المشرق

نظر عام في احوال العام

للاب لويس شيخو اليسوعي

شيَّعنا السنة ١٩٢٦ فودَّعتنا ولحقت باخواتها غائصةً في لجّة الابديّة. فلم يبقَ منها اثر سوى ذكرها. على انَّ التذكار لا يخلو من جدوى ومنافع جمّة يفوز بها العاقل الحكيم اذا ما راقب حوادث ماضي الزمان واعتبر ما جرى فيه من الامور ليستفيد منها لدينه ودنياه

ولا غرو فانَّ السنة المنصرمة مرَّت علينا وفي مطاوي ايامها الخيورُ والشرور الحسناتُ المرغوبة والسيئاتُ المرهوبة. ومن كل هذه الاحوال يستطيع المرء ان يجني ثمرًا لتهذيب نفسه. فامورُها السارَّة المفرحة حقٌّها ان تحيي في قلبنا الشكر للربّ المتنان والاقرارَ بفضله العميم الذي لا يحرم منهُ احدًا من المخلوقات. والامور المكدِّرة هي بوتقة النفوس الصالحة يسمح بها الله عزَّ وجلَّ ليختبر بها فضيلة المرء ويثيبهُ بالاجر الواسع على صبره ويبيّن له انَّ الارض دارُ قلعة لا بُدَّ يوماً من هجرها فلا يركن الى حطامها

باشر الانسان في سنته اهلَ جلدته فوجد بينهم الرفيعَ والوضيع الرئيسَ والمرؤوس الصالحَ والطالح فترشدهُ العبرى الى مراقبة اعمالهم فيقتدي بالخير ويتنكَّب عن الشرّ

ومما يقال اجمالًا عن سنتنا هذه الاخيرة انها كانت اشبه بجرب اقتصاديّة نشبت في معظم البلاد الاجنبيّة وكثيرًا ما سئيت في العملة السنيّة فجنحوا الى الاضراب عن العمل. وقد بلغ صدى هذه الاحوال الى اذاننا فاثرت في امور المعاش وايقظت مناكب العموم

وكأنَّ سياسة العالم لم تثبت حتى اليوم على قرار فكم حدث في هذه السنة من التقلبات في احوال الدول وكم تعدَّدت الازمات الوزاريَّة حتى لم تكد تسلم منها دولة. وهذه روسيَّة بمبادئها البولشفيَّة تنفخ في الرماد لتنشر في العالم الفوضى والفساد وعلى الرغم من مساعي جماعة الامم لا يزال شبح الحرب يتهدَّد قسماً من المعمور. فهيَّا بنا نراقب امور كل قارَّة على حدة

اوربة

﴿رومية﴾ يسرُّنا ان نوجه اوَّل نظرنا الى تلك السدَّة الرسولية التي هي مركز السلام ومحطّ آمال البشريَّة. يجلس عليها ذاك الذي يُناط بهِ إرشاد العالم الى الخلاص فينجو من الغرق كلُّ من ركب سفينته البطرسيَّة التي يدير سكَّانها بحكمتهِ السامية

كان الحبر الاعظم في العام المنتهي رائدَ السلام ومنار الشعوب. وليس اليوبيل العام الذي اعلن بهِ لكل العالم الكاثوليكي سوى احد وجوه ذاك السلام وهذا ما دفع مئات الالوف من البشر الى ان يزوروا رومية وحبرها الروماني

نشرَ تلك البراءات الجليلة التي نهج بها الطريق للحياة الفضلى اذ قدَّم للعالم مثال القديس فرنسيس الاسيزي الذي بزهدهِ وفقره نجَّى معاصريهِ من مطامع الظالمين. ارشد الكون الى المسيح الملك ينبوع كل حق وحياة. عرض على الشبيبة القدوة بشابَّين من سلالة الملوك لويس غونزاغا واستانسلاوس كوستكا اللذَيْن غلبا العالم واباطيلهُ بسموّ فضائلهما فأقرَّ العالم لهما بالانتصار على خزعبلاتهِ. فترى نائب المسيح لا يفكر الَّا في السماء وخلاص الامم بينما ترى العالم غائصاً في الماديات ملتصقاً بالدقعاء

وهي الافكار السامية التي حدَتْ بهِ الى الاعلان بقداسة بعض اولياء الله الذين بذلوا نفوسهم فماتوا كراماً لئلَّا يتدنَّسوا بتضحية ايمانهم سواء كان في ثورة فرنسة الكبرى في اواخر القرن الثامن عشر ام بفتن الشام سنة ١٨٦٠

وهي الغاية التي توخاها ايضاً قداستهُ بتنشيط الرسالات الكاثوليكيَّة بين الامم الوثنيَّة او المنفصلة عن الكنيسة. فرقَّى الى درجة كمال الكهنوت ستَّة رجال من الاكليروس الصيني. وارسل الى روسيَّة من يُعنى بامور اهلها الروحية

وكانت المعاملات بين الكرسي الرسولي والدول المختلفة ودّيَّة. تمثلها لديهِ ٢٧

دولـة بسفرائها اذ يدرك ارباب الامور عظم شأن البـابويَّة ونفوذها الادبي في كل البلدان . ولذلك ايضاً كان يلقى ممثلو إمام الاحبار في كل دولة معظم الإكرام والاجلال لا يُستثنى منها إلَّا دولة المكسيك التي شهرَت الحرب على الدين واصحابهِ . فكان لاحتجاج الحبر الاعظم على اضطهادها للكنيسة بالمنشور الذي اعلن بهِ مؤخرًا وقعٌ عظيمٌ . ولا ريب في انتصار الدين قريباً على كل اعدائهِ فانَّ الدماء الزكيَّة التي سُفكت هناك افضل دمال لخصب تلك التربة

﴿فرنسة﴾ انَّ الازمة الماليَّة فيها استغرقت كل الافكار حتى خيف من اعلان الدولة بعجزهـا . وكانت الوزارات تتوالى من بانليفي الى هيريو الى بريان دون ان تتوفَّق الى إصلاح الامور حتى دُعي الى ادارة الامور المسيو بوانكاره فالتفَّت حولهُ الاحزاب المتباينة إلَّا المتطرِّفة منها وعضدهُ مجلس الشيوخ واتخذ وسائل فعَّالة لتقويم العوَج . والامل معقود في تحسُّن الماليَّة ووفاء الديون التي تكلَّفتها فرنسة لتنهض باعباء الحرب الكونيَّة

على انَّ هناك حرباً أُخرى لم تخمد نارها ولا يهدأ انصارها ألا وهي مناهضة الدين التي لا يزال اعداؤهُ اصحابُ المحافل الماسونيَّة والجمعيَّات السريَّة يحاولون استئصال شأفتـهِ وقتل روحهِ لاسيما في الناشئة ولذلك لا يألون جهدهم في احتكار المدارس ونفي اساتذتها الرهبان ليخلو لهم الجوّ كما انهم يفرغون مجهودهم في تقييد الكاثوليك باغلال الشرائع الكفريَّة

لكنهُ والحمد لله قد قامت في وجههم في هذه السنين الاخيرة نفوس ابيَّـة من اساقفة وكهنة ورهبان وعاليين دعوا الى مناصرتهم الشعب المسيحي فعقدوا المؤتمرات وخطبوا الخطب الحماسيَّة وألَّفوا اللجنات العاملة ورفعوا احتجاجات الالوف بل الوف الالوف من الوطنيين الى رؤساء الدولة وطلبوا الحرية الدينيَّة التامَّة وقاموا بمظاهر حافلة حسبت الدولة لها الحساب فسكنت نوعاً تلك الحرب الجائرة . وكان من اكبر انصار الحرِّيَّة الدينيَّة في هذه النهضة الجنرال كاستلنو احد اركان الحرب العموميَّة وابطالها المعدودين

وقد عرفت الحكومة الفرنسويَّة لبعض اعضاء الاكليروس فضلهم فمنحتهم امتيازات شرفيَّة واوسمة وجوائز نالوها بخدم جليلة ادَّوها لبلادهم وباكتشافات

علميّة وغير ذلك من الايادي الجليلة وقد ارسلت من ينوب عنها في حفلات السنة المئة لمولد الكردينال لافيجري القامة في الجزائر وفي تونس . وكان استقبال رئيس الجمهورية المسيو دومرغ لممثل الكرسي الرسولي في باريس السيد ماغليونه خلف السيد شيرني المدعوّ الى رتبة الكردينالية غاية في الوداد

ومما سرّ به الفرنسويون الاتفاق النهائي مع انكلترة واميركة بخصوص وفاء ديون دولتهم . وكذلك رأوا في تقرير معاهدة لوكنو بين الهرسترسمان وبريان عاملاً لاثبات السلام ولتقرّب فرنسة من المانية لولا بعض المبالغة في مطاليب سترسمان التي يصعب على فرنسة التسليم بها خوفاً من سوء عقباها

وانتهت ايضاً الحرب المراكشية التي شغلت فرنسة منذ ثلث سنوات واضطرّتها الى بعثات عسكرية متتالية وإنفاق المبالغ الطائلة . فكان آخر فوزها بتسليم عبد الكريم زعيم القبائل الريفية سيفهُ للجنرال بويشو

وممن فقدتهم فرنسة في العام الماضي في ٢٨ اذار دوق اورليان لويس فيليب روبر من سلالة ملوك فرنسة واحد الطالبين بحقوق وراثتهم . كان مولده سنة ١٨٦٩ . توفي في بالرمو . كان الفقيد مضطرم الحبّ لوطنهِ وطلب مراراً ان يخدمهُ في الجندية فلم يحظ بمرغوبهِ . وهو احد المناصبين لدريفوس لما تحقّق خيانتهُ وكان كثير الدين اعلن باشمئزازهِ من فصل الدولة والكنيسة . وكان الصليب على صدرهِ في آخر انفاسهِ مع كيس صغير ملأهُ من تربة وطنهِ وطلب ان يُعاد جثمانهُ الى مدافن اجدادهِ عند سنوح الفرصة لذلك .

وفي هذه السنة توفي امير آخر البرنس فكتور نابوليون بونابرت ابن البرنس جيروم . كان مولده سنة ١٨٢٢ وتوفي في ٣ ايار . لم يسرْ على مثال والده المعروف بقلّة الدين وانما جرى على تعاليم والدتهِ التقيّة كلوتلدة من ساڤوا وحافظ على مبادئهِ طيلة حياتهِ

وممّن رحل الى الابديّة من الفرنسويين الوزير رينه فيڤياني المولود في السنة ١٨٦٣ والمتوفى في ٧ كانون الثاني مصاباً بالجنون . فكأنّ الله اراد ان يجازيهُ عن معاداته للدين وهو القائل يوماً : «انّنا قد طفأنا في السماء انواراً لن تعود الى ضيائها» فأطفأ الله نور عقلهِ ولا تزال انوار الدين ساطعة متّقدة

ولقد اسف للكاثوليك على وفاة السيّدة دوقة دي روهان الشريفة في ١٣ نيسان

التي قضت حياتها في كل اعمال الرحمة وكانت من الكاتبات الشهيرات . وفي ايام الحرب حولت بيتها الى مستشفى خدمت فيه الجرحى بيدها . وقد منحتها الدولة وسام جوقة الشرف

﴿انكلترة﴾ اضطربت احوالها الداخلية باعتصاب عملة المناجم في غرة ايار فتفاقمت الامور واتسع الإضراب عن العمل فحدثت بسببه ازمات مالية ونقص في الميزانية ولم يحصل الاتفاق الّا بعد المخابرات الطويلة ولعلّهُ لم يتمّ نهائيًّا حتى الآن.

امّا سياسة انكلترة الخارجة فرضيّةٌ اجمالًا . فانها على الرغم من تحفّظها ثابتةٌ على ولائها مع فرنسة . توجّست خوفًا لتقرّب هذه الدولة من المانية لكنها ما لبثت ان رأت في خوفها وهمًا وانّ في اتفاقها مع فرنسة والمانية نجاةً من روسيّة البولشفيّة التي اخذت تبثُّ مبادئها الفاسدة في ممالكها فقطعت معها علاقاتها

ومما كدّر سماء سياستها الخارجية ما جرى في الصين من الفتن ضدّ نفوذها ورعاياها باغراء البولشفيك حتى رأت من الواجب ارسال الدوارع الى الشرق الاقصى لقمع الثورة . ومثلها فعلت فرنسة واليابان

لكنّ بريطانية العظمى شكرت حسنَ طالعها في جهات العراق اذ اقنعت في ٦ حزيران الدولة التركيّة بان لا تتعرّض لها في انتدابها على الموصل مع ما هناك من مناجم البترول التي كانت تتشوّف اليها منذ زمن طويل ولعلّها تتقاسم ارباحها مع اميركة الطامعة فيها

وفي شهر نيسان وقع اتفاق بين انكلترة وايطالية بخصوص سياستهما في جهات الحبشة . وانما اعترض على هذا الاتفاق ارباب الامر في الحبشة ووجدوا فيه ما يمسُّ حقوقهم

اما مصر فهدأت فيها الاضطرابات السابقة بعد مجيء لويد جورج الذي بسياسته المعتدلة أخمد لظى الفتن . وكذلك السودان فانّ انكلترة كُفيت شرّ التزاحم واصبحت مقاليد الامور في يدها

ولانكلترة في جزيرة العرب الكلمة الراجحة بعد ان نفت الى قبرس الملك حسين وساعدت ابن السعود ملك نجد في بسط سلطته على الحجاز وحاضرتيه مكّة والمدينة وضمّت الى انتدابها على فلسطين العقبة واخاءها . إلّا انها تمخّضت من

احتكار ايطالية للتجارة في اليمن ومعاهدتها الادريسي صاحبها

اما الحركة الدينيَّة في انكلترة فتلوح بكل مجاليها بين الكاثوليك في مقدمتهم الكردينال بورن نابغة وطنه الكبير والساعي بكل شؤونه الدينيَّة والاجتماعيَّة. فباغرانه قد تألفت عدَّة شركات خيريَّة وتقويَّة. ومما يعود اليه الفضل انشاؤه للجنة كاثوليكية غايتها ضمّ قوى الجمعيَّات الكاثوليكية في العالم اجمع تكون رهينة ارادة الحبر الاعظم في تنفيذ كل ما يأمر به. والحركة الدينية المذكورة تتناول غير الكاثوليك فضلًا عن الكاثوليك فالانغليكان حيارى في امورهم تحقَّقوا بان اجدادهم بخروجهم عن الدين الكاثوليكي حادوا عن الطريق المستقيم فتراهم يتقرَّبون الى الكنيسة الكاثوليكيَّة ويتقلَّدون نظامها ورتبها الطقسيَّة وعباداتها بل لا يمرّ اسبوع دون أن يرتدّ بعض وجوه البلاد من اكليروس وعالميين الى حجر الكنيسة الرومانيَّة معلنين بايمانهم. ومما اقرّ به مؤخرًا السياسي الشهير لويد جورج في احدى الكنائس البروتستانية قوله: « انَّ الكنيسة الكاثوليكيَّة هي التي كسرت نير عبوديَّتنا في بلادنا ورؤساء هذه الكنيسة هم الذين بشَّروا فيها بتعاليم المسيح الصادقة »

﴿المانية﴾ هي اليوم تنفض عنها بقايا الغبرة التي لحقتها بكسرتها في الحرب العمومية. وها هي قد دخلت في جمعيَّة الامم مع كبار الدول لها ماليَّة واسعة تسمح لها بان تؤدي لفرنسة اقساطاً وافية من غرامة الحرب ولاصلاح الحقته بفرنسة وبلجيكة من الاضرار العظيمة

وقد عادت المانية الى تجارتها السابقة ولها من السفن التجاريَّة ما تجاري به اكبر الدول. اما قوَّاتها الحربيَّة فانَّها مع مراقبة الدول التي حكمت عليها بحصر تجنيدها ونزع سلاحها لا تزال تهتمّ بتعزيز قواها. ولعلها تقوّ بذلك على جاراتها وتمدّ خفية ما يرشحها يوماً للاخذ بثارها

وفكرها مصروف ايضاً نحو مستعمراتها التي اقتسمتها الدول المتحالفة. وهي تنتظر لاوَّل فرصة لتطالب بها وتعود اليها

وقد حصلت في المانية ازمات وزارية. فقامت اوَّلًا وزارة لوثر في ١٥ ك٢ ثمَّ خلفهُ الدكتور مركس بصفة كونشلير. ثم صارت الامور في عهدة الدكتور ستريسمان

وفي ١٢ ايار اكتشفت مؤامرة لبعض الوطنيين الذين حاولوا ارجاع الملك غليوم الى عرشه فلم تُصِب نجاحاً

الديانة الكاثوليكية في المانية مزهرة. لذويها المناصب العليا في المجلس النيابي وفي حكم البلاد. كان مؤتمرهم السنوي كمألوف العادة يدلُّ على اتفاق عظيم وثبات مستديم في ترقية المصالح الكاثوليكية. وقد بشّرت الجرائد بارتداد عدد عديد من البروتستانت الى الكثلكة. وانّما ابدى الاساقفة تأسفهم على اضرار الزواج المختلط بين الكاثوليك والبروتستانت فيفقد بسببه كثيرون ايمانهم ويعرّضون ذريّتهم الى نبذ دينهم

وقد فقد الكاثوليك في ٢٦ آذار احد زعمائهم السيد قسطنطين مفرنباخ المولود سنة ١٨٥٢ توفي في كرلسروه. كان من اعضاء الريشستاغ منذ السنة ١٩٠٣ واضحى رئيسهُ سنة ١٩١٨ لما انقلبت دولة الهولنزرن وأُعلن بالجمهوريّة. وفي السنة ١٩٢٠ أُسندت اليه رتبة كنشلبار الدولة وكان في اواخر حياته زعيم الحزب الكاثوليكي

﴿باڤارية﴾ كانت المعاهدة المعقودة حديثاً بينها وبين الكرسي الرسولي مدعاةً لنهضة دينيّة جديدة في انحاء باڤارية. فانَّ في ابرشيّة عاصمتها مونيخ وحدها تشيّدت ١٨ كنيسة كبيرة. اما امورها السياسيّة فجاريةٌ على خطة رشيدة. وقد ربحت من الحرب الكونيّة استقلالاً نوعيًّا افادها لنجاح امورها وحرَّرها من ربقة بروسية

﴿ايطالية﴾ سائرةٌ في معارج الفلاح بهمّة رئيس حكومتها السنيور موسوليني. فهذا الرجل قد ادرك بالاختبار انَّ عظمة ايطالية متوقفة على ركني الدين والوطنيّة. فلتعزيز الدين قام اوّلاً لمناهضة الماسونيّة فأصلاها حرباً ضروساً حتى قهرها وكشف عورتها واقفل محافلها. ثمَّ اعاد للدين مقامهُ في الدولة برفع الصليب على الهيكل الوطني ونصبه لهُ في المحاكم القضائية وسعى الى تكريم البابا بالغاء عدّة اشغال عمومية كانت تعيق العمّال عن تأدية فرائضهم الدينيّة. وردَّ لبناء الكوليزاي هيئتهُ الدينيّة السابقة. وخطب في المجتمعات الوطنيّة والدينيّة خطباً تنبئ بتوقيره للدين. واشترك في الحفلات القائمة لاكرام القديس فرنسيس الاسيزي. ولم يشأ في جنازة غير كاثوليكية ان يدخل للصلاة مع ذويها في معبدهم. فكلّ ذلك من شأنه ان ينعش الامل في رقيّ الدين في كل انحاء المملكة. ويا ليتهُ يحاول حلّ المسألة الرومانية حلًّا مرضياً

للكرسي الرسولي باعادة الاستقلال التام للحبر الروماني

اما الوطنية فقد دفعت موسوليني الى اعمال جليلة ظهرت اليوم فوائدها . فان التجارة الايطالية على ترقٍ عظيم فبلغت صادراتها اليوم ثلثة اضعاف صادراتها السابقة . وموسوليني يهتمُّ غاية الاهتمام في فتح موارد جديدة لتجارة وطنه . ولهذا تراهُ يبذل الجهد في عقد المعاهدات مع الدول المختلفة لبلوغ غايته واصون حقوق وطنه . كما فعل في اليمن وفي الحبشة وفي مصر وفي مراكش ولمأهُ يطمح الى جهات الاناضول والبانية

على انَّ اصحاب الثورة ومشايعي الماسونيَّة ما كانوا ليغفروا لموسوليني همَّتهُ في اصلاح وطنه فبدفعتين حاول تبعتهم قتلهُ . وقد ثبت انَّ الكولونل ريشيوتي غاريبلدي كان صاحب المؤامرة

﴿اسبانية﴾ تهنَّأت بظفر جنودها في الريف مع فرنسة وهي تنوي وضع يدها على طنجة لولا ما تجدهُ من الاعتراض في سبيلها من جهة انكلترة وايطالية . وقد انسحبت آخرًا من الاشتراك بجمعيَّة الامم ولذلك أبت ان تدفع قسطها اذ لم تُعطَ كرسيًّا ثابتًا مع الدول الكبرى

سعى ارباب الثورة والفتن ان يمكروا صفاء الدولة فحرَّكوا في بلاد كاتالونية قومًا من الاشقياء ليدسُّوا الدسائس ويهيجوا الافكار مطالبين باستقلال تلك الولاية ونفثوا في العموم سمَّ المبادئ البولشفيَّة وكان زعيمهم الضابط ماسيا يساعدهُ الكولونل غاريبلدي إلا انَّ المؤامرة قد انكشفت وفشل المتآمرون . كما فشلوا قبلًا في مؤامرتهم على الملك الفونس وكبير وزرائه دي ريفيرا

والدين كما هو معلوم عالي المنار في اسبانية غالب على معظم اهله . توافرت مظاهرهُ في هذا العام فاعربت عن رسوخه في قلوب اهلها

وقد أسفت اسبانية على وفاة احد وزرائها المحافظين الذي طالما دافع عن الملك وحزبه . وهو السيد مورا (Antoine Maura y Montaner) الذي اشتهر في وطنه كسياسي محنَّك وكخطيب مفوَّه وكمسيحي عميق الدين . طلب قبل وفاته ان يُدفن متشحًا بثوب رهبان الكرمل

﴿البورتغال﴾ منذ خلع اهلها السلطة الملكيَّة واعلنوا بالجمهورية لا يزالون في هياطٍ ومياطٍ تتوالى الوزارات دون ان تحظى البلاد بالراحة والسكينة . ففي ٣

شباط ثار في وجه الدولة الماجور لاسرْدا اليْدا فكان الظفر للثائرين من ارباب الجيش بعد نزاع طويل وعُهد الى الجنرال ميندس كابيكارس ان يؤلف وزارة فعضده الجنرال غومس كوستا وجعلا مقاليد الامور في يد الجنرال كرمونا. على انَّ الشعب البورتغالي عموماً لا يزال عريقاً في الدين مرتشداً بتعاليم اساقفته . ومنذ ظهرت البتول الى بعض احداث الرعاة في القرية المدعوَّة فاطمة ترى الجماهير يتهافتون الى زيارتها حتى اصبح مزارها لتلك البلاد شبيهاً بمزار لورد في فرنسة لما يجري فيهِ من العجائب كما في لورد

﴿النمسة﴾ رئيس جمهوريتها الدكتور ميشيل هينريش الكاثوليكي النزعة منذ كانون الاول ١٩٢٤ . وكان رئيس وزارتها ماتايا الذي قدَّم استعفاءهُ في ١٤ك٢ فقامت بعدهُ وزارة جديدة يرئسها الدكتور رامك بصفة كنشلبار

منذ فقدت النمسة ثلاثة ارباع اهلها في آخر الحرب العمومية اصبحت من عداد الدول الصغرى . وقد يُخاف على استقلالها من المطامع الجرمانيَّة

وقد أُصيبت النمسة الكاثوليكية في تشرين الثاني برزء عظيم لفقدها احد كبار زعمائها الاب آبل اليسوعي الذي كان من ابلغ خطبائها ورئيساً لعدَّة جمعيَّات دينيَّة لمحاربة اعداء الكنيسة والوطن . وقد أسعدنا الحظ بمعرفتهِ وبنظر اعمالهِ العجيبة

﴿بولونية﴾ هي الدولة التي نشأت بعد الحرب العالميَّة والتي يتهدَّدها عدوَّان ألدَّان على ثغورها روسيَّة شرقاً والمانية غرباً لا يغفران لها عَوْدها الى الحياة بعد أن اقتسماها ظلماً في النصف الثاني من القرن الثامن عشر . على انَّ بولونية جديرة بالدفاع عن استقلالها لولا ما يطرأ على سياستها من الاضطراب . وقد حصل فيها في اثناء العام الماضي تقلُّبات سياسيَّة بين الحزب العسكري والحزب المدني وقامت فيها ثلث وزارات تباعاً . وزمام الامور اليوم في ايدي الرئيس موشيكي (Moscicki) يعضدهُ في رئاسة الحربية المرشال بيلسودسكي (Pilsudski) الذي دخل ظافراً الى ڤرسوفية واسقط وزارة ڤيتوس القائمة بعد وزارة سكرزنسكي

وبولونية حاضراً احد اركان الديانة الكاثوليكية المعدودة فيها كالديانة الروسيَّة . وعليها يُبنى الامل في اهتداء قسم كبير من اهل روسيَّة الاورثذكس ومن بعض الشيع البروتستانية

وقد فقدت بولونية كبير اساقفتها الكردينال دَلبور المتوفى في ١٣ شباط من

السنة . اقامهُ كردينالاً الحبر الاعظم بندكتوس الخامس عشر سنة ١٩١٩ وخدم الكنيسة ووطنهُ بأجلّ الخدم

﴿روسيّة﴾ خفّف رؤساؤها نوعاً بعض تطرّفهم مع اهل بلادهم المزارعين والصنّعة اذ رأوا ما في معاملاتهم من الحيف على كيان دولتهم كما انهم سعوا بفتح موارد لتجارتهم في الخارج . على انَّ المبادئ البولشفية التي تشبّثوا بها يفرغون كنانة جهدهم في نشرها خفيةً او علانيةً في سائر البلاد لا تكاد دولة تنجو من شرّها . بل قد انشأوا لذلك مدارس يخرّجون فيها الوفاً من الشبان على هذه المبادئ فيقيمونهم دُعاةً لنفث سمومها في سائر الامم وينفقون في ذلك قسماً كبيراً من اموال الدولة السابقة التي استصفوها او حجروا عليها من ديون الدول الاجنبيّة . فترى اليوم نفوذ مبادئهم في الصين وفي المكسيك وقد تسرّبوا الى حواضر اوربّة كبرلين ولندن ومدريد والى جزيرة العرب ومصر ليثيروا حيثما يحلّون الفتن والثورات

وقد اصبحت بسببهم الديانة الارثذكسيّة في مقام حرج وانّما سمح الله بذلك لينير بضياء الايمان القويم عيون كثيرين من الروسيين الذين طلبوا الانضمام الى الكنيسة الكاثوليكية بينهم نحو عشرين كاهناً ارثذكسيا وعدّة رهبان اهتدوا في مدينتَي ڤلنا وبوتشايف وانشأوا لهم ديرين جاهروا فيهما بايمانهم

وهذه الحركة الدينيّة ظهرت ايضاً في ﴿ليتوانية﴾ جارة پولونيا . التي اذنت لليسوعيين ان يقيموا فيها . فذكرت ما كان لهم من الفضل في تهذيب ناشئتها قبل ان يضطرّهم الاشرار الى الخروج منها . وقد انشأوا في هذه السنة مدرسة كبيرة اكليريكية تبرّع الحبر الاعظم عليها بمبلغ كبير

وقد أمكن السيد دربيني (Mgr Derbigny) الاسقف اليسوعي ان يتجوّل مدّةً في روسيّة لخدمة الكاثوليك المتفرّقين في انحائها . وكان ذلك بمساعدة سفارة فرنسة

وفي هذا العام كانت وفاة السيد تشيلاك (Ciepiak) رئيس اساقفة ڤلنا وهو الذي اوقفتهُ الحكومة البولشفيكيّة سنة ١٩٢٢ وحكمت عليه بالاعدام فنجا من الموت بتوسّط الحبر الاعظم واحتجاج العالم المتمدّن فأُفرج عنهُ بعد نحو سنتين ومات في ١٧ شباط في اميركا متأثّراً من العذابات المرّة التي قاساها في سجنهِ

وفي ثاني شهر شباط المذكور توفي الجنرال الروسي سوخوملينوف في برلين . كان

هذا الجنرال رئيس عمدة الحرب لدولته في اوّل نزولها لمنازعة الالمان سنة ١٩١٤ لكنهُ عدَلَ خائناً الى الدول المركزيَّة فحُكم عليهِ بالاشغال الشاقة الدائمة ثمَّ أطلق البولشفيك لهُ الحرية فقضى آخر حياتهِ في المانية وفي الشهر التالي ١٧ آذار تبعهُ الى الابدية جنرال آخر من وطنه بروسيلوف الذي اشتهر في الحرب الكونيَّة بمحاربة النمسويين وعُهد اليه تدبير الجيوش كلّها خلفاً لسوخوملينوف في السنة ١٩١٧

وعلى الرغم من الاخبار التي يشيعها ارباب الدولة السوفياتيَّة ومراقبتهم الشديدة على الجرائد قد تحقَّق اليوم انَّ بين اولئك الزعماء اختلافاً ربَّما أدَّى الى هبوط دولتهم المبنيَّة على مبادئ الفساد والخراب وقد مات آخراً كراسين احد كبارهم في سفارة لندرة

﴿اليونان﴾ غلب على سياستها التنافر والخلاف . كان الجنرال بَنغالوس ضبط في اوائل السنة عنان الجمهورية وطلب رأي الشعب في تأييد حكمهِ فوجدهُ موافقاً لظنّهِ واخذ يؤلف الوزارات ويتلمَّس رضى بعض اعيان البلاد من اركان البحر ورؤساء الجيش لكنَّهُ لم يُصب من فعلهِ غايةً فدارت عليه الدوائر لضعفهِ في التدبير ومبالغته في النفقات ووضع الضرائب . فقام الجنرال كونديليس ومعهُ قوَّة الجيش فقلب الحكومة وتغلَّب على المدافعين عنها والقى القبض على بنغالوس وألَّف وزارة جديدة وحوَّر بعض بنود الدستور وايَّد الجمهوريَّة فلم يدع أملاً لحزب ڤنيزيلوس باعادة الملك الى عرشهِ

﴿الدول البلقانيَّة﴾ هي دوماً على لهيب من النار لانَّ فيها عناصر متباينة لكل عنصر منها اخلاقهُ ولغتهُ وخطَّتهُ وغايتهُ فيصعب الوفاق بينهم . بل كثيراً ما يقع الخلاف في كل دولة منهم . فترى السياسة في ﴿بلغارية﴾ قلقة جدًّا . فانَّ الاحزاب الجمهورية والشيوعيَّة تنوي قلب الملك بوريس والحكومة الملكية . وقد وقف ارباب الامر على مؤامرة عقدها بعض قدماء الوزراء من حزب ستمبوليسكي مع البولشفيك الروسيين

وكذلك ﴿رومانية﴾ فانَّ بين ملكها فرديناند واولادهِ نفوراً . فشاع الخبر انهُ ينوي اعتزال الامور لتوعُّك صحَّتهِ فيقيم عوضهُ ابنهُ الثاني ميشال بعد ان تنازل البرنس كارول ولي العهد عن حقوقهِ

ولا تزال الامور متوتِّرة بين اليونان والبلغار والرومان . وقد حصلت عدَّة مناوشات

في ثغورهم بين عصابات كانت تتجاوز الحدود فتثير البغض في اهلها فجرت بسبب ذلك منازعات كادت تضرم نيران الحرب بين صوفيـة وبلغراد فتدارکهـا الوزير الفرنساوي بريان . وقد تكررت هذه المشاجرات في المدة الاخيرة فإن انفجرت نيرانها — لا سمح الله — يمكنها ان تثمر حرباً عمومية جديدة

وقد عقد الكاثوليك في اوائل الخريف مؤتمراً كبيراً في زغرب رئيسهُ السيد باوز اتفقوا فيه على اقامة حفلات عمومية سنة ١٩٢٧ بنسبة المئة الحادية عشرة لميلاد رسول بلادهم القديس كيرلس

﴿ الدول السكندينافية ﴾ هذه الدول بحيادها عن الحرب لم ينلهـا شيء من ويلاتها فبقيت راقية في معراج الفلاح سياسياً وادبيا واقتصادياً . فانَّ ﴿ الدانيمرك ﴾ تحبُّ ملكها كرستيان العاشر الذي منذ السنة ١٩١٢ يرعى شعبـهُ بكل حكمة . والحرية الدينيَّة التي أُعلنت منذ عهد قريب قد سمحت للدين الكاثوليكي ان يشعَّ بانواره في تلك الدولة . وقد بلغ عدد المهتدين الى الكثلكة في الخانها ١٤ الفاً فزادوا خمسة اضعاف على عددهم قبل عشرين سنةً . امَّا آدابهم الراقية فقـد لحظها العموم واقرَّت بها الدولة . وكانت ﴿ نسوج ﴾ اشدَّ معاداةً للدين الكاثوليكي وقد فتحت لهم ابوابها في هذا القرن الاخير . وفي اقتران الاميرة استريد ابنة الملك غوستاف بولي عهد بلجكة ما يولّد الامل في نموّ الكاثوليـك في تلك الدولـة . وممن اهتدوا الى الايمان في اسوج شابٌ بروتستاني النحلة يدعى شرل شيلنغ ترهّب بعد ارتداده في رهبانية البرنبيين واشتهر بقداسة سيرته وخدمته للمرضى والفقراء فمات برائحة القداسة سنة ١٩٠٧ وظهرت بشفاعته كرامات عديدة حتى فكروا في دعوى تثبيت برارته في رومية . ومثلها دولة ﴿ نروج ﴾ التي يملك عليها الملك هاكون السابع منذ عشرين سنة . ففي السنة الماضية يوم عيد الفصح رقّى السيد بودريليار الى درجة الكهنوت هنريك هرجنس الذي كان ضابطاً في زمن الحرب الكونيَّة فاجتمع ببعض الكهنة الكاثوليك وارتدَّ الى دينهم سنة ١٩١٨ ثمَّ شعر بان الله يدعوهُ الى خدمته فدرس العلوم الـدينيَّة في كلية باريس . والمذكور ابن سفير دولة نروج لدى الكرسيّ الرسولي فكان لاهتدائه شهرة واسعة

﴿ المجر ﴾ اوشك اليهود والبروتستانت والفرمسون ان يبسطوا سيطرتهم على

تلك الدولة واخذوا في محاربة الكثلكة التي وحدها تقوم في وجه تعاليمهم الفاسدة. فانتبه الكاثوليك لغاياتهم السيئة وضمّوا قواهم للدفاع عن دينهم فعقدوا المؤامرات وألّفوا الشركات الادبيّة والدينيّة وانشأوا الاخويات التقوية التي اصبحت كحصن حصين في وجه اعداء دينهم وكسرت شوكتهم .

﴿بلجيكة﴾ هي الدولة التي بهمّة ملكها البير الاول واكليروسها ونشاط شعبها اظهرت للعالم قوّة ادبيّة فازت بالقوة الماديّة. وقد اصابها كغيرنسة ضريبة في ماليتها بهبوط الفرنك البلجيكي. فتداركت الخطر بحسن تدبير زعمائها

امّا الامور الدينيّة فيها فعلى غاية ما يُرام بحسن نظر اساقفتها وتربية شبيبتها في المدارس المذهبيّة وبوفرة مشروعاتها الادبية. وقد كان لوفاة بطلها الكردينال مرسيه اسفٌ عظيم شمل كلّ ابناء الوطن لما اداهُ لهُ من الخدم الجليلة في ايام الحرب الكونيّة فدافع عنهُ دفاع الابطال بازاء الالمان اذ داسوا حقوقه تحت ارجلهم. وقد خلفهُ على كرسي مدينة مالينة السيد ڤان رُوي (Vân Rocy) المعروف بخصاله الفريدة وقد نظمه الحبر الاعظم في الشهر الماضي في سلك امراء الكنيسة بالرتبة الكردينالية

والبلجيكة فضل عظيم في نشر الايمان في البلاد الاجنبيّة يجارون الفرنسويين في ذلك. وفي مدارسهم يتخرّج عدّة شبّان من الروسيّين المرتدّين الى الكثلكة يستعدّون لخدمة الدين في وطنهم بعد كهنوتهم

وممّا يؤسف لهُ وقوع الخلاف بين الاحزاب السياسيّة من محافظين واحرار. وقد تجدّدت الوزارة في ٧ ايار ألّفها السيد برونه (Brunet). على انّ الحزب الكاثوليكي لا يزال هو الراجح في مجلس النوّاب

﴿هولندة﴾ ساءنا ما عوّل عليه مجلس نوّابها اذ رفض التصديق على نفقات السفارة لدى الڤاتيكان. فكان فعلهم سبباً لاستعفاء اربعة وزراء كاثوليك احتجاجاً على الامر. ومن المعلوم انّ هولندة قد وجدت في الكاثوليك وهم مليونان ونصف في دولتها افضل عضد في وجه الشيوعيين والاشتراكيين. وقد اظهرت الملكة وليلهلمين غير مرّة اكرامها للحبر الاعظم وتمنّيه في بلادها. ثمّ انّ المشروعات الكاثوليكية في انحاء هولندة في غاية الرقي والنجاح. كما انّ الحماس الديني غالبٌ على الشعب. ولهم غيرة عظيمة في نشر دينهم في البلاد الاجنبيّة

ومما يؤسف له ظهور قوم تشبّعوا روح الكفر باغراء الشيوعيين فاخذوا يزرعون في العموم زؤان تعاليمهم الفاسدة . ومن الوسائل التي يتوسلون بها لمضادّة الدين الكاثوليكي الزواج المختلط بين الكاثوليك وسواهم . والاساقفة اليوم مهتمّون لسدّ هذا الخلل

ومن اخبار هولندة اقامة علمانها معرضَيْن في امستردام في الصيف الاخير عُرضت فيها اعمال الفرنسويين الفنيّة من صناعة وتصوير ونقش زارهما الوفٌ من الزوّار في مقدّمتهم الملكة وحاشيتها وقد ابتاعت لبلاطها ثلاثاً من صورها واشياء غيرها نادرة

﴿سويسرة﴾ انّ التعصُّب البروتستانيّ الذميم قد خفّ في ارجائها كثيراً وهذه عاصمتها جينيڤا قد عاد في ارجائها رونق الدين الكاثوليكي بلا معارضة . وعدد الكاثوليك في سويسرة بموجب الاحصاء الاخير الذي أُجري هناك يبلغ ١،٦٠٠،٠٠٠ نفس

وفي سويسرة ايضاً أُقيم معرض لفنّ التصوير الفرنساوي . افتتحوهُ رسمياً في ٨ ايلول وعُرضت فيه اجمل مصنوعات المصوّرين الفرنسويين القديمة والحديثة منها ما كان في المتاحف الكبيرة ومنها ما كان لبعض الخاصّة عرضوهُ لفائدة العموم

(لهُ بقية)

حياة الرسالات الكاثوليكيّة

للاب فردينان توتل اليسوعي (تتمة)

بسطنا في فصل سابق (عدد ت ٢ ١٩٢٦ ص ٨٥٢) ما يختصّ بنظام الرسالات الكاثوليكية وذكرنا المجمعين المنوطة بهما حاضراً تلك الرسالات مع تعريف روسائها في مواطن عملها . فبقي علينا ان نوجّه النظر الى عمّلة تلك الرسالات واعمالهم وبرنامج مصاريفهم فنقول :

٥ العملة في كرم الرب

المرسلون على نوعين. منهم المتسمون بسمة الكهنوت وعليهم يُطلق اسم المرسلين بحصر المعنى. ومنهم المشتغلون باعمال الرسالة التي لا تختص بالكهنة كالتعليم والتهذيب والتطبيب وما شاكل ذلك

١ المرسلون الكهنة

يُقسمون الى قسمين اوربيين ووطنيين

اولاً ﴿ الاوربيون ﴾ وكلهم تبعة الطقس اللاتيني الروماني. لما كان عدد الكاثوليك في العالم معظمهُ في اوربّة اذ يبلغون هناك نحو مئتي مليون فلا عجب أن يكون مرجع الرسالات الاجنبيّة منوطاً بمرسلين اوربيين فضلاً عمّا عُرفوا بهِ من النشاط والغيرة والحماس الديني وسموّ المدارك والثبات على العمل. والمؤسسات التي قامت باعمال الرسالة ترقى الى القرون الوسطى. وقد اتّسعت بانشاء الرهبانيّات الكبيرة منهم البندكتيون اوّلاً ثم الفرنسيسيّون والدومنيكيّون في القرن الثالث عشر ثمّ اليسوعيّون في القرن السادس عشر. وقد بلغت اليوم المؤسسات الاوربيّة الساعية بالرسالات ٥٢ مؤسساً كان عدد مرسليها سنة ١٩٢٣ يبلغ ٩١٩٦ فكان تسعة الاعشار منهم في البلاد الوثنيّة والعُشر الاخر في الشرق الادنى. ومعظم عدد هؤلاء المرسلين ينتمي الى الرهبانيّات القديمة اخصّهم اليسوعيّون بعدد ٢١١١ ثمّ الفرنسيسيّون بعدد ١٥٨٦ . ثم يقرب منهم بالعدد كهنة الرسالات الاجنبيّة المتخرّجون في مدرسة باريس المنشأة في القرن السابع عشر وعددهم ١١١٥ وهلمّ جرّاً

ثانياً ﴿ المرسلون الوطنيّون ﴾ قد طالما احسّ الاحبار الرومانيّون بمسيس الحاجة في الرسالات الاجنبيّة الى عملة وطنيين يشتغلون في سبيل خلاص مواطنيهم. ولا غرو فان المرسل الوطني ان كان متّصفاً بالصفات اللائقة للتبشير لديه من وسائل النجاح ما لا يصيبهُ المرسل الاجنبي فانهُ بمعرفتهُ للغة ابناء جلدتهِ وطباعهم وعقليّتهم هو اقرب الى قلوبهم واقدر على ازالة اوهامهم. ثم انّ وطنيّتهُ لا تُعرّضهُ الى الابتعاد عن رعاياه في الحروب الدولية وفي الفتن الاهليّة فيواصل عنايتهُ بذويهِ

وهذا ما دفع الكرسيَّ الرسولي والجماعات المهتمَّة بالرسالات الكاثوليكيَّة والمرسلين الاوربيين عموماً الى ان ينشئوا مدارس كهنوتيَّة يهذّبون فيها شبّاناً من الوطنيين في العلوم الدينيَّة حتى اذا انهوا دروسهم ورُقّوا الى درجة الكهنوت يقومون كالمرسلين الاوربيين بكل مشاريع الارساليَّات. على انَّ مساعيهم في ذلك عثرت في القرون السابقة بعوائق شتى لم تسمح الاحوال السياسيَّة والاقتصاديَّة بتحقيقها تماماً. الّا انَّها اصابت المرمى في القسم الثاني من القرن التاسع عشر وخصوصاً في القرن الحالي بانشاء المدارس الاكليريكية لتهذيب طلبةٍ من الاقطار الاجنبية فبلغوا بعد دروسهم الى درجة الكهنوت وتوفَّر عددهم حتى ان عدد الكهنة الوطنيين وهو اليوم ٣٨٧٣ كاد يجاري عدد المرسلين الاوربيين البالغ ٣٩٦١.

وقد امتازت في ايَّامنا بترقيها الديني السريع تلك البلاد التي ارتوت بدماء الشهداء كاليابان وكورية والصين والهند الصينيَّة والهندستان وسيلان فاينعت فيها الثمار الخلاصيَّة. والاكليروس الوطني فيها يبلغ نحو ثلثي كهنتها من المرسلين الاوربيين

ولنا ايضاً في شرقنا العزيز آثار طيّبة من الحياة الرسوليَّة في الكنائس الشرقيَّة لاسيما ما أُنشئ فيها من الرهبانيَّات الوطنيَّة التي تسعى في خدمة النفوس كل رهبانيَّة في طائفتها. وقد سبقت مجلَّة المشرق وكتبت مقالات واسعة عن تاريخ معظمها

فللارمن الكاثوليك الرهبانيَّة المكيتاريَّة المنشأة سنة ١٧٠١ (راجع تاريخها واخبار منشئها في المشرق (٥ [١٩٠٢] : ٣٢ــ٤١)

وللسريان الكاثوليك رهبانيَّة مار افرام ظهرت مدَّةً في القرن السابع عشر ثمَّ تأسست على طريقة ثابتة سنة ١٨٨٨ (المشرق ١٢ [١٩٠٩]: ٧٦٥ــ٧٧٠)

وللموارنة ثلث رهبانيَّات: اللبنانيَّة البلديَّة والانطونيانيَّة والحلبيَّة. أُنشئت الاولى سنة ١٦٩٥ وعنها انفصلت الحلبيَّة سنة ١٧٣٢ وأُنشئت الانطونيانيَّة المنتسبة الى مار اشعيا سنة ١٧٠٠ بهمَّة الطيّب الذكر المطران جبرائيل البلوزاني الذي انتُخب بعد ذلك بطريركاً وتوفي سنة ١٧٠٥ (اطلب المشرق في سنتيه الرابعة والخامسة)

وللموارنة ما عدا ذلك جماعة المرسلين اللبنانيين الذين انشأهم رجل الله المطران يوحنا حبيب في دير الكريم سنة ١٨٦٥ (اطلب برنامج اخويَّة القديس مارون ص ١٠٨)

وللروم الكاثوليك ايضاً ثلاث جمعيَّات رهبانيَّة تحت قانون القديس باسيليوس :

الرهبانيَّة الخاريَّة الشويريَّة والرهبانيَّة الحلبيَّة المنقسمة عنها ثمَّ المخلصية. تجد اخبارهم في المشرق ٩ [١٩٠٦] ٨٩١٤ و ١٠ [١٩٠٧]: ١٧٠ و ١٤ [١٩١١]: ٦٤١) ولهم ايضاً جماعتهم الرسوليَّة المنتسبة الى القديس بولس التي انشأها في حريصا الطيب الاثر السيد جرمانوس معقد (المشرق ١٥ [١٩١٢]: ٤٥٦) والكلدان رهبانيَّة القديس هرمز التي انشأها سنة ١٨٠٨ الاب جبرائيل دنبو الاردبيلي (المشرق ٢ [١٨٩٩]: ٢٦٦)

٦ المساعدون في الرسالات

هم غير الكهنة فمنهم اوربيون ومنهم وطنيون

١ الاوربيون

منهم ﴿الاخوة﴾ وهم رهبان ينذرون النذور الثلثة الطاعة والعفة والفقر. يؤلف بعضهم جمعيات رهبانيَّة مستقلَّة كجمعية اخوة المدارس المسيحية وبعضهم ملحق بالرهبانيَّات الاكليريكيَّة الكهنوتيَّة. وهؤلاء شغلهم امَّا بتهذيب الشبيبة وامَّا بخدمة المرضى او بالاشغال الصناعيَّة في الرسالات. وعددهم اليوم يبلغ ٣٦٠٠ راهب النصف منهم تقريباً من جمعيَّات خاصَّة والباقون ينتمون الى رهبانيَّات اكليريكيَّة. والقسم الاعظم من الاخوة يخدمون الرسالات الاجنبيَّة بين الوثنيين في آسيا عددهم (٧٤٧) وافريقية (١٥٨) واميركا (٥٢٠) وفي اوستراليَّة واوقيانية وجزائر الفيليبين (٤١٢). والباقون نحو ٥٠٠ هم في الرسالات الشرقية

ومنهم ﴿الراهبات﴾ فانهنَّ كنَّ يخدمنَ الله سابقاً محصَّنات في اديرتهنَّ حتى رأى المرسلون الحاجة الماسَّة الى مساعدتهنَّ لتهذيب بنات جنسهنَّ. فما كاد الكرسي الرسولي يأذن لهنَّ بالخروج الى الرسالات الاجنبيَّة حتى تبارين في تلبية دعوته. وسار جيش كبير من العذارى المسيحيَّات لمؤازرة المرسلين في اعمالهم فنلنَ فوزاً باهراً. ولا عجب فانَّ الراهبة تقوم باعمال لا يقوى عليها احد مثلها سواء تطوَّعت لتثقيف الصغار ام عُنيت بتمريض الاعلاء فانها مستعدَّة لضروب التضحيات لوجه الله دون ان تطلب مكافأة بشريَّة عن عملها. فعواطفها السامية تزيد لطفها الطبيعي وتخوّل ملامحها مسحة

ملائكيَّة تسبي بها كلَّ القلوب فتأسرها بمحبتها ومحبة دينها

واوَّل من ركب من الراهبات مَتْن البحار لمباشرة اعمال الرسالات راهبات القديس يوسف المنسوبات الى كلُوني وذلك سنة١٨١٧ أُرسلن الى جزيرة بوربون. وما لبثت ان تبعتهنَّ راهبات المحبة اللواتي دخلن تركيَّة سنة ١٨٣٧ ثمَّ انتشرن في كل بلاد الشرق الادنى. تولَّين كل المشروعات الخيريَّة واحكَمْنها بما طُبِعن عليهِ من الغيرة والنشاط

واليوم حيثما يوجد مرسلون من الكاثوليك تجد الراهبات يجارينهم ويشاطرْنهم اتعابهم دون سأم ولا ملل. وقد انتقلت معهم حتى الراهبات الحبيسات الى اقاصي البلاد ففتحن الاديرة في الصين واليابان وفي مجاهل افريقية. وقد بلغ عدد الجمعيَّات النسائية الرهبانيَّة العاملة في الرسالات الاجنبيَّة ١٩٠ جمعيَّة . نفرنسة بينها التقدُّم بوجود ٥٩ جمعيَّة فرنسويَّة في الرسالات. وبعدها اميركة(٢٦)ثمَّ ايطالية(١٨) ثم المانية (١٧) ثم كندا (١٦) ثم هولندة (١٥)ثم بلجكة (١١) الخ. ومجموع عدد الراهبات المرسلات لا يقلُّ عن ١٣٫٠٠٠

﴿ الاطبَّاء ﴾ انَّ المرسلين في رسالاتهم لا غنى لهم عن الاطباء لمعالجة المرضى سواء كانوا من المتنصرين ام غيرهم ولذلك كثيرًا ما كانوا يدرسون الطب في القرون السالفة حتى ايَّامنا وقد ادَّوا لذلك من الخدم ما يطول تعدادهُ. وكثيرًا ما كان الطبّ يقرّبهم الى ملوك البلاد واعيانهم وربَّما فتح لهم باب القلوب فردُّوا بواسطتهِ الوفاً مؤلفة من الوثنيين الى النصرانيَّة لاسيما قبل فتح المعاهد الطبيَّة في بلاد كثيرة.

على ان المرسلين لم يزاولوا الطبابة إلَّا اضطرارًا وقد فكَّروا اليوم في مشروع حديث تُبنى عليهِ اطيب الآمال وذلك بانشاء مكتب طبي تحت ادارة رجال الاكليروس يتخرَّج فيهِ طلبةٌ علمانيُّون يتعهَّدون بخدمة الرسالات الكاثوليكيَّة مجانًا دون ان يتقيَّدوا بنذور وتقوم الرسالات بكل لوازم معاشهم. والمكتب المذكور قد أُنشئ في المانية في مدينة ڤورزبورغ. وقد أثَّر هذا الفكر في بعض الاطباء فطلبوا ان يُرسَلوا الى الرسالات الكاثوليكية على هذه الصورة. منهم ١٦ طبيبًا هولنديًا وتقدَّموا لهذا المشروع الصالح

٢ الساعدون الوطنيون

١ ﴿ الاخوة ﴾ يوجد عشر جمعيات رهبانية وطنية مستقلة تخدم الرسالات في الهند وفي سيلان وسبعٌ غيرها في افريقية واثنتان في الصين واوقيانية يبلغ عدد مرسليها ٢٨٢ راهباً . والباقون في عدد ٤٥٠ متوهبون في رهبانيات اوربيّة . وكلّهم يتفانون في خدمة مواطنيهم في اعمال الرحمة او التعليم .

٢ ﴿ الراهبات ﴾ من الراهبات الوطنيّات عدد عديد ممّن انتظمن في سلك الرهبانيّات الاوربيّة كما ترى في بلادنا بين راهبات المحبة وراهبات الناصرة وراهبات العائلة وراهبات مار يوسف ولم يُعرف عددهنّ بالتدقيق . امّا الراهبات الوطنيّات اللواتي انشأنَ جمعيّات مستقلة فيبلغ اليوم عددهن ١١،١٥٨ في البلاد الوثنيّة منهنّ في آسية ٩٢٢٥ وفي افريقية ٩٦٦ وفي اميركا الشماليّة والجنوبيّة ٦٩٤ وفي اوقيانية وجزائر الفيليبين ٢٧٣ . والسبقُ لهذه الجمعيّات في الصين وعدد راهباتها الوطنيّات ٣٥١٣ ثم انحاء الهند بعدد ٢٧٣٦

ومن الراهبات الوطنيّات في شرقنا الادنى ممن يعتنين بالاعمال الرسوليّة اقدمهنّ راهبات الزيارة التي انشأهن الاب غينيار اليسوعي سنة ١٧٤٤ في عينطورا يتبعن طقسهنّ المارونيّ امّا قانونهنّ فهو قانون القديس فرنسيس دي سال يشتغلن بتهذيب البنات وعددهنّ نحو ٣٠ (المطلب المشرق ٤ [١٩٠١] : ٧٠٤)

ثمّ راهبات قلبي يسوع ومريم . تألفت جماعتهنّ من فرعين سابقين انشأ الاوّل منهما في مطلّة زحلة الاب بولس ريكاديّا اليسوعي سنة ١٨٤٨ والثاني انشأهُ في بكفيّا الاب ريموند استيف اليسوعي والخوري يوسف الجميّل سنة ١٨٥٣ . عددهنّ اليوم ٢١٣ في ٣٩ ديراً وقد ادّين من الخدم في تهذيب البنات في انحاء الشام عموماً وفي قرى لبنان خصوصاً ما لا يعلمهُ الّا الله (المشرق ٢١ [١٩٢٣] : ٦٤١)

وفي السنة ١٨٥٢ انشأ السيد انطون حسّون قبل بطريركيّته الراهبات الارمنيّات المنتميات الى الجبل بلا دنس في الاستانة سنة ١٨٥٢ لهنّ دير ومدرسة حديثة في بيروت وكان معظم شغلهنّ قبل الحرب في ارمينية والاناضول

ثمّ انشأ الكاهن اللاتيني يوسف طنّوس في القدس الشريف جماعة راهبات الورديّة لتعليم الفتيات في فلسطين سنة ١٨٨٠ عددهن نحو ٩٠

ثمّ راهبات العائلة المقدّسة المدونيّات اللواتي انشأهنّ غبطة البطريرك الياس الحويك في زمن اسقفيّته سنة ١٨٩٥ في عبرين وعددهن اليوم نحو ٨٠ ولهنّ اربعة عشر ديرًا

ثمّ الراهبات الدومنيكيّات الثلاثيّات انشأهن الآباء الدومنيكيون في الموصل سنة ١٩١٣

وفي بشرّاي والقبيّات كهليّات وطنيّات من الرهبانيّة الثالثة لهنّ مدارس

٣ المعلمون في الرسالات

انّ الرسالات الكاثوليكيّة معظم سندها في الاقطار الاجنبيّة الى معلّمين وطنيّين عالميين يخدمون المرسلين في اشغالهم المختلفة في الرسالات فيرافقونهم في اسفارهم ويُعنَون بالموعوظين ليعدّوهم لقبول المعموديّة ويعلّمون صغارهم في المدارس ولاسيما في القرى وينوبون عن المرسل في العناية بالمتنصّرين عند غيبته فيجمعونهم للصلاة والتعليم ويديرون شؤون الرسالة بنفوذهم وحكمتهم. ولولاهم لخابت مساعي المرسلين او انحصرت في دائرة ضيّقة وتعذّر عليهم التنقّل من بلد الى بلد لزرع الايمان بين غير المؤمنين. فالمرسلون كقوّاد لذلك الجيش المنظّم الذي بلغ عدده بسعيهم واجتهادهم في السنة ١٩٢٣ المجموع ٦٥،٦٤١ معلّماً منهم في آسية ٣٥،٥٥٦ وفي افريقية ٢٦،٣١١ وفي اوستراليا واوقيانية وجزائر الفيلبين ٢،٧٦٥ وفي اميركا ١١،٠٠٩

٧ ثمار الرسالات الكاثوليكية

وكأنّي بالقارئ بعد اطلاعه على مساعي المرسلين وعددهم ونظامهم يطلب ان نوقفه على ثمار تلك المجهودات البالغة أقتناب تلك الاتعاب والمشقّات. فالجواب على هذا السؤال تجده في اللائحة التي ادرجناها هنا فيظهر منها انّ الثمار اتت بما كان يفوق على الآمال. وان كان الحصاد الباقي كثيرًا جدًّا يفوق على القدرة البشريّة.

جدول

الرسالات الكاثوليكية

لائحة اهمّ مشاريعها واعمالها مع بعض الاحصاءات

في العام ١٩٢٣

(تنبيه) ان عدد سكّان الارض ينيف على مليار ونصف من النفوس. فالثلث الاكبر منهم مسيحيّون بينهم الكاثوليك بعدد ثلثمائة وخمسة عشر مليوناً بموجب أحدث الاحصاءات. امّا الجدول التالي فمختصّ بالبلاد الاجنبيّة التي ليس فيها نظام كنسيّ كامل

	في اسيا	في افريقيا	في اميريكا	في اوستراليا	المجموع
الكاثوليك	١٣,٢٧١,٠٠٤	٤,٩٥٩,٩٣٥	٤,٧٢٣,٨٢٠	١,٨٦٤,٥٤٥	٢٤,٩٢٠,٣٠٧
الموعوظون	٦٧٧,٧٤٨	٨١٧,٧٤١	١١,٩٣٦	٢٧,٢٨٩	١,٥٣٤,٤٤٦
الكنائس الكبرى	٤٦,٢٨٨	١٥,٧١٧	١,٩٠٨	٢,٤٨٤	٦٦,٣٩٧
الكنائس الصغرى	٢٥,٣٤١	١٤,٨٦٥	١,٩٢٩	٢,٣٩٠	٤٤,٥٢٥
مدارس الصلوات	١٥,٧٧٣	٤,١٠٩	٤٣	٣٢٣	٢٠,٢٤٧
تلامذتها	٣٦٦,٩٩٠	١٢١,٣٤٠	٦,١٧٢	٦,٥٨١	٥٠٠,٩٨٣
المدارس الابتدائية	٨,٦٩٦	٩,٤٧٧	١,٢٥٩	١,٤٤٦	٢٠,٨٧٨
تلاميذ صبيان بنات	٤٢٤,٦٨٨	٤٨٩,٧٨٦	١١٧,٤٠٧	٩١,٥١٦	١,١٢٣,٣٩٧
المدارس الصناعية	١٥٢	٢٤٤	٤٦	٢٠	٤٦٢
المدارس العليا	٤١٤	٢٣٤	٢٨	٨٩	٨٧٥
المدارس الثانوية	١٠٤	٢٣	١٥	١	١٤٣
الكليات	٨	—	—	—	٨
اليتام	٧٨٣	٤٦١	٧٤	٤٧	١,٣٦٥
المستشفيات	٢٤٣	٢٨٥	٤٤	١٥	٥٨٧
صيدليات للمرضى	٩٩٩	٧٠١	٤١	١٢٥	١,٧٨٦
مطابع	٦٤	٣٨	١٠	١٧	١٢٩
مجلات او جرائد	٧٥	١٥	١١	٩	١٠١

٨ ماليَّة وارزاق الرسالات

ليس للرسالات الكاثوليكية ارزاق محدودة تتقاضاها سنويًا لسد احتياجاتها. نعم ان اوقافاً عديدة قد تعيَّنت لاسعاف مشاريع الرسالات لكنَّ مداخيلها زهيدة بالنسبة الى المبالغ التي تُصرف سنويًا في العالم الكاثوليكي على المدارس التي يُلقَّن فيها المرشَّحون للرسالات العلومَ التي تهيئهم لمهمَّتهم الرسولية ثمَّ على المرسلين ومساعديهم ومشروعاتهم في انحاء المعمور

وقد وقفنا على بعض احصاءاتها اجماليًا ولكن ليس لنا ان نضع ميزانية مدققة لماليَّة الرسالات لان مصادر الحسنات انهار جارية ومواردها لم يدقَّق عددُها بحساب رسمي معروف. انما نذكر بعض ما وصلنا الى معرفته عن صندوق الرسالات من الداخل والخارج وهو جدير بإعجابنا لانهُ يطلعنا على كرَم المؤمنين اجمعين الذين يسعون في نشر الايمان باموالهم بينما المرسلون يضحُّون في سبيله حياتهم. فتستفزُّنا الغيرة على مثالهم لمساعدة مشروع انتشار الايمان. وقد جُعل شهر كانون الاول الواقع فيه عيد القديس فرنسيس كسفاريوس شفيع الرسالات الموسم الخاصَّ الذي تُجمع فيه الحسنات في العالم الكاثوليكي لمؤازرة المرسلين باسر الخير الاعظم

١ الخارج من صندوق الارزاق

﴿ما يُصرف في سبيل تهذيب الشبان﴾ اعني الدارسين استعدادًا للرسالات. فالصغيرُ منهم راتبه السنوي ٥٠٠ فرنك ذهب والكبير ١٫٠٠٠ فرنك وان عددهم يحصى بالالوف ومنهُ ترى ما يُحتاج اليه من المبالغ في هذا الشأن. وزد عليها ما تقتضيه المدارس من الاموال للقيام بمعاش المعلمين ومصاريف المكاتب وتشييد البنايات وترميمها واصلاحها

وكذا يقال عن ﴿المساعدين من اخوة وراهبات وغيرهم﴾ فلا بُدَّ من نفقات لاعدادهم للرسالات وان يكن راتب هؤلاء اقلَّ بالنسبة لقصر مدة تخريجهم ولما يؤدونهُ من الخدمات المادية المخفَّفة من كمِّيَّة المصاريف العمومية

﴿ما يُصرف على الاسفار﴾ اعني ما ينفقه المرسلون سواء قصدوا الرسالات وهم

مجهزون بكل حاجياتهم أو عادوا منها. فقد يبلغ معدل مصروف السفرة البعيدة ٣٫٠٠٠ فرنك وعدد السفرات السنوية ٨٠٠ فيكون المبلغ المصروف على الاسفار سنويا ٢٫٤٠٠٫٠٠٠ فرنك ذهب

﴿ما يُصرف في الرسالات ذاتها﴾ على عمارة الكنائس وترتيبها والقيام بخدمتها وما تقتضيه المدارس ومعلموها والمستشفيات وسائر ما يبذله المرسلون ليس فقط لملازمة اعمالهم في الاراضي المفتوحة للرسالات ولكن لفتح غيرها والحسنات الى قرائها. فكل ذلك يقتضي لهُ مبالغ متفاوتة حسب احتياجات البلاد واختلاف احوالها. على ان الاب آرنس مؤلف الكتاب الذي استندنا اليهِ يحسب معدل ما يصرفه كل مرسل سنويًا على اعمال رسالتهِ فيعين مبلغ ٧ آلاف فرنك ذهب ولما كان عدد المرسلين في البلاد الوثنية وحدها يبلغ ١٤٫٠٠٠ فينتج من ذلك ان مصاريف الرسالات السنوية في البلاد الوثنية تبلغ زهاء ٩٨ مليونًا ذهبًا

وان اضفنا اليها المصاريف السابق ذكرها جميعًا بلغنا مجموعًا يتراوح بين ١٠٠ و ١٢٥ مليون فرنكًا ذهبًا. وهذه المبالغ تلوح لاول وهلة باهظة الّا انها بالحقيقة زهيدة جدًّا بالنسبة الى عدد الرسالات والمرسلين ومشروعاتهم المتنوعة

٢ الدوائر الى صندوق الرسالات

قد يبلغ ٣٠ مليونًا فرنكًا ذهبًا ما يُرسل للرسالات سنويًا من تقادم مالية او هدايا او اوقاف او مساعدات بالشغل اليدوي. امّا سائر ما يجب لتسديد العجز في الميزانية فيقسم الاب باوجارتن الاحصائي مصادرهُ الى ثلاثة اقسام:

﴿ما يُجمع من المؤمنين في سبيل الرسالات نقودًا﴾ اوّلًا بواسطة شركة انتشار الايمان وغيرها. فمجموع ما جاءت به في العام ١٩٢٢ شركة انتشار الايمان كان ٣١٫٧٢٣٫٣٣٤ فرنكًا ايطاليًا. ومجموع محصولات الشركات كلها يزاهي ٤٨ مليونًا من الفرنكات الايطالية

ثانيًا بواسطة الصينية في الكنائس يوم جمعة الآلام فقد بلغ ما جمع في القرن التاسع عشر زهاء ٨٠ مليونات مارك الماني ذهب

ثالثًا بواسطة الصينية في الكنائس ايام عيد ظهور الرب او الغطاس فقد كان

بحصولها السنوي قبل الحرب ٥٠٠،٠٠٠ فرنك

رابعاً بواسطة القداديس فقد يكون ما يوزَّع منها سنوياً مبلغ ٤،٢٠٠،٠٠٠ فرنك ذهب. على ان الكنيسة تنظر بعين ساهرة الى كيفية توزيع هذه القداديس لئلا يتلاعب بها بعض الايادي الاثيمة فتهضم حقوق المحسنين

خامساً بواسطة النشرات والمجلات ومداخيل الاوقاف وغيرها من اعانات تمدُّ بها الجمعيات الرسالات الكاثوليكية اذ ترى فيها اقوى مساعد لتهذيب الشعوب واكتساح غيوم الجهل والتوحش

٢ أضف الى هذه الحسنات ﴿ما يقدمه الاهلون لاولادهم﴾ اما شباناً في المدارس واما رهباناً في الرسالات من حسنة او ميراث او اسعافات مادية وما ينالهُ المرسلون من تهاود في الاسعار من شركات الاسفار وغيرها

٣ واضف اليها ما تؤديه ﴿من الحسنات المادّية﴾ شركات لا تحصى تعمل في البلاد المسيحية الاوروبية لتجهيز كنائس الرسالات ومرسليها بالاقمشة والحُلل الكهنوتيَّة وسائر الحاجيات. فلا يندر ان ترى في المدن الكاثوليكية سيدات من عليـة القوم يجتمعن مرة او مرتين كل اسبوع في مكان معين حيث يقضين ساعات معدودة من الشغل اليدوي من تطريز وخياطة وغير ذلك من الاعمال الخيرية التي تقي شر البطالة وتعود بالخيرات على صانعيها وعلى القريب

وكل هذه الارزاق يبلغ عددها سنوياً زهاء ٣٤٨ مليوناً من الفرنكات وهي بالنسبة الى اعمال المرسلين غاية في القلة وان عارضناها بما يصرفهُ البروتستانت على رسالاتهم التي بلغت ماليَّتها في العام ١٩٢٣ مليارًا ونصف من الفرنكات كانت لا توازي إلّا رُبعها او خُمسها فتأمَّل !

وفي ختام هذه المقالة نرفع ابتهالاتنا الى ربّ الكرم ونسأله ان يرسل فعلةً لكرمهِ وان يفيض من بحر جوده على كل من يمدُّ يد الاحسان للمرسلين في سبيل انتشار الايمان فتلك افضل خدمة يقدّمونها للعالم وللتمدُّن

الاميران الاسيران

مأساة تمثيلية تاريخية ادبية

عرّبها عن الافرنسية بتصرف الخوري يوسف المشبقي (نشأة)

الفصل الثالث : المشهد الثامن

الفرد . بياترو يحمل فردريك المجروح

الفرد (متأثرًا من مشاهدة اخيه مجروحًا)

— اخي فردريك ما هذا الدم ! ما هذا الجرح ؟ يا لشقاء حالنا !

فردريك : اسفاهُ ان اللصوص قد ظفروا بوالدنا واستاقوه اسيرًا !

الفرد (يصرخ) : والدنا اسير ؟ يا لليأس فبئس المصير !

فردريك : كيف العمل الان هل نتركهُ وشأنه ونستنجد بالهزيمة او نطلب من الزعيم ليسمح لنا ان نصحبه ؟

الفرد : بل يجب ان نصحبه لنقاسمهُ همومهُ ونشاطرهُ غمومهُ ولا ندعه تحت رحمة هؤلاء اللصوص

بياترو : الرأيُ عندي أن تهربا حيث يتيسر لكما انقاذهُ واسعافهُ بما تتدبرانه وتتخذانه من الوسائط والطرق بسبيل تخليصه . وما أدراكما ما يحلّ بوالدتكما لو علمت بكسرة والدكما وما حلّ بعسكره من تضعضع اركانه ووقوعه تحت قبضة عدوّه الذي اخضع رقابهم لنير الذل والعبودية . ولكنّها اذا رأتكما سالمَين معافيين فتُصيب نفسًا من كربها وفرجًا من غمها

فردريك : لكلامك وقعٌ في نفسي فالأولى اذًا ان نهرب لعلّنا نجد وصلةً الى جاجتنا . وهلّا تصحبنا انت؟

بياترو : كلا . بل ينبغي ان اهتمّ بامر سيدي والدكما وأقف من دون مَن يتوصّدون له الشرّ سدًّا منيعًا . خذا هذا المفتاح وتتبّعا متعرجات هذه الأسراب الى

الباب السري فعالجاهُ بالفتح واخرجا منه الى مضيقٍ آخر مظلم يطلُّ حدُّهُ على مسيل ماء حيث يخلو لكما الجوّ وتغدوانِ طليقَيْن تستنشقان نسيم الحرية وتواصلان سيركما الى القصر. اودِّعكما الآن صحبتكما السلامة كيفما سرتما وأيان توجهتما . (يخرج فردريك والفرد من الملعب)

المشهد التاسع

بياترو لذاته

لقد تمكنتُ بحوله تعالى من انقاذ الشابَّين هل يمالنني حسن البخت على تخليص والدهما ؟ ربّاهُ صِلْ يدي بملتسي

يا للبليَّة هوذا رئيس العصابة رودلف والاميرُ اسيرهُ آتيان. (يتخفى بياترو عن اعينهما)

المشهد العاشر

رودلف . الامير . لصوص . بياترو متخفٍّ . حراس

رودلف : لقد اخلف الدهرُ ظنك ايها الامير وعارَضَ اطماعك باليأس. قل لي مَنْ من الاثنين يعلق رأس الآخر على شرفات قصره ؟

الامير : لقد هتكتَ بكلامك ايها الباسل ستار الحشمة. وتعدَّيتَ بغلاظة هزلك حدود الظرف واللياقة. دعني وشأني وأنت وما تراهُ بان تعاملني بما يخوّلك به حقّ الغالب على المغلوب او بما كنت اتوعدك به

رودلف : ليَ في الامر رأيي. ومن جرأك على ركوب هذا المركب الخشن ؟ ومن اطمعك فيما لا مطمع فيه بان تتجاسر وتنازلني في قعر داري؟ لم يكن الامر على ما رجوتَ يا هذا

الامير : لو كنت تدري ما حملني على اقتحام المخاطر وركوب الاهوال. لوجدت لي في الامر عذراً بيّناً

نُمي اليَّ ان ولديَّ فردريك والفرد وقعا اسيرَيْن هنا فجئتُ لتخليصهما. هل

تسوق اليّ جميلاً وتأذن لي بمشاهدتها. يلوح لي انك رجل غريبٌ لا تدرك حنوّ الوالدين

رودلف : ستشاهدهما ولكن . . .

— (الى الحراس) : انتوني بالاسيرين فردريك والفرد الى هنا وأروا ظباةَ سيوفكم بدمائها امام والدهما

الامير : نشدتُك الله سيدي

— (الى الحراس) : اقسمتُ عليكم ايها الحرّاس ألّا تُصيبوا دماً في الغلامين. (مضطرباً قلقاً . . . يتوقف الحراس)

رودلف (للحراس) : أئتمروا بما امرتُ وأسرعوا باحضار الاسيرين. (يخرج الحراس من الملهى)

بياترو لذاته : وانا أُصرُّ على تخليصهما (يظهر من مخبإه ويخرج من باب آخر)

المشهد الحادي عشر

رودلف . الامير

الامير : مولاي. الا أرحم اباً يكادُ الحزن يخنقهُ. بالله عليك لا تحملنَّ وزرَ هذين الملاكين لئلا تستوحشَ عاقبةَ امرك فيجرّعك الندم غُصصاً ويورّثك حسرةً وأسفاً

رودلف : عجباه ايها الامير أولستَ انتَ مَنْ جاءنا امس يختالُ تيهاً. ويجرّ اذيالهُ كبراً ؟ فما لك الآن تتصاغر الينا نفسك وتخفض جناح عُجبك ؟

الامير : لستُ انا مَنْ يستكين اليك ويحملُ الضيم عن يدٍ. فمثلي سيّدُ قومهِ لا يستباح ذمارهُ ولا يدرُّ بالعصاب

انما حنوّي الوالدي وعطفي الابوي هما يكسرانِ من نخوتي ويُصغّرانِ نفسي اليك

حنانيكَ ايها السيد الخطير ارفقْن بولديّ الصغيرين فاني افديهما بكل ما عزّ وهان. انا انا من أساء اليك فاقتصَّ مني. تلقَّ اساءتي بجلدك واعفُ عن ملاكين لم يرتكبا جرماً ولم يقترفا اثماً. لو كنتَ يا مولاي ربَّ عائلةٍ لكنتَ ادركتَ ما يحويهِ قلب

الوالدين من الاسرار الصيقة والغامضة معاً ولكنتَ ايضاً أوسعتَ لي كنف رحمتك. بالله عليك سيدي ألّا تُرسل على استرحامي حجابَ صمتك، وتخضب يدك بدم ولدين بارّين يبلغ صراخهما عرش العدل طالباً الانتقام

— لذاته : آه ما امرَّ عيشة الوالدين (ملتفتاً نحو الحضور)

رودلف : (يجول في الملعب ذهاباً واياباً)

— لقد رقّ لهذا المسكين قلبي ولم احمل وزرَ ولديهِ واسفك دماً زكيًا ليس وراءه طائل. فانا أكرمُ نفسي عن اتيان ما يضعُ من قدري ويقدح في حسَبي

(يلتفت الى الامير ويقول لهُ) :

— لقد عدلتُ يا هذا عن عزمي فلا أوقع بولديك شرًّا

الامير : اسأل الله ان يجزيك عني خيرَ الجزاء

رودلف : لكنك أنتَ تبقى اسيري

الامير : لا أخالف لك أمرًا

رودلف : تتخلّى لي عن قصرك وما يحويهِ من اثاثٍ ورياش

الامير : تقيم فيه بالصفاء والهناء

رودلف : وعن كل ما تملكهُ من عقار ودثار

الامير : هو لك حقٌّ مرعيٌّ وملك شرعيٌّ

رودلف : وتنقدني فوق ذلك عشرين الف فلورين سلفاً

الامير : عن يدٍ وانا صاغر

رودلف : أمضِ هذه الوثيقة (ويسلّم صكًّا باذكر)

الامير : حبًّا وكرامةً

(بعد ان يوقّع الامير الوثيقة بخطّ يده يرجعها الى رودلف قائلاً لهُ) :

— هل في ذلك ما يسترضيك

(يأخذ رودلف الوثيقة ويقرأ توقيع الامير)

«المقرّ بما فيه وكاتب بخط يدهِ. الامير ايلريك دو لانسفالد»

« وللحال تبدو على وجه رودلف امارات الانذهال والحيرة ومن ثمَّ يجول في المسرح ذهاباً واياباً مفكرًا وهو يردّد: ايلريك ـ لانسفالد. ثم يلتفت الى الامير ويقول لهُ) :

— أنتَ الامير لانسفالد ؟

الامير : انا هو

رودلف : وطنُك ؟

الامير : ڤيانّة

رودلف : عشيرتك ؟

الامير : لانسفالد

رودلف : أسمك واسم ابيك ؟

الامير : اسمي ايلريك واسم ابي جان

رودلف : لماذا تُدعى امير فورتقوله ؟

الامير : اتخذتُ هذا الاسم بعد مغادرتي ڤيانة وطويتُ دفينةَ صدري لئلا يعلم احدٌ من امري شيئاً

رودلف : مهنتُك ؟

الامير : مستشار جلالة مليكنا المحبوب

رودلف : ممّن تتألف اسرة لانسفالد ؟

الامير : مني انا اصغرُ ابنائها

رودلف : إذن لك اخوة اكبر منك سنًّا ؟

الامير : أخٌ واحدٌ قلباه عليه اذاقهُ الوُشاة الموتَ الاحمر

رودلف : اسمهُ ؟

الامير : فرنسيسكو

رودلف : اخي عزيزي ايلريك انا هو فرنسيسكو دو لانسفالد (مندهشاً) .

الامير : اخي حبيبي فرنسيسكو انت حيّ (مندهشاً)

(يتصافحان باكين ساكتين)

الامير : امرٌ لم يسبق به حدسٌ. هل عَلِق في ظني أني اجد فرنسيسكو حيًّا بعد تلك الاحكام عليه بالاعدام من عشرين عاماً ؟ وبادُ ان لك في عنايتك اسرارًا تقف عند حدّها مداركنا القاصرة

رودلف : هي العناية الالهية أرسلتك اليّ في سراديب اللصوص لتردّ جماحَ

غلواني وتقبض يدي عن المنكر حرصاً على جمال سمعة عترة لانسفالد الكريمة . فأغتفر ما فرط مني اليك واسمح لي أن اقبّل قدميك قياماً باعباء شكرك (ويتساقط على قدمي الامير)

الامير : (يبسط ذراعيه ويطوق عنق رودلف قائلاً) :

— عزيزي فرنسيسكو تعالَ تعالَ لاضمّك الى صدري واقبّلك قبلةَ اخٍ لم تذق عينهُ طعمَ الراحة بعد فراقك

رودلف : اخي هل تسعدني عيناي برؤية والديَّ . آه كم اتوق الى مشاهدتهما . كم احنّ الى قبلة ايديهما !

الامير : يا لهف نفسي عليهما !

رودلف : وما حدث لهما ؟

الامير : منذ ما سمعا بالاحكام الجائرة عليك ضاقت عليهما المسالك فقضي عليهما من الغم . واحسرتاه عليهما !

رودلف : وامصيبتاه ! (يجهش بالبكاء)

(سكوت برهة)

الامير : ما احسن التسليم للقادر . الموت حكم الله وليس لهذا الحكم دافع والدمع لا يُسيغُ غُصّة والوجدُ لا يُزيلُ كربة . انما نحمد الله على نجاتك فلنا في بقائك العوض والتأساء

أمطر الله على ضريحهما سحائب الرضوان واحصاهما بين اصحاب اليمين

قل لي الآن هل أتمكن من مشاهدة ولديّ فردريك والفرد ؟

رودلف : هما في حمى امين يتفيّآن ظلال الراحة (يصفر)

المشهد الثاني عشر

رودلف . الامير . حراس

رودلف للحراس : اين الغلامان أتتوني بهما

الحرّاس : لم نقف لهما على أثر لا في سجنهما ولا في زوايا الغيران . يظهر لنا

أنها انهزما ومنحانا اكتافها

رودلف : أنّى لهما ان يهربا وقد أخذنا على أسرانا مهاربهم ؟

المشهد الثالث عشر

رودلف . احد الحراس

احد الحراس (يدخل فجأة)

— مولاي الاسيران هادنتها الفرصة فولّيا مُدبرَين

رودلف (غاضباً) : يهنى امر الغلامين فقد استورى هربهما غضبي

احد الحراس : انت وشأنك ايها الزعيم . أحللْ بنا نقمتك . ان من مهّد لهما السبيل لينجُوَا من مشاق اسرهما هو بياترو

رودلف : أسرع وائتني به

المشهد الرابع عشر

رودلف . بياترو

بياترو : لبيك سيدي

رودلف : اين الغلامان ؟

بياترو : لا علم لي بهما

رودلف : كيف ؟ وقد اتّصل بي انك انتَ مَنْ مهّد السبيل ليهربا

بياترو : نعم انا هو

رودلف : وما حملك على ذلك ؟

بياترو : الحرص على حياتهما

رودلف : هل داخلك فيّ ريبٌ بامرهما ؟

بياترو : اجل . سمعتُك تهدّد والدهما بالفتكِ فيهما

رودلف : بالفتكِ فيهما ! لو كنت تدري مَنْ هما ؟

بياترو : هما ولدا سيدي الامير دولانسفالد اسيرك الآن

رودلف : وما الذي حملك على الانتصار لها. هل سبقتْ لك معرفةٌ بها ؟

بياترو : كيف لا وقد كنتُ فيما مضى قيّم قصرهما ومهذّبها

رودلف : انتَ ؟

بياترو : نعم مولاي

رودلف : وهل كنتَ تُدعى بغير هذا الاسم ؟

بياترو : اجل سيدي. بياترو سمار ديني

رودلف : ان لك شأناً يا هذا

بياترو : بل شأناً غريباً

رودلف : من قصور الاشراف الى مغاور اللصوص !

بياترو : ان لفي الامر سراً عجيباً

رودلف : لك اسوةٌ

بياترو : بمن ؟

رودلف : خلِّ عنك هذا الكلام الآن واسرع في التفتيش عنها واحضارهما لهذا الجانب. واذا لحق بهما ضررٌ فاعلم ان حدّ سيفي يكسر من حِدّة غضبي بقطع عنقك

بياترو : على لبس من امرك سيدي هل عدلتَ عن الايقاع بهما ؟

رودلف : عن الايقاع بهما ؟ لو كنتَ تدري من هما ! اسرع باحضارهما ولا تُلوِ على شيء

بياترو : إذن عن قليل تراهما. (يخرج)

المشهد الخامس عشر

الامير . رودلف

الامير : كم يشقّ عليَّ أن لا أرى ولديَّ . بل كم يعزُّ عليَّ ان اشاهد سليل آل لانسفالد يعتاض عن قصور الكرام بكهوف اللئام

رودلف : لا تشفقْ بولديك بالك فسيقومان عن قليل امامك. فقد ضمنتُ لهما

نفسي الامان. فخفض عليك اذاً جأشك

واما امر اقامتي في مغاور اللصوص فلم يكن يجري في خاطر. ولم يعلق به ظن. ولا إخالك تجهل امري وامر الدوق دو فرنكنتال

الامير : قد طالما اوجستُ من امركما خيفةً. ولكن ما لنا وذكرى ما يُثيرُ الحفائظ ويجيش في الصدر الهموم

رودلف : ليس بدعاً اذا تنازعتك في امرنا الشكوك وقد اختلفت الروايات بشأننا فعليه ارى ان اكاشفك بما صحَّ من خبري دفعاً لوهم باطل وحدس كاذب :

قد كان حصل بيني وبين المذكور خصام فطفق يوغر القوم عليَّ ويشرّبهم عداوتي فرأيتُ ان القول الفصل بيننا هو حدّ الحسام فطلبتهُ للمبارزة وعند النزال اعجلتهُ بضربة فيصل على امّ رأسهِ قضت عليه. فتنكّر لذلك آل الدوق فدبّت عليَّ قلوبهم وابطنوا لي غلًّا. واول امر اتوه ان أغروا الامبراطور بي وخشّوا صدره عليَّ فاصدر امرهُ باعدامي فاودعوني بادئ بدء سجن ذوي الجنايات. ولمّا ازفت ساعة انفاذ الحكم رشوت الحراس فمهّدوا لي السبيل الى الهرب فذهبت الى ايطاليا حيث سوّدت صحيفة حياتي بسيئات اعمالي. وهرباً من تعقّب الحكومة لجأتُ الى هذا الكهف وجعلتهُ امنع من عُقاب الجو وفي نفسي ما بها من الحقد والضغينة لآل الدوق الذين جاشت عليَّ قِدرُهم وكشفوا لي عن وجه عداوتهم. وقد انضمّ اليَّ اذ ذاك عدد عديد من الثوّار ولم اكن أبي عن الايقاع باولئك، من تخريب اراضيهم، من تدمير قصورهم، من سلب اموالهم، من سفك دماء ابنائهم. على ان مزاولة هذه الاعمال في اوجرة الوحوش الضارية لم تكن تخفّف من نفسي مؤونة عنائها. فلا وربّك لم اذق للدعة طعماً ولا للراحة لذّةً وطالما حاولتُ أن أخفتَ صراخ ضميري الذي كان ينتصر لهم. فغدوتُ عرضةً لانتقام السماء وغضب الارض. ووسمتُ رأسي بميسم عار لا ترحضهُ السنون. وهل يتغمدنّ ذنبي ربّي ويغتفر جريرتي فيسود في نفسي السلام وتعود الى ضميري الطمأنينةُ ؟

الامير : أخلِدْ الى الله بثقتك وتُبْ اليهِ فهو غفورٌ رحيم

رودلف : وا أسفاه ! هل بعد عشرين سنة اطلقتُ لنفسي عنان هواها تائهاً في اودية الضلال ارجو الصفح والاغضاء ؟

على اني اقبضُ يـدي عن كل منكرٍ في الآتي وانزع عن جهلي . غير انهُ يمتنعُ عليَّ أن امحوَ ما يضعُ من قدري بسوء سمعةٍ ينالكَ شيئُها . فالاولى فيما أرى ان اقطع خيطَ حياتي بيدي فاكفي العينَ بصرَها والأذن سمعَها

الامير : اخي ماذا تقول ؟ لقد غبتَ رأيك فانت اجلُّ من ان تُرمى بمسِّ من الجنون . خلِّ عنك هذا الامر الذي يقلّد عنق عائلتك قلائد الخزي والعار

رودلف : ان اطالة حياتي هي شينٌ لأسرة لانسفالد لاطلاع الجميع على حقيقة امري . امّا اذا ضمّني لحدي قاسم فرنسيسكو لانسفالد يتوارى تحت اسم زعيم اللصوص رودلف

الامير : ليس الامر كما تتوهم يا عزيزي . فلست أنتَ اعظم من دارد الملك واعلم من اغوسطينوس . دَعْ عنك هذه الافكار واخرُجْ من ظلمة هذه الاوجار الى عالم الحرية والنور والسلام

واعلم ان جريمة الانتحار هي شرّ الجرائم لا شرعَ يقضي بها ولا عقل يبرّرها ولا دين يسمح بها . ولا يُقدمُ عليها إلّا مَنْ خولط في عقلهِ وأطبق عليهِ الجنون . واعلم ايضاً ان الحياة هي خالقها ومالكها فلا سلطة البتّة لك عليها . فما عليك اذاً إلّا ان تصلح الماضي بالتوبة الخلوص وتندم على ما فرط منك وندامتُك وتوبتك تمحوانِ كلَّ ما اسأت به فيما مضى

واعلم ان امبراطورنا المحبوب هو رحوم شفوق يضربُ عن إساءتك صفحاً

رودلف : مؤالسٌ . لا اركن اليهِ فقد بدا لي منهُ ما يدعو الى التحذّر من كيده

الامير : كلّا يا عزيزي لقد اسأتَ عليكنا ظنّاً . فقد فوّض هو اليَّ ان اصفح باسمه عن كل مسيء ندم على ما كان منه وضمن لي من نفسهِ النزوع عن معصيتهِ . ومثلُ عاهلنا صادقُ الوعدِ كريمُ العهد ينبغي ان تُناط ثقتنا بهِ فهو ينسى الماضي ويحتضنك احتضان امّ رؤوم

ولا اظنُّك تتردّد بعد هذا في ما اقول . او بعناية الله لك

رودلف : كلّا يا اخي فقد ايقنتُ الامر فاحمل عليَّ ما أحببتَ وعوّل بما شئت

الامير : لقد أجهدني التعب ولم تنلْ عيناي من يومين غمضاً اضطرُّ الى الراحة

رودلف : اذا شئت فادخل مخدعي وخذ حظّك من الراحة (يخرج الامير من باب داخلي)

المشهد السادس عشر

بياترو . رودلف

بياترو : الغلامان حاضران ينتظران صدور الامر الكريم

رودلف : لك عندنا يا بياترو يدٌ بيضاء لا نضيع حرمتها . ولئن كنتُ اسأتُ اليك فأغضِ عن اساءتي بعفوك

بياترو : لقد عقّلَ الخجلُ لساني فانا انا اطلب الصفحَ . ولا اذكر أن لي عندك يدًا

رودلف : بل ايادي تذكرها فنشكرها

بياترو : على شكٍّ من أمري

رودلف : لا لا يا بياترو . امر الرسالة لامير فورتولهْ وامر المحافظة على حياة ولديه

بياترو : زدتني في الامر غموضاً

رودلف : فليطمئنَّ اليَّ بالُك . ان الامير هو اخي والغلامان هما ولداه

بياترو : إذن انتَ كبير عيلة لانسفالد الكريمة ؟

رودلف : انا هو

بياترو : اذن انتَ هو الحاجب الملكي ؟

رودلف : انا هو

بياترو : وأين اخفيتَ اسمك الحقيقي فرنسيسكو دولانسفالد

رودلف : يتناور اللصوص تحت اسم رودلف زعيم اللصوص

بياترو : أوَلم تبلّغك محاكم ثيانة تلك الاحكام الهائلة ؟

رودلف : بُلّغتُها ولم احفل بشأنها

بياترو : اتذكر مولاي مَنْ كان يتولى تدبير قصركم في ذلك العهد

رودلف : اذكره بل اشكره أو لست انت بياترو سهارديني ؟

بياترو : مولاي . عُدْ على جهلي بحلمك . وتناسَ ما كان مني . فلتةٌ بَدَرَت

رودلف : حسن صنيعك اليوم أنسانا ما كان منك في الامس

بياترو : من غرائب الصدف يا مولاي

رودلف : بل من اسرار العناية يا اخي اذهب وأتنا بالغلامين

المشهد السابع عشر

الامير . رودلف . احد الحراس

رودلف لذاته : ما كان اتعس حظي الامس واسعدَهُ اليوم . فقد كنتُ ضالاً فهديتُ وميتاً فحييتُ

لعمري ان مشاهدة اخي بعد عشرين عاماً والرجوع للتفيّئ تحت سقف عائلتي لهما لديَّ من افضل هبات المولى عليَّ

(يدخل الامير يصافحه رودلف قائلاً) :

رودلف : اخي : ألم تحصلْ نفسُك على الراحة ؟ ألم يثبْ اليك نشاطك ؟

الامير : لقد شعرتُ براحة لم أذُق لذتها فيما مضى . يبقى عليَّ الان أن اشاهد ولديَّ لتطيب بهما نفسي

رودلف : حاضران ينتظران ساعة استيقاظك من النوم (يصفر)

(يدخل احد الحراس)

احد الحراس : مولاي

رودلف : ائتني بالغلامين وبياترو على عجل

احد الحراس : امرك مولاي . (يخرج من الملعب)

المشهد الثامن عشر

رودلف . الامير . فردريك . الفرد . بياترو

الفرد : ابتِ
فردريك : ابي } يسرعان لمصافحة والدهما

الامير : فردريك ! الفرد ! (يضمهما لصدره)

(سكوت برهة)

فردريك : ما كان امرّ بعادك يا ابي !

الفرد : بل ما اسعد حظنا اليوم برؤياك !

فردريك : لقد كفّر الدهرُ اليوم عن اساءته امس

الفرد : آه لو تدرك والدتنا ما آل اليه امرُنا ؟

الامير : مسكينة والدتكما فقد مُنيَتْ بفراقكما بغُصّةٍ لا تُساغ . ولكن سيسكن روعها ويقرّ بالها برؤيتكما

اشكرا يا ولديَّ العزيزين العناية الالهية التي اودعتكما لحراسة عمكما فرنسيسكو الذي كنتما تتذكرانه بعطفٍ وشوق . تقدّما وقبّلا يدهُ فهو ملاكُكما رافائيل الذي تولى حراستكما

الفرد وفردريك : كيف ! عمنا فرنسيسكو (تظهر عليهما دلائل الجزع والقلق)

الامير : هو هو عينه

رودلف : نعم نعم انا هو عمّكما واضمّكما لصدري كنتما موضوع حبه وغاية امله . ولئن كان اسم رودلف القى في قلبكما فيما مضى رعباً وجزعاً فاسم فرنسيسكو لا فالد يزيلها الآن ويملأه حبًّا واخلاصاً . (يبسط ذراعيه ويضمُّ الاثنين)

فردريك والفرد : عمّاه ما هذه الحياة ؟ ما هذه العيشة في اوجرة الوحوش الضارية ؟

رودلف : حُكم عليَّ بها

فردريك والفرد : والآن ؟

رودلف : أنزل على حكم اخي والدكما ولا أخالف له امرًا

الامير : ليس ما يحول دون اجتماعنا يا عزيزي في قصرنا في ڤيانة وقد انقادت لنا الامور بأعنتها

رودلف : ما ادراك ما يسبّبه اجتماعي باهل البلاط الملكي ؟ فلا يمدُّ اذا أثار في الوزرس نزوة الغضب وبعث دفين حقد القوم عليّ فأتحمّل من ذلك رهقاً شديداً تنحلّ عنده عقدة صبري

الامير : لقد قضى الدهر على مَنْ قضى ومَن بقي لا يدري بشؤون ما مضى . وشبيبة القصر الجديدة تتلقى سايل اسرة لانسفالد بما ليس بعده من المِقَة فعليك ان تحسن سياستك وتتروّى في امورك . وها انا ابيّن لك ما يُنيلك عند القوم منزلةً وباعين الامبراطور حظوةً

رودلف : اذن أبِنْ لي ما صحّ عندك من شأنِ القوم ورغائبهم فانا طوعٌ لك بما تحب

الامير : قد طالما اشرأبّتْ اطماع روسيّة الى الاستيلاء على بعض اراضينا وما زال هذا الامر مُنتَجَع خواطرهم . وقد ترامى الينا الخبر انهم سيجعلون جوار ثغورنا ساحة حرب هائلة فنضطرّ اذ ذاك ان نكون على اهبة للوقوف امام هذا العدو المغوار والى إشادة الحصون المنيعة . وقد رأيتُ ان تتولى انت قيادة جيش المملكة وامر الدفاع عن الوطن فتترك لك عندئذٍ مأثرةً يسطّرها لك التاريخ بمداد الشكر

رودلف : لكلامك موقعهُ في نفسي ويضافرني على هذا الامر الخطير جنودي الامناء الذين اوثقتهم عهدي

الامير : هل تطمئنّ اليهم نفسك ؟

رودلف : لا تعترضني فيهم شبهةٌ . قوم مدرَّبون على القتال . يتجلّدون على مضض المحن . عوّدتهم إقامتهم لهذه الغيران على تجرّع الغصص واحتمال الملمات والشدائد بصبر . ولم يأووا الى هذه السراديب إلّا ليتخفّوا عن اعين الحكام الظالمين فليس علينا إلّا أن نؤمّنهم على انفسهم ونعدهم بالمساعدة والاسعاف

الامير : أضعُ تحت تصرفك كلّ ما في الخزينة من مال وفي مستودع الاسلحة من معدّات . وأعدك بما لي من السلطة والنفوذ اني لا اقصّر في ما تعهد اليّ

رودلف : على الله الاتكال في كل حال

فردريك والفرد : ابتِ ليس عدلًا ان ننسى جميل مَنْ احسن الينا وحمل نفسه على مكروهها بسبيل انقاذنا . ان هذا الرجل الجزل المروءة هو بياترو سارديني احد نظار قصرنا القدماء (يشيران الى بياترو)

بياترو (يركع امام الامير)

— سيدي انا هو المنكود الحظ بياترو سهارديني هل لك ان تعجف (١ نفسك عني فتسترقني بفضلك ؟

الامير : ليس اننا نُقيلك عثرتك فقط بل نقوم بواجب شكرك على اهتمامك بولديَّ . فقد اسديتَ اليهما معروفاً وتعهدتهما بخير . انهض يا كريم العهد وتولَّ تدبير قصرنا كما كنت

بياترو : مولاي استعبدتَ ثنائي بفضلك غير اني ارجوك ان تسمح لي ان اواصل خدمة سيدي اخيك . لان ما بقي فيَّ من نسمة حياة اودّ ان ابذلها بسبيل الدفاع عن امتي ووطني

الامير : انتَ في سعة من امرك يا بياترو

الامير لذاته : لا املك نفسي من السرور والارتياح بما انالتنيه العناية الالهية من الغبطة والهناء في هذا اليوم السعيد بمشاهدة قرّة عيني اخي فرنسيسكو الذي كنت انعي فقدهُ باشدّ الحزن وابكي فراقهُ بدمع هتون مدّة عشرين سنة خلَتْ . واعادة ولديَّ فلذة كبدي اليَّ بعد ان كنت اضمرتُ اليأس منها

لقد تتالتْ عليَّ يا إله الجودة نعمك التي يعجز عن القيام بحق شكرها لساني
فلأشكرنَّك ما حييتُ وان أمتْ فلتشكرنَّك اعظمي في قبرها

الامير : يا اخي فرنسيس هيَّا فلندع هذي الكهوف

الفرد : ولنسر للسلم لا للحرب او شحذ السيوف

فردريك : لا رعى الله كهوفاً عرضتنا للحتوف

رودلف : (يصفر)

المشهد التاسع عشر

الامير . رودلف . فردريك . الفرد . بياترو . لصوص . حراس

رودلف (الى اللصوص والحرّاس)

— ايها الزملاء لقد اسفرتْ امالنا عن وجوه الفوز . لا بالاستيلاء على قلاع

١) عجف نفسهُ عن فلانٍ اذا احتمل ذنبهُ ولم يؤاخذه

فورتموله فقط بل على جميع ما في المملكة من معاقل وحصون وهي تستدعينا للدفاع عنها هل ترغبون اللحاق بي ؟

اللصوص والحراس : في ليلٍ من الريب مظلم

رودلف : لا يعتريكم في ذلك شك . ولو وقفتم على حقيقة امري لتيقنتم ما اقول . هوذا اخي الامير ايلريك دولانسفالد المفوض المطلق من قبل جلالة متبوعنا الاعظم وهذان الغلامان ولداهُ امّا سرّ اجتماعنا تحت سقف هذا الكهف فلهُ اسبابهُ الخطيرة وظروفهُ القاهرة

اللصوص : يا لهُ امرًا غريباً

الحراس : بل يا لهُ سرًّا عجيباً

رودلف : منَ الاسرار ما يباحُ بها ومنها ما لا يُماط حجابها . إنما الامر المهم ان تنزلوا على مقترحي ونترك هذه المغاور ونذهب للدفاع عن الوطن فانَّ نفوس الروسيّين قد شاهت الى بعض املاكنا وقد تجهّزوا لاستملاكها بقوة سواعدهم . وقد وعدَنا اخي بانه يجيبنا الى كل ما نسأله ويصدقنا سمينة . هل يطيب لكم أن تغادروا قائدكم الذي يردّكم ؟

اللصوص والحراس : لا لا وربّك لا نُريد سواك

نحن الأُلى آثرتهم بخلوصكم نمضي على صدق الوفا ونقيمُ
نفديك في مهج النفوس ولم نُرد إلّا رودلفَ زعيمنا ونؤومُ

(يرخى الستار)

(تمّت)

شعراء النصرانية بعد الاسلام

القسم الرابع

شعراء الاجيال الاخيرة من القرن الرابع عشر الى التاسع عشر

للاب لويس شيخو اليسوعي

مقدمة

هو القسم الاخير من كتابنا في شعراء النصرانيَّة بعد الاسلام ويبتدئ في القرن الرابع عشر بعد الدولة العبَّاسية وانتهاء الحروب الصليبية . ويُختم بشعراء القرن التاسع عشر دون الاتساع في من شاع ذكرهم وانتشرت آثارهم ودواوينهم

ومما يجب التنبيه عليهِ انَّ آثار شعراء النصرانيَّة في اواخر القرون الوسطى الى القرن السابع عشر قليلة جدًّا وذلك لحمول اصاب اللغة العربية عموماً في بلاد الشرق بتملُّك دول غير عربية كدولتي المماليك الجركسيَّة والبرجيَّة وكدولة الاتراك . فقلَّما تجد من التآليف النفيسة المشبعة الممتعة كالتي سبقت ذلك العهد . وزد على ذلك ما وقع في تلك الاجيال من الحروب الطاحنة منها اجنبية ومنها اهليَّة أُصيبت بها الآداب بضربة اليمة

وما يقال اجمالًا عن كل الشعوب الشرقيَّة يصحُّ خصوصاً في النصارى الذين زادت احوالهم سوءاً وضنكاً فكانوا اشبه بعبيد لا يتنسَّمون رائحة الحريَّة فيقصرون همَّتهم بامر المعاش ولا يكادون يتفرَّغون للمعارف والدروس العقليَّة . وغاية ما كانوا يدركونهُ بعض الالمام بمبادئ اللغة والكتابة . واذا وقفتَ على شيءٍ من آثارهم تجدها ركيكةً ضعيفة التركيب والانشاء يغلب عليها الالفاظ العامية الحوشيَّة كالزجليَّات

والاناشيد العامية وبقي ذلك الى اواسط القرن السابع عشر حيث ظهرت تلك النهضة الادبية التي تولى امرها بعض ادباء النصارى الحلبيين بمساعدة المرسلين من الرهبان والمتخرّجين في المدرسة المارونية في رومية العظمى. وقد افادت هذه النهضة بلاد سوريَّة عموماً فاستفاد منها المسلمون والنصارى معاً وهي اصل النهضة الجديدة التي اتّسع نطاقها في القرن التاسع عشر وبلغت اليوم سائر انحاء الشرق

هذا ما لزم شرحهُ في اوَّل هذا القسم الرابع من مجموعنا في شعراء النصرانية بعد الاسلام. فنبتدئ وعلى الله التكلان

١ سليمان الغزّي

بكل سرور نفتتح هذا القسم بذكر شاعر لم يأتِ لهُ ذكر في كتب المستشرقين وفي التاريخ الوطني القديم. نريد بهِ سليمان الغزّي مؤلف ديوان كبير يُعدّ افضل مثالٍ للشعر النصراني الديني الذي لم يسبقهُ الى معانيهِ آخر

﴿تعريف الرجل﴾ لقد افرغنا الوسع للوقوف على اخبار هذا الرجل سواء كان في التواريخ الشرقية والغربية النصرانيَّة والاسلامية ام في الآثار الكنسيَّة. فلم نجد لهُ ذكرًا حتى لم ينوِّه بذكره احد من ابناء طائفتهِ الملكية ممَّن بحثوا في اخبارها ومشاهير رجالها كالبطريرك مكاريوس الحلبي صاحب التآليف الواسعة ومؤرخي البطريركية الانطاكية القدماء والمحدثين

وغاية ما يمكن الحصول عليهِ في تعريفهِ انَّما يُستفاد من مراجعة ديوانهِ خصوصاً وكان سبقنا الى ذلك جناب الكاتب الاديب والمؤرخ المحقق عيسى افندي اسكندر المعلوف في مقالةٍ حسنة نشرها سنة ١٩١ في مجلة النعمة (١ : ٦١٩ و٦٥٨). وقد راجعنا نحن ايضاً النسخ العديدة التي وقفنا عليها من ديوانهِ وتتبَّعنا قصائدها لنقتبس من خلالها بعض التعليمات المفيدة للكشف عن اخبار ناظمها. فدونك ما حصلنا عليه

﴿اسمهُ واصلهُ﴾ اسمهُ مدوَّن في صدر كلّ نسخ ديوانه على هذه الصورة «الشيخ الفاضل العالم الكامل سليمان الحكيم ابن حسن الغزّي رضي الله عنهُ» وفي نسخة

« قدّس الله روحهُ ونوّر ضريحهُ » . وجاء اسمهُ في نسخة ديوانه المصون في مكتبة القبر المقدّس للروم الاورثذكس في القدس الشريف(١ « الشيخ الجليل العالم الفضيل الرئيس الحكيم الشيخ العَلَم سليمان بن حسن الغزّي عليه الرحمة والرضوان اعاد علينا فضائلهُ وعلومهُ ويُفهمنا قصائدهُ ومنظومهُ »

فيحصل من هذه الاقوال ان المترجَم كان اسمهُ سليمان وانّ اباهُ كان يُسمى حسناً وكلا الاسمين يشترك فيهم قديماً النصارى والمسلمون . وانّ اصلهُ كان من مدينة غزّة التابعة لولاية فلسطين على ساحل بحر الشام بين يافا والعريش

﴿زمانهُ﴾ لا يُستفاد شيء من ديوان سليمان الغزّي لتعريف زمانه اللهمّ الّا ذكرُ بعض اديرةٍ زارها سبقت العهد التركي كدير صموئيل ودير البقاع ممّا طُمست آثارها قبل القرن السادس عشر . ولنا على زمانهِ دليل آخر في نسخ ديوانه . فانّ نسختهُ المصونة في القبر المقدّس تاريخها سنة ١٦٩٠ . واقدم منها نسخةٌ في حلب ذكرها عيسى افندي المعلوف (التعمة ١ : ٦٢٥) تاريخها سنة ١٥٥٧ . ولعلّ احدى نسخ مكتبتنا الشرقيّة اقدم عهداً كما يلوح من كتابتها وورقها فالمرجّح انّها كتبت حوالي القرن الخامس عشر

فليس اذن بمستبعد ان يكون الشاعر عاش في القرن الرابع عشر كما ذهب اليهِ صديقنا عيسى افندي (ص ٦٢١)

﴿دينهُ واخبارهُ﴾ نصرانية سليمان الغزّي ثابتة واضحة وضوح الشمس في كل قصيدةٍ من قصائده وكلها منظومات دينيّة نصرانية . وامّا في نصرانيتهِ مشكلٌ أوُلد في النصرانيّة ام ارتدّ اليها عن دين آخر . وبعد مراجعة ديوانهِ والامعان في قصائده تحقّقنا انهُ لم يولد نصرانيًا وانّهُ كان مسلم النحلة فتنصّر بعد ردح من الدهر نتراهُ يشير كثيرًا الى حياتهِ السابقة ويذرف الدموع السخينة على ضلالهِ وآثامهِ . كقولهِ في مطلع قصيدةٍ (من الطويل) :

خليلَيَّ انَّ الخير للدهر نافعي ولاشكَّ فعلُ الشرّ بالموت قاطعي

---

١) اطلب الصفحة ٥٨ من برنامجها البيرناني العربي عدد ٥٤

ولا تَلجيانِي إنْ بكيتُ خطيئتي ونوحا عليَّ تارةً وابكيا معي
خليليَّ ما بَعْد الخطايا رَزيَّةٌ ولا بدعةٌ بل فوقَ كلّ البدائعِ
دَعا مقلتي تذري الدموع فربَّما نفى زفَراتِ القلبِ فيضُ المدامعِ

ومثلهُ قولهُ (من البسيط) :

انا الذي كنتُ أَوْلى ان اموتَ كما اخطيتُ دون المسيحِ ما بهِ عَيْبُ
يا ربِّ أَثبت لنا نعماكَ فيهِ فما لنا سواهُ عظيم القدر مطلوبُ
واغفر لمن نظم الابياتَ زلّتهُ فإثمهُ بإزاء عينَيْهِ منصوبُ

وربَّما اشار الى ما عرفهُ من مزاعم المسلمين كقولهِ في يوم البعث (من البسيط) :

لا تطمعوا انَّ يوم البَعْث يُطعمكم من الفواكهِ اثمارًا وأعنابا
ولا يزوّجكمُ حورًا فيعجبكم جمالهنَّ لدى الفردوس إعجابا
انَّ المعادَ لدارٌ ما ترونَ بها من المطاعم والملبوس جلبابا
فاحذروا الآن لا يطغيكمُ احدٌ وبئس مَن خالف الانجيل كذَّابا
يأتيكمُ القومُ في شكل الخراف ترا هم عند كشف ستار الوجهِ أذيابا

﴿مذهبهُ﴾ ولكن تُرى ايَّ مذهبٍ تمذهبَ بهِ عند ارتدادهِ ؟ من المعلوم انَّ في القرن الرابع عشر كان نصارى الشرق ثلثَ فرقٍ الروم واليعاقبة والنساطرة . وانما بولد سليمان بن حسن في غزَّة يتعيَّن ايضًا المذهب الذي اتبعهُ اعني بهِ الروم ولم يكن في غزَّة في عهده غيرهم من النصارى ثبتوا هناك الى زمن الاتراك ولنا سلسلة من اساقفتهم ناقصة (راجع مقالةً حسنة عن آثار النصرانيَّة في غزَّة وضواحيها في المشرق ١ [١٨٩٨] : ٢١١ــ٢١٦) . ثمَّ في شعر سليمان الغزّي ما يصرّح بمذهبهِ في قصيدتهِ النونيَّة التي اوَّلها (من البسيط) :

ما كلّ معتمدٍ بالماء نصراني غير اعتمادِ حياة العالم الثاني

فانهُ يُعدّد بدَع النصرانيّة ويكفرها كآريوس ومكدونيوس ونسطور ويعقوب البرادعي وغيرهم الى ان يقول :

هذي مذاهبُ اقوامٍ لكفرهمِ ضلّوا الهدى عن طريقٍ شبهُ عميانِ
فالفضل للأورثذكسيّين إنّهمُ تمذهبوا مذهباً في الله حقّاني

وليس في روميّتهِ واورثذكسيّتهِ ما يُشتمُّ منهُ نفي تعاليم الكنيسة الكاثوليكية وكثيراً ما يذكر في شعرهِ القديس بطرس هامة الرسل ورئاسته كما ورد في الانجيل

﴿ زواجهُ ﴾ ويظهر من عدّة مقاطيع من شعرهِ انهُ كان مقروناً بالزواج فيذكر زوجتهُ ويرثي ولداً له وحيداً مات في العشرين من سنّهِ وخلّف ولداً صغيراً اسمهُ ابراهيم سبق والدهُ الى القبر (من البسيط) :

قد كنتُ ربّيتُ إبناً قلتُ ينفعني بعد المماتِ فماتَ الابنُ من دوني
جادتْ عليَّ الليالي في تصرُّفها فبانَ عن والدٍ مفجوعٍ محزونِ
كغصن بانٍ تثنّى في شبيبتهِ في جسمهِ او كأغصان الرياحينِ
دفنتُهُ ابنَ عشرينَ وها أنذا شيخٌ بلغتُ الى عصر الثمانينِ
لو استطعتُ فداهُ ما فُجعتُ بهِ وكيف يُعطى فداهُ وهو يفديني
أظلُّ متوحشاً ممّن يؤانسني ابكي فما احدٌ منهُ يُسلّيني
قد اشتهيتُ أتمّ العمرَ معتصماً بتوبةٍ في ديارات الرهابينِ
حتى اموتَ ونفسي غير آسفةٍ على حياةٍ الى موتي تؤدّيني
لولا خريمٌ أراعيهم واحفظهم فهم عن الزهد في الدنيا يعيقوني
يا ربِّ إسترعنَ أعمالي اذا كُشفت يوم المعادِ بديوان الدواوينِ

فبيعةُ الله أَوْلى بي وأَحْفَظُ لي من كلّ حافظةٍ كانت تُرَبّيني

وقال في محلّ آخر يذكر وفاة ابنهِ الوحيد (من البسيط):

حلّ المشيبُ برأسي بعد صبغتهِ وحُسنهِ فلَبِستُ الضعفَ والخرَفا
قد كنتُ آمَلُ بأَبني ان يساعدني على الزمان فلمّا إستوى حُتِفا
أَلِفْتُهُ فقضى دهري بفرقتهِ ولستُ اوّلَ مفجوع بمَن أَلِفا
فصرتُ فردًا وحيدًا غيرَ معتقبٍ إبناً فأَشْفَف في الدنيا بهِ شغَفاً
يانفسي ان ضَعُفَت منكِ القوى هَرَماً فما يُعينك إلّا راحمُ الضُعفا

ومن قولهِ اللطيف الدالّ على رقة قلبهِ واسفهِ على فقيدهِ (من المنسرح):

يا ساكناً بالتراب يا سَكَني مشتملًا في التراب بالكفنِ
اني اخافُ التُّرابَ يُفسدُ ما لامَسَهُ من نعومةِ البدنِ
يا حبّذا مضجعٌ حللتَ بهِ لولا غِطاءُ لوجهك الحسنِ
ازورهُ أَشتكي جفاهُ فما يسمعُ قولي ولا يكلّمني
اشغلَهُ الدهرُ عن موانستي ومنهُ بعدَ الدنوِّ أبعدني
هيهاتِ لا عَوْدةٌ تقرّبني منكَ ولا ان شكوتُ ترحمُني

﴿زهدهُ وترهُّبهُ﴾ رأيتَ ان المترجم كان مرتبطاً بروابط الزواج وانهُ كان متقدّماً بالعمر على انهُ كان يتوق الى حلّ قيودهِ ليزهد في الدنيا ويترهّب وقد تحقّقت امانيّهُ كما يظهر من بعض اقوالهِ في قصائدهِ حيث يذكر انهُ ترهّب في القدس قال في اوّل لاميّتهِ (من الطويل):

ترهّبتُ زهدًا من مباشرةِ النَّسْلِ واعرضتُ إعراضاً عن المال والاهلِ

وقلتُ لنفسي حان ان تتيقَّظي فانك في فعل الرذائل في شُغْلِ
وما لبس الناسُ السوادَ لِحُسنهِ ولكنَّهُ ثوبُ التواضُع والذلِّ
تراءى لنا فيهِ المسيحُ تَنَسُّكا لنزهدَ في ثوب التعظُّمِ والنُّبلِ
وسرتُ الى البيتِ المقدَّس تائباً من الإثم في غُصْن الشبيبةِ والجَهْلِ

وختمها بالاستغفار من السيد المسيح فقال:

أَقِلْني خطَائي واعْفُ عن قُبْحِ زلَّتي فمثلكَ مَن يعفو على خاطئٍ مثلي

﴿استقيتُهُ﴾ والظاهر انَّ هذا الشيخ الجليل الذي ترهَّب بعد الثمانين من عمرهِ حتى كاد يبلغ الهرَم رُقِّي الى درجة الاسقفية. وذلك ممَّا صرَّح بهِ مخطوط مكتبة القبر المقدَّس السابق ذكرهُ حيث اشار الى بعض تآليفهِ (ص٥٣) التي سيأتي ذكرها فقال ما حرفهُ: «مسائل واجوبة من ديوان النزّي وكان اسمهُ سليمان وكان مطران غزّة رضي الله عنهُ». فهذه الافادة النفيسة تزيد في تاريخ النصرانيَّة في الشرق بعض الايضاح ولاسيما غزَّة التي لم يُعرَف شيء من اخبارها في القرون الوسطى. وفي قصيدتهِ الثانية التي مطلعها (من الكامل):

النفسُ تبقى والجوارحُ تتلفُ حتَّى يبيد الهيكلُ المتألفُ

يصرّح باسقفيتهِ حيث يقول:

يا بيعة الله الكريمةُ إسمعي ممَّا يقولُ في الكتابِ الاسقفُ
فهو المخاطبُ عن مسيح الله في ناموسهِ وهو الأعزُّ الاشرفُ
لا تغفلي عمَّا يقولُ تكبُّرًا فذوو الفساد من الاجابةِ يأنفوا

والى مثل هذا اشار في محلٍّ آخر متواضعاً (من الوافر):

بنو امّي عسى يُستغفَرُ لي خطائي بين اولادِ الزُّوانِ

فقد نجستُ ثوب القدس جهلًا بمن بجلال كسوتهِ كساني

ومما يستفاد ايضاً من ديوان سليمان الغزّي انه كان غنيّ الحال ثمّ ابتلاهُ الدهر ببلاياهُ وفي ذلك يقول (من البسيط):

قد كنت في نعمةٍ لله سابغةٍ لو طاوَلوها ذوو الاقدام لم يصلوا
زالت وما زالتِ الايامُ تفسدها كانت لهُ اصلحت بالناس لو عقلوا

وقال في محلّ آخر (من الطويل):

طمعتُ بذي الدنيا فصرتُ الى البلى كما صار قبلي للبلى كلُّ طامعِ
وقد قسَّم الورّاثُ مالًا ذخرتُهُ فنفعُهم من تركتي غيرُ نافعِ
فكل الذي جمَّعتهُ واقتنيتهُ من المال والاولادِ ليس بتابعي
ولا بُدَّ ان يسترجعَ الدهرُ كلَّما أعارَ وأعطى يوم ردِّ الودائعِ
فطوبى لمن يأتي بربحٍ وويلٌ من يوافي بخسرانٍ ونَكسِ بضائعِ

ومثله قولهُ في نكبات الدهر (من الخفيف):

دفعتني ايامهُ والليالي من علوّ القصور للاجداثِ
وكذا كلُّ من تقدَّم قبلي قطعتهُ نوائبُ الأحداثِ
كلّ راثٍ لغيرهِ من حتوفٍ سوف يلقى من حتفهِ غيرَ راثِ
وجديد الزمان عن بعد حينٍ يتلاشى الى البلى والرثاثِ

ويُستفاد ايضاً لتاريخ حياة سليمان شاعرنا ما قالهُ في الاديرة التي احتلّها وتبرّك منها (من الوافر):

رأيتُ القدسَ في حلم المنام كضوء النور في كدر الظلامِ

فقدَّمتُ المَسيرَ اليهِ أسعى على قَدَمَيَّ في عُقب الصيامِ
وجيدٌ لم يُصاحِبْني رفيقٌ لخوفي من فساد الإلتئامِ
نزلتُ بدير صَمْويلَ(١ المعلّى تجاهَ الطُّور من جهةِ الشآمِ
لأدخلَ بيت صهيونَ(٢ المزكّى فأقرئَ ساكنيهِ بالسلامِ
وأجعلَ مَرْيُحَنّا(٣ في حلولي بارض الغَور للنَّجوى امامي
وارقى الذوق والحوريب(٤ ايضاً كأنْ رؤيايَ فيهِ لهُ ذِمامي
وفي دير البقاع(٥ هجعتُ ليلاً وإخواني على بَرْد الرُّخامِ
ونحو السيقِ اعني سيق سابا(٦ هممتُ فلا يخيب ليَ اهتمامي
دخلتُ بغير جاريةٍ اليهِ ولا امرأةٍ على شكل الغُلامِ
وفي دير الدواكِس(٧ عدتُ اعدو سريعاً مثل طَيّار الحَمامِ
ومنهُ الى كنيسةِ بيتَ عَنيا دخلتُ مجرَّدًا مثل الحُمامِ

١) يُعرف اليوم بنبي صموئيل لقبر هذا النبي في مكانهِ وموقعهُ على تلّ عالٍ يُشرف على القدس من جهتها الشرقية وهو بينها وبين عمواس كان فيهِ قديمًا دير للرهبان

٢) احد الجبال المبنيَّة عليها مدينة القدس وهناك كانت العلية التي اكل فيها السيد المسيح العشاء السرّي قبل موتهِ. هي اليوم في حوزة المسلمين

٣) هو احد الاديار المتعدّدة التي كانت قديمًا في جهات الغور قريبًا من نهر الاردن بُني على اسم القديس يوحنا المعمدان

٤) الذوق هو ايضًا من الاديرة الشهيرة التي اقامها النصارى في المكان الذي صام فيهِ السيد المسيح اربعين يومًا. واما حوريب فجبل سينا الذي تجلّى فيهِ الرب لموسى

٥) ليس البقاع هذه بقاع لبنان وانما هي سهل واسع ليس بعيدًا من بيت لحم كان فيهِ دير نسبهُ الشاعر اليهِ

٦) السيق لفظة اعجميَّة يراد بها الدير. ودير القديس سابا دير شهير للروم في وادٍ عميق بين القدس وأريحا. لا يزال عامرًا

٧) احد الاديرة الشهيرة التي كانت في غور الاردن تُرى الى اليوم بعض آثارهِ

لأسمعَ صوت من رهبانِ فيها وألثمَ قبرَ عازَرَ في الرُّخامِ
وأسمع في كنيسةِ بيتَ لحمٍ من الانجيل تفسير الكلامِ
وفي صِهيونَ قمتُ وقام فيهِ ليغسل أرجل الرُّسل الكرامِ

﴿وفاتهُ﴾ لم نقف على تاريخ وفاة سليمان الغزّي كما أننا لا نعلم بأيّة ميتةٍ مات. وقد أفاد جناب عيسى افندي في مقالتهِ (ص ٦٢٠) انهُ «مات شهيدًا كما رأى ذلك في بعض التعاليق على نسخة من ديوانهِ». فان صحَّ الخبر كان للغزّي فخرٌ جديد اذ اصاب ما تمنّاهُ واشار اليهِ بشعرهِ حيث قال يذكر هيكل جسدهِ ويطلب تضحيتهُ لربّهِ (من الكامل):

وبهِ امجّدهُ لوَ أعلَمُ أنهُ يَرضى بصبري تحت ضرِّ بلائي
حتى تتمَّ شهادتي فيكونَ لي كأسُ المنيَّةِ مثلَ كأسِ رَواء
واقومَ عن يمناهُ وارثَ ملكهِ اذ كان فقري موجباً لغنائي

وعلى كل حال ان ثبت خبر استشهادهِ وجب القول انهُ نال هذه النعمة بعد حياةٍ طويلة تجاوزت الثمانين حتى ناهزت التسعين من عمرهِ

﴿علومهُ﴾ خلّف سليمان الغزّي ما عدا ديوانهُ آثارًا اخرى متفرّقة يُستدلّ منها انهُ كان ضليعاً بالتاريخ الكنسي والعلوم الدينية وفنّ المجادلة مع المخالفين. فممّا رُوي عنهُ في مجموعة كبيرة مخطوطة في مكتبة القبر المقدّس (تحت عدد ١٠١ ص ٨٥) في اوّلها عدّة مقالات لبولس ابن الراهب وللشيخ المكين نشرناها سابقاً كتابٌ في اثبات الامانة هذا عنوانهُ (ص ٥٣): «وايضاً نكتب شيئاً في برهان الامانة ممّا رتّبوهُ (كذا) المجامع المقدّسة والآباء الثلثمائة وثمانية عشر والآباء القدّيسون مسائل واجوبة... من سليمان مطران غزّة». وهو يبتدئ بذكر المجمع الاوّل مجمع نيقية. وقد وقفنا على نسخة من هذا الكتاب في مجموعة للخوري الفاضل الاب قسطنطين الباشا ناسخها «صفرونيوس بن موسى الطرابلسي ابن الحاج سليمان الطرابلسي البتروني الاصل سنة ٧١٥٢ للعالم (١٦٤٤ م)».

ثمَّ لهُ في مجموعة القبر المقدَّس المذكورة مقالة ثانية هذا عنوانها: « وللغزّي ايضاً رضي الله عنا وعنهُ في معنى ايمان النصارى » . يتبعها مقالة ثالثة اوَّلها « اللهمَّ اني اسألكَ بمحبة ناسوتك »

ومثل هذه المقالات ما اطَّلعنا عليهِ في مجموعة للمنسنيور جرجس منش في حلب ومجموعة مثلها لحضرة الخوري قسطنطين الباشا « رسائل وردود للغزّي على المخالفين للامانة المستقيمة وعلى الهراطقة كآريوس واوطيخا ونسطور ويعقوب البرادعي وساويرس » ثمَّ مقالات اخرى عندهما في وحدانيَّة الخالق وفي التجسُّد والصلب وفي الانسان والعالم . وبعض فصولها مسجَّعة

وهذا مثال من نثرهِ وهو دعاء مسجَّع ننقلهُ عن احدى نسخ ديوانهِ المصونة في مكتبتنا الشرقيَّة (ص ٩٧)

اللهمَّ اني اسألك يا نور الانوار ، وعالِمَ الاسرار ، وكاشف الاضرار ، الملك الجبَّار ، ذا العزَّة والوقار ، مُنزل الامطار ، ومحيي نبات الاشجار ، وواضعَ الارض في القرار ، وجاعل الشمس لضياء النهار ، الذي امكنَ الوحوشَ القفار ، والسمكَ البحار ، والجوَّ صنوفَ الاطيار ، يا من لا تحويهِ الامكنةُ والاقطار ، ولا تُدرِكهُ العقول والابصار ، ولا تغيرهُ الازمنةُ والادهار ، خالقَ الانسانِ المختار

اللهمَّ نسألك بحلول كلمتك الازليَّة ، في العذراء النقيَّة ، ان تجعلنا من الابرار ، وان تخلّصنا بقيام مسيحك من شرّ الاشرار ، انك لم تُهمل انسانك في سقطتهِ الى الابد ، بل تعطَّفت عليهِ بعد طول المدد ، واصلحتَ منهُ ما كان فسد ، وفككتَ من سبي الموت نفسهُ والجسد . حينئذٍ ابصر بعد العمى ، ورَوِيَ بعد الظما ، وصارت السماء لهُ ارضاً والارضُ سما ، فاشكري يا نفسي إلهكِ المحسن اليكِ والمسبغ نعمهُ لديك ، كما يجب عليكِ ، انهُ تعالى المستحقُّ المديح ، والمستوجب الاكرام والتسبيح ، الآن وكل اوان الدهر الداهرين . امين

ولهُ دُعاء يطلب فيهِ من الله ان يجعل نظرهُ على الكنيسة التي تولى تدبيرها كأسقفها اعني غزَّة فقال متأنقاً :

اللهمَّ بتاف القدرة ، وميم المُلك ، وحاء الحياة ، ونون النُّطق ، وجيم الجلالة ، وهاء الهيبة ، وواو الوقار والوحدانية ، والكاف الجامعة بين الكون والكلمة ، اسألك ان ترحم هذه الكنيسة القليلة العدد ، المائلة الأوَد ، أعطِها يا ربَّ حياة الابد ، وخلّصها من كل شرّ ونكد ، بشفاعة أجلّ مَن حملَتْ ولد ، العذراء امّ النور وجميع القديسين . آمين

(لهُ بقية)

الحكم الفصل

في الوفاق بين الايمان والعقل

للاب عمانوئيل رولان اليسوعي

لا يخفى ان الزنادقة واعداء الدين يعتبرون كمبدإ راهن وقضيَّة واضحة التناقض بين الايمان والعقل على خلاف ما يعتقده الدين الكاثوليكي من الوفاق بينهما. وقد تصدَّى ارباب الدين لزعم الملاحدة واثبتوا قولهم بأدلَّة بيّنة وبراهين صادقة تنفي بتاتاً قول المخالفين

على انَّ هؤلاء الناكرين لا يزالون يردّدون قولهم ويتشبَّثون بسفسطتهم لئلَّا يجبرهم الإقرار بالحقّ ان يتبعوا وصايا الدين ويصلحوا سيرتهم الباطلة كما اشار الى ذلك النبي داود في المزامير (٣٥: ٤) حيث يقول عن الانسان الجاهل انهُ «لم يشأ ان يفهم لئلَّا يعمل الخير»

ولكن ما هو يا تُرى سند اولئك الذين يُفتنون بهذه المناقضة المزعومة بين الايمان والعقل ؟ انَّ المجمع الفاتيكاني في احدى جلساته قد روى لمناقضتهم سببين : فالسبب الاوَّل انهم ينسبون الى العلم ما هو حَدْس وتخمين. والثاني انهم يُسيئون فهم القضايا الدينية فينظمون في سلكها مزاعم يتبرَّأ الدينُ منها . فمثال ذلك عصمة الحبر الاعظم المبنيَّة على قول السيد المسيح للقديس بطرس هامة الرُّسل فانَّ كثيرين يخلطون بين العصمة في اثبات حقائق الدين والعصمة من ارتكاب الخطيئة فانَّ الكاثوليك يقولون بالاولى تحت شروطٍ معلومة لكنَّهم لم يدَّعوا قط بعصمة الاحبار الرومانيين عن الخطيئة . ثمَّ كم من الامور التي زعم الملحدون انَّها تقرَّرت لدى العلماء وما لبث هؤلاء العلماء فنقضوها وابطلوها

ومن اعتراضاتهم ان الكنيسة الكاثوليكية تعتقد ان الارض خلقها الله في ستة ايام وذلك قبل بضعة الوف من السنين فقط وهم لا يفكرون إلَّا في اليوم ذي

الاربع والعشرين ساعةً وليست ايام الخليقة كأيام سنتنا الشمسية · ولا أيام الله كأيامنا لان «الف سنة في عينيه كيوم امس الغابر وكهجعة من الليل» . وكذلك حساب بدء الخليقة وتكوين الانسان تعدّدت فيه الآراء دون ان تفصل الكنيسة حكمها في محسابٍ دون آخر ولا دَخل لعصمتها في ذلك · وكم للعلماء في حساباتهم من الاحكام المتباينة وحتّى الآن لم يتّفقوا على واحد منها

ويردف المعطلون انَّ في الدين اسراراً تناقض العقل · وهذه ايضاً من مزاعمهم السفسطيّة · فان اسرار الدين هي فوق ادراك العقل ولكنها لا تضادُّ الحقائق العقليّة · فايُّ عجب ان تكون للدين اسرارهُ الفائقة العقل وفي الطبيعة نفسها اسرارٌ متعدّدة لم يستطع العلماء الكشف عن قناعها مع ما استنفدوا من القوى في ذلك · أفيجبُ ان يوحي الله لخلائقهِ حقائق سامية لا يستطيعون إدراكها كما يعجز الانسان عن بيان مناقضتها لعقلهِ · فهذا سرُّ تثليث اقانيم الله وهذا سرّ تأنُّس ابن الله وسرّ القربان الاقدس فان ثبتَ للعقل بعد الفحص المدقّق انَّ الله أوحى بها أفيجوز للانسان ان يأبى اعتقادها لمجرَّد كونهِ لا يفهمها ؟ كأنهُ يريد قياس علم الله غير المتناهي على عقلهِ القاصر الضيّق النطاق · فيكفيه اذن ان يعلم بانَّ الله هو الحقيقة بالذات لا يمكنهُ ان ينخدع او يفوتهُ علمٌ كما انهُ لمستحيل ان يخدع احداً او يضلّلهُ فحاشاه ان يوحي بحقيقة منافية للعقل اذ هو ربّ العلوم كما ورد في سفر الملوك الاوَّل (٢ : ٣) · وما لا يدركهُ الانسان في دنياهُ سوف ينجلي لهُ في دار الخلود ويُماط عنهُ كلّ قناع فيكفيهِ اذن في هذه الحياة ان يبلغهُ كلام الله حتى يخرّ ساجداً ويرضخ قانتاً لحكمهِ تعالى

انَّ مثال المرء في حياتهِ بازاء الحقائق الموحى بها كمثال رجل ضرير تريهِ صورةً تمثل الجبالَ والوهاد، البحرَ والبرّ، النبات والحيوان فيقول لهُ انَّ كل هذه الكائنات تلوح في الصورة · فيتقرّب اليها ويجسّها بيدهِ فيقول كيف تزعم انَّ هناك جبالاً ولا تشعر يدي بجسم مُصمت ؟ تزعم انَّ هناك بحراً ولا تمسُّ يدي ماء ؟ فانا لا أصدّق قولك · أفلا يكون فعلهُ جهلاً ونكرانهُ ضلالاً ؟ فهكذا قل عن الانسان الذي يأبى قبول وحي الله لانهُ لا يدركهُ · فهَبْ انَّ طبيباً يفتح لهذا الضرير بصرهُ فللحال تقتنعهُ عيناه بغلطهِ · فهكذا يقال عن اسرار الدين التي يعجز عنها بصر عقلنا حاضراً وسيدركها في الآخرة حينما يرفعهُ الله وينيرهُ بنورهِ الالهي

شهادة العلماء في نفي كل خلاف بين العقل والايمان

انَّ ما سبق لنا قولهُ في الوفاق بين العقل والايمان ونفي كل تناقض بينهما قد اثبتهُ مؤخرًا اساطين العلم في فرنسة نُزيد بهم علماء الاكادمية الفرنسوية الذين يعتبرهم العالم اجمع بمثابة خَزَنة العلم ورؤسائه الاعظمين . ففي العام الماضي قام بينهم احد رصفائهم وعرَضَ عليهم هذا السؤال أيرون انَّ بين الشرائع الدينيَّة وحقائق العقل البشري تناقضاً ؟ وترجَّاهم ان يجيبوا خطيًّا على السؤال المذكور . فكان مجمل ما اجاب عنهُ العلماء انهُ ليس يوجد البتة مماكسة وخلاف بين الامرين . فجاء جوابهم احسن ردٍّ على المدَّعين بانَّ العلم لهُ المقام الافضل في العالم وانهُ لا يوجد ما يفوق عليهِ بل هو الآن الدين الصحيح لا دين غيرهُ

فهذه المبالغات الغريبة والمدَّعيات الباطلة سقطت اليوم امام أجوبة كبار علماء فرنسة . فكلُّهم جاهروا ببطلان مدَّعيات الملحدين وبتخطية الكتابات التي ينشرها اعداء الدين وحشَوا بها الكتب المدرسية ليضلّلوا بها عقول الاحداث ويُلقوا بهم في وهدة الضلال والفساد . وهم لا يخجلون عن تكرار قولهم انَّ العلم قد قشع اليوم ظلامَ المعتقدات الدينية وانهُ قد دكَّ التعاليم الالهية وان المادَّة هي التي تتطوَّر بكل اطوار الحسّ والنموّ والحركة والفكر وان نفس البهيمة كنفس الانسان لا اختلاف بينهما إلَّا بالدرجة والرقي وكلتاهما الى الفناء

وفي الكتب عينها يردّدون قولهم انَّ سعادة الانسان متوقفة كلها على العلم . وانَّ العلم أباد خزعبلات الدين فلهُ وحدهُ الحقّ بالوجود (١ وخلاصة كل هذه التعاليم ان في موت الانسان نهايةَ كل شيء . وانهُ لا حياة لهُ بعد الحياة على الارض . فينتج منها ما ذكرهُ الكتاب المقدَّس عن لسان اشعيا النبي (٢٢ : ١٣) : «فلنأكل ونشرب لاننا غدًا سنموت . وهذا لعمري الباب المفتوح لكلّ المآثم اذ يسعى الانسان الى سدّ كل شهواتهِ والى تضحية ما يعوقهُ في سبيلها . وقد تبيَّنت نتيجة هذه الاضاليل بما شاع في أيامنا من الفظائع وضروب الآثام اذ لم يبق للانسان لجام

١) اطلب الكتاب LÉON-FRANCHET: Entretiens de morale républicaine

يكبح تلك الشهوات البهيمية التي تسود عليه بنفي الدين والخوف من المجازاة في الآخرة

ومثلهُ غلواً في الكفر قول الآخر في كتاب حديث : « انَّ بين الالفاظ الشيقة التي لم يَعُد تحت قشرتها لبابٌ ما يدعونهُ الله وعنايةً وخلوداً وما اشبه ذلك فهي اسماء بلا مسمًّى» فتلك هي الدائرة لا تزال ارواح هؤلاء الملحدين تدور فيها كما تدور بعض البهائم حول الطواحين او النواعير لا يحيدون عن تلك الحلقة الضيقة

على ان الذين نكروا الحقائق الدينيَّة لم يلبثوا ان جحدوا ايضاً الحقائق العقليَّة لِما بينها من العلاقات المحكمة . ومن هذا القبيل ما قالهُ رينان : « ليس قضية لاهوتية او فلسفية يمكننا اثباتها ببرهان قاطع ينفي كل شكوك»

فهاتِ اذن نورد ما قالهُ علماء فرنسة مؤخرًا لتخطئة هذه المزاعم قال لوشاتليه (Le Chatelier) الكيمويّ الكبير واستاذ جامعة سوربون : « ليس تناقض بين العلم والدين وهذه قضيَّة يثبتها الامتحان . فان بسكال وأمپار وكوشي كانوا متعمقين في الدين وهم من اكبر العلماء . ولسنا نجهل انَّ بعض الكتبة العصريين ينشرون احياناً في تآليفهم قولهم بان الدين والعلم على طرفَي نقيض لكنَّ هذا القول لا اعتبار لهُ عند اساطين العلم وانَّما يفوهُ بهِ من لهُ بعض إلمام بالعلوم او من يجهل العلوم تماماً»

واجاب المسيو لوكنت (Lecomte) النباتيّ الكبير والاستاذ في متحف التاريخ الطبيعي : « انَّ التناقض بين الدين والعلم لا أصل لهُ إلَّا في اوهام القائلين بهِ »

وكان جواب معلم ثالث في مكتب فرنسة الاعلى : « سُئلتُ أيوجد عدد كبير من العلماء ممَّن غلب عليهم الروح الديني . فأجيب انَّ الامر أوضح من ان يُشكَّ بهِ وليس من داعٍ للسؤال عنهُ لشيوعهِ وصدقهِ»

واجاب الاستاذ في مكتب المناجم المسيو دي لونه (L. de Launay) : «لا ريب في جهل القائلين بمنافاة العلم للدين وانا الذي ألَّفتُ كتابي المعنون بالنصرانيَّة (le Christianisme) كانت غايتي بوضعه بيانَ هذه الحقيقة ان الدين والعلم لا تناقضَ بينهما البتَّة»

ولا يخالف العلماء السابقين في رأيهم المسيو اندويه (H. Andoyer) الفلكي والرياضي والاستاذ في جامعة سوربون فقال مجيباً : « لستُ أجد موجباً لقول الزاعمين

بان العلم ينفي الـدين لا بل لقد صحَّ عندي ان العلم يؤدي بصاحبهِ الى الروح الديني» . ومثل هذا الحكم سبق اليهِ العلّامة الشهير باكون (R. Bacon) انَّ العلم الزهيد يبعد عن الله وامّا العلم العميق فيقرّب اليهِ (Peu de science éloigne de Dieu et beaucoup y ramène)

وقال المسيو كينو (E. Quenu) استاذ الجراحة الشرعيّ في جامعـة الطب في باريس : «ليس لاحد ان ينكر تأثير الدين في الآداب وعلى رأيي ان اصلاح الآداب لا يمكن الحصول عليه دون الروح الديني»

واجاب المسيو بوفيه (Bouvier) استاذ النباتيّات في متحف التاريخ الطبيعي : « أيوجد نزاعٌ بين العلم والدين ؟ ذلك امرٌ لم ألحظهُ قطّ . والتاريخ في كل اطواره يذكر عدداً عديداً من كبار العلماء المتدينين. وأريد بالعلماء اولئك الذين امتازوا بالعلوم الطبيعية التي ينويها القائلون بالتناقض المزعوم بين العلم والدين . وعلى رأيي انَّ الروح الدينيَّ اجدر بهِ ان يدفع الانسان الى التعمّق في كل هذه العلوم »

فترى من هذه الشواهد وغيرها ايضاً نستطيع ان نثبتها وكلّهـا تدقّ على وتر واحد : كلّا ليس تنافٍ بين العلم والدين . والعلمُ المنوي هو العلم الصادق العميق ليس العلم السطحيّ . لان العالم الصادق على قدر اتساع علمـهِ تتّسع ايضاً امـامهُ دائرة العلوم وارتباطها بعالم علوي يفوق عقلهُ وباسرار من الطبيعة لم يقوَ على كشفهـا إلّا بالتقرّب من اصلها اعني الى الله ربّ العلوم وخالقها

وهذا التقرّب بين العلم والدين زاد زيادةً عظيمة على ما كان عليهِ قبل اربعين سنة . قال الكاتب المجيد « بول بورجه » بعد ارتداده الى الايمـان : « اني كنت في شبابي قبل اربعين سنةً مشغفاً بالعلم فأجعلهُ الكلّ في الكل فأزعم انَّ العلم فيه كل ادب وكل سياسة وكل دين بل هو الدين الجديد ليس دينٌ غيرهُ . ذلك كان دستور ايماني . والآن اراني قد خُدعت بهذه الخيالات الباطلة وانقشع الظلام عن عقلي »

ويسرّنا هنا ان ندوّن بعض كلام المرشال فوش بطل الحرب الكونيّة الاخيرة ومن اعضاء الاكادمية الفرنسويّة قال : «انَّ الدينَ في دروسهِ يحتاط يوماً بعد يوم بانوار العلم والعلمَ في اكتشافاتهِ المتوالية لم يقف حتى الآن على شيء يضادّ التعليم الديني . فكلاهما اخوان يسيران في خطّة متساوية دون ان يعيق احدهما الآخر . لا بل يجد من

يُحمن فيها الظنّ نقطاً عديدة متماسّة يتفقان عليها ولذلك ترى العلماء الاثبات متديّنين، والعالِمُ المؤمن احقّ من غيرهِ بالاعتبار والتصديق لأنّهُ لم يؤمن إلّا بعد اقتناع وفحص مدقّق. كما انهُ في اعتباره للكنيسة يرى في حياتها واعمالها ووحدتها وانتصارها في جهادها، وجهاً لإعجابهِ ووضوحهِ لاحكامها بينما ترى الجاهل لا يلحظ فيها سوى ظواهرها وقشرتها الخارجة فلا يستنتج منها نتيجة»

والعلّامة جورج كلود (G. Claude) شيخ علماء الاكادمية الفرنسوية بصفة كونه فيلسوفاً وعالماً اوضح مقام العلم والدين وما لكليهما من الحقوق فقال: «كيف نسمح لاحد ان يقول انّ العلم ينفي الايمان؟ فانّ العلم يحتجّ بلْ فيهِ على هذا القول. لاسيما بعد ما رأينا ما آلت اليهِ احوال البلاد التي نفتْ الدين فتفاقمت على اهلها البلايا وتمدّدت النكبات فأصبحوا لحيارى سكارى لا يدرون كيف يخمدون لظى قلوبهم ويردّون لضمائرهم راحتها. انني أقرّ بما يخصّني اني احببتُ العلوم وخدمتُها كثيراً فبعد المزاولة الطويلة والنظر العميق بلغتُ الى هذه القضيّة وهي ان الدين لم يقهر العقل كالنتائج الرياضيّة التي لا مناص من التسليم بها لكنهُ يسري في جوهر العقل بهدوء وينفذ فيهِ نافياً كل شكوك وناشراً فيهِ نورهُ الساطع»

ويردف المسيو لوشاتليه قائلاً: «انّ اعظم برهان على فضل الدين عملُهُ الصالح المحيي في خير الهيئة الاجتماعيّة. ولهذا لا يتمالك كبارُ العلماء عن الغيظ والحنق ضدّ الكتبة المفسدين الذين بتآليفهم وكلامهم ونفوذهم يُعادون الدين ويسعون باطفاء انواره التي وحدها ترشد الانسان الى الصلاح والخير»

ومثلهُ المسيو كينو يتمعّض من هؤلاء المتمنّين قائلاً: «بئس فعلُكم بمعاداة الدين ايها المتوسّطون بالمعارف والمتفخرون بالقليل ممّا احرزتم من العلم المصابون بعمى عقولكم وباستسلامكم للشهوات الباطلة فانكم اعداء الاجتماع البشري والخير العامّ». ويُؤمّن على هذا القول المسيو سيجورنه (Séjourné) الرياضي النطاسي ومهندس الجسور والطرق في فرنسة. ويصدّق على رأيهما الكيموي والزراعي الشهير المسيو اندره (G. André) قائلاً: «ان معظم الذين يندّدون بالدين مدفوعون الى عملهم غالباً بروح الكبرياء والغطرسة كأن العلم البشريّ يستطيع ان يحلّ كل مشاكل الحياة»

نعم ان كفر الملحدين هو الذي يدفع الى اعماق البلاء والبؤس. فالكفرة بنكرانهم

لشهادة الله وجعلهم العقلَ البشري في مكانه يأتون بافظع آثام الوثنيّة اذ ينصبونهُ على هيكل ايمانهم فيتقدّمون لهُ سجودهم وبخورهم كما فعلوا في باريس في عهد الثورة الكبرى لمّا سجدوا لفتاةٍ لقّبوها بالإلهة العقل la déesse Raison

فكفى بهذه الادلة إفحاماً لكلّ المتشدّقين الذين يردّدون كالببغاوات ما يقولهُ الكفرة ان الدين والعلم لا وفاق بينهما وانّهما عدوّان ألدّان

الآداب العربيّة

في الربع الاول من القرن العشرين

للاب لويس شيخو اليسوعي

الباب الاول في الادباء المتوفّين في الحقبة الثالثة (تابع)

٢ ادباء النصارى المتوفوه في هذه الحقبة

اوّلًا الاحبار والكهنة

بين السنين التي مرّت منذ نهاية الحرب العالميّة الى اواخر السنة ١٩٢٦ دعا الله الى جواره بعض احبار الكنيسة الذين خدموا الآداب متاجرين بالوزنات التي نالوها من ربّهم

﴿السيد ديونيسيوس افرام نقّاش﴾ نكبت الطائفة السريانية بفقد هذا الحبر الجليل في ١٣ آذار سنة ١٩٢٠ توفي في مدرسة الشرفة في لبنان عن سبعين عاماً. وكان السيد الفقيد رئيس اساقفة حلب على السريان الكاثوليك منذ ٥ نيسان سنة ١٩٠٣ أدّى في حياته لملّته خدماً جمّة وقد عُرف بنسكه وانصرافه الى العيشة التقويّة. وكان مولعاً بدرس التاريخ وقد نشر في ذلك كتاباً نفيساً ضمّنهُ اخبار طائفته

السريانية الكاثوليكية منذ اهتدائها الى حجر الكنيسة الكاثوليكية الى زمن السيد الجليل بطريرك انطاكية الحالي مار اغناطيوس افرام الثاني رحماني وذلك في مجلد ضخم دعاهُ عناية الرحمان في هداية السريان وما هو إلّا قسم من تاريخ اوسع لم يزل مخطوطاً بحث فيهِ عن اخبار الطائفة السريانية منذ نشأتها

وفي هذا الشهر عينهِ في ٢٢ آذار ١٩٢٠ انتقل الى دار البقاء سيّد آخر من اركان الطائفة المارونية الكريمة ﴿المطران يوسف دريان﴾ النائب البطريركي على القطر المصري. ولد هذا الحبر الجليل سنة ١٨٦١ ودخل الرهبانية الحلبيّة ودرس اوّلاً في مدرسة انتشار الايمان في رومية. واتمّ دروسهُ في كلية القديس يوسف في بيروت. وفي السنة ١٨٩٦ جُعل رئيس اساقفة طرسوس شرفاً. وقد خلّف آثاراً كنسيّة وادبية وتاريخيّة عديدة تشهد لهُ بطول باعهِ في العلوم الدينيّة والمدنيّة. فمن تآليفهِ الدينيّة كتاب رُتَب السيامة الكهنوتيّة المعروفة بالشرطونية وكتاب المغنم في تكريم مريم والمقالة الوفيّة في العبادة الحقيقية لمريم العذراء معرّباً عن تأليف الطوبوي لويس غرينيون دي مُنفُرت وكتاب الدعوة الرهبانية للقديس الفونس دي ليغوري وجادّة الفلاح في سبيل التقى والصلاح ومجموعة اناشيد روحية بعضها من نظمهِ منها نظمُ الجُمان في سبيل سيدة لبنان. ومن تآليفهِ التاريخيّة نبذة في اصل البطريركية الانطاكية وفي اصل الطائفة المارونيّة واستقلالها في لبنان في قديم الدهر حتى الآن وثلاثة ابحاث في المَرَدَة جمعها في كتاب دعاهُ « البراهين الراهنة في اصل المردة والجراجمة والموارنة » خالف فيه رأي السيد يوسف الدبس. ومن آثاره الادبية كتاب الاتقان في صرف لغة السريان ومنها عدّة مقالات ادبية نشرها في الجرائد وفي مجلة المشرق

وفي ١٨ ايار ١٩٢١ توفي في بيروت السيد ﴿كيرلس مكار﴾ بطريرك الاقباط الكاثوليك سابقاً. فُصل عن تدبير كنيسته لدواعٍ موجبة. وكان المذكور يتعاطى الآداب الشرقية بعد ان تخرّج بها في كليتنا البيروتية. له تاريخ الكنيسة الاسكندرية وابحاث في آثار النصرانية في مصر ومنظومات شعريّة بالافرنسية ومناشير وغيرها. ولد في الصعيد سنة ١٨٦٨

﴿الاب مبارك سلامه المتيني﴾ احد رؤساء الرهبانية اللبنانية المارونين الاجلّاء.

ولد في المتين (لبنان) في ١٥ نيسان ١٨٥٢ وانضوى سنة ١٨٦٦ الى الرهبانية البلدية فكان من افضل ابنائها ادباً وبراعةً . تلقّى العلوم الدينيّة العالية في كلية القديس يوسف وكان اوّل من نال فيها شهادة المثنة في علمي الفلسفة واللاهوت سنة ١٨٨٣ . وعُهدت اليه في رهبانيّته افضل المناصب وارقاها فتولّاها عدّة سنين بنشاط وحكمة اقرّ بها الجميع لاسيما انه كان بمثله اوعظ منه بكلامه . توفي في عيد مولد العذراء في ٨ ايلول سنة ١٩٢١ . (اطلب ترجمته لحضرة الخوري بطرس سارّه في المشرق ٢٠ [١٩٢٢] : ٨٥٢ــ٨٦٢) . وكان المرحوم مع كثرة اشغاله في الرهبانية وفي الاعمال الرسوليّة في لبنان لايضيع برهةً من زمانه فقد ألّف مختصراً للّاهوت الادبي واختصر كتاب الكمال المسيحي للاب رودريكس اليسوعي . وقد نُشر من تعريبه كتاب دستور الرؤساء في سياسة المرؤوسين وهو سفرٌ جليل للاب ثالوي اليسوعي وكتاب دستور الحياة الروحية ليسوعي آخر الاب سورين الشهير

وممّن فقدتهُ الآداب العربيــة من ملّة الروم الكاثوليك الكريمة المطران استفانوس سكريّة رحل الى دار الخلود في ٢٥ ت٢ ١٩٢١ ولد في دمشق سنة ١٨٦٨ وتخرّج في العلوم الدينيّة والدنيويّة في القدس الشريف في مدرسة القديسة حنّة . وقد احرز لهُ فضلاً كبيراً في تدريس الفنون العربية فيها ثمّ في المدرسة البطريركية في دمشق وكان لا يألو جهده في تعزيز العربية وكان هو من كتبتها المجيدين وخطبائها المشهورين . وقد ابقى بعض الآثار المتفرّقة من رسائل وارشادات ولهُ كتاب وضعهُ لجمعية انشأها ولقّبها بالنهضة الدينيّة الكاثوليكية

وفي منتصف السنة ١٩٢٢ فُجعت جمعية الاباء البولسيين الافاضل بخطب أليم اذ فارقهم الى الابدية احد أخوتهم المأسوف عليه كثيراً الاب بولس سيّور وهو في عزّ الكهولة كان ايضاً من متخرّجي مدرسة الصلاحية في القدس ثمّ احد اساتذة الآداب العربية فيها لطلبتها من طائفته الكاثوليكية . ولمّا انضمّ الى جماعة الآباء البولسيين في حريصا سنة ١٩٠٣ ما عتّم ان باشر الرسالات في حوران وتنقّل في قراها متفانياً في كل الاعمال الرسولية . ولهُ عدّة آثار كتابية في مجلة المسرّة وكان احد محرّري مقالاتها الدينيّة والادبية الممتازة . ومن منشورات قلمهِ رواية القديس سفستيانس الشهيد وزهور النفس من حديقة خوري أرس وكتاب المجمع الملي للروم الكاثوليك وكنوز النفس

في النفرانات ونبذة في صناعة الشعر العربي . ومن مقالاته الحسنة في المسرّة ما سطّره عن عوائد العرب ولهُ بحث جغرافي تاريخي في حوران وغير ذلك مما زاد اسف اخوته على فقده

وفي اواسط ٩ شباط ١٩٢٢ استأثرت رحمة الله مرسلاً غيوراً من الطائفة المارونية اشتهر في كل انحاء لبنان بمواعظه وبلاغته واعماله الرسولية الخوري الاسقفي اسطفان الشمالي . نشر مع الطيب الذكر السيد جرمانوس الشمالي جزئين من الخطب والعظات اقبل العموم عليها لحسنها لفظاً ومعنى . وكان الخوري اسطفان شاعراً مجيداً لهُ في ذلك آثار متفرقة

وفي ٢٠ ايلول من السنة ١٩٢٢ ودّع الحياة المأسوف عليه القسّ نعمة الله ابو ناضر احد مدبّري الرهبانية اللبنانية البلدية . كان تلقّى العلوم في كليتنا البيروتية وكان من المتضلّعين من اللغة العربية فانتُدب الى تدريسها ثمّ تعاطى فنّ المحاماة وحرّر مدّةً روضة المعارف ونشر عدّة مقالات فقهيّة وادبية في المجلّات والصحف السيّارة في الاستانة وبيروت . ثمّ آثر العيشة الرهبانية وخدمة الدين الى آخر حياته

ومنّن فقدتهُ الآداب العربية احد اخوة المدارس المسيحية ﴿ الاخ ساروفيم فكتور عطاء الله ﴾ المتوفى في كانون الثاني سنة ١٩٢٣ . لهُ تاريخ الآداب العربية منذ نشأتها طبعه في الاسكندرية سنة ١٩١٤ فأقبلت عليه المدارس لحسن تنسيقه

ومن انصار الآداب العربية الذين أصيبت بفقدهم طائفة الروم الكاثوليك المثلّث الرحمات البطريرك ﴿ دمتريوس قاضي ﴾ الذي لبّى دعوة سيّده في ٢٥ تشرين الاول ١٩٢٥ في دمشق . كان لهُ اهتمام خصوصي بتعزيز اللغة العربية في مدارس الطائفة في مصر والشام . وتدلّ كتاباتهُ على ضلاعته بهذه اللغة فضلاً عن معارفه الدينية الواسعة التي كان استقاها في باريس من اصفى مناهلها

وفي ٢٤ حزيران من السنة الماضية ١٩٢٦ شقّ علينا نعي احد اساتذة الآداب العربية في مدرسة العائلة المقدّسة للآباء اليسوعيين في مصر ﴿ الخوري نعمة الله بركات ﴾ كان من الكتبة البارعين كشقيقه الشهير وعليه تخرّج عدد عديد من الناشئة المصرية . ومن آثاره تعريبه لمختصر التاريخ المقدّس تأليف لومند .

نابغ العالمين

في اوائل السنة التابعة للحرب في ١٤ ك ٢ فقدت طائفة الروم الاورثذكس في بيروت احد مشاهير ادبائها ﴿الشيخ اسكندر العازار﴾ المولود سنة ١٨٥٥. اخذ العلوم اللسانية والادبية عن اساتذة طائفته وفي مدرسة اعبيه الاميركانية. وقد امتاز منذ حداثة سنه بمزاولة النظم والانشاء. فكان من الشُّداة بالنهضة الادبية التي ظهرت في النصف الثاني من القرن التاسع عشر. وكان خطيباً متفنناً وكاتباً بليغاً وشاعراً مجيداً. له من الآثار الكتابية في الجرائد والمجلات ما لو جُمع لأَلَّف مجلداً ضخماً. منها خطب ورسائل وروايات تمثيلية وخواطر ادبية. وديوان شعر. ولولا انحيازهُ الى الماسونية ومجاهرته بالافكار الحرَّة ومقالاته بالسياسة التي ذاق مرَّها اكثر من حلوها لعددناهُ من اركان الآداب العربية في الوطن

وفي ٣ نيسان ١٩١٩ قضت المنون في مصر غضاً يانعاً من الدومة البستانيَّة ﴿نجيب البستاني﴾ نجل بطرس صاحب دائرة المعارف ولد سنة ١٨٦٢ وتخرَّج على والده كأخيه نسيب المتوفى سنة ١٩١٣ وقد ساعدهُ كلاهما في تآليفه وحرَّر مقالات عديدة في الجنة والجنان وتعاطى الدروس الفقهيَّة فتولى منصب المدَّعي العمومي ورئاسة محكمة المتن في لبنان. وعدل عن بروتستانية والده فارتدَّ الى دين طائفته المارونيَّة. ومن آثاره دروس تاريخية عن فينيقية وعن جبل النُّور واخلاقهم وعن روسيَّة. وله منظومات شعرية لم ينشرها

وفي تلك السنة وقعت وفاة كاتب ضليع من ادباء الموارنة ﴿يوسف خطَّار غانم﴾ توفي في ٢٠ تموز سنة ١٩١٩. كان مولده سنة ١٨٥٧ ودرس في مدرسة الآباء اليسوعيين القديمة في بيروت وحرَّر فصولاً واسعة نثراً ونظماً في صحف الشام ومصر وكان كثير البحث عن آثار طائفته كما يدلُّ عليه تأليفه برنامج جمعية مار مارون الجامع بين المعلومات الوافرة وفنون الآداب فأحيا ذكر كثيرين من مشاهير ملته وزيَّن مقالاته بصورهم المفقودة

وفي ٢٩ ت٢ ١٩١٩ مات في سان باولو البرازيل بداء القلب احد ابناء سورية الادباء وهو ﴿قيس لبكي﴾ حرَّر في جرائد المهجر ومجلاتها فاشتهر بالكتابة. وانَّما

شوّه كتاباته بما ضمّنها من الآراء الفاسدة والتحامُل على الدين ما حمل المنصفين على تفنيده وتزييف آرائه

ومن مناعي العام ١٩١٩ ايضاً الصحافيّ ﴿ صموئيل يني ﴾ اخو جرجي افندي يني منشئ مجلة المباحث في طرابلس فجارى اخاهُ بما نشرهُ هناك من المقالات الادبية الحسنة. وخلّف ايضاً آثارًا كتابية لم تُنشر بالطبع

وفيه نُعيت ﴿مريانا مرّاش﴾ من الاسرة المرّاشيّة الحلبية الشهيرة. امتازت في وطنها بين بنات جنسها بوضع المقالات الادبيـة وبنظم الشعر وخلفت منـهُ ديواناً بعنوان بنت فكر نُشر في بيروت سنة ١٨٩٣ . فمن اقوالها تهجو طبيباً جاهلًا ثرثارًا

طبيبٌ بلا علمٍ يرومُ لنفسهِ مديحًا لفعلٍ يقتضي أقبح الذمّ
فيسقي علاجَ المذّق من عذب لفظهِ وينفثُ من اقوالهِ قاتلَ السمّ

ومما نُقش على نعش فتاةٍ من نظمها:

يا زهرةً ذبلَتْ بغير اوانِ ناحت عليها الوُرْقُ بالافنانِ
فتمرّبا يا والدَيها انها مثلُ الملاكِ مضتْ لخُلْد جنانِ

ومما قالتهُ فنقش على كيس تبغ:

احفَظْ ودادَك في فؤادكَ كامنًا واثبُتْ ولا تكُ مثلَ تبغٍ دُخانِ
فعواصفُ الانفاس تُصعدُهُ سدًى وترجّهُ في عالم النسيانِ
والودُّ ضمنَ القلب نقطةُ مركزٍ كالارض ثابتةٌ على الدَّوَرانِ

وكأن الحرب الكونية ومصائبها هدّت قوى كثيرين من الادباء فماتوا متأثرين من كوارثها. ففي السنة ١٩٢٠ في شهر شباط توفي في دمشق الاديب ﴿نعمان القساطلي﴾ صاحب تاريخ دمشق المعنون بالروضة الغنّاء في دمشق الفيحاء.

وفيها في ٣١ ايار ١٩٢٠ رُزئت العلوم القضائية باحد اساطينها ﴿الشيخ سليم باز﴾ المولود في ٥ حزيران ١٨٥٩ . درس في مدرسة الآباء اليسوعيين في غزير حيث شهدنا عياناً نشاطه وسباقه لرفقته في ميدان العلم والتقى . ثمّ انكبّ على العلوم الفقهية متلمذًا للسيد يوحنا حبيب منشئ الجمعية الكرمية قبل اسقفيته فكان

موضوع اعجاب استاذه ولم يزل يتبحر في الفنون الشرعية القضائية حتى عُدّ من كبار علمائها وأُسندت اليه ارقى مناصبها فقام بها احسن قيام واستحق ثناء ارباب الامر وعموم الاهلين وألفتَ اليه انظار الدولة التركية فجعلته من اعضاء مجلسها الشورى. ثمّ عاد الى وطنه فخدمه اطيب الخدم كمحامٍ قانوني واستاذٍ نظاميّ ومؤلف بارع تشهد له المؤلفات العديدة التي يتداولها ارباب المحاكم كشرح المجلة وشرح قانون المحاكمات وقانون الجزاء ومرقاة الحقوق وهو مختصر نفيس في علم الفقه. فضلًا عن تآليف فقهية عديدة عرّبها عن التركية ومقالات عديدة يطول تعدادها. وقد نشر اخوهُ جناب الدكتور جورج باز ترجمة حياته المطوّلة في المشرق (٢٠[١٩٢٢]: ٩٣٨ — ٩٥٧)

وكانت السنة ١٩٢١ نسوأ عاقبةً على الادباء فغادرَنا كثيرون منهم الى العالم الآخر. ففي ١٧ كانون ١٩٢١ ودّع الحياة احد ادباء صيداء ﴿فرج الله نثور﴾ من أُسرة نور الوجيهة. ولد في ٢٥ اذار سنة ١٨٦٨ ودرس في مدرسة الاباء اليسوعيين في صيداء فنال بين رفقته قصب السباق واخذ يتمرّن على الكتابة ونظم الشعر حتى برع فيهما ثمّ بارح الوطن لما وجد فيه من المضايقة على الاقلام وانتقل الى مصر فصار يحرّر في اكبر جرائدها. ثمّ تجوّل في البلاد وزار تونس وانشأ مع نجيب ملحمه جريدة البصيرة فقام باعباء تحريرها سنتين ثمّ انشأ في طنجة جريدة لسان المغرب فاصابت رضى سلطان مراكش. ثمّ اضطرّ بعد اربع سنوات الى مغادرتها لاختلاط الامور السياسية وابحر الى البرازيل سنة ١٩٢٠ وفتح في سان باولو مدرسةً خدم فيها الجالية السورية بهمة قدّرها له المهاجرون لولا انه اصيب في اوائل السنة ١٩٢١ بداء الجنب الذي لم يمهله الّا اياماً قليلة فنالته المنية وعمّ اسف مواطنيه على فقده. ولفرج الله نثور عدّة قصائد قالها في كبار الرجال ولقيت استحسانهم. فمن قوله يحنّ الى وطنه صيداء ويأسف على فراقها:

ما للغريب سوى البكاء مؤانسٌ ان كان يعلم مؤنساً وخليلا
الفُ يا صيدونُ يا وطني الذي فاق البلاد مَرابعاً وطلولا
حيّاكَ يا وطنَ الفضائل والمنا مَرُّ النائم بكرةً وأصيلا
بلدٌ بها اخضرّت نباتُ عوارضي ورشفتُ من كأس الصفاء شمولا

تلك التي حسنت مقاماً للورى ومنازلاً وحدائقاً وسهولا
دعني وشأني والدموع فانها تشفي الفؤاد وتأتي المأمولا

وفي ٢ اذار من السنة ١٩٢١ توفيت سيدة سورية «رحمة خوري صرّوف» المولودة سنة ١٨٨٠ درست في مدرسة طرابلس الاميركانية فنالت شهادة دروسها العالية ودانت هناك بالمذهب البروتستاني ثمّ تولت التدريس في مدرستي طرابلس وحمص بدعوة عمتيها ثم رحلت الى مصر وعلّمت في مدارسها واخذت تنشئ المقالات الادبية النسائية فنشرتها عدداً في جريدة المقطّم فاحرزت لها سمعةً طيبة حتى دُعيت الى القاء المحاضرات في الجامعة المصريّة في القسم المختصّ بالسيدات. وهي من جملة السيدات اللواتي مهجنَ للفتيات سبل التربية العصرية. كتبت في ذلك عدّة مقالات في المقتطف مع قرينها اسحاق افندي صرّوف

وفي تلك السنة المشئومة شيّعنا جنازة اديب آخر من افضل رجال الوطن وعلمائه «سليم اصفر» نجل كبير قومه ابرهيم افندي اصفر. تلقّى العلوم في كليتنا فكان فيها قدوةً لكل رفقته بجدّه وحسن سلوكه. ثمّ انتقل الى فرنسة فتعمّق في درس الزراعة ليخدم بها وطنهُ مع حاجته اليها. فلما عاد اليه عُهدت اليه ادارة الزراعة في الجبل فأفادها كثيراً واحبّ ان يفتح لها ابواباً جديدة للارتزاق لولا ما لقيهُ من العوائق في سبيله. ثمّ رحل الى الاستانة يطلب امتيازاً لاستثمار جهات الحولة وتحسين تربتها. ثمّ تخلّى في دار عمه عن الاشتغال في مدة الحرب محتملاً بصبر جميل ما أُصيب به من الامراض حتى قابل الوفاة بكل تُقى وتسليم لارادته تعالى. وللمرحوم كتابات نفيسة في كل فنون الزراعة ظهر منها في المشرق عدّة مقالات. وهو الذي كتب في زمن الحرب تلك الفصول الشائقة التي ظهرت في كتاب لبنان عن الزراعة والصناعة في الجبل. وقد عُرف سليم باستقامته ولزومه كل فرائض دينه وممارسته لسائر الفضائل المسيحية

ومن الادباء الذين فاجأتهم المنيّة في العام المذكور (٢٥ ت ١ ١٩٢١) الكاتب البارع خليل طنوس باخوس من أُسرة باخوس الكريمة. ولد في غزير ودرس في مدرسة الاباء اليسوعيين التي سبقت كلية بيروت. ثمّ تفرّغ للكتابة وخدمة الآداب العربية فكان احد اساتذتها المقصودين يُقبلون اليه حينما يدرس. وهو الذي فتح المطبعة اللبنانية ونشر فيها كتباً ادبية مفيدة ثم انشأ جريدة الروضة فحرّرها سنين عديدة وكتب فيها

الفصول الرائقة باعتدال الطريقة وصَوْن كرامة الدين ومن مآثره الحسنة روايته التمثيلية الحارث ملك نجران بالشعر ثمّ رواية دمتريوس مرّبة

واضافت المنون الى الادباء المتوفين في ذلك العام الدكتور العالم اسكندر بك البارودي في ٢٥ت١٩٢١٢ ولد في صيداء سنة١٨٥٦ من عائلة من الروم الكاثوليك عدلت الى الروم الاورثذكس لخلاف حصل هناك . وتربّى اسكندر بك في المدارس الاميركية وفي جامعتها وحاز شهاداتها البيروتية فاتّبع الكنيسة الانجيلية . وانحاز — ساجحهُ الله — الى الماسونية فصار احد رؤساء محافلها وكان الدكتور من الاطباء الحاذقين والكتبة الماهرين تشهد له مجلّتهُ الطبيب التي انشأها وادارها مع الدكتور يوست سنين طويلة وضمّنها مقالات مستجادة طبيّة وادبية وتاريخية

ومن آثاره ايضاً كتابهُ السوار المحلى في تدبير الاعلّا وخير الاغراض في مداواة الامراض والنصائح الوافقة في سنّ المراهقة والمبادئ الصحية الاحداث وحياة الدكتور كرنيليوس فان ديك وكلّها مطبوعة وممّا لم يُطبع تاريخ الحثيين وتفسير لشرح ابن رشد لارجوزة ابن سينا ونشر فصوص الحكم للرازي ودعوة الاطباء لابن بطلان وساعد اساتذة الكلية الاميركانية في تعريب ونشر تآليفهم وكان قاضياً في محكمة استئناف جبل لبنان سنين طويلة ومؤسساً لجمعية الاطبّاء والصيادلة ومن اعضاء الجمعيّات العلميّة والخيرية كانت وفاتهُ في سوق الغرب فوارَوْهُ التراب في مكّين مع والديه وللفقيد اخٌ من امّ أخرى دخل جمعية الآباء اللعازريين وهو اليوم مرسل غيور في رسالتهم الصينية (لها بقية)

مطبوعات شرقية جديدة

Le Système de Responsabilité délictuelle en droit musulman, *Thèse pour le Doctorat* (es-sciences juridiques), par Emile Tyan, avocat à la cour d'appel à Beyrouth, *Imprimerie Catholique, Beyrouth*, 1926, 8°, *pp*, 268.

قصاص الجنايات في الحقّ الاسلامي

يُسرّ منتقد هذا الكتاب اذ لم يجد في جميع فصوله غير ما يحقّ الثناء على صاحبه

سواء كان من جهة لغته الفصيحة وحسن تنسيقه ام من وفرة معلوماته التي استقاها من افضل المصادر فانّهُ راجعها في اصولها واشار الى مظانّها في ذيل الكتاب وربّما نقل في متنه بعض نصوصها وليس ذلك كما هو معلوم امرًا سهلًا لاسيما النصوص المستعارة من شعراء الجاهليّة او من الكتب الفقهية القديمة. وقد تبيّن للمؤلف انّ اصل الفقه الاسلامي يرقى الى عرب الجاهلية ثمّ اتسع بما أُلحق به من المعلومات الخارجة ولذلك ابتدأ بذكر عادات قدماء العرب في معاقبة جناياتهم وهو ما يُعرف بالثأر. وقد ضمّن هذا الفصل ما ورد في اقدم كتابات العرب وايّدهُ باكتشافات المستشرقين المحدثين. ثمّ تخطّى الى الشريعة الاسلامية ونصوص القرآن فبيّن كيف حاول نبيّ الاسلام تلطيف الثأر الجاهلي وما يسمى اليوم الفقهاء المسلمون الى تحويره. ولعلّ هذه المساعي كانت اتت بفائدة اعظم لو لم تضايقهم احكام القرآن غير القابلة للتغيير وهم ينسبونها الى وحي الله المشترع الاعلى. وللكتاب الذي نحن بصدده قسمٌ ثانٍ بسط فيه المؤلف آراء الفقهاء المسلمين في عقاب الجنايات. ومع كوني لستُ دارسًا للفقه لم اتمالك من الاندهاش لما رأيت من سعة علم المؤلف الذي خاض ذلك البحر الواسع واستخلص من قعرّ مسائله المتباينة بل والمتناقضة نتائجَ وضعية وعملية فاق في بيانها كبار الفقهاء. ومن ثمّ لم استغرب حكم فقهاء جامعة ليون الذين منحوا المؤلف امتياز الدكتورية واطرأوا علمهُ بافضل الاجازات واهنئ مدرسة الحقوق الفرنسوية البيروتية بما نالتهُ من الفخر بتخريج احد طلبتها الاماثل. وقد وقع غلط طبعي في الصفحة ١٤ فكتب اسم بني أَسد على صورة Bani Ousd. واجيب على ما سألهُ المؤلف (ص ٥٧) أكان قدماء العرب يفرقون بين القتل تعمّدًا وبغير تعمّد. فعندي انهم في ثأرهم لم يعتبروا فرقًا بينهم

الاب ه. لامنس

A. Kammerer. ESSAI SUR L'HISTOIRE ANTIQUE DE l'ABYSSINIE : le royaume d'Aksum et ses voisins d'Arabie et de Méroé, *avec* 45 *pl. hors texte et* 4 *Cartes*, 8°, 198 *pp.*. 1926, *Paris*, *P. Geuthner*, 60 f.

نظر في تاريخ الحبشة القديم. مملكة إكسوم وجاراتها

وُضع هذا الكتاب لافادة العموم خصوصًا دون الاختصاصيين وهو يُقسَم الى ثلثة اقسام اوسعها القسم التاريخي في ١١ فصلًا. واضاف اليها درسًا مفيدًا عن ما تحتويه

غرفة النقود الباريسية من مسكوكات دولة اكسوم فامتدَّ هناك في وصف الاكتشافات القيّمة التي وقف عليها الاب ازانيس (P. Azais) وهو ملحق شائق لمؤلفه فضل السباق على سواه وقد زانهُ بتصاوير بديعة. امّا الاب ازانيس الذي وصف المؤلف مكتشفاته فهو مرسل كبوشي ساح في انحاء الحبشة سياحة قانونية من السنة ١٩٢٢ الى ١٩٢٥ فجمع معلومات وافرة عن الآثار التي وجدها هناك ممّا لم يطّلع عليها احد قبلهُ لوقوعها في مجاهل البلاد وبعضُ هذه الآثار ابنيةٌ جبّاريّة وأنصاب ضخمة عريقة في القدم. فنشكر المؤلف على تعريفه لهذه العاديّات ونتمنى توفيقاً للاب ازانيس في مواصلة ابحاثه هذه الاثرية

-الاب ادمون لاي

David Santillana: Istituzioni di Diritto musulmano malichita con riguardo anche al sistema sciaflita. *Vol. 1, Roma, Istituto per l'Oriente*, 1926, *gr. in-8°, Prix, Lires* 36

مبادئ الفقه الاسلامي المالكي مع نظر في الفقه الشافعي

الاستاذ سانتيلّانا من المستشرقين الاختصاصيين تفرّغ منذ سنين طويلة لدرس الحقّ الاسلامي. فهذا الكتاب في الفقه المالكي خلاصةُ الدروس التي يلقيها في جامعة رومية منذ سنة ١٩١٣ وحظيتُ بحضور افتتاحها. وممّا يمتاز به الكتاب وضوحهُ التام في بَسْط شروحه ثمّ تعيينهُ للمصادر التي يستند اليها ومقابلتُهُ بين الفقه المالكي والفقه الروماني. وقد خصّص عنايتهُ بالفقه المالكي لشيوعه في مستعمرات افريقية الايطالية ويعارضهُ بالفقه الشافعي واذا قضى به الحال قابَلَ الفقهَين المالكي والشافعي بالحنفي. فينتج من ذلك كتابٌ جامع للحقوق الاسلامية. وقد صدَّر تأليفهُ بنظر عامّ عن اصل الفقه الاسلامي ومصادره وتنسيقه وانتشاره في البلاد المعروفة بدار السلام ودار الحرب. ثمّ يتخطى الى مسئلة الاشخاص فيبحث عن حقوقهم في مولدهم وجنسهم ووفاتهم ورقّهم وعن الحقوق الاهلية في الزواج والطلاق والاستملاك وانواعه واطواره من بيع وشراء وفقدان الخ. فكلّ هذه الفوائد تبعث فينا الرغبة في مواصلة المؤلف لتأليفه ليتحفنا قريباً باجزائه التالية. وممّا لحظناهُ مكتوباً بغير تدقيق (ص ٧٧) اسم «هجر» في خليج العجم ليس «حجر» بالحاء

٥ - ل

Jacques Debout... Et par omissions, Examen d'un chrétien médiocre, *in*-16, 1926. *Paris, Editions Spes, Prix* 4, 50 + 20%

نظر في حياة المسيحي المتراخي في دينه

الاب جاك ديبو يسوعي ألّف هذا الكتاب ليكون كمرآة لحياة المسيحي الكامل وقد جعل كتابهُ فصولاً ضمّنها واجبات المسيحي المذكور ودعا الى اعتبارها الرجل المتراخي في دينهِ ليدقّق فيها نظرهُ ويستدلّ على نقائصه فيسعى باصلاح حياتهِ ويسدّ خللها فيجاري المسيحيين الكاملين في حرارة ايمانهم والقيام بكل ما يفرضهُ عليه دينهُ

J. B. Thibaud des Augustins de l'Assomption: Ordre des Offices de la Semaine Sainte à Jérusalem du IVe au Xe s., 1 *vol.* 8°, 1926, *Paris, Bonne Presse, Prix* 5 *f*

نظام رُتب جمعة الآلام في القدس من القرن الرابع الى القرن العاشر

هذا بحثٌ مهمّ لمعرفة الطقوس القديمة التي كانت كنيسة اورشليم جارية عليها قبل الصليبيين قد استمدّهُ المؤلف من ثلثة تآليف اولها سياحة اوخارية الى الاراضي المقدّسة في القرن الرابع . والثاني فصول طقسيّة ارمنيّة من القرن الخامس طُبعت سنة ١٩٠٥ . والثالث من كتاب رُتب كنيسة اورشليم باللغة الكرجية يرقى الى القرن السابع نُشر سنة ١٩١٢ . فاستخلص منها معلومات نفيسة عن معرفة طقوس تلك الكنيسة الاوّلية ثمّ عن مواقع الامكنة المقدّسة التي كانت تُقام فيها تلك الطقوس . امّا ما ذكرهُ المؤلف عن رتبة الزيتونة في احد الشعانين في الكنيسة المارونية قديماً فقد بطلت منذ زمن مديد ج . ل

Alf. Bihlmans: La Lettonie d'aujourd'hui, son développement historique et sa situation actuelle, 1 *vol.*, *in*-16, *avec une carte hors texte*, *Riga*, 1925, *B. Lamey, éditeur*

وصف ليتونية الجديدة وتطوّرها التاريخي

غاية مؤلف هذا الكتاب تعريف الدولة الحديثة التي نشأت بعد الحرب والمعروفة بليتونية وهي احدى دُول البلطيك الثلاث وموقعها في وسطها . حاضرتها مدينة ريغا يبلغ عدد سكانها مليونين معظمهم وطنيون ليتونيون وامّا دينهم فالبروتستانتية

يدين بها نصف اهلها بلتيب ثم الربعُ منهم كاثوليك . والباقون من اديان شتى . وهذا الشعب كثير النشاط ذو همة عظيمة يمتاز بذكائه وتدابيره الاقتصادية فعسى سلامةُ يبقى مصوناً لا تكدّرهُ جارتاهُ . والكتاب متقن الطبع يشتمل على خارطة وتصاوير دقيقة

L' Colonel Du Parquet: L'aventure allemande en Lettonie. *in*-8°, 346 *pp*.1926, *Paris, Charles-Lavauzelle et C*ie—**Graf von der Golz:** Meine Sendung in Finland und im Baltikum.*in*-8°,312 *pp*,1920, *Berlin. K. F. Koehler*

البعثة الالمانية الى ليتُونية

هذان كتابان يتّفقان في عدّة مواضيع ويكتمل احدهما الآخر . معلومٌ انَّ فنلندة في السنة ١٩١٨ اذ رأت تقدُّم الجيوش البولشفية الى انحاء بلادها استغاثت بالمانيــة لتردّ عنها هذا الخطر فأرسل الى جهاتها الكونت فون دير غولتس فاتّصل بعزمهِ وحسن تدبيرهِ الى اصلاح الامور فيها بعد شهرين . ثمّ عادت فنلندة واستدعتهُ ثانيةً في العام التالي لذات الغاية . ففكّر الكونت بتحصين تلك البلاد في وجه البولشفيك وبسط النفوذ الالمانيّ فيها . امّا الدول المتحالفة فتداركت الامر واقامت في ليتُونيــة جيشاً وطنيّاً يستغني عن القوّات الالمانيّة وبذلــك حبطت مطامع المانية . وهــذا ما رواهُ الكولونل دو باركه في كتابهِ كما روى الكونت فون دير غولتس اخبار بعثتهِ وفي مصنّفهِ سبع خرائط وصورة تاريخيّة ج . ل

A. Christensen: Le règne du roi Kawadh et le Communisme. Mazdakite. *Det Kgl. Danske Videnskabernes Selskab. Hist - filolog. Meddelelser. IX, 6, Copenhague, Fred. Hoest*, 1925

ملك العجم قباذ والمزدكيّة

الشائع في تواريخ العرب ان ديانة المجوس كانت رجسةً منافية لكل ادب حتى انهم كانوا يتشاركون في النساء . على انَّ اولئــك الكتبة عمّوا القول بنسبتهم الى قدماء الفرس ردين زرادشت ما يصحُّ فقط عن المزدكيّة الشبيهة بالمانويّة وكان بين مبادئ هذه الشيعة وجوبُ تجرُّد الانسان عن المادّة ليتقرّب من اله النور وعلى رأيهم ان اسهل واسطة للحصول على ذلك التجرُّد ان يُشاع الاشتراك بكل المقتنيات حتى بالنساء . فمؤلف الكتاب الذي نحن بصدده بيّن كيف اعتنق هذا المذهب ملكُ العجم

قباذ والد الملك انو شروان الشهير وكيف وقف اخيرًا على فساده فعاد منهُ وسعى بابادته . على انَّ كثيرين منهم ألّفوا جمعيّات سرّية ثبتت بعد هذا الملك وهم الذين اطلق العرب عليهم اسم الزنادقة فلم يزالوا يصادرونهم ويطلبون استئصال شأفتهم جيل

Prof. H. Grimme: Die Loesung des Sinaischriftproblems. Die altthamudische Schrift, etc. *Münster i. W.*, 1926. *Aschendorff*, 8°, *V* + 68 *pp.*, 14 *ill.*

حلّ مشكل الكتابات السيناوية – الكتابة الثمودية القديمة

صاحب هذا الكتاب الاستاذ غريمه المستشرق الشهير وأحد علماء الغربية في جامعة مونستر يردّ فيه على بعض علماء الالمان العارفين بالآثار المصرية كإزمان (Erman) وسيثه (Sethe) وغراپوف (Grapow) الذين انتقدوا كتابتهُ المعنون بالكتابات العبرانية القديمة (Althebraïsche Inschriften vom Sinai) الذي طبعهُ سنة ١٩٢٣ . وتلك الكتابات التي نشرها الانكليزي غردينر (Gardiner) شحذت قريحة كثيرين من العلماء فكتبوا عدّة مقالات في اصول الكتابة الفينيقية لانهم رجّحوا كونها من لغة سامية مكتوبة بقلم متوسّط بين القلم الهيروغليفي وبعض الكتابة السامية . وكان الغالب على رأيهم انَّ هذه الكتابات هجائية كالكتابات الفينيقية والآرامية والعربية الخالية من الشكل . ولان العلامة فلندرس بتري كان يرقيها الى ما بعد السنة ١٥٠٠ قبل المسيح فأمكن ان يظنّ البعض بان بني اسرائيل هم الذين كتبوها بعد خروجهم من مصر . والاستاذ غريمه لم يشكّ في كونها لهم ودافع عن هذا الرأي في كتابهِ المنشور سنة ١٩٢٣ وزعم انهُ يمكن قراءة معظم تلك الكتابات وان اسم موسى النبي مدوَّن في جملتها وكذلك اسم الله الكريم (يَهوَه) . لكنَّ قليلين من العلماء سلّموا لهُ بهذه النتائج غير المنتظرة فنقدوا رأيهُ لاسيما علماء الالمان ذوي الخبرة بالآثار المصرية وبيّنوا انهُ اخطأ في ظنّهِ . فالاستاذ غريمه نشر هذه النبذة الجديدة ليدافع عن رأيهِ وذلك بمقابلتهِ بين قلم الكتابات السيناوية والقلم الثمودي الذي يزعم انَّ اقدم آثاره ترتقي الى نحو السنة الالف قبل المسيح . امّا نحن فاننا لا نراهُ مثبتاً لقضيّتهِ على الرغم من بعض الادلة الراهنة التي يردّ بها على

اخصاءه (١) . فما انّ الكتابة الفينيقيّة التي ظهرت على تاؤوس اخيرام في جبيل راقية الى عدّة اجيال قبل القرن الثالث عشر نرجح القول بان الكتابة السيناوية ليست هي اصل الكتابة الساميّة اعني الكتابة الفينيقيّة (راجع المجلّد الثاني عشر من مجموعة كليّة القديس يوسف (Mélanges de l'U.S.J., t, XII, 1926, fasc. 7) س . ر

Major E. Cheesman: IN UNKNOWN ARABIA. gr. 8°, Macmillan and C°, 1926, Prix 0, 25. 0

في مجاهل جزيرة العرب

انّ في زاوية من جنوبي شرقي جزيرة العرب سهولاً تتبسط بين الاحساء وعُمان وحضرموت واليمن ونجد تبلغ مساحتها الوفاً من الاميال تشير اليها الخرائط بحلقة فارغة كُتب في وسطها الربع الخالي، وما ذاك الّا الصحراء القفرة المعروفة عند قدماء العرب بالوَبَر اشاعوا عنهُ قصصاً غريبة وجعلوه مسكناً للجنّ المانعين عن حَرَمِهِ وكانوا يزعمون انهُ ليس انسان يعرف موقعه بالتمام . وما لا ريب فيه انّ السيّاح لم ينفذوا اليه قطّ . فهذه الصحراء المجهولة قد تمكّن ملازمٌ وبابيّ انكليزي يدعى تشيمان من الدخول اليها والتجوّل فيها وقد اسرع فكشف عن اسرارها بالكتاب الذي نصفهُ هنا . وقد تسوّل لهُ ذلك برخصة ابن سعود السلطان الوهابي فزار واحاً يبرين الواقع على مسافة ثماني مراحل من حاضرة الاحساء . وهذا الواح يتألف من بعض النخيل المزيل ويسكنهُ قومٌ من آل مرّة قليلو العدد ولا يصحّ عنه ما كتبه القدماء عن خصبه . والمؤلف قد وصف وصفاً شائقاً البوادي التي تجوّل فيها البالغ طولها ١٨٠ كيلو متراً وصوّر ما وقف عليه من آثارها وحدّد جهاتها وقاس اعراضها واطوالها واصلح بذلك خارطة تلك الجهات وقد اتى ايضاً بمجموعات جزيلة الفائدة من طيور وهوامّ ونبات . وهو يُحسن وصف ما عاينهُ من اخلاق العرب ومساكنهم فيُعدّ كتابهُ كتبيان كتاب السائح دوغتي (Daughty) وهو يزكّي (ص ٦٧ — ٧١) بالفرائد ممّا اتّهمهُ بهِ السائح فيلبي (Philby) . وله ملحوظات حسنة عن الوهابيين منها ما ذكرهُ عنهم انهم طمّوا حمّامات معدنية كانت في الاحساء لئلا يثق الانسان في شفائه على غير الله

(١) راجع المقالة التي نشرناها في مجلة ابحاث العلم الديني (Recherches de Science religieuse) سنة ١٩١٧ ص ٤٠٦—٤١٣ بمناسبة اكتشاف تلك الكتابات السيناوية

(ص ١٥٠). وفي الختام نعتبر هذا الكتاب من افضل الكتب المفيدة لمعرفة بلاد العرب ونوصي به قرّاءنا ه. ل

K. B. Ode-Baciliewa: Natohalina Arabcka Xrestomatia, *Leningrad*, 1926, *pp.* 43

كتاب القراءة

اخذ درس اللغات الشرقية في عاصمة روسية ينتعش بعد خموده بهمّة صديقنا المستشرق اغناطيوس كراتشكوفسكي. وهذا التأليف من ثمار احد اساتذة جامعة لينينغراد نشر فيه مقاطيع مختلفة مضبوطة بالشكل بينها الحكم والامثال والفصول الادبية لقايم امين وغير ذلك من المنتخبات. وفي آخره معجم عربي روسي للالفاظ اللغوية. ل. ش.

Felten (Dr Joseph): Neutestamentliche Zeitgeschichte oder Judentum und Heidentum zur Zeit Christi und der Apostel, 2te u. 3te *Aufl.*, *Gr.* 8°, 2 Bde., *SS. XII*-1926, *Verlagsanstalt vorm. Manz, Regensburg.* 1925

تاريخ عصر العهد الجديد

لما نشر الدكتور فولتن لاوّل مرّة سنة ١٩١٠ تاريخهُ لعصر العهد الجديد اقبل الكاثوليك ايّ اقبال على هذا التأليف الصادر بقلم احد اساتذة جامعة بونّ والملحق اليوم بالفرقة الرسوليّة لا بل اثنى عليه كثيرون من البروتستانت. فنفد طبعهُ بزمن قليل حتى صار العلماء يتحيّنون طبعتهُ الجديدة. وها هي ظهرت فاستحقّ المؤلف بنشرها شكراً مستأنفاً على الرغم من نفقات الطبع لشيوع الغلاء. وقد بقي التأليف جوهرياً كما كان إلّا انّ المؤلف ادخل فيه عدّة تحسينات منها نقلهُ بعض الفصول الى مكان آخر لعلاقة بينها. وقد اضاف الى غيرها ايضاحات اوسع. لا بل زاد عليها فصولاً جديدة كالفصل الذي ألحقهُ بتشتّت اليهود (Diaspora) حيث بيّن احوالهم في العالم الروماني وما كان لهم من الحقوق والامتيازات. كما انه راجع التآليف الجديدة المتعدّدة التي ظهرت في معنى تاريخه منذ السنة ١٩١٠ وانتفع من ملحوظات العلماء على كتابه. على انه لم يلبِّ طلبتهم في اضافة بعض الخرائط الجغرافية وبعض الجداول

النسبيّة التي يحتاج اليها العلماء في كتاب مثل هذا . وعلى كل حال اننا نقرّ بان هـذا التأليف من أجود ما وُضع لفائدة دارسي العهد الجديد . وان لم يُغنهم عن مراجعة الكتب الجليلة التي ألّفها بعض اساطين العلم كشورر (Schürer) في تاريخه للشعب اليهودي في عهد المسيح لسعة مادّته وعمق غوره لكنه يكفي لنهج السبيل للدارسين مع ما يجدونه من الابحاث التي تنقص في تأليف شورر الاب يوسف ديلنسيفر

Alfons Vaeth S. J. Der hl. Thomas der Apostel Indiens-Xaverius Verlagsbuchhandlung A.-G. Aachen, 1925, in-12, pp. VII-91

القديس توما رسول الهند

بين التقاليد الكنسيّة المقرّرة تبشيرُ القديس توما الرسول للاقطار الهندية . وقد تطوّر هذا التقليد ورواهُ قدماء الكتبة من يونان واقباط وحبشة وسريان وعرب فاتسعوا فيه وزادوا اشياء اقرب للمخيّلة والاختلاق منها للحقيقة التاريخيّة . فالكتاب المعنون هنا لاحد الآباء اليسوعيين روى فيه تلك التقاليد وانتقدها ليفرز الصحيح منها عن باطلها ثمّ تتبع آثار الرسول في الهند الجنوبية بعد سياحة اليها واضاف ما اكتشفهُ الى تلك المعلومات فأظهر ما لهذا الرسول من الاعمال الجليلة في تلك الانحاء مع ما يُروى عنهُ في تبشير الصين والشرق الاقصى ممّا وقفوا على بعض ادلّته . فنشكر حضرة الاب ثات لاهتمامه بشفيع البلاد التي دُعي هو الى تبشيرها ل . ش

Les Psaumes traduits de l'hébreu, par Honel Meiss grand-rabbin honoraire et Gabriel Houde prêtre marianiste. *Beaulieu sur mer, Ed. de l'impr. moderne, Prix* 15*f*.

ترجمة المزامير عن العبرانية الى الفرنسوية

هذه الترجمة الجديدة قد سعى بها عالمان موسويّ ربّي مَيس وكاهن نصراني الاب هود . زيادةً في التحقيق والتدقيق فجاءت الترجمة اقرب الى الاصل العبراني وموضحة لبعض الآيات المشكلة ج . ل

Wolfgang Weisl: Der Kampf um das Heilige Land-Palästina von heute. *Mit* 44 *Abbildungen u.* 4 *Karten, Berlin, Verlag Ullstein s. d.*

النزاع على الاراضي المقدّسة فلسطين الحاضرة

على رأي مؤلف هذا الكتاب انّ الدول تتنازع على امتلاك فلسطين ليس

لاعتبارهم اياها كارض مقدسة بل لغاية سياسيّة لانها كبرزخ ثلاث قارّات آسية واوربّة وافريقية . وعلى هذا الرأي بنى الجاثهُ فوصف اوّلًا موقع فلسطين بالنسبة الى سياسة بريطانية العظمى في مصر والهند وعلاقات هذا القطر مع العالم العربي والخلافة . ثمّ يفحص في قسم ثانٍ احوال فلسطين من حيث سكّانها واخلاقهم المتباينة ومظاهر حياتهم القومية والاقتصادية وذلك بطريقة شائقة تدلُّ على معارف دقيقة . وهناك خلاصة تاريخ السنين الاخيرة وما جرى في فلسطين من المنازعات بسبب الصهيونيّة . والكتاب يتضمّن عدّة خرائط وصور حسنة: ج.ل

B. von Schmitterloew: GENERAL FELDHARSCHALL VON DER GOLZ-PACHA. Leben u, Briefe, *in*-8°, 232 *pp. et* 15 *illustr. K. F. Krehler, Verlag, Berlin, relié* 9 *Marks*

ترجمة حياة المرشال فون دير غولتس باشا وكتاباتهُ

كل يعلم ما كان للمرشال فون دير غولتس من المآثر المفيدة في الحرب العالمية الاخيرة في قيادة الجيوش التركية وتنظيمها وكيف عاد الى الحياة الجندية في حرب العراق سنة ١٩١٧ وعمرهُ اذ ذاك يتجاوز السبعين فمات شريفاً . ولهذا الرجل في حياته الاهلية مآثر اخرى يجهلها العموم فاراد الليوتنان فون شميترلوف ان يسطر ترجمته وينشر عنهُ معلومات شائقة استقاها من كتاباته ورسائله . ومن يطالع الكتاب يزيد اعتبارا لذاك العسكري الذي منذ نيف وخمسين سنة لم يلِ في خدمة وطنه والمواظبة على كل واجبات الجندية ج.ل

ARABIC LITTERATUR. An Introduction by H.A. R. Gibb. Collection «The World's Manuals». *London, Oxford University Press, Humphrey Milford*, 1926, *pp.* 128

خلاصة الآداب العربية

هذا الكتاب اللطيف الصورة الصغير الحجم يتضمّن مختصراً حسناً لتاريخ الآداب العربية منذ عهد الجاهلية الى آخر القرن الثامن عشر يفيد استعمالهُ في المدارس الانكليزية المتوسطة فيوقف الطلبة اجمالاً على أهم ما صنّفهُ العرب في الفنون الادبية مع ذكر شيء من ترجمة حياتهم ل.ش

المطبوعات العربيَّة المرسلة الى المجلَّة

يضطرُّنا ضيق المجال ان نُجمل هنا وصف ما أُرسل للمشرق من المطبوعات العربية الحديثة فنقسمها على حسب مواضيعها

١ الدينيَّات

اهدانا حضرة الخوري يوسف العشيتي خطابه الديني الذي القاهُ بحضور جمهور المؤمنين في الكنيسة البطريركية الاورشليميَّة يوم عيد قلب يسوع في ١٩ حزيران ١٩٢٥ فطبعهُ في المطبعة البطريركيَّة اللاتينيَّة بهذا العنوان ﴿ازاء القلوب لعيد قلب يسوع المحبوب﴾ وقدَّمهُ لغبطة البطريرك الاورشليمي السيد لويس برلسينا

ومن الآثار الدينيَّة التي ظهرت حديثاً كتاب ﴿كلمة الله ينبوع حياة﴾ تأليف القس بطرس مبارك البجدرفلي الراهب الماروني اللبناني في ٥٠٠ صفحة طبعهُ طبعاً متقناً في مطبعتنا الكاثوليكيَّة وضمَّنهُ ٨٠ مادَّة من المواد الوعظيَّة من الكتاب المقدَّس ورتَّبها على ترتيب حروف المعجم مع شروح واسعة يستفيد منها الواعظ في ارشاداته وألحق بها قسماً ثانياً في ٢٢ فصلاً وصف فيها مهنة الواعظ وشروط الوعظ وادواته وانواعه على نسق فصل الخطاب للسيد جرمانوس فرحات . فنوصي بالكتاب كل من دعاهم الله لارشاد النفوس

وقد احسن حضرة الاب الياس اندراوس البولسيّ بنشره على حدة مقالتهُ التي ظهرت في مجلة المسرَّة الغرَّاء ﴿ارثوذكسي ام ماسوني﴾ فمن شأنها ان تنير اخوتنا الروم الارثوذكس الذين انخدعوا بظواهر الماسونيَّة وانضمُّوا اليها جاهلين ما في الشيعة من الاسرار المخجلة والتعاليم الفاضحة

وقد اضاف المنسنيور جرجس منش خدمةً جديدة الى خدمهِ السابقة لطائفتهِ الكريمة بنشرهِ طبعةً كرشونيَّة متقنة من ﴿كتاب الجنازات﴾ بحسب طقس الكنيسة المارونيَّة السريانية الانطاكيَّة ضبط نصوصها على عدَّة نسخ خطيَّة وقدَّم عليها فصلاً نفيساً في تاريخ الجنازات ومعناها وما نُشر سابقاً منها بالطبع . فنشكر حضرته على عملهِ هذا الجليل ونتمنى له رواجاً كبيراً

ونثني على المطبعة الكاثوليكية لطبعها مقالة المشرق الحديثة في شفيعي الشبيبة القديسي ﴿لويس غونزاغا واستانسلاوس كوستكا﴾ على صورة بهية مزدانة بغلافٍ

جميل وتصاوير عديدة ليتداولها الاحداث ويستفيدوا من مضامينها في اليوبيل الذي اعلن به الحبر الاعظم

٢ التاريخيات

نقدّم عليها ذكر ﴿الكتاب الذهبي ليوبيل المقتطف الخمسيني﴾ وهو سفرٌ جليل في ٢٤٠ صفحة يحتوي ذكر الحفلات البهجة التي عُقدت بمناسبة بلوغ مجلّة المقتطف السنة الخمسين من عمرها وما قيل بهذا المعرض من خطب وقصائد في مديح منشئيها الاماثل الذين خدموا الوطن مدّة نصف قرن بما نشروهُ في كلّ ابواب العلوم والآداب لا نستثني منها الّا بعض ما أحوجنا الضمير والحقّ على نفيه. فنضمّ اصواتنا الى اصوات المهنئين ونتمنى ان تبعث هذه الاعياد همّة اصحاب المجلة ليواصلوا عملهم الشريف بنشاطهم المعتاد ويزيدوهُ رقياً وتحسيناً

افتتح حضرة الاب الياس اندراوس البولسي مجموعةً نفيسة قصد نشرها تحت عنوان «وثائق تاريخيّة للكرسيّ الملكي الانطاكي بنشر اعمال السيد الجليل ﴿البطريرك مكسيموس الثالث مظلوم في سنيه الاخيرة (١٨٤٨ــ١٨٥٥)﴾ نقلاً عمّا كتبه ابن اخيه الشماس توما مظلوم والمقالة تبلغ ١١٠ ص فيها من المعلومات والفوائد التاريخيّة ما يزيد في قلوب قرّائها اعتبار ذلك الرجل العظيم الذي قلّد طائفته فخراً لا يمحوه الدهر

ونذكر هنا الكتاب الذي انتهينا من جمعه بعد ان نشرنا فصوله تباعاً في مجلّة المشرق اعني به ﴿ بيروت: تاريخها وآثارها ﴾ واضفنا اليه اربع فهارس تسهيلاً لمراجعة مضامينه. والكتاب يبلغ ١٤٠ صفحة يتناول اخبار عاصمة لبنان منذ اوّل الازمنة التاريخيّة الى يومنا مع ذكر آثارها القديمة والحديثة

وقد طُبعت ايضاً على حدة تلك النبذة التاريخيّة المستحلة عن ﴿ حوادث لبنان والشام من السنة ١٨٤٠ الى ١٨٦٢﴾ التي نشرناها آخراً في المشرق لكاتب عياني

٣ الاديات

اطّلعنا على اثر جديد للشاعر اسكندر افندي الخوري البتجالي تحت عنوان ﴿مشاهد الحياة﴾ ضمّنه ما ينيف على مئة قصيدة او قطعة شعريّة في معانٍ مختلفة تدلُّ على ما لناظمها من جودة القريحة والتفنن في وصف احوال الحياة الاهليّة والعادات العصريّة والماجريات السياسيّة. وهو يلتزم عادةً الحلّة المعتدلة إلّا في بعض

المواطن التي يأخذه عليها ارباب النقد

انَّ قلم جناب الشاعر المصريّ احمد زكي ابي شادي لا يملُّ من نظم القصائد العامرة الابيات وممَّا اهدانا حديثاً ﴿ مهنا ﴾ وهي قصة غراميَّة شرقيَّة بين ضابط انكليزي وفتاة من العرب انتهت فصولها بالانتحار فلا يسعنا الثناء عليها . ثمَّ الحقنا بثلث قصائد عنوانها (ذكر شكسبير) نظمها اجابةً الى دعوة جمعيَّة الشعر في لندن التي تستعد لاقامة حفلات كبيرة في هذه السنة الواقع فيها تذكار المئة الثالثة لميلاد هذا الشاعر الانكليزي الكبير والممثل العظيم . فلا بُدَّ ان يصيب هذا الشعر قبولاً لدى الادباء عموماً والانكليز خصوصاً لجودة صورته وبلاغة معانيه

ومن آثار قلم حضرة الخوري مارون غصن تعريبه بتصرف لرواية ﴿ الملك هرقل او ارتفاع الصليب ﴾ عن الرواية الشعريَّة الفرنساويَّة التي كان سبق الاب مرسال شوبين استاذ البيان في كلية القديس يوسف فنشرها بالطبع . وهي من افضل ما يُستحسن تشخيصهُ على المراسح بعد تعريبه برقَّة وانسجام . وقد شفع حضرته هذه الهدية بتحفة أخرى دعاها ﴿ مجد لبنان ﴾ نشيد مرفوع الى البطريركيَّة المارونيَّة وهو آية في حسنه نظماً ونغماً ونقشاً

شذرات

﴿ الغاء الشرائع الانكليزية في حق الكاثوليك ﴾ لما فصل هنريكوس الثامن مملكتهُ انكلترة عن الكنيسة الكاثوليكية انتقاماً من الحبر الاعظم الذي لم يسمح لهُ بطلاق امرأته سنَّ عدَّة شرائع ظالمة هو وخلفاؤه بحق الكاثوليك . ففي القرن التاسع عشر أُميتت تلك السُّنن لكن وجودها في الدستور الانكليزي كان عاراً على الكاثوليك فطالما طلبوا الغاءها من الدستور فعارَضهم الحزب البروتستانتي في ذلك الى ان فازوا مؤخراً بغايتهم بمساعدة بعض النوَّاب الاحرار

﴿ امتيازات فرنسة الكاثوليكية في البلاد الاجنبية ﴾ انَّ الكرسي الرسولي خصَّ الدولة الفرنسوية وممثليها في البلاد الاجنبية بامتيازات دينيَّة شرفيَّة شكراً لها لدفاعها الرسمي عن الكثلكة واصحابها في تلك الانحاء . على ان بعض ممثليها

وافرادًا من وزرائها المعادين للدين كادوا يتنزّلون عن تلك الامتيازات التي تطمع فيها غيرها من الدول لكنّ الدولة الفرنسوية عادت واثبتت حقوقها مؤخرًا وكتبت الى قناصلها بان يحافظوا عليها بكل تدقيق. وهذا لعمري شاهد جديد على ان الدين الكاثوليكي هو دين فرنسة الرسمي فتذود عن حماهُ

﴿ الفوضى في الماسونية المصرية ﴾ وقفنا على ﴿موجز اعمال المحفل الاكبر الوطني المصري للسنة ١٩٢٥﴾ فطلبنا فيه الوقوف على عمل واحد خيري او وطني لاولئك الاحرار فلم نجد. ونحن نعلم ان الفوضى غالبة على المحافل الماسونيّة المصريّة. وشاع ذلك بارتداد احد كبار اعضائها عنها الاستاذ عزيز بك ميرهم الذي جاهر بنفوره عنها وفضحها بما نشرهُ من غاياتها السيّئة ومبادئها الفاسدة

﴿ نيزك جديد ﴾ في ليلة من تشرين الثاني الاخير سقط في قرية ماغليانا قريباً من رومية نيزك كبير الحجم حفر في الارض حفرة واسعة تبلغ ٤٥ مترًا وغاص في التربة. واليوم يسعى العملة في استخراجهِ ليقدموهُ للحبر الاعظم فيضاف الى اكبر متحف النيازك في المعمور الموجود في رومية منذ عهد بيوس العاشر

﴿ القوة المحرّكة من البحر ﴾ اثبت العلامة الفرنسوي جورج كلود مخترع الهواء المجتمد والامونياك المرصّص ان المياه المستخرجة من طبقات البحر المتفاوتة الحرارة يمكنها ان تُعَدّ بين اجود المحركات فوضع لذلك آلة تحوّلها الى مياه لانقة لتحريك اكبر المصانع وذلك بثمن بخس فيتوفر هكذا استعمال الفحم الحجري

﴿ صوف الكلاب ﴾ تحتاج فرنسة الى كميات كبيرة من الصوف تستحضرها من الخارج. وقد اثبت بعض علمائها ان عدة اجناس من الكلاب لها اصواف تفوق نعومةً على صوف الخرفان. يجوز حياكتها كالصوف العادي. ومعدّل ما يمكن جزهُ من كل كلب نحو كيلوَين

ومن غريب ما يحكى عن احد اغنياء الهنود المدعو ارجون لالسكت انهُ جمع في حظيرةٍ عددًا عديدًا من الكلاب حاول تغذيتها بالغذاء النباتي فقط كالارز والقمح والسمن والحليب وهو ينفي عنها اللحم مطلقاً فلا تجد في حظيرتها منهُ اثرًا. والكلاب المربّاة على هذه الصورة بعافيةٍ وصحة تامة وهو يرجو ان يبغض اليها اكل اللحم وينتفع بها لخدم جديدة

أسئلة وأجوبة

س احال صاحب المقتطف (دسمبر ص٤٥٥) الى مجلة المشرق الجواب على سؤالين لالياس افندي جرجوره من الاسكندرية الاوّل ما هو السبب لوضع العَلَم البابوي بلونين ابيض واصفر. والثاني ايوجد بالعربية او بالفرنسويّة تاريخ مستوفٍ لاخبار البابوات

العَلَم البابوي . تاريخ البابوات

ج ليس غالباً لالوان الأعلام معنى خاصّ إلّا تمييزها عن سواها والاشارة الى تاريخها. والمرجّح انّ لوني العَلَم البابوي تلميح الى سلطتي البابوات الروحيّة والزمنيّة. امّا تاريخ البابوات في العربيّة فلا وجود له لكنّ تواريخ عديدة كُتبت فيهم باللغات الاوربيّة منها بالفرنسويّة تراجم البابوات الاقدمين نقله من اللاتينيّة المنسنيور دوشان (DUCHESNE: Livre Pontifical) وتاريخ بابوات القرون الوسطى للعلّامة پاستور (PASTOR: La Papauté au Moym Age) وتاريخ پوجولا (POUJOULAT: Histoire des Papes) ثمّ في التواريخ الكنسيّة الكبرى ترجمة لكلّ الاحبار الرومانيين كتاريخ موره (F. MOURRET: Histoire Générale de l'Eglise, 9 vols, Paris, Bloud et Gay) هذا فضلًا عن تآليف عديدة كُتبت عن كل حبر اعظم شهير او طبقة منهم ممّا يطول تعدادهُ

س وسأل مستفيد: ١ً أتمّ رسميًّا ارتداد الاميرة الاسوجيّة استريد قرينة ولي عهد بلجكة الى الكثلكة؟ ٢ً أكان الاديب المتوفى آخرًا مصطفى لطفي المنفلوطي يعرف اللغة الفرنسوية؟

كثلكة الأميرة استريد – معرفة المنفلوطي بالفرنسوية

ج نجيب على (الاوّل) أنّا نقلنا خبر ارتداد الاميرة استريد الى الكثلكة عن مجلة (Le Pélerin) الفرنسوية. والاصحّ انّها اخّرت ارتدادها الى ما بعد زواجها لئلّا يُنسب ارتدادها لغاية بشرية. ونجيب على (الثاني) انّ المنفلوطي كان له بعض المام بالفرنسويّة لكنه كان يستعين بمن يعرفها معرفة حسنة لتعريبه عنها مقالاته وروايته في سبيل التاج

ل.ش

المشرق

المياه الزراعيَّة

الري في الشرق الاقرب وتجديدهُ في سوريَّا ولبنان

تعريب محاضرة القاها جناب المهندس ادمون بشارة في نادي كليـة الآباء اليسوعيين في ٥ تشرين الثاني سنة ١٩٢٦

مقدمة

سادتي

استميح منكم في بدء هذه المحاضرة ان ابثَّ خالص شكري لحضرة الفاضل الاب ماجسون المحترم مدير المكتب الهندسيّ الفرنساوي الذي شرَّفني بدعوته لألقي مع بعض الدروس لمحةً تتعلق بالمياه الزراعية والمياه العامة

لولا عطفي الشديد على هذه الشبيبة الراقية وشعائري الوطنيَّة نحو لبناننا العزيز لما تمكنت من تلبية هذه الدعوة الكريمة لكثرة اشغالي التي لا تسمح لي الَّا بفرصة يسيرة . فقبولي الصعود الى هذا المنبر هو لاجل ايفاء بعض ما يفرض عليَّ عرفان الجميل نحو وطني . واحسب حالي سعيداً فيما لو تمكنت من انماء الروح العلمية في مهندسي هذا المعهد

المياه الزراعيَّة

احتياج الزراعة للماء

لو تتبَّعنا ما ورد في الكتب القديمة لتبيَّن لنا ان الماء ذُكر باحدى آيات سفر

التكوين (١ : ٨ — ١٠) قبل وجود الثمرة الارضية فان المكوّن الالهي العظيم استدرك ضرورة وجود الماء لغذاء النبات والمخلوقات التي سيخلقها على الارض . كما وانهُ في القرآن آية مشابهة تتعلق بالماء حيث قال (سورة الانبياء ع ٣١) : «وجعلنا من الماء كلَّ شيء حيّ» بمعنى انهُ لا حياة بدون ماء فلولا وجودهُ لكانت الارض تفراء وعمَّها الدمار والموت . مرَّ مشهد مؤلم في فكر نبي الاسلام لرؤيته ارض الحجاز المحرقة فاوحى اليه هذه الآية الحكيمة التي يجب على الطلبة الذين سيتخصَّصون للري ان يحفظوها شعاراً لمهنتهم

وكان القدماء يعتبرون ان هذا العالم الذي نعيش فيه مركَّب مادياً من اربعة عناصر : الهواء والنار والارض والماء فيكون والحالة هذه الماء المعدود من العناصر ضروريٌّ للحياة على هذه الارض لدرجة أنَّ قدماء المصريين عبدوهُ واقاموا لنيلهم المبارك هياكل اقتداء بالفرس وخلافهم من الشعوب القديمة بعبادتهم الشمس . وكانوا يحتفلون بعيده كلَّ سنة في مقياس بتقديم عذراء لنهرهم يغرّقونها فيه . ولا تزال بأيامنا هذه تقام تلك الاحتفالات بحضور ارباب السلطة في القاهرة . انما بدون تقديم الضحية المأثور عنها . كذلك لا يزال اهالي الهند يكرمون نهر الكنج الذي تصبُّ مياههُ في خليج البنغال . ولا اسهو عن ذكر تكريم الفينيقيين لمعبودهم تموز (ادونيس اليونان) وتحويل اسم ذاك الاله الى النهر الذي يصبّ بالقرب من بيبلوس (جبيل) . ولقد اسهب الموسيو موريس باراس في كتاب دَوْرتهِ في الشرق بوصف تلك الحفلات التي كان يقيمها اهالي جبيل لتمجيد نهرهم المقدس . وعلى كلٍّ فان المياه من ضروريات ارضنا هذه ولا غنى عنها سواء كان للانسان ام للحيوان أم للنبات . وها نحن نهتمُّ اولاً بالمياه نظراً للزومها في الزراعة . ووظيفتُها في الزراعة متعددةٌ ومختلفة فانها :

١ً تجدي الارض الرطوبة التي يتطلبها النبات لنموه وتسهّل ايضاً طريقة فلاحة الارض
٢ً منها تكتسب المغروسات حالتها الفطريَّة
٣ً تُنمي المزروعات وتحييها نظراً لما تحتويهِ من الموادّ الحصبة التي تلقيها في الارض
٤ً تذيب الموادّ المغذيَّة وتسوقها بواسطة الاصول الى جسم النبات
٥ً انها تطهّر الارض من الأملاح المضرَّة سواء كان بالامتزاج او بفعول الغسل الدائم
٦ً تعدّل الحرارة وتثبتها في كافة فصول السنة على الدرجة المطلوبة الضرورية لنمو المغروسات فانها تبرّد الارض صيفاً وتقاوم البرودة شتاء

نظام الامطار

انّ المياه الموجودة على سطح الارض والتي ضمن طبقاتها تصدر من مستودعها العظيم وهي البحار. فبواسطة منعول الشمس يتبخر قسم من المياه ويتكوّن منهُ غيم فيتوجّه مسوقاً بالمجاري الهوائية من خط الاستواء نحو القطب. فالهواء الممتلئ رطوبة يسقط على الارض ثلجاً او بَرَداً وباعتدال درجة الحرارة يتحول الى مطر. اما في محيطنا الهوائي لا تجري الغيوم دوماً جنوباً او شمالاً بل تتحول غرباً بتأثير دوران الارض. فمعدّل سقوط الامطار في السنة يختلف بين اقاليم وآخر بالنسبة للوضعية الجغرافية وعلى حسب معدل ارتفاع الاقليم عن سطح البحر. ولهذا يوجد اقاليم لا تعرف الامطار كلياً نظير السودان المصري بين وادي حلفا وبربر. بينما يوجد في غيرها تقلبات هوائية يسبقها جفاف مدة معلومة من السنة نظير جنوبي اوربا ولبنان وسوريا كما وانه يوجد اقاليم تسقط فيها الامطار بغزارة وبطريقة دائمة في اغلب ايام السنة

نؤجل درس هذا الموضوع لوقت آخر

اطوار الري

ينتج مما تقدّم ان الاقاليم الزراعيّة التي مياهها غير كافية تضطرّ ان تستعين بمياه اخرى اضافيّة لنمو مزروعاتها بواسطة مياه موجودة في تلك الجهة من مستودعاتها اي مياه الانهر والجداول والمستنقعات والبحيرات. ولذلك يلزم:

١ً تحويل تلك المياه من مستودعاتها الطبيعية
٢ً تسييلها بأقنية معدّة لايصالها الى الحقول الزراعية
٣ً تقسيمها على مختلف اقسام الاراضي المنوي ريها
٤ً توزيعها بالعدل بين اصحاب الاراضي
٥ً تسييلها بكميّة كافية لتغذية المزروعات والمغروسات
٦ً مراقبة تصريفها وتعديلها في ايام الري
٧ً اخراجها بواسطة التجفيف الزراعي بعد استعمالها اذا كانت فائضة

هذه هي وظائف الري

طريقة الري

يوجد طريقتان للري :

١ً الري الدائم يجري بواسطة اقنية تتلقى مياهها من الانهر او طبيعياً او بواسطة آلات رافعة

٢ً الري بالتطريف وهو ان تُروى الارض بوقت معلوم عند الفيضان مرّة واحدة في السنة . ونتيجة الطريقتين واحدة وهي تغذية الارض من مياه الانهر وتخصيبها بواسطة روائها . اما الطريقة الاولى فأطلق عليها اسم الري الدائم يمكن اجراؤها في اي وقت كان حسب ارادة المزارع . واحدى الطريقتين تتبع معدّل علوّ الماء في الانهر . والثانية مستقلة عن تقلبات معدّل ارتفاعها

لمحة تاريخية

قد جرى استعمال الري منذ القديم في الاقاليم الحارة كالعراق ومصر والهند والصين ثمّ تبعتها بعد ذلك اسبانية وايطالية وفرنسة والجزائر وكاليفورنية والارجنتين حيث استعملوا مياه انهرهم لمنفعة زراعتهم . وانما علينا ان ننحني امام عظمة تلك الاعمال الجسيمة التي اجرتها الشعوب القديمة للري . فاننا لو طُفنا بارض العراق ومصر والهند لاعترفنا لمهندسي الماء القدماء في الشرق الاقرب بقدرتهم العلمية وبلا مراء فانهم كانوا علماء من الطبقة الممتازة

﴿العراق﴾

بين الاعمال المهمة الموجودة في بلاد الكلدان قناة قديمة تدعى نهروان . فهذه القناة العظيمة المشتقّة من الجهة اليسرى من نهر دجلة طولها يفوق الاربعمائة كيلومتر بين تكريت وكرت العمارة . واتساعها يزيد على ١٢٠ متراً . ويتراوح عمقها بين ستة الى عشرة امتار . وتصريفها من الماء في الثانية ثمانمائة متر مكعّب . وبدون ريب ان نهروان كانت اهمّ قناة في الدنيا ولا شبه لها لا في مصر ولا في الهند . وكانت الاراضي التابعة لها بطول اربعمائة كيلومتر وعرض ثلاثين (وهي نسبة مساحة لبنان الحالي) . وكانت حافلة بالسكان بنوع انه لم يكن محل في كافة الكرة الارضية يماثلها كما يُعرف ذلك من آثار الخراب الموجود على طول تلك البلاد

وممّا يروى ان بعد امتلاك العرب لتلك البلاد كانت قراها متتابعة ومتلاصقة ببعضها بحيث كانت الديوك يجاوب بعضها صياح البعض من بلدة الى اخرى وذلك

على طول ستمائة كيلومتر على طريق بغداد الى البصرة . وقد أسعدني الحظ لمشاهدة آثار هذه القناة العظيمة وقت مأموريتي في العراق ودرستُ امكانية تجديدها لري الاراضي بين بغداد والكوت

ومن الاعمال العظيمة القديمة ايضاً التي اجراها في العراق كورش ملك الفرس الكبير في جهة شمالي بغداد اقنية نهر «ديله» الذي يصبُّ في دجلة . ومما يروى انه غرق لكورش جوادٌ بينما كان يقطع ذلك النهر فامر حالاً جنوده بحفر اقنية لتصريف مياهه حتى لا يغرق له فيه ثانيةً جواد آخر ولقد عبرتُ النهر في تلك المحلة سنة ١٩١٢ بدون ادنى خطر ولربما كان في نفس المحلّ الذي غرق فيه جواد كورش . وبعض تلك الاقنية التي حفرها الغازي المذكور لا يزال باقياً لأيامنا هذه . والسهل الذي يُسقَى من مياهها يُروى جيداً وهي اخصبُ بقاع في العراق

وقد تأكدنا أن اعمال تجديد الري من نهر ديله سهلة جداً وقليلة التكلف . وقد استحصل مؤخراً مواطننا الدكتور نجيب اصفر امتيازاً من حكومة العراق لري تلك الجهة فنتمنّى له نجاحاً في هذا المشروع

والعلماء يقدّرون الاراضي الزراعية التي تُروى من مياه دجلة والفرات في العراق بنحو خمسة ملايين هكتاراً ولم يكن يُزرع منها في اي زمن كان اكثر من نصفها

ان خصب الاراضي الكلدانية والبابلية ناتجٌ من طريقة الري الدائم الذي عمَّ استعماله في الدنيا . اما الري بواسطة الفيضان فلا يوافق تلك المنطقة حيث تفيض دجلة والفرات في اشهر اذار ونيسان وايار فيكون قد تأخر ترم الزراعة الشتوية ولم يحن بعد وقت المزروعات الصيفية . اما قياس الماء في النهرين المذكورين فمعظم معدلها يبلغ لدجلة ٧٠٠٠ متر مكعّب في الثانية وللفرات ٤٠٠٠ متر

ان انحدار ارض العراق على طول النهرين يعدل ١٠ سنتيمترات في كل كيلومتر على ان انحدار التشعبات عشرة اضعاف اي بمعدّل متر واحد بكل كيلومتر بنوع انه لو فُتح مجرًى كاف في سدّ دجلة والفرات لتحوّلا عن مجراهما وجريا في مسيل آخر على مسافة عدة كيلومترات . ولربما هذا مما كان يحصل بسبب الفيضان باول التاريخ اي في عصر نوح . ونجاح العراق يتوقف على وقاية اراضيه من الفيضان ولذلك كان يستعمل

قدماء البابليين فتح اقنية تجنباً من اضرار الفيضان في المستنقعتين الكائنتين في الشمال الغربي من بابل

وبحسب تعديل السير ويليم ويلكوكس صاحب مشروعي خزّان اصوان في مصر وسد الهندية في العراق ان اكلاف ري مليونين ونصف هكتار تقدّر بنحو خمسة وسبعين مليون جنيه انكليزية منها اربعة وعشرون مليوناً لانشاء خزانات ومصبات اي بمعدل ١٢ ليرة انكليزية بكل هكتار وتسع ليرات انكليزية ونصف للاعمال الزراعية

ومن اصل المشاريع المهمة التي فكّر فيها السير ويليم المذكور ان ينشأ منها خزان ابي دبس والحبانية حيث يُجمع ١٨ مليار متر مكعب من المياه يمكن الاستفادة من ١٢ ملياراً منها للري سنوياً . وسعة هذا الخزان تكون سبعة اضعاف سعة خزان اصوان في مصر الذي تُقدّر كمية مياهه بنحو مليارين ونصف متر وهو مما يفتخر به المصريون . فهذا الخزان يمكن استعماله كما في الاعصر الماضية لخزن مياه الفرات الفائضة وقياس فيضانه واستعمال مياهه وقت الشحاح في اشهر القيظ تموز واب وايلول

وكان الاتراك قد صمّموا على اتمام برنامج السير ويليم المذكور بخصوص الري لولا وقوع الحرب العامة . والدليل على حسن نيتهم انهم انشأوا حاجز الهندية وصرفوا عليه نصف مليون ليرة عثمانية ذهباً . اما بعد انتداب دولة انكلترا على العراق فلم تحصل اعمال مهمة تتعلق بالري الا بعض اعمال بسيطة جداً ولعلّ هذا الاهمال ناتج عن حكمة سياسية لانتظار انقلاب الحالة ريثما تثبت قدمهم فيهتمّون حينئذٍ بذلك . فعسى ان يبلغوا امانيهم حبّاً بنجاح العراقيين وخير دولة سوريا ايضاً لانه من المؤكد اذا حسّن الانكليز امور الري كما في الهند سوف يقتدي بهم حلفاؤهم الفرنساويون المندوبون علينا لري الاراضي الواقعة في القسم السوري من شاطئ الفرات الذي يتعدل طوله بنحو اربعماية كيلومتر . وان شاء الله تتفق الدولتان على قسمة مياه هذا النهر ولا يحصل اختلافات بخصوصها كما كان يحصل بين الاشوريين الذين كانوا يملكون اعالي النهر والبابليين الذين كانوا يملكون اسفله

وما لا شكّ فيه ان انشاء خزانات الحبانية وابي دبس هو اجدى نفعاً من تجهيزات المتراليوز والمدافع فانه يمنع ما قد يمكن وقوعه بين الشعبين بسبب التفوّق بالسلطة على

مياه النهر. فتُقسم حينئذٍ المياه بين البلادين بطريقة اصولية عادلة اقتداء بعدل الملك العظيم المشهور كسرى انوشروان الـذي غيَّر تخطيط قصر كان يبتنيه اذ بلغهُ تشكّي احد مجاوريهِ من مهندسهِ الذي تعدَّى على قطعة ارض صغيرة كان الجار يملكها. فهذا من امثال العدالـة والنزاهة التي يجب على كل حاكم ان يتحلَّى بها. وعليكم انتم الشبَّان ان تتخذوها قاعدة تتدرعون بها في المستقبل باعمالكم الهندسية

فنتمنى ان يباشروا قريباً باشغال الري على شاطئ الفرات العراقي والسوري. ومن اكبر الجنايات ان تُترك تلك الاراضي القديمة بدون حراثة وهي المشهورة باتساعهـا وخصبها من اجيال عديدة حين كان ابرهيم الخليل يرعى مواشيـه الكثيرة في ارض حـاران على شط الفرات. وهناك آثار تضاهي آثار المصريين تنبئ عن خصبها وكثرة سكانها وقوة ملوكها وجنودها فضلًا عن عقلية وحكمة رجالها مدة الاف السنين. هذه الارض التي كان ريعها يكفي لمصاريف ملوكها من الفرس والعرب بايام عظمتهم يمكنها بايامنا هذه ان تكافئ الجهود العلمية اذا ما ابرزتها الدولتان المنتدبتان فيعود لهما اكثر من ضعف المـال الذي تصرفانهِ لتجديدها

﴿مصر﴾

مصر القديمة هي من الاقطار التي استعملت بدرجة قصوى ري اراضيها فاعمـال فراعنتها لا تقلّ باهميتها عن اعمال الكلدانيين والبابليين والعرب الـذين امتلكوا العراق. اما الطريقة المتبعة في وادي النيل هي التطويف ولا تزال تستعمل حـاليًا في بعض انحاء مصر العليا. غير انها ستُبدل بالتدريج بطريقة الري الدائم لان التطويف وان كان يؤثر في الارض اكثر من الري الدائم الّا انهُ لا يفيد المزارع اذ لا يحصل منهُ على غير موسم واحد في السنة عوضاً عن موسمين. ثمَّ لا يكون اقباله الّا متوسطاً. وزد عليهِ ان كثيرًا من المغروسات لا يمكنُ إعاشتها الّا بمداومة ريّها كالقطن الذي هو ينبوع ثروة المصريين

والري بالتطويف يجري في ايام فيضان النيل الذي يكون غـالباً في شهر آب فيحوّلون مياه النيل الدسّـة الى الاراضي الواقعة على جوانبهِ ويبقونها فيها اربعين يوماً بعمق متر ونصف تقريباً لترسب طبقة من طينها في ارضها تُخصبها. وتكون اراضيها في ذاك الوقت أشبه ببحيرة تلوح فيها القرى المبنية على مرتفعات اصطناعية كالجزائر

وتُستعمل القوارب لمداومة المواصلات

ولاجل حفظ المياه تُقام حواجز قوية مقابلة النيل على حدوده الاراضي الشرقية والغربية . وتقسم الاطيان اقساماً مختلفة ولتنظيم توزيع السقي والوقاية من فواجع اخطار الفيضان وذلك باقامة فواصل عَرْضية تجاه الحواجز الطولية ويلقبون تلك الاقسام بالبركة او «الحوض» أما سعة تلك البرك فتختلف عن بعضها ما بين ٢٥ سنتمتراً الى مترين بالنسبة الى طولها . فتسيل المياه الى المناطق باقنية متشعبة من النيل وتمرّ من منطقة الى غيرها بواسطة ثقوب في الفواصل العَرْضية . ومساحة تلك المناطق تختلف ما بين ١٥٠٠ الى ٢٤ الف هكتار . وتقام الحواجز في وجه الارض بانحراف بحيث يكون عرضها في اعلاها خمسة امتار وانحرافها ½ وتعلو متراً عن سطح الماء

تتحول مياه النيل الى المناطق في منتصف شهر آب وتعاد الى مجراها في شهر تشرين الاول وقت نقصان مياهه . فيبتدئ حينئذٍ الزرّاع ببذار ارضه من المزروعات الشتوية كالقمح والشعير والفول والعدس والبرسيم ويستغلّها في آذار ونيسان وتصبح الارض بوراً مدة اربعة اشهر اي الى زمن الفيضان الآتي

الطريقة التي اتّبعها قدماء المصريين بتطويف ارضهم مبنيّة على مبادئ ثابتة كالمبادئ التي استندوا اليها في بناء اهرامهم . وهي تشهد لهم بسرّ الادراك لانه رغماً مما تخلل على القطر من التقلبات بمدة الاف السنين ثبت المصريون في استعمالها . وبعكس ذلك فان وسائط الري الدائم الذي كان يعوّل عليها في وادي الفرات خربت ودمرت لعدم الاعتناء بصيانتها وحفظها سليمة . على ان الحكومة المصريّة حاضراً عمدت الى مزاولة التطويف الدائم على الرغم من خلله وتريد تعميمهُ في كافة نواحيها لوفرة ايراده الذي يفوق ضعف ايراد طريقة الري بالتطويف

انّ الفضل لمحمد علي الخديوي الاول لمصر في انشائه اصلاحات جمة في ري وادي النيل فاستبدل في بعض النواحي طريقة التطويف بطريقة الري الدائم مما رغّب في زرع القطن وقصب السكر صيفاً وكان يتعذر زرعها لو بقيت طريقة التطويف مستعملة وحدها . واهمّ ما أُنشئ وقتئذٍ السدود التي اقامها في راس الدلتا المهندس الفرنساوي موجل بك . وكلّ من يزور تلك الاماكن في جوار القاهرة يشهد معي بعظمتها ومقدار قيمتها الفنّية على ان مياه النيل كانت في ذاك الزمن غير كافية وقت هبوط المياه لري مساحة ارض

تزيد عن اطيان مصر السفلى وقد كان تعديلها بنحو ٢٥٠ متراً مكعباً في الثانية وبالكاد كانت تروي بالقنارات ٣٥٠ الف هكتار

ومعلوم ان التربة الزراعية في مصر تبلغ مساحتها ٢،٧٥٠،٠٠٠ هكتار او ٦،٦٦٣،٠٠٠ فدان فلاجل تأمين ري هذه المساحة الجسيمة يلزم ان تكون موارد مياه النيل ٢،٠٠٠ متر مكعب في الثانية اي ثانية اضعاف مياهه الطبيعية في وقت شحاحه. فاستُدرك الامر بانشاء سدّ وخزان اصوان اللذين كلفا الدولة المصرية زهاء ٤،٢٢٠،٠٠٠ جنيه مصرية ويُخزن فيه سنوياً مليار ان ونصف متر مكعب

بُني الخزان في السد المذكور في عرض النيل في اصوان من حجر الغرانيت الاحمر الذي لا تقمره المياه طوله ١٩٥٠ متراً بعلو ٣٠ متراً فوق الاساس. وعرضه باعلاه عشرة امتار و٢٨ متراً بأسفله. وعدد فتحاته لمرور المياه من الامام الى الخلف ١٨٠. ولهذه الفتحات ابواب معدنية تُفتح وتُغلق بآلات كهربائية ومقدار البناء نحو مليون متر مكعب. فنشكر عقلية المهندسين الانكليز والمصريين الذين اشتركوا باقامة هذا العمل الجسيم الذي يُعدّ من عجائب الدنيا كاعمال الفراعنة الشهيرة وسيبقى اسم منشئه السير ويليم ويلكوكس ملتصقاً به الى الابد

وقد زادت الرغبة باستعمال الري الدائم في هذه السنين الاخيرة حتى تبيّن ان خزان اصوان غير كافٍ لتأمين ري الاراضي المصرية فأحبُّوا انشاء خزان آخر في السودان في جبل اولي على النيل الابيض. ومنفعته مزدوجة للسودان ولمصر معاً وبه ينجو القطران من اخطار الفيضان الشديد

ولمصر ما خلا سدودها وخزاناتها المذكورة اعمالٌ مهمّة جدّاً لا يسمح لنا موضوعنا بسردها غير انني ابيّن لكم بعضها. منها ثلاثة سدود على النيل في اسنا واسيوط وزفتا. وقشيشه ثم مقاييس ديروت وتُرَع الابرهيمية والرياح والبحيرة ورياح توفيق ومصب الاسماعيلية وترعة الشرقية. وانما ترعة الابرهيمية التي تسقي ٤٦٠ الف هكتار مصرفها مائة متر مكعب في الثانية ايام الشحاح و٨٠٠ متر وقت الفيضان طولها ٣١٨ كيلومتراً وعرضها في اولها ٦٥ متراً وسحب مياهها خمسة امتار وانحدارها ٨ سنتيمترات بالكيلومتر فهي الثانية بعد قناة نهروان في العراق

وبياناً لعظمة اعمال الري في وادي النيل اقول بانّ مصر تملك اكثر من ١٦ الف

كيلومتر من الاقنية المختلفة للري وثمانية آلاف كيلومتر من اقنيـة التجفيف وثلاثة آلاف بناية فنية

وقد تعمَّمت في مصر زراعة القطن الثمينة بواسطة الري بحيث ان غلة الفدَّان تعدَّل من ٦ ليرات الى ١٥ ليرة مصرية سنويًّا اي من ١٥ الى ٣٦ ليرة بكل هكتار. فلو قدرنا مساحة ارضها المتوسطة بمليونين فدان او ٨٣٠،٠٠٠ هكتار تزرع سنويًّا قطنًا بلغ معدل مدخولها واحد وعشرين مليون ليرة مصرية وهو مبلغ لا يستهان به بل يوقص له حسدًا كلُّ قلب في لبنان الذي بحسب رواية التاريخ كان يزرع القطن فيه بينما كانت مصر خالية منهُ تمامًا

﴿ الهند ﴾

انَّ بين جميع الاقاليم القديمة البلاد التي تملك في داخليَّتها عددًا اوفر من مجاري المياه واراضي اوسع للري هي بدون جدال الهند. ولاختلاف التقلبات الجوية فيها بين جهة وجهة يتَّخذون لريّها طرائق مختلفة

١ً فني الجهات التي لا يوجد فيها مجاري مياه وامطارُهـا متواترة يجري ريُّ ارضها بما يُخزن من مياه الامطار بمستودعات محاطة غالبًا بسدود ترابيَّة. والقليل منها مبنيٌّ في عرض مسيل المياه. وقد يوجد في واغاد كثير من تلك المستودعات يعلو بعضها البعض كما في جهة شاه اباد. وعلوُّ الحواجز الترابية يختلف بالنسبة لمحلّها منها ما علوه ٣٠ مترًا نظير مستودع واغاد الذي يجري نحو سبعة عشر مليونًا من الامتار المكعبة طوله ١٢٠٠ متر وعرض قاعدته سبعون مترًا

اما المستودعات المبنيَّة الاعظم شأنًا فهي مستودعات موتحا وبهتغار وشنغابور فمياه خزَّان البهتغار تكفي لري ماية وعشرين الف هكتار

٢ً اما الجهات التي تكثر فيها مجاري المياه فتُسقى اراضيها من الفيضان بواسطة تقاطيع مفتوحة بالسد. فالمياه تجري الى الاراضي بواسطة اقنية تطويف كما في سهول الهندوس فهذه الطريقة لا تفيد الَّا اذا كانت مدة الفيضان طويلة لتأمين المياه للمزروعات. امَّا اذا كان الفيضان ضعيفًا ومدتهُ قصيرة فيُلجأ الى الري بالنواعير

وقد استعملت الهند طريقة الري الدائم بواسطة الاقنية التي تسحب مياهها من امام السدود التي يطلق عليها اسم «انوكيت» او «كورمبو». فالانوكيت مستدعة امَّا

الكورمبو فوقتة حيث تتجدد سنويا وقت نقصان المياه وهي من تراب واغصان اشجار تحجز مياه النهر لتنصرف الى الاقنية وفي وقت الفيضان تجتاحها المياه

واعظم ما يُرى بين تلك السدود المستدعة واشهرها هو الانوكيت الذي في مدراس المبني من نحو الف وسبعماية سنة . ويوجد ايضاً سدود مهمة من هذه الصنف على انهر سون وسرهند ونارورا

ومن اقدم الاقنية ما كان منها في الهند الشمالية المتشعبة من مياه نهر جمنة ونهر الكوفاري في ناحية مدراس وقد كانت تسع قديماً مائتين وثمانين الف هكتار . اما الان بفضل الادارة الانكليزية فقد زادت مساحة تلك الاراضي الى اربعماية الف هكتار . وعلى كل حال فالطريقة الاكثر استعمالاً في الهند هي الطريقة الدائمة

ويوجد في تلك البلاد الواسعة الاطراف عدد من الانهر الكبيرة والجداول والسواقي الغزيرة اهمها نهر الهندوس وله خمسة جداول تصبُّ اليه ثم الكنج وتشعُّباته واهمها الجمنة ثمَّ البرهما پوتره ثم المهنادي والكودافري والكيستنا والبنّر والكلرون والطابتي والمربودا

وقد تحسَّنت الطريقة الدائمة التي استعملها الوطنيون بواسطة الانكليز سنة ١٨٥٠ . فيوجد اليوم ١٢ قناة مهمة من هذه الطريقة موزَّعة على كثير من الانحاء المختلفة يطلق عليها اسماء الانهر التي تصدر منها راهمُها الجنهم والشناب وباري دُوَاب والسيرهند والجُمنة والسون واوريسا وكودافري والكيستنا والكوفاري واكبرها الكودافري التي تصرف ٢٤٣ متراً مكعباً في الثانية

وقد يطول بنا الشرح لو وصفنا كل قناة بمفردها وان لم تَخلُ الدلالة عليها من منفعة ولكننا نرجئ الكلام عنها لوقت آخر عند سنوح الفرصة . فاكتفي لاجل بيان اهمية الري في تلك البلاد الواسعة بذكر الارقام الباهظة المنقولة عن جداول احصاءات سنة ١٩٠٧ فبموجبها تُعدَّل مساحة الاراضي المزروعة سنوياً بخمسة وتسعين مليون هكتار اي ٣٥ ضعفاً عن اراضي مصر المزروعة . منها ٧٫٥٠٠٫٠٠٠ هكتار تسقى من الاقنية و ٥٫٤٠٠٫٠٠٠ هكتاراً من الآبار و ٣٫٣٠٠٫٠٠٠ من المستودعات و ٢٫٥٠٠٫٠٠٠ بوسائط مختلفة فيكون مجموع الاراضي التي تُسقى اصطناعياً ١٩٫٠٠٠٫٠٠٠ هكتاراً لحكومة الهند منها اربعة ملايين ومائتا الف هكتار تُرويها

اقنية بطول ٧٢،٠٠٠ كيلومتر . وقد كلّفت ثلاثين مليون ليرة انكليزية

هذا هو جدول الريّ في ثلاثة اقاليم من الشرق الاقرب العراق ومصر والهند . فيحار الفكر عندما يرى عظم هذه الاعمال الجليلة في تلك الاراضي والمبالغ الباهظة التي صُرفت لاجلها . وقد اتت تلك الاعمال إلّا البعض منها باحسن النتائج بإغلال المزروعات التي كانت سبباً لحصول اهالي تلك الاقاليم على الغنى ورغد العيش وذلك بفضل ري اراضيهم

الريّ في لبنان وسوريا

ألم يكن من المدهش ان تكون البلدان الحارّة المجاورة لنا كمصر والعراق تجتهد لزيادة مساحات الري بينما مزارعو لبنان وسوريا متقاعدون عن ذلك ولم يكن همّهم سوى بيع املاكهم ليهاجروا بثمنها الى اميركا وخلافها مع وجود عدد من مجاري المياه في سوريا ولبنان تكفي لسقي قرب المليون هكتار منها ثمانون الفاً في لبنان

ان هذين البلدين يملكان نهراً كبيراً وهو الفرات واربعة انهار مهمّة خلافه وهي العاصي والليطاني وبَرَدى واليرموك وغيرها من المجاري المُهملة التي تصبُّ مياهها في البحر المتوسط بين صور والاسكندرونة وهي الزهراني ونهر الاولي الجارية مياهه من الباروك ويصبُّ في صيدا . ثم نهر الدامور او تاميراس عند القدماء ومنه مشتق نبع الصفا الذي يروي بيت الدين ودير القمر . ثم نهر بيروت او ماغوراس القديم الذي يتلقّى مياه نبع حمّانا وعين الدلبه والداشونيه . ثم نهر الكلب او لوقس اليونان والرومانيين منبعه جيتا ويتلقّى مياه نبعَي اللبن والعسل الخارجَين من خلف صنين . ثم نهر ابرهيم او ادونيس مخرجه من نبعَي افقا والعاقورة وكان فيما مضى يروي بيبلوس القديمة (جبيل) . ثم نهر قاديشا الذي يصبُّ في طرابلس . ونهر البارد الذي يسقي بساتين المنية . ثم النهر الكبير الحدّ الفاصل بين لبنان والعلويين . ثم نهر الابرش ونهر عمريت الذي يسقي خرائب مساراتوس (عمريت) . واخيراً نهر الكبير الشمالي قرب اللاذقية

واذا استثنينا صحراء سوريا يمكننا القول بان مجاري المياه المارّ ذكرها تغمر اراضيَ مساحتها سبعة ملايين هكتار منها النصف فقط مزروع لان الاراضي الجبلية الواسعة

لا تصلح للزراعة . فمن بين ٣٫٥٠٠٫٠٠٠ هكتار من الاراضي المزدرعة يوجد مليون هكتار محاطة بالانهار كما ذكرنا . وبنيدنا التاريخ ان سوريا سواء كانت فينيقيـة ام كلدانية امـمصرية ام يونانيةام رومانية قد عرفت قديماً ان تستثمر مياه الانهار كما يتبين من بعض الاسماء المحفوظة لحد الآن فضلاً عن اثار الاقنية والاحواض والبُرك وغيرها من الاشغال الفنية التي يكتشف عليها السائح نظير بحيرة حمص على بعـد اثني عشر كيلومتراً عن تلك المدينة المدعوة قديماً اماز (Emèse) . وطول هذه البحيرة اثنا عشر كيلومتراً بعرض اربعة كيلومترات ممتدة بلحف سلسلة لبنان وهي اصطناعية أحدثها الامبراطور ديوكلاسيان لري مدينة حمص واراضيها . ثم الاقنية المحفورة في باطن الارض في جهات حمص وحماة والشام وتدمر حيث كانت تتلقى رشوحات الرطوبـة الهوائية . كذلك القناطر الرومـانيَّة فوق نهر بيروت لنقل قسم من مياه النهر من جهة الى جهة . فهذا العمل الفنيّ علوه خمسون متراً بطول ٢٤٠ متراً . ثم القناطر والاقنية الرومانية في جميل لجر مياه نهر ادونيس او نهر ابرهيم الحـالي الى المدينة . ثم القناة الحجرية الرومانية لجر مياه عين عار قرب بعبدات الى دير القامة باق منها بعض اثار على طريق بيت مري وبرمانا . والاقنية الرومانية الصخرية لجر ميـاه الزهراني الى صيدا

ومن تصفّح التاريخ يستدل على ان الاراضي التي تجتازها تلك المجـاري كانت تدار باعتناء زائد من اهاليها الذين كانوا اكثر عدداً من سكانها اليوم فانهم بالنظر لخصب الاراضي كانوا عائشين برغد وهناء لسنا حـاصلين عليها الآن . وكانوا في كل مكان توفرت فيه المياه للزراعة ينشئون مدناً على مجاري الانهار وقرب ينابيعهـا او كانوا يتّخذونها مصايف واليها ترجع المدن الكبيرة كحماة ودمشق وجبيل وصيـدا وقدس وكلسيس وساوقية وانطاكية واللاذقية وحمص وبعلبك واسمائها تدلنا على عظمة ماضيها وغنى اهلها

امّا الآن فما خلا بعض البساتين الموجودة في بعض الانحاء لا تكاد تجد في كل مكان سوى خراب بعض مدن قديمة تنبئ عن اثار مدنيَّة انقرضت واراضي قاحـلة لعدم وجود الايادي العاملة لزرعها والاقنية لسقايتها ولا يوجد محلها سوى بعض ضيع ومزارع حقيرة . مع انهُ على الرغم ممّا حلّ باراضي لبنان وسوريا من الحروب والغزوات

والثورات والزلازل لا تزال مياه الانهر تجري في مجاريها والاراضي باقية على خصبها مستعدة ان تفي بملأتها مقدار نفقاتها. ثمَّ انَّ التواريخ القديمة تشهد بانه لم يكن شعب من الشعوب اقدر من الفينيقيين لتنظيم اعمال مجاري المياه سواء كان في الانحدارات ام في السهول ولاستثمار اغلال اراضيهم الخصبة من القمح والشعير والعنب والزيتون والاثمار وذلك لسبب اعمالهم الفنيَّة المائيَّة التي جروا عليها اينما وُجدوا حتى وفي مستعمراتهم الافريقية

ان لبنان بحدوده الحالية يحتوي على مليون هكتار تقريباً منها قسم وافر من الاراضي المزدرعة اهمُّها اراضي السهول البالغة ١٣٥٬٠٠٠ هكتار والباقي منها البالغ ٨٦٥٬٠٠٠ هكتار هي الاراضي الجبلية التي لا يزرع منها حالاً سوى مائة الف هكتار. وهذه هي مساحة الاراضي السهلية :

هكتار	
٩٥٬٠٠٠	سهل البقاع
١٢٬٠٠٠	سهل عكار
١٣٬٠٠٠	« من بيروت الى صور
١٠٬٠٠٠	« « الى طرابلس
٥٬٠٠٠	سطوح ابيرون
١٣٥٬٠٠٠	المجموع

فمن هذا المجموع يمكن ري ثمانين الف هكتار في ايام الشحاح وهي تحتاج لريها الى خمسين متراً مكعباً من الماء بكل ثانية ومعظمهُ من الينابيع الموجودة

ان بروغرام الري في الاراضي اللبنانيَّة لم يكن محصوراً في درس توزيع المياه من مجرى واحد كما في مصر والعراق فانه وان يكن عندنا اصعب منه بالنظر لري الاراضي المتفرقة من حيث تعلقها بالمياه الخارجة من عدَّة ينابيع الَّا ان ذلك يمكن الاغنياء والماليين من ولوج جملة مشاريع صغيرة مستقلة عن بعضها بعض فتكون اعتماداتها الماليَّة على قدر الانهار التي تتمكن من استثمار مياهها

فلنفرض ان عمليَّة ري الـ ٨٠ الف هكتار تكلف تعديلاً متوسطاً عشرين ليرة عثمانيَّة ذهباً بكل هكتار فتكون مصاريف المشاريع ١٬٦٠٠٬٠٠٠ ليرة عثمانيَّة ذهباً تتوزع على عشرين سنة فيكون الاعتماد السنوي للري ٨٠ الف ليرة ذهباً وذلك لا

يكون ثقيلًا على مالية حكومة لبنان . اما محصول الاراضي في لبنان بعد ريّها فيزيد زيادة حسنَة تعديلها باقل درجة خمس ليرات عثمانيّة ذهباً بكل هكتار فتكون زيادة مجموع ايراد الثمانين الف هكتار بعد نهاية الاشغال اربعماية الف ليرة عثمانيّة ذهباً . فهذا المبلغ لا يُستهان بهِ ريبعث همّة الماليين كي يستعملوا نفوذهم للإقدام والحصول عليهِ . فهذه الزيادة بمحصولات لبنان تحصل ايضاً في حكومات سوريا اذا استُعمل الري في اراضيها الواسعة فيمكن ايصال قيمتها الى اربعة ملايين ليرة عثمانيّة ذهباً . لان مساحة الارض الممكن ريها في سورية هي عشرة اضعاف اوسع من اراضي لبنان واهمُّ الاراضي هي :

(اوّلًا) وادي العمق المؤلفة من بحيرة انطاكية والمستنقعات المحاطة بها اراضيها تسقى من العاصي وقرهصو وعفرين مساحتُها تزيد على ماية الف هكتار . فلو صار تجفيفها فنياً يطيب مناخ ذاك السهل وتُصبح ارضها صالحة للزراعة بعد ان غمرتها المياه اجيالًا عديدة . وحينئذٍ لو انشئت الاقنية في تلك الارض المجففة وفي ما حواليها من الاراضي الخصبة المزدرعة المروية من مياه عفرين وقرهصو على مرّ خط حديد طريق بغداد تزيد محصولات تلك النواحي الغنية بالطروش والسوس والحبوب ومنذ الان قد أدخلت زراعة القطن اليها

(ثانياً) وادي قلعة المضيق المعروفة سابقاً بافامية التي انشأها سلوقوس نيقانور . فهناك مستنقعات وغابات بعرض عشرة كيلومترات متجمعة من العاصي كانت معدّة فيما مضى لتربية طروش السلوقيين . فلو انشئت فيها السدود لأصبحت صالحة لسقاية الاراضي وتطريف مروجها ويصطلح مناخها صحياً

(ثالثاً) سهل وادي بردَى وتشعباتهِ والاعوج والنيجه وهما نهرا الفرفر والابانة المذكوران في سفر الملوك . وتقدَّر مساحة هذا السهل بنحو ٢٠٠ الف هكتار ويمكن تمديد بساتين دمشق بحيث المياه التي تؤخذ من الينابيع المذكورة عدا بردَى تكون كافية لري تلك الاراضي اذا تحفظت اقنيتها

(رابعاً) اراضي شاطي الفرات في الجهة السورية يمكن ريّها على طول ٣٠٠ كيلومتر بعرض ٢٠ كيلومتراً اي مساحة ستماية الف هكتار

بناء عليهِ لو تعمّدت سوريا ولبنان ري اراضيها من المياه الموجودة في الينابيع والانهار

لما جاز لها ان تحسد الممالك المجاورة مثل مصر والعراق بل يعود اليها عصرها الذهبي الخلاصة

مما تقدم في هذا البيان يتضح كيفية الري ومتفرعاته وفوائده ولا جرم ان توافقوني على ان اهمية هذه العملية لا تقل باهميتها عن عمليات الطرق والسكك الحديدية. وللاسف اننا نجهلها تماماً في بلادنا التي سماها العبرانيون الجنة التي غرسها الله للمخلوق الاول

فمن الواجب والحالة هذه اعادة الرغد لسوريا ولبنان بينابيعها وانهارهما وذلك بمباشرة مشاريع الري باراضيها. فان المزارع اذا زادت محصولاته يتعلق بارضه ولا يعود يفتكر بالمهاجرة

فلنقتد بجيراننا المصريين فان الاعمال الاولية لانهاض بلادهم تخصصت للري. اما طرق المواصلات فحسبوها درجة ثانية واهتموا لها بعد ان وجدوا صعوبات لنقل محصولاتهم. فلا نشتغل عندنا عكس جيراننا الاغنياء. فلنزد ونحسن مزروعاتنا بري واف وبعد املاء اكياسنا نوجه النظر الى الطرق وانما نستثني طرق المصائف فان طرقنا لا تنفع الا لتسهيل تنقلاتنا للخارج

فبهذه المناسبة انني مرسل ندائي هذا الى متمولي سوريا ولبنان راجياً منهم التفكر ملياً بهذا الموضوع المهم فلا يضنوا بما يطلب منهم من المساعدات المالية لري بعض المناطق وتجفيف البعض الاخر فكل رفض يظهر منهم يكون جناية بحق الوطن

من المنكر تضحية شعب كامل لمشقات الفقر والمهاجرة بينما يمكن لهذا الشعب الحصول على اوده بواسطة الري راغباً ومفضلاً ان يعيش بالطفيف على ترك وطنه

ان الحكومات المصرية لا يوافقها اهمال تحسين الامور الزراعية بينما الاراضي والمياه متوفرة لديها بقصد توفير مصاريف التجربات فهذا الاقتصاد المضر المستعمل منذ سنين يقود البلاد الى الخراب لاسيما مع تقلبات النقد فيلزمنا تنظيم الحالة المالية بنسبة احتياجاتنا الزراعية مقتدين بجارتنا مصر التي مبلغ ديونها يبلغ الخمسة وتسعين مليوناً من الليرات المصرية بينما نحن في سوريا ولبنان نشتكي الفقر وليس علينا من الدين بارة واحدة

شعراء النصرانية بعد الاسلام

القسم الرابع

شعراء الاجيال الاخيرة من القرن الرابع عشر الى التاسع عشر

للاب لويس شيخو اليسوعي

١ سليمان الغزّي (تابع)

﴿ ديوانهُ ﴾ هو اوّل ديوان نصراني بَحْت فبانَّ قصائدهُ كلّها لا تحتوي غير المعتقدات المسيحيَّة والمعاني المسيحيَّة والاشارات المسيحيَّة بحيث يجوز ان يقال انهُ هو اوّل شاعر نصراني ديني لهُ التقدُّم على كل الذين ظهروا بعد ذلك في القرون التالية. والغالب على القصائد الوصف والمديح والزهد وبعض الرثاء.

والقصائد المذكورة تنيف عن السبعين ومعظمها بين الاربعين والخمسين بيتاً ومنها ما يزيد عن السبعين بل لهُ ارجوزة الفية تنيف على مائتي بيت يكاد المجموع يبلغ قريباً من ثلثة آلاف بيت من كل بحور الشعر. وفي رأس كل قصيدة دعاء من الناسخ كالمألوف عادة كتبة الدواوين الاسلاميَّة فتارة يطلب لهُ الغفران وتارة يترحَّم عليه وحيناً يدعو لهُ بالخير كقولهِ: «قدَّس الله روحهُ ونوَّر ضريحهُ» وكقولهِ: «زاد الله برَّهُ واجزل ثوابهُ» او «عظَّم الله اجرهُ» او «اضاء الله رمسهُ» او «آنس الله وحدتهُ» او «رضي الله عنهُ» او «سبَّح الله نفسهُ» الى غير ذلك من الادعية الدالَّة على اعتبار الكتبة لهذا الشاعر

واذا أعملنا بصر الانتقاد في شعر سليمان الغزّي وجب ان نفرق بين نظمهِ ومعانيهِ. فانَّ نظم الشاعر لا يخلو من ضعف سواء كان في التركيب ام في الجوازات الشعريَّة فانَّ في قصائدهِ اغلاطاً نحويَّة ومسوغات شعريَّة تجاوز فيها الحدود عن سواهُ

من الشعراء . ولعلّ بعض هذه الاغلاط اللغويّة والخلل في ضبط الاوزان الشعريّة قد تسرّب الى ديوانهِ بفعل الناسخين او قل بالحري الناسخين . فمنها ما يصعب اصلاحها . الّا انّ هناك من الشوائب ما لا يمكن نسبتهُ لغيرهِ لغةً ونظماً فيُسكن المتحرك ويحرّك الساكن ويصرف ما لا ينصرف ويمنع المعرب من اعرابهِ ويجمع الفعل مع ظهور فاعلهِ وينصب المرفوع ويرفع المنصوب ويبدل همزة الوصل بهمزة القطع ويعكس الى غير ذلك ممّا يدلُّ على انهُ لم يدقّق في ضبط اللغة وفي لزوم قوانين العروض

على أنّنا لا يمكننا ان ننظم شعرهُ في جملة الشعر العامّي فانّهُ اعلى منهُ طبقةً واضبط وزناً

امّا المعاني فانّ شاعرنا يجاري فيها كبار الشعراء فانهُ يحسن إبراز افكارهِ بصورة لطيفة ويعرضها بالتشابيه البديعة والتعابير الرائقة ويتفنن بالمعاني فيخرجها على ضروب شتى تزيدها رقّةً وتأثيراً في القلوب . وها نحن نختار بعض المقاطيع من شعرهِ ليقف القرّاء على محاسنهِ . ومن ديوانهِ في مكتبتنا الشرقيّة خمس نُسخ ترقى اقدمها الى نحو القرن الخامس عشر قد سقط اوراق قليلة من اوّلها وآخرها . وكُتبت الثانية والثالثة في القرن السابع عشر . والرابعة تاريخها السنة ٧٢١٢ لآدم (١٧٠٤م) بيد الشماس عيسى ابن جرجس عازريّة . والخامسة حديثة العهد . فمن قولهِ الذي افتتح بهِ احدى نسخنا وصفهُ للايمان الحقّ وتابعيهِ ظاهراً وباطناً (من البسيط) :

ما كلُّ معتمدٍ بالماء نصراني ... غيرَ اعتمادِ حياةِ العالَم الثاني (١

وبالمسيح شعوبُ الارض إعتمدوا ... ونافقَ البعضُ منهم بعدَ ايمانِ

صاروا كاعضاء جسمٍ في طبيعتهِ ... منهم مُعينٌ ومنهم غيرُ أعوانِ

كم بطرلكٍ غير محمودٍ بخدمتهِ ... واسقفٍ غيرِ مغبوطٍ ومطرانِ

من الاراطقةِ المشهورِ مَيْلُهمُ ... عن الصواب الى زُورٍ وبُهتانِ

قد فضَّل اللهُ عنهم بيعةً جُمعت ... احجارُها من اقاليمٍ وبلدانِ (٢

١) يريد ان معموديّة الماء لا تكفي للخلاص دون معموديّة الروح بقداسة الحياة

٢) يريد بالبيعة الكنيسة الحقيقيّة وبأحجارها مؤمنيها

بَنَى لها الحقُّ بُنْيـاناً فـارتفعتْ الى السماء بأعمادٍ واركانِ
من الزَّبَرْجد في ترتيبهِ نُظمَتْ ما بينَ دُرٍّ وياقوتٍ ومَرجانِ
اساسُها صخرةُ الايمانِ راسخـةٌ من تحتِ ذاتِ اساطينٍ وحيطانِ
وكلُّ ذي جسدٍ يحلو لنـاظرهِ اذا تراءى باجنـاسٍ وألوانِ (١
فالرومُ والروسُ والافرنجُ حلُّوا بقُرْ م بِ الهندِ والخُوزِ والأبخازِ واللانِ(٢
والارمنيُّون والبَشْنـاك وافَقَهم اهـلُ الجزيرة اعني اهـلَ حرَّانِ
وارضُ شيرازَ والاهوازِ فاتَّفقوا مع العـراقِ الى اقصى خراسانِ
من مطلع الشمس حتّى حدِّ مغربها الى الفراتِ وسَيْحانٍ وجَيْحانِ(٣
بيضٌ وشُقْرٌ وسُمْرٌ في كنائسهم قد سبَّحوا الله مع صُفْرٍ وسُودانِ
فكلُّ قومٍ الى دينِ المسيحِ أتوا وبالهدى رَبِحوا من بعدِ خُسرانِ
شعوبُ شعبٍ لكلٍّ منهمُ لغـةٌ تبلبلت من لسان كان سرياني (٤
وكان منطقُ رُسلِ الله قد خُلقوا قبـل الرسالةِ بالانجيـل عبراني
صارت لكلِّ رسولٍ منهمُ لغـةٌ جميلـةٌ ذاتُ إسنـادٍ وبنيـانِ
ولم يُجابوا بتعليمٍ وما عرضوا ايمانهم في الورى إلّا ببرهانِ
لذلـك افترقوا في نشرِ دعوتهم ولم يخافوا جميعاً كَيْـدَ شيطـانِ

١) اي انَّ الكنيسة الواحـدة تقوم بشعوب مختلفة بالجنس واللون واللغة مع اشتراكهم بالايمان الواحد ٢) الخوز اهل خوزستان في بلاد فارس. والابخاز جيلٌ من الناس في بلاد الكرج. واللان اهل بولونية

٣) سيحان وجيحان نهران كبيران في تركستان

٤) زعم بعض القدماء انَّ اللغة السريانيَّة كانت لغة الابوين الاولين

حتى اذا كملت لله خدمتهم ناموا فكم ابغضوا نوماً ليقظان (١
وقام في عصبة الشيطان بعدهم مذاهب ذات إشراك وطغيان
فقال أريس نطق الله خالقنا اعني القديم حديث زائل فان (٢
وقال مكدونيوس الروح ليس له اقنوم في عدد اذ كان جسماني (٣
وقال نسطور ناسوت المسيح على لاهوته جوهران او قنومان (٤
وقال يعقوب قول الله صح لنا من ذات اقنوم لا من ذات ثنيان (٥

الى ان ختم بما ذكرناه سابقاً

هذي مذاهب اقوام لكفرهم ضلوا الهدى من طريق شبه عميان
فالفضل للارثذكسيين (٦ انهم تمذهبوا مذهباً في الله حقاني

وينسب في هذه القصيدة لابن الله قبل تجسده ما صنعه من العجائب مع بني اسرائيل اذ خلصهم من ظلم فرعون وقادهم الى ارض الميعاد ثم يلحقها بعجائبه بعد تجسده فقال :

فهو المخلص لاسرائيل من رجل عاداه في ظلمه موسى بن عمران

١) اراد بنومهم موتهم في سبيل المسيح . اما نوم اليقظان فاشارة الى الخاطئ العائش في خطيئته

٢) يريد بالنطق السيد المسيح كلمة الله الذي زعم اريوس انه مخلوق فحرمته الكنيسة في المجمع النيقاوي

٣) كان ضلال مكدونيوس بقوله ان الروح القدس مخلوق من الابن وليس بإله فحرمه المجمع المسكوني الثاني

٤) جعل نسطور في السيد المسيح اقنومين احدهما انساني سبق بمولده والآخر الهي اقترن بالانسان ومن ثم نكر أمومة مريم الالهية فحرمه مجمع افسس

٥) هو يعقوب البرادعي القائل بان في المسيح طبيعة واحدة كما هو اقنوم واحد وهذه البدعة حرمت في المجمع الخلقيدوني

٦) ليس معنى الارثذكسيين هنا كنيسة خاصة بل الكنيسة الحقيقية المتمسكة الرأي المبنية على الصخرة البطرسية . والكنيسة الرومانية تدعى بالكنيسة الاورثذكسية في صلوات التقديس

وهو الذي من مياهِ البحر أخرجهُ جَهرًا وانزلهُ في ارض فارانِ
وهو الذي بسحاب الغيم ظلَّلهُ فلم تضرَّ لهُ شمسٌ بأبدانِ
وهو الذي أنبع الأمواهَ من حجرٍ صخرٍ ليشرَبَ منهُ كلُّ عطشانِ
وهو الذي إصطفى هارونَ مفتقرًا مآثمَ الشعبِ في تقريبِ قربانِ
وهو المؤدّي لإيشوعَ ابنِ نونٍ الى ارض الوراثةِ من أعمالِ عمّانِ
وهو الذي ردَّ قرنَ الشمس في مغربٍ حتى تمكَّن من تهديم سيرانِ (١
وهو الذي قد بنى صهيونَ بيعتَهُ قُدسًا فتمَّ بناها من سليمانِ
وهو الذي بكلام الحق أوحى بان يقيمَ فيها ملوكًا ذاتَ تيجانِ
وهو الذي لشعوب الارض أسكنها فقادهم نحوها من غير إمهانِ
وهو الذي بطلاء الطين ابرأ عينَيْ م أكمهٍ فشُفي في عينِ سلوانِ
وهو الذي طهَّر البرصَ الأولى طلبوا منهُ شفاءً فنالوا طُهرَ ابدانِ
وهو الذي أشبع الآلافَ حين أتَوْا خبزًا واكفاهمُ من خمسِ رغفانِ
وهو الذي مسَّتِ الإمرأةُ بُردَتَهُ فعُوفيت من نزيفٍ من دمٍ قانِ
وهو الذي أمر المخلوع يحملُ ما قد كان يعلو عليهِ فوق أمتانِ (٢
وهو الذي ضرَبَ الجانَ الأولى علقوا بالمجدليَّةِ ربُّ الإنس والجانِ
وهو الذي حوَّل الماءَ يومَ عُرسهمُ خمرًا وريحتُهُ أذكى من ألبانِ
وهو الذي سار فوق البحر منطلقاً يمشي على البحر اكراماً لسمعانِ

١) جمع بين آيتين ليشوع لمَّا اوقف الشمس في سيرها ثمَّ لمَّا اخرب اسوار اريحا بابواق الكهنة. السيران جمع سور ٢) جمع متن اي كتف

وهو الذي يوم سبت قال: عازرُ قم فقام مشتملاً اثوابَ اكفانِ
وهو الذي منح الغفران خاطئةً ألقت على قدميهِ طيبَ ادهانِ
وهو الذي غسَّل الأقدامَ متَّضعاً لرسلهِ كحكيمٍ صالحِ الشانِ
وهو الذي من جحيم النار أنقذنا بعد الهلاك بإثم الوالدِ الجاني

الى ان ختم بقولهِ:

فسبِّحوا اللهَ يا اولادَ بيعتهِ ومجِّدوا بمزاميرٍ وألحانِ
ثمَّ أطلبوا منهُ للمسكينِ قائلها أجرًا يؤولُ الى فوزٍ بغفرانِ

ومن محاسن قولهِ وصفهُ لزوال العالم وتحريضهُ على التوبة (من البسيط):

لا يعجبنَّك من يصفو لهُ الزَّمنُ فالمرءُ عند صفاء الدَّهر يمتحنُ
وارغبْ بنفسك عمَّا ليس ينفعُها فلا سرورٌ لها يبقى ولا حزنُ
أما ترى حركاتِ الدهرِ دائرةً لا تستقرُّ ولا يُبطي بها وهنُ
يُباينُ البعضُ بعضاً من كواكبها ويدنو بعضُها من بعضٍ فيقترنُ
كم فرَّقت شملَ قومٍ بعد وصلهمُ وجمَّعت شمل قومٍ غيرهم فدنوا
كم من عظيمٍ جليلٍ من ذوي ثقةٍ لهُ المهابةُ والافضالُ والمننُ
اتى الزمانُ عليهِ في تصرُّفهِ فأعدمَ الملكُ والسلطانُ والسَّكنُ
كفى بهم أنهم عن ربعهم رحلوا الى القبور كقوم قبلهم ظعنوا
والترب يحجبُ جسماً عزَّ مطلبهُ ولو تمزَّقَ عن اعضائهِ الكفنُ
ويأكل الدودُ ابداناً منعَّمةً ولا يعزُّ عليها منظرٌ حسنُ

ومن محاسن اقواله ما انشدهُ في قيامة السيد المسيح (من الكامل):

زالت شكوكُ الناسِ والأوهامُ ... في البعثِ اذ قامَ المسيحُ فقاموا
والحقّ يشهد أنهم من آدمٍ ... ماتوا وبادت في التراب عظامُ
حتى تجسّد للخلاص مبشّرًا ... بحياتنا فجاءَتْ لهُ الأيامُ
هذا الذي أحيا لنا لاهوتُهُ ... ناسوتَهُ فالموتُ منهُ منامُ
والقبرُ مفتوحٌ تقدّس باسمهِ ... وعلا على كلِّ البلاد الشامُ (١
يا قبرُ اين يسوعُ هل وصلوا الى ... ما دبّروهُ بموتهِ الحكّامُ
يا قبرُ هل بلغَ العداةُ مرادَهم ... ام فاتهم بحسابهم ما راموا
يا قبرُ خفَّ لك الالهُ كرامةً ... وسقاك من كأس الحياةِ غمامُ
يا قبرُ نورُ اللهِ فيك مشعشعٌ ... جندُ السماء لمجدهِ خدّامُ
يا قبرُ انّك في القيامةِ شاهدٌ ... عدلٌ لاجلك قامتِ الاجسامُ
هذا الذي وهبَ الحياةَ لآدمٍ ... فتحيّرت لصفاتهِ الأفهامُ
لو لم يَمُتْ لما انقضتْ نوَراتهم ... وتعطّلت بفروضها الأحكامُ
أنتَ الإمام لمن زكتْ أفعالُهُ ... والحقُّ فيما قد تقولُ إمامُ
طوبى لمعتمدينَ باسمكَ ثمَّ مَنْ ... بسطوا يديهم في الصلاةِ وصاموا
طوبى لمن هربوا اليك وخلّفوا ... اموالَهم للوارثين وهاموا
طوبى لمن حملوا كما آمرتهم ... صُلبانَهم فهمُ عليك كرامُ

١) يعدّ الشاعر القدسَ الشريف من الشام كما ترى

لولا الامانةُ لم تصحَّ ظنونهم ... أبدًا ولم تُصدِقهمُ الأحلامُ
قرَّبتُ لحمَ النضح عن آثامنا ... خبزًا وصار لنا الحياةَ مُدامُ
فتقرَّبوهُ يا بني ميراثهِ ... فعساها تَسقطُ عنكمُ الآثامُ
وادعوا لمن قال القصيدَة انهُ ... رجلٌ يحقُّ لمثلهِ الإكرامُ

وقد احسن في وصف حدثان الدهر فقال (من البسيط):

حَبلُ الوِصالِ من الأعوانِ منصرمُ ... وكلُّ ما بنتِ الأيامُ منهدمُ
يا دهرُ رُدَّ الى جسمي شبيبتَهُ ... فقد تعالى عليَّ الشَّيبُ والهرَمُ
أبكيتَني بعد ما أضحكتَني زمناً ... والناسُ لابُدَّ أن يبكوا ويبتسموا
وساكنو هذه الدُّنيا على وَجَلٍ ... من المنيَّةِ والموجودُ منعدمُ
دنياهمُ اخبرَتنا ما الذي فعلَتْ ... قد شتَّتَتْ شملهم بادوا وما سَلِموا
قد كنتُ ابكي على توديعهم أسفاً ... فارتجي يومَ لُقياهم اذا قَدِموا
واكتمُ الدَّمع خوفاً للفراقِ وما ... أُطيق كُتمانَ دمعي وهوَ منسجِمُ
إني لأعجب يومَ البَيْنِ من جَلَدي ... والنارُ في باطنِ الاحشاءِ تضطرمُ
يا نفسِ قومي بخوفِ اللهِ تنتفعي ... انَّ الأُلى كفروا بالحقِّ قد أثموا

ومن ظريف قولهِ ما وصف بهِ الايمان المسيحي (من الطويل):

بمعرفةِ الايمان أثبتُ حُجَّتي ... وتدنو من الآب القديمِ بنوَّتي (١

---

١) يريد ان المسيحيَّ بالمعموديَّة ينال شرف البنوَّة الالهيَّة

بمعرفةِ الايمان عُمِّدتُ كالذي ... باعمادهِ بالماء طيّر حُلّتي (١
بمعرفة الايمان أسمعُ منطقاً ... لانجيلهِ من قُدْس صهيونَ تَبْعتي
بمعرفةِ الايمان أمحَضُ وُدَّ مَنْ ... يجاهرُ في بُغضي ويبغي منيّتي
بمعرفة الايمان أحفظُ جانبي ... وادعو المساكين الاصاغرَ اخوتي
ومَن لطم الخدَّ اليمين أدِرْ لهُ ... شمالي ولم أحقِدْ عليهِ بلطمتي
وأترك عن ذكر القبيح تغافلاً ... لقومٍ أرادوا بالقبيح أذيّتي
بمعرفةِ الايمان أخلعُ زينتي ... إذا كان ثوب الكِبْر يوجب سقطتي
وألبَسُ ثوب الإتضاع وذِلّهُ ... ليُوجب يوم البَعْث عزّي ورفعتي
بمعرفة الايمان أُطعِم جائعاً ... وأكسُو لِعُريان إذا شاء كسوتي
ولمغربا آوي من البرد منزلي ... وأُكرمهم في حال ضعفي وقوّتي
بمعرفة الايمان أصبح باذلاً ... لكلّ عليل أو حبيسٍ معونتي

الى ان قال مخاطباً السيد المسيح:

فيا سيّدي أنت الطبيبُ لعلّتي ... وموجبُ أسبابَ الحياةِ لسَقْطتي
كتابك ناموسي وجسمُك هيكلي ... ووجهُكَ في أعلى السماواتِ قِبْلتي
وفيك اذا صلّيتُ أسجدُ موقناً ... بانّ إلاهَ العرشِ يسمعُ دعوتي
ويقبلُ قرباني بك اللهُ خالقي ... ويُصلح أحوالي بموتي وعيشتي

وقال يذكر تشتّت النبوّات بمجيء المسيح من قصيدة (من الكامل):

---

١) يشير الى عماد السيد المسيح الذي قبل عماد التوبة من يد يوحنّا المعمدان كي يعطينا العماد المطهّر من الخطايا .

وتجسّم النطقُ القديمُ تجسّماً (١ تاريخُهُ وحسابُهُ محسوبُ
سبعون سابوعاً سنيناً أُحصيَتْ من دانيالَ ودانيالُ لبيبُ
ولقد أتى داوودُ في ميلادهِ قولاً عن الربّ القديم ينوبُ
إذْ قال: قال الربُّ أنت اليومَ لي م ابنٌ وإن ماتَتْ عليك شعوبُ
ويقول شعيا تحيلُ العذرا بمن للناس بالميراثِ منهُ نصيبُ
ولقد تنبّأ عن يهوذا مُعلناً بالحقّ عنهُ شيخُهُ يعقوبُ
إذ قال إنّ الملك منهُ ينقضي والانبيا إذا أتى المحبوبُ
يعني مسيحاً قام مَلكاً في السما وعدوُّهُ بصليبهِ مصلوبُ
هذا الذي إنجيلُهُ لشعوبهِ بالحقّ من داء القلوب طبيبُ
وبموتهِ أحيا طبيعةَ آدمٍ إذ كان آدمُ للخطاء رَكوبُ
يا ربّ مَتّعنا بهيكل قدسهِ للدهر انّك للدعاء مُجيبُ

وقد قال في مديح العذراء مريم ووصف بشارتها (من الوافر):

سما شرفٌ لمريمَ في العذارى وفخرٌ في جميع الاصفياء
فأمستْ في الدهور بلا مثالٍ بتولاً وهي امٌّ في سَواء
أتاها بالبشارةِ جبرئيلٌ ملاكُ السرّ في حُلَل البهاء
فقال: حييتِ مريمُ لا تُراعي مباركةٌ تكوني في النساء
بحقٍّ تحبلين الآن بابنٍ هو ابنٌ لعليّ الكبرياء

١) اراد بالنطق كلمة الله الازليّة التي حلّت فينا وصارت جسداً

يكونُ لـهُ على يعقوبَ ملـكٌ الى دهر الـدهورِ بلا فنـاء
فقالت الملاك : وكيف هذا ومـا بشرٌ تـقرَّب من ردائي
فقال : عليـك روح الله يأتي وقوَّتهُ تحـلُّ من العـلاء
ومَن تلدينَ فالقدُّوسَ يُدعى وإبنَ الله يُسمَى في المـلاءِ
فقالت : ها أنا أمـةُ لربّي فأقبَلُ ما اتيتَ بلا إباء
فصدَّقتِ البشارةَ بابتهـاجٍ وتمَّ بذاك قولُ الانبيـاء
ولم يُخصَصْ بهـذا الأمر إلّا لمريمَ وهي أتقى الاتقيـاء
فشكرٌ للعـلي المولى وفخرٌ بأمّ النور والـدةِ الضيـاء
فانَّ لنـا بهـا في الارض مجدًا وما بين الملائـكِ في السماء
فنحن الخلقُ كان بنا سقـامٌ فاضحتْ مريمُ سببَ الشفـاء
أتتنا بالخـلاص فـأنقذتنا بذاك من الخطيئةِ والبـلاء
وكان لآدمٍ من قبـلُ وعدٌ فمَنَّ على يـدَيها بالوفـاء
فأهدوهـا بـلا ملَـلٍ سلامًا جـديدًا في الصبـاح وفي المساء
تولّاهـا وليٌّ وهو يرجو شفـاعتها غدًا عنـد القضاء

فترى من هذه الامثلة انَّ سليمان الغزّي كان مشبعًا من العلوم الدينيّة عارفًا معرفةً تامّة عقائد الكنيسة وآدابها وتاريخها. وكان في وسعنا ان ننقل عنهُ قصائد كثيرة بهذا المعنى لولا خوف الاطالة المملّة. وفي ما ذكرنا ما يكفي لبيان فضلهِ كشاعر مُجيد على الرغم ممّا سوَّغ لنفسهِ من الاجازات الشعريّة

(لها بقية)

اوّل استاذ وطني قانوني

في مكتب حقوق فرنساوي

لاحد علماء الحقوق

انَّ الشرف الذي نالهُ وطننا العزيز بما اصابهُ احد ابنائه من الامتياز على غير سبق يدعوني الى كتابة النبذة الآتية لتُنشر في مجلّة الشرق الغرّاء . وذلك بمناسبة ما خوّلت مدرسة ليون الحقوقيّة التي اليها يرجع مكتب الحقوق الفرنساوي في بيروت من النعمة الفريدة الاستاذ شكري بطرس قرداحي بان يرتدي الوشاح المدرسي الرسميّ الخاص بجامعات الحقوق الفرنساويّة وبذلك نظمتهُ مع كونه اجنبيًّا في عداد الاساتذة الرسميين في كليّات فرنسة

وقد تساءل البعض ما هو يا تُرى الموجب لهذا الامتياز الخاصّ وكيف استحقَّهُ استاذنا الوطنيّ . فاجابةً الى ملتمسهم كتبنا النبذة الآتية التي توقفهم على صفات الرجل فيتحقّقون انهُ نال ذلك عن جدارة خاصّة اقرّت لها العمدة المقيمة في ليون

١ خلاصة ترجمة الاستاذ قرداحي

ولد جنابهُ في بيروت سنة ١٨٩٠ وتلقّى دروسهُ الثانويّة كاملةً في كليّة القديس يوسف فانتهى منها سنة ١٩٠٧ . ثمَّ رحل الى فرنسة فدرس الحقوق في مكتبي «إكس مرسيليا» وباريس . وقد أعلن مكتب اكس سنة ١٩٠٩ انهُ احرز فيه قصبة السبق فنال إجازتهُ (Lauréat)

ولمَّا عاد الى الشرق استوطن مصر فمارس فيها مهنة المحاماة لدى محاكم الاستئناف من سنة ١٩١١ الى ١٩١٩ حين عيَّنتهُ وزارة فرنسة الخارجيَّة — بناء على اقتراح مكتب ليون — مدرّساً في مكتب الحقوق الفرنساوي في بيروت فواصل تلقين الاصول الحقوقيّة واصول الإجراء . وكذلك قد تعيَّن سنة ١٩٢٢ مدرّساً للقوانين الصناعيّة في مدرسة الهندسة الفرنساويّة في بيروت

وكان في اثناء ذلك يزاول المحاماة وفي السنة ١٩٢٠ تعيّن بقرار من المفوّض السامي رئيساً للجنة التحكيم الخاصّة بالاستملاك العائد للدولة الفرنساويّة. وفي شباط سنة ١٩٢٢ تعيّن عضواً خارق العادة في محكمة بيروت الحرب

ثمّ ترك المحاماة ودخل القضاء في ٣ ايلول من السنة المذكورة اذ تعيّن عضواً في محكمة التمييز فقام باعباء هذه الوظيفة مع مواصلته التدريس في مكتب الحقوق الى ١٠ تموز سنة ١٩٢٦ اذ تعيّن رئيساً ثانياً لمحكمة التمييز المذكورة

وكان في خلال تلك المدّة في ١٢ ايار ١٩٢٣ قد تعيّن عضواً في المجلس العدلي لمحاكمة اصحاب الجنايات بالدرجة الاخيرة. وكان هؤلاء الاشقياء قد اهتفوا البلاد بما سفكوهُ من الدماء. فتوفّق المجلس المذكور الى إعادة الأمن الى نصابهِ وإنقاذ البلاد من الفوضى التي كانت تتهدّدها كما اعلن بذلك الجنرال ڤيغان

وفي السنة ١٩٢٤ دُعي لإلقاء الدروس في مقارنة القوانين (Cours de Législation comparée) في مكتب الحقوق الفرنساوي. وهي دروس جديدة انشأتها الحكومة اللبنانيّة بناء على اقتراح الجنرال ڤيغان الذي رأى الحاجة الماسّة اليها

وفي ٣١ تموز من سنة ١٩٢٦ صدر قرار من المفوّض السامي تعيّن بموجبهِ ممثلاً للبنان في اللجنة المكلّفة وضع القوانين وخلفَ بذلك الاستاذ شارل دبّاس لدى انتخابهِ رئيساً للجمهوريّة اللبنانيّة

٢ تآليفه

كانت باكورة تآليف حضرة الاستاذ قرداحي باللغة العربيّة نشرةً عنوانها «الحالة الاضطراريّة في المواد الجزائيّة». ثمّ نشر بالفرنساويّة في مجلّة مقارنة الشرائع بحثاً في قوانين البلدان الواقعة تحت الانتداب الفرنساوي ومقارنتها بالحقوق الاجنبيّة (Le droit des Pays sous mandat français, avec aperçu de droit comparé) والمجلة المذكورة هي لسان حال جمعيّة مقارنة الشرائع (Revue de la Société de Législation comparée) المؤسسة في باريس تحت رئاسة موسيو بوانكاره رئيس الجمهوريّة الفرنساويّة الاسبق. وتضمّ بين اعضائها اعظم علماء الحقوق في العالم واخصّهم قدماء الاساتذة في مدرسة الحقوق الباريسيّة وكثيرون من اساتذتها

الحاليين ومما يجدر بالذكر ان هذه المرّة الاولى التي حصل بها للبناني او سوري او مصري الحظوة بان ينشر ابحاثهُ في احدى المجلّات العلميّة الكبرى الاوربيّة وهي اوسع المجلّات انتشاراً في العالم كلّهِ

وكان ذلك سبباً لدعوة الاستاذ الى زيارة باريس ليلقي فيها محاضرة بحضرة جمعيّة مقارنة الاشتراع المشار اليها

وفي السنة ١٩٢٥ نشر في مجلّة انتقاد الشرائع والقضاء (Revue critique de législation et de jurisprudence) مؤلفاً آخر على وضع اليد في الحقوق الاسلاميّة مع مقارنتهِ بباقي الشرائع (La possession en droit musulman avec aperçu de droit comparé) وهذه المجلة ينشرها بكل مقدرة اقدم اساتذة مدرسة الحقوق واعظم علماء الفقه بفرنسة كمسيو ليون كان (Lyon-Caen) ومسيو بلانيول (Planiol) ومسيو كبيطان (Capitant) ومسيو ريبر (Ripert)

وفي السنة نفسها أصدر درساً طويلاً في جريدة المحاكم اللبنانية السوريّة تكلم فيهِ على المحكمة البدائيّة وامتداد ولايتها. واصدر درساً آخر على غياب المدّعي بالحقوق العثمانيّة (Le défaut du demandeur en droit ottoman)

وفي السنة ١٩٢٦ اجاب الاستاذ قرداحي ملبياً طلب مجلّة الحقوق الدوليّة الفرديّة (Revue de Droit International privé) التي يُنشئها اكبر أساتذة هذا الفرع حاضراً: السيد لابردال (A. de Lapradelle) ومساعديه بادفان (Basdevant) وجيدل (Gidel) من مكتب الحقوق في باريس. فعقد درساً متعمقاً على الشركات الاجنبيّة وشروطها في لبنان وسوريّة فادرجتهُ المجلة المذكورة في الجزء الصادر في تموز ثمّ نشرهُ على حدة

فتقديراً لهذه الاعمال العلميّة خوّلتهُ مدرسة ليون الحقوقيّة الامتياز السابق ذكرهُ بلبس ثياب الملّمين الرسميّة. وها نحن ننشر صورة الاستاذ بوشاحه المذكور فيشاركنا العموم بتهنئتهِ

ونلحق بنبذتنا هذه بعض ما كتبهُ اقطاب العلم في اوربّة لحضرة الاستاذ قرداحي تقديراً لكتاباتهِ بعد اطّلاعهم عليها. فمنهم نقيب المحامين سابقاً في باريس راوول روسّه (Raoul Rousset) قال:

« سبق لي ان قرأت بلذة فائقة في مجلة « جمعية مقارنة الشرائع » درسك الجميل الافتتاحي وكل ما فيه اعجبني للغاية من موضوعه الى الطريقة المثلى التي اتخذتها لمعالجته . واني لاشكر لك جزيل الشكر لانك اوليتني فرصة لمطالعته ثانيةً فجدّدتَ لي اللذة الفائقة التي شعرت بها لدى القراءة الاولى »

ومن كتاب لأندره ڤيس (André Weiss) احد اساتذة مدرسة الحقوق في باريس ومستشار وزارة الخارجية الفرنساوية والرئيس الثاني لمجلس العدل الدولي في جمعية الامم :

« تلقيت برغبة فائقة الدرس الجميل المفيد على حقوق البلدان الواقعة تحت الانتداب الفرنساوي في الشرق الذي تفضلت باهدائه وقد استفدت كثيراً من قراءته ولا ادري كيف امتنّك واشكرك . ويلذ لي كثيراً لو اعطاني بك حسن الحظ بضعة ايام على ضفاف السين للتعرُّف اليك شخصياً »

ومما كتبهُ الاستاذ جاپيو (Japiot) استاذ الحقوق في ديجون :

« مع توقني خصوصاً عند الكلام الذي خصصتهُ باصول المحاكمات لم اقصّر بتقديري نظراتك الواسعة والعميقة معاً في درسك الافتتاحي واني امنّ من كل قلبي الطلّاب الذين يحضرون درساً كهذا »

ومن كتاب ڤان ريس (Van Rees) نائب رئيس لجنة الانتدابات في عصبة الامم :

« لقد اطلعت برغبة فائقة على درسك الواضح والمعمق معاً وأُضيف الى ذلك مسرعاً انني امنّ نفسي لاغتنامي فرصة – مرجع الفضل فيها اليك – لدرس بعض مسائل قانونية عرضتها بصورة بديعة ولم يكن لي بها الى الان سوى معرفة سطحية »

وكتب مدير مجلة جمعية مقارنة الشرائع لمّا أُرسلت اليه مقالة الاستاذ لينشرها :

« قد قدمت للنشر مقالك عن حقوق البلدان الشرقية الواقعة تحت الانتداب الفرنساوي وسيظهر في الجزء الصادر في حزيران واوليتنا بذلك الشرف العظيم »

وكتب مانويل فوركاد (Manuel Fourcade) رئيس نقابة المحامين في باريس :

« وجدت عند رجوعي الى باريس النسخة التي شرفتموني بارسالها اليَّ من مؤلفكم الاخير اشكركم ذلك التلطف من صميم القلب وارجو منكم ان تتقبلوا تمنّيي المخلصة لهذه المباحث

المستمرة كل الاستيار بوفرة المستندات وصدق نقدها وبعد اقة الفكر في المقابلة بين قوانين الدول والبراعة في التنسيق والتمييز على اتم وجه من الوضوح والجلاء. ما اشد هذه المقابلة بين القوانين وما اجزل فوائدها. ولكن ما اقل الذين يوفقون فيها مثل ما ابديتموه من الحذاقة وسداد النظر» (عن المشير بتاريخ ١٩ تشرين الاول سنة ١٩٢٦

ومما كتب الاستاذ ريبرت (G. Ripert) من اساتذة مدرسة الحقوق في باريس:

«لما نشر هذا المقال في مجلة الشرع والقضاء وقد تلقته الدوائر العلمية في باريس بالاشتياق والارتياح فاستوقف نظر علماء باريس»

ولقد تلقى جناب الاستاذ من اماثل العلماء والاعيان غير المذكورين تهانئ وتقاريظ لطيفة يحفظها كأفضل جزاء على عمله يخص منهم بالذكر رئيس الجمهورية الفرنسوية سابقاً المسيو ميلران (Millerand) ورئيس الوزارة حاضراً المسيو بوانكاره (Poincaré) والمسيو دوغري (Duguit) رئيس مكتب الحقوق في بوردو والمسيو دموغ (Demogue) من اساتذة الحقوق في باريس. والاستاذ لارنود (Larnaude) رئيس مدرسة الحقوق في باريس والاستاذ مرسيه (Mercier) الرئيس السابق على مدرسة الحقوق في جنيف والاستاذ جوسران (Josserand) رئيس مدرسة الحقوق في ليون والاستاذان لوفيفر وغارُّوا (Lefèvre et Garraud) في المدرسة عينها والاستاذ غروسو (Grousseau) احد المندوبين في مجلس النيابي الفرنساوي واستاذ الحقوق في جامعة ليل والاستاذ بول اندره (Paul André) رئيس اول في محكمة التمييز في فرنسة. والمستشرق الشهير اغناطيوس غويدي (Ign. Guidi) عضو مجلس الشيوخ في دولة ايطالية. وقد شكرته جمعية عصبة الامم لارساله نسخة من تأليفه عن حقوق البلاد الواقعة تحت الانتداب الفرنساوي في الشرق فنظمت كتابه في مكتبتها الخاصة كما افاده مديرها المسيو فلورنس ولسون (Florence Wilson) في رسالته المؤرخة في ٢٠ تشرين الاول ١٩٢٥. الى غير هؤلاء ممن نشكر لطفهم لتقديرهم عمل استاذنا الوطني نفعنا الله بهمته وعلمه

الآداب العربيَّة

في الربع الاول من القرن العشرين

للاب لويس شيخو اليسوعي

الباب الاول في الادباء المتوفّين في الحقبة الثالثة (تابع)

٢ ادباء النصارى المتوفون في هذه الحقبة (تتمّة)

وفي السنة ١٩٢١ المذكورة ايضاً سبق الى الابديَّة الدكتورَ اسكندر بارودي استاذان بارعان خدما وطنهما بالتعليم ونشرا فيهِ الآداب احدهما ماروني يوسف حرفوش والآخر اورثذكسي نخله زريق

توفي المرحوم ﴿يوسف حرفوش﴾ في ١٤ك٢ ١٩٢١ ولهُ من العمر ٧٤ سنة . تلقَّى العلوم في مدرسة الآباء اليسوعيين القديمة في بيروت ثمَّ اكملها في مدرسة ڤرسايل في فرنسة بعد حوادث الشام سنة ١٨٦٠ ثم عاد الى الوطن وعلَّم نيّفاً واربعين سنةً في كليَّة القديس يوسف بهمَّة ودراية اقرَّ لها تلامذتهُ شاكرين . وكان فضلاً عن ذلك قدوتهم في ممارسة كلّ الفضائل المسيحيَّة وفرائضها . وقد أبقى من آثار قلمهِ عدَّة تآليف سهَّل فيها على الشبيبة درس اللغة الفرنسويَّة وقرَّب درس اللغة العربيَّة على الاجانب فصار اقبال عظيم على مصنَّفاتهِ نخصّ منها بالذكر ترجمانهُ العربي وقارينهُ للترجمة من اللغة الفرنسيَّة الى اللغة العربيَّة والمراسلة التجاريَّة ودليل المتكلّم وغير ذلك ممَّا نُشر بعضهُ ولا يزال بعضهُ الآخر مخطوطاً كقاموسهِ للُّغة العاميَّة

امَّا المرحوم الاستاذ ﴿نخله زريق﴾ فكان احد اعضاء المجمع العلمي العربي الدمشقي . ولد سنة ١٨٥٩ في بيروت وتوفي في القدس الشريف في ٢١ تموز ١٩٢١ كان من رجال النهضة الجديدة بخدمتهِ للآداب العربيَّة بصفة كاتب واستاذ ولغوي . صنَّف

عدة رسائل وقصائد متفرقة تشهد له بالبراعة وحسن الذوق. وقد علم نيفاً وربع قرن في مدرسة المعلمين في كلية القدس الشريف الانكليزية وانتخب بعد الحرب كعضو في تهذيب لجنة الكتب العسكرية في المدرسة الحربية في دمشق فلم تطل فيها مدته حتى عاد الى القدس. وقد عُرف الفقيد بغيرته نحو وطنه وبلزومه الاخلاق الوطنية ولغة الوطن وازيائه

وفي ٣ آذار من السنة ١٩٢٢ فُجع الوطن اللبناني باحد كبار رجاله المعدودين ﴿ ابراهيم بك ابو خاطر ﴾ كان مولده في زحلة سنة ١٨٦٩ من اسرة رومية كاثوليكية فاضلة. اخذ مبادئ العلوم في مدارس وطنه ثم تخرج على نفسه في الآداب وظهرت مقدرته في الكتابة والخطابة لما حل الاعلان بالدستور العثماني لسان الاحرار فاخذ يكتب ويخطب باسلوب يجذب اليه القلوب ويبعث الهمم لطلب الاستقلال الوطني. وقد نشرت له الجرائد عدة خطب ادبية وسياسية مستحسنة وانشأ في زحلة جريدة الخواطر كتب فيها فصولاً بليغة زيّف في البعض منها مبادئ فولتير وجان جاك روسو وقبّح الشيعة الماسونية ثم خلفه في ادارتها الوجيه موسى افندي نور حتى بطلت في اوائل الحرب. وقد عرّضته افكاره الحرة وميله الى فرنسة واعجابه باعمالها الى حقد الاتراك فقاسى في زمن الحرب محناً شتى. وقد شغل المذكور عدة مناصب جليلة في عهد المتصرفين مظفر باشا واوهانس باشا وفي زمن الانتداب الفرنسوي الاخير فتعيّن ثلاث مرات لقائمقامية زحلة وقد عرف له الوطن فضله فاكرمه حياً وميتاً. كما ان فرنسة أعربت عن رضاها بمساعيه فعيّنته كعضو في لجنة لبنان الكبير الادارية فخدمها اصدق خدمة

وفي ٢٢ آب ١٩٢٢ فقدت أسرة الشيوخ الدحداح الكرام رجلاً من افاضل وطنه لبنان المرحوم ﴿الشيخ خطّار الدحداح﴾. كان مولده في عرامون (كسروان) في ١٨ شباط ١٨٤٠. وبعد ان درس العلوم في مدرسة عينطوره الشهيرة دُعي الى التعليم في معظم المدارس الوطنية والاجنبية كالمدرسة البطريركية والكلية الاميركية ومدارس الثلثة الاقمار وكفتين والوطنية فتخرج عليه كثيرون من مشاهير الادباء ثم تولى مناصب مختلفة خدم بها الحكومة اللبنانية اصدق خدمة. وقد اشتهر الشيخ المرحوم بآدابه الراقية وبمصنفاته المفيدة. فقد تولى مساعدة التحرير في المجلات والجرائد

الوطنيّة كالجنّة والجنان والجنينة والمصباح. ومن اخصّ تآليفهِ تاريخ فرنسة الحديث الذي اكملهُ بعدئذٍ المرحوم سليم البستاني وطبعهُ. ثمَّ باشر بتصنيف تاريخ آخر لدولة المذكورة لم يتمّهُ. ولهُ روايات ادبية لم تزل مخطوطة سمى بتمثيلها على مسارح المدارس. الاولى من تأليفهِ وهي رواية يوسف الحسن ثمَّ ألحقها بثلث روايات اخرى عرّبها نثرًا ونظماً للشاعرين النابغتين كورنيل وراسين اعني: اغوسطوس (او سينّا) واستير وفيوجينا (افيجينية). مُثّلت الثلث الاولى في المدرسة الوطنية والرابعة في المدرسة البطريركية فاصابت استحسان العموم

وفي ٦ تموز ١٩٢٢ حصدت المنون بمنجلها كاتباً واسع الشهرة وهو في عزّ الكهولة نريد بهِ «فرح انطون» اصلهُ من عائلة اورثوذكسيّة من طرابلس الشام وبها ولد سنة ١٨٧٤ درس في مدرسة كفتين وحوّل فكرهُ منذ شبابهِ الى حرية الضمير واخذ يدرس تآليف الكتبة المتطرّفين في آرائهم الدينيّة والشيوعيّة من فرنسويين وروسيين وجرمانيين كرينان وكرل ماركس وتولستوي ونيتشه فعشّشت افكارهم في دماغهِ فصار يجاريهم في كتاباتهِ فهاجر الى مصر ثم الى الولايات المتّحدة ثمَّ عاد الى مصر وهو لا يزال حيثما حلّ يعالج المواضيع الاشتراكيّة والديموقراطية المتطرّفة المجرّدة عن روح الدين لا يأخذهُ في كتاباتهِ مَلَل بل تجاوز في ذلك كل حدود الفطنة دون مراعاة لصحّتهِ وهو يشتغل ليلًا مع نهار حتى غُلبت قواهُ فمات ضحيّة غُلوائهِ. امّا تآليفهُ فهي كثيرة وكلّها تشعر بافكارهِ الحرّة منها عدّة روايات خياليّة ومشاهد (drames) تمثيليّة عرّب قسماً منها وألّف القسم الآخر. وقد حرّر مقالات جمّة في عدّة جرائد. وانشأ بالاسكندريّة مجلّة الجامعة ثم واصل نشرها في الولايات المتّحدة. وقد اشتغل ايضاً بالفلسفة وان لم يكن من فرسان ميدانها ولهُ ابحاث في فلسفة ابن رشد ونقل كتاب رينان في هذا الصدد كما انّهُ عرّب تآليف هذا الملحد المدعوّ «تاريخ المسيح» الذي هو احقّ ان يُدعى مسخاً منهُ تاريخاً بعد ان بيّن العلماء الاثبات اغلاطهُ الفظيعة وأكاذيبهُ الشنيعة ومناقضاتهِ الواضحة فما كان اولى بانطون ان يضنّ بشرفهِ ودينهِ عن نقل سفاسفهِ. فيعزّ علينا انّ نرى بعض حاملي الاقلام في بلادنا ينشرون بدون تعقّل مبادئهم المستقبحة فيُلقون قرّاءهم في وهاد الالحاد وقعر الفساد وكان بوسعهم ان يهذّبوا عقولهم ويرقّوا اخلاقهم ويجعلوهم سندًا لوطنهم فيُبارك اسم الذين

ارشدوهم الى الصلاح ونكّبوا بهم عن جادّة الضلال

وفي ايلول ١٩٢٢ بارح الحياة رجلٌ آخر من أدباء العصر ﴿عبد المسيح انطاكي بك﴾ مولود حلب في ١٦ شباط سنة ١٨٧٤ من اسرة روم اورثذكسيّة. نشأ فقيراً إلّا انهُ بنشاطهِ وذكائهِ الفطري لم يزل يجاهد احوال الزمان ويطلب لهُ مقاماً بين الادباء حتى فاز ببغيتهِ وعُني اوّلاً بالصحافة في وطنهِ ثمَّ في مصر الحرّة فانشأ في حلب الشذور وفي مصر مجلة الشهباء ثمَّ العمران مراعياً في كتاباتهِ احوال الزمان. يناوي حيناً الاتراك وحيناً يجاريهم. يناضل اللامركزيّة ويتّحد مع رجالها. وهو لا يزال ينادي بالقوميّة العربيّة. ثمَّ ترك الصحافة وعُني بنظم الشعر فنال منهُ بعض الشهرة اذ تقرّب بهِ الى الذوات بمدحهِ اصحاب الامر وارباب الدين. وتجشّم الاسفار الى بلاد العرب فرحل الى اليمن والحجاز والعراق واجتمع بامرائهم ساعياً وراء تحقيق آمالهِ من نهضة العرب واسترجاع مجدهم. فقضى بعد حلٍّ وترحال وهو يعاين الانقلابات التي حدثت في الجزيرة بسقوط ملك الحجاز وفوز ملك نجد ابن سعود. ولعبد المسيح انطاكي تآليف مختلفة منها ديوانهُ عَرف الخزام في مآثر السادة الكرام. ومنها كتابهُ نيل الاماني في الدستور العثماني ومطلع الميامن في تهاني البطريرك كيرلُس الثامن جحا لخصّ فيهِ تاريخ البطريركيّة الانطاكيّة ولاسيما الرومية الكاثوليكية. وكان عبد المسيح الانطاكي من انصار الاتحاد بين طائفتهِ الاورثذكسية وطائفة الروم الكاثوليك وقد اطرأ في هذا الكتاب اعمال الآباء اليسوعيين في هذا الشأن (ص ١٨ــ١٩). وانشأ في المعنى نفسهِ مجلة الكنيسة الاورثذكسيّة ولم يرضَ من خطة رؤسائها بعد ان سعى مع الوطنيين الى تحريرهم من العُنصر اليوناني. وللانطاكي ايضاً رواية بطرس الاكبر وغير ذلك. ودونك مثالاً من شعرهِ قال يصف مواعظ الدهر:

دَعْ عنك انغام الطَّرَبْ ومَلاهياً فيها الوصَبْ
وانظر الى خَتْل الزما نِ محاذراً شرَّ الحَرَبْ
يعلو الدنيُّ بلُؤمهِ ويذلُّ اربابُ الحسَبْ
كم من لبيبٍ عضَّهُ م الدهرُ بانياب النُّوَبْ
واخو الجهالة في الغنا يلتذُّ في ذاك النَّشَبْ
والموتُ فينا دائرٌ والناسُ طرّاً في لَعِبْ

ويلٌ لـدهرٍ خـائنٍ كم من عظيمٍ قـد سلَبْ
يتـالُنـا وبُعيـدنا كالنار شبَّتْ في حطَبْ

وفي ١٨ ت٢ ١٩٢٢ أسِف الوطن على فقيد عزيز المرحوم ﴿ داود بك عمون ﴾ وُلد في نيسان من السنة ١٨٦٩ في دير القمر وتخرَّج في العلوم والآداب في مدرستي عينطورة والحكمة . خدم دولة تونس الغرب مدَّةً وحظي برضى اربابها . ثم تعاطى المحاماة في مصر فنال نجاحاً باهراً وأحرز لهُ سمعةً واسعة ثمَّ عاد الى الشام وانتُخب سنة ١٩١٤ عضواً بمجلس ادارة لبنان . ولمَّا أُعلن بالانتداب الفرنساوي كان داود بك من اكبر انصارهِ فأخلص الخدمة في سبيل توطيدهِ وتعزيز لبنان الكبير فأجمع مواطنوهُ على اكرامهِ حيًّا وميتاً وكان داود بك من الكتبة البلغاء والشعراء المجيدين . فمن قولهِ يذكر لبنان وهناء العيش فيهِ :

حبَّذا المصطافُ في جبلٍ ينطحُ الجوزاء بالقنَنِ
مزيلُ الاحزان من قِدَمٍ وأباةِ الضيم في زمَنِ
ليس لبنانٌ لمكتسحٍ بضعيفِ العزم ممتهنِ

الى ان قال :

فبنو لبنانٍ أُسدُ وغىً أطلقتْ فيهم يدُ المحنِ
ليت ذا عزمٍ يضمُّهمُ ضمَّة الاعضاء في البدنِ
فيُعيدوا السابقات من المجدِ والطيباء للوطنِ
يا بني امّي اذا حضرَت ساعتي والطبُّ أسلمني
اجعلوا في الارز مقبرتي وانسجوا من ثلجهِ كفني

وفي ١٨ كانون الاوَّل من السنة ١٩٢٣ لبَّى دعاء ربهِ الاديب المرحوم ﴿ موسى صفير ﴾ صاحب مكتبة المعارف في بيروت ولد في القليعات (كسروان) سنة ١٨٦٥ ودرس في مدرسة الرومية وعينطوره وفي مدارس الفرير واليسوعيين وانشأ مكتبة المعارف فخدم بها الآداب . كان من الكتبة المجيدين والشعراء المحسنين حرَّر في جريدة الروضة ونشر عدَّة قصائد متفرِّقة وصف فيها اصحاب المراتب الدينيَّة والوطنية والاحوال الجارية . وعلَّم مدَّة في مدارس بيروت ونشر بعض الكتب المدرسية كدرجات القراءة ومبادئ العربيَّة ودليل الاحداث وترقي الصغار في دروس الاستظهار وغير ذلك مما لم يُنشر بعد

وفي اوائل السنة ١٩٢٤ هصرت المنون غصناً من الدوحة اليازجية في مصر زيد بها السيدة «وردة اليازجي» ابنة الشيخ ناصيف كان مولدها في كفرشيما سنة ١٨٣٨ فدرست في بيروت في مدرسة البنات الاميركية وأخذت الآداب العربية عن والدها فبرعت فيها وصارت تصنف الرسائل والقصائد في زمن لم يُعهَد ببنات جنسها شيء من ذلك . وبعد وفاة زوجها الاستاذ فرنسيس شمعون انتقلت الى مصر وعُنيت بالكتابة ونظم القصائد . ومن آثار قلمها في الضياء مقالة في تعريف المرأة الشرقية . وقد طُبع ديوانها الصغير الحجم اللطيف النظم افتتحته بابيات وجّهتها الى سميّتها وزميلتها في الادب وردة ابنة الشاعر نقولا الترك اولها :

يا وردة التُّركِ انّي وردةُ العَرَبِ ... فبيننا قد وجدْنا اقربَ النَّسَبِ
أعطاكِ والدكِ الفنَّ الذي اشتهرتْ ... ألطافُهُ بين اهلِ العلمِ والادبِ
فكنتِ بين نساءِ العصرِ راقيةً ... اعلى المنازلِ في الاقدارِ والرُّتَبِ

وقد امتازت خصوصاً برثائها فمن ذلك ما قالتهُ في رثاء البطريرك مكسيموس مظلوم :

يا ايُّها الحبرُ الجليلُ مقامُهُ ... هل بعدَ فَقْدِكَ غيرُ دمعٍ جارِ
قد يومُكَ في الانامِ فانّهُ ... ابقى لنا حزناً مدى الادهارِ
يا بدرَ تمٍّ غابَ عنّا في الثرى ... ما كان ذلك عادةَ الاقمارِ
حسدَتْهُ افلاكُ العُلى وتحسّرت ... لو انّهُ في طيّها مُتَوارِ
ويلاهُ مَنْ أبقيتَ بعدَكَ راعياً ... يرعى الرعيّةَ حيثُ يرضي الباري
مَن للمنابرِ والهياكلِ والحجى ... والمشكلاتِ وغامضِ الأسرارِ
قد سرتَ عن دارِ الفناءِ جاروراً ... دارَ البقاءِ فنلتَ خيرَ جوارِ

وقالت تودّع سليمان بك البستاني لمّا انتُخب بعد الدستور عضواً لمجلس النوّاب عن بيروت :

أخلِقْ ببيروتَ دارِ العلمِ من قِدَمٍ ... أن تصطفيكَ على الايّامِ عنوانا
فانّهُ لمّا ارتأى إعلانَ حكمتهِ ... ما اختارَ من شعبهِ إلّا سليمانا

وفي كانون الثاني من السنة ١٩٢٤ خسرت الجالية السورية في البرازيل احد

ادبائها الاستاذ ﴿نعمة يافت﴾ مولود الشوير سنة ١٨٦٠ . تعلم في وطنه مبادئ العلوم ثمَّ اتمها في الجامعة الاميركية فامتاز فيها بين اقرانه بالعلوم الرياضيَّة والطبيعية فنال شهادتها بل نُدب الى تدريس تلك العلوم فيها ثمَّ علَّم في مدرسة طائفته الارثذكسية المعروفة بالثلثة الاقمار وفي السنة ١٨٩٣ هاجر الى البرازيل وتعاطى التجارة فربح بدرايته وحسن معاملاته ثروةً كبيرة انفق قسماً منها في عمل الخير . وكان هناك من انصار الآداب القومية يُدعى الى حفلاتها فيخطب ويباحث بكل معرفة وأدب الى آخر حياته فمات مأسوفاً عليه

وفي اوائل شهر آب ١٩٢٤ توفيت في نيويرك كاتبة اصابت بقلمها بعض الشهر وهي السيدة ﴿عفيفة كرم﴾ من عائلة كرم المارونيَّة ولدت في عمشيت سنة ١٨٨٣ واقترنت بالزواج بالسيد كرم حنا كرم وهاجرت الى اميركة فكتبت عدَّة مقالات في جريدة الهدى ثمَّ اصدرت مجلَّة العالم الجديد النسائيَّة ولها من تآليفها روايات كفادة عمشيت وفاطمة البدويَّة . وعرَّبت غيرها كملكيَّة يوم ومحمَّد عليّ . فكانت من النساء المساعدات على ترقية بنات جنسها تأخذ عليها بعض الانتقادات الباطلة على الدين وذويه

وممن استأثر بهم الله في تلك السنة احد ادباء الوطن الاستاذ ﴿شاكر عون﴾ وُلد سنة ١٨٤٢ وأُرسل بعد حوادث سنة ١٨٦٠ الى مدرسة قرسايل الثانوية فبرع في علومها كالاستاذ المرحوم يوسف حرفوش . ثمَّ دُعي بعد رجوعه الى بيروت الى التدريس في المدارس الوطنيَّة فقضى سنين طويلة في التعليم بمدرسة الحكمة ثمَّ علَّم في مدرسة الشيخ عبَّاس وكان احد اعضاء الجمعيَّة المارونية العلمية ؛ ومن آثاره تعريبه لكتاب خطبة التاريخ العام لبوسويت مع الشيخ عبدالله البستاني . وانشأ مجلة النديم وكتب في جريدة الروضة . وله مقالات متينة في فروع الآداب والمسائل الاجتماعية . توفي في ٢٢ ت ١ ١٩٢٤

وفي غرَّة حزيران سنة ١٩٢٥ نُعي الينا من نيويرك بزيد الاسف رجل الادب والعلم والسياسة كبير اسرته الوزير ﴿سليمان البستاني﴾ ولد في بكشتين من قرى الشوف في ٢٢ أيار سنة ١٨٥٦ ودرس على افاضل اسرته كالطيب الذكر السيد عبدالله البستاني والمعلم بطرس منشئ المدرسة الوطنيَّة وما لبث ان نبغ في علومه حتى رأى نفسه قديرًا على التأليف فاشتغل مع انسبائه في صُحُفهم ودائرة معارفهم . ثمَّ ساح في

البلاد فطاف العراق وجزيرة العرب جنوباً وشمالاً واجتمع بقبائل البادية فدرس الاخلاق ووسّع نطاق معارفهِ وهو يشتغل تارة بالتجارة وتارة بالتعليم ويدوّن ملحوظاتهِ فينشرها بالمجلّات او يحفظها لتآليف ينوي تصنيفها . وتردّد بعد ذلك الى مصر والاستانة فتقرب من اشرافها ونال امتيازات الدولة العثمانيَّة ومناصبها الشريفة كمندوب مجلس المبعوثان وعضو مجلس الاعيان ووزير وممثل للسلطنة في البلاد . وتجوَّل في انحاء اوربَّة وهو في كل مكان موضوع اعتبار الجميع لِما تحلّى بهِ من الاخلاق الراقية والآراء الراجحة وروح الدين حتى انهى حياتهُ في اميركة بعد ان اشتدَّت عليهِ وطأة المرض في مصر وتألم من داء عينيهِ فالتمس الشفاء في الولايات المتحدة . وقد نشر الاديب فؤاد افندي افرام البستاني ترجمتهُ المطوَّلة في المشرق(٢٣ [١٩٢٥] : ٧٧٨ ; ٨٢٤ ; ٩٠٨) . امَّا تآليفهُ التي خدم بها الآداب العربيَّة فلا يجهلها احد واعظمها شأناً ترجمتهُ لالياذة هوميرس بالشعر العربيّ المتين(١ وقدَّم عليها درساً جليلاً في تعريفها وفي الشعر العربي وآدابهِ . ومن آثارهِ كتابهُ عبرة وذكرى وصف فيهِ احوال الدولة العثمانية قبل الدستور وبعدهُ . ولهُ متفرّقات شتى كمقالات في المجلات والجرائد وكقصيدتهِ الداء والشفاء وبحثهِ في الاختزال ومخطوطات تاريخية نتمنى ان يَنشرها انسباؤهُ

وفي ٨ آب ١٩٢٥ توفي ﴿الدكتور سليم بك عطيَّة﴾ وُلد في صافيتا سنة ١٨٧٣ وتخرَّج في الكلية الاميركية في بيروت ودرس فيها الطبّ واكمل دروسهُ في جامعة بلتيمور في الولايات المتحدة ثم انتظم في سلك الجيش المصري لمَّا فُتحت بلاد السودان فخدم الحكومتين المصريَّة والبريطانية وتولى هناك ادارة المستشفيات العسكرية بكل نشاط وحسن تدبير . وكان في اثناء عملهِ يكتب المقالات المستجادة عمَّا يلحظهُ في تلك البلاد فتُنشر في المجلّات الاجنبيَّة . وكان يحسن الكتابة في لغتهِ الوطنية نثرًا ونظماً وتُروى لهُ عدَّة قصائد صنّف بعضها بالشعر العامي بكل سلامة ذوق

وفي اوائل هذا الشهر من السنة عينها نشبت المنون احدَ ادباء الروم الارثذكس في الثغر ﴿وديع ابو رزق﴾ كان كاتباً ضليعاً حرَّر في الجرائد الوطنية نثرًا ونظماً

وقد فقدت الآداب في عامنا الماضي بعض رجالهِ المعدودين اخصُّهم الكاتب الاديب الشهير ﴿سليم سركيس﴾ الذي رُزئ بوفاتهِ حَملَةُ الاقلام لما أنسوهُ من

---

١) اطلب في المشرق (٧ [١٩٠٤] : ٨٦٥ الخ) درساً واسعاً على هذه الترجمة

تفننه في الكتابة توفي في ٣ ك٢ ١٩٢٦ . كان مولده في بيروت في ١١ ايلول ١٨٦٩ فورث عن والده المرحوم شاهين حبّ الآداب . وبعد أن تخرّج في المدرسة الوطنية ومدرسة عين زحلتا تعاطى فنّ الصحافة فبرع فيها وكتب زمناً طويلاً في جريدة لسان الحال . له فيها مقالات رنّانة . ثمّ ساح في اوربّة فأنشأ في لندن جريدة «رجع الصدى» وفي باريس «كشف النقاب» مع صديقه الامين ارسلان . ونشر في مصر جريدته المشير التي أثار فيها غضب الدولة التركية حتى حكمت عليه بالاعدام غيابيًّا ولم يسكت عن بعض اعمال الدولة الالمانية فنالهُ بعض اذاها . ثم رحل الى اميركا فانشأ الراوي والبستان وعاد الى مصر فانشأ مرآة الحسناء وختمها بمجلة سركيس فثبت على نشرها من السنة ١٩٠٥ الى آخر حياته . وهو لم يزل يكتب ايضاً في جرائد مصر الكبرى كالمؤيد والاهرام وفي كلّها ما يُشعر بخفّة روحه وفكاهة نفسه ولزومه الصدق في الكتابة . ومن آثاره وصفهُ لمراقبة المكتوبجي في بيروت ايام الاستبداد ومقالاتهُ « في الزوايا خبايا » نقدَ فيها بعض اعمال الارسالية الاميركانية . وكتاب سرّ مملكة وغير ذلك ممّا كان يُسَرّ بطرائفه القرّاء . وهو لا يبالي بانتقاد ولو شطّ ببعض كتاباته

وفي آخر ك٢ ١٩٢٦ ايضاً توفي في بوغوتا كولمبية احد المهاجرين اليها المرحوم ﴿الياس ناصيف رزق﴾ تخرّج في كليتنا البيروتية في الآداب العربية والفرنسوية وانس من نفسه الميل الى الكتابة فأنشأ مقالات نثريّة وشعرية استحسنها الناس في الوطن والمهجر . وبرع ايضاً في اللغة الاسبانية واصاب في المهجر ثروة كبيرة بما انشأ من الدوائر التجاريّة

وفي ١٩ آذار ١٩٢٦ لبى دعوة ربه ﴿الدكتور حبيب الدرعوني﴾ بعد ان استعدّ لآخرته استعداد الابرار فختم حياتهُ بالصلاح كما قضاها بالبرّ وعمل الخير . ولد المرحوم في زحلة وتلقّى العلوم الادبية والطبيّة في كليتنا البيروتية فكان من انجب وافضل طلبتها . وقد زاول فنّ الطبّ بكل نشاط ونزاهة ومحبّة خاصّة للفقراء . وعُني مدّةً في مكتبنا الطبي بمعالجة داء الكلَب . وكان الدكتور كاتباً بارعاً يُحسن الكتابة بالعربيّة والافرنسيّة له فيها عدّة آثار منها ما نشرناهُ في مجلة المشرق . وكان ينظم الشعر ايضاً فمن ذلك نظمهُ لقسم كبير من كتاب الاقتداء بالمسيح اطلعنا على بعض فصوله الشائقة

وفي ٣١ تموز من هذه السنة الاخيرة وقع في ساحة القتال مأسوفاً على شبابه ﴿عادل افندي النكدي﴾ على أننا تمنّينا لو لم يبارح الحياة في جملة مواطنيه الدروز الثائرين على الانتداب اذ قُتل في احدى الوقائع التي جرت في غوطة دمشق. ولد عادل سنة ١٨٩٦ في اعبيه وتخرّج في مدرستها ثمّ اكمل دروسهُ في مدرسة بيروت العالمية ونال شهادتها ودخل سنة ١٩١٤ مدرسة الحقوق الفرنسوية في بيروت ولم يتمّها إلّا بعد الحرب الكونيّة في القاهرة اوّلاً ثم في لوزان (سويسرة) فنال شهادتها كماذون ثم كدكتور وذلك في اوائل العام المنصرم. وكان عادل مشبعاً من افكار الحرية والاستقلال فلما بلغتهُ اخبار ثورة الدروز في حوران انتظم في سلكهم وصار احد زعمائهم فقطعت المنيّة غصن حياته لدناً. وكان عادل متعمّقاً بالآداب العربية يكتب ويخطب وينشئ المقالات الواسعة. وقد نقل من الافرنسية كتاب اتيان فلاندان في النظامات السياسيّة في اوربة الحالية فنشر قسمهُ الاوّل. وعرّب ايضاً كتاب تربية الاحداث وكتاب الاصول الاداريّة في الاسلام مع عدّة مقالات سياسيّة وادبيّة في الصحف الوطنية والاجنبية

وآخر من نذكرهُ في هذه الحقبة وطنيٌّ ذائع الصيت من ارباب اليراع الناثر الشاعر ﴿طانيوس عبده﴾ توفي في بيروت في ٢ ك ١ ١٩٢٦ في مستشفى القديس جاووجيوس. اثرَ مرضٍ جاء من مصر ليتداوى منهُ في وطنهِ. كان المذكور من ادباء القرن الحالي المشار اليهم بالبنان لوفرة مصنّفاتهِ الادبية. نشر مقالات بليغة في الصحف. وانشأ صحيفة الراوي ثمّ مجلة الشرق وألّف عدّة روايات وعرّب غيرها. فاقبل عليها الادباء لحسن انشائها وجودة سياقها وقد اشتهر خصوصاً بالشعر الرائق. فجمع منهُ قسماً جناب صديقنا انطون الجميّل فنشر جزءهُ الاوّل في مصر تحت عنوان ديوان طانيوس عبده. وفي هذا المجموع حسنات عديدة صورةً ومعنًى قد تفنّن فيهِ الشاعر ما شاء. دونك مثالاً من شعره في وصف لبنان:

لبنانُ أنتَ قوّة الضعيفِ وملجأ الخائف والملهوفِ
ومستقرّ العابد المكوفِ في البرد والربيع والخريفِ
اما الصيف فهو شيء ثاني

كل جبال الارض مهما تعلو فانها لأخمصيك تصلُ
قد قدّستك الانبيا من قبلُ وقد مشتْ قدماكِ اليك الرسلُ
تستنزلُ الوحيَ من الرحمانِ

سبحان من أرساك يا لبنانُ فليس زوالٌ ولا بركانُ
فيك ولا غيضٌ ولا طوفانُ بل كلُّ ما فيك هو الامانُ
وطيّب الآمال والاماني

وقد رثاهُ الشاعر الرقيق الياس افندي فيّاض بقصيدة مؤثرة اوّلها:

لا تبكوا فاليومَ بدء حياتهِ انَّ الاديبَ حياتُهُ بمماتهِ

(له بقيّة)

لمحة تاريخية

في دير سيدة المعونات (او البنات)

مركز رئاسة الرهبانية اللبنانية المارونية العامة

بقلم حضرة الاب بطرس ساره الراهب اللبناني

توطئة

في مقالتي عن رحلة حضرة رئيسنا العام الاب المفضال اغناطيوس التنوري الى رومية (المشرق ٢٤ [١٩٢٦] : ٩٠) وعدت القراء بلمحة تاريخية عن دير سيدة المعونات مركز الرئاسة العامة الحالي وها انا قائم بوعدي فاقسم كلامي الى ثلاثة اقسام أنظرُ في الاول الى تاريخ الدير واصلهِ وتسميتهِ وفي الثاني الى كونهِ مركزًا للرئاسة العامة. وفي الثالث الى المدرسة الرهبانية المقامة فيهِ

١ً وصف دير سيّدة المعونات وما فيهِ

على رابية لا تعلو عن سطح البحر اكثر من مئة وخمسين مترًا قام دير سيدة المعونات بين واديَين من جانبيه الشمالي والجنوبي كانهُ النسر يحدج بناظريه بحر الروم

ويطلّ على مدينة الاثار الفينيقية جبيل امّ المدائن الساحلية التي قدّمت وما زالت تقدّم من الآثار الثمينة الى المتحف اللبناني ما يندر مثله ويُعدّ من اثمن التحف واعظمها قيمةً وقدرًا عند العلماء مما يدلّ على عظمة بيبلوس وفخامة بناياتها وتقادُم عهدها وعزّ ملوكها ورابطتهم الشديدة مع سلالات فراعنة مصر (المشرق ٢١ [١٩٢٣] : ٣٧٩ و٩٥٩ ثم ٢٢[١٩٢٤] : ٨١ــ٨٦). ينظر ذلك الدير الى تلك المدينة بعين كسيرة آسفاً على مجدها الغابر ذاكرًا ما نزل بها من نوازل الايام ونكبات الحروب وزلازل الارض التي دفنت عزّها طيّ الثرى

وكيفما اتّجه الناظر من تلك الصومعة رأى من حولها الآثار والمعابد القديمة المنبئة بما كانت عليه مدينة الفينيقيين وضواحيها من الرقي والحضارة وقد تحوّلت الى معابد ومزارات مسيحية. فالى الجهة القبلية ترى كنيسة القديس سمعان العمودي وهي عبارة عن معبد صغير تعلو سطحه قبّةٌ بيضاء مستديرة الشكل تحيط بعمود ضخم في داخلها علوه نحو مترين ونصف قام في وسط الكنيسة ذكرًا لعمود القديس سمعان الشهير بالعمودي (١ ولعلّهُ بقيّة من آثار هيكل قديم. وفي القرب من تلك الكنيسة معبد آخر للسيدة في غربيّهِ آثار قبو بجنبيّهِ يقال انه من بقايا دير على اسم القديس توما الرسول. وفي جانبهِ ايضاً معبد للسيدة تسمّيه العامة «سيدة المناخير» كانها كانت تشفي من علل الانف. وغير بعيد عن تلك البقعة معبد لمار شربل قائم في مغارة في الصخر فيها مذبح للقديس المذكور (٢ ومن هناك على رمية حجر تجد كنيسة قديمة في هضبة من الارض على اسم القديس نوهرا (٣

وفي سفح الوادي غربي الدير معبد للسيدة تسمّيه العامة سيدة الحنوفة. ومنه الى الغرب ايضاً في راس سهل جبيل كنيسة للقديس جرجس (٤ يجتمع فيها ابناء رعية السهل فيقوم بخدمتهم احد آباء الدير. والى الجهة القبلية من الدير مزرعة من املاكهِ سابقاً تسمّى قصروبا فيها آثار ثمينة على ما يقدّرهُ بعض العلماء الاثريين مؤخّرًا ولعلّ الحكومة تجري فيها الحفريّات. والى الجهة الشمالية من الدير في موضع يسمّى كفرصيّادا اي حقل

١) اطلب ترجمتهُ في كتاب اولياء الله في لبنان (ص ٣٨)
٢) فيهِ (ص ٣٩)
٣) فيهِ (ص ٤١) ٤) فيهِ (ص ١٧)

الصياد وفي كرم الدير كنيسة القديسة تقلا(١ وقبالتها على رابية اخرى كنيسة على اسم النبي الياس. ومنه الى الجهة البحرية معبد يسمّى ارطاميس ذكرًا لالهة وثنية تحوّل الى معبد للسيدة لم يبقَ سوى اثر منه يطلق الناس عليه اسم سيدة ارطاميس . ومنه الى الجهة الشمالية الغربية عين ماء عشترايل اي عشتروت الهة الزهرة وهي مشهورة بعذوبة مياهها المعدنية الصحيّة. والى الجهة الشرقية من الدير على بعد عشر دقائق موضع يسمى كفرقوق اي حقل الجرّة المكنّى بها عن حقل الفخّار يوجد آثار معبدين من عهد الصليبيين على ما نظن الواحد منهما على اسم مار جرجس والآخر للسيدة يسمّى بسيدة كفرقوق

فهذه الآثار كلها ترجّح قولَ بعض العلماء الزاعمين ان مدينة جبيل كانت تمتد من شاطئ البحر الى السهل الفسيح حتى الروابي المحاذية للدير كما ذكرنا . والعامّة ينقلون بالتقليد ان المدينة كانت تمتد الى الشرق على بُعد نحو ساعة ونصف من الساحل الى موضع يسمى الآن (بسوق الغري) لانه على ما يقال كان مختصًا ببيع الفراء. او الى محل آخر يسمى (رأس اسطا) يزعمون انها تصحيف رأس لوسطرا وانهُ يُكنى بهِ عن بعض اسماء جبيل

اما الدير القائم على احدى تلك الروابي كما قدّمنا فنظنّ ان بناءه كان على أنقاض تقادَمَ عهدُها وما زال فيهِ الى الجهة الجنوبية قسم من قبو قديم نُحتت فيه "مراعي" اي نوافذ الى البحر. ومما يدلُّ على قِدَمِهِ كنيسته القديمة القائم الان الى جانبها جناحه الشمالي فانها كانت مبنية على الصخر عرضها نحو عشرة اذرع وطولها خمسة عشر ذراعاً بهيئة ثلاثة اقبية متلاصقة تسمّى بعرف البنائين قصبات ينتهي كلٌّ منها بمذبح في حنيّة. وقد رأيت على شاكلتها عدة كنائس لبنانية قديمة منها كنيسة القديس انطونيوس في تنورين التحتا في وادي تنورين وكنيسة مار سركيس والسيدة ومار سمعان في الكفور وكنيسة القديس جرجس القديمة في احدن الملاصقة للكنيسة الحالية الكبرى فانك ترى في هذه الكنائس حتى الآن صورًا شرقية رُسمت على جدرانها وحناياها الداخلية قد طمستها يدُ العادين (٢ . وتاريخ الدير الذي نحن في صدده قبل

١) فيه ايضاً (ص ٤٩)

٢) راجع مقالة الاب لامنس في كنائس لبنان القديمة (تسريح الابصار ١ : ٨١)

استلام الرهبانية انه لا يعرف منه شيء. فهو كغيره من الآثار اللبنانية التي جارت عليها يد الدهر وتركت تاريخها مغلقاً

اما تسميته بدير البنات فلها تآويل مختلفة يتداولها الناس نعرضها على سبيل التفكهة فيزعم البعض انَّ بنات جبيل الفينيقيَّات كنَّ في ذهابهنَّ من بيبلوس الى زيارة الإلهة الزهرة في هيكل افقا يحملنَ ذلك الموضع مرحلةً يقمنَ فيها الالعاب والاغاني فدعي المكان باسمهنَّ. ويزعم غيرهم ان احد امراء جبيل المدعو يوحنا ويسميه العامة الملك يوحنا (وربما كان احد الامراء الصليبيين) قد انشأ ذلك المكان مصيفاً لبناته وسماه دار البنات. ويقول غيرهم ايضاً ان احد الامراء المتأخرين قد حوَّل تلك الدار الى دير اسكن فيه بناته البتولات على طريقة الراهبات العابدات فدعي الدير بدير البنات. لكنَّ كل هذه التآويل لا تتجاوز حد التخمين لان لا مستند لها سوى التقليد الذي تتناقلهُ العامَّة ولسنا نعرف ان في لبنان ديراً غير هذا قد اطلقت عليه هذه التسمية. وقد سألت حضرة الاب العالم البحَّاثة لامنس اليسوعي الواقف على اكثر الآثار اللبنانية رأيه في هذه التسمية فقال انه لا يعرف شيئاً عن اصلها انما يعلم ان اديارًا كثيرة في جهات العلويين وغيرها تسمى بهذا الاسم

وما زال هذا الدير معروفاً حتى الان عند العامَّة بدير البنات وقد كثرت تسميته بدير سيدة المعونات على السنة الرهبان ولاسيما بعد تعيينه مركزًا للرئاسة العامة اذ صارت الرسائل الرسمية تصدر عنه وتأتيه بهذا العنوان: جبيل — دير سيدة المعونات

والاديار المخصصة للسيدة العذراء كثيرة في الرهبانية منها دير سيدة الانتقال في طاميش ومشموشة وميفوق ودير سيدة النصر في نسيه وسيدة النجاة في بصرما (الكوره) ومدرسة سيدة النجاة في بقعه

وقد تسلَّمت الرهبانية بعد القسمة سنة ١٧٧٠ من يد الشيخ منصور الدحداح (١ الذي كان وكلهُ اليه الامير يوسف الشهابي ليسكن فيه الرهبان الذين يراهم مناسبين من اية رهبنة كانوا كما هو منطوق حجة التسليم من الامير يوسف الى الشيخ منصور

١) هو ابن يوسف الدحداح ابن الخوري جرجس توفي في عرامون سنة ١٧٨٠ وكان من وجهاء البلاد وعمادًا في عيلته (راجع تاريخ سورية جلد ٨ عد ١٠٦٠

المشار اليه فسلّم الدير الى رئيس الرهبانية العام الاب مرقس الكفاعي (١ بموجب صك لا يزال محفوظاً في خزانة الدير وهذه حرفيتهُ :

وجهُ تحرير الاحرف :

« هو اننا قد صلنا دير البنات بموجب تسليمنا بحجة من سعادة افندينا الامير يوسف المحترم حافظ هذه الحجة حضرة ابونا القس مرقس رئيس عام رهبنة البلدية اللبنانية المحروسة باقه ليسكن رهبانه بالدير المذكور. يجدّد ويعمّر ويكون ملكهم مستقيم لا يعارضهم معارض حسب مأمورية سعادته. وقد ترجينا حضرة الاب المذكور انه دائماً يشركنا بدعاء ودعاء رهبانهِ لنا ولوالدينا. وايضاً ترجيناه اذا احدًا (كذا) من عيلتنا طلب الدخول برهبنتهِ لا يكون عليهِ مانع واعطانا قول بذلك. وحرّرنا هذه الحجّة علينا برضانا وبتمام خواطرنا ونسمى قدامه حسب مقدورنا في افراضهِ تحريرًا في نصف شهر تشرين الثاني سنة الف وسبعمائة وسبعين مسيحية .

صح + كاتبه

مكان الختم منصور الدحداح

صحّ : وهذا التسليم لحضرة الاب العام المذكور ومديريه وخلفائهم من بعدهم يديروه كيفية ديورتهم»

ولما استلمته الرهبانية لم يكن فيهِ سوى بعض قلالي والكنيسة القديمة المتقدّم ذكرها فأحدث الرؤساء فيه بعض اصلاحات بسيطة وبقي من احقر الاديار واصغرها لا يسكنهُ غير عدد قليل من الرهبان. واذكر انني دخلتهُ مرةً قبل تجديد بنائهِ فأثّر فيَّ منظرهُ وحالتهُ الفقريّة وكدتُ ورفيقي لا نتمكن من المبيت فيه. وكان الرهبان يسمونه تصغيرًا وتحقيرًا له دير بنوت او دير البلّانة لكثرة ما حواليهِ من البلّان والاحراج الكثيرة الاشواك

واذ رأى الرؤساء حسن موقع الدير وقربه من مدينة جبيل على عزلته ووحدته وجهوا اليه العناية بتجديد بنائه وكان اول الساعين لذلك والشارعين به المرحوم الاب اسطفان البنتا علي والاب نعمة الله الكفري برئاسته العامة على الرهبانية (المشرق٤[١٩٠١]: ٨٧٢)

١) هو اول رئيس عام على رهبانيتنا بعد القسمة وقد شغل عدة وظائف في الرهبانية ومكث رئيساً عاماً مدة اربعة مجامع متقطعة اي ١٢ سنة اولها ١٧٦٩ واخرها ١٧٩٦ وانشأ دير ميماد وبنى كنيسة دير بير سنين قرب مجدل معوش

وقد ساعدهما في العمل حضرة الاب يوسف رفول الاجبعي الذي رأس الرهبانية من السنة ١٩٠٤ الى ١٩١٠ ورئيس الدير وقتئذٍ المرحوم الاب حنا الشبطيني فقامت قلايه في ممشيين او رواقين من الجهتين الجنوبية والغربية على اقبية متينة . وبقي على هذه الصورة مدةً من الزمان لا يصلح الّا لسكن عدد قليل . ورغماً من عدم اتساعه وقلة مداخيله عيَّنهُ الزيارة الرسولية في السنة ١٩١٠ ديرًا من جملة الاديار المخصصة لحفظ القوانين بالدقة والنشاط . واقامت عليهِ رئيساً حضرة الاب عبد الاحد مطر التنوري استاذ المبتدئين اليوم في دير كفيفان . وكان رهبانه عائشين العيشة المشتركة كما يفرضهُ القانون بالاقتصاد والمحبة الاخوية ويقومون بخدمة بعض الرعايا المجاورة لهم

٢ً دير سيدة المعونات مركز الرئاسة العامة

لم يكن مركز الرئيس العام في اول نشأة الرهبانية معيَّناً في دير واحد بل كان يتغير ذلك المركز بتغيير الظروف والاحوال كما يروي لنا تاريخ الرهبانية . فان البطريرك اسطفان الدويهي بعد ان قدم للمؤسسين دير مُرّت مورا قرب اهدن رأى ان عددهم يزداد فسلّمهم دير مار اليشاع في الوادي المقدس فجعلوهُ مركزاً عقدوا فيه مجامعهم الاولى وفيهِ انتخبوا في مجمعهم الاول في العاشر من تشرين الثاني الاب جبرايل حوا رئيساً عاماً . والاب عبدالله قرا ألي مدبرًا ورئيساً على الدير نفسه . والاب فرحات مدبرًا ورئيساً على دير القديسة مورا . وفي دير مار اليشاع عُقد المجمع الثاني العام في السنة ١٧٠٢ وفيه تجدَّد انتخاب الاب عبدالله قرا ألي رئيساً عاماً اذ كان قد انتخب قبلًا بدلًا من الاب جبرايل حوا الذي عزل عن الرئاسة بمجمع خاص قبل اوان المجمع العام لانه كان يريد تحويل الرهبانيَّة من نسكيَّة الى رسولية بحتة

ثم انتقل مركز الرئاسة العامة على ما يظهر الى دير قزحيا بعد استسلامهِ من المطران يوحنا حبقوق البكفاوي الاصل فعقدت فيه المجامع السنة ١٧٠٨ و١٧١١ و١٧١٤ وفي كلها كان يجدَّد الانتخاب للاب عبدالله قرا ألي (المشرق ١٠[١٩٠٧] : ٦٢٥ الخ)

ولما استلمت الرهبانية السنة ١٧٠٧ دير سيدة اللويزة (١ في معاملة كسروان

١) هو الدير الذي انعقد فيهِ المجمع اللبناني ١٧٣٦ موقعهُ على رابية تشرف على البحر غير بعيدة عن الضيعة وهو الان مركز الرئاسة العامة للرهبانية الحلبية

من مؤسسه الشيخ سلهب من بيت الحاقلاني (زوق مصبح) عيّنه الرئيس مركزاً له بدلاً من دير قزحيا هرباً من جور الحكام وظلمهم في جهات الجبّة. وبعد قسمة الرهبانية الى حلبية وبلدية (١ سنة ١٧٦٨ جعل الرهبان اللبنانيون الذين تلقّبوا بالبلديين دير سيدة طاميش مركزاً لرئيسهم العام وهذا الدير وهبه لرهبانيتنا قبل القسمة المثلث الرحمات المطران جرمانوس فرحات في اواخر حزيران سنة ١٧٢٧ اذ كان قد جعله كرسياً لاسقفية حلب وقد أسسه المطران جبرايل البلوزاوي في السنة ١٦٧٣

واستمرّ دير طاميش مركزاً للرئاسة العامّة الى السنة ١٩١٣ التي فيها تسمّى من المجمع المقدّس حضرة الاب اغناطيوس التنوري المشهور بتقواه رئيساً عامّاً على الرهبانية. وكان قبل انتخابه معلماً للمبتدئين في دير كفيفان. وأعلنت الزيارة الرسولية تسميته في جلسةٍ حافلة في دير سيدة نسبيه بحضرة سيادة رئيس الزيارة الرسولية القاصد الرسولي فرديانو جيانيني وبوقتهِ تعيّن من المجمع المقدّس نفسه دير سيدة المعونات مركزاً للرئاسة العامّة. على انهُ لم يكن بعدُ لائقاً بمثل هذا المركز من حيث بنائهِ وتجهيزهِ بالاثاث اللازم لكنهم اعتبروا فيهِ موقعهُ المتوسط بين اديار الرهبانيّة وقربهُ من الساحل. وقرّرت الزيارة في جلستها تلك ألّا يُجعل الدير الذي يُقيم فيه الرئيس العام ومديروه رئيسٌ خاصٌ كما كانت العادة من قبلُ بل الرئيس العام نفسهُ يقوم مقام الرئيس الخاص وهو يعيّن للدير وكيلاً او نائباً عنهُ يُعنى بادارة الاملاك وقيام النظام الداخلي

ولمّا كانت حالة الدير على ما قدّمنا من الفقر وعدم اللياقة بمركز رئاسة الرهبانيّة اخذ الرئيس العام الحالي بواسطة ساعدهِ القويّ الاب الغيور العلّامة مرتيتوس طربيه الوكيل العام يُعنى بتحسين داخليّة الدير وتوسيعه واتمام بنائه فاكمل اوّلاً المشى الشمالي الذي لم يكن بعدُ تامّاً واقام لهُ في صدرهِ كنيسةً فخمة للجهة الشرقية تربط جناحيه القبلي والشمالي. ولا يقع عليها نظر الداخل حتى يرى فيها مسحةً من الفخامة على بساطة هندستها. وقد قام مذبحها الرخامي الكبير الى الجهة الشرقية في وسط حنيّةٍ على اسم السيدة العذراء ومن ورائهِ الموقه (الكرستيا) وفيه خزانة الآنية المقدسة على احسن

١) صارت هذه القسمة في دير حريصا للآباء الفرنسيسكان سنة ١٧٦٨ بحضور البطريرك يوسف اسطفان وقد اثبتها البابا اكليمنضوس الرابع عشر في ١٧٧٠

ترتيب والى جانبيه الايمن و لايسر نُصبت المذابح الصغيرة بسيطة الشكل نظيفة . وقد فُرش صحنها بالبلاط الرخامي الابيض ورُسمت على نوافذها الزجاجيـة الملوّنة صورتا القدّيسين بطرس وبولس في واجهتها الغربية وصورة القديس يوسف وانطونيوس الكبير ابي الرهبـان وبولا اول الحبـاء وصورة قلب يسوع الاقـدس في الجانبين الجنوبي والشمالي . وهذه الصور كلها من صنع احـد ابناء الرهبانيـة الاخ نعمة الله المعادي الذي ابتدأ بدرس فنّ التصوير على جناب المصوّر الشهير في بيروت الخواجـا حبيب سرور ثمّ اكمل درس هذا الفنّ في بلجيكا على اشهر المصوّرين وهو يتقن فنّ النحت ايضاً . وامـام باب الكنيسـة الكبير انبسطت ساحة الدير الداخليّة الفسيحـة وفُرشت بنضوب الزهور الملونة الاشكال والذكية الرائحة قامت في مقاطيع واحواض تدلّ على حسن ذوق في ترتيبها وهندستها وتسبّح بنضارتها وجمالها ربّ الخلائق الناظر من هيكله اليها . وكان المرحوم بولس الغلبوني رئيس جمعية الانفس المطهرة ووالـد الاستاذ يوسف الغلبوني من اول المعتنين بتربية تلك الزهور وبزراعـة بعض البقول والاشجار في خارج الدير وداخله اذ كان قد انحاز اليه واقام فيه مدة الحرب الكونية

وما كاد الرئيس العام يتمّ بناء الدير والكنيسة حتى شبّت نار الحرب وكان مـا كان من امر ويلاتها وألم نكباتها . وكان موقف الرئاسة العامة في وسط تلك معمعة الضيق والشدة من اصعب المواقف واكثرها خطراً وحراجةً لانه فضلاً عن كونه مرجعاً لشؤون الرهبانية به تتعلق سياستها الخارجية والداخلية كان في الوقت نفسه موئـلاً لجميع اللاجئين اليه من ابناء الطائفة وغيرها ممّن عضّهم الجوع او اضطرتهم حاجةٌ وداهمهم خطر .

ولمّا اشتدّت الضائقة واخذ منجل الموت يحصد الناس حصداً ألهم الله رجـل الغيرة والهمة الناهضة حضرة الخوري بولس عقل وقتئذٍ (المطران بولس عقـل اليوم) امين سر البطريركية المارونية ان يخوض غمار تلك المعمعة مفادياً بنفسه . وبعـد ان طرق ابواب الكثيرين من ذوات الثروة في بيروت ولبنان ولم ينل منهم مـا يفي بمراده فتح الله له باب المخابرة بطريقة سرّية مع حاكم جزيرة ارواد القومنـدان ألبر ترابو حاكم لبنان بعد الحرب فاتى حضرته اذ ذاك دير سيدة المعونات وكاشف الرئيس العام بما عنّ له وبوجوب استدراك الامر لحفظ ما بقي من الشعب المسكين المعرّض الى

الدمار والهلاك. وقال له: «ان لا سبيل الى النجاة الّا بالانتماء الى الدولة الافرنسية» واقترح عليه عقد قرض مالي من الوزارة الخارجية الافرنسية بواسطة حاكم الجزيرة المشار اليه وذلك اقاء سند على الرهبانية بمبلغ كبير يكون مضموناً باملاك الرهبانية كلّها. فوقف الرئيس العام عند هذا الامر الخطير وقفة المتأمل الحائر. لكنه نظر الى حالة البلاد بعين الاشفاق وتغلّبت عليه عاطفة الحنان فلم يتمالك من قبول ذلك رغم ما هنالك من عظم المسئولية والخطر الوشيك الهاوي بالرهبانية وبالبلاد باسرها الى مهاوي الموت الزؤام بين ايدي جمال السفّاح. فتأنّى الى الله تعالى واستسلم الى ارادته القدوسة. وقنّا انه بحسنة الفقراء والعيال التي ستنقذ من مخالب المنون يوفقه المولى الكريم الى ما به الخير والنجاة

وبعد استشارة غبطة السيد البطريرك الكلي الطوبى وسيادة القاصد الرسولي رئيس الزيارة الرسولية السامي الاحترام أقدَمَ الرئيس العام على توقيع ذلك السند وسلّمهُ لحضرة الخوري بولس عقل الذي ارسله بطريقة خفية الى المسيو ترابو وهذا ارسلهُ في الحال الى الوزارة الخارجية فكان له اشدّ وقع وتأثير عند اولياء الامر في فرنسة صديقة لبنان ومحاميته القديمة. فتناقش المجلس في شأن ذلك واقرَّ تخصيص مبلغ من المال يُرسل تباعاً عن يد حاكم جزيرة ارواد ليوزّع احساناً على فقراء الجبل. وهذه ترجمة السند المحكي عنه:

«نحن الموقعين بذيله الاب اغناطيوس التنوري رئيس الرهبانية اللبنانية المارونية العام نسأل الحكومة الافرنسية قرضاً قيمة مليون فرنك لكي يوزع على الفقراء والمحتاجين ونقدم ضمانة لهذا القرض املاك الرهبانية. وبما انه يتعذر علينا المخابرة رأساً مع الحكومة الافرنسية في الشروط اللازمة لهذا القرض نكلّف جناب المسيو ترابو حاكم جزيرة ارواد الذي لنا فيه كل الثقة ان ينوب عنا في هذا الامر. والضمانة المشار اليها في السند تقع على القيمة التي تصل ونعطي علماً بها تحريراً في تشرين الثاني سنة ١٩١٦

الاب اغناطيوس التنوري
اب عام لبناني

وبعد ان اطّلعت الوزارة على هذا السند اكبرَتْ تلك العاطفة وتأثرت لذلك الطلب فجادت على اصدقائها اللبنانيين بما امكنها من المال الذي كانت تقدمه عن

يد حاكم جزيرة ارواد وهذا يرسله بطريقة سرية الى معتمدين معينين من قبله ليقوموا بتوزيعه على الفقراء والمحتاجين. وقد ارجعت الدولة الافرنسية السند الى حاكم الجزيرة الذي ما زال يحفظه بين اوراقه وقد وعد الرئيس العام بارجاعه اليه

ولما جاء الرئيس العام بيروت بعد الاحتلال لزيارة بعض المقامات الرسمية في فرصة الاعياد السنوية من السنة ١٩٢١ زار حاكم لبنان الكبير القومندان ترابو وهنأ كلٌ منهما صديقهُ بالنجاة من معركة الحرب الهائلة وبالفوز بالنصر الباهر. وشاء الحاكم ردّ الزيارة للرئيس العام في مدرسة الرهبانية اللاحقة بكلية القديس يوسف فاستُقبل بكل حفاوة واكرام وبعد خطاب الترحيب شكر المحتفين به واثنى على الاكليريكيين دعاة الدين وانصاره. ثم التفت الى الرئيس العام وقال له:

«من الثابت عندي انك كنت في ايام الحرب من اقرب المساعدين لنا على عمل الخير فاني احفظ لك عن ذلك اجمل ذكر. ولستُ انسى ذلك السند الذي ارسلتهُ اليَّ وبه تطلب مليون فرنك تستدينها لاجل اغاثة فقراء وطنك. فالحكومة الفرنسية مع تقديرها عملك لم ترضَ ان تكون اقلَّ كرماً منك فتبرَّعت به. على ان فضلك ثابت ومستحق اعظم الثناء. فاني اشكر لك تكراراً كل ما اصطنعتهُ ايام البؤس من الخير الى البؤساء المساكين. والاوراق التي ارسلتها اليَّ اثناء الحرب وانا في جزيرة ارواد لم تزل بيدي وسارجعها اليك مشفوعة بالشكر لغيرتك على ابناء وطنك العزيز»

وقد علّقت جريدة البشير على هذا الخطاب في ٨ كانون الثاني سنة ١٩٢١ في عددها ٢٦٦٤ النصّ التالي:

«في تشرين الثاني ارسل حضرة الاب اغناطيوس التنوري الرئيس العام على الرهبانية البلدية المارونية يطلب من الحكومة الفرنسية ان تقرضهُ مبلغ مليون فرنك ليوزع على فقراء لبنان. وكلّف القومندان ترابو حاكم ارواد آنئذٍ ان يفاوض حكومتهُ جدّ الشأن. وارسل اليه سنداً موقعاً بامضائه وفيه يتعهد بقبول كل ما تشترطه الحكومة ويضع جميع املاك رهبانيته ضمانة لذلك القرض. فكان ان الحكومة الفرنسية لما رأت هذه الاريحية عمدت الى تقديم المبلغ المذكور لا قرضاً بل تبرعاً واخذت ترسل منهُ تباعاً الى القومندان ترابو وهو يوصله بواسطة معتمدين من قبله الى الفقراء والمحتاجين. فكان السعي المذكور من احدى مآثر الاب الرئيس العام العديدة في سبيل اغاثة فقراء البلاد»

على ان الدولة الفرنسية لم تتمكن من ارسال كل ما كانت قررته لما كان في طريقة ايصاله من الخطر. وكثيراً ما تعرّض البحّارة الى الموت غرقاً او حرقاً بنار

الاعداء ليوصلوا تلك الحسنات والامانات الى مستحقي توزيعها . ومن اراد الوقوف على خطورة هذا الحادث التاريخي عليه بمراجعة المذكرات اليومية الكثيرة التي يحفظها سيادة المطران بولس عقل بطل تلك المعركة منظمة بكل دقة وحرص ويكاد يؤلف منها مجلداً ضخماً وقد نشرت قسماً منها جريدة الوطن الغراء.

وكان ذلك الداهية والطاغية جمال باشا قد لحظ من بعض ما كان يجري حواليه من الحوادث انْ لا سهر ولا تشديد في بعض النقاط العسكرية المقامة على الشواطئ فاصدر اوامره مشددةً بهذا الشأن وأوجب تكثير الدوريات الليليَّة على السواحل . وقد غشيت الجنود مراراً دير سيدة المعونات مدفوعين بوشاية الواشين او لمجرَّد وهم قام في رؤوس بعض الولاة من ذوي الاغراض والمطامع . فصدر الامر غير مرة بتفتيش الدير لانهم توهموا ان فيه تلغرافاً لاسلكياً به تصير المخابرة مع الدوارع المسافرة في عرض البحر فيطَّلع العدو على اخبار البلاد ويقف على حركات الجيش ومواضع الخنادق والتحصينات . وبعد التفتيش تبيَّن ان ذلك وهمٌ لا حقيقة له . وكانوا يمنعون الرهبان من إشعال مصابيحهم ليلاً في قلاليهم المشرفة على البحر . واضطرَّ مرة احد الاخوة ان يسير بمصباحه لغرض يريدهُ خارج الدير في ليلة ممطرة فاتى الامر في صباح الغد من مدير جبيل مشدَّداً بإطفاء جميع المصابيح ليلاً وذلك تحت اشدّ المسئولية

وقد طُلب الرئيس العام مرة الى جونية عند القومندان توفيق بك التركي ليؤدي جواباً عن احد الآباء الرهبان وكان ذلك الطلب مُجحفاً بحقّ مقام الرئاسة ومؤثراً في قلوب جمهور الدير وسكان مدينة جبيل فلم يحفل به الرئيس اذ كان مسلّماً امره لله تعالى في كل ما يحدث له فاتى جونية وعاد من عند القومندان مسروراً موفقاً

وكان قد لاذ بالدير فراراً من ظلم الاتراك والتجند لهم بعض ابناء البيوتات والعيلات المشهورة في الجبل منهم نجلا المرحوم فؤاد السعد شقيق سعادة حبيب باشا احد اعضاء مجلس الاعيان ونائب الرئيس فيه حالياً . وكان عمُّهما نجيب بك قد اتى بهما الى الرئيس العام فقبلهما بتمام الارتياح واقاما كل مدَّة الحرب متخفيَّين بالثوب الرهباني انتحل احدهما راجي اسم الاخ يوسف والثاني امين اسم الاخ بولس وهو اليوم عضو مستنطق ونائب رئيس في محكمة الاستئناف ببيروت وقد نال مؤخراً شهادة الاستاذية في الحقوق من جامعة باريس . وكان كلا الاخوين صابراً على مضض تلك

الايام كل تلك المدة . وكان في رفقتها بضعة اشهر الدكتور روفايل صالحه من وجهاء صور والخواجا الياس كوسا شقيق حضرة الاب الفاضل كيرلس كوسا كاتب اسرار القصادة الرسولية في سورية

وكان حضرة الاب همتره مدير المدرسة الاكليريكية الشرقية في كلية القديس يوسف قد طلب من الرئيس العام على اثر تسليم المدرسة الكلية للحكومة واقفالها ان يقبل عنده بين الاخوة الدارسين في ديره بعض الاكليريكيين الذين لم يتمكنوا من الذهاب الى بلادهم لان اكثرهم كانوا من الموصل وبغداد . فاجاب الرئيس طلب الدير بتمام الارتياح رغم كثرة جمهور الرهبان وقلة الغرف المجهزة لقبول اولئك التلاميذ الذين لم يكن عددهم ينقص عن العشرة اذ انضمّ اليهم غيرهم من رفقتهم اللبنانيين . وكان جمهور الدير في ذلك الحين مؤلفاً من حاشية الرئيس العام وهي المدبرون الاربعة والوكيل العام وكاتب الاسرار ومن الآباء مستلمي ادارة المدرسة كالمدير والاساتذة والاخوة العملة والرهبان الذين يتعاطون اشغال الدير الداخلية والخارجية مما لا يقلّ عن المئة نفس ما عدا الخدم والضيوف والفقراء الطارقين باب الدير في كل يوم . وكانوا جميعهم يعيشون رغم ضيق تلك الايام بالخير والبركة والطمأنينة شأن الاخوة يضمّهم بيت واحد . والرئيس العام كان لهم من اعطف الاباء واشفقهم يسير امامهم في جميع الواجبات صابراً وشاكراً الله تعالى ومسلماً الى عنايته القدوسة في كل شيء .

وقد شكاه بعض الوشاة انه يقبل في ديره بعض الفارين من وجه السلطة فخاف من تلك الوشاية ولكن الله الذي القى كل اتكاله عليه خلصه من تلك التهلكة وانقذه والرهبانية من الأهمّ منها . وما شعر مرةً بداهمة خطر او محنة الّا وهرع الى الكنيسة يناجي القربان المقدّس من اعماق القلب سائلاً مَلِك الحب والسلام ان يعيد الى العالم سلامه ويحفظ الكنيسة والطائفة وغبطة بطريركها المبجّل وساداتها والرهبانية وجميع ابناء البلاد من شر الحروب ويلاتها . وكان يستقبل جميع المحتاجين والفقراء المستغيثين به باحشاء الرحمة كاخوة يسوع المسيح ويحنّ اليهم ويحرم نفسه طعامها مرات ليقدّمهُ لهم . وقد وجّه رسالة مستفاضة الى ابناء الرهبانية ورؤساء اديارها ضمّنها خلاصة ما في قلبه الابوي من الشفقة على المساكين ومحرضاً الرؤساء على العناية بالبؤساء والتصدق عليهم . وكنت أودّ أن آتي على ايراد بعض مقاطيع من تلك الرسالة فاكتفي منها

لضيق المقام بهذه العبارة :

«وقد اوصيناكم ايها الآباء الاعزاء ان تقتصدوا في معاشكم وتقتروا على نفسكم لكي تتمكنوا من مساعدة بعض اهل الفاقة وسدّ رمقهم . واننا قد اجزنا من طيبة خاطر لكثير من الاديار بيع بعض ممتلكاتها وحاصلاتها وبذل كلّ ما استطاعت من الاموال في التصدق والاحسان ولم نبلغ بذلك الوطر اذ ضاق ذرعنا سدّ حاجات الالوف الطارقين بابنا . ولكنا اذا اعطينا الفقير والمحتاج ونحن لا نستطيع ان نكفيه كل حاجة نعطيه نصف نفسنا ونشركه بروحنا فكانت تعزية قلبنا بالاخص في تقديم الحسنة الروحية بتعزية البائسين ومواساة الحزانى ومداواة جراحات نفوسهم بيلسم الارشادات الروحية . وقد تعزّت نفسنا ايضاً بتلبية الرؤساء والمرؤوسين اوامرنا وتوصياتنا بأن كسروا للفقراء ليس فقط الخبز المادي لحياة الجسد الفاني بل ايضاً الخبز الروحي لحياة النفس الخالدة »

ولو جئت اعدد مفصلاً جميع الحوادث المؤثرة التي كانت لها علاقة في مدة الحرب بمركز الرئاسة العامة والرسائل التي كانت ترده او تصدر عنه لاستلزم ذلك مجلداً ضخماً بل مجلدات فبالتلميح غنى (البقيّة للآتي)

نظر عام في احوال العام

للاب لويس شيخو اليسوعي (تتمّة)

٢ً اميركة الشماليّة والمركزيّة والجنوبيّة

﴿ الولايات المتّحدة ﴾ بلغت من الرقي المادّي درجةً لم تبلغها دولة أخرى لاسيما بعد الحرب الكونية التي جعلت الدول الاوربية مدينةً اليها بديون باهظة تئن تحت عبئها . ويا ليت رقيّ البلاد الادبيّ يجاري ذاك الرقيّ المادّي . وهيهات فانّ ارباب الدنيا والدين كثيراً ما يأسفون على ما يجري في انحاء الدولة من تفاقم الشرور وتقهقر الآداب على الرغم من احتياطات اصحاب الامر

ولاميركة الشمالية اعداء اقرب اليها يحذرون نفوذها وبسط سيطرتها على اوطانهم . وزيد بهم اهل اميركة المركزيّة واميركة الجنوبية تودّ بلاد الشمال ان تنضمّ اليها البلاد الجنوبية لتقوى بها العصبية الاميركية لولا اختلاف العنصرين

السكسوني واللاتيني اللذين يصعب ائتلافهما . وقد رأت الولايات المتحدة في سوء معاملة المكسيك لمواطنيها وفي ثورة نيكاراغوا وانتشار المبادئ البولشفيكية في جنوبي اميركة ما يمهد لها السبيل الى تنفيذ مآربها

وقد جرت في الولايات المتحدة انتخابات جديدة لمجلس النواب ولثلث مجلس الشيوخ في ٢ من تشرين الثاني فكان الفوز لحزب الديموقراطيين على الجمهوريين . وكان فيها لكثير من الكاثوليكيين امتياز خاص . لاسيما الرجل المقدام البرت سميث الذي تكرَّر انتخابهُ للمرَّة الرابعة كحاكم على نيويرك

ولا يسعنا الَّا الشكر لله عما نالتهُ الكنيسة الكاثوليكيَّة من المجد الباهر في مؤتمر شيكاغو القرباني فانَّ الحفلات التي جرت هناك في العقد الثالث من شهر حزيران كانت افخر واشرف المجالي الدينيَّة التي سبقت في انحاء المعمور اذ اجتمع نيف ومليون من النفوس ليكرّموا سرَّ محبَّة ابن الله في قربانهِ . فكان للكردينال ممثل الحبر الاعظم استقبال ملكي في عاصمة البلاد والتف حولهُ ١٠ كرادلة و٤ قصَّاد رسوليُّون و٥٧ رئيس اساقفة و٢٥٧ اسقفاً والوف من الكهنة . فعُقدت الاجتماعات الدينيَّة الفخمة وطيف بالقربان بأبهة ورونق لم يُعهد لها شبيه . وقد شاركت الدولة هذه المظاهرات بحضور كثير من اربابها في مقدَّمتهم نائب رئيس الحكومة الذي قرأ باسم رئيسه رقيماً طافحاً بشعائر الاجلال والاكرام للحبر الاعظم وللدين الكاثوليكي . وقد نشرت الجرائد والمجلَّات على خلاف نزعاتها واديان اهلها مقالات تعظّم الكثلكة وتطرئ نظامها ورتبها واسرارها . فلا شكَّ ان هذا المؤتمر سيبعث في قلوب الاميركيين اعتباراً عميقاً للكنيسة الرومانية التي عليها اليوم المعوَّل في نشر المدنيَّة الصادقة وتعزيز الادب المبني على روح الدين . ومما يحقق آمالنا الانباء المتواترة التي تنقلها الصحف عن اهتداء الوف مؤلفة من الاميريكيين الى حجر الكنيسة بينهم علماء وانصار مذاهب شتى

﴿كندا﴾ جرت حفلات عظيمة في انحائها لاكرام الشهداء اليسوعيين الذين اعلن بتطويبهم الحبر الاعظم . وقد جرت بشفاعتهم كرامات ومعجزات دفعت رؤساء الكنيسة هناك الى ان يطلبوا من رومية تثبيتهم كقديسين وهو شرف لم تنالهُ بلاد كندا حتى الآن . ومن المرتدين هناك للدين الكاثوليكي قرينة اعظم اساقفة الانكليكان في اونتاريو السيدة بدوَل اذ لم يُقنعها زوجها بصحَّة دينهِ

﴿المكسيك﴾ في السنة المنصرمة قامت قيامة الماسونية في تلك الجمهوريّة التي تولى فيها الرئاسة اليهودي الماسوني بلوتركِ الياس كالّس. فاعلن الحرب للدين ولاربابهِ ولكلّ تبعتهِ فاراد ان يُجري في تلك البلاد الكاثوليكيّة السُّنن الجائرة. واذ تصدّى لهُ كل رؤساء الكهنوت ومعظم الشعب جاهر باضطهادهم فطرد ممثّل الكرسي الرسولي واوقف الصحافة الحرّة وحبس الاساقفة والكهنة ونفى منهم وقتل منهم واستصفى اموال الكاثوليك وضبط كنائسهم واقفل مدارسهم فاحتجّ الحبر الاعظم على تلك الفظائع وجاراهُ العالم الكاثوليكي بل العالم المتمدّن ما خلا الماسونيّة التي اهدَتهُ وسامها الشرفي . على انّ اعماله هذه قد نفّرت منهُ القلوب وقام اصحاب المروّة والتعقّل من ضبّاط وتجّار وصنّعة فمنهم من استعدّ لمحاربة الحكومة ومنهم من قاطعها ومنهم من عارض مساعيها علانيةً مفضّلًا الطاعة لله على الرضوخ لاوامر الناس. والامل معقود انّ هذه السحابة تنقشع عمّا قريب فتنتصر الكنيسة ويذلّ اعداؤها شاؤوا ام أبوا لان الله لم يَمت

﴿نيكاراغوا﴾ تعيّن رئيساً على هذه الجمهوريّة السيّد اميليان شامورو في ١٦ ك٢ من السنة الماضية. وتلك البلاد يتنازعها حزبان. حزب موالٍ للولايات المتحدة وحزبٌ ثانٍ ينتمي الى المكسيك ويعضدهُ دعاة البولشفيك واصحاب الثورة. فتوتّرت الاحوال وحدثت عدّة مناوشات اوجبت الولايات المتحدة ان تستعدّ لكل طارئ للمدافعة عن حقوقها

﴿البرازيل﴾ لم تخلُ البرازيل من حركات ثوريّة وفتن يهيجها ذوو المطامع وذلك بانتصار الحزب المحافظ في الانتخابات الحديثة حيث وقع الاختيار على السيد الرشيد «واشنفتون لويز بيريرا دا سوزا» في غرّة آذار الاخير على انّ الحكومة ساعية في اخماد نيران الثورة في جنوبيّ البلاد لتعيد السكينة الى الاهلين

والبرازيل احدى الجمهوريّات الاميركيّة الناهضة ذات التجارة والصناعة المتّسعتين. ومن صادرات البرازيل المهمّة القطن الذي تستغلّ منهُ في السنة نحو ١٥ مليون بالة. واعظم منهُ شأناً البنّ الذي تستثمر منه البرازيل ثلثة ارباع مجموعهِ في العالم. فانّ ما يُجنى منهُ في المعمور نحو ٢٥ مليون كيس تبلغ حصّة البرازيل وحدها ١٨ مليون من الاكياس

وقد نشر المشرق في هذا العام (٢٤ [١٩٢٦]: ٦٨٧ــ٦٩٧) مقالة حسنة عن سان باولو من حواضر البرازيل توقف القراء على رقيّ تلك الدولة في معارج الفلاح

﴿بوليفية﴾ تعيَّن لرئاسة جمهوريَّتها في ٣ ك ١ ١٩٢٥ السيد فرديننـدو فيلاس الذي يجري في سياسة بلاده على طريقة احكم وأشرف واحزم الرؤساء. فقد اهتمّ بتعزيز الدين وكرّس جمهوريَّتهُ اقاب يسوع الاقدس بحضور السفير البابوي

٣ افريقية

﴿افريقية الشمالية﴾ صارت اليوم تحت نفوذ الدول الاوربية التي استولت على بعضها او مدت عليها حمايتها فاستمدَّت منها روحاً جديدة

﴿الجزائر﴾ منذ تملَّكت عليها فرنسة سنة ١٨٢٧ قد بلَّغتها في مئة سنة درجةً من التمدُّن لم تعهدهُ منذ العهد الروماني. فانَّ غلاتها من القمح سنة ١٩٢٦ زادت ٨٥ ضعفاً على ما كانت في زمن سادتها السابقين. وزادت كرومها وخمورها ٤٥ ضعفاً وزيتها ٤٣ ضعفاً وبقولها سبعة اضعاف. وقس عليها التجارة والصناعة والابنية الجميلة والتعليم. ويا ليت فرنسة كانت تركت للكنيسة الكاثوليكية ومرسليها حرية اعظم في تهذيب اهل تلك البلاد

﴿تونس﴾ هي تحت حماية فرنسة. يحكمها الباي مولى محمَّد الحبيب الذي يجد من عمَّال دولتها كل اعزاز ويناصرهم في خدمة وطنهِ وهو يقرّ انَّ بلادهُ نالت من فضل فرنسة ما لم تحلم بهِ بما ادخلتهُ فيها من ضروب اسباب الرقي. ويعود قسم صالح من هذا الرقي للكنيسة ولجمعية الآباء البيض الافاضل ولمنشئها الكبير الكردينال لافيجري الذي أُقيمت لتذكار مولدهِ حفلات عظيمة في اواخر السنة ١٩٢٥ ثمَّ في اوائل العام الماضي وقد اتَّفقت الكنيسة والدولة في اطراء ذلك البطل ملغي النخاسة في افريقية ومنشئ مدرسة القديسة حنة في الصلاحية في القدس الشريف

﴿مراكش﴾ قامت قبائلها باغراء الزعيم عبد الكريم عثرةً في سبيل حمايتي فرنسة واسبانية ودامت الحرب مع الثوار نحو سنتين الى ان خمدت لظاها واستسلم الزعيم فقدَّم الخضوع للجنرال بواشو في ٣٠ أيار فعاملتهُ الدولة الفرنسويَّة بكل حلم وانَّما ابعدته مكرَّماً الى مدغسكار واسكنتهُ في قصر جميل

والمالك على مراكش هو السلطان مولاي يوسف منذ السنة ١٩١٢ . قد زار باريس في الصيف الماضي وحضر تدشين الجامع البديع الذي شيدتهُ الدولة الفرنسوية للمسلمين في العاصمة فكان لهُ احسن استقبال حيثما حلّ مع حاشيتهِ

﴿طرابلس الغرب﴾ مكّنت ايطالية فيها سلطتها . وقد اراد موسوليني ان يظهر فيها ما لدولة بلادهِ من الرونق والبهاء فزارها وحصلت لهُ بزيارتها مظاهرات حافلة

﴿الصحراء﴾ تمكّن الفرنسويون من قطع الصحراء بالاوتوموبيلات وبلغوا الى مستعمراتهم في داخل البلاد حتى تومبوكتو . وقد وقفوا بذلك على طرائق جديدة لتحويل تلك القفار الى اراضي خصبة

﴿الحبشة﴾ تملك عليها الامبراطورة كويزيرو زاوديتو منذ السنة ١٩١٧ ويدبّر امورها وليُّ العهد الذي زار اوربّة في العام الماضي . وقد تخوّف ارباب الامر من المعاهدة التي عُقدت مؤخرًا بين ايطالية وانكلترة فاسرعت الدولتان وهدّأتا خوفهم

﴿مصر﴾ قد خمدت نوعاً الحركة الوطنيّة التي كان الحزب الزغلولي اثارها بعد فوزهِ بالانتخاب الاخير ضدّ الاحتلال الانكليزي وارباب . فكأن زعماء هذا الحزب ادركوا الخطر الذي يتهدّدهم بهذه النهضة الوطنيّة اذ تعرّضهم الى فقد ما نالوهُ من الحريّة لبلادهم . وقد عرف لويد جورج لمّا تعيّن كممثل للدولة الانكليزيّة كيف يكتسب بحكمتهِ ثقة المصريين

كان لافتتاح مدينة بور فؤاد في القارّة الاسيويّة رنّة عظيمة جدّدت في قلوب المصريين الافراح التي شعروا بها لدى افتتاح بور سعيد قبل ستين سنة . ولا شك ان هذه المدينة الجديدة ستصيب نجاحاً كبيرًا يكاد يساويها ببور سعيد

ومما سُرَّ بهِ كاثوليك مصر الاقباط اقامة اسقفين جديدين السيّدين باسيليوس باستوروس كأسقف على المنيا خلفاً للسيد مكسيموس صدفاوي ثم مرقس خزام كأسقف طهطا خلفاً للسيد اغناطيوس برزي . وكلاهما تخرّجا في مدرستنا الاكليركيّة في كلية القديس يوسف

وقد كان المسلمون في مصر يبنون الآمال الطيّبة على المؤتمر الاسلامي العام الذي عُقد في القاهرة في شهر أيار للبحث في امر الخلافة وجمع كلمة الامم الاسلاميّة . فلم يأتِ الاجتماع بفائدة محسوسة لاختلاف آراء المؤتمرين وتباين نزعاتهم القوميّة والدوليّة

وقد احتُفل في الخرطوم في ١٨ ك٢ بتدشين الخزّان المقام في مكوار في النيل الازرق لحبس مياهه كخزّان اسوان. وبه يزيد عمل الريّ وتُسقى الاراضي الواقعة عند النيل الازرق والنيل الابيض البالغة ١٥٠٫٠٠٠ هكتار

تعيَّن للسودان حاكم جديد السر جون لودر مسا في (John Loader Maffey) فخلف السر جوفروا أرشر. وهو احد كبار عمّال دولته سابقاً في الهند حيث اشتهر بحزمه وحكمة سياسته

وقد اصيبت مصر والسودان بازمة القطن التي سبَّبت اضطراباً عظيماً في الاسواق فكان لها دويّ عظيم في الاقتصاد العمومي

٤ آسية

﴿الشرق الأقصى﴾ في دوله حركةٌ تزيد كل يوم تفاقماً. وهي موجهة خصوصاً ضدَّ النفوذ الغربيّ. ففي اوّل اسبوع من شهر آب عُقد مؤتمر دولي من شعوب آسية في نَغزاكي ظهرت فيه نعرة الشعوب الاسيويَّة القوميَّة فضرب المنتدبون على وتر واحد احتجاجاً على الدول الغربيَّة التي تمدُّ سيطرتها على الامم الاسيويَّة ووضعوا لاستدراك أخطر قوانين من شأنها ان توقف تلك الدول على حدّها لاسيما انكلترة واميركا. أمّا روسيَّة البولشفيكية فكانت من ورائهم تنفخ في الرماد

﴿الصين﴾ منذ سقوط السلالة المالكة اصبحت الصين في هياط ومياط فان ولاياتها الجنوبية قد قامت على حكومة الولايات الشماليَّة فحصلت بذلك حرب اهليَّة واضطرابات متفاقمة لا يُعلم متى تكون نهايتها فتحصل تلك البلاد الواسعة على السلام. ولروسيَّة في هذه الامور يدٌ اثيمة تسعى بها لتعميم مبادئها الثوريَّة وتنكيس نفوذ اوربة. وقد ظهر فعلها باغراء الصينيين على الأجانب فاضطرَّ كثيرون منهم الى الهرب من وجه الثوّار. وعزمت الدول على اتخاذ الاحتياطات لصيانة النفوس ومعارضة الفتن

وعلى الرغم من هذه المضايقات فان الكنيسة الكاثوليكيَّة لا تزال تزيد في الصين عدداً وفضلاً. وانَّ عدد المهتدين الى الكثلكة يبلغ سنويًّا نيفاً ومئة الف.

وقد فُتحت في العام الماضي جامعة كاثوليكية في مدينة نانكين

﴿اليابان﴾ هي اسيوية في مركزها اوربية في تمدنها فتنزع تارةً الى جانب اولئك وتارة الى جهة هؤلاء بعد ان حازت بانتصاراتها ومدنيتها الراقية ان تنتظم في سلك الدول الكبرى. وانما تأثرت من عمل اميركة التي استثنت في معاهدة واشنغتون سنة ١٩٢٢ مواطنيها من الامتيازات الممنوحة لغيرها. ولاسيما انَّ زيادة اهلها المتواصلة تضطرُّها الى فتح منافذ جديدة لمهاجريها وهذا ما دفعها الى التقرُّب من روسيَّة لعلَّها تضع يدها على بعض انحاء الصين

توفي الميكادو ملك اليابان يوشي هيتو في ٢٤ كانون الاوَّل فأُعلن بابنهِ الكبير ووليّ عهد الامير هيروهيتو ملكاً . وهو اوَّل امير خرج من بلادهِ فتجوَّل في العام الماضي في انحاء اوربَّة وزار الحبر الاعظم . وهو رجلٌ متنوِّر ذو مدارك واسعة

في اليابان حرّية دينية تستفيد منها الكنيسة الكاثوليكية بتوسيع نطاق اعمالها الرسولية من تهذيب وتعليم وتبشير . ففي طوكيو مدرسة جامعة للآباء اليسوعيين تُلقى فيها المحاضرات العلمية والدينيَّة والادبية فيحضرها وجوه العاصمة وللراهبات الكاثوليكيَّات مدارس تتهذب فيها نيِّف وثلثة آلاف فتاة من اشراف الوطن . ولدى الدولة قاصد رسولي يثني على حسن معاملة الحكومة نحو النصارى وتقديرها لاعمال المرسلين واعتبارها لرأس الكنيسة الحبر الروماني

﴿الهند﴾ أرخت انكلترَّة الحتاق نوعاً عن الزعيم الوطني غاندي . على انها تراقب تلك البلاد بعين ساهرة خوفاً من نعرة سكانها وإخلادهم الى الفتن . وقد زاد فيها في العام الماضي عدد الكاثوليك حتى اناف مجموعهم على ثلثة ملايين . وحركة اهتداءات الوثنيين سنويًّا في جهات كلكوتا وبنغالي لمَّا يبهج القلب ويسرّ النفس

﴿الهند الصينية﴾ هذه البلاد الواسعة بفضل فرنسة المستولية عليها تترقَّى كل يوم في سُبُل النجاح المادّي والاقتصادي والادبيّ . فانَّ ماليتها تزداد بتحسين زراعتها وصناعتها تحت نظر الاختصاصيين المتولين فيها الاشغال . وكذلك آدابها فانَّ ناشئتها تتهذَّب على الطرائق الاوربية العصرية لولا انَّها تتنسَّم منها رائحة الحرية فانها اخذت هي ايضاً تُطالب بالاستقلال وتجاهر بمعاداة احكام الدولة الفرنسويَّة فتمرقلها . اما اعمال تبشير الدين في انَّام وتونكين وقوصنصين وكمبودج فانَّها على غاية ما يُرام من النجاح

بعد ما كانت تلك البلاد كنقع دماء للمرسلين الكاثوليك فعدد المهتدين يزيد بنوع عجيب وما هو إلّا زريعة تلك التربة التي اخصبتها دماء الشهداء وعرق المرسلين

﴿العجم﴾ قد سبّب انقلاب الدولة في العجم قلاقل واضطرابات في بعض انحاء البلاد من قبل انصار الحكومة الكجاريّة السابقة. فرفع زعيمهم عبد الفتح مرزا لواء العصيان في انحاء تركستان العجمي على الشاه الجديد رضا خان. والمرجح انّ البولشفيكية هي التي تهيّج حزبهم بغضاً بالنفوذ البريطاني

﴿ارمينية﴾ تضغط عليها روسية لتحكّم فيها مبادئها الشيوعية. وقد مُنيت تلك البلاد في جهة اريفان والمدن المجاورة بانواء شديدة وفي انيناغان (الكسندرابول) بزلازل اودت بحياة كثيرين واخربت ديارهم وبدّدت شملهم

﴿تركيـة﴾ توفي في بان ريمو بداء القلب في ١٦ ايار السلطان السابق المخلوع محمّد السادس وحيد الدين فنُقلت جثتهُ الى بيروت ومنها الى دمشق في ٢٥ حزيران فدُفن بكل اكرام في جامع صلاح الدين. كان مولدهُ في ٢ شباط سنة ١٨٦١ وخلف اخاهُ محمّد رشاد في ٣ تموز ١٩١٨

قد اكتُشفت في ازمير مؤامرة على حياة رئيس الجمهورية التركية مصطفى كمال وكان معظم المتآمرين من اعضاء مجلس انقرة ومن جمعية الاتحاد والترقّي اتفقوا على قتله عند مروره في ازمير في ١٦ حزيران. فحبط مسعاهم وأُوقف المتآمرون وبعد محاكمتهم حُكم على ١٣ منهم بالاعدام فقُتلوا شنقاً في ازمير في ١٦ تموز. وكان من جملة المتهمين الجنرال كاظم كرابكر لكنهُ تبرأ وانتُخب بعد مدّة كرئيس مجلس الشعب في انقرة

يحاول الاتراك التقرُّب من المدنية الاوربية فبعد التزيي بالازياء الاوربيّة ولبس القبعة والغاء حجاب النساء عمدوا الى التاريخ الغريغوري بدلًا من الهجري والى اتخاذ الحروف اللاتينيّة بدلًا من العربيّة وابطلوا سنّة تعدُّد الزواجات وحصروا الطلاق الشرعي وحدّدوا سنّ الزواج للذكور السنة ١٨ والاناث السنة ١٧ وانّما حرّجوا على تعميم اللغة التركيّة وضايقوا على العناصر الاجنبيّة من يونان وارمن وكلدان

امّا من جهة سياسة تركيّة الخارجة فانّها تحوّرت نوعاً فحصل اتفاق نهائي بينها وبين العراق من جهة الموصل فنالت انكلترّة برغبتها وبقيت الموصل ونواحيها للعراق — ولم تتّفق حتى الآن حكومة انقرة مع فرنسة لتحديد الثغور الفاصلة بين

الانتداب الفرنساوي في سورية وتركية في قيليقية — وقد وقع توفيق رشدي بك وتشترين على معاهدة اقتصادية وعسكرية بين تركية وروسية في تشرين الثاني في اودسا

﴿جزيرة العرب﴾ ثبت عبد العزيز الاول ابن السعود قدمه في ملك الحجاز واعلن له دستوراً واقام مجلس شورى. وقد عُقد في مكة مؤتمر اسلامي كما جرى في القاهرة ولم تكن نتيجته أفضل من مؤتمر مصر. وقد نُسب ملك الحجاز الى التطرف بالمذهب الوهابي. فحصل لسبب ذلك مناوشة بين الوفد المصري والوهابيين في ايام الحج كادت تفضي الى اسوإ حالة

ومما يخاف من نتائجه الوخيمة انتشار المبادئ البولشيفيكية في جزيرة العرب بساعي روسية ومسلميها المكلفين بنفث سمها بين العرب. وقد تعيّن لروسية قنصل في جدة لتنفيذ هذه الموبقات

﴿العراق﴾ عُقدت معاهدة بين انكلترة وحكومة العراق في تقرير حقوق الدولتين وتدبيرهما. وقد صار التوقيع عليها في ١٨ كانون الاول. وفي شهر نيسان ضار فيضان عظيم في ضواحي بغداد بخراب سُدّ هناك فغمرت المياه قسماً كبيراً من املاك المدينة وخربت عدة مساكن وذهبت بحياة بعض السكان وكاد الشر يستفحل لولا همة ارباب الامر بتلافيه بعد أيام. وفي اوائل تشرين الثاني حصلت ازمة وزارية بعد انتخاب رشيد علي بك كرئيس مجلس النواب بدلاً من مرشح الحكومة فاستعفت الوزارة مع رئيسها حكمت بك سليمان. ولم يُرتق الخرق الا بعد تأليف الجنرال جعفر باشا وزارة جديدة في ٢١ من الشهر

﴿فلسطين﴾ ان الصهيونية أُصيبت ببعض النكبات. فقلّت المساعدات التي كانت تأتيها من اميركة اذ رأى بعض ارباب الثروة اليهود ان كثيراً من اموالهم تذهب سُدى دون ثمر فأبوا ان يواصلوا حسناتهم ليهود فلسطين فضعفت همة بعضهم وعاد غيرهم الى اوربة واميركة. على ان المفوض السامي اللورد بلومر أعلن بان حالة البلاد الاقتصادية حسنة وان زراعتها على غاية ما يرام

في شهر شباط وُضع البطريرك اللاتيني في اورشليم الحجر الاول لبناء فرع للمعهد الكتابي المقام في رومية وكلاهما تحت ادارة الآباء اليسوعيين

﴿سورية ولبنان﴾ كان افتتاح السنة ١٩٢٦ مظلماً منذراً بالاخطار لسبب الثورة الدرزية ومعرّة العصابات المتفرّقة في انحاء الشام وبعض جهات لبنان فاصاب الاهلين ولاسيما النصارى من جهتهم بلايا عظيمة من قتل وسلب ونهب وتدمير وبالخصوص في جاصبيا وراشيا وكوكبا وبعض احياء دمشق حتى فُقد الامن ونزح كثيرون عن البلاد. ودامت هذه الحال السيئة مدّة الى ان توفّرت الذخائر الحربيّة وعدد جنود الدولة المنتدبة فتمكّنت بعد اشهر من قمع الثورة وكسر شوكة زعمائها بفتح السويداء ومحاربة الثوّار في كل الانحاء التي عاثوا فيها. فما انتهت السنة حتى كان الانتصار التام حليف دولة الانتداب

استعفى صبحي بك بركات من رئاسة حكومة سورية في ٣٠ ك ١ فخلفهُ في منصبهِ فخامة الداماد احمد نامي

بعد الانتخابات للمجلس النيابي لبنان تعيّن ايضاً اعضاء مجلس الشيوخ فاجتمع المجلسان في ٢٦ ايار وقرّرا انَّ هيئة الحكومة تكون جمهورية على مثال جمهورية الدولة المنتدبة وانتخبا باتفاق الاصوات المسيو شرل دبّاس رئيساً للجمهورية اللبنانية

في اواخر ايار عاد المسيو دي جوفنال الى فرنسة بعد ان قضى ستّة اشهر في سورية يحاول اصلاح الفساد. فعيّنت لهُ الدولة الفرنسوية كخلفهِ في المفوّضية العليا المسيو بونسو الذي وصل الى بيروت في ١٢ تشرين الاوّل فجرى على خطة شكرها لهُ العموم فسعى باستئصال شأفة الثورة والعصابات فكادت الدولة تتمتّع بالسلام المفقود وذلك خصوصاً بتفاني السلطة العسكرية الافرنسية وشهامة قوّادها البسلاء

اصاب الدين في هذه السنة نصيبهُ من احزان وافراح قاسمها مع الوطن. فمن احزانهِ ما حلَّ بنصارى لبنان ودولته فقُتل منهم كثيرون بينهم الكهنة المدافعون عن رعاياهم مدافعة الراعي عن خرافهِ فذهبوا ضحيّة التعصُّب والهمجيّة والبغض لفرنسة فنُهبت بيوتهم وأُحرقت كنائسهم وتشتّتوا في البلاد بلا مأوى ولا معاش وهم الى اليوم ينتظرون التعويض عمّا لحقهم من الخسائر والاذى

ومن افراحهِ ما نالهُ من تعطُّف الحبر الروماني الذي أعلن باستشهاد وتطويب الثلثة الاخوة السابكيين مع الرهبان الفرنسيسيين في دمشق سنة ١٨٦٠ فأُقيمت وستُقام لذكرهم اعياد من شأنها ان تنعش الايمان في القلوب

ومنها ايضاً ما تلقّاهُ غبطة السيد البطريرك كيرلس مغبغب من الحفاوة في رومية اذ منحهُ قداسة البابا درع الرئاسة في حفلة كانت غاية في الابهة. وكذلك فرحت الطائفة لاختيار اثنين من افاضل كهنتها لمقام الاسقفية السامي وهما حضرة الارشيمندريت يوسف يواكيم الرئيس العام على الرهبانيّة المخلصيّة كمطران على كرسي الفرزل وزحلة والارشمندريت ديونيسيوس كفوري كمطران في معيّة السيد البطريرك

وقد أقام ايضاً غبطة البطريرك الماروني مار الياس الحويك اثنين من طائفته الكريمة للرتبة الاسقفية السيدين الجليلين الياس ريشا مطران على الناصرة شرفاً ونائب بطريركي والياس شديد على قورش شرفاً

هذا فضلاً عمّا نالهُ شيخ لبنان الوقور من الاكرام من قبل رجال الدولة ورئيس الجمهورية اللبنانية ونوّاب المجلسين

تطويب شهداء الثورة الفرنسويّة سنة ١٧٩٢

نبذة تاريخية لحضرة الاب عمانويل رولان اليسوعي

بين الاعياد الشائقة التي جرت في رومية في غاية شهر تشرين الاوّل الاخير اعلان الحبر الاعظم بيوس الحادي عشر بتطويب الشهداء الذين قُتلوا في باريس في سبيل ايمانهم وطاعتهم للكرسي الرسولي في ايام الثورة الفرنسوية في شهر ايلول من السنة ١٧٩٢ وعددهم لا يقل عن ١٩١ شهيداً. وقد سألنا كثيرون ان نذكر لهم سبب استشهادهم وخلاصة تاريخهم فنجيب بكل طيب قلب الى طلبتهم فنقول:

١ً سبب استشهادهم

لمّا اعلن اصحاب الثورة الفرنسوية بحقوق الانسان واقاموا لهم نوّاباً تحت اسم «مجلس الامّة» لم يكتفوا بان يقلبوا ظهراً لبطن احوال الدولة ونظامها السابق بل تعدّوا الى ما هو اعظم واشرف من ذلك فارادوا ان يقيموا لكنسة فرنسة نظاماً جديداً وضعهُ اعداء الدين وضمّنوهُ عدّة امور منافية لسلطان الحبر الاعظم ولحقوق

الكنيسة فجعلوا اربابها مستعبدين للسلطة المدنيّة في احوال الدين وما لبثوا أن عرضوا هذه السُّنن الجائرة على سائر الاكليروس من اساقفة وكهنة حتى المؤمنين العالميين وطلبوا منهم ان يُقسموا خاضعين لقرارها فان أبوا عوملوا كاعداء الدولة وحُكم عليهم باشدّ العقوبات حتى الموت وهذا ما دعوه بالقرار المدني لاكليروس فرنسة

فما شاع هذا القرار حتى تصدّى لهُ كلّ اصحاب الدين وفي مقدّمتهم رؤساء الاساقفة والاساقفة والكهنة والرهبان فاضطرّ بعضهم الى الفرار من وجه الاضطهاد الى خارج فرنسة واستخفى غيرهم وتنكّر بعضهم ليتمكّنوا من خدمة رعاياهم . وقد قبض الشرط والجواسيس على كثيرين منهم في انحاء فرنسة فذاقوا انواع العذابات وماتوا شرفاء مستشهدين في سبيل ايمانهم مردّدين قول الرسول: انَّ الطاعة لله مقدّمة على طاعة البشر

على انَّ بين هؤلاء الشهداء قد امتازت منهم في باريس جماعة اكليريكيّة قُتلوا في شهر ايلول سنة ١٧٩٢ عُرفوا لذلك بشهداء ايلول وهم الذين لشهامتهم وشرف نفسهم وصبرهم على الموت استحقّوا ان ينظموا في عداد اولياء الله فأُعلن بتطويبهم ليكرمهم المؤمنون كشهداء الله الذين قدّموا لهُ تعالى اعظم شهادة محبّة الانسان لربّهِ اعني حياتهم ودماءهم

٢ خلاصة اخبار هؤلاء الشهداء

لا يسعنا ان نفصّل هنا اخبار كلّ هؤلاء الشهداء وعددهم لا يقلّ عن ١٩١ وانّما نذكر اوّلاً استشهادهم اجمالاً ثمّ نخصّ بالذكر بعضاً منهم

كان دانتون الشهير بظلمهِ وبغضهِ للذين تعيَّن وزيراً للعدلية فاوقف مع «مارا» في باريس عدداً كبيراً من الاكليروس من الذين كانوا احتجّوا على القرار المدني بينهم الاساقفة وكهنة افاضل ادّوا للدين والدنيا خدماً لا تُحصى فجمعاهم في دير قديم كان تُقيم رهبانهُ يُعرف بدير الكرمليين فباتوا هناك اياماً يقاسون ضروب الاوجاع ولا يعلمون ما ينتظرهم فكانوا يقضون زمانهم بالصلاة وبالمفاوضات التقويّة . وكان زعماء الثورة في اثناء ذلك يهيّجون الشعب على الاكليروس وينسبون اليه تُهماً وهميّة ويصوّرونهُ كعدوّهم ويهيّج الدول الاجنبية على فرنسة

فلما كان اليوم الثاني من شهر ايلول فُتح سجنهم امام قوم من الاوباش والاشقياء فدخلوا اليهم بالاسلحة وهجموا عليهم صارخين: «الموت لهؤلاء الكهنة الخادعين الشعب برتبهم الدينية وتعاليمهم». ثمَّ اخذوا يطلقون عليهم بندقياتهم وغدّاراتهم. ثمَّ سحبوا السيوف والمُدَى فهجموا عليهم يطعنون الصدور ويقطعون الاعضاء دون شفقة كيفما اصابوا ضحاياهم. وكان اولئك الابرار يستقبلون الضربات دون ان يعارضوا جلّاديهم فكان اكثرهم يجثون ليتلوا صلاةً اخيرة قبل موتهم وغيرهم يردّدون كلام سيّدهم: اننا نغفر لكم من صميم القلب. وكان بعضهم يشكر الله على نعمة الاستشهاد اذ لم يُقتلوا إلّا لثباتهم في طاعة الكنيسة. فما كنت ترى بعد ساعةٍ إلّا جثثاً هامدة مثخنة بالجراح سابحة في الدماء. وكان القَتَلة يسلبونهم ما يجدونهُ من متاعهم ثمَّ جلسوا بعد تلك المجزرة ليشربوا المسكرات ويتغنّوا بالاغاني الثورية

وكان في دار اخرى لسكنى التلامذة المتخرّجين للكهنوت تُعرف بدار «سان فيرمان» عددٌ من الكهنة حُبسوا ايضاً. ففي غد ذلك اليوم تواثب اولئك الهمج على المسجونين وفعلوا بهم فعلهم بالذين قتلوهم يوم امس. وكانوا قبل قتلهم يطلبون منهم ان يقسموا خاضعين لقرار الاكليروس المدنيّ فكلّهم يأبون كل الاباء ويقبلون الموت برضاهم ثابتين على تعاليم دينهم

٣ً بعض اخبار هؤلاء الشهداء

﴿الاساقفة﴾ كانوا ثلثة أولهم رئيس اساقفة مدينة أرل السيد جان ماري دو لو (Du Lau). هذا لمَّا دخل القَتَلة كان يصلي في معبد دَيْر الكرمليين. فسأل: ما هذه الجلبة؟ فقال لهُ احد الكهنة: هم طالبو دمائنا. فقال الاسقف: ان كانت هذه ساعة تضحية نفسنا للرب فما أسعد نصيبنا ان نقدّم حياتنا لهذه الغاية الشريفة. وللحين سمع صراخ الغوغاء: اين هو رئيس اساقفة أرل. فقام بكل هدوّ وسار اليهم قائلاً: انا هو الذي تطلبونهُ. وللحال نفحوهُ بسيوفهم فسقط ميتاً. وكان المذكور قبل ايّام أبى ان يهرب من حبسهِ اذ امكنهُ الفرار بواسطة رجلٍ من الشعب قائلاً: لو هربتُ لَظنّوا اني مجرمٌ فلتتمّ فيَّ ارادة الله.

والاسقفان الآخران كانا اخوين شقيقين من أسرة ملكية شريفة السيد فرنسوا

جوزف والسيد بيار لويس دي لاروشفوكو (de Larochefoucauld) كان الاول اسقفاً على مدينة بوفه (Beauvais) والثاني على سَنْت (Saintes). لمَّا دخل الشرط ليوقفوا اسقف بوفه وجدوا عندهُ اخاهُ فتركوهُ حرًّا ان شاء. فأجاب: ان كان ما فعلهُ اخي يُعتبر كذنبٍ فاني انا مذنبٌ مثلهُ فلا تفرقوني عنهُ. فحُبسا معاً. ثمَّ وجدوا هذا الاخير يصلي في الجنينة اللاصقة بدير الكرمليين فاطلقوا عليهِ النار وكسروا ساقهُ فسقط وقال للقتلة: ارجوكم ان تنقلوني الى قرب اخي لتُقتل سواء. وكان في ايام حبسهِ يخدم المحبوسين معه بكلِّ تفانٍ ويقوي قلوبهم

﴿ الكهنة العاليون ﴾ كان عددهم نحو مئة بينهم عشرة كانوا نوَّاباً للاساقفة وغيرهم كانوا خدَمة رعايا او كهنة جمعيات خيريَّة ومنهم في خدمة العسكر او في خدمة اديرة الراهبات ينتمون الى ٢٤ ابرشيَّة من انحاء فرنسة. ولكل هؤلاء بعض اعمال او اقوال جليلة تشهد لهم بالايمان الحيّ وبالبسالة المسيحيَّة بازاء الموت فضلاً عن مآثر سابقة في تتميم واجبات كهنوتهم. وانما نكتفي بذكر واحدٍ منهم وهو الكاهن نويل بينو (Bx N. Pinot). فهذا كان خادم رعيَّة في بلدة لورو (Louroux) فلمَّا اخذ الثوَّار يطلبون الكهنة ليحبسوهم ويقتلوهم لم يشاء ان يهمل رعيَّتهُ فتنكَّر وارخى لحيتهُ ولبس ثياب الفلاحين فلم يَعُد احد يعرفهُ فكان يتجوَّل في القرى كلَّ يوم في زي جديد ثمَّ يوزِّع اسرار الكنيسة خفيةً فثبت على ذلك مدةً دون ان تدري بهِ الحكومة الثوريَّة. الى ان احسَّت بهِ يوماً واحاطت بالدار التي دخلها فاضجع في اصطبل في وسط عالَف البقر فنجا حتى وقع آخرًا في ايدي طالبيهِ وهو مستعدٌ لتقدمة ذبيحة القدَّاس لابس حلَّة الكهنوت فقُتل في هذه الهيئة

ومثلهُ كاهن آخر غليوم شمينود (G. Cheminode) تنكَّر بزي العسكري وكان ينادي كصلح اوعية النحاس فاذا طلبوهُ يقوم باعمال وظيفتهِ الدينيَّة ثمَّ قُتل شهيداً

﴿ الرهبان ﴾ ينيف عددهم على الثمانين من رهبانيَّات مختلفة مثل الفرنسيسيين والكبوشيين والبندكتيين والارغسطينيين واللعازريين وغيرهم ايضاً. وقد تشرَّفت الرهبانيَّة اليسوعيَّة بسبعة عشر شهيداً قُتلوا في تلك المذابح. وكان هؤلاء اليسوعيون من ابناء القديس اغناطيوس فلمَّا أُلغيت رهبانيَّتهم سنة ١٧٧٣ انضمُّوا الى الاكليروس العالمي تحت تدبير الاساقفة. فأُوقفوا لرفضهم ان يقسموا القسمَ النفاقي الذي عُرض

على الاكليروس وفازوا باكليل الاستشهاد . منهم الاب جان شرتون (Charton du Millou) الذي عيّنهُ رئيس اساقفة باريس السيد كريستوف دي يومون واعظاً في معبد راهبات القربان الاقدس فدُعي بالاغتيال شبيهاً بشارة الوعاظة الاب بورْدالو اليسوعي

ومنهم الاب غيليوم دلفو (G. Delfaut) الذي كشف بتأليف خاص دسائس اهل الثورة ضد الدين فلمَّا أُوقف وسيق للموت بلَّغ احد اصحابهِ انَّهُ يعدُّ موتهُ فوزًا وسعادةً في الدفاع عن الايمان

ومنهم الاب شرل لوغه (Legué) من خطباء باريس المفوَّهين . والاب بونو (Bonnod) احد اساتذة مدرسة كمبير ونائب رئيس اساقفة ليون

واشهر منهم احد مشاهير عصرهِ الاب كلود دي غرانج (C. Gagnères des Granges) الذي قيل عنهُ انهُ لم يَفُتهُ شيء من علوم زمانهِ فكان اشبه بدائرة معارف حيَّة . فتنبأ عن مآثم الثورة ومشى الى الموت بكل جرأة

ومنهم الابوان المرشدان لراهبات الزيارة لو روسو (Le Rousseau) وفيلكروان (Villcroin) وبعد توقيف الاول قالوا لهُ انهم اوقفوهُ بالغلط عوضاً عن آخر سيئ ففضَّل ان يموت بدلًا منهُ أثرةً

ومنهم الاب جاك فريتار (Friteyre-Durvey) الذي قام بالوعاظة في بلاط الملك . ولمَّا دُعي الى محكمة اهل الثورة قال علانيةً : انهُ لا يعرف صلاحيَّة محكمةٍ غير محكمة المسيح . وقد ردَّ بثباتهِ قاتلهُ الى التوبة

ويُضاف الى هؤلاء ستَّة آخرون قُتلوا في دهليز دير الكرمليين تعرف اسماءهم دون اخبارهم وهم الآباء تيما بونوت لوبس (Bonnote Lupus) وفرنسوا فاريل دوتيل (Vareilhe- Duteil) وفرنسوا بلمان (Balmain) ولويس لوران غوتييه (Gaultier) ولويس ماري باررزر دي لانوريان (Barozer de Lannurien) وكلود انطوان رودلف دي لابورت (de la Porte) . ثمَّ اربعة آخرون في مدرسة سان فيرمان الآباء جان ثورله (Vourlet) ونقولا فارُّون (Varron) والابوان الشقيقان بيار وفرنسوا غيرين دو روشه (du Rocher) وكان هذان أُنفا بأمر رئيس اساقفة باريس لنظارة دار المرتدّين الى الايمان مع غيرهم من الاكليريكيين . وكان الاب غيرين رئيسهم وقد اصاب شهرةً واسعة بأحد تآليفهِ في اساطير الاوَّلين كان يتداولهُ

سائر العلماء لكثرة فوائده لكنّ المؤلف كان يأنف من كلّ مجد عالمي فيفضل تبشير الفقراء . وفي يوم استشهاده لبس افخر ثيابه كأنهُ ذاهب الى حفلة بهجة مفرحة . ومزج الاخوان دماءهما ببيتة شريفة

فترى من هذه النبذة الصغيرة كم اصاب الحبر الاعظم بتمجيد هؤلاء الابطال الذين يستحقّون اكراماً اعظم من اكرام قدماء الجبابرة

مؤلفات ابنة بابل

La Passion Arabe de S. 'Abd al Masih par P. Peeters S. j. (Extrait des Analecta Bollandiana)

رواية عربية لاستشهاد القديس عبد المسيح

القديس عبد المسيح فتى يهوديّ من سنجار تنعّم بنعمة خصوصيّة من الله في اواخر القرن الرابع وثبت على ايمانه على الرغم من والده الشرّير الذي قتل ابنهُ بيده . ثمّ مجّد الله عبدهُ . فهذه الرواية كانت نُشرت سابقاً بالسريانيّة . وعُرفت منها نسخة ارمنيّة . وكانت بين مخطوطات المكتبة الفاتيكانيّة نسخة عربيّة مفقودة وجدها حضرة الاب بولس بيترس من اعضاء الجمعيّة البولنديّين ونقلها الى اللاتينيّة وقدّم عليها مقدّمة علميّة بيّن فيها ما لهذه الترجمة العربيّة من الخواص وعارضها بالنسخة السريانيّة وبيّن علاقتها معها ثمّ بحث عن اصل الروايات المختلفة فاناطها برواية اصليّة نشرها يوحنّا موسكوس اوّلاً باليونانيّة في القرن السادس فهذا الانتقاد يدلّ على ما للبولنديين من المعرفة بكل ما يختصّ باخبار القديسين ل . ش

Béchara El Khoury: Essai sur la Théorie des Preuves en droit musulman. *Beyrouth, Impr. des Lettres*, 1926, *p.* 53

نظر في البيّنات القضائيّة

ان في الشرع الاسلامي باباً خاصاً بالبيّنات القضائيّة التي يُستدلّ بها في الدعاوي على اثبات الاحكام او نفيها وهي خمسة : البيّنات الخطّيّة ثمّ الشخصيّة ثم القرينة الخطّيّة

ثم الاقرار ثم التحلّف. فجناب المؤلف وهو رئيس محكمة الاستئناف في لبنان استقرى هذه البيّنات ودرسها درساً مدقّقاً وميّز شروطها لبيان الحقيقة وما خُصّت به في الشرع الاسلامي. ثمّ قابلها بالدستور الفرنساوي وحقوقه وتطوّرها بنفوذ هذا الدستور الى بعض أحكامها مؤمّلاً ان يزيد فيها هذا النفوذ ليقرّب للقضاة الوقوف على الحقّ في ظروف كثيرة. فلا شكّ ان علماء الحقوق يثنون على علم المؤلف ويسلّمون له بإصالة آرائه

MÉLANGES DE L'UNIVERSITÉ St JOSEPH. vol. XI, fasc. 6: DEUX CAVALIERS DE LA RÉGION D'ALEP — fasc 7 : POINTE DE FLÈCHE à L'INSCRIPTION PHÉNICIENNE. — fasc, 8, BIBLIOGRAPHIE

ثلث مطبوعات اثريّة جديدة من مجموعة كليّة القديس يوسف

هذه المطبوعات هي تتمّة المجلّد الحادي عشر من مجموعة كليّة القديس يوسف. وهي ثلث: الاولى وصف فيها حضرة الاب مو. د صورتين اثريتين نُقرتا على نُصبين في جهات حلب تمثلان فارسين على جوادهما. فبيّن حضرتهُ كلّ صفاتها وتاريخها وشرح الكتابة اليونانيّة المعلّقة على احدهما — والمطبوعة الثانية ذكر فيها الاديب بول اميل غيغ سهماً من البرونز وجدهُ في حفريّة رسميّة تولّاها في الرويسة قريباً من النباطيّة الفوقاء. وعلى هذا السهم كتابة ارامية شبيهة بكتابة ناموس الملك اخيرام التي وجدت في جبيل وقريبة من عهده فشرحها حضرة الاب روتزفال واثبت قِدَمها وعظم شأنها وأتمّ بمناسبتها في تاريخ اصل الكتابة الفينيقيّة التي يرجح اشتقاقها من الكتابات المصريّة فاستعارها منهم الفينيقيّون لكثرة المعاملات بين سورية ومصر — والمطبوعة الثالثة وصفٌ لثلثة وعشرين تأليفاً أُرسل الى ادارة المجموعة المذكورة ل. ش

THE HEXAPLARIC STRATA in the Greek Texts of Daniel : James A. Montgomery

دروس كتابيّة على سفر دانيال

لسفر دانيال في التوراة مشاكل لم يحلّها العلماء تماماً الى اليوم لاختلاف نصوصه الاصليّة. وهذه ثلثة دروس تزيل شيئاً منها: الاوّل يصف نصوصاً من الترجمة اليونانيّة التي دخلت في مقابلة اوريجانس المسدّسة نقلها عن مخطوطات متعدّدة الاستاذ مونتغومري. والثاني للاستاذ شرل بنيامين (Ch. D. Benjamin) من جامعة

بنسلفانية هو انتقاد على عمل سابق لاحد اساتذة اوكسفرد في تقرير نصوص دانيال النبي واصلاحها وقع فيه استناداً الى نسخ مصوَّرة بالتصوير الشمسي . والثالث للاستاذ هنري غيهان (H. S. Gehman) درس فيه نسخة دانيال العربية المثبتة في البوليغلوتا اللوندنيَّة والباريسيَّة واصلاحها فهذه الدروس غاية في الاهميَّة لتحقيق سفر دانيال

Life and Work of Jawad Sabat an Arab Traveller, Writer and Apologist by Maula Abdul Wali. Calcutta, 1925, pp. 86

ترجمة حياة واعمال جواد ساباط

جواد ساباط احد اشراف المسلمين ولد في العراق سنة ١٧٧٤ ثمَّ تجوَّل في العجم ودخل الهند واتَّصل بالمبشرين الانكليز هناك ثمَّ تنصَّر واشتغل مدَّة في ترجمة العهد الجديد الى الفارسيَّة ثمَّ عاد الى الاسلام وخدم ملك سوماطره فولَّاهُ على بعض اعماله . لكنَّ اعداء الملك قبضوا عليه وخاطوهُ في كيس ورموهُ في البحر . وهذه ترجمتهُ كتبها مولى عبد الولي مفصَّلةً ووصف تآليفهُ العربية اخصُّها البراهين الساباطية فيما تستقيم به دعوة الملَّة المحمَّديَّة ثمَّ كتاب من لا يحضرهُ النديم

GRAMMAIRE KURDE par L'abbé Paul Beidar prêtre Chaldéen, 1 *vol. in-12, pp. 77, 1926, Paris, Paul Geuthner*

غراماطيق كردي

هذا اوَّل غراماطيق نُشر بالفرنساويَّة في اللغة الكرديَّة ألَّفهُ حضرة الكاهن الكلداني بولس بيدر الذي عاش زمناً في كردستان بين القبائل . وانتهم الكرديَّة كما هو معروف فرع من الفارسيَّة لها لهجات متباينة تختلف مع اجيال الكرد وقبائلهم . فقد اختار حضرة المؤلف لهجة الاكراد الساكنين بين الموصل وماردين في زاخو وجزيرة بني عُمر وهي اشيع واقصح من سواها فروى اصولها في ثمانية فصول واضاف الى كل فصل مثالاً كرديًّا ورواية بتصوير لفظها بالحرف الفرنساوي مع ترجمتها . وفي آخره معجم صغير للالفاظ الكثيرة الاستعمال . فنوصي بهذا الكتاب كل محبي اللغات الشرقيَّة وخصوصاً الذين يعاملون الاكراد

ل . ش

Luca Beltrami: Eugenio Griffini Bey — Prof. Angela Codazzi: Catalogo dei Libri del Dr Griffini legati alla Bibliotheca Ambrosiana. *Milano* 1926, *pp*, *LXXXVIII*, + 123

ترجمة الاستاذ غريفيني ووصف مكتبته المهداة للمكتبة الامبروسيانية

في ٣ ايار سنة ١٩٢٥ توفي في القاهرة احد كبار المستشرقين الايطاليين الدكتور اوجانيو غريفيني بعد ان قضى حياتهُ سائحاً في انحاء المغرب وفي طرابلس الغرب وانهاها كمدير مكتبة جلالة الملك فؤاد في القاهرة فتولى كتابة ترجمة حياته صديقهُ لوقا بلترامي احد شيوخ الدولة الايطالية ثمَّ ألحقت السيدة انجلا كودادزي هذه الترجمة بوصف مكتبته الحاوية ١٢٢١ كتاباً معظمها في الشرق العربي يضاف اليها ٥٦ مخطوطاً عربياً وقد اورثها كلها للمكتبة الامبروسيانية في ميلانو وطنه

ISLAMICA. Editor E. Braunlich. Lipsiæ, in ædibus quæ Asia Major appelantur, 1926, vol. 2m.

مجلة اسلامية

هي مجلة حديثة انشأها احد المستشرقين الالمان في ليبسيك الاستاذ برونليخ فاطلعنا على بعض اعدادها فوجدناها حافلة بالمقالات الشرقية المفيدة نخصّ منها بالذكر مقالة في معتقدات عرب الجاهلية بالحياة الآخرة ثمَّ مقالة في الكتابات الحجرية الدفنية والكتابات المرقومة على رقوق قديمة ومقالة في ترجمة الشاعر العباس بن احنف. وهذه المقالات وغيرها تولى كتابتها بعض الاساتذة المستشرقين كالاستاذ اغناطيوس غويدي والاساتذة يوسف هال وجردنر وباور وبيكر وغيرهم وكلهم معروفون بتضلعهم من العلوم الشرقية

K. ICTORIA CAOBAR αA-XAAIA

تاريخ كتاب العين للخليل

معلوم ان كتاب العين للغوي الكبير الخليل اقدم ما يعرف من المعاجم العربية وقد بشّر حضرة الاب انستاس الكرملي بوجود نسخة منهُ باشر بطبعها. وهاعوذا حضرة الاستاذ اغناطيوس كراتشكوفسكي اثبت في مجلة العلوم الروسية نبذة عن ابن المعتز في كتاب الشعراء روى فيها حريق نصف كتاب العين للخليل وسلامة النصف الآخر منهُ فالقسم المحروق المعروف اليوم ليس هو للخليل وانما وضعهُ بعض العلماء اللغويين على طريقته ولذلك ترى اختلافاً بين النسخين ل. ش

منشور بطريركي

بمناسبة تطويب شهداء دمشق المارونيين. المطبعة الكاثوليكية ببيروت ١٩٢٧ (ص ١٠)

قد رقصت قلوب الطائفة المارونيـة الكريمة بما نالتـهُ من الشرف بتطويب ابنائها المسابكيين شهداء دمشق فانتهز غبطـة بطريركهم الكلي الطوبى هذه الفرصة ليرّصل في قلوب ابنائهِ ذلك الايمان الذي سفك اولئك الشهداء دماءهم في سبيله فيصونوا ذلك الكنز الثمين الذي ورثوهُ من اجدادهم

الآثار الخالدة

بقلم البرديوط بطرس حبيقة

طبع بالمطبعة الكاثوليكية - بيروت ١٩٢٧ (ص ٤٩ + 44)

لغبطة السيّد البطريرك اللبناني الكبير ماري الياس بطرس الحويك آثار لا تحصى فيصف حضرة البرديوط بطرس حبيقة قسماً منها في كلّ سنـة حيناً بالنظم وحيناً بالنثر . وقد خصّ في هذه السنة نظرهُ حفاوةً بعيد غبطتهِ الثامن والعشرين لارتقائهِ السدّة البطريركيّة لوصف الابنية الفخمة التي شيّدها ذلك الحبر الجليل او عُني باقامتها وهي المدرسة المارونيّة الحديثة في رومية العظمى ودار البطريركيّة المارونيّة في القدس وقصر البطريركيّة الصيفي في الديمان ومقام سيّدة لبنان في حريصا ودير جمعيّة العائلة المقدّسة في عبرين وقد نعتها كما هي بالآثار الخالدة التي سيدوّنها لـهُ التـاريخ باحرف ذهبيّة . واصاب حضرة المؤلف بنشر هذه الآثار باللغة الفرنسوية ليطّلع عليها ارباب الانتداب وتذكرها لهُ بالخير الدولة الفرنساوية ل . ش

كتاب شذور الذهب من حياة القديسة ترازيا الطفل يسوع

صانع عقدها الخوري اسقف بطرس مبارك كاتب اسرار البطريركية المارونيّة

طُبع في المطبعة الكاثوليكيّة للاباء اليسوعيين في بيروت سنة ١٩٢٧

قد ذكرنا في عدد سابق ترجمة هذه القديسة اللطيفة التي نشرهـا حضرة الخوري

يوسف عوّاد وهي معرّبة عن سفر حياتها المدبّج بيدها . وهاهوذا كتاب جديد يحتوي بالاختصار مآثر تلك وليّة الله يحسن بالعموم ان يتصفّحوه ليجنوا ثمارهُ الطيبة وقد صاغهُ حضرة مؤلفه المفضال عقداً ثميناً نظم لآلئهُ من اعمالها وفضائلها التي اهّلتها لأعلى درجات القداسة

الحكومة العراقيّة: وزارة الداخليّة

التقرير الصحّي السنويّ لمديريّة الصحة العامّة (١٩٢٣ــ١٩٢٤)

طُبع في دار الطباعة الحديثة في بغداد سنة ١٩٢٦ (ص ٢٣٨)

هو التقرير النفيس الواسع الذي وضعتهُ مديريّة الصحة العامّة في العراق بهمّة وزيرها حنا بك خيّاط احد متخرّجي مكتبنا الطبي الفرنساوي وهو طافح بالمعلومات عن كلما يتنوط بالصحة من قوانين عمومية وخصوصيّة وبيان انواع الامراض والتدابير الصحية ومعالجات المرضى وبيان المعاهد المختصة بكل صنف منهم مع تعريف اعدادهم وميزانيّة حساباتهم الى غير ذلك من المعلومات التي تقوم بها الدُّول المنظّمة واليها يُرجع في التواريخ الرسميّة . فنشكر كل واضعي هذا الكتاب المفيد ل . ش

تاريخ الآداب العربيّة من نشأتها الى أيامنا

تأليف لفيف من الاساتذة (الطبعة الثانية)

وكالة الفرير – باب سدره سنة ١٩٢٥ ه

اثنينا سابقاً على هذا الكتاب الذي رأيناهُ افضل من سواه للمدارس العربيّة لحسن ترتيبه وغزارة موادّه . وكان الصائغ لمقدّمهِ احد افاضل اخوة المدارس المسيحيّة الاخ سيرافيم فكتور فقيد الآداب سنة ١٩٢٢ . واذ نفدت طبعتهُ الاولى لاقبال العموم عليها اعاد فيها النظر لفيفٌ من اساتذة الفرير فحسّنوها بزيادة بعض تراجم الادباء الحديثين ومن جملتهم الاخ سيرافيم المذكور مع صور فئةٍ منهم . فنثني على همّة القائمين بهذا السفر المستجاد ل . ش

سورية والسوريون من نافذة التاريخ

بقلم فيليب حتي دكتور في الفلسفة

طُبع في المطبعة التجارية السورية الاميركية في نيويرك سنة ١٩٢٦ (ص ١٠٨)

كانت هذه المقالات النفيسة عن سورية واهلها ظهرت تباعاً في مجلّة المقتطف اوّلاً ثمَّ في مجلّة العالم الجديد فأحسن مؤلفها بجمعها وطبعها على حدةٍ لفائدة المدارس. وقد استصوبنا آراءهُ في اصل العنصر السوري وفي تاريخ الحروب الصليبيَّة. ورأينا الكاتب يوافقنا في ما حرَّرهُ عن الدولة الاموية وفي ما سبقنا الى اثباتهِ في كتابنا عن معاوية. لكنَّنا نخالفهُ في رأيهِ عن كون الشيعة فُرساً (ص ٣٩) وكذلك لا نثق مثلهُ الثقة التامَّة بما رواهُ من كتاب الاعتبار لمؤيد الدولة اسامة بن منقذ

الاب هنري لامنس

الشهاب الراصد

تأليف محمَّد لطفي جمعه

طبع بمطبعة المقتطف والمقطَّم سنة ١٩٢٦ (ص ٣٤٧)

لقد أثار كتاب الشعر الجاهلي لطه افندي حسين خواطر الكتبة المسلمين لما ضمَّنهُ صاحبهُ من الآراء المستغربة. ومع كوننا لا ننكر انَّ بعض ما يحتويهِ من الحقائق تشهد للتزوير او اصطناع قديم ممَّا نسبهُ الرواة لشعراء الجاهليَّة لدواعٍ غير مشكورة. الَّا انَّنا نرى انَّهُ تجاوز لحدود الحقّ وكاد يدكُّ دعائم الآداب العربيَّة وينسف اصول التاريخ العربي بل مسَّ الوحي وكرامة التوراة. ومن ثمَّ لا عجب اذ توجَّهت الى تخطئتهِ اقلام المنتقدين ومن جملتهم صاحب هذا الكتاب الشهاب الراصد وهو بحث تحليلي انتقادي وردٌّ علمي تاريخي على كتاب الاستاذ طه حسين فتتبَّع المؤلف كلَّ اقسامهِ مباشراً بحقائق تاريخيَّة في اصل الشعر العربي ومصادرهِ ومقابلتهِ بالشعر الاجنبيّ ثمَّ تبسَّط في وصف اصول الآداب العربيَّة وتنقُّلها في القبائل ثمَّ انتحال بعضها واسبابه. فجاء الكتاب سفراً واسعاً يدل على حسن نظر ووفرة علم ل. ش

خمس روايات

رفائيل خزامي — رجاء ويأس — البرج الشمالي — جان هاشيت — الثورة الدرزيّة

مطبعة القديس بولس في حريصا — المطبعة التجاريّة في نيويورك

هذه الروايات من افضل ما نتمنّى نشرهُ بين الشبيبة وفي المدارس والنوادي الادبيّة . الاولى منها بقلم ذاك السيّد المفضال الذي لا يزال حتى بعد وفاتهِ يعلّم ويرشد السعيد الذكر المطران جرمانوس معقّد فانّهُ جعل روايتهُ مسرحاً لآداب المعاشرة فترى والدًا حكيماً يوقف ابنهُ على كلّ الآداب الاجتماعيّة في مختلف اطوارها واحوالها ليعرف الشاب كيف يتصرّف بأقوالهِ واعمالهِ في كلّ موقف منها فهو جامع بين اللذّة والفائدة — يليهِ ثلث روايات تمثيليّة تصلح اثنتان منها لمسارح الذكور والثالثة لمسرح الاناث وكلّها بقلم جناب الاستاذ البارع صديقنا يوسف افندي الفاخوري رئيس كتبة الرقيب الطرابلسيّة واستاذ الخطابة ومدير الدروس في مدرسة الفرير في طرابلس الشام وكفى بذكرهِ مديحًا لآثار قلمهِ فانّ هذه الروايات في نثرها ونظمها مرآة حيّة للعواطف الشريفة وللسيرة الادبيّة والفضائل الاجتماعيّة والمحبّة الوطنيّة لاسيما الثالثة منها جان هاشيت التي بشهامتها ردّت غارة كارل الملقّب بالتيرار عن مدينة برفه في فرنسة سنة ١٤٧٢ وابقت تلك الحاضرة لملكها الشرعي لويس الحادي عشر . وفي آخرها للاستاذ المذكور روايتان غير تمثيليتين — امّا الرواية الخامسة فقد طُبعت في نيويرك وهي تمثّل ثورة الدروز الاخيرة وانتصار الاهلين وجيش الانتداب على الثوّار في راشيّا مع ذكر تلك الباسلة مريم خوريّة السريان التي نجّت قلعة راشيّا من هجمات اعدائها . فنشكر المؤلف الياس جرجي شبل ابي نادر لتمثيلهِ هذه الحوادث المؤثرة التي لم يبرح ذكرها حيًّا في قلب اللبنانيين ل.ش

تشريح دحض النقض

بقلم جرجس الكمرواني الحلبي

بالمحروسة في مطبعة الصدق سنة ١٩٢٦

هذا جدال واقع بين كاتبين فاضلين في بعض امور طقسيّة وتاريخيّة من الطائفة المارونيّة . فلسنا لندخل في هذا المضيق الحرج فنتعرّض لما يهيج فريقاً على آخر ل.ش

كتاب شعراء النصرانيّة بعد الاسلام

القسم الثالث: شعراء الدولة العبّاسيّة للاب لويس شيخو اليسوعي

طُبع في مطبعة الآباء اليسوعيين سنة ١٩٢٧ (ص ١٥٦)

هو مجموع تاريخ وشعر ٤٤ شاعرًا نصرانيًا ممّن ازدهروا في عهد الدولة العبّاسيّة وقد مرّ ذكرهم في مجلة المشرق ثمّ نشرنا آثارهم على حدة مع زيادة ملحوظات على الثلثة الاقسام جميعاً ويليها قسم رابع للقرون المتأخرة

شذرات

﴿ الوسام اللبناني على صدر يسوعي ﴾ فرحنا بـل فرح كلّ وطني بما قرّره رئيس الجمهوريّة اللبنانيّة ومجلس الوزراء في اهداء وسام الاستحقاق اللبناني ذي السعف لحضرة الاب لوسيان كاتين اليسوعي لانقطاعه منذ نيف واربعين سنة الى تعليم الشبيبة اللبنانيّة وتربيتها كمدير مدارس ورئيس كليّة القديس يوسف وكرئيس عامّ على الرسالة اليسوعيّة وكمدير وكنشليار لمدرسة الطب الفرنساويّة مع ما اداهُ من الخدم الجليلة للبنان لدى الرأي العام وولاة الامور في فرنسة . فتمّ ذلك في مساء يوم الجمعة ٢١ كانون الثاني بحفلة شائقة حضرها ارباب الامر واساتذة الكليّة بفروعها مع كثير من الاعيان فأناط سعادة رئيس مجلس الوزراء بشارة بك الخوري بالوكالة عن رئيس الجمهوريّة المتغيّب لانحراف صحته ذاك الوسام بصدر حضرة الاب فأقبل الجميع على تهنئته وشكر هو كلّ من عُنوا بهذه الهبة التي يعدّها ممنوحة لا لشخصه بل لكل الذين شاركوه في مساعيه لخدمة الوطن

﴿ تدشين كنيسة اخوة المدارس المسيحيّة ﴾ تهنئ حضرة اخوة المدارس المسيحيّة عن تدشين كنيستهم البديعة التي يحقّ لها ان تُنظم في عداد اعظم واجمل كنائس عاصمة

لبنان . وقد جرت بذلك حفلة كانت غاية في الأبهة والرونق في ١٠ من كانون الثاني رأسها نيافة القاصد الرسولي باقامة الرُّتب الكنسيَّة الرسميَّة وحضرها علية القوم في مقدَّمتهم ارباب الدولة المنتدبة وممثلو الجمهوريَّة اللبنانيَّة والسادة الاساقفة ورؤساء الرهبانيَّات والاخوة الافاضل وقد أثنى الجميع على براعة مهندسها الاخ صموئيل المحترم

﴿ تدشين المستشفى اللبناني ﴾ وفي صباح ذلك اليوم دُشن ايضاً المستشفى اللبنانيّ الذي اهتمّ بانشائهِ حضرة القس يوسف الجميتاوي فجهَّزهُ بكل ما يحتاج اليهِ هذا المعهد الجديد لخدمة المرضى . فأثنى على اريحيَّتهِ ارباب الدنيا والدين وتمنوا لعملهِ كلّ نجاح

﴿ اثر جديد لديوان التفتيش الماسوني المصري ﴾ ارقتنا احد الاصحاب على حُكم « لغرفة رئيس الديوان الاعظم وكاتب السرّ الاعظم في مصر » اجراهُ ديوان التفتيش الماسوني المصري في حقّ « الاخ الافخم (كذا) عبد المجيد يونس امين الخزينة الاعظم للمجلس السامي » الذي سرق الخزينة المذكورة فحُكم عليهِ « بشطب اسمهِ من جميع سجلَّات السلطة الماسونيَّة وتجريدهِ من كلّ امتيازات الماسونيَّة » . فعسى هذا الحرم الماسوني يفتح العيون للاحرار ويبيّن لهم شرف جمعيَّتهم التي كثيراً ما ظهر فيها مثل هذه الاعمال المجيدة زه ! زه ! فما قول ابناء الارملة ؟ أفليس يُشكر الرئيس موسوليني لمعادرتهِ الماسونيَّة وزعمائها

﴿ تنصُّر سليمان النزّي ﴾ حاول الاستاذ المغربي تخطئتنا في جريدة الف باء بخصوص تنصُّر سليمان بن حسن النزّي فنقول : انَّنا لم نُقدم على قولنا جزافاً بل لاسباب . اوَّلاً لان احد الذين بعثنا منهُ اقدم نُسخة ديوان هذا الشاعر افادنا انَّهُ يعرف بالتقليد تنصُّر ذاك الشاعر بعد اسلامهِ . ثانياً انَّ اسم والد الشاعر « حسن » هو اسم شائع خصوصاً عند المسلمين . وان وُجد قليل من النصارى الذين عُرفوا بهِ . وثالثاً ما يحويهِ الديوان من الردّ على بعض مزاعم المسلمين كما روينا . ورابعاً استشهادهُ اي موتهُ في سبيل الدين ممَّا يثبت ذلك وان اراد جناب الاستاذ ان يطَّلع على صحَّة الرواية فليطالب بها جناب عيسى افندي اسكندر المعلوف وهو راوٍ ثقة سبق الى ذكرها . خامساً بل نجد لسكوت النصارى عن تنصُّر سليمان النزّي علَّة تثبت تنصُّرهُ اذ لم يجسر النصارى على الاعلان بهِ خوفاً من الدولة وتعصُّب اصل دينهِ

أسئلة وأجوبة

س سأل من بيوندورندماس الاديب موسى سعاده ما رأينا في ما اشرهُ احد كتبة اميركة عن اليهودي التائه الذي لقيهُ يسوع على طريق الجلجلة ؟

اليهودي التائه

ج هذه خرافةٌ شاعت في بعض البلدان وبنوا عليها روايات شتى . فان اراد السائل ان يعرف اصلها وفصلها فليراجع مقالة مستوفية لحضرة الاب لامنس في المشرق (٢ [١٨٩٩] : ١٩٦ــ١٩٨)

س وسأل آخر كيف امكنهُ ان ننظم أبا تمّام حبيب ابن اوس بين شعراء النصرانيّة مع ما يدلّ على خلاف ذلك في ديوانهِ ؟

نصرانية الشاعر ابي تمّام

ج فليراجع السائل مقالتنا في المشرق (٢٣ [١٩٢٥] : ٧٧٠ــ٧٧٣) حيث ذكرنا دين هذا الشاعر وبيّنا سبب الاختلاف .

س وسأل احد ادباء دمشق ألا يؤخذ من كلام السيّد المسيح في الانجيل (متى ٢٦ : ٢٩) : «اني من الآن لا اشرب من عصير الكرمة هذا الى ذلك اليوم الذي فيهِ اشربهُ معكم جديدًا في ملكوت ابي » ان في السماء اكلاً وشربًا ؟

الاكل والشرب في السماء

ج ان الكتاب المقدّس عمومًا يعرض المعاني الروحيّة على صورة محسوسة اذ لا يمكن الانسان ان يدرك تلك الامور إلّا بالمشابهة . امّا ذكر السيّد المسيح اكل التلاميذ على مائدتهِ وشربهم معهُ في ملكوتهِ فانهما بلا شكّ من المجاز ليس اكلًا وشربًا ماديين لان الربّ كثيرًا ما شبّه ملكوت السماوات بوليمة ضربها كمثل دُعي اليها البشر . وفي نفس قول المسيح ما يدلّ على أنّ المشروب غير الخمر التي قدّمها لهم اذ دعاهُ « جديدًا » فلا ينوي الخمر المادّية التي يرونها . ثم من قواعد تفسير الكتاب المقدّس ان تعرض الآيات على بعضها الموقوف على صحة معناها والتمييز بين الحقيقة والمجاز . وقد ورد في العهد الجديد آيات لا تحصى على انهُ ليس في السماء اكل ولا شرب ولا زواج فان ورد اذن شيء من ذلك لا بُدّ ان يفسّر تفسيرًا مجازيًّا ل . ش

المشرق

الاضطهاد الديني في المكسيك

للاب فرديناند توتل اليسوعي

توطئة

انَّ الحوادث المؤلمة التي تجري في بلاد المكسيك منذ عامين وجَّهت نظر العالم المتمدّن نحو ارباب سياستها وضابطي دفّة تدبيرها

ومن المعلوم انَّ المكسيك دولة واسعة من اميركة المركزيَّة موقعها بين الولايات المتحدة شمالًا وبلاد غواتمالا جنوباً تحدُّها البحار شرقاً وغرباً. يبلغ عدد سكانها نحو ١٥ مليوناً من البشر. وهي جمهوريَّة تتألف من احزاب طالما تشاجرت وتحاربت ولم تحصل حتى اليوم على سلام ثابت

١ الدين في المكسيك واعداؤهُ

امَّا الدين في المكسيك فهو الدين الكاثوليكي الغالب على كلّ انحاء البلاد لا تكاد تبلغ بقيَّة الاديان ربع المليون. ولعلَّ روح الدين كان خمد نوعاً بدسائس اعدائهِ لاسيما الشيع السريَّة التي لم تزل تثير الفتن وتهيج الاهواء. وتبثُّ الاراجيف الكاذبة بكل اجتراء. وقحة حتى استولى ذووها على حكم البلاد واذ خلا لهم الجوّ اسرعوا سنة ١٩١٧ فسنُّوا دستوراً ضمَّنوهُ بنوداً تقتل حرّيَّة كلّ من لا يوافقهم على آرائهم وتُجحف خصوصاً بحقوق الكنيسة الكاثوليكيَّة على انَّهم لم يتجاسروا على تنفيذ تلك القوانين الجائرة خوفاً من هيجان الشعب ومعارضة ارباب الدين الى ان

تولّى الرئاسة في غرّة كانون الاوّل سنة ١٩٢٤ الجنرال بلوتركو الياس كالّس المعروف بغالاته في الكفر وتطرّفه في معاداة الدين. فغلب على ظنّه انه يفوز بتنفيذ تلك الشرائع المجحفة مهما وجد في طريقه من العقبات

وكان الاساقفة المكسيكيون مذ وقفوا على مضامين الدستور السابق ذكره احتجّوا على قراراته المستقبحة وطلبوا مرارًا ان تُلغى تلك البنود الجائرة فكان من الرئيس الجديد كالّس الماسوني انهُ ليس فقط لم يُلبِّ دعوة ارباب الدين بل وضع قرارات جديدة زادت بنود الدستور ظلماً وعدواناً

٢ صورة الدستور المكسيكي المعادي للدين

قد سعى بعض الوالين الحكومة المكسيكيّة بأن يدافعوا عنها ويلقوا على الكنيسة الكاثوليكية تبعة ظلمهم. وهو مدّعى باطل يكفي لتفنيده ان نعرض على القرّاء بعض البنود التي تقرّرت بالدستور المكسيكي مناهضةً للدين فأنّها من اسوإ ما ورد في حقّ الكنيسة في عهد اكبر مضطهديها جورًا وعتوًّا

١ ﴿ الخدمة الدينيّة ﴾ لا يقوم بهذه الخدمة غير المكسيكيين ومن خالف من الاجانب يعاقب بجزاء نقدي يبلغ ٥٠٠ بسُو (٢٥٠٠ فرنك) او يُحبس او يُطرد من البلاد (البند ١٣٠) والمراد بالخدمة الدينيّة توزيع الاسرار والوعظ والتبشير (البند ٢)

يُقاصّ بجزاء نقدي وحبس ١٥ يوماً من يُقيم خدمةً دينيّة في احدى الكنائس دون رخصة الحكومة وتُغلق الكنيسة ريثما تُنال الرخصة الرسميّة (ب١٩) امّا القائم بخدمة دينيّة خارجاً عن الكنيسة فيغرَّم هو ومساعدوه جزاء نقديًّا ويُحبس (ب١٧) وكذلك يجازى نقديًّا ويُحبس من ظهرَ خارج الكنيسة بثوبه الاكليريكي او بعلامة دينيّة مميّزة لشخصه

٢ ﴿ الرهبانيّات ﴾ أُعلن بالغائها. فلا يجوز لاحد ان يُبرز النذور الرهبانيّة ويتقيّد بالطاعة لرئيس. وان عاد الرهبان الى حياتهم الاجتماعيّة يُحبس رئيسهم ستّ سنين والمرؤوسون سنةً او سنتين. امّا الراهبات فيجازَين بثُلث جزاء الرهبان (ب٧) وان حمل احدٌ شخصاً على الترهّب جوزي بالتوقيف او الجزاء النقدي

٣ ﴿ الاوقاف ﴾ الابنية الدينيّة من كنائس وغيرها اضحت ملكاً للأمّة.

وللحكومة ان تعيّن ما يختصّ بخدمة العموم الدينيّة (ب ٢٧)

وتُعدّ ايضاً من املاك الأمة دُور الاساقفة والكهنة والمدارس الاكليريكيّة والملاجئ والاديرة وعموم المدارس والمعاهد التي غايتها خدمة الديانة وتدبير شؤونها وانتشارها وتعليمها. فيقاصّ بالحبس والتغريم كلّ من يُلحق بها أذًى ماديًّا

لا حقّ للكنيسة ولسائر المذاهب الدينيّة ان تملك شيئاً من الارزاق او تدير عقارًا او تحصل على رأس مال سواء فعلت باسمها او بأسم وسيط. فكل ذلك يؤخذ ويُعطى للأمة وكلّ من وقف على مخالفة هذا البند له ان يقيم الدعوى على الجاني ومن يحفظ شيئاً من تلك الارزاق او توسّط لحفظها حُبس سنتين (ب ٢١)

٤ ﴿ حرّيّة التعليم الديني ﴾ لا يجوز للكهنة والرهبان ان يفتحوا مدرسةً ابتدائية او يديروها تحت طائلة العقاب بجزاء نقدي (٥٠٠ بسو) او حبس ١٥ يوماً (ب٥). ولا قيمة للشهادات المعطاة لطلبة الكهنوت في المدارس الاكليريكية ويُحظر كل مسعى لتثبيتها او للاعفاء منها او للتعريض عنها لايّ علة كانت ويُعزل كل مخالف من منصبه ولا يستطيع ان ينال شهادةً اخرى من نوعها لمدّة ثلاث سنين (ب ١٢)

ثمّ انّ التعليم الديني ممنوع بتاتاً حتى في المدارس الحرّة ومن خالف يُنقد ٥٠٠ بسو او يُحبس ١٥ يوماً وان تكرّرت المخالفة امكن الحكومة ان تقفل المدرسة

٥ ﴿ حرّيّة المطبوعات الدينية ﴾ محظور طبع اي تأليف كان غايتهُ بيان الفرائض العمومية او واجبات السلطة او اعمال الافراد المنوطة بالمشروعات العمومية. ويُعاقب المخالف بجزاء نقدي سواء كان مدير النشرة ام صاحبها ام محرّر المقالة. واذا تكرّر الذنب أُلغيت النشرة (ب ١٤)

٦ ﴿ حرّيّة الاحتجاج والاجتماعات ﴾ كل رجل من رجال الكنيسة يحرّض باللسان او بالقلم على مخالفة الشرائع او تقارير الحكومة وكلّ من ينتقد اعمال السلطة يقاصّ بجزاء نقدي ويحبس ست سنين (ب ٨ و١٦)

ويُحظر ايضاً تحت طائلة الجزاء النقدي والحبس على رجال الدين كلّ اجتماع سياسي يعقدونهُ او يبيحون بهِ او تأليف حزب سياسي ذي علاقة بمذهب ديني (ب ١١ و١٥ و١٦)

ثم يليها بنود أخرى في تعيين الوسائط القضائية ومعاقبة العمال الذين يتهاونون او يتساهلون بتنفيذ تلك البنود اما بكف اليد واما بالعزل او النفي. ومثل هذه الاحكام تجري على مجالس البلديات ورؤسائها ان لم ينفذوا البنود السابقة

٣ تنفيذ الاحكام المذكورة

تلك هي البنود الغريبة والتقارير الفظيعة التي لم يُرَ لها مثيل في تواريخ الامم المتمدنة فأوحت بها الماسونية في محافلها السرّية لتقيد بأغلالها كنيسة المسيح وارباب في بلادٍ رضعت حليبها منذ اربعمائة سنة ونالت ضروب النعم من فضلها . ولم تبقَ تلك الاحكام حبرًا على ورق فانّ الرئيس كالس لم يكتفِ بالتوقيع عليها بل اضاف اليها امورًا زادت على صرامتها وحتم باجراء سُنَنها فعلًا منذ غرّة شهر آب الماضي فانتشبت في كل انحاء المكسيك حربٌ دينية ستسطّر في تاريخها بأحرف دموية فتُروى كدليل باهر على روح الشيعة الماسونية وكفرها

فما اخذت الحكومة بتنفيذ تلك الاوامر حتى بلغتها الاحتجاجات من كلّ أوب وصوب فلم تبالِ لها بل طردت نيافة القاصد الرسولي السيّد جرجس كاروانا من تخومها. وجعلت تطرد الرهبان والكهنة والراهبات من سائر الدول الاجنبيّة لا تراعي في ذلك ذمّةً ولا معاهدة فتضع اليد على مقتنياتهم واملاكهم

ثمّ وجّهت نظرها الى مواطنيها فاستخدمت الدور الاسقفيّة والمدارس الاكليريكيّة والكنائس وأعلنت بها املاكًا عموميّة للأمّة. وأقفلت مئات من المدارس والاديرة واوقفت بعض الاساقفة وساقتهم الى المحاكم والقتهم في السجون واقامت دعاوي قضائيّة على عدد عديد من الكهنة وقُتل بعضهم في دفاعهم عن حقوق الكنيسة او عن عفاف عذارى التجينَ اليهم

ولمّا احتشدت الجموع امام الكنائس لتذود عن حرمة الهياكل اطلق جنود الحكومة الرصاص على الجماهير المحتشدة فذهب بعضهم شهداء بسالتهم وجُرح كثيرون

ثمّ اشهروا الحرب العوان على المؤمنين المتظاهرين بإيمانهم يذيقونهم ضروب العذابات حتى الموت الاحمر فايدت بدمائهم الزكيّة حديقة البيعة وتذكّرنا بأعصار

الكنيسة الاولى في عهد اضطهادات الملوك الوثنيين للنصرانيَّة . فدونك مثالًا نعرضهُ على القرَّاء ليقفوا على همجية المضطهدين وما هي الَّا زهرةٌ من تلك الزهور القانية التي تعطَّرت حديقة البيعة بشذا بُطولتها المسيحية

استنكر الوطنيُّ الكاثوليكي المسمَّى فرفان معاداة الحكومة لدينهِ فعرض على واجهة مخزنهِ هذه النافذة التقويَّة: «فليحيَ المسيح الملك» واذا بالجنرال امايا قد مرَّ بالمخزن وبصحبتهِ القائدان سانشس واسكالانت وبعض الضبَّاط . فامتعض امايا لنظرهِ ذلك الاعلان فدخل المخزن وامر بنزعهِ فأبى صاحب المخزن فسحب الجنرال سانشس مسدَّسهُ ليطلقهُ عليهِ فمدَّ فرفان يدهُ على ذراع سانشس مدافعاً عن نفسهِ فتحوَّلت عنهُ الرصاصة واصابت يد الجنرال اليسرى فقبض الجند على فرفان وساقوهُ ليحاكم في المجلس العرفيّ العسكري وتوعَّدوا بالموت كلَّ مدنيٍّ يقوم للدفاع عنهُ . أمَّا اعضاء المجلس فاعلنوا بعدم صلاحيَّتهم لمحاكمة رجلٍ مدنيّ وطلبوا تأجيل الحكم الَّا انَّ بعض الضبَّاط قبضوهُ قسراً وذهبوا بهِ في سيَّارة الى خارج المدينة فاغتالوهُ . ثم عادوا الى مخزن فرفان واذا باعلان جديد فوق مخزنهِ: «الله وحدهُ لم يمُت ولن يموت . للمسيح النصر . للمسيح المُلك . للمسيح السلطان»

وبمثل هذه المآثر الجليلة تزيَّنت صفحات تاريخ الكنيسة المكسيكيَّة غير مرَّةٍ

٤ الدفاع عن حقوق الكنيسة وكرامة الدين

لمَّا ابرزت الحكومة المكسيكيَّة احكامها الظالمة بسعي كالس وذووهُ بتزكية اعمالهم الفظيعة وتستيرها رياء بضروب من الكذب ليموِّهوا على الدُّول . ولذلك منعوا كل الجرائد الكاثوليكيَّة عن نشر الحقيقة واتَّفقوا مع اصحاب الجرائد الماسونيَّة في اوربَّة لتبريرهم وإلقاء تبعة الامور على الكنيسة . واستخاروا لهم بعض الكهنة العُصاة لتنفيذ مآربهم . الَّا ان الحقّ يعلو ولا يُعلى عليهِ . وكان اوَّل من رفع صوتهُ للاحتجاج على تلك الفظائع المستنكرة إمام الاحبار ببراءةٍ رسوليَّة كشف في وجه العالم تلك الدسائس والجرائم التي تُسربل بالعار الحكومة المكسيكية . وأمر قداسته بان تُتلى صلوات خاصَّة في كافة المعمور لنجاة كاثوليك المكسيك من ذلك الاضطهاد الاعمى . وتعدَّدت الاحتجاجات المرسلة الى رئيس الجمهوريَّة المكسيكية

من انحاء العالمين حتى استفحلها ذات اعداء الكنيسة

اما اساقفة المكسيك فلم يكترثوا لتهديدات السلطة الجائرة بل وجهوا الى اكليروس بلادهم والى سائر المؤمنين رسالة احتجوا فيها على شرائع الجور وبسطوا التعليم الكاثوليكي في طبيعة الكنيسة واصلها الالهي وحقوقها وواجباتها المقدسة وبيّنوا كيف يناقضها الدستور بنود عديدة ودعوا المؤمنين الى توحيد كلمتهم وعملهم والى التذرع بالصلاة والاعمال الصالحة والشهامة المسيحيّة فيتّقوا شرور تلك السنن الكفرية ويقووا على اعداء خلاصهم

ولمّا اشتدّت وطأة الاضطهاد وتحقق الاساقفة انه ما من امل لهم بإرجاع الرئيس كالس عن غيّه وجّهوا الى الاكليروس والشعب في ٢٥ تموز ١٩٢٦ رسالة اخرى جليلة الشان لا ترى مندوحة من تدوينها على صفحات الشرق وهي كملخّص الحوادث الجارية ضد الكنيسة في المكسيك يشعّ منها نورٌ للعقول وتبعث القلوب على الاعتصام بعرى الايمان والنشاط في الذود عن مصالح الدين وتصرّح عن كذب اشاعات الحكومة في اتهام الكنيسة

ايها الاخوة المحترمون والابناء الاحبّاء

لقد اثار الاضطهاد الديني في المكسيك عاطفةً في قلب قداسة البابا بيوس الحادي عشر دفعتهُ الى تحرير رسالته المؤرخة في ٢ شباط ١٩٢٦ وذلك من قبل ان تتفاقم شرورنا الحاضرة. قال :

«ما اشدّ جور الشرائع والتقريرات التي سنّها الحكّام اعداء الكنيسة ضد كاثوليك جمهورية المكسيك ! لا حاجة ان نتحدث بها اليكم ايها الذين احصيتم رؤوسكم تحت نيرها منذ عهد بعيد. انكم تعلمون ان شرائع كهذه لا تستحق اسم الشرائع والعقل السليم ينبذها وهي مناقضة لطبيعة الشريعة وهذه من شروطها الجوهرية ان توخي الخير العام. فلذلك لقد اصاب بندكتس الخامس عشر سالفنا السعيد اذ كتب الى عليكم أنّ تذرّعتم بالحق والبرّ ورفعتم بلاغ تلك الشرائع وقدّمتم عليها احتجاجاً رسمياً. فاما برسالتنا هذه نؤيد احتجاجكم ونعتبره كترجمان عن شعورنا وافكارنا »

«واننا منذ ذلك العهد (٧ ١٩) الى هذه الاشهر الاخيرة قد سلك الكرسي الرسولي خطّة السكوت عن قطنة لان البنود الدستورية المضادة للديانة ما كانت تجري بالعمل لتحول دون حياة الكنيسة. نعم ان الحكّام الذين قبضوا على زمام البلاد في تلك

المدّة من الزمان قد وضعوا عوائق عظيمة ضد حياة الكنيسة بقرارات قاسية جداً ومُناقضة للدستور انّما لم يمنعوا الوعظ وتوزيع الاسرار والخدَم الدينيّة منعاً باتاً

«قد استبدّوا ولكن كان بالوسع ان يعتبر استبدادهم ظلماً موقتاً لا يتناول العموم فوقفنا نجاهد وقفة المتحذرين الملتمسين حلّاً للمشاكل الصابرين على الجور مع محافظتنا دوماً على المبادئ المؤسس عليها دستور الكنيسة الالهي وقد بسطناها لكم في رسالة رعائية سابقة

«ولكن لمّا اصدر المجلس التنفيذي في ٢ تموز ١٩٢٦ تقريراته وفيها ما فيها من الاجحاف بالحقوق الكنسيّة الالهية المعهود الينا امرُها ومن منافضة الحق الطبيعي الموطّد اساس العمران على الحرية الدينية والآمر الافراد والجماعات بواجب خدمة الله ، ولمّا كانت تلك التقارير قد صدر فيها حكمٌ اعظم رجال الشرع من كاثوليكيين وغيرهم انها مناقضة للدستور المكسيكي ، لم نجد الى النزول عندها سبيلاً ... واننا لنقترف ذنباً اذا تساهلنا في امرها فلا نرضى ان يبكّتنا ضميرنا يوم الدينونة فنتحسّر تحسّر النبي اذ قال (اشعيا ٦ : ٥) : «الويل لي لاني لم انطق»

«هل من احد لا يرى انّها لإهانة لم يسبق لها مثيل ان يُحوّل ما فرضهُ السيّد المسيح او ما نصح به من الاعمال التي تجلّها الشعوب المتمدنة جمعاء وهي روح الأمّة المكسيكيّة وحياتها منذ قرون الى ذنب جزاؤه اشدّ من الجزاء الذي يحلّ في المجرمين على الآداب العمومية وعلى حياة الاهلين واملاكهم . تلك الإهانة قد اقترفها المجلس التنفيذي ضدّ الحق سبحانه وتعالى وضد الحق الطبيعي وضد كل حق مقدّس عزيز على الأمّة المكسيكيّة

«فبناء على ذلك واقتداء بمثل الحبر الاعظم اننا نحتجّ على تلك الشرائع ونرفع احتجاجنا الى الله والبشر والوطن والتاريخ ونتكل على الله وعليكم لإصلاح ما فسد منها ومن سائر البنود الدستوريّة وانّنا لا يقرّ لنا قرار ما لم ننل مأربنا . قد سبقنا وحررنا ان وقفتنا هذه ليست وقفة عداة لان الدستور ذاته يمهّد لنا السبيل الى اعادة النظر فيه وأنّنا في ذلك نحترم اوامر تسمو على كل شريعة بشرية ونذود بالعدل عن حقوق شرعيّة

«ولأن الشروط التي وضعها القانون المذكور تحول دون القيام بالخدمة الدينيّة

فانّنا بعد ان استشرنا ابانا الاقدس البابا بيوس الحادي عشر ونلنا في الامر رضاه نقرّر ان تكون الخدمة الدينيّة العمومية التي لا تتمّ الّا على يد الكهنة ممنوعةً ومحرّمة في جميع كنائس الجمهوريّة

«وانّنا نعلمكم ايها الابناء الاحباء انّنا لم نقصد بهذا المنع الكنائسي الاقتصاص من البلاد وانّما هو الوسيلة الوحيدة التي في وسعنا لنعرب بها عن مقاومتنا للبنود الدستورية المضادة للدين

«لن تُغلَق الكنائس بل تبقى مفتوحةً كي يقيم المؤمنون فيها الصلاة. امّا الكهنة المعهود اليهم بامرها فيهجرونها تفادياً من الجزاء الذي يتهدّدهم بقرار التنفيذ ومن التزامهم بموافقة نصوص القانون

«ومن ثمّ انّنا نستودع كنائسنا المؤمنين ونحن على ثقة انهم يحافظون عليها محافظتهم على معابد ورثوها من اجدادهم او شادوها بثمن تضحياتهم ليقدّموا فيها عبادتهم لله

«وبما ان القانون لا يعترف بحقوق المدارس الكاثوليكيّة الابتدائيّة للتعليم المسيحي الواجب تلقينه نناشد ضمائر آباء العائلات ألّا يرسلوا اولادهم الى المعاهد التعليميّة حيث يكون ايمانهم او آدابهم بخطر وحيث المؤلفات المدرسيّة تناقض المعتقدات الدينيّة التي يعترف بها الدستور ذاته بل يسعوا لكي يقوموا في حضن العائلة بالواجب المقدس الذي عهد الله به اليهم اعني تربية اولادهم ....

«تذكّروا ان نينوى نجت من الدمار بالصلاة والتوبة. فالتجئوا الى الله والى سيّدة الجبل بلا دنس وثابروا على الصلوات والصيامات والاماتات والحسنات وأظهروا حزنكم بامتناعكم عن الاجتماعات والملاهي العالمية وجاهدوا بكل ما لديكم من وسائل مباحة سلميّة كي تنالوا الغاء تلك الشرائع التي تحرمكم واولادكم كنزاً لا تُقدَّر خسارته كنز الحياة الدينيّة الذي لا غناء عنه»

وفي نهاية الرسالة يعرض الاساقفة لائحة العقوبات الكنائسيّة التي تحلّ بمن يضطهد الكنيسة ورجالها وبمن يُناصر مضطهديها ويدعون المؤمنين الى الاحتمال والصبر لان المسيح مات لكنه قام من الاموات وانتصر وكذلك حياة الكنيسة فآلامٌ وموت وقيامة ونصر

فلبى الشعب الكاثوليكي طلب اساقفته وانشأ حزبَ الدفاع الديني الذي مركزه في مكسيكو ولهُ فروع في الولايات وفي احياء المدن وفي الشوارع وفيه لُجَن عليها وكلاء متَّصلون بزعماء الحزب وهؤلاء مستعدُّون للتناوب بعضهم عن بعض اذا ما قبضت عليهم حكومة الاضطهاد وحبستهم فيقوم غيرهم يستلم زمام التدبير. وغاية الحزب العمل على حفظ اوامر الاساقفة وعلى مقاطعة اوامر الحكومة بالطرائق المباحة السلميَّة. حتى اذا حصلت ازمة اقتصادية عظيمة وتمرقلت الحكومة بشؤونها الادارية اضطرَّت الى معالجة الداء بقطع اسبابه والى اعارة أذنها لمطالبات الكاثوليك وتحوير شرائعها المجحفة بحقوقهم

وقد تمَّ الامر طبقاً لمرام حزب الدفاع الديني فوقعت الازمة واخذ الناس يمتنعون عن الملاهي وعن كل إسراف غير ضروري في الاكل والشرب والسكنى. ووقفت حركة الاسواق حتى ان التجار اخذوا يلحُّون بالوقت عينه على رئيس الجمهوريَّة وعلى الاساقفة ليجدوا سبيلاً الى فكّ المشاكل. وقد قامت مؤخَّراً ثورة عسكريَّة ضدَّ الحكومة

وكان امر انقطاع الكهنة عن الخدمة الدينيَّة واغلاق الكنائس مساعداً على نجاح المقاطعة لان العادة في اميركا الشمالية ان التجار يتصافقون على بيوعاتهم يوم الاحد عند خروجهم من الكنائس في الباحة العمومية فلمَّا أوقفت الرُّتب الدينيَّة بطلت ايضاً تلك العادة فاشتدت الازمة وطأةً واخذت قيمة البسُّو الفضي بالهبوط. على ان تعصُّب الحكومة الاعمى وتمسُّكها بالمبادئ الماسونيَّة البلشفية ابى الَّا النوال من الدين ورجاله فكأنهُ استطاب ان تسيل دماء الابرياء وان تشتعل الثورة فتنتشر في مشارق البلاد ومغاربها

وفي نهاية هذه المقالة دعنا نجيب على هذا السؤال لماذا يسمح الله بالاضطهاد. انهُ سبحانهُ على كل شيء قدير ولا شيء يتمّ في العالم الَّا بقدرته واذنه. فالخير كلُّهُ منهُ ويستخدم الخلائق في سبيله علةً ثانية. والشرّ كله من البشر اذ هو نقصان والنقصان ليس من الخالق ولكن من الخليقة. على انهُ تعالى بحكمته السامية يسمح بذلك النقصان اعني بالشر لانهُ لهُ غايات سامية خاصة. قد ترك الاشرار يفتكون بالاخيار ولا يقتصّ منهم حالاً في هذه الحياة. لاسباب منها انهُ تعالى يتمجَّد بصبر المجاهدين وايمانهم ويخوّلهم فرصة ثمينة يستحقون فيها اجراً عظيماً بمشاركتهم المسيح في آلامه فيزيدون

على كنز استحقاقاته ما يكتسبونهُ بآلامهم ويلوح في السماء والارض نور فضائلهم . وكما ان غبارة الوثنيين واضطهاداتهم ربحت للسماء في الاجيال السابقة جيشاً جرّاراً من الشهداء رجالاً ونساء فتياناً وعذارى حملوا اغصان النخل رمز الانتصار وقد تضرّجت ابدانهم بدمائهم وساروا وراء الحمَل كذلك ترى اليوم الكنيسة المكسيكية المضطهدة ابناءها الشهداء يسيرون مظفرين وراء الحمل الالهي

سمح الله بالاضطهاد لكي يستفيق الفاترون من غفلتهم لانه لا مناص لهم من احد امرين اما ان يسيروا في جيش المجاهدين في سبيل الايمان فيعيشوا عيشة مسيحيّة حقيقية واما ان يناصروا الحكومة على الكنيسة . ولكن لا ريب ان الاكثرين يعودون الى ممارسة واجباتهم الدينيّة بغيرة ونشاط وبعد سنين غير عديدة يكون مات كالس وانقرضت دولته اما الكنيسة الكاثوليكية فتكون خرجت من العاصفة ظافرةً نشيطةً مستعدّةً لفتوحات جديدة .

فليحيَ المسيح الملك !

شعراء النصرانية بعد الاسلام

شعراء القرون المتأخرة مباشرة بالقرن الرابع عشر

القسم الرابع

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

٢ فخر الدين ابن مكانس

﴿اسمهُ ونسبهُ﴾ قال ابو المحاسن ابن تغري بردي في المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي (Ms de Paris, 2071, ff. 40v) : « هو عبد الرحمان بن عبد الرزّاق بن

ابراهيم الرئيس فخر الدين ابو الفرج وقيل ابو الفضل ابن شمس الدين ابن علم الدين الشهير بابن مكانس القبطي المصري الحنفي الاديب الشاعر». فمن لقبه والقاب اجداده ترى ما كان له من الشرف والاعتبار

﴿زمانهُ واعمالهُ﴾ قال ابو المحاسن في النجوم الزاهرة (éd. Popper ٧١) وفي المنهل الصافي (ibid.) «كان مولدهُ بالقاهرة سنة خمس واربعين وسبعمائة (١٣٤٤ م) ونشأ بها وتعانى قلم الديون وغلب عليه الادب حتى صار بارعاً فيه الى الغاية مع المشاركة الجيدة في انواع الادبيات. تولّى نظر الدولة بديار مصر مدّةً طويلة ثمّ صار وزيراً بدمشق فباشرها مدّةً الى ان طاب الى القاهرة ليستقرّ بها وزيراً فاستقى (فاستسقى ؟) في الطريق فدخل القاهرة ميتاً وقيل مات بعد ايام في ١٥ ذي الحجّة سنة ٧٩٤ه (١٣٩٢ م)».

﴿دينهُ﴾ وُلد فخر الدين ابن مكانس نصرانيًّا لكنهُ أسلم رثاء ليس رغبةً في الاسلام او اقتناعاً بصحّته بل طمعاً في الارتزاق وحبًّا بالمناصب الشرفيّة. ولسنا لنروي ذلك جزافاً بل اثباتاً للحقيقة التاريخيّة ولنا على قولنا اصدق شاهد في ما ذكرهُ ابن تغري بردي في المنهل الصافي عن المقريزي قال ما حرفهُ الواحد: «قال المقريزي بعد ان أثنى على اديبه (اي ابن مكانس) وفضله إلّا انهُ كان لعراقة آبائه في النصرانيّة يستخفّ بالاسلام واهله ويُخرج ذلك في اساليبَ من سخطه وهزله. أخبرني محمّد بن ابراهيم البشتكي وكان قد عاشرهُ دهراً طويلاً انهُ سمع المؤذّن يقول في إذانه: «واشهد انّ محمّداً رسول الله» فقال: هذا محضرٌ لهُ ثمانمائة سنة نودي فيه للشهادة وما ثبتَ. ومات ولهُ عدّة بنات نصارى. عاملهُ الله بما يستحقّهُ» انتهى كلام المقريزي. قلتُ (القول لابن تغري بردي): هذا شأن سائر اقباط مصر قديماً وحديثاً إلّا انّ فخر الدين هذا كان انسلخ من ابناء جنسه بما اشتمل عليه من الفضيلة والادب والشعر الرائق» انتهى ما نقلناهُ عن المنهل الصافي وهو يؤيد ما قلناهُ عن النصارى الذين يعدلون الى الاسلام انهم انّما يفعلون ذلك لغايات بشريّة فيحقّ لنا ان ننظمهم في سلك النصارى

﴿ادبهُ وشعرهُ﴾ كان فخر الدين ابن مكانس من كبار المتأدبين. ذكرهُ السيوطي في حسن المحاضرة في اخبار مصر والقاهرة (١: ٣٣٠) قال عنهُ «انهُ كان وزير دمشق وناظر الدولة بمصر» وانهُ كان «احد فحول الشعراء ولهُ ديوان انشاء»

ألّا انهُ قد غلط بذكر وفاتهِ سنة اربع وستين وثمانمائة والصواب ما رويناهُ انهُ مات سنة ٧٩٤هـ. وقد جمع ابنهُ مجد الدين ديوان شعرهِ وانشائهِ منهُ نسخ خطيَّة في خزانة كتب باريس وبرلين ولندن وغرطا ومونيخ ومصر. وقد روينا لهُ في كتابنا مجاني الادب (٢ ع ١٠٩) منتخباً من ارجوزتهِ التي اوَّلها:

هل من فتًى ظريفِ مُعاشرٍ لطيفِ
يسمعُ من مقالي ما يُرخصُ اللآلي

وهي طويلة وفيها يقول:

أسلكْ مع الناس الأدَبْ ترى من الدهر العجَبْ
لِنْ لهمُ الخطابا واعتمدِ الآدابا
لا تُغضِبِ الجليسا لا توحِشِ الانيسا
لا تَصحَبِ الخسيسا لا تُسخطِ الرئيسا

وختمها بقولهِ:

فهاكها وصيَّهْ تَصحبُها التحيَّهْ
تَحملها الكرامُ اليكَ والسلامُ

وروى لهُ النواجي في حلبة الكميت (ص ٣٠٨ــ٣١٣) موشحاً طويلاً وصف فيهِ رياض القاهرة ومحاسنها فيقول منها (من الوجز):

يا كرْ الى جزيرة الفيل(١ التي تختال في افنانها كالجنَّةِ

١) جزيرة الفيل هي من جزائر نهر النيل قريباً من القاهرة دُعيت بذلك لانَّ مركباً كبيراً كان يُعرف بالفيل انكسر في موضعها. قال المقريزي في الخطط (٢ : ١٨٥) «وجزيرة الفيل هي الآن بلد كبير خارج باب البحر من القاهرة»

ولا تَمِلْ من وَجْهِها لوِجْهَةِ صِفْ حُسنَها لمائها والخُضْرَةِ
وقِفْ بشاطيها ولا تُعَدِّي
واجلس من المنيَةِ جَنْبَ الشاطي في فُرُش الروضِ على بساطِ
فهي من التدبيج في إفراطِ عروسةٌ تختال بالأقراطِ
ومن لآلئ نَوْرها في عِقْدِ

ومنها قولهُ في بئر البلسم في المَطرية وهي البئر التي قدَّسها السيد المسيح فأنبتت البلسم قال :

وانظر الى انوارِ بئرِ البَلْسَم فهي سبيلُ صحَّتي من سَقَمي
لكونها فيما يقالُ تنتمي الى المسيح السيِّد ابن مريمِ
مُحْيي بإذْن اللهِ مَيْت اللَّحْدِ
بئرٌ لها التعظيمُ والجلالَهْ بدرٌ أنارَتْ واستنارتْ هالَهْ
أنموذجُ الفردوس لا محالَهْ فيها عن الجنَّةِ أيْ دلالَهْ
تُذكِّر الناسَ نعيمَ الخُلْدِ

وقال يعاتب صديقاً اسمهُ سراج الدين الاسكندراني لهجره الخلان ويدعوهُ الى مجلس أُنس (من البسيط) :

يا ذا الذي فكرُهُ مثلُ اسمهِ يَقِدُ فَنُدْتَ عنَّا وما من شأنِك الفَنَدُ
بمَ اعتذارُكَ عن هذا الصدودِ لنا هذا وقد ضمَّنا بالجيرَةِ البَلَدُ
عافاكَ ربُّكَ من داء القطيعةِ بل شفاكَ من داء أمرٍ كأنَّهُ نَكَدُ
فيمَ التَّواني وشهرُ الصوم مقتبلٌ عن خمرة ضوءُها في الكأس يتَّقِدُ

وفتيةٍ مُخلِصينَ الودَّ قد جبلوا على المحبَّة لا حقدٌ ولا حسدُ
ان ذاعَ وصفكَ في نادِيهِم طَربوا او جالَ ذكرُكَ فيما بينهم سَجَدوا
اذا هجرتَ بني الآداب فأبدُ لنا بِمَ اعتذارُكَ لا اهلٌ ولا ولدُ
ما هكذا تفعلُ الدنيا بصاحبها فالناسُ بالناس والاخوانُ تُفتَقَدُ
وبعدُ فاحضُرْ وذنبُ البُعدِ مغتفَرٌ وان تطاوَلَ من هجرانِكَ الأَمَدُ
لازلتَ ترقى على زهرِ النجوم عُلًى ما هَبَّتِ الريحُ اقواماً وما رصدوا

ومن حُسن اوصافهِ قولهُ يصف دوحةً وارفة الاغصان على شاطئ النيل (من البسيط):

يا سَرحةَ الشاطئِ المُنسابِ كوثرُهُ على اليواقيتِ في أشكالِ حَصباء
حلَّت عليكِ عَزالِيها السحابُ اذا نوءُ الثُّرَيا استهلَّت ذات أنواء
وان تبسَّم فيكِ النَّورُ من جَذَلٍ سقالكِ من كلِّ غيمٍ كلُّ بَكّاء

ومنها:

لن يُدرِكَ الطَّرفُ اقصاها على كَلَلٍ حتى تعودَ لهُ لَحظاتُ حَولاء
مالت على النهر اذ جاشَ الخريرُ بهِ كأنَّها أُذُنٌ مالت لإصغاء
باكرتُها في سَراةٍ من أصاحبنا لا ينطوونَ على حِقدٍ وشَحناء
تداعبوا في معاني شعرهم فأرَوْا ردَّ الاحبَّةِ في الفاظِ أعداء

ومن شعرهِ قولهُ يذكر ابنهُ فضل الله (من الطويل):

أرى وَلَدي قد زادَهُ اللهُ بَهجةً وكَمَّلَهُ في الخَلقِ والخُلقِ مُذ نَشا
سأشكر ربّي حيثُ أُوتيتُ مثلَهُ وذلكَ فضلُ اللهِ يؤتيهِ مَن يشا

ولمّا تسلطنَ الملك الظاهر برقوق سلطنتهُ الثانية سنة ٧٩٢ (١٣٩٠م) غضب على الصاحب فخر الدين ابن مكانس. قال ابن اياس (١ : ٢٩٣) : « ضربهُ علقةً قويّة. ثم علّقهُ من رجليهِ بسِرْياق (١ فاقام وهو منكوس على رأسهِ نصف نهار ثمّ انّ بعض الامراء شفع فيهِ فأنزلوهُ فقال في هذه الواقعة (من البسيط) :

وما عُلِّقتُ بالسِرْياقِ منتكساً لزلّةٍ (٢ اوجبَتْ تعذيبَ ناسوتي
لكنّني مذ نفثتُ السِحْرَ من ادبي (٣ عُذّبتُ تعذيبَ هاروتٍ وماروتِ

وقال يذكر يوم الحساب (من الكامل) :

واسَوْتَاهُ اذا وقفتُ بموقفٍ ما يَنْجلي فيهِ سوى الإقرارِ
وسوادُ وجهي عند اخذ صحيفتي وتَطَلُّعي منها شبيهُ الفارِي

﴿ اخوهُ عبد الكريم ابن مكانس ﴾ أسلم كاخيهِ فخر الدين وتعيَّن قاضياً وذكرهُ ابن اياس في تاريخ السنة ٧٨٨ (١٣٨٦م) قال (١ : ٢٦٤) « وفيها طلع السلطان الظاهر برقوق على القاضي عبد الكريم ابن مكانس واستقرَّ بهِ في نظارة الجيش عوضاً عن موفّق الدين ابي الفرج الذي ضربهُ مائة وخمسين عصاً. ثمّ قال (ص ٢٦٦) في تاريخ سنة ٧٨٩ (١٣٨٧م) :

« وفي ربيع الاوّل جرت واقعة غريبة وهي انّ السلطان دخل الى القصر الكبير في غير يوم الموكب فلما جلس بالشبّاك رأى خيمةً على بُعدٍ مضروبة في الروضة على شاطئ النيل فبعث من كشف عن خبرها. فلمّا عاد القاصد اخبر السلطان انّ بتلك الخيمة كريم الدين الصاحب بن مكانس ومعهُ جماعة وهم يشربون الخمر فارسل اليهم جماعةً من المماليك فاحضروهم بتمامهم وكمالهم بين يدي السلطان فأمر بضرب الصاحب كريم الدين بالمقارع وقرَّر عليهِ خمسين الف دينار وعفا عن الباقين. وهذا من الغرائب »

١) لم نجد للسرياق ذكرًا في كلّ المعاجم العربيّة ولعلّها التركية « صريق » وهي خشبة كبيرة كانوا يعلّقون عليها المجرمين يدعوها الفرنج «pilori»

٢) ويروى : لحرمة

٣) ويروى : من غزلي

وفي ذكر هذه الرواية ما يريبنا عن صحة اسلام كريم الدين ابن مكانس كاخيه فخر الدين. ولم نقف على تاريخ وفاته

﴿ابنهُ مجد الدين ابن مكانس﴾ هو ابن فخر الدين الذي سبق ذكرهُ قال ابو المحاسن بن تغري بردي في تاريخ سنة ٨٢٢ (١٤١٩م) يذكر وفاتهُ: «وتوفي الاديب الفاضل مجد الدين فضل الله ابن الوزير الاديب فخر الدين عبد الرحمان بن عبد الرزاق ابن ابرهيم بن مكانس القبطيّ الحنفي الشاعر المشهور في يوم الاحد خامس عشرين شهر ربيع الآخر. ومولدهُ في شعبان سنة تسع وستين وسبعمائة(١٣٦٨م) ونشأ تحت كنف والده وعنهُ اخذ الأدب وتفقَّه على مذهب ابي حنيفة رضَ وقرأ النحو واللغة وبرع في الادب وكتب في الانشاء مدَّةً وكانت لهُ ترسُّلات بديعة ونظمٌ رائعة ومن شعره قولهُ (من الوافر):

بحقّ اللهِ دَعْ ظُلْمَ المُعَنَّى ومَتِّعْهُ كما يهوى بأُنسِكْ
وكيفَ الصدُّ يا مولايَ عمَّنْ بيومكَ رُحتَ تَهْجُرهُ وأَمسِكْ

ولهُ في محاسن روضٍ (من الوافر):

تَساوَمنا شذا ازهار روضٍ تحيَّرَ ناظري فيهِ وفِكري
فقلتُ نبيعُ الأرواحَ حقاً بعَرْفٍ طَيِّبٍ منهُ ونَشري

، وقال يمدح الشيبَ لبعثهِ على التوبة (من الطويل):

جزى الله شيبي كلَّ خيرٍ فانَّهُ دعاني لما يُرضي الإلهَ وحرَّضا
فأقلعتُ عن ذنبي وأخلصتُ تائباً وأمسكتُ لمَّا لاح لي الخيطُ أبيضا

ولمجد الدين ديوان شعر منهُ نسخة في مكتبة برلين. وقد ذكرهُ السيوطي في كتاب حسن المحاضرة فقال عنهُ: «تعاني الادبيَّات ومهر ومات بالطاعون»

٢ شاكر بن ريشه القبطي

هو ايضاً كما يظهر من اسمه ونسبه من نصارى الاقباط المرتدّين الى الاسلام لطمع في النفس كما رأيت في فخر الدين بن مكانس . وغاية ما وقفنا عليه من ترجمة حياته ما ورد في كتاب ابن حَجَر العسقلاني المعنون بالدرر الكامنة في اعيان المائة الثامنة (Ms. du British Museum Suppl. 613-4) قال: «هو شاكر بن ريشه القبطي الوزير تاج الدين وُلي نظر الخاص بعد مَقتل صرغتمش[1] وولي الوزارة بعد ابن الخصيب وكان يتعانى الآداب وينظم الشعر مات سنة ٧٦٥هـ (١٣٦٤م)»

ولم نقف على شيء من شعره . وقد ذكر ابو المحاسن بن تغري بردي في المستوفي بعد الوافي (Ms de Paris, I, ff. 31) اخاهُ عبدالله . قال: «عبدالله بن ريشه امين الدولة القبطي الأَسلمي ناظر الدولة . كان المذكور من اعيان الكتبة الاقباط وباشر في عدّة خدم بالطالع والنازل (كذا) حتى وليَ نظر الدولة واستمرّ الى ان توفي في ليلة الاربعاء سادس جمادى الاولى سنة ٧٩٠ (١٣٨٨م)»

٤ يوسف بن رزق الله الموقّع

كان ايضاً من اقباط مصر الاسلميين . ذكرهُ ابن حجر العسقلاني في الدُّرَر الكامنة (ibid l. c.) قال: «يوسف بن رزق الله الموقّع جمال الدين ابن اخت شرف الدين بن فضل الله باشر التوقيع بصفد وبغزّة قبلها وكان لهُ كرم ومروءة ولهُ نظمٌ وسَط وعُمر طويلاً لعلّهُ قارب الثمين وثقُل سمعهُ لكنّ حواسّهُ كلها صحيحة وهمّتهُ همّة ابن ثلثين وهو يباشر التوقيع في صفد سنة ٧٤٤ (١٣٤٣ م)

(له بقية)

---

١) كان احد كبار الامراء في خدمة الملك الصالح صلاح الدين ابن الملك الناصر حسن . قال ابن اياس في كتاب تاريخ مصر في تاريخ سنة ٧٥٥ عند عودة الملك الى السلطنة: «وصار الامير شيخو والامير صرغتمش في دولة الناصر حسن صاحبي الحلّ والعقد ومدبّري المملكة» ثمّ قال في تاريخ سنة ٧٥٨هـ (١٣٥٧ م) انّ الامير صرغتمش تزايدت عظمتهُ فصار في رتبة الاتابكي . ثمّ قبض عليهِ السلطان وحبسهُ فمات في حبسهِ سنة ٧٦١هـ (١٣٦٠م)

لمحة تاريخية

في دير سيدة المعونات (او البنات)

مركز رئاسة الرهبانية اللبنانية المارونية العامة

بقلم حضرة الاب بطرس ساره الراهب اللبناني (تتمّة)

٣ً المدرسة

المراد بالمدرسة هنا لا المدارس المجّانية العديدة التي كانت وما زالت الرهبانيّة تنشئها في جوار الاديرة بوجه الطائفة لتعليم الاحداث مبادئ اللغتين العربيّة والسريانيّة والتعليم المسيحي ممّا يبيّن فضلها وعناية رؤسائها بالنشء اللبناني ليكون على ما يرضي الله ويفيد الوطن. فمثل هذه المدارس قد جاء الكلام عنها مسهباً في الجزء الاول من تاريخ الرهبانيّة لحضرة الاب العامل لويس بليبل فمن شاء الوقوف على وفرة عددها فليراجع التأليف المذكور فيتحقّق كم اخرجت على بساطتها من الرجال الذين خدموا الدين والوطن

امّا الان فكلامنا عن المدرسة التي كانت تخصصها الرهبانيّة بتنشئة ابنائها الرهبان المعدّين لقبول الدرجات المقدّسة. فهذه المدرسة كانت مثل مركز الرئاسة العامة غير مستقرّة في دير من الاديار بل منتقلة بحسب احكام الظروف الموافقة. ولم يذكر لنا التاريخ تعيين دير خاص بالمدرسة وقد جاء في فرائض القانون في « باب الدارسين» ان يعين الرئيس العام في كل معاملة ديرًا للتدريس وقد اورد هناك جميع الشروط اللازمة لادارة المدرسة ونظامها ومواد الدرس فيها واتقان علمي الفلسفة واللاهوت والكتاب المقدّس. وكان من المستصعب في ابتداء الامر ايجاد مثل هذه المدرسة المنظمة لقلة عدد الرهبان وكثرة اشغالهم اليدوية وواجباتهم الروحيّة. فكانوا يقتصرون على تدريس اللغتين العربية والسريانيّة واللاهوت الادبي في بعض الاديار لبعض الاخوة الذين فيهم القابلية الكافية. وما كان الدرس ليمنع الاخوة عن

القيام باشغال الدير كالعناية بالماشية وتربية دود الحرير والزراعة والحصاد الى غير ذلك. ومن وجد من الاخوة الدارسين ممتازاً في قابليته واهلاً لدرس العلوم العالية في المدارس الكبرى كانوا يرسلونه الى رومية او الى احدى المدارس الاكليريكية الشهيرة والرهبانية تقوم بجميع نفقاته . امّا الاديار التي كانت تنتقل اليها المدرسة الرهبانيّة بعد ان نُظّمت على قدر الامكان فهي هذه: دير قزحيّا حيث كانت المطبعة الشهيرة سنة ١٨١٤ ثم دير مار قبريانوس كفيفان(١ وعهد المدرسة فيه يرقى الى اكثر من جيل كما يُستدلّ من روزنامته . وقد انتقلت المدرسة اليه في اوقات مختلفة وعرف اكثر من سواه بكونه مدرسة جامعة وفيه الى الآن مكتبة الآباء القديسين الثمينة نحو اربعمائة مجلد مع بعض كتب خطيّة نسخ اكثرها المرحوم الاب نعمة الله الكفري الذي صرف اكبر شطر من حياته في هذا الدير . وفي هذه المدرسة تخرّج كثيرون من الآباء الافاضل الذين ذهبت لهم سمعة طيبة في العلم والقداسة وكانوا من الغُيُر على مصالح الرهبانية وتعزيز شأنها . منهم رجل الله المشهور الاب نعمة الله الحرديني (٢ الذي تباشر الرهبانية اليوم رفع دعواه بواسطة لجنة خاصة الى المجمع المقدس مع الاب الحبيس شربل(٣ والراهبة رفقه . ومنهم المرحوم الاب انطونيوس الفغالي الذي تفوّق في درس اللغة العربية وله فيها منظومات ورسائل شائقة وقد نظم ارجوزة في المعاني والبيان وعلّق عليها شروحاً وهي باقية غير مطبوعة بين المخطوطات التي يحفظها حضرة الاب انطونيوس شبلي . وقد الف كتاباً في العروض وطبعه مع كتاب آخر لزيارة القربان المقدس لاجل الانفس المطهرية وفي كلها تظهر لك عبارته الرشيقة المتينة ومقدرته الكتابيّة . ولو لم تنتأه يد النون وهو في ربيع العمر لكان اتى من التآليف ما جعله معدوداً بين الكتبة المبرّزين . وقد وضع الاب نعمة الله الكفري الذي كان استاذه نبذةً مختصرة في ترجمته علقها في روزنامة الدير ابان فيها صفاته ومكانته العقليّة وتأسف شديد الاسف على خسارته الجسيمة

ثمّ انتقلت المدرسة الى دير مار مارون بيرسنين والى دير سيدة ميفوق ودير

١) ولنا في هذا الدير نبذة سننشرها في حينها ان وفق المولى

٢) اطلب ترجمته في المشرق ٥[١٩٠٢]: ٦٠٥)

٣) في المشرق(٢٠ [١٩٢٣]: ٢٨٩)

القطارة حيث تعيّن مدرّساً فيها الافرنسيّة واللاتينيّة المرحوم المنسنيور بطرس ارسانيوس رئيس مدرسة مار يوحنا مارون السابق ومن الاديار التي كانت تُعيَّن للمدرسة دير قرطبا والناعمة ومشموشه وبسير قرب رشميا ومار موسى الدُّوار قرب بكفيا . وما زالت المدرسة الرهبانيّة على هذه الحالة من التنقل الى ان ترأس المرحوم الاب مبارك سلامه المتيني(١ على الرهبانيّة فرأى ان حاجتها شديدة الى نهضة علميّة تجعلها في مستوى العصر الحالي . فقام بتلك النهضة التي تبقى اثرًا خالدًا لغيرته على تهذيب ابناء الرهبانيّة وترقيتهم فضيلةً وعلماً . فشرى رحمهُ الله من المرحوم الياس مهارش في بيروت — حي القيراط — بثمن الف ومئة ليرة فرنساوية المدرسة الحالية التي يسكنها عدّة من الرهبان الدارسين وهم يتبعون صفوف مدرسة القديس يوسف الكليّة ويتفقهون في علمي الفلسفة واللاهوت . وقد خرج من هذه المدرسة عدد من الآباء حاملين شهادة الاستاذية وكثيرون قد انهوا دروسهم واستحق جميعهم بجدّهم واجتهادهم ثناء اساتذتهم فحفظوا لهم اجمل ذكر . كما ان اولئك التلاميذ لم ينسوا ما زالوا في قيد الحياة جميل اساتذتهم الافاضل بل يحفظون لهم اصدق عواطف الحب والاحترام . ولعلّنا نضع لمحة تاريخيّة عن هذه المدرسة

ولمّا عهد المجمع المقدس بالزيارة الرسولية للرهبانيّة الى غبطة السيد البطريرك مار الياس بطرس الحويك الكلي الطوبى وكانت للمدرسة الرهبانيّة في دير كفيفان الى ذلك العهد امر غبطته بنقلها الى دير سيدة النصر في نسبيه قرب غسطا غير بعيدة عن الكرسي البطريركي وذلك في السنة ١٩٠١ لتكون قريبة منه وقيد نظره مشمولة بعنايته الخاصة وعهد بادارتها الى نخبة من الآباء الاساتذة وجعل رئيسها المرحوم الاب اسطفان صقر البتاعلي الذي تخرج في كليّة القديس يوسف وكان من المشهورين بالخطابة والوعظ وبطريقة التعليم والالقاء فسارت المدرسة على محورها القانوني زاهيةً زاهرةً بحسن ادارتها واجتهاد تلاميذها واستمرّت على خطتها هذه وازدهارها في عهد الزيارة الرسولية(١٩٠٧ — ١٩١٠) المؤلفة من الاب مبارك غريادور البنديكتي والابوين المرحومين يوسف غالان الدومينيكاني وفرنسيس الفرّاء الفرنسيسكاني اذ وجّه المجمع المقدس عنايته الى مدارس الرهبانيّة وشاء ان تعيّن

١) اطلب ترجمتهُ في المشرق (٢٠ [١٩٢٢] : ٨٥٢-٨٦٢)

اساتذتها ورؤساؤها من الزائرين الموفدين من قبله الذين كانوا يتعهدونها هم بانفسهم مرات في السنة ويرأسون امتحانات التلاميذ ويلقون عليهم وعلى اساتذتهم الارشادات والنصائح الابوية

وفي السنة ١٩١٠ اقيم رئيساً على مدرسة نسبيه المشار اليها المرحوم الاب مبارك سلامه المتيني وكان اكثر اساتذتها من متخرجي كلية القديس يوسف وكنت واحداً منهم. وكانت الزيارة في ذلك الحين بعد ان قلّد المجمع المقدس زمام الرئاسة العامة حضرة الاب المفضال اجناديوس سركيس قد انشأت في دير مار موسى الدُّوار مدرسةً اخرى ابتدائية تهيّئ الاخوة الآتين من الابتداء بعد لبسهم الاسكيم الى الدخول. اما مدرسة نسبيه وامّا المدرسة التابعة كليّة القديس يوسف في بيروت بحسب ما تكون قابليّتهم واستعدادهم. وما زالت هذه المدرسة الابتدائيّة على خطتها تحت رعاية الزيارة الرسوليّة حتى رأى الرؤساء بعد الحرب استئناف فتحها في دير مار جرجس عشاش في لبنان الشمالي

ولمّا أُسندت الرئاسة العامة الى الرئيس الحالي الأبائي اغناطيوس التنوري وهو على ابواب الحرب الكونيّة اضطرّ الى نقل المدرسة من دير نسبيه الى مركز الرئاسة في دير سيدة المعونات(١ وضمّ اليها في الوقت نفسه الاخوة المنخرطين في صفوف مدرسة القديس يوسف الكليّة التي اقفلتها الحكومة التركيّة ووضعت يدها عليها في اوائل شهر تشرين الثاني من السنة ١٩١٤(٢ وظل الاخوة الدارسون رغم ضيق تلك الأيام واضطرابها مستأنفين دروسهم وجمهورهم مع اساتذتهم لا يقلّ عن المئة

١) كان هذا الدير مدرسة رهبانية في اوائل الجيل التاسع عشر وذلك في عهد رئاسة المرحوم الاب اغناطيوس طبيل العامة على الرهبانية. وكان من اساتذة تلك المدرسة المعلم جبور نخله الجبيلي الذي كان متضلعاً من العربية. وقد تخرّج فيها بعض اباء تقلّبوا في وظائف الرهبانية وكانوا من المشهورين فيها منهم الاب عمانويل سلامه المتيني الذي صار رئيساً عاماً والاب ارسانيوس النيحاوي واغناطيوس البيروتي ونعمة الله الحصروني والاب البشاع الحرديني الحبيس شقيق رجل الله الاب نعمة الله الحرديني والاب ليباوس المتيني الذي اقام في رومية سنين عديدة وكيلاً عاماً لرهبانيتنا وهناك ترجم وطبع كتاب الشهر المريمي

٢) وقد تلطّف حضرة الاب الرئيس العام واضاف في هذه الدار المباركة الآباء اليسوعيين الوطنيين المنفيّين من كليتهم في ايام الحرب فقضوا فيها اربع سنين بكل راحة وطمأنينة بنظارة وكيل الرهبنة المأسوف عليه الاب متّى نادر كفرزينا (المشرق)

ينفق عليهم الرئيس العام وعلى حاشيته من ريع املاك الوظيفة(١ دون ان يكلف اديار الرهبانية شيئاً. وكنتُ في اثناء ذلك مستلماً ادارة المدرسة وقد انضمَّ اليهما بعض الاكليريكيين اجابةً لرغبة مدير المدرسة الاكليريكيَّة الشرقيَّة في كلية القديس يوسف كما تقدَّم الكلام. وكانت المدرسة سائرة بنظامها وصفوفها كل تلك الحقبة ترعاها عين عناية الله تعالى بصلاة ودعاء الرئيس العام الذي كان وما زال يظلها بجناحي عنايته ورعايته الابوية. وكنت اشاهد بعين دامعة وقلب مكسور وفود الفقراء والمحتاجين يأتون ذلك المرجع زرافاتٍ ووحداناً مستغيثين بالرئيس العام الذي كان يغيثهم بحسب استطاعته وهو يودُّ انقاذهم من مخالب المنون بتضحية حياته لو كان ذلك ضامناً انقاذهم. وكانت الرسائل ترد مركز الرئاسة العامَّة من كل أوب وصوب متضمَّنة ارقَّ عواطف الطلب والرجاء بافصح تعابير التوصية والاستغاثة وكان لها وقعها وتأثيرها في قلب كل عطوف ولاسيما في قلب ذلك الرئيس المفطور على الحنان والشفقة الذي كان يطالعها بدمعة العين وانكسار القلب. وقد شدَّ الله ازره بمن كان وما زال يعتمده في ادارة الشؤون المالية واكثر المهام الرهبانية نعني به حضرة الاب الاستاذ في اللاهوت والفلسفة مرتينوس طربيه الوكيل العام الحالي فان آثار تفانيه واخلاصه في خدمة الرهبانية تكفيه مؤونة المدح والاطراء واعمال غيرته وجهاده في ايام الحرب الكونية وان بقيت خفيَّةً طبقاً لروح الانجيل فانها ترقم له صفحةً بيضاء بين صحائف تلك الايام السوداء.

وفي خلال السنة ١٩١٦ انتُدبتُ انا وحضرة اخينا الاب لويس البتروني المرسل البطريركي من غبطة السيد البطريرك مار الياس بطرس الحويك الكلي الطوبى الى توزيع بعض الحسنات وكسر الخبز الروحي والمادي على البؤساء. فاضطرَّ الرئيس العام بنفسه مع بعض الآباء من حاشيته ان يدير المدرسة وكثيراً ما نصَّب نفسه استاذاً لصفَّ الدارسين نحو اللغة العربيَّة وصرفها. وكان مدرِّساً للبيان في تلك

(١ المراد بالوظيفة هنا وظيفة الرئاسة العامة فان الرهبانية قد خصصت لها بعض املاك تستدرّ ريعها لكي تقوم بما عليها من المصاريف على ادارتها او على الاخوة الدارسين او لمساعدة بعض الاديار ان بقي لديها فائض. واهمُّ املاك الوظيفة هي من حرير وزيتون في جهات الزاوية شمال لبنان

المدرسة المأسوف عليه كل الاسف المرحوم الاب نعمة الله ابي ناضر الذي عُرف بتفانيه في خدمة الرهبانيَّة والدفاع عن حقوقها واشتهر بإطاعته واخلاصه لرؤسائه وشديد غيرته على اخوته الرهبان وتمكينهم بالاخص من اللغة العربيَّة وهو من اساتذتها وكتبتها المعروفين. وقد تخرَّج عليه عدَّة آباء في الرهبنة فتضلَّعوا من تلك اللغة وهم الان اساتذة في المدارس الرهبانيَّة او مرسلون في البلاد

ولمَّا وضعت الحرب اوزارها واحتلَّت جيوش الحلفاء هذه البلاد عدتْ فاستلمت ادارة المدرسة في دير سيّدة المعونات الى ان تعيَّنت من الزيارة الرسوليَّة ومجمع المدبّرين رئيساً على مدرستنا التابعة مدرسة القديس يوسف الكليَّة في بيروت فأتيتُ بالاخوة المعيَّنين في هذه المدرسة لاستئناف دروسهم كما كانوا قبل الحرب. وأُسندت بعد حين ادارة المدرسة في مركز الرئاسة العامة الى حضرة الاب الفاضل انطونيوس حرفوش حامل شهادة الاستاذية باللاهوت والمدبّر الاول سابقاً وقرَّر عندئذٍ الرئيس العام ومجمع المدبّرين في جلسة خاصة ان يتعيَّن دير سيدة المعونات مدرسةً رسميَّةً لابناء الرهبانيَّة. وقد صدَّقت الزيارة الرسوليَّة هذا التعيين وامرت ببناء طابق علوي في الجهة الغربية من الدير ليكون مناماً يسَع نحواً من سبعين سريراً. فعني الرئيس العام ببنائه واقام في جهتيه الشماليَّة والجنوبيَّة قلالي لاجل مدير المدرسة واساتذتها

امَّا اللغات التي تدرَّس في هذه المدرسة فهي العربيَّة والسريانيَّة ومبادئ الافرنسيَّة. ومن طلبتها يُنتخَب من فيهم القابليَّة على درس العلوم العالية في مدرسة القديس يوسف الكليَّة والباقون بعد ان يُتقنوا اللغتين العربيَّة والسريانيَّة يدرسون الفلسفة مدة سنة واللاهوت ثلاث سنوات وفي خلالها يتمرَّنون على الخطابة والوعظ. ويقيمون صلوات الخورس وجميع الاحتفالات الكنائسيَّة. وفي كل سنة يأتي عدد منهم النادي البطريركي في بكركي لاجل القيام بالصلوات والرتب مدة اسبوع الآلام تلبيةً لاشارة غبطة السيد البطريرك الكلي الطوبى

وممَّا يفرضه قانون المدرسة ويلذُّ لنا ذكره ان يتعاطى الدارسون الشغل اليدوي مدَّة ساعتين في كل يوم ترويحاً لابدانهم عوضاً عن الالعاب الرياضية التي يفرضها ارباب المدارس وان يتمرَّسوا بعد الدرس العقلي بأعمال اليد تذكرةً وقدوةً بما كان يعانيه اسلافهم الرهبان من آباء واخوة من الجهود والأتعاب في حرث الارض

وزرعها وتشييد الاديار وتوسيع املاكها اذ هي المورد الوحيد لعاش الرهبان المحافظين عليها بعرق جبينهم . وتضمّ اليوم تلك المدرسة جمهوراً يبلغ المئة راهب يقوم الرئيس العام بنفقاتهم كلها وبجميع مصاريف مدرسة الرهبانية في بيروت وعدد جمهورها لا يقلّ عن الثلاثين نفساً ما عدا الرهبان الضيوف النازلين فيها اذ يأتون المدينة لاشغال لهم . وبما ان مداخيل وظيفة الرئاسة العامة لا تكفي للقيام بهذه النفقات الباهظة يفرض مجمع المدبّرين في كل سنة مساعدة عمومية لمدرسة الرهبانية على جميع الاديار كلٌّ بحسب مكنته وحالته . وعدد الطلبة الرهبان اليوم في المدارس الثلاث المارّ ذكرها اي المدرسة الابتدائية في دير مار جرجس عشاش والمدرسة الثانوية في دير سيدة المعونات وفي مدرسة بيروت يبلغ المئة والعشرين راهباً دارساً ويكثر ويقلّ هذا العدد بحسب قلة او كثرة الدعوات واستعداد الاخوة للدرس او عدمه

ويسرّنا ان نذكر ان في مدرسة دير سيدة المعونات مكتبةً تحتوي نحواً من خمسمئة كتاب بينها نحو مئة واربعين مجلداً خطياً (١ قد جمعها منذ سنوات بكدّه واجتهاده حضرة الاب انطونيوس شبلي اللبناني كاتب اسرار الرئاسة العامة حالياً فاستحقّ اطيب الثناء وهو دائب في توسيع تلك المكتبة وتنظيمها ووضع فهرس مطوّل لها كما يفرض القانون الرهباني فلا يذهب منها كتاب فريسة الضياع والاهمال

والسعي مبذول في مدّ شعبة من طريق العربة الى الدير وهي على وشك النهاية والمدرسة الان سائرة على خطّتها ونظامها بفضل ما يبذله حضرة مديرها واساتذتها من التفاني والغيرة لاجل نجاحها وازدهارها تحت رعاية وعناية ذلك الرئيس الذي أقلّ ما نقول فيه انه بارشاداته الابوية وصلواته الدائمة وامثلته الصالحة موعظة حيّة لاولئك الرهبان الراغبين في الكمال فضيلةً وعلماً

ولسنا نغالي اذا قلنا ان تلك المدرسة القائمة على رابية فوق مدينة الفينيقيين هي اشبه بمنارة على جبل يستنير بضوئها كل من جاورها . وتخرج منها الآباء ايام الآحاد والاعياد ليقوموا بخدمة النفوس في مدينة جبيل والقرى المجاورة . وفي كل سنة يوفد الرئيس العام تلبيةً لرغائب غبطة السيد البطريرك المقدسة نخبةً من الاباء الذين لهم

١) راجع وصف بعضها في المشرق (٢٦ [١٩٢٦] : ٦٥٧–٦٦٠) .

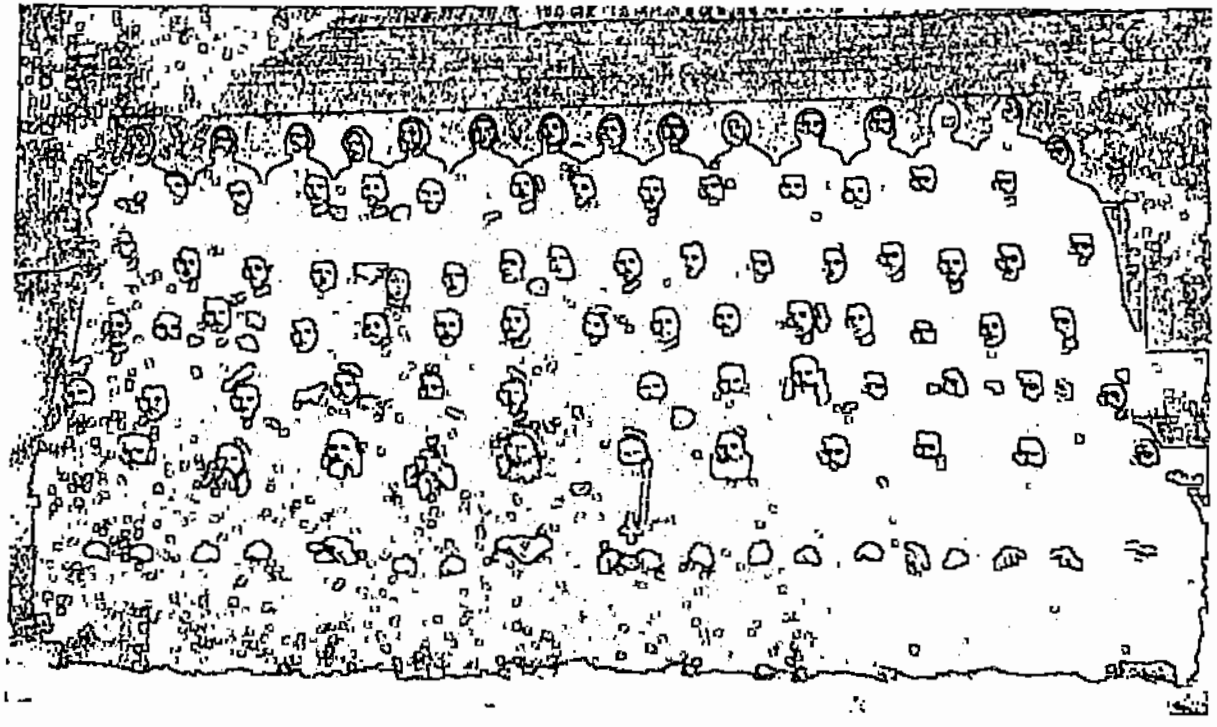

الرهبان الدارسون في دير سيدة المعونات

المقدرة على القاء الرياضات والمواعظ فينشرون كرسل المسيح في كل مدينة وبلدة وقرية مبشرين بانجيل السلام ومنذرين بكلمة الحق ومفتشين عن النعجة الضالة ليرجعوها الى حظيرة الخراف . فنسأل الله تعالى ان يزيد الرهبانية تقدماً في كمالها وقدوة وثباتاً في جهادها وان يوفق رؤساءها الى ما فيه مجده تعالى وخير الكنيسة والوطن

تذكار نابغة الطب الحكيم لانّاك (١٧٨١ــ١٨٢٦)

للاب عماتوبل رولان اليسوعي

في ١٣ آب من السنة المنصرمة احتفل عالم الطبّ بالتذكار المئوي لوفاة طبيب فرنساوي يعتبرهُ العلماء كنابغة العلوم الطبيّة لما نهجهُ من الطرائق الجديدة لتشخيص امراض باطنيّة كان الاطبّاء أيسوا من الوقوف على صحّتها لعدم وجودهم لآلة ترشدهم الى معرفتها . فبقي الطبّ الى زمانه قاصراً عاجزاً من هذا القبيل حتى توفّق هو الى كشف ذلك السرّ المكنون

والطبيب المذكور هو الحكيم لانّاك (Laënnec) استاذ الطبّ في جامعة باريس . فيسرّنا ان نروي شيئاً من مآثر هذا الرجل العظيم الذي لا تزال اكتشافاتهُ احسن دليل لمعالجة تلك الادواء الكامنة وفي نبذتنا هذه نصف الرجل ثم العالم ثم الكاثوليكي العامل

١ سيرة الرجل

هو رينه تاوفيل لانّاك مولود اقليم بريتانية في فرنسة . ولد في مدينة كنپار في ١٧ شباط ١٧٨١ احلهُ من اسرة اصاب اهلها بعض الشرف في خدمة وطنهم في وظائف الجنديّة والدوائر السياسية والحقوقيّة . كان ابوهُ منهمكاً بأشغال وظيفته بعيداً فلم يسعهُ ان يهتم بتربية ابنه . فتولّت امّهُ تدبيرهُ وارضعتهُ من صغره حبّ الفضيلة مع حليبها إلّا انها كانت ضعيفة البنية مزولة القوى فماتت قبل ان يبلغ الولد السادسة من عمره

فنشأ نحيفاً ضئيلاً لا تُرجى له حياة طويلة

على انَّ الولد لقي في اثنين من اعمامه ما لم يجدهُ في والدهِ فكان احدهما كاهناً يدعى ميشال من افاضل كهنة بريتانيـة وأوسعهم علماً. كان نال رتبة الملفنة في اللاهوت في جامعة باريس الشهيرة بالسُّربون وعُهدت اليهِ رعاية النفوس في مدينة اليان (Eliant) . فدعا الولد اليهِ وعُني بتثقيفـهِ في الآداب والعلم وكان يدرّسهُ اللغتين اللاتينيَّة واليونانيَّة مع اصول المعارف الـدينيَّة . وكان منزل الكاهن في موقع نزهٍ قريب من رياضٍ بهجة فتحسَّنت بجود هوائها المنعش صحَّة ابن اخيهِ

على انَّ اسقف الابرشيَّة بعد بضع سنوات استدعى الكاهن عمَّهُ الى مرافقتهِ في اشغال الرعايا فقُضي على ريته ان يخرج من اليان ويذهب الى عمهِ الآخر المدعو غليوم الذي كان يسكن مدينة نانت (Nantes) وهو احد اطبَّائها النطاسيِّين . فوصل الى المدينة اذ كانت الثورة الفرنسويَّة الكبرى هائجة تسفك في كل انحاء الدولة دماء الاساقفة والكهنة والاعيان مباشرةً بالملك لويس السادس عشر في باريس . وقد نجا عمُّهُ من شرورها لحيادهِ عن كلّ سياسة ولزومهِ اعمال مهنتهِ في علاج المرضى في احد مستشفيات مدينة نانت مع ثبوتهِ على حفظ تعاليم دينهِ

فعاش الولد في دار عمهِ واخذ يسعى في خدمتهِ ويتخرَّج على يدهِ في اشغال الطبابة . فوجد فيهِ الدكتور عمُّهُ ذكاء عظيماً واستعداداً لاتقان هذا الفنّ فكان في اوقات الفراغ يُعنى بامرهِ ويلقّنهُ مبادئ علمهِ . وكانت الحكومة الثوريَّة فتحت في نانت مدرسة للغات القديمة والآداب الوطنيَّة على المبادئ الشرعيَّة اللادينيَّة . فلم يرَ الغلام بُدًّا من التردُّد اليها ليواصل دروسهُ السابقة . وفي نهايتها دخل كمساعد في مستشفى المدينة الى أن عاد السلام لفرنسة بعد الثورة بتملُّك نابوليون الاوَّل

فسافر لانَّاك الى باريس ماشياً لقلَّة ذات يدهِ ودخل مدرستها الطبيَّة فكان منذ وصولهِ متفوِّقاً على كل الدارسين . فقضى هناك اربع سنوات كان فيها مثال الجدّ والمثابرة على احراز اسرار الطب والجراحة . وفي آخر السنة الثانية نال قصبة السبق في الطبابة والجراحة وأُعطي جائزتيها الشرفيَّتين . وفي آخر دروسهِ حاز رتبة الدكتوريَّة في ١٢ حزيران سنة ١٨٠٢ بعد أن قدَّم أُطروحةً اثنى عليها عمدةُ الاساتذة وكان موضوعها «الطبّ العمليّ في تعليم ابقراط»

انحصرت اعمال الدكتور لانَّاك بعد خروجهِ من مدرسة باريس الطبيَّة الى سنة وفاتهِ في علاج مرضى العاصمة في مستشفياتها الكبرى اعني « مستشفى المحبة » نحو عشر سنوات ثم مستشفى برجون (Beaujon) سنة ١٨١٢ . وفي السنة ١٨١٤ دعي الى معالجة جرحى جيش نابوليون في حرب روسيَّة . وتحوَّل سنة ١٨١٦ الى مستشفى نيكر Necker . وفي ١٨٢٢ تعيَّن كاستاذ طبي وجراحي في جامعة باريس الطبيَّة (Collège de France) واستدعاه الملك شرل العاشر لخدمة بلاطهِ . وكان الدكتور لانَّاك في كل هذه المناصب الشريفة لا يعرف الراحة فيستنفد كل قوادهُ في خدمة المرضى والبائسين وطلبة الدارسين مع ضعف مزاجهِ . فكان اضطرَّ في السنة ١٨٢٠ الى ان يعود الى وطنهِ ليستنشق هواءهُ المحيي ويروِّح نفسهُ بالتروُّض في الرياض والصيد مع خدمة مواطنيهِ . ثمَّ عاد الى باريس فتوالت عليهِ الاشغال كالسابق حتى غلبت اخيرًا على حياتهِ فمات في وطنهِ بريتانية في منتصف الحياة وعزّ الكهولة

وكان الدكتور لانَّاك ذا طباع رائقة لين العريكة دمث الاخلاق رؤوفاً على الفقراء منزَّهاً عن كلّ طمع في خدمة البائسين صَبُورًا على مناقشات زملائهِ الذين سموا في حطّ مقامهِ في العلم وساموهُ خسفاً في كتاباتهم فلم يشأ ان يكيل لهم بكيلهم وفضَّل الثبات على خطَّته ريثما يتَّضح الحقّ الذي ظهر في جانبهِ دون خصومهِ

وكان الدكتور لانَّاك في معاملاتهِ مع تلامذتهِ يفرغ النفس والنفيس في سبيل خيرهم ونجاحهم وكان هو قدوتهم في النشاط والعمل والفضيلة لا يراعي فيهم غير الاستحقاق والسيرة الفاضلة

وكان لانَّاك اقترن بالزواج بآنسة تشبهُ بالفضل والفضيلة قضى معها اهنأ سنين حياتهِ . وتبنَّى اولاد عمهِ الدكتور بيانًا لشكره لمعروفهِ فعُني بكل امورهم حتى اصبحوا من افضل الرجال . ولم ينسَ وطنهُ كبار فاوصى لها قبل وفاتهِ بمكتبتهِ الثمينة

٢ العلَّامة النابغة

قد رأيت ان الدكتور لانَّاك قد عُرف طول حياتهِ كطبيب ذي معرفة واسعة حتى شغل المناصب التي لا تُعطى في باريس الَّا لاكبر العلماء . لكنْ هذا لم يكن كافياً ليجعلهُ موضوع اكرام معاصريهِ واعجاب اهل وطنهِ والاجانب . وانَّما تفرَّد

بطريقة من العلاج ابتكرها وفاق بها علماء زمانه ووضع لها افضل الادوات الجديرة بها

كان الاطبّاء في باريس يقتسمون في اواخر القرن الثامن عشر واوائل التاسع عشر على مذهبين المذهب النظري والمذهب العملي فكان مشايعاً للاوّل الدكتور بروسّه (Broussais) فبنى عليه طرائقهُ العلاجيّة في مستشفى باريس المعروف بالسَّلبتريار (La Salpétrière) وألّف عدّة كتب في ما دعاهُ بالطبّ الفيسيولوجي. امّا المذهب الآخر العملي فكان متوقّفاً على ماجريات الطبيعة وملاحظة تأثيراتها في المرضى. وكان المدافع عن هذا المذهب الدكتور كورفيزار الشهير (Corvisart) في مستشفى المحبة. فكان اصحاب المذهبين في مناقشات ومعارضات دائمة

عرف الدكتور لانَّاك بحسن نظره وانتقاد فهمه ان المذهب الصحيح هو المذهب العملي وهذا ما دفعهُ الى وضع أطروحته عن ابقراط. ثم جرى بموجب هذا المذهب فنال في تطبيب المرضى نتائج باهرة ثبّتتهُ في رأيه فدافع عنهُ باللسان والقلم فعلّل ذلك جدالات عنيفة مع اصحاب المذهب النظري تجاوز فيها هؤلاء حدود الحقّ واللياقة فاوسعوهُ شتماً وسامروهُ خسفاً فاحتمل تحاملهم وثبت على رأيه

اكتشافات لانَّاك

على انَّ المذهب العملي كان محتاجاً لتشخيص الامراض الى ادوات دقيقة لم يُعرف منها سابقاً الّا المعاينة والجسّ وكلاهما لا يُطلعان على الامراض الباطنة كالقلب والرئة والمعدة وكان شاع بين ارباب الطب هذا المبدأ انَّ اصعب الامراض تشخيصاً وعلاجاً امراض الرئة

فأخذ لانَّاك يبحث عن آلة يستخدمها لذلك. واذ كان يوماً يفكّر في الامر في احدى الساحات اذ رأى صبيةً يلعبون هناك وكان في تلك الساحة اخشاب بنائيّة طويلة ضخمة فلحظ لانَّاك ان الاولاد تقدّموا قسمين كل قسم على طرف الاخشاب. فكان فريق ينطق باحد الطرفين فيسمعهُ الفريق الآخر في الطرف الثاني دون صعوبة. فألهمهُ تعلّمهم ان يتخذ هو ايضاً آلة يجعلها على صدور المرضى ويلصق اذنهُ عليها

لعلّه يميز حركاتها الباطنة . فلفّ اولاً دفتراً على شكل اسطواني وجعل طرفهُ على صدر فتاةٍ مسلولة وألصق اذنهُ على الطرف الآخر فأحسّ بحركات قلبها بنوعٍ جلي وفي غاية الوضوح . فعرف انّ الله هداهُ الى الطريقة المثلى لتشخيص الامراض الصدريّة الباطنة . وللحال سعى باستحضار آلة خفيفة يسهل استعمالها فوضع المجسّة التي دعاها (Stétho-scope) اي نظّارة الصدر (اطلب صورتها) وبها فتح للعلم باباً جديداً . فألّف الدكتور لانَنَاك كتاباً لايزال العلماء يرجعون اليهِ عنوانهُ التشخيص الوسيط (l'Auscultation médiate) . وقد اثبت الدكتور اكتشافهُ هذا بالتجربة امام مجلس العلماء فما كان منهم إلّا ان يذعنوا للحقيقة . وجعل الدكتور يتعمّق في نتائج اكتشافهِ فوقف بواسطة آلتهِ على اكتشافات غيرها كتمييز صوت الهواء في شُعَب الرئة وصدى صوت المتكلّم في صدر المخاطب جعلها كادّة للتدريس في مكتبهِ الطبي

الدكتور لانَنَاك

آلة التشخيص الوسيط

وما لبث ان شاع الاكتشاف الجديد في انحاء اوربّة واميركة فاخذ العلماء يتقاطرون الى باريس ليحضروا دروس الدكتور لانَنَاك فيتقنوا طريقتهُ التشخيصيّة وينشروها في بلادهم فصار لهُ بذلك شهرةٌ لم يبلغها بعدهُ إلّا باستور الشهير . فكان ليلَ نهار محاطاً بالعلماء والمرضى الذين يأتونهُ ليتقصّوا خبر اكتشافاتهِ او يسألوه ان يشخّص امراضهم . وكان مع تشخيص الامراض الباطنة يسعى في ايجاد الادوية لعلاجها فنجح ايضاً في ذلك . ولهُ في هذه الاكتشافات وغيرها من المسائل الطبيّة ابحاثٌ ومقالات كان العلماء يتلقّونها بكل رغبة وثناء

ولو أردنا نقل ما كتبهُ العلماء الأثبات عن لانّاك واكتشافاته الطبيّة لاتسع بنا المجال كفى بذكر احدهم الطبيب الكبير شوفّار (Chauffard) قال :

«انّ اجداد كثير من الناس تزول مع حياتهم او تتوارى بعد قليل . امّا مجد لانّاك فلم ينقص شيء منهُ بعد وفاته وسوف يثبت طالما يشتغل الاطبّاء بفنّهم . . (الى ان قال) : لو عُرض على اطبّاء عصرنا ان يزاولوا اليوم مهنتهم دون التشخيص الوسيط الذي ابتدعهُ لانّاك لما رضي واحد منّا ان يرتزق بالطبابة . كان الطبّ قبلهُ ينقصهُ مشعرٌ ثمين مشعر السّمع فأرشدنا اليهِ لانّاك ومهّد لنا سبيلهُ . فصار للطبيب تلك آلات ثمينة لمعرفة الامراض ولم يكن الاطبّاء يعرفون قبلهُ سوى البصر والجسّ فاتاهم الآن حسّ السمع الذي لا بدّ منها فائدة لتشخيص الامراض واذ اوقفنا لانّاك عليهِ كان على شبه كرستوف كولمبوس مكتشفاً لعالم جديد فيحقّ لهُ ان يدعى كولمبوس الطبّ لولاهُ لبقيت عدّة امراض مجهولة فاكتشافاتهُ اخرجت الطبّ من مأزق عظيم»

٣ لانّاك رجل الدين والكاثوليكي العامل

عاش لانّاك في زمن شاع فيهِ التجرُّد عن الدين وفساد الطباع لما بثّتهُ الثورة الفرنسويّة الكبرى من روح الكفر والالحاد . لكن الدكتور لانّاك أبكمَ بسلوكهِ الزنادقة وكمَّ افواه المعترضين على الدين والذين يتشدّقون بقولهم ان العلم والدين على طرفي نقيض

سبق انّ لانّاك وضع منذ نعومة اظفاره اناويق التقى في حجر امّهِ ثمّ بجوار عمّهِ الطبيب غليوم . فنست تلك الزريعة الصالحة الى ان أصيبت مدّة دروسهِ في مدارس نانت اللادينيّة بنسيم من ريحها الوبائي اذ كانت شاعت في المدينة مبادئ الكفر والزندقة بمساعي رجلين من زعماء الثورة فوشه (Fouché de Ronzerolles) والشقي الاثيم كارياي (Carrier) صاحب مجزرة نانت . على انّ تلك الزريعة لم تيبس مع ذبولها بفضل عمّهِ الدكتور غليوم الذي لم يتزعزع في دينهِ نابذاً تطرُّف اشياع الثورة وغلاتها

احتلّ لانّاك باريس في السنة ١٨٠٠ فوجد فيها عثرات جديدة لبراءتهِ وايمانهِ إلّا انهُ لحسن حظهِ لقي كاهناً من رجال الله وحبي النشأة الاب دِلپوي (P. Del. puits) الذي ضمّهُ الى اخويّة كان باشر بانشائها تتألف من افاضل رجال باريس واعيانها

كانوا يجتمعون في اوقات معيَّنة لتتميم بعض الفرائض الروحية ثمَّ يلقون المحاضرات العلميَّة والادبيَّة والدينيَّة للدفاع عن ايمانهم ثمَّ يتعاطون اعمال الرحمة كعيادة المرضى ومساعدة الفقراء. فكان هناك نخبة من مشاهير العصر علماً ونفوذاً كالدوق دي مونتمورنسي واوغسطين كوشي (A. Cauchy) بينهم عدَّة اطبَّاء نطاسيين كالدكتور فيزو (Fizeau) استاذ الباثولوجيَّة الطبيَّة والجراحي الكبير ميزونوف (Maisonneuve) والعلَّامة الطبيعي الشهير كرونهليه (Cruveilhier) والطبيب الذائع الصيت ريكاميه (Récamier)

فالى هذه الاخويَّة انتمى لانئاك بينما كان يدرس الطبَّ في باريس وثبت فيها طول زمن سكناه في عاصمة فرنسة. فكان لا يخجل من الاعلان بدينهِ وحرارة ايمانهِ. وكانت اوَّل محاضرةٍ القاها سنة ١٨٠٣ في نادي الجمعيَّة آيةَ السيد المسيح في انجيلهِ: انا الطريق والحقّ والحياة. وفي تلك السنة كتب لوالدهِ المنهمك في اشغال بلديَّة كيار رسالةً صرَّح لهُ فيها عمَّا وجدهُ في تلك الاخويَّة من فرح القلب وراحة الضمير في ظلّ الدين قال:

«اني هنا في باريس غائص في دروس الطبّ وأعلم حقَّ العلم اني باجتهادي سأحصل على نجاح في امور لكنَّ مطامعي زهيدة يكفيني ان اكسب معاشي واخدم الهيئة الاجتماعية. وكل شيء سوى ذلك اعدُّهُ باطلاً. وقد تحقَّقت بانَّ الغنى والمجد والفوز بكل رغائب الانسان لا يمكنها ان تخمد جشع القلب. ولذلك قد صرفتُ نظري الى الاله الذي وحدهُ يمكنهُ ان يُسعد الانسان فانَّ ولدك قد عاد بتمامهِ الى الدين والايمان الصحيح»

فهذا هو الايمان الذي سندهُ في جهاد حياتهِ ونشطهُ في خدمة وطنهِ وقريبهِ

وكما ان الايمان الحيّ يظهرُ خاصَّةً بالاعمال فكان لانئاك يتفانى في خدمة المرضى والمبؤوسين الذين يقصدونهُ يستقبلهم ببشاشة ويخدمهم على طاقة امكانهِ. وكثيراً ما كانوا يحدقون بمستوصفهِ بعدد وافر لما بلغهم من اكتشافاتهِ الطبيَّة فما كان يردّ منهم احداً وكثيراً ما كان يؤازرهم بالنصائح المفيدة لحياتهم الادبية

وكان على مثال الكاثوليكيين العريقين في الدين يواظب على الاعمال التقويَّة والعبادات الروحية. فكان كالدكتور ريكاميه يتلو سبحة العذراء. وممَّا حدث لهُ

يوماً في سفره الاخير من باريس الى وطنه تصحبهُ قرينتهُ الفاضلة أنهما كانا راكبين عربةً تنقلهما الى كمبار . فلما وصلت العربة قريباً من نانت انقلبت عليهما ورمتهما في حفيرةٍ عميقة وسقط فوقهما كل متاع العربة . فلم ينجوا سالمين من هذه البلية الّا بعد شقّ النفس . ولمّا عادا الى ركوب العربة التفتَ الى قرينته قائلاً : فلنتمم السلام الملائكي الذي كنّا بلغنا فيه الى «صلي لاجلنا نحن الخطأة» فأتماهُ قائمتَين دون ان يلوح على وجههِ تأثّر من ذاك الحادث المزعج

وفي وطنهِ كان لانثاك يحضر كلّ احد القداس الكبير بكل تخشّع فيتقاطر الجمهور لرؤيتهِ اذ يبصرونهُ يتبع كلّ حركات الكاهن بمزيد التقى ثمّ يمشي في طواف القربان مكشوف الرأس والسبحة في يدهِ وعلى وجههِ كلّ امارات العبادة فيشيرون اليهِ بالبنان قائلين : «هذا امير العلم في زماننا فمن يستطيع ان يعزوهُ في ايمانهِ الى الجهل»

وكان اذا خدم المرضى في المستشفيات يسعى بتلطيف اوجاعهم بالادوية الروحيّة كما كان يُسعفهم بعلاجهِ الطبي ويستقدم الكهنة ليزوّدوهم بالاسرار . وكان اذا لقي بين المرضى رجالاً من بريتانية وطنهِ لا يعرفون غير لغتهم البريتانيّة يتلو لهم الصلوات في لغتهم ويعدّهم للحضور امام الله . وكان لانثاك يحكم تلك اللغة ويُسَرّ بدرس آدابها وآثارها

ولمّا احسّ بقرب وقوع اجلهِ استدعى الكاهن وكان من اصدقائهِ فطلب منهُ ان يأتيهُ بالمشحة الاخيرة ويزوّدهُ بالقربان الاقدس . فقبل تلك الاسرار بكل هدوء وطمأنينة لم يتأسف على وفاتهِ قبل سنّ الشيخوخة . فمات بعد اقرائهِ الوداع على امرأتهِ ونزعهِ من يدهِ خاتمَي الزواج لئلا يزيد اسفها عليهِ بنزعهما من يدهِ بعد موتهِ فدُفن بكل اكرام في مقبرة بلدة باوارة (Ploaré) المجاورة لكمبار ترى اليوم فوق ضريحهِ صليباً من الرخام كُتب عليهِ ما تعريبهُ :

« هاهنا يرقد جسد رينه تاوفيل هياسنت لانثاك طبيبُ جلالة الملكة مادام دوقة دي بري واستاذ الطبّ في مدرسة فرنسة الملكيّة واستاذ مستوصف باريس الطبي وعضو جمعيّة الاطبّاء الملكيّة وحائز وسام جوقة الشرف من رتبة فارس . كان مولدهُ في كمبار في ١٧ شباط سنة ١٧٨١ وتوفي في كلارنوارنيك في ١٣ آب سنة ١٨٢٦ . صلّوا لاجلهِ »

وقد اقام له مواطنوهُ تمثالاً بازاء كنيسة كبار الكاتدرائية سنة ١٨٦٨ . وسبقت اكادمية باريس الطبيَّة فنصبت تمثالهُ النصفي على نفقتها في اكبر معاهدها واطلقت بلديَّة باريس اسمهُ على احد مستشفياتها في شارع سيفر وهو المستشفى الذي انشأهُ الكردينال لاروشفوكو . وكذلك سمَّت جامعة باريس احدَ معاهدها باسمهِ الكريم . وألَّف الكاثوليك الفرنسويُّون جمعيَّة طبيَّة خيريَّة اشتهرت باسم لانثاك . ونُصبت صورتهُ في سائر الجماعات الطبيَّة الكاثوليكيَّة كمثالها الحيّ

فبمناسبة تذكار هذا الرجل العظيم ندعو اطباء هذه البلاد لاسيما المتخرّجين في مكتبنا الطبي الى اتخاذه كقدوة لهم في مزاولة فنهم بكل اخلاص ونشاط فيسعون مثله الى خدمة الابدان والارواح معاً

الآداب العربيَّة

في الربع الاول من القرن العشرين

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

الباب الثاني

في المستشرقين المتوفين في هذه الحقبة الثالثة

الفرنسويون

فقدت رسالتنا في الاسكندريَّة في ١٤ شباط ١٩١٩ احد مرسليها المنقطعين للدروس الشرقيَّة والآثار المصريَّة الاب ﴿ جول فيفر ﴾ (J. Faivre) درس تاريخ الاسكندريَّة ونشرهُ في دائرة العلوم التاريخيَّة الكنسيَّة (Dict. d'Hist. Ecclésiastique) ولهُ كتاب في آثار كانوب (ابو قير) وخرائبها راجع المشرق ٢٤ [١٩٢٦]: ٨٩٩) ولهُ منشورات عن مصر وآثارها النصرانيَّة

وفي ٢٦ شباط من السنة التالية ١٩٢٠ لحق الى الابدية المستشرق الفرنسوي «مرسال ديولافوا» (M Dieulafoy) قرينتهُ جانّ السابق ذكرها (المشرق ٢٤ [١٩٢٦]: ١٢٥) توفي في باريس وعمرهُ ٧٦ سنة. قضى مع زوجتهِ سنين طويلة في الاسفار الى مصر والجزائر ومرّاكش وبلاد الشام والعجم وفيها تولى الحفريات ووصف آثارها في عدّة مجلّدات في عهد قدماء الفرس وفي زمن بني ساسان. ولهُ تآليف في مرّاكش وفي رباط واشتغل بآثار البابليين والكلدان. ودرس اسفار التوراة كسفر استير وسفر دانيال واسفار الملوك ليطبّق معلوماتها على ما اكتشفهُ بابحاثهِ الخاصّة. وكانت قرينتهُ تشاركهُ في كل هذه الاعمال بل خدم كلاهما في حرب فرنسة والمانية سنة ١٨٧٠ وتطوّعا في خدمة وطنهما في هذه الحرب الاخيرة. فكانا نفساً واحدة في جسمين منفردين

ومُنيت فرنسة بفقدان مستشرق آخر تبع مرسال ديولافوا الى القبر فتوفي بعده بثلاثة اسابيع المرحوم «هنري برنيون» (H. Pognon). ولد سنة ١٨٥٣ وتوفي في شمباري في ١٦ آذار ١٩٢١. انكبَّ منذ شبابهِ على درس اللغات الشرقيّة كالعبرانيّة والعربية والسريانيّة والبابلية وكان اوّل من درّس اللغة الاشوريّة في مدرسة باريس العليا سنة ١٨٧٨. وتعيّن كقنصل دولتهِ في طرابلس الغرب ثمّ في بغداد. فكان بعد قيامهِ بواجبات منصبهِ يصرف كل زمانهِ في نشر الآثار الشرقية التي خلّف منها عددًا وافرًا. فمن ذلك تآليفهُ العديدة في الآثار السامية المكتشفة في الشام وفي ما بين النهرين وجهات الموصل. وهو الذي نشر كتابة نبوكدنصّر التي وجدها في لبنان في وادي بريسا. ودرس ديانة الصابئة والآثار المندائية والكتابات الآرامية المكتشفة في جزيرة إليفنتين ولهُ منشورات اخرى سريانية واشوريّة

وفي السنة ١٩٢٢ في ٢١ نيسان وقعت وفاة احد كبار الاثريين المستشرقين المنسنيور «لويس دوشان» (L.Duschesne) توفي في رومية في ٢١ نيسان ١٩٢٢. كان مولدهُ سنة ١٨٤٣. درس العلوم الدينيّة في المدرسة الرومانية العليا للآباء اليسوعيين في رومية. فتعرّف بالاثريّ الكبير الكونت دي روسّي فمالت اهواؤهُ الى الآثار النصرانية القديمة فأولع بها. فمّا نشرهُ الكتاب الجليل المعروف بالكتاب الحبري (Liber Pontificalis) المتضمّن سيَر قدماء البابوات. ومن تآليفهُ كتاب في

اصول مبادئ النصرانية وطقوسها . ولهُ ايضاً كتاب في الكنائس الشرقية المنفصلة . وتاريخ الكنيسة في القرن السادس . وتعيَّن المنسنيور دوشان رئيساً للمدرسة الفرنسوية الاثريَّة في رومية منذ السنة ١٨٩٥ . وقد نشر في المجلَّات العلمية مقالات ممتعة في عدَّة ابحاث شرقية اثرية . وقد أُخذ عليهِ بعض الغلوّ في بسط آرائهِ الخاصَّة

وفي شهر نيسان ايضاً من هذه السنة ١٩٢٢ أسفت كلية الجزائر الفرنساوية على وفاة احد رؤسائها الذي خصَّ نفسهُ بإدارة دروسها العربية المرحوم «جورج دلفين» (J. Delphin) . بعد ان رسخت قدمهُ في معرفة اللغة العربية باشر بتدريسها في مدرسة وهران ثمَّ انتدبتهُ الحكومة الى ادارة مدرسة الجزائر والى نظارة مدارسها الوطنية ودرس لهجات تلك البلاد ولغاتها العامَّية وعُني بترقية المسلمين الادبية واكتسب ثقتهم بأُنسهِ ونشر عدَّة ابحاث عن الإسلام في الجزائر . ولهُ كتب مدرسية عديدة تسهيلاً لدرس العربية على مواطنيهِ . ومن منشوراتهِ تاريخ الباشاوات العثمانيين في الجزائر منذ السنة ٩٢١هـ الى ١١٥٨ (١٥١٥ــ١٧٤٥م) والمقامات العاولية في اللهجة المراكشية . ونشر في مطبعتنا الكاثوليكية سنة ١٨٩١ كتابهُ جامع اللطائف وكنز الخرائف

وكما الجزائر فجعت ايضاً تونس في السنة ١٩٢٢ بوفاة مستشرق آخر فرنسوي المرحوم «لويس ماشويل» (L. Machael) تولى زمناً طويلاً ادارة مدرسة تونس وعلَّم فيها العربية وصنَّف لها عدداً وافياً من الكتب المدرسية كدليل الدارسين ومنتخبات تاريخية وادبية . وعُني بتكرار غراماطيق البارون دي ساسي بعد نفوده واتقن ايضاً لهجات العامَّة في تونس ومرَّاكش ونشر فيها روايات فكاهية . وكان استظهر منذ صغره القرآن على احد اساتذة الجزائر وقد خلَّف معجماً كبيراً عربياً وافرنسياً تنوي الحكومة في نشرهِ لوفرة موادهِ . وكان المذكور حرَّ الافكار لا يكترث لدينهِ لتربيتهِ صغيراً في مدارس لادينية فطلب ان يُدفن دفناً مدنياً

أُصيبت الآثار الشرقيَّة في ١٦ شباط ١٩٢٣ بوفاة رجل خدمها نيفاً وستين سنة العلَّامة الاثري «شرل كلرمون غانو» (Ch. Clermont-Ganneau) حلَّ أَجلهُ في باريس وفيها كان مولدهُ سنة ١٨٤٦ . وجَّه نظرهُ منذ شبابهِ الى الدروس الشرقية فدرس العبرانيَّة والعربية وترشَّح للمناصب التعليمية في انحاء الشرق فخدم دولتهُ

كترجمان ثمّ كقنصل في القدس الشريف ثمّ في الاستانة ثمّ في يافا . وتجوّل في مصر والشام والاناضول واليونان وتولى حفريات عديدة ودرس عادياتها . وقد تفرّد خصوصاً بوصف عاديات الشام وفلسطين . وكان اوّل ما اذاع صيتهُ في عالم العلم اكتشافهُ لكتابة مشا ملك مواب الراقية الى القرن التاسع قبل المسيح المكتوبة بالحرف العبراني ففسّرها كلرمون غانو سنة ١٨٦٩ . ثمّ اكتشف سنة ١٨٧١ الكتابة اليونانيّة التي كانت في حَرَم هيكل اورشليم وهي تحظّر على كل اجنبيّ الدخول للهيكل تحت طائلة الموت . ثمّ تعدّدت بعد ذلك اكتشافات ومنشورات كلرمون غانو . وتبلغ قائمة تآليفهِ عشرين صفحة ناعمة . نخصّ منها بالذكر مجموعتهُ «دروس اثريّة شرقيّة» ومجلّتهُ «مجموعة آثار شرقية» في ثماني مجلّدات . ومن تآليفهِ المشعّة كشفهُ الستار عن الآثار المزوّرة وكتابهُ «فلسطين المجهولة» . ولهُ فضل كبير على وطننا بابحاثهِ العديدة عن كلّ عادياتنا الفينيقيّة والعبرانية والعربية والسريانية

وفي ٦ تشرين الاوّل من هذه السنة ١٩٢٣ بارح الحياة في عزّ كهولتهِ المرحوم «موريس بيزار» (M. Pézard) الذي مشى على آثار كلرمون غانو فتخصّص بدرس الآثار الشرقية . ساح في العجم وألّف كتابهُ عن عاديات شوشن مع المسيو بوتيه . ثمّ أتى سورية بعد الحرب فباشر الحفريّات في قدّس مدينة الحثيين في انحاء مدينة حمص فوقف على كثير من عادياتها في السنتين ١٩٢١ و١٩٢٦ . وكان نشر قبل ذلك سنة ١٩٢٠ كتاباً بديعاً في خزفيّات الاسلام القديمة واصلها . وقبل وفاتهِ بقليل نشر مقالة واسعة عن كتابة للفرعون سانجي الاوّل ومقالات غيرها .

وفي اوائل كانون الثاني من السنة ١٩٢٤ علمنا بمزيد الاسف بوفاة احد انصار الدروس العربية المرحوم «رينه باسه» (R.Basset) . كان مولدهُ سنة ١٨٥٥ . واذ بلغ بعد دروسهِ الثانويّة السنة الثامنة عشرة من عمرهِ وقعت في يدهِ كتابة قديمة لم يعرف شيئاً من امرها فقيل لهُ انها كتابة عربية فكان ذلك داعياً لدرسهِ تلك اللغة وتبرّعهِ فيها ولم يقتصر نظارهُ عليها بل اراد ايضاً ان يتقن بقية لغات الشرق كالفارسية والتركية والحبشية والقبطية فاصبح من اكبر اللغويين المصريين . الّا انهُ تخصّص بالعربية وباللغات السامية لاسيما مذ عُهد اليهِ تدريس العربية في مدرسة الجزائر العليا سنة ١٨٨٢ . ثمّ تولى تدبير المدرسة فبلّغها مقاماً ممتازاً وتعلّم لغة البربر الساكنين في جبال

الجزائر. والمسيو باسه تآليف عديدة تنبئ بسعة معارفه للشرق العربي والاسلامي منها تاريخية ومنها ادبية ومنها لغوية وله وصف رحلة تجشمها الى تونس والى السنيغال. ومن تآليفه مجموعة «ألف حكاية وحكاية» في عدة مجلدات منقولة الى الافرنسية سبق لنا وصف مجلدين منها. ونشر تاريخ الحبشة لشهاب الدين احمد بن عبدالقادر المعروف بعرب فقيه مع ترجمته الى الافرنسية. وله مقالات متعددة في المجلات الشرقية في فرنسة وفي الجزائر وتونس وفي دائرة العلوم الاسلامية. وكتب في الشعر العربي الجاهلي

وكان لرينه باسه ابن «هنري باسه» (H. Basset) يعده ليكون خلفه في دروسه الشرقية فلم يعش بعده إلا سنتين فتوفي في ١٣ نيسان ١٩٢٦ في رباط في الثالثة والثلثين من عمره. كان خدم وطنه في الحرب فذاق مرارتها ثم تخصص بعدها بدرس الاسلام في كل مظاهره التاريخية والاثرية والاجتماعية. وتولى بعد ابيه نشر دائرة الاسلام الافرنسية. وله ايضاً تاريخ آداب قبائل البربر. وبهمته انشئت سنة ١٩٢١ مجلة الدروس المراكشية والبربرية المعروفة باسم هسبريس (Hespéris)

وفي اواخر السنة ١٩٢٣ كانت وفاة هنري سلادين (H. Saladin) الذي اشتغل مع المسيو ميجون في الكتاب النفيس المعنون بدليل الصناعة الاسلامية. وكان قبل ذلك نشر سنة ١٨٨٨ كتاباً حسناً عن عاديات تونس

في الاسبوع الاول من كانون الثاني ١٩٢٤ خسرت فرنسا إمام علمائها بالمسكوكات القديمة «ارنست بابلون» (E. Babelon) كان اليه مرجعهم في معرفة النقود العتيقة. نذكر منها دليل مسكوكات سورية والارمن ودليل النقود العجمية وله دليل ثالث في الآثار الشرقية ولد سنة ١٨٥٤ ثم تضلع من علم اللغات السامية وتجول في الشرق متخصصاً باثاره ومسكوكاته فنبغ فيها وتآليفه تبلغ عدة مجلدات

ومن مناعي السنة ١٩٢٤ العلامة «جاك دي مورغان» (J. de Morgan) توفي في اواسط تلك السنة مخلفاً له ذكراً طيباً في عالم العلوم الشرقية لاسيما الاثرية. وكفاه فخراً ما تولاه من الحفريات في العراق والعجم. فاليه يعود الفضل لاكتشافه في شوشن شرائع حمورابي الراقية الى اوائل الالف الثاني قبل المسيح. واكتشف مسلة الملك البابلي نارام سين وتمثال الملك تابير اسو وآثاراً اخرى عديدة للعيلاميين تزين اليوم

متحف باريس وغيرها . وقد نشر كثيراً من تلك الآثار مع العلامة الاب شيل الدومنيكي . وله تاريخ الارمن وتآليف في عاديات مصر وفي اصول الشعوب وآثارهم السابقة للتاريخ . وقد اعتزل الاشغال في اواخر حياته لما وجده من المعاكسة في بعض زملائه فمات خاملاً

ومن نشبت فيهم المنون مخالبها منذ عهد قريب الاستاذ المستشرق «بول كازانوفا» (P. Casanova) الذي توفي في ٢٤ آذار ١٩٢٦ دروس اللغات الشرقية في مكتب باريس المختص باللغات الشرقية الحيَّة ونال شهادتها . ثمَّ علَّم العربية وآدابها في جامعة فرنسة سنة ١٩٠٩ بعد ان أُسند اليه في مصر بصفة نائب مدير معهد الآثار الشرقية الفرنساوي . وكانت الجامعة المصريَّة انتدبتهُ ليلقي فيها دروساً شرقية سنة ١٩٢٥ فلم تطل مدَّتهُ وتوفي وهو مستعدّ ليأتي بيروت ويحضر مؤتمرها الاثري مع عالم آخر جورج بنديت (G. Bénédite) فتوفي كلاهما في اسبوع واحد . وللموحوم كازانوفا من التآليف ترجمة المقريزي لوصف مصر وترجمة تاريخ ابن خلدون في قبائل البربر . وكتاب في محمَّد وآخر العالم . وكان المرحوم مولعاً بعلم النقود القديمة الاسلامية وبآلات العرب الرصديَّة وبمكاييلهم وموازينهم . وقد رددنا عليه في بعض تطرُّفه

وكان آخر من فُجعت به الآداب العربية وذلك في ٢ك ٢ السنة ١٩٢٧ المستشرق الممتاز «كليان هوارت» (Cl. Huart) الذي أدَّى للعلوم العربيَّة خدماً مشكورة . ولد في باريس في اواسط شباط سنة ١٨٥٤ وانكبَّ منذ شبابه على الدروس الشرقيَّة له عدَّة تآليف تركيَّة وفارسيَّة . وممَّا خدم به اللغة العربية خصوصاً كتابهُ في الآداب العربية سنة ١٩٠٢ ثمَّ تآليفهُ في تاريخ العرب في مجلَّدين (١٩١٢) ثمَّ نشرهُ وترجمتهُ لكتاب البدء للمقدسي في ستَّة مجلَّدات (١٨٩٩ــ١٩٠٩) وتاريخ بغداد في القرون المتأخرة (١٩٠١) وكتاب في الخطوط العربية وتزيينها بالمينا في الشرق الاسلامي (١٩٠٨)

نضيف الى هؤلاء اثنين من آباء كليتنا الاب «فرنسيس تورنبيز» (Fr. Tournebize) والاب «لويس بولومرا» (L. Bouloumoy) . خدم الاوَّل الآداب الشرقيَّة بعدَّة مصنَّفات اخصُّها تاريخ مطوَّل لارمينية السياسيَّة والدينيَّة (١٩١٠) ثمَّ

الكنيسة الرومية الارثذكسية والاتحاد ثم مقالات عديدة علمية ودينية وتاريخية عن الارمن والدروز والرسالات الشرقية وتراجم بعض المرتدين الى الكثلكة او بعض مشاهير الرجال توفي في ١١ آذار ١٩٢٦ . اما الثاني فكان احد اساتذة الطبيعيات في المكتب الطبي الفرنساوي تخصص بعلم الميكروبات وعلم النبات . له في هذا العلم الاخير كتاب نفيس وصف فيه نبات الشام بناء على ما جمعهُ من اصنافهِ في لبنان ومستنبتهِ الشهير (المشرق ١٦[١٩١٣]:٢٧٧) . طُبع حديثاً في باريس

المستشرقون الانكليزيون

تأسف المستشرقون غاية الاسف على وفاة احد اشراف الانكليز ﴿السر شرل جيمس ليال﴾ (Sir Ch.J. Lyall) رافع لواء العلوم الشرقية في وطنهِ منذ نيف وخمسين سنة وقد عُني بسائر العلوم الشرقية لكنه امتاز خصوصاً بمنشوراتهِ العربية فنشر وترجم مجموعاً من شعراء العرب القدماء وشرح المعلقات للتبريزي ودواوين عبيد بن الابرص وعامر ابن طفيل وعمرو بن قميئة . ونشر في مطبعتنا ديوان المفضليات للضبي مع شروحها وتذييلها بالملحوظات اللغويَّة والادبيَّة وترجمتها الى الانكليزية وفهارسها . ولهُ مقالات ممتعة في كل آداب الشرق في المجلة الاسيوية الانكليزية التي كان احد روسائها وفي دائرة المعارف الدينيَّة والاخلاقية وغيرهما توفي في غرَّة ايلول ١٩٢٠ وعمرهُ ٧٦ سنة

وفي اوائل كانون الثاني سنة ١٩٢٥ فقد الانكليز استاذاً آخر من اساتذة العلوم العربية المرحوم ﴿كارليل ماكرتناي﴾ (C. H. H. Macartney) بعد نشرهِ لديوان شعر ذي الرمَّة مع شرحهِ وتذييلهِ بالحواشي اللغوية والروايات المختلفة والفهارس طبعهُ في كمبردج سنة ١٩١٩

ومن كبار المستشرقين الذين فجعت الآداب الشرقية بوفاتهِ في العام الماضي ١٩٢٦ في ٥ ك٢ ﴿ادوار برَون﴾ (Ed. G. Browne) استاذ الآداب العربية والفارسية في جامعة كمبردج توفي وعمره ٦٤ سنة احرز لهُ فخراً اثيلاً بتآليفهِ الواسعة لاسيما الفارسية والعربية . منها وصفهُ للمخطوطات الاسلامية في جامعة كمبردج في اربعة مجلدات وتاريخهُ الكبير للعجم وللآداب الفارسيَّة في اربعة مجلدات ايضاً . ونشر

مجاميع من شعراء الفرس وتواريخهم وتاريخ خراسان وتاريخ السلاجوقيين وتاريخ اصفهان وتاريخ البابية والبهائية ورحلتهُ الى فارس ومذاكرة الشعراء لدولتشاه ولباب الالباب لمحمد عوفي وتاريخ الطب عند العرب وكتاب نهاية الارب في اخبار الفرس والعرب

وفي العشرين من الشهر والسنة عينهما توفي الرحالة الانكليزي «شرل دوتي» (Ch. M. Doughty) عن ٨٢ سنة اشتهر برحلته الى جزيرة العرب فسار من دمشق سنة ١٨٧٦ على طريق الحج حتى بلغ الحجر وزار مدائن صالح والعُلا وتيماء ونسخ عدداً من الكتابات المنقورة على صخورها وبلغ الى حايل وخيبر ولقي في طريقه ضروب المشقات حتى كاد يذهب ضحيَّة تهوُّره. ولمَّا عاد الى وطنه سالماً بعد سنتين نشر اخبار رحلته مع صورة الكتابات التي نسخها

وفي السنة ١٩٢٦ فقدت انكلترَّة سيدتين اشتهرتا ايضاً بخدمة الآثار الشرقية. ففي ٢٦ آذار توفيت السيدة «اغنس سميث لويس» (Agnes S. Lewis) التي تخرَّجت في جامعة كمبردج ثمَّ تجشَّمت عدَّة اسفار الى مصر وفلسطين واليونان وقبرس وطورسينا مع اختها السيدة جبسون. وقد كتبت اخبار رحلتها الى قبرس وطورسينا حيث اكتشفت في مكتبتها عدَّة مخطوطات قديمة سريانية وعربية ويونانية من جملتها نسخة قديمة سريانية من انجيل مار متى. وقد نشرت مجموعةً من تلك الآثار دعتها الدروس السيناوية (Studia Sinaitica). وقد عرف لها وطنها خدمها فمنحها وسام الشرف. كان مولد اغنس لويس سنة ١٨٤٣

اما الثانية فهي الآنسة «جرترودة بل» (Gert. Bell) توفاها الله في بغداد في ١٢ تموز وهي التي دُعيت بملكة العراق لما ادَّتهُ من الخدم للحكومة الانكليزية في العراق بعد ان فُوِّض اليها الانتداب على تلك البلاد. عرفنا هذه الآنسة التي زارت كليَّتنا غير مرَّة قبل الحرب وبعدها فكنا معجبين بهمَّتها ونشاطها فانها طافت اصقاع الجزيرة والعراق والاناضول ونزلت بين قبائل العرب والترك ودرست آثار البلاد الدينيَّة والمدنيَّة وفنونها وصنائعها ووصفت كلَّ ذلك بعدَّة تآليف من قلمها بالانكليزية ومن افضل مصنَّفاتها كتابها عن كنائس واديار طور عابدين وكتابها في بادية الشام وآثارها وكتابها في الحضر والمدر ووصفها لآمد مع المرحوم مكس فان برشم ولالف كنيسة وكنيسة بمية العلامة رماي ومن مراد الى مراد (Amurath to Amurath)

ولها وصف قصر الخيضر القديم في العراق وغير ذلك مما قضى منها العجب

المستشرقون الالمانيون

كان اوّل من مُنيت به منهم الآداب الشرقيّة بعد نهاية الحرب في ٥ كانون الاوّل سنة ١٩١٩ الدكتور مرتين هرتمان (M. Hartmann) الذي عرفناهُ في بيروت زمناً طويلاً كقنصل دولة المانية . ولد في برسلو سنة ١٨٥١ وقضى في برلين . كان ابن احد قسوس البروتستانت ورث منهُ تحمُّسهُ لمذهبهِ ومعاداتهُ للكثلكة . . صرف اكبر قسم حياتهِ في درس اللغات الشرقية ولاسيما العربية ونشر آدابها . وكان احد منشئي مدرسة اللغات الشرقية في برلين والمتولين على نظارتها . قد نشر كتباً عديدة تنبئ عن طول باعهِ في العربية منها كتابهُ في الصحافة العربية في مصر (سنة ١٨٩٩) وكتاب في العروض العربي وكتاب في الاسلام وانشأ المجلة الاسلامية ومجلة عالم الاسلام ورحل الى جهات مصر وسورية وتركستان وألّف كتاباً عربياً لتعليم اللغة الالمانية وله انتقادات على رسالتنا السوريّة جاوز فيها حدود العدل ثمَّ اقرَّ لنا بغلاتهِ . وقد نشرنا لهُ في المشرق مقالتهُ في درس اللهجات العاميَّة . أوصى عند وفاتهِ بان تُحرق جثتهُ

وفي كانون الثاني ١٩٢٠ اسلم روحهُ في يد خالقهِ احد آباء رهبانيّتنا الالمانيين من كبار المستشرقين علماً الاب جان نيومبق ستراسماير (J. N. Strassmayer) الذي كان متقناً للغات الشرقية لاسيما السريانية والعربية لكنهُ قضى معظم حياتهِ في نشر الآثار المسماريَّة . وهو اوّل من وضع لها معجماً بناهُ على كتاباتها الحجريَّة المحفوظة في المتحف البريطاني في لندن ونشر مع الاب اليسوعي لينغ كتاباً عن معارف الكلدان في الفلكيات استناداً الى آثارهم القديمة التي حلّا رموزها . وكان مع دروسهِ هذه يقضي ساعات من نهاره في خدمة كاثوليك لندن

وفي العام التالي في ٢٧ ك٢ ١٩٢١ استأثر الله باستاذ الماني عالم وعامل المرحوم كرستيان فردريك سيبولد (F. Ch. Seybold) مات في توبنغ بعد ان علم سنين طويلة . ولد في اوائل سنة ١٨٥٩ وبعد ان تخرَّج في جامعة توبنغ في علومها اللاهوتية والفلسفية واللغوية انتدبهُ ملك البرازيل دون بدرو الثاني ليعلمهُ اللغات الشرقية

وخصوصاً العربية والسنسكريتية فرافقه الى البرازيل وتعلّم هناك لغات الوطنيين في تلك البلاد وكان متقناً للبرتغالية والاسبانية ثمّ دُعي الى تعليم اللغات الشرقية في جامعة تورنغ فعلّم العبرانيّة والسريانية والفارسية . وقد فضّل عليها تعليم العربية فوصف مخطوطات مكتبة الجامعة ونشر مؤلفات عربيّة مهمّة كاسرار العربية لابن الانباري والشماريخ في علم التاريخ للسيوطي والمنى في الكنى له وكتاب الموضّح لابن الاثير والكتاب الدرزي النقط والدوائر ورواية سول وشسول مع ترجمتها الى الالمانية . ونشر ايضاً معجماً قديماً عربياً لاتينياً لمؤلف غُفل وطبع في مطبعتنا الكاثوليكية قسمين من تاريخ بطاركة الاسكندرية لابن المقفّع اسقف الاشمونَين . هذا الى مقالات عديدة بقلمه في المجلّات الشرقيّة الالمانيّة (١٨٦٦)

وفي شهر حزيران من تلك السنة ١٩٢١ خسرت مونيخ عاصمة بافاريا احد اساتذة جامعتها في عزّ كهولته المستشرق «ارنست لِندل» (E. Lindl) معلم اللغات الشرقية . نشر بعض التآليف في البابلية والاشورية وما يستفاد من آثار السماريّة تأييداً لروايات الاسفار المقدّسة . وفي آب من العام التالي ١٩٢٢ خسرت مونيخ ناظر مكتبتها الدكتور «جوزف أومر» (Jos. Aumer) الذي كنا اختبرنا لطفهُ ومعارفهُ الشرقية . ومن آثاره وصفهُ المخطوطات العربية التي تحفظ هناك

ومن علماء المستشرقين الالمان المتوفين في ذلك العام الدكتور «فردريك كِرن» (Fr. Kern) توفي في برلين في تشرين الثاني ١٩٢١ . كان يعلّم في عاصمة بروسية العربية والآداب الاسلامية ويعاني الآثار الشرقية في بابل والهند ومن تآليفهِ كتابهُ في تاريخ البوذيّة في الهند

واعظم منهُ شهرةً إمام الدروس السامية في برلين الاستاذ الدكتور «فرنتس ديليتش» (Fr. Delitsch) المتوفى في كانون الثاني ١٩٢٣ تعاطى كل العلوم الشرقية وانما اشتهر خصوصاً بتآليفهِ المتعدّدة عن الآثار البابلية وشرح الاسفار المقدّسة العبرانية والآرامية

ومثلهُ شهرة صديقنا الدكتور «كرل بَتسولد» (Carl Bezold) توفي ايضاً في كانون الثاني من السنة ١٩٢٣ كان استاذ اللغات السامية في هيدلبرغ . ادار سنين طويلة المجلة الاشورية التي اودعها كنوزاً ثمينة من معارفهِ في كل لغات الشرق

كالكلدانية والسريانية والعربية والحبشية . ولهُ تآليف فريدة في كل الآثار الشرقية ونشر في العربية والحبشية الكتاب الموضوع المدعو «عهد آدم» وتاريخ ملوك الحبش المعروف بسكبرا نغست الّا انَّ معظم تآليفهِ في الآثار البابلية

وآخر من أسفت على فقدهِ العلوم الشرقية الدكتور ﴿فليكس بيزر﴾ (F. Peiser) منشئ مجلّة الآداب الشرقية الالمانية (OLZ) ادارها عدّة سنين وبيّن رسوخ قدمهِ في معرفة كل آثار الشرق ولاسيما اللغات السامية القديمة والحديثة . تشهد لهُ المقالات الفريدة التي تحفل بها المجلة في كل ابواب المعارف الشرقية

النساريّون والمجريّون والسويسريون

في اوّل جمعة من الهدنة بعد الحرب في ٩ تشرين الاول ١٩١٨ توفي في ڤينة ﴿الكافليار جوزف فون كرابتشك﴾ (J Karabacek) . ولد سنة ١٨٤٥ في غراتس حاضرة ستيريا من اعمال النمسة سابقاً . درس في جامعة ڤينة ثمَّ سافر الى بنّات وحصل على مجموعة مسكوكات عربية قديمة فانقطع الى درسها ووصفها فعيّنته الحكومة النمساوية معلماً للآثار الشرقية وتوفقت الدولة بحصولها على آثار بُرديّة عربية راقية الى اوائل الفتح الاسلامي في مصر وُجدت في الفيُّوم سنة ١٨٨١ فعُهد اليهِ درسها وتعيَّن استاذاً لتاريخ الشرق وعادياتهِ فنشر في كل هذه الفنون مقالات واسعة في مجلة العلوم الشرقية النمسوية (WZKM)

وفي اوائل السنة ١٩٢٠ توفي في براغ عاصمة بوهيميا النمسوية استاذ اللغات الشرقية ﴿رودلف دفوراك﴾ (R. Dvorak) لهُ تأليف في شعر ابي فراس الحمداني وترجمة حياتهِ في الالمانية ونشر ما ورد من شعرهِ في يتيمة الدهر للثعالبي مع ترجمته . طبعهُ في ليدن سنة ١٨٩٥

ودُهمت الآداب العربية في السنة ١٩٢١ بوفاة مستشرقَين كبيرين شاع فضلهما على العالم العربي الاول ﴿ماكس فان برشم﴾ (Max Van Berchem) ولد في جنيف في سويسرة سنة ١٨٦٣ ودرس في مدارسها وفي مدارس المانية ثم تخرَّج في مدرسة باريس المعروفة بمدرسة اللغات الشرقية الحيّة ثمَّ في المجمع العلمي الاثري الافرنسي في مصر فقصد ان يطرق باباً جديداً قلَّما طرقهُ المستشرقون قبلهُ فانهُ حاول

نشر الكتابات العربية الاثرية التي كتبها المسلمون على ابنيتهم القديمة من جوامع ومدارس وقصور ومعاهد عمومية ومدافن مقسماً ذلك الى عدّة اجزاء على حسب اختلاف البلاد وهو عمل جبّاري يحتاج الى جماعة كبيرة وسياحات بعيدة وقد نشر من ذلك عدّة مجلدات ممتعة كآثار مصر وحمص وديار بكر وآثار الصليبيين . وله تآليف اثرية اخرى في المجلات الاختصاصيّة . والامل معقود ان يواصل عملهُ هذا بعض ذوي الهمة كالمسيو ثيات وغيره . وقد تعيَّن المرحوم زمناً طويلاً كاستاذ اللغات الشرقية في جنيفا عاصمة وطنهِ توفي في ٧ آذار . وبعد وفاتهِ نشرت قرينته سنة ١٩٢٣ في كتاب خاصّ ترجمة حياتهِ مع اقوال العلماء ثناء على اعمالهِ

اما المستشرق الآخر فهو الكاتب الضليع الواسع الشهرة الموسوي ﴿اغناطيوس غولدتسيهر﴾ (Ign. Goldziher) الذي عرفناهُ في مؤتمرَي برلين وستوكلهم سنة ١٩٠٩ . ولد في المجر في ٢٢ حزيران ١٨٥٠ ودرس على كبار المستشرقين الالمانيين في ليبسيك ثمَّ تفرَّغ للتدريس سنة ١٨٧٠ في بودابست ومذ ذاك الحين لم يزل يكدُّ ذهنهُ ويسهر جفنهُ في الابحاث الشرقيَّة وعلى الخصوص الابحاث في العلوم الاسلامية بعد سياحتهِ الى الشام ومصر سنة ١٨٧٣ (١ فخلَّد اسمهُ بمنشوراتهِ النفيسة عن الاسلام وعلومهِ الدينيَّة والادبية واللغوية . فما نشرهُ كتابهُ في مذهب الظاهريين (١٨٨٤) ودروسهُ الاسلامية في مجلَّدين ضخمين (١٨٨٨—١٨٩٠) وديوان الحطيئة جرول بن اوس (١٨٩٠) وابحاث في اللغة العربية (١٨٩٦—١٨٩٨) في جملتها كتاب المعمرين . وله محاضرات جميلة في الاسلام ومعتقداتهِ واصوله وفي الحديث النبوي . وكان آخر ما اصدرهُ من قلمهِ سنة ١٩٢٠ كتاباً ممتعاً في اعتبار الشيع الاسلامية القرآن وما بنوا على نصوصهِ من الآراء المتباينة . توفي في ١٣ تشرين الثاني ١٩٢١

وفي كانون الثاني من السنة ١٩٢٢ لقي اجلَّهُ في مدينة بال في سويسرة استاذ جامعتها ﴿فردريك شولتس﴾ (Fr. Schulthess) الذي تخصَّص ايضاً بدرس العربية والابحاث الشرقية ومما نشرهُ ديوان اميَّة بن ابي الصلت جمعهُ من المقاطيع المبثوثة في

---

١) كان يخبر الاستاذ غولدسيهر متفكهاً انهُ لما سافر وقتئذٍ من يافا الى القدس ركب حماراً فكان المكاري المسلم اذا ساقهُ انتهرهُ بقولهِ : امش يا يهودي

كتب القدماء سنة ١٩٢٢ ونشر ايضاً ابحاثاً ادبيّة في الدين الاسلامي ولهُ تآليف في لغة السيد المسيح وغير ذلك

المستشرقون الايطاليون

أُصيبت الدروس الشرقية في ايطاليـة بضربة مؤلمة بوفاة العـلّامة ﴿سلستينو سكياپارلي﴾ (Celestino Schiaparelli) الذي ولد في ١٤ ايار سنة ١٨٤١ في پيامونتي وتوفي في رومية في ٢٦ تشرين الاوّل سنة ١٩١٩ درس العربية في فلورنسة على الاستاذ ميشال أماري الشهير ثمَّ تعيَّن معلماً للغة العربية في جامعة رومية الوطنيَّة. ومن آثار همّتهِ الطيبة نشرهُ لديوان ابن حمديس الصقلّي سنة ١٨٨٧ ثم نشر رحلة ابن جبير مع ترجمتها الايطاليَّة (١٩٠٦) ونشر في فلورنسة معجماً عربياً قديماً سنة ١٨٧١. ونشر مع الاستاذ اماري القسم المختصُّ بايطالة من نزهة المشتاق للادريسي ونقلهـا ايضاً للطليانيَّة وذيَّلها بملحوظات عديدة. وممَّا لم يطبع وهو ممثل للطبع ما ورد للادريسي عن ايطالية في كتاب آخر يدعى أُنس المُهج وروض الفرج عن نسخة وجدها في الاستانة. وكذلك كتاب ابن الهائم الذي عنوانهُ مرشدة الطالب في أسمى المطالب وغير ذلك من آثاره الطيبة

وفي ٥ ك١ ١٩٢٠ خسرت ايطالية استاذاً آخر ضليعاً من العلوم الشرقية الاستاذ ﴿ايتالو پيزّي﴾ (Italo Pizzi) المولود في پارما سنة ١٨٤٩ تخرَّج في جامعـة پيزا وتعيَّن للتدريس في جامعة تورينو. وقد اشتهر خصوصاً بعلمهِ للغة الفارسية وفيها نشر معظم تآليفهِ. وقد اشتغل كذلك بالعربيـة فنشر كتابهُ في آدابها بالطليانيَّة سنـة (١٩٠٣) وألَّف ايضاً كتابـاً في الاسلام. وعُني بالآداب الهنديَّة واللغـة السنسكريتيَّة

ولا يقلّ عن هؤلاء شهرةً الاستاذ ﴿اوجانيو غريفيني﴾ (Eug. Griffini) الذي توفي في ٣ ايار ١٩٢٥. كان مولدهُ في ميلانو في اواخر سنة ١٨٧٨ وبعد دروسهِ بلغهُ ان احد مواطنيه يتاجر في صنعاء يدعى يوسف كپروتي فسافر الى اليمن واجتمع بهِ وساح في تلك البلاد وباع من كپروتي عدداً من مخطوطاتها التي وصفهـا ثمَّ اوصى بها لوطنهِ بعدهُ وتسيَّح ايضاً في طرابلس الغرب وهو يتزيَّا في اسفارهِ بازياء العرب.

ودعاهُ في آخر عمره جلالة الملك فؤاد كناظر مكتبته الخاصة في القاهرة فتوفي بعد قليل . ومن آثاره نشرهُ نسخة قديمة من شعر الاخطل وجدها في اليمن وطبعها في مطبعتنا ونشر كذلك كتاب جامع الفقه لزيد بن علي نشرهُ في ميلانو سنة ١٩١٩

المستشرقون الاميركيّون

توفي في السنة ١٩٢١ احد مشاهير العلماء المستشرقين في اميركا الدكتور «موريس جاستروه» (Morris Jastrow) كان من اساتذة جامعة فيلادلفية وكان موسوعيًا أتقن في مقتبل عمره اللغات الساميَّة وخصوصاً العبرانية والعربية . وكانت باكورة منشوراته كتاب ابي زكريّا يحيى بن داود هيّوج نشر نصَّهُ العربي في ليدن . ثمَّ تعاطى العلوم الاشوريَّة فاصبح احد اساطينها ونشر عدداً عديداً من آثارها . وكذلك درس الاسفار المقدَّسة وعُني بشرحها لكنهُ لم يرعَ في انتقاداته جانب الاعتدال . ولهُ ابحاث عديدة في الاديان واصولها واطوارها ومن تآليفه المفيدة معجم للغة اليهوديَّة الآراميَّة كالترجوميم والتلموديَّين البابليّ والاورشليمي والمداريش . ولهُ تاريخ التمدّن في بابل واشور ووصف اديانها

وفي ١٢ كانون الثاني سنة ١٩٢٣ أسفت الجامعة الاميركيَّة في الثغر على فقد استاذها في التاريخ والفلسفة الدكتور «هارفي بورتر» (Harvey Porter) وهو في التاسعة والسبعين من عمره . ولد سنة ١٨٤٤ وقدم سوريَّة سنة ١٨٧٠ فخدم الجامعة الاميركيَّة بكل نشاط واخلاص الى السنة ١٩١٤ . وممَّا خدم بهِ العلوم الشرقية اهتمامهُ بالماديَّات والنقود العربية . وألف تاريخاً عموميًا بالعربيَّة وساعد الدكتور ورتبات في معجميهِ المطوَّل والمختصر العربي والانكليزي وصنَّف بالانكليزيَّة تاريخاً مختصراً لبيروت

هؤلاء هم المستشرقون الذين بارحوا الحياة في هذه الحقبة الثالثة فاستحقُّوا شكر مواطنيهم وكشفوا لنا كثيراً من كنوز اوطاننا الدفينة جازاهم الله خير جزائهِ

(لهُ صلة)

تاريخ الدولة الاموية في الشام

نظر انتقادي لحضرة الاب هنري لامنس اليسوعي

انتساء بالمجلّات الاوربيّة اخذت مجلة المقتطف الغرّاء في مصر تستفتي الادباء عن بعض الامور الدائر عليها البحث في الصحافة. وهذه الطريقة كما هو معلوم تتوقّف على عرض مسألةٍ خاصّة على بساط المفاوضات ليجيب عنها بعض الادباء. وفائدتها ظاهرة للسائل والمسئول معاً فالسائل وهو صاحب المجلة يربح لمجلّتهِ ما يغنيهِ نوعاً عن التحرير بما يرويهِ من قلم غيرهِ. واما المسئول فينال بعض الشهرة بكتابتهِ اذ يقيم نفسهُ حكماً في ذلك الموضوع يعطي فيهِ فتواهُ

فما عرضتهُ مجلّة المقتطف على قرّائها في عددها الصادر في شباط الماضي (ص ١٢٩) ان يبدوا رأيهم في النهضة الشرقيّة الحديثة. فكان اوّل من سبق واعلن برأيهِ في ذلك هو السيد محمّد كرد علي. قد ارتأى — ونحن نوافقهُ على رأيهِ — ان شرقنا العزيز ترقّى ترقيةً ظاهرة. لكننا رأينا في كلامهِ بعض المغالاة حيث يقول (ص ١٣٠) ان «مصر اصبحت بمعارفها ارقى من اسبانيا اليوم» فحكمٌ كهذا لمّا يدهش سامعيهِ. فنكتفي بذكر كاتب واحد من اهل اسبانية الاستاذ آسين بلاسيوس. فاين في مصر من يشبههُ في معرفتهِ لفلسفة الاسلام والتصوّف الاسلامي. فما أبعد من ابحاثهِ الممتعة بعض الابحاث القليلة الجدوى التي تُنشر في مجلة الجامعة العربيّة الدمشقيّة نفسها. فلو قوبل بين هذه وتلك لا نظنّ انّ احداً يفضّل فيها نهضة الشرق على الغرب

وعلى كلّ حال انّنا نضرب الصفح الآن عن النهضة العلميّة في الشرق ونقصر نظرنا في العلوم التاريخيّة التي لم نرَها قد ترقّت رقياً محسوساً. فان كتبة التاريخ لا يزالون يجرون في وضعهِ على طريقة ابن الاثير وابي الفداء اعني انهم يكتفون بنقل ما سبق اليهِ غيرهم دون انتقاد رواياتهم والرجوع الى الاصول التي نقلوا عنها ولعلّهم تصرّفوا فيها كما انهم لم يطّلعوا على ما ورد عنها في كتب الاجانب ليقابلوا بينها ويتحقّقوا صحّتها. فهذا الانتقاد والاطلاع على المصادر الاجنبيّة والمعارضة بينها كلّ ذلك لم يكترث لهُ المؤرّخون الاقدمون فيعتبرونهُ من بقايا الجاهليّة ممّا لا قيمة لهُ.

فكثير من المؤرخين المحدثين يتقلدون اولئك الكتبة فيتناولون روايات سخيفة لا تثبت في نظر العقلاء المحققين ويروون ما اثبتوهُ من الاحصاءات التي لا تنطبق على نظر معقول. وقد ضربنا في ذلك مثل بلدة معرَّة النعمان التي لم يبلغ قطّ عددها عشرة آلاف نفس فيروون دون انتقاد انهُ قُتل مئة الف من اهلها استناداً الى راوٍ قديم. فيدوّنون ذلك جزافاً كأنَّ قولهُ ضربٌ من الوحي لا يجوز تخطئتهُ

***

فعلى هذه الطريقة كان الشرقيُّون الى عهدنا القريب يكتبون التاريخ

وقد لحظنا في الاجزاء الاربعة التي ألَّفها السيد كرد علي تحت عنوان خطط الشام بعض التقدُّم من هذا القبيل لكننا لا نراهُ كافياً فانَّ المؤلف الاديب سارع في العمل ولم يكن على أهبة تامَّة لمباشرته وتمامهِ ولاسيَّما للزمن السابق لعهد العرب وذلك لجهلهِ اللغات المدرسيَّة القديمة اللاتينيَّة واليونانيَّة بل لم يعرف الانكليزيَّة والالمانيَّة من اللغات الحديثة. ثمَّ لم يعدل عن اوهام سابقة طائفيَّة وجنسيَّة تؤثر في احكامهِ فتنكَّب بهِ عن جادَّة الحقّ

ومن هذا الوجه الاخير قد وجدنا على عكس ذلك إفراطاً في الدكتور طه حسين فانَّهُ قد بالغ في نقضهِ لآثار قديمة راهنة. وانَّما استحسنَّا طريقتهُ في تحرّزهِ من اوهام غلبت على عقول كثيرين كما فعل مثلاً بتزييفهِ لقصائد قديمة منسوبة الى الجنّ في سيرة ابن هشام وفي كتاب الاغاني. فان حُسن الذوق وأصالة الرأي في نقض هذه المرويَّات الباطلة يفوقان على الاسانيد واعتبار رُواتها

***

وهذا ما يدفعنا الى الاقرار بفضل الشاب الاديب انيس افندي زكريَّا النصولي في كتابهِ الحديث المعنون بالدولة الامويَّة في الشام المطبوع حديثاً في بغداد في مطبعة دار السلام فانَّهُ اخذ على نفسه طلب الحقيقة دون الاستسلام الى اوهام شائعة فكتب تاريخ بني اميَّة بعد وقوفهِ على التآليف التي نشرناها قبل عشرين سنة. فتراهُ يجري على آثارنا في ما كتبناهُ عن معاوية مؤسِّس الدولة الامويَّة وعن ابنهِ يزيد الاوَّل. فنُحيل القرَّاء الى مطالعة فصلهِ الثاني المعنون مأساة الحسين فانَّهُ بكلّ جدٍّ وحزم مع كونهِ مسلماً لا يتردَّد في نسبة المطامع للصحابة (ص ٢٩) ويفنِّد ما نسبوهُ زوراً الى

الدين والدينُ بريءٌ منهُ (ص ٣٠) ويبيّن ان مأساة كربلاء انما كانت مسئلة سياسيّة ليس الّا . وهذا عين الحقّ أعلن بهِ المؤرخ الاديب لم تأخذهُ في ذلك لومة لائم من اهل جلدتهِ الذين لا يرون عموماً هذا الرأي (ص ٣٧ الخ) . وهذا لا يصدّهُ عن تأثيم بعض الاعمال التي صدرت عن يد خلفاء بني امية (ص ٢٦٢) قال حفظه الله :

«نحمد للامويّين اهتمامهم بالعمران وانصرافهم اليهِ وبذلهم الاموال الطائلة في سبيلهِ . ولكنا لا نحمد لهم صنيعهم في تخريب التماثيل فقد اساءوا بذلك الى العلم والفنّ . اساؤوا الى العلم لاننا فقدنا بفقدها آثاراً ناطقة عن الايم التي سكنت هذا الشرق الاسلامي قبل العرب . واساءوا الى الفن لأن التماثيل تخبرنا عن مبلغ ما وصلت اليهِ تلك الامم من رقّة الشعور ومعرفة الجمال . فأمر يزيد بن عبد الملك سنة اربع ومائة (٧٢٢م) بكسر الاصنام في انحاء البلاد كلّها فكُسرت وعُميت التماثيل وخصوصاً في مصر» (الولاة والقضاة ص ٧١–٧٢)

هذا وانّنا مع موافقتنا لآراء المؤلف في بعض الامور الجوهريّة لا نراهُ مصيباً في امور أخرى . فانّنا مثلاً ندع المسئوليّة على عاتقهِ في ما كتبهُ (ص١١٧) عن النصيريّة حيث قال :

ولا ريب عندنا انّ جماعات النصيريّة في بلاد العلويّين من اعمال سورية قد ورثوا كثيراً من العقائد النصرانيّة والمنديّة لاختلاط الجراجمة والزطّ بهم . وانّا لنوجّه انظار من يدرسون العقائد النصيريّة الى هذه النقطة في ابحاثهم

وكذلك قد بالغ المؤلف في اطراء الخليفة عمر بن عبد العزيز (ص ٢٢٠ــ٢٣٨) . ثمّ انهُ ضيّق نطاق جند دمشق (ص ٢٤٠ س ٤) اذ قصرهُ على الغوطة وقراها وبساتينها لانّ هذا الجند كان يشتمل على لبنان وجبل الشيخ وسواحل فينيقية ــ لم يَشِد الخليفة هشام كما زعم (ص ٢٥١) مدينة الرصافة لان هذه المدينة سبقت عهد العرب وانّما عُني باصلاحها ــ وكذلك شطّ في وصفهِ للطرق التجارية في عهد بني امية (ص ٢٦٥) فقال انهم نهجوا طرقها الى بغداد ولم تُبنَ بغداد الّا بعدهم في زمن بني عبّاس

ولم يُصب المؤلف في ذكرهِ للبريد في خدمة التجّار (ص ٢٧٠) فانّ البريد كان مختصاً بخدمة الدولة وحدها . امّا الافراد فما كان لهم ان يستفيدوا منهُ إلّا شذوذاً

وكذلك بالغ انيس افندي (ص ٣١٦) بنسبتهِ انشاء الشيعة العلويّة الى الاعاجم من الفرس . والصحيح انّ منشئيها كانوا كلهم عرباً وانّما انتمى اليها الاعاجم بعد

ذلك بمدّة طويلة لما اتحد بنو عباس مع العجم لمحاربة الامويين

هذا ثم نثني ثناء طيباً على مؤلف الكتاب اذ لم يكتف بتسطير تاريخ الامويين السياسي لكنهُ ايضاً اضاف اليهِ فصولاً حسنة روى فيها ترقّي التمدّن في عهدهم والحركة الاجتماعيّة بعنايتهم واهتمامهم بالآداب . ونراهُ قد احسن في توجيه نظره لموضوع قريب المنال كتاريخ بني اميّة في الشام . على خلاف كتابهِ السابق في ذكر الاندلس اذ كان يحتاج الى معارف خصوصيّة وموارد متعدّدة لا يستطيع الحصول عليها . ونشير اليهِ بان يواصل دروسهُ التاريخيّة ويسعى في بثّ حبّ المطالعة لآثار الاقدمين وانتقادهم في الناشئة بكل نزاهة فيخدمون الوطن مثلهُ خدماً مشكورة ان شاء الله (١

نظر في حركة العلم السنوية

للاب لويس شيخو اليسوعي

ان نطاق العلوم يتسع يوماً بعد يوم بهمّة ارباب الدول ووفرة الاكتشافات الجديدة والعدد العديد من الجامعات العلمية والمجلّات الراقية حتى لا يكاد العقل البشري يقف الّا على القليل منها . وها نحن نذكر بكل اختصار ما استجدّ في العام الماضي من هذا القبيل

﴿المادّة وتركيبها﴾ كان الفلاسفة المدرسيّون يعلّمون انّ المادّة تتألف من عنصرين مادّي وصوريّ وذلك حتى في اقصى ذرّاتها الممكن تقسيمها . وقد عاد المحدثون الى تأييد ذلك الرأي وان عرضوهُ على صورة اخرى فهم يرتأون ان الذرّة (atôme) التي تتحصّل من مجموعها الاجساد تتركّب من نواةٍ مكهربة كهربائية ايجابية يحيط بها

١) لتُصلَح الاغلاط الطبعيّة الآتية في طبعة ثانية (ص ٤٥ س ١٦) تصلح لفظة « اموال » والصواب «امبال» . وفي الصفحة ٢١٥ قد كتب «اخوانهُ» والصواب «اخوالهُ» . وكذلك جاء في الصفحة ٣٦٨ س ٨ « هذه الكنيسة » والصواب « هدم الكنيسة »

مجموع من الالكترونات المكهربة سلبياً . وهي تدور حولها . واذا تعدّدت هذه الذرّات حصلت منها دقائق (molécules) من اجساد مختلفة فانّ دقيقة الصوّان مثلاً تتركب من ذرّة سيليسيوم وذرتين من الاوكسيجين . وعدد هذه الدقائق في الذرّة الواحدة يبلغ ما لا يُحصى من المليارات . وانّما مرجع هذا التركيب الى عنصر مادّي والى قوى لاحقة بالمادّة

العلوم الطبيعيّة

﴿ ادراك الاصوات الخفيفة ﴾ انّ الاذن البشريّة لا تستطيع استماع الاصوات التي تزيد اهتزازتها على بضعة الوف في الثانية . وقد سعى الطبيعيّون في ايجاد آلات تمكّن الاذن من استماع ما هو اوفر عدداً من هذه الاهتزازات فمكّنوها من استماع اصوات بالغة اهتزازاتها فوق العشرين الفاً في الثانية بل بلّغوها الى ما هو فوق ذلك حتى خمسين الف اهتزاز بل مئة الف . ووضعوا لذلك آلةً تدوّن تلك الاصوات الخفيّة وتؤديها الى المسمع البشري . وذلك انهم عمدوا الى الكوارتز فانتزعوا منهُ صفيحة جعلوها بين صفيحتين من المعدن تضغطانها وتكهربانها وتتكهربان هما الواحدة بكهرباء ايجابيّة والاخرى بكهرباء سلبيّة ويجمعون بينهما بسلك يُجرَى فيهِ المجرى الكهربائي . واذا اوقف المجرى تولّد مجرى آخر على عكس المجرى الاوّل تنتج عنهُ اهتزازات غاية في التواتر تبلغ الى مئة الف اهتزاز في الثانية ويمكن تدوينها على مينا ساعة . ويجوز تحويل هذا المجرى معكوساً الى اذن السامع باطلاق المجرى الكهربائي على الكوارتز ومنهُ الى الصفيحتين المعدنيّتين ثمّ الى أذن السامع . وبمثل هذهِ الآلة يمكن اليوم الاحساس بالتوّاصات البعيدة في قلب البحر وبحركة النسّافات قبل انفجارها

﴿ عجائب الطيران ﴾ ان فنّ الطيران في ترقٍّ متواصل سواء كان من جهة اتقان ادواتهِ ام من جهة سرعة حركتها . فقد اصبح اليوم الطيران ضامناً للامان اذ قد تقلّ كل يوم الاخطار التي كان معرّضاً لها سابقاً . وترى روّاد الفنّ يتجشّمون الاسفار البعيدة غير مكترثين لانواء الجوّ فيقطعون المسافات البعيدة دون الاحتياج الى النزول برّاً لتجديد وقودهم من البنزين وغيرهِ . واذا حدث للطيّارة مصاب امكنهم النزول

الى الارض بآلة واقية كالمظلّة تهبط بهم الى الحضيض بكل هدوء

وفي هذا العام توفّق الطيّار اوندن من الوصول الى القطب الشمالي راكباً منطاداً كبيراً فبلغهُ في ١٢ ايار وسبقهُ الاميركي بُرد بيومين فبلغ الى القطب على طيّارة

وفنّ الطيران يتخطّى كل يوم خطوةً جديدة ففي العام الماضي امكن بعض الطيّارين ان يقطعوا مسافات بعيدة بشوط واحد دون ان ينزلوا الى البرّ . فمنهم من سار طائراً من فرنسة الى العراق ومنهم من قطع الاوقيانوس من اوربة الى اميركة

وكذلك سرعة الطيران فانّ منهم من قطع مسافة ٤٤٠٠ كيلومتر باقلّ من ٤٥ ساعة . واستدار الكابتان اراشار والمهندس كارول حول اوربة بتسع وثلثين ساعة وربع والمسافة ٧،٣٥٠ كيلومتراً . بل تمكن بعضهم من الدوران حول الارض كلها بأقلّ من يومين

ومن عجيب اختراعهم الحديث اطلاق الطيّارات الهوائيّة من المراكب يدفعونها بمحرّكات خاصّة فتُحلّق منها للفضاء

امّا المناطيد فان انكلترّة تعدُّ حاضراً منطاداً مجهّزاً للاسفار الهوائية سعتهُ ٨٠٠ متر مكعّب لركوب مئة مسافر ونقل ٩٠ طنّاً من البضاعة يبلغ طولهُ ٢٦٠ متراً ويقطع مئة كيلومتر في الساعة

وقد اخذ مواطنونا يعالجون الطيران فمنهم من باشرهُ في الخانتا ومنهم من زاولهُ في المهجر كصديقنا وتلميذنا القديم يوسف افندي عكر الذي ادهش بفنون حذاقتهِ في الطيران الجمهورية الفضّية . ودونك ما نشرتهُ جريدة البشير نقلاً عن «المرسل» التي تصدرُ في بونس ايرس قالت بعد ذكر وصولهِ الى العاصمة منذ خمسة اشهر وتعرّفهِ الى مشاهير طيّاريها وإصابتهِ مقاماً رفيعاً في بينهم :

«ما وصل وطنيّنا المذكور الى الجمهورية الفضّية حتى جعل يتردّد الى اندية الطيران فيها من حربيّة ومدنيّة فتعرّف الى اشهر رجالها واوثق معهم عرى الصداقة وحدّثهم طويلاً عمّا يتعلق بهذا الفن . فأُعجبوا بذكائهِ وسعة معارفهِ واذنوا لهُ ان يطير على طياراتهم . فاظهر مهارة فائقة جعلته معتبراً عند جميع الذين شاهدوه

«واراد عكر قبل عوده الى بلاده ان يقوم برحلة جوية فوق بونس ايرس يبدي فيها مقدرته الفنية ويظهر لسكان تلك العاصمة ان ابن لبنان قدير على مجاراة امم الغرب في اي فن تخصص لمزاولته مهما كان مستصعباً. فسأل رئيس الرسالة اللبنانية الاب الياس ماريا الفريب والوجيه اللبناني السيد لحود ضاهر كيروز المتمول الكبير والمعروف بنفوذه لدى سراة تلك البلاد ورجال حكومتها ان يسعيا له لدى مدير نادي الطيران الارجنتيني ليقدم له طيارة يقوم برحلته تلك فيها. ففعلا وصادف مسعاهما نجاحاً. وما كاد نبأ ذلك يتصل بالطيار عكر حتى اجتمع برئيس الرسالة اللبنانية ونظما للحفلة بياناً اعلنته الصحف وقد عيّنا فيه وقت الطيران. فاستقبل اللبنانيون الخبر بالبهجة واخذوا يسعون في اعداد كل ما يمكنه زيادة الحفلة رونقاً وجمالاً

«في الوقت المعين سار عكر الى مطار «مورون» الذي سمح له ان يطير منهُ والى جانبه الطيار ارسينو امين السر في نادي الطيران الارجنتيني ورئيس الرسالة اللبنانية والاديب توفيق كيروز نجل السيد لحود كيروز والدكتور طوبيا. فوجدوا هناك جمًّا غفيراً من ابناء الجالية وبعضاً من الارجنتينيين وكرام الأسر الاجنبية وفي مقدمتهم عدد من مشاهير الطيارين الوطنيين وتلاميذهم والطيارة المسموح بها معدَّة للطيران مجهزة بما يلزمها

«وما هي طرفة عين حتى علا طيارنا عن الحضيض محلقاً في الهواء، وحلقت وراءه اكراماً طيارتان وطنيتان فدارتا زمناً في الفضاء حتى اذا توارى عن الانظار عادتا تنتظران رجوعه

«طاف عكر حول العاصمة وكان يطير على مقربة من السطوح، الامر الذي لا يأتيه الّا الطيار الجوي الماهر. وكان من وقت الى آخر ينقضُّ كالسهم جائلاً من جهة الى جهة وقد نبّه ازيز الآلة الانظار اليه فاحتشدت الجماهير في الشوارع وعلى السطوح لتشاهد الحركات الجميلة التي كان يبديها

«وكان طيارنا قد نصب العلَم اللبناني على جانح طيارته فلما حلّق في الفضاء جعل ذلك العلم يخفق فخاراً في سماء بونس ايرس. وكانت أرزته تسطع في قلب الالوان الثلاثة فيحييها المجتمعون هاتفين للبنان وابن لبنان

« ومرّت الطيارة فوق قصر رئيس الجمهورية والمراكز الرسمية والشوارع الكبرى. وأمّت قبر محرّر الجمهورية القائد «سان مرتين» فطرحت عليه ضمّة من الازهار أعدّت خصيصاً لذلك وفي وسطها بطاقة كُتب عليها العبارة الآتية :

« اقدم باسمي واسم اللبنانيين تحيّة الاكرام والاعجاب للبطل الذي حرر نصف العالم الاميركي القائد خوسي سان مرتين كما اني اقدم مثل ذلك للشعب الارجنتيني — يوسف عكر »

« ومن هناك تقدمت من فوق الاحياء التي يقطنها اللبنانيون فنثرت عليها ازهاراً وكانت سطوح تلك الاحياء تعجّ بالمشاهدين من وطنيين واجانب فهتفوا لها عالياً

ولمّا اعدّ طيّارنا اهبته للسفر اقام له السيد لحود كيروز وليمة اكرامية وداعيّة دعا اليها هيأة الطيران الارجنتيني العسكرية والمدنية وجمّاً غفيراً من سراة الارجنتين واللبنانيين . ولم يلبث بعد ذلك طيارنا ان ركب البحر عائداً الى باريس ومنها سيواصل سفره الى لبنان

وتقول «المرسل» ان في نية طيارنا القيام برحلة هوائية بين بيروت وبونس ايرس اقتداء بطيّاري فرنسة والولايات المتّحدة وغيرهم الذين يقومون برحلات جوية عظيمة خلدت لهم وللامة التي ينتسبون اليها المجد وطيب الأحدوثة . وسيدرس هذا المشروع في باريس ممعناً فكرته في الخطة التي يمكن اتباعها حتى اذا تيسّر له الامر يباشر رحلته غير هيّاب الموت رجاء ان ينيل امّته مثل المجد الذي نالته الامم الاخرى التي قام منها من اتم مثل هذه المشاريع الخطيرة

الكهربائية

قد دُعي القرن العشرون بقرن الكهربائية والحقّ يقال انّ المجلّات العلميّة مشحونة بالاختراعات المبنية على قوّة الكهرباء . فبواسطتها أمكن اليوم وضع ادوات باعثة للنور الى اماكن بعيدة جدّاً ينيرون بها في البحر السُّفن ويدلّون الطيّارين على طريقهم . فانّ لبعض هذه الادوات قوّات غريبة ففي فرنسة مثلاً باعث «ون ڤاريان» الذي يبلغ نوره الى مسافة ٣٠٠ كيلومتر ويساوي الباعث قوّة ستة ملايين من الشمع

ومما اكتشفه العلماء حديثاً ان مياه البحار في المناطق الحارة مصدر غاية في الغنى لتوليد الكهربا لانها متساوية الحرارة فيسهل احماؤها وتبخرها فيستفاد من ذلك التبخر لتحريك المحركات الكهربائية . والفضل في هذا الاكتشاف عائد الى العلامة الطبيعي جورج كلود (G. Claude) الكيموي الفرنسوي صاحب التآليف الطبيعية المشهورة . ولا يخفى ما في ذلك من الاقتصاد والاستغناء عن الفحم الحجري

والكهرباء اصبحت اليوم من اقرب الوسائط التي تنوب عن الايدي العاملة . فقد اتخذوا لذلك محركات صغيرة ذات مقاييس كهربائية قليلة فيوصلونها بقاطل ناعمة يضمّون طرفها بادوات صغيرة للخدمة البيتيّة كمطحنة القهوة وكآلة مسح الاحذية وادوات الطباخة وتنظيف اوعية بيتيّة شتى الخ

ومما افادت الكهرباء في العام الماضي انها مكنت احد علماء الطبيعيات الفرنسويين المسيو ادوار بيلن (Ed. Belin) من وضع آلة تقرّب للبصر ما بَعُد من المنظورات فيمكن الانسان ان يسمع وينظر في وقت واحد ما يجري في الامكنة البعيدة . وقد عرض المخترع في باريس ما يُرى في ثينة بظرف ست دقائق فقط . وقد سبق لنا ذكر نقل الصور البعيدة بواسطة الكهرباء

التلغرافية والتليفونية اللاسلكية

جهزت الدول الكبرى ادوات التلغرافية اللاسلكية مع كل مستعمراتها . فهذه فرنسة تخابر عُمّالها في مستعمراتها الافريقية البعيدة . ومثلها انكلترة فتوقفان كلتاهما اهل البلاد على اوامرهما وتقفان هما على احوال تلك الاصقاع النازحة . وعلى هذا المنوال يمكن ارباب الجرائد من نشر اخبار اقاصي العالم

وكذلك افتتحت المواصلات اللاسلكية التليفونية بين اوربّة واميركة . فسُمعت الاصوات والاغاني بين القارّتين من نيويرك الى لندن بكل جلاء . وتلقّت شركة التلغراف والتليفون مئات من الطلبات للاشتراك باجهزتها

ومما انتشر في العام الماضي في مدن عديدة في اوربة واميركة مدُّ الاسلاك التليفونية بين الكنائس ومساكن الخواصّ بحيث يمكن الناس في بيوتهم ان يسمعوا

مواعظ الكهنة الذين يخطبون في مكان معلوم

ومثلها الفونغرافات المجتمة للصوت وضعت في النوادي الرحبة والكنائس الواسعة الارجاء بحيث يمكن الحضور مهما بعُدَ مقامهم ان يسمعوا الخطباء دون مزاحمة

العلوم الفلكيّة

بعد النظّارات الكبيرة التي اوقفت العلماء على عدد عديد من النجوم غير المنظورة. صارت اليوم ادوات التصوير الشمسي تنهج طرقاً جديدة لمعرفة كواكب السماء وابعد نظاماته. فان الصفائح الفوتغرافية الشديدة الاحساس بالنور تتأثر بعد عرضها عدّة ساعات من الليل من انوار كواكب ما كان العلماء يتوهّمون وجودها في الفضاء. فتحققوا وجود نيّرات اكبر كثيراً من شمسنا توجد على مسافات يحير الانسان في تعداد قياساتها حتى بسنوات النور الموضوعة للابعاد الشاسعة

وكان للمرصد الفاتيكاني في رومية فضل خصوصي في رَصد تلك النجوم القاصية بمساعدة بعض الراهبات المراقبات تلك الادوات العجيبة. وليس هناك كواكب فقط بل انظمة كنظامنا الشمسي اي وجود نيّرات مستقلة تدور حولها سيّارات كسيّارات نظامنا الشمسيّ

الفنون الجميلة

انّ المعارض المتعدّدة التي تقام كل سنة في حواضر البلاد حيث تُعرض ضروب المصنوعات من تصاوير ومنحوتات ومعادن ومصنوعات تجذب الى زيارتها ألوفاً مؤلفة من الناس وتنشط اصحابها في مزاولة فنونهم وتحمل غيرهم على تقليدهم. وتأتينا المجلّات الاثريّة طافحة بمثل هذه المعلومات وقد اخذ شرقنا ولاسيما القطر المصري ينتبهُ لفوائد تلك الاسواق والمعارض فيربح من مواردها. وقد سبق لبيروت قبل ثلث سنين معرض من ذلك اصاب نجاحاً كبيراً. وكذلك معرض بيروت الاثري في العام المنصرم كان لهُ وقعٌ حسن في عالم العلم وقد كان وقوعهُ داعياً الى كثيرين من السيّاح الى ان يزوروا بلادنا

ومن الفنون الجميلة التي صار لها اليوم رواج عظيم فنّ البناء بالسمنتو المسلّح الذي

يمكّن البُناة من تشييد المعاهد الواسعة المهيبة الجميلة الهندسة بوقت قصير كما ترى حاضراً في بيروت. وقد اخذ الآن ارباب الهندسة ينقشون تلك الابنية ويحفرون في حجارتها ضروب الاشكال الهندسيَّة وهم يفعلون ذلك بكل سرعة قبل ان تصلب الحجارة فيسهل نقرُها وهي لينة حديثة العهد

الآثار القديمة

تكشف لنا الارض كلَّ يوم كنوزها الدفينة فيحتار الانسان لما يجدهُ في بطنها من عجائب المصنوعات القديمة التي تكاد تُخجل حسنها اكبر الصُنّعة المحدثين. فهذا مدفن توت عنخ امن قد احتوى في غرفهِ كنوزاً لا قيمة لها تدلّ على رقيّ زمانها في ضروب الفنون كتماثيل ودُمى عجيبة الصنع وكاثاث بيوت ملوك من افخر ما يباهي بهِ الاعيان في عهدنا وكمصوغات مدهشة بلطفها ودقّتها وكاقمشة غاية في النعومة والنقوش وغير ذلك ممّا يكاد يجعل ذلك المدفن اشبه بمتحف كبير

وهذه حفريات مدينة بومباي توحي يوماً بعد آخر الى العالم برقيّ الرومان العجيب. وممّا اكتُشف فيها في العام الماضي تمثال بديع للمصوّر فيدياس اليوناني نابغة فنّ النحت. فضلاً عن معاهدها العمومية الفخمة التي لا يزالون يستخرجونها من تحت الانقاض

وقد اكتشفت البعثة الفرنسويّة الاميركيَّة في مجاهل الصحراء قريباً من مدينة تمان رَست مدفنَ ملكة هجّار الراقي عهدهُ الى بضعة آلاف من السنين. وفيهِ كنز ثمين يحتوي عدداً عديداً من المجوهرات والآنية القديمة

الطب

اعلن الدكتوران جي (Gye) وبرنار انهما أفرزا جرثومة السرطان. امّا علاجهُ فزعم الاميركي كوبر انهُ اكتشف لهُ مَصْلاً شافياً. وقد جرّب الدكتور وليم بلار بل (Blair Bell) حقن بعض المصابين بالسرطان بلح الرصاص فشفاهم

وقد اكتملَ احد اطباء اميركة آلة التشخيص الوسيط التي مرَّ ذكرها في ترجمة لانتاك بان استحضر آلة أخرى تمكّن الاطباء من تشخيص مرضى متعدّدين في وقت

واحد. وقد عرض اكتشافه على جامعة باريس

ومن الاكتشافات الطبيّة الحديثة مفعول اشعّة الشمس الواقعة ما وراء البنفسجي في علاج فقر الدم فانّ هذه الاشعّة اذا أُطلقت على المرضى بضع دقائق تُنمي نيهم كرّيات الدم الحمراء وتوسع اقنية الجسم الشعريّة وتزيد كميّة الفوسفور في البدن . وكلّ ذلك ممّا يجدي الجسم قوّةً محسوسة

افادت جمعية العلوم الطبيّة في باريس انّ المصل المستخرج من دم التنفذ يشفي من داء الكلَب

التجارة والصناعة

الحركة التجاريّة بعد خمودها مدّةً عادت الى نهضتها السابقة للحرب. فانّ الدول الكبرى تتزاحم في تنمية صادراتها . ولا تزال انكلترّة في مقدّمة الشعوب وكادت المانية تجاريها. ولم تتأخر فرنسة في هذا المجال بفضل صنائعها ومحصولات مستعمراتها. امّا الولايات المتحدة فتقطع في التجارة والصناعة اشواطاً لا تجارى لوفرة ماليّتها

وممّا يدلّ على ترقي التجارة والصناعة ذكر بعض مصنوعاتها. فان الفولاذ مثلاً الذي كان قبل الحرب يصطنع منهُ نحو خمسة ملايين طنّاً يستحضر منهُ اليوم نيّفاً وتسعة ملايين طنّاً — وهذا السكّر في العام ١٩٢٤—١٩٢٥ قد اصطنعوا منهُ ١٥،٥٥٢،٦٠٩ طنّاً استخرجوها من قصب السكّر و٨،٠٨٨،١٧٦ طنّاً من الشمندر وفي العام ١٩٢٥—١٩٢٦ بلغ سكّر القصب ١٦،٦١٦،٤١٧ وسكر الشمندر ٨،٢٥٢،٠٠٠ . وزادت في فرنسة غلات الحبوب من قمح ودفن وشعير مئات الوف من القناطير على العام السابق

وقد لحظنا ايضاً في احصاءات مينا بيروت التجاريّة التي تنشر بالطبع في كل شهر زيادةً متواصلة تُفحم القائلين بكساد التجارة

تطويب شهيدَي القربان الاقدس

اليسوعيين جاك سالس وغليوم سوتموش

لاحد الآباء اليسوعيين

في اواخر شباط الماضي احتفلت كليّتنا البيروتية باوّل عيد للشهيدين اليسوعيين الاب جاك سالس (J. Salès) والاخ المساعد غليوم سوتموش (G. Sautemouche) اللذين اعلن الحبر الاعظم بيوس الحادي عشر تطويبهما في ٦ حزيران ١٩٢٦ فأقيمت في رومية مواسم جليلة تقاطر الوف من الكاثوليك الفرنسويين وغيرهم لحضورها. وقد تخصّصت السنة الحالية لإقامة حفلات خاصّة في العالم الكاثوليكي لذكرهما. وقد طلب منّا بعض حضور العيد ان نروي لهم خلاصة اخبارهما فأفردنا لها الاسطر التالية

***

ليس الشهيدان حديثي العهد فانّ استشهادهما يرقى الى ٧ شباط من السنة ١٥٩٣ وانّما تأخّر تثبيتهما لما طرأ على الرهبانية اليسوعية من طوارئ الدهر ولكثرة ما يُعرض على الكرسيّ الرسولي من فحص دعاوى القديسين. وهذا وحدهُ دليل باهر على انّ القداسة في الكنيسة الكاثوليكية لا تزال خافقة اللواء عالية المنار

من هما الطوبويان

هما فرنسويّان من مقاطعة فرنسة المعروفة بأرفرنية او اوفرنية (Auvergne) حيث وقعت حروب دامية بين الكاثوليك والبروتستان الفرنسويين في القرن السادس عشر

كان مولد جاك سالس في السنة ١٥٥٦ من أسرة فاضلة عريقة في الدين فنشأ على آداب والديه وسنّ فضائلها. وقد ظهرت عليه لوائح القداسة منذ نعومة اظفاره. فانهُ قبل السادسة من عمره كان يفقه امور الدين ويبجّل تعاليمهُ في صميم قلبه. بل

كان يجمع حولهُ الاولاد اترابهُ فيحضّهم على خدمة الله وممارسة الفضيلة والابتعاد عن الهراطقة فيُعجَب الناس من فعلهِ

وعُرف في اوائل عمرهِ ايضاً بعبادة خاصّة القربان الاقدس فكان لا يدع يوماً إلّا يحضر القدّاس ويخدم الكاهن على المذبح . فيُسرّ الحضور من مشاهدتهِ فيمدُّونهُ كملاك صغير ويهنئون والديهِ على حصول مثلهِ ولداً

ولمّا بلغ العاشرة من عمرهِ دخل مدرسة الآباء اليسوعيين التي انشأها المحسن الكبير الاسقف غليوم دوپرا (G. du Prat) في مدينة بيليوم (Billiom) فتأصّلت هناك في قلبهِ محبّة الفضيلة حتى انهُ كان يقوم ليلًا ليستحرّ بالصلاة ويتلو فرض العذراء مريم . واتقن دروسهُ فأحكم معرفة اللغات اللاتينيّة واليونانيّة وبعض العبرانية

وفي السابعة عشرة من عمرهِ شعر في قلبهِ بالدعوة الى الرهبانية اليسوعيّة فلم يتردَّد في التلبية الى صوت الله فكانت تربة قلبهِ الصالحة معدَّة ايّ إعداد لاستقبال الزرع الالهي المثمر ستّين ضعفاً بل مئة ضعف . وقد تمرّس خصوصاً في فضيلتي قلب يسوع الاقدس القائل : « تعلّموا مني اني وديع ومتواضع القلب » . وكان الذين يراقبونهُ يؤكدون انهُ بلغ في تينك الفضيلتين مبلغاً لا يبلغهُ الّا كبار القديسين

واعتاد ايضاً ان يتنقّل من رؤية المخلوقات الى الخالق . فكان يكفيهِ ان ينظر الى زهرةٍ ليرفع نظرهُ الى الله مبدعها فيتّقد قلبهُ حبّاً بهِ تعالى . وكان حبُّهُ هذا لبارئهِ يزيد اضطراماً بازاء سرّ القربان الاقدس والالـه المحجوب تحت الاعراض السرّيّة كانهُ شعر مذ ذاك الحين انهُ سيموت للدفاع عن حقيقتهِ

وكان جاك سالس ذا عقل ثاقب وفهم واسع احرز في زمن دروسهِ كلّ علوم زمانهِ الدينيّة والادبية فانتدبهُ الرؤساء الى تدريسها لاخوته الرهبان قبل الثلثين من عمرهِ . فكان الدارسون يعجبون من سموّ ادراكهِ وايضاحهِ لاصعب المسائل وحلّهِ لأعقد المشاكل اللاهوتيّة والفلسفيّة بحيث لم يدع ريباً لمرتاب

وكان الرؤساء اذ رأوا ما خوّل الله الاب سالس من سعة المعارف وطول الباع في التعليم احبّوا ان يفردوهُ لتلك الغاية ويخصّوهُ بذلك التعليم لولا انّ صحّتهُ المنهوكة وضعف جسمهِ اضطرّ الحكماء الى ان يطلبوا لهُ شغلًا آخر فأُرسل الى مدرسة تورنون ليباشر فيها اعمال الكهنوت بين اخوتهِ واعمال الرسالة في الانحاء المجاورة . فعُرف

السيدة العذراء مريم

سلطانة الاخويات المريمية

منذ وصوله الى هذا المركز الجديد كواحدٍ من رجال الله تلوح عليهِ كل لوائح القداسة لاسيما في مزاولة اسرار الكهنوت وكان اخوتهُ يطرئون خاصَّة عبادتهُ لسرّ محبَّة ابن الله في قربانهِ الاقدس حتى وجدوهُ لا يدع ساعةً في نهاره دون ان يزورهُ . وكثيرًا ما كان يقوم ليلًا ليسجد للاله المحجوب تحت اعراض حقيرة

فلما كانت اواخر سنة ١٥٩٢ في الشهر السابق لعيد الميلاد أرسل الاب سالس الى مدينة اوبناس (Aubenas) اجابةً لطلب حاكمها بلازوك دي (Balazuc) الذي التمس من رئيس دير تورنون ان يرسل لهُ رجلًا قديرًا على التبشير وضليعًا باللاهوت لتنفيذ اضاليل البروتستانت . فسار الاب سالس وصحبهُ كرفيقٍ الاخ المساعد غليوم فقضى شهرًا في المدينة اعدَّ المؤمنين بعظاتهِ لعيد ميلاد الربّ وعُرف عند جميع اهل المدينة كقديس وعالم معاً . ثمَّ تجوَّل بعد العيد في القرى المجاورة لاوبناس . فكان حيثما يحلّ يُستقبَل كرسول ويتقاطر الى استماعهِ سكَّان تلك الجبال من كاثوليك وبروتستانت وكلُّهم على اختلاف نزعاتهم يقرُّون لهُ بكامل الفضائل الرسوليَّة من غيرة وإخلاص وتفانٍ في خدمة النفوس وأخلاق راضية تسبي اليهِ القلوب

ولمَّا قرب صوم السنة ١٥٩٣ استدعاهُ ثانية حاكم مدينة اوبناس للوعظ والارشاد والدفاع عن الايمان بازاء زعماء البروتستانت فعاد اليها في اواسط كانون الثاني في السنة ١٥٩٣ وبمعيَّتهِ الاخ المساعد

امَّا هذا الاخ فكان يُدعى غليوم سوتموش كان ولد سنة ١٥٥٥ وتربَّى بموجب كلّ تعاليم الكنيسة وعُرف منذ صغرهِ بسذاجة طباعهِ وبساطة قلبهِ . واذ خاف أنَّ وباء العالم يفسد طهارة قلبهِ طلب من رؤساء الرهبانيَّة اليسوعية ان يقبلوهُ في جملة رهبانهم المساعدين . فاجابوا الى ملتمسهِ وعرفوا بالاختبار انَّ الله أهداهم رجلًا بارًّا ذا فضيلة سامية وانتدبوهُ الى اشغال جامعة بونتاموسون ثم دير تورنون بصفة بوَّاب وخيَّاط فقام بمهمتهِ بكل حرص حتى انَّ الوافدين على الدير كانوا يجأرونهُ كقديس

وممَّا يخبرعنهُ انَّ اميرًا المانيًّا اتى لزيارة جامعة بونتاموسون وكان في خدمتهِ شابٌ قليل الحياء لم يرعَ كرامة المدرسة واراد ان يغتصب احد تلامذتها فتصدَّى لهُ الاخ ليمنعهُ فما كان من هذا الشاب النزق إلَّا ان وثب عليهِ واوسعهُ لطمًا حتى ادماهُ فاحتمل الاخ هذه الاهانة بكل صبر دون ان ينبس ببنت شفة ليشارك ابن الله في آلامهِ

فهذا كان الرفيق الذي اختارهُ الرؤساء ليسير في صحبة الاب جاك سالس ويشاركهُ في اتعاب الرسالة في اماكن مستوحشة وفي شدَّة الزمهرير. فسُرَّ الاخ لانتخابهِ لهذه الخدمة وكان يُرى مطلقاً باش الوجه يهنئ نفسهُ بما يصيبهُ من الألم وغاية ما كان يردّدهُ وقتئذٍ مخاطباً جسدهُ : « تألم يا جسدي تألم فهذا نصيبُك »

الاستشهاد

عرفتَ الرجلين فهيَّا الآن وعاينْ الشهيدَين

وقبل كلّ يجب ذكر حالة فرنسة في القرن السادس عشر. منذ رفع لوتاروس راية العصيان على الكنيسة وجاهر بعاداة الكاثوليك حتى بعث انصارهُ على محاربتهم كاعداء الله فهاجت اوربَّة بالحروب الدينيَّة ومع تعدُّد الشيع البروتستانيَّة واختلافها في معتقداتها كانت كلُّها تتَّفق على مناجزة القتال لكنيسة المسيح. وبعد أن بثَّت روح الفوضى في اوربة المركزيَّة حاولت أن تغلب فرنسة على ايمانها فاندفع البروتستانت الكلوينيُّون على انحاء البلاد اندفاع السيل الجارف فكانت عصاباتهم تطوي اقاليم فرنسة وتبيح سكَّانها الذين لا ينزعون منزعها فتنهب وتسلب وتحرق وتخرب كما فعلت عصابات الدروز في هذه الايام. وكان اشياع لوتاروس وكلوينوس ينقمون خصوصاً على الكنائس فيسعون بتدميرها وإلغاء رتبها الدينية وقتل كهنتها فتفاقمت شرورهم في اواسط القرن السادس عشر

فلم يرَ الكاثوليك بُدًّا من الدفاع عن وطنهم فتعاهدوا على محاربة الكلوينيين فجيَّشوا الجيوش وقاتلوا اصحاب الاصلاح البروتستاني الموهوم فدامت هذه الحروب الاهليَّة نحو ٣٠ سنة لم تهدأ إلَّا بارتداد الملك هنريكس الرابع الى الكثلكة وجلوسهِ على عرش الدولة

ومن الاقاليم التي أُصيبت بضربات الكلوينيين اقليم دوفيناي ومعاملتي ڤيفاراي (le Vivarais) وڤيلاي (le Velay) حيث كانت مدينة اوبناس. وكان البروتستانت يغيرون عليها ليسيطروا عليها حكمهم وتوصَّلوا الى ان يتسيطروا على قسم كبير منها وكانت مدينة اوبناس من جملتها دخلوها عنوة وتملَّكوا عليها ٢٧ سنةً الى ان تمكن

جيش الكاثوليك من فتحها سنة ١٥٨٧ . ثمَّ وقعت معاهدة في السنة ١٥٩٢ بين الكاثوليك والبروتستانت على مهادنةٍ فكفَّ كلا الجيشين عن القتال

ففي اثناء تلك المهادنة عاد الاب سالس في ١٠ كانون الثاني سنة ١٥٩٣ الى اوبناس ليتفرَّغ لاعمال الرسالة والتبشير لإعداد المؤمنين لعيد الفصح

واخذ يلقي كلام الله في الكنائس فيتقاطر الشعب الى استماعهِ . وكان كثيرون من الكلوينيين المقيمين في البلد يأتون ايضاً لحضور مواعظهِ وكان الاب يؤيد معتقدات الكاثوليك بأقوى البراهين العقليَّة والنقليَّة فيذعن لحججهِ كل من لا يكابر الحقّ

فامتعض زعماء البروتستانت من ذلك واعلنوا بانهم يقحمونهُ بالمجادلة فعرضوا عليهِ ان تُعقد في بعض النوادي جماعة عموميَّة يتباحثون فيها عن سرّ القربان الاقدس . فسُرَّ الاب سالس من دعوتهم واجاب انهُ يلبّي طلبتهم بكل ارتياح . لكنَّ الزعماء المذكورين واكبرهم لابات (Labat) لم يأتوا في الوقت الموعود وارفضَّ الجمع بخيبة الامل وتحقَّق الجمهور انَّهم يخافون من الفشل بازاء الاب سالس لئلَّا يعودوا بالخزي والعار اذا زيَّف مزاعمهم الباطلة

فبلغوا الامر الى فرقٍ من جنودهم كانت تحلّ بالقرب من اوبناس كان قائدهم المسمَّى فرنسوا دي شَمبو (Fr. de Chambaud) . وكان هذا من ألدّ اعداء الكاثوليك وعلى الرغم من الاعلان بالمهادنة إئتمر مع بعض ضبَّاطهِ على فتح المدينة غيلةً . فاختاروا لذلك ليلةً حالكة الظلام تهبّ فيها ريحٌ صرصر وتهطل الامطار سيولًا فتحاملوا على المدينة ورقوا اسوارها بالسلالم فدخلوها دون مقاومة وفتحوا ابوابها لجنودهم واجتمعوا بمن وجدوهُ فيها من اصحابهم

وكان في المدينة قلعة حريزة فأسرع الكاثوليك واعتصموا بها تحت حماية الحاكم غليوم دي بَلازوك سيّد منتريال وكان الاب سالس ورفيقهُ من جملتهم . وكان الاب المذكور قد سبق ونبّه الحاكم على مكر الكلوينيين وانَّهم ينوون لمدينتهِ الشرّ . فظنَّ انَّ الاب المذكور يغلب عليهِ الوهم والخوف فأخذ يطمئنهُ . فسكت الاب واخذ يستعدّ للموت في سبيل الايمان

والحقّ يقال انَّ الاب سالس كان منذ سنين طويلة قد اوحى اليهِ الله بانهُ سيُقتل شهيدًا . وكان قبل خروجهِ من دير تورنون أعلم بعض الرهبان انهم ما عادوا يرَونهُ .

وكان في كل زمن رسالته يفرغ جهدهُ في نشر حقيقة سرّ القربان وتفنيد اضاليل الكلوينيين في ذلك. وكان ألّف كتاباً كبيراً في ايضاح تلك العقيدة يعيره كلّ من يحبّ الاطلاع على صحّتها

فلما استولى الكلوينيُّون مكرًا على مدينة اوبناس رأوا انَّ القلعة لا تزال قويّة لا يستطيعون فتحها قبل ان يأتي جنودٌ من الكاثوليك لنصرة اخوتهم. ومن ثمَّ رأوا انهُ لا بُدَّ من السرعة فحفروا تحت القلعة ليدكُّوها باللغوم. فقضي على الحاكم ان يطلب الامان

فكان اوّل من احتفظوا عليهم اليسوعيَّين فحبسوهما في بعض البيوت. فظنّ زعماء مبشّريهم انَّهم يغلبون الاب سالس بالجدال وهو في قبضتهم فيسكت عنهم ليطلقوا سراحهُ فيشيعوا انَّهم اقنعوهُ بضلالهم

لكنَّ الاب على الرغم من ضعفهِ وانتهاك قواهُ اذ حرموهُ الاكل والشرب كان يجد أيدًا سماويًا في تزييف سفسطتهم فلا يسعهم الردّ على ادلّتهِ اللامعة وبيّناتهِ الساطعة فيرتدُّون عنهُ بالصَّخب والتهديد والشتائم والاب كصخرة لا تعمل فيها تلك الانواء. فرأى اخيرًا احد قوّادهم جان بوس (Jean Bosse) المعروف بسيّد سرجاس (Sarjas) انهم لا يقوون على ذلك البطل إلّا باغتيالهِ فقادوه الى ساحة المدينة. فعرف الراهب القديس نيَّتهم فسار معهم بكل رباطة جأش ثم جثا راكعاً مقدّماً لله حياتهُ لربّهِ فاطلقوا عليهِ رصاصةً ثمَّ طعنوهُ بالخناجر حتى مات

وكان القتَلة ارادوا اوّلًا ان يطلقوا سبيل الاخ غليوم لكنهُ عارضهم قائلًا: اني لن افترق عن الاب المرسل لاني رفيقهُ في الحياة والموت. فلما رأى كيف قُتل الاب سالس جثا هو ايضاً على الحضيض وبينما كان يصلّي باسطاً ذراعيهِ على شكل الصليب وثبوا عليهِ كالذئاب فاثخنوهُ جراحاً حتى سقط قريباً من الاب سالس، وكان آخر كلمة فاه بها ما اعتادهُ لمخاطبة جسدهِ: «احتمل ايها الجسد احتمل فالألم نصيبك لاجل الله»

هكذا تمّت هذه المأساة التي زادت صحيفة دمويّة على مآثر البروتستانية وزيّنت تاريخ الرهبانية اليسوعية بذكرى شهيدَين باسلَين استحقّا ان يُدعيا بشهيدي القربان الاقدس اذ قُتلا في الدفاع عن حقيقتهِ في وجه المبتدعين

وما عتّم ان شاع ذكرهما بين ابناء الكنيسة فكتب ثلثة من المؤرخين المعاصرين تاريخهم معتمدين اصدق الروايات عن شهود عيان استدعتهم السلطة الكنسيّة لتقدمة شهادتهم . فأخذ الناس يلتمسون شفاعتهم فنالوا بها عدّة كرامات في انحاء البلاد لاسيما في فرنسة حتى اخذ اساقفتها يحثّون بالناس تثبيت الشهيدين كطوبويّين . وبعد أن أُجري الفحص المدقّق بمقتضى القوانين المرعيّة عن حياتهما وموتهما أُرسلت تقارير اللجنة الفاحصة الى رومية وطلب الاساقفة رسميًّا نصبهما على المذابح باسم الحبر الرومانيّ . ولم يكتفِ الاساقفة وحدهم بالتماس هذه النعمة بل طلبها غيرهم من الذوات من جملتهم الملك لويس الرابع عشر . فوعدهُ الحبر الاعظم خيرًا

وكان من ثمار استشهادهما — وفقًا للمبدأ القائل بان دماء الشهداء زريعة للمؤمنين — ان مدينة اوبناس عادت بعد قليل لحكم الكاثوليك وان معظم اهلها الكلوينيين ارتدّوا الى الكثلكة وأُقيم في المدينة دير للآباء اليسوعيين ومدرسة عامرة

لكنّ العاصفة الكبرى التي ثارت ضدّ الرهبانية اليسوعية في القرن الثامن عشر منعت مواصلة العمل . ثمّ ضاعت اوراق الدعوى بعد الغاء الرهبانية اليسوعية الى ان وقف عليها اخيرًا الاب اليسوعي فرديناند تورنيه (F. Tournier) سنة ١٩٠٠ بين سجلّات الدولة الايطالية . فعاد المجمع المقدّس الى فحصها بكل تدقيق الى ان برز الحكم مؤخرًا في قداسة واستشهاد هذين اليسوعيين في العام الماضي . فوافق ذلك في الجمعة المخصّصة لاكرام القربان الاقدس الذي مات الشهيدان بالمدافعة عن سرّه العظيم نفعنا الله بشفاعة اوليائهِ المكرّمين

مطبوعات حديثة

Charles Boreux : L'ART ÉGYPTIEN (Bibl. d'Histoire de l'art.) 4°, 62 *pp. et* 64 *pl.*, *Paris-Bruxelles*, *Van Oest*, 1926

الصناعة المصريّة

قد قدّمنا سابقًا لقرّاء المشرق (٢٤ [١٩٢٦] : ٨٧٠) تأليفًا اصدرتهُ المكتبة المعروفة بتاريخ الصناعة للمسيو ميجون في الصنائع الاسلاميّة . فيسرّنا اليوم ان نقدّم

لهم من ذات المكتبة مصنَّفاً آخر من جنسهِ عنوانهُ « الصناعة المصريَّة » ألَّفهُ المسيو شرل بورو عضو المكتب الفرنساوي في القاهرة سابقاً واحد علماء الآثار المصرية التي أُقيم ناظرًا عليها في متحف باريس الكبير المعروف باللوفر — وكتابهُ هذا ليس اقلّ شأناً من كتاب المسيو ميجون فانَّ كليهما تهمُّ السوريين معرفتُهُ . ولا غنى للشرقيين الادباء اجمالًا عن معرفة الصناعة المصريَّة معرفةً كافية ليقدّروها حقَّ قدرها . فان السوري اذا سافر الى قطر النيل وتجوَّل في اطرافهِ وزار متاحفهُ لاسيما في القاهرة وتفقَّد آثارها القديمة يحتاج الى الوقوف على اصول الصناعة المصرية . أفيجهل اليوم احد الكنوز المكتشفة حديثاً في مدفن توت عنخ امون التي اتَّسعت في وصفها الجرائد والمجلَّات المصرية والسورية فضلًا عن الاوربية ؟ لكنَّ قليلين هم الذين وقفوا على اسرار فنونها الصناعيَّة وهي راقية الى آخر السلالة المصرية الثامنة عشرة الموافقة للقرن الرابع عشر قبل المسيح . فأحسن دليل يرشد القرَّاء الى ادراك تلك الصناعة هو تأليف المسيو بورو الحاوي لُباب ما يحتاجون اليهِ في ذلك . والسوريُّون كالمصريين سيتصفَّحونهُ بكل شوق لاسيما بعد ما اوقفتهم اكتشافات جيل الحديثة على المعاملات التي دارت بين القطرين السوري والمصري في الاعصار السالفة . وقد اقتسم المسيو بورو كتابهُ ثلثة اقسام كبيرة : خصَّ القسم الاوَّل منها بالهندسة المصريَّة مع ذكر الاهرام . والقسم الثاني يبحث عن فنّ النَّحت . والثالث عن بقية الصنائع التي دونها . وقد خُتم الكتاب بقائمة اخصّ التآليف التي تفيد معرفتها وكل ذلك بلغة فصيحة متوفرة المعاني . وفي الكتاب ٦٤ صورة بديعة أحسن تصويرها محلُّ «ڤان اوست» ومن جملتها عرش الفرعون توت عنخ امون وخزانتهُ . لا ينقصهُ سوى بعض تصاوير ملوَّنة كما تنقص في تأليف المسيو ميجون . وانَّا متعهم عن نشرها رغبتهم في جعل الكتابين على سعر متهاود . وكل منهما لا يساوي إلَّا ١٥ فرنكاً س . ر

LA GRAMMAIRE DES STYLES: Collection de précis... sous la direction de Henry Martin. N° 11. L'ART ÉGYPTIEN (et l'art assyrien et perse), 54 illustr. = N° 14, L'ART MUSULMAN, 52 ill., 2 vols., pet. 8°, s. d. Paris, librairie d'art Ducher

اصول الأطراز الفنيَّة — الصناعة المصرية والصناعة الاسلامية

هذان كتابان آخران في الصناعة المصرية والصناعة الاسلامية نُشرا في المجموع

الصناعي الذي يتولى ادارتهُ المسيو هنري مارتين والذي يقصد بهِ افادة العموم عن تاريخ الصناعة . والتآليف التي يتركّب منها المجموع المذكور مصنّفات مختصرة لا تشتمل على غير مبادئ الصناعة العمومية . وانّما هي غنيّة بالتصاوير التي يرتشد بها القرّاء لمعرفة الأطراز الهندسيّة القديمة وما طرأ عليها من الاختلافات . والكتابان يصلحان للمدارس حتى الابتدائية . ولعلّ ارباب التهذيب اذا رأوهما يفكّرون في تقليدهما او تعريبهما . وكلاهما مطبوع على ورق صفيق وتصاويرهما بديعة جدًّا تزيدهما نفعاً . وقد حصر مؤلف كتاب الصناعة المصرية في صفحات قليلة خلاصة الفنون الكلدانية والاشورية والعجمية حتى الاناضولية لكي يمكن القرّاء ان يقابلوها بصناعة القطر المصري س . ر

HISTORIA DE LA ESPANA MUSULMANA par le Prof. A Gonzalez Palencia. I vol. in-12, de la « Colleccion labor » *Barcelone, Editorial Labor*, 1925

تاريخ اسبانية الاسلامية

يشتمل هذا التاريخ على اخبار الفتح العربي للاندلس من السنة ٧٠٩م الى القرن السابع عشر (السنة ١٦١٤) اذ خرج منهُ بقيّة المسلمين . فهو يتضمّن كل الحروب والوقائع التي حدثت بين الفاتحين والوطنيّين حتى تمكن هؤلاء الآخرون من استرجاع بلادهم . وقد زيّن المؤلف كتابهُ بعدّة صور بديعة التي يقف القارئ بواسطتها على الآثار العربية في الاندلس . ونصف الكتاب قد خُصّ بوصف صناعة العرب وفنونهم . فترى هناك نقوش قصر الحمراء وآثارها وفي جملتها صورُ بشر وبهائم (ص ١٤٨) . وكانت جيوش الفريقين كثيراً ما ينتظم فيها جنودٌ مسلمون ونصارى معاً . وقد اقترن اعيان النصارى ببنات المسلمين (ص ١٦٠) . وبلغ الامر ببعض المسلمين في الاندلس ان يكتبوا العربية بحرف لاتيني (ص ١٣٨) . وقد ذُكر بالغلط (ص ١٣) «خلفاء الشام» والصواب «خلفاء بغداد» م . ل

Mme R. L. Devonshire: L'Egypte musulmane et les fondateurs de ses monuments. 1 *vol. gr. in-8°, illustré de 42 pl. hors-texte*, 1926, *Paris, Maisonneuve Frères éditeurs.*

مصر الاسلاميّة وبُناة آثارها

ليس هذا الكتاب تاريخيًّا سياسيًّا ولا مصنّفاً أثريًّا وانّما هو مزيجٌ ذُكر فيهِ

سلاطين مصر الذين خلّفوا بعدهم بعض الابنية الفاخرة . والسيدة مؤلفة الكتاب تكتفي بذكر تلك الآثار ذكرًا خفيفًا لا يروي غليلًا . ومن ثمَّ لا يوافق الكتاب غير الجمهور دون الخاصّة . وقد لحظنا في كلام الكاتبة خللًا في ذكر الحروب الصليبيّة التي اساءت الحكم في مآثرها . وانّما نثني اطيب الثناء على التصاوير الرائعة التي تزين الكتاب

John Kirtland Wright: THE GEOGRAPHICAL LORE OF THE TIME OF THE CRUSADES. Americ. Geogr. Society., Research Series, n°15, *in*-8°, *New-York*, 1925

العلوم الجغرافيّة في عهد الصليبيّين

هو كتاب جليل الفحوى جمع فيه صاحبهُ كلّ ما كان يعرفهُ الاوربيّون في ايّام الصليبيين اي في القرنين الحادي عشر والثاني عشر عن هيئة الارض واقاليمها ومناطقها . فمعارفهم في كلّ ذلك كانوا استعاروها من قدماء الرومان واليونان . امّا الصليبيون فبحلولهم في الشرق افادوا مواطنيهم عن مواقع البلدان ولاسيما في الشرق الادنى . ثمَّ بلغتهم بعد ذلك اخبار الرحّالين الى الشرق الاقصى من الهند والصين . وقد احسن المؤلّف بنشره الخوارط القديمة التي تمتاز عن الخوارط الحديثة بأن رُسمت فيها الجهة الشرقيّة في اعلى الخارطة بدلًا من الشمالية . وممّا وهَم فيه المؤلف قولهُ (ص ٢٩٢) انّ اليهود ثبتوا في سكنى تيماء وخيبر الى القرن السادس عشر . ومن المعلوم انّ عمر ابن الخطّاب نفاهم منهما وليس مؤرخ ثقة يفيدنا انهم عادوا اليهما ه . ل

Stephen Helmsley Longrigg. Four Centuries of modern Iraq. *in*-8°, 1925, *Oxford, Clarendon Press.*

تاريخ العراق منذ اربعة قرون

يحتوي هذا التأليف تاريخ العراق منذ السنة ١٥٠٠ الى اوائل القرن العشرين . وللمؤلف خبرة واسعة في بيان احوال العراق وهو احد المستشرقين وقد سكن زمنًا طويلًا في تلك الجهات فعرفها حقّ المعرفة ثمَّ لا يفوتهُ شيء من تاليف الكتبة الذين ذكروها من عرب واتراك وعجم فهو قد وقف على تآليفهم المطبوعة والخطّيّة وعلى اسفار الوهابيّين وكتابات المأمورين الرسميّة فيعرض كل ذلك منتقدًا لما يرويهِ بلغة فصيحة منسجمة . وهناك خارطة ملوّنة تساعد القارئ على ادراك المرويّات وعلى عناصر الوطنيّين والمستوطنين . وخلاصة كلامهِ انّ اهل العراق على الرغم من نطقهم

بالعربيّة وذينهم وتقاليدهم ليسوا من عنصر عربيّ . ويا ليت كاتباً سوريًا يضع لنا تاريخاً شبيهاً بهذا التاريخ لوطنه سوريّة . وممّا تشير على القرّاء ان يراجعوا في هذا الكتاب الفصل الذي خصّهُ بدحت باشا وبالدستور العثماني م . ل

W. Kolbe : BEITRAEGE ZUR SYRISCHEN U. JUDISCHEN GESCHICHTE. Kritische Untersuchungen zur Seleukidenliste u.z.d. beiden Makkabäer Büchern. *Beitraege z. Wissenschat von A. T., W. Kohlhammer,*

ابحاث من التاريخ السوري واليهودي في عهد السلوقيين والمكابيين

من المعلوم انّ سفرَي المكابيين آخر ما ورد عن تاريخ اليهود في الكتاب المقدّس وهما يُنسبان الى ياسون القيريني . وفي هذين السفرين فوائد تاريخيّة عديدة يصعب ايضاً حلّها وتطبيقها على تاريخ السلوقيين المعاصرين للمكابيين . فالاستاذ كولب معلّم التاريخ القديم في جامعة غريفسفالد وضع هذا الكتاب لحلّ تلك المشاكل التاريخيّة استناداً الى مصادر تاريخيّة مدنيّة كتاريخ يوسيفوس وتواريخ اليونان وآثار السلوقيين في ذلك العهد مع بيان اخبار المكابيين منذ نهضة ماتتياس وحروب اولاده يهوذا ويوناتان وشمعون . الكتاب يفيد معاً العلوم الكتابيّة وتاريخ بلاد الشام في زمن ملك السلوقيين

A. Dauzat: La Langue française, sa vie, son évolution. *vol. in-8°, Paris, Librairie Stock, Prix* 7 *f*° 50.

اللغة الفرنسوية : حياتها وتطوّرها

لا بُدّ ان يُسَرّ كثيرون بنشر هذا التأليف لان كاتبهُ احد اللغويين الاختصاصيين فانهُ يستقري مفردات اللغة الفرنساوية فيفحص اوّلاً تركيبها واصلها ولفظها وكتابتها ثمّ يبحث عن اصول المركّبات وصورها واعرابها وكلّ ما يجبُ العموم ان يعرفهُ عن تلك اللغة الشريفة . وهو من افضل ما وضعتهُ الجمعية المختصة بنشر التمدّن العصري ويُعَدُّ كالسابع من ذلك المجموع ج . ل

Weber (W.): Die Staatenwelt des Mittelmeers in der Frühzeit des Griechentums. *in-8, 1925, W. Kohlhammer, Stuttgart, Prix M.* 1,20

حالة عالم البحر المتوسّط في اوائل عهد اليونان

هذه محاضرة القاها صاحبها الهر ڤيبر سنة ١٩٢٥ في ڤيار امام جمعية العاديّات المدرسيّة فاصابت استحساناً عامًّا حتى مثّلوها للطبع . ومع كونها قليلة الاتساع فانها

جامعة لبيان احوال الشعوب الساكنة في شواطئ البحر المتوسط في اوّل عهد اليونان. انتزع المؤلف معلوماته من رواية قدماء الكتبة ومن المنشورات الاثريّة التي كشفت للعلماء كثيرًا من الفوائد التاريخيّة المجهولة كحفريّات بوغازكوي وحفريّات العلّامة شليمان في اقريطش وغير ذلك ممّا لا تزال البعثات العلميّات تسعى في استخراجهِ من بطن الارض ممّا يسدُّ كثيرًا من خلل تاريخ القدماء. ج. ل

Laveille (E. s.j.) : L'évangile au centre de l'Afrique, le P. Van **Hencxthoven** s. j.fondateur de la mission de Kwango,Congo belge). *Museum Lessianum,section missiologique,n°5 vol.* 8°.*Louvain*,1926

التبشير في قلب افريقية

هذه قصّة رجل مرسل كاثوليكيّ يسوعيّ يُدعى هنكستوفن كان رئيساً على مدرسة لوفان في بلجيكة. فلمّا طلب ملكها سنة ١٨٩٢ ان تُقام في كونغو البلجيكي رسالة للاباء اليسوعيين رغب هذا الرئيس في أن يُرسل اليها وهو عالم ما ينتظرهُ فيها من الاتعاب والمشقّات. فذهب الى بلاد مجهولة يعبد اهلها اصناماً نجسة وهم غائصون في ردغة الآثام. فاذ وصل اخذ للحال يتجوّل في تلك الانحاء. وينشىء المدارس ويشيّد في كلّ مكان معابد نقّالة ويتعاطى مع اخوتهِ كلّ اعمال الرسالات الكاثوليكية في جهات مدينة كوانغو وجيرتها على مسافة نحو ٣٠٠ كيلومتر ولم يزل يكدّ ويجدّ في التبشير وتهذيب اولئك الشعوب حتى اصبحت تلك الرسالة بعد عشر سنين من ازهر الرسالات الكاثوليكية وارفرها ثمرًا روحياً. ثمّ توفّي شاكرًا للرب على ما أهّلهُ لخدمة اولئك السكّان. وفي هذا الكتاب تفاصيل حياة هذا المرسل العظيم واحد اغصان الدوحة الكاثوليكية الغنيّة بمشاهير الرجال ج. ل

P. Gemaehling: STATISTIQUES CHOISIES ET ANNOTÉES : population, production, prix, salaire, monnaie, crédit.change, commerce, transports, Finances publiques. *vol.*, 8°, 50 *tableaux.*, 8 *figures*, *Société anonyme du Recueil Siret*. 1926, *Prix* 15 *f*

جداول احصاءات جغرافية واقتصادية وتجارية

يحتاج الناس في ايامنا الى معرفة المعلومات الجغرافية والاجتماعيّة والتجارية بزمن قليل ونظر واحد. فهذه الجداول احسن ما وُضع لذلك. فانّ الكتبة وطلبة المدارس

يجدون في هذه الجداول ما يوقفهم على مطالبهم من هـذا القبيل . وهي مصنفة بتدقيق تامّ يدلّ على حرص مؤلفها بتدوين اصدق ما يُعرَف اليوم من احوال العالم الجغرافيَّة والاقتصاديَّة والتجارية ج . ل

Bremond (Henri) de l'Académie française. I. PRIÈRE RT POÉSIE. *Prix* 16 *f*[r] = II. LA POÉSIE PURE. *Prix* 15 *f*[r]., 2 *vols*, 16°. *Paris, B. Grasset, éditeur*

الصلاة والشعر – الشعر المحض

الاكادمية الفرنسوية المتألفة من خمسة اقسام يجتمع اعضاؤها في اوقات معلومة تُلقى فيها محاضرات شتّى لبعض منهم . ففي شهر تشرين الاوّل دُعي الكاتب الشهير والكاهن هنري برومند الى مخاطبة رصفائهِ فاختار لخطابهِ الشعر فبيَّن اوّلاً ما للشعر المحض من التأثير في النفوس بين كلّ الامم . ثمَّ اضاف الى ذلك خطاباً ثانياً قابل فيهِ بين الشعر والصلاة اي تأثير العواطف الدينيَّة في الشعر . اثبت قولهُ باستقراء الشعوب وبيان ما مزجوا في شعرهم من خواطر الدين . فكان لهذا الموضوع وقعٌ كبير حتى تواردت على الخطيب عدَّة رسائل طلب فيها اصحابها ان يزيدهم افادة ففعل بنشر خطابيهِ والجواب على تلك الرسائل ج . ل

W. Mittelholzer. IM FLUGZUG DEM NORDPOL ENTGEGEN g[en], Junkers'-sche Hilfsexpedition für Amundsen nach Spitzbergen 1923, 43 *photogr. et* 2 *cartes*, 2te *Aufl.*, *Zürich, Orell Füssli*

البعثة الى القطب الشمالي

قد عرف قرّاؤنا الطيَّار السويسري ميثلهولتر (المشرق ٢٤ [١٩٢٦] : ٧٩٠) بما وُصف عن رحلتهِ طائرًا الى العجم . وهو عمَّا قريب سيطير من القاهرة الى رأس الرجاء الصالح . وفي كتابهِ هـذا يصف لنا البعثة التي تولَّاها سنة ١٩٢٣ الى السبتزبرج اغاثةً للرحَّالة امونذسن وما جرى لهُ وتنتذر من الأحداث . وقد اضاف الى تفاصيل بعثتهِ فوائد عديدة سعى في تدوينها رفقتهُ في سفره كالدكتور ميث (Miethe) لتصاوير الامكنة التي مرُّوا بها وهي تصاوير بديعة والدكتور بويكوف (Boykow) للوصف الجغرافي . وللكتاب مقدمة بقلم العلَّامة الدكتور كورت ڤيغنر (Kurt Wegener) . والحقها المؤلف بتاريخ البعثات المختلفة الى القطب الشمالي ج . ل

Gillouin (René) : Esquisses littéraires et morales. *in*-16°, 1926. *Paris. B. Grasset. Prix* 10 *f*°

اوصاف ادبية واخلاقية

يحتوي هـذا الكتاب انتقادات لمؤلفهِ في المطبوعات التي عرضها عليهِ الكتبة المصريُّون فنشرها في مجـلّات وجرائد مختلفة . وقد دعاها بالادبية لانهُ لحظ فيها خصوصاً وجه الآداب والسيرة الفضلى . فهو في كل ذلك يبيّن ما للمؤلفين من الفضل في مصنّفاتهم وما يُستخرَج منها لافادة العموم . لكنهُ لا يتردَّد ايضاً في بيان الخلل الذي يجدهُ في تلك التآليف ولو كانت لاكبر الكتبة كلاون دوده وبارّس ومورلس واندره جيد ومادام دي نوايل . وهو يتفنن في تلك الانتقادات على طريقة لطيفة وبانشاء سلس منسجم

G. R. Baumann:Der Tropenspiegel. 2 *vols.* 8°,*illustrés*, 1925, *Zurich. Orell Füssli*

مرآة الاقطار الحارّة

للاقطار الواقعة في حارّة الارض جاذبيّة خصوصيّة تستدعي سكّان الاقاليم الباردة الى زيارتها . وها هوذا كتاب يصف لنا مؤلفهُ البلاد التي قطعها مسافراً من اوربة الى الهند الصينيّة مارًّا بالبحر الاحمر حتى بلغ سينغابور فلحقهُ هناك صديق اتى من اميركة مجتازاً بالصين واليابان . ثم طاف الاثنان من سنغابور جزائر البحار وتنقّلا في عدّة بلاد وعيونُها الى خواصّ كل مكان يحتلّان فيهِ ليصفا خواصّهُ ومرافقهُ التي تراها مجموعةً في هذا الكتاب ج . ل

Mme E.Sainte-Marie Perrin:Paul Claudel.Introduction et textes. 1 *vol. in*-16, *Bloud et Gay. Paris*, 1926, *Prix* 11 *f*°

مصنفات بول كلودل

بول كلودل شاعر عصري لهُ بالافرنسية قصائد رنّانة في كلّ فنون الشعر حتى الروايات التمثيليّة . فخصّت مادام بيرين الكاتبة الشهيرة هـذا التأليفَ بالنظر في كتابات ذلك الشاعر وبتعريف طرائقهِ الشعريّة ومضامينها لفظاً ومعنى . وهي لم تَنوِ كما قالت التوسّع في الموضوع وانّما غايتها ان تعرّف بهِ الادباء ليوجّهوا النظر الى نتاجات قلمهِ ب . بوسّار

ABAQUE A CALCUL par André Dodin Ingénieur, *Paris, chez l'éditeur de la Machine moderne, 5, rue Blanc, Prix 6 frs.*

مفكّرة حساية

هي صحيفة حسابات مختصرة تسمح للكتبة الوقوف على نتيجة العمليّات من ضرب وقسمة ونسبة بسيطة ومركّبة وجذور وخطوط مماسّة الدائرة ولوغرثمات واثقال الجرّز الحديدية والنحاسيّة المربّعة والمستديرة والمسدّسة الزوايا الخ. فترى كم يستفاد منها ويوفّر من الزمان الاب شرل كوست

Boutaric: PRÉCIS DE PHYSIQUE, d'après les théories modernes. 1 *vol. relié, in-12. 885 p., 719 figures, 2 pl. en couleur hors-texte, Paris, Doin, Prix 36 f.*

خلاصة العلم الطبيعي

قد تطوّرت العلوم الطبيعيّة منذ ربع جيل تطوّرًا تامًّا. وحدثت اكتشافات مهمّة لم يعُد احد يجهلها فدخلت في برامج التعليم المدرسي كاشعّة رنتجن والتلغرافية اللاسلكيّة وغير ذلك ممّا حوّل اليوم هيئة عيشنا. فكلّ هذه المكتشفات المستحدثة تجدها في الكتاب الذي نحن بصدده وقد شرحها المؤلف شرحاً سهلاً قريب المنال. لا بل وجدنا الكتاب كلّهُ واضح الانشاء حسن التقسيم يصلح لطلبة الدروس العليا من فلاسفة وصيدليين وغيرهم. فلا شكّ انهم جميعاً يستقبلون هذا الكتاب بمزيد الارتياح ش ك

الاخوة الشهداء الثلاثة

بقلم صاحب السيادة بشاره الشمالي مطران دمشق

طُبع بالمطبعة الكاثوليكية. بيروت سنة ١٩٢٦ (ص١٤٧)

انّ الشرف العظيم الذي نالتهُ الطوائف الكاثوليكية عموماً والطائفة المارونيّة خصوصاً بتطويب الاخوة الشهداء المابكيين الثلثة قد دعا سيادة مطران دمشق الى وضع كتاب واسع ذكر فيها أسرة المابكيين الفاضلة منذ اقدم ما يُعرف عن اجدادها الى الازمنة الحديثة. ثمّ خصّ نظرهُ بالشهداء الثلثة وذكر الحوادث المؤلمة التي جرت في السنة ١٨٦٠ فكانت سبباً لتضحية الوف من النصارى الذين امتاز بينهم هؤلاء الثلثة الاخوة فرنسيس وعبد المعطي ورفائيل المابكي ماتوا بطيب الخاطر في سبيل ايمانهم مع ثمانية من الرهبان الفرنسيسيين فاستحقّوا بثباتهم ان يُنظموا في سلك الطوبويين بموجب براءة الحبر الاعظم بيوس الحادي عشر الصادرة في ١٠

تشرين الاوّل من السنة المنصرمة وفي هذا الكتاب تفاصيل الحفلات التي جرت برومية بعد الفحص المدقّق عن سيرتهم واستشهادهم. فكان لهذه النعمة اطيب وقع في قلوب ابناء الطائفة المارونيّة الكرام فعساها ان تُنعش فيهم روح الايمان الذي لاجلهِ سفك اولئك الشهداء دماءهم

عيد ميلاد الربّ ونشيد مار افرام

بقلم غبطة الحبر الجليل السيد اغناطيوس افرام الثاني الجزيل الطوبى

طُبع في المطبعة السريانية في بيروت سنة ١٩٢٧ (ص ٣٥و٣٦)

نشكر جزيل الشكر غبطة السيد البطريرك لنشره آثار القديس افرام ملفان الكنيسة الجامعة في مجلّتهِ الغرّاء الآثار الشرقيّة فيسدّ بذلك ثلمةً في مجلّاتنا الوطنية التي تكاد تنسى اعمال ذاك القديس الذي استحقّ ان يدعى ببوق الروح القدس. وممّا نشرهُ آخرًا نشيدهُ في عيد الميلاد الذي تتغنى بهِ الكنيسة السريانية في ليلة ذلك العيد. ولم يكتفِ بنشره في اصلهِ السرياني بل نقلهُ الى العربية والى الافرنسية وقدّم عليهِ عدّة معلومات سواء كان عن اوّل انتشار عيد الميلاد ام عن المدراش المذكور وفوائدهِ لتأييد معتقدات الكنيسة مع اناشيد القديس افرام المختلفة عن ميلاد الرب وعمادهِ. فلا شكّ ان سيتقبّل الشرقيون والمستشرقون هذين الكرّاسين بمزيد الفرح ل. ش

غريغوريوس الحجّار متروبوليت عكّا وحيفا والناصرة وسائر الجليل

بقلم جميل البحري صاحب المكتبة الوطنيّة ومطبعة الزهرة وجريدتها

طُبع في مطبعة الزهرة. حيفا سنة ١٩٢٧ (ص ٣٢)

هذه خمس وعشرون سنة يرعى سيادة المطران غريغوريوس حجّار بغيرة لا يأخذها الملل ابرشية عكا وحيفا والناصرة وسائر الجليل. فترقّت بهمّتهِ ترقّياً محسوساً دينيًا وادبيًا واجتماعيًا فلم يشأ ابناؤهُ ان يدعوا فرصة يوبيلهِ الفضي دون ان يعربوا لسيادتهِ عن شكرهم وتعلّقهم بشخصهِ الكريم فاقاموا لذلك حفلات شائقة شاركهم فيها القريب والغريب وسائر الوطنيين الذين اختبروا تفاني ذلك الراعي الصانع في خدمتهم على اختلاف نزعاتهم واديانهم. فنشكر جناب صديقنا جميل افندي البحري الذي احبّ ان يبقي لهذه المواسم أثرًا ثابتاً فاودع في هذه الكرّاسة اللطيفة صورة صاحب العيد وترجمة حياتهِ واعمالهِ حفظهُ الله سنين طويلة لخير الوطن ولمجد الكنيسة

الدليل في مسالك الطب القانوني

وضعهُ الدكتور حنا خيَّاط مدير الصحة العام في العراق

طُبع في المطبعة الحديثة في بغداد سنة ١٩٢٥ (ص٥٩٧)

هذا اثر جديد للدكتور النطاسيّ حنّا خيَّاط خرّيج مكتبنا الطبي الفرنسويّ قدَّمهُ متلطفاً لاساتذته القدماء. قد القينا في الكتاب نظرًا اجماليًا فرأيناهُ كاسمهِ دليلًا صادقاً مدقّقاً لا يدع مسلكاً من مسالك الطبّ القانوني إلّا ولج فيهِ وأنارهُ ببيان تشخيصهِ في المواقع المتعدّدة التي يُلتجأ فيها الى الطبيب ليبدي حكمهُ الصائب في الجرائم الحادثة فيُطلع اولياء الامر على إثم جانٍ او يبرئ ساحة متَّهم. ويفرز بين العلل الطبيعية والاسباب الاختياريَّة. فنحضّ الاطباء الوطنيين على تصفح هذا الكتاب ولا نشكّ انهم يرون فيهِ رأينا ويثنون على همّة مؤلفهِ وسعة معارفهِ الطبية

قانون الصحَّة : وهو موجز علم الصحَّة

للحكيم امين الجميّل

المطبعة الكاثوليكية : بيروت سنة ١٩٢٧ ص ٨٧

كان حكيمنا الفاضل امين الجميل وضع سابقاً كتاباً ممتعاً في علم الصحة فأحبَّ ان يقرّبهُ للمدارس والجمهور ليتَّخذوهُ دستورًا يوميًا في هذا العلم الجليل. فوضع هذا الموجز على صورة قريبة المنال واضحة الاقسام شاملة لاهمّ ما يحتاج اليهِ العموم في ثمانية فصول: في الجراثيم والمكروبات. في الارض اي التربة. في الماء. في الهواء. في الطعام. في المشروب. في المسكن. في الملبس. والفصول مزيَّنة بالصور. فنثني على واضع هذا الكتاب اطيب الثناء لاسيما لما مزج فيهِ من الملحوظات الادبية لانَّ الآداب افضل واسطة لحفظ الصحة

ل. ش

تكوين الصُّحُف في العالم

بقلم قسطاكي الياس عطَّارة الحلبي

طُبع في القاهرة سنة ١٩٢٦

قد اتخذت الجرائد والمجلات في عهدنا شأناً عظيماً في كل ادوار حياة الانسان

الفرديَّة والاجتماعيَّة . فاراد الاديب قسطاكي افندي الياس عطّارة ان يفرد للصحف تأليفاً خاصاً ضمّنهُ اوّلاً كلاماً عامّاً في انشائها في العالم وما قيل في مهمّتها ثمَّ استقرى البلاد شرقاً وغرباً لذكر ما يُنشر في كلّ قطر منها . وخصَّ قسماً منهُ بالصحف العربية في القطر المصري وفي تركيَّة العثمانيَّة . ولم يسكت عمَّا الكثير منها من التطرُّف والاكاذيب كما بيَّن ما قاستهُ ايضاً في عهد الاستبداد

جامع التصانيف الحديثة من السنة ١٩٢٠ الى ١٩٢٦

عُني بجمعهِ وترتيبهِ يوسف اليان سركيس الدمشقي

طُبع في مطبعة اللغة العربية في مصر سنة ١٩٢٧ (ص ١٦٢)

هذه قائمة تحتوي ١٢٠٧ اسماء من التآليف العربيَّة التي ظهرت في البلاد الشرقيَّة والغربيَّة والاميركيَّة في السبع السنين الاخيرة جمعها المؤلف ورتَّبها على احد عشر قسماً : تاريخ وجغرافية . ثم ادب وانشاء ولغة . ثمَّ اخلاق وتهذيب . ثمَّ شعر وعروض . ثم دين اسلامي . ثم دين مسيحي . ثمَّ منطق وحكمة . ثمَّ قوانين وشرائع . ثمَّ طبّ . ثمَّ رياضيَّات وزراعة وفنون . ثمَّ قصص وروايات مع ذيل وفهارس عموميَّة لاعلام المؤلفين فكفى بتعداد هذه الاقسام دلالةً على منفعة هذا الكتاب الذي يحتاج اليهِ كل من يريد الوقوف على المطبوعات العربيَّة في العالم وما قاساهُ المؤلف في جمعهِ . على اننا لم نجد بعض المطبوعات التي نشرها المستشرقون في اوربَّة واميركة ل . ش

كتاب المنذر : الى المجمع العلمي العربي

طبع في مطبعة السلام : بيروت ١٩٢٩ (ص ٩٢)

قد احسن المجمع العلمي العربي في دمشق بانتدابهِ الشيخ ابرهيم المنذر ليكون احد اعضائهِ العاملين فانَّ الشيخ شديد الغيرة على كرامة اللغة العربية واصلاح شوائبها وترقيها في عالم الادب لتُجاري بمحاسنها اللغات العصرية الشريفة . وفي كتابهِ هذا الى المجمع العلمي العربي شاهد حيّ على حسن انتقادهِ وحرصهِ على اللغة الفصحى فانهُ يشير الى كثير من الاغلاط التي تشوّه كتابات بعض الادباء ويعرض عليهم وجوهها

الصحيحة . وهو يستوضح المجمع العلمي في تقرير ما يراهُ من الصواب ويعرض عليهِ بعض خواطرهِ لعلّها تروقهُ فيجريها بالعمل . وقد مرّ لنا في المشرق بحث في هذا الموضوع (٢٠ [١٩٢٢]: ١٠٤٣) ل . ش

هدايا أُرسلت الى المشرق

١ منشور نيافة القاصد الرسولي فرديانو جنّيني لصوم السنة ١٩٢٧ في الكنيسة ام القدّيسين. حريصا: مطبعة القديس بولس (ص ١٨)

٢ منشور بطريركي بمناسبة تطويب شهداء دمشق المارونيين المطبعة الكاثوليكية ١٩٢٧ (ص ١٥)

٣ الله والوطن: قانون الجمعية الخيرية البشرّاوي (ص ١٨ + ١١)

٤ اعمال الجمعية الخيرية لطائفة السريان الكاثوليك بحلب عن سنة ١٩٢٦ . مطبعة العصر الجديدة بحلب (ص ٤٣)

٥ الماسونية بقلم احد العارفين : انتقاد العارف للاب لويس شيخو المطبعة الكاثوليكية ١٩٢٧

٦ الكشاف مجلة مصوَّرة . لصاحبها محمود احمد عناني

٧ الزهرة جريدة عربية اخبارية تجارية حرَّة لصاحبها جميل البحري في حيفا

شذرات

﴿ الطوبوي الاخ سالومون ﴾ هو احد شهداء الثورة الفرنسوية الذين سبق لنا فيهم الكلام في عدد شباط الاخير . كان الاخ سالومون من جمعيَّة اخوة المدارس المسيحية فجارى بقيَّة الشهداء ثباتاً وبسالةً فاستحقَّ ان تُتوَّج هامتهُ باكليلهم المجيد . وقد اقام لهُ اخوتهُ في الثغر اعيادًا حافلة في كنيستهم الجديدة في ١١ — ١٣ شباط فنهنئ حضراتهم على هذا الشرف الذي خوَّل جماعتهم الكريمة فخرًا اثيلًا

وبهذه المناسبة نضيف الى المقالة التي افردها حضرة الاب عمانويل رولان لذكر شهداء الثورة انّ قدماء اليسوعيين الذين قُتلوا وقتئذٍ كانوا ٢٣ راهباً . عشرة من اقليم

باريس وستة من اقليم تولوز واربعة من اقليم ليون واثنان من اقليم شمپانية وواحد من اقليم اكويتانية. وممَّن يستحقُّ ذكراً خصوصيًّا الطوبوي الاب اسكندر لانفان (Alex. Lanfant) خطيب ملك فرنسة ومرشد ضميره

﴿ وفاة ثلثة من اخوتنا المرسلين ﴾ دعا الله حديثاً الى دار بقائه ثلثة من اليسوعيين الذين خدموا الوطن خدماً مشكورة . اوَّلهم الاب هنري شبران (H. Chabrand) تولَّى في كليتنا ادارة الدروس ثمَّ اعمال التبشير مدَّة نيفاً وثلثين سنة توفي في فرنسة في اوائل كانون الثاني. والثاني الاب بطرس پيرون (P. Peyron) توفَّاهُ الله وهو يتفانى في خدمة مدارس لبنان فسقط كالجندي الباسل في ساحة الشرف وذلك في ٣ شباط . وسبقهُ بأيَّام (٢٧ ك ٢) الاب ديونيسيوس نيقولوزي (D. Nicolosi) صديق الناشئة في كليَّتنا والقائم بتهذيبها كأستاذ وأمين صندوق ومرشد روحيّ ومهيّئ حفلات المدرسة وتجهيزات رواياتها

﴿اثر لابي عَيْثَل ﴾ نشر المستشرق فرنتس كِنكوف في مطبعتنا سنة ١٩٢٥ الكتاب المأثور عن ابي عيثل الاعرابي واضاف اليهِ بعض ما يُعرف عن صاحبهِ. وقد وقفنا لهذا الاعرابيّ على اثر فاتَ جناب ناشر المأثور وجدناهُ في الطبعة الحجريَّة للجزء السادس من تاريخ بغداد لابي الفضل احمد بن ابي طاهر طيفور التي نشرها الدكتور كِلر (Dr.H. Keller) سنة ١٩١٨ فأحببنا نقلهُ هنا لفائدتهِ قال (ص ٣٠٦) :

«ابو العيثل قدم على المأمون بخراسان ايام الفضل بن سهل فخرج ابو العيثل خلف عبدالله بن طاهر الى مصر فقال قصيدة يصف فيها (ص٣٠٧) المنازل مثل قصيدة ابي نواس في الخصيب يصف المنازل فأوَّل قصيدة ابي العيثل :

خليليَّ انَّ الهمَّ لي غيرُ وازعِ ... وقلبي عميدٌ قلبُ هَيْمانَ نازعِ
أَلَمْ تَرَ أَنِّي كلَّما هبَّتِ الصَّبا ... أَصبُّ ويَقْضيني شؤونُ المَدامعِ
جعلتُ همومي حَشْوَ قلبٍ مشايعٍ ... على الهمِّ والوجناء حَشْوَ البراذعِ

قال وكان ابو العيثل وُلد في البدو ونشأ في البدو وكان في بني القَين بن جَسْر. قال وشعرهُ في الف جلد»

﴿يوبيل الاب ديليهاي البولندي﴾ الاب هيبوليت ديليهاي (H. Delehaye)

اليسوعي رئيس جماعة الآباء البولنديين الذين منذ ثلثمائة سنة يقصرون شغلهم على مآثر القديسين لنشر اعمالهم ومآثرهم وانتقاد ما كُتب عنهم . وفي هذه السنة بلغ الاب ديليهاي اليوبيل الذهبي لدخوله في الرهبانية فأقيمت لهُ بهذه المناسبة اعياد عمومية شاركهُ فيها اخوتهُ في حاضرة بروكسل . وقد تواردت عليهِ في ذلك اليوم التهاني بعضها بالبرق من قداسة الحبر الاعظم بيوس الحادي عشر ورئيس الرهبانية اليسوعية وبعضها بالكتابة كرسالة لطيفة للملك بلجيكة . وقد حضر الحفلات اليوبيلية عدد كبير من وزراء الدولة واعيانها في مقدمتهم رئيس الوزارة الذي أهدى صاحب العيد وسام ليوبلد من رتبة كومندور . وكلّ من عرف الاب ديلهاي وتآليفهُ المتعة لن يستغرب ما نالهُ من الاكرام والتجلّة في هذا العيد الخمسيني

﴿فكاهة غريبة﴾ ننقل عن تاريخ مصر ابن اياس (١ : ٨٤) الفكاهة الآتية قال : امر الامير شهاب الدين بن يغمور والي القاهرة بشنق عشرين رجلاً كانوا يقطعون الطريق على الناس ويقتلون من يظفرون بهِ . فلمّا شنقهم امر الخفراء بحفظهم . فلما جاء الليل عدّهم الخفراء فاذا هم تسعة عشر مشنوقاً فخاف الخفراء من الامير شهاب الدين ان يسألهم عنهُ (اي المفقود) . فقعدوا على الطريق ينتظرون من يمرّ بهم فيشنقونهُ عوضاً عن ذلك الرجل . واذا بشخص قد مرّ بهم فقاموا اليهِ وامسكوهُ وشنقوهُ مع جملة المشانيق . فلمّا لاح الصباح اتى الامير شهاب الدين وعدّ المشانيق فاذا هم احد وعشرون رجلاً فقال للخفراء : من هذا الرجل الزائد الذي معهم ؟ فبهتوا . فقال لهم : ما شأنكم ؟ . فقالوا : يا ايها الامير قد عددناهم في الليل فرأيناهم ناقصين واحداً فمرّ بنا في الليل هذا الرجل فأمسكناهُ وشنقناهُ معهم . فقال لهم الامير شهاب الدين : أروني هذا الرجل المسكين الذي وقع لكم . فلما رآهُ وجدهُ شخصاً قاطع طريق ولهُ مدّة وهو يحث في طلبهِ ولا يقدر على تحصيلهِ . فلمّا رآهُ سُرّ بهِ وتعجب من هذه الواقعة غاية العجب

﴿ضرائب على الآذان والانوف﴾ يحكم في التيت رئيس ديني يُدعى لاما يُعدّ كمثل الآلهة في قومهِ . فهذا الرجل الغريب لحاجتهِ الى المالية اخترع عدّة وسائط لابتزاز المال . من ذلك انهُ في العام ١٩٢٥ وضع ضرائب على الآذان على حسب طولها او قصرها . وفي العام الماضي ١٩٢٦ ابتكر ضرائب جديدة على الانوف الطويلة والوسطى والقصيرة لكلّ منها نصيب في الدفع !!

أسئلة وأجوبة

س سأل احد قرّاء مجلة الهلال انهُ ورد في عددها الصادر في يناير (ص ٣٦٠) ذكر انجيل للقديس بطرس فطلب رأينا فيهِ

انجيل للقديس بطرس

ج هو احد الاناجيل الزُّور العديدة التي وصفناها سابقاً في المشرق (١١[١٩٠٨]: ١٩٤ــ٢٠٥) فذكرنا هناك (ص ٢٠٤) ما امتاز بهِ هذا الانجيل المصنوع وشيوعهُ بين بعض اليهود المتنصرين وقد ذكرهُ عدَّة آباء فلم يكترثوا لهُ

س وسأل من نيويرك الاديب نعوم فاتق هل في القرآن آيات تُشير الى ان النصارى كفّار ومشركون

القرآن واقوالهُ عن الكفّار والمشركين

ج انَّ اصحاب الانتقاد والمسلمين المعتدلين يُجمعون على انَّ آيات القرآن التي ورد فيها ذكر الكفّار والمشركين لا يعني بها محمَّد النصارى بل قبائل العرب الوثنيّين واهل مكة ومن دان دينهم وعبدة الاصنام والمجوس والصابئة. وكثيراً ما ورد في القرآن ما يدلّ على اكرامهِ لاصحاب الكتاب وخصوصاً النصارى

س وسأل من مصر فتح الله افندي طرابيشي : ١ً ماذا طُبع من تآليف يحيى بن عديّ . ٢ً ماذا نعرف عن كتاب الواضح لابن رجاء المتنصّر . ٣ً وعن كتابي الاشراق والبرهان لبطرس السدمنتي تآليف يحيى بن عدي — الواضح . الاشراق . البرهان

ج ١ً طُبع من تآليف يحيى بن عدي في مصر وبيروت كتابهُ تهذيب الاخلاق ونشرنا في المشرق لهُ مقالتهُ في انهُ تعالى جوهر واحد ذو ثلث صفات . وهذه المقالة نُشرت ايضاً مع سبع مقالات أُخر في معناها في باريس سنة ١٩٢٠ مع ترجمتها الفرنساوية نشرها الكاهن المستشرق اوغسطين بيريه (A. Périer) ونقل ايضاً الى الالمانية الكاهن جورج غراف (G. Graf) ستًّا من هذه المقالات سنة ١٩١٠ (راجع كتابنا المخطوطات العربية لكتبة النصرانيَّة) ــ ٢ً لا يُعرَف عن الواضح ومؤلفهِ ابن رجا المتنصر غير ما ذكرناهُ في كتاب المخطوطات (ص٨) ــ ٣ً لم نقف على كتابي الإشراف والبرهان لبطرس السدمنتي ومن الاكيد انهما لم يُطبعا (راجع المخطوطات (ص ٦٢) وانَّما يوجد في مكتبة الفاتيكان كتاب يُدعى الاشراف لبطرس اسقف مليج . وهناك كتاب البرهان الذي وصفناهُ في المشرق (٧ [١٩٠٤] : ٤٨١ــ٤٨٢)

المشرق

الطوباوي جبرى ميكائيل

الشهيد الحبشي اللعازري (١٧٩١–١٨٥٥)

بقلم حضرة الاب يوسف علوان اللعازري

مقدمة

اليوم الثالث من شهر تشرين الاول من السنة الماضية ١٩٢٦ كان يوماً مشهوداً في عاصمة الكثلكة رومية المدينة الابدية ، وعيداً باهراً فخماً جمع حول نائب المسيح على الارض وخليفة القديس بطرس رأس الرسل ، قداسة البابا بيوس الحادي عشر ، عدداً ليس باليسير من الكرادلة ورؤساء الاساقفة والاساقفة وجموعاً من الرهبان والراهبات والمرسلين ولاسيما من اللعازريين وراهبات المحبة مع حضرة الاب فرنسيس ڤرديا رئيسهم العام الاكبر الذي جاء مع بنيه وبناته ليكونوا في مقدّمة المحتفلين . ولمّا حانت ساعة الاحتفال والتأم الجمع المذكور ضاقت بهم كنيسة القديس بطرس البطريركيّة الكبرى ، وكانت مزدانة يومئذٍ بالوف والوف من الانوار الكهربائية ، لابسة ابهى حلّة من الزينة اذ جُلّلت جدرانها بطنافس الحرير الاحمر تزينها سعوف النخل الخضراء وتُنيرها اشعّة الانوار الباهرة كانها بلسان حالها تشير الى دماء سُفكت بعد جهادٍ طويل أليم وانتهت بانتصار عظيم

امّا الداعي لهذه الحفلة الحافلة النادرة المثال وموضوع هذا العيد البهيج فهو بموجب حكم الكنيسة الجامعة عمود الحقّ واساسه ، إعلان فضل احد ابنائها سليل جمعية القديس منصور دي پول الانبا غبرى ميكائيل الذي جاهد جهاد الابطال

واروى بدمائه ارض وطنه بلاد الحبشة الساكنة في ديجور الضلال ، بعد ان جحد اضاليل آبائه على يد معلمه وقائده المكرَّم السيد يوستينوس دي ياكوبيس اللعازري رسول بلاد الحبشة واوّل نائب رسولي عليها ، فقاسى من اجل ايمانه من الاضطهادات اشدَّها ، واحتمل من الآلام احدَّها ، مدَّة ١٣ شهرًا بثبات كالصخرة الصمّاء لم يتزعزع ، وعزم كالحديد لم يلتوِ الى ان فاض بروحه الطاهرة بين الاعذبة المرَّة حبًّا بالسيّد المسيح فنال اكليل الشهادة

هذا هو البطل الذي نريد الآن سَرْدَ حياته العجيبة اولًا افتخارًا به واعجابًا ليس فقط لانهُ اخونا في الجمعية اللعازريَّة المؤسسة من القديس منصور دي بول بل لانهُ ايضًا احد ابناء شرقنا العزيز . وثانيًا تذكرةً لاخواننا المنفصلين عنَّا في الايمان ولاسيما الحبشيين الاقباط بان لا قيام حقيقي ولا حياة للكنائس الَّا باتحادها مع الكنيسة الكاثوليكية الرومانيَّة الراكزة على الصخرة البطرسيَّة الابديَّة القرار ، حسب قول السيد المسيح لهُ المجد : انا الكرمة وانتم الاغصان . من يثبت فيَّ وانا فيه فهو يأتي بثمر كثير (يو ١٥ : ٥) . فنحن نسأل الله وهو السميع المجيب باسم شهيدنا الباسل ان يزيل عن اعين اخوته المنفصلين برقع الجهل والضلال لينظروا مثلهُ نور الحق ، ويرجعوا الى حضن امهم الكنيسة الحقيقية ، فتصير رعيَّة واحدة وراعٍ واحد

﴿ مولدهُ وصباوُهُ ﴾

ولد الطرباوي في ديبو ، وهي قرية واقعة بالقرب من مدينة اسمها مرترلي مريم (اي خيمة مريم) ، من اقليم غودجام ، سنة ١٧٩١ ودعي باسم غبرى ميكائيل (اي عبد ميكائيل) ومنذ صباه ظهرت عليهِ علامات التقى والتديُّن . فكان يحب الصلاة والسكينة مطيعًا لوالديه وميَّالًا الى الدرس والمطالعة

ولمَّا شبَّ تلقَّن مبادئ القراءة والكتابة وتلاوة المزامير الداودية والتسابيح البيعيَّة حسب عوائد تلك البلاد ففاز في كل ذلك فوزًا باهرًا فاتخذوهُ مدرسًا ومعلمًا ومرشدًا للاولاد . وكان في وقت الفراغ يذهب لرعاية القطيع الوالدي . الَّا انهُ لم يلبث ان طرأ عليهِ حادث افقدهُ احدى عينيه وكان والداهُ قد فكَّرا في ان يكرّساه

للرب في الحالة الاكليريكية . فجاء فكرهما طبق مرامه لانهُ كان قد عشق هذه الطريقة منذ حداثته وطالما تاق اليها الّا انهُ لم يكن يجسر ان يكاشف والدهُ برغبته . ومع ذلك بقي مدةً على هذه الحالة يعلّم الاولاد فبرع في هذا الفنّ حتى صار موضوع فخر لآله ولابناء وطنه

﴿ تركه للعالم ودخوله الرهبانية ﴾

ولما حان الوقت لاتخاذ الطريقة النهائيّة لحياته عزم على ترك العالم وخزعبلاته واعتناق العيشة الرهبانيّة لممارسة الفضائل الانجيلية واكتساب العلوم الدينيّة . فقصد دير مرتولي مريم وطلب الانضمام الى سلك رهبانه وكان عمرهُ اذ ذاك ١٩ سنة . فقُبل في عداد المبتدئين وبقي على هذه الحال ست سنين تمرّن في اثنائها على اساليب العيشة الرهبانية وتلقن العلوم الكنسيّة التي كانت نفسهُ الكبيرة عطشى اليها . ولمّا انتهى زمن اختباره الرهباني البسهُ رئيس الدير القبعة البيضاء شارة الرهبان باحتفال عظيم

﴿ في اختياره العيشة النسكيّة ﴾

ولمّا ابرز غبرى ميكائيل نذوره الرهبانيّة انفتح امامه طريقتان : امّا المناصب القضائيّة العالية في محاكم مملكة الحبشة الدينيّة والمدنيّة ، وامّا العيشة النسكيّة . ففضّل هذه على تلك لكرهه للعالم وحبه الابتعاد عن اموره ، ولشغفه بحقيقة الحياة الروحيّة وتوقانه الى ممارسة الفضائل وامتلاك العلم الصحيح في الدين الحقّ . لكنه لم يكن يجد في الدير ما كانت تتوق نفسه اليه للحصول على متمنّاه . فانهُ باطلًا كان يبحث ، وباطلًا كان يطلب الى الرهبان اخوته بان يشرحوا لهُ عن حقيقة العيشة النسكية وعن ضروب رياضاتها فلم يستطيعوا ان يشفوا غليله اذ انهم لم يكونوا يعرفوا من العيشة النسكية الّا اسمها . فاتفقوا على ان يرسلوه الى اديار البلاد السحيقة لعلّه يجد الكتب اللازمة للتدرّب على العيشة النسكية الحقة ثمّ يأتي ليعلّمهم ويدرّبهم في معيشتهم

فاخذ يطوف البلاد ويزور الاديرة والمحابس مفتشاً على كتاب الكمال الرهباني .

ولمّا بحث في كل أصقاع غوجام بدون جدوى عزم على السفر الى مدينة غونـدار عاصمة المملكة حيث كانت المدارس والكليات زاهرة. فنزل على إمام الرهبان الذي اكرم وفادته فصادف هناك عدداً من الاكليريكيين العلماء فساكنهم واخذ يدرس عليهم حتى فاقهم فصار مرجعاً يُرجع اليه ومقصداً يقصده كبار عصره. فدرى به الملك يوهانس الرابع فاتخذه له معلماً ومدرساً. لمّا غبرى ميكائيل فكان مع كل اشغاله ومطالعاته لم يفتأ باحثاً عن كتاب يرشدهُ الى الكمال الرهباني، طالباً الحقائق الراهنة التي تشبع العقل وتزيل اوهامه، وتُسكن القلب وتريح بلباله الى ان اسعده الحظ فعثر عليه وعلى كتب اخرى نفيسة. وعندئذٍ كرّ راجعاً الى ديره في مرتولي مريم تاركاً العاصمة واصحابه وتلاميذه ولاسيما لانهُ رأى ان لا فائدة لهُ بعد من مكثهِ في العاصمة وذلك سنة ١٨٣٨ وكان قد ناهز الخمسين سنة من عمره. وكان ذا قامة معتدلة اسمر البشرة، صبيحاً بشوشاً لطيف المعاشرة. واما عقله فكان ثاقباً وحكمه صائباً. وكان يكره المداهنة والخبث والكذب

﴿ بحثه عن الحقيقة ﴾

كان غبرى ميكائيل كلّما تعمّق في الدرس والمطالعة ازداد شوقاً الى معرفة الحقيقة. فانه بعد ان طالع الكتب وباحث المعلمين وسائل المتنورين لم يزل عقله متقلقلاً ونفسه مضطربة، يرى التناقض في تعاليم اجداده ومعتقدات بني جلدته دون ان يجد مَن يبدد اوهامهُ ويزيل شكوكه المتزايدة. لذلك عزم على البحث عن الكنيسة الحقيقية التي لا بدّ من ان يجد فيها الضالّة المنشودة. فقصد السفر الى اورشليم المدينة المقدسة اوّلاً لنوال مبتغاه ثمّ ثانياً للتبرك بالاراضي التي قدّسها السيد لهُ المجد بذاته وأعماله. فتأبط عصا الترحال وشدّ مسافراً زائراً في طريقه الاديرة التي كان يمرّ بها وطالباً الى كل راهب عالم كان يصادفهُ ان يزيل شكوكه ويؤيد ايمانه فلم ينل الّا الإهانات والاضطهادات والفشل

قطع الطوباوي غبرى ميكائيل اقليم غوجام ووصل الى اقليم التِغْره فزار دير دبرى بيزان المشرف على ساحل مدينة مضوّع وهناك اقنعهُ الرهبان بعدم استئناف سفره لاسباب نجهلها. فعدل اذ ذاك عن ركوب البحر الى الاراضي المقدّسة منتظراً

فرصة مناسبة لتوال الارب الّا انهُ ذهب الى دير غرنده غرنده حيث أقام نحو سنة كان في اثنائها يعلم الرهبان ويلقي عليهم الدروس اللازمة لمعيشتهم . وبعد ذلك نزل الى مصوَّع وانتظر هناك نحو خمسين يوماً ثم صعد الى الجبل الى مدينة أدوَا

﴿ التقاؤه بالمكرَّم دي ياكوبيس اللعازري ﴾

هناك في مدينة أدوا كان الله ينتظره بواسطة احد المرسلين اللعازريين كما كان ينتظر شاولَ بواسطة حنانيًا في دمشق الشام . وذلك انهُ حدث في تلك الايام ان مات اسقف الحبشة فارتأى رؤساء الاقاليم ان يرسلوا وفدًا الى القاهرة ليأتوا بخلف لهُ . الّا ان السفر كان مخطرًا في تلك الايام تكتنفه صعوبات شتى . فأبى الوفد الذهاب الى مصر ما لم يكن معهم احد الاوروبيين ليقودهم ويحفظهم ويدافع عنهم عند الحاجة . فسأل الملك «اوبياه» الابَ دي ياكوبيس اللعازري الذي كان مقيماً منذ سنتين في أدوا ان يرأس الوفد . فرفض اولًا لتواضعهِ ثم لانهُ لم يُرِد ان يكون هو المرسل الكاثوليكي قائدًا لبعثة اورثذكسية في مثل هذه الظروف . اما الملك فلم يرضَ بإبائهِ بل عاد ملحًا عليهِ كثيرًا وكان من اصدقائه . فبعد ان صلّى المرسل القديس اليهِ تعالى رأى ان في هذا ارادة الله لخير النفوس ولمستقبل رسالتهِ في البلاد . فرضي ولكن بشرط ان يقود الوفدَ الى رومية ثم الى اورشليم بعد اتمام الغاية المقصودة من البعثة في القاهرة وان يعطيَهُ الملك رسالتين الواحدة للبطريرك القبطي توصيةً بهِ لهُ بصفة كونه نائبًا رسوليًا للرسالة الكاثوليكية في بلاد الحبشة وطلب منهُ ان ينقض الامر الذي كان اصدرهُ بعدم تشييد كنائس ومدارس كاثوليكية فيها ، وان يَعِد بمصالحة الكرسي الرسولي وازالة الشقاق . والثانية عريضة للاب الاقدس ممضاة من اعضاء الوفد يعرضون فيها لقداستهِ انهم موفدون من قبل ملكهم ليقدّموا لهُ واجب الاحترام . فقبل الملك هذه الشروط كلها وقدَّم لهُ فرساً ملوكية ليركبها ثم سلَّمهُ الرسالتين المطلوبتين ودعا لهم بالتوفيق

فسمع غبرى ميكائيل بالخبر فسأل ان يكون من جملة الوفد فنال متمنّاه ففرح بذلك فرحاً لا يوصف . وكان يعلّل النفس بالوصول الى الحقيقة المرغوبة التي تريح باله وتزيل شكوكه في امور الدين ، آملًا ان بطريرك الاقباط حارس وديعة ايمان ملّته

سيبدّد بانوار تعاليمه السامية كل ظلام في عقله ويؤيد بسلطان كلمته الايمان في قلبه . لكنّ هذا كلّه لم يكن الّا اضغاث احلام لأنّ الحقيقة لا تتجزّأ ، ومن ابتعد عنها ليس لكلامه وضوح اذ هو بعيد عن نور الحقّ ومن ثمّ فهو عاجز عن الاقناع . غير ان يد الله كانت تقوده وهو لا يدري الى الاب دي ياكوبيس ملاك حياته فيقوده رغماً عن شديد تعصبه الى معرفة الحق الصراح فيصدع لهُ ويصبح لهُ خادماً اميناً ومبشراً مخلوصاً

﴿ سفرهُ الى مصر ﴾

ركب الوفد المذكور برئاسة المكرَّم دي ياكوبيس سفينة ذات قُلوع في البحر الاحمر وغايتهم القاهرة فدام سفرهم نحو شهرين اظهر المكرَّم دي ياكوبيس فيهما من ضروب العناية والاهتمام بكل واحد منهم ما جعلهم يلهجون بفضلهِ مقدّمين لهُ كل اكرام واعتبار بعد ان كانوا يعتبرونه عدوًّا لهم لمماكسته ديانتهم . حتى ان الطوباوي غبرى ميكائيل نفسه كان مثلهم ينظر اليهِ شذراً معتبراً اياه اراتيكياً . لكنه لما رآه مثالاً لجميع الفضائل صار يحترمه ايَّ احترام ويجلّه اي إجلال بل صار يميل اليهِ ويحبهُ قلبياً ويشتهي محادثته

وصل الوفد الى القاهرة وهناك خابت آمال غبرى ميكائيل ، ويا لها من خيبة اذ انهم لدى وصولهم مثلوا امام البطريرك القبطي فاستقبلهم بغضب واخذ يشتمهم ويهينهم لانهم اتوا مع مرسل كاثوليكي ، وحرَّم عليهم تحت عقاب الحرم الكبير ان يعودوا الى مخالطته . فاستاءوا جميعهم من هذا التصرُّف ولاسيما الطوباوي غبرى ميكائيل وبالاخص لمّا عيَّن لهم شاباً غبياً جاهلاً اسمهُ «ابونا سلامة» ليكون اسقفاً على بلادهم . فعندها قام غبرى ميكائيل معترضاً بجرأة على هذا التعيين مبيناً ببراهين دامغة عدم كفاءة المنتخب ليكون اسقفاً لكنيستهم . فغضب عليهِ سلامة واضمر لهُ الشرّ منذ ذاك الحين عازماً على الانتقام منهُ . واذ لم يعبأ البطريرك باحتجاجهم اضطرُّوا الى الرضوخ لاوامره مرغمين . فاستولى القنوط على الطوباوي وزادت شكوكهُ في حقيقة الكنيسة الحبشية . وعلى الخصوص لمّا اراد ان يستفتي البطريرك في امور كثيرة فلم يُجبهُ هذا بكلمة بل امره بان يستفتي فيها اسقفه الجديد الذي حار في الجواب فردَّهُ

الى البطريرك فصار البطريرك يرسلهُ الى الاسقف وهذا يراجعهُ الى ذاك حتى فشل اي فشل ووقع في ارتباك عظيم. ثمَّ ان البطريرك امرهم بالرجوع الى بلادهم فاظهروا رغبتهم في الذهاب الى اورشليم فاراد منعهم عن ذلك فتمرَّدوا عليهِ فتركهم حينئذٍ وشأنهم فأخذوا معهم قائدهم القديس الذي اغتنم الفرصة ليبحر واياهم الى رومية العظمى

﴿ في رومية ﴾

ما كاد الوفد يطأ ارض رومية حتى انتعشت نفوسهم وطابت قلوبهم ولاسيما لمَّا امثلوا امام السعيد الذكر البابا غريغوريوس السادس عشر. فقابلوا بين ما لقُوهُ عنده من الوداعة واللطف المقرونَين بالعظمة والجلال وما لقوهُ عند البطريرك القبطي من الفظاظة والتوّ. امَّا اندهاشهم ممَّا رأوا من عظمة البلاط البابوي وفخامة كنيسة القديس بطرس وسائر كنائس رومية مع ما شاهدوه من الآثار الدينيَّة المؤثرة في الدياميس وغيرها فحدّث عنهُ ولا حرَج. كل ذلك اثَّر تأثيرًا بليغًا في عقل غبرى ميكائيل وقلبه فشعر في باطنه بزوبعة هائلة واضطراب عظيم. فاخذ وهو الحصيف الفهيم والبحَّاثة العلَّامة المدقق يزن بميزان عقله الراجح ما رآه وما اختبره اولًا في شخص قائدهم الاب دي ياكوبيس القديس ثم في شخص البابا نائب المسيح على الارض واخيرًا في جميع اماكن رومية وآثارها الناطقة بما جرى للكنيسة في نشأتها والدالَّة على انها هي الاساس والصخرة التي بنى عليها السيّد المسيح بيعته دون سواها ومنها يجب ان تستمدّ بقيَّة الكنائس قوَّتها وسلطانها. ثم تذكَّر ان كنيسته الحبشيَّة كانت في بدئها مشتركة مع هذه الكنيسة الحقيقية فانفصلت عنها لغايات بشريَّة. الى غير ذلك من الاعتبارات الهامَّة التي يقتنع بها كل عقل سليم خالٍ عن كل غرض مثل عقل غبرى ميكائيل. واذا اضفتَ الى كل ذلك ما شاهده من البطريرك القبطي ومن الاسقف سلامة وما يعاينهُ كلَّ يوم من حالة الكنيسة الحبشيَّة المحزنة وحالة الرهبان والشعب المتكع في ديجور الضلال تحققتَ ان ايمانه قد تزعزع وتضعضع عقله وتغيَّرت افكاره. الَّا انهُ لم يكن قد حان الاوان بعد ولم تأتِ ساعة الرب التي قد عيَّنها تعالى من الازل لانقشاع الظلام عن عقله تمامًا ليرى نور الحق ويتبعه بلا خوف

﴿ في اورشليم والقاهرة ﴾

ومن رومية اتوا الى اورشليم المدينة المقدسة فاطلقوا العنان لعبادتهم في معابدها ولاسيما في قبر السيد المسيح وبيت لحم . وكان غبرى ميكائيل في جميع زياراته لتلك الاماكن المباركة غائصاً في بحر الصلوات الحارّة ذارفاً الدموع السخينة من شدّة التأثير والخشوع . ولمّا كانوا نازلين على المرسلين الفرنسيسيين حرّاس الاراضي المقدّسة لقُوا منهم كل عناية والتفات وشاهدوا فيهم اناساً متجرّدين عن كلّ شيء ارضيّ مكرّسين حياتهم لخدمة الرب والقريب . وهذا ايضاً مما أثّر في قلب غبرى ميكائيل الذي لم يفتهُ امر ولم تخفَ عليهِ حركة شأنَ من ينظر الى الامور بعين نقّادة قصد ان يطّلع على حقائقها . فرأى الفرق الكبير بين هؤلاء رهبان الكنيسة الكاثوليكية ورهبان بلاده فازداد بلباله وكبرت حيرته وهو لا يدري ان النعمة كانت تفعل في نفسه فعلاً سرّيًا قويًا ستظهر مفاعيله في حينها فيندهش ويُدهش كل ناظر اليهِ

ولم يدع غبرى ميكائيل فرصة وجوده في اورشليم تمضي دون ان يستعلم عن الكنائس الاورثذكسية المختلفة الموجودة هناك . فرأى فيها من الخلاف وتناقض المذاهب المتباينة فضلاً عن الحالة التعيسة الصائرة اليها ما فتّتَ قلبه وذهب بعقله شعاعاً . ومع كل ذلك بقي متمسكاً بمذهبه مع عزمه الثابت على اجلاء الحقائق والانتصار على المذهب الكاثوليكي . لذلك قبل رجوعه الى بلاده طلب الى البطريرك القبطي ان يسلمه صورة الايمان الواجب التمسك بهِ . فبعد الاخذ والردّ اجابه البطريرك المذكور الى سؤله بكتابة يصرّح فيها ان «لابن الله ميلادين ميلاد ازليّ وميلاد زمني وبالتالي ان لهُ طبيعتين الواحدة الهيّة والثانية بشرية . وانهُ مُسح من الروح مخلّصاً وفادياً» وكان هذا التصريح مخالفاً لصورة الايمان التي سلّمها البطريرك نفسه للاسقف سلامة حين انتخبه لرأس كنيسة الحبشة . فسرّ غبرى ميكائيل كل السرور واخذ الكتابة ليفحم بها الاسقف المتقدم بالذكر . ولم يلبثوا ان همّوا بالرجوع الى بلادهم بصحبة المكرّم دي ياكوبيس

﴿ في رجوعه الى بلاد الحبشة ﴾

ما وصل غبرى ميكائيل مصرَ مع رفقائهِ حتى علم ان الملك «اوبياه» اضطرّ

الى مغادرة جهة الشمال لينتقل الى جهات اخرى. وكان الاسقف سلامة درى برجوع غبرى ميكائيل عدوّه الالدّ وعلم بانه حامل كتابة رسميّة من البطريرك فيها صورة ايمان مضادّ ايمانه وتعاليمه. فارسل سلامة جواسيس ليغدروا بـه على الطريق قبل وصوله الى غوندار. فأخبر غبرى ميكائيل بذلك فأخذ يسير في طرقات مجهولة خوفاً من الوقوع بين ايدي اولئك الرجال. وكان تارةً يتخفّى وتارةً يأوي الى المغاور حتى وصل الى أدوا فلاقاه المكرّم دي ياكوبيس بكل حبّ وترحاب. فاستراح عنده من عناء الطريق ولقي منهُ كل انعطاف ومساعدة. ومع ذلك كان ولم يزل يضمر في قلبه الانتصار عليه في كنيسته الحبشيّة بواسطة صورة الايمان التي كان يحملها لتُعلن بين شعبه وأمّته. حتى انهُ كان يأمل بعد نشر ايمانه انهُ يستطيع ابعاد هـذا المرسل الكاثوليكي عدوّ كنيسته من البلاد هرباً من القلاقل والبلابل لتستطيع كنيسة الحبشة النموّ والتقدّم دون مانع ولا معارض يقف في وجهها

وبعد ان اخذ الراحة اللازمة عند الاب دي ياكوبيس استأنف السير الى غوندار ليسلّم الكتابة باحتفال عظيم في جمعيّة حافلة الاسقف حتى يذيعها. فكان كشاوول على طريق الشام يسير ولا يدري انهُ سائر الى النور الحقيقي والدين الصحيح الـذي كان يتوق اليه بكل قوى نفسه. ولمّا وصل الى هناك أعلم الاسقف بواقعة الحال. فاضطرب هذا ايّ اضطراب لكنهُ أخفى تأثره وأضمر في قلبه الشرّ لغبرى ميكائيل بل كان يريد القاء القبض عليه لولا حماية تلميذه وصديقه الامير عطيّة يوهانس ووجوده في دير رئيس الرهبان

ولما اجتمع الرهبان والعلماء في اليوم المعيّن لاعلان فحوى الكتابة البطريركيّة قام غبرى ميكائيل وسلّم الرقيم للاسقف سلامة. فبعد ان أطّلع هذا على مضمونه طواه ووضعه في جيبه رافضاً بتاتاً تلاوته على مسمع الحاضرين. فقامت قيامة الجميع عليه ولاسيما غبرى ميكائيل الذي جاهر مع اصحابه بانه لا يعترف به اسقفاً. حينئذٍ هجم رجال سلامة عليه ومزّقوا ثيابه واهانوه فغضب الحاضرون من هذه المعاملة. فتآمر الرهبان والعلماء مع الملكة على الاسقف قاصدين امّا ان يردّوهُ الى مصر وامّا ان ينفوهُ الى كوا (الجهة الجنوبيّة) اسيراً حيث يذوق العذابات انواعاً ويموت قهراً. فقام غبرى ميكائيل معاكساً هذا الرأي قائلاً انهُ يجب الاكتفاء بعزله عن كرسيّ الاسقفية

ونفيه الى جهات أدوا وهكذا صار

﴿ في اعتناق غبرى ميكائيل الدين الكاثوليكي ﴾

فلمّا حبطت كل مساعي غبرى ميكائيل في اعلاء شأن الكنيسة الحبشية بعد ما فعله الاسقف سلامة المتمرّد على اوامر البطريرك استولى عليه حزن شديد واخذ منهُ القنوط مأخذه. فصغرت نفسه في عيني ذاته وقطع الرجاء من اصلاح الحال. لكنَّ الايمانَ يبتدئ حيث تنتهي الكبرياء. لذلك طلب العزلة والانفراد في بيت صديقه الامير عطيه يوهانس وهناك شرع يردّد في افكاره كل ما جرى لهُ وكل ما رآه في رومية واورشليم وفي اديرة الرهبان اللاتين ولا سيما من قائدهم ورفيقهم الاب يوستينوس دي ياكوبيس اللعازري. كل ذلك فعل مفعوله العجيب في عقله وقلبه فأخذ يقابل ويجادل ويستنتج النتائج فكانت النتيجة عنده التي لا ريب فيها ان الايمان الكاثوليكي هو الايمان الحقيقي وان الكنيسة الرومانيَّة هي التي أسسها المسيح وساسها الرسل وخلفاؤهم وهي وحدها حافظة الدين الحق والعلم الصحيح

فقام لساعته وذهب الى ادوا لزيارة الاب دي ياكوبيس . ففتح لهُ هذا الرسول القديس قلبه وذراعيه. فباح لهُ غبرى ميكائيل بسرّه الكنَّهُ طلب اليه ان يعطيهُ فرصة لدرس الدين الكاثوليكي مستفهماً ومجادلاً ومباحثاً مدققاً. فبقي على هذه الحال نحو خمسة اشهر. ولمَّا انجلت لهُ الحقائق وسطع نور الحق لعينيه أحنى رأسهُ وأخضع عقله وقال من صميم قلبه وبكل قوى نفسه: «آمنتُ». فدحض جهراً المذهب الحبشيّ ، وتحوّلت جميع اشواقه وافكاره الى نشر الحق بين بني جنسهِ ، فقدّم ذاته لخدمة النائب الرسولي وبدأ يعلم ويباحث ويجادل لاقناع المتعصبين التائهين في بيداء الضلال والجهل. فكنت ترى غرفته دائماً حافلة بالعلماء وطالبي الجدال والعلم الحق. فكان يبدّد غياهب الضلال عن عقولهم مبيناً لهم الصراط المستقيم ومستحلفاً اياهم ان لا يهملوا البحث والتدقيق في مثل هذه الامور المتعلق عليها الخلاص الابدي وكان لكلامهِ وقعٌ عظيم في قلوب سامعيه حتى انهم كانوا لا يستطيعون ان يجيبوهُ بكلمة. فقبل منهم كثيرون تعاليمه وارتدّوا الى الايمان الكاثوليكي وبينهم كان ستة من تلاميذه القدماء من رهبان دير غوندغونده. فانقاد هؤلاء الى اوامر الاب

دي ياكوبيس النائب الرسولي واخذوا يطوفون البلاد معهُ ومع غبرى ميكائيل ويزورون الاديرة باحثين في مكاتبها عن الكتب النفيسة التي تبرهن عن قداسة الكنيسة الكاثوليكية. ثمَّ شرع غبرى ميكائيل يؤلف الكتب المفيدة للمدافعة عن الايمان الكاثوليكي آخذاً براهينه عن كتب الحبشيين انفسهم وينشر التعاليم اللازمة لتدريب الاكليريكيين حتى يحسنوا التأهب لقبول الدرجات المقدسة. وبمساعدته وبواسطة المرتدين حديثاً الى الايمان تمكن الاب دي ياكوبيس من اقامة مدرسة اكليريكية في غوالا. فلم تلبث هذه المدرسة ان ازدهرت بالعلوم والفضائل واثمرت ثماراً شهيَّة. ففي هذه المدرسة قضى غبرى ميكائيل حياتهُ الى اليوم الذي فيهِ قيدَ الى السجن والاستشهاد

﴿ في بدء الاضطهاد ﴾

وحدث في تلك الايام ان سافر غبرى ميكائيل الى غرندار ليردَّ تلميذه وصديقه الامير عطيه يوهانس الى الايمان الكاثوليكي فنجح في مسعاه. الّا انَّ الاسقف سلامة كان يراقب كل حركات الاب دي ياكوبيس وتلميذه غبرى ميكائيل فهيَّج الشعب والكهنة عليهما وعلى الرسالة الكاثوليكية جمعاء. فاضطرَّ الاب دي ياكوبيس الى الالتجاء الى الملك اوبياه الذي احسن وفادته واخذ يناصره وجاء بنفسه معهُ الى الثغره لتهدئة الامور. ولم يرجع الاب دي ياكوبيس الى غوالا حتى أثار عليهِ الاسقف سلامة ثانيةً الكهنة والشعب فهجموا على الدير واحرقوه مع الكنيسة وسلبوا كل ما كان فيهما من الامتعة. فهرب الكاثوليك وتشتَّت شمل الكهنة. فلم يستطع الملك اوبياه منع كل ذلك لان الاسقف سلامة كان ارسل اليهِ يهدده بالحرم فخافهُ من حنقه وشرّه. ثمَّ علم سلامة ان سيادة الاسقف ماسيًا كان أتى الى غوالا وسام كهنة كاثوليكيين فثار ثائره واشتدَّ غضبه على دي ياكوبيس وغبرى ميكائيل وكتب الى الملك اوبياه يعلمه بذلك فخاف الملك من عاقبة الامر وسأل الاب دي ياكوبيس بان يُخرج الاسقف اللاتيني ماسيًا من ديره

امَّا الاسقف سلامة فكان يرسل الاوامر المشدَّدة الى رؤساء الشعب بقتل الاب دي ياكوبيس وغبرى ميكائيل متهدِّداً اياهم بالحرم وواعداً من يستطيع ان يأتيه برأس احد هذين العدوَّين بسبعة اكاليل في السماء. وكان الملك اوبياه يودّ المحافظة على

الاب دي ياكوبيس الّا ان الاسقف سلامة لمّا رأى منهُ الميل الى النائب الرسولي اصدر عليهِ الحرم الكبير وحرَّم على الشعب ان يقدّموا لهُ الماء والحطب. واقفل جميع الكنائس ومنع الكهنة عن توزيع الاسرار الى ان يُطرَد الكاهن الكاثوليكي ومن معهُ . فنسب الشعب كل هذه البلايا الى الملك اوبياه فخاف وارسل يسترضي الاسقف سلامة فأبى هذا ان يصالحهُ ما لم يطرد الكاهن الكاثوليكي . فاضطرَّ الملك اذ ذاك الى ارسال الاب دي ياكوبيس الى مصوّع

﴿ في سيامة الاب دي ياكوبيس اسقفاً وقبول غبرى ميكائيل من يده الدرجة الكهنوتية المقدسة ﴾

صورة الكاهن الحبشي غبرى ميكائيل

وكان أنْ صدَرَ امر المجمع المقدَّس بسيامة الاب دي ياكوبيس اسقفاً ليثبّت الكنيسة الحبشيَّة الكاثوليكية الحديثة في الايمان فأفرغ هذا الاب القديس طاقة جهدهِ ليبعد عنهُ الرتبة الاسقفيَّة الّا انهُ التزم بعد ممانعة دامت سنة كاملة بالرضوخ لاوامر العناية الالهيَّة والكرسي الرسولي . فتمَّت سيامتهُ سرًّا وبقيت سرّيَّة مدَّة ثماني سنين لم يدرِ بها الّا الكهنة فقط والبعض القليل جدًّا

وفي تلك الاثناء جاء السيد دي ياكوبيس الى اليقيانا لبعض الامور الهامة رغماً عن الاضطهاد فطلب اليهِ غبرى ميكائيل ان يسمح لهُ بالذهاب الى غوندار ليهدي الكهنة الضالّين.

فأباح له بذلك الّا انهُ لدى وصوله الى هناك خانهُ البعض فأخذوه وسلّموه الى رجال الاسقف الذين وضعوه في السجن مقيّدًا مدة سبعين يومًا . ولم يخرج من سجنه الّا بواسطة الملك اوبياه ذاته . ففهم اذ ذاك ان الله يريده بالقرب من ابيه الروحي السيد دي ياكوبيس . فسافر الى اليتيانا وانكبّ على الدرس وممارسة الفضائل المسيحيّة تحت ادارة معلمه القديس الذي اغتنم الفرصة ليدفع تلميذه الى قبول الدرجات المقدسة . فاندهش غبرى ميكائيل من هذه المباغتة لكنهُ لم يلبث ان رضخ للامر معتبرًا ان ذاك صوت الله وان نعمة الكهنوت تسهّل عليه العمل وتنصره على المصاعب فيخلّص غيره فضلًا عن تخليص نفسه . فاخذ يستعدّ لهذا الامر الخطير اي استعداد مدّة سنة كاملة وفي نهايتها سيم كاهنًا من يد ابيه وذلك بحفلة سرّية جرت في اول كانون الثاني سنة ١٨٥١ وكان عمره اذ ذاك ٥٩ سنة

وبعد ذلك ارسله السيد دي ياكوبيس الى غوندار عاصمة البلاد عاقدًا على غيرته وحكمته وقداسته آمالًا كبيرة . وكانت نفسه تحدّثهُ بهداية الملك اوبياه ذاته الى المذهب الكاثوليكي . غير ان الظروف لم تساعدهُ على اتمام ما كان ينويه من الخير بل ان الايام خانتهُ واحبطت كل مساعيه لان الاسقف سلامة كان بحيله ودهائه قد نال حظوة كبرى عند الملك الذي كان يخاف منهُ . وحدثت في تلك الاثناء فتنة في الدولة كانت نتيجتها ان دارت الدوائر على الملك اوبياه فطُرد من اراضيه وقام مكانه جنديٌّ اسمهُ كاسًا فساعده الحظ وخدمتهُ الظروف والايام فنودي بهِ ملكًا باسم تواودوروس . فهذا اتفق مع الاسقف سلامة على اضطهاد الكاثوليك وطرد المرسلين اللاتين . فلمّا شعر السيد دي ياكوبيس بالخطر جاء الى غوندار ينتظر الاقدار

﴿ في الاضطهاد العام ﴾

فلمّا تربّع كاسًا في دست الملك اخذ على نفسه بمساعدة الاسقف سلامة ان يمنع الحبشة عن نبذ دينهم متهدّدًا بالموت كل من يخالف هذا الامر . فنال سلامة مبتغاه واعلن صورة ايمان هذا مؤداها : « ان كان احد ينكر ان المسيح هو اله بناسوته وانهُ كان مساوٍ في العلم للآب والروح القدس فلتُقطع عنقه ورجلاه » ثمّ سألهُ الغازي كاسًا ان يمسحهُ وينادي بهِ كملك ملوك كل الحبشة فوعدهُ الاسقف بذلك

بشرط ان يطرد المرسلين الكاثوليك ويخرب اديرتهم وكنائسهم فاجابهُ الغازي: «يا ابا نفسي فليكن لك كما تريد على شرط ان تعضدني»

فانتشر الامر في كل مكان واشتعلت نيران الاضطهاد العام ضد جميع الكاثوليك. وارسل الاسقف سلامة الى الملك يقول له انهُ لن يعود الى غوندار الا بعد طرد السيد دي ياكوبيس ورجاله منها. فارسل الملك والقى القبض عليهم فقيدوهم بالسلاسل واخذوهم الى السجن. فحبسوا السيد دي ياكوبيس وحده واما غبرى ميكائيل والباقون فاخذوهم الى مكان آخر. لكنهم قبل ان يفترقوا خرُّوا كلهم على قدمي ابيهم ومعلّمهم السيد دي ياكوبيس وطلبوا بركتهُ بدموع غزيرة. فبكى هو بكاء مرًّا عند ساعة الفراق هذه، ولاسيما لمَّا عانق غبرى ميكائيل كأنهُ كان يشعر باطناً بما سيحلُّ بهِ من العذاب والآلام حبًّا بسيدهِ

﴿في سجن غبرى ميكائيل وعذاباته﴾

فلما وصل غبرى ميكائيل ورفقاؤه الى السجن ارسل الاسقف سلامة يأمر السجّان بالتضييق على غبرى ميكائيل اكثر من غيره. وعند الصباح جاء هو بنفسهِ الى السجن ليستميل الطوباوي الشهيد اليه. فسأله ان يأتي ليتناول طعام الصباح معهُ ظانًّا بذلك انه ينتصر عليه. فقال له الشهيد: «انا لستُ بحاجة الى طعام. فاذهب وقدّم طعامك لاخي الكاهن الموجود معي لانه معذّب اكثر مني» حينئذٍ وثب الاسقف كالنمر على الشهيد وضربه بشدّة على خدّه قائلاً له: «ايها المتكبّر انت بين يديَّ وتريد ان تتأمّر عليَّ» وعندها هجم الحاضرون عليه وضربوه بعنف وشتموه واهانوه ومزّقوا ثيابه فانطرح على الارض بين ميت وحيّ وصار الدم يتدفق من فمه بكثرة حتى خيل للجميع انه قد مات

ثم جمع الاسقف الكهنة وتلا عليهم صورة ايمانه التي كانت كنائس الحبشة رفضته سابقاً فخضع الاكثرون خوفاً من غضبه ولم يلبث الباقون ان وافقوهُ هم ايضاً. فلما رأى الاسقف انتصاره الباهر على هؤلاء ظنَّ انه ينتصر على غبرى ميكائيل ورفقائه. فأمر باحضارهم امام الذين جحدوا الايمان الكاثوليكي وقال لهم: «ان لم تجحدوا ايمانكم مثل هؤلاء اسلمكم الى الملك ليصدر عليكم حكم الموت» فاجابه غبري ميكائيل: «كلا لا اجحد ايماني قط فهو متأصل في قلبي. فافعل بي ما

الانبا غبرى ميكائيل في سجنه

تريد» . ثم قال الآخرون : « ونحن ايضاً نفضل الموت على الكفر» . فغضب الاسقف وامر بان توضع ارجلهم في مقاطر خشبية ضخمة وهذا ما يسمونه بلغتهم «عذاب الجهند» وهو عذاب اليم جداً يجعل الانسان الذي يريدون تعذيبه عديم الحركة بنوع انه لا يستطيع سوى القعود او الاستلقاء على ظهره فقط . وبقوا على هذه الحالة مدة ثلثة اشهر في سجن مظلم ومنتن ذي رطوبة ووحل وكان البرد قارساً والمطر غزيراً جداً ينزل عليهم من سقف السجن المتداعي حتى انهم ذاقوا الموت على عدد دقائق وجودهم في تلك الحالة لما قاسوا من البرد والجوع والعري والضيق والآلام والضنك . وقد ابقاهم هؤلاء الجلادون القساة مدة ثلثة ايام كاملة دون طعام ولا شرب . فالتفت احد

المسجونين مع غبرى ميكائيل وهو الانبا تقلـه هايمانوت وقـال له : «يا ابتِ . يا ابتِ . ـــ اجابه الشهيد : تكلّم يا ابني اني سامع لك . ـــ قال ذاك : ها انهم لم يعطونا لا خبزاً ولا ماء . وانا سمعتُ ان الصوم متى دام اكثر من ثلثـة ايام يميت الانسان . أما فاتت هذه المدة ؟ ـــ اجاب الطوباوي : يا ابني وكيف اجيبك ونحن هنا في هذا الموضع لا نستطيع ان نميز الليل من النهار ؟ اما انا فاظنُّ ان الانسان يستطيع ان يعيش بدون اكل ولا شرب مدة ثمانية ايام . ـــ قال ذاك : انا اظنّ يا ابتِ اننـا قريبون من اليوم الذي فيه نُعطى ان نشاهد يسوع . وجهاً بازاء وجه وان نتـلى من حضوره اللذيذ . ـــ فهتف حينئذٍ غبرى ميكائيل صارخاً : تعـالَ اذاً يا يسوع ! يا خبز الحياة ! ايها النور الازلي ! تعالَ يا يسوع . تعالَ ! »

ثم لزيادة تعذيبهم أمر الاسقف بتفريق شملهم فوضعوا كلَّ واحد منهم في مكان مظلم . وهذا كان لرجال الله اكبر عذاب ذاقوه حتى ذاك الحين . اذ انهم لمّا كانوا سوية كان الطوباوي غبرى ميكائيل يشجّعهم بكلامه العذب ومثله العجيب . وكان الشهيد يتقوّى ويتعزّى بثباتهم وشجاعتهم . امّا الان فحُرموا هذه التعزية واصبحوا في عذاب خارجي وباطني معاً . وكانوا خمسة ومع انهم ثبتوا كلهم في الايمان الصحيح واحـدٌ منهم فقط نال اكليل الشهادة وهو الطوباوي غبرى ميكائيل

وكان كلما توالت الايام تزداد مصائب الشهيـد وتضعف قواه الجسدية . فاتفق يوماً انه بينما كان يريد ان يجلس انقلب على وجهه وأصبح راسه تحت الخشبة الضخمة التي كانت رجلاه مقيَّدتين بها وبقي على هذه الحالة المزعجة ٢٤ ساعةً بدون حركة حتى كادت تزهق روحه . فلما جاء الحارس عند الصباح ظنه ميتاً . فأعلم الموجودين هنـاك بالامر فشفقوا عليـه وبدأوا يصرخون ويقولون موجّهين كلامهم الى الاسقف القاسي القلب : «يا قاتل الناس . اشفق ! » فعندها خاف الاسقف من هيجـان الشعب وأمر بتخليصه من « الجهند » وان يقيَّد بالسلاسل فقط . لكنه حار في امره ولم يعد يعرف ماذا يعمل حتى يقنع الشهيد بجحود ايمانه . فدعا العلماء والمعلمين وامرهم بان ينصحوه ليخلص نفسه من العذاب والموت . فاخذ هؤلاء يستعملون معه تارة التحريض واخرى النصيحة طوراً الوعد وطوراً الوعيد واخيراً التوسلات . اما هو فاجابهم بكل سكينة الروح وشهامة النفس : « اغربوا عني ايها الضالّون السافلون والمضلّون الشيطانيون » ولما

الحّوا عليه طالبين الجدال معه ليقنعوه قال لهم : « انظروا الى هـذه السلاسل فانها تجيبكم عني » وكان هذا الجواب مفحماً لهم

فلمّا خابت جميع مساعي الاسقف سلامة طلب الى الملك نفي السيد دي ياكوبيس من البلاد . فشقّ الامر على الاسقف القديس وعلى ابنائه الشهداء . فارسل اليهم كتابة ليعزّيهم ويوطد عزائمهم ليكونوا اهلاً للشهادة . أما سلامة فالحّ على الملك توادوروس في ان يشدّد الاوامر على الكاثوليك . فأصدر امرًا مبرماً يحكم بالموت على كل معاند لأحكام اسقف الحبش . فاغتنم هذا الرجل الظالم الفرصة ليقضي على غبرى ميكائيل فبدأ اولًا يهينه ويشتمه ويبكته على سوء تصرفه معه . فاجابه الطوباوي : « أجل اني معاند لك نظرًا للايمان . اما نظرًا لواجبات المحبة فلا اظنّ اني اسأت اليك قطّ » فاستشاط الاسقف غيظاً وصرخ باعلى صوته قائلاً : « خذوه من امامي واجلدوه بقساوة » . فعرّوه من ثيابه وضربوه ضرباً اليماً عنيفاً حتى تطايرت لحمته وسالت دماؤه فسقط على الارض مغشيًّا عليه لا يعي

كل هذا لم يشفِ غليل الاسقف سلامة بل طلب الى الملك احضار غبرى ميكائيل امام مجلسه المهيب ليحاكم ويُعاقب على عصيانه . وكان قصده من ذلك اهلاك رجل الله لانه كان يعلم اعتصامهُ بايمانه وشراسة اخلاق الملك . فقال في نفسه : « ان عاند غبرى ميكائيل الملك وهو الامر الاكيد عندي سيغضب الملك عليه غضباً لا مزيد عليه وحينئذٍ يأمر بقطع رأسه فنتخلص من شره » وكان مصيباً في ظنّهِ الاثيم . فلما حضر الشهيد امام توادوروس الملك التفت اليه هذا وقال له : « اعلم يا رجل ان شرائع المملكة تحكم عليك بالموت وانا استطيع ان احكم عليك به » . فاجابه الشهيد : وما بالك لا تُصدر عليّ هذا الحكم عاجلًا » ؟ قال الملك : « اذا كنت تحبّ الموت وتريده عاجلًا عليك ان تقتل نفسك » . فاجاب الطوباوي : « انا لستُ يوضاس لافعل هذا » . فحنق الملك وامر بوضعهِ في سجن مظلم وبتعذيبه أشدّ التعذيب

وفي تلك الاثناء حاز الملك انتصارات باهرة فطلب من الاسقف سلامة ان يمسحه ملكَ ملوكِ الحبشة ففعل . وعندها اغتنم الاسقف الظالم فرصةً لاهلاك الانبا غبرى ميكائيل . فحرّك الملك على قتله قائلاً لهُ : « الارض كلها تخضع لك الّا هذا الاحمق غبرى ميكائيل . وهذا مما يضرّ بسلطتك اذ يتوهّم الجهلاء انك عاجز عنه » . فاصدر

الملك حكمهُ باحضار الرجل حالًا امامه وامر بنزع ثيابه عنه وكان في هزال مرعب لشدّة عذابه . ثم قال له : «اخضع يا رجل لاوامري وآمن بايماني» . فاجابه رجل الله : «ايها الملك لا تأمل مني ان اقول مثلك ان للسيّد المسيح الطبيعة الالهية فقط دون الطبيعة البشرية » . فضربوه على وجهه ضرباً عنيفاً حتى سقط على الارض مغشيًا عليه . وجاء اربعة رجال اقوياء وبايديهم مجالد اذناب الزرانف وهي كالاسلاك الحديدية صلابةً ومتانة . وبدأوا بضربه بقساوة مدّة ساعتين كاملتين حتى سالت دماؤه وتناثرت لحماته وهو يردّد باعلى صوته قائلاً : « ايماني ايمانُ الكنيسة الكاثوليكية الرسولية الرومانية . الهي اسأل جودك ان تساعد ضعفي بنعمتك وان تقبلني بغزير مراحمك »

فلمّا رأى ترادوروس ان هذا الضرب لا يثني الشهيد عن عزمه امر بضربه سبعين ضربة على عينه الوحيدة حتى اغرورقت عينه بالدماء . وكان الملك الظالم يصرخ باعلى صوته قائلاً : «اضربوه . اضربوا ولا تشفقوا حتى يموت تحت الضرب» فتعب الضاربون من الضرب امّا الشهيد فكان كالجبل لا يتزعزع محتملاً هذا العذاب بصبر وفرح حبًا بسيدهِ الذي جُلد قبلهُ وعُذب وصُلب . حتى توهّم الحاضرون انه مات . اما هو فلما رأى ان الجلادين توقفوا عن ضربه انتصب وقال لهم : «ما بالكم واقفين ؟ هل اخذ منكم التعب مأخذه ؟ » فاندهش الناس من هذه الشجاعة ومن عدم موته تحت هذا الضرب الاليم الطويل المدة . فان الله كان يعضده ليحتمل هذا العذاب . حتى انه قام من دون ادنى اثر للضرب في جسمهِ . وعينه التي كانت غارقة بالدماء حتى ظنّ الناس ان نورها قد انطفأ اصبحت اضوأ من الشمس وبانت سالمة من كل اذى . فهتف جميعهم قائلين : «يا لله من هذه الاعجوبة ! . . . حقًا انها لاعجوبة باهرة . . فكيف توارى اثر الضرب من جسم هذا الرجل مع انه ضُرب مدة ساعتين باذناب الزرانف امامنا ؟ كيف انه ضرب على عينه سبعين ضربة بهذه المجالد وعينه لم يصبها أذًى . حقًا ان هذه لاكبر المعجزات . . حقًا ان هذا ضاهى القديس جاورجيوس الشهيد . . حقًا انه لقديس »

اخيرًا اغتنم ترادوروس فرصة وجود سفير ملك انكلترة عنده حتى يحضر امامه للمرة الاخيرة غبرى ميكائيل . فلما امتثل هذا بين يديه صرخ الملك قائلًا : « ايها الحاضرون كلكم من امراء ومطارين ورهبان وعلماء الشريعة . اني اخضعتُ الجميع

لسلطاني وايماني وشريعتي ما عدا هذا الراهب الذي تمرّد على السلطة التي قلّدني اياها الله » حينئذٍ انتصب الشهيد وقال له بشهامة مسيحية : « انا لا اعرف قاضياً على ايماني واعتقادي الّا سيدنا يسوع المسيح ونائبه على الارض الحبر الاعظم اسقف رومية » . فقال له الملك : « الستُ انا حاكماً وقاضياً عليك ؟ » — اجابه رجل الله : « نعم لك سلطة على الاجساد وليس على النفوس . انت آفة البلاد واسقفك شيطانها » . وعندها حكم عليه الملك بالموت رمياً بالرصاص الّا ان سفير انكلترة تشفّع به فأُبدل هذا الحكم بالسجن المؤبد . فكان حيثما يذهب الملك بغزواته وفتوحاته يُقاد الشهيد وراءه مكبّلاً بالقيود الحديدية . فكم ذاق من العذاب ومن الاهانات ومن الآلام التي لا تطاق الّا بمعونة الله ومساعدة نعمته ! ودام على هذه الحال مدة شهرين اصابته في اثنائها مع جميع المصائب والضربات والمشقات انواع الحُمّيات وأُصيب اخيراً بالهواء الاصفر . ولما شعر بدنوّ ساعته الاخيرة اتكأ على شجرة في الطريق وتنبّأ عن البلايا التي ستحلّ بالمملكة الحبشية ورقد بسلام الربّ لينال اكليل المجد الذي يستحقّه . وكان ذلك في ٢٨ آب سنة ١٨٥٢ وله من العمر ٦٤ سنة . فحلّ الحراس قيوده ودفنوهُ باكرام قرب الشجرة التي كان متكئاً عليها

اما الآن وقد تحقّقت الكنيسة المعصومة من الغلط قداسة رجل الله هذا وغريب شجاعته وشديد العذاب الذي قاساه من اجل الايمان الصحيح وثباتهُ في الامانة نحو الله الى آخر نسمة من حياته فقد اعلنت قداسته ونادت به طوباوياً وشهيداً مجيداً وأذنت لابنائها ان يكرّموهُ على المذابح وان يتخذوه شفيعاً لديه تعالى . فنحن نتهلّل ونفرح بتمجيد هذا الشهيد الباسل ونهتف نحوه بافتخار وثقة قائلين : ايها الطوباوي غبرى ميكائيل تضرّع لاجلنا !

شهيدا الثورة الفرنسوية

من جمعيّة كهنة الرسالة المعروفين باللازريين

بقلم الاب يوسف علوان اللازري

بعد ان تكلمنا عن الطوباوي غبرى ميكائيل فلنتكلم الآن عن الطوباويّين اللازريين الآخرين اللذين تمّت حفلة تطويبهما في كنيسة القديس بطرس في ١٧ تشرين

الاول من السنة ١٩٢٦ مع ارفاقهم شهداء الثورة وهم الطوباوي لويس يوسف فرنسوا والطوباوي يوحنا ماري غوويار

﴿ ١ً الطوباوي لويس يوسف فرنسوا ﴾

الشهيد اللعازري

١ً الطوباوي فرنسوا في جمعية المرسلين اللعازريين

ولد هذا الشهيد في ٣ شباط سنة ١٧٥١ في بوزيني (Busigny) وهي بلدة من مقاطعة شمالي فرنسا من والدين تقيين . وفي نهاية دروسه الثانوية التي تلقاها في مدرسة الآباء اليسوعيين في مدرسة كاتو كامبرازي (Cateau-Cambrésis) شعر بالدعوة الرهبانية والرغبة في الانضمام الى جمعية كهنة الرسالة المعروفين باللعازريين المؤسسة من القديس منصور دي بول . وكان عمره اذ ذاك خمس عشرة سنة . فقُبل في دير القديس لعازر في باريس ليقضي فيه سني الاختبار وذلك في ٤ تشرين الاول سنة ١٧٦٦ ولم يبرز النذور الرهبانية الّا في ٤ شباط سنة ١٧٦٩ لحداثة سنه فأثر مثله هذا في اخوته فدخل منهم اثنان في جمعية اللعازريين ودخلت احدى اخواته جمعية راهبات المحبة

ولمّا سيم لويس يوسف فرنسوا كاهناً ارسله رؤساؤه الى احدى المدارس الاكليريكية الكبرى حيث درّس العلوم العالية كالفلسفة واللاهوت وكان قد خصّهُ الله بفصاحة اللسان . فكان معدوداً بين الخطباء المتازين في عصره

وفي سنة ١٧٨١ عيّنه الاب جاكيار (Jacquier) الرئيس العام وقتئذٍ على جمعية الرسالة رئيساً لمدرسة تروا (Troyes) الاكليريكية الكبرى ولم يكن عمره وقتئذٍ الّا ثلاثين سنة فقام بمهمته هذه حقّ القيام . فاظهر من الحكمة والدراية والادارة والفضيلة ما ادهش معاصريه وجعلهم يجلّونهُ ايّ اجلال . لكنه لم يلبث ان دعته ادارة الجمعية الكبرى الى منصب كتابة السر العامّة فبرهن عن جدارة عظيمة في تدبير الامور

ولمّا كان الاب فرنسوا مشهوراً بفصاحته كان الاساقفة ورؤساء الاديار ومدير

المدارس الكبرى يدعونه للخطابة ولالقاء الرياضات والارشادات الروحية في كنائسهم واديرتهم على الكهنة والرهبان والشعب. فكان كلامهُ يؤثر في الجميع ويثمر ثمار الخلاص في النفوس. من ذلك انه خطب في مدرسة سان سير (Saint Cyr) المؤسسة من مدام دي منتنون (de Maintenon) بمناسبة احتفالها بالتذكار المئوي لتأسيسها. فأثنى على مدام دي منتنون وعلى عملها الخيري لكنه ندَّد ايَّ تنديد على سوء تصرُّف رجال قصر الملك لويس الخامس عشر بلهجة رسولية وغضب مقدَّس وبلاغة تسلب العقول. فكان لكلامه وقعٌ كبير في النفوس وتأثير بليغ في القلوب. فطُبع هذا الخطاب الجميل البديع ورُفع تقدمةً بنويّة لاسقف شارتر (Chartres). ولمَّا توفيت مدام لويز دي فرانس ابنة الملك لويس الخامس عشر التي كفَّرت عن ذنوب ابيها بحياةٍ كلها قداسة في دير الراهبات الكرمليات في سان دي (Saint-Denis) باسم الاخت ماري تراز دي سانت اغوسطان دُعي الاب لويس يوسف فرنسوا لتأبينها ففعل وأبدع. فنُشر خطابه مطبوعاً حتى لا تذهب به ايدي الضياع. وفي تلك الاثناء توفي رئيس مدرسة سان فيرمان الاكليريكية في باريس فاضطرَّ الاب كايلا دي لاغارد (Cayla de la Garde) رئيسها العام الذي قام بدلاً من الاب جاكيار المتوفى الى تعيين الاب لويس يوسف فرنسوا مكانه. وكانت هذه المدرسة اهمّ مدارس جمعيتنا وليست هذه المدرسة الَّا مدرسة ده بون زانفان (Collége des Bons Enfants) حيث نشأت جمعيتنا تحت تدبير ابينا القديس منصور نفسه. فادارها بحكمته المعهودة واتمَّ فيها اعمالاً تُشكر الى ان جاءت الثورة وبدَّدت شمل سكَّانها. فقام رئيسها الباسل يحتجُّ على هذا الظلم الفاحش فنشر كتيباً يدافع فيه عن حقوق الكنيسة عنوانهُ « رأيٌ في الاملاك الكنسيَّة »

٣ً الطوباوي فرنسوا يدافع عن الكنيسة

قرر مجلس الثوَّار سنَّ الدستور المدني للاكليروس وكان مجحفاً بحقوق الكنيسة ومخالفاً للنظام الكنسي وحتم على جميع الكهنة والرهبان ان يحلفوا يمين الامانة للامة وللشرائع وللملك. وأثبت هذا القرار الملك لويس السادس عشر لضعفه وخوفه من الشعب. وعندها بدأت الاضطهادات للكنيسة ورجالها. فرفض الاب فرنسوا واخوتهُ

اللعازريون ان يحلفوا اليمين المطلوبة ونشر كتاباً مطوّلاً بيّن فيه عدم وجوب الطاعة لهذا الدستور محرضاً رجال الاكليروس على عدم ابراز اليمين قائلاً: «لا تحلفوا بل فضّلوا الموت على ذلك . اجل ان الموت جوعاً هو شرٌّ ولكن شرًّا من ذلك العيشةُ في الجحود والعصيان للدين وللكنيسة » . فطُبع هذا الكتاب سبع مرات لاقبال الناس على مطالعته ولما فيه من التعاليم الخلاصية والبراهين القاطعة والنصائح المسيحية

فقام في وجهه حينئذٍ غريغوار اسقف لوار اي شار (Loir-et-Cher) الدخيل الذي كان في مقدّمة القائلين بوجوب ابراز اليمين للدستور . فنشر كتاباً يندّد فيه على كتاب الطوباوي فرنسوا . فاجابه هذا في كتابٍ نشره وجلاه باسم « محاماتي عن كتابي ضدّ هنري غريغوار» فنال هذا الكتاب انتشاراً واسعاً اذ طُبع سبع مرات كالكتاب السالف . وفي تلك الاثناء دبّج ايضاً خمس مقالات طويلة ووزّعها على الجمهور وكلّها تبيّن ما في الدستور المدني للاكليروس من الضلال والاجحاف بحقوق الكنيسة . فلمّا رأى الثوّار كل هذه المعارضة للدستور الذي سنّوه للاكليروس كلّفوا شاساي (Châssey) باذاعة نشرة جديدة تُتلى في جميع الكنائس يضمّنها الاوامر المشدّدة لجميع الاكليروس بحلف اليمين . فقام الطوباوي فرنسوا وشمّر عن ساعد الجدّ وأذاع كتاباً عنوانه « الفحص عن اوامر الجمعية الوطنيّة بشأن الدستور للاكليروس » وختم كتابه بذات القول الذي ختم به شاساي نشرته وهو: «ايها الفرنسيون قد علمتم الآن عواطف ممثليكم ومبادئهم . فلا تنخدعوا اذاً بكلام ملؤه الكذب والخداع »

ولمّا كان بعض الاكليروس المخدوعين يظهرون استياءهم ممّا كان الطوباوي فرنسوا ينشره مدافعةً عن حقوق الكنيسة ناسبين ذلك الى عدم التروّي والتهوّر وكان الطوباوي قد ردّ على جميع اعتراضاتهم في كتابه الاول أراد مع ذلك الردّ ثانيةً على كل هذه الاقاويل في كتاب آخر عنوانه « خطرات افكار في التخوّف من الانشقاق الناتج عن عدم حلف اليمين المدني» فنظر في المسألة من جميع وجوهها بايضاح بليغ وفصاحة مفحمة واستنتج من ذلك نتائج قاطعة موجبة ذمةً عدم حلف اليمين بل عدم قبول الاقالة او الاستقالة من المناصب الكنسيّة هرباً من الحلف . ثم عاد في كتاب آخر عنوانه « لا إقالة ولا استقالة » الى هذا الموضوع بزيادة ايضاح . فعندها خلع الثوّار جميع الاساقفة والكهنة الذين لم يرضخوا لليمين وعيّنوا مكانهم آخرين خضعوا

للدستور المدني. فحينئذٍ كتب الاب فرنسوا نشرة ضمّنها في عشرين صفحة جميع النصائح الاخوية ووجّهها الى اولئك الضالّين بهذا العنوان «لم يَفُتِ الوقت بعد» ثمّ أتبع هذه النشرة بكتاب آخر عنونهُ باسم «رسالتي الاولى تفنيداً لمزاعم كاموس (Camus) ضدّ براءتي البابا» واخيراً اختصر الكتاب الذي كان نشره الفاضل بطرس غريغوريوس لابيش دي رينيفور (de Regnafort) المعنون «بالدواء ضدّ الانشقاق او افكار الفرنسيين الكاثوليك». فاقتطف منه ما يفيد المؤمنين ونشره تحت عنوان «قد عرف الان الشعب او أجوبة مختصرة وجلية على اعتراضات القائلين بوجوب الخضوع للدستور المدني» فافاض في الردّ على ثمانية وعشرين اعتراضاً

فكل ذلك أغضب السلطة المتهوّرة فقرّرت صورة يمين جديدة اكثر صراحةً من الاولى مؤداها «ألا يجب على كل كاهن او اكليريكي ان يحلف يمين الامانة نحو الأمة والشريعة والملك وبالمحافظة على الدستور الذي اذاعته الجمعية الوطنية في سنة ١٧٨٩ و١٧٩٠ و١٧٩١؟». واضافت الى كل ذلك ان كل كاهن يرفض حلف هذه اليمين يُحرَم من معاشهِ بل يُنفى من بلدته ومسكنه. فأبى لويس السادس عشر اثبات هذا الامر وعندها قام الاب فرنسوا النشيط وحبّذ تصرُّف الملك بكتاب نشرهُ وعنونه «الثناء على تصرُّف الملك في عدم إثباته امر الثوّار»

فكل هذه الكتابات التي نشرها الطوباوي فرنسوا تعرب عن شديد تمسُّكه بالايمان الصحيح وعن نشاطه الرسولي القائم بالمدافعة عن حقوق الكنيسة والمحافظة على التقاليد الرسولية وعن غيرته على خلاص النفوس المفتداة بدم ابن الله. وجميعها جُدّد طبعها مرّات عديدة الى سبع او عشر مرات احياناً لما فيها من الفوائد والتعاليم الصحيحة الحقّة حتى قال احد معاصريهِ السيد بولانجيار (Boulangier): «ان الاب فرنسوا اللعازري كان اشدّ الغائرين على المدافعة عن الدين الكاثوليكي الرسولي الروماني ضدّ اليمين المدني وضد القائلين بقبولهِ».

٣ استشهاد لويس يوسف فرنسوا

ولم يلبث الثوار ان اصدروا اوامر مشدّدة للقبض على جميع الذين يرفضون حلف اليمين ووضعوهم تحت الحفظ في الاديرة والكنائس فكان سان فيرمان حيث

كان الطوباوي فرنسوا رئيساً وملجأً لكثيرين من هؤلاء . وكان بينهم الاسقف والكاهن والعالم والخطيب من جميع الدرجات والطبقات حتى بلغ عددهم ٩٣ سجيناً وكان الاب فرنسوا يشجعهم ويعزيهم ويقضي حاجاتهم ويرشدهم ويسمع اعترافاتهم . وهو نفسه اغتنم هذه الفرصة فاختلى للرياضة الروحية واعترف اعترافاً عاماً واستعد لكل حادث يطرأ بطمأنينة ورباط جأش بل بفرح مقدس

وفي ٢ ايلول ذاع خبر في كل الانحاء بان المذابح تبتدئ قريباً ليتخلص الوطن من الخونة الى غير ذلك من الاشاعات المرجفة . ولما دقت ساعات العاصمة الساعتين قُرعت اجراس الحزن وضُربت طبول الجنود فرأت مدينة باريس مشاهد فظائع وفواحش سوداء في تاريخ الانسانية . فهجم الثوار ورجالهم كالذئاب الكاسرة من رجال ونساء وشبان وشابات وفتكوا بابناء الله الأمناء نحو ربهم ودينهم وكنيستهم فذبحوهم ذبح الشاة بعد ان اذاقوهم العذابات اشكالاً والواناً من اجل ايمانهم وثباتهم في دين المسيح الحق . امّا الاب فرنسوا فكان قد التجأ الى القاعة العليا من الدير فرموه من فوق الى الطريق فتحطمت عظامه وأتت نساء وبدأن يضربنه بدبابيس حديدية ضخمة حتى تطايرت لحمانه فطارت روحه الطاهرة الى الاخدار العلوية حاملة سعفة الانتصار بعد جهاد الابطال وثبات لم يتزعزع في ايمان المسيح . فكان الذين نالوا حظ الطوباوي فرنسوا في ديرنا سان فيرمان سبعة وسبعين شهيداً . اما الباقون وعددهم ستة عشر فتمكنوا من الفرار ولكنهم ظلوا ثابتين على عزمهم الصالح

﴿ ٢ الطوباوي حنا ماري غرويار ﴾

الشهيد اللعازري

ولد الطوباوي ماري غرويار في دول (Dôle) في ١٣ حزيران سنة ١٧٣٤ وتربّى على التقوى والفضيلة وممارسة الاعمال الصالحة . ولما اقتبل سرّ درجة الكهنوت المقدسة عيّنه اسقفه خادماً لرعية بلدته . لكنه لم يلبث ان طلب الدخول في جمعية اللعازريين فقُبل في عداد المبتدئين في ٢٣ كانون الثاني ١٧٧١ وكان عمره اذ ذاك سبعاً وثلاثين سنة . وابرز النذور في ديرنا في انجار (Angers) في ٢٤ كانون الثاني سنة

١٧٧٣ . وكان متقداً بغيرة رسولية على النفوس : يقضي الساعات الطوال في منبر الاعتراف لارشاد النفوس ويزور المرضى والفقراء والمحبوسين ويعتني باليتامى والارامل وجميع المعوزين شأن ابناء القديس منصور دي بول . وكان لا يمل من الصلوات والتأملات ممارساً الاماتات والتقشفات تابعاً قول السيد له المجد القائل : « من اراد ان يخلص نفسه يهلكها ومن اهلك نفسه من اجلي يجدها : متى ١٦ : ٢٥ » وكان الله قد ميّزه بموهبة تحريك القلوب . لذلك كانت الناس تحب استماع مواعظه والاعتراف بين يديه آتين احياناً من امكنة بعيدة لهذه الغاية حتى شُبّه بابيه القديس منصور بمحبته للقريب وغيرته وتواضعه وسموّ فضيلته

وفي السنة عينها ارسلهُ رؤساؤه الى ديرنا في فرسايل ليساعد رئيسه في خدمة الرعية فظهر راعياً غيوراً اميناً ساهراً على خير رعيته الروحي وتقدُّمهم في السيرة المسيحية . فأحبه ابناؤه الروحيون وكانوا يستشيرونه في جميع امورهم وينقادون بنصائحه وارشاداته . غير ان الرؤساء رأوا في سنة ١٧٨٤ ان ينقلوه الى رعية القديس لويس في باريس وبقي فيها واعظاً ومرشداً واباً حنوناً محباً ومحبوباً الى ايام الثورة

ولمّا عيّن الثوّار خورياً لرعية القديس لويس مكان المرسلين اللعازريين الذين ابوا ان يحلفوا اليمين وجاء ليستلم مهامَّ وظيفته الجديدة استقبله اللعازريون بوجه بارد فأهانهم وابدى استياءه من تصرُّفهم فاجابه الطوباوي غرويار : « الحقُّ معك باهانتنا فان جميعنا نحافظ كل المحافظة على اوامر البابا والاساقفة فلهم ان يأمروا وعلينا ان نطيع لانهم مرشدو نفوسنا واباؤنا في الايمان . ان تعاليمهم دائماً تكون تعاليمنا وارادتهم قاعدة لسلوكنا . »

وبينما كان عدد الخاضعين للدستور المدني يكبر ويزداد كان رجال دير رعية القديس لويس ثابتين كالجبال لا يتزعزعون عن خطتهم حسب روح ابيهم القديس منصور دي بول وتعاليمه وتدابير رؤسائهم . فاضطروا الى الخروج من ديرهم وترك رعيتهم مرغومين . فتفطّر قلب الطوباوي غرويار عند ترك ابنائه الروحيين وتشتت شمل الاباء اللعازريين . فالتجأ هو الى دير سان فيرمان حيث كان اخوه الطوباوي فرنسوا رئيساً ظاناً انه يلقى الراحة وينتظر ايام سلام وسكينة حتى يرجع الى رعيته المحبوبة . ولكنه لم يدرِ ان الله كان قد هيأ له اكليل الشهادة مع اخيه الاب

فرنسوا القديس . لذلك لما هجم الثوار على الدير المذكور وفتكوا بسكانه السبعة والسبعين شهيداً كما ذكرنا كان الطوباري غرويار في مقدمة الجميع مظهراً بسالة غريبة وحباً حاراً ليسوع المسيح فضُرب عنقه وقطعت اعضاؤه وهو يقول : «ربي اغفر لهم . . ربي اقبلني في مساكنك العلوية حيث امتلكك انت الخير الاعظم» وهكذا تمت هذه المذبحة الهائلة في دير القديس فيرمان الذي نحن نجلّهُ لانهُ كان قديماً مدرسة دي بون زانفان (Collège des Bons Enfants) التي كانت مهد جمعيتنا ومسكناً لابينا ومؤسسنا القديس منصور دي بول . فاصبحنا اليوم نجلّهُ ونكرمه اضعافاً ونحبُّهُ بزيادة لانه تقدَّس بدماء هؤلاء الشهدا الجدد الذين اعلنت الكنيسة المقدَّسة انهم طوباريون بحفلة في غاية الابهة والكمال . رزقنا الله شفاعتهم وحفظنا ببركتهم في ايماننا القويم

لم تصلنا تفاصيل شهيد ثالث من جمعيتنا قُتل ايضاً في هذه المذبحة وان شاء الله نذكرها عند سنوح الفرصة)

شعراء النصرانية بعد الاسلام

شعراء القرون المتأخرة مباشرة بالقرن الرابع عشر

القسم الرابع

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

٥ ابن القلاعي

﴿خلاصة اخباره﴾ هو جبرائيل بن بطرس الماروني الشهير بابن القلاعي ولد في لبنان في اواسط القرن الخامس عشر وتاقت نفسهُ الى العلم منذ نعومة اظفاره لكنَّ حالة لبنان في ذلك العهد لم تسمح لهُ بغير معرفة مبادئ القراءة والكتابة . ثمَّ زهد في الدنيا بعد ان اختبر قلّة هنائها . واتَّصل بالمرسل الفرنسيسي رسول لبنان فراغريفون

فارسلهُ الى ديرهم العامر في القدس الشريف . فما لبث ان طلب الانضمام الى رهبانيَّة القديس فرنسيس فأرسل الى رومية سنة ١٤٧١ مع رفيق من وطنهِ يُدعى يوحنَّا . فانكبَّا هناك على العلوم الادبيَّة والدينيَّة حتى اتقناها ورُقيا الى درجة الكهنوت

وفي السنة ١٤٩٣ أبحرا قافلين الى اوطانهما . لكنَّ مركبهما الشراعي أُصيب بانواء هائلة هلك بسببها غرقاً رفيق ابن القلاعي ونجا هو بنعمةٍ خاصَّة من الله فـاخذ يتعاطى في وطنهِ كلَّ اعمال الرسالة ليثبت اهل جلدتهِ في ايمانهم ويردَّ غارات اليعاقبة الذي كانوا ساعين في تضليل اللبنانيين وزرع زؤان تعاليمهم في الجبل . فتصدَّى لهم وفنَّد اضاليلهم وصان مواطنيهِ من فسادهم وقرَّر امام رؤساء طائفتهِ دوام اتحـاد الموارنة مع الكرسي الرسولي

وفي السنة ١٤٩٦ أُقيم ابن القلاعي رئيساً على دير رهبانهِ في قبرس فسكن في مدينة افقسيَّة (او نيقوسية) في دير الصليب وعُني بامور اهـل المدينـة بكل غيرة ولاسيما بالموارنة المهاجرين الى قبرس . ولمَّا توفي اسقف قبرس الماروني يوسف الكيزفانه سنة ١٥٠٧ طلب الموارنـة ان يقام خلفاً لهُ على كرسيّ قبرس مُواطنُهم ابن القلاعي فاجاب الرؤساء الى طلبهم فسُقف المذكور وساس رعيَّتهُ احسن سياسة الى آخر حياتهِ فانتقل الى رحمة ربهِ سنة ١٥١٦

﴿علومهُ وآدابهُ﴾ هو اوَّل كاتب ماروني اشتهر بتآليفهِ التي عدَّدها البطريرك الدويهي في تاريخ الطائفة المارونيَّة (ص١٥٣ــ١٥٤) فمن اخصّ مصنفاتهِ مقالات في التعاليم المسيحيَّة وفي اسرار البيعة وفي الطقوس وتفنيد الهرطقات وفي الحقّ القانوني الماروني مع خمسين موعظة في اخصّ المعتقدات الكاثوليكيَّة وتراجم قديسين

﴿الشاعر﴾ كان جبرائيل القلاعي شاعراً فطرياً لم يعرف من العروض والاوزان الَّا ما ارشدتهُ اليهِ الطبيعة وما سمعهُ في وطنهِ لبنان من الاغاني العاميَّة او المنظومات البيعيَّة السريانيَّة . فعلى هذا الاساس بنى زجليَّاتهِ التي خلَّف منها شيئاً كثيراً . فاذا قسَّها بالشعر الموزون والكلام الفصيح نفرتَ منها وانَّما كانت العامَّة تستحسنها وتتغنى بها وبالخصوص لما كانوا يجدون فيها من ذكر حوادث الاجداد وحروبهم ومن التعـاليم الدينيَّة والادبيَّة ومن قصص الشهداء والقـدّيسين ولاسيما من سيرة السيـد المسيح ووالدتهِ الطاهرة . وقد برع ابن القلاعي في كل ذلك فكان لاناشيدهِ وزجليَّاتهِ

تأثير كبير في قلوب ابناء طائفته ولعلّها كانت من اقوى العوامل لحفظ اهل ملّته في دينهم المستقيم ولصيانتهم من وباء الاضاليل

وها نحن نذكر شيئاً من زجليّاته ايقف القرّاء على طريقته النظميّة. وقد سبق له في المشرق (١٨ [١٩٢٠]: ٢٥٠ــ٢٥٦) مناحة او مرثاة قالها لمّا غرق رفيقهُ « الاب يوحنّا اوجوان الراهب الفرنسيسي الماروني» ونشرها حضرة المنسنيور جرجس منش ومما جاء فيها قولهُ :

باب الفراج يا حبيبي بالحقّ درب الخلاصْ
تركتني في التجاريبِ وانت ذقت المغاصْ (١
ما كونّا تنينا (٢ اخوهْ زيّ الطيور بالقفاصْ
لماذا تخيّب نصيبي من سكنة لجج البحارْ؟

ومنها : يا حوت ابلعتْ يونانْ رابع يوم اخرجتهُ صحيحْ
وصار نبي صادقْ عن قبر يسوع المسيحْ
اجعل اخي مثل يونان في وسط بطنك يستريح
واخرجهُ منهُ زي يونان يكرز بما قد اختبارْ (٣

طوباك يا كاهن الله لأنك اقتبلت الكليلْ
من اجل الطاعة استحنّيت تسلك طريق الجليلْ
طوبى لأمك غنّيه (٤ الذي ربّتك يا فضيلْ

١) يريد بالمغاص عن قلّتنا غوصهُ اي غرقهُ في البحر
٢) هذا على لفظ العامّ يريد كنّا اثنينا
٣) يريد بما اختبرَ وتعلّم
٤) غنّيه اسمُ والدته على ما يظهر

قربان تقدَّمت مقبول صالح وحسن الثمار

وهذا مثال آخر قاله في ما جرى للسيد المسيح عند موته :

وقال يسوع : الروح اسلّمك يا ابي وقد احتنى رأسهُ وصار كالنائما
بساعة انفلق الصخر في وقت موته واظلمت الدنيا وصار التهدُّما
والشمس انكسفت غير وقتها حتى القمار اظلم في وقت معتّما
واترعزعوا الأموات جوَّ قبورهم وليس عاد نجوم تزهر في السما
وصار الظلام من السادسة للتاسعة على سائر الاقطار مسودّ مظلما
نظر المقدّم ذي العجائب كلّها ودقّ على صدره وخَفْ وتوهّما
وقال : ابن الله كان هذا صالحاً جميع اليهود هربوا بخوف وتقمقما
قالون لبيلاطوس : تشيله عن الصليب لانّ غدا السبت يوماً معظّما
وقال لهم : اكسروا رجليهم حتى يموتوا واحفروا قبرهما
كسّرون رجلين اللصوص اثنينهم ويسوع وجدوه ميّت زي نائما
ليس كسّرون رجليه لكن بحربه طعنوهُ في جنبهِ خرج دماً وما
لونجين كان اسمهُ الذي طعن المسيح وكانت اعيانهُ تغشّت بالعما
ولمّا سكب الدم على عود حربتهِ وضعهُ على عينيهِ بنور اسرجيما
وصاح يقول : انا بيسوع مؤمناً تشهّد على اسمهُ وصار مكرّما

ولهُ زجليّة مطوّلة في تاريخ لبنان وعن اصل الطائفة المارونيّة وفيها يقول :

نرجع نخبر عن مارونْ كان عالم بما في القانونْ
من انطاكية ابوه اغاتونْ مطران مع السريان قد صارْ

جاء لطرابلس وتكلّمْ . مع الكردينال وعليه سلّمْ
لقاه شاطرْ فاهمْ معلّمْ . اخذه معهُ في الابحارْ
قال للبابا اخباره وثبّت قولُه واسراره
رسمه بطرك واعطاهُ درعاً واوصا يتحذّرْ
قال لهُ تجنّب الملكيّه واليعاقبة والقبطيّه
جبل لبنان يكون لك رعيّه في كفرحيّ مات ذا المختارْ

ومنها وصفهُ للحركة اليعقوبيّة في لبنان بعد ذكره «لعبد المنعم اليعقوبي الذي مات موتة لا دين ولا ايمان» قال يذكر ابن شعبان :

البطرك كان في قنّوبينْ وابن شعبان في حردينْ
جا يخدع المسيحيّين منهُ تنسّل ثلاث طغيانْ
ومن اصله كان رومي وبعد ذلك صار ماروني
جاء اليه داسوس ملعوني يدعى عيسى باسم مطرانْ
ابن شعبان مع جماعة حردينْ وصاروا في زيّ الشياطينْ
واطفا العدماء والمتحفظينْ يعلّمون البنات مع الصبيانْ
ويصلّبون بواحد صابعْ وينكروا مجمع الرابعْ
وبابا لاون السابع (١ وملك الارتودكسي مرقيانْ
ومارون صار ملبوك معهم وكلّ عديم كان يتبعهم .

١) والصواب القديس لاون الاوّل المعروف بالكبير الذي ثبّت المجمع الخلقيدوني ضد القائلين بالطبيعة الواحدة في المسيح

والافعى المسمّه تلذعهم ولا كان يفزع من النيرانْ

مات الافعى وقام ابنُه وفي الطغيان انحس منه

عن الايمان قد ضاع ظنُّه وراد يحرق لمن ينهانْ

فترى من هذه الامثلة ما تميز به اوّل قوّال لبنانيّ صبرت زجليّاتهُ على افات الزمان فلهجتهُ تُشعر بقرب عهد اللبنانيين بالتكلّم بالعربيّة مع آثار اللغة السريانيّة الشائعة بينهم

٦ ابراهيم الانطاكي

﴿اخبارهُ وشعرهُ﴾ هو ابراهيم الانطاكي ثمّ الحلبي المعروف بأُصطا ابراهيم الحامي النصراني. قال محمّد بن ابراهيم الحلبي المتوفي سنة ٩٧٢ للهجرة (١٥٦٣ م) في كتابهِ دُرّ الحَبَب في تاريخ حلب (Flügel, Ms. de Vienne, ff. 11 v.): كان شاعرًا ذا ذكاء وذوق مع كونهِ عاميًّا ولهُ موشحات وتصانيف واعمال موسيقية مشهورة على لحنٍ فيها وديوان حافل سمّاه « برهان البرهان ». ثمّ ذكر شيئًا من شعره وختم بقولهِ: توفي ليلة عيد الفطر سنة ستّ وعشرين وتسعمائة (١٥٢٠م):

من شعرهِ موشّح قال فيهِ:

باكرْ يا صاحْ لرشف قدَحْ فالكاسُ زِنا دَ الخَمْر قَدَحْ

واشرب قدحاً وانفِ ترحاً وأجنَحْ مَرَحاً وَأَلمحْ لِمُلَحْ

بكرْ في الكأْ سِ اذا جُلِيَتْ بالبسط اكادُ أطيرُ فَرَحْ

تنفي الاحزا نَ بساحتها وبنَشوتها كم شحّ سَمَحْ

فى شرح معا نى بَهجتها قدحٌ منها للصدر شَرَحْ

تنفي الاسقامْ من الاجسامْ بها ما هامْ وراحَ نصَحْ

واشرع في صبح غبقتها فالديك على م الندمان صدح
والوقت صفا والحب وفى والكاس شفى والهم برح
والجو خلا والبدر جلا والطير تسلا والكاس طفح

الى ان قال :

ما زلت مسا ئي مغتبقاً في الحضرة حتى الصبح وضح
من عظم سرو ري في فرحي ايقنت بان م العقل شطح

وهو القائل في وداع احباب (من الرمل) :

مقلتي يوم النوى اذ رحلوا خلفت من أجلهم طيب الكرى
ان تسل عما جرى من ادمعي فوق خدي بعدهم يا ما جرى

وقال في معناه (من الرجز) :

أحبابنا من بعدكم اجريتم مدامعي
من لي معيناً في الهوى يبقى على المدى معي

وقال في وصف غلام (من الطويل) :

ولي رشأ حاز الجمال بأسره له طلعة فاقت على شفق الفجر
تحير فيه الواصفون لحسنه وقالوا : عجزنا عنه بالفكر والذكر
فقلت لهم : هذا الذي صح انه كما شاعت الاخبار في البر والبحر
ترآى ومرآة السماء صقيلة فأثر فيها وجهه صورة البدر

وله في آخر (من الرجز) :

مُهفهفٌ من لطفهِ اعطافُهُ ترنّحت وخدُّهُ لشقوتي وَرْدتُهُ تفتّحتْ

وقال يهجو بعض الامراء وفيهِ نوع الاكتفاء (من المجتث):

اميرُنا ذو معانٍ محرّكاتِ السّواكنْ
حلا حلاوةَ لفظٍ حلو اللسان ولكنْ...

وقال يهجو صوفيًا (من البسيط):

للهِ صُوفيُّ وقتٍ حازَ اربعةً لاحت لنا من معانيها عباراتُ
دقنٌ ودِلفٌ وعكّازٌ ومسبحةٌ دكّانُ زوكرةٍ فيها فشاراتُ

٧ - عيسى الهزار القوّال

﴿اصلهُ . زمانهُ . ملّتهُ﴾ كان اوّل من ألفتَ نظرنا الى عيسى الهزار السيد المرحوم عبد يشوع الخيّاط بطريرك الكلدان في سنة ١٩٠٤ فذكر عنهُ انهُ كان قسّيساً ورجح كونهُ عاش في اواخر القرن الثامن عشر وحكى عنهُ انهُ في ليلة تغنّى على السطوح باغاني روحيّة فجنق عليهِ بعض اعدائهِ فارادوا لهُ سوءًا فهرب من وجههم مختفياً وكان ذلك آخر العهد بهِ (قال) ولعلّهُ ذهب الى القدس وهناك قضى عمرهُ . وشكّ الكاتب في ملّتهِ أكان من طائفة الكلدان ام من السريان وانما اثبت كونهُ من الموصل

ثمّ وردتنا في السنة ١٩٠٦ مجلّة الشرق المسيحي (Revue de l'Orient Chrétien) واذا في عددها الثالث (ص ٢٥١ــ٢٧٣) مقالة مطوّلة نشرها المستشرق الاسباني الكاهن مخائيل اسين بلاسيوس (Miguel Asin Palacios) استاذ العربيّة في مدريد مضمونها قصائد روحيّة باللغة العاميّة للقوّال عيسى الهزار نقلها عن مخطوطة للعلّامة الكبير فرنسيسكو كوديرا (Fr. Codera) مواطنهِ يؤخذ منها انّ اسمهُ كان فارساً ثمّ اشتهر بعيسى ولعلّهُ اتّخذ هذا الاسم الاخير لما صار كاهناً . واما كونهُ كان يسمّى فارساً فالدليل عليهِ ما قالهُ في آخر انشودةٍ من اناشيده

فارس قد نظم هذا المديح في العذرا البتول امّ المسيح

وامّا اسمهُ «عيسى الهزار» فقد كرّرهُ مرارًا في خاتمة قصائده كقولهِ :

انا هو عيسى الهزارْ ونظمي في الملا سكّرْ

ويقول في محلّ آخر مخاطباً العذراء مريم :

يا درّة داوُد يا شمس الحلولْ عيسى الهزار نبكِ يمدح ويقولْ

ويروي ايضاً في نظمهِ انهُ من طائفة السريان كقولهِ في مديح آخر للبتول :

وكيف لا امدحها ألوانْ وانا من جملة السريانْ

امّا وطنهُ فيستفاد من اناشيدهِ انهُ كان من نصارى العجم وانهُ قدم من بلاده الى القدس الشريف حيث يقول :

« الى القدس الشريف ارحلْ من بلاد العجمْ »

ويدلّ اسمهُ «الهزار» على اصلهِ العجمي والهزار بالفارسيّة البلبل ولذلك دعا ايضاً نفسهُ «بعيسى هزار الشرقيّ»

وممّا افادتنا هذه المنظومات المنشورة في مجلّة الشرق المسيحي انّ عيسى هزار تجوّل في انحاء الشام وزار صيدنايا ووصفَ كنائسها وصورتها الشهيرة . لا بل امتزج بطائفة الروم المتملّكين عليها فمدح بطريركهم المسمّى يواكيم :

يا ربّ بالبكر مريمْ احفظ لنا ذا المعلّمْ
ابا يواكيم ايضا البطريرك المكرّمْ

ولعلّهُ وهو سرياني كما سبق قولهُ عدلَ الى طائفة الروم الملكيين ولذلك دعا البطريرك يواكيم بابيهِ

ويدلّ على عدوله هذا الى الملكيّة ما عدا قصائدهُ في مزار البتول في صيدنايا زجليّةٌ طويلة قالها في السيّد المسيح وختم كلّ ادوارها بهذه الالفاظ اليونانيّة «اجيوس اوثاوس اجيوس ايسشيروس اجيوس اثاناطوس» اي قدّوس الله قدّوس القويّ قدّوس الحيّ

فبقي علينا تعريف زمانهِ . وذلك مما يستدل عليهِ من النسخة الخطيَّة التي نقل عنها حضرة اسين پلاسيوس حيث قال انَّ ورقها يشعر بكونها من القرن السادس عشر واوائل السابع عشر

ثمَّ دخلت في مكتبتنا الشرقيَّة مجموعةٌ قديمة من اناشيد لمدَّة قوالين تؤيد هذا الرأي ولا يبعد كونها من اوائل القرن السابع عشر

وقد كتب لنا الطيِّب الذكر المرحوم السيِّد بطرس شبلي رئيس اساقفة بيروت سنة ١٩٠٧ انهُ وجد في قائمة مخطوطات الڤاتيكان التي ألَّفها السمعاني فنُشرت في تأليف الكردينال ماي (Mai : Scriptorum Veterum Nova Collectio, t, IV, p. 591. Cod. DCLXXXII) ذِكر مجموع مخطوط تاريخ كتابتهِ سنة ١٨٦٨ لليونان الموافقة للسنة ١٥٥٧ للمسيح فيهِ عدَّة قصائد لعيسى هزار . ومن ثمَّ يترتَّب على ذلك انهُ كان في اواسط القرن السادس عشر . ومن هذا ايضاً نستنتج انَّ البطريرك يواكيم الذي اشار اليهِ هو يواكيم المعروف بابن زياده كان مطراناً على حمص ثمَّ صار بطريركاً ملكيًّا نحو السنة ١٥٩٣ وتولى البطريركيَّة ١١ سنة[١] . فيكون اذن عيسى الهزار عاش الى اواخر القرن السادس عشر

﴿منظوماتهُ﴾ هي كلها مدائح وزجليَّات على طريقة العامَّة على اوزان وادوار وقوافٍ خاصَّة . نشر منها حضرة الكاهن اسين پلاسيوس عدَّة امثلة نقلنا شيئاً منها في المشرق (٩ [١٩٠٦] : ١٢٠٨ــ١١٠٤) . وفي مخطوط مكتبتنا الشرقيَّة الذي اشرنا اليهِ خمسُ زجليَّات لعيسى هزار في اوَّل هذا المجموع (ص ١ــ٢٥) امَّا موضوع هذه الزجليَّات فمعظمها مدائح قالها في العذراء مريم والسيِّد المسيح . دونك شيئاً من مديحتهُ في قيامة المسيح :

بلَّغني المسيح آمالي وغيرهُ مخلَّص ما لي
في يوم القيامه ذخري هو كنزي وهو راس مالي
سيِّدنا يسوع الباقي . في يوم القيامه دبَّان

---

١) كان حضرة المؤرخ قسطنطين باشا ظنَّ أنهُ اشار عيسى هزار الى يواكيم ضو (المشرق ١٠ [١٩٩٧] : ٢٨٧–٢٨٨) والصواب يواكيم زياده الذي سبق عهد البطريرك يواكيم ضو

في حُبّه بحور اشواقي ماجت مثل موج الطوفان
في اعلى المراتب باقي وسرُّهُ سرَى في الاكوان
مدحُ ابن البتول العالي ودينه العزيز الغالي
وامُّهُ عدَّتي في حَشري تخفّف جميع اثقالي
هو النجم العظيم الزاهر من قبره تفيض الانوار
ودينُهُ الشريف الطاهر كمَّل دين موسى المختار
ودعانا بنين القادر وآمرنا بشدّ الزنّار
ذكرُه في الملا يُحلى لي واصلح جميع احوالي
فأفني في مديحه عمري وارجوهُ في غدٍ يَبقى لي

ومن اقواله في العذراء مريم (على وزن يا من احرموني لذيذ المنام):

في العذرا النقيَّة بروق النظام خلوص البريَّه وشمس الانام
الدرَّه المضيَّه مصباح الظلام في الموقف شفاعه منها ارتجي
هي الست المطاعه اليها التجي
ما احلى ذكر مريم في وسط القلوب منها تجسَّم ديَّان الشعوب
يسوع المعظَّم غفَّار الذنوب في يوم القيامه اليها التجي
هي النور والحمايه والصوت الشجي

وهي طويلة وفي ما ذكرنا دليل على براعته في هذا الفنّ فضلًا عن عواطفه الدينية الشريفة ومعانيه الرقيقة اللطيفة

(له بقيَّة)

رسالة للسمعاني

وهي بعض رسوم اقتطفها من المجمع اللبناني وانفذها

الى كهنة الرعايا وابناء الرعايا

عني بنشرها القس انطونيوس شبلي اللبناني

مقدمة ناشر الرسالة

انهُ لما رأى السيد البطريرك يوسف بطرس ضرغام الخازن ورؤساء اساقفة الأمة المارونيَّة ورئيس الرهبانيَّة اللبنانية العام ما تطرَّق الى التهذيب البيعي من بعض الخلل والتشويش اللذين أثرا في مسحة رونقهِ وجمالهِ القديم رفعوا في سنة ١٧٣٤ الى قداسة الحبر الروماني اقليمس الثاني عشر والى مجمع نشر الايمان المقدَّس عرائض يلتمسون بها ان يوفدَ اليهم نابغة زمانهِ السيّد يوسف سمعان السمعاني المتأنق الشهرة في عالم الشرق والغرب ليُعنى وايَّاهم في اعادة التهذيب البيعي في الكنيسة المارونيَّة الى سابق مجدهِ وازدهارهِ. فتنازل قداستهُ واوفدهُ اليهم مانحاً اياه التفويضات اللازمة ليجري باسم الكرسي الرسولي ما يقتضي اجراؤهُ على ما ترتئي حكمتهُ الرشيدة وفطنتهُ السديدة

وما درت الرهبانيَّة اللبنانيَّة بقدوم ممثل الحبر الاعظم حتى استقبلتهُ استقبالاً بالغاً اقصى درجات الأبهة والجلال الذي يليق بمقام اعاظم الرجال فنزل اديارها على الرُّحب والسعة. وهبَّت اذ ذاك الى تذليل كلّ عقبة تعترض في سبيل انفاذ مهمَّتهِ خافضةً امامهُ غمار المعارك والمشاقّ في شخص رئيسها العام المقدام الاب توما اللبُّودي الحلبي لتُفسح لهُ مجالاً للبلوغ الى امنيَّتهِ مستنفدةً وسعها في تحقيق رغبتهِ العائدة بالخير العميم على بني ملَّتهِ

وما لبث ان تغلَّب القاصد السمعاني بأيد النعمة الالهية وعضد الرهبانيَّة اللبنانيَّة

على الصعاب التي وقفت في وجهه وعقد في سنة ١٧٣٦ جلسات ذاك المجمع الاثري التاريخي الخطير. وقد بلغت نفقة الرهبانية عليه وعلى السيد السمعاني سبعة آلاف غرش(١ في ذاك العصر. وتلك مأثرة جليلة بيضاء ودرة لامعة حسناء للرهبانية اللبنانية في جيد تاريخ الأمة المارونية تذكر لها بالفخر على وجه الدهر

ولما كان المجمع اللبناني من الاهمية بمكان والدستور الذي تعتمد عليه الأمة في طقوسها وترتيباتها البيعية نشط في هذه الآونة حضرة العلامة المدقق الخورسقف جرجس منش أحد اعضاء المجمع العلمي الى وضع بحث حديث قانوني تاريخي انتقادي لم يطرقه احد من ائمة الأمة من قبل سماه « الحق القانوني عند الموارنة » دار فيه حول المجمع اللبناني واشبعه درساً وتنقيباً فوقع في مئة وثلاث وعشرين صفحة حافلة بفرائد الفوائد التاريخية مما دل على طول باعه وواسع اطلاعه في مثل هذه المباحث المفيدة التي لا يجيد فيها الكتابة سوى العدد القليل من العلماء الاعلام. ولم يهب به الإقدام على تقلية المجمع اللبناني وابانة ما انطوى عليه من المحاسن وما فرط فيه من الهفوات سوى استماته في حب طائفته ورغبته في ان يستوفي هذا الكتاب الجليل شروط الحسن والكمال . وكفاه رفعة وقدراً في العيون صدوره من قلم فخر الديار الشرقية وعلم الامة المارونية يوسف السمعاني الذي

«يفنى الزمان ولا يفنى له خبر»

ولم تقف محبة السمعاني لطائفته عند حد نهاية هذا المجمع فحسب بل اندفع يحث الامة على الجري على سننه والتقيد باحكامه . وقد أطلعنا حضرة المنير المفضال عبدالله مسعد رئيس مدرسة مار بطرس وبولس في عشقوت على كتاب خطي في علم الذمة نسخه القس اثناسيوس ابن الخوري حنا الحاج القسطاوي في ٢٥ ايار سنة ١٧٩٩م وقد أضيف اليه في التجليد رسالة للسمعاني تحتوي « الرسوم التي تخص خوارنة الرعايا »(٢ اقتطفها من المجمع اللبناني وانفذها الى الكهنة المذكورين وذلك

١) طالع تاريخ الرهبانية اللبنانية ج ١ ص١٥٧و٢٣٨و٣٠٠ . ان للسيد السمعاني بوسة (منكرة) في اعمال المجمع اللبناني وهي موجودة في خزانة الكرسي البطريركي ببكركي وقد وعد حضرة الخوري بولس قرألي بنشرها على صفحات مجلته السورية

٢) قد اشار السيد الذكر البطريرك بولس مسعد الى هذه الرسالة بقوله: « ان السمعاني

بعد عقده بشهر . موجباً عليهم بالسلطان الذي خوّله اياه الكرسي الرسولي رعايتها والتقيّد بها . وقد شفعها برسالة اخرى « في الرسوم التي تخص الرعايا عموماً » و«بتنبيه فيما يخصّ الكنيسة والمذبح والاواني والثياب المقدّسة» وهي كلها بخط يده الطاهرة بالحرف العربي على ورق ابيض سميك ومصدّرة باسمه الكريم وختمه ومذيّلة كل واحدة منها بختمه ايضاً . وحرصاً على فوائدها رغبنا في نشرها على صفحات هذه المجلة التي تهتمّ خاصةً في شؤون الشرق كما صدرت من قلم مؤلفها بدون ان نصلح فيها كلمة اعراب . وهذه هي بحرفيتها :

المنسنيور يوسف السمعاني

قاصد الحبر الروماني الاعظم والكرسي الرسولي المقدس

(الختم)

البركة الرسولية والنعمة الالهية تحلّ وتستقرّ على انفس واجساد اولادنا الخوارنة الكهنة المتولين تدبير الرعايا المكرّمين حفظهم الله تعالى امين

وبعده نُعلم محبتكم اننا قطنا من قوانين مجمعنا اللبناني المقدس هذه الرسوم التي تخصُّكم ليتسهّل عليكم مطالعتها والسلوك بها . ونحن نأمركم بالسلطان الرسولي ان تمنحوا الاعتناء الكلي بقدر استطاعتكم في تكميلها فرداً واجمالاً ولا تتغافلوا عن الرعايا الذين انتم مؤتمنون على سياستها واذ (واذا) تتمّم سعيكم الحسن المطلوب من وظيفتكم سوف تنالوا من راعي الرعاة المكافأة لاتعابكم الصالحة والبركة عليكم وعلى رعيّتكم

اقتطف من السينودوس (اي المجمع اللبناني) بعض ارشادات للكهنة وغيرهم وأشهرها عليهم تحت امضايه وختمه في اواخر شهر تشرين الاول سنة ١٧٣٦ . (راجع بحثه في المجمع اللبناني المنشور في ذيل كتاب «بصائر الزمان» للاب بولس عبود ص ١٣٤ وما يليها)

الرسوم التي تخصُّ خوارنة الرعايا

(اوّلاً) كل خوري رعية يجب عليه ان يحرّر في كتاب اسماء المعمودين واشابينهم واسماء المتّحين واشابينهم واسماء المخطوبين والمزوجين واسماء الاموات وتواريخ يومهم وشهرهم وسنتهم

(ثانياً) يجب على الخوري انهُ كلَّ احد وعيد واجبة بطالتهم يجمع الاولاد والبنات صفوفاً في الكنيسة ويعلّمهم التعليم المسيحي بعد القدّاس او قبل صلاة المساء. وان ما امكنهُ ذلك فللاسقف ان يوكل اناساً من الرهبان المجاورين المكان او من تلاميذ روحية لكي يعلّموا التعليم المذكور ويعظوا على الشعب المؤمن ويخدموا لهم سرَّ الاعتراف ولا يجوز للخوري ان يتعارض لهم اصلاً

(ثالثاً) يجب على الخوري ان ينبّه في كل احد وقت القدّاس على رعيّته بالاعياد المأمورة بطالتها والقطاعات والصيامات والغفرانات الممنوحة من الكنيسة الواقعة في تلك الجمعة ومناشير السيد البطريرك واسقف الرعيّة

(رابعاً) يجب على الخوري ان يكتب في دفتر اسماء الاعياد الخصوصية لتلك الكنيسة. وان وجد عندهُ ذخاير قديسين يكتب ايضاً اسمهم في دفتر. وكذلك ان وجد عندهُ براءة غفران من قدس سيدنا البابا فليكتبهُ في دفتر ويعرضهُ على اسقف الرعية لكي يثبتهُ بخطّهِ وختمهِ ولا يُشهر غفراناً إلّا ويعرضهُ اوّلاً على الاسقف

(خامساً) يجب على الخوري اذا وجد خصومة في رعيتهِ يجتهد في اصلاحها بكل قوّتهِ. وان عجز عن ذلك فليخبر اسقفهُ لكي يتلافى تلك الخصومة

(سادساً) يجب على الخوري ان يخبر اسقفهُ اذا وجد في رعيتهِ اناساً يتعاملون بانواع السحر والرقوات (الرُّقيات) والحروزات (الاحراز) وعقد المتزوجين وما شاكل ذلك. وكذلك اذا وجد في رعيتهِ اناساً اراطقة او مشاقين يفسدون عقول المؤمنين الكاثوليكيين بتعاليمهم الرديّة

(سابعاً) يجب على الخوري ان يحفظ سرَّ الاعتراف حفظاً متمكناً تامّاً بنوع ليس لا يكشف ويظهر بالقول فقط بل ولا بالاشارة او النتيجة ولا بكل ما يمكن

الاطلاع عليه حلّ التايب او ما حلّهُ وذلك لازم من باب الناموس الطبيعي والكنائسي والالهي

(ثامناً) يجب على الخوري ان يعلم الخطايا المحفوظة للسيد البطريرك وهي : خطية جحد الايمان الظاهر . واستعمال الامور المقدسة في السحر . وضرب روساء الكهنة . ومنع روساء الكهنة والكهنة عن التصرُّف في رعاياهم . وكذلك يجب عليه ان يعلم الخطايا المحفوظ حلُّها لاسقف الرعية وهي : قتل الناس قصداً . وخطية المرابين ظاهراً .

(تاسعاً) لا يُسمح للخوري ان يخدم سرّ الاعتراف في مكان لم يكن معهُ الاذن في ذلك من السيد البطريرك او من اسقف الرعية او خوريها

(عاشراً) يجب على الخوري ان يُفهم القوابل والدايات ما هو ضروري لعماد الاطفال لكيلا من قبيل كسلهنّ ونقص معرفتهنّ يموت الطفل بغير عماد او يُعمَّد عماداً باطلاً لنقص جوهري . فلذلك يجب عليه ان يعلمهنّ مادّة العماد وما هي صورتهُ وكيف تدبيرهُ واستعمالهُ وينبّههنّ خاصةً ان في عماد الطفل لا يقلنّ «انا ارشمك باسم الآب الخ» ولكن «انا اعمدك بسم الآب والابن والروح القدس»

(الحادي عشر) يجب على الخوري ان يهتمّ بعماد الاطفال اهتماماً كلياً ويعمّدهم بعد ولودتهم بايام قليلة كنحو ثمانية ايام واقلّ بحيث لا يلحق المعمود ضرر لئلا تدهمهُ مصيبة فيموت بغير عماد . وان كان تأخير عماد الطفل من الوالدين لا من الخوري فالخوري يشكوهما لاسقف الرعية

(الثاني عشر) لا يعمّد الخوري طفلاً في البيت من غير ضرورة ولكن ليكن عماد الاطفال في الكنيسة بالترتيب الكامل ما لم تدعو الضرورة لخلاف ذلك

(الثالث عشر) لا يسمح الخوري ان تكون الاشابين في المعمودية والتثبيت اناساً غير مؤمنين او اراطقة او مشاقين او محرومين او مربوطين بلاعنات كنائسية

(الرابع عشر) لا يجب ان يتأخر قبول سرّ التثبيت كثيراً بعد البلوغ فلذلك على الخوري ان ينبّه اسقف الرعية على الغير مثبّتين ولكي يثبّتهم وهو يعلّمهم اوّلاً قواعد الايمان ومادّة التثبيت وصورته ومفعولاته

(الخامس عشر) ليحترس الخوري عند طلبه واخذه الميرون المقدّس بان لا يترك

رعيّتهُ بغير قدّاس ولا يفارقها إلّا بشرط انهُ يوكل كاهناً مكانه ليخدم الاسرار عنهُ او يرسل يأخذ الميرون عوضه . وكذلك متى دعت الضرورة ان يفارق رعيتهُ قصداً لزيارة السيد البطريرك او اسقف الرعيّة او لاجل قضاء شغل ضروري فليوكل كاهناً مكانه الى ان يرجع

(السادس عشر) لا يجوز للخوري تقدمة القدّاس الالهي في البيوت إلّا عند الضرورة . وان دعت الضرورة الى ذلك فليلاحظ المكان ان يكون نظيفاً ومنفرداً عن العيلة والدوابّ بقدر الامكان

(السابع عشر) يجب على الخوري ان يكون خبيراً بالطقوس والرتب الكنائسية عموماً . وليمتحنهُ اسقف الرعيّة قبل رسامتهِ . وليعيّن كهنة حاذقين ليرشدوا الساذجين

(الثامن عشر) يجب على الخوري ان يعتني الاعتناء الكليّ ان تكون الكنيسة وكسوة المذبح والثياب الكهنوتية جميعها واواني التقديس ظريفة نظيفة غير ناقصة شيئاً من الواجب وكسوة المذبح والقميص والمصفة (المنصفة) فليغسلها اقله مرّةً بالشهر . واما السفتجة والقنديل وقناني المزجه (المزكى) فليغسلها مرّتين بالشهر

(التاسع عشر) يجب على الخوري انهُ يحاسب ذاتهُ في آخر كل سنة هل وفى إجرة القداديس التي أخذها من المؤمنين ليقدّس بها عن الاحياء والاموات فان بقي منها شيء فليدفعها الى غير كهنة من الطائفة ليوفيها عنه

(العشرون) يجب على الخوري ان يلاحظ وقتاً موافقاً لحضور الشعب القدّاس في الآحاد والاعياد لاسيما في ايام الحصاد والزرع والقرّ . ففي مثل هذه الحوادث للخوري ان يقدّم او يؤخر نظراً على نفع الرعيّة بعد ان يعرّفهم الوقت المذكور

(الحادي والعشرون) لا يجوز للخوري ان يترك رعيّتهُ بلا قدّاس نهار الآحاد والاعياد ويمضي الى قدّاس او جنّاز ميت ان لم يترك مكانهُ كاهن غيره يقدّس لهم

(الثاني والعشرون) يجب على الخوري ان ينبه على رعيته ان لا يخرج احد من رجال ونساء من الكنيسة وقت القدّاس في الآحاد والاعياد إلّا عند تمام القدّاس بعد بركة الكاهن وتسريحه الشعب . واذا كان زحمة يخرجون النساء ثم الرجال ان كان للكنيسة باباً واحداً

(الثالث والعشرون) يجب على الخوري ان يلاحظ خمر التقديس ان يكون خمرًا جيدًا ويتحفظ من ان يكون مخلوطًا بمواد غريبة او فاسدة ولا يكون مطارًا اي معصورًا حالًا من العنب إلا عند ضرورة بالغة بالغاية وعند عدم وجود الخمر المعصور كالعادة

(الرابع والعشرون) يجب على خوري الرعية ان يحفظ القربان المقدَّس لاجل المرضى في كنيسته حيث لا يكون خطر الاهانة به من يد الغير مؤمنين . وليكن داخل بيت ظريف لطيف وامامهُ اقلَّهُ قنديل واحد يضيء ليلًا ونهارًا وباب بيت الجسد مقفولًا باستيثاق والمفتاح بيد الخوري. ولا يكون الاناء الموضوع فيهِ القربان من خشب ولا من زجاج ولا من برنز بل من ذهب او فضَّة او من قصدير او نحاس مطلي داخل ذهبًا وفي كل جمعة في الصيف وفي كل جمعتين في الشتاء يتناول الكاهن القربان العتيق ويضع مكانه قربانًا جديدًا . وكذلك يجب عليهِ ان يحفظ في طاقة تحت قفل بالقرب من المذبح آنية الزيوت المقدَّسة . اي زيت العماد والميرون المقدَّس وزيت مسحة المرضى . وكل واحد من هذه الزيوت فليكون في وعاء نظيف من فضَّة او من قصدير او تنك متميزًا عن غيرهِ

(الخامس والعشرون) واذا حُمل القربان المقدَّس الى بيوت المرضى فليحملهُ الكاهن بعبادة لائقة صحبة الاكليروس والشعب وشمع مضيء ومبخرة امامه بما يناسب المكان والزمان . ويسبق الخوري يوصي اهل المريض بنظافة المسكن وان يهيّوا هناك مايدة عليها كتَّان ابيض نظيف يضع فوقها جسد الرب مع شمعتين مضيئتين

(السادس والعشرون) يجب على الخوري ان يحترس الاحتراس الكلي في ان اهل رعيتهِ يحضروا القدَّاس وصلاة الصبح والمساء في الآحاد والاعياد . وكذلك يهتمّ في ان كل واحد من المؤمنين رجالًا ونساء بعد بلوغهِ سنَّ المعرفة يعترف عند الكاهن في السنة اقلَّهُ مرَّة واحدة اعترافًا خالصًا . ثمَّ يتناول سرَّ القربان باحترام اقلَّهُ في عيد الفصح وذلك من احد الشعانين الى احد الجديد . ومن اهمل هذه الوصيَّة الكنائسيَّة فليشهر امرهُ الى اسقف الرعيَّة والاسقفُ بعدما ينصحهُ اولًا وثانيًا وثالثًا ان ما انتصح وكمَّل وصيَّة الكنيسة فليشهر حرمهُ الكبير في عيد السيدة في الخامس عشر

يوم من شهر آب

(السابع والعشرون) ليعتني الخوري في وعاء الماء المبارك داخل باب الكنيسة ويجدد باب تبريك الماء كل اسبوع مرّة ويلاحظ نظافتهُ

(الثامن والعشرون) يجب على الخوري ان يعتني الاعتناء الكلي في زيارة المرضى ويناولهم سرّ الاعتراف والقربان الاقدس والمسحة الاخيرة . واذا تكاسل في ذلك ومات احدًا من رعيّتهِ بغير سر من هذه الاسرار الثلاثة المقدّسة فليقاصصهُ الاسقف اصرم مقاصصة . ولاجل ذلك لا يجوز للخوري ان يترك الرعيّة ويمضي الى غير مكان ان لم يوكل كاهنًا موضعهُ

(التاسع والعشرون) يجب على الخوري ان لا يسمح لاحدى من النسا ان تترك استماع القدّاس يوم الآحاد والاعياد كانت مخطوبة او عروسًا او فارحة او حزينة

(الثلاثون) لا يسمح للخوري ان تتم خطبة او زيجة إلّا بعد ان يُؤخذ من البنت رضاها باقرار فمها بحضورهِ ويحرّر ذلك امام شاهدين او ثلاثة

(الحادي والثلاثون) يجب على الخوري ان يعلم جيدًا ما هي موانع الزيجة بالقرابة الطبيعيّة والروحية . ولتحفظ في ذلك رسوم المجامع المقدسة والاحبار الرومانيين بما سمحوا بتحليلهِ لا اكثر وما حرّموه لا اكثر . ولا يعقد الخوري خطبة او زيجة بدرجة من الدرجات المحرّمة ما لم يكن اخذ سابقًا منشور التحليل من السيد البطريرك او اسقف الرعية

(الثاني والثلاثون) يجب على الخوري ان لا يعقد خطبة إلّا ان يكون المخطوبان بلغا العمر القابل الزيجة بعد سنتين بموجب القوانين الكنايسيّة لا اكثر . وليعتني الاعتنا الكلي ان يتمّ عقد الزيجة بعد الخطبة بالزمان المحدود . وهو ان البنت تكون بلغت الاثني عشرة سنة والابن اربعة عشرة سنة . واذا طلب احد عقد الخطبة ام الزيجة بخلاف ما ذكرنا فليشهر امرهُ الى اسقف الرعيّة

(الثالث والثلاثون) لا يصلي الخوري صلاة اكليل العرسان إلّا في الكنيسة حسب الامكان ولا ذلك إلّا بعد اعترافهم وتناولهم الاسرار المقدسة

(الرابع والثلاثون) اذا دفع احد دراهم على بنات الناس للمعتدين او المشايخ او الحكّام المسيحيين او الغير مسيحيين فلا يجوز للخوري ان يصلي صلاة الاكليل

او صلاة الخطبة بل يجب عليهِ ان يشهر هذا الامر لاسقف الرعية

(الخامس والثلاثون) يجب على الخوري ان يعلم ان لا تجوز زيجة النسا من طايفتنا المارونيَّة لغير طايفة شرقية ولو كانوا كاثوليكيين إلَّا لطايفة الافرنج الرومانيين وحدهم(١ . واذا طلب احد الخطبة او الزيجة بخلاف ذلك فليشهر امرهُ لاسقف الرعيَّة

(السادس والثلاثون) يجب على الخوري ان لا يسمح بدفن الميت سريعاً لاسيما ان مات فجأةً لئلَّا يشك بهِ انهُ حي بعد ولم يمت

(السابع والثلاثون) يجب على الخوري ان ينبه اهل الميت بان البكا والتولول والنَّدب لا يفيد الموتى . وان النوح والصراخ الزايد الحدّ في ذلك هو مرذول مستحق فاعلهُ المنع من الكنيسة . وليجتهد الاجتهاد الكلي ان يبطل هذا الصراخ الزايد الصادر من اهل الميت ومحبيه كان ذلك قبل الجنَّاز عند حمل الميت او في الجنَّاز او في الدفن

(الثامن والثلاثون) يجب على الخوري ان يستعمل سيف الحرم والمنع بافراز واحتراص حريص ولا ينادي بذلك إلَّا بعلم اسقف الرعية سابقاً ولاجل ضرورة بالغة . ولاجل امر باهظ ثقيل وبعد الفحص البليغ والنصيحة اولًا وثانياً وثالثاً

(التاسع والثلاثون) يجب على الخوري ان يكتب في دفتر كلّ اثاث الكنيسة من كتب واواني التقديس وشماعدين وقناديل وثياب كهنوتية وكسوة المذبح وغير ذلك . وايضاً يحرّر في دفتر جميع ارزاق الكنيسة من اراضي واشجار ومواشي وما شاكل ذلك . ويحترص في حفظ التمسُّكات والحجج والدفاتر ولا يبيع او يهب او يجيز شيئاً من الارزاق والامتعة المذكورة . ولا يسمح لاحدٍ ان يضع يدهُ على ارزاق الوقف كايناً من كان

(الاربعون) يجب على الخوري ان يحفظ عندهُ هذه الرسوم ويدرسها ويتعلَّم منها الامور التي يحتاج اليها . واسقف الرعيَّة لهُ ان يطالب الخوارنة في تكميلها

---

١) انَّ الزواج حاضراً مسموح بهِ بين الطوائف الكاثوليكيَّة الشرقيَّة والغربيَّة على سواء بشرط ان تُراعى احكام الكنيسة . ولعلَّ السماني قال ذلك لعدم قبول بقيَّة الطوائف الكاثوليكيَّة احكام المجمع التريدنتيني بخصوص الزواج الحقي

افرادًا واجمالًا ومن رآه متكاسلًا متغافلًا عن حفظ رسم من هذه الرسوم فليقاصصهُ المقاصصة الكنايسيَّة

تحريرًا في دير سيّدة لويزة في بلاد كسروان من جبل لبنان في اواخر شهر تشرين الاول سنة ١٧٣٦ مسيحية . صح

ختم المعاني

المسألة السورية

نظر انتقادي لحضرة الاب هنري لامنس اليسوعي

انَّ عنوان هذه النبذه هو تعريب عنوان افرنسيّ لكتاب صنَّفهُ مؤخرًا الكومندان كابديجال (Capdejelle C^ne) حاكم ولاية بيروت وسنجق الاسكندرونة سابقًا والشيخ عزيز الهاشم المحامي قديمًا (١ واضافا الى العنوان السابق ما حاولا البحث عنهُ اعني ايّ حكم يصلح لسوريَّة أحكمُ التفرُّد ام الاتحاد ؟ اجمهوريَّة ام ملكيَّة ؟ أأنتداب ام محالفة ؟ فيبحثان اذن عن الحكومة الموافقة لولايات سوريَّة أيُفضَّل لها ان تنفرد هذه الولايات بأحكامها او ترضخ لحكم واحد سواء كان جمهوريَّةً ام ملكيَّة انتدابًا ام تحالفًا وهما يقضيان بانَّ الافضل لسوريَّة ان تمتزج كلُّ ولاياتها ويُلغى لبنان الكبير فيعود الى حدوده السابقة للحرب . على انهما يرضيان بان تبقى بيروت عاصمةً للبنان الصغير على شرط ان تكون مدينةً حرَّة ومرفأها معافًى (ص ٨٦ الخ)

وكذلك صرَّح الكاتبان بان الحكم الموافق لسوريَّة هو الحكمُ الملكي ويُلمحان باشارةٍ خفيفة الى مختارهما سعادة الداماد نامي بك وهو تلميح لا يخلو من

١) دونك الاسم بتفاصيله : LA QUESTION SYRIENNE: Séparailon ou Fédération ? République ou Monarchie ? Mandat ou Alliance. *Beyrouth, Impr. Gédéon, 1927, in-12, pp. 111*

غرض في النفس وعلى رأينا كان الاولى بالكاتبين ان يضربا الصفح عن اي مختار كان لئلا ينسبها القرّاء الى غاية شخصيّة . ثمّ يفضّلان على الانتداب معاهدة تُعقد بين سوريّة وفرنسة يكون مرجعها الى لائحة ذات عشرة بنود حرّرها نامي بك ونشرها في العموم في تاريخ ١٧ ايّار من العام الماضي ١٩٢٦ . هذه هي محتويات الكتاب الذي نحن بصدده . ويرتأي الكاتبان انّ القضايا التي يدافعان عنها لها الفضل على سواها وينتظران من تحقيقها احسن النتائج لخير فرنسة وسوريّة معاً (ص ٦٢ الخ)

***

دَعنا نعمل نظر الانتقاد في هذه النشرة الجديدة وانّما نقصر هذا النظر على ما فيها من الملحوظات التي يزعم الكاتبان انها مدعومة على احكام تاريخيّة وجغرافيّة دون ان نتعرّض لما في تأليفها من الاعتبارات السياسيّة . والحقّ يقال انّ الادلّة التي استندا اليها ليست بذات شأن وانني لكنتُ استغنيتُ عن انتقادها لولا انها نقلا عن تأليفي الحديث في تاريخ سوريّة قطعةً طويلة كثراها تأييداً لآرائها كأني أجاريها على مزاعمها . اني في كتابي المذكور (La Syrie I 1-9) قد بيّنت انّ العناية الربّانيّة قد جعلت لسوريّة حدوداً واضحة . على انّ تلك الحدود الخارجة التي كان من شأنها ان تساعد على توحيد الوطن قد حال دونها في باطن البلاد عوائق طبيعيّة متعدّدة خالفت تلك الوحدة وسبّبت الشقاق وعارضت التضامُن الوطنيّ وعزّزت روح التفرُّد والاعتزال في المواطن الخاصّة . وهذا يلوح من سائر موادّ كتابي في تاريخ سوريّة . فان الشقاق والانفصال والتقاطع كلّ ذلك من الأدواء التي غلبت على سوريّة وعشّشت في احشائها . فلم ازل أثبت ذلك بما كنت ارويه من اخبار البلاد

ان سوريّة لم تعهد قطّ الوحدة إلّا تحت حكم دولة اجنبيّة كالسلوقيين والرومان والعرب ومماليك مصر والاتراك . . واذا عُهدت اليها مقاليد امورها عادت الى امياها الموروثة من اجدادها اعني الى تقسيم ولاياتها فانّ اهل سوريّة الساكنين في سواحل البلاد كانوا في كلّ اطوار التاريخ منذ عهد الفينيقيين يتصرّفون بامورهم مستقلّين عن السوريّين القاطنين في داخليّة البلاد . ولا نجد اثراً ينبئ على السعي بالاتّحاد وعلى إزالة ذاك الحاجز الضخم الذي يفصل القسمين اعني لبنان الساحلي ولبنان الشرقي . فأن سكّان السواحل كانوا يوجّهون نظرهم الى البحر والى جهات الغرب . بينما كان

الداخليون ينظرون الى الشرق والى البوادي. حتى انهُ يصحّ القول بانهما كانا يعيشان ظهرًا الى ظهر بدلًا من المواجهة والمصافحة

نعم اني قلتُ (La Syrie I, 5) انهُ يوجد عنصر سوريّ وانَّ هذا العنصر لهُ وحدتهُ وميزتهُ وسحنتهُ التي تفرزهُ لاوَّل وهلةٍ عن سواهُ عن المصريّ وعن العربيّ وعن الاناضوليّ وعن العراقي . اكّدتُ ذلك ولا اغيّر شيئاً من قولي. فاني رأيتُ ولا ازال على رأيي بان وحدة هذا العنصر السوري قد تقرَّرت بحيويَّتها وثباتها وقوَّتها على ضمّ العناصر الاجنبيَّة من الامم التي امتزجت بها الى جنسيَّتها كالعرب وغيرهم ولاسيما العرب (La Syrie I, 6) الذين يحاول البعض ان يزجرهم بالسوريين . فانَّ العرب الفاتحين للشام لم يغيّروا العنصر السوري بل هم بالاحرى نالوا من ميزتهِ

امَّا دخول اللغة العربيَّة بين السوريين فذلك لا علاقة لهُ مع هذا التغيير الجوهري فانهُ ليس من امَّة إلَّا وقد غيّرت لسانها مرَّةً على الاقلّ في اطوار تاريخها كفرنسة مثلًا. ايا ترى لو شاعت اللغة التركيَّة في سوريَّة في مدَّة الاربعة الاجيال التي دام عليها حكم بني عثمان أكان يجوز ان يقال عن السوريين انهم من العنصر التركي التتري؟. ثم لا نسلّم بشيوع اللغة العربية بين اهل سوريَّة منذ القرن السابع كما زعم المؤلفان (ص ٨) فانَّ هذه اللغة اخذت في القرن العاشر فقط تتجاوز حدود المدن بل ثبتت اللغة السريانيَّة في بعض انحاء الجبل الى القرن السابع عشر فاستمرَّت في بعض القرى كلغة الاهلين الوطنيَّة .

مرَّ علينا نيّف وعشرون سنة اذ اثبتنا في المشرق انَّ الروم الملكيين ليس اصلهم من اليونان بل هم وطنيُّون من سوريَّة كما انَّنا بيَّنَّا ان الموارنة ليسوا مردةً اعني من اصل غريب عن سوريَّة من جهات الاناضول بل هم سوريُّون ايضاً وطناً . وكذلك خالفنا الزاعمين بان السوريين عربٌ فجواباً على كلّ المماكسين لم نزل نثبت للسوريين جنسية قائمة بذاتها ليس لهم ما يحسدون عليهِ غيرهم لشرف اصلهم ومآثرهم . فلم نألُ جهدًا في الدفاع عن رأينا هذا حتى في عهد المراقبة التركيَّة الصارمة مصرّحين بتلك الوحدة العنصريَّة على اختلاف النزعات والاديان وعلى الرغم من الانقسامات والتحزُّبات الباطنة . وبفعلنا هذا قد خدمنا الوطن خدمة اعظم من الذين كانوا يدَّعون باصل غريب ومهَّدنا السبيل للوفاق واتحاد القلوب غير مكترثين لبعض كتابات مُرَّة

نُشرت وقتئذٍ لتفنيد رأينا

وهاك اليوم قد انقلبت الامور فترى بعض الروم ضاربين الصفح عمّا ادّعوهُ من الاصل اليوناني يزعمون انَّ اصلهم من عرب غسّان وهو زعم غريب. وينسى القائلون بهذا الرأي انَّ بني غسّان كانوا على مذهب اليعاقبة مخالفين للملكيين فضلًا عن انَّ كثيرين منهم بعد فوز الاسلام انتقلوا الى بلاد الروم او دانوا بالاسلام فاين كل ذلك من هذا المزعم الغريب بان الروم الملكيين اصلهم من عرب غسّان

قلنا انَّنا لانريد الخوض في المسألة السياسيَّة التي تحرّى مؤلفا هذا الكتاب اثباتها اذ يزعمان بانَّ معظم السوريين من مسلمين ونصارى ولبنانيين وفرنسويين في الشام يوافقونهما على رأيهما (ص ٣) في توحيد الحكم في ولايات سوريَّة. وانَّما نؤكد لهما انَّ استنادهما الى الادلة التاريخيَّة والجغرافيَّة باطل لا اساس لهُ. نعم كلّنا نرغب في الاتحاد وليس احد ينكر ذلك وانَّما سيتألف هذا الاتحاد عفوًا بعد اتحاد العقول وتوافق الافكار. امَّا الآن فنحن بعيدون عن هذا الاتحاد الاساسيّ. فمن يا تُرى يصدّق على ما كتبهُ المؤلفان في كتابهما (ص ٢٢) بان الاختلاف بين النصرانيَّة والاسلام تزر زهيد فضلًا عن كونهما يُدخلان الدروز والنصيريين (١ في عداد المسلمين. فكل هذه المزاعم مخالفة لحقيقة الامور. فان المبدأ الفلسفي يقول: انَّ من جاوز الحدود في اثبات رأيهِ نقضهُ. وهذا على ظنّي اكبر اعتراض يمكننا ان نوجههُ لمؤلفي كتاب المسألة السوريَّة. على اننا نوافقهما في دحضهما للنظام الشوروي ولسوء عقباهُ (ص ٣١ و٣٧)

تعميم الاصطياف في لبنان

نظر اجتماعي اقتصادي للاب لويس شيخو اليسوعي

اقترح احد افاضل الوطنيين ادمون افندي بليبل على ادبائنا المفكرين ان يشحذوا

---

١) والكاتبان يدعوان النصيريين (ص ١٦ و١٨) زرادشتيين (Zoroastriens) وهو زعم غريب تبا فيه رأي الدكتور سمنه في كتابهِ عن سوريَّا. وقد نقلا عن هذا الكتاب آراء أخرى ليست افضل من هذا الرأي

غرب ذهنهم فيكتبوا فصلاً يعرضون فيهِ ما يعنُّ لهم من الوسائل لتعميم الاصطياف في لبنان وتحسينهِ تحسيناً حيًّا ظاهرًا ، وجعل للفائز في هذا السباق جائزة سنيَّة آهلة بالكتبة المبرّزين ألا وهي «قلم حبر مذهّب» . فنعم الاقتراح الذي نحضّ كل ادبائنا على تلبيتهِ . فانهُ اجود موضوع يمكن أدباء الوطن ان يخوضوا فيهِ

وقد راقنا هذا الاقتراح فاحببنا ان نفرد لهُ بعض صفحات المشرق ليس رغبةً في جائزة ايَّة كانت بل لمجرّد خدمة الوطن العزيز

***

وقبل كلّ يجب ان نذكر الوطنيين عموماً واللبنانيين خصوصاً بالنعمة العظيمة التي خوَّلها الله بلادَهم وقلَّما حظيَت بها غير مواطنهم . فلو طفتَ الشرق الادنى من حدود العجم والعراق شرقاً الى جهات الاناضول غرباً ومن سواحل البحر المتوسّط شمالاً الى ضفاف الفرات ودجلة جنوباً هيهات ان تجد جبلاً جامعاً لمحاسن لبنان وخواصّه الفريدة . بل قلَّما تجد في الاصقاع الغربيَّة واقاصي البلاد ما يشبههُ لاشتمالهِ على كل اوصاف المقامات الصحيَّة

فمن خواصّهِ الفريدة انهُ واقع قريباً من سواحل البحر مجاورٌ للمدن العامرة حافلٌ بالسكّان ذوي التمدُّن الراقي ذو مناطق مختلفة من سفلى ووسطى وعليا يجد فيها المصطافون ما يتوقون اليهِ من مرافق طبيعيَّة كالمزروعات والبقول والاشجار المثمرة والكروم وغابات الارز والصنوبر والعفص والشربين والانهار الجارية والمياه الصافية الباردة والهواء المعتدل النظيف منهُ البليل في الجهة المواجهة للبحر ومنهُ الناشف في الجهة المشرفة على البقاع

فهذه الخواصّ وغيرها من شأنها ان تبعث في قلوب اللبنانيين عواطف الشكر لذلك المُنعم المنّان الذي منهُ تصدر كل موهبةٍ صالحة . وقد عرف هذه النعمةَ اجدادهم الذين تمتَّعوا في جبلهم بالبنية القويَّة والعمر الطويل وكثيرًا ما تحصَّنوا فيهِ في وجه اعدائهم

وكذلك الامم السالفة قصدت لبنان لتحظى ببعض لذَّاتهِ والدليل على ذلك ما خلَّفوهُ من آثارهم البابليَّة والمصريَّة واليونانيَّة والرومانيَّة في انحائهِ فتجد في عدَّة اماكن

بقايا هياكلهم وقصورهم وقلاعهم ونقوشهم على الصخور وكتاباتهم تشهد كلُّها على اعتبارهم لهذا الجبل الجليل

وكفى بهِ فخرًا ان الانبياء كرَّروا ذكرهُ في اسفار وحيهم . فتارةً يطرئون ارتفاعهُ وعظمتهُ وتارةً يتغنَّون بمجدهِ ومحاسنهِ . وحينًا يصفون ما يكسوهُ بهِ الشتاء من بردتهِ البيضاء وما يسيل منهُ من فائض الانهار وطورًا يخصُّون بالذكر ارزهُ ونباتاتهِ العطريَّة . وقد ترجَّح انَّ السيِّد المسيح قطعهُ يوم سيرهِ من تخوم صيداء الى المدن العشر (راجع المشرق ١١[١٩٠٨]: ٨١–٩٢) . هذا وليس لبنان نعمةً لسكَّانهِ فقط بل هو ايضًا حسنةٌ مشكورة للبلاد المجاورة لوقوعهِ في وسطها على مسافة بضع ساعات منها بفضل البواخر والسكك الحديديَّة والعجلات والسيَّارات التي تُغني اهل تلك الاصقاع عن الاسفار الطويلة والنفقات الباهظة

فترى ما يجديهِ لبنان من الخيرات لاهلهِ وتقاصديهِ . وذلك كلُّهُ بفضل الطبيعة

ولعلَّ سائلًا يسأل ان كان لبنان قد جمع كل هذه المحاسن فكيف جرى انهُ بقي مدَّة اجيالٍ طويلة مهملًا خاملًا لا يسكنهُ غير اهلهِ وكاد يجهلهُ الغرباء فلم يقصدهُ غير افرادٍ معدودين منهم لاسيما في هذه السنين الاخيرة . فهذا السؤال يدفعنا الى الخوض في البحث الذي اقترحهُ الاديب ادمون بليبل . فانَّ مرجعهُ الى بيان ما طلبهُ اعني ما هي الوسائل لتعميم الاصطياف وتحسينهِ فنقول: للاصطياف شروط ان لم تتمَّ حادعنهُ طالبوهُ وأنفوا منهُ كما جرى في القرون السابقة اذ تقاضى الغرباء عن قصد لبنان لخلوِّهِ من تلك الشروط . والشروط المشار اليها ثلثة : تتناول اوَّلًا امكنة الاصطياف . وثانيًا دُعاة الاصطياف . وثالثًا اشخاص المصطافين

١ امكنة الاصطياف

رأيت ان لبنان في مناطقهِ المختلفة ومواقعهِ المتباينة بمجرَّد فعل الطبيعة يصلح للاصطياف . لكنَّ الخالق لم يشأ ان يستكمل فعل طبيعة ولذلك ترك لهمَّة خلائقهِ ان يبنوا على عملهِ ويزيِّنوا الطبيعة بما يقرِّب منافعها ويشوِّق الى اجتناء ثمارها

﴿واوَّل﴾ ما تحتاج اليهِ بلاد الاصطياف الامان التامّ لان المصطافين لايقصدون مواقع الاصطياف إلَّا لترويح نفوسهم وراحة اجسادهم بعد الاشغال المضنكة

والاتعاب التي قاسَوها في معاملاتهم وصنائعهم . وشتّان بين الراحة والقلق الذي يعلّله قلّة الامان بسبب الاضطرابات والمنازعات والقلاقل . وهذا من اخصّ الاسباب التي تمنع الاقبال على الاصطياف . ومن ثمّ لا امل لتوطيد الاصطياف وتعميمه دون قطع دابر كلّ الفتن والثورة والضرب على عضد كل من يعكر صفاء مياه السلام

ثمّ يجب المصطافون ﴿ثانياً﴾ ان تتصل امكنة الاصطياف بالمدن الساحليّة العامرة ليسهل عليهم الصعود اليها والنزول منها وذلك ممّا يستدعي فتح الطرق الواسعة المؤثّرة الخالية من خطر المنعرجات وعراقيب الجبل والاكواع . وبواسطتها تأتيهم بنظام محمولات البريد من مكاتبات ومنشورات مختلفة تجاريّة وادبيّة وصحفيّة توقفهم على اشغالهم في وطنهم وعلى الحوادث العموميّة في العالم ليحيطوا بها علماً ويتصرّفوا بموجبها في معاملاتهم

ثمّ ﴿ثالثاً﴾ يجب ان تكون امكنة الاصطياف مجهّزة ببيوت حسنة لسكنى المصطافين امّا بيوت خاصّة وامّا انزال عموميّة وفنادق تكون غالباً موثّثة باخصّ ما يحتاج اليه عموم المصطافين . فتُبنى تحت مراقبة مهندسين بارعين يحسنون تنظيم الغرف المشغل والمنام والاكل مع ديوان لاستقبال الزائرين وفتح منافذ للهواء والنور واختيار موضع موافق للطباخة وللمراحيض مع تجهيز الادوات للماء الشروب وللغسيل والاستحمام

ولهناء المصطافين يُقتضى ﴿رابعاً﴾ ان يكون في مكان الاصطياف وجواره ما يدعوهم الى التجوّل في انحاء قرية الاصطياف كالمسالك غير الوعرة والمقاهي المجهّزة بالمشروبات البسيطة والمآكل المرويّة الطيّبة وكبعض الحدائق ذات المناظر الجميلة ثمّ ينارون بالكهرباء ليلاً وعلى الاقلّ بالغاز او البترول

٢ دُعاة الاصطياف

دُعاة الاصطياف هم اوّلاً الذين يسعون خارجاً عن سوريّة الى ترويج الاصطياف في لبنان ثم ثانياً الاهلون الذين يرجون منهُ

١ لا نعرف اليوم دُعاةً لترويج الاصطياف في غير القطر المصريّ فهناك شركة منظّمة أتت بعمل خطير خدمت به الوطن افضل خدمة فلا يسعنا إلّا ان نوجّه الى

صاحبها الهمام ومديرها العام جناب حيدر بك المعلوف الشكر العميم باسمنا وباسم جميع اللبنانيين لما تولاه من انشاء هذا المشروع الجميل وتمكينه على اساس متين واستيفاء كلّ شروطه . ولم يثبطهُ عائق عن تبليغه غاية ما يرومهُ المصطافون فلهُ الوكلاء المتعددون في مصر وسائر انحاء الشام ولبنان يقومون بسائر حاجات المصطافين في ركوبهم البحر وانحدارهم الى اساكل الشام او في سفرهم برًّا في السكك الحديديّة او على السيّارات . وقد اتّفق في كل ذلك مع الشركات البحريّة والبرّيّة بحيث لا يبقى همّ لطالب الاصطياف في ذهابه وايابه اذ يجد حيثما يحلّ وكلاء شركة الاصطياف مستعدّين لخدمته فينجو من عَنَت العُتّال وقحة النوتيين وارتباكات الجمارك والمخافر مع تسهيلات لنوال جوازات الاسفار

ومن حسنات الشركة دليلها السنوي البديع تضمّنهُ كلّ المعلومات التي لا غنى عنها للمصطافين بينها المقالات اللطيفة في وصف لبنان جغرافيًّا وتاريخيًّا وادبيًّا واقتصاديًّا مع ما يزينهُ من التصاوير الجميلة

وقد يتناول اهتمام هذه الشركة الكريمة فضلًا عن مصر بلاد السودان وفلسطين . وليس بعيدًا عن همّتها ان تبسط نظرها الى العراق والجزيرة وانحاء الاناضول فتُعرف في كلّ هذه البلاد كالممثلة الرسميّة للاصطياف في لبنان فيتمّم الاصطياف ويضحي الجبل مقصد كلّ الشرق الادنى

امّا الغرباء الاجانب فتخدمهم وفقًا اناياتهم اذا قصدوا السياحات فتقدّم لهم التراجمة ليتجوّلوا معهم في انحاء الجبل وسوريّة . ويسرّنا ان نذكر احدهم الاديب لسكندر يوسف الحائك الذي انشأ سنة ١٩١٨ اوّل شركة لبنانيّة للنقل والتسفير في لبنان وسورية وفلسطين والعلويين والعراق فهذه الشركة نِعم الشقيقة لشركة الاصطياف من شأنها ان تساعد ايضًا في ترويج الاصطياف كما ان شركة الاصطياف كثيرًا ما تطيّب للمصطافين التجوّل في البلاد

٢ ولكن الاصطياف لا يتوقف فقط على الشركة التي نوّهنا بذكرها بل يترتّب ايضًا قسمٌ من واجباته على الاهلين الذين يحلّ بينهم المصطافون وفيهم يصحّ قول المثل «الجار قبل الدار» . فانّ المصطافين اذا حلّوا في مكان لا يهنأ لهم المقام ما لم يجدوا في جيرتهم قومًا يأنسون بعشرتهم فلا يعيشون بينهم كغرباء بل كأصحاب

وهذا لا يتمّ لهم إلّا اذا سعى الاهلون بالتقرُّب من المصطافين وليس الامر بالمستحيل وقد جعلت الطبيعة رابطةً حسنة بينهم ألا وهي لسانهم فانَّ اللغة العربية التي يتكلّم بها معظم المصطافين هي افضل وسيلة لتقرُّب القلوب. واذا تناجى الفريقان استفاد كلّ فريق من الآخر. فاذا احتاج المصطاف الى خدمةٍ امكن اللبنانيَّ ان يؤدّيها لهُ فيربح جميلهُ. كما انَّ اللبناني يمكنهُ ان يستفيد من معلومات المصطاف بوقوفهِ على احوال بلادهِ وربّما كان ذلك فاتحة معاملات تجاريَّة واقتصاديَّة وفنّيَّة ينتفع بها اللبناني

وممّا يجب على اللبنانيين اذا ما احبُّوا توفُّر عدد المصطافين في ظهرانيهم ان يحيدوا عن المطامع الزائدة الدنيَّة سواء كان في تأجير بيوتهم لسكنى المصطافين ام في بيع المأكولات والمشروبات فلا يتجاوزوا في كلّ ذلك القيمة الجارية بين العموم. وكذلك يتحاشى الاهلون كلّ عمل او كلام يمكنهُ ان يسبّب نفوراً للمصطافين. فعلى المدير او المختار او الشيوخ ان يتلافوا كل ذلك ويسعوا باصلاح البين بكل عدل ونزاهة

وممّا يحسن باهل القرى المضيفة للمصطافين ان يظهروا في سلوكهم ما طُبعوا عليهِ من الآداب الطيّبة وروح الدين باتمام كل واجباتهم الدينيَّة فيكونوا لهم قدوةً صالحة بها ايضاً يكسبون اعتبار ضيوفهم اذ لا شيء يؤثر في الانسان كنظر ذوي جنسهِ يؤدُّون لخالقهم بكل تُقى ما يستحقُّهُ من الاكرام والسجود. وهذا بلا شكّ احد الاسباب التي تزيد اقبال كثيرين على الاصطياف في لبنان

وقد سبقت في المشرق (٢١ [١٩٢٣]: ٨٩٨ــ٩٠٥) خواطر لمصيّف في لبنان اعلن فيها استياءهُ لما وجدهُ من الخلل في بعض مظاهر الدين سواء كان في حالة الكنائس ام في حالة الشعب الروحيَّة. وفي ملحوظات الكاتب الاديب ما يدلّ على نفور المصطافين ممّا يشاهدونهُ في بعض الامكنة من الاهمال والتغاضي. فمن الواجب اذن ان يكون للمظاهر الدينيَّة ما تستحقّهُ من النظام والرونق والبهاء

٣ً احوال المصطافين

كما انَّ تصرُّف اللبنانيين نحو المصطافين من شأنهِ ان يساعد على تعميم الاصطياف

في لبنان كذلك تُعين عليه احوال المصطافين

ليس كلّ المصطافين من اهل الصلاح والآداب الراقية. فانَّ بينهم اصحاب البطالة والطالبين للملاهي ومنهم الغُلاة في المبادي السياسيَّة والمنهمكون في الشهوات الباطلة. تراهم يقضون ايامهم ولياليهم في المقامرات والسكر والملاهي الخسيسة يطلقون العنان للسانهم في بثّ روح الخلاعة والكفر بين اهل لبنان. وينشرون الجرائد والمجلات والكتب الفاسدة. وتكتسي نساؤهم بالملابس المتهتكة

فمجيء مثل هؤلاء الى لبنان آفة على الاصطياف المادي المُربح وان نما عددهم أنِف رجال الفضل والأُسر الكريمة من قضاء فصل الصيف في لبنان فيفقد الجبل سمعتهُ الطيّبة ويحيد كثيرون عن قصده فانَّ مثل هذا التعميم الفاسد ضررٌ يؤدي اخيرًا الى الاستنكاف والأنفة ثم العدول عن لبنان

ومن ثمَّ يلزم شركة الاصطياف ان تمنع مثل هؤلاء عن دخول لبنان طاقة جهدها لئلّا يتدنَّس الجبل بمفاسدهم وتهتكهم

وكذلك الاهلون يجب عليهم ان يتحرَّزوا من الذين يرونهم قليلي الآداب مغرَمين بالقصف واللهو متشاغلين بالمقامرات. ويا ليت الحكومة اللبنانيَّة تضرب على ايدي المقامرين وتصون لبنان من هذا الوباء القتَّال

هذا بعض ما خطر على بالنا تلبيةً الى دعوة جناب المقترح مع الدعاء الى الله ان يزيد لبنان حسناً وبهاء ويجعلهُ مأوى صالحاً لكل طالبي صحَّة الجسم وهناء النفس

الاحوال الاقتصادية في سورية الرومانية

لحضرة الاب ربّه موترد اليسوعي كنشلبار بكتب الحقوق الفرنسوي

قد ظهر مؤخرًا تأليفان في التجارة واحوال سوريَّة الاجتماعيَّة في القرون الاولى من التاريخ المسيحي(١) فرأينا ان نستخلص منهما بعض فوائدهما لينتفع بها اهل سوريَّة

١) دونك عنوانها M. Rostovtzeff: The social a economic History of the Roman Empire. *In-8°, XXV-695 pp., Oxford, Clarendon Press, 1926* =

المحدثون . والتأليف الاول الذي عنوانهُ تاريخ المملكة الرومانيَّة الاجتماعي والاقتصادي مؤلفهُ احد الكتبة الروسيين الذي بعد هجرهِ لوطنهِ فراراً من البولشفيَّة امكنهُ ان يحصل في جامعات الولايات المتحدة على مركز حسن . امَّا التأليف الثاني فمؤلفهُ المستر لويس ڤست فانهُ قصرَ شغلهُ على تجارة سوريَّة الشماليَّة في ذلك العهد عينهِ والكاتب اميركي الوطن متضلع من المباحث التجاريَّة ومن التاريخ القديم معاً . فمن مراجعة هذين الكتابين يمكننا انْ نبيّن حالة سوريَّة في قرون النصرانيَّة الاولى فنذكر : ١ً ترقي البلاد واحوالها الاجتماعيَّة . ثم ٢ً زراعتها . ثم ٣ً صناعتها . ثم ٤ً تجارتها . وها نحن نستقري هذه الامور الاربعة بدلالة الكاتبين مع زيادة ايضاحات على ما لم يستوفيا بيانهُ

١ ثروة سوريَّة واحوالها الاجتماعيَّة

ان استثنينا الاحراج التي كانت تزين لبنان لم يختلف قديماً نظر سوريَّة كثيراً عن حالتها الحاضرة . وكان الرومان يُعنون بسوريَّة كلّ البلاد الواقعة بين جبل طورس وجنوبيّ فلسطين وهم يعتبرونها قبل كلّ كأرض زراعيَّة . وما كانوا يستثمرون منها المعادن اللهمَّ إلَّا حُمر الاردنَ والجصّ . وكانت المدن وقتئذٍ اوفر عدداً منها في عهدنا لاسيما في الداخليَّة لكنَّها لم تكن حافلةً بالسكَّان ما خلا انطاكية

وكانت الاملاك مقتسمةً بين كبار الملَّاكين ساكني المدن وبين المراكز الدينيَّة التي كانت تملك على ارزاق واسعة . وكان للامراء من سلالة الهيرودسيين ولقياصرة رومية ايضاً املاك وافرة في بلاد الجليل . امَّا العملة لفلاحة هذه الاملاك فلم يكونوا من العبيد كما في صقلّية ولا من المستعمرين الملازمين للتربة كما في آسية الصغرى . وانَّما كانوا أُجراء احراراً يرتزقون بخدمة الملَّاكين وكان للملَّاك قرى او مزارع يُعنى بزراعتها . فترى مثلاً في الكتابات القديمة اسماء كهذه «هذا ملك كزميانوس . . . هذه ارض حبيب» وكان الملَّاك الغنيّ يستأجر عملةً لفلاحة ارضهِ كما نصّ على ذلك السيّد المسيح في الانجيل في مثل عَمَلة الكرم الذين كانوا يجتمعون صباحاً في احدى ساحات

L. G. West : Commercial Syria under the Roman Empire (*Trans. American Philolog. Associat.*, *LV*, 1914, *pp.* 160-189

البلدة ايستأجرهم ارباب الملك

وكان اصحاب الاملاك بالغي المطامع . فقد افادنا القديس يوحنّا الفم الذهب انهم ما كانوا يرضون من شركائهم الفلّاحين بالربح الكافي مثلاً ١٢ ٪ بل كانوا يطالبونهم بالخمسين في المئة . ومن ثمَّ كان العَمَلة في القرى يكرهون سكّان المدن حتى انَّ القرويين في القرن السادس لمّا هرب اهل انطاكية من حاضرتهم خوفاً من الزلازل جعلوا يفتكون بهم ويقتلونهم

وكذلك الفلّاح في ذاك العهد كان حريصاً على المال كثير الحيلة في جمعه . وممّا اخبرهُ الخطيب ليبانيوس الشهير والمتملك الكبير في جهات فلسطين انَّ الشركاء كانوا يتّفقون مع الجنود ليتملّصوا من أداء المال الذي في ذمّتهم لارباب الاملاك . امّا شركاء المراكز الدينيَّة فكان نصيبهم أصلح وأرضى . فكانوا يقيمون اسواقاً دينيَّة (panégyries) يتقاطر اليها السكان لممارسة فرائض الدين وللمتاجرة وكثيراً ما كانت هذه الاسواق معافاةً من الضرائب الديوانيَّة . من ذلك السوقُ المقامة بقرب هيكل حصن سليمان في بلاد عكار . واهلّ السوق التي تُقام حاضراً في دير القديس جاورجيوس عند قلعة الحصن هي بقيَّة من تلك السوق القديمة

٢ الزراعة السورية ومحصولاتها

بديهيٌّ انَّ الاراضي السوريَّة كانت في عهد الرومان معتبرَة كأغنى بلادهم بوفرة الغلّات لاسيما القمح والشعير . فانَّ القطر السوري كان يستغني لإعاشة سكانهِ عن البلاد المجاورة ما لم يحصل قحطٌ يلجئهُ الى استجلاب الغلال من مصر . وكذلك كانت سورية تقوم بغذاء جيش الاحتلال الروماني . لكنَّها ما كانت تصدر الى الخارج شيئاً من غلّاتها ومن ثمَّ لا صحَّة لِما اشاعهُ بعض الغُلاة بقولهم انَّ سوريَّة وخصوصاً البقاع كانت اهراء المملكة الرومانيَّة

ومن محصولات سوريَّة الوافرة زيتُ زيتونها وخمرُها الفاخرة . فانَّ ايطالية كانت تبتاع الخمور من بيروت وطرابلس وجبيل وافامية (قلعة المضيق) وصور اعني من سائر بلاد العلويين ولبنان الحالي . وكانت خمرُ اللاذقيَّة تُرسل الى سواحل البحر الاحمر فيبدلونها بالعاج واللبان والاصباغ والدهون . ولا شكَّ انَّ خمرًا كهذه لئلّا

تفسد مع طول طريقها كانت كثيرة الكحول كالخمر اللبنانية الحاضرة المعروفة بالخمر الذهبية او كخمور بلاد الجزائر الحمراء

وكذلك ثمار سورية كانت غزيرة جداً كالاجاص والخوخ والتين يُرسل منها كميات وافرة الى ايطالية . وكان الاجاص الدمشقي يوصف كمثلين . وكان الايطاليون زرعوا في بلادهم ثلثة من اجناس التين السوري كان اصل الواحد من سورية يدعونهُ كوتانا (Cottana) والاثنين الآخرين من آسية الصغرى . ومن محصولات سورية الصادرة الى اوربة الكمثرى والحمص والفجل والبصل والفستق . وكانوا يدعون بالعسل الفينيقي نوعاً من دبس التمر او الخرُّوب

ومما راجت سوقهُ في الخارج عدة نباتات سورية منها عطور ومنها ادوية كالمصطكى والاخشاب العطرة وزيت الارز وجوز العفص والناردين والزفوت والواتينج وزهرة الكرم (œnanthe) التي كانوا يمزجونها بواحد وعشرين صنفاً من العقاقير

ويجب ان نُلحق بمحصولات سورية خيلها الشهيرة كانت رائجة السوق في مصر . وكذلك الوحوش الضارية التي كانت تتخذها رومية لألعابها العمومية . يُخبر عن الامبراطور كلوديوس انهُ كان كل سنة يستجلب من سورية عشراً من النياق تُعرض على الشعب تفكهةً . وقيل انَّ الامبراطور بروبس عرض في حلبة رومية مئة من الفهود السورية

وكان الرومان يستحبُّون ايضاً اخشاب سورية الفاخرة كالارز والبطم والعرعر وذلك قبل ان يجرَّد لبنان عن غاباتهِ الكثيفة . وكان الامبراطور ادريان قد احتكر للدولة اربعة اجناس منها كانوا يعمّرون بها سفنهم . وكان السوريون يتعاطون ايضاً التخاسة لخدمة الرومان في قرون رومية المتأخرة وانما كانوا يربُّون العبيد ويفقّهونهم ليخدموا اما كمصارعين واما كممثلين في المسارح . وكانت مدن سورية تقتسم هذه التجارة الدنيئة . فكانت اللاذقية تُعنى بتعليم العبيد القروسية . وصور وبيروت بفنّ التمثيل . وغزة بالموسيقيين . وبعلبك بنفخ الشبابات . والقيصرية بفنّ الرقص . وعسقلان بالصراعة

وكانت كل هذه السلع تصدر من القطر السوري . وكانت المرافئ السورية ما

خلا ذلك توسق بضائع اخرى تأتيها من البلاد الاجنبيّة تنقلها القوافل من البحر الاحمر وجزيرة العرب على طريق بترا وحوران الى صيداء وبيروت . وكذلك محصولات العجم والعراق والهند حتى الصين كانت تأتيها على طريق تدمر الى انطاكية واللاذقيّة . فمن هذه السلع ما كان يجتاز في سوريّة ممرًّا اخصُّها الاقاويه والعقاقير واللبان والمصنوعات الصبغيّة والدهونات والعطور . وكان اكثرها رواجاً عطرٌ هندي كان يرسل على طريق البحر الاحمر وجزيرة العرب يدعونهُ «مالوباثروم» كانوا يشمّون رائحتهُ وقد زعم احد علماء الالمان انَّ هذا المشموم هو الذي شاع استعمالهُ قبل ثلثين سنة ويدعى بتشولي (patchouli) وفي تجديد شيوعهِ ما يثبت قول سليمان النبيّ ان ليس جديدٌ تحت الشمس

وكان بين السلع المذكورة قسمٌ آخر يستفيد منهُ السوريون في صناعتهم كما سترى

٣ الصناعة السوريّة في عهد الرومان

﴿ الحرير والقطن ﴾ كان الحرير يُنقل الى سوريّة من الصين والقطن من الهند وكان اوّل دخول بزر القزّ الى سورية في القرن السادس بواسطة بعض الرهبان المرسلين ولعلّ القطن احدث عهداً في الشام . وكان صَنعة صور وصيداء وبيروت يعمدون الى الحرير الخام فينقّونهُ ويصبغونهُ . اخبر لوسيانوس الفيلسوف انَّهُ كانت تُباع في رومية حرائر منسوجة في الصين كان عَمَلة مصر نقّموها حتى اصبحت شفّافةً . وكانت هذه الحرائر تُزركش بالذهب فتباع بأثمان غالية الى ان صدر امر القياصرة باستحضار هذه المنسوجات في المعامل الامبراطوريّة . فاصاب السوريّين بهذا الاحتكار ضررٌ عظيم بعد رواج مصنوعاتهم في كلّ انحاء المعمور »

﴿ الاصواف السوريّة ﴾ ما كانت سوريّة لتحتاج الى موادّ صناعتها خارجاً عنها فكان الصوف لديها متوفراً في غاية الجودة وتنبت تربتها نبات الصابونيّة لتبييض جزّتهِ . وكانت صناعة الغزل شائعة في انحاء البلاد حتى انَّ سيّدات تدمر كنَّ احياناً يتصوَّرن وفي ايديهنَّ مكبّ الغزل ولعلّهنَّ فعلنَ ذلك تشبُّهاً بتمثال الالهة السورية المنصوب في منبج . ويروى عن الغوازل السوريّات انهنَّ اخترعن بعض التحسينات في اصطناع المِبرَم

﴿ الارجوان ﴾ وكان السوريون يستنبتون الكتّان ايضاً ثمّ تخصّصوا بعد قليل باستحضار الصوف والكتّان مصبوغَين بالارجوان . وقد استخرجوا صبغ الارجوان من دودة اصداف كان اهل صور يصطادونها على سواحل الشام والبحر المتوسط تدعى مورکس (murex) فكانوا ينقعون تلك الاصداف ثم يغلونها فتنبعث منها روائح كريهة لا يكترثون لها لما يحصلون عليهِ من الارباح الطائلة . فان ليبرةً (نصف كيلو) من المنسوجات الارجوانيَّة البنفسجيَّة اللون كانت تساوي في عهد اوغسطس قيصر مئة دينار اي نحو ١٨٠ فرنكاً ذهباً من نقودنا الحاليَّة . ثمّ غلبها الارجوان الاحمر المصنوع في تارنتي (ايطالية) ثمّ شاع بعدهما الارجوان المضاعف الصبغ (dibapha) الشبيه بلون عبيط الدم الاحمر المتلمّع بسواد الذي بلغ ثمن ليبرتهِ الف دينار (١٨٠٠ فرنك ذهباً) . وقد فاق صبّاغو صور بحذقهم على سواهم في صيداء وصرفد ودورا وقيصريَّة

﴿ الزجاج ﴾ ومن الصنائع التي اصاب فيها السوريُّون قصبة السباق الزجاج . ولم يتّفق العلماء حتى يومنا عن مخترعي الزجاج ونفخهِ . والمرجَّح انَّ الفضل في ذلك للمصريين الّا انَّ الفينيقيين تعاطوهُ بعد اختراعهِ بزمن قليل وزادوا في تحسينهِ . وكانت صيداء في العهد الروماني مركز صناعة الزجاج . ومن آثارها اقداحٌ زجاجيَّة صغيرة شفَّافة كتب عليها صنّعتها اسماءهم باليونانيَّة وأضافوا اليها هذه الوصاة «تذكر ايها المشتري هذا الاسم» . وكان يصطنع الزجاج عددٌ عديد من العملة فتوفَّرت الآنية الزجاجيَّة حتى انَّ قدحاً للشرب كان يباع بنقود نحاسيَّة . وكان الصَّنعة يتفنَّنون في استحضار الزجاج وطرائق نفخه عند اتّقادهِ على قوالب شتى ليرغبوا باشكالها الزبائن

وقد وجدوا عدداً وافراً من زجاج صيداء في عدَّة بلاد حتى شواطئ نهر الرين والبحر الاسود . ومن خواص هذا الزجاج انهُ كان اذا بقي مطموراً مدَّة في الارض تلوَّن بألوان زاهية ذهبيَّة وفضيَّة يتزاحم اليوم في اشتراء قطعهِ الاثريون في اوربَّة واميركة

﴿ المعادن ﴾ ولم تُحرم سورية من الصناعة المعدنيَّة . نعم ان هذه الصناعة لم تبلغ ما بلغتهُ في عهدنا للاشغال العموميَّة والابنية وسكك الحديد ولكن كانت كافية لحاجات الاقدمين فيصطنعون ضروب الادوات والاسلحة التي كانوا يبيعونها في مخازنهم البعيدة وفي المدن الداخليَّة على حدود البادية لمنفعة الاعراب وكان لصيداء نقابة لصنعة الاسلحة والسكاكين . وكانت رومية اتّخذت لها في انطاكية معملاً كبيراً

لاسلحتها. وكان فيها ايضاً وفي تدمر معمل لاصطناع المصوغات الجوهرية . وكانت تدمر تتاجر بالمصوغات وتنقل جواهر العجم الى اليونان والى البحر الاحمر. وكان لانطاكية شهرة بعيدة بما تصطنعهُ من الاقداح والآنية الفاخرة بنقوش مختلفة منقورة او ناتئة او مقعَّرة. ولمَّا انتصرت النصرانيَّة على الوثنيَّة كان المرجع الى انطاكية لاصطناع آنية الكنائس من كؤوس وصواني وصحون وقناني للزيوت المكرَّسة والميرون. وقد انتشرت هذه الاوعية في سائر الكنائس حتى في قبرس وتراقية وكان لحوران صاغة وجوهريون خصوصيون. وهاجر كثيرون من السوريين الى البلاد الاجنبيَّة وتعاطوا فيها اشغالهم وصاغوا الذهب والفضة وكان في مدينة ليون رقَّام من مرعش (barbaricarius) يرقم الانسجة ويرشيها بالمعادن الثمينة . وكذلك كان في رومية صانع يستحضر الجواهر الثمينة (gemmarius) اسمهُ البيوس تيم الله (L. Albius, h. l. Thaemalla) ما يدلّ على اصلهِ العربي

٤ التجارة

فترى انَّ السوريين كانوا يهاجرون ايضاً في تلك الازمنة البعيدة إلَّا انَّ المهاجرة كانت محصورةً ويعمد اليها التجارُ الاغنياء الاحرار وبهاتين الصفتين كانت تختلف عن المهاجرة الشائعة في عهدنا. فكان تجار كبار من السوريين يقطعون البوادي ويسيحون في انحاء الممالك الرومانيَّة فتراهم في مراكش وانكلترَّة والقفقاز وفي مدينة قبطس على طريق الهند من جهة البحر الاحمر . ويلوح من احتلالهم في هذه المراكز انهم يُحسنون انتخاب البلاد الرائجة الاسواق الكثيرة الاعمال فتارة يحلُّون في المرافئ الحافلة بالسكَّان ويتَّخذون المخازن الكبيرة. واذا اخذتْ سوقٌ في الكساد انتقلوا الى غيرها اوفر منها ربحاً . فانَّ الآثار تشهد على وجود اهل بيروت وصيداء وغيرهم في القرن الاوَّل والثاني للمسيح في ديلوس (اليونان) وفي مالقة (اسبانية) ولعلَّهم هناك اشتركوا مع المعدنين في المناجم الفضيَّة وكذلك نجد اهل صور وبيروت في اوَّل عهد الامبراطرة في مدينة پوزُّولة مرفإ رومية ثمَّ انتقلوا الى مرفإ اوستية لمَّا غلب على مرفإ پوزولة. وكان لهم في عاصمة الرومان حيٌّ خصوصي ومستعمرات في مدينتي آكويلا وراڤنة في اقصى شواطئ البحر الادرياتيك حيث كانوا يتاجرون مع اهل

جرمانية واعالي نهر الدانوب . واستوطنوا مدينة ليون عاصمة غالية التجارية واقترنوا بالزواج مع اهلها . ومنهم من سار الى مدينة تريف على شواطئ الرين بل بلغوا الى قارنة عند رأس الدانوب . ولمّا اصبحت القسطنطينية حاضرة المملكة اسرع نشطاء السوريين فاحتلّوها وكان لاحدهم بطرس برسيا مصرف بقرب البلاط الملوكي ثم دخل بين حرسه حتى نال الحظوة عند الامبراطورة ثاودورا زوجة يوستنيان الملك

وكان السوريّون اذا استوطنوا مدينة اقاموا لهم محلًّا او خانًا كانوا يجعلونهُ مستودعاً لبضائعهم فيه منازلهم مع معبد يعبدون فيه آلهتهم الوطنية . ففي خان مدينة بوزُولة نذر تاجران سوريّان بعيرَين صغيرَين من الشَّبَه للاله دوساري (ذي شرى)

فما سبق يتحصَّل انَّ السوريين كانوا أحسنوا تنظيم تجارتهم . ولكن الى أي درجة بلغ ذاك التنظيم ؟ أيا ترى عرفوا شيئاً من التسهيلات الجارية في عهدنا لرواج تجارتهم مثلاً النسأة التجارية (crédit bancaire) او شركة المشروعات ؟ فالجواب على ذلك بالايجاب فاننا نشرنا في المشرق (٢٤[١٩٢٢] : ١٩٠ــ٢٠٠) كتابةً لصرّاف بيروتي كان مقيماً بقرب هيكل عشترت معبودة المدينة . وكذلك اثبتت الآثار الكتابيَّة وجود صرّافين سوريين في جبيل وراثنة وفي القسطنطينية وانطاكية . لكنَّنا لم نجد اثرًا للشركات التجاريَّة تعقد لمباشرة اعمالٍ ما تكون ارباحها وخساراتها مقتسمة بين المشتركين أللهمَّ الّا في مدينة تدمر

وما لا شكَّ فيه ان ثروة سوريَّة وخصبها كانا اعظم في ذلك العهد منها في عهدنا . وكفى بذلك عبرة للمعتبرين . فان اراد السوريّون ان يحسّنوا امورهم فعليهم قبل كلّ ان يهتمّوا بالزراعة ويستفيدوا من الاختراعات الحديثة لذلك . فمن الواجب اذا ارادوا زرع الحبوب ان يبالغوا في الفلاحة وتجديد التربة ثمَّ ينتخبوا اجود الحبوب ويُعنوا العناية الواجبة في تسميد التربة بالسمادات الكيماويَّة فيمدُّوها في السهول الداخليَّة . ويجب على اهل لبنان وسكَّان الجبال ان يستحضروا الثمار اليابسة والنباتات الطبيعيَّة بقرب اشجار التوت . أفلا يستطيع اللبنانيّون ان يُجاروا سكَّان آسية الصغرى بتجارة الاثمار اليابسة وعطر الورد ؟ ما لهم لا يصطنعون باثمارهم المربّيات مع ما يرد سوريَّة من كميَّات السكَّر فيستغنون بذلك عن المربّيات الاجنبيَّة الغالية

الثمن . وكذلك الخمر اللبنانيَّة فلو استحضروها كأجدادهم امكنهم تصديرها الى الخارج دون فسادها

وعلى هذا المثال عدَّة صنائع قديمة اصابها الخمول لعدم اتقانها كما في العهد السابق كحياكة الحرير والطنافس وتطعيم الآبنوس ونقش الزجاج الذي يهتمّ في تجديده حاضراً المعهد الفرنساوي في دمشق . فعلى افراد التجار والشركات الوطنيَّة ان يسموا باعمال رابحة برؤوس مالهم فيخففون هكذا عن عاتق الحكومة التي تعجز وحدها عن القيام بعدَّة مساعي فيخدمون وطنهم ويحرزون لهم ثروةً طيبة .

الآداب العربيَّة

في الربع الاول من القرن العشرين

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

البحث الثاني

نظر عامّ في الآداب العربية حاضراً

تتبَّعنا في دروس سابقة ثلاث حقب الربع الاوَّل من القرن العشرين ورأينا ما طرأ على الآداب العربية من التأثير والتقلُّب بدواعي احوال العصر من حرِّيَّة مقيَّدة وحرِّيَّة دستوريَّة وانضغاط لسبب الحرب الكونيَّة والتحرُّر التام بعدها

فما بقي علينا إلَّا أن نلقي رائد البصر الى العالم العربي الحاضر لنرى اجمالًا حالة آدابه الحاضرة وما يُرجى منهُ لمستقبل هذه الآداب

كان حقُّنا ان نباشر بحثنا هذا بعهد اللغة العربيَّة اي جزيرة العرب . أيستفاد من نجدها ومجازها ويمنها شيء لنهضة الآداب العربيَّة ؟ فنجيب بكل أسف إنَّ مقامها في عالم الادب غاية في الخمول . فانَّ مدارسها وصحافتها ومنشوراتها لا يُعبأ بها . ولا

تنكر انَّ في حواضرها بعض العلماء المتفقهين إلّا انَّ آثار اقلامهم زهيدة مجهولة . ولا تخلو مكة والمدينة وصنعاء من مخطوطات عربيَّة نادرة وانَّما هي مطمورة متروية في بعض زوايا المساجد او بيوت الخاصَّة يقرضها العثّ والأَرَضة ويتلهَّف على فقدها العلماء وحتى الان لا تلوح لنا بارقة امل في تحسين تلك الاحوال وخروج البلاد من سِنَتها وجمودها الادبيّ

لكنَّ نظر مصر ورقيّها في سلم الآداب يبهج النظر ويسرّ القلب . فانَّ عظمة ملكها فؤاد الاوَّل ووزراءها وعلماءها الأَعلام من وطنيين وأَجانب يتناصرون في تعزيز الآداب العربيَّة في القطر المصري عموماً وفي القاهرة خصوصاً . فالمدارس زاهرة وسوق الآداب نافقة والصحافة راقية والمطبوعات العربيَّة متوفرة . وهناك الجامعة العربيَّة والمكاتب الحافلة بالآثار القديمة والمخطوطات العزيزة الوجود بعضها في المكاتب العموميَّة وبعضها عند الخاصَّة ذوي الهمَّة القعساء

على انَّ هذه النهضة المشكورة لم تبلغ غاية ما يؤمَّل من نشاط ذويها وتوفُّر اسباب نجاحهم . فانَّ لديهم كنوزاً من آثار القدماء لم تزل دفينة . ومع تحسُّن الطباعة المصريَّة مادّيًا لم تتحسَّن كثيراً بالصورة والمضامين والشروح وتصحيح الروايات والفهارس الخ فانَّ منشوراتها بعيدة عن اتقان المستشرقين لكتبهم

امَّا مطبوعات مصر الحديثة فانها تحسَّنت من جانب حروف الطباعة واتقان الطبع وجمال الصور وصقالة الورق لكنها غالباً قليلة الجدوى فانَّ بينها قسماً كبيراً للروايات الخياليَّة التي يعرّبونها عن اللغات الاوربيَّة ومعظمها ضررهُ اكبر من نفعهِ لما يغلب عليها من وصف الحوادث الغراميَّة وتهييج الشهوات الباطلة . ومنها قسمٌ آخر اخلاقي اجتماعيّ سياسيّ هو ايضاً منقول عن كتب الغرب بينهُ الغثّ والسمين فينشرون آداب الفرنج دون الاحتياط اللازم اذ ليس كل احوال اوربَّة تصلح لاهل الشرق

وامَّا الكتب العلميَّة فانها قليلة الرواج بين العموم ما عدا بعض التاليف التاريخيَّة القريبة المنال غير الواسعة الجامعة . على انَّ بعض المجلَّات لاسيما التي ينشئها اهل الشام كالمقتطف والهلال لا تستنكف عن الفصول العلميَّة الراقية . والمقالات الاجتماعيَّة والفلسفيَّة لولا بعض تطرُّف في الآراء . امَّا العلوم الدينيَّة فهي محصورة بالعلوم الاسلاميَّة التي اخذ البعض في انتقادها دون التحرُّز الكافي والاعتدال المرغوب . وتتعاطى

الارساليات الاميركية الابحاث الدينية المسيحية تشوبها مسحة من الآراء البروتستانية

امّا ﴿السودان﴾ فلا تكاد تفيد شيئاً الآداب العربية لقلة عناية اهلها بأمور العقل. وانما أُنشئت في الخرطوم مطابع لنشر بعض الجرائد وتآليف بسيطة

ويجاري ﴿القطر السوري﴾ وادي النيل في مساعيه المشكورة لخدمة الآداب العربية . ففيه المدارس العليا والثانوية والابتدائية لا تكاد تخلو من بعضها ناحية من بلاد الشام. ففي بيروت ودمشق الجامعات الكبرى للعلوم الطبيعية والهندسة والطب والحقوق. وفيها ايضاً كما في صيداء وطرابلس وحلب وزحلة والبترون وجبيل وجونية ودير القمر مدارس ثانوية بعضها للذكور وبعضها للاناث. امّا المدارس الابتدائية فلا يضمّها احصاء في كل قرى الجبل وكافّة سورية وذلك بفضل الانتداب الفرنساوي الذي يبذل المجهود في تعميم التعليم. وقد يقوم بهذه المهنة الشريفة رجال من ذوي المقدرة منهم رهبان ومنهم علمانيون . وكذلك مدارس البنات تتولّاها بعض المعلّمات العلمانيّات وبالاخص راهبات من جماعات رهبانية مختلفة كراهبات المحبّة وراهبات قلبي يسوع ومريم وراهبات مار يوسف وراهبات الناصرة وراهبات العائلة المقدّسة وراهبات بيزنسون. على ان بعض مدارس الذكور الابتدائية تحتاج الى مراقبة وحسن تدبير. ولذلك فكّرت الحكومة في فتح دار للمعلّمين يتخرّجون فيها لادارة المدارس وللآباء اليسوعيين في تمنايل دار من هذا الصنف اتت بثمار طيّبة

وسورية غنيّة ايضاً (بالمطابع) التي قد تعدّدت في المدن والقرى معظم شغلها في نشر الجرائد والمجلّات التي تنيف على المئتين . اخصّها في المدن لاسيما في بيروت ودمشق وحلب وطرابلس وصيداء وحمص وحماة ولا تخلو منها نواحي الجبل وقراها كزحلة والدامور ودير القمر وبيت شباب وجونية وجزين واعبيه وعاليه. واغلب منشوراتها جرائد سيّارة ليس بينها إلّا القليل مما يستحقّ الذكر ويفيد الآداب كلسان الحال والبشير والوطن والبرق والمقتبس والف باء والعلم والزهور والصفا

وارقى منها المجلّات كمجلّة المجمع العلمي في دمشق والعرفان في صيداء والمشرق والكليّة والآثار الشرقيّة والحارس والمعارف والمجلّة الطبيّة العلميّة ورسالة قلب يسوع والنشرة الاسبوعيّة والمعرض والبيان في بيروت والآثار في زحلة والمباحث في طرابلس يحرّرها غالباً قوم من افضل حملة الاقلام. لكنّها لا تزال تحتاج الى ترقٍّ

لتجاري المجلات الاوربيّة التي يحرّرها الاختصاصيّون ولاسيما في القسم العلميّ والاثري كما ترى في مجلة (Syria) او في مجموعة المكتب الشرقي او كليّة القديس يوسف (Mélanges de l'Université St Joseph)

وممّا يبعث الأمل في حسن مستقبل الآداب العربيّة ما أُنشئ من الجمعيّات لخدمتها كالمجمع العلميّ في دمشق وكنوادٍ ادبيّة للشبيبة فيها وفي بيروت وحلب وحماة وطرابلس. فانّ الناشئة تزيد اقبالاً على الآداب اذا انتظمت في سلك جمعيّات تجد اصحابها حريصين على الرقي والنجاح يتمرّنون على الكتابة والخطابة ويلقون المحاضرات في الابحاث العلميّة او المسائل الاجتماعيّة

وكذلك قد توفّرت الوسائل لاستقاء المعارف وتعزيز الآداب بتوفر المطبوعات المختلفة كالتواريخ العموميّة والخصوصيّة وكالدواوين الشعريّة والتآليف المدرسيّة والمصنّفات الادبيّة واللغويّة. وها قد تمّت الطبعة الجديدة من المُنجد بعد توسيعه وتكميله وينتظر قريباً معجم الشيخ عبدالله البستاني وغير ذلك من المنشورات المفيدة

وممّا يُساعد على رقي الآداب خزائن الكتب الجامعة للتآليف القديمة والحديثة. ولبيروت فضل كبير في ذلك وفيها أُنشئت اوّل مكتبة عموميّة بهمة رجل الفضل والادب الفيكنت فيليب دي ترّازي . وفي الكليّتين اليسوعيّة والاميركية مكاتب واسعة يقصدها الكلفون باحراز العلوم

ومن الاقطار التي تستحقّ الذكر بعد مصر وسوريّة ﴿العراق﴾ فانّ بغداد مدينة السلام لا تستطيع ان تنسى ماضيها اذ كانت مركز الحركة العلميّة في عهد الخلافة العبّاسيّة. وانّما أُصيبت في العهد التركي بخمول عظيم على الرغم ممّن اشتهر فيها من الادباء كالألوسيين وغيرهم

لكنّ دولة العراق الجديدة ساعيةٌ في سدّ هذا الخلل فترى فيها حاضراً نهضةً جديدة يتناصر في تعزيزها ارباب الدولة مع أُدباء المسلمين والنصارى . وقد تحسّنت المدارس وتعدّدت المطابع وترقّت الصحافة ونُشرت الكتب في الفنون المختلفة مايدلّ على انّ العراق افاق من سنته . امّا ﴿الموصل﴾ فانها بعد فقدها لمطبعة الآباء الدومنيكان تحتاج الى وسائل جديدة لتنهض من كبوتها . وانّما مدارسها تُنبئ بتحسّن محسوس . ومثلها البصرة . ولعلّ النجف وكربلاء اقرب اليوم منهما الى احراز المعارف (لهُ بقيّة)

مطبوعات شرقية جديدة

Mousset (Albert): LE ROYAUME SERBO-CROATO-SLOVÈNE. son organisation, sa vie politique et ses institutions. *Paris, Bossard*, 1926, 8° 12° éd., 170 *pp*, 44 *photogr.*

المملكة السربيّة الكرواتيّة السلوفنيّة

ظهر هذا الكتاب السنة ١٩٢١ وها هو قد بلغ طبعتهُ الثانية عشرة. وانما اصاب هذا الرواج لوقوف كاتبهِ على كلّ احوال البلاد التي حاول وصفها اذ قضى فيها سنين عديدة من عمرهِ. ثمّ لا يزال يحسّن تأليفهُ ويضيف اليهِ معلومات جديدة فضلاً عمّا يزينهُ من التصاوير البديعة. وانشاء الكاتب كثير التفنن وهو يرى انّ البلاد السربيّة الكرواتيّة السلوفنيّة لوحدة اصلها الصقلبي يمكنها ان تتّفق رغماً عمّا بينها من النزعات القوميّة. وبياناً لذلك قد خصّ عدّة فصول من كتابهِ بحث فيها عن احوال تلك المملكة من حيث السياسة والتاريخ والآداب والدين. وهو يُعدّ قسماً ثانياً سوى يبحث فيهِ عن الطرائق الاقتصاديّة في يوغوسلافية. وهذا الكتاب افضل ما كتب الى اليوم عن تلك الاقطار ج. لوفنك

H. S. Blunt: GUM ARABIC with special reference to its production in the Sudan. *Gr.* 8° 1926, *London, Humphrey Milford*, Oxford, *University Press.*

الصمغ العربي واستثماره خصوصاً في السودان

مؤلف هذا الكتاب هو ناظر غابات دولتهِ في السودان وقد جمع فيهِ لفائدة الحكومة كلّ المعلومات المختصة بالصمغ العربي هناك. وكل يعلم انّ محصولات هذا الجنس ارباحها وافرة في السودان وخصوصاً في اقليم كردفان. وتأليفهُ هذا نهاية في الضبط لم يَفُتهُ شيء من الافادات عن وصف شجرة الصمغ وهي من جنس الاكاسيا (acacia varek) وعن بيان محصولاتها وتجارتها واسواقها. ويزين الكتاب صور عديدة مع خارطة تبيّن معدّل ما يسقط هناك من المطر. فيا ليت حكومتي سوريّة وفلسطين تجهّزان لنا كتباً مثل هذا عن اشجار هذين القطرين ج. ل

Abbé Dibildos, directeur de l'Ecole Bossuet. UNE ÉDUCATION CHRÉTIENNE EN PLEINE VIE. *in*-12, 1926, *Paris, Bloud et Gay.*

التربية المسيحيّة الحيّة

انّ مدارس الحكومة في فرنسة لحيادها عن الدين تعرّض الناشئة لاخطار عديدة اخصّها فقدهم للايمان. فلمعالجة هذا الداء انشأ الكاهن ديبلدوس مدارس خارجيّة في باريس وليون دعاها باسم «مدرسة بوسويت» يهتمّ بتهذيب التلامذة بعد حضورهم مدارس الحكومة وقد ظهرت فوائد هذه المدارس التي يشكرها الاهلون ويجعلون فيها اولادهم فيخرجون منها مهذّبين عقليًا بعلوم الحكومة وادبيًا بآداب الدين المسيحيّ. فيا ليت الذين يطنطنون في الجرائد باطراء المدارس العلمانيّة يتصفّحون هذا الكتاب ليقفوا على اضرار التعليم اللاديني وفوائد التربية المسيحيّة

La pensée française au XVIII° siècle par Daniel Mornet, *in*-16, *Paris*, 1926, *Collection Armand Colin*, *n*° 81

الفكر الفرنساوي في القرن الثامن عشر

قد صنّف كثيرون تآليف في وصف الآداب الفرنسويّة في القرن الثامن عشر. لكنّ المصنّفات في تعريف الفكر الفرنساوي قليلة. فمؤلف هذا الكتاب قد خصّص دروسهُ في مدرسة السوربون لهذا الموضوع فتتبّع الفكر الفرنساوي في مظاهره المختلفة في ذلك العصر وفي مشاهيره وهذا ملخّص تلك الدروس. فهو يعرض نتيجة ابحاثه دون ان يبدي فيها حكمًا فيدع للقرّاء ان يستخلصوا من مروياته ما يرونهُ اقرب الى الصواب. ومن هذا يتّضح ان الكتاب مع صحّة معلوماته كبقيّة التآليف التي ينشرها «ارمان كولين» لا غنى لهُ عن دليل يرشد القارئ الى الحكم الصحيح ج. ل

Hubert (René). Le principe d'autorité dans l'organisation démocratique, *in*-16, 1926, *Paris, J. Gamber*

مبدأ السلطة في النظام الديموقراطي

انّ المجلّة السياسيّة الفرنسويّة والاجنبيّة التي ينشرها المسيو غمبر تُعنى ايضًا بنشر بعض التآليف السياسيّة المختصّة باحوال فرنسة ونظامها الدستوري. منها هذا الكتاب الذي يبحث فيهِ المؤلف عن التوفيق بين النظام الديموقراطي ومبدأ السلطة. فتراهُ

يخبط في ذلك خبط عشواء لعدم رجوعه الى مبادئ راهنة كان يمكن ان يجدها في التعليم المسيحي لولا تجرُّده عن الدين. فانَّ الثورة الفرنسويّة بوضعها اصل السلطة في الشعب فتحت باباً واسعاً لكل الفتن. والمؤلف قد احسَّ بهذه النتيجة ويسعى بسدّ الخلل بنسبته للمجتمع البشري حقوقاً ليست للافراد إلّا انهُ لا يستطيع ان يحلّ هذا المشكل الكبير حلًّا وافياً فيلتجئ الى السفسطة والتمويه في الكلام

Alexandre Belis: La critique française à la fin du XIX° siècle, *in*-8°, 1926, *Paris, Gamber*.

الانتقاد الفرنساوي في اواخر القرن التاسع عشر

اربعة من الكتبة الفرنساويين قد اشتهروا في اواخر القرن التاسع عشر بفنّ الانتقاد اعني فرديناند برونتيار (F. Brunetière) اميل فاغه (Em. Faguet) جول لوماتر (J. Lemaître) واناتول فرنس (A. France) لكنهم قد اختلفوا في طريقتهم الانتقاديّة. فانتقاد برونتيار هو خصوصاً تعليميّ وانتقاد فاغه تحليليّ. وانتقاد الاخيرين احساسيّ. على انَّ هذا الفنّ كثيراً يختلف مع اختلاف المنتقد بتهذيبه وعواطفه واميالهِ لكلّ منهم قاعدة يجري عليها في انتقادهِ مع مراعاة الاحوال وحسن الذوق. وهذا الفنّ لا يزال في الشرق ضعيفاً فيحتاج الى من يُحسن النظر في تعريف المنشورات الادبيّة فيبيّن ما فيها من المحاسن والمساوئ بكل نزاهة دون مراعاة الوجوه وغرض شخصيّ ج. ل

L'Empereur Julien: Œuvres complètes. I. 1: 2 Lettres et fragments, Texte revu et traduit par J. Bidez. *Paris «Les Belles Lettres»*, 1924, *in*-16, *XXIV*-258 *pp. doubles*.

مجموعة اعمال الامبراطور جوليان

المسيو بيده استاذ في جامعة غانْد في بلجكة وهو احد العلماء البلجكيين الذي أُغري مع المسيو كومون (Cumont) بتأليف يوليانوس قيصر المعروف بالجاحد. وكان كلاهما نشر سنة ١٩٢٢ ما يحتويهِ المجموع الحاضر من الرسائل والمقاطيع. وليس هذا المجموع الجديد سوى طبعة ثانية لتلك الآثار وانَّما نصوصُها مصأحة ومحسَّنة تصحيحاً ترجمتها الى الافرنسيّة مع مقدّمة عموميّة وملحوظات عديدة مفيدة

جدًّا . وقد تبع المؤلف في ترتيبها سياق السنين فيروى رسائل القيصر التي صنّفها في غالية ثمّ في ايليرية وفي القسطنطينيّة ثمّ في بلاد آسية الصغرى وانطاكية حتى مدينة منبج اعني الى قريب زمن محاربة يوليانوس للفرس وموته في تلك الحرب . انّ الكتبة العصريين قد تهوّسوا بذكر يوليانوس يبلغ مجموع تآليفهم عنهُ مكتبةً كبيرة . وغاية ما ينتج من كتاباتهم انّهُ لا بُدّ من تلطيف بعض احكام الكتبة النصارى في حقّهِ لكنهُ لايزال رجلًا ممقوتاً شبيهاً بالملحدَين ڤولتير ورينان . ومن غريب اعمالهِ انّهُ اراد ان يقتدي بالمشروعات النصرانيّة مع تديُّنهِ بالوثنية . وعندما يطرئ الكتبة العصريّون تآليفهُ الادبيّة وغرامهُ بجمال الاديان القديمة وافكارهُ الحُرّة الشبيهة بافكار بعض الاحرار في عصرنا عندما كان يتهكّم بالنصارى انّما يبرح عن ذهنهم انّ هـذا الرجل شطّ شططاً عظيماً اذ حاول تجديد الدين الوثني ذاك الامر البعيد من العقل والصحّة . وقد استحسنّا هذه الطبعة الجديدة والترجمة الفرنسويّة التي راجعها المسيو كومون والمسيو برمانتيار . ولا شك انّ هذا الكتاب سيصيب نجاحاً في عالم الادب . س . ر

Edmond Pottier: 1°) LE DESSIN CHEZ LES GRECS D'APRÈS LES VASES PEINTS. 46 pp. in -16, 16 pl. phototyp., «Les Belles Lettres», Paris, 1926.2°) = L'ART HITTITE. 1er fasc., 100 pp., in-4°, 121 fig., Geuthner, 1926

الرسم عند اليونان على الآنية المنقوشة - الصناعة الحثيّة

الكتاب الاوّل طبعةٌ مجدَّدة محسَّنة لدرس سبق نشرهُ سنة ١٨٩٧ وهو من جملة مجموعةٍ تُنشر تحت حماية شركة غليوم بودي (G. Budé) تحت عنوان « العالم اليوناني » . وهو في نهاية الحسن في جنسهِ وذلك لسببين الاوّل لان مؤلفه اقدر من سواه على تصنيفهِ لما سبق لهُ من التآليف في معناه . والثاني لأنهُ يتضمّن تحت حجم صغير مقالةً مستوفية مكتوبة بابلغ انشاء تستهوي قارئها بما تحتويهِ عن صناعة الرسم عند قدماء فخّاري اليونان . ومن المعلوم انّ المسيو پوتييه هو من اعضاء مكتب فرنسة وناظر معهد الخزفيّات القديمة في متحف اللوڤر ويُعتبَر كاكبر اختصاصيّ في فرنسة في معرفة الآنية اليونانيّة التي نشر لوائح مجاميعها على صورة بديعة . وهو اليوم يترأس اللجنة الموكول اليها مجموع الآنية (Corpus Vasorum) . وكل ذلك ممّا لا نعهد لهُ

شبيهاً في العربيّة . وهذا ما يدفعنا الى التوصية بهذا الكتاب لقرّائنا ونحن نتمنى ان يقوم احد ادباء الشرق بتعريبهِ . والالواح التصويريّة غاية في الحسن

امّا الكتاب الثاني الذي في يدنا منهُ قسمهُ الاوّل فقد ظهر بتمامهِ في مجلة (Syria) التي لا يجهلها قرّاؤنا الشرقيّون . والمؤلف قد فكّر بوضعهِ هذا التأليف في السوريين خصوصاً ليبيّن لهم انّ الصناعة الحثيّة تنتظم اليوم في سلك بقيّة المراكز المتمدّنة كبابل ومصر واليونان الخ وانهُ يجوز للشرق السوري ان يفتخر بصناعتهِ القديمة . والكتاب جامع شامل لوصف كل الآثار الحثيّة المعروفة من بوغاز كوي الى آثارهم في حمص وستجيرلي وسقجه كوزي . وهي مصوّرة امّا بتصوير الريشة او نقلاً عن صور شمسيّة . ونتيجة هذه الابحاث انّ الصناعة الحثيّة التي كان العلماء الى هذه الازمنة الاخيرة يعدّونها كصناعة منوطة بالصناعة الاشوريّة هي حقيقةً اقدم منها لا بل هي قد اثّرت في صناعة اشور ونالت منها الصناعة اليونانيّة قسماً صالحاً . ونحن ننتظر بفروغ الصبر بقيّة هذا الكتاب الجميل الذي يفتتح اوّلهُ بمختصر تاريخ الحثيّين س . ر

THE HISTORY OF SAINT JOSEPH CHURCH, Olean, New-York

تاريخ كنيسة مار يوسف المارونيّة في مدينة اوليان من اعمال نيويرك (ص ٥٨)

انّ المنسيور فرنسيس شهالي قد تفانى في خدمة اهل ملّتهِ في الولايات المتّحدة سنين عديدة حتى اقرّ لهُ الخاصّ والعام بالفضل والفضيلة ولا غرو مع ما اتاه من الاعمال الشريفة في خدمة الدين والوطن . وممّا عُني بهِ مع حضرة شقيقهِ الخوري نعمة الله تشييد كنيسة جميلة في مدينة اوليان من اعمال نيويرك ففي الكتاب المعنون هنا تاريخ هذه الكنيسة القائمة على اسم القديس يوسف مع تفاصيل بنائها واسماء المحسنين لتشييدها وصور بعض اعيان ذاك الاقليم مباشرةً بصورة رئيس اساقفة بوفالو . فنشكر المنسيور فرنسيس شهالي ونتمنى لهُ مزيد النجاح في فلاحة كرم الربّ ل . ش

ANNUAIRE STATISTIQUE DE L'EGYPTE (1925-1926)

الاحصاء السنويّ العام للقطر المصري (١٩٢٥—١٩٢٦)

طُبع بالمطبعة الاميريّة بالقاهرة سنة ١٩٢٧ (ص ٥٩٤)

هذه السنة الثامنة عشرة منذ اوّل صدور هذا السفر الجليل الذي يوقف المطالعين على

كلّ احوال مصر بتعريف اهلها من عدد وجنس ونموّ واجانب وادارات وتقليد وتجارة وزراعة ومقالات شتى في داخل القطر وفي خارجهِ بالعربيّة والافرنسيّة. ومنهُ يؤخذ انّ سكّان القطر المصري في احصاء سنة ١٩١٧ بلغوا ١١،٢٨٧،٣٥٩ وقد بيّن احصاء السنة المنصرمة نموّهم الى عدد ١٤،٢٧٧،٠٠٠ فترى من هذا النظر الاجمالي ما يستفاد من هذا الكتاب الذي يحتاج اليهِ كل من يريد الاطلاع على امور مصر

Mille et un Contes, Récits et Légendes arabes par René Basset. Tome III. LÉGENDES RELIGIEUSES, *in*-4, *Paris*, *Maisonneuve*, 1927, *pp*. 629

الف رواية ورواية عربيّة منقولة الى الفرنسوية

هذا القسم الثالث من المجموع الضخم الذي خلّفهُ المستشرق المرحوم رينه باسه ناظر الدروس العربيّة في بلاد الجزائر . فجمع من كتب العرب الف رواية ورواية نقلها الى الافرنسيّة لفائدة الاوربيين ليوقفهم على اخلاق الشرقيّين ويحبّب اليهم درس العربيّة . وهذا القسم الثالث قد خصّهُ بالروايات الادبيّة والدينيّة البالغ عددها ٣٨٠ رواية مباشرًا بما يرويهِ العرب عن الانبياء القدماء ثمّ عن السيّد المسيح وعن الخضر والاسكندر ثمّ عن نبيّ الاسلام والخلفاء والصوفيين والاولياء الخ وقد احسن الجامع في ترجمتها وهو يرويها دون ان يبدي حكمهُ في صحّتها او بطلانها ومن ثمّ يجب على القرّاء ان يأخذوا حذرهم من خرافات كثير منها ل . ش

ISLAMICA. I ET II, F. Krenkow: 1°) The Grant of Land by Muhammad to Tamîm ad-Dari = 2°) The Elegy upon al-Mughira ibn al-Muhallab

اقطاع محمّد لتميم الداري – رثاء المغيرة بن المهلّب

ذكرنا في عدد سابق هذه المجلّة الاسلاميّة الجديدة وبعض ما نُشر فيها من المقالات . وقد اهدانا صديقنا فرنسيس كرنكوف اثرين عربيّين نشرهما فيها آخرًا : الاوّل اقطاع مزعوم اعطاهُ محمد لتميم الداري يتناول حبرون والمرطوم وبيت عينون وبيت ابرهيم وما فيهنّ . فبيّن المستشرق كرنكوف انّ صكّ هذا الاقطاع مصنوع لا صحّة لهُ انخدع بهِ كثيرون من القدماء . امّا الاثر الثاني فرثاء المغيرة بن المهلب بن ابي صفرة الذي ينسبهُ البعض الى زياد الاعجم والبعض الى سلطان العبدي فنشرهُ كرنكوف ونقلهُ الى الانكليزية واضاف اليهِ ملحوظات انتقادية مهمّة ل . ش

تاريخ الرهبانيّة اللبنانيّة المارونيّة

تأليف الاب لويس بليبل الراهب البلدي اللبناني (المجلّد الثاني)

طُبع في مطبعة يوسف كوى بمصر سنة ١٩٢٥ (ص ٤٠٨ + ٤٣)

نهنئ حضرة مؤلف هذا الكتاب على ما نالهُ من سموّ التفات قداسة الحبر الاعظم وبعض الكرادلة وغبطة السيّد الجليل بطريرك الطائفة المارونيّة وحضرة رئيسهِ العام الاباتي اغناطيوس التنوري. وقد صرّحنا في ذكرنا المجلّد الاوّل ما يحتويهِ هذا التاريخ من درر الفوائد وغرر المعلومات عن الرهبانيّة اللبنانيّة منذ نشأتها الى السنة ١٧٤٤. وليس هذا القسم الثاني اقلّ فائدةً من شقيقهِ البكر وهو يبتدئ بذكر الخلاف المأسوف لهُ الواقع بين اعضاء الرهبانيّة لاسباب شتى والذي انتهى بانقسام الرهبانيّة الى حلبيّة وبلديّة سنة ١٧٦٧ وما تبع ذلك الى السنة ١٧٧٠. فتجد تفاصيل مدقّقة لما جرى في تلك الحقبة، التي تتناول ربع قرن، بين الرهبانيّة والكرسي الرسولي وممثليه مع احوال الاديار المختلفة. وفي اثرها مباحث تاريخيّة مهمّة مضافة الى ما مرّ من جنسها في المجلّد السابق ممّا لهُ علاقة بتاريخ الرهبانيّة من جملتها ترجمة المطران عبدالله قرألي مؤسس الرهبانيّة لتلميذهِ الاب توما اللبودي التي نشرها في المشرق المرحوم الاب انطون رباط مع حواشٍ مفيدة. ثم يليها فهرس حسن لمضامين الكتاب على حروف المعجم. وفي آخرهِ ذيل في تاريخ الطائفة المارونيّة تابع لما سبق. وكنّا ابدينا فيهِ رأينا بعدم استحسانٍنا لنشرهِ في هذا التاريخ اذ لا علاقة لهُ مع الرهبانيّة. وعلى كلّ حال انّ ما لدينا من المعلومات عن الاب اليانو تنفي صحّة ما نُسب اليهِ في حقّ الموارنة. امّا الدفتر الذي ذكرهُ الدويهي ففكرة كتبها اليانو لافادته الخاصّة نقلًا عن كتب شتى للموارنة وغيرهم لا يُبنى عليها حكم ل. ش

القديس فرنسيس كسفاريوس رسول الهند واليابان

بقلم الاب انطون صالحاني اليسوعي

طُبع في المطبعة الكاثوليكية. بيروت سنة ١٩٢٧ (ص ٥٦)

ان شيوع شركة انتشار الايمان في سوريّة يستدعي معرفة ذاك الرسول العظيم القديس فرنسيس كسفاريوس الذي اعلنت بهِ الكنيسة كشفيعها. وكانت المطبعة

الكاثوليكيَّة نشرت سابقاً سيرة مطوَّلة لهذا القديس تحت عنوان « نفحة الرند في رسول الهند » وهذه سيرة مختصرة تصلح خصوصاً للمشتركين بهذه الشركة ثمَّ لناشئة المدارس دبَّجها حضرة الاب انطون صالحاني بقلمهِ وضمَّنها خلاصة اعمال ذاك الشفيع المشفَّع على طريقة مفيدة ولذيذة . ويزين الترجمة غلاف بهيّ بنقوش ذهبيَّة وفي وسطها ٢٤ صورة تمثل القديس في اطوار حياتهِ الرسوليَّة . فلا ريب ان يتهافت اليها القرَّاء اذا وقفوا عليها

عدد ممتاز من نشرة الاحد: في الكثلكة والماسونيَّة

لقس يوسف كوكي الكلداني

المطبعة السريانية الكاثوليكية في بغداد ١٩٢٢ (ص ٧٨)

قد اعتادت الماسونيَّة حينما تنتشر توجيهَ سهامها الى الكثلكة اعلمها بانَّها العدو الوحيد القائم بوجهها والكاسر لشوكتها . ففي بغداد وهي لا تبالي بدين تنمَّرت لعدم قيام الاكليروس الكاثوليكيّ بجنازة دينيَّة لاحد الماسونيّين على حسب اوامر الكنيسة . فكتب الاحرار فصولاً عديدة في جرائد بغداد تقبيحاً لهذا العمل واذ اراد الكاثوليك ان يردُّوا على تلك الجرائد ابى اصحابها نشر ردودهم إلَّا نشرة الاحد لحضرة المنسنيور عبد الاحد جرجي التي خصَّصت عدداً ممتازاً من اعدادها لتفنيد تلك الاراجيف بقلم حضرة الاب الفاضل القس يوسف كوكي الكلداني فما يسعنا إلَّا تحبيذ فعلهِ وتقبيح اكاذيب ابناء الارملة ل . ش

رسالة في محتويات دار الآثار العربيَّة في مصر

لواضعها حسن محمَّد الهواري

طُبع في مطبعة الاعتماد سنة ١٩٢٦ (ص ١٣٤)

في القاهرة دار اثريَّة تُحفظ فيها الآثار العربيَّة الباقية نحو سبعة آلاف قطعة مما يشهد للعرب بالنبوغ في الفنون الاثيلة والصناعات الجميلة وهي مودعة في ثماني عشرة قاعة . كفى بذلك دليلاً على عظم شأنها . فنشكر جناب حسن محمَّد الهواري المأذون

في القانون والامين المساعد بدار الآثار العربيّة على وصفه لهذه الآثار في هذه الرسالة البديعة وفيها بيان افضل ما يوجد بينها من التحف مع تصاوير بديعة تروق العين بمحاسنها. وان شاء الله ستتحفنا الجامعة العربيّة الدمشقيّة برسالة مثل هذه لوصف ما جمعتهُ من الآثار العربيّة وغيرها

المرشد الامين الى حقيقة الدين

طُبع في نيويرك سنة ١٩٢٧ (ص ٨٥)

لم يذكر صاحب هذا الكتاب اسمهُ ولعلّهُ احد الكهنة المهاجرين الى الولايات المتحدة وقعت بينهُ وبين احد أُدباء المسلمين مجادلة في امور الدين المسيحي والدين الاسلامي فأحبَّ ان ينشر في هذا الكتاب ما دار بينهما من الحديث بهذا الخصوص. فنحضّ محبّي المباحثات الدينيّة على مطالعة هذا الكتاب ليقفوا على فكريّة النصارى بخصوص دينهم والدين الاسلاميّ. ويا ليتهُ يزيل ما بين الفريقين من سوء التفاهم ويسيروا جميعاً في نور الحقّ. ل ش

كتاب المنذر الى المجمع العلميّ العربيّ في دمشق

طبعة ثانية منقّحة مزيدة (مطبعة السلام بيروت

اعاد جناب الشيخ ابرهيم منذر النظر في كتابهِ الى المجمع العلمي فاخرجهُ منقّحاً موسّعاً مع ما ورد في الصحف على انتقاده. وقد اثبتنا نحن ايضاً رأينا فيهِ واستحسنّا دفاعهُ عن فصيح اللغة وبليغها. دائماً تمنّينا قبل كل ان تُقام جمعيّة ذات الحكم الفصل فتفتي بصحة هذه الملحوظات وتقنع الكتبة بمراعاتها ولزومها. ونحن كذلك نرغب في سلامة اللغة من كل شائبة الّا اننا نرى شيئاً من التطرُّف في انتقادات بعض المنتقدين. وقد رددنا على شيخ اللغة نفسه المرحوم ابرهيم اليازجي في كثير مما كان عدّهُ غلطاً في كتابهِ لغة الجرائد فاثبتنا صحتهُ عن ائمّة اللغة. ومنهُ يتضح كم نحتاج الى علماء اعلام ليحكموا الحكم الفصل في الضعف المردود وفي الصحيح الجائز مستندين في حكمهم الى ادلّة قاطعة. ويسرُّنا في هذه المناسبة ان نُطلع القرّاء على ترجمة

صاحب هذا الكتاب الاديب بقلم صديقهِ الفاضل جرجي افندي نقولا باز تذكاراً لانتخابه عضواً في المجمع العلمي العربي بارك الله في المترجم والمترجم

المنجد: معجم مدرسي للّغة العربيّة

تأليف الاب لويس معلوف اليسوعي

طبعة خامسة منقّحة مكمّلة (المطبعة الكاثوليكية) ١٩٢٧ (ص ١١١٩)

نُحيل القرّاء الكرام الى ما نُشر في ظهر غلاف المشرق عن هذه الطبعة الجديدة التي تختلف عن الطبعات السابقة بعدد صفحاتها ورسومها وضروب محاسنها فيتحقّقوا عظم الخدمة التي قدّمها صاحب الكتاب لكافّة المدارس لا بل لاربابها ولسائر الادباء ومحبي اللغة العربيّة. جازاهُ الله الف خير ل. ش

عين العليّ

تأليف الاب لويس جلابرت وتعريب الاب ل. شيخو اليسوعيّين.

طبعة جديدة في المطبعة الكاثوليكية. بيروت ١٩٢٧ (ص ١٦٩)

لانعرف روايةً جمعت كهذه بين الفكاهات التخيُّليّة والفوائد التاريخيّة والاثريّة والاجتماعيّة ظهرت اوّلاً تباعاً في المشرق ثمّ على حدةٍ مرّة اولى وهذه طبعتها الثانية محسّنة بغلاف جميل يمثّل كهف الحمام في ساحل بيروت ل. ش

هدايا أُرسلت الى المشرق

٥ ارثوذكسي ام ماسوني. كاهن ام ماسوني. عارف حمص ودفاعهُ عن الماسونيّة ٥٠ بقلم الاب الياس اندراوس الولسي بمطبعة القديس بولس في حريصا (لبنان). هي الثلاث المقالات التي افحم بها حضرتهُ الاورثذكس الماسونيّين في حمص وطلّهم الخوري عيسى اسعد. نشرت على حدة

٦ لمحة تاريخية في دير سيدة المونات (او البنات) مركز رئاسة الرهبانيّة اللبنانيّة العامة لحضرة الاب بطرس ساره البتروني رئيس مدرسة الرهبانيّة في بيروت. طبع في المطبعة الكاثوليكية ببيروت سنة ١٩٢٧ (ص ٢٢). هي المقالة النفيسة التي نشرها حضرتهُ في المشرق فطُبعت على حدة

٧ الماسونيّة بقلم احد العارفين. انتقاد لاحد اصدقائهِ. المطبعة الكاثوليكية ١٩٢٧ (ص ٤) حذّر بصورة الخوري عيسى اسعد الحمصي الاورثذكسي العارف المتستر والمدافع عن الماسونيّة. فبيّن المنتقد جهل العارف وسوء فعلهِ بتطاولهِ على الكنيسة الكاثوليكيّة وبدفاعهِ عن الشيعة الماسونيّة

شذرات

﴿ظهور السيد المسيح لوالدته بعد قيامته﴾ سُئلنا أيوجد سندٌ ثابت لهذا الظهور؟ (فنقول) انَّ الانجيل الطاهر لم يذكر سوى عشرة ظهورات تراءى بها السيد المسيح لتلاميذه. إلَّا انَّ سفر اعمال الرسل (١ : ٣) يصرّح بانهُ «اراهم نفسهُ حيًّا بعد تألمه ببراهين كثيرة وتراءى لهم مدَّة اربعين يوماً» فما كان الربُّ لينسى امَّهُ التي شاركتهُ في كلّ آلامه. والانجيل لم يذكر ظهورهُ لها تاركاً الامر لحسن ظنّه بتقوى المؤمنين وبشهادة الكنيسة الحيَّة في تقليدها. وهذا التقليد قد شاع في القرون الوسطى شرقاً وغرباً. ولعلّ اوَّل من اتَّسع في ذكره الكاتب اليوناني جرجس رئيس اساقفة نيكوميديا في خطبته عن النساء اللواتي ذكرن في آلام المسيح وقيامته (اطلب مين مجموعة اباء اليونان (Migne, PP. GG., 1500) وبقرب كنيسة القبر المقدَّس معبد للرهبان الفرنسيسيين تقام فيه الرتب الدينيَّة ويروى انهُ هناك ظهر يسوع لامّه بعد القيامة. وقد زار هذا المعبد سنة ١١٠٢ الزائر سوثولو. وقد ورد ايضاً تقليد ظهور المسيح لوالدته بعد موته في تواريخ الاسلام كالطبري (١ : ٧٣٦) وكثيرين بعده

﴿تمثال الحبر الاعظم في المكتبة الامبروزيانيَّة﴾ تولى قداسة البابا بيوس الحادي عشر نظارة مكتبة ميلانو الشهيرة عدَّة سنين قبل ان يترأس على مكتبة الفاتيكان فتألَّفت لجنة برئاسة خلفه المنسنيور يوحنَّا غلبياتي (Mgr Prof.G.Galbiati) واتفقت على اقامة تمثال من البرونز في قاعة المكتبة الكبرى. وقد تمَّ ذلك بحفلة شائقة حضرها ارباب الدين وممثلو الدولة وعلية القوم في عشرين آذار الاخير. فنشكر اعضاء اللجنة الذين تلطَّفوا فدعونا الى هذه الحفلة التي أُشير بها الى احد الادلَّة العديدة المثبتة عناية ارباب الكهنوت عموماً والاحبار الرومانيين خصوصاً بالكنوز الادبيَّة

﴿احصاء حديث للكاثوليك في العمور﴾ نقلت جريدة البشير عن الدليل الكاثوليكي لبلاد انكلترَّة وتواليها المعروف بتدقيقه انَّ الكاثوليك في العالم حاضرًا يبلغون على اقلّ تقدير ٣٣٥ مليوناً وانَّ عددهم في كلّ عام يزيد نحوًا من عشرة ملايين

﴿وفاة الاب اوجان ميتر﴾ فُجعت رسالتنا السوريَّة بوفاة احد ابنائها العاملين الافاضل الاب اوجان ميتر. ولد في سويسرة سنة ١٨٥٦ ودخل الرهبانيَّة اليسوعيَّة

سنة ١٨٧٤ فكان بين اخوته مثال الحكمة والرزانة وممارسة جميع الفضائل الرهبانية. قدم الى سورية سنة ١٨٨٩ وتخصص بعد وصوله بتهذيب الاولاد المرشحين للكهنوت في طوائفهم الشرقية فعرفوهُ اباً حنوناً ومعلماً فاضلاً ومرشداً حصيفاً نهج لهم طريق القداسة وارشدهم الى كلّ عمل مبرور لخدمة طوائفهم الكريمة. فتخرّج على يدهِ اساقفة وكهنة علمانيون ورهبان وكلهم لسان واحد في اطراء فضلهِ وشكر جميلهِ. اثابهُ الله عداد حسناتهِ

﴿مصابان أليمان﴾ في يوم الثلثاء الواقع في ١٥ من الشهر اذار الماضي أُصيبت راهبات العائلة المقدسة المارونيات بفقد رئيستهنّ الامّ اصطفاني التي قادها الله من وطنها الناصرة الى لبنان بعد اعتناقها الدين الكاثوليكيّ وترهبها مدةً بين راهبات الورديّة في القدس الشريف فانضمّت الى جماعة راهبات العائلة المقدسة وما لبثت ان أُسند اليها تدبيرها كرئيسة عليها فقضت اربعين سنة في ادارتها وتنظيمها تحت نظارة غبطة مؤسسها السيّد البطريرك مار الياس بطرس الحويّك حتى بلغتها الى حالتها من الازدهار الحاضر عدداً وفضلاً فنطلب الى الله ان يعزّي قلب صاحب الغبطة شيخ لبنان الاسيف ويلهم الصبر بناتها ويطيبنّ ان يجرين على آثار رئيستهنّ المرحومة

وفي ٢٣ من الشهر نُعي الينا الرجل الفاضل عميد اسرتهِ المرحوم اسكندر غالب فشقّ نعيهُ على كلّ من عرف شخصهُ الكريم وعاين ما اتّصف بهِ من المزايا الفريدة وتجمّل بالفضائل المسيحيّة الاكيدة. فكان مثالاً حيًّا للعيشة الفاضلة في خدمة ربهِ وتربية اولادهِ وسائر معاملاتهِ مع القريب. اجزل الله ثوابهُ في دار الخلود

﴿يوبيل بعض مشاهير الوطن﴾ في يوم عيد الفصح المجيد والجمعة التالية لهُ سوف يحتفل بالتذكار الخمسيني لارتقاء سيادة الحبر العلّامة الكلي الشرف المطران بولس عوّاد رئيس اساقفة قبرس الى درجة الكهنوت. وقد أُعدت لذلك احتفالات بهجة يشترك فيها ابناء ابرشيّتهِ مع كلّ الذين عرفوا ما لسيادتهِ من الفضل في خدمة الدين والآداب والوطن العزيز فنضمّ سلفاً صوتنا الى اصوات المهنئين طالبين من الله ان يجازي سيادتهُ على اعمالهِ الجليلة ويديم لخير الكنيسة والوطن هنّتهُ ويبارك مشروعاتهِ

وقد اهتمّ ايضاً ادباء الوطن باكرام استاذين فاضلين الشيخ عبدالله البستاني والاستاذ جبر ضومط بمناسبة خمسين سنةً قضياها بمزاولة تعليم العربيّة ونشر آدابها

فتخرّج عليهما عدد لا يُحصى من الناشئة الوطنيَّة . فيسرُّنا ان يقدّر الوطنيُّون قدر مثلها ويطرئوا فضلها كاستاذين بارعين في مقدَّمة حاملي الاقلام ويؤازروهما في ترويج مصنَّفاتها ويدفعوا ارباب الدولة على مجازاتها بامتيازاتها الشرفيَّة

﴿الاستاذ اميل تيَّان﴾ سُرورنا للامتياز الذي نالهُ الاستاذ اميل افندي تيَّان من قبل عمدة الدروس الحقوقيَّة في ليون فانها بعد ان قلَّدتهُ رتبة الدكتوريَّة بالحقوق مع الثناء الجميل على براعتهِ عيَّنتهُ كعضو في مكتب الحقوق الفرنسي التابع لكليَّتنا ليتولى فيهِ القاء المحاضرات الحقوقيَّة فنهنّئ جنابهُ ونتمنى لهُ مزيد الرقي

﴿معرض لويس الرابع عشر﴾ افتتح وزير المعارف في باريس هذا المعرض في اوائل آذار ومتهُ يظهر ما بلغتهُ فرنسة من الرقي في عهد ملكها الكبير لويس الرابع عشر . فقد عُرضت هناك مجموعات نادرة جدًّا من المخطوطات والمطبوعات الجميلة ذات الالوان الزاهية والتصاوير البديعة وكذلك هناك عدد وافر من ضروب العرم والتجليد الذي فاق بهِ الفرنسويون على سائر الدول . ثمَّ عُرضت اصناف النقوش والمحفورات التي تفنَّن فيهِ اهل ذلك العهد

﴿لفافات التبغ في الولايات المتَّحدة﴾ اشاعت الولايات المتحدة لائحةً ضمَّنتها ما يُصطنع في بلادها من لفافات التبغ (cigarettes) فان عددها سنة ١٨٦٩ كان بالغاً ١،٧٥١،٤٩٥ لفافة وهوذا اليوم اصبح عددها لسنة ١٩٢٦ خمسة وسبعين مليارًا هذا فضلًا عن سبعة مليارات من جنس السيجار (cigares) وقد ربحت الدولة من الضرائب على اللفافات خمسة مليارات من الفرنكات . فيا لله كم يصرف الانسان من مالهِ على ما يجثهُ فهُ من الدخان !

﴿ذنب الحرب﴾ فرنسة تدفع معاش الذين قُطعت او فسدت اعضاؤهم في الحرب . فكان عدد الباقي منهم في غرَّة السنة ١٩٢٧ نحو ٧٠٠،٠٠٠ منهم مبتورو الجوارح ٤٠٤،٦٠٦ المصابون برئتهم ٢٣٥،٨٨٤ المصابون بعيونهم ٢٧،٢٨١ بينهم عميان ٢،٥٨٥ المصلومون بآذانهم ١٧،٧٣٠ منهم الصُّمُّ ٤،٣٣٨ المجدوعون بأنوفهم او وجوههم ٨،٥٨٨ المسوسون بعقلهم ١٤،٥٠٢ . ومن هذه اللائحة يظهر بنوع محسوس اذى الحرب . وذلك ما عدا الذين ماتوا منذ نهاية الحرب الى اليوم مع ضربنا صفحاً عن المصابين بسلّ او ضعف او مرض

أسئلة واجوبة

س وقف جناب المهندس الزراعي وصفي افندي زكريا مفتش املاك الدولة في دمشق على ابنية قديمة منها في شمالي شرقيّ سوريّة في اقصى الحمران من قضاء الحمراء التابع للواء حماة قصر يدعى بقصر ابن وردان وفي شماليّ شرقي هذا القصر في وسط البادية على ٨٠ كيلومترًا من حماة خرائب مدينة الاندرين فسأل أهذه الآثار معروفة اذ لم يقف لها على ذكر في كتب العرب وغيرها

قصر ابن وردان – خرائب اندرين

ج هذه الآثار كلها معروفة منذ زمن مديد . واوّل من وصف قصر ابن وردان الاستاذ موردتمان (Mordtmann) في المجلّة الاثريّة الكتابيّة الالمانيّة المطبوعة في السنة سنة ١٨٨٤ . ثم عاد بعدهُ غيرهُ من السيّاح كاوستروب وهرتمان وفون اوبنهيم وستريغوفسكي فوصفوهُ ونشروا صورهُ . على ان هذا الوصف قد جاء واسعاً مستوفياً مع رسوم ونقوش وتصاوير بديعة في منشورات البعثة الاميركانيّة في جامعة برنستون بالانكليزيّة في القسم الثاني المطبوع في لندن في هولندة سنة ١٩٢٠ ص ٢٥–٤٥ ومنهُ يتّضح ان قصر ابن وردان يتألّف من ثلثة ابنية جميلة كنيسة ثم قصر ثم مقام عسكريّ . وهي من الابنية البوزنطيّة يؤخذ من الكتابة اليونانيّة المنقوشة على احد ابوابها انّها بُنيت سنة ٥٦٤م في عهد الامبراطور يوستنيان . والمرجّح ان بانيها المهندس ايزيدوروس — وكذلك اخربة اندرين راقية الى ذلك العهد وانّما سبقت قصر ابن وردان فبُنيت سنة ٥٥٨م وهي موصوفة في الكتاب المذكور (ص٤٧—٦٣)

س وسأل حضرة الخوري يوسف العشيق ما قولنا في التقرير الذي وجههُ بيلاطوس الى القيصر طيباريوس عن السيد المسيح بعد حكمهِ عليهِ بالموت وقيامتهِ

تقرير بيلاطوس عن السيد المسيح

ج من المحتمل انّ بيلاطوس ارسل الى القيصر طيباريوس تقريرًا عن حكمهِ على السيّد المسيح . ولعلّ هذا التقرير هو الذي اشار اليهِ بعض الآباء القدماء كيرستينوس وترتليانوس في دفاعهما عن النصرانيّة وكابيفانيوس في كتابهِ عن البدع إلّا انّ هذا التقرير لم يُعرَف منهُ شيء (المشرق ٢ [١٨٩٩] : ٣٢٩—٣٣١) وانّما وضع بعض المدلّسين بدلًا منهُ تقريرًا مصنوعاً انتشر في القرن الرابع او الخامس لا صحّة لهُ البتّة وينفيهِ المتقدمون كما نفينا رسالة لنتولوس المرسلة الى طيباريوس (المشرق ٩ : ٤٣٩)

السنة الخامسة والعشرون العدد ٥ أيار ١٩٢٧

المشرق

الاخويات المريمية في الشرق

للاب لويس شيخو اليسوعي

مقدمة

قد ورد في الانجيل الكريم آيةٌ يمكن الكنيسة الكاثوليكيَّة ان تتَّخذها كشعارها الخاصّ وهي كلمة الربّ في انجيل يوحنا (١٠: ١٠): «أتيتُ لتكون لهم الحياة وتكون لهم اوفر». ومعلوم انَّ الحياة التي أتى بها السيّد المسيح ليست هذه الحياة المادّيَّة الجسديةالعرضيَّةالتي يحيا بها الانسان سنين معدودة فتنمو مدَّةً ثمّ تضوُل ثمّ تضمحلّ بالموت . وانَّما هي حياةٌ أسمى واشرف واثبت. هي تلك الحياة الروحيَّة الالهيَّة التي تدوم الى الابد ما لم يقتلها انسان بجهله وسوء ارادته

فهذه الحياة الجليلة السماويَّة قد عهد الرب برعايتها الى كنيسته فهي المستودَعة بالاسرار المقدَّسة فتنشئها بالمعموديَّة وتثبتها بسرّ الميرون وتنميها بتناول القربان الاقدس وتردّها اذا فُقدت بسرّ التوبة وتواصل مفاعيلها بين ابنائها بسرَّي الكهنوت والزواج وتقرّرها للابدية بالمسحة الاخيرة

على انَّ هذه الاسرار المحيية التي وضعها السيد المسيح نفسهُ وهي كالينابيع الزاخرة في الكنيسة تحتاج كالانهار الكبيرة الى سواعد تمدُّها وتفتح فوائدها. وهذه السواعد انما هي المشروعات التقويَّة والمؤسَّسات الروحيَّة التي تنشئها الكنيسة لتعزيز تلك الحياة المسيحيَّة المنوط بها خلاص النفوس

وتاريخ الكنيسة حافلٌ بمثل هذه المنشآت التي اقامها بعض اولياء الله فاثبتتها

الكنيسة لما وجدت فيها من روح التقى والعبادة كالوردية المقدسة والثوب الكرملي والسياحات التقوية والفرائض الدينية الاختيارية النافلة. فكان المؤمنون يتهافتون اليها وينتظمون في اسلاكها لما يأنسون بها من السلوان وتعزيز الشواعر السامية مع ربح الثمارين والنعم الروحية

ولعلّ الاخويات المريمية كانت من اعظم المشروعات الدينية واجداها خيراً للنفوس اذ تعزز روح الدين في ذويها بوفرة عددهم واتحاد قلوبهم وتسابقهم الى كل عمل صالح

١ تاريخ الاخويات المريمية

الاخويات المريمية كعدة مشاريع واسعة النطاق كبيرة المفاعيل نشأت صغيرة ضئيلة . وكان اول من فكر في انشائها راهباً يسوعياً شماساً كان يعلم الآداب اللاتينية في المدرسة الرومانية الكبرى في رومية يدعى يوحنا لاون وكان اصله من بلجكة . فاذ كان يفكر في واسطة فعالة ليطبع في قلوب الناشئة التي عُهد اليه تثقيفها أوحى الله اليه بان يختار بين تلامذته بعضاً منهم عرفهم اوقد فهماً واوفق طباعاً واعمق ديناً ليقيموا بعض الفرائض التقوية اكراماً للعذراء مريم فجمعهم لاول مرة في حجرة خاصة سنة ١٥٦٣ . وكان اقام لهم هيكلاً جعل عليه تمثال البتول وزينه بالاقمشة وضروب الزهور

فوقع هذا العمل احسن موقع من نفوس اولئك الاحداث فكانوا يجتمعون في ذلك المعبد الصغير في ايام الآحاد والاعياد فيتلون بعض الصلوات ويقرأون فصلاً من كتاب روحي ويتغنون بمديح مريم ويسمعون ارشاداً دينياً يلقيه عليهم استاذهم ومرشدهم . وما عتم أن ظهرت فيهم لوائح التقى والاجتهاد حتى اصبحوا مثالاً لرفقتهم بسلوكهم الصالح . فاسرع غير الاب لاون من المعلمين الى الاقتداء بزميلهم حتى عمّ هذا الصنيع التقوي كافة صفوف المدرسة وبلغ عدد التلامذة المتطوعين في تلك الشركات ٧٣ عضواً فأطلق على اجتماعهم اسم الاخوية دلالة على ارتباط قلوبهم بخدمة البتول مريم

٢ انتشار الاخويات المريمية وتثبيتها

بلغ خبر هذا المشروع الجديد مسامع ارباب المدارس في رومية وغيرها وعرفوا ما نجم عنها من ثمار الصلاح واعمال البرّ فتهافتوا الى انشاء اخويّات مثلها في مدارس اليسوعيين في ايطالية وفرنسة واسبانية. ثمَّ تجاوزت حدود المدارس وأُنشئت على مثالها اخويات مريميَّة انتمى اليها شبَّان ورجال علمانيُّون وعمَّلة وغيرهم حتى توفَّر عدد الاخويات المنشأة على مثال اخوية روميـة. ووقف الحبر الاعظم غريغوريوس الثالث عشر على الخير العظيم الذي يصدر من انشاء تلك الاخويَّات فأحبَّ ان يثبتها بسلطته السامية ويمنحها نعماً روحية يرجها المشتركون بها فاذاع ذلك المنشور الجميل الذي افتتحهُ بهذه الالفاظ (Omnipotentis Dei) وقد اثنى فيهِ على غيرة الاب لاون وبيَّن عظم شأن مسعاهُ ودعا اخويَّتهُ بالاخويَّة الاولى والرأس (Primaria et Caput) وأناط بها الاخويات المنشأة على مثالها

فزاد بهذا التثبيت اقبال المؤمنين على الاخويّات فانتشرت ايَّ انتشار في انحاء اوربّة حتى بلغ عدد ما أُنشئ منها مرتبطاً باخويّة رومية المركزيَّة في السنة ١٦٨٤ الفاً واربعمائة وخمساً وخمسين اخويّة كادت تشمل كل مدن اوربّة. ففي السنة المذكورة كان عدد الاخويّات في نابولي ١٨ اخويَّة وفي مسينة ١٥ اخويَّة وعشرٌ في مدينة إكس (Aix) وقس على ذلك معظم المدن في انحاء فرنسة وايطالية واسبانية والمانية

وكان أسرع منشئها فوضع لها رسوماً لئلَّا تخرج عن حدودها الدينيَّة والتقويَّة وجعل فيها الرُّتب المنظِّمة من رؤساء ومعاونين ومرشدين للمبتدئين وموظَّفين مختلفين لادارة احوال الاخويَّة ورقيّها وكتب لها قوانين مملوءةً حكمة وحُسن نظر لم تزل مرعيَّةً الى زماننا

وكانت هذه الاخويَّات تشمل كلَّ طبقات المؤمنين منها للأعيان ومنها للعمَّلة وبعضها للشبيبة والاحداث وغيرها للكهول من تجار وارباب بيوت وعُمَّال الدولة واعضاء الاكليروس. وكان بعض هذه الاخويَّات لوفرة المنتمين اليها تضيق عنها الكنائس فتتفرَّع وتتشعَّب

وكانت غاية ما يتوخَّاهُ فيها مرشدوها ان يمارس اعضاؤها كلَّ فضائل المسيحيين

المُخلصين فيثابروا على الاسرار ويحافظوا على كلّ وصايا الكنيسة ويكونوا حيثما يحلّون قدوةً للجمهور بل يسعون في امور خلاصهِ وسيرتهِ الروحيَّة

ولم يكتفِ الاخوة بكل ذلك بل تكلَّفوا اعمالًا جليلة احيوها بغيرتهم ونشاطهم فصرفوا عنايتهم لتهذيب الصغار وتلقينهم مبادئ الدين واعمال الرحمة كالاحسان الى الفقراء وعيادة المرضى وزيارة المحبوسين. فبكل هذه المشروعات الصالحة كانت الاخويَّات في مواطنها كركن الحياة الدينيَّة وسند النهضة الادبيَّة

ثمَّ اتسع نطاق الاخويَّات. فأُنشئت جمعيَّات دينيَّة على منوالها كأخويَّة الميتة الصالحة تحت حماية القديس يوسف وغيرها لاكرام بعض اسرار حياة السيّد المسيح ووالدتهِ الطاهرة وبعض القديسين مما كان الفضل في تأسيسها راجع الى الاخويَّات المريميَّة التي لم يزل الاحبار الرومانيُّون يُغزرون عليها سجلَّات نعمهم الروحيَّة لما يبلغهم من جمّ منافعها في كلّ انحاء المعمور

ولمَّا كانت السنة ١٧٤٨ اصدر الحبر الاعظم بندكتوس الرابع عشر في ٢٤ نيسان براءة اعلن فيها وَضع الاخويَّات المريميَّة تحت حمايتهِ الخاصة وحماية خلفائهِ. ثمَّ عاد في ٢٧ ايلول من تلك السنة فاذاع منشورًا آخر اشتهر باسم المنشور الذهبي او براءة الذهب حصر فيهِ كلّ برآت سلفائهِ واطرأ في مديح ملكة السماء شفيعة تلك الاخويَّات وعظَّم همَّة الرهبانيَّة اليسوعيَّة في تمجيد مريم العذراء ونشر عبادتها وحرَّض المؤمنين كافَّة على اكرامها. فكان لهذا المرسوم المشكور صدى استحسان في كلّ اقطار العالم الكاثوليكي فنمت الاخويَّات ايّ نموّ حتى ندرت الامكنة التي لم تنشأ فيها جمعيَّة تقويَّة باسم مريم

٣ الاخويَّات المريميَّة في الشرق

﴿سوريَّة﴾ لمَّا شاعت في اوربَّة اخويَّات العذراء مريم وظهر للعيان ما صدر عنها من الخيرات الجمَّة اسرع المرسلون في جهات الشرق الى التوسُّل بها لنشر روح العبادة والتقى حيثما استوطنوا. وكان لليسوعيين السَّبقُ في ذلك على من سواهم. لنا على غيرتهم شواهد عديدة دوَّنوها في كتاباتهم المختلفة

(حلب) كان اوَّل ظهور الاخويَّات المريميَّة في حلب لمَّا احتلَّها اليسوعيُّون في

العقد الثالث من القرن السابع عشر فما كادت ترسخ قدمهم في الشهباء وتعلّموا اللغة العربيّة حتى فكّروا في انشاء الاخويّات المريميّة لبثّ روح الدين والورع بين نصارى المدينة

وكانت باكورة اخويّاتهم في حلب اخويّة العذراء في كنيسة القديس ايليا النبي للموارنة انشأها الاب ايه (حبيب) شيزو نحو السنة ١٦٣٥ فاقبل عليها الشعب اي اقبال لعظم محبّة الموارنة لاكرام امّ الله . فكان المشتركون فيها من نخبة الرجال المعروفين بحسن سلوكهم وقدوتهم الصالحة فكانوا يجتمعون في اوقات معيّنة يتلون مدائح البتول ويسمعون ارشاداً يلقيه عليهم المرشد ثمّ يتفاوضون ملياً في حالة الاخوية ونجاحها واسباب تنميتها فاصبحت بعد زمن قليل ركن متين من اركان الدين والصلاح

وبعد انشاء اخويّة الموارنة بقليل أنشأ الاب حبيب شيزو اخويّة للارمن فجرت مع اخوية الموارنة جَرْي فرسي الرهان فكانتا تتسابقان الى كلّ عمل مبرور سواء كان لتقديس حياة اعضائها ام لاسعاف القريب مادّياً وادبياً ودينيّاً . وكان لكلتاهما كاتب اسرار يدوّن في سجلّ خاصّ اعمال الاخوة ومآثرهم . وقد اطّلعنا على سجلّ الاخويّة الارمنيّة الذي منهُ نسخة في مكتبتنا الشرقيّة فاذا هو حافل بالمعلومات عن انشاء تلك الجمعيّة الصالحة وعن اعضائها ومدبّريها وعن مآثرها المختلفة في خدمة القريب . فكانتها يوميّةُ حلب الدينيّة

وبعد زمن أُقيمت اخويّة ثالثة لطائفة الروم الملكيين لمّا ابتدأت بينهم تلك النهضة التي كانت اصل استقلال الطائفة الروم الكاثوليكيّة وانفصالها عن الفرع الفوطيوسي . ولهذه ايضاً سجلّ اعمال قد ثبت الى اليوم

وقد سعى الاب جلبرت ريغو (Gil. Rigault) الى انشاء اخويّة خاصّة بالاجانب لاسيّما التجّار الفرنسويين المستوطنين في حلب فأتت بثمار فاقت على كلّ ما يرتجى من مثلها . وكان بينهم رجال فضل كبير وهمّة عالية . وممّا زاد اخويّتهم شرفاً انّ قناصل دولة فرنسة كانوا في مقدّمة المشتركين فيها . نخصّ منهم بالذكر هؤلاء الثلثة أنج دي بونين (Ange de Bonin) الذي تعاطى اعمال القنصليّة من السنة ١٦٢٩ الى ١٦٥٢ . ثمّ خلفهُ ذلك الرجل الشريف والنابغة الكبير فرنسوا بيكه

(Fr. Picquet) من ١٦٥٢ الى ١٦٦٢ فكان في الاخويَّة مثال القداسة والاقدام على كل المآثر العظيمة في خدمة الكنيسة والطوائف الشرقيَّة طول مدَّة قنصليَّته قبل ان يتجرَّد عن امور الدنيا ليخدم الله في مصاف الاكليروس في وطنهِ وفي ارساليَّتهِ الى العجم كممثل للكرسي الرسولي (اطلب المشرق ١٥ [١٩١٢]: ٨٦٢ــ٨٦٤ ثم راجع ترجمتهُ المطوَّلة لحضرة الاب بطرس ساره في المشرق ٢٣ [١٩٢٥]: ١٩١ و١٧٨ و٢٥٠ و٣٥٥). ومثلها خلفُهما فرنسوا بارون (١٦٦١ــ١٦٦٩) الذي أدَّى اطيب الخدم للوطن وللدين فشهد لغيرتهِ وعظم فضلهِ المرسلون اليسوعيُّون والكبوشيُّون والكرمليُّون في رسائلهم الى ملك فرنسة والى الكرسي الرسولي فاثنوا على شهامتهِ في الدفاع عن حوزة الدين وفي ردِّهِ مكائد اعداء الكنيسة

وقد اضاف الى هذه الاخويَّات السابقة الاب بولس غوده (P. Godet) اخويَّةً خامسة انشأها للاحداث ليزرع في قلوبهم منذ شبابهم بذور الادب والصلاح

وقد ثبتت هذه الاخويَّات كلها مئة وخمسين سنة وكان عددها ثمانياً عند الغاء الرهبانيَّة اليسوعيَّة في سنة ١٧٧٣ وقد ثبت بعضها مدَّةً بعدهم فانَّنا وجدنا آثاراً لاخويَّة الموارنة حتى اوائل القرن التاسع عشر في بعض مخطوطات مكتبتهم العامرة في الدار الاسقفيَّة

وبفضل الاخويَّات خصوصاً نمت الروح المسيحيَّة بين المؤمنين في الشهباء وقد خرج منها رجالٌ اشتهروا كرؤساء كنائسهم وخدَّمة وطنهم بالآداب والفنون تُعزى اليهم تلك النهضة الادبيَّة والدينيَّة التي ظهرت في القرن السابع عشر فكان للكثلكة منها سهم فائز

(دمشق) دخل اليسوعيون دمشق يوم انتقل اليها من حلب السيد افتيشيوس الصاقزلي بعد انتخابهِ كبطريرك طائفتهِ الروم الملكيَّة. وكان اوَّل من احتلَّها الاب جيروم كويرو (J. Queyrot) سنة ١٦٤٣ بعد تبشيرهِ في حلب ثماني سنين فاخذ يعلِّم الروم اللغة اليونانيَّة ويفسِّر لهم اعمال الآباء اليونان وكان فتح مدرسة لناشئتهم اضحوا بهمَّتهِ مثالاً حيًّا لممارسة الفضائل المسيحيَّة لاسيما بعد ان نظَّمهم على هيئة شركة تقوية في خدمة امّ الله مريم البتول فكان يُشار اليهم بالبنان لحسن سلوكهم

(صيداء) اشتهرت فيها اخوية التجَّار. فانَّ صيداء كانت في القرون السادس

عشر والسابع عشر والثامن عشر اكبر مراكز التجارة الوطنية والغربية على سواحل الشام. وقد دخلها اليسوعيون سنة ١٦٤٤ وتفانوا في خدمة المطعونين ثم فتحوا لهم فيها ديراً ثم صرفوا عنايتهم الى تجار المدينة لاسيما الاجانب المحتلين فيها فرأوا انَّ اقرب وسيلة لتعزيز روح الدين انشاء اخويَّة منظَّمة دعوا اليها قوماً من التاجرين فلبَّوا دعوتهم وشاركوهم في سائر اعمال الخير . وكان من جملتهم قنصل صيداء الفرنساوي وزميلهُ قنصل القاهرة المهاجر اليها . وقد اصبح الاخوة بزمن قليل مثالًا حيًّا للسيرة الفضلى ورُسُلًا في مساعدة القريب. ومن اعمالهم المشكورة انَّهم كانوا يعودون الأسرى والعبيد المحكوم عليهم في مراكب الدولة بالاشغال الشاقة فيهتمُّون بمساعدتهم ماديًّا ودينيًّا. وسعوا الى انارة بعض المبتدعين وردّهم الى الايمان فنجحت مساعيهم بارتداد كثيرين من الهراطقة والمنفصلين . وقد سطَّر الاب يوسف بسُّون (Jos. Besson) في تاريخهِ المعنون بسوريَّة المقدَّسة (La Syrie Sainte) تراجم بعض الاخوة دلالةً على سموّ فضلهم ومآثرهم الصالحة . ومنهم كان التاجر فرنسوا لمبار (Fr. Lambert) الذي رحل الى الهند ثمَّ ترهَّب في الرهبانيَّة اليسوعيَّة وانشأ مركزًا للمرسلين في لبنان في عينطورا بدعوة الشيخ ابي نوفل الخازن في اواسط القرن السابع عشر

﴿العجم والارمن﴾ فتح اليسوعيون رسالتهم في العجم والارمن سنة ١٦٥٠ كان اوَّل منشئيها المرسلَين الكبيرين حبيب شيزو المرسل الغيور المذكور سابقاً في حلب والاب فرنسوا ريغوردي (Fr. Rigordi) ثم الاب اسكندر دي رودس (Alexandre de Rhodes) من اكبر رجال عصرهِ . كان نزولهم (اوَّلًا) في اصفهان ثمَّ انتقلوا مع الارمن الى حيٍّ خصوصيٍّ عُرف بجولفا . فلما رأوا تعبُّدهم للعذراء مريم انتهزوا تلك الفرصة وأسَّسوا اخوية على اسمها المبارك فما عتَّموا ان جنوا ثمارها الطيِّبة باقبال الارمن عليها وتحسُّن سلوكهم بواسطتها لا بل ردُّوا كثيرين من الغريغوريين الى الايمان الكاثوليكي بملازمة فرائضها الصلاحيَّة

ثمَّ فتح المرسلون عدَّة مراكز في العجم وارمنية . في شماكية من معاملة شروان ثم في بتليس وارزروم واريفان وتبريز وطرابزون فكان في كل هذه الاديرة انشاء الاخويَّات المرعيَّة من انجع الادوية لاصلاح شؤون النصارى وتهذيبهم بالاخلاق الراقية ودفعهم الى المشروعات الخيريَّة والادبيَّة على الرغم ممَّا لقوهُ من الاضطهادات

وضروب المحن. فتضاعف عدد الكاثوليك بين الارمن. لولا ان اعداء الدين لم يزالوا يشنّعون بهم حتى اخرجوهم قسراً من البلاد

﴿تركيّة واليونان﴾ سبق دخولُ اليسوعيين الى الاستانة واليونان دخولهم في الشام والعجم. خدموا في عاصمة الاتراك النصارى الوطنيين والفرنج الكاثوليك. واتخذوا لهم ديراً على اسم القديس مبارك في حيّ غلطة حيث مارسوا في كنيسة هناك كل اشغال الرسالة من مواعظ وتوزيع اسرار ورياضات وكانوا يعودون المرضى ويزورون المنكوبين المحكوم عليهم باللومان وربّما باتوا معهم في سجونهم. وانما كانت الاخويات من اخصّ اشغالهم سواء كان مع النصارى الوطنيين ام مع الفرنج المستوطنين فكانت نتيجتها كما في غيرها من المدن اصلاح الاخلاق والعيشة الفاضلة والاندفاع الى الاعمال الخيرية في سبيل القريب.

ومثلها في جزائر اليونان التي سكنها المرسلون لاسيما ساقص (Chio) حيث ازهرت الاخويّات المريميّة وفي جزيرة سانتورين وفي سيرا وتينوس وغيرها. وقد ذكر المرسلون في كتاباتهم ما اثمرت الاخويّات في كلّ منها من ثمار الخلاص في كل طبقات الشعب

٤ الاخويات في الوقت الحاضر غرباً وشرقاً

انّ الاخويّة المركزيّة في رومية التي اليها مرجع الاخويّات المريميّة القانونيّة قد اشركت في نعمها في المئة السنة الاخيرة ١٧٧، ٤٢ اخويّة اخرى في جهات المعمور. واليوم يبلغ عدد المشتركين نيّفاً واربعة ملايين من الناس يكرمون العذراء اكراماً خاصاً ويرمون الى غايتي الاخويّات تقديس حياتهم والسعي وراء خير القريب. ومن هذا يتّضح كيف نمت تلك حبّة الخردل المزروعة في المدرسة الرومانيّة فاصبحت شجرة وارفة الاغصان تظلّل انحاء المعمور.

وان خصصنا النظر بشرقنا القريب وجدنا ان للاخويّات فضلاً عميماً في حياته الدينيّة والادبيّة. فان كلّ دير من اديار الرهبانيّة اليسوعيّة مركزٌ لثلث او اربع اخويّات للذوات وللعملة وللشبّان والاحداث والنساء والفتيات. ولكل اخويّة سجلّ تدوّن فيه اعمالها الخيريّة والاجتماعيّة. وقد سبق لنا فصل في الشرق (١٦

[١٩١٣] : ٣٢١ــ٣٣٥) افردناهُ ليوبيل اخويَّة العملة البيروتيَّة ومنهُ يظهر ما للاخويات من المآثر الطيبة في خدمة الدين والمجتمع الانساني. وكذلك نُشرت اعمال اخويَّتي الجبيل بلا دنس البيروتيَّة والرَّحليَّة بنسبة يوبيلها الذهبي السنة ١٩٠٠ و ١٩٠٤. وكذا قل عن اخويَّات بكفيَّا وغزير وصيداء ودمشق وحلب وحمص

واليوم قد تعدَّدت هذه الاخويَّات فأنشأ كثيرًا منها اربابُ الطوائف الشرقيَّة وكهنتها الافاضل فلا يكاد يوجد بلدة إلَّا وفيها اخوية او اكثر. فهي في كل مكان كالخميرة التي يختمر بها روح التقى والعبادة والمساعي الخيريَّة

وكانت الاخويات في الاصل مقصورةً على الرجال الى ان أذن الحبر الاعظم بندكتوس الرابع عشر ان تُنشأ ايضاً للنساء فتوفَّرت عددًا وصلاحاً وعمَّ بها روح الدين كافَّة طبقات الشعب المسيحي

٥٠ بعض ثمار الاخويات المريميَّة

قد سبق انَّ غاية الاخويَّات مثنَّاة تقديس حياة اصحابها وخدمة صلاح القريب ولو أردنا ان نذكر هنا ولو موجزًا اسماء بعض المشاهير الذين انتظموا في سلك الاخويَّات وارتووا من مناهلها لما كفت المجلَّدات. دونك عددًا زهيدًا منهم

بينهم القدّيسون كلويس غونزاغا ويوحنَّا بركانس واستانسلاوس كوستكا ومنهم معلّمو الكنيسة ومنشئو الرهبانيَّات كالقديس فرنسيس دي سال وبطرس كانيزيوس والفونس ليغوري وكاميل دي لاليس

ومنهم الاحبار الاجلَّاء كالقديسين كرلس بورماوس والطوباوي بلرمينوس

ومنهم رُسل الشعوب كالقديسين جان فرنسوا راجيس وبطرس فوريه وجان أود وبطرس كلافر ولاورند دي بور موريس وغريغوريون دي مونفور

ومنهم شهداء كالقديسين فيدال دي سيغمارنجن وشهداء اليابان الثلثة

ومنهم البابوات العظام كبندكتوس الرابع عشر وبيوس التاسع ولاون الثالث عشر

ومنهم الخطباء النوابغ كبوسويت وفينيلون وبوردالو

ومنهم كبار العلماء كالفيلسوف ديكرت والشاعر كورنيل والطبيب لانَّنك والمصوّر روبنس والرياضي كوشي (Cauchy)

ومنهم قوّاد الجنود القطاحل مثل البرنس دي كونده وتوران وفيلّار
ومنهم منشئو جمعيّات شهيرة كدي بيرول واوليه وشامبناد وديجنات
فترى انهُ ليس قسمٌ من المشروعات الكبرى في العالم إلّا كان للمتخرّجين في الاخويّات يد بيضاء في مزاولتها

وما قلناهُ عن الغرب يصحّ ايضاً عن الشرق فانَّ عدداً لا يُحصى من ارباب الدنيا والدين بين الكاثوليك منذ ثمانين سنة قدّسوا حياتهم بالاخويّات ثمَّ حاولوا خدمة القريب فكانوا مثالًا حيًّا في دعواتهم المختلفة في مصافّ الاكليروس او في سلك الرهبان او كاصحاب رتب شتى ووظائف في الحكومة او كارباب بيوت واملاك وتجّار وعملة تفتخر بهم كل اخويّة . وقد رأينا في السجلّات السابق ذكرها اسماء بطاركة واساقفة وامراء واعيان رضعوا في الاخويات افاويق التقى ثمَّ أصبحوا من أخلص أنصار الدين والوطن

واليوم في انحاء البلاد عدّة جمعيّات دينيّة وادبيّة واجتماعيّة يُعلن اصحابها بانها نشأت بفضل الاخويّات كمدرسة الرسالات الاجنبيّة وجماعة اخوة مريم وشركات مختلفة لحماية الشبيبة وحماية الفتاة وشركة مار منصور دي بول وشركة المطبوعات الصالحة وشركات اخرى كثيرة نشأت بهمة الاخويات . ففي بيروت مثلًا ترى بعض الاخويات تُعنى بإعداد الصغار للمناولة الاولى وبتعليمهم مبادئ الديانة وبعضها يزور المرضى او يفتقد المحبوسين . ومنها ما يهتمّ بجمع الشبّان لتهذيب عقولهم بالمحاضرات الادبيّة او بإراحة ابدانهم بالالعاب المنظّمة . وكثيرون منهم يبحثون عمّن يتأخّر عن اقام واجباته الدينيّة فيجذبونهُ الى الرياضات السنويّة والى كرسي التوبة

ومجمل القول انَّ الاخويّات اعظم واسطة يستعين بها الكهنة لبلوغ غايتي كهنوتهم اي خلاص المؤمنين وتقديس نفوسهم تحت حماية مريم العذراء مثال اسمى الفضائل الالهيّة بقداستها الشخصيّة وبغيرتها في خدمة القريب كما نصّ عليهِ الانجيل الطاهر يوم زيارتها لنسيبتها القديسة اليصابات وفي عرس قانا الجليل واليها انضمَّ الرسل في علّية صهيون استعداداً لقبول الروح القدس . وهي اليوم في السماء بقرب عرش ابنها سلطانة الكنيسة المقدّسة والشفيعة المشفّعة عندهُ لتنيل المؤمنين سائر النعم الروحيّة

الطوباوي سالومون

من اخوة المدارس المسيحية وشهيد ثورة باريس سنة ١٧٩٢

الطوباوي سالومون (١٧٤٥ـ١٧٩٢)

من اخوة المدارس المسيحيَّة واحد شهداء الثورة الفرنسوية

بقلم ي . ج احد اخوة المدارس المسيحية في الثغر

. ان الاخ «سالومون» الذي أدرج قداسة الحبر الاعظم بيوس الحادي عشر اسمهُ في سجلّ الطوباويين ينتسب الى عائلة افرنسيَّة تُدعى «ليكلير» كانت شديدة التمسُّك باهداب الديانة المسيحية وكانت معروفة في بولونية سورمير (Bologne-sur-mer) بتجارتها الواسعة

كان والده فرنسوا ليكلير احد اغنياء تلك المدينة ومن اعظمهم شهرةً ، ولم تكن تجارتهُ لتمنعهُ عن الاعتناء بتلك الأُسرة العديدة التي منحتهُ اياها العزة الالهية. وكان الرجل طويل القامة ، جليل الهيبة ، متوقد الذكاء ، قد اتخذ شريكةً لحياته «ماري بارب دي بون» في ١٣ تشرين الاول سنة ١٧٣٩ فرزقهُ الله منها احد عشر ولـدًا عاش منهم سبعة صبيان وابنتان . وكانت تلك القرينة تناسب بعلها ذكاءً وفطنةً ، لها إلمام بالاشغال التجارية ، وكانت ابيَّة النفس لطيفة المعشر تقيةً تحضر الذبيحة الالهيـة كل صباح على الرغم من تراكم اشغالها ، وهناك قرب السيد المسيح ينبوع الحياة كانت تستقي تلك الروح القوية التي كانت تساعدها على احتمال اتعاب الحيـاة العائليَّة ، وتؤهلها لتربية بنيها العديدين تربيةً حسنة

وُلد بطلُنا في بولونية سورمير سنة ١٧٤٥ ودعي نقولا ثمَّ نشأ في حجر والديه المتديِّنين الى العاشرة من سنيه

ففي هـذا الوسط المسيحي ترعرع نقولا لكليرِ سائرًا حسب اوامر والديـهِ المتمسِّكين الاعتصام التامّ بالديانة الكاثوليكية تابعاً اثرهما في طريق الفضيلة . وكثيراً ما كان يغتبط ويشكر الله في الرهبنة لمجرد ذكر والديه ، ولعظم غيرتهما على تربيتهِ قائلاً: «ان والدتي كانت تزيد فيَّ الشوق لخدمة الله وتجتهد لكي تعظّم في نظري الخيرات الحقيقية» . وكم كان يردّد هذه العبـارة: «اني اشكرك يا رب لانك خلقتني

ابنَ والد فاضل وَرِع ، بذل النفس والنفيس في سبيل تربيتي تربيةً مسيحية »

ولما بلغ العمر الذي امكنهُ فيه دخول المدرسة أودع في مدرسة الفرير الموجودة في مسقط رأسه ، ولم يمض عليه زمن قليل حتى اصبح مثالاً صالحاً وقدوة حسنة لاخوانه التلامذة في السلوك والتقوى ما جعل والدتهُ تتهلل قائلةً : «ان ولدي منذ دخوله تلك المدرسة المسيحية اصبح ينمو كشجرة غُرست في تربة حسنة على ضفاف نهر كبير» . فلا عجب ان نراهُ بعد ذلك يؤدّي به جهده وكدّه الى اتمام ارادة خالقه

ففي السادسة عشرة من عمره غادر المدرسة وامال نظره نحو التجارة فباشرها . غير انهُ كان في مهنته الجديدة متّبعاً كل ما يوحيه اليه الضمير والانصاف بعيداً عن الطمع والجشع والبخل لانَّ نفسه كانت محلّاة باعظم المزايا واكمل الصفات

امّا تلك المهنة فقد اوجبت عليه الابتعاد عن بلده وذويه والدخول في خدمة احد التجار المدعو «فورنيه» فاقام عنده ثلاث سنوات محروماً من عطف والديه ومن حماية اقاربه مختلطاً مع اناس يجهلهم . فكم كان ذلك شاقاً على بطلنا في بادئ امره بعد ان كان في حجر والديه يقضي حياة سعيدة بين اخوته واخواته ويشاطرهم الحنو الوالدي

ومن العجب انهُ في تلك البيئة حيث كانت الديانة موضوع الهزء والاهانة ظلَّ محافظاً على نقاوة قلبه وطهارة ضميره جارياً على قوانين الدين المسيحي واصول الاداب التي اكتسبها في المدرسة المسيحية وفي حجر والديه رغماً عما رآهُ من فساد الاخلاق وضعف الايمان في شبّان لم يساعدهم الحظ ليتربوا تربيةً نظير تربيته . وممّا كان يجرح فؤاده معاملة هؤلاء الشبان له حينما شعروا بتقواه وسذاجته . فانهم جعلوه هدفاً لمزاحهم وسخرياتهم التي ، وان لم تكن صادرة عن مقصد سيّئ ، كانت تؤلمه كثيراً . ولكن ايمانهُ المتين لم يتزعزع وارادته الصخرية لم تتغيّر . فكانت حراجة موقفه هذا توطئةً وتمهيداً لتلك التجارب العديدة التي سوف تنتابه في مستقبل حياته

ثم عاد نقولا لكلير الى مسقط رأسه سنة ١٧٦٦ وهناك عيَّنهُ احد اخواله «لويس دي تيون» ناظراً عاماً على معمل لهُ ، وبما ان هذه الوظيفة الجديدة تتطلّب خبرة واسعة لمعرفة طباع مستخدميه وعلماً وافياً شقَّ عليه ذلك واقرَّ بكل صراحة بعدم كفاءته لهذا المنصب ، وشعر بحاجة الى إتمام علومه التجارية في باريس ، فنال رضى

عائلته ومساعدتها في هذا الامر الهامّ

ففي صبيحة يوم ركب عربةً اوصلتهُ الى باريس بعد ثلاثة ايام، وهناك استأجر غرفةً لهُ في حي «لوكسمبور» وكان يتناول طعامهُ في احد المطاعم التي كان يتردَّد اليها بعض شبانٍ لا دين لهم. فكانت احاديثهم بذيئة تُشعر بالكفر والالحاد واحتقار الواجبات. والى القراء ما صرّح بهِ الاخ سالومون نفسه عن هذا المطعم المجونيّ في رسالة الى اختهِ سنة ١٧٧١ قال: «لو كنتُ اعرف باريس حق المعرفة لما كنت ولجتُ هذا المطعم»

وكان تقولا في هذا الوسط الفاسد مقبوض الصدر، مكلوم الفؤاد لا يجد تعزيةً ولا سلوى الّا بمطالعتهِ رسائل والدتهِ التي كانت ترسلها له من وقت الى آخر

ثم انه لكثرة حيائهِ وخجلهِ لم يقدم على مجادلة هولاء الشبّان الاشرار ومقاومتهم بل كان بعض الاحيان يلبّي دعوتهم الى اللعب ويذهب معهم الى المتنزهات خارج المدينة خوفاً من ان يظهر امامهم غريباً من اطوارهم فيزيد حنقهم وسخريتهم منهُ. لكنهُ لم يكن يفعل ذلك الّا مكرَهاً لانهُ كان يشعر بوجوده في محلٍّ لا يريده الله. والذي كان يزيد موقفهُ حراجةً اعتقادهُ بان المثل الرديّ والحياء البشري يبعدان الانسان عن فعل الخير

وانما كان يساعدهُ على كبح اهوائهِ ومقاومة تحريضات هولاء الشبان الكفار لحفظ ايمانهِ وفضيلته ممارستهُ لسرّ الاعتراف وزيارتهُ للقربان المقدس كلّما مرّ بكنيسة. فهذه العوائد المسيحية حفظت قلبه نقياً من كل خطيئة، فما كان يجرأ على خيانة ضميره، بل كان ينظر نظر اللبيب الى عاقبة الامور

فهذه التأملات لم تزل تؤثر في قلبهِ اعظم تأثير الى ان اظهرت لهُ اباطيل العالم، وولّدت في فؤادهِ كره تلك الفانية. ورغماً عن اعتقادهِ بان الانسان يقدر ان يخلّص نفسهُ في العالم كما في الرهبنة فانهُ كان يشعر بعدم مقدرتهِ على تخليصها وهو في العالم كمستخدم تجاري. ولذلك انهى حسابهُ مع مديرهِ وعاد الى بولونيا في اوائل اذار سنة ١٧٦٢، وعندما سأله والداه عن سبب عودتهِ الفجائية اجاب معلناً لهما باحزانهِ ومشقّاتهِ العديدة وختم كلامهُ قائلاً: «انني لم أُخلق لاعيش في هذا العالم الذي كثرت فيهِ المآثم والشرور، ولهذا فاني اودُّ الدخول في جمعية اخوة المدارس المسيحية»

فبعد ان اختبر الشاب نقولا لكلير العالم مدّةً تركهُ ورغب في الكمال ، ثمّ بحث عنهُ فلم يجدهُ الأبين اساتذتهِ ومؤدبيهِ اخوة المدارس المسيحية

ان حياة هؤلاء الرهبان الافاضل المحرومة من الكهنوت تظهر كلغز لمن لا يعرفهم ، ولكن تلاميذهم واصدقاءهم يعلمون حقّ العلم الى ايّ مقام من العز تعلو بهم غيرتهم ، والى اي شرف عند الله يؤدّي بهم تواضعهم . فروح القديس يوحنا دي لاسال مؤسسهم هي روح جهاد في خدمتهِ تعالى وتهذيب الاحداث والشبّان ، وقوانين هذا القديس هي قوانين مؤسسي الجمعيات العظماء . فهي تُولّد ، بواسطة الحياة الروحانية والتقشفات والطاعة والعفّة والفقر ، زهّادًا يتممون الاعمال المسيحية الى اقصى درجاتها من الكمال . فلا بدعَ اذا اعتنق بطلنا المتخرج في مدارسهم معيشتهم لينجز مشروعهم العجيب

ولم يكن نقولا لكلير الوحيدَ بين اخوتهِ العديدين في انقطاعهِ لخدمة الله . فانّ اخاهُ البكر كان سبقهُ فدخل رهبانية القديس فيلبّوس النيري ولكن لم يعش طويلًا حتى توفاه الله في مدينة «تروا» حيث كان مدرساً في احدى مدارس تلك الرهبانية الشهيرة سنة ١٧٦٣ . ثمّ تبع اثنان آخران من اخوتهِ نصائح الكمال الانجيلي ايضاً وقد ماتا في ريعان شبابهما بعد اعتناقهما الرهبنة بمدة وجيزة . فلم يتذمّر والدهم التقيّ من تلك الضربات المتواترة على قلبهِ الكبير . ولمّا عرض عليهِ رابع اولاده دعوتهُ اجابه ملبّياً طلبهُ بعد ان استشار بعض اصدقائهِ الكهنة ، وذهب هو نفسهُ الى مدرسة الفرير ، وخاطب الرئيس عن دعوة ولده نقولا ورغبتهِ في الدخول في جمعيتهم الزاهرة . فسرّ الرئيس غاية السرور لما رأى من هذا الوالد من الاخلاق السامية ، وكم كانت هذه التضحية عظيمة في نظر الباري تعالى

اما والدة نقولا فقد شعرت بفرح عظيم لدى بلوغها خبر دخول عزيزها في جمعية اخوة المدارس المسيحية لانها رأت في ذلك ثمرة تربيتها الصالحة واستجابة تضرعاتها التي ما برحت توجهها نحو الخالق لتقدُّم اولادها في طريق الكمال . ثمّ انها زودتهُ بنصائحها الوالدية في الساعات الاخيرة قبل مغادرتهِ المنزل وواصلت ارشاداتها في رسالاتها العديدة بعد دخولهِ الرهبنة . والاخ سالومون يؤكد ذلك بقولهِ : ان والدتهُ كانت له اعظم مرشد في حداثتهِ الرهبانية

كان نقولا لكلير في الثانية والعشرين من عمره حينما انتظم في سلك الجمعية المشار اليها. وقد لُقب بالاخ سالومون وسار سير الابطال في طريق الفضيلة. وبعد سنة الابتداء اصبح مثالاً لجميع اخوانهِ الرهبان، فعُهد اليهِ بتعليم الاحداث والشبان في «رين» و«روان» و«مارتيل» فبرع في هذا الفن الشريف مظهراً غيرة عظيمة، واجاد كل الاجادة في تلقين تلاميذهِ معرفة الله ومحبتهُ وخدمتهُ

ثم عُيّن رئيساً على المبتدئين، فكان منارًا لهؤلاء الشبان ينظرون اليهِ وهم سائرون في طريق الفضيلة. وبعد ذلك استحقَّ ان يكون وكيلاً عامًّا بالنظر لما تحلّى بهِ من الفضائل السامية والمعارف الكثيرة فكان يصحب الرئيس في جميع اسفارهِ، ويساعدهُ في اعمالهِ الادارية، ولم يكن مبتغاه طول جهادهِ الّا مجد الله وخير القريب

وفي سنة ١٧٩٢ اوقفهُ الثوار بغضاً بالدين المسيحي الذي كان يدافع عنهُ بجميع قواهُ. واعتُقل مع من اعتُقلوا من الاكليروس المكرَّم في سجن الكرمليين في باريس، وأبى ان يخضع للقرار المدني الذي وضعهُ الثوريون لاكليروس فرنسة. فذاق انواع العذاب ومات شهيدًا مع جماعة منهم في ٢ ايلول سنة ١٧٩٢. وقد كرمت الكنيسة المقدسة هؤلاء الشهداء الابطال باعلان تطويبهم في السابع عشر من شهر تشرين الثاني سنة ١٩٢٦

شعراء النصرانية بعد الاسلام

القسم الرابع

شعراء القرون المتأخرة مباشرة بالقرن الرابع عشر

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

٨ ميخائيل حاتم القوّال

﴿زمانهُ طائفتهُ﴾ هو الشيخ ميخائيل بن حاتم الحمصي. ولد في حمص في اواخر

القرن السادس عشر واشتهر في القرن السابع عشر . فكان معاصراً لعيسى الهزار وتأخر بعدهُ وهو من الطائفة الروم الملكيَّة قبل انقسام الملكيين الى اورثذكس وكاثوليك . وفي بعض زجليَّاتهِ يذكر وجودهُ في مصر . وله فيها مديح قالهُ في البطريرك كيرلُس بابا الاسكندريَّة اراد بهِ كيرلس الشهير بلوكاريس (C. Lucaris) الذي نال بالرشوة الجلوس على كرسي الروم الملكيين في الاسكندريَّة نحو السنة ١٦٠٠ قبل ان ينتقل الى كرسي القسطنطينيَّة سنة ١٦٢١ حيث نشر تعاليم البدعة البروتستانيَّة فقام عليهِ اهل ملَّتهِ فنُفي الى جزيرة تنيدوس ثمَّ قُتل سنة ١٦٣٦

ويؤخذ من شعرهِ ميخائيل حاتم ايضاً انهُ سكن الشام ومدح القديس يوحنا الدمشقي وزار صيدنايا ووصف معبدها الشهير وصورتها العجائبيَّة . ولا نعرف سنة وفاتهِ . ولعلَّهُ عاش الى اواخر القرن السابع عشر . ولم يذكرهُ احد كتبة الروم

وقد دلَّ على زمانهِ في اجدى صفحات ديوانهِ (ص٩٩) المؤرخة في اذار من السنة الهجريَّة ١٠٢٨ (١٦١٩ م) وقد ختم زجليَّة اخرى من منظوماتهِ بتاريخ العالم ٧١١٠ وهي ١٦٠٢ مسيحيَّة

﴿ديوانهُ وشعرهُ﴾ في مكتبتنا الشرقيَّة نسخة فريدة من ديوان ميخائيل حاتم تبلغ ٤٣٦ صفحة من القطع المتوسط وهي بخطِّ يدهِ كُتب في رأس اوَّل صفحة منها :

« نبتدئ بعون الله تعالى بكتابة مدائح لطيفة واشعار في سيدنا يسوع المسيح وسيدتنا الطاهرة مريم وهو من ديوان الشيخ المعلم ميخائيل ابن حاتم الحمصي وهو خطهُ يدهِ »

والتاريخ كما رأيتُ في السنة ١٦١٩ مسيحيَّة ورد في آخر زجليَّة طويلة في مديح العذراء مريم كما يلي (ص ٩٧) :

يا مريم عبدكِ ميخال حاتم حارْ ... في وصف معنى مديحك عاملي حارْ
وقت الضُّحى والمساء والليل والاسحارْ ... مراصد المديح كالطلسم والاسحار
حسن الرقم في نهار السعد من آذارْ ... برج الحمل انتقال الشمس منها دارْ
اوَّل ربيع اتَّفق لي بالقمر ابدارْ ... تاريخ يوم الاحد ذو الشرق بالجندارْ

سنة ١٠٢٨ (١٦١٩)

هذا الديوان يحتوي على نيف ومئة قصيدة من الزجليَّات المختلفة الوزن على كل فنون الزجليَّات يلقيها الشاعر عفوًا لا يراعي فيها شيئاً من قواعد اللغة شأن معظم القوَّالين الذين يجرون على انغام المغنين. وميخائيل حاتم في اوَّل كل زجليَّة يدلّ على اوزانها المعروفة في زمانهِ بين العامَّة كقولهِ مثلًا (ص ١٥٩) «على وزن: يا كثير العفو يا عظيم الشان» وقولهِ (ص ١٨٣): على وزن «ألا يا وردة البحر» وقولهِ (ص ٢٣٩): على وزن «يا عزيز القوم قلّي» وهلمَّ جرًّا. ولعلّ معظم هذه الاوزان القديمة قد أُلغي ونُسي والله اعلم. دونك بعض امثلة من اقوالهِ. قال يعارض احد اقرانهِ على وزن: «جفاني صاحبي وارسل يقلّي»

المطلع

رجائي فيك يا يسوعُ واقرْ بما أنَّك على الاشياء قادرْ

باسمك ابتدي بالنظم جهدي وأعارض في قريضي نَظْمَ ضِدِّي
تقبَّل يا يسوع الحيّ نشدي واجعلني لقول الحقّ ناشِرْ

أما انت المشرَّفُ بالاسامي أما انتَ الممجَّد في الانامِ
أما انت المنوِّرُ للظلامِ اما انت لنا اوَّلٌ وآخِرْ

أما انت الذي رفع التلالا اما انت الذي أرسى الجبالا
اما انت الذي حاز الكمالا اما انت الذي بالحق قادرْ

نعمْ انت الذي كوَّنتَ عالَمْ كما انت الذي صوَّرت آدم
وانت الذي ابدعت ما لَمْ يكنْ اذ صرتَ لهُ ناهي وآمِرْ

نعم انت الذي زان الكواكبْ كما انت الذي للعرش راكبْ
وانت الذي للغيث ساكبْ على زرع الثرى مع كلّ زاهرْ

نعم انت المُسَبَّحُ بالملائكْ كما تملكُ في اعلى سمائكْ
وانت الذي للكلِّ مالكْ وحكمكَ منصفٌ ليس بجائرْ

فهذا هو الذي للناس كلَّمْ وهذا هو الذي منَّا تجسَّمْ
في يوم حلولهِ احشاء مريمْ وفي تأنُّسهِ دَقَّتْ بشائرْ

وقال مستعطفاً على وزن «مضى لي سنين مع الهالكين»:

يا من لا ينامْ يا زين الأنامْ رمَتْني الآثامْ في حال السقيمْ
انهضني لديكْ واتكلني عليكْ واجذبني اليكْ جذباً مستقيمْ
يا كنز الصلاحْ يا عين الفلاحْ ألقاني الطَّلاحْ في الفعل الوخيمْ
انضَحْني بمائكْ من اعلى سمائكْ واذكر في حمائكْ ضعفي يا كريمْ
غِثْني يا مسيحْ من داء جريحْ رماني طريحْ في الليل البَهيمْ
يا نور الظلامْ يا ربَّ السلامْ صُنّي من ملامْ ابناء الجحيمْ
أمهلني أُنيبْ قبل أن أشيبْ بنعمة الصليبْ والام الرحيمْ
هي امل نسلها ونعمة نجلها نسأل بفضلها فردوس النعيمْ
فيها احتسَبْ منها اكتسَبْ حاتمُ النسب ميخال الاثيمْ

ولهُ زجليَّة طويلة في عدَّة صفحات يزجر فيها نفسهُ ويحضّها على التوبة منها قولهُ:

يا نفس غير الله لا تقصدي يا نفس دونهُ خلًّا ما توجدي
يا نفس ان خدمتهِ تسعدي يا نفس هو الكفوءُ وذو الفضل العجيبْ

يا نفس ذي الدنيا محلٌّ حقيرْ يا نفس من يعشقها يُصبح أسيرْ

يا نفس افراحُها عِبْءٌ ونِيرْ يا نفس بحبّ الله تُشفى القلوبُ

يا نفس مولاكِ عزيز الجلالْ يا نفس اوصاكِ بحسن الخصالْ

يا نفس ايّاكِ سبيلَ الضلالْ يا نفس انّ الجاري فيهِ كَئيبُ

حَسْبُكَ بهذا القليل مثال يبيّن طريقة ميخائيل حاتم في منظوماتهِ الزجليّة. وهي مع ضعف لغتها لا تخلو من معانٍ بليغة وعواطف شريفة يبرزها بكل اوزان الشعر العامّي. ويشفع فيهِ انهُ كان ينظمها في زمان اصبحت العربيّة في غاية الخمول في الشرق العربيّ بعد تولي الاتراك وحالة البلاد السيئة وقلّة المدارس فلا تكاد تجد كاتباً يستحقّ الذكر

٩ انطونيوس فريجي اللبناني

﴿تعريفهُ﴾ في مكتبتنا الشرقيّة مجموع قديم بالكرشوني كُتب في السنة ١٦٨٤ كما هو مدوّن في آخرهِ. يبلغ عدد صفحاتهِ ٢١١ صفحة. والكتاب يتألف من قسمين قسم يحتوي زجليّات ابن القلاعي الذي سبق ذكرها. وقسم آخر من نظم كاتبهِ الذي أفادنا في آخر الكتاب عن اسمهِ واسرتهِ وطائفتهِ فيدعو نفسهُ «انطانيوس ابن ابو منصور حنّا من بيت فريجي من قرية كفردبيان بجبل لبنان» كتبهُ «في دير مار انطونيوس قزحيّا في السنة المذكورة» ويطلب الصلاة لاجل «معلّمهِ المطران يوحنّا السرّجُبَيلي»

﴿منظوماتهُ﴾ لانطونيوس المذكور زجليّات كما لابن القلاعي منظومة على اوزان عاميّة قلّما تراعى فيها قواعد اللغة بينها تراجم قدّيسين وذكر حوادث تاريخيّة اهمّها ما ذكرهُ عن فتح الاتراك لقبرس سنة ١٥٧٠ وكوارث طرابلس سنة ١٥٨٠ نذكر هنا منها شيئاً

وقد قال زجليّتهُ عن قبرس واصفاً ما حدث بها من ضروب النكبات لمّا ارسل السلطان سليم الثاني اسطولاً تحت قيادة مصطفى باشا فنتحها وانتزعها من ايدي البنادقة الذين بعد دفاع طويل سلّموها بالامان. فلم يَفِ المسلمون بوعدهم فقتلوا في الماغوصة القبطان وسلخوا جلدهُ وقتلوا معهُ ٤٠٠ رجل وسبوا من الروم ١٨٠،٠٠٠

وقتلوا وحرقوا نحو ٥٠،٠٠٠ وقُتل من الوارذة ١٨،٠٠٠ . ثم حلفوا لاثني عشر الفاً من الجنود المتحصّنين في قرية كاليسباسي (؟) على رأس الجبل انهم اذا سلّموا لا يضرّونهم بشيء . بل يردّون لهم قراهم ويولّونهم عليها فلمّا سلّموا قتلوهم عن آخرهم . ثمّ طافوا كل الجزيرة واستعبدوا اهلها وصيّروا كنائسها جوامع وخانات . وسبوا نساءها فارسلوهنّ الى القسطنطينيّة في ثلث سفن لكنّ واحدةً منهن احرقت السفن فرارًا من العار فذهبنَ شهيدات العفاف

وقد وصف انطونيوس فريجي شيئاً من ذلك بهذه الزجليّة التي جعل عدد ادوارها على عدد حروف المعجم قال ما زويه بحرفهِ الواحد كأثر تاريخي وكدلالة على انحطاط اللغة في ذلك العصر

الالف اليوم قلبي اصبح سكراني ، اذ ليس خمرًا على قوبروس نَدماني ، الدم يغلي ودمع العين غزراني ، اليد تكتب تواريخ صابت ازماني ، سنة الف وخمسمائة وسبعين ربّاني

* الباء * يقبروس فؤادي بات مفتكر ، من مغرب الشمس طول الليل الى السحر ، لخبر سمعتهُ من اولادها كدرْ ، كيف دخلت الترك قبروس واهلها حُسّر ، لاجل الخطا الله عطاها لابن العثماني

* ج * جزيرة قبروس كم جرى فيها ، كان النصارى براحا ساكنين فيها ، لكن بعض الفواحش اجهرت فيها ، الخُلف وعدم المحبّة قلبتْ كراسيها ، واهلها كاتبوا الى ابن العثماني

* د * دخلوا الترك والسّعد يخدمهم ، عربان وسودان ونصارى تساعدهم ، كانون الشتا كالصيف ليس بد اذ كرهم ، كانون وسوباط هديت الريح بهم ، في البحر دخلوا المراكب تقول حيراني

* هـ * هياكل قبروس كانت تشوّقني ، صلبان واقوان ونواقيس تفرّحني ، حين دخلتْ الترك ادحوهم يا حزني ، ونصبوا موادن ومحارب

الى القبلي ، من بعد قتل اساقفة ورهباني

* الواو * ولّت ملوك الغرب عن قبروس ، قبل دخل مصطفى باشا(١ وضار حيفوس(؟) ، وكان قبطان بالاسقفيّة(٢ وكّل مرقوس ، وقبطان المغوصه(٣ وكيل نقولاوس(٤ ، وبدوا يجازوا بعسكر ابن عثماني

* الزاي * زال الحرب من اوّل صيام الكبير ، حاصروا الاسقفيّة الاسلام كبير وصغير ، نقبوا الاسوار وكان حاضر ناس من اغزير ، سابع يوم بايلول دخلوا ودقّوا نفير ، ملكوا وقتلوا خمسين الف نصراني

* الحاء * حرقوهم بالنار يا لله العفو ، واسبون (وسبوا) انفس مائة مع ثمانين الف ، واما الاموال والارزاق ليس يضبطهم وصف ، ايش حال غنم قطيع اذياب خطفهم خطف ، اخذوا وباعوهم في كلّ بلدان

* الطاء * طلبوا الماغوصة وحاطوا بها ، من كلّ جانب في الحصار ضبطوها ، قتلوا من المسلمين(٥ الوف لم عدّوها ، لان الف مدفاع كان فيها ويطلقوها ، صائب دحر العسكار قرغوا يجيّ ثاني

* الياء * يا حيف على النصارى فرغ زادهم ، وانتام بارودهم وانمسكت دروبهم ، سرعة خراج القبطان يعتقي منهم ، تقدّم الى

١) هو لالا مصطفى باشا اقامهُ السلطان سليم الثاني رئيساً على عسكره لفتح قبرس سنة ١٥٧٠ ٢) الاسقفيّة هي مدينة نيقوسية (Nicosie) وتدعى ايضاً افقوسية كانت حاضرة جزيرة قبرس حاصرها مصطفى باشا في تموز ١٥٧٠ ٣) المغوصة هي فاماغوسطه (Famagouste) من حواضر قبرس ٤) نقولاوس اسمهُ نيقولا دندولو نُسب الى جهلو خصوصاً فتح الاتراك لجزيرة قبرس ٥) يريد ان المدافعين عن مدينة الماغوصة قتلوا بمدافعهم كثيرين من المسلمين

مصطفى باشا وسلّمهم ، قتلوهُ وقتلوا معهُ اربعمائة نصراني

* الكاف * خلّيت(١ قبروس من اكابرها ، واستوحشت ارضها باربع اقطارها ، تركت مساكين تفلح في اراضيها ، يزينوا جوالي وخراجات يؤدّوها ، الى طاعة الاسلام في خطّ ديواني

* اللام * لمّا ملكوا البلاد واطمئنّوا ، من بعد ما قتلوا الفرسان وانتمّوا ، بعثوا بشارات الى السلطان وزال همّه ، وزيّنوا المدن في البلدان كلّهمُ ، من مصر الى اسطنبول والشام وبلدانِ

* الميم * مدينة طرابلس كانت المينا ، حين دخلت المسلمين لقبروس محاربينا ، حسُ المدافع بقي واصل لادنينا ، ومن قبل ما يدخلوا عملوا اسافينا ، قتلوا مقدّم بشري كان نصراني

* النون * نسوان قبرس ليس ذكرناهم ، افعال قبيحة صارت ليس كتبناهم ، اطفال كثير غلمان وجواري اخذوهم ، اعجام واكراد واعراب وسودان هم ، وتشتّتوا حسرة ما صار لها ثاني

* السين * ساقوهم ودموعهم تجري وتفارقوهم في البرّ والبحر ، من حدّ اسطنبول والى بلاد مصرِ ، وصاروا عبيد يخدموا سادات بلا أجرِ ، يا كسرة صارت بقبروس بازماني

* العين * عيوني تدمع حين اذكرهم ، قد كان لي معرفة في بعض ناس منهم ، ومن اهل قبروس تلميذ كان لي منهم ، اسبوا اخوته واهله وهو اشترى (نفسهُ) منهم ، وخلّص اخوه الصغير بمائة سلطاني

* الفاء * فرح ابليس في كسرة صارت ، في قتل كهنة وكنائس

١) الكاف بالسريانيّة تؤخذ للدلالة على الماء والكاف مماً

بارت ، البعض عملوهم خانات للتجارة ، والبعض عملوهم جامع لهم صارت ، ورفعوا الموادن فوقهم عوض الصلباني

* الصاد * كفردبيان تُدعى قرية الخاطي ، كاتب انطانيوس براس واطي ، ورّخت قبرس تذكار لمن شاطي ، ومن لم يتوب غضبهُ يشمل بنيراني

* القاف * قوفروس وبشريه كانوا فال ، على النصارى في السواحل وفي الاجبال ، يا حيف عليهم كانوا اهلهم افضال ، والانشقاق الذي رماهم بشوم الحال ، ومن بعدهم باعوا الوقوفات رهباني

* الراء * رؤوسات الاسباط انحطّوا ، وارزاق كنائسهم انباعت وانضبطوا ، والبعض تديّنوا وثمانية حطّوا ، والبعض انقلبوا من بعد ما قبضوا ، وزنوا الدراهم وراح الرزق لهواني

* الشين * شاشات النصارى قلعوهم ، ايضاً وجاليتين في العام حطّوهم ، اسود على روسهم يا ويه اكسوهم ، ظلماً على ظلم الجرح زادوهم ، من مصر الى اسطنبول حكم ابن العثماني

* التاء * تماماً احرف الالف على قبروس ، وليس كتبنا جميع افعال بني تركوس ، الان لاجل الخطا حكموا كفا نهدوس ، يا سامعين القول صلّوا عسى نخلص ، الرب يغفر لنا الف آمين يكفاني

وختم الزجليّة بهذه الالفاظ : اذكر يا ربّ العبد الخاطي انطانيوس ܐܬܟܪܝܠܐ ܕܡܠܬܐ ܕܢܬܐ ܕܡܠܬܐ اي الحقير الخاطئ الراوي لاجل ربنا

فترى انّ لغة نصارى لبنان في ذلك الوقت كانت في غاية الركاكة وهي الى السريانيّة اقرب منها الى العربيّة . ولانطونيوس المذكور زجليّة من جنس الزجليّة السابقة ذكر فيها ايضاً على ادوار حروف المعجم ما حدث في طرابلس وجهاتها سنة ١٥٨٥ لمّا

نُهبت الخزينة السلطانيَّة في جون عكَّار فارسل الباب العالي جعفر باشا الطواشي لمحاربة يوسف باشا ابن سيفا فزحف بجيوشهِ واحرق بلاد عكَّار. ثمَّ تضاعفت الشرور بمجيء ابرهيم باشا والي مصر فصارت احوال البلاد ولاسيما النصارى في اسوإ حال فقال انطانيوس ابن فريجي يصف تلك النكبات وهذا اوَّل زجليَّتهِ

الالف اليوم قلبي انبع الافكار ، أهذي بمارون وبلد الشام المختار ، بيروت وصيداء والبترون جبيل انفه صغار ، عرقا واطرابلس والحصن مع عكَّار ، بشرّي واغزير والشوف والقرى الاوكار

الباء بتاريخ ربَّاني بديت اذكار ، ثمانين وخمسة وخمسمائة والف سطار ، دخل طرابلس باشا طواشي دُعي جعفار ، وقال خزنة السلطان نهبوها في عكَّار ، وأغزير حميت لها ورجالها شطَّار الخ

والمذكور ايضاً ميميَّتان قالهما في وصف رتبة الشمانين وفي مديح القديس ماري بشواي الناسك الشهير وذكر الكاتب اسمهُ في آخر كلٍّ منها. ولم نجد لهُ ذكرًا في غير كتابنا هذا

١٠ زجليّون آخرون

وكأنَّ فنَّ الزجليَّات اخذ ينتشر في انحاء الشام في القرن السابع عشر على مثال ابن القلاعي وعيسى هزار وميخائيل حاتم. ففي مكتبتنا الشرقيَّة نحو عشرة مجاميع من ضروب الزجليَّات المختلفة الاوزان والادوار والقوافي واغلبها من القرن السابع عشر وردت في بعضها اسماء قائليها دون زيادة في تعريف اصلهم واخبارهم. ففي احد هذهِ المجاميع المتقن الكتابة والتجليد الذي كُتب في اواسط القرن السابع عشر نحو ١٦٥٠ وردت اسماء بعض القوَّالين مع امثلةٍ من اقوالهم فما عدا عيسى هزار وميخائيل حاتم السابق ذكرهما ذُكر اوَّلاً القس جراسيم (ص ١٩ــ٢٥) ورُويت لهُ زجليَّة في العذراء مريم وميلاد المسيح هذا اوَّل ادوارها

يا شعب يسوع المسيح الباقي للدهر استبشروا انحلَّت اوثاقي والحَجَر

نور بدا يلمع في الآفاقِ للظُّهرِ في بطن مريم حلَّت الأشراق في البكرِ

ويُختم هذا الدور ثمَّ جميع الادوار التالية بالتقديس المثلَّث باليونانيَّة بالحرف العربي: «اجيوس اوثاوس . اجيوس ايشيروس . اجيوس اثاناطوس» . ما يدلّ على ان ناظمها كان روميًا ملكيًا

ثم يُذكر بعدهُ «يوحنَّا ابن المصري» ويُروى لهُ ثلث زجليَّات (ص ٣٦ــ٣٨) اثنتان في العذرا مريم افتتح الاولى بقولهِ:

لذكر العذرى زين افخر النسوانْ سِرْ ايا قلبي وابتهج فرحانْ
قد سمَتْ بالفضلْ امّ شمس العدْل واصطفاها قبلْ خلقه الانسانْ

وقال الثانية في ذكر مزار صيدنايا هذا اوَّلها:

رأيت بصيدنايا الجَبل نامي وفيها النور في شكل الغمامِ
ونورًا ظاهرًا منها عيانًا تعاينهُ الخلائق على الدوامِ

والزجليَّة الثالثة وعظيَّة خصَّ فيها الوصف على العلم والادب اوَّلها:

ما خلَّةٌ نُسجت بالدرّ والذهبِ إلَّا واحسنُ منها العلمُ والادبُ

ثم ذُكر القوَّال «الخوري يوحنَّا نجل عيسى عويسات» فيروى لهُ عدَّة زجليَّات (ص ٣٨ــ٦٢) في مديح العذراء وخصوصاً مزار صيدنايا . ومن جملتها زجليَّتان يتعيَّن منها زمانهُ وملَّتهُ الملكيَّة قال الواحدة في رثاء البطريرك كير يواكيم ابن زياده المتوفى نحو السنة ١٦٠٣ والاخرى في مديح خلفهِ البطريرك دوروثاوس المعروف بابن الاحمر . افتتح الاولى بقولهِ:

اليَّ يا أجواد بالله اعذروني وفيضون (كذا) الدموع وساعدوني

وافتتح الثانية بقولهِ:

يا شعوب الله اليَّ يا مومنينْ قد نظمتُ المدح في الاب الامينْ
كير ظوروثاوس ابونا الامامْ ابن الاحمر كنوته يا سامعينْ

ثمَّ جاء ذكر القوَّال ﴿يوحنا ابن سالم الدمشقي﴾ له زجليَّة في العذراء (ص٧٢) . هذا اوَّلها :

يامواليَ ساعدوني في مديح امّ الحبيبْ جابرة قصدي وعَوني
مَن قَصَدْها ما يخيبْ

ثم ذكر القوَّال ﴿يوحنَّا السمين الحمصي﴾ ورد له خمس زجليَّات (٨٢ــ١٠٠) كلها في مديح العذراء مريم وذكر سيّدة صيدنايا جعل ادوار الاولى منها على حروف المعجم :

البتول فخر الانامْ حبُّها صار لي غرامْ مَن قصدها يا خليلي
من قصدها ما يُضامْ

وذكر ايضاً ثلثة قوَّالين من ذلك العهد دعاهم ﴿الخوري يوسف عبود ابن البيض الحمصي . وعيسى بن سالم . وموسى ابن المصري﴾ وذكر لكل واحد منهم زجليَّة قيلت كلها في مديح العذراء الطاهرة

وعندنا مجموع آخر من القرن السابع عشر كاد يتلف لقدمهِ والمرجَّح انهُ كُتب في الموصل فيهِ زجليَّات لعيسى هزار وللقوَّالين الآتي ذكرهم ﴿القسيس ايليَّا﴾ لهُ عدَّة منظومات في اسرار حياة المسيح ثم المسمَّى ﴿عبدالله﴾ لهُ ايضاً عدَّة مدائح دينيَّة تقويَّة في آلام المسيح واوصاف والدتهِ الجليلة وهو يذكر في آخر احدى زجليَّاتهِ انهُ من حصن كيفا وهي مدينة مُشرفة على دجلة بين ديار بكر وجزيرة ابن عُمر . ويُذكر ايضاً بين القوَّالين المسمَّيان ﴿عبد المسيح وعبد يسوع﴾ مع ذكر بعض زجليَّاتهم . والظاهر انَّ كل هؤلاء عاشوا في القرن السابع عشر في العراق وهم من طائفتي السريان والكلدان والكاثوليك والله اعلم . وفي زجليَّاتهم مع ضعف لغتها مسحةٌ عربيَّة اعظم من زجالي لبنان

(لهُ بقيَّة)

اثران آخران للسمعاني

اقتطفهما من اعمال المجمع اللبناني افادةً للعموم

عني بنشرهما بحرفهما الواحد القس انطونيوس شبلي اللبناني نقلاً عن المجموعة السابق وصفها (ص ٢٧٧)

الرسوم التي تخصّ الرعايا عموماً

(اولاً) الامر ظاهر ان الربا مرذول كما في الكتاب الالهي والقوانين الكنايسيّة. فلذلك يجب ان يُرفع كليًا ولا تجوز الفايدة من القرضة إلّا لاجل خطر خسارة رأس المال ولاجل زوال الربح ووقوع الضرر. والفايدة الجايزة هي اثني عشر غرش ونصف في الماية بمدّة سنة كاملة

(ثانياً) مَن تجاسر وبلغ الى هذا الافتراء الجسيم انهُ يمنع رؤساء الكهنة والكهنة عن التصرُّف في رعاياهم باي مقام ودرجة كان، كنايسياً كان او علمانياً، حاكماً كان او غير حاكم، فليكن محروماً وحرمهُ محفوظ للسيد البطريرك

(ثالثاً) يجب على كل مؤمن ان يتجنَّب لا مشاركةَ الغير مؤمنين والاراطقة والمشاقين في الامور الدينيّة والاسرار الالهية فقط بل ايضاً قراءات الكتب المتضمّنة كفر واراطقة وانشقاق وخاصةً كتب السحر والرقوات والتنجيم وما اشبه ذلك. ولا تجوز ايضاً زيارة كنايس الاراطقة بنوع العبادة والاكرام. ولا يقدَّم لها نذور وقرابين ولا يستغيث بالقديسين ما لم يكونوا مقبولين من الكنيسة الجامعة الرسوليّة

(رابعاً) لا تُمنع النساء عن دخول الكنيسة ولا عن حضور القدّاس والصلاة في ايام الآحاد والاعياد ولا عن قبول سرّ الاعتراف والقربان الاقدس بسبب ارجاعهنَّ الطبيعيّة كمثل الحيض والولادة. واذا كان ذلك منهنَّ من باب العبادة والاحترام فيُسمح لهنَّ بذلك. لكن يجب ان يعلمن ان الاصل طهارة النفس ولا يُمنع عن دخول الكنيسة عدمُ طهارة الجسد

(خامساً) يليق بالمؤمنين ان يتسمّوا باسماء القديسين ولا بالاسماء المختصّة بالغير مؤمنين او الاراطقة . فلذلك يجب على الخوارنة ان يضعوا على كل معمود اسماً لايقاً بالامانة المسيحيّة

(سادساً) يجب على كلّ مؤمن ألّا يلتجي في دعواه الى الحكّام الخارجين عن ملّتنا . لاسيما اذا كانت الدعوى كنايسيّة . ولا يستند على شهادة الزور ولا يجذب الغير الى ذلك . ولا يستعمل حججاً مزوّرة ولا يطابق ولا يرضى في مثل هذه الامور . ومن تجاسر على ما ذُكر في دعوى ثقيلة وسبّب ضرراً ثقيلاً للغير فليعلم انهُ لا ينال غفران خطيئتهِ المميتة ان لم يردّ الضرر

(سابعاً) يجب على كل مسيحي ان يفي نذوره ويكمّل وصيّة المايت مثلما هي ويبتعد عن اختلاس الوقف وارزاق الكنايس والديورة والارامل واليتامى . ومن اخفى او اختلس او لم يفِ شيئاً فلا يُحلّ من خطيئتهِ ما لم يردّهُ

تحريراً في دير سيّدة لويزة في بلاد كسروان من جبل لبنان في اواخر شهر تشرين الاول سنة ١٧٣٦ مسيحيّة . صح

(ختم السمعاني)

تنبيه

في ما يخصّ الكنيسة والمذبح والاواني والثياب المقدّسة

(اولاً) يجب ان تتزيّن الكنيسة بكل ما يمكن وبالنظافة وظرافة البناء . اي لتكن ارض الكنيسة مطيّنة او مبلّطة . ولا تكن حيطانها مشقّقة فتميل الى الخراب بل لتكن مبيّضة ومزيّنة بالتصاوير بقدر الامكان . وكذلك السطح لا يكن بلا طين مانع الامطار والوكف . ولتكن عتاب ابوابها متوطدة والاغلاق مستوثقة باقفال وثيقة ومثلها طاقاتها . وان كانت واطية فليكن لها شبكات حديد او خشب متين يمنع الدخول اليها

(ثانياً) ولا يمرّ على الكنيسة درب من بيت العلمانيين بل يُقطَع بحايط بينهُ وبين الكنيسة . ولتكن الكنيسة مفترقة بجهاتها الاربعة من العلمانيّين كأنها جزيرة . والحذر من ان يُبنى فوق الكنايس والمذابح بيوت للعلمانيّين او مماشي او رواقات

(ثالثاً) وليهتمّ الخوري في بيت الله لكي يرمّ ويبنى متى كان خارباً ولا يُترك مُهاناً . وان تكون الكنيسة والمذابح نظيفة والاواني كلها مهندمة . ولتكنَس الارض كلّما اتسخت واللايق ان يكون ذلك من الكاهن او الوكيل مرّة بالجمعة . وليسعى بحفظها من الغبار والعنكبوت والفار وما اشبه ذلك

(رابعاً) المتوكلون على كنايس القرى والمزارع والحقول فليحفظوها نظيفة ولا يتركوا عليها مدخلاً للبهائم والحيوانات وينظفوا ما حولها من الشوك والعشب وكومات الحجار وليحموها من المطر والهوا والرطوبة والعفن وما اشبه ذلك . ولا يُترك فيها إلّا ما هو لازم للاسرار والخدم الالهية . فلاجل ذلك اذا فضّل الخوارنة احداً (اي سمحوا لاحد) فأودع في هذه الكنايس قمحاً او حبوباً او غيره فليمنعوه ويرفعوه منها حالاً ما لم تدعو الضرورة الى ذلك من هجم الاعداء فجأة او لحريق حدث او لعلة داعية . لكن عند ازالة الضرر تُرفع الحوايج من الكنيسة . ولا يُسمح ان بيت الله يصير مغارة للبهايم ولا يُقاد الى كنيسة حيوان

(خامساً) ولا تفتح الكنيسة الّا وقت اقامة الصلاة والقدّاس وبعده تغلق ابوابها لاسيما في الليل لئلّا يبات فيها الناس والدوّارون ويفعلوا في بيت النور افعالَ الظلام وتتدنّس باعمال عالميّة . ويُمنع النوم والسهر في الكنايس ولو كان بحجّة احتفال او عيد وخاصةً اذا اجتمعوا رجال ونساء ما لم تدعو الضرورة الى ذلك

(سادساً) فليكن المذبح الكبير نحو الشرق ان امكن وباب الكنيسة نحو الغرب وجانب المذبح اليمين الى الشمال وجانبه الشمال الى الجنوب . وفي شمال الباب الكبير ويمين الكنيسة يُبنى جرن المعموديّة . وتحت آخر الذبح خارج الدرابزون توضع القرّاية من هنا وهنا . ولتكن للدرابزون ثلاثة ابواب الباب الكبير تجاه المذبح . والثاني يدعى الباب الشمالي والثالث القبلي . ويُصعد بثلاث درجات الى المذبح الكبير . وتكون ارضهُ بمقدار طولهِ من حجر او خشب . والمذبح يكون منفرداً غير لاصق بما يدور حولهُ من الحايط . وقد يجوز ايضاً ان يكون لاصقاً بالحايط . وليكن

عن جانبي المذبح الكبير مذبحان صغيران ان امكن ذلك. الشمالي لاجل صمد ثياب الكهنوت والقبلي لاجل صمد الكتب المقدَّسة وان ما امكن فيكفي مذبح واحد وليكن المذبح مبنياً جيداً بالقرميد او الحجر والكاهن يصمد اليه بثلاث درجات او أقلَّهُ بدرجة واحدة بسهولة. ولتكن بين درجة المذبح وبين الدرابزون مسافة معيَّنة اقلُّهُ ستَّة اقدام. وان امكن فلتُفرش درجات المذبح التي يعلو عليها الكاهن ببساطٍ. وان لزم بناية كنيسة او مذبح وما امكن ان تتوجَّه نحو الشرق فلا بأس

(سابعاً) وليوضع في نصف المذبح التبليط المكرَّس من الاسقف من حجر او خشب وفوقه كتَّان وصمدة وليكن واسعاً اقلُّهُ مقدار ما يسع الكأس والصينيَّة. واذا كان المذبح مبنياً من حجر مصقول نظيف فيجوز تكريسهُ كلهُ عوضاً عن الطبليط

(ثامناً) وليُبسط على المذبح ثلثة اغطية من كتَّان نظيف ابيض او قطن عند عدم الكتَّان. والغطا الاعلى يكون من جانبي المذبح طويلاً حتى الارض. وبعد القدَّاس يتغطَّى المذبح فوق الثلاثة اغطية بغطاء آخر من خام او كتَّان او جلد لاجل منع الغبار عن المذبح

(تاسعاً) وليجعل في صدر المذبح فوق درجةٍ من خشب او حجر صورة المصلوب من نحاس او معدنٍ آخر او من خشب بصناعةٍ لطيفة واقلّه شمعدانان من هنا وهنا من نحاس او معدن آخر او من خشب او حجر متساوياً وفيهما شمعتان من شمع العسل

(عاشراً) ولتكن في صدر الكنيسة فوق المذبح او فوق المصلوب او تحته ايقونة القديس صاحب الكنيسة والمذبح

(حادي عشر) وليغطَّى وجه المذبح بستر نظيف غير مخرَّق ولا مرقَّع

(ثاني عشر) ولا يوضع فوق المذبح شيء غير مختص لتقدمة القدَّاس وزينة المذبح

(ثالث عشر) وليكن جرن المعمودية من حجر نظيف وفيه ثقب يخرج منهُ الماء المسكوب على المعمودين من حايط الكنيسة الى مكان خفيّ مقدَّس وان امكن ليكن مستوثقاً بقفل وثيق

(رابع عشر) وجرن الماء المكرَّس ليكن داخل الكنيسة من عن يمين الداخل اليها. وان امكن جرن واحد عن اليمين وجرن آخر عن الشمال

(خامس عشر) ولتكن عكاكيس (عكاكيز) في الكنيسة ليستندوا عليها الاكليريكيين . ويجب على خادم الكنيسة ان يجمعها في مكان واحد مسندة على الحايط

(سادس عشر) تُحفظ العادة الحميدة الدارجة في الكنايس الشرقيَّة وهي ان تقف النساء في الكنيسة في مكانٍ متميز عن الرجال. وان امكن فليكن لهنَّ باب خصوصي ليدخلنَ الكنيسة ويخرجن منه وشبرية ما بينهنَّ وبين الرجال. وقد يجوز ان تكون الكراسي في بيت النساء ليجلسن في الوقت المعيَّن

(سابع عشر) وليكن القنديل مستضيئاً في الكنيسة ليلاً ونهاراً حيث هو محفوظ القربان المقدس. والقربان المقدس فليحفظ داخل بيت ظريف لطيف وبابهُ يكون مقفولاً باستيثاق والمفتاح بيد الخوري او بيد وكيل الكنيسة كاهناً . وليكن الاناء الموضوع فيهِ جسد الربّ لا من خشب او زجاج او برُنزبل من ذهب او فضَّة او من قصدير او نحاس ومطلي داخله ذهباً . ويُوضع بيت القربان الاقدس في نصف المذبح فوق الدرجة ويكون المصلوب قدَّامهُ او فوق منهُ

(ثامن عشر) ولتكن في حايط الكنيسة عن يمين المذبح الكبير طاقة تحت قفل تُحفظ فيها آنية الزيوت المقدسة. اي زيت العماد والميرون وزيت مسحة المرضى . وكل واحد من هذه الزيوت يكون في وعاء نظيف من فضة او قصدير او تنك متميز عن غيرهِ

(تاسع عشر) اذا وُجدت ذخاير قديسين فلتوضع في بيتٍ او حقٍّ لايق تحت المذبح او في مكان آخر امين في الكنيسة مستوثق بقفل وثيق. واذا قصد احد صدها او تزييحها فليصحبها بشموع مضيَّة ويحملها رجلٌ كنايسي لابساً اثواب كنايسيَّة. ولا يجوز ان تُحفظ ذخاير القديسين في بيت القربان المقدس ولا الزيوت المقدسة

(العشرون) فليعتني الخوري بنصب كراسي الاعتراف في الكنيسة في موضع

ظاهر لا في خلوة واحتجاب . وليقام بين المستعرف والمعترف شكل شبكة اي شعرية مناسبة للمقصود

(الحادي والعشرون) العادة ان تكون المقابر خارج الكنيسة لا داخلها . ومن يندفن بالكنيسة فليكن قبره في صحنها وساحتها لا بحذاء المذبح او تحته . ولتكن المقبرة مستوثقة ببلاطة وثيقة ومطينة جيداً

(الثاني والعشرون) لا يدخل احد من العلمانيين داخل درابزون المذبح ولا النساء ما عدا الكهنة والشمامسة وحيث لا يوجد درابزون فليقفوا بعيدين عن درج المذبح

(الثالث والعشرون) حيث يوجد جرص في الكنيسة فليقرعهُ الوكيل في الوقت المعين للصلاة والقدّاس . واللايق انهُ يوضع الجرص فوق الكنيسة بنوع انهُ يُقرع من خارجها لا من داخلها . وقبلما يوضع الجرص فليباركهُ الرئيس

(الرابع والعشرون) يجب على المؤمنين ان يظهروا العبادة في الكنيسة في كل وقتٍ بكل احترام لاسيما وقت تلاوة الاسرار والصلوات الالهية . فلاجل ذلك يُمنع منها الصراخ والضجيج والمخاطبات وكل جمعيّات الناس وقضاء الدعاوي والاشغال العالميّة والمفاوضة الباطلة . ولا يُسمح البتّة بالاكل والشرب فيها . ويُحرَّم ايضاً بيع البضايع والخوايج فيها ولو كانت مختصّة بخدمة الكنيسة . ولا يدخل احد الى الكنيسة حاملاً سلاحاً إلّا عن ضرورة . ولا احد يقف او يجلس في الكنيسة في حين الصلاة والقداس وقفاهُ نحو المذبح الكبير . وليكن بعيداً عن الكنيسة كلُّ نتنٍ ووسخ

(الخامس والعشرون) لتكن موجودة في الكنيسة كلّ الكتب الضروريّة للقدّاس والصلوات الفرضيّة وتكميل خدمة الاسرار الالهيّة والتبريكات والتكريسات والاحتفالات الحبريّة والكهنوتيّة

(السادس والعشرون) انواع الثياب الكهنوتيّة واواني المذبح هذه هي : ١ً القميص ٢ً الزنّار . ٣ً المصنفة (المنصفة) . ٤ً البطرشيل . ٥ً الزندان . ٦ً البدلة . ٧ً الغفّارة . ٨ بدلات الشمامسة مع بطارشيلها . ٩ً تاج وعكاس (وعكّاز) وخاتم وصليب صدر وبطرشيل كبير مما يخص روساء الكهنة . وصليب يد مما يخص الكهنة وروسا الكهنة

١٠ً الكأس. ١١ً الصينيَّة. ١٢ً نافوران صغيران لتغطية الكاس والصينيَّة. ١٣ً سفنجة. ١٤ً صمدة تحت الكاس والصينيَّة. ١٥ً نافور كبير غطاء الكاس والصينيَّة ١٦ً كيس لصمدة الكأس والصينيَّة. ١٧ً الوسادة تحت كتاب القدَّاس. ١٨ً منديل لغسل اليدين. ١٩ً آنية الخمر والماء وصحن لاجلهما. ٢٠ً مبخرة ووعاء البخور وملعقة. ٢١ً ناقوس او جرس صغير. ٢٢ قالب البرشان وعلبة

(السابع والعشرون) ١ً الكاس والصينيَّة لا يكونا من زجاج او خشب بل من فضة او ذهب او من قصدير او نحاس مطلى بذهب. ٢ً صليب اليد من فضة او ذهب او قصدير او نحاس او برُنز او تنك. ٣ً صليب الصدر من فضَّة او ذهب وداخلهُ ذخاير قديسين ان امكن. ٤ً المبخرة ووعاء البخور والملعقة من نحاس او فضة او ذهب. وملعقة الماء لمزج الخمر من فضة او ذهب. ٥ً الجرس من برُنز او نحاس او فضة. ٦ً قالب البرشان من حديد وعلبة البرشان من خشب مطلى. ٧ً آنية الخمر والماء من زجاج او بلُّور. وقد يجوز ان تكون من فضة او معدن آخر بشرط ان وعاء الخمر يتميز عن وعاء الماء. ٨ً وصحنهما من فخَّار او نحاس او معدن آخر. ٩ً صمدة الكاس والصينيَّة من كتَّان ابيض. ١٠ً وكذلك النافوران الصغيران لتغطية الكاس والصينيَّة. ١١ً وقد يجوز ان يكون نافور الصينيَّة قبَّة فوقها نجم او صليب من فضة او معدنٍ آخر. ١٢ً السفنجة والمنديل لغسل اليدين يجب ان يكونا من كتَّان او قطن ابيض. ١٣ً القميص والمنصفة والزنار من كتَّان او قطن ابيض ايضاً. وقد يجوز ان المصفة (المنصفة) والزنار يكونا من حرير مزركش بقصب فضة او ذهب. ١٤ً البدلة والنقَّارة والزنود والكمام والبطارشيل والنافور الكبير وكيس الصمدة ووجه الوسادة فيجب ان تكون من حرير او من مادَّة اخرى مكرَّمة (مزيَّنة) بالوانٍ مختلفة. ويجوز ان تكون مزركشة ومطرَّزة بفضة او ذهب. ١٥ً وكذلك تاج رئيس الكهنة وبطرشيله الكبير يجب ان يكونا مطرَّزين ومزركشين وعلى البطرشيل صلبان كبار. وقد يجوز ان يكون التاج من قصب فضة او ذهب او من مادة حرير بلون واحد ويكون ايضاً فيهِ جواهر وحجارة كريمة. ١٦ً واما بطرشيل السيد البطريرك الذي ينعم بهِ عليهِ قدس الحبر الروماني عند تثبيته اياهُ في درجتهِ الحبروية فهو من صوف ابيض وعليهِ صلبان سود. ١٧ً واما

خاتم رئيس الكهنة فمن ذهب وفيه حجر كريم بلون اخضر او ازرق او بنفسجي ·
١٨ واما المكاز الحبروي فهو من خشب ثمين او فضة او ذهب وعلى رأسهِ قبة من فضة او ذهب وعليها صليب · وقد يجوز ان يكون على رأسهِ شكل حيَّة من مادَّة مكرَّمة ذات رأسين الواحد يلتفت ناظرًا الى الآخر

(الثامن والعشرون) لا تغسل النساء الصمدات والسفنجات والنوافير بل الكهنة · واما المناديل واغطية المذبح والقمصان والزنانير والمصنفات وآنية الماء والخمر ووعاء البخور والمبخرة والشماعدين فيجوز للكاهن ان يعطيها للنساء لتغسلها وتنظفها

(التاسع والعشرون) يجب على الكاهن ان يغسل وينظف مرَّة واحدة كل جمعة آنية الخمر والماء والسفنجات والمناديل · ومرتين كل شهر المبخرة وحُقَّها والشماعدين · ومرَّة واحدة كل شهر الصمدات والنوافير والقميص والزنار والمصنفة · وكل ثلثة اشهر مرَّة واحدة اغطية المذبح · واما الكاس والصينيَّة فلتُطلى بذهب كلما نقص عنها

(الثلاثون) يجب على الكاهن بان يلاحظ نظافة الثياب الكهنوتيَّة ويرمها ويجدّدها · وإن تخرَّق شيء من الملابس المكرَّسة وعتق وما عساد يفيد الكنيسة فليحرقهُ ويلقي رمادهُ في موضع مقدَّس

تمَّ وكمل في اواخر تشرين الاول سنة ١٧٣٦ مسيحيَّة · صح
(ختم السمعاني)

زجليَّة ايقونة صيدنايا العجيبة

مقدمة

قد نشرنا سابقًا في المشرق (٨ [١٩٠٥] : ٤٦١-٤٦٧) خبر ايقونة صيدنايا العجيبة عن احد مخطوطات مكتبتنا الشرقيَّة وقدَّمنا عليهِ كلامًا في تاريخ تلك الايقونة وما ورد عنها في قدماء الكتبة · وفي المخطوط الذي سبق ذكرهُ في مقالتنا عن الشعراء الزجليين (ص٣٦٤) الراقي الى القرن السابع عشر زجليَّة للمسمَّى يوحنَّا عيسى عويسات روى فيها قصَّة تلك الايقونة بالشعر العامي · ننقلها هنا عنهُ كأثر تاريخي يشهد على اعتقاد الزوَّار عن اصل وكرامة تلك الصورة

ل · ش

مديحة مباركة في الايقونة المشرّفة ايقونة السيّدة بقرية صيدنايا وسبب مجيئها الى هذا المكان وحصولها فيهِ . صلاتها تحرس جماعتنا امين . (على وزن: خلّني عن ذكر قالوا والخبر)

صيدنايا تفتخر بين البشرْ ذكرها دون البلاد شاع واشتهرْ

١ صار بها دير عظيم في البنا وابتنوهُ باسم مريم ستّنا
كل من زارهُ فقد نال المُنى منظرهُ يجلي عن القلب الكدرْ

٢ أسكنوا فيهِ راهبات نعم البناتْ واقاموا رئيسة للاخواتْ
من اكابر جنس قوم خيّراتْ كان لها ذكر عظيم منتخرْ

٣ الامُّ مارينا لقد طاب ذكرها مَنْ بقى يأتي ويصبر صَبْرَها ؟
كم اصبحت مع جلالة قدرها وهي لله شاكرة من غير ضجرْ

٤ فحضر للدير راهب من بعيدْ كي يزورَ القدس والقبر المجيدْ
احضرَتْ لهُ كلَّ مأكول يريدْ حين ظهر من قدسهِ ما قد ظهرْ

٥ حَلَف الراهب لها باسم الصليبْ هل لكِ حاجة وانا راجع قريبْ
قالت: « لكَ عندنا اوفر نصيبْ هات لنا قونة تكون أحلى الصورْ

٦ «صورة البكر العفيفة مريمـا والجزا مني ومن ربّ السّماه
أقسم أنْ ليس يأخذ درهما واستقام يمشي ويسرع في السَّفَرْ

٧ واتّجه للقُدس في بَدْر الصيامْ وابصر الموضع واعطاه السلامْ
وانذهل عقلهُ من ذاك المقامْ ثم أنهى الحج وفّى ما نذرْ

٨ وانثنى راجع وقونة ما اشترى جاء صوتٌ يذكرهُ ما قد جرى
استمع صوتاً وشخصاً لم يرا وارتجع للقدس خائف مُنذَعِرْ

٩ فاشترى قونة عجيبةٌ للانامْ كأنها تنطق وتبدي بالسلامْ

تُفرح القلب الحزين المستهام وأدرك الرفقة وهم اربع نفر

١٠ صادفوا قوماً لصوص قطّاع طريق كانت القونة لهم نعمَ الرفيق
كأنتهم قائلة: «جوزوا المضيق لا تُبالوا قطّ اصلًا من بشر»

بعد هذا جا أسد قدّ البعير شبه جاموس مريض مستدير
كانت القونة لهم نعمَ النصير ارعبت للسبع ولّى منقهر

١١ اذ رأى الراهب ذا الامر المهول صوتها يُرعب ويرجف للمقول
ابتدا في نفسه يفكر يقول آخذ الصورة الى جوّا البحار

١٢ فاتّجه عكّا مع القوم التجار واتّفق معهم ولجّج في البحار
ثارت الارياح وانبثّ الغبار ثمّ عجّ البحر من هول الخطر

١٣ ابصر الراهب روحه في خلاف وايقن المسكين للنفس التلاف
صاحت القونة وقالت: لا تخاف صوتها للبحر والريح انتهر

١٤ بعد ساعة والسفينة مقلعه قوّة الدير صيّرتها راجعه
وابصروها صوب عكّا طالعه ادركوا الينا لدى وقت السحر

١٥ ودّع الراهب رفاقه وانفصل وابتدا يمشي سريعاً ليصل
صيدنايا بعد كلفة قد حصل ثم جا للدير وهو مستتر

١٦ اخرج القونة وهي تنضح بالعرق واشتهاها له وما راد الفراق
ثمّ جا للباب قصده ينطلق لم يجد مخرج ولا للباب أثر

١٧ وبقي طول النهار في الدير يدور لم يجد باباً ولا ضوءاً ينور
فاستحى الراهب وفكّر في الامور وبقي جالس حزيناً يفتكر

١٨ ان قصد يخرج فالباب لم يراه وان رجع عاين خيال الباب وراه
فاتّجع قلبه على ما قد دهاه واخرج القونه وهي احلى الصور

١٩ اخرج القونه واخبر الاخوات ما بلادٌ من صنوف النكبات
كي يفوز بالرؤى حتى الممات كم تعب في ذا الوجود كم صعب

٢٠ كمّموا القونة بما يصلح لها وابتنوا حظيرة لها في طولها
وضعوا جرن الرخام من اجلها والعرق نازل كاهطال الطَّل

٢١ هذا اعظمُ واعجب ما جرى صار لايقونة خشب لحمٌ يُرى
وامرها شاع كذا بين الورى يا شقاوة من يكذب ذا الخبر

٢٢ حالها دوره وايقونة خشب لحمَ صارت انَّ ذا الامرَ عجب
آية تُكتب بماء من ذهب ذي عجيبة في الانام دون الصور

٢٣ حالها صورة خشب في جنبها صار لها لحمٌ رطب في لمسها
كل من جا وابتدى ليجسها ان يكن خاطئ قويله ان جسر

اعلم انَّ العجائب المذكورة هنا قد أُشير اليها في قصَّتها النثريَّة وهي كما ترى لا تخلو من بعض الغرابة

الجاسوسيّة في الحرب الكبرى

بقلم حضرة الخوري بطرس روفائيل الماروني

من كتاب يُعَدّ للطبع تحت عنوان «المرأة في الحرب الكبرى»

الجاسوسيَّة مشتقَّة من جَسَّ الشيء اذا تعرَّفهُ . وتجسَّس الخبر حاول معرفتهُ . والجاسوس هو اسم العَين لمن يتجسَّس الاخبار السرّية ليقف عليها ويعلن بها . والجاسوسيَّة اسم المعنى منهُ

اعتاد الناس ان يعتبروا الجاسوسيَّة كفعل مستقبح يقوم بهِ صاحب الشرّ او العين ليضرّ بهِ الناس . ولا بُدَّ هنا من التمييز بين الجاسوسية الاثيمة التي يأمر اويسعى بها الجماعات او الافراد لاسباب غير مشروعة او بوسائط قبيحة للوقوف على اسرار

القريب وبين الجاسوسيَّة الدالحة التي يتوسَّل بها الناس ولاسيما الهيئات الاجتماعيَّة للنجاة من شرّ يتوقعونه او يتهدَّدهم به عدوٌّ ظالم متذرّعين بوسائط غير ملومة وشريفة

واكثر ما تشيع الجاسوسية في ايام الحروب لكثرة الشرور التي تصدر منها للبلاد وللجمهور

ونضرب الصفح هنا عن تمييز ما كان منها مستهجناً او شرعيًّا بياناً لما شاع منها وكثيرًا ما يأنف الناس من انظة الجاسوسيَّة وبالفرنسويَّة (Espionnage) فينتقون لها اسماء أخرى هي بمعناها كالشرطة السرّية وكدائرة الاستعلامات او قلم الاستخبارات وما شاكل ذلك

وفي الحرب الكبرى قد شاعت الجاسوسية بين جميع الدول لمعرفة ما عند خصومها من الاسلحة والقوّات البرّية والبحرية والاسرار الحربية والحصون والمعاقل والاكتشافات الجديدة وما شاكل ذلك. وقد كان للمرأة فيها عملٌ يُذكر

وفاق الالمان سواهم في هذا الفنّ فانهم لم يدَّخروا وسعاً في استخدام الوسائل المؤدية بهم الى اغراضهم ولم يتركوا باباً من ابواب الحيلة الّا ولجوهُ. ويظهر ان مهارتهم قديمة العهد فلا يزال بين ساسة اوربّا رجال احياء ينسبون حرب فرنسة والمانية سنة ١٨٧٠ الى مساعي ثلاث سيدات نبيلات. منهنَّ بارونة المانيَّة انتدبتها ادارة قلم الاستخبارات في وطنها للتنقّل بين منازل الكبراء من اهل عاصمة فرنسة. وكانت البارونة فتَّانة خلَّابة فسكنت قرب الاليزه وتعرَّفت الى وزير الحربيَّة وسعت في اكتساب ودّه. فلم يمضِ الّا القليل حتى اخذت تدعوهُ الى الغداء في منزلها مرّة كل اسبوع. فلبَّى الوزير الدعوة وكانت دبّرت بدهاء ومكر ليكون يوم استقباله يوم عقد مجلس الوزراء فاذا ارفضَّ المجلس هبَّ الوزير مسرعاً الى منزلها. وكانت تُلهيه بحديثها المطرب حتى تمرّ ساعتان او ثلاث بين فناجين القهوة واقداح الراح دون ان يشعر. وفي خلال تلك المدة كان شابّان بروسيان من ضبَّاط اركان الحرب يدَّعيان انهما من خدَم البارونة يفتحان سرًّا محفظة (اقطر) القائد ويطَّلعان على ما فيها اذ كان يتركها على طاولة هناك عند دخوله ويترك فوقها قبعتهُ وقفازيه. وكان الضابطان ينقلان المذكَّرات بالخطّ المختزل ويرسلانها الى برلين على عجل فيقف اهل الشأن عليها في ذلك اليوم عينه

ولقد أثمرت عند الالمان ثمراً يانعاً عبارةٌ فاه بها فريدريك الاكبر: « عندي طبّاخ واحد ومائة جاسوس » وكان لها في نفوسهم المنزلة الاولى والمكان الارفع فجعلوها نصب عينهم ولم يتحوّلوا عنها قيد شعرة

ان ادارة الجاسوسية كانت عندهم تُعدُّ في ايام الحرب كاحدى الدوائر العسكرية الرسميّة فينفقون عليها الاموال الطائلة ويخصصون لها في ميزانيتهم اعتماداً يتجاوز عشرات الملايين في العام فيدفعون المرتّبات الباهظة للذين يقومون بمهمّة التجسس ويُحسنونها. وقد نالوا من وراء الجاسوسية من المعلومات الخفيّة والاسرار الدقيقة ما لم يَنَلْهُ غيرُهم من الامم المعادية. قال احد الكتّاب الاميركيين المشهورين وكان قد اقام طويلاً في المانيا حتى في أثناء الحرب (١ : « اجتمعتُ يوماً بضابط الماني من اصحابي فأخذ يسخر من عدم النظام عند الاميركان ومن خطّتهم ثم زاد قائلاً: «ان بحريتنا اقوى اليوم من بحريتكم. وجيشكم لا يستحقّ الذكر. امّا جيشنا فتامٌّ كامل العَدَد والعُدَد لا ينقصهُ شيء. ولنا مراكب وسفن تنقلهُ وتنزلهُ في ارضكم والاهمّ من ذلك اننا نعلم كيف واين نُنزلهُ فيها كما اننا نعلم أين يعسكرُ في المساء وأين يقاتل عند الصباح». قال الكاتب الاميركي: «سمعتُ كلام الضابط الاميركي مرتاباً بصحته لكنّ الايام حنّكتني بعد ذلك وهذّبتني فعرفتُ من الامور ما جعلني اعتقد ان للوزارة الحربيّة الالمانيّة رجالاً يخدمونها في أنحاء المعمور جميعها وهي تعرف كوزارة اميركا نفسها ما يجب معرفتهُ عن حصوننا ومرافئنا ومناجمنا وسككنا الحديدية وطرقنا العموميّة ونُقَطنا الحربية الحيويّة في اهميّتها ومخابئ البلاد وقوّة جيشنا الحقيقيّة في البرّ والبحر»

وما علمتهُ المانيا عن اميركا بواسطة جواسيسها كانت تعلمهُ باحرى منوال عمّا يحيط بها من الدول المعادية ولاسيما فرنسا وانكلترا وروسيا. قال الكاتب المذكور آنفاً: «عرفت من احد كبار الموظفين الافرنسيين انهُ كان لالمانيا في فرنسا وحدها اكثر من ثلاثين الف الماني من كلّ الطبقات الاجتماعية منهم العملة واصحاب المخازن واصحاب الفنادق والتجّار والمزارعون وجميعهم متأهبون للعمل بما نُدبوا اليه عند اول اشارة. ومن الواجبات المحتومة عليهم ان يهدموا الجسور والمعابر ليعاكسوا

١) في مقالة ظهرت في المجلة العصرية (Contemporary Review) في ١ ك سنة ١٩١٤

تعبئة الجيوش الافرنسية ويشوّشوا حركاتها وينسفوا الترسانات الكبرى ويهيّئوا سرًّا مسدّقات للعِب او ورشات للشغل تُصبح امكنةً صالحةً لتعب المدافع الضخمة ويُرشدوا بعلاماتٍ معروفةٍ وكتابات مفهومة منهم الى الطُّرق الجيّدة لسير الجيوش وغير ذلك. وقد أعلمني هذا الموظَّف ان احدى الادارات شعرت بهذه الدسائس ووَجدت مفتاح معمّياتها فاندهشت مرتعبةً من كمال تنظيمها. فبعد ان تشاور رجال حكومتنا طويلًا اتّفقوا على ان يعيّنوا لكلّ جاسوس الماني جاسوساً فرنساويا يلاحظهُ عن بُعد تاركاً لـهُ الحرية لتتميم الاعمال المعهودة اليهِ. وقبل ان استمرت الحرب باسبوع أُوقظ عند نصف الليل هؤلاء الالمان المستعدُّون لنشر الخراب والتدمير وأُوقفوا. وكُشفت الالغام التي وضعوها تحت الترسانات فأُزيلت

. . .

وقد ظنّ الالمان انّ للدول المعادية مـا لهم من كثرة الجواسيس فكانوا يُلقون الشبهة على كلّ اجنبي. وقد شهد السيد جيرارد سفير الولايات المتحـدة في مذكّراتهِ على عقليّتهم هذه قال :

«قد أُصيب الالمان بشبه نوبةٍ من الجنون فكانوا يَعُدُّون كلَّ اجنبي جاسوساً ولا يميّزون بين العدوّ والمُتحايد. فكنت ترى رجال البوليس يقبضون على الناس بغتةً وبمرةً ويرتابون في كل اجنبيّ. ومن ثمَّ نشأت الاشاعات وصارت السلطة العسكرية تأمر بقتل كل من ترتـاب في امرهِ ولاسيما اذا لاح لها انهُ جاسوس فرنسوي او روسي. ولذلك أمسى موقف الاجـانب حرجاً جدًّا واحاقت الاخطار بالجميع على حدٍّ سواء

« وازداد القلق والاضطراب لمَّا شاع ان الجواسيس شرعوا يهرّبون الذهب الفرنسوي الى روسيا بالسيَّارات فأخذ فلّاحو الالمان ورجال عصاباتهم يترصّدون في الفلا السيَّارات فيوقفونها ويبحثون عمَّن فيها وعمَّا فيها وكثيرًا ما كانوا يقتلون ركّابها اذا دفعتهم الريبة الى ذلك. ومن جملة الذين قُتلوا على هذا الوجه كونتـة المانيَّة وبين الذين جُرحوا ضابط الماني والدوقة راتيبور. ولم يحدأ تأثُّر القوم الّا بعد مرور بضعة ايّام وذلك بعد ان نشرت الحكومة عدة اعلانات في الصحف دعت فيها الشعب الى السكينة والتعقُّل وكفّتهُ عن ارتكاب الجرائم في ساعـة سَورة الغضب

« ومن الاشاعات السخيفة التي انتشرت في تلك الايام ان الجواسيس الروس قد ألقوا السمّ في بحيرة «موجل» التي يشرب منها اهل برلين . فأخذ الناس اذ ذاك يُذيعون انهُ قد أُلقي القبض على عددٍ كبير من جواسيس الروس وأعدموا بالرصاص »

. . .

وقد ادركت انكلترا الخطر الشديد الذي يجرّهُ عليها الجواسيس فتعددت مطاردتهم وتضييق الخناق عليهم حتى ظفرت بعددٍ عظيم منهم ولو لم تهتمّ لهم الاهتمام الواجب لكان مصابُها بهم جللًا. بثت العيون في كلّ الامكنة وشدّدت المراقبة فاكتشفت امورًا في مكان عظيم من الأهمية ورتّبت دوائر البريد كل الترتيب فالادارة قبلت بين مستخدميها في لندرة فقط الفًا من الرجال و٣٨٠٠ من النساء وقد انتخبت العارفات باللغات الاجنبية واليك مثالًا مما جرى لاحدى الرقيبات فتحتْ احداهنّ رسالة فلم تكد تقع عيناها عليها حتى اشتبهت فيها وكان بين سطور الرسالة بياض عرضهُ اكثر من سنتيمتر ولكنها لم تجد في كلماتها ما يؤيد الشبهة الّا علامة صغيرة في ذيل الصفحة تعذّر عليها فهم الغرض منها. فلمّا عرضتها على ذوي الخبرة تبيّن بانها مصنوعة بحبر سرّي ولمّا عُولجت الرسالة بانت سطورها المخفيَّة المكتوبة بهذا الحبر بين سطورها الظاهرة المكتوبة بالحبر العادي. وكانت تتضمّن معلومات عن حركات البواخر والجنود ووصف القلاع والحياض وقد خُتمت بقول صاحبها: «وغدًا اذهب الى دبلين». وتبيّن انهُ ارسل رسالتهُ من ارلندا فبثّوا عليهِ العيون والأرصاد حتى امسكوه في لندرة فحُكم عليهِ بالاعدام

وقد شهد مدير مصلحة البريد ان واحدةً بين المستخدمات فيها استظهرت امضاءات الوف من الاعداء وان النساء أبدَين من البداهة اضعاف ما ابدى الرجال

وانتشر الجواسيس الالمان في انحاء انكلترا مثلما كانوا في فرنسا . منهم الصنّاع والعمّال والمربيات والمدرّسات والخادمات والتجار والزرّاع والباعة بل والجند والضبّاط وهم اساليب في التجسس يحار لها العقل . يتشاورون بالانوار الملوّنة ليلًا ويدخنون المداخن نهارًا وقد ضُبط بعض الاشخاص في اماكن عديدة واكتُشفت معهم معلومات كلها خطر على البلاد. وكانوا يُرسلون في طلائع الجيش الالماني اناسًا من اخصّ اهل المدن وعندما يتقهقر هذا الجيش يبقى هؤلاء في المواقع التي تخلو منهم بملابس جنود او ضباط انكليز وفرنسويين ويندسّون بين جنود المذكورين ليوافوا حكومتهم بالاخبار عن الحركات العسكرية برموز واساليب افتضحَ بعضُها فكان محلًا للدهشة والعجب. فعند ابتداء الحرب وُجد جاسوس في قبّة كنيسة يحرّك عقارب

الساعة تحريكاً متفقاً عليه وكان القائد يأمر بتصويب قنابل المدافع بحسب ما يراهُ من اشارات العقارب

شاهد الجنود الفرنساويون مرةً رجلاً بملابس مُشاتهم يقود قطيعاً من الاوز فتقدّم امام المعسكر ووقف. وكأنهُ فعل ذلك من غير قصد. وقف بضع ثوانٍ تجاه فرقة فرنساوية وهو يسوق الاوز بعصاه ولم يكن تحريكهُ لها الّا ليشير الى مدفعيّة فرنسوية كانت محجوبة عن عيون الرقباء. ثمّ سار في طريقهِ فظنوا انهُ ذاهب بالاوز الى مطبخ من مطابخهم . وما انقضت بضع دقائق حتى فتحت مدافع الالمان افواهها وصبّت ناراً حامية على تلك الفرقة فقتلت العدد المديد وعطّلت كثيراً من الذخيرة فارتاب عندئذٍ رجال المدفعية في ذلك الماكر المخادع فأدركوه واتّضح لهم انهُ جاسوس فانزلوا بهِ العقاب الذي يستحقهُ

وقد أُشكل على رجال الجندية الفرنسوية كثير من طرائق جواسيس الاعداء في ساحة الحرب ومن جملتها رسمهم لبقرةٍ سوداء فكانت هذه من العلامات التي يرسمها الجواسيس على الطرق التي يجتازونها ليُدرك جنودهم ما هو امامهم . فكان الفرنسويون يرون في أنحاء مختلفة بقرةً سوداء مصوّرة على الجدران فلم يعلّقوا على الامر اهمية لكنهم ما عتموا ان اكتشفوا سرّ ذلك وعرفوا مغزاه فرسمُ بُقيرة صغيرة معناهُ ان الطريق محميّةٌ بقوّة عسكرية صغيرة. ورسمُ بقرة متوسطة الحجم معناهُ ان جنود الحلفاء في الجوار . ورسم بقرة كبيرة معناهُ انّ في المكان استحكامات. وكان رأس البقرة يدلّ على الجهة التي يأتي منها الخطر فان كان الرأس عالياً فهمَ الالمانيون انهُ يجب عليهم استكشاف الطريق بطيّاراتهم قبل ان يتقدّموا في سيرهم

وحُكم في باريس على قسطنطين غورويانيس اليوناني بالاعدام لثبوت الجاسوسية عليهِ. وقد فضحت أمرهُ ممثلةٌ فرنسوية عرفتهُ فادّعى انهُ ممثل. ثمّ زعم انهُ تاجر متجوّل فارتبت الممثلة بكلامهِ الى ان عرفت الحقيقة فابلغتها البوليس فبعد التحقيق والتدقيق عرفوا انهُ تابع لمكتب تجسّس تديرهُ امرأة في انقرة. وكان قسطنطين يتلقّى الاوامر منها ليخبرها عن تنقّلات الجيش الفرنسوي واعمال التحصين حول باريس وعدد الامداد الانكليزية وكان يكتب كل ذلك على ورق لا يظهر حبرهُ الّا بمعالجتهِ بمادّة كيماوية. فكان يلفّ بعض الصور بذلك الورق ويرسلها الى جنيف فتُرسَل منها الى انقرة.

والظاهر انَّ مديرتهُ كانت مرتاحة الى اعمالهِ فنفحتهُ بطريق جنيف بعطايا وهبات ثمينة

وكان فارس الحلبة في الجاسوسية المرأة الحسناء. فانَّ فتيَات الالمان كنَّ متفرقات في بيوت الفرنسويين والانكليز وكنَّ بجمالهنَّ ومهارتهنَّ ينتزعن ما تكتمهُ الصدور من الاسرار ويتوصَّلن الى الاستيلاء على قلوب الضبَّاط ويخللن عقال السنتهم ليبوحوا لهنَّ بما يرغبنَ من البنايات والايضاحات. وقد وُجد منهنَّ كثيرات في الاماكن المحظورة وعند الخطوط الحربيَّة الحديدية منبثَّات يترصَّدنَ القطارات ويراقبن حشد الجيوش ويتلقَّفنَ اخبارها

ورأى الناس عددًا غير قليل من فتيَات المقاهي والمطاعم ومن خادمات المنازل يتخذن هذه المهن ستارًا يختفين وراءهُ. وفي الحقيقة غايتهنَّ مراقبة من يتردَّد على تلك الاماكن من الضبَّاط والملحقين بالسفارات فيَستنزفن ما في نفوسهم من المعلومات

ومما هو أغربُ من ذلك ما ظهر لمَّا عزمت فرنسا ان تسنَّ قانونًا تتخلَّص بهِ من نساء العدوّ اللواتي كنَّ يتخذن التزوّج ببعض الفقراء الفرنسويين واسطةً للجاسوسية. ولقد ذكرت الكتب الرسميَّة امثالًا من ذلك. ففي شهر آب سنة ١٩١٥ تزوجت سيّدة المانية من ذوات الثروة والجاه بمسَّاح احذية ووهبتهُ ريعًا سنويًّا مقابل اتخاذها اسمهُ الذي يحميها لدى الشريعة وكان تزوُّجها بهِ اسميًّا وظلَّا منفصلين وقصدُ هذه العروس من ذلك ان تكون حرَّةً في تصرّفها فلا تلقى من القانون معارضةً. وتزوَّجت ممثلة هنغاريَّة غنيَّة جدًّا بحجَّار لا يملك شيئًا من حطام دنياهُ. والغاية من ذلك ان تتمكن من دخول باريس للوقوف على الاسرار الحربيَّة وإطلاع مواطنيها عليها متى عادت الى سويسرا

. . .

وخوفًا من التطويل نلخّص ما كتبتهُ الصحف الانكليزية محذّرة الأمَّة من الجواسيس الذين مثَّلوا على مرسح الحرب الكبرى اهمَّ الادوار وهي مستندة في كلامها الى شواهد واقعية اقتطفنا منها ما يلي :

١ «كثيرون من الرجال بالثياب الملكية يستعملون المصابيح الملوَّنة ليشيروا بها الى جيش الاعداء اشارات اتَّفقوا عليها بينهم من قبلُ. وكثيرون من الفلَّاحين في

المزارع والحقول الواقعة في ميدان القتال ليسوا الّا جواسيس ينقلون الى حكوماتهم اخبار جيوش الحلفاء.

٢ً « انخرطت نساء الالمان في سلك الجاسوسية وقد بلغن فيها مهارةً تفوق حدَّ التصوّر حتى انهُ لما انتبهت الحكومة الانكليزية اليهنّ وأمرت بوليس لندن ان يقدّم كشفاً باسماء اللواتي يجب طردُهنّ من البلاد اجاب الشُرَط انهُ يجب نفيُ عشرين الفاً منهنّ كنّ في العاصمة يمارسن التعليم والتمريض والطبّ وادارة الاندية والمطاعم والفنادق والاستخدام في الشركات البرقيّة والمحلّات التجاريّة

٣ً «في اثناء معركة الاين (Aisne) الكبرى قُبض على امرأة المانية كانت تتفاوض بالضوء من نافذة مسكنها في احدى القرى مع القومندان الالماني وتستعمل في ذلك مصباحاً كهربائياً ولدى التحقيق ثبت انها من الجواسيس — وحكم القائد جنس دالنغ على احد المدفعيين بالسجن اربع سنوات مع الاشغال الشاقّة لانهُ باح باسرار الاسطول لدولة معادية وكانت التي أغوتهُ غانيةً التقى بها في احد المراسح فتمكنت من اختلاس اسرار الاسطول منهُ

٤ً « وقد حارت عقول ارباب الحربية الانكليزية في وصول رسوم حصون ومعاقل جبل طارق مفتاح الدفاع عن البحر المتوسط الى الحكومة الالمانية . ولدى التحرّي تبيَّن ان كاعباً من حسان الالمان كانت تقيم بالقرب من تلك المعاقل وبينها وبين عدد كبير من الضبّاط مودّة زائدة وكانت تحضر المراقص والولائم مع البعض منهم . ولما حصلت على مآربها وعرفت ما ارادت من الاسرار اختفت عن الابصار وعادت الى برلين تحمل غنيمتها ظافرةً

٥ً «وقد اقام اهاليَ برلين وأقعدهم الحكمُ الذي اصدرتهُ محكمة فرانكفورت بالاشغال الشاقة على روزا لنكستين لانها كشفت اسراراً عسكرية . وقصة هذه الغانية طويلة خلاصتُها انها من بوهيميا خدمت في محلّات برلين وفرنكفورت التجارية . ولما احتاجت الى دراهم طرقت ابواب الجاسوسية في همبورج وبرلين وباريس وغيرها . وقد أثبت التحقيق انها باحت باسرار الحربية النمسوية لقناصل المانيا وفرنسا واخيراً توصّلت الى صانع الاقفال في الاسطول الالماني فسرقت منها رسوم آلات الاسطول.

ولكنَّ الشرط عرفوا بها لوقوع احد كتُبها في يدهم فاحتالوا عليها وجرُّوها الى كولونية حيث قُبض عليها وسلموها الى المحاكم

٦ «ومن أغرب ما عُرف عن اولئك الحسان ان احداهنَّ كانت تجول في وادي الاين (Aisne) راكبة سيَّارة يسوقها ايطاليٌّ وهي تحمل جوازًا مزوَّرًا يُبيح لها التجوال في تلك الانحاء عليهِ توقيع الجنرال جوفر واللورد كتشنر. ولدى الفحص ثبت انها من الجواسيس»

ذلك بعض ما كتبتهُ الجرائد الانكليزية في هذا الباب واصفة عددًا عديدًا من الحوادث اثباتاً لما تبتغي نيلهُ من المواطنين

. . .

فما اصوب كلام اللورد كتشنر الى الجنود: «حذارِ الحسانَ حذارِ الحسان!»

تمجيد اليابان لرسولهم

تعريب رسالة لاحد المرسلين حاضرًا في اليابان

مقدمة

من المعلوم انَّ اوَّل من دخل بلاد اليابان من المرسلين هو القديس الكبير فرنسيس احد المتلمذين الاوَّلين لمنشئ الرهبانيَّة اليسوعيَّة القديس اغناطيوس دي لويولا. قد اختصرنا في المشرق (٢٠ [١٩٢١]: ٣٥٥ــ٣٥٩) ترجمتهُ بمناسبة تذكار المئة الثالثة لتثبيت قداستهِ في رومية. وروينا هناك خلاصة اعمالهِ العجيبة في الهند واليابان وموتهِ الكريم بجزيرة سانسيان وهو يستعدُّ لتبشير الصين بالدين المسيحي

وكان دخولهُ اليابان في ١٣ وقيل في ١٥ آب سنة ١٥٤٩ فبشَّر بالانجيل ممالك كنفوكسيا وفيرندو وأمنجوشي وصبغ الوفاً من اهلها واشرافها وامرائها بمياه المعمودية ووضع اساس تلك الارساليَّة العجيبة التي شرَّفت كنيسة الله بثمارها المذهلة وبدماء

الوف مؤلفة من شهدائها بل ثبت منهم ربوات على الرغم من ضروب المحن التي نالتهم مدة مئتين وخمسين سنة فأمكن المرسلين الكاثوليك ان يستأنفوا العمل في ذلك الحقل المخصب في اواخر القرن السابق

ومع قصر هذه المدة التي مرت على المرسلين منذ تمتعوا بالحرية للتبشير الديني قد بلغ اليوم عدد الكاثوليك قريباً من مئتي الف ما عدا الذين نصرهم الروسيون والبروتستانت . فترى اليوم في اليابان خمس رهبانيات تتنافس في تبشير البلاد . وللكثلكة نظام كنائسي وابرشيات يتولاها خمسة اساقفة قد ألفوا منذ عامين اول مجمع قانوني في توكيو لتوحيد القوى وتدبير كل امور الارساليات

فالدين الكاثوليكي في نمو متواصل اصبح له اليوم بازاء الحكومة والاهلين مقام شريف . وقد ارتد الى الكثلكة رجال من كبار أسر اليابان اصاب بعضهم المناصب العالية كالوزارات والسفارات لدى الدول . وبين جيوش الدولة بحراً وبراً قواد وضباط كاثوليك استوقفوا نظر الاهلين والاجانب . وقد سبق لنا (المشرق ٢١ [١٩٢٦] : ٤٧٩) ذكر اهتداء ميكي احد شعرائهم المفلقين

ولم تكتفِ الدولة اليابانية بمنح الحرية لنشر الدين الكاثوليكي بل اطلقت له كل الامتيازات الممنوحة لأديانها الوطنية فعرفت الكثلكة رسمياً واختصت رؤساءها برعاية خاصة ولولا تعصب بعض المنتمين لعبادة اصنامها لأقامت اليوم سفارة لدى الكرسي الرسولي . وما تأجل سيتم قريباً ان شاء الله

ومما تشرفت به الكنيسة الكاثوليكية في اليابان انشاء الآباء اليسوعيين جامعة في توكيو عاصمة البلاد اخذ يتقاطر اليها الطلبة وفيها تُلقى المحاضرات الدينية والعلمية يتهافت الى استماعها علماء البلاد وادباؤها

١ تذكار رسول اليابان

وقد زاد شرف الديانة الكاثوليكية لما اطّلع اليابانيون على رسائل القديس فرنسيس التي وجّهها الى اخوته الرهبان في اوربة وفيها اثنى أطيب الثناء على الشعب الياباني واطرأ ذكاءه واستعداده للرقي واتسع في محامده وأمّل الآمال القريبة في ارتداده الى الدين المستقيم فكأنه تنبأ مذ ذاك الحين عن نبوغه الحاضر وصعوده في

مراقي النجاح والتمدُّن. فعُني بعضهم بنقل رسائله الى اللغة اليابانيَّة اذ عدُّوها اقدم أثر شاع في اوربَّة عن بلادهم واخذت الدولة اليابانيَّة على نفسها مصاريف طبعها

وفي السنة ١٩٢٤ وهب حاكم مدينة امنجوشي ويقال لها ياماغوشي الرسالةَ الكاثوليكيَّة قطعةً من الارض تحقَّقوا انَّها كانت الموقع الذي اختاره القديس فرنسيس لمَّا احتلَّ سنة ١٥٥٠ تلك المدينة ليبشر اهلها. وكان الذي تبيَّن ذلك الابُ المرسل ڤيليون (P. Villion) من جمعيَّة الرسالات الاجنبيَّة في اوساكا فأثبت انَّ القديس لما دخل تلك المدينة لقي كلَّ اكرام من ملكها فعيَّن لسكناهُ هيكلاً يابانيًّا قديمًا كان الوطنيُّون يكرمون فيه الهم دَيدوجي فسكنهُ ستَّة اشهر هو ورفقتهُ واقام فيهِ للمتنصِّرين عن يدهِ معبدًا لاكرام العذراء مريم

ففي هذا المكان عينهِ اراد الله ان يتمجَّد عبدهُ بازاء الدولة اليابانيَّة كلِّها. فانَّ المرسلين الكاثوليك مذ وقوفهم على ذاك المقام التاريخي عوَّلوا على تشييد اثر جليل لرسولهم الاوَّل وافتتحوا اكتتابًا عموميًّا لسدِّ نفقاتهِ واذا بكثيرين من الوزراء وارباب الدولة واعيان البلاد تسابقوا الى دفع مبلغ من مالهم الخاصّ لهذه الغاية. وعلى الرغم ممَّا سعى بهِ المتعصبون من الوثنيين واعداء الدين الكاثوليكي لمنع الأثر المذكور ما عتَّم ان خرج الى حيِّز العمل

والاثر عبارة عن قاعة هندسيَّة معدَّة لتركيز صليب جميل من الصوَّان طولهُ ثمانية امتار في وسط عارضتيه تمثال نصفيّ للقديس فرنسيس. وقد قام بصنع الاثر ابرع المهندسين والنحَّاتين

٢ وصف حفلة تدشين الاثر

تعيَّن يوم السبت الواقع في ١٦ تشرين الثاني من العام الماضي ١٩٢٦ لتدشين الاثر المذكور ودُعي اليهِ وزراء الدولة وعليةِ البلاد واشراف القوم مع سفراء الدول وفي مقدَّمتهم ممثل الكرسي الرسولي نيافة القاصد السيِّد جياردينى واساقفة الكاثوليك يتقدَّمهم اسقف مدينة ياماغوشي السيد دورنغ اليسوعيّ

وقد أسف بعض الوزراء والسفراء على عدم امكانهم من حضور الحفلة في اليوم المذكور تلبيةً لدعوةٍ رسميَّة في بلاط الامبراطور في اليوم عينهِ لحضور الاحتفال بعرس

الامير «كومي» لكنهم ارسلوا جميعاً من ينوب عنهم في ياماغوشي

فلما بزغت شمس ذلك النهار كنت ترى الجماهير من النصارى والوثنيين معاً يقبلون من القرى والمدن القريبة والبعيدة لاسيما من اوكاياه ومن فوجي ومن ناغازاكي فنزلوا في ساحة هناك واسعة الارجاء لكنها ضاقت بهم مع رحبها

وكانت أقيمت بازاء محل الاثر خمسة مضارب كبيرة كانت تخفق فوقها أعلام الدولة اليابانية ودول السفراء. وكان على جانب منها دكة عالية مزدانة بالاقمشة الثمينة ليخطب منها الخطباء

ولما حانت الساعة الحادية عشرة من صباح اليوم المذكور اقبل على سيارته سعادة حاكم مدينة امنجوشي السيد أوموري فدعي الى صدر المحفل في وسط المضارب الشرقية. ثم دخل فيافة القاصد الرسولي ببزته الرسمية وبردته الارجوانية وعلى صدره وسام الدولة اليابانية ووشاحها الممثل للشمس الطالعة. ثم دخل في رفقته السيدان مطران طوكيو واسقف هيروشيما ببردتها البنفسجية الكبرى ثم ارباب الدولة من رؤساء بلديات وشيوخ وضباط فقصت بهم المضارب

وبعد هنيهة رشق في الفضاء سهم ناري سمع له دوي عظيم فكان علامة افتتاح تلك الجلسة الفخمة فانتصب الكل على الاقدام وصرخ رئيس بلدية ياماغوشي بصوت جهور: «حان زمن تدشين اثر القديس فرنسيس كسباريوس». قال هذا وللحال تقدمت فتاة صغيرة عمرها ١٢ سنة الانسة اوموري يوشيكو كريمة حاكم ياماغوشي وازاحت بيدها اللطيفة الستر الحاجب للاثر. فظهر الصليب المقدس بكل رونقه وفي وسطه تمثال رسول اليابان تزينها الانوار وضروب الحلي. وصدحت الموسيقى العسكرية التي اتى بها الحاكم من الثكنة فدقت النشيد الوطني «كي غايو» فانحنت الرؤوس وسمع على مسافة بعيدة صدى هتاف الجمهور مع تصدية الايدي. قال المراسل: وكنت انا وكثيرون مثلي لا نتمالك عن ذرف عبرات الفرح والشكر لله الذي مجد عبده بين هذا الشعب الكبير الذي يماثل اليوم في برقيه اعظم الدول الاوربية فعرف فضل رسوله الاول واكرم في شخصه ديانته السماوية

ولما سكتت النوبة جلس الحضور وقام الخطباء فكان اولهم حاكم الولاية فكان كلامه كله دوراً ومع كونه وثنياً القى خطاباً يحمده عليه اشد النصارى

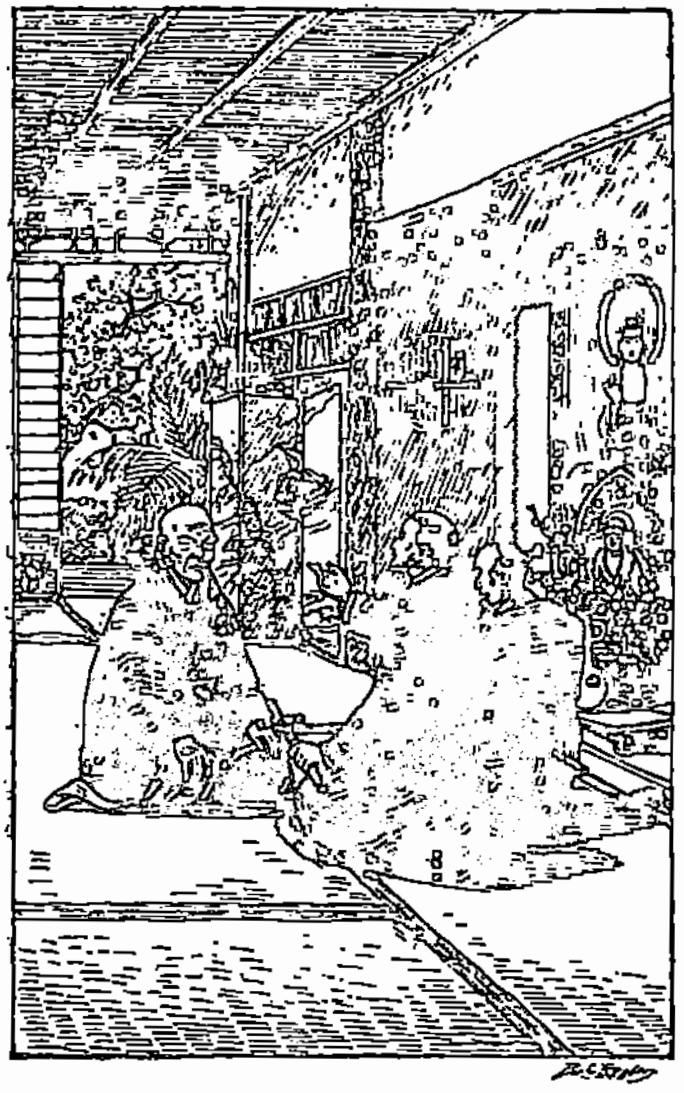

القديس فرنسيس كسفاريوس

يجادل علماء الوثنيين في امنوشي سنة ١٥٥٢

ايماناً . فذكر شرف فرنسيس كسفاريوس ثمَّ افاض في زهده بالعالم وبعزمه الجليل على نشر ديانته . الى ان قال : «انَّ حبَّ فرنسيس لوطننا تنطق به رسالاته التي نعتبرها كاجمل شاهد على مفاخر بلادنا ألا اسمعوا ما كتبهُ في ١٥ نيسان من السنة ١٥٥٢ انني لم اجد بين كل الشعوب التي خالطتُها في انحاء الشرق شعباً يقارب بذكائه وتوقُّد فهمه الشعب الياباني فلا اشكُّ انهُ سيضحي يوماً إماماً عليها جميعاً . أفيمكن ان يسمع واحد منَّا هذه العبارة دون ان يطرب لها ويعدَّها كنبوَّة اشار بها الى رقيّنا الحاضر وذلك قبل نهضتنا بثلثمائة سنة ؟ أفنستطيع ان نكتم عواطف قلوبنا دون ان نجاهر بمعرفة جميلنا لفرنسيس كسفاريوس ؟» فكان لهذا الكلام صدى استحسان ارتجَّت لهُ تلك الساحة الواسعة . وبوسعنا ان نقول انَّ خطاب الحاكم كان كتاج ثمين على هامة القديس فرنسيس وكانتصار ادبيّ قلَّما يُرى لهُ مثيل

وبعد هذا تُليت البرقيَّات والتهاني المرسلة من ارباب الامر . ثمَّ قام رئيس الشورى فقرأ قصيدةً رنَّانة في صاحب العيد . وفي اثره توالى الخطباء فتلَوْا تقاريظ مختلفة باليابانيَّة والصينيَّة بعضها من تصنيف وزراء الدولة كوزير الداخليَّة ووزير المعارف ووزير العدليَّة

وقال نائب سفير اسبانية : «انَّ قلبي لينفطر ابتهاجاً اذ سمعتُ مديح رجل من اهل وطني تعدُّهُ دولتنا الاسبانيَّة كفخر بلادنا . ومن ثمَّ اني باسم سيدي جلالة الملك الفونس وباسم وطني اسبانية كلها اقدّم لفخامة حاكم المدينة ولكم جميعاً يا اهل يا غوشي اصدق عواطف شكري مكرّرًا لها الف مرَّة»

ثمَّ خلفهُ قنصل البرتغال العامّ فقال : «انَّنا قد ارسلنا لكم رسولكم من مينا عاصمتنا لسبونة راكباً على اسطول دولتنا فباكرامكم لهُ تتوّجون بلادكم باكليل من الفخر سيعود عليكم بالعزّ في اعين العالم باسره»

وقال نائب سفير فرنسة : «ان تعاليم فرنسيس قد سقطت بينكم في تربة صالحة اتت بثمارها . فما لنا إلَّا ان نضمَّ صوتنا الى اصواتكم في تمجيده»

وكان آخر من ختم الحفلة نيافة القاصد الرسولي فذكر محبَّة فرنسيس لليابان ثم التفت الى حاكم الولاية فهتف بصوت عالٍ : «يا سيدي الحاكم في ختام هذه الحفلة البديعة لا يسعني ان أنطق إلَّا بكلمة واحدة فاقول انَّني نيابةً عن الكنيسة

الكاثوليكية وعن سيدي الحبر الاعظم وعن الكنيسة المنتشرة في سائر المعمور اشكركم الشكر العميم . فانكم في هذا اليوم خوّلتم الكنيسة نصراً باهراً »

والحق يقال انّ هذا التظاهر جزاء ثمين لاتعاب القديس فرنسيس كسفاريوس في رسالته الى اليابان كما انّهُ مفتتح آمال جديدة لانتشار الكنيسة الكاثوليكيّة في هذه الدولة الرشيدة

النهضة الادبيّة في طرابلس

بقلم الاديب جرجي افندي يني ارسلها الى مدير مجلة المشرق

اكتب اليك ايها السيد الفاضل عن نهضة بلدتنا طرابلس كتابة استمدُّها من مصدرين : احدهما سماعيّ من الشيوخ الذين عرفتهم في صباي وثانيهما ما شاهدتهُ بذاتي على مدًى يزيد عن نصف قرن . وكلا المصدرين يفتح للاستنتاج باباً

كانت الأُمّيّة من قبل منتصف القرن التاسع عشر متفشية في طرابلس ومع ذلك لم تخلُ من الشبان الاذكياء الطالبين للعلم . فالمسلمون كانوا يقرأون في حلقات مشائخهم والنصارى في غُرَف قريبة من الكنائس . بيد أن ما كانوا يقرأونهُ في تلك الكتاتيب لم يكن شيئاً خطيراً . فالمسيحيُّون يقتصرون على تعلم القراءة والكتابة . والبارع منهم مَنْ نشأ خطُّهُ جميلاً ولهُ قدرة على الانشاء بلغتهِ العاميَّة وتراكيبها الركيكة والمام باربع قواعد الحساب . امّا المسلمون فان مدار علمهم كان القرآن وضبط قراءتهِ والتفقه من قرأ شيئاً من التفسير والحديث والفقه والنحو والصرف . ومن برع منهم توسّع في الطلب وربّما رحل في التماسهِ . ولهذا لا نجد سلسلة المتأدبين قد انقطعت من المسلمين فبرز منهم فريق من العلماء والشعراء ومنهم من صنّف بعض التآليف

امّا النصارى فكانوا كتّاباً ولكن ليس بالمعنى الذي نفهمهُ الآن . فيدعون كتّاباً الذين كانوا يكتبون خطّاً جميلاً ويرسمون بهِ اقوالهم الركيكة على النهج العامي

الذي ألِفَتهُ الكتابات الرسمية . ولا يكاد سوادهم يعرف شيئاً من اصول العربية وقواعدها . ومع هذا الضعف في جهازهم الادبي كان الاذكياء النابهون منهم يخدمون الحكومة كتّاباً ومُحاسبين فيرتقون . اعتبرنا ذلك باهتلاء آل نوفل وغريب وصدقه . وعندي مجموعة رسائل تبادلها بعض كبراء المسيحيين منذ مئة سنة تقريباً وفيها امثلة ما مرّ ذكرهُ

وفي زمن الحكم المصري من سنة ١٨٣٢ الى ١٨٤٠ جهّرت البعثات الافرنجية باعمالها واستروح النصارى ان لهم وجوداً وبدأ التناصل يحمونهم . والتصق بالاجانب نفر من المسيحيين فجعلوا يتعلّمون منهم او مؤن اخذ عنهم . ولم يكن التعلّم قاصراً على قراءة العربية وكتابتها بل علّم الاباء الفرنسيسيون اللغة الايطالية فانتشرت . واني لأذكر ولا انسى اني كنت منذ الحداثة اسمع ابي يتحدث بالايطالية مع كثيرين من معاصريه . وتكرر ذلك على سمعي حتى قويتُ على فهم اكثر عباراتها قبل ان قرأت شيئاً من أخواتها . وجملة القول ان كثيرين من متعلمي تلك الآونة اخذوا الايطالية عن الرهبان . وكان المرحومان اسكندر وتيدور كاتسفليس يُجيدانها . ولاسيما المرحوم تيدور فقد كان قنصلاً للنمسة واسبانية فاكتسب من المراس على العمل براعةً في كتابة تلك اللغة

وفي خلال ذلك وقع للادب حادثان نفعاهُ احدهما ان جاء المرسلون الاميركان فعلّموا الانكليزية بعضَ الشبان ومن جملتهم المرحومان اسكندر كاتسفليس ونسيم خلاط . وثانيهما ان سكن طرابلس المرحوم فرنسوا دياب الذي خدم بعد ذلك في متصرفية لبنان وعلّم اللغة الافرنسية كثيرين من الشبان وفي صدرهم آلَ كاتسفليس

وقولي هذا لا يراد به ان الطرابلسيين اخذوا العلم منذ يومئذٍ . ولكني ارى انهم تنبّهوا للطلب وتهافتوا على تعلم اللغات . واذ قام وهبه عبود يعلم الفرنساوية في جملة لغات علّمها ولم يحسنها ، ظهر تهافت النصارى على طلب الفرنساوية

امّا المسلمون فظلّوا على نهجهم المذكور ولكن تيسّر للنابهين من الطلبة ان يتوسّعوا وبتسهيل السفر جعلوا يهبطون مصراً . فطلبَ بعضهم الطب وكان المشهور فيهم مصطفى الحكيم . واشهر منهم قصّاد الازهر من آل رافعي ومترجي وظلّ

بعضهم في مصر وما برحت اعقابهم فيها وعاد اخرون

ولمّا نشأت مدارس الذكور والاناث للراهبات والرهبان وللاميركان تحفّزت النهضة الادبية للوثوب. ولم يكن بين طلبة النصارى حتى ذاك الحين من تقرّب للطلب الّا نفرٌ لا نعرف منهم غير المرحومين سليم وحبيب نوفل اللذين ادخلهما ابوهما عبدالله بك نوفل المشهور مدرسة عين طورا فخرجا كوكبين ساطعين

اما الكتاتيب التي كانت لطائفة الروم فانها لضعف عدّتها اقتصرت على قتل الأُميّة بين عامة الطائفة من غير ان تُحدث بعد ذلك القتل حياةً. لانها هي ذاتها كانت تحتاج الى الحياة

لا جرم ان تلك الكتاتيب الضئيلة هي التي علّمت ابناءها القراءة البسيطة والكتابة الركيكة. فكانت كثقاب شعّ نوره ضعيفاً في ظلام داجٍ ومن الناس من يقدح من الثقاب نارًا يمشي اليها ومنهم من يُطفئهُ وشيكاً فيذهب ضياعاً. فالنابهون استخرجوا من البساطة والركاكة براعةً ومن الضعف قوةً . فمنهم من قرأ العربيّة وتأدب وراح يلتمس المعرفة. وما مرّت السنون العشر الاولى بعد منتصف القرن حتى جعل اولئك المتأدّبون يعقدون اجتماعات ادبية ويتساجلون ويكتبون ويخطبون وينظمون الشعر. فاشتهر منهم اسكندر كاتفليس وسليم دي نوفل (قبل ان يرحل الى بطرسبرج ويسكنها) ونسيم خلاط ويعقوب غريب والياس نوفل ونقولا نوفل وجبرائيل صدقه والياس صدقه ونقولا نحاس وغيرهم

فالنصارى حتى يومئذٍ كانوا اسبق من المسلمين الى النهوض. لان اولئك ظلّوا على اساليبهم القديمة لا يريدون عنها بديلًا ولكن بعض النابهين منهم ارادوا الاندفاع الى تعلم الاساليب التي تُدار بها اعمال الحكومة فحُبّب اليهم دخول المدارس الرسمية التي انشأها الترك ليتعلموا منها التركية فجاءها بعضهم واقتبسوا الاساليب فاخذوا المناصب التي كانت للنصارى في الحكومة وصار فوزهم بها سبباً لازدحام الطلبة منهم في مدارس الحكومة وربما ادّى الى التحفّز للوثوب

اما النصارى فظلّوا مكتفين بكتاتيب الرهبان والاميركان يحسبون ما تُعلّم كافياً وافياً بدليل اني لما ذهبت في خريف سنة ١٨٦٨ الى المدرسة الوطنية ببيروت صحبني اليها المرحوم اسعد الحداد ليطلب الطب في الكلية الاميركية (وكانت

المدرستان يومئذٍ متجاورتين) . فلم نجد مَن ابناء طرابلس من سبقنا الّا المرحوم الدكتور سليم دياب وقد سبقنا لطلاب الطب . ولكن في السنة التالية اقتدى بنا كثيرون من اهل الوطن ومنذ يومئذٍ غدت المدارس العالية لا تخلو من الطرابلسيين(١ . ولمّا رجعوا الى بلدتهم ازداد تنبّه الخواطر وغدا انتشار الكتب والمجلات والجرائد رافعاً لمستوى الافكار

وفي سنة ١٨٧٥ نشأت جمعية ادبية سُمّيت بالطرابلسية فترأسها المرحوم اسكندر كاتسفليس واجتمع الى عضويتها كلّ نبيه وفي جملتهم العالم الكبير المرحوم نوفل نوفل وكثر عدد اعضائها المراسلين وكان في جملتهم العلامة المرحوم ابرهيم اليازجي . وقد قرّظها بتاريخ بديع . ولتلك الجمعية فضل غزير وعمل عظيم اذ كانت تُتلى فيها الخطب وتقام المباحث . فتنقل مواضيعها الى مجالس الناس ويتذاكرونها . فحمد النابهون سعي الجمعية وحسبوها النهضة او العامل الاكبر في إحداثها . ولكن جاءت الحرب الروسية التركية فاثمتها خوفاً من البطش باعضائها لان رئيسها كان قنصلاً لروسيّة وكان ذلك التوم ابدياً

ثم انشأ الروم الارثوذكس مدرسة كفتين فدخلها التلامذة افواجاً وفيهم المسلمون . وكذلك نشأت مدرسة الفرير وارتقت سائر المدارس بتعاليمها وتوسّعها واساليبها

وفي العشرة الاخيرة من القرن الماضي انشأ المتأدبون جمعية أسموها المنتدى الادبي وكان من اعضائه كثيرون من الادباء كالمرحومين اخي صموئل وفرح انطون الذي اشتهر بمجلته الجامعة ومؤلفاته وكالطبيبين خليل الحائك وعفيف عفيف . واما من الاحياء فكان اسعد افندي باسيلي التاجر المثري بالاسكندرية وهو من اهل العلم والادب ونسيم افندي صيبعه نزيل مصر الان والطبيبان ميخائل ماريا وديمتري سيوفي وغيرهم من البارعين . وما زالت خطب النادي ومباحثهُ على النهج القويم واخذ يقيم جلسة عامة في كل شهر حتى قضت السياسة بقفله لياذاً بالسكون والابتعاد عن مرامي السهام

١) وقد تخرّج في ذلك الوقت بعض الطرابلسيين النصارى في مدرسة غزير للآباء اليسوعيين وقد عرفنا منهم الشيخان سعيد وبربر الخازن واسعد زكّور ل . ش

وانشأ المرحوم محمد بك البحيري مطبعة البلاغة وجعل ينشر منها جريدة طرابلس محرّرة بقلم العلامة المرحوم حسين الجسر والد علامتنا الشيخ محمد رئيس الشيوخ. وبعد ان أعلن الدستور العثماني سنة ١٩٠٨ انشأنا مطبعة الحضارة ومجلة المباحث وما لبثت ان نشأت مطابع اخرى بلغت خمساً. وامّا الجرائد فكثرت ولكنها اوقفها الحرب ثم عاد بعضها وتجدّد غيرها والذائعُ منها الان الحوادث لصاحبها لطف الله افندي خلاط ومحررها الشاعر سابا افندي زريق. والرقيب يحررها الاديب يوسف افندي اسكندر نصر. وصدى الشعب يحررها الامير اسعد الايوبي. والصباح لصاحبها الاستاذ سليم افندي غنطوس. والعصر الجديد والتمدن الاسلامي والشفق وامجد هوز

وجملة ما رأينا ان لمدرسة الفرير وللمدرستين الاميركانية والثانوية (التي كانت تدعى السلطانية) فضلاً في نشر العلم. ولاسيما بين المسلمين لانهم تهافتوا على الطلب والسفر للتحصيل. ولم يكتفوا بقصد بيروت وجوارها في التماسه بل طرقوا ابواب الجامعات في اوروبا. فضارعوا اخوانهم النصارى بل ربما سبقوهم لانهم اكثر منهم. وفقنا الله واياهم!

تذكار السنة العاشرة للثورة الروسيّة

(١٩١٧ــ١٩٢٧)

رواية شاهد عيان : للاب فردينان توتل اليسوعي

ان الشاهد البيان الذي اخذتُ عنهُ هذه المذكرات هو رجل ذو حسب ونسب اسمهُ فلاديمير دلكتورسكي (Wladimir Delektorsky) الحائز شهادة الهندسة الزراعية. كان على ايام الحكومة الامبراطورية مفوّضاً في الادارة الزراعية في مجلس مقاطعة خركوف في روسيّة الجنوبية. ثم ترأس على ايام دنيكين اللجنة التي عُهد اليها امر بيع الاراضي في مقاطعة الاسكندرية في ولاية خرسون فشهد كثيراً من حوادث الثورة الروسية وهجر اخيراً بلاده هرباً من تسلُّط البلشفيك وقد قتلوا ابويه واحتلّوا دياره ثمَّ لجأ الى سورية وتعرف فيها بآل ادّه الكرام فعهدوا اليهِ نظارة اراضيهم الزراعية في البقاع الغربي حيث التقيت بهِ فقصَّ عليَّ قصّتهُ كما اسردُها باذنه على صفحات المشرق. ويناسب نشرها اليوم حلول السنة العاشرة للثورة الروسية

ف. ت

قال: ولدتُ في العام ١٨٨٨ في اراضي اسرتنا في وسلي كوت (Vesli Kout) الواقعة في ولاية خرسون. وكنا فيها ثلاثة اخوة مع ابي وامي وكانت مساحة اراضينا تنيف على ٢٢٠٠ هكتار وهي على مسافة ١٨٠ كيلومتراً من مدينة اكاترينوسلاف و١١ كيلومتراً من مدينة الاسكندرية (Alexandropol) وكانت اقرب محطة حديدية الينا اسمها كولوتشفسكي (Colotshevsky). وكانت املاكنا تغلّ غلّات وافرة بلغ محصولها في العام ١٩١٤ ٩٢٠٠ ليرة ذهبية روسية وكان العمّلة في اراضينا مسيحيين ارثوذكسيين اما الحرّاس فكانوا من الشركس المسلمين

وكان هؤلاء العملة قبل العام ١٨٦٢ موالي لنا وكنّا لهم اسيادًا ثم تحرّروا وشاطرونا ملك اراضي وسلي كوت. ثمّ وفد الى بلادنا غيرهم من عمّال الالمان فاستوطنوها واستعمروها

ولم يزل نفوذنا عظيماً في وسلي كوت حتى ايام الثورة اذ كنّا نقوم بنفقة المدرسة وبمعيشة الكاهن خادم القرية والقرى المجاورة لها

اعلان الحرب

وفي العام ١٩١٤ كنت في مدينة خركوف اذ نشبت الحرب الكبرى ولم تكن الخدمة العسكرية اجباريّة في مقاطعتنا لكنّ الشبان تحمّسوا وتجمعوا في دار الحكومة من غير دعوة منها وبظرف ثلاثة ايام سافر منهم اربع قطارات للحرب

وكلّ يعلم ان الجيش الروسي حاز نصراً باهراً في بادئ الحرب وزحف على كونسبرغ في بروسية الشرقية فاضطرّ الالمان ان يسترجعوا الى الوجهة الشرقية قسماً من الجيش الذي كانوا سيّروه على البلجيك وفرنسة فاستهدوا بالخيانة الى معرفة اسماء القوّاد الروسيين واحصاء قوّاتهم فغلبوهم واسروا ٦٠،٠٠٠ من جنودهم وكان الوسيط لهداية الالمان الى كسر الجيش الروسي رجل من معارفي اسمه موراڤيش. فبعد ان دبّر خيانته وقفت حكومة الامبراطور على حقيقة امره وقبضت عليه واعدمته شنقاً

وهبطت اسعار الحاجيّات في السنة الثانية من الحرب حيث أغلقت المنافذ على الصادرات فكثر اللحم والسمن والقمح وبخس ثمنها. وصدر امر يعفو من الجندية كل

انسان يسعى بزراعة ارض لا تقلُّ مساحتها عن ثلثمئة هكتار فظللتُ في املاكي أُعنى باستثمارها وبتقدمة غلّاتها للجيش

ثورة اذار ١٩١٧

وفيما نحن في اذار ١٩١٧ اذ وصلني بلاغ مريشال الأشراف يدعوني الى مؤتمر فائق العادة وكان عدد الاشراف في منطقتنا اربعين فلبّينا دعوة الزعيم. فاخبرنا انه ورد تلغراف ينبئ بتنازل القيصر نيقولا الثاني عن العرش واستشارنا في امر اشاعة هذا الخبر. فقرّ رأينا على ان نكتمهُ الى ان يتبوأ العرش الغراندوق ميخائيل الكسندروفتش فيعلن هو جلوسهُ على العرش وتنازُل القيصر فيحظى كلامه بقبول الشعب ويهدئ الخواطر. على ان رئيس الدرك لم يتمالك عن المجاهرة بتشاؤمهِ في مصير الامور قائلاً: ان الغراندوق سوف يرفض العرش وها قد دخلنا في طور الثورة». وما لبث ان تحقّق كلا الامرين لانَّ تلغرافاً ثانياً ورد بعد ٢٤ ساعة مثبتاً تنازل القيصر ورفض الامير ميخائيل العرش

فانقرضت اذ ذاك دولة آل رومانوف التي كنّا نحبّها ونجلّها ونفديها بارواحنا. فانَّ أُسرتنا كانت قُبيل الثورة بخمسة اشهر قد تبرّعت بمبلغ ٥٠٠،٠٠٠ روبل ذهبي اعانةً لحكومة الامبراطور. وكانوا وعدوني بوظيفة في البلاط الملوكي تلقاء تلك الهبة. فحالت الحوادث المشؤومة دون انجاز ذلك الوعد

وقد اثّر في قلوب الفلاحين خبر تنازل القيصر ورفض ميخائيل تأثيراً سيئاً جدًّا لان الشعب الروسي كان فُطر على حب السلطة الملكية والطاعة لواحد. فأبوا ان يصدّقوا صحة الخبر وارسلوا لي مركبة تقلّها ستّة حُصُن لأركبها فأتجوّل في الارياف واشرح لهم غوامض الامر. وكانت الشعوب التترية مشغفة بحب الامبراطور. فاني في العام ١٩٢٢ لقيتُ على الطريق العمومية في شمالي طرابلس قبيلة من التتر المسكوبيين راحلةً الى دمشق فتعرّفتُ بهم وفرحنا لالتقائنا في ارض الغربة وأصلُنا من وطن واحد. فسألتهم عن سبب سفرهم فقالوا: «لم يبقَ لنا مَلِك في بلاد المسكوب فسرنا الى تركية مطلقين النفس بان نجد غيره فلم نجد والآن نسير الى الشام لعلّنا نجد ضالّتنا المنشودة». واظن انهم رحلوا من الشام الى العراق ليعيشوا في طاعة حكومة ملكية

وفي ٤ اذار سنة ١٩١٧ وفد النوّاب من الدوما الى الايالات وقبض كلُّ نائب

في حكومته زمامَ الحكم عوض الحاكم الذي كان ولّاهُ الامبراطور وقلّدوا ادارة
بين الجنودَ الذين جُرحوا في الحرب. فاستغنينا نحن من وظائفنا

واوفدَتْ حكومة السوفيات في شهر ايلول مفوّضين من قبلها ليضعوا في البلاد
نظاماً جديداً. فطغى هؤلاء البغاة واستبدّوا ونهبوا وسلبوا واتلفوا اموال البلاد.
كانوا يدخلون القرى ويأمرون بذبح الفحول من البهائم التي يحفظها الفلاحون
لتتيح الأنعام وحفظ جنسها سليماً اصيلاً. وفي شهر حزيران ظهرت طلائع العصابات
اخذت بالنهب والسلب فارتفعت اسعار الحاجيات من قيمة الروبل الى ٥،٤٠ .
صار اللصوص يتجوّلون في الارياف وينتهكون حرمة الكنائس ويقتلون الكهنة
حيث وجدوهم

مقتل ابي وامي

كنّا منذ الثورة التي استعرَت نيرانها في العام ١٩٠٥ قد حصّنّا بيتنا لتقيَهُ من
المتعصبين. ففي ١٩ تشرين الثاني ١٩١٧ اذ كنت غائباً مع اخوتي بعد ان سفّرت
سرنّتي الى شمالي البلاد هجمت عصابة متألفة من ١٣ نفراً من آل الثورة على دارنا
وجتموا لغماً تحت جدرانها فنسفوها وقتلوا ابي وامي ونهبوا البيت . وكانت والدتي
قد رفضت مع ابي ان تهاجر عن املاكنا في وسلي كوت لاننا كنا قد جمعنا كمّية
وفيرة من السمك وأملها عظيم بان تبيعهُ قبل مبارحتها البلاد . فبلغني الخبر وانا في
سيبيريا فقمتُ اتعقّب خطوات المجرمين لاقتصّ منهم بيدي. وكنت اعدُّ ذلك حقّاً اذ
الفوضى كانت قد سادت في البلاد ولا رادع يردع الاشقياء عن الجنايات فتسلحتُ
الفلاحين ولحقت اللصوص وقتلت العصابة كلها الّا اثنين منهم نجوَا من نقمتنا

واخذ الموظفون على اختلاف طبقاتهم يستعفون من وظائفهم لكي لا يضطرُّوا
الطاعة لمندوبي حكومة الثورة فحلّ محلّهم نساء جاهلات وبنات خاملات فقبضنَ
على زمام الحكم في القرى

ثم سافرتُ الى انحاء الشمال حيث لجأت امرأتي في مدينة اورنبورغ فرأيت
تضاربت السكة الحديدية غاصّة بالجنود من العائدين الى بلادهم بعد معاهدة
سلتيتوفسك وكنت قطعتُ ورقة لاركب في الدرجة الاولى فوجدت مراكبها مملوءة

عسكرًا فأبوا بفظاظة ان اركب معهم قائلين: « لقد اصبحنا الآن جميعنا متساوين فلا حقّ للغني اكثر من الفقير بركوب الدرجات الاولى. وكانت المحطات على ممرّ القطار خاوية من مطاعمها لئلّا ينهبها البلشفيك. وكانت حتّى التيفوس تفتك فتكاً ذريعاً في بعض البلاد التي كنا نجتازها

تروتسكي ووزارة الخارجية

وكان احد اخوتي موظفاً في وزارة الخارجية فقص عليّ ما يلي: كنا يوماً في الوزارة اذ دخل علينا تروتسكي وصعد على دكّة وصاح بين الموظفين: «ايها الرفقاء اخدموا الحكومة الجديدة كما خدمتم القديمة». فتقدّم الموظفون اجمعون استعفاءهم فأقالهم تروتسكي عن وظيفتهم واقام عوضاً عنهم عمّالًا من اليهود يتراطنون باللغتين الافرنسية والالمانية وصارت الادارة بايدي البنات والنساء. فهجموا على صناديق المعاهدات والسجلّات واغتصبوها واستكشفوا عن الاوراق السرية ونشروها في الجرائد واعلموا العامّة ان الحلفاء قد اتفقوا على ان يملكوا دولة المسكوب على القسطنطينية بعد فتحها. الا ان يدًا أمينة تمكّنت من جمع بعض اوراق الوزارة السرّية فنقلتها الى فرنسة والى بلاد الغرب. وكانت حكومة السوفيات تجاهر بمبدأها الشيوعي حتى في علاقاتها مع الدول وتقول: « لا سياسة سرّية »

في اواخر الحرب

وفي شهر كانون الاول ١٩١٧ وصلتُ الى اورنبورغ وتطوّعت في الجندية في جيش الجنرال دوتوف وهو من القوزاق المحاربين البلشفيك. فدخلت في فرقة السيارات المدرعة وخدمت فيها اربعة ايام. وفي اليوم الرابع فيما كنا نحارب البلشفيك تعطّلتْ بنا السيّارة وكان فيها ٧ اشخاص عُهد امرهم اليّ وانا مسؤول عنهم فاضطررتُ الى ان انزل تحت الرصاص واعالج السيارة فتوفقت الى إصلاحها وتسييرها ونجونا جميعنا من ذلك الخطر المهول على انه اثّر في اعصابي وانهك قواي وظهرتْ فيّ مذ ذاك علامات الشيب على صغر سني ولا عجب فانّ المثل يقول «ان الخوف يشيب الاطفال»

وكانت الحرب قد حطّت اوزارها بين روسيا والمانيا لكن نيرانها استعرت في

البلاد فصارت حرباً اهليّة انقسمت فيها روسيا الى عسكرين احمر وابيض وكلاهما كان يُدمن على الغزو والتلصص ويستبيح المحرَّمات. وفي ١٨ حزيران ١٩١٨ احتلَّ الالمان جنوبي روسيَّة ونشروا فيها لواء الامن. وبلغني من اخي في وسلي كوت ان الامن قد استتب فيها فدعاني الى الرجوع كي اساعدهُ على استثمار املاكنا. فتوفقت الى الحصول على ورقة اجازة للسفر لأتمكن من قطع صفوف العسكر الحمر. فعلّقوا على اجازة سفري شرحاً فحواهُ اني سائق سيَّارة مجروحٌ ومصاب بداء السل وان الطبيب وصف لي هواء البلاد الجنوبية المعتدلة رفقاً بصحتي. فتمكَّنت باجتياز خط العسكر البيض ثم خط العسكر الحمر وصرت الى الاراضي التي احتلّها التشكوسلوفاك وقطعت نهر الفولغا على سفينة بخارية ومنها سرتُ ماشياً الى سيزران حيث ركبتُ القطار الحديدي. فكانوا يرعون جانبي ويتحفَّون بي فيمدُّوني كوني رفيقاً مجروحاً فيُركبوني في الدرجة الاولى من القطار ويقدّمون لي اقة خبز وربع اقة قديد واربع قطع سكَّر يومياً

ثم بلغت الى الخطوط الالمانيّة في الجنوب فجعل هؤلاء يسألوني عن هويتي الحقيقيَّة فكشفتُ لهم امري فابوا ان يصدقوني الى ان ارسلوا تلغرافاً الى بلادي فعرفوا صدق كلامي وقد وردهم التلغراف من حاكم خركوف وهو عمّ امرأتي. وكان الالمان قد نظَّموا البلاد تنظيماً بديعاً ورتَّبوها فظلَّت في حكمهم متمتِّعة بالامن والسلم وبقيت انا في اراضينا الى عقد الهدنة في ١١ تشرين الثاني ١٩١٨ حيث ورد الامر للالمان بالانسحاب عن بلادنا. فجعلوا يجلون عنها بنظام تامّ حتى انهم لفُّوا الاسلاك التلفونية وعادوا بها الى بلادهم. وكان سفرهم على خلاف النمساويين الذين خرجوا شتاتاً من بلادنا على غير نظام

ثم جاء الافرنسيون من الجنوب واحتلُّوا البلاد بعد الالمان وكانوا من العبيد السنغاليين ثم حدثت اضطرابات في معسكرهم بسبب ثورة البحارة في البحر الاسود. وورد تلغراف كاذب الى الجنرال فرنشه دسبيره (Franchet d'Esperey) يدعوهُ الى الجلاء عن البلاد فجلا الجنرال مع عسكره وحلَّ البلشفيون في جنوبي روسيا وجعلوا يعيثون في الارض فساداً فهرب الاهلون من امامهم

أمّا انا فسافرتُ من بلادي الى سباستوبول ومنها الى ايكاترينوسلاف وبقيتُ

هناك الى ١٩٢٠ تحت حكومة دنيكين وقد جُهزت الجيوش البيض مع مساعدة انكلترة لمحاربة البلشفيك. ولم تكن مساعدة الانكليز لنا مساعدة صداقة حقيقية اذ كانوا يمدُّونا باساجة وذخائر لا تصلح للقتال. وسادت الفوضى في البلاد وعمَّ فيها النهب والقتل والحريق. وكانت الحرب سجالًا بين البيض والحمر وكأنهم دأبهم الخراب

واذ كنتُ حائزًا على شهادة المأذونية في الحقوق عيَّنوني مستنطقًا في المحكمة الّا انَّ ايام الحكم والنظام لم تدُم فاضطررتُ الى مغادرة البلاد حفظًا على حياتي. فركبتُ البحر الاسود وسافرت الى القسطنطينية حيث كان الحلفاء محتلين البلاد. ثم سافرت الى بلاد الصرب والبلغار وعدت الى القسطنطينية ومنها ابحرتُ مع المحالفين الى بيروت في العام ١٩٢٢ ولم ازل في سورية الى اليوم

الآداب العربيَّة

في الربع الاول من القرن العشرين

القسم الرابع

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

البحث الثاني

النظر العامّ في الآداب العربية حاضرًا (تتمة)

والآداب العربيَّة في «فلسطين» ضيقة النطاق لا يكاد يُعنى بها غير النصارى وقليل من المسلمين في القدس الشريف وفي السواحل كيافا وحيفا بنشر بعض الصُّحُف

امَّا «الهند» فانَّ الدروس العربيَّة فيها حاضرًا منحصرة في بعض جامعاتها كبومبَي وكلكته ولوكنو ودلهي وحيدرآباد ومدرس والهاباد وجامعة بنجاب في لاهور وعليكره ففي هذه الكليَّات فرعٌ لتعليم العربيَّة اذ لا غنى لاهلها المسلمين عنها

لمعرفة القرآن والتآليف الدينيَّة . وهناك ايضاً بعض المطابع اخذها في كلكتَّه . ومعظم مطبوعات الهند العربيَّة طُبعت على الحجر وما يُطبع على الحروف لا يزال سقيماً ما خلا بعض مطبوعات كلكتَّه وحيدرآباد . والغالب على اهل الهند المسلمين الهندستانيَّة والأردو وعلى الهنود الغوجراتي والتامول وغيرها

وان وجَّهنا النظر الى ﴿اميركا﴾ وجدنا انَّ الاداب العربيَّة مدينةٌ فيها للمهاجرين اليها من المسيحيين عموماً واللبنانيين خصوصاً . وقد ابتدأت هذه الحركة اوَّلاً في ﴿اميركا الجنوبيَّة﴾ ولاسيما في (البرازيل) . فترى اليوم في عاصمتها ريو دي جانيرو جرائد مهمَّة كالعدل والبريد . وفي حاضرتها سان باولو شاع منها ابو الهول لصديقنا البكيفاوي شكري افندي الخوري ثمَّ الميزان والافكار وفتى لبنان . وقد اشتهرت في جمهوريَّة (الارجنتين) عاصمتها بوينس ايرس عدَّة جرائد كالمُرْسَل والسلام والزمان . وفي مدينتها طوكومان جريدة صدى الشرق . وفي كردوبا (قرطبة) العصر الجديد . وما عدا الجرائد قد صدر في اميركة الجنوبيَّة كتب عربيَّة قليلة معظمها الروايات وبعض تآليف ادبيَّة وعلميَّة وتاريخيَّة

واليوم صار السباق ﴿لاميركة الشماليَّة﴾ فانَّ كثرة المهاجرين اليها دعت ادباءها هناك الى العناية بحفظ لغتهم ونشر آدابها بين مواطنيهم المستوطنين في انحائها . وهذه الحركة تلوح خصوصاً في عاصمتها نيويرك فجرائدها الهدى والشعب والسائح والنسر السوري في (بروكلين) والمجلة التجاريَّة السوريَّة تكاد تجاري بعض الجرائد الوطنيَّة . وفي ديترويد جريدة الصباح . وقد طُبع في اميركة الشمالية عدَّة مطبوعات دينيَّة وادبيَّة وعلمية متقنة الطبع

على انَّنا نرتاب في ثبات اللغة العربيَّة سالمةً في اميركة لأن المهاجرين اذا استوطنوا تلك البلاد يمتزجون باهلها امتزاج الماء بالراح فسرعان ينسون لغتهم الاصلية كما جرى لكثيرين ثمَّ يتأثَّر اولادهم

وفي ﴿اميركة الوسطى﴾ جريدة الرفيق في مكسيكو

وان اطلقنا رائد البصر على ﴿افريقية﴾ وجدنا نصيب الآداب العربيَّة زهيداً خارجاً عن مصر إلَّا انَّ فرنسة سعت في تعزيز اللغة العربية بين مستعمراتها الشماليَّة ففتحت المدارس لتعليم الوطنيين في الجزائر ووهران وفي تونس . ولا تخلو عاصمة

مرّاكش من مدارس وجرائد . وفي رباط جريدة السعادة . وفي طرابلس الغرب مطبعة ومدرسة عربيتان . وكذلك في زنجبار . على انّ اخبار تلك الجهات منقطعة عنّا فنجهل غالباً حركة آدابها

امّا ﴿اوربّة﴾ فانّ الفضل في خدمة الآداب العربيّة عائد الى المستشرقين وخصوصاً اللذين تنفق عليهم دولهم الكريمة المبالغ الطائلة في جامعاتها الكبرى فتخصّص لدروس العربيّة بعض علمائها . ففي باريس ورومية وبرلين ولندن ومدريد وفينة ولينينغراد معاهد لدرس اللغات الشرقيّة وفي مقدّمتها اللغة العربيّة . وكذلك في جامعات العواصم المذكورة وغيرها كبوردو في فرنسة وليدن في هولندة وكوبنهاغ في دنيمارك وبونّ وليبسيك وغوطا وغوتنجن وهيدلبرغ وهمبورغ ومونيخ في المانية اساتذة لتعليم العربيّة . وفي كل هذه المدن خزائن كتب عربيّة مخطوطة يستخرجون منها كنوزاً ادبيّة ينشرونها بعد مقابلتها على نسخ مختلفة وربّما اضافوا اليها ترجمتها الى لغاتهم ويصدّرونها بالمقدّمات الواسعة ويعلّقون عليها الحواشي التاريخيّة واللغويّة ويختمونها بالفهارس الجليلة تسهيلاً لاجتناء فوائدها

ولا يسعنا ان نسكت في آخر هذا الباب عن مساعي فاضلات السيّدات في ايّامنا الى ترويج الآداب العربيّة بين بنات جنسهنّ في بيروت ومصر والاسكندرية وفي بعض انحاء اميركة . وسنذكرهنّ في البحث التالي ان شاء الله

البحث الثالث

نظر خاصّ في انصار الآداب العربيّة حاضراً

كنّا عوّلنا على ان نقف عند هذا الحدّ ولا نتصدّى لذكر الاحياء من ارباب الادب وخدّمة الاقلام لعلمنا كم يصعب الكلام عمّن لا يزالون في قيد الحياة امّا بالتفريط وامّا بالتقصير مع الخطر بنسيان من يستحقّون الذكر فتفوتنا اسماؤهم او اعمالهم . لولا انّ بعض الاصحاب ألحّوا علينا بكتابة هذا الفصل ليكون كخاتمة لما سبق مستندين على المثل «ما لا يستطاع جُلُّهُ لا يُهمل قلّهُ» . واجابةً لهذا الملتمس نقسم هذا البحث الاخير الى اربعة ابواب فنذكر اوّلاً اعمال ارباب الكهنوت لخدمة

الآداب العربيَّة ثمَّ نتخطى الى ذكر ادباء الاسلام حاضرًا فنلحقهم بالادباء النصارى ونختم بذكر المستشرقين

١ الآداب العربيَّة بين ارباب الكهنوت

يسرُّنا ان نرى في الاكليروس الوطني عالميًّا كان او قانونيًّا همَّة محمودة في خدمة الآداب العربيَّة

﴿الاحبار الشرقيُّون﴾ على الرغم من الاعباء الثقيلة التي تبهظ مناكب احبار الطوائف الشرقيَّة تراهم في خُطَبهم على المنابر وفي الحفلات الرسميَّة وفي مناشيرهم يراعون كلَّ آداب اللغة لفظًا ومعنى. وكثيرًا ما تُنشر في الجرائد او في نشرات منفردة هذه الآثار الجليلة فتستوقف نظر القرَّاء ويحبذون تذليلها. فلصري لو جُمعت مناشير غبطة البطاركة الاجلَّاء والسادة الاساقفة في اسفار خاصَّة لكانت احسن شاهد على قولنا. وقد امتاز في ذلك غبطة البطريرك الماروني ﴿مار الياس الحويك﴾ الكلي الطوبى فمناشيرهُ تبلغ نحو ٥٠٠ صفحة. ونقرأ اليوم على صفحات البشير منشور غبطة السيد ﴿كيرلُّس التاسع﴾ بمغيب بطريرك الروم الملكيين الكرام في العدل وواجباته. ومثلهما بطريرك الكلدان السيد ﴿عمانويل يوسف توما﴾. امَّا السيد الجليل ﴿اغناطيوس افرام الثاني الرحماني﴾ فلم يكتفِ بالمناشير وها هو منذ العام الماضي يتحفنا بمجلَّة الآثار الشرقيَّة المدبَّج معظمها بقلمهِ والمحتوية على درر معلوماتهِ

ومثل غبطة البطاركة كثيرون من الاساقفة يخدمون ايضًا لسانًا وقلمًا آدابنا العربيَّة. أفيجمل احد تعريب سيادة المطران ﴿بولس عوَّاد﴾ رئيس اساقفة قبرس لخلاصة القديس توما اللاهوتيَّة في خمسة اجزاء؟ وها هوذا سيادة المطران ﴿باسيليوس قطان﴾ باشر بنشرة مطرانيَّة بيروت وجبيل. ونشر السيد ﴿اغوسطين البستاني﴾ رئيس اساقفة صيداء قبل تسقيفهِ الكوكب السيَّار في رحلة غبطة البطريرك الماروني الى رومية وباريس والاستانة. ولرئيس اساقفة بيروت السيد ﴿اغناطيوس مبارك﴾ آثار دينيَّة كخطب ومواعظ ومناشير جميلة. ومثلهُ السيد ﴿انطون عريضة﴾ رئيس اساقفة طرابلس. وقد نشر سيادة المطران ﴿ميخائيل اخرس﴾ رئيس اساقفة حلب كتبًا دينيَّة وتاريخيَّة وطقسيَّة نخص منها بالذكر الكتاب العجيب وترجمة القس الحلبي يوسف الكلداني.

وللسيد ﴿بشاره﴾ الشهالي كتابة الحديث في الشهداء الطوباويين الثلثة الموارنة

﴿ كهنة الموارنة العلمانيون ﴾ امّا الكهنة فلهم مآثر متعدّدة في كل مللهم . فمن الموارنة اشتهر في عهدنا كتبة متعدّدون بين العالميين فيفتخر الحلبيّون بكاهنهم الجليل المنسنيور ﴿ جرجس منش ﴾ لهُ تآليف متعددة ومقالات دينيّة وتاريخيّة وادبيّة قد نشرنا قسماً منها في المشرق كترجمة الطيب الذكر السيد فرحات ولهُ شذور الذهب والحقّ القانوني عند الموارنة وطرفة في الرهبانيّة الثالثة الفرنسيسيّة ونشر اعمال بعض المجامع المارونيّة وكتباً طقسيّة لطائفته . وفي حلب ينشر القس ﴿ اغناطيوس سعد ﴾ مجلّتهُ التقويّة في القربان الاقدس يودعها مقالات حسنة في الدين والاخلاق والادب

وفي بيروت كهنة موارنة يشرّفون طائفتهم بقلمهم كشمرانهم المفلقين الخوري ﴿ رافائيل البستاني ﴾ صاحب القصائد الرنّانة المنشورة في البشير والمشرق . والخوري ﴿ بطرس البستاني ﴾ صاحب آداب المراسلة والرسائل العصريّة والمنظومات البديعة والخوري ﴿بولس البستاني﴾ مؤلف رواية فتاة الناصرة التمثيليّة ومعرّب قدوة الحسان في ابنة رولان تمثيليّة ايضاً . وفي عاصمة لبنان تُنشر منذ تسع سنوات رسالة السلام لحضرة الخوري ﴿انطون عقل﴾ ولهُ آثار اخرى متفرّقة . وقد عرّب الخوري ﴿ الياس الحائك﴾ رواية الاب لونجي اليسوعي التاريخيّة المعنونة فيليب اوغست في معركة بوفين

ومن افاضل كهنة بيروت ذوي الآثار الجميلة المنسنيور ﴿ مخائيل حويس ﴾ رئيس مدرسة الحكمة مؤلف كتاب الطالب المحتوي على واجبات طلبة المدارس . والخوري ﴿يوحنا الحاج﴾ مؤلف المقالات في المدارس العلمانيّة . والخوري ﴿منصور عوّاد ﴾ واضع كتاب الزوجة الامينة . وكتاب هل من جزية على الاكليروس او خراج ؟ وماذا عمل الخوري ؟ وافعال لا اقوال مع عدّة قصائد نُشرت في المشرق . ﴿والخوري بطرس غالب ﴾ صاحب مختصر اللاهوت الادبي وكتاب فرنسة « صديقة ومحامية » والمسيح الملك في طقوس الكنيسة السريانيّة المارونيّة ونوابغ المدرسة المارونيّة في رومية المنشورة في المشرق . وللخوري انطون عين كتاب سنت المراسلة وبنات الشرق . والظرف والادب على منهاج الافرنج والعرب . ولبنان في الحرب وحقائق تاريخيّة ودروس وطنيّة والمؤامرة اليهوديّة على الشعوب . ومن اغزرهم مادّة حضرة الخوري ﴿ مارون غصن ﴾ فمن قلمهِ بستان السلوى والعثمانيّات

ودرس ومطالعة واللغة العامّيّة وخطاب ومحاضرة في سرّ الزواج وقصائد واناشيد شتى وترجمة الطوباوي كوتولنكو وروايات نثريّة وتمثيليّة معرّبة كرواية الشبح الهائل والملكين وهرقل الملك والكاهن او الانتقام الشريف والبركة بعد اللعنة ودفاع الابن عن ابيه

وان صعدنا الى لبنان وجدنا ايضاً كثيرين من افاضل كهنة الموارنة خدموا الآداب العربيّة بتآليفهم النفيسة ففي الدار البطريركيّة المنسنيور الخوري اسقف ﴿بطرس مبارك﴾ معرّب سيرة السيد المسيح للاب لا كاي (Le Camus) ولهُ مجموع مواعظ تحت عنوان تنبيه الغافل وشذور الذهب من حياة القديسة ترازيا الطفل يسوع وقد عرّب كتاباً اوسع من تاريخ هذه القديسة حضرة الخوري ﴿يوسف عوّاد﴾ دعاهُ زهيرة حبّ في بستان الربّ . وفي الدار البطريركيّة العامرة ايضاً حضرة الخوري ﴿بولس طعمه﴾ من كتبة اسرارها ومحرّر سابقاً جريدة البشير زمناً طويلاً ومنشئ مقالات شتى فيها وفي المشرق

ومن مشاهير كتبة لبنان من كهنة الموارنة الخوري ﴿يوسف العمشيتي﴾ لهُ كتاب الاجوبة السديدة على اعتراضات اعداء الدين وتعريب كتاب التعاليم الانجيليّة والحقيقة المتنزّة وصناعة الانشاء في التأبين والرثاء ثمّ تأبين المطران يوسف النجم وفارس كرم وحقيقة الماسونيّة ومنشور البطريرك وازاهير القلوب لعيد القلب المحبوب ورواية سجين جيجاج ومأساة الاميرين الاسيرين وترجمة الخوري يوسف طنّوس يمين ثمّ مقالات ادبيّة وفلسفيّة ظهرت في مجلّة المشرق . وفي جهات المتن حضرة الخوري ﴿الياس الجميّل﴾ صاحب كتاب اللاهوت النظري في تسعة اجزاء وافية . ولهُ لمحة تاريخيّة في البابا والمجامع السبعة المسكونيّة . وفي المتين الخوري ﴿يوسف ابو سليمان﴾ صاحب الروايات التاريخيّة الشعريّة والنثريّة المعرّبة كوديعة الايمان في ضواحي لبنان وابدالونيم ملك صيدون ولويس دي غونزاغا ومعرّب كتاب الكوكب الشارق وناظم قصائد في المشرق

واشتهر بكتاباته حضرة المرسل اللبناني الخوري ﴿ابراهيم حرفوش﴾ مجدّد طبع اللاهوت الادبيّ للاب غوري اليسوعيّ ومضيف اليه ملحوظات متعدّدة . ولهُ قدرة الصلاح في ترجمة الاب اسطفان قزاح ومقالات نفيسة في المشرق عن اديار لبنان وآثارها الجليلة ومكاتبها وسياحات رسولية شتّى . وفي بسكنتا المنسنيور البرديوط ﴿بطرس

حبيقة ﴾ مؤسس مدرستها ومنشئ التآليف الذائعة كاللآلئ الفلسفيَّة وانفاس الطلّاب في مظهار الكتاب في ثلثة اجزاء ونبذة في فنّ التلوين وخطبة في اثبات سرّ القربان الاقدس ومقالة في مار افرام وسرّ الافخارستيا مع شهادات الكنيسة السريانيَّة في هذا السرّ ثمَّ اناشيد الموارنة السريان فيه وشهاداتهم في الالقاب المرعيَّة وتأبين البطريرك بطرس الحاج والمطران بطرس البستاني ونشر رياضة روحيَّة للسيد جرمانوس فرحات وله ستة تآليف نثريَّة وشعريَّة في ذكر ترجمة واعمال ومحامد غبطة البطريرك ماري الياس بطرس الحويك

وفي مزرعة كفردبيان حضرة الخوري الواسع الفضل ﴿ جرجس فرج صفير ﴾ الذي تخصَّص بالدروس الفلسفيَّة واللاهوتية نشر كتابهُ في اصل الانسان والكائنات دحضاً لمذهب التحوُّل وكتاب الفلسفة (جزءان) والقواعد المنطقيَّة تعريب كتاب الاب ترنجورجي اليسوعي ومناجاة النفس (بالشعر) والاخاء المتين بين العلم والدين وكشف الستار عن حريَّة الاختيار والاعتراف والمسيح في القرآن والقلادة الذهبيَّة في التأملات الانجيليَّة ومختصر التعليم المسيحي في الكنيسة والطوائف . ولابن اخيه الخوري ﴿ بطرس فرج صفير ﴾ مقالات دينيَّة وادبيَّة في المشرق وكتاب التعليم المسيحي

وقد خدم الآداب العربية شعراً ونثراً الخوري ﴿ يوحنَّا طنُّوس ﴾ طُبع من رواياته التمثيليَّة البطريرك جبرائيل حجولا الشهيد والنعمان ملك الحيرة في بني شيبان ونشر في البشير والمشرق قصائد رنَّانة . ومنهم في بيت شباب الخوري ﴿ ميخائيل غبريل ﴾ لهُ مصنفات عديدة كأدب البشر في الصغر والكبر وتاريخ الكنيسة الانطاكية السريانيَّة المارونيَّة في ثلثة مجلدات ومشهد الكائنات في الارض والسماوات وترجمة المطران يوسف الزغبي والدرَّة الفريدة في اندوكيا الشهيدة ومختصر اللاهوت الادبي مع الخوري بطرس غالب ومجموعة في مديح الوزير سليم اللحمة وكتاب صلوات ومختصر التاريخ المقدَّس وتعريب التعليم المسيحي والبابا بيوس العاشر . وهناك ايضاً الخوري ﴿ حنا الحائك ﴾ معرّب كتاب الخوري كنيب «علاجي بالماء البارد» وكتاب تنشئة الصغير وألف كتاب تذليل الصعاب في علم الحساب

ومنهم حضرة الخوري ﴿ اغناطيوس جعجع ﴾ مؤلف كتاب رياضة الكاهن ومعرّب مختصر تأملات الاب لويس الجسري وقسماً من رياضات القديس اغناطيوس

مع شروح الاب جانسو . ثمّ الخوري ﴿يوسف داغر﴾ الذي نشر كتابين نفيسين مصباح الحقائق والبرهان الصريح في الدين الصحيح — والخوري ﴿بطرس القزح﴾ الجلاء الاسرار المكنونة في يوم الدينونة ومقالة في الاعتقاد الباطل . والخوري ﴿بطرس مراد﴾ لهُ كتاب دعوة الحبيب الى السرّ العجيب وكلّك جميلة ومصباح الرُّشد في عجائب لُزد وكتاب في الحساب ورواية القديس انطونيوس البادوى وعرب المبادئ الدينيَّة لبلميس

وخارجاً عن لبنان قد اشتهر من كهنة الموارنة في مصر حضرة الخوري ﴿لويس ملحة﴾ بمقالاته الاثريَّة والكتابيَّة في مجلة المشرق . والخوري ﴿بولس عويس﴾ صاحب التآليف القانونيَّة في المجمع الاقليمي وفي مجمع الابرشيَّة وزيارة الابرشيَّة وقانون الدواعي الزواجيَّة (جزءان) وشرح على حكم المجمع المقدَّس في التناول اليومي والموت الحقيقي والموت الظاهر واكرام سيّدتنا مريم العذراء . وحريق مكتبة الاسكندريَّة وسيَر القديسين مارون ويوحنّا مارون وانطونيوس البدواني وروكز ويوحنا دي لاسال

وفي فرنسة المنسنيور ﴿ميخائيل قفالي﴾ احد اساتذة كليَّة بوردو ألَّف كتباً لغويَّة نفيسة في لغة وطنهِ كفرعبيدا وفي السرياني الدخيل في لهجة لبنان واوصاف بناياتهِ المنزليَّة وفي الدلالة على الاجناس في اللغات الساميَّة

وفي اميركة نشر الخوري ﴿اسطفان خيرالله﴾ اللاهوت الادبي والانسان وعلم الطبيعة والكيان والمنطق الانتقادي العلميّ وعجالة البيان في الاشارة الى ممالك الطبيعة والانسان ولباب المباحث الجدليَّة وسبيل الوصول الى الاصول — وهناك ايضاً المنسنيور ﴿فرنسيس واكيم﴾ المرسل الرسولي لهُ كتاب لغز الحياة وكتاب سرّ التوبة والحرّية ومختصر في المناولة المتواترة — ونرتاب هنا في ذكر كاهن ماروني آخر عدل الى العيشة العالميَّة بعد نبذ كهنوتهِ ﴿حبيب اسطفان﴾ وكان نشر عدَّة مقالات نثريَّة ونظميَّة دينيَّة وفلسفيَّة في المشرق وهو اليوم يحرّر في الجرائد ويخطب في النوادي السياسيَّة انارهُ الله !

(لها بقية)

مطبوعات شرقية جديدة

N. Iorga: Essai de synthèse de l'histoire de l'humanité, t. 1. HISTOIRE ANCIENNE, X-390 *pp.*, *gr.* 8°, *Paris*, *Gamber*, 1926.

خلاصة تاريخ البشرية · ١ً التاريخ القديم

هذا الكتاب غريب في بابهِ لين بفحواه وهو لاحد اساتذة بقرش سابقاً ومدير المدرسة الرومانيَّة حالًا في فرنسة قد اشتهر بتآليفهِ السابقة عن تاريخ وطنهِ رومانية وتاريخ بوزنطية والدولة العثمانيَّة في ثلثة مجلَّدات · وها قد باشر بخلاصة تاريخ البشرية فبلغنا منهُ هذا الجزء الاوَّل وفيهِ يبحث عن اصول البشرية الى انتصار النصرانيَّة التامّ · وليس الكتاب تاريخًا عامًّا وانَّما هو نظر عموميّ عن التمدُّن البشري · وقد اخذ المؤلف على نفسهِ هذا العمل الشاقّ ليقوم بهِ وحدهُ متَّكلًا على قواهُ ومعارفهِ التاريخيَّة والوجدانيَّة · وهذه الثقة بنفسهِ دعاهُ اليها تعليمهُ التاريخ منذ ٣٠ سنة مستندًا الى هذا المبدأ ان التاريخ يعيد نفسهُ فاذا نقصت المعلومات الوضعية يُلتجأ الى اختبار الحياة والوجدان · نعم هذا ممَّا يقرِّب العمل إلَّا انَّ سندهُ ضعيف لا يتجاوز آراء المؤلف الشخصية · فلا نظنّ انَّهُ يلقى رضى جميع العلماء · وانَّنا ننتظر بفروغ الصبر الجزءَين التاليين

س · ر

JEDERMANNS BUECHEREI, (Collect. in-16°, Ferd. Hirt, Breslau, à 3 M, 50 le vol. relié)= 1° Unger (Eckhard): SUMERISCHE UND AKKADISCHE KUNST. 108 *pp.* 68 *fig.*, 1926= 2°) Schlesinger (M. L.): DAS BOLSCHEWISCHE RUSSLAND, 112 *pp.*, 1926.

الفنون السومريَّة والاكاديَّة – روسيَّة البولشفيَّة

قد عمدت المانية الى تعميم العلوم بين العموم · فبين مكاتبها العديدة المختصَّة بذلك مكتبة تُدعى بمكتبة العموم التي نشرت مئات من التآليف في الجغرافية والتاريخ والاديان والتمدُّن والعلم ومخصوصات كلّ البلاد بين كل الشعوب وفي كل الازمنة · وهي تعدّ غيرها من جنسها · فمن هذه المنشورات كتابان أرسلا لمجلتنا

يختلفان موضوعاً بل هما على طرفي الازمنة التاريخية اذ يبحث الواحد عن اقدم الفنون في الشرق والثاني عن الثورة البولشفيّة الحديثة في روسية

١ فؤلف الكتاب الاول احد علماء الآثار الاشوريّة في شومر واكّاد. وهو من الاختصاصيين اشتغل سابقاً في متحف الآثار في الاستانة. فقد لخّص في مقدّمة كتابه بصورة شائقة تاريخ اصول الصناعة في الشرق ونموّها منذ عهد حمّورابي الكبير. واليوم قد اصبحت الصناعة الشومريّة الشائعة في بلاد كلدو السفلى معروفة اكثر من الصناعة الاكّاديّة المخصوصة بشمالي الكلدان عند بابل وذلك بفضل الآثار المكتشفة في حفريّات تلّو اي لكش القديمة. امّا الصناعة الاكّاديّة المشتقّة من الصناعة الشومريّة مع ما جدّدتهُ منها فانّها مجهولة لم يُعرف منها سوى الاسطوانات ونصبَي حمّورابي الذي كُتبت على الواحد منهما شريعتهُ الشهيرة. ولا بُدَّ ان يُلحق بهذا الكتاب مجلّد آخر في الصناعة الاشوريّة. وقد اعجبتنا تصاوير تأليفهِ التي بعضها لم يُنشر سابقاً. وممّا لم نصدّق عليهِ في الكتاب زعم المؤلف في اصل عمامة غوديا ملك لكش وسنبيّن ذلك ان شاء الله في وقت آخر. وكذلك لا نظنّ ان الصورة المرقومة بالعدد ٣ تمثّل عشترت الملتحية س. ر

٢ لا يزال الناس ينظرون الى الانقلاب الروسي بعين مرتابة ليحكموا في صحّته حكماً معقولاً. والسبب في ذلك قلّة المعلومات التي يسمح ارباب الامر بصدورها من دولتهم. فلا يسوغ لاحد ان يحكم بدوام الدستور البولشفكيّ زمناً طويلاً. والكتاب الذي نحن بصددهِ يتتبّع تاريخ هذه الدولة الجديدة منذ انشائها السنة ١٩١٧ في عهد لينين فيبيّن ما طرأ على هذه الجمهوريّة من التطوّر اذ كانت اوّلاً جمهوريّة مفردة الحكم ثم صارت جمهورية متحالفة. وفي السنة ١٩٢٥ في مؤتمر الدولة الثاني عشر في ١١ أيار اصبحت روسية ولايات متحدة ونبذت من اسمها الرسمي اسم «الروس» كأنها تريد ان تمحي آثار الزمن الماضي وتقيم عهداً جديداً. وقد نشر المؤلف ما اشاعتهُ الدولة من كلّ ذلك لترويج افكارها ج. ل

Rabeau (Gaston): INTRODUCTION A L'ÉTUDE DE LA THÉOLOGIE. Bloud et Gay, Paris, 1926, 8°, XII-413 pp.

مدخل درس اللاهوت

مؤلف هذا الكتاب يعلّم اللاهوت في كلية لوبلين في بولونية وضع هذا

الكتاب لكل محبّي الدروس اللاهوتية من الاكليروس والعالميين ليزيل ما يطرأ على عقول البعض من الاوهام من هذا القبيل فشرح شرحاً وافياً في كتابهِ ماذا يُراد باللاهوت وما هي الدعائم التي يستند اليها والطريقة التي ينهجها لبلوغ غايتهِ السامية. والمؤلف يوضح كل ذلك بادلّة متينة وفصاحة. فنوصي بكتابهِ الاكليروس الشرقي والشبيبة الطالبة التعمّق في معرفة الدين فانهم يجدون فيهِ ما يفيدهم ويلذّهم معاً

ج. ل

H. Meiss : Echo des Psaumes dans le Talmud. Gr. 8° *carré*, 275 *pp.*, *Nice*, *Société génér. d'Impr.*, 1926

صدى المزامير في التلمود

قد تلطّف زعيم الربّانيين حالاً في فرنسة المسيو ميس فاهدانا كتابهُ هذا الجميل وقد جمع فيهِ كلّ النصوص التي نُقلت في التلمود عن مزامير داود فيفسّرها لبنيان بني اسرائيل ليعزّيهم بعد خراب الهيكل بيد الرومان. فنثني على همّة المؤلف الذي اضاف هذه الخدمة الجديدة الى خدمهِ السابقة للموسويين ولاسيما كتابهُ الذي اجازتهُ جامعتان من جامعات فرنسة والمعنون «دين ووطن» ونتمنى ان يصنع جنابهُ لبقية اسفار التوراة ما صنعهُ لسفر المزامير الذي يفيد القرّاء عن عقلية بني اسرائيل منذ اوائل التاريخ النصراني. وقد تنسّمنا منهُ رائحة الحكَم الشرقية والامثال العربية والحديث الاسلامي

ش. د

COLLECTION CARITAS : Bibliothèque franciscaine de vie spirituelle. = 1°) Boniface Maes : THÉOLOGIE MYSTIQUE (1669). Traduit du latin par le P. L. Lekeux, O. F. M. = 2°) Indica Mihi (Anonyme XVI° siècle): traduit du vieux flamand par M. M. Sayeys. *Paris Libr. Bloud et Gay*.

كتابان روحيّان لكتبة فرنسيسيين قدماء

قد باشر الآباء الفرنسيسيون نشر تآليف قديمة لرهبانهم في الحياة الروحية تحت عنوان «المحبّة» (Caritas) وهو مجموع نفيس يشتمل على كنوز روحية كانت دفينة في زوايا المكاتب. وقد أتانا منها هذان الكتابان الذي يرتقي (الاوّل) الى اواسط القرن السابع عشر مداره على دروس لاهوتية في الحياة الروحية السرّية اودعهُ مؤلفهُ

خلاصة التعاليم التي يرتقي بها الانسان الى ذروة القداسة بممارسة اعمال الروح وكان لهذا الكتاب في اصله اللاتيني رواج كبير في زمن ظهوره حتى تعددت طبعاته ونُقل الى عدة لغات منها اللغة الفرنساوية سنة ١٦٦٧ وترجمتهُ هذه جديدة محسَّنة . اما الكتاب (الثاني) فيشتمل على حياة السيد المسيح وآلامه كُتب في اللغة الفلمنديَّة في القرن الخامس عشر ببساطة عجيبة ورشاقة تأخذ بمجامع القلب فتولَّت احدى السيدات التقيَّات في بلجكة نقلهُ الى الفرنسويَّة لاوَّل مرَّة . وقد قدَّم عليهِ اسقف مدينة بروج السيد ڤانلوت كلاماً موثَّراً بيَّن فيهِ محاسن الكتاب ل . ش

Ch. Diehl: CHOSES ET GENS DE BYZANCE. (Collect. d'Etudes d'hist. et d'archéol.), *in*-16°, *III*-249 *pp.*, *Paris*, *de Boccard*, 1926.

بوزنطية : اشياؤها ورجالها

هذه مجموعة ست مقالات ودروس نشرها احد ائمة العلوم البوزنطية في فرنسة من السنة ١٨٨٩ الى ١٩١٤ فاودعها في هذا الكتاب الذي من شأنهِ ان يلذَّ القرَّاء الشرقيين . وليس المسيو ديهل مجهولاً عندهم وقد كتب فصولاً ممتعة عن بلادهم ولاسيما عن الكنوز الفنيَّة في سوريَّة المسيحية كانطاكية وحماة الخ . وبين هذه المقالات درس مهمّ يجب عليهم مطالعته وهو بحث عن تأثير الصناعة الشرقية عموماً والسوريَّة الاناضولية خصوصاً في الصناعة البوزنطية . وكذلك الدرس الاخير شائق يستحسنهُ قرَّاؤنا بيَّن فيهِ المؤلف نفوذ التاريخ البوزنطي في الآداب العصرية . ولعلَّ كثيرين منهم يذكرون من هذا القبيل تشخيص رواية هرقل التي ألَّفها شعراً الاب شوبين اليسوعي في مرسح كلية القديس يوسف ثمَّ نُشرت بالطبع وقد نقلها آخراً الى العربية حضرة الخوري مارون غصن . اما بقية دروس هذا الكتاب فتبحث خصوصاً عن العاديَّات والتاريخ البوزنطي س . ر

Collection « LES MORALISTES CHRÉTIENS » : 1°) Jean Bremond: LES PÈRES DU DÉSERT. Introduction par H. Bremond, de l'Acad. franç., 2 *vols*, *LIX*-582 *pp.* 1927, *Gabalda*, *Paris* = 2°) Gustave Bardy: CLÉMENT D'ALEXANDRIE, 312 *pp.* *in*-16

الآباء النُّسَّاك البراري – اقليمس الاسكندري

كتابان من مطبوعات محلّ غابلدا من جملة مجموعة تُعرَف باسم « المسيحيين

المؤدّبين. (فالاوّل) منها لكاتبَين شقيقين سكن احدهما مدّةً في سوريّة ومصر ومضمون الكتاب مقاطيع مقتطفة من كتبة القرون المسيحية الاولى في نسّاك بلاد الصعيد وسوريّة وعن سيرتهم الروحية وزهدهم وتقشّفاتهم وتعاليمهم وكلّ ما يحيطنا علماً بامورهم. وقد صُدّر بمقدّمة طويلة بيّن فيها الكاتب وهو احد الشقيقين من اعضاء الاكادمية الفرنسويّة تطوّرات افكار المحدثين في ما كتبهُ الاقدمون عن اولئك النسّاك فاخذوا اليوم ينظرون باعتبار الى حياتهم واعمالهم. ولدينا في العربية والقبطية روايات في اخبارهم شاعت سابقاً في ظهرانينا ويليق بنا ان نجهد في درسها كما يُعنى بمطالعتها اليوم علماء اوربّة. ويا ليت احد رهباننا الوطنيّين يتحفّز لتعريب جزئي هذا الكتاب فانّ فوائدهُ جمّة ليس لمن زهد بالدنيا فقط بل لكل من يُعنى بالعيشة المسيحية الفُضلى س. ر

أمّا الكتاب (الثاني) فمختصّ بأحد معلّمي السيرة الادبيــة. ألا وهو اقليمس الاسكندري اليوناني الاصلي واحد آباء الكنيسة الذي عُهد اليهِ تعليم الآداب الدينية في الاسكندريّة مدّة نحو عشرين سنة. فمن يُعمل النظر في تآليفهِ الواسعة يأخذهُ العجب كيف يعرض على قرّاء زمانهِ في القرن الثاني للمسيح صورة الآداب الراقية كما نسمعها اليوم من الخطباء الكنسيين. وما نقلهُ مصنّف هذا الكتاب من تآليفهِ مترجماً عن اليونانية لممّا يلذّ ويفيد معاً. وقد سعى في حسن تقسيمهِ وجعل اقسامهُ متلاحمةً وصدّرهُ بمقدّمة واسعة عرّف فيها ذاك الرجل الفضال وبسط خلاصة تعاليمهِ وختمهُ بفهارس منظّمة. ومع كونهِ يتضمّن خصوصاً سيرة المسيحيين في مصر فانهُ لا يخلو من فوائد جليلة لاخوتهم السوريين ج. ل

J. Méautis : Aspects ignorés de la religion grecque, *In-24 carré. IX-169 pp, illustr., Paris, de Boccard*, 1925

مظاهر مجهولة من الديانة اليونانيّة

كتاب طيّب النحوى وضعهُ رجل يوناني الاصل يعلّم حاضراً الفلسفة في جامعة نيوشاتل في سويسرة. وقد قسمهُ ثلثة اقسام روى في الاوّل منها تأثير الموسيقى في الديانة اليونانية. وفي الثاني مقام ابطال اليونان في دينهم. وفي الثالث ما يتبيّن من آراء اليونان بخصوص الدين في اكرامهم لسقراط وفقاً لما رواهُ عنهُ افلاطون في كتاب

مباحثاته. والمؤلف يزعم انَّ العلماء لم يلاحظوا تماماً هذه التأثيرات الدينية التي من شأنها ان تشرّف دين اليونان. اما نحن فانّنا لا نوافقهُ على قولهِ: (اوّلاً) انَّ هذه المظاهر كانت مجهولةً او قليلةَ الشيوع في الدوائر العلمية. (وثانياً) انَّ آباء الكنيسة قد صوَّروا ذلك الدين تصويراً كاذباً في عقول المسيحيين. (وثالثاً) انَّ المذهب البروتستاني يساعد اكثر من المذهب الكاثوليكي على انتشار المواطف الدينية. وكفى بقولنا هذا بياناً لما في هذا الكتاب من الخلل ومن المزاعم الباطلة. والمؤلف مع كونهِ اجنبياً يُحسن نوعاً كتابة اللغة الفرنسوية إلّا في بعض تعابيرهِ (مثلاً في الصفحتين ٦٦ و٧١) وكذلك تعدّدت اغلاط الاملاء (راجع مثلاً الصفحات ٣٩، ٦٢، ٦٥، ١٢١ الخ) س. ر

نشرة مطرانيّة بيروت وجبيل للروم الكاثوليك

السنة الاولى: الجزء الاوّل — شهر اذار

طُبعت في المطبعة الكاثوليكية ببيروت سنة ١٩٢٧ (ص ٣٢)

نرحب بهذهِ النشرة الجديدة التي نال امتيازها صاحب السيادة المطران باسيليوس قطّان. فلا مراء انّها تكون خير وصلة بين سيادتهِ وابناء ابرشيّتهِ فانَّ كلام راعيهم الجليل اذا ما تكرَّر بهذه النشرة على مسامع شعبهِ يكون لهم آمن دليل يرشدهم الى ما يرغبهُ لهم سيادتهُ من الصلاح والرقيّ مع حبّ طائفتهم وسائر شؤونها وتراتيبها

العصور القديمة

تأليف الدكتور جايمس هنري براستد. تعريب داود قُربان

طُبع في المطبعة الاميركانيّة في بيروت (سنة ١٩٢٦ ص ٤٨٧)

كلّ يعلم حاجة بلادنا الى الكتب التاريخيّة العلميّة لاسيما العصور القديمة فعمد جناب الاستاذ هرلد نلسن من جامعة بيروت الاميركيّة الى كتاب لاحد اساطين العلم في جامعة شيكاغو الدكتور براستد الذائع الصيت المعنون بالانكليزيّة (An-cient Times. A. Histry of the early World) وانتدب الاستاذ داود افندي قربان الى تعريبهِ بعد استئذان مؤلفهِ وتنقيح اصلهِ الانكليزي بالزيادة والحذف متوخياً في ذلك فائدة الطلبة من ابناء اللغة العربية. فجاء امتع تاريخ من جنسهِ في بلادنا فنثني على همّة كل من سعى بهذا العمل المفيد. على انّنا مع اقرارنا بمقام الاستاذ

براستد الذي عرفناهُ سابقاً في بيروت. لا بُدَّ ان ننبّه القرّاء على انهُ اختصاصي بالآثار المصريّة وانَّ معلوماته التاريخيّة سواها مستندة الى غيرهِ من الكتبة فمن اراد التحقيق لا يستغني عن مراجعة الاختصاصيين. ومما لم نصدّق عليهِ بعض ما رواهُ في فصلهِ الاوّل عن «مئات الالوف من السنين التي عاش بها سكّان اوربّة قبل ان يبلغوا ما بلغهُ المتوحّشون من التسمانيين في زماننا». وفي فصلهِ السادس والعشرين (١٢٤ ص ٤٤٥) نبذة حسنة في انتشار الديانة المسيحية الاولى وان ينقصها شيء من بيان نظام الكنيسة. والكتاب مزدان بالخوارط وبه ٢٢٥ شكلاً بعضها قليل الوضوح

السائح الممتاز لعام ١٩٢٧

ذكرنا في مقالتنا عن الآداب العربية حاضراً انَّ المهاجرين من مواطننا الى اميركة الشمالية خدموا لغتنا خدمةً مشكورة لاسيما في عاصمتها نيويرك. وها هوذا اثرٌ جميل يشهد على صحّة قولنا وذلك عدد ممتاز لجريدة السائح نشر صاحبها فيهِ ترجمة بعض ادبائنا هناك مع متفرّقات لطيفة من اقلامهم شعراً ونثراً بينها الغثّ والسمين كما انها لبعض المتطرّفين كجبران خليل جبران وبعض المتعقّلين كالدكتور فيليب افندي الحتي وبينهم الشاب الذكي الذي عرفناهُ في كلّيتنا بين نوابغها وليم افندي كاتسفليس. جازى الله خيراً كلَّ من يخدم الدين والادب معاً ولا يقف عثرةً في سبيل قرّائهِ ل. ش

الزنبقة اليوسفيّة

بقلم الخوري يوسف العشيتي

طُبع في المطبعة البطريركيّة اللاتينيّة في القدس (سنة ١٩٢٦ ص ١٦٨)

نعم الزنبقة ما كان ابهى حسنها واعطر اريجها وقد ازدهت محاسنها اولاً في مدرستنا الاكليريكيّة في غزير اراد بها الكاتب الفاضل كنشليار بطريركيّة اللاتين في القدس ومؤسس جمعية راهبات الورديّة «الخوري يوسف طنّوس يمين». ولد في الناصرة سنة ١٨٣٨ فجاهد الجهاد الحسن الى آخر نسمة من حياتهِ في ٣٠ ايلول ١٨٩٢ مخلّفاً لجمعيتهِ راهبات الوردية ولسائر الذين عرفوهُ اطيبَ ذكرٍ واجلَّ اثر. فنشكر حضرة الخوري يوسف العشيتي الذي جعل على المنارة هذا السراج المنير ليستضيء بهِ كلّ طالب الكمال المسيحي والكهنوتي — ونغتنم هذه الفرصة لنشكر ايضاً

حضرتهُ على روايتهِ «الاميران الاسيران» التي طُبعت اوّلًا في المشرق ثمَّ نُشرت على حدة مع مقدّمة جميلة في فنّ التمثيل وغايتهِ وآدابهِ الصحيحة فنوصي بهِ أُدباءنا

المنتخب من شعر ابي شادي

عني بنشرهِ الاديبان عبد الحميد فؤاد وعبد القادر عاشور
طبع في المطبعة السلفيّة في مصر سنة ١٩٢٦ (ص ١٣٤)

يُتحفنا جناب الشاعر احمد زكي ابي شادي كلَّ شهر ببعض آثارهِ الطيّبة فلا نكاد نسرّح النظر في الواحد حتى يأتينا شقيقهُ. وهذا المنتخب ادلُّ على مقدرة شاعرنا وحسن ذوقهِ ممّا سبق لنا ذكرهُ لما يُشعر بتفنّن الشاعر وقد اجاد بوصفهِ للشعر في مقدّمة الكتاب بابيات اوّلها:

انّما الشعر آيةٌ من جمال تتغنّى لنا بمعنى الوجودِ

حبيس بحيرة قدس

للاب هنري لامنس اليسوعي معرَّبة بقلم المرحوم رشيد الشرتوني
طبعة ثانية بالمطبعة الكاثوليكية سنة ١٩٢٧ (ص ٣٣٤)

انَّ قرّاء المشرق لا يزالون يذكرون ما وجدوهُ في هذه الرواية التاريخية من اللذة والافادة لما اودعهُ مؤلفها الفاضل من المعلومات عن احوال لبنان في اواخر القرن الخامس عشر. وقد تهافت القرّاء على اقتنائها بعد ان طُبع اوّلًا فطلب الينا اعادة طبعها ادباء بشرّاي وبلديّتها على نفقتهم وهي خير وصفٍ لبلادهم في ذاك العصر. فكرّرنا طبعها بعد اعادة النظر فيها وختمناها بفهرس موادّها ل. ش

البركة بعد اللعنة

رواية لبنانية عصرية بقلم الخوري مارون غصن
طبع في المطبعة الكاثوليكية سنة (١٩٢٧ ص ٩٦)

قد حقَّق لحضرة المؤلف أملنا بوضعهِ هذه الرواية دون تعريب وصف فيها ما علمهُ من اخلاق اللبنانيين وجبلهم العزيز فمثّل ما اصاب شابًّا منهم من البلايا بعد أن عقَّ والدهُ فلحقتهُ لعنتهُ حتى ارعوى عن ضلالهِ وسعى بحيلة لطيفة الى أن يرضي والده فنجح ونال اخيرًا بركة والدهِ. وقد روى حضرة المؤلف كل ذلك بطريقة لذيذة وانشاء رائع فنوصي القرّاء بمطالعتهِ

حرية الفكر وابطالها في التاريخ

تأليف موسى سلامه (عُنيت بنشره ادارة الهلال سنة ١٩٢٧)

بنس الهديّة اهدتها ادارة الهلال مشتركيها. فانّ مؤلف هـذا الكتاب يجاهر بحرّية فكره والحاده ويعظّم كل من سبقهُ الى افكاره المتطرّفة. وفي الكتـاب فصول كاملة كلّها اوهام منافية للتاريخ فضلًا عن الادب كفصوله عن البابا وجاليل الخ

يسوع المسيح

ثلث مواعظ لحضرة الخوري انطون عقل في صيام السنة الحالية

طبع في مطبعة جدعون بيروت سنة ١٩٢٧ ص ٢٣)

مدار هذه المواعظ على بيان من هو المسيح وذكر عجائبه وتعاليمه قـد احسن اختيارها حضرة رئيس كنيسة مار الياس وصاحب مجلة رسالة السلام فاوضحها بوجيز الكلام لبني رعيّته فعساها تثمر في قلوبهم ما أمّلهُ من الثمار الطيّبة ل.ش

هدايا أُرسلت الى المشرق

١) زيارتي ليسوع. كرّاس بديع يتضمّن مناجاة الاطفال للطفل يسوع في كلّ ايّام الاسبوع مع صلوات ونوافذ تقويّة (طُبع في المطبعة الكاثوليكية سنة ١٩٢٧ (ص ٢٩)

٢) خلاصة اعمال جمعيّة قلب يسوع الخيريّة اليافيّة لسنتها الرابعة. طبعت في مطبعة الآباء الفرنسيسيين سنة ١٩٢٧ (ص١٦)

٣) برنامج الجمعيّة الخيريّة المارونيّة تحت حماية سيدة مونليجون بحلب للسنـة ١٩٢٦ طُبع في المطبعة المارونية بحلب سنة ١٩٢٧ (ص ٢٨)

٤) الجمعيّة الخيرية لطائفة الروم الكاثوليك بحلب لاعمالها من السنة ١٩١٩ الى ك ١ ١٩٢٦ طبع في مطبعة المارونية في حلب سنة ١٩٢٧ ص ٥٨ مع عدّة تصاوير

٥) تقسيم المواريث: هو النظر الذي نشرهُ جنـاب ابرهيم بك ابي سمرا غانم حاكم صلح جبيل في تأليف الاستاذ القانوني امين بك السعد مع كتاب في آخره للاستاذ المرما اليه. طُبع في مطبعة الآباء اليسوعيين ببيروت سنة ١٩٢٧ (ص١٤)

٦) الله والوطن: قانون الجمعية الخيريّة البشرّاوية المنشأة في السنة ١٩١٧ واثبتهُ سنـة ١٩٢٦ غبطة البطريرك مار الياس الحويك. بالعربية والفرنساوية (ص ٣٠)

شذرات

﴿زعم باطل في مجلّة المنار﴾ روى صاحب المنار في الجزء الاوّل من سنته الثامنة

والعشرين (ص ٢٩) فتوى في تعدُّد الزوجات قال انهُ وجدهـا بين اوراق شيخـهِ الاستاذ الامام (محمَّد عبده) ورد فيها قولهُ : «بل اباحهُ (اي تعـدُّد الزوجات) بعض الباباوات لبعض الملوك بعد دخول الدين المسيحي الى اوروبا كشرلمان ملك فرنسا وكان ذلك بعد الاسلام» . فهذا القول لا صحَّة لهُ فانَّ الباباوات لم يبيحوا مطلقاً تعدُّد الزوجات بل لا يمكنهم ان يسمحوا بذلك لانَّ الزواج في الكنيسة احدُ اسرارهـا السبعة المنشأة من السيد المسيح . والباباوات لا يستطيعون ان يمسّوا بشيء جوهر هذه الاسرار . ووحدةُ الزواج من جوهريَّات سرّهِ . فليراجع صاحب المنار الكلام الظريف الذي قالهُ الجاحظ في وحدة زواج النصارى وكثرة نسلهم (في المشرق ٢٣[١٩٢٥] : ٨٠) ونعرف عن شرلمان ان البابا حتم عليهِ ان يردّ زوجتهُ الاولى لمَّا طلَّقها فيلازمها ويُبعد التي اقترن بها . وقد لحظنا في المنار غير مرَّة اقوالًا باطلة في النصرانيَّة

﴿فواجع الشتاء الاخير﴾ عادت الزلازل فحلَّت في انحاء اليابان . وقـد اصابت خصوصاً جنوبيَّ بلادها فأخربت خمساً من مدنها وعدَّة قرًى من قراها . وكادت تحوّلها الى قـاع صفصف . ومن المدن التي تأذَّت منها خصوصاً مدينتا كوبا واوساكا فقُتـل بسببها نيّف والفا نفس . وأبرقَ مرصد اوساكا انَّ الزلزلـة التي حدثت في اواسط آذار لم يحصل مثلها في تلك الجهات منذ السنـة ١٨٥٤ — وكذلك في الوقت ذاتهِ حلَّ على جزيرتي مدغـسكار ولارايونيون إعصارٌ مهولٌ امتدَّت بسببهِ مياه البحر على البرّ ودمَّرت البلاد وأصيبت مدينة تاماتاف باضرار جسيمة

﴿اليسوعيُّون في الصين﴾ كان اليسوعيون الفرنسويُّون قـد انشأوا في نانكين قبل سنتين جامعةً كبيرة لتهذيب الناشئة بالعلوم العصريَّة فنالت هناك نجاحاً كبيراً . وقد مُنيت رسالتهم هناك بوفاة ابوين فرنسويّ وايطالي قتلهما جنود كانتون بفظاعة غريبة فالاوَّل هو الاب هنري ديغو (H. Dugout) المولود في باريس سنـة ١٨٧٥ أُرسل الى الصين سنة ١٩٠٢ وتخصَّص بتدريس العلوم الرياضيَّة والطبيعية في جامعـة زيكاواي اليسوعية . وهنـاك وضع اوَّل خارطة مدقَّقة لمقاطعة كيان سو مقياسها $\frac{1}{200,000}$ ثمَّ أُرسل للتبشير في جزيرتي تسونغ مين وتَنغ شان . ولمَّا فُتحت جامعـة نانكين تعيَّن للتدريس فيها سنة ١٩٢٥ فقضى حياتهُ بسفك دمهِ لخلاص الصينيين في اوائل نيسان الاخير . امَّا الثاني فهو الاب كَنديد ڤانارا (C. Vanara) المولود في جهات

طورينو سنة ١٨٧٩ طلب رسالة الصين من رؤسائهِ فأُرسل اليها سنة ١٩٠٣ فتعيَّن في جامعة زيكاڤاي ثمَّ في نانكين كمدير مدارسها فباشر مهنتهُ بكل براعة واحرز لهُ ثقة سائر المدارسين وكان يُنتظر منهُ خدم جليلة حال بينها موتهُ بشراسة جنود الكنتونيين الذين شنَّعوا ايضاً بقتل عدد من الاجانب — ومما اثنى عليهِ سائر الناس شهامة الاب اليسوعيّ جاكمون (Jacquemont) الذي خرج في شانغاي عن الحدود التي تحرسها الجنود الاوربيَّة معرّضاً بنفسهِ لموتٍ اكيد نجاهُ منهُ الله بعناية خاصَّة فتمكن ان يخلص من القتل في دائرة الثوَّار ٦٠ فتاةً و٥٠ يتيمة و٣٠ راهبةً كنَّ لولاهُ ذهبن ضحيَّة الهمجيَّة

﴿تذكار الموسيقيّ الشهير بيتهوڤن﴾ هذه السنة توافق السنة المئة لوفاة بيتهوڤن النابغة الموسيقي فدعت كنيسة نوتر دام الكبرى في باريس اعيان المدينة لحضور نغمات القدَّاس الذي صنَّفهُ هذا الرجل وهو المعروف بعلامة الموسيقى (Messe en re) فبلغ الحضور عشرة آلاف الذين شهدوا ما كان لذاك الرجل من النبوغ في هذا الفنّ. وقد أُقيمت لهُ في وطنهِ ثينَّة حفلات فخمة اجتمع في حضورها كبار الدولة واحبار الكنيسة. ومن المعلوم ان بيتهوڤن كان كاثوليكيًا عاملًا اقتبل الاسرار الاخيرة بكل ورع مصرّحاً بما نالهُ من التعزية بسببها . وتُشعر موسيقاهُ بعظم تُقاهُ

﴿تذكار السنة المئة لوفاة اسكندر ڤولتا﴾ أُقيمت في ايطالية حفلات كبيرة لتذكار وفاة هذا الطبيعيّ العظيم المولود سنة ١٧٤٥ والمتوفى سنة ١٨٢٧ . هو الذي اخترع اوَّل بطاريَّة كهربائية التي كانت فاتحة عصر جديد للعلوم الطبيعية. وفي ٢ كانون الثاني سنة ١٨٠١ قدم باريس فاستقبلهُ بونابرت وهو حينئذٍ القنصل الاوَّل فقدَّمهُ لجمعية العلوم حيث عرض اكتشافهُ امام ذاك المجمع الشريف فبُهت الكلّ لذلك الاختراع واثنوا على مكتشفهِ ووهبهُ القنصل الاوَّل نوطاً من الذهب مع مبلغ من المال وخوَّلهُ تميزات شتى. ومما لا يسعنا السكوت عنهُ انَّ ذاك العالم الكبير كان مسيحيًا عاملًا كما كان نابغةً عالمًا

﴿تنبيه﴾ طلب الينا بعض ادباء الصحافيين مبادلة المشرق بجرائدهم. لكنَّنا نفيدهم انَّ اللجنة المنوط بها ادارة المجلة قرَّرت ان تدع مبادلة الجرائد بجريدة البشير فقط. فنرجو عدم المؤاخذة بل قصرت مبادلة المجلَّات على عدد معلوم لا يمكننا مجاوزتهُ

أسئلة وأجوبة

س سُئلنا ايوجد فرق بين المدرسة الكليَّة والمدرسة الجامعة ؟

المدرسة الكليَّة والمدرسة الجامعة

ج اصطلح البعض على لفظة الكلية دلالةً على ما يدعوهُ الفرنج (Université) ثمَّ رأوا ان هذا الاسم اصبح عامًا حتى أُطلق على المدارس الثانويَّة التي لا تعلّم إلَّا اللغات والعلوم البسيطة فاختاروا لفظة الجامعة لما هو اخصّ . ومن المعلوم انَّ لفظة (Université) تُطلَق على المدارس التي تُعلَّم فيها العلوم العليا الخمسة او بعضها على الاقلّ . اعني اللاهوت والفلسفة والحقوق والآداب والعلوم الطبيعية والطبّ مع الصيدلة كما ترى في فرنسة جامعة مدينة ليل التي تحتفل في هذه السنة بيوبيلها الذهبي يبلغ عدد اساتذتها ١٢٢ معلّماً ويحضر دروسها نحو الف طالب . وهي تنفق سنويًّا مليونين من الفرنكات على اشغالها

س وسأل الاديب يوسف افندي صفير : ١ً متى واين ظهرت الاوراق الماليَّة ؟ . ٢ً هل ثبت من هو المقوقس الذي سلَّم مصر للعرب ؟

اوَّل ظهور الاوراق المالية . ٢ً من هو المقوقس ؟

ج ينسب لاروس في معلمته اوَّل شيوع الاوراق المالية للتجار الانكليز في القرن السابع عشر . وعندنا ان اوَّل من سبق الى اختراعها اهلُ الصين منذ القرن الحادي عشر . ثمَّ دخلت الى الشرق بواسطة ملوك المغول . وكنَّا وجدنا نبذةً في احد مخطوطات جرجي بك صفا هو اليوم في ملك احمد باشا تيمور انَّ بعض ملوك المسلمين في العراق اشاعوها مدة في القرن الثالث عشر في رعاياهم لكنَّها احدثت بعد حين فتناً عظيمة قضت بالغائها

اما المقوقس فالرأي الشائع اليوم بين العلماء انهُ هو بطريرك الاسكندرية المدعو بقورس او كورس وكان زعيم القائلين بالمشيئة الواحدة (المنوثليين) والمقوقس تعريب كلمة يونانية مصحَّحة يراد بها الوالي والحاكم راجع في المشرق ١٦[١٩١٣]: ٤٧ــ٥٧ مقالتنا في يحيى النحوي

ل . ش

السنة الخامسة والعشرون العدد ٦ حزيران ١٩٢٧

المشرق

حوادث الصين

بقلم الاب فردينان توتل اليسوعي

١ البلاد وسكانها واخلاقهم (*)

بلاد الصين ارض واسعة موقعها في شرقي آسية بين الدرجة ٧١و١٣٣ من طول الكرة الارضية الشرقي وبين الدرجة ١٨و٥٣ من عَرْض الكرة الشمالي. وحدودها، شمالاً بغرب وشرق بلاد روسية الآسيوية، وشرقاً بلاد كورية والبحر الاصفر وبحار الصين، وجنوباً الهند الصينيَّة الافرنسيَّة وبرمانية العليا والمصام، وجنوباً بغرب بلاد البوطان والسقيم والنيبال، وغرباً البنجاب وبلاد كشمير وبامير

وفي الصين جبال شامخة وسهول فسيحة تشقُّها انهار عظيمة تبلغ من الشدة والغزارة ما لا يبلغهُ مثيلها في القطر الآسيوي. ومساحة بلاد الصين ١١،١٣٨،٠٠٠ كيلومتر مربع فهي اوسع من اوروبا. اما عدد سكانها فيبلغ ٣٢٩ مليون نفس(١ يتعاطى اكثرهم الزراعة وفيهم عناصر شتى اخصها العنصر المنغولي في الشمال الشرقي والعنصر التيبتي والثاني في الجنوب الغربي وغيرهم

---

* راجع في مجلة المباحث (Etudes) ٥ نيسان ١٩٢٧ مقالة الاب لاون ويجر : الصين الحالية. اطلب ايضاً المشرق: لامنس: وصف الصين للقلقشندي (٤: ٤٠٦-٤٤٦) ولوفنك : كورية (٧: ٢٥٨) ومنشورية (٢٦٥). وشيخو. الصين والمسألة الصينية ٣: ٧٤٢و٨٤٥ ثم عجائب تيبت (١١: ٥٢٢) ـ ودائرة المعارف للبستاني في مادة الصين ومجلة العالمين Revue des deux Mondes) ١٥ نيسان ١٩٢٧ ص ٦٤٨ ١) هذا اخذاً عن لاروس اونيفرسل في كلمة صين Larousse Universel ومن الاحصائيين من يبلّغون عدد الصينيين ٤٠٠ مليون

ومما يُقتضى ذكرهُ خاصة في هذه المقالة من اخلاق الصينيين ، نفورُهم من الاجانب وحرصهم الشديد على مقاطعتهم . فانَّ ما يقال عن السور العظيم الذي بناه احد ملوكهم قبل التاريخ المسيحي بنحو ٢٢٠ سنة ليردَّ عن بلاده هجمات القبائل الشمالية انما هو رمز لما اظهروه على مدى الاجيال حتى السنين الاخيرة من بغضهم للغرباء ومعارضتهم لمن يروم الدخول الى بلادهم . ولم يخفَ هذا الامر على صاحب معجم البلدان حيث قال:

« ان هذه البلاد شاسعة ما رأينا من مضى اليها فأوغل فيها وانما يقصد التجار اطرافها وهي بلاد تُعرف بالجاره على سواحل البحر شبيهة ببلاد الهند يُجلب منها العود والكافور والسنبل والقرنفل والبسباسة والعقاقير الصينيَّة والفخار الصيني فاما بلاد الملك فلم نرَ احدًا رآها . »

على ان بعضاً من المسافرين من التجار والمرسلين خاصَّة دخلوا بلاد الصين وتوغَّلوا فيها رغم مراقبة حكَّامها الشديدة عليهم وبثَّر فيها النساطرة بالمسيح في القرن الثامن الى الحادي عشر فتنصَّروا كثيرين وفي القرن الثالث عشر والرابع عشر نشر الرهبان الفرنسيسكان والدومنيكان الديانة المسيحيَّة في الصين . ثمَّ انقطعت المواصلات زمناً طويلاً حتى اخذت الدول الاوروبية منذ العصر السادس عشر تَرد بعض موانئ الصين عن اتفاق معها . وكان اوَّل المرسلين الذين دخلوها في ذلك القرن الاب ماتيو ريتشي اليسوعي سنة ١٥٨٢ (اطلب ترجمتهُ وصورتهُ في المشرق ١٣ [١٩١٠] : ٨٠١ و٩١٥) وتبعهُ عدد عديد من اخوتهِ اليسوعيين

لكن معاداة الصينيين للاجانب كثيراً ما دعت الى مشاكسات وحروب آل امرها الى ابرام معاهدات اشبه منها «بالامتيازات الاجنبية» المعروفة عندنا منذ عهد الاتراك وهم يدعونها «اقطاعات» (Concessions territoriales) لا بدَّ من الكلام فيها للوقوف على اسباب الازمة الحالية في الصين

٢ الاقطاعات الاجنبية

كما ان تعسُّف الحكَّام الاتراك وخروجهم عن القوانين الدولية كان سبباً لتدخُّل الاوروبيين في شؤونهم واكراههم على قبول «الامتيازات» كذلك الجأت الحالة في بلاد الصين الى افراز مراكز تجاريَّة ومحطَّات بحرية ظلَّت في حكم الدولة

الصينية انما أُتيح فيها للاجانب ان يعيشوا متمتعين بحماية شرائعهم الخاصة دون ان يتقيدوا بشرائع الصين لان اخلاق الصينيين وتقاليدهم القضائية هي والاخلاق والتقاليد القضائية الاوروبية على طرفي نقيض

ولا ريب ان وجود تلك «الدُّوَيلات» في الدولة يسبب بعض الاحايين مشاكل شتى اذ لها حقوق الحماية فيلجأ اليها المجرمون ويبيتون فيها آمنين من تعقُّب الدرك وهي سمةُ عارٍ تسم وجهُ الصينيين وثقلٌ يستثقلونهُ فتأباه روح الانفة والعزَّة الوطنية وقد انتعشت فيهم منذ اخذوا يحتكُّون بالاجانب. ولعلَّ اعادة النظر في تلك المعاهدات وتحويرها خيرٌ للمتعاهدين اجمعين. ولكن لا بدَّ من مراعاة حقوقهم الاساسية لانه لولا الاجانب لظلَّت بلاد «الساويين» متكمة في ظلمات التقهقر لا يشقُّ فضاءها صفير قطار حديدي ولا تخطُّ بحرها سفينة بخارية فلا تزال معادنها مدفونة وتجارتها كاسدة وصناعتها شلَّاء واقفة

على ان الثوَّار في الصين قاموا يضربون على يد الاجانب حتى اذا كفَّت عن العمل استعاضوا عنها بيد وطنية. وفاتهم انهم يهضمون حقوق العدل والصواب لأن الاوروبيين غرسوا فن العدل ان يقطفوا ثمار اتعابهم ووجودُهم في الصين ضروريٌّ لمصالح البلاد وليس لها غنى عن اختصاصيين في دوائر الفنون والاقتصاد. وهب ان بعض الصينيين بلغوا من الرقي ما يكفيهم مؤونة الاستعانة بالافرنج فلم تظهر فيهم بعد تلك روح النزاهة والصدق التي لا تحيا أمةٌ دونها. والرشوة داء لا يزال سمُّهُ متسرباً في عروق المتوظفين فاذا تسلموا الدواوين فتحوا ابوابهُ على مصاريعها لمن «يُطعمهم» من كبار التجار وتقاضوا حتى آخر فلس من صغار البائعين ومساكينهم. واذ ليس من مصلحة الأُمة ولا من الصواب ان تتقلد الوظائف الَّا من كان اهلًا لها فخير للصينيين ان يبقى للاجانب ما بينهم الإشرافُ على ادارات المصادر والموارد كالمصارف والمرافئ والسكك الحديدية وغيرها

على ان الثوَّار ضربوا صفحاً عن هذه الحقائق الراهنة واستسلموا الى عاطفة اندفاع اعمى والى حماسة وطنية كاذبة فهاجموا الاقطاعات الاجنبية اذ دخلوا مدينة شنغاي في ٢٢ اذار ونانكين في ٢٣ منه حيث ارتكبوا فظائع يسوَّد ذكرُها صفحات التاريخ فظلَّ الاوروبيون والاميركيون في حالة الحصار الى ان قدم البحَّارون من شنغاي

لنجدتهم . وفي تلك الايام العصيبة قُتل الابوان اليسوعيان فانارا (Vanara) ودوغو (Dugout) . امّا هذا الاخير فلمّا تقدّم اليه الثوار سألوه : من انت ؟ فقال : انا كاهن . فاطلقوا عليهِ الرصاص وتركوه يختبط بدمهِ وينازع مدة ساعات الى ان قضى نحبهُ ولم يسمحوا لاحد باسعافهِ

فسببت هذه الحوادث في الدوائر السياسية ضجّةً لم يمكن اضطرابها الى اليوم وارسلت الدول الخمس ذوات المصالح في الصين اعني الولايات المتحدة وانكلترة وفرنسة وايطالية واليابان تذكرة الى اولياء الامر في الصين يستفزّون فيها الحكومة الى محافظة الامن في البلاد ويطالبون فيها التعويض المادي والمعنوي عمّا جناه الثوار

هذه حوادث يدور عليها محور السياسة في يومنا ولا نعرف ما تولده من النتائج في الغد وهل يقوى اولياء الامر في الصين على كبح جماح الثورة وتلبية دعوة الدول والذود من مصالح بلادهم الّا ان المتضلعين من الشؤون السياسية في الصين يتشاءمون كلّ التشاؤم من مستقبلها اذ هي اصبحت في حالة فوضى وليس فيها حكومة بل حكومات او قل بالاحرى عصاباتٌ اصوص كلّ عصابة تدّعي لنفسها النزاهة وصدق النية والغايات الشريفة اعني توحيد كلمة الامة والسير بها الى مناهج الفلاح . وانما هي في الحقيقة فئات متشاكسة طمّاعة بالسلب والنهب سفّاكة دماء لا تنكف عن تضحية الوطن ان وجدت بالخيانة الى بلوغ مأربها سبيلاً . وحسبنا ان نعرّف بها القارئ ليكون على بيّنة من صدق ما تقدمنا به

٣ الاحزاب المتحاربة

﴿الحزب الجنوبي﴾ او الكانتبوني مركزهُ في مدينة كانتون ويُدعى ايضاً الازرق ، ورايتهُ لونها ازرق سماوي ، في وسطها شمسٌ بيضاء ارادوا بها النهار الجديد المضيء في سماء صافية من سُحب الاستبداد والجور فيُزيل ظلمة المؤسسات الامبراطورية القديمة . انشأهُ رجلٌ صيني الاصل اسمهُ سون ونْ . ولد في العام ١٨٦٦ وتلقّن العلوم في اميركا وحاز شهادة الدوكتورية الطبية في لوندرة واخذ يعمل في سياسة الصين حتى نُفي منها فلجأ الى بلاد اليابان وغيرها واسّس جمعيةً سريّة خرج منها الحزب الثوري المدعو كوه يمنتانغ ثم عاد الى الصين على ايام ثورة ١٩١١ فترأس الجمهورية في نانكان

ثم هرب من وجه يوان تشي كي ثم عاد الى كانتون حيث ألف حزب الشعب المسمى بالجراند الحزب الوطني . وفي العام ١٩٢٤ هيأ الدكتور سون ون نص الدستور الاشتراكي الجديد فاعلنه في مؤتمر حزبه العام ١٩٢٥

وقويت شوكة حزبه بمساعدة البلشفيين وقد مدوه بالرجال والمال والسلاح والذخيرة واستنجد الحزبُ بالروس لا حباً بالمبادئ البلشفية وان تكن صبغةُ دستوره اشتراكية ولكن طمعاً بقهر اعدائه الشماليين . فمن البديهي انه باع بلاده للمسكوب ليغلب مناوئيه ومواطنيه من تبعة الحزب الشمالي

﴿الحزب الشمالي﴾ انصارُهُ رجال حكومة بكين وغيرهم من الزعماء الذين يتظاهرون بالاخلاص نحو المبادئ التي تأسس عليها العرش الامبراطوري فيحاولون بذلك اقناع العامّة ان السلطة الشرعية قد تسلسلت من اسرة «تسين» الامبراطورية عن يد «يوان تشي كي» وان سائر الحكومات التي خلفتْهُ الى الحكومة الحالية بطريقة نظامية لا تدع سبيلاً لشكّ في صدق حقوقهم

ولكن حجتهم باطلة اذ ان الحكومات التي سبقتهم كان اربابها يتشاجرون ويتقاتلون ولم يسلم احدُهم غيره مقاليدَ الحكم الّا مكروهاً . ومع ذلك فلا تزال حكومة بكين ترفع الراية المخمّسة الالوان رمزاً للشعوب الصينية الخمسة المكونة منهم الجمهورية اعني الصينيين والمنشوريين والمنغوليين والتيبتيين والمحمديين وهي الحكومة الرسمية التي تعترف بها السفارات الاجنبية على انها صفر اليدين والاموال قد نفدت من خزانتها . وهي واهنة لا قوام لها على تنفيذ قانون الجمهورية الدستوري

ومما جعل موقفها حرجاً ان المجلس النيابي كان قد تمّ انتخابه خلافاً للقوانين فالجأت الحالة الى حلّه وما من سبيل الى انتخاب مجلس جديد غيرهُ لكي يحسم الداء ويلمّ شعث الامة الّا بواسطة مؤتمر وطني وقد اصبح امرهُ مستحيلاً بين الحروب الاهلية والشاكسات وهيهات ان يقوى الحزب الشمالي على قهر الحزب الجنوبي وادخاله في طاعته ما لم يظهر فيه رجل يقبض على الحكم بيد من حديد وينزع الاقاليم من حكم الثوار ويوحد كلمة البلاد . الّا ان هذا الرجل النابغة هذا البونابرت الجديد لم يظهر بعد وليس هناك الّا زعماء «عصابات»

٤ زعماء الثورة

تلقبهم الجرائد بالالقاب الفخمة الرنانة كجنرال ومرشال انما هم في الحقيقة بعض المتهورين من رجال الدرك كانوا في الامس ضباطاً يساعدون الحكام المدنيين على حفظ نظام الاقاليم واصبحوا اليوم عصاة يشنون الغارات على مواطنيهم فيهاجمون المصارف ومستودعات الاموال ليملأوا جيوبهم بما يسلبون ويصرفون فضلات ما يتوفر لديهم في شراء اسلحة وذخائر يقتتلون بها

وما بين هؤلاء «الابطال الوطنيين والجنود البواسل» اننا نجد في الشمال القائد تشانسولين صاحب اقاليم منشوري تبوأ وظيفته بالدهاء والخداع وهو صديق اليابانيين وعدو الثوار الجنوبيين الالد. وفي الشرق على ممر القطار الحديدي من تيان تسان الى نانكان نجد القائد تشانغ تسون تشانغ ينسبون اليه الطمع الاشعبي وانه عدو الكانتونيين لانهم لا يرضون به زعيماً عليهم

وفي الغرب نرى زعيماً ثالثاً اسمه اوبشيفو وهو محالف القائدين الاولين يبسط سلطته على طرفي الخط الحديدي الممتد بين بكين وهنكيو على ان قواته تدهورت في مدينة هنكيشو اذ لطمتها امواج الجيش الجنوبي الطاغية

وفي جنوبي النهر الازرق من نانكين الى شنغاي نرى قائداً رابعاً اسمه سون تشانغانغ وقف يدافع عن مدينة شنغاي الى ان جاءتها نجدة الاجانب ورجع منكسراً امام الكانتونيين وقد احتلوا ايالات فوكيان وكيانغسي وتشيكيانغ

وكان هؤلاء القواد الاربعة متعادين في الامس فتحالفوا اليوم على مقاتلة الكانتونيين ولا يجدون من يستنجدون به على اعدائهم بين الدول الاجنبية لانها كلها اعلنت حيادها عن الحرب الاهلية. على ان الروس يمدون الكانتونيين بالمال والذخيرة والسلاح يرسلونها اليهم من فلاديفوستوك عن طريق البحر ويوفدون اليهم الضباط والمستشارين ويؤدون للقائد الجنوبي فونغوسيانغ ما يحتاجه من مؤونة واسلحة لمواصلة الجهاد وهو صديقهم وقد تلقن المبادي السوفياتية في موسكو

٥ الصين الفتاة

تشبه بلاد الصين اليومَ مسرحاً واسعاً تمثل فيه مؤساة يختلف فيها الشخصون على اختلاف ادوارهم وتتعاقب فيها النكبات على مرّ الحوادث واهواء السياسة. وقد حاولنا وصف هذه الرواية وذكر البعض من الذين يلعبون فيها دورهم لكنّ المحرّك الاصيل لم يظهر فيها اذ هو كالروح بالجسد فهي كلّها في كلّه ومنها يستمدُّ حياتهُ لذا هي خفية مخفية وليس هذا المحرّك سوى «الصين الفتاة»

يتألف (اوّلاً) من الصينيين الذين تلقنوا في اوروبا وفي اميركا علم السياسة والاجتماع والاشتراع وعادوا الى بلادهم وقد دبّت في قلوبهم روح الثورة على المؤسسات القديمة فقاموا يهاجمونها ظنّاً منهم انهم اذا قلبوا النظام التقليدي بلغوا لساعتهم ما بلغه اليابانيون اخوانهم من الرقي والفلاح

هم (ثانياً) الفتيان الصينيون الذين لم يتسنَّ لهم السفر الى البلاد البعيدة لكنهم تشرّبوا روح الثورة من الكتب المدرسيّة الجديدة. وهذه تعاليمها مبنيةٌ على اساس لادينيّ تلقّن الاحداث في المدارس ان الانسان سليل القرد وتغرس في عقل الناشئة ان لا فرقَ جوهرياً بين الخير والشر اذ هي اوهام من اختراع الجهل وان لا ربَّ لنا ولا سيّدَ وان الوطنيّ الصادق حسبه ان يجري على سنّة البلاد فلا يضرّ باحد لتكون حقوقه مصونة مرعيةً وانّ الاجانب هم اعداء الوطن الالدّاء. لا بدَّ من طردهم وسحقهم اينما حلّوا

وكأن الشيطان الرجيم قد خوّل سطوةً على هذه الامة البائسة ليُجهز فيها على بقايا ما رسب فيها من المبادئ القويمة الصالحة فقد برز فيها بهيئة الماسونيّة على اختلاف اجناسها ونفخ فيها روح البلشفية المسموم وقد هبّت نفثاته من موسكو عقب المؤتمر الشيوعي الدولي الثالث حيث عقد زعماء البلشفية النية على بث روح الثورة اينما استطاعوا في العالم اجمع

ومما نذكره باسف هو ان الدعاة من البروتستانت في الصين مع كل ما بذلوه من عناء واموال ومجهودات لتنصير اهلها لم يبلغوا من غرضهم الّا انهم اثاروا الغول

من غير ان يخضعوها الى روح الايمان لان حرّية البحث واليقين من جوهر تعليمهم فآل امرهم انهم مدّنوا ولم يتنصروا. والمدنيّة ان لم تكن مبنيّة على اساس الدين الحقيقي اضحت سطحيةً باطلة. امّا المرسلون الكاثوليك فنشروا تعليمهم وتنصّروا لكن ما اقلّ عددهم واضيق نطاق عملهم بالنسبة الى سعة البلاد وعظمتها!

***

كان الوقود يابساً معدًّا للحريق اذ سقطت عليه شرارة فالتهب ونفخت فيه الريح فانتشر. وهوذا روح الصين الفتاة تنفخ في الجنود العصاة نفثاتها المسمومة فتدفعهم الى ايقاد اللهيب ونشر الدمار حتى يعمّ البلاد؟ أوَهل يمتدّ أُواره ما وراء الحدود فتنال شرارته الشرق والغرب؟ لا يعلم الغيب الّا الله. انما علينا ان نطلب منهُ عزّ وجل ان يبسط يده القديرة ويسكّن الرياح والعواصف فيحدث هدوء عظيم ويعود السلام لبني البشر والامن لبيعته المقدّسة

سرّ القربان في الآثار العربيّة

نظر تاريخي للاب لويس شيخو اليسوعي

في اواسط شهر حزيران الحاضر تقيم الكنيسة الكاثوليكيّة اعياداً جليلة في جميع انحاء العالم ذكرًا لسرّ تذهل لسموّه العقول البشريّة وتنحني امامهُ رؤوس العالمين. ألا وهو سرّ القربان الاقدس الذي تعطّف السيد المسيح بوضعهِ في عشائهِ السرّي فتركهُ لتلاميذهِ كتذكار محبّتهِ الالهيّة اذ اخذ الخبز وشكر وبارك واعطاهُ رسلهُ قائلًا: «خذوا وكلوا هذا هو جسدي» ومثلهُ صنع بكأس الخمر بعد بركتها فقال: «اشربوا منهُ فهذا هو دمي اصنعوا ذلك لذكري»

فبهذه الالفاظ البسيطة التي لا تقبل تأويلًا وبماحكةً تمّم السيّد المسيح ما وعد بهِ اليهود بقولهِ (يوحنّا ٦: ٥١ــ٦٠) «انا الخبز الحي الذي نزل من السماء. ان اكل احد من هذا الخبز يحيا الى الابد والخبز الذي سأُعطيه انا هو جسدي لحياة العالم.. ان لم

تأكلوا جسد ابن البشر وتشربوا دمهُ فلا حياة لكم في انفسكم . من يأكل جسدي ويشرب دمي فلهُ الحياة الابدية وانا سأقيمهُ في اليوم الاخير . من يأكل جسدي ويشرب دمي يثبت فيَّ وانا فيه . . . من يأكل هذا الخبز فانهُ يعيش الى الابد »

وقد ادرك التلاميذ معنى قول الربّ وأشاعوهُ في كل انحاء المعمور . واثبتهُ بولس الرسول الاناء المصطفى في رسالتهِ الاولى الى اهل كورنتس (١١ : ٢٣ — ٣٠) وفيها وصف « ما تسلَّمهُ من الربّ » عن صنيعهِ « في الليلة التي أُسلم فيها » حيث شكر وكسر وقال : « كلوا هذا هو جسدي الذي يُكسر لاجلكم . اصنعوا هذا لذكري وكذلك الكأس من بعد العشاء قائلاً : هذه الكأس هي العهد الجديد بدمي اصنعوا هذا كلَّما شربتم لذكري فانكم كلَّما اكلتم هذا الخبز وشربتم هذه الكأس تخبرون بموت الرب الى أن يأتي »

فها قد مرَّ على هذه الاقوال السرّيَّة تسعة عشر قرناً والكنيسة الكاثوليكية بتعليمها المتواصل وبمجامعها وبتآليف آبائها الشرقيين والغربيين وبطقوسها ورتبها الدينيَّة وبآثارها وعاديَّاتها لا تزال تعتقد أتمَّ الاعتقاد انَّ السيّد المسيح بجسدهِ ودمهِ ونفسهِ ولاهوتهِ موجود تحت اعراض الخبز والخمر بقوة الكلام الجوهري الذي يتلوهُ الكاهن قياماً بامر الربّ القائل : « اصنعوا هذا لذكري »

وهذه الحقيقة انكرها بعض الخوارج في القرن الثاني عشر فأفحمتهم الكنيسة وارتدُّوا الى الايمان . ثمَّ قام البروتستانت في القرن السادس عشر فأنكروها إنكارهم لكثير من معتقدات الكنيسة وزعموا انَّ قول المسيح « هذا هو جسدي . . هذا هو دمي » انَّما اراد بهِ رمزاً من الرموز وانهُ مجازٌ ولم يعبأوا بقول بولس الرسول (١ كور ١١ : ٢٩) : « إنَّ من يأكل من هذا الخبز ويشرب من هذه الكأس بدون استحقاق انما يأكل ويشرب دينونة نفسهِ اذ لم يميّز جسد الرب » وهذا أفحمُ تفنيد لزاعم البروتستانت فضلاً عن انَّ شيئاً منهم لاسيما شيعة الطقسيين الانكليكان تقرّ بمعتقد الكنيسة الكاثوليكية فيختلفون بينهم في هذا كما يتناقضون في معظم اضاليلهم شأن من ينبذ الحق ليتشبَّث بالآراء البشريَّة

امَّا الكنيسة الكاثوليكيَّة فانَّ إكرامها لسرّ القربان لم يزل في نموّ وازدياد في كلّ اطوار تاريخها وقد بلغ اليوم اقصى مجالي الابهة والعظمة لاسيما في مؤتمراتها

القربانيَّة السنويَّة التي تلفت اليها انظار العالم كلّه حتى ألدّ اعدائها. وقد رأينا في العام السابق ما بلغهُ المؤتمر القرباني في شيكاغو من عظم الشأن والرونق حتى اهتزّت لمظاهره طرباً كلّ اقطار المعمور

أَوَرَدَ شيء عن سرّ القربان في الآثار العربيَّة؟

وهنا يتساءل الاثريون أعرف العرب قبل الاسلام شيئاً عن سرّ القربان الاقدس؟ فنجيب انهُ لمن الامور المرجّحة قبل كلّ دليل وضعي ان يقال انّ قدماء العرب في عهد الجاهلية لم تَفُتْهم معرفة القربان وقد اثبتنا في كتاب النصرانيَّة وآدابها في عهد الجاهليَّة كم شاع الدين المسيحي في كلّ اقطار العرب حتى النجد والحجاز فعرفوا القربان بلا مراء.

﴿ الدليل الاوَّل : دليل لغوي ﴾ انّ اللغويين بنوا منهُ فعلًا وهو «التقرُّب» بمعنى تناوُل القربان . ففي الاغاني لابي الفرج الاصفهاني (٢ : ٣٣) ورد في خبر هند بنت النعمان دخولها بيعة قومها النصارى في يوم خميس العهد لتتقرَّب قال : «فخرجت (اي هند) في خميس الفصح وهو بعد الثمانين بثلثة أيام لتتقرَّب في البيعة» ومن المعلوم انّ اقتبال سرّ القربان يكون رسميًّا للنصارى في ذلك اليوم . فوردت الكلمة عربيَّةً محضة وان لم يدرجوها في معاجمهم . ومثلها القربان . ومن ثمَّ نثني على الطيّب الذكر المطران جرمانوس فرحات الذي اثبت الكلمة في معجمه المدعوّ «احكام باب الإعراب من لغة الاعراب» فقال (ص ١٣٦) : «القربان ما يُتقرَّب به الى الله تعالى وهو عند اليهود في العهد القديم كالذبائح وغيرها وعند المسيحيين في العهد الجديد جسدُ المسيح ودمُهُ . وتقرَّبَ تناوَلَ جسد المسيح»

ولنا في لغة العرب القديمة لفظة أُخرى دالَّة على القربان الاقدس اشرنا اليها غير مرَّة واثبتنا معناها عن كتب اللغة نزيد بها كلمة «الشَّبَر» فهذه الكلمة وردت في شعر عدي بن زيد الشاعر النصراني زوج هند بنت النعمان المذكورة وفي جملة اخباره التي اتَّسع فيها صاحب الاغاني (٢ : ١٧ — ٤٠) . والبيت الشاهد قولهُ يردّ فيه على تهمة النعمان

اذ اتاني نَبَأٌ من مُنْعِمٍ لم أَخُنْهُ والذي أعطى الشَّبَرْ

فقال اهل اللغة ومن جملتهم الصاغاني عن الخليل «انَّ الشَّبَر شيء يتعاطاهُ النصارى بعضهم لبعض كالقربان يتقرّبون بهِ او القربان عينهُ» (راجع التاج في مادّة شبر). وذكروا بيت الشاعر العجّاج الذي قالهُ في مفتتح احدى اراجيزهِ

الحمدُ لله الذي أعطى الشَّبَرْ

وعليهِ استندنا لنثبت نصرانيّة العجّاج قبل اسلامهِ (اطلب المشرق ٢٣[١٩٢٥]: ٤٣٩و٥٥٨)

وأَا كانت اللغة اصدق صورة لأفكار المتكلّمين بها فلا بُدَّ من القول ان العرب لم تَفتهم معرفة سرّ القربان كما يفهمهُ النصارى

﴿الدليل الثاني: دليل تاريخي﴾: ان من يراجع تاريخ جزيرة العرب والاقطار المجاورة لها التي سكنتها قبائلهم وجد ذكر كنائس واديرة وصوامع كانت مشيَّدة لخدمة الدين النصراني. منها كنيسة صنعاء العجيبة التي افاض في وصفها القدماء وعدَّدوا محاسنها البنائيّة وزينتها ولا يزال منها بقايا الى يومنا. ومثلها كنيسة نجران التي شيَّدها بنو عبد المدان النصارى. وكنائس طورسينا الراقية الى القرن السابق للهجرة. وكنائس حوران ذات الآثار الجبّاريّة التي صبرت اخربتها على نكبات الزمان. ومثلها بلاد الغور وبلقاء والاردن. وذكر مؤرّخو السريان عددًا عديدًا من الاديرة والكنائس في جهات العراق في الحيرة والانبار والبحرين وهرمز وعُمان. وقد قال السائح قزما في رحلتهِ الى الهند انَّ كلّ تلك البلاد كانت مزدهرةً بكنائسها وابنيتها الدينيّة

ومن المعلوم انَّ الكنائس في النصرانيّة تُستخدم قبل كل لاقامة الرتب الدينيّة التي الاعظم والاشرف بينها تقدمة القربان الاقدس في الذبيحة الطاهرة مع توزيعهِ على المؤمنين. وذلك دليل باهر على معرفة العرب بسرّ القربان

﴿الدليل الثالث: النظام الكنسي﴾ كانت الكنائس الواقعة في انحاء العرب منظَّمة كسائر كنائس المعمور لها رؤساؤها من جاثالقة ومطارنة واساقفة وكهنة وقسّان. قد تكرَّر ذكرهم في دواوين شعراء الجاهليّة ومنهم من كانوا يتنقّلون مع القبائل الرُّحل وقد نقلنا منها ابياتاً شتى اثباتاً لذلك (راجع كتابنا النصرانيّة وآدابها بين عرب الجاهليّة ص ١٩٠ــ١٩٥). وهذا النظام كما هو معلوم ليس هو فقط لتدبير الشعب ولكنهُ خصوصاً لاقامة الاسرار التي لسرّ القربان فيها الامتياز لجلالهِ ولتقدمتهِ

كذبيحة ولتوزيعهِ على المؤمنين كقوت نفوسهم فهو اذن من ادلّ الادلّة وأبينها على اعتقاد العرب المتنصّرين بهذا السرّ العجيب

﴿الدليل الرابع: الدليل الطقسي﴾ انَّ العرب لمَّا تنصَّروا في القرون الخامس والسادس والسابع لم تكن لغتهم قد توحَّدت كما جرى ذلك بعد تغلّب لغة قريش وشيوعها في احياء العرب فكانت القبائل المتنصرة تمتزج باهل الحضر التي كانت لغاتهم الطقسيَّة اليونانيَّة كما في حوران والغور والاردنّ او السريانيَّة كما في الجزيرة في ديار بكر او الكلدانيَّة كما في العراق او الحبشيَّة كما في اليمن. وقد بقي من كل هذهِ الطقوس بقايا واسعة من جملتها وفي مقدَّمتها النوافير الجليلة المختصَّة بسرّ القربان الاقدس في القدَّاس وهناك تسابيح وصلوات كلُّها ناطقة بايمان النصارى بوجود السيّد المسيح في القربان الاقدس بجسدهِ ونفسهِ ولاهوتهِ. يدلُّ عليهِ سجود الجمهور امام الاعراض المقدَّسة بعد ان يتلو عليها الكاهن الكلام الجوهري الذي عيَّنهُ السيد المسيح بقولهِ: هذا هو جسدي هذا هو دمي. وفي الشعر الجاهليّ كلام صريح عن سجود النصارى في كنائسهم وصلواتهم كما بيَّنا (في النصرانيَّة وآدابها بين عرب الجاهليَّة ص ١٧٧)

﴿الدليل الخامس: هندسة الكنائس﴾ انَّ في كلّ كنيسة من كنائس النصارى منذ قديم عهدها في القرون الاولى للنصرانيَّة، ولم تشذَّ عنها الكنائس المشيَّدة في بلاد العرب، قبساً تتَّجه اليهِ كل الابصار ويعظمهُ كلّ الحضور وهو كقدس الاقداس فيهِ الهيكل والمذبح الذي تُقدَّم عليهِ الاسرار المحيية وقبل كلّ سرّ القربان الاقدس فيزدان بالنقوش ويُنار بالشموع او المشاعل. وكثيراً ما تُمدُّ امامهُ الستور وربما اطلقوا عليهِ في الجاهليَّة اسم المحراب والقبلة لاتجاههم اليهِ في صلاتهم فهناك تُقام الرُّتب الدينيَّة بكلّ رونقها بالازياء الكهنوتيَّة يحفُّ بالاحبار لفيف الكهنة والشمامسة فيتغنَّون بالاناشيد الروحيَّة. وهناك يُقدَّم البخور للعزَّة الالهيَّة وهناك يعظَّم القربان بشكليهِ وتُبارَك الكأس المحتوية للخمرة الالهيَّة. وفي الشعر العربيّ قبل الاسلام اصداء لكلّ تلك الرُّتب كما رويناها عنهم في مقالتنا «مناسك الدين عند قدماء نصارى العرب»

﴿الدليل السادس: الدليل الاثري﴾ انَّ الآثار النصرانيَّة الفنيَّة التي استُخرجت من قلب الارض ومن الدياميس في هذه القرون الاخيرة قد اغنت المتاحف الدولية

الكبرى بالآثار الدالّة على القربان المقدّس وعددها يبلغ المئات بل الالوف والربوات. وفي هذا كما في بقيّة الامور لم تخلُ انحاء بلاد العرب من بعض الآثار وان كانت اقلّ عددًا من سواها لما اصاب البلاد من الخروب ولقلّة ما أُجري فيها من الحفريّات

على انّ حفريّات حوران وشمالي سوريّة وجهات الاردنّ وانحاء شبه جزيرة سينا ومثلها رحل بعض الاثريين الى اليمن والعراق وبادية الشام اظهرت او اشارت الى بعض العاديات التي تختصّ بسرّ القربان الاقدس منها نقوش على سُرُج خزفيّة او على جدران كنائس قديمة او بعض النواويس والمدافن والمسكوكات

فمن ذلك نقش صورة «الحمَل» الذي وُجد في عدّة امكنة. وهو كما لا يخفى رمز عن السيد المسيح لاسيما في الذبيحة الطاهرة التي تقدَّم على الهياكل

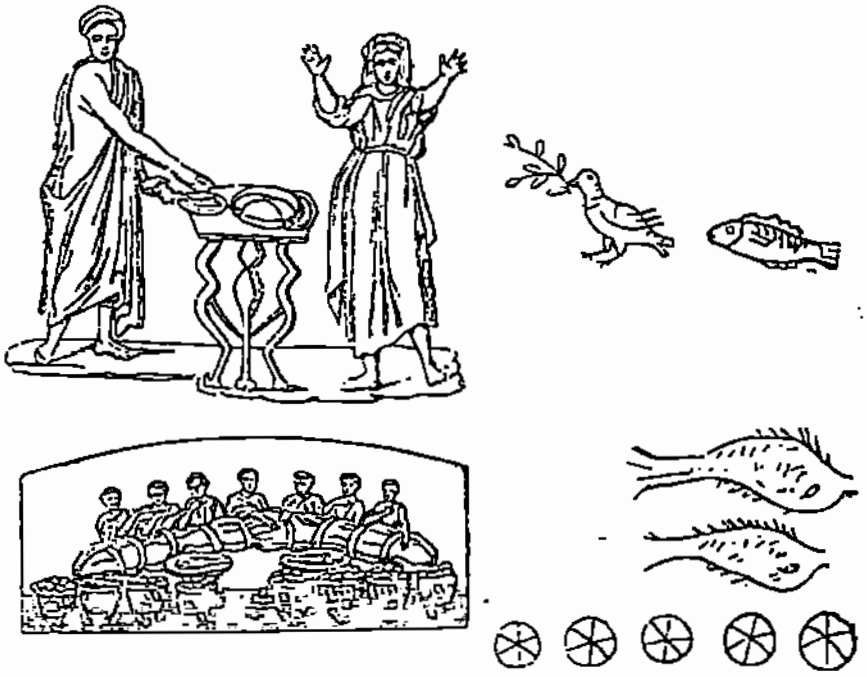

عاديّات نصرانيّة مختلفة من قرون الميلاد الاولى تمثّل سرّ القربان

ومنها صورة «السّنبل والجفنة» الرامزين الى مادّتي القربان الاقدس الخبز والخمر. وهذه الصورة قد تعدّد رسمها ومنها صورة «السمكة» السرّية اشارة الى السمكة التي قدّمها السيد المسيح لتلاميذه مشويّة على شاطئ بحر طبريّة بعد قيامته (يوحنا ٢١:

٩) ثم شاع ذكرها ونقشها منذ القرون الاولى للنصرانيّة في الشرق والغرب معاً دلالة على سرّ القربان. كفى بذكرها في كتابة القديس ابرقيوس الشهيرة الراقية الى القرن الثاني للمسيح. وبين هذه النقوش المختصّة بالسرّ المذكور رسوم للخبز موسومة بالصليب اشارة الى خبز القربان. وفي متحف القدس للآباء البيض في الصلاحية آلة لتهيئة خبز القربان عليها صلبان. وربّما ايضاً رسموا اناء من الخمر على جانبيه حمامتان تشربان منهُ. وكذلك مائدة العشاء السرّي التي انشأ فيها المسيح سرّ القربان

ومن العاديّات الشرقيّة التي تُرى في المتاحف القديمة كؤوس كانت تتّخذ للتقديس منها عدد وافر وُجد في كلّ انحاء الشرق. وقد افاضت المجلّات والصحف في الكأس التي حصل عليها قوشاقجي اخوان فعُرفت بكأس انطاكية. (راجع ما كُتب في صددها للاب دي جرفانيون Jerphanion: *Le Calice d'Antioche* فهذه الرموز وغيرها كالحمامة ممّا ورد ذكرهُ في العاديّات الشرقيّة دليل بيّن على انّ سرّ القربان لم يجهلهُ نصارى العرب حيثما كانوا يتمسّون فرائضهم الدينيّة

فيا ليت جميع البشر يلبّون دعوة السيد المسيح الى هذا السرّ ليجدوا فيهِ نوراً لعقولهم وسلاماً لقلوبهم وسعادة لحياتهم في عالمهم الحاضر ولآخرتهم في دار البقاء آمين

جولة في كسروان

لحضرة القس انطونيوس شبلي اللبناني

توطئة

رغب منّا قدس رئيس رهبانيتنا اللبنانيّة العام الاباتي اغناطيوس داغر التنوري ان نتوجّه في صيف سنة ١٩٢٦ الماضي الى جهات كسروان لاستئناف البحث عن آثار عبد الله ابناء رهبانيتنا الذين عيّن غبطة السيد البطريرك مار الياس بطرس الحويك السامي الطوبى لجنةً مؤلفةً من بعض الكهنة العالمين الافاضل للفحص عن دعواهم

رسمياً . تُضاف هذه الآثار الى الافادات العديدة التي ظفرنا بها في رحلتنا الى شمالي لبنان سنة ١٩٢٥

وبما اننا كنا أتينا في تلك الرحلة (١ على ذكر عددٍ وافر من الكتب الخطيّة التي كانت مخبوءةً في زوايا الاديار والبيوت وراق بعضها بعضَ مريديها رغبوا الينا ان نواصل البحث عنها في اثناء تجوُّلنا في مقاطعة كسروان ونلمَّ بوصفها على صفحات هذه المجلة التي لها الايادي البيضاء على الشرق بنشرها آثار ومفاخر رجاله . لذلك لم نرَ مناصاً من النزول عند رغبتهم وها اننا ذاكرون في هذه المقالة ما وقفنا عليه من موجز تاريخ المحالّ التي مررنا فيها والكتب الخطيّة التي عثرنا عليها وهي تذكّرنا بانّ لنا :

في الذاهبين الاوّلين من القرون لنا بصائر

١ حريصا . غوسطا

في ٢٠ آب ركبنا سيّارةً من جبيل فما وقفت بنا الّا على ظهور حريصا . فزرنا سيّدة لبنان القائم تمثالها على اعلى رابيةٍ في تلك البقعة حيث تقع العين منها على اجمل مشاهد الطبيعة . وبعد ان قضينا فرض الصلاة صعدنا الى دار القصادة الرسولية وغنمنا بركة ورضا سيادة الحبر المفضال فريديانو جيانيني القاصد الرسولي الكلي الاحترام الذي كان من اكبر المساعدين في قضيّة تطويب الشهداء المسابكيين والذي بذل من الهمّة والغيرة في سبيلهم ما جعل الشرقيين عموماً والموارنة خصوصاً ان يذكروا لسيادته هذه المأثرة التي هي احدى مآثره البيضاء في ربوعنا اللبنانية بالفخر والثناء على وجه الدهر ، ويقابلوا كريم صنعه بعاطفة الشكر وعرفان الجميل داعين الى الله تعالى باطالة عمره متمتعاً باطيب عافية واهنأ عيش ليظلّ خير عضدٍ ونصيرٍ للدين

ثمّ عرّجنا على دير القديس بولس لحضرة الاباء البولسيين المرسلين الافاضل فأنسنا بلقياهم ولمسنا بيدنا كرم اخلاقهم ورقّة طباعهم ورسوخ قدمهم في العبادة والتقوى وقدرنا الجهود التي يبذلونها في سبيل الدين والادب حقّ قدرها . لقد وقفوا انفسهم على خدمة هذين الركنين العظيمين في المجتمع البشري بلسانهم وقلمهم . فانهم يصدرون شهرياً في مطبعتهم المعروفة بجمال حروفها ونظافة طبعها وهوادة اسعارها مجلّتهم الزاهرة «المرّة» طافحةً بالمقالات الدينية والادبية والروايات المفكهة

(١ راجعها في المشرق (٢٤ [١٩٢٦] : ٤٦٦)

التي ترقي الاخلاق وتهذب الطباع. وما زالت مجلتهم هذه تتحسن سنةً فسنةً وتترقى في مدارج التقدُّم والنجاح حتى احرزت مكانةً في عداد المجلّات الراقية الرافعة علَم الدين والاداب في امصارنا الشرقيّة

وفي كل سنة يستدعي السادة الاساقفة بعضاً منهم لالقاء المواعظ الدينيّة على ابناء رعاياهم فيزاولون هذه المهمّة الشريفة بنفس رضيّة وقلب جذلٍ غير حافلين بالمشقّات والاتعاب التي يعانونها في الاسفار البعيدة سعياً وراء خلاص النفوس وهم يضحّون براحتهم حبّاً لمجد الله وخير القريب. ودّعنا هؤلاء الاباء الاتقياء وحضرة رئيسهم الفاضل الكريم الخلق الاب انطون حبيب وقد تركوا في قلبنا اجمل أثرٍ تقوي يذكّرنا بصداقتهم ومحبتهم وذهبنا الى ديرنا سيدة نسبيه في غسطا.

دير سيدة نسبيه

قد انشأ هذا الدير على اسم سيدة النصر في مزرعة نسبيه المرحوم الاب مرتينوس سابا القسطاوي رئيس الرهبانية اللبنانية العام سنة ١٨٧٩. وكان ابتاع المحل الذي شُيد فيه الدير المرحومُ الاب الياس خليفه القسطاوي. ودير نسبيه يُعَدّ من اجمل كنائس لبنان وقد اشترى له الرئيس العام الآنف الذكر من مال الرهبانية املاكاً واسعة واغناهُ وكنيستهُ بالاثاث الوافر. وظلّت فيه مدرسة الرهبانية الى اوائل سنة ١٩١٤ فنقلها قدس الاب اغناطيوس التتوري الى دير سيدة المعونات في جبيل

ان اوّل من رأس دير سيدة نسبيه هو الاب عمانويل الميرِ من بطحا سنة ١٨٨٦ ثمّ الاباء بطرس عبّود القسطاوي واسطفان صقر البنّاعلي واغناطيوس الجبيلي ويوسف سماده القسطاوي ومبارك سلامه المتيني واسطفان صفير العجلتوني. ورئيسهُ الحالي حضرة الاب مخايل داغر من بكفيّا.

وتوفي فيه منذ نشأته الى الآن اثنا عشر راهباً اولهم الاب الياس خليفه الذي عاون الرئيس العام في بنائه سنة ١٨٨١ والاب مرقس منّاسا القسطاوي والاخ مخايل محرش سنة ١٨٨٤ والاخ عبدالله القليماتي سنة ١٩٠٠ وله من العمر تسعون سنة. وكان راهباً متفرّدًا بالعبادة والتقوى. وقد بلاهُ الله في اواخر عمره بمرض الزمانة المرّ فاحتمل اوجاعهُ بصبرٍ عجيب شاكرًا الله تعالى على امتحانه اياه مستسلماً بكليته الى مشيئته القدوسة. وذكرًا لفضائله ومبرّاته حُفظ رسمهُ في الدير كأثرٍ ثمين. ولمّا

باشر الطيب الذكر البطريرك يوحنا الحاج ترميم دير بكركي انتقل ومطارنته وحاشيته الى دير نسبيه فاقام فيه نحو خمس سنين الى ان انجز اصلاح بكركي

اسماء الكتب الخطية التي وجدناها في مكتبته

١ً الرسوم الفلسفية المجلد الاول والثاني تأليف يوسف لويس تموفسكي اليسوعي ترجمها من اللسان اللاتيني المثلث الرحمة المطران يوسف الدبس رئيس اساقفة بيروت. ٢ً فصل الخطاب للمطران جرمانوس فرحات. ٣ً كتاب «الماية مقالة في قدم وجود الباري وفي تكوين جميع مخلوقاته وفي وحدانية جوهره وتثليث اقانيمه وصفاته وفي تجسد الكلمة وسر الايمان القويم للقديس يوحنا الدمشقي» وعدد صفحاته ٢٩٢ صفحة. ويليه «كتاب في الفلسفة والمنطق وعلم الكلام ليوحنا الدمشقي ايضاً» وعدد ابوابه ٥٣ باباً يتقدمهُ رسالة سابقة الابواب للدمشقي ايضاً أرسلها الى الاب المكرَّم قزما اسقف مدينة «مايوما» وعدد صفحاته ٢٣٠ ص. ويليه ايضاً «كتاب خمس مقالات في الامانة وردّ على الارانقة المخالفين هو للقديس يوحنا الدمشقي ايضاً.» وعدد صفحاته ١٢٨ ص. ويليه «رسالة مختصرة تشتمل على عظات مختلفة انشاء ابينا القديس يولس الانطاكي اسقف مدينة صيدا في ان الباري واحد وفي ان النصارى غير مشركين.» وهي اثنان وعشرون باباً تقع في ٣٠ صفحة. ويليها «شرح وجيز مختصر في رأي النصارى في التثليث والتوحيد.» في ٣ صفحات (وكلتا الرسالتين طُبعت في المشرق ثمّ على حدة مع عدّة مقالات دينيّة قديمة). وجميع هذه الكتب المذكورة مجموعة الى هذا المجلد الواحد وهو بخط عربي كتانسي مشرقي وقد كُتبت عناوينه بالحبر الاحمر. جاء في آخره ما حرفيتهُ: «انجز الكتاب على يد افقر العباد مخايل باسم خوري الكفرويوي (كذا) اصلاً الارثوذكسي مذهباً بجلب المحبة سنة ١١٠٠ للهجرة الموافق ٧١٩٧ لكون العالم» (١٦٨٩م). مجموع صفحات هذا الكتاب ٥٤٣ صفحة وطوله ٣٠ سنتمتراً وعرضه ٢٠ س

٤ً كتاب العنوان العجيب في رؤيا يوحنا الحبيب للقس يوسف بن جرجس الباني الحلبي الماروني (١ خط القس جرمانوس الاشقر الشبابي اللبناني سنة ١٧٨٩. ٥ً غير مطبق سرياني عنوانه: التسهيل لكل شرح مستطيل - خط طنوس موسى الخوري من قرية

١) قد طبع هذا الكتاب المطران يوسف الدبس

عندقت ــ عكّار سنة ١٨١٧ . ٦ً الدرّ المنثور في تفسير الزبور . ٧ً كتاب « الرياضة المشتمل على الصلاة الروحانية العقلية للقس الراهب اغناطيوس كليسون اليسوعي» خط الشماس محفوظ مبارك سنة ١٧٣٠ . ٨ً نسختان من اعراب امثلة بحث المطالب وقد أُضيف الى احداهما الفصل المعقود في معاني عوامل الاعراب للمطران فرحات خط القس يوسف عوّاد الحصروني الحلبي سنة ١٨٤٣

٩ً كتاب في الفصاحة . ١٠ً شرح ديوان المطران فرحات للخوري ارسانيوس الفاخوري . ١١ً مختصر من نسكيات القديس باسيليوس الكبير رئيس اساقفة قيسارية القبادوق . خط ارسانيوس الشماس الراهب الحلبي من اخوية الرهبان الحلبية في دير اللويزة سنة ١٧٠٨

١٢ً كتاب افراميات (مدائح) تأليف المطران عبدالله قرءلي الحلبي . ومنها تأليف الخوري يوسف الشراباتي الحلبي الماروني . خط الخوري حنا عوّاد الحصروني سنة ١٨٧٢ . وبينها افراميات لم تُثبت في كتاب الجنازات والميامر الذي طبعهُ المطران يوسف الدبس بالمطبعة العمومية(١ . ١٣ً بحث المطالب لفرحات وأُضيف اليهِ مختصر منطق القس يواكيم الباسيلي . ١٤ً العلم الطبيعي للسيد السمعاني . ١٥ً ديوان المطران فرحات . ١٦ ميزان الزمان

١٧ً كتاب الانجيل . وقد ذكر في اخرهِ القس برنردوس العجلتوني اللبناني انهُ نقلهُ عن نسخةٍ مخطوطة بيد الشيخ مرعي الدحداح سنة ١٨٠٤ وهذا نسخها عن نسخةٍ أقرّها البطريرك يوسف التيّان واجاز استعمالها في كنائس الطائفة . وقد ذكر الناسخ القس برنردوس المذكور عبارة موافقة البطريرك عليها . ١٨ً مجموعة اشعار من ديوان المطران فرحات وديوان تلميذه الخوري نقولا الصايغ . ١٩ً فصل الخطاب

١) قد تقع عبارة هذا الكتاب الطيب الاثر المطران جرمانوس الشمالي . ومن هذه الطبعة اخذ الاديب الكتبي يوسف منير بعض الميامر واضاف اليها ما عثر عليهِ منها مما لا ذكر له في كتاب الجنازات وطبعها بالحرف العربي بالمطبعة الشرقية بالحدث سنة ١٩٠٠ تحت عنوان « كتاب المدائح والميامر الروحية » . ثم ان حضرة الخورسقف يوسف شيبه اللاذقي الرسل الماروني قد جمع كثيراً من هذه الافراميات او الميامر للاعياد السيدية ولاعياد بعض القديسين اثناء القائه الرياضات سنين عديدة في كنائس لبنان وطبعها في المطبعة التجارية السورية بنيويرك تحت عنوان : « كتاب الميامر الكنسية للطائفة المارونية » وهو يقع في ١٨٦ صفحة

لفرحات. ٢٠ «مختصر لارشاد الكهنة المتدرجين حديثاً» على طريقة السؤال والجواب مخروم من اخره

٢١ المحاورات الرهبانية لفرحات . ٢٢ نسختان من مختصر منطق القس يواكيم الباسيلي. ٢٣ كتاب سلّم الفضائل العالية الشريفة ودرج المصاعد السامية المنيفة للقديس يوحنا رئيس دير طرمينا. خط القس بيمين الكفرصفاني اللبناني سنة ١٧٩٠. ٢٤ مختصر من كتاب امجاد مريم. ٢٥ عجائب مريم العذراء. ٢٦ نسخ عديدة من لاهوت كلوديوس

٢٧ نسختان من كتاب مختصر كل اللاهوت العملي لتوما ده شارمس الفرنساوي الراهب الكبوشي ترجمهُ من اللغة اللاتينية الاصلية الى العربية اغناطيوس بطرس جروه بطريرك السريان في مدينة رومية سنة ١٨٢٦

٢٨ مواعظ روحية خط القس مخايل ضو راهب سيّدة الحقلة سنة ١٧٨٤ . ٢٩ كتاب بستان الرهبان خط عبد الاحد ابرهيم الحلبيّ سنة ١٧٦٦ . ٣٠ حاشية على نزهة النظام في قلم الهندي (علم الحساب) تعليق على كتاب احمد ابن محمّد بن الهايم وأضيف اليها شرح الخزرجية في العروض. ٣١ كتاب طبّ قديم. مجلّد كبير. ٣٢ كتاب خاص علم النيّة تأليف هرمان بوزنباون اليسوعي

دير مار يوسف الحصن — غوسطا

شيّدهُ المطران يوسف اسطفان في اطراف غوسطا بلحف جبل وهو يشرف على البحر وعلى مناظر جميلة فاتنة ترتاح اليها النواظر وتبتهج برآها الخواطر. ولمّا ارتقى السدّة البطريركية أتمّ بناءهُ واقام فيه مدّة سني بطريركيته

وفي سنة ١٧٦٩ بنى حذاءهُ كنيسةً ظريفة الشكل جمعت أبهى محاسن الفنّ. ووجّه القس الياس الصيداوي الراهب اللبناني الى اوربا لاجل جمع الاحسان لتكملة بناء هذا الدير وكنيستهِ وزينتها فعاد الى الشرق حاملاً من مكارم المحسنين شيئاً كثيراً من المال. وقد امدّ ملك فرنسة لويس الخامس عشر البطريرك يوسف اسطفان

١) راجع كتاب « بعائر الزمان » للاب بولس عبّود الشطاوي ص ٥ و ١٣

بالمساعدة المالية وأهدى الى كنيسة الحصن شعارهُ الملكي الـذي لم يزل الى الآن معلّقاً على جدرانها ذكرًا لمكارمهِ ولعطف الامة الافرنسية على الطائفة المارونيـة

وفي كنيسة دير الحصن اربعة أضرحة نُقشت على صفائحها ابياتٌ سريانية حوت اسماء اصحابها وتاريخ موتهم . وهم المطران ارميا الفسطاوي تلميذ مدرسة رومية المتوفى في ٤ تشرين الاوّل سنة ١٧٧٥ والمطران اثناسيوس بن موسى الحاج الشنيعي الفسطاوي المتوفي في ٦ ايلول سنة ١٧٧٨ والبطريرك يوسف اسطفان المتوفى في ٢٢ نيسان سنة ١٧٩٣ والخوري يوحنا الحاج المتوفي سنة ١٧٩٩

المخطوطات التي رأيناها في كنيسة دير مار يوسف الحصن

١ً كتاب ܪܝܫ ܩܪܝܢܐ (رأس القراءات) خـط الخوري جرجس سعد من قرية بجّه في ١٧ ايلول سنة١٧٥٦ ، وهو برسم السيّد يوحنا اسطفان مطران دير ماري انطونيوس عين ورقا شمالي قرية غوسطا»

٢ً كتاب تشمشت خط قديم . يحتوي صلوات عيد القيامـة وعيد جسد ودم المسيح وعيد مار مارون وعيد ناسك ما وعيد جميع القديسين وعيد القديس ماما . وفي آخر صلاتهِ ترجمة حياتهِ وتقع في ١٥ صفحة . جاء في آخر هذا الكتاب مـا نصُّهُ : «المجد لله في العلاء وعلى الارض السلام . تمّ ونجز هذا التشمشت المبارك الذي هو لمار ماما في بشرّي مجاور جبل لبنان المبارك سنة ١٦٧٥ مسيحية يوم الاربعاء بسابع وعشرون (وعشرين) من شهر آب المبارك على يد قلّ (اقلّ) خلق الله شدياق اسطفانوس الحدثي ابن الخوري يوسف من عيلة بيت الرئيس الياس وكان بدو (بدء) هذا التشمشت يوم الجمعة وتمامه يوم الاربعا الفداء . وكان ذلك بايام سيدنا وتاج روسنا البطرك اسطفانوس الهـدناني الرب يديم تعميرهُ وسيدنا المطران بولس ابن الدويهي اتشوتف (اي ثمب) فيه واعطى اجرة تعب كاتبهِ ثلاث ارباع القرش الله يقبل منهُ ويرحم العبد المسكين بصلواته المقدسة آمين» ثمّ يليهِ :

« وكذلك اعتنى بكتابتهِ القسّ توما واخيهِ والقس يوسف وايضاً القس يوسف كان مرسوم جديد في اول يوم دخول المسيح للهيكل وهو اشترى الورق والحبر . واما المذكورين (فهم)

اولاد الفخري من بشرّي. وكان في ذلك السنة يا اخوتي خوف ونزع كثير زايد. وصار في ذلك السنة ثلج عظيم بزايد ما صار في حيلنا مثله وكذلك ضيق عظيم ما صار مثله الله يعين الصابرين»

٣ً كتاب متعدّد يحتوي صلوات عيد تلاميذ القديس مارون والقديس يوحنا مارون. وهو غفلٌ من اسم الناسخ. ٤ً مجموعة «افراميات (مدائح) تُقال في اعياد القديس ليميناوس الناسك تلميذ القديس مارون الواقع في ٢٢ تشرين الاوّل. والرسل عموماً والقديسين والمتوفين والبتولات والآباء والانبياء والقديس بطرس الخ...» وهذه المجموعة خطّها بالكرشوني منصور اسطفان الغسطاني سنة ١٧٩٤

٥ً كتاب الصيامي (مجموع الصلوات التي تُتلى في ايام الصوم) خط الشدياق جرمانوس ابن الخوري انطونيوس شهوان من غوسطا سنة ١٧٧٧ «وهو باسم القديس يوسف بحصن غسطا. وكان المعتني به سيدنا المطران اثاناسيوس الحجّ موسى وذلك في ايام رياسة الاب الاقدس البطريرك مار يوسف بطرس اسطفان...»

٦ً كتاب يحتوي [illegible] (اناشيد) لصلاة مساء وصباح الآحاد والاعياد الآتية: الاحد. شرف مريم. الورديّة (١ جميع القديسين. رؤساء الملائكة. تقديس البيعة. بشارة زكريا. بشارة مريم. زيارة مريم. ميلاد يوحنا. حبل حنّة. بيان يوسف. الاحد الذي قبل الميلاد. ميلاد ربنا بالجسد (٢ مدح مريم. مار اسطفانوس. الختانة. الدنح. مدح يوحنا. مار انطونيوس. دخول المسيح للهيكل. مار مارون. احد الكهنة. احد الابرار والصديقين. احد الموتى. الاربعين شاهد. نياحة مار يوسف. احد الشعانين. احد القيامة. اثنين القيامة. احد الجديد. مار جرجس. عيد الصعود. البنصرة. احد الثالوث الاقدس. عيد الجسد. عيد قلب يسوع. مار بطرس وبولس. الرسل. مار الياس. عيد التجلّي مار ضومط. انتقال مريم. قطع راس يوحنا. ميلاد

١) منشورة في رتبة زياح الوردية في اول احد من تشرين الاول ومطلعها: ترى من يُدرك لجّة محاسنك يا قديسة والدة الله. الخ (راجع كتاب رتب الكنيسة المارونية ص ٣٦٧)

٢) هذه الانشودة مثبتة في رتبة الميلاد بكتاب الرتب الكنائسية الطائفة المارونية ص ٥٠ المطبوع طبعة ثانية منقّحة بالمطبعة الكاثوليكية سنة ١٩٠٩ ومطلعها: قدوس قدوس قدوس ربنا...

مريم. عيد الصليب. احد الرسل. احد المعترفين

وتنتهي كل انشودة منها بهذين البيتين: « ونهتف في كل مساء واشراق... ونمجد الآب والابن التام... » المثبتين في رتبة الميلاد المطبوعة في كتاب الرتب الكنائسية للطائفة المارونية صفحة ١٩ تحت عنوان صباح عيد الميلاد. وبدؤها «قدوس قدوس قدوس ربنا وحيد اللاهوت ونور العالم»

ومما لا ريب فيه ان هذه السواغيث تأليف العلّامة البطريرك يوسف اسطفان. وهي متناهية في الرقّة وسموّ المعاني الروحية وتقع في ١٤١ صفحة. واننا ننقل منها مثالًا سوغيث مساء عيد شرف مريم الصفحة ٨١ من هذا الكتاب الخطي) وهي:

انّا نوضح تشابيه مريم ... امّ المحبّة الروحيّة
قد مثّلها موسى ملكاً ... بالطّيفة الطّوريّة
جزّة جدعون المتبلة ... ظلّ النعمة القدسيّة
ثمّ مثّلها داود قريةً ... القاطنها ذو الحريّة
تابوت الربّ وفيه توارى ... خبز الضحيّة السرّيّة
وردة اريحا اذ فاح منها ... عرف اللذّة النفسيّة
سُمّيت مريم من زكريا ... منارة القدس النوريّة
ان حزقيال رآها باباً ... مُغلقاً دخله ربُّ البريّة
صوّر شبهها مار أليشع ... بقُلّة الملح الرمزيّة
صوّر سليمان مريم يمامةً ... ظهرت بأرضنا الحسيّة
سفينة البارّ المنقذتنا ... من استغراق شرّ الخطيّة
قد اوضحها نجماً زاهراً ... اب الاسباط العبريّة
أعلن عنها ميناً مختوم ... صاحب الحكمة الشرعيّة
زهرة يسّى رسمها النبيّ ... في اقواله النبويّة
سُلّم يعقوب المصعدنا ... نحو الجنّة العدنيّة
سحابة اشعيا التي امطلت ... مطراً أحيا كلّ البريّة
ان الهيكل صارت هيكلاً ... لحبر الاحبار اليمينة
دُعيت صبحاً بزهو حسناً ... كتر الأنشاد اللتزيّة

قبّة السرّ الصانعها صانع براياهُ العقليّة
صار دانيال عابن طورًا رمزًا لمريم السلويّة
هي عصا هارون المنشيّة ثمرة الخصب المحييّة
فليكن دُعاها ترسًا لجمعنا يردُّ الشرّير بالكليّة
إنّا نحتف بكلّ الشيآت لك النسيح كاثير الرحمات

(لهُ بقيّة)

الآداب العربيّة

في الربع الاول من القرن العشرين

القسم الرابع

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

البحث الثالث

نظر خاصّ في انصار الآداب العربيّة حاضرًا (تابع)

كتبة الموارنة الكهنة والرهبان (تتمّة)

ولا يسعنا ان ننسى حبرًا جليلًا يشرّف الطائفة المارونيّة في رومية نريد بهِ السيد ﴿نعمة الله ابي كرم﴾ اسقف منتدو شرفاً . لهُ آثار نفيسة في العربيّة ما خلا كتاباتهِ في جريدة البشير التي حرّرها عدّة سنين منها تعريبهُ لذخيرة الالباب في بيان الكتاب وقسطاس الاحكام في جزئين وتعريب كتاب فلسفة الكردينال مرسياه في عدّة اجزاء وقد نقل الى اللاتينيّة كتاب ابن سينا المعروف بالنجاة . ونضيف الى سيادتهِ بعض الذين ادّوا خدماً حسنة في طائفتهم المارونيّة للغة العربيّة . منهم الخوري ﴿اسطفان ضوء﴾ صاحب مجلّة المعاني ومؤلف كتاب حديقة الجنان في تاريخ لبنان . وناظم الشاديات في التواريخ الشعريّة . والخوري ﴿ رميا دميان ﴾ الكاتب الضليع

في الجرائد الوطنيَّة. لهُ بحث في تلاوة القدَّاس في الاجيال الثلثة الاولى. وللخوري ﴿شكر الله الشدياق﴾ بحث تاريخي في درب الصليب. وللخوري اسقف ﴿يوسف شبيه﴾ اللاذقي في نيويرك كتاب المياه الكنسيَّة للطائفة المارونيَّة. ونشر الخوري ﴿بولس السمعاني الماروني﴾ نفح الياسمين في نادرة فلسطين في سيرة الراهبة يسوع المصلوب بواردي. وللخوري ﴿لويس الحازن﴾ مقالات عديدة في مجلة كوكب البرِّيَّة وفي جريدة الارز. وعرَّب الخوري ﴿يوسف الحدَّاد﴾ رواية ارثور دوق بريطانية التمثيليَّة. ونشر الخوري ﴿يوسف ميلاد الحانك﴾ كتاب الكاثوليكي العامل. وكلّ يعرف زجليَّات الخوري ﴿سمعان الفغالي﴾ الدينيَّة والادبيَّة. وكان قبل كهنوته نشر شمس المعنى في ثلثة اجزاء. وللخوري ﴿يوسف فيَّاض﴾ السحر الحلال والماء الزلال مقالات بليغة. ونشر الخوري ﴿جبرائيل قرقاز﴾ في فيلادلفيا القول الصحيح في دين المسيح. وعني الخوري ﴿فرنسيس نجم﴾ بتعريب رواية شهيد الدين وابطال المروءة. ومنذ العام الماضي يتحفنا صاحب المجلة السورية حضرة ﴿الخوري بولس قرألي﴾ بمقالات تاريخيَّة واثريَّة نادرة. ونشر الخوري ﴿الياس الزيناتي﴾ قوانين المجمع اللبناني بعد جمعها وترتيبها. وللخوري ﴿جرجس عزيز الجزيني﴾: قسطاس المزامير اناشيد الكنيسة المارونيَّة. وللخوري ﴿جرجس السبعلاني﴾ نظر في وصف مالطة وتاريخها وقراءة لغتها. وللخوري ﴿بطرس خويري﴾ الرحلة السوريَّة في الحرب العموميَّة. وللخوري ﴿لويس جبر﴾ الكلام المستفاد في سيادة المطران يوحنا مراد. ووصف الخوري ﴿منصور اسطفان﴾ شهامة ماك سويني اللورد محافظ كورك. ونشر الخوري ﴿نعمة الله الاسمر﴾ نظم كليلة ودمنة لابن الهبَّاريَّة. وعرَّب الخوري ﴿يوحنا رزق﴾ كتاب الجلاء المسيحي. والفَّ البزديوط الخوري ﴿داود اسعد﴾ مقالتهُ الجميلة البابا ورومية

٢ ﴿الكهنة القانونيون﴾ ليست الحركة في خدمة الآداب العربيَّة بين الرهبان الموازنة دونها بين الكهنة العاليين. فمَن شاع فضلهم بين (الرهبان البلديين) حضرة القس ﴿مبارك ثابت﴾ الديراني نشر مع القس ﴿مبارك مارون المزرعاني﴾ مجموع اللآلي بالسريانيَّة والعربيَّة. وقد عرَّب الجزء الثاني من الحقائق الدينية وثلاثة اجزاء من التأملات اليومية للكاهن شيفاسي وكتاب الادب الرهباني وكتاب التعليم التقوي للاولاد للسيد دي سيفور والمباركيَّات ولهُ روايتا الامّ الذئبة والضمير وممَّا عرَّبهُ

اقطع البراهين في صحة حقائق الدين للاب دفيفيه (W. Devivier) اليسوعي وردود العقل المستقيم ونبذة من دستور الرؤساء للاب فالوي اليسوعي. وشهر التكريم لدم الفادي الكريم لهالز والتعريج في الدين المسيحي. والمنهج الحسن في اسعاد الوطن. ورواية الرجل الواقف من روايات البشير وروايات اخرى ادبيَّة وفكاهيَّة

ومن الرهبانيَّة اللبنانيَّة البلديَّة الجليلة الذين يُعنون حاضراً بالكتابة العربية: القس ﴿لويس بليبل﴾ ناشر تاريخ الرهبانيَّة اللبنانيَّة الذي انجز من طبعه جزئين. ومن تآليفه الشذور الذهبيَّة في حياة كوكب البريَّة. ومنتهى الخشوع في مناجاة قلب يسوع وتربية دود القز وله عدَّة مقالات في مجلَّتي كوكب البريَّة ورسالة السلام. ثمَّ القس ﴿يوسف حبيقه﴾ البسكنتاوي نشر وعرَّب اناشيد الموارنة السريان في سرّ القربان وشهادات الكنيسة السريانيَّة المارونيَّة في سرّ الافخارستيَّة وفي حبل العذراء البريء من دنس الخطيَّة الاصليَّة وفي انتقالها الى السماء وشرح الليتورجيَّة المنسوب للقديس يوحنا مارون. والمنارة اللبنانيَّة ومرقاة الدارج في تفسير المدارج. والاب ﴿بطرس ساره﴾ الذي نشر في الشرق مقالات ممتعة طُبعت على حدة كترجمة الناسك الفرنساوي في لبنان فرنسوا دي شطوبل وترجمة السيد فرنسيس بيكه قنصل حلب ثمَّ قاصد رسولي في العجم. وترجمة الطبيب الذكر الاب مبارك المتيني وفريرون ثرو ومقالات ادبيَّة وتاريخيَّة كالكشَّافة ورحلة الاباتي اغناطيوس التوري الى رومية. والقس ﴿انطانيوس شبلي﴾ المستخرج الآثار الدفينة من مكاتب الاديرة نشرنا له في الشرق ترجمتي الاب شربل حبيس عنَّايا والاب مارون ايطو ورحلته الى شمالي لبنان والى كسروان وآثار منسيَّة للسمعاني في المجمع اللبناني ولفرحات كمجاوراته الرهبانيَّة وصورة الراهب الكامل. وللقس ﴿بطرس الحانك بجدرفل﴾ كتاب دليل للواعظين عنوانه كلمة الله ينبوع الحياة. وله مع اخيه ﴿القس برنردوس﴾ تعريب كتاب العفاف لاستف فالنس السيد جيبر. وللقس ﴿الياس البكيناوي﴾ تعريب كتاب سبيل السعادة للاب برتيه. وللقس ﴿بطرس الحاجي﴾ ابحاث في النذور والحالة الرهبانيَّة وفي تفتيش الضمير. وللقس ﴿جبرائيل مجلي السرعلي﴾ رواية مجاعة لبنان. وللقس ﴿بطرس زهره الاهمجي﴾ الكتاب الادبي شعاع النجاح. وللقس ﴿مبارك المزرعاني ابي مارون﴾ لباب الكتاب لطلَّاب العلم والاداب ومجموع

اللآلي من كتابات جهابذة السريان . وللقس ﴿بولس عبود الغسطاوي﴾ تاريخ البطريرك يوسف اسطفان والراهبة هندية وبصائر الزمان في تاريخ البطريرك يوسف اسطفان والمجالي التاريخية في ترجمة الراهبة الشهيرة هندية وحياة القديس انطونيوس ابي الرهبان وتقاليد فرنسة في لبنان واليهود في التاريخ . وللقس ﴿مبارك الحاج البسكنتاوي﴾ يسوع قدوة الناشئة المسيحية . وقواعد قياسية لحل المسائل الحسابية . وللقس ﴿انطونيوس العنيسي الحاجي﴾ ترجمة الاب يواصاف العنيسي . وللقس ﴿واصاف كرم القرطباوي﴾ خواطر روحية ومقالات وخطب

(وللرهبانية المارونية الحلبية) آثار مشكورة ايضاً لبعض ابنائها . منهم الاب الفاضل ﴿جبرائيل قرداحي﴾ معلم السريانية والعربية في رومية . كان اوّل من نشر معجم اللغة السريانية في العربية دعاهُ اللباب في مجلدين ضخمين . وكرّر طبع المناهج في النحو والمعاني عند السريان وألّف كتاب الكنز الثمين في صناعة شعر السريان وتراجم شعرائهم المشهورين ونشر الاحكام من قصائد ابن العبري السريانية وكتابهُ المعروف بالحمامة ونشر ايضاً مقامات من فردوس عدن للصوباوي بالسريانية

ومن اغزر الرهبان الحلبيين مادّة الاباتي ﴿افرام حنين الديواني﴾ من تآليفهِ تنشئة الصغير وطريق السماء والدرّ المنتقى لجيد ذوي التقى وطريقة اعتراف الاولاد والدليل في السبيل ورسالة في الديانة المسيحية والطقوس الرهبانية ومختصر التاريخ المقدّس وكتاب الشبيبة بموجب طقس الكنيسة المارونية . وتسعوية وتأملات شهرية لاجل الانفس المطهرية وتحفة المغارب في سيدة لورد امّ العجائب والعيشة الهنية في الحياة النسكية وسيرة القديس انطونيوس والعرف المنتشر في سيرة البابا لاون الثالث عشر . والنهج القويم في تاريخ شعوب الشرق القديم ورواية الابن الشاطر وتعريب كتاب بورسو « كيف تصير رجلاً » . ونشر كتاب المحاماة . ومن الرهبان الحلبيين الافاضل القس ﴿ طوبيا العنيسي ﴾ الذي نشر مجموع الرسائل لكتبة العرب ومجموعة المناشير البابوية الخاصة بالموارنة مع ملحق عليها . والقس ﴿يوسف الشبابي﴾ مؤلف كتاب اجتناء الاثار من تكريس شهر ايار . والقس ﴿اغناطيوس الحانك الشبابي﴾ لهُ نهج الكمال في الصلاة العقلية للكهنة

وكما الرهبانيتان المارونيتان اللبنانية البلدية والحلبية كذلك الرهبانية

الانطونيّة) ادّت للآداب العربيّة خدماً مشكورة على يد بعض ابنائها . منهم القسّ ﴿ عمانويل البعبداتي ﴾ الذي كتب تاريخ رهبانيّته واديرتها ومشاهير رهبانها . ونظن انهُ هو ايضاً مؤلف الكتاب المعنون بالصادق في خدمة الحقائق المطبوع سنة ١٩٠١ . ولهُ تاريخ آخر يدعى تاريخ العصور لم يُنشر منهُ سوى بعض القطع — ومنهم حضرة الهمام القس ﴿ يوسف الجميّاوي ﴾ عُني بنشر مراقي الطالب الى بحث المطالب وفيه اعراب ما ورد من الامثال في كتاب السيد جرمانوس فرحات . ثم الحقهُ بكتاب كفاية الطالب وبغية الراغب في جزئين يبلغان نيفاً و ٧٠٠ صفحة في الصرف والنحو . ومنهم القس ﴿ برنردوس غبيره الغزيري ﴾ لهُ مجموع واسع في تاريخ وآثار الطائفة المارونيّة في اللغات الشرقيّة والغربيّة . ومنهم القس ﴿ بطرس الجديدي ﴾ مؤلف التحفة الادبيّة في القراءة العربيّة . والقس ﴿ يوسف الشدياق ﴾ صاحب مجلّة كوكب البرّية حرّرها اربع سنين وضمّنها عدداً عديداً من المقالات التاريخيّة والادبيّة والاجتماعيّة والانتقاديّة ساعدهُ في ذلك الاب ﴿ مبارك صقر ﴾ معرّب سياحة السيد ميسلين الى الشرق . ومثلهما الاب ﴿ اقليموس هراوي ﴾ من كتبة تلك المجلة . ومن كتبتهم ايضاً القس ﴿ مبارك مارون ﴾ ألف السياحة الارضية في الجمهوريّة الفضيّة . وصرّف القسّ ﴿ بولس اشقر ﴾ همتهُ الى الموسيقى الشرقيّة لهُ مبادئ موسيقية عربيّة وشرقيّة ولحّن القداس الماروني ونشيد كليّة القديس يوسف

كتبة الروم الكاثوليك الملكيين

اشتهر ﴿ الروم الكاثوليك ﴾ بانصبابهم على درس اللغة العربيّة منذ القرن الثامن عشر . وهم لا يزالون في الوقت الحاضر رافعي لواء الآداب العربيّة سواء كانوا في مصاف الاكليروس او في البيئة العالميّة . فمن احبارهم السيد ﴿ باسيليوس قطّان ق . ب ﴾ رئيس اساقفة بيروت نشر في مجلّات رومية ثمّ في مجلة صوت الحقّ عدّة مقالات تاريخيّة وادبيّة وطنيّة . وللسيد ﴿ نيقولاوس القاضي ﴾ رئيس اساقفة بصرى وحوران رحلتان الى جبل الدروز . وللسيد ﴿ غريغوريوس حجّار ب . م ﴾ اسقف عكّا مناشير ومقالات شتى في مجلّة المسرّة . وللسيد ﴿ يوسف الصائغ ﴾ رئيس اساقفة صور كتاب دُعاة الضلال وهو بحث انتقادي اجتماعي ثم مقالات واسعة في مجلّة المسرّة .

ولمطران اللاذقيّة السيد ﴿انطون فرج﴾ النشرات الصادقة وتعريب الرواية في ظابات القصر الشمالي والتربية الطقسيّة . والف السيد ﴿بولس ابي مراد ب . م﴾ النائب البطريركي في القدس الشريف كتاب البرهان السديد في خلود النفس

وقد اشتهر بين كتبتهم (الآباء البولسيّون) . فان مجلّتهم المسرّة طافحة بالمقالات الحسنة المتينة باقلام الآباء ﴿بولس الاشقر﴾ و﴿اندراوس الياس﴾ و﴿انطون حبيب﴾ و﴿جرجي جنن﴾ مؤلف مغالط الكتّاب ومناهج الصواب وقد فقدوا قبل سنتين الطيّب الذكر الاب ﴿بولس سيّور﴾ ذا المآثر العديدة

ولكثير من كهنتهم العالمين تآليف مشكورة . فان لحضرة الخوري ﴿ميخائيل ألوف﴾ كتاب ترجمة امّ الله البتول العظيمة . وللاكسرخوس ﴿يوحنّا الحدّاد﴾ نخبة النُخب وجداول تاريخيّة واحصائيّة نشرها في اميركا . وللخوري ﴿دانيال شريم﴾ الزنامة الدائمة . وللارشمندريت ﴿ميشال عسّاف﴾ رسائل ومكاتبات ومقالات ورحل غاية في الحسن كتبها من مصر واميركة ومن وراء عبر الاردن . وللخوري ﴿يواكيم اسطفان﴾ رواية كريستوف كولمب . وللخوري ﴿تاوفانس شارّ﴾ روايات ومقالات مختلفة في المسرّة . وفيها ايضاً كتب الارشمندريت ﴿باسيليوس خجّار﴾ والخوري ﴿جبرائيل رباط﴾ والخوري ﴿يوحنّا الهندي﴾ . ولحضرة ﴿الخوري بولس سليمان﴾ دروس ممتعة نُشرت في المشرق عن عرب البلقاء وما وراء الاردن وصف فيها احوالهم الاجتماعيّة من دين وقضاء ولغة كأنها سبيجة مؤثرة

وقد جارى فضلاء رهبانهم كهنتهم العالمين . فمن (الرهبانيّة المخلصيّة) نال السبق بتآليفه حضرة الخوري ﴿قسطنطين باشا﴾ نذكر منها بحثهُ الانتقادي في اصل الروم الملكيين . ولمحتهُ التاريخيّة في الرهبانيّة المخلصيّة وفي اعمالها في خلال الحرب وفي احوال طائفة الروم الملكيّة للطيب الذكر مكسيموس مظلوم ومحاضرتيه في تاريخ مدرسة دير المخلص تذكاراً لمئة سنة منذ تأسيسها . ومن منشوراته دفع الهمّ لايليّا الصوباوي وميامر ثاوذوروس ابي قرّة مع ترجمة ميمر منها الى الافرنسيّة وسيرة مؤلفها . وكتاب الكهنوت للقديس يوحنا فم الذهب وسيرة القديس يوحنا الدمشقي ومذكّرات تاريخيّة في ثورة الشام وحوران ولبنان في عهد ابرهيم باشا ومعالم الكتابة ومغانم الاصابة لعليّ بن شيث ونخبة من سفرة البطريرك مكاريوس الحلبي . وغرّب عن

الفرنساويّة كتاب العفّة وبهجتها ورواية فتاة الاسكندريّة هذا فضلاً عمّا نشره من المقالات في مجلّات الضياء والمشرق والمسرّة والآثار والمجمع العلميّ الدمشقي وفي بعض المجلّات الافرنسيّة

وجاراهُ في الكتابة اخوهُ في الرهبانيّة حضرة الخوري ﴿نقولا ابي هنا﴾ فمن آثار قلمهِ رواية تنصُّر الملك كلوفيس. ومنظومتهُ البديعة في وصف الحرب وويلاتها وانتصار دول الاتفاق في ٣٦٠ بيتاً تحت عنوان « وقفة بين الماضي والحاضر » ولهُ في المسرّة والمشرق وبعض الجرائد كالبشير والوطن قصائد ومقالات شتى منها في المسرّة مخمّسة في تذكار المئة الثالثة عشرة لتحرير الكنيسة على يد قسطنطين الكبير. ومنهم ايضاً الخوري ﴿بطرس ابو زيد﴾ معرّب كتاب العفاف للاب غيتون اليسوعي وناشر مقالات مختلفة في المسرّة. والارشمندريت ﴿جبرائيل نبعة﴾ صاحب رسالة مستفيضة تذكاراً للمائة الثانية لقيامة دير المخلّص. والاب ﴿الكسيوس شتوي﴾ الذي عرّب عن اليونانيّة كتاب خدمة القداس واستشهاد القديس بوليكربوس. والخوري ﴿فيليمون كاتب﴾ معرّب رواية آدم وحوّاء وناشر كتاب زجر النفس. والخوري ﴿يواكيم القرداحي﴾ مؤلف رواية تمثيليّة ادبيّة في عواقب العشق الرديئة مع بعض المقالات في المسرّة

وبين الرهبان (الروم الكاثوليك الخاويين) اشتهر بالكتاب حضرة الخوري ﴿برنردوس غصن﴾ لهُ كتاب في تربية الولد والمدرسة وحرّر نحو سنتين مجلّة صوت الحقّ فضمّنها مقالات بليغة في الدين والادب والتاريخ وفي تفنيد آراء بعض الملحدين. ولشقيقهِ الخوري ﴿اكلمنضوس غصن﴾ مقالات في تلك المجلة. وللخوري ﴿فلابيانوس كنوري﴾ لمحة تاريخيّة من مجامع الروم الكاثوليك مع مقالات اخرى في المسرّة. ونشر الارشمندريت ﴿برتلماوس صليبا﴾ مأساة الغدر ومقالات في المسرّة. وفي صوت الحقّ. وكذلك للارشمندريت ﴿الكسيوس كاتب﴾ مطبوعات تاريخيّة في طائفة الروم الملكيّة

ومن الرهبان (الروم الملكيين الحلبيين) الخوري ﴿لاونديوس كلزي﴾ نشر خطاباً للقديس باسيليوس. واثراً قديماً للقديس يوحنّا فم الذهب. والخوري ﴿دميانوس شبارخ﴾ مدير المدرسة البطريركيّة نشر عدّة مقالات في مجلّة المسرّة

نضيف الى السابقين بين الروم الاورثذكس سيادة المطران ﴿ براسيموس مسرّة﴾ مؤلف كتاب تاريخ الشتات وبعض كتب طقسيّة وجدليّة . كتب في جريدتي المحبّة والهديّة . الخوري ﴿يوحنّا حزبون﴾ اشتغل في التأليف فنشر كتباً حسنة كالطرفة الشهيّة في انتصار الانجيل على الاضاليل الوثنيّة وبهجة الفؤاد في تفسير اناجيل الآحاد في جزئين وكتاب تفسير الرسائل وكنز النفائس في اتحاد الكنائس وتاج العروس في تاريخ الشهيد جاورجيوس والرسالة البهيّة في الكرازة الانجيلية . والخوري ﴿عيسى اسعد﴾ صاحب الطرفة النقيّة من تاريخ الكنيسة المسيحيّة (راجع المشرق ٢٢ [١٩٢٤] : ٤٠١ــ٤١٢) والماسونيّة بقلم احد العارفين (كذا) . وللشمّاس ﴿ثيودورس﴾ مطلق الناصري الحمامة البيضاء في عجائب سيّدتنا العذراء . وللشمّاس ﴿توما ديبو﴾ تعريب خطبة بوسويه في ظفر الصليب وخطبة فنيلون في ظلم العالم لاهل الخير . وللارشمندريت ﴿ايليا ديب﴾ مؤسس الجلّاس بمناخر العبّاس . وللارشمندريت ﴿يوسف ابي طير﴾ خلاصة الابحاث في علم الميراث

السريان الكاثوليك

يسير في مقدّمة اكليروسهم في تعزيز الآداب غبطة بطريركهم ﴿اغناطيوس افرام الثاني الرحماني﴾ بوفرة منشوراته الجليلة في السريانيّة والعربيّة واللغات الاوربية . فمن آثار غبطته في العربيّة كتابهُ النفيس المباحث الجليّة في الليتورجيات الشرقيّة والمنارة اللبنانيّة في الطقوس والرتب والعوائد الدينيّة في الكنيسة الانطاكية وقد نشر في مجلّة الآثار الشرقية عدّة مقالات تاريخيّة واثريّة اطرأها العارفون مدارها على الممالك الاثوريّة والبطريركيّة الانطاكيّة وغيرها . وللحبر السيد ﴿غريغوريوس بطرس عبرا﴾ رئيس اساقفة دمشق تعريبهُ لتأملات الخوري هامون لكلّ ايّام السنة

امّا كهنة السريان ذوو المآثر الكتابيّة فنهم الخورفسقفوس ﴿جرجس شلحت﴾ لهُ نخبة من امثال فنيلون عرّبها نثرًا ونظماً وكتاب النجوى في الصناعة والعلم والدين ثمّ الكون والمعيد نشرهُ في مجلّة المشرق . وحبك الدراري او حسن النظام والسلوك ومديحهُ لمار افرام كنارة الروح القدس وقلادة الذهب في فرنسة والعرب والشكوى او محاورة الحكيم ومناجاة الارواح . ومنهم الخوري ﴿جرجي عبد الاحد﴾ نشر كتاب المسلك الحميد من مريم العذراء الى يسوع المجيد والكتب الكنيسيّة في

السيرة القدسية في ستة اجزاء ولهُ نشرة الاحد وهذه سنتها الرابعة لصدورها في بغداد

واغزر منها مادَّةً حضرة القس ﴿اسحق ارملة﴾ فانَّ تآليفهُ كلَّها تشهد لهُ بطول الباع في تاريخ طائفتهِ وعاداتها وطقوسها ولغتهـا مع وقوفهِ على احوال الوطن. فمن ذلك كتابهُ الزهرة الزكيَّة في البطريركيَّة السريانيَّة الانطاكيَّة واللمحة التاريخية في اديار ماردين القديمة وتاريخ السريان في القطر المصري وسياحة في طور عبدين وسلسلة بطاركة السريان وجثالقة المشرق ومقارنة السريان والطائفة السريانية والقنصلية الفرنساوية في بغداد والقصارى في نكبات النصارى. والرجعة تفنيد الردعة للراهب افرام برصوم. ثم عدَّة كتب في درس اللغة السريانية كالاصول الابتدائية في اللغة السريانيَّة وقواعد اللغة السريانيَّة ومبادئ القراءة والترجمة في اللغة السريانية ورغبة الاحداث وتراجم كثيرين من مشاهير السريان في المشرق

ومن كهنة السريان ذوي الآثار الكتابية القس ﴿روفائيل جبري﴾ ألف مختصراً من التواريخ المقدَّسة لافادة الصغار ثمَّ سُلَّم العبادة. وللقس ﴿جرجي صقَّال﴾ الردّ الصريح على تشنيع سليم جقّي القبيح. وللقس ﴿ بولس سباط ﴾ كتاب الشرع مع اوصاف مختلفة لمخطوطات مكتبتهِ الخاصَّة. ونشر القس ﴿حنَّا الرحماني﴾ رواية غفران الامير. والقس ﴿يوسف ربَّاني﴾ رواية الكونت والمركيز والدوك المحتالين. واولع القس ﴿يوسف ربَّاط﴾ بنشر العبادة لسيّدة بومباي فنشر تساعيَّتها ودليل المشتركين فيها. ونشر القس ﴿جبرائيل بخَّاش﴾ انشودة العرس في الشهباء. والخوري «جرجس ابرهمشا» نشر عدَّة مقالات في مجلة الآثار الشرقيَّة ومثله الخوري ﴿جرجس ستيته﴾. ولولا عدول الدكتور ﴿لويس صابونجي﴾ عن دينهِ لذكرناهُ هنا: وقد ذكرنا سابقاً ديوانهُ شعر النحلة. وللكاهن اليعقوبي ﴿ افرام برصوم ﴾ تاريخ دير الزعفران

الاكليروس الكلداني الكاثوليكي

للحبر الجليل ﴿بطرس عزيز﴾ مطران سلَمست تأليف مفيدة فانهُ نشر تقويماً قديماً للكنيسة الكلدانية النسطورية وردعاً للوقاحات البروتستانيَّة ومقالات لاهوتية وتاريخيَّة في مجلة المشرق. ونشر السيد ﴿يعقوب اوجين منَّا﴾ دليل الراغبين في لغة الآراميين ثمَّ صنَّف [illegible] والمروج الزهيَّة في آداب اللغة السريانيَّة (جزءان) وطبع المطران ﴿ارميا مقدسي﴾ نحو اللغة السريانيَّة للسريان والخوري ﴿باسيل بشوري﴾

نشر عدّة مقالات في نشرة الاحد ومقالة في المطهر في الشرق . وطبع القس ﴿سليمان صائغ﴾ الجزء الاوّل من تاريخ الموصل . وللقس ﴿يوسف كوكي﴾ المنتخبات الطقسية وردود على مقالات ماسونيّة . واختصر القس ﴿يوسف تفنكجي﴾ حالة الكنيسة الكلدانيّة حاضرًا وهيئتها النظاميّة . ومن كهنة الكلدان القس ﴿الفنس منجنه﴾ الذي عدل الى البروتستانيّة وقد نشر بعض الآثار الكلدانيّة والعربيّة مما ارتاب في صحته العلماء ونشر القس ﴿منصور قرياقوس﴾ المجلة الاشوريّة الكلدانيّة

الارمن الكاثوليك والاقباط

منهم الخوري ﴿ميخائيل قديد﴾ نشر حياة القديس غريغوريوس المنوّر وترجمة الكاهن الشهيد غوميداس . وعرّب حضرة الاب ﴿سوكياس جريان﴾ سنين عديدة مطبوخ الارمن . وللقس ﴿بولس قوشاقجي﴾ كتاب يوميّة المسيحي وحرّر جريدة الكلمة . وللقس ﴿كركور الارمني﴾ كتاب ليترجيّة القدّاس على حسب القطس الارمني

ومما نعرفهُ ﴿للكهنة الاقباط﴾ متفرّقات في المذهب البروتستاني وتاريخهم . وفي السلطة اليابويّة للخوري ﴿اثناسيوس سبع الليل﴾ . وردّ الثلثة والاربعين سهم في نحر البترامبوسي العليل بالجدال والوهم المنشور ﴿فرنسيس قزمان﴾ . فترى من هذا الجدول الطويل ما للاكليروس الشرقيّ الكاثوليكي من الخدم الجليلة التي يؤدّيها للغة العربية بمنشوراته العديدة في كل فنون الكتابة . فلا يُنكر انهُ من انصار لغتنا في كل انحاء الشام ومصر والعراق والجزيرة (لها بقيّة)

ثلاث براءات للبابا بنادیکتوس الرابع عشر

بخصوص المجمع اللبناني

توطئة

لنا بين مخطوطات مكتبتنا الشرقية نسخة قديمة من اعمال المجمع اللبناني مكتوبة بخط جميل بحبرين اسود للمتن واحمر للفصول وهو مجلّد بجلد احمر متين منقوش على وجهيه . طولهُ ٣٠ سنتمترًا في عرض ٢٠ يبلغ عدد صفحاته ٢٦٨ صفحة وفي كلّ صفحة ٢١ سطرًا . وتاريخ النسخة كما يُروى في آخرها في ١٠ تموز سنة ١٧٣٦ كتبها القس بطرس الدويهي الحالي اروني برسم حضره الشماس الياس ولد سليمان الحصروني الماروني . وكانت النسخة في خزانة

عبدالله ولد جبرائيل دلّال. فلمّا بيعت هذه المكتبة في بيروت سنة ١٩٠٧ امكننا ابتياعها لمكتبتنا الشرقيّة

امّا مضمون الكتاب فانهُ يحتوي على اعمال المجمع اللبناني على حسب ما دوّنهُ السيد السمعاني في النصّ العربي الذي طُبع في مطبعة مار يوحنّا الصائغ في الشوير سنة ١٧٨٨. وهذه الطبعة العربيّة لم يصدّق عليها الكرسي الرسولي. وانّما صدّق على طبعة اخرى طُبعت في رومية باللاتينيّة سنة ١٨٣٠ وبين الروايتين عدّة فروق بيّنها حضرة المنسيور جرجس منش في كتابهِ الذي نشرهُ سنة ١٩٢٥ في المطبعة المارونية في حلب تحت عنوان الحقّ القانوني عند الموارنة. فاستدراكًا لهذه الاختلافات اعاد الطيب الذكر المطران يوسف النجم نظرهُ في النسخة اللاتينية الاصلية المثبتة من المجمع المقدّس فنقل عنها ترجمتهُ الجديدة التي طبعت سنة ١٩٠٠ في مطبعة الارز في جونية. وفي ختام الكتاب براءة تثبيت المجمع اللبناني التي اصدرها البابا بنديكتوس الرابع عشر في رومية في اوّل ايلول سنة ١٧٤١

ولقداسة البابا المذكور ثلث براءات أُخرى لم تُنشر حتى اليوم بالطبع عربيًا تختصّ ايضًا بالمجمع اللبناني وانّما نشر منها حضرة الاباتي طوبيا العنيسي في اللاتينيّة براءة واحدة نقلًا عن مطبوعات مجمع انتشار الايمان مع دلالتهِ عليها بالغلط. وها نحن نروي هنا هذه البراءات الثلاث لاوّل مرّة في العربيّة نقلًا عن النسخة الخطّية التي وصفناها آنفًا (ص ٤٥٣-٤٦٨) ننشرها بحرفها الواحد دون اصلاح نصوصها. والمرجّح عندنا انّ معرّبها هو السيد يوسف شمعون السمعاني هينهُ ل. ش

١ براءة قدس الحبر الاعظم الكلّي النبطة (١

في تثبيت بعض قضايا خصوصيّة من المجمع اللبناني

البابا بنديكتوس الرابع عشر

للذكر الخالد

انّ الاحبار الرومانيّين سلفاءنا نيّاب يسوع المسيح رأس الرعاة على الارض المتقلّدون نحن نيابتهُ السامية بغير استحقاقنا قد تفاضلوا بالغاية باهتمامهم واعتنائهم الرسولي وسعيهم الدايم في خلاص المؤمنين الابدي لانهم مع جملة ما فرضوه بكل حكمة وحفظوه بكل تدقيق ليفيدوا افادة ملائمة وناجحة الانفس المفتدية بدم

1) Cfr. Tomia Anassi: Bullarium Maronitarum, p. 266-278

السيد المسيح فقد اجتهدوا ايضاً اجتهاداً كلياً واهتموا وثبتوا وحكموا تحت ملامات وعقوبات قانونيَّة : ١ً ان رعاة الكنايس المؤتمنين على خلاص الاغنام لا يسلكوا بمنزلة أجراء بل يحترسوا بجميع الرعيَّة التي اقامهم فيها روح القدس اساقفة ليرعوا بيعة الله ساهرين وجالسين في كنايسهم . ٢ً ان يُرفع بالكليَّة عن الرتبة الكنايسيَّة كل شكّ ولو يسيراً من البخل وكل شبه إثم السيمونيا خاصةً في تلك الامور التي تخص توزيع الاسرار

ولعمري ان من قِبَل سيامة الاساقفة تُدعى عهد خطبةٍ روحية ما بين الاسقف والكنيسة المتولي عليها ابتداؤها في انتخابهم ، وعَقْدُها في اثباتهم ، وتمامها في رسامتهم ، بنوع ان الانتقال من كنيسة الى غيرها بغير سبب شرعي ثقيل داعٍ الى ذلك قد حُسب من الآبا القديسين شبه فسق روحي نهوا عنهُ بمقاصّات شديدة جداً برسوم القوانين المقدَّسة

ومثل ذلك لكي تتوزع الاسرار بغير اثم السيمونيا وبغير شكّ البخل نهوا عن ان يؤخذ او يُطلَب شيء فيما يتعلَّق بالاسرار ظاهراً ومضمراً سواء كان لعلَّة القوت او لغيرها من العوايد ولو أُعطي من ذات الخاطر بمنزلة التقدُّمات الارادية المعتادة ان تتقدَّم في قديم الزمان . فلأجل ذلك نحن نصف بمدايح رسولية الاخوة الاكرمين يوسف بطرس البطريرك الانطاكي(١ ورؤسا كهنة الطايفة المارونية وبقيَّة الاتفار الذين حضروا في المجمع البلدي المنادى بهِ والمعقود من الطايفة المذكورة باسرها بقوة السلطان الرسولي الممنوح من سالفنا البابا اكليمندوس الثاني عشر السعيد الذكر الذي لاجل هذه الغاية كان ارسل الى جبل لبنان الولد العزيز المعلّم يوسف شمعون السمعاني المناظر في دعاوي ديواننا والمتقدّم في بلاطنا والاخص في قلّايتنا . ونحن بسلطاننا الرسولي اثبتنا وأيدنا المجمع المذكور ببراءة غير هذه محرَّرة في اوَّل يوم من شهر ايلول سنة ١٧٤١ الماضية كما يبان مصرّحاً في نصّ تلك البراءة كأنها مسطَّرة ههنا حرفاً فحرفاً

فاتَّخذوا لذواتهم بطاركة الوقت الموارنة الانطاكيون شبهاً من حق شرعي ألّا

١) هو السيد البطريرك يوسف ضرغام الخازن الذي دبّر الكرسي الانطاكي على طائفتهِ من ٢٤ شباط ١٧٣٣ الى سنة وفاتهِ في ١٣ ايار ١٧٤٢ وفي عهدهِ عُقد المجمع اللبناني سنة ١٧٣٦

انهُ غير مستند على شيء من الاعتادات القانونيَّة بل انهُ دارج عندهم على سبيل عادة قديمة او من قبل سلطانهم الخصوصي او بنوع آخر وهو: (اولاً) ان يولّوا كما يتحسَّن برأيهم على الكنايس الكاينة في رعايا كسروان وجبل لبنان بمنزلة نوّاب لهم الاساقفة المرسومين على كنايس أخر لا يمكنهم الجلوس فيها لتدبير رعاياهم لسبب ظلم الغير المؤمنين وذلك من غير ان يتركوا الكنايس التي ارتسموا على اسمها . (ثانياً) انهم يقتضون ويستوفون دراهم تقدُّمات او غيرها بزعمهم انهُ ضروري لمعاشهم وقيام درجتهم البطريركيَّة لعدم وجود مداخيل كافية وذلك في زمان ومحلّ توزيع الزيوت المقدسة

امَّا الابا الملتئمون في المجمع المذكور فقد ابطلوا بقانونين هذه الحقوق المشتبهة لعدم استنادها على حق شرعي . لا بل انها مرذولة من القوانين المقدسة وقد وقع عليها البحث والفحص بين جملة قضايا غيرها في مجمع خصوصي معيَّن بامرنا لاجل تثبيت المجمع المذكور ومعقود امامنا بحضور البعض من اخوتنا الاكرمين كردينالية الكنيسة الرومانية المقدسة المتوكلين على قضايا انتشار الايمان المقدس وفيه انعرض امر القانونين المذكورين: (اولهما) هل القانون الناهي البطريرك عن طلب مهما كان عند توزيع الزيوت المقدسة على خوارنة الرعايا يجب قبوله واثباته ؟ (ثانيهما) هل القانون في جلوس الاساقفة الموارنة في كراسي الكنايس المرسومين على اسمها يجب اثباته ؟ . وما الرأي عن المزيد في آخر كتاب السينودس في الفصل الحادي والاربعين المحرَّرة فيه قسمة كراسي الاساقفة الموارنة وحدود رعاياهم وعدد اساقفتهم بنوع ان لا يستطيعوا ان يُرفعوا عنها من البطريرك؟ وهذه صورة المحدود في الفصل الحادي والاربعين المقدم ذكره عن كراسي وحدود الطارنة والاساقفة الموارنة

«ان البطريرك الانطاكي المتولّي على طايفة الموارنة باسرها كرسيُّهُ في جبل لبنان في دير قنوبين وتحت يده الطارنة والاساقفة كما يأتي: ١ً صور . ٢ً دمشق . ٣ً قبرس . ٤ً حلب . ٥ً بيروت . ٦ً طرابلس . ٧ً بترون . ٨ً عكّا . ٩ً لاذقية . ١٠ً حماة . ١١ً عرقا . ١٢ً لوسطرا اي جبيل(١ . ١٣ً اهدن . ١٤ً صارفية صيدا . ١٥ً بانياس . ١٦ً نابلس»

١) لا نعلم انَّ جبيل دُعيت في التاريخ باسم لوسطرا التي هي من مدن تقلاغونية

«اما في المجمع اللبناني في اليوم الثلثين من شهر ايلول سنة ١٧٣٦ فقد رسمت الاباء ان تحصر كراسي الموارنة فيما سيأتي الى ثمانية فقط الا انهُ يبقى للسيد البطريرك الكلي الاحترام سلطان على رسامة بعض مطارين بغير رعايا. والكراسي الثمانية هي هذه: ١ً حلب او برُوا وما يليها. ٢ً طرابلس ويمتد حكم مطرانها من طرابلس والزوايد الى عرقا وبانياس ورواد وطرطوس وجبلة ولاذقية الى حدود حلب. ٣ً جبيل وبترون ويمتد سلطان مطرانها الى رعايا جبيل وبترون والعاقوره ودير الاحمر وجبعة بشري. ٤ً بعلبك وهي مدينة الشمس ويمتد حكم مطرانها الى بعلبك والفتوح في حدود بلاد جبيل ونصف قاطع غزير. ورأسُ هذا القاطع غوسطا وغزير. ٥ً مطران دمشق ويمتد سلطان مطرانها الى رعية دمشق وقاطع غزير الآخر ورأسهُ عجلتون ويحوي ايضاً بكنتا وزوق الخراب وزبوغا. ٦ً قبرس ويحكم مطرانها على كل قرى جزيرة قبرس وله تحت حكمه في بلاد كسروان بكفيا وبيت شباب والضيع اللايذة حتى الى جسر بيروت. ٧ً بيروت ويمتد حكم مطرانها من بيروت الى المتن والجرد والغرب والشحار والمتن حتى جسر القاضي وهو الدامور. ٨ً صور وصيدا ويتولى مطرانها على صور وصيدا وقراها ثم الى الشوف والبقاع ووادي التيم وما يليها من نهر الدامور حتى الى مدينة القدس الشريف

«نحن المدونة اسماؤنا بذيلهِ قد قبلنا قسمة الرعايا المذكورة تحريراً في مجمعنا في دير سيدة لويزه في اليوم الثلثين من ايلول سنة ١٧٣٦ مسيحيَّة

يوسف بطرس البطريرك الانطاكي

المطران جبرائيل مطران صارفية صيدا. سمعان مطران الشام. عبدالله مطران بيروت. الياس مطران عرقا. باسيليوس مطران طرابلس. قيلبوس مطران لوسطرا. اسطفانوس مطران بترون. جبرائيل مطران عكا. يوحنا مطران لاذقية. اغناتيوس مطران صور. جبرائيل مطران حلب. ميخائيل مطران بانياس. طوبيا مطران قبرس»

فكان الجواب على (القضية الاولى) ان القانون واجب اثباتهِ وان قدسه يرسم بالتعيين للسيد البطريرك بنوع اخر. والجواب على القضية (الثانية) انهُ يجب اثبات

القانون في جلوس الاساقفة في كراسيهم وان قدسه يرسم ما يراه بما يحويه الفصل الحادي والاربعين عن كراسي وحدود الاساقفة والمطارنة الموارنة

اذاً نحن الذين لا نرغب شيئاً اكثر رغبة من ان يزيد اثباتاً في كل العالم الكاثوليكي التهذيبُ الكنايسي حيث هو محفوظ سالماً ويصلح اصلاحاً موافقاً حيث هو ساقط لنسلك في امور هكذا مهمة بالشور الشافي والفحص الكافي قد وكلنا اخانا المكرَّم فينشنسيوس بيترا كردينال الكنيسة الرومانية المقدسة رئيس مجمع انتشار الايمان المقدس على ان يتفاوض اولاً مع الذين قابلوا السينودوس المذكور ومع انفار آخرين مختبرين احوال الموارنة مفاوضة متدققة عن الامور المقدم ذكرها وبعد ذلك يراجعنا . امّا الكردينال فينشنسيوس اخونا المكرم المذكور قد سمع رأي الذين قابلوا السينودوس وغيرهم المختبرين احوال الموارنة كما مرّ وقابل ما هو محرر بهذا الصدد في رزنامة (رزنامة) مجمع انتشار الايمان المقدس ، ثم اخبرنا ان مهما يعطى من الدراهم وغيره في وقت توزيع الزيوت المقدسة هو حقاً من اصله تقدمت دراهم واشياء غيرها لازمة ومفروضة لاجل اقامة أود بطاركة الوقت ومعاشهم ووظيفتهم البطريركية، وان جلوس الاساقفة الموارنة في كنائسهم وقسمة كراسيهم وحدود رعاياهم وحصرها كما في اعلاها هي ضرورية ومفيدة وخلاصية على سائر الوجوه

فلاجل ذلك نحن الذين نحتضن بمحبة رسولية الطائفة المارونية الشريفة الثابتة دائماً في الامانة الكاثوليكية الرومانية مع انها محاطة من كل جانب من الاراتنة والمشاقين والغير المؤمنين كالوردة بين الشوك وكالصخرة بين الامواج . ومن قِبَل ثباتها هذا نعتبرها اعتباراً فائقاً مثل ما اعتبرها بالغاية الاحبار الرومانيون سلفاؤنا

فمن ذات خاطرنا ومن باب علم اكيد وعزم شافي وبكمال سلطاننا الرسولي وبقوة هذه البراءة نثبت اولاً القانونين المذكورين اعلاه ومهما يُحتوَى بهما وفي الزيادة المذكورة ونؤيدها بقوة الثبات الرسولي المؤبد . ونحكم ونأمر انها تُحفظ كما سيأتي مؤبداً . ثم نشرع عن البطريرك الكاين حالاً وسلفايه وكل من أعطى او اخذ تقدمات الدراهم وغيرها وزعم انها أعطيت او واجب ان تُعطى وانها أخذت او واجب ان تؤخذ لاجل توزيع الزيوت المقدسة انهم خالين من كل اثم السيمونيا والبخل والشح المرذول ، ولا يجوز ولا يليق باحد ان يتجاسر ويتقحم ويدعوهم فيما بعد متمسكين

في السيمونيا والشحّ جملة كافية

ثم لئلّا ينقص عن البطريرك الحاضر وعن خلفائه الماش والاسماف كما مرّ فنرسم وان لزم الامر نحكم ونأمر جميع خوارنة الكنائس ورؤسا الديورة جملةً وافرادًا في الطائفة المارونيـة ان كل فردٍ من الخوارنة والرؤسا المذكورين بموجب التعيين والارشاد المفروض من مجمع انتشار الايمان والمضاف الى براءتنا هذه اللازم من كل بدّ حفظها بقوة الطاعة المقدسة وتحت عقوبات تُفرَض على خاطر الكرسي الرسولي وبطرك الوقت انهم كلّ عام في يوم الاحد التابع عيد انتقال الطوبانيـة مريم البتول الكلي طهرها الى السماء ابتداء من هذه السنة سنـة الف وسبعمائة واثنين واربعين مسيحية الى الابد يعطوا ويقوا البطرك تقدمات الدراهم المذكورة باسم حسَنة اسمافية ويوردوا للبطريرك دفتر حال الانفس المؤتمنين على رعايتهم بموجب رسم وفريضـة السينودوس المذكور ويأخذوا من البطريرك رسائل ارشادية او رعاوية كالعادة كما كان يصير سابقاً عند توزيع الزيوت المقدسة . اما بطرك الوقت ففي غير زمان موافق يرسل او يوزع الزيوت المقدسة مجاناً على سائر الوجوه ولايقتبل ولا يقتضي شيئاً اصلاً . لا من دراهم ولا من شيء آخر ولو وُهب له من احدٍ من ذات خاطره

ثم من ذات خاطرنا وعلمنا وسلطاننا الرسولي نرسم ونشرع عن عدد الكراسي والاساقفة الموارنة ورعاياهم انهُ يجب ان يُحصَر الى سبعة كراسي فقط ما عدا كرسي البطريرك الذي هو راس الكراسي ويطبّق الكرسي الثامن بالعـدد كما هو محرر في الفصل الحادي والاربعين المذكور اعـلاه بتعيين الرعايا والقرى والكنائس والـديارة المدونة في حدوده ، ونحن ان لزم الامر نجعله جديدًا ونحصره الى العـدد والتعيين المذكور ونحكم ونحدّ انه قد جُعل والحصر كما مرّ ، ثم نريد ونأمر ان بعد تتميم هذا الحصر في وقته كما سيأتي في هذه الثمان رعايا المتميزة المفترقة عن بعضها بعض يكون بطرك الوقت معيناً ثابتاً في كرسيه راس الكراسي الذي انتخبه له وبعد انتخابه اياه نحكم ونرسم انهُ لا يجوز ولا البطاركة خلفائه ان يبدله ابدًا ، وان كل واحد من الاساقفة يكون ثابتاً معيَّناً في كرسيه الى الابد بنوع انه لا يقدر بطرك الوقت ان يرفعه قط عن كرسيه على خاطره الّا بنعمه القانوني عن كرسيه بسبب زلّات ثقيلة جدًّا بحفظ النظام الشرعي او بنقله الشرعي من رعية الى رعية غيرها بموجب رسوم القوانين

المقدسة ونظام الشرع العام

ثم ان البطريرك القائم الآن ومَن يخلفه لهُ حق أن يرسم ويعيّن على كل كرسي ورعية خالية من راعي اساقفة كالعادة لا بنوع اخر ، وانه كل ثلث سنين يزور بذاته كل واحدة من الرعايا ويجمع منها العشور المعتادة لكن بابقاء عشر العشور لكل اسقف في رعيته وان يجمع حق التحليلات المختصة بالبطريرك ويستوفي ويأخذ الاوقاف الموقوفة له وللرعية المذكورة المعينة كرسياً للبطريرك وان يعين لاجل جميع ما ذكرنا واحداً او اكثر من الوكلاء في الرعايا المذكورة . وان يكرّس الزيوت المقدسة ويوزّعها في كل واحدة من الرعايا السبعة دون غيره ويرسلها كما قد رُسم سابقاً لا بنوع اخر . امّا اذا كانت لبطرك الوقت حقوق غير هذه محفوظة له وواجبة تحق لهُ من باب شرعي او عادة ولم نورد ذكرها في براءتنا هذه . فنحن لا نريد ولا نقصد انه يعدمها او يفقدها

اخيراً لكي يكمل حصرُ كراسي الاساقفة عن ثلثة عشر الى سبعة كراسي ما عدا الكرسي البطريركي بموجب ما هو محرر في الفصل الحادي والاربعين المذكور اعلاه ويتم بالفعل الواجب بنظام المحبة والعناية الحميدة نريد ونأمر ان اساقفة الموارنة العايشين في كسروان الذين عددهم احد عشر بعد وفاة اثنين منهم بعد الحصر المذكور الذين هم بمنزلة نوّاب وقصّاد البطريرك يكونوا كما كانوا سابقاً بمنزلة نوّاب لهُ ويتغيرون على خاطره الى ان يبقوا سبعة اساقفة بالعدد عايشين وفي ذلك الوقت لا قبله يبتدئ حصر كراسي الاساقفة الى سبعة كما مرّ ، وبطرك الوقت حينئذٍ ينتخب له الكرسي البطريركي ثم يولي ويعين لكل واحد من السبعة اساقفة رعيّتهُ وكرسيّهُ كما يتحسن لخاطره لكن بموجب شرايع الفطنة والمحبة وذلك بنوع ان هذا التعيين يعود مؤبداً وكل اسقف يعود ويحسب متولياً ومعيناً الى الابد على الكرسي والرعية المعينة لهُ

ونحكم ان براءتنا هذه ومهما تحويه لا تعدم قوتها الصورية الجوهرية ولا تقع تحت الارتياب او حدود الشريعة لاجل أيّة علة كانت او حجة او عذر او تصنيع او حيلة في اي زمان كان ولا تُحسَب انها صارت باختلاس او بالخديعة ولو لم يرضوا بها ولا دُعيوا او انسمع لهم الذين يحق لهم ذلك من باب اختصاصهم والذين لهم تداخل فيما مرّ باي مقام ورتبة وشرف ودرجة كانوا واستحقّوا ان يُذكروا ذكراً مخصصاً .

لكن نحكم ان براءتنا هذه تكون ثابتة مؤيدة مشيدة ابداً دائماً وفعلها يكون نافذاً بالكمال والتمام وكل من يخصه ذلك الان وفي الزمان الاتي يلزمه حفظها بالتمام

نأمر بان يمتثل حكمنا هذا ويشرع بموجبه كافة القضاة الذين يحق لهم القضاء من باب الوظيفة اوالنيابة عن غيرهم ولو كانوا قضاة بلاطنا الرسولي او كردينالية الكنيسة المقدسة او قضادها من طرفنا او مراسيل هذا الكرسي الرسولي او متدرجين باية درجة كانت او حايزين اي سلطان كان. ولا نسمح لاحدٍ منهم ان يحكم او يشرع بخلاف ما ذكرناه، ومن تعدى ذلك وحكم او فسّر بعلمٍ او بغير علمٍ ضدّ مرادنا هذا باية رتبة ووظيفة كان فليكن فعله فارغاً باطلاً. ولا تُنافي ذلك كله الرسومُ والفرايض الرسولية والمبروزة في المجامع العامة والبلدية عموماً وخصوصاً ولا الرسومُ المشيدة بقسَم او تثبيت رسولي ولا العوايد والاختصاصات والانعام والبراءات الرسولية المرسولة الى الطايفة المارونية باسرها او الى البطريرك والاساقفة والشعب الماروني باي نص كانت ولو تضمنت معاني والفاظاً مبطلة لخلافها مشددة بالغاية ومنظومة بشرح غير معتاد وكلام ناسخ القضايا الناسخة وفتاوى أُخر نوعاً وفرداً وكيفما كانت ممنوحة ضدًّا لما ذكرناه ومثبتة تكراراً او مثبتة من جديد، فهذه الاشيا كلها مع كافة الامور المضادة لهذا المنشور نبطلها الان وننسخها صراحاً، وخاصةً ليتم فعل ما اتينا بذكره انفاً لا غير ولو دعت الضرورة انها تورَد ههنا حرفاً فحرفاً وكلمة فكلمة الّا انها تكون ثابتة سالمة في باقي الامور دون هذا المحل فقط، ثم ولا ينافي امرنا مهما كان مخالفاً له

ونريد ايضاً ان كل نسخة منقولة عنها خطاً او طبعاً باللغة اللاتينية او السريانية او العربية تكون مقبولة مصدَّقة في كل مكان شرعاً وخارجاً عن الشرع كانها النسخة الاصلية بعد انها تتحرر بخط احد المسجلين المشتهرين وتُختم بختم احد المرتقيين بالمراتب الكنايسية

حُرّر في رومية حذاء كنيسة سيدتنا مريم المعروفة بالكبرى تحت ختم الصيّاد في اليوم الرابع عشر من شهر شباط سنة الف وسبعماية واثنين واربعين مسيحية، وهي السنة الثانية من حبريتنا

الكردينال دومينيكوس بسيانوس الكاتب

٢ براءة الحبر الاعظم

الى البطريرك ماري يوسف الانطاكي على الملّة المارونية

البابا بناديكتوس الرابع عشر

ايها الاخ الاكرم يوسف البطريرك الانطاكي

ايها الاخ المحترم نمنحك السلام والبركة الرسولية ، وبعده نعلمك انهُ قبل الان لم يُرسل اليك جواب مكاتيب اخوتك التي منذ سنتين وردَتْ الى رومية الموجّهة منك الى سالفنا اكليمندوس الثاني عشر ذو الذكر الصالح وبها تطلب منه ان يثبت ويقوّي بسلطان الكرسي الرسولي الاعظم المجمع البلدي الذي التأم حديثاً عندكم لملّتكم المارونية . فهذه المكاتيب مع انها حالاً تسلّمت الى مجمع حضرة اخواننا كردينالية الكنيسة الرومانية الاكرمين المهتمين بانتشار الايمان المقدس ليسبقوا بشورهم حكم الحبر الاعظم واعطاء رأيهم لهُ عن مطاوبكم فالتزموا ان يُمهلوا هذا الغرض لانهم كانوا مهتمين باغراض اثقل وهي انتخاب الحبر الاعظم ، وهذا الامر قد طال مدةً ، ثم من بعد ذلك دعانا رئيس الرعاة الازلي بالهامهِ تعالى وبتدبيرهِ الالهي الى رعاية رعيتهِ العامة مع اننا غير مستحقين وكنا غير مفتكرين بذلك

فمن ثمَّ وضعنا في بالنا قضاء اغراضكم لتتحققوا عظم انحنائنا نحو شعبكم لان ثباتكم الغير المغلوب في الايمان الكاثوليكي واهتمامكم الفريد في طاعة الكنيسة الرومانية صيّرنا ان نعتبركم كثيراً ونودّكم بالغاية ، ولذلك لكيلا يصير عائق ما في قضاء اغراضكم هذه امرنا حضرة كردينالية المجمع المشار اليه ان يكون اجتماعهم عن اغراضكم امامنا . وبشورهم ايّدنا مجمعكم براينا الحبروي واثبتناه كما تطّلع على ذلك جلياً من براءتنا المحرَّرة في اول ايلول التي تتسلمها مع هذهِ البطاقة . ومن حيث اننا في ذلك الوقت التزمنا ان نترك بعض اشياء بغير حكم لاجل صعوبتها فلأجل ذلك وكلّنا حضرة اخينا الاكرم الكردينال بيترا رئيس المجمع المقدس المقدم

ذكره ان يقضيها عاجلاً بكل سرعة . فالكردينال المذكور حسب حداقته الفائقة باجتهاد كلي بعد ان سمع لقاصدك الخوري الياس سعد واستشار المطران جبرائيل حرّا الماروني مطران قبرس المختبر بالغاية اموركم واستشار ايضاً المنسنيور يوسف السمعاني احد خدام بلاطنا الذي أرسل حديثاً من اكليمندوس الثاني عشر ذي الذكر الصالح لاجل التمام بجمعكم هذا قد اجلى بنوع زايد واوضح ذلك الشيء الذي تبيّن له مناسباً ومهيأ لافادة شعبك العامة ولرفع جميع الخصومات

ونحن ايضاً تنازلنا حالاً الى رأيه وحللنا الصعوبات التي كانت باقية بالنوع الذي تراه مدوّناً في براءتنا الثانية الواصلة اليك مع بطاقتنا هذه . وحينئذٍ من هذه البراءة تتحقّق انّنا حفظنا سلطانك ورياستك واننا ايضاً سعينا بسلامة وهدوّ جمهور طائفتك وفي شرف ونمو العبادة والسيرة الكنايسية ، فهذا جميعه باهتمام خاص نزيد انهُ على الدوام يزهر وينمو في الملة المارونية الكلية العبادة نحو الكرسي الروماني المستحقة رضانا . فالان يخصك ايها الاكرم المتقدم على الجميع ليس بسلطان رياستك فقط بل وفي مثال فضايلك ايضاً ان تزيد بتدبيرك اهتمامنا وتجتهد بكل حرص في فرائض المجمع المثبتة منّا بانها قط لا تُقلَع من عاصف ما مضادّ وان لا يتباعد قط السلام المختص في بني الايمان الحقيقي من بني ملتك المتدرجين في الجندية الكنايسية باي درجة ووظيفة كانت

ثم اجتهد ايضاً اجتهاداً كلياً في ان الاساقفة الموارنة يكونوا خاضعين لامرك ويجتهدوا اجتهاداً كلياً حادقاً بان يتماثلوا بك وبوداعتك الرياسية ويقتدوا باطباعك اللذيذة كما نحن نوصيهم بذلك في براءتنا الموجهة اليهم التي هي واصلة اليك مفتوحة لترسلها أخرتك اليهم لتفهم من ذلك عظم اعتبارنا لك ومقدار املنا فيك

وينبغي انك تحذر من ان اذا حلّ خصومة ما فيما بين مطارينك لا تُؤخذ الى حكم الحكام الغير مومنين المجاورين لكم كما قد بلغنا ان البعض التجأوا اليهم بغير خجل ولا استحياء وطلبوا معونتهم واهملوا وصية الرسول المتهدد القورنتيين في رسالته الاولى (٦:٦ــ١٠) بصرامة كلية يوبخهم ويبكتهم على هذه العادة الردية

فنرجو انك تدبر باجتهاد كلي وتصلح هذه الاشياء وكل امر اخر لازم لحفظ شعبك وارشاده ، لاننا نامرن تيقظك واهتمامك السامي في رعاية الرعية التي انت

موتمن عليها. ثم اننا عارفون ايضاً حسن اخلاقك وشرف اصالك وفضائلك وعملك الحسن الذي به تقود شعبك وترشد خرافك في طريق الخلاص، ولاجل هذه الغاية قد طلبتَ التئام هذا المجمع المذكور واجتهدت ان تحصل منهُ اثماراً كثيرة وطلبت منّا متوسلاً ان نثبت قوانينه وفرائضه بحكمنا الرسولي، ولانها تفاضلت استحقاقاتك بما ذكرنا فيكون محققاً عندك انك حصلت على رضانا ونعمتنا، ولكي تتوكد ذلك نرغب انك تفهمه شفاهاً من ولدنا العزيز الخوري الياس سعد قاصدك الذي مكث زماناً طويلاً في رومية وارضى بالعناية لنا ولحضرة اخوتنا الكردينالية المتوكلون على مجمع انتشار الايمان المقدس بحسن اخلاقه وعبادة سيرته الحميدة وحذاقته المتهذبة في قضاء اغراضك. واخيراً نمنحك ايها الاخ الاكرم البركة الرسولية بكل ودّ لك ولسائر طايفتك المارونية المحبوبة منّا

حُرر في رومية حذاء كنيسة القديسة مريم المعروفة بالكبرى تحت ختم الصيّاد في اليوم التاسع عشر من شهر شباط سنة الف وسبعماية واثنتين واربعين ربانية، وهي السنة الثانية من حبريتنا

يوحنا فينشنسيوس
لوكاسيني الكاتب

٣ براءة الحبر الاعظم

الى اساقفة ومطارنة الملّة المارونيّة

بناديكتوس البابا الرابع عشر

الى مطارنة واساقفة الملة المارونية

ايها الاخوة الاكرمون نمنحكم السلام والبركة الرسولية، وبعدهُ نعلمكم اننا قد سألنا الى ولدنا العزيز الخوري الياس سعد الراجع الى عند أخوّتكم بعد تتميم

اغراض قصادته براءتنا هذه التي تتسلمونها من ايدي حضرة بطركم . ومن نحواها تتحققوا اننا بحلم فهمنا من مكاتيبكم المسضاة منذ سنتين الموجهة الى سالفنا اكليمندوس الثاني عشر ذي الذكر الصالح اهتمامكم الفائق وطاعتكم المخلصة نحو راعي الكنيسة الاعظم ، وانكم برأيه ترغبون ان ترشدوا وتدبروا الشعب الموقن لاهتمامكم

فحقاً انكم قد حصلتم على رضانا ونعمة منا ليست بيسيرة لاجل ارادتكم هذه الكلية بالخضوع لاننا نشاء ان نضع تحت الحماية الرسولية كل ما تستصوبونه ممكناً ان يأول الى راحتكم وافادة شعبكم ، وهذا خاطرنا ورضانا اذ نحن مفكرون ومتأملون في ثباتكم وثبات شعبكم الغير المغلوب في الايمان الكاثوليكي ولو كنتم متجربين من مكامن الاسلام والمشاقين . فنحن لكي نقوي بنوع زايد ونثبت ثباتكم المذكور قد ثبتنا وقبلنا الفرائض والشرائع المحتوية في مجمعكم البلدي الحديث التي بها تزهر بزيادة عبادة الله الحقيقية وتنمو يوماً فيوماً السيرة الكنايسية عند الشعب الاروني المحبوب بالغاية من الكرسي الروماني ، فحينئذٍ بقي لازم جداً اهتمامكم في ان تكملوا بالعمل وتحترسوا على تتميم ما نحن نوصيكم به في براءتنا هذه

وليكن اجتهادكم (اولاً) في ان تخضعوا الخضوع الكلي لحضرة اخينا يوسف بطرس البطريرك المحترم وتنقادوا الى حكمه وسلطانه وتدبروا رعاياكم بشوره ، وليكن محققاً عندكم ان المذكور يعاملكم بحلم مختص بالرعاة وبود لذيذ كما نحن اوصيناه . وليكن اهتمامكم (ثانياً) في ان تحترسوا على رفع جميع الخصومات واختلافات الاراء الواقعة ما بينكم وبهذا النوع ترتفع الخصومات بالكلية وتكونوا مرتبطين بالحب الخالص مع بعضكم بعض لكي هكذا ينتشر ايماننا المقدس ويلمع بنوع عجيب تجاه اعين المشاقين . ثم ليكن اهتمامكم (ثالثاً) في انهُ يجب بل يلزم ان تجدُّوا في ان تطرحوا عنكم تلك العادة الردية اعني الالتجاء الى الحكام غير المومنين ليتداخلوا بها كما بلغنا انهُ قد جرى ذلك من بعضكم مراراً خلواً من خجل واستحياء . ونحن متعجبون غاية التعجب كيف انكم نسيتم بولس الرسول الذي بحرارة زائدة يمقت هذا الشحّ الشنيع في رسالته الاولى الى القورنتيين فمن ثمّ نزجر في ديانتكم وفي

طاعتكم الخاضعة للكرسي الرسولي انكم حالاً تطيعون نصائحنا هذه الابوية وهكذا تستطيعون ان تؤملوا بحلمنا الحبروي، ونحن نمنحكم عربون البركة الرسولية التي نمنحها بودّ مخلص الى اخوتكم

حُرّر في رومية بحذاء كنيسة القديسة مريم المعروفة بالكبرى تحت ختم الصيّاد في اليوم التاسع عشر من شهر شباط سنة الف وسبعماية واثنين واربعين مسيحية، وهي السنة الثانية من حبريتنا

يوحنا فينشنسيوس لوكاسيني الكاتب

شعراء النصرانية بعد الاسلام

شعراء القرون المتأخرة مباشرة بالقرن الرابع عشر

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

١١ طيمثاوس كرنوك

هو ايضاً احد الرجلين الذين اشتهروا في القرن السابع عشر. وقصّتهُ غريبة رواها جناب الفيكنت فيليب دي طرّزي في كتابهِ السلاسل التاريخيّة في اساقفة الابرشيّات السريانيّة (ص ٣٠ــ٣٢). هو حُبَيلي بن ضعفي كرنوك المولود في ديار بكر في اواسط القرن السابع عشر وكان من ملّة اليعاقبة. ولمّا اقام الطيب الذكر يوسف الثاني بطريرك الكلدان الكاثوليك كرسيّهُ في مدينة آمد (ديار بكر) تقرّب اليهِ وطلب اليهِ ان يسقّفه على ابناء ملّتهِ السريانيّة في ماردين ليردّها الى الكثلكة فخُدع بهِ البطريرك يوسف وسقّفهُ ولعلّهُ كان يجهل انّ السريان الكاثوليك كانوا اقاموا امام بطريركاً شرعياً اندراوس اخيجان فاء السيّد اخيجان تسقيفهُ ومنعهُ عن

التصرُّف بدرجتهِ فهرب خُفيةً الى اوربَّة وكان قد اخذ في رسامتهِ اسم طيمثاوس . فكان وصولهُ الى رومية سنة ١٦٧٢ فدرس في مدرسة انتشار الايمان مدَّة ثمَّ اخذ يتجوَّل في انحاء اوربَّة كالنمسة وايطالية ويجمع منها الصدقات بحجج مختلفة وعُرف هناك باسم منقول عن العربيَّة كما تراهُ في عناوين كتاباتهِ (Timotheus Zaphi Agnellini Diarbechirensis Mesopotamiæ Episcopus) ثمَّ شاع امرهُ ونُسب الى المكر والخداع فحُبس عدَّة سنين في قلعة نابولي ثم أُطلق سبيله فدُعي الى رومية واعتزل الامور منيباً الى الله باعمال التوبة في دير القديسين الشهيدين قزما ودميان وفيهِ توفي بحريق اصابهُ في احدى ليالي كانون الاوَّل من السنة ١٧٢٤ بعد ان زوَّدهُ بالاسرار احد الكهنة ودُفن مكرَّماً في كنيسة القديس لوقا واحتفل بجنازتهِ الطيِّب الذكر مواطنهُ السيد اثناسيوس سفر العطار اسقف ماردين

﴿مصنَّفاتهُ﴾ كان السيد طيمثاوس كرنوك عالماً باللغة السريانيَّة والعربيَّة والتركيَّة . وكان قد جمع عدَّة مخطوطات عربيَّة وسريانيَّة اوقفها على مجمع انتشار الايمان . ولهُ آثار دينيَّة عربيَّة طُبع معظمُها في مدينة بادوا في ايطالية . اولها مختصر كتاب الكمال المسيحي للاب الفونس رودريكس اليسوعي عرَّبهُ وطبعهُ سنة ١٦٨٨ . ثمَّ ألَّف مجموعاً من الامثال الشرقيَّة المنثورة والمنظومة طبعها في اصلها ونقلها الى اللغة الايطاليَّة سنة ١٦٨٨ ايضاً وفي السنة ١٦٩٠ طبع ايضاً هناك كتاب زهور المناجات (كذا) الحبيب ونصائح القريب لضمني الديار بكري مع ترجمتهِ الى الايطاليَّة وهذا الكتاب قد قدَّمهُ لرئيس الرهبانيَّة الفرنسيسيَّة الاب جوزف ماري بوتاريو (J. M. Botario) ويدعو فيهِ نفسهُ باحقر اساقفة ماردين طيموثاوس ضمني الحيلي الديار بكري وصدَّرهُ بمقدمة طويلة ذكر فيها الرجَّالَ عيسى الهزار الذي تقدَّمت سيرتهُ . ثمَّ وصف شغلهُ بصناعة الكيميا وتحويل المعادن الى ذهب والمادَّة الجامدة الى نبات وخرافات اخرى كهذه تدلُّ على سخافة افكارهِ

ونشر اخيراً سنة ١٦٩٣ في المدينة ذاتها مدائح وتسابيح تقويَّة في التوبة وآلام المسيح وامهِ البتول مريم . وكان نشر قبلاً سنة ١٦٧٩ في باريس سبع مزامير التوبة ومديحة العذراء مريم في مطبعة بطرس الصغير (Pierre le Petit)

﴿شعرهُ﴾ ليس لطيمثاوس كرنوك شعر منظَّم وانَّما لهُ زجليَّات عديدة بل معظم

كتبه منظومات زجليّة يتصرّف فيها كلّ التصرّف ومدارها كلّها على مراضيع روحيّة دينيّة تغلب عليها مدائح العذراء مريم فنحن نروي منها شيئاً بياناً لطرائقه النظميّة. فهذه مديحة قالها في مقام الرست :

باسم الطاهرة مريمْ يحلو لي المديحْ
وليس يوجد اسم اعظمْ كاسم ابنها المسيحْ
لهذا كلّ متكلّمْ يكرز فيها ويصيحْ
دائم شرفها لجيل وجيلْ هي فريدة بلا مثيلْ
لها الكرامة والتبجيل والشكر والتسبيحْ

منها الكرَم والجودْ ما لها شبيه في الوجودْ
ولابنها ربّنا المعبودْ يليق الكرامة والسجودْ
ودائم بالدوام في كلّ الادهارْ

كيف ما ينجحْ امري ويرجحْ رزقي يربحْ
من ما في خزائنها احتوى يأخذ كلّ انسان بما يرى
من الدرّ الفاخرْ

لابسة بالشمس رداها وتحت رجليها القمرْ
يتلالا كالنور ضياها وهي نجم الفجرْ
لولاها والله لولاها لكنّا في الخطرْ

هي صباحي وهي مصباحي فيها افراحي تتزايد صحيحْ

هي هي سعدي وتكميل وعدي وغاية قصدي حبي وودي
وفيها قلبي باضطرام وحبها فيهِ كالنار
هي هي ديني ومستعيني فيها يقيني وحبها في الخاطر
لها اسمٌ قوي عالي في الارض والسما
وذكر عالي متعالي هي العذراء مريما
وفيها ينصلح حالي ولو كنتُ في ضما
ادعوها في كل خطرْ واجد فيها الظفرْ
واكون بها منتصرْ على الاعداء واستريح
للآب فيها سرورْ وروحهُ عليها حضورْ
والابن منها في ظهورْ ليفتقد شعبه ويزورْ
ويخلص الانام من يد المكارْ
انت هي نور الانوارْ انت هي كنز الاسرارْ
فيك جميع الابرارْ وجدوا لدائهم دوا
من ابنكِ الذي احتوى في بطنك الطاهرْ

ومن مدائحه اللطيفة فيها قوله:

مني اليكِ السلامْ يا عذرا يا بتولْ
انتِ فخر الانامْ امدح فيكِ واقولْ
جبريل قد اتاكِ يا عذرا بالسلامْ

باسمكِ ناداكِ في حُلو الكلامْ
يا طوبى ما اعطاكِ من التبجيل والإكرامْ
فيكِ خلّص آدمْ من قيود الخمولْ

قبلت منهُ السلامْ وازداد فيها الفرح
بفطنة واحتشامْ عندها الامر اتّضحْ
من قوّة العلّامْ والكل لهُ يسبّحْ
ما في الارض والسما لهُ العزّ والقبولْ

ولدت الابن الوحيدْ في مذود بيت لحمْ
من مكان بعيدْ جاؤوا ملوكُ العجمْ
في ميلاده السعيدْ انمحق نسلُ آدمْ
حار فيهِ كلّ حكيم تاهت فيهِ العقولْ

بعد ما وردوا بالفرحْ والسرورْ
لانّهم اهتدوا في نجم بالنورْ
ولهُ قدّ اهدوا ذهب ومرّ وبخورْ
كما قال النبي عنهُ بالفصولْ

والرعاة قد غدوا بالبهجة والفرَحْ
خرّوا لهُ وسجدوا والملائكه تسبّحْ
في الاعالي مجده بالارض صلحٌ يتّضحْ

وفي الناس المرّه تشكر لك بالقبول

نطلب منك يا ربّ أبهجنا في اسعادك

لك نحبّ لك نرغبْ على حسب مرادك

في كل عيد لك نطنب وفي عيد ميلادك

نطلب منك النعمة بقلب خَشوع مَلولْ

١٢ الراهب كامل نُجيم الماروني

﴿زمانهُ وشعرهُ﴾ كان هذا الراهب معاصرًا لطيمثاوس كرنوك فازهر في اواخر القرن السابع عشر. ذكرتهُ المجلة السوريَّة الغرّاء في عددها الصادر في ابريل الاخير (ص٢٣٤ــ٢٣٨) وردت ما استفادتهُ من اخبارهِ وشعرهِ عن حضرة الاب برنردوس غيره الحكيم رئيس الرهبانيَّة الانطونيَّة سابقاً. فيلوح منهُ ان الخوري كامل نجيم كان احد رهبان دير ريفون مترهّباً فيهِ على طريقة العبّاد اللبنانيين القدماء قبل انشاء الرهبانيَّات القانونيَّة المنشأة في اوائل القرن الثاني عشر. وقد رُويت هناك لهذا الراهب زجليَّة لطيفة صنَّفها سنة ١٦٩٠ وصف فيها وصفاً مدقَّقاً لعيشة اولئك الرهبان نستعيرها عن رصيفتنا المحققة

زجلية الراهب كامل نجيم

١ مَنْ يتبَعْ درب القديسْ مار انطونيوس النفيسْ

الربّ ينجيهِ من ابليسْ ومن حيَل الشيطاني

٢ وضع لنا يا اخوه قوانين. وهم يحفظونا من المجانينْ

ويكونوا لنا معينينْ في هذا الدهر الفاني

٣ وبعد ذلك ننال الملكوت ونسجد دوم لاسم الثالوث
ونسبح لربّ الجبروت مع الآباء الرهبانِ
٤ كذلك من يريد يكون معهم وفي السما يرافقهم
يقبل القوانين مثلهم طاعة وعفة يا اخواني
٥ والفقر ايضاً هو المسكنه ثلاثة قوانين للرهبنه
يخلصوا الراهب من اللعنه ويسكنوهُ في الاجنانِ
٦ ومن يُريد يدخل المحاربه لازم يقعد بالتجربه
لئلّا تأتيهِ الكربه ويصير من الندمانِ
٧ وبعده ينذر على نفسه النذورات بحضور رئيسه
لئلّا الشيطان يوسوسه ويرميه في الطغيانِ
٨ واما القديس البارّ مار انطونيوس المختارْ
كوكب النجم المزهرْ زايد عن الرهبانِ
٩ كما هو باين من الاخبارْ ومن قصص باقي الابرارْ
زاد هو عن جميع الاحبارْ بالقوانين والاحسانِ
١٠ امتناع عن اللحم دايمْ قانون رابع دوم صايمْ
نذر مختص ايضاً قائمْ ومن يخالفه يكون سكرانِ
١١ ويقطع الاربعا والجمعَهْ ويصوم دائماً الى التاسعَهْ
وصلواته تكون متشفعَهْ في من يتبعه من الآنِ
١٢ وايضاً خمسين يوم صيامْ مفروضة بتلك الايامْ
والصلاة دائم دوامْ يشكر ويسجد حنّاني
١٣ في خامس عشر من تشرينْ يبدا بالصيام والقوانينْ
ويطرد ايضاً المجانينْ اعني بتشرين الثاني

١٤ وثاني صيام هو اربعين يومْ بتالي الغطاس ايها القوم
وهو صيام المسيح الى اليومْ يعيننا الله الرحمانِ
١٥ وايضاً اصوام الميلادْ وبطرس وبولس يا اجوادْ
يرزقنا اله العبادْ بشفاعته يا اخواني
١٦ وقطاعة السيدة مريمْ تكون شفيعتهُ بالعالمْ
لينجو من جميع المظالمْ ومن حريق النيرانِ
١٧ ومن يتشبَّه بالقديسْ مار انطونيوس الحبيس
ويخلصنا من ابليسْ في صلوات الطوباني
١٨ قضى عمره في الصيامْ غياب الشمس كلّ الأيام
والصلاة ايضاً قيامْ نهاره وليله سهرانِ
١٩ ومن جهة اللبس يا اخوه عبا عاللحم وقلسوه
وبشتيك وزنّار جلد حقوه والنوم على الحصير كانِ
٢٠ ولمّا يرقدوا الرهبانِ لا يحلّوا زنّار يا اخواني
والقلسوه ايضاً كان ولا ينام عند العلماني
٢١ وايضاً لا يكثر الدورانْ وياخذ حذره من النسوانْ
لئلّا يوقع بالترهانْ ويستسلم للشيطانِ
٢٢ وفي الديوره تكون سكنتهُ تحت الطاعة مع اخوتهُ
ولا يكسل يقاع بشبكتهُ اعني مصيدة الطغيانِ
٢٣ والصلاة تكون في اوقاتها في ليلها مع اشياتها
ونهارها مع فرجاتها تنال اجرة الجنانِ
٢٤ وقراية كتب المقدّسين وايضاً قصص القديسين
والرهبان المحبوسينْ ليشفعوا فينا يا اخواني

٢٥ وابدًا على عريس لا نصلّي ولا نصير الشابين بالكلّي
ولا نحضر عرس بالجملي ولا نركب خيل يا اخواني
٢٦ والخمر لا تكثر شربه لئلّا يرميك في الكربه
ويرميك العدو في الضربه وتسقط في النيران
٢٧ ولا تكثر الحديث يا انسان لئلّا توقع بالنقصان
وتبقى من رفقة الشيطان وتصير من الخسران
٢٨ واهرب من مجد الباطل وإلّا توقع في العاطل
ومن الكبريا ايضًا ماطل واحظر من الطغيان
٢٩ واحظرك من الناس ورفقتهم ومن عطاهم ومعاملتهم
ومن الدوران بيناتهم تخسر كل الازمان
٣٠ ومن الموت لا تكونوا غافلين وفي امور الله متكاسلين
إلّا دائم متيقظين في عبادة الربّان
٣١ والمحبّة لله والقريب وتكون تحسن للغريب
بالاكل والشرب أيها الحبيب يكون لك كنزًا غير فاني
٣٢ لانهُ هكذا قال سيّدنا بهؤلاء الوصيّين علّمنا
كمال الانبيا وناموسنا وهم يرضوا الربّان

(لها بقية)

يومية السيد يوسف سمعان السمعاني

لما جاء الى لبنان قاصداً رسولياً لعقد المجمع اللبناني للطايفة المارونية سنة ١٧٣٦م

نشرها حضرة الاب لويس بليبل الراهب البلدي اللبناني

توطئة

لما كان حادث عقد المجمع اللبناني المقدس من اهمّ الحوادث التي وقعت في تاريخ طائفتنا المارونية في الجيل الثامن عشر رأيت بمناسبة نشري الحوادث «اليومية» التي وقعت للسيد السمعاني القاصد المرقوم من اول يوم وصوله الى لبنان الى حين مبارحته له اي مدة وجوده وقدرُها ثمانية اشهر وستة ايام ان اقول كلمة عن اسباب عقد هذا المجمع ومكان عقده وتثبيت احكامه بكلمة وجيزة ثم اشفع هذه الكلمة بنشر اليومية التي تفضّل عليَّ بنسخها حضرة الاب العالم الخوري بطرس غالب عن نسخة بيده كتبها بالحرف العربي انطون السمعاني في سنة ١٧٦٨ اما الناسخ لم يقل عن اية نسخة اخذها

ان من جملة الاسباب لعقد هذا المجمع فَصْل اديار الرهبان عن اديار الراهبات ثمَّ الحوادث التي وقعت للسيد البطريرك يعقوب عوّاد وأدّت الى تنزيله عن كرسيه البطريركي دفعت اصحاب العقول المفكرة الى ان ينظروا في الحال الحاصل الذي أدّى الى تشويش التهذيب البيعي وان يضعوا قوانين ورسوماً تحول دون تكرار مثل هذه الحوادث المؤلمة اذ تُرجع التهذيب المرقوم الى مقامه الاول فيكون دستوراً للعمل به

ان السيد السمعاني حضر اوّلاً الى اقطارنا الشرقية ما بين سنة ١٧١٥ و١٧١٦ للبحث عن الكتب القديمة وباثناء مروره بقريته حصرون مسقط رأسه قابل في دير مار الياس آباء الرهبانية كالاب عبدالله قراعلي الاب العام والاب جبرايل فرحات وميخائيل اسكندر وترما اللبُردي وجرجس قشوع وتداولوا في الامر ومنذ ذاك الوقت أخذت فكرة عقد مجمع اقليمي طائفي لاصلاح الخلل تختمر في العقول

وكان قد وقع من الاسباب والظروف ما أوجب خروج تلك الفكرة الى حيّز الوجود. والى ذلك اشار السيد عبدالله قرا علي باحدى كتاباته للسيد السمعاني مذكرًا اياه بما تقرر بينهم في دير مار اليشاع بقوله: «اذكروا ما تداولنا فيه معكم باثناء مروركم علينا بدير مار اليشاع»

وكان آباء الرهبانية يلحّون على الاب العام ميخائيل اسكندر لمّا كان في رومية بأن يسعى في تثبيت قانون الرهبانية قبل عقد المجمع الاقليمي بقولهم: «وانهُ من الموافق بل من اللازم ان يبذل الجهد بتثبيت القانون قبل صدور الاوامر الرسولية التي تفيد عقد المجمع لفرض الرسوم لانه اذا كان القانون الرهباني مثبتاً فيمكن للرهبانية ان تخدم الكرسي الرسولي باكثر شجاعة (تاريخ الرهبانيّة المجلد الاول صفحة ١٧٠). ان الفكرة والسعي في عقد هذا المجمع لم يكن من مولّدات سنة ١٧٣٤ او بعدها كما ورد في البحث التاريخي عن عقد هذا المجمع للسعيد الذكر البطريرك بولس مسعد (راجع بصائر الزمان). على انّ طلب سنة ١٧٣٤ انما هو الطلب الرسمي لعقده

وامّا مراسيم واحكام هذا المجمع فقد كان ألّفها وجمعها في رومية باللغة اللاتينية نابغة الشرق ونبراسه الساطع العالم العلامة المنقطع النظير إمام الشرقيين وحجتهم السيد يوسف سمعان السمعاني وهي خلاصة المجامع المسكونية والاقليمية المنعقدة في الكنيسة الكاثوليكية وخصوصاً المجمع التريدنتيني المقدس. فجاء هذا التأليف ليس من اكمل المجامع الاقليمية في طائفتنا المارونية وفي الشرق فقط بل من اكمل المجامع الاقليمية الكنسيّة عموماً لانه يبحث في كل شيء وهو الحقّ القانوني لطائفتنا وقد اتخذهُ العلامة المطران اقليمس يوسف داود السرياني دستورًا لعمله لدى تأليفه المجمع الاقليمي لطائفته السريانية وهو المجمع المعروف بمجمع الشرفه

جاء القاصد الرسولي المرقوم الى الشرق حاملًا بيمينه البراءات الرسولية لغبطة السيد البطريرك وللسادة اساقفته ولطائفته المملة مهمّتهُ الخطيرة وباليد الاخرى مؤلّفه رسوم كتاب المجمع. وبعد ان قابل السيد البطريرك في دير سيدة قنوبين والسادة المطارنة وسلّم الى كل منهم ما يخصه من البراءات اتفق الجميع على تعيين المكان والزمان الموافقَيْن لعقده. ثم انفرد السيد القاصد في دير سيدة لويزة الى حلول الوقت المعيّن لانعقاده. وفي خلوته هذه ترجم تلك الرسوم من اللغة اللاتينية الى اللغة العربية

لتُتلى على السادة وعلى الحضور ليعلموا احكامه وقوانينهُ لان عدداً منهم كان لا يعرف اللغة اللاتينيَّة

وفي الوقت المعيَّن اجتمعوا في دير مار سركيس وباخوس ريفون: وعقدوا فيه بعض جلسات تمهيدية ثم لاسباب صوابية حصل الاتفاق على ان يتم عقد هذا المجمع في دير سيدة اللويزة. ففي كنيسة هذا الدير التاريخية في يوم الثلاثين من شهر ايلول وفي اليومين الاول والثاني من شهر تشرين الاول سنة ١٧٣٦ عُقد المجمع وتنادى باحكامه ورسومه. وفيها صدق الرؤساء على ما جاء فيه بخطوط ايديهم وطبع اختامهم وبإمضاء وخاتم المسجّل. وفي هذا الدير ايضاً اصدر السيد السمعاني رسالتهُ الاولى الى آباء الرهبانية ضمّنها ما تطلبهُ مراسيم المجمع المرقوم منهم. وهذه الرسالة تقع تحت عدد ٧ وتاريخ صدورها في ١٥ ت٢ سنة ١٧٣٦ (تاريخ الرهبانية المجلد الاول صفحة ٢٤٤) وفيه نشر الرسالة الثانية الى خوارنة الرعايا ضمّنها واجباتهم الرعائيـة بحسب رسوم المجمع المذكور وقد نشرها احد اباء رهبانيتنا الاب الفاضل العامل انطونوس شبلي في هذه المجلة الزاهرة في عددي نيسان وأيار من هذه السنة ١٩٢٧. ومن هذا الدير سافر القاصد الرسولي المرقوم راجعاً الى رومية

واما مصاريف القاصد المشار اليه من مأكل وملبس وسفر وتقادم فقد كانت من مال الرهبانية فبلغت ستَّة آلاف قرش وذلك منذ اول وصوله الى نهاية عقد المجمع يضاف اليها الف قرش أنفقت عليه بتجواله في داخل الجبل وخارجاً عنه بعد النهاية من عقد المجمع لاجل تطبيق احكامه في بعض الشؤون الى حين سفره. فيكون اجمال النفقة سبعة آلاف قرش (نقلاً عن دفتر الاقنوم العام) وهذا المبلغ معتبر ويُقدَّر بنحو الفي ليرة ذهب من معاملة هذه الايام. وبدلاً عن ذلك انشأ السيد المذكور صكًّا اوقف بموجبه على الرهبانية جميع متروكاته سواء كانت موجودة في الشرق ام في رومية من دراهم وكتب وما اشبه وانما بعد وفاته لم تنل الرهبانية شيئاً مما اوقفه لان الصكّ وُجد غير شرعي (المجلد الثاني تاريخ الرهبانية صفحة ٢٨٦)

وبعد عقد المجمع المرقوم نهض بعض آبائه لمضادَّة احكامه فرُفع الامر الى الكرسي الرسولي وبعد فحص بليغ دقيق على قانونية عقده اثبته البابا بناديكتوس الـ١٤ السعيد الذكر والطيب الاثر ببراءة رسولية خطيرة اثبت فيها احكامه وعصمهُ

من كل سلطة في الكنيسة الكاثوليكية حتى من سلطة المجامع اذ حكم ان لا سلطة قانونية تحتكم فيه الا سلطان الحبر الاعظم فقط وانهُ اذا اقتضى الامر تعديلاً في محتوياته ولو طفيفاً فيلزم لذلك صدور براءة رسولية مخصوصة. فتلك المضادة قد دفعت الحبر الاعظم الى تثبيت احكام ورسوم المجمع المذكور بصورة استثنائية خصوصية تدعى في اللاتينية « Forma specifica » غير عادية كانها كانت سبباً لرفعة شأنه دون غيره من المجامع. بفضل الاحبار الاعظمين القس لويس بليبل

اليوميّة

في ١٧ حزيران سنة ١٧٣٦ وصل السمعاني الى بيروت يوم الاحد صباحاً . نزل عند البادري الياس الكبوشي . فعرّف بهِ مخائيل فارس وكيل الرهبان اللبنانيين فاخبر الديورة المذكورة فحالاً توجه المدبر الثالث «مبارك عبيد الغسطاوي» من طاميش الى بيروت واتى بالقاصد المذكور الى دار الوكيل المرقوم

وفي ١٨ منه وصل الاب توما اللبُودي الرئيس العام ومعه رهبان اسطفان عواد. اول عزبة في دار المشايخ الشلافنة جاؤوا مع خوارنة المدينة والبعض من اهل البرّ ورافقوه بالمباخر والتلحين واستعذروا المشايخ عن القداس لانهم محزونون . وفي المساء تعشّى عند بيت صوما وهم من اعيان الوارنة في بيروت . ونام عند الشلافنة (اي بيت الشلفون)

صباح الثلاثا توجّه مع الاب العام والخوارنة والمشايخ الشلافنة جبر واخيه جدعون ونهرا ابن عمهم واسعد وابو خليل واولاد عمهم وجملة رجال ناقلين سلاح واعيان مدينة بيروت ابو فاضل صوما واخوه وابن عمه والحاشية الى نهر الكلب حيث استقبلهم المطارنة « عبدالله قرا علي واغناطيوس شرابيه » وابتدى المشايخ الحراقلة وتباعهم بالمراضة والقواس . وبعد ان فطروا هناك توجهوا الى دير لوزه باحتفال وعراضة طول الدرب وحين وصولهم الى الدير التقوا بالمطران ابريسام الارمني الآتي لملقى القاصد فدخلوا الكنيسة . وبعد خمس ساعات تقريباً وصل المطران براسيموس مطران طائفة الروم سابقاً في حلب ومعه جمهور رهبان . وفي الليل

نوّرت الاديار في القاطعين والقرى المجاورة وبقي التنوير على ثلاث ليالي

صباح الاربعاء ٢٠ منه تقدّمت القداديس لاجل انتشار بيعة الله والقاصد نزل باحتفال الى الكنيسة وصعد منها بعد القداس كذلك. وفي صباح ذلك اليوم وصل المطران طوبيا الخازن ومعه جملة مشايخ خوازنة الشيخ يونس ونوفل سرحان وطالب ابن عبد الملك والياس بن نمر الخازن . فاستقبل القاصدُ الرسولي المطران طوبيا قرب باب كنيسة الدير. ثم وصل الشيخ شروان واخوه اولاد الشيخ موسى الخازن ومعهم كهنتهم وجميع تبّاعهم. وبعد ذلك ودّع المشايخ الثلاثة القاصد واكّدوا لهُ استعدادهم لخدمته ثم انصرفوا . وجاء يسوعيو عينطوره البادريان انطون ناكي والرئيس الاب يوحنّا[1] واخذوا منه الولد القبرسي الذي استصحبه المونسنيور من قبرس ليتعلم في مدرسة عينطوره

صباح الخميس ٢١ منه اتى المشايخ اولاد ابو قنصوه عدي بن صخر وميلان ابن البطريرك ثم رئيس عام مار اشعيا القس سمعان العريض. وفي المساء وصل المطران سمعان عواد وابن عمه المطران جبرايل لاقاهم جمهور الدير والقاصد الى بوابة الدير ودخلوا بزياح حافل الى الكنيسة . وفي ذلك اليوم وصلت مكاتيب من البطريرك يدعو القاصد الى قنوبين بعد ان يكون استراح

يوم الجمعة اتى ايضاً رهبان اليسوعية من عينطوره

يوم السبت ٢٣ منه جاء المشايخ الحبيشية شديد ويوسف

يوم الاحد قدس بزياح واحتفال. اتى الخوري يوسف حبيش رئيس دير مار جرجس علما ثم الشيخ فياض ابن ابو علي الخازن والشيخ نصيف الخازن

صباح الاثنين ٢٥ اتى المطران اسطفان الدويهي ومعه كهنة ورهبان. والشيخ شرف ابن رهام الخازن. ثم المطران فيلوس «الجميّل» ومعه كهنة وعوام من بكفيا. ثم الشيخ كنعان وابراهيم وصقر وعبدالله الخازن من بقاعتوتا. ثم في المساء وصل الشيخ غندور الخوري صالح شيخ رشميا ومعه جملة من اولاد البلدة

يوم الثلاثاء اتى المشايخ سرحان وخالد من عجلتون . ووصل الخوري اسطفان

١) هو الاب يوحنّا بطرس هدول (J. P. Hodoul) رئيس دير عينطوره الذي حضر المجمع اللبناني مع الابوين بطرس فروماج وانطون ناكي القبرسي ل.ش

ورد من صيدا. والشيخ حصن بن كسروان الخازن من درعون

يوم الاربعا ٢٧ اتى رهبان الروم من الشوير ومعهم المطران جراسيموس وهذا ارسل هدية نصف قنطار نبيذ. ووصل المطران ميخائيل ومعه جملة رجال من زوق الخراب واهدى نصف قنطار نبيذ وفي المساء وصل الشيخان بو جنبلاط وباز الحبيشية ومعهم جملة من تباعهم

يوم الخميس ٢٨ وصل الشيخ جنبلاط الخازن (لهُ بقيَّة)

الطوبويَّة جانّ انتيد طُورِهْ

منشئة راهبات محبَّة بيزانسون

لمحة تاريخية للاب لويس شيخو اليسوعي

أعلن الحبر الاعظم بيوس الحادي عشر في ٢١ أيار من العام الماضي ١٩٢٦ قداسة خادمة الله جانّ أنتيد طُورِهْ (B^ne Jeanne-Antide Thouret) الفرنسويَّة منشئة جمعيَّة راهبات محبَّة بيزانسون فأُدرج اسمها الكريم في سجلّ الطوباويين وأُقيم لذكرها في رومية العظمى اعياد شائقة لا يُرى لمثلها شبيه في الحفلات العالميَّة

وفي هذا العام الحاضر تجدَّدت هذه الاعياد في ايطالية وفرنسة حيثما يوجد اديرة تسكنها الراهبات المنتميات الى جمعيَّتها. فحظيت بيروت بسهم من هذه المواسم المبهجة في الكاتدرائيَّة اللاتينيَّة. فبمدَّة ثلثة ايام من ٢٠ الى ٢٢ أيار ظهرت تلك الكنيسة رافلةً بحلاها تزين واجهتها وجدرانها الأعلام والرايات واكاليل الازهار ويشعُّ هيكلها بالانوار تتجلى فوقهُ صورة الطوبويَّة المدعوَّة من الله الى مصافّ اكرم عبيده

وفي تلك الايام الثلثة صباحَ مساء عُقدت الحفلات الدينيَّة التي تولَّاها سيادة رئيسي اساقفة بيروت على الموارنة والروم الكاثوليك ثم نيافة القاصد الرسولي بحضور نوَّاب الانتداب وممثلي دولة لبنان وعلية الاكليروس واعيان القوم. وأُلقيت الخطب البليغة في مديح صاحبة العيد. وكانت هذه المظاهر البهجة متواصلةً حتى في الليل اذ

كانت قبّة كنيسة الآباء الكبوشيين تأخذ بالابصار بأنوارها الكهربائيّة وتلوح في الفضاء كشعلة من نار يعلوها الصليب المنير بعوارضه الزاهية . هذا فضلاً عن حفلات فاخرة اقامتها الراهبات ذكرًا لمؤسستهن في باطن ديرهنّ دُعي اليها الاصحاب والمعارف

خلاصة سيرة الطوبويّة جانّ انتيد طُورِهْ

وكأني بالقرّاء الكرام يرغبون اليّ ان ألخص لفائدتهم سيرة تلك التي استحقّت مثل هذه مظاهر التجلّة والاكرام فلا يسعني إلّا الاجابة الى مبتغاهم . على اني انبههم انّ هذه الاسطر القليلة ليست سوى شعاع ضئيل من ذاك النور الباهر الذي سطع في الكنيسة في القسم الثاني من القرن الثامن عشر الى اواسط العقد الثالث من القرن التاسع عشر . وقد وافقت سنةُ تطويبها السنة المئة لوفاتها الصالحة . فنصفها بالايجاز في ثلاثة اطوار حياتها كفتاة صالحة وكمجاهدة باسلة وكمنشئة كريمة

١ً الفتاة الصالحة (١٧٦٥–١٧٨٩)

وُلدت جان انتيد طوره في ٢٧ تشرين الثاني سنة ١٧٦٥ من ابوَين كريمين كانا اغنى بروح الدين والفضيلة منها بالثروة والجاه العالميّ . بارك الله اقترانهما فخلّفا ثمانية اولاد خمسة ذكور وثلاث بنات وكانت جان الخامسة من اولادهما تنصّرت يوم ميلادها في قرية من معاملة فرَنْش كونته تُدعى سَنْسي (Sancey-le-Long)

وُلدت نحيفةً مهزولة لا يكاد يُرجى لها حياة . وكانت أمها طريحة الفراش وكثيرًا ما يغيب ابوها عن البيت ليتفرّغ لشغله فما كان لاحد ان يهتمّ بها غير عمتها وصانعتان فلقيت منهنّ الامرّين كما انهنّ اسأنَ الصنيع الى امّها . فلمّا ترعرعت الفتاة اخذت تقوم بخدمة والدتها حتى اصبحت سلوانها وتعزيتها وكانت امّها تلقّنها مبادئ الدين والعبادة حتى رسخت في قلبها

وكانت عمتها شرسة الاخلاق صخّابة أمّارة تلقي اشقّ الاشغال البيتيّة على ابنة اخيها وهذه تصبر على فظاظة طباعها دون ان تبلغ الى تلطيفها بل لم تدَعها تدخل المدرسة إلّا اشهرًا قليلة لتتعلّم القراءة فقط دون الكتابة ثمّ وكّلتها بحراسة بعض مواشي البيت . فاجابت الفتاة الى أمرها دون تذمّر

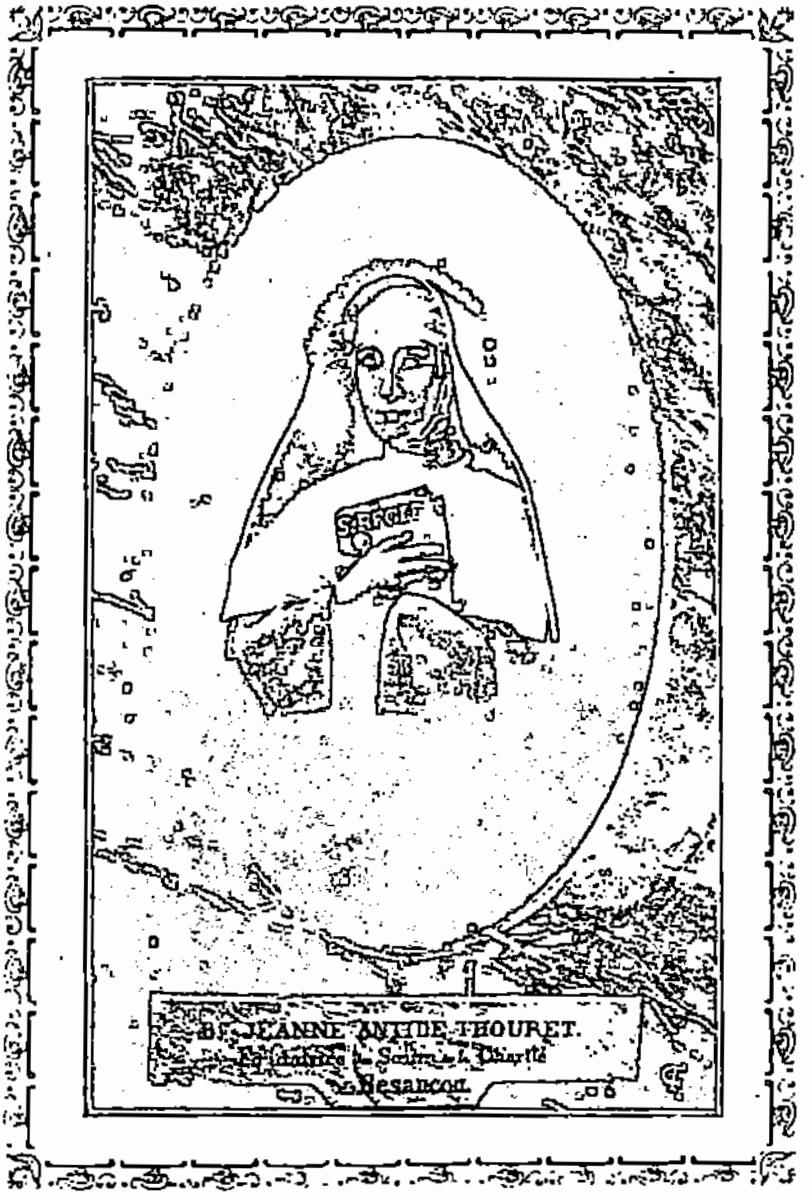

الطوبوية جان انتيد طوره

مؤسسة راهبات محبة بزانسون

(١٧٦٥–١٨٢٦)

على انّ الله كان زيّن قلب جانّ انتيد بمزايا فريدة من لطف ودماثة طباع وتقى ربحت بها محبّة اترابها والاحداث من الرعاة والفلّاحين فكانت تخدمهم طاقة جهدها ثمّ تجمعهم فتعلمهم الصلاة وتردّد على مسامعهم ما كانت سمعتهُ من امّها ومن كاهن الرعيّة ايام الاحد. واذا صرفتهم ليتلهّوا باللعب كانت هي تستحرُّ بالصلاة بين قطيعها

نمت تلك الزهرة العطرة وانتشر عرفها بين اشواك الالم والضنك لا تجد حولها ما يعطف قلبها الى ملاذ العالم وشهواته بل زاد وجعها بوفاة والدتها بين ذراعيها سنة ١٧٨١ وكانت بلغت الخامسة عشرة من عمرها فعهد اليها ابوها بامور بيته جميعها فوجدت بعض الراحة بنجاتها من حكم عمّتها. ولم تأنف من تدبير كلّ اشغال البيت مع صغر سنها فكنت تراها تتنقّل من عمل الى آخر بكل خفّة وحزم وحسن معرفة حتى اصبحت مثال النظام والاقتصاد لدى جاراتها

وكان يسندها في عملها تقواها العظيمة وابتعادها عن كلّ ملاهي اترابها. فكانت تقدّس يومها بالصلاة باكرًا وتحيد عن المحادثات الباطلة وتلتجئ الى الله في ضيقاتها فلم يهملها بل نجّاها من خطر عظيم كان يتهدّد عفّتها من قبل احدى خادمتي ابيها فألهمها ان تنذر لهُ عفّتها ففعلت. وما لبث ابوها ان اطّلع على سوء سيرة تلك الخادمة المرائية فطردها

وفي تلك الاثناء تعيّن لخدمة القرية كاهن جديد وجد رعيّتهُ محتاجة لإصلاح كبير لضعف سلفهِ المتقدّم بالسنّ. فعرف حسن صفات ابنة المسيو طوره فانتدبها لتساعده في ما نواهُ لانعاش روح الدين في رعيّتهِ فاجابت الى طلبتهِ بكل سرور وساعدتها عقد جمعيّات تقويّة وشركات خيريّة. وكانت جانّ انتيد في أيام الفراغ من الشغل تسعى بارشاد الصغار وبعيادة المرضى وبالاحسان الى الفقراء. فكان الراعي ينسب اليها النهضة الدينيّة التي غيّرت وجه تلك القرية وأثرت في القرى المجاورة فكان الجميع يباركون اسمها ويشيدون بذكرها

امّا الطوبريّة جانّ فانها كانت تفكر في ما هو أبرّ وارضى الى الله. اذ شعرت بانّهُ تعالى يدعوها الى خدمتهِ في الرهبانيّة. فأخذت تتوسّل اليهِ بان يمهّد لها السبيل الى تحقيق نيّتها لما كانت تنتظرهُ من المقاومة من والدها الذي كان يعوّل عليها لعمارة بيتهِ لكنّها بعد ان وقفت جليًا على مشيئة الله وطلبت مشورة ذوي البرّ لم تخف من

ان تُطلع والدها على فكرها بكل صراحة فقامت قيامتهُ لهذا النبأ ولم يزل يعارضها بضروب الحجج والمواعيد الحسنة حتى خاف بعد امتحانهِ لدعوتها طويلاً ان يقاوم ارادة الله فباركها اخيراً بالدموع السخينة واطلق لها الحرية لتتبع دعوتها. وكان ذلك في اوائل تشرين الاوّل من السنة ١٧٨٧ . فسافرت ليلاً لئلا يأسف احد على فراقها فيصدّها عن السفر ووصلت الى باريس في غرّة شهر تشرين الثاني يوم عيد جميع القديسين

دخلت في دير راهبات المحبة بنات القديس منصور دي بول لتخدم بينهنّ المرضى والمحتاجين وتتعاطى كل اعمال الرحمة. مرّت عليها هناك سنة كاملة على مألوف عادة الرهبانيّات اعربت فيها عن استعدادها التامّ لخدمة الله والقريب بممارسة كل الفضائل الرهبانيّة من تجريد ارادة وطاعة تامّة وتفانٍ في خدمة الاعلاء والمساكين. وقد ابتلاها الله بمرض عُضال في زمن ابتدائها لم تبرأ منهُ إلّا بنعمة فريدة بعد ان اشرفت على الموت وقاست من الاطباء آلاماً مبرّحة. فبعد شفائها تمّت حفلة لبسها لثوب الرهبانيّة في يوم اعتبرتهُ من ابهى أيام حياتها لكنّها لم تبرز النذور الرهبانيّة

٢ المجاهدة الباسلة (١٧٨٩ــ١٧٩٩)

قال الكتاب انّ حياة الانسان جهادٌ على الارض. وانّما هذا الجهاد اعظم وأشدّ في حياة اولياء الله. ولم تشذّ الطوبويّة جان انتيد طُورهُ عن هذه القاعدة العموميّة بل برزت في هذا الجهاد بروز الابطال

ما كادت اخت المحبّة تتردّى بثوب جمعيّتها حتى دعاها الرب الى حلبة المجاهدين. دخلت السنة ١٧٨٩ تلك السنة المشؤومة التي اراد الجحيم ان يُنزل الله عن عرش جلالهِ ليقيم عوضهُ الانسان المتمرّد على خالقهِ المنادي بذلك الشعار الملتبس الخدّاع: حرية. مساواة. اخوّة. فقامت الثورة الفرنسويّة على اساس الالحاد والخلاعة. وكان اوّل ما فكّرت به ان تُخضع لمبادئها الكفريّة جمهور الاكليروس والرهبان والراهبات فوضعت لهم صورة حلف ينافي ايمانهم ويجرح ضميرهم فكان كلّ من يأبى الخضوع لهذا القرار يُعتبر كعدوّ الوطن فتستصفى امواله وينفى من وطنهِ او يكبّل بالاغلال ويلقى في اظلم السجون بل يقاد الى منقع الدم فيُقتل اشنع قِتلة. ودامت تلك الحالة الشنعة عشر سنين بتمامها

وقد ذاقت الراهبة جان انتيد طوره كلّ مرارة تلك السنين الحرجة. فأوقفت غير مرّة وعُرض عليها ان تقسم الحلف الكفري وان تنزع ثوبها الرهباني فأبت بكل بسالة وحيّرت بشهامتها الذين قصدوا الانتصار على مشيئتها واعلنت انها تموت ولا تدنس نفسها بما ينفيه ضميرها. وبمثل هذا افحمت بعض الضباط الذين طلبوها للزواج فردّتهم خائبين

ولما نجت من ايدي الظالمين باشرت اسفارًا طويلة وتجشّمت انصاباً مضنكة لتحفظ دعوتها فكانت تقطع الفيافي والاحراج ليلًا وتستعطي في طريقها قليلًا من الخبز وحيثما دخلت تُعنى بتمريض الاعلّاء وخدمة الفقراء وتعليم الصغار فيباركها اهل الصلاح ويترصّدها أنصار الثورة. ثمّ رجعت لوطنها وسُرّ الجميع برجوعها فأخذت تتفرّغ لكل اعمال الخير متدثّرةً. وكان مواطنوها يكرمونها ويراقبون عمّال الدولة لئلّا يلحقها منهم أذًى. فكانت باعين الجميع كملاك البرّ والرحمة. وبفطنتها ومروّتها نجّت عدّة كهنة من مخالب الثوّار الطالبين دماءهم. فقضت في وطنها ثلاث سنين على هذه الحالة يتعقّبها اعداء الدين فيعودون عنها بالخيبة

ولما رأت انهُ لم يَعُد لها مناص من اهل الظلم في وطنها لحقت بجمعيّة رهبانيّة هرب اعضاؤها مثلها من وطنهم ليواصلوا بالحرّيّة مشروعاتهم الصالحة فتنقّلت معهم الى سويسرة والى بفاريّة ثمّ الى المانية والى النمسة فرارًا من الجيوش الفرنسويّة التي كانت تُضرم نيران الثورة حيثما تحلّ وتتبع الاكليروس الهارب من وطنه. فأصيبت تلك الرهبانيّة في جلائها بمحن شتى فكانوا لا ينجون من خطر حتى يدهمهم خطر اعظم. وكانت الاخت طوره في طريقها بعيّتهم تُعنى بخدمة الرهبان والراهبات وتحيي الليالي ساهرة عليهم فتعزّيهم وتُعدّهم لآخرتهم كأحنّ الأمّهات. وكانت اختها «جان بربارة» المترهّبة في تلك الجمعيّة من جملة الذين توفّاهم الله في منفاهم فماتت في المانية في ٢٣ك١ ١٧٩٦ ميتة الابرار وحضرت الطوبويّة شقيقتها حفلة جنازتها الفخمة

بقيت الطوبويّة جان انتيد في خدمة الجمعيّة المهاجرة الى المانية حتى ربيع السنة ١٧٩٧ دون ان ترتبط معها بالنذور. ففي تلك السنة اوحى الله اليها في الصلاة بان تعود الى فرنسة اذ اخذت تخفّ نوعاً اضطهادات الدين وهي تؤمّل ان تساعد اهل الصلاح بجهادهم في مناهضة الكفر واعادة الدين لعزّه السابق

فلبّت الى صوت الربّ الداعي وعادت ادراجها وقطعت المسافة ماشيةً فارغة الكيس وهي تجهل لغة البلاد وتستعطي في طريقها. وكان سفرها معرّضاً لمخاطر عديدة الّا انّ الله قادها بيمينه فنجت من كلّ البلايا ووصلت الى سويسرة فزارت كنيسة ايفسيدلن وفيها صورة البتول عجائبيّة فاعترفت هناك وتقرّبت وكانت تحبّ ان تبقى في جوارها إلّا انّ الراهب الذي اعترفت عنده بيّن لها بإلهام علويّ انّ الله يريدها في وطنها لتنشئ فيه جمعيّة رهبانيّة لتهذيب البنات وسيساعدها في عملها

قبلت كلام الراهب كإعلان لإرادته تعالى إلّا انّها لتواضعها ما كانت لتظنّ انها تقوى على انشاء رهبانيّة وهي ترى نفسها محتاجة الى مَن يرشدها في الطريقة الرهبانيّة عاجزة عن ارشاد غيرها

٣ المنشئة الكريمة (١٧٩٩–١٨٢٦)

كانت الثورة الفرنساويّة في مدّة سلطانها المطلق قلبت فرنسة الكاثوليكيّة ظهرًا لبطن فنشر عمّالها في كلّ الانحاء روح الالحاد والكفر فسُفكت دماء الابرار وأُطلق العنان لملك الاشرار فاصبحت البلاد مسرحاً لكلّ الآثام وانقطع الارجاس بسقوط اسوار الدين التي كانت تصون الدولة من غارات ألدّ اعدائها. فكم كانت في حاجة الى تعديل امورها واقامة عوجها واصلاح فاسدها لكنّ الله لم يهمل ابنة الكنيسة البكر ولم يردّ شفاعة قديسيها وسمع صوت دماء شهدائها فارسل لها رجالًا ونساء تضافروا في حَسْم الداء ومداواة السقم. ومنهم كانت الطوبويّة جان إنتيد كما سترى

عادت الى وطنها يوم عيد انتقال العذراء في ١٥ آب ١٧٩٧ مستخفيةً ونزلت عند بعض النساء من معارفها. واذ لاحت لها بارقة أمل لمواصلة اعمالها البارّة استأنفت خدمة القريب وخصوصاً تهذيب الصغار وتمريض ذوي العاهات ونشر روح الدين. الّا انّ الامور انتكست ثانية بعود الحكم الى الثوّار المتطرّفين بعد كسر شوكتهم. فاضطرّت الاخت طُورة الى الفرار من وجه الطغاة الذين عرفوا نشاطها في خدمة الدين وقصدوا توقيفها وقتلها. فتنقلت من قرية الى اخرى وسكنت في اكواخ عند بعض المحسنين الذين عرفوا فضلها وعاينوا كراماتها

على انّ ذاك الإعصار لم تطل مدّتهُ وسكنت الامور نهائياً وبطل اضطهاد ارباب الدين وعاد المنفيّون من منفاهم وتحفّزوا لتوطيد اركان المجتمع الانساني المتزعزع بالكفر وبدء تربية الاحداث

واذ كانت بيزانسون من حواضر فرنسة وقد خلا وقتئذٍ كرسيّها بوفاة مطرانها في ايّام الثورة اراد نائبهُ ان يتلافى أضرار تلك النهضة الكفريّة وكان بلغهُ ما للراهبة جان انتيد طوره من الصفات الفريدة لتثقيف الناشئة وتدبير المستشفيات فانتدبها واتّفق معها بان تسرع لانشاء جمعيّة رهبانيّة تقوم بتلك الاعباء وتكبح أشر اعداء الدين والادب

فاجابت الطوبويّة بلا السرور لهذه الدعوة بعد أن صدّت على العمل سيادة الاسقف المدبّر لابرشيّة بيزنسون ونائبهُ. وكان اوّل عمل باشرت بهِ ان فتحت مدرسة للبنات الصغيرات في ١١ نيسان ١٧٩٩ . فتواردت اليها الفتيات منذ اوّل يوم فرحّبت بهن المعلّمة دون ان تسأل عن سوابق اهلهنّ

وبعد قليل اكتظّ المكان بالطالبات حتى لزم الامر توسيعهُ باضافة غُرَف جديدة اليهِ. واذ لم يَسَع المعلّمة الاهتمام بجميع الدارسات طلب اليها فتاتان ان تساعداها فسُرّت بطلبتها واتّخذت لهما كما لنفسها نظاماً يومياً يجرين عليهِ في ساعات النهار من صلاة وتعليم وراحة الخ فرضينَ بذلك وتبع الفتاتين فتاتان أخريان فبلغ مجموعهنّ خمساً فثبت البيت بدعائمهِ الاربع وبسقفهِ

ثمّ اخذت جمعيّتهنّ تنمو شيئاً فشيئاً كما انّ ثقة الكهنة بهنّ تزايدت فعهد هذا اليهنّ عيادة المرضى والعناية بالفقراء فكان النجاح حليفاً لكلّ اعمالهنّ. وكانت رئيستهنّ تُعنى بتخريج راهباتها سواء كان في التعليم وضبط المدارس ام بخدمة المرضى وإعداد الادوية وتدبير المستوصفات . وربّما خرجت معهنّ لتعشيب النباتات الطبيّة

فانتشر بعد قليل في الانحاء المجاورة لبيزنسون نبأ افتتاح المدارس الدينيّة واعمال جمعيّة الامّ جان انتيد فتواردت عليها الطلبيّات لترسل بعض رفيقاتها ليفتحن المدارس ويهتمّن بالمسقومين. فرأت توحيد قواهنّ وبمشورة مرشديها انشأت لبناتها قانوناً حكيماً يجرين عليهِ في سائر اعمالهنّ وارتبطن بالنذور الثلثة الجوهريّة الفقر والعفّة والطاعة مع نذر رابع الاعتناء بالفقراء والمبؤسين. واتّخذن القديس متعمور دي بول كشفيعهنّ

لكنهنّ تميّزن عن راهبات المحبة الباريزيّات وعُرفن باخوات محبّة بيزانسون وارتدين بثوب خاص

وفي تلك الاثناء تعيّن على حاضرة بيزانسون رئيس اساقفة جديد السيد لي كوز (Mgr Le Coz) وجدت فيه جمعية الام طوره خير مساعد لنيّاتها الرسولية فأثنى على غيرتهنّ واثبت قانونهنّ وبلّغ حكومة باريس خبر مشروعاتهنّ وسُرّ نابوليون وعمّه الكردينال فيش بما سمعا فعُرفت بعد قليل جمعيّتهنّ من الحكومة رسميًا

فكان هذا التنشيط باعثًا جديدًا لنموّ الراهبات حتى بلغ عددهنّ المئة بنيّف . فدُعين لتدبير المستشفى العسكري في بيزانسون وللاعتناء بأوى الموقوفين السياسيين وتهذيب اولادهم . فكنّ حيثما يحتللنَ يعود الهدوء بعد القلق والاضطراب ويخلف النظام والنظافة والانبساط ما سبق من الفوضى وسوء التصرّف والكدر . وكانت الراهبات يوزّعن كلّ يوم على باب منزلهنّ حساء للمتسوّلين والمساكين

ثمّ تعدّدت اديرتهن في ابرشيتي بيزانسون وسان كلود وفي انحاء سويسرة . فكانت رئيستهنّ تختبر بناتها اوّلًا وتؤسس في قلوبهنّ الفضائل الرهبانية قبل ان ترسلهنّ الى المقامات الجديدة ثمّ تزورهنّ وتسندهنّ برسائلها الرشيدة

وممّا زاد ثبات راهبات محبّة بيزانسون مجمع عمومي لرئيسات سائر جمعيات الراهبات الفرنسويّات عُقد بامر نابوليون في اواخر تشرين الثاني في باريس سنة ١٨٠٧ حضرته الام جان انتيد طوره فعرضت على الكردينال فيش المترئس لذلك المحفل ومادام ليتسيا والدة نابوليون كل امور جمعيتها من اوّلها وكان بلغهما رسائل الاسقف وتقارير عمّال الدولة فنالت رضى الحكومة وعادت الى بيزانسون لتواصل اعمالها المبرورة

بلغت حبة الخردل مبلغ الشجرة النامية فظلّلت معاملات فرنسة وسائر سويسرة . وفي السنة ١٨١٠ انفتحت امامها ايطالية وكان وقتئذٍ اخو نابوليون البرنس مورات قد نُودي به ملكًا على نابولي فاراد ان يُغني بلاده الجديدة بالمشروعات الخيريّة التي في فرنسة فطلب من اخيه ومن عمّه الكردينال فيش ان تُرسل الى حاضرته راهبات يَقُمن بتدبير المستشفيات فعُرض الامر على رئيسة راهبات بيزانسون فلم تأنف عن ابتعاد بناتها من وطنهنّ بل رافقت ثماني منهنّ الى نابولي فسلّمهن الملك مستشفى يُعرف «بملكة السماء» (Regina Cœli) فكان نجاحهنّ هناك كنجاحهن

في بيزانسون وتولين بعد أشهر ادارة اعمال أخرى خيريّة وتهذيبيّة كان إقبال الايطاليين عليها عجيباً منها المدارس والمآوي وخدمة الفقراء ولم يهملنَ تربية بنات اعيان المدينة والجميع في ذلك لسان واحد في الثناء على همّتهنَّ . واخذ اساقفة ايطالية يطلبونهنَّ لابرشيّاتهم حتى انَّ الحبر الاعظم بيوس السابع وقف على فضلهنَّ واذ عرضت الامّ طوره قانونها على المجمع المقدّس اثبتهُ الحبر الاعظم بعد قليل لم يغيّر فيهِ الّا بنودًا ثانويّة .

وكانت الرئيسة طوره مفكّرة في الرجوع الى فرنسة سنةً بعد سفرها إلّا ان وفرة المنشآت والاشغال التي جرت لها في ايطالية اوقفتها هناك سبع سنين الى السنة ١٨١٨ وكانت احدى بناتها في بيزانسون نائبة عنها في فرنسة

فلمّا فرغت من اشغالها فكّرت في الرجوع الى الوطن واذا بمحنةٍ كبيرة عرضت لها أمرّت بقية حياتها لكنها اظهرت لكل عيان سموّ قداستها . كان بعد وفاة اسقف بيزانسون السيّد لي كوس (Mgr Le Coz) الذي مرَّ ذكرهُ وبيّنّا عظم اعتبارهِ للامّ جان انتيد خلفهُ على كرسيّه اسقف آخر اسمهُ دي براسيني (de Pressigny) فهذا كان مشبعاً بروح الاكليروس الغليكاني الزاعم بحصر سلطة الحبر الاعظم الدينية على فرنسة وابرشيّاتها فساءهُ تثبيت قانون راهبات بيزانسون وتحرير بعض بنودهِ دون مشورتهِ فلم يرضَ ان تعود الامّ طوره الى رئاستها على راهباتها في ابرشيتهِ بل امر بان تُقفل اديرتها في وجهها وبذلك حصل انقسام بين راهبات فرنسة وايطالية

فكان لامرهِ هذا تأثير شديد على الرئيسة واسوأ وقع على الكرسي الرسولي وعلى كلّ الذين عرفوا الامور حقّ المعرفة . فتوسّلت الامّ بكل وسائل اللطيف والاكرام والخضوع للاسقف المذكور دونَ ان تُلين قلبهُ . ولمّا رجعت الى فرنسة واجتمعت بسفير الكرسيّ الرسولي في باريس اعترف الجميع بحقوقها ولاموا الاسقف على معاكستهِ لها لكنها لم يمكنها ان تحصل على مطالبها الشرعية فرجعت الى ايطالية واستأنفت كل اعمالها المبرورة هناك الى ان دعاها الله الى دار الخلود بميتة صالحة للغاية مزوّدة باسرار الكنيسة وعيناها الى صورة المصلوب وهي محفوفة ببناتها . فتقاطر الناس الى تقبيل يديها والتماس ذخيرةٍ من بقاياها تبرُّكاً

وقد تعدّدت الكرامات التي نالها الناس بشفاعتها الى ان تحققتها الكنيسة

واستقصت البحث في سموّ فضائلها اعلنت مؤخرًا باكرامها ونظمتها في سلك اوليائه تعالى

وقد بارك الله عملها وانمى نسلها حتى اصبحت جمعيتها الرهبانية بفرعيها الفرنساوي والايطالي من أخصب وافضل الجمعيات النسائية المتعاطيات أعمال الرحمة والتهذيب في الكنيسة

ويكفي لبيان ذلك ان نلقي النظر على جماعتهنّ حاضرًا فاننا قد وقفنا على لائحة نُشرت في بيان احوالهنّ قبل بضع سنوات فوجدنا انّ فرعهنّ الايطالي يزيد عن خمسة آلاف راهبة لهنّ ستة اقاليم واسعة مباشرةً برومية ثمّ نابولي مع تشعُّبات في مالطة وبعض جهات فرنسة ويتعاطين اعمالهن في ٥٤٦ ديرًا او مركزًا

امّا الفرع الفرنسوي المعروف براهبات محبة بيزنسون فانّهُ منحصر خصوصاً في ابرشيات فرنسة بيزانسون وسان كلود ونيم وسويسرة فكان عدد راهباته نحو ١٠١٠٠ ولعلّهُ اليوم قريب من الالفين وكانت مراكزهُ ٢٤٠ مركزًا قبل الشرائع الظالمة التي قضت باقفال اديرة الراهبات

وفي كل هذه المراكز كانت الراهبات يتولين سائر اعمال الرحمة الجسديّة والروحية فلهنّ المستشفيات والمياتم والمآوى والملاجئ والعناية بالأسرى وتربية الصغار وادارة المدارس الابتدائية والثانوية للفقيرات والموسرات وتهذيب الفتيات لكل اعمال البيوت من خياطة وتطريز وتخريم ونقوش وطبخ وغير ذلك ممّا يعدُّ البنات اجمالًا لتدبير البيوت

وقد وجدت مصر وسوريّة من افضال جمعية راهبات بيزنسون الفرنسويّات بعد حلول مصادرات اعداء الدين لمراكزهنّ في فرنسة

ففي مصر لهنّ المدارس العامرة في القاهرة حيث يبلغ عدد المتخرجات عليهن نيفاً و ٨٥٠ فتاة. ولهنّ مركز آخر في الصعيد في ناج حماده لخدمة عمّال معمل السكر وبناتهم هناك

امّا سوريّة فكان اوّل دخولهنّ فيها سنة ١٩٠٣ ففتحن اوّلًا في بسكنتا مدرسة للداخليات والخارجيات مع مستوصف. ثمّ حللن سنة ١٩٠٧ بعبدات قريباً من حمّانا ففتحن ايضاً مدارس داخلية وخارجية وقُمن بادارة ميتم

وفي السنة ١٩٠٨ حظيت بيروت بوجودهنّ فتهافتت البنات ليتعلّمن منهن فنّ

تدبير المنزل وبعض الفنون الجميلة. وقد وسّعن بعد الحرب نطاق اعمالهنّ بادارة مدارس داخلية وخارجية وتهذيب أوانس بيوت الخاصّة. وقد عُهد اليهن سنة ١٩٠٩ في القريّة ادارة ميتم بلغ عدد يتامه ١٦٠ يتيماً. وكذلك أدرنَ ميتم اعبيه وفتحن فيها معملاً للاشغال بعد الحرب. وقد فقدنَ ديرهنّ في مرج عيون فحرق بايدي الدروز الاثيمة. وآخر ما انتُدبن اليه بهمة طائفة الروم الكاثوليك ادارة مدرسة في دمشق

فترى من هذا النظر الاجمالي كم مدينةٌ هي سوريّة ولبنان لراهبات محبّة بيزانسون تجزاهنّ الله الف خير وزادهنّ فضلاً وعدداً

مطبوعات شرقية جديدة

Ed. Naville : L'ECRITURE ÉGYPTIENNE. Essai sur l'origine et la formation de l'une des premières écritures méditerranéennes. *Paris, Geuthner*, in-12, *IX*-143 *pp.*, 1926

الكتابة المصريّة: نظر في واحدة من اقدم كتابات البحر المتوسّط

قد قضى المرحوم ادوار نافيل السويسري المتوفّى حديثاً كلّ زمن حياته العلميّة في البحث عن لغة المصريين وكتابتهم ولاسيما في اواخر اعوام حياته. وها هوذا آخر ما صنّف في هذا الباب وهو كتاب انتحى فيه غايتين: الاولى تفنيد علماء المانية الذين زعموا انّ لغة مصر القديمة كانت قريبة من لغة الساميّين الاوّلين. والثانية اثبات رأيه في انّ الكتابة المصريّة منذ اوّل اصلها لم تخلُ من علامات دالّة على الحروف الهاوية. وهو ينتهز هذه الفرصة لتأييد مزعمه السابق بان توراة موسى كُتبت اوّلاً بالقلم المسماري ثمّ نُقلت الى اللغة الارامية وكُتبت باحرفها وليس بالحرف العبراني. وهو رأي غريب يناقض تماماً الحقيقة. وسنعود الى ذكر الكتاب في مجلّة آثار كليّة القديس يوسف المشمّل للطبع

س. ر

STAND UND AUFGABEN DER SPRACHWISSENSCHAFT, Festschr. f. W. Streitberg. 1924, XIX-683, gr.-8°. Heidelberg, C. Winter.

حالة العلوم اللغوية وجهوداتها

تحت هذا العنوان ظهر سنة ١٩٢٤ كتاب نُشر بمناسبة السنة الستين لمولد

الاستاذ ستر يتبرغ في كلية ليبسيك وهو بقلم ١٩ من اللغويين الالمان الّا واحداً منهم السيو جوردان من رومانية . وعنوان الكتاب اوسع من مضامينهِ لانهُ لا يشمل العلوم اللغويّة عموماً بل تتناول ابحاثهُ خصوصاً اللغات الهندوجرمانيّة وكان الاستاذ ستر يتبرغ المتوفى سنة ١٩٢٥ زعيم مدرسة ليبسيك اللغويّة والكتاب المقدَّم لهُ يمثّل آراء تلك المدرسة المخالفة لآراء مدرسة براين التي تعتبر بروغمان (Brugmann) كزعيمها . فمن هذا القبيل استحسنّا الكتاب الذي يوقفنا على مذهب علماء ليبسيك . ومن المحال ان نعدّد كلّ مقالات هذا التأليف بالتفصيل ومما يجب التنويه اليه انّهُ يخلو من ذكر عدّة لغات كاللغة السلتيّة والسكنديناڤيّة ولغة تركستان التي حلّوا رموزها مؤخّرًا المدعوة بالطوخاريّة كما انهُ لم يذكر شيئاً عن سياق الهندواوروبيّة . ومما يهمّنا هنا ذكر مقالتين الواحدة متمّمة للاستاذ فردريك (M. J. Frriedich) عن لغة الحثيين التي كشف اسرارها العلّامة هروزني (Hrozny) استاذ كليّة براغ الذي تجوّل في سوريّة . والاخرى للاستاذ ايبسن (Ipsen) عن الشرق القديم والهندواوربيّة . فصاحب هذه المقالة الثانية قد وهم بمقابلتهِ بين اسم السيّارة ڤينوس عند الساميين المدعوّة عشتر (עשתרת) واسمها في الهندوجرمانيّة بلفظ (Astre) (ص ٢٢٦) فلا يجوز المقارنة بين الاسمين اذ هما كلمتان مختلفتان س . ر

P. Thomsen. Die Palaestina-Literatur. IV. Die Literatur der Jahre 1915-1924. I Haelfte, 1927, 400 pp.: Leipzig, Hinrichs.

قائمة المطبوعات عن فلسطين (القسم الاوّل من الجزء الرابع)

سبق لنا وصف الثلثة الاجزاء الاولى (الشرق ١٨ [١٩٢٠] : ٦٣٤) من هذه القائمة الجزيلة الافادة التي يتولى نشرها الاستاذ الفاضل طومسن من كليّة درسد بمساعدة خمسة من رصفائهِ . وهذا القسم الجديد يتناول لائحة المطبوعات التي نُشرت من السنة ١٩١٥ الى السنة ١٩٢٤ . على انّ وفرة المواد ضاق عنها مجلّد واحد فقُسمت الى جزئين فهذا القسم الاوّل منهُ . والحقّ يقال انّ هذه القائمة حافلة كاملة لا ينقصها شيء مما يتوط بفلسطين ولعلّها تجاوزت الحدود بذكرها ما لا علاقة لهُ قريبة بفلسطين فهو اشبه بكتاب الاب شرل جان المعنون بالوسط الكتابي الذي يبتدي بذكر السومريين في بلاد الكلدان . فيجوز القول بان هذه القائمة تعمّ كلّ اقطار الشرق بذكرها لما ورد عنهُ في التاريخ والجغرافية والآثار والعناصر الجنسيّة منذ اقدم الازمنة

الى عهدنا . وقد ذكرت فيها حتى المقالات الشرقية ولاسيما العربية المتوطـة بفلسطين فيحسن بقرّائنا الذين نشروا شيئاً من ذلك ان يرسلوهُ الى صاحبها تحت هذا العنوان Professor Dr Peter Thomsen, 19 Laubestr. 11, II. Dresden فـانهُ سيذكرها بلا محالة . وسوف نعود الى ذكر الكتاب في مجموعـة آثار كلية القديس يوسف

س . ر

ISLAMICA. Editor E. Braunlich. vol. II, fasc.3

النشرات الاسلامية

وصلنا قبلًا هذه المجموعة الاسلامية الحديثة . وهذا القسم الذي أُرسل لنا مؤخرًا يتضمّن اثرًا نفيساً لابن خالويه يُدعى كتاب الريح مدارهُ على الالفاظ العربية المختصّة بالارياح نشرهُ صديقنا الاستاذ البارع فراتشكوفسكي ونقلهُ الى الالمانيّة وقدّم عليهِ المقدّمات المفيدة وختمهُ بفهرست الالفاظ اللغويّة . وفي هذا القسم ذاتهِ ابياتٌ تروى للخليفة الاموي يزيد ابن معاوية نشرها الاستاذ لاوي دلّاڤيدا . ثمّ باب من كتـاب المعراج لابي يزيد البسطامي نشرهُ الاستاذ نيكلسن من كمبردج ثم الرسالة الحاتميـة وفيها المقابلة بين بعض الاقوال المنسوبة الى ارسطوطاليس وابيات من شعر المتنبي . والقصيدة منشورة هنا بصورة شمسية عن نسخة جميلة وهي منقولة الى الالمـانيّة .

A. Sanhoury : LE CALIFAT, son évolution vers une Société des Nations Orientales. *in*-4°, *Paris*, *P. Geuthner*, 1926, *pp. XVI*-627

الخلافة وتطوّرها

يتضمّن هذا الكتاب الضخم تأليفاً لاحد المسلمين المتخرّجين في جامعـة ليون الفقهيّة وضعهُ التماساً لشهادة الدكتوريّة منها . وهو اوسع ما كُتب في هذا الموضوع باللغة الفرنساويّة . ويذكر صاحبهُ ما ورد عن ذلك في كتب الائمة كما رواهُ الماوردي في كتابه الاحكام السلطانيّة . وقد راجع ما كتبهُ المحدثون في هذا الصدد ونقل كثيرًا مما ورد في كتب الاوربيين في المعنى عينهِ الى ان ختم كلامهُ بما خطر على ذهنهِ حلًّا لهذا المشكل فهو يرى ان تُعاد الخلافة على نظام موافق لروح العصر بتأليف جمعية عمومية وشورى عليا تساعدان الخليفة في تأدية واجباتهِ . وآخرُ ما صرف اليهِ نظرهُ تـأليف جمعية أُمم شرقية . قد عجبتنا طريقة المؤلف الكتابيّة وانشاؤهُ البالغ الوضوح وخطّتهُ المعتدلة . فيلوح من كلامه انهُ مُسلم دينٌ يريد لملّتهِ تجديد وجدانها

ه . ل

A. Eleas: EL-ALFABETO. Analisis del proceso genealogico del Lenguaje universal. *Buenos Aires, Linari*, 1925, *in*-12, 247 *pp.*

الحروف الهجائية

مؤلف هذا الكتاب، والمرجّح انهُ من اهل الشام وانَّ لغتهُ هي العربية، يزعم انَّ ارباب اللغة المحدثين ضلّوا في آرائهم ضلالًا تامًّا. فان كانت اللغات الحاضرة راقية الى لغة واحدة في الاصل فهذه اللغة الامّ لم تُفقَد كما زعموا وانَّما هي اللغة العربية. ودونك هذا المثال لتأييد زعمهِ انَّ اللفظة الدالّة على العدد اثنين (δύο) (deux) هي ذات كلمة «زوج» وكلمة زوج هي عين كلمة الاله المشتري باليونانية (Zeus) — (ص ٣٥) ومثلها كلمة الانسان باللاتينيَّة Homo وجمعها (sic) homini هي ذات الكلمة العربية أمْ وامّيّين (ص ١٨٠) — وكذلك (ἄνθρωπος) الانسان باليونانية هي مركّبة من «ان» و «ترب» (اي الارض) (ص ١٨١). تلك اضغاث احلام فلا نشاء ان نضيع الوقت بتفنيد مثل هذهِ السفاسف ر. س

J. Chopin. VEILLÉES DE BOHÈME. Florilège des grands auteurs Tchèques. *Paris, in*-16, *Edit. Bossard*, *Prix* 12 *f*.

سامرات بوهيمية

منذ دخل التشيكيون في عداد الدول استرقفوا نظر العالم الذي لم يعرفهم سابقًا معرفة كافية. ولهذا اراد احد اصحابهم المسيو جول شوبين ان يعرّف بعض كتّابهم فاختار ستة منهم روى تراجمهم ثمَّ نقل الى الفرنسويَّة بعضًا من آثارهم الادبيّة نثرًا ونظمًا. وهي احسن صورة لاخلاق القوم ومدنيَّتهم ج. ل

Albert Cherel: LA FAMILLE FRANÇAISE. Pages Choisies de nos bons écrivains. t. 3 et 4, le XIX° et le XX° siècle. *Paris, Ed. Spes. in*-16, *pp.* 286 *et* 210

الاسرة الفرنسوية في القرنين التاسع عشر والعشرين

كان الكاتب الاديب البير شيرل عرَّفنا الاسرةَ الفرنسويَّة في القرون السابقة الى القرن الثامن عشر (راجع المشرق ٢٤ [١٩٢٦] : ١٥١) بما نقلهُ عنها من افضل الكتبة. فلم يشأ ان يقف عند هذا الحدّ فها هوذا اتحفنا بمجلّدين آخرين ضمَّنهما الطف وأصدق ما كتبهُ كبار الادباء عن الاسرة الفرنسويَّة في القرنين التاسع عشر والعشرين

وفي كتاباتهم ما يُشعر باحوال الزمان والتمدّن الحديث والاختلافات التي طرأت على الحياة الاجتماعية. وعلى كل حال يظهر ان الاسرة الفرنسويّة الحاضرة في ترقٍّ وزيادة فضل منذ اربعين سنة الى يومنا ل. ش

SEMAINE INTERNATIONALE D'ETHNOLOGIE RELIGIEUSE, IVe Session, Milan, 1925, P. Geuthner. Prix 35 F.

الاسبوع الدولي في علم العناصر الدينيّ

علم الاديان بين عناصر الامم علمٌ حديث كان الاباحيون باشروا بهِ ليحطُّوا من قدر الدين ويثبتوا انَّ الاديان كلّها ثمرة الاختراعات البشريّة لا اساس لها في الفطرة الانسانيّة. فقام الكاثوليك منذ السنة ١٩١١ وفي مقدّمتهم نوابغ الرجال كالاب شميد (W. Schmidt S. V. D.) مدير مجلّة Anthropos والاب اليسوعي الشهير فردريك بوتيه شهيد محبّتهِ في الحرب الكونيّة فعُقدت المؤتمرات وتُليت كتابات المرسلين في تعريف الامم التي يبشرونها ومنها لاحت القضايا المنافية لزاعم الملحدين. وقد نُشرت اعمال ثلثة مؤتمرات عُقدت في هذا الشأن كان الكردينال مرسيه رئيسها. وهـا قد بلغتنا اعمال المؤتمر الرابع الذي عُقد سنة ١٩٢٥ تحت رئاسة الكردينال اهرله اليسوعي في ميلانو. وفي العام القادم يتبعهُ المؤتمر الخامس. وقد كان للمؤتمرات السابقة استحسان عامّ ليس فقط بين الكاثوليك بل بين جميع الذين يهمّهم الوقوف على صحّة احوال الامم وفكريّتهم لاسيما في امور العالم الآخر والحقائق الدينيّة ج. ل

Moscou et la Géorgie Martyre par RAYMOND DUGUET. 1 vol. in-16, *Paris, Ed. J. Tallandier, Prix* 13 *f*

موسكو وكرجية الشهيدة

على من يريد الوقوف على همجيّة البولشفيك ان يتصفّح هذا الكتاب فيجد من اوّل صفحاتهِ الى آخرها صورة حيّة لروسية الحمراء التي افرغت كل مجهودها لبثّ روحها الشريرة في العالم ولاسيما في البلاد المجاورة لها. فهذه بلاد كرجيّة لم تشأ ان تحني رأسها امام اولئك البرابرة الذين ناجزوها القتال وصبّوا عليها سجال سخطهم واخترعوا ضروب الحيل ليخدعوا اهلها ويسحقوهم بكل ما سوّلهُ لهم الشيطان من العذابات والمصادرات. وهذا ما يصفهُ مؤلف هذا الكتاب الذي اطّلع على ما يدعى البولشفيون

في اخفائه عن اعين الناس فكشف تلك المآثم التي تسوّد وجه الانسانيّة وتسم السوقيات بسمة عار لن تمحوها الأيام ل.ش

Granet (Marcel): La religion des Chinois. *in-8°, pp. XIII-204, Paris, Gauthier-Villars et Cie*

ديانة الصينيين

مؤلف هذا الكتاب استوطن الصين زمناً طويلاً ووجّه نظره الى درس طباع الصينيين ولاسيما اميالهم الدينيّة الحاليّة والخرافات الشائعة بينهم ثمّ يدوّن ما ورد في التاريخ عن الاديان التي دانوا به كعبادة كنفوشيوس والطاوتسيّة والبوذيّة فيصف كلًّا منهم وصفاً موجزاً. ويشك في نجاح النصرانيّة بينهم مع اقراره بروحهم الديني

Guy d'Aveline T. C. D. : MARIE-MADELEINE. Avignon, Aubanel frères, illustrations de Alb. Kieffer, in-12, 1927, XIX-237

مريم المجدليّة

انّ السيّدة غي دافلين قرينة الدكتور سليمان غزاله كاتبة فرنسويّة شهيرة متعدّدة الآثار في كلّ فنون الكتابة العصريّة. وهذا الأثر الجديد من افضل ما خطّته قلمها السيّال خصّته بسيرة تلك التي بعد تكفيرها عن خطاياها عند أقدام الربّ رقيت الى قمة القداسة بحياة اشبه بحياة الملائكة. نريد بها مريم المجدلية التي طرّبها السيّد المسيح وتنبأ عمّا ستنالهُ من الشرف في العالم كلّهِ. فدرست الكاتبة الفاضلة ما ورد عنها في الانجيل الطاهر وما روتهُ تقاليد كتبة اليهود وقدماء النصارى وما بقي من آثارها الى اليوم فأخرجت كلّ ذلك على صورة شائقة فتّانة مملوءة عذوبةً وتقىً. فنوصي بهذا الكتاب كلّ محبي التآليف الجامعة بين اللذّة والافادة ل.ش.

رواية الملكين مغنّاة (اوبرا) ذات ثلثة فصول

تأليف الخوري مارون غصن. الموسيقى للاستاذ وديع صبرا

طُبع في المطبعة الكاثوليكية في بيروت سنة ١٩٢٧ ص ٣٠)

لا يسمح لنا ضيق المكان بالاتساع في وصف هذه الرواية وحسبنا ان نقول انّ صاحبيها ارادا ان يحييا في الوطن فنّاً جديداً يدعوهُ الفرنج اوبرا (Opéra) يمتزج

فيه تشخيص الادوار بالموسيقى الموافقة لها . ولا نشك ان مساعيها ستصادف قبولاً لدى محبي الآداب والفن الموسيقي وقد جاء تمثيل هذه الرواية مصدقاً على ظننا . فانَّ حضوره اتفقوا على تجيد العمل ل.ش

خلاصة اركان الاقتصاد السياسي وتعلقهُ بعلمي الادب والحقوق

بقلم الدكتور سليمان غزاله نائب البصرة في المجلس النيابي

طبع في دار الطباعة الحديثة . بغداد سنة ١٩٢٦ (ص ١٢٥)

يواصل جناب الدكتور غزاله احد اعضاء مجلس العراق النيابي دروسهُ الاجتماعية التي عنوَنها بالوضيعة في الحكمة الخلقية . وهذا الكتاب هو الحلقة الثالثة من سلسلتها الذهبية ولعلهُ أجدى نفعاً وادق نظراً من الحلقات السابق طبعها اذ يتناول علماً نحن اليه اليوم في امس الحاجة ألا وهو علم الاقتصاد فخاض الكاتب البارع عبابهُ وكشف اسرارهُ وبيَّن اركانهُ سياسياً وعلاقتهُ المتينة بعلمي الحقوق والآداب لتُصبح الثروة في ايدي اصحابها وسيلةً لرقي الوطن الحقيقي بتوسيع نطاق اعماله في كل وجوه الصلاح والتمدُّن الشريف . وقد اثبت كلامهُ في آخر الكتاب بالامثال الجارية على السنة الحكماء في هذا الصدد ونعمت الاقوال ل.ش

اناشيد القمة والوادي

لجورج افندي ط . مطر

طبع في المطبعة الوطنية في بيروت سنة ١٩٢٧ (ص ١١٠)

هي خواطر شعرية وادبية سنحت لشاب يحبُّ الطبيعة ويتمتَّع بمناظرها ويصف مشاهدها الرائعة في اختلاف صورها من قمة جبل الى قعر وادٍ ويمجد خالقها . فهو من الكتب التي يستحبها الشبان لانشائها العصري وحلاوة معانيها وانسجام تعابيرها

الحديث المفيد مع الاستاذ الجديد

لنسيم افندي الحلو

طبع في بيروت في المطبعة الاميركانية سنة ١٩٢٧

كان مؤلف هذا الكتاب وهو احد اساتذة المدرسة الاميركانية في صيداء سابقاً صنَّف كتاباً دعاهُ رفيق التلميذ بسط فيه واجبات طلبة المدارس ليحسنوا بها تربيتهم .

وهاهوذا قد الحقهُ بكتاب آخر جعلهُ دستوراً للمعلمين جمع فيه خلاصة اختباراته الشخصية مدة السنين التي تولى فيها التعليم ليرتشد بها الاساتذة الجدد الذين يُدعون الى هذه المهنة الشريفة ليهذبوا الشبيبة على كل اصول الدين والادب فيخرج الصغار مستعدين لخدمة وطنهم . وقد استحسنا الكتاب اجمالاً لولا بعض نظريات استقاها الكاتب من المناهل البروتستانية ل . ش

ذكرى الاعياد الاحتفالية لتطويب الاخوة المسابكيين

طُبع في مطبعة الاصلاح بيروت (ص ٧٠)

اخذت اصداء الاعياد المقامة او المعدَّة لتطويب شهداء دمشق تنتشر فتوقفنا على ما يجري او سيجري بمناسبتها من الاحتفالات البهجة . وهذه الذكرى وُضعت خصوصاً للاعياد الدمشقيَّة في وطن الشهداء تحتوي على رسالة سيادة حبرها بشاره الشمالي مع خلاصة ترجمتهم وبعض المدائح المقولة فيهم . فهي تعم الدليل للاعياد المذكورة

تساعيَّة اكراماً للشهداء الفرنسيسيين والاخوة مسابكي المطوَّبين

للاب اثناسيوس نزليان الفرنسيسي

طُبع بمطبعة الاراضي المقدَّسة سنة ١٩٢٧ (ص ٥٨)

هذه التساعيَّة المنظَّمة بأخبارها وتأملاتها وصلواتها ونشيدها هي من افضل الفرائض الدينيَّة لاكرام الشهداء المطوَّبين حديثاً . نوصي الذين يريدون الاشتراك بهذه الحفلات بان يتداولوها ويمعنوا فيها النظر ويجروا على ترتيبها ل . ش

أدب وتاريخ

تأليف محمَّد صبري

طُبع في مطبعة دار الكتب المصريَّة بالقاهرة سنة ١٩٢٧ (ص ٢٤٠)

مجموعة اربعة كتب ضمَّنها مؤلفها الهمام درساً واسعاً في حياة واعمال الكاتبين المصريَّين محمود سامي البارودي واسماعيل باشا صبري ثمَّ ألحقها بفصل ثالث في استقلال ايطاليا وختم بكتاب رابع من آثار قلمه . وكلّ ذلك مما يدلّ على طول باعه في الكتابة وتضلُّعه في التاريخ وانَّما كنَّا احببنا لو ألمَّ بذكر جور كافور واصحابه

في اغتصابهم لحقوق ملوك ايطالية ولاسيما البابا دون موجب سابق لمثل هذا الظلم واستناداً الى حقّ القويّ على الضعيف ل. ش

هدايا أُرسلت الى المشرق

١. جمعيّة المساعي الخيريّة السريانيّة: برنامجها عن السنتين ١٩٢٤-١٩٢٦. طُبع في المطبعة السريانيّة سنة ١٩٢٧ (ص ٣٦)

٢. لمحة تاريخيّة في دير سيدة المعونات لحضرة الاب ساره البتروني هي المقالة المستملحة التي ظهرت في المشرق فطبعت على حدة (ص ٣٣)

شذرات

﴿المزار الحيّ﴾ للكنيسة الكاثوليكيّة وحدها ما عدا مزاراتها العديدة التذكاريّة مزارٌ حيّ يُقبل اليه الناس من كلّ العالم. وهذا المزار هو القاتيكان محبس الحبر الاعظم منذ السنة ١٨٧٠ فانّ جماهير الزوّار من ملوك واشراف واغنياء وفقراء وكبار وصغار ورجال ونساء يتتابعون في كلّ فصول السنة لزيارة ممثّل السيد المسيح على الارض ليقدّموا له الاكرام الواجب ويرتشدوا بتعاليمه الخلاصيّة. ومنّن زاروه بمناسبة الاعياد الفصحيّة الاخيرة ١٤٠٠ شابّ من الفرنسويّين والبلجكيين وغيرهم فأسمعهم البابا ارقّ الالفاظ وزوّدهم بارشد الوصايا فرجعوا الى بلادهم ولسانهم لا يكلّ عن اوصاف البابا بيوس الحادي عشر

﴿كنيسة ريمس الكاتدرائيّة﴾ يوم عيد الصعود في ٢٦ أيار الاخير تجدّدت في هذه الكنيسة التي هي من اعظم آثار الهندسة الدينيّة واقدمها في فرنسة الحفلات الكنسيّة بحضور الالوف والربوات من الفرنسويين والاجانب الذين تقاطروا ليشاهدوا بناء تلك الكنيسة بعد ما اصابها من الدمار بقنابل الالمان. وقد كلّفت نفقات ترميمها نيّفاً واحد عشر مليوناً من الفرنكات. ومن الامور المضحكة انّ الوزير هيريو المعادي للدين كان الموفد من الدولة لاستلام هذا البناء الديني وتسليمه للكردينال لوسون

﴿اهتداء سيّدة انكليزيّة﴾ هي السيدة روسّل قرينة وزير انكلترة المقيم لدى الكرسي الرسولي تناولت القربان الاقدس بعد معموديّتها وتثبيتها من يد الحبر

الاعظم الذي اهداها سبحةً ثمينة جدًّا

﴿ارتداد احد وزراء الصين الى الكثلكة﴾ هو «لويان تسيانغ» زار بلجكة وتعرَّف باهلها الكاثوليك . ارتدَّ الى الدين الكاثوليكي في بروكسل حيث كان كمستشار سفارة دولته فيها . وقد اهدى الحبر الاعظم اوسمتهُ الشرفيَّة العديدة التي كان ربحها في مدَّة اشغاله السياسيَّة فشكرهُ البابا برسالة لطيفة كتبها بخطّ يده . والمرتدّ الجديد ينوي اليوم في الانتظام في سلك الكهنوت بعد وفاة قرينته وقد عزم على الدخول في احدى الرهبانيَّات ببلجكة ليدرس فيها اللاهوت

﴿سيدة فاطمة﴾ سبق لنا ذكر قرية فاطمة الواقعة في انحاء البرتغال . حيث تراءت البتول مريم لبعض الاحداث من الرعاة سنة ١٩١٧ فجرت بسبب ذلك عدَّة معجزات كما في لورد والزوَّار يتقاطرون اليها الوفاً الوفاً . والآن يسعى الاكليروس بتشييد كنيسة كبرى لاكرامها

﴿رئيس اساقفة اثينا الجديد﴾ تهنئ سيادة المطران جان فرنسوا فيليبوزي رئيس اساقفة اثينة الجديد الذي تخرَّج في مدرستنا الاكليريكيَّة البيروتيَّة مدَّة عشر سنوات فكان من افضل طلبتها وكنَّا من شهود نشاطه وبراعته في احراز العلوم الدينيَّة والفضائل الاكليريكيَّة . فلم يذهلنا خبر ارتقائه الى سدَّة رئاسة اسقفيَّة اثينة بعد ان قام احسن قيام بكل المهامّ التي عُهدت الى عنايته في ازمير وفي الاستانة . وكانت حفلة سيامته مؤخرًا في الاستانة في كنيستها الكاتدرائيَّة اللاتينيَّة المعروفة بكنيسة الروح القدس على يد القاصد الرسولي نيافة السيّد برتّا

﴿اليوبيل الذهبي لاختراع الفونوغراف﴾ يقع في هذه السنة التذكار الخمسيني لاختراع تلك الآلة الغريبة التي تدوّن الاصوات وخصوصاً الصوت البشري ونغماته وبهذه المناسبة جرى خصام بين العلماء عن مخترع الفونوغراف الذي يُنسب عموماً للطبيعي اديسون الاميريكي الشهير . غير انَّ الفرنسويين اثبتوا انَّ احد علمائهم المسمَّى ميشال كروس (Michel Cros) سبق الى اكتشاف اديسون ببضعة اشهر . فانهُ قدَّم لاكادمية العلوم في ٣٠ نيسان ١٨٧٧ كتاباً مختوماً كان وصف فيه اختراعهُ للفونوغراف وصفاً مدقّقاً . لكنهُ كان سمَّاهُ باسم باليوفون (Paléophone) (اي الصوت القديم) او صوت القدم . وفي ١٠ تشرين الاوَّل ١٨٧٧ اذاع اختراعهُ الكاهن

الفرنسوي لونوار (Lenoir) في نشرة الاكليروس ودعاهُ باسمهِ الحالي فونوغراف اي مدوّن الصوت . ونصّ كتاب ميشال كروس في ٣ كانون الاوّل في الاكاديمية الفرنسويّة . فتأكّدوا الاختراع بمجرّد وصفهِ دون عيانهِ اذ لم يجد ميشال مَنْ يساعدهُ على تجهيزهِ . امّا اديسون فكان اوّل ما اعلن باكتشافهِ في ١٩ كانون الاوّل ونال عنهُ اجازةً من حكومتهِ . ففي ٣٠ نيسان الاخير عُقدت حفلة عظيمة في وطنهِ وفي السوربون في باريس بقرب البيت الذي توفي فيهِ في السنة ١٨٨٨

﴿اكبر شوط هوائي﴾ تمكّن طيّاران اميريكيّان برت اكوستا وشمرلان ان يثبتا في الهواء دون توقّف الارض ٥١ ساعةً بنيّف قليل وهما ينويان قطع المسافة بين باريس ونيويرك بشوطٍ واحد . — وقد قطع الطيّار الاميركي لندبرغ المسافة بين نيويرك وباريس في اقلّ من ثلاثين ساعة بشوط واحد

﴿الموت خوفاً﴾ صُرع احد عُمال قرية سيزا الايطالية المدعو دي ماورو وعمره ٦٢ سنة فلمّا ظهرت عليهِ كلّ علامات الموت عُرض في غرفة جهّزوها بشعائر الحداد بين شموع موقدة . واذا بهِ افاق من صرعهِ فرأى ما يحيط بهِ من مظاهر الموت فأثّر فيهِ هذا المنظر تأثيراً عظيماً فسقط ميتاً

﴿من البرتغال الى البرازيل بالطيران﴾ تمكن الطيّارون البرتغاليون ان يقطعوا بشوط واحد الاوقيانوس الاتلنتيكي الجنوبي والمسافة بالغة ٢،٥٠٠ كيلومتر وذلك بسبع عشرة ساعة ونصف وكانوا راكبين الطيارة المائية (hydravion) المدعوّة ارغوس

﴿اوّل متحف للسينما﴾ معروف انّ اختراع السينما يعود فيهِ الفضل للفرنسويين فارادوا اثباتاً لذلك ان يدشّنوا في باريس متحفاً كبيراً خصّوهُ بطرائق هذا الفنّ

﴿عاديّات سقّاره﴾ انّ الكنوز الاثريّة المكتشفة في مصر في مدفن توت عنخ آمن كادت تنسي آثاراً اخرى عظيمة الشأن اكتشفها الاثريون الفرنسويّون والانكليز في سقّارة قريباً من هرمها فهناك وُجدت ابنية ومدافن واعمدة وتماثيل ومصوغات وآنية شتى اقدم ممّا عُرف الى اليوم ترتقي الى السلالة المصريّة السادسة الى عهد بابي الثاني وتختلف صناعتها عن صناعة الاجيال المتأخرة عنها . ومن جملتها مومياء فرسين وهي المرّة الاولى يوجد ذلك في المدافن المصريّة ويستفاد من تلك الآثار فوائد تاريخية واخلاقية لم يعهد مثلها العلماء في الآثار التي تخلّفت عنها

أسئلة واجوبة

س سأل من بروكلين نعوم افندي فانق : ١ً لاي سبب يُدعى النساطرة بالشوالحة ؟ .
٢ً ورد اسم الآدوميين في بعض تراجم التوراة على صورة آراميين فهل من نسبة بينها ؟
نسبة النساطرة بالشوالحة – النسبة بين الاراميين والادوميين

ج نجيب على (الاوّل) انّ اسم الشوالحة أطلق احياناً على النساطرة نسبةً الى شُولخ وهو جبل في جهات الرها كان لهم فوقهُ دير على اسم مار دانيال (ذكرهُ ابن العبري) . ونجيب على (الثاني) ان الادوميين امّة آدوم اي عيسو اخي يعقوب غير الآراميين الذين اصلهم من آرام النهرين وان دخل بين الادوميين كثير من الاراميين . امّا ما ورد في تراجم التوراة فهو تصحيف لشبه دال «آدوم» ورآ «ارام» بالعبرانية

س وسأل من الملتقة حضرة الخوري ب . م : ١ً ايجوز انارة المذبح بالنور الكهربائي .
٢ً أيجوز ان يقبل الكاهن حسنة القداس من غير كاثوليكي فيقدّس علانيةً على نيّتهِ ؟
انارة المذبح بالنور الكهربائي – قبول حسنة القداس من غير كاثوليكي

ج نجيب على (الاوّل) انهُ ممنوع اتخاذ النور الكهربائي على المذبح في القداس والرتب الدينية بدلًا من الشمع . وانّما يجوز تزيين الكنيسة بالانوار الكهربائية دون المذبح . ونجيب على (الثاني) انّ الكاهن لا يستطيع ان يقدّم جهارًا ورسميًّا القدّاس على نية غير كاثوليكي ولا ان يقبل حسنةً لذلك . وانّما يجوز لهُ ان يذكرهُ في الذبيحة ذكرًا غير رسمي وان يقبل ما يُعطى لهُ سرًّا بلا شكوك

س وسأل مستفيد : ما هي جمعيّة الرسالات الاجنبيّة وما هي اخصّ اعمالها ؟
جمعية الرسالات الاجنبية

ج هي جمعية كهنة فرنسويين أنشئت في باريس سنة ١٦٦٣ بهمّة الاب اليسوعي اسكندر دي رود والسيدين بالو ودي لاموت . ودونك ما جاء حديثاً عن اعمالها في لائحتها الاخيرة فانّها تدير ٣٧ نيابة رسوليّة في الصين واليابان والهند والهند الصينيّة ويبلغ عدد مرسليها ١،١٠٦ مرسلين يرئسهم ٤٣ اسقفاً فيخدمون في تلك الجهات ١،٧٧٨،٢٥٩ كاثوليكيًّا ويساعدهم في العمل ٥٦٤ راهباً و٦،٢٠٠ راهبة و١،٣٥٧ كاهناً وطنيًّا و٤،١٤٤ مبشرًا ويتخرّج في مدارسهم ١٢٧،١٥٣ تلميذًا و٢،٩٥٨ طالباً للكهنوت . وقد نصّروا العام الماضي ٣٤،٩٧٤ وثنيًّا و٤١٧ بروتستانيًّا

المشرق

الاخوة الثلثة

شهداء دمشق الموارنة

بقلم حضرة الخوري منصور عوّاد

«انَّ هذا النهار هو من اعظم الأيام عندكم
ولدى الطائفة المارونيَّة العزيزة فعليكم ان
تبادروا الى تدوين حياة الشهداء ونشرها
في البلاد ليعرف الجميع فضلهم وفضيلتهم»

(البابا بيوس الحادي عشر)

مقدّمة

بالحقيقة كان اليوم العاشر من تشرين الاوّل سنة ١٩٢٦ من اعظم الأيام في تاريخ الكنيسة الشرقيَّة المتحدة بالكنيسة الرومانيَّة. فقد احتفلت رومية المدينة الابديَّة حفلةً عظيمة أقامتها امُّ المدائن وامّا سائر الصور فلا يعرف لها في العظمة والرونق شبيهاً

في تلك الحفلة الدينيَّة المقامة في كنيسة القديس بطرس الملوكيَّة أعلن قداسة الحبر الاعظم المالك سعيداً البابا بيوس الحادي عشر انهُ بسلطانه الرسولي يُحصي في مصاف الطوبويين شهداء دمشق اي الرهبان الاخوة الاصغرين (الفرنسيسيين) عمانويل روز ورفقاءهُ السبعة ثمَّ الاخوة الثلثة الموارنة المسابكيين فونسيس وعبد المعطي ورافائيل

وعند الساعة السادسة عشرة ونصف انحدر ابو المؤمنين وجثا امام ذخائر اولئك

الشهداء الابطال واحرق بخوراً لاكرامهم وطلب شفاعتهم . فكان قدوةً لجميع المؤمنين الذين حضروا تلك الحفلة الجليلة وبه تثلت الكنيسة الجامعة من امرائها الى احقر المؤمنين مقاماً ورتبةً

تلك حفلات الدين يتوق الى مشاهدتها اعاظم الرجال توثر في النفوس تأثيرات لا تمحوها الأيام فيها تُعظَّم الفضيلة وتتوَّج القداسة بتاج المجد . فترى اصغر رجل عاش في الكمال على الارض متمرّساً بالفضائل حتى البطولة . واحقر امرأةٍ ادركت ذروة القداسة يُرفعان في مثل تلك الحفلة الى ما لا يحلم بهِ اعظم ملك او عاهل على الارض من المجد والكرامة

وللشهيد بين هؤلاء الابطال ميزةٌ خاصَّة وهو الذي ضحَّى بحياتهِ لاجل دينهِ بسفك دمهِ مضطهَدًا مرذولاً مهاناً فيحقق قول الربّ : (يوحنَّا ١٥ : ١٣) : « ليس لاحد حبّ اعظم من هذا ان يبذل نفسهُ عن احبّائهِ » فما قولنا بالمحبوب الأجلّ وهو الله أفلا يستحقّ الشهيد اكراماً يفوق اكرام اوليائهِ تعالى اذ لاجلهِ عزَّ وجلّ بذل نفسهُ واعزَّ ما لديهِ حياتهُ

فهذا الاكرام اراد الكرسيّ الرسوليّ ان يؤدّي لشهداء دمشق الرهبان الفرنسيسيّين والاخوة المسابكيين فنالهم من الشرف في هذه الحفلات فوق ما نالهم من الألم والعذاب في موتهم . ونحن الشرقيين ولاسيما الموارنة نفتخر بما حصل لنا من الشرف بتطويب ابناء طائفتنا شاكرين اوَّلاً لقداسة الحبر الاعظم إدراجهُ الاخوة الثلثة في عداد المطوَّبين كما انَّنا نشكر كل من سعى في تحقيق هذا الامر وخصوصاً غبطة السيد البطريرك الماروني الياس بطرس الحويك وسائر مطارنة الطائفة المارونيَّة بعريضة عموميَّة مع مساعدة فعَّالة بذلها نيافة القاصد الرسولي السيد فريديانو جياتيني ممثل الحبر الاعظم في هذه الديار الشرقيَّة

وهيهات ان ننسى فضل السيد شرل سالتي المرفد الى بلادنا من قداسة البابا وعلى نفقتهِ فأجرى بالتدقيق والسرعة كل التحقيقات اللازمة والفحص القانوني لاثبات دعوى استشهاد عبيدالله وقداستهم وكان برفقتهِ حضرة الاب سانتارلي طالب تثبيت شهداء الرهبانيَّة الفرنسيسكانيَّة

وقد استنفد السيد بشاره الشمالي رئيس اساقفة دمشق كلّ مجهودهِ في ترويج

قضايا الدعوى لتتمّ في الوقت المحدود وطلب من إمام الاحبار باسم طائفته الكريمة ان ينظم الاخوة الثلثة في سلك الطوبويين فتعطّف قداسته ملبياً اياه الى التماسه . فما لبثت ان عُقدت حفلة التطويب التي كانت من اجمل ما يعاينهُ نظر الانسان لعظم رونقه وسموّ جلاله

وقد حضر الحفلة البهيّة التي أُقيمت في كنيسة القديس بطرس وفدٌ من قبل الطائفة المارونيّة سار من لبنان يرئسهُ سيادة المطران بشاره الشهالي وكان بين اعضائه الاباتي جبرائيل المشقوتي رئيس الرهبانيّة الحلبيّة اللبنانيّة العام والاباتي يوسف الخوري العراموني نائب الرهبانيّة الانطونيّة العام والبرديوط ابراهيم مسابكي النائب الاسقفي في دمشق ونسيب الشهداء مع الجالية المارونية المقيمة في رومية يتقدّمها سيادة المطران نعمة الله ابي كرم

وفي تلك الحفلة الخالدة شاركت فيها الطائفةُ المارونيّة الرهبانيّةَ الفرنسيسكانيّة العظيمة وكان يمثلها رئيسها العام وحارس الاراضي المقدّسة واقليم اسبانية الذي يفتخر بان شهداء دمشق الثانية من ابنائه وحضرها نيافة القاصد الرسولي السيد فريديانو جيانيني . وفيها التفت قداسة الحبر الاعظم بعد أن أدّى الاكرام للشهداء الى سيادة المطران بشاره الشهالي والبشر طافح على وجهه : « انّ هذا النهار هو من اعظم الأيام عندكم ولدى الطائفة المارونيّة العزيزة فعليكم ان تبادروا الى تدوين حياة الشهداء ونشرها في البلاد ليعرف الجميع فضلهم وفضيلتهم »

ترجمة الشهداء

فاجابةً الى رغبة ابي المؤمنين احببنا ان ندوّن هنا خلاصة سيرة هؤلاء الشهداء مستندين الى المصادر الوثيقة التي رجع اليها الكرسيّ الرسولي للوقوف على مآثرهم مع ما رواهُ عنهم معاصروهم من وطنيين واجانب وجمعهُ سيادة المطران بشاره الشهالي وما دوّن في سجلّات الرهبانيّة الفرنسيسيّة والتواريخ المختلفة

فرنسيس المسابكي

هو فرنسيس بن نعمة المسابكي الماروني من عين عيون نصارى دمشق لا الموارنة

فقط في القرن التاسع عشر . نقل الينا التاريخ وصفهُ في شيخوختهِ وهو في السبعين من عمرهِ : شيخ ربعُ القوام ابيض اللون يميل الى الحنطة مستدير الوجه مفروق الحاجبين طويل الشاربين ثاجي الشعر ممتلئ الجسم تفيض عيناهُ حكمةً وصفاء وتتمثل بنظراتهِ طمأنينة ضميرهِ وسلامة نيَّته لا تفارقهُ ابتسامة الكبير يتلألأ وجههُ بانوار الفضيلة فلا يتمالك الناظر اليهِ من خفض بصرهِ احتراماً ووقاراً بهِ تتمثَّل شيوخ الموارنة الذين لا يعرفون لهم كنزاً اثمن من القداسة ولا ميراثاً يبقونهُ لابنائهم افضل من مخافة الله ومحبَّتهِ

كان فرنسيس يرتدي بالقفطان الحريري المعلَّم ويتمنطق بالزنَّار الكشميري ويضع عليهِ الجبة السوداء ذات القزّ ويتعمَّم بالعمامة السوداء الحريريَّة على طربوشهِ المغربي وكانت جميع اثوابهِ مع بساطتها من الحرير الفاخر صناعة دمشق ولا غرو وهو من اكبر تجار وطنهِ بالحرير

وقد عرفنا فرنسيس من رواية التاريخ الصادق تاجراً مثالاً وقدوةً لارباب العيال ومارونيًّا فاضلاً كبيراً ورجل دين متمسكاً بايمانهِ وشهيداً يبذل حياتهُ في سبيل معتقدهِ . ودونك الحجة على قولنا

١ التاجر

ان عائلة المسابكي من اقدم العيال النصرانيَّة في دمشق تروى لبعض اجدادهم آثارٌ ترقى الى القرن الثالث عشر . وانَّما كانت احوالهم كاحوال اهل دينهم سقيمةً الى ان اخذ النصارى في عهد فخر الدين المعنيّ امير لبنان الكبير يتمتعون ببعض الحرية الدينيَّة فامتدُّوا الى خارج لبنان وكان لهم شأن في دمشق قاعدة بلاد الشام وفي سائر سوريَّة . وقد ذكر التاريخ في القرون الثلاثة الاخيرة عدَّة رجال من بيت المسابكي شمامسة وكهنة واعياناً . وقد نما فضلهم في القرن التاسع عشر خصوصاً بزمن نعمة المسابكي واولاده الذين استشهد منهم الاخوة الثلثة

وكان لفرنسيس جاهٌ عظيم بين معارفهِ لوفرة ثروتهِ وكان يبتاع من اللبنانيين حريرهم فيشكرون معاملاتهِ لاستقامتهِ . وكان اذا سار الى لبنان من دمشق تقابلهُ القصبات والقرى بقرع الاجراس ويحتفون بهِ بالاغاني والاهازيج كأنهُ امير لبنان

او احد كبار رجاله . ويتسابقون ليشفوا لحظاهم برأى جمال طلعته وسحر ابتسامه ورقة شعوره ووداعته . وكان مشايخ بيت الخازن والدحداح وسائر زعماء لبنان في مقدمة الذين يكرمون فرنسيس ويحرضون اللبنانيين على اكرامه . امّا سبب اعتبارهم لشخصه فلانهم عرفوهُ كأعظم تاجر من تجار الحرير واصدقهم معاملةً لا يبخسهم حقوقهم ذرّةً فكانت ثقتهم به عمياء لانهم كانوا يرون به رجلاً صالحاً غيوراً على مصالحهم اكثر منهم عليها فيقنع في تجارته بالربح القليل لتزيد ارباح زبائنه اللبنانيين . وكفى تنويهاً بفضله انّ اتخذتهُ البطريركيّة المارونيّة معتمداً لها في جميع امورها المدنية

وما كان المسلمون في دمشق وابناء المذاهب والطوائف الاخرى اقلّ اعتباراً لفرنسيس فانّ شيوخهم وتجارهم المعتبرين لا يزالون يذكرون انّ تجارة الحرير في دمشق لم يقم فيها تاجر خبير ونزيه وصادق نظير فرنسيس المسابكي فربح ثقة الجميع . ولمعرفة اعيان دمشق برقّة طباعه ومروّته كانوا يستدينون منهُ كما فعل مفتي دمشق الشيخ عبدالله الحلبي لمّا استقرض منهُ ثمانية آلاف ليرة ذهب

ولشروع اريحيّته وسخائه كان جميع القادمين الى الفيحاء من سيّاح او تجّار اوربيين او اعيان لبنانيين ينزلون ضيوفاً مكرّمين على فرنسيس المسابكي فيقضي لهم امورهم ومشاكلهم . وكان اولاد فرنسيس ينهجون نهج والدهم ويساعدونهُ في تجارته كما اتّضح لنا باوراق امضاها « فرنسيس المسابكي واولادهُ »

٢ ربّ العائلة

ليست القداسة محصورة في كنيسة الله بالنسّاك ورجال الدين وانّما دُعي اليه كل مسيحيّ يقوم بواجبات حالته والدليل عليه انّ الكنيسة نظّمت في سلك قدّيسيها الملوك والعوامّ الاغنياء والفقراء الجنود والصّنعة المتزوّجين والعزّاب من كل طبقات الشعب اذ حقّقوا في سلوكهم دعوة الربّ : « كونوا كاملين كما انّ اباكم السماوي هو كامل »

وقد كان فرنسيس الرجل الصالح دعاهُ الله الى الحياة العائليّة فرأى في الزواج المقدّس سرّاً من اسرار الكنيسة السبعة فاقدم عليه باحترام وخشوع واقترن في نضرة شبابه بفتاة تشبهُه صلاحاً وديناً اليصابات شيحا الدمشقيّة من الطائفة اللاتينيّة .

فبارك الله زواجها ورزقهما ثلثة صبيان وخمس بنات ربّاهم تربية مسيحيّة حقّة فكانوا على شاكل ابيهم بمحافظتهم على وصاياهُ تعالى ووصايا كنيستهِ وكان مثلهُ في اقناعهم اعظم تأثيرًا من كلامهِ. فاذا رآهم الناس عرفوا افرنسيس تلك المزايا الفريدة مزايا ربّ العائلة الرصين الساعي في تخريج بنيهِ على كلّ الآداب الدينيّة والمدنيّة وهم يجلّونه اجلال أبرّ الابناء لافضل الوالدين فلا يتجاسرون بحضرتهِ على التدخين ولا يغيبون عن البيت الّا باذنهِ وهم في كلّ امورهم رهناء اشارتهِ. ومثلهم اخواهُ عبد المعطي ورافائيل وكان الاوّل يسكن في جناح من بيتهِ والثاني مقيماً معهُ

فكانت العيشة العائلية في بيت فرنسيس على غاية ما يرام من النظام والهناء. فيقدّمون على مثالهِ خدمة الله على كلّ شيء من صلاة يوميّة في بيتهم ومن تأدية الفرائض الدينيّة في أيّامها ومن مواظبة على الاسرار ومن انقياد الى اوامر رؤساء الدين ومن ممارسة كل الفضائل المسيحية وحفظ رسوم البيعة لا يأخذهُ في ذلك لومة لائم ولا يرضى بتساهل. حتى انهُ صفع مرّة بكفّ احدى حفيداته اذ رآها في يوم من ايّام الصوم الكبير سبقت فافطرت قبل الظهر

وكانوا يقضون ساعات الراحة في عقر دارهم. فيتناولون طعام العشاء مقدّمين عليهِ الصلاة وخاتمينهُ بالشكر ثمّ يلتفّون جميعهم حول السيد ابيهم فيتفاوضون بشؤونهم بكل ادب وانبساط وان وُجد عندهم ضيوف تسابقوا الى اكرامهم وتحفّوا بهم

وقد امتاز فرنسيس بسعة نظرهِ في خدمة اهل دينهِ فكان يسعى طاقة جهدهِ في توثيق عرى الحب بين كل الطوائف فكان عهدَ بنيهِ الى الآباء الفرنسيسكان ليهذّبوهم في الامور الدينيّة والادبيّة. وزوّج بناتهِ الخمس لابناء الطوائف الكاثوليكيّة المختلفة فصاهر اعيان اللاتين والسريان والروم الكاثوليك والموارنة. ولحسن تهذيبهِ لبناتهِ كان يرغب الشبان في خطبتهنّ لا لجمالهنّ او غناهنّ بل خصوصاً لفضائلهنّ وجودة تربيتهنّ

وكان في معاملاتهِ مع عموم اهل وطنهِ يصرف جهدهُ في اكتساب حبّهم بلطفهِ ودماثة طباعهِ. وعلى تلك السجايا الطيّبة كان يدرّب ابناءهُ. فمنهم كان ميخائيل الذي درس في مدرسة الآباء اليسوعيين في غزير ثمّ شاركهم في خدمة الآداب في مطبعتهم

ببيروت فعرّب مختصر التاريخ المقدّس وكتاب القانوني شبيت المعروف بالمانة حكاية ادبيّة ومات برائحة القداسة

٣ رجل الله

قد اختصر صاحب سفر الجامعة وصف الرجل الكامل في هذه الآية (١٢: ١٣): «اتّقِ الله واحفظ وصاياه فانّ هذا هو الانسان كلّهُ» وكأنّي بفرنسيس اتّخذ هذه الآية لحياته شعارًا

أجل انهُ لم يكن لهُ مثيل في دمشق بالجاه والفضل وهو وجيه النصارى على الاطلاق وعميد الموارنة على الخصوص ولسانهم لدى حكومة دمشق وعين تجار المدينة يرجعون اليهِ في شؤونهم التجاريّة ولاسيما تجارة الحرير. كما انّ جميع اهل لبنان من رؤساء ومرؤوسين يكرمونهُ ايّ اكرام ويتزاحمون الى معاملاتهِ لا يعرفون لهُ نِدًّا

الّا انّ فرنسيس لم يبطرهُ الجاه العالميّ بل كانت وجاهتهُ تزيدهُ تمسّكاً في دينهِ فكما كان وجيه دمشق وفخر تجارها كان ايضاً مثال الاتقياء يعجبون بايمانهِ الحيّ ولنا على تقواهُ شهادة عيانيّ عرفهُ وهو في الحادية عشرة من عمرهِ اذ بلغ فرنسيس فجر عقدهِ الثامن نعني بهِ الشيخ الوقور سليم افندي خاشو الارمني الكاثوليكي قال: «عرفت فرنسيس المسابكي اذ كنتُ اراهُ كل صباح في دير الآباء الفرنسيسكان في دمشق يبكر لاستماع القداس وكان في كل عيد يتقرّب الى سرّي التوبة والقربان واذا عُقدت حفلة دينية في مساء نهار يسرع الى قفل مخزنهِ ليحضرها. ومع تقدّمه في العمر لم يتخلّف عن صيامات الكنيسة وقطاعاتها في عموم السنة وينقطع ليس عن اللحوم والبياض فقط بل يحتمي ايضاً عن اكل الزيت مكتفياً بالخضر المسلوقة والنواشف

امّا محبّتهُ للفقراء والبائسين فكان يشهد عليها مواطنوهُ ولم يكتفِ بان يزكّي مالهُ بالاحسان عليهم وبتوزيع الصدقات الواسعة على البائسين مدّة حياتهِ بل شاء ان يجعل لهم حصّة في وراثتهِ فاوصى للبُرص ببيت صغير وخصّص مبلغاً آخر باعمال البرّ. وقد اطلع صديقهُ يوسف المهندم على وصيّتهِ التي تلفت مع اوراقهِ بالحريق في حوادث السنة ١٨٦٠. لكنّها لا تزال مكتوبة باحرف ذهبيّة في عين الله الذي يعتبر كمقرض لهُ كلّ ما يعطى للفقير

عبد المعطي ورافائيل المسابكي

كنّا نودّ ان نعرف من اخبار فرنسيس المسابكي ما يطلعنا على عظم فضله وسموّ بره مع اجماع معاصريه على اطراء مآثره فلم يبلغنا منها إلّا بقايا صبرت على آفات الزمان. امّا شقيقاهُ عبد المعطي ورافائيل فانّ ما افادنا عنهما التاريخ لا يزيد على اسطر مقتضبة وهذا لا يبخس حقّهما وقد شاركاهُ في حياته الفضلى وفي ميتته الشريفة

وما نعلمهُ عنهما اجمالًا انّ الاواخي التي كانت تربطهما بأخيهما فرنسيس لم تكن اواصر القرابة فقط بل علائق اوثق واجلّ اي روابط البرّ والصلاح وناهيك بها عزًّا وشرفًا

﴿عبد المعطي﴾ كما وصفهُ لنا الذين عرفوهُ كان معتدل القامة رقيق الجسم نحيلًا وكان حليقًا خفيف الشعر طويل الشاربين جميل الطلعة حنطي اللون يميل الى البياض لبسهُ على زيّ ابناء عصره يرتدي بالقفطان الحريري والزنّار الكشميري ولا يفارقهُ رداؤهُ القصير

وكانت تلوح على وجهه مسحة العبادة والتقشّف مع حلاوة جذّابة ولا يزال مطرقًا مفكرًا في ربّه يهذّ ليلًا ونهارًا في الامور الروحيّة

تزوّج عبد المعطي من ابنة سكزان ورُزق منها نعمة ويوسف وثلاث بنات وكان مقيمًا في دار شقيقه فرنسيس منفردًا بالمعاش مع اهله . وقد تعاطى في اوّل شبابه التجارة وزاولها مدّةً ثمّ حاد عنها لرقّة ضميره خوفًا من ان يلحقهُ بها بعض الاجحاف في المعاملات تسبّب لهُ قلقًا ووسواسًا . ثمّ انصرف الى تهذيب الاولاد وتعليم الناشئة بالتدريس في دير الآباء الفرنسيسكان فقام بهذا العمل بغيرة عجيبة كأنّهُ راهبٌ منهم كما ذكرهُ بعض الشيوخ المتخرّجين عليه وهم يدعون اسمهُ « المعطي » اختصارًا

وقد حقّق اسمهُ فيهم بكل معناهُ فانّهُ اعطاهم بكل سخاء وتدقيق ما كان يعرفهُ من اصول اللغة وقواعد الدين الكاثوليكي ولكنهُ كان على تهذيبهم احرص منهُ على تعليمهم . كان يعاملهم بكل عناية ومحبّة ورزانة فكانوا يهابونهُ ويكرمونهُ

وكان لا يفرق بينهم باهتمامهِ فيعتبرهم كلّهم كابنائهِ وابناء شقيقهِ . وكان يعمل فيهم خصوصاً مثالهُ الصالح اذ يرونهُ جاثياً في الكنيسة على الحضيض دون حراك حتى اصبح جلد ركبتيهِ جاسياً كجلد الجمل

وكان يلازم بيت الله طافة جهده فيسبق الجميع صباحاً الى استماع اوّل قدّاس وذلك حتى في زمن الشتاء والزمهرير فيعرف الناس آثار اقدامهِ وأقدام ابنتهِ في الثلج . فكان لا يدع رتبةً دينيّة إلّا حضرها وكان في قرب الاعياد يُعِدّ تلامذتهُ لحفلاتها ليواظبوا على الاسرار ويساعدوا بالصلوات والتراتيل على رونقها . وكانت عادة الكاثوليك في تلك الايّام ان يتناولوا القربان الاقدس في الاعياد الكبيرة فقط امّا عبد المعطي كشقيقهِ فرنسيس كان لا يدع احداً او عيداً دون ان يجلس الى المائدة الالهيّة ولو سُمح لهُ بالمناولة اليوميّة لَما تأخّر عن قبول الضيف السماويّ . اذ كانوا يرونهُ قبل مناولاتهِ وبعدها كأنّهُ غائبٌ عن الحسّ غائصٌ في مناجاة السماء

فمن كانت هذه اخلاقهُ الراقية ليس من عجب ان يكون عُني بتربية آل بيتهِ وقد يقول المثل انّ من اشبه اباهُ ما ظلم فانهُ غرس في قلوبهم خوفهُ تعالى فعاشوا كمسيحيين عاملين وقد اختار الله احدى بناتهِ لخدمتهِ فدخلت عند راهبات المحبة وتعاطت سنين طويلة كل اعمال الرحمة ألا وهي الراهبة افرازيا مابكي التي ماتت في رائحة القداسة

﴿رافائيل﴾ هو الفرع الثالث من تلك الزيتونة المباركة التي قال عنها صاحب المزامير (١١٧ : ٣) : «انت كالزيتونة وابناؤك على مائدتك حولك» . ولم ينقص هذا الفرع عن شقيقيهِ حسناً ونضارةً . كان رافائيل يسكن في بيت فرنسيس شقيقهِ وقد لزم العزوبة تبتّلاً فاعتزل عن العالم وخوضاتهِ فكان يصرف وقتهُ في غرفتهِ او في الكنيسة وانّما كان يساعد اخاهُ فرنسيس في اشغالهِ . وعيشتهُ هذه في الوحدة وابتعادهُ عن الناس كانا السبب لقلّة ما نقل لنا معاصروهُ من اخبارهِ وفضائلهِ . وكفاهُ شهادةً على براءتهِ وعظم فضلهِ انهُ ضحّى كاخويهِ بحياتهِ في سبيل دينهِ الكاثوليكي

ليس من يقطع طرقاً بطلاً انّما من يتقي الله البطل

امّا ما عرفنا من وصف صورتهِ فانهُ كان قصير القامة كامل الجسم رقيقهُ يشبه بصورتهِ اخاهُ عبد المعطي لونهُ الى البياض ببعض السُمرة مستدير الوجه عريض الجبهة

بارز الانف مفروق الحاجبين كبير العينين كثيف الشعر حليق اللحيـة زيّه كزيّ اخويه بسذاجته

عرفنا ولو معرفةً خفيفة الاخوة المـابكيين الثلثة في سلوكهم الاجتماعي فبقي علينا ان نصفهم في موتهم الشريف

اوّل المخاض

قال السيد المسيح في انجيله الطاهر يوحنا (١٦ : ٢) : « ستأتي ساعة يظنّ فيها كل من يقتلكم انهُ يقرّب لله قرباناً » . فكلامهُ تعالى قد تمّ بالحرف في مذابح النصارى السنة ١٨٦٠

كان نصارى الشام عائشين منذ عدّة سنين مع مواطنيهم المسلمين والدروز بسلام واتفاق . فما كان المسلم يكره النصراني وآيات قرآنه لا توحي اليه بالنصارى الّا خيراً . وكذلك المسيحي لعلمه بضعفه وقلّة عدد اهل ملّته ما كان ليحرّك الضغينة في قلب المسلم فضلًا عن انّ دينهُ يأمرهُ بمحبة قريبه كنفسه . وكان ان صدر شيء من المشاحنات في بعض الافراد من الجانبين اسرع عقلاء القوم فازالوا بينها ذات البين

فكيف اذن وقعت تلك المجازر ؟ مَن أثار تلك النعرة السدينيّة التي أدّت الى استشهاد هؤلاء الاخوة؟ انّما كان ذلك بفعل رؤساء الدولة العثمانيّة ترويجاً لمآربهم الباطلة واغراضهم الفاسدة فاقاموا حكّاماً ودفعوهم الى اثارة البغضاء في القلوب واشاعوا الاكاذيب في حقّ النصارى ثمّ اطلقوا العنان لرعاع القوم ليضربوهم ضربة لازبة بقتلهم وسلب اموالهم واستئصال شأفتهم زعماً بنهم انّ وجودهم في الدولة العثمانيّة آفةٌ عليها وبسببهم تُغير الدولُ الاوربيّة على بلاد الاسلام ولم يزالوا يقتلون بالذروة والغارب حتى هاجت البلاد

وانتشرت الثورة اوّلًا في راشيّا وحاصبيّا ثمّ في دير القمر وزحلة فقُتل بضعة ألوف من النصارى خصوصاً على يد الدروز

ثم اخذت الثورة تنتشر في سواحل الشام باغراء خرشيد باشا ولكانت سالت فيها الدماء الزكيّة لولا وجود القناصل ومراكب الدول الاجنبيّة وعسكر كسروان النصراني . امّا دمشق فلبعدها عن البحر وكثرة اهاليها المسلمين قد رأى احمد باشا

التركي انهُ يستطيع ان يحقق فيها نيّات الحكومة السيئة

وقد روى احد الشهود العيان في العام الماضي في المشرق (٢٤ [١٩٢٦]: ٩١٥ــ ٩٢٦) الحوادث المفجعة التي جرت في دمشق فاتّسع في بيان اسبابها وتفاصيل فظائعها التي ترتجف لها الابدان وترتعد الفرائص بقتل الرجال وسبي النساء ونهب البيوت وحريق حيّ النصارى وكنائسهم ونجاة من دخل منهم تحت حماية الامير عبد القادر الجزائري فنحيل القرّاء الى مراجعتها. وانّما نكتفي هنا بذكر شهدائنا الطوبويين

وقد جاء هناك ان الرهبان الفرنسيسكان لم يخرجوا من ديرهم ليلتجئوا الى دار الامير عبد القادر كما فعل غيرهم لظنهم ان الاقامة في ديرهم آمنٌ على حياتهم وهم رهبان تحت حماية فرنسة اصلهم من دولة اجنبيّة لا خلاف بينها وبين الدولة العثمانية. فلم يتحقّق ظنّهم فذهبوا ضحايا الهمجيّة وبغض الدين كما سترى

الثورة في دمشق

كان يوم الاثنين التاسع من شهر تموز من السنة ١٨٦٠ من اشأم الأيام وافجعها على النصارى. تظاهر والي دمشق اوّلاً تضليلاً الافكار انهُ يتشدّد على المسلمين ويقاصّ بعض شبّانهم واعيانهم حتى هاج الناس بسببهم ثمّ أطلق في القلعة مدفعاً في عصر النهار كان العلامة المتّفق عليها بينهم للاغارة على النصارى. ففي لمحة العين هجم عدد عديد من الاشقياء ونفذوا في حيّ النصارى في باب توما وفي ايديهم السيوف والخناجر والكربينات والبلطات وادوات الحريق والدمار وكانت جلبة اصواتهم تملأ الفضاء وامتزج بها نباح الكلاب وصياح النصارى وعويل الاولاد وولولة النساء. فما مرّ برهة من الزمان حتى سالت الدماء ونُهبت البيوت والمخازن واخذ لسان النار يندلع في انحاء شتى يلتهم الاموال ويخرب الابنية

ففي تلك الساعة الرهيبة خرج فرنسيس مسابكي من داره المحاذي لدير الآباء الفرنسيسكان ليزورهم ويطلب عندهم لهُ ولعائلته ملجأ فلاقوهُ بالاكرام والتجلّة حسب مألوف عادتهم ولاسيما انهم كانوا يحترمون به الشيخ الوقور الصالح والتاجر المحسن الى ديرهم والمدافع عنهم لدى الحكومة وهو مدمن العبادة والصلاة في كنيستهم. واذ سألوهُ عمّا يرى من احوال المدينة روى لهم ما يعرفهُ من تعصّب اعداء النصارى

وابان لهم مخاوفهُ من شرّهم . فزاد قلق الرهبان واجتمعوا في الكنيسة حيث كان سبقهم رافائيل المسابكي شقيق فرنسيس ليصلي

امّا عبد المطي فكان لم يزل في مدرستهِ مع جملة من الاحداث فلمّا بلغهُ خبر هيجان المسلمين اخذ يحضُّ تلامذتهُ على التمسُّك بدينهم وتفضيل الموت على ارتكاب خطيئة واحدة . ثمَّ رأى بمشورة الآباء ان يصرفهم الى اهلهم لئلّا تقع على الرهبان المسئولية بسبب ضرر يلحق بهم ان لبثوا في الدير . وانّما بقي مع فرنسيس ابنهُ ميخائيل ومع عبد المطي ولدهُ وتلميذ مدرستهِ نعمة وبعض الافراد كما روى سليم افندي خاشو الذي كان في جملة التلامذة المنصرفين

ولمّا خرج التلاميذ امر الرئيس بان يُقفل باب الدير ولم يسمح لاحد ان يدخلهُ حتى لنائب اسقف الموارنة وخادم رعيّتهم الاب موسى كرم مؤرخ تلك الحوادث لئلّا يتخذ القوم وجودهُ بينهم سبباً للفتك بهم ولهُ بينهم خصومٌ ألدّاء . فرافقهم وكرَّ راجعاً ولاذ بالامير عبد القادر ثمَّ بالقلعة فنجا . ولكان الرهبان الملتجئون الى الدير نجوا ايضاً لو لبّوا دعوة قنصل فرنسة الذي اوفد اليهم مرّتين وكيلهُ ابرهيم شيحا للخروج من الدير ليذهبوا معهُ برفقة جنود عبد القادر الى مأمن . وانّما لزموا السكوت كما امرهم الرئيس وسلّموا امرهم الى الله مطمئنين الى حسن نيّة الدولة التي عرفتهم مخلصين في خدمتها منذ سنين من السنين فليس من داعٍ الى اذيّتهم

بقوا في مساء النهار يستحثّون بالصلاة امام القربان الى ان ارخى الليل سدولهُ وخيّم الظلام على دمشق وهم يسمعون جلبة الثوّار وصراخ القتلى بما تتفتّت لهُ الاكباد وكانت اصوات القوم تزيد تقرّباً فأيقنوا بوقوع ما لم يكن في الحسبان وتحقّقوا دنوَّ اجلهم فبادروا الى قبول الاسرار واعترف كل منهم بكل خشوع وندامة واستعدّوا لملاقاة ربّهم . ودعاهم الرئيس الى مائدة الخلاص فناولهم الزاد الاخير وذكّرهم بمواقف الشهداء اجدادهم وحرّضهم على التضحية بحياتهم حبّاً لاله الصليب . فادركوا ما يطلبهُ الرب منهم فاخذوا يشجعون بعضهم بعضاً . ثمَّ تلا رئيس الرهبان طلبة القديسين ليستمدّوا منهم القوّة في ذاك الجهاد الخطير فكانوا يجيبون لابتهالات الطلبة بصوت جهوري واصغاء تامّ . ثمَّ تفرّقوا في الكنيسة عند مذابحها فناصوا في الصلاة وخصوصاً بازاء الهيكل الكبير حيث كان لم يزل القربان محفوظاً

لساوانهم وتقوية عزائمهم وامام صورة البتول سلطانة الشهداء

وبعد حين صعد رافائيل الى سطح الدير مع بعض الآباء ليروا ماذا حل بحي النصارى فشاهدوا النيران تلتهم البيوت ودخاناً كثيفاً منبسطاً في الجو . واحرا في الازقة فئات من القتلة ينقضون انقضاض الذئاب الكاسرة على النصارى الهاربين امامهم . وكانت الاصوات تتقارب الى الدير حتى كادت تدركهُ عند منتصف الليل

شهداء الايمان

واذا بجمهور من اولئك الرعاع هجموا على بوابة الدير وهي مصفحة بالحديد فضربوها ضربات متتالية فلم يستطيعوا فتحها وهم يقذفون الدين النصراني بأقطع الشتائم . وبقوا على ذلك مدة حتى كادوا ييأسون من النفوذ الى وسط الدير فحينئذٍ دخل بينهم المسمّى حسن العلّاف كان حانوتهُ مجاوراً لهُ فارشدهم الى باب صغير كان يسلّم منهُ الى اهل الدير ما يحتاجون اليهِ لمطبخهم من اللحم والبقول . فما وقفوا على الامر بخيانة الرجل حتى تبعوهُ وحطّموا الباب بلمحة عين ودخلوا كالسيل الجارف

فكان اوّل ما فكر فيهِ الرئيس ان يصون القربان المقدّس من رجاساتهم فقال لهم : « دعوني ان آتيكم بكنز خفيّ » فاسرع الى بيت القربان وتناول ما بقي من خبزه الجوهري ثمّ التفت اليهم قائلاً : هذا هو المخبأ وليس لديّ كنزٌ آخر فما كان منهم إلّا ان ضربوهُ بسيوفهم عند المذبح فضرّجهُ بدمهِ الطاهر

وكان ﴿فرنسيس﴾ في تلك الساعة يصلي في الكنيسة فلما رأى القوم منبثين في الدير نهض نحو الباب فالتقى باولئك القتلة فعرفوهُ وتهيّبوا فوراً جلالهُ وشيخوختهُ فكلّموه بهدوء قائلين : قد بعثنا الشيخ عبدالله الحلبي مفتي دمشق لنخلّصك انت ومن معك على شرط ان تجحد دينك وتُسلم . فاجابهم فرنسيس بكل رزانة وبصوت جهوري : اذهبوا وقولوا للشيخ عبدالله . اني اسامحهُ بما لي عليهِ من المال (اعني ثمانية آلاف ليرة ذهب) امّا ديني فلا يستطيع احد ان ينزعهُ مني فانّ نفسي لله وحدهُ . فقالوا : ان لم تجب الى دعوتهِ أمرنا بقتلك . فقال : اصنعوا ما شئتم ولكن قد كُتب في الانجيل : « لا تخافوا ممّن يقتل الجسد ولا يستطيع ان يقتل النفس . بل خافوا ممّن يمكنهُ ان يهلك النفس والجسد في جهنّم » . قال هذا وهمّ بالصلاة لكنّهم لم يدعوهُ ينجزها بل اعملوا فيهِ

سيوفهم ونفوسهم فأتمّ صلاتهُ في السماء وانتثرت لحمانهُ وسالت دماؤهُ على الحضيض

وكان ﴿عبد المعطي﴾ على سطح الدير عند دخول المعتدين فنزل ليحتمي في الكنيسة الى جانب اخيهِ فلقيَهُ القتلة وامسكوهُ ثمَّ اهانوهُ وعرضوا عليهِ الاسلام لينجو من الموت. فصرخ للحال باعلى صوتهِ: انا مسيحي اقتلوني اقتلوني . فتناولتهُ ضربات اسلحتهم بكلّ شراسة وشناعة ففاضت روحهُ الطاهرة عند مذبح العذراء ولحق بشقيقهِ في دار الخلود

امّا ﴿رافائيل﴾ فكان مختبئاً في بعض زوايا الدير فلقيهُ المغتصبون وطلبوا منهُ ايضاً ان يدين بدينهم فما كان منهُ إلّا ان جثا مصلّياً فاطاروا رأسهُ وبهِ تمّت تلك الضحيّة المثلّثة التي تنسّمها الله برائحة الرضى واعدَّ لاصحابها اكليل الظفر الذي يجلّل هامهم الى الابد

وكان الرهبان قد اجتمعوا ايضاً في كنيستهم فقتلهم اولئك الاشرار قتل الحملان وكانوا اذا قتلوا واحداً يدقّون الجرس مقهقهين ومبالغين في الوقاحة قائلين: ابتدأ القدّاس وكان عدد الرهبان مع رئيسهم ثمانيةً استحقوا تطويبات الربّ الثاني وجزاءهُ حيث يقول: افرحوا وتهلّلوا فان جزاءكم عظيم في السماء

وقد نجا من هذه المجزرة نعمة بن عبد المعطي وميخائيل بن فرنسيس اذ وجدا مختبأً امكنهما منهُ ان يعاينا استشهاد والديهما وعمّيهما فأدّيا شهادةً صادقة عن شهامتهم وامتزاج دماء بني مارون بدماء ابناء القديس فرنسيس فتأهلوا ان يشتركوا في مجد السماء كما اشتركوا بآلام ابن الله بموتهم الشريف

على انَّ الله عزَّ وجلَّ الذي يُجزل ثواب عبيدهِ في جنان الخلود كثيراً ما يمجّدهم حتى في هذا العالم لينتقم لهم من اعدائهم وليكون مثلهم قدوةً بين البشر حتى اذا رأوا شرفهم يتقفّوا آثارهم ولا يخافوا ان يبذلوا النفس والنفيس لربح الخيرات السماويّة

وهذا ما نراهُ في شهداء دمشق الذين فتك بهم اعداؤهم فالاعداء باد ريحهم وانقرض اسمهم وها هوذا ذكر الشهداء مخلّد أُدرجت اسماؤهم في سجلّ القديسين والعالم الكاثوليكي يطرئ مآثرهم. قد أُقيمت الاعياد الفاخرة تعظيماً لشهامتهم فاتّسمت الصحافة بما عُقد من الحفلات البهجة احتفاء بذكرهم لاسيما في مصر ودمشق وبيروت وحيفا حيث زُيّنت الكنائس وأُقيمت الرتب الطقسية الجليلة التي حضرها ارباب

الدين والدنيا ورنّت لمفاخرهم البيع ببلاغة الخطباء فنطقت ألسنة جماهير الشعب بمحامد شهداء دمشق . ومنذ الآن ستتجدد كلّ سنة حفلة عيدهم في الكنيسة المارونيّة التي تعدّهم كباكورة ابنائها الذين نالوا هـذا الامتياز الفائق . اعاد الله على سائر الطائفة هذه الاعياد بمزيد الفرح واحظاها بتثبيت غيرهم من ابرارها الصالحين

الحكمة المصرية في عهد الفراعنة

عن مقالة لحضرة الاب الكسيس مالون اليسوعي ببعض تصرّف

انّ الآثار الكتابيّة التي وُجدت في وادي النيل لم توقفنا فقط على تاريخ قدماء المصريين وفنونهم العجيبة واديانهم بل افادتنا ايضاً عن آدابهم وحكمتهم الراقية

كلام مجمل عن حكم المصريين وشيوعها

ومن الحكماء الذين كان الاثريون وقفوا على كتاباتهم بعضُ وزراء الفراعنة وكهنة مصر وغيرهم كالحكماء فتاح هوتيب وخطي وامنمحان وأني الذين لهم اقوال حكميّة وامثال وادبيّات تدلُّ على حُسن نظرهم واتقاد ذهنهم إلّا انّ افكارهم لا تتجاوز افكار حكماء الشرق المبنيّة على الفطرة الصالحة وأصالة الرأي وسلامة الذوق التي تُرى في اثار سواهم وربّما طابقت اقوالًا وردت في الاسفار المقدّسة دون أن يُمكن الحكم بانها منقولة عنها او إثبات ايّ هو الناقل عن الآخر

ومن المعلوم ان المعاملات بين مصر وفلسطين لقرب تخومهما كانت متواترةً فليس من العجب ان تكون حِكَم احد القطرين نفذت في القطر الآخر فوقع التشابه بينهما . بل ليس من المستبعد ان يكون المصريّون وقفوا على بعض كتابات بني اسرائيل كما انّ بني اسرائيل اطّلعوا على بعض تآليف المصريين . وقد جاء في سفر الاعمال ٧ : ٢٢) عن لسان القديس استفانس « انّ موسى النبيّ تأدّب بحكمة المصريين كلّها » فلو ثبت إذن ان كتبة الاسفار الالهيّة استعاروا بعض الحكم من المصريين لا يكون ذلك نقصاً في علمهم كما انّهم استعاروا عن حكماء زمانهم القريبين منهم امثالًا وحكماً اثبتوها مع التصريح باسماء قائليها . فتجد خصوصاً في امثال سليمان منقولات مثل هذه . ففي الفصل ٢٢ : ١٧ يقول « أمِلْ أذنك واسمع كلام الحكماء » وفي الفصل

٢٣ : ١٢ يقول: «وجه قلبك للتأديب واذنيك لاقوال العلم». وفي الفصل ٢٤ : ٢٣ — ٣٤ يُعلن انَّ الحكم التالية «هي ايضاً للحكماء». ويزيد تصريحاً في الفصلين الاخيرين ٣٠ و٣١ فيذكر الحكيمين اللذين تُنسب اليهما الحكم وهما آجور بن ياقة ولموئيل الملك»

حكمة أمن إم اوبة

تلك كانت آراء المستشرقين عن توافق الافكار بين المصريين وحكماء بني اسرائيل الى السنة ١٩٢٤ وفيها نشر العلامة الانكليزي الشهير السر وَلِيس بودج (Sir Wallis Budge) اثراً مصوناً في المتحف البريطاني في لندن عنوانهُ «تعليم امن ام اوبة» (Amen-em-Opé)

فمن هو امن ام اوبة ؟ ما هو اصلهُ ؟ وما هي رتبتهُ ؟ ومتى ازهر في مصر ؟

فالجواب على هذه الاسئلة نستفيدها خصوصاً من اثرهِ المنشور حديثاً امن ام اوبة كان ابن كانخت وتا أوسريت . ومعنى اسمهِ «آمون تيبة» وكان اليونان يدوّنون هذا الاسم على صورة «امينوفيس» . واصل المذكور من مدينة اخميم المدعوّة عند اليونان بانوبليس (Panoplis) وكان من اعيان اهل مصر ويذكر في اثرهِ عن نفسهِ انهُ «كاتب غلّات مصر» و«مراقب غلّة الشعير» و«مسجّل الاطيان الزراعيّة». وكان من حاشية الفرعون وذا املاك واسعة. امّا زمانهُ فيُستدلُّ عليهِ من لغتهِ التي هي اللغة المصريّة المستحدثة انهُ كان في زمن طبقة الفراعنة المتوسّطة اعني بين القرن التاسع او العاشر قبل المسيح

أثر أمن إم اوبة

الاثر الذي كلامنا عنهُ قطعة من البُردي او البابير طولها ثلثة امتار و٦٧ سنتيمترًا في عرض ٢٥ س. وهو في ٢٧ حقلًا مبلغها ٥٥١ سطرًا كتابيًا بالقلم المعروف بالكهنوتي (hiératique) . وبين اسطر هذه الكتابة ما هو قصير جدًّا لا يحتوي إلّا الفاظًا قليلة وقد نشر السر بودج صورتهُ مع ترجمتهِ الى الانكليزيّة

وهذا الاثر الجليل يُقسم الى ٣٠ فصلًا صدَّرهُ صاحبهُ بمقدّمة طويلة ذكر فيهِ الغاية من كتابته وحسن مضامينهِ مع تعريف شخصهِ والقابهِ ورتبهِ . ولكل فصل عنوان بالحبر الاحمر يتراوح بين سطرين وثلثة اسطر

فما ظهر هذا الاثر مطبوعاً حتى تهافت الى درسهِ عدد عديد من العلماء لاسيما في المانية. والحقّ يقال انهُ مع قصرهِ جدير باعتبار عُبي الآثار القديمة. وقد شاع سابقاً في مدارس مصر حتى انهم جعلوهُ كدستور لتعليم الاحداث. وقد يُرى في احدى صحائف مصر المصونة في متحف طورينو تلميذٌ ينقل عنهُ كلّ يوم اربعاً او خمساً من حكمهِ

امّا انشاء هذه الحكم فعلى مثال الشرقيين الموجزة الكثيرة المعنى في قليل من الالفاظ. وهي كالابيات الرجزيّة ذات قسمَيْن متحاذيَيْن متلازمَين

فحوى تعاليم أَمِن إم اوبة

مدار تعاليم أَمِن إم اوبة على واجبات المرء في المجتمع البشري وليست غاية مؤلفها ان يدوّن تلك الوصايا الغريزيّة الاولى المطبوعة في قلب الانسان والمرشدة لهُ في اعمالهِ ولا ان يقبّح تلك الآثام التي يأنف منها كلّ رجل عاقل ويُعاقبها العدل البشري كما تراها مدوّنة في وصايا الله العشر. وانّما قصد من وضعها ما هو أعرق وادقّ في الضمير فتراهُ يتتبّع ويؤثّم الاعمال القبيحة التي لا تستطيع عين الانسان من مراقبتها كالوسائط المعوّجة التي يتوسّل بها البعض لتوسيع املاكهم وتنمية ثروتهم. وربّما دافع عن الضعفاء في الهيئة الاجتماعيّة لكثرة ما يُلحَق بهم من الظلم من قِبَل ذوي القوّة. يطلب صيانة حقوق الشيوخ والارامل والبائسين ويقضي على كلّ مَن يُسيء استعمال القوّة الجابرة لادراك غايتهِ. ويشير على المرء بالالتجاء الى الصبر في المحن والتجارب وبالاعتدال في طلب الشرف والغنى. فمن اقوالهِ الحكميّة ما تعريبهُ:

انّ الفقر في يد الله
لأفضل من المال في المخازن
يُفضّل الجُعَل (البَحْث) مع فرح القلب
على الغنى مع الاكدار

ويلوح من حكم أَمِن إم اوبة انهُ كان اصيل الرأي وانّ المناصب الشرفيّة التي نالها لم تؤثّر في صوابِ احكامهِ. فهو حاصل على معرفة تامّة لاصول العدل والنظام الادبي. ولا تراهُ في كلامهِ كالمتقد المَذُول بل هو بالاحرى كالمشير والصديق فهو

ينطق باسم الضمير ويفسّر الشريعة الالهيّة المبثّة في النفس البشريّة

وممّا تخصّص به في اوصافه مقابلتهُ بين الانسان «الحرك القلق الناري» والانسان «الهادئ المحتشم الضابط لنفسه الصامت» فيفضّل هذا على ذاك وقد لقّب نفسهُ في كتابته «بالصامت الصادق»

ويؤخذ من حكم أمن إم اوبة انهُ كان رجلًا دَيّناً فتراهُ لا يجعل اساساً لآدابه الشرائعَ البشرية بل يبنيها على الله الذي هو العلّة الاولى لكل عدلٍ وهو يعتبر الله حقّ اعتباره ويفضّل في تعريف اسمه(٢٦مرّة) لفظة بنوت (p-noute) دون اضافة كما اتّخذها الاقباط بعد ذلك . فهذا الاسم المجرّد هو في عُرفه اسم الاله الاسمى في مصر كرَعْ او آمون رَعْ وفيه وجهةٌ نحو التوحيد ومع هذا لم يزل حكيمنا المصريّ مُشركاً يكرّم كل آلهة مصر ويعرّف كل واحدٍ منهم بخواصّه المميزة لهُ فيعتبر «خنوم رع» كالسيد الذي يصوّر المخلوقات في قالبه وعلى دولاب الخزّاف . ويذكر الاله توت ككاتب الآلهة يمثلهُ على هيئة الطائر ابيبس(Ibis) والقرد الكلبيّ الرأس(Cynocéphale) . وكذلك يكرم «رَعْ» في صورة الشمس المتولية على دَور النهار والاله القمر حارس الليل . واذا ذكرهم يسوّل لهُ ذكرهم تعاليم مفيدة يرشق بها كسهام نفوسَ مواطنيه المصريين . فاذا ذكر مثلًا الاله توت يقول عنهُ «انهُ جالسٌ عند ميزانه ويراقب المطارَ . فإصبع الكاتب هو منقار الطائر ابيبس فاياك ان تحوّلهُ عن خطّته المستقيمة» اي الويل لمن يزوّر الكتابات ويخادع بالموازين . ويحضّ الناس على اكرام الآلهة والثقة بقدرتهم «اذا طلعت الشمس قدّم صلاتك للاله اتون (رع) وقل لهُ : هَبْني السلام والصحة فهو يعطيك حاجتك من المعاش فتنجو من كل خوف» . ولا يريد امن إم اوبة ان يحقد الانسان على من اضرّهُ ويطلب منهُ الانتقام «لانك تجهل احكام الله ولا تعلم أتحيا الى الغد فاسترح بين ذراعي الله وصمتُك يغلبهُ»

وغاية ما يقال ان أمن إم اوبة كان حكيماً بحصر المعنى وانّ حكمتهُ تفوق على امثاله سواء كان بمعانيها اللطيفة ام بآدابها السامية

حكمة أمن إم اوبة وحكمة سليمان

انّ مَن يُعمل النظر في الاثر الذي صنّفهُ الحكيم المصري أمن إم اوبة ويتمعّن

في معانيهِ ودقائقهِ لا يلبث ان يجد عدّة حكم تُشعر بنفس الافكار والمعاني التي وردت في امثال سليمان الحكيم المعدودة بين اسفار الكتاب المقدَّس

وليست الموافقة بين الحكمتين معنويَّة عموميَّة فقط كما تتوافق افكار بعض الشعوب مع بعض ولكن ترى التعابير بينها متشابهة ولولا اختلاف اللغات لقلتَ انَّها هي منقولة عنها بحرفها . وهذا يلوح خصوصاً في الفصلين الثاني والعشرين والثالث والعشرين من سفر الامثال لسليمان الحكيم . فدونك مثالاً من هذه المعارضة بين السفرين

امثال سليمان	حكمة أمن إم اوبة
ف ٢٢ : ١٧-١٨ « أمِلْ أُذُنك واسمع كلام الحكماء وجّه قلبك الى علمي فانهُ يلذّ اذا حفظتهُ في باطنك ويفيض ايضاً على شفتيك	ف ١ : ١-٢ «أمِلْ اذنيك واسمع كلامي وجّه قلبك الى فهمي . فحسن ان تحفظهُ في قلبك . . . (٤) فيكون مقوّماً للسانك»
ف ٢٢ : ٢٠ «ها اني كتبتُ لك احكاماً جليلة من المشورة والعلم»	ف ٣٠ : ١ «تأمّل في هذه الحكم فانها تُبهج وترشد وهي دليل يقوم مقام كل كتاب»
ف ٢٢ : ٢١ «لأعلمك حقيقة احوال الحق لتردّ جواب الحقّ للذين ارسلوك»	(المقدّمة ع٣) «ليعلم المرء ان يعطي جواباً لمن كلّمهُ ويردّ الخبر لمن ارسلهُ»
ف ٢٢ : ٢٢ « لا تسلب الفقير لانهُ فقير ولا تسحق البائس »	ف ٢ : ١ « احذر من ان تسلب الفقير ولا تظلم البائس»
ف ٢٢ : ٢٤ «لا تُصاحب الرَّجُل الغضوب ولا تسابر الانسان الحَنِق »	ف ٩ : ١ «لا تشارك المتلهّب (غضباً) ولا تقترب منهُ للمحادثة»
ف ٢٢ : ٢٨ «لا تُزِح الحدود التي وَضَعها آباؤك »	ف ٦ : ١ « لا تزح الحاجز عن حدود الحقول (٢) احذر من ان تختلس حدود الحقول»
ف ٢٢ : ٢٩ «الانسان الذي يجدّ في عملهِ يقف امام الملوك»	ف ٣٠ : ٤ «الكاتب الحاذق في عملهِ سيكون في حاشية الملك»
ف ٢٣ : ١-٢ «اذا جلستَ تأكل مع ذي سلطة فتأمّل اشدَّ التأمّل فيما هو امامك وضَع سكّيناً لحنجرتك ان كنت ذا شرهٍ لا تشتهِ اطايبهُ فانهُ طعام غرور »	ف ٢٣ : ١-٣ «لا تأكل خبزاً بازاء الامير باسطاً فمك امامهُ . . انظر الصحيفة التي تدّامك واتخذها كفايتك»
ف ٢٣ : ٤-٥ «لا تُطمح لغنتني . . . أتُطمح عينيك الى ما لا يكون انَّ الغنى قد صنع لنفسهِ جناحين وطار كالنسر الى السماء »	ف ٧ : ٢-٤ و ٨ « لا تجهد لطلب الغنى اذ يكفيك ما لديك من المال وان حصلتَ على غنى بالسرقة يتوارى عنك ذلك الغنى فلا تجدهُ السَّحر في بيتك . . . اتخذ لهُ اجنحة كالطيور وطار في السماء»

امثال سليمان	حكمة أمن إم اوبة
ف ٢٣ : ٦-٨ « لا تأكل خبز شرير العين ولا تشتهِ اطايبهُ . فانهُ كما نوى في نفسهِ كذلك يكون . يقول لك كل واشرب وقلبهُ ليس معك لقمتك التي أكلتها تتقيأها وتضيع كلماتك العذبة »	ف ١١ : ١-٣ « لا تشتهِ مال الرجل الحقير ولا تطمع في خبزه . لان خيرات الرجل الحقير شجا في الحلق وما تأكله من خبزهِ تتقيأهُ وتضيع نعمتك الخاصة »
ف ٢٣ : ١٠-١١ « لا تزحْ الحدود القديمة ولا تدخل حقول الايتام فانَّ وليَّهم مقتدر »	ف ٦ : ٢و١١ « لا تطمع بذارع من حقل الغير ولا تغتصب حدود الارملة (ع ١١) ان شئت السلام لنفسك فكن خائفاً من سيد الخلائق كلها »
ف ٢٣ : ٩ « لا تتكلم في سمع الجاهل فانهُ يستهين بما في اقوالك من التعقل »	ف ٢١ : ٦ « لا تكشف للجميع بما في باطنك فانك تزيل بذلك شرفك »

ويوجد امثال أخرى متشابهة في غير الفصلين المذكورين كقول أمن إم اوبة مثلاً (ف ٦ : ١٤—١٧) : « انَّ مكيالاً واحداً يعطيكهُ الله افضل من الف مكيال تنالها بالحيلة . . الفقر في يد الله افضل من الغنى في الاهراء » فيشبههُ قول سفر الامثال (١٥ : ١٦و١٧ : ١) : « القليل مع مخافة الربّ خيرٌ من كنز عظيم مع الاضطراب . . لقمة يابسة ومعها طمأنينة خير من بيت مملوء ذبائح ومعها خصام » . وكقول حكيم مصر (ف ١٨ : ١) : « لا تضجع مطمئناً على الغد فانك عند طلوع فجرهِ لا تعلم امر الغد » . فكأنهُ ترجمة قول حكيم اسرائيل (١٨ : ١) : « لا تفتخر بيوم الغد لانك لا تعلم ماذا يلد ذلك اليوم »

فهذه الامثال وبعض اخرى تشبهها تدلُّ دلالة ظاهرة على ان بين نصوص حكيميْ مصر واسرائيل مشابهة تكاد تكون نقلاً من احدى اللغتين الى الاخرى . فتساءل العلماء عن ايهما نقل عن الآخر

ايُّ الحكيمين من أمن إم أوبة او سليمان اخذ عن الآخر

لحلّ هذا المشكل يجب قبل كلّ تحديدُ زمان الحكيمين . فمن المعلوم ان سليمان ملك اسرائيل عاش بين القرنين الحادي عشر والعاشر قبل المسيح فانَّ مولدهُ كان سنة ١٠٣٢ ووفاتهُ سنة ٩٧٥ ق م . وكان أمن إم اوبة في زمانهِ لانَّ مخطوطتهُ

المصريّة المكتشفة هي ايضاً من ذلك العهد ترقى الى السلالة الحادية والعشرين او الثانية والعشرين وقد اثبت العلماء الامر من معاينة البرديّ الذي خُطّت عليه حكمة أمِن إم اوبة ومن لغة تلك الحكمة وادلّة اخرى راهنة

أفيكون أمِن إم اوبة اطّلع على امثال سليمان في العبرانيّة او في ترجمتها الى اللغة المصريّة ؟ هذا الامر وان كان من الامور الممكنة إلّا انّهُ بعيد لان المصريين كانوا ملازمين لآدابهم الوطنيّة لا يطمحون الى غيرها واوّل ما عرفوا الاسفار المقدّسة انّما وقفوا عليها في ترجمتها اليونانيّة المعروفة بالسبعينيّة في القرن الثالث قبل المسيح

وكذلك مقالة أمِن إم اوبة تلوح في تركيبها وتنظيمها كمجموع مستقلّ تُعرب عن افكار المصريين وآدابهم الجنسيّة ولا يستشفّ من ورائها ما يدلُّ على منقولات اجنبيّة

ولا يُقَلْ انّ ما يرويه الكاتب المصريّ عن الله وعنايته ومجازاته للابرار وعقابه للاشرار قد استعارهُ من تعاليم اليهود لان هذه الحقائق قد وردت في تآليف مصريّة سبقت زمانهُ فلم يحتجْ الى كتب العبرانيين للوقوف عليها

فان كان الحكيم المصري أمِن إم أوبة لم ينقل حكمهُ عن سفر امثال سليمان أفيرجّح انّ صاحب الامثال المقدّسة هو الذي نقل عن حكم الكاتب المصريّ؟ افيكون سليمان مطّلعاً على كتابات المصريين ؟

الجواب على ذلك انّ العلماء الكاثوليك يصدّقون على انّ توارد الافكار بين امثال سليمان أمِن إم اوبة يظهر خصوصاً في الفصول الاخيرة من امثال سليمان . وهذه الفصول ليست هي لسليمان بل أُضيفت اليها في القرن السابع او الثامن قبل المسيح . ويؤيدون قولهم بما ورد في هذه الفصول من الاشارات الى الحكماء واسماء بعضهم الذين رُويت اقوالهم كما سبق فليس من المستبعد انّ بعض أدباء الاسرائيليين وقف على حكم أمِن إم اوبة فنقلها الى لغته العبرانيّة ثمّ أدرجت كغيرها مع امثال سليمان بعد تصديق السلطة الدينيّة عليها بمراقبة الوحي الالهيّ

وما يقرّب الامر الى الذهن انّ اليهود كانوا يهاجرون كثيراً الى مصر ويعاملون المصريين فمن المرجّح انّ احدهم اطّلع على حكم أمِن إم اوبة مع شيوعها في المدارس فنقل شيئاً منها . وهذا كما قلنا لا يمسّ شرف الاسفار المقدّسة ووحي اصحابها

اذ انَّ الوحي لا يمنع الموحى اليهِ ان يستعين بمعلومات غيرهِ على شرط ان الله في نقلهِ يُحيد بهِ عن كل وهمٍ وضلال او مساس بالآداب الصالحة

فاذا تقرَّر الامر تبيَّن لنا ان كتبة الاسرار الالهية لم يكتبوا جزافاً وانهم استعانوا في اسفارهم بما ارشدهم الى الحقّ فكتبوا عن رؤيةٍ تحت مراقبة الروح القدس الذي كان يوحي اليهم ما يطابق الحقيقة وينفي عنهم كل ضلال

يومية السيد يوسف سمعان السمعاني

لمَّا جاء الى لبنان قاصداً رسولياً امتد المجمع اللبناني للطايفة المارونية سنة ١٧٣٦م

نشرها حضرة الاب لويس بليبل الراهب البلدي اللبناني (تابع)

سياحة السيد السمعاني في لبنان (حزيران تموز ١٧٢٦)

يوم الجمعة (٢٩ حزيران ١٧٣٦) توجَّه القاصد الى قنوبين ومعه الاب تومسا اللبودي ويوسف قراعلي المدبّر الاول ومبارك عبيد مدير ثاني والقس مخائيل اسكندر اب عام سابق وجملة رهبان كهنة وشمامسة . ومعهُ المطارنة سمعان عواد وعبدالله قراعلي وجبرايل عواد واغناطيوس شرابيه ومخائيل الخازن ومن المشايخ شروان الخازن ابن موسى . والشيخ كنعان بن ضاهر من بيت الرز . وكان جاء قبل يومين ومعه خاله الشيخ صالح الخازن وهذا كان رجع الى داره وبقي الشيخ كنعان الضاهر مع القاصد طول الرحلة . ورافقهم جمع من اهالي البلاد

بعد شروق الشمس وصلوا الى عجلتون استقبلهم المطران طوبيا الخازن مع جملة كهنة ومشايخ اولاد بو نوفل واولاد بو ناصيف ومشوا معهُ والناس مسلحين والعراضة متواصلة والروائح والبخور وماء الزهر وماء الورد . تغدَّا المونسنيور عند الشيخ كنعان الخازن اخي المطران طوبيا . بعد الغدا بساعتين توجهوا الى ريفون بالعراضة لاقاه المطران اسطفان الدويهي ورهبان الدير . ومن ريفون رافقه المطران المذكور والمشايخ نوفل ابن سرحان وصقر ابن عبد الملك واخوه حديقه والشيخ سرحان واخوه طالب

اولاد الشيخ نادر . والشيخ الياس نر الذي اهدى الى المونسنيور فرساً قبل سفره من دير اللويزة ثم الشيخ نافع بن ناصيف وشبل بن كنعان وكل الجماعة استقبلهم اهالي عشقوت بالقواس الى قرب العيون فحينئذٍ شرب قهوة المونسنيور . ومن هناك توجهوا الى عين شقيق وكان المطران فيلبوس الجميّل ورفاقه بانتظار القاصد لانهم اتوا من قاطع بكفيا ليرافقوه . وعند الغروب وصل المطران ابرهام الارمني من دير الكريم وصحبته مشايخ غسطا اولاد ابو قنصوه الشيخ عاد بن الشيخ صخر والشيخ مشرف ابن دهام . والشيخ ميلان ابن البطريرك . والشيخ سنتو بن الشيخ هيكل وارفاقهم ثم المشايخ الحبيشية شديد بن جنبلاط وطالب وعساف . وبات في عين شقيف عند رهبان مار اشعيا

صباح السبت ٣٠ حزيران توجهوا ومعهم مشايخ ولاوند رفقاء فوق المائتين الى نبع الحديد حيث افطروا ومن هناك ركبوا الى العاقورة . وكان من جملة المرافقين الشيخ غندور الخوري والشيخ يونس ابن بو خطار باتوا في العاقورة

اول تموز يوم الاحد من العاقورة الى وادي الحرابص تحت عين البطيّة ومن بعد الغداء الذي كان يكفي عسكرين دخلوا بلاد الجبّة في عراضة الى بريسات بعد ان استراحوا قليلاً نزل القاصد في الوادي فخرج البطريرك لاستقباله ومعه المطران الياس محاسب واناس من بلاد الجبة واعطاه البطريرك سجية ودخلوا الكنيسة في قنوبين بزياح حافل وكان معه ٨٠ خيّالاً . والعراضة متواصلة

يوم الاثنين احتفل المونسنيور بقراءة البرآات باللاتيني ثم بالعربي وهي البراءة للمنسنيور ثم للبطريرك ثم للمطارنة وكان القسارثون الخوري اسطفان ورد تلميذ رومية خوري صيدا يقرأ باللاتيني والمطران سمعان عواد يقرأ بالعربي . ثم ركع وفي مقدمتهم البطريرك وطلبوا البركة منهُ نيابة عن الحبر الاعظم فباركهم . وخرجوا الجميع من الكنيسة ومشى البطريرك امام القاصد وقرعت الاجراس وابتدأ الترتيل والعراضة وبعد الغداء توجهوا الى قزحيا . وقبل الغداء كان قد جرى الاتفاق على ان يصير التيام المجمع في كسروان في عيد السيدة حتى تتلى اوامر البابا ويصير مجمع اذا اقتضى الامر . فكتب البطريرك مكتوباً للمطران جبرايل حرشب مطران حلب واعلمه بما جرى وامره بالحضور وكتب لهُ المونسنيور مثل ذلك . ولما وصلوا قرب قزحيا

الى الوادي خرج الرئيس القس توما مارون الدرعوني والكهنة الى استقبال القاصد وكان بعضهم كهنة باللبس البيعي وبيد الرهبان الشموع والفنود والمباخر دخلوا الكنيسة بحفلة وزاد عدد الرجال. وكان وصل الى قنوبين قبل طلوعهم منهُ المطران حنا اسطفان الذي كان في بلاد البترون ورافقهم الى قزحيا ثم وصل الشيخ ضاهر من بيت الرز وكان هذا وابن عمه الشيخ كنعان حكام الزاوية

يوم الثلاثا جاء الكرملتان من دير مار سركيس بشرّي وهم البادري يوسف الرئيس والبادري مخائيل. وقرب العصر توجهوا جميعاً الى دير مار تادروس بشرّاي تابع دير مار الشاع وباتوا فيه والى هناك لاقاهم المطران الياس محاسب

صباح الاربعا توجهوا الى زيارة ارز لبنان وافطروا على ساقية شاعورة ومنها ركبوا الى بشراي فطلعوا الاهالي ومعهم الحمادية وعملوا عراضة ولما وصل لاقاه المشايخ الحمادية حسين بن عيسى وضاهر بن موسى اخو حسين ومشوا قدامه الى دير مار سركيس عند الكرملية حيث قضوا النهار. والعصر توجهوا الى بزعون وهناك استقبلهم اهالي حصرون وجمع من الحمادية وفي مقدمتهم الشيخ موسى بن عيسى حماده فقبّل يد القاصد امام الجميع كله وعملوا لهُ اكرام ملك ولقبره القاصد الرسولي من الدولة العليا. وباتوا جميعاً في حصرون وقدموا لهُ هدية فرس

وركبوا صباح الخميس الى عيحا من حيث رجع المطران الياس محاسب الى قنوبين. الظهر وصلوا الى العاقورة ومنها الى افقة نزلوا عند العين وتعشوا هناك. ولما بدا القواص طلعوا حمادية المنيطرة حتى يستخبروا لانهم كانوا خايفين ولما قربوا منهم ظنوا ان الكسارة حرامية فارادوا يقوموا عليهم فهجموا عليهم الكسارة وجرحوا ثلاثه فهربوا ولولا المطارنة والرهبان الذين هدّوا الكسارة ما رجع متوالي الى بيته

صباح الجمعة ٦ تموز توجهوا الى يذبوع لاسا بوطى شبروح ثم نزلوا الى نقرا واخذ المطارنة والمشايخ يستأذنوا بالرجوع الى مراكزهم. ونزل القاصد الى تحت كفرديبان وبعد الغدا توجه الى مار انطونيوس بقعاتا مركز المطران طوبيا الخازن الذي انحرفت صحته في ذلك الوقت. ومن هناك توجه الى بقاعتوته فخرج الشيخ ابو خطار وجميع اولاده واولاد اولاده ومعهم جمهور غفير لاستقبال القاصد فما قدر يعرّج عليهم فاستمر

مسافراً الى بقعاتا ولما وصلوا الى راس العقبة خرج لاستقباله المطران طوبيا واخوه الشيخ كنعان الخازن وخوارنة بقعاتا ورهبان الدير والاهالي. وقبل دخوله للدير ودّعه المطارنة عبدالله قراعلي وسمعان وجبرايل عواد وحنا اسطفان وتوجهوا الى اماكنهم. اما الرئيس العام والرهبان فبقيوا معه دائماً. استقام خمسة ايام هناك ليرتاح. ولما خرج قدم له المطران طوبيا فرساً وهي الرابعة. «الرئيس العام قدم فرساً»

صباح الثلاثاء ١٠ تموز سافر الى بقاعتوته. بعد الغدا مرّ على كفردبيان فلاقاه شباب الخوازنة مع الاهالي وزار كنيسة البرج. ومن هناك توجه الى ريفون وبات في الدير.

وصباح الاربعا توجه الى عجلتون وبقي فيها من الاربعا الى الاثنين ١٦ تموز عند الخوازنة. العشا عند الشيخ نوفل

يوم السبت ١٢ عند الشيخ نصيف وعند الشيخ نادر ابن ابو النصر

يوم الجمعة عند الشيخ فياض واخوته اولاد ابو علي والعشا في بيت ابو سرحان

يوم السبت ١٤ الغدا عند الشيخ جنبلاط والعشا عند الشيخ الياس نمر

يوم الاحد ١٥ عند الشيخ ابرهيم ابن ابو النصر. والعشا عند الشيخ سقر. وبعد العشا قدّم له كرك فرد ثمين

يوم الاثنين ١٦ عند الشيخ خازن بن خالد. ثم توجه من عجلتون مع المطارين اسطفان الدويهي واغناطيوس شرابيه وابرهام الارمني والمشايخ يونس وسقر والياس نمر وكنعان بن ظاهر رافقوه الى خارج الضيعة نحو ميلين. وكل القاصد السفر مع المطارنة الى غوسطا مع بعض المشايخ الى دار بيت بو قنصوه. نزل في بيت الشيخ سنتو ابن الشيخ هيكل والعشا كان عند الشيخ ميلان ابن البطريرك. نوّرت اكثر بيوت القرية

يوم الثلاثا الغدا عند الشيخ خطار الخازن اخو البطريرك والعشا عند الشيخ سنتو

يوم الاربعا توجه الى عين ورقة عند المطران حنا اسطفان ومعه الشيخ كنعان بن ظاهر والشيخ عاد بن صخر واخوه الشيخ عدوان وخازن وحيدر اولاد الشيخ خطار والشيخ ميلان وسنتو. وابو درغام العاقوري والمطران اسطفان الدويهي. بعد الغدا توجهوا الى الكريم عند المطران ابرهام الارمني تمشى وبات

يوم الخميس ١٩ منه رجعوا الى قرية غسطا الغدا عند الشيخ صخر . قدموا لـهُ المشايخ كراك فرد هدايا ميلان ومشرف ١ سنتو ١ صخر واحد» وبعد الغدا سار الى درعون عرجوا على دير حريصا لرهبان القدس . قبل وصولهم الى درعون ومعهم الخوري اسطفان عواد لاقاهم الشيخ نوفل بن حصن القنصل الفرنساوي واخوانه كروان وقنصوه وكيوان وابنهُ حصن واتباعهم بمراضة واحتفال كالعادة وباتوا هناك

ثاني يوم بعد الغدا توجهوا الى زوق مكايل الى دار الشيخ موسى الخازن رافقهم القنصل وحيَّدوا الى غادير استراحوا نصف ساعة ثم تابعوا السفر الى زوق مكائيل استقبلوهم المشايخ موسى واخوته وابنه شروان والشَّيخ جفال وباتوا هناك

يوم السبت بعد الغدا توجهوا الى ساحل علما الى عند الشيخ صالح واخيه شبل الخوازنة وفي الطريق تفرج القاصد على كنيسة الشيخ عاد في ساحل علما باتوا هناك

يوم الاحد ٢٢ تموز توجه القاصد الى دير الخوري يوسف حبيش بزباح حافل ماسكين سنجق موضوع فيه صليب . تغدوا عند الخوري ولاقوهُ المشايخ الحبيشية وكان المطران ابريهام والمطران حنا وجملة من المشايخ الغاطنة . وبعد الغدا توجهوا الى غزير وكان معه رئيس عام رهبان مار اشعيا القس سمعان عريض . عرَّج على دير مار الياس لاقوه بسنجق فيه صليب ما عملوا عراضة في غزير لانه كان مات منهم واحد قبل بيوم . العشا والمبيت عند الشيخ شديد واخوته

يوم الاثنين زار دير الكبوشيين وقدَّس عندهم . تغدا عند الشيخ باز الحبيشيّ والى هناك اتوا الرهبان البلدية العبَّاد رهبان مار عبدا هرهريا ورئيسهم الخوري عبدالله . والخوري صابر رئيس دير مار روحانا البقيعة . والخوري بطرس رئيس دير سيدة الحقلة . العشا عند الشيخ ابو جنبلاط حبيش

يوم الثلاثا ٢٤ تموز الغدا عند الشيخ صادق حبيش قدموا المشايخ كرك فرد للقاصد . تمشى ورقد في دير مار الياس

يوم الاربعا ٢٥ تموز توجهوا لدير اللويزة وودعوه جميعاً قرب الدير لاقاه رهبان الدير يتقدمهم الرئيس القس جرجس . وفي ذلك اليوم أتى الخوري نقولا (الصائغ) رئيس عام رهبان الطبشه (الشوير) الملكية . سلَّم ورهبانه على المونسنيور وعاود المطران اسطفان الى ديره

يوم الخميس أتى المطران حنا « اسطفان » الى لويزه

يوم الجمعة زار عينطوره مع الاب العام اليوردي ومن هناك الى دير مار مخائيل للملكية وهو تابع دير مار يوحنا الطبشه . وفي المسا عاد الى لويزة . وفي ذلك اليوم وصلوا مطارنة السريان غريغوريوس وديونيسيوس للسلام على السمعاني

يوم السبت ٢٨ تموز اتى الاب بطرس فروماج اليسوعي وبقي المونسنيور الى آخر يوم تموز في اللويزة . يوم الاربعاء اول آب وصل الى لويزة كاتب اسرار ورديان القدس من قبل الرئيس المذكور فطلب من القاصد اذا كان يريد النزول الى صيدا لعند الورديان ام الورديان يأتي الى لويزة لعنده . فاجاب انه هو يذهب الى صيدا لانهُ يريد ارسال الورديان بمهمة الى مصر لاجل تتميم امر المجمع المقدس بخصوص بطرك القبط ليطالع منهُ صورة ايمانه حسبما كان كتب سابقاً

سفر القاصد الى صيداء ودير القمر (٢—١٤ آب ١٧٢٦)

يوم الخميس توجه القاصد الى صيدا رافقه المطران حنا والمطران ابرهام الى بيروت واما الاب العام فرافقه الى صيدا . باتوا هناك تلك الليلة في حرج الصنوبر حيث تعشوا وكان اعدّ لهم ذلك مخائيل فارس وكيل الرهبانية وناموا هناك

يوم الجمعة وصلوا الى صيدا ونزل القاصد في دير رهبان القدس والرهبان مع الرئيس العام نزلوا عند جان باطشتا الفرنساوي وكيل الرهبنة اللبنانيّة في صيدا والخدّم نزلوا في الخان مع الخيل . مكثوا في صيدا خمسة ايام وفي هذه الايام الخمسة توافد للسلام عليه القناصل والمرسلون وطائفة الموارنة مع خوارنتهم . والقنصل عمل لهُ ضيافة مكلفة في داره وكذلك الخواجا جان باطشتا ومشى قدامه ومعه ترجمان ويسقجي . خرجوا من صيدا قبل الغروب بقليل ليناموا في جنينة سي ابراهيم فرافقه ترجمان ويسقجي ورئيس القدس ورهبانه ورئيس اليسوعية الكبير ورفيقه وراهب كرملتاني والرهبان الموارنة وجملة عوام وكهنة موارنة وافرنج الى جنينة سي ابرهيم الترجمان

يوم الاربعا ٨ اب توجه القاصد الى دير المخلص وصلوا بعد الشروق لاقوه باكرام ذهب ليسلم على البطرك كيرللوس الملكي . والمذكور مكث في قلايته ما طلع حتى

دخل المونسنيور عنده للقلاية وسأم عليه سلام لا يليق بقاصد رومية بل مثل باقي كهنة الغرب وناموا تلك الليلة في الدير المذكور

يوم الخميس توجهوا الى دير القمر لاقاه النصارى والكهنة الموجودون هناك. نزل في دار الشيخ فضل . والامير ملحم كان امر ان يعملوا عراضة وقواص فما رضي القاصد لانها ضيعة الحاكم وفيها دروز

يوم الجمعة ١٠ آب اخر السهرة دخل المونسنيور الى سراية الامير ملحم وسلم عليه والامير استقبله بعزّ واكرام وكان صحبته رئيس عام الرهبان اللبنانيين والشيخ كنعان الخازن. مكث عند الامير نحو ساعة وبعد شرب القهوة رجعوا الى مكانهم

يوم السبت قدم المونسنيور هدايا للامير ملحم واخوانه الامير احمد والامير منصور ومساء ذلك النهار تقابل المونسنيور والامير ملحم واخوهُ احمد وتكلموا في اشغالهم وغير حوادث بكل محبة واعتبار

يوم الاحد واجه المونسنيور الامير ملحم ايضاً وكلّمه بخصوص اشغال تخصه وكان صحبته الاب العام المذكور والشيخ كنعان وهذا كان يمشي ما بين الامير والقاصد. وبعد نزولهم من عنده ارسل الامير كاتبه وخازنداره الى عند القاصد واكملوا الشغل معه تلك الليلة في الليل

صباح الاثنين طلع القاصد يودّع الامير فقدم له فرساً ثمينة بعدّة كاملة رخت ورشه فضة. وفيما بعد ودّعوه نصارى دير القمر جميعاً مع مطرانهم المطران سمعان وكهنتهم مع جمع غفير وطلعوا معه الى خارج القرية فتوجه الى رشميا فخرج الشيخ ابو فارس غندور الى لقائه نحو ميل وعملوا عراضة اكثر من كل الذين عملوا قبل ذلك. نزل عند الشيخ غندور . وبعد الغدا توجه الى دير مار يوحنا رشميا للرهبان تمشوا وباتوا في الدير . واتوا اهالي مجدل المعوش مع خوريهم الى عند القاصد الرسولي لسلموا عليه

رجوع القاصد الرسولي الى اللويزه وزيارته للقاطع

يوم الثلاثا ١٤ آب توجه القاصد مع رفقائه الى لويزه . ويوم الاربعا ١٥ منه جاء الاب بطرس فرماج وعرض على القاصد مكتوب رئيسهم العام يوعز اليهم ان يكونوا

في خدمته ويسفره في كل ما يلزم لعمل المجمع

يوم الجمعة ١٧ توجه الى القاطع لزيارة اديرة الرهبان اللبنانيين اي طاميش ومار بطرس كريم التين ومار الياس شويا فوصلوا الى طاميش مع الرئيس العام وبعض الرهبان بات في الدير حيث وصل بعد الغروب بساعة لاقوه بالشموع صامتين لان الوقت كان ليلًا

يوم السبت توجه الى مار الياس شويا حيث بقي الى المساء

يوم الاحد نزل الى عند المطران فيلبوس الجميل الذي لاقاه مع الكهنة والعوام. وعند المساء رجع الى دير مار الياس ومعهم المطران المذكور وتعشوا تلك الليلة خارج الدير عند عين الصرفند

يوم الاثنين ٢٠ آب زار مار يوحنا الطبشه مركز الرئيس العام الخوري نقولا (الصائغ) تغدوا هناك ثم باتوا في مار الياس

يوم الثلاثا نزل الى بكفيا مع المطران فيلبوس والمطران اغناطيوس شرابيه فكان له استقبال حافل تغدا عند الشيخ ابو شديد وكذلك الشيخ شاهين وبعد نزلوا قدامه الاهالي الى دير مار بطرس كريم التين وكان عدد المرافقين نحو ماية نسمة

يوم الاربعاء ٢٢ اب بقي في مار بطرس زاروه مشايخ بيت شباب وكهنتهم وجملة عوام ودعوه الى قريتهم

يوم الخميس توجه الى بيت شباب ومعه القس موسى هيلانه الشامي رئيس الدير باستقبال حافل الى مار انطونيوس قدّس هناك. تغدا عند الشيخ بو فارس والشيخ بو مفرج. وعزمه للعشا الشيخ بو فاضل هاشم وبات في مار انطونيوس

يوم الجمعة توجه الى بيت الشيخ بو شديد سليمان وبعد الغدا زار كنيستهم ثم توجه سلم على المطران باسيليوس لانه عاجز بسبب الشيخوخة وفقد النظر ثم ودع اهالي بيت شباب وذهب الى دير مار جرجس بجردق وكان قدامه الشيخ ابو مفرج عبود ابن الحاج مفرج. في مار جرجس عزمهم الخوري مخايل خادم الدير. ثم توجهوا الى طاميش ورافقهم الشيخ ابو مفرج. ولاقوه اهالي المزارع . في زكريت استقبلهُ الاهالي وخوريهم والخوري جبرايل خادم دير زكريت دير مار يوحنا وزار كنيسة الدير وكنيسة الضيعة. ولاقوه اهالي ديك المحدي وبات في دير طاميش

يوم السبت توجّه الى لويزة حيث بقي من السبت الى الاربعا

يوم الخميس ٣٠ اب توجه المطرانان عبد الله واغناطيوس والرئيس العام الى دير ريفون ليسلموا على البطريرك لانه كان وصل اليه قبل بيوم وتوجه معهم الخوري اسطفان عواد والقس اسطفان ورد . مضوا عن المونسنيور للسلام على غبطته

يوم الجمعة جاء مكاتيب من الامير ملحم للبطريرك والمطارنة والمشايخ الخوازنة بان يتقيّدوا باوامر القاصد ولا احد يعارضه في الامور التي جاء لتكميلها وان يقدموا له كل اعتزاز واكرام ورجع الجميع من ريفون يومها

الاستعداد لعقد المجمع اللبناني

يوم السبت اول ايلول وصل الى لويزة المطارنة سمعان وابن عمه جبرايل عواد . وابتدأوا من ذاك اليوم يستعدوا للمجمع ويتشاوروا في اموره ولوازمه . وفي ذلك اليوم وصل البادري فرنسيس الفرنسيسكاني من حلب ليحضر المجمع بالنيابة عن الورديان والبادري يوسف من رهبان القدس من طرابلس ايضاً . والقس انطون سقر من حلب من قبل المطران جبرايل حوشب ليكون وكيلاً عنه في المجمع . والبطريرك ما قبل وكالة بل اراد ان يحضر المطران بذاته . وارسل كاتبه لكي يتوجه الى المجمع مثل باقي المطارين

يوم الاحد ٢ ايلول كتب القاصد الى جميع المطارين الغائبين لكي يحضروا للمجمع وكذلك كتب للمطران ابريهام الارمني . وتوجه المطرانان سمعان وجبرايل عواد للسلام على غبطته في ريفون وبقيوا هناك الاثنين والثلاثا والاربعا

الخميس ٦ ايلول جاء المطران ابريهام ووصل المطران حنا اسطفان من قبل البطريرك ومعه جملة مشايخ خوازنة : كسروان وخازن وبو سرحان وعدي والياس بن غر ومعهم شماس البطريرك وقصدهم ان يحملوا القاصد ليذهب للسلام على البطريرك الذي ما كان له خاطر ينزل الى لويزة ليسلم على القاصد . رفض القاصد . وقد ايده المطارنة في رأيه وهم سمعان وعبد الله وفيلبوس الذي وصل يومها وجبرايل عواد واغناطيوس وحنا وابريهام وغريغوريوس السرياني وتلاميذ رومية الموجودون هناك . لان القاصد ما كان تأخر عن واجباته بل سافر يومين للسلام على البطريرك . واتفقوا

وكتبوا للبطريرك بينوا الى وجوب حضوره. وكذلك كتب القاصد وارسل الخوري اسطفان عواد بهذا الخصوص وارسل المطارنة القس اسطفان ورد. وكان سبقهم اناس اخبروا البطريرك بما جرى فعزم على التوجه الى لويزة. ولما وصل الرسولان قال لهم انه يتوجه صباح الغد وذلك قبل ان يفتح المكاتيب. وكتب للمطارنة بهذا المعنى وقال انه قد اعاقه بعض اشغال حتى من ذلك اليوم والرسولان ابقيا مكاتيبهما معهما

يوم الجمعة ٧ ايلول وصل المطران اسطفان الدويهي الى لويزة

يوم السبت توجه المطارنة اسطفان وفيلبوس وحنا للاقاة البطريرك وصحبوه الى لويزة ومعهم مشايخ خوازنة : شرف دهام وسقر ابن عبد الملك وابراهيم ابن ابو النصر وجملة رهبان من ريفون. وجميعهم لاقوا البطريرك الى خارج الدير

يوم الاحد وصل المطران ميخائيل الخازن الى لويزة . بقي البطريرك في لويزة ذلك اليوم ثم اطلق الجميع التوجه الى دير ريفون للاستعداد الى عمل المجمع وللاتفاق على مكان الاجتماع لان القاصد كان يفضل لويزة والبطريرك يريد دير ريفون

يوم الاثنين توجه الجميع الى دير ريفون وفي الطريق حيّدوا على دار الشيخ ابو سرحان في عجلتون وتغدوا عنده وفي المسا وصلوا الى ريفون

يوم الثلاثا اخذوا في الاستعداد للمجمع وكان بعض المطارنة ما وصلوا انتظروهم حتى يبتدئوا في قراءة ترتيبات المجمع الذي كان رئيسه المونسنيور في نظام الطايفة

يوم الاربعا ١٢ ايلول وصل رئيس عام اللبنانيين الى ريفون ومعه القس مخايل الغزيري تلميذ المدرسة والمذكور ارسل المطران باسيليوس ورقة وكالة ليكون مقامه لانه عاجز كما قلنا. وكذلك المطران طوبيا الخازن ارسل ورقة وكالة للخوري اسطفان عواد لانه كان مريضاً وكتب المونسنيور جملة مكاتيب لبعض الكهنة تلامذة رومية ليحضروا الى المجمع

جلسات المجمع اللبناني الاولى في ريفون

يوم الخميس وصل ورقة وكالة من المطران جبرائيل مطران اهدن الى المطران عبدالله فما قبلوا الوكالة لان المطران عبدالله له صوت في المجمع فكتبوا له ان يحضر او يوكل غير المطران عبدالله. وكتب البطريرك للمطران الياس يحثه على الحضور لانه

كان معوق في دير قنوبين . وكان القاصد كتب لهُ رتباطاً عن الحضور . واجتمع يومئذٍ القاصد مع جملة مطارنة ليباحثهم ببعض الامور . يوم الجمعة اجتمعوا كلهم اي البطريرك والقاصد والمطارنة الحاضرون ورئيس عام اللبنانيين ورئيس عام مار اشعيا وتلامذة رومية والمرسلون البادري فرنسيس والبادري يوسف المذكوران وابتدوا يقرأوا في الكتاب للمعيَّن للمجمع . وكان غايباً المطارنة جبرائيل اهشدن والمطران الياس وجبرائيل حوشب والمطران طوبيا والمطران باسيليوس . وكان المطران حنا قبل بيوم رجع لديره وكان القس مخائيل القزيري والخوري اسطفان عواد تلميذا رومية وتعين يازجية القس اسطفان ورد والقس الياس سعد يازجي غبطته تلميذا المدرسة وجلسوا جلستين . في الجلسة الثانية صار اختلاف بين البطريرك والمطارنة في قضية توزيع الميرون لانه في كتاب المجمع حُفظ حق التوزيع للبطريرك على الاساقفة والاساقفة يوزعونه في الرعايا حتى لا يضطر خدمة الرعايا الى ترك رعاياهم مدة طويلة ليأتوا الى الكرسي البطريركي فتحدث حوادث مرض وموت . وغيره ويكونون غائبين . فلم يرضَ البطريرك بهذا الامر بل اراد ان يأتوا الكهنة اليه . قام من الجلسة زعلان وقال : ما بقيت اعمل مجمع وبقيوا يتشاوروا في الامر . وحضر المطران حنا وحضر الجلسة الثانية السبت . بقي الخلاف والسيد البطريرك متمسك في رأيه ان كل امر يخص سلطاني لا اغير منهُ شيئاً . وطلب جملة شروط ليحضر ويكمل المجمع وارسل يقول مع المطران اسطفان انهُ لا يريد ان يحضر المرسلون المجمع . وطلب من المطارنة ان يختموا لهُ ورقة بالشروط التي طلبها وبعد الاخذ والرد ختموا لهُ اياها ما عدا المطارنة عبدالله واغناطيوس والغايبين

يوم الاحد ١٦ ايلول اتفقوا على اكمال المجمع وعقدوا الجلسة الـ ٣ ثم الـ ٤ . وفي ذلك اليوم اتى الشيخ نوفل القنصل والمشايخ خازن بن خالد والشيخ قبلان بن دهام وتكلموا مع البطريرك حتى يلزم المطران عبدالله بختم الورقة فأخذ البطريرك يقول ان كان المطران عبدالله لا يختم الورقة ما بقيت اكمل المجمع . فاغتاظ القاصد من هذا التبلبل وعدم الاتفاق ومن الذين يلقبون البطريرك هذه الاقوال فتهددهم بالحرم ان لم يكملوا ويتفقوا ويتركهم بحالهم ويعود الى رومية . في المساء خابروا المطران عبدالله في الامر فطلب ان يحكي لثلاثة رجال اصحاب معرفة وذمة عن الموانع التي تمنعه عن

ختم الورقة وهم المطران ابرهام الارمني والخوري مخائيل القرطباوي والقس اسطفان ورد تلاميذ المدرسة وبعد المفاوضة وضع اسمه وختمه على هذا النسق: واني انا على رأي الكرسي الرسولي ان رضي بذلك انا راض. ولكن البطريرك بقي مصراً على رأيه وقال: ان لم يذعن المطران عبدالله فهو لا يكمل المجمع ومضى النهار على هذه الحال

يوم الاثنين: بقي الاختلاف مع ان المطارنة قالوا للبطريرك ان رأي المطران عبدالله مليح. لكنه لم يقتنع بل قال: ان كان المطران عبدالله يحضر المجمع فانا لا احضر. فقال له القاصد انهُ لا يمكنهُ ان يمنعه من غير سبب واخيراً قال السمعاني: انا ماض الى محل الجلسة لأتمم عملي الذي كلفني به الكرسي الرسولي فالذي يريد فليحضر معي ومن لا يريد على خاطره. حضر مع المونسنيور المطارنة سمعان وجبرائيل عواد وعبدالله قراعلي واغناطيوس شرابيه وكتبوا عرض حال للمجمع المقدس بواقع الحال

ولما توجه القاصد غضبان الى محل الجلسة اخذ الشيخ نوفل القنصل يتكلم كلام غير لائق قال: ان كانت الامور بدها تمشي هيك بقي دين السيف اصلح من دين النصارى. ثم قال للبطريرك: «انت مفوض الامر على خاطرك الذي تريده بيصير والذي تريد ان يحضر يحضر والذي لا تريده يحضر لا يحضر». فأخذ البطريرك يراجع هذا الكلام. واخيراً ارسل المونسنيور بعض المطارنة والبادرية فرنسيس ويوسف ليكلموا البطريرك حتى يترك ما تمسك به فنفر في المرسلين وقال لهم: ما لريدكم تحضروا المجمع لان براءة الحبر الاعظم لا تذكر انهُ يجب حضوركم. فغضبا وعادا الى القاصد. ولما رأى القاصد هذه الحال ترك دير ريفون وتوجه الى لويزة فتبعه المطارنة سمعان وجبرائيل عواد وعبدالله قراعلي واغناطيوس شرابيه وارفاقه المرئيس العام اللبناني والقس اسطفان ورد. وحين خروجهم اخذ شماس المطران اسطفان الدويهي يرشق الخيل بالحجارة احتقاراً. ولما خرجوا لحقهم بعض المشايخ وارادوا يرجعوا القاصد فما امكن، وحين فاتوا عجلتون لحقهم بعض مشايخ عجلتون خازن بن خالد وصقر ابن عبد الملك والزموا القاصد ان يعرّج عليهم فتغدى عند الشيخ خازن ومن هناك كتب مكتوب للبطريرك يحثه على تكميل المجمع وكتب مثل ذلك للمطارنة

الذين بقيوا مع البطريرك يامرهم بالحضور الى عنده وهم: المطارنة فيلبوس الجميل واسطفان الدويهي وحنا اسطفان ومخايل الخازن . وقبل ان يبرح القاصد عجلتون وصل الشيخ نوفل واخيه كسروان وعاد بن صخر اتوا من قبل البطريرك ليرجعوا المونسنيور فما امكن بل واصل سيره الى لويزة

يوم الثلاثا ١٨ ايلول جاءت جوابات البطريرك يعتب على المونسنيور ويعتذر عن كلام الغضب الذي قاله للمرسلين بانه كلام مزح . والمطارين جاوبوا معتذرين لاجل الحوادث المذكورة وعدم الاتفاق . فكتب القاصد الى البطريرك والمطارنة يبين لهم وجه غلطهم ويحثهم على تكميل اوامر رومية وان يسدّوا اذانهم عن اراء الناس واما المطارنة فأمرهم بامر الطاعة ان يحضروا الى لويزة . وحمل مكتوب البطريرك الشيخ كسروان . وفي ذلك النهار أتى مكتوب من المطران باسيليوس يعزل فيه القس مخايل الغزيري من الوكالة ويقول ان امر البطريرك مطاع وهو لا يخالفه بشيء . وكتب للقس مخايل يطلب منه الختم فجاوبه القاصد انه اذا كان يمكنه الحضور يرسل له مركوب واناس يصحبونه وذكر له انه لا يقبل ان يوكل احدًا والختم وُضع تحت القفل لان المطران فاقد النظر ولا يمكن تسليمه الختم . والمطران باسيليوس كتب ما كتب لان البطريرك طلب منه ذلك

يوم الاربعا ١٩ ايلول كتب الشيخ ابو سرحان الخازن الى القاصد ان يبقى في لويزة الى اليوم الذي يرجع فيه البطريرك اعنده . والبطريرك كتب له انه عاد قرر ان ينزل بعد كم يوم الى بكركي الى عند رهبان مار شعيا ويطلب من المونسنيور ان يتوجه الى هناك . ويقول له ان المطارنة يتوجهون معه الى هناك فلاجل ذلك لا لزوم لتوجههم حالًا كما ذكر القاصد . فجاوبه المونسنيور ان الامر اللايق بشأنكم هو هذا اي يكتمل اوامر الكرسي الرسولي وهذا شرف لكم . وقال له ان بعد الاجتماع في بكركي يعودون الى لويزة حيث يكتمل المجمع بالاحتفال اللائق . وكذلك وصل مكتوب من الشيخ نوفل القنصل الى القاصد يذكر انه اجتهد كثيرًا في اقناع البطريرك بالنزول الى بكركي لاجل اكمال المجمع . فمدحهم المونسنيور على سعيه وعلى المشايخ في كتابة اليه . ووصل مكتوب من المطران الياس محاسب يذكر انه بعد كم يوم يصرف اشغاله ويحضر للمجمع

يوم الخميس وصل المطران الياس الى لويزة

يوم الجمعة فاتح المطرانُ الياس القاصدَ بخصوص المجمع فاخذ المطران يتطل ويقدّم ويؤخر ويقول «نأخذ كتاب المجمع ونقرأه وكل شيء فيه لا يناسبنا فلا نقبله» ومراده ان لا يتمّ المجمع . والمونسنيور يقول في الاجتماع يصير كل شيء وكل ما لا يناسب ولا ترضوه نتركه . واخذ المطران الياس يجتمع مع المطارنة سمعان وجبرايل عواد واخيراً قلب عقولهم واخذوا يتكلمون مثله ويقولون اننا كتبنا حتى يجيء القاصد ونتشاور واياه في اصلاح الطائفة ولا نريد ان يعمل مجمعاً ويكون له الحكم علينا . وتجادلوا طول النهار . والمطران الياس كان يريد يبطل المجمع لانه خايف من ان تقام عليه دعاوى وشكايات في المجمع . وفي المساء توجه المطران الياس الى ريفون لعند البطريرك

يوم السبت ٢٢ لم يأتِ البطريرك كما كتب لان المطران الياس غيّر له فكره وكتب يقول : انه ارسل المطران الياس يطلب باسم البطريرك المجمع ليقرأه ويتشاور مع المطارنة ويرفع ما لا يناسب . ولا يمكن عمل مجمع ان لم يتمّ ما ذكروا والمجمع لا يكون في غير دير ريفون دير الكرسي البطريركي . وامور كثيرة ضد القاصد . ثم يختم قائلاً انه يراجع الكرسي الرسولي وينتظر الجواب . فاجابه القاصد انه مهما اردتم ان تراجعوا به الكرسي الرسولي فلا يقدر احد ان يمنعكم . ثم ذكّره وعده بالتوجه الى بكركي حيث يصير الملتقى بين الجميع ولم يقُم بوعده ولا ترك المطارنة يأتون اليه حسبما امرهم وخالفوا الطاعة الرسولية . وارسل المكاتيب مع رئيس دير لويزه القس جرجس قشوع الغسطاوي اللبناني حتى يخاطب البطريرك بهذا الصدد . اما في لويزة فاستمرت المجادلة من المطران سمعان والمطران جبرايل عواد بهذا الخصوص حسب ما افهمهم المطران الياس

يوم الاحد ٢٣ رجع رئيس لويزه مع القس الياس سعد يازجي غبطته وكان جواب البطريرك انه يرتضي بعمل المجمع بشرط ان لا يحضر احد من المرسلين وان القاصد يرسل اليه بكتاب المجمع ليفحصه ، ويراجعوا المجمع المقدس بالشيء الذي لا يناسب . وفي يومها وصل المطران طوبيا من بقعاتا الى عجلتون لانه كان شفي من مرضه

يوم الاثنين ٢٤ كتب المونسنيور وكالة للمطران طوبيا الخازن حتى يأخذ كتاب

المجمع معه الى البطريرك ليفحصوه جميعاً . وطلب قبل كل شيء ان يختم البطريرك والمطارنة القضايا الاثني عشرة المختوم بها من المجمع المقدس . وبعد ان يختموها يسلمهم الكتاب وان ما رضيوا يختموها ويصير تسليمهم الكتاب بل يردوه للمونسنيور . واما الاشياء التي لا يرضوها يبقوها في ورقة وارسل المونسنيور الاب توما اللبودي الرئيس العام بهذه الوكالة الى المطران طوبيا وصحبه القس جرجس رئيس لويزه وكتب المطران عبدالله والمطران اغناطيوس انهما راضيان بالقضايا الاثني عشرة المختومة من المجمع المقدس وراضيان ايضاً في كل امر موجود في كتاب المجمع الذي جاء به القاصد فلذلك لا لزوم لحضورهما ليفحصا الكتاب مع البطريرك وباقي المطارنة

يوم الثلاثا ٢٥ توجه الاب العام توما اللبودي ورفيقه الاب جرجس قشوع واخذوا كتاب المجمع للمطران طوبيا الى عجلتون وكلاهُ ليتوجه الى عند البطريرك وسلّموهُ الوكالة والمكاتيب ورجعوا

يوم الاربعا توجه السيد البطريرك والمطارنة الى دير لويزة قبل ان يصلهم المطران طوبيا . والمطارنة الذين كانوا مع البطريرك هم : الياس محاسب وفيلبوس الجميل واسطفان الدويهي وحنا اسطفان ومخايل الخازن ويازجي البطريرك ومعه الشيخ كسروان بن حصن الخازن فلاقاهم الجميع بزياح حافل . وبعد وصولهم كتب البطريرك والمطارنة شروط ان لا يحضر المجمع غير البطريرك والقاصد والمطارنة لا مرسلون ولا رهبان ولا تلامذة رومية وعرضوها على المطرانين عبدالله واغناطيوس ليختماها فقالا : ان هذا يخصّ القاصد . وعُرض الامر عليه فلم يرضَ واخيراً بعد الاخذ والرد ارتضوا بالقضايا الاثني عشرة وفي المساء وصل المطران طوبيا خرج الجميع للقاه . ثم وصل الشيخ نوفل القنصل واخذ يسعى باصلاح ما كان ابتدأ فيه ويعمل جهده في ضمّ الحال وعمل المجمع لانه كان وصل له مكتوب من قنصل فرنسة في صيدا بمعنى توبيخ ويظهر له الشر الذي صدر منه في الابتدا بسبب كلامه الذي تكلمه سابقاً وان خراب المجمع ما كان الّا على يده ويحثّهُ على اصلاح الخلل الذي احدثه

يوم الخميس ٢٨ اكملوا فحص الكتاب واعتمدوا على عمل المجمع بعد يومين . واذ ذاك ابتدأ المونسنيور يكتبَ المكاتيب للذين يريدهم ان يحضروا وهم

المطارنة: ابرهام الارمني وجراسيموس مطران حلب الملكي. وديونيسيوس السرياني واثناسيوس مطران بيروت الملكي واليسوعيين رهبان عينطوره ولرهبان القدس في حريصا. وللكبوشيين في غزير. وكتب هو والبطاريرك للمشايخ الخوازنة في غوسطا وعجلتون وللحبيشية في غزير ومشايخ بسكنتا وساحل علما وبكفيا وبيت شباب ومشايخ بيروت الشلافنة. ولرشميا وقيتولي ودير القمر وزوق مكائل والبعض من خوارنة البلاد ولرئيس عام رهبان مار اشعيا مع باقي رؤساء الرهبانيات ليحضروا الى المجمع

يوم السبت ٢٩ ايلول اكملوا قراءة الكتاب واخذوا في الاستعداد لعمل المجمع يبتدئوا به يوم الاحد التابع واخذ جميع المدعوين يتوجهون الى لويزة

(لها بقيّة)

شعراء النصرانية بعد الاسلام

شعراء القرون المتأخرة مباشرة بالقرن الرابع عشر

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

١٣ المطران جرمانوس فرحات

منذ استولت تركيّة على البلاد الناطقة بالضاد في الشطر الثاني من القرن السادس عشر أصيبت الآداب العربيّة بضربة أليمة. فكثرت الحروب وتفاقمت الشرور حتى ضعفت همم الأدباء عموماً وكسدت اسواق المعارف وأقفلت المدارس الّا القليل منها لا تتجاوز في تعليمها مبادئ العربيّة وقلّما تجد بين المؤلفين كاتباً ذا سعة الاهمّ الّا في بعض العلوم الفقهيّة او النحويّة. وغاية ما يُذكر من شعراء ذلك الوقت ابيات

قليلة ذات معانٍ مبتذلة تشهد لصاحبها بالخمول دون النبوغ

وكانت حالة النصرانيّة اسوأ اذ لم يجد تبعتُها اساتذةً جديرين بالتعليم فكان المسيحي اذا بلغ الى معرفة الكتابة والقراءة عُدّ من المعلمين الماهرين. امّا الشعر بينهم فانّهُ كان اسماً بلا مسمًّى. وقد رأيت شاهدًا على انحطاطهم في ما رويناهُ من الزجليّات السابقة المخلّة الاوزان الركيكة الانشاء.

وقد بقي الامر على هذا المنوال الى اواسط القرن السابع عشر حيث ظهرت في الشام نهضة كان المساعدون على تعزيزها المرسلين الذين قدموا الى سوريّة في العقد الثالث من القرن السابع عشر ومثلهم تلامذة رومية الموارنة فهؤلاء بثّوا في العموم وخصوصاً بين النصارى روح النشاط والغيرة التي ظهرت ثمرتها في اواخر ذلك العصر وفي اوائل القرن الثامن عشر وكان الفضل الاعظم في ذلك لحلب وطوائفها المسيحيّة المختلفة. فاشتهر بين بطاركتها واساقفتها بعض الكتبة الذين شاعت تآليفهم التي شرّفوا بها وطنهم الشهباء.

امّا الشعر النصراني فكان ظهورهُ بعد حين في اواخر القسم الثاني من القرن السابع عشر. فكان المجلّي في هذه الحلبة الراهب الحلبي جبرائيل ثمّ المثقف على وطنهِ باسم جرمانوس فرحات

﴿ ترجمتهُ ﴾ هو جبرائيل بن فرحات مطر الحلبيّ المولد والحصرونيّ الاصل. رأى النور في الشهباء في ٢٠ تشرين الثاني سنة ١٦٧٠ وانكبّ منذ نعومة الاظفار على الدرس فبعد اتقانهِ المبادئ في مكتب طائفتهِ تمّم اللغات على تلميذ رومية البارع الخوري بطرس التولوي واحرز الآداب اللغويّة والفنون العربيّة على بعض الشيوخ اخصهم الشيخ المسلم سليمان النحوي والشيخ النصراني ابو المواهب يعقوب الشهير بالدبسيّ فاقرّ الجميع بنبوغهِ

وفي الخامسة والعشرين من عمرهِ احبّ ان يحيي في الشرق مآثر نسّاكهِ القدماء فيبعث الرهبانيّات المنظّمة من مواتها اذ لم يبقَ منها سوى ظلّها الخفيف. فاتّفق مع شبّان مثلهُ على ان يهجروا وطنهم ويأتوا الى لبنان كقدماء النسّاك وقد اشتهر منهم عبدالله قرآلي وجبرائيل حوّا ويوسف البتن. فصدّق على عزمهم البطريرك اسطفانوس الدويهي وسكنوا مدّةً في دير مُرت مورا. على انهُ وقع بينهم في السنين الاولى

بعض الاختلاف في تقرير رسوم الرهبنة كان سبباً لنفور جبرائيل فرحات واعتزاله عنهم ثم لسفره الى جهات صقلية وايطالية واسبانية

فلمّا رجع الى لبنان سنة ١٧١٢ وكانت هدأت الخواطر انضمَّ الى الرهبانيَّة الجديدة وصار غير مرَّةٍ رئيساً عامًّا عليها الى ان اسند اليهِ البطريرك يعقوب عوّاد رئاسة اسقفيَّة وطنهِ حلب في ٢٩ تموز سنة ١٧٢٥ فرعاها احسن رعاية وبهمتهِ نمت عددًا وفضلًا الى ان توفَّاهُ الله في ١٠ تموز سنة ١٧٣٢

وللسيّد فرحات آثار كتابيَّة عدَّدها في المشرق (٧[٤١٩٠]: ١٠٥) المنسنيور جرجس منش راجع كتابنا المخطوطات العربيَّة لكتبة النصرانيَّة (ص ١٦٠ــ١٦٢). وقد اشتغل مدَّة مع الآباء اليسوعيين فساعد الاب بطرس فرومساج في بعض التعريبات بل كان انفرد في بعض السنين في ديرهم في طرابلس وفكَّر في الدخول في رهبانيَّتهم كما فعل بعدهُ الاب بطرس مبارك والمطران جرجس بيت

﴿شعرهُ﴾ قد سبق لنا القول انَّ اوَّل ديوانٍ نصراني ظهر بحصر المعنى انما كان ديوان سليمان القزّي الذي روينا اخبارهُ. امَّا في النهضة الاخيرة في ختام القرن السابع عشر واوائل الثامن عشر فكانت قصبة السباق للسيّد جرمانوس فرحات. وقد شاع ديوانهُ منذ عهد حياتهِ فتعدَّدت نسخهُ في المكاتب ولاسيما في حلب وفي اديرة لبنان. منهُ ست نسخ قديمة في مكتبتنا الشرقيَّة. وقد سُرَّت مطبعتنا الكاثوليكيَّة بان صار لها شرف التقدُّم بنشر هذا الديوان نشرتهُ اوَّلاً مطبوعاً على الحجر سنة ١٨٥٠ ثمَّ تكرَّر طبعهُ على الحروف الى ان اهتمَّ المرحوم الشيخ سعيد الخوري الشرتوني بمراجعتهِ وتصحيحه واضافة تعاليق عليهِ سنة ١٨٩٤

ومع كبر حجمهِ وعدد قصائدهِ ومقطَّعاتهِ البالغة الخمسمائة بنيف لا يزال بعض الادباء يقفون لهُ على منظومات لم تردْ في هذا الديوان. وقد نشرنا له في المشرق قصيدتين قالهما في رثاء الشيخ ابراهيم حماده المحسن الى جميَّتهِ (٧[١٩٠٤]: ٢٤٢٨٨[١٩٢٦]: ٣٩٧). وكلّ ذلك ممَّا يثبت للسيّد فرحات غزارة المادَّة وجودة القريحة

على انَّنا لا ننكر انَّ في شعرهِ بعض الضعف على حداثة عهد شعراء النصارى بنظم الشعر فهو يكثر من استعمال الجوازات الشعريَّة فيسكن المتحرك ويحرك الساكن ويتسامح بما لا يتساهل باجازتهِ اهل اللغة. وكلّ ذلك احقّ ان يُنسب الى انحطاط

الآداب في عهده من نسبته الى شخصه . كيف لا وتجد بين منظوماته قصائد رنانة جارى فيها الشعراء الفاقين كقصيدته الرائية التي يتغزل فيها بكمالاته تعالى وهي تبلغ ستين بيتاً اولها (من البسيط) :

اللهُ اللهُ انتَ السمعُ والبصرُ في العاشقين وانت الفوزُ والوطرُ

واوسع منها نونيته في مديح القربان التي افتتحها بقوله (من الكامل) :

ذلّت لعزّةِ دينكَ الأديانُ وتكوّنت بوجودك الاكوانُ
يا أيها المولى يسوعُ ابنُ العلي انت الإله الفاطرُ الديّانُ
وافيتنا متجسّداً لخلاصنا من مريم يا أيها الرحمانُ

ومثلها حسناً تغزّلهُ بجمال قلب يسوع في همزيّته (من الكامل) :

يا قلبُ طِرْ من وُكْنَةِ الاحشاء نحو الحبيبِ الفاخرِ الازياء

وما قولنا بيميّته التي أطرأ فيها كمالات العذراء مريم (من الكامل) :

لو كان للأفلاكِ نطقٌ او فمٌ لترنّموا بمديحكِ يا مريمُ

فهذه القصائد وكثير غيرها قد استحقّت اصاحبها ان يُنظَم في سلك كبار الشعراء . ويزيد فضلهُ في انشادها انّهُ ابتكر تلك المواضيع الدينيّة التي لم يسبقهُ اليها غيرهُ من وصف اسرار وبسط عقائد وايضاح عادات نصرانيّة ونسكيّات رهبانيّة استجدّت في عصره ونهج فيها طريقاً لمن اتوا بعدهُ

وقد تفنّن السيّد فرحات في غيرها من قصائده فعارض قطرباً بمثلّثاته الدريّة وخمّس عينيّة الشيخ الرئيس ابن سينا في وصف النفس

هذا وقد وجدنا لهُ في نُسخ ديوانهِ المصونة في مكتبتنا الشرقيّة نحواً من ثلثين قصيدة او قطعة شعر لم تردْ في ديوانهِ المطبوع فها نحن نروي البعض منها كشذور

ذهبيّة حقًّا ان تُصان لكرامتها. فمن ذلك قصيدة قالها في عيد تجلي الربّ في طور تابور في افتتاح سنة ١٧٢١ (من الكامل):

هذا التجلّي فأعصَ فيهِ الأدمعا لترى المسيح بطورهِ مترفّعا
يَنسابُ جَدولُ نورهِ متبلّجاً في أُفقهِ أحسِنْ بنورٍ موقعا
فترى الدَّراري من ضياء بهائهِ وسَنا محاسنهِ الفريدةِ طُلّعا
فسما بهِ التابورُ لمّا ان سما بذُراهُ جا ربٌّ وقدّسَ أربُعا
وجَلا وجوهُ الرُّسل لمّا أنْ رأوا ناسوتَ سيّدنا المسيحِ مُشعشِعا
قد كان قبلًا عنهمُ متوارياً في طيّهِ وبأمرهِ مُتبرقِعا
أبدى لهم يومَ التجلي ذاتَهُ كي يَعرفوهُ المالئَ المُتوسّعا
فنراهُ في لاهوتهِ متكبّرًا ونراهُ في ناسوتهِ مُتخشّعا
بطبيعتَيهِ جاء ينقذُ آدماً متجسّدًا يسعى الينا مُذ سعى
عمَّ الكسوفُ الشمسَ في جَلَيانهِ والبدرُ أقسَمَ انّهُ لن يَطلعا
وكذا النجومُ الزُّهرُ وَلّت مُذ رأت نورَ الإلهِ محقّقاً ما أبدعا
هذا نهارُ أولي الإلهِ ورُسلهِ م الابرارِ لمّا شاهدوهُ المُبدِعا
شاموا ضياءَ إلههم فتحيّروا ورأوا ضياءَ الشمس منهُ أسفعا
وأراهمُ ذاك المقامَ ممجّدًا ونسَوْا بهِ في الحالِ آيةَ يُوشعا
هذا نهارُ اليُمن والإيمانِ في آثارهِ وبمثلهِ لن يُسمَعا
ماءُ النعيمِ بروضهِ متدفّقٌ رِدْهُ اذا ما رُمتَ فيهِ المرتعا
قلبُ الشجيِ مشوّقٌ فيهِ كما كَبِدُ الحليّ تكادُ ان تتصدّعا

فترى قلوب الحاسدين ذكيّةً وعيونهم في النور أضحت رُتّما
سَقيا هِضابِ الطورِ لمّا أن بدا في افقهِ ربٌّ تجلّى مُبدعا
وعلاهُ من مولاهُ ما قد زانهُ ورعاهُ ممّا شان ذاك وأفظعا
وسقاهُ من ذاك الحيا طَلّ الندى يكسوهُ ثوباً بالزهور مجزّعا
شمسُ الهدى بزغت بأُفقِ سمائهِ وبدا شعاعُ ضيائها ان يسطعا
هذا مسيحُ الله في اكنافهِ متجلبباً متمجّدًا مسترفعا
مِعراجهُ للطور يوضحُ انهُ ملكٌ بدا بين الانام مُشيّعا
واتاهُ صوتُ ابيهِ يهتفُ شاهدًا هذا هو ابني فامنحوهُ المِسمَعا
واختار بطرسَ في تجلّيهِ كما إختارهُ رأساً يفوق الاربَعا (١
واتى بيعقوبِ ويوحنّا الذي قد كان في الرسل الكرام المِصقعا
فتحيّروا ممّا رأوهُ بارقاً من نوره لمّا بدا ان يلمعا
وسرادقٌ مُدّت عليهم بغتةً مرفوعةٌ من مجدهِ لن ترفعا
نورٌ حقيقيٌّ عليهم مشرقٌ حتى غدوا صرعى لذلك هُجّعا
لا مثل نورِ المُبدعين وحُزبهم لا يطلعن من غير ان يتصنّعا

وختمها بتفنيدهِ لمزاعم المبدعين بقولهِ :

لكنّا نحن نرى بأن الذي يُرَى هو مجدُ ناسوتِ المسيح موشّعا

---

١) قال في حاشيةٍ : يعني انّ السيد المسيح اختار رياسة كرسي بطرس الرسول ان ترأس الكراسي الاربعة اي كرسي القسطنطينيّة والاسكندرية وانطاكية واورشليم

هذا هو الحقّ الصراحُ ومن يَرُمْ طُرق الهدى يُلقِ الينا المِسمعا

ومما لم يُرْوَ في ديوانهِ قولهُ يشجع نفسهُ وقد ضايقتهُ هواجس ابليس في افكار العالم سنة ١٧١٢ (من مجزوء الرجز):

فيا لكم رأيتُني ومن بُكاء أجهشا
اتانا ابليس مُخا دعاً لنا وقد رشا
وآنسَ القلبَ وكم آنسَ لي توحُّشا
تَرى وقد وَسوسَ لي بفعلهِ وأوحشا
مشى اليّ لا رِضىً عليّ لمّا ان مَشَى
يرومُ سرّي انهُ بذلك السرّ فشا
فوشى بي وقد ارا دُ يتلاهى كيف شا
خزيتَ ابليسُ كفى لا تَرْضَ عيني بالعَشا

ويروى لهُ قولهُ في وصف رجل من الغرب امتلك باسمهِ ملكاً ثمَّ اختلسهُ منهُ (من الوافر):

بأرض الغرب أبصرنا فعالاً تذكّرنا فِعال المُفترينا
بإنسانٍ اراناً الخير لفظاً بلا معنىً فخلناهُ مُعينا
دعانا اوّلاً حتّى حضرنا فكان من الرجال الناكثينا
وكان سَحابُهُ فينا جَهاماً وخُلّبُ برقهِ وعداً خؤوناً
بنى ما قد بناهُ على دمانا دم الشهداء والرهبان فينا
فان يثبت فذا يشهد عليهِ وان يسقط جزاءُ الظالمينا

وقال يهجو القضاة الجائرين سنة ١٧٢١ (من الطويل) :

سألتُ القضاةَ الآنَ والشرعُ مُشتكٍ عليهم ومنهم يشتكي الجَوْرَ والثقلا
فلِمْ جُرْتُمْ في الشرعِ والشرعُ عادلٌ وجُزْتم بهِ عدلاً وحُزْتم بهِ عَذْلا
اجابوا لنا انَّ الزمانَ مُوارِبٌ وكلٌّ لهُ فَنٌّ بهِ يَقْتَضي شُغْلا
فلمَّا رأينا الدهر بالحقِّ ماثلاً فَقلنا وكان الظلم في شرعنا عدلا
ولو لم نَجُرْ في الحكم اصبحَ شرعُنا وعرضُ القضاةِ الآنَ بين الورى نَذْلا
لأنَّا بوادي الجور ننساب والذي يراهُ نراهُ والهوى جامعٌ شَمْلا
فلا تنكروا منَّا ومن ذاك ريبةً اذا كان دمعُ العين للمذنب النُّسْلا
فكم هفوةٍ جاءت باثواب توبةٍ تجرَّر اذيالاً تُواري بها فِعْلا
ومن قبلُ قد شانت بشأنِ رسولها فكم صدَّقت رُسْلاً وكم كذَّبت رُسْلا
ألا انَّما عقلُ الحكيمِ منزَّهٌ عن الجهل فيما يقتضي العقل لا الجهلا

وقال يقابل بين دموع التوبة ودموع المحبة (من البسيط) :

أنحلتَ يا دَمعُ جِسمي فارْفُقَنَّ بهِ واكْفُفْ لأنِّي علمتُ الإثمَ أنحاني
فدمعةُ الحبِّ تُبقي الجسمَ مبتهجاً ودمعةُ الإثم تُبلي الجسم بالوَهَنِ
شتَّانَ بين دموع الحبِّ ان صدقتْ فيهِ وبين دموع الإثم والدَّرَنِ

وقال في تجسد ابن الله ورفعة الانسان (من الكامل) :

صار الالهُ بحبِّهِ متأنِّساً من مريمٍ فهي الرجا والبابُ
يخلِّص الخاطي الاسيرَ بموته ويؤلِّهَ الانسانَ وهو ترابُ

وقال في فضيلة التقوى (من البسيط) :

محبّةُ الله روحُ النفس تُنعشها فينا ولكن لها روحٌ بها الرّضوى
فالجسمُ من غير روحٍ ميّتٌ وكذا محبّةُ اللهِ لا تحيا بلا تقوى
تقوى الفضائلُ بالتقوى فلن تقوى من عارضٍ ما وإن أقوت فلن تقوى

وقال في انتقال العذراء الى السماء (من البسيط) :

ربُّ السماوات والارضين قاطبةً لاقى انتقالَكِ يا بكرًا ولَدتيهِ
لمّا حصلتِ لهُ امًّا ومُرضعةً حصلتِ في مجدهِ السامي وحُزتيهِ
اذ صار ناسوتهُ منك بقوّتهِ اراد يمنحُكِ ما قد منحتيهِ
خُذي يمين ابنكِ امًّا مُنجدةً فالمثلُ بالمثل شرعًا منهُ تلتيهِ

وللسيّد فرحات قصيدة فنّد من نكر فيها حريّة الانسان في اعمالهِ حاملًا تلك الاعمال على القضاء والقدر منها قولهُ (من مجزوء الكامل) :

يا مَنْ خطَوتَ الى الرَّدَى لا تَعتبنَّ على الخُطَى
اذ انت صِرتَ مخيَّرًا من مُبدعٍ فيما مضى
أفليس للانسان في الأرزاقِ الّا ما سعى ؟
اين المقدَّرُ قُلْ لنا والعقلُ يصنَعُ ما يَرى؟
فعلامَ تقتلُ سارقًا وعلامَ تمدحُ من وفى؟
ان كنت يا ذا مُجبرًا فالله يظلمُ من جنى
افسدتَ شرعَ الله والا م حكامَ كلًّا والنُّهى

زال الثوابُ عن التقى وكذا العقابُ عن الزنا
كذبَ الكتاب فلا صلا ةٌ تُرتجى من ذي التقى
حاشا لربّ عادلٍ بقضائهِ بين الورى
يبدو لدينا جائرًا او قاسياً مثل العدى
فارحم حياتك وانتزحْ عمّا تراهُ من العَمى
يوماً تُدان وتقتضي ذاك الجزاء بلا مِرَا
فالخيرُ خيرُك ان بدا والشرُّ شرُّك ان جرى
انت المثابُ على الوفا انت المدان على الاذى
ان صالحاً او طالحاً ولكلّ مرءٍ ما نوى

وللسيّد الشاعر الحلبيّ غير ما ذكرنا مما لم يُنشر بالطبع الّا انّ الباقي منهُ قد تشوّه بالنَّسخ والمسخ فنكتفي بما سبق

(لهُ بقية)

مشروع المَصحّات في لبنان

بقلم الدكتور توفيق سلهب طبيب مَصحّ عين اوبس قرب بيدات «المتن»

لا بدَّ لكلّ من يُعنى بهمّةٍ ان يُلقي عليها حيناً بعد آخر ولاسيما في آخر كلّ سنة نظرة خصوصيّة يستوضح بها مجمل ما قد أنجز . فعملًا بهذا الداعي الفطريّ كتبت هذه المحاضرة أمل ان يكون منها فائدة لبلادي تجاه ما يتهدّدها من نازلةٍ مَرَضيّة فتّاكة ملقياً نظرة عامّة على مشروع يتناول امرهُ الهيئة الاجتماعيّة بما لهُ من النفع

الجزيل لاسيما في لبناننا الجميل وفي بلاد الشرق اجمع

أعني بذلك المصحات في لبنان وما يُقتضى لها من المعونة وهي في بدء النشوء في حين أنَّ داء السلّ الوبيل الذي نحاول قمعهُ آخذٌ في بلادنا مأخذاً يكاد يكون ذريعاً

هذا ولا ألام لو جاهرتُ بأن البلاد لم تزل في حيّز التقصير بسبيل مكافحة هذا الداء الوبيل غير عاملةٍ بكل ما من شأنه الوقاية الصحيَّة الواجبة ، الامر الذي اربأ بأمّتي ان تتثاقل فيه الى حدٍّ أبعد من هذا الحدّ وأترجى ان تستنبط الهمّة سعياً الى الامام على نحو ما تسعى الشعوب الراقية ، وعلى اعتقاد أنَّ اللبنانيّين لا يُعزى اليهم في ذلك تقصير

تاريخ اجماليّ للمشروع الصحي في لبنان

فأبدأ بسرد تاريخ اجمالي لهذا المشروع الصحّي الذي نشأ عندنا إثرَ الحرب العامّة وبدت طلائعه بمصحَّين أحدهما خصوصي قام في قرية بحنّس والآخر عمومي وهو مصحّ عين لويس في بعبدات — قرب برمانا — وفي اثناء كلامي هذا أبسط بعض الاعتبارات الصحيَّة الاجتماعيَّة التي استنتجتها عن اختباراتي الخصوصيَّة وجمعتها بكل حرص في مفكراتي طيلة السبع السنين التي قضيتها حتى اليوم ، موكلاً بادارة التطبيب في المصحّ الثاني السابق ذكرهُ اي مصحّ عين لويس . وخلال كلامي هذا أستلفت انظار ذوي الشأن الاعلى في هذا المشروع الى تلافي ما أرى فيهِ من النواقص فأقول :

لا يخفى ان بلادنا وبلاد الشرق المجاورة كانت حتى ما بعد الحرب الاخيرة خالية من كلّ مصحّ عمومي وخصوصي ما خلا مصحاً واحداً كان في وقتهِ ضيّق النطاق لانه جاء عن جُهودٍ أفرادية فبدا غير وافٍ بالمرام ولم يكن مجّانياً فلم يَفِ بالغرض المنشود من اقالة هاتيك الضحايا البشرية التي يجندلها تباعاً ذاك المكروب الذريع مُكتشفُ العلّامة «كوخ»

فداء السلّ الذي لم يكن قبل نصف هذا الجيل على مثل ما هو اليوم من الانتشار في هذه البلاد قد تمادت سطوته منذ بضع عشرات من السنين بواسطة المهاجرة الجارفة من مواطنينا منذ نيّف وثلاثين سنة فِرَقاً فِرَقاً تتابع الى اميركة وافريقية

واستراليا . . . جرماً اورثنا عن طريق الذهاب والاياب حلول هذا الداء في بعضهم وعودتهم به الى الوطن من مهاجر لم يرعوا فيها الموجبات الصحية فضلاً عما بذلوا من المشاق واجهدوا من القوى البدنية والعقلية وما قد قاسى بعضهم من شظف العيش والتبرّم الى غير ذلك من فقر وحرمان مما زاد في سرعة انتشار الداء الوبيل في بلادنا عن طريق المهاجرين الراجعين

اجل فمن هذه الطريق تستقبلُ بلادنا كلَّ عام وفوداً من اولئك المصدورين القادمين من بلاد الذهب وهم يعللون سبب قدومهم منها بما لا يدركون كنهه اذ يقولون: « عُدنا لان اطباء المهجر بعد ان استنزفوا جُعبة المعالجة لوعكة تنتابنا قالوا لنا: « اذهبوا الى بلادكم حيث الهواء النقيّ والمناخ الجميل يوليكم العافية » . . . فعلى هذا يعود المهاجر المُبتلى مُفعماً قلبه بالامل فينضمّ الى عيلته وذويه حاملاً اليها وهو لا يدري شيئاً غير الذهب المُرتجى من المهاجر الاميركية اعني به جرثومة المرض الفتاكة التي يبذرها حواليه ما بين امّه وزوجته واخته اللواتي يتفانَين في خدمته مريضاً عزيزاً عليهنّ يستوجب منهنّ اخلصَ الاعتناء وارقّ الرعاية تلطيفاً لما قد ينتابهُ من اليأس حين يشعر بتمادي المرض عليه . هذا عدا ما ينقص هؤلاء المرضات من علم حفظ الصحة وهن مندفعاتٌ في هذه الخدمة الى أبعد الحدود دونَ اقلّ اتقاء او احتراز فينتقل المرض إليهنّ أو عن طريقهنّ الى أهل الجوار

فهكذا ينزل المسلولون في القرى او في المدن دون ان يعرف الناس فيهم هذا المرض في حين أنهم مَوبأة نقّالة خفيّة تبعثُ العدوى ما بين عيالهم أولاً ثمّ ما بين انسبائهم ومجاوريهم

ادارة الصحة والاسعاف العام في لبنان

امّا الحكومة فكانت سابقاً قليلة الاعتناء بهذا الامر تتركه لأحكام الطبيعة ولذا توالت نتائجه الوخيمة على البلاد انما هذا الإهمال لطف الله ولم يتادَ مُذ ما صحّ بنا قول من قال «لكل مقام مقال ، ولكلّ دهر رجال» وذلك بانه لم تكد تنقضي السنة الاولى بعد الحرب العامة (١٩١٩) ولم تكد تُقضى الدواعي الهامة لسدّ الحاجة وترميم الاحوال المهدّمة الّا وتأسست في البلاد إدارة الصحة والاسعاف العامّ

ولا يخفى ان لهذه الادارة مهمة شاقة كثيراً ما تقف لديها الهمم الناهضة لاسيما أيام ما تأسست في بلادنا وكانت ايام فقر مدقع وشقاء مريع انتاب السكان خاصة عن طريق الامراض والحميات المتنوعة

فبالرغم عن كل ذلك أقدمت هيئة جلى تنبعث عن عالم إفرنسي وعن نفس كريمة فياضة هي هيئة النطاسي الدكتور « دلماس » مع همة اعوانه الاجلاء في ادارة الصحة للجيش الافرنسي الذي نزل في بلادنا. ومن يجهل اسم هذا المدير المدبر الجليل ؟ . . . فاذ أعلن الجنرال غورو في أول ايلول سنة ١٩٢٠ استقلال لبنان الكبير تخير الدكتور «دلماس» أعواناً له من نطس الاطباء اللبنانيين وكان في مقدمتهم الدكتور «منضور» المعوان الاكبر للدكتور دلماس في تحقيق أمنية هي خير ما تقتضيه الانسانية ألا وهي تلطيف الشقاء الذي كان مخيماً في البلاد بجيوش الامراض المتنوعة

فانتهج هذان الفاضلان المهمة عن طريق العلم والخبرة الواسعة تفيض عن قلوب حصيفة ونفوس شريفة وما عتما ان أنشأا معاهد الاسعاف العام بيانم ومستوصفات وملاجئ ثم انصرفا بنفس الجهود الحية الى تأسيس مستشفيات في بيروت وطرابلس وزحلة

مصحا بحنس وعين لويس

ولم يقفا على هذا الحد من الاقدام بل سدا حاجة قصوى في البلاد إذ أوجدا فيها على الاثر مصحاً للسلولين. نعم ان راهبات المحبة كن أسسن خلال السنة التي نشبت فيها الحرب العامة مصحاً من هذا النوع في قاب منطقة المتن بقرية بحنس . اما الحرب هذه اوقفته وهو في اول عهده ثم تجدد سنة ١٩٢٠ وهو في موقع يعلو سطح البحر بنحو الف متر وتتبدى منه ابهج المناظر الى مسافات فسيحة مطلاً على البحر المتوسط وسواحله وحاملاً في قلبه ذلك المعهد الفخم الذي يقل نظيره ليس في لبنان فقط بل في اوربا . . .

ولما كان لهذه المنطقة من جبل لبنان ميزة فضلى بتناخها السليم وهوائها النأشف البليل المتراوح عن هضبات تجاورها مغشاة بغابات من الصنوبر الاريج قد استرعت انظار الدكتور «دلماس» والدكتور « منضور » فتخيرا منها موقعاً يدعى « عين لويس »

على مقربة من بعبدات وعلى مسافة ساعة بالسيارة من بيروت (٢٢ كيلومتراً) ومما اقرّ اختيارهما لهذا الموضع بناية فخمة قائمة فيه على سفح هضبة يكتنفها حرج فسيح من الصنوبر كواقٍ طبيعي من قوارس الريح الشمالية الغربية مما يطيّب، ولا ريب، الاقامة لاسيما ايام الصيف بفضل ما يتنسم عن تلك الاشجار من النسمات الذكيّة وما يمتدّ عنها من الظلال المنعشة. فاستأجرا الموقع وبناياته واحراجهُ وبساتينهُ ونبع الماء النابضَ في قلبه وجهّزاه بكل ما امكن. ومنذ اوّل كانون الثاني سنة ١٩٢٠ انتظم هذا المصحّ وأخذ يستقبل المرضى مُعلناً باسم «مصحّ عين لويس»

فهذا المصحّ خُصّ بالمرضى الرجال بينما مصحّ بحنس كان ولم يزل خصيصاً بالنساء. وفي السنتين الاوليين من تأسيس مصحّ عين لويس العمومي لم تتجاوز طلائع اللاجئين اليه أكثر من خمسة الى سبعة مرضى في كلّ شهر وذلك لانهُ كان يصعب علينا جداً وجود خدّمة وممرّضين لا يأنفون من هذا العمل لأن الناس في بلادنا ينفرون من مساكنة المسلول الى حدّ انهم ينفرون ايضاً من الطبيب الذي يُعنى بامر المسلولين ويُشيرون اليه عن بعيد بالاصابع ناسبين اليهِ جنوناً لانهُ يواصل مصحّات المسلولين.. ولا يخفى ما في هذا الخلق من غرابة الشكل المتورّ كلّ بلاد الشرق حيث الاهالي يجتنبون عادةً الوقائع الطارئة ويمسخونها بالتخيّل والاوهام حتى يُصبح من الصعب الشاقّ تأليفهم إياها. ورغماً عن هذه الصعوبة جرت اعمال المصحّ على قدر الامكان بخدّمةٍ وممرّضين يسّر الحظّ انتقاءهم من بين الارمن اللاجئين الى هذه البلاد

ترقي مصح عين لويس

وبتنا نرقب وصول راهباتٍ إفرنسيات من ذوات الاختصاص بهذه المهنة الى ان قدمن في بدء سنة ١٩٢٣ فزاد العمل نشاطاً وكثر عدد المستشفين قادمين الى هذا المصحّ من كل حدب وصوب وزيد في عدد الاسرّة وأصبحت الهيأة الخادمة بادارة هؤلاء الراهبات تؤدي خدمتها على ما يُرام. حينئذٍ توالت طلبات الاستشفاء في هذا المصحّ من معظم الانحاء المجاورة، وجاءه مرضى من سوريّة، ومن مصر، ومن العراق الخ... فأشغلت الاربعون سريراً التي فيها وأمسى لا يستوعب كلّ الطالبين. وبات هكذا حتى نهاية سنة ١٩٢٥. فاهتمّ بعدئذٍ حضرة الدكتور منضور بتوسيعه وبذل

جهوداً كبيرة لتنميته بعد مشترى المكان من مالكيه . فواصله بهمته عاطفاً عليه عطفاً خصوصياً وباذلاً جهوده في توسيع دائرته

نعم جدَّ وكدَّ في هذا السبيل انما موارد الموازنة في الحكومة لم يكن فيها ما يكفي لتحقيق كل ما نوى من إتقان مصحٍّ كهذا وتجهيزه بكل ما يقتضيه علم حفظ الصحة وتوفير طيب الاقامة فيه للمستشفين في حين انَّ مالاً يُصرف في هذا السبيل لا يفضُله بالنفع مصروف آخر طالما انه نفع عمومي من خير ما تقتضيه مصلحة البلاد العامّة اذ ان نفعهُ يعود على الافراد كما يعود على الهيأة الاجتماعية باسرها . فالأفراد المرضى ينتجعون من هذا المشروع العافية ويستعيدون الحياة الصحيحة كما ان الهيأة الاجتماعية تأمن انتشار العدوى ما بين الجماعات والعيال

هذا فضلاً عن المنافع الادبيَّة التي تتوفر عن هذا السبيل لاولئك المرضى البائسين منذ ما يحتضنهم المصحّ ويُغمرون فيه بعناية فضلى تبذلها لهم قلوب ملؤها المحبة والتفاني بحيث ان المُقدمين منهم الآخذ بخناقهم فقر مدقع او يأس قتال بينما هم يرون الموت يلاحقهم ولا محالة يأوون الى مثل هذا المصحّ فيستعيدون فيه الامل بالحياة وتُنعش عواطفهم بفيض ما يُغدَق عليهم في المصح من العطف والاعتناء الذي قد يفوق العطف الوالدي

فالمصح اذاً لا يُعنى بمعالجة الامراض الجسدية ، وحَسْبُ ، بل يُعنى ايضاً بكل ما ينعش الحياة أبان المرض بانعاش العواطف الادبية في المرضى وذلك بان يجعلهم يأملون النجاة بالمصحّ من موت عاجل قريب . اجل وقد تحتّمنا عدة مرضى نستعيد لهم الحياة عن سبيل هذا المصح المجّاني اذ يُنشَلون فيه من موتين : موت اكيد بسبب الفقر المدقع ، وموت اكثر من اكيد بسبب العلّة السلّية . ولهذا بدا لي ان ابسط هنا فكرة شخصية ارتأيها غزيرة المنفعة سواء كان للمرضى الذين نحن الآن في صددهم ام لخزانة الادارة التي تُعنى بهذا المشروع الخيري اي موازنة مديرية الصحة والفكرة هذه تتناول المرضى الذين يستفيدون في المصحات الصحة الممكنة وعلى ذلك اقول :

اقتراح تحسين مصحّ عين لويس

في السنتين الاولين لانشاء مصحّ عين لويس كانت الوفيات في مرضاه على قلّة

عددهم (اي نحو الثلاثين في السنة) تعادل في المئة عدداً يستوجب مزيد الاسف وذلك لما لاحظناه الملاحظة الدقيقة وهو أنّ كل مسلول أية كانت حالته من مرضه كان يرسل الى هذا المصحّ فألفتنا حينئذٍ نظر المديرية الجليلة الى ما في هذا التسامح من الشطط استناداً الى ما سبق بيانه إذ قلنا إنّ المصحّ ليس الّا معهداً للمعالجة وبالتالي لا يحسن أن يأويَ اليه الّا المريض القابل الشفاء ، امّا المرضى المعضَلون فيجدُر أن يأووا الى معهد آخر يُخصَّص بهم . . .

فهذا التدبير عُرف سديداً وصُدّق عليهِ فاتى بنتائج حميدة وأفاد كثيراً لاسيما في وجهة الاقتصاد بنفقات شتى كانت بغير جدوى . فهكذا انحصر بذل العناية بالمرضى القابلي الشفاء أو بعبارة أخرى سُدّت ابواب المصحّ دون المعضَلين الذين كان لهم بالطريقة السابقة ان يشغلوا الأسرّة المحدودة فيهِ أشهراً بل سنين في حين انها بالأصل معدّة للمرضى القابلي الشفاء او التماثل . وهكذا ايضاً تغيّبت تلك المفجعات التي يذوق مرارتها مكرهين اولئك المستشفون (فيما لو كانوا مساكنين المعضلين) لاسيما حينما يرون بامّ العين فتكة الموت الذريع تحلّ بمعضَلٍ في قربهم وهم بسبب المرض من أدقّ الناس شعوراً وأشدّهم تأثّراً لأقلّ ما يطرأ حواليهم

هذا فضلاً عمّا يُوقف في طريقة فصل المرضى على هذا الشكل من انتشار الجراثيم المُعدية التي لو اجتمع الفريقان من المرضى في مصحّ واحد تزداد، ولا ريب ، عن طريق المعضلين منهم رغماً عن الجهود التي يبذلها المرضون بكل اخلاص ولا يصلون معها الى استئصال هاتيك الجراثيم الوبيلة

فمما تقدّم يُرى انّ لهذا التدبير شأناً لايجوز السكوت لديه بل يجب ان نسترعي اليهِ تكراراً أنظار معالي وزير الصحة وأنظار مجلس الامة اللبنانيّة باعتقاد انّ هذين المرجعين الرئيسيَّين يوافقاننا ، ولا ريب ، على أنّ مالاً تنفقهُ الحكومة الجليلة في هذا السبيل ولمثل هذه المعاهد الخيريّة انّما هو خير ما يُنفَقُ واخصّ ما يُقرّهُ الرأي العام عن طيبة خاطر ودون اقلّ جدال

فبذا الاعتقاد يُرجى، بتقريري هذا الموجز ، ان يُنشأ في البلاد وعلى احسن ما يمكن اوّلاً مصحّان يخصّص احدهما للمعضَلين من الرجال والاخر للمعضَلات من النساء اتقاء لما يتفشّى عن هؤلاء المرضى من جراثيم هذا الداء الوبيل ما بين عيالهم

ومجاوريهم وما بين المستشفين لو اسكنوهم في مصح واحد وهؤلاء، على ما سبق بيانه، تعمل في مستوياتهم هذه المساكنة الغير المتجانسة عملاً وخيم العاقبة — وثانياً مصحان آخران احدهما للرجال والآخر للنساء من المرضى الذين يتوضح فيهم الاطباء السلّ وهو بعد في الابتداء وهم بعدُ قابلو الشفاء

معالجة المسلولين الرشيدة بعزلهم في محيط سليم

امّا السلّ فقد يُحصى ما بين الامراض التي قد لا تكفيها العاملات الطبية مجرّدةً عن معاملات أخرى وذلك لان هذا المرض كثيراً ما ينجم عنهُ حوادث مزعجة تتناول المجتمع الذي يحيا فيه المريض المسلول واخص هذه الحوادث هو ما يعرض من المشقة في اقناع المريض باعتزاله عيلتهُ وما يعاني الطبيب من المكدّة والنصَب في استكشاف طريقة العدوى التي عنها تسرَّب الداء الى المريض لاتخاذ الحيطة اللازمة كي ينجوا من تسرُّب العدوى اليهم وهم لا يأبهون

هذا وتقوم تجاه المسلول نفسهِ عقبات شتى في بدء اعتلاله وخلال المعالجة التي يطول عادةً مداها والتي لاتنجع غالباً الّا بطول هذا المدى. وذلك بان الطبيب منفرداً قد لا يكون لهُ متسعٌ لا من الوقت ولا من الطاقة لصرف ما يجب من مُتَسع العناية بما يتشعَّب عن صلة هذا المريض السلّية اذ يقتضي معاملات تتناول المحيط الذي يقيم فيهِ المريض واجراءات اقتصادية ادبية اخرى مما يستوجبه كثيراً من الجهود العقلية . . .

أجل، فتأثير المريض مقيماً في محيطٍ سليم جامع وتأثير هذا المحيط عليه اذ يُلحظ ما فيهِ من المرض كل ذلك يقتضي معاضدةً حميمة تتبادلها قوتان عليها أن تعملا سويةً في هذا السبيل وهما قوة الطبّ للطبيب، وقوة المجتمع كما يُعمل في بعض البلدان الاوروبية وفي الولايات المتحدة حيث تقوم معاهد اجتماعية بحتة تُعرف بمستوصفات الوقاية من السلّ حيث تُتَّقى مقدَّماً غوائل هذا الداء الوبيل . . .

نعم انني لا استطيع النفس الى أوج هذا المرتقى الصحي لندركه بيوم واحد إنما أحاول استيضاح سُلَّمهِ درجةً فدرجة وبطرائق سديدة. وما هذا إلّا لما يعلمه الخاصّ والعامّ من انَّ لبنان بلاد اصطياف وان له من هذه الميزة الطبيعية خيرَ الموارد

وأجلّها مما يعدّل بالملايين ومما تبذل لاجله السُلطة الجليلة كل اعتناء ترويجاً للاصطياف. ألا وهي سلطة أولي الامر في البلاد الجديرين بكل شكر وإكرام وفي مقدمتهم الذات الجلّى ذات المسيو دي ريفي امين السرّ العام في المفوضية الفرنسية العليا

فلما كان هذا من الامور الحيوية الفضلى للبلاد تحتّم على كل طبيب وهو المتعهد الاهتمام بكل أمر صحّي ان لا يلبث لديه كحرف ساقط ولهذا لم يكن لي بدّ في معرض هذه المحاضرة من طَرْق موضوع إخاله واجباً فأعالج بهِ عاداتٍ في بلادنا كثيراً ما هي مضرّةٌ بل قتّالة

التطهير الاجباري في المصايف

فموضوعي هذا هو التطهير الاجباري الذي لايتمّ على ما يُرام الّا بالإعلان الاجباري لوجود السلّ في الشخص الذي يتوضح فيه الطبيب هذا الداء . ولا يخفى ان ذلك لا يكون الّا بحكم تنظيمات اجتماعية تُقررها الحكومة الادارية ولا يُحصَر وضعها في الطبيب وحدَهُ

فحتى اليوم او بالحصر حتى أمدٍ قليل قبل اليوم كان يعدّ هذا التصريح مَهاجاً للخواطر على ما يعلمه زملائي الاطباء ومدعاةً لرَذْل الطبيب من العيلة التي يعالج مرضاها وذلك لمجرّد ما يتفوّه بلفظة السلّ حالة ان سكوته عن هذا خطيئة لا تُغتفر بسبب ما ينجم بعده من ضحايا يفتك بها هذا الداء الوبيل فتكاً لا يُعيضه الندم

إذن فمصحات يُعزَل اليها المرضى عن بيوتهم ويغمرون فيها بعناية اختصاصيّة لمّا يسهل عليهم المصارحة بالسبب الذي انتابتهم عنه العدوى بعد ان كان دون المصحّات امراً مستعصياً بعيد المنال . ومن جرّاء ذلك اخذ الرأي العام يتطوّر من هذا الوجه إثر ما بدا للملا من تحسُّن صحة المستشفين في المصحّات فاصبح اهل البلاد يعتقدون ان السلّ ليس بالمرض الذي لا يؤمل الشفاء منه واصبحنا لا نرى مستشفياً ينال العافية في المصحّ ويغادره الّا ويقول : نعمّا التصريح فوراً بوجود السلّ في مسلول لانهُ اذا عُرف وصُرّح بوجوده فيه منذ اوّل مظاهره يمكن الاستشفاء منهُ لا محالة

فلنعُدْ ، بعد ما تقدّم بيانه ، الى مسألة التطهير الاجباري الذي نلفت اليه بالأخص انظار مديري الشؤون الصحيّة لا سيما في مناطق لبنان وقراه المعروفة

بمصايف ومنتجعات العافية. نعم ان السلول لا يحسن ان يُعدّ نفاوة تُجتنب انما قد يعرض لهُ في كل مكان ان يكون هكذا بسبب انهُ قد ينقل العدوى الى من يجاوره الامر الذي لا بُدَّ لاتقائه وبالاخص في المصايف من تعاضد اجتماعي قد يكون اكثر ضرورة من التدابير الطبيَّة بل قد لا تنجع هذه دونه . وهذا التعاضد يقوم جلُّهُ بتنظيم اداري خصوصي يُعمل بهِ لتحسين اعمال الوقاية سواء كان في البيوت المعدَّة للاصطياف ام في النزُل العموميَّة كتطهير ادوات الطعام ومفارش الاسرَّة وما شاكلها تطهيراً يراقب بكل تدقيق

وتأكيداً لما في هذه الطريقة من المنافع الصحيَّة الاجتماعيَّة ولما أعتقدهُ فيها من الاهميَّة أبسطُ عنها شيئاً مما ادوّنه في مفكراتي اليومية مثلاً عملياً جرى لديَّ مؤخراً جديراً بالاعتبار وهو: خلال شهر آب الماضي ١٩٢٦ دعاني يوماً بالحاح السيّد ....R مدير نزل زينوبيا في برمانا لمعاينة مريض فيها فلبَّيت وما كدت ادخل قاعة الانتظار الّا وجاء المدير يقدّم اليَّ السيّد ....X الذي كان وصل منذ برهة مع قرينته قادمَين من مصر لقضاء شهرين او ثلاثة في لبنان. فشهد هذا القادم التَّعب وسُعاله المتقطع اقلق بال السيّد ..R حرصاً منهُ على سمعة نزله وسلامة النازلين فيه فاستدعاني فوراً والكشف الطبي جاء مصداقاً لما تخيَّله مدير النزل إذ انَّ السيّد ..X كان ، ولا ريب، مسلولاً . . . فلا تسل عمَّا بذلتُ اذ ذاك من رقَّة التعبير واساليب البيان حتى أوقفت المريض على حقيقة مرضهِ دون ان ادعه يجفل. وبعدئذٍ نصحتُ لهُ ان يتخير مصحاً يلائمه بحيث تتوفَّر مصلحته الذاتيَّة ومصلحة عيلته. ولحسن الحظ كان الرجل من ذوي العقل الراجح فانتصح مطمئناً شاكراً وغادر النزل في الحال . . .

فكثيراً ما تعرض مثل هذه الحوادث لاسيما في المصايف وسيحدث اكثر منها يوم تتَّسع دائرة الاصطياف. ولذلك نرى التطهير الاجباري جارياً منذ زمان في فرنسة حيث يُلحُّ بهِ علماء حفظ الصحة على ما كتب عنهُ مؤخراً واستفاض الدكتور نويسّه (Nuissé) رئيس لجنة مكافحة السل في منطقة الرون إذ خصص بالقول مسألة التصريح الاجباري عن السل في السلولين ومسألة التطهير الاجباري واحكام اتقاء هذا الداء بنوع خاص من حيث قال: «انهُ ليحسن في سبيل الوقاية من الامراض ان يطالَب صاحب كل بيت يُبنى جديداً بتصديق رسمي يحرزه فيما لو استوفى البنيان

الشروط المرعيَّة لحفظ الصحة . . . . كما انهُ يُقتضى وجوباً من صاحب كلّ بيت يؤجَّر أو يُجدَّد ايجاره افادةٌ رسميَّة ينالها ليبرزها للمستأجر بيّنةً على انهُ قد قام بكل ما يجب من التنظيف والتطهير في بيته . الأمر الذي اقلُّ ما يقتضيه في البيوت الصغيرة اذ يتبدَّل فيها المستأجرون ان يُعنى اصحابها بغسل الاديم منها وتبييض جدرانها بالكلس اذا كانت غير مدهونة بالبويا أو ممَّا لا يحتمل الغسل بالماء فمثل هذا القول ألا يُرى كم ان الحيطة للامراض نافعة واجبة ؟ وكم يجمل بنا ان تعمَّ لبنان وبالاخص مدنهُ وقراهُ المعدَّة للاصطياف ؟ . . .

بلى وهي مهمَّة فضلى يبذل لديها زملائي الاطباء لا سيما المقيمون منهم في بلدان المصايف كلَّ ما فيهم من جهود لتحقيقها ويجاروننى ولا ريب، بالالحاح على الحكومة الجليلة امَلَ ان تُنيل بلادها هذه الامنيَّة عاجلاً اجابةً لدواعي شريعة الوقاية الصحيَّة الغزيرة الموارد والمنافع . وذلك لأن تنشئة الامة على قواعد حفظ الصحة وعلى الوقاية لواجب جليل وفرض مقدَّس نقوم بهِ نحن الاطباء وعلماء حفظ الصحة لمصلحة بلادٍ كبلادنا . كما ان شعباً متمدناً يطمح الى الرقيّ قد لا يحيا ولا يكبر على طريق السياحة الفاحلة بل على طريق الامثلة العمليَّة يتحدَّاها وهي تتفجَّر بمناهل العلم والاختبار ما بين الشعوب العريقة في التمدُّن ، والله تعالى وليّ كلّ توفيق

الآداب العربيَّة

في الربع الاول من القرن العشرين

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

القسم الرابع

البحث الثالث

نظر خاصّ في انصار الآداب العربيَّة حاضرًا (تابع)

الرسلون

لم يقتصر المرسلون همّتهم على الخدم الروحيَّة التي يؤدونها للبلاد التي يحتلُّونها :

فانهم كثيراً ما يهتمّون بكل ما من شأنهِ ان يساعد على ترقية تلك المواطن في العلوم والآداب كما رويناه سابقاً . وها نحن نلحق بذكر الاكليروس الشرقي العالمي والقانوني المرسلين الذين يسعون حاضراً سعياً مشكوراً في نشر الآداب العربيّة . لهم فيها منشورات وخدمات شتى نذكرهم على ترتيب حروف المعجم

(الدومنيكيون) ادّت مطبعتهم المرصليّة خدماً جليلة للآداب العربيّة الى أن قضت عليها آفات الحرب ولم يتمكنوا حتى الآن من استئناف اشغالها . وبين اساتذتهم في المدرسة الكتابيّة في القدس الشريف آباء يتقنون اللغة العربيّة ويلقون فيها الدروس المختلفة كالاب ﴿ يوحنّا دومط ﴾ ثمّ الاب ﴿ اوغسطينوس مرمرجي البغدادي ﴾ كاتب مقالة الثوابغ في المشرق (١٨[١٩٢٠]:٣٦٦) . وقد عني مرسلوهم بالآثار العربية والسياحة في جزيرة العرب . فالابوان ﴿ جوسن وساڤنياك ﴾ نشرا اخبار سياحتيهما العلميتين بين العرب في مدائن صالح والى العلى في تيماء وحرّة تبوك . ووصف الاب جوسن عادات العرب في مؤاب في كتاب ضخم سنة ١٩٠٨

(السالزيان) معظم اهتمامهم بالصَّنعة والايتام . نشر احدهم ﴿ الاب يوحنّا النحّاس السالزي ﴾ حياة الاب انطون بلوني مؤسس مدارس الايتام في فلسطين

(الصعوديون) لهم منشورات عديدة في كل معارف الشرق وتواريخهِ المسيحيّة . اخصُّها مجلّة «اصداء الشرق» الحافلة بالمقالات الجليلة عن الكنائس الشرقيّة وتراجم رجالها وتعريف بسائر شؤونها . ولهم نشرة خاصّة عن اورشليم ودليل الاراضي المقدّسة . ومن تآليفهم المشعّة كتاب الاب ﴿ مرتينوس جوجي ﴾ في الكنائس الشرقيّة والطقوس الشرقيّة الذي ظهرت آخراً طبعتهُ الثانية وله كتاب «اللاهوت النظري للمسيحيين الشرقيين» طُبع في باريس السنة الماضية ١٩١٦

﴿ الفرير ﴾ منذ حلّ اخوة المدارس المسيحيّة ارجاءنا لم يهملوا تدريس العربية . فنشر منهم ﴿ الاخ بلاج ﴾ في مصر عدّة كتب مدرسيّة كبحر الآداب وسفينة النجاة . وقد توفي حديثاً الاخ ﴿ ساروفيم فيكتور ﴾ الماروني رشيد عطا الله مؤلف تاريخ الآداب العربيّة الذي سبق لنا وصف طبعتيهِ . ولهُ مجموع مقالات ادبيّة ودينيّة وقد عرّب روايات فكاهيّة وتمثيلية نشرت جريدة البشير بعضها ولهُ ديوان شعر دونك مثالاً منهُ نما قالهُ في شوقهِ الى وطنهِ :

يا ربوعَ الشام لا زال الهنا شاملاً اهليكِ طُرًّا للدوامْ
لسواكِ القلب لم يعرف هوًى وهوى الاوطان ما فيهِ ملامْ
لن تزالي في فؤادي ابدًا في فمي ذكرك اشهى من مُدامْ
انتِ فردوسُ نعيمٍ دائمٍ تربُكِ العنبرُ في ريّا الخزامْ
نسماتٌ منكِ تحيي مهجتي ماؤكِ العذبُ شفاءٌ للسقامْ
هل الى لبنان لي من عودةٍ فترى عيناي هاتيكَ الاكامْ
ان يشأ يجمعْ إلهي شملكم وبعزّاكم يبلّغني المرامْ
واذا بالبُعد يقضي ابدًا فعليكم وعلى الشام السلامْ

ولغيرهما ايضاً فصول ومقالات نُشرت في المجلّات والجرائد الوطنية تدلُّ على عناية الفرير باللغة الوطنية

﴿الفرنسيسيون﴾ ضارعوا الآباء الدومنيكان في خدمة الآداب العربية فان مطبعتهم القدسية في فلسطين تُعتبر كلسان حال رهبنتهم لنشر المطبوعات التقويّة والمدرسية والادبية. ومما نشرهُ هناك الاب ﴿لاوزدس النحو الطرابلسي﴾ مناط الرغائب في تاريخ قدّيس العجائب مار انطونيوس البادوي وعرّب قبلهُ سيرة القديس فرنسيس الاسيزي للقديس برناونتوا. وللاب ﴿كميل مارون﴾ الحلبي منهاج الخشوع في حبّ يسوع ومفتاح الفلاح في تقديس الارواح. ونشر الاب ﴿يواكيم الدعبول الناصري﴾ ضياء الالباب في علم الحساب ونشر غيرهُ مَهد الادب لولد العرب. وللاب ﴿برنباي ميسترمان﴾ وصف الاراضي المقدّسة. منهُ مختصر السَّير السليم في يافا ورملة اورشليم. ووصفَ دار ولاية بيلاطوس وقبر العذراء في اورشليم وجبل الطور

(الكبوشيون) ينشر حضرة الاب ﴿يعقوب حدّاد الغزيري﴾ مجلّتهُ التقويّة المعنونة صديق العائلة. ومن مطبوعاتهم تقويم الشرق الكاثوليكي ظهر اوّلاً سنة ١٩٢٥. ومنهم الاب ﴿جبرائيل ماريا كنيدر﴾ الحلبي استاذ العربية في المدرسة العموميّة للرسالات الايطاليّة الخارجيّة في بالرمو نشر في مطبعتنا الكاثوليكيّة سنة ١٩٠٢ غراماطيق اللغة العربية لفائدة الايطاليين

(الكرمليّون) نعرف منهم حضرة الاب ﴿انستاس الكرملي﴾ صاحب مجلّة

لغة العرب التي ظهرت سنة ١٩١١ له في العشر السنين الاولى من المشرق وفي مجلّات اخرى عدّة مقالات باسم حضرته صريحاً او تحت اسماء مستعارة . ومن تآليفه التعبّد لقلب يسوع طفل براغ

﴿اللعازريون﴾ تعدّدت منشورات حضرة الاب ﴿يوسف علوان اللعازري﴾ منها روحية كنشرتيه نزاع السيد المسيح والجسمانية وكتاب اخويّة النزاع الالهي وكتاب اخويّة الملائكة الحرّاس وكتاب اخوية بنات مريم . ومنها تاريخيّة كالدر المختار في نظم حياة الشهيد بربوار وحياة الطوباوي راجيس كله الشهيد اللعازري والمثال الصحيح لكاهن الشيخ في حياة القديس خوري ارس وحياة القديسة جان دوك وتاريخ فردريك اوزنام ونبذة تاريخية في ظهور الايقونة العجائبية وتاريخ مدرسة عين طورا في (المشرق) . ومنها مدرسية كفرائد المجاني وفرائد الامثال الجليلة ومختصر بحث المطالب ومختصر الصرف والنحو ومرقاة المترجم في اللغتين الفرنسية والعربية (اربعة اجزاء) ومنها تعريبات كتعريب مبادئ التعليم المسيحي للبابا بيوس العاشر والتعليم الصغير لقداسته وتعريب الكتاب المقدس ليوستينوس كنيخت وتعريب اخوية الحرس الشرفي لقلب يسوع الاقدس — ولحضرة الاب ﴿قيصر الخوري﴾ كتاب دروس في الديانة المسيحيّة ظهر بالفرنسويّة وسيظهر في العربيّة تعريباً

﴿اليسوعيّون﴾ عُنيت الرهبانيّة اليسوعيّة بتعزيز لغة سوريّة الوطنيّة عنايتها بكلّ لغات الامم التي تُرسل الى تبشيرها . وفي الحاضر لعشرة من اليسوعيين الاحياء تآليف تشهد على غيرة رهبانيّتهم في تعزيز العربية . وقد وجدوا في مطبعتهم الكاثوليكية معيناً كبيراً قرّب اليهم العمل فدونك اسماءهم بالترتيب . الاب ﴿شرل أبيلا﴾ له رواية ابن وائل ومقالات لاهوتيّة في الوحي نشرها في المشرق مع بعض آثار للسيد فرحات . الاب ﴿خليل اده﴾ نشر كتاباً في مبادئ القراءة العربية وطبعة جديدة لكتاب المرحوم جبرائيل اده القواعد الجليّة في علم العربيّة والعلم الصحيح في حياة السيد المسيح ومقالات ممتعة في المشرق منها فلسفيّة ومنها اجتماعيّة ومنها انتقاديّة نخصّ منها بالذكر اصول البلاغة عند العرب وفي الشعر العربي ثمّ انتقاده النفيس لتعريب الالياذة . الاب ﴿فرديناند توتل﴾ وصف سياحاته الرسوليّة في جهات حيفا وفي حوران وكتب مقالات شتى في المشرق وفي رسالة القربان . الاب ﴿الياس جبارة﴾

كتب في حالة الكنيسة الانكليكانيَّة ونشر كتاب صلوات ورياضات واناشيد روحية ولهُ بعض المنظومات في المشرق. الاب ﴿لويس شيخو﴾ مدير مجلة المشرق. لهُ مصنَّفات مختلفة منها دينيَّة ولاهوتية كالبرهان الصريح في لاهوت السيِّد المسيح ومجموعة مقالات دينيَّة لقدماء كتبة النصرانيَّة. وتراجم بعض القديسين كالقديس يوحنَّا الدمشقي والقديس بطرس كانيزيوس والطوبوي بلرمينوس واولياء الله في لبنان والتعبد لطفوليَّة السيد المسيح. ومنها جداليَّة كالاناجيل القانونيَّة والاناجيل الزور ومحاورات جداليَّة وردود مختلفة على التتير والمجلَّات الوطنيَّة وكشف اسرار الشيعة الماسونيَّة. ومنها فلسفيَّة كمجموعة مقالات فلسفية لقدماء الفلاسفة ومقالات في النفس والضمير والتساهل الدينيّ والالفاظ السحريَّة. ومنها كتابيَّة في شرح مشاكل واردة في الاسفار المقدَّسة وتفنيد آراء فاسدة فيها. ومنها تاريخيَّة كبيروت: اخبارها وآثارها وكتاريخ جزيرة العرب حاضرًا. وتاريخ الحرب الكونيَّة وتاريخ النصرانيَّة وآدابها في عهد الجاهليَّة وتاريخ الآداب العربية في القرن التاسع عشر وفي الرابع الاوَّل من القرن العشرين والمخطوطات العربيَّة لكتبة النصرانيَّة. وتاريخ لاقفة طورسينا. وتاريخ الطباعة في الشام وفلسطين والعراق ووصف مخطوطات المكتبة الشرقيَّة (خمسة اجزاء) وتاريخ الرهبانيَّة اليسوعيَّة والطائفة المارونيَّة وتاريخ النهضة الادبية في حلب وتاريخ القصادة الرسولية في الشام وابن العبري: تاريخهُ وآثارهُ. ونشر من التواريخ تاريخ بيروت وبني الغرب لصالح بن يحيى وتاريخ شاكر بن الراهب وتاريخ سعيد بن بطريق مع ملحقهِ لسعيد بن يحيى الانطاكي وتاريخ محبوب المنبجي وتاريخ طبقات الامم لابي القاسم صاعد الاندلسي وتاريخ حوادث لبنان ودمشق سنة ١٨٦٠. ولهُ في اللغة كتاب نزهة الطرف في مختصر الصرف والوسائل لترقية اللغة العربية واللغة العاميَّة بازاء اللغة الفصيحة. ونشر من كتب اللغة: الالفاظ الكتابيَّة للهمذاني وفقه اللغة للثعالبي وتهذيب الالفاظ لابن السكيت وكتاب الكتَّاب لابن درستويه. والبلغة في شذور اللغة وغراماطيق عربي في اللاتينيَّة مع منتخبات ومعجم. وفي الادبيات الشعرية كتاب شعراء النصرانيَّة في عهد الجاهليَّة ثم بعد الاسلام نشر دواوين الخنساء والحرنق والسموأل والمتلمس وسلامة بن جندل وابي العتاهية وسراقي شواعر العرب وحماسة البحتري. ولهُ في الادبيات النثريَّة والمنتخبات ترقية القارئ وسرقاة المجاني ومجاني

الادب مع شروحه واطرب الشعر واطيب النثر والاحداث الكتابيَّة والتشابيه النصرانيَّة في شعراء الجاهليَّة واطيب الفكاهات في اربع روايات وروضة الاحداث في اطايب الاحداث . ونشر منها كليلة ودمنة عن اقدم نسخة مؤرخة وكتاب فضائل الكلاب لابن المرزبان وقانون وزارة بني عثمان آصاف نامه . ولهُ اسفار وسياحات شتى كسفره من بيروت الى الهند واسفاره والى حمص وحماة وحلب ودمشق وجبيل مع ذكر آثار كل مدينة . وكتب فنيَّة كمقالة الضوء لارسطو والآلات المنغمة لاورستوس والآلات المزمرة لبني موسى والمكحلة للصقلي

وللاب ﴿انطون صالحاني﴾ مدير البشير سابقاً من المطبوعات النفيسة ما قدَّرها العلماء قدرها مباشرةً بنشره لتاريخ ابن العبري ثمَّ تصحيحه لكتاب الف ليلة وليلة مع اضافته اليها طرائف وفكاهات في اربع حكايات . وقد عشق شعر الاخطل فنشر اوَّلاً ديوانهُ عن نسخة بطرسبرج ثمَّ الحقها بنسختي بغداد واليمن مع شروح وروايات وتصحيحات في ثلثة اجزاء وملحق عنوانهُ الشذر الذهبي على شعر الاخطل التغلبي . ونشر نقائض الاخطل وجرير عن نسخة الاستانة مع تعليقات مهمَّة . ولهُ في جزئين منتخبات عن كتاب الاغاني لابي الفرج الاصبهاني كرَّر طبعها مراراً وذيلها بالحواشي اللغوية والتاريخية . وطُبع لهُ في مصر ملحوظات دقيقة على كتاب التنبيه لابي عُبيد . ومن منشوراته اللاهوتيَّة والدينيَّة . شروحهُ على آيات الاناجيل الاربعة وكتابهُ الحقائق اللامعة في عقائد الكنيسة الجامعة ضمَّنهُ مقالات متفرِّقة سبق لهُ نشرها في جريدة البشير او في مجلَّة المشرق . ولهُ مقالات اخرى كردوده على المقتطف قبل الولادة وبعد الموت وغير ذلك ولهُ مقالة واسعة في كتاب لبنان عن جغرافية لبنان الطبيعيَّة والاداريَّة ومن تآليفهِ كتاب شهر قلب يسوع لفائدة العمَّال ورتبة درب الصليب والكنز الروحيّ واصلاح التعليم المسيحي الصغير . وللاب ﴿لويس معلوف﴾ مدير البشير منذ السنة ١٩٠٥ معجمهُ البديع المنجد الذي اتسع في مرادهِ وصورهِ واشكالهِ في طبعتهِ الجديدة واضاف اليها مجموعاً واسعاً من الامثال ونشر عدَّة سنين تقويم البشير وكتاب حوادث الشام ولبنان لمخائيل الدمشقي عن نسخة لندن . ومن منشوراته في المشرق كتاب السياسة لابن سينا ومقالة الياً مطران نصيبين في تعاليم الآخرة واقدم أثر نصراني لابي قرَّة وفصول عديدة في البشير

الاب ﴿سليمان غانم﴾ مدير البشير عدّة سنين ألّف كتاب طغمة يسوع والباباوات وكشف عن مُعمّيات الشيعة الماسونيّة وردّ على المقتطف في تأييده لمذهب التشوء والارتقاء. وجمع في كتاب شهادات آباء الكنيسة الشرقيّة وطقوسها في الرئاسة البطرسيّة. وقد نشرنا لهُ في المشرق مجموعة من امثال عكّار ومن عادات اهل دمشق

الاب ﴿رفائيل نخلة﴾ مدير رسالة قلب يسوع لهُ فيها فصول عديدة نثريّة وشعريّة دينيّة وتاريخيّة واجتماعيّة وقد نشر في المشرق مقالات حسنة لاسيما في العلوم الفلكية والطبيعية والكيموية والاختراعات الحديثة كالمدافع البعيدة المرمى وعجائب التلفون اللاسلكي والتصوير وقد عرّب عن الروسيّة والفارسية مقالات اخرى

هذا وللآباء اليسوعيين المستشرقين خدم اخرى في نشر المعلومات الشرقية لهم في ذلك مجموعة جليلة دعوها بمجموعة آثار المكتب الشرقي (Mélanges de la Faculté Orientale) وهي تُدعى اليوم مجموعة كلّية القديس يوسف (Mélanges de l'Université St-Joseph) قد بلغت اليوم مجلدها الثاني عشر. فكتبتها قد استحقوا ثناء اكبر علماء العالمين. وفي مقدمتهم الاب ﴿هنري لامنس﴾ مدير البشير سابقاً ألّف كتاب الفروق والالفاظ الفرنسوية المنقولة عن العربية وكتاب الترجمة العربية والفرنساوية وزيّن المشرق بمقالات واسعة اثرية وتاريخية واجتماعية كتسريح الابصار في ما يحتويه لبنان من الآثار وكرواية حبيس بحيرة قدس وفرا غريغون ولبنان وملحوظات على جغرافية لبنان ومقالات اخرى ثمّ نشر بالافرنسية تاريخ معاوية ويزيد ابن معاوية وتاريخ فاطمة ابنة محمد وتاريخ مكّة قبل الاسلام وتاريخ الطائف وتاريخ سورية في جزئين وخلاصة الاسلام ومقالات عديدة في اكبر مجلات اوربة كمجلة العالمين ومجلة المباحث ومجلات مصر العلميّة. ومنهم حضرة الاب ﴿سبستيان رنزفال﴾ الذي روى تاريخ زينب ملكة تدمر مع ما ثبت من اخبارها وآثارها. ولهُ مقالات اثرية في العاديات الشرقية والفينيقية والتدمرية لا تكاد تُحصى جارى فيها اساطين العلوم الاثرية وقد اكتشف هو ببحثه الخاص وسياحاته قسماً صالحاً من تلك الآثار فاحسن وصفها. ومنهم حضرة الاب ﴿رينه موترد﴾ مدير مجلة مجموعة كلية القديس يوسف. وهو اليوم من افراد العلماء الاثرية الشرقية لاسيما اليونانية واللاتينية وقد نشر فيها عدّة مقالات مستحسنة في المشرق وفي مجلة (Syria) وغيرها. وخدم الاب ﴿لويس جلابرت﴾

الآداب الشرقية بابحاثه التي نشرها في المشرق عن آثار بلاد الشام واختصر تاريخ الكنيسة السورية في روايته الجميلة يمين العلي ومعظم كتاباته اليوم في باريس عن احوال الشرق والانتداب الفرنسوي في الشام. وبحث الاب الكسيس مالون عن آثار مصر وتاريخ الازهر ومآثر الاقباط التاريخية والطقسية وله غراماطيق اللغة القبطية في اللغة الفرنسوية. وعُني الاب غودفريد زمُوفن بجيولوجية لبنان وعلم طبقاته الارضية وآثار النصرانية. ونشر الاب البرتوس ڤكاري غراماطيقاً عربياً لفائدة اهل طرابلس الغرب مع عدة مقالات كتابية واثرية. وتجوّل الاب لادسلاس شيلنسكي (الذي نعي الينا في الاسبوع الماضي) في انحاء فلسطين وعيون موسى وجزيرة سينا فوصفها. وعنها كتب ايضاً الاب بوناونتوره اوباخ الراهب البندكتي خريج مكتبنا الشرقي. ويقوم باعباء مرصد كاره الآباء برلوتي وكومبيه وهَرَان. وللاب بولس بيترس البولندي البلجكي مطبوعات جديدة في الشرق النصراني وتراجم قديسين كثيرين منها بالعربية والسريانية والارمنية نشرها في مجلة الآباء البولنديين في بروكسل وفي المشرق وفي مجموعة آثار كلية القديس يوسف. ونشر الاب ادمون بوور انتقاداً على شعر امية ابن ابي الصلت ومقالات في القرآن والدين الاسلامي في الانكليزية

هذا مجمل اعمال اليسوعيين المرسلين الذين في قيد الحياة. وفيها شاهد حيّ على همّتهم بالآداب الشرقية والوطنية ولاسيما العربية له بقية

الشعر العصري

بقلم فؤاد افرام البستاني استاذ الآداب العربيّة في كلية القديس يوسف

من محاضرة أُلقيت في نادي الشبيبة الكاثوليكية

اقسام الشعر العصري

لا يخفى عليكم أن النهضة الحديثة تُقسَم من حيث الشعر الى ثلاثة اقسام:

القسم الاول (١٧٩٨—١٨٦٠)

يَشمُل النصف الاول من القرن التاسع عشر من السنة الف وسبعمائة وثماني

وتسعين سنة حلول بونبرت في مصر الى سنة الف وثمانمائة وستين

وهو اول اليقظة ، وعهدُ الاستعداد ، انصرف فيه الادباء الى درس اللغة والنحو وقواعدهما بما فيها من الشواذات والاقاويل ، والى اتقان قوانين العروض وما تجرّهُ من الزحافات والعلل ، فكان عملهم علمياً وضعياً اكثر منهُ شعرياً نفسياً

ولا يسبق الى ذهنكم انَّ هذه الاعمال الوضعية منعتهم عن النظم . لا فانهم لسوء الحظ لم ينتظروا آن الراحة وزمن رسوخ النهضة ، حيث تتوفر اسباب الشعور وتستقي المخيّلة صورها من حياة الشعب فيبدو الشعر مبتكراً صادقاً . ولكنهم ارادوا الالمام بجميع فنون الادب من اول اليقظة فراحوا ينظمون على اساليب القدماء من الانحطاطيين غير مبالين بكرور مئات السنين على عهد البداوة . فكان شعرهم نسخةً طبق الاصل عن نادبي الاطلال ومدّاحي الامراء وظلوا مقيدين بالقيود القديمة ، يبكون نجداً ويستوقفون بالرَّقمتَيْن وبِبُرْقة تَهْمَد وحومَل وهم لم يتصوَّروا عمرَهم موقعَ هذه الاماكن . . .

وكان تضلّعُ بعضهم من قواعد اللغة ومعاني الالفاظ الغريبة ، دافعاً الى اختراع نوع جديد من النظم يطرب لهُ الصبيان ويبسم ازاءه اصحابُ الذوق لما فيهِ من التلاعب الاصطناعي بالالفاظ . فكان لنا القصائدُ العديدة من العواطل (التي لا نقط فيها) وعواطل العواطل . والمعجمة (المنقطة) والملمّعة (التي شطر منها مهمل من النقط وشطر معجم) والخيفاء (التي كلمة منها منقطة وكلمة بلا نقط) والرقطاء (التي حرف منها مهمل وحرف معجم) ومجبوكات العكس والطرد ، والمنظومات ذات القافية الواحدة اللفظ ، المتعدّدة المعنى كالخالية ، الى غير ذلك مما لم يتصوَّرهُ بديع الزمان ولم يُلحق بهِ الحريري ولم يخطُرْ اصيّاغ الالفاظ على بال . فضلاً عن المناظرات بين اللحم والزيت ، والربيع والخريف ، والنارجيلة والغليون ، من توافه النظم وقاتلات الشعر

وان ننسَ لا ننسَ التواريخ الشعريّة وما جرَّتهُ من اوبئة الادب القاضية على روح الشعر بترتيب حروفها وكثرة تواريخها من مسيحيّة وهجرية ، متفرّقة او مجتمعة ، مفردة او متعدّدة فاصبح شاعرُهم اذا مدح ، او هنّأ ، او رثى ، اوقفَ معنى

قصيدته — اذا كان لها معنى — على بضع كلمات يجمعها في آخر بيت فيتألف منها تاريخ. وبفضل هذا الاختراع المدهش غدت اكثرُ قصائدنا الاجتماعية الغازاً او بالحري الفاظاً فارغة

وانَّ الوقت ليضيق بنا عن استيعاب كل هذه السفلسف فنقول واصفين هذا القسم من النهضة «بعهد التلاعب اللفظي». على ان الاجمال في الحكم لا يمنعُ وجود بعض قصائد ذات عاطفية صادقة، ولكن الشواذ لا يُقاس عليه

القسم الثاني (١٨٦٠—١٩٠٠)

وهو يمتدّ الى اواخر القرن الماضي، وشعراؤُه يؤلفون صلةً بين شعراء القسم الاول وشعراء القسم الثالث. وقد ارتقى شعرُهم نوعاً عمَّا سبقهُ وذلك لاطلاع بعضهم على الآداب الافرنجيَّة. غير ان مَلَكتهم كانت لا تزال قديمة من حيث الاستهلال والتخلص، واساليبهم كانت واحدة متفقة جميعها في المحافظة التامة على قواعد العروض من التقيد بالقافية المفردة في القصيدة كلها وعدم الخروج على البحور المعروفة. وزاد الامر غرابةً تكلُّف الجناسات على اختلاف انواعها من ناقص وتام، ومقلوب ومزدوج، ومتكافئ ومحرَّف، فراحَ شعراؤنا يهيمون في بلاد غير بلادهم، وعصر تقدَّم عصرهم بقرون، واصبح شعرهم اذا ارتفع عن محيط الجناس المضحك في:

«طرقتُ الباب حتى كلَّ متني»...

قطع بنا اكثر من الف سنة إلى الوراء، فأرجعنا الى زمن الغزوات البدوية، والمفاخر الجاهلية قائلاً:

اذا استلَّ منا سيفُ ضربٍ سيفهِ تنزَّعتِ الافلاكُ والتفتَ الدهرُ

ليس هذا البيت لشاعر بدويٍّ جاهليٍّ، لم يرَ من ادوات الحرب الَّا سيفه ورمحه، فلم يقاومه احد من رعاة المواشي وصعاليك القفار... بل هو لأديب متمدن عاش في القرن التاسع عشر

تقولون هذا غريب! ولكن أغرب منه انَّ احد ادباء العصر من المتأخرين في ذوقهم، وهو مؤلف كتاب «الخيال في الشعر العربي» يُعجَبُ كثيراً بهذا البيت ويجتهد

في ابراز محاسنه بقوله : « ان هذا من نوع «الاستعارة بالكناية» . . . وإنَّ الشاعر خيَّل الفلك في صورة من لهُ قلب ينزع ، والدهر في صورة من له وجهٌ يلتفت » . . .

ولحضرة المؤلف المذكور ولعٌ خاصٌ بهذا النوع من الإغراق الاصطناعي ، او من الاستعارة بالكناية على قوله ، حتى انه لم يقنع بكل ما نظمه شعراء القسم الثاني على هذه الاساليب — وما اكثر من نظموا — فرأى من اللازم ان يُتحف الادب المصري بشيء « مما صنع على هذا النمط » . فكان في نظمهِ هو في اختياره . . . قال في حُمرة الشفق :

قتلَ الدجى هذا النهارُ ودمُهُ تحت التراب مضرَّجاً بدمائه
فخذوا من الشفق الشهادة أنه لطخٌ من الدم نالَ ذيلَ ردائه

ويجدرُ بنا ألَّا ننسى هنا فنَّ التواريخ الشعريَّة الذي ذكرناهُ في القسم الاول فانه ظلَّ على ازدهار بفضل النُظَّام واتسع نطاقهُ في المدح والرثاء والتهاني . وكان النظم قد اتسع ايضاً فشمل جميع حالات المجتمع وظهر في حفلات التنصير ، والولائم ، ومجالس الانس ، والمراسلات

وليس من الصعب وجودُ الشواهد على هذا الامر فاني ادعوكم إذا رأيتم مُتسعاً من الوقت وصبراً كافياً ، الى اضاعة بضع ساعات في تقليب الدواوين والمجاميع العديدة لشعراء القرن الماضي . فترون اذ ذاك مختلطاً غريباً من الشعر والنظم يبيِّنُ رغم ما يحتويهِ من الاساليب الاصطناعية ، والتلاعبات اللفظية ، أن العصرَ عصرُ انتقالٍ من عهدٍ الى عهد

ترون بين تلك الابيات المرتبة اكثرها على حروف الهجاء ، بين تلك الاسطر الحسنة الوزن ، المتينة القوافي ، بين تلك القصائد الموافقة لاساليب الاقدمين ، نفَساً من الحياة يتململ رويداً رويداً فيظهرُ تارةً على قيوده ، ولكن لا يلبث ان ينوء فيرزح تحت اثقال التقليد الجاري من مئات السنين ؛ ترون شعوراً دقيقاً حيًّا يتراوحُ بين صناعات اللفظ ، فتتجاذبهُ الجناسات فيسكن . ترون ذوقاً لطيفاً يبدو من آن الى آن فيودُّ الظهور فتردّيه القوالبُ الفارغة من إغراب وإغراق فيخفُت ، غير انهُ يترك اثراً في النفس يُحيي املاً كبيراً في المستقبل : ذاك عصرُ الانتقال

القسم الثالث (١٩٠٠–١٩٢٧)

كذا كانت حالُ الشعر العربي اذ استقبل القرن العشرين بعجائبه وغرائبه . وكان مُرسلو الاجانب ، من كاثوليك وبروتستانت ومعلّمو المدارس الوطنية على اختلاف الملل ، وصحافيو البلاد يشتغلون جميعهم في طرقٍ مختلفة باختلاف اعمالهم ولكنها تتّفق كلها لاحياء المدنيّة الصحيحة في بلاد الشرق . فاقبل الجميعُ على ارتشاف العلوم ودرس الآداب الغربيّة . فكان للشعر الاجنبي تأثيرهُ الحسن في عقليّتنا الشاعرة وعرف شعراؤنا ، اذ عاشروا كورنيل ، وراسين ، وهيغو ، ولامرتين من جهة ، وشكسبير ، وملتون ، وبَيْرون من جهة اخرى أنَّ في العالم اماكن تستأهلُ الشعر غيرُ الفلوات المقفرة ، والمياه المتفرقة حول كثبان الرمال ، عرفوا أنّ في القرن العشرين مواضيع للشعر افضل من الناقة الهائمة كالفهامة الحمراء ، او كالهاة التي افترس السبعُ ولدها . . .

وقد خطا بعضهم الى الامام ايضاً فبدأوا يشكّون في كون الابحرَ الشعرية عقائد لا تمسّ ، وشعروا أنَّ الاحتفاظ بالقافية الواحدة في القصيدة الطويلة لَمما يُسبّب الملل فضلاً عن تقييد الفكر

وكان ان ظهرت الالياذة العربية سنة الف وتسعمائة واربع فرأى الشعراء فيها ثمانية طرق جديدة للنظم ، فجرى الكثيرون على بعضها وتوسّع غيرهم في البعض الآخر فتعدّدت الاوزان المستحدثة ، وسُبكت الافكارُ الجديدة في القوالب الجديدة ، فتردّى الشعرُ رداء جديداً ، هو رداء الآداب الصحيحة ، ودُعي بالشعر العصري

فالشعر العصري هو ما خرج على القيود القديمة فتكيّف بروح هذا العصر ، ونظر الى الاشياء من حيث حقائقها لا من حيث مظاهرها[1] . والشاعرُ العصري هو الذي خالفَ الاساليب القديمة والطرائق المبتذلة فاعتبر القصيدة قطعةً واحدة ، في تركيبها وتناسُق معانيها لا مجموعة ابيات كلٌّ منها تامٌّ بمعناه قائمٌ بنفسه ، خلافاً لما قاله ابن خلدون من «انفراد كل بيتٍ بافادته في تراكيبه حتى كأنه كلامٌ وحدهُ مستقلٌّ عمّا

---

١) راجع جرجي زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية : الجزء الرابع ص : ٢٢٧

قبله وما بعده» (١. فهذه الطريقة أصبحت متروكة لانها تمنعُ وحدةَ القصيدة ووحدة المعنى اذ يُمكننا والحالة هذه ان نغيّر موضع اي بيت كان، دون تغيير المعنى؛ فتكون القصيدةُ مجموعة ابياتٍ ملصقة بعضها الى بعض عوض ان تظهر واحدةً تامّة اذا نُزع منها بيت نقص المعنى

والشاعرُ العصري لا يوافق ابن خلدون ايضاً على عدّه نظماً كل شعر جرى على اساليب خاصّة اذ قال: «فانه (اي الشعر الجاري على اساليب خاصة) حينئذٍ لا يكون شعراً انما هو كلامٌ منظوم، لان الشعر له اساليبُ تخصه لا تكون للمنثور وكذا اساليبُ المنثور لا تكون للشعر. فما كان من الكلام منظوماً وليس على تلك الاساليب فلا يكون شعراً؛ وبهذا الاعتبار كان الكثير ممن لقيناه من شيوخنا في هذه الصناعة الادبية يرَون ان نظمَ المتنبي والمعرّي ليس هو من الشعر في شيء لانهما لم يجريا على اساليب العرب» اه (٢

قلنا وما يكون رأيُ شيوخ ابن خلدون، لو رأوا ما جرى عليه شعراؤنا العصريون من الاساليب المخالفة لما سنّهُ العرب وحددوه، والشعرُ اوسعُ من ان يُحدّد واساليبهُ اكثر من ان تُحصر. وانما اوردنا هذا القول كي نُظهر تقيُّد العرب بالاساليب القديمة ذاك التقيد الذي اوصل الشعر الى الخمول في طور الانحطاط، فانحطت اللغة بخموله، وبقيت الحركة الادبية قروناً محصورةً في النقل والشرح والترتيب

اما اليوم، وقد أنقنا والحمد لله، فكان من الضروري اختراعُ اساليب جديدة، وما الشاعرُ الّا من يأنفُ اتباع اسلوب جرى عليه الوفُ الشعراء والنظامين من اربعة عشر قرناً، فيخترع لنفسه اسلوباً خاصاً

هذا ما نراه في الشعر العصري وهو اختلاف جوهري بين النظريّتين القديمة والحديثة، وانهُ لمفيد وملذّ قبل ان نبدأ بدرس فنونه، ان نفهم ما يقصد به الشعراء العصريون انفسهم

الشاعرُ، في عرف جبران خليل جبران ولفظهِ «هو الوسيط بين قوة الابتكار والبشر وهو السلكُ الذي ينقلُ ما يحدثه عالمُ النفس الى عالم البحث...

١) ابن خلدون: المقدمة بيروت ١٩٠٠ ص: ٥٦٩ و ٥٧٢

٢) ابن خلدون: المقدمة بيروت ١٩٠٠ ص: ٥٧٣

«الشاعر هو كل مخترع كبيراً كان او صغيراً ، وكل مكتشف قوياً كان او ضعيفاً ، وكل مختلق عظيماً كان او حقيراً ، وكل محبّ للحياة المجرّدة إماماً كان او صعلوكاً ، وكل من يقف متهيباً امام الايام والليالي فيلسوفاً كان او ناطوراً للكروم

« الشاعر هو ذلك المتعبد الذي يدخل هيكل نفسه فيجثو باكياً فرحاً ، نادباً مهللاً ، مصغياً ، مناجياً . ثم يخرج وبين شفتيه ولسانه اسماء وافعال وحروف واشتقاقات جديدة ، لاشكال عبارته التي تتجددُ في كل يوم ، وانواع انجذابه التي تتغير في كل ليلة ، فيضيف بعمله هذا وتراً فضياً الى قيثارة اللغة ، وعوداً طيباً الى موقدها !! » (١

امّا محمود العقاد عبّاس النقاد المصري المعروف فيرى « انّ الشاعر من يشعرُ بجوهر الاشياء لا من يُعدّدُها ويحصي اشكالها والوانها ، وان ليست مزية الشاعر ان يقول لك عن الشيء ماذا يُشبه وانما مزيّتهُ ان يقول ما هو . . . » (٢ ولعله يبالغ في حصر نطاق المخيّلة وعملها الشديد التأثير في الشعر . ولكن لنسمع مصطفى صادق الرافعي يحدّد الشعر «ببقية من منطق الانسان اختبأت في زاوية من النفس ، فما زالت بها الحواسُّ حتى وزّنتها على ضربات القلب واخرجتها بعد ذلك الحاناً بغير ايقاع(٣ . ويرى احمد شوقي بك ، اشهر شعراء مصر ، ان « ليس بين الشعراء قديمٌ ولا جديد ، وما دام الشاعر يروي في كل عصر فهو ابن الماضي والحاضر والمستقبل . الشعر وحي يهبط على نفوس الشعراء ، وليس اختلاف هؤلاء الّا صورة لاختلاف نفوسهم في الحس ، والاهوا ، والنزعات »(٤

وليخائيل نعيمه الناقد العصري ، ابحاث عديدة في الشعر لا تخلو من دقة نظر ، وحسن ذوق ، فهو يرى ان الشعر اصله في الحياة على اختلاف مظاهرها وأن مصدر هذا الشعر في العاطفة الحية والفكر المستيقظ . اما الكلام اللائق بالتعبير عن

---

١) جبران خليل جبران : مستقبل اللغة العربية (في مجموعة الرابطة القلمية نيويورك ١٩٢١ ص : ٢٢٠ و ٢٢٢)

٢) عباس محمود العقاد : الديوان — القاهرة ١٩٢١ — في نقد شوقي

٣) حديثه في الشعر مع احمد شوقي بك — الهلال ، عدد حزيران ١٩٢٧ ص : ٩٠٨

٤) مصطفى صادق الرافعي : ديوانهُ القسم الاوّل (القاهرة ١٣٢١ (١٩٠٣) — المقدمة ص : ٢

العاطفة الحية والفكر المستيقظ فهو ما جمع بين ائتلاف الوان الرسّام وتناسق اشكال النحّات ، وتوازن خطوط البنّاء ، وترابط الحان الموسيقى»(١

ولا يلزم الشاعر العصري ان يجتهد في سبيل هذا القالب فيكدّ ذهنه في ايجاد الوزن او يركض وراء القوافي الشاردات ، فالوزن يأتي موافقاً للمعنى دون جدّ ولا تعب «والشاعر المجيد — على ما ورد في مقدّمة الالياذة — اذا تصوّر امرًا فانما يتصور له ذلك الامر على كماله فتهيّئ له السليقةُ جمال الشكل كما هيأت جمال المعنى فيجتمع له إحكام التناسب بين اللفظ ، والمعنى ، والوزن والقافية » (٢

هذه نظريات مختلفة في الشعر والشاعر كلها جديدة وكلها مفيدة غير انها لم تطبق كلها حتى في شعر اصحابها كما سنرى في درس فنون شعر (لها بقية)

مطالعات دينية

INSTITUTIONES BIBLICÆ: Pars II, HERMENEUTICA, auctore P. Fernandez S. J.

الرسوم الكتابيّة

هذا قسمٌ من كتاب يصنفهُ علماء المكتب الشرقي في رومية مدارهُ على العلوم الكتابيّة وتفسير الاسفار المقدّسة . والقسم الحاضر يبحث عن اصول ذلك التفسير وقوانينه واساليبه . وجدناهُ جامعاً لكل محاسن الكتب المدرسيّة من حيث تقسيمه وشروحه وايضاحه الموجز الكافي لكل القضايا مع فهارس واسعة فنراهُ من افضل ما وُضع في هذا الباب ونوصي به كل علماء وطلبة الشروح الكتابيّة ج . ل

Kittel (G.): Urchristentum, Spätjudentum, Hellenismus; *Stuttgart, Kohlhammer*, 1926, 42 *pp.* 8°

النصرانيّة الاصليّة اليهودية المتأخرة اليونانية

هذه محاضرة القاها احد اساتذة جامعة توبنغن في فاتحة دروسه على العهد الجديد

---

١) مخائيل نعيمه : الغربال : القاهرة ١٩٢٣ ص : ١٢٥–١٢٨

٢) سليمان البستاني : الياذة هوميروس معرّبة نظماً – القاهرة ١٩٠٤ – المقدمة ص ٨٩٠

في تشرين الاوَّل سنة ١٩٢٦ . فهو مع تسليمه بان النصرانيَّة في اوَّل عهدها نالها بعض التأثير من اليهودية والدين اليوناني مع اختلاف في التأثير الَّا انهُ ينكر انَّ النصرانيَّة كانت كمزيج من التعاليم اليونانيَّة الشائعة في عهد السيِّد المسيح . لا بل هي تختلف كلَّ الاختلاف عن اليهودية واليونانيَّة من حيث اعلانها بانها متمِّمة لمواعيد العهد العتيق ومن ثمَّ يغلط تماماً من يقرن بين النصرانيَّة والاديان المجاورة لبعض تشابهات عرضيَّة يجدها بينهما وينسى ما يفرزها جوهريا عنهما . وهذا القول لا يبعد عن التعليم الكاثوليكي فرواه المؤلف بصراحة مستنداً فيه على التاريخ الصحيح س . ر

Kees (H.): Aegyptische Kunst [Jedermanns Bucherei] . *F. Hirt, Breslau*, 1924, 21°, 84 *pp.* 50 *figures sur planches à part*

الصناعة المصريَّة

قد سبق لنا في المشرق (ص٣٨٩) وصف كتابين من مجموعة ايدرمانّ في برسلو وهذا الكتاب الحاضر هو خلاصة صناعة المصريين القدماء لاحد كبار العلماء بالآثار المصريَّة . وقد حقَّق المؤلف ما قصدهُ بوضعه فاستقرى تاريخ مصر منذ اوَّل عهده في الزمن السابق للتاريخ دون ان يعارضهُ بالصناعة البابليَّة . فأتبع برقي الصناعة المصرية في عهد المملكة القديمة ثمَّ يتخطَّى الى السلطة الوسطى ثمَّ الحديثة فيصف عجائب صناعتها . ولهُ فصل خاصٌّ عن صناعة تلّ العمارنة حاضرة الفرعون امينوفيس الرابع المُصلح المتعبِّد الاله الشمسي . ثمَّ يفحص صناعة سلالة الرعمسيين وما تبعها من السلالة السائيَّة ثم ما خلفوا من الانحطاط ويلي هذا فصل في تأثير الصناعة المصرية في العالم فيبيِّن ان مصر لم تستفد من صناعة الاجانب بل افادت غيرها فاستعارت منها جزيرة اقريطش والمملكة الايجيَّة كذلك الساميّون اخذوا منها عدَّة معلومات صناعيَّة بواسطة الفينيقيين وخصوصاً في عهد المملكة الحديثة . وهذا التأثير يظهر حتى اليوم في مصنوعات كثيرة في عهدنا . وصور الكتاب جليَّة جدًّا لولا بعض النقص فيها س . ر

Focke (F.): Herodot als Historiker [Tübingen Beiträgen zur Altertumswiss.] *Stuttgart, Kohlhammer*, 1927, 58 *pp.* 8°

هيرودوتس كمؤرخ

قصد مؤلف هذا الكتاب ان يبين ميزة تأليف هيرودوتس ولذلك لا يأنف من

تفتيد مزاعم الكتبة الذين سبقوهُ . يسأم لهم ان هيرودوتس باسفاره وسياحاته نوى جمع معلومات واسعة وثمينة في جغرافيّة البلاد التي زارها واخلاق اهلها لكن غايتهُ الاولى انما كانت وصف تاريخ البلاد الواقعة تحت حكم الفرس المتسعة الارجاء وبيان العلاقات التي كانت بينها وبين العالم اليوناني في آسية الصغرى وطنه . وكانت غاية اسفاره في تلك البلاد بعد ان درس ما كتبهُ عنها الاقدمون ان يتحقّق اقوالهم بالعيان ويضيف اليها كل ما يراهُ مفيداً للتاريخ . فأتى بتأليف مستقلّ ومصحح لمن سبقهُ . وقد وسمهُ بسمةٍ دينيّة اذ بيّن يد الآلهة في الاحداث التي رواها . وبهذا استحق ان يدعى ابا التاريخ س . ر

Henri Sée: La Vie économique de la France sous la monarchie censitaire (1815-1843), *Paris*, 1927, 8°, *Librairie F. Alcan*, *Prix* 20 f°

الحياة الاقتصادية في فرنسة في السنة ١٨١٥ الى ١٨٤٣

الدروس الاقتصادية في تاريخ فرنسة كانت قاصرة مخلّة فالمسيو ساي فضل كبير لتخصيص نظره في هذا الشأن فانهُ بعد ان وصف القرن الثامن عشر واحوالهُ الاقتصادية انتقل الى القرن التاسع عشر . وكتابهُ الجديد يتناول الشؤون الاقتصادية بعد نابوليون الى عهد لويس فيليب فيبين ترقي فرنسة في تلك الحقبة زراعيًا وصناعيًا فأتى بمعلومات دقيقة لا تجدها في غير كتابهِ (راجع تاريخ فرنسة الحديث للكاتب لافيس ك ١٥٥) ج . ل

Henri Lavedan de l'Académie française: EMOTIONS, *Paris*, *Ed. Spes*, 1927. *Prix* 9 f°

تأثيرات

المسيو لافدان من الاكادمية الفرنسوية رجل لطيف الشعور شديد الاحساس فضلًا عن كونه كاتباً بليغاً فاراد في هذا الكتاب ان يصور بقلمه السيّال شواعر قلبه بوصف ما تأثر منهُ بتناعي بعض كبار الرجال الذي عرفهم وحضر جنازتهم ثمّ باعتباره احوال بعض الحيوانات التي شاهدها واختبر غرائزها الحسنة المنبئة بانبساطها في خدمة الانسان . وقد اخرج كل تلك التأثيرات على صور غاية في الرقة تخلد ذكر المرقى وتحبّب للانسان الحيوانات رفيقة حياته ل . ش

BEDOUIN JUSTICE by Austin Kennet, in-12, 1925. XI-158, Cambridge, University Press, Prix, 7s,6d

القضاء البدوي

نعم التأليف بين فيه جناب كاتبه طرائق القضاء وتنفيذه بين اهل البادية في مصر وجزيرة سينا وصحراء ليبيه المتاخمة لطرابلس الغرب . وقد وقف المؤلف على احوالهم القضائية وهو من عمال دولته لمراقبة تلك الجهات ولا يذكر شيئاً الا كان معايناً له . ووصفه لعادات العرب في الحاضر لا تخالف ما رواه صاحب الاغاني قبل الف سنة فان القبيلة هي المسئولة عن ابنائها . والدية في سينا عن قتل الرجل ٤١ ناقة (ص ٥٠) وربما التجأوا الى النار لمحاكمة الانسان بياناً لجرمه فيجعلون على لسانه ملعقة محماة بالنار (ص ١١٠) ويقطعون طرف لسان المفتري على قريبه (ص ١٣٠) ولم يتفقوا على ما يجب من التعويض على سمل العيون . وكل هذه القوانين يدقق فيها المشايخ في البرية لحفظ السلام راجع في المشرق مقالات حضرة الاب بولس سلمان عن القضاء في ما وراء الاردن . ه . لامنس

Jos. Huntheim S. J. THEODICEA sive Theologia naturalis in usum scholarum. 8°, *pp.* 323, *Herder, Freiburg im Breisgau, Prix relié* 6 M, 80

اللاهوت الطبيعي

ان المجموع الذي الفه الآباء اليسوعيون لتعليم الفلسفة لا يزال كثير الرواج حتى يحتاج الى تكرير طبعه مراراً . والكتاب الموصوف هنا هو لعالم اشتهر بتآليفه منذ ٤٠ سنة . وقد احاط النظر في هذه الطبعة الجديدة من لاهوته الطبيعي فزادها ونقّحها حتى اصبحت طبق مرام الاساتذة والدارسين ج . ل .

SYRIEN UND SEIN LIBANON. Ein Reisobericht von Dr L. Haefeli *Luzern u. Leipzig., Raeber et Cie* 1925, 8° *pp.* 352

سياحة الى سورية ولبنان

كاتب هذه السياحة كاهن سويسري تجوّل في لبنان وسورية فوصف ما عاينه في تجوّله فيهما في تشرين الاول من السنة ١٩٢١ وقد زيّن كتابه بتصاوير بديعة ورسوم وخارطة حسنة . اما وصفه للبلاد واحوالها الادارية فقد وقع فيه عدة اغلاط . فقد

ذكر في الصفحة ٤٢ الجنرال كترو (Cattroux) وجعل مقام الجنرال غورو في ساحة الحرية (ص ١٠٨) . وقد وهم بذكره لقبر نوح في القرآن (ص ٦٩) والكلام هناك عن عاد وقد حوّل أسرة بني حماده المتوالية الى اسرة مارونية (ص ٢١١) وزعم انهُ يوجد في لبنان خمسة ضروب من العنب البرّي (ص ٢٥٢) . ثمّ اننا نحيل اهل الماقورة العارفين اللغة الالمانية ان يراجعوا ما كتبه في حقهم ه . ل

H. Cordier: Mélanges d'Histoire et de Géographie orientales, t. IV, *gr.* 8°, 1923, *Paris, Maisonneuve Frères*

مجموعة شرقية لابحاث تاريخية وجغرافية

فقدت الآداب الصينية مؤخرًا عميدها الكبير المأسوف عليه المسيو هنري كورديه فانهُ قد اغنى المكاتب بمنشوراته المختلفة عن الصين وامورها المختلفة . وكان باشر بجمع عدّة مآثر متفرقة لم تطبع فنشرها له محل ميزونوف في باريس . وهذا الجزء الرابع منها ظهر بعد وفاة جامعهِ يحتوي آثار جليلة عن الشرق الاقصى ومملكة السماء اوّلها رسالات للاب اليسوعي جربليون المرسل الى الصين في القرن السابع عشر ثم كتابات وسياحات لبعض المسافرين كأندره ميشو وبيار دوبره وجول كلابروث ودوبرا دي جنسيني وغير ذلك ممّا يُسرّ بهِ الباحثون عن الصين ج . ل

R. Guilland: CORRESPONDANCE DE NICÉPHORE GRÉGORAS: Texte édité et traduit-Collection byzantine. *Paris*, 12°, 1927, *Société d'édition «Les Belles-Lettres»*.

مراسلات نيقيفورس غريغوراس

هذا كتاب جديد اتحفتنا بهِ شركة المجموعة البوزنطية التي وصفنا في العام الماضي (ص ٧٨٩) نشرها لتاريخ ميشال بسلّوس . وها هي اليوم عُنيت بنشر مراسلات احد كبار المؤرخين البوزنطيين في القرن الرابع عشر وهو نيقيفورس غريغوراس الذي صنّف كتبًا عديدة لم يكد الاوربيون يعرفون منها غير تاريخهِ المطبوع في مدينة بون وهذا المؤلف رسائل تاريخية وادبية يبلغ عددها ١٦١ رسالة كان معظمها دفينًا في المكاتب وها قد اخرجهُ من زواياها العلّامة غويليان فنشر منها ما وجدهُ مهمًّا واختصر الباقي وقد ترجم تلك الرسائل الى الفرنسية ثم اضاف اليها الرسائل

المرسلة لغريغوراس الموسحة لاحواله واحوال زمنه . وفي ذيل الكتاب حواش مختلفة كنا نودّ لو كانت اوسع واضبط وربما كانت دون طائل كوصفه المضحك لقرمانية (ص ٢) وقد خلط (ص ١٦٨) بين الاسطول التركي والعجمي ج . ل

J. Lhermitte: Les fondements biologiques de la Psychologie. *in-8°, pp.* 241, 6 *figures, Paris, Gauthier-Villars et Cie*

الاصول البيولوجيّة في المشاعر الحيويّة

كل يعرف انّ حياتنا الانسانية في مواليدها المختلفة واعمالها المتنوعة مرتبطة ارتباطاً وثيقاً باجهزة جسمنا لاسيما الدماغ والجهاز العصبي . وقد تعدّدت في هذه السنين الاخيرة الامتحانات العديدة في الحيوانات لإثبات تلك العلاقات وكيفيتها وانواعها . وهذا الكتاب خلاصة تلك الاعمال المدقّقة التي باشرها كبار العلماء فأدّت الى معلومات جديدة في تعريف الحياة وتطوّراتها . وانّما يقرّون بجهلهم لكُنهها واصلها لان ذلك لا يقع تحت اختباراتهم الجراحية ج . ل

تنوير الاذهان في تاريخ لبنان

لمؤلفه ابرهيم بك الاسود

المجلّد الثاني . طُبع بمطبعة القديس جاورجيوس في بيروت سنة ١٩٢٧ (ص ٧٧٦)

روضة غنّاء غرس فيها جناب مؤلفها ضروب الطيّبات من دين وادب وتاريخ وجغرافية وتراجم أدباء ومعلومات فنيّة وتجاريّة وصناعيّة وزراعيّة واقتصاديّة فينتقل القارئ من باب الى باب لا يأخذهُ الملل شاكراً لمن اوقفهُ على مفاخر وطنهِ ورجالهِ الكبار الذين يلذّ لهُ نظر صورهم البديعة . ولا عجب فان البيك قد تقلّب في كثير من المناصب الشريفة وعرف امور بلادهِ خير المعرفة منذ نيّف وخمسين سنة اذ تولّج في اعمالهِ الاداريّة وعُهد اليهِ تحرير جريدة لبنان الرسميّة فلم يفته شيء من احوال وطنهِ . فأحبّ ان يطلعنا على مذكّراتهِ بتصنيف هذا التاريخ فجازاهُ الله خيراً ل . ش

تاريخ بعلبك

تأليف ميخائيل موسى الوف البعلبكي

طبعة عربية رابعة منقّحة . طبع في المطبعة الادبية سنة ١٩٢٦ (ص ١٧٦)

هذه المرّة الرابعة تقدّم لقرّائنا تاريخ بعلبك . بالثناء على صاحبه . وجنابهُ حفظهُ الله

لا يقدم على تكرير طبعه إلّا بعد تنقيحه والاضافة اليه ما استجدَّ من الاكتشافات بخصوص بعلبك وآثارها وهو يُراقب احوالها لقربهِ منها ورجوع مصلحتها اليه كراسل ودليل عليها. فنوصي بكتابهِ خصوصاً للمصطافين الوافدين الى الشام من مصر والعراق

المنهج الحسن في اسعاد الوطن

تأليف القس مبارك ثابت الديراني الراهب اللبناني

طبع في بيروت في مطبعة الاجتهاد سنة ١٩٢٧ (ص ٥٢٤)

عرف قرّاؤنا صاحب هذا الكتاب بما دبّجهُ قلمهُ من التآليف الادبية والفلسفية والاجتماعية. وهذا اثر جديد من قريحتهِ الوقّادة. وهو مجموع نفيس عالج فيهِ المواضيع التي تدور عليها السنة العموم حاضراً في ٣٤ فصلاً فاجاد لفظاً ومعنى وانتقدها انتقاد الكاهن طبيب النفوس والحكيم السليم الذوق والوطني الصادق اللهجة ل ش

السنابل

بقلم الخوري بطرس البستاني

طبع بمطبعة صادر في بيروت سنة ١٩٢٧ (ص ٢٣٠)

سنابل مثقلة بحبوبها مُغذية المعقول بثمرها نمت في اكرم تربة ألا وهي التربة البستانية المعروفة بجودتها وخصبها. وهذه السنابل كناية عن مجموع فريد من مقالات ادبية ولغويّة واجتماعية لحضرة الكاتب البليغ الخوري بطرس البستاني كان القرّاء مثّعوا نظرهم فيها عند نشرها متفرّقة في المجلّات والجرائد الوطنية فيمكنهم اليوم ان يقتبسوا من نورها مجموعةً وفي آخر هذه السنابل زهور شذيّة من القصائد الرنّانة التي نظمها حضرة المؤلف فتقرُّ لها عيون مطالعيها كما طربت لها آذان سامعيها. فنشكر لحضرته هديّتهُ الثمينة ونتمنى لها رواجاً كبيراً ل. ش

حياة المرحوم القس ميخائيل ابي شاهين الحلو

بقلم الاخ باسيل غانم الراهب اللبناني

طبع بمطبعة جدعون - بيروت سنة ١٩٢٧ (ص ٢٢)

كان القس ميخائيل احد الرهبان الافاضل الذين تخرّجوا في كليّتنا بالعلوم الادبية

والفلسفية واللاهوتية وقد عرفناهُ رجلًا متأصلًا في الفضائل الرهبانية كما اطّلعنا على رسوخ قدمهِ في العلوم الدينية فسُررنا لتخصيص هذه النبذة لذكرهِ ليتخذهُ اخوتهُ في الرهبانية قدوةً في حياتهم كما انها تعزّيهم عن فقدهِ الاليم ل.ش

اعلام العراق

تصنيف محمّد بهجت الاثري

طبع في القاهرة سنة ١٣٤٥

اعلام العراق هم الالوسيّون الذين منذ مئة سنة بنيّف يؤدُّون بآدابهم وعلومهم للعراق عموماً ولبغداد خصوصاً خدماً مشكورة تتناوبها الابناء بعد الاجداد. وقد عرفنا منهم غير واحد لاسيما السيد نعمان خيرالدين والسيد محمود شكري. ولكتابهم آثار طيّبة شائعة في العالم العربي. فاحسن مؤلف هذا الكتاب بتسطيرهِ لاخبار هذه الاسرة الفاضلة ووصفه لمآثرها. وقد قام بعملهِ احسن قيام لاتّصالهِ بها ومعرفتهِ باحوالها. فلا نشك باقبال كل محبي التاريخ والاداب على مطالعة هذا الكتاب والاستقاء من مناهلهِ العذبة

علم الطبيعة: نشوءُهُ ورقيُّهُ وتقدّمهُ الحديث

تأليف مصطفى نظيف

طبع في مصر سنة ١٩٢٧ (ص ٤٢٢)

هو افضل كتاب ظهر في اللغة العربية عن علم الطبيعة. فان مؤلفهُ — وهو استاذ علم الطبيعة بمدرسة المعلمين العليا في القاهرة — راجعَ لتصنيفهِ احدث ما نشره العلماء الاوربيون لتعليم الناشئة. وقد وجدناهُ حسن التبويب واضح الشروح واسع المواد يتناول كتابهُ حتى الاكتشافات الطبيعية الحديثة فيبسطها بطريقة قريبة المنال مع عدّة اشكال وتصاوير تبيّن اصولها وحركاتها. وقد اتسع خصوصاً في ابحاثهِ عن الكهرباء والاجسام المشعّة واكتشافات اينشتين ل.ش

القس اسحق ارملة السرياني الكاثوليكي : ١ً سلوى الرائدين في امثال ماردين . ٢ً مصمصمًا وهمنمًا

هذان كتابان جديدان نشرتها المطبعة السريانية في بيروت . يحتوي اولهما نحو الف مثل من الامثال الشائعة في ماردين وهي اصدق صورة لطباع اهلها واصالة ذهنهم وفكاهة نفسهم . مرتبة على ترتيب حروف المعجم . والثاني هو اول كتاب من جنسه لتعليم القراءة السريانية . اودع فيه المؤلف دروساً عديدة في خلالها صور الاشياء الواردة عليها الدروس . على أننا كنّا وددنا لو تقدّمت الابجديّة على كل الدروس مع صورتها في العربية ل . ش

هدايا أُرسلت الى المشرق

١ الام مريم فرج صغير (١٨٣٧-١٩٢٤) رئيسة عام راهبات قلبي يسوع ومريم بقلم الاب رفائيل غله اليسوعي . طبع في المطبعة الكاثوليكية ١٩٢٧ (ص ٣٢)

٢ نبذة في حياة واستشهاد ثلثة طوباويين من جمعية كهنة الرسالة المعروفين باللعازريين للاب يوسف علوان اللعازري . ظهرت في المشرق ثمّ طبعت على حدة ١٩٢٧ (ص ٢٦)

٣ الدستور اللبناني . طبع في مطبعة الاب يوسف جيتاوي . بيروت (ص ١١٤)

٤ برنامج الجمعية الخيرية المارونية لاخوة الفقراء في بيروت للسنة ١٩٣٦ (ص ٢٠)

شذرات

﴿ المئة الثالثة لحلول الرهبانية اليسوعية في سورية ﴾ كان حلول المرسلين اليسوعيين في سورية سنة ١٦٢٧ وكان اول احتلالهم في حلب اتى اليها الايوان مانيليه (Magnilier) وستلّا (Stella) فسكناها بعد ان عارضهما في ذلك بعض اعداء رهبانيتهما فنفوهما مرّةً اولى الى ان اخرج لهما السفير الفرنساوي في الاستانة فرماناً سلطانياً فرجعا الى حلب . وقد سبق المرحوم الاب تورنيز وذكر اعمال اليسوعيين في الشهباء في القرن السابع عشر (راجع المشرق)

﴿ النساء ابطال الحرب ﴾ انّ كثيراً من النساء في الحرب الكونية اظهرنَ من الحميّة والشهامة ما لا يفي اللسان بوصفه . وممّا تشرفت به انكلترة مؤخرًا اكرامها

لاربع فرنسويات خاطرنَ بحياتهنَّ مرارًا ليخلصن من الموت عدة جنود انكليز في فرنسة. فدُعين رسميًا الى لندرة وفي اكبر نوادي المدينة اطرأ حاكمها بازاء الحضور اثرتهنَّ ثمَّ زيّن صدورهنَّ بوسام المملكة وسلمهنَّ رقًّا ملمعاً بضروب النقش كان في احد اطرافهِ صكٌّ يمنحهنَّ دخلًا سنويًا الى اخر حياتهنَّ وهو مجموع ما اكتتب بهِ المحسنون في جريدة التلغراف. فعلا هتاف الشعب لهذه المنحة. وبينما كُنَّ هناك اذ دخل ابو الضابط هول (Hull) وانطرح على اقدام احداهنَّ وقبّل قدمها اذ اخفت ابنهُ مدَّة ثلثة عشر شهرًا الى ان وقف على فعلها الالمان فحُكم عليها بالاعدام وعلى الضابط فقتل هو وابدل عقابها بالاشغال الشاقة لعشرين سنة

﴿الضيافة الفرنسويَّة﴾ فرنسة اوسع البلاد ضيافةً للغرباء فانَّ الاحصاء الرسمي بيَّن انَّ عددهم بلغ ثلاثة ملايين ونصف. ففي العام الماضي كان الاميركيون منهم ٢٢٠،٠٠٠ والانكليز ٨٠٠،٠٠٠ والاسبانيون ٧٠٠،٠٠٠ والهولنديون ٤٠،٠٠٠ والسويسريون ١٣،٠٠٠ والشرقيون المختلفون ٦٠،٠٠٠. وهناك اكثر من مليون ونصف من الايطاليين والالمان والروسيين وغيرهم

﴿خمول المدارس اللادينيَّة في فرنسة﴾ اقرَّ وزير المعارف في مجلس الشيوخ جوابًا على سؤال احدهم بانَّ في فرنسة ٢١ مدرسة لا تلاميذ لها البتَّة وان ١٤٧٦ مدرسة عدد تلاميذها اقل من ستة بينها ٧٧ للذكور و٤٨٤ للاناث و٩٨٤ للمدارس المختلطة وان ١١٣٤ مدرسة لا معلّم لها رسميًا او غائب عنها معلّموها

﴿ارتداد احد اشراف اسوج الى الكثلكة﴾ اسوج آخر الدول الاسكنديناڤيَّة التي فتحت ابوابها للكثلكة. فكان من نتيجة تسامحها انَّ كثيرين من اهلها اخذوا يدرسون تعاليم الكنيسة ويكتحلون بنورها. وفي الاحد الثاني من هذا الصوم الاخير جحد الاضاليل البروتستانية الكونت كرستر مورلند دي مورلند ابن حاكم مقاطعة هالند في اسوج جاهر بارتدادهِ. بعد ان دقَّق مدَّة خمس سنوات في البحث عن العقائد الكاثوليكية فاقتبل سرَّي المعمودية والتثبيت في كنيسة انتشار الايمان من ايدي نيافة الكردينال ڤان روسوم الالماني رئيس مجمع هذا الانتشار. وأسرتهُ من اشرف الأسر الاسوجية. وقد تشرَّف بلثم ايدي قداسة الحبر الاعظم يوم ارتدادهِ

أسئلة وأجوبة

س سأل من حاب حضرة القس بطرس مظلوم : أطبعت الكتب الآتية وهل يوجد شيء من نسخها : ١ً كتاب الابواب لغريغوريوس النيصصي ترجمة اسحق بن حنين . ٢ً دفع المضارّ الكلية للابدان الانسانية لابن سينا . ٣ً كتاب تيسير الوصول الى تفسير الفصول لعلي ابن ابي طاهر الطبيب

طبع مخطوطات نادرة

ج هذه الكتب لم تُطبع . وانّما الاوّل ذكرهُ ابو البركات بن كبر في قانته ولا تُعرف لهُ نسخة في المكاتب . ثمّ انّ في مكتبة اوكسفرد نسخة من دفع المضارّ الكلية للابدان الانسانية (Ms. 6;2) وانّما هناك ينسب الكتاب الى ابن جعفر الغافقي أمّا الكتاب الثالث فلا تُعرف منهُ نسخة خطية

س وسأل احد الاساتذة من زحلة : ما هي الروايات التمثيليّة المطبوعة التي يحسن تشخيصها في المدارس الكاثوليكيّة

الروايات التمثيلية التي يمكن تشخيصها في المدارس

ج لا يمكننا ان نحصي هنا كل الروايات التي يجوز تشخيصها في المدارس الكاثوليكية فنعدد هنا بعضها مباشرة بما طُبع منها في مطبعتنا : ١ً البرامكة للاب انطون رباط . ٢ً ابن وائل للاب شرل ابيلا . ٣ً هرقل او انتصار الصليب للخوري مارون غصن . ٤ً الشيخ الهائل او انقاذ الامير . لهُ . ٥ً الكاهن او انتقام شريف . لهُ . ٦ً لويس دي غونزاغا للخوري يوسف ابي سليمان . ٧ً وديعة الدين . لهُ . ٨ً ابدولونيم ملك صيدون . لهُ ٩ً في سبيل التاج لحليم دموس . ١٠ً البرّ البنوي للقس توما ايوب . ١١ الابن الشاطر للاباتي افرام حنين الديراني . ١٢ حكم سليمان (شعرية) . لهُ . ١٣ السعادة في الشهادة للخوري ميخائيل غبريل (شعرية) . ١٤ المثل الاريحي في استشهاد الفتى المسيحي للخوري ميخائيل الوف . ١٥ فتاة الناصرة للخوري بولس البستاني . ١٦ غفران الامير للقس يوحنا الرحماني . ١٧ الاميران الاسيران للخوري يوسف العشيق

وقد طُبع في غير مطبعتنا روايات اخرى ادبية عديدة حسنة نذكرها في فرصة اخرى

ل . ش

المشرق

الارشمندريت فوتيوس ورسائل البروفنسيال

بقلم الاب لويس شيخو اليسوعي

احسَّ الارشمندريت فوتيوس محرّر الهدية انَّ الضربات التي وجَّهها ضد الرهبانيَّة اليسوعيَّة حاضرًا لم تُجدِهِ فتيلًا بل اظهرت لكل ذي عيان اراجيفهُ الباطلة لِما يعرف الجميع من احوال اليسوعيين وهم منذ القرن السابع عشر يخدمون في هذه البلاد الدين والوطن بنشاط واخلاص يقرُّ لهما اعداؤهم فضلًا عن محبّيهم

وقد ظنَّ الارشمندريت المجاهد انَّهُ اذا نقَّب في زوايا المكاتب يستخرج منها كنوزًا دفينة ليفيد بها قرَّاءهُ بحقائق راهنة لكنَّهُ شأن الجهلان لم يسقط على غير القاذورات ولا عجب فان السيد المسيح يقول في انجيلهِ الطاهر (متى ١٢ : ٣٤) : «انَّما يتكلم الفم من فضل ما في القلب فالرجل الصالح من كنزهِ الصالح يخرج الصالحات والرجل الشرّير من كنزهِ الشرّير يخرج الشرور»

فيا تُرى ماذا استخرج الارشمندريت هذه المرَّة من كنزهِ ؟ كان سبقهُ بعض اعداء اليسوعيين فوجدوا في طوامير الورّاقين كتابًا صغيرًا لاتينيًّا اسمهُ (Monita Secreta) يتضمَّن على ما ظنُّوا تعاليم سرّيَّة شائعة في الرهبانيَّة اليسوعيَّة فنقلوهُ الى العربيَّة فما لبثوا ان تأكدوا انَّ الكتاب مزوَّر وقد حرمهُ الكرسي الرسوليّ وأفتت باكذيبهِ مجالس الشرع المدنيَّة . ثمَّ عمدوا بعد ذلك الى رواية ضخمة الَّفها باغراء اعداء اليسوعيين وعلى نفقتهم الكاتب اوجان سو تحت عنوان «اليهودي التائه» فعرَّبوها لعلَّهم

يفحمون بها ابناء القديس اغناطيوس فكان نصيبها نصيب الروايات الملفقة التي يشحنها اصحابها ما شاؤوا من اوهامهم وترّهاتهم فكان فعلهم ضربةً جديدة في الهواء ولم ينقص من جرّائها ذرّةً شرف الرهبانيّة اليسوعيّة

لكنّ مدير جريدة الهدّية لم يرضَ بهذه الملاسف فعمد الى ما كتبهُ احد مشاهير الفرنسيس الكاتب بلاز بسكال لزعمه انّهُ هو كجُهَيْنة عندهُ الخبر اليقين او يقطع كجُهَيْزة قول كلّ خطيب. فهلمّ بنا اذن ننظر هذا الجليات الجديد القائم على اليسوعيين بسيفهِ القاطع وبنبّاقاتهِ المدمّرة

ولنبدأ اوّلًا بذكر لمحة من ترجمة بسكال وسبب تحاملهِ على اليسوعيين . ثمّ نفحص ثانياً رسائلهُ المعروفة بالبروفنسيال . ونلحقها ثالثاً بحكم العلماء في صدق هذه الرسائل ونختم الكلام بحكم ارباب الدين والدنيا في الرهبانيّة اليسوعيّة

من هو بسكال وما هو سبب تحامله على اليسوعيين

بلاز بسكال مهندس وطبيعيّ وفيلسوف فرنسويّ وُلد في مقاطعة أوفرني في مدينة كلرمون سنة ١٦٢٣ وتوفي في باريس سنة ١٦٦٢ قبل ان يبلغ الاربعين من عمرهِ . نبغ منذ حداثة سنّهِ في العلوم الطبيعيّة والرياضيّة حتى يُعزى اليهِ اكتشاف بعض اسرارها وكان مع هذا عميق النظر في مكنونات الكون وعلاقاتها مع العالم الآخر ولاسيما مع مبدعها سبحانهُ وتعالى

وكان بسكال مع نبوغهِ نحيف البنية عصبيّ المزاج يتأثر من كلّ المحسوسات الخارجيّة فاستسلم في شبابهِ مدّةً الى اللاهي العالميّة فلم يجد فيها راحةً لقلبهِ اذ شعر بفروغها وبطلانها . ثمّ ارعوى فلازم حيناً العلوم العقليّة وحيناً الدروس الفلسفيّة ليشغل عنها افكارهُ ثمّ رأى باغراء اختهِ جاكلين ان يتخذ لهُ الحياة النسكيّة منهجاً

وكانت في ذلك العهد قد فشت في فرنسة البدعة الجنسنيانيّة بساعي جانسينيس اسقف مدينة ايبر المتوفّى سنة ١٦٣٨ الذي ألّف كتاباً وسمهُ باسم القديس اوغسطينوس (Augustinus) ادّعى فيه انّ الانسان فقدَ حريّتهُ بعد خطيئة آدم وانّ اعمالهُ الصالحة والطالحة انّما هو مدفوع اليها مرغوماً امّا بفعل نعمة الله وامّا بدافع شهوتهِ . وانّ نعمة الله لم تُعطَ لهُ دائماً وانّ المختارين مَن يجتبيهم الله دون مراعاة لاعمالهم .

فاستخرج الكرسي الرسولي من كتابه هذا خمس قضايا ضربها الاحبار الرومانيون بالحرم سنة ١٦٤٢ . فقام انصار جانسينيوس وناهضوا احكام الكرسي الرسولي بما امكنهم من ضروب المكر والدسائس والفوا حزباً سياسياً ملأ بلاد فرنسة قلقاً وفوضى . وكان مركز مناصبتهم تعاليم الكنيسة في دير بور رويال (Port-Royal) حيث كانت بعض الرواهب المنتميات الى بدعة جانسينيوس وفيه ترهبت جاكلين اخت بسكال . وكانت اولئك الراهبات ومثلهن الغلاة من الجانسنيانيين يبالغن في اعمال النسك ويضايقن ضمائر الناس ويطالبن من يعتزي الى حزبهن بأعمال شاقة ولا يسمحن بالتقرب الى الاسرار المقدسة إلا بعد رياضات طويلة تدوم مراراً عدة سنين فيكاد الانسان يقطع الرجاء من خلاصه . وكان المدعو ارنولد (Arnauld) زعيم الحزب يلتجئ الى ضروب الحيل لتعزيز حزبه ومقاومة احكام الكرسي الرسولي مدعياً على الرغم منه انه من اصدق الكاثوليكيين . فالى هذا الحزب انضوى بسكال مدفوعاً اليه من انصاره ولاسيما من اخته جاكلين والزعيم ارنولد .

ومن المعلوم انَّ الرهبانيَّة اليسوعيَّة منذ اول نشأتها كانت اخذت على نفسها الدفاع عن الكنيسة الرومانيَّة واحبارها وتعاليمها . فما ظهرت البدعة الجنسنيانيَّة في فرنسة حتى نهضت رهبانية يسوع لردّ غاراتها وتزييف اضاليلها سواء كان بتآليف ابنائها او بتعاليم اساتذتها او مواعظ خطبائها فكانوا في مقدمة الجيش الكاثوليكي . ومن المقرَّر انَّ ضربات العدوّ الاشدّ قساوةً انما يكابدها صفّ الجيش المقدَّم فشبَّت حرب عوان بين الجانسنيانيين واليسوعيين لم تخمد لظاها تماماً إلا بالغاء الرهبانيَّة اليسوعيَّة بكيدة زعماء اهل الكفر وبسقوط الحزب الجنسنياني بفعل الثورة الفرنسويَّة

وعرف ارنولد ما لبسكال من السمعة والصيت بسبب انتشار مطبوعاته العلميَّة ولبراعته في الكتابة فلما حرم مجمع السوربون العلمي كتاباته تقدَّم اليه بان يؤلف كتاباً يبرّر شيعته ويبخس فيه من حقوق الرهبانيَّة اليسوعيَّة وأخذ على نفسه ان يهيئ له موادّ كتاباته اذ لم يكن بسكال يعرف شيئاً من احوال اليسوعيين ومن تآليفهم فعزم على تلبية الحزب الجنسنياني فكان ذلك داعياً لوضع رسائله المعروفة بالبروفنسيال

٢ً رسائل البروفنسيال

رسائل البروفنسيال كناية عن مقالات في صورة مراسلات ألّفها بسكال سنة ١٦٥٧ تحت اسم مستعار يُدعى لويس دي مونتالت (L. de Montalte) كأنّ المذكور يوجّهها الى احد اصحابه من الاقليميين (provincial) فيسعى ان يثبت فيها صحّة المذهب الجنسياني ثمّ يتحامل على تعاليم اليسوعيين مدّعياً انها مناقضة للآداب فاسدة للاخلاق. فما كاد يظهر هذا الكتاب حتى تناصر كلّ انصار الجنسيانيين واعداء الدين لاطرائه فطبّلوا به وزمّروا ونقلوهُ الى امات شتى لا لصدقه وحقيقة مضامينه بل لمجرّد وشقه بسهامه خصومهم الالداء اليسوعيين المدافعين عن الايمان والمؤيدين لتعاليم الكنيسة الكاثوليكيّة

دعنا نعمل في هذه الرسائل نظر الانتقاد كما ثبت اليوم للمنصفين الصادقين فنقول: قد وَهَمَ اعداء الرهبانيّة اليسوعيّة في زعمهم انّ رسائل البروفنسيال تطعن رأساً في طغمة يسوع وقوانينها ومنشئها. وهي مجموعة ثماني عشرة رسالة الاربع الاولى منها يحاول فيها بسكال اثبات مزاعم الحزب الجنسياني استناداً الى تعاليم القديس اوغسطينوس ملفان الكنيسة الكبير فيروي له نتفاً يأخذها على غير معناها كما لقّنهُ ارنولد واصحابهُ الجنسيانيّون وانما تظهر معانيها الصحيحة في قرائنها لان القديس اوغسطينوس تعتبرهُ الكنيسة كاكبر معلّميها في تعريف نعمة الله وتطبيقها على الحرّيّة البشريّة

وبسكال في هذه الرسائل الاربع الاولى يستحقر ما كتبهُ آباء الكنيسة غير القديس اوغسطينوس ويزدري بتعاليمهم لمناقضتها لآراء البدعة الجنسيانيّة. ونتعجّب كيف الارشمندريت فوتيوس يعدل عن هؤلاء الآباء الذين منهم ملافنة الكنيسة اليونانيّة فيتحزّب لاعداء كنيسته

امّا الرسائل الاثنتا عشرة الباقية فان بسكال لم يتابع فيها الدفاع عن الجنسيانيّة بل عدل فيها الى تخطئة تعاليم اليسوعيين في كتبهم الادبيّة اي اللاهوت الادبي. ومن المعلوم انّ تعاليم اليسوعيين ليست خاصّة بهم وانما هي شائعة بين كل علماء الكنيسة الكاثوليكيّة وكتبهم لا تبرز للطبع إلّا بعد عَرْضها على السلطة الكنسيّة ووسمها بالرخصة الرسميّة فيتخطئته لتعاليمهم يتحامل على تعاليم الكنيسة الكاثوليكية باجمعها

ومن غريب عمل بسكال انهُ لم يراجع اساطين العلوم الادبيَّة في الرهبانيَّة اليسوعيَّة كسوارز (Suarez) وفاسكز (Vasquez) ولوغو (Lugo) وتوليتوس (Tolet) وعشرات غيرهم وانَّما عمد الى علماء دونهم كاسكوبار (Escobar) وبينت (Binet) وباري (Barry) وروى عنهم ما جعلهُ هدفاً لسهامهِ

واغرب من ذلك انهُ في ردودهِ على هؤلاء اليسوعيين لم يقرأ كتبهم وانَّما روى كلامهم مبتوراً مغمَّضاً كما رواهُ لهُ اصحابهُ لا كما تثبَّتهُ بنفسهِ في الاصل . والدليل على ذلك انَّهُ في رسالتهِ التاسعة التي سعى فيها الى الطعن بكتابات الابوَين «بينت وباري» يقول «اني بعد ما كتبتُ رسالتي هذه طالعتُ كتب الآباء باري وبينت» . وقولهُ هذه من المضحكات المبكيات فهو يردُّ على هذين اليسوعيين ويورد شهاداتهما ولم يطالع كتبهما إلَّا «بعد ما كتب رسالتهُ» وانَّما استهزأ بكتاباتهما معتمداً على اصحابهِ الجنسنيانيين الذين موَّهوا عليهِ واختاروا لهُ ما راق لهم ولفَّقوهُ ليخدع بهِ ويخدع قرَّاءهُ

ولمَّا كتبت لهُ السيِّدة دي سابلـه ((Madame de Sablé) تستقبح تزويرهُ لاقوال اليسوعيين اجابها « انَّ المسئولين في ذلك هم الذين قدَّموا لي هذه المعلومات اما انا فأكتفي بنشرها » (Rapin : Mémoires, II, 395) فيا لهُ من عذر اقبح من ذنب !

وربَّما روى بسكال مشاكل ذمَّة نقلاً عن كتبة يسوعيين فيتصرَّف بها بعض التصرُّف بحيث يخرجها عن خطَّة الصواب فمثال ذلك ما رواهُ في احدى رسائلهِ عن احد معلِّمي اللاهوت اليسوعيين في جواز قتل السارق اذا اراد ان يسلبك سبعة ريالات فينسب الى الاب اليسوعي مولينا جواز قتلهِ وانَّما يقول الاب فقط « لا يجوز قتل السارق الذي يختلس خمسة او ستة ريالات . . ومهما كانت السرقة فيلزم ان ننصح دائماً بعدم قتل السارق » فحرَّف بسكال كلامهُ ونسب اليهِ ما لم يقل بهِ

وفي اماكن اخرى من رسائلهِ يستشهد بسكال بكتبة ليسوا من اليسوعيين لظنِّهِ انهم منهم كاستشهادهِ بالاب « ديانا » وهو ليس يسوعيًّا بل من رهبنة التياتيين

حكم العلماء عن رسائل البروفنسيال

فهذه التزويرات وغيرها كثير شحَنَ بها بسكال رسائلهِ واثبتها لهُ اليسوعيون في

ردودهم تبيّن انّ بسكال مع علمهِ بالطبيعيّات لم يَجِدْ بهِ علمهُ عن الحيل والماحكات والكذب. وحكمُنا هـذا يؤيدهُ ذاك الكافر الكبير ڤولتير (Voltaire) نفسهُ فدونك ما كتبهُ في كتـابه الشهير عن قرن لويس الرابع عشر (ج٣ ص٣٧): «انّهُ لأمر ثابت بان الكتاب (اي رسائل البروفنسيال) مشحون بالتحريف والتزوير» وقال في موضع آخر: «حاوَلَ (بسكال) صاحب الرسائل ان يثبت على اليسوعيين انّ من نيّتهم ان يفسدوا الآداب بين البشر والحال انّا لم نرَ قطّ جمعيّةً في الدنيا تأسست على هـذا المبدإ وأمكنها ان تبني عليهِ ولكن لم يقصد (بسكال) اظهار الحقّ بل كان الغرض من الرسائل تسلية القارئين» اعني مشايعة اصحابهِ الجنسنيانيين"

وقال الكاتب الكبير شاتوبريان «ليس بسكال الّا نمّاماً نابغـة خلّف لنا كذباً مخلّداً «Pascal n'est qu'un calomniateur de génie, il nous a laissé un mensonge immortel» فلا عجب انّ اختار الارشمندريت فوتيوس تعريب اكاذيبهِ فكلّ طير يأوي الى جنسهِ

وفي عصرنا هذا قام كثيرون من مشاهير الكتبـة من بروتستانت وملحـدين واعداء الدين كشيل (Schoell) وسانت بوف (Sainte-Beuve) وهاڤره (Havret) وندّدوا بعمل بسكال واراجيفهِ الفظيعة

وما لا ينكر انّ رسائل البروفنسيال اساءت الى الدين عموماً اكثر من اساءتهـا الى اليسوعيين لانهـا عرّضت الامور الدينيّة الى السخريّة والاستهزاء واشاعت في العموم الاستخفاف بتعاليم الكنيسة ومهّدت السبيل الى روح الكفر الذي ظهر في القرن الثامن عشر

وهذا ما دفع الكنيسة والحكومة على رَذْل هذه الرسائل وشَجْبها رسميًّا فانّ الملك لويس الرابع عشر عيّن لجنة مؤلفة من ١٣ عالماً من كبار العلماء الفرنسويين بينهم مطارنة واساقفة ولاهوتيّون ليفحصوا رسائل البروفنسيال فحصاً مدقّقاً فيعلنوا عنها حكمهم فكانت نتيجة هذه المرافعة ما قرّرهُ قضاتها في ٤ ايلول سنة ١٦٦٠ فقالوا «انّ رسائل البروفنسيال كاذبة بمدافعتها عن الجنسنيانيين وانّها عمل طُعن وسفاهة في حقّ البابا والاساقفة والملك والوزراء وندوة باريس اللاهوتيّة والرهبانيّات المسيحيّة فيجب

ان يُحكم عليها بالعقاب الذي تحكم به الشرائع على التآليف المرعبة شتائم وارطقات »

وبناء على هذا الحكم أمر مجلس الشورى بان يحرق كتاب بسكال بالنار في الساحة العمومية . امّا الكرسي الرسولي فكان سبق وحرّم قراءة تلك الرسائل السفيهة فترى الى اي نتائج عمد الارشمندريت فوتيوس ليسرّ بروائحها الكريهة قرّاء الهدّية . فلا بأس انّ كلّ اناء ينضح بما فيه

الرهبانيّة اليسوعيّة في عين الكنيسة وعقلاء الناس

فان كانت هذه بضاعة اعداء الرهبانيّة اليسوعيّة التي تُظهر لاوّل وهلة سخافتها وكسادها افلا يجوز لنا ان نذكر شيئاً من مفاخر تلك الرهبانيّة واحكام عقلاء الناس في حقيقة امرها

واوّل ما يجب قوله انّ الرهبانيّة اليسوعيّة ليست جمعيّةً سرّيّة فانها تباشر كلّ امورها علانيةً يعرفها الخاصّ والعامّ لا يفوتهم شيء من احوالها . يمتزج الصغار والكبار برهبانها امتزاج الماء بالراح فلو حاولوا اخفاء شيء من اسرارهم لما استطاعوا اليه سبيلاً

ومن هذه الرهبانيّة قد خرج عدد لا يُحصى من القديسين الابرار وقد اثبتت الكنيسة رسميًّا قداسة كثيرين منهم . كفى بذكرهم تنويهاً بسموّ فضلهم كالقديسين فرنسيس كسفاريوس وفرنسيس بورجيا ولويس غونزاغا وبطرس كلافر والملفان بطرس كانيسيوس وكالطوبريين بارمينوس الكردينال وبرنردين ريالينو وكشهداء اليابان والبرازيل وكندا والمجر وفرنسة . وكمينين غيرهم يُنتظَر تثبيتهم . ومن المعلوم انّ الشجرة الصالحة تُعرف من ثمرتها

وكما تقدّس فيها الوف من ابنائها كذلك تخرّج عليها الوف مؤلفة من القديسين وكبار الرجال كالقديس فرنسيس دي سال والخطيب الكبير بوسويه والشاعر النابغة كورنيل ولكلهم في الرهبانيّة اليسوعيّة اطيب الثناء

واعظم من ذلك شهادات الباباوات الرسميّة في الرهبانيّة اليسوعيّة فقد جمع احد آباء رهبانيّتنا حضرة الاب سليمان غانم سنة ١٨٨٥ كتاباً في ٩٣ صفحة دعاه « الباباوات

وطفمة يسوع ، اورد فيه شهادات ٣١ حبراً اعظم من اوّل بابا اثبت رهبانيتهم وهو بولس الثالث سنة ١٥٤٠ الى لاون الثالث عشر سنة ١٨٧٨ وكلهم لسان واحد في اطراء الرهبانية اليسوعية ومآثرها الجليلة . ولا يشذ عنهم البابا اكليمنس الرابع عشر الذي اضطرته الدول بإغراء الكفرة الى الغاء الرهبانية اليسوعية فعمل مرغوماً بعد التردد الطويل دون ان يثبت لها ذنباً واحداً . ولهذا البابا تقريظ في الرهبانية اليسوعية حرّره سنة ١٧٦٩ في ١٢ تموز بمناسبة منحه نعماً روحية لليسوعيين المرسلين فقال ما تعريبهُ :

«انا طيبة الخاطر نفيض كنوز الخيرات السنية على اولئك الذين نعرفهم يشتغلون بحرارة عظيمة لخلاص النفوس وبمحبتهم الشديدة نحو الله ونحو القريب وبغيرتهم بلا كلل على خير الديانة وبما اننا نعدُّ بين هؤلاء القلة النشيطين في حقل الرب رهبان طغمة يسوع . . . نرغب ايضاً بكل تحقيق تأييد وغاء تقوى وغيرة هؤلاء الرهبان انفسهم النشيطين والغير هيابين الاهوال بالانامات الروحية . . . »

ونضيف الى المجموع المذكور الثلاثة البابوات الذين خلفوا لاون الثالث عشر اعني بيوس العاشر والحادي عشر وبندكتوس الخامس عشر وكلهم من المتخرجين في الكلية الغريغورية التي يديرها اليسوعيون في رومية واطنبوا غير مرة في محامد الرهبانية اليسوعية واتخذوا ابناءها كمرشدين لضميرهم

اما الذين أعلنوا فضل الرهبانية اليسوعية من غير الاحبار الاعظمين فانّ شهاداتهم القيمة والطافحة بالثناء لو جُمعت لما حوتها المجلدات الضخمة بينها شهادات قديسين كالقديس الفونس دي ليغوري ومنها لملوك عظام كهنريكوس الرابع ولويس الرابع عشر وفيلبس الثاني ولكبار الرجال من قوّاد الجيوش وعلماء ورؤساء كنائس ورهبانيات في العالم كله بل بينها شهادات لاعدائهم المقرّين بفضلهم كفولتير وامثاله

وقد شهد لهم احبار الكنائس الشرقية الذين تلطّفوا غير مرة ونشّطوهم شفاهاً وكتابةً باعلان رضاهم باعمالهم الرسولية جازاهم الله خيراً عن حسن ظنهم بنا

فلا يبقى بين مناهضي الرهبانية اليسوعية إلّا اعداء الكنيسة من مبتدعين وكفرة وفرمسون الذين قُضي على اليسوعيين بواجب الضمير الوقوف في وجههم صيانة للمؤمنين من شرورهم . فان كان الارشمندريت فوتيوس ينظم ذاتهُ في عداد هؤلاء الاشرار فلا يلومنّ غير نفسه اذا قام اليسوعيون وبيّنوا شططهُ . والسلام على من اتّبع الهدى

يومية السيد يوسف سمعان السمعاني

لما جاء الى لبنان قاصداً رسولياً لعقد المجمع اللبناني للطائفة المارونية سنة ١٧٣٦م

نشرها حضرة الاب لويس بليبل الراهب البادي اللبناني (تتمة)

افتتاح المجمع اللبناني وما تبعه من الحوادث

ايلول – تشرين الثاني ١٧٣٦

يوم الاحد ٣٠ ايلول اخذ المشايخ يتواردون مع كثيرين من اهل البلاد رؤساء وهبنات وخوارنة ابتدوا بالمجمع. لبس القاصد الغفارة والتاج والعصا ومثله جميع المطارنة والكهنة لبسوا البدلات ومضوا الى الكنيسة قدّس البطريرك قداساً حافلاً. وكرز (خطب) البادري بطرس فرماج بعد القداس على المنبر(١ وبعد الكرز قرأوا البراءات البابوية ثم تلوا صورة الاقرار بالايمان والمجامع واخذ كل منهم يتقدّم الى المذبح الموجود فيه القربان المقدس ويقول: «هذا ايماننا وهذا الانجيل المقدس يشهد علينا». ثم جلسوا على الكراسي بثيابهم البيعية وهذه اسماؤهم: «البطريرك يوسف ضرغام الخازن. القاصد المونسنيور يوسف سمعان السمعاني. المطارنة سمعان عواد. عبدالله قرا علي الحلبي. فيلبوس الجميل. الياس نجاسب غوسطا. اسطفان الدويهي. جبرايل عواد. اغناطيوس شرابيه. حنا اسطفان. مخائيل وطوبيا الخازن. ابرهام الارمني. غريغوريوس سرياني. ديونيسيوس سرياني. اللبودي توما رئيس الرهبانية اللبنانية العام. سمعان عريض رئيس الرهبانية الانطونيانية العام. البادرية بطرس فرماج ويوحنا اليسوعيان. فرنسيس ويوسف الفرنسيسكانيان. توما الكرملي. حنا رئيس دير حريصا فرنسيسكاني. الكبوشي رئيس غزير. الياس الكبوجي. الخوري اسطفان ورد. الخوري اسطفان عواد. الخوري الياس سعد. الخوازنة مخائيل الغزيري. مخائيل القرطباوي. يوسف حبيش.

١) راجع هذه الخطبة في اعمال المجمع اللبناني (ص ٣٩–٤٤)

نقولا الارمني . القس : حنا مرك تلميذ (رومية) . سمعان الفغالي تلميذ . انطون صقر . القس مخائيل اسكندر الاهدني رئيس عام اللبنانيين السابق . المدبر يوسف قرا علي . المدبر بيمين الاهدني . القس موسى الشامي رئيس دير مار بطرس كريم التين . القس ارسانيوس . عبد الاحد الحلبي . رئيس دير مار الياس شويا . القس سمعان قزيلة رئيس عين ورقة . الخوري عبدالله رئيس دير مار عبدا هرهريا . الخوري الياس رئيس دير الرومية . الخوري بطرس رئيس دير الحقلة . الخوري صابر رئيس دير البقيعة . وكان غيرهم كثيرون غير لابسين . وكذلك كان جمع من الخوازنة والحبيشية وغيرهم من اهل البلاد . وكان مرتب احوال المجمع في الجلسة الخوري اسطفان عواد . والكتبة الخوري اسطفان ورد والخوري الياس سعد يازجي البطريرك . والمسجلان الشدياق ابراهيم وجرجس حبيب . والقارئيان القس ارسانيوس عبد الاحد اللبناني والشدياق انطونيوس القبطاوي . بعد ان جلسوا اخذ القارئ في تلاوة المجمع من اعلى المنبر وبقي يقرأ نحو ساعة وعند النهاية هتفوا جميعاً : «إنا راضون وقابلون بكل ما تُلي علينا» . هذا في الجلسة الاولى . وبعد خلع ثياب البيعة خرجوا الجلسة الثانية بعد الظهر كذلك قبلوا ما تُلي عليهم

يوم الاثنين ١ ت١ قبلوا في الجلستين ما تُلي عليهم . وتقرر في هذه الجلسة ان دَين الفائدة (فائدة الدين) لا يكون ازيد من ١٢ ونصف في الماية على سنة

يوم الثلاثا ٢ ت ١ رضيوا بكلما تُلي عليهم ووضعوا خطوط ايديهم واختامهم تأكيداً لقبولهم . وبعد ذلك وعظ المطران سمعان (عواد) حثّ فيها على اتمام ما رسمه المجمع . وفي الايام الثلاثة كان الناس يردون الى الدير ليحضروا المجمع

يوم الاربعا اخذ المشايخ والاهالي يودّعون القاصد ويعودون الى محلاتهم

يوم الخميس ودّعه المطارنة . وبعد الظهر توجه غبطته مع القاصد الى دير مار شليطا مقبس دير المطران الياس (محاسب) ومعهم المطارنة الياس وعبد الله وطوبيا الخازن والخوري اسطفان عواد السمعاني لان مراد البطريرك كان يرسمه مطران . وهناك استقاموا يومين

يوم السبت ٦ ت١ رسم البطريرك الخوري اسطفان عواد في الدير المذكور مطراناً على مدينة حماة . وفي المساء عاد الى لويزة القاصد والمطارنة طوبيا وعبدالله والمطران الجديد

يوم الاحد خاطب القاصدُ الاب توما اللبودي حتى يرسله الى الامير ملحم حتى يكلمه بان ينزل الى صيدا ويخاطب قنصل فرنسة ليكاتب الباشاوات ويأخذ خاطرهم في بلاد كسروان لانه كان صائر ركية (حملة) على بلاد كسروان في ذلك الحين من باشة طرابلس والشام. وكان الاب اللبودي في سلوك زايد في قضاء اغراض مثل هذه. وكان الجميع خاطبوا القاصد بهذا الخصوص فكتب القاصد للقنصل في صيدا في هذا المعنى ليحمل الباشاوات للعدول عن الركية (الحملة) المذكورة. فذهب الاب اللبودي وكلم الامير ملحم فرفض بما قيل له ثم ذهب الاب العام اللبودي الى صيدا وخابر القنصل

يوم الاثنين ٨ ت١ وفي تلك الاثناء كتب المونسنيور المكاتيب اللازمة لرومية

يوم الاربعا ١٠ ت١ جا جواب من الاب اللبودي يخبره بنجاح مهمته وان القنصل اخذ يسعى بغاية الاجتهاد لنيل الكسارة ما يطلبونه. فحالاً اخبر القاصد السيد البطريرك والخوازنة والجبيشية وغيرهم بما جرى ليطمئن بالهم. لانهم كانوا خائفين خوفاً شديداً. وبقي القاصد في لويزة الى يوم الجمعة ١٩ ت١

يوم السبت ٢٠ ت١ نزل المطران اسطفان عواد الى بيروت ليسافر منها الى بلاد النصارى الى فرنسة لقضاء اغراض كلّفه بها السيد البطريرك. فنزل معه المونسنيور والاب يوسف قراعلي والقس جرجس رئيس لويزة وجملة رهبان. وفي ذلك اليوم سافر المطران اسطفان عواد ومعه راهبان لبنانيان الى رومية واربعة تلاميذ للمدرسة الرومانية

يوم الاحد رجع المونسنيور الى لويزة مع رفقته وكان مزمع ان يبتدي بزيارة الاديار في كسروان ليرتبها ويفصل الرهبان عن الراهبات حسبما صار الاتفاق في المجمع اللبناني. فاعاقه ما جرى من الحوادث في بلاد كسروان في تلك الازمنة على انه لم يضيع وقتهُ بل رتّب قوانين هذه الاديار. وانتظر ان تروق الحال

يوم الاربعا ٢٤ ت١ وصل مكتوب من المطران اسطفان عواد من صيدا يطلب كاهناً رفيقاً من الرهبان اللبنانيين فأرسل له القس افرام البسكنتاوي وبقيت اخبار الركية حتى يوم الخميس ٢٥ ت ١

يوم الجمعة ٢٦ اتت اخبار الصلح اي ان الباشاوات اقتنعوا بما قاله الامير ملحم

امير الدروز ورضيوا بماية وخمسين كيس دراهم (٧٥ الف قرش) وابطلوا الركية . وهذه الدراهم تعويض عن الحريق الذي حرقه الامير ملحم في البقاع وهي ليست من حكمه . واخذ الباشاوات رهائن عن الدراهم الامير علي اخا الامير ملحم وابن الشيخ جنبلاط وابن الشيخ عماد . واما المونسنيور فكان اهتمامه انجاز ما بدأ به واستمر في لويزة الى ثاني يوم من ت ٢

يوم الجمعة ٢ ت ٢ وصل الاب توما اللبودي الى لويزة بعد ان اكمل مهمته بكل نجاح

يوم السبت وصل المطران جبرايل حوشب مطران حلب وهو كان وصل الى طرابلس يوم نهاية المجمع . ولما سمع باخبار الركية بقي هناك وهو لم يحضر المجمع ولا المطران جبرايل مطران اهدن ولا المطران باسيليوس والاخيران لعجزهم وكبر سنهم . ولما انتهت الركية كتب المونسنيور للمطران جبرايل حوشب حتى يوافيه الى لويزة ففعل ورضي بكل ما تم في المجمع ووقعه وختمه . واستقام المونسنيور في لويزة حتى ١٤ ت ٢ مهتماً بإعداد ما يلزم لتطبيق مقررات المجمع وخصوصاً على الاديار المختلطة

يوم الاثنين ١٥ ت ٢ وصل خبر الى القاصد ان باشا طرابلس ارسل عسكراً لنهب بلاد البترون فبقي الى يوم ١٨ ت ٢ . وفي هذه المدة اكمل عمل قوانين للرهبانية البادية (العباد) ليسلكوا بموجبها . ثم استخلص من المجمع اللبناني للاساقفة بعض رسومات تخصهم ليسهل عليهم ممارستها . وكذلك اقتطف لخوارنة الرعايا ما يخص وظيفتهم ليبتدوا بالعمل بها . ورتب بعض رسوم تخص الرعايا[1] . وبنوع خاص اهتم بمسئلة الراهبات وفصلهن عن اديار الرهبان ورتب لهن قوانين . وكتب مكاتيب لرؤساء الاديار المختلطة (وهي دير الحقلة والرومية والبقيعة ومار عبدا هرهريا وغيرهم) وخاطب المطران اسطفان الدويهي بخصوص راهبات دير ريفون . واجتهد بكل وسعه ليتم هذا الامر المحتوم به من المجمع المقدس اي فصل الراهبات عن ديورة الرهبان . وكان مستعداً ان يذهب بنفسه لتتميم هذه الاوامر . وفي تلك الاثناء اتاه خبر وفاة المطران باسيليوس الذي توفاه الله في ليل الخميس ١٥ ت ٢ ١٧٣٦

---

١) قد سبق حضرة القس انطانيوس شبلي فنشر هذه المنتخبات للسمعاني (المشرق : نيسان وايار)

قضية فصل ادبرة الرهبان والراهبات

تشرين الثاني – كانون الثاني ١٧٣٧

يوم الاثنين ١٩ ت ٢ الزم المونسنيور الابَ اللبودي بأخذ مار الياس الـذي في كسروان وجعله لراهبات يدعوهنَّ لبنانيّات ليتبعنَ قانون الرهبنة اللبنانيَّة ويعين لهنَّ منها معلّم اعتراف يقيم عندهنَّ ويعتني بتدبيرهن الروحي. والدير كان بيد القس بطرس صفرونيوس الذي كان راهباً لبنانياً ثم ترك. فاتفق الاب العام مع القس المذكور على ان يسلموا القس بطرس المذكور الدير ليكون الراهبات ويصير ترميمه والقس بطرس يبقى في الدير رفيقاً لمعلم الاعتراف الذي يتعيَّن فيهِ دون ان يتعاطى في تدبير الدير او يعترضهُ فيه. وحضر الاتفاق المونسنيور والمطارنة عبدالله وطوبيا والشيخ فياض الخازن. وكتب القس بطرس حجّة على نفسه برضاه. وشهد عليهِ جميع الحاضرين المذكورين. امّا المونسنيور فبقي في لويزة ومعه السيدان عبدالله وطوبيا والرئيس العام يساعدونه على تتميم مهمته

يوم الاربعا ٢١ت٢ توجه القاصد الى مار الياس الراس ومعه السيدان المذكوران والرئيس العام والمدبّر يوسف والاخ ديونيسيوس المدبر اللبناني وجملة رهبان ومشايخ فياض الخازن وضاهر وكنعان مشايخ الزاوية. فرتب الدير وحرروا ما لهُ علاقة من رزق واثاث وسلموا الجميع للاب العام. وفي المساء رجعوا الى لويزة

يوم الخميس ٢٢ اهتمّ المونسنيور بقضاء امر عُرف بهِ وهو ان احد البشرّاويين كان خطب ابنة فاراد غيره ان يغتصبها بغير رضاها ولا رضا اهلها والتجأ هـذا الى الحكّام الغير المؤمنين واحتالوا على السيد البطريرك حتى سمح لهم بذلك : وهـذا الامر اخبر به المونسنيور القسُ مخائيل الغزيري من بلاد طرابلس حيث كان. وللحال كاتب المونسنيور البطريركَ وبيَّن لـه وجه الغلط وكتب للـذين كانوا يريدون ان يتجاوزوا الناموس واوجب على البطريرك ان يرسل فيرفع يدهم من هذا الامر غير الجائز. فتمّ ذلك على يد المونسنيور. وبالعموم كان باذلًا جهده في ان يصلح كل الامور التي كانت تصل اليهِ. وبعد ان كتب الرسوم التي اقتطفها وارسلها للرعايا اتته تحارير تنبئه بان الجميع قبلوا بما رسم في المجمع. من ذلك كتابة الخوري اسطفان ورد خوري صيدا حيث تُليت هذه الاوامر في الكنيسة فاعلن الجميع استعدادهم لقبولها

يوم الاحد ٢٥ ت ٢ اتى من غدير رجل ملكي لعند المونسنيور وعرض له انه وحده من طايفته في تلك القرية وانه يريد اذناً من القاصد بان يتبع طائفة الموارنة لانه لا يوجد خوري ملكي هناك. فسمح له المونسنيور خطاً بذلك طالما لا يوجد خوري من طائفته

يوم الاثنين ٢٦ توجه المطران جبرايل حوشب لمواجهة البطريرك وكان لم يرَه بعد

يوم الثلاثا ٢٧ وصل المطران حنا اسطفان المتوجه الى رعيته لبيروت فزوده القاصد بالرسوم التي كان اقتطفها وكان ارسل منها الى حلب وطرابلس وصيدا ولقرى كثيرة في كسروان فقُبلت بكل رضى وبوشر بالعمل بموجبها

يوم الاربعا ٢٨ ت ٢ وصل مكتوب من الامير ملحم للسيد البطريرك حتى يرسل المطرانين الياس محاسب واغناطيوس شرابيه ليعملوا شريعة امام المونسنيور لان المطران الياس كان تقوّى على المطران اغناطيوس واخذ رعيته منه من غير رضاه بل قهراً. وكتب الامير بهذا الخصوص للمطرانين وتهددهما بالقصاص ان لم يطيعا او لم يرضخا لحكم القاصد. وفي يومه عاد الى لويزة المطران جبرايل حوشب

يوم الخميس ٢٩ وصل المطران اغناطيوس الى لويزه كما سبق. وكذلك المطران حنا

يوم الجمعة ٣٠ وصل مكتوب من الشيخ نوفل القنصل يتعجب من السعي بارسال مكتوب الامير ملحم ويقول ان ذلك غير لايق

يوم السبت اول ك ١ جاوب المونسنيور الشيخ نوفل فذكر له الاسباب الداعية لذلك لان البطريرك والمطران الياس ما دبروا امر المطران اغناطيوس بعد ان طلب منهم ذلك مراراً عديدة. ثم ان هذا لا يضاد اوامر الكنيسة لان الامير ملحم يلزمهم بالتحاجج عند المونسنيور لا عنده هو. وفي ذلك اليوم وصل البطريرك والمطران الياس والمشايخ خطار وخازن فجرى لهم ملقى حافل

يوم الاحد ٢ ك ١ طلب المطران اغناطيوس من البطريرك ان يقف هو اي المطران اغناطيوس والمطران الياس امام القاصد ليتقاضيا عنده. فكان جواب البطريرك انه لا يترك احد يشارع الثاني لان الرعايا له وبيده ينصب من يريد ويعزل من يريد. ولا احد له حكم عليه واذا اراد يُبقي الاثنين بلا رعية. اما المطران الياس فرفض الوقوف للشريعة وقال انه اخذ الرعية من البطريرك وما له عليها حق فان اخذها البطريرك

فعلى خاطره وان اعطاها كثّر الله خيره ولا احد له دعوى عليه لا المطران اغناطيوس ولا غيره. والمطران اغناطيوس كان يقول ان الاسقف لا يُعزَل عن رعيّته بدون سبب يوجب العزل او بسبب تنازله الاختياري. فان كان من سبب فليثبتوه ويعزلوا المطران وانه لا يتنازل بخاطره. وكان المونسنيور يشور عليهما ان يجتمعا بمحبّة ويقضيا الخلاف بحضور السادة المطارنة الموجودين اي عبدالله وطوبيا الخازن وجبرايل حوشب وحنا اسطفان. وبعد أخذ وردّ اخذ البطريرك يحكي كلام غيظ وغادر لويزة مع المطران الياس. فلحق بها البعض ليرجعوهما فتُقضى المسئلة كما اشار المونسنيور. فاصرّ البطريرك على رأيه وأبى ان تصير المرافعة ولم تزل وكان المطران الياس يقول: انه يشارع المطران اغناطيوس عند حاكم الدروز لا عند المونسنيور ولا عند غيره من المطارنة. والمطران اغناطيوس يقول ان هذا لا يجوز اي ان تشارع عند الامم الغريبة. وبعد معالجة كثيرة لم يرضَ البطريرك بان يقضي في الامر وتوجّه زعلان هو والمطران الياس الى دير قنوبين. وقد سطّر كلّ ذلك المونسنيور واشهد عليه الحاضرين

يوم السبت ٨ ك١ عيد الحبل بمريم والدة الله. توجه حضرة المطران طوبيا الخازن الى عجلتون من قبل القاصد ليوصل مكاتيب للمشايخ اولاد ابو نوفل واولاد ابو ناصيف في عجلتون مضمونها انهُ عن قرب يتوجه الى زيارة الاديار التي في عهدتهم ليكمل اوامر الكرسي الرسولي لفصل اديار الرهبان عن اديار الراهبات فصلًا مطلقاً حتى لايجوز للراهبات ان يدخلوا اديار الرهبان ولا الرهبان الى اديار الراهبات. وكلف المطران ان يأخذ خاطرهم في الامر وبقي المطران طوبيا يوم الاحد ايضاً في عجلتون ويوم الاثنين اخذ مكاتيب من المشايخ اولاد بو نوفل انهم راضون وانهم مستعدون لخدمة الكرسي الرسولي وطاعته في كل شيء.

يوم الاربعا ١٢ ك١ غادر المونسنيور دير لويزة لمباشرة الزيارة المذكورة ومعه الاب توما اللبودي والمدبّر الثالث مبارك عبد وجملة رهبان لبنانيين. وعرّجوا على المشايخ في عجلتون وباتوا فيها عند الشيخ كنعان شقيق المطران طوبيا وكان جملة من المشايخ. ووصل تلك الليلة الشيخ نوفل قنصل بيروت

يوم الخميس ١٣ كتب القاصد للخوري الياس رئيس الرومية يعلمه بوصوله الى عجلتون متوجهاً الى ديره لتنظيم الاحوال حسب امر الكرسي الرسولي. وكتب من

هناك الى مشايخ غوسطا اولاد بو قنصوه كما كان كتب الى مشايخ عجلتون. وفي يومه وصل له مكاتيب من مصر من جملة اناس يخبرونه عن توفيق رئيس القدس مع بطريرك القبط وان الرئيس اخذ من البطريرك صورة اعتقاده وايمانه وارسلها للمجمع المقدس واثبت مكاتيبه السابقة واقتبل الحلّة من البادري ملك قدام جملة اناس. وكان الغدا عند الشيخ ابو سرحان نادر. ووصل الى عند القاصد المطران عبدالله وباتوا تلك الليلة عند الشيخ كنعان اخي المطران طوبيا

يوم الجمعة ١٤ك١ استدعى المونسنيور المطرانَ اغناطيوس فوصل في مساء ذلك اليوم وباتوا في عجلتون عند الشيخ كنعان المرقوم وبعد ان تغدوا عند الشيخ الياس ابن نمر الخازن تمشوا عند المشايخ اولاد ابو علي الشيخ فياض والشيخ يونس واخوته

يوم السبت قضوه عند الشيخ كنعان بسبب كثرة الامطار

يوم الاحد كتب المونسنيور مكاتيب الى رئيس دير سيدة الحقلة الخوري بطرس وللخوري صابر رئيس دير البقيعة وللخوري عبدالله رئيس دير مار عبدا هرهريا يعلمهم بقرب حضوره الى اديرتهم لتتميم اوامر المجمع المقدس. ويومه تغدّوا عند الشيخ نوفل سرحان وبعد الغدا توجهوا الى دير الرومية ومعه المطارنة عبدالله وطوبيا واغناطيوس. والاب العام اللبودي والمدبر مبارك. وبعض رهبان والشيخ فياض والشيخ انطونيوس ابن ابو النصر. ويومه وصل مكتوب من المطران حنا يعتذر عن عدم مرافقة المونسنيور خشية من البطريرك والمشايخ بيت بو قنصوه لان المذكورين ما كانوا بعد راضيين عن افتراق الرهبان عن الراهبات بل ان ينفصلوا عن بعضهم بعضاً بطريقة. فاجاب المونسنيور ان البطريرك رضي بتتميم اوامر الكرسي الرسولي ووضع ختمه على ذلك فلا بُدَّ له (اي المطران) ان يرضى بانجاز ذلك ويلزم المطران ان يحضر

يوم الاثنين ١٧ك١ ابتدأ المونسنيور بتنظيم دير الرومية وكان الخوري ارتضى ان يجعل ديره للراهبات وعددهن ستّة آنئذٍ فارعزاليه المونسنيور ان يأتي بستة راهبات أُخر منهنَّ انتُخبن من دير حراش من راهبات المطران عبدالله حتى يعلمنَّهنَّ السلوك بموجب الطريقة الرهبانية على مثل راهبات دير حراش. وكان رضي الخوري بذلك. وفي ذلك اليوم ارسل المونسنيور المطران اغناطيوس الى ديره في بلونه حتى يُطلع راهباته من الدير وهنَّ ثلاثة ويرسلهن الى دير حراش ام الى دير الرومية. واعطاه

مكتوب لرهبان الدير لكي يطيعه المطران في اخراج الراهبات وان يبقوا هم في ديرهم ولا يخرجوا منه لانهم هناك نذروا ولبسوا الاسكيم ويأمرهم بامر الطاعة والسلطان الرسولي ان لا يخالفوا ما ذكر ولا يراجعوا احداً سواه في ما يحدث لهم من الصعوبات. وكتب مكتوب بالمعنى نفسه الشيخ الياس ابن غر الخازن صاحب الدير حتى لا يعارض المطران في مهمته. واما الخوري الياس رئيس الرومية فابتدأ يتعلل ببعض امور فتارةً يريد ان يجعل الدير الرهبان واخرى للراهبات. فخاطبه المونسنيور مع السادة انهُ لا بدَّ من احد امرين لان هذا هو مرسوم الكرسي الرسولي. فاخذ الخوري الياس مهلة ليتشاور بهذا الامر مع اقاربه وبعد ذلك يعطي جواباً

يوم الثلاثا ١٨ ك١ بقي الخوري متردداً. ولما حار المونسنيور في امره قال له ان كل اديرٍ لا يقبل ان يكمل اوامر الكرسي الرسولي يحرمه مع الذين فيه. وفي ذلك اليوم وصل الخوري بطرس رئيس دير الحقلة الى دير الرومية فخاطبهُ المونسنيور بالموضوع فاجابهُ ان البطريرك منعهم ان يعملوا شيئاً بدون ورقة مختومة منهُ. واخيراً ارتضى بامر المجمع المقدس بعد ان ابانوا الشكوك والاخطار الناجمة عن الاختلاط. امَّا الخوري الياس فلم يقرّ رأيهُ على شيء. وبعد معالجة طويلة رجع الى رأيه الاول اي ان يجعل ديره للراهبات ويسلكوا بقانون حراش وان يعتني بهنَّ المطران عبد الله ويرشدهنَّ في السيرة الروحية. وكتب الخوري الياس حجة على نفسه انه راضي بهذا كله واشهد الحاضرين

يوم الاربعاء كتب المطران عبدالله لرئيسة دير حراش لترسل راهبتين عيَّنهما الى دير الرومية وكتب الرئيس العام الى رئيس دير لويزة كي يرسل راهباً عيَّنهُ ليعلم الرهبان اللوازم المادية حتى لا يعودوا يحتاجوا الى خدمة الراهبات لانهم فُصلوا عنهم. ثم خاطب المونسنيور المطران عبدالله حتى يبقى هناك بضعة ايام يعلم الرهبان ويرتبهم في سلوكهم ونظامهم. وبعد ذلك توجه المونسنيور الى القليعات مع المطران طوبيا والمطران عبدالله والرئيس العام توما وتغدّوا عند الشيخ سرحان وبعد الغداء عاد المطران عبدالله الى الرومية لقضاء مهمته وتوجه المونسنيور الى دير الحقلة فلاقوه بزياح حافل

يوم الخميس ٢٠ ك١ وصل المطران عبدالله الى دير الحقلة واخبر المونسنيور ان الخوري الياس ورهبانه غيَّروا وعدهم واخذ الرئيس يقول اريد ان اجعل الدير للرهبان

لا للراهبات وبسبب هذا التقلب ارسل المطران عبد الله اوقف الراهبتين في حراش. والراهب اللبناني ارجعه الى ديره. والمطران عبدالله ربطهم عن القداس ومنع كنيستهم. ولما سمع المونسنيور ذلك كتب لرئيس دير الرومية ولرهبانه ورقة حرم ان لم يرجعوا يتمموا ما وعدوا به والحرم محفوظ للحبر الاعظم يتناولهم وكل من سعى معهم من اقاربهم في تبطيل هذا الامر

يوم الجمعة خابر المونسنيور رئيس سيدة الحقلة فكان الجواب انهُ اتفق مع دير البقيعة بان يجعل دير الحقلة للراهبات ودير البقيعة للرهبان من غير اختلاط البتة. وجرى ذلك بحضور الخوري صابر ورضا الجميع وعملوا صك شهد عليه جميع الحاضرين. وبعد ذلك توجه المونسنيور الى قرية عرامون عند الشيخ ابو براهيم الدحداح لانه كان سأم على المونسنيور وكلفه ليأتي عنده مع الحاشية. وفي ذلك اليوم كتب المونسنيور للخوري عبدالله رئيس هرهريا لانهُ كان غاب عن ديره وهو في دير ميفوق ساع لامور هذا الدير واعلمه انهُ متوجه الى مار عبدا لتنظيمه حسب اوامر الكرسي الرسولي ويفصل الراهبات عن الرهبان ويلزمه ان يحضر. وبات المونسنيور عند الشيخ ابراهيم المذكور في عرامون

يوم السبت ٢٢ ك١ بعد الغدا توجه المونسنيور الى دير مار روحانا البقيعة وباتوا تلك الليلة هناك

يوم الاحد ٢٣ ك ١ اكمل نظام الدير وارسل الراهبات الى دير الحقلة والرهبان اتوا الى دير البقيعة. ثم توجه الى دار الشيخ عماد في عرامون فتعشوا عنده وبعد العشا توجهوا الى دير مار عبدا هرهريا فرقدوا هناك

يوم الاثنين ٢٤ وصل مكتوب من السيد البطريرك يعتذر عن الخوري عبد الله الذي ما قدر ان يحضر لانه اخذ ديرًا جديدًا وهو ساع بعماره وقال ان الخوري المذكور راض بكلما ينظمهُ المونسنيور في دير مار عبدا. ومكتوب من الخوري المذكور بالمعنى نفسه. ورضي الرهبان كذلك بالتنظيم فنظم المونسنيور ديرهم وعيَّن مكانًا للراهبات منفرد عن دير الرهبان بكل شيء. وأمر ان يعيَّن معلم اعتراف يرشد في السيرة الروحية وباتوا يومها في الدير المذكور. ومساء ذلك النهار رجع المطران عبدالله من غزير حيث كان طلبوه لاجل شريعة. ثم وصل الخوري عبد الله. وفي المساء جاء

الشيخ عبد السلام الحمادي حاكم بلاد جبيل

يوم الثلاثا ٢٥ ك ١ عيد الميلاد خاطب المونسنيور الخوري عبدالله فرضي بكل امر وبان يرسل الرهبان الى المحلّ المعيّن الى ان يعمّر لهنّ ديرًا وكتب صكًّا واشهد الحاضرين. وابقى المونسنيور الصكوك معه . وفي ذلك اليوم توجه المطران طوبيا الخازن الى دير بقعاتا لكي ينظمه مثل باقي الديورة ويخرج الراهبات. وكتب المونسنيور الى المشايخ اولاد ابو قنصوه صقر واخوته يعلمهم بترتيب الاديار وانهُ سيتوجه الى عندهم الى غوسطا ليسعوا معهُ في تنظيم الديورة التي في حكمهم. ويومه تواجه المونسنيور مع الشيخ عبد السلام حاكم جبيل نحو ساعتين ثم عاد المذكور الى مكانه

يوم الاربعا ٢٦ كتب المونسنيور الى البطريرك يعلمهُ عن كلما تمّ في ترتيب الديورة التي في عهدة اخوته اولاد ابو ناصيف. ويذكر له انه متوجه الى الديورة التي في عهدة اخوته اولاد ابو قنصوه. وكتب للمطران الياس محاسب يخبره بذلك ويسأله ان يحضر الى دير مار شليطا ليصير ترتيبه وان لم يمكنهُ الحضور فليرسل من ينوب عنهُ حتى يخلّص ذمّته ويفي بوعده وختمه. المطران الياس كان في قنوبين مع البطريرك ثم اعطى المونسنيور الرهبان نسخة القانون الذي رتّبه لهم وبعد الغدا توجه لغوسطا عند المشايخ اولاد ابو قنصوه. والمطران عبدالله نزل الى دير البقيعة ليتمم ترتيبه بامر المونسنيور وليعلّمهم السلوك بموجب القانون. ورافق المونسنيور ما عدا المطران طوبيا واغناطيوس شرابيه والاب اللبودي والمدبر مبارك والرهبانَ الشيخُ انطونيوس ابو النصر. امّا الشيخ فياض فانهُ رافق المونسنيور من يوم خروجه من عجلتون الى ذلك النهار حيث تركهُ. وكتب المونسنيور للمطران حنا اسطفان ليحضر الى عين ورقه ليصير ترتيبه حسب اوامر الكرسي الرسولي لانهُ كان غائباً في بيروت. وكذلك كتب لهُ المشايخ ونزل المونسنيور في بيت الشيخ صخر اخي البطريرك

يوم الخميس قضاه المونسنيور في غوسطا تغدا عند الشيخ خطار اخي البطريرك وتعشى عند الشيخ مشرف ابن دهام. وكان المطران ابرهام الارمني . ويومها وصل الشيخ كسروان يطلب المونسنيور من قبل القنصل الشيخ نوفل اخيه ليتوجه الى درعون

يوم الجمعة ٢٨ ك ١ اتى خبر للمونسنيور ان راهبين القس الياس شاهين الناقوزي والقس حنا قويف هربا من دير باوته دير المطران اغناطيوس وخالفا الامر بالاقامة في

ديرهما وسبب خروجهما عدم رضاهما عن طلوع الراهبات . فكتب المونسنيور ورقة حرم لهما ومنعهما عن القداس ونهى ان يقبلهما احد في دير وحرمهما محفوظ للحبر الاعظم لا يقدر ان يحلهما احد اذا لم يرجعا الى الدير الذي خرجا منهُ . ويومها ارسل المونسنيور المطران اغناطيوس الى ديره بلونه ليقيم فيه لعل هذين الراهبين يعودان . وتغدوا عند الشيخ سنتو بن هيكل . وبعد الظهر توجه المونسنيور الى دير المطران حنا عين ورقه وكان المطران عبدالله رجع من دير البتيعة الى عين ورقة بعد ان قام بمهمته . ولم يكن المطران حنا وصل فاستقبل المونسنيورَ وحاشيتهُ رئيسُ الدير القس سمعان قزيله مع رهبانه . وباتوا هناك وبعد العشا وصل مكتوب من المطران حنا يتعلل فيه ان الدير في حكم المشايخ فلا يمكنهُ بغير رضاهم ورضا البطريرك ان يعمل شيئاً . فجاوبهُ القاصد انهم راضون ويلحّ عليه ان يحضر ويلزمهُ بذلك عاجلاً وان لم يحضر يحرم الدير والرهبان والحرم يكون محفوظ للحبر الاعظم . ومثل ذلك كتب رئيس الدير الى المطران حنا لانهُ هو ورهبانه كانوا راضيين باوامر المجمع المقدس . وبقي المونسنيور في الدير ينتظر جواب المطران حنا

يوم الاحد ٣٠ ك١ جاء جواب من المطران حنا مثل الاول فكتب المونسنيور ورقة ربط للدير ورهبانه واعطاهم مهلة خمسة ايام حتى يختاروا بين امرين او جعل الدير للراهبات ويفصلوه عن الرهبان او للرهبان ويفصلوه عن الراهبات وان فاتت المهلة دون ان يقرّروا احد الامرين يكون الدير ممنوع واعطاهم الورقة والحلة محفوظة للحبر الاعظم او لقاصده

يوم الاثنين ٣١ ك١ كتب المونسنيور للمطران الياس يذكره بما كتب اليه سابقاً عن وجوب حضوره او توكيل وكيل لتنظيم ديره وان تأخر يربط الدير مثل عين ورقة . وفي ذلك اليوم توجه المونسنيور الى درعون لعند الشيخ نوفل وكان الغدا هناك . وقبل الغدا وصل رئيس الرومية أتى ليأخذ البركة ويتمم ما وعد به . وجاء بمكاتيب من عند المشايخ نادر وابراهيم اولاد ابو النصر يطلبوا من المونسنيور ان يباركهُ ورافقهُ الشيخ انطونيوس اخوهم . فقبل المونسنيور ان يباركهُ وديره اذا كان اتمّ الاوامر المعطاة لهُ . يومها توجه المطران عبدالله الى عجلتون لانه طلبوه للشيخ بو سرحان المشرف على الموت وبعد الغدا توجه المونسنيور الى لويزة

يوم الثلاثا ١ ك٢ عيد الختانة اول سنة ١٧٣٧ كتب المونسنيور الى المطران اغناطيوس شرابيه ليرسل راهبات ديره بأونه الى الرومية لانه كان تأخر بسبب مرض احداهنّ . وكتب للمطران عبدالله ان يرسل ثلاثة راهبات من عنده حتى تصير الراهبات اثني عشر يرشدهنّ في السلوك بموجب القانون . واخبره ان الخوري الياس (ريس الرومية) يريد يتمم ما وعد فاذا كان ثابتاً فليحلّه من الرباطة . وكتب المطران طوبيا ان يحضر الى لويزة والمطران طوبيا كان توجه لبقماتا وطلع راهباته من الدير . ويومها وصل نعي الشيخ بو سرحان ووصل المطران حنا والمشايخ الثلاثة المنعين لعجلتون وباتوا في لويزة . اما المطران حنا فما اقتنع بان يتمم اوامر المجمع بخصوص ديره

ويوم الاربعا ٢ ك٢ توجه المونسنيور الى عجلتون مع الرهبان وكان المطران طوبيا والمطران حنا جاءا معهُ وكان المطران اغناطيوس ونحو مائة كاهن وجمهور غفير من الشعب وبعد الدفن والغدا رجع الى لويزة

يوم الخميس اخبر البطريركَ بما جرى عن ترتيب الديورة وانهُ اتاه مكاتيب من الكرسي الرسولي يلزمه بموجبها ان يقضي كل الامور التي اوفدوهُ لاجلها وخصوصاً نظام الاديار وعن الشريعة التي عملوها الطارين على البطريرك عند الامير في دير القمر لكي يفحصها ويحكم فيها ويطلب مجيء المطران اسطفان الدويهي لانهُ تقدم شكاوى لرومية انهُ هو الذي سبب ذلك فهو يطالبهُ المفحص . وبسبب تنظيم دير ريفون وفصل الراهبات عن الرهبان خصوصاً في الكنيسة والكرار والمطبخ ويطلب من السيّد البطريرك ان يلزمهُ بالحضور . وكتب المطران المذكور بهذا المعنى واعطاه مهلة الى اليوم الـ١٥ من الشهر الجاري وان تأخر يكون ديره مربوط الى ان يتم ما ذكر . ويمكنهُ ان يوكل وكيل لاجل تنظيم الدير والّا يربط الدير ولا يمكن لاحد الحل من الربط سوى الحبر الاعظم او قاصده المونسنيور نفسه

يوم الجمعة ٤ ك٢ اهتمّ المونسنيور بمقابلة نُسَخ المجمع اللبناني

يوم السبت توجه لعينطورة عند اليسوعيين وعاد في المسا . وجاء المطران طوبيا الخازن بعد ان تمم امر المجمع المقدس بخصوص الاديار المختلطة . وجاء المطران جبرايل حوشب الذي كان زار اديار القاطع

يوم الاثنين وصل مكتوب من المطران حنا يتمالّ في امر تكميل ما رتّبه المجمع

بخصوص الاديار ويطلب حلّ الدير من الربط فلم يجبهُ المونسنيور الى ذلك . وكتب الى المشايخ اولاد ابي ناصيف ليحضروا الى دير لويزة حتى ينظر المونسنيور في دعواهم على المطران جبرايل حوشب مطران حلب لانهم كانوا الزموهُ يدفع اكراهاً بعض شروط كما قال المطران حتى يحكم فيها

ويوم الثلاثا ٨ ك ٢ كتب المونسنيور البطريرك يطلب منهُ يوكل الترجمان بوناونتورا عن الطائفة في صيدا لان الطايفة في تلك المدينة كانت طلبت ذلك من المونسنيور وكان مطران الرعية راضياً بذلك . وارسل المونسنيور ورقة الوكالة بخط المطران سمعان مطران الرعية حتى يختمها البطريرك بختمهِ ويرسلها الى الترجمان المذكور . وفي ذلك اليوم وصل مكتوب من القنصل الشيخ نوفل يطلب من المونسنيور ان يبيح لراهبات دير المطران حنا ان يبقينَ فيهِ ويتميّزن عن الرهبان . فاجاب المونسنيور ان امر المجمع المقدس جازم وانه هو قد تساهل معهم كثيراً وخاصة الاديار التي في حكم الشيخ نوفل وسمح ان يفترقوا بفسحة واسعة في الكنيسة والكلار والمطبخ وغير ذلك لا يمكنهُ ولا يسمح ان يخالف امر المجمع المقدس . وكان للدير خمسة ايام مربوط عن الصلوة والقداس

يوم الاربعا ٩ ك ٢ وصل المطران فيلبوس الجميل ومعهُ الاميران الدرزيان عساف وحسين متوجهين الى عجلتون لتعزية المشايخ بموت بو سرحان . وبعد الغدا تركوا لويزة . ووصل مكاتيب من رئيس رهبان القدس في حلب يعلمهُ انهُ عن قريب يتوجه اليهِ . فارسل المونسنيور الاب توما اللبودي الى طرابلس ينتظرهُ ويأتي بهِ الى لويزة . ورافق الابَ اللبودي المديرُ مبارك وجملة رهبان . وظلّ المونسنيور يتمم اشغاله حتى يتمكن من زيارة القدس مع رئيس رهبان القدس الآتي اليهِ

الخلاف بين القاصد الرسولي والبطريرك

يوم الاحد ١٢ ك ٢ وصل مكتوب من البطريرك الى المونسنيور مضمونهُ ان يرفع المونسنيور يده عن المعاطاة مع الطائفة والاديار ولا عاد يعمل شيئاً وانهُ ارسل بارك الديورة التي ربطها والرهبان الذين حرمهم وكتب الى الطائفية والديورة مكاتيب ان لا احد يسمع من المونسنيور ولا يقبل كلامهُ لأن مراده يخابر المجمع المقدس في الاحوال وهو سيعمل مثلما يأتي الجواب . وقال انهُ هو منع المطارين عن الحضور اليهِ .

وكان المونسنيور كتب للمطران اسطفان الدويهي يأمره بامر الطاعة ان يحضر عنده بسبب الدعوى التي عليه من المطران طوبيا الخازن

يوم الاثنين ١٤ ك ٢ جاوب المونسنيور البطريرك وقال له ان ما كتبهُ يُدهش وليس لايقاً ويذكر له انهُ يكتب للمجمع المقدس . في ذلك اليوم وصل مكتوب من الشيخ نوفل يطلب من المونسنيور ان يطيل روحه في هذه الامور

يوم الثلاثاء ١٥ ك ٢ وصل المشايخ اولاد بو ناصيف الى لويزة صقر وحديفه وناصيف ونوفل وذياب ليعملوا دعواهم على المطران جبرايل حوشب . ووصلوا ايضاً المشايخ اولاد بو نوفل ابن كنعان ويونس وخاطبوا المونسنيور بخصوص مكاتيب البطريرك ومكثوا اربعة ايام في لويزة

يوم الخميس ١٧ ك ٢ وصل الشيخ قبلان ابن اخي البطريرك والشيخ عاد ابن عمه وخاطبوا المونسنيور بخصوص المكاتيب الواردة من البطريرك فأطلعهم المونسنيور على البراءات الرسولية والوثايق التي بيده وخاطبهم في امر المجمع الذي تمَّ في لويزة ثم عادوا الى غوسطا

يوم الاحد ٢٠ ك ٢ وصل الى لويزة الامير احمد ابو شهاب وابنهُ الامير بشير ومعهم جملة دروز متوجهين الى عجلتون لتعزية المشايخ . وبقيت المخابرة متواصلة بين المشايخ والمنسنيور الى يوم الاربعا ولكن لم تسفر عن نتيجة

يوم الخميس ٢٤ ك ٢ غادر لويزة مطران حلب جبرايل حوشب ومعهُ شماسهُ ورافقهُ راهب لبناني وشماس حتى يوصلوه الى طرابلس . ولما وصلوا الى القفر كان هناك جملة انفار رابطين للمطران وهم من ارفاق المشايخ قصدهم يمنعوا المطران عن الذهاب ويردّوا الشماس لانهم ما كانوا رضيوا بالشريعة التي صارت قدام المونسنيور والمطران عبدالله وكان مرادهم يأخذوا دراهم من المطران طالبينها من الحلبية . لكن المطران عبدالله سبق وكتب للشيخ عاد بن صخر الخازن ليلاقي المطران جبرايل حوشب ويواكبهُ حتى لا احد يعارضهُ . ولولا الشيخ عاد كان صار احتقار المطران من الناس المذكورين . وفي ذلك المساء اتوا ارفاق الشيخ جنبلاط الخازن حتى يتأكدوا اذا كان المطران سافر ليربطوا له الطريق

يوم السبت وصل خبر المونسنيور ان الشيخين صقر بن عبد الملك وذياب بن

جنبلاط لحقا المطران في اراضي البترون ومعهم جملة من اتباعهم وهناك طلبوا منهُ الدراهم المذكورة مدَّعين فيها على الحلبيين بسبب رسامته وارادوا ان يردُّوا شماسه معهم مثل رهن . وبعد معالجة طويلة كتب لهم المطران تمسكاً ان يرسل لهم دراهم بعد وصوله لحلب فما رضيوا بذلك بل طلبوا كفالة الرهبان الذين معهُ فالزمهم المطران ان يكفلوه فأطلقوا سبيله وهم رجعوا الى بلادهم

يوم الاحد ٢٧ أ ٢ وصل الشيخ موسى الخازن يسعى لتوفيق الحال بين البطريرك والمونسنيور فاراه المونسنيور المكاتيب التي ارسلها البطريرك والمطارنة بطلبة السمعاني واوامر المجمع المقدس وما رضيوا بهِ في المجمع وختموه وحرموا كل من لا يطيع والآن غيَّروا . فانذهل الشيخ من هذه الامور وغادر لويزة على ان يكتب للبطريرك حتى يحضر ويتفق مع المونسنيور وينهي معهُ هذه الامور . وحتى آخر الشهر ما جدَّ شيء سوى مكتوب من المطران الياس الى المطران طوبيا يذكر لهُ ان يأتي بالمونسنيور الى عند البطريرك حتى يصير الاتفاق على كل هذه الامور

يوم الجمعة اول شباط جاء الشيخ نوفل القنصل يسعى في ازالة الخلاف وبعد ان اطَّلع على حقيقة الامور كتب للبطريرك وللمطران الياس ان يحضروا امند المونسنيور ليتمموا اوامر الكرسي الرسولي ويصير الوفق

اعمال القاصد الرسولي الاخيرة وسفره

يوم الاثنين ٤ شباط اتى الشيخ فاضل من دير القمر ومعهُ مكتوب صحبته من الامير ملحم شهاب . ولمَّا عرف بالاحوال تعجَّب من مسرى البطريرك

يوم الاربعا ٦ شباط جاء الاب مرقس (Marc Antoine Treffons) رئيس اليسوعيين العام يسلم على المونسنيور لانهُ كان في صيدا واطَّلع على الخلاف فسدَّد رأي المونسنيور

يوم الخميس ٧ ش توجه المونسنيور الى عينطوره يرد السلام للرئيس العام وهو الاب يوسف المدبر الاول والشيخ فاضل من دير القمر وبعض رهبان وخدم . وعند المسا رجعوا الى لويزة

يوم الجمعة ٨ ش جاء اولاد الشيخ ابو ابراهيم الدحداح ومعهم الشيخ ابراهيم

الخازن ومكثوا حتى يوم السبت ووقفوا على الحوادث فخطأوا البطريرك

يوم الاحد ١٠ ش جاء القس سليمان تلميذ المدرسة الملكي للسلام والشيخ ابو كنعان غطاس البشرأني في شريعة بينه وبين اولاد صوما في بيروت

يوم الاثنين ١١ ش اتى الخوري ميخائيل شمعون الحصروني والمونسنيور منتظر مجيء ورديان القدس الذي كان وصل الى طرابلس كما اخبره اللبودي (الاب توما)

يوم الجمعة ١٥ ش وصل ورديان القدس ومعه ثلاثة كهنة وشماس فاعتنى بهم الرئيس العام اللبودي كل الاعتناء اكراماً لخاطر المونسنيور . وقبل وصولهم لاقاهم الشيخ شبل بن كنعان الخازن اخي المطران طوبيا ومعه نفر خيالة وزلام ولاقاه المونسنيور الى خارج الدير وتكلم الورديان مع المونسنيور في الامور التي ارسل الورديان لقضائها في مصر مع بطريرك القبط وغير ذلك

يوم السبت ١٦ ش توجهوا جميعاً ما عدا البلدية الى حريصا واتفقوا على السفر الى القدس . وجاء الى لويزة الشيخ كنعان الخازن وتوجه يوم الاحد مع الاب اللبودي الى عند الامير ملحم الى دير القمر لقضاء اغراض تخص المونسنيور

ويوم الثلاثا ١٩ اتى المدبر يوسف الى حريصا ليرافق المونسنيور والورديان الى لويزة . ويوم الخميس ٢١ ش عادوا الى لويزة

يوم الجمعة ٢٢ جاء المطران الياس الى لويزة ليسعى في اصلاح الامور بين البطريرك والمونسنيور ومعهُ مكتوب وكالة من السيد البطريرك فاهتما لهذا الامر . واوقف المونسنيور المطران الياس على جميع ما بيده من الوثايق والاوامر فما عاد تمالى المطران بامر من الامور ثم كتب المونسنيور للبطريرك ان المطران وصل الى لويزة . وانهُ اطلعهُ على كل شيء . وان قصده هو عمل الخير لا غير . وسلَّم المكتوب للمطران مع نسخ الحجج في نظام الديورة حتى يطلع البطريرك عليها كلها

يوم السبت ٢٣ ش غادر المونسنيور والورديان دير لويزة لزيارة القدس فرافقهُ المطران طوبيا الخازن والاب اللبودي والمدبر الاول يوسف والاخوان لفرنتيوس ولورنسيوس اللبنانيان والخوري ميخائيل شمعون الحصروني . ويومه وصلوا الى بيروت اقاموا عند ابو يوسف وكيل الرهبان

ويوم الاحد ٢٤ ش غادروا بيروت جميعهم (تمت)

مصيف حمّانا

بقلم حضرة الاب فردينان توتل اليسوعي

ايّ مصيف من مصايفنا تفضّل على سواه لنأوي اليه في فصل الحرّ ؟ ذلك مشكل لا يسعنا حلّهُ والجبال في بلادنا سلسلة محطّات حسنة المناظر غزيرة المياه صافية الهواء تمتدّ من الشمال الى الجنوب من بيلان الى صنّد وتدعو اليها القاصي والداني من وطنيّين واجانب من سكّان سورية ومصر والعراق

والحقّ يُقال انّهُ ليس مقام من مقامات الاصطياف يفاخر غيرهُ بصفة الّا كاد يضاهيهِ آخر بمثلها فيحق فيها جميعاً وصف الشاعر :

« وللمياه ابنٌ تذوب منهُ الصخورُ
وللنسيم حديثٌ على الروح يدورُ
وللازاهير فكر يرويه عنها العبيرُ
والبدرُ في الغيم يخفى آناً وآناً يثورُ
والسحبُ تبدو جوارٍ لديهِ وهو امير
تدنو اليهِ فتلقى تحيّةً وتسيرُ
مناظرٌ راقتْ مرآها القديرُ »

(ديوان خليل بك مطران ص ١٥)

وانّ حمانا مصيف من مصايف لبنان فنهُ شهرتها وبهِ تباهي غيرها من القصبات بجودة هوائها ومنافع مياهها وطيبة اخلاق سكانها

ثم ان فوائد حمانا ومحامدها مشتركة بينها وبين كثير من المدائن اللبنانية . كيف لا وعالَيه تفاخر بمناظرها وبكفيا بغاباتها وبيت شباب بكنائسها واجراسها وبسكنتا بصنبيها وفالوغا بمياهها وبيت الدين بآثارها وزحلة باسواقها وفنادقها ومدارسها

ولكن هل من مصيف يشمل هذه المحاسن كافةً كمصيف حمانا ؟ وفيها من آثار ادبيّة وتاريخيّة ومياه صحية ومناظر جميلة ومعشر لطيف ومحيط ادبي وحياة راحة

وطمأنينة ما يجعلها محجة المصطافين من مريض منحرف المزاج يبتغي العزلة عن ضوضاء العالم وصاحب عمل خطير من رجال المصارف والوظائف يتوق الى ترويح الروح والبدن بين شلالات الشاغور ومنعطفاته وكاتب اديب وشاعر رقيق يشوقه الاطلاع على اسرار الطبيعة وبدائعها فينظر اليها وهو يتغنى بذكر لامارتين الذي وصف حمانا وصفاً مسهباً وترك لها من يراعه ذكراً مخلداً

وقد أتيح لنا ان نحتسي مراراً ربوعها فراعتنا محاسنها. ومن ثمَّ احببنا ان نفرد لها مقالة خاصة بياناً لفضلها وتشويقاً لزوارها(١)

ملامحها الجغرافيَّة

اذا ارتقيت الجبل من بيروت عن طريق الشام الى محطة بحمدون الخط الحديدي والتفتَّ منها الى الشرق وقع نظرك على وادي حمانا الشهير في هذا الوادي عند مرتكز جبل الكنيسة من علو ١١٠٨ امتار وفي بقعة مساحتها تبلغ ٩٠٠٠ متر مربع شيَّد اهل حمانا بيوتهم في ارض يتخلَّلها قمم ومنعطفات مع انحدار من الشرق نحو الغرب يناهز ١٣٠ متراً

وقد منَّ الباري عزَّ وجلَّ على هذه البقعة الجميلة بهواء طيب صافٍ يهبُّ عليها صيفاً من البحر وشتاء من الشرق فتارة يحمل اليها نسمات الغاب المطيَّبة برائحة الصنوبر وتارةً ونفثات الحرّ الجنوبي فينشف رطوبتها وينشر فيها لواء الصحَّة واعتدال المناخ. فان ارتفاع الحرارة يتفاوت فيها صيفاً بين الدرجة ٢٠ و٢٦ من الميزان المئوي ويعادل الدرجة ١٤ في الشتاء. واذا نظرنا الى الخارطة وجدنا مركز حمانا في الدرجة الرابعة والثلاثين بعداً عن الخط الاستواء في النصف الشمالي من الكرة الارضيَّة. وانَّما تظلّ حمانا متمتعة باعتدال الهواء بفضل علوّها على سطح البحر

أمَّا حدود حمانا فهي في الشرق القمم التي تعلو الشاغور مع جبل الكنيسة. وفي الغرب الوادي الشهير المسمَّى باسمها. وفي الشمال نهر ابو السين. وفي الجنوب طريق الشام

(١) عوَّلنا في مقالنا عن تلبيات اخذناها من زعماء البلدة وخاصة من الاستاذ الفاضل بطرس افندي رعد

وانْ وصفها هـذا يبين انك ان موقعها على مفـارق الطرق بين شمالي لبنـان وجنوبه . وقد يحصون بالخمسين او الستين عدد السيارات التي تجتاز البلدة يومياً في فصل الصيف اياباً وذهاباً بين ظهور الشوير وبيت الدين وبيروت وزحلة . وقد بذلت هيئة بلدية حمانا همةً محمودةً في تمهيد الطرق وتهيئة سائر ما يرغبه السُّوَّاق لسيرهم من امن وراحة . فانهم يجدون في ساحة البلدة المعروفة بالميدان مياهاً غزيرة تجري ليلاً ونهاراً ومستودعات لتصليح الآلات ومخازن للبنزين . اما القرى المجاورة لحمانا فهي شمالاً فالوغا ذات المياه الصحية(١) وقرنائيل وبتختيه القريتـان الزاهيتان بنضرة الاشجار وصنوف الخضراوات وغرباً دير الحرف المنتصبة في وسط وادي حمانا على قمة عالية . وبريح والخريبة والشانية مركز البطريركية للسريان الكاثوليك سابقاً . وقبيع والقُرَيَّة المعروفة بمعامل الحرير وهذه القرى كلها عامرة حافلة بالسكان . وجنوباً صوفر والمديريج وفيهما اقرب محطات السكة الحديدية من حمـانا عن بُعد دقائق معدودة بالسيارة واقلّ من ساعة للماشي

واذ كانت حمانا ما بين تلك القرى كالنقطة في وسط الدائرة فـلا عجب ان جعلتها الحكومة مديريةً المتن الاعلى ومركزاً للبريد والتلغراف ومقاماً لكومندان جندرمة . امّا مديرها فهو الشاب الراقي والاديب الهمام ميلاد افندي رزق الله صاحب دليل الشوير وكاتب المقالات الشائقة في الجرائد . ورجال الدرك يسهرون فيهـا على حفظ الامن مع حضرة شيخها فهد وامين افندي نمر رئيس بلديتها ويبذلون قصارى الجهد في سبيل راحة الاهلين وهناء المصيفين

﴿عدد سكان حمانا﴾ خمسة آلاف منهم الثلثان مهاجرون وهم ينتمون الى ثلاث أُسر خاصّة اعني الى بيت حدشيت وهؤلاء اصلهم من حدشيت . والى بيت حـاتم واصلهم من خفد . والى بيت ابي يونس واصلهم من جبج . وفيها بيت الشيخ اسماعيل مزهر مقدَّم دروز تلك الناحية

ويقـال بالاجمال عن اهل حمانا المهاجرين انهم نجحوا في مساعيهم لانـهُ بفضل

---

(١) راجع مقالة عين الصحّة لنلاب شيخو في المشرق (١٤ [١٩١١] : ٩٠١) وقد نُشرت على حدة في المطبعة الكاثوليكية ١٩١٢

كذهم وعنانهم تجددت البنايات في حمانا تعاورها سقوف الآجر الحمراء القانية تبهج النظر بين خضرة الاشجار (١

فلا عجب ان ترى في البلدة فنادق تضاهي اشباهها في المدن كفندق بيت عساد

شلال الشاغور

١) وقد اشتهر بين المهاجرين المسمّى ادوار شهدان نمرا المولود في حمانا ونزيل الولايات المتحدة يذكر مواطنوه قوّتهُ الجبّارية بحيث كان يستطيع اذا اضجع على ظهره ان يحمل على بطنهِ حجر الطاحون . وهم ينسبون قوّتهُ هذه الى شربهِ من مياه حمانا

٢) هذه الصورة والتي بعدها من تصوير فارس اخوان في حمانا

المعروف بشاغور بالاس (Chaghour Palace) ولوكندة القدري ولوكندة نسيب حاتم واوتيل عين الحصي

مياه حمانا

تمدّ ينابيع حمانا بالمشرات فهي تترقرق ليلَ نهار بين البيوت والبساتين فلا

جنادل الشاغور في اعلاه

يتفك خريرها مسموعاً . ونذكر أننا في اوّل ليلة قضيناها هناك أفقنا من نومنا اذ سمعنا صخب مياه جرّارة تدوي . فخيل لنا أنهُ من انواء الشتاء فنظرنا واذا اديم السماء نيّر

صافٍ . فعلمنا انها مياه الشاغور المتحدرة من اعلى حمانا الى اسفلها فلا يفتر ضجيجها ولحمانا من العيون ما لا يكاد يحصى كعين الصفصافة وعين روفائيل وعين العصافير وعين المرقب وعين النسور وعين الحاووز وعين سلطان سرجل وعين بو حاتم

امّا لو شئت ان تتبع اثار مياه حمانا من مجاريها الى ينابيعها وجدتها على هيئات تأخذ بمجامع البصر فمنها ما ينساب في المروج انسياب الحيّات . ومنها ما يجري في الجداول كاللجين . ومنها ما ينبع بين الصخور فيتدفّق ويتهافت الى بطن الوادي . واذا ملكها الشاغور ينبجس من ينبوعه طافحاً صاخباً مسرعاً الى الانحدار تتلاطم امواجه بالصخور فتفور وتزبد حتى اذا غلبتها ولم تجد في سبيلها عائقاً ترامت بلجيج هائل من سطح الجبل الى اعماق الوادي تتبلغها متكسّرة متناثرة تملأ الفضاء رذاذاً تظهر من خلاله الوان قوس قزح . تلك شلالات الشاغور الشهيرة

كلّ هذه المياه تروي حمانا وتسيل الى بيوتها ومنها ما ينبع بجوارها فانّ حولها ما ينيف عددهُ على مئة عين . ومما يدلّ على غزارة مياهها انّ عدداً عديداً من الطواحين تدور على مجاريها . وهي تولّد الكهربا في المعمل الذي شاده حضرة الوجيه فهد شيخ البلدة فينير بضيائها البيوت والازقّة . وكم هناك من القوى الطبيعيّة لا تزال ضائعة ريثما يقوم احد رجالها ذوي الاريحيّة فيستفيد منها لتدوير المعامل فتزيد بها ثروة البلاد

وممّا سُرَّ به اهل حمانا اكتشافهم حديثاً على نبع يدعونهُ عين الميطرة واقبلوا على مياهه لفوائدها الصحيّة فعرضها شيخ البلدة على استاذ الكيميا الطبيّة في معهد الطبّ الفرنساوي الدكتور جيج ليحللها فاستحسنها ووجد انّ ماءها شروب لا يصيبهُ فساد اذا حُفظ في القناني

ولا عجب بعد هذا من خصب تربة حمانا التي تزكو فيها المزارع من حبوب وبقول واشجار مثمرة كالكرز والخوخ والتفّاح والتين والكرمة والتوت . ولفاصولية حمانا واشكالها الخمسة شهرة واسعة يقدّرون غلّتها السنويّة بثلثمائة وخمسين قنطاراً واشهرها الفاصولية البيضاء البالغ مقدارها ٢٠٠ قنطار . ويستغلّون من بقيّة المزروعات ما يساوي نحو ٣٠٠٠ ليرة سوريّة . لكنّ قمحها لا يقوتها الّا ربع السنة

ولحمانا بعض الموارد المالية من السائمة فيرعى في ربوعها زهاء الف رأس غنم كل رأس غلّتهُ خمس ليرات سورية . وفيها من الابقار عدد يصلح لفلاحة اراضيها ويزيد عنها

امّا ﴿الصناعة﴾ فلحمانا فيها مكانة ممتازة للحرير . لها خمس معامل يبلغ عدد دواليبها ٢٧٠ يشتغل فيها ٣٠٠ عامل يحلّون في العام زهاء خمسة عشر الف اقة من الفيالج ويحوّلونها الى ١٥٠٠ كيلو من الحرير يبيعونه امّا في سوق ليون في فرنسة واما في دمشق الشام

وبما ان موقع حمانا الجغرافي يجعلها محجّة القرى المجاورة فلا يزال سوقها رائجاً حافلاً بسائر ما يحتاج اليه القرويون للمأكول والملبوس والسكنى . وربّ رجل يحتاج الى عامل نشيط حذق يطلبهُ في انحاء الجبل فلا يجده ويصادفهُ في حمانا . وحسبي في هذا الصدد ذكر المعلم سليمان داود ايوب السنكري فانهُ اتقن مهنتهُ في البرازيل وعاد الى بلدته بآلات حديثة الطرز تمكنه من صنع اواني شتى ومعدات نافعة جداً لترتيب المنزل وذلك باتقان وبسرعة مدهشة . فيتهافت المواطنون على معمله من حمانا وجوارها

تاريخ حمّانا وآثارها

قد ذهب المفسرون الى آراء متباينة في تفسير اسم حمّانا نرويها هنا على علّاتها . فزعم بعضهم دون سند بانها بمعنى العبرانيّة يُراد بها الموقع العالي . ومثلهُ ضعفاً قول غيرهم انها حمّون البلدة المذكورة في سفر يشوع (١٩ : ٢٨) ومن المعلوم انّ حدود بني اسرائيل لم تمتدّ الى هذه الانحاء من لبنان . ودون ذلك صحّة قول بعضهم انّ «حمّانا» هي العربيّة «حمّانا» جعلها بعض الامراء تحت حمايته فنسب حماها الى شخصه

ويظنّ غيرهم انّ بين اسم حمّانا والإله الفينيقي حمّون علاقة . وليس ذلك بالامر المستبعد . ولعلّ الاصحّ ان يُرجع في تفسير اسم حمّانا الى اصل الكلمة في اللغات السامية عموماً الى ثلاثيّ الكلمة «حمم» بمعنى الحرارة والسخونة اشارةً الى ما كان فيها قديماً من المياه المعدنيّة فيستحمّ الناس في مياهها والله اعلم

وما لا شكّ فيه انّ حمّانا يرتقي اصلها الى ما قبل عهد المسيح فيُستدلّ على قدمها بما عثروا فيها مراراً من نواويس وآنية خزفيّة كالآثار الموجودة في القبور والمقابر الفينيقيّة . وقد وجدوا عند سفح الجبل المؤدي الى الشاغور حجاراً كبيرة اشبه بحجارة الابنية الرومانيّة في هياكل جديتا والفرزل وبعلبك . وروى لنا الثقة انهم وجدوا باباً من الصوّان يدور على نجران (جارور) مثله وقد بقي دفيناً تحت البناء الذي شادوهُ

فوقه . وقد عثروا كذلك على طائفة من النقود القديمة فلعبت بها ايدي الضياع

وفي اعالي الشاغور كهف كبير في جوف الصخر يؤدّي الى ممرّ ضيّق واطئ لا يجتازهُ الرجل الّا زاحفاً على ركبتيهِ فدخلناهُ ولم نبلغ الى نهايتهِ فذكّرنا بكهوف نهر الكلب الشهيرة

امّا تاريخ حمّانا الحديث فأجلى بياناً . فانّ المسلمين ثمّ الدروز سكنوها منذ عدّة قرون . ومن الآثار المثبتة بذلك صفيحة ضريحيّة منقوشة جميلة الصنع يحفظها آل مزهر في دارهم في حمّانا وعليها كتابة تشير الى وفاة احدهم في القرن التاسع للهجرة والخامس عشر للمسيح هذا نصّها :

الله

بسم الله الرحمن الرحيم

درج بالوفاة الى رحمته تعالى المقدّم صارم الدين ابن ابرهيم ابن مزهر ابن ابرهيم ولد حسين ابن محمد

ربيع الاول سنة ثمانية وثمانين وثمانمائة (١٤٨٣م)

وكان الدروز في حمانا ينقسمون الى اربعة بطون : ١ً بيت مزهر وهم المقدمون . ٢ً بيت التيماني ولا زال منهم الى يومنا بيت فليفل . ٣ً وبيت شيطيح . ٤ً وبيت عبيد ومنهم بيت بيادر في يومنا

واول من استوطن البلدة من المسيحيّين على ما يُروى الخوري عبدالله الحدشيتي اذ تدخّل بين الدروز وهم على اهبة القتال بعضهم لبعض فصالحهم فعرفوا فضله عليهم فملكوه ارضاً في بلدتهم وعلى هذه الصورة رسخت قدم المسيحيّين في حمانا

وفي ذلك العصر (الخامس عشر للمسيح) كان الحكم لمماليك مصر في سوريا وكان لبنان قد ناله ما نال سائر البلاد من النكبات بالحروب المتواصلة (١

وظلت حمانا قرية درزية حتى النصف الاول من القرن التاسع عشر لان الشاعر لامارتين زارها في العام ١٨٣٣ فوصف قصرها وصفاً مسهباً بالغ فيه مبالغة الشعراء

١) (راجع تاريخ بيروت وامراء الغرب لصالح بن يحيى)

وذكر شيخها وهو آنئذ في عزه فقال :

« على مشارف وادي حمانا بدت قرية احدثت منذ اسمها فدعوها حمانا وهي درزية . طرحت مطارحها على الحروم والصرود المتصلة بالثلوج الابدية وبنت لشيخها داراً في القمة المتوسطة العليا وتسورت بغديرين عميقين يزبدان بين الصخور المتراكمة فلا يجتازهما المسافر الا على اخشاب من الصنوبر مغشاة بالتراب . . .

« اما قصر الشيخ فهو اظرف ما رأيته من بعد قصر الامير بشير في دير القمر وهو يحاكي جماله ابدع ما ابتدعه الطراز البيضوي (١) في بنايات قصورنا في القرون الوسطى . وقد عُقدت منافذه بالقوس البيضوي على الطرز القوطي وازدانت بالمشارف واتسع بابه وتجلى برسم ناتئ من فوق كأنه الرواق على عتبة الدار وعلى جانبي الباب عمدان من الحجر المنقور المرشي وامام الباب سبع او ثمان درجات حجرية على شكل مستدير ينحدرُ منها الى باحة واسعة مظللة بشجر الميس في وسطها حوضٌ من الرخام يتبجس منهُ الماء

« وهناك سبعة او ثمانية رجال من الدروز تسلحوا وبرزوا بثيابهم الفاخرة الزاهية الالوان معصّبين رؤوسهم مضخّمين عمائمهم واقفين وقفة الشجعان كانهم يلتمسون امر زعيمهم

« وكان ايضاً هناك عبدان اسودان عليهما ثوب ازرق وغيرهما من العبيد والغلمان فاموا يلعبون على الدرج في محضر من الشيخ وهو جالس على الباب تحت القنطرة بيده الغليون وعلى اكتافه وشاح احمر ينظر الينا بعينه نظرة العظمة والكفاءة

« وزد على ذلك امرأتين في ريعان الصبا والجمال احداهما متكئة على المنافذ العالية والاخرى واقفةً في المشرف فوق الباب »

على انه لم يبقَ من هذا المجد الباذخ والعزّ الشامخ الّا اثرٌ بعد عين فلا يجد منه الزائر في الحاضر الّا الباحة الشمالية يظللها شجر الميس . امّا الباب القديم فقد تغيّر هندامهُ وتجدد بنيان القصر فاصبح داراً يسكنها الخواجا بشاره روفائيل مدير البوسطة والتلغراف والمقدّمان اسماعيل ورشيد مزهر الدرزيان

والمرجّح ان معظم الدروز أجلوا عن حمانا بعد الحوادث المشؤومة التي سالت فيها دماء المسيحيين وحُرقت بيوتهم في العام ١٨٤٥ وخاصةً في العام الستين . ولم تخلُ آنئذ أُسر كريمة من الدروز حافظوا على حرمة الجوار ودافعوا عن مواطنيهم بشهامة . ففي تلك السنة التعيسة كان عدد وافر من المسيحيين قد لجأوا الى بيت المسيو برتران الافرنسي . فادركهم العدو ليعمل فيهم السيف واذا بدرزي اسمهُ حسين بو حسين من قرنائيل اتى لنجاتهم فاخرجهم من باب سرّي الى موضع امين ظلوا فيه الى ان رافتهم

(١) تعريب (ogival) بالبيضوي اصلح ما يُعبَّر به عن قوس مكسور على هذا الشكل . يشبه حنايا البيضة . والبنّاؤون حاضراً يدعون هذا الشكل بدائرة البيضة كما قال لي احدهم

النجدة من العسكر الافرنسيين . ولما احتل الافرنسيون الجبل نزل منهم ٢٠٠ في قصر مقدم الدروز في حمانا

وبعد حوادث السنين اخذت حمانا تترقى شيئاً فشيئاً لاسيما بعد أن فُتحت طريق العربات بين بيروت ودمشق سنة ١٨٦٣ وكانت حمانا قبل ذلك الطريق المسلوكة بينهما تمرّ بها القوافل والمُكارون . وكان سكّان حمانا مشهورين بنخوتهم وعطفهم على ابناء السبيل فاذا اصيبت قافلة بانواء الشتاء في اعالي الشاغور واحاط بهم الضباب فضلّوا الطريق استصرخوا اهل حمانا فينهضون لنجدتهم ويطلقون بنادقهم ليعرف بعضهم بعضاً ويرتشد الضالّون بعلاماتهم ولا يعودون حتى يسلم المسافرون من الهلاك وهم لا يتقاضون منهم اجرة عن هذا الفعل المبرور

وفي احدى السنين أصيب بمثل هذه الداهية احد باشارات الاتراك وكاد يتلف بين الثلوج المتراكمة لولا نخوة اهل حمانا الذين سعوا في نجاته فوعدهم بتخفيف ضرائب الدولة عنهم مكافأةً لمروءتهم

وكان في محلّ الشاغور مجاز يصعب على المسافرين قطعهُ وكثيراً ما هلك الناس عندهُ كان يُدعى بالمغيطة فضربهُ العامّة مثلاً اذا دعوا على احد بالهلاك فيقولون « يا ليتك تضحك بالمغيطة » مشيرين الى الميت الذي يكشّر عن اسنانه عند هلاكه بالبرد

وكلّ هذا قد دخل اليوم في خبر كان يفكه به الشيوخ اولادهم

ومنّن اشتهروا في القرن السابق من اهل حمانا عبد حاتم المولود سنة ١٨٠٩ والمتوفى سنة ١٨٨٦ دخل في خدمة حكومة لبنان في عهد الامير بشير فقدّر خدماته ورفع مرتبتهُ ثمّ تقلّب في مناصب الحكومة بعد حوادث السنة ١٨٦٠ حتى سنة وفاته مع تغيّر حكّام الجبل فخدم بلادهُ بكل نزاهة نحو خمسين سنةً . وكان على جانب عظيم من التقوى وروح الدين يلازم مناولة الاسرار المقدّسة ويصوم يومي الاربعاء والسبت على الخبز والماء ولا ينقطع عن الصلاة

ومنهم ايضاً المرحوم ضاهر نجم الذي خصّ نفسهُ بتعليم صغار وطنه قبل ان تفتح المدارس في الجبل . ولسنا ننسى ذاك الاستاذ النشيط المعلّم ناصيف الزغزغي الذي نشأ في حمانا ثمّ خدم الناشئة بنشاط لا يعرف الملل لاسيما في بكفيا تحت نظارة الآباء اليسوعيين فهذّب كثيرين من الرجال الذين يفاخر بهم وطنهم حاضراً

الدين والعلم في حمانا

في حمانا ثمان كنائس اربع منها للموارنة وهي تحت اسم المخلص والسيدة ومار جرجس ومار رومانوس وفيها كنيسة للروم الكاثوليك وكنيسة للروم الارثوذكس. وهناك معابد غيرها منوط امرها بالرهبانيات اعني كنيسة مار انطانيوس للرهبان اللبنانيين وكنيسة دير راعي الصالح ومعبد راهبات القلبين الاقدسين

ومن الامور المقرَّرة تقوى اهل حمانا وغيرتهم على دينهم وكنائسهم واكرامهم لشفعاء بلدتهم. فمن العادات المألوفة عندهم انهم اذا احتفلت كنيسة بشفيع لها تقاطر اليها جميع المؤمنين لاكرام صاحب العيد وفيها يقيم كهنة البلدة جميع القداديس

ولراهبات القلبين الاقدسين فضل عظيم في نجاح الاخويات المرعية للنساء والفتيات اللواتي يلتئمن يومي الاربعاء والاحد في كنيسة السيدة لاكرامها

ومما راقنا الاطلاع عليه من آثار البلدة هو كتاب وقائع دير راهبات القلبين الاقدسين فكأنه ملخص تاريخ البلدة الديني منذ دخلتها الراهبات الى يومنا اي من ٥ كانون الاول من العام ١٨٩١ اذ فتحت الاخت مرغريت شامي والاخت مريم خوري مدرسة حمانا لاول مرة. وقد اثمرت مجهوداتهن ثمارًا يانعة لان المدارس في حمانا زاهية مزدهرة تأوي اليها الناشئة كما تأوي الطيور الى اغصان الاشجار الفتانة

وللصبيان في حمانا مدرسة عامرة معهود تدبيرها الى الاباء اليسوعيين ينيف عدد تلامذتها على المئة. وفي اعالي القرية بجوار دير مار انطانيوس مدرسة اخرى داخلية للبنات منوط شأنها براهبات الراعي الصالح عدد تلامذتها ينيف على الثمين بين فتيات يقصدنها لطلب العلم ويتيمات يجدن فيها عناية تنوب عن فقد ابويهنَّ وقد يتقدمن الامتحان السنوي للحصول على شهادة الحكومة للتعليم الابتدائي

ولراهبات القلبين الاقدسين مدرسة اخرى للبنات ينيف عدد تلامذتها على المئة. كل هذه المعاهد تجمع على مقعد واحد المسيحي والدرزي والماروني والارثوذكسي وتلقنهم مع العلوم المحبَّة المتبادلة بين جميع العناصر ومعرفة واجباتهم نحو الله ونحو البشر

ومما لا يمحى ذكره مع تعاقب الايام هو العناية التي بذلتها الراهبات ايام الحرب العظمى في تربية الايتام فقد كنَّ لهم امهات حنونات والبعض منهم قضين نحبهن في

خدمة هؤلاء الصنار فاستحقّقنَ ان ندوّن ذكرهن في هذه الاسطر دليلًا على شكر حمانا ومعرفتها للجميل

ولا بأس ان نختم هذه المقالة بأسطر مما تغنّى به الشاعر لامرتين في وصف حمّانا لمّا مرّ بها في ربيع سنة ١٨٣٣ بعد فقده لكريمته جوليا في بيروت فكأن منظر حمّانا لطّف شيئاً من لوعته فافاض في وصفها

اليك بعض ما قاله وهو مطلّ على حمّانا من اعالي الجبل

«وادي حمّانا مسرحُ الجمال فهو ابهى ما يُتاح لعين انسان ان تحدق به في محاسن الخليقة ، هناك غورٌ حالك الظلمة عميق تخالهُ كهفاً منقوشاً في مشارف الصخور التي تكسوها الثلوج اللبنانيّة ، هناك سيلٌ مزبد ينحدر هابطاً من صخرة الى صخرة ومن درجة الى درجة فيخترق بجنادله اعماق الغور ويخدُّ له بسيله اخدوداً نيّراً رجراجاً . . .

«على الآكام المحدقة به ضيعٌ تفصلها بطاحٌ واخباد يظللها الصنوبر ، هناك دير جميل تحدق به المراقي المزدرعة التي تسقيها المياه الغزيرة المنحدرة عن شلّالات لا يُحصى عدُّها . . .

«يدالي وادي حمّانا والشمس ترسل على مشارفه اشعّتها الاخيرة فتكسو بأنوارها سطوح البيوت ورؤوس الاشجار وقمم الجبال بينما تتفجّر المياه الفوّارة من شقوق الصخور وتهبط من جهات الجبلين فتترسّب بيضاء كاللجين ناصعةً كالثلج على شكل ذراعين جبّارين قد همّا بتطويق ارضٍ افسحت ركناً للاديرة والقرى وتربةً يُنشب فيها الصنوبر جذوره . ويُسمع هناك عجيج يضجّ له الفضاء فتحسبه ابواق ارغنٍ عظيم تملأ اصواتها ارجاء الكنائس . . .

«جمال الطبيعة في الجبال شجاً وورعٌ وحنينٌ وهواجس تضغط على القلب كالصلاة في ساعة المصيبة والاسى . . . سرنا على اطناف المشارف تحفُّ بنا المياه منهالة على رؤوسنا تسيل كأنها المراريب وتنصبُّ من سقوف الجبال الشامخة على سفوحها » . . .

وقد اتّسع لامرتين في وصفه فزيّن حمانا وربوعها ووادبيها بحلى من قلمه الفنّان حتى نُسب الى الغلوّ . لكن في وصفه مسحة من البهاء الذي كسا به خالق الكون جبلهُ لبنان فلهُ سبحانهُ وتعالى العزّ والمجد في سائر مخلوقاته

شعراء النصرانية بعد الاسلام

شعراء القرون المتأخرة مباشرة بالقرن الرابع عشر

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

١٤ الخوري نيقولاوس الصائغ

لا يمكننا ان نفصله عن معاصره السيد جرمانوس فرحات فانهما كانا كالفرقدين في سماء الكنيسة الكاثوليكيَّة بل كشقيقين في خدمتها. وقد تشابها في امور كثيرة فكلاهما من وطن واحد وكلاهما آثر المهاجرة الى لبنان وكلاهما عدل عن العيشة العائليَّة الى التنسك في الرهبانيَّة وكلاهما رأس زمناً طويلاً رهبانيَّتهُ وكلاهما نبغ بالكتابة نثراً وشعراً وتوفيا قبل الشيخوخة البالغة

ترجمتهُ وُلد المترجم في الشهباء في السنة ١٦٩٢ من ابوين ملكيَّين عريقين في الفضل والتقوى وكان ابوهُ صائغاً فأُطلق على ابنهِ نيقولاوس اسم الصائغ ونشأ في حجر والديهِ فتًى صالحاً ذا تقى وذكاء عجيبين. ولمَّا ترعرع أُنس في محيطهِ تلك النهضة الادبيَّة التي استفزَّ لها الشبَّان الكاثوليك في حلب فكانوا الاساس الاوَّل للمسرح الادبي الذي تشيَّد بعدهم في ربوع سوريَّة فانضمَّ اليهم نيقولاوس واستقى من مورد الذين سبقوهُ ولاسيما جبرائيل فرحات فاتَّخذهُ كدليلهِ واستاذهِ كما اعلن بهِ في ديوانهِ حيث قال في مديحهِ (من الطويل):

إمامي وذُخري بل غَنائي ومَغنمي ... غَنِمتُ بهِ غُنماً تَجِلُّ غنائمُهْ
فان يَكفر الإحسانَ من ليس شاكراً ... فأَشبَهُ بالكفران من هو كاتِمُهْ
حلبتُ بهِ وُسعَ الإناء معارفاً ... يُلازمني جُنحَ الدُّجى والأزمُهْ
جنيتُ ثمار الحمد من دوح فضلهِ ... وزَهوَ ثناء عنهُ شُقَّت كمائمُهْ

ولمّا عرف انّ بعضاً من اهل وطنهِ انقطعوا الى الله في لبنان شعر بالدعوة الى الرهبانيّة فودّع الشهباء سنة ١٧١٦ وتنسّك في دير مار يوحنّا الصابغ في قرية الشوير. وما عتم ان وطّن نفسهُ على الفضائل الرهبانيّة حتى عُدَّ من ارسخ الرهبان قدماً في ممارسة العيشة الفضلى وفي العلوم الدينيّة فرُقّي الى درجة الكهنوت سنة ١٧١٩ بوضع يد السيّد سلفستروس دهّان مطران بيروت

ومذ ذاك الحين أُسندت اليهِ مهامّ رهبانيّتهِ الخنّاويّة الكريمة فقام بها قيام الرجل المحنّك الحازم الذي لا يثني عزمهُ شيء من المحن والمشقّات. فعرف اخوتهُ انهُ مختار من الله ليدبّر جماعتهم وينظّم امورها فوقع عليهِ اختيارهم للرئاسة العامّة سنة ١٧٢٧ ثمّ عادوا وكرّروا انتخابهُ في تسع مجامع متوالية الى السنة ١٧٥٦ فعُني بامور الرهبانيّة الخنّاوية عناية تامّة ماديًّا وادبيًّا وروحيًّا. فمن فضلهِ ومن مالهِ الخاصّ بنى لدير الشوير كنيستهُ على اسم القديس نقولاوس شفيعهِ وشيّد عدّة قلالي لمأوى الرهبان واهتمّ بادبرة الرهبانيّة الثلاثة التي كانت لها في لبنان ورأس بعلبك وفتح للعابدات دير سيّدة البشارة في الزوق واقام هناك ديرًا على اسم الملاك ميخائيل وبمساعيهِ فُتح دير مكين (دير الشير) وزحلة (مسار الياس الطرق) ونال من مكارم الحبر الاعظم ان تعطى لرهبانيّتهِ في رومية كنيسة سيّدة السفينة (Navicella). واليهِ يعود الفضل بوضع القوانين لرهبانيّتهِ التي اثبتها الكرسي الرسولي سنة ١٧٥٧. واكتسب بحسن ادارته وسياستهِ ثقة اعيان الجبل حتى مشايخ الدروز والمتاولة. وكانت وفاتهُ في اواخر السنة ١٧٥٦ في ١٧ كانون الاوّل منها ودّع الحياة بكل ورع وطمأنينة وخشوع مزوّدًا بكل اسرار الكنيسة وذلك في قرية الزوق في دير مار ميخائيل

﴿ادبيّاتهُ وشعرهُ﴾ كان الخوري نقولاوس الصائغ مولعاً بالآداب العربيّة منذ حداثة سنهِ. ومع كثرة اشغالهِ بعد الترهّب لم يزل يرنّ قلمهُ في الكتابة والتأليف. فممّا يروى لهُ تاريخ الرهبانيّة الخنّاويّة ومواعظ لآحاد واعياد السنة ورسائل مختلفة بعضها في شؤون خاصّة وبعضها ادبيّة محضة

امّا شعرهُ فعُني معاصروهُ من اخوتهِ الرهبان بجمعهِ في ديوان كبير سبقت مطبعتنا الى نشرهِ كنشرها ديوان زميلهِ جرمانوس فرحات فكان ظهورهُ لاوّل مرّة سنة ١٨٥٩. ثمّ اعاد فيهِ النظر المرحوم الشيخ ابرهيم اليازجي فنقّحهُ وطُبع بعد ذلك مرارًا

وان أعملنا في هذا الديوان نظر الانتقاد امكننا ان نعارضهُ بشعر استاذه المطران فرحات فقد عالج مثلهُ فنون الشعر حين لم يرسخ بعد قدم النصارى بكل دقائق العروض فتسامح كلاهما بجوازات لم يأذن بها الشعراء المتقدمون. وانما يشفع بهما انهما كانا من المقدَّمين في النهضة الادبيَّة المستحدثة . .

وما لا ينكر انَّ الخوري نقولا الصائغ نفساً شعرياً في كثير من قصائده لاسيما تلك التي أنشدها في وصف العقائد الكاثوليكيَّة وفي الدفاع عن حوض الدين بازاء كنيسة الروم المنفصلة التي تحاملت في عهده على الذين ارتدُّوا الى الكنيسة البطرسيَّة فذهب بعضهم ضحايا تعصب النوتيوسيين فتراهُ يخوض في اسرار البيعة وتعاليمها الغامضة فيقرّبها الى الادراك بشروحهِ وتشابيهِ الرائعة كما تراهُ في قصيدتهِ عن انبثاق الروح القدس من الآب والابن التي اوَّلها (من الطويل) :

رأى الله كلّياً بمرآة ذاتهِ ... وذاك بفعل العقل فانطبعت طبعا
وقام بهذا صورةً جوهريَّة ... لما كانتِ الأعراض عن ذاتهِ منعا
فمن عقلهِ النطقيّ أصدر كلمةً ... هي ابنٌ لهُ يُسمى ومولودهُ يُدعى

الى ان قال:

وما الروحُ إلَّا صادرٌ من كليهما ... كنفحة حبٍ شأنهُ الجودُ والإرعا
تعالى عن الاشباه والمثل نخلةٌ ... هو الآبُ إصٌ منبتٌ خصبهُ جذعا
كذاك وهذا الجذعُ أطلعُ طلعةً ... فقُل أنما الاثنانِ قد بثّا الألمعا
او الآب شمسٌ والشعاعُ ونورهُ ... هما الابنُ والروحُ اللذان أرسلا شفعا
او الآبُ عينُ الماء والابن نبعها ... وروحهما الماءُ المفاضُ كما يُدعى
او النفس ذات قوًى ثلاثٍ وانها ... لواحدةٌ ذاتاً فثِقْ واحذر الخدعا

ومن قصائدهِ الرنَّانة ما قالهُ في مديح البيعة الرومانيَّة يقابل بين زمانها ونفاق

بيعة القسطنطينية كقصيدته القافية التي ختمها بقوله (من الرجز) :

إحفظ بيمنك أمة ليست بغيرك واثقة
بمريم الطهر التي هي خير بكر عانقة
لها سلام الله من كل البرايا الناطقة

ومنها موشحة الشهير الذي يصف فيه عناد المكابرين للحق :

يا لقوم قد تناهى وانتشر غيهم في كل قطر واشتهر
ايها القوم الذين انتجعوا نجعة الاغواء حتى انفجعوا
يا لقومي هل لكم ان ترجعوا فلقد امست حكاياكم سمر

يا لقوم

ومثلها قصيدته في رئاسة القديس بطرس على الكنيسة وسلطانه المطلق وقيام خلفائه الاحبار الرومانيين في كرسيه اولها (من الطويل) :

أماناً لبنيان غدا أسه الصفا هو الراسخ الاركان والثابت الاصل
فهذا الاساس الصلد بطرس صخره م الامانة والأس الذي ما له مثل

وهي طويلة وكلها بدائع . وله ايضاً يستقبح الانشقاق ويندد بالذين كانوا سبباً له فقال في قصيدة لامية تبلغ ابياتها نحو ٢٥٠ بيتاً اولها (من الكامل) :

للانشقاق الرذل شر معاني في أمره قد حار كل معاني
كم ذا أكابد من مكايد حربه بفؤادي العاني به وأعاني

وللخوري نيقولاوس ما عدا هذه القصائد الدينية الرنانة منظومات عديدة جارى

فيها مشاهير الشعراء بعضها في الآداب الاجتماعية وبعضها في وصف الاخلاق. وقد تفكه في كثير منها فروى فيها الالغاز والاحاجي والتواريخ ولهُ بديعيتان لطيفتان وارجوزة طويلة في الصلاة وشروطها وطرائقها. ومع ضخم ديوانهِ لا يزال لهُ قصائد متفرقة لم تُنشر بالطبع وجدناها في بعض النسخ الخمس التي في مكتبتنا الشرقية منها بائية في نحو ثمانين بيتاً انشدها سنة ١٧٢٤ وصف فيها نكبات الدهر وسوء معاملات بعض اخوانهِ المتقلبين عليهِ هذه نخبةٌ منها (من مجزوء الكامل) :

ذا الدهرُ ميدانُ المصائبْ وبنوهُ فُرسانُ المعاطِبْ
ما هذه الدنيا التي هيَ للورى وادي المتاعِبْ
فخَ البلايا والرزايا والدنايا والمصاعِبْ
دهرٌ عجيبٌ لا ترا لُ صروفهُ تُبدي الاعاجِبْ
تأتي بكلّ غريبةٍ حتى ترى منها الغرائبْ
في كلّ يومٍ نكبةٌ محمولةٌ فوق المناكِبْ
وبليّةٌ قد أوقرتْ مَتْن الكواهل والغوارب

الى ان خصّص بالملامة مَن خان وداده فقال :

ابناء امي أغرضو ني والسهامُ أتت صوائبْ
لو أنّ يعيّرني الاعا دي لاحتملتُ ولم أعاتِبْ
او انّ ضدّي غرّني ما كان ذاك من الغرائبْ
بل يا شقيق الروح انت م كسوتني ثوب المثالِبْ
وجعلتني غرضاً لسهم م منك راشقة المعايبْ
هذا جزا من كان لم يتحامَ عن حُمَةِ اللواسبْ

لدَغَ الفؤادَ ولم أقلْ هذا الفتى نَسْلُ المقاربْ
ما زلتُ امدحهُ واشكر م وَهو لي هاجٍ وثالِبْ
لا غروَ من رَوغانهِ اذ هذهِ سِمَةُ الثعالِبْ
ذا طبعُهُ لا تعجبوا لفعلهِ فالطبعُ غالِبْ
فذَرُوا ملامتَهُ لانّ م اللومَ عندي غير واجبْ
ذا مُكسِبي صَفحَ الاذى فالصفحُ من أسنى المكاسِبْ

ومما قالت جامعي ديوان الخوري نقولا الصائغ قوله في مديح مريم العذراء (من الكامل) :

انَّ البتولةَ ذاتُ امرٍ نافذٍ تَنهى وتأمرُ في الأنام وتَحكُمُ
ذاتُ المقام السامي في فلك العُلى في حكمها كلُّ القضاء مُسلَّمُ
هي مَعقِلُ المستجير وملجأ م المُستغيثِ وجَنَّةٌ لا تُثلَمُ
بكرٌ تَسامى فضلُها فهي التي من مُستميحِ نوالها لا تَنامُ
خيرُ الفدى بحرُ الندى وردُ الصَّدى كنزُ الجدى تهبُ العطاء وتُنعِمُ
تَعنو لخدمتها البريَّةُ أسنَلا ولها الملائكُ في الاعالي تخدِمُ
قد قوَّضتْ ظُلَمَ الضلالِ لأنها عَلَمُ الهدايةِ والطِرازُ المُعلَمُ
هي مَسكنُ الله العظيم وانَّها قدسُ المقادسِ والحِباءُ الاعظمُ
والكوكبُ السَّحريُّ نورُ العرشِ مَنْ دانت لهُ شمسُ الضُّحى والأنجمُ
هذي هي الحجرُ الكريمُ قد اجتبا دُوهامَ فيهِ الفيلسوفُ الاكرمُ
مُذ حلَّ فيها عاقدًا جسماً لهُ على انهُ بقُنومهِ متقسِّمُ

متنزّهاً لاهوتهُ عن لازمٍ لكنّما ناسوتُهُ مستلزمُ
ربٌّ بسيط جسمهُ متركّبٌ يمشي فيعيا او يجوع فيطعَمُ
فَنُونُهُ فَذٌّ وليس بتوأمٍ وكلا الطبيعة والمشيئةِ توأمُ
يا عُمدتي في شدّتي ومعونتي ببليّتي والفوزُ فيها يعظمُ
فلأمدحنَّك ما حييتُ وإن أمُتْ فلتمدحنَّكِ تُربتي والأعظمُ
حقٌّ على الافلاك مدحُك في العُلى لو كان للافلاكِ نُطقٌ او فمُ
فعلى مديحك أجمعت وتجمّعتْ عربُ البريّة كلّها والأعجمُ
أهديكِ بكرَ الفكر خيرَ خريدةٍ في بحرها دُرُّ المديحِ مُنظَّمُ
برَعَ الختامُ بها بمسكِ ثنائها أعظِمْ بمدحٍ بالّطائمِ يُختَمُ

وروى له مكرديج الكسيح في ريحانة الارواح قوله في العدوّ والصديق الماذق (من السريع) :

كم من عدوٍّ نلتُ خيراً بهِ كم من صديقٍ حزتُ منهُ الأسى
فاحذَرْ أيا ذا الحزم يا ذا النُّهى من روح ذي بغضٍ لك ان تيأسا

وروى له ايضاً (من الخفيف) :

يا بُنيَّ كن شاكراً غير شاكٍ كي ترى الله في بلاكَ مُعينا
ليس بُدٌّ من القصاص ولكن إن يكن هاهنا فألطفُ لينا
انّ اوجاع ذي الدُّنى لا تُوازي ذاك المجدَ حين يظهرُ فينا

ومن اقواله التي لم تُرَ في ديوانهِ قوله يصف الشباب وشهواته (من الوافر) :

اذا ما الشابُ شابَ وشبَّ فيهِ لظى الشهواتِ يستعر استعارا

فيشبهُ رُبّى يعلوهُ ثلجٌ ويقذف جوفهُ شرراً ونارا

وللخوري نقولا الصائغ رسائل نثريّة كتبها في اغراض شتى وربّما تأنق فيها وزانها بضروب السجع والجناس. وها نحن نضرب منها مثلاً وتلك رسالة وجّهها الى احد مشاهير رهبانيّة الخوري يواكيم مطران البعلبكي (اطلب كتابنا المخطوطات العربيّة لكتبة النصرانيّة ص ٩١) ذكر لهُ فيها ما اصاب رهبانيّتهُ من النكبات بفعل بعض المعادين وقد ضمّن هذه الرسالة اشارات لطيفة الى العلوم المختلفة كما سترى في الالفاظ المخطوط عليها قال :

﴿اقتباسات من علوم الصرف والنحو والبديع﴾ من بعد تقبيل يديكم والتماس دعائكم. انّهُ يليقُ بي ان ابثّكم شرح ما توجّه من امرنا مع الناكري المعروف ولا نلقي عوامل الجزم على مُعتلّها بل ننحوها بصحّة سالمة ولا نغفل عن الحاق وصف مُبتداها وخبرها. ولولا منازعة الهموم التي اوجبت الاشتغال ولم تدع لنا حالاً ولا تميزاً لما تأخرنا من تقديم بيان كل شيء مما دخل علينا من النواسخ. التي صيّرت بيننا وبين الهدوء بُعد الفراسخ، وتوكّد انتدال صفة الامور بانعطاف القاصد لانهُ بعد ان حدّ لنا القسمة بالقياس فاذ رضينا بها عدل عنها. وذلك الابتداء انتسخ بهذا الخبر وقد رفع الدعوة الى المجمع ناصباً لنا شصّ المكيدة ليخفض جانب حقّنا او يجرّ عليه ذيل الإلغاء بتقدير حذف كلّ ما يُضاف الينا من الحقّ الصريح والمضمر. والله اعلم بمصدر افعاله ان كان صحيحاً او موّولاً وان كان ضميره متّصلاً مع الله او منفصلاً لعلّة ما. وقد جعل معرفة الحقّ نكرة وسوّغ الابتداء بها بعموم الباطل وخصوص نفي المنافين وجوب ولايتنا

﴿اقتباسات من علم المنطق﴾ وجعلنا موضوع ما حمل علينا من القضايا الوهميّة. مع انّ هذا اللازم لا يُلزم. ودعواهُ الكبرى اننا لم نسمع منهُ ولا الصغرى ومن ثمّ حصل التنافي والتضادّ والتباين والتناقض وعكس القضايا فصار جميعها نقيض الوضع. جعل الحدّ بيننا حتى يجيء الجواب وتعريف ما يجب ان يحكم به بعد الحكم الجازم والنتج اللازم. وقد جنّس ونوّع بنا فصولاً وأرهق نصولاً بالعرض العرضي على جوهر ما قام بذاته من الحقّ بحمد الله تعالى حتى غدا حقّنا كأنه طيعة لا اقنوم لها

مع انَّ العدل اقوم الحقوق والجوهر الاوَّل لطبيعة المعاملات. ومن ثمَّ سلب حقوقنا وجرَّدنا منها. وأنَّى ينتج وجوب حقّ من قضايا كلها سالبة

﴿اقتباسات من علم الهندسة﴾ «حتى غدوتُ ممَّا ناني من هؤلاء كأنني جزء لا يتجزأ. او كنقطة في دائرة الحوادث تحت خط مستقيم من الكوارث ولو امكن لانزويتُ الى زاوية او مربع واستعنت بالموحَّد ذاتاً والمثلث الاقانيم على هؤلاء الاربع. وممَّا خرط لي الزمان من الاختلال صرتُ مثل كرة تلعب بيَ الاحوال حتى صار طولي عرضاً وعمقي سطحاً وبسيطي مركباً والمجوَّف محدَّباً. وهذه جملة تغني عن التفصيل وهي أولى بافضل التفضيل

﴿مقتبسات من علم العروض والبحر الشعر﴾ وكنتُ أوثر ان امرض لك بديع اقواله وعروض الموازين باعماله الَّا انها ذات شرح طويل مديد وافر غير انهُ مربع الرجز خفيف الحركات او مضارع له فيما يتدارك كلها يكون من جملة اولئك بالكمال تراهُ منسرح الكلام بمزج يقتضب انواعاً من الاحتيال والاغتيال، يبسط عنهنَّ العذر وينقبض ويكفّ متى يسمع شيئاً غير متقارب لُناهُ. وهذا اوجز ما يمكن من الشرح على صدور متون تقتضي حواشي، يكلّ عنها الناظمُ والناثي، ويرتع بميدانها الحاسد والواشي

﴿مقتبسات من علم الابراج الفلكيَّة﴾ «ولو كنتُ ممتحناً بين ابراج السماء لم أسأل ان احتمل ما حمل قلبي من لذع عقرب الغموم، وعقلي من سرطان الهموم، والكمد، ما لا يقوى عليه الاسد ولمَّا نكس ميزان الحظ ومال، ورعى جدي النحس سنبلة الاقبال. وامتلأت دلوُ النفاق والجور، الذي لا يحمله الثور، وابتلع حوت الغدر جوزاء العدالة أيقنتُ انهُ لم يبقَ في قوس الصبر منزع فمن ثمَّ اقول

﴿مقتبسات من اسماء البلدان والمدن والانهر﴾ «ان عراق العيش تكدَّر فما راق، ولا راق لي عُمرٌ تقضَّى بإعراق، لانَّ الذي كأنَّهُ بدجلة الآسي، لم يزلْ موصل الاذى اليَّ ويديَّ، البصرة تحوي ويلحظني باللحظة الزوراء عن قبلة السلم فخلتُ اني في ميدان الحرب لا مدينة السلام. وغدوت في حيرة اصدأت القلب فأبعدتهُ من الري واودعتني البلابل، حتى كانني في بابل، بين اهلها المتمردين، والعوذ بالله من قوم ساردين، او كأنني في جوسق المحن وكأنَّ الدهر حلب لي من اثداء المحنة اشباه

لبانَ التعب ، وسربلني بأطمار الذلّ بعد ثياب العزّ وهي عزاز ، وابتزّني كل الابتزاز ، ولطّخني العاصي بعرّة العاصي ، حتى كأني في حماة وهيهات ان يرحضني العاصي ، فقدوتُ شاعراً بالبلاهة افضل من اهل حمص ولكن بصيغة المفعول لا الفاعل ولم يبقَ على جدّ الاحتمال ريبة . وممّا نالني من اهل قاره انشد كلّ وقت « قنا نبتِ » . ومذ تعرّفتُ بهؤلاء النكرات ما شام طرفي ما طال الامد سوى بارق الكمد ، لكنّما الدهر تصدّى لفتكي ولله الحمد ما انا له في صدّه . فوددتُ لو كنتُ في بعلبك مساجد الارنام او اختها تدمر

ولمّا التحفتُ بجبّة الذلّ اطال كلب الجور العقور عليّ نبحه وصارت همّتي كالسلحفاة وكانت قبلُ كالبزاة فغضّت العين وطاطأ الراس وحسبتُ اني في قاع بحر الهموم يضيق بعيني رحب البقاع ، والفلوات ذات الاتساع ، كيف لا وقد أبسر نخلُ الظلم وابلح ، وزحل العدل عن سمائه أيّة زحلة وزحزح ، وانقصمَ متنُ الحقّ فما ارتفع له راس ، وغدت مسودّة جرد العهود ذات شراس وشماس ، تاكلة الإخاء والايناس ، فلم يتهيّأ لي في مصر ولا كفرسلوان ولا ما ينقّي وضر الهموم ولا عين سلوان . . .

وكان عهدي بفلان انهُ كأرزة لبنان ، لا تهزّهُ الرياح الزعازع ، فاذا هو كالقصبة امام وجه الريح تلعبُ به الزوابع ، ولقد اثقل كاهلي نير البلايا من كلّ حادثة ، لان سكّة الجور في كل البلاد حادثة . فالحمد لمن لا يحتسد على مكروه سواهُ . انّ الأيام دكّت طور اوطاري شرّ دكّة ، حتى حصلتُ بارض عكّة ، ابيت منها بليلة عكّة ، وجدّلني الدهر اذ جادلتُ جدالاً افضى بي الى بحدل العناء فلم اجد جذلاً . وصفّد الهمّ قلبي بوثاق وقيد وقطّع اوصال راحتي بحدّ شفاعر او زيد . . . وصرت اشبه بمن انحدر من اورشليم الى اريحا ، ووقع بين اللصوص فصار جريحاً ، ولكني ارجو من حضرة القدس الجليل ذي المارم الجبيل ، وصخرة الرجاء الذي لا يخيب ولا يستحيل ، ان يرفعنا في القيامة على جبل صهيون السماويّة . ويجعلنا اهلاً لنتمتّع في جبل الجليل ويزيل من بيننا وبينهُ ذلك الحجاز الذي حجزتهُ المآثم والخطأ ويجعلنا من اهل المدينة التي رآها يوحنا نازلة من السماء ويقرّب منّا اليه الخطى لكي تونس النفس بعد وحشتها نار تلك الديار ، ويقرّ بها القرار ويخلّصنا من كفر هذه الدنيا . ويحظينا بمصر دياره الفاخرة ، ويذود عنّا شرّ العداة بقوّته القاهرة ، ويثبتنا في حصن كنيسته المحاربة لنفوز بالحظوه

في الكنيسة المنصورة محلّة المجد الوريف التي تسمو على كل غور ونجد وثغر وريف ويرويها من ماء نبالها العذب وينقع منّا الظمأ ويرفعنا من هرم هذا العمر فوق قطاط جلد السماء ويُصعدنا من هذا الصعيد ويزلفنا الى صعوده حيث لا صُعد للنفوس ولا تصعيد، ويرشدنا الى جدّد الحق الرشيد انهُ خيرُ هادٍ ورشيد

«وما وجهتُ اليكم هذه العبارة والعارف تكفيه الاشارة إلّا لاني اخال انّ الضرّ لاحقني غاية الالحاق، ويطاردني كأني راكبُ بولاق، قاصداً نكسي ونفسي . وهذا فعل من كان قاصد السوء فلنسعفهُ بالصلاة والدعاء»

فترى ما في هذه الرسالة من التكلّف والتصنّع وانما هي دليل على اقتدار صاحبها من مجاراة أدباء زمانه الذين أولعوا بمثل هذه الفنون الاصطناعيّة . ولهُ في ديوانه رسالة اخرى وجّهها الى معاصره ومواطنه الاديب مكرديج الكسيح من مشاهير ادباء الشهباء في القرن الثامن عشر ضمّنها ايضاً ضروباً من فنون الانشاء نظماً ونثراً

(له بقيّة)

ما هو اصل البترول ؟

نظر علمي للاب جوزف فرنه اليسوعي استاذ الطبيعيات في المكتب الطبي

ان تزاحم الدول على امتلاك مناجم البترول في انحاء العمور جعل لهذا الوقود شأناً عظيماً حتى يعتبرهُ العالم حاضراً كاحد العناصر الاوّليّة التي لا غنى عنها لحياة الشعوب

على انّ هناك مسئلةً لم يتّفق حتى اليوم كبار العلماء على حلّها . تُرى ما هو اصل البترول ؟ وكيف تكوّن في قلب الارض ؟

﴿تحليل البترول﴾ ان الكيميويين الذين يحلّلون هذا السيّال مجمعون على انهُ يتركب من ضروب شتى من كربورات الهدروجين السيّالة التي تحلّلت فيها هدرو كربورات أخر جامدة وغازيّة . وتركيبهُ هذا يختلف بعض الاختلاف بين المناجم لا بل يختلف على اختلاف طبقات المنجم الواحد

﴿حالتهُ الطبيعيَّة﴾ وُجد البترول متجمعاً في اعماق مختلفة مجوَّفة كصهاريج غير متقنة . واستخراجهُ منها وتصفيتهُ لم يكد يُباشر بها لفائدة الصناعة قبل السنة ١٨٦٠ وانَّما كان العلماء سبقوا هذا العهد وتباحثوا في تكوين هذا السائل في جوف الارض لكنَّهم لم يتعمَّقوا في بحثهم إلَّا في اواسط القرن التاسع عشر لتقدُّم علم الكيمياء ولحصولهم على عدد اوفر من الامثلة (المساطر) المستخرجة من انحاء المعمور . فاخذ العلماء يكدُّون جبينهم ليقفوا على اصل البترول وكيفية تركيبهِ جيولوجيًّا فتعدَّدت مذ ذاك كتاباتهم وذهبوا الى حلّ هذا المشكل مذاهب شتى وابحاثهم هذه تكرَّرت دفعات متوالية الى عهدنا الحاضر . فانَّ ما نُشر من التآليف في هذا الصدد ينيف على المئة عدًّا في السنين العشر الاخيرة وحدها

وقد تباينت الآراء تبايُناً عظيماً في تعليل تركيب البترول اصليًّا وانَّما تعود هذه الآراء الى مذهبين عظيماً اعني مذهب الاجسام الجامدة ومذهب الآليَّات

فالقائلون بمذهب الاجسام الجامدة يزعمون انَّ البترول تركَّب من عناصر ارضيَّة واسطقسَّات معدنيَّة كالكربون والهدروجين والماء والصخور والمعادن . امَّا القائلون بمذهب الآليَّات فيرتأون انَّ البترول تركَّب من اجسام آليَّة كالنباتات والمكروبات والاسماك وكان كلٌّ من انصار احد المذهبين ينافي اقوال المذهب الآخر منافاةً تامَّة فاذا دخلوا في الجدال لم يعدلوا عن رأيهم البتَّة . الَّا انَّ اليوم قد جعل العلماء يفكرون في مذهب متوسط بين المذهبين السابقين ومن ثمَّ يجب اوَّلاً ان نبسط ادلَّة ذينك المذهبين ثمَّ ننظر ما فيها جميعاً من الصحَّة

مذهب القائلين باصل البترول من الجامدات والمعدنيات

انَّ مذهب القائلين بان اصل البترول من المعدنيَّات قد شاع شيوعاً كبيراً وذلك لان العلماء استندوا في قولهم الى مبدإ ظنُّوهُ قاطعاً مقرَّراً ألا وهو الاصل المعدني لتركيب كلّ الفلزَّات والمعادن . قالوا انَّ الفحم الحجري والبترول يُري كلاهما مختلطين بين الصخور والمعادن أفلا يجوز القول بانَّ لكليهما اصلاً واحداً وانهما ينتميان الى الاجسام المعدنيَّة التي نجدهما في جوارها . وهذا الرأي كان سبق اليهِ منذ السنة ١٥٤٤ العلَّامة اغريكولا وسعى الى اثباتهِ عمليًّا بتحليل الصخور الى فحم وبترول . .

وكان البترول يُدعى وقتئذ باسم « زَيت الحجر » كما يدلّ عليهِ ايضاً اسمهُ الحاضر العلميّ (Petroleum)

وقد قام الكيموئيون الحديثون واضافوا الى هذا البرهان البسيط ادلّةً جديدة فزادوهُ صحّةً حتى ان الذاهبين الى هذا الرأي بعد كساد مذهبهم مدّة عادوا الى القول بهِ وعضدهم عددٌ اوفر من العلماء

ويجوز لنا ان نميّز بين ادلّتهم هذه (اوّلاً) ما قرّروهُ بالمحن الكيموئيّة واثبتوهُ بالمختبرات العلميّة التي لا شكّ في صحّتها . (وثانياً) الادلّة العائدة الى النظام الجيولوجي الكيمويّ المبني على المظاهر التي تتولّاها العوامل الباطنيّة في قلب الارض من حرارة وضغط وتحليل ممّا لا يستطاع مراقبتهُ بالعين المجرّدة فيُحمَل على التخمين

الادلّة المقرّرة بالامتحان في المختبرات الكيموئيّة

انّ العوامل الكيموئيّة التي يستند اليها اصحاب المذهب الاوّل في قولهم انّ البترول اصلهُ من فعل المعدنيّات الجامدة تعود الى العلل التالية

(اوّلاً) فعل الماء في الكربورات المعدنيّة . كلّ يعلم انّ الاسيتيلين يتكوّن بتسليط الماء على الكربورات (كربور الكلسيوم) وكذلك كربور الالومينيوم اذا مسّهُ الماء تكوّن منهُ الغاز المعروف بالميثان (méthane) . ويجوز تعميم هذا القول في مركّبات معدنيّة شتى يتكوّن منها عدّة هدروكربورات بسيطة . فانّ هذه المركّبات لم تُعرف كلّها ومن المحتمل وجود بعضها في الطبيعة

وممّن جنحوا الى هذا الرأي الكيموئيان الفرنسويّان برتلو (١٨٦٦) ومواسّون (١٩٠٢) وكانت غاية الاوّل ان يثبت انّ كل جسم آليّ هو نتيجة تأثير ابسط العناصر ببعضها . امّا الثاني فكان اوّل من استخرج غاز الميثان من كربور الكلسيوم وسهّل للكيموئيين تركيب هذا الكربور في المختبرات الكهربائية

(ثانياً) على انّ البترول سيّال مائع وثقيل فكيف تحوّلت اليهِ الهدروكربورات وهي غازيّة خفيفة فكان لا بدّ من وجود عامل لتكثيف تلك الهدروكربورات لتتحوّل الى بترول . فجاءت اختبارات الكيموئيين ساباتيه وسندرنس محلّلةً لهذا المشكل حيث بيّنا انّ الهدروكربورات الغازيّة الخفيفة اذا كانت مُنمّة ومعرّضة

لضغطٍ عظيم ولحرارة بالغة ونفذت في طبقات خزفيَّة موازية لطبقات الكوارتز او المعادن يمكنها ان تتكاثف وتصبح اجساماً ثقيلة كالبترول

(ثالثاً) فعل بعض الحوامض بالحديد غير الصافي. بيّن ذلك سنة ١٨٧٧ الكيموي شرل كلورس (Ch. Clors) اذ حصل على هدروكربورات غازيَّة ومائعة بفعل معدن الحديد الممزوج بالكربون. فكان لاختباره هذا وقعٌ حسن اذ ثبت للعلماء ان خَبَث الحديد يعلل وجود دقائق من الكبريت والفوسفور والزرنيخ والسيانوجين في البترول. فانَّ الحُمَم البركانيَّة اثبتت ان في قلب الارض كميَّة كبيرة من الحامض الكلوردريك المتكوّن من الموادّ الملحيَّة والصوّانيَّة الممزوجة بالماء.

(رابعاً) وكذلك فعلُ الهدروجين بالحديد غير المصفَّى من خبثه. وهذا ملحوظٌ معدنيّ يبيّن ايضاً سبب اتحاد الكربون والهدروجين اذا بولغ بضغطهما في درجة بالغة من الحرارة

(خامساً وسادساً) لكن فعل الحديد بخبثه يستلزم لاستخراج تلك الكميَّات الوافرة من الهدروكربونات وجود كُتلة من الحديد بالغة العظم في جوف الارض تكون متقدةً صلبة كالفولاذ يَضغط كلَّ سنتمتر مربع منها ثقلٌ بالغ الى خمسة او ستَّة مليونات من الكيلوغرام. وفوق هذه الكتلة من الحديد يلزم وجود كتلة اخرى من الحديد غير المصفَّى مع خبثه ذات حركة خاصَّة تبيّن اختلاف تباعد ابرة الكهرباء. وهذا كلُّهُ يقول به العلماء في يومنا ويؤيدونهُ بدرس حركات الزلازل الميكانيكيَّة الصادرة في جهات الارض المتقاطرة. وكذلك يشفعونهُ ببرهان آخر وهو ثقل ارضنا النوعي وتركيب قِطَع الرجوم التي تسقط على ارضنا

فهذا النظر الذي يغلب اليوم على فكر كثيرين من الطبيعيين والجيولوجيين والفلكيين يدعو الى الظنّ بان تلك الكميات العظيمة من الحديد هي اصل الهدروكربورات فيعمل فيها الماء في درجات من الحرارة تبلغ الى الف بل الف وخمسمائة درجة من الحرارة بينما يضغطها ثقلُ ألفَي جَلَد. وذلك كافٍ لتحويل خَبث الحديد ليس فقط الى اجسام سيَّالة وغازيَّة بل الى تحويله ايضاً الى كميَّات كثيفة

على انَّ هذا التعليل مع قرب امكانه لم يثبت حتى الآن باكتشاف وضعي لتلك الكميَّات الهائلة من الحديد. والى يومنا هذا لم يظهر اثر في اعماق الارض

للهدروكربورات المذكورة في حين انتظار وجودها بوفرة قريباً من منشإ تكوينها المزعوم وما يزيد الارتياب في صحة هذا التعليل انَّ مركبات البترول سريعة الانحلال بفعل الحرارة فكيف امكن البترول ان يتحمَّل تلك الحرارة الباطنة في قلب الارض دون ان يعود الى عناصره متحلِّلاً ؟ فترى انَّ استناد العلماء الى التحوُّلات الباطنة تؤدّي بهم الى اسانيد جيولوجيَّة لم تزل حتى اليوم غامضة مبهمة لا تفي بالمرام

(سابعاً) التعليل البركاني . يقول اصحاب مذهب تكوين البترول من الجوامد انَّ رأيهم تثبتهُ حركات البراكين . فان البراكين على اختلاف هيئاتها تتكوَّن من عناصر هيولية مصهورة تعمل فيها حرارة قلب الارض الهائلة وضغطها فهي تمزج وتتقلَّب على نفسها وتتكيَّف في طريقها الى سطح الارض كيفيَّاتٍ شتى فتنفي تارةً شيئاً من محمولها وتجذب تارةً عناصر غيرها الى نفسها فتمجها من فوهة البراكين على ضروب من الحمم . فليس من العجب ان تفعل تلك العناصر فعلها المؤدي الى تكوين البترول . فمن ذلك ما سبق ذكرهُ من فعل الهدروجين بالكربون . وقد تحقَّق الكيمويون في ما تقذفهُ البراكين فعلَ الغاز السولفوريك المختلط ببخار الماء في الاجسام الكلسيَّة . فينتج من ذلك غاز الميثان ويتحوَّل عنصر الكلسيوم الى مركَّب السولفات . وهذا ما يعلِّل وجود الهدروكربور في غازات البراكين كما ثبت بتحليلها . ويضيفون الى قولهم انَّ البراكين بحرارتها العظيمة يمكنها ان تفعل بالفحم الحجري فتقطِّرهُ

وقولهم هذا لا يخلو ايضاً من المشاكل لإثبات وجود هذه الكميات العظيمة من البترول لان كل ما سبق من حرارة باطنيَّة وفعل العناصر البركانيَّة وتقطير الفحم الحجري ووجود آثار من الهدروكربور في غازات البراكين ليست ادلَّة مقنعة بان البترول يتكوَّن منها مع غزارة مناجمهِ واختلاف العناصر التي يتألَّف منها حاضراً

(ثامناً) فعل المياه البحريَّة في الكربون . رأى بعض العلماء ضعف براهينهم لاثبات تكوين البترول بفعل البراكين فعدلوا الى قول آخر فزعموا انَّ البراكين بفعلها وقوَّة حركاتها كانت سبباً لشقوق عظيمة في بطن الارض وللحال هبطت المياه البحريَّة في تلك المسالك المفتوحة امامها ونفذت الى جوف البحر حيث يوجد الكربون فتسلَّطت عليهِ تلك المياه البحريَّة وحوَّلتهُ الى هدروكربور ثمَّ انسدَّت تلك الشقوق بفعل القوَّات الطبيعيَّة فبقيت المياه مخزونةً في قلب الارض وواصلت فعلها بالكربون الى ان

حوّلتهُ بفعل ضغطها الى مواد مانعة من البترول . والدليل على ذلك قوّة البترول بفورانهِ الشديد عند فتح منفذ لهُ مع وجود بقايا من الماء المالح في مناجم البترول فيقولون انهُ بطل عملهُ بهبوط الحرارة والضغط

قلنا وهنا ايضاً مُشكل ينفي هذا التعليل وذلك انَّ وجود مناجم البترول على هذا القول يلزمها ان تكون قريبة من مناجم الكربون . والامر ليس كذلك فانَّ كثيراً من خزّانات البترول ليس بقربها شيء من الكربون فاذن لا يصحّ القول بان البترول تركّب منهُ

(تلسطاً) فلحلّ هذا المشكل الاخير . ارتأى غيرهم من العلماء انَّ الشقوق التي فتحتها البراكين وفيها نفذت مياه البحر لم تنسدّ بعامل طبيعي كما قال السابقون لكنها بعد تحويلها لمناجم الكربون الى هدرو كربور في اعماق الارض وتحويل الهدرو كربور بتأليف اجزائهِ وتقطيرهِ الى حالة مائعة تصاعد الى سطح البحار ثمَّ يبست تلك البحار وهبط المائع الى احواض بعيدة من مكان تكوينها حيث لا وجود للكربون

هذه ايضاً تعليلات يصعب اثبات صحّتها لان الدروس الجيولوجيّة لم تُثبت شيئاً من هذه التقلُّبات المذكورة

مذهب القائلين بان أصل البترول من الآليّات

﴿اصل هذا المذهب وتعريفه﴾ لمّا بيَّن العلماء انَّ بين البحار والبترول علاقة خطر على بال قوم من الكيميويين مذهبٌ مخالف المذهب السابق فقالوا انَّ اصل البترول ليس هو من الجوامد والمعادن بل هو من الاجسام الآليّة وثبّتهم في هذا الرأي انَّ مناجم البترول واقعة على شواطئ بحار سابقة العهد

وعليهِ لم يعودوا محتاجين الى ذكر شقوق بركانيّة لم يُعرف لها أثر ولا الى عمل مياه البحر بنفوذها الى باطن الارض حتى الصخور المصهورة بالنار لتوليد البترول . ومن ثمَّ ذهبوا الى رأي جديد بقولهم ان البترول عبارة عن مستودعات بحريّة تحوّلت تحوّلاً بطيئاً ومتواصلاً في مكانها

قالوا انَّ في قعر البحار كميات عظيمة من بقايا الحيوانات والنباتات تتراكم بفعل الزمان فتتكون طبقات طبقات يبلغ سمكها علوّاً كبيراً . فهذه الاجسام الآليّة

بفعل الضغط الكبير تحلّلت ثمّ تحوّلت الى بترول. فما كاد يظهر هذا المذهب الجديد حتى شاع بين فئة كبيرة من العلماء منذ اواخر القرن التاسع عشر وبهِ وجدوا حلًّا للمشاكل التي قلّلت الثقة بالمذهب السابق لعدم ثباتها بالاختبار وبالحفريّات الجيولوجيّة. وعلى خلاف ذلك جاءت اختبارات العلماء مؤيدة للمذهب الجديد

﴿ تعليلات غير مقنعة ﴾ وكان اوّل برهان لتأييد هذا المذهب أنهم فحصوا امثلةً (مساطر) عديدة من انواع البترول الطبيعي فوجدوا فيها آثارًا من النبات ومن الحيوانات الهلاميّة لاسيما في بترول بلاد كندا وانحاء القوقاز. وتبيّن ايضاً بالتحليل الكيموي انّ البترول يحتوي شيئاً من عنصر الازوت الذي يدلّ دلالةً واضحة على وجود اجسام آليّة

على انّ كثيرين لم يجدوا هذا البرهان قاطعاً اذ امكن امتزاج هذه الآليّات بالبترول واردةً من الخارج دون تحليلها

واستند غيرهم الى حجّة اخرى زعموا انّها تنفي كلّ خلاف وذلك استقطاب البترول وميلهُ الى النور. وتلك الخاصّة كان يعتبرها العلماء كدليل قاطع على انّ اصل البترول من الآليّات اذ لم يعرفوا غير الاجسام الآليّة تستقطب النور لتركيبها من دقائق مختلفة النظام. لكنّ هذا الدليل لم يصدّق عليهِ العلماء المحدثون اذ وجدوا اجساماً ليست آليّة تستقطب النور اذا وُجد فيها شيء من القلويّات (alcaloïde) او من لُباب الحبوب (diastase)

﴿ ادلّة ثابتة ﴾ ودونك بيّناتٍ اثبت وأرهن. كان المعدّنون يحفرون بئرًا في جزيرة بورنيو الهولنديّة في مقاطعة ذات تربة خزفيّة فبلغ بهم الحفر الى ركيّة كانت تحتوي على زيتٍ شبيه بالبترول وهو يغمر بقايا قديمة من حيوانات هُلاميّة ومرجانيّة وصدفيّة مختلطة بالرمل. فلحظوا انّ ركيّة البترول كانت اوفر حيثما كانت البقايا الآليّة واقلّ جدًّا في الجهات الرمليّة. واستدلّوا بذلك على تأثير الاجسام الآليّة لتوليد البترول اذ لم يجدوا تعليلًا آخر لهذا الامر الغريب والتربةُ هناك من الخزف لا ينفذ الى باطنها مانع من الخارج

وكذلك وجدوا في جزيرة بورنيو ركامًا من المرجان الكلسي في وسط تربةٍ خزفيّة كان يقطر منهُ البترول. والمرجانُ كما هو مقرَّر مجموعٌ من حيوانات آليّة صغيرة

فكان تحلّلها مولّداً لذلك البترول

ولا يخفى ان النبات ايضاً من الاجسام الآلية ففي مدينة مفسدبورج اذ كان الفعلة يحفرون في بعض الحقول وقفوا على جذور صنوبر قديمة العهد استولى عليها الفساد فوجدوا في وسطها وحولها آثاراً من البترول والنفط

وكذلك قارّة اوستراليا وجدوا فيها احواضاً من البترول كان يعوم فيها بقايا من النباتات البحريّة التي تُرى في جانب الشواطئ القريبة منها

﴿تقرير هذا المذهب علمياً﴾ دفعت الدلائل السابقة اساتذة الكيميا الى تقرير هذا المذهب بالامتحان فانهم عمدوا الى موادّ دهنيّة انتزعوها من الاسماك كزيوت السمك المعروف بالشالح او الازنكة (hareng) وزيوت كلب البحر والحوت فبلّغوا حرارتها الى الدرجة ٤٠٠ وضغطوها ضغط ١٠٠ جلد فتكوّن من ذلك مادّة سيّالة ومُضيئة شبيهة بالبترول. وقد أدّى امتحان آخر الى النتيجة عينها اذ عمدوا الى نباتات بحريّة كالخثّ (algue) والى رواسب وحُيَيوانات عائمة في المياه فضغطوها فقطر منها زيوت بتروليّة

وقد لحظوا في الامتحانات المذكورة ان كميّة البترول وانواعهُ كانت تختلف باختلاف الموادّ المضغوطة ومدّة ضغطها وتقطيرها. ومن الامور ذات الشأن التي لحظوها ان كميّة البترول كانت تزيد بوجود اجسام معدنيّة بين الاجسام الآليّة. وقد جرّبوا لذلك عناصر مختلفة مباشرةً بالماء المالح الى ضروب من المعادن والمركبات المعدنيّة فوجدوا انّ فعلها في توليد البترول يفيد الترشيح والتكثيف. ومن ثمّ ليس الصلاح في تركيبها الكيموي بل صلاحها من خواصها الطبيعية وتفتّتها. واذا أُحمي جسمٌ مولّد للبترول يلاصقهُ جسمٌ آخر معدنيّ كثير الامتصاص تكوّن محصول اوفر من البترول واشدّ سيلاناً وتكون كثافتهُ اقلّ من كثافته بعامل الحرارة

فهذه المظاهر الطبيعيّة من شأنها ان تبيّن سبب اختلاف احوال البترول في المنجم الواحد فاختلفت الطبقة عن اختها لوجود كلّ واحدة ملاصقة لاجسام شديدة التنميم. فامتزجت بها الاجسام الآليّة وتنوّعت خواصها مكاناً وزماناً وقوّة امتصاص فحصل الاختلاف في اقسامها

وهذه الاختبارات تكرّرت على وجود مختلفة من زمان وحرارة وضغط فكانت

نتيجتها مثبتة للمذهب القائل بتكوين البترول من الاجسام الآليَّة

على انَّ هناك ريباً لا يمكن حلُّهُ تماماً . هل الاختبارات الحاضرة هي هي بعينها المثبتة لتكوين البترول في اصله لانَّ الاختبارات التي يباشرها الكيموئيون حاضرًا تختلف عن احوال الطبيعة في تركيبها الجيولوجي . فان الكيموي يشتغل في وقت قصير وبآلات معدودة صناعيَّة . امَّا الاحوال الجيولوجيَّة فانها تواصلت في اطوار تبلغ الوفاً من السنين . وللزمان كما للعوامل الطبيعيَّة مفعولاتٌ لا يستطيع الكيموي ان يبانهـا تماماً . واذا اعتبرت هذه المدَّة الطويلة لعلَّك تستغني عن سواها من العوامـل كالحرارة والضغط . فيكفي مع طول هذا الزمان ضغط قليل وحرارة قليلة تحصل بها تلـك الكميات الوافرة من مناجم البترول بامتزاج تلك الاجسام المتحلّلة واختمارها البطيء في قلب الارض فلا تزال عاملةً عملها الطبيعي الى ان تتنقد تلك الموادّ ويتمّ تحليلهـا الى احواض واسعة من البترول

إلَّا انَّ اختبارات العلماء قرَّبت الينا ادراك هذا السر الذي لا يزال بعضهُ محجوباً وكفى ما انكشف منهُ ليرفع بقلوبنـا الى عرش الخالق الذي اودع ارضنا كنوزاً نستفيد منها لحاجاتنا فنشكرهُ على نعمهِ ونزيد نشاطاً في خدمتهِ الى آخر نفس من حياتنا

جولة في كسروان

لحضرة القس انطونيوس شبلي اللبناني

مخطوطات دير مار يوسف الحصن (تابع)

ذكرنا (ص ٤٢١ــ٤٢٣) كتاب الاناشيد التي ألفهـا البطريرك يوسف اسطفان ولم نستوف مضامينهُ فانَّهُ مـا خلا السواعيث التي مرَّ ذكرها يحتوي ايضاً رُتباً عديدة وضعها السيد المذكور لعبادات مستجدَّة كزيَّاح القربان يوم عيد الجسد وزيَّاح الورديَّة في الاحد الاوَّل من تشرين الاوَّل ومنح البركة بايقونتها في الاحد الاوَّل من كل شهر ومن محتويات الكتاب المذكور صلاة عيد القديس افرام السرياني بالسريانيـة

أنّها البطريرك اذ كان قسيساً اجابةً لملتمس كهنة قرية كفردبيان ليصلّوها في يوم عيد القديس افرام شفيع كنيستهم. وهذه الصلاة قد اجازها السيد اسطفان، طران البترون ثمّ غبطة البطريرك سمعان عواد سنة ١٧٥٤ وسمحا باستعمالها في كنائس الطائفة وقد نظم في مديحها الخوري انطونيوس شهوان الابيات الآتية :

غمّت محاسن مدح ممدوح غدا مدحُ الانام لنيره لا يصلحُ
من مادح مدحتْهُ افواهُ الورى بالعلم والتقوى وفضل يرجحُ
فكأنّ مالكَ مصرَ يمدحُ لابنهِ وأخا منّى في أبيهِ يفرحُ
علّقتُ طرْفي في هواهُ فلذّ لي فغدوتُ ألهو في ثناهُ وامدحُ
واقولُ لا ريب فذا فيضٌ ملا قلب الذي فيهِ تقول وتمرحُ
لكنني أرجوك بأن لا تمتنحْ(؟) منهُ كذاك فانهُ لي أصلحُ
كيما تؤيّد ضمّنا بفوائدٍ قدسيّةٍ من روح قدسٍ تمنحُ
طوبى لهذا المادح السامي كما طوبى لممدوحٍ حاهُ أوضحُ

ثمّ ان القس يوسف اسطفان لما رُقّي الى درجة البطريركيّة ألحق صلاة القديس افرام بصلاة للقديسة كاترينا السيانيّة ثمّ عمّها بعدئذٍ لسائر البتولات. وقد زعم الطيب الاثر المطران يوسف السمعاني (في نبذته التاريخيّة المطبوعة سنة ١٨٩٠ ص ٧٣) انّ الصلاتين المذكورتين للقديس افرام وللقديسة كاترينا السيانية ليستا للبطريرك يوسف اسطفان. وعلى عهدته روى ذلك حضرة الخورسقف جرجس مفش (في كتابه الفروض القانونيّة في كنيسة حلب ص ٣٧). والامر لا شكّ فيه كما يظهر من هذه النسخة واجازة البطريرك سمعان عوّاد عليها وفيها يصرّح بان القس يوسف اسطفان هو مؤلف صلاة مار افرام كما ان القس يقرّ عن نفسه بوضعه «تكس» (اي رتبة صلاة) القديسة كاترينا. والكتاب الذي نحن بصدده شاهد صادق على ذلك

وفيه ايضاً رُتب اخرى جليلة كلها من تأليف القس يوسف اسطفان ثبّت بعضها لمّا صار بطريركاً وحثّ رؤساء الكنائس على استعمالها لاسيما رتبة منح البركة بايقونة سيدة الكرمل وبايقونة ابينا القديس ماري مارون. وقد صدرت صورة اثباته في ٢ تموز سنة ١٧٩٢ كما هي في هذه المخطوط وكما نصّ عليها السيد بولس اسطفان رئيس اساقفة جبيل والبترون

تلك محتويات هذا الكتاب الثمين الذي طولهُ ٣٠ سنتمترًا وعرضهُ ٢١ س وسمكهُ ٣ س ونصف. ومجموع صفحاتهِ ٣٩٠ وهو مخطوط بالكرشوني بحرف مشرق جميل. وقد كُتبت عناوينهُ بالحبر الاحمر وورقهُ عبّادي صقيل ومجلّد بجلد احمر

٧ً كتاب آخر يشبه السابق بما يحتويهِ من السواعيث والصلوات والرتب الكنسيَّة لاعياد السنة وبعض القديسين كلّها للبطريرك يوسف اسطفان منها رتبة طويلة لعيد انتقال مريم العذراء ورتبة منح البركة الرسوليَّة يوم عيد الفصح العظيم يليها براءة للحبر الاعظم اكليمنضوس الثالث عشر باسم البطريرك المذكور يفوضهُ فيها ان يمنح شعبهُ الماروني البركة الرسوليَّة والغفران الكامل مرَّتين في السنة يوم عيد الفصح ويوماً آخر يختارهُ (١ وقد خطّ هذا الكتاب « القس الياس شمعون البرّي الغوسطاني وهو باسم البطريرك ماري يوسف اسطفان... وكان الفراغ منهُ سنة ١٧٣٠ في ١٥ تشرين الثاني(٢» . ٨ً نسخة انجيل بالكرشوني ايضاً للقس الياس المذكور تاريخها ٢٤ آب ١٧٣٠ (٢ . ٩ً رتبة تبريك الماء بذخيرة الشهداء في اعيادهم وفي وقت الحاجة ألّفها القس اغناطيوس الخازن احد مدبّري الرهبانية اللبنانية المارونية المتوفى سنة ١٨٧٣ اجازها السيد انطونيوس الخازن مطران بعلبك في ١٧ ايلول ١٨٤٩ . وهذه الرتبة مخطوطة بيد فرنسيس بركات

وفي كنيسة دير الحصن بعض مطبوعات قديمة العهد طُبعت في رومية : ١ً كتاب الانجيل في زمان رئاسة البطريرك الانطاكي طوبيا الخازن. ٢ً كتاب التعازي او التسليات على قبور الموتى بحسب عادة الموارنة » طُبع بالسريانية في رومية سنة ١٥٨٥ على نفقة رأس الرؤساء البابا غريغوريوس الثالث عشر . ٣ً كتاب القنقيت الشتوي

---

١) (المشرق) قد دوّن هنا حضرة القس شلي تلك البراءة كما وجدها معرَّبةً في هذا الكتاب. وهي موجهة للبطريرك يوسف اسطفان. ومن غريب الامور انّ الاباتي طوبيا الشيبي نشر نصها اللاتيني في مجموعة المناشير المارونية (Bullarium Maronitarum, p 386-389) وهي هناك باسم المطران جرمانوس مطران حمص وتاريخها ١ ايار سنة ١٧٦٧ ولا ذكر فيها للبطريرك يوسف اسطفان. فاخذنا العجب من وجود نصها العربي في هذا المخطوط مختلفاً وذلك دون الاشارة الى تاريخها

٢) نظنّ انَّ هذا التاريخ مغلوط وان الصواب سنة ١٧٧٠

والصيفي طُبع الاوّل برومية بامر البابا اينوشنسيوس العاشر سنة ١٦٥٦ والثاني بامر اسكندر السابع سنة ١٦٦٥ على طلب يوحنا الصفراوي والبطريرك جرجس السبعلي. ٤ً كتاب الشحيم الذي طُبع في رومية سنة ١٦٢٥ في عهد البابا اوربانوس الثامن والبطريرك يوحنّا مخلوف (١. ٥ً رسائل القديس بولس طبع قزحيًا (طبعتا السنتين (١٨٣١ و١٨٦١) . ٦ً الزيارة اليوميّة لسرّ الافخارستيا (طبع قزحيا سنة ١٨٣٧). ٧ً الشبيّة بالكرشوني طبع رومية سنة ١٧٨٢ عُني بطبعها القس ماروفيم شوشانه البيروتي المرسل من رهبنته الى رومية في أيّام البابا بيوس السادس وبعناية الاب سمعان خُضَير معلم اللسان العبراني في المدرسة الرومانية. وقد تكرّر طبع هذه الشبية مرارًا

مدرسة عين ورقة

انتقلنا اليها بعد زيارتنا لدير الحصن. ولسنا لنتّسع في وصف هذا الدير الشهير وقد سبقنا الى ذكر تاريخه حضرة القس بولس عبود الفوسطاوي في كتابه بحائر الزمان (الجزء الاوّل ص ٢١٤ وما يليها). ومن المعلوم انّ مؤسسة القس جرجس خيرالله اسطفان سنة ١٦٦٠ في سفح الوادي في موضع يسمى المشرح وبنى قربهُ كنيسة على اسم السيدة ثمّ نقل بناءهُ بعد ردح من الزمن الى مكانه الحالي وشاد كنيستهُ على اسم القديس انطونيوس الكبير سنة ١٦٩٠ فكرّسها البطريرك اسطفان الدويهي الشهير. وقد سكن هذا الدير رجال افاضل من أسر اسطفان منهم كهنة واحبار فعاشوا زاهدين بالدنيا منقطعين الى خدمة الله

وفي اوائل السنة ١٧٨٨ تحوّل هذا الدير الى مدرسة لتثقيف الشبّان المترشحين للكهنوت وذلك باغراء الشيخ غندور السعد الذي كان وقتئذٍ قنصلًا لفرنسة على

١) وقد كُتب على هذا الشحيم افادات تاريخية: ١ً تنفيذ القسّين يوحنا الحلو ويوسف الشبان تلميذ رومية مزيد البطريرك يوسف اسطفان ومشاركة المطرانين جبرائيل مبارك ويوسف غيم في ٦ آب ١٧٨٦ قسقف القس يوحنا على عكا والقس يوسف على دمشق. ٢ً وفاة الخوري يوسف طربيه من بيت غيم رئيس مار جرجس علما في كانون الثاني ١٨٠٠ . ٣ً وفاة المطران بولس اسطفان شقيق البطريرك يوسف اسطفان من افاضل احبار الكنيسة المارونية في ١ آب سنة ١٨٠٩ . ٤ً رسامة المطران يوسف غيم ابن الخوري منصور في ١١ تشرين الاوّل ١٧٧٩

بيروت فألحّ على البطريرك يوسف اسطفان لادراك هذه الغاية حتى اجاب الى ملتمسه . وتأسست تلك المدرسة التي اشتهرت في لبنان وتخرّج فيها عدد عظيم من الكهنة والاساقفة . وكانت رئاسة المدرسة لأسرة اسطفان يعلّم فيها اساتذة من نخبة الرجال لاسيما من تلامذة رومية فطارت سمعتها الى الاصقاع البعيدة وازدحم طلّاب العلم على ابوابها

ومجاراةً لروح العصر اضطرّ رئيسها المثلث الرحمات المطران يوسف اسطفان المتوفى في سني الحرب ان يدكّ البناء القديم ويقيم عوضهُ بناء جديداً واسعاً فخماً جامعاً لمحاسن الفنّ والهندسة . ولا يزال حضرة رئيسها الحالي الخوري يوحنّا اسطفان يبذل العناية في سبل ترقيتها الى معارج النجاح

ومن هذه المدرسة انبعثت اشعّة العلوم الدينية في هذه الاقطار فنبغ من تلامذتها بطاركة كيوسف حبيش ويوسف الخازن وبولس مسعد ويوحنا الحاج . ومطارنة كعبدالله البستاني وبطرس ابي كرم وجبرائيل الناصري ويوسف رزق ونقولا مراد ويوسف جعجع ويوسف المريض ويوحنا حبيب وبطرس البستاني وبولس مسعد ونعمة الله سلوان ويوسف السدبس . ومن الكهنة يوسف الرزي ويوحنا الصائغ الاسطنبولي ويوسف الصوري ويوسف العلم وفرنسيس زوين ويوحنا الزمسّاري وارسانيوس الفاخوري . ومن العلماء الشيخ بشاره الخوري والمعلّم بطرس البستاني وفارس الشدياق الخ

ويسرّنا ان نذكر في عداد تلامذة عين ورقة النابغين سيادة الخورفسقفوس خيرالله اسطفان المعتمد البطريركي في نيويرك وصاحب العلوم الراقية والتآليف الشهيرة وقد احرز في المهجر لوطنه سمعة حسنة بخدمته للعلم والدين منذ نيف وثلثين سنة . ويجاريه في حلبة العلم والفضيلة حضرة ابن شقيقه الخوري منصور اسطفان

امّا سبب تسمية هذه المدرسة بعين ورقة — على ما قيل — فلقرب موقعها من عين ماء شحيحة لا يستطاع الاستقاء منها إلّا بواسطة ورقة شجر توضع على الميزاب

مخطوطات عين ورقه

مكتبة عين ورقة من المكاتب المعدودة في طائفتنا المارونية . ولعلّ قسماً منها

اخذتهُ يد الضياع. وها نحن نذكر ما عثرنا عليهِ في سياحتنا الاخيرة

١ كتاب نزهة العباد تأليف قس الكنيسة الانطاكية اسطفانس وَرْد الماروني تلميذ رومية ارسلهُ الى الاخ بلاجيوس المؤمن ينبئهُ فيهِ عن صفة العالم ومحبتهِ وعن عباد الله وخائفيهِ، يشتمل على ٢٢ فصلاً (راجع وصف هذا الكتاب في المخطوطات العربيَّة لكتبة النصرانية ص ٢١٠). ويليهِ كتاب آخر للمؤلف عنوانهُ «كنز العباد» في عشرة فصول في السعادة العظيمة الخفية التي بلغ اليها العباد المحقّون في هذا العالم قد بعثهُ ايضاً الى الاخ بلاجيوس. ثم يتلوهما كتاب ثالث اسمهُ «سلوة العباد» فيهِ مدائح واناشيد لمريم العذراء نظمها القس اسطفانوس ورد على وزن بعض الالحان السريانية مع طلبات ومرثاة في التوبة من نظمهِ. وتاريخ الكتاب في ١١ آب سنة ١٧٨٣ بيد جبرائيل بن يوسف الحاج موسى وهو مكتوب بالكرشوني عدد صفحاته ٢١٤ بطول ٢١ سنتمترًا في عرض ١٥ . وفي آخرهِ النبذة الآتية بخط عربي :

«في تاريخ سنة الف وثمانماية وسبعة مسيحيَّة في خامس عشر من شهر نوّار يوم الجمعة غار عبد السيدة. في مطابقة سعادة الامارة المير بشير وخوهُ (تراخيهِ) المير حسين الشهاب والشيخ بشير جنبلاط قُتل جرجس باز كاخية الامارة اولاد المير يوسف. في الدير (دير القمر) قُتل الشيخ ابو عسّاف. وفي جبيل قُتل اخوه عبد الاحد والتنين (والاثنان) قُتلوا في ساعة واحدة في النهار المذكور. وفي الثالث والعشرين منهُ (اي شهر ايار المذكور) يوم الجمعة جابوا المير حسين والمير سعدالدين والمير سليم لقرية درعون صحبة الشيخ بشير جنبلاط وقلعوا لهم عينهم ثلاثتهم وقيدوهم في حارة المشايخ الموازنة في القرية المذكورة وعيّنوا لهم معاش وناس تخدمهم.»

٢ كتاب مواعظ لآحاد السنة بخط عربي. وفيهِ ايضاً سيرة القديس مسارون تأليف تودوريطس اسقف قورش ونبذة في تفسير وصايا الله تعالى. وأُضيف اليهِ ايضاً كتاب العبادة المسيحية لكل يوم من ايام الشهور السنوية المشتملة على شرح السر او قصَّة القديس المأمور عيده في ذلك اليوم من البيعة الكاثوليكية مع اعتبارات متعدّدة. تأليف الاب الاكرم يوحنا كريست (P. Jean Croiset) احد الآباء اليسوعيين وتتجزأ الى سبعة عشر جزءًا. وفي آخر هذا الكتاب براءة البابا بيوس السادس في اليوبيل العام وقد أنفذها الى كل العالم الكاثوليكي سنة ١٧٧٥

٣ الجزء العاشر من العلم اللاهوتي لكلوديوس . وقد كان للمطران بولس

اسطفان من غوسطا في ٥ شباط سنة ١٧٨٩

٤ قاموس سرياني لبربهلول. مجلّدٌ ضخم جاء في اوّلهِ بعد البسملة ما يأتي :

نبتدي بعونهِ وحسن عنايتهِ نكتب ܩܘܡܘܣܐ (اي معجم) سرياني بتفسيرهِ بالكرشوني مجموع من جملة كتب مؤلّفة من معلّمي اللغات السريانية والكلدانية واليونانية والرومية والعبرانية وغيرها

وهذا القاموس خطّ الشماس انطون ابن سحلول من قرية غوسطا في ٢٧ نيسان سنة ١٧٤٠ . عدد صفحاته ٨٧٣ طوله ٣٠ سنتمترا وعرضهُ ٢٠ س وخُطّ على ورق حجم سميك

٥ كتاب الابركسيس (القراءات) تُتلى في الآحاد والاعياد. خطّهُ بالكرشوني القس الياس شمعون البرّي من غوسطا في ٥ شباط سنة ١٧٧٠(١ (لها بقية)

الشعر العصري

٢

بقلم فؤاد افرام البستاني استاذ الآداب العربيّة في كلية القديس يوسف (تابع)

فنون الشعر العصري

﴿الشعر القصصي﴾ ان عدم وجود الشعر القصصي بمعنى الملاحم في الشعر الجاهلي يُبرهن عن عدم وجوده بالمعنى ذاتهِ في الشعر العصري. لانّ الشعر القصصي يزدهرُ في طفولية الشعوب وتزوعهم للحرب والنزال. ولكن لم تكد تُنشر الالياذة العربية سنة ١٩٠٤ حتى ظهر للشعراء ما تحويهِ لغتنا من المتّسع لسرد القصص وما يمكن الشاعرُ ان يرآدهُ من التلاعب بالاوزان. فأثرت هذه الملحمة في الشعر القصصي. ورأينا الكثيرين من الشعراء ينظمون على مثال اناشيدها . وكان اولهم امين ظاهر خيرالله فنشر في نيويورك سنة ١٩٠٦ « كلمة شاعر في وصف خطب نادر » قال في اولها انهُ

١) هذا التأريخ يثبت قولنا عن غلط التاريخ السابق (ص ٦١٨)

جرى فيها على النشيد السادس من الالياذة العربية نظماً واسلوباً ١)

وتطوّر بعد ذلك معنى هذا النوع من الملاحم الى سرد القصة شعرًا فرأينا الآثار العديدة منهُ في شعر العصريين «كالطفل الطاهر» و«الجنين الشهيد» لخليل مطران ؛ و«امّ البنين» و«الجمال والكبرياء» لشبلي ملّاط ، وعُروة وعفراء» لبشاره الخوري؛ و«الوفاء» لالياس فياض ، و«امّ اليتيم» للرصافي و«حضن الام» لرشيد سليم الخوري وهي من اجمل القصائد العصرية ابتكارًا ولطفاً ومكافئةً لأصول الفن الروائي وان لم تكن الصناعة الشعرية فيها بمستوفاة . ولا يجملُ بنا ان نختم هذا الفصل قبل ان نذكر نصهُ

﴿ الشعر التمثيلي ﴾ رأى شعراؤنا باطلاعهم على آداب الافرنج الدورَ المهمّ الذي يقوم بهِ التمثيل في حياتهم الاجتماعية ، فاندفعوا يعرّبون رواياتهم دون تمحيص ، فكثرت الروايات الاجنبية في بلادنا . وهي فضلًا عن نقص في التعريب والترتيب ، تختلفُ عن عاداتنا وطُرق عيشتنا . ولكنها افادت آدابنا فنًّا جديدًا لم يعرفهُ الجاهليون ، ولا طرقه المسلمون . وكانت اول رواية عربية «البخيل» اخذها مارون النقاش عن موليير ومثّلها في بيروت سنة ١٨١٨ على مسرح اقامهُ في بيتهِ ، فحضرها جمع من قناصل الدول واكابر المدينة وكان لها تأثير لا يُنكر ، ممّا شجّع الكاتب فألّف روايةً عربيةً محضة ، ومثّلها سنة ١٨٥٠ بعنوان «هارون الرشيد» ولكنها لم تنلْ حظّ الاولى

وتوقّف هذا الفن الى ان نهض الشيخ نجيب الحدّاد واديب اسحق ونجيب حبيقه فشغلوا المسارح مدة ، وصعدوا بالتمثيل درجات . ولا يؤخذُ عليهم الّا انهم انصرفوا الى ترجمة المواضيع الاجنبية بدل ان يهتموا بتأليف روايات عربية . فسدَّ هذه الثغرة الخوري حنا طنوس ببعض رواياتهِ الجاهلية «كالنعمان» «والمنذران» و«داحس والغبراء» و«كليب والمهلهل» ، ووضع الاب انطون رباط الحجر الاوّل للروايات التاريخيّة العربية في «الرشيد والبرامكة» . وظلّت هذه المواضيع بعيدةً عنا زماناً ومكاناً حتى قام فرحُ انطون ومخائيل نعيمه فاتخذا موضوعيها الاول في الحياة المصرية والثاني في الحياة اللبنانية الحاضرة

١) امين ظاهر خيرالله : كلمة شاعر في وصف خطب نادر — نيويورك ١٩٠٦ ص : ٨

على انّ اكثر هذه الروايات يمتزجُ فيها الشعر والنثر . وقد ندر وجود الروايات الشعرية الصرفة في آدابنا ، وهي لا تتعدى بضع عشرة . منها «المروءة والوفاء» للشيخ خليل اليازجي و«رواية الوردتين» و«مقتل هيرودس لولديه» و«يوليوس قيصر» للشيخ عبدالله البستاني . ولعلّ النوع المختلط افضل في لغتنا لاختصاص الشعر بالانشاء اكثر منه بالخبر ، فتُعرض الفصول الاعتيادية نثرًا حتى اذا اشتد التأثير ، وحرج الموقف ، وهاج الشعور ، تدفقت العواطف شعرًا

﴿الامثال﴾ ويلحق بالشعر التمثيلي الامثال الشعرية وهي قصص مختلقة . يجعل فيها الكلام للحيوانات او الجماد او البشر ويقصد فيها المغزى الادبي . وقد اشتهر في هذا الفن ابراهيم العرب ، ومحمد عثمان جلال المصري وخصوصاً احمد شوقي . ولأمثاله وقع غاية في اللطافة والذوق

﴿الشعر الحكمي﴾ سبق الشعر الحكمي القسمَ الثالث من نهضتنا هذه فازدهر مع الشيخ ناصيف اليازجي . اما الآن فقد قلّ كثيرًا وصُرف اهتمام الشعراء عن نظم الحكم حتى كاد يتلاشى لولا بعض ابيات للزهاوي والرصافي وشوقي وحافظ وغيرهم من المتأخرين بعد ، بنوع ارسال المثل ، والقاء الحكمة ولو مبتذلة . وكأن الشيخ نجيب الحداد اقتبس من جدّه بعض الحكم فقام ينصح المجموع ويذم القمار قائلًا :

لكل نقيصة في الناس عارُ ونثرُ مصايب المرء القمارُ

﴿الشعر الفكاهي﴾ وعندنا طريقة اخرى لتهذيب القوم ، والنداء بالاصلاح ألا وهي الفكاهة وكم من ضحكة افادت اكثر من عظة . واذا ذكرنا الشعر الفكاهي نذكر فنًّا من مبتدعات هذا العصر يبلغ شأوه مع رستم فتظهر له فيه الاساليب العديدة والطرف المضحكة يستعملها للانتقاد بلطف فيُعمل مبضعهُ في عاداتنا البالية ، وكثيرًا ما يصيب الدمّلة الفاسدة . . .

﴿الشعر الغنائي﴾ قلنا ان الشعر العربي يكاد ينحصر كله في النوع الغنائي . ولنا الآن في الشعر العصري اصدق شاهد على ذلك . ونحن اذا تركنا الفنّ الغنائي مع ما يخالطه احيانًا من الافكار الفلسفية والاخلاقية يصعب علينا التكلم عن الشعر العصري . . .

زاد تقدُّمَ هذا الفنّ سرعةً في عصرنا قربُنا من عهد شعراء الفرنج الغنائيين كلامرتين وموسيه وغيرهما. فما طالع شعراؤنا مؤلفاتهم حتى احتسوا بعواطفهم تتدفق واحساساتهم تسيل، فافرغوها بقالب رقيق شفّاف. وقد يؤثر في فيضان العواطف مرض الشاعر واوجاعه، وهمومه على اختلاف مصادرها، فيبسط حالات نفسه المنهوكة حتى تكاد روحهُ تُلمَسُ من خلال سطوره. وقد اشتهر بهذا النوع معرّب الالياذة في «الداء والشفاء»، ونسيب عريضه ورشيد ايوب وعبد الحليم المصري واحمد نسيم. وما قولكم في ابيات خليل مطران إبّان مرضه؟:

ثاوٍ الى صخرٍ اصمَّ وليت لي قلباً كهذي الصخرةِ الصماء
يتناجها موجٌ كموجٍ مكارهي ويفثُّها كالسُّقم في اعضائي
والبحرُ خفّاقُ الجوانبِ ضائقٌ كمَدًا كصدري ساعةَ الإساء
تشتي البريّةَ كُدرةٌ وكأنّما صدت الى عينيَّ من احشائي

وفي قول ولي الدين يكن في مرضه؟ ورُوي انه آخر شعر قالهُ:

يا جسدًا قد ذاب حتى أمّحى الّا قليلًا عالقًا بالشفاه
اعانك اللهُ بصبرٍ على ما شُفاني من يسيرِ البقاء

وهذه الرنّة المنجمة نشعر بها ايضاً في شعر خليل مردم بك وهي تبدو خصوصاً في قصيدتيه «الشاعر» و«المحزون» واليكم آخر مقاطع هذه. قال يصوّر منتهى حياة المحزون:

وهزارٍ مرَّ ورقاءَ عليهِ عكفا قال للورقاء: ما بالُ اخي البلوى غفى؟
قالت الورقاء: بل يرحمهُ اللهُ فنى

امّا تامر اللّاط فان مرضهُ المزمن، رفعه الى اعلى درجة من الشعر الغنائي الشخصي. واي عاطفة ارق، واشدّ تأثيرًا من تلك التي يبسطها في قصائده الاخيرة من امثال:

دعاني اجرع النسأ فجنني بالاسى نغا

واي وصفٍ ادقّ، واوفى تصويرًا لحياته، بل لحياة الشاعر على الاطلاق اذ تكتنفه المصائب وتبرّح به الهموم، من قوله:

اصبحت جُذوةَ نارٍ تلتظي لهبًا شُجيرةً رمادي بعد ايامِ

(لهُ تابع)

مطبوعات شرقية جديدة

L. Lercher S. J. : INSTITUTIONES THEOLOGICÆ DOGMATICÆ. *Vol.* II continens libros de Vera Religione, de Ecclesia, de Traditione et Scriptura. *in*-8°,1927, *F. Rauch, Innsbruck.Prix* 11 *M.*

دروس لاهوتيّة نظريّة

سبق المرحوم الاب تونتيز فوصف في العام الماضي (المشرق ١٩٢٦ ص ١٤٨) جزئين من هذا التأليف الجليل خصّهما الاب اليسوعي لارشير بعقائد التوحيد والتثليث والتجسّد والنعمة فبيّن مزاياها الفريدة للتعليم في المدارس الكاثوليكيّة . وهذا الجزء الثالث يتناول اقساماً أخرى من اللاهوت النظري بحث المؤلف فيه عن الدين الصحيح وعن الكنيسة وخواصّها وعن التقليد والاسفار المقدّسة . وبيّن كل ذلك بايضاح تامّ ولغة منسجمة وادلّة قاطعة مع حسن التقسيم وجلاء الطبع . فنهنئ المؤلف على عمله ونوصي به كل دارسي اللاهوت في بلادنا

René Bazin, de l'Académie française : FILS DE L'EGLISE : in-16, 7° éd., à Tours chez Mame, à Paris J. de Gigord.

ابناء الكنيسة

هذا كتاب نفيس دبّجه قلم ذاك الكاتب البارع رينه بازين احد اعضاء الاكادمية الفرنسويّة والمشبع ديناً وتقى قد اختار في تاريخ الكنيسة الكاثوليكية عشرة من نوابغها الذين شرّفوا الدين والانسانيّة باعمالهم في قرون مختلفة فبيّن كيف اجتباهم الله لينير بهم العالم فينهضوا ببني جنسهم من حضيض الذلّة الى اوج الرفعة والكمال . وقد ختم تلك التراجم بالحركة الدينيّة حاضراً بين الكنائس الانكليكانيّة التي يدرسها لتاريخ اولئك القديسين استدلّت على حقيقة الدين الكاثوليكي ج . ل

Islamica editor E, BRAUNLICH. FASC. 3 et 4

منشورات المجلة الاسلاميّة الالمانيّة الحديثة

مما استحسناه في عددها الاخير نبذة لطيفة عن لعب الجريد تزينها الصور اللطيفة ثم مقالة عن الفروق الفقهيّة وهي عبارة عن مسائل تتشابه صورةً وتختلف معنى وحلًا

نقل كاتبها معلوماتــه عن مخطوطين عربيين قديمين روى منها مقاطيع صالحة ــ ومن المنشورات الحديثة مقالتان حسنتان للاستاذ قراتشكوفسكي نشرهما في غير هذه النشرة: الواحدة ضمّنها قصّة عامية من لهجة اهل الناصرة والاخرى انتقد فيها كتاباً لاحد علماء اسبانية « امل غرسيا غوميس » يبحث فيه عن العلاقة بين تأليف ابن طُفَيل المعروف بحيّ بن يقظان وتأليف آخر يشبهه لبلتزار غراسيان فبيّن المنتقد محاسن الكتاب واختصر نتائجه المفيدة لدرس تأثير العرب في الآداب الاسبانية ه. ل

Steuernagel(Dr G.) : Der 'Adschlun, Lieferung 4, Namenliste des nordlischen Ostjordanlandes, 8°, XII - 313, 1927, *Hinrichs'sche Buchh. in Leipzig*

بلاد عجلون: القسم الرابع

اثنينا الثناء الطيّب على مؤلف كتاب عجلون الدكتور شوماخر وناشر كتابه الدكتور شتاوِرْ ناغل (المشرق ١٩٢٦ ص ١٦٣) فهذا الاخير قد ختم الكتاب بفهارس نفيسة لا تقل عن ١٨٤ صفحة ضمّنها اسماء الامكنة الموصوفة والحقها بفهرس اخر ذي ٣٠ صفحة للالفاظ العربية المذكورة في الكتاب هذا ما عدا مقدمتين في ٣٠ صفحة اخرى. فلعمري انهُ شغل لا يأتيه غير اصحاب الهمم العالية

ARRIEN: L'Inde, Texte établi et traduit par Pierre Chantraine. Collection des Universités de France, *Paris, Société d'édition «Les Belles Lettres,»* 1927

وصف الهند للمؤرخ اليوناني اريان

المؤرخ اريان وصف باليونانية بلاد الهند في ٤٣ فصلاً والحق وصفهُ بتاريخ غزوة الاسكندر لتلك المملكة وسفره من رأس النهر هندوس الى الخليج العجمي. فهذه الطبعة تولاها احد العلماء الموثوق بهم فاحسن ضبط الاصل اليوناني واتقن ترجمتهُ الى الافرنسية. شأن مطبوعات الجمعية الادبية الافرنسية ج . ل

André Duboscq: La Chine en face des Puissances. Bibliothèque d'Histoire et de Politique. *Paris, in-12, 1926, Librairie Delagrave*

الصين بازاء الدول

هذا التأليف لرجل ضليع من تاريخ الشرق الاقصى وفي كتابه هذا يتتبع احوال

الصين منذ نهاية الحرب الكونية ويبيّن ان الحركة الحاضرة ليست بنت يومها بل ظهرت سوابقها منذ عدة سنين. وهو ينسب الى اوربة واميركة بعض علل هذه الثورة الكبيرة فيلوم الرجل الابيض في معاملاته للعنصر الاصفر. ولا تأخذ عليه سوى سكوته عن الرسالات الكاثوليكية التي تخدم الصين خدمة مجرّدة عن كل غاية وانانية. فشتان بين اعمالها الشريفة في نشرها التمدن الصحيح واعمال السياسة الباطلة التي تسعى وراءها بعض الدول

Jalabert(Denise):I LA SCULPTURE ROMANE. II LA SCULPTURE GOTHIQUE. Collection«La Culture moderne»,*Paris,Librairie Stock*,1926

فن النحت الروماني والقوطي

كتابان صغيرا الحجم كثيرا الفائدة صنّفتهما السيدة دنيز جلابرت التي تلقي المحاضرات الفنية في المتاحف الوطنية . وقد اودعتهما خلاصة تاريخ وخواص فنّي النحت المعروفين بالروماني وبالقوطي وغايتها ان تقرّب هذه المعلومات الى العموم. ويساعدها على ذلك ما نشرته فيهما من التصاوير الموضحة لما تصفهُ بقلمها

ORIENTALIA HAMBURGENSIA. Festgabe d. Teilnehmern am 4 deutschen Orientalistentag in Hamburg 28 sept. bis 2 Oct. 1926, *Hamburg. Staats u. Universitaets, Bibliothek*

شرقيات همبورج

بمناسبة مؤتمر المستشرقين الالمان الرابع في همبورج في اواخر شهر ايلول واوائل تشرين الأوّل سنة ١٩٢٦ احبّت هذه الدولة مع جامعتها ان تقدّما تذكاراً للمؤتمرين طرفةً لطيفة من اثارها ألا وهي لائحة من تآليف خطية وطبعية نادرة تحتوي عليها مكتبة هامبورج مصحوبة بشروح وفوائد ومزدانة ببعض التصاوير اللطيفة . فتقبلها المؤتمرون بمزيد الفرح كما نشكر نحن الذين اتحفونا بهذه الهديّة الثمينة ج. ل

W. Hofmayr: DIE SCHILLUK. Geschichte, Religion u. Leben eines Niloten-Stammes. *Bibloth. ethnologique, t. II*, 6° *fasc. gr.* 8°, 1923, *Wien, Verlag d.* Anthropos

قبيلة الشلوك في النيل الاعلى

لم تكتفِ مجلة «انثروبوس» بمقالاتها الممتعة التي اماطت بها الستار عن اخلاق

الشعوب القاصية بل افردت لمنشوراتها الواسعة مكتبين خصوصيين لتعريف لغات القبائل وعناصرها اناطت بها كثير الكتب العلميّة في ذلك. وقد بلغت مطبوعاتها عشرة مجلّدة . والكتاب الذي نحن بصدده واحد منها وهو تأليف ضخم يتناول احوال احدى قبائل النيل الاعلى المعروفة بالشلّوك فدرسها هوفاير درساً مدقّقاً ووصف تاريخ اهلها ودينهم وعاداتهم مستنداً الى اصدق ما رواهُ عنهم المرسلون والسيّاح. وفي الكتاب ثلث خرائط وعدّة تصاوير بديعة

Emile Bréhier : HISTOIRE DE LA PHILOSOPHIE.t. I. L'Antiquité et le Moyen Age,2e partie,période hellénistique et romaine.*in*-8°,1927, *Paris. Libr. F. Alcan, Prix* 18*f*°

تاريخ الفلسفة (القسم الثاني)

كان المؤلف في القسم الاوّل من تاريخ الفلسفة (المشرق ١٩٢٦ص ٨٦٩) سطّر نشأة علم الفلسفة منذ اقدم اطوارها فهو يواصل تاريخها في هذا القسم منذ القرن الثالث قبل المسيح الى القرون النصرانية الاولى فيصف ما طرأ عليها من التقلّبات والمذاهب في عهد سقراطس وابيقورس وتبعة افلاطون والمحدثين من اليونان ثمّ في عهد النصرانية . فقد وجدناهُ متقناً لتاريخ الفلسفة اليونانية والرومانية في عهد الوثنية لكنهُ قليل المعرفة بالفلسفة النصرانية لاسيما انهُ يستند في كلامهِ عنها الى اعداء الكنيسة كالبروتستانت والملحدين فأتى شططاً

H. Colin : De la Matière à la Vie *in*-16, 1926, *Paris, Collection* «*Science et Philosophie.*» *G. Beauchesne.*

من المادّة الى الحياة

هي المسئلة التي يحوم حولها نظر العلماء فكلٌّ يحاول حلّها على ما يظهر لهُ من حدسهِ او معلوماتهِ . فالكتاب الحاضر لاحد علماء فرنسة المعدودين خصّهُ بهذه القضية ففحص علميًّا كلّ ما قيل في حقّها نفياً وايجاباً لا يدع رأياً من آراء من سبقهُ إلّا تبينهُ وانتقدهُ فقد بلغ في نتيجة ابحاثهِ الى ان الحياة لا يمكن تعليل وجودها من تطوُّرات المادّة وعوامل الطبيعة فيها فلا بدَّ من خالق يجدي المادّة مبدأ الحياة. فنوصي بهذا الكتاب كلّ الذين يطلبون الحقّ بنزاهة واخلاص ج.ل

H. Aubert: Dictionnaire de Mythologie, *in*-16, *Paris*, 1927 *Libr. Vuibert.*

معجم اساطير القدماء وخرافاتهم

نعم الكتاب وضعهُ مؤلفهُ لافادة الدارسين والمدرّسين الذين كثيراً ما يحتاجون الى معرفة اساطير اليونان والرومان التي لا يخلو منها كتاب مدرسي ويشير اليها كل الكتبة ولاسيما اصحاب التآليف المدرسية . فنظّمها المؤلف على ترتيب حروف المعجم وبسطها بسطاً كافياً ليحرز المطالع اسرارها بكل سرعة . فلا غنى من مثلهِ لطلبة المدارس الثانوية والعليا

Comte H. de Keyserling: Le Monde qui nait. Traduction et Préface de CHR. SÉNÉCHAL. *in*-16, 1927, *Libr. Stock.*

العالم الجديد

هذا الكتاب لاحد الالمانيين المتشائمين من العالم الاوربي فهو يزعم انَّ التمدُّن السابق قد فني وسيقوم مكانهُ تمدُّن جديد مبني على نظريات بعض الغلاة من المتفلسفين كنيتشه وامثالهِ . والتأليف مكتوب بلغة عويصة قليلة الايضاح على الرغم من مساعي المسيو سنيشال الذي نقلهُ الى الافرنسية . فلا نظنّ انَّ احداً من العقلاء يعير الكاتب بالاً

Henri Massis: Défense de l'Occident. *in*-16, 1927 *Paris. Libr. Plon. Prix* 12, *f*

الدفاع عن الغرب

انَّ النكبات التي دهمت الشعوب الاوربية بسبب الحرب بعثت في قلوب بعض الغلاة البغض للتمدّن الغربيّ والتهوّس للرقي الشرقي . إلّا انَّ المنصفين من العلماء يرون في التحامل على التمدُّن الغربيّ تعنتاً وجوراً ولاسيما تمدُّن الامم اللاتينية المشبعة بالروح المسيحي . وذاك ما قصد بيانهُ مؤلف هذا الكتاب فانَّهُ يتجرَّد عن كلّ غرض شخصي ويفحص بكل اعتدال احوال العالم الشرقي ويقابلها باحوال التمدُّن الغربيّ فيثبت بحجج صادقة انَّ الغرب المسيحي لا يزال رافعاً لواء التمدُّن الصحيح الذي لولاه لأصبحت الدنيا في قعر البلاء والانحطاط

ج . ل

Kou-Houng-Ming: L'esprit du Peuple Chinois: traduit de l'anglais par P. Rival. *in*-16, 1927, *Paris, Libr. Stock.*

عقليّة الشعب الصينيّ

« كوهنغ منغ » احد الصينيين المفكرين الذي تخرّج في انكلترّة فلم يَرُقهُ التمدُّن السكسوني فعاد الى بلاده وسعى طاقة جهده في تعزيز تمدُّن وطنه ومناهضة التمدُّن الاوربي وقد بسط في هذا الكتاب افكاره مقبّحاً كثيراً من عادات الاوربيين ولاسيما الانكليز ل. ش

E. Haumant. Yougoslavie: Etudes et Souvenirs, *in*-16, 1927, 2me *éd., Paris, Editions Bossard, Prix* 9,60

يوغوسلافية

هذه دروس ومذكّرات لاحد الفرنسويين الذي اختلط زمناً طويلاً بالصقالبة ونشر عنهم مقالات عديدة يرتقي اوّلها الى السنة ١٨٨٩ وآخرها الى السنة ١٩١٦ فجمعها في كتاب واحد ظهرت طبعتهُ الاولى سنة ١٩١٩ فقدّر القرّاء قدرهُ واستدلّوا بهِ على كثير من الامور التي كانوا يجهلونها بخصوص تلك الامم القاصية التي تسعى اليوم في تعزيز قواها بتوحيد عناصرها . وها هوذا قد كرّر طبعهُ لاقبال الجمهور عليه ج. ل

La domination arabe en Arménie. Extrait de l'Hist. Univ. de Vardan traduit et annoté par J. Muyldermans, 8°, 1927, *Paris, Geuthner, Prix* 30 *f*

ارمينية في العهد العربي

هذه طرفةٌ من التاريخ العام الذي وضعهُ المؤرخ الارمني الكبير الراهب ثردان الذي اشتهر في القرن الثالث عشر للمسيح فعلّم في وطنهِ كتناغ في ارمينية الكبرى العلوم الكتابيّة ثم ساح زائراً الاراضي المقدّسة ودخل على ملك الارمن هيتوم الاوّل والملكة ايزابلّة وخدم جاثليق الارمن قسطنطين وحضر مجمع سيس سنة ١٢٤٣ ومات سنة ١٢٧١ في دير القديس غريغوريوس المنوّر المدعو خورفيراب . وقد خلّف تآليف مختلفة اخصّها تاريخهُ العمومي الذي جمع فيهِ كثيراً من المعلومات

التي اقتطفها من كتب مفقودة اليوم. وقد اختار منهُ الاديب ميلدرمنس الفصل المختص بتاريخ ارمينية في عهد الخلفاء لاشتماله على معلومات نادرة ومهمّة فنشرهُ في اصله الارمني مستندًا على عدّة نسخ خطّية ونقلهُ الى الفرنسويّة واضاف اليهِ افادات جمة فنال بعملهِ هذا اجازة المكتب العلمي في باريس الاب بصريان

A. Cartellieri : WELTGESCHICHTE ALS MACHTGESCHICHTE. 382-911 die Zeit d. Reichsgründungen, *gr.* 8°, 1927 *R. Oldenbourg Verlag, München, Prix*, 18 *M*, 50

تاريخ العالم بصفة كونهِ تاريخ القوّة

في هذا العنوان بعض الزهو. والكتاب مختصر تاريخ العالم من السنة ٣٨٢ الى السنة ٩١١ اراد مؤلفهُ ان يبيّن كيف تألفت دول الشعوب الجرمانية والامم العربية وقد صدّر كتابهُ بلائحة الكتب التي راجعها لتأليفهُ وهي عديدة جدًّا لكننا اندهشنا لسكوتهِ عن احد كبار المؤرخين هنري بيرن (H. Pirenne) . ومن اغلاطهِ ذكرهُ ارج راهط (ص١١٣) فكتبها (Merdsch Harit) ه. لامنس

Algazel: TAHAFOT AL-FALASIFAT. Texte arabe établi et accompagné d'un Sommaire latin et d'Index, par Maurice Bouyges S. J. *Beyrouth, Impr. Cath.*, 1927, 8°, *XXIX*-448

تهافت الفلاسفة للغزالي

نودّ ان يقابل المصريون بين طبعتهم لهذا الكتاب النفيس سنة ١٣٠٣ وهذه الطبعة الجديدة فيتعلموا من اين تؤكل الكتف. فانّ ناشر هذه الطبعة لم يشأ ان تعدم شيئاً من المحاسن فراجع بمزيد العناية ما يُعرف من نسخها المخطوطة ودوّن في ذيل الكتاب كلّ رواياتها وقدّم عليها الملحوظات المهمة وختمها بالفهارس المدققة وجعلها حلقةً من سلسلة تآليف فلسفية للعرب عُني الفلاسفة الاوربيون في القرون الوسطى بدرسها وانتقاد مضامينها . فنهنئ ناشر هذا الكتاب على حسن عملهِ ونتمنى ان يتحفنا باشباههِ قريباً ل. ش

منشورات المطبعة السلفيّة ومكتبتها في القاهرة (١٣٤٣—١٣٤٥)

١ و ٢ كتابان نفيسان لجناب الاستاذ الشيخ البارع عبد القادر المغربي. الاوّل

﴿الاخلاق والواجبات ص ٢٣٠﴾ والثاني ﴿البينات الجزء الثاني ص ٣١٨﴾ يحتوي كلاهما مقالات واسعة دينيَّة وادبيَّة واجتماعيَّة نُشر قسمٌ منها سابقاً في المجلَّات الوطنيَّة. امَّا كتاب الاخلاق والواجبات فقد جعلهُ المؤلف كدستور مدرسيّ لتهذيب اخلاق الناشئة الاسلاميَّة ولذلك اسند كلامهُ خصوصاً الى القرآن والحديث ونظر في شرح الامور نظر المسلم المتعمِّق لدينهِ. ٣ً ﴿الازهر﴾ مقالة حسنة بقلم منشئ مجلَّة الزهراء محبّ الدين الخطيب (ص ٥٥) ذكر فيها ماضي هذه الجامعة ووصفها في حالتها الحاضرة وبيَّن حاجتها الى الاصلاح لتجاري الرقي المصري. ٤ً ﴿ابن رشيق﴾ (ص ٩٣) هي محاضرة القاها ابو البركات عبد العزيز الميمني احد اساتذة كليَّة لاهور في الهند جعلها كمقدِّمة للكتاب التالي وضمَّنها عدَّة معلومات عن ابن رشيق وامور زمانهِ وعن ابن شرف القيرواني وابنهِ ابي الفضل جعفر. ٥ً ﴿النُّتف﴾ مجموع قطع شعرية (ص ١٦) للثلاثة الشعراء المذكورين ابن رشيق القيرواني صاحب كتاب العمدة ثم ابني شرف محمَّد وابنهِ جعفر. لابي البركات المذكور. ٦ً ﴿الميسر والقداح﴾ لابن قتيبة من افضل آثار القدماء في عادات عرب الجاهليَّة (ص ١٧٠) نسخهُ محبّ الدين الخطيب وصحَّحهُ وعلَّق عليهِ التعليقات الحسنة وختمهُ باربعة فهارس متقنة. ٧ً ﴿أعيان العرب في الجاهليَّة﴾ صناعة ابي اسحاق ابرهيم النجيرمي (ص ٣٢) عُني ايضاً محب الدين افندي بتصحيحهِ ونشرهِ نقلاً عن نسختي الخزانة التيموريَّة ودار الكتب المصريَّة. مدارهُ على ضروب الحلف عند قدماء العرب. ٨ً ﴿اتجاه الموجات البشريَّة في جزيرة العرب﴾ (ص ٧٦) للكاتب المذكور وصف فيهِ ما جرى من الهجرات العربيَّة منذ ستة آلاف سنة الى العراق والشام والى البلاد السامية خصوصاً. وممَّا قالهُ هناك ولا يسلَّم لهُ بهِ عالمٌ ثقة انَّ «اصل الكلدانيين والفينيقيين من العرب». ٩ً ﴿ثلث رسائل﴾ (ص ٨٠) نشرها عبد العزيز الميمني الراجكوتي الاثريّ. رسالتان منها لغويَّتان رسالة «كلَّا» لاحمد بن فارس ورسالة «ما تلحن فيهِ العوام» لابن سكيت. والرسالة الثالثة لشيخ الطريقة محي الدين بن عربي الى الامام الفخر الرازي ل. ش

كتب المطبعة العصرية لصاحبها الياس انطون الياس بمصر (١٩٢٦—١٩٢٧)

١ً ﴿ملقى السبيل في مذهب النشوء والارتقاء واثره في الانقلاب الفكري الحديث﴾ تأليف البحاثة اسماعيل مظهر (ص ٣٦٠ مع فهارس لتحليل الفصول

والسواد والاعلام) قال المؤلف في المقدمة :

«قضيت ما ينيف على عشر سنوات في دراسة مذهب دروين في النشوء والارتقاء وطالعت زبدة ما كتبه وكتب غيره من جهابذة علماء القرن الماضي وخرجت من مجمل ذلك بمذكرات وتعليقات آثرت ان اوزعها على عدة كتب ابدأ منها بهذا الكتاب وسوف انشر بقيتها في كتب خاصة . . على ان الفكرة المسلطة الآن على مشاعري واحساساتي تتراوح بين الشك واليقين . . . »

شكٌّ ويقين حالة ريبة نفسيَّة يطلع عليها القارئ في فاتحة الكتاب وخاتمته . وتلك هي حالة المتضلعين من العلوم الطبيعيَّة المعالجين فكَّ اسرارها من غير ما يبتنون لبحثهم اساساً متيناً على المبادئ الفلسفية المثبتة الفرق الجوهري بين الروح والمادة . وهذا الفرق يهدي اليه العقل السليم فضلاً عن الكتب الالهية وهي لا تجزم بعدم امكان حدوث بعض التطور والارتقاء في الانواع على شرط ان تُصان حرمة النفس الناطقة ومنزلة الانسان المخلوق على صورة الله . ٢ ﴿ التعليم والصحة ﴾ تأليف الدكتور محمد عبد الحميد بك مدير مستشفى الملك وكبير جرَّاحيه الخ . . . (ص ١٦٠) هذا كتاب جمع فيه صاحبه مسائل التعليم المرتبطة بالصحة مقتبسة عن بعض المجلات والكتب الانكليزية وقدَّمه الى قراء العربية « كنزاً » يستنبطون معادنه فاستحق الثناء . ٣ ﴿ مركز المرأة في قانون حمورابي وفي القانون الموسوي ﴾ تعريب الكاتب البحاثة الاستاذ سليم العقاد (ص ١١٩) حبذا المؤلَّف الرافع بمكانة المرأة وما احوجنا اليه في هذه البلاد التي طالما تناهت عن حقوق المرأة وواجبات المجتمع نحوها ويا حبذا لو تجري على القوانين الانجيلية . ٤ ﴿ مكايد الحب في قصور الملوك ﴾ تأليف ثورنتن هال وترجمة اسعد خليل داغر (ص ٢٦٧) ما كان احرى الكاتب النحرير ان ينزّه قلمه عن امثال هذه المرويَّات ويستخرج لقراء العربية من نخب الكتب الغربية ما يعود بالشرف على المؤلف والمعرّب والناشر الاب فرديناند توتل

مرقاة المترجم في اللغتين الفرنسية والعربية

للاب يوسف عاوان اللعازري

الجزءان الثالث والرابع : كتابا التلميذ والمعلم المطبعة الكاثوليكية ١٩٢٧

قد انتهى حضرة الاب عاوان من تأليف هذا الكتاب النفيس الذي اطَّلعنا على كلّ صفحة من صفحاته من كلّ اجزائه الاربعة سواء كانت للتلميذ ام للمعلّم .

فيمكننا ان نحكم فيها حكماً صحيحاً مجملاً فنقول انّ فنّ الترجمة من لغة الى أخرى لمن اشكل الامور حتى بين اللغات المتقاربة ذات المنشإ الواحد وهو بين اللغات المتباينة الاصول اشدّ اشكالاً وصعوبةً وهذا يلوح خصوصاً بين اللغات الاوربيّة والساميّة كالفرنسوية والعربية ولهذا السبب قلّما تجد من يُحسن الترجمة من احداهن الى الاخرى. وقد احسّ الانتداب الفرنسوي على سوريّة بحاجتنا الماسّة الى حذّاق المترجمين ففتح في دمشق مكتباً لتخريج بعض الشبان في هذا الفنّ فأتى ببعض الفوائد الّا انّ الفنّ المذكور لا يمكن تعميمهُ بين ناشئة المدارس وسواهم دون كتاب يكون كدستور لهذا العلم الشاقّ. وكان الكتاب الى يومنا مرغوباً فيهِ لم يوجد ما يستوفي شروطهُ. فتحفّز حضرة الاب علوان لهذا العمل وصرف في تحقيقهِ وتنفيذهِ السنين الطوال حتى اخرجهُ على ما تشاءهُ هو وطالبو فنّ الترجمة وقد راجع لتأليفه امّهات الكتب والمعاجم العربية والافرنسية فدوّن مفرداتها ومصطلحاتها واختار من مصنفات الادباء في اللغتين نخباً شائقة ومواضيع رائعة منها نثرية ومنها شعرية ينقلها المترجم من لغةٍ الى لغة حتى اذا تمرّن على اجزاء هذا التأليف الجليل أصبح قديراً على فنّ الترجمة لا يعوقهُ شيء من مشاكلها. فبكل جدارة نثني على مؤلف هذا الكتاب وعلى عملهِ ونوصي بهِ كل من يريد مزاولة هذا الفنّ ونتمنى ان تدخلهُ المعارف في جملة كتبها المدرسية

الانجيل الطاهر واعمال الرُسل

طبعة جديدة بالمطبعة الكاثوليكية (ص٥٢٠)

ذكرنا سابقاً في المشرق (٢٠ [١٩٢٥] : ٦١٦) الطبعة الاولى لهذا الكتاب الذي همّ بنشرهِ نيافة القاصد الرسولي مع ما اضيف اليهِ من الشروح. ففي هذه الطبعة الجديدة اتّسع حضرة الاب انطون صالحاني بالشروح المذكورة ففسّر عدّة آيات انجيليّة لا تخلو من بعض المشاكل ليقف القرّاء على صحّة معانيها. وقد ألفتَ حضرتهُ نظرهم الى غلطة وقعت (ص ٤٦١ــ٤٦٢) بوضع جملة في غير محلّها. والصواب ان يقرأ ما هناك على هذه الصورة : « ومنهنّ (اي من ازواج هيرودس الكبير) ملتكي التي ولدت لهُ ارخلاوس وهيرودس انتيباس قاتل يوحنا المعمدان والساخر بالمسيح فهيرودس هذا اخذ هيروديّا امرأة اخيهِ فيلبّس الاول الذي كان في قيد الحياة» ل. ش

حياة المسيحي السعيدة في عبادة قلب يسوع المجيدة

الجزء الثاني : الساعة المقدَّسة للاب متى كراولي

طبع في مطبعة عين شمس بمصر (8 ١٩٢٦ ص ٥١٢)

الساعة المقدَّسة ساعة من الزمن يقضيها المتعبّدون لقلب يسوع في ليلة الخميس الى الجمعة من اوّل اسبوع كل شهر فيمارسون فيها رياضات روحيَّة تكفيراً عن آثام البشر . يرتقي اصلها الى وحي السيد المسيح بها الى عبدته القديسة مرغريت ماري الاكوك في القرن السابع عشر . فالاب متى كراولي احد آباء القلبين الاقدسين وضع هذا الكتاب ليكون دليلًا لممارسي هذه العبادة لئلّا يملّ فيها المؤمنون بل يقضوها بكل ورع وتُقى . فنشكر حضرة القس يوسف لويس القبطي الكاثوليكي لتعريبه هذا الكتاب ونوصي به الذين يمارسون العبادة المذكورة ليجتنوا اثمارها الصالحة

راشيّا

نضمّ صوتنا الى صوت حضرة الخوري منصور عوّاد صاحب هذه الكرّاسة اللطيفة المزدانة بعشرين رسماً فنطلب من ارباب الانتداب ومن كل اصحاب الامر في الحكومة اللبنانيَّة ان ينصفوا نصارى قصبة راشيّا ضحايا الهمجيَّة الدرزيَّة وشهداء محبّتهم المخلصة لفرنسة فيعوّضوهم عمّا خسروهُ بالقتل والنهب والحريق ويؤمّنوهم على حياتهم واحوالهم في المستقبل ل . ش

حروب ابرهيم باشا المصري في سوريا والاناضول

علّق حواشيها ووضع فهارسها الدكتور اسد رستم

عُني بنشرها الخوري بولس قرألي في المطبعة السورية بمصر ١٩٢٧ (ص ٦٧)

هي طرفةٌ جميلة وقف عليها حضرة الخوري بولس قرألي صاحب المجلة السورية بين اوراق البطريرك بولس مسعد المحفوظة في خزانة الدار البطريركيَّة في بكركي تتضمّن اخبار حروب ابراهيم باشا في سوريَّة والاناضول وهي لكاتب مجهول فسلّمها حضرتهُ لجناب الدكتور أسد رستم استاذ التاريخ الشرقي في الجامعة الاميركيَّة لينشرها نشراً علميّاً فقام بهذا العمل احسن قيام وها قد تمَّ الجزء الاوّل منها فقدّم عليها

المقدّمات الوافية واستدلّ على مؤلفها وعلّق عليها التعليقات الثمينة . كما انّ حضرة الخوري بولس اضاف اليها بعض الوثائق التاريخيّة . فنثني الثناء التامّ على هذا العمل القيّم ونتمنّى لهُ كلّ رواج

الروائع : الشعر الجاهلي : الشنفري . المهلهل

بقلم الاستاذ فؤاد افرام البستاني

المطبعة الكاثوليكية ١٩٢٧ (٦٨×٥١)

اشعار الشنفرى والمهلهل كمرآة حياة اهل البادية . فاختارهما جناب الاستاذ فؤاد افندي ليُطلع الناشئة على عقليّة عرب الجاهليّة وقد قدّم على شعرهما دروساً حسنة ترشدهم الى معرفة الشاعرين وانتقاد منظوماتها وبها تجزت الحلقة الثالثة من الروائع

دليل شركة مصايف لبنان للسنة ١٩٢٧ (مصر) الدليل الى مصايف لبنان (بيروت المطبعة الكاثوليكية) وكلاهما بالفرنساوي والعربي

لبنان سويسرة الشرق فتحبّذ كل المساعي التي من شأنها ان تبيّن فضلهُ لطالبي الاصطياف من جهات الشام ومصر والعراق . وهذه الادلة باوصافها ومعلوماتها ورسومها البديعة لمن افضل الوسائل لتشويق العموم الى الالتجاء الى لبنان من حرارة القيظ ولفحات الحرّ المضنية فنشكر الذين تولّوا هذا العمل من شركة مصايف لبنان وادارة مصلحة الدوائر الاقتصاديّة فانهم يخدمون بهِ وطنهم افضل خدمة

قاموس لبنان جمعهُ وديع نقولا حنّا

طبعهُ بمطبعة السلام في بيروت سنة ١٩٢٧ (ص ٢٦٣)

هذا القاموس وضعهُ الاديب وديع افندي نقولا حنّا صاحب مجلّة المعارف على نظام حروف المعجم وذكر فيهِ كل ما يحتويهِ لبنان من مدن وقرى ومزارع مع الدلالة على الاقاليم والمحافظات والمديريّات وعدد السكان وطوائفهم . فنثني على همة الكاتب ونشير عليهِ ان يعيد النظر في عملهِ ليحسن طبعهُ ويضبط اسماء اعلامهِ وليصلح كثيراً من معلوماته غير السديدة ويجري في تعريف كل بلدة بما تستحقهُ من الوصف دون الزيادات والتوافل التي لا علاقة لها مع الكتاب فيكون لهُ احسن موقع ل . ش

شذرات

﴿ الشهيد بطل ﴾ هذه الابيات انشدها جناب الاستاذ يوسف غلبوني في حفلة اعياد تطويب شهداء دمشق المسابكيين

حيّوا الشهيد تحيّوا قوّة البطل ... وقدرة الدين والايمان في الرجل
فيه الإرادة كالصمصام ماضية ... قدّت من الصخر بل من معدن الأسل
يرمي التألم عزّاً في تشهده ... يرى العذاب له أحلى من العسل
تراه في الذود عن إيمانه أسداً ... وفي وداعته ينقاد كالحمل
يساق للذبح سوق الشاة وهو يرى ... دماء جثمانه تجري بلا وجل
عن قاتليه يروم الصفح مقتدياً ... بقاب ربّ بخير العاطفات مُلي
دماؤه في سبيل الله قد هدرت ... لكنها أكسبته رفعة النبل
وبعد حنظل آلام مبرّحة ... نال المنا، جزاء الصدق في العمل
مات الشهيد وحبّاً بالمسيح بدا ... يزري بمجد الظبي والبيض والنصل
وللهدى والسما أحشاؤه هتفت : ... دين المسيح اعتقادي، مذهبي، شغلي
دين المسيح شعاري، رايتي، عملي ... دين المسيح حياتي، عزتي، أملي
عن دين إيسوع لا تهديد يردعني ... فيه اموت قرير القلب والمقل

. . . .

مسابكيّي بلادي فخر ملّتنا ... مجد الكنيسة والانجيل والرسل
إن يحيَ في الشام ذكر عاطر لكم ... يكن صداه ببيروت صدى جذل
او ترفعوا للتجلي في كنائسنا ... فوق الهياكل عزّت أرزة الجبل
دروا على طالبي صلواتكم نعماً ... تهمي على شعبنا كالعارض الهطل
وثبتوا في الهدى أحفادكم فلهم ... في موتكم مثل لله من مثل

. . . .

مجد الشهيد علا كالشمس صاعدة ... فوق الجبال وفوق الاوج والتلل
ان الشهيد لقديس نعظمه ... لانه قد ثوى قرب العلي الأزلي
حيّوا الشهيد بتعظيم وتكرمة ... حيّوا تقي فارس مستبسل بطل

﴿اعياد القرن الثالث لمدرسة انتشار الايمان في رومية﴾ أُقيمت في رومية حفلات شائقة بمناسبة القرن الثالث لانشاء مدرسة انتشار الايمان حضرها كثيرون ممن تخرَّجوا فيها منهم كرادلة وبطاركة واساقفة شرقيون ومشاهير الرجال في كل انحاء البلاد. وقد مرَّ لنا تاريخ هذه المدرسة (المشرق ٢٠ [١٩٢٢] : ٤٨١ــ٤٩٥) عند ذكرنا العيد القرني الثالث لانشاء مجمع انتشار الايمان. وقد اطَّلعنا على عددَين رائعين خُصَّا بذكر المدرسة المذكورة (Alma Mater, 1927) وبالحفلة العيديَّة التي عُقدت بحضور قداسة الحبر الاعظم فتُليت المقالات التذكاريَّة في ثلثين لغة (Accademia Poliglotta) فطُبعت بحروفها الاصليَّة. والعددان آية في الجمال والتصاوير البهيَّة

﴿وفاة كاتب كبير﴾ فقدت الآداب العربية عموماً ومجلَّة المقتطف خصوصاً احد اركان النهضة العلميَّة التي ظهرت في عصرنا في الشرق الادنى نريد بهِ الدكتور يعقوب صرُّوف الذي انتقل الى رحمة ربِّهِ في نفس السنة التي تكلَّل بها عملهُ بتاج من الفخر في حفلات عرس مجلَّتهِ الذهبي فذهب ممدوحاً مشكوراً مخلِّفاً آثاراً أطرأناها غير مرَّةٍ مع بعض التحفُّظ في آرائهِ الدينيَّة والفلسفيَّة انتصاراً الحق. وسُررنا لعلمنا بان قوماً من ارباب الادب يعدُّون لذكرهِ حفلةً تأبينية تخليداً لمآثرهِ الطيِّبة

﴿كسوف الشمس في ٢٩ حزيران﴾ مرَّ كسوف الشمس في صباح ٢٩ حزيران دون تأثير كبير في اهل بلادنا: اوَّلاً لان الكسوف كان جزئيًّا لم يُحجب من الشمس سوى ثلثها وثانياً لانتشار بعض الغيوم في الجوّ. امَّا في بعض جهات اوربَّة فكان الكسوف تامًّا وحلقيًّا. وقد اتتنا المجلَّات الانكليزيَّة طافحة بوصف كسوف الشمس في مرصد جيفلسويك في كنتية نيويرك مع تصاوير بديعة لاحوال الشمس قبل كسوفها التام. وفي وقت كسوفها ورسم الحلقة النوريَّة حول القمر عند كسوفها التامّ وقد دوَّنوا مدَّة ملحوظات عن تأثير الكسوف في الطبيعة وفي الطيور والمواشي

﴿تعليل الحرّ اللافح الذي حدث في اواخر حزيران واوائل تموز﴾ علَّل الفلكيون ذاك الحرّ الغريب الذي دلَّت عليهِ موازين اقيسة الحرارة بتقرُّب نجم مذنَّب من ارضنا في ٢٧ حزيران وقد اقترب النجم المذكور من كُرتنا اكثر من كل الاجرام السماويَّة ما خلا القمر فكان بعدهُ عنها ٣،٥٠٠،٠٠٠ ميل فقط وكاد يمسّ بذنبهِ سطح ارضنا وهذا النجم يُعرف باسم اوَّل مكتشفيهِ (Pons-Winncke)

أسئلة وأجوبة

س سئلنا بمناسبة وقوع الزلزال في ١٢ تموز أيُعرف شيء من اسباب الزلازل وقوانينها وعلاماتها

الزلازل اسبابها وقوانينها وعلاماتها

ج للمشرق في الزلازل عدّة مقالات ممتعة ففي سنته الاولى (١٨٩٨ ص ٣٠٣ و٣٣٧) ذكر حضرة الاب لامنس زلازل سوريّة وبيّن نواميسها وسيرها على خطّين ساحلي وداخلي. ثمّ خصّ نظرهُ بالزلازل في بيروت في المشرق (٢: ٩٧٠). وقد عمّم المسألة جناب الكاتب الاديب عبدالله بك خير بمقالتين واسعتين بحث فيهما عن كل ما يتوط بالزلازل من اسباب وعلامات وتقسيم وانواع وتأثير ونتائج (المشرق ٣: ٤٦٣ و٦٥٠). وفي السنة التاسعة للمشرق (١٩٠٦: ٤٨٥) خصّ حضرة الاب كولنجت درسهُ بالبراكين والزلازل فبيّن العلاقات التي بين هذين الكائنين الطبيعيّين. فنحيل القرّاء الى مراجعة هذه المقالات النفيسة

س سألنا في عدد سابق احد افاضل الادباء في نزهة عن الروايات التي يستطاع تمثيلها في النوادي الكاثوليكية فلم نستوفِ الجواب

الروايات الممكن تمثيلها في النوادي الكاثوليكية

ج طبعت في غير مطبعتنا عدّة روايات لابأس من تشخيصها على مراسح المدارس والنوادي الكهنوتية: ١ً رواية البطريرك جبرائيل حجولا الشهيد الخوري يوحنا بطّوس. ٢ً النعمان ملك الحيرة في بني شيبان لهُ. ٣ً و ٤ً روايتان عن اكتشاف كريستوف كولومب لاميركا للقس كميل مارون والخوري يواكيم اسطفان. ٥ً تنصّر كلوفيس للخوري نقولا ابي هنا. ٦ً الدرّة الفريدة في افدوكسيا الشهيدة للخوري ميخائيل غبريل. ٧ً في سبيل الشرف لجميل افندي البحري. ٨ً قاتل اخيهِ. لهُ. ٩ً سجين القصر. لهُ. ١٠ً رواية الابن الضالّ لالياس لطف الله. ١١ً مأساة ايوب الصديق لهُ. ١٢ً القرد الكبير لشبلي ملّاط. ١٣ً رواية تحرير اميركا لانطون امين فرح. ١٤ً الغدر للخوري برتلماوس صليبا. ١٥ً فيليب اوكسيت للخوري الياس الحانك. ١٦ً داود الملك للخوري بطرس البستاني. ١٧ حلم فيقظه للخوري نعمة الله باخوس. ١٨ً السترءل لانطون بك جميّل الخ

ل.ش

المشرق

كتاب الصلوات
وحركة التطوّر في الكنيسة الانكليكانية

بحث تاريخي ديني (١

بقلم الاب فردينان توتل اليسوعي

اخذت الصحف والمجلات تلفت انظار قرّائها الى حركة نشأت من عهد بعيد في انكلترة وظلت اخبارها محصورة في دائرة الامور الدينية لكنها دخلت اليوم في طور جديد وقد دار على محورها حديث الخاصّة والعامّة لما لها من العلاقات مع شؤون الدولة السياسيّة والاجتماعية اعني بها قضية كتاب الصلوات (Prayer Book)

شرع الديوان الكنائسي الأعلى يعيد فيه النظر منذ العام ١٩٢٣ ليجعلهُ ملائماً في عصرنا لاحتياجات الشعب الروحية واميالهم وعواطفهم. فانجز عملهُ ونشرَه في شهر شباط الماضي. وما ظهر الكتاب الّا صار هدفاً لنقد الاحزاب على اختلاف نزعاتهم. ولمّا كان ولا بدَّ من موافقة البرلمان والملك عليهِ تقدَّموا بهِ الى الحكومة. وآخر ما بلغنا عن الامر من اخبار لوندن (٢٧ تموز) «ان ٧٠ عضواً من مجلس النواب اصدروا باتفاق الآراء قراراً يقضي بتنظيم التدابير اللازمة لمعارضة الكتاب»

وان مسألة كهذه سوف توسّع مجالاً للمناقشات العنيفة والمجادلات الطويلة.

---

١) راجع Baudrillart: Dictionnaire d'Histoire et de Géographie ecclésiastique. art. *Angleterre*-Vacant-Mangenot; Dictionnaire de Théologie Catholique, art. *Anglicanisme*

تردّد الصحافة صداها الى اقاصي الافاق وتثير همّة المسيحيين خاصةً للوقوف على مغبّاتها لما لها من الشأن في مصلحة الدين

فرأينا ان نعرض الامر على صفحات المشرق فنبسط السبب لتدخّل الحكومة في القضية ونعرّف القارئ بكتاب الصلوات ونبحث في دواعي المناوشة عليه على النور يشعّ من حوادث الزمان وعبَر التاريخ فيهدي ذوي القلوب السليمة الى حظيرة المسيح الواحدة

١ً الدين والدولة في انكلترة

كان الدين مستقلّاً عن السلطة الزمنية في انكلترة قبل انفصالها عن رومة شأنهُ في سائر البلاد الكاثوليكية . وكان اوّل من تولّى نظامها البابا القديس غريغوريوس الاول الكبير الذي ارسل اليها في العام ٥٩٢ القديس اوغسطينوس مع اربعين راهباً لينشروا فيها الايمان وهو الذي قسم بلاد الانكليز الى مقاطعتين كنسيّتين مقاطعة كنتربري جنوباً . ومقاطعة يورك شمالاً وجعل للاولى نفوذاً على الاخرى حفظاً للوحدة والترتيب والاتفاق مخوّلاً رئيس اساقفة كنتربري حق الولاية على انكلترة كلها

ومن ثم تألف في البلاد مجلسان دُعيا بالندوة (Convocation) لكل مقاطعة مجلس يشرف عليه رئيس اساقفته ويعقد جلساته في مدينته . ويجتمع المجلسان من حين الى آخر في مؤتمر عام للتداول في الامور الراجعة اليها ولم يكن للسلطة الزمنية حق في التدخّل فيهما الى ان اندسّ الشقاق في انكلترة فعدل الاكليروس الانكليكاني عن طاعة الكرسي الرسولي ودخل في طاعة ملك انكلترة ملتمساً اوامره حتى في الروحيات

في القرن السادس عشر سأل الملك هنري الثامن (١٥٠٩ــ١٥٤٧) الحبر الاعظم فسخ زواجه بامرأته كاترين داراغون وكان قد قضى معها ست عشرة سنة لكنه لم يُرزق منها ولداً ذكراً . وكان مشغوفاً بعشق حنة بوالين . فما كان أهون على البابا من تسطير بعض الاسطر وختمها بختمه مجاراةً لملك انكلترة على رغائبه وازالةً لانفصال دولةٍ من اعظم الدول عن الوحدة الكاثوليكيّة . لكن وديعة الايمان وحفظ آداب الكنيسة جوهرةٌ لا يعادل ثمنها الدنيا وما فيها وليس بوسع البشر ان يغيّروا كلام من قال : «ما جمعهُ الله فلا يفرقهُ انسان» و«السماء والارض تزولان وكلامي لا يزول»

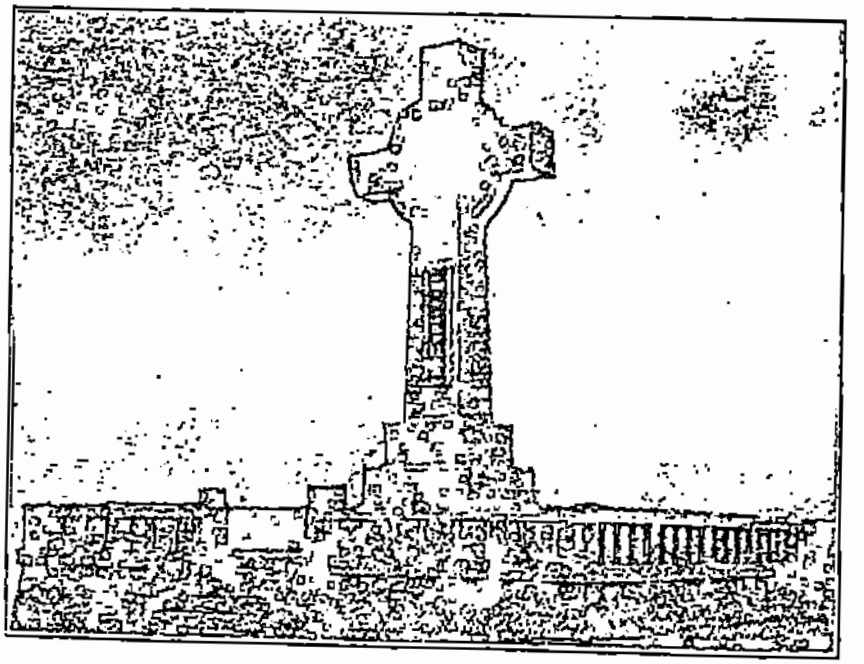

صورة الصليب المقام في اماغوشي في اليابان

ذكرًا للقديس فرنسيس كسفاريوس يوم حلوله في تلك المدينة سنة ١٥٥٠

(راجع المقالة المنشورة في المشرق في عدد ايار ص ٣٦٥-٣٧١)

فلم يرضَ الاب الاقدس بانفصام عرى الزواج المسيحي ولم يسمح لملك انكلترة بالطلاق. فرفع هنري الثامن لواء العصيان وطلّق امرأته وتزوج بعشيقته ثم قتلها وتزوّج سفاحاً باربع نساء بعدها . وساعده في ذلك خلائقهُ الذين اختارهم لمناصب الدين والدولة واخصّهم كنمر (Cranmer) اسقف كنتربري صاحب الولاية الكنائسية على انكلترة (Primat d'Angleterre) وذو المسئولية العظمى في انشاء كتاب الصلوات

وكانت البدعة البروتستانية قد نشأت واخذت تنفث سمّها في انحاء اوربّة. فسرعان ما تسرّب في قلوب كثيرين من الامراء ورجال الاكليروس لما كانت عليه الديانة آنئذ من الخمول والفتور ولما كان عرا بعض الرهبان في شمالي اوربّة من التراخي في حفظ نذورهم المقدسة. فانتشرت جراثيم البدعة حتى في بريطانية العظمى حيث وجدت لها ارضاً مخصبة مستعدة لنموّها(١ . وما تعاقب هنري الثامن وادوار السادس واليصابات على عرش انكلترة الّا تمّ الانفصال فيها عن الوحدة الرومانية». وظهرت للوجود كنيسة جديدة دعوها بالانكليكانية وهي تمتاز عن سائر الكنائس البروتستانية خاصة بكونها الكنيسة الرسمية والملك رئيسها. واليك بعض بنود دستورها الاساسية :

لا تزال كنتربري ويورك القاطعتان الكنسيّتان مرجعاً لاساقفة انكلترة الاثنين والثلاثين. امّا امرهما فراجع الى الملك الذي ينصب الاساقفة في وظائفهم. فاذا أُعلن اسم احدهم وسيم اسقفاً سار الى القصر الملكي موشّحاً بوشاحه الكنائسي فيُدخلهُ احدُ الحجّاب على الملك وفقاً لقانون التشريفات المعهود . فيركع الاسقف ويقبّل كتاب التوراة ويحلف قائلاً :

«انا . . . ملتزم باللاهوت ومنتخب وشيت ومرسوم اسقفاً على ابرشية . . . اعترف ههنا ان جلالتكم هو الحاكم الوحيد والاعلى في هذه المملكة سواء في الامور الروحية ام الزمنية وان لا حبر ولا امير لهُ حقّ ولاية في هذه المملكة واقرّ باني تسلّمت هذه الابرشية من

١) ولم تخل آنئذ كنيسة انكلترة من مؤمنين بواسل استشهدوا في سبيل الايمان الروماني في مقدمتهم يوحنا فيشر اسقف روشستر وتوما موروس القنشلار الشهير ويوحنا هال خوري ايلورث واليسوعيون ادمون كمبيون ورفقاؤه وغيرهم. حفظوا بآلامهم واقدامهم جذوة الايمان وادّخروا للذراري التالية نسمةً تؤهّلهم للارتداد الى الكثلكة التي لا تزال بازدياد يوماً فيوماً مع تواصل حركة اوكسفرد

جلالتكم وحدها سواء كان في الروحيات ام في الزمنيات فلذلك اقدّم اكراماً لجلالتكم من اجل مداخيل هذه الابرشية الزمنية...»

على ان سلطة الملك في بلاد الانكليز لم تبقَ مطلقةً بل تقيَّدت بشروط دستورية جعلت لنوّاب الأمّة حقًّا في الحكم والتشريع فصارت من ثمَّ التدابير المنوط امرها بالسلطة الملكية مقيَّدةً بارادة النواب. ولكون التغييرات المحدثة في كتاب الصلوات معهود امرها بموافقة الحكومة عليها فلا عجب أن تقدَّموا بها الى البرلمان ليقرّر رأيهُ فيها قبل ان يرفعوها الى الملك لتنال بتوقيع اسمهِ سلطةَ التشريع

ولكن هل من داعٍ الى تدخُّل حكومة بريطانية العظمى في شأن كُتيِّب بسيط ؟ وما عسى ان يكون «كتاب الصلوات» ؟

٢ كتاب الصلوات

هو دستور ايمان الكنيسة الانكليكانية وقاعدة صلاتها ومعتقداتها

اسمهُ الشائع كتاب الصلوات وعنوانهُ الكامل يُقرأ على هذه الصورة في نُسخته المرتَّبة المطبوعة في لندن سنة ١٨٥٠:

«كتاب الصلوة العامة واجراء السرَّين والرسوم والطقوس الكنائسية على موجب استعمال كنيسة انكلترَّة وارلندة المتَّحدة. مع كتاب مزامير داود قد عُيِّن كما هو للترتيل او للقراءة في الكنائس وصورة وصيغة لتعيين ورسم وتقليد الاساقفة والقسيسين والشمامسة»

فهو مجموع يناسب محتواه ثلاثةً من كتب الكنيسة اللاتينية: ١ً كتاب الفرض (Bréviaire). ٢ً كتاب القداس (Missel). ٣ً كتاب الرتب لمنح الاسرار والبركات (Rituel)

وقد اجتاز كتاب الصلوات مرحلتين (١ قبل ان يبلغ الينا في صورتهِ الحاضرة او بالحري في الصورة التي كان عليها الى ان احدث فيهِ الاكليروس الانكليكاني التغيرات التي سوف نأتي على ذكرها

﴿المرحلة الاولى﴾ كانت السنة ١٥٤٩ ظهر فيها كتاب الصلوات وعليهِ صبغة

١) راجع مجلة التاريخ الكنائسي سنة ١٩١١: REVUE DES QUESTIONS HISTORIQUES 1911: Les Transformations de l'Eglise Anglicane... Le premier... Le second livre de la prière publique, p. 38-80;242-170;414-459

التعليم اللوتيري فيما يخص ذبيحة القدّاس والفرض والرتب. امّا القداس فكان مجرّداً من كل ما يجعله ذبيحةً بالاشارة وبالمعنى ولم يبقَ منهُ الّا رتبة «الشركة» اي المناولة لا غير. وامّا الفرض فأسقطوا منهُ صلوات ساعات النهار ولم يتركوا الّا صلوات الصبح والمساء. وامّا كتاب الرتب فغيّروا فيهِ ما يختصّ بمنح اسرار المعمودية والتثبيت والتوبة

على انّهم ابرزوا الكتاب في حلّة لا تكاد تغيّره عن زيه الكاثوليكي الاصلي مداهنةً وخداعاً كي لا تجفل منه النفوس المولعة بحفظ القديم فابقوا على صلوات القانون التي تتلى قبل الكلام الجوهري وبعده وهي عريقة القدم في الكنيسة ان لم نقل انّ بعضها يرقى الى عهد الرسل. وموّهوا اضاليلهم بعبارات مبهمة يصحّ تأويلها بمعانٍ متضاربة لرغبتهم في ان يتفق عليها المتطرّفون من تبعة التعليم الارثوذكسي التقليدي ومن المبتدعين

وعهدوا فيما بعد بكتابهم الى رجلين من الغُلاة في «الاصلاح والابداع» احدهما الالمانيّ اسمه مارتين بوسر (Martin Bucer) والآخر ايطالي اسمه بطرس مرتير (Pierre Martyr) فخرج من بين ايديهما ممسوخاً مجرّداً من كل ما يمكنهُ ان يوافق التعليم الكاثوليكي. تلك كانت مرحلة الكتاب الاولى

اما «المرحلة الثانية» فقد بلغها في العام ١٥٥٢ فتحوّل الى الصورة التي ظلّ عليها الى عهدنا او كاد. وقد اضافوا اليهِ رتبة سيامة رجال الاكليروس. وكانت تلك الرتبة في الظاهر موافقة «لروح الكنيسة القديم» لكنهم اعدموها مفعولها الجوهري اذ نفوا منها نفياً مطلقاً كل ما يجعلها موافقة لتعليم الكنيسة الجامعة واعربوا عن ارادتهم انهم لا يريدون ان يفعلوا ما تفعلهُ الكنيسة الرسولية. ومن المعلوم ان هذا الشرط هو جوهري لصحة تتميم الاسرار

نعم انهم خوّلوا الكاهن حق الولاية في التعليم والوعظ وترتيب الطقوس المقدسة لكونهِ ممثل الكنيسة الشرعي انما نزعوا عنهُ سلطتهُ على جسد المسيح فليس بوسعهِ ان يقدّسهُ ولم يبقوا لاساقفتهم سلطةً ليرسموا كهنة ذوي مقدرةٍ على تقدمة الذبيحة فاطفأوا بيدهم مصباح الكهنوت الذي كانوا تناولوهُ نيّراً وضّاحاً من الرسل على يد الاساقفة المتسلسلين منهم. وهذه النتيجة المحزنة اصبحت حقيقة راهنة منذ استُفتي بها

البابا لاون الثالث عشر وبتّ فيها بتًّا مبيناً اي ان سلطة الكهنوت الشرعي قد زالت من كنيسة انكلترة (١

وفي العام ١٥٦٢ ذيّلوا الكتاب بالتسعة والثلاثين قضية. وقد نشرت مجلة المشرق (٧ [١٩٠٤]: ٩٣٥) ملخص بنودها وهي دستور الايمان الانكليكاني واوجزت تعليمهم فقالت (ص ٩٣٧) :

«ان الانكليكان يتّفقون مع الكنيسة الرومانية ويخالفون الكنيسة الارثوذكسية. فيؤمنون بانبثاق الروح القدس من الآب والابن. وفي ما خلا ذلك يخالفون الكاثوليك والارثوذكس معاً وذلك في تحديد كفاءة الكتاب المقدس برفضهم التقليد الكنسي وقبولهم قوانين الايمان الثلاثة (النيقاوي والرسلي والاثناسي) لانهُ «يمكن اثبات كلّ ما فيها بواسطة الكتاب المقدس» وفي الضلال الذي يعزونه للمجامع المسكونية المقدسة ونكران سلطتها وابطال قسم مهمّ من الاسرار الموحاة وان ما يصنعهُ الانسان قبل التبرير لهُ طبيعة الخطيئة ونكران خمسة من الاسرار السبعة مع رذل الاستحالة (اي تحويل الخبز والخمر الى جسد ودم سيدنا يسوع المسيح) وذبيحة القداس الالهي واكرام الصور والذخائر والالتجاء الى العذراء المجيدة والى القديسين الى غير ذلك مما لم نذكره حبًّا بالايجاز»

وقد طرأ على كتاب الصلوات تغييرات شتى على مر الزمان وفقاً لاحتياجات الساعة الى ان دخل حديثاً في طور ثالث من تاريخه بما احدثهُ فيه من التجديد المؤتمر الاكليريكي الاعلى وتقدَّم به الى الحكومة لينال مصادقتها عليه كما ذكرنا واليك اهمّ تجديداته كما روتها مجلة التاريخ الكنائسي في عدد نيسان الماضي (وج ٣٩٣ــ ٣٩٤)

١) استغاثة الروح القدس او ابيكلاسيس (Ἐπίκλησις) في رتبة العشاء السري المناسبة «للقانون» في القداس الكاثوليكي

٢) حفظ التقادم المقدسة (Consecrated Gifts) لاجل مناولة المرضى والتفسيح لاستقف الابرشية بان يسمح بحفظ «الوديعة» دوماً على شرط ألّا تكون موضوعاً للعبادة

٣) لبس البدلات الطقسيّة في رتبة العشاء السرّي

---

١) وقد اقرّ كثيرون من رجال الاكليروس الانكليكان انفسهم بصحة تلك النتيجة فاخذوا يقصدون الى اساقفة من غير بلادهم من ذوي الكنائس المنفصلة عن رومية ليتناولوا منهم السيامة الكهنوتية الحقيقية

٤) إعفاء المرأة من الوعد لطاعة رجلها اذا لم يتفق ذلك الوعد ورأي المرأة في واجباتها ؛ وغير ذلك من التعديل في رتبة سرّ الزواج

٥) تلاوة بعض الصلوات الموضوعة لاجل الموتى

٦) تغييرات عديدة في سنكسار الاعياد . كاضافة اسماء عدة قديسين كفرنسيس الاسيزي وكاترينا السيانية وبرنردوس وكإضافة عيد ذكر الاموات في اليوم الثاني من تشرين الثاني وحذف لبعض اسماء غيرهم من القديسين »

واخذ المتطرفون من الاحزاب يعارضون الكتاب الجديد كما ذكرنا وبعضهم ينتمون الى الكنيسة الواطئة (Low Church) وبعضهم الى المحدثين (Moder-nists) وبعضهم الى الفئة الانكلو كاثوليكية . فعلى ما الخلاف ؟

٣ الفوضى في الكنيسة الانكليكانية

سادت الفوضى بينهم لانهم خراف بلا راعٍ واولادٌ بلا اب وجسم بلا رأس . جعلوا مبدأهم الاساسي الحرية بالبحث والحرية بتأويل الكتب المقدسة والحرية بالانفراد في الرأي فأنّى لهم ان تتحد كلمتهم في الخضوع لتعليم واحد . فضوا ينقسمون فرائق ويتمزّقون خرائق طبقاً لاراءهم واهوائهم

﴿١ فرقة الكنيسة الواطئة﴾ تضمُّ الحزب الانكليكاني المحافظ كل الحفظ على كتاب الصلوات بلا زيادة ولا نقصان والمتمسك بتعليم التسعة والثلاثين قضية على تفسيرها القديم كما وصل اليهم من جدودهم من العصر السابع والثامن عشر . فالعقيدة ٣٥ تحتم باستعمال كتابين ابرز احدهما ادوار السابع والثاني الملكة اليصابات فيها ميامر تُقرأ عند الحاجة في الكنائس اذا لم يكن فيها واعظ ويُنعت تعليم كلٌ منهما « بالالهي وضروري للزمان الحاضر » واذلك لتقرأ فيه جُملاً كهذه : « يشهد الكتاب المقدس ان رومة هي عابدة اوثان » وايضاً « ان كنيسة انكلترة تعترف ان البابا هو نبي كاذب كلُّهُ تجاديف وفساد » . فلا عجب اذاً ان يعارض هؤلاء كتابَ الصلوات الجديد على ما أُحدث فيه من التغييرات المقتبسة من روح الكثلكة الحقيقية

﴿٢ المحدثون﴾ ويدعون ايضاً بتبعة الكنيسة العريضة او المتساهلة او الاحرار

(libéraux) يفسحون مجالاً في اعتقادهم لجميع الآراء والبدع يقولون. «جلّ ما نرغبه هو ان لا يُطرَد من الكنيسة من له رغبة حقيقية بان يشترك فيها». ولا يهمّهم امرُ التعليم لا في كتاب الصلوات ولا في التسعة والثلاثين قضيّة لان «الضلال في التفسير والهرطقة اسم بلا مسمى» ولان «قانون القديس اثناسيوس الذي اتخذه الوف من المؤمنين قاعدةً لايمانهم ليس هو الّا قيداً وضغطاً لحرية الضمير — انتخِبْ ما شئت من التعليم في امر الثالوث الاقدس لانّ علم اللاهوت أكل الدهرُ عليه وشرب وليس لهُ افادة للايمان»

على ان الضربة القاضية على هذه الكنيسة انها تسلّم مقاليدها الى رجال يتناولونها كاساقفة وكهنة وهم يعترفون جهراً بتلك المبادئ والحكم ويلقّنونها غيرهم. واليك مثلاً يبيّن باجلى تبيان حقيقة قولنا. انّ في انكلترة مدينة تدعى بيرمينجام فيها عدّة كنائس وتزعمُ اهاليها بروتستانية بحصر المعنى اي انها ترفض كل ما يُتنسّم منهُ رائحة الرتب الكاثوليكية. على ان الحالة الدينية قد اخذت تنقلب فيها بفضل اسقفها وبعض الرعاة الغيورين الذين ألبسوا الطقوس حلةً كنائسية جعلت المشاء السري فيها مقاماً جميلاً جذّاباً للنفوس فانتعشت الحياة الدينية خاصة في الكنائس التي رضيت بعبادة الاوخارستيا

وفي العام ١٩٢٤ صدر البلاغ الرسمي بتعيين اسقف جديد على البلد اسمهُ ارنست بارنس (Ernest William Barnes) فما عتّم ان اكفهرّ الجو في اعين المؤمنين الميّالين الى التعليم الكاثوليكي ليس لقصر باع الاسقف الجديد في العلوم وقد حاز على شهادات وامتيازات جمّة جعلت له مكانةً سامية في مصاف الرياضيين ولكن لانهُ يُعرَف بميله للمستحدث في الاراء الدينية. فانه اشترك في مؤتمر انكر فيه الايمان بلاهوت السيد المسيح. ونشر في مؤلّف له فصلاً يجحد فيه عقيدة الخطيئة الاصلية وسر الفداء. وبلغ منهُ التطرّف الى الاعلان ان العلم والدين المسيحي خصمان لا يتّفقان ما لم ينبذ الدينُ كلّ ما يخالطهُ من روح الكثلكة

فحاول المحافظون من رجال الكنيسة ان يحولوا دون سيامة بارنس اسقفاً على

(١ راجع Revue d'Apologétique, *Févr.* 1927. La vie religieuse en Angleterre: La Crise moderniste dans l'Eglise anglicane: 199

بلدتهم بيرمينجام. ولكن أنى لهم المانعة والاسقف في الكنيسة الانكليكانية موظف كسائر الموظفين تقيمه السلطة المدنية رئيساً عليهم؟. فلم يكن لديهم من وسيلة الا رفع شكواهم الى المجلس الكنائسي وزعيمه اسقف كنتربري. ولكن أنى لهذا ولمجلسه الحكم على الاسقف بارنس بخروجه عن طاعة الكنيسة وعن التعليم التقليدي وليس هناك نص رسمي يتقيد بتأويل سلطة شرعية يُبَتُّ به الحكم المطلق في مثل هذه القضايا. وليس رئيس اساقفة كنتربري الا موظفاً من موظفي الحكومة عليه ان يرسم كل شخص تقدمه الحكومة واقرَّ بالتسعة والثلاثين قضية وحلف الطاعة للملك

وفي غضونها كان الاسقف بارنس لا ينفكُّ باللسان والقلم عن المجاهرة بآرائه الكفرية واليك بعضها :

« لا قيامة للجسد وقد فنَّد علم الكيمياء العقيدة فيها. انما الحياة الدائمة هي للروح فقط. . الانسان هو ابن عمّ القرد وما خَلَفَ الانسانَ الا تطوُّر الحيوان مع غير المعارف الروحية. . . ان روح الوثنية القديمة المنتشرة بين الشعوب القائمة على اطراف البحر المتوسط هو الذي اختلق الاعتقاد الاسرار ومفاعيلها. العطش والجوع للبرّ هو المزيَّة التي تميز بسة الكهنوت لا السيامة الاسقفيَّة »

ولا عجب ان الاسقف بارنس بنشره مثل هذه التعاليم على اذان الخاصة والعامة أثار في ابرشيته غضب البروتستانت المتمسكين بباقي ما لديهم من العقائد التقليدية فرفعوا عليه دعوى شرعيَّة يتهمونه بتزوير عقائد الايمان. امّا هو فضمَّ اليه حزباً قوياً وقام يجاهد في سبيل مبادئه المستحدثة وظلت الامور على هذه الحالة الى ان وضعوا قضية كتاب الصلوات على بساط البحث واستلفتوا اليه الانظار فان اتّفقوا على مستحدثاته وجدوا حلاً لمشكل الاسقف بارنس وآرائه

هذا من امر المحدثين من حزب « الكنيسة العريضة »

٣ اما «الكنيسة العليا» فانها تقربت واخذت تزداد تقرباً يوماً فيوماً من التعليم الكاثوليكي الروماني. لم تنبذ القضايا التسعة والثلاثين لكنها تؤوّلها بمعانٍ ادنى منها الى التعليم الروماني فيما يخص عدد الاسرار ومنحها وسيامة الاكليروس. وهي عريقة القدم في تاريخ الاصلاح آل امرها اخيراً الى نشوء حركة اكسفورد الشهيرة التي

ادت بالكردينال تيومان ومـانينج وكثيرين غيرهم من نوابغ العلم والـدين الى الرجوع الى دين انكلترة الاصيل الى الوحدة الكاثوليكية الرومانية. على ان العدد الوافر من تبعة هذه الكنيسة لا يزالون يلتمسون بالبحث سبيلًا الى الهـداية. وهم واصحابهم من ذوي النزعة الانكلوكاثوليكية يجاهدون لتغيير كتاب الصلوات كي يجعلوه دستورًا يقارب تعليم الكاثلكة عسى ان يجدوا وايانا مستوًى للمناظرة واحدًا فنقف واياهم عليهِ ونتباحث عن صدق وحسن نية ومحبة فيما يفرقهم عنا ولعلهُ عرضيٌّ سطحيٌّ ليس الّا فنتصافح مصافحة اللقـاء بعد طول الفراق ويعود اخوانـا الانكليكان الى حظيرة الواحدة. حقق الله الآمال

شعراء النصرانية بعد الاسلام

شعراء القرون المتأخرة مباشرة بالقرن الرابع عشر

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

١٥ الشاعر ابرهيم الحكيم

هو احد ابناء الشهباء الذين ساعدوا في وطنهم على تلك النهضة الادبية التي لاح فجرُها بين النصارى في القرن الثامن عشر

﴿لمحة من ترجمتهِ﴾ لسنا نعرف سنة مولد الشاعر ابرهيم الحكيم والمرجَّح انهُ ولد في اوائل القرن الثامن عشر او اواخر السابع عشر. امّا اخبارهُ فلم يدوّنها احد من كتبة عصرهِ وانّما اطّلعنا على بعض اطوارها بما ورد في ديوانهِ الذي استخرجهُ من زوايا النسيان جناب صديقنا الاستاذ عيسى افندي اسكندر المعلوف بعد اطّلاعهِ على ما نشرناهُ في المشرق (١٠ [١٩٠٧]: ٥٥٩؛٥٨١؛٧٠٨) من قلمهِ بخصوص رحلتهِ

من حلب الى مصر وقد جاء فيها عدّة قصائد وجدها في ذاك الديوان المخروم في اوّلهِ والضائع اسم مؤلفهِ

فيؤخذ من هذه الاثار انَّ ابرهيم الحكيم ولد في حلب من أُسرة كريمة من طائفة الروم الكاثوليك. ونشأ هناك وتخرَّج على علمائها النصارى وقد ذكر منهم منصورًا الحكيم من اقربائهِ الذي ورد ذكرهُ في اخبار طائفتهِ كاحد المدافعين عن حقوقها في وجه الدولة التركية في حلب والاستانة ثمَّ دان بالاسلام طمعاً بالشرف. ومنهم العالمان الشهيران الشمّاس عبدالله زاخر والخوري نقولا الصائغ وقد همَّ بمدحهما شاكرًا ثمَّ رثاهما بعد وفاتهما

وكانت اقامة ابرهيم الحكيم في وطنهِ يتعاطى فيها صناعة الطبّ على مثال اجدادهِ الذين أُطلق عليهم اسم بيت الحكيم فورثهُ بعدهم. وجاء لهُ في ديوانهِ قصيدة يشكو فيها صناعتهُ ويصف ما ينال المرء بسببها من المصاعب افتتحها بقولهِ (من الكامل):

تبًّا لرزقٍ يبتغيهِ الآسي تبًّا لذلك من عيون الناسِ
تبًّا لمرءٍ عند ضرّ الناسِ يأ تي رجحهُ بالكرهِ والإخساسِ
تبًّا لسوء صناعةٍ محسودةٍ مضروبةٍ بالقلّ والإفلاسِ
تلقى الطبيب ولو حوى الاموال لا تبقى لديهِ لآخرِ الانفاسِ

وهي طويلة (اطلب المشرق ١٩٠٧ ص ١١١٦) وقد ختمها بقولهِ:

يبقى الطبيبُ عدوّ كل الاهل والاحبـاب بل عدوّ كلّ النـاسِ

على انَّ مهنتهُ هي التي قرَّبتهُ من رجال الدولة كعُمر آغا يحيي بك ومحمَّد آغا ابن رستم. وانتدبهُ عثمان باشا والي حلب ليرافقهُ الى الاناضول فوصل بعيَّتهِ الى سيواس سنة ١٧٥٧ وقد ذكرها في شعرهِ

ثمَّ دعتهُ الظروف واضطرَّتهُ الاحوال الى الخروج من وطنهِ في السنة ١٧٤٠ فرحل الى آطنه ثم رجع الى الشهباء. ثمَّ خرج منها سائحًا سنة ١٧٥٠ الى اللاذقية فزار

صهيون وذكر آثارها ثمَّ رحل الى حمص واقام فيها مدَّةً (١٧٥٠ــ١٧٥٢) فعاد الى وطنهِ الى ان خرج سنة ١٧٥٧ الى سيواس بصحبة عثمان باشا

ولمَّا كرَّ راجعاً الى وطنهِ لم تطل فيهِ مدَّتهُ فانَّ البطريرك الدخيل سيلفسترس كان نال فرماناً لضبط كنائس الشام ومطاردة الكاثوليك فقدم حلب احد انصارهِ المسمَّى فيليمون فاضطرَّ مطران الروم الكاثوليك السيد مكسيموس حكيم ان يهرب من وجهه الى لبنان . فاخذ يضطهد الكاثوليك فحبس منهم وقتل منهم واراد ان يلقي في السجن ابرهيم الحكيم لتحمسهِ للدين ففرَّ من وجههِ وسافر من حلب الى لبنان ومنهُ الى مصر فقضى فيها سنتين ولا نعلم ما جرى لهُ بعد ذلك ونرجح كونهُ قضى نحبهُ في وطنهِ

ولم نطَّلع على سنة وفاة ابرهيم الحكيم . والظاهر انهُ عُمر طويلاً فقد وقفنا لهُ على ابيات كتبها سنة ١٧٨٢ لفريح جرجي بشارة صائغ ختمها بهذا التاريخ :

فأذكرُ القولَ في التاريخ «بينكمُ فاجأني الموتُ كي احظى بمولاني»

وكان ابرهيم مقترناً بالزواج فرزقهُ الله اربعة بنين إلَّا انَّهم ماتوا صغاراً وكان اكبرهم يدعى جبرائيل رثاهُ ابوهُ سنة ١٧٤٣

﴿اخلاقهُ وآدابهُ﴾ انَّ الآثار الباقية من قلم ابرهيم الحكيم صورة ناطقة عن حسن طباعه وآدابهِ . وفي مقدَّمة صفاتهِ تديُّنهُ وعراقتهُ في معرفة عقائد النصرانيَّة فتراهُ وهو عالمٌ يصف تعاليم الكنيسة وصفاً شائقاً ويتغنَّى بمحامد السيِّد المسيح وقلبهِ الاقدس ويصف حبَّهُ الالهي ثمَّ يطرئ صفات والدتهِ الجليلة ويلتجئ الى شفاعتها كأبرّ البنين ويتَّسع بذكر الرسل الاطهار

ومن صفاتهِ صدق معاملاتهِ مع اهل وطنهِ والاجانب من مسلمين ونصارى ونفورهُ من ذوي المراء والنفاق واهل الريبة فيصفهم في شعرهِ وصف الرجل الفاضل الذي لا تعمل بهِ ظواهر الخداع

وقد اكثر في شعرهِ ذكر الزهد والتوبة ما يدلُّ على ميل نفسهِ الى العيشة المسيحيَّة الفضلى

امّا أدبهُ فانَّ آثار قلمهِ تدلّ على رقيّهِ فتجد نثرهُ ونظمهُ في طبقة راضية وإن تسامح في نظمهِ ببعض الجوازات الشعريّة كالفيهِ السيّد فرحات والخوري نقولا. وقد جاراهما في الفضل فلم يقتصر على الدينيّات والادبيّات بل تعاطى كلّ فنون الشعر وقد ذُكرت لهُ بديعيّتهُ في مديح السيد المسيح ووالدتهِ ورسلهِ وكنيسته (المشرق ١٩٠٧: ٨٣٦ــ٨٤٢) ولهُ في اوصاف البلاد والرجال ومشاهد الطبيعة اقوال تدلّ على جودة قريحتهِ وبديع تخيُّلاتهِ وحسن ذوقهِ هذا فضلًا عن غزارة مادّتهِ واتساعهِ في بسط المعاني. وها نحن نذكر شذورًا من اقوالهِ فنحيل القرّاء الى ما نُشر من منتخبات قصائدهِ في المشرق (١٠ [١٩٠٧]: ٨٣٣؛ ٨٦٠؛ ١٠١٦؛ ١١١٠) وقد وقفنا على قسم من ديوانهِ الذي حصل عليهِ منتورًا جناب صديقنا الاستاذ عيسى المعلوف فنقتبس منهُ شيئاً. قال متنزّلًا في محاسنهِ تعالى جلّت قدرتهُ (من الكامل):

يا واحدًا شُرّفتَ في عليا كا ... في قدرةٍ ما حازها إلّا كا
تُفدى بروحي يا قُصارى بُغيتي ... بل مُنيتي أنعِمْ عليَّ بذا كا
وأرِ لحاظَ الصبِّ منظرَك البهي ... واشفِ عليلًا يرتجي لُقيا كا
أمنُنْ عليَّ بنظرةٍ مترحّماً ... قد شاقني رؤياك ثم علا كا
ان هبَّ ريحُ الصُّبح او ريحُ المسا ... تلفّتُ الابصار نحو لِقا كا
تهتزُّ اوراق الرياض بزهوها ... فهي لسانٌ يبدي عزَّ سنا كا
ان مالت الاغصانُ في روضٍ فهي ... كأنامل تومي وليس سوا كا
والوُرْقُ مذ تعلو الغصون فانّها ... تروي بلذّةِ شدوها أسما كا
والسُّحب لو رَكب اليراعُ بمتنها ... تُملي بفيض الماء وجه سخا كا
والبدرُ في افقِ السماء مصرّحٌ ... لولاكَ ما عرَف البها لولا كا
فالكلّ منك وجودهم فتُنيرهم ... بسنائك السامي وانت كفا كا

أَلفاكَ بي بسوادِ قلبي جاثلًا لكنَّ عيني تشتهي رؤياكا
أَنعم عليَّ بنظرةٍ اذ انني أَبيتُ ان لم استشفَّ خفاكا

ومن محاسن شعرهِ قولهُ في مديح قلب يسوع الاقدس سنة ١٧٣٢ (من الكامل) :

يا أَيها القلبُ الالهيّ الاقدسُ يا منبعَ الجود الذي لا يُحبَسُ
يا منهل الفيضِ الذي بورودهِ ماءُ الحياة لكلّ من يتقدَّسُ
يا منبر الثالوث والكنزُ الذي خيراتُهُ مَنْ أَمّها لا يَيأَسُ
يا مصدر الجود الذي عمَّ الورى خيرًا تكلُّ اللُّسْنُ عنهُ وتخرَسُ
انت الوجودُ وانتَ عين الجود بل انت الحياةُ لكلّ من يتنفَّسُ
انت الجمالُ بل الكمالُ باسرهِ ولهذهِ الاوصافِ تعنو الانفُسُ
انت الحبيبُ وانت عينُ الحبّ م والحاوي الكمالات التي لا تُعكَسُ
انت الذي اضرمتَ نار الحبّ في قلب الذين هويتَ ان يتقدَّسوا
أَضرمْ بقلبي هذه النار التي تحيا القلوب بها وتعلو الارؤسُ
ارجوكَ يا مولايَ قبل الموت ان تُعطي عُبَيْدكَ ما بهِ يتهجَّسُ
ان ترتضي قلبي لقلبكَ منحةً وذبيحةً حسناء لا تتدنَّسُ

ومن تغزُّلهِ في مديح مريم العذراء قصيدتهُ اللطيفة التي يقول فيها (من الطويل) :

لقد عُفتُ كلَّ الحبّ من دون حبّها فكلّ ودادٍ ما عدا ودّها دَهسا
فحتّامَ ارجو في الأَنام مودَّةً وقد زاد وَجدي دونَ أَحبابها بِهسا

فيلوا اليها واملكوا العزّ والعزا فمن كان منسوباً الى عزّها زها
فقد جُمعت فيها المحاسنُ كلُّها فهيهاتَ ان يحوي محاسنَها نُهى
واذ لم يكن في الناس نِدٌّ لحسنها فَثَنَّا اباها البدر او أُمَّها مُها
لذا حارَتِ الالبابُ في حُسْن وَصْفها ولم يَقْدر انْ يُحصَى ثنا فَضْلها لَها
اذا أَسْفَرَت اخفَى ضيا الشمس نورُها وأَدهَشَ أَبصار الورَى ما بِها بَها
فَيا حَبَّذا ذُلّي لدَيها وحَبّذا دِمايَ فلو شاءت لأَبذُلها لَها
هيَ العروة الوثقى وهي الملجأ الذي يقينا اذا ما الخطبُ من ضدّها دَها

ومن مديحه قولهُ من قصيدةٍ رائيَّة طويلة اوَّلها (من الطويل):

ألا ليتَ هذا الدهرَ يصحو من السُّكرِ ويصفو لما ابداهُ من كَدَرِ الغَدْرِ

ومن مديحه ايضاً القيَّتهُ التي قالها في السيد جبرائيل حوشب اسقف حلب الماروني وخلَف السيد فرحات (من الكامل):

غنَّت حمامُ الروضة الغنّاء برخيمِ شدوِ ثغورها اللَّمّاء
وأمدَّها أَرَجُ النسيم بنفحةٍ فُضَّت كختم المسك في الارجاء

ومنها:

كنزُ التُّقى جبريلُ بل مأوى النقا خيرُ الوجود وجودُ كلّ سناء
راعٍ امينٌ حارسٌ متيقِّظٌ نَدْبٌ كريمٌ لجَّة الانداء
فهو السراج العالي فينا منارُهُ مذ لاح أخفى ظلمة الإغواء
صرحٌ على جبل الفضيلةِ ثابتٌ لا يختفي عن اعين النظراء

وهي طويلة تنيف على ٦٠ بيتاً ختمها بقوله:

منّي السلامُ لـك دواماً طالمـا صدحتْ حمام الروضة الغنّاء

وله في مديح بعض السادات (من الطويل) :

همامٌ كساهُ اللهُ ثوباً مُدبّجاً من الفَضْل والآداب والمجد والفخرِ
لهُ تشهد الراؤون في كلّ قبلةٍ وتنشدُهُ الكتّاب في البَدْو والحَضرِ
حَزُومٌ أبَتْ إلّا امتداحاً صفاتُهُ برغمٍ من الاعداء طوعاً بلا قسرِ
غيور على الايمان في كلّ حادثٍ نصوحٌ سديد الرأي في النَّهي والأمرِ
لك اللهُ من نَدبٍ لقد قرن التُّقى مع العلم والفَضْل المنيف مع الطُّهرِ
أتته المعالي اللاتي عزّت على الورى وحنّت اليـهِ كالفَطيم الى الظِّرِ
أيا طالبين السَّيْر في اثرهِ اقصروا فاينَ السُّهى ياقوم من كفّ مستقري
فتلك اختصاصاتٌ فلله ان يشا يخصُّ بها من شاء فضلًا بلا شُكْرِ

وقال في الشوق الى بطرس احد اصدقائه وهو في الغربة (من الطويل) :

إلامَ أداري الشوق وهو خؤونُ وأخفي التياعاً والدموعُ شؤونُ
الى الله أشكو من أذى الدهر لوعةً يحنُّ لها القلبُ الخليّ ويلينُ
ووحشةَ دارٍ غاب عنها أنيسُها فعدتُ بقلبٍ يعتريهِ انينُ
لكلّ منَ الأدواء طبٌّ لدائهِ ولكنّما داءُ الفراقِ دفينُ
ألا أيّها الخلّ الصدوقُ بودّهِ وان غرّبتْهُ في البعادِ شطونُ
ابثُّك شوقاً ذاب منهُ تجلُّدي وحسبي تحولي شاهدٌ وضمينُ
كأنّ أويقاتٍ تقضّت بقربكم لطائفُ طيفٍ في الصباحِ تبينُ
لقد نبّهت مني الشجونُ لواعجاً من الشوق لم تُغمض لهنّ جفونُ

ومنها:

ألا يا نسيماً علَّ في ساحة النَّوى فأحياهُ عن طلّ السَّحاب هَتُونُ
تلطَّفْ رعاكَ الله واحمل تحيَّتي فانَّك في نَقْل السلام امينُ
الى مَرْبع التقوى الى مَنبع الجَدى الى مَنْ فؤادي في حماهُ رهينُ
الى بطرس المفضال والمُخلص الذي تراهُ بصدقِ الودِّ ليس يَمينُ
هو مؤنسي بل ضوء قلبي فمن تُرى لذلّي على هذا المُصاب يُعينُ

وختمها بقوله:

اليك شقيقَ الروح بكرًا توجَّهت لها من معاني الوَجْد فيك فنونُ
فدُمْ يا ابنَ وُدّي في ذُرى الخير والرضا مع اليُمن والاقبال حيثُ تكونُ
منيعاً شديدَ البأس في كل حادثٍ لك السعدُ خِدْنٌ والفلاحُ قرينُ

ومن رثائه قوله في صديقه الشمّاس عبدالله عبده مات بغيبة بكره يوسف (من الطويل):

لقد جار دهري وانتضى سيف غَدْرِهِ فأفنى اصطباري ثم أَوْهى شبيبتي
وساء بنزع القلب من مهجتي وهل يُرَى لي شخصٌ بعدَ فَقْدِ الاحبَّةِ
بموت العزيز القَرْم ذي الهمَّة التي علَتْ في المهمَّات العظامِ بحليةِ
هو النَّدْبُ عبدالله نصرةُ من أتى وجيعاً كسيرَ القَلْب بادي الفجيعةِ
فيا ليت شعري هل يُرَجّى لقومهِ سلوٌّ على المفقودِ ام بُرْءُ عِلَّةِ
سوى نجلهِ ذاك المفدَّى لدى الورى هو يوسفُ المفضالُ عزُّ الايمَّةِ
هو شبلُ ذاك القسورِ القَرْم مَنْ نشا بحُسن السجايا والحِمى والمزيَّةِ

لئن لم يَفُزْ منــهُ بتوديعــهِ ولا ببعض كُلَيْماتٍ شفاءً لِغُلَّةِ
فانَّ لسان الحال عنهُ كقائلٍ: «ألا يا حبيبي دون اهلي وصحبتي
ويا يوسفُ النجلُ السعيد فان ترى جزاءً لأتعابي وتسكينِ لوعتي
فلا تُغضِيَنْ طَرف العنايةِ والمَنــا عن اخوتك اللائي هم روحُ مهجتي»

ومن اوصافهِ الحسنة ما قالهُ في سفرهِ بحرًا في سفينة قلاعيَّة قبل ان يشعر بهيجانه وتلاطم امواجهِ اذ كان البحر هادياً والسير مؤاتياً واديم السماء صافياً والنسيم عليلًا (من الطويل):

يقولون انَّ البحرَ ساءت مصائبُهْ وقــد كَثُرَتْ آفــاتُهُ ومَعاطِبُــهْ
وانّي رأيتُ البرَّ اقوى شدائدًا وأعظمَ اهوالًا وتُضْنِي متاعِبُــهْ
حُزونٌ وأوعــارٌ نزولٌ ثم أرتقــا وشَيْل وحَطٌّ ثمَّ قومٌ تُناهِبُهْ
وفي البحر راحاتٌ كأنَّ الفتى بها ينامُ على مَهْدٍ تساوَتْ مناكِبُهْ
تَسير بهِ الركبانُ من فوقِ مَتْنِهِ كأنَّ على سَطْحٍ تعالت جوانِبُــهْ
تَهبُّ عليهِ الريحُ في طيب سَيْره ويا حبَّذا سَيْرًا تطيبُ مذاهِبُــهْ
ترى سُفُنَهُ من فوق صَهْوات ظهرهِ كأنَّ قصورًا زيَّنَتْها حبائِبُهْ
وتحكي قلاعاً طائراتٍ مع الهوا يلاعِبُها ريحُ الصبــا وتُلاعِبُــهْ
تمرُّ كمرِّ الطَّير من غير عَثْوَةٍ وتجري كسهمٍ جاد بالحزم ضاربُهْ
فكم سائرٍ فيهِ ينامُ بساحلٍ ويصحو على الشَّطِّ الذي هو طالِبُهْ
يبيتُ ويجري سائرًا غيرَ عالمٍ ولم يَدْرِ إلَّا طالبَتْهُ قوارِبُــهْ
وكم تاجرٍ فيهِ رأى بعد فاقةٍ جزيل الغنى لمَّا اتَتْهُ مكاسِبُــهْ

وكم سائرٍ فيهِ يلاقي مع المدى عجيبَ امور حين تبدو غرائبُهْ
عَليك به يا صاحِ من دون خَشيةٍ ترى ما أُخيّلاهُ واهنا مشارِبُهْ
ولا تُعطِ أذناً للمجيب بلَوْمهِ فجلُّ الذي لم يَدْرِ منهُ معايبُهْ

اجترنا بهذه الامثلة لتعريف ابراهيم الحكيم فانَّ في آثارهِ دليلًا على انَّهُ ساعد ابناء وطنهِ في نهضتهم الادبيَّة التي عمَّت بعدئذٍ انحاء الشام. وذلك ما يشفع ببعض الركاكة التي تُرى في قصائدهِ كما في شعر مواطنيهِ وهم يعيشون في محيط خامل جامد لا يجدون مدارس منظَّمة في وطنهم ترشدهم وترقيهم في الآداب كما انهم لم يأنسوا من الدولة التركيَّة وارباب تنشيطاً على العمل

ولنا في رحلة ابرهيم الحكيم الى لبنان ومصر التي نشرناها في المشرق (١٠[١٩٠٧]: ٥٥٩;٥٨١;٧٠٨) شاهدٌ آخر على فضلهِ في الكتابة. ولهُ هناك نثرٌ بديع تبسَّط فيهِ واعرب عن تفنُّنهِ في الانشاء وحسن الوصف لمواطنهِ الباطنة ولما عاينهُ في تلك السياحة من البلاد والرجال والمشاهد الطبيعيَّة الفتَّانة والحوادث الواقعة وكلّ ذلك بالسجع اللطيف. فمن قولهِ يصف نوء البحر واهوالهُ بعد وصفهِ محاسنهُ وافضالهُ:

« واقبلت الليلة الدهماء، واذا بالجوّ قد تمكثر وبرد، وابرق وارعد، والبحر أرغى وأزبد، وقطّى وقدّد، واضطرب وهاج، وتزاحمت فيهِ الامواج، وعجّ ولكن ايَّ عجاج، وغاطلت الاعطار كالمدرار، وترويع الريح وثار من سائر الاقطار، حتى عدمنا القرار وتقاربت منّا الاعمار، وتميّزت الافكار، وتزايدت الاحزان والاكدار، وتقطّعت الدرائم والاوتار، وعاد كلّ كالمحتار لكثرة الخوف والانذعار، فقضينا ليلةً تابنيَّة، بأحزان يعقوبيَّة واحتالات أيُّوبيَّة، الى ان طلع الصباح، واضاء بنوره ولاح، ليعرّفنا ايّ ارض شارفنا من البطاح، فأخبرنا بما ينفي الافراح ويزيد الاتراح، حتى عُدنا كالاشباح العادمة الارواح . . . ولو لم يأتِ النوتيّ القلاع، ويُنزل الشراع، لشردنا الى غير بقاع، وضعنا شرّ الضياع، وبقينا على هذه الحال يومين وثلث ليال، مقطوعين الرجاء والآمال، لا نفرق اليمين من الشمال، من شدّة الاهوال . . . »

ولهُ هناك وصف جميل لبيروت ومناظرها ومديح اهلها فيوقفنا على احوال عاصمة لبنان في اواسط القرن الثامن عشر في عهد الشهابيين اذ كان البيروتيّون راتعين في بحبوحة الهناء قبل الجزّار وحكمهِ المشئوم

(لهُ بقيَّة)

المعاهد الصحيّة

أو مستشفيات السلّ في اوروبا

لجناب الاديب ميشال يوسف بيطار استاذ العربية في مكتب اللغات الحيّة في باريس

تتمة لمقالة الدكتور الاديب توفيق شلهب

يغني المزاجُ عنِ العلاج هواؤهُ باللطفِ عند هبوبهِ وركودهِ

« لعلّ صفي الدين الحلّي لم يدرِ اذ وصف منفعة الهواء بالمجازات الشعرية انه بالحقيقة يغني عن العلاج وانه انجع علاج خصوصاً لاتقاء السلّ والاستشفاء منه . ومَن طاف اليوم سائحاً في بلاد سويسرة والنمسة وغيرهما من بلاد اوروبا يرى صروحاً مشيّدة في تلك الاجبال يأوي اليها بعض المدنفين بالسلّ يستنشقون هواءها النقي منتظرين من فضل نسيمها ان ينفخ فيهم نسمة التعافي والحياة »

هذا ما قاله بالحرف الدكتور المرحوم حبيب درعوني في مقالةٍ لهُ عنوانها « داء السلّ وانتشاره في سورية » (المشرق ١ : ١٥١)

ولكن حضرة الدكتور لم يتكرّم على القراء بوصف هذه الصروح ليوقفنا على كيفيتها وكيفية معالجة المرضى فيها فيكون لنا بها بعض المام بل اكتفى بالاشارة لا غير . فأحببتُ استناداً الى قراآتي ومطالعاتي الشخصيّة ان اجول اليوم بالفكر مع القارئ اللبيب فانتقل معه من المانية الى جبال سويسرة ففرنسة ونزور بالمعيّة المصحّات او المعاهد الصحية (Sanatoria) التي شيّدتها يدُ الرحمة والاحسان والرفق بالمصابين

قال الدكتور اسكندر سينجلر (A. Sengler) رمتني عواصفُ ثورةٍ اهلية في احدى جبال الالب ريتيك (Alpes-Rétiques) « فكنت أقضي اوقاتي وانا اتأمل في سلامة اولئك الجبليّين ذوي الاجسام الصخريّة والظهور الحديديّة والاعصاب النحاسيّة قائلاً في نفسي : لعمري ان اجساماً وظهوراً واعصاباً مثل هذه تصلح لتمثيل « شخص العافية »

وقد لاحظ الدكتور المذكور ان معدَّل حياة الانسان في تلك الجبال ٥٦ سنة وان موت الاطفال في اوّل سنة من عمرهم لا يبلغ ٧ في المئة وان السلّ لا يعرف طريق تلك الجبال الوعرة . واخيراً ان المسلولين الذين يأوون الى تلك الصهوات العالية يرجعون بعد مدّةٍ من الزمان الى بلادهم معافين

فكان لهذه الملحوظات وقعٌ عظيمٌ في النفوس لاسيما في العالم الطبي فان الالماني الذائع الصيت ماير–اهرانس (Meyer-Ahrens) بحثَ ابحاثاً مهمةً في هذا الامر ونشرها سنة ١٨٦٢

وبعد ثلاث سنين اتى مصحَّة داڤوس (Davos) الدكتور اونجر (Unger) ذاك المسلول المزمن فلقيَ في تلك الاصقاع البلسمية — كما كان يقول — قوة الشباب

ومنذ نيفٍ وثلاثين سنة تأكد الطبيبان الالمانيان برهمر (Brehmer) وتلميذه دتڤيلر (Dettweiler) انه اذا أُخذ احد المسلولين في اول مرضه وعولج « براحة الجسم والفكر معاً والرياضة بالهواء والتغذي » نجا المسلول من دائه . وان لم ينجُ منه تماماً فارقهُ المرضُ على الاقل مدة ثلاث او اربع سنين

وما شاع من ثمَّ خبرُ بُرْءِ بعض المسلولين من الموسرين بواسطة اعتزالهم عن الناس في احد صروح الصحَّة (Sanatoria) اعني بيوتاً صحيةً مشيدةً على طريقةٍ خاصةٍ بها باستعمالهم علاج « الرياضة بالهواء والراحة والتغذي » حتى طرق ذهن بعض الاطباء الالمانيين فكرٌ . . . ففكروا قائلين : أما من طريقةٍ أيا تُرى لتعميم واسطة هذه المعالجة فنشيد صروحاً صحيةً يجدُ فيها ذوو الحاجة وفئة العامل المسلولون الشروط الضامنة ببرئهم وصحتهم ؟ . . . . . — وكان من اول المحركين والمحرِّضين على ابراز هذا الفكر الى حيز الوجود الاستاذ ليدن (Leyden) وپانڤيتز (Pannwisz) طبيب الجيش . فتمكنا من توجيه كل العقول الى هذه المسألة واستمالة انظار ذوي الثروة والانتفاع بمعاضدات الجمعيات الخيريَّة حتى توفَّقا في مشروعهما الخيري فنالا من غايتها اقصاها . كل ذلك بمساعدة لا تُحدّ من الحكومة الالمانية .

لم يمض على هذه الحركة الاحسانية سوى عشر سنين بنيف حتى تعدَّدت المصحَّات

فترى حاضراً في المانيا ما يفوق ثلاثين مأوىً صحياً ثمَّ بوشر ايضاً ببناء غيرها(١

هذا وبما ان الهواء النقي الجيد لمن اهمّ شروط هذه المعالجة بنيت غالباً البيوت الصحية خارج المدن على مقربة من احراج الصنوبر او غيره من الاشجار الطيّبة النكهة الحسنة المناخ لان المناخ الحسن — كما قال سالفات (Salvat) — « يشفي هو وحده اكثر الساولين »

وطيب المناخ كما لا يخفى من نقاوة الهواء . وهاك ايها القارئ اللبيب كيف عرّف منافع الهواء الحسن أحد رجال الجيل السابع عشر اكراڤي(F. Agravi) : قال « ان الهواء النقي نافعٌ للصحة فانه يعطي للجسد لدونته وقوته وللنفس نشاطها وسرورها . به يصطلح الطبع وترتفع الافكار ويقوى العقل ويزيد بنا حبُّ الشغل . به يجري الدمُ في عروقنا بسرعة وتظهر على محيانا زهرة الحياة . امّا صدر الفاعل فيه ينفرج والصوت يرنُّ رنّة عذبة شجيّة والعين لؤلؤة المحيا تضيء وتلمعُ والشمُّ والذوق يزيدان — اجل ان الهواء لمن اعظم نعم الباري عزَّ وجلَّ »

وانّما الفضل لباستور الخالد الذكر واشغاله ولاختبارات اهرنبرج (Ehrenberg) وتاندال (Tyndal) الذين اوقفونا على هذه المنافع . نعم ان الهواء لمن اول لوازم الانسان ولكن على شرط ان يكون نقياً . اما الهواء النقي ففي الجبال لان هواء الاصقاع العالية المرتفعة انقى من هواء السهول وذلك لان في السهول عموماً البلدان الكبيرة المفسودة الهواء . اما على مشارف الجبال فان الهواء يبقى دائماً نقياً ولا يفعل في الاجسام الّا مفاعيل حسنة

---

١) اعلم ان الدَّ اعداء الجنس البشري هو السلّ فان ضحاياه تربي هي وحدها عشر مرات على ضحايا باقي الامراض والعاهات . ففي كل سنة يموت بهذا الداء ١٥٠٫٠٠٠ نسمة في فرنسة و٦٠٫٠٠٠ في ايطالية و١٨٠٫٠٠٠ في المانيا وعلى وجه المعمور ٣٫٠٠٠٫٠٠٠ اي انه يموت كل عشر ثوانٍ تقريباً سلول واحد . — وما لا ريب فيه ان في المدن الكبيرة يزيد عدد قتلى هذا المرض الفتاك فقد عُدَّ شهداء السلّ فبلغوا لا بل فاقوا المائة الف في باريز (مدة ٧ سنين) و٣٣٣٧ في موسكو (سنة واحدة) و٣٦٠٠ في بترسبورج (لينغراد) و٣١٧٩ في بودابست وهي مدينة تحتوي على اكثر من نصف مليون

امّا في فينا (Vienne) فقد يفتك الداء فتكاً ذريعاً ففي كل الف ميت يكون ٢٣٢ من شهداء السل

(راجع مجلة الابحاث «Etudes» السنة ٤١ العدد ٩٨ الصفحة ٤٣٤)

وعليه فان بيوت الصحة مبنية غالباً على قمم الجبال وهي كناية عن ابنية كبيرة مشيدة على نمط لطيف رائع يروق في العين . ففي قسمها المتوسط قاعة العمليات (laboratoire) وحجرة الطبيب وقاعة رياضة الاجسام (salle de gymnastique) وقاعة الاستحمام (salle d'hydrothérapie) ومن جهتيها حُجَر المرضى . ويأوي الى هذه الحجر مريضان او ثلاثة على الاكثر . وهي مفروشة على طرز زاهٍ بهي ترتاح اليه نواظر المساولين . فينامُ فيها المريض وعند قيامه يهندم سريره ويذهب توًا الى المائدة (احياناً بعد الحمام البارد) حيث يأكل وقمةً أولى صغيرة مؤلفة من الحليب على قدر الطلب والخبز الابيض والزبدة . ثم يعود المريض الى المائدة قرب الساعة التاسعة ونصف ليأكل وقمة ثانية صغيرة ايضاً مؤلفة من الحليب والخبز . وعند الظهر يرجع المساول الى المائدة ليأكل وقمةً ثالثة كبيرة مؤلفة من الخبز واللحم المشوي والخضر والفواكه والحليب وفرخ البيرا (causse de bière) كل هذا على قدر الطلب . ثم يعود المساول الى المائدة عند الساعة الرابعة بعد الظهر ليأكل وقمةً رابعةً صغيرة مؤلفة من القهوة والحليب والخبز والزبدة . ويعود اخيراً للعشاء عند الساعة السابعة فيأكل وقمة خامسة كبيرة مؤلفة مما تألفت منه وقمة الظهر ويزيدون على ذلك الحساء (الشوربة)

ولربما قال قائل : « ان كثرة الاكل مُضرّة » فاجيبه بلسان جميع النطاسيين : « إلّا المساولين » — اجل انها لحقيقةٌ لا تقبل الرد فان المساول الذي يأكل كثيراً ويهضم ما يأكل جارٍ في طريق العافية . فاذاً من الضروري الذي لا غنى عنه ان يجعل المصدور همّهُ الوحيد في ما يأكل . وليأكل بقوّة شديدة ، كما يقول المثل الايطاليانى (mangiare fortissimo) ولعمري لا بد للمساول من ان يحفظ على ظهر قلبه نصيحة احد الاطباء اذ كان يقول للمصدورين « لا تفتكروا طول نهاركم الّا بماذا تأكلون »

اما قاعات الاكل فهي مبنية بنوعٍ خاصٍ بها بحيث انها تروق في اعين المرضى وتحسّن شهوتهم الطعام فترى المساولين يأكلون بقابلية غريبة وهم يهزلون ويمزحون ويضحكون . ولا يُقسم بينهم الطعام بل يأخذ كل واحد احتياجه من كل نوعٍ ان لحماً او حليباً او خبزاً

وكل يوم عند ساعة محدودة يذهب المريض الى الميزان ليرى فائدة المعالجة بالتغذي . فيا لها من ساعة يخفق فيها القلب خفقاً عندما يسأل المسلول نفسهُ : « أخسرتُ ؟ . . أم كسبت ؟ . . » سؤالٌ يجولُ طول النهار في خاطر المسلول لانه يرى في زيادة ثقله او نقصانه علامةً واضحةً على رجوع العافية او فقدها . وعندما يقول له الطبيب انه زاد في الثقل عن الليلة البارحة ولو عشرين غراماً فقط ترى اسرَّة المسلول تبرق برقاً فتظهر على وجهه ابتسامة الفرح والاطمئنان وربما يذهب به السرور الى ان يؤدّب مأدبة فاخرة في احد الاحراج المجاورة ويدعو اليها الاصحاب والاصدقاء

اما تقدُّم المريض في طريقة الصحة فلا يُحدُّ بنوعٍ باتٍّ لانه يتغيَّر حسب المداولة بين انحراف المزاج وراحته وزد على ذلك حسب قِدَم المرض في الصدور او حداثته ولكنه ليس من المستغرب ان يشاهد بادئ بدء تقدماً وزيادةً في الثقل من ٢٠٠ الى ٢٥٠ غراماً في النهار نسبةً الى المعالجة وتأثيرات المناخ الأولى . ويأخذ هذا التقدم في الازدياد يوماً فيوماً الى ان يصبح في منتهى فصل شتاء بالغاً الى ٢٠ او ٢٥ كيلوغراماً . — وامري أليس هذا الرجوع الى الصحة ؟ . . هو الفكرُ ادّى گرانشر (Grancher) الى ان قال : « من كل الامراض المزمنة السلُّ اعظم قبولاً للشفاء ! »

وبعد كل وقمة يذهب المرضى فينظّفون اسنانهم بروائح من شأنها منع الفساد (lignides antiseptiques) ولهذه العملية حجرةٌ مخصوصة تحوي على فرشات لتنظيف الأسنان وزجاجات متمرة بنمرة مخصوصة بكل مريض

اما المعالجة باستنشاق الهواء وهي معالجة تتوالى بالشتاء كما في الصيف فقد ترتَّبت على الطريقة الآتي بيانها :

انه يوجد في جميع المستشفيات اروقة مسمّاة اروقة الصحة . وهي عبارة عن مماشٍ طويلة مفتوحة ومعرَّضة للجنوب بناؤها محكم بحيث انها محميَّة من الشمس والريح والمطر . ففي هذه الاروقة يقضي المسلولون وخصوصاً عند دخولهم المستشفى معظم نهارهم وهم مضطجعون على كراسي طويلة يقرأون او يتجاذبون اطراف الحديث . وحذراً من البرد تراهم ملفوفين باغطية من الصوف يقدّمها لهم المستشفى . — وقد

سنَّ الطبيبُ قواعدَ لا يجوز للمصدور ان يتعدَّاها منها: قلّة القراءة وعدم الاشغال اليدوية مثل الشبك او التطريز او التسريد او غير ذلك مما يثني الظهر كالقوس ويقتضي من اليد حركةً سريعة ومتواصلة حتى ان الحركة الخفيفة مثل تدوير الزئبق في ميزان الحرارة لوضعه في درجته القانونية ممنوعة ايضاً — وكذلك تُحظر المشاحنات الخبيثة مثل التي تقتضيها مسائل الجنسيَّة او السياسة او الدين — ويُمنع الحديث الطويل والضحك المفرط الى غير ذلك

ولكن عندما تخفّ نوعاً ما وطأة الداء يعتاض المرضى عن هذه التهوية اما باستنشاق النسيم العليل البليل في روضةٍ او غيضةٍ مجاورة للمستشفى واما بالتنزُّه في زورقٍ صغير ان كان بالجوار بُحيرة فيصطادون السمك بالقصبة والشصّ (الصنارة) واما ايضاً بالاجتماع في قاعةٍ كبيرة يتجاذب فيها المرضى اطراف الحديث فيهزلون ويضحكون ويصرفون الوقت بالسرور والفكاهات

وفي هذه القاعة مكتبة يطالع كُتبَها مَن اراد وآلات موسيقية كبيانو وكمنجة الخ والعاب كثيرة كلعب البلياردو ولعب الدومينو والشطرنج والداما الى غير ذلك مما يروّح عن نفوس المرضى ضناها

وعندما تدق الساعة العاشرة يذهب المسلولون الى النوم والنوافذ التي كانت مفتوحة كل النهار تبقى ايضاً مفتوحة كل الليل ما لم يأمر الطبيب بخلاف ذلك . ومنفعة فتح النوافذ ليلاً لا تنحصر فقط في « مضاعفة » التهوية بل تفيد ايضاً المرضى رُقاداً هادئاً مقوياً واستيقاظاً نشيطاً بلا كسل او تعب . تهدّئ اوجاع الرأس والحمّى والرشيح الدُّجوي وتُخفف وطأة السعال

ولربما شكا البعض بادئ بدء من التهاب في غشاء العين سبَّبَتْهُ شدة برد للعين . لكنَّ الدواء سهلٌ جدًّا فيكفي المريض ان يغطّي عينيه قبل ان ينام بعصابةٍ فلا يعود يلحق بها ادنى ضرر

واغلب البيوت الصحية في ايامنا لا تدع مجالاً للانتقاد من حيث التهوية وتنظيف حجرة المصدورين. ونقدر ان نذكر كمثالٍ من هذا القبيل صرح الدكتور دانّجر (Dannegger) في داڤوس دورف (Davos-Dorf) وصرح القديس يوسف في داڤوس پلاتز (Davos-Platz). فهكذا ترى في هذه المستشفيات مجموعة

الشروط الثلاثة لمعالجة السل اي: « التهوية الدائمة والراحة والتغذي»

ولكي يتمّ للمريض نجاح هذه المعالجة لا بدّ من الحصول على راحة الفكر مع راحة الجسم. فعلى المسلول ان لا يهتمّ بشواغل الجوار وهواجس الاشغال والعائلة التي تركها حزينةً كئيبةً لمصابه. ولذلك ترى بقرب كل مستشفى جمعية خيرية تهتم بعائلة المريض وتداوم على مساعدتها حتى بعد خروج المسلول من المستشفى. وزد على ذلك معامل ملحقة باغلب المستشفيات يذهب اليها من اخذ بالتعافي من المسلولين فيتعلم فيها صنعةً لا تضرّ ولا تُتعب الجسم مثل عمل العلب والجفون والاغماد (gainerie) وتصفيح الاخشاب او الرخام الملوّن (marquetterie) والتصوير على اوعية صينية الخ. وهكذا يتعلم المسلول حرفةً يقدر ان يعيش بها بعد خروجه دون ان يعرّض صحّته ثانيةً للداء!

ولكي تضحي العيشة في هذه المستشفيات سعيدةً هنيئةً وتُعيد لقلوب المسلولين الفرح والسرور يحيون من وقت الى آخر الليالي الراقصة فيزفنون وينشدون الاناشيد ويرقصونها على آلات الطرب ذوات الاوتار الى غير ذلك

ويقوم في المسلولين مرةً او مرتين كل اسبوع خطيبٌ من الاطباء عادةً يعلّم المرضى قواعد صحيةً لا بُدَّ منها لاتقاء السل. فيبين لهم مخاطر البصاق في الارض وشرب المسكرات والتنعم بالفم المفتوح وخصوصاً اضرار الخلاعة والسيرة المنافية للآداب ثم يعود فيوقفهم على منافع التهوية ويحرّضهم على فتح النوافذ ليلاً ونهاراً الخ

اما النظام الجاري في هذه الصروح الصحية فهو النظام السائد في باقي المستشفيات ولكنه صارمٌ اشدّ الصرامة من جهة واحدة وهي:

عندما يدخل المسلول المستشفى يُعطَى بصق جيب صغير (crachoir de poche) بعد ان يوقنه الطبيب على كل مساوئ البصاق في ايّ مكانٍ غير هذا المبصق. فاذا اجترأ المسلول فخالف النظام وبصق في غير مبصقه طُرد للحال بلا مراجعة كلياً. — ولعمري انها لصرامة لا نقدر ان نفيها حقّها من المدح والثناء. « فان جرثومة السل العاملة في إحداث المرض ونقله انما هي باشلّس كوخ (Koch) الذي يسبح في نفث المصدورين بعدد آلاف الآلاف. وفي بصاق المدنف عددٌ لا يحصى من هذا الباشلّس. فاذا

يبست تلك النفثات تطايرت باشلاسات السلّ فسارت مع الغبار ثم ولجت الرئات . »
(راجع مقالة الدكتور حبيب افندي درعوني في « السل » المشرق ١[١٨٩٨]: ١٢١)

ولا حاجة للقول بان استعمال المكانس ومقمّات الريش (plumeaux) ممنوع منعاً قطعياً في البيوت الصحية لان هذه الآلات — كما كان يقول احد الاطباء — على الرغم من منظرهن اللطيف يتكن في الصدور الف مرة اكثر من مدافع الاعداء . ولذلك يعتاضون عنها بخرق مبلولة يمسحون بها ما يريدون مسحه

. . .

مضى على انشاء الصروح الصحية في المانيا ثلثون سنة بنيف والاحصاءات الاخيرة تنبئنا بان المسلولين بعد مضي ثلاثة او اربعة اشهر في المستشفى يخرجون منه (لاسيما اذا كانوا دخلوه في اول مرضهم) بمعدّل ٩ في المائة حائزين على تمام الصحة و٦٥ في المائة صحتهم قد تحسنت بهذا المقدار حتى انهم يقدرون على مزاولة اشغالهم مدة سنتين وثلاث وأربع سنين

ويدعون في المانيا هذا التحسين « تحسيناً اقتصادياً » لان الصحة التي تعود الى العملة المسلولين تعود على البلاد بكثرة الايادي العاملة ومن ثمّ بكثرة الغنى والاموال

المعاهد الصحيّة في سويسرة

كان مجرّد كلامي حتى الآن عن مستشفيات المانية لا غير . بيد انه يوجد ايضاً في البلاد الاوروبية غير المانية كثيرٌ من هذه الصروح الصحية . ففي قرية داڤوس (Davos) مثلاً من قرى سويسرة تجد مستشفيات عديدةً يأوي اليها المدنفون فيعالَجون

قد كان يُخشى بادئ بدء على المصدورين من الهواء والبرد القارس . اما اليوم فقد تقرّر كما مرّ بك ان التهوية المتواصلة في اصقاع هواؤها نقي لمن الشروط التي لا بدّ منها في معالجة السل . ولذلك ترى المسلولين يأوون صيفاً وشتاء الى صروح داڤوس المار ذكرها . وعلو هذه القرية عن سطح البحر يوازي ١٥٥٨ متراً

اما هواؤها فان ابحاث فرنسيس هندرسن (F. Handersen) الدقيقة والمتوالية قد اثبتت نقاوته العديمة المثال. ولكي نتحقق ذلك فلنعلمن ان الامراض الوبيئة نادرة جداً في تلك الاصقاع. نعم لا ينكر انه يوجد بعض زوايا لا يستنشق الانسان هواءها بلا خوف على رئتيه... ولكن هذه الزوايا قليلة... اما الذرات والدقائق المنتشرة في الهواء فهي في داڤوس بمعدل ٥ او ٦ ملغرامات في المتر المكعب (وهي في باريس بمعدل ٢٣ ملغراماً وفي خركوف (Kharkoff) بمعدل ٢٣٠)

وعليه فان المسلولين يعيشون في صقع نقي نظيف يسمح لهم ان يقاتلوا المرض بنجاح كبير لان الهواء النقي كما هو معلوم لمن احسن الاشياء المنظفة المطهرة

فنظراً الى كل هذه الشروط الموافقة للمصدورين وزد عليها جمال تلك الاصقاع الطبيعي قد زادت قرية داڤوس ازدياداً عظيماً ونمت نمواً غريباً فان القرية قد اصبحت حالياً بلدة انيقة بهيجة برزت من قلب الثلوج النقي بسرعة عجيبة

واذا ساقتك يوماً الاقدار الى تلك الديار (قصد التنزه لا غير...) رأيت صروحاً شائقة زاهية وبيوتاً صحية عامرة من داڤوس — دورف الى داڤوس — بلاتز وكلها مدهونة بالالوان الرائقة الزاهرة ومشرفة على كنيسة كاثوليكية حديثة العهد

اما سكة حديد راتيكون (Rhæticon) فقد نقلت الى البلدة الصحية الجديدة الحاضرة كل اسباب الرفاهة وسعة العيش. فانك ترى هناك مخازن كبيرة خاصة بكل اللوازم يأتيها الانسان فيجد فيها كل ما يحتاج اليه من ملبوس ومأكول ومشروب لا بل كل ما لا حاجة ماسة اليه كالزهور الاصطناعية والعصافير المغنية الصادحة باصواتها الشجية وزد على ذلك معرضاً من العاديات والآثار الجميلة. فعلى ما ترى لا ينقص شيء في هذه البلدة وذلك لانه من اللازم الضروري ان يجد فيها كل مريض ما يوافق ذوقه واطواره فان داڤوس حالياً اشبه بعالم صغير اجتمعت فيه كل الشعوب ويناغي في ضواحيه كل انسان بلسانه

لقد اثبت داڤوس «بجنة المصدورين» اجل جنة ولكن سكانها لم يلاقوا فيها الآن الحياة الخالدة اذ ليس على الارض حياة خالدة... وعلى كل حال لا

يُنكرُ ان موقعها الطبي من احسن المواقع واجملها وانفعها للمصدورين

ويوجد ايضاً على مقربة من لوزان (Lausanne) في سويسرة مستشفى ليزن (Leysin) وموقعه في جوار احراج كثيفة من الاشجار الراتينجية يلاقي فيه المصدورون اسباب الراحة والصحة الموجودة في مستشفيات المانية . ولا تظنَّ ان كل المستشفيات في المانية عبارةٌ عن بنايات كبيرة واسعة . فقد طالما عمد الالمانيون في سبيل الاقتصاد الى بيوت صغيرة من خشب يبنونها في وسط الغابات والاحراج فيأوي اليها المساولون من الشعب

المعاهد الصحيَّة في فرنسة

وقد كثرت في فرنسة المستشفيات المخصوصة بالاولاد المصدورين حتى انك لا تجد الّا هناك ما تجده من الاعمال الخيرية المشابهة « لمشروعات المستشفيات البحرية » (Œuvre des Hôpitaux marins) منها «مشروعة الاولاد المسلولين» (Œuvre des Enfants Tuberculeux) مع مستشفيات اورمسون (Ormesson) وفيلياي (Villiers) ومستعمرات صحية مثال نوازي — له — كران (Noisy-le-Grand) وترامبلي (Trémilly)

وتجد ايضاً في كانّ (Cannes) مستشفى مخصوصاً بالفتيات المصدورات . وفي هوتفيل (Hauteville) شاذ الدكتور دومارست (Dumarest) على مقربة من حرج راتينج صرحاً يعلو عن سطح البحر ٩٥٠ متراً وقد خصّصه بالفتيات المصدورين من مدينة ليون (Lyon)

اما العاصمة باريس فلها ايضاً مستشفى من هذا الجنس في انجيكور (Angicourt) يسع ٢٠٠ مريض

وبما انَّ الشيء بالشيء يُذكر لا بدَّ من ذكر مستشفى يستحق كل مديح وثناء الا وهو الصرح المشيَّد في كانّة (Cannet-Alpes-Maritimes) بهمة ونشاط الدكتور فودريمر (Vaudremer) فانهُ أقامه من حيث البناية وطريقة المعالجة على نسق الصروح الالمانية المآربك وصفها . لكن المصدورين يتعلمون فيها (وذلك على قدر ما تسمح

لهم به صحتهم) طرق الحراسة والاعتناء بالبواكير من الاثمار وتطعيم الاشجار وتغيير الوان الازهار وزرع الفسول الى غير ذلك . ولا يُداوى في هذا المستشفى سوى المسلول الفرنسي الجنس لا غير . اما غلّات هذه الجنان من اثمار وازهار فتباع في الجوار ولكل مسلول عند خروجه من المستشفى ثلثا المرابح يُعطاها كرأس مال صغير

هذا ايها القارئ اللبيب بالاختصار ما فعله الغربيون في سبيل الخير والاحسان ورفقاً بالمصدورين من ابناء جلدتهم وابناء وطنهم . . .

فنحن الشرقيين يا من طالما احتذينا باهل الغرب (ولكن يا للاسف ! بما كان لنا عنه غنى) ، لنا لا ننهج اليوم الطريق التي نهجوها في سبيل معالجة مسلوليهم فنبني لهولاء المنكودي الحظ من ابناء جنسنا وابناء وطننا صرحاً (ولا اقول صروحاً) يجد فيه المصدور الصحة والعافية ؟

لعمري ليست ذات اليد التي تنقصنا فان جداول الذهب التي تجري كل ليلة على طاولات المقامرة تكفي لبناء اكثر من صرح صحي على احدى روابي لبنان التي قلّ وجود مثلها في البلاد الغربية من حيث الاعتدال والمنطقة والارتفاع والنضارة والمناظر . فالطبيعة قد جادت فيها بكل ما يروق للصحة ولم يبقَ لتتمة العمال سوى ان يجود اصحاب الخير على ابناء جنسهم

وهنا فليسمح لي حضرة الاب الفاضل هنري لامنس ان انقل جملة من احدى مقالاته « اللبنانية » الواردة في المشرق (١ : ٧٣) فانه اذ كان يتكلم عن « جبال الالب ولبنان » قد قال ما يلي نقله :

« . . . ان اهل سويسرة قد شيدوا في مراكز مختلفة من جبالهم لاسيما في داڤوس منازل للمرضى ليستنشق بها اهل العاهات ريح الجبال . فجاء الاختبار محققاً لآمالهم وقد شفي عددٌ غفير من المرضى بسكناهم في هذه المستشفيات لا يتعالجون بدواء سوى تنسم الريح الطيبة . فترى ماذا يمنعنا ان نقيم مثال هذه المقامات لمرضى بلادنا فنغنيهم عن تجشم الاسفار الى الاقطار البعيدة لمعالجة ادوائهم بينما يجدون في جوارهم ما هم اليه في حاجة ماسة ؟ . . وماذا يمنع اصحاب الامر عن مباشرة مثال هذه المشروعات او تنشيط بعض الجمعيات على مباشرتها ؟ . . او لمَ لا تنظم لجنةٌ

من العلماء لفحص مياه لبنان وتعيين خواصها الشافية — ولا يخلو لبنان من مياه معدنية — لعلها تشبه بمنافعها مياه ڤيشي (Wichy) وماريَنباد (Marienbad) ؟.»

مرَّ بنا ان اول المحركين والمحرضين على بناء الصروح الصحية في المانية انما كان الاستاذ ليدن (Leyden) مع بانڤيتز (Pannwitz) طبيب الجيش . . .

أفلا نسمع ابدًا يا هل ترى في شرقنا العزيز صدى صوت ليدن او بانڤيتز يردده نخبة أُساةٍ من محبي الخير والاحسان ؟ فيوجهوا انظار ذوي الثروة وارباب البرّ ويستميلوا قلوبهم الى هذا المشروع الخيري فيكلل الربّ الشفوق بعباده مساعيهم بالنجاح ولا شك بذلك لان محبي الخير وفاعليه لا يُعَدُّون في بلادنا الشرقية !

فهيَّا بني الشرق هيا نغيث المصابين بهذا الداء العقيم . هيا نردّ اليهم الصحة والعافية . هيا نخلص شابًا او شابةً من مخالب المنون قربنا هذا الشاب العليل او هذه الشابة العليلة من معارفنا او اصدقائنا او اقاربنا . . .

هيَّا بني الشرق ان الخيرَ محمودُ والمرء للخير والاحسان موجودُ

— حاشية — كُتبت هذه المقالة سابقًا قبل انشاء راهبات المحبَّة الفاضلات دارهم الصحيَّة للمسلولين في بحنس وقبل صحّ عين لويس الذي وصفهُ جناب الدكتور توفيق سابا في عدد تموز (ص ٥٢٦–٥٣٦) بل سبق انشاء الملجأ الصحّي التدرُّني . على انَّ هذه المساعي الطيّبة مع فوائدها العمية لا تفي حتى الآن تمامًا بالغاية المنشودة فعسى اهل البرّ وارباب الثروة تستفزّهم دعوة كاتبنا الفاضل لسدّ هذا الخلل فيصبح لبنان ليس مصيفًا فقط للمصطافين بل مستشفى شافيًا لمرضى سوريَّة ومصر والعراق ان شاء الله

الشعر العصري

بقلم فؤاد افرام البستاني استاذ الاداب في كلية القديس يوسف

٢

فنون الشعر العصري (تابع)

﴿الغزل﴾ مَن ذكر الشعر الغنائي اثار في مخيّلة السامعين ولاسيما الشبّان منهم عواطف الحبّ والغرام والتبسّط في وصف الهوى وتباريحه شعرًا . هكذا ترى الكثيرين ممّن ملكوا ناصية النظم في عصرنا واعتقدوا انفسهم شبّانًا لا يشيخون لم يفهموا الشعر الّا بهذا المعنى . فراحوا يجمعون القوافي وينظمون المقاطع صباحَ مساء فيشبّبون من غير هوًى ويتغزّلون من غير عاطفة حتى اصبح اكثر الغزل من الشعر الجرنالي

﴿الشعر الجرنالي﴾ اريد به تلك المقاطع التي يتبرّع بها البعض من صحافيّينا على الادب العصري منّةً وكرمًا فيحشون اعمدة صحفهم نظمًا سقيمًا فيوفرون للسذّج اسباب الدهش والتعجب ، ولاصحاب الذوق طرق الاشمئزاز والتأسف على شعر اصبح زمامه بايدي من لم يفقهوا للشعر معنى

- اريد به تلك الاوزان المتناسقة التي يكثر فيها ذكر الحبّ ، والغرام والهزال والذوبان والموت والقتل والشنق بعض الاحيان . ولا تستغربوا ذلك بل اسمعوا :

بَنيتُ عشقَكِ حتى لو تمثّلَ لي شخصًا لكنتُ أريه الشنق بالمِرَر

وتصوّروا شاعرًا عصريًا يردُّ وصف محبوبته فلا يرى الّا قولهُ :

نُدير لحاظَها فأحسُّ حتى اكادُ لفرط احساسي اذوبُ

فيجيبهُ الآخر :

أأذوبُ لا والله لست اذوبُ . . . . . .

وعليه يمكننا وضع البيان التالي لاكثر القصائد الغزلية نُشرت في الجرائد او سوف تُنشر :

يبدأ الشاعر بوصف محبوبته وهي تكون عادةً صبوحة الوجه طلقة المحيا ذات شعر اشقر مسترسل، الّا اذا كانت على الزي الحديث، وعينين زرقاوين . . . ثم يصف ليالي الانس السالفة ويتحسّر على ذاك العهد السعيد حسرةً تبرّح به فيعتلّ ويموت في آخر القصيدة . ولكنه لا يلبث ان يقوم منتعشاً فيعدّ قصيدة ثانية في العدد التالي من الجريدة على نمط الاولى

هذا ما يدعوه بعض نظّامنا بالشعر العصري وما ادعوه انا بالشعر الجرنالي لأنّنا نخطئ عصرنا اذا نسبنا اليه هذه التوافه

على ان، ولله الحمد، نرى جنب هذه المضحكات نوعاً من الشعر العاطفي الحقيقي، نوعاً من الغزل الصحيح يقرن فيه الشاعر الى بسط العواطف الرقيقة اللطيفة شرف المبنى ورنّة الموسيقى. وعندنا في ذلك مشاهير من امثال مخائيل نعيمه والياس فرحات والياس فياض وولي الدين يكن. واليكم رائعة من اكلنا نظمهُ أذباؤنا في هذا الفنّ وهي لبشاره الخوري صاحب جريدة البرق . قال يذكر محاورة بين فتاتين احداهما مريضة تفكر بخطيبها فتعزيها الثانية وتقول :

– ماذا اقولُ له اذا رَجَعا يوماً ولم يُبصركِ بالقصرِ ؟
– ماتتْ عليك أسىً ، أجيبيهِ !
– واذا رأيتُ الحزنَ منطبعاً في وجهِهِ الذاوي من القهرِ ؟
– كوني لهُ أختاً وعزّيهِ !
– واذا ترقّق لي لطيفتُهُ ما قُلتِ ساعةَ حشرك المرّ ؟
– قولي له : « ابتسمتْ له فتُسليهِ !
– واذا اراد بانْ نديرَ معاً للقبرِ كي يبكي على القبرِ ؟
– وُحاكِ ! إنّ الدمعَ يؤذيهِ !

وهنا ايضاً تبدو تلك الرنّة التي شعرنا بها في شعر خليل مردم بك والتي يرغب فيها الكثيرون من شباننا الشعراء، اذا ما تنزّلوا فيغلب عليهم التشكي من كل شيء. كانهم مصابون بما كان يسميه الافرنج في القرن الماضي "بمرض العصر"

ونغمة الشجا هذه تتسع في غزل جبران خليل جبران فترتدي وشاحاً من التأسف والازدراء الممزوج بمرارة الاختبار المؤلم تبدو في الموسيقى المفجعة . على حد قوله في قصيدته «الامس» :

كان لي بالامس قلبٌ فتفى فاراحَ الناسَ منهُ واستراحْ
ذاك عهدٌ من حياتي قد مضى بين تشبيبٍ وشكوى ونواحْ
انما الحبُّ كنجمٍ في الفضا نورُه يُمحى بانوار الصباحْ
وسرورُ الحبِّ وهمٌ لايطولْ وجمالُ الحبِّ ظلٌّ لا يُقيمْ
وعهودُ الحبِّ أحلامٌ تزولْ عندما يستيقظ العقلُ النائمْ

وفي القصيدة عينها يقول :

هل يعي ايلولُ انتامَ الربيعْ وعلى أذنيه اوراقُ الخريفْ ؟

﴿الشعر الفلسفي﴾ وتتجاوز مرارة جبران هذه نوع النزل الى كل منظوماته ونظراته في المجتمع فتتحد بنوع خاصٍّ من التشاؤم اقتبسهُ من «نيتشه» فيكره المؤسسات الاجتماعية الحاضرة، ويودّ لو دكّها كلها مزدرياً بآراء جميع الناس وقوانينهم . يبسط ذلك في كتابه «المواكب» حيث نرى شيخاً متشائماً يذمّ كل ما في المجتمع : الدين ، العادات ، الاخلاق ، العدل ، السعادة . . . الخ . وامامه راعٍ فتى طلق الوجه ، يدعو الشيخ الى النزهة في البراري ، «الى الغاب» حيث يرى ائتلاف الحيوانات والنبات بالغاً اقصى درجات الكمال . واليكم بعض ابيات تظهر آراءه في الجنس البشري ومعتقداتهم :

واكثر الناسِ آلاتٌ تحرّكها اصابعُ الدهرِ يوماً ثم تنكسرُ
والارضُ خمّارةٌ والدهرُ صاحبها وليس يرضى بها غير الأولى سكروا
وما السعادةُ في الدنيا سوى شبحٍ يُرجى فان صار جسماً ملّه البشرُ

وهذا رأيه في العدل على الارض :

فالسجنُ والموت للجانين ان صغروا والمجدُ والفخرُ والإثراء ان كبروا
وسارقُ الزهر مذمومٌ ومحتقرٌ وسارقُ الحقل يدعى الباسلُ الخطرُ
وقاتل الجسم مقتولٌ بفعلته وقاتلُ الروح لا تدري به البشر

ولهذا التشاؤم مصدر آخر غير مذهب «نيتشه» فانّ جبران المتهكم والمدمّر لا يأنف مذهب عُمَر الخيام، الذي يمتزج فيه التشاؤم بالتعطّش الى الملاذ وطلب التمتّع في هذه الحياة قبل الفناء الكلي بالموت وهو القائل :

«واضطرارًا قد جئتُ هذي الديارا وسأضطرُّ للرحيل اضطرارا
واختياري ان استطعتُ اختيارا
ان أسلّي عن الفؤاد الهموما في حياةٍ ملأى أسىً وغُموما
فأدِرْها سُلافةً واستقيها نعمةً فالوُجودُ كان مصابا» (١

ولم تنتشر ترجمة رباعيات هذا الفيلسوف الفارسي حتى رأينا تأثيره في الكثير من الشعر. وكان اكمل مظهر لهذا التأثير في شعر الزهاوي فهو من هذا القبيل صورة للخيّام وقد اهتمّ مؤخرًا بنظم ترجمة جديدة للرباعيات. وهو يقول في الحث على الملاهي :

لا تَقِفْ في وجه لذّاتك مكتوفَ اليدين
انت لا تأتي الى دُنياك هذي مرّتين !

ويقول : مَتِّعْ حياتك قبل ان تودي بمُهجتك الحُتوفْ
فالروضُ لا يبقى به زَهَرٌ اذا جاء الخريفْ !

﴿درس الاخلاق﴾ ومن الشعراء المفكرين الذين لم يرتبوا افكارهم على طريقة المذاهب الفلسفية نذكر مخائيل نعيمه وايليا ابي ماضي وخليل مطران ورشيد سليم الخوري. وقد درس خليل مطران اخلاق الشعوب وتذلّلهم لساداتهم في قصيدتيه «مقتل بزرجمهر» و«نيرون» واستنتج أنْ

«كلُّ قومٍ خالقو نيرونهم فيصرُّ قيل له ام قيل كسرى»

وقام رشيد سليم الخوري لسان حال شعراء البرازيل بالامر نفسه فقال يخاطب المهاجرين وقت ارسالهم الاعانات لمنكوبي لبنان وقد تجلّت في قوله روح الاباء المجروح :

«لا ترسلوا الخبزَ ليس الخبزُ ممتنعًا بل أرسلوا العزَّ انَّ العزَّ ممتنعُ»

---

١) وديع البستاني : رباعيات عمر الخيام معربة نظمًا – مصر ١٩١٢ – ص : ٦٤

ولهُ انتقادات عديدة للاخلاق تتجلى في اكثرها العاطفة الصحيحة

ولايليا ابي ماضي نظرٌ صائب في انتقاد العادات وذوق صحيح في نبذ ما يُستكره منها. يُبرز كلَّ ذلك بطريقة غاية في التقانة والفنّ فاذا سمع التشكي من قبح الوجود قال:

أيها ذا الشاكي وما بك داءٌ كن جميلًا ترى الوجودَ جميلا

واذا تأفف من التباكي في المآتم صاح:

لا تشُقّي عليَّ ثوبكِ حزنًا ولا تذرفي الدموع السخينهْ
غالبي البأسَ واجلسي عند نعشي بسكونٍ اني أحبُّ السكينَه
انّ للصمت في المآتم معنى تتعزّى به النفوسُ الحزينَهْ

﴿تحليل النفس﴾ امّا ميخائيل نعيمه فانه تخصّص بشعره لتحليل النفس البشرية بابراز خفايا نفسه. وفي عرفه ان النفس اصحُّ واصدقُ مصدر للشعر فدرس حالاتها المتعدّدة في اشخاص مختلفة واظهر ان فيها من الكنوز الدفينة ما يكفي الشاعر زمناً طويلًا اذا احسن استخراجها. اوضح كل ذلك في قصيدته «لو تدرك الاشواكُ سرَّ الزهور»

فالقى نظرة على المصادر الخارجية لفرح الانسان وحزنه وباقي تأثراته واظهر ان في النفس مصادرَ اقوى من هذه واكثر دواماً. قال في احد المقاطع:

يا جالسًا بين اللحود التي سُكانها أضحوا ترابًا ودودْ
إني انَّ من تبكيهِ يا صاحبي لا شكَّ خِدنٌ او صديقٌ وَدُودْ
او إن تشا قُل خيرُ إنسانٍ
لكن غدًا تنساهُ. امّا انا ففي حياتي كلَّ يومٍ دفينْ
اذ إنني أجتثُّ ما قد بُلي مني، وكم يبلى رجاءٌ ثمينْ
في لحظةٍ من عيشنا الفاني!

وكذا نقول عن التحليل الرقيق في قصيدته «من انتِ يا نفسي؟»

وقد برعن في قصيدته «فتش لقلبك عن رفيق» عن حاجة الانسان الشديدة الى قلبٍ يكون له رفيقاً وعوناً في معارك هذه الحياة فقال:

« أسفي عليك فلا الذهابُ سهلٌ عليك ولا الإيابُ
ستظلُّ تخبط في ضبابٍ حتى يُنيرَ لك الطريقُ
قلبٌ يكونُ لقلبك الواهي رفيقٌ ! »

واليكم الآن آخر مقطع من ابتهالاته واني ألفتُ النظر الى ما فيها من قوة التحليل النفسي ووصف شدة تأثير الايمان والرجاء وافضليتها على التفكر والقياس العقلي

واجعَل اللهمَّ قلبي واحةً تَسْقي الغريبْ
الغريبْ
ماؤها الايمانُ . امَّا غرسُها فالرجا والحبُّ والصبرُ الطويلْ
جوُّها الاخلاص . امَّا شمسُها فالوفا والصدقُ والحِلمُ الجميلْ
فاذا ما راح فكري عبثاً في صحاري الشكّ يستجلي البقاء
ردَّ منهوكاً بقلبي فجثا تائباً يمتصُّ من قلبي الرَّجاء
واذا ما أمَلي يوماً مشى تائهاً في مهمهِ العيش السحيقْ
عاد لمَّا كاد يقضي عطشاً يحتسي الايمانَ من قلبي الرقيقْ
واذا الايمان ولَّى والرجا اضحى ضريرْ
فليَنمْ قلبي الى ان ينفخَ البوقُ الاخيرْ

﴿الحيرة﴾ اذا تجاوزنا هذا التناقض او المماراة بين الايمان العاطفي والقياس العقلي الى الشك والحيرة في مآتي الوجود وجب علينا ان نُفرد لها محلًّا خاصًّا لنسيب عريضة . وهو ، على قول نعيمه ، «شاعر الحيرة المخرساء ، فالناطقة ، فالمتوحدة ، فالمشككة ، فالمتردّدة ، فالمتصوّفة ، فالمهتدية ، فالهاربة »

وهذه النعوت تلخص كل صفات الشاعر وتقلباته فتراه اولًا حائرًا لا يدري اين يذهب والى من يلتجئ فيقول مستغرباً :

لماذا غبتُ ؟ لماذا نُحسّ ؟ لماذا نعيشُ بلا طائلهْ ؟

فتزيده حيرته ويزيده المآذاك الاختلاف الدائم بين قلبه الارضي المتعلق باللذات ونفسه الشريفة التائقة الى ما وراء الوجود فيقول :

يا نفس مالكِ والأنينْ تتألمين وتولمينْ
عذّبتِ قلبي بالحنينْ وكتمتِ ما تتصدّينْ

وفي الله هذا يقف شاكاً في كل شيء يائساً من مساعدة البشر فيرجع حزيناً بعد ان اكثر النداء ويقول:

ما من مجيبْ! . . . ما من حبيبْ .
سِرْ يا شقيُّ كفاك تشكو ما دهاك
أَلَمٌ لا شاكٍ من البلوى سواكْ ؟
كم ذا تفتّشُ عن مؤاسٍ او معينْ
هيهات ان الناس مثلك اجمعينْ !

وتدفعهُ خيبة آماله في البشر الى الاتكال على نفسه وتظهر بَرْقة امل في طريقه الموحش فيسير معللاً ذاته بالرجاء مخاطباً نفسه:

الا أمشي وبعد الجهاد الحقيقي
سنسبق امالنا في الطريقِ
ونجني الاشعّة قبل الشروقِ
الا امشي !

ثم يصيح اذا ما اهتدى كانه يوبخ نفسهُ اثناء الحيرة:

لو حدّق المرء في البرايا لشامَ ما لا ترى العيونْ
ما حولنا عالمٌ خفيٌّ تدركهُ الروحُ في السكونْ
كم مُبصرٍ لا يرى واعمى يرى ويدري الذي يكونْ
يا ويح من لا يرون شيئاً الّا اذا فتحوا الجفونْ

ولكن لا تطول هدايته حتى يعاوده الشك والحيرة فيعاودنا ببدائع الشعر وقد قال مؤخراً عن نفسه: «انه لا يزال على الطريق ونُصب عينيه المحجّة وسيواصل سيره اليها غير ملتفت الى اثار قدميه في الرمل»

﴿الشعر الوطني﴾ وكان من مواضيع عصرنا الشعرية الحسية الوطنية والاناشيد

الحماسيَّة وهي نفحة هيَّجها ظلم عبدالحميد من جهة ونهضة «ديروليد» الوطنية في فرنسة من جهة اخرى فترددت اصداؤها في بلادنا فنظم شبلي ملَّاط قصيدته «لوطنيّ فرنسة المنفي». وبدأ وليُّ الدين يرمي ابياته صواعق على صرح عبدالحميد وما «خليج البوسفور في احدى ليالي الشتاء» سوى آية من الشعر الحي الموجز . وقام الشيخ ابراهيم اليازجي يستنهض العرب والرصافي يؤنّب اهل بغداد فيقول :

عجبتُ لقوم يغضبون لدولة يسوسُهمُ في الموبقات عميدُها
واعجبُ من ذا أنَّهم يَرْهبونها واموالُها بينهم ومنهم جنودُها

وقد زاد في النار ضراماً مقتل فِرْر الثائر الاسباني، وكأنَّ بعض اللبنانيين اتخذوه عن غير معرفة مثالًا للاخلاص ومكافحة الظلم فألَّف ثلاثة منهم بعناية داود مجاعص رواية مقتل الثائر المذكور ومثَّلوها بعد ثلاثة ايام في بيروت وحينذاك كتب ولي الدين مقالتهُ التي مطلعها :

اغمدوا السيفَ يا ملوك البلادِ ما ترومون من رقاب العبادِ

وجنب هذا المجرى الثوروي من الشعر الوطني نرى مجرًى آخر اخفَّ لهجةً وارقَّ عاطفة واثبت في النفس وهو التغني بامجاد الوطن والحنين اليهِ مع التأسف لما ينتابه من المصايب والبلايا وانتقاد ما فيهِ من المساوئ بلطف غايتهُ الاصلاح . واذا ذكرنا هذا النوع ذكرنا رشيد سليم الخوري وحنينهُ الى لبنان مشهور وهو القائل لمؤنّبهِ :

دع عنك تأنيبي فكم من نازحٍ مثلي يطالعُ وجدهُ بسطوري

وخليل مطران ورشيد ايوب وشبلي ملَّاط وامين تقي الدين وحليم دموس ورديع عقل . ولعرَب الالياذة في ذكر لبنان وقت الحرب وقد اشتدَّت عليهِ الازمات اشتدادها على الشاعر في مرضه قال :

ولي وطنٌ تنقَّلَ كاهلاه واهلوهُ يُعانون الامرَّا
لهُ ولهم عليَّ ديون حبٍّ اروم وفاءها فاموت حرَّا
وبعد قضاء ذلك لا أبالي أطال العمرُ ام أُلحدتُ قبرا
وان تَذُلِ المنيةُ قبل هذا فانَّ بنيَّةِ الاخلاص عُذرا

وداود عمون ولا يُسمع اسمه الّا قيل :

يا بني امي اذا حضَرَت ساعتي والطبيبُ اسلمني
فاجعلوا في الارز مقبرتي وخذوا من ثلجهِ كفني

امّا حافظ وشوقي فقد اختصّا بوصف مآثر مصر واشتهر شوقي بوصف مآتي العالم الاسلامي عموماً وامير مصر خصوصاً مما أنالهُ لقب «شاعر الامير» فنقلـه بعض محبي التلاعب بالالفاظ من صحافيينا الى «امير الشعراء» على نحو القول «كلام الملوك ملوك الكلام» او «عادات السادات سادات العادات»

وهناك ايضاً انواع المدح والتهاني والهجـاء والمراثي ولا يزال يتعلّق بهـا بعض شعرائنا فيضيعون وقتهم وشاعريتهم غير نافعين ووقتَ قرائهم غير مستفيدين

صفات الشعر العصري

«للشعر العصري على سابق الشعر مزيّة زمانهِ على سالف الدهر» (خليل مطران) هذا قول شاعر عصري نظر ولا شك ما امتاز بهِ الشعر المذكور من سلاسة العبارة ورقة الالفاظ وكثرة المعاني . فـالشعراء العصريون يتحدّثون في هـذا الامر شعراء الافرنج الثنائيين فيتبسّطون في ايضاح عواطفهم برقّة لم يألفها الجاهليون كما رأينا في امثال الشعر الشخصي

وعن هذا التبسُّط في شرح العواطف تولّد فنٌّ آخر جديد في الشعر العربي وهو التحليل النفسي الذي رفعهُ نعيمة الى درجة سامية وهو فنٌّ لم يعرفـهُ العرب ايضاً اذ انهم كانوا في اكثر تعبيرهم الشخصي يُبرزون العواطف بصورة اجمالية شأن الولـد الصغير اذا اراد إطلاع امّهِ على حاجياتهِ او احساساتهِ فانهُ لم يفصّلها تفصيلاً . . .

واذا فحصنا الوصف وهو المقياس المهمّ لدرجة الشعر نرى ان لهُ الدور الحسن في الشعر العصري ولأكثر شعرائنا فيهِ آيات كوصف حريق رومة لخليل مطران ووصف الطيارة لاحمد شوقي . وهو اذا تخلّد التضـادّ بلغ الابداع كقول معرّب الاليـاذة في وصف تقلّب الطقس في سويسرا :

ينا ترى النيمَ ركاماً زكامْ يحشد مبدأً جيوش الظلامْ
والقلبُ خفاقٌ لهَوْل الاقتحامْ

وقاصفات الرعود والزمهرير
والغيث هام يجود سيلاً غزير
اذا بقرن الشمس زاه يُنير والحرّ إثر القرّ يوري الشعيل

والذي نراه جديداً في معنى الشعر العصري ايضاً وصف الامور الطفيفة الظاهر التي لا يؤبه لها فيصفها الشاعر بدقة يرفعها الى الاعتبار ويترك للمطالع نظرة بعيدة الغور وافرة التأثير كما نرى في الوردة الذابلة لخليل مطران والنملة لمخائيل نعيمه

غير ان اكثر شعرائنا اذا وصفوا لا يتتبعون كل صفات الموصوف كما رأينا في شعر الجاهليين بل يذكرون كل ما يظهر لهم من الصور والتشابيه المتقطعة دون التوسّع فيها كقول الرصافي في وصف الشمس وقد شبّهها بثلاث صور في اربعة ابيات :

انما الشمسُ المنيرهْ عينُ دنيانا البصيرهْ
وبها يُبصرُ كلٌّ من بني الارض مصيرهْ
تجتلي في الصبح منها وجهُ حسناء غريرهْ
وترى فيها شعاعاً مرسلاً مثل الغديرهْ

قابلوا هذا الوصف بوصف بشر بن ابي عوانة للاسد او بوصف امرئ القيس لفرسه تروا فرقاً . فالجاهليان يتتبعان هيئات موصوفيهما فيصورانها . والعصري يرى صوراً عديدة للشمس فيجعلها الواحدة قرب الاخرى دون لحمة . ولعلّ هذا النقص ناتج عن اتساع دائرة الموصوفات اذ هي اوفر مما كانت عليه ايام الجاهلية

ومن عدم الترابط في الشعر العصري قول شوقي في وصف ملكة النحل وقد شبّهها بتشابيه لا يدري الذوق ما يقول ازاءها :

تقلّدت إبرها واذّرعت بالمِبَرّهْ
كأنها تركبةٌ قد رابطت بالقرّهْ
كأنها جانّ دركٌ في كتيبة مُعسكرهْ

ولا تستغربوا ذلك فان على جميع شعر شوقي مسحة سطحية من التاريخ فهو ان هنأ مصطفى كمال بانتصاره قال :

يا خالدَ الترك جدّدْ خالدَ العربِ

وذكر بني ايوب وبني حمدان . وان وصف قصر يلدز ونساءه ذكر بلقيس وزبيدة هذا فضلاً عن الانبياء والاولياء من موسى الى عيسى الى محمد الى يشوع بن نون فيقول اذا اراد مخاطبة الشمس :

قفي يا اخت يوشعَ خبرينا . . . . . .

على ان هذا السهو لا يمنع كون شوقي من اشهر شعرائنا في الاستهلال الجميل . ومن اشدهم تأثيراً في السامعين بموسيقى الالفاظ والمهلة . وما قولكم في هذا المطلع :

يا اختَ اندلسٍ عليكِ سلامُ هوتِ الخلافة عنكِ والإسلامُ

وفي هذه الابيات :

يا فاتح القُدسِ خلِّ السيفَ ناحيةً ليس الصليبُ حديدًا كان بل خشبا
اذا نظرتَ الى اين انتهتْ يدُه وكيف جاوز في سلطانهِ القُطبا
علمتَ أنَّ وراء الضُعف مقدرةً وان للحقِّ لا للقوةِ الغَلَبا

وانّا لنرى موسيقى هذا العصر الطف واقيم وابعد مدًى من موسيقى العصر الجاهلي ويكفي ان نقرأ شعر شوقي وجبران خليل جبران وامين مشرق فنتحقق ذلك

رأينا في شعر الجاهليين بالامثال التي ذكرناها من اقوال النابغة وبشر وطرفة وغيرهم رغبتهم في الاستدارة التشبيهية والجمل الاعتراضية المصورة وهي كما لا يخفى جميلة الوقع تجذب انتباه السامع حتى تنتهي فيتمثل الامر المطلوب بتمثاله شبيه . وهو اسلوب لا نكاد نراه في الشعر العصري الا ما ندر ومن ذلك قول بشارة الخوري في عروة وعفراء :

ما عاملٌ في الحقل حمَّلَ يومَهُ ما ليس يحملُ مثلهُ الحَرَّانِ
يمشي الى المنزلِ بنفسٍ مُغالبٍ مرَّ الشقا حلاوةَ الوجدانِ
يمحو بفكرتهِ عبوسةَ دهرهِ بتبسُّمٍ في آلهِ وحنانِ
يمشي وما هوَ ان دنا حتى رأى في كوخهِ المحبوبَ سُحْبَ دُخانِ
ورأى اشتعالَ النارِ في احشائهِ وبكا النسا وتهافتَ الشبانِ
فأحسَّ بالخطبِ فاسرع ليته اردى ولم تُسرِعْ به القدمانِ

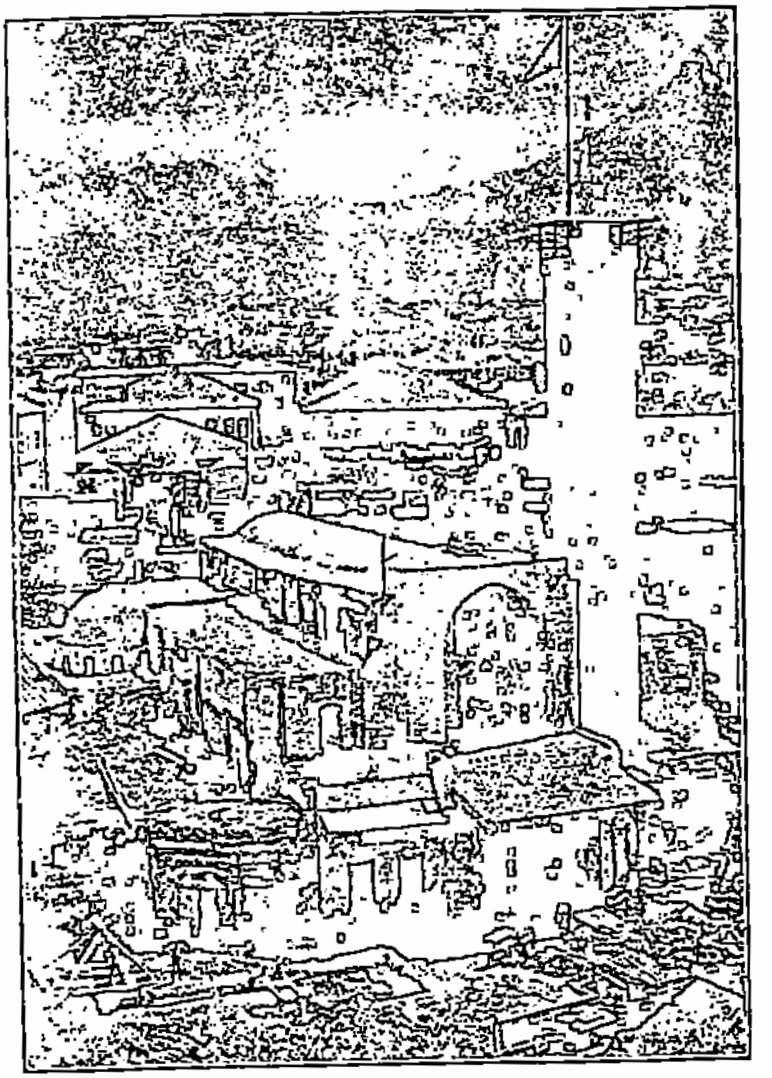

صورة جامع يحيى وكان سابقاً كنيسة على اسم القديس يوحنا شيّدها الملك بودوين سنة ١١١٠ ثمّ حوّلها المسلمون الى جامع (عن صورة شمسية للمسيو الورج)

فرأى قريبتهُ المبيبة جثّةً ويجنبها ولداهُ يعترقانِ
ما تخطبُ هذا وهو أهول ما رأتْ عينٌ وما سمعت به أذنانِ
باشدّ من قول الرواة لمُروةٍ عفراء امست زوجةً لفلانِ

وفي شيرين الفارسية اشبلي شيء من هذا النوع الّا انهُ يعدّد المشبَّه به فيخرج عن التبسُّط المطلوب في الاستدارة التشبيهية

وقد انتقد بعضهم على شعراء العصر انصرافهم عمّا يحيط بهم من المواضيع وخلوّ شعرهم من الدلالة على طرق معيشتهم فقالوا وفي قولهم حق : إنَّ من يجيء بعدنا بمائة او بمائتي سنة لايمكنهُ ان يعرف من شعرنا شيئاً يُذكر عن حياتنا الاجتماعية وطرق معاملاتنا كما نعرف نحن عن الجاهليين بواسطة شعرهم

امّا من جهة المبنى فان للشعر العصري المزية الكبرى باختراع اوزانٍ واساليب جديدة لم يعرفها الخليل ولا فقه لها مقلّدوه فتعددت طرق التعبير بالشعر واتسع نطاق القوالب النظمية لكثيرٍ من الافكار واخذ الشعراء بالتفنن بجمع التفاعيل وتجزئها ممّا لا يتسع الوقت للتبسُّط فيهِ

ولكن هذا التجدُّد ذهب بالبعض مذهباً متطرّفاً فازدروا القواعد المعقولة وظنّوا ان لا وجود للشعر الّا بالمعاني فقاتهم جمال السبك ورنة الموسيقى فضلاً عمّا اقترفوهُ من الاغلاط الفظيعة من لغوية ونحوية الشائنة محاسن اقوالهم . . .

الشاعر الجاهلي والشاعر العصري

واني لارى فرقاً عظيماً ايضاً بين الشاعر الجاهلي والشاعر العصري من حيث مُهمّتهِ الاجتماعيَّة وواجبهِ في افادة بني قومه . ولم اذكر سابقاً من صفات الجاهلي شيئاً حرصاً على مقابلتها الآن فاقول :

الشاعر الجاهلي مذكي النار ومؤججها المعبّر عن العواطف ومحلّلها فاتحُ النفس البشرية والباحثُ فيها مصوّرُ الطبيعة الحقيقية وشارحُها الابتداء والخاتمة في تاريخ شعرنا الطويل العريض

شبَّ البدوي حُرّاً من كل قيد خالياً من كل تقليد صِفْراً من كل همّ جاهلاً كل تهذيب عقلي . فكان لا يُطيع الّا اذا أُجبر ولا يحكم الّا بما يفهم ولا يصوّر الّا

ما يرى. وكان شعره مثال حياته فاتى صادقاً في العواطف تاماً في الاوصاف وفي الوقت نفسه قاصراً عن دقائق الشعور وتحليل الافكار

اما الشاعر العصري واريد من يحق له هذا النعت فقد تشرب روح آداب اليوم المختلفة وفقه فن العصر في التحليل والتدقيق فارتفع من الاوصاف والرسوم الخارجية الى شعائر النفس المتعددة نشرحها ودرس حالاتها المتباينة ازاء تقلبات مظاهر المجتمع. فاكتشف الادب مواضيع جديدة لم يتعمق فيها القدماء وحالات نفسية نشرها بتحليل ووضوح لمن كان يشعر بها باجمال وغموض. فادرك اعلى قمة في الشعر الحي الازلي المستمد إلهامه من ينبوع النفس البشرية وهو لن ينضب على مرور الازمان

كان الشاعر الجاهلي دليل قومه وخطيبهم والمدافع عنهم لدى هجمات العدو اللسانية ينفث سحره على قول بعض المستشرقين حتى في خيام كبار الاعداء فيرديهم ويغمر ببيانه نقائص الاصدقاء فيرفعهم. وقد يجعل من المصايب محاسن كما فعل الحطيئة ببني انف الناقة. ولم يفت ساسة العرب الانتفاع من هذا المورد العجيب فكانوا يدفعون به بين القبائل لتهيئة افكار الجمهور لانقلاب غير منتظر او لاعداد عقد صلح او شهر حرب او نشر مكرمة فكان كثير النفوذ شديد التأثير حتى حدده حضرة الاب لامنس بقوله: «هو صحافي تلك الايام»

ولكن صحافي تلك الايام لم يكن ليتزلف فيخدم رأياً لا يراه او مبدأ لا يسلم به ولم يكن لينال الا بالعاطفة والرغبة. هذا زهير مدح هرم بن سنان لمحبته له! وهذا عمرو بن كلثوم لم يتراجع عن تهديد الملك عمرو بن هند في وجهه! وهذا الاعشى كان القوم يحتالون عليه حتى يسكروه فيمدحهم اذ كانوا يعرفون انه لا يقول الشعر الا راغباً! وهذا عبيد بن الابرص لم يقدر على مدح المنذر عند ما كان ذاك المدح آخر ما يؤمل من اسباب الحياة...

كان الشاعر الجاهلي ينظم الشعر لحاجة في نفسه او لدافع فطري او لمنظر طبيعي يهيج فيه قوة التصوير فينشد ويتغنى بشعره فيحفظه بعض الاعراب عرضاً او عمداً فيسير من حي الى حي ومن ماء الى ماء. فيشيع بين القبائل ويردد دونه في السمر

اما الشاعر العصري فهو في ثلاثة:

واحد ورث التزلف من الانحطاطيين ونشأ لا يحفظ الا قصائد المدح والرثاء فرأى

الشعر وسيلة يصل بها الى نعمة او يتخلص من نقمة فاقام يوطئ الاوزان ويركب القوافي في مدح او هجاء فأفسد غاية الشعر وضيّع روحه السامية فهو لا يستحق الاهتمام

وثانٍ رأى في الشعر كما كان يرى فيه الجاهليون مجلىً للعواطف ومفرجاً من الهموم فسكب فيه بنات صدره ورسوم مخيلته فاكتفى به غايةً وهي مجيدة لولا ما تقدّمها من حاجات العصر المتعددة المتطلبة الجديد

وثالث حفظ القديم الحسن واضاف اليه الجديد الاحسن فرأى في الشعر فضلاً عن مستودع العواطف وسيلةً شريفة لافادة بني جنسه اذ يصوّرُ عواطفهم وميولهم مع عواطفه وميوله فيرتفع واياهم من دائرة الانانيّة الضيقة الى محيط التضحية الفسيح فيهذّب اخلاقهم بتهذيب عواطفهم ويفيد عقولهم عن طريق قلوبهم فهو الشاعر المجيد

وعليه فاذا كان الشاعر الجاهلي المجيد شاعرًا شخصيًا لذاته فالشاعر العصري المجيد شاعر مفيد لذاته ولبني قومه . ولم يكن الجاهلي يعرف من نفسه هذه القدرة الغريبة بل جلّ ما كان يعرف انه قادر على رفع زيد وخفض عمرو فكانت بعثته تتعلّق بالخارجيات . اما الشاعر العصري فبعثته اشرف واسمى فهي ترمي الى العواطف الداخلية وتتعلق بالروحيات

وما اعظم الفرق بين الاعشى يمدح المحلّق فيرفعهُ وينشر ذكره بين القبائل فيزوّج المحلّق اخواتهِ ويكثر ماله و(بين) نعيمه ينصح الانسان ان يفتش لقلبهِ عن رفيق فيجد هذا الانسان رفيقاً ومساعدًا في عراكه الشديد فيستريح فؤاده ويتشجع في تعاريج هذه الحياة المظلمة . . .

فأي الاثنين اشد حفظاً لجميل شاعره ؟

المحلّق وقد اغتنى بالمال وبقيت نفسه مغلقة ؟ ام هذا الانسان الذي اغتنى بقلبٍ حسّاس فتفتحت نفسهُ عن كنوزها الثمينة ؟

***

هذا ما رأيت ذكره في المقابلة بين العهدين وما فيهما من اختلاف المزايا . واذا كان لا بدّ من الاختصار فاقول :

تركيب الجاهلي امتن من تركيب العصري ولغتهُ افصح ووصفه اتمّ وبساطته

اصدق وتصويره اوفر امانةً . اما العصري فمعانيه اتمُّ وتشابيهه الطف واوصافه اوفر وعواطفه ارقّ والفاظه اخفّ على الاذن ومهمّتهُ اشرف . ومهما يكن من القول فالشعر العصري لا يزال اليوم في طور الانتقال وانا انراه متجهاً في انتقاله نحو محجة الذوق السليم والادب الصحيح فنؤمل خيراً ونقول مع الشاعر :

واذا رأيت من الهلال نموّه ايقنتَ ان يصيرَ بدرًا كاملًا

اوّل تاريخ لبيروت ولبنان

بقلم الاب لويس شيخو اليسوعي

هو تاريخ بيروت واخبار الامراء بني الغرب اصالح بن يحيى الذي أسعدنا الحظّ على وجود نسختهِ الفريدة في مكتبة باريس العمومية فنشرناهُ اولًا في مجلة المشرق في سنتيها الأولَيَين ثمَّ طبعناهُ على حدة واضفنا اليهِ معلومات وفهارس مختلفة . فقدّرهُ العلماء قدرهُ واقبلوا على مطالعتهِ

ولمَّا نفدت طبعتهُ الاولى قبل الحرب الكونية لم تسمح لنا الظروف باعادة طبعهِ الّا في العام الحاضر فأجلنا فيهِ النظر وضبطناهُ على أصلهِ المخطوط وأصلحنا ما وقع فيهِ من الاغلاط الطبعية لكنّنا تركناهُ على نصهِ الاصلي زيادةً في امانة النقل مع الاشارة الى اغلاط مؤلفهِ ليتضح المعنى ويزول الالتباس . وقد شفعنا هذه الطبعة الجديدة بعدّة معلومات منها للمؤلف كتعريف ملوك وولاة زمانهِ وكحملة السلطان برسباي على قبرس واسرهِ ملكها يانوس فجاءت هذه الطبعة اوفى وادقّ من الطبعة الاولى

وها نحن نصف هنا ما يستفاد من هذا الكتاب النفيس لتعريف بيروت والقسم الجنوبيّ من لبنان في القرون الوسطى لاسيما في عهد دولة المماليك المصريّة التي في عهدها اشتهر امراء بني الغرب . ولكاتبهِ صالح بن يحيى ميزةٌ خاصة تزيدنا بشخصهِ ثقةً وبافاداتهِ اعتبارًا . وذلك انهُ عاش في زمن قريب من الحوادث والامكنة التي

يصفها . وقد وقف على كثير من الآثار الخطيَّة والسجلّات الاهلية التي اخذتها يد الضياع فنقلها بكل حرص وتدقيق

ومن صفاته ايضاً انهُ لم يكتب ما كتب تزلُّفاً ومجاملةً بل خصَّ كتابهُ لاسرتهِ ليبقى كذخرٍ بينها يستفيد منها الخلف من اهلهِ دون غيرهم . هذا الى شهادة ابن سباط عنهُ بقولهِ في مديحهِ :

« انهُ الامير الكبير العالم المشهور بعلمهِ . . الذي فاق زمانهُ وفات اقرانهُ وقد جمع العلوم في معرفة الكواكب والنجوم والاسطرلاب ونظم الشعر وترتيب التواريخ وقد كتب تاريخ بيت تنوخ وهو صاحب النزوات وقد حضر فتوح قبرس سنة ٨٢٨ (١٤٢٥م) »

١ الفوائد التاريخيَّة

واوَّلُ ما يُستفاد من تاريخ صالح بن يحيى عدَّة معلومات تاريخيَّة سواء كان لتعريف بيروت ام لانحاء لبنان

فقد افتتح كتابهُ بذكر قدَم بيروت وآثارها الدالَّة على سابق عهدها ما يشهد لهُ على حسن النظر والتبحُّر في الامور . فيصف ما فيها من الاخربة القديمة والعاديَّات الفريدة الناطقة بعظم شأنها ورونقها السابق

ثمَّ يذكر بعض تقاليد النصارى فيها كمحاربة القديس جرجس للتنين وكايقونة بيروت العجائبيَّة وكاحتفالهم بعيد القديسة بربارة ثمَّ يروي شيئاً من اخبار سواحل بيروت الى صور وصيداء

ثمَّ ينتقل الى ذكر فتوحات بيروت الاسلاميَّة في عهد الخلفاء الراشدين ثم فتحها في زمن الصليبيين مرَّة اولى سنة ١١١٠م فاستردَّها منهم السلطان صلاح الدين سنة ١١٨٧م لكنها لم تبقَ في حكم المسلمين الَّا عشر سنوات فعاد الفرنج وملكوها خمساً وتسعين سنة الى ان تمَّ فتحها الاخير على عهد السلطان الملك الاشرف خليل سنة ١٢٩٠

وقد وصف ايضاً صالح ما اصاب بيروت من غزوات قرصان الفرنج الجنويين الذين حاولوا فتحها ونهبها غير مرَّة كما انهُ ذكر محاربة عساكر الشام لجهات لبنان الشمالية ورجوعهم مرَّة اولى عنها خائبين مخذولين سنة ١٢٩٢ ثم حملتهم الثانية عليها سنة

١٣٠٥ بخمسين الفاً من جهة طرابلس فبدّدوا اهلها ودمّروا بلادهم

ومعظم فوائد تاريخ ابن يحيى مدارهُ على اخبار ملوك مصر المماليك وغزواتهم لانحاء الشام واقامتهم عليها العُمّال من طرفهم وتصرُّف هؤلاء العمّال غالباً بالاستبداد والظلم وغير ذلك من المعلومات الدقيقة

امّا تاريخ الامراء بني الغرب فيتناول قسماً كبيراً من كتاب صالح بن يحيى فيتتبع اخبارهم منذ اصلهم الراقي الى ما قبل الاسلام حتى زمانهِ فيجعلهم طبقات ثلثاً ويسرد تاريخهم فرداً فرداً وكلّ ما ينوط بهم وبأسرتهم وذراريهم ومآثرهم فيظهر لنا لبنان الجنوبي كمركز حياة نامية بفضل هؤلاء الامراء الذين اشتهر بينهم كبار الرجال كجمال الدين حجي بن محمد وناصر الدين الحسين وزين الدين صالح. وربما وقعت بينهم وبين جيرتهم ومواطنيهم منافرات ومناقشات يعدّدها المؤلف ويذكر سوابقها ولواحقها .

وفيه ايضاً ذكر ما جرى لبني الغرب من المعاملات مع امراء الفرنج الصليبيين لما كانوا يملكون سواحل الشام. وبعض هذه المعاملات كالهدايا المتبادلة تُنبئ بلطف طباع الجانبين وبائتلاف الاخلاق

٢ الفوائد الجغرافية

هذه الفوائد متعدّدة فانّ صالحاً يبتدئ بتعريف موقع بيروت جغرافيًّا معيناً طولها وعرضها. ثمّ يذكر سكّانها بعد الفتح الاسلامي ومن اشتهر من المسلمين فيها وخصوصاً الاوزاعي ابا عمرو عبد الرحمان الذي جرى اهل الشام على مذهبهِ نحو مائتي سنة ثمّ عدلوا الى المذهب المالكيّ. ويصف الاهلين بانهم كانوا « على احسن حال وأسرّ بال » ولم يعتنهم الصليبيّون بل عاشوا تحت حكم الفرنج باطمئنان وراحة . قال صالح (ص٢٣) وكان بها جماعة من المسلمين متوطنين مساكنين بمساكنة الفرنج. وقد صرّح ابن جبير برحلته عن حسن حال المسلمين في عهدهم

وقد افاد صالح ايضاً عن ابنية بيروت فذكر قناتها التي كانت تأتيها بالماء من لبنان وذكر تحصيناتها التي جعلتها من المدن الحريزة. في وجه العدوّ فكان لها سور منيع يحيط بها وقلعة تحميها وزادها الصليبيّون حصانة حتى انّ صلاح الدين حاصرها

ثانية ايام ونصب عليها المجانيق ولم يفتحها الا بطلب اهلها الامان (ص ٢٢)

ومن تحصينات بيروت التي ذكرها صالح برجان على جانبيها يدعى الواحد البرج الكبير والآخر الصغير المعروف بالبعلبكي وكان بينهما باب يُدعى باب السلسلة عليه سلسلة ضخمة من الحديد تمنع المراكب من الدخول (ص ٤١)

ولحماية بيروت من العدو يذكر صالح انهم كانوا يلتجئون الى دمشق وذلك بواسطة الحمام الزاجل او حمام البطاق في النهار وبعلامات نارية في الليل على رؤوس الجبال فيبلغ الخبر الى دمشق بساعات قليلة فتأتيهم النجدة. (ص ٤٠) وهو يدعو بيروت فرضة دمشق اشارةً الى عظم شأنها بالنسبة الى تلك العاصمة. وذكر ايضاً غير مرة درك بيروت والتزام امراء الغرب بنظامه

ومن افاداته الجغرافية ايضاً ما ذكرهُ صالح عن ابنية بيروت. فذكر جامعها الكبير الذي كان كنيسةً للنصارى على اسم القديس يحنّا فحوّلوهُ الى جامع بعد الفتح الاسلامي الثاني ثمَّ ازالوا ما كان يزين جدرانهُ من الصور النصرانية فمحوها ومَاطوها

وذكر صالح كنائس اخرى في بيروت منها كنيسة الرهبان الفرنسيسيين التي دعاها كنيسة افرنسيسك (ص ١١٠) وكنائس للقبارسة والبنادقة (ص ٣١)

وكذلك ذكر ابنية اخرى بناها امراء الغرب في بيروت كالقيصاريَّة والخانات ومنازل عامرة لسكناهم

امَّا (جغرافية لبنان) فانَّ تاريخ بيروت لصالح اوّل تاريخ نعرفهُ وردت فيه اسماء قرى لبنان ومزارعها في جنوبي بيروت وغربيها فقد خصَّصنا لها فهرساً فاذا هي تنيف على المئتين وهناك امكنة باد اليوم ذكرها فلم يبقَ لها اثر

ولصالح ما عدا لبنان فوائد جغرافية عن السواحل الشامية لاسيما المجاورة لبيروت بين اللاذقيَّة وعكّا فيذكر معظم قرى الشرف من الغرب الشمالي والجنوبي واقليمي الخرُّوب والتفاح. وقد اتَّسع خصوصاً في وصف اعيانه وعراموس وابنية الامراء فيها من علالي ومجالس وحارات وحمَّامات. وقد ذكر انهارها كنهر الكلب ونهر بيروت ونهر الدامور ونهر حيفا وذكر جسورها منها جسر نهر الكلب الذي عمرهُ المهندس ابو بكر بن البعيص البعلبكي (ص ١٠٨) وجسر الدامور الذي اجتاحهُ السَّيل ثلاث مرَّات بعد ان عمَّرهُ الدمياطي (ص ١٠٧—١٠٨)

٣ الصناعة والاقتصاد

انَّ بيروت لموقعها على ساحل البحر ولقربها من دمشق واصلاتها اليومية مع انحاء الجبل كلّ ذلك جعلها من اصلح المدن لمعاملات التجارة . ففي ايّام حكم الفرنج اتّسعت تجارتها مع البلاد الغربية فنقلت اليها مرافق الشام واستبدلتها بمحصولات اوربّة . ولمّا عادت الى المسلمين وتملّكها سلاطين مصر خمدت فيها تلك الحركة التجاريّة مدّةً ثمّ عادت الى ازدهارها وقد ذكر صالح بين الفرنج المتاجرين في بيروت بسفنهم البنادقة والكتيلان الاسبانيّين واهل قبرس . قال صالح (٣٩—٤٠) : «وكان للقبارسة كنس ببيروت وجماعة تجّار ساكنين ولهم الخانات والحمّامات . . وكان جميع المرتّبات الواردة والصادرة تؤخذ ببيروت وكان ارتفاعها جملة مستكثرة . وعلى باب الميناء دواوين وعامل وناظر ومُشارف وشادّ يتولّون من دمشق والمتوفّر من المرتبات يحمل الى دمشق»

ولا شكّ انَّ البيارتة ايضاً كانوا يتاجرون مع مدن الساحل ومع مصر نفسها . وكان يساعدهم على التجارة البحريّة ما لديهم من الخشب فكانوا يجهّزون السفن لتلك الغاية . امّا الدولة المصريّة فكانت اتّخذت بيروت كدار صناعتها وكمعمل اساطيلها وقد ذكر صالح في تاريخه انواعاً من السفن كالحمّامات والبُطس والاغربة والشواني والقراقير كان يُعهد بعملها الى اهل بيروت . وقد وصف ما اصطنعت الدولة من السفن لمحاربة قبرس وكان كلّ ذلك الخشب من «حرش بيروت» (ص ٣٤)

امّا الصناعة في لبنان فانها كانت حراثة الاراضي . يُعنى بها الفلّاحون في خدمة امراء الجبل . وكان الامراء يستأجرونهم ايضاً للعناية بالزيتون وطباخة الصابون (ص ١٨١)

٤ الفوائد السياسية

افادنا صالح في تاريخه عن سياسة ملوك مصر في بيروت وسوريّة فانهم كانوا يقيمون الولاة على دمشق باسم النوّاب واليهم يرجع عمال الدولة في الشام ولبنان من ناظر ومُشارف وشادّ . وكان امراء العرب تحت حكمهم وهم اصحاب الاقطاعات ينالونها من قبل السلطان بمناشير ذكر ابنُ صالح كثيرًا منها تُعطى لهم على شروط معلومة كتجهيز بعض الجنود في اوقات الحرب (ص ٥٢) وكالتزامهم حراسة الجبل

وبيروت من غارات العدوّ فيقيمون الابدال لهذه الغاية ويراقبون دَرْبند نهر الكلب اي مضيقهُ ويتّخذون لذلك قوماً من التركمان المستوطنين في سوريّة ومن المجاهدين المتطوّعين خيّالة ورجّالة وطنيين

وقد ذكر ابن يحيى الاعمال التي قام بها الولاة سواء كان في بيروت ام في بقية انحاء الشام وعدّد مرتّباتهم ومن كانوا تحت امرهم كالقضاة والخطباء والجند السودان بعدد اربعين خيالاً ثم عشرين مشاة واصحاب الكوسات والطبلخانات والانفرة والزمر

وكذلك روى استبداد بعضهم وقيامهم على السلطان وما دار بسببهم من الحروب. وما قاساهُ لذلك امراء الغرب بانحيازهم الى احزابهم كما روى ايضاً محنة ثلثة منهم اذ حُبسوا في الكرك وفي القاهرة. وعلى خلاف ذلك ما نالوه من الامتيازات وما خُلع عليهم من ثياب الشرف كالفراء والستور والطراز والطردوحش والحياصات (ص ١١٠)

٥ الأخلاق والآداب والدين

يلوح ايضاً في تاريخ صالح بن يحيى شيء منها. فيذكر عيشة امراء الغرب العائلية وما كان يدور بينهم من المعاملات في مواسم الافراح وفي مقامات الحزن. واشتغال بعضهم بركوب الخيل وغيرهم بالصيد سواء كان بالطيور الجوارح او بمطاردة الوحوش مع الكلاب. ومن جملة ما افاد (ص ٨١ــ٨٢) انّ اسداً ظهر في جهة الغرب فنوى (ص ١٦٣) احد امراء الغرب ان يُهلك الامير زين الدين صالح بن علي ببراثنهِ فزعم انهُ دبٌّ ظهر فخرج زين الدين لمقاتلتهِ فعرف انها حياة فلم يفشل امامهُ بل رماهُ بسهم في قلبهِ فقتلهُ

ويذكر ايضاً كثيراً من الامور الدالّة على كرم بني الغرب وشرف اخلاقهم

امّا (الآداب) فانّ صالحاً يروي ما امتاز بهِ الامراء من المعارف لاسيما نظم الشعر ويدوّن قصائدهم ومنها ما هو غاية في الركاكة. ويذكر الشعراء الذين دخلوا عليهم ومدحوهم واشهرهم محمّد الغزّي

وكان امراء الغرب يأخذون العلوم الادبيّة من شيوخ مفردين ولم يذكر صالح انّ في لبنان الجنوبي كان يوجد مدرسة واحدة

ومما خصّهُ بالذكر اعتناء بعض اولئك الامراء بالكتابة والخطوط من المنسوب

والرقاع والثلث والطومار. وروى عن غير واحد منهم انهُ كان يكتب على حبة من الارز آية الكرسي كما يصنع اليوم بعض الخطاطين طلباً للشهرة

اما (الدين) فانَّ صالحاً لم يكد يروي شيئاً عنهُ ولعلَّ سبب ذلك تكتمهم على عادة الدروز وكان المذهب الدرزي قد شاع بينهم فنكلت عنهُ المؤلف تماماً واشار اليهم باسم بيت سليمان. على ان هذا المذهب لم يعمّهم كما يظهر لأنَّ صالحاً يذكر سفر والده يحيى الى الحج مع بعض اصحابه (ص ١٨٠) وذكر انَّ ناصر الدين بنى مسجداً في اعبيه

هذه خلاصة بعض الفوائد التي يمكن اجتناؤها من تاريخ صالح بن يحيى وكتابهُ جدير بأن يزين مكاتب كلّ ادباء الوطن ليقتبسوا من انواره ويعرضوهُ على ما يقع في يدهم من المخطوطات القديمة

جولة في كسروان

لحضرة القس انطونيوس شبلي اللبناني

مكتبة عين ورقة (تتمَّة)

٦ً كتاب المنطق الجزء الثاني من الفلسفة. خط عربي كنائسي جميل . وهو يتضمَّن ثمانية عشر بحثاً وتسعين فصلاً «للخوري بطرس بن بطرس بن اسحق التولاني الماروني واعظ مدينة حلب المحميَّة وايكونومس الكنيسة المارونيَّة» (اطلب المخطوطات العربية لكتبة النصرانيَّة ص ٧٦). نسخهُ الشماس اغوسطين بن يوسف بن الهندي الحلبيّ الماروني في ايَّار سنة ١٧١٩ ثم عُلقت هذه الجملة بخط مختلف عن خطّ الناسخ وهي:

«اعلم ان كاتب هذا الكتاب (اي اغوسطين الهندي المذكور) هو الذي كان يعرّب تأليفات التولاني. وهو تلميذ المطران جرمانوس فرحات (١ صح.»

٧ً ـ ٨ً نسختان من ديوان المطران فرحات واحداهما مخرومة . ٩ً كتاب

١) مما لا ريب فيهِ ان السيد فرحات كان يهذّب عبارة تأليف استاذه الخوري بطرس التولاني. وكان يعهد بذلك احياناً الى تلميذهِ الهندي المذكور فيصححها تحت مناظرتهِ ليدرّبهُ على صناعة الانشاء.

الاقتداء بالمسيح . ١٠ كتاب المصباح في علم النحو . ١١ كتاب الشحيمة (وهي فرض كهنة الموارنة) مختصرة بقلم البطريرك يوسف اسطفان والمزامير (اي التنغامات) بالعربية وخطها جميل بالسرياني والكرشوني . كتبها الشدياق يوسف من قرية بعبدا باسم البطرك يوسف اسطفان الانطاكي في ٢٣ تشرين الثاني ١٧٩١ .

١٢ المنارة السريانيَّة وهو قاموس سرياني لجرجس الكرمسدّاني الشهير (١ . مجلدان ضخمان . ١٣ كتاب مصباح الاخبار . تأليف المطران سمعان عوّاد الحصروني الماروني وقد صدَّرهُ بمقدمةٍ جميلة . وهو يشتمل على اخبارٍ روحيَّة . في واحد وستين باباً وكان النهاية من تأليفهِ سنة ١٧٢٦ . خطَّهُ بالكرشوني الشدياق عبد الكريم البيطار القسطاوي في ٥ شباط سنة ١٧٤٠

١٤ كتاب تفسير الاناجيل الاربعة للاب كرنيليوس الحجري اليسوعي ترجمهُ عن اللاتينيَّة القس يوسف بن جرجس الباني الماروني الحلبي سليل المدرسة الرومانيَّة سنة ١٧٢١ نسخهُ بخطّ جميل عُبود منصور آصاف من عرامون سنة ١٨١٦

١٥ نسخة ثانية من الجزء الثاني من تفاسير بشارة متى للمؤلف والمعرّب والناسخ الذي اتمّ نسخهُ في ٥ أيار سنة ١٨١٨

١٦–١٨ كتاب تفسير كرنيليوس الحجري اليسوعي على اربع رسائل مار بولس الى اهل فيلبّي واهل كولوسي واهل تسالونيكي (رسالتان) ترجمها عن اللاتينيَّة الى العربية القس يوسف بن جرجس الحلبي الباني بنفقة الرجل العابد ميخائيل فرحات الحلبي الماروني شقيق المطران جرمانوس فرحات — منهُ نسختان اخريان في آخر الواحدة تاريخ وفاة المطران يوسف اسطفان سنة ١٨٢٢ وجاء في آخره ما نصُّهُ :

« علَّقهُ بيده الفانية جبريل القسّ الراهب اللبناني في اواخر شهر ايلول وذلك على نسختهِ الاصليَّة . وهذه نسخة ثانية من تعريب الاب الفاضل العامل الرئيس العام اللبنانيّ القس جبرايل فرحات الحلبي المحترم وذلك سنة ١٧٣٠ م »

١٩ كتاب صلوات تقسيم على المصروعين من الشيطان . مخروم الآخر . ٢٠ كتاب العلم الطبيعي . ٢١ شحيمة مختصرة . وهي تختلف عن التي مرَّ ذكرها . ٢٢—٢٣ كتاب المنارة . خط كرشوني . جاء في اول ما حرفيته :

---

(١) راجع وصف نسخة دير كفيفان . (المشرق ٢٤ [١٩٢٦] : ٤٧٣)

«كتاب المنارة يتضمّن عظات تُقرأ في البيعة على الشعب المؤمن في كل ايام وآحاد واعياد السنة وفي ايام سبّة الآلام. تأليف حضرة الاب الطاهر والمعلّم الماهر والملقّان الزاهر القس اسطفانوس ورد الماروني تلميذ رومية العظمى لاجل القرى والاماكن العادمة من يكرز على الشعب المسيحي.»

وقد صدّره مؤلفهُ بمقدمةٍ طويلة. وان لكل شهر من شهور السنة خمس عظات مرتّبة على معاني آحاد واعياد السنة جاء في آخرهِ:

«انتهى بعون الله على يد ارذل الناس يوسف ابن الخوري وهبه اسطفان من قرية غسطا. وهذا الكتاب هو برسم قدس السيد الجليل مار بولس اسطفان اخي الاب الاقدس مار يوسف بطرس (اسطفان) البطريرك الانطاكي قد كتبهُ من مالهِ لنفسهِ سنة ١٧٨٩.»

ومنهُ نسخة اخرى كتبها بالكرشوني الشدياق يوسف عوّاد ابن عم المطران سمعان عوّاد في اوّل تموز سنة ١٧٤٠ في قرية الميدان من اقليم جزّين. وقد اجاز استعمالهُ المطران سمعان عوّاد كما هو محرَّر في آخرهِ

٢٤ مجموع صلوات وعبادات بالكرشوني خط مخلوف من غسطا سنة ١٦٩٤. وفي آخره هذه الكتابة وهي:

«تبيّع (هنا كلمة غير مقروءة) الذي في دير عين ورقة نبعة وسرح ماؤها في المزراب وذلك سنة ١٧٤٣م لان تلك السنة كانت قليلة الامطار كثيرة القيض (القيظ) والحرارة. واشجار كثيرة بتلك السنة استرجعت بالازهار وانبتت الاثمار بشهور الكرانين مثل خوخ وتفّاح وكرم وليمون وما اشبه. والرمّان أزهر كثير بلا ثمر. نشكر الله على تدبيرهِ الغير مدروك.»

٢٥ــ٢٦ نسختان من مختصر منطق القس يواكيم الراهب القانوني الباسيلي خطّت الواحدة سنة ١٨١٧. ٢٧ــ٢٨ الجزء الثاني والثالث من العلم اللاهوتي لكاردينوس.

٢٩ كتاب الناموس لجبرايل القلاعي اللحفدي الماروني الشهير. وفيهِ بعض زجليّات لهُ ايضاً. خط كرشوني قديم. مخروم الاول والآخر. وجاء في منتصفهِ ان هذه النسخة مأخوذة من كتب المطران جبرايل القلاعي اللحفدي وهي خط الشماس سركيس سنة ١٦٣٣. ويتضمّن «ايضاً كتاب الميراث من قول السادات الرسل الاطهار ومن قول المعلّمين ومثبّت من البيعة المقدّسة القاثوليقيّة.» وهو بنوع السؤال والجواب. وقد أُضيف اليهِ كتاب اختصار علم اللاهوت. وهو اسئلة واجوبة بين المعلّم والتلميذ.

١) راجع وصف نسخة منه في مكتبة فارس طنّوس جران (المشرق ٢٦ [١٩٢٦]: ٤٧٥)

تأليف المطران اسحق الشدراوي (١ وقد جُدّد بنبذة في تاريخ سيامة الشدراوي اسقفاً (٢ وخدمته الرعيّة. الّا انيدًا اثيةقطعت من اوّلها بعض ورقات وهاك الباقي منها :

« . . فقام جاء لطرابلس (اي الخوري اسحق الشدراوي) وما خالف أمر البطرك واغتاضوا (اغتاظوا) كثير اهل بيروت لمّا طلع (ذهب) من عندهم لانهم كانوا راضين منهُ كثير فتسلّم رعيّة طرابلوس على رضى الجميع في عشرين من تموز سنة ١٦٣٤ مسيحيّة ومن ذلك الحين الى الآن مواظب بحرص واجتهاد وغيرة عظيمة في خدمة الرعيّة ومعونة الطايفة (اي انهُ كان مساعدًا ومهتمًّا في امور الطائفة) فبعد هذا سنة ١٦٢٨ مسيحية في اربعة ايام من شهر كانون الاوّل توفّت الخوريّة (امرأته) الى رحمة الله بعد ما طالت علّتها اربعة اشهر. فلما حدث هذا الامر الربّاني فقام سيدنا البطرك المذكور لزم الخوري اسحاق واخذهُ من طرابلوس وفي شور ورضى المطارنة والمشايخ والاعيان وباقي الرعيّة رسمهُ مطران على الكرسي وعلى مدينة طرابلوس المذكورة في خمسة وعشرين من ايار في عيد بشارة سيّدنا العذراء صار ذلك سنة ١٦٢٩ مسيحيّة وهو الآن من وقت ارتسم دايم يعلّم ويتلمذ في الرعية. ولاجل غيرتهِ في ناموس المسيح وبيعتهِ المقدّسة قصد يعمل ويجمع هذا الكتاب ويتعب عليهِ جهدهُ لاجل منفعة ومعونة كل من يريد ويرغب يعرف يفرز الحق من الباطل والخير من الشرّ لينال لنفسهِ الخلاص ونحن واياه نرث ملكوت السما التي الربّ بنعمتهِ يمنحها لجميعنا امين. »

٣٠ كتاب ܩܕܝܫ ܩܢܘܢܐ خطّ كرشوني قديم. كتب هذا الانجيل المبارك سنة ١٦٢٢ الشماس موسى ابن المرحوم الخوري حنّا المشمشي في ايّام البطريرك مار يوحنّا مخلوف

٣١ كتاب «قوانين الاباء الاطهار الثلاثماية وثمانية عشر المجتمعين بنيقية وعددهم اربعة وثمانين بسلام الربّ.» خط كرشوني وقد أُضيف اليهِ الجزء الثاني في علم المنطق والفلسفة للقديس يوحنا الدمشقي في ٥٣ باباً

٣٢ كتاب « الايساغوجي اي مدخل المنطق للخوري بطرس التولاني الماروني السابق ذكرهُ خطّهُ بالعربي حنّا الاسلامبولي في ٦ حزيران سنة ١٨١١

٣٣ كتاب جنّازات. جاء في اولهِ ما حرفيته :

« جنّاز مفسّر (٢ تأليف حضرة الاب الماهر والمعلّم الزاهر البطرك سمعان عوّاد الحصروني المحترم وكان ذلك في سنة ١٧٥٢ ربّانيّة » ويحوي جنّاز الرجال المزوجين وجناز الشبّان

---

١) طالع رحلتهُ الى فرنسة في المشرق (٢ [١٨٩٩] : ٩٢٩ ثم ترجمتهُ فيهِ ٢٣ [١٩٣٥] : ٤٢-٥٠).

٢) اي مفسّرة فيه المراثي والمسابات

وجنّاز النساء وجنّاز الصبايا وجنّاز الشمامسة وجنّاز الكهنة وجنّاز الرهبان . وجنّاز الراهبات . ثمّ رتبة تبريك الخبز في آخر القدّاس من اجل الموتى المؤمنين ثم حتّام سجّع يقال في آخر كل جنّاز وهو متناوٍ في الرأفة والمدائح المشوعيّة . خط الحقير في الكهنة مبارك من طايفة (عيلة) بيت مبارك»

٣٤ كتاب «مواعظ لانطونيوس بن مبارك الماروني الجبيلي تلميذ مدرسة الموارنة في رومية الكبرى . » ألّفهُ سنة ١٧١٦ مسيحيّة يشتمل على ١٦ عظة . وقد افتتحهُ مؤلفهُ بمقدمة يثني بها على المطران جرجس بنيامين مطران اهدن الواعظ المشهور . كتبهُ بالكرشوني على ورق عبّادي مخلوف الشنيعي ابن عبدالله بن رزق

٣٥ كتاب متعبّد فيه صلوات للحبساء والشهداء ولكل درجة من القديسين مخروم الآخر . وقد كُتبت هذه العبارة في اوائله وهي : «كل من يُخرج هذا الكتاب من قرية العاقوره الى قرية اخرى عن غير سبب يكون ملعون محروم من فم الله . . . » وهذا الكتاب قد طُبع في رومية سنة ١٦٥٦

ومن هذا الكتاب نسخة أُخرى بخط جبرائيل الاهدني ابن اسطفانس في غرّة شهر آذار سنة ١٨٣٨ يونانيّة (١٥٢٦ م) اهتمّ معهُ بذلك يوسف بن يعقوب من قرية ايطو . ويطلب الناسخ الصلاة لاجل الحبيس القس يونان وعلى اخيه القس مالك وعلى الاب الخوري باسيل . . . وعلى كل من لهُ شركة وتعب والساكن في الوادي المبارك قوزحيّا . . ثمّ يقول : «وايضاً كان في تلك الايّام غلاء عظيم وشدّة حتى وصل شنبل القمح الى ثمانين وتسعين . وكفر كثير من النصارى وتزفّر في الصيام العظيم ناس كثير . . . اوقف يوسف ابن زنطاح هذا الكتاب المبارك الى سركيس بقرية ايطو صدقة عنهُ وعن والديهِ »

٣٦ كتاب اللاهوت الادبي للاب عرمان بوزنبون اليسوعي (راجع المخطوطات العربيّة لمكتبة النصرانيّة ص ٦٨) خط عربي كنائسي متمم جميل على ورق سميك نسخهُ القس عبد المعطي بن جرجس المابكي الماروني (١ بدمشق الشام في اليوم السابع والعشرين من تشرين الاول سنة ١٧٤١ مسيحيّة

٣٧ كتاب ابيات الالهيّات تأليف الشيخ ابن حسن سليمان الحكيم الغزّي تغمّده الله تعالى بالرحمة . . . » (اطلب ترجمتهُ وشعرهُ في المشرق عدد ٢ ص ٤١ ــ ٥١) وهي

١) هو نسيب الشهداء المابكيين الموارنة

مقاطيع شعريّة زهديّة. جاء في آخرها ما يلي:

«كملوا هولاي الايات بعون الله تعالى في سنة ١٦٨٧ ربانية في اول شهر تشرين الثاني في يوم عيد جميع القديسين على يد انسان حقير ضعيف... يدعى خوري عون ابن كامل نجيم من قرية غوسطا ورهبان في دير مار سركيس ريفون وكانوا اخوتي الرهبان خوري يوسف والقس اندراوس والقس جبرايل...»

خطّ هذا الكتاب بالكرشوني. وقد أُلحق به بعض عظات وفيه ميمر قالهُ مار افرام على الخاطئ وعلى التائب وعلى يوم الدينونة وهو بالعربي

٣٨ شرح الالفيّة لابن عقيل. خط محمّد حسن بن احمد الخطايلي في ١١ شعبان سنة ٣١١ للهجرة. ٣٩ معتقد دين الدروز. خط عربي جميل منقوش باطار من الحبر الاسود والاخضر

٤٠ كتاب الصبح المبين في ضلال لوثاروس وكلفين للابرين اليسوعيين ليسيوس وبيكان. عرّبهُ البادري بطرس فروماج اليسوعي. خط عربي كتانسي بديع يبلغ ٥٣٦ صفحة

٤١ كتاب الشذور الذهبيّة في منهج التوبة المرضيّة. خط عربي وهو يشتمل على ايضاح المزمور الخمسين الشريف. ألّفهُ باللغة الايطاليانيّة الانبا الكسندروس اليسوعي ونقلهُ الى اللغة الارمنيّة القس بطرس اللاهوتي التفليسي رسول البيعة الرومانيّة وظيفةً ومذهباً. ونقلهُ عن الارمنيّة الى العربيّة الاب دير اكوب الارمني الكاثوليكي بامر السيد ابرهام ورتنيد الارمني. طُبع هذا الكتاب في المطبعة الكاثوليكيّة (١٨٨١)

٤٢ كتاب نواميس القدّاس كما هي مطبوعة في رومية سنة ١٥٩٩. جاء في آخرها انهُ ضُبط «على النسخة الاصليّة المعرّبة والمحرّرة بيد السعيد الذكر المطران جبرايل (جرمانوس) فرحات الحلبي الماروني. وكان ذلك في مدرسة عين ورقة في ٢٩ ايار سنة ١٨٢٤ م»

٤٣ كتاب علم الرياضيّات «مما اسّسهُ وكتبهُ الاب البار والاناء المختار مفريان اسحاق الوصلي...» مجلّد ضخم خطّهُ بالكلداني الشماس مخايل ابن المرحوم مطران باسيليوس الساكن بقرية عين تنّور... في ٢٩ تشرين الاول سنة ١٧٣٩ م

٤٤ كتاب الانجيل. جاء في آخره ما يلي:

« فلما كان تاريخ سنة ١٦٨٨ ربانيّة في ١٠ ايام مضت من شهر ايار المبارك اكتمل هذا الكتاب المبارك الذي هو كتاب سيدنا يسوع وكان كماله في دير مار سركيس وبعون في ارض عجلتون في بلاد كسروان. وكان كتابته على يد انسان حقير... يدعى راهب في درجة الكهنوت عون ابن كامل نجيم من عروسة غوسطا. وكانوا اخوتي الكهنة الخوري يوسف والقس سليمان واولاده المطران يوسف (المعروف بالريفوني) والقس سركيس والقس جبرايل والقس بطرس والقس اندراوس. وكان في ايام الحبر الاعظم البابا اينوشنسيوس الثالث عشر: وفي ايام سيدنا البطريرك مار اسطفانوس (الدويهي) الانطاكي المكرّم. وفي ايام سادتنا المطارين اولاً المطران جرجس البشعلاني والمطران يوسف الحوقاني والمطران جبرايل البلوزاني والمطران بولس الهدناني والمطران حنّا السمراني اسمر جبيل) والمطران يوسف الحصروني والمطران بطرس (خلوف) الغوسطاوي وابن عمّي المطران يوسف (الريفوني) ابن القس سليمان الغسطاني. الربّ يديمهم ويتحنن علينا بصلواتهم وصلوات القديسين امين. »

٤٥ نسخة اخرى من الانجيل بيد المسمّى موسى سنة ١٦٥١

٤٦ الشرطونيّة للدويهي. وفيها فصل « في قصص الاباء المجيدين اركان البيعة الذين ألّفوا النواقيس المقدسة لتقدمة جسد الربّ. وكان هذا الكتاب للمطران يوسف نجيم من غوسطا سنة ١٧٩٢ وثمنهُ عشرة غروش »

٤٧ كتاب الرتب الكنائسيّة حسب عادة الطائفة المارونيّة الانطاكيّة. وقد طبعهُ الخوري نقولا مراد برومية في مطبعة انتشار الايمان المقدّس سنة ١٨٣٩. ثم طبعهُ طبعةً ثانيةً منقّحة بالمطبعة الكاثوليكية للاباء اليسوعيين سنة ١٩٠٩ حضرة الآباء المرسلين الكريمين. ولهذا الكتاب في هذه النسخة الخطية مقدّمة بليغة لم تنشر بالطبع وضعها جامعهُ المطران يوسف ابن الخوري وهبه اسطفان الغسطاوي. ولديّ نسخة خطيّة مثلها مصدّرة بهذه المقدّمة التي اوّلها: « الحمد لله الذي رتّب بقدرته الفنّانة العليّة سائر المبروءات والكائنات العلويّة والسفليّة... »

وهي طويلة الى ان يقول:

« انني لما رأيتُ رتب طائفتنا المارونية القديمة قد غدت متفرّقة غير مجموعة وذلك لكرور الزمان. ومن كونها غير مطبوعة فخوفاً من ان يعتريها خلل النسّاخ ويحيق بها الانتساخ رمت حينئذٍ ان أجمعها الى مجلد واحد يضمّها ويطوي على كافتها ويشملها. من بعد استمدادي الاذن من قدس سيدنا وراعينا الكامل، مار يوحنّا بطرس (المالو) البطريرك القائم بوقتي الفاضل، شرعتُ في انتلاف هذا الكتاب، محكم الضبط في اللغة والاعراب، منتظماً بتركيب العبارات الفصيحة، مجمّلاً بحسن عقد الالفاظ الصحيحة، سريانياً وعربياً، مودعهُ بعض تنبيهات لازمة لايضاح

معرفة الرتب وتنسيقها إرشاداً وتيقظاً الآباء الكهنة مستمعيها. ليباشروها في غاية النظام والترتيب، ناجية من الزلل المبين، تاركاً منها بعض جُمَل الفاظها سقيمة وذميمة، كونها لغة قديمة، وركيكة التركيب، مشوبة التعريب، معوضاً عنها بمثال يماثلها نظراً لحفيتها وجوهرها تطابق معانيها الرتبة المضافة اليها. فجمعتها الى مجلد واحد فريد، ينطوي على كل ما هو ضروري وحميد، وقدمته لدى سدة قدس سيدنا الجليل، البطريرك الموما اليه النبيل، ملتمساً من قداسته بان يأمر في طبعه لتجتني الجميع فوائد نفعه، وينجوا من المالل، ويأمنوا الزلل، ويسهل اقتناؤه من سائر الاديرة والكنائس طالبيه وكهنة ارعايا المترمين فيه. راجياً به نفع الطائفة ونجاحها الروحي العظيم، ومجد الله تعالى الوسيم (١ . . . .»

٤٨ كتاب شريعة الملوك. ويُسمّى ايضاً «مقدمة الناموس» نسخة بالكرشوني يوسف بن مبارك سنة ١٧٠٣ عن كتاب عربي مشكل مصري. جاء في آخره ما يلي:

«نجز هذا الكتاب المبارك الذي هو شريعة الملوك الارثوذكسية المتقلدين حفظ دين النصرانية الملوك القياصرة المتولين من الله تعالى. الملك قسطنطين والملك يوستينيانوس والملك باسيل ولاون المؤمنين بالحق سبحانه. على يد احقر الناس... المطران يوسف الريفوني ابن مبارك من قرية غوسطا سنة ١٧٠٣ مسيحية في نصف شهر حزيران. وهذا الكتاب بعدنا يكون لدير مار مركيس ريفون...»

٤٩ المجمع التريدنتي للخوري بطرس التولوي الماروني. وفي آخره صورة المجمع الذي عُقد في دير سيدة اللويزة بأمر البابا بيوس السابع بتاريخ اول تشرين الثاني سنة ١٨١٦. — ٥٠ غرامطيق سرياني خط يعقوب ابن الخوري الياس إده البترون سنة ١٨٥٣. — ٥١ كتاب باوغ الأرب في علم الأدب. تأليف المطران جرمانوس فرحات كل نسخة سنة ١٨٢٠. ٥٢ كتاب هدى الخطأة. يتضمن عشرة فصول في النصائح الموصلة الى الفضائل وحفظ الوصايا. خط عربي كنائسي جميل وهو مجلد كبير جاء في آخره ما يلي:

«تمّ بمجد الله تعالى كتاب هدى الخطأة الى طرق النجاة مع الكتاب المسمّى كون الحرب الروحاني على يد أفقر الورى الشماس زخريا ابن الخوري مرقس. وهو برسم العالم العامل السيد الفاضل القسيس بطرس البشروني مولداً والارثوذكسي معتقداً وذلك في سنة ١٦٩٣ للتجسد الالهي في محروسة حلب الشهباء وسنة ١١٠٥ للهجرة.»

٥٣ كتاب «سلّم الفضايل للأنبا يوحنا اكليمكوس رئيس دير طورسينا.»

(١ ان لدي نسخة خطية من هذا الكتاب تحوي هذه المقدمة

خطهُ بالكرشوني الشمّاس انطونيوس ابن الخوري سمعان من قرية غسطا من بيت شهوان وهو برسم الخوري حنّا اسطفان كتبهُ في أيام البطريرك يعقوب الحصروني في ١٩ ايلول سنة ١٧٢٧ م

٥٤ كتاب « أخبار وامثال واقوال قد جمعها أحد الرهبان اللبنانيين بيد الخوري عبد الاحد ابراهيم الطرابلسي وذلك في قرية ساحل علما سنة ١٧٦٢ . ٥٥ كتاب الرسومات اللاهوتيّة . خط عربي سنة ١٧٦٨

٥٦ كتاب مواعظ للاب الخوري بطرس التولوي نسخهُ بالكرشوني الشدياق نوهرا الخوري اسطفان الغرسطاوي في ١٠ حزيران سنة ١٨٠٦

٥٧ فردوس عدن لعبديشوع الصوباوي بالسريانيّة (نشرهُ الاباتي جبرائيل القرداحي). منهُ نسخة اخرى كتبها السنة ١٧١٨ الشدياق انطون ابن القس رزق الله البلوزاني برسم الخوري بطرس التولاوي. — ٥٨ كتاب منة مقالة في سرّ الامانة المستقيمة للقديس يوحنا الدمشقي. — ٥٩ كتاب بستان الرهبان للمطران جرمانوس فرحات (اطلب المخطوطات العربيّة ص ١٠٠) . كتبهُ بالكرشوني انطونيوس ابن الخوري سمعان من غسطا سنة ١٧٣٧ . — ٦٠ كتاب « في بيان وتثبيت الاكرام المقدّم للقديس يوحنا الرومي المكنى مارون اوّل بطاركة الملّة المارونيّة على الكرسي الانطاكي. » (راجع كتاب المحاماة عن الموارنة وقديسيهم ص٢٢٣ — ٤٨٤)

٦١ كتاب « الجزء الثاني من العشر المنابر الذي يتضمّن ايضاح الاسرار الالهيّة تأليف البطريرك الانطاكي مار اسطفانوس بطرس الدويهي الحدثاني. نور بدير قنّوبين المقدّس (اي انتهى المؤلف من تأليفه) سنة ١٦٨٦ (١٦٨٦). وهذا الكتاب هو كتاب منارة الاقداس الذي طبع في المطبعة الكاثوليكيّة سنة ١٨٦٥ بجزئين . وجاء في آخره ما حرفيتهُ :

« صارا على الخاطي الحقير ابن باسيل تلميذ مدرسة الموارنة بروما الكبرى الذي خرطش هذا الكتاب سنة ١٧١٥ (١٧١٥) وهو برسم الاب المكرّم الفاضل والعلم الماهر الخوري مخايل الطوشي المارونى القبرصي »

٦٢ كتاب « الاحتجاج عن أصل الموارنة وثباتهم في الامانة. تأليف مار اسطفانوس الدويهي السيد البطريرك الانطاكي المكرّم. » خُط بالكرشوني. وقد

كُتب على هامشه بعض كلمات باللاتينيَّة. ولعلّها بقلم مؤلفه نفسه

٦٣ كتاب يشتمل على قطع سريانيَّة روحيَّة. تُقال في خدمة القدّاس أيام الآحاد والاعياد. كتبهُ بالكرشوني «الشماس انطونيوس ابن الخوري سمعان من غوسطا من طائفة بيت شهوان. في أيام البطريرك يعقوب الحصروني. وفي أيام ساداتنا المطارين جرجس خيرالله وسمعان الحصروني وجبرايل الهدناني وجبرايل الريفوني والياس محاسب وباسيل البجاني وعبد الله الحلبي وجرماتوس (فرحات) وجبرايل ابن حوّا وفيلبّوس من بكفيّا. وكان كتابتها في دير عين ورقا باهتمام الخوري حنّا اسطفان رئيس الدير. سنة ١٧٢٧ ربّانيَّة في ٢٧ تموز.»

٦٤ برق السما. جزءان في كتابٍ واحد. الاول يتضمن ٣٤ فصلًا والثاني ٤٣ فصلًا. وهو كتاب مواعظ نقل من اسم المؤلف (١ . خط مخلوف القسطاوي شماس المطران بولس اسطفان في ١٠ تشرين الثاني سنة ١٧٨٩

٦٥ــ٦٦ الكتابان الرابع والخامس من العلم اللاهوتي للخوري بطرس التولاني الماروني. يبحث الاوّل عن الموجود المطلق وهو بخطّ عبدالله بن حنّا عبيد من عرامون سنة ١٨١٥. والثاني مباحثهُ عن الله وصفاتهِ المطلقة في ٢٦ بحثًا. وجاء على قفا اول ورقة منهُ: «ان الخوري بطرس التولوي المذكور قد درّس كتابهُ هذا في حلب في اوائل نيسان سنة ١٧٠٧

٦٧ كتاب «الانجيل المقدّس (والمسبّح) المفصّل من الاناجيل الاربعة. المرتّب للقراءة في دور السنة احادًا واعيادًا ومواقيت الاصوام والذكارين ترجمة القديس الطاهر النفيس المرحوم مار عبديشوع خادم كرسي المطرنة بهيوفركيًا نصيبين وارمينيا واعمالها. ترجمهُ نقلًا الى العربيَّة سنة ٦٨٩ه والف للاسكندر ذي القرنين (١٢٩٠م). شماس يوسف ابن الخوري وهبه اسطفان من غسطا سنة ١٧٨٢ م»

٦٨ «الجزء الاول من الرسومات الفلسفيَّة للاب ياكوير (Jacquier) من الرهبان الاصغرين رفيق ومدرّس في المدرسة الرومانيَّة وفي مدرسة انتشار الايمان. وقد أُستخرج هذا الكتاب الى اللغة العربية سنة ١٧٦٦ . ٦٩ كتاب النجاة. مواعظ للبطريرك سمعان عوّاد الحصروني. خط الشدياق فرح من عبيه سنة ١٧٦٩

١) مؤلفهُ الاب يوسف الكبوشي المرسل في القاهرة الفهُ سنة ١٧١٧ (المشرق)

٧٠ خزانة الأسرار والمنارة المسبّحة الأنوار . تأليف المطران سمعان عوّاد الحصروني الماروني. خط كرشوني بقلم الشدياق انطونيوس ابن الخوري سمعان من غوسطا سنة ١٧٣٣

٧١ كتاب «النجاح ومصباح الفلاح في اثبات العقائد الدينيّة للاب المرسل حنّا الكرملتاني المعروف بالحافي طريقةً والفرنساوي مولداً . «نسخهُ حنّا نوهرا بن حنّا شهوان من عيلة بيت شهوان غسطا في ٢٠ آب سنة ١٧٤١م». — ٧٢ قلائد الياقوت في واجبات الكهنوت. للاب لويس الجسري ترجمهُ الى العربية الاب بطرس فروماج اليسوعي. خط القس الياس شمعون الغسطاوي سنة ١٨٨٨ طُبع الكتاب في المطبعة الكاثوليكيّة سنة ١٨٩٥ . وقد كتب الناسخ تحت اسمه هذه العبارة: «وفي ثمانية ايام من شهر حزيران سنة ١٧٨٨ وصل فيرمان القنصليّة الى غندور الخوري . صح»

٧٣ ميامر ورسائل ومواعظ للقديس افرام السرياني. خطّهُ بالكرشوني الشدياق انطونيوس ابن الخوري سمعان غوسطا سنة ١٧٣٦ في ايام البطريرك يوسف الخازن.

٧٤ احكام باب الاعراب. معجم للمطران جرمانوس فرحات. خط عربي سنة ١٨١٣

٧٥ كتاب «كنز الاسرار. تأليف يوسف الباني تلميذ مدرسة الموارنة بمدينة رومية الكبرى.» خطهُ عربي بديع تدور مواضيعه على اسرار الكنيسة والسيد المسيح. وقد عزّزها المؤلف بشروح واقوال أخذها عن تآليف آباء الكنيسة والعلماء

٧٦ قاموس سرياني ولاتيني. مجلّد كبير . نجز في دير مار بطرس ومرشلّينوس برومية لرهبان مار انطونيوس الموارنة. في عهد البابا اقليموس (الثاني عشر)

٧٧ كتاب المصباح اللامع في ترجمة الجامع. وقد ترجمهُ الفقير الى ربّهِ الراهب يوحنّا الكرملي الحافي من اولاد فرنسة سنة ١٦٦٢ خطهُ بالكرشوني. جاء في آخره:

«وكان النجاز من كتابتهِ وتشجيرهِ ونسخهِ وتحريره سنة ١٦٨٦م. في أيام سيدنا المكرّم البطريرك اسطفان (الدويهي) وكانت كتابتهُ بمدينة حلب في حوش الوقف. على يد انسان خاطي. . بالوظيفة مطران وبالاسم جبرايل من قرية بلوزا من جبل لبنان ابن الشدياق حنا ابن المطران يوسف. كتبتهُ الى ديري الذي ... على اسم السيدة من حقارتي في بلاد كسروان (١)

١) هو دير سيدة طاميش لرهبانيتنا اللبنانيّة

لاجل منفعة الرهبان والسكان فيه. وهو وقفاً الى دير المذكور عتيداً . . . خرطشتهُ لاجل العازة والضرورة الزمتني الى كتابته. ثمّ اذكروا الى تلميذنا شمّاس رزق ابن مرقوس لان لهُ معنا تعب وساعدنا في كتابته. . . ثمّ اذكروا الى ولدنا القسّ حنّا ابن زنده لان لهُ معنا تعب»

وقد أُضيف الى هذا الكتاب بعض عظات من اقوال الاباء القديسين

٧٨ نسخة ثانية من كتاب «أخبار وامثال واقوال . قد جمعها احد الرهبان اللبنانيين. . .» خط عربي كنائسي

٧٩ كتاب سرياني لابن العبري

٨٠ الجزء الاول من كتاب الكنز الذهبي في الوعظ الادبي (٢ . يشتمل على ٥٦ عظة مرتبة لآحاد السنة كلها . تأليف الاب يواكيم بلّاديوس الحلبي الراهب اللبناني الماروني (٣ الارمني الاصل . وهو وابن ملّته الارمنيّة القس نتانائيل جوهرجي من تلاميذ رومية . وكانا كفرسي رهانٍ يتسابقان في حلبة التأليف والتصنيف وانشاء العظات الادبية الروحيّة . وللاب جوهرجي كتاب في الوعظ في مجلّدين يسمّى «العظات الادبيّة» ومن المجلد الثاني نسخة في مكتبتنا التي نقلناها الى دير سيدة المعونات في جبيل . (راجع المشرق ٢٤ [١٩٢٦] : ٦٥٨) و(كتاب المخطوطات العربية) ص٢٠٤ عدد ٧٨٩) وان خط كتاب الكنز الذهبي هذا عربي كنائسي جميل . واملاهُ بيد مؤلفه الاب بلاديوس نفسه

وقد صدّر المؤلف كتابهُ بفاتحة جميلة كنّا وددنا نشرها لولا ضيق المجال . ثمّ مخطوطات عين ورقة . وهناك ايضاً بعض مطبوعات نادرة (له بقيّة)

٢) قد حصلتُ على نسخة خطيّة من الجزء الثاني من كتاب الكنز الذهبي هذا . خطّها بالعربي الخوري انطون شهوان من غسطا سنة ١٨٦٤ وهي مجلّدة برقّ غزال وتنطوي على ٣٥ عظة مرتّبة لايام الاعياد الاحتفالية المأمور في بطالتها الواقعة في مدار السنة كلها . قد ألّفها الاب يواكيم بلاديوس وقدّمها لاكرام قلب يسوع

٣) راجع عدد مؤلفات الاب بلاديوس في كتاب « المخطوطات العربية لكتبة النصرانية » لجامعهِ حضرة الاب لويس شيخو اليسوعي . ص ٦٣ عدد ٢١٨ وبينها كتاب المنهج الامين للرهبان المبتدئين الذي ألّفهُ القس يواكيم بلّاديوس سنة ١٧٤٣ وقد افادني حضرة المتروسقف جرجس منش انهُ عثر عنده بتبويب مكتبته وترتيبها على نسخة من هذا الكتاب مؤلّفة في السنة المذكورة خطّ جرجس بن يوسف بن عبد العزيز من زوق مصبح سنة ١٧٥٢ وهي تشتمل على اربعين فصلاً (في ما يلزم طالبي الرهبانيّة) امّا كتاب الكنز الذهبي فهو من الكتب التي كانت مخبوءة في الزوايا ولم يعثر عليهِ احدٌ قبلي

الآداب العربيّة

في الربع الاول من القرن العشرين

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

القسم الرابع

البحث الرابع

في أدباء النصارى حاضرًا

ليس بالامر السهل ان نحصر في صفحات قليلة اسماء انصار الآداب العربية النصارى العائشين حاضرًا وذلك لسببين: (الاوّل) لكثرة الذين تخرّجوا في المدارس المسيحيّة التي بلغ عددها المئات منها للمرسلين اللاتينيين ومنها للارساليّات الاميركيّة والانكليزيّة ومنها للوطنيين من كل الطوائف الكاثوليكيّة والاورثذكسيّة وللجمعيّات الخاصّة او بعض الافراد. (والثاني) تشتّت هؤلاء الادباء في انحاء المعمور لاسيما منذ توفّر عدد المهاجرين الى اربع خوافق المعمور. فكثيرون منهم كانوا اركان النهضة الادبيّة في البلاد التي احتلّوها فانّ الفضل الكبير ان لم نقل الوحيد لانتشار الآداب العربيّة في الولايات المتحدة الى اقصى اميركة الشماليّة في كندا وفي معظم بلاد اميركة الوسطى واميركا الجنوبيّة كالمكسيك والبرازيل والارجنتين بل في جهات اوستراليا يعود خصوصًا الى النصارى وخصوصًا الى اللبنانيين والكاثوليك الموارنة والروم الملكيين والسريان ومنهم كثيرين مقطوعة اخبارهم عنّا

على انّ ما نجدهُ في نفسنا من القصور في استيعاب ذكر الادباء النصارى المشتغلين حاضرًا في خدمة لغتنا العربيّة لا يثبّطنا عن سرد اسماء الذين يخطرون على بالنا مستميحين عذرًا ممّن تفوتنا اسماؤهم الكريمة فنستدرك الخلل في فرصة اخرى ان شاء الله

١ً الشعراء

انَّ سوق الشعر نافقــة بين أدباء النصارى في عهــدنا فمن نعرف لهم دواوين كاملة يستحقون ذكرًا خاصًا الشعراء البيروتيون او اللبنانيون ﴿شبلي بك الملّاط﴾ طُبع شعرهُ مــع شعر المرحوم شقيقــهِ في بيروت سنة ١٩٢٥. ﴿امين ظاهر خيرالله﴾ عالج في شعرهِ المواضيع الدينية والادبية. لهُ كلمة شاعر في وصف خطب نادر: نكبة سان فرنسيسكو (نيويرك ١٩٠٣) ولهُ رواية الارض في السماء ورواية السموءل شعريَّة تمثيلية والبيان الصراح عن نذر يفتاح (دمشق ١٩١٣). ﴿اليــاس فياض﴾ طبع الجزء الاوّل من ديوانهِ (بيروت ١٩١٨). ﴿الدكتور نقولا فياض﴾ نسيب الياس. طُبعت قصائدهُ في مختارات الزهور وغيرها. ﴿حلمي دموس﴾ تكرَّر طبع ديوانهِ في دمشق وبيروت. ولهُ مجموعة شعريَّة مصوَّرة عنوانها المثالث والمثاني (صيداء ١٩٢٦). ولهُ الاغاني الوطنية. ﴿قيصر بك المعلوف﴾ جمع منظوماتهِ تحت عنوان تذكار المهاجر (سان بارلو ١٩٠٤). ثم اضاف اليها قصائد غيرها في ديوان ضخم. ﴿جرجي شاهين عطية﴾ طبع في بعبدا (١٩٠٤) نسمات الصبا في منظومات الصبا. ونشر اللبناني ﴿الشيخ رشيد مصوبع﴾ سنة ١٩١٠ في مطبعة الهلال بمصر ديوان الاثر في مواضيع عصريَّة شتى. ﴿وجرجي الحجّار﴾ نشر ديوانــهُ في بيروت سنة ١٩٢٢. ونظم استاذ الآداب العربية في الجامعة الاميركيَّة ﴿انيس الخوري المقدسي﴾ الذكرى وهي ادوار لطيفة عرَّبها شعرًا عن شاعر العرش الانكليزي الفرد تنسون. ﴿علوان الخوري﴾ لهُ الزنابق العاطرات من منظومات متفرّقات افتتحها بالدمعــات الست. ونشر حديثًا في بيروت (١٩٢٦) ﴿الياس ابو شبكه﴾ نبذة من ديوانهِ القيثارة وضمَّنهُ بعض اقوال ثوْرية. امَّا قصيدتــهُ المجدليــة والمسيح فيُستشَق منها رائحة كفرية

ومن دواوين شعراء دمشق وحلب وسوريَّة ديوان ﴿سليم بــك عنحوري﴾ بدائع مــاروت او شهر في بيروت. طُبع سنة ١٨٨٦. ولهُ الجوهر الفرد او الشعر العصري طبع بالحدث (لبنان) سنة ١٩٠٤ ونشر بعدهما منظومات عديدة متفرّقة.

﴿ميخائيل انطون صقّال﴾ طبع في حلب سنة ١٩١١ البِرّ نظمها بعد حوادث سنة ١٩٠٩ آخذًا فيها مأخذ الشعر القصصي. ثم نشر في الشهباء سنة ١٩٢٥ الجزء الاوّل من ديوانه. ونظم ﴿الياس كبابه﴾ الاثر الحصيب فنشرهُ في حلب سنة ١٩١٣. وافضل منهُ الدرّ النضير من العهدين القديم والجديد من نظم ﴿نجيب اللاذقاني﴾ في جزئين طبع في بيروت سنة ١٩١١

امّا منظومات شعراء مصر وفلسطين والعراق فالمقدَّم على الجميع ديوان شاعر القطرين ﴿خليل بك مطران﴾ لهُ القصائد الرنّانة التي نظمها من السنة ١٨٧٠ الى ١٩٠٦ وكم نشر غيرها من القصائد كالنيرونيَّة وسواها. وفي السنة ١٨٩٥ نشر ﴿ابراهيم بركات القبطي﴾ ديوانًا حسنًا في مواضيع دينيَّة وادبية عنوانهُ مفتاح باب السماء.

وشاعر فلسطين ﴿اسكندر الخوري البتجالي﴾ نشر في بيت المقدس سنة ١٩١٩ الزفرات دعاها بذلك لكثرة ما اودعها من الاوصاف الفاجعة. ثمّ طبع في العام الحاضر في القدس ايضًا الجزء الاوّل من مشاهد الحياة توفَّرت فيهِ القصائد العصريَّة

العراق واميركا من شعرائهم النصارى ﴿الدكتور سليمان غزّاله﴾ في بغداد الذي تعدَّدت منظوماتهُ (المطبوعة في السنتين ١٩٢٤ــ١٩٢٥) كالعشق الطاهر والقصيدة الفردوسيَّة في الحبّ الطاهر المقدَّس او العفاف والقصيدة الفيصليَّة دليل النجاح في منهاج الفلاح. امّا الاميركيُّون من المهاجرين فنشر منهم الاديب ﴿سعيد عبده ابو جوده﴾ الفتاة السوريَّة المهاجرة. ومن مشاهير شعرائهم ﴿الياس ابو ماضي﴾ لهُ تذكار الماضي طُبع في الاسكندريَّة سنة ١٩١١ وقصائد عديدة اخلاقية وادبية عصرية. والشاعر ﴿اسعد رستم﴾ صاحب القصائد الانتقاديَّة والادبية الفكهة بما مزجهُ فيها من الالفاظ الدخيلة والتلميحات القومية والاجنبيَّة. و﴿لسليمان داود﴾ نسمات الغصون او باكورة منظوماتهِ في نيويرك (١٩٠٥). وشاعر سان باولو في البرازيل ﴿رشيد سليم الخوري﴾ علَّق اسمهُ على الرشيديات المطبوعة هناك سنة ١٩١٦

هذا وليس لكل شعرائنا النصارى دواوين فلكثير منهم قصائد ومنظومات شتى نُشرت في المجلَّات والجرائد والكتب الادبيَّة فلو جُمعت أصبحت دواوين

كبيرة فها نحن نسرد هنا اسماءهم الكريمة تنويهاً بفضلهم واشارةً الى جودة قريحتهم في سبك القريض وتفننهم في كل معاني الشعر وقد نقلنا عن بعضهم قصائد جميلة انشدوها سنة الاعلان بالدستور فنشرنا شعرهم في مقالتين طويلتين الحماسة الدستورية ومنظومات الوقائع الدستورية (في المشرق ١٢ [١٩٠٩] : ٨١ــ٩٦ و ٦٤١ــ٦٦٤). وهذه اسماؤهم على ترتيب حروف المعجم ﴿الاسود﴾ ابرهيم بك المجيد شعراً ونثراً. ﴿الباشا﴾ الياس بك له القصائد الرنانة. ﴿البستاني﴾ عبد الله اللغوي الشهير. له منظومات عديدة منها رواية الحكم على ابني هيرودس. ﴿البستاني﴾ يوسف له منظومات حسنة في الجرائد والمجلات فهو معدود بين شعراء العصر. ومثله ﴿ثابت﴾ ايوب من شعراء الدستور. ﴿جبران﴾ خليل جبران له شعر حسن مع قصائد يلوح منها روح الثورة والتهوّس والخلاعة. ﴿حلوه﴾ خليل بطرس من شعراء الدستور. ﴿حيدر﴾ يوسف مثله. ﴿الخوري﴾ بشارة صاحب جريدة البرق. الملقّب لجودة شعره بالاخطل الصغير. ﴿الخوري﴾ فارس بك نُقل شيء من شعره الى الالمانية (Mitt. d. Sem. f. or. Sprache: XXVIII, 272). ﴿خير الله﴾ الدكتور خليل نشر شيء من شعره في مجلة الهلال وغيرها. ﴿خيّاط﴾ الدكتور الحلبي من شعراء حلب المعدودين. ﴿داغر﴾ اسعد له قصائد ونشائد متفرّقة. ومثله سميّه ﴿داغر﴾ اسعد خليل له بالشعر تاريخ الحرب الكبرى طبع سنة ١٩١٩ في مطبعة الهلال. وقصائد متعدّدة دينية وادبية في مجلة الشرق والغرب. ﴿داود﴾ سليمان من شعراء الدستور. ومثله ﴿دموس﴾ شبلي احد الشعراء المجيدين. ومن محاسن شعر ﴿رستم﴾ ميخائيل وصف بعلبك وآثارها. ﴿ورزق الله﴾ نقولا من الشعراء المعدودين روى له جامع مختارات الزهور عدّة قصائد (١١٥ــ١٢٤). ﴿ورشيد﴾ ايوب يعتبر من جملة الشعراء المجيدين في ارض المهجر. ﴿الرياشي﴾ قبلان نشرنا له ميميّته المطوّلة الحكمة العيسويّة (المشرق ٢٢ [١٩٢٤] : ٤١٢ــ٤١٦). ﴿زريق﴾ جميل نشر في طرابلس في المباحث وغيرها عدّة قصائد. ﴿زين﴾ حبيب فارس له قصائد في الدستور العثماني وغيره ومثله ﴿سعد﴾ جرجي نخله و﴿سلوم﴾ الدكتور توفيق. وعُني الدكتور ﴿شدودي﴾ ابرهيم بالزجليات فاخرجها على صورة لطيفة فنُشرت بعدّة جرائد. ﴿شقير﴾ سعيد له شعر لطيف في الحماسة الدستورية.

ومثلهُ ﴿العازار﴾ نسيم ﴿وغلبوني﴾ اسطفان ﴿وفضول﴾ كامل . ﴿ عريضه﴾ نسيب احد النابغين في اميركة . روى امثلة من شعره محيي الدين رضا في بلاغة العرب في القرن العشرين . ﴿وعقل﴾ وديع صاحب الوطن من افضل شعراء بيروت النصارى . ﴿والفرّان﴾ الياس نبغ في الشعر العامّي . ﴿فرحات﴾ الياس من نوابغ اميركة رُوي شيء من شعره المنسجم في بلاغة العرب في القرن العشرين (١٨٦ــ ٢١١) ، وكذلك اشتهر في اميركة الشاعر ﴿ فرزان﴾ الياس انطون فكان ينشر قصائدهُ في العدل وغيرها . ﴿فرج﴾ عبد الله له منظومات في الهلال وغيرها ونشر سمير الجليس في محاسن التخميس . ﴿الفغالي﴾ سمعان فرج من مشاهير القوّالين نشر شمس المغنى في جزئين ، ثمَّ عدل الى الكهنوت . ﴿فليكس﴾ فارس نشر في الجرائد قصائد عديدة . الفورتي ﴿بشير﴾ شاعر دستوري . ﴿مشرق﴾ امين اصاب ايضاً شهرة بين شعراء اميركة فنُشرت لهُ منظومات في بلاغة العرب في القرن العشرين (٢٢٩ــ ٢٤٤) . ﴿المعلوف﴾ شفيق روي شعره في مجلة الحرّيّة (٢ : ٥٨٣) ونُقل شيء منهُ الى الالمانيّة (Mitt. d. Sem. f. orient. Sprache, XVIII, 276) ﴿ المعلوف﴾ نجيب يوسف روى قطعاً من شعره الاستاذ عيسى اسكندر المعلوف في دواني القطوف (٣٢٦ــ٣٣٥) منها قصيدتهُ في ١٥٠ بيتاً في وصف مدينة ملبورن في اوستراليا . واطول منها واجود قصيدتهُ وحدة الامل في علّة العلل اثبت فيها وجود الخالق وخلود النفس والثواب والعقاب ونظم الوصايا العشر . ولراوي هذه المنتخبات جناب صديقنا عيسى افندي ﴿المعلوف﴾ قصائد ومنظومات لو جُمعت لبلغت ديواناً ضخماً و﴿نخاس﴾ جبران ناظم مناظرة السيف والبخار ﴿نخله السعد﴾ جرجي لهُ ما أحبُّ وما اكره . ونختم بالشاعرين ﴿نعمة الحج﴾ وميخائيل ﴿نعيمه﴾ هما ايضاً من مهاجري اميركة رُوي لكليهما نموذجات شعريّة في كتاب بلاغة العرب من القرن العشرين فذكر للاوّل ليلة ارق والى الامام والى الثاني من انتِ يا نفسي واخي واوراق الخريف ولو تدرك الاشواك سرّ الزهور

وبهذا التمداد ما يدلّ على رواج الشعر بين ادباء النصارى . ويوجد غيرهم سنذكرهم في عداد الصحافيين او الكتبة

(لهُ بقيّة)

مطبوعات شرقية جديدة

Groeber(Karl):PALAESTINA. Die Länder der Heiligen Schrift mit über 300 Abbild. in Kupfertiefdruck. *Berlin. Verlag E. Wasmuth, Folio, Prix relié 26 M.*

مجموع ثلثمائة صورة لفلسطين مطبوعة على النحاس المحفور

هذا الكتاب الجميل من مجموعة فنيَّة غاية في الحسن تُعرف باسم المجموعة الارضيَّة (Orbis Terrarum) تصف كل بلد على انفراد خصوصاً بالتصاوير البديعة التي تعرّف خواصهُ وميزاته . وهذا المجموع الضخم يختص ببلاد فلسطين وما يجاورها من بلاد الشام وما بين النهرين والعرب يحتوي على نيّف وثلثمائة صورة بهيَّة مع مقدّمة عرض فيها الكاتب «كل غروبر» غرضهُ وفنونهُ التصويريَّة ج. ل

PIERRE TÉQUI, Paris, rue Bonaparte,82-ALFRED CHÉHAB, librairie du Foyer à Beyrouth:-I Mgr Elie Méric : L'IMAGINATION ET LES PRODIGES, 2 *vols in*-12, *Paris*, 1927, *Prix* 20 *f*° = II J. M. S. Daurignac : HISTOIRE DE St LOUIS DE GONZAGUE, 6e *éd. in*-12, 1927, *Prix* 10 *f*° = III Hippolyte le Gouvello : PIERRE DE KERIOLET, 5e *éd. in*-12, *Paris*, 1927, *Prix*10 *f*° = IV A. Brou: LE DIX-HUITIÈME SIÈCLE. *in*-12, *Paris*, 1927,*Prix* 12 *f*° = V Abbé Ch.Grimaud:AUX FIDÈLES: MA MESSE, *in*-12, *Paris*, 1927, *Prix* 9 *f*° = VI. A. Maurand: ROME CONQUISE, Drame en 3 Actes. *in*-12, *Paris*, 1927, *Prix* 3, *f*° = VII A. Morice: POUR VIVRE EN BEAUTÉ, *in*-12, *Paris*, 1927, *Prix*, 6 *f*°

مطبوعات جديدة في محل تاكي في باريس

اهدانا محلّ تاكي في باريس هذه التآليف السبعة الصادرة في العام الحاضر وكلُّها تشهد لمحله بحسن الاختيار . (فالاوَّل) لاحد اساتذة السوربون في باريس السيد مَيريك خصَّهُ بالنظر فيما يدَّعيه في يومنا اصحاب التيوزوفيات والسبيريتم وغرائب السحر من العجائب فيستقصي فيها البحث ويظهر ما تستره من الشعوذات وما للمخيلة فيها من الفعل ويأتي لاثبات قوله باقوى الادلة . ثمَّ يفحص عن العجائب المنسوبة الى القديسين ويبيّن الفرق العظيم بينها وبين تلك التمويهات . فنوصي بهذا الكتاب كل

من تبهرهم عرائب المشعوذين فينخدعون ببهرجتها — الكتاب (الثاني) احد الكتب التي اقبل الناس على مطالعتها فتكرّرت طبعتها الى ستّ مرّات ألا وهي ترجمة القديس لويس غونزاغا لدورينياك التي تداولتها الايدي كثيراً في هذا العام بمناسبة المئة الثالثة لاعلان تثبيته قديساً — الكتاب (الثالث) يحوي سيرة احد ابناء معاملة بريتانية في فرنسة : بيار دي كيريولاي الذي بعد عيشة شبيهة بابن الشاطر اناب الى الله وادهش العالم باعمال توبته وبرارته في القرن السابع عشر . فهذه السيرة بتفاصيلها الغريبة تلذّ وتفيد معاً ولذلك قد بلغت بوقت قريب طبعتها الخامسة — الكتاب (الرابع) ألّفهُ احد مشاهير كتّاب فرنسة الاب «برُو» اليسوعي صلةً لما سبق لهُ عن كتبة القرن الثامن عشر . فبعد انتقاده لفولتير وكتاباته المختلفة خصّ هذا الكتاب الجديد بزميله جان جاك روسو فأمعن النظر في حياته المضطربة الخليعة ثمّ درس كلّ تآليفه وبيّن ما اودعها من السفسطات التي كانت من اكبر علل الثورة الفرنسويّة وانقلاب الهيئة البشريّة ظهوراً لبطن وختم كتابهُ بانتقاد الكتبة الذين ظهروا بعدهُ في عهد الملك لويس السادس عشر وتأثيرهم في المجتمع الانساني كبرنردين دي سان بيار وبومارشاي واندره شينيه — الكتاب (الخامس) للكاهن شارل غريو بيّن فيه صاحبهُ كل الكنوز الروحية التي تحتويها الذبيحة الالهية وما يستفيدهُ المؤمنون بحضورها — الكتاب (السادس) رواية تمثيلية بالشعر الفرنساويّ الحرّ للشاعر موران في ثلثة فصول مدارها على انتصار النصرانيّة على الوثنيّة في رومية بموت هامة الرسل مصلوباً على قنة الفاتيكان . نتمنّى ان تُعرَّب قريباً لمحاسنها — الكتاب (السابع) للقانوني هنري موريس الدكتور في الآداب وضعهُ لفائدة الشبيبة حفظاً لبرارتهم فيصبحون اطهاراً جسداً ونفساً ويتمتّعون بالطوبى التي فاه بها المسيح «طوبى للانقياء القلوب فانّهم يعاينون الله» ل . ش

G. Calvet: LE RENOUVEAU CATHOLIQUE DANS LA LITTÉRATURE CONTEMPORAINE. 1 vol. 8°, Paris, F. Lanore éditeur

التجدُّد الكاثوليكي في الآداب العصريّة

كان بعض كتبة العصر الماضي كريتان وفلوبرت ودي ليل تناصروا في الحطّ من قدر الكثلكة في كتاباتهم . لكنّ الحقّ يعلو ولا يُعلى عليهِ فقام بعدهم رجال

منصفون كفرلان وهويسمان وباريس وبورجه وبازين الذين ذادوا عن حمى الدين الكاثوليكي وبيّنوا فضلهُ العميم في كلّ مجالي الآداب والفنون وما لرجالهِ من التقدُّم في عالم العلوم. فوّلف هذا الكتاب تتبّع تلك الحركة الجديدة وبيّن ما للكتبة الكاثوليك من الهمّة في مجاراة كلّ مشاهير الدنيا والدين ج. ل

L'âme russe: Cahiers de la nouvelle journée, n° 8. 4°, *Paris, Bloud et Gay*, 1927

النفس الروسيّة

النفس الروسية عالمٌ مجهول كقسم كبير من مواطنها. ولتعريفها اجتمع لوضع هذا الكتاب ستّة من الكتبة المختلفي النزعات والعارفين باحوال روسية فتخصّص كلّ واحد منهم بوصف شيء من احوال الروس فهذا يعرّف الروسيّ في دينهِ والآخر في آدابهِ والثالث في سياستهِ والرابع في عيشتهِ الاهلية وهلمّ جرًّا. فقد ظهر الكتاب في وقتهِ للدلالة على موقف روسية بين الشرق والغرب تتنازعها الاميال تارةً الى جانب اليمين وحيناً الى جانب الشمال فعساها تجري في الطريق المثلى والسبيل المستقيم

ANTHOLOGIE DES TEXTES SPORTIFS recueillis par Marcel Berger et Emile Moussat. *Paris, Grasset*

نصوص قديمة في الالعاب الرياضيّة

كلّ يعلم انّ القدماء لم يجهلوا الالعاب والتمرينات الرياضيّة لتهذيب ناشئتهم وها قد تولّى الاديبان مرسال برجه واميل موسّات جمع النصوص القديمة في كتب اليونان والرومان المشيرة الى هذه الرياضات ومنافعها او اضرارها فتبيّن جليًّا اعتبارهم لها في العيشة الاجتماعيّة. امّا ما قيل عن النصرانية انها نفت تلك الالعاب فيبيّن الكاتبان انّ تلك تهمةٌ لا تصدق عن النصرانيّة التي في القرون الوسطى تعرّضت فقط لبعض الالعاب الشاقّة التي كان ضررها اعظم من نفعها. وما يشهد للنصرانيّة انّ اليها يعود الفضل في مشروعة الفروسيّة (la Chevalerie) والدفاع عن المظلومين ج. ل

Konow (Sten): THE ARYAN GODS OF THE MITANI PEOPLE (Kristiania Etnogr. Mus. Skrift) B' 3, H 1.,39 *pp.* 4°, *Kristiania, Broeggers*, 1921

آلهة الشعب الميتاني الاريّون

معلوم انهُ قد وردت في آثار بغاز كوى في الاناضول اسماء الآلهة الهندوآريّة ميترا

وفارونا واندرا واناساثياس عرفوها هناك منذ القرن الرابع عشر قبل المسيح. فاتخذ المسيو كونوف هذا البحث لدروسه ونشر فيه سنة ١٩٢١ رسالة تلطف باهدائها لنا. وهو يزعم انَّ هؤلاء الآلهة هنود فقط اصلاً لا يعتون سلالة الشعوب التي تشمل الهنود والآريين معاً لكنَّهُ لسوء الطالع لا يثبت قضيَّتهُ هذه بادلة مقنعة بل بناها على الحدس والتخمين. والمرجَّح انَّ هؤلاء الآلهة لكلا العنصرين. وللاستاذ بول كرتشمر (P. Kretschmer) في فيننا درسان في هذا الموضوع ازال فيهما كثيراً من مشاكله وان لم يبلغ الى بيانهِ تماماً فنكتفي بان نحيل القرَّاء اليهما ودونك عنوانهما :

1°) Die protoindogermanische Schicht (*Glotta*, 1915, 300-320)
2°) Varuna und die Urgeschichte der Inder. *WZKM*, 1926, 1-24)

س. ر

F. J. M. de Waele: The magic staff or rod in graeco-italian antiquity. 222 *pp.*, 8°, 1927, *Erasmus*, *Gent.*

العصيُّ السحريَّة في العاديَّات اليونانيَّة الايطاليَّة

هذه اطروحةٌ وضعها المسيو دي ڤيله في نيماج (هولندة) في شباط ١٩٢٧ بغية الفوز برتبة الدكتوريَّة وقد احسن بنشرها في اللغة الانكليزيَّة التي يجيد فيها الكتابة. وهو يبحث في اطروحتهِ عن العصيّ او الصوالج التي كان اليونان والرومان يتخذونها لغاية سحريَّة. فلبيان الامر قد استقرى ما يوجد منها في الآثار القديمة في ايدي الالهة كهرمس عطارد واسكليبوس وديونيسيوس باخوس الخ او ايدي الرجال والنساء كالملوك والكهنة والقضاة والسحرة والمنجمين الخ فلا يكاد ينسى منها شيئاً فاحاط بموضوعهِ تماماً وربَّما اضاف اليهِ ما يزيدهُ ايضاحاً كمقابلتهِ بآثار بعض الامم الهمجيَّة في عهدنا. وقد اتسع خصوصاً في ذكر عصاة هرمس المنتهي طرفها بحيَّتين مشتبكتين على هذا الشكل ؟ (Caducée). وننكر اصلها الشرقي كما ادَّعاهُ بعض العلماء مستندين الى صورتها في العاديَّات البابليَّة والسوريَّة الحثية. فننكر انهُ هذا ليس بمقرَّر لكن بما انَّ هذه العصاة الهرمسيَّة لا ترتقي الَّا الى القرن السادس قبل المسيح بينما العصاة البابليَّة راقية الى الالف الثالث قبل الميلاد فلا يمكن اذن ان ننكر علاقة العصاة المذكورة بالعاديَّات الشرقيَّة. وعلى كل حال يسرنا ان نقرَّ بسعة معارف الكاتب. فقد لحظنا عدَّة اغلاط طبعيَّة لم ترو في جدول الاغلاط

س. ر

ANNALES DE L'OBSERVATOIRE DE KSARA (Liban) par le R. P. Berloty S. J. : MEMOIRES, Tome I, 2° et dernier fascicule, *Impr. Catholique*, 1927, *pp.* 69-120, *Planches XXX-XLVI avec une carte.*

تاريخ مرصد كسارا في لبنان

سبق في المشرق (٢٢ [١٩٢٤] : ٥٧٧ــ٥٨٦) وصف هذا المرصد واعماله والخدم التي ادّاها اصحابهُ للعلم منذ انشائهِ في السنة ١٩٠٧ الى السنة ١٩٢١ نقلاً عمّا نشرهُ حضرة الاب برلوتي مديرهِ. وها هوذا اتحفنا بتتمّة هذا التاريخ الى اوائل السنة ١٩٢٦ وفيهِ ما يدل على ترقي المرصد واتساع اشغالهِ الرصديّة لكل المظاهر الجوية ولتدوين الحركات الزلزاليّة التي خصّها بنشرة مفردة (Observations : section séismologique) ثم معاملاتهِ مع الجامعة السوريّة كبيروت وجديدة واللاذقية ودمشق وسويداء في جبل الدروز والاسكندرونة. وبهِ شاهد جديد على مساعي اليسوعيين في ترقي العلوم كهمّتهم في خدمة الدين والآداب

Das Kitâb adkâr al-huqûq war-ruhûn. Herausg. von Joseph Schacht. 4°, *Heidelberg* 1927, *pp. VIII*-42

كتاب اذكار الحقوق والرهون لابي جعفر احمد الطحاوي

مؤلف هذا الكتاب ابو جعفر الطحاوي احد كبار الفقهاء في عهد العباسيين (× ٣٢١ــ٩٣٣) وضع في الفقه الحنفي كتباً جليلة اخصّها كتاب الجامع الكبير في الشروط استوفى فيهِ كل ما يختصّ بالشروط في المبايعات وغيرها. والكتاب لسؤ الطالع مفقود إلّا قسم منه في المكتبة الخديويّة في مصر عنوانهُ اذكار الحقوق والرهون وهو مثال بديع يدلُّ على سعة علم كاتبهِ واتقانهِ لكل ابواب الفقه فنشرهُ الاستاذ جوزف شخت في مجلّة هيدلبرج العلمية في قسمها الفلسفي التاريخي وصدّرهُ بمقدّمة مفيدة عرّف فيها المؤلف كتاباتهِ ومنزلتهُ في العلم. فنرجي بهذا السفر الجليل كل فقهاء الوطن والمحامين ليقتبسوا من فوائدهِ وهو من امتع الآثار القديمة ل. ش

Elie Farah: ETUDE SUR LE RHEUM RIBES. Thèse de Doctorat en Pharmacie. *in*-4°, *Beyrouth*, 1927, *pp.* 38 *illustré*

درس في تعريف الريباس

انّ في جبل لبنان كنوزاً من النبات الطبي يعرفها بعض الافراد ويجهلها العموم

والرياس من جملة هذه النباتات التي خصّها الله بمنافع طبيّة جمة لم تفُتْ قدماء النباتيين وافرد لها المرحوم الدكتور حبيب الدرعوني مقالة واسعة في المشرق (١٠[١٩٠٧]: ٢٥٣و٨٢٤) وها قد عاد الى هذا البحث جناب الدكتور الياس فرح فجعلهُ اطروحةً لنيل الدكتوريّة في الصيدلية. وقد وقفنا على تأليفهِ فوجدناهُ مثالًا كاملًا لحسن الوصف وتعريف ذاك النبات من كل وجوهه فلا عجب ان مهّد لهُ بحثهُ طريق الدكتوريّة. ويا ليت علماءنا يجرون على مثالهِ في درس غيرهِ من نبات لبنان الغني بالنباتات الطبية

Die Mukâṯarah von aṯ-Tayâlisî. Herausg, Von. R. Geyer

المكاثرة للطيالسي – رسالة فيمن يسمّى عمرًا

يحتوي هذا الكتاب مقاطيع من الشعر القديم روى قسماً منها المستشرق الشهير غاير عن جعفر بن محمد بن جعفر الطيالسي من ادباء القرن الخامس للهجرة نقلًا عن نسخة في الاستانة تحت عنوان المكاثرة وروى القسم الآخر الاديب براو (H. H. Brau) عن رسالة لابن الجرّاح في من تسمّى من الشعراء عمرًا. وهذه المقاطيع كلها من الشعر المختار تبلغ نحو مئتي قطعة وقد ضُبطت بالشكل الكامل وانا نأسف على ما وقع فيها من اغلاط التصحيف والشكل لا تكاد تخلو منها صفحة: (ص ٢٠ س ١٧) الطيرَ (الطيرُ) — (٢٠ : ٧) يَرَاغِبِ (يَرَاغِبِ) — ١٣ العَدْوَ (العَدُوّ) — ١٦ يَرَدَا (يَرَدًا) = ٢٢ : ١ والكَبِدَا (والكَبِدًا) — ٤ الرَّمْلِ (الرَّمِلِ) = ٢٣ : ٤ واهيَبُ مَعْشَرٌ من جَذْمِ كَلْبِ (واهيَبُ معشرٍ من جَذْمَ كَلْبٌ) etc. etc.

ل. ش

اهم حوادث حلب في النصف الاول من القرن التاسع عشر

نقلًا من مذكرة مخطوطة للمطران بولس اروتين اسقف حلب الماروني ٧٨٨–١٨٥٠ نشرها لاول مرة وعلق حواشيها الماروني بولس قرألي (ظهرت تباعًا في المجلة السورية)

لقد جاهد بعض الحلبيين في سبيل الاتحاد الكاثوليكي جهاد البطولة والاستشهاد وقد حفظ التاريخ لهم ذكرًا مخلدًا على يد الاب العالم قرألي. وجلُّ ما نرغبه هو ان يهتم السادة الاساقفة فيرفعوا القضية الى رومة عسانا نكرم في مصافّ الشهداء السابكيين مواطنينا الحلبيين الذين قتلوا في سبيل الايمان. ومما يستلفت الانظار في كتاب الاب قرألي المقالة في مذبحة سنة ١٨١٨ والحواشي المعلقة عليها الاب ف. توتل،

مملكة الظلام او حياة الارضة

تأليف مترلنك تعريب الدكتور نقولا فياض

عُنيت بنشره ادارة الهلال بمصر سنة ١٩٢٧

قد اصابت مجلة الهلال هذه المرة في اختيار موضوع تقدمهُ هدية لمشتركيها. فعهدت الى احد المعربين البارعين جناب الدكتور نقولا فياض بتعريب كتاب مفيد للمؤلف الشهير مترلنك عن «الأرضة» (termite) الدويبة المعروفة وآفة الزراعة. والكتاب جامع يصف الأرضة في كل اطوار حياتها واحوالها في التربة ويدل على الطرائق لمقاتلتها فنوصي به كل ارباب الفلاحة والمزارعين ليستفيدوا من معلوماته الواسعة

تحت راية القرآن — المعركة بين القديم والجديد

مقالات الادب العربي في الجامعة المصرية والردّ على كتاب في الشعر الجاهلي للدكتور طه حسين . . . بقلم مصطفى صادق الرافعي

من مطبوعات المكتبة الاهلية بمصر: مطبعة الرحمانية سنة ١٩٢٦ (ص ٤٢٧)

الراية منشورة والمعركة تسيل فيها . . . دماء المحابر . ولا بأس من الجدال المؤدي الى اثارة قرائح الكتاب واستفزاز همتهم للبحث والتنقيب . وان في هذا المؤلف من رشاقة القلم ولباقة الاجزاء وفكاهة الحديث ما يجعلهُ ممتعاً يباشر به القارئ فيلتهمهُ الى سطره الاخير منها . فيقف عنده حائراً حيرة مجلس النيابة المصرية في قضية طه حسين والشعر الجاهلي (وجه ٤٣٥) . ولعلنا نتوفق الى مراجعة الموضوع في مقال خاص ان شاء الله والعود احمد

الاب فردينان توتل

الكتاب التاسع من الوضيعة في الحكمة الخلقيّة — خطاب الاعتماد على النفس

بقلم الدكتور سليمان غزاله نائب البصرة في المجلس النيابي

طُبعا في دار الطباعة الحديثة ببغداد سنة ١٩٢٧ (ص ٩ و٣٠ و٢٨)

يختم جناب الدكتور غزاله بهذه الحلقة التاسعة سلسلة وضيعته الجميلة بخلاصة الادب الرياضي العملي التي جعل مدارها على احدى عشرة محاورة ضمّنها مجموع فروض الانسان نحو نفسهِ ونحو المجتمع الانساني على اختلاف طبقاتهِ ونحو الوطن خصوصاً والشعوب عموماً فجاء مسك الختام لمقالات ممتعة اودعها الكاتب لباب التعاليم الدينيّة

والادبيَّة والاجتماعيَّة — وقد اهدانا حضرتهُ مع هذه التحفة طرفةً أُخرى ألا وهي خطابهُ الذي القاهُ في مدرسة الآباء الكرمليين العامرة في ختام السنة المدرسيَّة اختار لهُ خير موضوع خليق بالشبيبة وهو الاعتماد على النفس في الكفاح للحياة

المهاجرة اللبنانية

بحث علمي اجتماعي اقتصادي بقلم المحامي ميشال شبلي
المطبعة الكثوليكيَّة سنة ١٩٢٧ (ص ٧٩)

يحسن بكل من يُعنى بالمهاجرة في لبنان ان يتصفَّح هذا الكتاب النفيس ويدرسهُ درساً معمَّقاً ليطَّلع على ما اودعهُ مؤلفهُ الفاضل من المعلومات عن اسباب المهاجرة ومنافعها ومضارّها واحوال المهاجرين وعددهم وجنسيَّتهم وواجباتهم وكل ذلك بعبارة واضحة فصيحة وباوصاف مدقَّقة ترقف القرَّاء على كل امور المهاجرة وتصونهم من التهوُّر في اخطارها ومجاهلها ل. ش

هدايا أُرسلت الى المشرق

١ — القديس فرنسيس الاسيزي — بمناسبة التذكار المئوي السابع لوفاتهِ محاضرة جميلة للخوري نخائيل الرحي. طُبع بمطبعة جدعون (ص ٢٦)

٢ — احاديث بين القديم والحديث — وهي واقعات قضيَّة حقوقيَّة جرت في القضاء اللبناني المتجدِّد في قضيَّة مالية رفعتها السيدة انيس عبّود بواسطة وكيلها الاستاذ يوسف افندي سودا ضدَّ تركة زوجها المرحوم اسكندر بك عبّود. حمها وكيل سائر الورثة الاستاذ نجيب افندي خلف. طبع بمطبعة صبرا (ص ٣٣)

٣ — ابن الحق — قضيَّة المطاط وهي قضيَّة جزائية حدثت واقعاتها بين المدَّعيَّين جورج واسبيريدون بريدي والمدَّعى عليها الاستاذ نقولا لويس المحامي والسيد خليل البرباوي. جمع واقعاتها وكيل المدَّعين المحامي نجيب افندي خلف. طُبع في مطبعة الجليل (ص ٣٢)

٤ — مشروع دستوري اداري — بقلم اميل ثابت نائب لبنان. مطبعة زنكوغراف طبَّارة (ص ٣٢)

٥ — ثلث طالعيَّات كبيرة برسوم ملوَّنة زاهية — تحتوي نشيد فرنسة الوطني المارسليز والمناجاة: يا سورياً! ونشيد الطلائع المصريَّة وكلُّها من نظم الشاعر ارنست نعمة الله بك وتلحين الاستاذ منصور افندي عوض. طُبعت طبعاً جميلاً على الحجر في مطبعة مرافتلي في القاهرة

٦ — رواية الحبّ المكتوم — انكليزيَّة الاصل بقلم بولس لترفورد الاميركي تعريب امين الغريب صاحب مجلة الحارس. طبع في مطبعة قوزما في بيروت سنة ١٩٢٧ (ص ٨٨)

٧ — الام اسطفاني — ١٩٢٧ الرئيسة العامة لجمعية العائلة المقدَّسة المارونيَّة (ص ٣٢)

حضرة الاب اليسوعي اوربان هولتسميستر

الحائز مؤخرًا على رتبة ملفان في اللاهوت شرفاً في جامعة انسبروك

ونزيل كلية القديس يوسف في بيروت سابقاً

شذرات

﴿ جلالة الملك فؤاد في رومية ﴾ انَّ زيارة جلالة ملك مصر للفاتيكان في آب الماضي تُعد من اعظم الوقائع السارَّة في اعين الكاثوليك عموماً والشرقيين منهم خصوصاً . فانها تبيَّن جليًّا ان الكاثوليك حيثما يحلون والى اي دولة ينتمون هم من اصدق رعايا السلطة الشرعيَّة وخدَمتها الامناء في كل ما يصلح لرقي الوطن ورفعة شؤونهِ فلا شكَّ في انَّ الكثلكة في مصر بأحبارها واكليروسها ورهبانيَّاتها ومدارسها ومشاريعها الدينيَّة والخيريَّة والاجتماعية نالت نصيبها من الفخر في نهضة مصر في النصف القرن الاخير حيث أُعطيت الحريَّة التامَّة من قبل ارباب دولتها . فزيارة جلالة الملك لقداسة الحبر الاعظم بيوس الحادي عشر اعظم ضمان لثبات ذاك الولاء بل لزيادتهِ توثقاً

﴿ يوبيل جامعة انسبروك في النمسة ﴾ احتفلت هذه الجامعة المنشأة سنة ١٦٧٧ بيوبيلها بكل أُبهة . ولا غرو فانها منذ مئتين وخمسين سنة أدَّت من الخدم الجليلة للدين والوطن ما لا تحصرهُ المجلدات الضخمة . ورئيس هذه الجامعة اليوم حضرة الاب اوربان هولتسيتر اليسوعي الذي تشرَّفت كلية القديس يوسف بضيافتهِ مدَّة سنتين (١٩٠٥و١٩٠٦) فتخرَّج فيها في اللغات الشرقية . وقد خرج من تلك الجامعة رجال كبار يطول تعدادهم فما لنا الَّا ان نضمَّ صوتنا الى التهانئ الواردة على اربابها ولاسيما على اخوتنا اليسوعيين الذين يعلّمون فيها . وقد أسفنا على من توفي فيها في أيَّار الاخير وهو ايضاً احد المتخرّجين في كليتنا الاب البولوني شيبنسكي (Sczcepanski) استاذ الكتاب المقدَّس وصاحب تآليف عديدة

﴿ ردّ الارشمندريت فوتيوس ﴾ سوَّد حضرة الارشمندريت عشر صفحات من كرَّاسة حاول فيها الدفاع عن رسائل البروتستانت والطعن في الرهبانيَّة اليسوعية . امَّا دفاعهُ عن رسائل بسكال فلا يجديهِ نفعاً طالما لا يمكنهُ ان يثبت صحَّة منقولات ذاك المتنرّض عن كتب اليسوعيين التي اقرَّ كل المنصفين انها مزوَّرة واعلن

هو بنفسه ايضاً انهُ روى نصوصهم دون ان يطّلع عليها كما حرّفها اصحابهُ الجنسيانيون. امّا طعنهُ في الرهبانية اليسوعية فيردُّهُ كلّ من يعرف اليسوعيين وكفاهم فخراً انّ افاضل الأُسر الاورثدكسيّة في بيروت وغيرها تخرّجوا على اليسوعيين وكلّهم لسان واحد في الثناء عليهم هذا فضلاً عن اعمالهم الرسولية والتهذيبية والاجتماعية التي لا ينكرها غير المكابر للحق كالارشمندريت. والشجرة تُعرف من ثمرتها

﴿ مزعم باطل لمجلة الهلال في انتشار الاديان بين كلّ الشعوب ﴾ لا يخلو عدد من اعداد الهلال من بعض المزاعم الوهميّة التي تشينها دون تروٍّ وصواب. فممّا نشرتهُ في عددها اغسطس الاخير لاحد مراسليها نبذةٌ زعم فيها كاتبها انّ الفكرة الدينيّة اي معرفة وجود الله وخلود النفس والحساب عن الاعمال الصالحة والطالحة يجهلها تماماً عدّة شعوب واستند في قولهِ الى بعض الكتبة المعروفين بالالحاد او السيّاح غير المتثبتين للامور لسرعة سيرهم في البلاد وقد ردّ عليهم المرسلون المقيمون بينهم والمراقبون لاعمالهم. وهذه مجلة « Anthropos » قد فنّدت مزاعمهم وبيّنت انهُ لا يوجد شعب او قبيلة مهما كانت عريقة بالهمجيّة الّا وتعترف بإله او روح اسمى منهُ تصدر الموجودات واليهِ مرجع الانسان في آخرتهِ. حتى انّ التديُّن يُعَدُّ كخاصّة من بين خواصّ الانسان الناطق فدعي « Homo religiosus » وما اسهل على المرء ان ينتقل من منظر الكائنات الى مكوّنها لمعرفتهِ انّ ليس معلول بلا علّة

﴿ مصدر النور الليلي ﴾ عند غياب القمر ليلاً نستنير بنور الكواكب والنجوم الّا انّ هذا النور ليس هو بنورنا الوحيد فانّ مدير مكتب النظريّات في باريس المسيو شرل فابري (Ch. Fabry) اثبت بعد الامتحانات المتوالية انّ قسماً من نورنا الليلي يأتي من الشفق القطبي الذي يؤثر في جوّ الكرة الارضيّة فيضيف من نورهُ نحو ثمانية في المئة الى نورنا

﴿ اسراب باريس ﴾ إنّ لباريس كما لرومية دياميس واسعة استخرجوا منها الحجارة لابنيتهم منذ القرن العاشر فتكوّن منها اسراب تبلغ مساحتها ٧٧١ هكتاراً مختلفة التقاطيع يبلغ مجموع طولها ٢٨٥ كيلومتراً كالمسافة من بيروت الى حلب

﴿ سناج مداخن لندن ﴾ السناج وهو دخان (شحّار) المداخن يتصاعد من الوف من معامل عاصمة الانكليز فيبثّ في سمائها ظلاماً كثيفاً. وقد قاس قُبيل الحرب

احد الاختصاصيين كمّية ما يتصاعد منهُ في جوّ المدينة فاذا ثقلهُ يبلغ في السنة ٩٠٫٠٠٠ من الامتار المكعّبة التي لو جُمعت لأمكن ان يُبنى منها برجٌ مساحتهُ ٩٠٠ متر مربّع وعلوهُ مئة متر. فتأمل !

﴿في اعالي جبال سويسرة﴾ عزم قوم من اهل فرنسة من مدينة شاموني في ساڤوا العليا ان يصعدوا الى احدى مسلّات جبل «مون بلان» الارقى علوًّا المدعوّة مسلّة غريبون (Grépon) البالغ ارتفاعها ٣٫٤٨٢ مترًا فوق سطح البحر فاجتمعوا تحت قيادة احدهم المدعوّ راڤانال (Ravanel) الذي نال مرارًا جائزة السباق في ارتقاء تلك الجبال واتّفقوا مع احد الكهنة المسيو ڤوارنه (Vuarnet) كي يرافقهم لينصبوا في تلك المشارف العالية تمثالًا للعذراء مريم في طول متر و٢٠ سنتمترًا وثقل ٤٤ كيلوغرامًا. فتحفزوا للامر واقتحموا اهوال الصعود بين مخاطر جمة لا يعرفها غير اهل تلك البلاد. وبعد سبع ساعات قاسوا فيها ضروب الاتعاب بلغوا القمّة المقصودة فبارك الكاهن تمثال البتول ونصبوه على صخر عالٍ ثمّ تغنّوا بنشيد العذراء وقلوبهم طافحة بالفرح والشكر لتلك التي صانتهم غير مرّة من اخطار الموت

﴿الاعياد اليوبيلية لتذكار المصوّر روبنس﴾ اقامت مدينة انڤرس البلجيكية في شهري تموز وآب الاخيرين اعيادًا حافلةً لتذكار وطنيّها الشهير المصوّر الفلمنكي روبنس بمناسبة السنة ٣٥٠ لوفاتهِ فشيّدت لذلك متحفًا جمعت فيهِ ما يُعرف في انحاء الدولة في الكنائس والقصور وبيوت الخاصّة من صوره البديعة وآثاره الصناعيّة فتقاطر الزوّار لمعاينتها مجموعةً ولمشاركة المدينة في الحفلات المقامة هناك ل. ش

﴿الذهب في العالم﴾ وقفنا في مجلّة علميّة على لائحة رسميّة لما استُخرج من مناجم الذهب منذ السنة ١٩١٣ الى السنة ١٩٢٥ فكانت كميّتهُ في العام ١٩١٣ بالغة ٢٢٫٢٢٥٫٠٠٠ اونس والاونس (once) نحو ٣٠ غرامًا قُدّر ثمنها بـ٤٦٠٫٠٥١٫٠٠٠ دولار ثمّ زادت هذه الكميّة فبلغت سنة ١٩١٥ ٢٢٫٧٣٨٫٠٠٠ اونس ثمنها ٤٧٠٫٠٢٦٫٠٠٠ لكنّها اخذت بعد ذلك بالنقصان بسبب الحرب ولواحقها حتى نزلت سنة ١٩٢٢ الى ١٥٫٤٥٢٫٠٠٠ اونسًا بثمن ٣١٩٫٢٠٠٫٠٠٠ دولار ثم عادت الى الازدياد دون ان تبلغ ما كان يستخرج منها قبل الحرب فكانت كميتها سنة ١٩٢٥ ٢٠٠٫٠٠٠٫٠٠٠ اونس بثمن ٤١٦٫٠٠٠٫٠٠٠ ف. ت

أسئلة وأجوبة

س سأل من غزير م . ب ان نفيده ٥ عن الكردينال نقولا فرنسوا دوقة لورين . طران تُول الذي سمح له في ٧ شباط ١٦٣٤ الاب فوريار ان يترك الكردينالية والاسقفية ويقترن بالزواج بابنة عمّ الامبرة كلود وحيدة هنريكوس الثاني لكي يسلم دوكية لورين » فطلب السائل كيف جرى كل ذلك على خلاف القوانين وبدون تفسيح من الحبر الاعظم ؟

زواج الكردينال نقولا فرنسوا دوقة لورين

ج انَّ السائل قد وهم هنا بعدّة امور : ١ً ان الكردينال نقولا فرنسوا دوقة لورين لم يكن مقيّدًا برباط الدرجات الاكليريكيّة فان الكردينالية رتبة شرفيّة لا درجة مقدّسة . ٢ً امّا كونهُ مطراناً على تول فانَّ ذلك كان تعييناً لامر مستقبل لم يتمّ فعلًا . ٣ً ان الاب فوريار المذكور هو احد كبار القديسين في عصره (St Pierre Fourrier) ومنشئ رهبانيّة جليلة . ٤ً كان الكردينال نقولا يمكنهُ ان يتنازل عن شرف الكردينالية ويقترن بالزواج الشرعي . ٥ً اقترانهُ بابنة عمّ هنريكوس الثاني دوقة لورين لم يتمّ دون طلب الرخصة من الحبر الاعظم فانَّهُ ارسل رسولًا الى رومية قبل زواجه مقدّماً استعفاءهُ من الكردينالية وطالباً الحلّ من مانع الزواج بقرابتهِ . إلّا انهُ في اثناء ذلك حوصرت مدينتهُ ليُقبَض عليهِ وعلى اسرتهِ فيُمنَع الزواج ولا يقوم خَلَفٌ منهما لدوقيّة لورين المستقلة وتُضمّ الى فرنسة . ففي هذا المأزق استشار الدوقة أيمكنه ان يفترض سلفاً سماح الكرسي الرسولي ؟ فقال لهُ كثيرون ومن جملتهم القديس بطرس فوريار : انَّ هذا يجوز لهُ . فاقترن بابنة عمّه وتمّ العقد ثم أتى جواب الكرسي الرسولي بعد مدّة موافقاً لطلبهِ وتكرَّر العقد ثانيةً . راجع معجم لاروس في مادّة (LORRAINE V:754) حيث يقول : Fr. Nicolas de Lorraine...sans être prêtre, ni même avoir reçu les Ordres renonça à ses dignités ecclesiastiques lors de l'abdication de Charles IV et épousa sa cousine la princesse Claude de Lorraine

س سُئلنا من هو مخترع ورق الكتابة ومتى شاع استعمال الورق عند العرب ؟

ورق الكتابة وشيوعه عند العرب

ج اوّل من اصطنع ورق الكتابة بتحليل الخرق والقنّب وغيرهما رجلٌ صيني يدعى تيسي لون عاش في القرن السابق للميلاد امّا شيوعهُ بين العرب فكان بواسطة اسرى صينيين في عهد هارون الرشيد فعلّموا اهل بغداد استحضار الورق ل . ش

المشرق

العين الباصرة لروائع القاهرة

بقلم الاب لويس شيخو اليسوعي

تاحت لنا رحلة حديثة الى القاهرة فانتهزنا هذه الفرصة لنلقي عليها نظراً عاماً فنعتبر رقيها العجيب الذي اصابتهُ منذ ربع قرن وكنّا حينئذٍ قضينا فيها أياماً فوجدناها من ارقى المدن حضارةً واوفرها خيراً

الّا اننا في رحلتنا الاخيرة ظهرت لنا في حلّة قشيبة من البهاء تفوق كثيراً على بهائها السابق فاحببنا ان نصفها وصفاً اجمالياً لقرّائنا ليروا ان الشرق يمكنهُ ان يجاري الغرب في كل رقيّهِ فنعدّد ما حظيت بهِ مصر من ضروب المحاسن دينيًّا وسياسيًّا وماديًّا وادبيًّا واجتماعيًّا

كان سفرنا من بيروت ظهيرة الجمعة ٢ ايلول على سيّارة اصحاب شركة الاصطياف الذين لم يدّخروا وسعاً في كل اسباب راحتنا . وبعد ان بتنا تلك الليلة في ضيافة راهبات الناصرة في حيفا ركبنا القطار في ضحى يوم السبت فقطعنا ببضع ساعات تلك الطريق السحيقة التي قطعتها ببضعة اسابيع جيوش الدول القديمة وقطعها ابراهيم الخليل عند نزوله الى مصر وقطعتها العائلة المقدّسة عند هربها من سخط هيرودس وطلبهِ المسيح الطفل ليفتك بهِ . فكانت سلسلة التواريخ تتمثّل لبالنا من عهد الفراعنة والبابليين واليونان والرومان الى العرب والاتراك المحدثين الذين ساقهم جمال باشا لفتح مصر فعاد بالخيبة مخذولاً . فانّ مجرّد اسماء بقايا المدن الساحلية الفلسطينية كلُدّ وغزّة وعسقلان وأشدود أحيت في ذكرنا مآثر الصليبيين التي يروونها مفصّلةً في

تواريخهم وجدّدها نابوليون في حملته على سوريّة

ما قطعنا قناة سويس عند القنطرة حتى دخلنا في عالم جديد تلوح مظاهره في كل انحاء البلاد وانما تتجلى خصوصاً في القاهرة

١ الدين في مصر

انّ للدين في مصر مقاماً جليلاً وذلك بفضل الحرّيّة التي تمنحها الحكومة الرشيدة لسائر رعاياها لعلمها انّ رقيّ الدين لمما يكسب الدولة رونقاً وقوّة وانهُ الركن الحصين والاساس المتين في نهضة الشعوب لها في ذلك اسوةٌ في تاريخ الامم السالفة التي تُرى آثار دينهم في كلّ انحاء البلاد وتنطق بها عاديّات متاحفهم الفريدة

وقد سُررنا خصوصاً لما عاينّاهُ من ترقي الدين الكاثوليكي الذي لا يكاد يخلو حيّ من احياء القاهرة من بعض آثاره . فانّ للطوائف الشرقيّة وللمرسلين اللاتين ورهبانهم ورواهبهم عدد من الكنائس والمصلّيات يربي على الثمانين . وتمتاز الكنائس الجديدة بحسن هندستها وجمال هيئتها ورونق طقوسها تزدحم فيها جماهير المؤمنين في أيّام الآحاد والاعياد حتى تضيق بهم مع سعتها . وذلك مما يبهج القلوب ويدلّ دلالة واضحة على غيرة الاساقفة الاجلّاء ورعاة الكنائس الذين سمناهم يشكرون الله على ما يعاينون من اقبال المؤمنين على اعمال التقى ومواظبة الاسرار

وفي معظم هذه الكنائس اجتماعات تقويّة واخويّات تحيي في قلوب المسيحيين روح الدين والعبادة . منها للرجال ومنها للنساء وبعضها للشبّان وغيرها للفتيات ومنها لطبقات خاصّة من الشعب . وتُقام سنويًا في الكنائس المذكورة الرياضات وتلقى المواعظ والمحاضرات الدينيّة . ومما ساعد على ذلك النموّ الروحي سعي ارباب الدين بتوثيق روابط الحبّ والاتحاد بين الطوائف الكاثوليكيّة وقد عُقدت لذلك بعض الاجتماعات التي ابهجت القلوب وثلجت لها صدور العموم

ومن فضل الدين ما أُنشئ في مصر من المشروعات الخيريّة في كل الطوائف والملل من مستشفيات ومستوصفات وملاجئ ومياتم وعيادة مرضى وتوزيع اطعمة على الفقراء فانّ جمعيّة مار منصور وحدها لها عشرون فرعاً يُعنى بها افاضل الكاثوليك . ولعلّ ذلك كان سبب قلّة من وجدناهم يستعطون في الشوارع

ولا يُنكر ما للمرسلين الاوربيين من المساعي الشريفة والمشروعات المنيفة لتعزيز الدين بما امكنهم من الوسائل . وقد اقرَّ لنا غير واحد انَّ الرقيّ الديني منذ خمسين سنةً كان غالباً بفضلهم ولذلك ترى العموم متشبثاً بحبهم ولمثل الحبر الاعظم بينهم كلّ تجلّة واكرام

وعدد الكاثوليك في مصر من روم كاثوليك وموارنة وارمن وسريان واقباط وكلدان ولاتين قريب من الاربعين الفاً ومع قلّة عددهم بالنسبة الى عدد اهل القاهرة البالغ مليوناً من النفوس لهم في القاهرة مركز ممتاز يقرُّ لهم جلالة الملك بخدمهم المديدة للوطن وقد اثنى عليهم في زيارته مؤخرًا لقداسة الحبر الاعظم في الفاتيكان

والقبط الاورثذكس اوفر عددًا من الكاثوليك لكنهم دونهم رقياً وتهذيباً . وقد أُصيبوا قبل بضعة اسابيع بوفاة بطريركهم كيرلُّس الخامس . والاحزاب المتباينة حتى الآن لم تتّفق على انتخاب خلفٍ له

ومثلهم اليونان والروم الاورثذكس الذين تفصلهم الجنسيَّة فلا يستطيعون ان يتّفقوا على تحقيق اغراضهم القوميَّة . وذلك ما اشتهر خصوصاً في الاسكندريَّة

٢ السياسة في مصر

القاهرة حاضرة مصر هي ايضاً محور سياستها . كل يعلم ما جرى بين دولة الاحتلال البريطانيَّة والدولة المصريَّة من الخلاف والنزاع الذي افضى اليوم الى استقلال مصر حاليًا وان لم يبلغ الى كل ما يحلم به ذوو الحزب الوطني الذي أُصيب في هذه الايام بوفاة زعيمه الاكبر سعد باشا زغلول . ومن يتجوَّل اليوم في شوارع مصر يجد كلّ جرائدها ومجلّاتها حافلة بذكر ذاك الرجل الفريد وصورهُ في كلّ هيئاتها والوانها الزاهية بين ايدي القرّاء . وباعة الصحف ريثما يُقام لهُ تمثال خاصّ يزين احدى ساحات المدينة ويُطلق اسمهُ على احد شوارعها وهم يقيمون لهُ اليوم مشهدًا فخماً على طراز جامع بين الفنّ المصري القديم والشرقي الحديث رسمهُ احد المهندسين الاقباط . وما لا ينكر انَّ الرجل جاهد الجهاد الحسن في تحرير وطنه وانَّما يصعب ان يقوم مقامهُ رجلٌ يشبههُ تفانياً في حبّ امّته مع بلاغة خلّابة وحسن نظر في الامور السياسيَّة . وقد اقرّ لهُ اعداؤهُ السياسيُّون بسجاياهُ الفريدة وان نسبوا اليه التطرُّف في

مطاليبه . والحزب الوطني قائم قاعد لانتخاب خلف للزعيم الراحل . والشائع انهم ينتخبون مصطفى النحاس من غلاة المتطرفين فان وقع عليه الانتخاب ولم يلزم خطة الاعتدال عرّض بوطنه لمشاكل جديدة

وما لا ينكره العقلاء من المصريين انّ بريطانية العظمى مع عظم مطامعها في توليها على مصر قد ادّت لهذا القطر خدماً لا يقدّر ثمنها . وانّ رقي مصر منذ ٤٦ سنة مرجعهُ الى الدولة الانكليزيّة في قسمو الصالح . كفى شاهداً على الامن ما تمتّعت به الاصقاع المصريّة من الامان وما أُنشئ فيها من المشاريع العظمى كخزّان اسوان وغير ذلك ممّا اغنى مصر صناعةً وزراعة وتجارة . ولعلّ رحلة جلالة الملك الاخيرة الى عاصمة الانكليز تزيل ما بقي في سماء السياسة من السُحب المظلمة فتُعقد معاهدة تراعي مصالح الدولتين

٣ الرقي المادّي

انّ رقيّ مصر المادّي يلوح لكلّ ذي عين . يؤخذ من احصاء النفوس الاخير مع معدّل نموّ السكّان سنوياً ان القاهرة اليوم تحتوي على ما ينيف على مليون من الاهلين فاصبحت من جملة امّهات المدن في سائر المعمور . ولعمري انّ الذي يطوف شوارع المدينة مشياً يقضي الساعات الطوال قبل ان يقطعها طولاً او عرضاً . والسكك الحديديّة وقطارات الترامواي والسيّارات المتنوّعة متواصلة دون انقطاع وهي دائماً حافلة بالرُكّاب يزدحمون في بعضها ازدحام السمك المكبوس . والاشغال البنائيّة لا تنقطع ترى الابنية كافخم ما يُرى في باريس او لندن . وكثيرٌ منها متعدّد الطبقات الى ثماني او عشر طوابق بالسمنتو وتتناوب المعاهد على طُرُزها المختلفة فبعضها شرقي وبعضها غربي وبعضها على الطراز القديم او طراز بعض الاصقاع الجانيّة كالقصر الذي ابتناهُ مؤخّراً نيافة القاصد الرسولي السيد كاسولو قبل وداعه لمصر على نفقة الكرسي الرسولي كدار للقصادة في حاضرة القطر المصري فانهُ مثالٌ لطيف من الهندسة الفلورنتيّة البديعة التي تأخذ بالابصار

وقد اتّسعت المدينة اتساعاً غريباً حتى كادت المباني تقارب الاهرام مع بعدها وتمتدّ ضواحيها الى حلوان واضحت بعض احيائها الجديدة مدناً كبيرة كالجيزة

وهليوبوليس . وتجارتها نافقة كما يستدلُّ عليه من عدد لا يُحصى من المصانع والمخازن والمتاجر والحوانيت تبهر العيون بضروب مرافقها ومبيعاتها المجلوبة من كل انحاء المعمور . ويُعنى المهندسون بتنظيم الساحات والمتنزهات العمومية بحيث يمكن المصري وهو في مدينته ان يروّح نفسهُ من عناء الشغل في حدائق قريبة منهُ وهناك الروضة الشهيرة بالتاريخ وفيها مقياس النيل المدقّق الراقي الى عهد الخليفة المتوكل . وهناك ايضاً جُزُرٌ صغيرة في وسط النيل فيها الجنائن والحدائق الغناء

والى مصر تتوارد كل محصولات البلاد التي تجاورها من فلسطين والشام وجزيرة العرب وقبرس بل تأتيها من الانحاء البعيدة من الهند واواسط افريقية فتتنفّع من خيرات ثلاث قارّات العالم القديم لوقعها في مركزها متصلة بكبار البحور بواسطة ترعتها سويس

على انَّ ذلك الرقي مهما بلغ من الامتداد لا بُدَّ لهُ من قواعد وضوابط لئلّا يتجاوز الحدود المعقولة ويعرّض الوطن الى انقلابات فاجئة كما جرى في العام الاخير في مسألة الاقطان التي كانت ازمتها ثقيلة على مصر ولم يندمل حتى الآن ذاك الجرح البليغ

٤ الآداب والعلوم في مصر

للدولة المصريّة عناية خاصّة في الآداب وحسبك دليلًا على همّتها انشاؤها الجامعة المصريّة التي تُلقى فيها الدروس عن تواريخ العرب وفنونهم يخطب فيها رجال متضلّعون من العلوم العصريّة منهم وطنيّون ومنهم مستشرقون شهيرون

وفي مصر عدد لا يُحصى من المدارس الثانويّة التي يستعدّ المتخرّجون فيها لتقدمة الفحص لدى لُجَن خاصّة تقيمها الحكومة لتنيلهم جواز البكالوريا . وكلّهم يُفحصون على بروجرامات ومواد عيّنها ارباب الامر . وذلك كما لا يخفى من شأنه ان يُعلي طبقة العلوم بين الناشئة . وقد تعيّن مؤخرًا بروجرام للفلسفة يحتاج الى تحوير

وقسم كبير من هذه المدارس يتولّى تدبيرهُ الرسالون اللاتينيّون كمدرسة العائلة المقدّسة اليسوعيين ومدارس اخوة المدارس المسيحيّة او يديرهُ رؤساء الطوائف الكاثوليكيّة . وما اصابتهُ كل هذه المدارس من النجاح يزيدها اعتبارًا لدى الحكومة ولدى الاهلين

وفي القاهرة المدارس المنوطة بالجمعيات الدينيَّة الاسلاميَّة اشهرها الازهر الذي يقصدهُ طلبة الاسلام من كافَّة الانحاء حتى الهند والصين وجزائر الابحار وينيف عددهم على عشرة آلاف. على انَّ سير شيوخهِ واساتذتهِ على طرائق التعليم القديمة والعقيمة قد هيَّجت ذوي النهضة الحديثة وكثيرًا ما طالبوا بالاصلاح وحتى الآن لم تَلُح بوارقهُ. فانَّ من يدخل الازهر ويعاين اساتذتهُ ودارسيهِ يجد حالهُ في عصر لا يشبه شيئاً احوال عصرنا الحاضر من حيث النظام والمعلِّمين والمتعلِّمين. ولولا اوقاف الازهر وتوزيع المعاش على كل من يلازمهُ لأهملهُ معظم طالبيهِ وقد ودَّع الحياة مؤخرًا شيخ الجامع الازهر السيد ابو الفضل الجيزاويّ فالامل في خلفهِ للمباشرة بالاصلاح

ومما يساعد على النهضة الادبيَّة في مصر المكاتب الكبرى التي يقصدها الادباء ليستقوا من مواردها وفي مقدَّمتها المكتبة المعروفة سابقاً بالمكتبة الخديوية وهي المكتبة الملكيَّة حاضرًا يتقاطر اليها المئون من الادباء فيقوم بخدمتهم عمَّال نشيطون ذوو لطف ومعرفة. وللمكتبة فهارس مطبوعة منها قديمة ومنها حديثة لكنها مخلَّة من عدَّة وجوه كما بيَّنهُ بعض المنتقدين وقد وجدوا خللًا ايضاً في تدوين الكتب المستحدثة وتنظيمها

وفي مصر مكاتب عربيَّة اخرى قيمة التي يُسمَح للادباء ان يقتبسوا من انوارها كمكتبة الازهر التي فُتحت للعموم منذ بضع سنوات غير انَّ فهارسها ليست مطبوعة والشغل فيها لا يخلو من المشقَّة. وكذلك حتى الآن لم تجهَّز بكل لوازم الشغل المكتبة التي باعها من الحكومة سعادة الباشا احمد زكي. فهذه المكاتب الوطنيَّة وغيرها لا يستطاع الانتفاع بها ريثما تُعَدّ لاستقبال الضيوف والدارسين

وللجمعيَّات العلميَّة الاوربيَّة كالجمعيَّة الجغرافيَّة والنادي العلمي الفرنسيّ مكاتب منظَّمة ذات فهارس متقنة يجد فيها الطالب لوقتهِ ما يحتاج اليهِ من المعلومات فضلًا عن انس اصحابها المتسارعين الى خدمتهِ

وكذلك وجدنا مكتبة جناب الوجيه احمد باشا تيمور في شجرة الدرّ حافلةً بالمطبوعات والمخطوطات العربيَّة النادرة التي ينوي صاحبها الفاضل ان يوقفها على وطنهِ وهو ساعٍ في تدوين فهرسها على طريقة علميَّة

وفي قصر جلالة الملك مكتبة قيمة كان عهد تنظيمها الى المرحوم المستشرق

اوجانيو غريفيني الايطالي الشهير

وكنّا قصدنا دار البطريركيّة القبطيّة الاورثذكسيّة مؤملين ان نطّلع على ما تحويه من المخطوطات النصرانيّة القديمة فوجدناها مقفلة مختومةً بسبب وفاة البطريرك كيرلُس الخامس بطريركهم فأسفنا على ضياع هذه الفرصة . ويا ليت ذوي الهمّة ينشرون قريباً مضامينها فيستفيد منها العموم

وقد كان طلعت بك احد اعيان مصر مغرماً بجمع المخطوطات القديمة فأنفق قسماً كبيراً من مالهِ على اقتنائها فاخترمتهُ المنيّة مؤخّراً وأُودعت المكتبة في عدّة صناديق والله اعلم بمصيرها

امّا المكاتب المنشأة لبيع الكتب فتردّدنا على كثيرٍ منها كمكتبتي الهلال ومكتبة يوسف افندي سركيس ومكتبة المعارف والعرب والسانيّة والاهليّة واكثر ما يقوم بامر هذه المكاتب ادباء الشام

وممّا يساعد في القاهرة على نهضة الآداب ما تزدان بهِ من المتاحف الفريدة حيث تعرض مصنوعات العرب الناطقة بلسان حالها عن رقيّهم الادبي . ففي احدى قاعات المكتبة الملكيّة قد عُرض عدد عديد من المصاحف المنمّقة الملمّعة المزيّنة بضروب النقوش الملوّنة المكتوبة بخطوط اشهر الكتبة ممّا كان يتنافس بهِ سلاطين الدول المصريّة في عهد المماليك . وعُرض معها عدّة تآليف غيرها لمشاهير زمانهم تشهد لهم ببراعة الفنّ

وفي ظهر المكتبة الملكيّة نادٍ واسع الارجاء خُصّ بالمتحف العربي جُمعت فيهِ في نحو عشرين قاعة بنظام عجيب كلّ العاديّات العربيّة وآثار الدول القديمة منذ الفتح الاسلامي . فمن يتجوّل فيها يأخذهُ الاندهاش ممّا اصطنعهُ المصريّون في كلّ فنون الصناعة منها الآنية البيتيّة لكل لوازم البيت كالملابس والاقمشة والطنافس ومنها المصنوعات لكل حاجات الحياة الفردية والاجتماعيّة كاشغال المعادن والجواهر والنجارة والحدادة . ومنها ما هو مختصّ بالحياة الدينيّة وزينة الجوامع والمساجد كالمنابر والمحارب والسُرُج الزجاجيّة والقرّاءات القرآنيّة . ومنها ما يختصّ بالاسلحة وضروبها في توالي القرون . وهناك قاعات للكتابات الضريحيّة وما سواها باقلامها العاديّة الآخذة بمجامع القلوب . فبهذا المتحف يحيا في عين الناظر تاريخ مصر العربي بكلّ رونقهِ ومحاسنهِ الفنيّة

وما قولنا بالمتحف المصري الكبير الذي ضاق ثلاث مرات عما أودعهُ من الآثار الجليلة المكتشفة في انحاء البلاد . وهو اليوم منذ السنة ١٩٠٠ في قصر النيل في ساحة واسعة الارجاء على واجهتهِ اسماء الذين حلُّوا رموز اللغة المصريَّة واستخرجوا من بطن الارض تلك الكنوز الادبيَّة . وهذا المتحف اشبه ببلد صغير لهُ طابق أسفل وطابق اعلى ينقسم كلاهما الى قاعات لا تُحصى جُمعت فيها بترتيب عظيم آثار مصر منذ اقدم عهدها السابق للتاريخ الى السلالات الفرعونيَّة القديمة والوسطى والحديثة فيقيش فيها الزائر مدة بضع ساعات بميَّة تلك الدول البائدة التي يرى تماثيل ملوكها وجثثهم المحنطة واثاث قصورهم وجميع المصنوعات التي كانوا يتخذونها لمعاشهم ولملاهيهم وسائر امور حياتهم منذ الولادة الى القبر لا يخلو شيءٌ منها فكأنَّ مصر باسرها كانت رهينة اشارتهم يشتغلون جميعاً ليزينوا بمصنوعاتهم قصور الفرعون فتصبح آية من الجمال حتى اذا حلَّ بهم الموت نُقلت تلك الاشغال مع وفرتها الى مدفن الملك لينتفع بها على زعمهم في العالم الآخر حيث يضحي في مصاف الآلهة . ولهذهِ العاديَّات البالغة الالوف المؤلفة اوصاف تضيق عنها الكتب الضخمة . وقد نُظمت بينها مكتشفات مدفن توت عنخ آمون وآثارهُ الفريدة وسنعود الى ذكرها ان شاء الله في عدد آخر

وفي مصر العتيقة حيث يوجد مزار ديني وكنيسة قديمة لتذكار العائلة المقدَّسة عند هربها الى مصر من وجه هيرودس أُنشئ منذ ربع قرن متحف آخر قبطي عربيّ فيهِ مجموع ثمين من العاديَّات القبطيَّة كحلل وآنية التقديس وضروب المصنوعات الفنيَّة الجميلة ذات العلاقة بحياة الاقباط في دينهم ودنياهم بينها كتبهم الطقسية المنقوشة بالالوان الزاهية . وليس بعيداً منهُ كنيس لليهود حديث البناء إلَّا انَّ فيهِ خزانات غاية في اللطف تُحفظ فيها نسخ التوراة المخطوطة بالحرف العبراني الناصع . وفي احدى كنائس اليهود في مصر وُجدت آثار كتابيَّة عبرانيَّة قديمة من جملتها نسخة من سفر ابن سيراخ المفقود بالعبرانيَّة

ويظهر وقيَ مصر ادبياً برقيّ فنّ الطباعة . فان مطبوعات مصر الحاضرة تجاري بحسنها افضل مطبوعات الشام وكانت سابقاً دونها كثيراً . ولا يكاد يخلو شارع من مطبعة او مطبعتين

والصحافة رائجة اي رواج . فانَّ جرائد مصر ومجلّاتها العربية تنيف على المئتين يقبل على كلٍّ منها عدد جمّ من القرّاء . وكثير من هذه الصُحف تزينها التصاوير الرائعة المطبوعة طبعاً محكماً بيد الاختصاصيين . ومصر لا تخلو من صنّاع ايطاليين ويونان وارمن من ذوي الخبرة بكل فنون التصوير الحديثة

ويقرُّ المصريُّون انَّ اهل الشام العربي من مسلمين ونصارى كانوا عاملًا في تلك النهضة الادبيَّة التي يمتاز بها اليوم القطر المصري ولولاهم لما بلغت الدوائر الوطنيَّة مقامها الراقي لاسيما بواسطة الصحافة وتدبير شؤون الدولة

امَّا المطبوعات التي يُعنى بها ادباء مصر فكثيرة . منها قسم كبير معرَّب عن الافرنسية او الانكليزيَّة تغلب عليها الروايات الخياليَّة . ويهتمُّ غيرهم بنشر كتب القدماء كما تنشرهُ ادارة المكتبة الملكيَّة والمكتبة السلفيَّة والمطبعة الاهليَّة . وقد حاول البعض وضع التآليف الجدّيَّة بافراغ وسعهم في اتقانها ومما اطّلعنا عليه من ذلك كتاب عصر المأمون الذي صرف فيهِ صاحبهُ زمناً طويلًا ليخرجهُ بكل كمالاتهِ وينتظر قريباً صدور القسم الثاني منهُ

ومما اثنينا على حسن طبعهِ لفظاً ومعنى الطبعة الجديدة لكتاب الاغاني التي يقوم بها بعض ادباء الاساتذة فما ادّخروا جهداً ليستوفوا محاسنها بضبطها وتذييلها بالروايات والحواشي . وليتهم قابلوها ايضاً على مخطوطات المكاتب الاوربيَّة ودوَّنوا على ارقام الطبعة السابقة تسهيلًا للمعارضة

ومن المطبوعات المنتقاة لدار كتب الخديويَّة الكتابان الجليلان كتاب الاصنام لابن الكلبي والتاج او اخلاق الملوك للجاحظ اللذان عُني بهما جناب الاستاذ احمد زكي باشا فاخرجهما على صورة ضاعفت قيمتهما في اعين الادباء . ودونهما تاريخ النويري نهاية الارب الذي وقعت فيهِ عدَّة اغلاط ولم يقابل على نسخ مختلفة . وقد ظهر منهُ الى اليوم ستَّة اجزاء

امَّا الشعر فان مقامهُ في مصر هو الاوَّل بلا مراء بين كلّ الاقطار التي يسكنها الشعوب الناطقون بالضاد فانَّ نوابغ كالشوقي ومطران وحافظ وابي شادي والبكري وعقَّاد والخطيب قد اكسبوا وطنهم المصري فخراً لا رجاء ان ينزعهُ عنهُ قريباً مناوئوهُ

ومما يقال بالاجمال انَّ مصر بمركزها ورجالها واشغالها هي اليوم تمثل العالم العربي

وتمشي في مقدمته ولا تخجل ان تستعير من الغرب محاسنهُ مع حفظها على وجدانها الخاص فعساها ان تكون جامعة البحرين ورابطة العالمين

٥ الحياة الاجتماعية

كانت مصر منذ اقدم عهدها مستعدَّةً لتبقى في جوار نيلها الذي عليه معوَّل حياتها المادِّيَّة فكان النيل سبب حياتها الاجتماعيَّة وانضمام قوى اهلها لردّ غارات اعدائها لولا ضعف ثغورها في طرفيها جنوباً وشمالاً فكان اعداؤها يزحفون عليها بخيلهم ورجلهم فيدوّخونها ويمدُّون عليها حكمهم فترى بين ملوكهم سلالات غريبة من السودان والساميين الى عهد البطالسة والرومان والعرب والاتراك

ومع هذه التقلُّبات السياسيَّة بقي الشعب الوطني المصري متراحماً مندمجاً في عيشته الاجتماعية . وقد اختلطت به في توالي الاجيال عناصر مختلفة من الزنوج والنُّوبة وقبائل العرب ثم الاتراك ومن يتبيَّن اليوم صورهم وهيئاتهم يفرزهم حالاً عن الاقباط ابناء الارض المصريَّة العريقة بالقدم

على انَّ العيشة الاجتماعيَّة مع اختلاف هذه العناصر لم تظهر آثارها قديماً وكان الفراعنة وكبار دولتهم كانوا لا يعبأون للشعب فيستعبدونهُ لكافَّة اعمالهم ولاسيما الشاقَّة منها كبناء الاهرام وتشييد القصور وجرّ الاثقال وفلاحة الارض

ولم تتحسَّن احوال العامَّة في العهد العربي باستبداد الملوك وتسخير الشعب لسائر الاعمال المضنكة . بينهم وبين السلطان وامرائهِ بونٌ عظيم وقد ابتدأ تحرُّر الشعب المصري في اواسط القرن السابق بدخول مصر في طور الدول المستحدثة ولاسيما عند الاحتلال الانكليزي فعمَّ العدل جميع الافراد دون مراعاة للوجوه

ومنذ اتَّسعت المدنيَّة الحديثة وتعدَّدت المدارس عرف المصري حتى من ذوي الطبقات السفلى انَّ لهُ حقوقاً قد صمَّم النيَّة على صيانتها واخذ ينظر الى البريطانيين نظرهُ الى اعداء وطنهِ . ولعلَّهُ لو اصاب ما حلم بهِ لن يلبث ان يأسف على ما فاتهُ فتضيع تلك الحقوق عند ذوي جنسيَّتهِ

وها قد بلغت مصر اليوم الى الحياة الدستوريَّة فستختبر قريباً حلوها ومرَّها . وهناك الاحزاب التي تسعى في قطع العلائق مع بريطانية العظمى . فان لم تسر سير التروّي والاعتدال اوقعت البلاد في اخطار جديدة . وبريطانية العظمى كما لا يخفى لا

تستطيع ان تنسى خدماتها الجلى لمصر منذ الاحتلال كما انها في حاجة الى مراقبة احوالها لوقوعها في طريقها الى الهند. ولا يُنكر انَّ مصر تحتاج الى مساعدة دولة قويَّة تعينها في ترقيها الاقتصادي. ليست من دولة تجاري بريطانية في سعة تجارتها

وكذلك يجب على المصريين ان يوثّقوا روابط الوحدة بينهم وبين العناصر التي تسكن مصر. فهناك الشركات الاوربيّة الضابطة كثيراً من اشغال مصر والتي بفضلها تجاري المدينة عواصم البلاد. وهناك المهاجرون من يونان وارمن وشوام فاكسبوا مصر بنشاطهم وبراعتهم مقاماً رفيعاً في التجارة والصناعة والحياة الادبيّة بحيث فاقوا بها على كثيرين من المصريين الوطنيين

فعسى تمتزج كل هذه العناصر وتحييهم روح واحدة خدمة الوطن الذي حلّوا فيه تحت رعاية جلالة الملك فؤاد المشبع بمعرفة احوال البلاد مع حبه المخلص لرقي شعبه

مرسل يسوعي الى الشرق شهيد الثورة الفرنسوية

الطوبوي روبر فرنسوا غيرين دي روشه

لحضرة الاب ج. لوبون اليسوعي

في اليوم الثاني من شهر ايلول الماضي احتفلنا لاول مرَّة بذكر الطوبويين الذين استشهدوا في زمن الثورة الفرنسويَّة. وقد سبق الكلام عن اولئك الشهداء وخصوصاً عن المنتسبين منهم الى الرهبانيَّة اليسوعيَّة (المشرق في عدد شباط ص ١٤٥) كما نُشرت ايضاً ترجمة واحد منهم الطوبوي سالومون من اخوة المدارس المسيحيَّة (عدد ايار ص ٣٣١). وها نحن نورد هنا اخبار شهيد آخر يستحق ذكراً خصوصياً كرسل الى بلاد الشرق ألا وهو الطوبوي روبير فرنسوا غيرين دي روشه (Robert-Fr. Guérin des Rochez). وكان للمذكور اخ اصغر منهُ يسوعي مثلهُ يدعى بيار استشهد معهُ في ٣ ايلول ١٧٩٢. وقد استوطن روبير مدينة سالونيك وتعيَّن كخادم رعيَّتها

اللاتينيَّة وحتى اليوم يُرى اسمهُ معلَّقاً على سجلَّاتها اثباتاً لعماد اهلها وزواجهم ودفنهم

١ الراهب والمرسل (١٧٣٦–١٧٧٤)

كان مولد روبير دي روشه في ٢٣ تشرين الاوَّل سنة ١٧٣٦ في بلدة ريبا (Repas) من ابرشيَّة مدينة سي (Séez) وكان من اسرة شريفة بلغ اولادها السبعة تكهَّن منهم اربعة وترهَّب اثنان وهما الشهيدان اليسوعيَّان . دخل روبير مدرسة الآباء اليسوعيين في مدينة « كان » (Caen) بعد ريعان الشباب لكنهُ بنشاطهِ لم يلبث ان سبق رفاقهُ ولا تزال اسرتهُ حافظة للجوائز التي نالها في زمن دروسهِ . ولمَّا انهى دروسهُ البيانيَّة طلب الترهُّب بين ابناء القدّيس اغناطيوس في ٢٥ ايلول سنة ١٧٥٢ . فتدرَّب على الآداب الرهبانيَّة في باريس وابرز بعد اتقانها النذور الرهبانيَّة ثمَّ انقطع الى درس الفلسفة مدَّة سنتين في مدرسة باريس الشهيرة باسم لويس الرابع عشر ثمَّ انتدبهُ الرؤساء مدَّة خمس سنين للتعليم في عدَّة مدارس اعرب فيها عن توقُّد ذهنهِ واصالة عقلهِ وسعة معارفهِ الادبية

وفي اثناء ذلك تمكَّن اعداء الرهبانيَّة اليسوعيَّة بدسائسهم من نفي اليسوعيين من مدارسهم في فرنسة سنة ١٧٦٢ فاضطرَّ روبير الى ان يدرس اللاهوت في البلاد الاجنبيَّة وفيها سيم كاهناً وختم محنهُ الرهبانيَّة . وارسلهُ رؤساؤهُ بعدها الى تركيَّة فتعيَّن راعياً للنفوس في مدينة سالونيك فانَّنا نراهُ منذ السنة ١٧٦٩ في ١٥ شباط منها يسير في جنازة احد اهلها ويقرِّر ذلك بامضائهِ « الاب غيرين دي روشه اليسوعي كاهن الرعيَّة »

وقد افادنا المترجم بانهُ تعيَّن رئيساً على دير سالونيك مدَّة خمس سنوات وقاسى فيها ضروب المشقَّات والاتعاب . وذلك اوَّلاً لان تلك الرسالة كانت في غاية العوز والفقر حتى انَّ الرئيس يأخذهُ العجب من ثبات المرسلين تلك المدَّة على مثل هذه العيشة الضنكة والشظفة . وثانياً لانَّ اشغالهم كانت غاية في العناء لانَّ المرسلين لم يزد عددهم على اثنين او ثلاثة ومع قلَّة عددهم كان قد عُهد الى تدبيرهم امر الكاثوليك ليس

في سالونيك وحدها بل في كل المدن المحدقة بها مثل كاتالا وبريفيستا وطاسوس فيقضي عليهم ليلاً مع نهار ان يطرفوا تلك الجهات الشاسعة لمساعدة اهلها في كل حاجاتهم الروحيّة والادبية كتعليم الصغار وارشاد الشعب وعيادة المرضى وتوزيع الاسرار على الرغم من انواء الشتاء وحرارة الصيف ولاسيما في أيام الوباء والطاعون الذي كان يتكرّر حدوثهُ في ذاك العهد فيفتك بالسكّان فتكاً ذريعاً ويذهب بحياتهم في ساعات قليلة

لكنّ هذه المشقّات كلّها ما كانت لتثبط عزم المرسلين . وكان رئيسهم مستعدًّا ان يقضي حياتهُ متفانياً في خدمة القريب لولا ما بلغهُ في السنة ١٧٧٣ من إلغاء الرهبانيّة اليسوعيّة ببراءة البابا اقليميس الرابع عشر فكانت تلك الضربة لازبةً اذ انقطعت عنهم كلّ وسائط المعاش فالتزم الاب دي روشه ان يعود الى فرنسة على مركب شراعي فوصل الى وطنهِ بعد اربعة اشهر في ٨ ايار ١٧٧٤ خالياً من كلّ مصروف ومن كل مأكول وملبوس بعد ان قرضهُ قوم من رفقتهِ الركّاب ما لا بُدَّ لهُ لحفظ حياتهِ .

وممّا اضطرّهُ الى الاسراع في السفر الى فرنسة داعٍ آخر . وذلك انهُ كان في خدمة الآباء في سالونيك شابٌ يوناني ذو فهم عجيب وخصائل فريدة وكان يترصّدهُ اعداؤه لمّا رأوهُ منحازاً الى الكثلكة ليفتكوا بهِ وكانوا يتهدّدون المرسلين بسببهِ . فاسرع الاب دي روشه واستصحبهُ معهُ سرًّا صيانةً لايمانهِ وشرفهِ وبرارتهِ مهما كلّفهُ ذلك من المصاريف مع فقرهِ فنجا كلاهما من ايدي اولئك الاعداء

٢ الاب روبير دي روشه في باريس (١٧٧٤ــ١٧٩٢)

وصل الاب روبير الى باريس وسار الى منزل اخيهِ الاب بيار وسعى معهُ في تهذيب الغلام اليوناني واعدادهِ لوظيفةٍ يقضي فيها حياتهُ بعيشة راضية . ثم اخذ يطلب لنفسهِ شغلاً بين اكليروس باريس ليخدم النفوس بغيرتهِ المألوفة

واذا كان قد تحمّل الديون لسفرهِ وقُبضت املاك رهبنتهِ في سالونيك رفع دعواهُ الى ارباب الدولة وبيّن حقوقهُ ليحصل على تعويض ومعاش كما وعدوهُ عند

ضبطهم لمقتنيات اليسوعيين. لكنَّ تقاريرهُ هذه بقيت دون جواب مدَّة زمن طويل الى ان عاد الى فرنسة سفيرها الى تركيَّة الكونت دي ڤرجان (Cte de Vergennes) فأقرَّ بحقوقهِ ونال لهُ سنة ١٧٧٨ راتباً امكنهُ بهِ ان يفي ديونهُ ويعيش مستقلًّا ويتفرَّغ لاعمال الكهنوت

وكان اعداء الرهبانيَّة اليسوعيَّة قد اوصدوا دونها معظم الاشغال الكهنوتية بعد الغاء رهبانيَّتهم فلم يبقَ للاب روبير سوى خدمة بعض الجمعيَّات الرهبانيَّة فخدم اوَّلًا سنة ١٧٧٦ كنيسة ڤالدون (Valdone St Avit-les-Chateaudun). فكان يسعى جهدهُ في صلاح النفوس سرًّا او جهارًا

وكان يجبُ ان يحافظ على قدر استطاعتهِ على عيشتهِ الرهبانية ولاسيما الفقر فكان يتجرَّد من كل مقتنى زائد راضياً بالزهد التامّ. وكانت معاملاتهُ مع اسرتهِ دليلًا على تجرُّده لا يباحثهم في غير امور الروح والدين. ولما حضر سنة ١٧٨٠ زواج اختهِ لم يمكنهُ ان يهديها غير شريطة بيضاء كان فصَّلها على قياس نطاق العذرا المحفوظ كذخيرة في قصر لوش (Loches) الملكي وكتب عليهِ هذه العبارة: «ايتها العذراء القديسة صلي لاجل عبدكِ الذليل الكاهن روبير غيرين دي روشه ١٧٨٠» وتحقَّق اخوهُ حالتهُ الفقريَّة المدقعة فاقتنعهُ بعد الالحاح الطويل ان يقبل من بيت عائلتهِ ستَّة قمصان كان اليها في غاية الحاجة. لكنَّ رجل الله ما ابتعد قليلًا عن اهلهِ حتى فرَّقها على الفقراء في طريقهِ

وكانت تلك الايَّام تنذر بقرب الثورة فتُضبط املاك الأُسر الشريفة فقَّد اهل الاب روبير دي روشه قسماً كبيرًا من ثروتهم فكتب الاب الى احد اخوتهِ الكهنة بمناسبة وفاة ابيهم الذي كان رجلًا ديناً ذا نزاهة غريبة ومحسناً كبيرًا للفقراء:

«قد بلغني انَّ اقاربنا فقدوا معظم املاكهم وهذا يكدّرني نظرًا لكم لما يَعنيني من امركم. امَّا انا فلا تشغلني الارضيَّات واقتنع بفقد كلّ ما لي مع انَّ الذين لم يعملوا على غير الف فرنك لمعاشهم يرثون لحالي. وغاية ما اروم ان احظى في الفردوس على مكان صغير. وقد يشير اليَّ بعض الاصحاب ان اوجّه فكري الى مستقبلي. فمهمَّ الثورة لو ارادوا بالمستقبل الحياة الآخرة»

وفي السنة ١٧٨٢ تعيَّن الاب روبير كخادم معهد السلبتريار (la Salpêtrière) المنوط بمستشفى باريس العمومي فبقي هناك الى سنة وفاته. وهو يعلمنا باحدى رسائله انهُ قد عُهد اليهِ العناية بالمومسات المحكوم عليهنَّ وكان عددهنَّ ١١٥. وكان هناك ايضاً ستمائة امرأة حُبسنَ لجنايات شتى كان الاب يُعنى بشؤونهنَّ. وممَّا كان يعزّيهِ فئة من الفتيات البارّات الصالحات اللواتي كنَّ ينقطعنَ هناك الى العبادة والشغل

٣ حلول الثورة والاستشهاد

وفي السنة ١٧٨٩ اخذت سماء السياسة الثوريَّة تزداد ظلاماً فحدثت تلك المظاهرات المهيّجة التي ارتعدت لها فرائص اهل الدولة ومحبي السلام. وكان الكهنة يسمعون اصوات الغوغاء الطالبين موت الاكليروس فعرفوا ما يحدق بهِ من الخطر. وممَّا كتبه في ٥ تشرين الثاني يقول:

« قد اصبحنا في زمن لم يبقَ لنا فيهِ غير العزلة والدعاء الى الله. على انَّ حياتي منذ عدَّة سنين مملوءة كرباً ولا اجد حولي سوى مكروبين تمزّق اصواتهم مسامعي. ولكن لا يعدَّني احد كرجل بائس. وقصوى بغيتي ان اعيش فقيراً كثير الشغل. فالحياة محفوفة بالاكدار واني اشكر الله على اني لم اقتنع بخيرات هذا العالم الزائل. فالارض قد دُعيت بوادي الدموع وهو تمَّ الاسم. وعلى رأيي انَّما عمَّا قليل سوف تنذرها البلايا والشدائد . . . فالتمس لي من الله ان يمنحني آخرة صالحة لأن ما مضى من حياتي هو أشبه باضغاث الاحلام »

لكنَّ هذه الاخطار لم تكن لتثني عزائمهُ فكان يتفانى في خدمة النفوس ويقضي الساعات الطويلة في كرسي الاعتراف حتى انهُ كان في بعض الأيام يصرف في هذا العمل تسع ساعات متواصلة (كما نصَّ عليهِ في رسالتهِ المؤرخة في ١٤ نيسان ١٧٩٠).

ثم زادت الاحوال حرجاً بتحامل اهل الثورة على الدار الاسقفيَّة وعلى المستشفيات والمعاهد الخيريَّة. فكان الاب روبير دي روشه في ارتياب أيمكنهُ ان يبقى في شغلهِ او الافضل لهُ ان يخرج من فرنسة كما فعل الوف من الكهنة فراراً من شرور الثورة. وكان اخوهُ الاب بطرس اليسوعي سابقاً مثله وهو رئيس على معهد المرتدين حديثاً (Maison des Nouveaux Convertis) لا يعلم كيف تنتهي تلك النهضة

الثورية فيفكر في المنفى إلّا ان ذينك الراعيين الصالحين فضلا الثبات في ملازمة اشغالهما مع الخطر على حياتهما

ثمّ دخلت السنة ١٧٩١ فالتزم الاب روبير ان يخرج من المستشفى الذي كان يواظب على خدمته منذ عشر سنين وذلك على ما يظهر لسبب امتناعه عن الحلف خضوعاً لمرسوم الاكليروس المدنيّ المنافي لحقوق الكنيسة

فعدل اوّلًا الى مأوى الآباء الكبوشيين في شارع سان جاك ثم لحق باخيه الاب بيار في دار المرتدّين ولم يشأ ان يبقى فارغاً بلا شغل فكان يقضي أيامهُ بالصلاة وتوزيع الاسرار. وفي تلك الاثناء ألّف كتابهُ عن احوال الدين بين اليونان الذين عاش بينهم في الشرق فوجههُ على شبه رسالة لرئيس اساقفة باريس فأتمهُ في سنة وفاته وكان ذلك كسك ختام حياته الرسوليّة

فلما كان اليوم ١٣ من شهر آب سنة ١٧٩٢ هجم الشرط على دار المرتدّين وساقوا ما كان هناك من الكهنة وفي مقدّمتهم رئيس المعهد الاب بيار دي روشه واخوهُ مرسلنا الاب روبير واحد الكهنة من اقاربهما المدعو دي لالند وحبسوهم في الدار الاكليريكيّة المدعوّة سان فيرمين بعد تحويلها الى سجن

قال وكيل الصروف في تلك الدار الكاهن بولنجيه (Boulangier) الذي نجا من ايديهم فكان شاهداً عيانيًّا لما جرى:

« سمعنا الساعة الثالثة مساء جلبةً عظيمة واذا بنحو خمسين رجلًا حاملين الاسلحة دخلوا صارخين متهالكين كأنهم ظافروا بغنيمة عظيمة وبينهم كهنة دار المرتدّين في مقدّمتهم الاب الرئيس بيار وهو رجلٌ مهيب متقدّم في السنّ وعريق بالفضيلة ولم يشأ تغيير بزّتهُ الاكليريكية فكان لابساً الثوب الاكليريكي والرداء الاسود الطويل كأنهُ يريد ان يبيّن للجميع انهُ يتشرّف بقيادة اولئك الكهنة الفضلاء ليعلنوا معهُ بايمانهم ويدافعوا عن دينهم . . فأدخلوهم كلّهم في الغرف المعدّة لهم من اصحاب الدار واقاموا الحرس الملحّين على طرفي الممشى الذي كانوا يسكنونهُ وفي وسط الممشى جنديٌّ شاهر سيفهُ . وقد حُظر عليهم ان ينتقلوا من طابق الى آخر . وكانوا اذا تشكّوا الى جلّادهم من هذه المعاملة السيّئة اليهم اجابوهم « اننا جئناكم هنا لنخلّصكم من

غيظ الشعب» وهو يشير الجواب بعد ان نزعوا عنهم كل امتعتهم وهم يُسيقون اليهم الصنع مدّعين انهم يطلبون لهم خيرًا»

فيتّضح من هذه التفاصيل القليلة ما قاساهُ اولئك المحابيس مدّة ثلثة اسابيع قبل موتهم . وقد روى اخبارهم الشاهد العيانيّ الذي نجا من ايديهم بنوع عجيب فروى ما عاينهُ من قتلهم قال :

«جاء اولئك الاوباش في ثالث يوم من ايلول فتجوّلوا في اطراف حبسهم وقادوا كلّ من وجدوهُ ما خلا خمسة كهنة جعلوهم تحت حراسة الشريعة كما كانوا سبقوا ودبّروا ذلك . فاخرجوا الشهداء الى الطريق حيث تجمّع الشعب الذي لم يشأ ان يُقتلوا امامهُ فعادوا بهم الى داخل الدار وبدأوا بالجزرة . فكان اوّل من قتلوهُ الاب فرنسيس رئيس دار سانت فيرمين رموهُ من نافذة الى الزقاق حيث وثبت عليهِ هناك نساء متسلّحات ببلطات فاجهزن عليهِ وهو رجل من افضل الناس لم يصطنع نحو القوم الّا كلّ خير واحسان . ثم قطعوا رأس الكاهن غرو (Gros) خادم الرعيّة . ثم افظعوا بقتل الكاهن برتيه (Pottier) الذي طول ساعة عذاباتهِ لم ينقطع عن وعظهم وانذارهم . وكان بينهم احد اساتذة تلك المدرسة فطلب ان يسمحوا لهُ بتلاوة الصلاة الربيّة فابوا واسرعوا بقتلهِ . وكان الكاهن كوبان (Caupène) مريضاً منهوكاً بالحمى فنزعوهُ من فراشهِ ورموهُ على الحضيض من نافذة غرفتهِ وكانوا كلّما يقتلون واحدًا يصرخون : فلتحيَ الأمّة»

وبمثل هذه الميتة الشنيعة استشهد الاخوان اليسوعيّان بيار وروبر دي روشه . وكان روبر قبل ذلك بثماني عشرة سنة كاد يموت في سالونيك شهيدًا لايمانهِ ومحبّتهِ وانّما منحهُ الله ذلك الاكليل بعد ان استعدّ لهُ بكل الاعمال الصالحة وزاد بها اجرهُ عندالله . فما لنا الّا ان نرفع اليهِ تعالى دعاءنا طالبين بشفاعتهِ ان يسبغ نعمهُ على بلاد الشرق التي سقاها بعرق جبينهِ فيباركها ويؤلف قلوب ابنائها في وحدة الايمان وروابط الحب المسيحيّ

وصيَّة عبد الملك بن صالح لابنهِ قبل وفاتهِ

توطئة

بين مخطوطات مكتبتنا الشرقيَّة كرّاس صغير وقفنا عليهِ في بعض مكاتب دمشق وهو مخطوط بقلم نسخي متقن خُلي من التاريخ لا تربي صفحاتهُ على ١٧ صفحة عنوانهُ «وصيَّة عبد الملك بن صالح لابنهِ قبل وفاتهِ». راجعناهُ فاذا هو يحتوي على مجموعة حكم من اجود ما يوصي بهِ ابٌ رشيد ابنهُ العزيز. ولمَّا كان هذا الاثر الجميل مجهولاً على ما نظنّ احببنا نشرهُ في المشرق حفظاً لهُ من الضياع

ومما يزيد هذا الاثر قيمةً انهُ لرجل من مشاهير العبَّاسيين الذي ابقى لهُ ذكرًا في عالم السياسة والادب اعني بهِ الامير ابا عبد الرحمان عبد الملك بن صالح بن علي بن عبدالله بن عبَّاس الذي وُلّي المدينة ومصر ودمشق في ايَّام هارون الرشيد. ثم ولَّاهُ ابنهُ الخليفة الامين الشام والجزيرة فمات قبل خلافة المأمون سنة ١٩٦هـ (٨١٠م) وكان عبد الملك شريفًا نبيلاً بليغًا. قال محمَّد بن شاكر الكتبي في فوات الوفيات (٢ : ١٢) : «كان عبد الملك بن صالح أفصح الناس وأخطبهم ولم يكن في عصره مثلهُ في فصاحتهِ وصيانتهِ وجلالتهِ» ل . ش

وصيَّة

اوصى بها الامير عبد الملك بن صالح ولده حين ادركته الوفاة

(قال) يا بُني احلُمْ فانمن حَلُمَ سادَ، ومن تفهَّم ازداد. والْزَمْ اهلَ الخير فان لقاءهم عمارةُ القلوب. واعلم انَّ الصبر على المكروه يعظّم الاجر. وحسن التدبير مع الكفاية خير من التكبّر في الإسراف. ولا تغرَّنَّك صحَّة نفسك، وسلامة أمسك. فمدَّة العمر قليلة، وصحَّة النفس مستحيلة. ومن أطاع هواه، باع دينه بدنياه. ونصرةُ الحق شرف، ونصرة الباطل سَرَف. اياك وفضول الكلام فانهُ يظهر من عيبك ما بطن، ويحرّك من عدوك ما سكن. كلام المرء بيان فضلهِ، وترجمان عقله. وكل امرئ يُعرَف بقوله، ويوصف بفعله. فقل سديدًا، وافعل حميدًا. وكن صموتاً وصدوقاً فالصمت حرز، والصدق عزّ. وما عزَّ من ذلَّ جيرانُهُ، ولا سعد من أُحرم

اخوانه . واجلُّ النوال ، ما وصل قبل السؤال . واذا صنعتَ المعروف فاستره ، واذا اصطُنع اليك فانشره . ومن منَّ بمعروفهِ سقط شكره ، ومن أعجب بعملهِ حبط اجره . ومن ساء خلقه ، ضاق رزقه . ومن صدق في مقاله ، زاد في جماله . ودع عنك طول الجدال ، وفضول المقال ، وشدة اللجاج ، وكثرة الحجاج ، وقصّر من كلامك ما طال . وطوّل الوعيد ، وكثّر التهديد ، فان ذلك يُظهر من ابنائك ما بطن ، ويحرّك من اعدائك ما سكن

وعليك بشدة الحزم ، وقوة العزم ، وحسن التدبير ، وصدق التشمير . واياك والكسل فانّ الراحة تجذب التعب ، وتورث العطب . ولا تمدحنَّ نفسك وان اتقنتَ كمالك ، وصدقت مقالك ، فمن مدح نفسهُ هجا عقلهُ ، ونفى فضلهُ . واذا طلبت الفخر والعلاء فاركب عظائم الاهوال ، وابذل كرائم الاموال . ولا تهولنَّك حالة ، ولا تغرُّك ملالة . وعليك بطول الجد والتشمير وحسن القول والفعل وحفظ اللسان فالملك يزول بطاعة الهوى ويدوم بصحة الرأي والتدبير . والرأي يصحبك ما دام بقاؤك ، والرجال تخدمك ما دام عطاؤك ، وعُذرك لا يُقبل بلسانك ، ما لم تعتقده باحسانك . فالردُّ الجميل ، احسن من الوعد الطويل . وردٌّ يريح خيرٌ من وعد يكدّ

ولا تُجب الجاهل على قوله ، ولا تعاتبه على فعله فانك ان اجبته عنه او عاتبته عليه اسقط ما بقي من الحشمة ، وقطع ما اتصل من التمنة . فبالغ في الجفا واعرض في الاخفا . وحسن المقال يكسبك صدق المحبة . وطول الاحتمال يؤمنك السوء . ويجب على العاقل ان يخاطب الجاهل كمخاطبة الطبيب المريض . واياك والباطل فانه يحطّ قدرك ويضعف امرك

واعلم ان قولك ترجمان عقلك ، وفعلك برهان اصلك وفضلك . واذا كلمك سفيه بما يغمُّك فامسك عن جوابه ، واعرض عن عتابه فان الدنيا بما فيها حلم حالم ، ورؤية نائم . تفنى ايامها وتبقى آثامها ويزول نعيمها

وقع بمدينة بقراط الحكيم رهجٌ كبير فلم يكترث لذلك فقيل له : أما يهمك ما ترى من هذه الحال ؟ قال : لا . قيل : ولِمَ ؟ قال : لاني لو رأيت ذلك في المنام لم اتحرّك في اليقظة وكذلك لا يحركني هذا الذي رأيته اذا رجعتُ الى همة الرأي لان امور العالم كلها كالحلم وصحة الرأي كاليقظة . ولا يغرّنك من عدوك لينُ مقاله ،

وحسن اقباله . فانَّ لينه مكرٌ دنينٌ وكيدٌ متين . ولو انكرت من صديقك حالًا ، او كرهت منه مقالًا ، فلا يحملنك ذلك على قبيح الاجابة واعتقاد العداوة فربما خطأهُ على ذلك حالٌ اكرهتهُ منك او قول بلغه عنك . فاسئله عن السبب فلعلَّه يخبرك بما يلزمك الحجة ويوجب عليك العذر فهو يظهر لك عدوك فيكون ذلك شفقة عليك فتعلم امره وتحترز شره

واجمل كلامك على قدر طولك وحربك على قدر قوتك فمن حمل نفسه ما لا تطيقه من الكُلَف ، عرضها للمنية والتلف . فان من اتكل على قوته حمله ذلك ان يسلك الطريق المخوف ومن سلك الطريق المخوف فقد سعى في حتفه . ومن لا يقدر على طعامه وشرابه وحمل نفسه ما لا تحمله وتطيقه فقد قتل نفسه . وعليك بلطف المقال ، وكرم الفعال ، وحسن الخدمة ، وشكر النعمة وترك الغيبة ، ومجانبة الريبة . وشرُّ المال مال لا يُنفق منه وشر الاخوان من لا يُنتفع به . واذا أسأت فاعتذر ، واذا قدرت فاغتفر . فالاعتذار يزيل الوحشة والاغتفار يديم القدرة فما اذنبَ من اظهر الندامة ، ولا غفرَ من اكثر الملامة . وان ذا الاصل لاتبطره منزلة اصابها ولا شرف نالهُ وان عظم ، والسخيف تبطره اجلال منزلته كالحشيش تحركه ادنى الرياح . وكريم الاصل يترفع عن سوء الخلق ومن هان عليهِ المال ، توجهت اليهِ الآمال . ومن جاد بماله جلَّ ، ومن جاد بعرضه ذلَّ . وافضل المعروف ، إغاثة الملهوف . ومن تمام المعروف ان تنسى الحق لك وتذكر الحق عليك وتستكثر الاساءة منك وتستصغر الاساءة عليك

وشر الناس مَن نصر الظالم وخذل المظلوم ومن لا يرحم العبد سُلب الرحمة . ومن قال ما لا ينبغي ، سمع ما لا يشتهي . واياك والبغي فانه يصرع الرجال ، ويقطع الآجال . ومن لازم الرقاد ، حُرم المراد . ومن دام كسله ، خاب املهُ . والعجول مخطئ ولو ملك . ومن ركب الجهل ادرك الزلل . ومن خاف سطوتك غنّى بموتك . ومن ادَّبَ اولاده ، أرغم حسَّاده

واعلم ان الحكمة لا تتم في احد حتى يكون مقدَّماً في ثلاث ومؤخرًا في ثلاث ومبرأً من ثلاث ومؤهلًا لثلاث . فالاول الذي يكون مقدماً فيها فالعقل والنطق والحلم . واما الذي يكون مؤخرًا عنها فالحدَّة واللجاجة والعجلة . واما الذي يكون مبرَّأً عنها فالهوى والحسد والكذب . واما الذي يكون مؤهلًا لها

فالرفق والصمت والصبر . فعليك بالصدق في مقالك ، والرفق في افعالك ، فالصدق حلية اللسان . والرفق ما دخل في شيء الّا وزانه ، ولا خرج من شيء الّا وشانه . واقل الكلام ، يكفُ الملام . ومن حسن خلقه ، ولطف نطقه ، وقصر لسانه ، وكثر احسانه ، سوّدهُ قومهُ واسعده يومه . لان حسن الخُلق يورث محبة الخَلق وبكثرة المبارّ تُستعبد الاحرار فاستعبد الاحرار بالبرّ

واذا تكلمت فأذِلّ الجواب ، واذا اجبت فاقصد الصواب . وقلة الكلام تورث السلامة ، وقلة السؤال تورث الكرامة . والنفس الذليلة لا تجد ألم الهوان والنفس الشريفة يؤثر فيها يسير الكلام . ولا تأمن الشرير الذي جُبل على الشر وطُبع على الغدر وان طالت سلامتك معه وكثرت استقامتك منه فانه يتغيّر عن حاله ، ويأتي بمكره واحتياله ، كالعقربة لا تتغيّر عن طبعها ولا تصبر عن لدغها وإن بالغتَ بالذبّ عنها . واذا استشرتَ الجاهل ، اختار لكَ الباطل . ولا تشكون ضعفك الى عدوكِ فانه يشمُت بك وتطمعه فيك ولا تفتح باباً يعييك سدّه ، ولا ترم سهماً يعجزك ردّهُ . وسوء التدبير ، سبب التدمير . والجوع ، خير من الخضوع . والكذوب متّهم وان صدقت لهجته ووضحت حجتهُ . ومن عُرف بشيء نُسب اليهِ وعند الجدال يظهر فضل الرجال . ومودة في دولة وعز ، خير من حيادة في ذلّ وعجز . وربما اصاب الاعمى رشده واخطأ البصير قصده . ولا تردنّ على ذي خطأ خطأه فيستفيد من علمك ويتخذك عدوًّا

والمنفعة توجب المحبة والمضرة توجب البغضة . والمخالفة توجب العداوة والعدل يوجب اجتماع القلوب . والجور يوجب الفرقة والتكبر يوجب المقت . والتواضع يوجب الرفعة والجود يوجب الحمد . والبخل يوجب الذم والتواني يوجب التضييع . والحذر يوجب السلامة . وبالتأني تنيل المطالب وبحسن المداراة تدوم المودة . وببسطة خلق المرء يطيب عيشه . وبكثرة الصمت تكون الهيبة . ربّ اخ لك لم تلده امك . ورب طمع ادّى الى عطب وطاعة النساء ندامة

ومن عقل المرء مروّته ودلائل فضله ان يتقي الله في فعلهِ ويراقبه في قوله فانه يراه ويسمع سرّهُ ونجواه . واياك وركوب الجهل وفضول القول وظلم الجار ، ومصاحبة الاشرار ، ومحاجّة الحكماء ، ومخالفة العلماء ، ومعاداة السلطان ، ومفاسدة الاخوان ، فمن ركب الجهل دامت سقطاته ومن ظلم الجار قصُر عمره ، ومن صاحب الاشرار

قبحُ ذكره ، ومن حاجَّ الحكماء بطل حجاجه ، ومن خالف العلماء ظهر اعوجاجه ، ومن عاند السلطان هُدر دمه ، ومن فاسد الاخوان طال ندمه

ولا تجالس السفهاء تكن قاضياً على نفسك بالسفاهة وراضياً بالذلة والمهانة . فانمن جلس مجالسهم ورضي مذاهبهم عُدَّ منهم ونُسب اليهم . والسفيه اذا لعنَ من لا يظلمه انما يلعن نفسهُ فلعنتهُ تصعد الى السماء ثم ترجع اليهِ فلا تشاركهم في اللعنة ولا تتعرض بمجالستهم لسوء الظن . ومن حاسب نفسه فليس احد يحاسبه ، ومن عاتبها فليس احد يعاتبه . ومن لامها فليس احد يلومه ومن اكرهها فليس احد يهينهُ . وقِفْ عند كل امر قبل ان تباشرهُ حتى تعرف مدخله ومخرجه قبل ان تقع فيهِ فتندم

والقلوب مزارع فازرع بها الكلمة الطيبة فانها اذا لم تنبت كلها نبت بعضها فان من الكلام ما هو ايبس من الحجر ، وانفذ من الإبر ، وامرُّ من الصبر ، واحرّ من الجمر . واذا اردت ان تحاجَّ فقدّم حجتك ، تصحح علتك . ومن خاصم بغير حجة او قاتل بغير عدة او صارع بغير قوة وقُتل فهو الذي قتل نفسه . ولا يحملنَّك سباب الجهول او جرأة السفيه عليك على اجابتهِ فحِلم يُغني صبرك ، خير من سبٍّ يشفي صدرك . وحلم يضرُّ خير من سفه ينفع . وصدق يُمرُّ خير من كذب يحلو . قرب لفظة سهلة تقولها لمرّ ، وتحسبها لغواً ، وهي تلقيك وعراً ، وتواطيك جمراً . ومن اطلق طرفه ، طال اسفه . وان أردت ان تسلم عند سلطانك ، وتُكرم عند اخوانك ، فتعامَ عمَّا تراه من عيوبهم ، وتغافل عمَّا تعلم من ذنوبهم . وكفَّ عن ذكر مساويهم وان كثرت فالقليل من الحسنات يعفي عن كثير من السيئات . واعلم انك لا تسلم من عيب ولا تخلو من ذنب فاشتغل بما تراه فيك وتعامَ عمَّا تراه فيهم

لا تَغشَيَنَّ مساوي القوم ما ستروا فهتك الله ستراً من مساويكا
واذكر محاسن ما فيهم اذا ذُكروا ولا تعيب احداً منهم بما فيكا

واعلم ان المرء يُكرم بعقله وادبه ، لا بماله ونسبه . والفضل في علمه وحكمته ، لا في وفره ونهمته ، والحكومة بين الاصدقاء تورث العداوة وهي بين الاعداء تورث الصداقة . ومن خبث اصله ، خبُث فعله . واذا همتَ بخير فبادر واجتهد ، واذا همت بشر فساوف واتّئد . فالخير يثمر الخير والشر يثمر الشر . واذا جادلت فتفرّغ قلبك

واجمع عقلك ولا تشطّ في جدالك، ولا تفرط في مقالك. وقُلْ مستظهراً بالصواب، واسمع متهيّئاً للجواب. واياك والغضب فانهُ يقلل الهمم، ويقوّي الخصم. فاذا حاججت فلا تغضب فان الغضب يضعف قوتك، ويقطع حجتك. فسان اللسان يخطئ ورمي السهام يخطئ ويصيب. وجرح اللسان لا يبرأ وجمرة المحبة لا تُطفأ ونار الحقد لا تخمد، وعين العدوّ لا ترقد. فمن عادى الرجال عادَوه وان رماهم بسهم رموه والفاس تُقطَع بها الشجرة وتنبت والسيف يُقطع بهِ اللحم فيندمل واللسان لا يندمل جرحهُ ولا ينبت ما قطع

وسبعة لا تشاورهم: جاهل وعدو وحسود ومراء وجبان وبخيل وذو هوًى. فالجاهل يضلّ. والعدو يُريد الهلاك. والحسود يتمنى زوال النعم عنك. والمرائي واقف مع رضا الناس. والجبان دأبهُ الهرب. والبخيل حريص على المال. وذو الهوى اسير هواهُ لا يقدر على مخالفته. ومن اصفرّ لونه من النصيحة، اسودّ وجهه من الفضيحة. واذا وجدت حاجتك في السوق فلا تطلبها من عدوك ولا صديقك. ولا تعاند أحداً وان ظننت انه لا يضرّ ولا تزهد في صداقة احد وان ظننت انه لا ينفعك. فانك لا تعلم متى تخاف عداوة العدو ولا متى ترجو صداقة الصديق. واقبل عذر من اعتذر اليك ولو كان كاذباً. ومن سعى بالنميمة حَذِرَهُ البعيد ومقتَه القريب. فلا تحدّث من لا يُقبل بوجهه اليك. ولا تنصت لمن لا يُدمن كلامهُ اليك. والشهوة تورث الندامة. وفوت الفرصة تورث الحسرة. ولا تساعد النساء فيملكنّك وان اردت حسن العشرة. وألقَ عدوك وصديقك بوجه الرجا من غير ذل ولا رهبة. ومن نظر عيب نفسه استقلّ من عيب غيره. ومن رضي بما قسمه الله له لم يحزن على ما فات. ومن سلّ سيف البغي قُتل بهِ. ومن هتك ستر اخيهِ كُشفت عورة بيتهِ

ومن أُعجب برأيهِ ضلّ، ومن استغنى بعقلهِ ذل. ومن خالط الانذال احتُقر ومن دخل مداخل السوء اتُّهم. واعلم ان الفم الذي يُبرئ يجرح الجُرح الذي لا يندمل. اياك ان تطلب حاجتك من اللئيم. ولا تعتب على الدهر فمن عتب على الدهر طال عتابهُ. ومرُّ الكلام، اصعب من ضرب السهام. وبُعدٌ يورث الصفا، خير من قُرب يورث الجفا. وسوء الخلق يوجب المباعدة

ولا تنظر في عطيتك ولا تُكثر الالتفات وتحفّظ من تشبيك اصابعك والعبث

بلحيتك وخاتمك وتخليل اسنانك وادخال اصبعك في انفك وكثرة بصاقك وتنخمك وكثرة التمطي والتثاؤب في وجوه الناس . ولا تكثر الالتفات وليكن مجلسك هادياً وحديثك منظوماً مرتباً وأصغ الى الكلام الحسن ممّن يحدثك من غير تعجب مفرط ولا تسئله اعادة ذلك . والعداوة والصداقة تتناوبان . زُرْ غبًّا تزدْ حبًّا . الوحدة خير من جليس السوء . والسعيد من وُعظ بغيره والتمس الجار ، قبل شراء الدار ، والرفيق ، قبل الطريق ، واحسِنْ اذا وليتَ واعفُ اذا ملكت

ومن كثُر كلامهُ كثر سقطه ومن كثر سقطه كثرت ذنوبه وكانت النار اولى به . ومن لم يشكر القليل لم يشكر الكثير . والبخل عار والكذب ذل . والغريب من ليس له حبيب . والمُقلّ غريب ولو كان في بلده . ورب ساعٍ فيما يضره . ودَعِ القول فيما لا تُكلَّفه

خف الله في سرّك ، يَكفِكَ ما يضرُّك . والوفا شريك الكرم . والمولى اذا كلّف عبده ما لا يطيقه فقد اقام عذرهُ في مخالفته . ما اكلتهُ راح ، وما أطعمته فاح . ومن ودّك لامر أبغضك عند انقطاعه . ولا تأمن ممن كذب لك ان يكذب عليك . ولا من اغتاب عندك ان يغتابك عند غيرك . واذا وقعت المجادلة فالسكوت افضل من الكلام . بشّر مال البخيل بحادث او وارث . من طلب عزًّا بباطل اورثه ذلًّا بحق . خاطرَ من ركب البحر واشدُّ مخاطرةً منهُ من صحب الملوك . وخير الكلام ما قلّ ودلّ . وقليلٌ دائم ولا كثير منقطع . استعينوا بقضاء الحوائج بكتمان السر

من آداب الجليس قلة الخلاف ، والمعاملة بالانصاف وترك الجواب ، على محسن الخطاب ، وستر العيب ، وحفظ الغيب ، وان يحسن الحديث اذا حدّث ويلقي السمع اذا حُدّث . وفي بعض الحكم «الاستماعُ بالعين» فاذا رأيت من حُدّث محدقاً الى غيرك فأصرف حديثك الى غيره . واياك والمضاحكة ولا تتصنع كتصنع النساء في التزيين . ولا تلحّ في الحاجات . ولا تشجّع احدًا على الظلم . ولا تُعلم اهلك وولدك فضلًا عن غيرهم مقدارَ ما لك فانهم ان رأوه قليلًا هُنت عندهم وان وجدوهُ كثيرًا لم تبلغ رضاهم . ولا تمازح عبدك ولا امتك فيسقط وقارك قال :

من مازح الناس استخفّوا به واصبح نادمًا على مزحته

من لاطَعَ الثعبانَ في وكره هيهات ان يسلم من لدغته

من اظهر الناس على سرّه يساهل الضرب على رقبته

والمزاح يخرق الهيبة ويذهب بماء الوجه ويُعقب الحقد ، ويُمرّ حلاوة الود. ولا يقدر على خدمة الملوك الّا من استكمل خصالًا : لا يستقل ما حمّلوه ولا يبطر اذا اكرموه ولا يقتربهم اذا رضوا عنهُ ولا يتغير اذا سخطوا عليه ولا يرعن اذا ملكوهُ ولا يخلف اذا سألوهُ . ومن استخف بالسلطان افسد دنياه . ومن استخفّ بالاخوان افسد مروّته . ومن لازم الملوك لا يفشين لهم سرًّا ولا يجربنّ لهم كذبًا ولا يغتابن عندهم احدًا . واياك والدخول بينهُ وبين بطانته فانك لا تدري بما يتغير منك فيكونون عونًا عليك . والملك يغضب كغضب الصبي ويرضى كرضى الصبي ويبطش كبطش الاسد . والملوك لا وفاء لهم ولا عهد . ولا يرغبون فيك الّا ليطمعوا فيما عندك فيضرّ ذلك عند ذلك فاذا قضوا حاجتهم منك تركوك ورفضوك

قيل مكتوب على باب قرية قريب من مدينة بلخ : من خدم ابواب الملوك يحتاج الى ثلاثة امور : عقل وصبر ومال . فكتب بعضهم : كذب الكاتب من كانت له واحدة من هذه الثلاث لا يقرب باب الملوك . لا تثق بالملك فانه ملول ولا بالدابّة فانها شرود ولا بالمرأة فانها خؤون

قد شرحت لك الوصية ونصحت لك النصيحة فاعمل بها ترشد وبالله التوفيق

جولة في كسروان

لحضرة القس انطونيوس شبلي اللبناني

من نسبيه الى عشقوت (تابع)

لقد تعب معنا القارئ اللبيب من تقليب صفحات الكتب الخطيّة وشعر بما عانينا من النصب في استقرائها ولاح لذهنه ما علق على ثيابنا من الغبار المدفونة تحت

اطباقه . واحبَّ ان يقاسمنا شطرًا من الراحة انعاشاً للقوّة واستنهاضاً للعزيمة

ففي صباح يوم صفا جوُّهُ وراق اديمُهُ ورقَّ نسيمه خرجنا باكرًا من دير سيدة نسبه قاصدين عشقوت وفيطرون وريفون . وما ابتعدنا قليلًا عن الدير حتى استقبلنا صنوبر بزمّار بنسيمهِ اللطيف المنعش وبدأ ثغر الفجر يتبلّج ضاحكاً لبزوغ الصباح المنير . وتنبّهت الطيور من رقادها مترحّبةً بقدومهِ بتغريدها اللذيذ مترنّمةً بتسبيح خالقها في اعالي تلك الجبال داعيةً الانسان بغنائها الى مشاركتها في حمده وشكره على كثرة جودهِ وعميم احسانه

قطعنا مرحلةً من الطريق لا يعكّر صفاء فكرنا اضطراب في ذلك السكون العميق ممتعين النظر بمشاهد الجبال الفاتنة ومنعشين الروح بنسمات الصباح الباردة . وكنا نلتقي بقوافل المكارين ينشدون الاناشيد اللبنانيّة وراء بغالهم . وهم يستكدُّونها جرياً بجدائهم وانتهارهم اياها المرَّة بعد المرَّة ليبلغوا جونية قبل اشتداد حرّ النهار . فكانت تسير سيرًا حثيثاً مدفوعةً بعامل هوس اصحابها ومختالة تحت أحمالها وطربةً بالاجراس والجلاجل التي ترنُّ متمايلةً في اعناقها منفرةً أسراب الطيور من امامها . وكنا نمشي بين صفوف من الدوالي على جانبي الطريق متدليةً منها عناقيد العنب الزاهية باجمل الالوان وابهاها كانها عناقيد من فضّة او ذهب

عشقوت : مدرسة القدّيسين بطرس وبولس

أشرفنا على عشقوت فرأيناها مشيّدةً في خفضةٍ مستديرةٍ ولاطئةً بأحضان الجبال تبان في وسطها مدرسة القديسين بطرس وبولس الفخمة لامعةً بثوب آجرّها الاحمر تحت اذيال الشمس الساطعة . وصلنا هذه المدرسة وما وطئت رجلنا عتبة باب كنيستها حتى وقعت عيننا على ضريح الحبر العلّامة السعيد الذكر البطريرك بولس مسعد . وهو قائمٌ في جنب الحائط القبلي وقد أعدَّهُ له ابن شقيقهِ المرحوم المطران بولس رئيس اساقفة دمشق وبلغ ثمنهُ مئة ليرة عثمانيّة . وعلى صفيحته رسمت ريشةُ المصوّر الشهير حبيب افندي سرور رسم نزيله البطريرك المغبوط تتدفّق انوار المهابة والجلال والذكاء من جبينهِ . وفوقهُ وُضعت الاكاليل الجميلة الثمينة . وقد حُفرت تحت الرسم الآية

البولسيّة» امّا انا فقد جاهدت جهاداً حسناً» ثم ابيات بليغة نظمها الخالد الاثر المطران يوسف دريان وهي:

هذا ضريحُ البطريرك القُطب بولسَ مسعدا ربّ القناعةِ والوداعةِ والشهامةِ والندى
حبر الزمان ونطسهُ بل بحرُ علمٍ مزبدا قرنَ السياسةَ بالقداسةِ والرئاسة بالهدى
وبنى لهُ بفعاله ذكرًا يدومُ مخلّدا وقضى فاحيتهُ المفاخرُ والمآثرُ مرمدا
ومضى الى دار السعادة حيث أصبحَ مسعدا وضريحهُ أرّخ هنا للخلق أضحى مقصدا

سنة ١٨٩٠

فحيال هذا القبر الذي حوى صفو الرفات جثونا نصلّي مستمطرين على نفس دفينهِ الطاهرة ندى الرحمات عداد ما لهُ من الحسنات والمبرّات

ولمّا كان البطريرك بولس مسعد أحد اعلام الامّة المارونية واقطابها رأينا ان نذكر قبل شروعنا في وصف مخطوطات مدرسة عشقوت نبذةً عن نسبهِ تخليداً لذكره علّقها بيده على نسخةٍ من كتابه الدرّ المنظوم المطبوع بطبعة دير سيدة طاميش سنة ١٨٦٣ بخطّ عربي رفيع جميل كما يلي:

نسب البطريرك بولس مسعد (من قلمهِ)

« هو ابن مبارك بن يوسف زيادة بن مسعد ابن ابي مسعود خاطر بن ثابت بن خاطر بن داود ابن الشدياق يوسف أبي رعد المسمّى خاطر المقدّم في جبّة بشرّاي ابن الشدياق شاهين الحصروني من بيت مشروق ابن رعد بن شاهين الذي ارتحلت اولادهُ من صدد الشرق الى قرية حصرون سنة ١٦٧٠. وكان اصلهم منها وهاجروها ثمّ رجعوا اليها لدى حصول الامنيّة في جبة بشرّاي. صحّ

« وامّا مولد البطريرك بولس مسعد المشار اليهِ فكان في اوائل سنة ١٨٠٦ وبعد ان تعلّم القراءة سريانيًا وعربيًا في بيت ابيهِ في قرية عشقوت درس مبادئ اللغتين الايطاليانيّة واللاتينيّة عند المرحوم الخوري انطون عريضة في مدرسة الروميّة ثمّ في مدرسة المارونية بينطورا عند الخوري المذكور الى ان دخل تلميذًا الى مدرسة عين ورقة سنة ١٨٢٠ ودرس فيها ما كان يدرّس من العلوم في ذلك الوقت. وهناك رسمهُ البطريرك يوسف حبيش المطوّب الذكر مرتّلاً وقارئاً في ١٩ نيسان سنة ١٨٢٦ ثمّ شمّاساً في ٢٠ ايار من هذه السنة وارسلهُ الى رومية لمدرسة انتشار الايمان ليدرس فيها ما يلزمهُ من العلوم سنة ١٨٢٦ . ثمّ عاد منها الى جبل لبنان

سنة ١٨٣٠ فوضعهُ البطريرك الموما اليه كاتم أسرار لديه . وفي ١٣ حزيران من هذه السنة رسمهُ رسائلياً وانجيلياً . وفي ٢٠ من هذين الشهر والسنة رسمهُ كاهناً وقلّدهُ اشغالهُ الروحيّة كنائب روحيّ عنده .

« وفي ٢٨ اذار سنة ١٨٤١ رسمهُ مطراناً على طرسوس في دير مار جرجس عَلْما وجعلهُ نائباً بطريركياً لهُ في الروحيات . واستمرَّ في هذه الوظيفة مدَّة حياة البطريرك هذا الذي رقد بالربّ في ٢٣ ايار سنة ١٨٤٥ ومدَّة خليفتهِ المطرّب الذكر البطريرك يوسف الخازن الذي بعد وفاتهِ في ٣ تشرين الثاني سنة ١٨٥٤ خلفهُ البطريرك بولس المذكور في ١٢ تشرين الثاني هذه السنة وتثبّت في ٢٣ اذار سنة ١٨٥٥ من الحبر الاعظم البابا بيوس التاسع . وعندما تشرَّف باقتبال البالیون المُرسل لهُ من قداستهِ لبسهُ بالاحتفال المعتاد في ٢٩ حزيران من هذه السنة بحضور جمٍ غفيرٍ من مطارين واكليروس قانونيّ وعلماني وامراء ومشايخ واعيان وغيرهم في كنيسة القديس يوحنا مارون الكائنة في الديمان في جبّة بشرّاي . صح . » انتهت

والسيد البطريرك بولس مسعد اثر آخر فريد لم يُطبع وهو بحث تاريخي في المجمع اللبناني وفي سبب الاختلاف الواقع بين طبعتيهِ العربيَّة في الشوير واللاتينيَّة في رومية نؤجلهُ الى فرصةٍ اخرى

عشقوت : مخطوطات خزانة مدرسة القديسين بطرس وبولس (١

١ً ثلاث نسخ من كتاب الدرّ المنظوم . الاولى بخط المؤلف البطريرك بولس مسعد . والثانية بقلم الخوري بولس برهوش في ٧ حزيران سنة ١٨٥٢

٢ً كتاب « الدرّ المرصوف في تاريخ جبل الشوف » تأليف الراهب حنانيّا المنيّر احد رهبان دير الشوير . جاء في آخر هذا الكتاب ما حرفيّتهُ :

« الى هنا نهاية الكتاب حسب النسخة التي وُجدت بخط المرحوم الشيخ نصيف اليازجي المشهور وقد قوبلت هذه عليها حسب الطاقة . وهي متقدّمة لمكتبة شخص الفضل والكمال والعلم غبطة

١) أسّس هذه المدرسة المطران بطرس مسعد شقيق البطريرك بولس . وأتمها مع كنيستها على هندسة جديدة سنة ١٩٠٤ الحبر المأسوف عليهِ المطران بولس مسعد . وقد عُهدت ادارتها الى الاخوة ماريست وكانت تضمُّ من الطلبة نحو مئة تلميذ . ولاحبار آل بيت مسعد فضلٌ في انشائها وجمع كتب خزانتها المخطوطة الثمينة التي تفضَّل حضرة رئيسها الحالي المقدام المنسيور عبدالله مسعد وأطلعنا عليها بطيبة نفس مظهراً لنا من دلائل اللطف ورحابة الصدر ما جعلنا ان نقابل كرم أخلاقهِ وعالي مروّتهِ بعاطفة الشكر والثناء

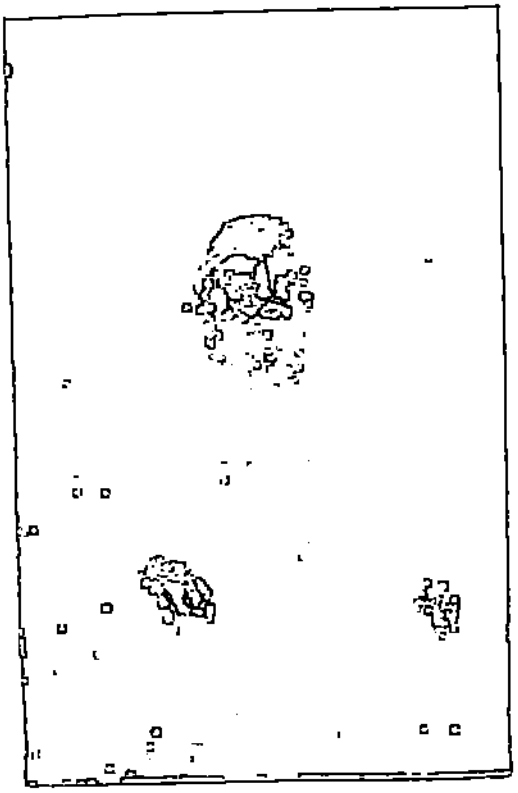

المثلث الرحمات

البطريرك بولس مسعد الماروني

(١٨٠٦ــ١٨٩٠)

السيد المعظم الجليل ماري بولس بطرس مسعد البطريرك الانطاكي الكلي القبطة والطوبى . من عبده المخصوص جرجس صفا أبي عكر من دير القمر في ٨ تموز سنة ١٨٨٢ » خطهُ بالعربي . عدد صفحاته ٣٠٢ صفحة . طوله ٢٢ سنتيمترًا عرض ١٥ ونصف س

٣ً كتاب « شرح سيرة أحمد باشا الجزّار وما حصل بمدّة حياتهِ من المظالم وما سُفك من دماء العوالم وما صدر منهُ من الجنايات . . . الخ » خط عربي غُفل من اسم المؤلف جاء في آخرهِ :

« وقد تمَّ هذا التاريخ في تمام سنة ١٢٢٥ عن ما كان للجزّار في حال حياتهِ وما حدث بعد مماتهِ الى يومنا هذا صحَّ صح . » عدد صفحاته ٢٢٨ صفحة طوله ٢٢ س عرضهُ ١٦ س مجلّد تجليدًا مذهبًا

٤ً كتاب « دحض الاضاليل الباطشتاويّة الآتية عن ضلالات تعاليم هندية (١ وهو مؤلَّف من الكاهن الفاضل والعالم العامل الخوري بولس حاتم أحد خوارنة طائفة الروم الملكيّة الكاثوليكيّة في مدينة حلب (ثمَّ سُقف عليها) . وقد ألّفهُ سنة ١٨٣٩ ليس من دون طلب . . . » وهو يحتوي ٤٢ رأسًا وخطُّهُ عربي جميل . جاء بعد فهرسهِ هذا الإعلام لمؤلفهِ وهو :

« اعلام بالرب لكل مطّلع . اقول انا المحرّر اسمي ادناه من اكليروس طائفة الروم الكاثوليكيين بحلب انني اذ كنتُ قد باشرتُ بتأليف هذا الكتاب دحضًا لتعاليم العبادات . . المحرّمة من مجمع فحص الدين المقدّس سنة ١٨١٨ كما ومن مجمع انتشار الايمان المقدس في مراسيم مختلفة وعلى الخصوص سنة ١٨٣٨ وذلك بامر قدس السيد . . كيريو كيريو مكسيموس مظلوم . فأعلنُ واوضحُ باني بكلية ارادتي المطلقة أخضعهُ لفحص غبطتهِ ونيافة المجمع المقدّس . وانا مستعدٌّ تمامًا لاشارتها الطاعة لان اصلح كلما يجدان فيهِ مستوجبًا للاصلاح وان ارفض كلَّ تعليم يحكمان بانهُ يستحقُّ الرفض . ولاجل التوكيد صدّرتهُ بهذا الاعلام بخط يدي نفسهِ صح »

في ٦ نيسان سنة ١٨٣٩ الفقير القسّ بولس حاتم

في مدينة حلب الشهباء

---

١) من شاء الوقوف على حياة هذه الراهبة عليهِ بمطالعة المجالي التاريخيّة والاصول المحجوبة لحضرة الاب بولس عبّود الفسطاوي . ويراد بالباطشتاوية نسبةً الى الخوري يوحنا باطشتا باذنجانه الماروني المرسل الرسولي في حلب . ويظهر انهُ ناصر الراهبة هنديّة بكتاباتهِ حتى ردّ عليها الخوري بولس حاتم

نسخ الكتاب القس سمعان معلقة زحلة الراهب اللبناني في ٢٤ تشرين الاول سنة ١٨٥٣ في دير مار موسى الحبشي

٥ً كتاب المنطق «وهو الكتاب الثاني من الفلسفة مما ألفهُ الخوري بطرس بن اسحق التولاني الماروني وقد مرَّ مثلهُ سابقاً. وهذا الكتاب نسخهُ البطريرك بولس مسعد اذ كان تلميذاً في ٤ تموز سنة ١٨٢٣

٦ً كتاب ܡܫܡܫܢܘܬܐ ܕܩܪܝܢܐ ܘܩܪܝܢܐ ܘܩܪܝܢܐ اي (خدمة وضع اليد لسائر درجات الكهنوت) تأليف العلامة البطريرك اسطفان الدويهي. خط كرشوني قديم. جاء في آخره ما نصُّهُ: «كمل هذا الشرح (١ في ثاني يوم من شهر نيسان سنة ܐܠܦܬܐ (١٦٧٥) ربّانيّة على يد العبد الخاطئ يوسف باسم خوري من قرية حصرون (٢ بامر معلمي الاب اب الاباء مار اسطفانوس الدويهي. وهذا الشرح هو تصنيفهُ الله يديمهُ... ويلي اسم الناسخ نبذة في «القول الاباء الابرار الروساء المطارنة وما يكون من الاساقفة ايضاً في معرفة كراسيهم المفوّضة اليهم من النسخة التي عند الروم (٣ (كذا).» ثمَّ «تذكرة في المجامع السبعة المقدّسة» ثمَّ «رسالة لانطاسيوس التي ألّفها لرمي الانشقاق بين الروم والافرنج الارثوذكسيين في عهد الاب السيد البطريرك كير يواقيم الانطاكي.» ثمَّ فهرس الكتاب. وفي آخره مسودّة مطالع الالحان السريانيّة تأليف الدويهي وهي بخط يده الطاهرة

٧ً «الكتاب الثاني من استقصاءات التاريخ العام» خط عربي. ومضاف اليه كتاب مقتطف من تاريخ الازمنة لابي دفاليسون القس العلماني من مدينة بونتاديير من مملكة فرنسة المولود في سنة ١٦٤٩ والمتوفى سنة ١٧٢١. وقد نقل هذا الكتاب الى

١) راجع مقال الحبر الشهيد المطران بطرس شبلي في شرح الشرطونيّة للدويهي في مجلة المشرق سنة ١٨٩٩ ص ٦٤٠ وما يليها

٢) ان ناسخ هذا الكتاب هو المطران يوسف الشمعاني الحصروني كاتب اسرار البطريرك اسطفان الدويهي وكان وقتئذٍ خورياً

٣) هذه النبذة مترجمة الى اللاتينيّة وهي بخط الدويهي نفسه. واما تذكرة المجامع فهي بخط ناسخ الكتاب الخوري يوسف الحصروني المذكور

العربيّة «منسنيور ميشيل عبيد بيت عقل الماروني بنخازه المكاوي.» وللكتاب مقدمة هي طويلة وضعها مؤلفها بقالب عربي فصيح. وابحاث هذا الكتاب تدور على خلقة العالم ومبادئ علم الزمان وافتتاح مدينة طرواس واساس رومية واجتياح قرطاجنّة وتاريخ مملكة بابلي وبيان عدد كنائس رومية واديارها واساقفتها وبيوتها وبيمارستاناتها... الخ

٨ً كتاب يحتوي «بعض اشياء مأخوذة من كتب علماء الذمّة» خطّهُ بالحرف العربي القس اثاناسيوس ابن الخوري حنّا الحاج الفوسطاني في ٢٥ ايار سنة ١٧٩٩ وقد أُضيف اليه في التجليد رسالة المنسنيور يوسف سمعان السمعاني التي أنفذها الى خوارنة الرعايا وابنائها. وهي التي نشرناها في عددي المشرق نيسان وايار من هذه السنة (ص ٢٧٧ و٣٤٧)

٩ً كتاب «في بيان وتثبيت الاكرام المقدَّم للقديس يوحنا السرومي المكنى مارون.» نشر معظمهُ حضرة الاباتي افرام حنين الديراني المدبر الحابي في كتابه المحاماة عن الموارنة وقديسيهم. منهُ نسخة في مدرسة عين ورقة ودير قزحيّا مرّ ذكرها. وفي مفتتحه نبذة في اسماء وتواريخ بطاركة ومطارنة الطائفة المارونيّة بقلم السيد البطريرك بولس مسعد. ثم ترجمة البطريرك اسطفان الدويهي المطبوعة في تاريخ الطائفة المارونية. وفي آخره «مرثاة على انتقال البطريرك يوسف اسطفان الانطاكي في ٢٢ نيسان سنة ١٧٩٣» وزجليّة تاريخيّة طويلة للقلاعي. ورسالة (١ مؤرخة سنة ١٦٩٤ ردَّ بها على الملكيين المطران يوسف الحصروني (٢ (هو عمّ السيد يوسف السمعاني الكبير)

١٠ً كتاب دفاع الخوري انطون قيّالة البيروتي الماروني تلميذ مدرسة رومية عن قداسة البطريرك يوحنا مارون. وهو مصدَّر برسالة من المؤلف الى السيد ارسانيوس شكري مطران حلب. (قد طُبع كلاهما في كتاب المحاماة عن الموارنة وقديسيهم) وفي آخره اعلام من المطران مخايل الخازن النائب البطريركي مصدَّرٌ باسمهِ وختمهِ

١) نشرها الخوري مخايل غبريل في آخر تاريخ الكنيسة الانطاكية
٢) سنأتي على ترجمتهِ في كلمةٍ خاصة

يذكر فيه انّ الدفاع المذكور كُتب بامره ردًا على رسالة القس يوحنا العجيمي وانهُ فحصهُ وصدّق عليهِ في دير كرسي سيدة قنّوبين في ٢٩ تموز ١٧٩٢

١١ «الرسالة المدعوّة مرآة الحق الوضيّة في شرف الملّة المارونيّة. تأليف أحد كهنة هذه الطائفة الاب يوحنا باطشستا باذنجانه المرسل الرسوليّ في مدينة حلب سنة ١٧٦٨» خط عربي بيد غندور بن يونس الاشقر البيروتي نسباً الماروني مذهباً سنة ١٨١٧

١٢ كتاب «ردّ كاثوليكي قد ألّفهُ الحقير في الرؤساء يوسف بطرس تيّان البطريرك الانطاكي على مقالات حضرة المطران جرمانوس آدم مطران حلب المحترم.» خط عربي. عدد صفحاته ١٠٢ صفحة طوله ٢١ س وعرضهُ ١٥ س

١٣ نسخة اخرى من شرح الشرطونية الدويهي. منسوخة بالكرشوني بيد القس بطرس من آل زيتون في ١ آب سنة ١٦٨٠ (هو الخوري بطرس التولوي الفيلسوف الشهير) وفي آخرها سلسلة البطاركة للدويهي ايضاً (١. وقد علّق الدويهي على هذه النسخة بعض تصحيحات بخط يده.

١٤ «كتاب في بطاركة المشرق الاربعة (٢. تأليف سمعان ويوسف شمعون الحصارنة الموارنة تلاميذ مدرسة الموارنة برومية.» خطّهُ بالكرشوني الخوري ابرهيم مبارك ابن الخوري رزق مبارك من قرية جعيتا في اول حزيران سنة ١٧٦٥ في ايام البطريرك طوبيًا الخازن. عدد صفحاته ٣٧٠ صفحة. طوله ٢١ ونصف س وعرضهُ ١٥ ونصف س

١٥ كتاب «صلاة الاغريبيات وترتيب افاشين السحريّات وخدمة اسرار القدّاس لاحتياج الكاهن والشماس (ويسمّى القنداق) تأليف يوحنا فم الذهب والقديس الكبير باسيليوس والبويجسانا المنسوب الى القديس غريغوريس.» خط عربي وسرياني بالحرف المربّع بيد المطران يواصاف مطران صيدنايا في ٢ ايار سنة ٧١٥٩ لآدم (١٦٥١م)

---

١) راجع ترجمة الدويهي للحبر العلّامة المأسوف عليهِ المطران بطرس شبلي ص ٢١٥.
٢) منهُ نسخة عند الاب بولس عبّود القسطاوي

١٦ كتاب يتضمَّن نبذة في علم الاعراب وكتاب المنطق للمنسنيور يوسف السمعاني وكتاب المنطق والفلسفة لمار يوحنا الدمشقي. خطهُ بحرفٍ عربي كاتبهُ جميل البطريرك بولس مسعد سنة ١٨٢٣ اذ كان تلميذاً في مدرسة عين ورقة. وقد جلَّدهُ برومية العظمى في ٢٨ شباط سنة ١٨٣٠.

١٧ كتاب «الايضاحات النطقيَّة في شرح الاصول المنطقيَّة» تأليف القس يواكيم القانوني الباسيلي. نسخهُ في مدرسة عين ورقة سنة ١٨٢٣ البطريرك بولس المذكور. ١٨ شرح الاجروميَّة للملَّة النصرانيَّة. تأليف غريغوريوس نعمه قدسي مطران دمشق الشام. وقد أُضيف اليهِ كتاب خالد الازهريّ في شرح العلم العربيّ. خط التلميذ بولس مسعد (البطريرك) في مدرسة عين ورقة. ١٩ ديوان فرحات خط يوسف عرقجي الدمشقي في مصر القاهرة في ١٤ ايلول سنة ١٧٦٨. ١٠ كتاب الاقتداء بالمسيح مترجم من اللاتيني الى السرياني بقلم احد تلاميذ مدرسة الموارنة برومية يوحنا القرباصي من جزيرة قبرس سنة ٢٠٢٨ (١٧١٧ م) وهو بخط المترجم نفسه. ٢١ نافور قدَّاس كتبهُ لنفسهِ الخوري بطرس مخلوف من غوسطا (١ في دير قنُّوبين بايام البطريرك اسطفانوس الدويهي في ٢ تشرين الثاني سنة ٢٠٢٨ (١٦٧٢)

٢٢ تاريخ الشماس المنطوريني. كتبهُ بالكرشوني الخوري حنا عوَّاد من حصرون في اواخر تشرين الاول سنة ١٨٢٣. ٢٣ كتاب اصل الطائفة المارونيَّة وردّ التهم للدويهي. وفيهِ بعض فصول بخط يده بالكرشوني. وهو مخروم من اوله وآخره. ٢٤ كرَّاس في تاريخ المدرسة المارونيَّة برومية (٢. تأليف الدويهي وخطهُ

(لها بقيَّة)

١) عليك بترجمتهِ التي نشرها الخوري بطرس غالب في المشرق

٢) نشرهُ حضرة مدير هذهِ المجلة في المشرق ٢١ [١٩٢٣] : ٢٠٩ و ٢٧٠.

شعراء النصرانية بعد الاسلام

شعراء القرون المتأخرة مباشرة بالقرن الرابع عشر

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

١٦ الشاعر انطون بيطار الحلبيّ

هذا ايضاً احدى ثمار الدوحة الادبيَّة التي بسطت فروعها في الشهباء في القرن الثامن عشر وكانت باعثةً للنهضة الجديدة التي امتدَّت بعد ذاك الى انحاء سوريَّة

﴿لمحةٌ من اخباره﴾ من العجب العجاب انَّنا لا نجد احداً من كتبة الشهباء وباحثيها حاول حتى الآن ان يكتب تراجم هؤلاء الجهابذة الذين اولوا وطنهم فخراً. ومنهم انطون بيطار المذكور فانَّ تاريخ وطنهِ صامت عن ذكره. وكان أملنا من صاحب إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء السيد محمَّد راغب الطبَّاخ ان يُدوّن اخباره واخبار زملائهِ النصارى الحلبيين في جملة شعراء القرن الثاني عشر فسها عن ذكرهم فعساهُ يسدُّ الخلل في جزئهِ الاخير فانَّ آثار هؤلاء الادباء اوسع وأرقى مما اوردهُ عن كثيرين من المسلمين

فلا يبقى لنا إلَّا ان نعمل النظر في ديوانهِ فنستخلص منهُ لمعة من أخبارهِ

هو انطون بن شكرالله بيطار الحلبي الروم الكاثوليكي. كان مولدهُ في العقد الاوَّل او الثاني من القرن الثامن عشر. عُني منذ حداثتهِ بالآداب وبرع بالكتابة فخدم الدولة العثمانيَّة في دواوينها حتى صار باشكاتباً بين عمَّالها

ويؤخذ من ديوانهِ انهُ عاشر أدباء وطنهِ وامثالهم النصارى تشهد على ذلك رسالة منمَّقة وجَّهها الى الخوري نيقولا الصائغ رئيس الرهبانيَّة الحنَّاويَّة العام جواباً على كتابةٍ مثلها. ولمَّا توفي الخوري سنة ١٧٥٦ قال انطون بيطار يرثيهِ (من الكامل):

أواهُ يا ذا الموت كم أرزيتَنا بمصائبٍ دُهمٍ كليلٍ حِندسِ
فاجأتنا ببليّة لم تُحتمل وفجعتَنا بالاب نيقولاوسِ
وهدمتَ ركنَ حياتنا بفراقهِ وتركتَنا نلقاهُ موتى الانفسِ
متأسفين ونائحين ولابسين ردا الاسى والحزنِ اسوأ ملبسِ
سِرْ ايُّها الابُ السعيدُ الى العُلا متمتّعاً بالمجد ضمن الاطلسِ
وارتع مع الاطهار وامتعْ مع م الحمل الوديع على الرياض السندسِ
واسعد بحسن ختامِ تاريخ وسرْ متمتّعاً بنعيم ربّ اقدسِ

وشارك انطون بيطار اهل طائفتهِ بما نالهم من الاضطهاد من اعدائهم وخصوصاً في ايام بطريرك الفرتيوسيين سلبسطرس التبرسي وذويهِ. وقد ذكر الشهيد ابرهيم بن ديمتري بن يعقوب الدلّال المستشهد سنة ١٧٤٢ في عيد الاضحى فرثاهُ بقصيدة مطوّلة اوّلها (١ (من الكامل) :

يا صاحبي ما بالُ سكّان الحمى كلّا اراهُ والهاً يبكي الدما
أترى جرى خطبٌ عظيمٌ ام قضى نَدبٌ كريمٌ أم رأيتُ توهُّما
فأجابني والدمعُ يسبقُ نطقهُ هلّا سمعتَ بشاهدٍ قد ألمّا
او ما علمت بانّ ابرهيمَ قد قتلوهُ منهاناً فعاد مكرّما
ام أنت يا هذا غريبٌ غائبٌ ابداً عنَ أورشليمَ لم تدرِ بما
إخلعْ نعالك ثمّ أقبِل مُسرعاً نحو الضريح ضريحَ من قد عُظِّما
فأتيتُ نحو اللّحد أبصر ما جرى فرأيتُ ما شرح الصديق وألمما
قومٌ عيونهمُ تدرُّ بوادراً من حزنهم فكأنّهنّ عيونُ ما

١) وللخوري نيقولا الصائغ في ديوانه (ص ٨٠) داليّة في استشهادهِ

ناديتُهم لا تحزنوا بل فافرحوا انَّ الشهيد بصبره قد نال ما...
نال المواعيد التي ربُّ السما عنها اشار لتابعيهِ مثلما
حيًّا الحَيا حلباً وروَّى تربها اذ دمُ ابراهيم فيها قد هما
هذا الذي ضاءت كواكبُ فضله فلذاك عقلُ ذوي الغباوة أظلما
ما مات خوفاً من عذاب جهنَّم او رغبةً ان يقتني ملك السما
بل مات شوقاً في محبَّة ربِّهِ ذاك الذي في عشقهِ قد أُلِّما

الى ان قال:

طوباهُ اذ حاز الإهانة ههنا وغدا بملك الطاهرين مكرَّما
طوباك ابراهيمُ يا من قد علا فوق العلى متشرِّفاً متعظِّما
طوباك إسمع من اتى متوسِّلاً كن لي شفيعاً في النشور تكرُّما
يوماً أنادي مادحاً ومؤرِّخاً يا شاهدًا بالموت قد ورَثَ السما

ولمَّا اتى جنَّاديوس مطران الروم الى حلب واغتصب كنيسة الكاثوليك سنة ١٧٦٦ قال انطون يهجوهُ (من الكامل):

أذرُوا الدموع على المصاب الجاريْ فلقد اتانا من سماح الباري
أبدوا نحيباً لم يشاهد مثلهُ مع كثرة الاصوام والاسهارِ
قد حلَّت الارزاء في ساحاتها بسماجة من كثرة الاوزارِ

وهي في نحو مئة بيت ختمهُ بقولهِ في الظالمين:

وَسْطَ الجحيم مقامكم ابدًا الى دهر الدهور وآخر الأعصارِ

وكان انطون بيطار مقترناً بالزواج ماتت زوجتهُ الاولى لوسيا سنة ١٧٥٥ فرثاها بقصيدة طويلة تنبئ برقة عواطفهِ اوَّلها (من الكامل) :

يا دهرُ أقسمُ بالكليمْ رفقاً بذي القلب الكليمْ
لم يبق لي غير الذي ابقيتَ من عظمٍ رميمْ

ومنها :

رحلَت وما نظرَتْ الى حالِ اليتامى واليتيمْ
بل احدقَتْ نظرًا الى النهجِ المؤدّي للنعيمْ
فكأنما زهدَتْ بنا وصبَتْ لمغناها القديمْ
والله يدعو من يشا الى النعيم المستديمْ

واقترن بعدها بزوجة اخرى توفّاها الله بعد ستّ سنين سنة ١٧٦١ فرثاها ايضاً . وفي ديوانهِ اشارة الى بعض افراد اسرتهِ في مقدّمتهم ابوهُ وامُّهُ لهُ فيها ابيات في تاريخ وفاتها . وكان لهُ عمٌّ في اللاذقيّة اسمهُ نعمة الله بيطار قد هنّأهُ ابنُ اخيهِ بمولد ابنهِ يوسف سنة ١٧٣٧ . وقد وجدنا في بعض المجاميع ابياتاً منسوبة الى ميخائيل بيطار الحلبي ولا شكَّ انهُ من انسبائهِ . ولم نقف على سنة وفاة انطون لكنهُ عاش الى ما بعد السنة ١٧٨٠ كما يظهر من بعض تواريخ ديوانهِ

﴿ديوانهُ﴾ وقفنا في حلب على نسخة من ديوانهِ منذ اربعين سنة فاستنسخناها واذا هي تحتوي على نيّف وعشرين قصيدة او قطعة شعريّة في معاني الشعر المختلفة من مديح ورثاء وهجو وتهنئة واوصاف وتواريخ . فمن مديحه قصيدتهُ في الوزير ابي بكر باشا الذي قدم حلب سنة ١١٧٥هـ (١٧٦١م) فتزيّنت المدينة بقدومهِ (من الكامل) :

قِفْ في رُبى حلبٍ على أكمامها حيِّ منازلها بعَرْف خُزامها
بلدٌ اطاب الله حسن مناخها فزهت على ارض العراق وشامها

قد زانها ملكُ الملوك بزينةٍ كُتبت بشائرها على اعلامها
بصحيفة الزُّهرا ورَسم عُطاردٍ والمشتري يُملي على رسامها
سرَّ القلوبِ فاكثرت خير الدعا صَحَّ الدجى عطفاً على ايامها
لاسيما اذ خصَّها بمدبّر يعطي الممالك رفعةً بنظامها
اعني ابا بكر الوزير فكم سمَتْ حلبٌ بهِ تعلو السما بمقامها
سعدتْ بهِ مذ حلَّ طالعَ بُرجها فغدا دوامُ السعد من أحكامها

وهي طويلة. ولهُ رائيَّة في مديح سعدالدين باشا افتتحها بقولهِ (من الكامل):

للسَّعد في حلبَ البشائرْ ولقد بدا منها اشائرْ
قرَّت عيونٌ بعد ان للنجم قد كانت تساهرْ
وتعوَّضت بدل المذلَّة م والهوانِ بخير ناصرْ

وختمها بهذا التاريخ:

أرَّختُ لا ريب يا للسعد في حلبَ البشائرْ

ولانطون بيطار جملة تواريخ قالها في امور جرت في ايامهِ منها في وفيات بعض السادات كالسيد اغناطيوس جربوع رئيس اساقفة حلب على الروم الكاثوليك سنة ١٧٧٦ وبعض اصدقائهِ كفتح الله بن شكري ارقش (١٧٥٥) وجرجي قز (١٧٥٨) ومنها في مواليد صغار او في عقاب بعض الاشقياء كباقي الدالي باش قاتل الحجاج (١١٨٣) قال فيهِ (من الخفيف):

انَّ باقي الشهير بالآفاقِ قد سقاهُ المنيَّة كأسُ ساقي
قيل اين المصيرُ منهُ فأرَّخْ قلتُ لا شكَّ في جهنَّمَ باقي

وكذا قولهُ في شنق الشقي اليهودي كبرئيل الموالي (١١٦٤هـ) (من المجتث):

ابن الهلاك دَعوهُ الى الهلاك المؤبَّدْ
في النار من غير شكٍّ تاريخهُ قُلْ تَخلَّدْ

وارّخ رجوع السيد محمّد طه زاده الشهير الحلبي وكان نُفي ظلماً سنة ١١٨٥ (من الكامل):

ظنَّ العدى ان لا رجوع لغائبٍ مذ أظهروا ما في الضمائر كامنا
فازداد اجلالاً وعاد فأرّخوا ها ردَّهُ الله بخيرٍ آمنا

وأرّخ عمارة بيت جديد (من الكامل):

أكرم بهِ بيتاً بأعلى سفحةٍ فيهِ انتعاش الروح باللذّاتِ
فهو كفردوس السما ارّختُهُ مأوى السرور وجامع النُّزهاتِ

ولشاعرنا ايضاً موشّح قالهُ في مولد الياس انطون ابن جرجس عانده من زوجتهِ ساره بعد ان لبثت عقيماً عدّة سنين سنة ١٧٥٢ (من الرمل):

يا لَكُمْ جاد لنا ربّ السما نعماً وافت بروح القُدُسِ
فلهُ الحمدُ على ما انعما من غلام بهجةَ الدنيا كُسي

دور

حينما الربُّ لسارا قد نظرْ ولدت طفلاً بديعاً لا نظيرْ
وكذا راحيلُ من ربّ البشَرْ جاءها يوسفُ بالخير بشيرْ
أبشروا انَّ ليالينا غُرَرْ وهب الله لنا الظبيَ الغريرْ

انَّ لله تعالى حكماً تُشرق الشمس بداجي الحندس
ما عليهِ من عسير كما وهب النطق لسان الاخرس

دور

لاتقل فيما جرى كيف ودَعْ من لهُ الامرُ وكن انت وَدِيعْ
ليس أذناي ثقيلاتِ السمَعْ فاطلبوني تجدوا قال السميعْ
هاهو اليوم الذي الربُّ صنَعْ فافرحوا فيهِ فذا خير الصنيعْ
واشكروهُ عزَّ قلباً وفماً أن من يحمدهُ لم يَيْأَسِ
بارئ الخلق اليهِ المنتهى موجد الكونَين محيي الأنفسِ

وهي عدّة ادوار تشعر بتقى قائلها وجودة قريحتهِ

امّا آثارهُ النثريّة فنذكر منها هنا مثالاً وذلك جوابهُ الى الخوري نيقولا الصائغ الذي اشرنا اليهِ

يقبّل البسيطة عبدٌ بين يدي الاب العام المحترم الخوري نقولا شرّفه الله تعالى أولى ما نطقت بهِ ألسنة الاقلام البديعة ، ونبتَ في رياض الافهام زهر بديعة . واستهلّت بهِ ابكار فرائد المعاني ، وتطرزت بهِ صدور الدفاتر بذكاة ابن هاني ، شكرٌ لمن وشّحنا ثوب ايضاح معانيهِ اللطيفة ، وشرّفنا بابداع علومهِ الشريفة ، وهذّبنا حسن النسق منهُ بنزاهتهِ عن هذه الدنيا الدنية ، وادبنا ببراعة الطلب منهُ واستعانته بمن يبلغ منهُ المنية ، وحمدٌ لمن احسن الاتباع باشتراكهِ في فضايل الاباء المكمّلين نوادر الحقيقة ، ومدحٌ لمن رصع تسجيع اوزانه بدرر التشبيه ومساواة اهل الطريقة . اعني بهِ من أهديه تقبيل المنسم وهو الاب القانوني المكرم . والسيد الرئيس المفخم ركن الملّة الملكيّة ، والعلم البار المتشرف بالدرجة الكهنوتيّة ، من شيّد اعمدة الدين ، واهدي بعلومهِ كثيراً من الضالين ، الذي نظم هاتيك الدرر من كلامه ، ونثر جواهر العقيان من نظامهِ

وبعد العروض لدى الحضرة العلية، والطلعة البهية ، اني في ابرك وقت واشرف ساعة وردت علينا عزيزة مشرفتكم الشريفة ، وفريدة الفاظكم اللطيفة ، فلثمنا ختامها وفضضناها، وفهمنا رموزها ومعناها ، فكانت احلى من العافية للجسم السقيم ، والذ من السلم بعد العذاب الاليم . فيا لها من جواهر اذا مسّها مفتقر الى البيان اغناه جوهرها ، وخرائد جمعت بين الحسن والاحسان منظرها طيّب ومخبرها

كتبتُ فلولا ان هذا محالٌ وذاك حرامٌ قستُ خطّك بالسحرِ
فان كان زهرًا فهو صنعُ سحابةٍ وان كان درًّا فهو من لجّة البحرِ

فحلّيت لساني بعقود انشائها الدرّية، وأطلعت في فلك المسامرة كواكبها الدرية، ودعيت لكم بدوام البقاء، وعلو الارتقاء ، فحياكم الله واحياكم . وجعلنا لديكم من المنتمين، وقرننا في زمرتكم مع جلة الاباء القديسين

ولكن يا سيدي من اين للعبد ان يتشرف المكاتبة مولاه ، ويفتخر بتذكره على من سواه ، وما هذا الّا من لطف المخدوم على الخادم ، ومن شيم اخلاق اهل المكارم :

تذكّرني مولاي فله درّهُ وشرّفني حتى حويتُ المراتبا
وكاتبني المولى باحرف كتابةٍ فكنتُ لهُ عبدًا فصرتُ مُكاتبا

وهل يمكنني يا سيدي ان املي كتابًا او اردّ جوابًا، مع اني من المبتدين العاجزين، وفي قرة اهل الفصاحة معدود من جملة العاجزين ، وما اظنّ جنابكم الّا قصدتم تشجيعي، لتختبروا تسجيعي ، وتهدوني الى الطريق المستقيم، الذي حضرتكم عليه مقيم . فمن اين لي ان يتفسر هذا المنام، ويا حبذا ان صحّت الاحلام، ولكن الامر فريد ، والسير في طريقه بعيد :

تمنيتها الرقتين ودارها بوادي الغضا يا بُعد ما أتمناهُ

وارجو من الله جل شأنه ان ينحني التيسير، وحاشا ان يكون عليه امر عسير، ومع هذا كلما حاولت ان ارد لكم جواب ينعقد لساني ، ويقصر عن السير في هذا الميدان عناني ، املي انكم عمدة الفصحاء والمتكلمين ، وكنز الناظمين والمتعلمين،

الى ان سهل الله ببلوغ الامل ، ورفعتُ عن جناني برقع الخجل، فعجبت من نفسي كيف تجرّأت واهديتُ الصدف الى معدن الدُّرر، وقابلت بنفثة ماء بوادر المطر:

انّى أُقابلُ بحرًا فاض لؤلؤه بنفثةٍ من غدير الماء فيّاضِ
ام كيف أُرفلُ في ثوبٍ به قصَرٌ من الفصاحة رثٍّ غير فضفاضِ

وما تجرّأتُ على هذا الامر الّا لعلمي انكم اهلٌ للكرم، وان العذر يقبل عن زكي الشيم ، وان تجد عيباً فسُدَّ الخللا، ثم المبدي لجنابكم انني حثثتُ قريحتي الجامدة، واضرمت نار فكري الخامدة ، لكي اكرف في مديحكم بقصيدة من نظمي لعلمي ان ذكركم يهذّبها، ومديحكم يؤدبها، وان كنت لست من فرسان هذا الميدان ، ولا من قليدة هذه العقيان، ولست من الخيل السابقة، ولا الجياد اللاحقة. لكنني اتبعت قول القائل:

اذا منعتْك اثارُ المعالي جناها الغضّ فاقنع بالشميمِ

وها عذري اوضح من الشمس المضيّة ، اذ انني لا اعرف شيئاً من العلوم العربية ، سوى من العروض الاندلسية وقليلًا من الخزرجية ، وما عدا هذا وعزيز حياتك يا سيدي لم اقرأ شيئاً على استاذ انما اهوى مطالعة الكتب كثيرًا . واجهدُ ذهني لكي افهم منها قليلًا . وخاطري ابو عذره ، ومقتضب حلوه ومره، فاعذرني يا سيدي واغفر لي عن جرأتي هذه وسامحني بما نطقت في مديحكم . وما وفيت حقهُ حين قلت:

حيّا الحيا لِلَيالٍ في رُبى حلبِ قضيتها مَرَحاً في غاية الطربِ
مرّت بنا كوميض البرق مسرعةً وما انقضى وطري منها ولا اربي

الى ان قال:

فاقت بفردوسها كلَّ البلاد كما قد فاق مدحي لنيقولاوس النَّجبِ
الناشر العلمَ نشر الزهد مع رهبٍ والطاوي الجهل طيَّ الكبر والعجبِ

مذ قد براهُ الـه الخلق منفعـةً بصدق رشدٍ لاهل الغي والكذبِ
اعطاهُ من روحهِ نطقاً وشرَّفـهُ او ما تراهُ انار الكون بالخُطَبِ
اعزَّه الله بالكهنوت تكرمـةً بروح قدسٍ عليهِ منهُ منسكبِ
فريد هذا الورى علماً ومعرفـةً عـلَّامة الملَّتين العُجم والعربِ
حديدُ ذكرٍ بسيطُ العلم وافرهُ سريع نظمٍ بديهٍ كاملُ الادبِ
اللوذعي الاريب النَّدب مركزه اعلى العلى يزدري بالسبعة الشهبِ
تخذتُ مدحتهُ دون الورى شرفي دهرًا ومدحُ سواه ليس يجمل بي
وجاء مدحي لـه نقشاً على حجرٍ اضحى كوضع الهنا في موضع النُّقبِ
طيٌّ ونشرٌ وانشاءٌ لـه وكـلا للغيِّ والرشدِ والايمان والرهبِ
روى اراضي قلوبٍ مَحْلةٍ بندًى علمٍ ووعظٍ وزهد منه كالسحبِ
اذكى مصابيح دين الحق ثم هدًى الى الهدَى بضياها قلب كل غبي
مدحي تشرَّف في ابن السادة النُّجُبِ م ابن السادة النجب بن السادة النجبِ
يا ذا التقى يا فريـد العصر يا املي هل ملتقى انني في غاية الوصبِ
من نعمة الله قـد وافيت ذا نعمٍ يا خير إبنٍ ابٍ من خير إبنِ أبِ
رفعتَ رايات امر الله منتصبـاً لـنشر دينٍ بعلـم غير منشطبِ
كم قد اضا منك ديواناً بنور تقى أنَّتْ فيهِ دجى الآثام والنوبِ
وان يُكُنْ للـوى كتب ملَّفقةٌ فـان في الخمر معنًى ليس بالعنبِ
خذها اليك وقد جاءت مطوقةً بعقـد درٍّ مديح فيك منتخبِ
مني عليك سلام الله مـا طلعت شمسُ النهار ولاحت سبعة الشهبِ
وما ابتدى بعد حسن الختم منشدُها حيًّا الحيـا لِلَيالٍ في ربى حلَبِ

(لها بقيَّة)

هل الاديان منتشرة بين جميع الشعوب

نبذة من تاريخ الاديان بقلم الاب فردينان توتل اليسوعي

سؤال خطير بعيد النتائج طرحهُ في مجلة الهلال (اغسطس ص ١٢٤٠) نصيف افندي المقبادي فاجاب عليهِ نفياً كما يلي:

«يعتقد كثير من الناس انَّ الاديان منتشرة بين جميع شعوب العالم بلا استثناء. فلا توجد جماعة من البشر متمدّنة ام متوحّشة الّا وتدين بدين ما وتعبد اله (كذا) او آلهة او اصناماً. ولكن هذا وهم بعيد عن الحقيقة لا يطابق الواقع. اذ توجد شعوب عديدة لا تدين بدين ولا تعتقد أيّة عقيدة بل لا تجد في لغاتها الفاظاً تدلّ على معنى من معاني الدين كاله او آلهة او عبادة او روح او خلود وما الى ذلك»

قال هذا وأتبعهُ ببعض شواهد معظمها للملحدين او مادّيين كهربرت سبنسر او بعض السيّاح الذين قطعوا مجاهل البلاد في قلب افريقية واقاصي آسية وجزائر اوقيانية فرمى كلامهم على عواهنهِ ولو تروّى لما اقدم على بحث مثل هذا تنقضهُ كلّ الادلّة العقليّة والنقليّة. ولان كاتب هذا الفصل عدَل عن البينات العقليّة التي كلّها تثبت كون الانسان العاقل بمجرّد عقلهِ يرتفع من المنظورات الى موجدها ويشعر في ضميره بمسئوليّتهِ أمام حاكم يطالبهُ يوماً عن اعمالهِ فيجزيهِ ثواباً او عقاباً فاكتفى بالادلّة الوضعيّة بذكرهِ شعوباً جهلوا الدين تماماً فنردّ عليهِ رأساً ونتجوّل جولةً بين الشعوب قديمها وحديثها فنستفتيها في شأن اديانها كشفاً عن الحقيقة

ولا بُدَّ من ان نقدّم على كلامنا هذا الملحوظ بأنّنا نفهم هنا بمعنى الدين ما يربط المخلوق بكائن يسمو عليهِ وتنوط به اموره سواء عُرف ذلك الكائن كخالق ام هو واحد الذات واجب الوجود او متعدّد ذو شركاء او هو روح محض او متجسّم وما اشبه ذلك من الصفات الصحيحة او الخياليّة

فوقوفاً على حقيقة الامر ها نحن نستقري اجمالاً تواريخ الشعوب مباشرةً بالشعوب الاولى التي سبقت التاريخ او بَعُد عنّا عهدها. ثمَّ نلقي النظر على شعوب الشرق الاقصى

ثم الشرق الادنى ثم ننتهي الى شعوب الغرب اجمعين فيتضح من ذلك لكل رجل عاقل لا يكابر الحق انَّ الدين من خواص البشر وانهُ بكل صدق قد حدَّدوا الانسان تمييزاً لهُ عن الحيوان بذي الدين (Homo religiosus)

١ الشعوب الاولى

١ ﴿الشعوب السابقة التاريخ﴾ لم يبلغ الينا من تلك الامم البائدة كتابة توقفنا على احوالهم الدينيَّة وانَّما لدينا كثير من آثارهم الناطقة بمعتقدهم بعالم آخر وبحياة غير الحياة الحاضرة وبمعبود يعتقدون وجودهُ . فمن ذلك المدافن المشيدة منذ عهد الانسان الاوَّل في الطور الرابع من العهد الحجري فان اكرامهُ لموتاهُ وتجهيزه قبورهم بالاطعمة والآلات والاسلحة لدليل واضح على اعتقادهِ انها تفيدهم في حياة اخرى وانهُ في حياتهِ كان جارياً بموجب تقاليد دينيَّة معروفة

وفي المتاحف الكبرى قد أُفرز قسمٌ كبير لبقايا تلك الشعوب القديمة من الالات الظرَّانيَّة والمصنوعات الخزفيَّة وغيرها فمنها ما يشعر بمعتقدات دينيَّة كتصاوير غريبة الشكل تُعد غالباً كاصنام

ويزيد الامر وضوحاً وجلاء لو قابلنا بين تلك الآثار الاوَّليَّة والتقاليد الدينيَّة السائدة عند اجيال من الناس من البشر في عهدنا البعيدين عنَّا تمدُّناً . فانَّ بعض القبائل المتوحشة من الزنوج لا تزال تعيش كما كان يعيش الانسان قبل التاريخ او تكاد . فانها لا تعرف استعمال المعادن وهي على غاية السذاجة والشظف في معيشها وهي كما سنرى تؤمن بالله وبالحياة الاخرى . وتظهر اعتقادها ببعض الاشارات التي نراها في آثار الانسان السابق للتاريخ . مثلاً في نظام دفن اموانها وفي التصاوير التي ترسمها على اسلحتها وعلى مساكنها . فمن التشابه بين حياة الانسان الاول وحياة هذه الشعوب يتاح لنا ان ننسب لاولئك التدين الذي نتحققهُ بهؤلاء . نعم ان هذه المقابلة لا تجاوز حدَّ التخمين والترجيح لما بين الانسان الاول وبيننا من المجاهل التي تحول دون ان نتوفق اكيداً الى معرفة احوالهِ الادبية . لكنها على كل حال تُفحم مَنْ ينفي الدين من الزمان السابق للتاريخ اذ لا دليل يسوغ لنا هذا النفي بل اثبات التدين في ذلك العهد اقرب الى الصواب وارجح لحقيقة الامر الواقع .

٢ ﴿الشعوب المتوحشة﴾ ندعوها متوحشة ونكاد نفتش عليها بالاباطيل وكان الاحرى بنا ان ندعوها متأخرة او متقهقرة ويدعوها الفرنج الاولى (Les Primitifs) لتنائيها عنا بالتمدين والتقاليد والعوائد. اكثرها يقطن افريقية وامريكة الشمالية والجنوبية واوقيانية وكلها لها دينها ومعتقداتها واننا اذا قابلنا ما بين تلك الاديان والمعتقدات منعمين النظر في ميزاتها الاصلية المشتركة بينها جمعاء آل امرنا الى معرفة تلك الاديان بجوهرها. نعرفها ليس فقط كما هي عليه في يومنا ولكن كما كانت عليه منذ القدم لان صفات الشعوب وعوائدهم المميزة لهم قد تكون كطبيعة ثانية يتوارثونها مع الدم فلا يكاد يعروها تغير مع تطور الايام. فالنخوة العربية واكرام الضيف تقاليد لا تزال مألوفة عند العرب في عهدنا كما عهدها اسلافنا مئات سنين قبلنا كذلك ما نعرفه عن عوائد الشعوب الاصيلة حالاً بالنسبة الى ماضيها

ولا يهمنا ما يتشدق به هذا او ذاك من المسافرين الذين قضوا بين الزنج مدة قصيرة واجتازوا ما بينهم اجتيازاً من غير ان يختلطوا بهم ويكتسبوا ثقتهم ويقفوا على اسرارهم وهم في اغلب الاحايين يجهلون لغتهم ولكن لنسمعن لجهابذة العلماء والمبشرين الذين قضوا معظم حياتهم بين القبائل التي يدعوها البيض متوحشة عن تكبر وتهكم مع انها لها آدابها وفضائلها ودينها كثيراً ما تخفيه عن عيون الاجانب انما تبوح به الى من وجد الى قلبها بالمحبة سبيلاً. فاليك خلاصة معتقداتها :

(اولاً) يكاد هؤلاء الشعوب يجمعون كلهم على الاقرار بمبدأ حيوي موجود في الانسان يحيا بعد موته ويبقى في موضع مخصوص حيث ينالهُ الاكرام اذا كان سبق وعاش بالاستقامة فان سعادتهُ بعد الموت تتعلق بتصرفه في الحياة الحاضرة

(ثانياً) ان نفوس الاموات التي ترفعت دون غيرها عن زلات البشرية تتحد بارواح تسمو على البشر فترشدهم وتؤثر في وجدانهم. على ان بعضها صالح لخيرنا وبعضها طالح لشرنا. فالى الصالحة منها تُقدَّم الصلوات والذبائح استدراراً لاحساناتها والى الطالحة دفعاً لاضرارها وذلك عن يد آباء العائلات اولاً ثم عن يد الكهنة المندوبين لذلك

(ثالثاً) ما فوق هؤلاء الارواح المتفاوتة الكمال يميزون روحاً اكبر يتسلط على الناس وعلى الارواح وعلى القوى الطبيعية. ويطلقون عليه اسماء تدل على انهُ مكوّن

العالم والعلي والقوي وروح الكون والساكن في السماء وان بيده الحياة والموت وكل شيء منوط به وهو غير منوط بشيء . على انه متناء عن البشر وصالح وكريم فهو اسمى مقاماً من ان يحتاج الانسان الى التفاني في عبادته . انما هذا الفتور الظاهر نحوه ادى ببعض المسافرين الى التوهم ان تَبَعَة هذا المذهب لا يؤمنون بالله

(رابعاً) يعلنون بان الاعمال بعضها مباحة وبعضها محرمة فعلى الانسان ان يتقي الشر ويجري على سنة الناموس الادبي خاصةً بصيانته لكل ذي حق حقهُ والّا فانهُ ينال جزاء ذنوبه . ويعتقدون بالفرق بين الاشياء الطاهرة المقدسة وبين النجسة . وان دياناتهم هذه لا تشمل الافراد فقط ولكن الأُسر والمجتمعات وهي عندهم امر ضروري لا بد منهُ (١

واليك مع بعض التفصيل لائحة الشعوب الذين اجملنا معتقداتهم فيما سبق فترى ان الدين منتشر بينهم اجمعين(٢

١ً ﴿في اوستراليا﴾ القبائل الجنوبية الشرقيَّة . حالتها من التمدن متأخرة جدًّا وهي اشبه بحالة الانسان الاول فانها تجهل حتى استعمال الفخَّار ومع ذلك فانها تؤمن بالله ابي الجميع (All-Father)

القبائل التسمانية : وقد بادت مع الزمان فهي ايضاً كانت تعتقد الاعتقاد ذاتهُ

القبائل الشمالية تؤمن بالاله الاسمى على انه قلما يتدخل في شؤون البشر . وتشرك معهُ آلهة غيره

قبائل سوماترا وبورنيو وملقا تعتقد بالخالق والمشترع والديَّان وبالاله الاسمى

قبائل بولينيزيا والملوك (Moluques) كاد يزول اعتقادها بالاله الاسمى . لكنَّها تعبد الارواح الشريرة والابطال الميتولوجية ومع كونها تدهورت في اسفل دركات الانحطاط الديني فلها دين تدين به

٢ً ﴿في افريقية﴾ قبائل الاقزام (les Pygmées) وهي منتشرة في جزائر الاوقيانوس الهندي وفي غابات افريقية المجاورة لخطّ الاستواء وبينها وبين قبائل اللابون (Lapons) الشمالية بعض التشابه . ومن ميزاتها ان رجالها لا تتجاوز قامتهم طول

(١ راجع Mgr. Le Roy: la Religion des Primitifs p. 464-465

(٢ Huby: Manuel d'Hist. des Religions. Tanqueray : de Vera Religione

المتر والنصف وآذانهم لا توام لها مرتخيـة الاطراف وهم عريقون في القـدم وعلى وشك ان يبيدوا من الوجود . لا يزالون في عيشة مادية اقرب منها من عيشة الانسان الاول لا يكادون يعرفون استعمال الحديد يقتاتون من الصيد ومن اثمار البراري . وهم على جانب عظيم من السذاجـة والفقر الفكري والـلغوي حتى ان البعض منهم لا يستطيع ان يعدّ اصابعه العشرة لان اسماء الاعداد عندهم لا تتجاوز الاربعة . ومع ذلك فهم يعتقدون بالموجود الاسمى وبصفاته الحسنى . ويعبدونهُ عبادةً بسيطة طاهرة لا يشركون فيها بينـهُ وبين الاوثان . ويحفظون لكل ذي حق حقـه ويخجلون من ارتكاب المنكرات ويتجنّبونها

قبائل البانتو (Bantous) وهم الزنوج سكان افريقية من اعالي النيل الاعلى الى بحيرة تشاد (Tchad) فهم يؤمنون بالموجود الاسمى وبالصانع والقوي الاعظم وصاحب السماء والنور . مَن لا ينالهُ سحر الساحرين وهو يصنع كل ما يشاء . وسلطان الارض المسكونة بالقبائل

٣ً في اميركا الشمالية ﴿ قبائل فرجينيا تعتقد بالاله الصالح محب السلام خالق العالم ومبدع الالهة . واسمه « اهونه »

قبائل باونيس (Pawnees) تعتقد بان الاله «تيراوا» موجود في كل مكان فهو يبغض السرقة وسوف يفتح مسكنه للعالم ؛ وبانّ الاله «كيتشو» صنع البشر والسماء فيصلّون ويرتلون لهُ ويرقصون

قبائل «السيو» تعتقد بالاله «نابي» الخالق معلّم الفنون المعلن ارادته بحوادث الزمان فانهُ ينتقم بالضربات ممن يخالف طاعته

قبائل «الزوني» تعتقد بالموجود الاسمى الخ

٤ً ﴿ في اميركة الجنوبية ﴾ قبائل البيرو والبتاجوني والارض النارية تعتقد كلها بالاله الاسمى اما عبادتها لـه فهامدةٌ لانهم يبذلون جهودهم في عبادة الارواح الشريرة وارضائها بالذبائح اتقاء لشرورها

٢ً شعوب الشرق الأقصى

١ً ﴿ الصينيّون ﴾ اقـدم ما يُعرَف من احوال الصينيين قبـل فيلـوفهم

كونفوشيوس انهم كانوا ذوي دين راقٍ تدلُّ عليهِ كتبهم السابقة لذلك المصلح. وفي اصلاحهِ ما يصرّح بعبادة الاله الاسمى « شانتي » واكرام السماء « طيان » بصفتهِ الادبية وقد جعلهُ كراقب لاعمال البشر ليثيبهم عليها وامرهم بإكرام الجدود. وفي كل ذلك اشارة ظاهرة الى حياة اخرى. هذا الى ما تسرّب الى الدين الصيني بتوالي الازمنة من الخرافات وعبادة الاوثان. لاسيما بشيوع الدين التاوي (Taoïsme) والدين البوذي. وكل هذه الاديان اذا نزعت منها شيئاً من النظريات التي اشاعها بعض زعمائها حافلةٌ بالروح الديني واكرام الآلهة وخلود النفس.

٢ً ﴿الهنود﴾ لا يكاد يبلغ شعب من التمسك بالدين ما بلغهُ اهل الهند فان اقدم كتبهم المعروفة بالبد (Védas) تذكر عدداً عديداً من الآلهة وقد زادت تمسكاً في الشرك بانتشار البرهمية والبوذية التي انتشرت هناك بالزاهد سكياموني غايتها ان ترقي الانسان بالزهد الى ان يمتزج باللاهوت. وهذا كلهُ مهما تعدّدت اضاليلهُ لا يخلو من الدين ومن لواحقهِ باعتقاد خلود النفس وعالم آخر. وتراهم اليوم كما كانوا في اقدم عهد تاريخهم يقومون بفرائض عديدة نحو اصنامهم يعود معناها الى اعتقاد الآلهة وخلود النفس والثواب والعقاب

٣ً ﴿البابليون والكلدان﴾ انَّ آثارهم الباقية الى يومنا والراقية الى الالف الثالث قبل المسيح معظمها آثار دينيَّة كهياكل لاكرام الآلهة وتماثيل لمعبودات شتى واناشيد للآلهة وغير ذلك مما نشرهُ الاثريون في مجلّدات ضخمة. فمن المستحيل اذن ان يُنسب الى تلك الامم العريقة بالقدم جهل الدين وما ينوط بهِ من علوم الآخرة

٤ً ﴿الفرس والماديون﴾ شاعت خصوصاً عند الفرس والماديين عبادة قوّات الطبيعة فعبدوا الشمس والنار وقالوا بالثنويَّة اي بمبدأين خير وشرّ متناقضين هرمزد إله الخير وأريمان إله الشرّ. وشاعت بينهم تعاليم زرادشت ومزدك. وليس في اساطيرهم الخرافيَّة ما ينفي الدين بل مرجعها الى توطيدهِ لاسيما بالحكم في الآخرة على الاشرار بالجحيم وعلى الابرار بالنعيم

٣ً شعوب الشرق الادنى

١ً ﴿السّاميّون﴾ من العبث ان نحاول اثبات الدين بين الشعوب الساميَّة من

الشرق الادنى كالآراميين والعرب والادوميين والموآبيين والنبط فانَّ الاسفار المقدَّسة وكتب الاقدمين والآثار الباقية من أبنيتهم ومن مصنوعاتهم كلها لسان واحد تثبت اعتقادهم وجود الآلهة يسمو فوق جميعهم إله اعظم يدعونهُ إيل او إليون او الوهيم. وقد شاعت بينهم تقدمة الذبائح البشريَّة اكراماً لآلهتهم وتكفيراً عن سيئات قومهم واستمداداً لبركات معبوداتهم. امَّا بنو اسرائيل فكلٌّ يعرف دينهم القويم

٢ً ﴿المصريون﴾ انَّ آثارهم المكتشفة منذ مئة سنةٍ خصوصاً معظمها تاريخٌ حيٌّ لمعتقداتهم بالآلهة يميزون بينها الهاً اعظم. وهذه مدافنهم وما سطَّروهُ عليها من اسفار تعرف باسفار الموتى وغيرها فكلُّها تصف وصفاً جليًّا ايمانهم بخلود النفس وبمحاسبة الانسان على اعمالهِ بعد موتهِ. فكفى بتلك الآثار الجليلة شاهداً ناطقاً يفحم كل الملحدين والزنادقة

٤ً شعوب الغرب

١ً ﴿اليونان﴾ ليس شعب اثرت تعاليمهُ الدينيَّة كاليونان في العالم القديم. فانَّ العلماء قد ألَّفوا المجلَّدات الضخمة في وصف معبوداتهم ومعتقداتهم المختلفة التي مع تبايُنها وسخافاتها تشهد لهم بروح الدين وبترابعهِ من المعتقدات في النعيم والجحيم وخلود النفس. فمن اراد ان يطلع على شيء منها عليهِ مراجعة علمهم المعروف بالميثولوجية

٢ً ﴿الرومان﴾ كان للرومان ديانة قديمة مبنيَّة على قوَّات الطبيعة وعلى عبادة الكواكب السيَّارة كالمشتري والمرّيخ وزحل وعطارد. ثمَّ اختلطت بديانة اليونان وديانة الشعوب الاسيويَّة المختلفة. والآثار الدينيَّة الباقية في جوارنا من عباداتهم في بعلبك وبيت مري وافقا وسواحل الشام شاهد حيٌّ على تديُّنهم مهما كانت الاعتقادات الباطلة التي كانت تشين ذلك الدين فتمسخهُ مسخاً

٣ً ﴿الغوليون﴾ سكَّان فرنسة القديمة. نعرف ما اختصُّوا بهِ من الدين فكانت لهم اصنامٌ يعبدونها ولها سدَنة يدعونهم درويد (Druides) مقيمون في خدمتها ويقدِّمون لها القرابين والذبائح. وكانوا يؤمنون بالحياة الاخرى ويرجون منها كلَّ خير ورفاهية. وكان رجاؤهم هذا يدفعهم الى تضحية حياتهم الحاضرة واحتقار الموت.

ولا تختلف عنهم الامم الساكنة اوربّة الشمالية المعروفة بالاسكندينافيّة كانوا لا يكفّون عن اكرام آلهتهم حتى انهم لا يأنفون من تضحية الذبائح البشريّة لهم

ولا تشذّ عنهم قبائل ﴿الجرمان﴾ الذين ميّزوا بين آلهة عديدة الهاً اعظم كانوا يعبدونهُ في غاباتهم الكثيفة ولم يمثلوهُ بصور ولا دُمى ويؤمنون بالحياة الاخرى وثوابها وعقابها

هو صوت البشريّة جمعاء سمعناهُ يتصاعد من كل انحاء المعمور فيردّد ذكر الخالق الديان في المشارق والمغارب في كل زمان ومكان وينادي على رؤوس الاشهاد ما يوحيهِ اليهِ الضمير من واجب العلاقات بين العبد والسيد والاعتقاد بالحياة الاخرى . فاذا يبقى للمتقادي بعد هذا فلنمعن النظر بادلته

يأتينا اوّلاً باقوال بعض الكتبة او السيّاح الذين لا يعوّل على قولهم وذلك لانهم من ذوي الغايات الذين يريدون الدفاع عن الحادهم باسنادهِ الى قبائل مجهولة . وهولاء لا تُقبل شهادتهم التي تبطلها اصوات الرأي العام والتاريخ القديم والحديث . وعلى فرض انهُ وُجد بعض الكفّار اعتقدوا بعدم وجود إله فانّهم يُعدّون من الشواذّ والشواذّ لا تُبنى عليهِ قاعدة . ولاسيما ان الامتحان كثيراً ما يبيّن انّ قلبهم يكذّب لسانهم وعند وقوع الخطر واقتراب الموت يباركون ما لعنوهُ ويلعنون ما استحبّوهُ

أمّا القبائل المتأخرة التي ذكر المتقادي جهلها لكلّ دين فانّ الذين رموها بهذه التهمة رووا الامر لاسباب خدعوا بها فانّ بعض القبائل لا تتظاهر بدينها امام الاجانب ولاسيما السيّاح البيض . ثمّ لبطلان شهادة الرواة سبب آخر جهلهم للغات بعض القبائل فلا يدركون معنى الالفاظ التي يشيرون بها الى معبوداتهم والى عقائدهم في عالم آخر

واليوم قد وجّه المرسلون الكاثوليك نظرهم الى هذا الامرُ الهامّ واخذوا يدرسون درساً عميقاً اخلاق تلك القبائل حتى وقفوا على كل اسرار حياتها وعلى افكارها بخصوص وجود الاله وخلود النفس والعالم الآخر . ففي السنة ١٩٠٦ أُنشئت في النمسة مجلّة دوليّة يديرها حضرة الاب شميدت (P. W. Schmidt) من جمعية الكلمة الالهية تحت اسم «الانسان» (Anthropos) يعرض فيها بكل اللغات الاوربية ما يرسلهُ اليهِ المرسلون من سائر اقطار المعمور بياناً لاخلاق الشعوب الذين يبشرونها ولاسيما معتقداتهم بخصوص وجود الاله وخلود النفس والثواب والعقاب في

الآخرة. فجمع شواهدهم في مجلّدات ضخمة سنويّة وليس فيها شهادة عن قبيلة واحدة او شعب ايًا كان إلّا وكلّهم يعتقدون وجود الخالق ولو تصوّروهُ بصور مختلفة غريبة ووجود الارواح ويؤيدون وجود عالم آخر يجازى فيهِ الانسان عن اعمالهِ

فيحقّ لنا من ثمّ ان ننكر الشواهد التي تشبّث بها المنقبادي ونعدُّ القول بعدم انتشار الاديان بين الشعوب ضلالًا وبهتانًا. امّا الآية القرآنيّة التي استشهد بها المنقبادي: «وقالوا ما هي الّا حياتنا الدنيا نموت ونحيا» فهي ذات الآية التي سبق واعلن بها الملك والنبي داود في المزامير (١٢ : ١) حيث يقول عن لسان الجاهل: قال الجاهل في قلبهِ ليس اله» ومثلهُ قول سفر الحكمة (٢ : ٥) عن الزنادقة: «انّما حياتنا ظلّ يمضي ولا يرجع لنا بعد الموت لانهُ يختم علينا فلا يعود احد». وقد وردت هذه الآيات تبكيتًا لبعض الجهّال الذين لاغراض باطلة نطقوا بها ليخمدوا اصوات ضميرهم ويتغافلوا عن ما سيطالبهم بهِ الديّان في ختام الحياة. فيا ليت المنقبادي فطن لهذه الحقائق قبل ان يجري في حلبةٍ ليس هو من فرسانها. والسلام على من اتّبع الهدى

عيد الصليب في رُبى لبنان

قصيدة نظمها في حفلة هذا العيد في مقام سيّدة البحر الاستاذ يوسف افندي النلبرني

أقبل العيدُ في رُبى لبنانِ يتلألا بحسنهِ الفتّانِ
دُمجتهُ أنامل الإحسانِ بجُمان التقى وزهر الجنانِ
في رياض الصلاح والإيمانِ

هو عيد لهذه الجمعيّهْ يتجلّى بحلّةٍ ذهبيّهْ
يتباهى بعصبةِ اخويّه وتشدّها روابطُ دينيّهْ
أحكمتها محبّة الإخوانِ

هو عيد ارتفاع مجد الصليبِ عيدُ يسوعَ مفتدينا العجيبِ
فاهتفوا للصليب هَتْفَ الحبيبِ عطّروه بعاطفاتِ القلوبِ
بَجّلوه في السرِّ والإعلانِ

خَشَبٌ يابسٌ، خلا فيه ماء مات قطعاً فما لهُ إحياء
غرستهُ بينَ الأنامِ السماء وسقتْهُ من المسيح دِماء
فنما نَبْتاً ناضرَ الأغصانِ

هو عيدٌ لمريمَ العذراء زنبقِ الطُّهر، ملجإِ الابناء
مصدرِ الخير، موردِ الآلاء منبتِ العزّ، فجر كل رجاء
مَنْ بها من دونه القمرانِ

هو عيد لرُبّة الأبحارِ عَضُدِ المؤمنين في الأسفارِ
معقلٍ صان من أذى الأخطارِ ولمن تاه مَطْلعِ الأنوارِ
فاقصدوها فهي يَدُ الرحمانِ

هو عيد فوق الجمال جميلُ وعلى المجد والجلال جليلُ
فيهِ يُهدى لربنا التبجيلُ باحتفال قد زانهُ اليوبيلُ
بانتظام يزري بعِقْد الجُمانِ

انما العيدُ المُستطابُ السعيدُ هو يومٌ تقام فيه العهودُ
وبهِ للمقاصد التجديدُ وبهِ يُعلَنُ الوفا والوعودُ
وبهِ تبدو طيّباتُ الأماني

فلتجدِّدْ لربنا عاطفاتٍ من نفوسٍ بحبه هائماتِ

ولنتمم مرادهُ بثباتٍ ولنعزّز صليبهُ للمماتِ
بجهادِ الأبطال عند الطعانِ

ولنعدهُ وعدَ الأبيّ الحُرّ ان نظلّ الحياةَ شعبَ البرّ
لا نخون الايمانَ طول العمرِ لا ولو ذقنا حنظلاتِ المرّ
لا ولو مُتنا تحت طعن السنانِ

ولنهذّبْ اولادنا بسبيلٍ فيرٍ قبل واجبات الرحيلِ
بكمالٍ الى السماء دليلٍ بصليب المسيح بالانجيلِ
تحت ظلّ الايمان والقربانِ

علّموهم في دَيَنات المدارسْ حيث كلُّ الهدى وكل النفائسْ
فيها يأمنون شرَّ الدسائسْ وبها يصبحون وسط المجالسْ
خالَ فخرٍ في وجنة الشبّانِ

واسلكوا مسلك الجنود البواسلْ في وغى الدين حيث مرمى القنابلْ
لا تخافوا فالله يحمي المُقاتلْ وبهِ النصر لا مشاحة شاملْ
فهو يؤتينا نخوةَ الشبانِ

دافعوا عن إيمانكم يا أكارمْ بصلاةٍ وحكمةٍ ومكارمْ
بيراعٍ بهمّةٍ بعزائمْ باتحادٍ بجرأةٍ بصوارمْ
بلسانٍ ، بفيصلِ البرهانِ

عن لواء الصليبِ خيرِ لواءٍ دافعوا ما استطعتُمُ بفداءِ
دافعوا في سبيله بالدماءِ فلواء الصليب يَندُّ السماءِ
عاش ربّ الصليب للانسانِ

جاهدوا عن دين بناه المسيحُ فهو زين حق شريف صحيحُ
ولسان الشعوب فيه يصيحُ عاشَ عاشَ المسيحُ عاشَ المسيحُ
في جميع الاقطار والبلدانِ

وَلْنَذُدْ عن كهانتنا الفضلاء عن معالي وراية العذراء
عن حقوق الكنيسة العصماء عن حياض العقائد الحسناء
عن بيوس الحَبْر العظيم الشانِ

جاهدوا بالوسائل الفعليَّهْ لا ببوق النوافل القوليَّهْ
كم رأينا أقوال الفرنسيَّهْ ذهبت كالدخان في البريَّهْ
فاذا قلتم فافعلوا ببيانِ

غبَّط اللهُ السارقيمَ العظيما صاحبَ الخير مَن أغاث اليتيما
وكسا المعوزَ الفقير السقيما وقضى عمره شفيقاً رحيما
يغرس البرَّ في حمى الرحمانِ

هو إفرنسيس عشيق الصليبِ هام فيه عن حُرْحبٍ غريبِ
اضرمته محبةُ التعذيبِ ليضاهي ربَّ الصليبِ العجيبِ
فغدا كالمسيح بالجثمانِ

حلَّ طيٌّ صدره قلبُ نسرٍ قلبُ ليثٍ فيه شعور الشعرِ
يَمُّ فضلٍ في قعره خيرُ دُرٍّ نارُ حبٍّ في جوفها بحرُ برِّ
عجباً من ضدَّين يتحدانِ

أمَّ ايسوعَ يا يمينَ الفسادي ثبتينا في هاديات الرَّشادِ
بلغينا كلَّ المنى والمرادِ وادفعي الكفرَ مع وباء الفسادِ
عن أهالي بيروتَ عن لبنانِ

خيرُ قولٍ في خاطرات الختامِ ان تكوني شفيعنا للدوامِ
وخصوصاً في حشرجات الحِمامِ كي نرى وجهكِ البهي بسلامِ
فاستجيبي يا بحرَ كلِّ حنانِ

فليكن بيرقُ الخلاصِ الصليبُ ولتحيِّهِ بالهتافِ الشعوبُ
وصدى صوتنا كوعدٍ يُجيبُ عاش عاش الصليبُ عاش الصليبُ
في السما، في الملا، وكلِّ مكانِ

الآداب العربيَّة

في الربع الاول من القرن العشرين

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

القسم الرابع

البحث الرابع

البحث الرابع : ادباء النصارى حاضرًا (تابع)

٢ً الصحافيُّون

لا يُنكر ان قوام الصحافة في العالم العربي حاضرًا بساعي النصارى خصوصاً. وذلك في صورتيها اي على صورة مجلّات ذات ابحاث واسعة في كل المعارف العصريَّة. وعلى صورة جرائد سيَّارة تُنشر يوميًّا او اسبوعيا او مرارًا في الاسبوع

فمن ﴿المجلات﴾ ما خلا التي ذكرناها للاكليروس (في بيروت) الاحرار المصوَّرة لجبران التويني . البيان لبطرس البستاني . التجدُّد لاديب طيَّار . الحارس لامين الغريب . الحقوق لنجيب وملحم خلف . المجلة الطبيَّة العلميَّة للدكتور فؤاد غصن . المجلة القضائيَّة ليوسف صادر . المعارف لوديع نقولا حنَّا . المعرض لميشال ذكور . ميزوا لماري يني . الكليَّة للجامعة الاميركيَّة . النشرة الاسبوعيَّة للرسالة الاميركيَّة

وفي (مصر) الشرق والغرب للارساليَّة الاميريكيَّة . طبيب العائلة للدكتور خيَّاط . العالم لكريم خليل ثابت . فتاة الشرق للبيبة هاشم . اللطائف لشاهين مكاريوس . المرآة لخليل زينيَّة . المقتطف للمرحوم يعقوب صرُّوف وفارس نمر . الهلال لاميل زيدان مع توابعه المصوَّر وكلّ شيء والفكاهة

وفي (لبنان) الآثار لعيسى اسكندر المعلوف (زحلة) . الجذر لعفيفه صعب (عاليه) . الشمس لاسبر غريب (الدامور) . الشبيبة لالياس نصر (اعبيه) . صدى العالم لانيس ملحم جابر (عاليه) . العرائس لعبدالله حشيمه (بكفيَّا) . المباحث لجرجي يني (طرابلس) . المحامي لفؤاد رزق (زحله) . النور لنصرالله طليع (اللاذقيَّة)

وفي (دمشق) العالم لسليم ابرهيم الترك . النجاح لالياس خليل ترتر . العروس لماري عبده عجيمي

وفي (حلب) الشعلة لفتح الله قسطون

وفي (فلسطين) النفائس العصريَّة لخليل بيدس (القدس) . الزهرة لجميل بجري وجعلها اليوم جريدةً باسم الزهور (حيفا) . المجلة التجاريَّة لتوفيق زيبق (حيفا)

وفي (بغداد) الحرَّية لعبد الجليل رزق الله . وفي الموصل «الموصل» ليونان عبو اليونان

وفي (اميركة) الاخلاق ليعقوب رفائيل . الروضة لبطرس عبُّود شعيا (لورنس ماس) العالم الجديد لسلوم مكرزل (نيويرك) . فتاة بوسطن لوديع شاكر . العروس لطانيوس سليمان نقولا (بوسطن) . الوطن الحرّ للدكتور سعاده بشاره (برازيل) . المجلة السوريَّة (بالانكليزيَّة) لفيليب حتي

٢ ﴿الجرائد﴾ في بيروت ولبنان . الاحرار لسعيد صبَّاغه وجبران التويني وخليل كسيب . البرق لبشارة الخوري . الجوائب لابراهيم الشدياق . الحوادث للطف الله خلاط (طرابلس) . الدبُّور ليوسف مكرزل . ارزة لبنان ليوسف الحتي . الاحوال

لخليل البدوي . دير القمر لوديع ونعوم البستاني (دير القمر) . الراية ليوسف السودا . زحلة الفتاة لابراهيم الراعي (زحلة) . الشالوف (جزين) الرقيب (طرابلس) الصحافي التائه لاسكندر الرياشي (زحلة) . العلم لميشال حانك (بيت شباب) . لسان الحال لرامز سركيس . النهضة لفؤاد راشد (مرجعيون) . صدى الشمال لفريد انطون . لبنان الرسمية . النهضة المرجعيونية . الهدية للارشمندريت فوتيوس . المرأة الجديدة لجوليا طعمة دمشقية . الورقاء ليوسف المشلاني (صليا) . الوطن لوديع عقل

٢ في باقي ﴿سورية وفلسطين والعراق ومصر﴾ ففي دمشق الف باء ليوسف عيسى . وفي حمص صدى سورية . ودليل حمص لقسطنطين بني . وفي حلب التقدم لشكري كنيدر . وفي حيفا الكرمل لنجيب نصار . والزهور لجميل البحري . وفي يافا فلسطين لعيسى داود عيسى . وفي القدس الشريف النفير والاقدام لايليا زكا . وفي (الاسكندرية وفي مصر) الاهرام يحرره داود بركات وتوفيق حبيب . المحروسة لالياس زيادة . والبصير لرشيد شميل . والمقطم لصروف ونمر ومكاريوس . وفي العراق الوقائع العراقية والعالم العربي لسليم حسون . والعراق لرزق الله غنوم

(جرائد اميركة) في اميركة الشمالية في نيويورك السائح لعبد المسيح حداد . والشعب ليوسف مراد الخوري . ومرآة الغرب لنجيب موسى دياب . والنسر لنجيب جرجي بدران . والهدى لنعوم المكرزل . وفي ديترويت الصباح ولسان العدل لشكري كنعان . وفي الارجنتين في عاصمتها بونس ايرس ما خلا المرسل السابق ذكره الزمان لمخائيل السمرا . والسلام لوديع واسكندر شمعون . وفي البرازيل في ريو جانيرو البريد ليوسف ظاهر . وفتى لبنان لجورج مسره . والعدل لشكري جرجس انطون . وفي سان باولو ابو الهول لشكري الخوري . والقلم الحديدي . وفي المكسيك الرفيق لمحبوب الشرتوني

﴿الكتبة النصارى حاضراً﴾ ليس بالامر السهل ان نذكر سائر ارباب الاقلام الذين يتعاطون حاضراً بين النصارى مهنة الكتابة فألفوا فيها التآليف المختلفة . وها نحن نذكر ما يحضرنا منهم على طريقة الحروف المعجم . ﴿ابو راشد حنا﴾ نشر وقائع صاحب السمو الامير سعيد وقاموس الاعلام وكتاب جبل الدروز . ﴿ادوار الياس باشا﴾ نشر سنة ١٩١٠ كتاب سياحاته الى البلاد تحت عنوان شاهد الممالك . ﴿ارمانيوس

عازار﴾ له المذكرة اللغوية في ترجمة اهم مفردات الممالك الطبيعية. ﴿اسطفان يواكيم﴾ عرّب رواية كريستوف كولومب (١٩٠٩). ﴿اسكندر راغب المحامي﴾ نشر كتاب الاثر الذهبي في تاريخ وآثار عطيه بك وهبه (مصر ١٩١٥). ﴿اسود ابرهيم بك﴾ من تآليفه التليد والطريف في تهاني التصيف (١٨٩٢) وكتاب ذخائر لبنان (١٨٩٦ و١٩٠٦) وتنوير الاذهان في تاريخ لبنان في مجلّدين (١٩٢٦ــ١٩٢٧). ﴿ألوف ميخائيل﴾ كرّر طبع تاريخه لبعلبك ونقله الى الانكليزية والفرنسوية. ﴿الونصو الفونس﴾ عرّب كتاب الدليل الهادي لزيارة قبر الغادي (١٩٠٩). ﴿الياس انطون﴾ نشر القاموس العصري بالعربية والانكليزية

﴿باز الدكتور جورج﴾ عرّب كتاب الروضة البديعة في علم الطبيعة ونشر في الجرائد والمجلات فصولاً واسعة في الطب والادب والتاريخ. ﴿باز جرجي نقولا﴾ له تآليف متعددة كالانسان ابن التربية والآداب وشبان العصر والصحة واكليل غار لرأس المرأة وآثار التهذيب والنسائيات وتأثير النساء في الارتقاء. وترجمة الياس جرجس طراد وسليمان البستاني ومقالات شتى في مجلة الحسناء وغير ذلك من الآثار الطيبة. ﴿البحري جميل﴾ ألف تاريخاً لحيفا. وفصولاً تاريخية عن عبد البهاء عباس والديانة البهائية وعن غبطة السيد البطريرك كيرلس التاسع وسيادة المطران غريغوريوس حجّار. وله نحو عشر روايات ادبية او تاريخية. منها نثرية ومنها على شبه مآسي تصلح للتمثيل على المسارح كالوطن المحبوب والاختفاء الغريب والهجوم على البلجيك وسقوط بغداد والحقيقة المؤلمة وظلم الوالد وسجين القصر وفي السجن والزهرة الحمراء الخ. (بدور نعوم). نشر في بيروت خلاصة مقاصد الله وايضاح البينات في الخلافة والتقليدات. ﴿البدوي خليل﴾ محرّر الاحوال. له نخبة النخب في ترجمة القديس يوحنا فم الذهب وتمرين تاريخ آخري سلاطين الروم والدرجات المدرسية في تعليم اللغة الفرنسية ومجموعة فكاهات ونوادر واطائف ورواية شيطان المال وتنقيح كتب طائفته الطقسية. ﴿بركات ابراهيم﴾ من آثاره مفتاح باب السماء وعبرات العبر في رثاء الخوري نعمة الله بركات. ﴿بركات فيليب الدكتور﴾ نشر مقالات طبية وعلمية في الكهرباء. ﴿بريدي فريد يوسف﴾ نشر في بيروت سنة ١٩٢٥ مأساته التاريخية على ضفاف الامازون. ﴿البستاني امين بك﴾ له مختارات

البستاني ﴿البستاني فؤاد افرام﴾ لهُ كتابهُ اللطيف على عهد الامير ونشر مقالات تاريخيَّة وادبيَّة في المشرق والبشير كترجمة سليمان البستاني والشعر القديم والحديث ولهُ مجموعة الروائع. ﴿البستاني وديع﴾ عرَّب عدَّة كتب ادبية للورد اڤبري كمعنى الحياة ومسرَّات الحياة والسعادة والسلام ومحاسن الحياة وعرَّب رباعيَّات الخيام. ﴿البستاني يوسف﴾ لهُ تاريخ الحرب البلقانيَّة. ﴿البستاني يوسف توما﴾ لهُ امثال الشرق والغرب ونوادر الحرب العظمى وعُني بمطبوعات شتى. ﴿البشعلاني جورج﴾ نشر ترجمة حياة الجنرال غورو. ﴿بشير انطونيوس﴾ عرَّب تأليف الدكتور فرانك كراين لماذا انا مسيحي. ﴿بطي رفائيل﴾ لهُ سحر الشعر والربيعيَّات والادب العصري في العراق العربي. ﴿بهنا الياس جرجس﴾ لهُ كتب حسابيَّة: المبدأ الراقي الى المراقي. الاسهاب في مراقي الحساب. في حساب الكسور. في العدد المركب. الجاري في الحساب التجاري. ﴿بيدس خليل ابرهيم﴾ من تآليفهِ الروضة المؤنسة في وصف الارض المقدَّسة وتاريخ الاقمار الثلثة والعقد النظيم في اصل الروسيين واعتناقهم الايمان القديم والعقد الثمين في تربية البنين وتعريب رواية تولستوي احوال الاستبداد. ﴿بيطار ميشال﴾ ناشر في المشرق وفي العالم الاسلامي مقالات حسنة وناقل الى الافرنسيَّة روايات عربيَّة

﴿تادرس رمزي﴾ لهُ كتاب حاضر الحبشة ومستقبلها. وكتاب الاقباط في القرن العشرين اربعة اجزاء. ﴿توما جرجي الخوري﴾ ألف الدليل الى البرازيل. ﴿تيسي ميخائيل يوسف﴾ طبع في بغداد سنة ١٩٢٢ نبذة في ماهيَّة النفس

﴿ثابت الياس﴾ طبع في الجزائر سنة ١٩٠٣ على الحجر قاموس الالفاظ الاصطلاحيَّة الملحقة بالرسوم العربيَّة في مجلَّدين. ﴿ثابت اميل﴾ لهُ مشروع دستوري اداري. ﴿ثابت كريم خليل﴾ نشر كتاباً في غليوم الثاني امبراطور المانية السابق وكتاباً في لودندورف القائد الالماني وفي عبد الكريم والحرب الريفيَّة. ﴿ثابت باشا﴾ معرِّب رواية فتاة الاسكندريَّة لسيانكيفيش

﴿جاموس ميشال طانيوس﴾ طبع آخرًا تعريبهُ لغرور الشباب. ﴿جبران خليل جبران﴾ لهُ مطبوعات شتى شانها بآرائهِ الفاسدة كالارواح المتمرِّدة وعرائس المروج والبدائع والطرائف والمجنون والعواصف والاجنحة المتكسِّرة. والمواكب والنبي. ﴿جبور رنيق﴾ نشر في فلسطين كتابه على مطامع الصهيونيَّة في فلسطين. ﴿جرجس

الشماس فرح﴾ ألّف تاريخ الكنيسة القبطيّة جزءان وتراجم مشاهير الامّة القبطيّة جزءان ايضاً . ﴿جرجس حبيب الشماس﴾ نشر كتاب الجوهرة النفيسة في خطب الكنيسة وكتاب سرّ التقوى . ﴿جرداق منصور حنّا﴾ اشتهر بالرياضيّات والفلكيّات لهُ كتاب الحساب الحديث في ثلثة اجزاء . وكتاب الجبر الحديث والنظام الشمسيّ الشمس والقمر واحدث الآراء الفلكية فيها . ﴿جريديني الدكتور اسكندر﴾ نشر في مصر كتاب العناية بالعين وكتاب تدبير الاطفال في الصحة والمرض . ﴿جميّل الدكتور امين﴾ ألّف حياة القديس منصور دي پول وحفظ الصحة وعلم الصحة وقانون الصحة موجز للمدارس والجمهور . والتضحية وبطلها يوسف الشنتيري . ﴿جميّل الشيخ انطون﴾ محرّر البشير والزهور نشر في بيروت البحر المتوسّط والتمدن وفي مصر ابطال الحرّية ومنتخبات الزهور والسموأل او وفاء العرب والاقتصاد والنظام في المنزل وتعريب كتاب السيدة دوبوك الفتاة والبيت . ﴿الجميّل يوسف﴾ نشر محاضرتهُ في زراعة التبغ التركي في لبنان (١٩١١) . ﴿جهشان نجيب﴾ نشر في بيروت تعريب مأساة عثليا للشاعر راسين ثلثة فصول (١٨٩٦)

﴿الحانك ميشال يوسف﴾ صاحب العلَم نشر رواية بطل لبنان يوسف بك كرم . ﴿الحانك يوسف ميلاد﴾ نشر في بعبدا سنة ١٩١٠ كتاب الكاثوليكي العامل . ﴿حاتم بشارة نصرالله﴾ كتاب السفينة الدائرة بالامثال السائرة . ﴿الحانك اسكندر يوسف﴾ نشر دليل الحانك للبنان وسوريّا وفلسطين والعلويين والعراق . ﴿حبيش الشيخ فريد﴾ عرّب كتاب اوغست اديب باشا لبنان بعد الحرب . ﴿حبيش الشيخ يوسف﴾ ألّف الموائد الادبيّة في اللّغتين الفرنساوية والعربيّة (١٨٩٠) . ﴿حتي فيليب﴾ نشر في بيروت كتابهُ اللغات السامية المحكيّة في سوريّا ولبنان وفي مصر السوريّون في الولايات المتحدة الاميريكيّة واميركا في نظر الشرقي ونشر في نيويرك (١٩٢٦) كتابهُ سوريّة والسوريون من نافذة التاريخ . ولهُ مختصر كتاب الفرق بين الفِرَق . ﴿حتي يوسف أيوب﴾ طبع في ريو جانيرو كتاب الجهاد الوطني . ﴿حدّاد امين﴾ لهُ منتخبات طبعت في الاسكندريّة سنة ١٩٠٣ . ﴿حدّاد خليل﴾ وصية بالانسان في وقاية الاسنان (١٩٠٧) . ﴿حدّاد سليم امين﴾ لهُ الحساب التجاري وكتاب الرياضيّات التجاريّة . ﴿حدّاد نقولا﴾ من تأليفه اساس الشرائع الانكليزيّة

والحبّ والزواج والاشتراكيّة وروايات كآدم الجديد والحقيقة الزرقاء وفاتنة الامبراطور. ﴿حسّون سليم﴾ نشر في الموصل الاجوبة الشافية في فنّي الصرف والنحو ومختصر في اصول الصرف والنحو. ﴿حلبي نقولا يوسف﴾ طبع في بيروت مشاكل الحياة بين الشاب والفتاة(١٩٢٤). ﴿حلقة فضل الله فارس ابو﴾ لهُ مختصر في الجغرافية وجغرافية سوريّا ولبنان. ﴿الحلو الدكتور رشيد شكرالله﴾ نشر تاريخ عائلة الحلو (١٩٠٦). ﴿الحلو نسيم﴾ نشر في صيدا ديوان الادب في نوادر شعراء العرب(١٩١٢) وفي بيروت كتاب رفيق التلميذ ١٩٠٧ والحديث المفيد مع الاستاذ الجديد(١٩٢٧) ﴿حمصي قسطاكي﴾ نشر في جزئين منهل الوراد في علم الانتقاد. ومن قلمه السحر الجلال في شعر الدلال(١٩٠٣) وادباء حلب ذوو الاثر في القرن التاسع عشر. ﴿حنّا وديع نقولا﴾ نشر مؤخرًا قاموس يشتمل على اسماء مدن وقرى جمهوريّة لبنان. ﴿حويك الياس طنوس﴾ لهُ صفيّ الاحداث والروايتان عين الله على اليتيم ومرآة القرون المتوسطة وتعريب رواية استير للشاعر راسين

﴿الخازن سليم﴾ عرّب رواية ولتر سكوت عودة قلب الاسد. ﴿الخازن سمعان﴾ نشر سيرة القديس روكس (١٨٩٩). ﴿الخازن يوسف فرنسيس﴾ لهُ كتاب في تربية دود القز. ﴿خازن هند رشيد﴾ نشرت مفكراتها (سنة ١٩٢٤). ﴿خاشو اميل﴾ لهُ نظر في اشغال لبنان العموميّة وزراعته ومستقبله الاقتصادي ومحاضرة في المياه والريّ في لبنان. ﴿خاطر لحد صعب﴾ نشر كتاباً في جغرافية لبنان (١٩٠٩) ثم مختصر تاريخ لبنان لطلبة المدارس. ﴿خبّاز حنّا﴾ لهُ كتابهُ حول الكرة الارضيّة ثمّ جدّد طبعهُ تحت عنوان لطائف اخباري في متاحف اسفاري ونشر في نيويرك الاثر النفيس في اكتشاف قسّيس. ﴿خرما جورج عون ابي﴾ طبع سنة ١٨٩٧ الكنز الثمين من معرفة الصديق الامين ثم كتاب الخلاصة الدريّة في الحقائق الفلسفيّة (١٩٠١). ﴿خلاط نسيم﴾ نشر في مصر سياحتهُ في غربي اوربّا (١٩١١). ﴿خلف نجيب﴾ برع في محاماة الدعاوي وما يعود الى امرها فنشر من ذلك بين المحاماة والقضاء وصرخة الى القضاء. واحاديث بين القديم والحديث وعدّة تقارير دعاوى تولى الدفاع عنها ولهُ في كلها فصول حسنة مبنيّة على اثبت الحجج واحقّ الادلّة. ﴿خليفة منصور يوسف﴾ نشر لسان الحال في رحلة الترنسفال. ﴿خليل

بسطاوروس ﴾ ألف اللؤلؤة البهية في تفسير الكلمة الالهيَّة (١٩١١) . الخوري ﴿ انيس المقدسي ﴾ لهُ مقالات في الشعر وعمالك الطبيعة مع الاستاذ داي والدول العربية وآدابها واميرة بريطانية . ﴿ خوري سليم ﴾ لمحة عن الفينيقيين وعفَّة الاولاد ومختصر تاريخ مزنة . ﴿ خوري شحاده نيقولا ﴾ خلاصة تاريخ كنيسة اورشليم (١٩٢٥) . ﴿ خوري شكري ﴾ مدير ابي الهول لهُ تآليف عديدة مستحسنة في اللغة العامية وغيرها كالتحفة العامية وطولة العمر في حديث ابو يوسف وعمر ويا حسرتي عليك يا زعيتر ويوم في كرم ومرور في ارض الهناء ونبأ عن عالم البقاء وفي سبيل الوطن والجامعة الاميركيـة وخرّيجوها وجبلنا سيّد الجبال وسيف ذو حدَّين . وقنبلة صغيرة والدواء الشافي وفي سبيل الحقيقة وسجلّ لا يُمحى . ﴿ خوري فانز ﴾ لهُ اصول استماع الدعوى الحقوقيَّة ومقابلة الحقوق الرومانية والحقوق الاسلامية . ﴿ خولي بولس ﴾ نشر في الكلّيَّة عدَّة مقالات ونشر مع الاستاذ ضومط حلّ التقليد في الصرف ﴿ خولي جرجس ﴾ لهُ الدليل الشرعيّ والجهانة العثمانيَّة . ﴿ خيَّاط بتراكي ﴾ لهُ صفات الرئيس تأبين غبطة البطريرك ديمتريوس القاضي . وكتاب السنة الابتدائية لدرس اللغة العربية . ﴿ خياط الدكتور حنَّا ﴾ كتب في الحمى التيفوئيديَّة وبحث في تناقص النفوس في العراق ووضع دليلهُ في مسالك الطبّ القانوني (١٩٢٥) . ﴿ خير عبدالله رزق الله ﴾ لهُ مقالات واسعة في التجارة وفي مؤتمر السلم وفي الزلازل ونواميسها وكتاب لبنان بعد الحرب ومحاضرات سياسيَّة واقتصاديَّة وانتقاديَّة . ﴿ خير الله امين ظاهر ﴾ لهُ ما عدا منظوماته دروس الحياة الانسانيَّة في مدرسة الله النباتيَّة ونغمات الملائكة ورواية العَلَم السماوي في اهتداء قسطنطين والازاهير المضمومة في الدين والحكومة

﴿ داغر اسعد ﴾ لهُ تاريخ وليم الظافر . تاريخ الحرب الكبرى . مذكرات غليوم الثاني . اميرة انكلترَّة . حالة الامم وبني اسرائيل . عمود النار او خروج بني اسرائيل من مصر . عمر وجميلة او في ربى لبنان معرَّب عن هنري بوردو . خلاص الجبلة البشريَّة . كرسي داود . ﴿ داغر اسعد خليل ﴾ من تآليفهِ تذكرة الكاتب ومذكرات مدام اسكويت ورسيوتين الراهب المحتال . ﴿ دحداح الشيخ سليم خطَّار ﴾ لهُ ترجمة الامير بشير وحياة بطل الدين والتمدُّن القائد لاموريسيار ونابوليون الاوَّل عن تاريخ الموسيو تيارس . وترجمة الكونت رشيد الدحداح ومقالات عديدة تاريخيَّة وادبية في الشرق

وغيره . ﴿دموس حليم﴾ لهُ ما عدا المنظومات زبدة الاراء في الشعر والشعراء وقاموس العوام

﴿راشد عبود ابي﴾ لهُ المجموعة الادبيَّة في تعليم القراءة العربيَّة جزءان (١٩٠٢) وفروض العبادة الالهيَّة (١٩٠٥) . ﴿الرحبي مخائيل﴾ لهُ القديس فرنسيس الاسيزي (١٩٢٥) . ﴿رزق الله ميلاد﴾ نشر دليل الشوير ونواحيها ١٩٢٣ . ﴿رستم الاستاذ اسد﴾ لهُ مقالات تاريخيَّة ممتعة في مجلة الكلية . ونشر آثارًا هامَّة في محمَّد علي وابراهيم باشا وحروبه وفي عكَّا ومستحكماتها وتاريخ نوفل الطرابلسي . ﴿رستم مخائيل اسعد﴾ لهُ كتاب الغريب في الغرب (١٨٩٥) . ﴿رياشي لبيب﴾ لهُ الجبابرة . ﴿الريحاني امين﴾ افضل ما كتبهُ تاريخهُ ملوك العرب او رحلة في البلاد العربيَّة (مجلَّدان) . وفي ريحانيَّاته ما يردُّهُ الذوق السليم صورةً ومعنى واقبح منها بعض رواياته ذات المغزى الكفري

﴿زخور الياس﴾ لهُ مرآة العصر في تاريخ ورسوم اكابر الرجال ثلثة اجزاء ١٩١٦ . ﴿زكري انطون﴾ مفتاح اللغة المصريَّة القديمة وانواع خطوطها ومبادئ اللغتين القبطيَّة والعربيَّة (١٩٢٤) . ﴿زيَّات حبيب﴾ خزائن الكتب في دمشق وضواحيها . ولهُ عدَّة مقالات ادبيَّة ومنشورات اثريَّة . ﴿زيد ناصيف ابو﴾ لهُ تاريخ العصر الدموي . والدليل المستبين الى تاريخ وشرائع الروم الملكيين ورواية مرآة الوفاء وراموز الادباء والمدافعة الوطنيَّة . ﴿زيدان ابرهيم﴾ لهُ دروس الاشياء جزءان ونوادر الكرام في الجاهليَّة والاسلام وسلاسل الانشاء والمبادئ الانكليزيَّة وجدول تحويل العملة المصريَّة والفرنساويَّة والانكليزيَّة والسوريَّة الى بعضها . ﴿زيدان اميل﴾ عرَّب كتاب جوستاف لوبون في الحروب الاوربية (١٩١٦) . ﴿زين بولس﴾ محرِّر المصباح سابقًا لهُ كشف الستار وابلاء الاعذار ومقالات ادبيَّة شتى . ﴿زينيَّة خليل﴾ نشر كتاب العلم والتربية وطرفة الطرف وتعريب بعض الروايات

﴿سابا عيسى ميخائيل﴾ نشر مختصر التاريخ العام ومختصر سوريَّا ولبنان وروايتي اميرة العفاف ووحي الغاب . ﴿ساعاتي نجيب﴾ بيضة الفرخة في اللغة والتاريخ والآثار والاقتصاد (١٩٢٢) . ﴿ساويرس يوحنَّا﴾ العلم والعمل والفردوس العقلي لابن عسَّال . ﴿سحَّار نعوم﴾ نشر في الموصل احسن الاساليب لانشاء الصكوك

والمكاتيب ورواية لطيف وخوشابا . ﴿سركيس وديع﴾ نشر دروس القواعد العربيّة في الصرف والنحو ومختصر علم الحساب والمجاني الشهيّة في الحدائق العربيّة . ﴿سركيس يوسف اليان﴾ من آثاره تعريب رواية عاص وشجان وانفس الآثار في اشهر الامصار والادلّة القاطعة على شرف الرهبانيّة اليسوعيّة وجامع التصانيف العربية الحديثة من السنة ١٩٢٠ الى ١٩٢٦ . ﴿سعادة خليل﴾ له الوقائة من السلّ الرئوي . ﴿سعادة رفول﴾ مرتّب كتاب ما هو الدين (١٩٠٣) . ﴿سعاده سجعان﴾ له الدليل المفيد على العالم الجديد (١٨٩٦) . ﴿سعد خليل﴾ الدروس السعديّة في تهذيب الفتى العصري والفتاة العصريّة (١٩٢٣) . الفرائد السعديّة في الاصطلاحات والرسائل التجاريّة . ﴿سعد يوسف بطرس﴾ له ثلاث روايات واقعية وفي سبيل الشبيبة والتمدّن الكاذب . ﴿سقيلباوي الياس عيسى﴾ طبع في حماة قطف الازهار من حدائق الابرار ١٩٢٣ . ﴿سلامه موسى﴾ له اشهر الخطب ومشاهير الخطباء واحلام الفلاسفة وقد جاهر في كتاباته بالكفر . ﴿سلوم رفيق رزق﴾ له حياة البلاد في علم الاقتصاد نشره في حمص (١٩١٢) . ﴿سليمان سليم﴾ نشر مختصر تاريخ الأمة القبطيّة في عصري الوثنيّة والمسيحيّة (١٩١٤) . ﴿سماحه حبيب﴾ له الاتحاد المسيحي (١٩١١) . ﴿سوداء يوسف﴾ من قلمه في سبيل لبنان وبين القديم والحديث وحديث الى العميد

﴿شاهين اسكندر﴾ نشر تاريخ الحرب بين روسيّا واليابان وكتاب مصر الجديدة (١٩٠٨) . ﴿شبكه الياس ابو﴾ له العمّال الصالحون ورواية عنتر . ﴿شبلي ميشال﴾ له اليوبيل الذهبي لمدرسة الحكمة ثمّ المهاجرة اللبنانيّة (١٩٢٧) . ﴿شحيبر انطون بك﴾ له مقالات وخطب عديدة قانونيّة وادبيّة ودينيّة . ﴿شهاب وديع رشيد﴾ نشر في بيروت كتاب التربية في العائلة

﴿صائغ سلمى﴾ مؤلفة النّسمات . ﴿صادر سليم﴾ له سلّم القراءة في ثلث درجات والمنتخبات التهذيبيّة وترويض الالباب في علم الحساب . وزبدة الفوائد في الاربع القواعد وترويض الاذهان في تقويم البلدان وهديّة الاحباب وفاكهة الالباب وجواهر الادب من خزائن العرب خمسة اجزاء . والترجمان الايطالياني . ﴿صادر يوسف﴾ له تعليم القراءة العربية وكتاب القراءة للبنات والرسائل التجارية باللغتين العربيّة والفرنسويّة وزبدة الصنائع والفنون والترجمان الفرنساوي باللفظ العربي . ﴿صروف

فؤاد﴾ طبع في مصر تهذيب النفس (١٩٢٣) ومذكرات سفير اميركاني في الاستانة ومشاهد العالم الجديد. ﴿صفير الدكتور خيرالله﴾ عرّب الخلاصة الطبيّة للدكتور دي برون. ﴿صفير عبدالله باشا﴾ لهُ عن سوريّة مقالات سياسية واقتصاديّة وخطب شتى. ﴿صفير ميلاد﴾ طبع في جونية المنارة الطبيّة في المداواة الاهليّة (١٩٠٢). ﴿صفير يوسف﴾ نشر مجاني الغرر لكتبة القرن التاسع عشر (جزءان) ونفثات الكتّاب وخلاصة القواعد العربيّة وترقي الصغار في دروس الاستظهار والدرّ المنتخب من كتب الادب والخلاصة الجغرافيّة وجغرافية لبنان الكبير وعرّب تهذيب الاخلاق للقديس يوحنّا دي لاسال ولهُ رفيق العابد والمسامرة في اضرار المهاجرة وترجمان الافكار وترقي العائلات في تربية البنات والافراميّات. ﴿صفّال ميخائيل انطون﴾ لهُ كتاب العبر ولطائف السَّمَر في سكّان الزهرة والقمر. ﴿صليب متري﴾ نشر في مصر صراخ المستغيثين من ابناء الشرقيين. ﴿صليبا برتلماوس﴾ نشر في زحلة مأساة الغدر (١٩١١). ﴿صليبا سليم﴾ نشر في دمشق فواجع لبنان ومظالم جمال باشا (١٩٢٠) ولهُ مقالة في اثبات لاهوت المسيح. ﴿صوايا جورج﴾ نشر في بوانس ايرس (١٩٢٠) المناهج الطبيّة ولهُ مقالة في اثبات لاهوت المسيح

﴿ضومط جبر﴾ من قلمهِ الخواطر في اللغة والخواطر الحسان في المعاني والبيان وخطاب في اللغة العربيّة وفكّ التقليد في علم الصرف مع بواس الخولي والمادة

﴿طبر يوسف ابو﴾ نشر سنة ١٩٢٤ خلاصة الابحاث في علم الميراث. ﴿طرازي الفيكونت فيليب﴾ نشر القلادة النفيسة في فقيد العلم والكنيسة (١٨٩١) وتاريخ الصحافة العربيّة والسلاسل التاريخية في اساقفة الابرشيّات السريانيّة وتأسيس دار الكتب الكبرى في بيروت والصحف العربية المصوّرة. ﴿طرزي رفائيل﴾ نشر المباني الاساسيّة في اللغة العربية ثلثة اجزاء ثمّ دليل المباني

﴿ظاهر نقولا﴾ نشر سنة ١٩١٣ الهديّة الادبيّة الى الناشئة العربيّة ودموع الاسى لذكر فتحي وصادق وعرّب عن الانكليزية رواية بوليس اميركا السري

(لها بقيّة)

مطبوعات شرقية جديدة

Lorenz Dürr: Die Wertung des Lebens in Alten Testament und im antiken Orient. 8°, 47 *pp.*, *Aschendorff*, *Münster i. W.*

قيمة الحياة في نظر العهد العتيق وفي الشرق القديم

لصاحب هذا الكتاب الكاثوليكي شهرة ذائعة بما نشره من المطبوعات عن الاسفار المقدَّسة. وهذه نبذة جديدة من قلمهِ جعلها كتفسير للوصيَّة الرابعة التي امر بها الله اكرام الوالدين واعدًا بحياة طويلة من يحفظها. وقد خصَّ شغلهُ هذا لمنفعة طلبة الدروس العليا في المدارس الثنوية. فبيانًا لهذه الغاية بحث عن معنى الحياة عند قدماء الشعوب ولا سيما عند العبرانيين فيثبت بكتابهِ ان الحياة المذكورة في هذه الوصيَّة بقيت محجوبةً لم يظهر معناها الصحيح بتمامهِ إلَّا في الدين النصراني في قول الانجيل عن السيد المسيح (يوحنَّا ١١ : ٢٥) : « انا القيامة والحياة » . قد عُجبنا بسعة معارف الكاتب وسلاسة كتابتهِ لكنَّنا رأينا انَّ شروحهُ اولى بدارسي اللاهوت منها بطلبة المدارس. ولعلَّ معظم القرَّاء لجهلهم العبرانيَّة لا يسعهم ادراك ما يبسطهُ من الشروح

س . ر

H. Schmidt: Die Thronfahrt Jahves (Sammlung gemeinverst. Vorträge, 122), 55 *pp.*, 8°, *Tübingen*, *Mohr*, 1927

تنصيب يَهْوَه

قصد مؤلف هذا الكتاب ان يبيِّن انَّ في الكتب المقدَّسة التي يدَّعون كونها احدث من سواها يوجد آثار اقدم عهدًا. ويخصّ بحثهُ بالمزامير التي وردت فيها هذه العبارة « قد صار يَهوه ملكًا » فيزعم انَّ فيها بقايا من اساطير الكنعانيين الدينيَّة وتنصيب الاله ايل الذي كان يتمّ بحفلات ومواسم وطوافات شتى في فصل الخريف في اوائل السنة. امَّا نحن فانَّنا لا نجد في كل هذه المزاعم سوى اضغاث احلام يعرضها الكاتب ويمزجها بآراء متباينة لا سند لها

و . س

Festgabe für Adolf Deissmann. zum 60 Geburtstag. VIII-334 *pp., gr. 8°, Tübingen, Mohr*, 1927

الاستاذ ادولف دَيسمان الذي شرّف مرّة كليّتنا البيروتيّة بزيارةٍ خاصّة بلغ اليوم السنة الستين من عمره. فانتهزت فئة من اصحابه البروتستانت الالمان وبينهم بعض الانكليز من اصدقاء وزملاء وتلامذة هذه الفرصة ليقدّموا لهُ تذكاراً ينبئ باعتبارهم لشخصه لاجل الخدم التي ادّاها المدروس الكتابيّة لاسيما العهد الجديد ولهُ فيها تآليف مختلفة اخصّها كتابهُ الاوّل المعنون بالنور من الشرق (Licht vom Osten) الذي بلغ السنة ١٩٢٣ طبعتهُ الرابعة والمجموع التذكاري يحتوي عدّة مقالات واسعة تخصّص بالذكر بينها مقالة القائم بطبع الكتاب الهر شميت (K. L. Schmidt) بحث فيها عن معنى اسم الكنيسة في مبادئ النصرانيّة وسعة حدوده. ثمّ مقالة الدكتور لوهماير (E. Lohmeyer) في تفسير عبارة الكتاب «مع المسيح» (σὺν Χριστῷ) ومقالة الدكتور ڤيبر (W. Weber) المشعة عن تاريخ «ملالا» اليوناني ثم اخيراً مقالة الاستاذ ڤلكن (U. Wilcken) عن الالهَين السوريّين هدَد واترغاتيس وعبادتهما في مصر في عهد البطالسة. والكاتب المذكور مؤرخ شهير وضليع باللغة اليونانيّة وبدرس القراطيس البُرديّة الّا انهُ في شرحهِ لاسم اترغاتيس قد عاد الى رأي فنّدهُ العلماء مراراً اذ يزعم ان اترغاتيس مركبة من اسمَي الهين «عترا» و«اثيس» اعني عشتر (عشترت) والاله الاناضولي اتّيس. وسننشر ان شاء الله في مجموعة كليّة القديس يوسف (MUSJ) درساً خصوصيّاً في هذه المادة. س. ر

Baumgaertel (Elisé). DOLMEN UND MASTABA (Beiheft zum. A.O:6). 38 *pp.* 8°. 27 *fig.*, 10 *pl. phototyp. Leipzig, Hinrichs*, 1926

انصاب ومصاطب

قد اتسمت منذ بضع سنين الابحاث السابقة للتاريخ حتى شملت تاريخ مصر او بالحري احوالها السابقة لتاريخها. وها قد حاولت صاحبة هذا الكتاب ان تثبت ان المصطبة المصريّة مشتقة من الانصاب العاديّة (dolmen). وما لا ينكر انّ المدافن المنتشرة في شمالي افريقية والسابقة لعهد التاريخ تعلوها غالباً الانصاب. ومثلها المدافن الفلسطينيّة لكنها يختلف طرازها نوعاً عن الانصاب الافريقيّة والمرجّح انّ المصاطب

المصريّة تقلّدت هذه الانصاب الافريقيّة وانّما هذا الرأي يتقرّر يوماً بعد يوم بما يقف عليه الاثريّون من العدد الوافر من اقدم الانصاب المصريّة . على انّ ما تدّعيه المؤلفة لا يحتاج الى هذا البرهان لان غايتها ان تبيّن انّ اقدم المصاطب المصريّة التي ألّفها المصريّون « المتمدّنون » مشتقة من انصاب الاجيال الاولى . فبهذا المعنى المحصور لا بأس من قبول هذه القضيّة على شرط ان تُنفى المقابلة بين عادات آسية وافريقية المدنيّة في الازمنة السابقة للتاريخ استناداً الى النظريّات العنصريّة . وها نحن نشير الى المؤلفة ان تُراجع ما كتبهُ حضرة الاب اليسوعي بوفيه لابيار (P. Bovier-Lapierre) من العاديّات المكتشفة في حلوان فان من شأنها ان تزيل بعض مشاكل هذه المسئلة(١ س . ر

B. Poertner : GESCHICHTE AEGYPTENS IN CHARAKTERBILDERN (Sammlung Koesel, 104). *München, Koesel u. Pustet, XVIII-98 pp. in-16°, 2 cartes, 11 planches*, 1925

تاريخ مصر المبني على خواص اطواره

نعم الكتاب ألّفهُ احد العلماء الكاثوليك الضليعين بالآثار المصريّة تعميماً لعلم تاريخ مصر . وهو من التآليف التي نحن اليها في حاجة في شرقنا العزيز . وهو الكتاب المئة والرابع من مجموعة تشمل كل دائرة المعارف البشريّة وهذا من افضلها . وقد افتتحهُ المؤلف بنظر عمومي عن تاريخ مصر وموقعها بالنسبة الى التاريخ البشري ثم يشير الى الطريقة التي توخّاها في كتابه اذ لم يقصد سرد الحوادث التاريخيّة لكن اطوار التمدّن المتوطة ببعض الاشخاص الكبار او ببعض الحوادث المهمّة التي تبيّن كلّ طور في منشأه ورقيّه وهبوطه . وهي طريقة حسنة لمن لا ينوي ان يخصّص نفسهُ لدرس العاديّات المصريّة او تاريخ الشرق القديم لكنهُ يكتفي بالوقوف على اطواره التاريخيّة الكبرى بوضع الاساس لدروس مستقبلة . ولا ريب انّ تعريب كتاب مثل هذا سيفيد كثيرين من القرّاء الشرقيين . والتصاوير فيه غاية في الاتقان يحتوي فضلاً

1°) Stations Préhistoriques des environs du Caire par le P. Paul Bovier-Lapierre S. J. = 2°) C^tes R^us du Congrès intern.. de Géographie. Le Caire, 1925, IV, 298-308

عن صورة شيخ البلد عرش الفرعون توت عنخ امون المكتشف حديثاً في طيبة . وقيمتهُ مجلداً بقرى لا تزيد عن ماركين ونصف س . ر

K. Th. Preuss: Glauben und Mystik im Schatten des hoechstens Wesens, 62 pp., 8°, *Leipzig.*, *Hirschfeld*, 1926

الايمان والاسرار في ظل ارفع الوجود

هذه ست محاضرات القاها العلّامة مدير متحف عناصر الامم في برلين جمعها ونشرها بالطبع لافادة العموم. ومضمونها موادّ مختلفة مدارها معتقدات واسرار الشعوب الاولين الذين عرفوا الاله الاعظم . وقد كان الكاتب صرّح سابقاً عن افكاره هذه فنشرها اليوم ببعض التحوير واختلافات جرّهُ اليها السفر الذي باشره في اوائل الحرب (١٩١٤ــ١٩١٥) الى اميركة الجنوبيّة بين قبائل كولمبية . فلا شكّ انّ الذين يطّلعون على هذه المعلومات يستفيدون منها لحلّ مشاكل دقيقة يتباحث اليوم فيها العلماء وان لم يوافقوا جناب الاستاذ على كلّ آرائهِ في شرحهِ الاعمال و . س

Lidzbarski (Mark) : GINZA, DER SCHATZ, ODER DAS GROSSE BUCH DER MANDAER, übersetzt u. erklärt. Quellen der Religionsgeschichte XIII], *Goettingen*, *Vandenhoeck*. *Leipzig*, *Hinrichs*, *XVIII-619 pp. gr.* 8°, 1925

كتاب كنزا اي كتاب الكنز الكبير للمندائيين

يسرّنا ان نقدّم لقرّائنا الشرقيين الكتاب الذي عُني بنشرهِ المستشرق الشهير ليدزبرسكي المدعو بالكنز وهو كتاب كبير للشيعة المندائيّة وقد نقلهُ الى الالمانيّة واضاف اليهِ ملحوظات شتى مع مقدّمة بيّن فيها ما يعرفهُ من اصل المندائيين الوثنيّ (وليس النصراني كما اثبتهُ غيرهُ من العلماء قبلهُ) وعن دينهم . ونشر هذا الكتاب احد الاختصاصيين سبقت لهُ منشورات في هذا الشأن . ولعلّنا نعود الى ذكر الكتاب والبحث عن عدّة اشياء عرضها الكاتب في مقدّمتهِ وملحوظاتهِ س . ر

Hubert-Jacques: L'Aventure Riffaine et ses dessous politiques. 1 *vol.* in-12, *Ed. Rossard, Paris, Prix* 15 *f*

البعثة الريفيّة والدوافع السياسيّة

كلّ من القرّاء يعلم اجمالاً اخبار البعثة التي ارسلتها فرنسة الى ريف مراكش سنة ١٩٢٥ لمحاربة عبد الكريم والقبائل التابعة لهُ. وكانت بعض جرائد مصر والشام تأتينا بالاخبار الغريبة يستقونها من موارد عكرة فيمثّلون عبد الكريم كبطل شبيه بقيصر ونابوليون. وها هنا كتاب لاحد الكتبة الموثوق بهم الذين منذ السنة ١٩٠٥ حضر شخصياً كل ما جرى في مراكش من الحوادث والبعثات الحربيّة. ووقف على كل اسرار السياسة الفرنسويّة ونزعات اصحابها لاسيما الاشتراكيين فكتب تاريخ هذه البعثة الاخيرة مع كل ما يتوسط بها ظاهراً وباطناً ويصرّح بداهنة عبد الكريم وخبثه والتجائه الى بعض ارباب السياسة الفرنسويّة الاشتراكيين للفوز بالحملة الفرنسويّة التي كان يقودها المرشال ليوتاي والذي كان قمع الثورة دون مشقّة لولا السياسة الغشيمة التي كانت في باريس تعرقل كل مساعيه. فنوصي بمطالعة هذا الكتاب كل من يريد معرفة الحقّ بتمامه ل. ش

Claude Dravaine: Nouara, Chronique d'un antique village papetier. 1 *vol. in*-12. *Trois dessins, Prix* 12 *f*

نوارا: تاريخ قرية قديمة ذات معامل لاستحضار الورق

في عددنا السابق ذكرنا (ص ٧٠٢) انّ صناعة الورق دخلت بين العرب في بغداد بواسطة اسرى من الصين في عهد هارون الرشيد وهـا هوذا كتاب يُعلمنا كيف دخلت تلك الصناعة في فرنسة. قد حصل ذلك بواسطة بعض الصليبيين الذين اسرهم المسلمون في دمشق فاطّلعوا هناك على سرّ هذه الصناعة وأَلّا عادوا الى وطنهم في فرنسة في مقاطعة اوفرني انشأوا مصنعاً للورق في احدى قراها المدعوة نوارة فصار لهذه القرية بعد قليل شهرة واسعة وانتشرت مصنوعاتها في فرنسة وخارجاً عنها وضُرب المثل بمتانة ورقها وصقالته وحسن تركيبه وبقي لها التقدّم على سواها مدّة اربعمائة سنة

الى ان أُصيبت بنكبات الثورة الفرنسويّة فدخلت في خبر كان. إلّا انّ مؤلف هذا الكتاب اراد ان يحيي ذكرها ووصف القرية واهلها واعمالها فاجاد وافاد ل. ش

Lettres de Léon Bloy à Frédéric Bloy et à Jean de la Laurencie. *Paris, Librairie Bloud et Gay*, 1927

مراسلات ليون بلوا

هذا الكتاب دخل بسلسلة مطبوعات تُعرف بسلسلة الصناعة والايمان التي ظهر منها خمسة تآليف. أمّا ليون بلوا المذكور هنا فاشتهر في مدّة حياته بكتابات متفننة فلم يحظَ إلّا بودّ القليلين وكان بلوا كاثوليكيًّا لكنهُ كان سلط اللسان فينفر منهُ الناس. وهذا مجموع رسالاتهِ التي كان يراسل بهِ بعض اصحابهِ نُشرت لتعريف الرجل وبيان صفاتهِ الصحيحة التي تشفع ببعض سيّئاتهِ

Robert David: Le Drame ignoré de l'armée d'Orient. DARDANELLES, SERBIE, SALONIQUE, ATHÈNES. *Paris, Plon*, 8°, 1928

مجاهل حملة الشرق العسكرية في الدردنيل وسربيّة وسالونيك واثينة

قد كتب كثيرون عن حملة الدول المتحالفة في الدردنيل وسربيّة واليونان لكنَّ هناك امورًا عديدة لا تزال مجهولة. وصاحب هذا الكتاب الذي هو معدود بين رجال السياسة قد اطّلع على كثير من اسرار تلك الحملة فأحبَّ بعد عشر سنوات ان يكشفها لينفي كثيرًا من المزاعم الشائعة في شأنها ويثبت صحة الخبر لكنّنا وجدناهُ في بعض رواياتهِ يصوّر الامور على غير حقيقتها ج. ل

PETER THOMSEN: Systematische Bibliographie des Palaestinas Literatur. Bd.IV.2te Haelfte, Leipzig, Hinrichs, 1927, XX-401-754

القسم الثاني من الجزء الرابع من قائمة المطبوعات عن فلسطين

هذا ختام كتاب جليل ذكرنا اقسامهُ السابقة عند بروزها واثنينا على جامعهِ

اطيب الثناء. ولا جرم فانَّ صاحبهُ قد اتى بعمل لا يأتيهِ إلَّا ذوو الهمّة القعساء. فانَّهُ اودع هذا الجزء الرابع من كتابهِ في جزئيهِ نيّفاً وعشرة آلاف عنوان من الكتب والمقالات التي كتبت في العالم عن فلسطين منذ السنة ١٩١٥ الى ١٩٢٤ والحقهُ بفهارس موسَّعة توقف القرَّاء على كلّ ما يحتاجون اليهِ من الفوائد. فما لنا الَّا ان نكرّر شكرنا للدكتور طومسن ولكل الذين ساعدوهُ في هذا العمل الشاقّ طالبين من الله ان يجازيهم عليهِ جزاء وافرًا ج. ل

الروائع: ابن بطوطة: ١ــ٣ تحفة النظَّار

درس ومنتخبات بقلم فؤاد افرام البستاني

طبع بالمطبعة الكاثوليكيَّة بيروت سنة ١٩٢٧

ليس ابن بطوطة كاتباً بارعاً وانَّما يصلح كتابهُ «تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار» لأن يتَّخذ كمثال لوصف الاسفار ورواية ما يجري لاصحابها من الحوادث الرائعة بعبارة سهلة وانشاء بسيط يخلو من كل تصنُّع. ولذلك نثني على جناب الاستاذ فؤاد افرام البستاني الذي اختار منهُ ثلثة اقسام في روائعهِ وقدَّم عليها درساً في تعريف ذلك السائح وبيان خواصّ رحلتهِ التي نُشرت في باريس في اربعة مجلدات مع ترجمتها الى الافرنسيَّة ل. ش

المعزّية الالهية: زيارات صغيرة للعذراء الفائقة القداسة

تأليف احد المرسلين الرسوليين وتعريب القس انطونيوس شبلي اللبناني

طبع بمطبعة القديس بولس في حريصا سنة ١٩٢٧

انَّ اكدار هذه الحياة وبلاياها المتعدّدة قد استحقت لعالمنا الحاضر لقب وادي الدموع وانَّما الله قد منح المرء في اوجاعهِ معزّية ألا وهي العذراء مريم التي بشفاعتها وحنانها تستمدّ للملتجئين اليها قوَّة في ضعفهم وصبراً في شدائدهم وفرحاً في احزانهم

وهذا الكتاب الصغير يبيّن باجلى بيـان هذه الحقيقة بما يحتويهِ من الاعتبـارات التقوية في حياة البتول والرياضات الروحيّة لاكرامها ممّا يصلح ايضاً لأيام الشهر المريمي فنوصي بهِ كل المؤمنين وخصوصاً المتعبدين للبتول معزّية الحزان

غذاء النفوس في الصلوات والطقوس

للخوري الاسقفي بولس رزق

طبع في مطبعة المعارف بمصر سنة ١٩٢٣ (ص ٦٢٣)

هو مجموع صلوات تقويّة واناشيد روحيّة تتناول كلّ اعمال المسيحي في حياتهِ الروحيّة وعباداتهِ اليوميّة مع ذكر اخصّ الرتب الطقسيّة للكنيسة المارونيّة والاناشيد اللطيفة التي تُتلى فيها. وقد اعاد حضرتهُ فيها النظر واصلح ما رآهُ موجباً للاصلاح. والكتاب مزيّن بعدّة صور ومتقن الطبع فجاء من افضل ما نُشر من هذا القبيل في القطرين المصريّ والسوريّ

خبز النفوس اليومي

تأليف الاب لتلّو اليسوعي عرّبهُ احد الكهنة

طبع في المطبعة البطريركيّة اللاتينية في القدس سنة ١٩٢٧ (ص ٥٨)

احسن احد الكهنة المقيمين في الارض المقدّسة بتعريبهِ هـذا الكتاب الصغير وهو مع صغرهِ من افضل ما كتب في المناولة اليومية وفوائدها الجمّة خاصة للاولاد والشبّان لحفظ طهارتهم. وفيهِ تفنيد ما اشاعهُ البعض من الاعتراضات على هذه المناولة المتواترة فنوصي بهِ كل مرشدي النفوس ورؤساء المدارس ل. ش

سعد : احمد زكي ابو شادي

مطبعة السانية مصر (ص ٢١)

اجرت وفاة سعد باشا زغلول الدموع السخينة على فقد رجل كبير مثلهِ وقد شحذت ايضاً قريحة كتبة القطر المصري وشعرائهِ. وهذه المراثي من بواكير اقلامهم الطيّبة

تهذيب الاخلاق والعلوم الاجتماعيّة الوطنيّة

بقلم الخوري انطون عين

طبع بمطبعة قوزما بيروت ١٩٢٧ ص ١٢٥

قد احسن مؤلف هذا الكتاب باختياره هذا الموضوع لينشأ شبّان المدارس على التعاليم الرشيدة التي تؤهلهم لخدمة وطنهم اذ يتقنون في ربيع شبابهم معرفة حقوقهم وواجباتهم فيجرون في سلوكهم الشخصي وفي معاملاتهم نحو الغير على حسب الضمير والوجدان. وفي فصول هذا الكتاب ودروسه ما يرشدهم الى سواء السبيل وضعهُ صاحبهُ وفقاً لبرنامج المعارف اللبنانيّة فيحسن بارباب المدارس ان يتخذوه دستوراً لتهذيب اخلاق الناشئة وارشادها في العلوم الاجتماعيّة الوطنيّة ل. ش

مختصر تاريخ سوريّا ولبنان

تأليف الاستاذ عيسى ميخائيل سابا

طبع في المطبعة السريانية بيروت سنة ١٩٢٧ (ص ١٧٥)

تعدّدت الكتب المدرسيّة عن تاريخ سوريّة ولبنان وياليت عددها يزيدها حسناً وفضلاً وهذا المختصر مع حسن طريقته المدرسيّة في تقسيم فصوله وخلاصة ابوابه واسئلته وتصاويره لا يخلو من مآخذ انتقدهُ عليها الادباء لاسيما نقلهُ عن كتب من سبقهُ دون الاشارة اليهم. وانما يهمّنا التنبيه على بعض مزاعمه الدينيّة الباطلة. فبان فصلهُ عن الدين العبراني (ص ٢٧) متعدّد الاغلاط المخالفة للحق. وليس بأصح منهُ قولهُ (ص ٤٩) عن مجمع نيقية وما دار فيه من البحث بين الآباء لا بين الرهبان كما زعم وليس عن طبيعة المسيح كما قال بل عن لاهوتهِ. ولم يكن آريوس بطريركاً اسكندريّاً كما روى. وما معنى قولهِ (ص ٨٧) ان «العرب كانوا شركاء الجرمان في حوادث القدم». وقد غلط في عدّة امور عن الصليبيين (ص ٩٦) في اسم غودفروا دي بوليون. وفي جعلهِ بودوين الثاني اخاً لبودوين الاوّل وهو ابن اخيهِ وخلط في ذكرهِ لحملة القديس

لويس السابعة (ص ٩٨) فكفى بذلك شاهداً على ما يحتاج الكتاب الى مراجعة لمزيد التحقيق

النوادر

تأليف القس جبرائيل نادر الراهب اللبناني

طُبع بمطبعة الاجتهاد في بيروت ١٩٢٧ (ص ١٦٨)

انَّ في كتب الحساب الشائعة مسائل شتى دقيقة لم يتعرَّض لها اصحابها او يعرضونها على صورة مختصرة. فسدًّا لهذا الخلل وضع حضرة القس جبرائيل نادر هذا الكتاب المدارسي الشامل لعلمي الحساب والجبر ضمَّنهُ « قواعد جديدة ومسهّلات عديدة خصوصاً في الضرب والجزر والفائدة » هذا فضلًا عن غزارة مادَّتهِ وحسن اسلوبهِ ووضوح عبارتهِ. وهذا الجزء هو قسم التلميذ وثمنهُ ٥٠ قرشاً سورياً يباع في بيروت في مكتبتي سليم صادر والمعارف ل. ش

شذرات

﴿ مزاحمة السيارات للخط الحديدي ﴾ يدفع الاقتصاد في الاسعار والتعب والزمن المسافرين بالمئات الى تفضيل السيارات على القطار لقطع المسافات بين بيروت والجبل ومدن الداخلية. وليس ذلك التفضيل خاصاً ببلادنا . قد تقدم اخيراً الى الحكومة الانكليزية نواب شركة السكك الحديدية يلتمسون الانصاف. فانهم يقدمون اكثر من خمسة بالمئة من ارباحهم ضرائب للحكومة ويأخذون على عاتقهم ثمانين بالمئة من ضرائب بعض المقاطعات التي يمرُّ بها الخط الحديدي وهذه الضرائب يؤول امرها الى اصلاح الطرق للسيارات وقد ازداد عددها حتى صارت تسبب سنوياً في الطرقات حُفَراً يستغرق ترميمها مبلغ ٣٥ الف ليرة انكليزية زيادةً على ما كان

قبل السنة ١٩١١ . اما الضرائب التي تتقاضاها الحكومة على السيارات فلا تكاد تبلغ نصف ذلك المبلغ . فيطلب اولياء الامر في شركة السكك الحديدية ان لا يعود ما يبذلونهُ من الضرائب وبالًا عليهم . اما الولايات المتحدة فيعدُّون فيها ٧٠،٠٠٠ مركبة كبيرة سيارة لنقل المسافرين (Autobus) وهي تعبّد ٢٣٠،٠٠٠ ميلًا من الطرق . وفيها زهاء مليونين ونصف مليون عربات شحن (كميون) هذا ما يضطرّ الحكومة الى اختراق طرق جديدة تسهيلًا لحركة المواصلات . اما شركات السكك الحديدية فانها تدفع يوميًا مليون دولار يذهب معظمها في ترميم الطرقات وهي ساخطة على السيارات لكنها ما لبثت ان دافعت عن مصالحها بتأليف شركة للسيارات تستنشئها بذاتها او بواسطة شركة اخرى تعهد اليها امرها . وفي العام ١٩٢٥ كان مجموع ارباح تلك الشركة مليون دولار ونصف في العام وكانت نقلت ٣٠٥ مليون مسافر و ١٢٠،٠٠٠ طنّ من البضاعات . واستعمال السيارات للشحن يزداد يومًا فيومًا في البلاد الكثيرة الجبال واخذت الحكومات تهتم بفتح طرق جديدة تسهيلًا لهذه الحركة الحيوية ف . ت

﴿علاج جديد للسمَن﴾ كتب جناب الدكتور فيليب بركات في المشرق (١ [١٨٩٨] : ٣١٥) فصلًا شائقًا في السمَن واسبابه واضراره وعلاجه . وقد شاعت اليوم في بعض انحاء اميركة طريقة جديدة لعلاجه تسهل على اهل بلادنا الذين اعتادوا اكل الكبّة النيّة المولّدة في المعدة الدودة المتوحدة او دودة القرح (ténia) . فان الاميركان لحظوا انَّ هذه الدودة اذا استوطنت احشاء الرجل السمين تمتصّ كل ما يفرط من سمنهِ فيبتلعون دودةً صغيرة تكبر في معدتهم وتضخم مغتذيةً بشحمهم الزائد الى ان يضمر الرجل وينحو من سمنهِ فيشرب اذ ذاك دواء يستخرج بهِ الدودة وهو في تمام الصحة وبهِ يصحُّ المثل «انَّ بلاء قومٍ لقومٍ منافعُ »

﴿السنة المئة لاكتشاف المحرّكات المائيّة﴾ في السنة ١٨٢٧ توصّل المهندس الفرنساوي بنوا فورنيرون (Benoit Fourneyron) الى تجهيز اوّل محرّك مائي في احد معامل وطنهِ مدينة سانت اتيان ولم يتجاوز حينئذٍ عمرهُ خمسًا وعشرين سنة فبعدَّة اربع سنوات لم يزل يعاين قوّة الماء ويدرس كيف يمكنهُ ان يستخدمها بدلًا من وقود الفحم حتى تيسّر لهُ ذلك بتجهيزهِ آلة محرّكة ادار عليها المياه من علو متر و ٤٠

ستمتراً فكانت قوتها مساوية لقوة ستة افراس ميكانيكية فنال عن اختراعه اجازة خصوصية سنة ١٨٣٢ فكان لهذا الاكتشاف احسن وقع في عالم الصناعة

﴿طلسم الطيار لندبرغ﴾ لما قطع الطيار لندبرغ بشوطٍ واحد الاوقيانوس الاتلنتيكي شاع في بعض الجرائد انهُ كان اتخذ لهُ طلسماً عاذ بهِ للنجاة من اخطار الطيران وذلك على ما زعموا قطعةُ عظم دجاجة علّقها في مقدّمة طيارتهِ . وهو خبر كاذب صحّحه صديقهُ الكاهن هوسمان (Haussmann) الذي اجتمع بالطيار في مدينة «سان لويس» واهداهُ ايقونة سيدة لوريت فقبلها لندبرغ شاكراً وعلّقها كحرز لنجاح مسعاه . وكان الكهنة والرهبان لطلمهم بتقوى الرجل وصفاتهِ الممتازة يدعون لهُ الى الله بالسلامة والفوز فاجاب الله دعاءهم

﴿ملك دولة الكمبوج﴾ قام على دولة الكمبوج ملك جديد بعد وفاة المرحوم الملك سيسوات الاول المتوفى مؤخراً ولهُ من العمر ٨٨ سنة . وكان المذكور صديقاً حميماً لفرنسة وساعياً في ترقية شعبهِ ففتح المدارس وشيّد المباني الكبيرة وانحاز الى فرنسة في اوائل الحرب الكونية . وقد خلفهُ اليوم ابنهُ الكبير مونيفونغ البالغ السنة ٧١ من عمرهِ وهو معروف بميلهِ الى التمدُّن والرقي على مثال والده

﴿شهداء المكسيك﴾ على الرغم من مصادرة الصحف الكاثوليكية ومراقبة كاليس رئيس جمهورية المكسيك المطبوعات منعاً لنشر الاخبار الصادقة المنبئة بجوره الفظيع قد تأكدنا انَّ شرائع الظلم سائدة في تلك البلاد في حقّ الكاثوليك الذين يفضّلون الطاعة لله على الخضوع للسُّنن الكفريّة . ففي ٢٧ من شهر حزيران أُوقف شيخ وقور معروف بسموّ فضائله الكاهن مرتين دياز البالغ السنة ٧٥ من عمرهِ فقيد الى منتقع الدم لثباتهِ في الدفاع عن حقوق الكنيسة فسار بكل بسالةٍ وقدّم ذاتهُ لرصاص القاتلين صارخاً «فليحيَ المسيح الملك» وقد اضحى هذا شعاراً لكل من يأبى الرضوخ لشرائع الظلم في انحاء المكسيك . ويذكّرنا هذا الشعار بآخر كلمةٍ فاه بها رئيس جمهورية خط الاستواء غرسيا مورينو لمَّا وقع قتيلاً بخنجر الماسونية فصرخ : انَّ الله لا يموت

﴿الغاء المبارزة في ايطالية﴾ كتب حضرة الاب لويس المعلوف فصلاً ممتعاً في المشرق في سنتهِ الاولى (ص ٣٩٩) عن المبارزة واصلها وتاريخها . ومساوئها دينياً

وادبيًا واجتماعيًا . وقد سرّنا انَّ هذه العادة البربريَّة قد هدأت كثيرًا بعد الحرب الكونيَّة . ومما نقلتهُ الينا مؤخرًا الجرائد الرسميَّة الايطاليَّة انَّ الدستور الايطالي الجديد اتخذ الوسائط الفعالة لالغاء هذه العادة السمجة فوضع عدَّة قوانين لذلك اوَّلها انَّ الذي يدعو خصمهُ الى المبارزة يُحكم عليهِ بدفع ٢٠٠٠ ليرة ايطالية وانَّ المتبارزَين يقضيان ستة اشهر في الحبس . وان قُتل احدهما يُحبس الآخر خمس سنوات وكذلك الشهود والمروّجون للمبارزة يُحكم عليهم بعقوبات أُخرى ومثلهم من عيَّر بالجبن الذين رفضوا المبارزة

﴿شفاء احد جرحى الجيش السوري في لورد﴾ في السنة ١٩٢١ جُرح في جهات الاناضول الضابط الفرنسوي برته (M. Berthet) فكان جرحهُ في اسفل ظهره يبلغ ٢٠ سنتمترًا بالطول وثماني سنتمترات في العمق . فمع كل معالجات الجرَّاحين بقي الجرح يفرز مادَّة قيحيَّة حتى أَيِس الاطبَّاء من شفائهِ . فسار الجريح الى لورد في ٢١ آب الاخير وحضر حفلات زوَّارها واغتسل بمياهها العجائبيَّة فاذا بهِ قد احسَّ بوجع اليم كادت تخور لهُ قواهُ ثم قام من كثبٍ سليمًا معافيًا وسار مع الزوَّار في زيَّاح القربان الاقدس وقد عاينهُ الاطباء ثاني يوم شفائهِ فوجدوا جرحهُ اخذ يختم . وقد اقبل جمهور الشعب فهنَّأوهُ بشفائهِ واكثروا من مظاهر الفرح شاكرين البتول على ما انعمت عليهِ . وفي اليوم عينهِ شفيت سيدة اخرى كانت مشرفة على الموت فطلبت ان تُنقل في هذه الحالة الى لورد فتشفى او تموت هناك . ولما نقلوها جاء الى زوجها احد الملحدين يبكته على فعلهِ وينسب اليهِ سبب موت امرأتهِ . لكنهُ لما رأى السيدة عادت بعد اسبوع بتمام العافية اقرَّ بقوَّة الله وعاد مؤمنًا ايمانًا ثابتًا بعد ان استغفر عن بسبابهِ وشتمهِ لزوجها

﴿الكنيسة الكاثوليكيَّة نصيرة العلم﴾ ليست غاية الكنيسة الكاثوليكيَّة غاية زمنيَّة بل دينيَّة وروحيَّة . على انَّها في كل اطوار تاريخها تراها منشِّطة للعلوم ففي زمن اضطهاداتها فتحت في الاسكندريَّة تلك الجامعة العلميَّة التي اشتهر فيها رجال كبار كالقديس بانتينوس واوريجانوس واقليمنس الاسكندري . ثمَّ تعدَّد فيها العلماء في سائر الاجيال شرقًا وغربًا فلا تجد فرعًا واحدًا من العلوم الَّا ترى عددًا وافرًا من ارباب الدين نبغوا فيهِ سواء كان في الالهيَّات ام الطبيعيَّات او الفلكيَّات او الرياضيَّات او الطبّ او اللغات وبهم يصحّ قول الكتاب « ان شفتي الكاهن تحفظان العلم »

أسئلة وأجوبة

س سأل المنسنيور يوسف ربّاني أيُعرف مركز اسقفية شرفيّة باسم ايزندا (Isanda) يُنسب اليها حاضرًا احد مطارنة فرنسة ويقال انها كانت اسقفية للارثذكس في العجم؟

ايزندا مركز اسقفية شرفيّة

ج لم نجد ذكرًا لهذا المركز الاسقفي في ما لدينا من الكتب. ولعلّ اسم ايزندا مصحّف

س سأل سيادة المطران سبالاتو في يوغوسلافيا عن شهيد اسمه دمنيوس او دمنوس هل كان بطريركًا لانطاكية او كان في عهد ديوقلطيانوس شهيد بهذا الاسم؟

الشهيد القديس دمنيوس او دمنوس

ج لانطاكية بطريركان باسم دُمنوس عاش الاوّل في القرن الثالث للمسيح ودبّر كنيسة انطاكية من السنة ٢٦٥ الى ٢٧٢. وعاش الثاني في القرن الخامس وصار بطريركًا على انطاكية من ٤٤٢ الى ٤٤٩ وليس كلاهما شهيدًا. وانّما وجد شهداء بهذا الاسم اشهرهم القديس دمنوس احد شهداء سيواس الاربعين الواقع عيدهم في ١٠ آذار. وقد استشهد آخرون بهذا الاسم الاوّل في سوريّة عيدهُ في ٢٠ آذار والثاني في افريقية عيدهُ في ١٨ نيسان والثالث في رومية في ١٠ تموز. اما زمن استشهاد هؤلاء الثلثة فمجهول

س وسأل من الموصل حضرة القس عمانويل رسّام الكلداني: ١. ما هو افضل كتاب: ١ً لتعليم اللاهوت الادبي. ٢ً لتعليم اللاهوت النظري. ٣ً لتعليم التاريخ المدني لمؤلف كاثوليكي؟

افضل تأليف لتعليم اللاهوت الادبي والنظري والمدني

ج ١ً افضل كتاب لتعليم اللاهوت الادبي حاضرًا كتاب الاب غوري الذي عرّبهُ المطران يوحنّا الحبيب وجدّد طبعهُ حديثًا واكملهُ حضرة الخوري ابراهيم حرفوش المرسل اللبناني. وقد صدر منهُ جزءان وهو يباع في مطبعة الانتصار في سوق سرسق في بيروت. ثمن الجزء ٣٠ فرنكًا. ٢ً وافضل كتاب في اللاهوت النظري كتاب حضرة الخوري الياس الجميل في تسعة اجزاء صغيرة يباع في مكتبة صادر. امّا كتاب تاريخ مدني تأليف كاثوليكي فلخليل مطران في مصر كتاب مرآة الايام في ملخّص التاريخ العام طُبع سنة ١٩٠٥ في جزئين

ل. ش

المشرق

اثر فريد للبطريرك مكسيموس مظلوم

توطئة

القينا النظر في القاهرة على بعض مخطوطات عربيّة مصونة في مكتبة مدرسة الآباء اليسوعيين في الفجّالة فوجدنا في جملتها مجموعاً كُتب في صيداء سنة ١٨٥٢ فيهِ بعض آثار نصرانيّة بينها نبذة تاريخيّة بقلم السيد البطريرك الذائع الشهرة مكسيموس مظلوم لم تُنشر بالطبع. وهي تحتوي على سبب انشقاق كنيسة الروم الشرقية عن الكنيسة الرومانية في القرن التاسع للمسيح. فاستنسخناها لنعرض على قرّائنا هذا الاثر الجليل فيطّلعوا على اسباب ذلك الحادث المشئوم الذي فصل عن كنيسة المسيح فرعاً كبيراً من ابنائها ولا تزال آثارهُ السيّئة تدمي الى اليوم قلوب جميع الذين يعرفون انَّ خارجاً عن الحظيرة البطرسيّة ليس سلام ولا خلاص. وقد عاد البطريرك مظلوم الى تاريخ الانشقاق بعد هذا في كتابه الفائد الامين الذي طُبع سنة ١٨٦٢ في مطبعتنا الكاثوليكيّة الّا انَّ هذا المختصر الذي سبقهُ بعشر سنوات لا يخلو من الفوائد وهذا ما دفعنا الى نشره

ل. ش

بيان سبب انشقاق الكنيسة الشرقيّة عن الكنيسة الرومانيّة

مقدمة

كلّ يعلم انَّ الكنيسة الحقيقية تُعرَف بعلاماتها الاربع اي تكون واحدة جامعة مقدّسة رسولية فلا يجوز لاحد من المؤمنين ان يتقاعد عن الاتحاد بها بواسطة الخضوع والايمان بكل ما تعتقدهُ. ولا يجب ان نضيع ايماننا الذي بدونهِ لا نستطيع

ان نرضي الربّ تحت الارتياب بل يجب ان نفعل بحسب وصيّة الربّ بالنبي القائل (ارميا ٦ : ١٦) : «قوموا على الشوارع واستفهموا طرق الربّ القويمة وانظروا اينما هي الطرق الصالحة . اسلكوا فيها فتجدوا رحمةً لانفسكم» مفتشين على الطريق التي سلكها آباؤنا القديسون ومعلمو كنيستنا المعظّمون مقتدين بتعاليمهم الالهية فيقول كلٌّ منا مع النبي والملك داود (مز ١٧ : ٣٠) «الهي أضيء ظلمتي لأني بك انجو من البلايا وبالهي أثب الحائط» لاننا لا نستطيع ان ننجو من بلايا جهلنا وضعفنا ولا ان نثب هذا الحائط المبني من آلامنا النفسانيّة ومحبتنا الخسيسة ورغبتنا للكرامات العالميّة بدون النعمة الالهيّة . فاذا ما فعلنا ذلك فلا ريب اننا نجد ان تعليم كنيستنا الشرقيّة القديم هو نفس التعليم الذي يعتقدهُ الآن الكاثوليكيّون مع الكنيسة الرومانيّة بما انها كنيسة واحدة للمسيح ولا تُدعَيان كنيستين الّا نظرًا الى الجهات والطقس فقط . ونعرف ما هو سبب انشقاق طائفتنا من الكنيسة التي كانت متحدة بها في دهور المجامع السبعة اتحادًا عجيبًا كاتحاد الاعضاء مع الرأس مؤيدةً احكامها وتعاليمها . حتى انهُ لا يوجد طائفة من الطوائف يتّضح فيها الايمان الكاثوليكي مصرَّحًا بكتبها الكنائسيّة وباقوال آبائها القديسين بكثرة وافرة نظير هذه الطائفة . غير ان عدوّ الخير الذي يكره السلامة والاتحاد جمع جنوده الجهنّميين ودبّر تدبيرًا حصل بهِ على قصده . وها نورد شيئاً بغاية الاختصار ممّا ورد بكتب كثيرين من مؤرخي الروم ولا نورد الّا ما هو متّفق عليهِ من جميعهم وتعترف بهِ اعداء الكنيسة الرومانيّة المتأخرون ايضاً حسبما يُتخلّص من كتاب صخرة الشك المؤلف بالخصوص للطعن على الاحبار الرومانيين فنقول :

مبادئ الانشقاق في القرن التاسع

انهُ في بدء الجيل التاسع اذ كان ضابطاً زمام مملكة الروم ميخائيل بن تاوفيلوس وامهُ ثاودوره المشهور فضلها التي دبّرت المملكة بحكمةٍ عظيمة مدّة ثلث عشرة سنة بعد وفاة زوجها في زمن حداثة ابنها الذي كانت سأستهُ لاخيها برداس ليربّيهُ ويرشدهُ . امّا برداس اذ كان رجلًا شريرًا غمس الملك ميخائيل في حمأة الملاهي والملذّات ليلهيهُ عن تدبير المملكة ويكون وحدهُ مدبّرًا لها

غير ان الملك كان يتدبَّر احياناً بمشورة رجل آخر يدعى تاوكتستوس وبمشورة امهِ ثاودوره وبهذا لم يكن يرتدّ كل شيء الى خالهِ برداس. فتدبَّر هذا الشقي بحيلة شيطانيَّة وهي انهُ وشى عند الملك قائلاً لهُ ان تاوكتستوس متَّفق مع والدتك في ان تتزوج وترتدّ الى السدَّة الملوكيَّة مع من تتزوجه. فصدق الملك الجاهل كلامهُ وارسل فقتل تاوكتستوس وحبس امهُ ثاودوره في دير. ثم طلب من القديس اغناطيوس الذي كان يومئذٍ بطريركاً على القسطنطينيَّة ان يقصّ شعرها ويرهبها غصباً. فأبى القديس ان يفعل اذ رأى الامر مضاداً للعدل وقال للملك انهُ لا سلطان لاحد ان يقتسر إرادة الغير على الترهُّب

فهذا الامر اضرم في قلب الملك وفي قلب برداس غيظاً على القديس اغناطيوس. لكنَّ هذا الاب المثلَّث الغبطة لم يكن ليخشى غيظهما (اولاً) لانهُ منتصر للناموس الالهي (وثانياً) لانهُ كان ابناً للملك ميخائيل الثالث الذي اسقطهُ لاون الارمني عن كرسيّه ولكي يبطل ذريَّتهُ خصى اولادهُ والزمهم بالرهبنة ومن جملتهم هذا القديس الذي يتمُّ تذكارهُ عندنا في ٢٣ من تشرين الاوَّل

مأتم برداس ونفي البطريرك القديس اغناطيوس

امَّا برداس الشقي فكان تعلَّق قلبهُ بعشق امرأة ابنهِ التي كانت ارملة فطلَّق امرأتهُ الناموسيَّة وتزوَّج بتلك. وصدر من فعلهِ هذا القبيح شكوك كثيرة وقد نصحهُ القديس اغناطيوس مراراً. فلمَّا لم يفد النصح جرَّد نحوهُ السيف الكنائسي. وذلك انهُ لمَّا اتى عيد الظهور تقدَّم برداس كعادته مع الملك ليتناول الاسرار الالهيَّة فلم تحتمل غيرة القديس هذا النفاق بل طردهُ من الكنيسة كما طرد القديس امبروسيوس الملكَ ثاودوسيوس الكبير وصرخ بهِ قائلاً: «لا اسمح بانَّ رجلاً اثيماً مثلك يدنّس كنيسة الله بحضورهِ واقتبالهِ الاسرار الالهية». فهذا الفعل المقدَّس الصادر عن قلبٍ اكلتهُ غيرة بيت الرب أوعب قلب الشعب فرحاً بمقدار ما أوعب قلب برداس غيظاً وحنقاً ولهذا قصد ان يعزل القديس من كرسيّه

ولأنَّ هذا الشقي كان عارفاً بان الملك يكره القديس اغناطيوس لانهُ لم يرد ان

يلزم ثاودوره امهُ بان تترهّب اخذ يوشي بهِ عند الملك موضحاً لـهُ كذباً وزوراً بانَّ السبب الذي لاجلهِ لم يرتضِ البطريرك اغناطيوس ان يرهب والدتك هو لان قصدهُ ان ترتدّ الى السدّة الملوكيّة ويدبّرها هو معها بالاشتراك وبهذا يكون حصل على كرسي المملكة التي كان قد طُرد منها مع ابيهِ ظلماً. فبهذا القول الكاذب اقنع الملكَ الذي ارسل للحين جنودًا قبضوا على القديس ونفوهُ الى جزيرة ترابينتوس واعلمهم بانهُ ان لم ينزل القديس عن كرسيهِ يحصل سجن باقامة غيرهِ في الكرسي ارسلوا لهُ بعض اساقفة يطلبون منهُ ان يعزل ذاتهُ قطعاً للسجن فلم يرتضِ القديس بان يكون مثالاً رديًّا في ان يتراخى الرؤساء فيما يجب لتكميل وظيفتهم

غير ان عدوّ البشر المدبّر هذه الامور من مبادئها سوَّل وسيلةً لبرداس لتتميم غاياته وذلك بواسطة غريغوريوس اسقف سيراكوزة الذي كان عزلهُ القديس اغناطيوس عن كرسيهِ لاجل مآثمهِ وهو انهم استمالوا بعضاً من الاساقفة واهل الاكليروس منهم بالوعد ومنهم بالوعيد وعملوا مجمعاً خبيثاً كان المتقدّم فيهِ اسقف سيراكوزة وحكموا بعزل القديس واقامة فوتيوس مكانهُ

من هو فوتيوس ومحاولته لخداع البابا نقولاوس

فهذا فوتيوس كان من اصل شريف جدًّا ومتّصفاً بصفات طبيعيّة واكتسابيّة حسنة في الغاية وكان كثير الغنى وقد باشر اعظم وظائف المملكة في زمان الصلح والحرب مباشرةً جيدة وكان ماهرًا في العلوم ولم يكن في عصره رجل نظيرهُ. ولكن الكمال لله تعالى وحدهُ لانَّ هذه المناقب الحميدة فسدت بكبرياء ردّيّة الحطّ بها متهاوياً وذلك بارتضائهِ ان يفسق بكنيسة القسطنطينيّة فسقاً روحيًّا مع وجود ختنها المطرود منها ظلماً لاجل البرّ لانهُ وان كان فوتيوس اظهر تورُّعاً بعدم ارتضائهِ بهِ كحسب عادة المتخبين في الدرجات الكنائسيّة الّا ان هذا التورُّع المصنَّع لم يبررهُ بما انهُ مالك ارادتهُ واختياره بل لو كان تورُّعهُ وعدم ارتضائهِ حقيقيًّا لكان يجب ان يماثل القديس اغناطيوس ويقتبل كل نوع من العذاب والموت نفسهُ ولا يرتضي بمثل هذا الفسق الروحي لو لم يكن منصبًّا نحوهُ. ولهذا نفر من مشاركتهِ كثيرون وكانوا يحتسبونهُ اثمًا لعدم دخوله من الباب فهذا

السجن وان كان مقلقاً فوتيوس ومساعديهِ الّا انهم كانوا يحتسبونهُ الشيء الادنى والاسهل بالنسبة الى انتصار الحبر الروماني لحقّ القديس اغناطيوس كما انتصر البابا يوليوس لحق القديس اثناسيوس ولحقّ القديس يولص القسطنطيني والبابا اينوشنسيوس للقديس يوحنا فم الذهب والبابا لاون لحقّ القديس فلابيانوس وغيرهم كثيرين

فمن ثمَّ سبق الملك ميخائيل وكتب رسالة للبابا نيقولاوس الاوّل وارسلها مع احد عظمائهِ وثلثة اساقفة ومعهم هدايا جزيلة الثمن. وفي هذه الرسالة يخبر بها كذباً بان اغناطيوس لاجل شيخوختهِ وامراضهِ الجسدانيَّة وشدَّة ضعفهِ تنزَّل عن كرسيهِ وطلب منهُ ان يرسل من قبلهِ قضَّاداً ليهدئوا السجن الحاصل من قبل محاربي الايقونات قصدهم بهذا انهُ اذا حضر قضَّاد البابا الى القسطنطينيَّة يستميلونهم باي نوع. كان لكي يثبتوا انتخاب فوتيوس. وكذلك كتب فوتيوس للبابا رسالة تتضمَّن تورعاً ادَّعى بها بان الشعب اضطرَّهُ بالجلوس على الكرسي . وبهذه الرسالة يقدّم لهُ صورة إيمانهِ حسب العادة القديمة كما يتضح من كتاب صخرة الشكّ في الراس الثالث عشر

قطع البابا نيقولاوس وتعيين قاصديه انحص فضبّ فوتيوس

فلما وصل المرسلون الى رومية وقدَّموا هداياهم ورسالاتهم ولم يجد البابا معهم رسالة من القديس اغناطيوس لحظ انَّ هذه الامور ليست خالية من الانحراف عن الاستقامة فأرسل اسقفين من قبلهِ واوصاهما بان يحكما ضد محاربي الصور حسبما حُكم في المجامع المقدَّسة امَّا بقضيَّة فوتيوس فلا يحكما بشيء بل يفحصان الامر فقط ويخبرانهِ ليستطيع ان يحكم عليهِ بسلطانه حكماً شرعيًّا. وكتب للملك ولفوتيوس انهُ يتبيَّن ان هذا الامر مخالف شرائع الكنيسة فاذا كان كذلك فلا يمكن ان يرتضي بهِ

فلما عرفوا انَّ الحبر الاعظم لم ينخدع ولا ارتضى ان يشارك اساقفةُ رومية الاساقفةَ المرسلين من القسطنطينيَّة قبل ان يقف على حقيقة الامر ارسل الملك جنوداً فامسكوا الاسقفين الرومانيين ووضع عليهما حرَّاساً لكي لا يتكلم احدٌ معهما سوى الذين يأتون من قبلهِ ومن قبل فوتيوس فاستمرَّا على هذا الحال مدة يوم فالملك

كان يرسل ويتهدّدهما ويتوعّدهما باعظم العقوبات ان لم يطابقا قصدهُ وكان فوتيوس يرسل لهما هدايا ويكرمها ويعدهما باشياء كثيرة اذا ارتضيا بما سيرتضي بهِ مجمع مسكوني . مسهلاً لهما الامر لانهُ اذا حصل مجمع وارتضيتما بما ارتضى بهِ فيكون لكما حجة تبرّركما عند الحبر الاعظم . وبهذهِ الاحوال انتصروا عليهما

مجمع قسطنطينية المزور وخيانة الناصريه

فعملوا مجمعاً بحضور الملك واحضروا فيهِ كلَّ من وافقهم من الاساقفة واتوا بالقديس اغناتيوس واقاموا عليهِ ٧٢ شاهداً بانهُ لم يرتسم ارتساماً قانونيًّا والبسوهُ الحلّة الحبريَّة ثم نزعوها عنهُ شيئاً فشيئاً والحاضرون يصرخون : لا يستحقّ . وكان قاصدا البابا يصرخان معهم نظيرهم وخالفا وصيّة البابا وثبّتا فوتيوس بالزام الملك كما يوجد في الرأس الرابع عشر من صخرة الشكّ ولكنهما لانهما لم يريا نفسيهما على حال الامان ان لم يكتب القديس اغناطيوس تنزّلهُ عن البطريركية بخطّ يده سلمهُ الملك بايدي جنود قساة اذاقوهُ انواعاً كثيرة من العذابات فعذّبوهُ بالسجن والقيود والجوع والضرب ثم سجنوهُ على حجر من رخام على شكل صليب ملتصقاً وجههُ بالحجر ناخسين خدهُ بالحديد واهرقوا منهُ دماً كثيراً حتى ضعفت قواهُ بالكليّة فحينئذٍ مسكوا يدهُ ورسموا بها اسمهُ على قرطاس ليكتبوا فيهِ ما ارادوهُ

حكم البابا بتبرير القديس اغناطيوس وتأثيم فوتيوس

فلمّا رجع المرسلان الى روميةواصحبهما الملك وفوتيوس بمكاتيب تجتذب البابا الى الارتضاء بما صار بالمجمع . والمرسلان بذلا جهدهما في لوم القديس اغناطيوس ومديح فوتيوس وذلك لكي يبرّرا انفسهما . ولكن في تلك المدّة وصلت رسائل القديس اغناطيوس الى الحبر الاعظم مع الاب تارختيستوس يخبره بكل ما صار بخيانة المرسلين فعاملهما الحبر الاعظم حسبما يستحقان وجمع مجمعاً في رومية وحرم فوتيوس وغريغوريوس اسقف سيراكوزه الذي رسم فوتيوس وحكم بارتداد القديس اغناطيوس

فلما بلغ فوتيوس الخبر بما دار في رومية وجّه حربهُ نحو الكرسي الرسولي الذي حكم ضدّهُ ولم يحكم لهُ واخذ يثلب الكنيسة الرومانية وشرع يلزم الناس بالطاعة

لهُ بطريق الخوف بإمداد الملك وخالهِ برداس . ثمَّ جمع مجمعاً من الاساقفة المتفقين معهُ وكان حاضراً فيهِ الملك وحرم البابا نيقولاوس . ومنذ ذاك الحين اخذ يطعن على الكنيسة الرومانيَّة لاجل تعليمها بانبثاق الروح القدس من الابن ايضاً

فلينظر الآن كلّ فطن كيف انَّ فوتيوس واتباعهُ لم يكونوا قبلًا ينكرون على البابا شيئاً من الامور التي نكروها فيما بعد الَّا لانهُ لم يشأ ان يوافقهم على ضلالهم وظلمهم للقديس اغناطيوس بل كانوا يكاتبونهُ كرئيس الكنيسة ويعرضون عليهِ صورة ايمانهم ويتوسَّلون اليهِ ان يرسل من قبلهِ رسلًا ويحكم بسلطانهِ مع انَّ الكنيسة الرومانيَّة لم تتغيَّر في هذه الفترة القليلة ولا تغيَّر حبرُها عن طريق سلفائهِ الاقدمين بل انَّ البابا نيقولاوس نفسهُ هو الذي عرض عليهِ فوتيوس صورة ايمانهِ حسب العادة القديمة وهو الذي طلبوا منهُ ان يرسل قدَّاداً من قبلهِ ليحكم ضدَّ محاربي الايقونات وهو الذي التمس منهُ فوتيوس تثبيتهُ على الكرسي القسطنطيني فهذا هو نفسهُ الذي حرمهُ فوتيوس واتباعهُ كأنهُ متعدّي الشريعة ومخالف الايمان القويم . فاي فطن لا ينتبه على هذا الافتراء والانحراف لانهُ ان كانت الكنيسة الرومانيَّة قد انحرفت عن الايمان القويم والبابا نيقولاوس هو مخالف طرائق الاحبار الاقدمين فلماذا كاتبتموهُ وقدَّمتم لهُ صورة ايمانكم وطلبتم ان يحكم بسلطانهِ كرئيس مستقيم الرأي ؟ وان كانت الكنيسة الرومانيَّة لم تتغيَّر والبابا نيقولاوس لم ينحرف عن الحقّ فلماذا انكرتم عليهما ما لم تنكروهُ قبلًا ؟ اليس هذا هو فعل جميع الارانقة الذين حكم عليهم الاحبار الرومانيون ؟

ولكن فلنرجع الى سياق الخبر فنقول انهُ اذ كان فوتيوس لرتفع مستنداً على الاقتدار العالمي اعني على اقتدار الملك وخالهِ برداس فانهُ سقط عنهُ بزوالهما وهو انهُ لمَّا تملَّك باسيليوس المكدوني نفى فوتيوس عن كرسي القسطنطينيَّة واستردَّ اليهِ القديس اغناطيوس بعد ان استقام في المنفى تسع سنين . وبهذه المدَّة تدنَّس اكثر الاساقفة بمشاركة فوتيوس ولم يوجد سوى اثني عشر اسقفاً جاهدوا عن الحق

رجوع القديس اغناطيوس الى كرسيه ووفاة وحكم فوتيوس وموته

فلمَّا رجع القديس اغناطيوس عمل مجمعاً وقبل فيهِ اولئك الاساقفة الذين اشتركوا

مع فوتيوس خوفاً من الاضطهاد وذلك بعد اظهار توبتهم ومن ثمَّ حصل الاتحاد مع الكرسي الرسولي. ومن المعلوم انَّ رجلاً شريفاً مثل فوتيوس لم يخلُ ان استمرَّ معهُ بعض الاساقفة على غرضهِ الَّا انهم قليلون جدًّا فما استطاعوا على منع الاتحاد في ذلك الحين

فلمَّا انتقل القديس اغناطيوس الى الربّ رجع فوتيوس الى الكرسي القسطنطيني بواسطة امور تُطلبَ معرفتها من تواريخ ملوك الروم واخذ يضطهد الذين لم يريدوا ان يشتركوا معهُ غير انهُ لم يرَ نفسهُ على حال الهدوّ مع اهل الاكليروس ان لم يتَّحد مع الحبر الروماني فارسل الملك باسيليوس قصَّادًا الى البابا يوحنَّا الثامن الذي كان يومئذٍ جالساً على السدَّة البطرسيَّة طالباً منهُ ان يقبل فوتيوس الذي انتُخب بطريركاً مرَّةً ثانية

فقبل البابا يوحنَّا هذا الطلب بشرط ان يجتمع مجمع في القسطنطينيَّة ويعترف فوتيوس بزللهِ ويوضح توبتهُ. وقد قبل فوتيوس ذلك ولكن بالكلام فقط لا بالعمل. فلمَّا تحقَّق البابا يوحنَّا ان فوتيوس نكث بما وعد حرمهُ مثلما حرمهُ سلفهُ وبعد مدَّة توفي الملك باسيليوس وجلس مكانهُ ابنهُ لاون فنفى فوتيوس الذي مات في المنفى وقام مكانهُ استفانوس اخو الملك لاون واستقرَّ الاتحاد بين الطائفتين مدَّة جلوس اربعة عشر بطريركاً على القسطنطينية

اخبار البطريرك ميخائيل كورولاريوس وانشقاقه عن رومية

ولكن لان الكنيسة الشرقيَّة حصلت على مرض عضال بتعليم فوتيوس واتباعهِ وُجد بعض من هؤلاء البطاركة المذكورين ممَّن هم من سلسلة فوتيوس مائلين الى تعليمهِ الَّا انهُ كان يتلاشى باقامة بطريرك مستقيم الرأي الى ان جلس ميخائيل كورولاريوس بطريركاً على القسطنطينيَّة وكان رجلاً متكبرًا عاتياً متشامخاً بشرفهِ. فهذا البطريرك العاتي بذل جهدهُ في اجتذاب عقول الناس وقلوبهم نحوهُ واخذ يطعن على اللاتينيين بما كان يطعن عليهم فوتيوس ورفع اسم البابا من الدبتخا لكن الملك مونوماخس كان يضادُّهُ بهذا الفعل ويريد ان يكون متحدًا مع الكرسي الرسولي. فارسل الملك يطلب من البابا يوحنا التاسع ان يرسل رسلاً من قبله لاجل الاتحاد.

فارسل البابا اثنين من الكرادلة اليه ومعهما مطران فلم يرد كورولاريوس ان يجتمع معهم بل ثبت مصراً على عناده . فبعد ان عملوا الجهد الكلي بارتداده عمّا هو عليه من المعصية ولم يمكنهم مضوا الى كنيسة اجيًا صوفيًا واخبروا الشعب بكل ما فعاره ليردّوا بطريركهم عن عناده بلا جدوى فحرموه ووضعوا صورة حرمه على المذبح ورجعوا

فاذ عرف كورولاريوس هيّج الشعب على الملك والمرسلين فالمرسلون فرّوا هاربين والملك خشي جدًا من هيجان الشعب فترك الامر . فلما رأى كورولاريوس الملك خاشياً اشتدّ عزمهُ واخذ يخوّف البطاركة الثلثة في ان يشتركوا معهُ في مضادّة اللاتينيين فاطاعوهُ ولكن الله تعالى انتقم من هذا البطريرك ومات منفيًا

المجمع الفلورنتيني وفتح الاتراك للقسطنطينية

ومن ذلك الوقت لم يعد يوجد من هو كفوء لمباشرة الاتحاد ومعالجة جسد الكنيسة الشرقيّة الذي حصل مدنفاً الى ان ظهر الملك يوحنا باليولوغس الذي بذل جهده في ان يصير مجمع مسكوني لاجل الاتحاد فصار المجمع الفلورنتيني بعناء عظيم وفحص بليغ وجدال كثاني بخصوص هذه القضايا المنكرة الآن من الروم فوجدوها مدوّنة بكتب الآباء الشرقيين حتى انّ اساقفة الروم باجتماعهم الخصوصي مع بطريركهم يواصف نهض منهم اسقف ميتيلين وقال : انهُ يلزمنا احد امرين وهو امّا اننا نتبع الآباء القديسين ونتّحد مع اللاتينيّين وامّا ان نطعن على تعليم الآباء القديسين ونمزق كتبهم

واتّحدوا جميعاً بعد ذلك في ذاك المجمع عدا مرقص اسقف افسس الذي لمّا رجع الى القسطنطينيّة هيّج الشعب والرهبان فانتصروا لهُ كأنّهُ يعضد الكنيسة الشرقيّة ويحامي عنها . وبعد ذلك بقليل فتح الاتراك القسطنطينيّة وتلفت المملكة وانتهينا الى هذه الحال . فصار الذي يتّبع تعليم الآباء القديسين القديم يُحتسب محدثاً ويضطهدونهُ ويلحقون بهِ كل نوع من الاضرار . غير انهُ من المعلوم انّ هذه الاضرار

تجعل الكاثوليكيين يستحقون تلك الطوبى المعطاة من ربّ المجد القائل : طوبى للمضطهدين من اجل البرّ فانلهم ملكوت السماء . وبذلك يثبت ايضاً القضاء بالهلاك على المتيدين ان يسقطوا في النيران الجهنمية ان استمرّوا على انشقاقهم

نبذة من تاريخ لبنان في القرن السابع عشر

للخوري عون كامل بن نجيم من غوسطا
(١٦٤٣ــ١٦٩٦)

عُني بنشرها القس انطونيوس شبلي اللبناني

توطئة

ان الخوري عون كان راهباً عابداً في دير مار سركيس ريفون منقيداً بنظام وقوانين الرهبان العبّاد في ذلك العصر . وكان مقيماً قبلاً في دير مار شليطا مقبس وله مفكرة تاريخية بخط يده بالكرشوني اوقفنا عليها حضرة المنسنيور عبدالله مسعد دوّن فيها تاريخ الحوادث التي وقعت في ايامه وغيرها كترهّب الرهبان في دير مار سركيس ريفون ومار شليطا مقبس الى غير ذلك وهي مخرومة من اولها . وتحتوي ايضاً بعض قصص تاريخيّة عن الملوك والممالك والبابارات وزجليّة تاريخيّة ايضاً نظمها الاب عون على نسق زجليّات جبرايل الفلاعي وضمّنها الماجريات والشؤون المهمّة التي جرت في عهده وتقع في ٦٨ صفحة وقد جاء في آخرها ما يلي : « قايلها خوري عون نجيم الغسطاني الله ينيّح نفسهُ مع راضيين الله الاطهار وجميع الخيريين امين . » وهي بخطّ مختلف عن خطه

وقد نشر لهُ زجليّةً في تأسيس دير ريفون وفي فرائض الرهبان العبّاد حضرة الخوري بولس فرأني في مجلّته السورية في عدد نيسان من هذه السنة (١٩٢٧) ص ٢٣٦ ذاكراً انها من نظم الخوري كامل نجيم وضمها نقلتها مجلة المشرق في عددها الصادر في حزيران (ص ٤٥٠) والصحيح ان اسمه الخوري عون بن كامل بن نجيم من غسطا (١ كما كتب اسمهُ ولقبهُ وكنيتهُ بخط يده في يوميّته هذه وفي آخر بعض كُتُب نسخها بخطه سنة ١٦٨٧ في عهد بطريركيّة اسطفانوس الدويهي وهي في دير مار سركيس ريفون وسيأتي الكلام عنها

١) ويظهر انهُ كان يكتب اسمهُ تارة خوري عون وطوراً خوري كامل ابن نجيم بحسب ما هو معروف ومشهور باسم ابيه وجدّه او عائلته في عصره

وقد أثبت ايضاً في هذه اليومية تاريخ رسامته قساً في ١٢ نيسان سنة ١٦٧٠ وخورياً سنة ١٦٨٣ يوم عيد الميلاد بوضع يد المطران جرجس حبقوق. وتوفي في ١٣ اذار سنة ١٦٩٦ كما يأتي بيانه

واننا ننقل عن هذه اليومية ما استحسناً نقلهُ بحرفيتهِ ضاربين كشحاً عن ذكر تاريخ وفيّات وولادات من عائلة بيت نجيم وغيرها حباً بالاختصار

يوميّة (مفكّرة) الخوري عون كامل نجيم(١

قال الخوري عون كامل نجيم:

في سنة ١٦٣٣ ربّان كجك أحمد قاد عساكر العثمان (الدولة العثمانية) الى مقاتلة الامير فخر الدين فقتل اولاً ولده الامير علي عند الخان الجديد تحت حاصبيّا. ثمّ حضر عليهم اخوهُ الامير يونس في مكاتيب الامان وقتلوه. اخيراً شدّوا الحصار على الامير فخر الدين فلكرهُ لاستصلاح التقابين في مغارة جزين ومسكوا اولاده ولم يفلت منهم الّا الامير ملحم ابن الامير يونس واخذوا الامير فخر الدين واولاده الى القسطنطينيّة. ومشايخ بيت الخازن الى كسروان رجعوا. وفي سنة(١٦٦٢)انتقل الشيخ ابو قانصو الخازن من قرية عجلتون لغوسطا وبدأ يعمّر

وفي سنة اصصص(١٦٦٣) ربّان صارت كونة(واقعة)في ادما في ارض الصفرا وكان الامير منصور بن علم الدين وكانوا مشايخ كسروان وسرحان حماده وانتصروا اليمنيّة على القيسيّة. وثاني سنة حكسروا اليمنيّة بيت الصوّاف موضع ابن معن. ونهار الكونة خلق نجم ابن كامل نجيم من غوسطا. (هو شقيق الخوري عون)

وفي سنة اصصصه (١٦٦٥) ظهر ابن معن الامير احمد ولم عسكر وتكاون (وتحارب) هو وبيت علم الدين في ارض بيروت وقتل المقدّم عبد الله ابن الصواف وانكسروا اليمنيّة وهربوا وحكم ابن معن الامير احمد (٢

وفي سنة اصصا (١٦٦٧) من كسور المسيح انهدم دير مار شليطا (مقبس)

١) تنبيه: ان تواريخ السنين كلها مكتوبة بالسريانية ولم يتبع الخوري عون نظام تتابع السنين فتقدّم وأخّر كما كان يخطر لفكرهِ. فسدّاً لهذا الخلل والتشويش رتّبنا الحوادث على السنين فتضاعف فائدتها. وروينا الاخبار كما رواها باللغة العاميّة

٢) راجع تاريخ الطائفة للدويهي ص ٢٦٠ حوادث سنة ١٦٦٧

وبدَينا في عماره كلنا وكان من جملتنا القس صادق من شنعير ابن القديسي (١وغيره

وفي سنة ٢٥٥ (اي ١٦٧٠) كسور سنين المسيح سامني (الضمير عائد للخوري عون صاحب هذه المذكرة) قسّ المطران جرجس حبقوق في ٢٥ (١٣) يوم من شهر نيسان المبارك . وفيها ترهب ابو يوسف سليمان ابن مبارك (من غسطا) هو واولاده الاربعة وبنتهُ في دير مار سركيس ريفون في ارض عجلتون وارتسم هو واولاده كهنة . وابنه الكبير ارتسم مطران (٢

وفي سنة ٢٥٦ (١٦٧٧) في شهر شباط جاء الجراد واكل الزروع وفي اول شهر اذار جا الجراد الطيّار لبلاد كسروان واكل الزرع ما خلّا لهُ خبر . وفيما بعد عاد طلع الزحّاف واكل الذي فضل واكل ورق القزّ في بعض مواضع . وفي تلك السنة في ٢٩ من شهر نيسان جا برَد كل واحدة قد (قدر) جوزة القطن وكل موضع حكم فرط ورق القزّ والكرم ما خلّا لهم خبر . وفي تلك السنة (١٦٧٧ المذكورة) جاء هواء سخن على قزّ السواحل حتى بعض خصاص ما سوّوا غير شرنقة . وبعض رطل ونصف رطل . ورطلين شرانق . وفي تلك السنة جا قيض (قيظ) حتى كانت الشتوية مثل الصيف وصار ضيق كثير على الناس من كثرة الغلا . (٣

وفي السنة المذكورة (١٦٧٧) رحلوا متاعين فاريًا وقتلوا من مزرعة كفردبيان ثلاثة وبعث الامير ابن معن حرق ضيعتهم وقصّ ملكيا .

---

١) قال عنهُ الدويهي انه «درس الفلسفة وعلم اللغة وعند ما رجع (من مدرسة الموارنة برومية) الى بيت اهله ترهّب بدير مار شليطا مقبس ثمّ سيم قسيساً . وبعد وفاة الخوري صافي خدم قرية عجلتون ثمّ انتقل الى رحمة خالقهِ .» راجع (المشرق ٢١ [١٩٢٣] : ٢٧٠)

٢) هو المطران يوسف مبارك المعروف بالريفوني . ولما انزل الشعب والاساقفة البطريرك يعقوب عوّاد عن عرش البطريركية اقاموا عوضهُ المطران يوسف مبارك المذكور . وقد قال عنهُ المطران جرمانوس فرحات : انهُ كان رجلاً بسيطاً ودُعي بالريفوني لان اصلهُ كان راهباً من رهبان دير ريفون . وكان من قرية غوسطا . ولم يثبت في البطريركيّة الّا مدّة قليلة اذ حكم الكرسي الرسولي باعادة البطريرك يعقوب عوّاد وتوفي في دير ريفون وقيل انهُ مات مسموماً . راجع (سلسلة البطاركة الهاشية ص ٤٦)

٣) طالع تاريخ الدويهي ص ٣٤٦ في حوادث سنة ١٦٧٧

وفي سنة ٱهصص (١٦٧٨) بدا فينا ابليس خزاه الله وصار بيننا بغضة وقلقلة كثيرة وما عدنا احتملنا بعضنا بعض وانقص منا (اي ترك بعضهم دير مار شليطا) ولاني انا الخاطي كنت الاقدم والخوري كان يحبني وكان خاطره معي. قد تكلمت معهُ بسبب رياسة ابن عمه القس حنا على حياتهِ ورضي بذلك ورئيسه وشهّد الله تعالى عليهِ وقال لهُ: انت والقس عون واحد لان هو الذي رئيسك

وفي سنة ٱهصه (١٦٨٠) من سنين كسور المسيح حينئذٍ انقسمنا وراحو القس خيرالله والقس بولس والقس ايوب للمشرع جانب غوسطا وعمروا وقعدوا

وفي تلك السنة انتقل بالوفاة لرحمة الله الشيخ ابو نوفل خازن في مص (١٢) يوم خلت من شهر آب (١

وفي سنة ٱهصا (١٦٨١) انتقل بالوفاة الى رحمة مولانا رئيسنا الخوري سركيس وكان انتقالهُ في ١٩ يوم من تشرين الاول

وفي سنة ١٦٨٢ الفيارنة (اهالي فاريا) قتلوا راهب من رهبان مار غبدا هرهريا. وفي هذه السنة قتلوا الفيارنة اربعة رجال من غوسطا وقتلوا راهب من مار عبدا و ٣ رجال من كفردبيان

وفي سنة ٱهصب (١٦٨٣) في يوم عيد الميلاد ارسمني خوري المطران جرجس حبقوق

وفي سنة ٱهصج (١٦٨٤) في ١٣ اذار العوجان كبسوا عشقوت وقتلوا منها ١١ قتيل ونهبوا وراحوا وركب ابن ممن عليهم وخرب بلادهم. اسامي المقتولين ابو فهد ضوّ نعيمه وابو فرحات الكريدي وابو صالح رزق ابن راشد. وموسى المدفع ولياس وابو عيسى. وحنا ابن الشدياق. وسرور التنوري واثنين مسلمين من فقيع وانتقل واحد اعرج ابن شوك (٢

---

١) ان الدويهي يذكر تاريخ وفاته في ١٣ آب سنة ١٦٧٩ (راجع تاريخ الطائفة ص ٢٤٦)

٢) الدويهي تاريخ الطائفة ص ٢٥٠. الاعرج ج العوجان قوم من المتاولة

وسنة ٱهعه (١٦٨٥) في ٢٨ تشرين الاول انتقل بالوفاة الى رحمة الله تعالى القس مخايل ابن كامل نجيم من غوسطا (شقيق الخوري عون)

وفي سنة ٱهعه (١٦٨٦) جا الفرفور كثير مثل الجراد وخرب الشحل . . . . وفي هذه السنة ٢٨ من شهر نيسان جا الشماس بطرس من رومية هو ورفيقه صافي القذيسي(١ . وفي هذه السنة (١٦٨٦) شتت من اول شهر تشرين الاول ومن اول عيانة ثلجت على ظهر الجرد وبدت في الثلج عندنا في ريفون من القداس خامس يوم من شباط ما كنت الّا ثلج وصار نقص في الدواب وما فضل الّا قليل

وفي تاريخ سنة ٱهعز (١٦٨٧) في ٦ يوم من آب انتقل بالوفاة الى رحمة الله ابو ناصيف ابن ابو نوفل الخازن وعملوا له رحمة كبيرة ويوم دفنه انكتبت الكهنة (اي كُتبت اسماء من حضر منهم الدفن) خمس وتسعين كاهن

وفي سنة ١٦٨٧ شتت في ٢٢ ايلول وزرعوا الناس في الجرد والاكثر عفير وما عاد صار شتاء لثاني يوم من تشرين الثاني . وصار غلا وضيق كثير لان وصل كيل القمح بقرشين وما كان يصتد الّا مدين والرز ستة (غروش) . وفي اذار ما عاد انوجد في بيروت شي . واكثر الناس ما كانت تأكل الّا السليق . وفي شهر نيسان ارسل الله مراكب كثيرة مصرية مملانين وتق رز وشعير وفول وبقسماط وغيره حتى انتلت (امتلأت) المدن وفي الحضرة صار الرخص وبقي كيل القمح بقرش . والبقسماط صحه (١٨) مشلول بقرش . وكل شي . صار كثير في ارادة الله

وفي سنة ٱهعح (١٦٨٨) في اول نيسان طلع الشيخ ابو قانصو الخازن الى كروم رعشين ونصب توت وكروم

وفي سنة ٱهعط (١٦٨٩) في آخر تشرين الاول الهني الله انا الخاطي خوري

---

١) طالع ما قاله الدويهي عن صافي القذيسي هذا (المشرق ٢١ [١٩٢٣] : ٢١٥ و ٢٧٦) . واما الشماس بطرس فهو المطران بطرس مخلوف الذي كان راهباً بدير مار شليطا (راجع المحل المذكور ص٢١٠)

عون فرحت زرت القدس وكان برفقتي فروسينا والقس بطرس وحنا ضو والرئيس (رئيس دير مار شليطا مقبس) وغلامان وغيرهم ووقفنا في القدس ست اشهر ما عاودنا لعيد مار جرجس ﷺ (٢٣) من نيسان

وفي سنة ١٦٩١ انتقل بالوفاة لرحمة الله الشيخ ابو قانصوه ابن ابو نوفل الخازن في ١٧ يوم مضت من شهر تشرين الاول الله يرحمهُ ويسكنهُ الملكوت مع جميع القديسين. انهُ كان كبير النصارى والكل كانوا تبعهُ وكان كريم وصاحب ناموس

وفي تلك السنة ايضاً (١٦٩١) ربّان في ٢٦ يوم مضت من شهر ايلول انتقل (توفي) ابو موسى ابن زعرور من قرية فاريّا قتلوهُ الغاطنة (اهل غوسطا) عند عين الفوّار في ماعول وطا الجوز في ارض عين شقيق وطفروا وراحوا لوادي التيم لعند الامير بشير من بيت الشهاب. وتحركوا العوجان وعسكروا حتى يخربوا كسروان. وعسكروا بيت الخازن قبالهم في كسروان. وراحوا نهبوا العاقوره وهربوا من قدامهم مشايخ العاقورة وجاءوا الكسروان ونهبوا جميع ارزاقهم وفتشوا على الكسارة (الكسروانيين) في بلادهم وما لحقوا أحد وعفّوا عنه. واخذوا كل شيء كان في بلاد الكسارة من سايقة ورزق وغيره. وحنّا الاسود من زوق الخراب كان في مدينة طرابلوس بعثوا مسكوه وقتلوه وتعلقوا على البطرك في دير قنّوبين وبهدلوه وخسّروه وفتشوا على الكسارة في بلاد بعلبك وكل موضع تصال يدهم وما كانوا يعاملوا التجاري إلّا في القتل (١ . وفي ١٤ يوم من كانون من هذه السنة بليلة الجمعة العوجان كبسوا شنتير وقتلوا الخوري سليمان العرتقي وابن ابو نصر ابن ابو ضو وواحد آخر من بقرقاشا

وفي سنة ١٦٩٢ انتقل اخونا خوري يوسف يوم الاربعا في ١٧ ايلول وفيها ايضاً كانت الشتوية مرفقة من قلّة الشتا. وصار نقص في غلّة السواحل من القيض (القيظ) وجا جراد قليل على السواحل ونخلنا القز في ١٠ ايام من شهر نيسان في دير ريفون

١) الدويهي. قيد ص ٢٥١ وما يليها حوادث ١٦٩١

وفيها ايضاً (١٦٩٢) في ٢٣ من شهر تشرين الاول جاءوا بيت زعرور لطاحون حراجل وقتلوا يوسف الهاجوم من بنتاعل ووقع عليهم صوت كسروان وكل مشايخ بيت الخازن وطلعوا للجرد ونزلوا لحلن (كذا) نهبوها ونهبوا الصفرا. ولو ما بوتهم في الفتوية كانوا بيكونوا نهبوهم كلهم وقتلوا منهم كثير وخربوا الفتوح كله على حسين ابن سرحان وقالوا المشايخ بيت الخازن اولاد المرحوم ابو نوفل: الفتوح قال رزقنا ان طعمنا رزقنا الذي في بلاده منعتر له الفتوح وان ما طعمنا رزقنا والّا ما يمكن ان نخلي الفتوح يعمر وهو يعمل ونحن منعمل. ويّا يزيحنا ويّا نحن نزيحه. وبعونة الله زاحوه ودعسوه بارجلهم كما هو مذكور في التاريخ المعيّن كما ذكروا انه دنق منهم أنوف من مايتين نفس آدميّة غير السايقة (الحيوانات) وغير الذي تقرّموا من الثلج

وكذلك في السنة (١٥٩٢) في ليلة الجمعة في ٧ يوم من شهر شباط المبارك انتقل بالوفاة لرحمة الله الشيخ ابو نادر خاطر ابن المرحوم ابو نوفل (١ الله يسكنه الملكوت مع القديسين

وفي تلك السنة ايضاً (١٦٩٢) في شهر تموز جا اخونا الشدياق نجم ابن كامل ابن نجيم من قرية غوسطا من بلاد كسروان الى عندنا لدير مار سركيس ريفون وترهّب. وفي سنة ١٥٩٣ (١٦٩٣) مسيحيّة في اول شهر شباط ارتسم شدياق وسايلي. وبتلك السنة ارتسم قسيس في ثامن يوم من شهر تشرين الثاني. وكان برسامته المطران جرجس حبقوق وابن عمتنا المطران يوسف مبارك (المعروف بالريفوني) واخواننا الكهنة في دير مار سركيس (ريفون)

وفيها كذلك (١٦٩٢) (غير واضحة جدًا) في ١٠ يوم من شهر تموز عمدت بطرس ابن ابو مرعب فرحات الكريدي من عشقوت وكان عرّابهُ لياس ابن اخي ابن خوري يوسف ابن كامل ابن نجيم من قرية غوسطا. وانا خوري عون راهب ابن كامل نجيم عمدته بدير مار سركيس ريفون في هيكل السيدة واول شهر ايار خلق في الجسد

١) الدويهي. فيه ص ٢٥١ حوادث سنة ١٦٩١

وفي سنة ١٥٠٣ (١٦٩٣) في شهر تشرين الاول رجعوا القساطنة من وادي التيم لبلاد كسروان وكان ابو عبد الله سام اولاده واخيه شهوان واولاده وابو سليمان شمعون البرّي واولاده واخيه ابو رزق واولاده

وفي تاريخ السنة المذكورة (١٦٩٣) مسيحيَّة في عشرين من كانون الثاني . علي باشا كاتب لابن معن الامير احمد والخوازنة اولاد ابو نوفل من كسروان وراحوا لعند المذكور علي باشا واهل كسروان جملتهم الف رجل . وكان مع الباشا ثلاثة آلاف رجل واجتمعوا في جبيل هم والباشا . وركبوا على بيت حماده في جبّة المنيطره وهربوا العوجان والامير شديد ابن الحرفوش الى بعلبك والعسكر في اثرهم البقاع ما لحقوا الّا قليل وكل من لحقوه قتلوه . ونهبوهم على ظهر (كذا) وخربوا بلادهم واخذوا (اخذت) الدولة نسوانهم واخذوهم لطرابلوس وحرقوا بيوتهم وقصّوا ملكهم وناس كثير منهم دنّقوا من كثر الثلج . وخيل وبغال وشي كثير من الضيق صار عليهم . وبيت الخازن صار لهم حضّ (حظّ) وبخت كثير من علي باشا لانه خلع عليهم واعطاهم بخشيش كثير ورعدهم في الخير

وفي تلك السنة (١٦٩٣) ربّان في ١٥ يوم من شهر ايار نزل ابو فيّاض العاقوري ابن ابو عماد لعند علي باشا وهو كان في الكورة حتى يحضر عليه وكان يقتلهُ تحت وام بيت حماده لانهُ كان يلقّيهم . ومسك اخوه ابو [illegible] (جيت؟) وابن عمه ابو طراد وكان شهر رمضان وبلعهم بست ماية (غرش) واطلقهم . وفي تلك الايام في شهر حزيران مسك بيت حميّه الحج ياغي وابنه وباقي قرايبهم ٢٦ رجّال من بعلبك واخذ نسوانهم بنات الشيخ احمد حماده واسبوهم (سبتهم) الدولة وضرب في المذكورين كل من كان في عسكره (اي علي باشا) اخذهم لارض طرابلوس وجمع كلّ حكّامه مقدّمين ايمال وامارة (امراء) الكورة ومخايل مخلوس من الجبّة وابو كرم وابو كيروز وابن دندش ومقدّمين بيت الشاعر وغيرهم ضربوا في بيت حميّه وكلهم اعتمدوا على عداوة بيت حماده وعداوة كل من هو اعوج (من العوجان) وبيت حماده حسين واولاده وقرايبه في بلادهم بيجبقوا (يطبقوا) على ما تصال يدهم من نهب وقتل وغيره وبيترددوا على بلاد كسروان

وفي آخر آب تعيّن عسكر دوله من علي باشا قرب الف رجل واولاد عرب

وجاؤا من طرابلس لجبيل وما تعوّقوا. وجاؤوا لنهر ابراهيم وطلعوا على الفتوح وكان خارب (خراباً) ونفّدوا لوطا الجوز جرد كسروان واخذوا السابقة (المواشي) كلها . ووقع صوت كسروان عليهم وطلعوا (اهالي كسروان) شبه السباع الكواسر ولحقوا حصلا لقز (١ وخلّصوا السابقة كلها ورجعوا سالمين. وعندما خلّصوا البوش من العسكر لاقاهم حسين في وجه العسكر وهم قاصدينه واتكنّا (تكنى) وقال: انا حسين اعرفوني. وطبّقت الرجال عليه وقتلوه وقتلوا معه ١٢ رجل ابن حسين ديب وقاسم ابن زعرور وغيرهم ومجاريح كثير واخذوا روسهم وراحوا على طرابلس

وفي سنة الصحو (١٦٩٤م) في شهر نيسان توزرن (اي صار وزيراً) علي باشا وراح لاسطنبول ووقف موضعهُ ابن المطرجي في طرابلس باشا واوصاه انه يجتهد كثير على قطع (ابادة) بيت حماده . وفي اول شهر ايار عسكروا بيت حماده اربعماية رجّال واخذوا خاطر الامير احمد معن واصطلحوا مع مشايخ الخوازنة في كسروان وراحوا لاعدائهم لبلاد جبيل. وكانوا امارة الكراد في جبيل ومقدّمهم ابو محمّد واخوه وابنه في البترون. وبعثوا أعلموا الباشا بطرابلس وكان عون (معيناً) لهم الكاخي ومعهُ خمساية رجّال وبعثوا للاماره ومقدّمين بيت الشاعر يلاقوهم على الفتوع لقمز (٢ والكاخي جاء من فوق على الماقوره ووصلوا الامارة لعين قبعل وقعدوا. عند شروق الشمس وصاوا اليهم بيت حماده اسماعيل واخوتهُ وقرايبه واتكانوا في بعضهم بعض في السيف وقتلوا اربع اماره وابن المقدّم واخوه وانكسروا ولحقوهم وقتلوا منهم اربعين قتيل. وانقتل من بيت حماده عشرين قتيل وكبروهم ورجعوا الى حراجل . والكاخية جاء على قز (٢ ونزل على الفتوح وعدّ القتل وراح على طرابلس والباشا عرض لاسطنبول في اول شهر رمضان وقتل ابن عيسى والرهونات

وفي اول شهر محرّم جاءت الاورات في بيت حماده ونشّوا وراهم (لحقوهم) لارض قبعل وقتلوا منهم قرب خمسة عشر قتيل وعمّالين بيفتّشوا عليهم اضدادهم ابراهيم آغا حاكم بعلبك صار كاخي عند باشة طرابلس ومخايل نخلوس من الجبة

١) ربما تكون قز وسيأتي ذكرها

٢) وتدعى قمز وموقعها تحت نبع الحديد وعين القدح بخراج الماقوره على مقربة من قرية لاسا

ماروني (١ وابن دندش وامارة الكراد ومقدّمين بيت الشاعر وغيرهم وكل معاملة طرابلوس طالعين ورا بيت حماده

وكذلك باشا صيدا مسك ابو قاسم حسين ابن الشيخ احمد وابن اخيه ابن عيسى وبعض رفاقهم من بلاد الشقيف بلاد الموجان ابن مشرف لانهم كانوا هربوا لهناك وحبسهم في صيدا. ومات ابو قاسم في الحبس من كثر الضيق ولمّا (اي بعدهم في الحبس) وابن اخوه قتلوه. كل هذا صار في بيت حماده من علي باشا بسنة واحدة

وفي تاريخ سنة (١٦٩٤) مسيحيّة في شهر ايلول المبارك. ابو شاهين يوسف ابن ابو سركيس سليمان ابن نجيم من قرية غوسطا من بلاد كسروان. جاء درب الى مدينة بعلبك وكان حاكمها بذلك (بتلك) السنة ابراهيم اغا ابن السودان. وفي وصول المذكور ابو شاهين الى عند ابراهيم لقاهم ماسكين واحد نصراني ماروني اسمه موسى وقايدينهُ للمحكمة وفي تلك الساعة سجّلوا عليهِ عند القاضي في شهادة جملة مسلمين انهُ قتل ناس مسلمين. وبعضهم اندعوا على انه قتل ابوه واخوه واولاد عمهِ. والمذكور (ابو شاهين) ما كان بيعرفه (اي يعرف موسى) فلكن لاجل غيرة الدين وكانت كلمته (ابو شاهين) مسموعة عند ابراهيم اغا راح لعنده ووقع عليهِ وقال لهُ: لي عندك شفاعة وما هي عسرة عليك. فقال لهُ: ايش ما ردت (اردت) يا بو شاهين لك وعلى يدّك. فقال لهُ: طويل العمر واحد نصراني شفّعني فيه فقال لهُ: هذا ما لهُ شفاعة. تسجّلت عليهِ اي (الدعوى). فقال لهُ: بحياة الله وحياة راسك تنوّمني في هلنصراني. وتعب كثير عليه (اي ترجاهُ كثيراً بشأنهِ). فبعث (ابرهيم اغا) ورا الغرماء. فحضروا قدّام ابراهيم فقال لهم: صار شفاعة في هلنصراني. وبعد جهد كثير شفع فيه (اي عفا عنه) وحطّ (ابو شاهين) بلعتهُ ماية وخمسين قرش وعتقهُ من القتل وطلقهُ. وكتبنا هذا التاريخ من شان غيرها حتى الاجاويد تغير منه في عمل الخير بهذه وبغيرها

وفي سنة الصرب (١٦٩٥) في ١٥ يوم من هاتة كانون الاول انكسف القمر نصف الليل وفي آخر الهلّة انكسفت الشمس عند شروقها. وفي تلك السنة

١) كان حاكماً على حبّة بشرّي. (الدويهي ص ٢٥٣ والدبس في الجامع المفصّل ص ٤٢٠)

والشهر المذكور في ١١ يوم انتقل بالوفاة لرحمة مولاه المطران يوسف الحصروني (١ الله يسكنه الملكوت مع جملة القديسين امين. وفي تلك السنة المذكورة في شهر تموز جا هواء سخن حتى موّت بعض ناس ويبّس عنب وفواكي كثيرة والشتي كان قليل حتى انه فرغ كانون الاول وما شتت فيه الا قليل

وفي هذه السنة (١٦٩٥م) في اول تشرين الثاني القدّم سليمان ابن الشاعر كان حاكم بلد البترون وكبس الحمادية بالماقورة وقتل منهم ثلاثة رجال وواحد منهم ضربهُ في سكّين وقتلهُ. وفي كمال السنة المذكورة في ٥ يوم من شهر اذار بان الامير احمد ابن معن وعابوا القيسيّة على ابن علم الدين. الامير موسى حكم اربع شهور موضع ابن معن وهرب لصيدا. وابن معن معه عسكر قرب خمسة آلاف وجاء الشوف بغير امر سلطان وعرضوا فيه لاسطنبول. وجاءهُ من السلطان استقرار (اي ان يستقرّ في الشوف) وطالبين منهُ مايتين وخمسين كيس دراهم ويضمن الشناع من بلد طرابلس وغيره (اي ان يؤمّن طرابلس من اعتداء الرعاع والشذّاذ) ولا يصاحب بيت حماده (انتهت اليوميّة)

هذا ما رأينا ان ننقله عن يومية الماروني عون التاريخيّة بلغتهِ الدارجة في عصرهِ. وفي آخرها تاريخ وفاتهِ بخط مختلف ومما لا ريب فيهِ ان كاتبه هو احد رهبان دير ريفون الواقفين على تاريخ موته وهذا نصّهُ بحروفهِ :

«فلما كان سنة الهجرة (١٦٩٦) ربانيّة انتقل الى رحمة الله الخوري عون ابن نجيم في مي (١٣) خلت من شهر اذار المبارك. وكان لهُ زيادة غيرة في نسخ الكتب (٢ وعلّم الاولاد وعمل الخير في هذا الدير على زمان قدس سيدنا بطرك اسطفان (الدويهي) وعلى زمان المطران جرجس حبقوق والمطران يوسف الريفوني الذي الله عاد اوصلهُ الى درجة الكمال (المطرنيّة) بعناية البطركيّة . وفي زمان الخوري يوسف المنيّر الذي كان رئيس في هذا الدير مار سركيس ريفون. والله ينيح نفسه في ملكوتهِ السماوي مع جملة الخيّرين والاطهار ويكون حظّهم الجميع في حضن ابراهيم والرب يرحمنا في بركة صلاتهم وشفاعتهم قدام الربّ فينا امين.»

١) راجع ما كتبهُ عنهُ الدويهي في تاريخ المدرسة المارونية برومية (المشرق ٢١ [١٩٢٣] : ٢٧١)

٢) في دير مار سركيس ريفون بعض كتب بخط يدهِ كما اشرنا. وسنأتي على ذكرها

نظر عامّ في الكثلكة ومعتقداتها

للاب لويس شيخو اليسوعي

في سياحتنا الاخيرة الى مصر اجتمعنا ببعض ادباء المسلمين من تلامذة مدارسنا وغيرهم فمن جملة ما دار عليهِ الكلام الدينُ الكاثوليكي ومعتقداتهُ فاجبنا على عدَّة سؤالات عُرضت علينا في هذا الشأن وقد قنع بها السائلون ورغبوا الينا ان ننشر خلاصةً في الدين الكاثوليكي وتعاليمه ليقف عليها من يجبّ الاطلاع على حقائق الاديان. فاجابةً لهذا الملتمس ننشر اليوم فصلًا موجزًا عن الكثلكة ومعتقداتها. وهذا الفصل كان سبق جناب السيد كرد عليّ رئيس المجمع العلمي في دمشق وطلبهُ منَّا بالحاح لينشرهُ في كتابه «خطط الشام» وحتى اليوم لم نجد لهُ ذكرًا ولعلَّهُ يفعل في الجزء الخامس من كتابهِ. وعلى كلّ حال لا بأس من نشرهِ في مجلَّة المشرق مع بعض ايضاحات اضفناها الى تلك النبذة المشار اليها. ونقسم هذه العجالة الى ابواب قصيرة يُستدلّ بها على مضامينها المختلفة

١ً اسم الكثلكة

الكثلكة او الدين الكاثوليكي او الكنيسة الكاثوليكيَّة اسم واحد للمذهب الديني المعروف الذي يدين بهِ اليوم بين ثلثمائة وثمانمائة وخمسين مليونًا من البشر كما ورد في اضبط الاحصاءات الحديثة. يُعلن اصحابهُ ويثبتون قولهم بالبرهان انهُ هو الدين الوحيد الذي بشَّر بهِ السيد المسيح قبل تسعة عشر جيلًا واخذهُ عنهُ رسلهُ الحواريون فنشروهُ بامرهِ في كل العالم حيث قال لهم (مرقس ١٦ : ١٥ــ١٦): «اذهبوا الى العالم اجمع واكرزوا بالانجيل للخليقة كلها». فقاموا بامرهِ تحت رئاسة القديس بطرس هامتهم الذي اقامهُ السيد المسيح رئيسًا عامًّا على كنيستهِ لمَّا قال لهُ (متى ١٦ : ١٨ــ١٩): «انت الصفاة وعلى هذه الصفاة سأبني كنيستي وابواب الجحيم لن تقوى عليها وسأعطيك مفاتيح ملكوت السماوات فكل ما ربطتهُ على الارض يكون مربوطًا في السماوات وكلّ ما حللتهُ على الارض يكون محلولًا في السماوات»

واعلن بذلك ايضاً لمّا عهد الى بطرس بتثبيت اخوتهِ (لوقا ٢٢ : ٣٢) وبقولهِ لهُ ثلثاً بعد قيامتهِ (يوحنا ٢١ : ١٠ــ١٧) : «ارعَ خرافي ارعَ نعاجي» فتقلّد بطرس هذه الرئاسة واتخذ كرسياً لرئاستهِ مدينة رومية وخلفهُ عليها البابوات متسلسلين بدون انقطاع الى الحبر الروماني المالك حاضراً البابا بيوس الحادي عشر وهو في حلقة تلك السلسلة البابا المائتان والسادس والستون . وخلف الرسلَ اساقفةٌ في رُتب شتى كبطاركة ومطارنة واساقفة وكلّهم خاضعون للكرسي الرسولي الروماني الاعلى

وأمّا اسم الكنيسة بالكاثوليكية فمشتقّ من لفظة يونانيّة (καθολική) معناها الجامعة او المنتشرة في كل انحاء الارض وقد اشتهرت بسمتها هذه منذ اوائل الكنيسة كما يصرّح بهِ القديس بولس في رسالتهِ الى الرومانيين (١ : ٨) فيقول : «انّ ايمانهم يُبشَّر بهِ في العالم كلهِ» حتى بلغت البشارة الى ما وراء حدود المملكة الرومانيّة

٢ً اصل الكثلكة

اصل الكثلكة من تلك الجماعة الاولى التي انشأها السيد المسيح بذاتهِ ودعاها كنيستهُ (متى ١٦ : ١٨) ألّفها من الاثني عشر رسولاً (متى ١٠ : ٢ــ٥) ثم من الاثنين وسبعين تلميذاً (لوقا ١٠ : ١) وانبأهم بتبشير انجيلهِ في كل العالم (متى ٢٦ : ١٣) واوصى تلامذتهُ قبل صعودهِ «ان يتلمذوا كل الامم ويعمّدوهم باسم الآب والابن والروح القدس ويعلّموهم ان يحفظوا جميع ما اوصاهم بهِ» (متى ٢٨ : ١٦ــ٢٠) . فما مرَّ عليهم عشرة ايام حتى حلّ عليهم البارقليط اي الروح القدس الذي وعدهم بارسالهِ (يوحنا ١٥ : ٢٦) فأنطقهم بالسنة جميع الامم التي كان حضر بعض ابنائها اورشليم لعيد العنصرة ووقفوا بذلك على الدين الجديد (اعمال ٢ : ١ــ١٢) فاعتمد في ذلك اليوم متنصرين ثلثة آلاف من اليهود (اعمال ٢ : ٤١) ثم بلغوا خمسة آلاف بعد ايام (٤ : ٤) حتى شاع اسمهم فعُرفوا بالمسيحيين (١١ : ٢٦) ثمَّ صار التخصيص لظهور بعض الشيع فدُعوا بالكاثوليك وكنيستهم بالكنيسة الكاثوليكيّة قريباً من عهد الرسل كما ورد في كتابات القديس اغناطيوس تلميذهم والفيلسوف يوستينوس النابلسي المستشهد سنة ١٦٥ م ولم يزل منذ ذاك الوقت اسمهم الخاصّ دون سواهم

٣ معتقدات الكثلكة

يؤمن الكاثوليك بكل العقائد التي اوحى الله بها في الكتب المنزلة وفي التقليد

١ ﴿ الكتب المنزلة ﴾ تُقسم الى قسمين اسفار العهد العتيق واسفار العهد الجديد « فاسفار العهد العتيق » منها اوليَّة ومنها ثانويَّة : (فالاوليَّة) هي التي كُتبت في الاصل باللغة العبرانيَّة وهي : اسفار موسى الخمسة (التكوين والخروج والاحبار والعدد وتثنية الاشتراع) ثمَّ الاسفار التاريخيَّة (يشوع والقضاة وراعوت والملوك الاربعة واخبار الايام الاثنان وعزرا ونحميا واستير) ثمَّ الاسفار النبويَّة : اربعة كبار (اشعيا وارميا وحزقيال ودانيال) واثنا عشر صغار (هوشع ويوئيل وعاموس وعوبديا ويونان وميخا وناحوم وحبقوق وصفنيا وحجَّاي وزكريا وملاخيا) ثم الاسفار الحكمية (مزامير داود وامثال سليمان وايوب ونشيد الاناشيد والجامعة)

اما الاسفار (الثانويَّة) فهي التي كُتبت في الكلدانيَّة او اليونانيَّة ونُقلت في الترجمة المعروفة بالسبعينيَّة وهي : طوبيا ويهوديت وابن سيراخ والمكابيون (اثنان)

وهذه كتب « العهد الجديد » : الاناجيل الاربعة القانونيَّة للرسولين متى ويوحنا وللتلميذين مرقس ولوقا . ثمَّ سفر اعمال الرسل للقديس لوقا . ثم رسائل القديس بولس الاربع عشرة ثمَّ رسالة القديس يعقوب ورسالتا بطرس وثلث رسائل يوحنا ورسالة يهوذا ورؤيا يوحنا

فالكنيسة الكاثوليكية تعتبر هذه الاسفار كلها موحاةً من الله لم يمسَّها التحريف . وقد استلمت اسفار العهد العتيق من شعب الله الاسرائيلي كما شاعت في الترجمة السبعينيَّة اليونانيَّة سواء كانت اوليَّة او ثانويَّة وذلك منذ القرن الثالث قبل المسيح . امَّا اسفار العهد الجديد فانَّ الشواهد على اصلها وصحَّتها عديدة كفى بيانًا لذلك ما استشهد بهمنها الآباء الاوَّلون في القرون الخمسة الاولى فذكروا معظم آياتها بحرفها . هذا الى نسخ مخطوطة من تلك الاسفار راقية الى القرن الرابع بعد المسيح . امَّا ما اشاعهُ المبتدعون بعد ذلك من الاناجيل المزوَّرة التي يزيد عددها على العشرين فالكنيسة كشفت زورها وبيَّنت تحريفها

وخلاصة هذه المعتقدات المدوَّنة ضمناً في اسفار العهد العتيق وصريحاً في اسفار العهد الجديد مرجعها الى ما يلي:

اوَّلاً ﴿ عقيدة التوحيد ﴾ اي الايمان بوجود الهٍ واحد روح بسيط ازلي لا اوَّل لهُ ولا آخر لا يحصر جوهرهُ المكان قائم بذاتهِ ذي صفات وكمالات لا حدَّ لها من قداسة وحكمة وقدرة ورحمة وعدل. وهو خالق كل الكائنات الروحيَّة والهيوليَّة من العدم بجودهِ واختيارهِ

ثانياً ﴿عقيدة التثليث﴾ هذا الاله الصمد ذو الجوهر الفرد والطبيعة الالهية الواحدة لهُ ثلثة اقانيم هي صفات جوهريَّة نسبيَّة متساوية بكل كمال وكل قدرة لا يفرقها شيء سوى نسبة بعضها الى بعض . فندعو الاقنوم الاوَّل « اباً » وهو اصل اللاهوت غير مولود وغير منبثق. والثاني « ابناً » مولودًا من الآب منذ الازل ليس ولادةً جسديَّة بل ولادة عقليَّة روحية بمعرفة الآب لذاتهِ ولكمالاتهِ فيلد بهذه المعرفة ابنهُ الشبيه بهِ وضياء مجدهِ وصورة جوهرهِ (عبرانيُّون ١ : ٣ كولوسي ١ : ١٥) فهو الهٌ من إله نورٌ من نور إله حقٌ من اله حقٌ من جوهر الآب (دستور نيقية). والثالث «روحاً قدساً» منبثقاً من الآب والابن كمن مبدإٍ واحد ليس بطريقة الولادة العقلية بل بتبادل حبّ الآب لابنهِ وحبّ الابن لابيهِ المولود منهُ. وهذا الحبّ ليس عرضيًّا بل جوهريًّا ندعوه الروح القدس. وهذه عقيدة تثليث الاقانيم في الله اوحى بها الربّ بنوع خفي وضمني في العهد العتيق كما يؤخذ من بعض آياتهِ (في سفر التكوين ١ : ٢ــ٣ وفي المزامير ٣٣ : ٦ واشعيا ٦ : ٣) ثمَّ صرَّح بها السيد المسيح في نصوص عديدة في الانجيل آخرها امرهُ لتلاميذه بان يعمدوا الامم باسم «الآب والابن والروح القدس » (متى ٢٨ : ١٩) . وقد قرَّر تلاميذه هذه العقيدة في رسائلهم بما لا يُبقي في الامر ادنى ريب لا تناقض فيهِ البتة وان كان سرًّا يفوق الادراك البشري

ثالثاً ﴿عقيدة التجسد﴾ هو سرّ الاقنوم الثاني من الثالوث الاقدس الذي تأنس واتخذ في احشاء مريم العذراء دون زرع بشري طبيعتنا البشرية بكل خواصها ما عدا الخطيئة ليفدي بني آدم من تبعة الخطيئة الاصلية التي ارتكبها الابوان الاوَّلان بمخالفتها لاوامرهِ تعالى في جنة عدن وخلَّفاها لسائر نسلهما وبها حصل هلاك الجنس البشري بفقده البرارة الاصليَّة التي مُنحها الابوان الاوَّلان قبل خطيئتهما فلم يَعُدْ

اهلًا للتمتُّع بالنعيم الابدي ومشاهدة الله في السماء . واذ كان الانسان غير قادر لحقارته على الوفاء عن خطيئته لجلال الله فانهُ تعالى رحمهُ ووعدهُ بمخلّص يُعيد لهُ بفدائهِ ما فقدهُ من تلك النعم (تكوين ٣ : ٥) . وليس هذا المخلّص إلّا السيد المسيح منتظَر الآباء والانبياء وجميع الشعوب هو الاله المتجسّد ذو الاقنوم الالهي الواحد وذو الطبيعتين الالهية والانسانيَّة (يوحنا ١ : ٢٦ــ٣٦) . فهذا الاله المتأنس قضى على الارض ثلثاً وثلثين سنة يعمل ويعلّم وانشأ كنيستهُ واسلم نفسهُ اختيارياً للعذابات وللموت ثمَّ قام بقوَّة لاهوتهِ من قبرهِ في اليوم الثالث وتراءى مراراً لتلاميذهِ ثمَّ صعد الى السماء بعد اربعين يوماً . وبكل ذلك اتمَّ جميع ما تنبَّأ عنهُ الانبياء دون ان يُخلّ من نبوَّاتهم بحرف . ولما كانت اعمالهُ سواء صدرت من طبيعتهِ الالهية كالمعجزات التي صنعها او من طبيعتهِ الانسانيَّة كمولده وموته ذات قيمة غير متناهية لصدورها عن شخصهِ الوحيد الالهي اي اقنوم ابن الله فقدَّمها لابيه ولاسيما موتهُ على الصليب تكفيراً عن خطايا البشر الذين يستطيعون بعد ذلك أن ينالوا نعمة البرارة والخلاص الابدي بواسطة المعمودية والاعمال الصالحة والتوبة عن الزلّات

رابعاً ﴿عقيدة القيامة﴾ يؤمن الكاثوليك بخلود النفس فعند انفصالها عن الجسد بالموت تدخل السماء إن كانت طاهرةً من كل خطيئة ثقيلة او خفيفة وتُعاقب بعقوبات جهنَّم الابدية إن كانت في حالة الخطأ المميت دون توبة قبل الموت . امَّا ان كانت مدنسةً ببعض الخطايا الخفيفة او لم تكفّر تماماً عن خطاياها السابقة المغفورة فيُحكم عليها بعذابات موقّتة وذلك ما يدعونهُ المطهر ريثما تفي لعدل الله الوفاء التامّ فتحظى بالسعادة . وفي آخر الازمنة سيبعث الله الموتى من قبورهم فيعودون الى اجسادهم ليحضروا الديونة الاخيرة التي يتولّاها السيد المسيح فيُحكَم نهائياً على البشر فيجازي الابرار بالنعيم الابدي ويعاقب الاشرار بالعذاب الدائم (يوحنا ٥ : ٢٦ــ٢٩)

٢ ﴿التقليد﴾ في الكنيسة الكاثوليكية معتقدات أُخر ليست مدوَّنة في الاسفار المنزلة وانَّما اخذتها بالتعليم الحيّ بسلسلة متواصلة الى عهد الرسل واعلنت بها في مجامعها او في براءات احبارها وفي تعليمها اليومي . فهذه المعتقدات التقليديَّة التي لم تصرّح بها الكتب المنزلة يمكن استنتاجها من بعض آياتها كعقيدة عصمة الحبر الاعظم عن الغلط في امور الايمان والآداب اذا علم كنائب المسيح وخليفة هامة الرسول

وكعقيدة حبل العذراء مريم بلا دنس وكعقيدة وجود المطهر وهلم جرًّا. فهذه العقائد يمكن ترقيتها الى اوائل الكنيسة وتعليم الرسل تشهد عليها نصوص الآباء والمجامع جيلًا بعد جيل ويُعلن بها ارباب الكنيسة في تعليمهم اليومي بالاجماع

٤ علامات الكنيسة الكاثوليكية

أما كانت الكنيسة الكاثوليكيَّة تُعلن بكونها هي كنيسة المسيح ويعارضها في ذلك غيرها من الكنائس المنفصلة عنها كان لا بُدَّ ان تمتاز الكنيسة الحقيقيَّة عن سواها ببعض العلامات الخاصَّة. وهذه العلامات قد سبق الرسل ودوَّنوها في دستور الايمان المنسوب اليهم وتكرَّر ذكرها في كلّ دساتير الايمان المقرَّرة بعدهم الموضحة لتعاليمهم. وهي اربعة. ان تكون الكنيسة واحدة مقدَّسة جامعة رسوليَّة وهذه العلامات لا تستطيع ان تثبتها لنفسها ايُّ كنيسة كانت إلَّا الكنيسة الكاثوليكيَّة

فهي «واحدة» باتفاق جميع اعضائها (اوَّلًا) في خضوعهم لرأس واحد منظور هو نائب المسيح وخليفة بطرس عامة الرسل والمقيم بعدهُ على كرسيّهِ في رومية العظمى. (وثانيًا) في اعتقادهم كل ما تعلّمهُ الكنيسة دون خلاف. (واخيرًا) في اشتراكهم بالاسرار عينها

وهي «مقدَّسة» لانَّ منشئها السيّد المسيح هو القداسة بالذات ثمَّ لانَّ كلّ تعاليمها وآدابها صالحة مقدَّسة. ولانها ايضًا تمنح لذويها وسائط جمَّة لتقديس نفوسهم لاسيما بالاسرار السبعة التي رسمها المخلّص والآتي ذكرها. ولانها خصوصًا قد اولدت عددًا لا يُحصى من القديسين في كلّ انحاء العالم تشهد على قداستهم اعمالهم العجيبة وفضائلهم السامية التي لا تزال آثارها ظاهرة لكل ذي عينين. كفى دليلًا عليهِ وجود الرهبانيَّات الساعية وراء الكمال بنذورها والمتفانية في عمل كلّ خير دون غاية زمنيَّة

وهي «جامعة» لانها وحدها قد نشرت تعاليمها في جميع اقطار العالم المعروف فقام دُعاتها بامر الرب الموصي بنشر انجيلهِ بين كلّ الامم ومن ثمَّ لا يكاد يخلو قطر من بعض تبعتها. وهي اعظم عددًا من اي مذهب ديني كان اذا قيست بهِ

منفرداً منقسماً كالروم والناطرة واليعاقبة والشيع البروتستانيَّة وهلمَّ جرًّا. وفي اسمها دليل على هذه السمة فان الكاثوليكية معناها الجامعة. وقد ظهرت هذه العلامة منذ عهد الرسل وقد شهد به بولس الرسول في رسالته الى اهل رومية كما سبق القول وكثيرون من الآباء بعده

وهي «رسوليَّة» لانَّ سلسلة احبارها الاعظمين تتصل دون انقطاع برأس الكنيسة الاوَّل القديس بطرس هامة الرسل الى خلفه بيوس الحادي عشر الجالس اليوم سعيدًا على كرسيّ رومية امَّا غيرها من الشيع النصرانيَّة فقد ابتدعها المراطقة كنسطور واوطيخا وفوتيوس ولوتاروس وهنريكس الثامن

هذه علامات الكنيسة الكاثوليكيَّة الاصليَّة. امَّا ما يُرى في بعض بلاد الشرق من الاختلافات في الطقوس واللغات والعادات الدينيَّة بين الكنائس الخاضعة لرومية فكلّ ذلك ثانويّ يمكن تغييره مع الزمان دون ان يمسّ جوهر الكنيسة الكاثوليكية لا بل يزينها ويزيدها جمالاً

٥ اسرار الكنيسة الكاثوليكية

يُراد بالأسرار وسائط للخلاص انشأها السيّد المسيح وعهد بها الى الكنيسة وقد دُعيت اسرارًا لانها تحتوي تحت ظواهرها المحسوسة معاني روحيَّة باطنة ونعماً تساعد الانسان على صُنع الخير والحياد عن الشرّ. وهذه هي الاسرار سبعة:

١ ﴿ المعموديَّة ﴾ التي تُمنح للمسيحي بالماء وبذكر الثالوث الاقدس بعد ميلاده الجسدي فتنظمهُ في سلك ابناء الله بمحو خطيئته الاصليَّة وتزيينه بالنعمة المبرّرة وترشحهُ للسعادة الابدية بنظر الله مع القديسين

٢ ﴿ التثبيت ﴾ الذي يُعطى بالميرون للمسيحي خصوصاً بعد بلوغه سنّ الرشاد ليقوى بنعمة السرّ على تجارب الحياة ويثبت في الايمان وفي خدمة الله على الرغم من اعداء نفسه الجسد والعالم والشيطان

٣ ﴿ القربان الاقدس ﴾ وهو سرّ جسد ودم السيد المسيح الموجود بلاهوته وناسوته تحت اعراض الخبز والخمر كما رسمهُ في العشاء السرّي في المساء السابق موتهُ

٤ ﴿ التوبة ﴾ كسرّ هي متوقفة على الاقرار بالخطايا الى الكاهن مع الندامة

عليها فينال عنها الحلّة ويستردّ ما فقدهُ من ثوب البرارة
ليوم موتهِ. واوصى بهِ تلامذتهُ ليكون في الكنيسة ذبيحة طاهرة وقرتاً للمؤمنين ليحيا بهم ويحيوا بهِ

٥ ﴿ الكهنوت ﴾ هو سرّ يُمنح بعض المؤمنين بوضع يد الاساقفة ورتب معلومة ينالون بهِ السلطة لتوزيع الاسرار وخدمة المؤمنين الروحيَّة

٦ ﴿ مسحة المرضى ﴾ سرّ يمنحهُ الكاهن بالزيت المقدَّس فيمسح بهِ حواسّ المؤمنين في امراضهم الثقيلة استغفاراً من الخطايا وطلباً للشفاء وعلى الاقلّ التماساً للصبر على الاوجاع والتسليم لارادة الله في الوفاة

٧ ﴿ الزواج ﴾ الذي قدَّسهُ السيد المسيح وجعلهُ رمزاً عن اقترانهِ السرّي بالكنيسة قد اصبح سرّاً يمنح الرجل والمرأة يوم اقترانهما نعمة العيشة الصالحة بالحبّ المتبادل والامانة وحسن تربية النسل فيزيدوا عدد ابناء الله دون طلاق البتّة

فهذه الاسرار كما ترى تتناول كل حياة الانسان الروحيَّة وترشدهُ في جميع اعماله الى ان يبلغ الغاية التي خُلق لاجلها اي خدمة الله وخلاص نفسهِ

هذه عجالة كتبناها بغاية الاختصار وان طلب الينا احد ان نوضح لهُ شيئاً مما قلنا او غير ذلك ممَّا يخصّ الدين الكاثوليكي ومعتقداتهِ واداباهِ وتاريخهُ فنحن مستعدُّون لخدمتهِ

دستور الايمان الكاثوليكي للقديس اثناسيوس

نضيف الى هذا النظر العام دستور الايمان المنسوب الى القديس اثناسيوس البطريرك الاسكندريّ الكبير وهو منقول عن تآليفهِ المتفرّقة وقد شاع شرقاً وغرباً والكنيسة اللاتينيَّة تتلوه سراً في آحاد السنة. وقد وجدناهُ مخطوطاً في بعض الكتب العربية من مكتبتنا الشرقية فراجعناه على الاصل اللاتيني كما يأتي:

كلّ من اراد ان ينال الخلاص وجب عليهِ قبل كل شيء ان يتمسَّك بالايمان الكاثوليكيّ فكلّ من لم يحفظهُ بتمامهِ وصحَّتهِ يهلك دون ريب الى الابد

وهذا هو الايمان الكاثوليكي ان نكرّم الهاً واحداً في الثالوث والثالوث في الوحدة ولا نخلط الاقانيم ببعضها ولا نقسم جوهرها

فـان اقنوم الآب غير اقنوم الابن واقنوم الابن غير اقنوم الآب واقنوم الروح القدس غير اقنومها . لكنَّ لاهوتاً واحداً فقط للآب وللابن وللروح القـدس وهم متساوون بمجد واحد وبجلال ابـدي

فكما هو الآب كـذلك الابن وكذلك الروح القـدس . فالاب غير مخلوق والابن غير مخلوق والروح القدس غير مخلوق . لا حدود للآب . لا حدود للابن . ولا حدود للروح القدس . ازليٌّ الآب . ازليٌّ الابن . ازليٌّ الروح القدس . وليس ثمَّ ثلثة ازليين بل ازليٌّ واحد كما انهم ليسوا ثلثة غير مخلوقين او غير محدودين بل واحد غير مخلوق وواحد غير محدود

وكذلك الآب قادر على كل شيء والابن قادر على كل شيء . والروح القـدس قادر على كل شيء . وليسوا بثلثة كلي القدرة بل واحد كلي القدرة . وعلى هذا المنوال الآب الله والابن الله والروح القدس الله وليسوا ثلثة آلهة بل الهٌ واحد . والآب ربٌّ والابن ربٌّ والروح القدس ربٌّ وليسوا ثلثة ارباب بل ربٌّ واحد

لانهُ كما تضطرنا الحقيقة المسيحية ان نعترف بانَّ كل اقنوم منفرداً هو الله وربٌّ . كذلك ينهانا الدين الكاثوليكي ان نقول بوجود ثلثة آلهة وثلثة ارباب

والآب لم يكن من غيره فهو غير مخلوق وغير مولود . والابن من الآب وحدهُ ليس بمصنوع ولا مخلوق بل مولود . والروح القدس من الآب والابن ليس بمصنوع ولا مخلوق ولا مولود بل منبثق

فاذن آب واحد لا ثلثة آباء وابنٌ واحد لا ثلثة بنين . وروح قدس واحد لا ثلثة ارواح قدس

وفي هذا الثالوث ليس قبـل ولا بعد ولا اكبر ولا اصغر بل الثلثـة الاقانيم متساوية في الازلية والكمالات بحيث يجب كما قيل سابقاً ان نكرّم الوحدة في الثالوث والثالوث في الوحدة . فمن اراد اذن الخلاص فليكن هذا ايمانهُ بالثالوث

ثمَّ يلزمهُ لنيل الخلاص الابدي أن نؤمن ايماناً ثابتاً بتجسّد سيـدنا يسوع المسيح وهذا هو الايمـان المستقيم ان يؤمن ويعترف بان سيّـدنا يسوع المسيح هو ابن الله اله وانسان

هو اله من جوهر الآب مولود قبل كل الدهور . وانسان من جوهر والدتهِ مولود

في الزمان . الـه كامل وانسان كامـل قائم بنفس ناطقة وجسد بشري . مساوٍ للآب في اللاهوت وانقص من الآب في ناسوته

ومع كونه اله وانسان ليس هو مسيحان بل مسيح واحد . هو واحد دون استحالة اللاهوت الى الجسد بل برفعة البشرية الى الله . هو واحد بدون اختـلاط الجوهر بل بوحدة الاقنوم . فكما ان النفس الناطقة والجسد يقوم بهما انسان واحد كذلك الالـه والانسان مسيح واحد

وهو قد تألم لاجل خلاصنـا ونزل الى الجحيم وفي اليوم الثالث قـام من بين الاموات وصعد الى السماء وجلس عن يمين الآب الكلّي القدرة ثمّ يأتي ليدين الاحياء والاموات

وعند قـدومه سيقوم جميع البشر باجسادهم ويؤدون الحساب عن اعمـالهم الخصوصيّة . فالذين عملوا الصالحات يذهبون الى الحياة الابديّة والذين عملوا السيّئات الى النار الابديّة

هذا هو الايمان الكاثوليكي الذي لا يستطيع احـدٌ على الفوز بالخلاص ان لم يعتقدهُ بامانة وثبات

ابو الطيّب المتنبي (٩١٥ــ٩٦٥)

بقلم فؤاد افرام البستاني استاذ الآداب العربية في كلية القديس يوسف

كان من نفسه الكبيرة في جيـ ـش ومن كبريائه في سلطان
(ابو القاسم الطبسي)

ابو الطيّب المتنبي ، في الآداب العربيّة صرح فـذّ رسخت آساسه ثابتة وسمت اركانه غلّابة ، وطالت ذراه جبّارة ، فبدا شديد الوطأة ، مديد الظلّ ، رائع العظمة ، على كرّ الاجيال . وقد صدمتهُ صروف الحسد زمناً ، ورشقتهُ سهام الانتقاص مدّة ، فلم تؤثر في علاه اثرًا ، ولم تنل من روعته منالًا . فهو عظيم الّتي واجهته ، عظيم كيفما جنته ، عظيم في الرجال ، وعظيم بين الشعراء

الرجل

شبابه (٩١٥ــ٩٤٨م)

اصله – نشأته – استعداده لقبول العلم

ابو الطيّب احمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجُعفي(١ الكندي الكوفي المعروف بالمتنبي. كان ابوه سقّاء في الكوفة يستقي على جمل لاهل محلّة فيها اسمها كندة ويعرفه القوم «بعَبْدان السقّاء» فوُلد لهُ المتنبي في تلك المحلّة فعُرف «بالكندي» نسبة اليها لا الى القبيلة المعروفة. وكان ذلك سنة ٩١٥م(٣٠٣هـ)

وما ترعرع ابو الطيّب حتى ظهر نبيهاً محبّاً للعلم فكان يكثر مجالسة العلماء وملازمة مكاتب الورّاقين فيقرأ ما يقع تحت يده من كتبهم ولا يلبث ان يحفظه لما وهبه الله من قوّة الذاكرة وشدّة الرغبة في التأدّب. وقد روى عنهُ احد الورّاقين لابي الحسن محمّد العلوي نادرة تبيّن قوّة حافظته وهي انهُ كان عنده فاستعرض من احد الدلّالين كتاباً من كتب الاصمعيّ فيه اكثر من عشرين ورقة فاطال تأمله الى ان قال لهُ الدلّال: «اريد بيعه وقد قطعتني عن ذلك. فان كنت تريد شراءه فعجّل الثمن وان كنت تريد حفظه فهذا يكون في شهر». فقال ابو الطيّب: «فان كنت قد حفظته في هذه المدّة فما لي عليك؟» قال: «أهب لك الكتاب!» قال الورّاق: «فاخذته من يده فاقبل يسرده عليّ الى آخره. ثم استلمه فجعله في كمه وقام. فتعلّق به صاحبه وطالب بماله». فقال: «ما الى ذلك سبيل وقد وهبته لي». قال الورّاق: «فتمناه منهُ وقلنا: انت شرطت على نفسك هذا للغلام. فتركه عليه»(٢

تنقّله في بلاد الشام – طلبه للعلم

ورأى ابوه استعداداته الطيّبة لقبول العلم فلم يقف عثرةً في سبيل ذلك بل

١) الجُعفي: نسبة الى بني جُعفى وهم بطن من سعد العشيرة من القحطانية

٢) الانباري: طبقات الادباء ص: ٣٦٧و٣٦٨ وابن نباتة المصري: سرح العيون ص: ١٥

اراد مساعدته على التحصيل فحمله الى بلاد الشام باديتها وحاضرتها فجالس الكثيرين من علماء زمانه في الادب واللغات كالزجّاج وابن السرّاج والاخفش وابن دريد وابي علي الفارسي. فاخذ عنهم. وكان اول شغفه باللغة فحصّل منها الشيء الكثير حتى كان يُعدّ من احفظ علماء عصره لغريبها وحوشيها وشواذها وقيل ان ابا علي الفارسي سأله: «كم لنا من الجموع على وزن فِعْلى؟» فقال دون تردّد: «حِجْلى وظِرْبى» (١ قال ابو علي: «فسهرت تلك الليلة التمس لهما ثالثاً فلم اجد» (٢. وكان مع شغفه باللغة يحفظ اخبار العرب واشعار الجاهليين والمتقدّمين حتى حصل لهُ من ذلك كنزٌ وافر

طموحه الى السيادة: دعوته – تنبّؤه

نشأ المتنبي في عصر كثرت فيه الدعايات من سياسيّة ودينيّة، فمن تعصّب الشيع الى دعوة الاسماعيلية الى ثورة القرامطة الى استقلال بعض الامراء عن الخلافة العبّاسيّة في الاصقاع البعيدة، مما جعل لصاحب الإقدام دافعاً على الاحتذاء بهؤلاء الامراء والتشبه باولئك الداعين لبدع جديدة في الدين. ولم يكن ينقص المتنبي الاقدام ولا محبّة الظلمة وقد جُبل عليها ورافقتهُ كل حياته. وكان يأنس من نفسه تعطّشاً شديداً الى السيادة ونهماً زائداً للفتح والاستيلاء ومقدرة على تدبير الامور لا تقصر عن مقدرة من كان يفوز بالسيادة والملك في ذاك العصر. فرأى من حقّه ان يدّعي السيادة. وشاءها اولاً مدنيّةً فدعا الى بيعته قوماً من شبّان الكوفة خلبهم بكبر نفسه وفصاحة لسانه، واخذت منهم دعواه انه علوي وكانت شيع العلويين في ذاك العصر مستعدّة لقبول كل ادّعاء والسير وراء كل امام جديد. فاتبعه بعض الناس حتى ضخم امره وبلغ خبره والي البلدة فقبض عليه واعتقله زمناً. الى ان برّح الحبس بابي الطيّب فثاب اليه رشده واستعطف الوالي بقصيدة منها:

دعوتك لما براني البلى وارهن رجليَّ ثقل الحديد
وقد كان مشيهما في النعا ل فقد صار مشيهما في القيود
تمجّل فيَّ وجوب الحدود وحدّيَ قبل وجوب السجود

١) حجلى: جمع حجَل. وظربى: جمع ظربان وهي دويبة منتنة الرائحة (putois)
٢) ابن خلكان: وفيات الاعيان: ج ١ ص: ٦٨ والانباري: طبقات الادباء ص: ٣٧٢

اي انهُ كان لا يزال صبيًا لم تجب عليه الصلوات بعد فلا يجب عليه الحدّ. فرقّ لهُ الوالي واطلقه

غير ان هذه التجربة لم تكن لتعلّمه تجنُّب الدعايات اللاشرية. ولم تكن لتنزع من نفسه حب العظمة والتفوّق المتأصل في جبلته. وكان لـهُ من تنقّل ابناء محيطه وانصراف عقولهم الى ترقّب الخوارق والارسالات الالهية واستعدادهم لاتباع كل ناعق في بوق الالهام والوحي، ومن سهولة قود الجموع الظاهرة في ثورة القرامطة وانتشار معتقدات الاسماعيلية، ما سهّل عليهِ صعوبة الإحداث وجعل بصره يطمح لا الى الامامة فحسب بل الى النبوّة. فخرج الى بادية السماوة يتلو على الاعراب كلاماً منمقاً زعم انهُ قرآن أُنزل عليهِ. وقد ذكر ابو علي ابن حامد انه نسخ سورة من هذا «القرآن» ثم ضاعت وبقي اولها في حفظه وهو: «والنجم السيار والفلك الدوّار والليل والنهار ان الكافر لفي اخطار امض على سننك واقفُ اثر من قبلك من المرسلين فان الله قامع بك زيغ من ألحد في دينهِ وضلّ عن سبيلهِ.» (١ فتبعه بعض القوم من بني كلب وكلاب وعبس وكاد يحدث احداثاً جساماً لولا ان خرج اليه لؤلؤ امير حمص من قبل الاخشيدية فقاتله وفرّق اصحابهُ وحبسه دهراً طويلًا حتى كاد يتلفه. فسُئل في امرهِ فاستتابه وكتب عليهِ وثيقة واشهد عليه فيها ببطلان دعواه ورجوعه الى الاسلام واطلقه...

هذا المشهور من امر نبوّة المتنبي. ولكن بعض الادباء يشكّون بصحة هذه الرواية ومنهم ابو العلاء المعرّي. ونحن نعرف ابا العلاء مُغرماً بالمتنبي مفضلًا اياهُ على غيره من الشعراء متتبعاً لجميع اخباره. فهو والحالة هذه من اوثق القوم بما يورده عن شاعرنا. على ان شكّ ابي العلاء ناتج على ما يظهر لمن تأمله في «رسالة الغفران» عن رغبته في تبرئة ابي الطيب بعد اخفاقه وجعله اياه فوق من نجح من القائمين بمثل هذه الادّعاءات اذ يقول: «وكان (اي المتنبي) قد طمع في شيء قد طمع فيه من هو دونهُ... وانما هي مقادير يظفر بها من وُفق ولا يراع بالمجتهد ان يخفق...»

ولهذا فلا نرى صعوبة في تصديق صحة الادّعاء اذا فهمنا جدّ الفهم عقلية عصر

١) الانباري: طبقات الادباء ص: ٣٧٠

المتنبي في الكوفة وما جاورها خصوصاً ، وعرفنا ميل الرجل للشهرة، وعدم اهتمامه بالانبياء. كافة وخفة اسمائهم على لسانه مما نراه في شعره ومما يؤيد هذا الرأي ما كان يظهره بعد توبته من التحفظ والتنصل اذا ما ذُكرت له حادثة النبوة، او قصة «قرآنه». من ذلك ما رواه التنوخي عن ابيه اذ قال : «فاما انا فسألته بالاهواز عن معنى المتنبي لاني اردت ان اسمع منه هل تنبأ او لا . فجاوبني بجواب مغالط وقال : «ان هذا شيء كان في الحداثة!» فاستحييت ان استقصي عليه فامسكت(١ .» وقال ابن خلكان بعد ان فسّر لقب المتنبي بادعائه النبوة كما ذكرناه : «وقيل غير ذلك وهذا اصحّ ! » (٢

ولما لم يرَ حظاً في هذا النوع من الشهرة انصرف عن الالوهيات الى محيط الادب راجياً ان يحصل بقصائده على ولاية او امارة حقيرة تروي له بعض تعطشه الى السيادة. فاقام يمدح الامراء وهم كثير في ذاك العصر . وكان اول وروده على معاذ بن جبل في اللاذقية فمدحه . ثم تركه متنقلاً من قطر الى آخر حتى اتصل بسيف الدولة بن حمدان

عند سيف الدولة (٩٤٨—٩٥٧)

اتصال المتنبي بسيف الدولة

كان سيف الدولة ملكاً على حلب منذ سنة ٩٤٤م . وكان محباً للادب عارفاً بجيد الشعر وشاعراً مجيداً في بعض اوقاته فاراد ان يجمع في بلاطه عدداً من الادباء والشعراء يباهي بهم الخليفة وباقي امراء عصره . فكان له ما تمنى . ويقول لنا ابن خلكان : يقال انهُ لم يجتمع بباب احد من الملوك بعد الخلفاء ما اجتمع ببابه من شيوخ الشعر ونجوم الدهر(٣ . وكان من مشاهيرهم ابو فراس الحمداني قريب سيف الدولة والسريّ الرفّاء والنامي والببغاء والوأواء وابن خالويه النحوي

اما سبب اتصال المتنبي بهذا الملك فكان ان سيف الدولة قدم انطاكية سنة

---

١) الانباري : طبقات الادباء ص : ٣٧١

٢) ابن خلكان : وفيات الاعيان : ج : ١ ص : ٤٥ــ وانظر فصلاً قيماً في صحة هذه النبوة للناقد المصري عباس محمود العقاد : مطالعات في الكتب والحياة ص : ١١٨-١٢٣

٣) ابن خلكان : وفيات الاعيان : ج١ ص : ٦٦١

٩٤٨ وبها ابو العشائر الحمداني وعنده المتنبي يمدحه فقدَّمهُ الى سيف الدولة واثنى عليهِ وعرَّفهُ منزلتهُ من الشعر والادب

انقطاعه اليه

فارتحل المتنبي مع ملكه الجديد واقام عنده منقطعاً اليه لا يمدح غيره. ونظم فيه القصائد الرنانة التي خلدت ذكر الاثنين وجمعت اسميهما الى الابد . وكان جملة ما قاله الشاعر في ممدوحه يعادل ثلث شعره وهو اجود ما في ديوانه. حتى اشتهر المتنبي شهرة سارت في الآفاق وتحدَّث به في جميع الانحاء فاحاطته الشعراء بالحسد ورموه بكل وشاية . فكان له معهم ومع الملك حوادث عديدة جرحت كبرياءه فنغَّصت عيشه واجبرته على الانقطاع والوحشة غير مرَّة. ولكن سرعان ما كان يرضى بعدها او يترضاه سيف الدولة فيعود الى ما كان عليه من نظم القصائد والشموخ على باقي الشعراء والعلماء

انفصاله عنه

حتى جرت مناظرة لغوية بينه وبين ابن خالويه النحوي في مجلس سيف الدولة فأدَّى بها الكلام الى النفور فالمهاترة فالغضب. فوثب ابن خالويه على المتنبي وكان في يده مفتاح فضرب به وجهه فشجَّه . ولم يرَ المتنبي من سيف الدولة دفاعاً عنه ولا انتصاراً له فغضب . وكان له من نفور سيف الدولة السابق اسباب غيرها فتركه الى دمشق حيث اقام مدة قصيرة ثم قصد مصر

عند كافور (٩٥٧—٩٦١)

تنقله في الشام

وكان يحكم مصر اذ ذاك كافور الاخشيدي وهو عبد اسود خصي مثقوب الشفة السفلى عظيم البطن مشقق القدمين ثقيل البدن . كان عبداً لابي بكر محمد بن طغج صاحب مصر فتوفي سيده عن ولد صغير فأخذت له البيعة وانفرد كافور بخدمته فاستبدَّ بالملك دونه

وجاء في الصبح المنبي ان أبا الطيب لما عزم على الرحيل من حلب سنة ٣٤٦ هـ (٩٥٧) لم يجد بلداً اقرب اليه من دمشق لان حمص كانت من بلاد سيف الدولة . فسار الى دمشق والقى بها عصاه . وكان بدمشق يهوديّ من اهل تدمر يُعرف بابن ملك من قبل كافور ملك مصر . فسأل المتنبي ان يمدحه فثقُل عليه فغضب اليهودي . وجعل كافور الاخشيدي ملك مصر يكتب في طلب المتنبي من ابن ملك . فكتب اليه ابن ملك أن ابا الطيب قال: «لا اقصد العبد . وان دخلت مصر فما قصدي الّا ابن سيّده .»

اتصاله بكافور

ثم نبت دمشق بابي الطيب فسار الى الرملة فحمل اليه اميرها الحسن بن طغج هدايا نفيسة وخلع عليه وحمله على فرس بموكب ثقيل وقلّدهُ سيفاً محلّى . وكان كافور الاخشيدي يقول لاصحابه : «أترونه يبلغ الرملة ولا يأتينا ؟» وهذا ممّا يدلّ على شدة رغبة كافور في ان يكون المتنبي من حاشيته كي ينافس به باقي الامراء . ثم كتب في طلبه من امير الرملة فسار اليه . فلما وصل اخلى له دارًا وخلع عليه وحمل اليه الوفاً من الدراهم فمدحه المتنبي بعدّة قصائد حسنة كي ينتقم لنفسه من سيف الدولة لِما كان يعلم من عداوة كافور لبني حمدان . ومدح في مصر ايضاً انوجور بن الاخشيد سيّد كافور فنال من الاكرام قدرًا وافرًا حتى صار «يقف بين يدي كافور وفي رجليه خفّان وفي وسطه سيف ومنطقة ويركب في حاجبين من مماليكه وهما بالسيوف والمناطق .» (١

على ان المتنبي لم يكن لينسى سيف الدولة وحفاوة سيف الدولة وبلاط سيف الدولة، وكثيرًا ما ندم على تركه حلب ولمح الى اميرها في اشعاره وهو انما كان يمدح كافورًا طمعاً في ولاية او إمارة يفتخر بها . وكان كافور قد طمّعه في ذلك بادئ بدء وطال زمن الوعد حتى يئس المتنبي وخافه كافور لما رأى من شموخه وكبريائه وسموّه في شعره حتى قال لمن عاتبه في امره: «يا قوم! من ادّعى النبوّة بعد محمد (صلعم) ألا يدّعي الملك مع كافور ؟ فحسبكم .»

١) ابن خلكان: وفيات الاعيان ج: ١ ص: ٤٥

انفصاله عن كافور

فاغضب المتنبي هذا المطل بالوعد فخرج من مصر حانقاً سنة ٣٥٠ هـ (٩٦١) ونظم في هجو كافور قصائد ومقطعات كانت اليمة الوقع عليه شديدة الوطأة حتى ارسل بعض رجاله في طلب المتنبي فلم يدركوه

رجوعه — تنقله في العراق وفارس (٩٦١—٩٦٥)

في بغداد

وعاد المتنبي من مصر خائباً. ولما لم يرد الرجوع الى حلب دون دعوة من سيف الدولة سار توًّا الى بغداد مقرّ الخليفة وهو اذ ذاك المطيع لله العباسي (٩٤٦ــ٩٧٤) فرغب اليه الوزير المهلّبي ان يمدحهُ فترفّع ذهاباً الى انه لا يمدح غير الملوك. فشقّ ذلك على الوزير فاغرى به شعراء بغداد وهم كثير منهم ابن الحجاج وابن سكرة الهاشمي والحاتمي فتباروا في هجائه ونالوا من عرضه وتفاجروا به وتنادوا عليه. فلم يجبهم ولم يفكر فيهم. وقيل له في ذلك فقال: اني فرغت من اجابتهم بقولي لمن هم ارفع طبقة منهم في الشعراء:

اني كل يوم تحت ضبني شويعرٌ ضعيف يقاويني قصير يطاولُ

وقولي:

واذا اتتك مذمتي من ناقص فهي الشهادةُ لي باني كاملُ (١

ثم تابع سيره الى الكوفة فمدح فيها ابا الفوارس دلّير بن لشكروزّ

عند ابن العميد

وكان ابن العميد ابو الفضل محمد بن الحسين وزير ركن الدولة ــ وهو من مشاهير العلماء والكتاب ــ قد راسله من أرّجان. فسار اليه ومدحه واقام عنده مدّة كانت له فيها معه مساجلات لطيفة

١) الثعالبي: اليتيمة ج ١: ص٨٧

وروى الثعالبي ان الصاحب بن عباد طمع في زيارة المتنبي اياه باصبهان وهو اذ ذاك شاب ولم يكن استوزر بعد . فكتب اليه يلاطفه في استدعائه وضمن له مشاطرته جميع ماله . فلم يكترث له المتنبي ولا جاوبه عن كتابه ولا الى مراده . فغاظ ذلك الصاحب وكان سبب عدائه للمتنبي فاخذ يتتبع عليه سقطاته في شعره وينعي عليه سيئاته

عند عضد الدولة

وفي سنة ٩٦٥ ارسل عضد الدولة بن بويه الى المتنبي يستزيره . فودّع الشاعر ابن العميد وسار الى شيراز فحظي عند عضد الدولة وفاز بجميع امانيه فمدحه مدائح خالدة . ولكنه لم يطل عنده اقامته بل اراد الرجوع الى بغداد فودّعه في اول شعبان سنة ٣٥٤هـ (٢ آب ٩٦٥ م) بقصيدة كانت آخر ما نظم

قتله (٢٧ ايلول ٩٦٥)

وخرج ابو الطيب من شيراز قاصداً بغداد مع ابنه محمّد وبعض غلمانه وقد حمل جميع ممتلكاته . فلما كان بالقرب من النعمانية عند دير العاقول في الجانب الغربي من سواد بغداد في موضع اسمه الصافية عرض له فاتك بن ابي جهل الاسدي في عدة من اصحابه فاقتتلا . فقُتل المتنبي وابنه وغلام له اسمهُ مُفلح وذلك في ٢٨ رمضان سنة ٣٥٤هـ (٢٧ ايلول ٩٦٥) على الاصحّ

واحسن تفصيل لسبب قتله وكيفية ذلك ما جاء في الصبح المنبي قال :

«قال الخالديان : كتبنا الى ابي نصر محمد الجبلي نسأله عما صدر لابي الطيب المتنبي بعد مفارقته عضد الدولة وكيف كان قتله وابو نصر هذا من وجوه الناس في تلك الناحية وله فضل وادب وحرمة . فاجابنا عن كتابنا جواباً طويلاً يقول في اثنائه : «اما ما سألتم عنه من خبر مقتل ابي الطيب المتنبي فانا اسوقه لكم واشرحهُ شرحاً بيّناً : اعلموا ان مسيره كان من واسط يوم السبت لثلاث عشرة ليلة بقيت من رمضان سنة ثلاث مئة واربع وخمسين (١٦ ايلول ٩٦٥) . فقُتل بضيعة تقرب من دير العاقول لليلتين بقيتا من شهر رمضان (٢٧ ايلول ٩٦٥) والذي تولى قتله وقتل ابنه وغلامه

رجل من بني اسد يقال له فاتك بن ابي جهل بن فراس بن شدّاد الاسدي. وكان من قول فاتك لما قتله: «قبحاً لهذه اللحية! يا قذّاف المحصنات» وذلك ان فاتكاً هذا هو خال ضبّة بن يزيد العيني الذي هجاه ابو الطيب بقوله:

«ما انصف القومُ ضبّهْ . . . . .

«فيقال ان فاتكاً داخلته الحمية لما سمع ذكر اخته ام ضبّة بالقبيح في هذه القصيدة. فكان ذلك سبب قتل ابي الطيب واصحابه وذهاب ماله

«واما شرح الخبر فان فاتكاً هذا صديق لي. وهو كما سُمي فاتك لسفكه الدماء وإقدامه على الاهوال. فلما سمع القصيدة التي هجا بها ضبة اشتد غضبه ورجع على ضبة باللوم وقال له: «كان يجب ان لا تجعل لشاعر عليك سبيلاً!» وهو يضمر السوء على ابي الطيب ولا يتظاهر به. ثم بلغه انصراف ابي الطيب من بلاد فارس وتوجهه الى العراق وعلم ان اجتيازه بجبل دير العاقول. فلم يكن ينزل عن فرسه ومعه جماعة من بني عمه يرون في المتنبي مثل رأيه. فكانوا لا يزالون يتنسّمون اخباره من كل صادر ووارد. وكان كثيراً ما ينزل عندي. فقلت له يوماً وقد جاءني وهو يسأل قوماً مجتازين عن المتنبي: «اراك قد اكثرت السؤال عن هذا الرجل فما تريد منه اذا لقيته؟» فقال: «ما اريد الّا الجميل وعذله على هجاء ضبّة». فقلت: «هذا لا يليق باخلاقك.» فتضاحك ثم قال: «يا ابا نصر والله لئن اكتحلت عيني به او جمعتني واياه بقعة لاسفكنّ دمه واصرم حياته إلّا ان يحال بيني وبينه بما لا استطيع دفعه». فقلت له: «كفّ عافاك الله عن هذا وارجع الى الله. فان الرجل شهير الاسم بعيد الصيت ولا يحسن منك قتله على شعر قاله. وقد هجت الشعراء الملوك في الجاهلية والخلفاء في الاسلام فما سمعنا بشاعر قُتل بهجائه. وقد قال الشاعر:

«هجوتُ زهيراً ثم اني مدحته وما زالت الاشراف تُهجى وتُمدحُ»

فقال: «يفعل الله ما يشاء!» وانصرف

«وما مضى بعد هذا الّا ايام حتى وافاني المتنبي ومعهُ بغال موقرة من الذهب والفضة والطيب والملابس والتجملات النفيسة والكتب الثمينة والادوات الكثيرة لانهُ كان اذا سافر لا يترك في منزله درهماً ولا شيئاً يساويه. وكان اكثر اشفاقه على دفاتره لانه كان قد انتخبها واحكمها قراءةً وتصحيحاً

« قال ابو نصر : فتلقيته وانزلته في داري وسألته عن اخباره وعمّن لقي في تلك السفرة . فعرّفني من ذلك ما سُررت به له واقبل يصف ابن العميد وفضله وكرمه وعلمه وكرم عضد الدولة ورغبته في الادب وميله الى الادباء . فلما امسينا قلت : «يا ابا الطيب علامَ انت تجمع ؟ » قال : « على ان اتخذ الليل مركباً فان السير فيه اخفّ عليّ » . قلت : « هذا هو الصواب ! » وجاء ان يخفيه الليل ولا يصبح الّا وقد قطع بلداً بعيداً . وقلت له : « والرأي ان يكون معك من رجال هذه البلدة الذين يعرفون هذه المواضع المخيفة جماعة يمشون بين يديك الى بغداد . » فقطب وجهه وقال : « فما تريد بذلك ؟ » قلتُ : «اريد ان تستأنس بهم في الطريق» . قال : « انا والجراز في عاتقي فما بي حاجة الى مؤنس غيره» . قلتُ : « الامر كما تقول . ولكن الرأي في الذي اشرتُ به عليك» . فقال : « تاريحك يُنبئ عن تعريض وتعريضك يُنبئ عن تصريح . فعرّفني جليّة الامر» . قلتُ : « ان هذا الجاهل فاتكاً الاسدي كان عندي من ثلاثة ايام وهو غير راضٍ عنك لانك هجوت ابن اختهِ ضبة . وقد تكلم بما يوجب الاحتراز والتيقّظ . ومعه ايضاً جماعة نحو العشرين من بني عمه يقولون مثل قوله» . فقال غلامه : « الصواب يا مولاي ما اشار بهِ ابو النصر . خذ معك عشرين رجلاً يسيرون بين يديك الى بغداد . فان ذلك احوط ! » فاغتاظ ابو الطيب من غلامه غيظاً شديداً وشتمه شتماً قبيحاً وقال : « والله ! لا ارضى ان يتحدّث الناس باني سرت في خفارة احد غير سيفي . »

« قال ابو نصر : فقلت : « يا هذا انا اوجّه قوماً من قبلي في حاجة لي يسيرون بسيرك وهم في خفارتك» . فقال : « والله لا فعلت شيئاً من هذا» . ثم قال : « يا ابا نصر أبنجر الطير تخوّفني ومن عبيد العصا تخاف عليّ ؟ والله لو ان مخصرتي هذه ملقاة على شاطئ الفرات وبنو اسد معطشون لخمس وقد نظروا الماء كبطون الحيّات ما جسر لهم خفّ ولا ظلف ان يَرِدهُ . معاذ الله ان اشغل فكري بهم لحظة عين! » . فقلت له : « قل : ان شاء الله ! » . فقال : « هي كلمة مقولة لا تدفع مقضياً . ولا تستجلب آتياً . »

« ثم ركب فكان آخر العهد به . ولما صحّ عندي خبر قتله وجّهت من دفنه ودفن ابنه وغلمانه . وذهبت دماؤهم هدراً . »

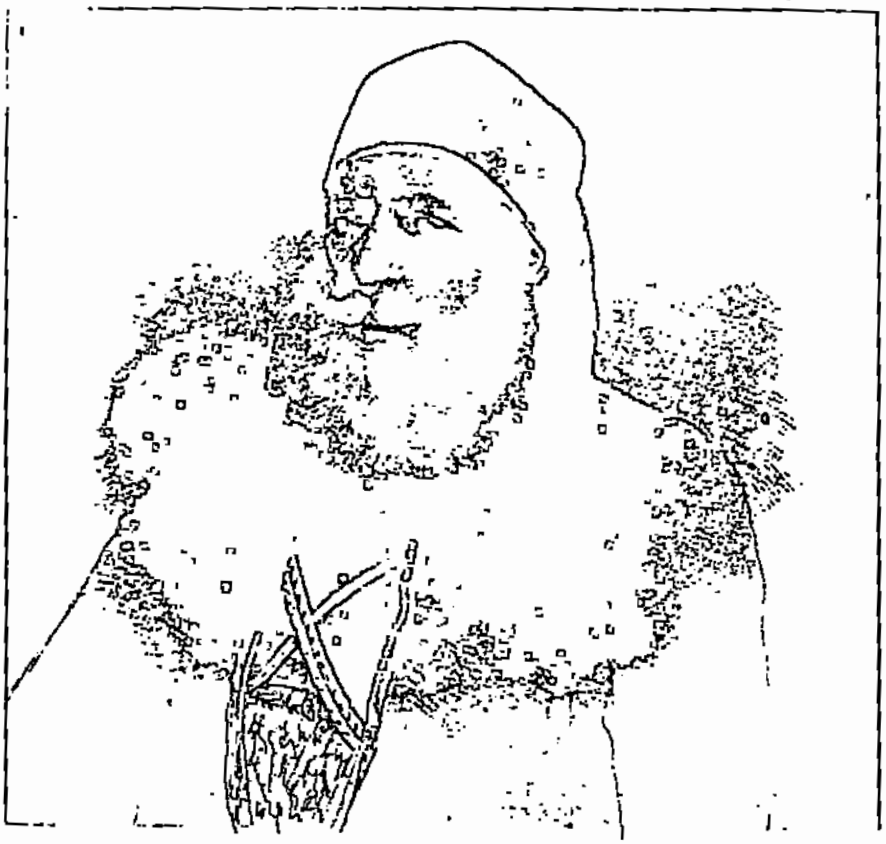

محمد علي باشا

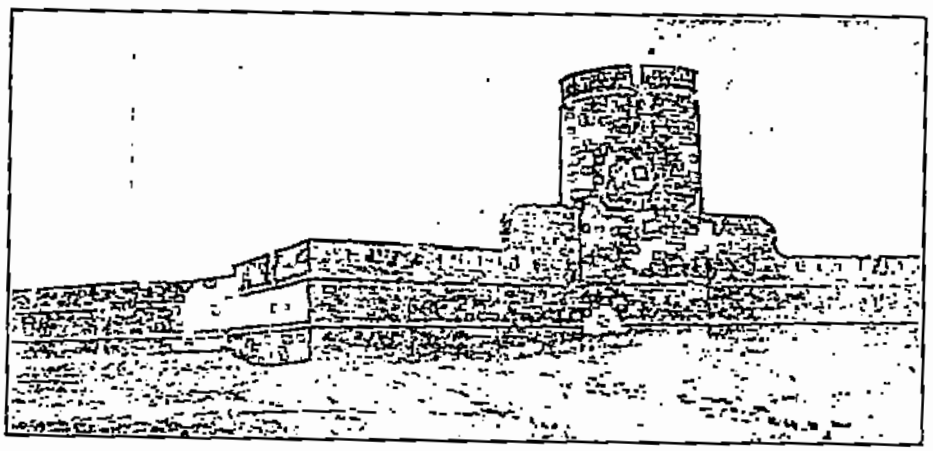

قلعة محمد علي

هذا وقد ذكر بعض الرواة ومنهم ابن الرشيق في العمدة في باب منافع الشعر ومضارّه ان ابا الطيب قاتل حتى احسّ بالضعف فعمد الى الفرار فقال له غلامه: « لا يتحدّث الناس عنك بالفرار وانت القائل » :

« فالخيلُ والليل والبيداء تعرفني والسيف والرمح والقرطاس والقلمُ »

فقال: « قتلتني قتلك الله ! » وكرّ راجعاً حتى قُتل

رثاؤه

وقد رثى المتنبي كثيرٌ من الشعراء المجيدين منهم ابوالفتح عثمان بن جنّي النحوي المشهور وابو القاسم مظفر بن علي الطبّسي ومن قول هذا في ذكره:

كان من نفسه الكبيرة في جيشٍ ومن كبريائهِ في سلطانِ
ما رأى الناس ثانيَ المتنبي ايُّ ثانٍ يُرى لبكر الزمانِ
هو في شعره نبيٌّ ولكن ظهرت معجزاته في المعاني

(له بقية)

قلعة نابوليون المزعومة على المقطم

نبذة مقتطفة من تأليف الباحث المدقّق محمّد عبد الجواد الاصمعيّ [1]

انّ فوق الجبل المشرف على القاهرة الشهير بالمقطّم ابنيةً جليلة اخصها القلعة القديمة المنسوبة الى السلطان صلاح الدين الايوبي والمعروفة بقلعة الجبل ثمّ الجامع البديع الذي شيّدهُ محمّد علي منشئ الدولة المصريّة الحاضرة التي يجلس اليوم على اريكتها صاحب الجلالة الملك فؤاد الاوّل. وفوقهُ كذلك مسجد قديم يُعرف بمسجد الجيوشي وليس بعيداً منه ابنية محصّنة تُعرف عند العموم بقلعة نابوليون لزعمهم انّهُ شيّدها لما حمل على مصر سنة ١٧٩٨

١) راجع كتابهُ المتع قلعة محمّد علي لا قلعة نابوليون . في مطبعة دار الكتب المصريّة بالقاهرة ١٣٤٢-١٩٢٤

وقد شاع هذا الزعم حتى اصبح كالحقيقة التاريخيّة. قال الاستاذ الاصمعي: «لبث علماء التاريخ والمتقطعون لدراسة الآثار في مصر وغيرها حيناً من الدهر يقولون انّ تلك القلعة الباذخة الاركان الشامخة البنيان من عمل عظيم الفرنسيس نابليون. وقد قامت بشأنها في السنة ١٣٣٦ هـ (١٩١٧ م) ضجّة عظيمة على صفحات الجرائد العربية بين يوميّة واسبوعيّة من طلبة المدارس الثانويّة والعالية ومحبي الآثار المصريّة لمعرفة حقيقة هذه التسمية ولماذا سُمّيت القلعة بهذا الاسم. فطلبوا من لجنة حفظ الآثار العربيّة وصاحب العزّة الشيخ محمّد الخضري بك وكيل مدرسة القضاء الشرعي واستاذ التاريخ بالجامعة المصرية يومئذ ان يرشدهم الى تلك الحقيقة التي عُمّيت عنهم ... فمرّت الايام وتعاقبت الشهور فلم يلبّوا الدعاء.»

ثمّ تناولت الجرائد المصريّة هذا البحث «فزعم البعض (١ انّ مشيّدها السلطان صلاح الدين الايوبي واستشهد بما قالهُ المقريزي عن «قلعة الجبل» المعروفة في جميع كتب التاريخ... وادّعى آخرون انّها بُنيت في عهد المماليك. والمعروف الآن على ألسنة طلبة العلم واساتذتهم من مصريين وفرنجة انّها من آثار نابليون بدون ان يؤيّدوا ما يرونهُ عنها ببرهان او صحة دليل حتى تغالوا وكتبوا على بابها بالطلاء جملة بالفرنسيّة (Souvenir de l'Expédition française) اي تذكار الحملة الفرنسويّة»

قال الاستاذ: «ولمّا اصبحت هذه المسألة التاريخيّة جديرة بالبحث تفادياً من الوقوع في هذا الارتباك والخبط في اودية التضليل الذي وقع فيه بعض من يدّعون البحث والتنقيب.. رأينا انهُ من العار الكبير ان نجهل حقيقة من شيّد اركانها واقام بنيانها فوصلنا سواد الليل ببياض النهار لاستيفاء هذا البحث التاريخي»

ليست القلعة لنابليون

«وزيادةً للتحقيق طلبتُ من صاحب السعادة الاستاذ احمد زكي باشا المعروف بعلوّ كعبهِ في البحث والتحقيق والقدح المعلّى في التنقيب ان يبحث في خرائط الحملة الفرنسية والكتب التي دُوّنت في ايّامهم عن وجود هذه القلعة اذا كانت من اعمال

١) راجع جريدة المرآة الصادرة في ١٨ ايار سنة ١٩١٧

نابليون كما يدَّعون ام لا . فبحث حفظهُ الله فيما وضعهُ المؤرخون الفرنسيون انفسهم عن الحملة الفرنسية على مصر الذين لم يغادروا صغيرة ولا كبيرة إلَّا احصوها في كتبهم ورسموها في خرائطهم فلم يجد لهذه القلعة من اثر

«وافادنا ان الفرنساويين انفسهم وقت استيلائهم على مصر رسموا خريطة القاهرة ولم يغفلوا الاشارة الى الابراج والحصون والاستحكامات التي اقاموها حول عاصمة وادي النيل لقمع الفتن التي كانوا يتوقعون حدوثها داخل القاهرة . هذه الخريطة الكبرى لمدينة القاهرة طبعوها ضمن كتابهم الكبير الموسوم وصف مصر (Description de l'Egypte) (نُشرت هذه الخريطة هنا مصغَّرة)

«وقد طبع الكتاب مرَّتين . . وفي كلتا الطبعتين لم يظهر اثر مطلقاً لهذه القلعة لا في المتن ولا في الخريطة الجامعة لكلّ ما كان في القاهرة وما شيَّدوهُ فيها من القلاع والحصون في أيام بونابرت حتى بعد سفره من مصر . . . وهي برج مارتينه (Tour Martinet) وبرج سورنيه (T. Sornet) وبرج لامبير (T. Lambert) وبرج ريبول (T. Reboul) وبرج ديبوي (T. Dupuis) وبرج ڤينو (T. Venouz) وبرج جريزيو (T. Grézieux) وبرج شلوكوڤسكي (T. Chloukowsky)

«وهنالك ما هو اكبر في الدلالة والبرهان وذلك انهم حوَّلوا بعض المجامع وبعض الابواب الاثريَّة بمصر الى قلاع وابراج واطلقوا عليها اسماء رجالاتهم وقوَّادهم واهملوا اسماءها العربية التي كانت قبلهم ولا تزال هذه الاسماء الى الآن منقوشة عليها مثل باب الفتوح فقد حصَّنوهُ وجعلوهُ قلعة باسم برج لسكال (Tour Lescal) ومثل مئذنة جامع الحاكم فقد فعلوا ذلك فيها وسمَّوها قلعة ڤاي (Fort Vaille) ومثل باب النصر فقد سمَّوهُ برج يوليان (Tour Julien) . . . فاذا كان الفرنسويون اطلقوا اسماء رجالاتهم وقوَّادهم على نفس الجوامع والمآذن الاسلامية فهل يدور بخلد عاقل انهم يغفلون الاشارة الى قلعة بناها بونابرت ؟ هذا ما لا يتصوَّرهُ رجل رشيد . وهم انهم تركوا ذكرها لا لسبب آخر سوى انَّ بونابرت لم يعرفها ولم يشيدها ولم يكن لها وجود في ايامهِ ولا في أيام من بقي بعدهُ من رجال الحملة الفرنسيَّة حتى سنة ١٨٠١م التي تمَّ فيها خروجهم من مصر»

بل القلعة لمحمَّد علي باشا

«لمّا كانت هذه القامة من الآثار التي وجب علينا البحث عن حقيقتها لم نترك كتاباً مخطوطاً او مطبوعاً في تاريخ مصر منذ عهد الدولة الايوبيَّة الى أيام المرحوم محمَّد علي باشا الّا قرأناه ولا باباً الّا درسناه حتى وفّقنا الله بهداية التحقيق الى كتاب مخطوط غير معروف للآن محفوظ بدار الكتب المصريَّة ضمن كتب التاريخ تحت رقم ٥٨٥ عنوانهُ «تاريخ الوزير محمَّد علي باشا» ومؤلفهُ العلّامة المؤرخ الشيخ خليل ابن محمَّد الرجبيّ الشافعي الشاذلي احد معاصريهِ قال في مقدّمتهِ: «انَّ شيخ الاسلام الشيخ محمَّد العروسي امرهُ بتأليفهِ وانَّ ذلك كان في سنة ١٢٤٥هـ(١٨٢٩م)اي قبل وفاة محمَّد علي باشا بعشرين سنة

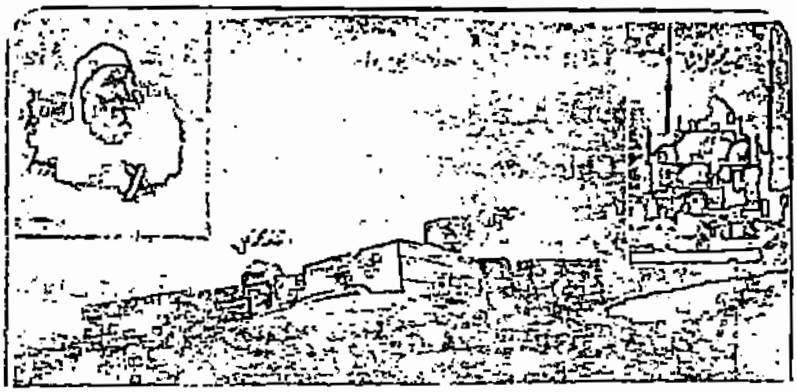

نسب الرواة الى «الفرنسيس» غريبة — لم يروها التاريخ في أدواره
ذكروا «لنابليون» مالم يبنه — والحق لا يخفى على أنصاره
«فالجامع الأسمى» بناؤ «محمد» — وكذاك هذا الحصن من آثاره

حسن ياسين

المقطم وابنيتهُ

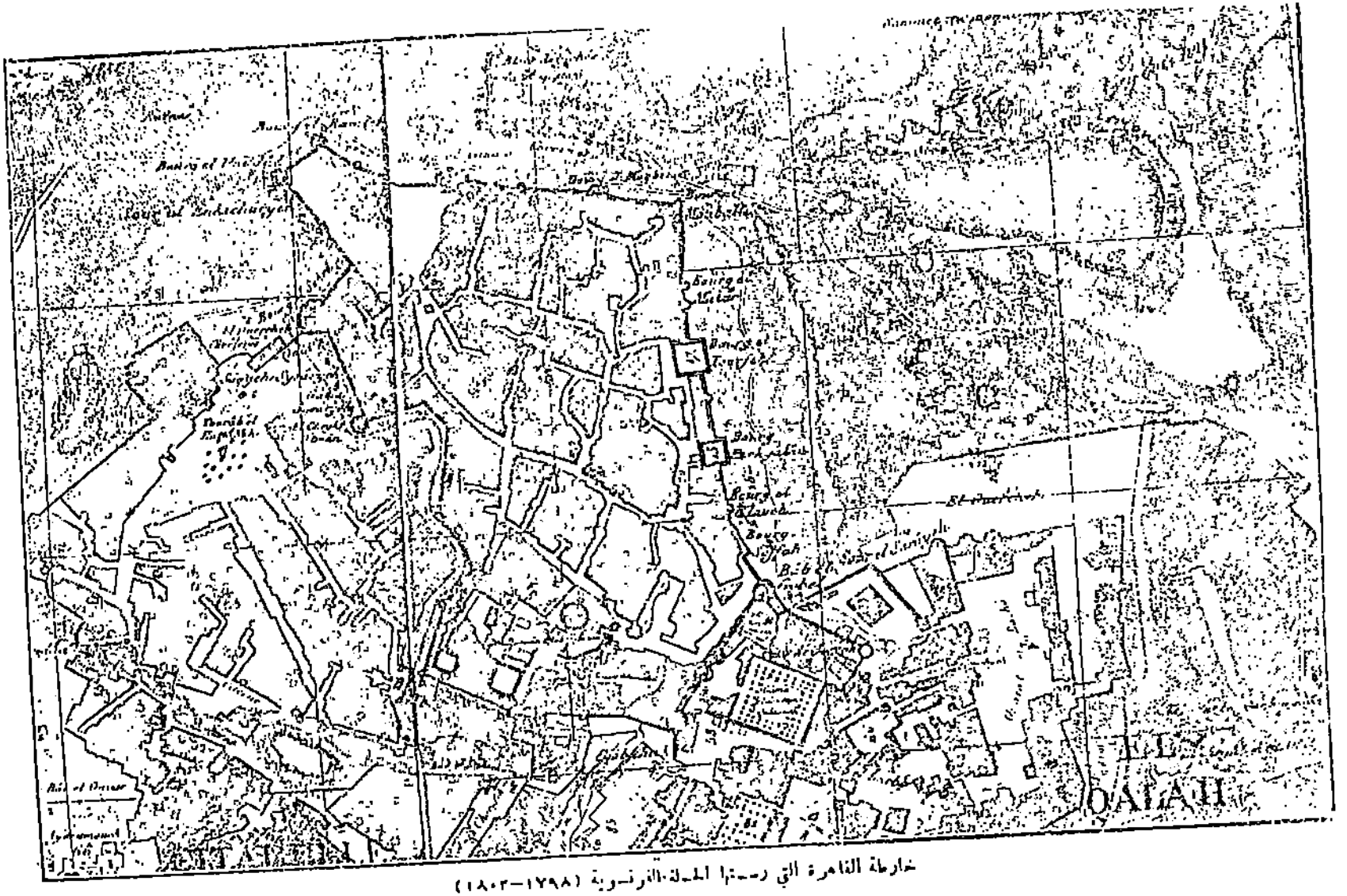

خارطة القاهرة التي رسمتها الحملة الفرنسية (١٧٩٨-١٨٠٢)

«تصفَّحنا هذا الكتاب الثمين فاذا هو يحتوي على شذرات من تاريخ مصر قبل دخول الفرنسيين اليها وحالة امرائها واخلاق محمَّد علي باشا واخراجهِ من كان بمصر من المماليك المفسدين وغيرهم وتعميرهِ ارض مصر وإحياء قطرها بالزرع . ولكنَّ الامر المهمَّ والتحفة النادرة في هذا الكتاب الثمين هو انَّ المؤلف عقد فصلًا ذكر فيهِ بعض آثار محمَّد علي من الابنية والعمارات وغير ذلك . حينئذٍ لاحت لنا بوارق الفتوح اذ توسَّمنا انهُ لا بُدَّ ان يكون فيهِ شفاء غلَّتنا وانهُ سيكون خير مرشد الى ضالَّتنا المنشودة

«وانَّنا نحمد الله فقد تحقَّق الظنّ اذ وجدنا في هذا الكتاب النفيس ما كنَّا نسعى وراءهُ من البيان الصحيح والرواية الصادقة فيما يتعلَّق بشأن هذه القلعة

«ففي مقالتهِ الرابعة يصف الكاتب الطريق الذي اوصله محمَّد علي من باب قلعة الجبل وسار بهِ ممتدًّا الى المقطَّم باتقان العمل . . . وهذا الطريق في غاية الاتساع يزيد مقدارهُ عن الف ذراع . . ثم قال :

وبعد ان فرغوا من الطريق وايصالهِ والتصاقهِ بالجبل وتمام اتصالهِ امر (اي محمَّد علي) ان يُبنى بذروة الجبل قلعة حصينة تصدّ مجلّها كل وجل، وان يُتخذ بها سبيل جليل لخزن الماء العذب ليكون ثمَّ كالسبيل، فبنيت بهِ القلعة مع اتقان التحصّن بالابراج، وهي هناك كالكوكب السامي الساطع الوهّاج، وظهر بناؤهُ مظهرًا جميلًا، واقام بهِ قيّمًا رئيسًا وكيًا وكيلًا، وتمَّ احكام ذلك السبيل المتين، وامتلأ من صافي العذب المَعين، ثمَّ اعدَّ بهِ اجناد الحراسة، وامدَّهم بأسرار العدّة والحماسة، وشحنهُ بالذخائر الكاملة، والمدافع المريعة لمن أمَّ له، فصار بهجة للناظر، وحجّة لارغام انف المناظر، وهو لعمري من اعظم لوازم حفظ القلعة، واكبر المنافع لها في القوَّة والمنعة، وكانت الامراء والملوك من السابقين، في غفلة عن صنع مثله اجمعين، ولكنَّ للمظاهر ارباب، وللمعالي روَّاد وطلَّاب . . .

«فلمَّا ظفرنا بهذه الغنيمة بعد طول البحث وكثرة التنقيب بلغ منَّا السرور كل مبلغ . . وقد تثبَّتنا من صحَّة رواية هذه النسخة بمراجعة نسخة اخرى محفوظة بالخزانة الزكيَّة فوجدناها مطابقة لها تمام المطابقة

«وقد اتت بعد ذلك مستندات اخرى تؤيد ما ورد في التاريخ السابق ذكره من جملتها ما افادنا صاحب السموّ الامير عُمر طوسون نقلًا عن كتاب سياحة دوقة واكوزه المريشال مارمون (Maréchal Marmont) الذي زار مصر في ايام محمَّد

على سنة ١٨٢٣ ومما جاء في الجزء الثالث من سفر سياحتهِ المطبوعة في باريس سنة ١٨٣٧ (ص ٢٨١) ما تعريبهُ :

«لمَّا كانت القلعة (اي قلعة الجبل) يُشرف عليها جبل المقطم الذي هو نهاية سلسلة جبال العرب شيَّد محمد علي على قمَّة هذا الجبل حصناً على النسق التركي ليكون في قبضة يدهِ بتحكُّمهِ في هذه القمة . وقد عُني بهذا الحصن العناية الواجبة وجعلهُ قادرًا على مقاومة من يريد اقتحامهُ . . . وهذا الحصن مربَّع ضيِّق النطاق يستند الى سياج من الحجارة وفي وسطهِ برج والبرج والحصن مسلَّحان بالمدافع »

«وممَّا يؤيِّد هذا ايضاً ما كتبهُ المؤرخ الفرنسي والدكتور الشهير كلوت بك (Clot Bey) احد معاصري المغفور لهُ محمَّد علي في كتابهِ «لمحة عامَّة الى مصر» الذي عرَّبهُ الكاتب البليغ محمَّد مسعود بك المحرَّر الفنِّي بوزارة الداخليَّة فقد ورد فيهِ (١ : ٤٤) ما نصُّهُ :

« اما (القلعة (قلعة الجبل) فالى الجنوب من القاهرة على الجبل الاخير من سلسلة جبال المقطم وهي تحكم المدينة وقد انشأها في مكانها السلطان صلاح الدين الايوبي ليس لها في الحقيقة اهمية ما من الوجهة الحربية لانَّ هناك جبلاً آخر يتسلَّط عليها انشأ محمد علي فيهِ قلعة صغيرة تعوِّض ما ينقص القلعة الاصلية من جودة الموقع ومزيَّتهِ »

«فكلُّ هذه الادلة الواضحة تزيل كل شكٍّ عن نسبة هذهِ القلعة الى محمد علي . وقد اتتنا التهانئ على تحقيقنا لهذا البحث من قبل صاحب الجلالة الملك فؤاد الاوَّل ومن ارباب العلوم والآثار وقد صدَّقت على قولنا معظم الجرائد الوطنية فنقدِّم لجلالتهِ ولجميع الذين تفضَّلوا وبلَّغونا سموَّ رضاهم عواطف شكرنا العميم »

(المشرق) ونحن نهنِّئ الاستاذ الاصمعيَّ على كشفهِ لتلك القضيَّة التاريخيَّة المعمَّاة . وفي طريقة بحثهِ احسن مثال لبيان الحقائق بأدلَّة وضعيَّة ومستندات راهنة لا شكَّ فيها . فلجنابهِ اطيب الثناء على اجتهادهِ وتحقيقهِ

شعراء النصرانية بعد الاسلام

شعراء القرون المتأخرة مباشرة بالقرن الرابع عشر

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

١٧ مكرديج الكسيح

﴿ اخبارهُ ﴾ هذا ايضاً من جملة اهل الشهباء الذين نبغوا في القرن الثامن عشر ويُعَدّ من اركان النهضة الادبية التي انبعثت في ذلك العصر ومن الشهباء انتشرت في باقي انحاء سوريّة ولبنان ثم في القطر المصري

اخبار مكرديج الكسيح كأخبار رصفائهِ السابق ذكرهم لا تزال مطويّة في زوايا النسيان . فدونك كلّ ما امكننا ان نستخرجهُ من ضمن كتاباتهِ ومكاتبات اهل عصرهِ

هو مكرديج بن عبدالله المخلّع او الكسيح وُلد في كلس بلدة قريبة من حلب في اواخر القرن السابع عشر وانتقل في حداثتهِ الى الشهباء . وكان ارمنيَّ الاصل كاثوليكيَّ المذهب ومكرديج اسم ارمني معناهُ يوحنّا المعمدان . امّا اسمهُ الكسيح او المخلّع فالظاهر انهُ لقبٌ يدلُّ على مرض مزمن اصابهُ في قسم من حياتهِ . اضطرَّهُ الى السكون في بيتهِ دون ان يمنعهُ عن الدرس والتأليف . وقد عثر المترجم طويلاً ولم نقف على سنة وفاتهِ والمرجّح انها وقعت في القسم الثاني من القرن الثامن عشر

﴿ آدابهُ وعلومهُ ﴾ كان مكرديج متضلّعاً من آداب عصرهِ بارعاً في العلوم . فوجد في سقَمهِ باعثاً لخدمة معاصريهِ بالتأليف . وقد سردنا قائمة تآليفهِ في كتابنا المخطوطات العربيّة لكتبة النصرانيّة (ص١٩٥ــ١٩٦) . فمنها مصنّفات تدلُّ على عظم

تقواه وورعه مثل كتابه ظلّ الكمال في تثقيف الاعمال في فضائل السيّد المسيح وتعاليمه. وكتابه تردُّد النفس مع الله. وكتابه التبر المكنوز لمنفعة الكاروز وضعهُ لافادة الواعظين. وكتابه الطبّ الروحاني في الندامة والاعتراف. وخصوصاً كتابه مصابيح الاحكام الجليَّة في حلّ المشكلات الانجيليَّة حلّ فيه ١٥٠ مشكلاً كتابيًّا

ولهُ تآليف أُخرى ادبيَّة منها كتابهُ ريحانة الارواح وسُلَّم الآداب والصلاح ألَّفهُ السنة ١٧١٨ في ١٢ فصلاً ضمَّنها حكماً في الفضائل الادبيَّة والزهديَّات نقلها عن الاسفار المقدَّسة والآباء والفلاسفة والشعراء ما يشهد على سعة معارفهِ وكثرة مطالعاتهِ

وقد أحبَّ ايضاً ان يخدم اللغة العربيَّة بتأليف كتاب جليل واسع الموادّ دعاهُ كتاب الاهرامات يبلغ في نسخة مكتبتنا الشرقيَّة نيّفاً وسبعمائة صفحة قسمهُ الى ثلثة اهرام تشبيهاً باهرام الجيزة في مصر. افرد الهرم الاوَّل للمفردات العربيَّة عن السماء والموجودات العلويَّة والافلاك والمظاهر الجوِّيَّة والمواليد الطبيعيَّة والعالم المدني في ٩٣ باباً. وخصَّ الهرم الثاني باسماء آلات الصنائع والمهن وادوات الحروب في ٤٧ باباً. وروى في الهرم الثالث المفردات المختصَّة بالعلوم اللغويَّة والادبيَّة والفلسفيَّة والرياضيَّة والطبيعيَّة والفرق الدينيَّة ومساجدها وفي عواقب الانسان والعالم الآخر كجهنَّم والشياطين الخ. فهذا التأليف جدير بأن يُنشر بالطَّبع لكثرة فوائدهِ

﴿ رسائلهُ النثريَّة وشعرهُ ﴾ شُغِف مكرديج الكسيح بالكتابة وقد تُرى لهُ رسائل مسجَّعة منمَّقة كرسائل ادباء عصرهِ التي سبق لنا ذكر بعضها في التراجم السابقة وقد اطرأها الخوري نيقولاوس الصائغ في بعض كتاباتهِ التي وجَّهها اليهِ سنة ١٧١٠ وطُبعت في آخر ديوانهِ (٢٨٧ــ٣٠٠) ويدعوهُ هناك « بتاج الادباء الراغبين وسراج النجباء الطالبين الشماس مكرديج الكسيح جواباً لكتابٍ ارسلهُ اليهِ » ويعظّم في رسالتهِ فضل الكسيح ويشيد بسعة علومهِ وآدابهِ فيمدحهُ نثرًا وشعرًا مديحًا بليغاً ويعزّيهِ بوفاة اخيهِ يوسف ويحضُّهُ على الصبر في اوجاعهِ ويذكّرهُ بفضائل والدهِ التي ورثها ليتشبه بها في حياتهِ. وهي رسالة بديعة تبلغ ٢٠ صفحة

ولمكرديج الكسيح شعر روى هو منهُ شيئاً في كتابهِ ريحانة الارواح فمن ذلك قولهُ يتشوَّق الى السماء (من الطويل):

أثِيرَ السَّماءِ هَلْ إليكَ طريقَةٌ أصيرُ بها مع غايتي ومُنائي
اليك مُنائي ظَلَّ قلبي مُشَوَّقاً ولكن خُطائي في قُيود خَطائي

وقال في ما يُصيب النفس من تقلبات الدهر (من الطويل):

قد كانتِ النفسُ كالفِردَوسِ مُزهِرَةً واليوم بودٌ وحوشُ الجنِّ تأويها
تَبّاً لطبعٍ غدا كالشَّوك مَنبَتُهُ ان مالتِ النفسُ يوماً ظَلَّ ينكيها

وقال يصف شدائد الحياة (من الطويل):

لقد خُضتُ دون الحقِّ كلَّ بَلِيَّةٍ يهيمُ بها قَلبُ الزمان على مثلي
وذقتُ مِرار الدهر والموت دونهُ ودُستُ شَواظ العَدْل يَفترُّ عن شغل
وهِمتُ بدين الله والهولُ ضمنهُ وفيهِ أرى الاهوال تَعنو الى قَتلي

وقال ايضاً يصف بلاياهُ (من الطويل):

سقيمٌ سقاهُ الدهرُ كلَّ بليَّةٍ فأضحى عديماً في مثالٍ مُنفَّسِ
سطيحٌ على الغبراء تحت قبابهم محيطٌ بأفلاك العلي تَفرُّسي

ولهُ ايضاً في منفعةِ التجارب (من الطويل):

لا تَخشَ من رَيب الزمانِ فانهُ دليلُ انتخاب بل تهلَّلْ اذا نَزَلْ
وقبلكَ ابراهيمُ فرَّ ويوسفٌ ترامى بأمرٍ شاءهُ ساكنُ الأزلْ
وكم من كرامٍ قد أُهينوا وشُرِّدوا كبَيتِ عَروضٍ قد تخبَّلَ وانخزلْ(١

١) اشارة الى ما يقع في شعر بعض الكتبة من الجوازات غير المأنوسة كالخبل والانخزال

وقد قال في اختيار الاصدقاء (من الطويل):

تخيَّر صديقاً مثل ما وافقهُ الذي يقولُ إلهُ العرشِ ضمنَ الشريعةِ
فرُبَّ حقيرِ الشأنِ يُنجي وشاهدي عُوَيدٌ (١ حماناً من جحيمٍ تلظَّتِ

فهذا بعض ما بقي من نظمهِ ولعلَّ عند أدباء الحلبيين ما هو اوسع من ذاك فروينا ما وقع منهُ تحت يدنا

١٨ الشماس عبدالله زاخر

لم يشتهر عبدالله زاخر بنظم الشعر وانَّما كان احد أدباء الشهباء الذين ساعدوا بنفوذهم وقلمهم على النهضة الجديدة التي نشأت بين نصارى حلب لتعزيز اللغة العربية واعلاء منارها

﴿ نبذة من اخباره ﴾ افادنا عبدالله زاخر في مفكرة مخطوطة عن اصله واخباره (٢ نقتطف منها ما يلي: هو عبدالله بن زخريَّا بن موسى وقد لُقِّب بالزاخر اشارةً الى اسم ابيهِ وتنويهاً بوفرة تآليفهِ. وهو ابن عمّ الخوري نقولا بن نعمة ابن موسى. قُتل جدُّهما في حلب بامر واليها لوشاية وشي بهِ اعداؤهُ اليهِ فانتقل ولداهُ زخريَّا ونعمة الى حماة لانذَين باقاربهما وهناك وُلد لهما نقولا بن نعمة وعبدالله بن زخريَّا او زاخر. كان مولد عبدالله سنة ١٦٨٠ فنشأ في حماة ثم عاد بهِ والدهُ الى حلب في اوائل القرن الثامن عشر فدخل مدارسها وبرع في دروسهِ ثمَّ تخرَّج على الشيخ سليمان النحوي من ادباء الاسلام مع غيرهِ من النصارى كجبرئيل فرحات وابن عمهِ نقولا وعبدالله قرألي وغيرهم

وكان اهل عبدالله من الروم الارثذكس وانَّما تقرَّبوا الى الكثلكة بما جرى

١) ويريد بالعُوَيد عود الصليب الذي بهِ حصل الخلاص للعالم من نير ابليس
٢) راجع مجلَّة اصداء الشرق (Echos d'Orient) ١١ [١٩٠٨]: ٧١و٣١٨و٣٧١

وتتلمذ من الحركة الدينيَّة في حلب بهمَّة المرسلين . وتفرَّغ عبدالله لدرس التعاليم الدينيَّة واجتمع ببعض المرسلين الذين وطَّدوهُ في الايمان الكاثوليكي وقد اشتغل معهم في حلب اوَّلاً ثمَّ في لبنان لاسيما الاب بطرس فروماج اليسوعي الذي كان يعرض على عبدالله تآليفهُ فينقحها . الى ان وقع بينهما نفور بسبب الراهبات الحلبيَّات الباسيليَّات اللواتي اتَّخذنَ اليسوعيين اوَّلاً كمرشدين وتبعنَ قانون القديس فرنسيس دي سال مع غيرهنَّ من المترهبات ثمَّ فُصلنَ عنهنَّ بأمر الكرسي الرسولي ليحافظنَ على طقسهنَّ وكان عبدالله زاخر اكبر الساعين بذلك . وقد قضى السنين الاخيرة من حياتهِ في دير مار يوحنَّا الصابغ في الشوير زاهداً بالدنيا وهناك أدار مطبعتهُ الشهيرة فنشر فيها بالطبع المتقن عدَّة تآليف سردناها سابقاً مع تاريخ تلك المطبعة (المشرق ٣[١٩٠٠]: ٣٥٩ــ٣٦٢) الى ان توفَّاهُ الله في ١٠ آب من السنة ١٧٤٨

﴿ آدابهُ وتآليفهُ ﴾ قد عدَّدنا في كتابنا المخطوطات العربيَّة لكتبة النصرانيَّة (ص١٠٨ــ١٠٩) تآليف الشمَّاس عبدالله زاخر ومعظمها كتب لاهوتيَّة جدليَّة أثبت فيها حقائق الدين الكاثوليكي وردَّ على من نكرها او ناصبها من ارمن ويعاقبة ونساطرة وبروتستان ولاسيما من روم ارثوذكس فتتبَّع اضاليلهم وفنَّدها تفنيداً قاطعاً ينبئ بمعارفهِ الواسعة للاسفار المقدَّسة ولاعمال الآباء وتاريخ الكنيسة . وهي تنيف على عشرة تآليف ضخمة . ولهُ ما خلا ذلك تفسير الايساغوجي لاثير الدين الابهري فدعاهُ شرح الاصول الابهريَّة وقد عُني ايضاً بتعريبات او تصحيحات شتى لكتب روحيَّة

﴿ شعرهُ ونثرهُ ﴾ يُنعت عبدالله زاخر بالشاعر في بعض التقاريظ التي قيلت في وصفهِ على انَّنا لم نقف لهُ الَّا على ابيات نظمها جواباً على ما كتبهُ اليهِ الخوري نقولاوس ابن عمهِ وكان عبدالله بلغهُ مرضهُ فاهداهُ فنجان قهوة فشكرهُ الخوري بهذه الابيات وصحبها بهديَّة :

لقد عمَّت نوالك باختصاصٍ عليلاً خصَّهُ الداء الاليمُ
فكان دواء دائيَ منك قهوى لها حُسْن بهِ يَشفى السقيمُ
فواصلُك الجزاء وليس قبلٌ لنا والفضلُ فضلكمُ العميمُ

واعتاني الهمّ الآن عنها لانّ الامرَ ما قال الحكيمُ
سرورٌ لا تدومُ اجلُّ خيرًا من الخير الذي هو لا يدومُ

فاجابهُ عبدالله زاخر بهذه الابيات (من الوافر):

لقد وافى عقيمَ الفكر نظمٌ بديعٌ دونهُ الدرُّ النظيمُ
واسبغتَ الجزاءَ وليس فعلٌ يحقُّ لهُ جزاؤكمُ العظيمُ
ولكنَّ الكريمَ بهِ طباعٌ سموُّ المجد والبذلُ الجسيمُ
فشكرًا عدَّ ما اوهبتَ حبًّا وحمدًا كلَّما هبَّ النسيمُ

اما نثرهُ فيمتاز بسلاستهِ وانسجامهِ وقوَّة برهانهِ . ولا تخلو مقدَّمات كتبهِ من مسحة من البلاغة حلَّاها بالسجع ومنها يُعرف اقتدارهُ على الانشاء البديع

١٩ نعمة بن توما الحلبيّ

هذا ايضاً احد نجوم تلك الثريّا النصرانيَّة المنيرة التي سطعت ضياؤها في الشهباء في القرن الثامن عشر فاستوقفت نظر المتشرّفين لنورها

سبق حضرة المسيو جرجس منش فكتب فصلًا ممتعاً في المشرق (٥[١٩٠٢]: ٣٩٦ــ٤٠٥) روى فيهِ اخبار نعمة الله بن توما الحلبي نقتبس منهُ المعلومات الآتية:

﴿ اصلهُ ومنشأهُ ﴾ هو نعمة بن الخوري توما الحلبي . وُلد في الشهباء في اواخر القرن السابع عشر وهو من طائفة الروم الملكيين وكان ابوهُ الخوري توما احد كهنتهم يُعرف بفضله وتقواه . والمرجَّح انهُ عدل مع اهل بيتهِ الى الدين الكاثوليكي في ايَّام البطريرك اثناسيوس دبَّاس . وقد حصل وقتئذٍ ارتداد كثيرين من الروم الى الكثلكة

فترعرع الفتى نعمة ومال الى درس العلوم برغبةٍ واتقنها تحت مراقبة معلمين وطنيين ثم احكم فنون العربيَّة من فصاحة وبيان وبديع وشعر على الشيخ سليمان النحوي فبرع في الكتابة

﴿ سياحاتهُ وتأهلهُ ﴾ دخل نعمة في جهاد الحياة ولقي مع مواطنيهِ المرتدّين الى الكثلكة عَنَتاً وشدائد زادتهُ رسوخاً في ايمانه . وتعاطى اوَّلاً اعمال التجارة وخرج الى انحاء الاناضول فلم يحمد اخلاق اهلها ومعاملاتهم وممَّا قالهُ يهجو مدينة طرقات (من السريع):

وبلدةٍ ما شأنها ناظرٌ مع اهلها الَّا وعنها نَفَرْ
كأنَّما الاسطبلُ تكوينُها واهلُها فيهِ جلوفُ البَقَرْ

ثم ساح مرَّةً أُخرى الى اصقاع الشام واجتاز بيروت ووصف احوالها وزار قنصلها الفرنساوي وهو يومئذٍ الشيخ نوفل الخازن الذائع الشهرة فتحفَّى بهِ وبالغ في اكرامهِ كما يلوح من رسالتين وجَّههما نعمة اليهِ شاكراً لهُ جميلهُ . وفي هذه السياحة قصد زيارة بلدة صيدنايا ليكرم في ديرها صورة العذراء العجائبيَّة وقد نظم في مديحها شعراً لطيفاً من ذلك قولهُ (من الرمل) :

أَنِخْ حصنَ البكر وادخل ضارعاً باتضاع يرفع المتَّضعا
لُذْ بها تحظى بنصرٍ عاجلٍ فاز مَرْءٌ لِحماها أسرعا
كم نجاها عائمٌ في اثمهِ واتاها قاصداً مستشفعا
فتزكَّى من ذنوبٍ جمَّةٍ بانسحاقٍ لبُّهُ قد صُدعا
فاليكِ يا ملاذَ الخلق قد جئتُ ارجو العفو منكِ طمعا
فلكَمْ مثلي اثيمٌ قد حظي منكِ بالغفران لمَّا ضرعا

وكنَّا وقفنا سابقاً على رحلة احد الحلبيين من الشهباء الى القطر المصري (المشرق

٥[١٩٠٢]: ١٠٣٠) وكانت غفلًا من اسم كاتبها فظنّنا انها لنعمة بن توما ثمَّ تحقّقنا بعد ذلك انها لمواطنهِ ابرهيم الحكيم فنشرناها باسمهِ (المشرق ١٠[٧ ١٩]: ٥٥٩ الخ)

ثم رجع نعمة الى وطنهِ حلب وتأهل فيها ورزقهُ الله ولدين جبرائيل وتوما لولا انَّ المنيَّة اخترمت ابنهُ جبرائيل في ريعان شبابهِ فبكاهُ ونظم فيهِ المراثي اللطيفة كقولهِ (من مجزوء الرمل) :

يا الهي حانَ حَيْني حينما الصبرُ فُقِدْ
يا الهي ضاق ذَرْعي وتخلا مني الجَلَدْ
يا الهي ضاع رُشدي واذكاري قد خمَدْ
غاب جبرئيلُ عني يا لِكَرْبي وشَرَدْ
آهِ كم اوسَعَني النا سُ عليهِ من حَسَدْ
كم وكم من قائل ذا م الشبلُ من ذاك الأسدْ
يا الهي هل يُرَجّى منهُ عودٌ او يُرَدّ
انَّ هذا لمحالٌ لا يرجّيهِ احدْ
ليس لي الّا لك يا مَن عندهُ حلُّ العُقَدْ

وزاد الهُ بابتعاد ابنهِ توما عنهُ مهاجرًا الى القطر المصري سنة ١٧٥٥ فقال ابوه (من الطويل) :

ولمَّا قضى التوديعُ فينا قضاءهُ وزفَّت مطايا البين رَكْبَ الترحُّلِ
فقلتُ لأصحابي والدمعُ قد جرى «قفوا نبكِ من ذكرى حبيب ومنزل»

وأصيب نعمة بشدائد وضنك العيش حتى اضطرَّ ان يبيع اعزَّ ما كان لديهِ اعني كتبهُ التي عدَّد نوادرها في قصيدةٍ تجدها في المشرق (٥[١٩٠٢]: ٤٠٠) ولم تُعرف سنة وفاة المترجم والمظنون انهُ توفي نحو السنة ١٧٧٠

﴿ آدابُهُ ﴾ ان الشهرة التي حازها نعمة بن توما بالكتابة والانشاء البليغ الفتت اليهِ نظر البطريرك اثناسيوس دبّاس المقيم في حلب فاستدعاهُ ليكون كاتب اسرارهِ ومنشئ رسائلهِ. فتولّى ذلك المنصب في عهدهِ ثمّ في عهد خلفهِ البطريرك مكسيموس حكيم وانشأ باسمهما عدّة رسائل ومناشير ومذكرات ووثائق وصكوك توجّهت الى رومية الى الاحبار الرومانيين والمجمع المقدّس والى السفراء الفرنسويين في الاستانة والى غيرهم وقد اجاد وافاد بجمعها في مجلّد خاصّ وسمهُ بمجالة الطريق لمن رضي بتقليد التلفيق» منهُ نسخة واسعة وصفها جناب الاديب حبيب افندي الزيّات وحصل عليها المنسنيور جرجس منش (المشرق ٥[١٩٠٢]: ٤٠٠ــ٤٠٠) وفي مكتبتنا الشرقيّة منهُ نسخة مختصرة في ١٤٢ صفحة. هي كتاريخ الكثلكة في حلب في القرن الثامن عشر وما نال المرتدّين الى الدين الكاثوليكي من الاضطهادات من قبل سلفسترس القبرسي وذويهِ. باشر نعمة بجمع هذا الكتاب النفيس في السنة ١٧٥٩ وتتبّع تدوين كتاباتهِ الى السنة ١٧٦٧

﴿ شعرهُ ﴾ لنعمة بن توما ديوان شعر واسع لدينا منهُ نسخة تستغرق ١١٧ صفحة لهُ فيهِ بين قصائد ومقطّعات ما يبلغ مائتي منظومة في كل ابواب الشعر من مديح رجال عظام كأحبار كنيستهِ وارباب الدولة والسادة المسلمين والاصدقاء ومن مراثٍ وتهانئ وهجو الى غير ذلك من الاغراض. وبينها قسمٌ كبير في المعاني الروحيّة كمديح السيد المسيح والعذراء مريم ووصف الاعياد السنويّة والزهديّات وهي احسن دليل على ما طُبع عليهِ من رُوح التقى والرسوخ في الدين الكاثوليكي وسنقتطف منهُ شيئاً في عدد قادم ان شاء الله (لهُ بقيّة)

جولة في كسروان

لحضرة القس انطونيوس شبلي اللبناني

وصف مخطوطات مكتبة عشقوت (تابع)

ومما اطّلعنا عليه في مكتبة عشقوت:

٢٥ «كتاب الاعادة والنجاة بايضاح في غاية التوفيق من تهم وثاب جوان

(باطستا اليانو) وتومـا الكرملتاني مع سعيد بن بطريق وغيرهم . تأليف عيسى الدمشقي الماروني تلميذ مـدرسة رومية العظمى(١)». ان هذا الكتاب مرضوع على نسق كتاب الاحتجاج وردّ التهم للدويهي. خطُّهُ عربيٌ كنائسيٌ جميل «بيد الشماس اغناطيوس ولد الشماس ابراهيم جاماتي الماروني بمحروسة دمشق الشام في ٢٤ كانون الاول سنة ١٧٧٩ وهو برسم الاب الاكرم حضرة ابينا وخورينا الخوري جرجس مناع خادم كنيسة دمشق الشام يومئذٍ». عدد صفحاته ٥٢٤

٢٦ كتاب تاريخ الطائفة المارونيّة للدويهي. خط كرشوني نجز في دير قنّوبين ١٧٠٤م في ١٥ آذار بأيام البطريرك اسطفانوس الدويهي على يد الشمّاس انطانيوس القبرصيّ وهو برسم الدير المذكور

٢٧ كتاب تاريخ ابن الخليفة الى سقوط بني العباس . خط عربي قـديم جدًّا مخروم في اولهِ وآخرهِ . وفيهِ يُستشهد باقوال سعيد بن بطريق.

٢٨ مجموع قصائد سريانيّة لابن العبري . ناقص في آخرهِ

٢٩ كتاب «تاريخ عائـلة المشايخ الخوازنة بقلم الشيخ شيبان الخازن(٢)» صفحاتهُ ٢٨٤ وقد صُدّر بهذه العبارة وهي: «التاريخ المقصود الى المشايخ الخوازنـة واغلبهُ على السمع من قلّة تواريخ الخصوصيّة اهل الجبال خصوصاً من الشيخ ابو نوفل هم كثروا وتفرّقوا وانقسموا وبما انهُ كان عامـل مكتبة (اي الشيخ ابو نوفل) عظيمة واتفرّقت وتضعضع أغلبها لبرًا والذي عند اولاده عدم من التقسيم والزمان.»

وقد علّق على جلد هذا الكتاب البطريرك بولس مسعد بخطهِ تاريخ وفاة الشيخ شيبان المذكور وهذا نصّهُ :

«صح. تاريخ وفاة المرحوم الشيخ شيبان الطبيب (٣ ابن نور بن شيبان بن الياس بن نمر بن ابي ناصيف نوفل بن ابي نوفل نادر بن ابي نادر خـازن بن ابي صقر ابرهيم ابن الشدياق سركيس الخازن الماروني الذي ارتحل بعيالهِ من قرية جاج من اعمال جبيل الى كسروان سنة ١٥٤٥ واولًا الى قرية الوار ثمّ الى بالونة بارض عجلتون». وقد اورد هنا بالشعر تاريخ وفاتـهِ:

---

١) راجع سفر الاخبار في سفر الاحبار (ص ٢١٢)

٢) من هذا الكتاب نسخة غير كاملة عند الاديب عيسى اسكنـدر المعلوف (راجع مجلة الشمة ١ : ٢٤٤)

٣) قد درس فنّ الطب بمدرسة قصر الدين في مصر

نفذ القضاء فيا سترَ خازنٍ صبراً وفي ايّ الورى لم ينفذِ
من كان للمرضى شفاء شفّهُ مرضُ المحبّةِ منهُ لم يستنقذِ
شيبانُ مات فأرّخوا موتانهِ مات المداوي والمداوى والذي سنة ١٨٧٣ (١

٣٠ كتاب السنكسار كتبهُ بالكرشوني جرمانوس ابن الخوري انطونيوس شهران من غوسطا سنة ١٧٧٦

٣١ كتاب طبّ يتضمّن وصف ادوية مختلفة لامراض مختلفة : خط كرشوني

٣٢ كتاب «تأملات جهنم المريعة وحماقة الخاطئ الفظيعة. يحتوي على سبعة تأملات عرّبهُ الابوديا كن الشهير بابن جرجس الحلبي الماروني وقد صحّح عبارتهُ المطران جرمانوس فرحات وهو بخط يده الطاهرة بالحرف العربي. وذلك اذ كان راهباً في دير مار اليشاع سنة ١٧١٠ في ١٥ ايلول صفحاتهُ ٨٩. وقد طُبع هذا الكتاب في دير مار يوحنّا الشوير سنة ١٧٦٩ (٢

٣٣ بلوغ الارب في علم الادب . تأليف المطران جرمانوس فرحات (٢ خطّهُ بالعربي منصور بن بشير ابن الحاج يونس من قرية زوق مصبح في ١٩ ايلول سنة ١٧٥٢ (ص ٢٨٤)

٣٤ « مقالة كليّة الاختصار في بيان الاسباب التي لاجلها البيمة الرومانيّة بعض السنين تعيّد عيد الفصح اي أحد القيامة المجيدة قبل عيد الطرائف الشرقيّة (٣ . . . » خط عربي قديم. لم يذكر المؤلف اسمهُ فيها وهي ثمانية فصول

٣٥ كتاب نوافير لبعض القديسين تُتلى في القدّاس خط كرشوني

٣٦ «الارشاد الامين للاخ الرصين» تأليف القس يوسف مارون الطرابلسي. «رسالة تنطوي على تعليم الشماس كيف يخدم معلمهُ المطران ويتصرّف معهُ وهي سبعة أقسام ومقدّمة وخاتمة.» وهذا فهرسها :

« المقدّمة في شرف الدرجة الاسقفية وفي لزوم اكرام الاساقفة. القسم الاول في الزام الشماس بطريق الدام. القسم الثاني في عمر الشماس وادبهِ وكسوتهِ. القسم الثالث في سفر الشماس ولزومهِ. القسم الرابع في كيفية لزوم الشماس في خدمة الاسقف وقت الزيارة. القسم الخامس في كيفية لزوم الشماس في خدمة الاسقف في الكنيسة. القسم السادس في كيفية لزوم الشماس في سياسة

١) والشطر الثاني من هذا الاقتباس هو : «جلب الدواء وباعهُ ومن اشترى»

٢) انظر المشرق (٥٧٤:٦)

٣) يظهر انّ هذا الكتاب تألّف قبل انتشار الحساب الغربيّ في الكنائس الشرقيّة

الفرس. القسم السابع في انه يلزم الشماس ان يكون أميناً. الخاتمة تضمنت لما سبق وفي بعض تنبيهات تلزم الشماس»

وهذه الرسالة بالكرشوني بخط مؤلفها يوسف مارون في ١٣ تشرين الثاني سنة ١٧٤٦م صفحاتها ٩٦

٣٦ كتاب أصل الطائفة المارونية وردّ التهم للدويهي. خط كرشوني قديم «ترجمة في قرية مجد المعوش»

٣٧ ردّ المطران ارسانيوس شكري الماروني على كرّاسة أذيعت بمدينة حلب طعناً في الطائفة المارونية وفي النديس يوحنا مارون وذلك في سنة ١٧٦٩م». عدد صفحاتها ٩٠ صفحة وهي مضمومة في التجليد الى كتاب التحفة الغرّاء في دوام اثبات بتولية العذراء للبطريرك بولس مسعد

٣٨ رسالة في معرفة العبادة لقلب يسوع. تتضمن مقدمة وثلاثة عشر فصلاً. وهي لاحد الاباء اليسوعيين وضعها سنة ١٧٢٤م في حلب المحمية (ص ١٦٨)

٣٩ رسالة مختصر الكمال المسيحي. وضعها جبريل فرحات القس الحلبي رئيس الرهبان اللبنانيين العام. كتبت في عهد مؤلفها (ص ٢٠٨)

٤٠ كتاب «ايساغوجي اي مدخل مختصر في علم المنطق» للسمعاني بخط البطريرك بولس مسعد اذ كان تلميذاً في مدرسة عين ورقة سنة ١٨٢٢ وقد ضمّ اليه مختصر منطق القس يواكيم الباسيلي. وهناك تواريخ نُظمت في وفاة المطران يوسف اسطفان سنة ١٨٢٢. صفحات هذين الكتابين ٢١٥

وقد نسخ البطريرك بولس مسعد وهو في تلك المدرسة سنة ١٨٢٢ ايساغوجي آخر تأليف الخوري بطرس التولوي. وقد اضاف اليه بعد ذلك هذه العبارة: «دخلنا الى المدرسة برومية العظمى في ٢٨ ت٢ سنة ١٨٢٦ وابتدينا في الدرس النهار عينهُ»

٤١ كتاب خطّ كرشوني فيهِ حلّ بعض صعوبات من الانجيل المقدّس تأليف الشماس يوسف الباني تلميذ مدرسة رومية بخط انطونيوس مبارك سنة ١٧١٤. وفيه شرح مختصر ضدّ هراطقة الشرق بعض فصولهِ لابراهيم جلوان السمرّاني مع مختصر التاريخ المقدّس للدويهي وصورة مجمع البطريرك سركيس الرزّي سنة ١٥٩٥ (ص ٢٣٣)

(لها بقية)

الآداب العربيَّة

في الربع الاول من القرن العشرين

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

القسم الرابع

البحث الرابع : كتبة النصارى حاضراً (تتمَّة)

﴿عارج سمعان﴾ لهُ دائرة الفكاهات طبعها في مصر ونشر مجلَّة صدى لبنان. ﴿عبد الملك جرجس﴾ نشر سلَّم القراءة الحديث في اربع درجات وعرَّب رواية سكروج الروائي الانكليزي ديكنس. ﴿عبود اسكندر﴾ لهُ الآثار العدليَّة. ﴿عبيد بشاره﴾ نشر مع اديب لحود رواية تمثيلية لبنان على المرسح. ﴿عرب نجيب ميخائيل﴾ لهُ كتاب حسن التدبير في تربية الخرير. ﴿عزوز توفيق﴾ طبع في مصر كتاب الهديَّة التوفيقيَّة في تاريخ الامة القبطيَّة. ﴿عزيز فيليب﴾ لهُ الموجز المغيث في عالم المواريث. ﴿عسَّاف خليل﴾ نشر في نيويرك المرأة عموماً والشرقيَّة خصوصاً. ﴿عطَّاره قسطاكي الياس﴾ نشر السنة ١٩٢٦ كتاب تكوين الصحف في العالم. ﴿عطيَّة ابرهيم ناصيف﴾ طبع سنة ١٩٢٤ قاموسهُ الانكليزي العربي في بيروت. ﴿عطيَّة جرجي شاهين﴾ لهُ ردّ الشارد الى طريق القواعد ومعجم المعتمد صدر آخراً. ﴿عطيَّة رشيد﴾ نشر الإعراب عن قواعد لغة الاعراب في ثلثة اجزاء واقرب الوسائل الى انشاء الرسائل ورواية تبرئة المتهم او جزاء المكر. ﴿عطيَّة فريدة﴾ عرَّبت رواية الروضة النضيرة في ايَّام بمباي الاخيرة ورواية بهجة المخدَّرات في فوائد علم النبات. ﴿عقل ابرهيم باك﴾ لهُ بهجة الحق في تهاني غبطة بطريرك الشرق طبعهُ في جونية. ﴿عقل سليم شديد﴾ نشر سنة ١٩٢٠ كتابهُ سبع سنوات في البرازيل. ﴿عقل وديع شديد﴾ عرَّب مأساة فرسنجيتوريكس والف نقش

الفكرة في مدح الصخرة وكتب نبذة عن زراعة التبغ في لبنان مع روفائيل بشير. ﴿عنحوري سليم بك﴾ لهُ ما خلا منظوماته كنز الناظم ومصباح الهائم ورواية الانتقام العادل والجن. ﴿عوره خليل﴾ نشر في اللطائف المصرية عدة روايات. ﴿عوره نقولا﴾ كتب ترجمة المطران باسيليوس حجّار. ﴿عوض جرجس﴾ نشر تاريخ كيرلس الرابع ابي الاصلاح القبطي ولهُ تآليف في تعليم اللغة القبطيَّة. ﴿عوّاد سليم﴾ نشر في مصر نظرة في البارزة والبائنة او بحثاً في الدوطة. ﴿عيد الدكتور﴾ محرّر مجلة طبيب العائلة في مصر لهُ الثروة العقاريَّة للقطر المصري. ﴿عيسى رزُّوق﴾ نشر في بغداد جغرافيَّة العراق سنة ١٩٢٢. ﴿عيسى كامل سليمان الخوري﴾ لهُ الحاجيَّات والكماليَّات وفي اي منها نحن الآن (١٩٠٨) ثمَّ الضرران الاكبران المسكر والدخان نشرهُ في حمص (١٩١٢)

﴿غانم ابراهيم ابو سمرا﴾ ألَّف ترجمة والدهِ باسم خليل همَّام فائز (١٩٠٥) ونشر عدَّة مقالات في الجرائد ولهُ في المشرق جبيل وبلاد جبيل وكتاب تقسيم المواريث. ﴿غبريال حنا﴾ لهُ كتاب الاكليل والقنديل وبعض الطقوس القبطيَّة. ﴿غبريل نقولا يعقوب﴾ نشر سنة ١٩٢٢ كتاب مباحث المجتهدين في الخلاف بين النصارى والمسلمين. ﴿غريب امين﴾ من مطبوعاتهِ اخبار وافكار واشواك وورود في ثلثة اجزاء. واسماء البنات والحياة النباتية والخليقة ونظامها وبعض الروايات. ﴿غريب منصور شاهين﴾ لهُ ديوان المنّى اللبناني. ﴿غزاله الدكتور سليمان﴾ من تآليفهِ الشعريَّة والنثرية لهجة الابطال ودليل النجاح في منهاج الفلاح والقصيدة الفردوسية في العفاف والعشق الطاهر وسوانح الفكر وسوانح الكلم واعاجم الحكم وخطاب في افضل اسلوب التربية وكتاب الوضيعة في الحكمة الخلقية في تسعة اجزاء. ﴿غصوب يوسف﴾ نشر مع عكر ورعد حول اليهوديّ التائه. ولهُ درس اخلاقي ادبي نفيس دعاه اخلاق ومشاهد ولهُ مقالات شتى في المشرق والمجلات والجرائد. ﴿غضبان الياس﴾ نشر في مصر تاريخ الانسان الطبيعي. ﴿غلبوني يوسف﴾ نشر سنة ١٩١١ معرض الافكار او صدى رواية اليهودي التائه. ولهُ محاضرات ومقالات وقصائد متفرقة. ﴿غنية يوسف رزق الله﴾ نشر في بغداد كتاب تجارة العراق قديماً وحديثاً ونزهة المشتاق في تاريخ يهود العراق. وكتب في مجلة المشرق

وغيرها مقالات تاريخيَّة مفيدة

﴿الفاخوري يوسف﴾ نشر الزهرات في جزئين ثمَّ المآسي رجاء ويأس والبرج الشمالي وجان هاشيت ومقالات وقصائد متفرِّقة في المجلَّات والجرائد. ﴿فارس حبيب﴾ لهُ قلادة العقيق لجيد الغرامطيق. وصراخ البريء في بوق الحرية. ﴿فارس فليكس﴾ نشر سنة ١٩٠٩ النجوى ثمَّ عرَّب كتاب ارتقاء المانيا الوطني. ﴿فاضل وديع الى﴾ نشر في مصر دليل لبنان. ﴿فرَّان الياس﴾ طبع في بعبدا السَّمَر في قضاء اوقات السهر وفي نيويرك كتاب ساوى الهموم. ﴿فرح خليل سمعان﴾ القوَّال لهُ عزرائيل القوَّالين الجهلاء. ﴿فرحات يوسف طنوس﴾ نشر نغمة الآس في مديح البطريرك الياس وجناز البيع والشراء في توكومان. ﴿فريحة نعُّوم﴾ نشر في الاسكندرية مع يوحنا خيرالله المختار من عرائس الافكار. ﴿الفغالي خليل سمعان فرح﴾ نشر شمس المنَّى الفريدة وقصَّة يوسف بك كرم. ﴿فهمي حنَّا سعد﴾ عرَّب القوَّة الفكرية في المغنطيسية الحيويَّة والمرشد الظريف في طالع الجنس اللطيف والدرَّة الثمينة وتاريخ الفلسفة من اقدم عصورها الى الآن. ﴿فيلوتاوس جرجس﴾ لهُ الباكورة المنيرة في لعبة الشطرنج. ﴿فيَّاض نقولا﴾ من تآليفهِ المرأة والشعر وحول سرير الامبراطور ومملكة الظلام. ﴿فيَّاض نجيب فرج الله﴾ عرَّب مأساة ڤولتير زهيرة. ﴿قبعين سليم﴾ نشر تاريخ آل رومانوف ومذهب تولستوي والدستور والاحرار وعوَّب مصرع القيصر وحكم النبيّ محمَّد. ﴿قدسي الياس بك﴾ المتوفى حديثاً ٣٠ تموز ١٩٢٦ نشر في لندن نبذةً تاريخيَّة في الحرف الدمشقيَّة. وفي دمشق الطريقة القدسيَّة للقيودات المزدوجة ونوادر وفكاهات من احاديث الحيوانات ولهُ تآليف عديدة لم تُطبع

﴿قرداحي ابراهيم﴾ نشر في حيفا رواية تمثيليَّة في عواقب العشرة الرديَّة. ﴿قرياقوس عبد الملك﴾ نشر في مصر الاقوال البهية في شرح الصلاة الربَّانيَّة. ﴿قزمان اسكندر﴾ طبع في مصر الجزء الاوَّل من كتابهِ الرقي والاعتدال. ﴿قندلفت غطَّاس بطرس﴾ من تآليفهِ الادب المسيحي والصوم الزكي وعلم هيئة الارض وبهجة الفؤاد في تفسير اناجيل الآحاد في جزئين وعرَّب كتاب امتيازات الجماعات المسيحية. ﴿قنواتي عبده يوسف﴾ نشر في حمص تعريف حقائق الايمان. ﴿كاتسفليس وليم﴾ احد الكتبة الضليعين في مجلَّات اميركة كمرآة الغرب والسائح.

لهُ رواية شقاء التاج ومقالات ادبية عديدة . ﴿كامل يوسف﴾ طبع في بعبدا الصرف الشامل (١٩٠٨) . ﴿كرباج اسكندر﴾ عرَّب رواية لامرتين غرازيالا في سان برلو (١٩١١) . ﴿كرشه اندراوس وابيض﴾ طبعا في طراباس جغرافية المملكة العثمانية (١٩١١) . ﴿كرم يوسف﴾ لهُ سعادة الشبَّان بطهارة الابدان . وتأثري في لورد . ولهُ وصف فرنسا وزراعتها وصناعتها (مطبعة رباط ١٩٢١) . ﴿كرم عفيفة﴾ نشرت في نيويرك روايتي غادة عمشيت ويوسف وفؤاد . ﴿كزما اسكندر جبرائيل﴾ نشر مختصر التاريخ المقدَّس والتعليم المسيحي الارثذكسي ومختصر تفسير الخدمة الالهية . ﴿كسَّاب سلمى صائغ﴾ لها ابناء الفقر . ﴿كسَّاب سليم﴾ نشر تعزية الايمان في المصائب والاحزان ومنهج الصواب في مبادئ الآداب والدرَّة الفريدة في الدروس المفيدة والمغانم بالغزائم وقلادة النحر في غرائب البرّ والبحر (جزءان) ونشر مع جرجس همام الكنوز الابريزيَّة في اللغتين العربية والانكليزية . ﴿كسبار الياس داود﴾ نشر في صيداء التنشئة الفقهية . ﴿كنعان انطون﴾ لهُ التحفة الادبية في القراءة العربية ومقالة متى يغلط البابا . ﴿كنعان بشارة﴾ نشر في مصر كتاب العالم الانكليزي

﴿اللاذقاني نجيب﴾ نشر الدرّ النضيد من العهدين القديم والجديد . ﴿لبيب تادرس حنا﴾ نشر في مصر دروس خصوصيَّة في المهمَّات النصرانيَّة . ﴿لحود اديب﴾ لهُ نيل الارب في تاريخ العرب طبعهُ في عمشيت (١٩١٤) ولبنان على المراسح ومأساة القديسة بربارة مع زكريَّا جرجس نصَّار . ﴿لحود عبدالله﴾ نشر في عمشيت فتاة الجيل العشرين . ﴿لطف الله الياس﴾ نشر في الاسكندرية كشف الحجاب في العتاب والثواب ورواية الابن الضالّ ومأساة ايوب الصدّيق والبوق النذير في هواجس الضمير . ﴿لوقا شكري فارس﴾ طبع في حمص سمير المرأة

﴿مجاعص داود﴾ نشر في مصر كتاب كنوز لبنان المرصودة . ﴿مخائيل توفيق﴾ نشر غرائب الاخبار عن شرق افريقية وزنجبار . ﴿مخائيل سعد﴾ نشر في مصر آداب العصر في شعراء الشام والعراق ومصر ثمَّ شعراء السودان . ﴿مخلوف نجيب﴾ نشر في مصر تاريخ نوبار باشا وما تمَّ على يدهِ . ﴿مراد جورج﴾ لهُ رواية بيروت على المرسح او اربع سنوات الحرب . ﴿مراد يوسف الخوري﴾ نشر سنة

١٩٠٣ رواية تنصُر النعمان. ﴿ مسرّه جورج﴾ عرّب تاريخ لوكروى عن احمد الجزّار في سان بارلو (١٩٢٤). ﴿ مسعد بولس ﴾ لهُ كتاب لبنان والدستور العثماني وكتاب مصر وسوريَّة ودليل لبنان وسوريَّة طُبعت كلها في مصر. ﴿ مسعودي عبد المسيح صليب﴾ نشر في مصر سنة ١٩٢٥ تكميل شروحات في قواعد كتابة الهمزات. ﴿ مسك فيليب ﴾ لهُ ترشيح الماء ورفع العوارض من اعمال الفرائض. ﴿ مشعلاني نجيب ملحم ﴾ لهُ مختصر تاريخ الكنيسة وكتاب الرهبان مَن هم وماذا يعملون؟ ﴿ مشنوق عبدالله ﴾ طبع كتاب الامتيازات الاجنبيَّة (١٩٢٢). ﴿مصوبع بولس خليل ﴾ لهُ كتاب الحكمة في العمل. ﴿مصوبع سليمان ﴾ نشر خمسة اجزاء من قاموس القضاء العثماني. ﴿مطر جورج﴾ نشر في هذا العام اناشيد القمّة والوادي. ﴿مطران خليل بك﴾ لهُ ما عدا منظوماتهِ كتاب مرآة الأيام في ملخص التاريخ العام جزءان وتعريب تاجر البندقيَّة لشكسبير ﴿مطلق تيوذوسيوس﴾ نشر في اللاذقية الحمامة البيضاء في عجائب السيدة العذراء. ﴿معاد بطرس حنا﴾ لهُ لهجة الفؤاد (١٩٠٥). ﴿معركي ميخائيل عبد المسيح﴾ طبع في القدس الجرم والحارم والمحروم (١٩٢٥). ﴿المعلوف توما﴾ كتب في وصف الدولة البولشفيكية وعرّب خطبة بوسويه في ظفر الصليب وخطبة ماسينيون في ظلم العالم لاهل الخير. ﴿المعلوف جميل﴾ نشر كتاب ما هنالك وطبع في سان باولو تركية الجديدة وحقوق الانسان. ﴿المعلوف بسيع فارس﴾ لهُ كتاب مصباح اللغتين (١٨٩٩). ﴿عيسى اسكندر المعلوف﴾ من تآليفهِ العديدة بحث تاريخي في الكتابة ولمحة في الشعر والعصر وتاريخ مدينة زحلة وتاريخ الطبّ عند الامم القديمة والحديثة. وتاريخ الحاج كيوان نعمه اللبناني ودوزاني القطوف في تاريخ بني المعلوف ومقالات عديدة وقصائد في مجلتيهِ الآثار وفي عدَّة مجلّات سوريَّة ومصريَّة منها قسم صالح في المشرق. ﴿ المعلوف قيصر ابرهيم﴾ نشر في سان باولو تذكار المهاجر. ﴿منيغب نعوم﴾ نشر تاريخ الامير حيدر الشهابي. ﴿المقدسي انيس الخوري﴾ لهُ دول العرب وآدابها وتعريب امير بريطانيا. ﴿المقدسي جرجس الخوري﴾ لهُ الخدمة المدرسيَّة في تسهيل صرف ونحو اللغة العربية ومعين المبتدئين فيها. ﴿مكاريوس شاهين بك﴾ طبع في مصر تاريخ ايران وتاريخ الاسرائيليين وعدَّة كتب في الماسونية وسفاسفها. ﴿مكرزل ابراهيم﴾ نشر كتاب

الدرّ الثمين في صحة الاعزاب والمتزوّجين. ﴿مكرزل نعوم﴾ عرّب تاريخ هنيبال ولهُ في الهدى مقالات عديدة. ﴿ملّاط شبلي بك﴾ لهُ ما خلا منظوماته تعريب روايتي الذخيرة والفرد الكبير. ﴿منذر الشيخ ابرهيم﴾ نشر سنة ١٩٢٧ كتابهُ الى المجمع العلمي العربي في دمشق. ﴿منسّى القمص﴾ لهُ تاريخ الكنيسة القبطيّة والدليل الصحيح على تأثير دين المسيح وكتاب يسوع المصلوب وحياة يوحنا فم الذهب مع عبد الغادي القاهراني. ﴿منسى يوسف﴾ لهُ المنهاج الجليّ في واجبات الصيدلي. ﴿منسى يوحنا﴾ نشر كتاب طريق السماء (١٩٢٥). ﴿منصور السعد﴾ نشر تاريخ الناصرة. ﴿منصور ميخائيل﴾ عرّب كتاب الكلمة المتجسد. ﴿موسي باسيليوس﴾ نشر في مصر سنة ١٩٢٠ الدين والوطنيّة. ﴿موسى يوسف جرجس﴾ نشر هناك سنة ١٩٢٤ الرياضة الروحية. ﴿مي مريم زيادة﴾ تعدّدت منشوراتها اخصها باحثة البادية وابتسامات ودموع والمساواة وغاية الحياة وكلمات واشارات وسوانح فتاة وظلمات واشعّة والصحائف وبين الجزر والمدّ وهي صفحات في اللغة والاداب. ﴿ميخائيل توفيق﴾ لهُ غرائب الاخبار عن شرق افريقية وزنجبار. ﴿ميخائيل فرنسيس﴾ نشر التدبير المنزلي الحديث في جزئين والتدبير المنزلي للبنات. ﴿مينا عزيز طنوس﴾ طبع في عمشيت صدى الأنين

﴿نادر جرجس شبل ابو﴾ نشر في نيويرك رواية الثورة الدرزيّة في الاراضي اللبنانيّة. ﴿نجم فرنسيس﴾ نشر الرواية التمثيلية شهيد الدين وابطال المردة. ﴿نخله ابرهيم جرجس﴾ لهُ حلّ الرموز في معتقد الدروز. ﴿نصّار منصور﴾ لهُ الدرّ المنظوم لتسلية الصوم. ﴿نصار نجيب﴾ لهُ روايتا شمّم العرب وفي ذمّة العرب. ﴿نصر لطف الله﴾ نشر كتاب وقائع الحرب الكونية وعدّة تآليف شعرية عامّية انتقادية على الازياء الخلاعيّة. ﴿نصره جبرائيل﴾ التعبئة في لعب الشطرنج (١٩٢٠). ﴿نعيمة ميخائيل﴾ لهُ كتاب انتقادي دعاهُ الغربال. ﴿نقّاش جان نقولا﴾ لهُ في جزئين مغني المتداعين عن المحامين. ﴿نمر فارس﴾ محرّر المقتطف مع المرحوم يعقوب صروف لهُ بزوغ شمس البرّ. ﴿نوفل نسيم﴾ نشر كتاب بطل لبنان يوسف بك كرم. ﴿نوفل نسيم عبدالله﴾ نشر في مصر كتاب حافظ السلام الامبراطور اسكندر الثالث

﴿همّام جرجس﴾ نشر مدارج القراءة في اربعة اجزاء والايضاح على مقالات

اقليدوس والتعليم الوطني والكنوز الابريزية في اللغتين العربية والانكليزية مع سليم كتاب. «هواويني نجيب» له خطاب في العلم والعمل وعُني بالخطوط العربية «وادي شحرور حليم فارس» له روايتا انشودة الهدى ورجوع المهاجر. «ورده يوسف جرجس» طبع في معبر الشهب الصبحية في الكنيسة المسيحية

«يزبك جورج» ألّف بيروت في التاريخ. «يزبك جوزف الخوري» طبع سنة ١٩٢٢ الخطرات الشهيرة والانتقادات الخطيرة. «يني جرجي» ألّف كتاب تاريخ سورية سنة ١٨٨١ ثمّ نشر تاريخ اسكندر الثاني قيصر الروس. وعجائب البحر وحاميله التجارية وتاريخ حرب فرنسا والمانيا

وبهذا نختم كلامنا عن ادباء النصارى الاحياء وفي عدد آخر نذكر شعراء المسلمين وادباءهم (له بقية)

مطبوعات شرقية جديدة

ECCLESIA: ENCYCLOPÉDIE POPULAIRE DES CONNAISSANCES RELIGIEUSES. Vol. in-16 de 1111 pages avec cartes et illustr., Paris, Bloud et Gay, 1927; Prix 45 f.

دائرة معارف العلوم الكنسية لافادة العموم

قد طبعت سابقاً مقالات تفيد القرّاء عن كل المعلومات البشرية وانما كانوا يضربون صفحاً عن اهمها اي العلوم الدينية. فسدّاً لهذا الخلل انتدب محلّ بلود وغاي جماعة من الاختصاصيين من علماء الدين يبلغ عددهم ثلثة وثلثين عالماً ليقوموا بتأليف دائرة علمية يودعونها معظم المعلومات الدينية مرتبة على حروف المعجم. فها قد نجز عملهم على احسن صورة واتقن طبع مع تصاوير عديدة وخوارط بحيث يجد الطالب حلّاً سريعاً لما يطلبه من المسائل وذلك دون الطول الممل ولا الايجاز المخل ج. ل

E. B. Allo; LE SCANDALE DE JÉSUS (Collection « La vie chrétienne, n° 1) *Paris, B. Grasset*, 1927, *Prix* 12 *f*.

الشكوك يسوع

ان العموم في عهدنا اخذوا يوجهون افكارهم الى المسائل الدينية فلذلك تعدّدت

المنشورات في هذا الباب. وها هوذا قد أُنشئ مجموع جديد للبحث عن المعتقدات المسيحيّة. وهذا اوّل كتاب من سلسلة تلك الابحاث قد خصّهُ احد جهابذة الاكليروس الكاهن ألو بآية القديس بولس (١ كور ١ : ٢٣) حيث يقول عن المسيح انهُ كان شكًّا لليهود. فبيّن انَّ هذا الشكَّ قد خامر ألباب كثيرين من الناس في عهدنا ولو درَوْا لرأوا انَّ هذا الشكَّ لا سند لهُ. فانَّ حياة السيّد المسيح وتعاليمهُ واعمالهُ كلها الهيَّةٌ وانَّ ديانتهُ قائمة بذاتها كاملة من كلّ وجه لم تستعر شيئاً من الاديان السابقة بل تنافيها وتبطلها حتى انها غلبتها ودكّت اركانها ج. ل

Apostolat missionnaire de la France. Conférences données à l'Institut Catholique de Paris, *Bloud et Gay* 1927

محاضرات من الرسالات الفرنسوية

هذا مجموع ثالث من محاضرات سنوية تلقى في باريس في مكتبها الكاثوليكي ويلقيها كبار الخطباء الذين يُعنون بنشر الرسالات الكاثوليكية الفرنساوية واشتغلوا في نجاحها بأنفسهم فيعلمون حق العلم فوائدها وثمارها وحاجاتها. ويزدحم السامعون ليقفوا على صحة اخبارها. ويقرُّون بعد سماعهم انَّ الارساليَّات اعظم المشروعات لنشر المدنيَّة الصحيحة وترقية الامم. ولا يلبثون ان يساعدوها بمالهم او بشخصهم ج. ل

Alexandre Choulguine : L'Ukraine et le Cauchmar Rouge. Les massacres en Ukraine. Vol. *in*-12, *p.* 222, *Editions Jules Taillandier*

اوكرانية والكابوس الاحمر

مؤلف هذا الكتاب كان سابقاً وزير الخارجيَّة في اوكرانية. واذ رأى كم يجهل الفرنسويون تاريخ وطنهِ وما يجري في دولتهِ من النزاع بين الوطنيين طالبي الاستقلال لجمهوريَّتهم واعدائها المختلفين لاسيما روسيَّة البولشفيَّة وضع هذا الكتاب وبيَّن احوال بلادهِ خصوصاً ما جرى فيها بعد الحرب العالميَّة وقد خصَّ قسماً كبيراً من عملهِ للدفاع عن الرئيس الكبير بتلورا (Petlura) الذي تفانى في تحرير وطنهِ فحرَّك عليهِ غضب اعدائهِ حتى صرعوهُ قتيلاً في احد احياء باريس في ١٣ ايار سنة ١٩٢٦. فبيَّن الكاتب ما لحق موتهُ من الفوضى في البلاد باغراء اليهود والمحازبين للروس

ويحاول ان يضم قوى الشعب لمحاربة البولشفيك الذين يفرغون جهدهم لوضع يدهم على اوكرانية وقتل حريتها ج.ل

Abbé Georges Picard. PRÉCIS DE DOCTRINE CATHOLIQUE exposée suivant la méthode d'observation d'après les notes de l'abbé H. de Tourville. *Paris, Bloud et Gáy*, 1927

خلاصة التعليم الكاثوليكي

قضى صاحب هـذا الكتاب سنين عديدة من حياته في خدمة العملة والشبّان فكان يعرض عليهم الحقائق الدينيّة بطريقة شائقة جامعة بين اللذّة والافادة . وها هوذا قد اثبت تلك الارشادات بصورتها في هذا الكتاب الذي نوصي به كلّ الذين يتعاطون شرح التعليم المسيحي بين الشرقيين!

La vie et les œuvres de quelques grands Saints. 2 vols, Paris, Librairie de France. Prix, 28 f^s

سير واعمال بعض كبار القديسين

. في الكنيسة الكاثوليكية بعض القديسين الكبار الذين ابهروا العالم بقداسة حياتهم واعمالهم العجيبة في خدمة البشريّة فاجتمع ثلثون من بلغاء الكتبة الفرنسويين ووضعوا خلاصة اعمالهم في مجلّدين لطيفين وبيّنوا فضلهم على الانسانيـة اكثر من مشاهير العلماء والفلاسفة والابطال الذين يطرئهم الناس . فجاء عملهم هذا من افضل الكتب التي يحقّ مطالعتها على من يريدون معرفة حقائق التاريخ البشري . وفي تأليف كتاب كهذا للعموم دليل باهر على تقرّب الجمهور الى الدين : ج.ل

La Chasse et les Sports chez les Arabes par Louis Mercier Consul de France. 1 *vol. in*-16, 256 *pp. illustré, Paris, Marcel Rivière, Prix* 20 *f^s*

الصيد والالعاب الرياضية عند العرب

يراد هنا بالعرب الامم الاسلامية عموماً كالعجم والهنود والمغول واهل مراكش امّا اهل البادية فانّهم قلّما تعاطوا صيد الوحوش الضارية لخلو البـادية من الاحراج ولقلّة الاوابـد في جزيرتهم فضلاً عن حرصهم على خيلهم . وقد احسن جناب المسيو

مرسيه بوصفهِ للصيد بين شعوب الاسلام واتسع في بيان العابهم الرياضيَّة كالركض والرقص والجريد مستنداً على كثير من التآليف المطبوعة قبلهُ وعلى مخطوطات عربيَّة وجدها في مكاتب اوربَّة فاجاد وأفاد ولعلهُ كان يمكنهُ ان يستفيد لتأليفهِ من كتاب الاغاني في بعض مروياتهِ ومن مجاميع ادبيَّة مثلهُ وما ورد في هذا الصدد في شعراء العرب ه. لامنس

Léon Daudet: Etudes et milieux littéraires., *Paris*, 1927, *Grasset*, *Prix* 16 f

دروس وعيطات ادبية

تتجلى في هذا الكتاب الروح الفرنساويَّة باطنها وفكاهتها. فلاون دوده من الكتبة المبرزين في فرنسة اراد ان يلقي نظراً على ادباء زمانهِ الذين اختلط بهم وعرف حق المعرفة عُجرهم وبُجرهم فجمع في هذا الكتاب ملحوظاتهِ على ما عاينهُ ودوَّن ما دار بينهُ وبينهم من المباحثات الادبية والفكاهية فجاء كتابهُ طرفةً جديدة لمحبي الابحاث الاجتماعية والادبية ج. ل

KORANISCHE UNTERSUCHENGEN von Josef Horovitz. (Studien z. Gesch. u. Kultur d. islam. Orients) *Berlin*, 1926, *in*-4°, *pp.* 167 *Walter des Gruyter*

ابحاث قرآنية

هي ابحاث عدة وضعها المؤلف على قسمين روى في (الاوَّل) اخبار القرآن ورواياتهِ فبحث عن صورتها وانشائها وغايتها وما ورد فيها من المعلومات عن اواخر الانسان والعالم ولاسيما وصفهُ للعذابات المعدَّة للكفرة. وفيهِ ايضاً كلام عن الانبياء والمرسلين وما ادَّعاهُ محمد من انهُ خلفهم أرسل لتأييد تعاليمهم. امَّا (القسم الثاني) فقد خصَّهُ المؤلف بذكر اسماء الاعلام المدوَّنة في القرآن اثبتها على ترتيب الحروف المعجم وبحث عن صورتها اللغويَّة المنقولة عن تقاليد يهوديَّة او نصرانية اصلها بالسريانيَّة او العبرانية او الحبشيَّة او اليونانيَّة مما اثَّر في صورتها العربية القرآنيَّة. فكل هذه الدروس تشهد على ما للمؤلف من دقة النظر وحسن الانتقاد ه. لامنس

R. Paret: Die Geschichte des Islams in der arabischen Volksliteratur (*Philosophie u. Geschichte*) *in*-12, 1927, *pp.* 26, *Tuebingen*, *Verlag von J. C. B. Mohr* (*P. Siebeck*)

تاريخ الاسلام في الروايات العاميَّة العربية

هذه محاضرة وجيزة مدارها على الروايات الشائعة بين المسلمين كقصَّة عنتر وسيف

ابن ذي يزن وفتوح الشام المنسوب زوراً للواقدي فبيَّن صاحبها انَّ كثيراً من هذه الروايات التي يزعم مؤلفوها انها حدثت في عهد الجاهلية انما هي حقيقةً واقعة بعد زمن نبي الاسلام تتضمن اخبار الحروب التي وجرت بين المسلمين والروم او بينهم وبين الصليبيين فتصرَّفوا فيها وهي لا تخلو من آثار تكشف زمانها الصحيح فتجد مثلاً بين ابطالها ذكر بردويل وانما هو بودوين الاوَّل ملك الصليبيين في اورشليم ه.ل

Revue des Etudes Islamiques : Année 1927, Cahier 1 : *Paris, Librairie Orientaliste, Paul Geuthner, in* 4° 1927, *pp.* 144.

مجلة الدروس الاسلامية

انَّ تقرُّب الدول الغربيَّة الى بلاد المسلمين قد بعث في قلوب الباحثين رغبةً في معرفة الاسلام ودينه وتواريخه ومدنيَّته واخلاق اهله فلذلك قد تعدَّدت المجلَّات الاوربيَّة الباحثة عن العالم الاسلامي. وهذه مجلة جديدة يصدرها محلّ غوتنر في باريس ويتولَّى كتابة مقالاتها اختصاصيُّون من المستشرقين. وتتألف من اربعة اعداد يبلغ كلّ عدد نحو ١٥٠ صفحة. فهذا العدد الاوَّل يحتوي اوَّلاً اوصاف الكتب الحديثة التي نُشرت في الاسلام (٤٨ صفحة) ثم درساً ممتعاً في احوال المرأة بين قبائل البربر (ص ٩٥) يليه بحث لطيف عن كليَّة الازهر وما حصل فيها من التقلبات. ثم ترجمة افرنسيَّة لفكرات الغازي مصطفى كمال. وفي آخرها رسالة لشيخ سنيغالي موسى كارا. فنرحب بالمجلة الجديدة ونتمنى لها نجاحاً كبيراً ل.ش

ORIENTAL STUDIES published in commemoration of the 40 anniversary of Paul Haupt. *Baltimore, J. Hopkins Press., Leipzig, Hinrichs, LXX-470 pp., gr.* 8°, 1 *portr.*, 1926

دروس شرقية تذكاراً للسنة الاربعين من تعليم الدكتور بولس هوبت

بولس هَوبت الالماني احد علماء اللغة الاشوريَّة توطَّن اميركا منذ السنة ١٨٨٣ فبنسبة السنة الاربعين لتعليمه في بلتيمور في جامعة جون هوبكينس (١٨٨٣ — ١٩٢٣) حاول البعض من تلامذته ومن العلماء والاصدقاء ان يكرموهُ في السنة ١٩٢٦ بتأليف مجموع واسع من الدروس الشرقية قدَّموها لهُ. والكتاب مصدَّر بصورة العالم المذكور وفي اوَّله مقدِّمة ألَّفها الاستاذان سيرس أدلر وهارون امبر الذي

ذهب ضحيّة حريق وقع في باتيمور في شهر أيار ١٩٢٦ . ثمّ يليها ترجمة الدكتور هويت بقلم تلميذه البريت في آخرها قائمة مطبوعاته لهارون امبر ثم تأتي فهرست مواد الكتاب في اربعة اقسام : اوّلاً في العهد العتيق واليهوديّات . ثانياً في العلوم الاشورية . ثالثاً في العلوم المصرية القديمة . رابعاً في العلوم السامية موكل هذه الدروس ابحاث لطيفة تختلف طولاً ومادّةً وانما مدارها على العلوم التي عُني بهِ الدكتور هويت الذي توفي بعد صدورها بزمن قليل . وليس يوسعنا هنا ان نذكر كل هذه الدروس التي بوجه الاجمال تمثل بخصوص العهد العتيق وتاريخ الاديان افكار اصحابها المتشرّبة روح الاباحيين والبروتستانت . وما يمتاز بهِ هذا الكتاب ويستحقّ الثناء انما هي الابحاث المختصة بعلم اللغات السامية وتوافق فضل الاستاذ المكرَّم في زمن تعليمهِ س . ر

GÉOLOGIE ET MINÉRALOGIE APPLIQUÉES par Henri Charpentier. *in*-12, 1927, 2º *éd.*, *Paris*, *Dunod*

دروس جيولوجية ومعدنية عملية

قد نال هذا الكتاب رضى الدارسين لعلمي الجيولوجية والمعدنيات فاقتضى على المؤلف ان يعيد طبعهُ لكنهُ اراد ان يزيده نفعاً بتحسينهِ وتوسيعهِ وقد خصَّ القسم الثاني بنظرهِ فنقّحهُ وكمّلهُ وبيّن طرائق استثمار المعدنيّات . فلا بُدَّ ان يتلقّى الطلبة هذه الطبعة الثانية بمزيد الشكر . ونوصي بهِ اهل سوريّة ليستفيدوا منهُ لدرس معادن بلادهم والانتفاع بها ج . ل

Léon Bloy: Lettres à Pierre Termier, *Paris*, *Librairie Stock*, *in*-12, 1927

رسائل لاون بلوا الى بيار ترميد

لاون بلوا كان احد الصحفيين الكاثوليك المجاهدين . كان يأخذ عليهِ زملاؤه شدَّة لهجتهِ وبعض الغلوّ في دفاعهِ عن ايمانهِ . على انَّ تلك الفظاظة انما كانت تدفعهُ اليها نزاهة اعدائهِ . وها هي هنا رسائلهُ الى احد اصحابهِ تشفع فيهِ وتكشف عمّا كان يكنُّهُ قلبهُ من الفضائل المسيحية . كتبها من السنة ١٩٠٦ الى ١٩١٧ وهي مفعمة بالعواطف الرقيقة والخلال الطيّبة والايمان الصادق مع خلوّها من كل تصنُّع : فنشكر الذين تولّوا نشرها فهي افضل دفاع عن ذاك الكاتب بعد وفاتهِ ل . ش

حوليات مصر السياسية

تأليف شفيق باشا: تمهيد الجزء الاول

طبع في مصر سنة ١٩٢٥ (ص ٩٠٠)

ليس هذا المجلد الضخم سوى تمهيد الجزء الاول من كتاب واسع قصد فيه المؤلف ان ينشر تاريخ وطنه مصر التي هو احد عمّال حكومتها منذ السنة ١٨٨٠ بتخصيص قلمه لما جرى فيها من الحوادث في العشر السنين الاخيرة . فيفتتح كلامه بنظر عامّ عن احوال مصر منذ زمن محمّد علي الى مشاطرة بلاده للدول الاتفاقية في الحرب العالمية . ثم يدخل في موضوع كتابه فيصف تاريخ الحركة الوطنية المصرية او بالحري تاريخ الوفد الذي كان سبباً لاعلان استقلال مصر . والحق يقال انّ الكتاب ليس تاريخاً بحصر المعنى وانما هو مجموع لمآثر مختلفة مدارها على ذلك الواقع كخطب ووثائق ومقالات جرائد ومذكرات سفراء الخ . وقد اعلن الكاتب انهُ لا يحيد في كلامه عن الحقيقة . لكننا وجدناهُ في وطنيّته الحميمة لا يراعي دائماً حقوق الصدق . ومما زعمهُ مثلاً (ص ٣٢٣) انّ الارمن اطلقوا النار في مصر على المتظاهرين الوطنيين وكنا نحن وقتئذٍ في القاهرة ووقفنا على بطلان هذه الرواية وانما اتخذها المتظاهرون حجّة لتبرئة نفوسهم . ويزين الكتاب عدّة تصاوير الّا انّ بعضها قليل الاتقان ه . ل

بلوغ الارب في معرفة احوال العرب

تأليف السيد محمود شكري الالوسي البغدادي

طبعة ثانية . ثلثة اجزاء . في المطبعة الرحمانية في مصر سنة ١٩٢٤

تلطّفت المكتبة الاهلية وارسلت لنا نسخةً من هذا الكتاب النفيس الذي سبقنا ووصفناهُ في المشرق لما ظهر لاوّل مرة في بغداد سنة ١٣١٤ ه وذكرنا الجائزة التي نالها صاحبها من مؤتمر المستشرقين في استوقهولم . فقد احسنت المكتبة الاهليّة باعادة طبعه فأبرزتهُ بكسوة قشيبة وصورة شائقة حسن الطبع مشرق الحروف على

قطع كبير في ذيله ملحوظات وشروح وتصحيحات قام بها الاديب محمد بهجت الاثري وتدلّ على طول باعه في وصف آداب قدماء العرب. فلا نشكّ برواج هذا الكتاب واستحسانه شرقاً وغرباً لاسيما وقد أُضيفت اليه فهارس تقرّب للادباء فوائده

ونشكر ايضاً المكتبة الاهلية للطفها بارسالها نسخة من طبعتها الجديدة لكليلة ودمنة المصوّرة التي كانت نشرتها سابقاً في بيروت فاعادت طبعها محسّنةً مكمّلةً جديرة باعتبار المدرّسين والدارسين ل. ش

١ً التعليم المسيحي الكبير للمدارس الشرقية طبعة ثانية بالعربيّة والفرنسويّة (ص ٢٤٣) — ٢ً مختصره (ص ١٠٩). كلاهما بقلم الاب يوسف علوان اللعازري — ثمّ ٣ً مختصر التعليم المسيحي للمدارس الشرقيّة لاحد الآباء المرسلين نقّحه الاب يوسف علوان (ص ١٠٤) طبعة رابعة وكلها مطبوعة في المطبعة الكاثوليكيّة سنة ١٩٢٧

عُني حضرة الاب يوسف علوان بالتعليم الديني بين الاحداث في مدارس جمعيته فاهتمّ خصوصاً بتأصيلهم في روح الايمان فهذا ما دعاه الى وضع تعليمه المسيحي الكبير. ثم اختصاره بالصغير وقد صدّق على كليهما نيافة القاصد الرسولي. وراجعناهما فاستحسنّا اسلوبهما وصفاتهما الثابتة. وكذلك المختصر الذي نقّحه يُعدّ من افضل ما تداولته ايدي الاحداث وفي الكتب الثلاثة افادات للشرقيين خصوصاً مع قائمة اعياد الكنائس وصياماتها السنويّة. فنثني على همة المؤلف ونطلب لتآليفه مزيد النجاح ل. ش

حديث المائدة.

كتاب اجتماعي اخلاقي عرّبهُ عن الانكليزية توفيق زريق

طبع في مطبعة الزهرة في حيفا سنة ١٩٢٦ (ص ١٧١)

هذا الكتاب العلّامة دَوسن نُشر اوّلاً في مجلة الزهرة لصاحبها جميل افندي البحري، وقد اطّلعنا على معظم فصوله فوجدناهُ من افضل الكتب الاخلاقيّة التي

يتداولها الشبان فانَّ كاتبها حكيم عاقل يعرض افكارهُ بكل رزانة ويفند كثيراً من المزاعم الشائعة بين الناشئة . وقد سرَّنا ما وجدناهُ فيهِ من اعتبار الدين المسيحي وبيان فضلهِ على سواهُ بتعاليم السيد المسيح . وقد احسن بكلامهِ على ملثس ومذهبهِ الفاسد (ص٢٥) وعلى الديانة البوذيَّة وتعاليمها الباطلة (ص ١٦٣) . على اننا رأينا كلامهُ ملتبساً في فصلهِ عن الشفاء بالايمان (ص ١٥٤) مع كونهِ لا ينكر الخارق الطبيعة في الدين (ص ٩٩) ومثلهُ فصلهُ «بعض الشكوك الدينيَّة» (ص١١٥) فانهُ لا يخلو من الابهام ويحتاج الى ايضاح وتدقيق

كتاب دليل المتداعين ورفيق المحامين

لمؤلفهِ المحامي اسعد مخلوف روفايل اللبناني

طبع في بيروت في مطبعة السلام سنة ١٩٢٧ (ص ٥٥)

علم الحقوق من اوسع العلوم وادقها لما يشتمل عليهِ من المسائل العديدة التي يقتضي حلها معرفة شاملة للقوانين المختصة بضروب العقود وانواع الشروط واشخاص المتداعين وظروف الدعاوى . فهذا كتاب اودعهُ صاحبهُ بطريقة واضحة كل المعلومات التي يحتاج اليها المتداعون والمحامون معاً فهو ارشد دليل للاوَّلين واصدق رفيق للآخرين . لا ينقصهُ الا زيادة اتقان في طبعهِ

رواية سجين القصر

مأساة ادبية ذات خمسة فصول بقلم جميل البحري

طبعة ثانية في مطبعة الزهرة في حيفا سنة ١٩٢٧ (ص ٧٨)

كنا ذكرنا سابقاً هذه الرواية التمثيلية والفينا على صاحبها الاديب فهي من جملة ما يحسن تمثيلهُ على مسارح المدارس وبنفود طبعتها الاولى دليل على استحسانها لدى العموم

ل . ش

في الادب الجاهلي

تأليف الدكتور طه حسين

طُبع في مصر في مطبعة الاعتماد طبعة ثانية ١٩٢٧ (ص٣٧٥)

قامت قيامة الكتبة لدى ظهور هذا الكتاب بعد طبعتهِ الاولى . ثم تكرَّر

طبعهُ منقّحاً في هذه الطبعة الثانية . لكنّ عثير الجدال لم يخمد بسببهِ . خلاصة الكتاب انَّ معظم ما خلّفهُ لنا اهل الجاهلية من الشعر في الدواوين المنسوبة اليهم انّما هو مصنوع ليس لهم وضعهُ باسمهم بعض الرواة بعد الاسلام . فما قولنا بهذا الشأن ؟ اننا لا ننكر — وبعض القدماء من ارباب النقد اشاروا الى ذلك — انهُ نُسب الى شعراء الجاهلية قصائد مصنوعة لغايات سافلة . إلّا انَّ تعميم هذا الحكم في كل الشعر الجاهلي كشعر امرئ القيس والنابغة وزهير وغيرهم لا يمكن اثباتهُ مهما اجتهد الدكتور طه حسين في بيانهِ . لانَّ الشعر الجاهلي كان متصلاً بالشعر الخضرمي والشعر الاسلامي في عهده الاوّل . فمن يسلّم بصحة هذين لا بُدَّ ان يسلّم بصحّة ذاك لقرب عهدهِ منهما . فما امكن الشعرَ الخضرمي كشعر حسّان والخنساء وسواهما ان يبلغ كمال لغتهِ العربية الفصيحة الّا وقد وجدوها قبلهم كاملة في الشعر الجاهلي والمخضرمون عاشوا دهراً مع الجاهليين . اما امتداد لغة قريش بين قبائل ربيعة واليمن فسببهُ اختلاط القبائل العربية ببعضها لاسيما في الاسواق العمومية حيث كانوا يتناشدون الشعر كسوق عكاظ . وكذلك نرى ضعفاً في براهين جنابهِ في تشريح القصائد ونقدها ظاهراً وباطناً ومن ثمَّ لا يصحّ قولهُ بان سهولة الشعر في الشعر الجاهلي تدلُّ على حداثتهِ فليراجع حماسَتي ابي تمّام والبحتري وفيهما حكمٌ لغتها واضحة سهلة . ثم يسلّم بصحّة بعض القصائد وينفي غيرها على غير قياس ثابت كما انّنا لا نرى داعياً لوضع كثير من القصائد الجاهلية لغاية معقولة لولا صحّتها . وعلى كل حال ننتظر حكم الادباء والمستشرقين في هذا الصدد ولا نظنّ انّ احداً منهم ينفي هكذا بشطبة قلم اجلّ اثاره الجاهلية ل . ش

احسان

لاحمد زكي بن شادي

المطبعة السلفيّة — مصر ١٩٢٧ (ص ٢٦٠)

هذه اوّل مغنّاة (اوبرا) مصريّة عربيّة نظمها المؤلف المجدّد في نحو مئتي بيت قسمها الى ثلاثة فصول فيها اربعة مشاهد وعرضها على الملحّنين خدمةً للنهضة التمثيلية في القطر الشقيق وتعزيزاً للادب المسرحي في البلاد العربية . امّا موضوعها فوضوع غرامي مدارهُ على قصّة خطيبين فرقهما الدهر ثمَّ جمعهما بعد حوادث شتى فكان

الاجتماع داعياً لموت الخطيبة . وقد وقع سرد حوادث هذه القصّة في ٣٤ صفحة فقط من هذا الكتاب . امّا ما بقي من صفحاته فقد نشر فيها المؤلف مقدّمات في الغنـاء ونشأتها وتطوّرها مع نظرات الى مغنّاته خاصة وملاحظات عليها بقلم الادباء محمّد لطفي جمعـه وحسن صالح الجداوي ومحمّد علي حماد والشاعر احمد محرّم والمؤلف نفسـه ثم ذُيل كل هذا ببعض تقاريظ لمؤلفاته السابقة . فنحن نثني على هذه المقدّمات والملاحظات التي وجدناها غاية في الدقّة وحسن النظر . امّا المغنّاة نفسها فرأينا شعرها دون ما عوّدنا عليه المؤلف في تآليفه السابقة ولعلّ سبب ذلك رغبتهُ في تطبيق شعره لالحان المغنّاة ولجهوده في سبيل تسهيل مهمّـة الملحنين والمغنّين . على انهُ استحقّ بفعله فضل المتقدّمين فؤاد البستاني

ديوان الحوماني

طُبع في مطبعة العرفان صيدا سنة ١٩٢٧ (ص ٢٠٨)

الحوماني شاعر عصري يتدفّق شعرهُ تحمّساً ووطنيّةً . معظمهُ في الحوادث المؤلمة التي وقعت في السنين الاخيرة بين الدولة المنتدبة والثوّار . والشاعر في جانب الثوّار لا يرى لهم الّا كل حسنة ولمناصبيهم إلّا كل ظلم وسيئة . فلا يمكننا والحالة هـذه ان نثني على الشاعر المتطرّف الذي يحرّك بشعره الاهواء ويثير العواطف بلا عـدل ولا صدق . ومـع هذا لا ننكر عبقريّتهُ الشعريّة وجودة نظمهِ في وصف الطبيعـة والاخلاق ل . ش

تكميل الشروحات في قواعد كتابة الهمزات

تأليف القمص عبد المسيح صليب المسعودي

طُبع في مصر في مطبعة عين الشمس سنة ١٩٢٥ (ص ٩٩)

انّ كتابة الهمزة في مختلف مواقعها في الكتابة العربيّة احـدى المشاكل التي طال فيها البحث بين اهل اللغة . فحضرة القمص عبد المسيح خصّ كتابهُ هـذا في

تلك المسألة تسهيلاً على الطلبة فله مزيد الشكر . وقد اضاف الى كتابه فوائد في العدد للقبطي والفدّان القديم وتاريخ بطاركة الاقباط الاخيرين والتاريخ القبطي ل.ش

هدايا أرسلت الى المشرق

١ (المصور) مجلة انتقادية في الادب والعلم والسياسة محرّرها وصاحب امتيازها اسماعيل مظهر (ص عددها الاوّل ١٠٠) . طُبعت في مصر في مطبعة الرقي

٢ (الحكم الفصل) وكيف يدفع الحقّ البطل او المكابرة في الحقّ الواضح وهي قضية عقارية نشر وقائعها وكيل المدّعي نجيب خلف المحامي طبع في مطبعة صبرا بيروت ١٩٢١ (ص ٣٠)

٣ (الدم الصارخ) دفاع مسهب رفعه نجيب خلف المحامي لمحكمة الجزاء الاستئنافية في قضية تسبب قتل امين يوسف الياس بصدمة سيارة سماحة قاضي بيروت . مؤمّلاً من محكمة الاستئناف عدلاً (طبع في مطبعة الهدى اللبنانية ص٣٢)

٤ رثاء الشاعر المصري حليم افندي دمّوس للوطني الصميم المرحوم سعد زغلول باشا

شذرات

باقة رياحين لملكة فلسطين

نظمها في اللغة الايطالية غبطة السيد البطريرك لويس برلسينا البطريرك الافرنسي وترجمها الى العربيّة شعرًا الخوري يوسف العشيّ محتفظًا بالنصّ الايطالي

لازمة

ملجأ فلسطينَ يا سُلطانةَ النِّعَمِ ... لديكِ تَعنو الأنامُ خُشَّعَ البصرِ
يا مجدَ لبنانَ بل صهيونَ والأُمَمِ ... لأنتِ اجملُ خلقِ اللهِ في البشرِ

دور

ما كان أجملَ يوماً فيهِ بشَّركِ ... جبريلُ بابنٍ عظيمِ الشأنِ والقدرِ
أمَّ الإلهِ دعاكِ والملائكُ قد ... دعوكِ سلطانةً يا كوكبَ السحرِ
اختاركِ اللهُ امًّا لابنهِ ظهرتْ ... كزنبقِ الحقلِ بالأنوارِ مزدهرِ
لأنتِ وحدكِ يا مملوءةً نعماً ... مرآةُ حُسنٍ بلا عيبٍ ولا وزرِ
فليجذلِ الناسُ في تقريظكِ أبداً ... ينبوعُ كلِّ الرجا والخيرِ والظفرِ
جندُ السماءِ واهلُ الارضِ اتحدوا ... في مدحِ مريمَ في الآصالِ والبكرِ

الخطيب المصقع بوسوئه اسقف مدينة مو

بنسبة المئة الثالثة لولده (١٦٢٧ــ١٩٢٧)

لم ينسَ يسوعُ في ابان شدّته من ان يقيمك امًا ملجأ البشرِ
امًا تخفّف عنهم ضيقَ غربتهم في الارض وادي البكا والدمع والكدرِ
تقبّلي اليوم يا سوسنَ تربتنا روائح النـدّ والبخور والزهرِ
ورافقي في فؤادٍ شفّهُ حزنٌ عليه لم تُبقِ دنياهُ ولم تَذَرِ
وعند داعي المنايا أوصليهِ الى دار السلام ديارِ الفوز بالوطرِ
من ضيق منفاه اورشليم غربتهِ حتى يفوز لنديك آمنَ الخطرِ
وحين احظى بكِ يا منتهى أملي بأن يشاهدك في مجدكِ نظري
اذ لا حجابٌ ولا سترٌ يحول ولا هناك انشدُ ما يسمو على الفكر
هيّوا لمريمَ اهل الارض قاطبة امّ المحبة ذات الشأن والخطرِ
ورتّلوا المجد للثالوث صحبتها للاب الروح للفادي مدى العمرِ

﴿شهيد سرّ الاعتراف﴾ على الرغم من الاضطهادات الوحشية التي أثارها رئيس جمهورية المكسيك وذووه على الدين وارباب لم يزل الكاثوليك يجاهدون في سبيل ايمانهم. ومما يشهد على همجية المضطهدين انهم ارقفوا الكاهن «كوريا» (Correa) اذ كان حاملاً القربان لاحد المرضى المدنفين وارادوا ان ينزعوهُ من يدهِ فاعلن لهم انهُ يموت ولا يدعهم يمسّون جسد الربّ وللحال تمكن من التقرّب بهِ. فأمسكوهُ وقادوهُ الى رئيسهم فقال لهُ: هنا قوم من الكاثوليك المحكوم عليهم بالموت فاستمع اعترافهم قبل اعدامهم ثمّ ننظر في امرك بعدهم. فللحال سمع اعترافهم وحلّهم عن خطاياهم وقوّى عزائمهم على احتمال الموت. ولما انتهى امرهُ الرئيس تحت طائلة الاعدام ان يُعلن لهُ بما سمع من اعترافهم. فاجابهُ: الموت اشهى لديّ من انتهاك سرّ التوبة. فمن وقتهم رموه بالرصاص فمات شهيد دفاعهِ عن سرّ التوبة

﴿البرق السماوي﴾ حسبَ بعض العلماء الطبيعيين القوّة الكهربائية التي تلوح في البرق السماوي فوجد انّ برقاً واحداً اذا بلغت شدّته نحو ٣٠٫٠٠٠ أمبير يكفي لانارة ١١٠٫٠٠٠ مصباح كهربائي مدّة ٢٤ ساعة وان قوّتهُ الكهربائية تبلغ ٢٨٫٠٠٠ مقياس كهربائي فيساوي ثمنهُ نحو ٥٦٫٠٠٠ فرنك. فان كان برق واحد هذه قيمته فما قولنا بالبروق المتتابعة في ليلة الانواء فانّ ثمنها يتجاوز مئلايين من الفرنكات

﴿ترهب احد وزراء الصين﴾ من اخبار بلجكة الاخيرة انَّ رئيس الوزارة الصينيَّة سابقاً المدعو بعد تنصره «رينه لوتسيانغ تسينغ» طلب ان يترهب بين الرهبان البندكتيين فدخل ديرهم في سانت اندره قريباً من بروج (Bruges) . وقد حضر حفلة لبسهِ الثوب الرهباني كثيرون من الاعيان بينهم سفراء دولة الصين في بروكسل وباريس وليسبون . وكان ارتداد هذا الوزير الى الكثلكة اذ كان سفيراً لحكومة وطنهِ في اوربَّة . ولمَّا ارتدَّ اهدى الحبر الاعظم كل الاوسمة الثمينة التي كان نالها من دولتهِ ومن بقيَّة الدول ومن جملتها وسام جوقة الشرف . وكان المذكور تعيَّن لعدَّة مناصب جليلة في الصين وفي انحاء اوربَّة واقترن باوربَّية بالزواج مع آنسة بلجكية فلمَّا دعاها الله اليهِ رأى حالهُ خلوًا من كل قيد يربطهُ بالعالم فطلب الترهُّب

﴿اوَّل اسقف ياباني﴾ ذكرنا سابقاً تسقيف خمسة اساقفة وطنيين صينيِّين كانوا باكورة الاسقفيَّة الكاثوليكية في مملكة ابن السماء . وها هوذا اسقف آخر وطني اختاره الحبر الاعظم لليابان يُدعى السيد جانقيه هياساكا سيم اسقفاً في رومية في اواخر الشهر الماضي في ٣٠ منهُ وفيهِ وقع عيد المسيح الملك . والاسقف الجديد تعيَّن لتدبير ابرشيَّة مدينة نغازاكي الكبيرة . فكان لهذا النبأ احسن وقع في اليابان حيث منحت الحكومة الحرِّية التامَّة للكنيسة الكاثوليكية مؤخرًا بعد ان كانت محصورة بالديانتين البوذيَّة والشنتوئيَّة

﴿الكشافة الفرنسويَّة﴾ نبشر اعضاء الكشافة الوطنيَّة الكاثوليك بما منحتهُ الدولة الفرنسويَّة من الامتياز لكشافة بلادها اذ اعلنت بمعرفتهم رسميًّا واحصاء جماعاتهم بين المشروعات ذات الفائدة العمومية . ومن المعلوم ان اكبر الدُّعاة في باريس لتأليف جماعات الكشافة انما هو الكاهن القانوني كورنت (Cornette) وهو الذي نفخ فيها روح الدين ممزوجاً بروح الوطنيَّة . يتبعهُ اليوم الوفٌ مؤلفة من الشبَّان الذين جعلوا شعارهم ثلثة امور المجاهرة بايمانهم والتفاني في خدمة وطنهم وممارسة الفضائل الاهليَّة في بيوت والديهم

﴿اعادة دير اسيزي الى الرهبنة الفرنسيسيَّة﴾ قبل ستين سنة اغتصبت الحكومة الايطالية ظلماً دير اسيزي الكبير ونفت رهبانهُ . وها قد كفَّرت اليوم عن ذنبها فان

القائد الكبير موسوليني امر باعادته اليهم في ختام هذه السنة اليوبيلية التي تناصرت الدنيا والدين في تعظيم القديس فرنسيس الكبير. فنهنئ الرهبانيّة الفرنسيسيّة على فوزها ونتمنى لها رقياً دائماً

﴿اكرام الموتى في فرنسة﴾ في هذه السنة في عموم الدول وفي فرنسة خصوصاً جرت مظاهرات تقوية لاكرام الموتى لاسيما موتى الحرب العالمية. ومما روتهُ الصحف مؤخرًا من ذلك انَّ نقابة الكتبة المحامين دعت في ١٥ت١ الماضي نيافة الكردينال ديبوي رئيس اساقفة باريس ليقيم قدّاساً حافلًا لذكرى الكتبة الفرنسويين الذين ماتوا في ساحة الشرف. فحضر الحفلة عدد عديد من علية فرنسة السياسيّين وارباب السيف والقلم. وفي مساء ذلك النهار علّق رئيس الجمهورية في قصر البنتيون صفيحةً كبيرة كُتبت عليها اسماء ٥٦٠ من الكتبة الفرنسويين قتلى الحرب الكونية

﴿مشهد الكاتب الاسباني سرفنتس﴾ سرفنتس هو مؤلف تلك الرواية الخياليّة الفكهة الشائعة في انحاء المعمور المعروفة بدون كيشوت التي طُبعت معرَّبة في مصر. ففي ٢٣ من شهر تشرين الاوَّل امر الملك الفونس بتدشين مشهد جميل فوقهُ تمثال الكاتب يبلغ علوّهُ ٢٥ مترًا اقيم في احدى ساحات مدريد. وعلى جوانب البناية تصاوير لطيفة تمثل كثيرًا من احداث دون كيشوت وحاجبهِ سنشو بانسا

﴿الشرق والغرب والقديس فرنسيس كسافير﴾ يسرُّنا ان نرى في صفحات مجلّة الشرق والغرب سيرة القديس فرنسيس كسافير اليسوعي رسول اليابان. وقد نشرت سابقاً المطبعة الاميركانية في قصر النيل سير القديسين الكاثوليكيين كالقديس يوحنا فم الذهب والقديس اوغسطين وكالشهيد الدومنيكي ريموند لولّ. فيا ليت الذين ينشرون هذه السير يستفيدون منها روحها الكاثوليكيّ ويترعون عن تعاليم البروتستانتيّة وفوضاها فيدخلون معنا في الحظيرة البطرسيّة

﴿اكرام الاب لويس برلوموا﴾ فقدنا في العام الماضي استاذ العلوم النباتيّة والمكروبية الاب لويس برلوموا منشئ المتنبت النباتي في مكتب الطب الفرنساوي ومؤلف كتاب نبات لبنان. فرأت الحكومة اللبنانية ان تُكرم ذكره باطلاق اسمهِ على احد الشوارع القريبة من المكتب فلها الشكر على نيّتها

أسئلة وأجوبة

س سُئلنا في عدد سابق عن ايزندا التي على اسمها اسقفية شرقية للسيد شبتال وعن موقعها

ايزندا وموقعها

ج اعدنا النظر في موقع هذه المدينة التي يقال انها في شرقي العجم وقد ذُكرت في الافرنسية على صورة (Isenda) و (Isinda) و (Isonda) وفي صورتها ما يشعر باسم اعجمي لكننا لم نجد لها ذكرًا على هذه الصورة والظاهر انَّ اسمها هذا قديم قد فُقد اليوم فلا ذكر لهُ في المعاجم الجغرافية ما لم تكن ايزندا هذه مدينة زَندانة العجمية التي تكرَّر ذكرها في الكتب الفارسية

س وسأل مستفيد ما اصل كلمة (Dingue) الفرنسوية التي شاع اسمها لداء انتشر اليوم في انحاء الشام

اصل كلمة Dingue

ج هذه اللفظة دخلت حديثًا في اللغة الفرنسويَّة فلم تُرْوَ في معاجم تلك اللغة. ولا يبعد انها دخيلة مشتقة من العربية اما من الضَّنك بمعنى الزكام واما من التدنيق هو الهزال من مرض والاشراف على الموت والله اعلم

س وسأل احد ادباء المسلمين من مدرماذا يُعرف عن دير حرملة الذي وجدهُ مذكورًا في احدى مخطوطات الكتبخانة المصرية

دير حرملة

ج حرملة على ما نظنّ اخو مرقس الاكبر الذي اثبتنا نصرانيَّتهُ في كتابنا النصرانية وآدابها (راجع الاغاني ٥ : ١٩٠ — ١٩١) اما نسبة الدير اليهِ فلم نتحقَّقها ولم يروها كاتب فلعلَّ حرملة بناهُ بعد ان ترهَّب في اثر وفاة اخيهِ المرقس ل . ش

س وسأل احد الاكليريكيين ما معنى اسم البرديوط وماذا يراد بهذه الرتبة

البرديوط واسمهُ ومعناهُ

ج البرديوط لفظة يونانية (περιοδευτής) معناها الدائر والسائح وهي في الكنائس الشرقية رتبة الكاهن الزائر يخوّلها الاساقفة الذين يعيّنونهم لزيارة الرعايا فيوقفون الاساقفة على احوالهم . وهي اليوم رتبة شرفيَّة ل . ش

المشرق

التذكار المئوي الثالث لميلاد بوسوئه

(١٦٢٧ــ١٩٢٧)

بقلم الاب فردينان ترتل اليسوعي

بوسوئه الخطيب الشهير والعلامة المنير استاذ الملوك ومربي الامراء الكاهن المفضال والاسقف الساهر على مصالح رعاياه، بوسوئه مصباح كنيسة فرنسة: في هذا العام يعقدون له في بلاده حفلات شائقة تردّد صداها الجرائد والمجلات بتذييع ذكرى حياته ومؤلفاته وافضاله في مناسبة السنة الثلثمئة لميلاده . فرأينا ان نخصص لهُ بعض صفحات المشرق عسانا نشوّق الى الادباء مطالعة مؤلفاته الجليلة وقد تعرّف به اكثرهم ابّان درسهم علم البيان والخطابة الافرنسية واستظهروا من طُرَف كلامهِ ما ثقّف عقولهم ومهّد لهم السبيل الى اجادة التحرير والتفصح في الكلام

١ً الفتى والدارس

جاك بنيني بوسوئه (Jacques Bénigne Bossuet) ابصر النور في مدينة ديجون قاعدة بورغونية في ٢٧ ايلول السنة ١٦٢٧ . كان ابوهُ مستشاراً في برلمانها ثم انتقل مع اهله الى مدينة متس فنشأ الصبي هناك على حب الايمان وعلى حفظ التقاليد المراعاة في الأُسر النبيلة العريقة بالقدم المتخصصة بوظائف الادارة والقضاء . لم يتجاوز السنة الثامنة من عمره حتى قدّمه اهلهُ ليتخرط في سلك الاكليروس فقُصَّ شعره . وما عتّم ان نال وظيفة كنائسية وهو في السن الثالثة عشرة من عمره فدعي قانونياً

لكاتدرائية متس من قبل ان يُرسم كاهناً ، طبقاً لعادة كانوا يجرون آنئذٍ عليها ثم أُلغيت . على ان الفتى لم يخيب امل ابويه فمال بقلبه منذ الصبا الى الكهنوت . ودخل اذ ذاك في مدرسة « غودرانس » للاباء اليسوعيين وجعل ينكبّ على مطالعة الكتب المقدسة فتعلّم اصول الايمان والتقوى مع الشعر والفصاحة . واذ لم يكن في مدرسة غودرانس صفٌّ للتعليم الأعلى ختم فيها دروس البيان وغادرها الى باريس فكمّل دروسه في مدرسة ناڤارة . وقد اظهر آنئذٍ من الاجتهاد والثبات والنشاط مع ذهن متوقد وعقل ثاقب وقلب طاهر متواضع واخلاق دمثة لينة ما جعل اساتذته يتوسمون لمستقبله نجاحاً باهراً وخيراً وافراً

وكان بين الكهنة الذين اختلط بهم بوسوئه مدة دراسته في باريس منصور دي بول القديس الشهير بحبه للفقراء وعطفه على المساكين . كان يرشد بوسوئه ويلحّ عليه ألّا يغالي بالانصراف الى العلوم النظرية لئلا يحرم النفوس ثمرة اعماله الرسولية ويتوسل اليه ان يراعي حقوق السذاجة الانجيلية في التبشير لئلا يبعد فهمه عن العقول البسيطة . فاثرت نصائح القديس في قلب بوسوئه وذلك ما جعله يلفت انظاره حياتهُ طولها الى البائسين فيفتقدهم بذاته ويحث القريب على مساعدتهم

٢ً الكاهن

خرج بوسوئه من المدارس وهو في الخامسة والعشرين من عمره وقد سيم كاهناً وظفر بشهادة اللغة . فعاد الى مدينة متس وظلّ فيها سبع سنوات في خدمة المؤمنين يتعاطى شؤون تدبيرهم وارشادهم بغيرة لا تعرف الملل

وكانت آنئذٍ اسبانية مناوئةً لفرنسة ولها أنصار يرأسهم « الامير كونده » وهو معادٍ للملك فرنسة يتجولون في الحدود الشرقية ويعيثون في الارض فساداً فالتقى بهم بوسوئه وعقد معهم هدنةً وضمن السلم والامن للرعية . ولم يسهر على مصالح المؤمنين الزمنية فحسب بل كان يدعو بمرسلين من جمعية اللعازاريين ويعهد اليهم بالتبشير في القرى وكثيراً ما كان يرافقهم ويساعدهم بالوعظ

وكانت متس ملجأ يؤمهُ البروتستانت وهي في جوار المانية فكثر عددهم فيها . فجعل بوسوئه يلتمس السبيل الى هدايتهم وألّف رداً على تعليم احد رُعاتهم . وكانت

متس المدينة الوحيدة في فرنسة يحق لليهود ان يقيموا فيها متمتعين ببعض الحقوق المدنية فحاول بوسوئه تبشيرهم . واخذ يعالج المشاكل اللاهوتية والتاريخيَّة التي يدور عليها الجدال بين الكاثوليك والبروتستانت وبين الكاثوليك واليهود حتى انتهى به البحث الى وضعهِ كتابيهِ الجليلين :

الاول تاريخ التغيرات (Histoire des Variations) ظهر في العام ١٦٨٨ بيَّن فيهِ صاحبه ان الدين البروتستاني فاسد في اساسهِ لانهُ مبني على البحث الشخصي المختلف مع اختلاف الاشخاص فلا بد ان تكون نتائجهُ متخالفة متناقضة لا يقرُّ لها قرار على حقيقة راسخة دائمة . وقد ابرز بوسوئه قضيتهُ بضروب البلاغة واسلوب واضح مشبع بزخارف الادب تنجلي فيهِ شاعريَّته القوية عن ابتداع بالخيال وانسجام ورقة وحماسة في العواطف

اما الكتاب الثاني فهو الخطاب في التاريخ العام (Discours sur l'Histoire Universelle) والغرض منهُ تبيان صحة الديانة المسيحية من ادلَّة التاريخ لا فقط هداية لليهود ولكن لكل ملحد زنديق وهذا المؤلَّف هو آية في نوعه يحصى بين مفاخر الآداب الافرنسية (١ وهو ثلثة اجزاء :

الجزء الاول منهُ يستقري تاريخ العصور فيسرد الحوادث متسلسلةً مع تسلسل الدهور . والجزء الثاني هو الاعظم شأناً يبيّن مصدر الديانة الالهي ودوامها على تطورات الزمان فيُفحم الملحدين والهراطقة القائلين بحدوثها البشري وتقلبها مع الايام . والجزء الثالث يتكلم في الممالك وفيهِ فصول جميلة تبلغ غاية ما انتهى اليهِ فن التاريخ من الابداع يمثل فيهِ بوسوئه العناية الربانية وهي تلعب دورها متوارية تحت مظاهر الوقائع العالمية فهي علَّتها وغايتها والنقطة المركزية لدائرتها ٥

وكان بوسوئه في متس لا ينفكُّ عن الدرس والبحث يكدُّ نهارهُ في القيام بمهمَّته الرعائية ويصرف من الليل ساعات طوالاً في مطالعة الكتاب المقدس ومؤلفات الاباء الاقدمين واخصهم ترتوليانوس واوغسطينوس . فقال عنهم انهُ وجد في كتبهم كل ما يُحتاج اليهِ انسان لتعليم الديانة والمدافعة عنها فلا مزيد عليهم لمستزيد . ولم

١) قد عرَّبهُ الاستاذان شاكر افندي عون وعبدالله افندي البستاني وطبعاه في المطبعة العمومية الكاثوليكية في بيروت (١٨٨٢) في مجلد ثمن القطع عدد صفحاته ٢٣٦

يكتف بوسوئه بالطالعة بل كان يبذل جهدهُ بالتأليف ولا يكلّ عن اعادة النظر بتآليفهِ ليصلحها وقد عثروا على بعضها وهي مكتظة بخطوط وملاحظات تدلّ على ان بوسوئه لم يرضَ بانشائها النهائي الّا بعد ان صرف ساعات وهو يعمل القلم فيها. مما يبين باجلى تبيان ان عظام الرجال وقادة الفكر لا يدركون مآربهم بقوة فطرتهم الطبيعيّة فحسب ولكن بعنائهم وثباتهم على العمل لان النبوغ الحقيقي لا ينشأ وينمو ويثمر بالأضعاف ما لم يحلّ في ارض يعنى بها صاحبها فيفلحها ويمزقها ويسقيها بكدّ وسعي دونه عرق القربة. وقد انتبه رفقاء بوسوئه لاجتهاده الفائق فكانوا يتلاعبون باسمه باللغة اللاتينية ويقولون فيهِ على ما بلغنا عنهم: Bos suetus aratro «الثور الملازم المحراث» اشارة الى انكبابه المتواصل على المطالعة والعمل وما كلامهم الّا مصداق لقول الشاعر: ومن طلب العلى سهر الليالي

وما لبثت شهرة بوسوئه ان شاعت في متس وفي انحاء البلاد حتى بلغت العاصمة. فارسل القديس منصور دي بول يدعوه الى باريس. وحدث ان الملكة حنة النمساوية كانت في متس وسمعت بوسوئه يلقي عظتهُ في مديح القديسة ترزيا فأُعجبت بهِ وطلبتهُ ايضاً ليكون خطيباً للبلاط الملوكي. فمضى الى باريس وقد ادّخر لنفسهِ من كنوز المعارف والاختبار ما يمهّد لهُ السبيل لوضع مؤلفاتهِ العديدة ومواعظه البديعة

٣ً الواعظ

اقام بوسوئه عشر سنوات في باريس (١٦٥٩ــ١٦٦٩) القى في اثنائها مواعظ الصوم الكبير ومواعظ صوم الميلاد على اربع سنوات ومواعظ غيرها كثيرةً وتآبين توفّق الى تعيين تاريخها يوم القائها «الانبا لبارك» ناشر مواعظ بوسوئه. فجاءت مجموعةً بديعةً لا نبالغ ان نقول انها اجمل ما فاه به خطيب تسنّم منبر الخطابة

ومن الغريب المدهش ان معاصري بوسوئه على اعجابهم بفصاحتهِ لم ينصفوه في حكمهم ولعلّ بعضهم فضّل عليهِ غيره من الوعّاظ في تلك الايام. وقد ظلّت آثار هذا النابغة متواريةً محتجبة في زوايا المكاتب والنسيان الى ان اخذ العلماء

المحدثون يخرجونها من طيات الاهمال ويمعنون النظر فيها فاذا هي تسحر الالباب وتسبي العقول

هل من سبيل الى كشف النقاب لقراء العربية على محتويات تلك المواعظ الباهرة ؟ ألا يطير عبير ذكاء هذا الطيب اذا نقل من لغة الى لغة ومن اناء الى اناء ؟ اليس الاولى بنا ان نروي بوسوئه بتنه الافرندي على صفحات المشرق فيزينها ويفيض على قرائها من جميل محاسنه ما يبهر العقول ويأخذ بمجامع القلوب ؟ وهل يتسامح الادباء بتعريب بوسوئه واي لسان يترجمهُ ولا يميا عن تبيان فصاحته وبلاغته ؟ ومع ذلك فاننا نتقدم الى القراء ببعض شذرات من مواعظه يتخللها ملاحظات يستعين بها القارئ على معرفة الظروف التي أُلقيت فيها

واول ما يقال في مواعظ هذا الخطيب انها اتت مرآةً لنفسه وعنواناً لفضائله لانهُ بذل جهدهُ كي يسلك في سيرة حياته طبقاً للمبادئ المسيحية التي اخذ على عاتقه امر تلقينها المؤمنين. فكانت مسؤوليته العظمى درماً تجاه عينه فيترفع عن الدنايا ويحتقر استحسان البشر ولا تهمهُ الفصاحة الباطلة والتأنق في الكلام الا بما كان يؤول امره لاكتساب حسن التفات السامع وادراك السبيل الى هدايتهم. وكان يشبّه الواعظ المتصرف بكلام الله بالكاهن القائم على الهيكل ليتصرف بجسد ودم المسيح طبقاً لارادة المسيح

وفيما هو يقف خطيباً امام الملك والامراء لم يحجم عن ابداء حقائق الانجيل بكل ما تطلبه من صراحة وحرّية رسوليّة فينذر الخطأة بالعقاب ويفضح شناعة سلوكهم ويتوعدهم بشرّ المنقلب. حتى ذهب الى القول: «ايها العصر العقيم بالفضائل المخصب بالالقاب ... لقد شهدتْ عليك مضاربك وزخارفك وحالك والقسابك بالخساسة والدناءة». وكان كلامهُ يتجاوز السامعين الى شخص العاهل فيخصُّهُ من اعالي المنبر بنصائح موشاة بالمديح انما فيها من التبكيت والمعاني اللاذعة ما لم يخفَ معناه على رجل عاقل من امثال لويس الرابع عشر. فمن اقواله له: «سيدي لا خطر عليك الا من نفسك ومن نصرك ومجدك الشخصي وسلطانك الذي لا حدّ له. فما احوجك الى هذه المزايا لتحسن تدبير المملكة ولكن ما اعظمها خطراً عليك في تدبير امر نفسك ... خذ يا يسوع واجتذب اليك قلب هذا العاهل حتى اذا وهبك ذاته كان

خليقاً بان يقود اليك الخلائق اجمعين »

كان يتذرع بوسوئه بسلطته الرسولية ليرمي بسهام الملام والتقريع جمهور النساء اللواتي كنّ يلجن المعابد بقلة احتشام ولاغراض عالمية فوصفهن وقال : « يدخلن الكنائس رافعات الرؤوس . يخترقنَ جمهور المؤمنين بجلبة وضجيج ويلقين انظارهن في الجهات الاربع عن جرأة ... اية هي الغاية لكشف هذه النحور وهذه الاكتاف ؟ ليس لها غاية الا ان تكون حجر عثار او طعاماً لشجع الشهوات»

ولم يستحي ان يقف تجاه اعيان البلاد وامرائها وقفة نائب المسيح في منبر الحق لينبه ضمائرهم ويبكتهم على كبريائهم وطموحهم الى المناصب وبغضهم للحق ورياءهم ومخاطرتهم بمصالحهم الابدية حتى انهم يتعرّضون بعنادهم وكفرانهم بالنعمة الى شر منقلب وشر مصير

وكم من مرة قام بينهم خطيباً لينتصر للفقير عليهم فيعيّر الموسرين بشقاء المدقعين ويتهمهم بقتل الفقراء اذ يتركونهم يموتون جوعاً على ابواب القصور بينما هم في بحبوحة العيش رافلون . ومن درر كلامه في هذا الصدد ما قالهُ عن العلل التي تقتل الشفقة في قلوب الاغنياء وتجعلها صمّاء عن سماع صوت الفقراء . قال :

« ايها الاله العادل الرحوم ! انك لم تشارك عظماء الارض بشعاع من اشعّة قدرتك ليؤدي بهم الى الهلاك بل جعلتهم عظماء ليكونوا انقاذك آباء . ودبّرت بعنايتك فابعدت العاهات عن رؤوسهم لينكروا بعاهات القريب واطلقت سراحهم في رخاء من العيش ليأخذوا على عاتقهم شيئاً من حمل اولادك المساكين . وها ان عظمتهم تجعلهم مزدرين ، وخصبهم عقيمين ، وسعادتهم صلبي الافئدة ، يشاهدون يومياً الفقراء والاشقياء ، لا بل الفقر والشقاء بالذات ، باكياً يئن على ابوابهم . انّى لهم هذه القساوة المدهشة ؟

« قسّوا قلوبهم ! ولا عجب ايها المسيحيون ! لان غيرهم من الفقراء المدقعين وهم اشدّ جوعاً من اولئك قد احاطوا بالمرفق القربى واستهلكوا الحسنات عن طرائق سرّية خفية . واليكم معنى كلامي بالايضاح . اتكلّم فاعني بهم الفقراء الباطنين الذين وان بلغت العناية بهم مبلغها رجاء ان يشبعوا فهم لا ينفكون يشكون وينتون ، جائعين دوماً ، ودوماً ظمآنين ، وانتم عليهم مسرفون مفرطون . اعني

بهؤلاء الفقراء اميالكم وشهواتكم . انك لتئنّ على الابواب ، عبثاً ؛ يا لعازر ! يا مسكين فان هؤلاء الفقراء قد وجدوا السبيل الى القلوب فدخلوها ووقفوا فيها لا وقفة الموالي ولكن وقفة المحاصرين . مدّوا يدهم لا للسؤال ولكن للسلب . يا لله ! ما اشدّ عنفهم !

« تصوّروا ايها المسيحيون ! صعاليك الشعب في معمعة الفتنة وقد اخذت منهم الوقاحة مأخذها اذ يعرضون حاجتهم . فان تُرفض فهم على اغتصابها مصرّون . تلك هي الحالة في نفس الغني الشرير . وما بالنا نلتمس قصّتها في المثال الانجيلي وهي حكاية يغني عنها ما تتحدث به ضمائر الاكثرين . نعم لقد ضجّت الشهوات في نفس هذا الغني الشرير وفي انفس من جرى على مثاله فخلعوا سلطان العقل عن عرشه وفكّوا قيود الناموس . هي الرذائل : بخل ، وطمع ، وزهو : فئة شكس وشغب ، تصخب وتنادي فلا يُسمع لها الّا هذا الصراخ : «هات هات» (امثال ٣٠ : ١٥) هات الطعام للبخل ، والوقود للنار الآكلة ! زد بالتفخّل يوماً على يوم ، واجمح في جهالات البذخ والتأنق ! هات الملاهي ، ولتكن ألذّ من ذي قبل ، لان الشهوة على شبعها قد ملّتها فتطلب غيرها ! اصوات الوقاحة والاستكلاب ! كيف لا تخفت صوت انين الفقراء المتضورين جوعاً امامكم وقد اعتادوا قهر نفسهم بكدّهم وعرق جبينهم ؟ وفيهم من يفضل كأس المنون على ان يفضح امرهُ ويُكشف شقاءهُ . فانهم لذلك يموتون جوعاً ! نعم سادتي . انهم يموتون جوعاً في املاككم ، وقصوركم ، وفي المدن والارياف وعلى ابواب منازلكم وفي جوارها ، ولا مغيث لهم ولا معين . واحسرتاه ! لا يسألونكم الّا ما يفضل عنكم ويزيد : فتات الخبز الساقط من موائدكم بقايا طعامكم الفاخر

« على ان الفقراء الذين تغذونهم في باطنكم بسخاء واسراف هم الذين يستهلكون مالكم . والافراط هو عندهم تفريط . وما يفضل عنهم ويزيد فهو لهم عوز وحاجة ولذلك ليس من رجاء للفقراء يسرع المسيح ان لم تبادروا فتطفئوا نيران الشهوات والعصيان الداخلي . فيعيش هؤلاء المساكين بما يفيض عن اسرافكم وبما يتركهُ بخلكم » . (١)

---

١) راجع Sermon sur l'Impénitence finale, 3e point

وانما نستميح القرّاء بتعريب قطعة ثانية من عظة بوسوئه في الموت استهلها الخطيب بآية اخذها من الكتاب المقدّس « انك جعلت ايامي اشبارًا وعمري كلا شيء امامك. انما كل انسان قائم باطل اصلًا » (مز ٣٨ : ٦) فعلّق عليها وقال:

«نعم هو باطل اصلًا، لانما يقاس هو كلا شيء؛ لان كلّ مقيس له حدّ، اذا انتهى اليه ابادت آخر نقطة منهُ كل ما سبقها فكان كما لو لم يكن. ما هي مئة سنة؟ وماهي الالف؟ فبرهةٌ واحدة تذهب بها! عمرٌ اياماً تبلغ بها أيام الأبل الذي يقال عنهُ في الاساطير او في تاريخ الطبيعة انهُ يحيا اجيالًا. عش مديدًا كما يعيش السنديان الجبار الذي استظل بظله اجدادنا وسوف تتفيأ تحته الذراري واجمع، في هذا التّسع من الزمان الذي لا يحصره عقلك، وادّخر: المجد، والغنى، واللاهي، فما عسى ان يفيدك ما يتراكم منها وانفاسك الاخيرة الضعيفة الواهية عند انقضائها تذهب بذلك العز الباطل وتهدمهُ انهدام بنايات الورق التي تشيدها اصابع الاولاد. لن يبقى على الردى اثرٌ لما نحن الآن، الجسم يغير طبيعتهُ والجسد يغير اسمهُ واسم الجثمان يزول فيتحول كما يقول ترتوليان الى لا شيء او الى ما ليس لهُ اسم في لغة البشر. وقد عمل فيه الموت ما عمل حتى ذهب بالالفاظ المفخمة التي كانوا يطلقونها على بقاياه المنكوبة»

فيا ليت المجال يتسع فنروي عن بوسوئه لا مقاطيع وجيزة ولكن عظات بكمالها الّا اننا نحث القارئ على مطالعتها في اصلها فيجد بنفسهِ من محاسن الادب وبدائع الفصاحة ما يعجز عن انشائه قلم التعريب

٤ المعلم والمهذّب

في ١٣ ايلول من العام ١٦٧٠ دعا الملك لويس الرابع عشر بوسوئه اليهِ وعهد اليهِ بتعليم وتهذيب ولده ولي العهد لعرش فرنسة! فصرف بوسوئه همّته عن كل ما يشغلهُ عن هذه الوظيفة ليسعى في تربية الصبي المرشّح للملك على البلاد. كان يجتمع بهِ ثلاث مرات كل يوم حتى في اليوم الاحد وكان يلقنهُ العلوم كافةً الّا الجغرافية والرياضيات. وكان الولد في التاسعة من عمره تتثقف مدة عشر سنين لكن قلة همّته ونشاطه حالت دون الترقي المرغوب لهُ من ابيهِ ومن استاذه. عصرت يد المنون غصن حياته وهو شابٌ فلا يُتاح لنا ان نعرف نتيجة اتعاب بوسوئه على تلميذه بيد

انها لم تذهب ضياعاً لانها اثمرت بمؤلفات شتى وضعها الاستاذ لابن ملك فرنسة وظلت تراث الاداب الافرنسيَّة على مدى الاجيال. منها المؤلف المذكور سابقاً اعني الخطاب على التاريخ العام ومنها «كتاب السياسة اخذاً عن الكتاب المقدس» و«كتاب معرفة الانسان لله ولنفسه»

ولم يكن بوسُوئه يرمي في مؤلفاته الى تهذيب ولي العهد فقط بل كان في الوقت عينهِ يضع مؤلفات للاحداث مثل كتاب الفرامطيق ووضَعَ كتاب التعليم المسيحي. فاهتدى بذكائهِ ونبوغه الى معرفة احتياجات الاولاد الصغار وانشأ لهم مصنفات دينيَّة قريبة المنال سامية المعاني. واذا سألهُ احد كيف يستطيع الصغار ادراك هذه الحقائق العظمى فكان يجيب: «لقد علمتنا الخبرة ان الصغار يفهمون هذه الاشياء تدريجاً على شرط ان تُشرح لهم بالفاظ وجيزة مدققة.» ثم كان ينصح اساتذة التعليم المسيحي قائلاً: «اضيفوا الى تعليمكم بعض القصص المأخوذة من الكتب المقدسة او من بعض المؤلفين الثقات لانها تسحر الالباب وتنبه الاذهان» وقال ايضاً: «لقد ادرك مأربهُ من ألبس الحقائق حلة شائقة عند عَرْضها»

٥ً الاسقف والمرشد

في العام ١٦٨١ اقيم بوسوئه اسقفاً على مدينة مو (Meaux) ومنها نال لقبه الشهير «نسر مدينة مو» وفيها قضى ٢٤ السنة الاخيرة من حياته. وهو مثال الورع والتقوى والغيرة والمحافظة على قوانين الكنيسة. يتجول في انحاء ابرشيته تفقداً لشؤون الرعايا فيلقّن الصغار مبادئ التعليم المسيحي ويكتسب قلوب البروتستانت بوداعتهِ وصبره وخدماتهِ

وقد تدخَّل بوسوئه في امر قضيَّتين دينيَّتين كان لهما شأن عظيم في ايامهِ الاولى منها هي المعروفة بالكرياتيسم (le Quiétisme) اي الاستراحة والسكينة. عنوا بها عن ذلك التعليم المؤدي الى راحة النفس وسكينتها المطلقة في الصلاة حتى انها تبلغ الكمال بمجرد تسليم ذاتها الى الله دون ان تكترث لابراز افعال تُكسبها اجراً او تحيد بها عن الشرّ

وكان الاسقف فنلون مناصراً لهذا التعليم فجاداله بوسُوئه واقنعهُ بضرورة إهمال

القوى العقليَّة في اتحاد النفس مع الله وان تكن بلغت شأوًا بعيدًا في ميدان الكمال

وكتب بوسوئه مؤلفات شتى ارشادًا للنفوس في طريق الحياة الروحيَّة اهمها التأملات او ارتفاع النفس في اسرار الديانة (Elévations sur les mystères) وهي مشبعة بروح التقوى والايمان لا تزال الى يومنا قوتًا شهيًا تسوغهُ النفوس المسيحيَّة وتتقوى بهِ على محبة الله وعلى ممارسة الفضائل

اما القضيَّة الاخرى فهي معروفة بالغاليكية (le Gallicanisme) نسبةً الى غالية (اسم فرنسة باللاتينيَّة Gallia) وهي تشمل تعليمًا ظهر في فرنسة تأييدًا لسلطة الملك المطلقة وشاع خاصةً على ايام الملك لويس الرابع عشر. كان الملك بحسب هذا التعليم يدَّعي بالحق على اموال الكنائس المرملة من اسقفها. فاحتجَّ الاب الاقدس على هذا الاجحاف بحقوق الدين وتوترت العلاقات بين رومة وباريس. فدفع بعض الزعماء الملك لويس الرابع عشر الى ان دعا اساقفة فرنسة الى عقد جلسة عامة لتنظر في ذات البين على امل ان يتَّفقوا في اعلان استقلال كنيسة فرنسة. وتهلل للخبر الانكليكان في بريطانية العظمى اذ رأوا فرنسة الكاثوليكية على قاب قوسين من الشقاق عن رومة

لكن العناية الربانيَّة كانت ساهرة على حفظ الايمان في قلب « ابنة الكنيسة البكر » فالتأم الاساقفة سنة ١٦٨٢ وما بينهم بوسُوئه وقد تعيَّن مستشارًا للدولة في الشؤون الكنائسيَّة ونُدب ليلفظ الخطاب في مؤتمر الاساقفة، فالقى عظتهُ الشهيرة في وحدة الكنيسة اتى فيها بآية من آيات البيان مراعيًا حقوق الاتحاد اوَّلًا، مستحثًا عليهِ اخوتهُ الاساقفة. وان يكن سقط من خطابه آنئذ بعض كلمات تشفُّ عن روح التعصب لكنيسة فرنسة، وان يكن وقَّع اسمهُ على البنود الاربعة الشهيرة التي وافق عليها مؤتمر الاساقفة الافرنسيّون، وهي تعلن كنيسة فرنسة مستقلة عن الحبر الاعظم، فأمضى تلك البنود، لاعتبارهِ انها وسيلة، تذرع بها ليتوقَّى شرًّا اعظم، وهو انشقاق كنيسة فرنسة عن الوحدة الكاثوليكيَّة. ومما يشهد على حسن نيته انهُ قال عن البنود المذكورة « دعوها تذهب الى ما شاءت نسبة منسيَّة » ومما قالهُ في نهاية خطابه في وحدة الكنيسة هذهِ العبارات المؤثرة :

« ايتها الكنيسة الرومانيَّة المقدسة ! امّ الكنائس وام المؤمنين اجمعين ! ايتها الكنيسة المصطفاة من الله لتجمع بنيهِ بايمان واحد ومحبة واحدة اننا متمسكون

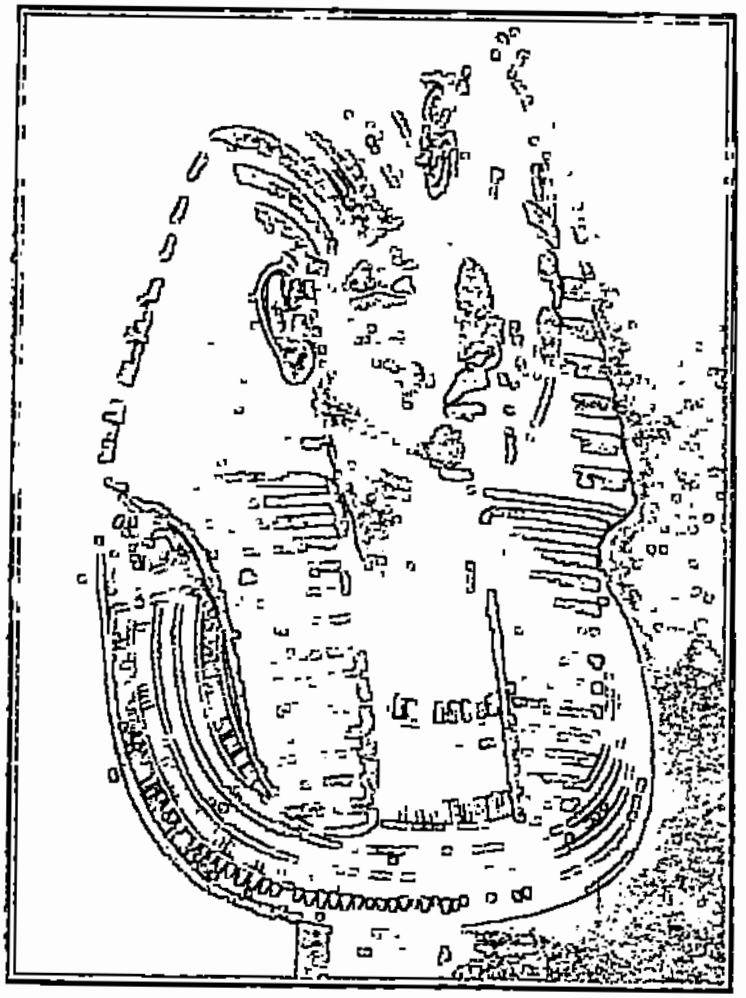

الفرعون توت عنخ امون

بوحدتك بجبّات افتدتنا. ان نسيتُك ايتها الكنيسة الرومانيّة فلتنسني يميني وليلتصق لساني بحنكي ان لم أذكرك وان لم أُعلِ اسمكِ على ذروة فرحي » (مز ١٣٦ : ٦)

فنجح بوسوئه بمسعاه وارفضّ جمهور الاساقفة ولم يثل الاتحادَ الكاثوليكي ضررٌ ولا حيف. وظلت فرنسة متمسكة باهداب الكثلكة الى يومنا وبعض الفضل في ذلك يعود الى هذا الرجل العظيم. فكان بعلمهِ وفصاحتهِ وغيرتهِ وتدبيره اشهر ممثل لاساقفة بلاده في العصر السابع عشر ولذلك لم يُغالِ لابروبار النقّاد الادبي اذ ذكرهُ في المحفل الافرنسي فدعاه « ابا كنيسة فرنسة في القرون الحديثة. »

كان بوسوئه في ابرشية مو يقوم بواجباته الاسقفيّة بين ارشاد وتعليم وتأليف اذ دهمهُ المرض الاخير فجعل يعجّل تكميل كتبه شأن العامل النشيط الذي اذا شعر بغياب الشمس اكبَّ على العمل لينهيه قبل ان يدركهُ الظلام. فاعاد النظر في « كتاب التأملات في الانجيل » وسلم للطبع « شرحه في اشعيا » ولم ينتهِ من « كتاب السياسة » الّا وافاه ملاك الموت وهو يترقبهُ، ترقب الجندي لسيده سلاحهُ بيده. وكان على علمه ونبوغه ورفاعة مكانته في عالم الدنيا والدين وديعاً متواضعاً زهيداً في الدنيا وزخارفها. لم يلتمس قط من الملك مكافأة او وظيفةً لاهلهِ وذويهِ بينما كان غيره يتذرّعون بالزلفى ليرفعوا اقرباءهم الى المقامات السامية. ولو أراد لنال لنفسهِ وظيفة كردينال او أُقيم رئيس اساقفة على باريس. لكنهُ احبَّ العزلة وتنحى عن امجاد العالم. وقد جادل حيناً عن حسدَّة لكنهُ اظهر اللين والمحبة في جميع الاحايين مبتغياً الفوز لا لنفسهِ ولكن للحق. تعلّم محبة الفقراء منذ صغره ثم على القديس منصور دي بول فكان لهم اباً حنوناً شفوقاً واخذ عن القديس فرنسيس دي سال معاصرهِ منهجهُ في هداية النفوس التقية الى ذرى الكمال. لم يلتمس لنفسهِ راحة ولا رفاهية بل تقشّف باكلهِ وشربهِ وسكناه. اختلط بالعالم وعظمائهِ واحتقر اباطيله فلم يغترّ بغروره ولكن حافظ على وديعة الايمان وعلى نعمة دعوته بغيرة ومحبة واخلاص. فلا عجب ان يُسرع وطنهُ بل عالم الدين والدنيا جميعاً الى تمجيده في هذا التذكار الثالث لمولدهِ

زيارتنا لآثار توت عنخ امون

للاب لويس شيخو اليسوعي

انَّ عاديَّات مصر العجيبة التي استخرجها الاثريون من بواطن الارض في قطر النيل منذ نحو مئة عام أدهشت العالم اجمع فكنَّا نحن عند سنوح الفرصة لا نتمالك عن تتبع ابصارنا بعاينتها لنحيط بها علماً . فزرناها مرَّةً اولى سنة ١٨٧٧ في متحفها الاوَّل الذي انشأهُ العلَّامة والنابغة الفرنسوي ماريت في بولاق وهو مذ ذاك الحين مدعاة لانذهال العموم

ثمَّ انتهزنا فرصة رحلةٍ ثانية الى القطر المصري سنة ١٨٨٥ لنزور المتحف الجديد الذي نُقلت اليه تلك العاديَّات في الجيزة في سراي الخديوي الجليل اسماعيل باشا فكان منظرها يبهر الابصار لحسن تنسيقها في ذاك المعهد الملكيّ الفخم مع ما أُضيف اليها من المكتشفات الحديثة

وقد زرناها قبل عشرين سنة في متحفها الحاضر في قصر النيل حيث تشيَّدت لهُ تلك الابنية الواسعة ذات الهندسة المحكمة والواجهة الرائعة في ساحة رحبة الارجاء. فعُرضت في معاهدها الالوف المؤلفة من العاديَّات المصريَّة العجيبة لتاريخ مصر القديم من الالف الرابع قبل الميلاد الى اواخر العهد الروماني بعد المسيح . وقد سبق جناب الاديب توفيق تُزح ونشر في المشرق (٥ [١٩٠٢]: ١١٠٤ــ١١١٢) وصف هذه دار العاديَّات مع صورتي رسمها وواجهتها . فكان الزوَّار يتقاطرون اليها من كلّ صوب وفجّ

ولم نشأ ان نحرم نفسنا في رحلتنا الحديثة الى عاصمة مصر من النظر الى المتحف المذكور لرؤية تلك الكنوز التي استُخرجت من مدفن الفرعون توت عنخ امون رجاء ان نعرض لقرَّائنا شيئاً من تلك الآثار التي اهتزَّ العالم طرباً لاكتشافها . وها نحن نورد هنا ما وقفنا عليه مباشرين اوَّلاً بذكر الفرعون صاحب الجواهر وبيان خلاصة اخباره

١ من هو توت عنخ امون

هو احد ملوك مصر الفراعنة من السلالة الثامنة عشرة التي حكمت على مصر بعد انتصارها على سلالة اجنبيّة ساميّة تُعرف بالهكسوس او الرعاة التي في ايامها وقعت الحوادث التي سطّرها سفر التكوين عن ابراهيم ويوسف. وكان المنتصر عليها الفرعون احمس الوطني الاصل في السنة ١٥٨٠ قبل المسيح وكانت هذه السلالة من اعظم سلالات مصر جاهاً واقواها شوكة ضبطت ازمّة الملك مدّة ٢٣٠ سنة وجعلت كرسي مملكتها في طيبة في الصعيد وفي عهدها بلغت مصر اوج عزّها. وقد امتاز بين ملوكها الثلاثة عشر الفراعنة تحوتمس الثاني وتحوتمس الثالث وامينوفيس الثاني وامينوفيس الثالث فغزوا بلاد النوبة وفتحوا الحبشة وتخطّوا الى بلاد فلسطين وسوريّة حتى عبروا الفرات وبلغوا الى نينوى ودخلوها واخضعوا ملوك اشور فصار لمصر الحكم الراجح في كل تلك الاقطار. وقد ثبت الملك في جانب هذه السلالة الى السنة ١٣٥٠ ق م

اما توت عنخ امون فكان من اواخر ملوكها تبوّأ العرش من السنة ١٣٥٨ الى ١٣٥٢ فصار الحكم بعده بزمن قليل للدولة التاسعة عشرة

تولى الامر في ايام مضطربة وفي احوال حرجة وذلك بسبب ما وقع من النزاع بين سلفه امينوفيس الرابع المالك من السنة ١٣٧٦ الى ١٣٥٧ ق م فهذا الفرعون كان مقامهُ في طيبة التي كان يكرّم فيها الاله امون يعتبرونهُ كالاله الاعظم ينسبون لهُ السيطرة على آلهة البلاد كالاله فتاح اله منف والاله رعْ اله عين شمس. وكان لكهنته نفوذ عظيم في سياسة المملكة حتى زاحموا الفرعون في سلطته السامية في عهد تحتمس الثالث فرأى خلفه امينوفيس الرابع ان لا نجاة من سطوتهم إلّا بانتقاله من مدينة طيبة الى مركز آخر فتحوّل عنها بحاشيته الى ضفّة النيل الشرقيّة في مصر الوسطى قريباً من اسيوط على مسافة ١٦٠ ميلاً من القاهرة فابتنى لهُ حاضرة جديدة واختار لحمايتها إلهاً جديداً فعبد الشمس واتّخذ قرصها وشعاعها كشعاره وهو الاله أتون فبدل اسمهُ امينوفيس اي حبيب امون بخون اتون اي قرص الشمس ومثّل نفسهُ بالنقوش قائماً بازاء الشمس المشعّة يقدّم لها قربانهُ ويترنّم بتسابيحها مطرئاً نورها

وحرارتها وإحياءها للطبيعة واهمل عبادة الاله امون لا بل تبرّأ منهُ وناجزهُ حرباً عواناً فامر بتدمير هياكلهِ والغاء عبادته وبذلك اعتق نفسهُ من سيطرة كهنتهِ. وعزَّز في مدينتهِ الجديدة عبادة الاله اتون ودعا باسمهِ مدينتهُ خوت نياتون اي افق قرص الشمس وافرغ جهدهُ في تعميرها وتزيينها بالابنية الجميلة من معابد دينيَّة شاهقة ومباني مدنيَّة باذخة

ولا يزال منها بقايا جميلة الى يومنا ومكانها يُعرف بتلّ العمارنة حيث وجدت منذ ٤٠ سنة تلك الآثار الكتابيَّة الجليلة التي وصفها حضرة الاب لامنس في المشرق في سنتهِ الثالثة (راجع كتابهُ تسريح الابصار ١ : ٧٢ــ٨١) لكنَّ كهنة امون ناصبوا الملك بكل قواهم لئلا يفقدوا منزلتهم السامية

امَّا امينوفيس الرابع (اخن اتون) فثبت على كسر شوكتهم الى آخر حياتهِ واراد ان يسير خلَفهُ على آثارهِ لكنهُ لم يولد لهُ ولد ذكر وانَّما كان لهُ ثلث بنات زوَّج الاولى المسمَّاة مريت اتون اي محبوبة اتون باحد اعيان مملكتهِ المدعو سمنخ كارع ورشَّحهُ للملك بعدهُ وماتت الثانية صغيرة وقرن بالزواج ابنتهُ الثالثة انخ سن اتون بتوت عنخ امون. وتوفي سمنخ كارع بعد قليل وصار توت عنخ امون وليّ العهد وكان اسمهُ وقتئذٍ توت عنخ اتون اي صورة الشمس الحيَّة. فقبض على زمام الملك وهو غلامٌ يافع لا يتجاوز سنُّهُ اثنتي عشرة سنة فحكم في مدينة خونتياتون ثلث سنين لكنهُ شعر بمقاومة كهنة امون لحكمهِ وتهييجهم اهواء الشعب عليهِ فرأى انهُ لا ينجو من شرّهم إلَّا بان يعود الى مدينة طيبة ويتعبَّد للاله امون ويضرب الصفح عن اتون. فكان لفعلهِ هذا صدى استحسان في الشعب وغيَّر اسمهُ توت عنخ اتون بتوت عنخ امون اي صورة امون الحيَّة وسعى باعادة السلام في القطر المصري وبتشييد الهياكل والقصور الفخمة كاسلافهِ. لكنهُ ما لبث ان ودَّع الحياة ممنوًّا بداء السلّ وهو في الثامنة عشرة من عمرهِ

٢ مدفن الملك توت عنخ امون

مات الملك توت عنخ امون في طيبة ودُفن بعد تحنيطهِ في المدافن الملوكيَّة في وادي الملوك ودُفنت معهُ جواهرهُ. وكانت عادة الفراعنة اذا جلسوا على عرش السلطان

ان يفكروا قبل كلّ شيء بحياتهم في الآخرة بعد الموت لاعتقادهم خلود النفس فكانوا يشيّدون الاهرام لهذه الغاية ويختارون لهم مدفناً يزيّنونهُ باصناف الكتابات الهيروغليفيَّة من كتاب الموتى وبالنقوش الفنيَّة المشيرة الى احوال النفس في حسابها وثوابها وعقابها . ولئلّا ينهك اللصوص حرمة المدفن كانوا يحتاطون لهُ بانواع الوسائط والحيل ليبقى مجهولًا الى آخر الدهر وكانوا مذ ذاك الحين يشغلون صنعة مصر ليصطنعوا لهم أبدع الآنية واجمل الحلي واثمن الرياش وكلّ شارات الملك الزدانة بأفخر الحجارة الكريمة والمعادن الثمينة التي لا تُرى في غير قصور الملوك حتى اذا مات الفرعون جُعلت تلك الطُرف معهُ في مدفنهِ

الّا ان تلك المدافن على الرغم من المساعي في إخفائها في بطن الارض لم تنجُ غالباً من مطامع اللصوص الذين لم يدخروا وسعاً في اكتشافها حتى وقفوا على اسرارها ونهبوها ولم يدعوا في الغالب غير التواريس التي لم يمكنهم نقلها وفيها اجساد الملوك المحنَّطة التي تُرى اليوم في متحف قصر النيل مع قسم من الجواهر التي نجت من سرقة مُنتهكيها

وفي القرن السابق والعشر الاول من القرن الحاضر تمكن الاثريون من اكتشاف معظم مدافن اولئك الملوك بعد التفتيش الطويل لِما كان يحول دونها من الاحتياطات لكتم اسرارها

وكان ارباب البحث قد قطعوا الامل من وجود مدفن جديد لولا حرص احد علماء الانكليز اللورد كرنارفون على مواصلة التفتيش في وادي الملوك وبصحبتهِ احد الباحثين من ذوي الذكاء والثبات في العمل المستر كارتر . فكان جزاء تلك الهمَّة القعساء اكتشاف مدفن توت عنخ امون

ومن حسن الحظ قد نجا هذا الميت من جشع اللصوص الذين لم يقفوا إلّا على حجرتهِ الخارجة فنهبوا كنوزها دون ان ينتهكوا باطنهُ وغرفهُ الداخليَّة حيث وُجدت معظم كنوز هذا الملك وجواهرهُ بتمامها مع جثتهِ في تابوتهِ المحكم الصنع

ولعلّ هذه الكنوز اوفر من كنوز بقيَّة الملوك المفقودة لان هذا الملك لم يخلفهُ احد من ذرّيتهِ فوضعت كل طرف بلاطهِ معهُ دون ان يختصّ الخلف منها بشيء

لنفسه . ومن المحتمل ايضاً ان كهنة امون ارادوا المبالغة في اكرامه لرجوعه الى طيبة عاصمة معبودهم امون

ومما تمتاز به هذه الكنوز انها جامعة بين صناعتين مختلفتين صناعة طيبة وصناعة تلّ العمارنة فانَّ مصنوعات طيبة اجمل وابهى من مصنوعات تلّ العمارنة لكنها دونها دقّة في تمثيل الطبيعة ومحاكاة حقيقة المرئيّات في الكون فجاءت كلتاهما شاهداً على براعة قدماء المصريين في الفنون الجميلة

كان اوّل يوم اكتشافها في ٥ تشرين الثاني ١٩٢٢ فاقتضى لفتح المدفن وغرفه الداخليّة ومعاينة ما يحتويه من الآثار العجيبة ونقلها بكل حرص وعناية الى متحف قصر النيل نحو ثلث سنين بمراقبة العلماء والاثريين الفرنج والمصريين وهي تُعدّ بالمئات . وفي تلك الاثناء استأثر الله باللورد كرنارفون فمات كما يقال مسموماً بلسعة ذبابة سامّة

٣ كنوز توت عنخ امون

قد عُرضت هذه الكنوز في الطابق الاعلى من المتحف المصري في جهته الشمالية الشرقيّة وهي تشغل قسماً كبيراً من المتحف بعضها في حُجَر خاصّة وبعض في خزانات زجاجيّة وغيرها في سواء المتحف لم ينقصها سوى الناووس الكبير الذي كانت فيه التوابيت المودعة فيها جثّة الملك . وبقيت تلك الجثّة مع الناووس المذكور في مدفنها لصعوبة نقلها سليمةً الى المتحف وقد أُصيبت بالبلى لتقدم عهدها وتأثير الحنوط في اعضائها ولفائفها

ومن المستحيل ان نصف هنا بل ان نعدّد كل افراد الكنوز المستخرجة من مدفن توت عنخ امون وانما نذكر فقط اخصّ ما يوقف قرّاءنا على تلك الجواهر ونقسم ذلك ابواباً تسهيلاً للوقوف على ضروبها واصنافها

﴿جثّة الملك ولفائفه وتوابيته﴾ كانت جثّة الملك توت عنخ امون محنّطة كما اعتاد ذلك المصريون في تجهيز جُثث الملوك قبل ان يضجعوها في التابوت وقد لُفّت بضروب الانسجة الثمينة المطرّزة المزركشة المرصّعة بالحجارة الكريمة . وكانت هذه اللفائف قد لصقت بالجثّة فلم تُنزع عنها إلّا بعد الجهد الجهيد وقد بلغ عدد تلك

الصدريّات الجميلة تسعاً . وكانت كل اعضاء الجسم مزدانة بالحلي والزخارف . فكان على رأسهِ تاجٌ ملكي يتألف من عصابة ذهبيَّة عليها نقوش بديعة من الذهب ومطعَّمة بالعقيق في اعلاه شعار الملك وهما النسر والثعبان المقدَّس (uræus) المشار بهما الى حكمهِ على قطرَي مصر الاعلى والبحري . وعلى وجههِ قناع ذهبي عليهِ صورة الملك في غاية الاتقان وكان حول عنقهِ تمائم ثمينة تمثل آلهة مصر المراقبين للموتى . وعلى صدرهِ قلائد عديدة لا يُقدَّر ثمنها محبوكة على اجمل طراز وابهى شكل . وكان يزين ذراعيهِ عدد عديد من الأساورة الثمينة ولاصابع يديهِ غلافات ثمينة مع خواتم بديعة . وفي وسطهِ نطاقان من الذهب الخالص أُسند الى كل منها خنجر ذو شغل عجيب . وفي رجليهِ حذاءان ذهبيَّان ولكل من اصابع رجليهِ غمدٌ من الذهب كاصابع يديهِ

وكانت الجثة في ثلثة توابيت داخلة في صندوق كبير من خشب الارز المزدان بصور الالهة المختلفة بعضها على شكل بني البشر وبعضها على شبه الحيوانات الرمزية . والتوابيت على شكل صورة الانسان (anthropoïde) ثالثها المحتوي للجثة يتألف من صفائح الذهب الخالص باطنهُ محفور حفرًا فنياً عجيباً وجوانبهُ ممثلة للملك في هيأة الاله اوزيريس في يدهِ الصولجان والسَّوط على جانبيهِ آلهة مصر وعلى جبينهِ شعار الفراعنة . وهناك نقوش مدهشة مزلة بالمينا وذات الالوان البهيَّة مما لا يكاد يبلغ صُنع مثلهِ احذق الجوهريين في عهدنا . وكان هذا التابوت ضمن تابوت آخر من الخشب الغالي الثمن المغشَّى بالذهب وهو مرصَّع باصناف قطع من الزجاج المختلف الالوان المنعَّم والمجون عجباً فنيًا

﴿صور توت عنخ امون﴾ بين كنوز هذا الملك عدد لا يُحصى من صوره فمنها ما يمثلهُ صغيرًا ومنها ما هو على كمالهِ الطبيعي . يُرى منتصباً . وغيرها يمثلهُ نصفيًا وفي بعضها يُرى مع الملكة زوجهِ . ومنها ما جُعلت صورتهُ على شبه احد آلهة مصر . ويُرى في بعضها بازاء معبودهِ الاله الشمسي اتون الذي تشعّ من قرصهِ اشعَّة تُنير الملك . وفي غيرها قد شُخص منتصرًا على اعداء الدولة او قابلًا الجزية من الشعوب الخاضعة لملكهِ مع تصاوير هيئاتهم وهدايا رؤسائهم على ابدع ما يكون . ومن صوره ما يمثلهُ في سيرهِ ماشياً او راكباً عجلتهُ الملكيَّة او في هيئة الصيد وكل ذلك دليل باهر على ما اتصلت

اليهِ مدنيَّة المصريين في ذلك العهد وعنايتهم بكل الفنون الجميلة

﴿شعائر الملك﴾ قد عُرضت هذه الشعائر المستخرجة من مدفن توت عنخ امون في الطابق الاعلى من متحف قصر النيل متفرّقة بعضها في الخزانات وبعضها في الحُجر المختلفة او الاروقة . منها تيجان متعدّدة كان الملك يلبسها على اختلاف المجالس وهي على طُرُز بهيَّة غاية في الجمال

ومن شعائرهِ عرشُهُ الملكي الذي يعتبر كتحفــةٍ فريدة في جنسها وهو مصنوع صنعاً بديعاً يعجز اللسان عن وصفهِ ظهرهُ مرصَّع باحجار كريمة مختلفــة الالوان وعلى مسندَيــهِ صورة حيَّتين مجنَّحتين . وهناك صورة الملكة بازاء الملك وفي يدها كوبٌ تقدّمهُ لزوجها وفوقهما قرص الشمس المشعَّة

ومن شعائرهِ الملوكيَّة الصولجان وقد عثروا لهُ على صوالج مختلفة على اشكال متباينة تنتهي رؤوسها بمقابض ملتوية كالعكاكيز وممثّلة لاشخاص او حيوانات بعضها من الذهب الخالص او هي محلّاة بالذهب منمَّقة بضروب الحلي

ومنها السَّوط المشير لعقاب اعدائهِ منهُ امثلة شتى ومعظمها يتألف من عود متين منشًّى بالذهب مقبضهُ من البرونز المذهب يعلوه سبائك ذهبيَّة وزجاجيَّة

ومن شعائرهِ ايضاً وشاحٌ ملكي يتركَّب من ٣٨ قطعة لينة من الذهب مشتبك بعضها ببعض وهي مفرغة قد افرغ في وسط كلٍّ منها زجاجٌ ملوَّن وهي تحيط بباز وتمثّل اجنحتهُ في طيرانهِ وذلك من اغرب المناظر الفنَّانة . وبينها اوشحة اخرى تأنَّقوا في تركيبها وصورها ما شاؤوا

وكذلك شعار الملك السابق ذكرهُ المثل للحيَّة والنَّسر وُجد منهُ عــدَّة قطع فيكون امَّا وحدهُ وامَّا مركَّباً مسبوكاً بقطع ذات اشكال بهيَّة

﴿الاثاث الملكي﴾ وجد في مدفن توت عنخ امون مجموعُ ما يتباهى بهِ الملوك من اصناف الاثاث . فمن ذلك الأسرَّة الملكيَّة وهي من الابنوس وضروب النقوش والتصاوير . فترى الأُسود تسندها والآلهة تحرسها . وهناك سرير للملك عرضت عليهِ

توت عنخ امون وقرينتهُ

في زمن اكرامها للاله اتون (قرص الشمس)

جثتهُ وهو بمنتهى الجمال بنقوشهِ وتماثيلهِ وضروب اشخاصهِ ورموزهِ

ومن الاثاث الملوكيَّة اجناس الكراسي الفخمة والمقاعد والمتكآت المختلفة الحجم والهيئة والزينة وكلُّها اهلة بدور الملوك

وكذلك العُلَب اللطيفة الجميلة المزدانة بالصور والزهور البديعة لجميع حاجات الملوك وزينتها . ومثلها الآنية البيتيَّة بعضها من الرخام المزدان بالذهب والعاج وبعضها من الذهب المحلَّى بالمينا عليها صور الحيوانات والزهور من ابدع ما يكون

ومثلها ايضاً المصابيح والسُّرج من المرمر الابيض الشفَّاف راكزة على آنية ثمينة ذات الصناعة الفريدة

وكان بين المكتشفات مزهريَّة بزهورها ومراوح وعدد وافر من العصيّ باشكالها اللطيفة وحسن تزويقها تأخذ بمجامع الابصار . ووُجدت ايضاً ادوات موسيقيَّة وغيرها

﴿ الآثار الدينيَّة والعلميَّة ﴾ ولم يخلُ مدفن توت عنخ امون من الآثار الدينيَّة والعلميَّة . قد استُخرج منهُ امثلةٌ لمعظم آلهة المصريين كايزيس واوزيريس وحورس وانوبيس فمنها على صورة الآدميين ومنها على صورة حيوانات وطيور مختلفة كالاله ابيس (الثور) والاله فتاح والاله اتون . بل وجدت صور الهة كانت مجهولة قبل هذا العهد كالاله مامو والاله سَنْد . ووجدت ايضاً الجُعلان او الخنافس الرمزيَّة مصنوعة من معادن شتى

امَّا الآثار العلميَّة فقد وجدوا في مدفن توت عنخ آمون لفائف كثيرة من البردي المكتوبة بالخط الهيروغليفيّ ويُرجى من مطالعتها افادات تاريخيَّة وعلميَّة . هذا فضلاً عمَّا استفادوا من تلك الآثار لمعرفة أحوال المصريين في دينهم ودنياهم ولاسيما للوقوف على فنونهم الجميلة

فمن هذا النظر الاجمالي يمكن القرَّاء ان يتبيَّنوا قيمة هذه الكنوز ويدركوا سبب اعجاب العالم باكتشافها

ابو الطيب المتنبي (٩١٥ــ٩٦٥)

بقلم فؤاد افرام البستاني استاذ الآداب العربية في كلية القديس يوسف (تتمة)

٢

الرجل

اخلاقه وصفاته

الأنفة والكبرياء

اول ما يلفت نظر دارس المتنبي تلك الانفة الشديدة والكبرياء القوية الظاهرة في حب السيادة والترفع عن الدنايا واحتقار الغير والرغبة في مساواة الملوك والامراء. وهي عواطف سامية ترافق الشاعر في كل حياته فتبدو في اعماله وتصرفاته جميعها، وتظهر في كل قصيدة نظمها سواء اراد المدح والهجاء او الفخر والحكم. وقد رأينا في حياته الشواهد العديدة على هذه العظمة الفطرية

وكان من نتيجة حب العظمة هذا تهوّرات عديدة رافقت صاحبها من صباه اذ دعا الناس الى بيعته فأُلقي القبض عليه وحُبس؛ الى كهولته اذ حمله الكبر على رفض نصيحة ابي النصر الجبلي، فسار وحيداً في مجاهل البادية حتى قتله فاتك الاسدي

ومن انفته وكبريائه تولّدت فيه صفات عديدة حسنة كالشهامة والصبر والنجدة والحمية والفخر بالنفس وبالاعمال، والعفّة واطراح الملاذ المُحطّة كشرب الخمر وما يتبعه من المجون والهزليات. كما انه تولّد منها ايضاً الحقد والقحة واحتقار الغير، مما يراه المطالع في كل قصيدة من قصائده

وقد بلغ من كبره انه كان يشترط على ممدوحيه من الامراء ألّا ينشدهم الّا جالساً وألّا يقبّل الارض بين يديهم؛ فيقبلون ذلك رغبةً في شعره. وقد ذكر الافليلي في الإشارة الى هذا الامر ان المتنبي انشد سيف الدولة في الميدان القصيدة التي مطلعها:

لكل امرئ من دهره ما تعوّدا وعادة سيف الدولة الطعن في العدى

فلما عاد سيف الدولة الى داره استعاده اياها فانشدها قاعداً. فقال بعض الحاضرين يريد ان يكيد ابا الطيب: «لو انشدها قائماً لأسمع. فان اكثر الناس لا يسمعون.» فقال ابو الطيب: «اما سمعت اولها: لكل امرئ من دهره ما تعوّدا!»

وان هذه الصفات الشائخة جعلت ابا القاسم الطبسي يصف المتنبي ذاك الوصف الدقيق فيقول:

كان من نفسه الكبيرة في جيشٍ ومن كبرياه في سلطانِ

البخل

ومن غريب صفات المتنبي التي لا تنطبق على اخلاقه من حب السيادة والحرص على حسن الاحدوثة والترفع عن صغائر الامور، ولا تتفق مع شعره الملآن بالعواطف السامية واحتقار الماديات، الرغبة في الحرص وشدة البخل. حتى ضُربت بشحّه الامثال وتنوقلت عنه نوادر في هذا الباب مضحكة غريبٌ صدورها عن رجل كالمتنبي، مما دفع ابا بكر الخوارزمي الى القول: «كان المتنبي قاعداً تحت قول الشاعر:

وان احقّ الناس باللوم شاعرٌ يلوم على البخل الرجال ويبخلُ»

وقال ابو بكر: «حضرت عنده يوماً بجلب وقد احضر مالاً من صلات سيف الدولة. فصُبّ بين يديه على حصير قد افترشه ووُزن واعيد في الكيس. واذا بقطعة كأصغر ما يكون من ذلك المال قد تخللت خلل الحصير فاكبّ عليها بمجامعه يتتبعها ويعالج استنقاذها منه ويشتغل بذلك عن جلسائه حتى توصّل الى اظهار بعضها فتمثل ببيت قيس ابن الخطيم:

تبدّت لنا كالشمس بين غمامةٍ بدا حاجبٌ منها وضنّت بحاجبِ

«ثم استخرجها وامر باعادتها الى مكانها من الكيس. فقال بعض جلسائه: «أما يكفيك ما في هذه الاكياس، حتى ادميتَ اصبعك لاجل هذه القطعة؟» فقال: «انها تحضر المائدة!» (١

١) الثعالبي: يتيمة الدهر (ج: ١ ص: ٨٤-٨٥) - وتوفيق البكري - المقتطف (١٧ [١٨٩٣]: ٢٦٦)

على ان للمتنبي عذرًا في الافراط في الحرص قد يكون مشروعاً في نظر من ذاق لوعة الفقر ، فاحتُقر ؛ وكان ذا نفس كبيرة كنفس المتنبي . وقد لمح شاعرنا في تصرّفه المعيب وحرصه الشائن فقيل له :

قد شاع عنك البخل في الآفاق حتى صار مثلًا وانت تمدح في شعرك الكرم واهلهُ وتذم البخل ، الستَ القائل :

ومن ينفق الساعات في جمع ماله مخافة فقرٍ فالذي فعل الفقرُ

« ومعلوم ان البخل قبيح ومنك اقبح لانك تتعاطى كبر النفس وعلوّ الهمّة وطلب الملك والملك ينافي سائر ذلك ! »

فقال : «ان للبخل سبباً ! وذلك اني اذكر وقد وردت في صباي من الكوفة الى بغداد . فاخذت خمسة دراهم في جانب منديلي وخرجت امشي في اسواق بغداد . فمررت برجل يبيع الفاكهة فرأيت عنده خمسة من البطيخ باكورة . فاستحسنتها ونويت ان اشتريها بالدراهم التي معي . فقدمت اليه وساومته ثمنها . فقال لي بازدراء : «اذهب فليس هذا من اكلك» . فتماسكت معه وقلت : «ايها الرجل دعْ ما يغيظ واقصد الثمن» . فقال : «ثمنها عشرة دراهم» . فلشدّة ما جبهني به لم استطع ان اخاطبه في المساومة . فوقفت حائرًا ودفعت له خمسة دراهم فلم يقبل . واذا بشيخ من التجّار قد مرّ بنا فوثب اليه صاحب البطيخ ودعا له وقال : «يا مولاي ها بطيخ باكورة ! باجازتك احمله الى منزلك» . فقال الشيخ : «ويحك ! بكم هذا ؟» فقال : «بخمسة دراهم» . فقال : «بل بدرهمين» . فباعه الخمسة بدرهمين وحملها الى داره ودعا له وعاد فرحاً مسرورًا . فقلت : «يا هذا ما رأيت اعجب من جهلك . استَمت عليّ في هذا البطيخ وفعلت فعلتك التي فعلت وكنت اعطيتك في ثمنه خمسة دراهم فبعته بدرهمين محمولًا ؟ » فقال : «اسكت ! هذا يملك مائة الف دينار» . فقلت في نفسي : «ان الناس لا يكرمون احدًا اكرامهم من يعتقدون انهُ يملك مائة الف دينار» . واعتمدت ان يكون عندي مثلها . فانا اجدّ في ذلك على ما تراه حتى يقولوا : «ان ابا الطيب قد ملك مائة الف دينار» . (١

١) رواها ترفيق البكري في المقتطف (١٧ [١٨٩٣] : ٤٢٧)

الشاعر

آثاره

في النثر

ذكر بعض المؤرخين المتنبي نثرًا لطيفاً يذكرنا بتنميقه وجمع معانيه نثرَ البديع والصاحب. على ان الواصل الينا منه لا يكاد يتجاوز الاسطر القليلة. من ذلك ما نقله ابن خلكان ان ابا الطيب مرض بمرض فكان لهُ صديق يعوده، فلمّا ابلَّ انقطع عنهُ. فكتب اليه: «وصلتني، وصلك الله، معتلًّا، وقطعتني مُبلًّا فإن رأيت ان لا تجبّ العلّة اليَّ ولا تكدر الصحة عليَّ فعلتَ ان شاء الله!»

في الشعر

اما آثاره المشهورة فكلها في الشعر وقد جمعت من زمن بعيد في ديوانه

الديوان

جمعه – شروحه – طبعاته

كان المتنبي يختار من قصائده احسنها فيكتبها في دفاتر يحملها معه اينما توجه فيعيد النظر فيها ويقرأها عليه بعض النحويين كابن جني وغيره فيصحح فيها ما يبدو له. واذ قُتل جُمعت اشعاره حالًا ورُتّبت على الحروف الابجديّة. وقد طُبع ديوانه مرّات في الهند ومصر والشام واوربا. وكانت شهرته اثارت الحسد في قلوب الكثيرين فتصدّوا لانتقاده وتخطئته فقام يدافع عنه الكثيرون ايضاً منذ الف سنة الى اليوم حتى بلغت شروح الديوان والتعاليق عليه نحو الخمسين مصنَّفاً يُعرف منها اليوم:

شرح ابن جني (†١٠٠١) في ثلاثة مجلّدات منهُ نسخة خطيّة في مكتبة لننغراد واخرى في الاسكوريال. وقد علّق عليه ابن فورجة سنة ١٠٤٥ كتاباً سمّاه «التجني على ابن جني» منه نسخة في مكتبة الاسكوريال

شرح ابراهيم الافليلي (†١٠٤٩) منه نسخة في مكتبة برلين

شرح ابي العلاء المعرّي (†١٠٥٧) منهُ نسخة في مكتبة منشن (مونيخ) واخرى في المتحف البريطاني وثالثة في لينغراد

شرح التبريزي (١١٠٨) منه نسخة في مكتبة باريس

وفي مكاتب اوروبا شروح غير هذه ولكنها غفل من اسماء الشرّاح

اما الشروح المطبوعة فاشهرها:

شرح الواحدي (†١٠٧٥) طُبع في بداي سنة ١٢٧١هـ. (١٨٥٤م) وطبع طبعة حسنة في برلين سنة ١٨٦١ مع مقدّمة باللاتينيّة وفهارس واسعة بعناية المستشرق الالماني فريدرخ ديتريشي (Dieterici)، وترتيب القصائد فيه على حساب التاريخ لا على الحروف الابجدية منهُ نسخة خطّيّة في المكتبة الشرقيّة للآباء اليسوعيين

شرح العكبري (١٢١٩) طبع في بولاق سنة ١٨٦٠ وفي مصر سنة ١٢٨٧هـ. (١٨٧٠) ثم طبع طبعة ثالثة سنة ١٣٠٨هـ. (١٨٩٠) وبهامشه كتاب «الصبح المنبي عن حيثية المتنبي» ليوسف البديعي (†١٦٦٢)

واحدث شروح ديوان المتنبي واجمعُها الشرح الذي بدأ به العلّامة الشيخ ناصيف اليازجي واتمّه ابنه الشيخ ابراهيم وسماه «العرف الطيب في شرح ديوان ابي الطيّب» وقد سار في ترتيب قصائده على طريقة الواحدي وطبعه لاول مرّة في بيروت ١٨٨٢ــ١٨٨٤. ثم طبع غير مرّة

ولديوان المتنبي طبعات عديدة غير ما ذكرنا منها طبعة في بيروت مع الشرح بعناية المعلم بطرس البستاني سنة ١٨٦٠ وطبعة في بلاد الهند، مرتبة على الحروف الابجدية مع شرح مأخوذ من شرحي العكبري والواحدي في سنة ١٢٨٣هـ. (١٨٦٦) واخرى سنة ١٣٠٢هـ. (١٨٨٤). ومنها طبعة صادر في بيروت سنة ١٩٠٠

ترجماته – الدروس النقدية

كان من اعتبار المستشرقين لشاعرنا الكبير انهم ولعوا منذ اوائل القرن التاسع عشر بدرس طريقته، ونقل بعض اشعاره الى لغاتهم. فترجم المستشرق انطونيوس هورست (Horst) الى اللاتينية القصيدة المعروفة في مدح الحسن بن اسحق التنوخي التي مطلعها:

هو البينُ حتى ما تأتّى المَزَائقُ وبا قلبُ حتى انت ممّن أُفارقُ

ونشرها في رومية سنة ١٨٢٣ مع اصلها العربي وشروح وافية ومقدّمة باللاتينية وفي السنة التالية طبع المستشرق الالماني هامر (Hammer) في ڤينا بحثاً واسعاً عن المتنبي مع ترجمة قسم كبير من اشعاره الى لغته الالمانية

وفي السنة نفسها نشر المستشرق الفرنساوي غرانجيريه دي لا غرانج (Grangeret de la Grange) في (J. As. 1824, II p. 80-88) ترجمة لقصيدة المتنبي في مدح ابي الفوارس دلّير بن لشكروز . ثم اتبع هذه الترجمة بترجمات للقصائد في مدح ابي شجاع فاتك ورثائه ونشر الجميع مع الاصل العربي في مجموعته المطبوعة في باريس سنة ١٨٢٨ باسم (Anthologie arabe)

وكان المستشرق الفرنساوي الكبير سلفستر دي ساسي (de Sacy) قد ترجم عدة قصائد للمتنبي في سيف الدولة ونشرها مع الاصل العربي وشروح وافية في مجموعته الكبيرة المطبوعة في باريس ١٨٢٦ باسم (Chrestomathie arabe)

وفي سنة ١٨٤٠ نشر المستشرق جونبول ترجمة لاتينية لبعض اشعاره ضمنها دروساً نقدية في الشاعر وطريقته

اما الدروس النقدية والاحكام الادبية للمتنبي او عليه، فقد بُدئ بها منذ نحو الف سنة ولم تنتهِ بعد . ولا يتّسع بنا المجال لذكرها كلها بل نكتفي باشهرها :

فمن درس المتنبي القاضي الجرجاني الذي وقف بين المتناقشين موقف الحكم ذاكراً ما للمتنبي وما عليه من المحامد والمآخذ في كتابه المشهور بالوساطة بين المتنبي وخصومه . وقد طبع هذا الكتاب في صيدا سنة ١٣٣١هـ (١٩١٢) بعناية احمد عارف الزين صاحب مجلة العرفان، مع مقدمة وفهارس واسعة

ومنهم ابو منصور الثعالبي فافرد في يتيمته نحو التسعين صفحة لذكر محاسن المتنبي ومساوئه مع اعطاء الحكم الصائب . وقد طبعت اليتيمة في دمشق، وطبع البحث في المتنبي على حدة في مصر

ومنهم ابو سعيد محمد بن احمد العبيدي وكان ممن يغيظهم المتنبي فالف كتاباً قصد فيه «الابانة عن سرقات المتنبي لفظاً ومعنى» . وقد طبع كتابه في مصر . اما ابو علي الحاتمي فكان الطف منه لهجة وارفق حكماً فاراد ان يبيّن توارد المعاني بين المتنبي وارسطو دون ان يتهم المتنبي بالسرقة فقابل بين حكم الشاعر واقوال

الفيلسوف . وقد نشر هذه المقابلة القس انطون بولاد في كتابه « راشد سوريا » في بيروت سنة ١٨٦٨ ثم طبعت في مطبعة الجوائب . وطبعها مؤخراً الالماني روشر (Roescher) عن نسخة خطيّة جميلة صوّرها بالفوتغراف . ومنها نسخة بديعة خطيّة في مكتبة كليّة القديس يوسف

وممن يجب ذكرهم من دارسي المتنبي يوسف البديعي صاحب كتاب «الصبح المنبي عن حيثية المتنبي» وقد نشر مؤلفه على هامش شرح العكبري في مصر سنة ١٣٠٨هـ (١٨٩٠)

اما المستشرقون فاشهر من الف منهم في المتنبي رايسكي ودي ساسي وبروكلمن وهامر ونيكلسون، وديتريشي الذي نشر شرح الواحدي وافرد كتيباً للمتنبي وسيف الدولة طبعه في ليبسيك ١٨٤٧

ولم يفت ادباءنا العصريين درس هذا الشاعر الكبير فكان من اشهر منتقديه الشيخ ابراهيم اليازجي فنشر فصلاً بليغاً في آخر العرف الطيب المطبوع في بيروت ١٨٨٢ — ١٨٨٤

وقام مؤخراً النقاد المصري المعروف عباس محمود العقاد فتكلم عن نبوة المتنبي وسبب شهرته وفلسفته وفنه في فصول قيمة نشرها اولاً في جريدة البلاغ المصرية وثانياً في كتابه «مطالعات في الكتب والحياة» المطبوع في مصر سنة ١٩٢٤

شعره

شهرته

وما الدهر الا من رواة قصائدي اذا قلت شعراً اصبح الدهرُ منشدا
فسار به من لا يسير مشمّراً وغنّى به من لا يغني مغرّدا

هكذا تنبأ المتنبي عن شعره، وهكذا كان ! فلم يكن ينظم القصيدة الا سارت في بلاد العرب من بلدة الى بلدة ومن مجتمع الى مجتمع، حتى اصبح فريداً بين الادباء في هذه الشهرة التي تمتع بها في حياته، ولم تكن لتنتهي بعد مرور الف سنة بل تزيد . يدلك على سعة انتشار شعره، مال حياته، ما رواه احد اصحاب ابن العميد قال: «دخلت عليه يوماً قبل ان يتصل بسه المتنبي — اي قبل سنة ٩٦٥ — فوجدته واجماً . وكانت قد ماتت اخته من قريب، فظننته واجداً لاجلها . فقلت :

«لا يُحزن الله الوزير! فما الخبر؟» قال: «انه ليغيظني امر هذا المتنبي، واجتهادي في ان اخمد ذكره! فقد ورد عليّ نيف وستون كتاباً في التعزية مـا منها الّا صدر بقولـه:

طوى الجزيرةَ حتى جاءني خبرٌ فزعت فيه بآمالي الى الكـذبِ
حتى اذا لم يدعْ لي صدقُه املاً شرقت بالدمع حتى كاد يشرق بي

فكيف السبيل الى اخماد ذكره!» فقلت له: «القدَر لا يُغالَب. الرجل ذو حظ في اشاعة الذكر واشتهار الاسم. فالاولى ان لا تشغل فكرك بهذا الامر»

اما البيتان فهما من قصيدة المتنبي في رثاء اخت سيف الدولة نظمها سنة ٩٦٣م. واما الحادثة المذكورة فوقعت قبل سنة ٩٦٥. فتكون القصيدة جابت البلاد العربية والعجمية في سنة واحدة. وهذا اوضح دليل على تلك الشهرة

امّا اسباب هذه الشهرة فمن اقواها فضل الشاعر ومتانة اسلوبه وكثرة الابيات الحكمية المنفردة بمعناها. وما لحق ذلك من منافسة الامراء بمدّاحيهم ومداحهم، وذاك العصر عصر الامراء المتنافسين. ويجب الّا ننسى بين اسباب تلك الشهرة فضل الحسد والتحامل على المتنبي، ولله درّ ابي تمام القائل:

واذا اراد الله نشر فضيلةٍ طُويت اتاح لها لسان حسود

الاختلاف فيه — طريقته في المدح والهجاء

وكان من نتيجة الحسد تضارُب الآراء في شعر المتنبي حتى انقسم الادباء قسمين متباينين: قسم يزري بالمتنبي ويتتبع سقطاته وينعي عليه سرقاته وفي مقدمته الصاحب ابن عباد، لان المتنبي لم يحفل به اذ كان مارًّا في بلاد العجم كما تقدّم في ترجمتهُ وقسم يشيد بذكر شاعرنا مفضلًا اياه على الشعراء كافة وكان حامل لواء هذا الحزب ابا العلاء المعرّي. ومن البديهي ان تطاحن الحزبين يوجد حزباً ثالثاً يحافظ على الوسط وينتدب نفسه للحكم، فكان من هؤلاء القاضي الجرجاني وابو منصور الثعالبي

والحقيقـة ان المتنبي شاعر عظيم وهو، ككل شاعر عظيم، عظيم الحسنات، وعظيم السيئات ايضاً. وقـد اختصّ بالسير على اسلوب شخصي فيما يتعلّق باستخراج المعاني الدقيقة والتعبير عنهـا، والجرأة على استعمال الاستعارات المبتكرة. فكان

هذا الخروج على الاساليب القديمة من اقوى الاسباب لدى شيوخ ابن خلدون حتى اخرجوا المتنبي من هيكل الشعر

اما طريقته في المدح فكانت بين المبتذلة والمبتكرة : مبتذلة لما كان يجاري قدماء العرب في الاستهلال بالغزل والتخلص الى المدح . ولم يكن يتوفق في هذا النوع لقلة شعوره بدوافع الغزل الرقيق، وقلة صبره في محاولة التخلص اللطيف . وكثيراً ما كانت تأتي تخلصاته تافهة مضحكة كقوله :

علّ الامير يرى ذلي فيشفع لي عند التي صيّرتني في الهوى مثلا
ايقنت ان سعيداً طالبٌ بدمي لما بصرت به بالرمح معتلا !

او شائنة بينة فساد الذوق ، كتخلصه اذ يريد ان يجعل الناس جمالًا فيركبهم جميعاً الى ممدوحه :

لو استطعتُ ركبت الناس كلّهم الى سعيد بن عبدالله بُمْرانا !

ولكن جنب هذه المدائح المستهلة بالغزل مدائح يرجع فيها المتنبي الى فطرته من حبّ العظمة والرغبة في الحكم فيبدأها بابيات اقلّ ما يقال فيها انها على كل لسان منذ الف سنة ، وستبقى الى ما شاء الله . وما قولكم في هذا الاستهلال :

لكل امرئٍ من دهره ما تعوّدا وعادة سيف الدولة الطعن في العدى

وهذا :

على قدر اهل العزم تأتي العزائم وتأتي على قدر الكرام المكارمُ

وهذا :

الرأي قبل شجاعة الشجعان هو اول وهي المكان الثاني !

أما في الهجاء فلم يكن يفقه للسخرية معنى ولا يفهم لدغدغة المهجوّ والهزء به طريقة ، ولا يعرف من اساليب الهجاء الا الجرح البليغ القاتل . فهو اذا هجا نفث كل حقده بطريقة لا يترك بها للمهجوّ رجاء . حتى ولو اراد مدحه بعد ذلك لما تمكّن لشدة ما كان يضمر من الحقد ويحفظ من البغض . هذا كافور ! وهذا ابن كيغلغ ! وهذا ضبّة !

فقد اسقطهم الى الابد بهجائه . ولو غسلهم بمئة قصيدة مدح لما نزع عن اسمائهم جزءاً من تلك الوصمات التي الصقها بهم . وما يفعل الثناء في عبد يقال فيه :

لا تشتر العبد الا والعصا معه ان العبيد لأنجاسٌ مناكيدُ
لا يقبض الموتُ نفساً من نفوسهم الا وفي يده من نتنها عودُ

وما يفعل المدح من رجل دُنّس عرضه بمثل هذا القول :

كذا خُلقت ومن ذا الذي يخالف ربّهُ !
ان اوحشتك المعالي فانما دار غربهْ
او آسَتك المخازي فانما لك نسبهْ

هذا مذهب شاعرنا في المديح والهجاء وقد نعود فندرس طريقته في الرثاء والمفاخر ومذهبه الفلسفي في صوغ الحِكَم

فنه – قيمته

«وكأنما كان شاعرنا كذلك الميزان الكبير الذي يزن بالاطنان ، فلا يحسب فيه حساب للدراهم ولا يلتفت الى ما يسقط من خرزه من هذه الصغائر والهنات !!!» (١

هذا اصدق تصوير لفن المتنبي . فهو شاعر عظيم يجابهك بالعظمة أنّى واجهته ، حتى اذا اخرجته من ذاك المحيط سقط وركَ لانه مجبول بالجبروت ، مفطور على السيادة ، مطبوع على القوّة . فاذا مدح او هجا او رثا ، او فخر ، فكأنما يُخرج صوراً مختلفة لعظمته ، فيرى مجالي القوّة في كل شيء . فهو ان وصف كتاباً رأى فيه صور السيوف والرماح ، وان اراد الهزء برجلين قتلا جرذاً صوّرهما في معركة . واذا لم يرَ القوة في المعاني ، اخرجها في الالفاظ . اما اذا اجتمع له الامران ، كأن يصف حرباً مثلاً فهناك الابداع على قول ابن الاثير ، فانه «اذا خاض في وصف معركة كان لسانه امضى من نصالها واشجع من ابطالها وقامت اقواله للسامع مقام افعالها حتى يظن ان الفريقين قد تقابلا والسلاحين قد تواصلا»

وبالاختصار نرى المتنبي يؤلف نوعاً مفرداً في الآداب العربية ، ويبني حصناً رفيعاً في مجال الشعر العربي . فبينا نشاهد حوله الجماعات من شعراء الغزل اللطيف ، والوصف الدقيق ، والمجون المستملح ، نراه هو وحده «شاعر العظمة !»

---

١) عباس محمود العقاد : مطالعات في الكتب والحياة ص : ١٧٧

شعراء النصرانية بعد الاسلام

شعراء القرون المتأخرة مباشرة بالقرن الرابع عشر

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

١٩ نعمة بن توما (تابع)

هذه نخبة من ديوان نعمة بن توما مما يُستدلُّ بها على جودة قريحتهِ. فمن ذلك قولهُ يرجو من الله التوبة (من مجزوء الكامل):

مَن لي بتوبة خاشعٍ او كيف مثلي يقتنيها
كم قد وعدتُ وعُدْتَ عن وعدي وكم عربدتُ فيها
ورجعتُ كالكلب الكلو ب لقَيْئهِ رجعاً كريها
آهاً لتفريطي بها من بعد تعويلي عليها
ما لي اليها مُوصِلٌ إلّاك يجذبني اليها
ولقد اتيتك راجياً من فيض جودك ابتغيها
يا ليتني احظى بخمرةِ حبّها او اجتليها
واذوق عَذْب رحيقها م الممزوج مع صَهْباء فيها
يا ربِّ هبني توبةً تُرْضيك والعزمُ يَقيها
أنعِم عليَّ بصدقها مع حُسن خاتمةٍ تَليها

وكتب يهنئ المفتي نعمة الله افندي جلبي كواكبي زاده لرجوعهِ ظافراً باعدائهِ (من السريع):

يا كوكبَ الشهباء تهْ واتّئدْ على السوى فالصبحُ يمحو الظلامْ
لولا رآكَ الله اهلاً لما اعطاكَ ما سُدتَ بكلّ الانامْ
مرجّماً كيد الاعادي الى نحورهم نصراً لكم والسلامْ

وكتب تحت ايقونة تمثل مريم العذراء اقتناها لذاتهِ (من الوافر):

اليكِ يا ابنة الآب السماوي وامّ الابن من غير ارتيابِ
وقبّةَ عهد روحها المعزّي مَعين عواطفِ النعَم العِجابِ
اقدّم رسم شخصك كي اراكِ بهِ ما دمتُ في هذا الإهابِ
ارجّي بُعدَهُ منكِ وصولاً اليك عسى اراكِ بلا حجابِ

وقال في صديق لم يثبت على صداقتهِ وتغيّر عنهُ (من الوافر):

رجوتُك لا عدمتُ سواك ظنّاً بانّك من جهابذةِ الرجالِ
فصحّ بانّ بعض الظنّ اثمٌ لما عاينتُ منك من الخِلالِ
بوعدٍ لا وفاء لهُ وكذبٍ وتسويفٍ بآمال المُحالِ
فلم أرَ من رجائي غير اني رجوتُ الوَصل من صرْم الحبالِ

وقال يقرّظ كتاب عبدالله زاخر الذي ألّفهُ ردًّا على الياس فخر (من مجزوء الكامل):

لله درٌّ من كتا بٍ ساطعٍ بالعلم زاخِرْ
ابدى لنا برهانُهُ خِزْيَ ابنِ فخرٍ بابن زاخِرْ

وقال يؤرّخ (سنة ١١٥٤ هـ) استشهاد ابرهيم ابن ديتري يعقوب الدلّال الحلبي. (من مجزوء الكامل):

قد نال ابرهيم اكليلَ الشهادة والسّنا

نادت ملائكة العلا تاريخه بلغ المُنا

وقال يذكر الموت وغرور الدنيا (من الكامل):

وردَ المَنونُ فاين يا نفسِ المفرّ والموت سلَّ عليكِ صارمَهُ الذكرْ
هذه هي الدنيا التي ما شامها ذو فطنةٍ الّا وعنها قد نفرْ
ولقد عرفنا غرَّها وغرورَها منذ الصِّبا ومرور ايّام الصِغَرْ
فارتدَّ عنها يا اخي ولا تكن ممَّن يخالُ بانها تبدي الغُرَرْ
لا ترجُ منها الوصل في ادّاتها كلّا ولا ما ما قلَّ منها او ندَرْ
فاذا اتتك بصفو عيشٍ مرَّةٍ فاعلم بانك عاجلًا سترى الكدَرْ
هذه هي حالاتها وصروفها ومصيرهنَّ الى الممات المنتظرْ
فعليكِ يا نفسِ الرجوعُ الى الذي نجّاكَ قبلًا من لظى هذا الشَّرَرْ
واذري الدموعَ سخينةً عمّا بدا من قبح سيرك في قذى ذاك القذَرْ
واستدركي العَوْدَ اليهِ قبل ما يأتي المَنونُ وينقطع فيهِ الوتَرْ
واستشفعيهِ بامّهِ البكر التي هي ملجأ الخاطي تقيهِ من ضرَرْ
فلكم اتاها مَن علَتْهُ ذنوبهُ فارتدَّ ذا طهرٍ نقيًّا من وزَرْ
حاشا حماها ان تردَّ نزيلها ذا خيبةٍ من رفدها منقضّي مُمَرْ

وقال بديهًا لمّا اتاهُ بعض اصحابهِ واردين من الحيا تبشّروهُ بانقطاع الطاعون (من مجزوء الكامل):

اهلًا وسهلًا مرحبا بالقادمين من الحِبا
ومبشّرينا عنوةً بزوال ايّام الوبا

من فيض جودٍ قادرٍ بسَلْب ما قد أوجبا
ورحمةٍ علويَّةٍ تُريحُ عنّا الغضبا
أكرمْ بهِ من قادمٍ ابدى البشائر مُعْربا
قد صَحَّ في مُقدَمهِ قولُ الرسول مُرتَّبا
اهلًا بأرجل من يُبشِّر بالسلامة عن نَبا
فَلْيَجْزِهِ الرحمانُ من خير الجزا ما استصوبا
بشفاعة البكر التي تملو الملائك مَأْوبا
فلها السلام مؤبّدا ما رنّحت ريح الصَّبا
واتى النذيرُ مبشّرًا بزوال ايّام الوبا
اذ قيلَ في استقبالهِ اهلًا وسهلًا مرحبا

. وفي تلك سنة الطاعون ١٧٦١ انتقل في حلب الى جوار ربهِ الاب اليسوعي فرنسيس كريسيت (François Cruisset) المرسل الرسولي مات شهيد محبّتهِ في خدمة المطعونين فقال نعمة بن ترما يؤرّخ وفاتهُ (من الكامل):

يا من أحبَّ الله دون ذاتهِ لعبيدهِ متبرّعاً بحياتهِ
ليُرى كسيّدهِ الذي لمّا افتدى اغنامَهُ احياهمُ بمماتهِ
فيقال هذا العبدُ حقًّا انهُ يُشبه مولاهُ بحدّ صفاتهِ
وهو فرنسيسُ اليسوعيُّ الذي أدّى حساب الله عن وزناتهِ
ومضى ليقبض اجرهُ مثل التي قد حازها من فيض جود هباتهِ
أكرم بها من اجرةٍ علويّةٍ وردت تؤرّخ حقّ مرغوباتهِ

ونختم هذه المنتخبات بابيات قالها في مطابقة ارادتهِ للمشيئة الالهيَّة وبها اعرب عن تُقاهُ وصبرهِ على آلام الحياة (من الخفيف) :

يا الهاً لهُ القضا والتقاضي انا راضٍ بكلّ ما انت راضي
عبدُ رقٍّ اسيرُ وصمةِ ذنبٍ يرتجي من رضاكَ حسن التفاضي
ذبتُ شوقاً الى رضاكَ واني خائفٌ من لقاكَ في إعراضي
كم توالت جرائري وذنوبي يوجبُ العدلُ حدَّها بانقباضِ
فلايِّ فراري من حُكم عدلٍ تقضي أحكامهُ بكبح المواضي
ليس الّا لرحمةٍ اوسعتني منك لطفاً أيا سريع التراضي
واختفائي بحصنِ قلبٍ جريحٍ يرحضُ الاثمَ بالدم المستفاضِ
فامزُجِ العدلَ سيّدي برضاءٍ يقتضي رأفةً لحلّ اعتراضِ
أعطني منك نعمةً واجتذبني لقبولٍ بكل ما انتَ قاضي
ورضاءٍ يزينهُ حسنُ صبرٍ لم تَشِبْهُ وساوسُ الافتراض
كي أرى في هداكَ اعظم صبرٍ راضياً منك بالذي انت راضي

ولنعمة بن توما ما خلا القصائد رسائل ادبيَّة اثريَّة مسجَّعة يتخلَّلها الشعر منها رسالة طويلة وجَّهها الى القس جبرائيل فرحات اذ كان راهباً في لبنان في دير ماري اليشاع افتتحها بقصيدة اوَّلها (من الخفيف) :

يا نسيماً سقى الحمى ثمَّ حيَّا بسلام منازل الاحبابِ
وسما رقَّةً ولطفاً فأذكى بشذا عرفهِ نواحي الهضابِ

ضمَّنها من العواطف ارقَّها ومن آيات الثناء اصدقها وقد نشر معظمها المنسيور منش

في المشرق. وله رسالة اخرى نثريَّة وشعريَّة كتبها باسم البطريرك اثناسيوس يهنئ بها نقولا بك لتعيينه والياً على الفلاخ اوَّلها: «الحمد لله الذي احسن نظام العالم باصالة رأي الملوك القويم، وأيَّد هذا النظام بالهامهم السلوك في ترتيبه على النهج المستقيم، وانهض هممهم الى القيام بحفظ المعاقل والممالك، والى حراسة البلاد من خطر المظالم والمهالك...»

٢٠ ابن افرنجية

انَّ القلادة الادبيَّة التي ازدان بها جيدُ الشهباء في القرن الثامن عشر عند نهضتها المشكورة يجب ان يُنظم فيها شاعر آخر عثرنا على آثاره عند احد اصحابنا جناب الاديب اسكندر صافي يوم اجتمعنا به في لندن سنة ١٨٨٨. فأطلعنا جنابهُ على مجموع مخطوط عنوانهُ «المجموع المنتظم من فرائد الكلم» لمؤلفه ديدكوز (Didacus) بن انطون افرنجيَّة كتبهُ سنة ١٧٨٠ كما ورد في آخره. وقد افردنا لذكره مقالة في المشرق سنة ١٨٩٩ (٢: ٤٤٢ و٤٩١) فنشرنا قسماً مما اودعهُ الكاتب فيه من الحكم والامثال والنوادر والفكاهات والمنتخبات الشعريَّة فلا حاجة الى تكرارها هنا

وانما وجدنا في هذا المجموع قطعاً شعريَّة من نظمه فلا بُدَّ ان ندرجهُ في سلك شعراء النصرانيَّة الذين نسعى باحياء ذكرهم

وكنَّا نودّ ان نورد شيئاً من اخبار هذا الشاعر ولكن لسوء الحظ لم يسعنا وجود شيء منها كما لم نجد الَّا اليسير الزهيد من تراجم الشعراء السابق ذكرهم

وغاية ما نعرفهُ عن ابن افرنجيَّة انهُ كان حلبيَّ المولد والمنشأ من الطائفة المارونيَّة ومن اسرة كريمة يدلُّ اسمها على اصلها واماتها اقتبستهُ من الصليبيين في القرون الوسطى. ولا يزال من هذه العائلة بقايا في بلدة اهدن. والمرجَّح ان فرعها الحلبي انتقل من لبنان الى حلب مع غيرهم في اواسط القرن السادس عشر على عهد السلطان سليم الثاني

امَّا شعرهُ فهذا بعض ما ورد منهُ في المجموع المذكور قال في من رفعهُ الدهر بعد الذلّ (من الكامل):

لا تعجبنْ بطالبٍ نال العُلى كهلاً وأُخفِضَ في الزَّمانِ الاوَّلِ
فالخمرُ تحكمُ في العقول مُسِنَّةً وتُداس اوَّل عصرها بالأَرْجُلِ

وكتب الى صديق كان عزّاهُ في نكبةٍ (من البسيط):

لمَّا أتاني كتابٌ منك مبتسمٌ عن كلِّ فضلٍ وجودٍ غير محدودِ
حكَتْ معانيهِ في أثناء أسطرهِ آثارَكَ البيضَ في احوالِيَ السُّودِ

ومن حسن وصفهِ قولهُ في النفس (من الكامل):

يا درَّةً بيضاء لاهوتيَّةً قد رُكِّبَتْ صَدَفاً من الناسوتِ
جَهِلَ الغُمارَةُ قَدْرَها لشقائهم وتنافسوا في الدرِّ واليـاقوتِ

ومن طريف قولهِ ما كتبهُ عن جارٍ انتقل عنهُ (من الوافر):

تناءت دارُهُ عنّي ولكنْ خيالُ جمالهِ في القلب ساكِنْ
اذا امتلأَ الفؤادُ بهِ فماذا يضرُّ اذا خَلت منهُ المساكنْ

وكذلك قال في مفارقة الوطن وفائدة الاسفار (من الكامل):

لا تكترث لفراق اوطان الصِّبا فعسى تنالُ بغيرهنَّ سُعودا
فالدرُّ يُنظَم عند فقد بحارهِ بجميل أجياد الحسان عقودا

وقال يهجو مغنّياً (من مجزوء الكامل):

قد دهاني ما دهاني من ثقيلٍ في الاغاني
قلتُ اذ غنَّى عراقاً ليتني في اصفهانِ

ومن ظريف اقواله عن لسان قهوة الخمرة تهجو قهوة البنّ (من الطويل):

سمعتُ لسان الحال من قهوة الطَّلا تقولُ هلمُّوا واسمعوا نصَّ اخباري
فباسمي تسمَّت قهوةُ البنّ في الملا ولكنها لم تحكِ بالفضل أخباري
فمن كذَّبها قد سوَّد اللهُ وجهها وعذَّبها بعد الاهانةِ بالنارِ

وقد تفنن ابن افرنجيَّة في شعره فله الموشَّحات والزجليَّات والبديعيَّات . ومن اقواله ما يُقرأ طردًا وعكسًا كقوله (من الكامل):

عدلوا فما ظُلِمَتْ بهم دولٌ سَعِدوا فما زلَّت بهم قدَمُ
بذلوا فما شَحَّت لهم شِيَمٌ رشَدوا فما زالت لهم نِعَمُ

فتُقرأ معكوسة وتُصبح هجوًا بدلًا من المديح:

قَدَمٌ بهم زلَّت فما سَعدوا دولٌ بهم ظُلمت فما عدلوا
نِعَمٌ لهم زالت فما رشدوا شِيَمٌ لهم شَحَّت فما بَذَلوا

ولهُ مناظرة في الشعر العامّي بين التبغ والقهوة اوَّلها:

قصَّة جرت ، بين التُّتن والقهوة ، وتفاخر الاثنان ، وزادا برهان

الى ان ختمها بتحكيم العرق بينهما متفكهاً:

قال العرق نحن رفاقٌ جُملَهْ في جَمْعنا نخدمُ اهل الكَيْفْ
انتَ بلاها ما يبان لك لذَّه وانتِ بلاهُ ما تفعليهِ كلُّه زَيْفْ
الطاعن بجنسهِ في المثَل قد قالوا في الحال هو طاعن بنفسهِ يا حَيْفْ
والصلحُ في الحالة رئيس الاحكام وانتما اثنان بحالة اخوانْ

فتصالح الاثنان وزالت الاحقادْ وتوافقا كأنَّ المقدَّر ما كانْ

وقد نشرنا لابن افرنجيَّة في المشرق (٢[١٨٩٩]: ٤٤٤ــ٤٤٥) دائرتين تتضمَّنان قصيدتين قافيَة وعينيَّة تأنق في تصويرهما بحبرَيْن اسود واحمر . وكل بيت يبتدئ من مركز الدائرة وينتهي اليهِ بعد استدارتهِ على شكل عجيب . فليراجعا هناك

وقد قال ابن افرنجيَّة يصف مجموعهُ (من السريع):

مجموعُنا هذا لهُ رونقٌ كرونقِ اللؤلؤ في عِقْدهِ
كادت مجاميعُ الورى عندهُ تُنْسى لديهِ من سنا مجدهِ

ثمَّ يقول معتذرًا لِمَا يكون وقع فيهِ من الاغلاط (من مجزوء السريع):

كتبتُهُ مجتهدًا وليس يخلو من غَلَطْ
فقُلْ لمن يلومُني من ذا الذي ماساء قطّ

وشفعهُ بما هو في معناهُ (من الكامل):

يا ناظرًا فيما عبدتُ لجمعهِ عذرًا فانَّ اخا الفضيلةِ يعذرُ
عِلماً بانَّ المرءَ لو بلغ المَدى في الفضل والعِرفانِ فهو مقصِّرُ
فاذا ظفرتَ بزلَّةٍ فافتَحْ لها باب التجاوزِ فالتجاوزُ أجدَرُ
ومن المحال ان ترى احدًا حوى كُنْه الكمال وذا هو المتعذِّرُ
والنقصُ في نفسِ الطبيعةِ كامنٌ فبنو الطبيعةِ نَقصهم لا يُنكَرُ

(لها بقيَّة)

جولة في كسروان

لحضرة القس انطونيوس شبلي اللبناني

وصف مخطوطات مكتبة عشقوت (تابع)

٤٢ «شرح مختصر يشتمل على اوزان الابيات السريانيّة وروس مقالاتها قد تُرجمت وتقوّنت بهمّة وعناية السيّد البطريرك الانطاكي ماراسطفانوس بطرس الدويهي المكرَّم». خط كرشوني وسرياني جاء في آخره ما يلي:

«كان النجاز من هذا الكتاب المبارك الذي يتضمن روس جميع المطالع السريانية مع تفريدها على التهجيات على مرجب وزن الشعر في ثلاثة ايام خلت من شهر شباط المبارك من شهور سنة إحم (١٧١٧) ربّانيّة على يد أحقر الشمامسة الشدياق حنّا ابن الشدياق انطون ابن الخوري حنّا حصرا .. (المداءة) (كذا). القرباصي القبرسي الاروني تلميذ مدرسة الموارنة برومية العظمى. وقد نسخهُ من الذي المؤلف أرسله وقف للمدرسة المذكورة. وأما نسخهُ كان بعلم (اي بدرس) الطبيعيّات وكان معلمهُ البادري يوسف كربانا في رئاسة حبر الاعظم اقليموس الحادي عشر وبطرس يعقوب عوّاد بطركنا. الله يديمهم على روسنا زمانًا طويلًا.»

عدد صفحات الكتاب ٢٧٤ وقد ضُمَّ اليه بالتجليد كتاب «زهر الفضائل (١. ترجمهُ عن الايطاليانيّة القس جبرائيل حوّا (٢ ثمَّ أُعيدت مقابلتهُ الى اصلهِ باللغة الايطاليانيّة وتركيب اللغة العربيّة بنظر الاب غريغوريوس يشوع مطران مدينة اورشليم السرياني». خط بطرس كامل تلميذ مدرسة الموارنة برومية سنة ١٧١٦ في ٢٢ تشرين الاول

٤٣ مجموع يتضمّن رتبة تلبيس ثوب السيدة وصلاة لمريم العذراء للابسي ثوبها. وصورة الغفران الكامل المعطى للابسي ثوبها. وقانون ثوب السيدة وشروطهُ. وقانون ايمان الرسل وغفرانات الورديّة. ورسوم في تعليم النساء العابدات. وفوائد الاعتراف.

---

١) من هذا الكتاب نسخة بمكتبتنا في دير سيدة المعونات كانت بدير طاميش

٢) هو احد مؤسسي الرهبانية اللبنانية. وقد سُتّف مطرانًا على جزيرة قبرس سنة ١٧٢٣ وتوفي سنة ١٧٥٢

ودفتر الخطايا المميتة والخطايا العرضيّة . وتفسير الايمان والرجاء والمحبّة . ودرجات الكمال . ورصد العقل . وشروط الاعتراف . والتهيوء لمناولة القربان . والتناول الروحي . واثمار القربان . وترتيب المتروضين . وتعليم المسيح . ورتبة الماء المبارك . وكيف نصلي صلاة الفرض . وقانون الرهبان اللبنانيين الثانية عشر باباً . . . الخ » وهذا المجموع جمعهُ وألّفهُ المطران جرمانوس فرحات وهو بخط يده ايضاً يقول في آخره انهُ ألّفهُ اذ كان راهباً في دير قزحيا في ٤ كانون الثاني سنة ١٧٢٥ » . ويلي ذلك « ستون تأملاً في آلام يسوع وموتهِ وقيامتهِ معينة على استعمال الصلاة العقليّة . قد جمعها ايضاً جبرايل فرحات ونسخها بيدهِ في دير مار بطرس كريم التين في ١١ شباط سنة ١٧٢٢ » . وعدد صفحات هذا المجموع كلهُ ٢٩٤ صفحة

٤٤ تاريخ الازمنة للدويهي . نسخهُ بالكرشوني القس مخايل المطوشي المذكور خوري كفريّات في جهات قبرس (اطلب المشرق ٢١ [١٩٢٣] : ٢٧٦ــ٢٧٧)

٤٥ غرامطيق سرياني . عنوانه : التسهيل لكل شرح مستطيل

٤٦ كتاب مشابهات ابن العبري سرياني ويتضمّن ايضاً مدخل المنطق العربي .

٤٧ كتاب خط كرشوني قديم يحتوي ايضاح الايمان للقديس يوحنا مارون بالسرياني والعربي وبعض ايضاح حقائق دينيّة وردّ على اهل البدع لبعض تلامذة مدرستنا المارونية برومية . مجلّد كبير مخروم من اولهِ وآخرهِ . ٤٨ المجمع البلدي المنعقد من رؤساء الطائفة المارونية في بكركي في ١١ نيسان سنة ١٨٥٦ في عهد البطريرك بولس مسعد (١ . خطّهُ بالعربي الخوري يوسف حريق خادم غوسطا في ٢٤ آب سنة ١٨٧٨ ويقع في ٢٥٩ صفحة بطول ٢٢ ونصف س وعرض ١٦ س

٤٩ كتاب ترجمة المجامع المقدّسة وهي احد عشر مجمعاً للاب يوحنا الكرملتاني الحبانيّ (٢ ١٦٨٤ خط عربي . ٥٠ نبذتان الاولى عن انبثاق الروح القدس من الآب والابن . والثانية عن الجوهر الالهي وتثليث الاقانيم . والثانية هذه هي للخوري

١) راجع ما كتبهُ المطران يوسف الدبس عن هذا المجمع في الجامع المفصّل ص ٥٥٦

٢) منهُ نسخة بيد القس بطرس زهره الاهجي اللبناني جاء بها من اهج مكتوبة بالكرشوني بيد يوسف مركيس اهج سنة ١٨٦٣ ومضمومة الى سيرة القديس انطونيوس الكبير التي نسخها انطون رجام من اهج في ١ كانون الثاني سنة ١٨٣٨ . ومنهُ ثلث نسخ في المكتبة الشرقيّة للآباء اليسوعيين

سابا كاتب من جمعيّة الرهبان المخلصين. وكتبت في دمياط سنة ١٨١١. ٥١ كتاب « فرايض مدرسة طائفة الروم الكاثوليكيين موافقة ومرسومة من قدس السيّد البطريرك كيريو كير اغابيوس مطر ومن قدس السادة مطارنة كرسيه وذلك في مجمع الاساقفة الملتئم في اليوم العاشر من شهر أيار سنة ١٨١١م المنتهي في اليوم الخامس عشر منهُ ». يقع في ٧٠ صفحة

٥٢ كتاب المقالات العشر لتوما الكفرطابي. مكتوب بخط كرشوني جلي على ورق مسمّط سميك. وفي اوله كتاب شرح الايمان المنسوب الى القديس يوحنا مارون (١. وكتاب المقالات هذا يقع في ٥٥ صفحة بطول ٣٠ س وعرض ٢٠ س وسمك ٤ ونصف س ويليه عدّة مقالات في مواضيع تتعلّق ببعض قضايا الايمان على مقتضى الرأي السديد. ولم يردْ فيه ذكر اسم ناسخهِ ولا تاريخ نسخهِ انما جاء في آخرهِ ما حرفيتهِ :

فلما كان تاريخ التجسّد الالهي سنة١٥٠٣ في ١٠ من كانون الثاني وصل الى يدي انا الحقير جبرائيل ابن بطرس القلاعي بتذكار الى رحمة الله هذا الكتاب الحاضر تحت وصيّة من عند الاخوة الموقرين الشدياق. . واخيهِ الشماس عيسى اولاد المحوري يوسف من قرية حاقل ان افكّهُ من تعريه الاولي واعرمهُ ثانية وصعب عليَّ ذلك جدًّا. . . لانهُ تباين لي فكّهُ مرّة لان تعريهُ كان احسن من صنعتي . ٢ لاجل المرّة لان ليس انا في مدينة اقدر أجد ما احتاجهُ لصنعتي وان خيصت بعنك وبصفي عنك . ٣ هي بعد ما ان فكّيتهُ تبحرت بهِ وجدت فيهِ أسود وأبيض. سمّ وترياق. حلو ومرّ وجدتُ فيهِ وطاب في قلبي اني اتخذهُ من الريوان واتقيه واحرق ما هو خارج: وبعد ذلك غلب عليَّ الرأي يقول ليس يكون ذلك في رضو قانيهِ بل اذا ثبت عندك وقت وتجد سم بجهور حط الترياق مقابلهِ واصعد دكانك حتى ان كل من لهُ عقل وعرف ان في الوعى (الوعاء) سمّ وشرب تكون انت بريء من دمهِ . وكذلك قلت: أعظم ذاك العشر مقالات انكتبت بشخاخ ابليس. ولاجل ذلك حق ليس اطلاق لاحد ان يكتب عن الامانة اذا لم يكن ماهرًا في اللويكا (اللوجيكا وهي المنطق) والفلسفة والتيولوجيا لان لولا ضو اللويكا ليس عرفنا الابيض من الاسود. ولولا الفلسفة نكنس كانت خازن الكنيسة تمتلي زبالة وكانت ابيارها تدوّد. ولولا التيولوجيا تعدل كان الاخ يقتل اخاه. ولكن هولاء الثلاثة هم سلاح

١) زعم البعض ان كتاب الكفرطابي هو قسم من كتاب الايمان للقديس يوحنا مارون فردَّ هذا الزعم المطران يوسف الدبس في كتابهِ روح الردود ص٢٩٩-٣١٨ واثبت بالبراهين القاطعة ان الكفرطابي ترجم كتاب يوحنا مارون الى العربيّة وحرّفهُ وزاد عليهِ (ص ٣٠٤ وما يليها)

الباشرين الكنيسة . . . أيش ينفعك يا شدياق عيسى تكتب كتب وتحط في الصندوق (١ لان يقال ان الدارس يحب العلم والصندوق يحفظ وليس يتكلّم وعقل الانسان عقل ناقص يتمّم اذا كان تأدب واقتبل العلم . عن سلم والنعاس والهم والطمع يُفنّون الانسان ويلونهُ فزع ويعمون لسانهُ وعقله عن الدرس والعلوم (٢ » اه

٥٣ كتاب جامع الحجج الراهنة في ابطال دعاوى الموارنة . للمطران اقليميس يوسف داود السرياني . خط عربي يقع في ٣٠٥ صفحات . قد طُبع هذا الكتاب في مصر

٥٤ كتاب قانون رهبنة قلب يسوع الاقدس (المعروفة برهبنة هندية التي أُنشئت في دير بكركي) مع رتبة لبس الثوب المختص بابناء وبنات قلب يسوع الاقدس . تأليف الام هندية عجيمي الحلبية المارونية وانتهت من تأليفهِ في ٢٣ تموز سنة ١٧٥٨

وفي آخر الكتاب شهادة بامضاء المطران جرمانوس صقر خادم رهبنة قلب يسوع والقسين اغناطيوس دياب ويواكيم بلاديوس تاريخها ١ حزيران ١٧٥٩ يعلنون بها انّ الام هندية عجيمي اكّدت انّ هذا القانون ليس هو منها بل من السيد المسيح وانّ البطريرك سمعان عوّاد اثبت نسختهُ الاصلية في ١٥ تموز ١٧٥٠ مع عشرة من الاساقفة . ثم يليها اسماء الرهبان الناذرين في دير قلب يسوع بكركي وعددهم ١٦ راهباً . ثمّ لائحة المبتدئات اللواتي لبسن الثوب في رهبنتها وعددهن من ١٧٥٠ الى ١٧٧٥ ٧٦ مبتدئة . وهذا الكتاب يقع في ٣٣ صفحة بطول ٢١ س ونصف وعرض ١٧ س ونصف . ومن المعلوم انّ الكرسي الرسولي أمر بالغاء تلك الرهبنة وتبيّن سوء منقلبها

٥٥ كتاب مجموع من هنا وهناك . جمعهُ وخطّهُ بيده الكريمة القس جبرايل فرحات . في بدئهِ رسالة للمعلم بطرس السندميني المصري القبطيّ في شرح لفظة تفسير وتقع في ٣٦ صفحة ويتبعها « مقالة للمعلم بطرس المذكور في تقسيم تدابير

١) من هذه العبارة يُستدل ان كاتب هذا الكتاب هو الشدياق عيسى المذكور

٢) قد كتب الحبرُ العلّامة المطران يوسف دريان باسهاب عن نسخة هذا الكتاب الموجودة في مدرسة عشقوت ونقل هذه الكتابة المدرجة في اخره والمسطّرة اعلاه (راجع كتابهُ لباب البراهين الجليّة ص ٢٦٠-٢٦٨)

السيد المسيح من حين حُبل به الى حين صعوده الى السماء الى المجد (١ » وهي عشر صفحات. ثم يليها فصول مختصرة في التثليث والتوحيد عُلمت بالقاهرة في اواخر سنة ٦٣٩ العربيّة (١٢٤١م) وهي لابن العسّال وتقع في ٩ صفحات(٢. ثمّ قصيدتان لفرحات يرثي فيها الشيخ ابرهيم حماده المتوالي (٣ (قد طُبعتا في المشرق ٧ [١٩٠٤] : ٢٨٨ــ٢٨٩ ٢٤ [١٩٢٦]: ٣١٧) ثمّ نبذة نحويّة لجمال الدين ابن محمّد عبدالله ابن يوسف بن احمد بن عبدالله هشام الانصاري نقلها فرحات عن كتابه المغني. جاء في آخرها ما نصّهُ: «نقلهُ جبريل فرحات الراهب اللبناني من كتاب المغني اللبيب وبحث إذا (اي البحث الذي يختص باذا) وذلك في شهر تموز من شهور سنة الف وسبعماية وثماني عشرة مسيحيّة في دير قزحيّا جبل لبنان.»

ويلي ذلك كتاب «الأرَب من غيث الادب. انتخاب الشيخ محمّد بن عبدالقاهر ابن السنهودي الموصلي (٤ .» اختصرهُ الاب فرحات وصدّرهُ بمقدّمة المنتخِب(٥

وبعد هذه المقدّمة تأتي ترجمة الطغرائي ثم قصيدتهُ وقد شرحها شرحاً لغويّاً وافياً. وقد كتب الاب فرحات ابياتها بالحبر الاحمر وشرحها بالحبر الاسود وفي آخرها علّق اسمهُ هكذا: « كان تمام تحريرها في مدينة حلب في ٢٦ من شهر آب سنة ١٧١٣ بيد جبريل الراهب اللبناني.» ويتبع ذلك قصيدة ابي الحسن علي بن محمد التهامي التي بها يرثي ابنهُ أبا الفضل ومطلعها: « حكم المنيّة في البريّة جارِ» ... ثمّ منتخبات

١) ان عنوان رسالة السندميني بخط فرحات وامّا هي فبخط غيره. وكذلك مقالة تقسيم تدابير السيد المسيح فانها ليست بخطّهِ. وباقي محتويات هذا الكتاب كلّها بخط يده

٢) طبعت فصول ابن العسّال في المشرق ثم طُبعت في مجموعة لقدماء كتبة النصارى

٣) راجع ما جاء من اخبار آل حماده في كتاب تاريخ الاعيان . وتاريخ جبل لبنان الخطّي للمطوريني

٤) قد ذكر هذا الكتاب حضرة المورسنف جرجس منش في جدول مختصرات السيد فرحات. طالع « المستطرفات » ص ٣٣ عدد ٩٣

٥) قد طبع هذا الكتاب مصدّرًا بهذه المقدّمة عبده بني بابا دوبولس في المطبعة العثمانية في بيدا سنة ١٨٩٧ بدون ان يأتي على ذكر مختصره للمعلم جبرايل فرحات او ان يقول كلمة تنبئ بانهُ عثر على نسخة خطيّة منهُ لا ذكر فيها لاسم مختصره. واخبرني جناب الاديب يوسف افندي صفير صاحب مكتبة المدارس في بيروت ان المرحوم يوسف الشلفون انتحل لنفسه ايضاً هذا الكتاب وطبعهُ في الشراكة الشهرية بالمطبعة العمومية سنة ١٨٧٠ فتأمل

من اقوال الشعراء كعبد الملك وابي منصور الكاتب والياسفري والبستي وابن الشبل البغـدادي وابي بكر بن الازدي وغيرهم كثيرين . وكل هـذه الاشعار هي بخط فرحات . وفي آخر هذه المجموعة الشعريّة قصيدته التي بدؤها :

. فقد تقسو طباع ذوي اللآمه اذا البستهـا ثوب الكرامـه

(راجع الديوان ص ٤٠٠) ثمّ ابيات اخرى من خطهِ كباقي الكتاب

هذا ما عثرنا عليهِ في مكتبة عشقوت وقد ضربنا الصفح عن ذكر بعض ما جاء هناك من الكتب ذات النسختين والثلث النسخ اختصاراً . ومما وقفنا عليهِ في المكتبة المذكورة نبذة للبطريرك بولس مسعد زادهـا على دحضهِ لرسالـة فتح الله مرّاش بخصوص انبثاق الروح القدس من الآب والابن . وكان المرّاش قد استشهد في كلامهِ بما نقلهُ عن كتاب المطران جرمانوس آدم المدعو ايضاح اراء الاباء القـديـين (جزء ٢ بحث ١ ص ٢) وهو : « ان بدء انبثاق الروح القدس واصلـهُ هو الجوهر الالهي . » متخذاً ذلك حجّةً لهُ فردَّ عليهِ البطريرك بولس وذكر انهُ لم يقف على كتاب المطران آدم (١) . ثمّ اطّلع عليهِ بعد طبعهِ كتاب الدحض وراجع الفقرة التي نقلها المرّاش عنه فاعاد كرّة الردّ عليه بهذه النبذة التي علّقها بيده على نسخةٍ من كتاب الدحض رأيناها بين كتب خزانة مدوسة عشقوت وهذه هي بحروفها :

قال البطريرك بولس مسعد :

« اننا في الوجه ٥٣ من ردّنا على رسالة الخواجا فتح الله مرّاش الملكي الحلبي قلنـا : اننا لم نطلع على كتاب المطران جرمانوس آدم الذي يورد المذكور (فتح الله) منهُ هذه العبارة وهي : « ان بدء انبثاق الروح القدس واصلهُ هو الجوهر الالهي » لكي نجاوبهُ عن ذلـك من الكتاب المذكور نفسهِ . واما بعد طبع ردّنا المرقوم فعثرنا على هذا الكتاب ووجدنا ان مفهوم العبارة التي نقلها الخواجا مرّاش عنهُ هو مخالف لزعمهِ ومطابق لما جاوبنا نحن عن ذلك في الوجه المحرَّر من ردّنا . وهاك قول المطران جرمانوس آدم في كتابه المذكور (جزء ٢ بحث ١ فصـل ٣) : « المبدأ الثاني انهُ من المفهوم عند جميع المستقيم رأيهم ان بدء انبثاق الروح القدس واصلـهُ هو الجوهر الالهي . والحال ان هذا الجوهر الالهي الوحيد قد اقتبلهُ الابن بولودتهِ من الآب فهو اذاً واحد للآب والابن . وبالنتيجة ان الآب والابن ينبثقان الروح القـدس . وان كان على رأي المنكرين ان الروح القدس لا ينبثق من الابن ايضاً لكن من الآب فقط . فتنتج هـذه النتيجـة الفاسدة الاريوسيّة وهي ان الابن ليس هو مشتركاً مع الآب في الجوهر الالهي الـذي هو بدء

(١) راجع الدحض ص ٥٣

انبثاق الروح القدس واصله . وليس للمنكر ان يعترض قائلاً انهُ بهذا القياس يكون الروح القدس بائناً ذاتهُ لانهُ قد اقتبل ايضاً هذا الجوهر الالهي نفسهُ كما اقتبلهُ الابن . لاننا نجيب ان الروح القدس حقاً قد اقتبل هذا الجوهر نفسهُ لكنهُ اقتبلهُ منبثقاً بهِ لا بائناً كما ان الابن اقتبل الجوهر الالهي مولوداً بهِ لا والداً ولم يقتبلهُ منبثقاً بهِ نظير الروح فاذاً اقتبلهُ بائناً . ومن ثمَّ يستطيع ان يبثق الروح القدس اذ اتخذ الطبيعة الالهيَّة خصبة نظراً الى بثق الروح القدس . »

« الاعتراض الاخير الموجود في الفصل الثاني من البحث الاول في الجزء الثاني من الكتاب المذكور : « يعترضون اخيراً انهُ لو كان الروح القدس ينبثق من الابن لكان يجب ان يكون ابن الابن ولكان الآب الازلي جدَّهُ . نجيب ان هذا الاعتراض لا يستحقُّ جواباً لانهُ علو من الجهل وعدم المعرفة بعلم الثالوث الاقدس لاننا نسأل المعترض نفسه ان يخبرنا لماذا الروح القدس لا يدعى ابناً مع كونهِ صادراً من الآب . فحقاً انهُ لا يستطيع ان يجيبنا عن ذلك إلَّا بهذين الامرين : اي اما انهُ يقرُّ معترفاً ان هذا السرَّ لا يُدرك من عقلٍ بشريٍّ ومن ثمَّ يجب ان نسلم للكتاب المقدَّس الذي يدعو الاقنوم الثالث روح قدس لا ابناً والاقنوم الثاني يدعوهُ ابناً لا روح قدس واما انهُ يورد هذه البينة وهي لكون الاقنوم الثاني صادراً من الفهم الالهي . واما الروح القدس فهو صادر من الارادة الالهيَّة بطريقة المحبَّة . فان اجاب بالنوع الاول فيكون حلَّ اعتراضهُ وابطلهُ . وان اجاب بالنوع الثاني فيكون قد أيَّد انبثاق الروح القدس « لان الاقنوم الثالث الذي يصدر من الارادة بطريقة المحبة يصدر من الكلمة . لانهُ لا يُحبُّ شيءٌ قبل ان يُعرف . فالروح القدس اذاً قد صدر من المحبة المترددة بين الآب والابن وبالتالي ينبثق من كليهما . صح . » انتهت

(لهُ بقيَّة)

عمل المشرق في ربع قرن

بقلم مدير المجلة

بهذا العدد ختام عملنا في خمس وعشرين سنة التي ظهرت فيها مجلة المشرق ضاربين الصفح عن الخمس السنين التي فيها احتجبت مرغومةً بسبب الحرب الكونيَّة

فيحقُّ لنا ان نلقي نظراً على هذه الحقبة المنصرمة كما يُمسك المسافر عن سيرهِ برهةً . ليعتبر ما قطعهُ من الشوط وما جرى لهُ في ابَّان مسيرهِ

واوَّل ما يجب علينا فعلهُ ان نؤدّي الشكر لابي المواهب عزَّ وجل الذي سندنا في هذه المدَّة وأيَّدنا بقوَّة يمينهِ وأعطانا ان نثبت في رضاه ونرمي الى الغاية التي توخَّيناها

في بدء العمل اعني خدمة الدين والوطن معاً على الرغم من الموانع التي اعترضتنا في سبيلنا · فلهُ تعالى وحدهُ المجد الى ابد الدهور

١ تاريخ مجلّة المشرق

كان اوّل ما فكرت الرسالة اليسوعيّة في انشاء مجلّة عربية تضاف الى جريدة البشير في اواخر السنة ١٨٩٦ فقدّمنا طلباً رسميًّا الى المراجع العليا في الاستانة عن يد والي بيروت تصوحي بك الذي تلطّف وأيّد طلبنا لدى دائرة المعارف في العاصمة

الّا انّ هذا الطلب بقي مدّةً دون جواب · ولا عجب اذ كانت الدولة وقتئذٍ في عزّ استبدادها والسلطان عبد الحميد يأنف من تعزيز الجرائد والمجلّات لاسيما ان كانت في ادارة من يتمتّع ببعض الانعامات والمعافيات الدوليّة

على انّنا لم نقطع الرجاء من التماس الرخصة المطلوبة فعدنا الى مراجعة ذوي الحل والربط وساعدنا في ذلك بعض الاصدقاء من ادباء الاستانة من ذوي النفوذ لدى ارباب الامر المقيمين في الباب العالي وكان احد قدماء تلامذة كليتنا المرحوم شكري باحوط ساعياً في الامر لدى بعض وجوه الدولة باغراء الآباء اليسوعيين المرسلين في الاستانة

فأتت هذه المساعي اخيرًا بنتيجتها المرغوبة في اواسط السنة ١٨٩٧ اذ ارسلت لنا المعارف رقيماً رسميًّا تمنح فيهِ الرخصة بنشر مجلة علميّة ادبية فنيّة تحت اسم ومسئولية كاتب هذه الاسطر

فاخذنا منذ ذلك الحين نستعدّ للعمل ونستحضر الموادّ التي نريد نشرها مصحوبة بالصور عند اللزوم · وكنا اتّفقنا على تسمية المجلّة بالمشرق لاشتمال هذا الاسم على ما نريتا نشرهُ اما عن المشرق واما لافادة المشرق وهو الاسم الذي تسجّل في ادارة المعارف ·

وقد باشرنا بصف حروف عددنا الاوّل وطبع ملازمهِ في اليوم الرابع عشر من كانون الاوّل الواقع فيهِ عيد القديسة الشهيدة لوسيا فاستبشرنا باسمها ومعناهُ النور واتّخذناها شفيعة للمجلة

وكانت الرخصة الممنوحة لنا تسمح بنشر عدد من المجلة كل اسبوع فاكتفينا بعددَين في غرّة كل شهر وفي وسطهِ · فكانت الاعداد السنوية ٢٤ عددًا · ثم اقتصرنا

على اصداره مرّةً في الشهر سنة ١٩٠٨ بحيث تبلغ صفحاتهُ السنويّة الف صفحة

واتخذنا لهُ شعاراً موافقاً لاسمهِ ولغايتهِ ألا وهي آية يوحنّا الرسول في الفصل الاوّل من رسالتهِ الاولى « ان الله نور وليس فيهِ ظلمة البتّة »

فما صدر العدد الاوّل من المشرق حتى تواردت عليهِ رسائل المهنئين والمنشطين وكان في مقدّمتهم رئيس مجمع انتشار الايمان في رومية الكردينال ليدوكشكي ونيافة القاصد الرسولي على سوريّا الطيّب الذكر السيّد شرل دوفال

ثمّ تكرّرت تلك اشارات التعطف في مدّة هذا الربع القرن فتنازل الاحبار الرومانيون الاعظمون لاون الثالث عشر وبيوس العاشر وبيوس الحادي عشر وباركوا على عملنا وعلى كل من يشاركنا فيهِ

ومثلهم غبطة بطاركة الطوائف الشرقيّة واساقفتها الاجلّاء الذين آزرونا ببركاتهم معلنين بسموّ رضاهم عن خطّتنا

اما العلماء الاوربيّون والمستشرقون فكانوا صوتاً واحداً في تحبيذ العمل وفوائده الجمّة. ولنا شاهد حيّ على تقديرهم لهُ المبادلة بين مجلّاتهم الشهيرة والمشرق لاسيما المجلّات الاسيويّة الفرنسويّة والانكليزيّة والالمانيّة والنمساويّة والايطاليّة والاميريكية التي يزين مجموعها مكتبتنا الشرقيّة

على انّ الدولة التركيّة مع حيادنا عن المسائل السياسيّة اوقفتنا ثلث مرّات لبعض عبارات لم تنتبه لها او غفل عنها المراقب. بل جاءنا مرّة الامر بتعطيل المجلة فقضي علينا استئناف طلب الرخصة لاصدارها ولم نعلم قطّ السبب الموجب لهذه المصادرة التي أُلغيت بعد شهرين بتوسط السفارة الفرنسويّة. وانما كنّا نجري بكل حذر لئلّا يعثر القلم بايراد بعض الالفاظ الملغاة من القاموس العثماني كالحرية والاستبداد والملك ومراد وحميد وغيرها كثير كما بيّنها المرحوم سليم سركيس في كتاب نوادره « غرائب المكتوبجي »

وكان آخر عهدنا مع الدولة التركية في خريف سنة ١٩١٤ وقد كاد يصدر العدد الاخير من المشرق لسنتها السابعة عشرة فلم ننجزهُ الّا بعد الحرب اذ أُقفلت مطبعتنا الكاثوليكية ووضع الاتراك يدهم على كليتنا

فلما وضعت الحرب اوزارها وجدنا مطبعتنا في حالة سقيمة وقد تبدّد كثير من

آلاتها الطبعية فلم يتم اصلاحها إلّا بعد اشهر طويلة . فكان الاستئناف بطبع المجلة في غرّة السنة ١٩٢٠ برخصة جديدة من دولة الانتداب

٢ً كتبة المشرق

لا تتمّ الاعمال الكبيرة إلّا بضمّ القوى والاتحاد والحمد لله قد وجدت مجلة المشرق رجالًا ذوي علم واسع وخبرة بفنون الآداب وحسن الكتابة زيّنوا صفحاتها بمقالاتهم الشائقة

في مقدّمتهم اخوتنا اليسوعيون الذين دبّجوا قسماً كبيراً من مقالات المشرق بينهم شرقيّون وطنيون كالاباء انطون صالحاني ولويس معلوف وخليل اده وسليمان غانم وشرل ابيلا ويوسف خليل والياس جباره ورفائيل نخله ويوسف منّا وفرديناند توتل والمرحوم الاب انطون رباط . ومنهم اوربيون مستوطنون الشرق كالآباء هنري لامنس ولويس جلابرت وسبستيان رونزفال ورينه موترد وموريس كولنجت وبطرس دي فراجيل وامنيل ريفو والكسيس ماتون ويوسف غودار وبولس ماترن ويوسف منجان وبولس جوون وجان روش ويوفيه لابيار ولويس ريفوله وجاك هرنو وكلود شفره ولويس دانسلم وشرل نيرون وكلود ميجاسون ويوسف ديلفسيغر وعمانويل رولان وليوبولد فرنك والبولندي بولس بيترس وغودفريد زمّوفن وغيرهم ومنهم الآباء المرحومون ميشال جوليان وفردريك بوفيه ولويس رونزفال ولويس بولوموا وفرنسيس تورنبيز وجان راي واميداي نوريول وجورج تريبوله ولويس لونوار وفلوران لافلي وهلم جرّا

ولم يحرم مجلّتنا المشرق بعض سادة الطوائف الشرقية الاجلّاء من آثار قلمهم كغبطة السيد البطريرك اغناطيوس افرام الثاني الرحماني والسيد عبدالله الخوري والسيّد بطرس عزيز والسيد بشاره الشبلي . والمثلّثي الرحمات السادة يوسف الدبس وجرمانوس معقّد وبطرس شبلي ويوسف دريان ويوسف تلّي (صقر) وادي صليبا شير شهيدَي الاتراك

وقد اقبل كثيرون من الكهنة على الكتابة في المشرق نذكر منهم (من الموارنة) المنسنيور جرجس منش والبرديوط بطرس حبيقة والخوارنة بولس طعمه ورفائيل

البستاني وحنا طنوس وابراهيم حرفوش وبطرس غالب ويوسف العشيتي ومارون غصن وميشال حويس وداود اسعد وجرجس السبعلاني واسطفان البشعلاني وجبرائيل كيرلس ونعمة الله مبارك وبطرس صفير ويوسف عيد وحبيب اسطفان والمرحومون المنسنيور يوسف العلم ولويس دريان وبطرس عقل . ومنهم الرهبان اللبنانيون الاباء بطرس ساوة وانطونيوس شبلي ومارون الرشماوي ويوسف حبيقة ومبارك ثابت وليباوس داغر ومبارك صقر وبطرس سعاده والمرحوم نعمة الله الكفري

ومن (الروم الكاثوليك) الارشيمندريت الياس بطارغ والارشيمندريت الكسيوس كاتب والخوارنة كيرلس شارون وميشال الوف وقسطنطين الباشا ويولس سلمان وطيموطاوس جق ونيقولا ابو هنا واوغلوس عيد ولاونزدوس كلزي

ومن (السريان الكاثوليك) المنسنيور جرجس شلحت والمنسنيور يوسف ربّاني والكهنة القسان اسحق ارملة وعبد الاحد جرجي وحنا الرحماني وجرجس اليان والمرحوم الخوري توما ايوب . ومن (الكلدان) القس سليمان صائغ والقس ج . قرياقوزه والقس بطرس عزّو والمرحوم القس بطرس نصري . ومن (الارمن) الابوان نرسيس صانغيان ويولس عريس

أما (اللاتين) فكتب منهم في المشرق بعض الرهبان كالابوين الدومنيكيين اسطفان دومط واوغسطين مرمرجي . والاب الفرنسيسي لاون بوريار . والاب الكرملي الحافي انستاس . وكالابوين اللعازريين يوسف علوان وفرنسيس دونكل . وبعض الكهنة العالميين كالكاهن لويس موسيل وارنست شميتز وجورج غراف والاب يوحنّا شلهوب ولاسيما المرحوم دون خليل مرتا

ولكثيرين من الكتبة العالميين مقالات في المشرق لا يسعنا الّا التنويه بالبعض منهم . فمن المستشرقين الاستاذ المرحوم مرتين هرتمان ومن العلماء اوغست هفنر واغناطيوس كراتشكوفسكي واغاتنج كريمسكي وكونيغ وفرتس كرنكوف ويوسف اوفرد وموريس مرسيه . ومن المؤرخين الشيخ سليم الدحداح وعيسى اسكندر المعلوف والشيخ شاهين الخازن ويوسف غنيمة والمرحوم رشيد الشرتوني . ومن الشعراء شبلي بك ملّاط وحبيب اسطفان وسليم تحومي واحمد تقي الدين وحكمت شريف وحلمي مصري ومحبوب الشرتوني .

ومن الاطباء الدكاترة معظمهم من المكتب الطبّ الفرنساوي خصوصاً الاساتذة هنري نيفر وجول روفيه وبطرس غيغ . والمتخرّجون في ذاك المكتب كالحكماء امين الجميّل وفيليب بركات وكامل الخوري وبلتسار ملكونيان وانطون عرب ونجيب اصفر وشحاده خزام وسيريدون ابو روس وتوفيق سلهب ولطف الله لطفي . والمرحومون حبيب الدرعوني ونابوليون ماريني والياس الحاج

ومن المحامين انطون بك شحيبر ونجيب خلف وميشال شبلي واميل تيان ويوسف ابو خاطر ومراد خوري . ومن اللاهوتيين الامير شكيب ارسلان وانيس الخوري وداود صليبا ونعوم صوايا والمرحوم الشيخ سعيد الشرتوني . ومن الاثريين ميشال الوف ويوسف اليان سركيس

وكتب في الاقتصاديّات والفنون الزراعيّة والهندسة الادباء ادمون بشاره واميل خاشو وحبيب شيحا والشيخ يوسف الجميّل وغستون دوكوسو والمرحومون سليم اصفر وبشارة افندي وتوما كيّال . وفي الفنون الجميلة الشرقيّة يوسف غنّام ثابت وامين خيرالله والمرحوم يوسف مشحور . وفي التجاريات عبدالله رزق الله شار (خير) وخليل قتّال وجان بهلوان وميشال سماحه ويوسف ظاهر

وفي وصف البلاد الدكتور عبدالله رعد واسكندر طحيني ويوسف غنيمه وجورج سركيس واندراوس كويا . وفي الادبيات الشيخ انطون الجميّل وجرجي بك صفا وفيليب دي طرّازي وحبيب الزيّات وجول كتسفليس وابراهيم بك ابو سمرا غانم ويوسف غلبوني ومحمد ابي عزّ الدين ويوسف غصوب ونجيب البشعلاني ويوسف السوداء وميشال بيطار وفؤاد افرام البستاني وادوار صعب وجورج عبد النور ويوسف بطرس سعد والمرحومون شاكر الخوري ونجيب حبيقة

٣ مواضيع مجلّة المشرق

انّ اسم المشرق وغايتهُ المثلّثة المدوّنة على غلافه «مجلّة علميّة ادبيّة فنيّة» لمّا يتناول سائر المعارف البشريّة وذلك ما نويناهُ لافادة قرّائنا فلم نستثنِ غير السياسة وملحقاتها التي لا توافق عيشتنا الرهبانيّة

١ المقالات العلميّة

الحقّ يقال انّ مقالات مجلّة المشرق في هذا الشرط الذي قطعتْهُ وهي تبلغ نحو الثلثمائة مقالة تدور على معظم العلوم المنتشرة في العالم

١ العلوم الدينيّة

لا شكَّ في انّ اعظم العلوم قدرًا واسماها شأنًا انّما هي العلوم الدينيّة لان بها يقف المرء على اشرف الحقائق ويتقرّب من الله عزّ وجلّ الذي هو مصدر كل العلوم فيدعوهُ الكتاب الكريم «اله العلوم». وقد عرف قدماء الفلاسفة هذه الحقيقة فقال ارسطو: انّ معرفةً ولو زهيدة من امور الله تفوق كثيرًا على بقيّة المعارف البشريّة كلها

وقد أُتيح لمجلة المشرق ان تخصّ كل عددٍ من اعدادها لبعض الابحاث الدينيّة والحقائق الالهيّة. ففيها عدّة مقالات بعضها لقدماء الكتبة وبعضها للمحدثين تثبت وحدانيّة الله وصفاتهِ الجوهريّة وتثليث اقانيمهِ وخواصّ كل اقنوم وميزتهُ عن الاخر وبيان اتّفاق هذه المعتقدات مع العقل لا منافاة بينهما ولا تناقض

ومن هذا الباب مقالات متعدّدة عن لاهوت السيد المسيح طُبعت على حدة تحت عنوان «القول الصحيح في لاهوت المسيح» ومقالات عن الروح القدس وانبثاقهِ من الآب والابن ويلحق بها مقالات عن قلب يسوع وعن ملكهِ وكمالاتهِ. وكذلك الحقائق العائدة الى والدة الله مريم العذراء كالحبل بها دون الخطيئة الاصليّة وبتوليتها الدائمة وامومتها الالهية وانتقالها نفسًا وجسمًا الى السماء. فكلّها قد أُفردت لها مقالات ضافية بقلم لاهوتيين ضليعين

وممّا ينوط بالدين كتب الوحي من اسفار العهدين العتيق والحديث فقد نُشرت في المشرق فصول شائقة في حقيقة الوحي وضروريّتهِ وامتدادهِ ثمّ في اثبات الوحي لاسفار الكتب المقدّسة المعروفة بالاولى وبالثانويّة معًا وفي الانجيل واصله وحقيقتهِ وسلامتهِ من التحريف ونسخهِ القديمة وفي اناجيل الزور كانجيل برنابا وانجيل الطفوليّة. وهناك ايضًا عدّة ابحاث كتابيّة وجلّ ما عُرض من مشاكلها

ومن الدين ما يختص بالاعياد السنويّة والرتب الكنسية والطقوس الغربيّة والشرقيّة . ففي مجلّة المشرق مقالات تبحث عن كل ذلك بحثاً مدقّقاً بقلم كهنة اختصاصيين من كل الطوائف بحيث لو جُمعت على حدة أصبحت اوسع كتاب في هذه المباحث الشائقة

ويدخل في هذا الباب ما نُقل من اعمال الآباء القدّيسين الشرقيين في امور الدين والتعاليم الروحية كيامرهم وخطبهم يُضاف اليها مقالات دينيّة جليلة الكتبة الكنسيين من كل الطوائف كبولس الراهب اسقف صيداء وكابن العبري ويحيى بن عدي وايليا الصوباوي وابي الحليم بن الحديثي وابن العسّال وغيرهم طُبعت ايضاً على حدة

ومن المعلوم انّ الكنيسة هي ممثلة الدين فلولاها يُعرَّض الدين لاكبر الآفات . فمجلة المشرق خصّت مقالات عديدة بالكنيسة ومنشئها السيد المسيح ورأسها المنظور القديس بطرس الرسول وخلفائه على كرسيّه الروماني وفي خواصّ الكنيسة كوحدتها ورسوليّتها وفي نظامها وانتخاب احبارها وفي سلطتهم الزمنيّة . وكذلك في اسرارها التي انشأها السيّد المسيح لتقدّس ابناءها . ففي المشرق مقالات عن المعموديّة وعن سرّ القربان وعن التوبة والكهنوت . وفيها ردود على بعض مزاعم اعدائها كتركية البابا ايباريوس وخرافة البابا جنة ومسئلة غليلاي ومذبحة القديس برتلماوس

٢ العلوم الفلسفيّة والجدالية

الفلسفة بمبادئها الثابتة اقوى سند العلوم بل هي اساسها والكاشفة لغثها من سمينها . فالمشرق اعتمد تلك المبادئ العقلية لاثبات عدّة حقائق كضرورة الدين واتفاق الدين والعقل وعناية الله بمخلوقاته وتعريف قضائه وقدره وضرورة الوحي وإمكان المعجزات وروحية النفس وخلودها وقواها كالذاكرة والحسّ والخيال وتفنيد الدفاع عن المبارزة والانتحار وعدّة مسائل اجتماعية كالانسان والمجتمع البشري وكالسلطة واصلها وشروطها والحرّية البشرية

ويلحق بهذا الباب مقالات جدالية قُضي علينا بها الردّ على مزاعم باطلة في اصل الانسان وفي نفس البهيمة وفهمها وفي التولّد الذاتي وفي الوطنية الصحيحة وفي التساهل الديني وفي الإخاء والمساواة وفي تعريف الضمير وفي عزوبة الكهنة

ويدخل في باب الفلسفة آثار قديمة فلسفيَّة اخرجتها مجلة المشرق من زوايا النسيان منها ما يُنسب الى فلاسفة اليونان كارسطوطاليس وافلاطون وفيثاغورس وثيمستيوس. ومنها ما وضعهُ فلاسفة العرب المسلمين كرسالة السياسة لابن سينا والفارابي ورسالة الطير للغزّالي والمقدسي وابن سينا ومقالات في تدبير المنزل لابن مسكويه وغيره. ومنها ما هو لفلاسفة نصارى كرسالة النفس لابن العبري ومنطق ابن عسّال ومقالات بولس اسقف صيداء ورسالة الروح لقسطا بن لوقا. وكتعريبات شتى لحنين بن اسحاق ولابن زرعة وقد نُشرت هذه الآثار الفلسفية على حدة وتكرَّر طبعها

٣ العلوم الاجتماعية

هذه العلوم قد اتسعت في عهدنا فرأت مجلة المشرق ان تخوض في غمارها. فمنها ما يتناول مسائل عمومية تشمل سائر البشر كمسئلة الشغل بالنسبة الى المجتمع الانساني ومسئلة الحرب والسلم وحقوق الدول فيها وجمعية الامم ومؤتمر السلام وسلام الله وكالنقابات والاعتصابات والمهاجرة وحرية الطباعة. ومنها ما يختص بشعوب مفردة او امم خاصَّة كالاسبان والاميريكيين والبوير وكالامم التي باد ذكرها بعد استيطانها لبنان من حثيين وايتوريين ومردة وبراجمة وكانتشار الطائفة المارونية وكالسلان والبرجان وكالسوريين في البرازيل. وبعضها كان فيها البحث عن بلاد خاصَّة كفرنسة وبلجكة وروسيَّة واسوج ونروج والولايات المتحدة وباناما. وغيرها خُصَّ فيها النظر عن جمعيات او اشخاص او امور معلومة كفرسان الالمان في سورية وابطال الترنسفال وكالمستعمرات اليهوديَّة في فلسطين وكالتقاليد المسيحية في اميركة قبل كرستوف كولمب وكالوبيل الحسيني لفتح قناة سويس. وقد بحث كتبة المشرق في المسائل التهذيبيَّة والتعليم والتربية كالمدارس الداخلية والمدارس العلمانية اللادينية والتعليم الالزامي والتعليم المجَّاني. وروت فصولًا في التعليم الديني للمرسلين في الشرق وفي مدارس الرهبان الكلية والعليا والثانويَّة والابتدائية

٤ العلوم الادبية

اشتهرت هذه العلوم في الازمنة الحديثة. فبادر كتبة المشرق الى افادة قرَّائها عن

اخصّ ما حصل من الاكتشافات من هذا القبيل . فالبعض منهم درس الآثار النصرانيّة كالمقالات المجموعة تحت العنوان تسريح الابصار في ما يحتوي لبنان من الآثار للاب لامنس فيها فصل ممتع عن كنائس لبنان القديمة وكمقالات شتى عن آثار قلعة سمعان وعن آثار النصرانيّة في غزّة وبالخصوص عن آثار الديماميس في رومية وآثار قدس الاقداس فيها وعن اديرة مصر القديمة وعن ذخائر الآلام التي صبرت على الزمان

اما الآثار المدنيّة المكتشفة في لبنان وسورية ومصر والعراق فنُشرت عنها مقالات واسعة اوقفت القرّاء على الحركة العلمية في هذا الشأن . فتجد في اعداد المشرق اوصافاً لبعلبك وابنيتها وهياكلها وآلهتها . ومثلها آثار صور وصيداء وبيروت وجبيل ودير القلعة وبترا وسينا . وقد امتاز في وصف هذه الاثار القديمة ثلثة من اساتذة كليتنا الآباء سبستيان رونزفال ولويس جلابرت ورينه موترد فتجد لهم في المشرق المقالات الضافية في آثار الاراميّين وكتابات تدمر وفينيقية ووصف العاديات اليونانية والرومانية وحلّ رموزها وقد نالوا مراراً استحسان الاثريين . وممّا نُشر في ذلك الآثار البُرديّة المكتشفة في مصر بينها كتابات اليفنتين الارامية وكتابات تل العمارنة وغيرها كما استقرى حضرة الاب لامنس عاديّات لبنان . وبين المقالات الاثريّة ما جاء فيه وصف آثار فلسطين وجهات الاردن والاسكندريّة كلّها تنبئ ببراعة كاتبيها

٢ العلوم الادبيّة

هي الغاية الثانية المنوّه بها في تعريف مجلة المشرق . وهذه الآداب تُقسم الى نثرية والى شعريّة

فمن النثرية ﴿العلوم اللغويّة﴾ التي يُبحث فيها عن اصل اللغة العربية ومفرداتها ومركّباتها وصُوَرها اللفظيّة وحركاتها وحروفها وصيغها الاصلية والفرعية واشتقاقها ودخيلها . ففي كل هذه الابحاث فصول شائقة لكثيرين من اللغويين نخصّ منهم بالذكر المرحومين الشيخ سعيد الشرتوني وشقيقهُ رشيد والامير شكيب ارسلان وشاكر الالوسي والخوري المأسوف عليه دون خليل مرتا والاب انستاس الكرملي

وهناك ابحاث في درس العربية وماضيها ومستقبلها والوسائل التي ترقّيها وفي

اللهجات العربية واللغات العامية واللغة الفصحى التي لا يجوز انتهاك حرمتها في الكتابة مهما تشدّق بعض المحدثين

ويزين هذا الباب ما نُشر من كتب اساطين اللغة واركانها مما كان مترويًا في المكاتب كالدارات للاصمعي وكتاب الهمز لابي زيد والنخل والكرم للاصمعي وكتاب النبات والشجر لهُ وكتاب المطر لابي زيد وكتاب الرحل والمنزل لابن قتيبة والمؤنثات السماعية للحسيني . وجُمعت هذه الرسائل مع غيرها في كتاب البلغة في شذور اللغة

ومن الادبيات النثريّة ما يعمّ جميع الابحاث المتداولة بين الكتبة كالشؤون الاجتماعيّة من تجارة وصناعة وزراعة وكالاسفار . فمن كل هذه الابواب فصول جمة . ففي باب التجارة ابحاث عن اصل التجارة وتاريخها وشروطها وعن المضاربات في التجارة وعن المقامرة وعن حرية المبادلات وعن التجارة البحريّة وعن المواصلات التجاريّة والنقود التجاريّة وعن تجارة تركية ودمشق وصيداء . وفي باب الصناعة ما رُوي في المشرق من الاعمال الصناعية كطُرق المواصلات واختراعات الكهرباء للتنوير والمنارات البحرية . وكذلك صناعة الابنية وترقيتها ووصف بعض الابنية المستحدثة كدار العاديات المصرية في قصر النيل وخزّان النيل الجديد والريّ المستديم والسرب بين ايطالية وسويسرة . والتراموي اللبناني وكساعة بيروت الجديدة . ونشرت المجلة عدّة مقالات عن الصنائع الوطنيّة كمنسوجات زوق ميكائيل وصناعة القصب في حلب وصناعة الطنافس في عكّار وسكب الاجراس في بيت شباب والاسلحة الدمشقيّة المجوهرة واسلحة الصيد الوطنيّة وصناعة النّجارة والتطعيم بالصدف والابنوس والمينا وصناعة الحرير في لبنان واصطناع الآجر فيه هذا فضلًا عن الصنائع الاوربية الموصوفة كالمدافع والتصوير الشمسيّ والتماثيل المجسّمة

أمّا الزراعة فنشر فيها المرحوم سليم اصفر فصولًا اثنى عليها العموم وقد تتبّع احوال الزراعة في كل اطوارها كاستحضار تربتها واصلاحها وعزقها وتعريف اجناسها وتسميدها وما يصلح منها لبعض المزروعات دون غيرها وتشجير لبنان وتاريخ الفلاحة السوريّة . وكتب في آفات الزراعة والحشرات الضارّة كالفيار كسيرة والمالوش . وكتب غيرهُ مقالات في الاشجار المثمرة كالكرمة ونخل العراق والجوز الهندي والسمن الثباتي وليمون صيدا والاكي دنيا وعن بعض النباتات الغذائية او الطبية اوالصناعية

كالقمح وقصب السكر والرياس والتبغ والقطن واستحضار الورق. وكتب ادمون بشاره عن المياه الزراعيَّة

وقد نشرت ايضاً مجلّة المشرق مقالات في علمي الحيوان والمعادن . فلحضرة الاب اسكندر طوران نحو عشرين فصلاً في الحيوان مباشرةً باوّل تركيب خلايا الجسم الحيواني ثمَّ في تطوُّر الحياة من البيضة ونموّها وتجنّسها واحوال الحيوان في حسّهِ ووهمهِ العجيب الثابت دون ترقٍّ ودرس بعض الحشرات واعمالها المدهشة ونزاع بعضها لبعض وخصَّ بالذكر النحل والعناكب. وبحث غيرهُ عن الدم وخواصّهِ وعن حياة الحيوانات البحريَّة وعجائب اعماق الاوقيانوس وعن الاسفنج وعن الخيل العربية وعن بعض الحشرات السامَّة وعن بعض الطيور كجوارح فلسطين وحجل لبنان والحمام الزاجل

وكذلك لبعض كتبة المشرق مقالات في المعادن فأفرد الاب لامنس عدَّة فصول لوصف معادن لبنان والاب دي ڤراجيل لتعريف معادن مصر وجاءت ايضاً مقالات شتى لغيرهما في النفط والبترول وفي زيوت العراق وينابيعهِ المعدنيَّة وفي الزئبق وخواصهِ ومعادنه وفي معادن الماس الترنسڤالي

امّا السياحات فقد نُشر منها ما يبلغ مجلّداً ضخماً منها سياحات في لبنان جنوبهِ وشمالهِ وسواحلهِ ومشارفهِ وفي جهات سوريَّة كجهات دمشق وبادية الشام وحوران والحرَّة والصفا وسياحات الى حمص وحماة وحلب وجبل سمعان وعكّار وانحاء تدمر وفي فلسطين وجهات الاردن ومؤاب والجليل وحيفا وشفاعمر وفي جهات ما بين النهرين الى ديار بكر وماردين واورفا وطورعابدين والى العراق والعجم وكويت وجزيرة العرب وشبه جزيرة سينا. ومنها سياحات في افريقية الى مصر والصعيد وتنيس والى طرابلس الغرب ومرَّاكش والى الكاب والى جوهنسبورغ والى الترنسڤال. وافادنا الدكتور عبد الله وعد فوصف وصفاً لطيفاً كل انحاء الحبشة وحاضرتها اديس ابابا والشوا والصومال. ونُشرت سياحات في اوربَّة منها قديمة كرحلة محمَّد علي الى باريس وكسفر المطران اسحاق الشدراوي الى فرنسة والكاهن الكلداني خضر الى رومية. ومنها حديثة كرحل مختلفة الى الاستانة والى رومانية وروسيَّة والى البلقان والى سويسرة والى كوبنهاغ والى جزيرة مالطة. وبعض هذه السياحات كانت الى

اميركا اخصّها اوّل رحلة لاحد الشرقيين اليها في القرن السابع عشر طُبعت على حدة. ثم وردت في اعداد المشرق رحلٌ اخرى الى البرازيل والى غويا كيل

ويضاف الى هذه السياحات عدّة مقالات جغرافيّة في وصف البلاد كالصين ومنشوريا وكورية واليابان وتيبت والفليبين وجزائر اوقيانية فضلًا عن فصول ممتعة عن لبنان وجباله وقراهُ وآثاره وخرائطه

ومن المقالات الادبيّة ما هو اخصّ بالآداب الكتابيّة ونتائج الفكر وثمرة الخيال فانّ المشرق نشر لبعض الكتبة اليسوعيين روايات لطيفة تاريخيّة اخلاقيّة اقبل عليها القرّاء حتى تجدّد طبعها كيسين العلي للاب لويس جلابزت وحبيس بحيرة قدس وخريدة لبنان والشقيقتين للاب لامنس وكالسفر العجب الى ارض الذهب للاب اميل ريفو. وهناك ايضاً روايات اخرى ادبية فكاهيّة كرواية الى الغد وكحلم في بدء العام وساعة شيخ البلد الخ. وألطف منها روايات تمثيليّة متقنة كالبراءكة للمرحوم الاب انطون رباط ورواية ابني وائل للاب شرل ابيلا والغفران للقسّ حنا الرحماني والكاهن للخوري مارون غصن وكالاميرين الاسيرين للخوري يوسف العشيتي

واقرب ايضاً الى الآداب الكتابيّة عدّة مقالات عن تاريخ الآداب العربيّة في الجاهليّة والآداب العربيّة في القرن التاسع عشر وفي الربع الاوّل من القرن العشرين وتاريخ النصرانيّة وآدابها بين عرب الجاهليّة. ومن هذا الباب فصول عديدة في وصف مواسم السنة والاخلاق والعادات القوميّة لاسيما اللبنانيّة في الزواج والولادة والتربية واخلاق الناشئة ومنها الامثال السائرة بين العموم او في بعض الانحاء. وفصول اخرى كُتبت عن عادات العرب خصوصاً كالاسواق في جزيرة العرب وكلعب الميسر والبائنة (الدوّتة) في الزواج وككرمهم في الضيافة

وعُنيت مجلّة المشرق بفنّ الانتقاد فكان اوّل من كتب فيه المرحوم نجيب حبيقة وتبعهُ المرحوم رشيد الشرتوني والامير شكيب ارسلان. وللاب انطون صالحاني عدّة فصول انتقاديّة حسنة وانتقد الاب خليل اده الالياذة. ونشر مؤخرًا الاديب فؤاد افرام البستاني فصولًا انتقاديّة عن الشعر العربي القديم والحديث وعن المتنبي. وقد انتقدنا المطبوعات المصرية المسروقة عن المطبوعات الاوربيّة والمسوخة

واذا عدلنا الى (الشعر) وجدنا منهُ قسماً كبيراً في المشرق ففيه نُشرت دواوين

قديمة كاملة كديوان السموءل وديوان سلامة بن جندل وديوان عمرو بن كلثوم والحارث بن حلزة وقسم كبير من ديوان المتلمس ومن قصائد صالح بن عبد القدوس. وفي المجلة نُشرت اخبار واشعار شعراء النصرانيَّة بعد الاسلام طُبع منها ثلثة اجزاء. امَّا القصائد الفرديَّة فبعضها من الآثار التي كانت اخذتها يدُ الضياع فاسعدنا الحظّ الى وجودها منها للمتنبي ولابن الفارض وللغزّالي ولغيرهم. ومنها ما هو للشعراء المحدثين نخصّ منهم بالذكر حضرة الخوري رفائيل البستاني لهُ منظومات نفيسة في كل المعاني الشريفة الدينيَّة والادبيَّة والسياسيَّة والاجتماعيَّة. ونظم غيرهُ المنظومات الحسنة في ظروف مختلفة كالخوارنة حنا طنوس ومارون غصن ومنصور عوّاد ونقولا ابو هنا والمرحوم يوسف العلم وكالادباء شبلي ملّاط ويوسف غصوب واحمد تقي الدين ويوسف الفاخوري وغيرهم كثيرين

ويجوز ان ننظم في باب الادبيات ما نُشر في المشرق عن المطابع والمكاتب والمخطوطات ففي نحو عشرين مقالة دُوّن تاريخ الطباعة في الشرق في الاستانة اوّلًا ثمّ في قزحيًا في القرن السابع عشر ثم في حلب والشوير في القرن الثامن، تبعها تاريخ المطابع في القرن التاسع عشر في بيروت اوّلًا ثمّ في لبنان وسوريَّة وفلسطين والعراق مع لائحة مطبوعاتها. امَّا المكاتب والمخطوطات فقد جاء وصف كثير منها كمكاتب دمشق وصيدنايا للاديب حبيب زيّات وكمكتبة جرجي بك صفا وكمكتبة دير مار شليطا والمكتبة المارونيَّة في حلب للخوري ابرهيم حرفوش وكمكاتب كسروان للقس انطونيوس شبلي وكمكتبة كليَّة مار يوسف الشرقيَّة. وممَّا يُنظم في المخطوطات وصفنا المخطوطات العربيَّة لكتبة النصرانيَّة في نحو ٣٠٠ صفحة وكذلك وُصفت مخطوطات شتى عثرنا عليها او اكتشفها بعض الاصحاب. وقد نشرنا بعضها في المشرق مثل كتاب المتمّ او كتاب الكتّاب لابن درستويه وكتاب طبقات الامم وغير ذلك

ونختم باب الادبيات بذكر (الآثار التاريخيَّة) التي صدرت في اعدادها متوالياً فكان اوّل ما نُشر في عددها الاوّل الى سنتها الثالثة تباعاً كتاباً فريداً عثرنا على نسخته الوحيدة في مكتبة باريس تاريخ بيروت والامراء بني الغرب ومما تحلّى به جيد المجلة مقالات تاريخيَّة عديدة اسلامية ونصرانيَّة عمومية وخصوصيَّة نخصّ منها بالذكر تاريخ اولياء الله في لبنان وتاريخ الامراء والمشايخ في لبنان وحوادث الشام من

السنة ١٧٨٢ الى ١٨٤١ عن نسخة لندن التي نقلها الاب لويس معلوف وكذلك حوادث السنة ١٨٦٠ لشاهد عياني وتاريخ بعض مشاهير الرجال الاقدمين كملكة تدمر زينب للاب سبستيان رونزفال وكتاريخ ابن العبري وابن التلميذ وبني بختشوع الاطباء ولاسيما تواريخ اعيان لبنان وسورية كالامير بشير الكبير وكالكونت رشيد الدحداح للشيخ سليم الدحداح . وهناك تراجم عديدة لكتبة وشعراء لبنانيين وسوريين وعلماء اوربيين ومستشرقين يطول بنا تعدادهم وينيف عددهم على الخمسين من سائر الطوائف الشرقيَّة والنوابغ الفرنج مثل لويس باستور ولويس ڤوليو وانجلو سكي وشرل فوكو رسول الصحراء

ونُشر في المشرق كثير من الابحاث التاريخيَّة في الماجريَّات الحديثة كتاريخ الحرب الكبرى وكمناعي الحرب وتاريخ الجزيرة العربية ودُوَلها هذا مع فصول سنوية عن احوال الدنيا والدين في معظم دول العالم

ومن هذا الباب ايضاً تاريخ شيع ومبتدعين قضى على بعضهم الدهر وبعضهم لا يزال منهم بقايا كاليزيديين والصبَّة او المندئيين والصُّلَيب للاب انستاس الكرملي وكالنُّوَر والكالَّا في الحبشة وكالتاولة في لبنان وبرديصان وفوتيوس والشيع والبرتستانيَّة والانغليكانيَّة وخصوصاً الشيعة الماسونيَّة التي اثبتنا اصلها وفصلها وغايتها السيئة وخرافاتها ومكرها بمقالات جمَّة

٣ المباحث الفنية

هي الغاية الثالثة المصرَّح بها في صدر المجلة . فمن هذه الفنون الجيولوجية والفلكيَّات والرياضيَّات والطبيعيَّات . فقد بحث في الجيولوجية ومتعلقاتها الاب غودفريد زموفن فكتب عن طور الظرَّان في فينيقية وعن المستحجرات وعن ارتفاع ساحل بيروت . ونُشرت في هذا الباب للاب لامنس وللاديب عبدالله رزق الله شار فصول في الزلازل وآثارها في بلاد الشام وخطَّتها . وكتب الاب كولنجت عن البراكين وعلاقاتها بالزلازل وكتب الاب لوريول عن البوسفور وتركيبه الجيولوجي

ونشر الابوان كولنجت ودي ڤراجيل مقالات في تحريك الانفعال ونشرنا ثلث رسائل في الارغن لبعض اليونان الاقدمين وعن البنكام والمزولة ونشر المرحوم الاب لويس رنزفال رسالة الدكتور مشاقه في الموسيقى مع ملحوظات عديدة

ومما ورد عن الفلكيات تاريخ العلوم الفلكيَّة عند العرب في زمن الخلافة ووصف المراصد الفلكيَّة واثبات اوَّل مكتشف لكلف الشمس ووصف بعض السيارات كالمريخ والزهرة وعن قني المريخ المزعومة وساكنيه وعن الكواكب وتركيبها ومسافاتها الشاسعة وبعدها الغريب عن الارض وعن المذنبات . واوفر منها مقالات علم الهيئة والظواهر الجوّية كالاثير وقوس قزح والصاعقة وحركتها وارضنا واقيسة طولها وعرضها وحجمها ودورانها حول الشمس .

وقد كتب اساتذة كليَّة القديس يوسف فصولاً عديدة عن العلوم الطبيعيَّة وما يتوط بها من المخترعات كالقيمة الحرارة وثقل الهواء والرطوبة وعجائب الكهرباء والتليغراف اللاسلكي ونقل الكتابة الى البعيد وعن التليفون اللاسلكي وعن الطيران واجناس الطيَّارات والمناطيد وعن الفوتغراف اي التصوير الشمسي ونقل الصور الى مسافات بعيدة . ولهم في المشرق مقالات واسعة في الكيميا ومخترعاتها كالراديوم والاجسام المشعَّة وعن بعض العناصر الكيموية كالكربون والفحم الابيض والفحم الاحمر وعن السكر والشمس والجعة ومركبات اخرى

وندرج في باب الفنون ما نُشر في المشرق من المقالات الطبيَّة والصحيَّة فانَّ حضرة الدكتور نيفر الخنب المجلة بمقالات قيمة منها مقالتهُ الممتعة في التغذية السوريَّة (في تسعة اعداد) ومقالتهُ الجميلة في صحة المعاهد المدرسيَّة . وفي الجدري وعلاجه . وتعدَّدت مقالات المرحوم حبيب الدرعوني فكتب في طول الحياة البشرية وفي السلّ وفي الحميراء وفي الصحة العامَّة في بيروت وفي الوقاية وفي توليد الجراثيم المعاكسة للسم . وحرَّر زميلهُ الدكتور فيليب بركات في الموت الفجائي وفي الطاعون وفي الصُّداع والبخر والقبض والسمّن والقيلولة والصوم ازاء الطب وفي العلاج بالكهرباء وبالراديوم . ولزميلهِ المرحوم الياس الحاج مقالات في هذا العلاج ايضاً وفي حمى المستنقعات والميكروبات

وقد استحسن القرَّاء ما كتبهُ الدكتور امين الجميّل عن هبوط الوفيات وفي ما يجب عملهُ في غياب الطبيب . وكذلك مقالات الدكتور كامل الخوري في الخناق والحميراء وفي الكحل وفي السهاد وسببه وعلاجه وفي النقاطات الطبيَّة وفي طنين الآذان . وللدكتور المرحوم نابوليون مارويني مقالات حسنة في اطالة حياة الانسان الى

منة سنة وفي علاج البواصير وفي حبّة بغداد وغير ذلك. وكتب الدكتور سبيريدون ابو روس في البصر وعوارضهِ وفي الكلوروفورم والاثير وفي خطر الكلوروفورم. وللدكتور كونيغ ثلث مقالات في علل البصر في الاطفال

وهناك مقالات غيرها يطول تعدادهـا نخصّ منها بالـذكر ما نشرهُ الاب دي ڤراجيل في اسباب الوقاية وفي الكلَب والاب بوثيه لاپيار في حمّى مالطـة والاب رافائيل نخله في عجائب الجراحة والتطعيم الجراحي والاب المرحوم لويس بولوموا في الطاعون والدكتور توفيق سلهب في المصحّات والدكتور كيغ في الحامض النملي وفي الحلوى وما نشرهُ المعهد الطبي في الهيضة (الكوليرا) والوسائط لعلاجها. والدكتور ملكونيان في وجع المفاصل (الروماتسم) والـدكتور لطف الله لطفي في التيراستينـا والقهار والدكتور نجيب اصفر في العلاج الكهربائي وفي اللبن. ويلحق بهـذا الباب فصول طبيّة نقلها حضرة الاب كولنجت عن الرازي مع ما نقلنـاهُ لغيره ايضـاً عن مخطوطات المكتبة الشرقيّة

فهذه الفصول وغيرها ايضاً اقتصرنا عن ذكرها تشهـد بعناية المشرق في وصفهِ العلل الطبيّة الاكثر انتشاراً في البلاد. وبها ايضاً نختم مقالتنا مكرّرين شكرنا لابي المواهب الصالحة ثمّ لسائر الـذين آزرونا في العمل. مع أملنا بان نجد فيهم اسعافاً في مواصلة العمل ان شاء الله

الآداب العربية

في الربع الاول من القرن العشرين

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

القسم الرابع

البحث الخامس

في ادباء المسلمين حاضراً

لكتبة المسلمين حاضراً فضل لا يُنكر في خدمة للآداب العربية. فانهم مـذ

اخـذوا يحتـكُون بالمتخرّجين على آداب الغرب اتّـمت في اعينهم دائرة الآداب وشُغف كثيرون منهم بمصنَّفات الفرنج فنقلوا جـانباً كبيرًا منها الى العربيَّـة لاسيا الروايات وليست هي افضل كتاباتهم . ثم اخذوا يتقلّدون طرائقهم الكتابيَّـة نثرًا ونظمًا فأغنوا اللغة العربية بكنوز لم يعرفها سلفاؤهم ومشوا في ذلك ادراج النصارى ولعلّهم سبقوهم في بعض الموضوعات وان كان رقيُّهم لا يزال قصورًا في بعض البلاد القريبة لا تُرى نتيجتهُ في البلاد القاصية كاميركة حيث السهم الفائز هو للنصـارى وحدهم

ومن ثمَّ بعد ذكرنا لادباء النصارى لا نرى بُدًّا من ذكر ادباء المسلمين . وهنا ايضاً نقرّ بعجزنا عن استيفاء حقوق جميعهم اذ لم نطّلع على كثير من تآليفهم فنذكر مـا يحضرنا من اسمائهم مع ابداء اسفنا على جهلنا لسواهم

١ً شعراء المسلمون حاضرًا

الشعراء المسلمون (في الشام) حاضرًا ﴿ارسلان﴾ الامير شكيب لهُ باكورة نظم شكيب طُبع سنة ١٨٨٧ . ﴿امين﴾ تقي الدين لهُ منظومات متفرّقـة . ﴿امين بك﴾ ناصر الدين المولود سنة ١٢٩٨هـ نشر ديوان صدى الخواطر في اعبيه سنـة ١٩١٣ . ﴿البزم﴾ محمد احد شعراء دمشق حاضرًا . ﴿جبري﴾ شفيق المولود سنة ١٨٩٥ نُشرت لهُ قصائد في مجلة الحرية وغيرها (اطلب Mitt. d. Sem. f. arab. Sprache XXVIII. 1925, pp. 249-257) . ﴿الحسامي﴾ علي عبدالله هو احد شعراء الدستور . ﴿الحموي﴾ محمّد الحسين . هو صاحب ديوان الحمويّات . ﴿الحوماني﴾ ذكرنا مؤخّرًا ديوانهُ الجديد المطبوع في صيـدا . ﴿الخطيب﴾ فؤاد المولود سنـة ١٣٠٢ . رُويت لهُ عدّة قصائد في المجموعات الادبيَّة . ﴿الرافعي﴾ مصطفى صادق الطرابلسي نشر ديوانهُ في مصر سنة ١٣٢٠ . ﴿رمضان﴾ مصباح هو معـدود بين شعراء العصر . ﴿زغيب﴾ علي التقيّ هو احد شعراء الدستور الذين روينا منظوماتهم . ﴿سعيد﴾ اياس محمّد البيروتي نظم ارجوزة في الصحة سنـة ١٣٣٥ . ﴿شبيب باشا﴾ الاسعد العاملي معدود بين شعراء العصر . ﴿شريف﴾ حكمت احد شعراء الدستور . ﴿شريف﴾ كمال نشر في بيروت سنة ١٣٠٩ وسيـلة التكرك في نظم

السلوك . ﴿شعيب﴾ محمّد كامل العاملي لهُ الحماسيّات في النهضة العربيّة . ﴿شهبندر﴾ الدكتور عبد الرحمان زعيم ثورة حوران نُشرت لهُ قصائد في المجلة الالمانيّة (Mitt. d. Sem. f. arab. Sprache, XXVIII, 271) . ﴿ظاهر﴾ سليمان تروى لهُ قصائد حسنة كسوريّة وشكواها ونظرة في النجوم والحرب والسلم . ﴿عبد العزيز﴾ علي ابرهيم لهُ ديوان شعر وهو صاحب حدائق الادب . ﴿عُبَيد﴾ احمد روت المجلة الالمانية المذكورة شيئاً من شعره (Mitt. XXVIII, 277) . ﴿العظم﴾ جميل بك نشر في البصائر وغيرها نبذاً من شعره . ﴿عويضة﴾ الشيخ عبد الكريم يدعى شاعر طرابلس . ﴿الغلاييني﴾ الشيخ مصطفى نشر ديوانهُ في حيفا سنة ١٩٢٥ . ﴿فرحات﴾ من شعراء الشيعة طُبعت رباعياتهُ في سان باولو . ﴿القصّار﴾ بشير الطبيب مدير الكليّة الاسلاميّة شاعر معتبر ومثلهُ ﴿قليلات﴾ عبد الرحيم بك . ﴿قيرواني﴾ صالح سويسي من آثاره الشعريّة زفرات الضمير . ﴿محسن﴾ الحسيني العاملي نشر في دمشق سنة ١٣٣٢ الرحيق المختوم في المنثور والمنظوم . ﴿مردم بك﴾ خليل نشر في دمشق منظومات شتى (راجع ايضاً Mitt. d. Sem. f. arab. Sprache. XXVIII, 262-271) . ﴿ياسين﴾ محمّد شاكر من شعراء الدستور . ﴿اليعقوبي﴾ الشيخ سليم ابو الاقبال لهُ ديوان حسنات اليراع مدح فيهِ اعيان بيروت

وليس شعراء (مصر) اقلّ عدداً . منهم ﴿ابو شادي﴾ محمّد زكي ذكرنا كثيراً من منظوماتهِ في الشرق كفخرة رشيد ووطن الفراعنة ومنها وذكرى شكسبير وسعد والمفتاة احسان . ﴿البكري﴾ توفيق نشر اراجيز العرب وعدداً وافراً من القصائد التي لم تُجمع في ديوان . ﴿توفيق﴾ علي محمّد المولود سنة ١٨٨٧ معدود بين شعراء مصر ومثلهُ ﴿الجزيري﴾ محمّد ابرهيم المولود سنة ١٨٩٥ . ﴿الحافظ﴾ محمد ابراهيم من كبار شعراء قطر النيل . تكرّر طبع ديوانهِ في ثلثة اجزاء . ﴿حمدي﴾ حسن بك يُحمَد شعرهُ ومثلهُ . ﴿حودي﴾ توفيق بك المولود سنة ١٢٩٩هـ . ﴿الحموي﴾ محمّد حسن المصري هو صاحب ديوان الحمويّات المطبوع في مصر سنة ١٣٢٥هـ . ﴿الرافعي﴾ عبد الحميد بك صاحب الافلاذ الزبرجديّة ويروى شعرهُ في المنتخبات الادبيّة كالزهور وآداب المصر . وكذلك ﴿رامي﴾ احمد المولود سنة ١٨٩٢ . ﴿رمزي﴾ ابرهيم مولود المنصورة سنة ١٨٨٤ يتناقل الادباء شعرهُ . ﴿الزركلي﴾

خير الدين طُبع ديوانهُ منذ عهد قريب. ﴿زكي﴾ الدكتور احمد . من نظمهِ ديوان الوجدان ونفحات في شعر الغناء. ﴿الزناتي﴾ الشيخ عثمان منظوم بين شعراء مصر فيروى شعره في مجاميعهم. ﴿شكري﴾ عبد الرحمان المولود سنة ١٨٨٦ لهُ ديوان ازهار الخريف ودواوين غيرها . ﴿شكري﴾ محمود عدَّهُ الكاشف بين شعراء العصر. ﴿شوقي﴾ احمد المولود سنة ١٨٦٨ هو امير شعراء مصر. ديوانهُ الشوقيات احسن دليل مقدرتهِ ونبوغهِ. ﴿صبري﴾ اسمعيل المولود سنة ١٨٦١ منظوم في كتب الادباء بين على شعراء مصر المفلقين. ﴿طه حسين﴾ نشر كتابهُ الشعر التمثيلي سنة ١٩٢٠. ﴿طه محمَّد﴾ لهُ آثار شعرية متفرقة. ﴿عاصم﴾ اسماعيل بك يُنظم ايضاً في عداد شعراء العصر ومثلهُ ﴿العبد﴾ الشيخ سليمان. ﴿العقَّاد﴾ عبَّاس محمود المولود سنة ١٨٨٥ هو اليوم احد زعماء الكتابة نظماً ونثراً بين المصريين ويمتاز بحسن ذوقهِ وصحة انتقاده . ﴿عليّ﴾ محمَّد توفيق و﴿عماد﴾ محمود و﴿فاضل﴾ الاميرآلاي محمَّد بك يتعاطون الشعر لهم فيهِ نفحات طيبة يشيد بحسنها العارفون. ﴿القاياتي﴾ حسن المولود سنة ١٣٠٠ه طُبع ديوانهُ في مصر سنة ١٩١٠. ﴿الكاشف﴾ احمد بن ذي الفقار ولد سنة ١٢٩٥ه وهو من الشعراء المعدودين. لهُ ديوان في جزئين طُبع سنة ١٣٣٠. ﴿المازني﴾ ابراهيم عبد القادر هو ايضاً شاعر مجيد وديوانهُ في جزئين كذلك طبع سنة ١٩٠٧. ﴿محرَّم﴾ احمد المولود سنة ١٨٧٧ يتناقل الرواة شعرهُ لرقتهِ وانسجامهِ. ﴿نسيم﴾ احمد المولود سنة ١٨٧٨. طُبع ديوانهُ سنة ١٣٠٨ فاقبل الادباء على مطالعتهِ لجودة قريحة ناظمهِ. ﴿نور بك﴾ مصطفى المولود سنة ١٨٨٣ نقل الى العربيَّة بعض شعر الغربيين فنظمهُ وهو مترجم غناء المرسلياز. ﴿الهراوي﴾ احمد ولد سنة ١٨٩٥ وينظم اسمهُ في عداد الشعراء العصريين في القطر المصري. ﴿واصف﴾ محمَّد امين روت له مجلة الحرية عدَّة منظومات. ﴿واصف﴾ محمود هو ايضاً ممَّن نظمهُ الكاشف في جملة الشعراء المفلقين. ونضيف الى شعراء مصر ﴿مصطفى﴾ آغا التونسي الذي نُشر ديوانهُ في تونس سنة ١٣٢٩ه . و﴿الجرجاوي﴾ ثابت فرج صاحب ديوان طُبع في طرابلس الغرب (١٣٣٠)

وان اردنا النظر الى العراق وجدنا للشعر بين اهلهِ سوقاً نافقة وقد احتلَّ بعضهم ربوع الشام كضيوف كرماء وهذه اسماء الذين وقفنا عليهم. ﴿الازدي﴾ عبد الحسين

روى لهُ رفائيل بطي في كتابه الشعر العراقي(٢ : ٥١ــ٧٢)عدّة قصائد حسنة وكذا فعل ﴿للبصير﴾ محمّد المهدي (٢ : ٩٣ــ١٢٠) . ﴿جعفر﴾ السيد الحلي النجفي طُبع في صيداء سنة ١٣٣١ ديوانهُ سحر بابل وسجع البلابل . ﴿الجواهري﴾ الشيخ محمّد ذكرت ايضاً قصائدهُ مع شعراء العراق ومثلهُ ﴿الجوهر﴾ عبد العزيز (٢ : ١٦٤ــ١٧٨) . ﴿حبوبي﴾ السيّد محمّد النجفي طُبع ديوانهُ في صيداء سنة ١٩١٣ . ﴿الدجيلي﴾ كاظم من مشاهير الشعراء في العراق ولد سنة ١٨٨٢ . ونُشرت قصائدهُ في الشعر العراقي(١٨٧ــ٢٢٢)وفي كتاب شعراء العصر وفي لغة العرب . ﴿الرصافي﴾ معروف الشاعر المقلق المولود سنة ١٨٧٥ . طُبع ديوانهُ سنة ١٩١٠ وقد خصصنا لهُ فصلًا في المشرق . ﴿الزهاوي﴾ جميل صدقي البغدادي . طُبع ديوانهُ في بيروت سنة ١٣٢٧ تحت اسم الكلم المنظوم ولهُ منظومات شتى طُبعت في المجلّات وفي المجاميع الادبيّة وقسم منها يُشعر بالزندقة والمذهب المادّي . ﴿السماوي﴾ محمّد المولود سنة ١٨٧٥ نظمهُ البطي في جملة شعراء العراق(٢ : ١٥١ــ١٦٤) . ﴿الشبيبي﴾ باقر روى لهُ البطي قصائد في الشعر العراقي (٢ : ٣٥٠ــ٤٢٠) . ﴿الشبيبي﴾ جواد ذُكر شعرهُ في العراقيات(١٢٠ــ١٣٧) . ﴿الشبيبي﴾ محمد رضا مولود النجف سنة ١٣٠٦هـ . روى كثيرون نخباً من شعره كاصحاب مختارات الزهور (ع ١٩) والعراق العربي (١١٣ــ١٢٩) وآداب العصر (٢٥١) . ﴿الشرقي﴾ علي معدود بين شعراء العراق (٢ : ٥ــ٦) . ﴿العبادي﴾ محمد عبد القادر البغدادي . روينا لهُ شعرهُ مع شعراء الدستور (٢ : ١٦٤٠) . ﴿العبيدي﴾ محمد حبيب المولود سنة ١٢٩٦هـ روى البطي شعرهُ في القسم العراقي (١٢٩ــ ١٦٠) ونشر في ايام الحرب في بيروت قصائد في مديح جمال باشا والاتراك . ﴿الكاظمي﴾ الشيخ عبد المحسن المولود سنة ١٢٨٦ . روى صاحب العراقيات قسماً صالحاً من شعره (١٧٩ ــ ١٩٨) وكذلك صاحب شعراء العصر (٢ : ٥٠ــ٨٠) . ﴿محمد الحسين﴾ من آل كاشف الغطاء من شعراء العراق المذكورين في الشعر العراقي (٢ : ٧٣ــ٩٢) . ومثلهُ ﴿محمد حسن﴾ ابو المحاسن(٢ : ١٣١ــ١٥١) . ﴿النجفي﴾ الشيخ عباس الملّاعلي . منظوماتهُ في الشعر العراقي (٢ : ١٧ــ٥٠) . ﴿الهنداوي﴾ خيري مولود سنة ١٨٨٥ لهُ شهرة بين شعراء العراق (البطي : القسم العراقي ١٦١ــ١٨٦)

٢ الكتبة والصحافيون

نذكرهم على ترتيب حروف المعجم : ﴿ابو شادي﴾ احمد زكي من تآليفهِ عبده بك وانهاض تربية النحل وقطرة من يراع . ﴿اباظه﴾ ابراهيم دسوقي نشر في مصر سنة ١٩٠٦ حديقة الادب . ﴿ابراهيم﴾ حافظ لهُ كتاب في التربية الاوَّليـة في جزئين . واليالي سطيح . ﴿ابراهيم﴾ عبد الخالق ألف خلاصة ادب اللغة (١٩٠٨) . ﴿الاثري﴾ محمد بهجت نشر كتاب اعلام العراق وصحَّح كتاب تاريخ نجـد لمحمود شكري الالوسي . ﴿احمد﴾ ابراهيم لهُ ادبيَّات اللغة العربيَّة . ﴿اديب﴾ مصطفى نشر في بيروت الحملة اليابانيَّة (١٣٣٠) . ﴿ارسلان﴾ الامير امين كتب في حقوق الملل ومعاهدات الدول (١٩٠٠) ولهُ المرأة وتأثيرها في الهيئة الاجتماعيَّة . ﴿ارسلان﴾ الامير شكيب نشر الـدرَّة اليتيمة لابن المقفَّع وعرَّب رواية آخر بني سراج وكتـاب اناتول فرنس وباذلهِ لجان جاك برسون . ﴿ارناؤوط﴾ معروف من قلمهِ فردوس المعرّي وتاريخ الحرب في طرابلس الغرب (١٣٣٠) والجاسوس الياباني وادرنة في النار ورواية الجريمة السرية . ﴿الازهري القلوضي﴾ عمر نور الدين لهُ النفحة الملوكيَّـة في احوال الأمَّة العربيَّـة الجاهليَّة . ﴿الاسكندراني﴾ عبد القادر الكيلاني . طبع في دمشق تنبيه اليقظان وايقاظ الوسنان وتحفة الاخوان (١٣٤٢) . ﴿اسماعيـل﴾ عمر علي نشر في بيروت مناهج الكمال في اسس الجدال . ﴿الاصمعي﴾ محمَّد عبد الجواد لهُ كتاب في الآداب العربيَّة وتعريب آثار جمال الدين وقلعـة محمد علي لا قلعـة نابوليون . ﴿امين﴾ سعيد هو منشئ مجلة الشرق الادنى . ﴿الانسي﴾ عبد البـاسط . لهُ كتاب البسط الوافر في حساب التاجر وابـدع الاساليب في انشاء الرسائل والمكاتيب وهداية السائل الى انشاء الرسائل . ﴿الانسي﴾ محمد ابو الخير نشر سنة ١٩٠٧ مطالع البدور الى محاسن ربَّات الخدور

﴿باقر﴾ محمد صاحب البلاغ لهُ الرحلة العلميَّة الى الاستانة . ﴿البرغوتي﴾ عمر صالح نشر مع خليل طوطح تاريخ فلسطين سنة ١٩٢٦ . ﴿البرقوقي﴾ عبد الرحمان هو محرّر البيان المصري . ﴿البكري﴾ توفيق ألف كتاب فحول البلاغة ومستقبـل الاسلام وصهاريج اللؤلؤ . ﴿تقي الدين اسعد﴾ ألف رواية لولا المحامي . ﴿تيمور﴾ احمد باشا لهُ اصلاحات على معجم لسان العرب ومنشورات ادبيَّة . ﴿تيمور﴾ محمود من

تآليفهِ الشيخ سعد العبيط ومحمّد وميض الروح وحالتنا التمثيليّة . ﴿حافظ بك﴾ محمّد ابراهيم معرّب البؤساء لفكتور هوغو . ﴿حسني﴾ عطا بك المولود سنة ١٢٩٨ اشتغل بالصحافة ونشر بعض التآليف الادبيّة . ﴿الحسيني﴾ السيّد احمد بك ألّف كتاب اشهر مشاهير الاسلام . ﴿حمزة﴾ عبد القادر محرّر جريدة البلاغ المصريّة . ﴿حمّاد﴾ صالح بك حمدي ذكر لهُ في مرآة العصر (٢ : ٢٨٥) تآليف ادبيّة . ﴿الخطيب﴾ محبّ الدين صاحب جريدة الزهراء من آثار قلمهِ الازهر ماضيهِ وحاضرهِ واتجاه الموجات البشريّة من جزيرة العرب ومنشورات شتى لقدماء الكتبة ﴿الرافعي﴾ امين منشئ جريدة الاخبار في مصر . ﴿الرافعي﴾ توفيق من آثاره ما وراء البحار والنبوغ العربي في العالم الجديد ﴿الرافعي﴾ عبد الرحمان لهُ الجمعيّات الوطنيّة وتاريخ النهضات القوميّة . ﴿الرافعي﴾ مصطفى صادق لهُ المعركة بين القديم والحديث . ﴿رضا﴾ احمد نشر رسالة في الخطّ ١٩٠٤ وطبع مع ظاهر سليمان وزين عارف العراقيّات . ﴿رضا﴾ محمّد رشيد صاحب المنار . لهُ آثار دينية وادبية عديدة اخصها تاريخ الاستاذ محمّد عبده . ﴿رضا﴾ محيي الدين نشر بلاغة العرب في القرن العشرين . ﴿رمضان﴾ عارف ألّف مجموعة القوانين المعمول بها في جميع البلاد المنسلخة عن المملكة العثمانيّة (١٩٢٤)

﴿الزركلي﴾ خير الدين هو مؤلف الاعلام في مشاهير الرجال والنساء . وعاملان في عُمان . ﴿زكي باشا﴾ احمد المولود سنة ١٨٦٦ من آثارهِ الدنيا في باريس وقاموس الجغرافيّة القديمة عربي وفرنساوي وكتاب الحضارة الاسلاميّة والرقّ في الاسلام ونشر كتاب التاج للجاحظ والاصنام لابن الكلبي وعرّب نتائج الافهام في تقدّم العرب قبل الاسلام وتاريخ ماسبيرو في الامم الشرقيّة القديمة . ﴿زكي﴾ حسين لهُ مختصر في تاريخ الامم الشرقيّة (١٩٢٦) . ﴿زكي﴾ صالح لهُ دروس الاشياء ومبادئ العلوم في ٤ اجزاء . ﴿زكي﴾ مبارك نشر كتاب الاخلاق في الغزالي . ﴿زكي الدين احمد﴾ من تآليفهِ تنوير الاذهان والمكاتبات المصرية في المراسلات العربيّة والكتّاب الثلثة وليّ الدين يكن والمنفلوطي والعقاد . ﴿الزهاوي﴾ جميل صدقي لهُ محاضرة في الشعر . ﴿زين﴾ محمّد عارف صاحب العرفان لهُ تاريخ الشيعة (١٩١٢) وتاريخ صيداء والحبّ الشريف

﴿الساعاتي﴾ فوزي لهُ كتاب كنز البراهين . ﴿سني بك﴾ عبد الغني نشر كتاباً في حادثة بيروت وكتب في ضعف الاعتقاد في ناشئة المدارس . ﴿شنبور﴾ رأفت شفيق لهُ تأليف في جمعية الامم والانتدابات . ﴿صبحي﴾ محمد لهُ شعر الوجدان من نظم الدكتور ابي شادي . ﴿صبري﴾ محمد لهُ كتاب ادب وتاريخ . ﴿طبّاره﴾ راشد ألف الانتداب وروح السياسة الانكليزية . ﴿طه حسين﴾ من تآليفهِ حديث الاربعاء وقادة الفكر والنظام اللاتيني وذكرى ابي علاء المعرّي والواجب وفلسفة ابن خلدون والادب الجاهلي وقصص تمثيلية من اشهر الكتّاب الفرنسويين وعرّب كتاب لوبون روح التربية

﴿عبده﴾ حسين لهُ المرأة الحديثة وكيف نسوسها . ﴿عبد الحميد بك﴾ الدكتور محمد لهُ كتاب التعليم والصحّة . ﴿عبد الرزّاق﴾ شاع امر كتابهِ في الخلافة . ﴿عبد اللطيف﴾ بك محرّر جريدة الأمّة في الاسكندرية . ﴿عبد الوهّاب﴾ علي منشئ الاخبار في الاسكندريّة . ﴿عتّاد﴾ سليم ألف تاريخ حرب البلقان في ثلثة اجزاء ومركز المرأة في قانون حمورابي والقانون الموسوي . ﴿عتّاد﴾ عبّاس محمود من آثارهِ الفصول مجموع مقالات ادبيّة (١٩٢٢) ومراجعات في الادب والفنون ومجمع الحياة ومطالعات في الكتب والحياة . ﴿عنان﴾ نشر تاريخ الجمعيّات السرّية . ﴿علي افندي السيّد﴾ هو منشئ النظام في مصر . ﴿العيناتي﴾ محمود احمد هو صاحب مجلة الكشّاف

﴿فكري﴾ امين لهُ التربية الاجتماعيّة . ﴿عوّاد﴾ محمد حافظ بك محرّر كوكب الشرق في مصر . ﴿فهم قنديل﴾ منشئ جريدة عوّاد فيها . ﴿القباني﴾ عبد القادر تولى زمناً طويلاً انشاء ثمرات الفنون البيروتيّة . ﴿كرد علي﴾ السيّد محمد مدير مجلة المجمع العلمي في دمشق نشر سابقاً مجلة المقتبس ومجموعة رسائل بليغة ورحلتهُ الى اوربّة . وظهرت اربعة اجزاء من كتابهِ خطط الشام . ﴿كلزي﴾ محمد محرّر جريدة وادي النيل في الاسكندريّة . ﴿المازني﴾ ابراهيم عبد القادر ذكرنا لهُ في هذا العدد حصاد الهشيم . ﴿محمد عبدالله بك﴾ المحامي . نشر قضايا التاريخ الكبرى والسرطان واعراضهُ وصلاحهُ والوقاية منهُ . ﴿مخلص﴾ عبدالله . نشر كتاب الوزارة الى من نال الوزارة مع ذيلهِ ولهُ النرجس وما قيل فيهِ . ﴿مردم بك﴾ خليل نشر شعراء

الشام في القرن الثالث . ﴿مسعود﴾ محمّد انشأ جريدة المنبر في مصر . ﴿مظهر بك﴾ منشئ مجلة العصور ألّف كتاب نزهة الفكر الاوربّي وماهيّة التاريخ واصل الانواع وملقى السبيل في مذهب النشوء والارتقاء وتطوّر الفكر العربي بالترجمة والنقل عن اليونان . ﴿المغربي﴾ عبد القادر لهُ كتاب الاشتقاق والتعريب وكتاب البنيات والاجتماع والادب والتاريخ . ﴿نصّار﴾ محمّد ألّف ادبيّات اللغة العربيّة . ﴿النصولي﴾ انيس زكريّا ألّف الدولة الامويّة في قرطبة وتاريخ الدولة الامويّة في الشام واسباب النهضة العربيّة في القرن التاسع عشر . ﴿نظيف﴾ نشر مؤخرًا علم الطبيعة نشوءهُ ورقيّهُ وتقدّمهُ الحديث . ﴿هيكل﴾ محمد بك حسين . من تآليفهِ : في اوقات الفراغ وعشرة ايام في السودان (لهُ تابع)

مطبوعات شرقية جديدة

E. Klauber - C. Lehmann - Haupt : GESCHICHTE DES ALTEN ORIENTS : 3te Aufl. [= Welt-Geschichte herausg. v. L. M. Hartmann, I], 1925, *XVII*-246 *pp.* 8°, *Gotha*, *F.A. Perthes*

تاريخ الشرق القديم

هذه طبعة ثالثة للتاريخ المختصر الذي ألّفهُ ونشرهُ السنة ١٩١٩ في الشرق القديم الاستاذ كلاوبر فاعاد فيهِ النظر المؤرخ لهمان هوبت مدير مجلّة كليو (Klio) الشهيرة فاخرجهُ على صورة جديدة وهذا التاريخ هو من جملة مجموع عنوانهُ «تاريخ العالم» الذي غايتهُ افادة العموم ولاسيما مدارس التعليم الثانوي كتتمّة لما يتداولونهُ من الكتب المدرسيّة وهو يتناول مجمل التاريخ منذ اصولهِ الى ايامنا وسيبلغ كما يظهر من ثلثة عشر الى اربعة عشر مجلّدًا وقد ظهر منهُ عدّة اجزاء . وما يقال اجمالًا عن الكتاب الذي نحن بصددهِ ان الاستاذ لهمان هوبت كان اولى من سواه لمراجعة هذا التاريخ واصلاحهِ ليس فقط لمعرفتهِ التامّة بتآليف اليونان واللاتين لكنهُ يتقن ايضاً درس الكتابات المسماريّة وهو الذي فاق على غيرهِ بدرس تاريخ قدماء الارمن ووصف بلادهم . فان كانت بقيّة تآليف المجموع المذكور شبيهة بهذا التاريخ فلا خلاف في عظم رواجها ونجاحها . على اننا لا نستطيع هنا ان ننتقد بعض آراء المؤلف الخاصّة

فن ذلك مذهبهُ في التاريخ المصري فيجعل عهد منشئ الملكة المصرية مينيس في السنة ٤٢٣٦ قبل المسيح وهو بذلك يخالف العلامة ادوار ماير الذي عين لهُ سنة ٣٤٠٠ س. ر

Sir J. G. Frazer: The Worship of Nature I, 672 *pp.*,8°, *London, Macmillan et C°*,1926 *Prix* 25*fr*.

عبادة الطبيعة

هذا مفتتح بعض منشورات غايتها تعريف عبادة الطبيعة وهو يحتوي المحاضرات التي القاها المؤلف في جامعة ادنبورغ في السنتين ١٩٢٤ و١٩٢٥ تحت عنوان محاضرات جيفورد (Gifford Lectures) . السير فرازر اكتسب شهرة ذائعة بما نشرهُ عن الاديان وخصوصاً في كتابهِ المدعو بالغصن الذهبي (Le rameau d'or) وهو لا يزال يواصل دروسهُ بهذا المعنى. ولما كانت محاضرات جيفورد ترمي خصوصاً الى درس الاديان من حيث هي طبيعيةٌ صرفاً فاتخذ المؤلف كموضوع درسهِ عبادة السماء والارض والشمس بين الامم المختلفة القديمة والحديثة المنبثَّة في انحاء المعمور. وقد وجدنا كلامهُ في كلّ ذلك واضحاً ذا معلومات كافية ونتائج مقنعة وكذلك قد احسن في انتقاء الاسانيد التي اعتمدها لعملهِ والتي يتمكن القرّاء من نظر لائحتها ان يتخصَّصوا اذا شاؤوا لدرس هذه المسائل. على اننا تعجبنا من سكوت المؤلف عن عبادة الطبيعة بين الحثيين بعد الاكتشافات التي بيّنت كثيراً من امورهم المجهولة. فلا يصعب ذكر شيء ولو ملخَّصاً عن اديانهم. كذلك ايضاحات المؤلف عن اديان السوريين والفونيقيين ليست بمستوفية ولا تتناول إلّا اعصار الوثنيَّة القريبة العهد. لكن المؤلف قد اعلن بنشرهِ قريباً تأليفاً يعود فيهِ الى عبادة الشمس فننتظر صدوره لنبرز حكماً عادلاً في مجموعة العمل. هذا ثم نهنئ محلّ مكميلّان وشركائهِ الذين اتقنوا طبع هذا الكتاب اتقاناً تامّاً كألوف عادتهم وانّما الكتاب في حاجة ماسَّة الى فهارس فاملنا ان لا يسهو عنها المؤلف في المجلد الثاني س. ر

R. Dussaud: Autour des Inscriptions de Glozel. 57 *pp.* *in*-16, 1927, *Paris, A. Colin.*

لا شك انَّ معظم قرّائنا الوطنيين يجهلون ما تبحث فيهِ هذا الكرّاسة. فدونك الامر يوجيز الكلام. قريباً من ثيثي على مسافة عشرين كيلومتراً من جنوبها الشرقي توجد مزرعة صغيرة اسمها غلوزل فهناك ارض خاصَّة عائلة فرادين (Fradin) كشفوا بحفرها منذ شهر آذار سنة ١٩٢٤ مجموعاً من المصنوعات الراقية الى الازمنة السابقة

التاريخ وبينها صفائح خزفيّة وغيرها موسومة بكتابات شبيهة بالكتابة اليونانيّة القديمة ولاسيما بالكتابة الفينيقية. ففي شهر نيسان ١٩٢٥ اشترك الدكتور مورله (Dr Morlet) الطبيب المستشار في ڤيشي مع العائلة فرادين ليواصلوا معاً حفرياتهم. واخذ من ثمّ الدكتور مذ ذاك الحين على نفسهِ ان يبيّن انّ الكتابات الموسومة على الصفائح ترقى الى الطور الحجري المستحدث (néolithique) الذي وُجدت الكتابات معهُ. وعليهِ زعم انّ الكتابة الهجائيّة سبقت في فرنسة الوفاً من السنين الكتابة الفينيقيّة. فالفتَ هذا الحادث الغريب نظر العلماء وكان اوّل من صدّق على مزاعم الدكتور مورله العلّامة سالومون ريناخ بينما كان غيرهُ كالمسيو كميل جوليان صاحب تاريخ فرنسة القديم يسعى في اثبات كون الصفائح المذكورة كانت مكتوبة بلهجة لاتينيّة بربريّة من العهد الروماني المستحدث وانّ كاتبتها امرأة ساحرة. فاخذ العلماء من اثريّين وجيولوجيين ومستشرقين يتقاطرون من فرنسة ومن الخارج الى غلوزل ليعاينوا هذه العاديّات الجديدة ويحضروا حفريّاتها. فكانت آرازهم فيها متباينة وثارت بسببها الاهواء وصدرت في شأنها مقالات الجرائد والمجلّات الى ان قام العلّامة رينه دوسو احد اعضاء معهد العلوم في فرنسة وكان تتبّع كلّ هذه المنازعات فتوسّط في الامر وبيّن في جلسة سريّة عقدتها لجنة مكتب المكاتبات والفنون انّ الكتابات المزعومة تقليدات حديثة غير متقنة لكتابات فينيقية نُقلت عن بعض المنشورات المعروفة. فهذه النتائج لم تلبث ان شاعت فجرى بسببها نزاع عنيف في الجرائد المختلفة بينهُ وبين سالومون ريناخ والدكتور مورله دام من شهر حزيران الى تشرين من السنة الحاضرة. فالكرّاسة التي نحن في صددها تحتوي تفاصيل هذه المسئلة بقلم المسيو دوسو. فقد جدّنا ما اثبتهُ بخصوص الكتابات. فانهُ من المستحيل انّ رجلاً ذا فهم وادراك يمكنهُ ان ينسب الى برابرة عاشوا في طور الظرّان اختراع كتابة اشتقّت منها بعد الوف من السنين الكتابة الفينيقيّة س. ر

F. Dvornik : 1°) La vie de St Grégoire le Décapolite et les Slaves macédoniens au IXe s. 2°) Les Slaves, Byzance et Rome au IXe s. (*Travaux publiés par l'Institut d'études slaves*), *in*-8°, 1926, *Paris, Libr. A. Champion.*

ترجمة القديس غريغوريوس الديكابولي والصقالبة - الصقالبة وبوزنطية وروميّة في القرن التاسع

مؤلف هذين الكتابين من الاختصاصيين بدرس الصقالبة وآثارهم. ففي كتابهِ

(الاوّل) نشر ترجمة احد القدّيسين الذين اختلطوا في القرن التاسع بالصقالبة فروى الترجمة باصلها اليوناني وذيّلها بالملحوظات العديدة وزيّنها بنصّين فريدين عن الصقالبة لم ينشرهما احد قبلهُ . والكتاب (الثاني) اوسع مادّةً واعمّ فائدة مدارهُ على العلاقات بين الصقالبة وبين بوزنطية ورومية في القرن التاسع اضاف فيهِ معلومات جديدة على ما كتبهُ في هذا الصدد المسيو ليب (B. Leib) وقد ساعدهُ على وجود هذه الآثار المنسيّة معرفتهُ باللغة الصقالبيّة فوجد بين مخطوطات تلك اللغة فوائد جمة عن رسالة البوزنطيين لتبشير الصقالبة بالدين المسيحي ولاسيما الرسولين الكبيرين القديسين كيرلس وميثوديوس وما لقياها في سبيلها من العقبات خصوصاً في امر الليتورجية الصقالبيّة بين البلغار . فما يسعنا إلّا ان نهنئ الكاتب على عملهِ وان نحثّهُ على مواصلة دروسهِ هذه الممتعة . ويا ليتهُ يُفرد كتاباً خاصاً بتاريخ الرسالات البوزنطيّة لتبشير الامم الوثنية فهو عملٌ يأتي في حينهِ ج.ل

Dom Henri Leclercq: St JÉRÔME. 1 vol. in-12, 176 pp., Louvain, Em. Warny, Prix 12, f, 50

القديس ايرونيموس

قد امتاز القديس ايرونيموس بمزايا فريدة استحقّ بها ان يُنظم بين كبار الرجال وكبار القديسين معاً . فانّ ما خلّفهُ من التآليف الجليلة لا يزال موضوع اعجاب ارباب الدين وعلماء الدنيا . لكنّ في حياتهِ وفي بعض كتاباتهِ ما يدلّ على خشونة طبع وفظاظة فكان اذا ردّ على خصم تجاوز الحدّ فانّهُ يضرب ضربات أليمة لا تبقي ولا تذر . وقد خصّ حضرة الاب البندكتي الشهير دون لوكلرك هذا الكتاب ليصوّر فيهِ القديس ايرونيموس في حقيقة وجدانهِ ذاكرًا حسناتهِ ومعايبهُ ليعرف القرّاء انّ القديسين وان بلغوا الى قمّة القداسة لا يزالون بشرًا تشوبهم بعض نقائص البشريّة ل.ش

Jelinck (H.) : Etudes tchécoslovaques. 1 *vol. in-12, Paris, Ed. Bossard*: 1927., *Prix* 15 *f*

دروس تشيكوسلوفاكيّة

هذه الدروس ابحاث شتى نُشرت تباعاً في المجلّات الخاصة لتعريف البلاد التشيكوسلوفاكية فقد راجعناها ووجدنا بينها الغثّ والسمين . وممّا لم نوافق عليهِ المؤلف درسهُ عن المبتدع جان هوس وزمانهِ فانّ الكاتب يعتبرهُ ويعتبر عصرهُ كعصر وطنهِ الذهبي وكلّ يعلم ما اصاب تلك البلاد من النكبات والانحطاط اذ تبعت ذلك

الكاهن المتمرّد على ارباب كنيسته . فترى انّ تعصّب المؤلف قد حاد به عن جادّة الحق

Heuzey (Léon): Excursion dans la Thessalie turque en 1858.(*Collection de l'Institut néo-hellénique, fasc.* 5) *Paris, Soc. d'Ed. « Les Belles-Lettres,»* 1927

جولة في ولاية تسالية التركيّة سنة ١٨٥٨

توفي صاحب هذا الكتاب بعد ختامه له سنة ١٩١٨ فتولى نشره في هذه السنة حفيدهُ . وهذا التأليف يجلي في عين القرّاء احوال احدى الولايات الواقعة سنة ١٨٥٨ في حكم الاتراك فوصفها كما كانت في ذلك العهد قبل ان تضطرّ الدول الغربيّة سلطانَ الاتراك الى التخلي عنها . وقد اتّسع المؤلف في ذكر الاديرة اليونانيّة التي زارها وما لقي في مكاتبها من الآثار الخطيرة الخاصة بالقرن الرابع عشر التي كان يبحث عنها . فاحسن ناشر الكتاب اذ لم يصلح من عمل جدّه شيئاً ليبقى تأليفهُ شاهداً على زمان رحلته ج . ل

Adeline (Jules) : LEXIQUE DES TERMES D'ART. N^elle édition augmentée d'un appendice, *Paris, Ernest Gruend*, 1927. *Prix* 18 *f*

معجم مفردات الصناعة

كلٌّ يعلم كم تفيد المعاجم الحاوية للعلوم الاختصاصيّة . وهذا من جملتها فان العموم وجدوا في طبعته الاولى اسعافاً لادراك معاني المفردات الفنيّة والصناعيّة فحاول مؤلفهُ اعادة طبعه بتحسينه وباضافة ملحق الى طبعته الاولى

Froebes (Jos. s. j.) : PSYCHOLOGIA SPECULATIVA. t.I. Psychologia sensitiva, *in*-8°, 254 *pp.*, *Freiburg im Breisgau*, *Herder*, 1927, *Prix* 4 *M.*

البسيكولوجية النظرية : البسكولوجية الحسّية

علم البسيكولوجية مداره على امور النفس عموماً . وانما هذا القسم مختصّ بالنفس الحسّيّة كما تُرى في البهائم . فالمؤلف يستقري احوالها التي تظهر في الحيوان فيبحث عن مركز ذلك الاحساس وتعيين اجهزته وكيفيّة تأثيره في الحيوان . وقد اتّسع في تعريف الوهم في البهيمة وفي كل المسائل التي يتعاطاها اليوم الاختصاصيّون . والمؤلف احد الآباء اليسوعيين معدود من هؤلاء الاختصاصيين منذ زمن طويل . وقد وضع كتابهُ لطالبي الدروس الفلسفيّة الكاملة ويصلح للذين يتفرّدون لهذه العلوم او يقتصرون على بعض ابحاثه ج . ل

L'Abbé J. Viollet : La Bonne Entente Conjugale. 1 *vol. in*-16, 225 *pp.*, *Paris*, *Bloud et Gay*. *Prix* 10 *f*

الوفاق في الزواج

انَّ فرنسة كانت قديماً مشهورة بشرف عيالها وصلاح العيشة الزوجيَّة الّا انَّ التمدُّن العصري مع ضعف الدين وانتشار اسباب الفساد وسنّ شريعة الطلاق قد اضعف كثيراً روح الاتحاد في العيال حتى تعرَّضت الهيئة الاجتماعيَّة الى خطر جسيم والعائلة كما هو معلوم اساس وركن ذلك المجتمع . فلذلك قد قام في فرنسة رجال دين وفضل يتصدَّون لهذا الخطر بنشر المبادئ القويمة التي تحفظ العيال وتعزّز روابط الحبّ بين الزوجين . منهم الكاهن ڤيرله صاحب هذا التأليف الذي منذ ٢٧ سنة يفرغ وسعهُ لادراك هذهِ الغاية فوضع لذلك عدَّة تآليف قيّمة ذاع صيتها ونال بعضها استحسان جمعيَّة العلوم الاجتماعيَّة وهذا كتاب جديد في المعنى المذكور يسعى فيهِ بدرس اخلاق المتزوّجين ليعزّز فيهم الوفاق لهناء عيشتهم ولحسن تربية اولادهم فنوصي بهِ كل من يهمهُ ثبات العيال المسيحيَّة وترقيها في العدد والصلاح ل . ش

E. Bevan : Stoiciens et sceptiques. Traduction de Laure Baudelot. *Paris*, 1927, *Société d'Éditions «Les Belles-Lettres»*

الفلاسفة الرواقيّون واللادريّون

هذهِ محاضرات القاها الاستاذ بيڤان في اوكسفرد سنة ١٩١٢ فنُقلت حديثاً الى الافرنسيَّة . موضوعها الفلاسفة الرواقيون اليونانيّون وخصوصاً الفيلسوفان زينون وبوسيدونيوس ثمَّ الفلاسفة اللادريون . فالمؤلف يعرض احوالهم ومذاهبهم على صورة شائقة يتفكَّه بها السامعون وان لم يقتنعوا بأدلَّتها دائماً . وعلى كل حال لا نصدّق على قول المؤلف في مقابلتهِ في بعض الامور بين اقوال هؤلاء الفلاسفة وتعاليم النصرانيَّة ج . ل

Dott. Luigi Rinaldi : Il Libro d'Italiano. *in*-12, 163 *pp.*, *Cairo*, 1927, *Typ. El-Ettemad*.

كتاب في اللغة الايطالية

قد تألف في سوريَّة وفي ايطالية عدَّة تآليف لافادة الايطاليين في درس العربيَّة . ونظنّ ان هذا اوَّل كتاب وُضع للبلاد الشرقيَّة ليتعلَّم طلبتها اللغة الايطاليَّة . وهو للدكتور ريناldي مدرّس آداب اللغة الايطاليَّة في مصر في المدرسة الملكيَّة الايطاليَّة وقد جمع في كتابهِ اصول الغراماطيق الايطالي مع تمرينات ومحادثات مختارة وجدول لاخصّ المفردات المستعملة في الحديث او الكتابة وكلّ ذلك على طريقة سهلة قريبة

المنال تشوق الى الطلبة درس اللغة الايطالية ولا يجهل احد افادتها لكل من يتعاطى الاعمال التجارية وغيرها مع ايطالية

TEXTES ARABES DE WADI-CHAHROUR (Liban), transcrits, traduits et annotés par Michel et 'Abdou Féghâli. *Paris, Impr. Nationale* (*Extrait du Journal Asiatique*) 1927, *pp.* 30

نصوص من لغة وادي شحرور العامية

سبق لنا القول غير مرة كم يفيد درس اللهجات العامية لا لاقامتها بدلاً من اللغة الفصحى كما يريد البعض لكن ليستفاد منها معلومات تاريخية ولغوية وقومية تلوح فيها من آثارها القديمة وعليه نثني على همة المنسيور ميشال نقالي ومواطنه عبدو اللذين خصصا هذه المقالة بدرس لغة وادي شحرور التي تفردت ببعض الخواص اللغوية دون غيرها فجمعا عن لسان اهلها بعض النصوص الدارجة وصوراها بصورة افرنسية اصطلاحية مع ترجمتها الى اللغة الافرنسية وتذييلها بالملحوظات المفيدة . فدرس كهذا لمما يسر به اللغويون المستشرقون وقد قام به سيادة المنسيور ميشال اجابة لجمعية باريس العلمية التي اختبرت مقدرته الواسعة في مثل هذه الدروس . ل . ش

تقويم البشير للسنة ١٩٢٨

تأليف الاب لويس معلوف اليسوعي

طبع في المطبعة الكاثوليكية سنة ١٩٢٧ (ص ٢١٦)

حضرنا السنة ١٨٧٧ اول ظهور هذا التقويم الذي كان باكورة التقاويم السنوية في بلادنا وقد اصاب شهرة واسعة لاسيما بعد ما زاده تحسيناً مدير البشير . فلما وقعت الحرب الكونية كان احتجابه باعثاً لاسف المستفيدين منه . فها هو ذا والحمد لله قد استأنف سيره وهو شوطه التاسع والثلثون لظهوره . وكأن احتجابه زاده قوة فظهر كسفر ضخم يحتوي ضروب المعلومات التاريخية والدينية والمدنية والادبية والصحية والاقتصادية ما يبلغ نحو سبعين باباً ويشهد لحضرة مؤلفه بهمة قصاء سيصدق عليها كل من يتصفح هذا التقويم . ولعل كثيرين يأسفون على خسرانه ان لم يبادروا الى اقتنائه من المطبعة الكاثوليكية قبل نفود نسخه

الجُمل للزجّاجي

اعتنى بتصحيحهِ وشرح ابياتهِ الشيخ ابن ابي شنب

طبع في الجزائر بمطبعة جول كربونل سنة ١٩٢٧ (ص ٤٠٣)

ابو القاسم عبد الرحمان الزجّاجي احد ائمّة اللغة والادب ازهر في القرن الرابع للهجرة وتوفي في عقدها الرابع. ألّف في اللغة كتباً عديدة لم ينجُ منها الّا القليل. وقد طُبع لهُ فقط كتاب الامالي في اللغة سنة ١٣٢٤ بمصر. وكتابهُ هذا في الجمَل من افضل الكتب يحتوي نحو ١٥٠ باباً في معظم ابواب اللغة من حروف والفاظ وافعال وفصول صرفيّة ونحويّة يعرضها المؤلف ويزينها بتفاصيل دقيقة وملحوظات مفيدة ويؤيدها بالشواهد الشعريّة. فنثني على كليّة الادب الجزائرية لاستخراجها هذا الاثر من خزانة الكتب العربية بالجزائر وعلى استاذها الشيخ ابن ابي شنب لعنايتهِ بتصحيحهِ وشرح شواهدهِ. فانها خدمةٌ لهما تُذكر وتُشكر.

نظام الرياضة البدنيّة

نشرتهُ وزارة المعارف العامّة والفنون الجميلة

طُبعت في مطبعة الادب عام ١٩٢٧ (ص ٨٣)

هذا الكتاب احدى حسنات الجمهورية اللبنانية وضعتهُ وزارة المعارف الجليلة لتربية الناشئة وترويضها على الالعاب البدنية ونشرتهُ في اللغتين العربية والفرنسوية تعميماً لفوائدهِ. وقد انتدبت لتأليفهِ بعض الاختصاصيين ذوي الخبرة بالالعاب المنظمة التي يُسرّ بها الاحداث وتقوّي اجسادهم وتنمي اعضاءهم بحركاتها المتفننة فيألفون بها النظام ويعتادون قسر النفس الأمارة فيضبطونها تحت حكم القانون. فنشكر الشكر الوافر كلّ من اهتمّ بوضع هذا الكتاب ونتمنى اذا أُعيد طبعهُ ان تُعرض فيهِ صُوَر الالعاب فتألفها عيون الشبيبة ل. ش

الذكرى الخالدة : مجموعة اربع روايات تمثيليّة هزليّة

بقلم الاخ ساروفيم فيكتور (رشيد عطا الله اللبناني)

من منشورات البشير: بيروت المطبعة الكاثوليكية سنة ١٩٢٧ (ص ١٦٧)

خدم المرحوم الاخ ساروفيم فكتور من اخوة المدارس المسيحية العلوم العربية بالتعليم والتأليف. وقد سبق لنا الثناء على كتابهِ في آداب اللغة العربية. وكان لهُ رحمهُ

الله آثار كتابية كان صنّفها لتثقيف اخلاق الاحداث المتقاطرين الى مدارس جماعته الفاضلة وتفكيه ارواحهم بعد عناء الدرس. فهذه الآثار النفيسة بقيت بين اوراقه بعد وفاته. فلمّا عرف بها مدير جريدة البشير لم يشأ ان تأخذها يد الضياع فنشرها اوّلاً في الجريدة ثم نظمها في مجموعة منشوراتها

اليوم والغد

تأليف سلامه موسى

طُبع في المطبعة المصرية. لالياس انطون الياس في مصر سنة ١٩٢٧ (ص ٢٥٩)

تعدّدت تآليف سلامه موسى ولكنّها كلّها تضرب على وتر واحد اعني ترويج الافكار اللادينية ومناهضة الدين بما امكنهُ من الاختراعات التي ينقلها عن الغربيين الملحدين. وفي هذا المجموع الجديد من الترّهات والاكاذيب والسخافات المنافية للادب والاضاليل التاريخية ما تكاد تجدهُ في كلّ صفحاته لكنّها ممزوجة باقاويل حكميّة واحكام ادبية تمرّهُ على القرّاء الذين لا يميزون بين السمّ والدسم. فلو اخذنا فصلاً واحداً من فصوله لوجدنا في تفاصيله ما يستقبحهُ كل ذي معرفة وذوق فمن ذلك قولهُ مثلاً (ص ٦٥) «ليست المسيحية الّا خلطاً من الاديان القديمة». وان «اليهود قبل التوحيد عبدوا الاصنام والحجارة (ص ٧٣ــ٧٥). وهو «يشك في ان السيد المسيح كان انساناً موجوداً» (ص ٨٧). فايّ عاقل يسلّم بأن مئات الالوف من اليهود والوثنيين في اوائل النصرانية اعتنقوا هذه الديانة وسفكوا دماءهم لاجلها لو لم يتحقّقوا ان السيد المسيح الاله انشأها وانهُ كان انساناً موجوداً ل. ش

حصاد الهشيم

تأليف ابراهيم عبد القادر المازنيّ

طبعت في المطبعة المصرية في مصر سنة ١٩٢٧ ص

شتّان بين كاتب هذا التأليف وصاحب الكتاب السابق فانّ الاستاذ ابرهيم المازني اذا عالج موضوعاً نظر فيه نظر النقّاد المتدل. واذا ارتأى رأياً عرضهُ بطريقة تقرّبهُ الى الاقناع. وان وصف احوال الحياة اخرجها على صورة راضية ما يدلّ على انهُ يحسن الكتابة ويحيد عن التطرّف والمبالغة. ولا شكّ انّ قرّاء فصليه الطويلين عن المتنبي وعن ابن الرومي سيثنون على طول باعهِ في النقد وتعمّقهِ في المواضيع التي يبحث فيها. ولسنا لنقول

ان المازني مصيب في كل مزاعمهِ لاسيما في آرائهِ الفلسفية لكنهُ يتحاشى ما يمسّ الدين والادب . على اننا كنا وددنا لو لم تُنشر في الكتاب بعض التصاوير غير المحتشمة

رواية اهوال الاستبداد للكونت الكسي تولستوي

مترجمة بقلم الاستاذ خليل بيدس

طُبع في المطبعة المصرية سنة ١٩٢٤ (ص ٢٣٣)

هذه الرواية لاحد كتبة الروس المعدودين الكونت الكسي تولستوي ابن عم لاون تولستوي الذائع الشهرة . كان الاستاذ خليل بيدس عرّبها عن الروسيّة ونشرها اوّلاً سنة ١٩٠٩ . وهذه الطبعة الثانية محسّنة صورةً ومعنًى ومدارها على احوال روسيّة في القسم الثاني من القرن السادس عشر واوائل السابع عشر اذ صارت الدولة لآل رومانوف بعد انقراض اسرة روريك وفيها من اوصاف الاستبداد والظلم في عهد يوحنا (ايفان) الرابع المعروف بهمجيّتهِ ما ترتعد لهُ الفرائص مع بيان احوال الروس في ذاك العصر الذي يُعدّ كعصر روسيّة الذهبي . فقد احسن المعرّب بنقلها متصرّفاً بتعريبها وتنظيمها لتوافق ذوق القرّاء الشرقيين ل . ش

تصحيح غلط وقعت في العدد السابق بعض اغلاط نرجو من القرّاء اصلاحها : ١ً (ص ٨٢٨ س ٢ و ٣) هذان السطران يجب نقلها الى الصفحة السابقة في آخر ما قيل عن سرّ القربان . ٢ً (ص ٨٧٩ س ١١) قيل عن ريوند لول انهُ « شهيد دومنيكي » والصواب انهُ من الرهبنة الفرنسيسية . ٣ً (ص ٨٨٠ س ٨-١٠) لفظة (Dingue) حقها ان تكتب (Dengue) كما سبق

شذرات

﴿شواهد جديدة على صحّة الاسفار المقدّسة﴾ قد وردت في سفر التكوين لموسى النبي . وفي كتاب يشوع بن نون وسفر القضاة اعلام لعدّة شعوب او قبائل قديمة كان المفسّرون لا يستطيعون اثباتها بآثار غيرها فكان الملحدون يتخذون ذلك حجة لانكار صحّة الاسفار الالهيّة . على انّ الاكتشافات التي جرت في هذه السنين الاخيرة في مصر وبابل أتت بافادات جديدة مؤيّدة لصحّة روايات الكتاب الكريم . منها كتابات وُجدت على آنية يرقّيها ارباب العاديّات المصرية الى الفي سنة قبل المسيح الى السلالة الحادية عشرة . فاحدى هذه الكتابات كانت تحتوي على اسماء الشعوب

التي يعرفها المصريُّون في فلسطين وسوريَّة وعددها ٢١ عَلَماً . تمكن العالم الالماني الهر سيث (K. Sethe) من تعريف بعضها ثمَّ تبعهُ العلَّامة ريته دوسُو في مجلَّة سيريا (VIII, 216-231) فبيَّن حقيقة معظمها بعد مقابلتها بالاسفار المقدَّسة المذكورة واصلح ما وهَمَ فيهِ سلفهُ . وممَّا تحقَّق كلاهما صحَّتهُ ما ورد في سفر يشوع بن نون (١٥ : ١٣ــ١٥) عن بني عناق وامرائهم الثلاثة شيشان واحيمان وتلماي وعن قرية اربع اي حبرون . فكان البعض يزيِّفون هذه الاقوال وينظمونها بين المزاعم الباطلة وينكرون وجود بني عناق . فاسم هؤلاء القوم قد ورد في الاثر المذكور على صورة "عِنق" ويذكر ايضاً لهم ثلثة امراء يحكمون عليهم . فسبحان الذي يزيل هكذا يوماً بعد يوم مشاكل الكتب الالهيَّة ويبطل مزاعم الكفرة !

﴿حمى الدنج﴾ كنا سُئلنا عن الدنج او الدنغ واصل اسمها فاجبنا انهُ لمن المحتمل ان يكون اشتقاقها من العربيَّة « ضنك » بمعنى الهزال وتوعُّك الصحة فافادنا جناب الحكيم امين الجميّل انَّ اللفظة صورتها الصحيحة (Dengue) واصلها من اللغة الاسبانيَّة ثمَّ وصفها وصفاً موجزاً نؤجلهُ الى عدد آخر مع الامل من جنابهِ ان يستوفي الموضوع بمقالة مفردة

﴿آفات الطيران﴾ انَّ الطيران بتقريبهِ بين البلاد وتقصيره بينها المسافات اتى بمضارّ جديدة وذلك انها زاد مقام حواضر البلاد ومراكزها الكبرى فاضعف اعمال المدن الصغرى والقرى والمزارع وكسدت تجارتها فاخذ جماهير من اهلها يهاجرون الى الحواضر فيهملون الفلاحة والزراعة وبها ثروة البلاد . وكذلك أُصيب الاقتصاد الوطني بضربة لازبة لسهولة نقل اسباب المعاش من الخارج بوقت قريب فتباع باثمانٍ بخسة دون غلات الوطن وسلعه التي يكسد بذلك سوقها

﴿الطيران فوق الاوقيانوس الاتلنتيكي﴾ قطع الطيَّاران الفرنسويَّان كوسْت ولوبريكس لاوَّل مرَّة بشوط واحد الاوقيانوس الاتلنتيكي من الشرق الى الغرب . فطارا في ١١ تشرين الاوَّل من باريس الى سان لويس في السنغال بمدَّة ٢٥ ساعة ونصف والمسافة بينها ٤٦٠٠ كيلومتر ثمَّ واصلا الطيران منها في ١٤ ت١ فبلغا بعد ١٨ ساعة الى البرازيل وحطَّا بمدينة ناتال . وكان الطائران استشفعا قبل سفرهما بالقديس كريستوف شفيع الطيران ووعدا بزيارة كنيستهِ ان نجوا سالمين فقاما بوعدهما

أسئلة وأجوبة

س سأل احد قرّاء المجلة الطبية العلمية ان نفيدهُ عن طبيب ورد ذكرهُ فيها (٥ : ١١٢) في مقالة للدكتور توفيق صوصه بك قال عنهُ انهُ «كان في عهد المنتفي لامر الله» وانهُ «كاهن طبيب يُدعى ابا الحسن هبة الله بن سعد» الذي «نال من الشهرة حظًّا وافرًا حتى كانوا يشبهونهُ بجالينوس او بقراط»

ابو الحسن هبة بن سعد

ج في تعريف هذا الطبيب عدّة اغلاط فان المراد بهِ الطبيب الشهير المعروف بابن التلميذ واسمهُ موفّق الملك امين الدولة ابو الحسن هبة الله بن صاعد (لا سعد) ولم يقل عنهُ احد انهُ كان كاهنًا وقد دعاهُ عماد الاصبهاني قسّ النصارى تعظيمًا. امّا اخبارهُ فقد رويناها في المشرق (٩ [١٩٠٦] : ٧٦٢ و٧٨١) ثم في كتابنا شعراء النصرانيّة بعد الاسلام (٣ : ٣١٥ــ٣٣١)

س وسأل مستفيد ما معنى موسكو ومتى بُنيت هذه المدينة ؟

موسكو اسمها وتاريخها

ج اسم موسكو مشتقّ من نهر موسكوفا القريب منها وكان اوّل بنائها في اواسط القرن الثاني عشر ولم تصبح عاصمةً لروسية الّا في القرن الخامس عشر

س وسأل من مصر توفيق افندي اسكندر ان نذكر لهُ تاريخ البطريرك اغناطيوس متياس بطريرك السريان وديونيسيوس الآمدي صاحب تفسير القدّاس وشهاب الدين القليوبي. وطلب مَن هذا الملك زرادخت الذي ورد خبرهُ مع العشرة الوزراء

تاريخ بعض المشاهير والملك زرادخت

ج عاش البطريرك اليعقوبي اغناطيوس متياس في اوائل القرن الثامن عشر وتوفي سنة ١٨١٧ (اطلب المشرق ٢١ : ٦٦٥ــ٦٦٦) . وديونيسيوس الآمدي هو ديونيسيوس ابن الصليبي مطران ديار بكر المتوفى سنة ١٧١١م (اطلب المشرق ٢١ : ٥٩٢) . وشهاب الدين القليوبي توفي سنة ١٠٦٩هـ (١٦٥٩م) اطلب ترجمتهُ في شرح مجاني الادب (ص ٥) . امّا زرادخت الملك فهو شخص وهميّ كقصّة العشرة الوزراء التي ورد فيها ذكرهُ

ل . ش

فهرس اوّل

لموادّ اعداد السنة الخامسة والعشرين من مجلّة المشرق ١٩٢٧

(العدد الاسود يدلّ على اعداد المجلّة والرفيع على الصفحات)

العدد ١ (كانون الثاني) تحيّة لمرس المجلة النضي. (ادارة المشرق)=نظر عام في احوال العام للاب لويس شيخو اليسوعي (١-١٤؛٢: ١٢٥-١٤٥) = حياة الرسالات الكاثوليكية للاب فرديناند توتل اليسوعي (تتمة) (١٤-٢٤)= الاميران الاسيران مأساة تمثيلية معرّبة بقلم الخوري يوسف المشيقي (تتمة) (٢٥-٤٠) = شعراء النصرانية بعد الاسلام. القسم الرابع شعراء الاجيال الاخيرة من القرن الرابع عشر الى التاسع عشر: مقدّمة. سليمان القرّي (٤١-٥١؛٢: ٩٧-١٠٧ – فخر الدين ابن مكانس ٣: ١٧٠– شاكر بن ريشه ويوسف بن رزق الله ١٧٧ – ابن التلاعي ٤: ٢٦٦-٢٧٣ – عيسى هزار القوّال ٢٧٣-٢٧٩ – ميخائيل حاتم القوّال ٥: ٢٢٥-٢٢٩ انطونيوس فريجي ٢٢٩-٢٤٤– زجليّون آخرون ٢٤٤-٢٤٦ – طيموثاوس كرنوك ٦: ٤٤٥-٤٥٠ – كامل نجيم ٤٥٠-٤٥٢ – المطران جرمانوس فرحات ٧: ٥١٧-٥٢٦ – الخوري نيقولاوس الصائغ ٨: ٥٦٨-٦٠٨ – ابرهيم الحكيم ٩: ٦٥٠-٦٥٩ – انطون يطار ١٠: ٧٥٤-٧٦٣ – مكرديج الكسيح ١١: ٨٤٧-٨٥٠ – عبد الله زاخر ٨٥٠-٨٥٣ – نعمة بن توما ٨٥٣-٨٥٨؛١٢: ٩١-٩١٥ – ابن افرنجيّة ٩١٥-٩١٨) = الحكم الفصل بين الايمان والعقل للاب عمانويل رولان اليسوعي (٥٣-٥٨)= الاداب العربية في الربع الاوّل من القرن العشرين: ادباء النصارى المتوفّون في الحقبة الثالثة من اكليروس وعلمانيّين ٥٨-٦٣؛٢: ١١٣-١٢٢ – المتوفون من المستشرقين ٣: ١٦٣-٢٠٦–الحقبة الحاضرة: نظر عام ٤: ٢٠٣-٢٠٦؛٥: ٢٨٣-٢٨٤– الاداب العربية بين ارباب الكهنوت ٥: ٢٨٤-٢٨٨؛٦: ٤٢٣-٤٢٢ – بين المرسلين ٧: ٥٢٧-٥٤٣ – ادباء النصارى حاضرًا: الشعراء ٩: ٧٠٤-٧٠٨ – الصحافيون والكتبة ١٠: ٧٧٦-٧٨٦؛١١: ٨٦٠-٨٦٥ – شعراء المسلمين وادباؤهم ١٢: ٩٤١-٩٤٧) = مطبوعات شرقيّة جديدة (٦٦-٧٨) = شذرات: الناء الشرائع الانكليزية في حقّ الكاثوليك. امتيازات فرنسة الكاثوليكية في البلاد الاجنبيّة. الفوضى في الماسونية المصرية. نيزك جديد. القوّة المحرّكة من البحر. صوف الكلاب (ص٧٩)= اسئلة واجوبة: العلم البابوي وتاريخ البابوات. الاميرة استريد. المنفلوطي (ص٨٠)

٥

العدد ٢ (شباط) المياه الزراعية: محاضرة للمهندس ادمون بشاره (٨١-٩٦) = اول استاذ وطني قانوني في مكتب حقوق فرنساوي لاحد علماء الحقوق (١٠٨-١١٢) = لمحة تاريخية في دير سيدة المعونات (او البنات) للاب بطرس ساره الراهب اللبناني (١٢٢-١٢٥؛

٣: ١٧٨-١٨٥) = تطويب شهداء الثورة الفرنسوية سنة ١٧٩٢ للاب عمانويل رولان اليسوعي (١٤٥-١٥٠) = مطبوعات شرقية جديدة (١٥٠-١٥٨) = شذرات: الوسام اللبناني على صدر يسوعي. تدشين كنيسة اخوة المدارس المسيحية. تدشين المستشفى اللبناني. اثر جديد لديوان التفتيش الماسوني المصري. تدشير سليمان النزّي (١٦٧-١٥٩) = اسئلة واجوبة: اليهودي التائه. نصرانية الشاعر ابي تمام. الاكل والشرب في السماء: شرح آية انجيلية (١٦٠)

العدد ٣ (آذار) الاضطهاد الديني في المكسيك للاب فرديناند توتل اليسوعي (١٦١-١٧٠) = تذكار نابغة الطب الحكيم لاتاك (١٧٨١-١٨٣٦) للاب عمانويل رولان اليسوعي (١٨٥-١٩٢) = تاريخ الدولة الاموية في الشام نظر انتقادي للاب هنري لامنس اليسوعي (٢٠٧-٢١٠) = تطويب شهيدي القربان الاقدس اليسوعيين جاك سالس وظيوم سوقوش لاحد الاباء اليسوعيين (٢١٩-٢٢٥) = مطبوعات شرقية جديدة (٢٢٥-٢٢٧) = شذرات: الطوبوي الاخ سالومون. وفاة ثلثة من اخوتنا المرسلين. اثر لابي كَمَيْشَل. يوبيل الاب ديلهاي البولندي. فكاهة غريبة لابن اياس. ضرائب على الآذان والانوف (٢٢٧-٢٣٩) = اسئلة واجوبة: انجيل القديس بطرس. القرآن واقواله من الكفار والمشركين. تآليف يحيى بن عدي. الواضح لابن رجاء المتنصّر. الاشراف والبرهان لبطرس السدمنتي (٢٤٠)

العدد ٤ (نيسان) الطوباوي جبري ميكائيل الشهيد الحبشي اللازري ١٧٩١-١٨٥٥ بقلم الاب يوسف علوان اللازري (٢٤١-٢٥٩) = شهيدا الثورة الفرنسوية من جمعية كهنة الرسالة المعروفين باللازريين. له ايضاً (٢٥٩-٢٦٦) = رسالة للسمعاني في بعض رسوم المجمع اللبناني (٢٧٧-٢٨٦) = المسألة السورية للاب هنري لامنس اليسوعي (٢٨٦-٢٨٩) = تعميم الاصطياف في لبنان للاب ل. شيخو (٢٨٩-٢٩٥) = الاحوال الاقتصادية في سورية الرومانية للاب رينه موترد اليسوعي (٢٩٥-٣٠٣) = مطبوعات شرقية جديدة (٣٠٧-٣١٦) = شذرات: ظهور السيد المسيح لوالدته بعد قيامته. تمثال الحبر الاعظم في مكتبة الامبروزيانية. احصاء الكاثوليك في المعمور. وفاة الاب اوجان ميتر. مصابان اليان. يوبيل بعض مشاهير الوطن. الاستاذ اميل تيّان. معرض لويس الرابع عشر. لفافات التبغ في الولايات المتحدة. ذنب الحرب (٣١٧-٣١٩) = اسئلة واجوبة: قصر ابن وردان. خرائب اندرين. تقرير بيلاطوس عن المسيح (٣٢٠)

العدد ٥ (ايار) الاخويات المريمية في المشرق للاب ل. شيخو (٣٢١-٣٣٠) = الطوباوي سالومون من اخوة المدارس المسيحية واحد شهداء الثورة الفرنسوية بقلم ي. ج. احد اخوة المدارس المسيحية (٣٣١-٣٣٥) = اثران آخران للسمعاني نشرهما انس انطونيوس شبلي (٣٤٧-٣٥٤) = زجلية ايقونة صيدنايا ليوحنا عيسى حويسات (٣٥٤-٣٥٧) = الجاسوسية في الحرب الكبرى بقلم الخوري بطرس روفائيل الماروني (٣٥٧-٣٦٥) = تمجيد اليابان لرسولهم تعريب رسالة لاحد المرسلين حاضراً في اليابان (٣٦٥-٣٧١) = النهضة الادبية في طرابلس بقلم جرجي افندي بني (٣٧١-٣٧٥) = تذكار السنة العاشرة للثورة الروسية ١٩١٧-

١٩٢٧ رواية شاهد عيان. للاب فردينان توتل اليسوعي (٣٧٥-٣٨١) = مطبوعات شرقية جديدة (٣٨٩-٣٩٧) = شذرات: زعم باطل في مجلة المنار. فواجع الشتاء الاخير. اليسوعيون في الصين. تذكار الموسيقي الشهير بتهوفن. تذكار السنة المئة لوفاة اسكندر فولتا (٣١٧-٣٩٩) = اسئلة واجوبة: الفرق بين المدرسة الكلية والمدرسة الجامعة. اوّل ظهور الاوراق المالية. من هو المقوقس (٤٠٠)

العدد ٦ (حزيران) حوادث الصين للاب فردينان توتل اليسوعي (٤٠١-٤٠٨) = سرّ القربان الاقدس في الآثار العربية: للاب ل. شيخو (٤٠٨-٤١٤) = جولة في كسروان: للقس انطونيوس شبلي: حريصا. غوسطا (٤١٤-٤٢٢؛٨: ٦١٦-٦١٩- عين ورقة ٦١٩-٦٢٥؛٩: ٦٩٢-٧٠٢-عشقوت ١٠: ٧٤٥-٧٥٢؛١١: ٨٥٦-٨٥٨؛١٢: ٩١٩-٩٢٥) = ثلث براءات للبابا بنديكتوس الرابع عشر بخصوص المجمع اللبناني نشرها الاب ل. شيخو (٤٢٢-٤٤٥) = يومية السيد يوسف سمعان السمعاني سنة ١٧٣٦ نشرها الاب لويس بليبل الراهب البلدي اللبناني (٤٥٤-٤٥٩؛٧: ٥٠٢-٥١٧؛٨: ٥٦٩-٥٨٥) = الطوبوية جانّ انتيد طوره مؤسسة راهبات محبة بيزانسون للاب ل. شيخو (٤٥٩-٤٦٩) = مطبوعات شرقية جديدة (٤٦٩-٤٧٧) = شذرات: المزار الحي. كنيسة رعس الكاتدرائية. اهتداء سيدة انكليزية. ارتداد احد وزراء الصين الى الكثلكة. سيدة فاطمة. اليوبيل الذهبي لاختراع الفونوغراف. اكبر شرط هوائي. الموت خوفاً. من البرتغال الى البرازيل بالطيران. اوّل متحف للسينما. هادّيات سقّارة (٤٧٧-٤٧٩) = اسئلة واجوبة: قسية الناطرة بالشوالة. النسبة بين الآراميين والادوميين. انارة المذابح بالنور الكهربائي. قبول حسنة القداس من غير كاثوليكي. جمعيّة الرسالات الاجنبيّة (٤٨٠)

العدد ٧ (تموز) شهداء دمشق الموارنة بقلم الخوري منصور عوّاد (٤٨١-٤٩٥) = الحكمة المصرية في عهد الفراعنة للاب مالون اليسوعي (٤٩٥-٥٠٢) = مشروع المصحّات في لبنان للدكتور توفيق سلهب (٥٢٦-٥٣٦) = الشعر المصري لفؤاد افرام البستاني (٥٤٢-٥٥٠؛٨: ٦٢٢-٦٣٥؛٩: ٦٧٢-٦٨٦) = مطبوعات شرقية جديدة (٥٥٠-٥٥٨) = شذرات: المئة الثالثة للحلول الرهبانية اليسوعية في سورية. النساء ابطال الحرب. الضيافة الفرنسوية. تحول المدارس اللادينيّة في فرنسة. ارتداد احد اشراف اسوج الى الكثلكة (٥٥٨-٥٥٩) = اسئلة واجوبة: طبع مخطوطات نادرة. الروايات التمثيلية التي يمكن تشخيصها في المدارس (٥٦٠؛٨: ٦٤٠)

العدد ٨ (آب) الارشمندريت فوتيوس ورسائل البروفنسيال للاب ل. شيخو (٥٦١-٥٦٨) = مصيف حمّانا للاب فردينان توتل اليسوعي (٥٨٦-٥٩٧) = ما هو اصل البترول للاب جوزف فرنه اليسوعي استاذ الطبيعيات في المكتب الطبي (٦٠٨-٦١٦) = مطبوعات شرقية جديدة (٦٢١-٦٣٧) = شذرات: الشهيد بطل. قصيدة الاستاذ يوسف غلبوني. اعياد القرن الثالث

لمدرسة انتشار الايمان في رومية . وفاة كاتب كبير . كسوف الشمس في ٢٩ حزيران . تمايل الحرّ اللافح في اواخر حزيران واوائل تموز (٦٢٨-٦٢٩) = اسئلة واجوبة : الزلازل واسبابها وقوانينها (٦٤٠) .

العدد ٩ (ايلول) كتاب الصلوات وحركة التطوّر في الكنيسة الانكليكانية للاب فردينان توتل اليسوعي (٦٤١-٦٥٠) = المعاهد الصحية او مستشفيات السلّ في اوربا للاستاذ ميشال بيطار (٦٦٠-٦٧١) = اوّل تاريخ لبيروت ولبنان للاب لويس شيخو (٦٨٦-٦٩٢) = مطبوعات شرقية جديدة (٧٠٦-٧١٦) = شذرات : جلالة الملك فؤاد في رومية . بريل جامعة انشبروك في النمسة . ردّ الارشمندريت فوتيوس . مزعم باطل لمجلة الهلال في انتشار الاديان بين كلّ الشعوب . مصدر النور الليلي . اسراب باريس . سناج مداخن لندن . في اعالي جبال سويسرة . الاعياد اليوبيليّة لتذكار المصوّر روبنس . الذهب في العالم (٧١٧-٧٦٩) = اسئلة واجوبة : زواج الكردينال نقولا دوقة لورين . مخترع ورق الكتابة (٧٣٠)

العدد ١٠ (تشرين الاوّل) العين الباصرة في روائع القاهرة للاب ل . شيخو (٧٣١-٧٣١) = مرسل يسوعي الى الشرق شهيد الثورة الفرنسوية للاب يوسف لوبون اليسوعي (٧٣١-٧٣٧) = وصية عبد الملك بن صالح لابنه قبل وفاته نشرها الاب لويس شيخو (٧٣٨-٧٤٥) = هل الاديان منتشرة بين جميع الشعوب بقلم الاب فردينان توتل (٧٦٤-٧٧٢) = عيد الصليب في ربى لبنان قصيدة للاستاذ يوسف غلبوني (٧٧٣-٧٧٦) = مطبوعات شرقية جديدة (٧٨٧-٧٩٦) = شذرات : مزاحمة السيّارات للخطّ الحديدي . علاج جديد للسمّن . السنة المئة لاكتشاف المحرّكات المائيّة . طلسم الطيّار لندبرغ . ملك دولة الكمبودج . شهداء المكسيك . الفاء المبارزة في ايطالية . شفاء احد جرحى الجيش السوري في لورد . الكنيسة الكاثوليكية نصيرة العلم (٧٩٦-٧٩٩) = اسئلة واجوبة : ايرندا اسقفية شرقية قديمة . القديس دومنوس . افضل التآليف العربيّة لتعليم اللاهوت الادبي واللاهوت النظري والتاريخ المدني (٨٠٠)

العدد ١١ (تشرين الثاني) اثر فريد للبطريرك مكسيموس مظلوم نشره الاب ل . شيخو (٨٠١-٨١٠) = نبذة من تاريخ لبنان في القرن السابع عشر للأب عون كامل نجيم نشرها القسّ انطونيوس شبلي اللبناني (٨١١-٨٢١) = نظر عام في الكثلكة ومنتقداتها للاب ل . شيخو (٨٢١-٨٣٠) = ابو الطيب المتنبي (٩١٥-٩٦٥) بقلم فؤاد افرام البستاني (٨٣١-٨٤١ : ١٣ : ٩٠٠-٩٠٩) = قلعة نابوليون المزعومة على المنعلم للاديب محمد عبد الجواد الاصمعي (٨٤١-٨٤٧) = مطبوعات شرقية جديدة (٨٦٥-٨٧٦) = شذرات : باقة رياحين لملكة فلسطين من نظم الخوري يوسف العشيّق . شهيد سرّ الاعتراف . البرق السماوي . ترهّب احد وزراء الصين . اوّل اسقف ياباني . الكشافة الفرنسوية . اعادة دير استيزي الى الرهبنة الفرنسيسيّة . اكرام الموتى في فرنسة . مشهد الكاتب الاسباني سرفنتس . الشرق والغرب والقديس فرنسيس كسافير . اكرام الاب لويس بولوموا اليسوعي (٨٧٦-٨٧٩) = اسئلة واجوبة :

ايسندا . اصل كلمة (Dingue) . دير حرملة . البرديط واسمهُ ومنشاهُ (٨٨٠)

العدد ١٢ (كانون الاوّل) التذكار المئوي الثالث لميلاد بوسوئه للاب ف . توتل (٨٨١–٨٦١) = زيارتنا لتوت عنخ امون للاب ل . شيخو (٧٩٣–٨١٩) = عمل المشرق في ربع قرن لمدير المجلة (٩٢٥–٩٤١) = مطبوعات شرقية جديدة (١٤٩–٩٥٨) = شذرات : شواهد جديدة على صحة الاسفار المقدّسة . حمّى الدتج . آفات الطيران . الطيران فوق الارقيانوس الاتلنتيكي (٩٥٨) = اسئلة واجوبة : الطبيب ابو الحسن هبة بن صعد . موسكو اسمها وتاريخها . تاريخ بعض المشاهير والملك زرادخت (٩٦٠)

فهرس ثانٍ

يحتوي اسماء كتبة المشرق ومقالاتهم

الاصمعيّ (محمد افندي عبد الجواد) قلعة نابوليون المزعومة على المقطّم ٨٤١–٨٤٧
البستاني (الاستاذ فؤاد افرام) الشعر العمري ٥٤٣;٦٢٢;٦٧٢ ابو الطيب المتنبي ٨٣١; ٩٠٠–٩٠٩
بشارة (المهندس ادمون) المياه الزراعية ٨١–٩٦
بليبل (القس لويس اللبناني) يومية سمعان السمعاني لمّا اتى قاصداً لعقد المجمع اللبناني سنة ١٧٣٦ ٤٥٤;٥٠٢;٥٦٩
بوسّار (الاب اليسوعي) لهُ وصف مطبوعة ٢٢٣
بيطار (الاستاذ ميشال) المعاهد الصحيّة او مستشفيات السلّ في اوربا ٦٦٠–٦٧١
ترتل (الاب فردينان اليسوعي) حياة الرسالات الكاثوليكية (تتمّة) ١٤–٢٤ الاضطهاد الديني في المكسيك ١٦١–١٧٠ تذكار السنة العاشرة للثورة الروسية رواية شاهد عيان ٢٧٥–٢٨١ حوادث الصين ٤٠١–٤٠٨ مصيف حمّانا ٥٨٦–٥٩٧ كتاب الصلوات وحركة التطوّر في الكنيسة الانكليكانية ٦٤١–٦٥٠ هل الاديان منتشرة بين جميع الشعوب ٧٦٤–٧٧٢ تذكار المئة الثالثة لميلاد بوسوئه ٨٨١–٨٩١ لهُ وصف كتب وشذرات ٦٢٤,٧١٩,٧٩٧
ديلنسيفر (الاب يوسف اليسوعي) لهُ وصف مطبوعات ٧٤
روفائل (الخوري بطرس الماروني) الجاسوسية في الحرب الكبرى ٣٥٧–٣٦٥
رولان (الاب عمانويل اليسوعي) الحكم الفصل بين الايمان والعقل ٥٢–٥٨ تطويب شهداء الثورة الفرنسوية سنة ١٧٩٣ ١٤٥–١٥٠ تذكار نابغة الطب الحكيم لانئاك ١٨٥–١٩٣
روترفال (الاب سبستيان اليسوعي) لهُ وصف مطبوعات ٧٣,٢٢٦,٢٢٧,٢٨١–٢٩٣ ,

٤٦٩–٤٧٣، ٥٥١–٥٥٣، ٧١٢، ٧٨٧–٧٩٠، ٩٤٩–٩٥١
ساره (القس بطرس اللبناني) لمحة تاريخية في دير سيدة المعونات او البنات ١٢٣؛١٧٩
سلهب (الدكتور توفيق) مشروع المصحات في لبنان ٥٢٦–٥٣٦
السمعاني (يوسف سمعان) بعض آثاره مقتطفة من المجمع اللبناني ٢٧٧؛٢٤٧ يوميته في لبنان ٤٥٤؛٥٠٣؛٥٦٩
شبلي (القس انطونيوس اللبناني) نشرهُ لبعض آثار السمعاني ٢٧٧؛٢٤٧ جولة في كسروان ٤١٤؛٦١٦؛٦٠٣؛٧٤٥؛٨٥٦؛٩١٩ نشرهُ لنبذة من تاريخ لبنان في القرن السابع عشر لمون كامل نجيم ٨١١–٨٢١
شيخو (الاب لويس اليسوعي) تحيّة لمرس المجلّة الفضي . نظر عام في احوال العلم ١–١٤؛١٣٥–١٤٥ شعراء النصرانية بعد الاسلام شعراء الاجيال الاخيرة : سليمان التزّي ٤١؛٩٧ فخر الدين ابن مكانس ١٧٠ شاكر بن ريشه ويوسف ابن رزق الله ١٧٧ ابن الفلاعي ٢٦٦ عيسى هزّار ٣٧٣ ميخائيل حسام ٣٣٥ انطونيوس فريجي ٣٣٩ زجليون آخرون ٣٤٤ طيموثاوس كرنوك ٤٤٥ كامل نجيم ٤٥٠ المطران جرمانوس فرحات ٥١٧ الخوري نيقولاوس الصائغ ٥١٨ ابرهيم حكيم ٦٥٠ انطون بيطار ٧٥٤ مكرديج الكبيح ٧٤٧ عبدالله زاخر ٨٥٠ نعمة بن توما ٨٥٣؛٩١٠ ابن افرنجية ٩١٥ الآداب العربية في الربع الاول من القرن العشرين : المتوفّون في الحقبة الثالثة من اكليروس وعلمانيين ومستشرقين ٥٨؛١١٣؛١٩٣ الآداب العربية في الحقبة الحاضرة ٢٨٤؛٤٢٣؛٥٣٧؛٧٠٤؛٧٧٦؛٨٦٠؛٩٤١ نظر في حركة العلم السنويّة ٢١٠–٢١٨ تطويب شهيدي القربان الاقدس اليسوعيين جاك سالس وظيوم سوتوش ٢١٩–٢٢٥ الاخويات المريمية في الشرق ٢٢١–٢٢٠ نشرهُ لثلث براءات للبابا بنديكتوس الرابع عشر بخصوص المجمع اللبناني ٤٣٣–٤٤٥ الطوبوية جانّ اتيد طوره مؤسسة راهبات بيزانسون ٤٥٩ – ٤٦٩ الارشمندريت فوتيوس ورسائل البروفنسيال ٥٦١–٥٦٨ اوّل تاريخ لبيروت ولبنان ٦٨٦–٦٩٣ العين الباصرة في روائع القاهرة ٧٣١–٧٣١ نشرهُ لوصية عبد الملك بن صالح لابنهِ قبل وفاتهِ ٧٣٨–٧٤٥ نشرهُ لاحد آثار البطريرك مكسيموس مظلوم ٨٠١–٨١٠ نظر عام في الكثلكة ومستقبلها ٨٢١–٨٣٠ زيارتنا لآثار توت عنخ امون ٨٩٣–٨٩٩ عمل المشرق في ربع قرن ٩٣٥–٩٤١ لهُ تعريبات ووصف مطبوعات وشذرات واجوبة في كل اعداد السنة
عبد الملك بن صالح : وصيتهُ الى ابنهِ قبل وفاتهِ ٧٣٨–٧٤٥
عطوان (الاب يوسف اللعازري) الطوباري جبري ميكائيل الشهيد الحبشي اللعازري ٢٤١–٢٥٩ شهيدا الثورة الفرنسوية من جمعية كهنة الرسالة المعروفين باللعازريين ٢٥٩–٢٦٦
العشيق (الخوري يوسف) الاميران الاسيران : رواية تمثيلية (تتمّة) ٢٥–٤٠ باقة رياحين لملكة فلسطين ٨٧٦
عون (الراهب كامل نجيم) نبذة من تاريخ لبنان في القرن السابع عشر ٨١١–٨٢١
عوّاد (الخوري منصور) شهداء دمشق الموارنة ٤٨١–٤٩٥
عويسات (يوحنا عيسى) زجليّتهُ في ايقونة

صيدنايا ٢٥٤–٢٥٧
ظبوني (الاستاذ يوسف) الشهيد بطل (قصيدة ٦٢٨) عيد الصليب في رُبى لبنان قصيدة تخميس ٧٧٣–٧٧٦
فرنه (الاب جوزف اليسوعي) ما هو اصل البترول ؟ ٦٠٨–٦١٦
ق . ش اوّل استاذ وطني قانوني في مكتب حقوق فرنساوي ١٠٨–١١٢
كوست (الاب شرل اليسوعي) لهُ وصف بعض المطبوعات ٢٢٢
لامنس (الاب هنري اليسوعي) تاريخ الدولة الاموية في الشام نظر انتقادي ٢٠٧ – ٢١٠ المسألة السورية ٢٨٦–٢٨٩ لهُ وصف مطبوعات ٦٧، ٦٨، ٧١، ٧٢، ١٥٦، ٢٢٨–٢٢٩، ٤٧١، ٥٥٣–٥٥٤، ٦٢٢، ٨٦٨–٨٧١
لاي (الاب ادمون اليسوعي) لهُ وصف مطبوعات ٦٨
لوبون (الاب يوسف اليسوعي) مرسل يسوعي الى الشرق شهيد الثورة الفرنسوية ٧٣١–٧٣٧
لونك (الاب جبرئيل اليسوعي) لهُ وصف مطبوعات في كلّ اعداد المشرق
مالون (الاب الكيس اليسوعي) الحكمة المصرية في عهد الفراعنة ٤٩٥–٥٠٣
مصريان (الاب اليسوعي) لهُ وصف مطبوعة ٦٢٢
مظلوم (البطريرك مكسيموس) اثرٌ فريد من قلمهِ ٨٠١–٨١٠
موترد (الاب رينه اليسوعي) الاحوال الاقتصادية في سورية الرومانية ٢٩٥–٣٠٣
ي . ج (اخد اخوة المدارس المسيحيّة) الطوباوي سالومون شهيد الثورة الفرنسوية ٢٢١–٢٢٥

فهرس ثالث

للمطبوعات التي ورد وصفها في السنة الخامسة والعشرين للمشرق

على ترتيب اسماء مؤلفيها

الكتب العربيّة والسريانيّة الخ

ابن ابي شنب (الشيخ) : الجمل للزجاجي (٩٥٦)
ابو شادي (احمد زكي) : مهنا (٧٨) – سعد (٧٩٤) – احسان (مفتاة) (٨٧٤)
ابو نادر (جرجي شبل) : رواية الثورة الدرزيّة (١٥٧)
ارملة (القس اسحق السرياني) : سلوى الزائدين في امثال ماردين – تعليم القراءة السريانية مصوَّر (٥٥٨)
الالوسي (محمود شكري) : بلوغ الارب في معرفة احوال العرب . (طبعة جديدة) ٨٧١
الوف (ميخائيل موسى) : تاريخ بعلبك . (طبعة رابعة) (٥٥٥)
الاسود (ابرهيم بك) : تنوير الاذهان في تاريخ لبنان . المجلّد الثاني (٥٥٥)
اندراوس (الاب الياس البولسي) : ارثوذكسي ام ماسوني (٧٦) – البطريرك مكسيموس مظلوم في سنيهِ الاخيرة (٧٧)
البتجالي (اسكندر) : مشاهد الحياة (٧٧)

البجدرفلي (القس بطرس مبارك) : كلمة الله ينبوع الحياة (٧٦)
البحري (جميل) : المتروبوليت فريشوريوس حجّار (٢٢٤) — رواية سجين القصر (٨٧٣)
البستاني (الخوري بطرس) : السنابل (٥٥٦)
البستاني (فؤاد افرام) : الروائع (٦٢٧؛٧٩٣)
بليبل (القس لويس) : تاريخ الرهبانية اللبنانيّة المارونيّة : المجلّد الثاني (٢١٢)
بهجت (محمّد الاثري) : اعلام العراق (٥٥٧)
بيدس (الاستاذ خليل) : رواية اموال الاستبداد (٩٥٨)
ثابت (القس مبارك) : المنهج الحسن في اسعاد الوطن (٥٥٦)
توتل (الاب فردينان اليسوعي) : مصيف حمّانا (٥٨٦)
جمعه (محمد لطفي) : الشهاب الراصد (٥٦)
حبيقة (البرديوط بطرس) : الآثار الخالدة (١٥٤)
جلابرت (الاب لويس) : يعين الدلي (طبعة ثانية) ٢١٨
الجميّل (الحكيم امين) : قانون الصحة (٢٢٥)
جيانني (نيافة القاصد فريديانوس) : منشورهُ الكنيسة ام القديسين (٢٢٧)
حتي (الدكتور فيليب) : سورية والسوريّون من نافذة التاريخ (١٥٦)
الحلو (نسيم) : الحديث المفيد مع الاستاذ الجديد (٤٧٥)
حنّا (وديع قولا) : قاموس لبنان (٦٢٧)
الحومانى : ديوانهُ (٨٧٥)
الحويك (البطريرك الياس) : منشور بطريركي (١٥٤) منشورهُ بمناسبة تطويب الشهداء الموارنة (٢٢٧)
الخطيب (محب الدين) : الازهر — المسير والقداح لابن قتيبة — اعيان العرب في الجاهلية للنجيرمي — اتجاه الموجات البشرية في جزيرة العرب (٦٢٣)
خلّف (المحامي نجيب) : احاديث بين القديم والحديث — ابن الحقّ ؟ (٧١٦) — الحكم الفصل — الدم الصارخ (٨٧٦)
خيّاط (الدكتور حنّا بك) : التقرير الصحي السنوي لمديريّة الصحّة العامّة في العراق (١٥٥) — الدليل في مسلك الطب القانوني (٢٢٥)
داغر (اسعد خليل) : مكايد الحبّ في قصور الملوك لثورتون (٦٢٤)
دليل شركة مصايف لبنان للسنة ١٩٢٧ (٦٢٧)
الرجي (الخوري ميخائيل) : محاضرة عن القديس فرنسيس الاسيزي (٧١٦)
الرحماني (البطريرك افناطيوس افرام الثاني) : عيد ميلاد الربّ ونشيد مار افرام (٢٢٤)
رزق (الخوري الاسقفي) : غذاء النفوس في الصلوات والطقوس (٧٦٤)
رستم (الدكتور اسد) : حروب ابرهيم باشا المصري في سوريا والاناضول (٦٢٦)
روفائيل (اسعد خلوف) : دليل المتداعين ورفيق المحامين (٨٧٣)
زريق (توفيق) تعريب دوسن : حديث المائدة (٨٧٢)
السائح الممتاز لعام ١٨٢٧ (٢١٥)
سابا (عيسى ميخائيل) : تاريخ سوريا ولبنان (٧٩٥)
سارة (الاب بطرس) : لمحة تاريخيّة في دير سيدة المعونات (٤٧٧)
سركيس (يوسف اليان) : جامع التصانيف الحديثة من السنة ١٩٢٠ الى ١٩٢٦

(٢٣٦)
سلامه (موسى) : حرّية الفكر وابطالها في التاريخ (٣٩٧)–اليوم والغد (٩٥٧)
شبلي (القس انطونيوس) : المزّية الالهيّة (٧٩٣)
شبلي (المحامي ميشال) : المهاجرة اللبنانيّة (٧١٦)
شفيق (باشا) : حوليّات مصر السياسيّة (٨٧١)
الشهابي (السيد بشارة) : الاخوة الشهداء الثلثة (٢٣٣) — ذكرى الاعياد الاحتفاليّة لتطويب الاخوة المابكيين (٤٧٦)
شيخو (الاب لويس) : ترجمة القديسين لويس غونزاغا واستانسلاوس كوستكا (٧٦)– بيروت تاريخها وآثارها (٧٧)– حوادث لبنان والشام من شاهد عياني (٧٧) – شعراء النصرانية بعد الاسلام : القسم الثالث (١٥٨) – الماسونية بقلم احد العارفين (٢٢٧) – تعريب بين العلي (٣١٦) – اوّل تاريخ لبيروت ولبنان (٦٨٦– ٦٩٢)
صالحاني (الاب انطون اليسوعي) : القديس فرنسيس كسفاريوس (٢١٣) – الانجيل الطاهر واعمال الرسل (٦٣٥)
صبري (محمّد) : ادب وتاريخ (٤٧٦)
صليب (القسّ عبد المسيح المسعودي) : تكميل الشروحات في قواعد كتابة الصرفات (٨٧٥)
طه حسين : في الادب الجاهلي (٨٧٣)
عبد الحميد بك (محمد) : التعليم والصحة (٦٣٤)
عطّاره (قسطاكي الياس) : تكوين الصحف في العالم (٢٣٥)
العقّاد (سليم) : مركز المرأة في قانون حمورابي وفي القانون الموسوي (٦٣٤)
عقل (الخوري انطون) : ثلث مواعظ في يسوع المسيح (٢٩٧)
علوان (الاب يوسف اللازري) : نبذة في حياة واستشهاد ثلثة طوباويين من اللازريين (٥٥٨) – مرقاة المترجم في اللغتين الفرنسية والعربيّة الجزءان ٣و٤ (٦٢٤) – التعليم المسيحي الكبير والصغير (٨٧٢)
العشيقي (الخوري يوسف) : ازاهير القلوب لعيد قلب يسوع المحبوب (٧٦) – الاميران الاسيران – الزنبقة اليوسفية (٢٩٥)
عوّاد (الخوري منصور) : راشيل (٦٣٦)
غانم (الاخ باسيل) : حياة القس ميخائيل ابي شاهين الحلو (٥٥٦)
الغريب (امين) : رواية الحبّ المكتوم (٧١٦)
غزّاله (الدكتور سليمان) : خلاصة اركان الاقتصاد السياسي (٤٧٥) — التاسع من الوضيعة في الحكمة الخلقية (٧١٥)
غصن (الخوري مارون) : الملك هرقل او ارتفاع الصليب – مجد لبنان (٧٨) – البركة بعد اللعنة (٢٩٦) – رواية المسكين . مفتاة (٤٧٤)
الفاخوري (يوسف) : ثلث روايات تمثيليّة رجاء ويأس والبرج الشمالي وجانّ ماشيت (١٥٧)
فؤاد وعاشور : المنتخب من شعر ابي شادي (٢٩٦)
فكتور (الاخ سيرافيم) : تاريخ الآداب العربية من نشأتها الى ايامنا (طبعة ثانية) (١٥٥)–الذكرى الخالدة : اربع روايات تمثيليّة (٩٥٦)
فيّاض (الدكتور نقولا) : مملكة الظلّام او

حياة الارضة (٧١٥)
قرألي (الخوري بولس) : اهمّ حوادث حلب في النصف الاول من القرن التاسع عشر عن مذكّرة المطران بولس اروتين (٧١٤)
قربان (داود) : تعريب تاريخ العصور القديمة للدكتور برستد (٣٩٤)
قطّان (المطران باسيليوس) : نشرة مطرانيّة بيروت وجبيل للروم الكاثوليك (٣٩٤)
الكتاب الذهبي ليوبيل المقتطف الخمسيني (٧٧)
كوكي (القس يوسف الكلداني) : في الكثلكة والماسونية (٣١٤)
لامنس (الاب هنري اليسوعي) : حبيس بحيرة قدس (طبعة ثانية) (٣٩٦)
مبارك (الخوري اسقف بطرس) : شذور الذهب من حياة القديسة ترازيا الطفل يسوع (١٥٨)
لتلّو (الاب اليسوعي) : تعريب كتابه خبز النفوس اليومي لاحد الكهنة (٧٩٤)
لويس (الاب يوسف القبطي) : حياة المسيحي السعيدة في عبادة قلب يسوع المجيدة للاب كراولي (٦٣٦)
المازني (ابراهيم عبد القادر) : حصاد الهشيم (٩٥٧)
المرشد الامين الى حقيقة الدين (٣١٥)
مطر (جورج ط.) : اناشيد القمّة والوادي (٤٧٥)
مظهر (اسماعيل) : ملتقى السبيل في مذهب النشوء والارتقاء (٦٣٣)
معلوف (الاب لويس اليسوعي) : المنجد. (طبعة خامسة منقّحة) (٣١٦) — تقويم البشير للسنة ١٩٢٨ (٩٥٥)
معقّد (المطران جرمانوس) : رفائيل خزامي (١٥٧)
المغربي (الشيخ عبد القادر) : الاخلاق والواجبات البيّنات (٦٣٣)
المنذر (الشيخ سليمان) : كتاب الى المجمع العلمي (٣٣٦ و ٣١٥)
منش (المنسنيور جرجس) : كتاب الجنازات (٧٦)
الميمني (ابو البركات عبدالعزيز) : ابن رشيق — التثقف — ثلث رسائل (٦٣٣)
نادر (القس جبرائيل اللبناني) : النوادر (٧٩٦)
نخله (الاب رفائيل اليسوعي) : الامّ مريم فرج (٥٥٨)
ترليان (الاب اثناسيوس الفرنسيسي) : تسامية اكراماً للشهداء الفرنسيسيين والاخوة المسابكيين (٤٧٦)
النصولي (انيس زكريا) : تاريخ الدولة الاموية في الشام (٣٠٧)
نظيف (مصطفى) : علم الطبيعة : نشوءُ ورقيّهُ (٥٥٧)
الهواري (حسن محمّد) : رسالة في محتويات دار الآثار العربية في مصر (٣١٤)
وزارة المعارف : نظام الرياضة الدينية (٩٥٦)
يمين (الخوري انطون) : تهذيب الاخلاق والعلوم الاجتماعية (٧٩٥)

٢ مطبوعات اوروبية

Adelino (J.) : Lexique des termes d'art ( )
Allo (E. B.) : Le Scandale de Jésus (865).
L'Ame Russe (711).
Annuaire Statistique de l'Egypte (311).
Apostolat Missionnaire de France (866).
Aubert (H.) : Dictionnaire de Mythologie (630).

Bardy (G.) : Clément d'Alexandrie (392).
Basset (R.) : Mille et un Contes t. III (312).
Baumann (G. E.): Troponspiegel (232)
Baumgaertel (E.) : Dolmen u. Mustaba (738).
Bazin (R.) : Fils de l'Eglise (626)
Béchara el Khoury : Essai sur la Théorie des Preuves en droit musulman (150)
Beldar (Abbé Paul) : Grammaire Kurde (152)
Belle (Al.) : La critique française à la fin du XIX° siècle (309)
Beltrami (L.) et Codazzi (A.): Eugenio Griffini bey (153)
Berger et Moussat : Anthologie des textes sportifs (711)
Berloty (B. a. j.) : Annales de l'Observatoire de Kaara (713).
Bevan (E.) : Stoïciens et Sceptiques (954)
Bidez : Œuvres complètes de l'Empereur Julien (309)
Bihlmans (Alf.) : La Lettonie d'aujourd'hui (69)
Bloy (L.) : Lettres à F. Bloy et à G. de la Lauroncie (792) — Lettres à Pierre Termier (870)
Boreux (Ch.) : L'art égyptien (225)
Boutaric : Précis de Physique (233)
Bouyges (M. s. j.) : Algazel, Tahafot al-Falasifat (632)
Braunlich : Islamica (153, 471, 627)
Bréhier (E.) : Histoire de la Philosophie, I (629)
Bromond (H.) : Prière et Poésie (231)
Bromond (J. a. j.) : Les Pères du désert (392)
Brou (A.) : Le dix-huitième siècle (709)

Calvet (A.) : Le renouveau catholique dans la Littérature contemporaine (710)
Cartellieri (A.) : Weltgeschichte als Machtgeschichte (632)
Chantraine (P.) : Arrien texte et traduction (627)
Charpentier (H.) : Géologie et Minéralogie appliquées (870)
Chemali (Fr.) : The History of Saint Joseph Church Olean (311)
Cherel (A.) : La famille française. III et IV (372)
Cheesman (Major E.) : In unknown Arabia (72)
Chopin (J.) : Veillées de Bohème (472)
Choulguine (A.) : L'Ukraine et le Cauchemar rouge (866)
Christensen (A.) : Le règne du roi Kawadh et le Communisme (70)
Colin (H.) : De la Matière à la Vie (629)
Cordier (H.) : Mélanges d'Histoire et de Géographie orientales (554)

Daudet (L.) : Etudes et milieu littéraires (868)
Daurignac (J. M. S.) : Histoire de S. L. de Gonzague (709)
Dauzat (A.) : La langue française, sa vie, son évolution (229)
Dibildos (Abbé) : Une éducation chrétienne en pleine vie (303)
Dobout (Jacques) : ...Et par omissions (69)
Devonshire (R. L.) : L'Egypte musulmane et les fondateurs de ses monuments (227)
Diehl (Ch.) : Choses et Gens de Byzance (392)
Dodin (A.) : Abaque à calcul (233)
Dravaine (Cl.) : Nouara (791)
Du Parquet (Lᵗᵉ Colonel) : L'aventure allemande en Lettonie (70)

Duboscq (A.) : La Chine en face des Puissances (627)
Duguet (R.) : Moscou et la Géorgie martyre (473)
Dürr (L.) : Die Wertung d. Lebens in alten Testament (787)
Dussaud (R.) : Autour des Inscriptions de Glosel (950)
Dvornik (F.) : La vie de St Grégoire le Décapolite et les Slaves — Les Slaves, Byzance et Rome au IXe s. (751)

Ecclesia : Encyclopédie des connaissances religieuses (865)
Elens (A.) : El-Alfabeto (472)

Farah (Elie) : Etude sur le Rhoum Ribéa (713)
Felten (Dr Joseph) : Neutestamentliche Zeitgeschichte (73)
Fernandez (V. s. j.) : Institutiones Biblicæ, II (550)
Festgabe f. Adolf Deissmann (788)
Focke (F.) : Herodot als Historiker (551)
Frazer (Sir J. G.) : The Worship of Nature (950)
Froebes (J. s. j.) : Psychologia speculativa (952)

Gomaeling (P.) : Statistiques choisies et annotées (230)
Geyer (R.) : Die Muktaṣarah von at-Ṭyūlisī (714)
Gibb (H. A. R.) : Arabic Litteratur (75)
Goltz (Graf van der) : Meine Sendung in Finland u. in Baltikum (70)
Gouvello (H. le) : Pierre de Koriolet (709)
Granet (M.) : La religion des Chinois (374)
Grimaud (Abbé Ch.) : Aux Fidèles : ma Messe (709)
Grimme (H.) : Die Lesung d. Sinaischriftproblems (71)
Guilland (R.) : Correspondance de Nicéphore Grégoras (554)
Guillouin (R.) : Esquisses littéraires et morales (232)
Guy d'Avelino (T. G. D.) : Marie — Magdeleine (474)

Haefeli (Dr L.) : Syrien und sein Libanon (553)
Haumont (H.) : Yougoslavie (631)
Heuzey (L.) : Excursion dans la Thessalie turque en 1858 (953)
Hoffmayr (W.) : Die Schilluk (628)
Horovitz (J.) : Koranische Untersuchungen (866)
Hubert (R.) : Le principe d'autorité dans l'organisation démocratique (303)
Hubert-Jacques : L'Aventure Riffaine (791)
Huntheim (J. s. j.) : Theodicea sive Theologia naturalis (553)

Iorga (N.) : Essai de synthèse de l'Histoire de l'Humanité (389)

Jalabert (D.) : La Sculpture Romane (628)
Jelinek (H.) : Etudes tchécoslovaques (952)

Kees (H.) : Ægyptische Kunst (551)
Kennet (A.) : Bedouin Justice (553)
Kammerer (A.) : L'Histoire antique de l'Abyssinie (67)
Keyserling (Cte H. de) : Le Monde qui naît (630)
Klauber (E.) — Lehmann-Haupt : Geschichte d. alten Orients (949)
Kittel (G.) : Urchristentum, Spätjudentum, Hellenismus (550)
Kolbe (W.) : Beiträge z. Syrischen u. Judischen Geschichte (229)
Konow (S.) : The Aryan Gods of the Mitani People (711)
Kou-Hing-Ming : L'esprit du Peuple Chinois (631)
Kratchkowski (I.) : K. Ictoria Clobar al Xalil (153)
Krenkow (F.) : The Graut of Land by Muhammad to Tamim ad-Dāri — The Elegy upon al-Mughira ibn al-Muhallab (312)

Laveille (E. s. j.) : L'Evangile au centre de l'Afrique (230)
La Vie et les œuvres de quelques grands Saints (867)
Leclercq (Dom H.) : St Jérôme (952)
Lercher (L. s. j.) : Institutiones Theologicæ Dogmaticæ, II (626)
Lhermitte (H.) : Les fondements biologiques de la Psychologie (555)
Lidzbarski (M.). Ginza... Buch d. Mandäer (790)
Longrigg (S. H.) : Four Centuries of modern Iraq (228)

Maas (B.) : Théologie mystique (391)
Martin (H.) : La Grammaire des Styles (226)
Massis (H.) : Défense de l'Occident 630)
Maurand (A.): Rome conquise, Drame (709)
Maula Abdul Wali : Life and Work of Jawad Sabat (152)
Méautis (J.) : Aspects ignorés de la religion grecque (393)
Meiss (H.) et Houde : Les Psaumes traduits de l'hébreu (74) — Meiss (H.) : Echo des Psaumes dans le Talmud (391)
Mélanges de l'Université St Joseph (151)
Mercier (L.) : La chasse et les Sports chez les Arabes (867)
Mérie (Mgr E.) : L'Imagination et les Prodiges (709)
Mittelholzer (W.) : Im Flugzug dem Nordpol (231)
Montgomery (J. A.) : The Hexaplaric Strata in Greek Texts (151)
Morice (A.) : Pour vivre en beauté (709)
Mornet (D.) : La pensée française au XVIIIe siècle (308)
Moussot (A.) : Le Royaume Serbo-Croate-Slovène (307)

Naville (Ed.) : L'Ecriture égyptienne (469)

Odo-Bacilowa (K. B.) : Natchalina arabska Xrestomatia (73)
Oriental Studies in commemoration of P. Haupt (869)
Orientalia Hamburgensia (628)

Parot (E.) : Die Geschichte d. Islams in d. arab. Volksliteratur (868)
Palencia (A. Gonzales) : Historia de la Espana Musulmana (227)
Pesters (P. s. j.) : La Pasión arabe de S. 'Abd al Masîh (150)
Perrin (E. Sainte-Marie) : Paul Claudel (232)
Picard (Abbé G.) : Précis de doctrine catholique (867)
Poertner (B.) : Geschichte Ægyptens in Characterbildern (789)
Pottier (Ed.) : Le dessin chez les Grecs d'après les vases peints (310)
Preuss (K. Th.) : Glauben u. Mystik im Schatten höchsten Wesens (790)
Rabeau (G.) : Introduction à l'étude de la Théologie (390)

Revue des Etudes Islamiques (869)
Rinaldi (L.) : Il Libro d'Italiano (954)
Robert David : Le Drame ignoré de l'armée d'Orient (792)

Sanhoury (A.): Le Califat, son évolution vers une Société des Nations Orientales (471)
Santillana (David) : Istituzioni di Diritto musulmano malichita (68)
Sayeys (M. M.) : Indica mihi (391)
Schacht (J.) : Das Kitâb aḥkâr al Ḥuqûq war-Ruhûn (713)
Schlesinger (M. L.) : Das bolschevische Russland (389)
Schmidt (H.) : Die Thronfahrt Jahves (787)
Schmitterlow (B. von): General Feldmarschall von d. Golz Pacha (75)
Sée (H.) : La vie économique de la France sous la monarchie consulaire (552)
Semaine Internationale d'Ethnologie religieuse (473)
Stand u. Aufgaben d. Sprachwissenschaft (469)
Steuernagel (Dr G.) : Der 'Adschun (627)

Thibaud (J. B.) : Ordre des Offices de la Semaine Sainte à Jérusalem du IVe au Xe siècle (69)
Thomsen (P.) : Systematische Bibliographie der Palästina Literatur. IV. 1915-1924 (470, 792)
Tyan (Emile) : Le système de responsabilité délictuelle en droit musulman (56)

Unger (E.) : Sumerische u. Akkadische Kunst (389)

Vaeth (Alfons s. j.) : Der heil. Thomas Apostel Indiens (74)
Vardan : La domination arabe en Arménie (631)
Viollet (L'abbé J.) : La Bonne Entente Conjugale (954)

Waele (F. J. M. de) : The magic staff or rod in greco-italian antiquity (712)
Weber (W.) : Die Staatenwelt d. Mittelmeers in d. Frühzeit d. Griechentums (229)
Weisl (Wolfang) : Der Kampf um d. Heilige Land Palästina (74)
Wright (J. K.) : The geographical Lore of the time of the Crusades (228)

فهرس رابع

لجميع موادّ السنة الخامسة والعشرين للمشرق

على طريقة حروف المعجم

* ا * آثار للسيد السمعاني ٢٧٧;٢٤٧;٤٥٤; ٥٠٢;٥٦٩
الآثار العربيّة وسرّ القربان المقدس ٤٠٨–٤١٤
الآثار القديمة ٢١٧
اثر فريد للبطريرك مكسيموس مظلوم ٨٠١–٨١٠
الآداب العربية حاضراً : نظر عام ٢٠٣;٢٨١
الآداب العربيـة بين ارباب الكهنوت ٢٨٤;٤٢٢ بين المرسلين ٥٢٧ ادباء النصارى حاضراً : الشعراء ٧٠٤ الصحافيون والكتبة ٧٧٦ ; ٨٦٠ شعراء المسلمين وادباؤهم ٩٤١–٩٤٩
آسية في العام ١٩٢٦ ١٤٠–١٤٥
ابرهيم الحكيم الشاعر الحلبي ٦٥٠–٦٥٩
ابن اياس : فكاهة من تاريخه ٢٢٩
ابن القلاعي وآثاره ٢٦٦–٢٧٢
ابن مكانس فخر الدين ونصرانيّته ١٧٠–١٧٦
ابن وردان وقصره ٢٢٠
ابو قام ونصرانيّته ١٦٠
ابو الميثل واثر من شعره ٢٢٨
اثناسيوس (البطريرك الاسكندري القديس) دستور ايمانه ٨٢٨–٨٣٠
اثناسيوس رئيس اساقفتها الجديد ٤٧٨
الاحوال الاقتصادية في سورية الرومانية ٢٩٥–٣٠٣
اخوة المدارس المسيحية وقدّيسين كنيستهم ١٥٨ شهيدهم الاخ سالومون ٢٢١–٢٢٥
الاخويات المريميّة في الشرق ٢٢١–٢٢٠
الاديان وانتشارها ردّ على مجلة الهلال ٧١٨; ٧٦٤–٧٧٢
الاراميون والادوميون والنسبة بينهما ٤٨١
الارمن الكاثوليك وكتبهم ٤٢٢
اسبانية في العام ١٩٢٦ ٨
الاسفار المقدّسة وشواهد جديدة على صحتها ٩٥٨
اسوج ونروج في السنة ١٩٢٦ ١٢ ارتداد احد اشراف اسوج الى الكثلكة ٥٥٨
الاصطياف اللبناني وتعميمهُ ٢٨٩–٢٩٤
افريقية في سنة ١٩٢٦ ١٢٨–١٤٠
المانية في العام السابق ٦
امين إم اوبة الحكيم المصري ٤٩٥–٥٠٢
الاميران الاسيران : رواية تشخيصيّة (تتمّة) ٣٥–٤٠
اميركة : نظر في احوالها سنة ١٩٢٦ ١٣٥ النهضة الادبيّة فيها ٢٨١–٢٨٢
اندرين وخرائبها ٢٢٠
انسبروك وجامعتها ويوبيلها الفرنسي ٧١٧
انطون بيطار الشاعر الحلبي ٧٥٤–٧٦٢
انطونيوس فريجي اللبناني ٧٣٩–٧٤٤
انكلترّة في العام ١٩٢٦ ٥–٦ الغاؤها للشرائع المسونة في حقّ الكاثوليك ٧٨

اهتداء سيدة انكليزية الى الكثلكة ٤٧٧
الاوراق الماليَّة واوّل ظهورها ٤٠٠
اوربة واحوالها في السنة ١٩٢٦ ٢
اوّل استاذ وطني قانوني في مكتب حقوق فرنساوي ١٠٨-١١٢
اوّل تاريخ لبيروت ولبنان ٦٨٦-٦٩٢
ايزندا مركز اسقفيَّة شرفية ٨٠٠؛٨٨٠
ايطالية وزعيمها موسوليني ٧-٨ الغاؤها للمبارزة ٧٩٨
الايمان والعقل والوفاق بينها ٥٣-٥٨
* ب * البابوات اعلامهم وتاريخهم ٨٠
باريس واسرارها ٧١٨
بافارية والكرسي الرسولي ٧
باقة رياحين لملكة فلسطين (قصيدة) ٨٧٦-٨٧٧
البترول واصلهُ ٦٠٨-٦١٦
بتهوفن الموسيقي وتذكارهُ ٣٩٩
البحر وقوَّتهُ المحركة ٧٩
بحنّس ومصحّها ٥٣٩
البرازيل في العام ١٩٢٦ ١٢٧
البرديوط ومعنى اسمهِ ورتبتهُ ٨٨٠
البرق السماوي ٨٧٧
بطرس الرسول القديس وانجيله الزور ٣٤٠
البلغار في السنة ١٩٢٦ ١١
بلجكة وامورها في العام ١٩٢٦ ١٣
البلقان ودولهُ ١١
بنديكتوس الرابع عشر وبراءاتهُ الثلاث بخصوص المجمع اللبناني ٤٣٣-٤٤٥
البورتغال واحوالها ٨-٩
بوسوئه والتذكار المئوي الثالث لميلاده ٨٨١-٨٩١
بولونية ودولتها في العام الماضي ٩
بولومبوا (الاب لويس اليسوعي): اكرام الحكومة اللبنانية لذكرهِ ٨٧٩
بوليفية الكاثوليكية ١٣٨
بيروت ولبنان واوّل تاريخها ٦٨٦-٦٩٢
بيلاطوس وتقريرهُ عن السيد المسيح ٣٢٠
* ت * تاريخ الدولة الاموية في الشام ٢٠٧-٢١٠
التجارة والصناعة وحركتها ٢١٨
تذكار السنة العاشرة للثورة الروسيَّة ٢٧٥-٢٨١
التذكار المئوي الثالث لميلاد بوسوئه ٨٨١-٨٩١
تركيَّة واحوالها سنة ١٩٢٦ ١٤٢
تطويب جانّ انتيد طوره مؤسسة راهبات محبة يغرانسون ٤٥٩-٤٦٩
تطويب جبري ميكائيل الشهيد الحبشي اللعازري ٢٤١-٢٥١
تطويب شهداء الثورة الفرنسوية سنة ١٧٩٢ ١٤٥؛٢٥٩؛٢٢١؛٧٣١
تطويب شهداء دمشق الموارنة ٤٨١-٤٩٥
تطويب شهيدَي الغربان المقدَّس اليسوعيين ٢١٩-٢٢٥
التلغرافية والتلفونيَّة اللاسلكيَّة ٢١٥
توت عنخ امون وآثارهُ ٨٩٣-٨٩٩
تونس وحماية فرنسة ١٣٨
تيّان (الاستاذ اميل) ٢١٩
* ج * الجاسوسيَّة في الحرب الكبرى ٢٥٧-٢٦٥
جاك سالس وغليوم سوقرش شهيدا الغربان الاقدس ٢١٩-٢٢٥
جان انتيد طوره وتطويبها ٤٥٩-٤٦٩
جبري ميكائيل الشهيد الحبشي اللعازري ٢٤١-٢٥٤
جرمانوس فرحات: ترجمتهُ وشعرهُ ٥١٧-٥٢٦
الجزائر ورقيها بفضل دولة فرنسة ١٣٨

جزيرة العرب وابن السعود ١٤٣
جمعية الرسالات الاجنبيّة ٤٨٠
جولسة في كسروان ٤١٤;٦١٦;٦٩٣;٧٤٥;
٨٥٦;٩١٩
* ح * الحبر الاعظم بيوس الحادي عشر
وتمثالهُ في المكتبة الامبروزيانية ٢١٧
الحبشة في العام ١٩٢٦ ١٣٩
الحرب الكونية وذنبها ٢١٩ الجاسوسية في
الحرب الكبرى ٣٥٧-٣٦٥
حريصا . غوسطا ٤١٥
الحصن دير مار يوسف ومخطوطاتهُ ٤١٩;٦١٦
الحكمة المصرية في عهد الفراعنة ٤٩٥-٥٠٢
حمّانا ومصيفها وآثارها وتاريخها ٥٨٦-٥٩٧
حوادث الصين ٤٠١-٤٠٨
حياة الرسالات الكاثوليكية (تتمّة) ١٤-٢٤
* خ * الخوري نيقولاوس الصائغ ترجمتهُ
وشعرهُ ٥٩٨-٦٠٨
* د * دمنيوس او دمنوس الشهيد ٨٠٠
الدنج او الدنغ اصل هذه اللفظة ٨٨٠;٨٥٩
دوق اورليان المتوفى ٤
دوقة دي روهان المتوفاة ٤-٥
الدولة الاموية وتاريخها في الشام ٢٠٧-٢١٠
دير اسيزي وعودتهُ الى الرهبنة الفرنسيسية
٨٧٨
دير حرملة ٨٨٠
دير سيدة المونات وتاريخهُ ومدرستهُ ١٢٢;
١٧٨
ديلهاي : الاب اليسوعي البولندي ويوبيلهُ
الخمسيني ٣٢٨-٣٣٩
الدين يمّ كل الشعوب ٧١٨;٧٦٤-٧٧٢
* ذ * الذهب في العالم ٧١٩
* ر * الرسالات الاجنبيّة وجماعتها ٤٨٠
الرسالات الكاثوليكية وحياتها (تتمّة) ١٤-
٢٤
رسائل البروفنسيال والارشمندريت فوتيوس
٥٦١-٥٦٨
روسيّة ودولتها السوفياتيّة ١٠-١١ تذكار
السنة العاشرة لثورتها ٢٧٥-٢٨١
الروم الكاثوليك وكتبهم حاضراً ٤٢٧-
٤٣٠
رومانية في العام الماضي ١١
رومية والكرسي الرسولي في العام الماضي ٣
الروايات التمثيلية التي يمكن تشخيصها في
المدارس ٥٦٠;٦٤٠
روبنس المصوّر الشهير واعياده اليوبيلية ٧١٩
الريّ في العراق ٨٤ في مصر ٨٧ في الهند ٩٠
في سوريّا ولبنان ٩٢
* ز * زاخر (الشماس عبدالله) وآثاره ٨٥١-
٨٥٢
زجليّون من القرن السابع عشر ٣٤٤-٣٤٦
الزلازل اسبابها وقوانينها وعلاماتها ٦٤٠
زيارة لآثار توت عنخ امون ٨٩٢-٨٩٩
* س * سالومون الاخ الطوباوي نقولا
كلير ٢٢٧;٢٢١-٢٢٥
سرّ القربان في الآثار العربيّة ٤٠٨-٤١٤
السريان الكاثوليك وكتبهم حاضراً ٤٣٠-
٤٣١
سفاره وعاداتها ٤٧٩
السل ومستشفياتهُ في اوربّة ٦٦٠-٦٧١
سليمان التزّي الشاعر ٤٢;١٧;١٥٩
السماء لا اكل فيه ولا شرب ١٦٠
السمعاني (يوسف سمعان) ما اقتطفهُ من رسوم
المجمع اللبناني ٢٧٧ الرسوم الخاصة
بالاوارنة ٢٨٠ - ٢٨٦ الرسوم الخاصة
بالرعايا وتدبير الكنائس ٢٤٧-٢٥٤
يوميّتهُ في لبنان ٤٥٤;٥٠٢;٥٦٩
السمّن وعلاجهُ الجديد ٧٩٧
السودان في العام المنصرم ١٤٠

سوريا ولبنان ودينها ٨١–٩٦ احوالها في العام ١٩٢٦ ١٤٤–١٤٥ المسألة السورية ٢٨٦–٢٨٩ سورية الرومانيّة واحوالها الاقتصادية ٢٩٥–٣٠٢
سويسرة في العام الماضي ١٤ نصب تمثال العذراء في اعالي جبالها ٧١٩
السيارات ومزاحمتها للخطّ الحديدي ٧٩٦
السينما اوّل متحف لطرائقه ٤٧٩
* ش * شاكر بن ريشه القبطي ١٧٧
الشتاء وفواجعهُ ٣٩٨
الشرق الاقصى وحركتهُ ١٤٠
شعراء النصرانية بعد الاسلام (تابع) القسم الرابع . مقدّمة ١ اسليمان الغزّي ٤١؛٩٧ فخر الدين بن امكانس ١٧٠ شاكر بن ريشه ويوسف بن رزق الله ١٧٧ ابن القلاعي ٢٦٦ عيسى هزار ٢٧٣ ميخائيل حاتم ٢٢٥ انطونيوس فريجي ٢٣٩ زجليون آخرون ٢٤٤ طيمرثاوس كرنوك ٤٤٥ كامل نجيم ٤٥٠ جرمانوس فرحات ٥١٧ نيقولاوس الصائغ ٥٩٨ ابراهيم حكيم ٦٥٠ انطون بيطار ٧٥٤ مكرديج الكبيع ٨٤٧ عبدالله زاخر ٨٥٠ توما نعمة ٨٥١؛ ٩١٠ ابن افرنجية ٩١٥
الشعر العصري : اقسامهُ ٥٤٣–٥٥٠ فنونهُ ٦٢٢–٦٢٥
شفاء احد جرحى الجيش السوري في لورد ٧٩٩
شهداء الثورة الفرنسوية وتطويبهم ١٤٥؛٢٥٩؛ ٢٣١؛٧٣١
الشهداء المسابكيون الموارنة ٤٨١–٤٩٥
الشهيد بطل (قصيدة) ٦٣٨
شهيد سرّ الاعتراف ٨٧٧
شهيدا القربان المقدّس اليسوعيان جاك بالس وظيوم سوتموش ٢١٩–٢٢٥
الشوالحة لقب الناطرة ٤٨١
* ص * (الصائغ المتوري نيقولاوس) ترجمتهُ وشعرهُ ٥٩٨–٦٠٨
صالح بن يحيى صاحب اوّل تاريخ لبيروت ولبنان ٦٨٦–٦٩٣
الصحراء وقطعها بالاوتوموبيلات ١٣٩
صرّوف (الدكتور يعقوب) وفاتهُ ٦٣٩
صيدنايا : زجليّة في اياوتها العجيبة ٢٥٤–٢٥٧
الصين في العام ١٩٢٦ ١٤٠ حوادثها الاخيرة ٤٠١–٤٠٨ ارتداد احد وزرائها الى الكثلكة ٤٧٨ ترهّبهُ ٨٧٨
* ض * ضرائب على الآذان والانوف في تيبت ٢٣٩
* ط * الطبّ ورقيّهُ ٢١٧–٢١٨
طرابلس الشام وخصتها الادبيّة ٢٧١–٢٧٥
طرابلس الغرب وزيارة موسوليني ١٣٩
الطيران وعجائبهُ ٢١١–٢٤٤ اكبر شوط هوائي ٤٧٩ من البرتغال الى البرازيل بالطيران ٤٧٩ طلسم الطيار لندبرغ ٧٩٨ آفات الطيران ٩٥٩ الطيران فوق الاوقيانوس الاتلنتيكي ٩٥٩
طيمثاوس كرنوك وزجليّاتهُ ٤٤٥–٤٥٠
* ظ * ظهور السيد المسيح لوالدته بعد القيامة ٣١٧
* ع * عبد الملك بن صالح ووصيّتهُ لابنهِ ٧٣٨–٧٤٥
العجم وانقلاب دولتها ١٤٣
العراق وريّهُ ٨٤ حكومتهُ ١٤٣
عشقوت ومكتبة ديرها ٧٤٥؛٨٥٦؛٩١٩
العقل والايمان والوفاق بينهما ٥٣–٥٨
العلم وحركتهُ في العام المنصرم ٢١٠–٢١٨
العَلَم البابوي ٨٠
العلوم الطبيعيّة في العام ١٩٢٦ ٢١٠–٢١٤

عمل المشرق في ربع قرن ٩٢٥–٩٤١
عويدات (الخوري يوحنا) ٢٤٥–٢٤٦ زجلية في ايقونة صيدنايا العجيبة ٢٥٤–٢٥٧
عيد الصليب في رلى لبنان (قصيدة) ٧٧٢–٧٧٦
عيسى الخزار القوّال ٢٧٣–٢٧٦
العين الباصرة لروائع القاهرة ٧٢١–٧٣١
عين لوبس ومصحّتها ٥٢٩–٥٣٦
عين ورقة ومكتبتها ٦١٩؛٦٩٢
* غ * غوسطا ٤١٥
غيرين الطوبوين روبر فرنسوا المرسل الى الشرق وشهيد الثورة الفرنسوية ٧٣١ – ٧٣٧
* ف * فاطمة (السيدة) وعجائبها ٤٧٨
فرحات (المطران جرمانوس) ترجمتهُ وشعرهُ ٥١٧–٥٢٦
فرنسة في السنة ١٩٣٦ ٣–٦ امتيازاتها الدينية في البلاد الاجنبيّة ٧٨ ضيافتها ٥٥٩ خمول مدارسها اللادينيّة ٥٥٩
فكتور تابوليون المتوفى ٤
فكاهة غريبة من تاريخ ابن اياس ٢٢٩
فلسطين في العام ١٩٣٦ ٤٤٣
الفلك ورقي علمهِ ٢١٦
الفنون الجميلة ٢١٦–٢١٧
فؤاد الاوّل (ملك مصر) في رومية ٧١٧
فوتيوس الارشمندريت ورسائل البروفنسيالي ٤٦١–٥٦٨ ردّهُ ٧١٧
فولتا وتذكار المئة الاولى لوفاتهِ ٣٩٩
الفونوغراف والبوبيل الذهبي لاختراعهِ ٤٧٨ فينيا في (وينه) ووفاتهُ
* ق * قبرس: زجليّة في فتحها ٣٦٦–٣٤٤ القبط الكاثوليك وكتبهم ٤٣٣
القرآن وما جاء فيهِ عن المشركين والكفّار ٤٤٠
القربان الاقدس في الآثار العربية ٤٠٨–٤١٤
قرداحي (شكري) اوّل استاذ وطني قانوني في مكتب حقوق فرنساوي ١٠٨–١١٢
قطع الاوفيانوس الاتلنتيكي بشوط واحد ٩٥٩
قلعة نابوليون المزعومة على المقطم ٨٤٠–٨٤٦
* ك * الكاثوليك: احصاء عددهم في المعمور ٢١٧
كامل نجيم (الراهب الماروني) زجليتهُ في البيئة الرهبانية ٤٥٠–٤٥٣
كتاب الصلوات وحركة التطوّر في الكنيسة الانكليكانية ٦٤١–٦٥٠
الكثلكة ومنتقدوها ٨٣١–٨٣
الكردينال نقولا فرنسوا دوقة لورين وزواجهُ ٧٣٠
كسفاريوس (القديس فرنسيس) تمجيد اليابان لرسولهم ٢٦٥–٢٧١ نشر مجلة الشرق والغرب لترجمتهِ ٨٧٩
كسوف الشمس في ٢٩ حزيران ٦٣٩
الكشافة الفرنسويّة ٨٧٨
الكلاب وصوفهم وتقنيتهم بالنقاء الثاني ٧٩
الكلدان الكاثوليك وكتبهم حاضراً ٤٣١–٤٣٢
كندا وتطويب شهدائها ١٢٦
الكلية والجامعة والفرق بينها ٤٠٠
الكنيسة الانكليكانية وحركة تطوّرها ٦٤١–٦٥٠
الكنيسة الكاثوليكية نصيرة العلم ٧٩٩
الكهربائية ورقيّها ٣١٤ إنارة المنبج بالكهرباء ٨٠٠
* ل * لانتاك الحكيم الثابتة وتذكار وفاتهِ ١٨٥–١٩٣
اللاهوت الادبي والنظري وانفصال كتبهما في العربيّة ٨٠٠

لبنان : الريُّ فيه ٨١–٩٦ لبنان في العام ١٩٢٦. ١٤٤–١٤٥ تعميم الاصطياف في لبنان ٢٨٩–٢٩٤ مصحّات لبنان ٥٢٦–٥٢٦. اوّل تاريخ لبيروت ولبنان ٦٨٦–٦٩٢ نبذة من تاريخ لبنان في القرن السابع عشر ٨١٠–٨٢٠
اللازريين وشهداؤهم المطوّبون. ٢٤١؛٢٥٩
لندبرغ الطيّار وطلسمه ٧٨٣
لندن وبناج مداخنها ٧١٨–٧١٩
* م * ما هو اصل البترول ٦٠٨–٦١٦
المادّة وتركيبها ٢١٠
الماسونيّة وفوضاها في مصر ٧٩؛١٥٩ الماسونيّة في المكسيك ١٢٧
المبارزة والناوها في ايطالية ٧٩٨
المتنبي (ابو الطيّب الشاعر). اخباره ٨٣٠–٨٤١ اخلاقهُ وصفاتهُ ٩٠٠–٩٠٩
المتوفون من النصارى من ١٩١٨ الى ١٩٢٦
الاحبار الكهنة ٥٨ المالبون. ٦٢؛١١٧
المتشرقون ١٩٢–٢٠٦
المجر في العام السابق ١٢–١٣
المجمع اللبناني وثلاث براءات للبابا بنادبكتوس الرابع عشر بخصوص ٤٢٣–٤٤٥
المحرّكات المائيّة والسنة المئة لاكتشافها ٧٩٧
محمد علي وقلعتهُ على المقطّم ٨٤١–٨٤٦
محمّد السادس وحيد الدين السلطان المخلوع ووفاتهُ ١٤٣
مخطوطات نادرة ٥٦٠
المدارس اللادينية ونموها في فرنسة ٥٥٩
مدرسة انتشار الايمان واعياد قرنها الثالث ٦٣٩
مراكش وزعيمها عبد الكريم ٤؛١٣٨
مرسل يسوعي الى الشرق شهيد الثورة الفرنسوية ٧٣١–٧٣٧
المرسلون وعنايتهم باللغة العربية ٥٣٩–٥٤٣
المزار الحي ٤٧٧
المسألة السورية ٢٨٦–٢٨٩
المستشفى اللبناني وتدشينهُ ١٥٩
مستشفيات السلّ في اوربة ٦٦٠–٦٧١
مسعد (البطريرك بولس) نسبهُ ٧٤٧–٧٤٨
المشرق : تحيّة عربيّ الغضي. اهل المشرق في ربع قرن ٩٣٥–٩٤١
مصابان اليان ٢١٨
المصايف اللبنانية وتطهيرها ٥٢٤–٥٢٦.
المصحّات اللبنانيّة ٥٢٦–٥٣٩
مصر في العام السابق ١٣٩–١٤٠ الفوضى في الماسونيّة المصرية ٧٩ الريّ في مصر ٨٧– الحكمة المصرية في عهد الفراعنة ٤٩٥–٥٠٢
مصيف حمّانا ٥٨٦–٥٩٧
مظلوم (البطريرك مكسيموس) اثر فريد لهُ ٨٠١–٨١٠
المعاهد الصحية او مستشفيات السلّ في اوربا ٦٦٠–٦٧١
مرض لويس الرابع عشر ٢١٩
المتوتس من هو؟ ٤٠٠
المكسيك في العام ٩٣٦ ؛ ١٢٧ الاضطهاد الديني فيه ١٦١ ؛ ١٧٠ شهداء المكسيك ٧٩٨ شهيد سرّ الاعتراف في المكسيك ٨٧٧
مكرديج الكبير وآثارهُ ٨٤٧–٨٥١
ملك دولة الكمبودج ٧٨٣
المنار وزعمها الباطل في اجازة الكنيسة للطلاق ٢٩٧–٢٩٨
المنفلوطي (مصطفى) ٨٠
الموارنة وحرمهم متفطنة من المجمع اللبناني لكتبهم ٢٧٧–٢٨٦ لرعاياهم وتدبير كنائسهم ٢٤٧–٢٦٥ كتبة الاكليروس الماروني ٢٨٤؛٤٢٧

الموت خوفاً ٤٧٩
الموتى واكرامهم في فرنسة ٨٧٩
موسكو اسمها وتاريخ بنائها ٩٦٠
المياه الزراعيّة : الريّ في الشرق الاقرب وتجديدهُ في سوريا ولبنان ٨١-٩٦
ميتر (الاب اوجان اليسوعي المتوفى) ٣١٧-٣١٨
ميخائيل حاتم القوّال ٢٢٥-٢٢٩
* ن * نابغة الطبّ الحكيم لاتّاك وتذكار السنة المئة لوفاته ١٨٥-١٩٣
نابوليون وقلتهُ المزعومة على المقطم ٨٤١-٨٤٦
النساء ابطال الحرب ٥٥٨-٥٥٩
نسيبه وديرها ومكتبتها ٤١٦-٤١٩
نظر عام في احوال العام ١٩؛١٢٥
نظر عام في الكنيسة الكاثوليكية ومعتقداتها ٨٢٠-٨٣٠
النمسة في العام ١٩٢٦ ٩
النور الليلي ومصدرهُ ٧١٨
نيزك جديد ٧٩
نيكاراغوا وثورتها ١٣٧
* هـ * هل الاديان منتشرة بين جميع الشعوب ؟ ٧٦١-٧٧٢
الهند ورئيسها ٩٠ بعض امورها ١٤١
الهند الصينيّة وترقيها ١٤١-١٤٣
هولندة في العام المنصرم ١٣
* و * ورق الكتابة ومخترعهُ وشيوعهُ بين العرب ٧٣٠
وصيّة عبد الملك بن صالح لابنهِ قبل وفاتهِ ٧٣٨-٧٤٥
الوفاق بين الايمان والعقل ٥٣-٥٨
الولايات المتحدة في العام الماضي ١٣٥ لفافات التبغ فيها ٢١٩
* ي * اليابان وسياستها في العام الماضي ١٤١ تمجيد اليابان لرسولهم ٣٦٥-٣٧١ اول اسقف ياباني ٨٧٨
يا كوبس (المكرّم جوسنان دي) . اوّل نائب رسولي على الحبشة ٣٤٥-٣٥٤
يحيى ابن عدي وتآليفهُ ٣٤٠
اليسوعيون : شهداؤهم المطوّبون ١٤٥؛٢١٩؛٢٢٨؛٧٣١ يسوعي يحظى بالوسام اللبناني ١٥٨ وفاة ثلثة من مرسليهم ٢٣٨ اليسوعيون في الصين ٢٩٨-٢٩٩ المئة الثالثة لمرسلهم في سورية ٥٥٨
اليهودي التائه وخرافتهُ ١٦٠
يوبيل بعض مشاهير الوطن ٢١٨-٢١٩
يوسف بن رزق الله الموقّع ١٧٧
يومية السيد يوسف السمعاني في لبنان ١٧٣٦ ٤٥٤؛٥٠٣؛٥٦٩

AL - MACHRIQ

Revue Catholique Orientale Mensuelle

SCIENCES—LETTRES—ARTS

Sous la direction des Pères de la Cie de Jésus
UNIVERSITÉ St JOSEPH

Vingt cinquième année (1927)

NOCES D'ARGENT DE LA REVUE

1898 - 1927

BEYROUTH
Imprimerie Catholique
1927

TABLES DES SOMMAIRES

XXVe ANNÉE 1927

JANVIER

Les Noces d'argent d'al-Machriq *La Rédaction.*

L'année 1926 à vol d'oiseau (page 1) : *P. Louis Cheikho S. J.*

La vie des Missions Catholiques (fin) (p. 14) : *P. Ferdinand Taoutel S. J.*

Les deux princes captifs (tragédie, fin) (p. 25) : *L'abbé Joseph 'Amchiti.*

Les Poètes arabes chrétiens après l'Islam (4e Période) (p. 40) : *P. L. Cheikho S. J.*

Le sentiment religieux à l'Académie des Sciences. Accord de la Foi et de la Raison (p. 52) : *P. Emmanuel Rolland S. J.*

La Littérature arabe au 1er quart du XXe siècle (suite) (p. 58) : *P. L. Cheikho S. J.*

Bibliographie (p. 66) = Varia (78) = Questions et Réponses (80)

FÉVRIER

Les irrigations dans le Proche-Orient, leur restauration en Syrie et au Liban. (p. 81) : *Mr Edmond Béchara.*

Les Poètes arabes chrétiens après l'Islam (4e Période) (suite) (p. 97) : *P. L. Cheikho S. J.*

Mr Choucri Cordahi, 1er professeur attitré dans une école de droit française (p. 108) : *Un homme de Loi.*

La Littérature arabe au 1er quart du XXe siècle (suite) (p. 113) : *P. L. Cheikho S. J.*

Le Couvent de N.-D. Auxiliatrice (p. 123) : *P. Pierre Sarah O. S. A.*

L'année 1926 à vol d'oiseau (fin) (p. 135) : *P. L. Cheikho S. J.*

Les Bienheureux Martyrs de la Révolution en 1792 (p. 145) : *P. Emmanuel Rolland S. J.*

Bibliographie (p. 150) = Varia (p. 158) = Questions et Réponses (p. 160).

MARS

La persécution religieuse au Mexique (p. 161) : *P. Ferdinand Taoutel S. J.*

Les Poètes arabes chrétiens (4e Période) (suite) (p. 170) : *P. L. Cheikho S. J.*

Le Couvent de N-D. Auxiliatrice (fin, p. 178) : *P. Pierre Sarah O. S. A.*

Le Centenaire de Laënnec (p. 185) : *P. Emmanuel Rolland S. J.*

La Littérature arabe au 1er quart du XXe siècle (suite) (p. 193) : *P. L. Cheikho S. J.*

Une histoire des Omaiyades en Syrie (p. 207) ; *P. H. Lammens S. J.*

Bulletin scientifique de 1926 (p. 210) : *P. L. Cheikho S. J.*

Les deux martyrs de l'Eucharistie : les Bienheureux Jésuites J. Salès et G. Sautemoucho (p. 219) : *idem.*

Bibliographie (p. 225) = Varia (237) = Questions et Réponses (p. 240).

AVRIL

Le Bienheureux martyr abyssin Guebré Mikaël (p. 241) : *P. Joseph 'Alouan C. M.*

Deux Bienheureux lazaristes martyrs de la révolution (p. 259) : *Le même.*

Les Poètes arabes chrétiens (4e Période) (suite) (p. 266) : *P. L. Cheikho S. J.*

Lettre inédite d'Assemani sur les prescriptions du Concile du Liban (p. 277) : *P. Antoine Chebli O. S. A.*

La Question Libanaise (p. 286) : *P. Henri Lammens S. J.*

Comment favoriser la villégiature au Liban ? (p. 289) : *P. L. Cheikho S. J.*

L'Etat économique de la Syrie romaine (p. 295) : *P. René Mouterde S. J.*

La Littérature arabe au 1er quart du XXe siècle (suite) (p. 303) : *P. L. Cheikho S. J.*

Bibliographie (p. 307) = Varia (317) = Questions et Réponses, (p. 320).

MAI

Les Congrégations mariales en Orient (p. 321) : *P. L. Cheikho S. J.*

Le Bienheureux Salomon des Frères des Écoles chrétiennes (p. 331) : *Frère J. J.*

Les Poètes arabes chrétiens (4e Période) (suite) (p. 335) : *P. L. Cheikho S. J.*

Deux autres documents d'Assémani relatifs au Concile du Liban (p. 347) : *P. Antoine Chehli O. S. A.*

Légende de la Vierge de Saidanaia (poésie populaire) (p. 354) : *Jean 'Aouissât.*

L'espionnage durant la guerre (p. 357) : *L'Abbé Pierre Raphaël.*

Triomphe posthume de St Fr-Xavier au Japon (p. 365) : *Un missionnaire du Japon.*

Les Lettres arabes à Tripoli (p. 371) : *Mr Georges Yanni.*

Le 10e anniversaire du Bolchévisme (p. 375) : *P. Ferdinand Taoutel S. J.*

La Littérature arabe au 1er quart du XXe siècle (suite) (p. 381 : *P. L. Cheikho S. J.*

Bibliographie (p. 388) = Varia (397) = Questions et Réponses (p. 400).

JUIN

Les événements de Chine (p. 401) : *P. Ferdinand Taoutel S. J.*

L'Eucharistie dans l'Arabie Chrétienne (p. 408) : *P. L. Cheikho S. J.*

Une excursion dans le Kisrouan (p. 414) : *P. Antoine Chebli O. S. A.*

La Littérature arabe au 1er quart du XXe siècle (suite) (p. 423) : *P. L. Cheikho S. J.*

Trois brefs inédits de Benoit XIV relatifs au Concile du Liban (p. 432) : *Idem.*

Les Poètes arabes chrétiens (4e Période) (suite) (p. 445) : *Idem.*

Journal de J. S. Assémani au Liban en 1736 (p. 454) : *P. Louis Boleibel O. S. A.*

La Bte Jeanne-Antide Thouret (p. 459) : *P. L. Cheikho S. J.*

Bibliographie (469) = Varia (477) = Questions et Réponses (p. 480).

JUILLET

Les trois frères Massabki martyrs de Damas en 1860 (p. 481) : *Abbé Mansour 'Aouâd.*

La sagesse de l'Egypte sous les Pharaons (p. 495) : *P. Alexis Mallon S. J.*

Journal de J. S. Assémani au Liban en 1736 (suite) (p. 502) : *P. Louis Boleibel O. S. A.*

Les Poètes arabes chrétiens après l'Islam (4e Période) (suite) (p. 517) : *P. L. Cheikho S. J.*

Les Sanatoriums au Liban (p. 524) : *Dr Taoufiq Salhab.*

La Littérature arabe au 1er quart du XXe siècle (suite) (p. 536) : *P. L. Cheikho S. J.*

La Poésie Contemporaine (p. 543) : *Mr Fouad E. Boustany.*

Bibliographie (p. 550) = Varia (558) = Questions et Réponses (p. 560).

AOUT

L'Archimandrite Photius et les Provinciales (p. 561) : *P. Louis Cheikho S. J.*

Journal de J. S. Assémani au Liban en 1736 (fin) (p. 569) : *P. L. Boleibel O. S. A.*

La Villégiature de Ḥammâna (p. 586) : *P. Ferdinand Taoutel S. J.*

Les Poètes arabes chrétiens après l'Islam (4e Période) (suite) (p. 598). *P. L. Cheikho S. J.*

Les Origines du Pétrole (p. 608) : *P. Joseph Vernet S. J.*

Une excursion dans le Kisrouan (suite) (p. 616) : *P. Antoine Chebli O. S. A.*

La Poésie Contemporaine (suite) (p. 622) : *Mr Fouad E. Boustany.*

Bibliographie (p. 626) = Varia (638) = Questions et Réponses (p. 640).

SEPTEMBRE

Le « Prayer Book » et les évolutions de l'église anglicane (p. 641) : *P. Ferdinand Taoutel S. J.*

Les Poètes arabes chrétiens après l'Islam (4e Période) (suite) (p. 650) : *P. Louis Cheikho S. J.*

Les Sanatoria en Europe (p. 660) : *Mr Michel Bitâr.*

La Poésie Contemporaine (fin) (p. 672) : *Mr Fouad E. Boustany.*

La plus ancienne Histoire de Beyrouth et du Liban (p. 686 : *P. L. Cheikho S. J.*

Une excursion dans le Kisrouan (suite) : Les Manuscrits de 'Ain-Warqa (p. 692) : *P. Antoine Chebli O. S. A.*

La Littérature arabe au 1er quart du XXe siècle (suite) (p. 704) : *P. L. Cheikho S. J.*

Bibliographie (p. 709) = Varia (717) = Questions et Réponses (p. 720).

OCTOBRE

Les progrès du Caire au XXe siècle (p. 721) : *P. Louis Cheikho S. J.*

Un missionnaire Jésuite en Orient martyr de la grande Révolution : le B^x Robert des Rochez (p. 731) : *P. Joseph Lebon S. J.*

Derniers avis de 'Abd - el - Malik ibn Sâliḥ à son fils (p. 738) : *P. L. Cheikho S. J.*

Une excursion dans le Kisrouan (suite) : « Achqout » (p. 745) : *P. Antoine Chebli O. S. A.*

Les Poètes arabes chrétiens après l'Islam (4e Période) (suite) (p. 754) : *P. L. Cheikho S. J.*

Y a-t-il des peuples sans religion ? (p. 764) : *P. Ferdinand Taoutel S. J.*

La fête de la Croix sur les sommets du Liban (poésie) (p. 772) : *Mr Joseph Galbouni.*

La Littérature arabe au 1er quart du XXe siècle (suite) (p. 780) : *P. L. Cheikho S. J.*

Bibliographie (p. 787) = Varia (797) = Questions et Réponses (p. 800).

NOVEMBRE

Un document inédit du Patriarche Maximos Mazloum (p. 801) : *P. Louis Cheikho S. J.*

Une chronique libanaise du XVIIe siècle (p. 809) : *P. Antoine Chebli O. S. A.*

Précis de la doctrine Catholique (p. 820) : *P. L. Cheikho S. J.*

Mutanabbi : l'homme et le poète (p. 830) : *Mr Fouad E. Boustani.*

Le prétendu Fort Napoléon au Caire (p. 841) : *M. 'Abdal Djaouâd Asma'i.*

Les Poètes arabes chrétiens après l'Islam (4e Période) (suite) (p. 847) : *P. L. Cheikho S. J.*

Une excursion dans le Kisrouan (suite) : La Bibl. de Achqout (p. 855) : *P. A. Chebli O. S. A.*

La Littérature arabe au 1er quart du XXe siècle (suite) (p. 859) : *P. L. Cheikho S. J.*.

Bibliographie (p. 865) = Varia (876) = Questions et Réponses (p. 880).

DÉCEMBRE

Le 3e centenaire de la naissance de Bossuet (p. 881) : *P. Ferdinand Taoutel S. J.*

Une visite aux restes de Toutankhamon (p. 893) : *P. L. Cheikho S. J.*

Mutanabbi l'homme et le poète (suite) (p. 900) : *Mr Fouad E. Bostani.*

Les poètes arabes chrétiens après l'Islam (4e Période) (suite) (p. 910) : *P. L. Cheikho S. J.*

Une excursion dans le Kasraouan (suite) : La Bibl. d'Achqoût p. 918) : *P. A. Chebli O. S. A.*

L'œuvre du Machriq durant 25 ans (p. 925) : *P. L. Cheikho S. J.*

La Littérature arabe au 1er quart du XXe siècle (suite) : (p. 941) : *Le même.*

Bibliographie (949) = Varia (958) = Questions et Réponses (p. 960).

السنة السادسة والعشرون العدد ١ كانون الثاني ١٩٢٨

المشرق

المرحوم

الاب لويس شيخو اليسوعي

ذكرى

مات الاب شيخو! مات مؤسس مجلة المشرق وصاحب امتيازها! سطرت يده الكلمة الاخيرة من المجلد السنوي الذي تمّ به غرس المجلة الفتي وما وضع القلم الا وافاه الملاك مطالباً بالوديعة فاعادها لربه طاهرة غنيةً باعمال صالحة لا تحصى

فارقنا ابونا المحبوب، واخونا الاكبر، الغيور الساهر بنصائحه وامثاله وعطفه على اخوته. فارقنا، ورحابة صدره، وسعة معارفه، وسمو فضائله مورد تستقي منهُ النفوس كلما عطشت، وترتوي

انحجب ذلك المصباح المنير فاستوحشنا، وفزعنا من الظلمة الى الله وبكينا. ولم نكن وحدنا نبكي لان ضياءه كان يشعّ من الكلية اليسوعيّة الى اقصى ما ينتهي اليه نفوذ اللغة العربية، فيستضيء به كل ناطق بالضاد من صغير حديث السن يتعلم القراءة في «مجاني الادب» الى مستشرق كبير وعالم خبير يترقب ظهور مجلة «المشرق» ليقف منها على حياة الشرق وتطوراتها

كان الفقيد رزيناً ، وقوراً ، متواضعاً ، على محياه امارات الذكاء والتفكير وقد زاده المشيب جلالاً ، يدخل عليه الزوار في المكتبة الشرقية فيجدونهُ في زاويتها منحني الرأس على الاوراق والكتب فتعروهم الهيبة الى ان يرفع بصره اليهم فيشاهدهم ، فيقوم ويرحب بهم وينسى دونهم كل شغل شاغل ، فيتحدث اليهم ويؤانسهم ويزورهم المكاتب ويكشف لهم عن كنوز المخطوطات فينصرفون وهم لا يدرون اي الامرين احق باعجابهم : نبوغ العالم او تواضع الراهب ودعته

يقصدونه من البلاد البعيدة حيناً ومن بيروت احايين : دخل عليه مرّة رجل جاءه من بلاد المغرب وقال : ابتِ اشكر الله لاني حظيت بمشاهدتك . لي اربع عشرة سنة والنفس تحدثني بالقدوم اليك لامتع النظر بمرآك

وقد ذاع صيتهُ وانتشر حيث انتشرت مؤلفاته وذكر صفاته ونبوغه فلا عجب ان تصدعت لنعيهِ القلوب انيناً واسفاً فتواردت البرقيات والتحارير الى الكلية اليسوعية مؤاساة وتعزية ، وتحركت العاصمة اللبنانية برجالها وممثليها لتقف في مأتمه وقفة الوطن المودع اعز ابنائه . وبينما كان الاساقفة وموظفو الحكومة ومندوبوها واعيان الادب وعلية القوم شاخصين خاشعين متأثرين تقدم رئيس الوزارة ووضع نيشان « الاستحقاق اللبناني » على نعش الاب شيخو فرسم الحرير الاحمر خطاً دموياً على بطرشيل الكاهن البنفسجي المتسد على التابوت رمزاً لحياة قضت في خدمة البلاد ورفع منار اللغة العربية الشريفة

ولم تنتهِ اذ ذاك مظاهر الاجلال نحو الفقيد الكريم لان الصحافة تناولت حياته وظلت اياماً تتحدث الى قرائها بذكرى صفاته واعماله . ظلت اياماً تذيع ذكرى حياته وفضائله وتندب معنا الرجل الذي لقبه راي الخاصة والعامة : بالعلامة العربي

ولا مغالاة في اللقب . ومؤلفاته العديدة وخدمته التي لا تقدر تشهد بعلم فريد ومنافع جمة حسبنا التنويه بها اليوم

على اننا رأينا ان نتقدم الى القراء الكرام والى كل من شاطرنا الاسى بنبذة من حياة الفقيد فنعرض بالايجاز الى سرد اهم تطوراتها

* * *

لويس شيخو (رزقه الله قبل دخوله الرهبنة) ابصر النور في مدينة ماردين في ٥ شباط ١٨٥٩ وكان من اسرة عريقة بالقدم لقب احد جدودها بالشيخ لنفوذه وكرمه واطلق عليها اللقب مع اضافة حرف الواو طبقاً لهجة البلاد المتفوق فيها العنصر السرياني الكلداني

كان ابوا الاب شيخو مسيحيين فاضلين متمسكين بالايمان تمسك الاولين باعز واغلى ما ورثوه من الاباء. وكانت اواصر القرابة تصل دمهم بدم الشهداء فان خال الاب شيخو الاب جبرائيل دنبو اسس رهبانية في الموصل وقتل على يد الاكراد عام ١٨٣٢ . سافر ابوه الى القدس وزار الاماكن المقدسة وعاد فلقبوه بالمقدسي . ورحل اخوه الاكبر استانسلاوس الى مدرسة غزير فتلقن فيها العلوم ثم دخل في سلك الرهبانيَّة اليسوعيَّة وهناك وافاه اخوه لويس وله من العمر ثماني سنوات وامه بصحبته ، قطعت المفاوز بين ماردين والقدس لتزور قبر المسيح (وما كان اصعب الاسفار في تلك الايام) وعرجت على غزير تزور ابنها اليسوعي. ولم يشاهد لويس الصغير اخاه استانسلاوس الا علق باهدابه وطلب من امه ان تتركه في المدرسة

فتسلمتهُ المدرسة الاكليريكية من يد الوالدة غصناً نضيراً وغرستهُ في ارضها الطيبة فنمى واينع وازهر مبتسماً لشمس محبة الله والعلوم الدينيَّة والعلمانيَّة . فعقدت ثماره وجاءت في حينها جميلة لذيذة : اجتهاداً وتقوى وطاعةً ونجاحاً . الى ان اتم دروسهُ فسمع صوت الله يدعوه الى الرهبانيَّة اليسوعية فما كانت اشهر الا رجع واخاه الى ماردين فزار الاهلين وعاد الى بيروت ومنها ركب البحر الى فرنسة حيث اقام ثلاث سنوات في « الابتداء » الرهباني اولاً ثم في مراجعة الآداب اليونانيَّة واللاتينية والافرنسيَّة ثم رجع الى الشرق

وكانت مدرسة غزير قد انتقلت الى بيروت وفتحت الكليَّة اليسوعيَّة ابوابها للطلاب . وكانت النهضة العربية بمستهلها الاوَّل . والكتب عزيزة نادرة والمطابع العربية تُعد على الاصابع وهي في نشأتها

قضى الاب لويس شيخو سنين عديدة قبل ان يرتقي درجات الكهنوت تارة تلميذاً في معاهد الفلسفة واللاهوت وتارةً استاذاً للغة العربية في الكليَّة.

فعلم فيها سحابة ثماني سنوات مبادئ الصرف والنحو والبيان والخطابة متدرّجاً من صف الى صف ، متحققاً بذاته حاجة الدروس العربيـة ، مختبراً اساليبها ، مكتشفاً اسباب انحطاطها ، شاحذاً الهمة في سبيل نهضتها

فبلغ منهُ فكره الثاقب ونظره البعيد المرمى الى وضع برنامج واسع قضى خمسين سنة من حياته في تتميمه فصار آلة في يد العناية الربانيـة لتهذيب اللغة العربيّة «وتنصيرهـا» لتصلح لتثقيف الناشئة فيتهافت عليها الطلاب ولا يجدون فيها الّا كل مؤلف اديب وكتاب يرقى بهم تدريجاً الى مستوى تلامذة المدارس الثانوية في اوروبا

فاندفع بهمتـه الشماء وعرض امره على الرؤساء فوجـد فيهم كل تشجيع وتسهيل مادي ومعنوي لتتميم المشروع الذي ارتسمه لـذاته فقام وقعد وسافر وجـاب البلاد وتنقل بين الشرق والغرب وجمع مخطوطاته الشهيرة واكتنز في ذاكرته ومذكراته ومكتبته مـا شاء الله ان يكتنز واخـذ بنشر مؤلفاته ومخطوطاته فكانت همته من العوامل العظمى التي رقيت بالمطبعة الكاثوليكية الى ما بلغته من سعة واتقان ورواج

تذرع بما وجده فيها من الوسائل الفعّالة لبلوغ مأربه الشريف فالف الكتب المدرسية وابرزها ورفع لواء اللغة ونشره الى اربعة ارباع المسكونة . وناهيك ما اثاره من منافسة وحماسة في نفوس الادباء فاجتهدوا ان يتسابقوا واياه في مضمار احياء اللغة واستنباط كنوز آدابها فنالت العلوم العربيـة بفضلهم رقياً نتمتع بهِ اليوم ونفاخر انما نحن مديونون بهِ اليهم

لم يكن الاب شيخو لغوياً فحسب لان فيـهِ تجلّت صفات الكاهن رجل الله واللاهوتي والفيلسوف والمجـادل والتاريخي بمجالي باهرة تلفت الانظار وتستوقف الخواطر لكن المجال ضيق فلا نعرض لها اليوم الا اننا نقف والقارئ وقفة اخيرة شاخصين الى نعشه فنحييه تحيّة الوداع مع الامل باللقاء . ونشكر ابا الانوار لانه منّ على الرهبانيّة اليسوعيّة بهذا الراهب نبراس الفضيلة والعلم ونسألهُ ان يسبغ عليهِ شآبيب رحمتـه ورضوانه ويهبنا ان نقتفي آثاره في خدمة الله والوطن انهُ السميع المجيب !

رؤيا سمعان الشيخ

رواية الاعياد الميلادية من آثار المرحوم الاب لويس شيخو اليسوعي

في اواخر شهر آذار من السنة ٧٤٩ لرومية في منتصف الليل اذ كان اديم السماء صافياً والبدر طالعاً والنسيم عليلاً كنت ترى في وسط هيكل اورشليم في صحنه المختصّ بالكهنة واللاويين بازاء ستر قدس الاقداس الذي لا ينفذ وراءهُ الّا مرّة في السنة كبير الاحبار لتقدمة البخور والسجود لاله اسرائيل كاهناً وقوراً ذا هيبة وجلال قد حنت ظهرهُ أعباء الايام جاثياً خاشعاً ترسل مصابيح الهيكل الليليّة اشعّتها الضعيفة على وجههِ فتنيرهُ وترين شيبهُ المهيب . وكان الكاهن المذكور يُعرف باسم سمعان الشيخ

فلو اقتربت منهُ لسمعت الزفرات تتصاعد من صدرهِ ورأيت الدموع تنحدر على وجنتيهِ وهو يفيض نفسهُ امام الاله الرهيب الجالس فوق الكروبيم فيقول :

الى متى يارب وحتى متى تتغاضى عن شعبك اسرائيل وتصمّ اذنيك على دعاء مختاريك . فاين مواعيدك يا ربّ الى انبيائك ؟ اين نسل داود عبدك الذي اقسمت انهُ سيأتي ويخلص شعبك ويجلس على كرسيّ ابيهِ الى الابد ؟

اوحيتَ الى يعقوب قبل وفاتهِ بانّ الصولجان لا يسقط من ايدي بنيهِ الى أن يأتي المسيح الملك الذي بهِ يتبارك جميع الشعوب وهنا قد صار الصولجان الى يدي هيرودس الآدوميّ الاجنبيّ

اوحيتَ الى كليمك موسى النبيّ انهُ سيقوم من بين امّتهِ من كان مثلهُ اماماً ومشترعاً وان لهُ يجب الاصغاء والطاعة . افترى عبثاً بشّر بهِ عبدك الكريم ؟

قام نبيّك حجّاي وزخريّا وعزّيا شيوخ اسرائيل بعد خراب هيكل سليمان

ذي المحاسن الفريدة وتشييد هذا الهيكل الحالي الذي رأوهُ دونهُ عظمةً وجمالًا فاوحيت اليهم ان لهذا الهيكل مجداً سيفوق على مجد الهيكل الاوّل لانَّ فيهِ سيدخل المسيح الملك ولا يزال هذا الهيكل ممتهناً قد نصب هيرودس فوقهُ النسر الروماني ورجس الامم افهذا هو المجد الذي وعدتَ بهِ ؟

تبعهما ملاخي نبيُّك واعلن عن لسانك انَّك لم تعد ترضى بذبائح شعبك الدنسة وانَّك ستقيم بين الامم باجمعها قرباناً طاهراً يقدَّم لاسمك في كلّ انحاء المعمور وها هي ذه تلك الذبائح البهيميَّة لا تزال تُنحر امامك دون ان تُقدَّس بحسن سلوك مقدّميها . فمتى نشاهد ذاك القربان الذي تجعل فيهِ رضاك ؟

ارسلت ملاكك جبرائيل الى عبدك دانيال وأطلعتهُ على قرب تتمَّة مواعيدك وعيَّنت زمن نهاية أسرنا وبلائنا بمجيء المسيح بعد سبعين اسبوعاً من السنين . وها قد بلغنا الى تمامها ولم نشم بارقةً لتحقيق آمالنا

وانا عبدك الحقير الذي قضيتُ في هذا الهيكل نيّفاً وسبعين سنة اقوم بدانتهِ بما امكنني من الغيرة والامانة فيا قد تثاقل على كاهلي عبء السنين فأراني قريباً من الانضمام الى اجدادي . وكان اقصى شوقي ان اعاين قبل وفاتي المسيح الربَّ كما وعدني بهِ الروح القدس منذ عهد مديد . أفترى قد خُدعتُ باضغاث الاحلام او خُدعتُ بوعد باطل ؟

قال هذا وانكبَّ على الحضيض أسيفاً كئيباً تتنازعهُ الافكار وتخامرهُ الهواجس الى ان غلب عليهِ النعاس فرقد على الحضيض . واذا بملاك ذي بهاء سماويّ قد تراءى لهُ في حلمهِ قائلًا : سمعان يا قليل الايمان أفتشكّ بوعود الله او ترتاب بما اوحى اليك الروح القدس . هاءنذا الملاك جبرائيل قد ارسلني الله في هذا الصباح الى العذراء التي تنبأ عنها اشعيا القائل : «ها انَّ عذراء ستحبل وتلد ابناً يُدعى عمّانويل اي الله معنا» . قال جبرائيل هذا ورسم امام سمعان صورة تلك العذراء . فرآها وخلب عقلهُ بجمالها الالهي وكان اسمها مكتوباً فوق هامتها « مريم ابنة داوود عذراء اسرائيل »

فانتبه سمعان من منامهِ وقلبهُ مفعم فرحاً وسروراً وصورة الرؤيا منطبعة

في قلبهِ فأحيا بقيّة ليله شكرًا وابتهالًا . وودّ لو يتاح لهُ معرفة تلك العذراء ليهنّئها ويقدّم لها ما استطاع من الخدم

* * *

مرّ على سمعان ثلثة أيام وهو يفكّر في تلك الرؤيا ويبحث عن سرّ تلك العذراء المختارة وسكناها لعلّه يبرّد غليله ويتحقّق صحّة رؤياه . لكنّهُ لم يحظَ بمرغوبهِ ولم يجد من يكشف غمّتهُ

وكان لسمعان صديق حميم بين كهنة الهيكل يشبههُ تقى وصلاحاً يُدعى زكريّا . فهذا الرجل البارّ كان حدث لهُ امر غريب فانّهُ اذ كان يصلّي يوماً في الشعب ويقيم في الهيكل الرتب المفروضة من تبخير وادعية بموجب نوبتهِ لحظوا انّهُ أطال في صلاتهِ كثيرًا ولمّا خرج وجدوا لسانهُ معقودًا لا يقوهُ ببنت شفة وانّما ادركوا من حركاتهِ انهُ تراءت لهُ رؤيا . فتوارى من بين الشعب واعتزل في بيتهِ الواقع في قرية تُدعى عين كارم على مسافة ستّة فراسخ من اورشليم وذلك منذ ستّة اشهر

فاحبّ سمعان ان يخرج اليهِ ويستخبرهُ عن احوالهِ فقطع بثلاث ساعات الطريق المؤدّية الى عين كارم ودخل بيت زكريّا وكان موقعهُ على منعطف جبل يطلّ على وادٍ خصبٍ تكسو جوانبهُ الكروم والبيت حسن البناء واسع الارجاء يتألّف من ديوان ذي اثاثٍ فاخر وفي جهتَيهِ غُرَف لكل حاجات البيت ولاستقبال الضيوف

كانت ربّة البيت-اليصابات مهتمّة بشغلها تطرّز ثياباً لولد تنتظرهُ بعد عقرها واثقةً بمواعيد الربّ . فلمّا ابصرت سمعان الشيخ خرجت من ساعتها واستقبلتهُ بكل ترحاب وبعد السلام والقيام بكل واجبات الضيافة قادتهُ الى غرفة زوجها زكريّا وهو لا يزال في حالتهِ اصمّ اخرس . فوجدهُ جالساً وامامهُ سفر من الكتاب المقدّس بالعبرانيّة على رقّ فلمّا رأى سمعان قام وتحفّى بهِ صامتاً وقبّلهُ بكل حنان مشعرًا لهُ بحركاتهِ كم هو شاكر لصديقهِ الشيخ اذ افتكر بهِ وزارهُ في داره ثمّ اشار اليهِ ليقرأ آيةً من الكتاب كان ممعناً فيها

فاذا هي من سفر ملاخيا: « هاءنذا مُرسل ملاكي امام وجهك ليُعدّ طريقك وللحال يأتي الربّ الاله ليخلّص شعب اسرائيل » ثمّ اشار باصبعه الى آية اخرى لاشعيا النبي حيث يقول : « صوتُ صارخٍ في البرّيّة أَعِدُّوا طريق الربّ » . فقرأ سمعان هاتين الآيتين ولم يدرك ما اراد بهما زكريّا فكتب له على لوح : اتعرف من هو هذا الملاك ؟ ومن هو هذا الصوت ؟ فاجاب زكريّا وخطّ على اللوح : هو الابن الذي بشّرني به الملاك يوم تراءى لي اذ كنتُ اخدم في الهيكل

فطرب سمعان لهذا الخبر وتحقّق انّ الحلم الذي رآهُ في نومهِ كان حقّاً وانّهُ لن يلبث ان يعاين خلاص اسرائيل بظهور المسيح . ثمّ اخذ الشيخان يؤدّيان لله الشكر على نعمهِ وقضيا ساعاتٍ في الصلاة وكلاهما صامت اللسان وانّما كان قلباهما يخفقان بوَجبان التهلّل والسرور

* * *

ثمّ خرجا الى باحة الدار ليتنسّما الهواء العليل ويريحا صدريهما بتسريح النظر في عجائب الكون واذا بهما لمحا في بطن الوادي عن بُعد شخصين سائرين الى جهة الدار. فبعد هنيهةٍ عرفا انهما امرأة راكبةٌ حمارًا ورجل يمشي امامها متوكّئاً على عصاه . فلمّا اقتربا عرفها زكريّا واشار الى قرينتهِ فخرجت وعرفت انّ المرأة الراكبة هي مريم ابنة يواكيم وحنّة وانّ الرجل هو يوسف خطيبها وقد اتيا الى زيارتهم

فدخلوا الدار ليستعدّوا لاستقبال الضيفين فأوت اليصابات الى خدرها وأعدّت مكاناً لمريم وبقي الشيخان على الباب فأسرعا واعانا الفتاة فنزلت ملتحفةً بازرها ثم عانقا يوسف واخذاهُ معهما الى غرفتهما ودخلت مريم الى مخدع اليصابات

فجرت حينئذٍ بين مريم واليصابات تلك المقابلة السرّيّة التي رواها لوقا في انجيلهِ اذ سلّمت مريم على نسيبتها ولدى سماع اليصابات صوتها ارتكض الجنين في احشائها ونطق لسانها بما اوحى اليها الروح القدس فعرفت ان مريم هي امّ

ربها وان في احشائها المسيح الاله فتغنّت مريم بنشيدها العجيب «فلتعظّم نفسي الله وتتهلّل روحي في الله مخلّصي» واقرّت بأن العليّ صنع فيها عجائب وان كلّ الشعوب ستطوّبها وانّما فعل الله معها ذلك برحمته ولتواضع أمته

وبينما كان هذا المحضر العجيب جارياً بين اليصابات ومريم لم يعايتهُ غيرهما وكان زكريّا وسمعان في حجرتهما يتحفّيان بيوسف فلم يطّلعا على اسرار الله بين المرأتين . وكان سمعان اذ رأى مريم أحسّ بأنها ليست كبقيّة النساء فكأنهُ عاين بها ملاكاً لا بشراً فاخذ يُلقي على يوسف اسئلة لعلّهُ يوقفهُ على سرّها المكنون فكان يوسف يجهل زيارة الملاك لها وحبلها من الروح القدس وانّما كان يطري فضلها وتقاها وحسن حظّه اذ جعلها الله نصيبهُ وهي لا تزال خطيبتهُ وانّما قرب اوان زواجهما

كانت تلك الليلة من اسعد الليالي في دار زكريّا قضاها الضيفان بالراحة والهناء. واما سمعان فكان فكرهُ متّجهاً الى مريم وكأنهُ بسماعه لاسمها وبنظره لملامحها تحقّق انها هي الصورة التي ظهرت لهُ لما تراءى لهُ الملاك في حلمه

* * *

فقام من غدٍ ورجع الى اورشليم في ضحى النهار . وكان ذكر مريم يخالج فكره : أليست هذه هي التي تنبّأ عنها اشعيا وعنها سيلد المسيح مخلّص شعبنا اسرائيل ولكن قد اعلن اشعيا انّ والدة المسيح ستكون عذراء وهذه خطيبة يوسف وعمّا قليل سيقترن بها بالزواج فلا يصحّ عنها كلام النبي . ثمّ كيف يوسف خطيبها لم يعلم شيئاً من امرها . وزد على ذلك انّ احبار كهنتنا لم يطّلعوا على قرب ميلاد المسيح فلو عرفوا لاهتزّت اورشليم كلّها طرباً واستعدّت لمجيئه استعدادها لاجلّ الملوك واجيهم وبنو اسرائيل لا يحيون الّا بالامل لمشاهدته

تلك الافكار كانت تخطر على بال سمعان وهو لا يدري كيف يحلّ تلك المشاكل فبقي زمناً في قلقه يطلب الى الله بإلحاح ان يكشف لهُ تلك

الامور الغامضة . وهو الكذلك اذ بلغهُ بعد ثلثة اشهر من زيارته لزكريا ما حدث في بيته من العجائب بميلاد ابنه يوحنا من امرأته العاقر وكيف حُلّ لسانه عند مولده فكتب اليه يهنئهُ ويسألهُ ماذا يعلم عن مولد المسيح . فكان جواب زكريا طافحاً بالشكر لله الذي أنعم عليه بولده يوحنا مخبراً انّ الروح القدس اوحى اليه بأنهُ سيكون هو الملاك المشار اليه بالنبيّ ليتقدّم امام وجه المسيح ويُعدّ لهُ الطريق . أما متى واين وكيف يولد المسيح فانّ الله لم يُبط لهُ الحجاب عن سرّه وانّهُ يرى انّ مريم خطيبة يوسف سيكون لها نصيبٌ كبير في هذه الاسرار

أفعم جواب زكريا قلب سمعان فرحاً إلّا انهُ بقي في ريبه لا يعلم حلًّا لمشكلهِ فأخذ يتلّب صحائف اسفار الانبياء لعلّهُ يستدلّ بها على الحقيقة فوجد في سفر ميخا انّ المسيح يكون مولدهُ في بيت لحم يهوذا حيث قال : (٥:٢) « وانتِ يا بيت لحم افراتة الصغيرة في أُمراء يهوذا لانّ منكِ سيخرج القائد الذي يحكم على شعبي اسرائيل »

فزادت هذه الآية ريبهُ وهو يعرف ان مريم ورجلها يوسف من الناصرة يسكنان هناك بعيداً عن بيت لحم فليست اذاً مريم هي امّ المسيح

قضى سمعان الأيام والاسابيع والاشهر وهذه الافكار تخامرهُ وتشغل بالهُ ليلًا مع نهار . اذ صدر بامر اوغسطس قيصر امر لجميع العالم الروماني ان يُحصى عدد اهله وان يكون احصاء كلّ أسرة في موطنها الذي هي منهُ فقُضي على يوسف ان ينتقل مع مريم من الناصرة الى بيت لحم مدينة داود وهو من أسرتهِ وكان يوسف قبل هذا قد أطلعهُ ملاك الربّ على حبل مريم العجيب من الروح القدس . فوصل الى بيت لحم في اليوم الرابع والعشرين من شهر كانون الاوّل : واذ لم يجد لهُ في البلدة منزلًا يحلّ فيهِ أوى الى مغارة هناك كان يتردّد اليها الرعاة في أيّام الشتاء . فكانت تلك المغارة البلاط الذي اختارهُ ابن الله الكلمة الازليّ ليولد فيهِ بالجسد في الليلة التابعة

وكان سمعان الشيخ في ذلك الوقت يشعر في نفسهِ بفرح عظيم وطمأنينة وسلام لم يذقهُ منذ زمن طويل فبادر الى الهيكل وانطرح أمام الستر الحاجب

القدس الاقداس مفيضاً قلبهُ قدام الله ذارفاً الدموع وهو يبتهل الى الـه اسرائيل بان يُعلن لهُ سرَّ خلاص شعبهِ . قضى الساعات من ليلهِ ساهداً وكأنهُ سمع في سويداء قلبهِ صوتاً يقول لهُ : سَرَّ عنك يا سمعان فقد استجيبت صلاتك وعمّا قليل يأتيك نبأ يوقفك على ما تبتغي معرفتهُ

فقام عند الصباح وعاد الى بيتهِ واذا على بابهِ راعٍ كان سمعان وكل اليهِ بقطيع من الغنم خاصَّة الهيكل فكان وجههُ يطفح سروراً وكلّ ملامحهِ تشير الى حادثٍ عجيب جرى لهُ . فما كاد يرى سمعان حتى جثا امامهُ صارخاً : سيّدي افرح وتهلّل أنّنا في هذه الليلة عاينّا مسيح الله . اذ كنتُ مع بعض رفقتي نرعى الغنم على ربى بيت لحم ظهر لنا ملاك ملتحف بالنور سمعناهُ يقول : لا تخافوا اني ابشركم ببشرى عظيمة لكم ولسائر الشعب ها قد وُلد لكم مخلص وهذه هي علامتهُ تجدونهُ في مغارة مضجعاً في مذود ملفوفاً بالقماطات فاسجدوا لهُ . قال هذا واذا بجوق ملائكة مثله ظهروا في السماء وسمعناهم ينشدون : المجد لله في العُلى وعلى الارض السلام للذين فيهم المسرَّة . فأسرعنا وأخذنا بعض الهدايا لنقدّمها للمولود فوجدناهُ كما قيل لنا وليس حولهُ إلّا امّه وهي جاثية وعلى محيّاها سمة الطهر والجمال الفائق وبقربها كهلٌ يسعى في كل حاجات المولود . فتقدّمنا وسجدنا لذلك الطفل وفرحٌ سماويّ ملأ قلوبنا لاسيما اذ القى علينا بنظرهِ فقبّلنا القماطات التي تكسوه واعطينا ليوسف ما اتينا بهِ من هداياناالبسيطة

* * *

كان سمعان يسمع هذا الكلام وهو احلى لديهِ من شهد العسل نزل على قلبهِ نزول المطر على الارض العطشى والندى على النبات الذابل . فشكر الراعي وردّهُ الى غنمهِ وعاد هو الى الهيكل ليقدم لله آيات المنّة والشكر على ما انعم عليهِ

بيد انّ سمعان لم يرضَ بذلك وهمَّ ان يذهب الى بيت لحم ليسجد للاله المتأنس ليتمّ لهُ موعد الروح القدس بانهُ سيعاين مسيح الربّ . وكان

يستولي عليهِ العجب والاندهاش كيف بلغ الخبر غيرهُ من الكهنة والاعيان ببشارة الرعاة فلم يتحرَّك منهم احد لزيارة ذاك المولود واكرامهِ كما يستحق وكأنهم خجلوا من زيارة طفلٍ صغير في مذود ليس لهُ شيء من رونق المجد وأبهة الملوك لم يعاين مولدهُ غير رُعاة فقراء فتغاضوا عن الامر ولم يكترثوا لهُ

أمَّا سمعان فكانت هذه الاعتبارات لا تعمل فيهِ بل تزيدهُ شوقاً الى نظر الطفل الالهيّ لكنَّهُ كان يشعر بانحطاط القوى وهو شيخ هرم يعجز عن قطع المسافة بين اورشليم وبيت لحم فجدَّد صلاتهُ الى الله بان لا يسمح له بتوديع الحياة قبل ان يرى منتظر الشعوب فسمع في قلبهِ صوتاً يقول لهُ: كن مطمئناً فستحظى عمَّا قليل بما يتوق اليهِ قلبك

فهدأ روعهُ لكنَّهُ كان يتلهَّف شوقاً ويتلهَّب لوعةً ليحصل على تلك النعمة ووجد في قلبهِ سلواناً وتعزية عن فتور الاحبار والكهنة لمَّا سمع بورود ثلثة من ملوك الشرق المجوس قدموا الى اورشليم وهم يطلبون اين مولد ملك اليهود ليسجدوا لهُ ويقدّموا لهُ هداياهم اذ انهم رأوا نجمهُ في الشرق فكان سمعان اوَّل ما أطلعهم على آية النبيّ ميخا وعن مولد المسيح في بيت لحم واعلن لهم انهُ لولا عجزهُ لتقدَّمهم فيدلّهم على الطريق ويسجد معهم لذلك المولود الالهيّ لكنَّهُ حذَّرهم من دسائس هيرودس

بقي سمعان في خدمة الهيكل ملازماً الصلاة وهو يتقلب على احرّ من جمر القتاد ريثما يشاهد الطفل الالهي. فنال بغيتهُ في اليوم الاربعين لمولد المسيح ففي ذلك اليوم أتى يسوع مريم امَّهُ ويوسف ابوهُ بالذخيرة ليقدّماهُ للربّ على حسب شريعة موسى ويفتدياهُ بزوجي يمام فكان سمعان يراقب تلك الساعة فاشار اليهِ الروح القدس أنِ اقتربْ فهذا هو ابن الله الذي وُعدتَ بمشاهدتهِ

فكأنَّ هذا الخبر انعش قوى الشيخ فتقدَّم بكل نشاط واخذ الطفل من امّهِ وجعلهُ بين ذراعيهِ وقبلهُ بكل تلهُّف وانعطاف صارخاً: الآن ايها الربّ اطلق عبدك بسلام لانَّ عينيَّ رأتا خلاصك الذي هيَّأتهُ في وجه جميع الشعوب ليكون نوراً لجلاء الامم ومجداً لشعبك اسرائيل

قال هذا وخرَّ على قدميهِ ساجداً ثمَّ اعاد الطفل لامّهِ وكانت دموع الفرح

تسيل على خديه وتبلل لحيته فشعر ان الله استجاب دعاءه فما كاد يقوم حتى خارت قواه واسرع الحضور وحملوه الى غرفة قريبة واضجعوه على فراشه فرفع عينيه الى السماء قائلاً : صدقت مواعيدك يا ربّ فالشكر كلّ الشكر لجودك ورحمتك فها انا بكل فرح ابارح الحياة مشمولاً بنعمة ابنك الالهي فتنزل نفسي الى مقرّ الآباء والقديسين فأخبرهم بمجيء منتظر الامم وبقرب فداهم ودخولهم الى جنان الملكوت

وما اتمّ هذا الكلام حتى اسلم الروح لخالقه

مؤتمر بال الصهيوني

بقلم حضرة الاب هنري لامنس اليسوعي

عُقد في مدينة بال من اعمال سويسرا في النصف الاول من شهر ايلول ١٩٢٧ المؤتمر الصهيوني الخامس عشر . وكانت غايته ان يحلّ الأزمة الاقتصادية التي تعرقل المؤسسات اليهودية في فلسطين ، وان يهتمّ بايجاد عمل للثمانية آلاف عاطل الذين يضيقون على الطوارئ اليهودية الجديدة في ذلك القطر .

اما تلك الأزمة فقد نشأت بعد وصول العدد المديد من مهاجري اليهود الى فلسطين سنة ١٩٢٥ . فاهتم اليهود لذلك وبدأوا يشغلون اخوانهم باعمال البناء الى ان خفّت هذه الاشغال رويداً رويداً ، فتوقّفت . وكان أن حدث كثير من الافلاسات فحُرم الوف العمال من الشغل واصبحوا عالة على المؤسسات اليهودية . ثم ازدوجت تلك الازمة الاقتصادية بازمة سياسية حصلت في داخل الصهيونية ، فزادت الحالة سوءاً .

وانه ليمكن الانسان ان يميّز ، بين اليهود الذين وافقوا على البرنامج الصهيوني ، حزبَ يمين وحزبَ يسار يفصلهما حزبٌ وسط . اما حزب اليمين فيحوي اليهود الراشدين والمحافظين على التقاليد ؛ واما حزب اليسار فيؤلّف من

اليهود الاشتراكيين . واما الوسط فيضم من يُعرَفون «بالصهيونيين العموميين» ، وهم في وسط معتدل المسافة بين الراشدين والاشتراكيين . ويمثل الراشدون التقليد الديني ، والاشتراكيون طبقة الشعب السفلى وهي كثيرة العدد في فلسطين ؛ ولهذا يرى الصهيونيون من الصواب مداراتها .

ويقوم بادارة كل هذه الحركة الصهيونية ، منذ ست سنوات ، الدكتور ويزمن (Dr Weizmann) جاعلاً همّهُ الدائم ان يحافظ على الصلة بين هذه الاحزاب المختلفة ، وميولها المتضادّة ، دون الاستعباد لها . وقد نجح برنامجه هذا بفضل حكمته ، وثقته في الدولة المنتدبة ، ونصحه بالمحافظة على العلاقات الطيّبة مع العرب ، والاتفاق مع الجمعيّات اليهودية الكبرى في اميركا وغيرها التي لم توافق على برنامج الصهيونيّة ، ولكن عطفها ومساعداتها المادية مما لا يُستغنى عنه . وكي تستجلب الصهيونية اليها هذه الجمعيات فانها تتنازل لها عن نصف المراكز في «الشركة اليهودية» الجديدة التي تُدعى (Jewish Agency) على ان تبقى الرئاسة من حقوق الصهيونيين .

ولقد أكّد معارضو هذه الحركة ان مديري الصهيونيّة اخطأوا كل الخطأ بقبولهم ان يعملوا مع انكلترا . لان هذه الدولة ، بناء على «الكتاب الابيض» المؤرخ في ١٩٢٢ ، اذاعت عدم رغبتها في جعل فلسطين دولة عبرانيّة . ويرى المعارضون ان من هدف الاستعمار في فلسطين ، ان يؤلّف في هذا البلد اكثرية يهودية ، فدولة يهودية اذن ، يكون فيها للاقليّات حقوق معروفة .

وقد ارسلت الجاليات اليهودية المختلفة مندوبين من قبلها لحضور مؤتمر بال المذكور ، الا جالية روسية السوفيتية فانها منعت ذلك . وكانت السيادة بين اللغات المستعملة في المناقشات ، للغتين العبرانيّة والالمانيّة

***

افتتح الرئيس الدكتور ويزمن هذا المؤتمر ففحص النتائج التي حصل عليها الصهيونيون حتى اليوم والتي يمكن الامل بالحصول عليها في المستقبل . ثم اقرّ بان الدولة الانكليزية المنتدبة لم تحقق ، في المحيط السياسي ، كل ما كان يؤمّل منها بحق ؛ ولكنّها سهّلت امام اليهود سبيل العمل العامّ . وعليه فاذا كثر

عدد العبرانيين فان السياسة تأخذ بالتطور . اما الآن فينبغي للصهيونيين الا يهتموا في ما اذا كانت فلسطين ستصبح يوماً ما دولة يهودية — عربية او دولة اكثريتها من اليهود . . . عليهم فقط ان يجدوا لتعزيز مركزهم الوطني العبراني الى غاية ما يمكن . وان المستقبل يهتم بما بقي . وعلى كل فان حقوق السكان العربيين تبقى محفوظة جميعها . اما فيما يختص بالازمة الاقتصادية فان الدكتور ويزمن يراها ظاهرة وقتية يمكن ملافاتها

وتكلم خطيب آخر عن النتائج الادبية التي نالتها الدعوة الصهيونية باعمالها التبشيرية مدة ثلاثين سنة ، فاثارت في الجماعات اليهودية عاطفة الوطن القومي والتضامن العبراني . ولم يفت الخطيبين ان يطنبا في الكلام عن الطرق المالية . وقد كان شعار العمل : « تعزيز الطوارئ القديمة قبل انشاء طوارئ جديدة . » وقد ذكر الخطيبان ان متمولي اليهود في اوروبا واميركا ، الذين تهم استمالتهم ، يرون ان السياسة اخذت في اعمال الصهيونيين دوراً اوفر اهمية من اللازم . وهم يتريبون من النظريات الاشتراكية ، ويطلبون ان اعاناتهم تنفق في سبيل غايات عملية مقررة بوضوح . وبما ان المسألة المالية تفوق جميع المسائل في أزمة الصهيونية الحالية ، كان من الواجب ان يهتم المؤتمر بهذه الاعتبارات .

اما حزب الشمال الصهيوني فقد قابل هذه التصريحات باعتراض مأخوذ عن سير دولة اليونان فقال ان تلك الدولة استطاعت ان توجد امكنة لعدد من منكوبي الاناضول المهاجرين يبلغ ١٫٤٠٠٫٠٠٠ شخص وهي لم تنفق اكثر من ١٥ مليون ليرة انكليزية في سبيل ذلك ، بينما نرى الصهيونيين انفقوا في فلسطين ١٠ ملايين ليرة انكليزية في سبيل ٧٢٫٠٠٠ مهاجر . فقنّد اعضاء حزب الوسط هذا الاعتراض المهم بقولهم ان العشرة الملايين المذكورة هي عبارة عن جميع المبالغ التي انفقت في الست السنوات كلها .

وهاكم فيما يلي اهم القرارات التي اقرّها المؤتمر :

تُكلّف اللجنة التنفيذية الاهتمام بايجاد الطرق الضامنة لازالة الأزمة الحالية حتى يمكن للهجرة الصهيونية ان تعاود مجراها السابق بطريقة ارقى وبدون انقطاع . ثم يُدرس مشروع قرض دولي غايته تعجيل العمل الاستعماري . وبعد

ذلك اقرَّ المؤتمر تأنيب حكومة فلسطين على اعمالها، والطلب اليها ان تتخلى عن الاراضي الداخلة في املاك الدولة، وان ترفع الضرائب عن المستعمرات الجديدة او ان تخفضها. وهم يطلبون ايضاً بالحاح قبول عدد اوفر من اليهود في دوائر البوليس الفلسطيني.

ونرى في هذه اللجنة التنفيذية الجديدة التي يحتفظ برآستها الدكتور وزمن ان حزب الوسط الصهيوني وحده، يؤلفها دون الحزبين: الراشدي والاشتراكي، اللذين لم يرضيا من هذا التأسيس.

وعليه فلا تكون هذه اللجنة سوى الإدارة القديمة التي تجد نفسها امام عقبات جديدة ولا تجد الوسائط الكافية للانتصار عليها. ولكننا نضيف الى ذلك ظهور مراقبة اشد من ذي قبل على الادارة المالية. اما المؤتمر الصهيوني القادم فسيُعقد بعد سنتين.

* * *

لقد اكتفينا فيما تقدَّم باختصار محضر المؤتمر الصهيوني الخامس عشر المنعقد في مدينة بال مع الاحتفاظ بجميع نتائجه التي يظهر فيها التنازل واضحاً. ونحن نرى ان الوقت لم يحن بعد للكلام عن انحلال الصهيونيَّة فنكتفي بالاشارة الى بعض حوادث معنوية في هذا الامر:

ظهرت بعد عقد الهدنة بوقت قريب، على ابواب يافا، مدينة جديدة دُعيت «تلّ ابيب.» وكانت مدينة يهودية محضاً، عصرية بكل ما فيها من الشوارع الواسعة الجميلة، والمباني الفخمة، والكلية الكبيرة، والتنوير الكهربائي، والاسلاك التلفونيَّة، والبساتين، والحافلات، والمعامل، والمدارس. ولم يكن يطرق اذني السامع فيها الّا العبرانيَّة، لغة التوراة الجميلة، التي نُشرت وطُبقت على حاجيات العصر بمهارة فائقة. وقد كان عدد سكان هذه المدينة العجيبة سنة ١٩٢١، اربعة آلاف نسمة. اما اليوم فيعيش فيها ٣٥،٠٠٠. وقد أُنشئت فيما بين ذلك الطرقات في كل مكان، وزُرعت الوف الهكتارات، وأُسست مدارس للزراعة، ومعامل للترابة الافرنجيَّة، ومستشفيات. وكان الواقف على هذه الحركة يرى في كل المستعمرات اليهودية، السرعة نفسها في البناء حتى بلغ ما

أنفق ، ذات سنة ، مليون ليرة انكليزية . وقد اتى اللورد بلفور فدشّن بنفسه جامعة يهودية على ابواب اورشليم ، وكان المهاجرون يتوافدون من كل جهة :

ولكن لم تدخل السنة ١٩٢٧ حتى كُبحت الآية : فأخذت تقل ابيبة تخلو من السكان ، والحركة الصهيونية تتباطأ ؛ والى جنب العدد القليل من مهاجري اليهود الذين ينزلون فلسطين من وقت الى آخر ، نرى المئات يهجرونها تاركين بها اموالهم واغترارهم السابق . فيتحقق الآن ان « الوطن اليهودي القومي » الذي وعد به بلفور في تصريحاته ، والذي ظهر عظيماً ، قد بُني على قواعد عرضة للانهيار .

اما المستعمرات الزراعية فتعتاش ايضاً : ولكن العدد العديد من العمال العاطلين في المدن الكبيرة لا يعتاشون الا بجبنة المؤسسات اليهودية : وهكذا فقد تبدّد السراب : وقد اتى الدكتور ويزمن الى فلسطين ، قبل انعقاد المؤتمر ، كي يشتغل بنفسه في انهاض الهمم المثبطة ، فاشار الى اسباب تبعث على الامل بالتحسين القريب . ولكننا رأينا ان اجتماع بال لم يعر هذه الاسباب انتباهاً كافياً ولم يُقرّها تاماً . ولماذا ؟

لان فلسطين ليست بارض مستعدّة للعمل الاستعماري الحثيث ؛ فان خصبها وانتاجها محدودان كمساحتها . ولان فيها شعباً لن يتنازل عنها ولا يريد ان يصير الاقلية في بلاده . ولان اليهودي تاجر وصانع ولكنه ليس بالزراعي ، ولا يمكن تحويل عشرات الالوف من الصناع الى فلاحين مهما كان الدافع الى ذلك سامياً ومفيداً . ولان الاكثرية الساحقة من مهاجري اليهود مؤلفة من المساكين الذين لا يملكون رأس مال ولا نفقات زهيدة . ولان القيام بالصناعة الكبيرة مستحيل بسبب لزوم استيراد جميع المواد الاولية . ولان اكثر متموّلي اليهود ، فضلاً عن كبار الرأسماليين ، لم يفتكروا قطّ باقامتهم في فلسطين . وهم لا يهتمون بها إلّا عن بعد ، فيتركون العمل في سبيل تحقيق الحلم الصهيوني ، ليهود بولونية وروسية ورومانية الفقراء . واخيراً لان هؤلاء الموسرين اليهود في اوروبا واميركا راضون كل الرضى بالاقامة في البلاد التي قبلتهم وهم يخشون ان نجاح الصهيونية الباهر يولّد ، في محيطهم ، حركة ضد اليهود ، يكونون

من ضحاياها . ولهذا فهم لا يكترثون للصهيونية الّا عن بعد ، وفي القدر الذي لا يمكنهم العدول عنه امام الغير . فيرونها عملاً انسانياً لا وطنياً ؛ حتى اذا تجاوزت هذه الصفات ، يتعبون ويتركونها .

ولهذه الاسباب نفهم الدافع الذي حمل المشتركين في مؤتمر بال على القيام بكل ما يمكن كي لا يغيظوا هؤلاء الموسرين ، ونفهم ايضاً كيف انهم لم ينتخبوا في اللجنة التنفيذية الجديدة الّا الاعضاء المنتمين لحزب الوسط ، وهم اشخاص يلتزمون الحياد ، وسيقومون بادارة الصهيونية كما لو كانت عملية تجارية . وسنرى في المستقبل ما تأتي به هذه الادارة الجديدة

على ان عاقدي مؤتمر بال ، بالرغم عن احتياطاتهم ، صرّحوا ضمنياً ان فكرة الصهيونية القديمة خابت ؛ وان القيام بدولة يهودية في فلسطين امل لا يحقّق في سنوات عدّة . واننا نعتقد انهم لم ينعتوا ذلك بالمستحيل كي لا يبعثوا القنوط في الجماعات اليهودية ، وكي يحتفظوا ، من الحلم القديم ، بما يمكنهم تخليصه .

نظرة في العام ١٩٢٧

بقلم الاب فردينان توتل اليسوعي

الكرسي الرسولي

قد انقضت حياة الكنيسة في العام السابق كسائر ايامها منذ نشأتها في عراك وجهاد مستديم تنتابه الافراح والاحزان ، وتنشطه الامال والمقاصد . تهللت لما بلغها عن ابنائها البلاء الذين استحقوا بفضائلهم السامية وصبرهم على التجارب والمحن ، وبالخوارق التي اتوا بها بعد موتهم ان يعاد النظر في اطوار حياتهم وتفحص اقوالهم واعمالهم فيدرج اسمهم في مصاف الطوباويين وعددهم عشرات

نخص بالذكر منهم مواطنينا وجدودنا الـذين قتلوا في العام الستين في سبيـل الايمان ، والاخت مريم يسوع المصلوب الكرملية . فان الاب الاقدس يهتم بشأنهم ويرغب في ضم اسمهم الى اسماء الشهداء المسابكيين حينما ينتهي الامر من فحص دعواهم . وهناك كثيرون من المسيحيين اهرقوا دماءهم في الصين وفي المكسيك فبرزوا حولَ المسيح ، حاملين سَعَف النخل ، رمزاً لظفرهم على آل الوثنية واشياع الالحاد . نظرت اليهم امنا الكنيسة بعين الفخر وقـدمتهم الى عريسها ضحيةً طاهرة ذكية الرائحة ليفيزوا في موكب الحمل الالهي الحامل خطايا العالم

وبكت امنا الكنيسة خراب ارساليـاتها في بلاد الصين واختراق حرمـة كنائسهـا في بلاد المكسيك حيث كادت شمس الحرية تغيب عن الحيـاة المسيحية وأغلقت الاديرة وطُرد الرهبان وأُلجئ الكهنـة الى التنكر والهرب والتواري ، على ان صبر المؤمنين واحتمالهم ومقاومتهم اعداء الدين السلمية وحرصهم على الايمان قد نال اعجاب العالم الكاثوليكي واستحسانه وعطفه فاقيمت من اجلهم الصلوات في جميع ابرشيات الكثلكة وفي شركة الصلاة

وقُيض للكنيسة ان تتدخل في شؤون فرنسة الداخلية وقايةً للمؤمنين من تعليم الحزب السياسي المعروف « بالاكسيون فرانسز » فان شأنه منوط برجـال ملحدين يؤول امر سياستهم في الحياة العملية الى وضع الغـاية الوطنيـة فوق الغاية الدينيَّة ، فيجعلون المذهب الكاثوليكي وسيلةً يتذرعون بها لمحاربة الجمهورية ويقنعون الكاثوليك ان اعتقادهم التقليـدي يضطرهم الى الانتماء الى الحزب الملكي فالنتيجـة البديهية من هـذا القول هي ان من لم يكن من الحزب الملكي في فرنسة لا يمكنه ان يظل كاثوليكيًا . وهذا تعليم فاسد كشف القناع عن ضلاله الاب الاقدس مبيناً ان الكنيسة ليست من حزب بشري انمـا هي تضم جميع الاحزاب في وحدة الايمـان . وقدم كرادلة ورؤوس اساقفة فرنسة واساقفتها للاب الاقدس عريضة اعربوا فيها باجماع الاراء عن شكرهم

ووجهوا الى كاثوليـك فرنسة (٩ اذار ١٩٢٧) وثيقة بينوا فيهـا افكار الحبر الاعظم ومعنى فتواه في القضية

وظلت السدة البطرسية محجة كبار الرجال المتوافدين ، ملوكاً وامراء ليتباركوا بزيارة الاب الاقدس ويسترشدوا بنصائحه . فشهد الفاتيكان ، بين من شهدهم من عظام العالم في خلال العام السابق ، صاحب الجلالة ملك مصر وصاحب السعادة وزير العراق

وقد يكون اهم ما شغل خليفة المسيح نشر الايمان بين الشعوب . فلا تكاد السنة تتلو السنة الا تنجلي مخائل همته الشماء في مشروع او وثيقة او تدبير من شأنه ان يستفز روح الغيرة في قلوب المؤمنين ويلفت انظار الغير المؤمنين الى اشعة الشمس المنيرة من السدة البطرسية عسى ان يهتدوا الى معرفة الحق الذي اتى به الى العالم سيدنا يسوع المسيح وعهد بامره الى كنيسته . ولذلك لا يألو البابا جهداً في بث روح النشاط في جميع الذين اناط بهم امر الرسالات سواء كانوا في دائرة مجمع انتشار الايمان او في المعهد الشرقي ، وفي حث المؤمنين على مؤازرة جمعية انتشار الايمان باحساناتهم وصلواتهم لكي ينالوا بمساعدتهم المالية والمعنوية في سبيل التبشير ، ما يناله المرسلون ببذل اتعابهم وحياتهم

وقد يثق الاب الاقدس كل الثقة في هداية الشعوب الشرقية اذا ما حان الوقت المقدر بالعناية الالهية الى تحقيق هذه الامنية . فلذلك تُلقى بامره في المعهد الشرقي في رومة دروسٌ خاصة بالعلوم والمعارف العربية عسى ان يتأهب فيها المرسلون الى التبشير ويجد فيها الطلاب الغير المسيحيين ممن يهمهم امر مصير الامة العربية ما يساعدهم على حل المشاكل المفرّقة بين عناصرها فيجدوا الى الاتفاق معنا سبيلاً

وفجعت الكنيسة بوفاة امرائها الكرادلة : « كجيانو دي ازيفيدو » كنشليار الكنيسة الرومانية المقدسة (١١ تموز) و « تشرنيخ » صاحب الولاية على هنغارية (٢٥ تموز) و « ريغ اي كازانوفا » صاحب الولاية على اسبانية (٢٥ آب) و « اودونل » صاحب الولاية على ارلندة و « بوتزانو » المندوب البابوي الى مؤتمر شيكاغو (تشرين الثاني)

ورفع الاب الاقدس الى مقام الكرادلة في ٢٠ حزيران المطران « هلون » صاحب الولاية على برلونية والمطران « ثان روي » صاحب الولاية على بلجكة

وشاهدت عاصمة الكثلكة وفود الحجاج من الشبان يتقاطرون اليها لزيارة قبر القديس لويس غونزاغا بمناسبة التذكار المئوي لاعلان قداسته . واقيمت فيها الحفلات التذكارية للمئة السادسة لتأسيس مدرسة البروبغندة لسورية ولبنان

سورية ولبنان

اما مجمل ما يدونه التاريخ عن اخبار بلادنا في العام المنصرم فينحصر ببندين: الاول استئصال شأفة الفتن ونشر لواء الامن؛ والثاني تمهيد السبيل الى المشاريع العمرانية

مزّق النزاعُ الثوار حزبين كبيرين فضلًا عن انقساماتهم الباطنية : حزب سلطان الاطرش وهم يفضلون الاخلاد الى السكينة ، على ما بلغنا ، وتضميد جراحاتهم بواسطة ما يأتيهم من الاعانات المالية من الجمعية السورية الفلسطينية . وحزب نسيب بك البكري المصرّ على ملازمة العصيان مهما كلف الامر من خسارات . على ان الثوار حاولوا في الربيع الماضي اضرام نار الحرب في اللجاة فهاجمتهم قوى الدولة وطوقتهم في معاقلهم البركانية ومغاورهم وفتكت بهم فتكاً ذريعاً ولم تبق منهم الا على فلول هربوا وتوغلوا في الازرق فكانت اذ ذاك الضربة القاضية على ما يمكن تسميتهُ في التاريخ «ثورة الدروز». ودخلت البلاد بطور حياة جديدة وخيم الامن على ربوعها من اقاصيها الى اقاصيها

فاستطاع المسيو بونسو وهو في باريس ان يعرض لحكومة الجمهورية الافرنسية احوال البلاد المعهود امرها اليه فنال رضاها على الخطة التي سلكها في تدبير شؤون البلاد واستمد الاعانات المادية الضرورية لمباشرة تحقيق ما ترغبه لسورية ولبنان من مشاريع عمرانية

عاد المسيو بونسو وكان المتطرفون من رجال الصحافة والسياسة يترصدون له ليؤاخذوه بكلمة فيتاجروا بها لعلهم يربحون . لكن العميد السامي لم يزل ملازماً خطة السكوت والرزانة ولسان حاله يقول : « اعمالًا لا اقوالًا » . وقد تجنب الخوض مع الرأي العام في ميدان الجدال في امر العلاقات بين دولة لبنان وسائر الدول السورية . ونعم ما فعل! وما احرى الوطنيين الحقيقيين بان

يصرفوا همتهم عن السياسة العقيمة الى ما يؤول امره الى رقي البلاد الحقيقي باستثمار خيراتها الطبيعية ؛ واول خير حل للمسألة اللبنانية يكون في ان تلهى عنها الصحافة ويعود نظام لبنان الاداري تدريجاً الى ما كان عليه قبل الحرب مع مراعاة حقوقه التاريخية وحدوده الحالية ولا يزداد عدد الموظفين على ما تحتاج اليه البلاد حقيقة لتعيش وتنمو بالامن والنجاح تحت اشراف الدولة المنتدبة وفي وصايتها . فتخف مصاريف الدولة وتقل الضرائب وتنطفئ نار التحزبات والطموح الى المناصب المخلوقة بعضها لا للمنفعة العامة ولكن للغايات الشخصية

ومما يروق مطالعته في مجموعة جرائد العام السابق هو انك لا تقلب صحائف اسبوع او اسبوعين حتى تقرأ اخباراً عن مشاريع جديدة تشغل الافكار وتثير المنافسة في سبيل تنشيط الفن والزراعة والصناعة . فقد همت مدينة الشام بترميم الخرائب التي سببتها الثورة والاستعاضة عنها ببنايات جميلة مرتبة على النسق الحديث وامتدت خطوط الترامواي الكهربائي في شوارع حلب وصارت بيروت تبرز يوماً فيوماً بهيئة اشبه منها بمدينة اوروبية بفضل عناية البلدية ونشاطها

واستجلبت الوزارة الزراعية اللبنانية كميات وافرة من بذور القطن البعلي لتوزعها مجاناً على الاهلين واخذت تهتم بزرع الحقول الاختبارية في مناطق عكار للقطن ، وفي البقاع الكتان والاشجار والفاكهة ، وفي صور لزراعة المشاتل المختلفة والقطن والاشجار الحرشية والمثمرة

وصادف القطن والكتان السوري اقبالاً حسناً في اسواق ليون في فرنسة . وهمت وزارة الزراعة اللبنانية بتعميم زراعة الخروع في لبنان لما في مزاياه من الخصائص النافعة

على ان المحصولات الزراعية لم تأتِ في جميع الانحاء طبقاً لامال المزارعين لانه بينما حصدت حوران القمح بوفرة وصدرته وعوضت عما لحق بها من الخسائر بسبب المحل الذي اصابها منذ عامين وثلاثة ، ومن جراء الفتن التي اضرمت نيرانها فيها وفي جوارها ؛ فقد ابتليت البلاد من جبل قلمون الى شمالي سورية بآفة الجراد . ولم تشفَ البقاع من داء دودة السونة التي اتلفت فيها كثيراً مما

ابقى عليه موسم الربيع حيث كانت المياه طغت واغرقت المزروعات ولم تنهض الفلاحة من الضربة الاليمة التي اصابتها بالطاعون البقري فصرعتها وذهبت بحياة المئات من البهائم. على ان معالجة الدكتور بيوت بك الافرنسي المندوب من الحكومة الى لبنان حسمت الداء: اخذ يلقح البقر في دير الاباء اليسوعيين في تعنايل وكان نجاحهُ فيها مما حثّ الفلاحين على قبول معالجته لبهائمهم في سائر البقاع فما عتم الوباء ان انكسرت شوكتهُ واستئصلت شأفتهُ. واخذت الحكومة تدرس امر الري في لبنان وسورية فوضع المسيو ڤيتاليس المستشار الفني للزراعة لدى الحكومة السورية رسماً لمشروع يمكّنهُ من رفع مستوى مياه بحيرة حمص بانشاء سد واستخدام الشلالات الكبرى لتوليد الكهربائية

واكتشفوا معادن الحديد في مار شليطا بالقرب من زغرتا وتحققوا ان ما يمكن استنباطهُ منهُ يوفي بمصاريف الاشغال ويزيد فتألفت شركة وطنية لاستغلال ذلك المحصول

وتجهّزت في لبنان قرى عديدة بالآلات المولّدة للكهرباء فيستطيع سكان بيروت والساحل ان يلفتوا انظارهم ليلاً الى الجبال ويتمتعوا بمشاهد الانوار تتلألأ على السفوح والقمم من سوق الغرب الى ريفون فضلاً عن سائر القصبات

ومن المشاريع العمرانيّة ذات الشأن الاعظم انشاء الطرق الرابطة لجميع مراكز البلاد المهمة، فقد افرزت الحكومة من اموال الديون العمومية العثمانية التي رفع الحجز عنها ما يمكن التصرف به لانجاز شبكة الطرق المقرر بناؤها

وانتشر الهواء الاصفر في العراق فتهدد البلاد السورية فاحتاطت لهُ الحكومة دفعاً لمكروه قريب الوقوع وتوقياً لمخاطر المستقبل وهي على بيّنة ان الشام هي الطريق الطبيعية المؤدية بالحجاج الى مكة فلا بد ان تتذرع بجميع الوسائل الفعّالة لمنع نقل جراثيم الوباء مع المسافرين القادمين الينا من الشرق الاقصى ومن الهند والعجم. ولم يكد يؤثر ظهور الوباء في العراق بحركة المسافرين بين القطرين فوافانا عدد عديد من العراقيين للاصطياف في ربوعنا. وكذلك امّ البلاد عدد وافر من المصريين قضوا بين ظهرانينا موسم الحر وعادوا الى بلادهم سالمين ولا ينقضي موسم الّا يبشرنا بموسم اشد خصباً ونجاحاً

واذا صح الخبر ان التعاقد قريب لمباشرة مد الخط الحديدي بين حيفا وبيروت وطرابلس فنصبح على قاب قوسين من القاهرة ولا تمضي اشهر حتى نشاهد في محطاتنا المسافرين يجتازون من باريس الينا الى مصر بقطار واحد

وما زالت الحكومة المنتدبة تعنى بتنشيط التنقيب عن الآثار القديمة خاصة في جبيل وخوزان وعلى شاطئ الفرات

هذا ومما يدل على انقلاب الاحوال ودخول البلاد في طور جديد من العمران هو ازدياد عدد السوريين واللبنانيين الذين عادوا الينا من المهجر خصوصاً من شهر آذار الى شهر ايلول فهم ضعف ما كانوا عليه في العام الماضي وثلاثة اضعاف ما كانوا عليه في العام ١٩٢٥

فرنسة

ان ما يلفت الانظار في حياة البلاد سحابة العام السابق هو نهضتها المالية ومكافحتها للباشئية

بذلت مجهودها في سبيل المحافظة على شرف اسمها في المالية ونالت امنيتها بفضل المسيو بوانكاره فانه قطع شوطاً بعيداً في اصلاح ما افسدته الحرب العظمى

تدارك الازمة قبل وقوعها فجعل دخل الخزينة يزيد على خرجها في ميزانية العام . واقتصد اموالاً وافرة بتنقيص عدد الموظفين ، اخصهم نواب القاطعات (sous - préfets) وعددهم ١٠٦ وسعى في توفير الكميات الذهبية في بنك فرنسة وتقاطى عمليات ومصارفات مكنته من مشترى السندات التي كانت اصدرتها الخزينة فخفف من حمل الديون الموقرة كاهل البلاد . فما لبث الفرنك ان وقف على حالة ثابتة والمئة والاربعة والعشرون منه تساوي ليرة انكليزية

واخذ بنك فرنسة يتسوق الذهب من الاهلين فاستعاض ما كان فقده من المال المصروف في العام ١٩٢٦ من قرض نورمان وادخر عدداً من الدولارات عديداً وصار يسدد ما عليه من الديون البريطانية العظمى

وقد راجت السوق الافرنسية عند انحطاط الفرنك اذ تهافتت عليها الطلبات

من البلاد ذات العملة الغالية كانكلترة والولايات المتحدة. وودّ التجار الافرنسيون ان يبقى الفرنك بانحطاطه ليعقدوا بيوعاتهم عليه فيبادر اصحاب الفبارك الى الانتاج بكثرة على امل ان يبيعوا حالاً سريعاً

لكن مستقبل الفرنك لم يعرف بعد ولم يُظهر المسيو بوانكاره رأيهُ في هذا الشأن ولعل البتّ به يرجع الى مجلس المندوبين الجديد المنتظر تشكيلهُ في ربيع ١٩٢٨ والمتوط امره بالانتخابات

على ان الفبارك تخشى ازمة مالية جديدة من تطوّرات السياسة ولا تزال متربصةً تحجم عن الانتاج بكثرة لئلا يتعسر عليها تنفيد بضائعها في الاجل المرغوب

اما مكافحة البلشفية فكانت متواصلة. كُشف القناع في باريس عن جوق من الشيوعيين المنتمين الى موسكو المتواطئين مع بعض افراد الوطنيين على دسّ سم الفتن في البلاد. فاقيمت الدعاوي عليهم. وسنحت الفرصة في ظروف عديدة لكبار الرجال في فرنسة لتنبيه الافكار الى الشر الاعظم المتهدّد حياة الامة وروح التمدن حتى ان يكفّ الافرنسيّون عن انقساماتهم الداخليّة ويوحّدوا كلمتهم للتوقي من الخطر المنذر بالخراب

فاوقفوا عدة رجال شيوعيين وبعضهم من المندوبين في البارلمان (١ ايار — ٢٢ حزيران — ٩ ايلول) وفي ١٠ تشرين الاول دخلت العلاقات مع روسيّة في دور خصام كاد يؤدي الى قطع العلاقات السياسية بين الدولتين

وما زال حزب الاتحاد الكاثوليكي يزداد يوماً فيوماً حتى بلغ عدد المنتمين اليه المليونين والنصف وهو في طليعة المحافظين على مبادي الوطنية الصحيحة وفي مقدمة المقاومين للمبادي الشيوعية. وفي ٨ ايار، في عيد القديسة جان دارك، الفوا موكباً مهيباً وساروا في شوارع باريس مظاهرةً لمباديهم. فاتبعهم جمهور كبير على اختلاف الاحزاب السياسية والوانها مجاهرًا بمحافظته على التقاليد الافرنسية القديمة وبمقته للمبادي الشيوعية البلشفية

الفارابي وتوماس موروس

او

المدينة الفاضلة وجزيرة «الطوبى»

بقلم فؤاد افرام البستاني استاذ الآداب العربيّة في كليّة القديس يوسف

غريبة عقليّتنا نحن اهل الشرق! لا نرى اثرًا ثقيلاً من آثار الفكر البشري الّا قلنا إنّا السابقون إليه ؛ ولا نحسّ بظاهر من مظاهر المدنية الحقّة إلّا زعمنا انهُ مأخوذ عنّا ؛ ولا نسمع بذكرٍ عظيم في تاريخ الشعوب إلّا اشتغلنا في تقريبه منّا او فتّشنا لهُ عن اصل عربي ، ان لم يكن في زوايا التاريخ ، ففي خفايا الاساطير

وهكذا فقد انصرفنا عن التفكير الشخصي النافع ، الى الابحاث العقيمة ، والمقابلات السطحية ؛ فربّينا في عقلنا ميلًا الى الادّعاء وخيماً ، وفخرًا باسلافنا ألهانا عن مجاراة العصر . فكنّا ندّعي ، ونصدّق ، ونفخر بان اوغسطينوس وشكسبير من اصل عربي : الاول لمشابهة اسمه « لابي القادر » والثاني لسهولة تصحيفه « بالشيخ امير » ؛ وأن سرفنتس نقل « دون كيخوته » عن اصل عربي ؛ وان دانتي وملتون نقلا ملحمتيهما عن « رسالة الغفران » (١ . . . وقد تجاوز هذا الادّعاء العقيم محيط العقليّات الى مجال المظاهر الاجتماعيّة ، فاضحى الفينيقيون اوّل من اكتشف اميركا ، واصبح كايس رئيس جمهوريّة المكسيك ، لبناني الاصل من أسرة الكلّاس ، وصار الملاكم توني من عائلة توما الاهدنيّة . . . الى غير ذلك من الملاحظات المضحكة التي ، لو افترضنا صحّتها ، لما انالتنا شيئاً سوى الاتّكال على فخر السلف ، والقعود عن السعي الشخصي .

١) قد نرد فنفرد درساً خاصاً للمقابلة بين دانتي وابي العلاء بل بين « المنزلة الالهية » و « رسالة الغفران »

ولعلّ اغرب ما صادفنا من الادّعاءات العقليّة في الشرق، ما قرأناه في احدى الصحف المصريّة من ان توماس موروس، وزير انكلترا في اوائل القرن السادس عشر، نقل كتابه المعروف «بالرحلة الى جزيرة الطوبى»، عن كتاب ابي النصر الفارابي الموسوم «بآراء اهل المدينة الفاضلة».

وقبل ان نفاجئ المطالع بالبحث في هذين الكتابين نرى من اللازم ان يتعرّف الى الكاتبين فنقول:

ابو النصر الفارابي فيلسوف عربي اللغة، تركي الاصل؛ وُلد في نواحي مدينة فاراب من بلاد ما وراء النهر نحو سنة ٨٧٠م. ثم هبط بغداد، دار العلوم اذ ذاك، فتعلّم العربيّة وحضر مجالس يوحنا بن حيلان الطبيب المسيحي، فدرس عليه الطب. وكان يتردّد ايضاً الى مجالس ابي بشر متى بن يونس المعرّب المسيحي، فاستفاد من محاضراته الشيء الكثير، لاسيما في ما يختصّ بشرح ارسطو. وبعد ان نال من علوم عصره القدر الوافي، قصد بلاط سيف الدولة ابن حمدان في حلب، وكان هذا الملك مشهوراً باكرام العلماء والشعراء واصحاب الفنون، فاكرمه وقرّب مقامه. ثم استصحبه الى دمشق حيث توفي سنة ٩٠٥

وكان الفارابي قد اشتغل بجميع المعارف المعروفة، شأن علماء ذاك الزمان، فترك التآليف العديدة في كلها؛ مما اكتسب له لقب «المعلّم الثاني» اي الاول بعد ارسطو. ولكن لم يصل الينا من آثاره الّا نحو اربعين كتاباً منها ٣١ باللغة العربيّة، و ٦ بالترجمة العبرانيّة، واثنان بالترجمة اللاتينيّة (١. واكثرها يبحث في الفلسفة والمنطق والسياسة (٢ والتعاليق المختلفة على فلاسفة الاقدمين، ولاسيما ارسطو. على ان اشهر هذه المؤلفات كتاب الموسيقى الذي نشره ودرسه المستشرق كوسيفارتن، وكتاب المدينة الفاضلة او آراء اهل المدينة الفاضلة، وهو موضوعنا في هذا المقال.

---

١) راجع Carra de Vaux : les Penseurs de l'Islam – t. IV, Paris, 1923 – p. 8 وقد نقل ذلك عن بروكلمان

٢) نشر هذا الكتاب بعناية الأب لويس شيخو في المشرق (٤ [١٩٠١] : ٦٤٨ و ٦٨١)

اما توماس مور ، او توماس موروس فكان من رجال السياسة والادارة في انكلترا . وُلد في لندرا سنة ١٤٨٠ . وبعد ان بدأ بالمحاماة والقضاء ، انتخب نائباً في البرلمان الانكليزي ، فلم ترق سياسته للملك هنري السابع ، فترك الكاتب انكلترا . ولم يعد اليها الّا بعد جلوس هنري الثامن ، فاتصل به واخذ يرتقي من منصب الى منصب حتى اصبح وزيرًا اول او كنشليارًا اول كما كان يُقال . ولكن الكاتب لم يتمتّع طويلًا بهذا المقام . اذ رغب هنري الثامن في طلاق امرأته كاترين داراغون كي يتزوّج احدى وصيفاتها المدعوّة حنّة دي بولين ، وارسل يطلب اجازة من الحبر الروماني . فرفض هذا تحليلَ امرٍ تحرّمه الكنيسة مهما كانت شخصيّة الطالب . عند ذاك حصل الانشقاق العظيم ، ونادى عاهل الانكليز بسلطته الدينيّة مجبرًا جميع الاكليروس على بيعته والقسم باطاعته . ولما كان توماس موروس من اقوى الكاثوليك تمسّكاً بايمانه المستقيم ، واسرعهم طاعة لحبره الاعظم ، رفض بيعة مليكه برباطة جأش . فهبط من ذاك المنصب الرفيع ، ولم يلبث ان حُكم عليه بالاعدام فقُتل على المُصقلة في ٧ حزيران ١٥٣٥

وكان من حظّ الآداب ان ربحت من تراث هذا الفاضل ، فضلًا عن بعض قصائد ومقالات متفرّقة ، كتابين مهمّين : اولهما باللغة الانكليزية في تاريخ ريكاردوس الثالث ، وهو الذي استفاد منهُ شكسبير في انشاء مأساته . والثاني باللغة اللاتينيّة وهو « الرحلة الى جزيرة الطوبى » الذي نُشر لاوّل مرّة في حياة المؤلف ، سنة ١٥١٦

سمّى موروس جزيرته « اوتوبيه » (Utopie) من كلمتين يونانيّتين : (أو = للنفي وتوبوس = مكان) فيكون معنى الكلمة المركّبة «لا مكان» او المكان الذي لا وجود له . وهي نكتة من مبتكرات المؤلف التي عدّدها في هذا الكتاب كما نرى في سائر الاعلام الموجودة فيه . على ان اللفظة سارت في الآداب الغربيّة كلها ، واصبحت مرادفة لمكان او نظام وهمي ، ينال من يعيش فيه السعادة الكاملة . وهذا المعنى الثانوي هو الذي دفعنا الى اختيار لفظة « الطوبى » لترجمة « اوتوبيا » وهي ، فضلًا عن كونها تجاور الكلمة

العربيّة في اللفظ ، فانهـا تفيد بمعناها العربي مـا آلت اليه تلـك الكلمة في الاستعمال الاجنبي .

ولنعد الآن ، وقد عرفنا الكاتبين ، الى البحث في مضمون كتابيهما وما بينهما من الشبه :

اما ان تكون الفكرة متشابهة بين الفيلسوفين فذلك ما لا شكّ فيـه ؛ بل لا عجب فيه ؛ لان كلّا منهما قد اطّلـع على « جمهوريّة افلاطون » (١) ؛ وهي الينبوع الفيّاض لكل مـا أُلف في الآداب من هذا النوع . وامـا ان يكون الكاتب الانكليزي ، في القرن السادس عشر ، نقل الفيلسوف العربي ، في القرن العاشر ، كما زعم بعض المتأدبين فهو مـا ننفيه بتاتاً . ولا نتكلف لذلك صعوبة الدرس الخارجي التـاريخي ، فنبحث في ما اذا كانت « المدينـة الفـاضلة » مترجمة في عهد موروس ، وفي ما اذا امكن لموروس ان يعرفهـا ويقرأهـا ويستعين بها . فنحن اقرب الى البرهـان من السير على هذه الطريق الوعرة في الابحاث . فنكتفي لذلك بان ندرس المؤلّفين درساً داخليّاً فنحلّلهما، ونبحث في افكار الكاتبين ؛ ومن ثمّ نرى وجه الشبه بينهما ، اذا كان هناك للشبه من وجه :

كتاب الفارابي في « آراء اهل المدينة الفاضلة » (٢ يؤلف مجلـداً صغيراً يجاور المئة صفحة متوسّطة . يبدأ فيه الفيلسوف بـدرس كلامي نظري في «الموجود الاول» وصفاته ، ونفي الشريك والضدّ والحدّ عنه . ثم يفصّل الكلام « في الموجودات والاجسام التي لدينا » حتى ينتهي الى النفس واجزائها وقواها .

---

١) زعم الدكتور طه حسين ان العرب لم يعرفوا « جمهورية » افلاطون — اطلب : فلسفة ابن خلدون الاجتماعية (ترجمة محمد عبدالله عنان) مصر ١٩٢٥ — ص ٥٣ . على ان تاريخ الادب يذكر ان هذه « الجمهورية » تُرجمت في العصر العباسي ، على عهد خلافة المتوكل ، ترجمها حنين بن اسحق ، الطبيب النصراني العبادي — راجع في ذلك

Cl. Huart: Littérature arabe — 4° éd. - Paris 1923 — p. 280 et Carra de Vaux : op. c. p.3

٢) نُشرت هذه الرسالـة بعناية المستشرق ديتريشي (Ed. Dieterici) في ليدن سنـة ١٨٩٥ بعنوان « Alfârâbi's Abhandlung der Musterstaat » ثم نشرت في مصر سنـة ١٣٢٣هـ. (١٩٠٥م.) بمعرفة الشيخ فرج الله زكي الكردي ، والشيخ مصطفى القبّاني الدمشقي

فاحتياج الانسان الى الاجتماع والتعاون . وهنا يُقابل بين المركّب الانساني ، من نفس وجسد ، والمركّب الاجتماعي . ويجرّه ذلك الى البحث في قوى المجتمع واعضائه . ويعطي للشخص الفاضل بين الناس شبيهاً فاضلاً بين المجتمعات ألا وهو « المدينة الفاضلة » فيقول :

« والمدينة الفاضلة تُشبه البدن التامّ الصحيح ، الذي تتعاون اعضاؤه كلها على تتميم حياة الحيوان ، وعلى حفظها عليه . وكما ان البدن اعضاؤه مختلفة متفاضلة الفطرة والقوى ؛ وفيها عضو واحد رئيس وهو القلب . واعضاء تقرب مراتبها من ذلك الرئيس ، وكل واحد منها جُعلت فيه ، بالطبع ، قوة يفعل بها فعله ابتغاء لما هو ، بالطبع ، غرض ذلك العضو الرئيس . واعضاء أخر فيها قوى تفعل افعالها على حسب اغراض هذه ، التي ليس بينها وبين الرئيس واسطة ، فهذه في الرتبة الثانية . واعضاء أخر تفعل الافعال على حسب غرض هؤلاء الذين في هذه الرتبة الثانية . ثم هكذا الى ان تنتهي الى اعضاء تخدم ولا ترؤس اصلاً . كذلك المدينة اجزاؤها مختلفة الفطرة ، متفاضلة الهيئات . وفيها انسان هو رئيس ؛ وآخر يقرب مراتبها من الرئيس . وفي كل واحد منها هيئة وملكة يفعل بها فعلاً يقتضي به ما هو مقصود ذلك الرئيس : وهؤلاء هم أولو المراتب الأول . ودون هؤلاء قوم يفعلون الافعال على حسب أغراض هؤلاء : وهؤلاء هم في الرتبة الثانية . ودون هؤلاء ايضاً من يفعل الافعال على حسب اغراض هؤلاء . ثم هكذا تترتّب اجزاء المدينة الى ان تنتهي الى أخر يفعلون افعالهم على حسب أغراضهم . فيكون هؤلاء هم الذين يخدُمون ولا يُخدَمون ، ويكونون في ادنى المراتب ، ويكونون هم الاسفلون . » (١

وهكذا فيكون البحث في المدينة الفاضلة التي عرضاً يدفعه سياق التشبيه المستوفى . فيتضح من ثمّ انّ الفارابي لم يعمد الى وضع كتاب خاصّ يبسط فيه نظريّته في المثال الاجتماعي كما فعل موروس . وهذا اول فرق بين الكاتبين نراه في المقصد او الغاية التي ارادها كلٌّ منهما .

---

١) آراء أهل المدينة الفاضلة – طبعة مصر – ص : (٧٨–٨٠)

واذا درسنا طريقة كل من الكاتبين في وصف مدينته نرى الفرق لا يقلّ عنه في غايتيها . فبينا نسمع الفارابي يتابع ملاحظاته الفلسفية عن اشكال مدينة لا تخرج من محيط المقول والنظريات ، نشاهد موروس يتوقّف امام كل مظهر في جزيرته المحدودة المعروفة ، فيطلعنا على كل ما يفكر به ، بطريقة تصويرية لا التباس فيها ، ولا غموض ، ولا تردُّد.

ولا بدَّ لنا هنا من ايراد تحليل سطحي لمضمون كل من الكتابين:

يبدأ الفارابي آراءهُ بذاك التشبيه المعروف ثم يقسم ما يلي الى ١١ فصلاً :

١ – القول في العضو الرئيس
٢ – القول في خصال رئيس المدينة الفاضلة

ويريده « رئيس المعمورة من الارض كلها » ويوجب عليه ان يتصف باثنتي عشرة خصلة « قد فُطر عليها » وهي ان يكون : تامّ الاعضاء ، جيّد الفهم والتصوّر « بالطبع » ، ذكيًا ، حسن العبارة ، محبًا للتعليم والاستفادة ، غير شره ، متجنبًا للعب « بالطبع » ، مبغضاً للذات ، محبًا للصدق مبغضاً للكذب ، كبير النفس محبًا للكرامة ، محبًا للعدل واهله ، مبغضاً للجور والظلم واهلها ، قوي العزيمة . ولكن الفارابي يدرك ان اجتماع هذه الصفات كلها في انسان واحد غير ممكن . ولذلك فهو يسمح انه « اذا لم يوجد انسان واحد اجتمعت فيه هذه الشرائط ولكن وجد اثنان: احدهما حكيم ، والثاني فيه الشرائط الباقية ؛ كانا هما رئيسين في هذه المدينة . » واذا تفرّقت الشروط في عدة اشخاص كانوا كلّهم رؤساء . واذا لم يكن في الشخص المتوفي جميع الشروط ، شرط الحكمة المهمّ ، بقيت المدينة بلا مالك » . . .

فيظهر نقص هذا الاسلوب من حيث الادارة والسياسة ، وتردّدهُ ، واقتصاره على النظر الفلسفي المحض . واين هذا من وضعية تصوير موروس لجزيرته وطريقة ادارتها ؟ واساليب حكّامها ؟؟؟

٣ – القول في مضادات المدينة الفاضلة
٤ – القول في اتصال النفوس بعضها ببعض
٥ – القول في الصناعات والسعادات .

وهنا يظن المطالع ان الاجتماعي العربي سيبحث بحثاً وطنياً مفيداً في الاختبار الانساني ، وطريقة اشغال اهل تلك « المدينة الفاضلة » ، مع التفصيل في شرح صناعاتهم ، واساليب معيشتهم التي تنيلهم السعادة . ولكن لشدّ ما يخيب ظنه اذ يرى الفيلسوف يهتمّ خاصة بالتقاسيم الكلامية من ان « السعادات تتفاضل بثلاثة انحاء : بالنوع ، والكمية ، والكيفية . » ويقيس على هذا المبدأ تفاضل الصنائع فيطبقها على مختلف المهن بطريقة عامّة لا تختصّ بشعب دون آخر

٦ – القول في اهل هذه المدن

والمقصود « بهذه المدن » المدن الجاهلة التي تبقى انفس اهلها « غير مستكملة بل محتاجة في قوامها الى المادة ، ضرورة ؛ اذ لم يرتسم فيها رسم حقيقة بشيء من المعقولات الأول اصلاً . » الى غير ذلك من الاعتبارات الفلسفية العامّة

٧ – القول في الاشياء المشتركة لاهل المدينة الفاضلة

وهي اولاً « معرفة السبب الاول ثم الاشياء المفارقة للمادّة . . . ثم الجواهر السماوية . . . ثم كون الانسان . . . » الخ . وكلها صفيات لا تخرج عن محيط العقليّات ، وتبعد كثيراً عن المرافق الاجتماعيّة التي يتّبع في بسطها علماء العمران .

٨ – القول في آراء المدينة الجاهلة
٩ – القول في العدل
١٠ – القول في الشوع
١١ – القول في المدن الجاهلة

وهذه الاقسام الاربعة يتّحد بعضها ببعض فيظهر الفرق بين اهل المدينة الفاضلة واهل المدن الجاهلة ، التي تنقسم الى اقسام عديدة ايضاً . وهذا الفرق لا ينظر اليه الفارابي الا من حيث الآراء والمبادئ العامّة كالاعتراف بالخالق او انكاره ، ومحبة العدل او كرهه ، وطبيعة اقتران النفس بالبدن او استحالته ، ومحسوسية الموجودات او معقوليتها الخ . . .

والخلاصة ان كل هذه المدن التي يتكلم عنها الفارابي هي ، في عرفه ، عقليّة محضة . وهو لا يُريد ان يمنحها نظاماً اجتماعياً عملياً ، اذ لم تكن هذه غايته ؛ بخلاف ما نتحقّق عند موروس الذي يقسم كتابه الى قسمين عامّين : في الاول يذكر التقاءه بالرجل الذي زار جزيرة الطوبى واقام فيها مدّة . وفي القسم الثاني يذكر وصف هذه الجزيرة بلسان من درسها واختبر احوال اهلها . وهذا القسم ، وهو كل النظرية ، يتفرّع الى تسعة فروع .

١ – وصف جزيرة الطوبى . وذكر طريقة حكمها .

ومن اول سطر نشاهد جزيرة كائنة ، موصوفة بغاية ما يمكن من الدقّة ، فنعرف ان مدارها يبلغ ٥٠٠،٠٠٠ قدم وان قطرها يبلغ ٢٠٠،٠٠٠ ، وان عرضها يضيق في الجانبين اللذين يؤلفان رأسين متقدّمين في البحر ، تنفرج بينهما نصف دائرة على شكل الهلال .

فأين غموض الفيلسوف العربي ، من تدقيق هذا الجغرافي الذي يتابع التحقيق نفسه في وصف كل ما يذكره من جزيرته الوهمية . . .

٢ – وصف مدن الطوبى وخصوصاً عاصمتها مدينة « أموروت » (١

٣ – في ادارة الاحكام وفي القضاة .

٤ – في الصناعات والصناعيين .

وهنا يظهر الفرق في اجلى مظاهره بين طريقة الكاتب الانكليزي الذي ينظر الى عمله نظر الاجتماعي فيصوّر مظاهر الهيئة الاجتماعيّة بكل دقة ، ذاكراً كيفية تقسيم الاشغال على السكان ، والساعات ، والايام ، والاسابيع ، في تلك الجزيرة ؛ وطريقة الكاتب العربي ، الذي ينظر الى عمله كما ذكرنا ، نظر الفيلسوف العقلي المتكلم فلا يرى من امور الصناعات الا درجاتها وتفاضلها في الكيفية والكمية والنوع .

١) أموروت : اخذ الكاتب هذه اللفظة من اليوناني (اموروس = مظلم) وازاد بها المدينة النير المزوقة . وذلك جرياً على طريقته الجميلة التي اتخذها في الاعلام الواردة في كتابه هذا . وجعله المدينة يمرّ نهر اسمه « أنيدر » ومعناه باليوناني : الذي لا ماء فيه . وذلك ايضاً تثبتاً لطرافته في التصوير . —

٥ – في تجارة اهل الطوبى وعلاقاتهم
٦ – في طريقة سفر اهل جزيرة الطوبى
٧ – في العبيد واحوالهم
٨ – في الفنّ العسكري في جزيرة الطوبى
٩ – في ديانات الجزيرة المختلفة

وكل هذه الامور لم يدركها الفارابي لانها مظاهر للهيأة الاجتماعيـة وهو لم يفكر قطّ بالدرس الاجتماعي كما قلنا.

* * *

فيمكننا اذاً ان نختم هذه المقابلة قائلين ان الفارابي درس موضوعه درساً فلسفياً محضاً فقصّر عن نظر رجل السياسة والادارة، والاجتماع. اما موروس فقد نظر الى مثاله نظر الاجتماعي فدرس موضوعه لا من حيث الفلسفة والمثليات بل من حيث الادارة، والحكومة، والتشريع، ليجعله مثالاً للحكم الانكليزي المضطرب في ذاك العصر. ومن ثمّ فلا يدفعنا الجهل الممزوج بالادعاء الى القول ان الكاتب الانكليزي استعان بالفيلسوف العربي، بل نحن لا نرى شبهاً في المؤلّفين اللهمّ الشبه الناتج عن معرفة الكاتبين «لجمهورية افلاطون» كما قدّمنا.

دير سينا وكنيستهُ

نبذة مقتطفة عن زيارة حديثة الى دير طورسينا

بقلم اللواء احمد شفيق باشا مدير مصلحة الحدود

توطئة

تلطف جناب مؤلف هذا الكتاب النفيس فارسل لنا نسخة متعنا الانظار بمحتوياتها الشائقة من تفاصيل سياحة باشرها في شهر يناير من العام ١٩٢٦ في صحراء شبه جزيرة سينا قطعها لاول مرة بالسيارات وزار دير طورسينا ووصف كل مبانيه وما على مشارف الجبل من الآثار والكنائس. وقد امكنهُ ان يرسم بالفوتغراف كلّ المناظر التي استحسنها في سياحته ولاسيما في جبل الطور بعدد ١٢٦ صورة بديعة. فنثني على جناب المؤلف اطيب الثناء وننقل عنهُ وصفه لدير سينا وكنيسته، ونُحيل الى وصفها لسائح آخر نشرنا رحلتهُ في المشرق (٧[١٩٠٤]٩٥٨و١٠٠٣) قال شفيق باشا :

ويحسن بنا هنا ان نقول كلمة عن تاريخ الدير وما يشتمل عليه من الابنية ويحويه من الآثار النفيسة

بُني هذا الدير في ايام الامبراطور البيزانطي يوستينيانوس معقلاً للرهبان ليقيهم شر غزوات عربان البادية وكذا عبيد البجة (ومن سلالتهم البشاريين سكان شرقي أسوان وبلاد النوبة في ايامنا هذه) الذين كانوا يعبرون الى سينا للغزو من صحراء مصر الشرقيَّة — وعلى باب الدير لوحة من الرخام نقش عليها في ستة اسطر اسم باني الدير وتاريخ بنائهِ بالعربيَّة وهذا نص النقش العربي : « أنشأ دير طورسينا وكنيسة جبل المناجاة الفقير لله الراجي عفو مولاه الملك المهذب الرومي المذهب يوستينيانوس تذكاراً له ولزوجته تارضوده على مرور الزمان حتى يرث الله الارض ومن عليها وهو خير الوارثين . وتمَّ بناؤه بعد ثلاثين سنة من ملكه ونصب له رئيساً اسمه ضولاس — جرى ذلك سنة ٦٠٢١ لآدم الموافق لتاريخ السيد المسيح سنة ٥٢٧ » . ويعتمد الرهبان في حسابهم الزمني على الاوقات العربية

والمعلوم ان هذه اللوحة ولوحة اخرى باليونانيَّة لم أرها كانتا وضعتا على باب الدير عند فتحهِ في الارجح في القرن الثاني عشر او الثالث عشر — ولما كان ملك يوستينيانوس قد دام من سنة ٥٢٧ الى سنة ٥٦٥ م وبما ان الدير كما ذكر على اللوحة تم بناؤه بعد ٣٠ سنة من ملكهِ فيكون ذلك في سنة ٥٥٧ م ولكن مؤرخي الدير يرجحون لاعتبارات شتى ان الدير تم بناؤه حوالي سنة ٥٤٥ م وهو للروم الارثوذكس كما تقدم ورهبانه تابعون للحكومة المحليَّة

اما الكنيسة فلها باب خشبي أثري قديم لهُ اربعة مصاريع تفتح على نفسها وسقفها قائم على ستة عشر عموداً من الجرانيت على الطراز البيزانطي وارض الكنيسة منقوشة بالرخام البورفير وبالجرانيت الذي يوجد منه في جبال الغردقة حيث منابع البترول الآن على الشاطئ الغربي للبحر الاحمر حيث كان يوجد محجر تقطع منه الاحجار وترسل الى روما قديماً . وفيها ثماني ثريات من الفضة الخالصة مهداة من الملوك للدير في كل منها ست عشرة شمعة ورأيت أربعة شمعدانات كبيرة من النحاس الاصفر مركب عليها شمعات قديمة يقرأ عليها تاريخ سنة

١٧١٩ ونقش على الشمعدانات هذه العبارة بالافرنجية

« Matthen Bleyll Nurnbery, 1719 »

فيستدل من التاريخين أن عمر الشمعدانات وشمعاتها مائتان وسبع سنوات . وتوجد هدية ثمينة اثرية منها مركب من فضة صغير الحجم ببخارتهِ ومقاذيفهِ مهدى من أحد السياح الذي كان على وشك الغرق في البحر الاحمر ونذر للقديسة كاترينا اذا نجا من ظلمات البحر ان يهديها مركباً من فضة وهو هذا . والهدايا كثيرة منها ما هو صور دينيَّة ومنها ما هو قناديل فضية مموّهة بالذهب وغير ذلك مما يملأ حصره المجلدات الضخمة

وبعد انتهاء الصلاة طفنا بالكنيسة ودخلنا هيكلها وهو من ادقّ ما صنع وهو محلّى بالرخام المجزّع المتناسق الشكل وفي جنبيه صور الانبياء والرسل قبل سيدنا موسى وبعده عليهِ صلاة الله وسلامه وهم ايليا وصالح وهود وشعيب وداود وسليمان ويعقوب الرسول ومار يوسف ويوشع وجميعها مصورة بالفسيفساء ببراعة عظيمة . ورأينا بجانب الهيكل الى يسار الداخل من بابهِ الشمالي رخامة تدلّ على ان هناك قبر القديس افتيموس بطريرك اورشليم المتوفّى في سنة ١٧٢٢ ثم انتقلنا الى المكان المقدس على اليمين ولعله مكان العلّيقة المشتعلة التي ورد ذكرها في التوراة وفي القرآن الكريم .

وعند دخولنا في هذا المكان المقدّس خلعنا احذيتنا احتراماً للمكان وتمثلاً بسيدنا موسى عليهِ السلام ويبلغ مسطح هذا المحل ثلاثة امتار ونصف عرضاً من الشرق الى الغرب وخمسة امتار طولاً من الشمال الى الجنوب وهو مفروش بالطنافس الفارسية وجدرانهُ منقوشة بالقيشاني على ارتفاع متر ونصف ولهُ خارجة مثل القبلة في اتساع متر ونصف وهي مزينة بنوع من الرخام الجميل يقال انه اتي به من أفسس من الاناضول

وفي الكنيسة كثير من الصور المتقنة الصنع والهدايا النفيسة وقد صورنا — بعد استئذان الاب بوليكربوس — الكنيسة من الداخل وفيها القسس والرهبان بثياب الصلاة الاحتفالية وكذلك مناظر مختلفة أخرى بداخل الكنيسة .

وللكنيسة على جوانبها ست عشرة صومعة أشبه بكنائس صغيرة

ثم خرجنا من حرم الكنيسة لزيارة باقي ملحقات الدير وقيل ان عددها اكثر من مائة وخمسين ما بين مخزن وغرف سكنى ومنافع مختلفة

ترجمة المونسنيور انطون مرقس

المرسل البطريركي اللاتيني والزائر الرسولي في القطر المصري

بقلم الخوري يوسف الممشيتي

١

ان تراجم كبار الرجال هي من افضل الوسائل التعليم . وافيد المثاثل للتهذيب . على انَّ الكثيرين من عظماء اهل الارض يجهل الناس حق قدرهم . ويغفل التاريخ ذكرهم كالمترجَم الذي توخيت نشر اخباره فرأيتُ ان ابعث هذه البنفسجة العطرة من مدفنها بزوايا النسيان لتنمّ روائحها بين اوراق التاريخ فيُقتدى بمثلها ويُهتدى بتعاليمها

لم اكن اقف عند حدّ معرفتي بالطيّب الذكر انطون مرقس ومعاشرتي اياه في اواخر سني حياته . بل استعنت بمن لازمهُ وعاشرهُ من أترابهِ وارفاقهِ مستفسراً منهم عما فاتني معرفتهُ من تفاصيل حياتهِ . مُثنياً كل الثناء على حضرة نسيبهِ السيِّد يوسف مرقس الوكيل البطريركي حاضراً الذي أمدَّني بلمحة وجيزة كتبها حضرة الاب يوسف دعدوش احد تلامذة المترجَم في اللغة الايطاليَّة استعنتُ بها بما خفيَ عليَّ من امره

وُلد المونسنيور انطون مرقس في اول اغوسطوس سنة ١٨٣٨ من ابوين فاضلين ينتميان الى اشراف الاسر اللاتينيَّة في القدس الشريف وعرفا بتمسّكهما بالدين الكاثوليكي . فربّياه احسن تربية واشرباه منذ صغره حبَّ الفضيلة

والاحسان . ولمّا بلغ اشدّه ادخلاهُ مدرسة الآباء الفرنسيسيّين في القدس حيث تلقّى العلوم الابتدائية واللغة الايطاليّة

وما كان متصفاً بهِ هذا الفتى الحديث السنّ من مضاء العزم وحدّة الذكاء والانصباب على الدرس أحرزهُ قصب السبق على اقرانهِ . وما تجمّل بهِ من المزايا الحسان كالرصانة والانقياد والمواظبة على الدرس والمثابرة على اتمام واجباتهِ بتدقيق لفتَ اليهِ نظر اساتذتهِ . وعلى الخصوص رئيس المدرسة خوري الرعيّة الذي كان يراهُ امامهُ في الكنيسة مساء صباح جاثياً امام القربان بكل ورع وخشوع . وممّا يُروى عنهُ : ان في احد الايام اعترى والدهُ عارضٌ ثقيل تركهُ وقيذًا بين حي وميت فقالت لهُ والدتهُ : أسرع يا ولدي واستأتِ الينا الطبيب فاندفع انطون في عدوه لا يلوي على شيء . وعوضاً عن ان يقصد دار الطبيب ذهب توًّا الى الكنيسة واكبَّ على وجهه امام ايقونة العذراء . واخذ يتوسل اليها لتهب والدهُ نعمة الشفاء . ثم ذهب بعد ذلك لنداء الطبيب الذي ما عتّم ان اسرع لمشاهدة المريض فوجدهُ معافى . وشدّ ما كان انذهال هذا الفتى لدن شاهد اباهُ يتقلّب في درع العافية بعد ذلك العارض الفجائي الثقيل الوطأة فكرَّ راجعاً للحال الى الكنيسة . وشكر العذراء التي اعادت الى والده كمال صحتهِ

فهذا التربية تربية الآباء الفضلاء التي تغرس بقلوب الابناء غراس الفضائل . وتُلقي بافئدتهم بذار الايمان والاتكال على العناية الالهيّة

على انّ نفس هذا الشاب السخيّة أبت إلا ان تنزل ساحة هذا العالم وتتجنّد لخدمة الله والقريب . فكان يشعر بباطنهِ بحركة غير اعتياديّة نحو الدعوة الاكليريكيّة . وكثيرًا ما خاطب والديهِ بهذا الشأن فتمنعا . اخيرًا لجأ هو عينه الى غبطة البطريرك يوسف ثاركا الجالس حالئذٍ على الكرسي الاورشليمي وباح لهُ بما في نفسهِ من الميل والشوق لتكريس ذاته لخدمة الله . فتلقّى غبطتهُ عواطف هذا الشاب النبيلة بملء السرور والارتياح . واذ لم تكن أسست المدرسة الاكليريكيّة في ذلك العهد ارسلهُ الى مدرسة الآباء اليسوعيين في غزير

المشهورة مع الشابّ يوسف طنوس بين الاهدنيّ الاصل (١ الناصري المولد الذي كتبتُ ترجمة حياتهِ . وخليل البيتجالي الذي رُقّي فيما بعد لدرجة القسوسيّة وعُرف باسم الخوري يوحنا مرتا (٢ ويوسف اسحق الذي تسنم الدرجة الكهنوتية ايضاً ودعي الخوري سمعان اسحق .

اقام المذكور في مدرسة غزير اربع سنوات مع ارفاقهِ المومـا اليهم تحت ادارة وعناية آباء اجلّاء أدونا بعنايتهم في تهذيب الشبيبة مـا دلّ على سموّ اخلاقهم . وبتفانيهم فيما يؤول لخدمة الله وخير النفوس ما دلّ على صـدق ايمانهم . وبدفاعهم عن الدين والآداب ما دل على غيرتهم السامية . وبنشرهم العلوم بيننا ومطبوعاتهم ما دل على محبتهم خير هذه البلاد التي لا يسعها الّا الاقرار بفضل ابناء يسوع عليها . ولما ان فتح غبطـة البطريرك يوسف ثالركا مدرسة البطريركية الاكليريكية استدعى اليها الشاب انطون الذي اتم دروسهُ فيها . ورقاه للدرجة الرسايليّة في ٢١ ك ١ سنة ١٨٦١ وللدرجة الانجيليّة في ٢٠ ك ١ سنة ١٨٦٢ وللدرجة القسوسية في ٣٠ ايار سنة ١٨٦٣ وذلك على جبل الجلجلة حيث تقدّم لاوّل مرّة من مذبح الرب وعاهد الله عهداً ابديًّا في الانقطاع

---

١) اهدن هي احدى مدن شمالي لبنان . تطل عن سطح البحر ١٤٥٠ متراً عـذبة الهواء طيبة المناخ بحسنة الموقع . جميلة المنظر . خرج منها عدّة عيال في اوقات مختلفة وتفرّق شملها . ومن عداد هذه العيال أسرة كاتب هذه الترجمة التي هي احدى فروع اسرة الدويهي كما تصرّح بـذلك الشجرة التي كتبها الطيب الذكر الدويهي عنهُ في اصل عيلتهِ .

٢) كان الاب مرتا عالماً علامة . لغويًّا مدققاً . ونحويًّا محققاً . فاق اهل زمانهِ في اطلاعـهِ على اوابد وشوارد اللغة العربية وتضلعهِ من ادابها وفنونها كما تشهد لهُ كتاباته النفيسة ومؤلفاتهُ البليغة . عكف على التعليم والتصنيف مدة حياتهِ واجل ما تركه من آثارهِ معجمهُ المحيط الذي بهِ ينتقد ويصحح ويستدرك ما كتبهُ ورواه وسها عنهُ المرحوم بطرس البستاني في محيطهِ . مضيفاً اليهِ نحو عشرة آلاف كلمة مع بيان اصولها وفروعها ومواضعها ومصادرها ومشتقّاتها ومواقعها في الكلام مما لا غنى عنهُ لكل كاتب احبّ التدقيق في كتاباتهِ . ساعدني الحظّ ان تصفحتُ هـذا الاثر الفريد في بابهِ . وبالغتُ في مطالعتهِ وأوغلتُ في البحث والتدقيق في مضامينهِ ومقابلتهِ مع غيرهِ من جنسهِ فوجدتهُ كتاباً فريداً في بابهِ والغاية التي ليس وراءها مذهبٌ لطالب . فحبـذا لو تكلّفت البطريركية الاورشليمية نشر هذا الاثر الجليل بعالم المطبوعات فتقدّم للغة العربيّة افضل خدمة

لخدمته وخدمة القريب . ومذ ذاك الحين شرع الكاهن الجديد في العمل بكرم الرب فلم تكن تفتر له همة ولم يقعده عمرٌ عن اتمام متطلبات درجته من وعظ وتعليم وعمل الرسالات وانشاء الاخويات وعيادة المرضى وافتقاد المسجونين . وبالجملة كلّ ما يعود لخدمة الله والقريب . فكان مرشدًا ماهرًا في كراسي التوبة . وخطيباً مصقعاً في منبر الخطابة . وديعاً في معاشرته لطيفاً في احاديثه جمع الى حكمة الشيوخ مقدرة الكهولة . ومروءة الفتوة .

وكان غبطة البطريرك يسترسل اليه بامانيه ويكل اليه صرف جميع المشاكل معوّلًا عليه في كل اموره

ولما كانت مسألة الاقباط الكاثوليك في القطر المصري من اهمّ المسائل التي اشغلت افكار الكرسي الرسولي في ذلك العهد ارسل الطيّب الذكر والاثر البابا لاون الثالث عشر معتمدَين من قبله الى مصر لاصلاح الحال : اولًا السيد دوتلي ثمّ السيّد لودفيكوس بياني قاصد سورية . فلم ينجحا بمهمّتهما . ولم يقويا على اعادة النظام وجمع القلوب المتنافرة . فطلب قداسة البابا من البطريرك الاورشليمي السيّد منصور براكو ان يرسل لتلك المهمة احد كهنته المحنكين فلبى البطريرك طلبَ قداسته وانتقى من بين كهنته السيد انطون مرقس موثرًا اياه على غيره لما عُهد به من الغيرة والحكمة في تدبير الامور ولم يكن السيّد مرقس يتلكأ عن تلبية امر سيّده فجمع حالًا ما قلّ من لوازمه وتوجه الى حيث تدعوهُ مشيئة الله . ولما بلغ مصر رأى فوق ما كان يتصوّره من الصعوبات . فكان يعالج في الامر شدةً ويقاسي فيه نصباً . ولولا ثقته بالعناية الالهيّة وغيرته على خلاص النفوس لكان ترك مصر ورجع قافلًا الى القدس دون ان يتكلف ما امتنع على غيره . ولم يقع في حبالة امل . لكنهُ كلّما اعتاص عليه امرٌ كان يزداد نشاطاً واجتهادًا . فكان يدعو اليه الكهنة ووجوه الطائفة كل يوم ويلقي عليهم الارشادات الروحيّة والنصائح الخلاصيّة . ويجدّ في ازالة النفور المتأصل بين ابناء الطائفة من زمنٍ مديد . ويتفقد المدارس ويزور النوادي معلماً مرشدًا . ويحلّ ما تعقّد من المشاكل بحكمته المعهودة . خلا ما كان يشغلهُ من

امر المجاوبة على المراسلات الكثيرة التي كانت تتراكم عليهِ وعلى الخصوص من المراكز العليا

ولم يكن يكتفي بشغل النهار بل كان يصرف جزءاً طويلاً من ليلهِ في المكاتبة والمطالعة . عدا قيامه ايضاً بممارسته متطلّبات حالتهِ الكهنوتيّة من مثل تقدمة الذبيحة الالهيّة يومياً . والتأمل صباحاً والقراءة الروحية وزيارة القربان وصلوة سبحة الوردية وفحص الضمير وتلاوة الفرض الكنسي كما اخبر عنهُ معاشروه انفسهم . وبقي مداوماً على هذه الحال نحو عشر سنوات حتى ظفر بحاجتهِ وأتمّ مهامَّ رسالتهِ طبق رغائب الكرسي الرسولي وطائفة القبط عينها التي كانت تجاهر بالقول ان الانبا مرقس رجل قديس

لم تقف غيرة المترجم عند هذا الحدّ فقط بل كان يجول في الاصقاع المصرية للبشرى بانجيل السلام ونشر المدنيّة الحقة بين مَنْ حُرموا انوار التعاليم الحقيقيّة كما تنبئنا عن ذلك رحلة العلامة الاب جوليان اليسوعي الى بلاد الصعيد حيث يقول في مقدّمتها

« يجول في تلك الاصقاع خلق كبير من السياح لكن قلّ من يقصد منهم زيارة ما بها من الآثار المهمّة فيترتّب اذاً على سياحتنا هذه فائدة كبرى ولاسيما للمرسلين المبعوث بهم الى القبط الذين في تلك البيداء . وقد كنّا في هذه الرحلة جماعة قليلة رأسها السيّد فرنسيس سوكارو النائب الرسولي في افريقيا الوسطي وبلاد السودان المصرية يصحبهُ السيّد انطون مرقس الزائر الرسولي المتولي على طائفة القبط الكاثوليك . وكان مع السيد سوكارو احد اصحابهِ الموسيو سنته بوناڤيا المهندس الايطالي المقيم في القاهرة »

وما ادراك ما كانت افكار هذا المرسل الغيور في رحلتهِ هذه . فكانت نار الغيرة على خلاص النفوس ومحبة القريب تتّقد في قلبهِ اتقاداً . فلم يكن يدع فرصة تفوتهُ دون ان يغتنمها للمجاوبة على اماني قلبهِ . فحين وصولهِ لبني سويف وزيارته لاسقفها الانبا يوسف شرع يحادثهُ بامر الدين مبيناً لهُ باسلوب لطيف ما تتطلّبهُ الدرجات الكهنوتيّة من العلم والفضيلة وحبّ التضحية متطرقاً الى الكلام عن وحدة الكنيسة ورئاسة القديس بطرس على باقي الرسل الخ

واما الاسقف فكان يرهف اليهِ سمعهُ مندهشاً من فصاحتهِ ومعجباً بغزارة مادتهِ

وفي اليوم التالي بينا كان يتمم الذبيحة الالهيَّة على مذبح نقَّال في كنيسة دير القديس انطونيوس التي كانت غاصة بجماهير الرهبان الارثوذكس . تلا الانجيل المعين لذلك اليوم وقرأ لهم في اللغة العربية الفصل السادس عشر من بشارة القديس متى الذي فيهِ اقام السيّد لهُ المجد القديس بطرس رأساً لكنيستهِ . فكان اذ ذاك الرهبان يصغون بشوق وارتياح ويبدون ادلة الرضى والاستحسان

اما امر زيارتهِ لدير القديس بولس زعيم النساك في البرية وحسن استقبالهِ فقد وصفها حضرة الاب جوليان في رحلته بقوله :

«لما وصلنا الى سور الدير كان الليل قد جنّ فشاهدنا رهباناً عديدين ينتظرون قدومنا بالمصابيح الموقدة . وهو اي دير القديس بولس كدير القديس انطونيوس ليس لهُ باب يدخل منهُ بل نافذة في السطح فأُعدّ لنا حبل ضخم لنرفع بهِ الى الدير . فصعد السيد مرقس اولاً ورجانا ان نلحقهُ سريعاً دون ان نبطئ لانتظار الانقال . فتعلقت بالحبل وارتقيتُ فوجدت غرفة المتولي حرفة الإصعاد قد اكتظت بالرهبان وفي ايديهم شموع مضيئة وفي وسطهم السيد مرقس متزملاً بحلل حبرية فاخرة من المخمل البنفسجي المزركش بالذهب . فقال لي : « أنظرتَ كيف البسوني هاته الحلل رغماً عني ولكني رأيت ان الاولى اجابتهم الى رغبتهم واجتهدت في الانتفاع بهذه الفرصة »

ولما وصلتُ البسوني انا ايضاً في عنقي ثوباً عريضاً قرمزيًّا مذهباً ظانين اني انا هو النائب الرسولي في افريقيا الوسطى اي السيّد سوكارو الذي لم يكن صعد بعدُ ووضعوا عليَّ كذلك حلة كاهن جميلة من اللون نفسهِ . فلما صعد سائر رفقائنا اعطوهم شموعاً وساروا بنا كما يفعل في الرياحات الدينيَّة على النسق الآتي :

مشى اولاً الرهبان الصغار والكهنة بازيائهم العادية وفي ايديهم شموع متقدة . ثم ثلثة رهبان على صفّ واحد حاملين ثلثة سناجق فوقها صليب . وحامل الصليب الاكبر في الوسط . ثم اهل الخورس والمرنمون . واثنان حاملان

مباخر وشرعوا يرغون بالحان مكرّرة بنسق واحد ووزن واحد غير متغير موقعة على اصوات الصنوج والنواقيس التي يقرعونها بمسامير حديدية ضخمة . وعند كل قطعة كان المبخّران ينحنيان امام السيّد مرقس انحناء بليغاً . ويبخّران ثلثة . والجميع وقت الترتيل يتمايلون تارةً ذات اليمين واخرى ذات الشمال

وكانت هذه المظاهر كلها مضادة لهدوّ وتهيّب السيّد مرقس وهو متجلبب الاثواب الحبرية وبيدهِ الصليب الرعاني . وقد قضينا مدة غير يسيرة حتى انتهينا الى الكنيسة ولما بلغ السيّد مرقس الى المذبح التفت واومأ بلزوم الصمت وكلّم الرهبان المنتصبين وقوفاً امامهُ بخطاب رقيق مؤثر وشكرهم عمّا قدموا من الاكرام لكرسيّ بطرس الرسولي الذي هو خادمهُ الوضيع وحضّهم على الاتحاد مع الكنيسة الواحدة القدسة المؤسّسة من سيدنا يسوع المسيح والمفوّضة منه الى بطرس وخلفائهِ من بعده وختم الكلام ببعض تضرّعات اجابوا عليها آمين آمين

فلما فرغ السيّد مرقس من مقالهِ أُخذ باحتفال الى كرسي الاسقف القائم في جانب الرسالة في قسم الكنيسة المحفوظ للكهنة فقط . فلما جلس وبطلت اصوات الترنيم تقدّم احد قدماء الرهبان وتلا بين يديهِ في كتاب الطقس رقيماً على شكل تبنتة ترحيباً بهِ والتماساً لبركتهِ . فاجاب سيادته بكلمات وجيزة مازها انعطاف ومحبة مكرراً القول ايضاً بوجوب الخضوع للحبر الروماني نائب يسوع المسيح . ثم رفع يمينه وبارك جميع الحاضرين بالصليب المعدني فسارفض الرهبان بعد ان لثم كلٌّ صليب الحبر ويده . . .

وقد وقع كلام السيّد مرقس في قلوب كثيرين من الرهبان احسن وقع وطلبوا ان يكلّموه فأتى الى فمهِ على انفراد فقضى هزيعاً من الليل في هذه الاحاديث .»

وقد لخص الاب جوليان المشار اليهِ في رحلته المنوّه بها مباحث السيّد مرقس الدينيّة تحت عنوان «مباحث دينيّة» حيث يقول :

« ان السيّد مرقس اغتنم الفرصة مدة هاته الرحلة لاجراء مداولات كثيرة بشأن الكنيسة وطيبتي سيدنا يسوع المسيح مع اسقف بني سويف ورهبان الدير واهمّها المباحث الجامعة لكلّ المباحث التي صارت في دير القديس

انطونيوس في غرفة النائب يوم رجوعنا

اما السيد مرقس فكان حينئذٍ جالساً وسط المقعد العريض والرهبان جاثون على الارض كحلقة حول كل الغرفة . وقعد النائب من عن يمين سيادتهِ والمدبر من عن يسارهِ . فكانت الجلسة اذ ذاك حافلة وقد ظهر السيد مرقس كأنهُ الراعي الحق آتياً بين نعاجهِ التي سلبها السارق وداعياً اياها اليهِ . قال: «ان السيد المسيح لم ينشئ الّا كنيسة واحدة ورئيساً واحدًا وهذه الكنيسة لا تنحصر في ثلث او اربعماية الف نفس تسكن على ضفاف النيل بل هي كاثوليكية اي جامعة ورئيسها لا يقيم في القاهرة بل في رومة وليس هو بخليفة القديس مرقس بل خليفة القديس بطرس هامة الرسل . وآباء المجامع المسكونية الثلثة التي تذعنون لها : مجامع نيقية وقسطنطينية وافسس الاولى . إنما كانوا من هاته الكنيسة الحقيقية . وكانوا يذعنون بان رئيسها هو خليفة القديس بطرس وخير شاهد على ذلك انما هي القوانين التي رسموها . والقديسان انطونيوس وبولس اللذان تكرمونهما اجلّ الاكرام كايرين لكما كانا متحدين مع القديس اثناسيوس في الطاعة والخضوع للحبر الروماني

وانتم ألا تقولون في القداس يوم عيد القديس بطرس هذه الترنيمة المعلنة رئاستهُ وسيادتهُ وهي: «السلام على ابينا بطرس ذي اللسان الذهبي معلم الامم . السلام على ابينا بطرس الذي نال سلطان حلّ الخطايا وربطها . السلام على بولس الذي انتشر كلامهُ في اقاصي المسكونة »

ثم ألا يقول كتاب طقسكم في موضع آخر ان الله سلّمه عمل يديهِ ومفتاح ملكوت السماوات . ويمكنني ايضاً ان اذكركم بالصلوة التي تتلونها في عيد تدشين كنيسة العذراء في قيسارية حيث يقال : « ان المخلص نزل على الارض محمولاً على اجنحة الشاروبيم ومكتنفاً من رسلهِ ورسم على التراب رسم الكنيسة وهيئة بنائها . ثم وضع يديهِ على رأس ابينا بطرس واقامه رئيساً لطغمتهِ في كل الارض ومنحهُ سلطان الحلّ . وحينئذٍ صار فرحٌ عظيم في السماء والارض والجميع هتفوا : « مستحق مستحق مستحق »

ثم كلف السيد مرقس النائب وسائر الرهبان ان يعرضوا لهُ ما يداخلهم في

ذلك من الريب باسطين له مشاكلهم بكل حرية فهو مستعد لاجابتهم . فشرع ابونا حنا يقدم تلك الاعتراضات العتيقة المذكورة في كتب اللاهوت . ولا شك بانهُ كان قد استعدَّ لها . إلا ان السيد مرقس كان يجيب عن كلٍّ منها بكلام وجيز بغاية البساطة والسلطة . متذرّعاً غالباً بايراد بعض مقابلات بشرية وتشبيهات طبيعيَّة منها قولهُ لهُ مرةً :

« انتم تقولون ان القديس بطرس ليس رأساً للرسل لان القديس بولس آخذه مرة . فدعوني اسألكم : اذا اتفق يوماً انكم استحسنتم بان توثبوا ولو بعنفٍ الغرموس بولس . افيمكننا ان نستنتج من هذا التأنيب العنيف ان الغرموس بولس ليس رئيساً عليكم » ؟

فبهت ابونا حنا ورضخ لهذا الجواب فلم ينبس ببنت شفة . واخذ الرهبان يرددون اعتراضات صبيانيَّة محضة كان يدحضها السيد مرقس بايجاز

وكان النائب لا ينطق الا قليلًا بل يصغي كل الاصغاء . وامارات وجهه تدلُّ على التكدر . على ان السيّد مرقس سأله اكثر من مرة هل هذه المجادلات تزعجهُ وقال لهُ انهُ مستعد لقطعها اذا كانت تكدر خاطره ولو يسيراً

فاجاب النائب : كلا . بل كل ذلك مما يهمني كثيراً ومع ذلك فقد الجأتهُ الحدة الى ان يقاطعهُ معترضاً عليهِ بقولهِ :

« انتم تذهبون الى ان كل من لا يعمل رغائب البابا فهو مشجوب »

فاجاب السيّد مرقس : انا قلت انهُ يكون مشجوباً ذلك الذي لا يطيع يسوع المسيح وبما ان يسوع المسيح امرنا بان نطيع البابا في ما يتعلق بالايمان والآداب فاستخرج النتيجة انت »

ومن جملة اعتراضاتهم « ومع ذلك نرى الرسل كانوا يسافرون ويبشرون ويسوسون كنائسهم دون ان يلتمسوا الاذن في هذه كلها من القديس بطرس »

وقد تعب السيّد مرقس كثيراً باذلًا جهدهُ في اقناعهم بان افكارهم وتخيلاتهم هي وهمية وانه حلوٌ وسهل تصرف الاب الاقدس مع الاساقفة والكهنة الذين يبذل لهم كل الوسائل الهيّنة لسياسة النفوس التي فوضت اليهم

اما مسألة وجود طبيعتين في سيدنا يسوع المسيح فكان من المستحيل ان

يتداول بها لاهوتيًا او يبحث عنهـا خصوصاً لان هؤلاء المشاقين المساكين هم بعيدون كل البعد عن كل الاشياء الفلسفية فلا يتفكرون عن ان يخلطوا الطبيعة بالاقنوم وكيف كان الامر يعدّون ذلك مسألة ثانوية

قال احد المدبرين كانهُ ينطق باسم الجمهور : « لا بأس ان قيل في المسيح طبيعة او طبيعتين فيكفي للخلاص الايمان بلاهوت المسيح »

فلما سمع السيّد مرقس هـذا الجواب بهت متحيرًا وفهم انهُ يجب قطع سياق الجدال . وكان سيادتهُ يخاطبهم بهـدوٍ تبدو على وجهـهِ سمات الهيبة والوقار . وكان يظهر من كلامهِ ان الحق يـرد على الضلال والنور يحترق جيوش الظلمة

وقد دارت محادثات خصوصية وَليت هذه الاجتماع وامتدت هزيماً من الليل وقصارى الكلام ان الاعمال الفكرية والاشغال الشاقة التي كان يتكلفها السيد مرقس سنين طوال قد نهكت جسمهُ وأثرت في صحتهِ اشدّ التأثير فاعتراه بسبب ذلك داء الرجفة فكان ويشهد الحق شهيـد غيرتهِ وحبّهِ للقريب . واضطرّ اذ ذاك أن يترك ساحة الجهاد مرغماً والانزواء بغرفته في مسقط رأسه في دار البطريركية الاورشليمية . ومن اجلى الفضـائل التي تحلى بها شخص السيد مرقس هي تسليمهُ الكامل لارادة الله . ومن اسمى الفضائل ايضاً التي سطعت بهِ هي صبرهُ واحتمالهُ ما المّ بهِ فلم يفه قطّ بكلمة تذمّر مدة حياته كلها . ولم يظهر قط كاسف الوجه ساهمهُ بل لبث دائماً طلق المحيا تبرق اسارير وجههِ بشرًا الى ان نقلـه الله الى دار كرامتهِ جزاء امـانتهِ . اما صفاتهُ فهي اكثر من ان تحصر: اللطف والمؤانسة والشهامة والترفع عن الدنايا ولين الجانب والاناة الى غير ذلك من الاخلاق الحميـدة والخصال الحسان التي حبّبت اليهِ القلوب وخلدت لهُ ذكرى الجميل وطيب الاحدوثة

٢

اننا في سياق ترجمة السيد مرقس لم نأتِ على ذكر ما امتاز بهِ من الفضائل التي هي اهمّ ما يتحلّى به كاهن الله واهم مـا يذكر في ترجمةٍ عبرةً وذكرى

فرأيت من المناسب ان اتكلم عنها بنوع خاص بعد استيفاء الكلام عن اطوار حياته

امتاز هذا الكاهن الفاضل بتواضعه فقد كان خافض الجناح متجافياً عن مقاعد العجب الخيلاء . يعتزل عن الكرامات ويحتفي بدعة وايناس لما كان يُلقى عليه من النصائح والملاحظات . تبدو على وجهه ملامح السذاجة مع انهُ كان من جهابذة اهل النظر غزير المادة واسع الاطلاع . فكان يعتبر ذاتهُ احقر الناس واقلّهم معرفةً وعلماً مما زاد القوم ثقةً به واعتباراً لفضائله . وكان رحمه الله يتولى هو عينهُ كناسة غرفته دون ان يكلّف احداً هذه الخدمة

اما وداعتهُ فنسطّرها لهُ بعداد الاعجاب ونعدّها من اجمل فضائله لانها ثمرة جهده واكليل جهاده : وُلد السيّد مرقس دموي المزاج جافي الطبع سريع الغضب لكنهُ ما لبث ان عالج هذه الادواء مدة طويلة بمراقبته ذاتهُ والمداومة على الصلوة وممارسة الاماتات حتى بلغ بثباته وجده المتواصل مبلغاً عظيماً من رباطة الجأش ازاء ما كان يحدث لهُ من الكوارث . والتسلّط الكامل على حركات نفسه وسكناتها مما جعلهُ ان يصبر على ما يتأتى له من النوائب بكل اناةٍ ويحتمل دون حدّة ما يداهمهُ من البلايا وان يطابق ارادته مع ارادة الله في كل امر . حتى خال الذين كانوا من اقرب الناس اليه انه طبع على الدعة وفطر على سهولة الخلق والضعة . فلم يرهُ احدٌ قط مقطب الوجه عابساً بل باسم الثغر حسن البشر مع حلمٍ ووقار وتؤدة ورجاحة . وغماً عن تراكم اشغاله وما وكل الى عنايته وتدبيره من الامور الخطيرة

اعتاد اهل فلسطين ان يلجأوا في كل امر الى البطريركية اللاتينية وكان السيد مرقس موجلاً الاهتمام بهم وصرف ما ينتابهم من المشاكل . فكان يتنازل للمجاوبة على جميع ما يلقى عليه من المسائل وحلّ ما يعرض لهم من المعضلات مما امال اليه كل القلوب وادهش سلوكه جميع اهل القدس على اختلاف نحلهم وتفرّق مللهم وعلى الخصوص الفقراء الذين كانوا يرون به اباً شفوقاً يرأف بهم ويعطف عليهم

ولما ذهب السيد مرقس الى الاستانة لبعض امور تتعلق برسالات البطركية

عن غبطة البطريرك احد الكهنة ليقوم مقامهُ لدى الطوائف المسيحية . بيد انَّ هذا الكاهن لم يكن متخلقاً باخلاق سلفهِ فلم يلبثوا ان لاحظوا الفرق بين السلف والخلف . فكانوا يترقبون رجوع سيدهم مرقس وقد رهقهم من امر غيبتهِ ما عيل بهِ صبرهم

وعندما كان في الاسكندرية بصفة زائر رسولي اتاه احد اشراف الملة القبطيَّة واخذ يُطيل عليه لسانه ويندّد بهِ بغاية الجرأة والقحة . اما السيد مرقس فكان يقابلهُ باللطف والايناس دون ان تبدو على وجههِ امارات الغضب والحدَّة . وفي اليوم التالي قال لخادمه البس ثوبك الرسمي وهيّا بنا لزيارة السيد الذي جاءنا امس . فبهت الخادم وقال لهُ على الفور : أوَ نسيت ما كان من امره امس ؟ وهل يستأهل هذا السفيه ان تزورهُ ؟ فاجابهُ الكاهن الفاضل : نعم نعم هذا ما يتطلبه خير القريب ويوجبهُ علينا الدين المسيحي . وما عتما ان اتجها الى دار ذلك السيد الذي غضَّ الخجلُ طرفهُ لدن شاهد الزائر الرسولي آتياً لزيارتهِ فاستقبلهُ بما ليس بعدهُ من اللطف والمؤانسة أسفاً ممتعضاً مما صدر منهُ بحقهِ ومذ ذاك اليوم اضحى من اخلص اصدقائه

بمثل هذه العدَّة اي التواضع واللطف والاناة كان هذا الكاهن الفاضل يمهّد العقبات فيذوّل ما استصعب ويذلل ما استعصى مما جعل لهُ في قلوب اهل مصر اسمى منزلة وطلبوا اليهِ ان يكون بطريركاً عليهم فاعتذر اليهم بعدم اهليتهِ وتمنّع عن قبول التاج الاسقفي اتضاعاً

اما محبتهُ للقريب وغيرتهُ على خلاص النفوس فحسبنا هنا ما قاله ذات يوم السيّد يوسف ثالركا البطريرك الاورشليمي عنه : « آتوني بعشرة كهنة نظير الاب انطون مرقس وانا اضمن لكم هداية جميع الشعب الفلسطيني الى الدين الكاثوليكي »

وبالواقع ان قلب هذا الكاهن الصالح كان ملتهباً بنار الغيرة الرسولية فلم يكن يني قط عن القاء الارشادات والنصائح الخلاصية . وكلّ ما يعود لصالح النفوس وخير القريب . ومن رآه وشهد ما كان من امره مع ذلك الكاهن التاعس الذي انحرف عن جادّة الصدق واتّبع تعاليم مغائرة ، لعلم مقاصيل وقوة

الغيرة المسيحية . فلم يكن يفتأ من التردد عليهِ والقاء الارشادات والنصائح . واقامة الصلوات . وممارسة الإماتات وبعض اعمال تقشفيّة حتى ظفر عليهِ واقبل بهِ لحظيرة الخراف الامينة

وبالجملة كان الاب مرقس ملجأ اليتيم وغوث الملهوفين . كثيرًا ما كان يقرع ابواب اهل الثروة ويحضّهم على التصدق على الفقراء والبائسين

اما صبرهُ وطول اناتهِ واحتماله فكان مما يتمثّل بهِ . وقد ظهرت فيهِ فضيلتا الصبر والاحتمال باجلى مظاهرهما بمرضهِ لدن اختبره الله باشدّ المحن فان جهاده واتعابهُ سببت لهُ داء الرجفة فكان يتعذّر عليهِ اتيان اي عمل كان دون مساعدة شخص آخر . ومع هذا كلهِ لم يكن يشكو قط ولم يتذمّر ولم ينقطع عن مقابلة الذين كانوا ياتونه للاسترشاد وطلب المشورة بل كان دائمًا طلق المحيّا بشوشًا يُصغي للجميع ويلقي عليهم الارشادات والنصائح الخلاصية . وبالحقيقة ان من عاشر السيد مرقس ولحظ ما كان متصفًا بهِ من الخلال الفريدة والمزايا الحسان وعلى الخصوص صبره واحتماله في مدة مرضهِ لجاهر بالقول : إن هذا بشرًا بل ملاكًا سماويًا

ومن فضائلهِ دعته التي كان يسكن بها نفسهُ عند حركة الاميال النفسانيّة . ومسالمته التي جعلته ان يغضي على الاذى ويغفر لمن حمل عليهِ حقدًا محتملًا اساءتهم

ومما لا مرية فيهِ ان السيّد مرقس كان مثالًا حيًّا للكاهن المسيحي : جارًا بايمانهِ ، ثابتًا برجائهِ ، صادقًا بمحبتهِ ، امينًا باتمام واجباتهِ ، طاهرَ الذيل عفيفًا ، صبورًا على المكاره ، وديعًا في إبّان الشدة . والفضيلة الخاصة التي عرفناها بالسيد مرقس هي فضيلة التسليم المطلق للارادة الالهية دون بحث وتفلسف . وقد تبيّنت هذه الفضيلة بشخص آخر تجلّت بهِ باجلى مظاهرها يغتفر لي المقام ذكر اسمه (١ تيمنًا وعبرة وذكرى

ومن مميزات هذا الكاهن الفاضل انهُ كان اديب المجلس . كثير الاحتفاء بزائريهِ ، حرّ الضمير ، صادق اللهجة ، عفيف النفس ، راغبًا من حطام الدنيا

١) غبطة الاب المحبوب رجل الفضيلة والفضل السيد الياس بطرس الحويك البطريرك اللبناني

واجادها . ذكيّ الفؤاد . دقيق النظر في المسائل العقلية

اما منزلتهُ العلميَّة فكان لها نصيبها من الشهرة فقد تلقّى من العلوم اللسانية اللغة العربية والفرنسية والايطالية واللاتينيَّة وقد برع في اوابدها وشواردها واتقن آدابها وفنونها كما تشهد لذلك كتاباته وخطاباته في اللغات المذكورة . وخلا العلوم اللسانية أحكم العلوم العقلية السامية كالفلسفة والمنطق واللاهوت النظري والفقه الكنسي والمدني والحق القانوني وغير علوم كعلم التاريخ والكتاب المقدس الخ

وختام القول عاش السيّد مرقس ٦٨ سنة فكانت سنو حياته الكهنوتية سلسلة افعال خيرية ومحامد وفضائل مسيحيَّة . وقد شاء الله ان يشركهُ وهو على الارض في اتعابهِ وآلامهِ في اواخر حياته بان امتحنهُ بداء الفالج المزمن الذي احتمل اوجاعه ومشقاتهُ نحو ١٤ سنة بصبر واحتمال وتسليم دون ان تبدو على وجههِ امارات الغضب والحزن او أن يتلفظ بكلمة تذمر او تمرمر منذ ما عدهُ الداء الى آخر نسمة من حياته . وما كان أعذب ما يلقيهِ عليَّ من الارشادات والنصائح لدن كنتُ انا أتشكى من حالتهِ المؤثرة فكان يقول لي ووجههُ يتدفَّق بشرًا : « ليس من العدل يا ابتِ ان نتنعَّم نحن الخطأة ويسوع الطهارة والقداسة بالذات لم يصعد الى حيث كان اولًا الَّا بعد صعوده على سلّم الصليب . ابنَ الله دون استيهال من قبلي قد شاء ان يشركني في قليل من آلامهِ . هي محبة الله الخاصة التي افتقدتني بها استعذبه من اوجاعي وآلامي مجاوبةً على هذه المحبة » . . .

وعند ما كنا نجتمع في الدار البطريركية نحن معاشر الكهنة لعمل الرياضة الروحيَّة السنوية كان مرشد الرياضة الروحيَّة يقدّم لنا مثال السيد مرقس باثناء تكلمه عن فضيلتي الصبر والاحتمال . وكثيرًا ما سمعتُ الطيب الذكر والاثر السيد لودوفيكوس بياقي يُجمل الثناء على فضائل هذا الكاهن القديس . ولم ازل اذكر ما قالهُ لي احد الايام لدن كلّفني ان اتلو عليهِ اي على السيد مرقس فرضهُ الكنسي واقرأ لهُ بعض الجرائد والمجلات . « المونسنيور مرقس هو رجل قديس » .

مات السيد مرقس ميتة الابرار الصالحين مخلفاً لاخوتهِ الكهنة اجمل ذكر وافضل تعليم وأوفى مثال على حياتهِ الكهنوتية في ٢١ شباط سنة ١٩٠٦

ابو الطيّب المتنبي (٩١٥ــ٩٦٥)

بقلم فؤاد افرام البستاني استاذ الآداب العربيّة في كليّة القديس يوسف

٣

الشاعر

طريقته في المراثي والمفاخر والحكم

تكلّمنا في العدد الماضي عن شعر المتنبي اجمالًا ، ودرسنا طريقته في المدح والهجاء خاصّة ؛ واجتهدنا في تحليل فنّه ، فرأيناه شاعر العظمة على الاطلاق . وها نحن الآن نتابع البحث في طريقة الشاعر اذا ما اراد رثاء او فخرًا او ارسال حكمة فنقول :

المراثي

من شروط الرثاء ، كي يأتي طبيعياً لا يتكلّفه الشاعر ولا يضجر منه المطالع ، ان يشعر الراثي بقوّة المصيبة ، وتأثير الفاجعة . وقد يأتي هذا الشعور على نوعين : نوع عاطفي ينصرف فيه الشاعر الى ابراز ما يخالج قلبه من دواعي الحزن ، وعوامل الأسف على شمائل المرثي وفضائله ، دون ان يحكّم عقله في عرض مصيبته على مصائب الغير مثلًا ، او الالتفات الى هذا العالم الفاني ، والدنيا الغرّارة . ونوع عقليّ يتّحد فيه الرثاء بالتعزية ، والحزن بالسلوان . فيرتفع الشاعر من ذكر مصيبته ، الى الافكار العامّة كزوال الاحباب ، وفناء الدنيا ، وسطوة المنون وغير ذلك . ونحن ، اذا تدبّرنا فنّ المتنبي في رثائه نراه يرغب في النوع الاخير ، ولا غرابة ، فقد عرفناه شاعر الافكار والحكم ، لا تتملّكه الاحساسات الرقيقة ، ولا تضلّ عقله شوارد القلب المختلفة . فهو

حتى في رثاء جدّته ، التي كان يحبّها كثيراً ، لا يفقد عظمة السَرَوات الشامخة التي يلزم ان تترفّع ، في اعتقاده ، عن عواطف السُوقة ؛ فلا يكاد يفسح مجالاً لعواطفه ويقول :

أحنّ الى الكأس التي شربت بها وأهوى لمثواها التراب وما ضمّا
بكيت عليها خيفةً في حياتها وذاق كلانا ثُكل صاحبه قدما

حتى تعاوده افكار التعزية ، والترفّع عن المصائب ، ومقابلة حوادث الدهر بالصبر ، لا صبر الخاضع المستكين ، بل صبر القرن على غدر قرنه ، فيقول :

عرفت الليالي قبل ما صنعت بنا فلما دهتني لم تزدني بها علما

. . .

كذا أنا يا دنيا ! اذا شئتِ فاذهبي ! ويا نفس زيدي في كرائهها قدما !

وكأنه ينتبه فجأة الى ما سيقوله حسّاده ، في هذه المصيبة ، وهو يأنف من الشماتة ، وخصوصاً في الوقت الذي لا شماتة فيه ، فيفخر عليهم سلفاً ، ويسكتهم قبل ان يتشدقوا ، فيصيح :

لئن لذّ برمُ الشامتين بيومها لقد وَلَدت مني لأنفهم رَغما

واننا لا نرى ، في غير ما تقدّم من رثاء جدّته ، اثراً لعواطف الحزن الطبيعي ، وتأثيرات الاسف الحقيقي ، اللهم بعض ابيات من رثاء ابي شجاع . ولا يُلام شاعرنا على هذا النقص لما قدّمناه من الاسباب . امّا اذا ألزمتهُ ان يموّه على الناس ، فيخترع حزناً لا يشعر به ، ويصف مفاعيله المزعومة في قلبه ، ويظهر تأسفاً على مزايا فقيدة او شمائل فقيد لا يهمّهُ من امرهما شيء ؛ فانك تدخله في مأزق لا يعرف كيف يتخلّص منهُ ، وتكلّفه ما لا يستطيع . فتراه حائراً يطرق ابواب التملّص فلا تفتح لهُ الّا بالتعسّف ، ويجرّب طرق التجملات فلا تنبسط امامه الّا بالابتذال . وربما جرّه جهل الاساليب اللطيفة في مواقع الكلام الى فساد الذوق واساءة الادب ، فخاطب ام سيف الدولة المرثية بقوله :

بعينكِ ! هل سلوتِ ، فانَّ قلبي وان جانبتُ قبركِ ، غيرُ سالي !

او عزّى سيف الدولة عن أخته بقوله (مخاطباً الارض) :

وهل سمعتِ سلاماً لي الَمَّ بها فقد أطلتُ وما سلَّمتُ عن كثبِ !

وهو غاية الغايات في سوء الادب وفساد الحسّ ، والجهل بمواقع الكلام ، حتى قال ابو بكر الخوارزمي : « لو عزّاني انسان عن حرمة لي بمثل هذا ، لالحقته بها وضربت عنقه على قبرها . »

امّا اذا خلّصت ابا الطيّب من هذه الواجبات ، التي لا يأبه لها ولا يهمه امرها الى التعازي الحكمية والاقوال الفلسفية . فهناك لا يسعك الّا الخضوع امام الحكم الشائقة التي سارت امثالًا على كرّ الايام . وايّ انسان تتراكم عليه المصائب ، فيهدّه الاسى ، ولا يقول خاضعاً :

رماني الدهر بالارزاء حتى فؤادي في غشاء من نبالِ
فصرت اذا اصابتني سهامٌ تكسّرتِ النصالُ على النصالِ !

وايّ حكيم يرى سيطرة الموت الهائلة ، وعقم الوسائط البشرية في الخلاص منهُ ، ولا يردّد :

يموت راعي الضأن في جهله مِيتة جالينوس في طبّه !

وعلى الجملة فاننا نرى المتنبي معزّياً حكيماً ، لا راثياً عاطفياً .

المفاخر

لم يفرد ابو الطيب قسماً خاصاً من شعره لنظم مفاخره ؛ لانهُ لم يكن ليعتقد بامكانه نظم قصيدة لا يفخر فيها . فكل شعره مجال لكبريائه وعجبه بنفسه ، وعظمته على الغير . وهو ، من هذا القبيل ، في اعتقاد صادق ، وايمان راسخ ، حتى انهُ يعطينا اسباب هذا العجب ؛ وهي عدم وجود من يماثله في الكون ، وذاك قوله :

ان اكن معجباً فعجبُ عجيبٍ لا يرى فوق نفسه من مزيدِ !

ولكن هذا الفخر ، لم يكن المتنبي ليرضاه على عامّة الناس ، على السوقة ؛ وايّ فضل في ان يكون الانسان خيراً من ذاك الصنف من المخلوقات الذي يجمع فيه ابو الطيّب اللئام ، والعبيد ، والبهائم ، والجبناء ؟ ايّ فضل في ان يكون المتنبي اشرف من البشر الاعتياديين ؟ ؟ ؟ انما الفخر كل الفخر في ان يفوق المتنبي المتفوّقين ، ويشرف الشرفاء ، ويفخر الفخورين ! ولهذا نراه يجتهد ، في مفاخره ، حتى يصوّر سادات القوم عظماء شرفاء ثم يصوّر نفسه فوقهم . فيقول جاعلاً نفسه مصدر كل فخر وشرف لحقّ باهله وجدوده ، مع أنهم مصدر كل فخر لحقّ بابناء الضاد كافة :

لا بقومي شرفت ، بل شرفوا بي ! وبنفسي فخرت لا بجدودي !
وبهم فخر كلّ من نطق الضا دّ ، وعوذ الجاني ، وغوث الطريد !

امّا ما سوى نفسه من جميع ما « خلق الله وما لم يخلق ايضاً فمحتقر في همته ، كشعرة في مفرقه ! »

وقد يتجاوز هذا الاحتقار المعاني الى الالفاظ ، والاوزان ، والصيغ ، فترى جميع من يحقّرون بكافور ، « عضاريط وعاديد » ويصير كافور « خنزيراً وثعلباً وكلباً » ، وشفته « مشفراً » وشخصه « مجموعة مخاز » ويصبح الناس المتساوون « سواسية » والبشر « خلقاً واشباحاً » والملوك « ارانب » . ويضحي كل شيء صغيراً في عيني المتنبي حتى لا يعبّر عنهُ الا بصيغة التصغير ، فهو اذا خاطب كافوراً سمّاه « كويفيراً ، وخويدماً ، والتويبي بُنيّ التويبيّة » . واذا شكا زمانه ، ذمّ « اهيله » ، وهجا « أُحيمقه » ، وانكر القيادة فيه على « ابن الأُعير » ، واخفت ، تحت جنبه ، صوت كل « شويعر » يقاويه . . .

الحِكَم : فلسفة المتنبي ــ مذهبه في ما وراء الحياة

شاء الاستاذ عباس محمود العقاد ان يجعل من المتنبي فيلسوفاً ، يرفعه الى مقرّ فلاسفتنا العصريّين ، فيجعله جنب نيتشه ، حامل لواء الجبروت الجرماني في آخر القرن التاسع عشر ، بل يجعله سابقاً نيتشه الى الكثير من افكاره ومبادئه ،

موفقاً بينه وبين داروِن في الطريقة التي يفهم بهـا البشر حياتهم وغايتهـا ، ويحفظون ذواتهم . . . (١

اما اذا كان الفيلسوف ذاك العالم المهتمّ بالتفتيش عن اسباب مظاهر الكون ، ودواعي الحيـاة ، الباحث في كيفيـة تطوّر الحوادث ، المتعمق في استقصاء المقدّمات والنتائج لكل محسوس ومعقول ؛ فما انأى المتنبي عن الفلسفة ، ومـا ابعده عن لقب الفيلسوف . واما اذا كان المقصود بالفيلسوف كل رجل يختص بمذهب شخصي في هذا الكون ومن يعيش فيه ، ثم يراقب طرق الحياة واخلاق البشر ويردّها الى ذاك الأصل ؛ فلتكن مشيئة الاستاذ ، وليفتحْ صرح الفلسفة ابوابه واسعة لاستقبال الشاعر الفيلسوف !

عرفنا ابا الطيّب متكبرًا معجباً بنفسه « لا يرى فوقها من مزيد » ، سبّاقاً للغايات ، طالباً منها ابعد ما يتصوّره الفكر ، وكل ذلك بقوّتـه وهمّته ، لا بحسن حظّه « لان نجمه دائمًا في نحوس ولكنّ همته في سعود » . فلزم اذًا ان تكون هذه الكبرياء المتجسّمة بهمة شاعرنا ، اصلَ فلسفته . فهو ، والحالـة هذه ، يتفق ونيتشه ، فيلسوف القوّة ، وخـالق « الانسان السامي » . ومن يقابل بين ابيات المتنبي واقوال نيتشه ، كما فعل الاستاذ العقّاد ، يتحقق صحة هذه المشابهة ، ويرى ان الشاعر الشرقي في القرن العـاشر ، لم يكن لينحطّ ، فكرًا وتعبيرًا ، عن الفيلسوف الغربي في القرن التاسع عشر . من منّا يسمع نصائح نيتشه قائلًا :

« يا اخواني في الحرب ! اني احبكم من كل قلبي . . . فـاسمحوا لي ان اقول لكم الحقيقة :

« كونوا عظماء . . . فتشوا عن اعدائكم . . . حاربوا . . .

« عليكم ان تحبوا السلم كواسطة للحروب الجديدة ! . . .

---

١) عباس محمود العقاد : مطالعات في الكتب والحياة – ص : ١٤٤–١٧٤

« انا لا انصح لكم العمل بل الكفاح ! انا لا انصح لكم السلام بل النصر . ليكن عملكم كفاحاً وسلمكم نصراً . !» (١)

من منا يسمع هذه النصائح ولا يفكر حالاً بنصيحة المتنبي :

اذا غامرت في شرفٍ مرومٍ فلا تقنعْ بما دون النجوم !

او بحالته الدائمة في الحرب والكفاح . كقوله :

مفرشي صهوة الحصان ، ولكنْ م قميصي مسرودةٌ من حديدِ !

وقوله محدّداً المجد :

فما المجدُ الّا السيف والفتكة البكرُ
وتضربُ اعناق الملوك ، وأن تُرى لك الهبوات السود والعسكر المجرُ . . .

اما طريقة طلب حقه فلا تختلف في شيء عما ينصّ نيتشه . فهي ليست العمل بل الكفاح والعراك :

سأطلب حقي بالقنا ، ومشايخٍ كأنهم ، من طول ما التثموا ، مُردُ

وهو لا يسلك الّا هذه الطريق :

ولا سالكاً الا فؤاد مجاجةٍ ولا واجداً ، الا لمكرُمةٍ ، طعما !

إن مبدأ فلسفة المتنبي القوة ، والطريقة الوحيدة لإدراك الغايات ، في عرفه ، هي الكفاح والعراك . ولما كان في البشر شجعان وجبناء ، انقسم الناس بحكم الطبع ، في مذهب شاعرنا الى قسمين : في القسم الاول ، يرى الشجعان ، السادات ، الكرام ، الأحرار ، وبعض الملوك . وهؤلاء وحدهم يليقون ان يكونوا اقراناً للمتنبي ، يكافح معهم ، ويحاربهم فيكون له الفضل ، اذا ما انتصر عليهم . اما القسم الثاني فيشمل الجبناء ، اللئام ، البهائم ، العبيد ككافور مثلاً ، وبعض الشعراء من حسّاد المتنبي ، وهؤلاء لا نفعَ منهم إلّا تضييق مجال الكرن ، ولا يليق بالكريم ان يناظرهم او يسابقهم الى امر ، حتى انه لا يليق به ان يعيش معهم الّا كما « يعيش الذهب بين

(١) فريدريك نيتشه : « هكذا قال زرادشت ! » ــ القسم الاول ــ ص : ٦٣-٦٦ ، من الطبعة الفرنساوية ١٩٢١

الرغام » اما اذا أُجبر الحرّ على الحياة طويلاً مع هذا النوع من « الخلق » فيكون الموت والحياة سواء :

وما موت بابغض من حياةٍ ارى لهم معي فيها نصيبا !

وهـذان القسمان من الناس متباينان تماماً فـلا صلة بينهما ، ولو تقاربا في الظاهر :

فالعبد ليس لحرٍّ صالحٍ بأخٍ لو انه في ثيـاب الحرّ مولود !

حتى ان افكار القسم منها لا تشابـه افكار القسم الآخر . فبينـا يرى احدهما المجد في اللذّات والشرب ، يراهُ الآخر في الحرب والانتصار . وبينـا يعتقد الجبان ان الواسطة لبقاء نفسه هي ان يصونها عن الحرب ، يرى الشجاع عكس ذلك ، اي انه يحافظ على نفسه بدفع المهالك . اما سبب هذا التباين في الافكار فناتج ، كما رأينا ، عن اختلاف الجبلات ، وتعوّد العبيد الذلّ حتى انهم لا يشعرون بذلهم بعد ذلك :

من يهنْ يسهل الهوان عليه ما لجرحٍ بميتٍ ايلامُ !

وهنا ، على مـا ارى ، يقف وجه الشبـه بين الشاعر العربي والفيلسوف الجرماني . فان شاعرنا لا يهتم بكل نتائج هذا المبدأ ، ولا يضحّي بالضعفاء في سبيل تعزيز القوي وخلق « الانسان السامي » .

اما مذهب المتنبي في ما وراء هذه الحياة ، فقد اختلف الادباء فيه لاختلاف مقاصد الشاعر في ابياته المتفرّقة . فنسبه بعضهم الى السوفسطائيين ، وهم من لا يعتقدون بوجود المحسوسات ، بقوله :

هوّنْ على بصرٍ ما شقّ منظرهُ فانما يقظات العين كالحُلُمِ !

وقال غيرهم بل هو على مذهب الهوانية او المادية بدليل قوله :

تبخلُ ايدينا بارواحنا على زمـانٍ هنّ من كسبهِ
فهذه الارواح من جوّهِ وهذه الاجسام من تربه ! (١

(١) ابن نباتة المصري : سرح العيون — ص : ١٧

واعتقد بعضهم انه كان من الشاكين فقال:

تخالف الناس حتى لا اتفاقَ لهم الّا على شَجَبٍ والخلفُ في الشجبِ
فقيل : تخلص نفس المرء سالمةً وقيل: تشرك جسم المرء في العطبِ

على اننا نعتقد ان المتنبي لم يكن له مذهب خاصّ في هذه الامور ، وهو كما عرفناه ، لا جلَدَ له على البحث والتفكير في مصدر الانسان ، ومصيره ؛ فقطع تلك المشاحنات بقوله :

ومن تفكَّر في الدنيا ومهجته اقامه الفكر بين العجز والتعبِ

وهو لا يحبّ هذا النوع من العجز . ولا يرى من مظاهر الحياة غير القوة وحسب . وعليه ، فانه كما امكننا القول عن المتنبي الشاعر انه «شاعر العظمة» كذلك يمكننا التأكيد ، اذا ما ذكرنا المتنبي المفكر ، أنه « فيلسوف القوّة !»

جولة في كسروان

لحضرة القس انطونيوس شبلي اللبناني

٣ً ريفون (١

ريفون من اجمل قرى كسروان الصرديّة موقعاً ، وافضلها مناخاً ، وابهاها منظراً ترتفع عن البحر نحو ١٢٠٠ متر . فان العين تقع منها على القرى الجميلة والجبال الناطحة برؤوسها السحاب وهي مطلقة للبصر مداهُ من جهاتها الاربع فشرقاً ترى صنين ومزرعة كفرذبيان ، وقبلةً ظهور الشوير وبكفيا وبجرصاف وقرنة شهوان وسوق الغرب ، وغرباً بيروت وسواحلها والبحر المتوسط وقسماً من مرتفعات عنطورا ، وشمالاً عشقوت ومعراب وغسطا وبزمّار وسيّدة حريصا. وهي مشيّدة على قمة عالية ومكسوّة باشجار الصنوبر القديمة ومتلفلفة بين

(١) يقال ان اصلها رافان : اسم صنم . راجع تاريخ المقاطعة الكسروانية ص ١٥

الصخور . وقد كثر فيها طلّاب الاصطياف من مصر وبيروت والسواحل معجبين بجودة مناخها ونقاء هوائها وعذوبة مائها . وان بريق المسرّة الذي تراهُ مشرقاً على وجوه اهلها لافصح دليل على تمتّعهم فيها بالعافية الطيّبة والعيش الهني

في ريفون تسعة ينابيع غزيرة يتدفّق ماؤها صيفاً وشتاء مطرباً الاذن بنغمة خريره الدائمة . وقد جرّ اليها مياه نبع العسل المرحوم الشيخ سجعان الخازن الذي باع امتيازهُ لشركةٍ انكليزية فحفرت لهُ قناةً من ميروبا الى ريفون . وكان بعزمها ان توزّع مياهُ على كل المقاطعة الكسروانية فحال دون انفاذ رغبتها وقوع الحرب العامة . واهمُ حاصلات ريفون الحرير والعنب والتفاح والدرّاق والاجاص المعروف « بالتجاص الريفوني » وفيها شعبة للبريد منظّمة وفنادق عديدة مبنيّة على الطراز الحديث تحيط بها اشجار الصنوبر وقد بذل اصحابها جهدهم ليوفروا للمصطافين فيها اسباب الراحة والسرور . ومما زاد الريفونيين بهجةً وحبوراً تسلُّم الرجل العصاميّ النزيه الشيخ يوسف عباس حبيش مركز مديرية بلدتهم

ان معظم شبيبة ريفون متخرجة في المدارس الكبرى واوجه عيلاتها عيلة الخازن، وصفير ، ومبارك ، ومنها نبغ الاطباء والمهندسون والكهنة العلماء الافاضل كيوسف باخس ، مبارك وفيليب عبده مبارك ، والياس وجرجي صفير ، وبديع سجعان الخازن ، الذي يشغل مركزاً في النافعة ببلاد العلويين واخوه المهندس الشهير الشيخ جميل الذي وضع خارطة بديعة لعمار دير مار انطونيوس قزحيّا ونال قصب السبق في هندسة الفندق الافرنسي الذي استهُ الحكومة في بيروت . ومن الكهنة حضرة الاباء الخوري بولس صفير (١ تلميذ كلية القديس يوسف ببيروت واحد اساتذة مدرسة عنطورا حاليًا الذي يجيد الانشاء في اللغة الافرنسيّة كابنائها الكتبة المهرة الحاذقين . والخوري منصور صفير احد كهنة مار جرجس في بيروت ، والخوري جبرايل صفير الاستاذ في مدرسة الراهبات الصهيونيّات بالاسكندرية ، والخوري بشاره الخازن تلميذ سان سابيس الذي يدرّس

١) قرأنا في جريدة البشير في ٨ اذار انهُ طلب منحهُ امتيازاً بانارة قرى ريفون وفيترون وعشقوت بالكهرباء فمُنح لهُ فنهنئهُ

في مدرسة حيفا، والخوري يوسف مبارك رئيس جمعيّة المرسلين اللبنانيين المعروفين بالكرمليين ، والخوري فرنسيس مبارك النائب الاسقفي في حيفا ، والخوري جبرائيل مبارك رئيس مدرسة مار سركيس وباخس ريفون

وقد القى حضرة الاب العالم الخوري بولس صفير المشار اليه خطاباً افرنسياً ممتعاً امام لجنة الاطبّاء التي زارت مصايف لبنان سنة ١٩٢٤ بيّن لهم فيه بجمل تاريخ ريفون على ما روي بالتناقل وما حباها الله من الميزات الطبيعيّة كالمياه والاشجار الخضراء والمناظر الفاتنة ، والادبيّة كدماثة اخلاق اهلها ومحبتهم للغرباء وتفانيهم في خدمة ضيوفهم الامر الذي جعل المصطافين ان يذرفوا دموع الفراق عند مغادرتهم ريفون

وقد ألمع الى انها كانت ولم تزل منتجعاً للمرضى يمتلكون فيها الصحة والنشاط وتردد عليها اطباء عديدون من الافرنسيين والانكليز والايطاليان مثل فنديك وابنهُ وبستالوزا (Pestalozza) وأكواروني (Aquaroni) وسيكه (Suquet) الذي قال انهُ لا يوجد في لبنان مناخ أجمل من مناخ ريفون . وقد خصَّ الاب صفير شركة جاكسون (Jakson) الانكليزية بالشكر لجرّها مياه نبع العسل الى ريفون واثنى ثناء عاطرًا على حضرة الاباء اللعازريين القائم ديرهم في اجمل بقعة فيها الذين كانوا من اكبر المساعدين والمشوّقين للاصطياف بريفون . واثبت حضرتهُ في خلال خطابه قصيدة رقيقة لاحدى الاوانس الافرنسيّات تحت امضاء جائيل (Jaël) حيّت بها ريفون وشبهتها بدرّة لا مثيل لها يقف الناظر امامها مدهوشاً . وحيّت صخورها المرتفعة رؤوسها نحو السماء واراضيها المخضرّة التي تضمّها الصخور القديمة الاجيال بين ذراعيها . وختمت ابياتها بسكب دمعة حرّى على فراق ريفون التي تعرف كيف تستأسر القلوب

(لهُ بقيّة)

مجلة المجلات

نقدّم الى القرّاء ، في هذا الباب ، احسن ما رأيناه جديرًا بالذكر فيما دوّنه الكتبة في بعض المجلات التي تبادل المشرق

لغة السريان الملكيين – ابن العبري – حول مؤتمر لوزان – الكنيسة المصرية – في سبيل احياء اللغة العربيّة – ابن عمنا سادول

لغة السريان الملكيين

ان موارد العلوم التاريخية قد اقتربت منا بفضل المؤلفات الحديثة ، فاخذ البعض يهتمون بمعرفة اصل الطوائف الشرقية ، هل هي فروع نبتت على اصل امة واحدة ، او على جذوع شتى . وان ما نشره السيد اغناطيوس افرام الرحماني ، بطريرك السريان الانطاكي ، عن لغة السريان الملكيين لفيه فوائد يُقتبس منها بصيص على العصور الخوالي .

قال غيطه : (مجلة الآثار الشرقية ، تشرين الثاني وجه ٣١٩)

« ان لغة الاهالي في جبل قلمون هي السريانيّة طبقاً للهجة الباقية حتى الآن في معلولا ويجما وجب عدين . اما السريانيّة الفصيحة فكانت اللغة الكتابية والطقسية للسريان والملكيين معاً . على ان السريان الملكيين كانوا تابعين في ليترجية قداسهم ، ورتب صلواتهم القانونية ، طقس الكنيسة الانطاكية حتى القرن الثاني عشر . فتغلب عليهم بطاركة القسطنطينيّة ، والجأوهم الى ان يبدلوا طقسهم الانطاكي القديم بالطقس البوزنطي . فاخذوا من ثم ينقلونه الى لغتهم السريانيّة ، وجعلوا يستعملونه في صلواتهم ؛ ولبثوا على ذلك حتى القرن الماضي فبدلوا السريانيّة بالعربيّة تماماً . وقد اشتملت دور الكتب الكبرى في رومية وباريس ولندن وبرلين وفينا واكسفرد وغيرها على مخطوطات شتى تحصى بالمئات ، كتبها او نسخها السريان الملكيون لاستعمالهم ؛ ومنها عدة في بلاد المشرق »

ابن العبري

هل كان من جنس يهودي ؟ قال السيد سويريوس افرام برصوم (في الكلية نوفمبر وجه ١٤)

زعم كثيرون ممن ترجم لهُ من المستشرقين ومن نقل عنهم ان اباه اهرون كان يهودياً ثم تنصر فلقب ولده بابن العبري . انما واهية حجتهم . وذلك:

اولاً — لان جبرائيل البرطلي († ١٢٩٩ م) قال في ابن العبري انهُ نشأ من عائلة شريفة ، عريقة في النسب ، وكان اسم ابيه الشماس اهرون الطبيب

ثانياً — ان اسم اهرون لا يكفي ، وحده ، لنسب مسماه الى دين اليهود ، وهذا الاسم كان وما زال شائعاً بين السريان

ثالثاً — ربما كانت كنية العبري نسبةً الى عبر على الفرات حيث يكون ولد غريغوريوس »

ويستشهد صاحب المقال على حجته برأي المرحوم الاب شيخو

حول مؤتمر لوزان

عجب البعض لعدم دخول الكنيسة الكاثوليكية في مؤتمر لوزان الذي عقدتهُ الكنائس البروتستانية (٣-٢١ آب ١٩٢٧) ودعت اليهِ سائر الكنائس للنظر في شأن الاتحاد . فوضع حضرة الاب الياس اندراوس البولسي بحثاً في «المرّة» (تشرين الثاني وكانون الاول) عدَّد فيه مساعي الكنيسة الكاثوليكية في سبيل الاتحاد ، منها :

مجمعا الاتحاد الكبيران : مجمع ليون وفلورنسا — انتهاز كل فرصة سانحة منذ القرن الحادي عشر وخاصة في السنين الاخيرة لمناشدة النصرانيـة ان تعود الى الوحدة الاولى — الاجتماعات والمؤتمرات المعقودة في العالم الكاثوليكي لبث فكرة الاتحاد وتعزيزها — اسابيع الاتحاد السنوية في فرنسة والمانية وانكلترة واميركا ويوغوسلافيـة والقطر المصري ، الخ محادثات — مالين التي جمعت نخبة من علماء الكاثوليك والبروتستان حول الكردينال مرسيه للبحث في هذا الفرض — الصلوات المقدمة بامر الرؤساء على هذه النية في العالم اجمع — مجهودات الصحف والمجلات الكاثوليكية في هذا السبيل

ومـا ذلك كله الا قطرة من بحر ؛ فلا يستطيع معارض صادق النية ان يتهمنا معشر الكاثوليك ، بالتقصير في سبيل الوحدة

ثم تطرق المؤلف الى البحث في المبادي اللاهوتية المؤدية بالكنيسة الكاثوليكية الى موقفها في مؤتمر لوزان فقال ما ملخصه :

ان الكنيسة ليست حرة بازاء الوحي الالهي لتجزّءه ، وتختار منه ما يتفق واياها عليه فريق من المسيحيين وتضرب صفحاً عن الباقي . فـاذا دخلت مؤتمرًا دينيًا فلا بد ان تدخله بكل معتقداتها

اما الكنائس البروتستانية فقـد دعت الكنيستين الكاثوليكيـة والارثوذكسية الى المؤتمر ، على ان تتخلى كل واحدة منهما عن العقائد المنزلة التي انكرتها الشيع البروتستانية المتعددة ، او ان تعدها من النوافل ! . . . فلا مناص اذن لمن سمع دعوتها من احد الامرين : اما تلبيتها والموافقة على مباديها او التحفظ والرزانة ، مع الاعراب عن العطف والرغبة في الوصول الى التفاهم بعـد ان تكون ازيلت الموانع في سبيلـه . ذلـك كان موقف الكنيسة الكاثوليكيّة

وذكرت مجلة الهلال ذلك المؤتمر فقالت ما ملخصهُ (دسمبر وجه ١٨٨)

ان اختلاف المـذاهب الفلسفية ادى الى اختلاف اهـل النظر في تفسير التعاليم الدينيّة المسيحيّة . فعقـدت المجامع للبحث في اصول الـدين ، وتقرير عقائده الجوهرية . على ان الكنائس الشرقيّة الارثوذكسيّة لم تعترف الا بالمجامع السبعة الاولى

فعقدت مؤتمرات منذ ١٩٢٠ الى ١٩٢٦ في جنيف واستكهلم وبرن ولوزان حضرها مندوبو الكنائس البروتستانيّة خـاصة وغيرهم من اكليروس الارثوذكس

ولئن كان الكاثوليك لم يشتركوا في مؤتمر لوزان ، فانهم عمدوا الى العمل منفردين للاتحاد ، ودراسة الموضوع نظرياً وعمليًا [وقـد ذكرت المنرة سبب انفرادهم] ولهم الآن جمعيّات ومجلّات ونشرات في فرنسة وبلجيكة والمانية ؛ ووضع بعضهم كتباً عدة في بيان اسباب الاختلاف ، ووسائل الاتفاق

الكنيسة المصرية

بروقنا ان نقف على اكبار اخوتنا الاقباط الارثوذكس في امر مصير كنيستهم الكريمة ؛ فاستطبنا ما كتبهُ كامل افندي صالح نخله ، عضو لجنة التاريخ القبطي بمناسبة الاهتمام بانتخاب بطريرك جديد للاقباط قال : (الهلال ، دسمبر)

« انتعشت الامة المصرية جميعاً والاقباط ضمناً فاستأنف البابا كيرلس الخامس اعمال سلفه واتمامها واخذ عدد الاقباط في النمو المتوالي الى ان بلغوا في سنة ١٩٢٧ اكثر من سبعة اضعاف ما كانوا في اول القرن التاسع عشر »

وذكر مجهودات بابا رومية المتوالية في سبيل جمع الكنائس الشرقية والغربية بالوحدة المسيحية ، وعدم وجوده الموافقة من طرف الاقباط ؛ وذلك في العام ١٤٣٩ ، في مجمع فلورنسة ثم في خلال القرون التالية . واتا مع ثاثنا على غيرة المؤلف فتختلف معهُ في بعض آرائهِ . مثلاً فيما قاله من مجمع افسس الاول وانهُ اقر بطبيعة المسيح الواحدة . فان الكنيستين اللاتينية واليونانية متفقتان على نفي صحة هذه الرواية

في سبيل احياء اللغة العربية

سبق الدكتور طه حسين وانذر في كتبهِ انهُ سيثير معركةً في عالم الادب . وقد جاءت الحوادث مصداقاً لقولهِ . فاخذت الصحف والمجلات تتجاذب اطراف المسائل التي القاها على بساط البحث ، وان للمشرق رأيهُ في هذه المسائل وسوف يبديه في اوانهِ ان شاء الله . على اننا نرى افادة وفكاهة في ابداء ما تحدثت به بعض المجلات ، اخيراً في هذا الصدد

قالت العرفان : (ص ١٢١)

« هل اتاك حديث اللغة العربية ، وما هي عليهِ من ثروة في الفاظها وبسطة في معانيها ؟ ام هل رجعت لمجماتها وموسوعاتها ، ودرست لغتها وآدابها لتعرف حق المعرفة ما هي عليهِ من الرقي والعظمة والبسطة والسعة ؟ ان لغة بلغ بعض الباحثين بالفاظها الى الاثني عشر مليوناً ؛ وقال غيره ستة ملايين ؛ لكنها غير مستعملة كلها ؛ وان لغة تكثر بها المترادفات مما لا يوجد في غيرها ، وان لغة خلقت ذخيرة كبيرة من الشعر ، والحكم ، والامثال ؛ وان لغة اختار بنوها من اللغات المتعددة

لغة فصيحة ... لا يصح ان يُقال عنها انها قاصرة ...»

على ان محرر «الفرقان» والسيد احمد امين، رئيس لجنة التأليف والترجمة والنشر، والمدرّس بالجامعة المصرية هما في رأيهما على طرفي نقيض.

قال السيد احمد امين في مجلة المجمع العلمي العربي (تشرين الثاني) ما ملخصهُ:

ان المؤلّفات العربية لم تتأثر بالعصر الذي وجدت فيه فتكون مرآةً لهُ . مع ان العلم في كل عصر يجب ان يستمدّ حياتـه من طبيعة العصر الذي يعيش فيـه، ويشتق منها امثلته، ويحدّد بها غايته، ويرسم منها خطته...

في ضوء ما ذكرنا يمكننا ان نحصر عيوب المؤلفات العربية

١ ــ في امثلتها، ففضلاً عن انها لم تشتقّ مما حولنا، ولم تستمدّ حياتها من حياتنا فقد مضت عليهـا القرون تلوَ القرون، وهي هي لم يعترهـا تغيير كأنها عقيدة من العقائد؛ حتى ملها الناس واشمأزوا منها كما يشمئزّون من رؤية الثوب الرثّ البالي

٢ ــ في نمط تأليفها، فهي غالباً يسودها الغموض... لم يبذل المؤلفون مجهوداً كبيراً في تسهيل الموضوع، واندفعوا في هـذا الطريق السخيف، طريق المتن المركز؛ ثم الشرح على المتن، ثم الحاشية على الشرح، ثم التقرير على الحاشية . وكان اولى ان يهضم مريد التأليف الموضوع ثم يخرجه واضحاً لا يحتاج الى شرح

٣ ــ في جمودهـا، ساروا فيها على مبدأ «القديم على قدمه» . فلا موضوع جديـد، ولا مثل جديد، ولا اسلوب جديد . وهذا هو السر الدافع طلّاب العربيـة الى هجرها، ليتكبوا على العلوم الاجنبيـة .. وكذلك في البلاغة وفي اللغـة، فنحن بين اثنتين: اما ان نقدّس ما قاله العرب، ونقف عنـده؛ ولا نتسامح بوضع جديـد فتكون اللغة العربية اثرية كاللاتينيـة والعبرانية . واما ان تكون لغة حيـة . وحينئذٍ يجب ان تخضع لقوانين الحياة، فتنمو، وتتجدّد، وتساير حياة الناس

فالمعاجم العربية كلها غير صالحة لهذا الزمن لامور:

١ كثرة ما فيها من كلمات ميتة

٢ قلة ما تساير العلم الحديث

تصورها في كثير من الاشياء . فليست فيها المصطلحات العلمية الحديثة ، ولا حاجات المدنية الحديثة . . .

١٠١ مجلة «الكشاف» تتعبير لسان امين الريحاني لترثي لحالة الفوضى الادبية التي وقعنا فيها . وقد اصبح امر « كتاب المنذر » والرد عليه شائعاً تتداولهُ الخاصة والعامة قال الريحاني (الكشاف ' تشرين الثاني وجه ٦٢٦)

« يوم جاءني « كتاب المنذر » كتبت الى صديقنا مؤلفه اقول : وغداً يقوم من يصحح اغلاط المصحح ، فيظل الكاتب المسكين من الضالين . ولم يخطر في بالي يومئذٍ قول الشاعر ، وصدق قوله :

وان غداً لناظره قريب

فها هو ذا الحال « بالحيل كما يقول البدو » وهو ذا كتاب الشيخ مصطفى [الغلاييني] ينسف كتاب الشيخ ابراهيم [المنذر] ، ستراك اللهمَّ ! فهل يجيئنا الغد ايضاً بمن يقوم على كتاب الشيخ مصطفى فيدكه دكاً او « يوقع فيه» فيسخ منه ؟

ضحكت عندما وصلت الى قضية وقع . وانك لتجد حتى في الابحاث اللغوية او البحوث على لغة المتنطعين ، ما يسليك وينسيك انك في الذنب شريك

قال الشيخ ابراهيم : «لا تقل وقع عليه ، ايها الاديب الكاتب ، بل قل وقعه »

وقال الشيخ مصطفى : « لا تقل وقَّعه ، ولا وقع عليه ، بل وقع فيه . . . »

ابن عنا سادول

وما ادراك من «ابن عنا سادول» هو الشيوعي الافرنسي الذي حاول بث روح البلشفية في بلاده فأحيل الى المجلس العرفي وحكم عليه فهرب ولجأ الى موسكو كعبة الكفر والالحاد والثورة والى موسكو حج ايضاً احد زعماء الثورة الامير شكيب ارسلان واجتمع فيها بالرفيق سادول وتحدث اليه بالحديث الذي نرويه عن «مجلة الزهراء» (جمادى الثانية وجه ٢٠١)

قال ارسلان لسادول : ان اسمك يا اخي لا يظهر لي انهُ افرنسي فهل تدري ما اصله ؟ فقال سادول : قيل لي في انقره انهُ اسم تركي . قال ارسلان : هو في

الحقيقة اسم عربي اصله « سعدالله » والاتراك يلفظون هذا المركب بحالة الرفع اي هكذا « سعدوالله » ثم يحذفون نصف الاسم للتخفيف فيصير « سعدول » . . . فانت اسمك منحوت بدون شك من سعدالله

وعلى هذه الطريقة اكتشف احد زعماء الثورة قرابتهُ الجنسية مع رجل شيوعي في موسكو. وروى حديثهُ اليه فكشف بيده القناع عن وسائل الخداع والغش التي تذرع بها زعماء الثورة ليبدوا بدجم احداها الى موسكو طلباً للمال والاخرى الى شيبة البلاد وزهرتها ليدفعوها في مناور الحرب حصيداً للموت قبل اوانها

ولم تكن «الزهراء» وحدها لتحدثنا عن خفايا القلوب واليك ما كتبتهُ مجلة « المنار » عن الشعب السوري والثورة (اكتوبر وجه ٦٣٨) وهي معروفة بنزعتها الى كل حزب مقاوم حكومات الانتداب

لكل مظهر من مظاهر الاجتماع البشري ظاهر وباطن ولاسيما الثورات والحروب فانها كثيراً ما تخفي حقيقتها وحقيقة رجالها زمناً طويلاً ان لم يكن دائماً

وقعت الثورة السورية فعمل فيها بعض الناس اختياراً ، واضطر بعضهم الى الدخول فيها اضطراراً ، وكان همّ بعض هؤلاء استغلالها والربح منها ، وشاركهم في هذا القصد آخرون ممن يشتغلون بالسياسة السورية حيثما وجدوا سواء كانوا في داخل البلاد او في خارجها ، ومن طلّاب الربح من يطلب المال ، ومنهم من يطلب الجاه كالزعامة والرياسة وكثرة الاتباع والانصار

وكان من اكبر جنايات هؤلاء المرائين انهم احدثوا شقاقاً في الامة بطعن بعضهم في الرجال الذين كانوا يتولون ايصال الاعانات الى اهلها لانهم لم يستطيعوا ارضاء طمعهم واشباع نهمتهم . . . فاستعانوا على فعلتهم بالجرائد وكتبوا الى مهاجري اميريكة مثبطين عزيمتهم عن اعانة المنكوبين وكتبوا الى ملك الحجاز ونجد طعناً في الثوار الذين لجأوا الى حدود تلك البلاد ليعتصموا فيها وجعلوا اللجنة التنفيذية للمؤتمر السوري الفلسطيني مركزاً للفساد والفتن

اما بعد فلا عجب ان وقف الشيخ محمد ابو فخر ، قاضي المذهب الدرزي في جبل الدروز ، في حفلة صلح اقيمت بين الدروز والمسيحيين في خلوات البياضة وقال :

ليعلم اخواننا النصارى ان الدروز ليسوا اعداءهم ولكننا خدعنا لظروف جرّت علينا تلك الويلات . . .

مطبوعات شرقية جديدة

Bilabel (F.):Geschichte Vorderasiens und Aegyptens vom 16. Jahrh. v. Chr. bis auf die Neuzeit: I B°. 16-11 Jahrh. v. Chr. [Biblioth. d. Klassisch. Altertumsw. herausg. v. J. Geffcken, 3] *XVII–175 pp. gr.* 8°, 2 *cartes, Heidelberg, C. Winter*, 1927

تاريخ الشرق الادنى ومصر من القرن السادس عشر قبل المسيح الى ايامنا

هذا كتاب يهمّ كثيراً شرقنا العزيز . وهو يؤلف مقدّمة لازمة لمجموعة اثرية مدرسية عن اليونان ورومية . وقد اصاب مديرها في رأيه انه لا يمكن فهم اثريات اليونان ورومية ولا تاريخهما جدّ الفهم ، اذا لم يوضعا ضمن بيئتهما الخاصّة بالبحر المتوسط . لان الشعوب القديمة كان لها من العلاقات بعضها مع بعض اكثر مما كان يُظنّ ، من خمسين او ستين سنة . وان الاكتشافات التي احدثت في مصر وما بين النهرين ، ثم في آسيا الصغرى وبلاد الحثيين القدماء ، جدّدت ولم تزل تجدّد معارفنا عن هذه النقطة . وكذلك فان اعمال التنقيب التي يقوم بها الفرنساويون في بيبلوس (جبيل) والشرقة ، والانكليز والاميركيون في فلسطين ، تأتينا كل يوم بأدلّة وافرة تبيّن كلها ما كانت عليه الشعوب القديمة من شدة المواصلة في مصالحها السياسية والاقتصادية والدينية .

ويقصد مؤلف هذا المجلد الاول ، الذي يبدأ في القرن السادس عشر وينتهي في الحادي عشر قبل المسيح ، ان يردفه بمجلد ثانٍ ينتهي به في مبدأ تاريخنا . ثم يتبعه بمجلد ثالث يصل التاريخ الى محمد . فتكون هذه المجلدات الثلاثة مجموعة التاريخ السياسي في البلاد التي درسها المؤلف وهي بلاد الشرق الادنى ومصر . اما مؤسسات هذه البلاد ، وعاداتها ، واديانها وبالاجمال كل مدنيّتها فستُدرس في المجلد الرابع . وسيُتمّ هذا التاريخ الاستاذ غروهمان (A. Grohmann) المعلّم في براغ (بوهيميا) ، وهو مستشرق مستعرب ، فيخصّ بذلك ثلاثة مجلدات أخرى يبدأ فيها بعصر محمد وينتهي في أيامنا .

اما الكتاب الذي نتكلّم عنه الى القرّاء فيُقسم الى قسمين : في القسم الاول نرى نظرًا جغرافياً عامًا ، وتاريخًا مفصّلًا لمصر ، وسوريا ، والحثيين ، وبابل ، وأشور. ويحتوي القسم الثاني على الاشارة الى المصادر وانتقادها علمياً ، مع درس اعمال العلماء في هذا الموضوع ، وسلسلة التاريخ التوقيتي والمسائل العويصة التي تثيرها . وينتهي بجداول تاريخية ودولية للشعوب المختلفة في الشرق المذكور . ويلحق بالمجلّد خريطتان ، احداهما كبيرة ملوّنة ، مع فهارس وجداول واسعة ، فتتمّ بذلك الفائدة.

فيمكننا ، والحالة هذه ، ان نُنبئ الطابع والمؤلف بنجاح اكيد. وننتظر بفروغ صبر المجلّد الثاني الذي قد يكون تحت الطبع. س.ر.

Worrell (W. H.): A study of races in the ancient Near East. *Petit-8°, XIV-139 pp., 18 fig. en planches, 1 carte. Cambridge, W. Heffer a. Sons, 1927. Prix 8/6*

دروس عن السُلالات البشرية في الشرق الادنى القديم

مؤلف هذا الكتاب استاذ اللغات السامية في جامعة مشيغان . لاحظ القرابة الظاهرة بين اللغات الحامية واللغات السامية في طورها الاقدم ، فجرّته هذه القرابة الاولية ، التي اصبحت حقيقةً في عرفه ، الى درس المسائل الجنسيّة واللغويّة التي تتعلّق بموضوعه العزيز . ومن البديهي انه لم يمكنه قراءة كل المؤلّفات في هذا الشأن؛ وعليه فكان من المستحيل ان يتعمّق في كل الابحاث. بل يمكننا القول ، اذا ما صرفنا النظر عن بعض دروس في المقابلة بين اللغات المذكورة ، ان المؤلف لم يظهر اختصاصيًا في قسم واحد من تلك المادّة الواسعة التي يدرسها في كتابه . فهو يتأثر جدًا بمن وفّر له المعدّات من المؤلّفين السابقين . وانه من الصعب على المؤلف ، في هذه الشروط ، ان يعطي في كتابه خاتمة الآراء في الموضوعات المدروسة ؛ بل من الصعب عليه ان يعطي لمحة عامّة دقيقة في المسائل التي يخوض فيها . وانه لأصعب من ذلك ان يشرح هذه النتائج للقراء الاعتياديين . فيمكننا القول ، دون الاجحاف بحق المؤلف، انه لم ينل غايته الا بطريقة ناقصة . قد تكتفي عقول بعض الاميركيين بهذه

المبادئ الاولية التي تُثير كل جملة فيها علامة استفهام ؛ ولكن مجمل القرّاء ، حتى غير الاختصاصيين منهم ، يتمنون على المؤلف عدداً اوفر من البراهين ، والمآخذ ، والتفاصيل .

وكي لا اظهر مظهر من يعطي حكماً قاسياً ، اكتفي بمثل واحد عن نقص الادلة في هذا المؤلف : قال الكاتب في الصفحة ١١١ ان الابجدية الفينيقية لم تُحقَّق قبل السنة ١٧٠٠ (قبل المسيح) : فهو يجهل اذن الاكتشافات الحديثة في بيبلوس (جبيل) التي اظهرت ناووس أخيرام الشهير (نحو السنة ١٣٠٠) والتي تكلمت عنها كل جرائد اوروبا واميركا منذ ثلاث او اربع سنوات . ومع ذلك فان المؤلف يؤرّخ كتابه في سنة ١٩٢٧ س.ر.

V. Tscherikower: Die hellenistischen Städtegründungen von Alexander dem Grossen bis auf die Römerzeit. (*Philologus, Supplementband XIX, Heft I. Leipzig. Dieterichsche Verlagsbuchh.* 1927, *in-8° de pp.* 216,

بناء المدن اليونانية من عهد الاسكندر الى العصر الروماني

ان بناء المدن اليونانية الذي قام به الاسكندر الكبير وخلفاؤه ، في الشرق الادنى والاوسط ، لهو من اشهر اعمالهم . على ان الموضوع لم يدرس قبل اليوم في كل ما فيه من السعة الا في تاريخ اليونانية الذي ألّفه دروبسن (Droysen) فنشره سنة ١٨٤٣ . ولكن هذه المسألة تجدّدت من ذلك العهد بفضل ما اكتشف من الآثار الكتابية ، والدروج ، والنقود ، حتى انه اصبح من الممكن ان يُعاد ذلك العمل ويتعمّق فيه اكثر من ذي قبل .

وهذا ما ابتغاهُ المؤلف فكان عمله أن نظّم لوائح جغرافية باسماء المدن المؤسَّسة ، وقسمها الى مناطق فكانت لوائح آسيا الصغرى والشرق الادنى اطول من غيرها . ويُردف هذا القسم ، الذي يحتوي على موادّ العمل ، بقسم تاريخي يدرس فيه الكاتب ، بناء هذه المدن ، والمؤسسين لها ، ومجمل سكانها . فلا يسعنا الّا ان نشكر للمؤلف عمله هذا الذي يحتلّ ، فيما يختصّ بدرس الامكنة السورية وتخطيطها ، مكاناً خاصاً جنب مؤلفات هونيغمان (Honigmann) ولامنس ، في

نشرة المكتب الشرقي (M. F. O.) ، ومؤلف دوسو (Dussaud) الحديث عن تخطيط سوريا التاريخي في الازمنة القديمة والوسطى، وكلها مؤلفات لم يعرفها الكاتب او لم يمكنهُ الاستعانة بها. ج. ل

Mario Meunier: Les Légendes épiques de la Grèce et de Rome — *Librairie de France*; *in*-16 *pp.* 380.-15 *f*.

اساطير الملاحم في اليونان ورومية

يؤلف هذا الكتاب القسم الثاني من الميثولوجيا المدرسية الجديدة ، التي تكلم المشرق عن قسمها الاول بعنوان « اسطورة الالهة والابطال الذهبية » . ففي القسم الذي نصفه اليوم يحدثنا المؤلف ، في رواية متناسقة ، عن تلك الاساطير الشائقة العجيبة التي تُروى عن الابطال الهوميريين . فيبدأ باوائل حرب طروادة ، ثم يخبرنا باسفار أوذيس ، ووقائع إنياس ، وكل ذلك بما يختصّ به من سهولة الانتقال ، ومتانة الاسلوب . فيسهّل على الجميع فهم شاعرَي القدماء الكبيرين نعني بهما هوميروس وفرجيليوس . وان ما ناله القسم الاول من الاقبال لجدير به هذا القسم ايضاً .

L'Islam et la politique contemporaine, *conférences par*: **Maréchal Lyautey, Gaudefroy-Demombynes, Paul Boyer, Marcel Granet, Gal Weygand, René Pinon, Jules Cambon, A. Bernard, Cte de Saint-Aulaire, Louis Massignon.** *in*-12 *de* 176 *pp.* 1927. *Paris, Librairie F. Alcan*-12 *f*

الاسلام والسياسة العصرية

هذه مجموعة محاضرات عدّة في الاسلام وعلاقاته بالسياسة العصرية قام بالقائها جماعة من الاختصاصيين . فرأينا ، في الاولى ، لمحة عامّة على الإسلام . وفي الثانية ، درس المحاضر الاسلام في الشرق الاقصى . وفي الثالثة ، الإسلام والشرق الادنى . وفي الرابعة ، الاسلام وافريقية الشمالية اي افريقية الفرنساوية . اما الاخيرة فتبحث في الإسلام والدول الاوروبية . وهي ، مع الاولى ، اوفر المحاضرات طرافة لان المحاضرين من المستشرقين المتعوّدين البحث في المسائل الاسلامية . ه. ل

Islamica: *vol. III fasc. I* 1927· *Verlay. Asia major, Leipzig*

المجلة الاسلامية – م : ٣ – ج : ١

نافت انظار قرائنا الكرام ، في هذا العدد من المجلة ، الى مقال عن « تطوّر الشعر الفارسي الصوفي » ، والى مقال آخر وافر الدقة ، للاستاذ فيشر (Fischer) عن « ضمائر الاشارة للاناث في اللغة العربية » : هذه ، ذه ، ته الخ . . . وهناك مقال يقابل فيه الكاتب بعض نصوص ابن سينا بحُكم ديكارت المشهور : « انا افكر ، اذن انا موجود ! » ثم بعض النصوص من عربية مراكش العامية . الخ . . . م . ل

Almanach Catholique Français pour 1928 *publié sous le patronage du Comité Catholique des Amitiés Françaises à l'étranger.* 1 *v. in-8* ; 600 *pp.* 400 *illustrations—Paris, Librairie Bloud et Gay*; *prix* : 7 *f.*

التقويم الكاثوليكي الفرنساوي لسنة ١٩٢٨

يظهر هذا التقويم لسنته التاسعة في ٦٠٠ صفحة و ٤٠٠ صورة بحجمه السابق ولكنه يتقدّم على طبعة السنة الماضية بزيادة الحياة في انشائه ، ووفرة ما فيه من المصادر الصادقة . وهو على اقسام تذكر فيها الحياة الدينيّة ، والاجتماعيّة ، والادبية ، والفنية ، والعلمية ، والسياسية على مرّ السنة الماضية . ويُردف ذلك بجدول هجائي عن العالم الكاثوليكي .

واننا لنسرّ بان انتشار هذا التقويم يزيد سنة فسنة بما يحتويه من الفوائد للعائلات والافراد من عمّال واكليروس وكتّاب : فهو يبسط بوضوح وسهولة تاريخ السنة الدينية الفائتة ، ويهيّئ الملاحظات والافادات الواسعة للسنة المقبلة . وعلى الجملة فهو لازم لكل عمل كاثوليكي .

الزبّاء او زينوبيا ملكة تدمر

مغنّاة تاريخية ذات اربعة فصول لاحمد زكي ابو شادي

المطبعة السلفية بمصر ١٩٢٧ (ص ٨٥)

تكلّمنا في المشرق (٢٥ [١٩٢٧] : ٨٧٤) عن اول مغنّاة عربية نظمها الشاعر

احمد زكي ابو شادي ودعاها « إحسان » وقلنا وقتئذٍ ان شعر تلك المغنّاة كان دون ما عوّدنا اياهُ المؤلف . اما اليوم فقد اهتم حضرة الشاعر للتحسين ، واخرج لنا مغنّاة كبرى اخذ موضوعها من تاريخ الشرق فاقتطف حادثة جرت بين الزبّاء ملكة تدمر المشهورة ، واورليان ، امبراطور رومية . وسبكها شعرًا في اربعة فصول متناسقة الترتيب ، متنوّعة بحور الشعر . فتقدّمت على ما سبق . ولكن لا يمكننا اعطاء حكم تامّ في قيمة المغنّاة الفنية لأن اجلى مظهر لها يكون بالموسيقى وما «الكتيّب» الّا معاون الموسيقي في وضعه . على اننا ، بينا نتمنى قيام موسيقي القطر الشقيق لسدّ هذه الثغرة ، نخلص التهاني لحضرة المؤلف مثنين على همته في خدمة الادب والفنّ ف . ا . ب .

المعارك الفاصلة في التاريخ

تأليف حنا خبّاز

نشرتهُ ادارة الهلال بمصر عدد صفحاته ٢١٦ ثمنه ١٠ غروش مصرية

نشكر لادارة الهلال الاغرّ اهداءها الينا نسخة من كتاب السيد حنّا خبّاز في « المعارك الفاصلة في التاريخ » . اننا طالعنا هذا المؤلّف بامعان واثنينا على جهد واضعه وتنقيبه للوصول الى المعلومات التي اتحفنا بها وبنى عليها النتائج التي ظنّها فاصلة كالمعارك التي وصفها . وقد يكون لكل عمل خطير في التاريخ نتائج لا تقل اهميتها عما نُسب الى تلك المعارك . على اننا اخذنا على المؤلف استعماله كلمات اجنبيّة مع وجود الفاظ عربيّة تؤدي المعنى المقصود . مثل ذلك «الهستانية» ، وهم ، على ما نرى ، الرّماحة ؛ « واللجيونات » وهم الفرق او الكتائب « وفلانكس » ومعناها جناحا الجيش الخ

ومما لفت النظر جعله الامبراطورية الرومانية في الجيل الخامس قبل المسيح . ومعركة « بواتيه » في « تور » في « شمبانية » الى غير ذلك مما يكون قد انسل من الاغلاط التاريخيّة التي نبّهنا اليها فكر المؤلف ليستدركها في طبعة جديدة لكتابه المملوء من الفوائد ، والذي نتمنى لهُ الانتشار المرغوب ب . غ .

الروّاد

وهو الجزء الثاني من كتاب اعلام المقتطف (ص٣١٨)

جمع فيه صاحبه اكثر ما تشتمل عليه مجلدات المقتطف السابقة من مقالات ، في علم الجغرافية ، وتخطيط البلدان ، وكشف المجاهل ، وارتياد القطبين ، وتمهيد سبل المواصلات في البرّ والبحر والهواء ، وسير اشهر الروّاد . فليس اذن في الكتاب موضوع واحد مسهب يتوغل بالقارئ في بحث عميق ؛ انما هي طرف مفيدة تتفاوت قيمتها مع تنوع المواضيع . بعضها معرّب وبعضها مبتكر ومما لفت انظارنا ما كتبه (وجه ١٦١) احمد حسنين بك في رحلته التي قطع فيها صحراء ليبيا من سلوم، على شاطئ البحر المتوسط ، الى الابيض ، قاعدة كردفان بالسودان ، وقد رسم خارطتها هداية للقراء.

اما ما جاء في الكتاب عن « العربية في اميركا قبل كولمبس ؟ » (وجه ٧٠) فقد يترك مجالاً للريبة والبحث ولذلك أتبع المؤلف عنوان المقالة بعلامة الشك والاستفهام (؟) ف . ت

اهمّ الحوادث في شهر

١٥ تشرين ٢ — ١٥ كانون الاول

— تشرين الثاني —

١٥ : اغارت قبيلة من الوهابيين على حدود العراق من جهة الناصرية

تبرع المثري روكفلر بمبلغ مليوني دولار لبناء متحف في القدس الشريف ، على شريطة ان يتم البناء قبل مضي ثلاث سنوات

١٦ : بمناسبة وصول الملك فؤاد الى القاهرة عائداً من رحلته الى اوربة ،

اقيمت له حفلات باهرة فاقت جميع الحفلات التي شاهدتها العاصمة المصرية حتى في عهد اسمعيل

١٧ : توفي فجأة مولاي يوسف ، سلطان مراكش ، وقد كان صديقاً عظيماً لفرنسة ، ومساعداً ثميناً لها

وقعت مجاعة شديدة في الصين بسبب القيظ والجراد وبلغ عدد الذين اصابتهم المجاعة تسعة ملايين نسمة في شانتونغ وحدها — تعطلت الدروس مدة اسبوع في جامعة اثينة بسبب الاضطرابات التي اثارها بعض الطلبة الشيوعيون

١٨ : تشتد المعارضة للسوفيات في روسية وقد طرد ستة اعضاء آخرون من اللجنة الادارية لانهم ، بدلاً من ان يحضروا الاحتفال العام على قبر لينين ، نظموا مظاهرات عدائية

١٩ : انتخب في مصر مصطفى النحاس باشا ، الذي خلف سعد باشا زغلول في رئاسة حزب الوفد ، رئيساً لمجلس النواب — قبض رجال الحكومة في الاستانة على كثير من الذين يبثون الدعوة الشيوعية

انتخب مجلس العلماء سيدي احمد الثالث من ابناء السلطان مولاي يوسف المتوفى ، خلفاً له ونودي به سلطاناً لمراكش — اقيمت في المدن الايطالية مظاهرات كثيرة احتجاجاً على ما سموه تحرش يوغوسلافية

٢٠ : وصل الى القدس نبأ من عمان بأن قد تم الاتفاق مبدئياً في المفاوضات الدائرة حول انشاء سكة حديدية من حيفا الى بغداد — قبض في الاستانة على ٦٤ شيوعياً

٢١ : اضرب عمال الموانئ في ملبورن احتجاجاً على العمل الزائد

٢٢ : اصدرت الدولة اليونانية طابعاً بريدياً جديداً تذكاراً لاستقلالها، عليه رسم الكولونل الفرنسي فافيه — استقالت الوزارة البلجيكية لعدم اتفاق الوزراء على تجديد النظام العسكري وتخفيض مدة الخدمة في الجيش — وافق مجلس النواب في جمهورية المكسيك على قرار بمد الرئاسة من اربع سنوات الى ست سنوات

٢٣ : تهتم الحكومة السورية بتشييد المصايف في قضاء الزبداني وتحريج بعض المناطق

ابرم الرشتاغ الاتفاق التجاري بين فرنسة والمانية — الف مسيو جسبار الوزارة البلجيكية الجديدة

٢٤ : عقد في مكتب المندوب السامي الفرنسي اجتماع لتقرير التدابير المتعلقة بانشاء السكة الحديدية بين بيروت والناقورة الواقعة على حدود فلسطين — سافر الى فلسطين قصر صاحب الغبطة بطريرك الروم الكاثوليك — جرى انتخاب العمدة العاملة لعصبة « التعاون الفكري » في لبنان وقوامها : الاستاذ اده للرئاسة . الاب ده برنقيل رئيس كلية القديس يوسف ، والدكتور حسن الاسير لنيابة الرئاسة . الدكتور ورد من الجامعة الاميركية ورامز مخزومي لامانة السر — نشرت الوقائع المصرية قانوناً يمنع طبع القرآن ونقله وعرضه للبيع قبل الحصول مقدماً على ترخيص من وزارة الداخلية

توفي مسيو جان براتيانو رئيس وزارة رومانية وعين شقيقه ڤينتيلا خلفاً له في الرئاسة

وقع على المحالفة الدفاعية بين ايطالية والبانية . ومما ورد فيها انه ، اذا هُدّد احد الفريقين بحرب لم يضرم هو نارها ، وجب على الفريق الآخر ان يشدّ ازره وان لا يفاوض في صلح او هدنة بدون موافقته ، فكان اعلانها بمثابة رد على المعاهدة التي عقدت بين فرنسة والصرب

٢٥ : افرزت وزارة سورية ٨٠٠٠ ليرة ذهبية لانشاء بناية للمجلس النيابي في دمشق

٢٦ : وقعت مناوشات على الحدود بين بولونية ولتوانية

٢٧ : رأت الوزارة المصرية ان شجرات الزيتون الاسبانية يصلح غرسها وتنجح في اراضي القطر المصري . فكلفت المفوضية المصرية في مدريد مشترى عدد عديد منها — وضعت الحكومة اللبنانية مشروع قانون لانشاء مجمع علمي في بيروت وبعثت به الى المجلس النيابي للمناقشة فيه والموافقة عليه

نشر نصّ المعاهدة بين فرنسة ويوغوسلافية وهي معاهدة ترمي الى صون

معاهدات الصلح ، وليس فيها شيء من التهديد نحو دولة من الدول — توفي الكردينال برنزانو — هطلت في بلاد الجزائر امطار غزيرة جداً سببت فيضانات عظيمة واضراراً جسيمة

٢٨ : ترك شيخ الكويت مدينة البصرة مسرعاً لعلمه ان قوة كبيرة من الوهابيين بقيادة فيصل الدرويش بدأت تزحف الى الكويت

٢٩ : قدم رجال الدين الى رئيس الولايات المتحدة عريضة يطلبون فيها عقد محالفة سلام بين الولايات المتحدة وفرنسة غايتها فصل جميع المشاكل بين البلادين بالطريقة السلمية

٣٠ : وصل الى القاهرة صاحب النيافة السيد ڤاليريو ڤاليري القاصد الرسولي الجديد في القطر المصري

بدأ نقل الصور بالتلغراف لعموم الناس بين برلين وڤينة

— كانون الاول —

١ : ارسلت الحكومة العراقيَّة الى حكومة نجد ، بواسطة المعتمد البريطاني في الكويت ، احتجاجاً على اعتداء الوهابيين على المخفر العراقي في المنطقة المحايدة وقتل جنوده ونهب موجوداته طالبة الترضية اللازمة والتعويض — وافق غبطة السيد ملاتيوس بطريرك الروم الارثوذكس للكرسي الاسكندري على مطالب ابناء طائفته الوطنيين التي اقرتها الحكومة المصرية ، فتعهد بان يكون لهم دائماً متروبوليت واحد على الاقل من الوطنيين على ابرشيَّة قانونيَّة في الكرسي المذكور مساوٍ لسائر الاساقفة اليونانيين في كل حقوقهم ، وان تصان مصلحة الوطنيين في انتخاب البطاركة وان يكون لهم مجلس ملّي خاص — وقعت الحكومتان الايرانية والافغانية معاهدة دفاع وتضامن — بدأ في تركية التعامل باوراق نقدية جديدة

صرح مسيو بريان في مجلس النواب ان الحكومة الفرنسية قائمة بكل تعهداتها نحو لبنان وسورية — أعلن ان المحادثات التليفونية بين لندرة وڤينة تبدأ غداً — تزداد اعمال الارهاب في شنغاي وكل يوم تقع حوادث قتل او

شروع في القتل على رجال البوليس ورؤساء العمال في المعامل — اتسع نطاق الاضراب عن العمل في موانئ استرالية

٢ : اشتعلت نار الفتنة في جنوب روسية . وقد أرسل الرفيق دنتشكوف الى اودسه لاعادة النظام فقُتل ، وانسحبت الجنود الموالية للحكومة الى خارج المدينة

٣ : قررت وزارة الحربية في مصر استبدال قوة الهجّانة بالسيارات الخفيفة لانه ثبت انها اكثر فائدة واقل نفقة

وقّع وزير خارجية فرنسة وسفير ايطالية ، في باريس ، على اتفاق مضمونه تسوية موقف رعايا كل من الدولتين والشركات التابعة لها في خارج بلادهما

٤ : صار الاحتفال في قب الياس (البقاع) بتدشين اثر تذكاري للذين قتلوا من جنود الحملة الفرنسية سنة ١٨٦٠ — وافقت الوزارة التركيّة على النظام الخاص بتطبيق قانون شركات الضمان القاضي بان يكون جميع موظفي تلك الشركات من الترك ما عدا المندوبين الاجانب والمديرين والاختصاصيّين

٥ : تدرس الحكومة التركيّة اقتراح احدى الشركات في انشاء خط جوي بين الاستانة وبغداد — قررت ادارة «الصندوق الاسرائيلي الوطني» في لندرة ان تغرس غابة في فلسطين يطلق عليها اسم « غابة بلفور » وقد وضع المشروع تحت رعاية لويد جورج — ارسل رئيس مجلس المتاحف في باريس كتاباً الى رئيس الجمهورية اللبنانية يشكر فيه الحكومة لبنان اهداءها الى متحف اللوفر البعض من قطع البرونز والخزف التي وجدت في حفائر جبيل وصيدا — القى الشيخ بشاره الخوري في مجلس نواب لبنان بياناً ضافياً عن اعمال الوزارات وحالة البلاد في السنة الماضية

٦ : وصل الى بيروت مسيو ميلران رئيس الجمهورية الفرنسيّة سابقاً واحد اعضاء مجلس الشيوخ للمدافعة عن البر سرسق في القضيّة القائمة بينه وبين شقيقه نجيب بك — دلّ الاحصاء الرسمي على زيادة محسوسة في عدد المهاجرين السوريين واللبنانيين الذين عادوا هذه السنة الى وطنهم . وقد زاد ثلاث مرات عن عدد الذين عادوا الى الوطن سنة ١٩٢٥

٧ : توفي الاب لويس شيخو اليسوعي رجل الفضيلة والعلم والعمل الذي قضى شطراً عظيماً من عمره في جمع الكتب والمخطوطات ونشر المصنفات والمقالات وخدمة المعارف الشرقيَّة واللغة العربيَّة بمهارة ودقة وعناية قدّرها له الشرق والغرب حق قدرها

٨ : وصلت الى فلسطين لجنة من المهندسين الاختصاصيين الانكليز لاجل القيام بالاعمال التمهيدية لانشاء مرفأ حيفا

٩ : لاول مرة أُرسلت الاخبار من اوربة الى آسية بالتلفون اللاسلكي بنجاح تام ، فقد تلقت باتافيا من احد المتكلمين في الهاي مجموعة كاملة من اخبار العالم مأخوذة من برقيات شركة روتر ، وكان صوت المتكلم مسموعاً بوضوح

١٠ : عُقدت في باريس الجمعية السنوية لنقابة الصحف الاجنبيَّة المؤلفة من مئتي صحافي يمثلون ثلاثين بلداً — حُلّ الخلاف بين بولونية ولتوانية على قاعدة اعادة حالة السلم واستئناف العلاقات السياسيَّة ومعاملات حسن الجوار — تدور مفاوضات بين الحكومتين التركية والاسوجية لعقد معاهدة تجارية بين البلادين — اعلن مسيو بوانكاره ان ثبات الفرنك الفرنسوي لا يمكن ان يتمّ قبل الانتخابات العامة في شهر ايار المقبل

١١ : يُعقد في باريس من ١١ ك ١ الى ١٨ منه اسبوع أُطلق عليه اسم « الاسبوع الشرقي المريمي » تقام فيه الشعائر الدينيَّة ، حسب الطقوس الشرقية ، للارمن والموارنة والسريان والروم الكاثوليك والرومان والروس ، وتُلقى المحاضرات في تعظيم تلك الطوائف للعذراء المجيدة — أُعلن ان نظام الحكم في شرقي الاردن سيكون مماثلاً لنظام الحكم في العراق ، وان البلاد تسمى امارة ، وان المفاوضات دائرة بين الامير عبدالله والحكومة على عقد معاهدة ، وان الدولة الانكليزية ستلقي تبعة الادارة الداخلية في الامارة على عاتق المجلس النيابي والحكومة فيها ، وان مسائل الدفاع من الحدود ومنح الامتيازات تظل في عهدة المفوض السامي الانكليزي في فلسطين

اجمعت الصحف الباريسية على ابداء الارتياح العظيم لما اكتسبته جمعيَّة الامم من توطيد نفوذها بحلّ الخلاف الذي كان قائماً بين بولونية ولتوانية والذي كان

يخشى ان يشمل نيران الحرب في جميع بلدان اوربة الشرقية

١٢ : وصل الى القاهرة الملك فيصل في طريقه الى بغداد عائداً من البلاد الاوربية

بدأ الاجانب في الصين يجلون عن عدة مناطق ويسافرون الى هونغ كونغ ولا يزال الشيوعيون قابضين على دفة الحكم ، واطلاق الرصاص متواصل في كانتون والحرائق مستمرة

١٣ : تدل الاخبار التي تلقتها وزارة الزراعة اللبنانية على ان انحباس المطر مدة طويلة قد سبب في مزروعات البقاع اضراراً جسيمة — وافق المجلس النيابي اللبناني على مجمل المصاريف في الميزانية — قبض رجال الشرطة في الاستانة على ١٥ يونانياً متهمين بتزوير الاوراق المالية

قررت حكومة السوفيات ان تضاعف جهودها في المستعمرات .

١٤ : عقد مجلس ادارة كلية الآداب في الجامعة المصرية جلسة لانتخاب عميد للكلية فكان الفائز الدكتور طه حسين — قررت لجنة حفظ الاثار العربية في مصر ان افضل طريقة لحفظ الاماكن الاثرية الموجودة في القاهرة هي شراء الاماكن الممتازة من هذا النوع ، ويقدر ثمنها بمبلغ ٣٠ الف جنيه

١٥ : اتفقت وزارة الداخلية مع وزارة المالية في مصر على تدابير غايتها ان يمنع من دخول مصر كل دور غنائي عربي مخل بالآداب العمومية — انتهى المهندسون من تخطيط الاراضي في سهل بير حسن والاوزاعي لانشاء بيروت الجديدة — وقعت شركة قرتلي وطويل ، للسيارات بين بيروت وبغداد ، تحت عجز مالي قدره ٢٢ الف ليرة ذهبية

تظاهر مئات من الشيوعيين امام ندوة النواب في اثينة — اعلن في دوبلين ان المستر جيمس ماكنيل المندوب السامي لدولة ارلندة في لندرة سيخلف المستر هيلي في منصب الحاكم العام للدولة الحرة — امرت الحكومة الصينية الوطنية بالغاء الاعتراف بقناصل السوفيات في اراضيها واقفال البيوت التجارية السوفياتية

المشرق

الاب لويس شيخو

تأبين الحكيم بشير افندي قصار

مساء الجمعة الواقع فيه الثالث والعشرون من شهر كانون الاول ، عقدت جمعية التعاون الفكري ، في الثغر ، جلسة قانونية افتتحها الرئيس كميل بك ادّه بان نعى الى الاعضاء الحاضرين فقيدنا المرحوم الاب لويس شيخو الذي كان احد زملائهم ، ذاكرًا اياه بكلمة مؤثرة رقيقة . وما هو ان جلس الرئيس حتى وقف احد الاعضاء ، الحكيم بشير افندي قصار ، رئيس الكلية الاسلامية في بيروت ، والقى خطاباً تأبينيًا هذا نصّه :

سادتي الافاضل

كلّفني حضرة رئيس هذه اللجنة الموقّرة ان انوب عنها في القاء كلمة تأبين ، تكريماً لذكرى فقيد العلم والادب في المشرق ، الشيخ الجليل والعلامة البحّاثة المرحوم الاب لويس شيخو . فلبيت الطلب

قياماً بالواجب الذي يتحتم على كل من يقدر العلم حق قدره في تكريم الرجال العلماء العاملين

واذا كانت الغاية من هذه اللجنة المحترمة ، التي ضمت اليها نخبة اهل العلم والفضل والادب ، ترقية الفكر والتعاون على رفع مستوى العلم وايجاد الصلات العلمية بينها وبين لجان النهضة الفكرية في العالم ، فهي لعمري اخلق بتكريم العلامة الفقيد ، واولى بتقدير خدماته للعلم والتعليم من كل عصبة ومجتمع في هذه البلاد

اجل يا سادتي اننا خسرنا بفقد العلامة العربي الجليل الاب لويس شيخو خسارة فادحة

خسرت الاسرة التعليمية ركناً من اركانها ، معلماً كبيراً ومدرساً جليلاً ، قضى معظم عمره في العلم والتعليم

خسر الادب العربي مورداً صافياً ومعيناً عذباً زاخراً كان يرده فيروي غليله

خسرت اللغة العربية ابناً باراً نابهاً من ابنائها ، وباحثاً منقباً مدققاً بما كان يخرجه من دفائن كنوز مؤلفاتها للعالم العربي والغربي

خسر المستشرقون معواناً ونصيراً ومصباحاً منيراً ينير لهم دجنات ما استعصى عليهم دركه وما اشكل عليهم فهمه ، ممهداً لهم سبل العلم للوصول الى مخبئات لغتنا الشريفة حتى اصبح ثقة يشار اليه بالبنان وعلماً يهتدى برأيه وحكمته

تناولت بيان المطبعة الكاثوليكية لألقي نظرة على عدد

مؤلفات العلّامة الفقيد فرأيتها تتجاوز الخمسين عدًّا — عدا اجزاء مجلة المشرق التي اسّسها والتي له معظم المباحث فيها — وعدا عمله في المكتبة الشرقية التي اسّسها في الجامعة اليسوعية وقضى زهرة العمر في اعدادها وتزيينها باثمن الكتب والمخطوطات والمؤلفات. فلكَمْ عانى مخاطر الاسفار في الاقطار الشرقية للاطلاع على مخازن الكتب، وما تركه السلف من المؤلفات في العربية والسريانية والتركية والفارسية، حتى اصبحت مكتبةً جامعة شاملة يندر مثيلها في المشرق والمغرب

حياةٌ كلها جهاد في سبيل العلم والنشر والتأليف والتدريس والبحث والتنقيب، لحليقة بالاعجاب والتقدير والتكريم — هذا الى عقلٍ راجح وحكمة بالغة وسعة صدر وتواضع وورع وتقى

فالى رعاة مهد نشأته وسوّاس ميدان حكمته، حضرات الآباء اليسوعيين المحترمين، والى الامة العربية جمعاء، اقدم بالنيابة عن هذه اللجنة المحترمة اجمل العزاء، ضارعاً اليه تعالى ان يعوضنا عنه خيرًا وان يجزل له المثوبة والمغفرة انه السميع المجيب

تأثير الاب شيخو

في

تاريخ الآداب العربيّة

بقلم فؤاد افرام البستاني استاذ الآداب العربيّة في كليّة القديس يوسف

كان تاريخ الآداب ولا يزال اثبت أُسّ التنشئة العقلية ، واقوم سبيل للبارع الى الثقافة العامّة . فخصّته الجامعات العالية في بلاد الغرب بالدروس المطوّلة ، وعوّلت عليه وزارات المعارف في تهذيب الناشئة ، تعويلها على الركن الامتن والطريقة المثلى . فثبت الركن ، وجادت الطريقة ، واذا بالنتائج الحسنة تفوق الآمال ، واذا بالآداب العربية ترتفع شيئاً فشيئاً الى مستواها الحاضر الراقي.

على ان شرقنا العزيز لم يستفد من هذه النهضة ، حالَ يقظته في القرن الماضي ؛ لانصراف ادبائه ، اذ ذاك ، الى تحدّي الانحطاطيين في علومهم الدقيقة والسطحية معاً . فكانوا يفضّلون درس شواذات النحو ، وترتيب اساليب البديع ، والخوض في بحور العروض المختلفة ، على نقد آثار القدماء من الكتّاب وتفهّم اساليبهم ، والتمييز بين شخصياتهم الادبية ؛ او البحث في الحوادث التي اثّرت فيهم ، فدفعتهم الى الكتابة والتأليف . فساروا ، في التعليم ، على تلك الطريقة السطحية في تعزيز الذاكرة دون العقل ، والاجتهاد في حفظ الامثال الفرديّة دون الانتباه الى المبادئ العامّة . فكم نبغ فينا من الذين سوّدوا المجلّدات على طريقة الصاحب وبديع الزمان ، فاستعملوا الكثير من الالفاظ في مختلف معانيها ، وبرهنوا عن معرفة واسعة في جميع القواعد ، دون ان يتصوّروا ، ولو عن طريق العرض ، ان للذوق دوراً في الانشاء . وكم صفّق آباؤنا لنظّام خاضوا جميع الابحر الشعرية بين تامّ ، ومجزوء ، ومشطور ، ومنهوك ،

فعدّدوا الاساليب الخارجية ، ونوّعوا القوافي ، دون ان يفقهوا ماهيـة الشعر وشروطه المنوّعة . وهكذا كانت الطريقة في سائر فنون التعليم العربي كاللغة ، والفقه ، والتاريخ مما لا يدخل في بحثنا اليوم.

فنرى بوضوح حالة الادب في بلادنا ، اذ انهى المرحوم الاب شيخو دروسه العالية ، واطّلع على آداب الغربيين ، وطريقة التعليم عندهم ، فاراد ان يفيد بلاده ولغته بقدر ما استفاد . فبدأ بالعمل ، وبالعمل الشاقّ.

ولكي نفهم الصعوبات المتعدّدة التي صادفهـا ، وندرك شيئـاً من جهوده واتعابـه المتواصلة في ذاك السبيل ، علينا ان نتراجع نحو نصف قرن ، فنضع ذواتنا في عـالم المطبوعات سنة ١٨٨٢ ، وهي السنة التي ظهر فيهـا « مجاني الادب » لاوّل مرّة . اذ ذاك نتحقق ، ببعض التعجب والدهشة ، انهُ لم يكن من وجود للكتب الادبية ، بالمعنى الذي نفهمه اليوم ، اللهمّ بعض كتب قديمة كالاغاني الكبير المطبوع في بولاق ، وشرح المعلّقـات للزوزني المطبوع في دير القمر ، وبعض الدواوين الشعرية المطبوعة في بيروت ، وبولاق ، واوروبا . وهي فضلاً عن قلّتها ، لم تكن مما يعوّل عليه في التدريس الادبي العالي ، لاقتصارها على النصّ وبعض الشرح اللفظي ؛ دون الـدروس المتنوعة ، والتاريخيّـة ، والادبية الحقة ؛ ولـتمّم ظاهرها من حيث الطبع والترتيب ، مع مـا بقي في صفحاتها من العبـارات السمجة ، والالفاظ البذيئة ، التي لا يحسن اطـلاع المتعلّمين عليها.

امام هذا الفقر الادبي ، وقف الاب شيخو راغباً ، متهيّباً ، حائرًا : راغباً في العمل والافادة ، متهيّباً الاقدام في مثل هذه الصعوبات ، حائرًا في اي ثغرة يسدّ ، وباي نوع من الدرس يبدأ . ولكنهُ لم يلبث ان نفذ بصره الثـاقب الى ما وراء غياهب الحاضر ؛ فشاهد مستقبل الدروس مبنيًا على تاريخ الآداب الصحيح ؛ وكأنهُ ادرك ما سيسمح لهُ الله بهِ من الاعمال ، فنهض الى الشغل ، وقد وضحت واجباته في ذهنه ، وتفرّعت الى اربعة اقسام :

١ً ــ نشر النصوص القديمة ، والتراجم المختصرة لمؤلفيها ، مع جداول كتبهم

٢ً ــ التوسّع في الدروس الادبية ، وتناوُل حياة المؤلفين وآثارهم بالتحليل والنقد

٣ً ــ زيادة التوسّع في الدروس الادبية بتناول عصور الآداب بحثاً وانتقاداً

٤ً ــ الانفراد بدرس نقاط خاصة من تاريخ الادب ، فتمحيصها علمياً ؛ وجعلها تمهيداً لازماً لكتابة التاريخ الادبي الصحيح.

وهكذا كانت اعماله الاولى تهيئة الموادّ : فنشر « مجاني الادب » ، تلك المجموعة النفيسة التي انتخبها من الكتب والمخطوطات العديدة في الشرق والغرب ، وبوّبها على ستة مجلدات متدرّجة ، وزيّنها ، واوضحها بالشكل الكامل اولاً ، ثم بكتابة الشروح الواسعة عليها ، من لغوية ، وادبيّة ، وتاريخية ، وجغرافية ، وعلمية ، وفارس ، في اربعة مجلّدات ذكر فيها ، كما في اواخر الستة الاولى ، العدد العديد من تراجم شعراء الجاهلية والاسلام ، وعلماء العربية ، وفقهائها ، ومؤرخيها ، وجغرافييها. ولا نبالغ اذا قلنا ان تاريخ الادب العربي لم يعرف كتاباً اوسع انتشاراً ، واوفر فائدة من «المجاني» . فقد بلغت طبعات بعض اجزائه الثلاثين ؛ وما زال ، منذ نحو نصف قرن ، دستور التعليم العربي في مدارس الشرق والغرب من ابتدائية ، وثانوية ، وعالية . ولا يضحكني الّا انتقاد بعض ادعياء الادب اذ يقولون : « المجاني لا يفيد شيئاً اذ لا يشرح الاعلام التي يوردها فهو يقول مثلاً : « قال المتنبي مادحاً سيف الدولة » ولا يُعلمنا شيئاً عن المتنبي ولا عن سيف الدولة ... » فالى هؤلاء اقول : افتحوا شرح المجاني ، التابع اللازم للمجاني ، تعلموا الشيء الكثير عن المتنبي وسيف الدولة ، وتعلموا ايضاً اشياء أخر قد تنفي عنكم عار الجهل والادّعاء.

ولم يفرغ الاب شيخو من اعداد كتب مدرسية اخرى ، حتى رأى الادب العربي بحاجة الى معرفة مؤلفات عديدة لم تُنشر بعد ، فعمد الى شعراء الجاهلية يجمع تراجمهم واشعارهم من المخطوطات والمطبوعات المتفرّقة ، ويبوّبها ، ويشرحها ، ويذكر اختلاف الروايات فيها . الى ان اصدر الى عالم الادب

«شعراء النصرانيّة» سنة ١٨٩٠ ؛ فاحتلّ هذا الكتاب الكبير ، جنب الاغاني ، وخزانة الادب ، اعلى مركز آخذ الادب العربي. ثم عاد المؤلف فاتمّه بثلاثة اجزاء عن شعراء النصرانية بعد الاسلام (١٩٢٢ــ١٩٢٦) .

وكان ان وقف بعد ذلك على آثار لم تُنشر لبعض الجاهليين ، والاسلاميين فاجتهد في تصحيحها ؛ ونشر منها ديوان الخنساء وملخصه الدرسي ، وديوان الجرنق اخت طرفة ، وديوان ابي العتاهية . ومذ ظهر المشرق ، اخذ مترجمنا ، بتضمينه بعض المنشورات الادبية كديوان السموأل (١ ، وديوان سلامة بن جندل (٢ ، وحماسة البحتري (٣ ، وبعض ابيات للمتنبي لم تكن نُشرت بعد (٤ ، وقصيدة ضائعة للغزالي (٥ ، وخمريّات نصرانية قديمة (٦ . ونشر في النثر الادبي كتاب الكتّاب لابن دوروستويه (٧ والرسالة الحرفيّة للشريف الجرجاني (٨ وبعض الحكم والاقوال المنسوبة لعلي بن ابي طالب وغيره. (٩ هذا عدا الرسالات العديدة التي طبعها لقدماء الكتاب في التاريخ ، والجغرافيا ، والعلوم الطبيعيّة ، والفلسفة ، والموسيقى ، والدين . ولم يسهُ باله عن آثار ادباء القرن التاسع عشر النادرة الوجود ، فنشر قصيدة الطاعون لنقولا الترك (١٠ ، والتارجيلة والفليون لبطرس كرامة (١١ ، ومدح باي تونس للكونت رشيد الدحداح (١٢

اما جدارل الآثار العربية ووصف مخطوطاتها ، فاخذت من وقته حصّةً تُذكر ، اذ كان يهتمّ بترتيبها على حروف المعجم ، ووصفها وصفاً مطوّلاً . ننشر اولاً وصف بعض مخطوطات في المترادفات العربية (١٣ ، ثم بيان المخطوطات

---

١) المشرق (١٢ [١٩٠٩]: ١٦١ . . .)
٢) المشرق (١٣ [١٩١٠]: ١٧١ . . .)
٣) المشرق (٣ [١٩٠٠]: ١٠٦٤ . . . و ١٣ [١٩١٠]: ٥٢٧ . . .)
٤) المشرق (٢ [١٨٩٩]: ٦٦٨ . . .)
٥) المشرق (١٠ [١٩٠٧]: ٦٠٦ . . .)
٦) المشرق (٥ [١٩٠٢]: ٥٢٠ . . .)
٧) المشرق (١٨ [١٩٢٠]: ٢٥ . . .)
٨) المشرق (٢٢ [١٩٢٤]: ١٠ . . .)
٩) المشرق (٥ [١٩٠٢]: ١٠ و ٨٧٠ . . .)
١٠) المشرق (٢ [١٨٩٩]: ٦٢٧ .)
١١) المشرق (٢ [١٨٩٩]: ١١١٥)
١٢) المشرق (٥ [١٩٠٢]: ١٥٥).
١٣) المشرق (٥ [١٩٠٢]: ٢٧٨ . . .)

النصرانية في المكتبة الشرقية (١ ، ثم بيان المخطوطات الشرقية في مكتبة ليبزيغ (٢ ، واخيراً اهتم بترتيب المخطوطات العربية لمكتبة النصرانية من اقدم العصور الى اليوم (٣ . ولم تستأنف المجلة صدورها بعد الحرب حتى اشتغل بترتيب جدول وافٍ للمطبوعات العربية منذ وقوف المشرق (٤

* * *

هذا ما وفّر الاب شيخو من الموادّ لدروس العلماء ومؤرخي الآداب . ولا يعرف قيمة ذاك العمل ، الّا من اضاع الساعات الطويلة في تقليب المجلدات الخطّية الضخمة ، ودحرج عينيه الالوف من المرّات على سطور كمد حبرها لتوالي الايام ، ووهى قرطاسها لانتياب العثّ ، فذهب الكثير من حروفها والفاظها .

على انه لم يكتفِ بهذه الخدمة الجزيلة ، بل تجاوزها الى وضع الدروس الوافية في حياة بعض الشعراء والكتّاب . وهي الخطوة الثانية في تاريخ الادب . فاختصّ ، من الجاهليين ، المتلمّس بن حنين بخمس مقالات (٥ افاض فيها الكلام عن اصله ، وزمانه ، وحياته ، واخباره ، ودينه ؛ ثم نشر شعره مشروحاً . والتفت الى صدر الاسلام ، فابرز الى الشهرة شاعراً كبيراً قضت عليه الظروف والاميال ، فحبسته طويلاً في عالم النسيان ؛ الا وهو صالح بن عبد القدّوس ، فدرس حياته وجمع ما تفرّق من شعره في كتب الادب (٦ . والقى نظرة على فيلسوف المعرّة فبحث في افكاره وبرّأهُ من وصمة الكفر (٧ . وكان قد سبق فخصّ المؤرخ الشهير ابن العبري بتلك الفصول الممتعة عن حياته وآثاره التي ظهرت في اول سنة من المشرق (٨ . وعاد فكتب مقالات واسعة في

١) المشرق (في السنين : ٧ و٨ و١١) . ٢) المشرق (١٠ [١٩٠٧] : ١٢٨ . . .)
٣) المشرق (في السنين : ٢٠ و٢١ و٢٢) ٤) المشرق (١٨ [١٩٢٠] : ٤٨١ . . .)
٥) المشرق (٥ [١٩٠٢] : ١٠٥٧) و (٦ [١٩٠٣] : ٢٨ . . .) و (٧ [١٩٠٤] : ٧٢٤ .)
٦) المشرق (٢٢ [١٩٢٤] : ٨١٩ . . .)
٧) المشرق (٤ [١٩٠١] : ١٠٦٨) ٨) المشرق (١ [١٨٩٨] : ٢٨٩ . . .)

حياة ابن التلميذ (١ ، وهلال الصابئ (٢ وآثارهما . وكذلك نال المتأخرون من عنايته فظهرت له المقالات عن حنانيا المنيّر (٣ ، والخوري نقولا الصائغ (٤ ، والاب بلو اليسوعي (٥ وغيرهم من ادباء القرن التاسع عشر كالمعلم الياس ادّه (٦ ، وابن افرنجية (٧ ، ومخائيل البحري (٨ ، ونصرالله الطرابلسي (٩ ، والخوري ارسانيوس الفاخوري (١٠

* * *

ولم تكن هذه الدروس الفرديّة الّا مقدّمات لدروسه الواسعة عن عصور الادب العربي ، فكان ينشر من وقت الى وقت بعض المعلومات عنها ويعدّ المعدّات لعصريها المهمّين في نظره : وهما الجاهلية ، والقرن التاسع عشر ؛ اي البداية وما انتهينا اليه :

اما الجاهلية فاحتلّت في افكاره مركزاً خاصاً لولعه بشعرائها من حيث اتقام الوصف ، وابتكارات الصور والتعابير ، وخصوصاً لما كان يراه في شعرهم من الاقتباسات النصرانية العديدة . فافرد لدرس ذاك العصر من الادب خطبة واسعة القاها في المكتب الشرقي سنة ١٩٠٣ ، فبدّد ذاك الوهم الذي يستولي على ذهن بعض الجهّال اذ يسمون بالجاهلية فيستنكفون وينفرون متخيّلين ان تلك العصور « طبق عليها الجهل ، وخيّم فوقها رواق الهمجيّة . فلا يرون في العرب الّا قوماً من شذّاذ الآفاق . . . لا ينبعث من لغتهم سوى رائحة النوق والجمال . »

هذا الوهم المتكاثف منذ عهود ، بدّده الاب شيخو ، معدّداً آثار العرب الكثيرة في الحضارة اولاً ، وفي اللغة ثانياً . فذكر مزاياها ، وفنونها العديدة

١) المشرق (٩ [١٩٠٦]: ٧٦٢ . . .) ٢) المشرق (٦ [١٩٠٣]: ٤٦٦) —
٣) المشرق (٤ [١٩٠١] : ٦٦١) ٤) المشرق (٦ [١٩٠٣]: ٩٧)
٥) المشرق (٧ [١٩٠٤]: ١١٤٤)
٦) و ٧) المشرق (٢ [١٨٩٩]: ٦٩٢ . . . و٤٤٢ . . .)
٨) و ٩) و ١٠) المشرق (٣ [١٩٠٠] : ٦ . . . و٢٩٧ . . . و٦٠٦ . . .)

كالامثال ، والحكم ، والحكايات ، والاخبار والخطب . فاستحق ثناء من فهم الآداب حق الفهم .

ثم رمى ببصره الى عصرنا فتابع آدابه بعناية وانتباه قلما نراهما في مؤرخ . فهو لم يترك كاتباً ، ولا شاعراً ، ولا اديباً ظهر من اوائل القرن التاسع عشر الا ذكره وترجمه ، ولا كتاباً او كراساً طبع في تلك الحقبة الا ادخله في جداوله المديدة حتى اصبح كتابه الوافي «الآداب العربية في القرن التاسع عشر» من اوسع المصادر في هذا الباب ، واجمعها للمعلومات الصحيحة .

ولم تكد السنة الخامسة والعشرون من قرننا هذا تنقضي حتى شمر عن ساعد الجد ، وجمع معلوماته ومذكراته المديدة ، وبدأ بمتابعة تاريخ الآداب « في الربع الاول من القرن العشرين » . وقد كتب ، آخر فصل منه قبيل وفاته ، رحمه الله .

* * *

بيد ان الاب شيخو ، على اجتهاده الدائب في جمع المعلومات ، لم يكن ليرضى بهذه الابحاث التاريخية الصرفة ، وقد وضع الله في ذهنه من قوة التفهم ، والمقدرة على التحليل ، وبعد النظر في الاستنتاج ، ما يضمن بتوفية ادق الباحث درساً ، وايضاح اشد النقاط غموضاً . فهب يتناول المواضيع المبدئية والعلمية ، واضعاً بذلك الحجر الاول لكتابة تاريخ الادب على الاسلوب النقدي الحديث ، ناهجاً للشرق اجمع طريقة الابحاث العلمية التي ستكون وحدها طريقتنا في المستقبل القريب ، ان شاء الله . . .

وكان اول ما نشر من هذه الابحاث مقالاته الخالدة في الاستنتاج والتنقيب عن «الاحداث الكتابية في شعراء الجاهلية» (١ . فتلقاها العالم العلمي بمزيد الاعجاب والثناء . ولبث ينتظر امثلتها حتى كانت سنة ١٩٢٢ ، فتم ذاك الكتاب النفيس ، الذي بُدئ به قبل الحرب ، فاوقفته البلايا المتعددة على البلاد ، الا وهو « كتاب النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية » . واني لا اقول عنه شيئاً ،

١) المشرق (٧ [١٩٠٤]: ٥٢٠-٥٢٠)

بل ادع الكلام لمفكر مدقق ، من اساتذة الجامعة الاميركية ، آلمه طويلاً طريقة الشرق العاطفية السطحية في كتابة المواضيع المهمة التي لا تُعالج الّا بالدرس والتدقيق ، فسُرّ كل السرور لظهور كتاب يروي ظمأه الى البحث الوضعي ، فقال :

« انه لا يصعب علينا ان نتصوّر الطريقة التي جرى عليها المؤلف في وضع كتابه هذا . فانه لم ينفرد الى شاطئ بحر ، او تحت شجرة في ليلة مقمرة ، ولم يحكّ من وجدانه افكاراً ، ومن مخيلته آراء ؛ بل عمد الى المجلدات والكتب والى المجلات والتآليف ، وقضى الوقت الطويل يفتّش في ثناياها عن المادّة التي يطلبها ، وينقّب في بطونها عمّا يتناول موضوع بحثه . ثم جمع هذه المادّة ، ومحّصها ، وغربلها ، ونقّحها وبوّبها ، واستخرج منها استنتاجاته ، وقدّم للعالم نتيجة مجهودات عقليّة تناولت عقوداً من سني حياته في كتيّب يطالعه القارئ في خلال ساعات .

« هذا هو التأليف العلمي الصحيح ! » (١

* * *

هذا هو الاب شيخو ، مؤرّخ الآداب ! ولاشك بانه فاتني ذكر الكثير من آثاره ومجهوداته في تحقيق هذا الفنّ ، الذي يكاد يكون معدوماً في لغتنا .

فاستفدْ مما ترك لنا من التراث الثمين ، ولنسر على طريقته في البحث والتنقيب ، بعد ان ننحني باتضاع امام واضع الحجر الاول للتاريخ الادبي الصحيح .

---

١) الدكتور فيليب حتي — في مجلة الكلية (٩ [١٩٢٢-٢٣] : ٢٨٥)

الالسُنيّة الساميّة

واللَحم واللُقم

بقلم حضرة الاب ا . س . مرمرجي الدومنيكي
من اساتذة المعهد الكتابي والاثري الفرنسي في القدس الشريف

ابّان العطلة التي قضيتها ، الصيف الغابر ، في بغداد وطني ، سنحت لي فرصة ، فنشرت كلمة وجيزة ، في اصل اسم « بيت لحم » في مجلة « لغة العرب » (الجزء السادس من السنة الخامسة صفحة ٣٣٥ وما يليها) وقد علّق حضرة الاب انستاس الكرملي المحترم ، صاحب المجلة ، تعليقتين نقديتين ، على هذا المقال ، اولاهما في شأن استعمالي تعبيراً جديداً ، هو من وضعي الخاص ، للعلم المدعو في الفرنسية : Philologie comparée des langues sémitiques

وهو « المقابلة الألسُنيّة السامية » او بالاختصار « الألسنيّة السامية » من باب حذف الموصوف والاستغناء عنهُ بالوصف ، مما هو جارٍ في اللغة ؛ من ذلك قولنا : الداخلية ، الخارجية ، المالية ، بتقدير الوزارة او النظارة . وكقولنا : العربية ، الفرنسية ، الانكليزية ، باضمار اللغة . وكذلك : الشيوعية ، الاشتراكية ، والمضمون الطريقة او الدعاية او غيرها ؛ او الصوفية ، واليسوعية ، بتقدير الجماعة . اما النسبة الى الجمع فهي ايضاً من الامور الواردة في اللغة ، كقولك : الثيابي ، الدجاجي ، الملوكي وما اشبه . وحضرة الاب عينه قد اثبت مؤخراً صحة استعمالها ، في مجلته ، مستنداً الى سلطة ابن جني في اللغة . واليوم يعمد المترجمون او واضعو الالفاظ العصرية الى هذه النسبة ، لتأدية الكلمات الاجنبيّة التي تدخل فيها لفظة : Inter مثل International ؛ فقد تُرجمت بكلمة « دُوَلي » اذا كان العمل مشتركاً بين دول كثيرة . واما اذا كان الشأن بين

رجال ممثلين جمعيات من بلاد مختلفة ، دون ان يكون لحكوماتها دخل في العمل ، كقولك « Congrès philosophique international » فالاصح ان يستعمل لفظة « أممي » ولا « دولي » فيقال : « مؤتمر فلسفي أممي » وقد يقال ايضاً «الأممية» للتعبير عن كلمة «L'Internationale» الدالة على الطريقة الاشتراكية الشيوعية ؛ كما قيل في القديم « الشعوبية » لطريقة الشعوبيين

فطبقاً لهذه المبادئ ، صنعت هذا اللفظ الجديد ، لان هذا العلم ، علم مقابلة ألسن الساميين ، يدخل فيه لغات مختلفة ، توضع خواصها بعضها ازاء بعض للمقارنة واستنتاج النتائج العلمية منها ؛ مما يمكن الدلالة عليه بالنسبة الى الجمع . فقلت « علم مقابلة الالسنية السامية » ثم حذفت لفظتي العلم والمقابلة ، لإمكان الاستغناء عنها ، فبقيت «الالسنية السامية» . اما حضرة الاب فلم يرق في عينه هذا الوضع الحديث ، فكتب في الحاشية « هذا من وضع الاب صاحب المقال ، ونحن لا نوافقه عليه »

التعليقة الثانية : في شأن معنى « اللحم » في العربية . وهو ايضاً مما خالفني فيه حضرته . هذا واذ كانت الحقيقة بنت البحث ، استأذن حضرة الاب الاستاذ بالردّ على ما ابداه فاقول :

اما في صدد الاولى ، فلقد اخذني العجب من انه اكتفى بالقول : « ونحن لا نوافقه عليه » لاني ، مع ما لي من الاعتبار لشخصه الكريم ، وتقديري لمقامه وعلمه ، لا ارضى بهذا ، ولا تطاوعني النفس على العدول عن هذا الوضع الجديد — مع اني لست بمعصوم — ما لم يأتني بالبرهان ، الذي ازنه بميزان العقل والنقل . فان وجدت فيه ما يحملني على اليقين ، ايقنت ؛ والا فانا باقٍ على ما انا عليه من الراي

اما في شأن الثانية ، فقد جرى حضرته حسب الاصول المنطقية المرعية ، لانهُ اشفع القول بالدليل ؛ ولذا فها انا ذا اجيبهُ بالدليل :

ان النتيجة التي كان قصدي استخراجها مما ابديتهُ ، هي ان اصل اسم

« بيت لحم » ليس « بيت الخبز » وحسب ، كما يتبادر الى الذهن ، لاول وهلة ؛ بل ان « بيت » يجدر بهِ ان يُتخذ بمعنى الارض او البلد ؛ وان يُطلق على كلمة «لحم» مدلول « القوت » ؛ فيكون الناجم عن ذلك « بلد القوت » او « الارض المخصبة » كما يؤيد ذلك مرادفها « افراثة » ومعناه المخصبة في العبرية . وهذه النتيجة الصادرة عما جئت بهِ من الادلّة في المقال ، تبقى ثابتة لا تتغيّر عندي ، سواء اتفقت او لم تتفق اللغات السامية الثلاث ، اي العربية والارمية والعبرية ، في تأدية « لحم » بمعنى الخبز

اما اذا حصرنا الجدال في كلمة « لحم » في العربية ، فاعيد هنا ، دون تردّد ، ما قلتهُ في مقالتي بحرفه وهو : « العبرية والارمية متفقتان في ما ضمناه في لفظهِ (اعني اللحم) من المعنى اي الخبز . اما العربية فتخالفها في تلك الدلالة . اذ ان كلمة « لحم » لا يراد بها الخبز ، بل هذه المادة المرنة الداخلة في تكوّن اجسام الحيوانات الصالح اكثرها لاكل البشر . » وحضرة الاب مضطر الى ان يقرّ بان كلمة « لحم » بحرف الحاء ، لا تدل على الخبز البتة في اللغة العربية . الّا ان رايه هو ان معنى الخبز قد انتقل فبقي في لفظة « اللقم » لان اللقم عنده مُبدل من اللحم . وان اللقم معناه الخبز او قل الطعام او قل البُرّ . وهذا ما لا يمكنني موافقة حضرة الاستاذ عليهِ . وها هي ذي ادلّتي :

ان اللقم مصدر او اسم مشتق من فعل لَقِم . والحال ان لقم ، على قول صاحب لسان العرب ، المستند اليه حضرته ، وعلى قول غيره من اهل المعاجم الكبرى ، لا يُراد بهِ الّا نوعاً من الاكل ، اي ، حسب عبارة اللسان ذاته ، « سرعة الاكل والمبادرة اليهِ » . وهذه عبارة تاج العروس : « اللقم (بالتسكين) سرعة الاكل والمبادرة اليهِ . ولقِمه (كسمعه) لقماً ، جذبه بفيه (واكله سريعاً) ؛ والتقمه التقاماً ابتلعه في مهلة . » وهذا الثلاثي « لقِم » آتٍ من « لقَّ » الثنائي الدالّ على الاكل مطلقاً . لانه يقال : قمّت الشاة اي اكلت ما على الارض . وقمّ الرجل ، اذا اكل ما على الخوان . وقد توّجت اللام لفظ « قمّ » لايجاد فرق في المعنى ، اي السرعة والمبادرة . وهذا ما ينطبق على المبدأ اللغوي القائل « الزيادة في المبنى ، زيادة في المعنى . » وما احسن ما جاء بهِ Lane ،

صاحب المعجم العربي ــ الانكليزي الشهير ، نقلاً عن امهات المعاجم ، كالمختار ، والمصباح ، والقاموس ، والتاج ، والصحاح ، ودونك كلامه بنصه الانكليزي :

(لقم لقمةً) He gobbled a gobbet, or morsel or mouthful; or he swallowed the gobbet; he gobbled; ote it quickly;

(لقّمهُ الطعامَ) He *fed* him with the *food* by the *mouthful*; put it into his mouth by the *mouthful;* he fed him.

اما اللُقمة فمرادها ما يهيأ للقم سواء كان خبزًا ام لحماً ام بيضاً ام غيره مما يؤكل . كما ان الجرعة تطلق على كل ما يهيأ للشرب . هذا ما جاء في المعاجم ، ودونك كيف أدّاه Lane :

(أُقمة) A morsel, gobbet or mouthful. Wath is swallowed or eaten at once of bread, etc. like جُرعة signifies wath is swallowed at once in drinking ; or wath is prepared to he swallowed or eaten quickly at once.

(تلقّم اللقمة) He swallowed the gobbet or morsel or mouthful in leisurely maner.

والّا فاذا كان « اللقم » يدل على الخبز ، لانك تجد في لسان العرب : « لقمت الطعام » لكان « الاكل » ايضاً خبزًا ، لانك ترى في اللسان عينه ، في مادة (ا ك ل) هذه العبارة : « اكلت الطعام اكلًا » ولكان « الخطّ » ايضاً بمعنى الخبز ، لانك تقرأ في المعاجم «خطّ الطعام : اكله قليلًا» . ولجاء «الكشب» بمعنى اللحم لانه يقال : «كشب اللحم اي اكله اكلًا شديدًا .» اما قولك انه تستعمل اللقمة للخبز . فان عنيت الخبز فقط ، فهو مردود ، لان اللقمة ما يهيأ للبلع سواء كان خبزًا ام غيره . كما ان الكسرة هي القطعة من الشيء المكسور فيقال : كسرة من الخبز . فكذلك يقال : لقمة من الخبز ، لقمة من اللحم ، لقمة من البيض

على ان حضرة الاب استند كل الاستناد الى كلمة « الطعام » الواردة في عبارة اللسان : لقمتُ الطعامَ . . . فقال « وانت تعلم ان الطعام اكثر ما ورد

معناه لما نسميه الحبوب ، ولاسيما الحنطة . وهذا المعنى معروف الى يومنا هذا في العراق . قال في لسان العرب : واهل الحجاز (وعن بعضهم اخذ لسان العرب) اذا اطلقوا اللفظ بالطعام ، عنوا به البرّ خاصة . وفي حديث سعيد : كنا نخرج صدقة الفطر عن عهد رسول الله (ص) صاعاً من طعام وصاعاً من شعير . قيل اراد به البُر ، وقيل التمر ، وهو اشبه ، لان البُر كان عندهم قليلًا ، لا يتّسع لاخراج زكاة الفطر . وقال الخليل : العالي في كلام العرب ان الطعام هو البُر خاصة . »

قلت : افتح ايها القارئ اللبيب ، لسان العرب ، وهو حجة حضرة الاب ، واكشف مادة (ط ع م) ترَ اول عبارة تلقاها : « الطعام اسم جامع لكل ما يؤكل » ثم بعد سطور ، هذه الاخرى : « قال ابن الاثير : الطعام عام في كل ما يتقات من الحنطة ، والشعير ، والتمر ، وغير ذلك » وقال في شرح الشفاء : « الطعام ما يؤكل ، وما به قوام البدن ؛ ويطلق على غيره مجازاً . » فمدلول الطعام اذن من اصل وضعه هو كل ما يؤكل ، لان فعل طعم مرادف لأكل . واذا اطلق على الحبوب وغيرها ، كان ذلك من قبيل المجاز . وهو ظاهر من الحديث الذي استشهد به . فان الطعام هناك يراد به التمر اكثر من البر ، والسبب (لان البُرّ كان عندهم قليلًا) . وهذا جاء مؤيداً لما ابديته في مقالتي من قلة الحبوب عند العرب ، لكونهم اصحاب ماشية ، ولا ارباب زراعة . على انه اذا اتخذ حضرته اهل الحجاز حجة لرايه ، فانا استند الى « كتاب الحجاز » ، اي « القرآن » ، وهو اقوى الاسانيد للغة العربية . فقد وردت كلمة الطعام وفعلها ومشتقاته نحو خمسين مرة في مختلف سور المصحف . وفي كل هذه المواطن لا يظهر معنى الطعام الّا بحدّه العام ، المذكور في شرح الشفاء ، اي ما يؤكل وما به قوام البدن ؛ ولا بمعنى البرّ ، او الحنطة ، او الشعير ، او التمر ، من باب التخصيص . دونك ، على طريق المثال ، شيئاً مما جاء في بعض السور : (احزاب : ٥٣) « فاذا طعمتم فانتشروا . » (يس : ٤٧) « لو يشاء الله اطعمه » (انعام : ١٤) « وهو يُطعِم ولا يطعَم » (قريش : ٤) « الذي اطعمهم من جوع » (الدهر : ٩) « انما نطعمكم لوجه الله » (فرقان : ٧) « الرسول ياكل الطعام » (بقرة : ٢٥٩) « فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه » وقد فسّر الطبري هذه الآية الاخيرة

بما يأتي : « وكان طعامه سلة تين وعنب » وورد كذلك في (سورة آل عمران : ٩٣) « كل الطعام كان حلًا لبني اسرائيل ، الّا ما حرّم اسرائيل على نفسه من قبل ان تنزل التوراة » وقد شرح الطبري هذه الآية بالحديث النبوي الآتي : « حدّث ابن عباس قال : ان عصابة من اليهود حضرت رسول الله (ص) فقالوا : يا ابا القاسم اخبرنا اي الطعام حرّم اسرائيل على نفسه من قبل ان تنزل التوراة ؟ فقال رسول الله (ص) : انشدكم بالذي انزل التوراة على موسى ، هل تعلمون ان اسرائيل يعقوب مرض مرضاً شديداً ، فطال سقمه منه فنذر لله نذراً ؛ لئن عافاه من سقمه ، ليحرّمن احب الطعام والشراب اليه . وكان احب الطعام اليه لحمان الابل ، واحب الشراب اليه البانها . فقالوا : اللهم نعم . » وجاء ايضاً في حديث لابن عباس : « ان اسرائيل عرضت عليه الأنساء ، فأضنته . فجعل لله عليه ، ان شفاه الله منها ، لا يطعم عِرقاً . قال : فلذلك اليهود تنزع العروق من اللحم . » فاين معنى البُر او الحنطة او الخبز لكلمة الطعام ، في « القرآن » ؟ هذا لا يعني اني انكر ان الطعام يطلق على البُر في كلام اهل الحجاز والعراق . لكن رأيي هو انه مستعمل من باب المجاز ، مما يُعرف من القرائن . ففي كلامنا ، نحن العراقيين ، اذا قلنا : « حضر الطعام ، قوموا ناكل » عنينا بالطعام ما اعد للاكل ، من الطبيخ او غيره ، خبزًا كان ام حبيباً ام تمرًا . لكن اذا قلنا « ان الرجل الفلاني من تجار الطعام » فهمنا انه من المتعاطين بيع الحبوب ، ولاسيما الحنطة والشعير . هذا وهب اننا سلّمنا لحضرة الاستاذ بان الطعام لا يدل الّا على الحنطة ، لا بل على الخبز عينه ، فماذا ينجم عن هذا ؟ اينجم ان « اللقم » معناه الحنطة والخبز ؟ كلا ثم كلا . لان الذي ظهر من الادلة المتقدمة ان « اللقم » لا يُراد به في العربية سوى صفة من صفات الاكل ، وهي « السرعة والمبادرة اليه » ولا المادة المعدة للاكل

اما قول حضرة الاب ان اللقم مبدل من اللحم ، ففيه نظر ؛ لاننا اذا استقرينا الالفاظ التي يجري فيها الابدال ، رأينا انها تبقى مترادفة في المعنى . على ان الابدال ، كالقلب ، ليس بتأتٍ الّا عن اختلاف اللغات في القبائل . وهذا ما قاله ابو الطيّب في كتابه : « ليس المراد بالابدال ان العرب تتعمد تعويض

حرف من حرف ، وانما هي لغات مختلفة لمعانٍ متفقة ، تتقارب اللفظتان في لغتين، لمعنى واحد حتى لا يختلفا الّا في حرف واحد . والدليل على ذلك ان قبيلة واحدة لا تتكلم بكلمة طوراً مهموزة ، وطوراً غير مهموزة ، ولا بالصاد مرة ، وبالسين مرة اخرى . وكذلك ابدال لام التعريف ميماً ، والهمزة المصدّرة عيناً ، كقولهم في نحو : أنّ ، عنّ ؛ لا تشترك العرب في شيء من ذلك ، انما يقول هذا قوم ، وذاك آخرون . » (انتهى)

وها انا ذا آتيك ببعض الامثلة على ذلك :

ابدال الهمزة هاء : ايّاك وهيّاك

〃 〃 عيناً : كتأ وكتع اللبنُ : اذا علا دسمُه

〃 〃 واوًا : أرّخ وورّخ — أكد ووكّد

〃 الباء ميماً : الظأب والظأم : يلف الرجل

〃 التاء طاء : الأقتار والأقطار : النواحي

〃 الثاء فاء : الحثالة والحفالة : الرديّ من كل شيء

〃 الحاء هاء : قحل وقهل جلدُه : اي يبس

〃 الحاء عيناً : بحثر وبعثر : بدّد

〃 الزاء صاداً : زمزمة وصمصمة : جماعة

〃 الدال لاماً : المكود والمكول : المحبوس

〃 الميم نوناً : النيم والنين : السحاب (١

وكذلك الامثلة التي اتى بها حضرة الاب للدلالة على ابدال الحاء تاءً ، منها تبحر وتبقر ؛ الحفاوة والقفاوة ؛ حرش وقرش . ففي جميعها المعنى واحد في كلا المبدلين ، طبقاً لما جاء اعلاه في قول ابي الطيب : « انما هي لغات مختلفة لمعانٍ متفقة . » فاذا فرضنا ان اللحم مبدل من اللقم ، فاين معناهما الواحد ، او مدلولاهما المتقاربان ؟ وفي العربية كما هي اليوم بين ايدينا ، متى يا ترى جاء اللحم، على لفظه بحرف الحاء ، بمعنى الخبز ؟ ثم اذا كان الامر متوقفاً على الابدال ، فانا ارى الاوفق جعل « اللُّقم » وهو البلع ، اي نوع من الاكل بمعنى الخبز ، فانه

١) راجع فصل الابدال في كتاب المزهر للسيوطي

اقرب الى اللحم من اللقم ، لكون الهاء والحاء من مخرج واحد ، ويكثر تعاورهما في اللغة . لكن لا اللَّهم ولا اللَّقم مما يدل على الخبز

زد على ذلك ان الابدال الذي استشهد به حضرة الاب المفضال هو من داخل اللغة العربية ، وظاهر من مقابلة خواصها بعضها ببعض . والحال ان المقارنة التي نحن في صددها جارية بين « لَحْم » و « لَحْما » من جهة ، وبين « لَحْم » من جهة اخرى ؛ اي بين لغات سامية مختلفة ، قائمة كل منها بذاتها ، ولها خواصها ، وقد افترقت الواحدة عن الاخرى ، منذ عشرات من القرون ؛ وليس بين لهجات ، او لغات ، داخلة ضمن دائرة لغة معلومة ، محدودة ، مثل العربية . والذي يزاول « الألسُنيَّة السامية » يعرف حقيقة ذلك ، اذ يطّلع على طريقة الابدال في تلك الالسن

الخلاصة عندي هي ان « اللحم » بالحاء ، لا يدل على الخبز ، او البُر ، او الطعام ، في اللغة العربية ، كما وصلت الينا ، وهي اليوم بين ايدينا . وان « اللقم » العربية ليست بمبدلة من « لَحْم » العبرية ، او من « لَحْما » الارمية ، وانها لا تطلق على الخبز ولا على الطعام ولا على البُر . انما معناها : طريقة من طرائق الاكل او صفة من صفاته وهي « السرعة والمبادرة اليه » وان كلمة « لحم » بعد ان كان معناها ، في السامية القديمة ، « القوت » تقيدت عند العبريين ، والارميين ، بالدلالة على الخبز او البُر ؛ وحصرت ، عند العرب ، بمدلول اللحم ، اي المادة المعروفة ؛ وهو ايضاً ، اي اللحم ، قوت كثير استعماله ، كاستعمال الخبز ، عند البشر عامة ، وعند الساميين خاصة

هذه هي الادلة التي حملتني على عدم قبول نقد حضرة الاب الاستاذ المفضال . ولذا فانا باقٍ على رأيي ، وله الاستمرار على نظره العالي . هذا وانا على يقين ان ما جاء به من النقد ، وما اتيتُ به من الردّ ، لأبعد من ان يكون سيء الاثر في ما بيننا من الصلات الوثيقة العرى ، صلات الصداقة ، والوطنية ، والغيرة على اللغة العربية . وعسى ان يكون هذا البحث كمثال يرى فيه ابناء اللغة خطورة « الالسنية السامية » وفوائدها الجمة ، فيميل الى درسها من يشعر في نفسه بالذوق والجدارة لمثل هذه العلوم ، والسلام.

بين الكلدان والموارنة

بقلم حضرة المتوري بطرس روفائيل الماروني (١)

وقعت بلاد الكلدان في حصّة مار توما الرسول فبشّر بالانجيل فيها ؛ وسار منها الى الهند . وممّن تخصّص لها رسولاً مار ادّي زعيم الاثنين والسبعين ، فطاف وتلاميذهُ جميع البلاد يعظون ويعلّمون ، يعمّدون المؤمنين ويسيمون عليهم الرعاة ، ويشيّدون الكنائس

وقد نال الكنيسة الكلدانيّة منذ الجيل الاوّل اضطهادات مرّة كانت تحصد اولادها حصداً . ومع مكابدة هذه المحن لم تزل تنمو وتزهو ، حتى قام تلامذة مدرسة الرها وفي مقدّمتهم برصوم ، فبثّوا البدعة النسطورية ، وكان اوّل بطريرك جاهر بها بابي سنة ٤٩٨ . فمنذ ذلك الحين انفصل الكلدان من شركة الكنيسة الكاثوليكية ودُعوا نساطرة

الّا انهُ وُجد بينهم ، في كلّ حين وآن ، اناس عرفوا ضلالهم وعادوا الى الكنيسة البطرسيّة منهم علمانيون وكهنة واساقفة . بل نرى عدداً من بطاركتهم قد حاولوا الانضمام الى رومية في توالي الاعصار

وفي الجيل السادس عشر زادت حركة الاتحاد انتشاراً ، فدخلت الكنيسة الكلدانيّة في طور جديد . وكان للربّان سولاقا في ذلك اليد الطولى والفضل الاكبر . كان هذا راهباً في دير ربّان هرمز ، بقرب ألقوش ، فانتخبهُ قسم من طائفته وارسلوهُ بصحف الى البابا يوليوس الثالث ؛ فلمّا شخص امامهُ اقرّ بالمعتقد الكاثوليكي ، فأمر البابا فقُلّد درجة الاسقفيّة في ٢٠ نيسان سنة ١٥٥٣ . وفي ٢٨ منهُ رُقّي الى الوظيفة البطريركيّة في كنيسة مار بطرس ، امام جمهور غفير من المؤمنين ، فاستلم درع الرئاسة المقدّس من يد البابا واتّخذ

(١) مقال من كتاب وضعهُ المؤلف في اللغة الافرنسية سيقدّم للطبع عنوانهُ :
« Le rôle des Maronites dans le Retour des Eglises Orientales »

اسم يوحنّا ورجع الى وطنه ، ودخل آمد في ١٢ ت ٢ سنة ١٥٥٣ . غير ان طائفته لم تتمتّع به طويلاً ، فان أعداءهُ ثاروا عليه واضطهدوهُ وكبّلوهُ بالقيود وحبسوهُ مدّة اربعة اشهر ؛ ثمّ شنقوهُ وألقيت جثّتهُ في النهر ، وكان ذلك سنة ١٥٥٥ (١

ولمّا كانت سنة ١٦١٠ رغب البطريرك ايليا السادس في الاتحاد ، فارسل الى الكرسي الرسولي الانبا آدم بصحف الاحترام والخضوع مع صورة ايمانه . فلم يصل الى عاصمة الكثلكة الّا سنة ١٦١٢ ، اذ انّهُ تأخر في طريقه ومرّ في لبنان ولقيَ عند الموارنة كلّ اكرام وترحيب ، وزوّدهُ بطريركهم يوحنا مخلوف كتابات توصية الى الحبر الاعظم طالباً اليه ان يأخذ الانبا آدم تحت رعايته ويعامله معاملة أب حنون ؛ كما يشهد بذلك البابا بيوس الخامس في براءته الى البطريرك يوحنا المذكور وناثيه جرجس عميرة مطران اهدن في ٨ نيسان سنة ١٦١٤ . قال : « قد رجع الى الهدى الراهب آدم ، موفد بطريرك بابل الكلداني ، الذي اوصيتمونا به بالحاح . فهذا بعد مباحثات طويلة مع علماء الكنيسة الرومانية ومجادلات كثيرة دامت نيّفاً وستة انار الله عقلهُ فخضع للحق ونبذ تعاليم نسطور وديوسقورس » (٢

ولما اتمّ الانبا آدم مهمّتهُ ارسل البابا معهُ الى ايليا البطريرك هدايا جليلة ، وكتب اليه يهنّئهُ على استعداده لقبول الامانة الكاثوليكيّة ، ويشير عليه بعقد مجمع تتوثق فيه عرى الاتحاد . وأردف اخيراً كلامهُ بقوله : « وأمرنا ان تُكتب وتُشرح بكل تدقيق جميع المواد التي تبرهنت لولدنا العزيز آدم رئيس ديرك ، وان تُستخرج على وجه الصحة الى اللغة الكلدانية وتُرسل الى أخوّتك » . وقد أمر البابا بترجمتها ليسهل على الكلدان امر رجوعهم الى الايمان والاعتراف به . امّا تلك المواد التي اشار اليها الحبر الاعظم فهي : اعمال مجمع افسس ؛ ورسالة مار كيرلس الموجّهة الى نسطور ؛ واعمال المجمعين الخامس والسادس ؛ ومنشور البابا اوجانيوس الرابع في الاتحاد ؛ فضلاً عن

(١ المشرق (٣ [١٩٠٠] ٨١٧ . . .)

(٢ P. Anaissi: Bullorium Maronitarum p. 125

براءة البابا الى ايليا البطريرك (١ ووكل الحبرُ الاعظم نقل هذه المواد من اللاتينية الى الكلدانيـة الى المارونيين اسحق الشدراوي ويوحنا الحصروني . وعهد اليهما ايضاً ان ينقلا رسائل ايليا البطريرك وصورة اقراره بالايمان من الكلدانيـة الى اللاتينية . فشمّر المارونيان عن ساعد الجد وانجزا بتدقيق مهمتهما كما صرّح بذلك البابا بولس الخامس للبطريرك يوحنا مخلوف المذكور آنفاً اذ قال : « وقد كان مفيداً جداً لتتميم هذه الاعمال (اي اتحاد بطريرك الكلدان مع الكرسي الرسولي) ولذا موجباً لارتياحنا الكلي الجهدُ المشتركُ الذي بذلهُ ولدانا الحبيبان يوحنا الحصروني واسحق الشدراوي ، تلميذا مدرستنا المارونيَّة ، اللذان ترجما كما يجب بكل امانة واجتهاد جميع الكتابات اللازمة من اللغة اللاتينيَّة الى الكلدانية ومن الكلدانيَّة الى اللاتينية . وهذا نطلعكم عليهِ لتعزيتكم الخاصَّة ولتعنوا كل العنـاية بان تساعدوا في هذا العمل متى علمتم انكم اشتركتم فيه بعض الاشتراك » (٢

ودفع البابا الى الانبا آدم براءة الى البطريرك الماروني فيها يعلمهُ بما عمل الانبا ادم وما جرى لهُ ويوصيه بان يستقبله بالمحبة ويُعدّهُ ابناً عزيزاً جـداً لدى الحبر الاعظم (٣

وارسل البابا الى الكلدان برفقة الانبا آدم الابوين اليسوعيَّين يوحنا ماريانى الروماني ، وبطرس الطوشي الماروني . (٤ وكتب رسالة الى البطريرك الماروني ، يوحنا مخلوف ، مؤرخة في ٨ نيسان ١٦١٤ وفيها انهُ اوفدهما مع الانبا آدم بناء على طلبه والحاحه ليكونا شاهداً عيانياً على حسن استعداد البطريرك الكلداني ومطارينهِ واساقفتهِ لقبول المعتمد الكاثوليكي ، ويُتمّا ارجاعهم الى حضن الكنيسة . وقد امر الوفدَين ان يعرضا على مسامع البطريرك الماروني كلّ ما حدث في رومية وما يقتضي عملهُ عنـد بطريرك الكلدان ، ويستنيرا

---

١) J. Al. Assemani: De Patr. Chald. et Nestor. p. 236

٢) P. Anaïssi: loc. cit., p. 126 ؛ والمشرق (٢٣ [١٩٢٥] ٤٢٥)

٣) Anaïssi: loc. cit.

٤) وُلد في قبرس سنة ١٥٥٩

بنصائحهِ الابوية ويعملا بموجبها. والحّ على البطريرك ، لثقتهِ التامّة بغيرتهِ وهمتهِ وسداد رأيهِ وحكمتهِ ، في مساعدتهما على قدر طاقتهِ واقهامهما ما يوافق اجراؤه ويجب مراعاتهُ ، ولفت نظرهما الى كلّ شيء مناسب (١ . ولكن هذه السفارة لم تسفر عن النجاح المرغوب بسبب تردّد البطريرك الكلداني وتذبذبهِ ؛ فانهُ كان كالسابح بين نهرين ، بين الكثلكة والنسطورية ، فطلب الى البابا ان يعهد حضور المجمع الذي امرَ بعقدهِ الى الرهبان الفرنسيسكان ، بدلاً من اليسوعيين (٢ فتنازل الحبر الاعظم واجاب الى ملتمسهِ (٣ . وفي سنة ١٦١٦ عقد رؤساء الكنيسة الكلدانيّة في آمد مجمعاً حضرهُ الاب توما دونوفار اوبيشيني ، رئيس دير الفرنسيسكان في حلب ، ورفيق لهُ الاب مرسلان دي شيفزّا (٤ . وفي السنة عينها أُرسلت قوانين هذا المجمع ورسومهُ الى رومية . ففوّض الكرسي الرسولي الى الماروني اسحق الشدراوي ترجمتها الى اللاتينيّة ومراقبة طبعها (٥ . وقد طُبعت بعناية بطرس سَتروزّ كاتب اسرار البابا بولس الخامس ، وقد كتب في مقدّمتها « ان المترجم هو الرجل التقيّ العالم ، اسحق الشدراوي الماروني ، الملقان في اللاهوت ، وتلميذ المدرسة المارونيّة في رومية » (٦ . ونقل الشدراوي ايضاً الى اللاتينيّة ثلاث قصائد مُدح بها الحبر الاعظم : واحدة للبطريرك ايليا ، واثنتان لجبرائيل مطران حسن كيفا ، نظمهما بعد اختتام مجمع آمد (٧ . ولمّا أطلع بولس الخامس على اقرار البطريرك الكلداني وإساقفتهِ ، المسجل في مجمع آمد ، لم يَرَهُ مطابقاً من بعض الوجوه للرأي المستقيم ؛ فاجاب على هذا الاقرار ببراءة محرّرة في ٢٩

١) Anaissi: Bull. Maronit. p. 127

٢) شيخو : الطائفة المارونية والرهبانية اليسوعية ، صفحة ١٠٨

٣) Giamil: Genuin. Relat. n° XL, p. 189 s.

٤) Rabbath: Docum. Inéd. II, p. 426

٥) المشرق (٣ [١٩٠٠] ٢٤٢)

٦) Strozza : Dogmata et Synodalia Chaldaeorum, p. 54 s. ؛ المشرق

٧) Giamil : Genuin. Rel. p. 105, (٢٣ [١٩٢٥] ٤٢٦)

Strozza ; Ibid. ؛ المشرق (٢٣ [١٩٢٥] ٤٢٦)

حزيران ١٦١٦ فيها اشار الى المواضع المغايرة للتعليم الحقيقي (١

وفي سنة ١٧١٩ جاء القس اندراوس اسكندر الماروني الى مدينة الموصل مرسلاً من قبل البابا اقليمنضوس الحادي عشر ، ليشتري المكتبة الواتيكانية ما يقع تحت يده من المخطوطات عن النساطرة وغيرهم (٢ . فبقي ثلاثة ايام في الموصل دون ان يجد له مساعداً بين الكاثوليكيين الى ان دلّوه على القس خدر صاحب كُتّاب ، فارسل يدعوه اليه وكشف له سرّاً مهمّته وقال : « يا اخي القس خدر انا جائي من طرف البابا اشتري كتباً وما يقدر احد غيرك يقضي لي هذه المصلحة لكونك صاحب اسكول ولك جاه عند الناس » فقال له القس خدر : « حبّاً وكرامة على الراس والعين لاجل كرامة البابا اقضي لك ايش ما تريد (٣ » . ثمّ اخذه القس خدر الى بيته هو وشماسه ميخائيل حوّا الحلبي الماروني . فاقاما عنده يأكلان ويشربان مدّة شهرين ، ولم يدعهما يصرفان شيئاً من مالهما . ولمّا اشترى القس اندراوس ما شاء من الكتب

---

١) Giamil: op. cit. n°XLVII. p. 160 etc; Rabbath. Doc. II p. 427

٢) القس اندراوس ولد في قبرس . هو احد تلامذة مدرسة الموارنة في رومية ؛ استخدمه الاحبار الاعظمون في جمع المخطوطات الشرقية من مصر وسورية وما بين النهرين . فبعد اتعاب شاقة واخطار كادت تذهب بحياته جمع منها جانباً كبيراً ؛ واشتغل مع الساعنة لطبع بعضها . راجع المشرق (١٣ [١٩١٠] ٥٨٣) ويوسف لويس السمعاني في كتابه « De Patr. Chald. et Nest. Comm. » صفحة ٢٢٠ . توفي نحو سنة ١٧٤٠

٣) القس خدر ولد سنة ١٦٧٩ وكان تابعاً للبدعة النسطورية ثمّ فتح لبني طائفته مكتباً يعلّم فيه ويبقى في التدريس نيفاً وثلاثين سنة . وقد رقّاه بطريركهم الى درجة الكهنوت في اثناء ذلك . قيل ان اهتداءه تمّ في سنة ١٧٠٠ على يد المرسلين الكبوشيين . اما يوسف لويس السمعاني ، الذي عرف حقّ المعرفة القس خدر ، وعاش بقربه في رومية سنين عديدة صديقاً صدوقاً مخلصاً ، فيؤكد ان اهتداءه تمّ على يد القس اندراوس اسكندر والله اعلم (راجع De Patr. Chald. et Nest. Commentar. p. 240) وغضب النساطرة عليه لجحوده بدعتهم ولمساعدته القس اندراوس اسكندر المرسل البابوي في جمع المخطوطات الشرقية من بلادهم . فتهدّدوه بالقتل فهرب الى رومية ووصل اليها سنة ١٧٢٥ ومات فيها سنة الابرار سنة ١٧٥٥ . وترك عدّة مؤلفات منها معجم كبير في ثلاثة مجلدات في الارامية والعربية والتركية واوصى بتروكاته لمجمع انتشار الايمان . وهو الذي سعى لدى الكرسي الرسولي لتأسيس الرسالة الدومنيكانية في بلاده سنة ١٧٥٠

العربيـة ، والكلدانية ، والسريانيّة ، واراد الرجوع الى رومية ، قـال القس خدر « يا اخي ان البابا اقليمنضوس قـد وصّاني ان اجيب ولـدين من اولاد النـاطرة ليتعلّما في مدرسة انتشار الايمـان . وانا قد ابصرت هذا كوركيس منهم عقلهُ طيّب لغاية اريد ان تعطينيه لأوديـهُ معي ليتعلّم العلوم ويرجع » ولم يذهب كوركيس مع القس اندراوس ، انّما صحب القس خدر في سفره الى رومية وأُدخل في مدرسة انتشار الايمان سنة ١٧٢٥ (١

وفي سنة ١٧٣٥ أوفد الكرسي الرسولي الى الشرق الخوري اسطفان عواد الماروني لقضاء اشغال تختصّ بارتداد الاقباط والنـاطرة ، فلمّا تيقّن بطريرك النـاطرة انبطريرك الاقباط قد أذعن لأمر المجمع المقدّس وخضع ، بعث بمندوب الى الخوري اسطفان ليأتيهُ بالتعليمات الضروريّة للاتحاد مع الكنيسة الرومانيّة . فارسل اليه الخوري اسطفان صورة الاقرار بالايمان ليتلوها ويوقعهـا بامضائهِ . فحملها الموفَد ورجـع مسرعاً الى بطريركهِ فعمل هـذا بموجب اشارة الخوري اسطفان . ونعلم ذلك من السيد يوسف السمعاني فانهُ كتب سنة ١٧٣٦ الى الكردينال دي فلوري يوصيهِ باسطفان عواد ، وكان سيم اسقفاً على حمـاة ، قال : « ان هذا الاسقف هو مُنتدب الى فرنسا ليطلب باسم بطريرك الموارنة حماية ملكها وقد رقّي الى درجة الاسقفية خصوصاً لاجل مكافأتهِ على مـا تكبّدهُ من الاتعاب والمشقات في مصر وفي سورية وما بين النهرين ؛ وقـد اصاب نجاحاً في مهماتـهِ اذ اقنع بطريرك الاسكندريّة القبطي برئاسة الحبر الروماني ، فاعترف بها وكتب رسائل طافحة بعواطف الخضوع لقداستهِ . وحمل ايضاً بطريرك بابـل النسطوري على ان يعترف بالايمـان الكاثوليكي ويرسل كتابات الخضوع والطاعة الى قداسة البابا والى مجمع انتشار الايمان المقدّس (٢ »

وفي بدء الجيـل التاسع عشر مرض ، في مدينة ماردين ، احد تجّارهـا الاغنياء ، جبرائيل دانبو الكلداني ، مرضاً عضالاً امتنع شفـاؤه ولكن الله

---

١) المشرق (١٣ [١٩١٠] ٥٨٤و٥٩٣)

٢) بليل : تاريخ الرهبانية اللبنانية — المجلد الاوّل ، صفحة ٢٠٧ وما يليها ; Doc. Inéd. I, p. 182.

ابرأهُ باعجوبة فترك اشغالهُ والعالم ووجه نظرهُ وافكارهُ الى الحياة الرهبانيَّة ؛ فصادف احد المرسلين الكرمليين ، ففحص دعوتـهُ ثمَّ اشار عليهِ بالسفر الى جبل لبنـان ليمرّن نفسهُ في الصوامـع والاديرة على عيشة الزهد تحت تدبير الرهبان الموارنة التابعين لقوانين مار انطونيوس الكبير . فمكث دانبو بضع سنين في لبنان . ثم رجع الى بلاده نحو سنة ١٨٠٣ عازماً على ان يجدّد فيها حياة النسّاك . وكان بالقرب من الموصل دير متزعزع الاركان خاوٍ خالٍ لـهُ شهرة بعيدة في التاريخ اعني بهِ دير القديس هورميزدا المشيَّد في اواخر الجيل السادس . فأصلح فيـهِ ما امكن واحتلّـهُ نحو سنة ١٨٠٨ وبعدة وجيزة صار ابأ لاولادٍ كثيرين وافوهُ ورغبوا في العيشة معهُ ، تابعين قانون الرهبان الموارنة . ودفعوهُ الى ان يتقلد الدرجـة الكهنوتية ، فترقّى اليهـا سنة ١٨١١ ، وقضى سنين يهذّبهم ويدرّبهم على التقوى واعمال الغيرة والتبشير . ولما رأى مؤسّسـهُ هذا ثابتاً يانعاً مثمراً ، والاقبال عليهِ من كل فجّ وصوب ، عزم على السفر الى روميـة لاجـل تثبيت جمعيتهِ الجديدة ؛ فاستصحب الابوين بولس جنـدي وفيليبوس التلكيي . ولما اجتاز لبنان صادف عند الموارنة كلّ ترحاب فابقى بينهم الاب فيليبوس لعسره المالي ، وتوجّه مع الاب بولس الى المدينة الابدية (١

ظلّ في عاصمة الكثلكة نحو ثلاث سنين مكرَّماً محبوباً من الجميع . وفي سنة ١٨٣٠ عوّل على الرجوع الى وطنهِ ، فرافقهُ الابوان الكلدانيان ارميا وانطون . امّا الاب بولس فجعلهُ وكيلاً لهُ لدى الكرسي الرسولي (٢ وعند الوداع سلمهُ الكردينال كابلاري رئيس المجمع المقدَّس كتاب توصية الى البطريرك يوسف حبيش نذكر نصّهُ كما هو في سجلّات البطريركية المارونيَّة وهو مؤرخ في ١٢ حزيران سنة ١٨٣٠ قال : « ان حامل مكتوب مجمع انتشار الايمان المقدَّس هذا لسيادتكم هو الاب جبرائيل دانبو ، رئيس رهبان دير القديس هورميزدا الكلدانيين ، الذي بعد ان قطن في مدينة رومية هذه مدة نحو ثلاث سنوات لاجل الغاية الاخص في مجيئهِ الى ههنا ، وهي لكي يستند

(١ Rev. Orient Chrét. XVI p. 117

(٢ Rev. Orient. Chrét. XVI p. 349

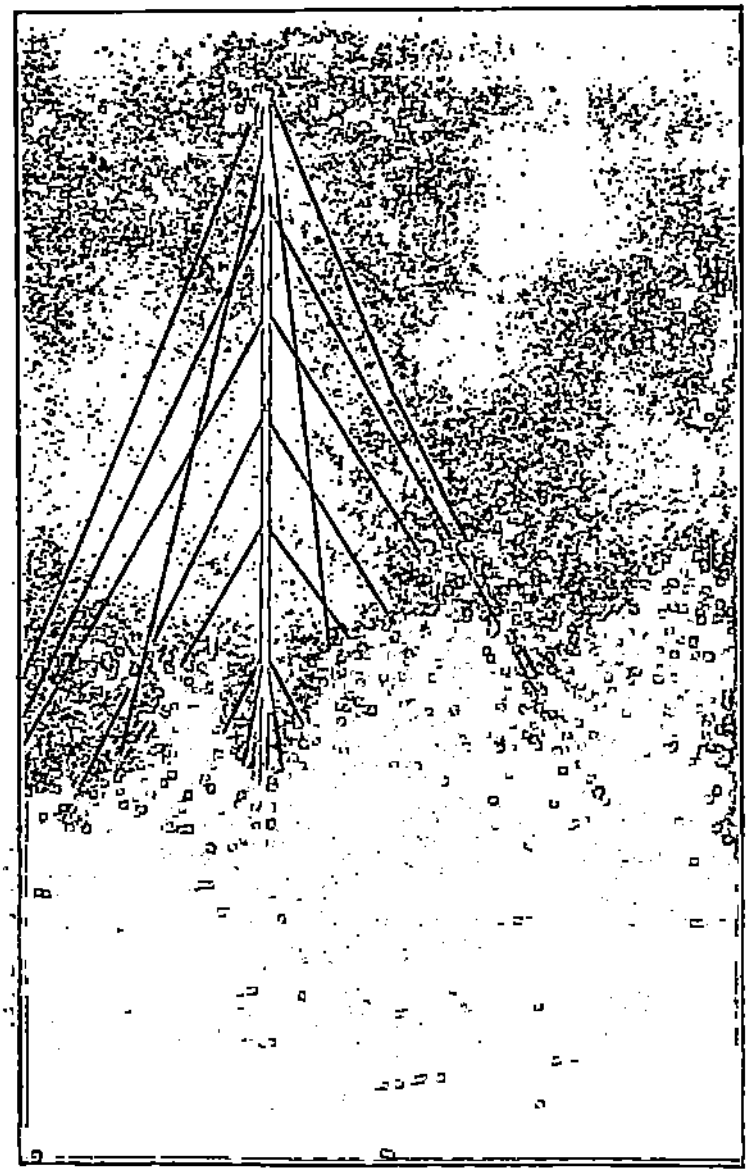

الرسم ٥ : منظر خارجي لمركز خلده

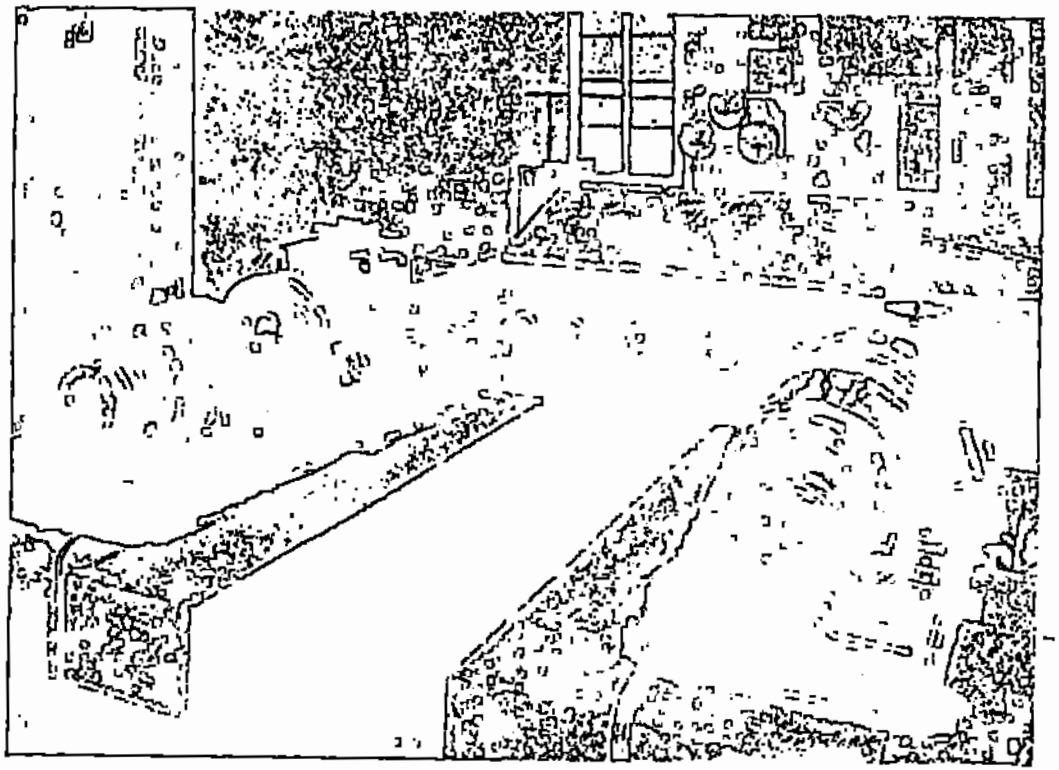

الرسم ٦ : منظر الآلات في مركز خلده

من المجمع المقدس نفسه تثبيت قانون رهبنته وفرائضها ، هو الآن آخذ بالرجوع الى وطنه . على انهُ قد حصل متأكدًا بطمأنينة من قِبل المجمع المقدس عينه ان القوانين والفرائض الرهبانيَّة المذكورة قد حازت التثبيت ؛ وانهُ ، حالما يكون الدير المذكور رجع الى حالته الاولى ، فحينئذٍ يصير ارسال المنشور الحكمي الملاحظ التثبيت المرقوم . ولقد يضحي لدى المجمع المقدَّس امرًا مقبولًا في الغاية ان يتحقق عندهُ ان سيادتكم تكونون احتضنتم الاب دانبو في حين اجتيازه على بلادكم بلطافتكم وعذوبتكم الخصوصية وبروح الحب المسيحي الممتازة بهِ سيادتكم ، معتبرين اياهُ بحسبما انهُ لاجل سيرتهِ ذات الحكمة والنموذجات المعتبرة القريب التي اظهرها باثبات راهن بمدة سكناه في رومية . فالمجمع المقدس قد اعتبرهُ مستحقًا ان يتخذهُ تحت حمايتهِ الخصوصية . ثم انهُ لما كان اخيرًا امرًا مرغوبًا جدًّا ومشتهى لدى المجمع المقدس ان الدير المذكور اعلاهُ يرجع بالحقيقة الى ما كان عليهِ قبلًا ، فهذا المجمع المقدس نفسهُ سينظر بلذَّة وسرور عظيم ان سيادتكم ايضًا تكونون تساعدون الاب دانبو بتلك الوسائط التي تقدرون عليها في شأن الترجيع المنوَّه بهِ . فانا في الوقت الذي بهِ اعلن لسيادتكم هذه المرغوبات والقضايا الصادرة عن ارادة المجمع المقدس بنوع مشاع ومشترك وهي طبق اشتهائي بنوع خصوصي ، ففيهِ عينهِ احقق لسيادتكم معرفة الجميل الذي جميعنا نظهر ذواتنا مديونين لكم بهِ لاجل الملاحظات والعنايات العتيدون انتم ان تحتضنوا بها الاب القانوني المذكور . ثمَّ اني اقدم ذاتي لسيادتكم من كل القلب خادمًا كلي الود (١) » .

فقابل البطريرك الماروني الاب دانبو بكل ترحاب وتأهيل ومحبَّة ، نظرًا لفضائلهِ الممتازة ، وبناء على توصية الكرسي الرسولي ، وسلمهُ بيده خطًّا مؤرخًا في ١٣ آب سنة ١٨٣٠ موجَّهًا الى كل اولاد طائفتهِ من اكليروس ومشايخ وعلمانيين ، راغبًا اليهم ان يُحسنوا استقباله ويمدّوا اليهِ يد المساعدة وهذه حرفيَّتهُ : « ان كل ناظر وسامع فليكن على تحقيق انهُ لقد حضر لعندنا الاب

١) سجلات البطريركية المارونية ـ المجلد الثالث : صفحة ٢٦٨

جبرائيل دانبو ، رئيس رهبان دير القديس هورميزدا الكلي الاكرام ، وسلّمنا تحرير التوصي فيه لنا من نيافة رئيس مجمع انتشار الايمان المقدس المسطّر في اليوم الثاني عشر من حزيران بهذا العام ؛ ويذكر سموّهُ عن ولدنا الكاهن المذكور انهُ استحق ان يؤخذ تحت حماية نيافته الخصوصيّة ، ويظهر لنا وافر انعطافه لان يُحتضن منا باللطافة والبشاشة وبروح الحبّ والود المسيحي وان توسّلاته في رومية انقبلت في شأن اثبات قانون رهبنته وفرائضها . ومن ثمّ قد قبلناهُ باوفر اكرام وأتمّ لائق وسلّمناهُ سطورنا هذه لايضاح ما ذكرناهُ ولكي هو ورفيقيه الكاهنين الكلدانيين انطون وارميا ، يُقبلا في كنائسنا ويخدما بها القداس الالهي حسب طقسهم الكلداني المقبول من بيعة الله » (١

فبعد ان نال الاب دانبو من الموارنة بعض المساعدات وترك بينهم الاب انطون ، واصل سيره الى بلاده مع الاب ارميا (٢ وشرع حالًا في التبشير . لكنّ الله رأى ان خادمهُ هذا قد تاجر بالوزنات المسلّمة اليه وربح ، فاحبّ ان يُسجّل عملهُ بدمهِ ففي سنة ١٨٣٢ قتلهُ جنود محمّد باشا امير رواندوز الكرديّ ، الذي كان رفع لواء العصيان على السلطان ، وأخرب قيماً كثيرة ونهب دير الربّان هورميزدا (٣ . فكان دمهُ خصيباً اذ نمت جمعيّتهُ وانتشرت اعمالها ، وقدّمت للطائفة الكلدانيّة كثيرًا من رعاتها اساقفة وبطاركة (٤ وقد ثبّت الكرسي الرسولي قوانينها سنة ١٨٤٤ (٥ واما دير القديس هورميزدا فظلّ له المقام الاول ويخضع لهُ ديران: دير مار جرجس الذي تجدّد سنة ١٨٦٢ ، ودير مرت مريم الذي تاسس سنة ١٨٥٨ ، والاديرة الثلاثة قائمة شمالي الموصل

وسنة ١٨٣٧ ، أنفذ المجمع المقدس راهبين يسوعيّين وهما الابوان منصور ريلّو وبولس ويكادونا الى بلاد الكلدان ليحققا في حال الامور ، اذ اخذ

(١ سجلّات البطريركية المارونية – المجلد الثالث ، صفحة ٢٦٩

(٢ Rev. Orient Chrét. XVI, p. 349

(٣ Journal Asiatique, X^e série, t. VII, p. 480

(٤ Rev. Orient Chrét. XVI, p. 354

(٥ Martin : La Chaldée, p. 78

المجمع المقدس يرتاب في خلوص الاجراءات التي اتى بها القاصد الرسولي السيد تريوش (Trioche) فاستدعيا شابين مارونيين ليعاوناهما في اتمام مهمتهما

ومما يشهد على عظم محبة الموارنة للكلدان رسالة مؤرخة في ٢ آب سنة ١٨١٩ ارسلها مطران حلب الماروني ، جرمانوس حوّا ، الى الشيخ بشاره الخازن في لبنان فيها يوصيه باحد الكلدانيين ويقول (١ : « لا يخفى فطنتكم بان طائفة الكلدان في حلب هم مغلوبون ومحسوبون في عدد انفار طائفتنا المارونية حتى في الروحيات بعلم المجمع المقدس كما تفهموا ذلك من غبطة السيد البطريرك الكلي الطوبى (٢ »

اسباب الفتن والاضطهاد في المكسيك

بقلم الاب فرديناند تونل اليسوعي

ذكرنا في مشرق العام الماضي (اذار) دستور الجور الذي اجرت سنته في كنيسة المكسيك الكاثوليكية حكومة الرئيس كالس وشيوعه فان بنود ذلك الدستور تجحف بحقوق الدين من وجوه عديدة : تارةً فيما يخصّ الخدمة الدينيّة والرهبانيات والاوقاف ، وتارةً فيما يخص التعليم الديني وحرية الايمان . وقلنا كيف اخذت القوة تنفذ شرائعها فاصطدمت بعواطف الشعب المسيحي وثارتها . فدعا الاساقفة رعاة المؤمنين ابناءهم الى المقاومة السلمية ، طبقاً للتعليم الكاثوليكي المخوّل المؤمنين حق مصادرة حكام الظلم مصادرةً سلبية فيكفون عن الاشتراك بالحياة الاجتماعية والمدنية العامة . فأغلقت الكنائس وانقطع الكهنة عن الخدمة الدينية واشتدت وطأة الازمة الاقتصادية والمدنية ، وانما غايتها عرقلة اعمال الحكومة والجاؤها الى الحياد عن منهج الظلم والسلوك في سبيل الرشاد والعدل

١) شبلي : حياة الدويهي ، صفحة ١٤٤

٢) يشير الى البطريرك يوحنا الحلو

على انه قد تألف حزب مقاوم للحكومة ضمّ اليه نخبة من قواد الجيش وغيرهم ممن أبوا الا مناهضة العنف بالعنف ، واشهار الحرب على حكومة مستبدة ، ولم يبقَ لها ، في نظرهم ، حقٌ في تدبير شؤون الامة . فنشبت نيران الحرب الاهلية وظلت مضطرمةً سحابة العام السابق ، فعاثت في الارض فسادًا ، حاولت حكومة كالس ان تكتم امره عن الشعوب المتمدنة ، فلم تنجح ؛ لان بعض المجلات والجرائد تناولت اخبار المكسيك واشاعتها فعلمنا منها ان كالس يعدّ الكاثوليك طرًّا خصوماً لحكومته ويضطرهم ، اينما وُجدوا ، صغارًا او كبارًا ، الى الاشعار باذعانهم لاوامره . وكان منهم هؤلاء الشبان الابطال الذين فضلوا الموت الاحمر على الفوه بكلمة يمكن تأويلها بالخيانة لمباديهم الدينية فلمّا تقدم اليهم العسكر بالصراخ « ليحيَ كالس » خشوا ان تكون تلك الصيحة عنوانًا لرضاهم عن شرائع الكفر ، فصاحوا «ليحيَ يسوع الملك» وقُتلوا في سبيل الايمان

ومن امثالهم كثيرون بعضهم شُهرت اسماؤهم على رؤوس الملا ، وبعضهم ظلّ امر عذابهم وموتهم مبهماً لا يعلمه الّا الله

على ان دعاة الكفر واعداء الكثلكة اتخذوا من آلام الكنيسة فرصة ليشمتوا بها ونسبوا اليها اسباب الفتن فقالوا ان مساعيها قد اخفق في تهذيب الشعوب المكسيكية ، وقالوا انها لم تحسن التفاهم مع حكام البلاد ، وقالوا انها تدخلت في شؤون البلاد السياسية لاغراض كان الاولى بها ان تتنزه عنها

ولما كانت الحروب الاهلية ليست ابنة يومها ، بل هي داء المكسيك المزمن وعلتها الناهكة من قديم الزمان ، فلا بد من التفتيش عن اصلها في حياة الامة . فنميز بين اسباب الفتن البعيدة ، واسبابها القريبة . فالبعيدة اصلها في طبيعة البلاد وهيئتها لان اصقاعها وربوعها ، واختلاف الانواء فيها ، لا تصلح لجمع شتات القبائل لتضمهم وتجعلهم امة واحدة . وثروتها الطبيعية الوافرة تجعلها هدفاً للمطامع . فضلًا عن ان الفتح الاسباني حمل الى المكسيك العنصر الاوروبي الابيض ، والعنصر الافريقي الاسود ، فزاد في تقسيم الاهالي . اما اسباب الفتنة القريبة فهي اولًا تدابير السياسة التي تسعى في اذكاء جذوة الفتن كيما يتاح لها ان تبسط

حمايتها على البلاد وتستغل خيراتها وثانياً دسائس الشيوعية التي لا تألو جهداً في بث روحها المسمومة اينما وجدت الى ذلك سبيلاً ، على رجاء ان ينتقل الحريق من بلد الى بلد ومن امة الى امة فيحدث الانقلاب البشري العظيم طبقاً لمبادئها وهذا جل مبتغاها . تلك حوادث تاريخية لا ريب فيها نسردها على علاتها ، فيكون القارئ على بينة من حقيقة موقف الكنيسة الكاثوليكية في المكسيك

١ً اسباب الفتن البعيدة

هيئة البلاد وجغرافيتها

﴿ موقعها ﴾ المكسيك بلاد واسعة موقعها في امريكا الوسطى بين الدرجة ١٥ والدرجة ٣٢ من العرض الشمالي ، يمتد احد نصفيها في مناطق الخط الاستوائي والآخر في القسم الحار من الاقاليم المعتدلة

﴿ حدودها ﴾ شمالاً الولايات المتحدة ، وجنوباً بلاد غواتيمالا وهندوراس ، وشرقاً بحر الانطيل وخليج المكسيك ، وغرباً الاوقيانوس الباسيفيكي

﴿ مساحتها ﴾ تناهز الالفي كيلومتر مربع فتوازي اربعة اضعاف مساحة فرنسة ، وستة اضعاف مساحة الجزائر البريطانية الكبرى . تناسب ثلث مساحة الولايات المتحدة ، وثلث كندا ، ونصف الارجنتين ، وتكاد تعادل مساحة البيرو

﴿ مناخها ﴾ وقد يقسمون البلاد المكسيكية ، بحسب تنوع الأهوية فيها ، الى اربعة اقاليم الاول قطر يوكاتان على شاطئ خليج مكسيك ، وهو حار الهواء كثير الزوابع والامطار ، لا يعيش فيه الجنس الابيض من البشر الا بالجهد ولا يقوى على استعماره . والثاني الاقطار المجاورة للمحيط الباسيفيكي ، وهواؤها اشبه باهوية السواحل على البحر المتوسط ، انما هي حارة قليلة المياه . والثالث النجاد العالية والسهول المتخللة الجبال في الداخلية ، فشتاؤها بارد يابس وصيفها شديد العواصف مطير . والرابع هي الفلوز المنبسطة في الشمال وقد تزداد محلاً وقحطاً كلما امتدت نحو حدود الولايات المتحدة

﴿الجبال والمياه﴾ ان مستوى السهول في الداخلية يتفاوت علوهُ بين ٢٠٠٠ و ٣٠٠٠ متر يتخللها جبال لا يزال بعضها مداخن لافواه بركانية ، وفيها قمم يبلغ علوها ٤٠٠٠ او ٥٠٠٠ متر فوق سطح البحر

والجبال الغربية واقعة بالقرب من البحر فلا تفسح مجالًا بينها وبينه للانهار الغزيرة المتناوبة السير عن ينابيعها الا في النادر . اما مياه الوجه الشرقي فلا تصلح للملاحة لما يعتورها من هضاب وبطاح : تارة تنحبس في بحيرات وطورًا تنصبّ من اعالي الصخور بشلالات يمكن استخدامها « فحماً ابيض » لتوليد الكهرباء . على ان قواها باغلبها تضيع سدًى لان المعامل قليلة في المكسيك ، ولا تزال الصناعة فيها واهنةً ضعيفة بالنسبة لما في البلاد من وفرة المواد الاولى

﴿ ثروة المكسيك ﴾ لو وحّد السكان كلمتهم واتفقوا على استثمار خيرات بلادهم لجعلوها من اغنى بلاد الله . فان اختلاف الارياح وتنوع الاقاليم جهزها بمحصولات المناطق المعتدلة من الكرة الارضية ، فرصعها بالزيتون والصنوبر والسنديان والبرتقال والليمون والكرمة ، وانبت فيها الحنطة والذُرة واللوبياء والتبغ ، وزينها بنباتات المناطق الحارة كالموز والجوز الهندي والبلح والعنبا . وقصب السكر والقطن والقهوة والشانيل ، وانواع الاخشاب الثمينة كالصندل والابنوس والسندروس والكرتشوك والبقم . وقد تصلح متسعاتها الشمالية لتربية الخيل والبقر

وليست المحصولات الزراعية الا جزءاً جزئيًا من خيرات تلك البلاد العجيبة؛ وثروتها العظمى هي في معادنها المتسرّبة عروقها من الشمال الى الجنوب فهي مستودع يُستنبط منهُ الذهب والفضة والزيبق والنحاس والكبريت والرصاص والزيت المعدني بكميات وافرة . وفيها مقالع المرمر واليصب الثمين واماكن يعثرون فيها على الاحجار الكريمة كالزبرجد (topaze) والجمست (amethyste) والعقيق اليماني (agathe) والزمرد والسيلان . ذلك ما حمل العلماء على تلقيب المكسيك « باجمل جوهرة تُرصّع بها اكليل الباسيفيك » وهذا الاكليل يعنون به سلسلة الجبال الممتدة من شمال امريكا الى جنوبها على الشاطئ

الغربي يخالها الناظر اليها من البحر اكليلاً جميلاً فخماً يتوّج جبهة المياه على الآفاق

فيبدو من وصفنا ان بلاد المكسيك تكاد تضاهي جنة عدن بخصبها وغناها على ان يقوى سكانها على تعميرها . فهل فيها شعب واحدٌ نبيهٌ ميالٌ الى الحضارة يعيش في بلاده مستقلاً ويستغلّ خيراتها بامن وسرور ؟

السكان واخلاقهم

يبلغ عدد السكان في يومنا نحو ١٥،٥٠٠،٠٠٠ نفس وينقسمون بحسب ارومتهم الى زنوج وهنود واسبان

فالزنوج اصلهم من افريقيا أُكرهوا على ترك بلادهم ، على عهد كان فيه استعباد الانسان مباحاً حتى عند الشعوب المتمدنة . وكان الزنوج يعملون مسخرين لحساب الاسبان ، ولم ينمُ عددهم في البلاد المكسيكية اما لانهم لم يكن معهم نساء من ابناء جلدتهم ليتزوّجوهنّ واما لانهم امتزجوا مع سائر السكان الوطنيين فضاع اثرهم

اما الهنود فهم سكان المكسيك الاصليون ولعلهم وصلوا اليها عن طريق الشمال من اسيا وبرغاز بيرنغ . وكان ما بينهم شعوب كثيرة منها المايا والاوتوميس وغيرهم . وظهر في المكسيك نحو العصر السابع للمسيح قوم دُعوا تولتيك كانوا ذوي تمدن وعمران ثم تلاهم شعب الشيشيمك ، وبعدهم الازتك وكان هؤلاء ارباب صناعة وفن وبأس في الحرب . فبنوا مدينة مكسيكو وفتحوا الطرق ورفعوا الاسوار وشادوا الهياكل والقصور . على ان قبائل كثيرة من الوطنيين كانت تعيش في مجاهل البلاد ، في حالة وحشية ، تتفانى في حروب مستديمة وتفتك بعضها ببعض فتك الوحوش الضواري

ولما كانت مظاهر الديانة في الشعوب اصدق شاهد على اخلاقها وحالتها النفسية ، فما من برهان على شراسة اخلاق المكسيكيين الاولين اوضح من وصف ديانتهم كما كانت عليه قبل الفتح الاسباني ليكون القارئ على بيّنة من الانحطاط الذي انتهت اليه تلك الشعوب الهمجية

ديانة المكسيكيين الاولين

كانوا في البدء يعبدون الشمس والقمر ويقدمون لهما قرابين الاثمار من محصولات الارض. لكنّ عادة الحروب وسفك الدماء لم تنفك ان قسّت قلوبهم فدفعتهم الى الاستعاضة عن اثمار الارض بلحوم بني آدم ودمائهم . فطحنوا القمح وعجنوه بدم الاطفال والعذارى ، واحرقوا الاهلين ، ومزجوا رمادهم بدم بنيهم عجيناً يستغفرون به الالهة لعلها تغفر الذنوب

وما لبثت عواطف الهيبة والخشية الدينيّة ان ازدادت فيهم فتورّطوا بافعال هائلة تقشعرّ الابدان لذكرها، منها انهم جعلوا يمزقون لحومهم، وهم احياء، ويحرمون انفسهم الطعام والنوم اياماً عديدة حتى ادّى بهم صيامهم الوحشي الى الجنون . في العهد القديم كان بنو آدم يقدمون ذبائح الحيوانات ولا يزال بعضهم الى يومنا يقدمها كفارةً عن الذنوب . اما المكسيكيون فاستعاضوا عن البهيمة بالبشر يأخذونهم احياء فيفتحون صدورهم ، ويقتلعون افئدتهم ، ويمتعون النظر بغليان دمهم الفوّار، وصارت لحوم الاطفال ودماؤهم طعاماً وشراباً لولائمهم الدينية

قال اليزه ركلو في كتابه المتون الجغرافية العامة (المجلد ١٧ الوجه ١٠٤ وما بعده) :

« على سفوح جبل «بوبوكاتيتل» الشمالية ، وفي علو اربعة الاف متر ، مقبرة « تلتيلكو » اكتشفها المسيو شارني وهي لا تحتوي الا عظام اطفال : هياكل عددها يحصى بالمئات ولا شك ان المكسيكيين قدموها ذبائح لاله رؤوس الجبال التي منها تنحدر الرياح والسحب

في الحفلات الدينية الكبرى ، كانوا يحرقون من الدماء ما يجري سواقي حول المذبح . في اواخر القرن الخامس عشر لما احتفل الملك « احويزتل » بتدشين معبد مكسيكو المشاد اكراماً لإله الحرب ، امر بنحر ثمانين الفاً من الاسرى . على ان هذه المذبحة صارت في حفلات متوالية ما جلس ملك على العرش الا استهل ملكه بصيد البشر ليجد منهم ما يكفيه مؤونة الذبائح . كل شهر من اشهر السنة الثانية عشر كان مكرساً لذبح انسان . فتعاهدت القبائل على الجهاد لتتمكن من الحصول على الضحايا الضرورية للخدمة الدينية . ولم يكونوا يبنون اساساً لهيكل إلّا مطلياً بدماء الاسرى الملطّخة بها الاحجار الكريمة والمعادن الثمينة ومحصولات الارض . هي البنايات ملطخة بدماء مسودة ، مكتظة بلحوم طرية او منتنة او محروقة . يا لها من مناظر هائلة . وقد كان لبعضها مداخل او ابواب على هيئة الفوهة والجماجم معلقة على جانبيها بالمئات وبالالوف . وبالقرب منها

كانت اهرام من الجماجم كل هرم يجمع مئة الف جمجمة ونيف. وكان لهم عيد في العام يدعى عيد السلخ يظهر فيه كهنتهم مرتدين جلود الذبائح ملوثين بدمها الاحمر »

وان اليزه ركلو الذي يصور الفتح الاسباني بالوان سوداء ويغالي بتشويهه ، لا يتمالك مع ذلك ان يقول في ختام وصفه لديانة المكسيكيين الاولين واخلاقهم :

« جاء الفتح الاسباني المرعب بقساوته ، انما هو عهد سعادة للمكسيكيين بالنسبة الى ما كانوا عليه قبلاً. فانه انقذهم من وهدة القضاء المبيت الى عالم جديد ، عالم التضامن الانساني ، واضطرهم الى الدخول فيه اضطراراً. »

الفتح الاسباني

ليس غرضنا التوسع في ذكر تاريخ المكسيك ، وحسبنا توفية لحق موضوعنا التنبيه بالايجاز الى طريقة التبشير التي اتبعها المرسلون الاولون الذين دخلوا البلاد مع الفاتحين . دُعي الوطنيون الى المسيحية فتهافتوا عليها تهافت الجياع على الطعام، ليس فقط عن نية روحية رغبةً بالحياة الاخرى. ولكن كثيرون منهم اندفعوا اليها طمعاً برضى اسيادهم الاسبان وتخلصاً من دينهم الوحشي المتعطش الى الدماء.

ومما لا ريب فيه ان بعض المبشرين اسرعوا في صبّ ماء المعمودية على الالوف دون ان يعتنوا بهم العناية الضرورية في تهذيب الاخلاق وتثقيف العقول وتلقين مبادئ الدين ، كما هي العادة المألوفة في ايامنا ، في تنصير غير المؤمنين. فان جموعاً من الهنود المكسيكيين تنصروا وظلوا ملازمين عبادتهم لآلهتهم .

ولو ان الاسبان الفاتحين جهدوا كلهم في تثقيف الوطنيين ورعايتهم، لكانوا تدرّجوا بهم الى ممارسة الحياة المسيحية وفضائلها ، ووضعوا فيهم ركن المدنيّة الحقيقية. لكن الطمع البشري دأبه المكسب واستغلال البلاد وسكانها ، فاحتقروا الوطني الهندي وان معمداً ، وعاملوه بالعسف والقساوة . فاحدثوا شقاقاً وتنافراً بينهم وبين الاهلين لم يقوَ الزمان على ازالته

ومما زاد في الطين بلة تفشي الاوبئة في البلاد، فتتكت في الوطنيين فتكاً ذريعاً واضحت بعض الاقاليم خاوية وحشة . أمّ الاسبان بلاد المكسيك ولم يكن بينهم اناث ، فاضطروا الى تزوّج النساء المكسيكيات ، ومامضت اجيال الا نشأ من ذلك الاختلاط جنس هجين فنما وازداد حتى اصبح عدده في يومنا ثمانين بالمئة من السكان . ولعل المناسبة بين العنصر الاوربي الاصلي والعنصر المكسيكي الوطني كانت ترجح كفة الميزان من طرف الجنس الابيض وتجعل التفوق والنفوذ للروح الاسبانية العريقة العهد في التمدين المسيحي ، لو عامل الفاتحون الاسبان الوطنيين المكسيكيين معاملة الانكلو ساكسون في شمالي اميريكا للهنود الوطنيين فكسروا شوكتهم وابادوهم او كادوا . لكن الاسبان توغلوا بينهم وامتزجوا بهم امتزاج الدم بالدم فما عتم ان خرج من ذلك المزيج شعب جديد قطع صلته مع اسبانية في بدء القرن التاسع عشر ، واعلن استقلاله

عهد الاستقلال

لكن انسلاخه عن الدولة الاوربية حرمه ما كان يجد في رجالها وحكامها من حكمة وذكاء وتدبير ، فوقع في حالة اضطراب اشبه بالفوضى دارت فيها رحى الحرب بين الاهلين وظلت تطحنهم فتهلكهم بتقاتلات ومشاكسات مستديمة . فتفرّقوا احزاباً واقاموا عليهم قوّاداً ، رجال بأس وبطش ، يحاربون على رؤوسهم الى ان تدور عليهم الدائرة ، فيسقطوا فيخلفهم غيرهم في الزعامة

حاول نابوليون الثالث ان يملك عليهم الامبراطور مكسيميليان على امل ان يجعل لفرنسة في اميركا الوسطى نفوذاً معادلاً نفوذ بريطانية العظمى في اميركا الشمالية . فبعث بجملة من الجنود الافرنسيين ، تأييداً لسلطانه . وبايع له جنود المكسيك . ولكن ما قفل الجيش الافرنسي وعاد الى اوربا حتى نكث الجند المكسيكي عهوده ، ورمى مكسيميليان التاعس بالرصاص (١٨٦٧) ، وعاد الى سالف مناوشاته وحروبه . الى ان قبض على زمام الحكم في المكسيك الجنرال

بورفيريو دياز (١) من العام ١٨٧٧ الى ١٨٨٠ ومن العام ١٨٨٤ الى ١٩١١ ، فكبح جماح الثورة ونشر لواء الامن . ودخلت البلاد على عهده في طور نجاح وازدهار لم تتمتع به في حياتها السالفة ، فنظر اليها العالم بالاعجاب واخذ يتوسم الخيرات الباهرة في مستقبلها ، لما فيها من الثروة الطبيعية الممكن استنباطها اذا ما دام الامن مخيماً في ربوعها

ولكن لم يحسب الناس حساباً للطبع المكسيكي الاصلي ، وهو لا يزال يجري مع الدم في عروق احفاد اكلة اجدادهم لحوم البشر وشربت دماءهم . وفاتهم ان السياسة واقفة بالمرصاد ترمق بعين الرضى ما يتولد بين ظهرانيها من المشاكل الداخلية عسى ان يتاح لها التدخل في شؤونها فتصطاد بالماء العكر . ولم يدروا ان الجذوة التي اقتبست شعلتها الاولى من روح الثورة الافرنسية سوف تضطرم في بلاد المكسوب ، ومنها تتطاير شرارات في مشارق الارض ومغاربها فتنال بلهيبها بلاد المكسيك التاعسة

٢ً اسباب الفتن القريبة

سياسة الاستعمار

عاثت الحروب في البلاد فساداً فافقرتها والجأت حكوماتها الى استقراض الاموال لفك الأزمة الاقتصادية الآخذة دوماً بخناقها . وما كان من امر الولايات المتحدة الّا ان مدت يد المساعدة الى جارتها الجنوبية ، واسلفتها الاموال فطوقتها قلادة ذهبية . انما هي سلسلة رق اخذت تثقل على عنق البلاد وتجرها منقادةً رهن ارادة غرمائها

عاهدت المكسيك جارتها الشمالية ، وفسحت لها مجالاً لاستغلال مناجم البترول الغنية ، فتألفت الشركات الاميركية وضربت سرادقات اعمالها ومشاريعها

---

(١) مات دياز رئيس جمهورية المكسيك ، فقيراً في باريس سنة ١٩١٦ فقام بنفقة دفنه رجل اميركي . ويقال ان ابنه صاحب حانوت في باريس يعتاش منه

على البلاد واخذت باستنباط خيراتها . وكلما ثقل عبء الديون على المكسيك ثقل نير الاميريكان عليها وازداد عددهم ، فصاروا كلما حدث اضطراب في البلاد — وما اكثر حدوثه — يفزعون الى حكومة واشنطون بصيانة الارواح والاموال. فما كانت سنون قلائل الّا صار النفوذ الاعلى في المكسيك لحكومة الولايات المتحدة ؛ تمدّ بالسلاح والذخيرة من شاءت ان تملكه على مواطنيه من مغاوير الثوار ، فتشد بينها وبين البلاد المكسيكية عرى علاقات تربط الطرفين بمعاهدة غير متعادلة الشروط الى ان تسنح فرصة جديدة يتاح بها لحكومة الشمال ان ترمي في فخها وتصطاد حكومة الجنوب كما تصطاد دودة العنكبوت الذباب بحبالها

عولتُ في تحرير هذا المقال على مجموعة من المجلّات الاميريكية صدرت في العام السابق ، ولا يكاد عدد منها يخلو من اخبار المكسيك وفظائع الحكومة الحالية فيها. وقد ذكرتْ ما على الولايات المتحدة من المسؤولية في الازمة المكسيكية العصرية. فقالت: (راجع مجلة اميريكا ٢٥ حزيران ١٩٢٧) « لا بد من الاقرار ، وان مكرَهين ، ان ظل النفوذ الشمالي المشؤوم امتد دوماً على البلاد المكسيكية وساعد سرّاً ، او جهاراً ، على تذكية الفتن. ادخل «جويل بوينست» الوزير الاميريكي الماسونية في المكسيك فاحدث حرباً دامت اثنتي عشرة سنة . ثم جاء الرئيس «بولك» ومن بعده الجنرال «شريدان» فصارا سبباً لاضرام نار الحرب في المكسيك. واخيراً نصب «ولسن» « كارانتزا » على رأس الثوار ، وها نحن اليوم نحصد ما زرعت يداه .

واليك ما روتهُ مجلة الاتلانتيك الشهرية (Atlantic Monthly) تحت هذا العنوان « غلطنا في المكسيك » قالت : «ان حكومة الولايات المتحدة باعت نسيئةً من حكومة اوبرغون في العام ١٩٢٤ ، عدداً وافراً من الاسلحة لكي تنجده على كبح جماح الثوار . فبلغت في ذلك غاية ما انتهت اليه من التدخل في شؤون المكسيك . وان فعلاً كهذا قد وضع حدوداً لاستقلال بلاد المكسيك الداخلي وجعله في ظلّ سيادة الشعب الاميريكي فصار نفوذنا عليه كما هو على بلاد كوبا.» فما من شاهد افصح لساناً عن مسؤولية

الولايات المتحدة في الازمة المكسيكية الحالية. لانها ، كما كان بوسعها ان تساعد اوبرغون في العام ١٩٢٤ لتمنع الثورة ، فلا يزال بوسعها اليوم ايضاً ، ان تحول دون وقوع الحوادث الدموية الحالية . فما عسى ان تكون غايتها اليوم في الوقوف على الحياد ؟ وما عسى ان تضمر للمكسيك في المستقبل ؟ الم يكن بوسعها ان تحمي الكاثوليك من الاجحاف بحقوقهم المدنية والدينية كما حمت البروتستانت ؟ فلماذا لم تفعل والى متى تترقب الفرص للتدخل في شؤون البلاد ؟

رسائس الشيوعية

اصلها الاصيل في مبادي الثورة الافرنسية التي نشأت في اواخر القرن الثامن عشر ، وهي تقول ان مصدر الحقوق في المجتمع هي الدولة ، وكل حق يتمتع به الفرد او الاسرة او المدرسة او الكنيسة انما هو من فضل الدولة وتحت سلطتها وتصرفها المطلق. اما الدولة فسلطتها من الشعب لا من الله ، لان مبادي الثورة لا تعرف الهاً عليها ولا سيداً

انتشرت مبادي الثورة مدة القرن التاسع عشر وعملت عملها في اوربا وفي جميع البلاد التي نالتها بروحها. وقد تفاوت تأثيرها مع تطورات الازمنة، واختلاف الطوارئ السياسية والاجتماعية التي جرت على الشعوب. وانما هي التي احدثت الانقلابات السياسية العظمى ودكت اركان العروش . وقد تجسمت في الثورة المسكوبية الحالية وصارت تصدر منها دعاة الشيوعية العامة الى انحاء الكون ، فنالت بواسطتهم شعوباً كثيرة خاصة في الصين وفي المكسيك

وان المكسيك لتربة مستعدة لقبول ذلك الزرع الفاسد لما فيها من عناصر الاضطراب ، والتقاليد الوحشية ، والقوى الطبيعية المجهزة للعمل، كما رأينا. وهي المسرح المظلم تألبت فيه الجمعيات السرية ، وتواطأت على ردم كل حاجز يحول دون بلوغها مأربها

وما هو مأربها ؟ هو القبض على زمام الامة سواء كان ذلك بالحلال او

بالحرام ، لاستتراف موارد ثروتها من غير ان يردعها عنها رادع ، اما الرادع فهو الكنيسة وما فيها من قوة معنوية ونفوذ روحي نصرةً للمظلوم من الظالم. ذلك سيفها الخاصّ شهرته على الكفار ، كلما تسلحوا عليها وسنوا فيها شرائع تمس الحق الالهي والطبيعي . فانكرت على حكام المكسيك مرارًا هضمهم حقوق الجماعات والأسر والافراد في اجراء التقارير الذميمة التي نوهنا بها في مستهلّ هذا المقال. ولما ثقلت حجتها على الطغاة ، أشعرت بان تمسكها بها سوف يعود عليها بالوبال. ولكن هي حجة الله ولا بد من التمسك بها حتى الموت. فدخلت آنئذٍ الازمة في طورها العصيب ، وتوترت العلاقات بين الحكومة وبين رجال الدين حتى تقطعت. وما لبثت المسألة الدينية ان تشكلت باللابس السياسية والاجتماعيّة المنسوجة من حياة البلاد المكسيكية . فادى الامر الى حرب عوان اشهرتها الحكومة على الكنيسة رجاء ان تقهرها ؛ الا انها اصطدمت باقوى عاطفة راسخة في قلب الانسان ، اعني العاطفة الدينيّة ، فادى بها الامر الى الاضطهاد وسفك الدماء. تلك هي اسباب الفتن في المكسيك

مسألة الابجدية

في

اللغات التركية

بقلم الاب هنري لامنس اليسوعي

في صيف سنة ١٩٠٨ ، بعد خلع عبد الحميد ببضعة ايام ، كان كاتب هذه السطور يشتغل في مكتبة كوبرولي افندي في الاستانة . فاقترب منه احد الاعيان من جمعية تركية الفتاة ، وهو الدكتور ناظم بك ان لم تخن الذاكرة ؛ وشكا اليه ان اكثرية العسكر الساحقة ، في الجيش التركي ، أمية ، ناسباً ذلك الى تعقّد الابجدية العربية وقصورها عن تأدية الاصوات الخاصة باللغة التركية. ثم سألني هل ارى دواء لهذه الحالة . فاقترحت اتخاذ الابجدية اللاتينية . فاجاب انه من رأيي ولكنه ، مع رؤساء تركية الفتاة ، يتراجعون امام مضادّة

الرأي العام الذي لم يكن بالمستعد لقبول هذه الحركة التجديدية.

على ان فكرة اصلاح الابجدية التركية كانت سائرة بين القوم ؛ وقد امتدحتها احدى المجلات التركية في الاستانة ، منذ شهر حزيران سنة ١٨٦٣. وكذلك المشروع الذي طُرح امام « الجمعية العلمية العثمانية » فانه اقرَّ بان اتخاذ الابجدية اللاتينية يُسهّل انتشار التعلم بين العامّة ، ولا يعاكس روح الشريعة في شيء. ولكن الحركة في ذاك الوقت ، لم تتعدَّ هذه الموافقة العقيمة ، فلم يقم احد للتجربة والتطبيق العملي . وها نحن نذكر باختصار ما تلا ذلك من التجربات ، حتى انعقاد مؤتمر الشعوب التركية في باكو سنة ١٩٢٦

* * *

قامت اولى التجارب باصلاح الابجدية العربية ، حتى تصير صالحة لتأدية اصوات اللغة التركية . فكانت النتيجة زيادة التعقد والغموض ليس الّا. وحتى يومنا هذا لا يزال الاتراك يكتبون اسم بلادهم نفسها باربع صور ، على الاقل ، فهم يقولون : « تركيه » و « تركيا » او « توركيا » و « توركيه » . فحرف « ى » يمثل عندهم الحرفين الصوتيين : i المقتضبة ، و i الممدودة ، والحرف الساكن y . وحرف « و » يقابل ، على الاقل ، ثلاثة حروف صوتية وهي : u الايطالية ، و u الفرنساوية ، و o ، وحرفاً ساكناً هو v . وكذلك صوت a فانه يُمثّل تارة بالالف ا وطوراً بـ «اي» ؛ اما في آخر الكلمة فيمثّل بالحرف ه، او لا يمثّل قطعاً . وفي هذه الحالة ، على القارئ ان يعوّض عنه باللفظ ، اذا كان من العارفين . وبالاختصار نرى ، كما رأى الشيخ عبد العزيز الشاويش المصري ، ان خطّنا لا يسمح لنا بقراءة الالفاظ قراءة صوابية ، الّا اذا كنا نعرف هذه الالفاظ من قبل . اما ما لا نعرفه منها فنذكره على التخمين.

وقد اهتمّت نظارة الحربية لسدّ هذا النقص ، فأمرت في شهر ايار سنة ١٩١٤ ، ان تميّز كل الحروف الصوتية ، في المراسلات ، بواسطة الحركات : الحادّة (aigu) والثقيلة (grave) والمادّة (circonflexe) كما في اللغة الفرنساوية. وقرّرت ايضاً ان لا يجعل للحرف الّا صورة واحدة ، فتكون حروف الكلمة مقتطعة ، مفترقة . ولكن سرعان ما أُهملت هذه الطريقة لعدم موافقتها في

التطبيق العملي ، ولانها كانت تريد الخطّ تقيداً بحذفها الاتصال بين الحروف. وفي السنة نفسها ، وفي مدّة الحرب ايضاً ، ظهرت مشاريع عديدة كان بعضها يضيف الى العقبات السابقة صعوبات جديدة . وجميع هذه العقبات ناشئة خصوصاً عن عدد الحروف الصوتية العديد ، في اللغة التركية . ولا يخفى ان التركية العثمانيّة لغة مشتقة مولّدة تتألف من المفردات التركية والعربية والفارسية ، بنسبة تكاد تكون متوازية بين الثلاث.

وهناك مشروع اصلاحي آخر ، وهو الذي قدمتهُ « جمعية اصلاح الحروف» متخذة ٣٥ علامة لتمثيل الحروف الساكنة ، وعشر علامات لتمثيل الحروف الصوتية. واليكم مثلاً من هذه الطريقة الجديدة بكتابة لفظة «عالم» فانها تكتب كما يلي : «ع ا ل ه م».

غير ان الصعوبات الناشئة عن الحرب ، والانكسار النهائي ، حمل الاتراك على اهمال كل هذه المشاريع الاصلاحية . فلم يعودوا اليها الا سنة ١٩٢٤ ، بعد طرد اليونان من الاناضول ، واختيار الحياة الجديدة التي انتهت الى انهاض تركية المحرَّرة.

* * *

وقد وافقت هذه الحركة تلك الدعوة التي كانت تنتشر في اذربيجان في سبيل استعمال الحروف اللاتينية . فاستفاد الاتراك من ذلك ، وحوّلوا الدعوة المذكورة الى بلادهم ، فقام احد ادبائهم ، تحسين عُمر ، ونشر كتاباً بيّن فيه « ان الابجدية التركية تمتّ بصلة النسب الى الابجدية اللاتينية من حيث العلم والتاريخ . » وتوسّع في تبيين الفوائد الثقافية والاقتصادية الناتجة عن هذا المشروع . ثم اقترح استعمال ابجدية تحتوي على ٢٥ علامة لتمثيل الحروف الساكنة و ٨ علامات لتمثيل الحروف الصوتية . فيُستعمل حرف H لتمثيل الحروف : ح ، خ ، ه ؛ وحرف Z لتمثيل الحرفين : ض ، ظ ؛ وهلمّ جرّا . فلم تنظر الحكومة بعين الرضى الى هذا التجديد ولا رغب فيه العامّة . بعكس بعض الادباء والصحافيين ، الذين نادوا انهم من مريديه . وبدأت جريدة

« طنين » تنشر في قسمها الفرنسي ، اخباراً مقتضبة ، واعلانات تركية مكتوبة بالابجدية الجديدة .

على ان المعارضة لم تكن لتتخاذل . فشرعت بعرض البراهين العاطفية مثل « ان للحروف التركية جمالها الفني ؛ وان تركها يوافق تدابير الاعداء ، ويحمل العالم الاسلامي على الاعتقاد ان الاتراك اصبحوا مسيحيين . . . »

ثم قالوا ان الابجدية اللاتينية توافق دون شك اللغة التركية بسهولة . ولكن يجب الّا ننسى العدد العديد من المفردات العربية والفارسية التي دخلت في القاموس العثماني . وعليه فقد اقترح بعضهم ان تُستعمل طريقة « سماعية » للكتابة قوامها أن تكتب الكلمات التركية كما تُلفظ ، ويُبحث ، لتحقيق ذلك ، عن طريقة من الحروف المفترقة تكون اسهل استعمالاً في الخطّ والآلات الكاتبة .

واخيراً جاء ذكر الآثار الادبية القديمة المكتوبة كلها بالحروف العربية ، والتي تمنع فائدتها عن غير الاختصاصيين ، اذا ما استُعملت الابجدية اللاتينية . وبهذا الاستعمال التجديدي ايضاً ، يتخلى الاتراك عن الموارد الفنية الناشئة عن الحروف العربية ، فيضرّون الصنائع اليدوية المبنيّة على ذلك . وفضلاً عن كل هذا فان الابجدية العربية من الصلات التي تربط الشعوب التركية بعضها ببعض . لان كل هذه الشعوب تدين بالاسلام ، ولان القرآن والصلوات لا تعلّم بغير اللغة العربية ؛ فيكون من الواجب ايضاً تعليم الجديتها . ويصبح الاتراك ، اذا ما استعملوا الحروف اللاتينية ، امام مشكل جديد ناشئ عن تعليم الجديتين .

وكانت نتيجة كل هذه المناظرات ان أُجل القرار الى انعقاد مؤتمر الشعوب التركية القريب .

* * *

وما عتّم ان انعقد هذا المؤتمر ، في مدينة باكو ، في شهري شباط وآذار من سنة ١٩٢٦ . فحضرهُ اشهر علماء التركية ورجال السياسة ، مندوبين رسميين عن الجمهوريات التركية في الاتحاد السوفيتي ، وعن الجمهورية التركية

في الاناضول . فمثل كل العالم التركي تقريباً ؛ وظهر المؤتمر بمظهر جامع بين العلم والسياسة .

فدارت الابحاث والمناظرات طويلاً حول مسألة الابجدية . وتبسط مريدو استعمال الحروف اللاتينية ، في شرح ضرورة الوضوح الكلي في تمثيل الحروف الصوتية،وهي اساسية في اللفظ التركي ، مع تسهيل التعليم المدرسي ، والتعجيل في طبع الكتب والجرائد ونشرها .

اما المعارضون فاعادوا براهينهم التي بسطناها اعلاه ذاكرين ضرورة الاحتفاظ بابجدية مشتركة بين الشعوب الشقيقة والمجاورة ، كالاتراك ، والعرب ، والفرس المسلمين ، لان المصالح المشتركة تضمّ جميعهم . فجاوب على هذه الحجج الكثير من الخطباء .

وكان في الغرفة المحاذية لردهة الاجتماع الواح كبيرة عُرضت فيها النماذج المختلفة من الابجدية اللاتينية يقابلها نموذج الابجدية العربية المصلَحة . ولما انتهت اعمال المؤتمر الى التصويت اتُخذ القرار الآتي :

« بعد ان تحقّق المؤتمر افضليّة الابجدية التركية الجديدة(١) ، من جهة الفن ، وتفوّقها على الابجدية العربية وعلى الابجدية العربية المُصلَحة ، كان من رأيه ان ادخال هذه الابجدية الجديدة ، واساليب تطبيقها في المناطق والجمهوريات التركية - التترية ، تدخل في صلاحية الحكومات السوفياتية .

«ثم ان المؤتمر تحقق الاهمية القصوى الناتجة عن اتخاذ الابجدية التركية الجديدة في اذربيجان وغيرها من الجمهوريات . وهو يدعو الشعوب التركية - التترية الى الاستئناس بالاختبار الذي بُدئ به في تلك المناطق ، وذلك كي يمكنهم اتخاذ هذه الابجدية فيما بعد »

فنال هذا القرار مئة صوت وصوت ، وعارضه سبعة ، وامتنع ستة عن التصويت . وعند اختتام اعمال المؤتمر اكّد الرئيس انهُ ، باختراع الابجدية الجديدة اصبح من الممكن الاثبات بكل جرأة ان « كل الشعوب التركية -

١) يعني ابجدية الحروف اللاتينية .

التترية دخلت في دائرة المدنيَّة الكونيَّة.»

ولم يكد ينتهي المؤتمر ، حتى عادت المناظرات ، في تركية ، الى سالف حدّتها . بعد ان بقيت كل فئة في مراكزها القديمة . وبدأ اصحاب المعارضة يؤكدون ان مؤتمر باكو خضع لتأثير السوفييت . فاشتركت جميع الصحف التركية في هذه الابحاث . اما الحكومة الكمالية فاخذت بنفسها في البحث عن الدعوى وصرّحت «ان مسألة الابجدية اللاتينية اصبحت من مسائل الحكومة» ثم تعهدت باعطاء القرار النهائي . وقام اذ ذاك الدكتور كمال جناب بك ، الاستاذ في جامعة ستامبول ، وقال انه لم يكن مناص من استعمال الحروف اللاتينية في الكيمياء . ثم اقترح ان تعلّم اللغة اليونانية واللاتينية في مدارس تركية العليا ، وان تُقبل مفردات اوروبا العلمية عوض ان يُلجأ الى القاموس العربي لوضع الكلم الجديدة ، حسب الطريقة المألوفة .

وقد بُدئ بتحقيق بعض اماني مريدي الابجدية اللاتينية فكتبت الكلمات التركية على طوابع البريد بالحروف الاوروبية ؛ وقررت حكومة انقره استعمال الحروف اللاتينية لكتابة الاسماء الاجنبية ، في الوثائق الرسمية ، للامكان من لفظها على ما هي

اما في ما سوى تركية فكانت جمهورية اذربيجان قد اتخذت الابجدية اللاتينيَّة منذ اواخر سنة ١٩٢٥ . فظهرت الجرائد والمجلّات مكتوبة ، كلها او قسم منها ، حسب الطريقة الجديدة ، ويرى الطالع مثالًا من ذلك في الصفحة التالية . ثم ان ادارة المعارف العامّة في تلك الجمهوريَّة ، امرت بطبع كتب التعليم في المدارس الابتدائية والثانوية ، بالحرف اللاتيني . ويبلغ عدد حروف الابجدية الجديدة ٣٢ نذكر منها ما يمثّل بعض الحروف التركية :

k = ق	c = ج
p = پ	ç = چ
X = خ	g = غ
v = و	h = ه او ح
و = ع	q = ك

Çində

İNGİLTƏRƏNİN PROVOKASİYASI

«Delil telegraf» gəzetəsinin Şanxay muxbiri yazır: Ca-poi (Şanxayın çinlilər-hissəsi) müdafi'ə xətti xaricində kaldıkca, müdafi'ə korpusunun vəziyyəti ağır olacakdır. Jeqana sağlam bir tədbir. Kantonlulara yilimatum verib Ca-poji boşaltmalarını, təqlit etmək: by dairəni işgal etmək və cəbhəmizin xəttini Şanxay Nanqin dəmiryolu ilə əlmalə doğru yeritmakdır. Kantonlular öz əsgərlərini Ca-pojdan çıkarmak istəməsələr: bunlar muhəsirə edilmali və "başka yerlər ilə munasibət qəsilməlidir». (Zaktac)

MİLLİ HOQUMƏTİN ŞANGHAY XARİCİ MƏHƏLLƏSİ HAKKINDA MOVKE'İ

«Nyork herald tribyn» gəzetəsinin Şanxay muxbiri yazır. «Milli hoqumət xaricilə nazırı Jevqeni Cen, Şanxay xaricilər məhəlləsinə karşı milli hoqumətin movkeini bəylə kəld edir

Milli hoqumət xarici məşələləri qırc ilə almak fikrində dəyildir Lakin bazarda xaricilər tərəfindən dyrylmya dəyilməsin cəna kaltarılmasını, israr ilə tələb edir Cen demişdir ki milli hoqumətin bu məksəd ilə istədəcəyi İeqana əlavə baykert və tə'tildir. Bayket Şanxayın kə'fi syrətdə taşınması" demək olacakdır Milli İsteilər bir qullə belə almadan baykot vasitəsilə xaricilərin xəşmə məhəllələrindən kova biliriz.»

Y-PEJ-FY İLƏ OJNAŞLR

Mykden diktatory murtace' Can-zo-lin Y-pej-fyla bir telegraf göndərib Çinin muhum sijasi məsələlərini müzaqirə üçün Peqlə qalmasini təqlif etmişdir Y-pej-fy by telegrafa cavab vermamişdir. (Zaktac)

ŞANGHAYDA TƏ,TİL DALGALARI

«Asoşeitted pres» acentəlijinin Xankoo muxbiri yazır ki «Xankooda xarici bankların mə'mylərləri tə'til etmişlərdir.»

Xankoodəki almalı Amrika konsyly bildirir ki. Amrikalıların «Herald Britis post» adlı gəzetə İşçilərin İşcilərə tə'til etmişlərdir. Tə'tilin səbəbi gəzetənin İşcilər əleyhinə olmasıdır İngiliz napro fabrikasında da' İşcilər tə'til etmişlər və by yerdən fabrika baş tanmışdır (Zaktac)

NANQİN TƏSLİM ƏRƏFƏSİNDƏ

Matbyatın bildirdijinə qorə, milli ordynyn kabak dəstələri Nanqin şəhərinə çatmışlardır Şəhərin ətrafında Şanqondılar ilə vyryəmə başlanmışdır (Zaktac)

«Asoşeitted pres» acentəlijinin Şanxay muxbiri tərəfindən bildirdijinə qorə, Birləşik Amrika dəniz əsgərlərindən bir dəstə, Nanqinə çıkarılmışdır Nanqinin by İşkən qunlərdə alınacağı qorxunir. (Zaktac)

ومما يؤخذ على الابجدية الجديدة انها غير كافية لتمثيل الكلمات العربية الوافرة العدد في اللغة التركية . ولكنها مع هذا النقص ، لا تزال تنتشر بسرعة بين مسلمي ما وراء القوقاس ، وجيورجيا ، وارمينيا ، وآسية الوسطى

* * *

قد اكتفينا ، فيما تقدّم ، بعرض تطوّر هذه المسألة ، مع اعطاء براهين مريديها ومعارضيهم . فلننقل الآن بالاختصار ، مع مجلة « الشرق العصري » الايطالية (١ ان الابجدية العربية قاصرة دون شك ، عن تأدية الصوتية (phonétique) التركية القائمة خاصة بالحروف المصوّتة . وهو ما دفع المجدّدين الى آرائهم . غير ان الصعوبات في ذلك كثيرة لاسيما في تركية . وقد ذكرنا منها وجود العدد الكثير من الالفاظ الفارسية والعربية . ونضيف الى ذلك قوّة العادة ، وتأثير التقليد الجاري من زمن مديد ، مع الترثيب من كل ما هو اجنبي . وعليه فان التجديد سيصطدم بالكثير من العقبات العملية ، ويجرّ وراءه كثيراً من النفقات . اذ ليس بالامر السهل ، وان كان ذلك بالتدريج ، ان يتخلى شعب عن ابجديته التي جرى عليها منذ قرون والتي استعملها لتقريد آداب كآداب التركية العثمانية لا يزال معظمها مخطوطاً ، ليبدلها بابجدية جديدة جلّ ما ترمي اليه ان تكون عملية سهلة الاستعمال دون ان تحلّ الوجهة اللغوية من هذه المسألة . ولا يسهُ بالنا عن الصفة الدينية التي يجعلها المسلمون للخطّ العربي واللغة العربية . فنفهم اذن تردّد الكماليين ، رغم ما عرفناه من سياستهم العلمانية ، امام هذا الاصلاح الذي ينتشر يوماً فيوماً بين اتراك روسية وآسية الوسطى . وانهُ لمن الاسهل على الشعب ان يغيّر لباس رأسه من ان يغير ابجديّته

---

١) « Oriente moderno » شهر حزيران ١٩٢٧ ص : ٢٩٥-٣١٠ — راجع ايضاً مجلة Der Islam, XVI, 1-76 . على اني استعملت خصوصاً المجلة الايطالية

جولة في كسروان

لحضرة القس انطونيوس شبلي اللبناني

دير مار سركيس ريفون(١)

وجدنا فيه الكتب الخطيّة الآتية :

١ً قاموس سرياني . جاء في آخره ما يلي :

« المجد والاكرام للآب والابن والروح القدس الذي على اسمه ابتدينا وفي معونته انتهينا من هذا الكتاب الذي يُسمّى لكسيقون (لاصصمع) يعني جمع الالفاظ الذين هم موجودين في الكتب . كان الفراغ منهُ في آخر يوم من حزيران من شهور سنة ١٦٧٤ وبأنية في دير مار شليطا (مقيس) بلاد كسروان من معاملة الشام في ايام ريّس الروسا سيدنا مار اسطفان (الدويهي) البطريرك انه يديم كرسيه زمان طويل ويرحمنا الرب في بركة صلواته المقدسة امين . وكان الفراغ منهُ على يد انسان حقير متعلّم وليس معلّم يدعى بالاسم قس عون (٢ ابن نجيم من قرية غوسطا تلميذ الخوري سركيس واخوتي الكهنة اوّلًا القس جرجس افرام والقس خيرالله والقس بولس وباقي اخوتي الرهبان . انه يديهم في خدمة المسيح امين . »

٢ً كتاب يحتوي بعض فصول ونبوّات من الكتاب المقدس . خط كرشوني مجلّد ضخم جاء في آخر نبوّة اشعيا ما يلي :

« كملت بعون الله تعالى نبوّة اشعيا النبي على يد انسان خاطي حقير يدعى بالاسم قس يوسف (هو المطران يوسف مبارك الريفوني) ابن القس سليمان ابن مبارك من قرية غوسطا من بلاد كسروان من معاملة بيروت الشام في دير مار سركيس ريفون في ايام حضرة سيدنا المطران جرجس ابن حبقوق البشملاني وحضرة عزيزنا الشيخ ابو قانصوه الخازن المكرمين . وفي ايام سيدنا البطريرك اسطفانوس (الدويهي) الانطاكي . وكانوا السكّان بالدير ابي القسيس سليمان واخوتي القسوس القس سركيس وخالي الخوري يوسف وابن خالي القس اندراوس واخي الشدياق جبرايل . ونحن الذين تعبنا في اساس هذا الدير المعمور بسنة ١٦٨٣م . . . »

---

١) طالع ما كتب عنهُ الخوري ابرهيم حرفوش في مجلة المشرق ، والدبس في الجامع المفصّل

٢) ان القس عون كان راهباً قبلًا في دير مار شليطا مقيس ثم انتقل الى دير مار سركيس ريفون . راجع يوميته التي نشرناها في المشرق (٢٥ [١٩٢٧] : ٨٠١-٨٢٠)

٣ً كتاب حياة المسيح ومضاف اليه قصّة العذراء مريم . خط كرشوني مجلّد كبير . جاء في آخره ما نصّهُ :

« كملت بعون الله قصّة المسيح وقصّة العذراء مريم والدته . وكان ذلك في تاريخ سنة اصطا (١٦٨٧) مسيحية على يد انسان غشيم ضعيف حقير غريب دليل اقلّ خلق الله وليس هو مستحق ان يذكر اسمهُ لكن لاجل الذكر الصالح يدعى باسم راهب عون من قرية فوسطا ابن كامل المرحوم ابن غيم . وكان كماله في ١٧ يوم من شهر آب المبارك في دير مار سركيس ويفون في بلاد كسروان . في ايام حضرة سيدنا اب الابا ورأس الروسا مار اينوشنيوس ما (الحادي عشر) الحبر الاعظم . وفي ايام حضرة سيدنا البطريرك مار اسطفانوس (الدويهي) الانطاكي المكرّم . وفي ايام ساداتنا المطارين اولاً المطران جرجس حبقوق البشلاني والمطران سليمان الحوقاني (من حوقا) والمطران بولس الحدثاني والمطران جبرائيل البلوزاني والمطران حنا السمراني والمطران يوسف الحصروني والمطران بطرس النسطاني . وفي ايام حضرة سيدنا وتاج روسنا ابن عمّي المطران يوسف (المبارك) المكرم صاحب الفضل والاحسان على الكاتب ابن القس سليمان ابن مبارك ابن المعلم سنان من قرية فوسطا المحروسة من الله . وكانوا اخوتي الرهبان المحروسين من الله في الدير المذكور مار سركيس ويفون في ارض عجلتون في بلاد كسروان . اولاً رئيسنا الخوري يوسف والقس سليمان واولادهُ القس سركيس والقس جبرايل والقس بطرس واخونا القس اندراوس ابن قورياقوس من درعون وباقي الرهبان وسكانة الدير المعمور المبارك . الله يديمهم في خدمة المسيح زمان طويل ويخلّصهم من فخاخ وحيلات العدو الماكر ويرزقني شفاعة صلواتهم وطلباتهم لانهم اعتنوا وتعبوا واجتهدوا معي كثير في كتبة (كتابة) هولاي الكتب المقدسة . . . »

٤ً لاهوت مجلّد كبير تأليف الاب العالم العامل هرمان بوزنباون اليسوعي خطّهُ بالعربي باسيليوس بن كيورك العقّاد الحلبي اصلاً الكاثوليكي مذهباً سنة ١٧٤٣ . ٥ً ميامر ابن العبري . ٦ً مواعظ خط عربي غُفلٌ من اسم المؤلف والناسخ . ٧ً قاموس المطران جرمانوس فرحات . ٨ً فصل الخطاب لهُ . ٩ً بلوغ الارب في علم الادب ، مطوّل في البيان لهُ ايضاً . ١٠ً قاموس سرياني خط قديم مجلّد ضخم . ١١ ً ردّ كاثوليكي قد ألّفه الحقير في الروسا يوسف بطرس تيّان البطريرك الانطاكي على مقالات حضرة المطران جرمانوس آدم مطران حلب المحترم . » . ١٢ بستان الرهبان خط كرشوني قديم . ١٣ غرامطيق سرياني لابن العبري . ١٤ كتاب الاسرار النصرانيّة الذي هو على قواعد التوراة والانبيا والانجيل والاباء والمجامع تأليف الاب المكرّم مطران يوحنا

الحصروني الراهب الدومينيكاني » كتبهُ بالكرشوني خوري عون بن كامل نجيم من غوسطا من رهبان دير مار سركيس ريفون سنة ١٦٨٩ . عدد صفحاته ٦٤٩ ص .
١٥ خزانة الاسرار والمنارة المسبّحة الانوار تأليف المطران سمعان عوّاد الحصروني . خط عربي . وقد اقتنى هذا الكتاب القس ميخائيل بن المقدسي قسطنطين الشهير بابن جريوع من طائفة الروم سنة ١٧٣٣ . ١٦ نوافير القدّاس خط الراهب عون بن نجيم كامل من غوسطا سنة ١٦٨٨ كتبهُ بدير مار سركيس ريفون في ايام البابا ايتوشنسيوس (١٣) والبطريرك اسطفانوس الدويهي .
١٧ مختصر مواعظ خط كرشوني . ١٨ كتاب القانون والرسومات والارشاد لفرنسيس سالوس اسقف مدينة جنوا للاخوات القاطنات دير زيارة العذرا في مدينة انيسي . كُتب بالعربي سنة ١٧٥٨ ولم يُذكر فيهِ اسم معرّبه

١٩ « شرح مختصر عن الواجبة معرفته لراغب الكهنوت وتدبير الشعب . تأليف الاب الفاضل المطران يوسف الحصروني مطران طرابلوس الشام . » كتبهُ بالكرشوني المطران يوسف مبارك الريفوني مطران مدينة صيدا الشام سنة ١٧٠٣ في ١٧ تموز . يقع في ١٨٠ صفحة بطول ٢١ س . وعرض ١٤ ونصف س

٢٠ كتاب شرح الشرح . تفسير الانجيل خط كرشوني بيد الخوري عون المذكور . عدد صفحاته ٥٢٧ صفحة بطول ٣٠ س . وعرض ٢٠ س . وسمك ٦ س . جاء في آخره ما حرفهُ : « كمل الجيل ربنا يسوع المسيح الاربعة الرسل التلاميذ في سنة الهمر (١٦٩٠) في شهر تموز »

ثم يذكر اسماء البابا ايتوشنسيوس والبطريرك الدويهي والاساقفة كما ورد في العدد ٣ وانما زاد اسماء المطارنة جرجس الهدناني وميخائيل الغازراني (الغزيري) ويوسف الشامي وحنا البشعلاني وجبرائيل الهدناني

وفي كنيسة دير مار سركيس ريفون ضريح المنسنيور جبرايل الخوري بطرس مبارك الذي وُلد في غرّة كانون الثاني سنة ١٨٦٧ وتوفي في ٦ كانون الثاني سنة ١٩٠٩ وقد ترأس مدرسة الموارنة برومية . وعلى صفيحة رمسهِ نُقش هذا

التاريخ من نظم الشاعر المجيد الخوري الياس الحائك احد اساتذة مدرسة عينطورا وهو :

وداعاً يا ملاكاً كنت فينا بشيراً مثل جبريل المبارك
دُعيت مباركاً اذ كنت تُولي عدوّك رحمةً وتبيثُ جارك
وقمتَ بواجب الكهنوت حقاً ومشتَ ومتَّ لم تحمر وقارك
فناداك الذي ناديتَ دهراً لقد أحببتُ يا ربي جوارك
وقال خدمتَ في التاريخ قدمي تعالَ فرثْ نعيمي يا مبارك (١٩٠٩)

(لها بقية)

ترقي العلوم في سنة ١٩٢٧

بقلم الاب يوسف فرنه اليسوعي استاذ الكيمياء في المكتب العلمي الافرنسي

بسبب ضجيج الصحافة الساهر حول بعض اسماء شهيرة وبعض حوادث مُدهشة ، تزعم العامّة انها مطّلعة على مآثر العام الماضي العلميّة . الم تُشغف شغفاً مُفرطاً بالطيران على الاطلنتيك ؟ الم تحزن هامها ، بغاية الخفض ، امام برتلو (Berthelot) ، بعد ان حُملت عبء سمع مدائح مادحيه ؟ الم تُشغل مخيّلتها مقدّماً ، بتصور جزيرة كلود (Claude) ، المحوّلة الى معمل ، في وسط البحار المجاورة لدائرة الانقلاب ، لاستثمار حرارتها وعدم اضاعة اقلّ جزء منها ؟

كل هذه الحركات ليست على شيء من العقلية العلمية ؛ وذلك الطف ما يقال عنها . وكفى شاهداً ان تلك الاشاعات المختلفة ، المُضجّة ، لم يكن لها غير صدى ضعيف للغاية ، في المجلات العلمية .

الطيران على الاطلنتيك

ستبقى سنة ١٩٢٧ ، دون شكّ ، تاريخاً شهيراً : فيها طِير للمرّة الاولى على الاطلنتيك ، بشوط واحد . وهذا نجاح فنّان لإقدام الانسان ، المحقّق اعسر المقاصد . فالمجد اذاً للطيّار الاميريكي لندبرغ (Lindberg) والاكرام

لاقرانه التاعسين ! هذه المأثرة البديعة كلفت اصحابها اهوالًا ! اواه ! لقد كثُر ، فوق الحدّ ، عدد محاولات الصور المطّردة ، التي افضت او كادت تفضي الى خاتمة ناجعة . لذلك يسوغ ان نسأل نفسنا الم يكن ثمن النجاح مفرط الغلوّ . وهل تبرّر فقدُ عشرة طيّارين ممتازين ، الارباحُ الفنيّة التي انتجها ذلك النجاح ؟ يلوح لنا وجوب الاجابة سلباً .

فلنفحص النتائج التي حُصل عليها حديثاً ؛ اولًا ، ابعد الاشواط التي قطعها اوفر الطيارين حظًّا : ستة آلاف كيلومتر ، بمعدّل سرعة ١٨٠ كيلومترًا في الساعة ، وبمدّة ثلاث وثلاثين ساعة ونصف . فنرى ان ليس بين تلك النتائج ما هو ، بذاته ، احد الحدود القصوى (records) . لأن كل تلك الارقام ، قد سبقَ البلوغُ اليها ، بل تعدّيها ، ولا سيما المتعلق باشدّ الصعوبات في سفر من هذا النوع ، اعني مدّة الطيران ، فقد بلغ حدُّها الاقصى احدى وخمسين ساعة ! اذًا ليست جدّة مأثرة لندبرغ وليست خطورة مشروعه العلميّة في مدّة الطيران . انما هي ، لاهل الفنّ ، في طريقة حلّ ثلاث مشاكل جوهرية ، اساسيّة ، في البحث عن كل طيران بعيد المسافة : ١ً نقل كميّة كبيرة جدًّا من الخلاصة (essence) ، اي الوقود ، دون الإضرار بتوازن الطيارة ولا بسهولة انطلاقها من الارض ؛ ٢ً المراقبة المتواصلة لوجهة الطيران ، لاجتناب كل حياد تُحدثه مجاري الهواء ؛ ٣ً احتمال المركبة وراكبها لمصاعب الشوط البعيد . ذلك التعداد وحده كافٍ لايضاح اهمية الاختبار في تلك الاشياء الثلاثة ، ولو لحق بها وجوباً بعض الخطر . ولكن ليس ما يسوّغ لنا ان نزيد على ما قلناه الّا بشأن النقطة الثالثة ، وذلك بدون تأكيد — ضرورة اجراء الاختبار فوق الامواج ، حيث ادنى توقّف يصير خطرًا عظيماً ويؤول سريعاً الى الهلاك النهائي .

مسألة نقل الوقود هي من اللواتي يجب على المهندس درسها اولًا ، اذا اراد بحثاً علميًّا عن سفر طويل فوق البحر . وربما وجب تغيير تركيب الطيّارة وشكلها الطُولي نظرًا الى مخازن الوقود ؛ وذلك شيء جديد في صُنع الطيّارة . فضلًا عن ذلك فانّ كيفيّة ادارتها ، حين انطلاقها ، وهي ملأى بالوقود ، تختلف عمّا تكون عليه ، بعد بضع ساعات ، وقد نفد قسم منه ، او في آخر

الشوط ، وقد كاد الوقود ينفد تماماً . وعلى هذا يترتب امرٌ جديد في تثقيف الطيّارين . فيجب اجتناب كون انطلاق الطيّارة يُفضي الى نكبة ، كما حدث لفُونك (Fonck) ؛ وكون المركبة تنقلب حين بلوغها الارض ، كما جرى لاقران لندبرغ ، اي شامبرلين (Chamberlin) ولفين (Levine) ، القاطعين ٦٤٣٠ كيلومتراً في ٤٦ ساعة . ويجب خصوصاً ان تُجتنب ، في اثناء الشوط ، الادارات الفاسدة ، المغيّرة كيفيّة توازن الطيّارة ؛ فان راكبها لا يستطيع تسييرها ، اذا سقط في « دوّارة » (remous) ، او حفرة هوائيّة (trou d'air) ، وهو امر وقع لغير واحد من مُنافسي لندبرغ الاشقياء . على ان كل هذه التجديدات في فن صناعة الطيّارات او في تمرين الطيّارين ، لا يترتب عليها لزوم اختبار اجمالي ، اذا لم يكمُل نجاحه صار نكبة .

مُصيبة فونك (Fonck) مثلاً تبرهن على انه ليس من الفطنة انتظار يوم السفر لتجربة الانطلاق السهل . وهو لو اعاد الممارسات السابقة لكانت مكّنته من اجتناب الحبوط وموت بعض الرجال . ولو أُجريت تلك التجارب بطيّارات ، مخازنها لا تحوي كميّات عظيمة من الوقود ، لاجتُنب الحريق ، والانفجار ، وخسارة الملايين . كذلك ، لو مُلئت المخازن ماء ، مثلاً ، وتمرّد الطيار ، بتفريغها تدريجاً في اثناء الشوط ، قيادةَ مركبته ، لساغ الظنّ ان هذا التثقف كان منع نكبات كثيرة . وهكذا القول ، بشأن الانحدار الى الارض بطيّارة اختلفت كيفيّة توازنها عند الوصول ، عنها حين الانطلاق . فكما لاحظ القارئ ، لم يقتض اختبارٌ واحد من تلك الاختبارات ، النفيسة النتائج للفنّ ، مخاطرةَ شوطٍ كعبور الاطلنتيك .

المشكل الفني الثاني ، هو ايضاً ، لم يقتضِ ذلك ، نعني به بلوغ درجة الكمال المطلوبة بجهاز يمكّن الطيّار من معرفة النقطة الجغرافية التي ادركها في سفره ، حتى يراقب وُجهته . ولا تكفي ابرة المغناطيس ، لانه ربما ثبتت الطيّارة في وُجهة واحدة ، مع انتقالها غير المحسوس الى خطط متحاذية ، بتأثير الرياح ، فتصل الى مكان يبعد مئتي كيلومتر ، شرقاً او غرباً ، عن النقطة المقصودة . هنا ايضاً كان من الفطنة اجراء تجارب عديدة قبل المخاطرة بالنفس فوق المحيط ،

حيث لا يستطيع الطيّار تحقيق وجهة سيره ، بواسطة المعالم (repères) العديدة ، الموجودة على ارض معروفة ، ولا برصد الشمس والنجوم ، اذ ليس اكيدًا بقاء السماء صاحية . فلا بدّ في ذلك الشوط الطويل من اجتياز الغيوم الكثيفة ؛ فكيف يستطيع الطيّار اوانئذٍ ، وهو في اشدّ الحاجة ، معرفة وُجهة سيره ؟ اخيرًا على مسافة ستة آلاف كيلومتر ، يتحقق الناظر الى خارطة السياحة ، ان الطيّار لم يختر اقصر طريق ، اي الخط المستقيم ، للانتقال من نقطة الى اخرى ، بل الاسهل انتهاجًا ، بحسب هبوب الرياح ، والاكثر امانًا ، لمروره بملاجئ ، يمكن التوقف فيها . كل ذلك يقتضي عدّة تغييرات في وُجهة الطيران ، وهذه التغييرات تستلزم دقّة شديدة في معرفة النقطة الجغرافية التي ادركها الطيّار . فنفهم الآن المخاطرة الكبيرة التي يخاطرها من يندفع ، قبل الاوان ، على البحار الموحشة ، العادمة الشوع . كان الاحرى به ان يتعوّد تحقيق مقدار حياد مركبته عن خطّتها ، فوق الارض ، والنظر المتواصل الى الجهاز المحدّد وُجهة السير . ثم اذا اراد ، بنوع خاصّ ، الاستغناء عن كل المعالم ، فبما انه لا يصعب الانفصال المطلق عن الارض ، لمن يطير بين السحاب ، كان يكفي زيادة ارتفاع الطيران او استعلاء الغيوم . وبعد مدّة من ذلك الشوط ، لم يكن على الطيّار سوى العودة الى الارض وفحص نتائج تمرّنه . ولم يكن يُخشى ضرر جسيم ، اذا تاه الطيّار عن الطريق ، لانه يستطيع الانحدار الى الارض في مكان موافق . وذلك ما لم يتسنَّ للتعساء الذين ضلّوا ولم يقدروا على الوصول الى غايتهم ، بسبب نفاد الوقود . ربما جرى ذلك للطيّار دي بينادو (de Pinedo) ، الملتزم بالنزول على سطح البحر ، كما قيل ، استنادًا الى التلغراف اللاسلكي الذي ارسله ، على مسافة نحو ٢٥٠ كيلومترًا من جزائر اسور (Açores) .

بقي المشكل الثالث ، المتعلق بجلَد الطيّار ومركبته . ويخيّل لنا ، بشأن اختبار هذا الجلد ، ان ليس ما ينوب مناب مفاجآت سياحة فوق المحيط ، بما فيها من تناوب الصحو والعاصفة ، والغيم ، والبَرْد والليل ، والانخفاض البارومتري ودوّارات الرياح (cyclones) والثلج والبَرَد . فيجب التسليم بصحة هذا الرأي ؛

وهذا موضوع اعجابنا بالذين تمت عبقريتهم مثل تلك المأثرة . ولكن هل نقدر ان نجد ، على هذه الطريقة ، الضمانة لمتانة لا تحتاج الى ادنى تجربة . فالطيارة الظافرة تشهد على متانتها ، لا على تكامل فن صناعتها . الا يكون امن الركاب في طيارة ذات محركات عديدة ، يمكن اصلاحها في اثناء الطيران، اكثر منه في طيارة بمحرك واحد ، وان عبرت الاطلنتيك ؟ فالنجاح مرةً لا يجعلها في مأمن من طوارئ تلزمها الانحدار فجأةً على البحر ، وهناك تقلّ درجة متانتها ؛ وهذا ما يُخاف منه . فضلًا عن ذلك فان متانة تركيب طيارة، يُصنع على مثالها مركبات كثيرة — شأن طيارة لندبرغ ، المسماة «روح القديس لويس» (Spirit of Saint-Louis) — لا تدلّ دليلًا اكيدًا على متانة المركبات الاخرى المجانسة ؛ لان ادنى شيء يكفي لافساد تناسق قطع الطيارة الكثيرة . فيخيّل لنا انه من البديهي عدم الحاجة الى اجتياز المحيط على طيارة، لقياس درجة متانتها، فخطر اضاعة هذه كبير هناك . ان تجربة المتانة ، في كل احوال الجوّ ، تُطلعنا على تلك الصفة الاطلاع نفسه وبمخاطرة اقلّ . بل اننا نربح فنيًا بزيادة تعدتنا في درس كلّ من عوامل البلى ، المؤثر تأثيره الخصوصي ، بحسب الظروف الجوية . بعكس ذلك ، متى تكاثرت العوامل ، كما في عبور الاطلنتيك ، صعُب للغاية إصدار الحكم الاكيد في سبب نتيجة ما . على هذه الطريقة يحرم الانسان نفسه معلومات نفيسة للتحسينات .

اما جلَد الطيّار الجسميُّ ، فهو ، دون مراء ، احد اخطر شروط الامن في السياحات الجوية ، ولاسيما الطويلة ؛ فلا بُدّ اذًا من تجربة تُمكّن من قياس مقداره . وان ظروف الطيران، في بقعة اقيانسيّة — بين ايرلندة والارض الجديدة (Terre Neuve)، حيث العواصف تكاد تكون دائمة — تُهيئ تلك التجربة، كما سبق القول ، اكمل تهيئة . فالانتصار في تلك التجربة مأثرة من مآثر القوى الجسميّة . على ان ليس لذلك الشأن هذه الخطورة ، من الوُجهة الفنية . هل يسوغ امل كون طريقة الانتقال الطيرانية تُصبح عمليّة ودارجة ، ما دامت هُنيهةُ وهن في قوى الطيّار كافية ، رغم تجربة جلَده السابقة ، لاحداث سقطة فجائية ، لا خلاص منها ؟ كلّا ؛ لان النتيجة الحاصلة متعلقة بحادث خصوصي ،

مُوفَّق ؛ فيمكن الاعجاب به ، بصفة كونه مأثرةً شخصيَّة ، لا انتصاراً نهائياً.

بل نزيد ، بحسب رأي علماء مبرّزين ، ان السياحات الاطلنتيكية لن تصبح مُمكنة طيراناً ، الّا في ظروف مختلفة جدًّا عن الظروف الصعبة وغير الثابتة ، للغاية ، في السياحات الحاضرة . يُستطاع اجتناب اخطار التقلبات الجوية ، بالصعود الى طبقات هوائيَّة بعلوّ عشرة آلاف متر ، وذلك بدون تواصل ، بسبب الانزعاج الفسيولوجي . في ارتفاع زهاء عشرة آلاف متر ، تقلّ كثافة الهواء ، فيقاوم سيرَ الطيَّارة مقاومة اقلّ جدًّا ، فيترتب على ذلك امكان ادراك سرعة اكبر جدًّا ، ينتج عنها مدَّةٌ اقصر في الطيران ، وذخيرة وقود اخفّ. واخطار اقلّ بشأن اختلال توازن الطيَّارة. وستكون الصعوبة الجوهرية ، في تلك الظروف ، تأمين تنفس الركاب وسير المحرّك بانتظام في الهواء المنبسط ، اي القليل الكثافة. ولكن يأوح لنا اننا على طريق حلّ هذا المشكل ، بفضل « ضاغط » (turbo-compresseur) راتو (Rateau) ، المكّن من حفظ ضغط الهواء ، بدرجته المعتادة ، في طيَّارة مُغلقة اغلاقاً مُحكَماً ، من كل جهاتها. فمتى تمّ ذلك ، نكون قد ابتعدنا عن مثل السياحات الطيرانيَّة الحاضرة ، وتكون تجاربها قد افادتنا فائدة فنّيَّة يسيرة.

امام هذا الاستنتاج الصارم قليلاً ، لا يسوغ ان أُرمى بعدم تقدير قيمة السباقات والحدود القصوى (records) ، وبحجة اولى ، فضل الاشخاص الداخلين فيها والمضحين بذواتهم في اثنائها.

ان السعي وراء الحدود القصوى مُنشّط حسَن لتحقيق الترقيات الفنّيَّة . ونضرب مثلاً على ذلك كون سرعة الطيَّارات الحاضرة ، لنقل الركّاب ، كانت من الحدود القصوى في سنتي ١٩١٢ و ١٩١٣ . ولم يمكن بلوغها ، لو لم يسع المهندسون والطيَّارون ، من نحو خمس عشرة سنة ، لتعدّي الحدود القصوى المدركة قبلهم. ومن الممكن دخول مأثرة استثنائيَّة ، تمّت اليوم بطيَّارة مصنوعة بفنّ ممتاز ، ومُدارة بيد طيَّارين مبرّزين ، في حيّز الاستعمال الجاري غدًا او بعد غد ؛ فذلك ما يبرّر تلك التجارب المُخطرة. وقد تحقّقنا هذا الامر من هنيهة بشأن السرعة — وهي فائدة الطيران الكبرى — ويسوغ ان نرى ذلك الرأي

نفسه بشأن الحدود القصوى في المسافة والمدّة. حيث يجب على الطيّار ان يستطيع اجتياز كل العقبات ، ومواصلة الطيران ، بدون ان يلتزم الانحدار الى الارض ؛ فنتج عن ذلك تحسين الاجهزة وتمرّن الطيّارين . كل ذلك ينطبق ايضاً على الحد الاقصى في الارتفاع . ولماذا يُمارَس الطيران المعرّض لخطر الاختناق والصعوبات ألّا يظنّها احد ؟ لسببين لمحناهما في اثناء هذه المقالة : اوّلاً ، بسبب الاخطار الناجمة عن التقلبات الجوية لطيارة على مسافة قليلة من الارض. ثانياً ، لان الغاء السرعة ، الذي لا جدال في فائدته ، تزيد صعوبة تحقيقه في طبقات الجو السفلى ؛ ومن جهة اخرى، فانّ مقاومة الهواء لسير الطيّارة تنقص بنسبة ارتفاعها ؛ فيُخيَّل لنا ان حلّ المشكل في المستقبل سيكون بالطيران في اعلى طبقات الجو . وستمسّ الحاجة اذًا الى درس طريقة رسوخ الطيارة (sustentation) في تلك الظروف الجديدة ، ولاسيما الاسلوب الموافق لحفظ ضغط الهواء على المركبة والراكب، بدرجة معتادة ، وهو امر لن يتمّ بسوى تجارب الحدود القصوى .

مع ذلك لا ربح للعلم من المشروعات المفرطة الجسارة . ويمكننا ، لايضاح هذا الامر ، الدقيق بدرجة ما ، ان نميّز نوعين من الحدود القصوى : الحد الشخصي القائم في مقدرة الطيّار نفسه فقط ، والحد الميكانيكي ، الناتج عن ازدواج مقدرة الرجل وقيمة مركبته . فيما سلف كانت صفة الحدود الشخصية وحدها تمكّن من تحقيق جلَد الظافر ، وشجاعته ، وهدوئه او مهارته . ولكن منذ نشأة انواع الرياضة الميكانيكية ، اضحت النتائج ابعد مرمى بكثير ، بل دخلت في ميدان العلوم . ولا بدع ، فانها ناتجة عن فكر مستند الى معلومات فنّية ، عن صناعة منطبقة على اصول العلم ، وعن ممارسة مقرونة بعلم وافر . وقد رأينا في ما سبق ، ما تأتينا به تلك التجارب الفريدة من المعلومات المستجدّة . وهذا ما يبرّر المخاطرة تبريرًا معقولًا ، وذلك امر يعجز عنه حبّ الذات الشخصي ، الدون ، او الكبرياء الوطنيّة ، متى خُوطر بالارواح .

فهل قصد الترقي الواجب تحقيقه ، هو الذي دفع عددًا كبيرًا من المتنافسين فوق الاطلنتيك ، غير مكترثين للموت ؟ في التحليل السابق رأينا ان العنصر الوحيد المبرّر حقيقةً لتلك التجربة هو جلَد الطيّار الجدي . وقد

كان من المستطاع ادراك كل النتائج الأخر بتجارب اقل افراطاً في الجسارة. الخلاصة اننا امام احد الحدود القصوى الشخصية ، الاقل خطورةً للعلم بكثير، والاصعب تبريراً في عين العقل المحض،فانه ، بحسب ناموس الاخلاق ، لا تسوغ المخاطرة بالحياة ، بدون سبب يناسب تلك المخاطرة. وقد يمكن للتفاني في سبيل ترقي علم من العلوم ، ان يبرّر تلك المخاطرة احياناً ؛ وبناء على ذلك ، يسوغ التهوّر في تجربة احد الحدود القصوى الميكانيكية اكثر جداً مما في تجربة حدّ شخصي؛ ففي الحالة الاولى يتوخى المرء بحثاً مفيداً ، لا مجداً باطلاً فقط ، كما في الثانية.

لذلك ، اذا تذكرنا سرعة الاستعدادات ليسبق كلُّ طيّارٍ اقرانه ويصل قبلهم ؛ وقلةَ المبالاة بفصل السنة والظروف الجوية ؛ وبكلمة واحدة ، الجنونَ الفاحش، المتسلّط، كما يلوح،على اندية السياحات الهوائية ، رغم النكبات المتعدّدة سُدًى ؛ واذا ثبت لدينا ان ذلك الشغف المفرط كانت تُعنى بادامته الجرائد ، والاعلانات ، والموضة نفسها ، الدافعة بعض النساء الطيّارات انفسهن الى عدم التأخر عن الرجال ، وذلك الى حدٍّ الجأ بعض الحكومات العاقلة الى التدخل رأساً ، لمنع تلك الاسفار الجنونية ؛ واخيراً اذا صدّقنا رأي اكثر اختصاصيي الطيران تيقناً ، المصرّحين بان نسبة امل اجتناب الهلاك — لا امل نجاح المشروع — لم تكن سوى عشرين في المئة ، فيسوغ لنا كل السوغ ، مع الاعجاب بمقدرة وشجاعة المخاطرين تلك المخاطرة ، ان نتحفظ في ابداء حكمنا بشأن المنشطين لتلك التهوّرات.

ان اجتيازات الاطلنتيك ، مثل كل السياحات الطويلة ، لا يُستخلص منها برهان راهن على تكامل الطيّارات. بل من المستطاع ان تُخيّل الناس ، لكون نجاحها ناجماً ، على الاخصّ ، من صفات بعض الطيّارين الاستثنائية . فيلوح لنا ان النتائج الحاصلة من تجربة تلك الاسفار ، لا تبرّر المخاطرة ؛ ما دام التكهن الميورولوجي قليل الامن ؛ وما دامت طافيات (flotteurs) الطيّارات المائية قليلة الوقاية للمركبة المنحدرة على البحر ، ولو هائجاً ؛ وما دامت مراكز اللاسلكي الباعثة ، على الطيّارات ، عاجزة عن ان تُعرّف ، حتى في عرض البحر ، النقطة التي فيها خطر الدمار ؛وما دام الطيّارون يسعون وراء جهاز يحفظ

للمركبة وجهتها ويعطيها ، من تلقاء ذاته ، ارفق زاوية نفوذ في الهواء (angle d'attaque) باقل نفقة في الوقود واقل تعب للربّان . ولا حاجة ، في البحث عن تلك التحسينات الفنيّة الشتى ، الى التهوّر حالًا في سياحات مُخطرة وكثيرة النفقة . بناء على ذلك ، اذا اردنا الحكم في الاسفار المباشرة في العام الماضي ، بظروف مفرطة المخاطرة ، نقول ان العلم ، الخائب امله فيها ، يتفق مع الفطنة البديهية ، التي كان من الواجب سيطرتها على التجارب التمهيدية ، ومع مبادئ ناموس الاخلاق ، في استنتاجه ان المخاطرة مفرطة بالنسبة الى قلة المأمول .

السياحات الى القطب

لا ينطبق هذا الحكم على سفرين الى القطب الشمالي ، أُنجزا تقريباً في آن واحد ، الاول بطيّارة آتية من اميركة ، والآخر في منطاد منطلق من شاطئ شبتسبرغ (Spitzberg) الغربي . وقد التزم المهندسون ، بالنظر الى هذه السياحة ، ادخال تجديدات غريبة للغاية ، لتذليل العقبات الناتجة عن البرد القارس . من ذلك انهم ، بين المشاكل التي وجب عليهم البحث في حلّها ، صادفوا مُشكل تجمّد الزيوت وغيرها من ضروب الوقود المائع ، الساري في المحرّكات ، لئلّا تختلّ حركتها ؛ فنتج عن تلك الابحاث ترقيات عمليّة .

على ان غرابة تلك السياحات قائمة ، اكثر مما في ذلك ، بالملاحظات الجغرافية القطب وجوّه . وهاكم بعض النتائج ، ريثما ينشر الرُوّاد يوميّاتهم : لم يحصل على معلومات مفصّلة والاجمالية بشأن القطب ، رغم محاولات التقرب منه ، المكرّرة بتواتر ونجاح في هذه السنين الاخيرة . فلم يُعرف اهو جُزُر منفردة ، ام قارّة ، ام بحر مُغطّى بقلنسوة من كُتَل الجليد ؟ وقد كان السيّاح يُشيرون الى طريقهم بخط تخميني من النقط المتابعة . لذلك لم يكن القصد ، هذه المرّة ، ادراك غاية عسيرة ، بل زيادة الاطّلاع على حقيقة النواحي القطبيّة . وقد فاق في ذلك الشروع ، المنطادُ نورج (Norge) على الطيّارة ، المفرطة السرعة . فاستطاع راكبه ، من اعالي الجوّ ، ان يعرف تقسيم تلك القطعة معرفة اجمالية ، كما انه ، بتقربه الاختياري الى النُقَط الاشدّ خطورةً ، وتمهيل سيره لقيس القياسات المضبوطة ، تمكّن من معرفتها تفصيلًا ، فاتضح ان هذا الاسلوب وافر النجاح .

لا اثر للحياة الحيوانية على سطح شواطئ البحر الجليدية (banquises)، ويختلف شكل هذه ، في القطب الشمالي ، عنه في النواحي المجاورة . فهذه تظهر بهيئة ارض كثيرة الوعورة ، مشقّقة شقوقاً عديدة. اما في القطب الشمالي ، فالامر بالعكس، لاننا نرى تجزُّء قِطَع الجليد الصغيرة ، المتلاصقة ، المجرورة نحو الجنوب ، بتأثير التيّارات البحرية. وقد رُكّزت ، على البحر المجمّد، رايات الامم الثلاث الممثّلة على ظهر منطاد الرُوّاد : الراية النروجية للرائد القبطان اموندسن (Amundsen) ، والراية الاميريكية للرائد الراصد ألسُوُرث (Ellsworth) ، والراية الايطالية للكولونيل الرُبّان نوبيله (Nobile). ثم واصلوا سير منطادهم على بحر جمّده الزمهرير . ولم تُشرق السماء الباهرة على العودة ، كما فعلت على الذهاب ، بل كان الضباب ، العاكس عمليّات ادارة المنطاد ، يعرّضه لاخطار شديدة جدًّا . فكادوا يضلّون عن الطريق فوق شاطئ ألسكا (Alaska) المغطّى بالثلج ، اذ لم يفرقوا بين الشواطئ الجليدية والارض المعتادة ، لان بياضاً ذا صبغة واحدة كان يحول دون تمييز الشواطئ. اخيرًا وصلوا ، بتعب غير يسير ، الى مضيق برنغ (Bering) ، بحسب منهاج السياحة ، المقصود به اتباع خط ارتياد مستقيم تقريباً ، يجعل العودة على طريق اميركة.

هذه اول مرة اجتيزت فيها البحار القطبية على خط معظم اتساعها ؛ وقد استغرق ذلك ١٦ ساعة و ٢٠ دقيقة . ولم تُلاحَظ ارضٌ معتادة ؛ وذلك يزيد لفت النظر الى كبر اتساع الشواطئ الجليدية ، وميزاتها وخشونة مناخها وصعوبة الوصول اليها . ولنذكر ايضاً ان القارّة الكبيرة للغاية ، المجاورة للقطب الجنوبي ، والمهجورة هجرًا شديدًا بعد نجاح ارتيادات اوائل عصرنا ، قد اقترب منها ، منذ وقت يسير ، نروجيٌّ جسور آخر. فذهب المسيو توفت (Tofte) على سفينة بسيطة لصيد الحيتان ، بطول ثلاثين مترًا ، لملاحظة جزيرة بطرس الاول ، على طريق بحر عارٍ عن تلال الجليد (icebergs) ، وكانت الحرارة معتدلة نسبيًا . لم يقدر هذا الرائد على ادراك السواحل ، بسبب وعورتها ، لكنه تحقق ، على الاقل ، ان الجزيرة متكونة من كتلة عظيمة من المواد البركانية. وعاد من سياحته بنموذجات جيولوجية عديدة ، استخرجها من اعماق

البحر ، حول الجزيرة ، فضلاً عن بضع فوتغرافيات جميلة .

سياحات البحث

في ايامنا هذه يزيد يوماً فيوماً تجلي الميل الى ارتياد منظم لصحراء افريقية. وربما تسنّى لنا ، العام القادم ، ذكر مسعى من هذا النوع مكلل بالنجاح .

وبين الاسفار المباشرة لغاية علمية ، يجب ذكر السفر الثاني للايوين تيّار دي شردان (Teilhard de Chardin) وليان (Licent) الى الصين. فرغماً عن ان الحوادث السياسيّة عرقلت كثيراً خطط مباحثهما ، استطاعا اجتياز طرق بقعة اهدأ واسهل ادراكاً من غيرها ، نعني منغولية الشرقية. وقد مكثا خصوصاً في الجبال العالية ، الموحشة ، التي يتكون منها شبه حصن في زاوية كوبي (Gobi) الجنوبية الشرقية. وكانت تلك النواحي تعد الاب ليان بغنائم نباتية وحيوانية وافرة. فضلاً عن كونها في حكم المجهول عند الجيولوجيين ؛ لذلك اكبّ الاب تيّار على العمل لارتيادها ، وقد كتب: «ملاحظاتي الحاضرة تكمل الملاحظات التي اجريتها في ١٩٢٤ ... لكنني لم اعثر على سوى القليل جداً من المطمورات (fossiles) ، (مع انه عاد من سفره بثمانية صناديق مملوءة) لكنني وجدت مواد جيولوجية وافرة ، كافية لمعرفة تركيب طبقات الارض ، الى عمق خمسمئة كيلومتر.»

ولنذكر اخيراً بصفة خاتمة لجدول الاعمال التي باشرها ، في السنة الاخيرة ، جرايو البلاد لخدمة العلم ، جانب فكرة إشراك الطيران في المباحث الاثرية . لان الفوتغرافيات المأخوذة في الجو تمكن ، اكثر من الملاحظة على سطح الارض ، من فهم الهندسة العامة واهم الخطوط المحددة للبنايات المطمورة تحت الرمال . وعلى هذه الطريقة استطاعوا معرفة موقع مدن وقلاع قديمة . وان تلك النتائج البديعة ، المدركة للمرة الاولى في وسط بادية سورية ، هي مفخرة للضباط والعلماء ، اعضاء البعثات في هذه البلاد .

(التتمة في العدد الآتي)

مجلة المجلات

اتينا في هذا الفصل على اهمّ ما كتبته عن البلاد الاسلامية
بعض المجلات الاوروبية التي تبادل المشرق

علي الهي – الحرية الدينية في تركية – من هو ادريس – مذكرات مصطفى كمال – الازهر – الحالة الاقتصادية في تركية – امير الشعراء – احصاءات فلسطين الحديثة.

علي الهي

ننتخب المقال برواية ما كتبته مجلة « العالم الاسلامي » الاميركية The Moslem World (كانون الثاني ١٩٢٧) عن بدعة سرية تعرف ببدعة « علي الهي » وهي تسمي ذاتها « اهل الحق » . امّا اعتقاداتها فنزيج من عقائد اخذتها عن مذهب الشيعة وعن المسيحيين وغيرهم ، وهي كثيرة التشابه « بالعلويين » السوريين ولها معهم علاقات . وقد انتشرت في بلاد الاناضول ، وفارس، وروسية الجنوبية، ولا يزال الظلام مخيماً على حقيقة تعاليمها فان اصحابها شديدو الكتمان لها وانهم، مع تظاهرهم بالاسلام، لا يمتنعون عن شرب الخمرة والمسكرات خفية

الحرية الدينية في تركية

ووصفت المجلة ذاتها ، في عدد نيسان ، عقلية الاتراك الجديدة، فقالت انهم احرار في اختيار الديانة التي يريدونها . والبرهان على ذلك ان اولاداً مسلمين حضروا حفلةً بروتستانية في قرية من قرى الاناضول، فوشي بهم الى انقرة، فكان جوابها ان الحكومة لا تتدخل في الشؤون الدينيّة . على ان المؤلف ابدى ملاحظة في ذلك فقال: لو جرى الحادث في مدرسة اجنبية لوقفت له الحكومة غير وقفتها الأولى . لان التعليم الديني لا يلقن احداثاً منتمين الى ديانة مخالفة . على ان الدوائر الرسمية في تركية الجديدة اخذت تقول بمبدأ أن الانسان ، عند دخوله السنة الثامنة عشرة من عمره ، يمكنه اختيار ديانته

من هو ادريس ؟

ذكر القرآن (١٩ : ٥٧ ؛ ٢١ : ٨٥) « ادريس » مرّتين وقال فيه هذه العبارة لا غير : « ورفعناه مكاناً عليـا » (١٩ : ٥٨) فنسب المفسرون من مسلمين ومستشرقين هذا الاسم الى اشخاص عدّة . فقال المسلمون انه ليس الا اخنوخ ، ذكرًا لما جاء في سفر التكوين (٥ : ٢٤) واما المستشرقون فذهبوا مع نولدكه الى ان ادريس هو القديس اندراوس الرسول او اندرياس. على ان مجلة العالم الاسلامي، في عدد تموز ، جاءت برأي ثالث فقالت ان ادريس انما هو اليشع النبي.

وتنبهت في البرهان على حجتها فلم تقنعنا. على اننا نكتفي بالايماء الى هذه المسألة لعلها تستلفت نظر بعضهم اليها (وجه ٢٥٩ــ٢٦٠)

* * *

مذكرات مصطفى كمال

انحجبت مجلة « العالم الاسلامي »الفرنساوية فخلفتها مجلة « المباحث الاسلامية» «Revue des Etudes Islamiques» . وقد اخذت بنشر مذكرات مصطفى كمال باللغة الافرنسية عن واضعها تبريرًا لسياسته،وهي اشبه منها بالحيل يتذرّع بها المحامي دفاعـاً عن شخصيته : فكل سطر من اسطرها ينمّ عن الثقة بالذات، والامل في النجم الطالع. فاحرِ بكتبة التاريخ الاطلاع عليها بشرط ان يعرضوها على محك التحقيق والتمحيص«لان نصاب الشهادة اكثر من واحد»، على انها تبين اسباب فوز الكماليـين وموقف زعيمهم.

الازهر

ونشرت المجلة عينها (وجه ٩٥ــ١١٨) مقالة في الازهر وتطوراته بيـاناً لما بُذل من المجهودات، منذ خمسين سنة، في سبيل نهضة الدروس في ذلك المعهد الاسلامي الشهير ، وكيف آل امرها الى الفشل . وخلاصة المقال انه : « على الازهر ان يختار اما ان يكون معهدًا لتعليم الدينيّات يقصدهُ عدد من الشبان لا يزيد على ما تحتاج اليه البلاد،واما ان يصبح كلية عصرية بكامل المعنى مع

التحفظ بروحه الدينية . اما وقد أعرض عن الاختيار ، فرُغب عنه الى سواه من المعاهد الحديثة لاوفى منه بحاجات مصر الحالية . وان اهمّ هذه المعاهد وأعلى ما ترقى اليه هي الجامعة المصرية المنشأة حديثاً على مثال كليات اوروبا »

* * *

الحالة الاقتصادية في تركية

القت مجلة « الشرق المصري » الايطالية «Oriente moderno» (كانون الثاني ١٩٢٧) نظرة عامة على الحالة الاقتصادية والمالية في تركية ، فاستنتجت منها ان حركة السفن المبحرة تحت اللواء التركي قد ازدادت،فادّى الامر بشركتين ايطاليتين وشركتين افرنسيتين الى تعديل خطة اسفارها بين الموانئ التركية. وهناك شركة تركية اسمها « سير سفان » مدتها الدولة بيد الاسعاف ومحمول اسطولها يناهز ٤٠،٠٠٠ طن. وغيرها من الشركات العاملة انما هي اقل اقتداراً منها.

اما مسألة الحربية والدفاع الوطني فلم يجدوا الى حلها سبيلاً وذلك لانهم لم يتوفقوا في بناية مصاهر المدافع في محل بعيد المنال من العدو ، قريب من معادن الحديد والفحم. وهذه الموانع مع قلة وسائل النقل تحول ايضاً دون استنباط النحاس من معادن ارغانة الوافرة. اما ميزانية الحربية فانها تستغرق اموالاً طائلة وتعوق البلاد عن الرقي في الحياة الاقتصادية.

امير الشعراء

اشارت المجلة ذاتها (تموز ١٩٢٧) الى الصبغة السياسية التي اصطبغت بها الحفلات التي اقيمت في الصيف الماضي اكراماً لشوقي بك « امير الشعراء ». فأمّت الوفود القاهرة من اقاصي العالم العربي ، من مراكش الى اليمن ، ليس اكراماً للشاعر فحسب ، ولكن تظاهراً بالحمية القومية العربية العامة التي نشرت اعلامها حول الشاعر النابغة « جامع شتات العرب »

وكأني بتلك العاطفة قد انستنا ان الشاعر المقصود بتلك الحفاوة كثيراً ما تقلب في حياته ولم يقرع على وتر واحد : ترنم بامجاد الخلافة ثم صفق مستحسناً سقوطها؛ اطرأ تارة عبد الحميد وطوراً مصطفى كمال ؛ شدا بمديح نبي الاسلام ثم تغنى بوصف الرقي العصري وحرية البحث والعلمانية الكمالية . على ان

ذلك دخل كله في خبر كان لما وقف « شاعر النيل » حافظ ابراهيم وانشد :

« امير القوافي قد اتيت مبايعاً وهذي وفود الشرق قد بايعت معي »

فهل يا ترى يباح للشعراء ان يتلزنوا كما يتلون ابو براقش على اختلاف الانواء والاهواء ؟ — هذا وقد خُتمت الحفلة «بمؤتمر عربي» وُضع فيه برنامج لما تتوق النفوس الى تحقيقه من الاماني فلم يكن تأثير تلك التظاهرات اخف وقعاً في عالم السياسة منه في عالم الادب

* * *

احصاءات فلسطين الحديثة

اليك ما اخذناه عن مجلة الجمعية الالمانية الفلسطينية : «Zeits. des deuts. Palæstina Vereins.»

ان عدد سكان فلسطين طبقاً لآخر احصاء جرى في تشرين الاول ١٩٢٦ كانت نتيجته كما يلي ، وقد وضعنا تجاهها بين هلالين احصاء العام ١٩٢٢

المسلمون	٦٤١٠٠٠	(٥٩٠٨٩٠)
اليهود	١٥٨٠٠٠	(٨٣٧٩٤)
المسيحيون	٧٨٠٠٠	(٧٣٠٢٤)
غيرهم من اديان مختلفة	١٠٠٠٠	(٩٤٧٤)
المجموع	٨٨٧٠٠٠	(٧٥٧١٨٢)

اما عدد الالمان المقيمين في فلسطين فيبلغ ١٨١١ منهم ٤١٥ من البروتستانت الانجيليين و١٢٥٠ ينتمون الى شيعة البروتستانت الميكليين و١٤٦ كاثوليكياً . اما الازمة الاقتصادية التي حلت في البلاد (راجع مشرق كانون الثاني) فقد خفت وطأتها قليلاً بفضل ما وضعته الحكومة من الحواجز دون قدوم المهاجرين . فان من يأتيها من المسكوب لا يجد سبيلاً الى الدخول ما دامت الحالة على ما هي . اما عدد الذين بارحوا فلسطين في العام ١٩٢٧ فقد زاد على ضعف الذين دخلوا البلاد في المدة ذاتها

وقد عينت الحكومة لجنة وضع التمهيد لمشروع مسح الاراضي فيتاح لها البتّ في نظام «الطابو» فتأخذ ببيع او بكراء الاملاك الاميرية . وقد عالج هذه القضية مؤتمر بال الاخير (راجع المشرق ، كانون الثاني ص:١٣)

مطبوعات شرقية جديدة

Lewy (J.):Die Chronologie der Könige von Israel u. Juda. 32 *pp.* 8°, *Giessen, Toepelmann*, 1927. *Prix M.2.*

توقيت ملوك اسرائيل ويهوذا

مؤلف هذا الكتاب استاذ في جامعة غيتن وهو من علماء الاشورية المعروفين. اراد ان يبرهن ، بواسطة مقابلة التواريخ البابلية والاشورية ، ان العقبات التي نراها في المقابلة بين توقيت ملوك يهوذا واسرائيل المذكورة في التوراة ، تزول ، اذا فرضنا ان تعابير الكتاب المقدس تذكر ابتداء الملك على سبيل المعاصرة والمقارنة ، لا باعطاء عدد السنين الدقيق . وعليه فينتج من فحص هذه المقارنات جدولٌ توقيتي لملوك يهوذا واسرائيل يبتدئ بملك سليمان (٩٦٠ — ٩٢١) ق.م.) وينتهي بملك صدقيا (٥٩٧—٥٨٦) فيما يخصّ يهوذا ؛ وبملك هوشع (٧٣٣—٧٢٤) فيما يخصّ اسرائيل س.ر.

Alberto M. Candioti: Historia de la Institución consular en la Antigüedad y en la Edad media, con documentos justificativos, muchos de ellos ineditos y con grabados fuero del texto. t.I.—*vol.gr. in-8° de XXI-851 pp. Editora internacional, Buenos Aires.*

تاريخ القنصلية في العصور القديمة والعصور الوسطى

يستغرب بحق مؤلف هذا الكتاب المهمّ ، وهو اليوم قنصل الارجنتين في مدينتنا ، كيف لم يقم احد فيستعين بالكتب الكثيرة التي تكلمت عن القنصليات ، ويؤلف تاريخاً مفصّلاً للمؤسسات القنصليّة . على ان هذه الثغرة قد سدّت بفضل السيد كانديوتي وبطريقة يرضى عنها اصعب الناس رضىً . فان هذا المجلد الذي يحتوي على ٨٥٠ صفحة مع كثير من الرسوم يؤلف الحلقة الاولى من سلسلة تتكوّن من ثلاثة مجلدات . واذا ما القى القارئ نظره على الصفحة الاولى ، رأى لائحة طويلة للمآخذ الوافرة ، فكان لذلك في نفسه التأثير

الحسن لأن المؤلف طالع وحلل كل ما اختص بموضوعه وكان منشوراً في لغات اوروبا المهمّة

امّا من جهة المادّة ، فيبتدئ المؤلف ، كما نرى في العنوان ، من اقصى اصول المؤسسة القنصلية عند الشعوب القديمة السابقة للعصر المسيحي ، ولا يقف الّا في آخر العصور الوسطى . فيرى بصواب ان آثار القنصلية الاولى تمتّ الى مؤسسة حماية الاجانب (proxénie) اليونانيّة ، ومؤسسة الولاء (patronat) الرومانيّة . ثم يدرس بكل تدقيق جميع مظاهر القنصلية في العصور الوسطى ، مع جهود الحكومات المختلفة في تحقيق حماية التجارة التي كان يقوم بها افرادها في البلدان الاجنبية . وهذا اهمّ واجبات القنصل

ويبدو له ان القنصلية اتّخذت مظاهرها التقليدية المعروفة، في عهد الجمهوريات الايطالية كالبندقية وجنوى ، وان التجارة مع البلاد الشرقيـة هي التي دفعت المؤسسة الى هذا التطوّر. فصار القنصل موظفاً رسمياً من واجباته ان يحمي ، في البلاد الاجنبية ، حياة ابناء وطنه ومصالحهم ، فيقرّ به اصحاب السلطة في البلاد التي يقيم فيها

وان المؤلف مصيب في حكمه ، اذ يرى انتحال الوثائق المنسوبة الى نبيّ الاسلام والخليفـة عُمر (ص ١٠٣) وعلى المطالع ان يقرأ في الصفحة ١٨٤ ، السطر الثامن ، صلاح الدين (Saladin) بدل سليمان (Soliman) ه . ل .

Fr. Gabrieli : studi sulla poesia di al-Mutanabbi, *Estratto dal Rendiconti d. R. Accademia nazionale dei Lincei. ser. VI, vol. III fasc. 1-2. Roma*, 1927

درس في شعر المتنبي

ظهرت هذه الملاحظات ، في آن واحد ، مع بحث معاوننـا ، الاديب فؤاد البستاني، في شعر المتنبي ، وافكاره الفلسفية والدينية ، وشهرته بين ابناء عصره، واهتمام المستشرقين به . وانه لمن المفيد مقابلة البحث الذي ظهر في مجلتنـا ، بدرس هـذا المستشرق الشاب في الموضوع نفسه . فنرى اذ ذاك ان المنتقدَين يتفقان اجمالياً في استنتاجاتها. ه . ل .

La Lotta fra l'Islàm e il Manicheismo—un libro di Ibn al-Muqaffa' contro il Corano, confutato da al-Qàsim B. Ibràhim. *Testo arabo pubblicato con introduzione, versione italiana e note da* Michelangelo Guidi. *Roma, Accademia Nazionale dei Lincei*, 1927- *in*-8°

كتاب الردّ على الزنديق اللعين ابن المقفع

للقاسم بن ابراهيم

ضبط متنه وترجمه الى اللغة الايطالية وعلق عليه الحواشي

ميكائيل انجلو جويدي

هذا كتاب علمي نشرته على نفقتها « مؤسسة كايتاني للابحاث عن تاريخ الاسلام وحضارته » يحتوي تفنيد الاضاليل المانوية القائلة بالمبدأين المنسوبة الى ابن المقفع ، صاحب كليلة ودمنة ، المعروف بملاحة انشائه وطلاوته . ومن الغريب ان واضع هذا الردّ يعيّر ابن المقفع بجهل العربية . على انه علوي ينتمي الى الشيعة الزيدية الف كتباً عديدة وتوفي سنة ٢٤٦ هـ (٨٦٠ م)

وضع ابن المقفع كتاباً حمل فيه على القرآن حملةً عنيفةً وقال انه يتكلم في الله بما لا يليق به عز وجلّ فازدرى الايات « المشتبهة » وتطاول على نبي الاسلام . فصنّف القاسم ، في الردّ عليه ، كتاباً عويص المعاني وقد زاده السجع تعقيداً . اما طبعته وترجمته الايطالية وما علق عليها من الشروح العلمية فتستحق كل الثناء . وفي هذا الكتاب من الفوائد ما يساعد على فهم حالة الزندقة وتاريخ المجادلات الدينية بين المسلمين وغيرهم من سائر المذاهب . فنرف الخاص تهانينا الى ناشر الكتاب ومترجمه نجل اغناطيوس غويدي شيخ المستشرقين الرقور ه . ل .

Van Rees: Les mandats internationaux. Le contrôle international de l'administration mandataire. *Vol. in*-8° *de* 145 *pp. Prix* 20 *f*° 1927-*Paris, Rousseau et C*ie *éditeurs.*

الانتدابات الدولية . المراقبة الدولية على ادارة الانتدابات

يتضح موضوع هذا الكتاب من عنوانه الثاني وهو : المراقبة الدولية على ادارة الانتدابات . وان اهمية هذا البحث تتضاعف اذا ما عرفنا مركز الكاتب الذي هو نائب رئيس لجنة الانتدابات الدائمة . بدأ الموضوع بان عرض بسرعة المبادئ التي تستند اليها مؤسسة الانتدابات ، ثم اخذ بتفصيل

الكلام عن معنى مراقبة جمعية الامم لهذه الانتدابات ، وحدود صلاحيتها في ذلك . وهي ضالة ثمينة للشعوب الواقعة تحت الانتداب ، كما انها حمل قد تراه الدول المنتدبة باهظاً ، لامر من الامور . وعليه فاننا لا يسعنا الا معرفة الجميل للمؤلف الذي اوضح هذه النقطة من المراقبة بصراحة ودقة ، وقد استشهد بالحوادث العديدة مظهراً بنوع خاص ان لجنة الانتدابات العامة لم تنفك عن القيام بواجبها المتعب والدقيق معاً ، مساعدة الدول المنتدبة باخلاص ومواظبة

وسيكون هذا الكتاب اول ما يجب قراءته ، من الآن وصاعداً ، في موضوع المراقبة على الانتدابات ج.ل.

Manuale Juris Canonici in usum scholarum, edidit Dominicus Prümmer, O. P. — *Editio* 4ª *et* 5ª *aucta*, 1927. *Marks* 12,50

كتاب في الحق القانوني

هذا كتاب يحتوي ، في مجلد واحد ، على كل الحق القانوني ، معروضاً بطريقة صريحة ودقيقة ، وهو الطبعة الرابعة والخامسة من المؤلف المشهور المعتبر للاب دومينيك برومير ، المعلم في جامعة فريبورغ في سويسرا .

ولقد كان من الصعب ان يجمع ، في اقل من هذه الصفحات ، كل ما يلزم معرفته من الحق القانوني في المعاملات الجارية ، بطريقة كهذه موافقة واتماماً

فان المؤلف ، رغبة في زيادة الوضوح ، يطرح اولاً اسئلة مقتضبة ثم يتبعها باجوبة وافية . وهو يبدأ كتابه بجدول مختصر وواسع لمشاهير علماء الحق القانوني ، ويقدم مقدمة في مبادئ الحق الكنسي العامة . ثم يتكلم في الكتاب الاول ، عن مصادر الحق القانوني ؛ ويتبع ، في الكتب الاربعة الباقية ، القانون متكلماً عن الاشخاص ، فالاشياء ، فالدعاوى ، فالعقوبات . وهو لا يقف عند شرح الشرائع واحدة بعد اخرى بل يجمعها كل قسم حول موضوعه ليزيد الوضوح في شرح المسائل المعروضة في القانون

فنحن ننصح للاكليروس الاطلاع على هذا الكتاب الذي اصبح مع مؤلف الاب ڤرميرش (Vermeersch) المعروف بالـ (Epitome) اخصر الشروح واتمها للقانون . لا شك في ان هذا المؤلف لم يوضع رأساً للطوائف الشرقية ،

وتلك حالة القانون الكنائسي ايضاً ، ولكن فيه كثيراً من المواضيع المشتركة بين الطوائف جمعاء،فضلاً عن ان هناك بعض النقاط التي تختص رأساً بكاثوليك الشرق . واننا نؤمل ان كهنة بلادنا هذه ، اذا ما اطلعوا على هذا المؤلف ، ينشطون للعمل ، وينشرون دروساً في بعض النقاط الخاصة بحقهم ، فيفيدون فائدة عظيمة علماء الحق القانوني في كل الطوائف الاب مونجان

G. Neyron s. j.: Histoire de la Charité. 1 *vol. in*-12 *de* 200 *pp. prix* 10 *f*. - *Paris, Editions Spes*, 1927

تاريخ المحبة

غاية المؤلف في هذا الكتاب ان يجعل بامكان الجميع معرفة ما نصّلته المؤلفات الاختصاصية بشأن الدور المهمّ الذي تقوم به المحبة المسيحية . وقد نال غايته بالطريقة التي اتخذها ، لان ما نراه من خصب الكنيسة في كل انواع الخيرات لهو برهان يمكن للجميع ان يتحققوه . فبعد ان يخصص المؤلف بعض الصفحات لدرس المحبة في العصور القديمة ، يتبع الكنيسة منذ نشأتها حتى ايامنا باسلوب سهل ومنعش . مما يجعل كتابه هدية ثمينة لجميع من يضحّون من ذواتهم في سبيل القريب فيشاهدون انهم ليسوا بالمنفردين في اعمالهم بل ان هناك في كل مكان تُبذل الجهود العديدة في سبيل هذه الغاية ، فيتشجعون. ج.ل.

Saint Joseph *par S. E. le Cardinal* Dubois, *archevêque de Paris* — 1 *vol, in*-12 *de* 224 *pp. de la collection « Les Saints »* — *prix* 7, 50 *f*. — *Librairie Lecoffre, J. Gabalda et Fils, Editeurs, Paris*, 6°.

القديس يوسف

ليس من حاجة لتقريظ هذا المؤلف ؛ فاسم كاتبه ، نيافة الكردينال ديبوا ، يكفي ليُقبل عليه مجموع المطالعين . وهو في كتابته حياة القديس يوسف ، اراد أن يشرك المؤمنين بعواطف التكريم السامي التي يشعر بها نحو القديس المعظم ، شفيع العائلات المسيحية والكنيسة الجامعة . وان المصادر التي يمكن الاستعانة بها في درس حياة كفيل السيد المسيح ، تقود الى نتائج صائبة مُرضية لاحكام العقل ، وعواطف التقوى.

حروب ابراهيم باشا
في سوريا والاناضول – (الجزء الثاني)
لمؤرخ مجهول
المطبعة السورية، مصر – ١٩٢٧ – ص : ٧٢ قطع ٤ن

علّق حواشيها ووضع فهارسها الدكتور اسد رستم – عني بنشرها والحقها ببعض وثائق تاريخية الخوري بولس قرألي .

كتب هذه المذكرات احد المعاصرين للثورة التي قام بها اللبنانيون على المصريين في العام ١٨٤٠ وقد آل الامر بهم الى نفي الامير بشير الكبير . وان اهم ما يلفت النظر في هذا الكتاب ما ذكر فيه من اعلام الاشخاص والامكنة، والمعروض الذي قدمه زعماء الدروز الى الباب العالي ودعامة حجتهم فيه انهم، وان يكونوا اقل عدداً من المسيحيين، فلا يرضون بان يقام عليهم حاكم مسيحي . (وجه ٥٧) ه . ل

البستان
تأليف الشيخ عبدالله البستاني
المجلد الاول – المطبعة الاميركانية، بيروت – ١٩٢٧ – ص : ١٣٨٣، قطع كبير

اهدت الينا المطبعة الاميركانية المجلد الاول من هذا الكتاب الجليل، وقد ظهر كالثمر باوانه على افنان جذع هرم اثقلته الايام وقاراً ولم تحنه . فان من حضر حفلة اليوبيل ونظر الى الشيخ الناحل الجسم الرقيق الطلعة متمشياً بين رئيس الجمهورية اللبنانية وبين مطران بيروت، وانعم من بعد ذلك نظره في «البستان»، اخذته الدهشة واعتراه الاعجاب لما فيه من زهور عطرة واثمار شهية لذيذة تروق الناظر وتستهوي المتعطش الى الوقوف على اسرار اللغة .

ان يكن للكتب منافع فلا كتب تضاهي معجمات اللغة فضلاً وفوائد اذ بدونها يتعذّر الكلام والكتابة بلغة الجدود، فالمعجم هو الام الرؤوم تعلم اولادها اصول الكلام وهو الاستاذ الجليل صاحب الحكم الفصل في معضلات المشاكل ومغمضات المباحث .

على ان المعاجم تتفاوت سعةً بمحتواها، واتقاناً بطبعها وسهولة مطالعتها، وانما

فضل البستان هو انه جامع بين اتقان وتمحيص وبيان،فيستحق اطيب الثناء.ما ان قصدته بكلمة ايها القارئ اللبيب الا سارت عينك على مجاري نهره الطافح فوجدتَ ضالتك المنشودة على ضفته ناتئةً من المتن على الهامش ، مستلفتةً النظر

منذ نصف قرن ونيف،وقد اخذت النهضة الادبية تدبّ في عروقنا،ظهرت معاجم عدة وقوبلت كلها بالاستحسان لما لها من المنافع . لكن لا ادري هل برز حتى اليوم المعجم اللغوي الفاصل بين الميت والحي.

لان ما نرغب فيه الى القاموس هو تنبيه الخواطر الى اللفظ الاوفى للتعبير عن الموضوع المطلوب والاقرب مثالاً من المعاصرين ، وان ما دون ذلك ليعرقل سيرنا في سبيل البيان ونحن عنه بغنى . ولا يخفى ان غربلة الالفاظ هذه لا تتمّ الّا على ايدي لجنة من الاختصاصيين يتناولون المؤلفات العربية قديمها وحديثها ويتفهمون تعابيرهـا والفاظها ويذيلونها باذيال تسندهـا الى مصادرها ، ويبينون كيفية استعمالها ، ليس فقـط على تطوّر الزمـان والمكان ، ولكن على تنوّع الظروف التي أدّت باعلام اللغة الى اصلاحهم ، في سن الكهولة، ما فرط منهم في سن الشبيبة ، فتراعى قيمة اوضاعهم طبقاً لنضوج علمهم وحسن مقدرتهم

وانه ربما تتحقق تلك الامنية الجميلة ، لنا في «البستان» روضة غناء تجتنى ثمارها على تنوّع الاشكال والالوان ف . ت

المحراث

مجلة زراعية صناعية اقتصادية تصدر عن بيت شباب

صاحبها ومحررها ادوار غالب .

عطر نسيم الختول يهب من طيات « المحراث » ! هي مجلة زراعية صناعية اقتصادية لبنانيـة ، يجد فيها المزارع والفلاح كل ما يهمه الاطلاع عليه من امر الزيتون ، وداء الهريان في الكرمة والاشجار المثمرة وغيرهـا من النبات ، وتربية الحيوانات الداجنة والدجاج وطعامها الاقتصادي ، وغير ذلك من المقالات التي بدأهـا صاحب المجلـة وقد يأتي على تتمتها في الشهور الآتية. انما وطّأ لها بمقدمة ملخصها : لا بد من نبذ المثل « القديم على قدمه » والتشمير عن ساعد الجد في استعمال الآلات الحديثة ، والسماد ، والطرائق المختبرة في سائر البلاد ،

والمؤدية الى النجاح . ولغة « المحراث » واضحة قريبة المنال من الفلاح

الاب اسكندر طوران اليسوعي

مذكرات في التربية الوطنية

تأليف يوسف نجيب

مطبعة التوفيق – مصر – ١٩٢٧ – ص . ٢١٦ ، قطع غن

حبذا التربية التربية الوطنية يُهذّب بها النشْ في المدارس فيعرف كل فرد، بوضوح وصراحة ، واجباته المختلفة نحو الله ، وعائلته ، ووطنه ، والعالم اجمع ، فيشبّ رجلًا كاملًا كثير الافادة لبني قومه . هذه المبادئ الشريفة والاصول السامية ، خاض فيها احد كتّاب مصر يوسف نجيب ، الحائز على شهادة التدريس ومأذونية الحقوق ، فوضع ، وفقاً لمناهج وزارة المعارف ، هذا الكتاب مبتدئاً بوصف الروابط الاجتماعية كالاسرة ، والامة ، واللغة والوطن ، منتقلًا الى الوطن المصري ، موضوع بحثه المهم ؛ فتكلم عن الدولة وانواعها ، والحكومة واختصاصاتها ، والدستور المصري باحثاً في السلطات من تشريعية ، وتنفيذية ، وقضائية ، منتهياً بمركز مصر الدولي . كل ذلك بوضوح مفيد وايجاز قد يضرّ نوعاً ببعض المواد.

ف . ا . ب

هدايا ارسلت الى المشرق

← خدمة القداس الالهي ← لمؤلفي الطقس اليوناني مع اجوبة الخورس بالموسيقى الاوروبية – مطبعة الارض المقدسة للآباء الفرنسيسيين

← منشور بطريركي ← في المحبة المسيحية لصاحب الغبطة الياس بطرس الحويك البطريرك الماروني في ٢١ تشرين الثاني سنة ١٩٢٧

← الجزء الثالث من ترجمة البطريرك اللبناني ← مار الياس بطرس الحويك بطريرك انطاكية وسائر المشرق ومندوب الامة في باريس سنة ١٩١٩ ، بقلم البرديوط بطرس حبيقة حفاوةً بالعيد ٦ كانون الثاني سنة ١٩٢٨ – المطبعة الكاثوليكية

← محاضرات في مدن العراق ← القاها يوسف رزق الله غنيمة في مدرسة دار المعلمين العليا ببغداد ١٩٢٣–١٩٢٤ ، مطبعة الفرات . ان دخول صاحب الكتاب ثانياً في المجلس النيابي قد حال دون انجازه عمله بالكمال الكامل . فوددنا لو وجدنا فيه ملخصات او فهارس يستعين بها القارئ على الالمام باطراف الموضوع على اننا نثني على همة المؤلف وعلمه

← نشرة في زراعة التبغ ← اقتطفها من كتب الفرنسية الاستاذ الخوري حنا طنوس

ـ قانون الجمعية اللبنانية ـ المؤسسة في القاهرة سنة ١٩٢٧

ـ القانون الاساسي لجمعية الشبان المسلمين ـ احد بنوده ما يلي « الاخذ من حضارتي الشرق والغرب بمحاسنها جميعاً وترك ما فيها من مساوئ » (وجه ٣،٤)

شذرات

يوبيل البستاني

يوم الاحد الواقع فيه الخامس عشر من كانون الثاني اقام ادباء العربية وعلماؤها ، في ردهة مدرسة الحكمة ، حفلة شائقة اكراماً للشيخ الوقور عبدالله البستاني وذلك لمرور خمسين سنة قضاها في خدمة اللغة العربية الشريفة : لقن العلوم في عدة مدارس فتخرج عليه ادباء ممدودون ، ووضع ، وعرّب ، وصحّح ونقّح مؤلفات شتى منها الروايات «النثرية» وهي ـ ١) جساس قاتل كليب ـ ٢) امرؤ القيس في حرب بني اسد ـ ٣) عمر الحميري اخو حسان ـ ٤) السموأل او وفاء العرب «والشعرية» وهي ـ ١) حرب الوردتين ـ ٢) يوسف بن يعقوب ـ ٣) بروتوس ايام تركوين الظالم ـ ٤) بروتوس ايام يوليوس قيصر ـ ٥) مقتل هيرودس لولديه

ونقل الى العربية خطاب بوسويه في التاريخ العام بمساعدة شاكر عون (راجع الشرق كانون الثاني ١٩٢٧ ص: ٨٨٣) واشهر مؤلفاته « البستان » الذي وصفناه قبيل هذا الكلام

وقد مُثلت في تلك الحفلة جميع كليات ومدارس بيروت ، والنقابات والجمعيات العلمية ، واوفد غبطة السيد البطريرك الماروني نائبه لحضورها ، وحضرها بالذات رؤساء الجمهورية والوزارة والمجلس ، فاهدى رئيس حكومتنا الى المحتفى به وسام الاستحقاق اللبناني، وكذلك اهدى اليه سمو الداماد وسام الاستحقاق السوري . وقد اشتركت كليتنا بذلك التكريم فقدّمت للشيخ تهانئها في كأس متقن الطبع ، جميل الورق ، منسّق التنسيق ، صدرته برسمه الكريم ، وقسمته الى قسمين، في القسم الاول ذكرت ترجمة الشيخ تلميذاً ومعلماً

ومؤلفاً وشاعراً ورجلاً وفي القسم الثاني جمعت اسماء من اشتهر من الاسرة البستانية في خدمة الآداب العربية مع جدول مؤلفاتهم . فنحن نكرّر التهاني للشيخ سائلين له حياة طويلة سعيدة يتابع فيها اعماله الجليلة في خدمة اللغة

مؤتمر المستشرقين في عاصمة بني أمية

أهدي الينا التقرير الرابع باعمال المجمع العلمي العربي فاقتطفنا منه ما يلي (وجه ١٣) :

«ثم انهُ مضى على تأسيس دار الكتب خمسون سنة ومن واجب المجمع ان يحتفل بعيدها الخمسيني الموافق لمرور عشر سنين على تأسيس المجمع العلمي ، فيجعل العيدين عيداً واحداً ويدعو الاندية العلمية والجامعات وعلماء الشرقيات في البلاد المتمدنة الى الحضور في الربيع المقبل (١٩٢٨) ولذلك اقتضى ان يسارع خلال هذه الاشهر القليلة الباقية في إدخال هذه الاصلاحات على ذينك المعهدين على اسرع ما يمكن وبصورة تتلاءم مع شأن الدولة وعظمة هذه الامة . ولا شك ان دعوة علماء الشرقيات وغيرهم الى حضور الحفلة العتيدة مما يعلي شأن بلادنا بين البلدان ، ويغدو هذا المؤتمر اول مؤتمر عقد في دمشق . ومتى تمت ادواتنا في معاهدنا لا يصعب دعوة مؤتمر المستشرقين الى الانعقاد في عاصمة بني أمية لان جماع المشتغلين بالشرقيات في الغرب يودّون زيارة الديار الشامية . وتمثيل أممهم في مؤتمرنا فرصة ثمينة لهم ولنا ايضاً . »

ونحن لنا الامل ان المجمع يقوم في الاجل القريب بامر وضع فهرست كامل للمخطوطات المحفوظة في مكتبة الملك الظاهر ، فلا يستغرب المستشرقون امر اهماله الى الآن .

اهمّ حوادث الشرق في شهر

١٥ ك ١ ــ ١٥ ك ٢

للاب لويس معلوف اليسوعي

ــ كانون الاول ــ

١٥ : نفذ حكم الاعدام في كنتون (الصين) ببعض الروس المتآمرين ، بعد تشهيرهم. وقد بلغ عدد الشيوعيين القتلى حتى هذا التاريخ زهاء الالفين وتغطي جثثهم الشوارع

١٦ : بعث الرفيق تشيشرين الى وكيل الشؤون الخارجية في شنغاي مذكرة قال فيها ان حكومة السوفيات لم تعترف حتى الآن بالحكومة الوطنية

١٧ : وصلت بعثة اميركيــة من رجال الصناعــة والفن الى شربورغ في طريقها الى بــلاد الحبشة لاستشارة ولاة الامور هناك والقيام بمشروع صناعي اقتصادي واسع النطاق ــ حُكم في بيروت بالاعدام على الثائر علي فارس. فهد قاتل المرحوم الخوري ديتريوس جمال ــ صار الاحتفال باليوبيل الخمسيني لجريدة لسان الحال ــ يقتل رجال السلطة الحربية في كنتون الشيوعيين بلا شفقة ولا رحمة ــ احتفل بتدشين طريق «حلب - دارة عزة - قلعة سمعان» . وقد القى والي حلب خطاباً بيّن فيــه اهمية هذه الطريق التي ستسهل للسياح زيارة مــا هنالك من الآثار العظيمة وتساعد على توفير المرافق في البلاد

١٨ : وافق البرلمان في اثينة على محاكمة النواب العشرة الشيوعيين بتهمــة الخيانة العظمى

١٩ : اعلن الحبر الاعظم في مجمع الكرادلة ترقية خمسة احبار الى الرتبة الكردينالية، منهم اثنان افرنسيان هما السيد لابيسيه الزائر الرسولي في الهنــد والسيد بيتت رئيس اساقفة بيزانسون . والثالث السيد رولو رئيس اساقفة كيبك (كندة) . والرابع السيد سغورا ايسا انزا رئيس اساقفــة بورغوس (اسبانية).

والخامس الاب سرّدي من رهبان القديس عبد الاحد الجرية وسيكون رئيس الاساقفة في بلاد المجر — وصلت الى الاسكندرية اشجار الزيتون التي كانت الحكومة المصرية قد طلبتها من اسبانية

٢٠ : أعفي مهاجرو الارمن في حلب من ضريبة المسقفات مدة خمس سنوات تلي السنة التي اقيم او يقام فيها البناء — اصدرت رئاسة الشؤون الدينية في تركية امرًا بان تكون الخطب في الجوامع من الآن وصاعدًا باللغة التركية بدلًا من العربية — سحبت حكومة لبنان المشروع الذي كانت قد وضعته لتزفيت الطرق . وسبب ذلك ان اموال الجمارك التي كانت قد أرصدت لهذا العمل قد انصرفت نية المفوضية العليا الى استخدامها في انشاء الخط الحديدي بين الناقورة وطرابلس

٢١ : تنشر في لندرة وبغداد في هذا النهار المعاهدة «العراقية - الانكليزية» الجديدة — وافقت الحكومة الالمانية على ما طلبتهُ اليها حكومة السوفيات من المحافظة على مصالح رعاياها في جنوبي الصين

٢٢ : قبلت فرنسة مبدئيًا الغاء الامتيازات الاجنبية في ايران وعقد معاهدات جديدة بهذا الشأن . وقد حذت المانية حذو فرنسة

٢٣ : اصدر رئيس الجمهورية اللبنانية مرسومًا يوافق فيه على موازنة سنة ١٩٢٨ وقد قُدّرت فيها الواردات العمومية بمبلغ ١،١٣٧،١٢٠ ليرة لبنانية ذهبية وفُتحت اعتمادات للنفقات بمبلغ ١،١٢٨،٣٧٧ ليرة ذهبية — امرت الحكومة الايرانية باقفال المدرسة الاميركية في همدان لانها ابت ان تعلم القرآن

٢٤ : توفي المطران بشارة الشمالي رئيس اساقفة دمشق على الطائفة المارونية - تلي في اكادمية الآثار في باريس بيان عن نقوش وصور مسيحية كشفت في جوار جبيل يرجع عهدها الى العصور المتوسطة

٢٥ : قررت الاكادمية الروسية افتتاح معهد للابحاث الفنية في الاستانة

٢٦ : وصل ملك الافغان الى القاهرة وقد اقيمت لهُ حفلات استقبال باهرة في كل مكان مرّ بهِ

٢٧ : كتب من بكين ان اربعة ملايين من الصينيين يموتون جوعاً في شنتنغ وجوارها

٢٨ : وصل الى حيفا قادماً من انكلترة مستر بالمر المهندس للاشراف على اعمال المهندسين الذين يضعون التصاميم لبناء مرفأ حيفا

٢٩ : طلب ١٢٠٠ روسي من المقيمين في الاستانة التجنس بالجنسية التركية

٣٠ : سافر من باريس الى بيروت مسيو شنو رئيس مجلس الادارة للسكك الحديدية في بلاد الشرق ، ليهتمّ بالخط الحديدي «الناقورة - طرابلس»

٣١ : هجم الوهابيون هجوماً آخر على حدود العراق في الناصرية فقتلوا زهاء ٥٠ عراقياً

— كانون الثاني —

١ : أثار لبس ملك الافغان القبعة (البرنيطة) سخط المقيمين في الجامع الازهر لانهم لاول مرّة شاهدوا البرنيطة في الاماكن المعينة للصلاة

٢ : ابتاعت حكومة دمشق ٤٠ الف غرسة من شجر الكينا(اوكالبتوس) لزرعها في قرى الغوطة ، قصدَ مكافحة الملاريا فيها

٣ : قابل وفد من الاقباط الارثوذكس والكاثوليك والبروتستانت وزير المعارف في مصر وطلبوا ان يسمح لهم بتعليم الدين المسيحي للتلاميذ المسيحيين في مدارس التعليم الاولي اسوة بالمسلمين

٤ : وقّعت شركة المانية لصنع المواسير اتفاقاً يقضي عليها بتسليم خمسين الف طن من المواسير لانشاء الانبية والجاري في مناطق البترول الروسية في القفقاس

٥ : استقالت الوزارة اللبنانية واصدر رئيس الجمهورية مرسوماً بتأليف وزارة ثلاثية عين فيها الشيخ بشارة خليل الخوري، رئيس الوزارة المستقيلة، رئيساً للوزارة الجديدة ووزيراً للعدلية والمعارف العامة، والدكتور ايوب ثابت، النائب ، وزيراً للداخلية والصحة والاسعاف العام ، وحسين بك الاحدب ، محافظ

بيروت ، وزيراً للمالية والنافعة والزراعة ــ جاء في برقية من البصرة انباء تقشعر منها الابدان عن المذابح التي وقعت في الايام الاخيرة على حدود العراق ــ انتهى مؤتمر الاحصاء الدولي السابع عشر الذي عقد في القاهرة ــ غادر مصر ملك الافغان والملكة قرينته وركبا البحر الى ايطالية

٦ : اعلن رئيس الوزارة العراقية في مجلس النواب ان قد أُلفت حملة بريطانية - عراقية لتأديب المغيرين من رجال فيصل الدويش

٧ : جاء في انباء الصين ان النصارى الصينيين الوطنيين أنشأوا رهبانية جديدة وفقاً لروح بلادهم وعقلية سكانها ، ومن قوانينها ان يكون الرهبان متضلعين كل التضلع من آداب اللغة الصينية والعلوم المتعلقة بالصين

٨ : استُقبل ملك الافغان والملكة قرينته في رومية استقبالاً جميلاً وكانت الجماهير تزدحم في الشوارع وهتافها يطبق الفضاء . وقد قال الملك فكتور عمانوئيل في المأدبة التي ادبت في المساء لجلالتهما ان ايطالية كانت اول دولة اوربية اعترفت باستقلال افغانستان . وقد اكد الملك امان الله في جوابه انهُ يعتبر صداقة ايطالية ثمينة جداً ويأمل ان علاقاتها الودية مع دولته تظل متينة

٩ : طلب الملك ابن السعود من الحكومة السويسرية ان ترسل اليه اختصاصيين في شؤون البريد والبرق واللاسلكي والجمارك والحاجر الصحية . وقد تم الاتفاق بين الملك وسويسرة على ذهاب بعثة من الموظفين الحجازيين الى سويسرة لدرس النظم في عدة ادارات درساً عملياً ــ استعفت الوزارة العراقية اثر نشر المعاهدة المعقودة بين انكلترة والعراق ــ بدأت الاعمال التمهيدية لبناء محلة الارمن الجديدة في جوار بيروت بين الاشرفية والنهر

١٠ : لخصت الشركات البرقية المنشور الخطير الذي اذاعه الحبر الاعظم بالعبارة التالية : من المستحيل ان يتم التوافق بين المسيحيين بجعل الحقائق التي اوحى الله بها موضوعاً للتعديل والتحوير وارضاء الخواطر ــ خطب احد وزراء الحكومة التركية في مأدبة اقامتها جمعية الوطن التركي فقال انهُ يؤيد من صميم قلبه استعمال اللغة اللاتينية في كتابة اللغة التركية (راجع هذا العدد من المشرق ص ١٢٠ــ١٢٨)

١١ : في برقية من البصرة ان وزارة العراق الجديدة تألفت من رجال اشتهروا بشدة نزعتهم الرجعية ، وليس بينهم من يتكلم لغة اوربية سوى وزير واحد

١٢ : استقبل الحبر الاعظم ملك الافغان والملكة قرينته استقبالاً رسمياً واستمرت المقابلة ساعة وعشرين دقيقة . ثم قابلها الكردينال غسباري وزير الدولة البابوية . وبعد ظهر النهار زار صاحبا الجلالة الملك والملكة متاحف الفاتيكان وكنيسة القديس بطرس

١٣ : تشتد الضائقة على العمال الصهيونيين ويفكر كثير منهم بالنزوح من فلسطين — بدأ جيش الجو في العراق عمله في معاقبة الوهابيين الذين اغاروا على الحدود بقيادة فيصل الدويش

١٤ : بدأت المواصلات التلغرافية البحرية بين حيفا ولارنكا (قبرس) — كشفت بعثة بنسلفانية الاميركية في اثناء التنقيب عن الآثار في « اور » اشياء من الذهب والفضة يرتقي عهدها الى ٣٫٥٠٠ سنة قبل المسيح — أعلن ان قد تقلص ظل الكوليرا عن العراق

١٥ : وُضع نظام جديد للنقد الحجازي والنجدي يلغى بمقتضاه التعامل بالريال العثماني (المجيدي) ويبدل بالريال العربي المساوي في الحجم والوزن والاجزاء وعيار فضته للريال العثماني . والليرة الذهبية الانكليزية اساس هذه العملة الفضية العربية وهي تساوي عشرة ريالات — اخذ اولياء الامر في درس الخطط المناسبة لمد انابيب لنقل الزيت (البترول) من العراق الى شاطئ البحر المتوسط . وقد تعهدت فرنسة بتسهيل مد الخط في الاراضي السورية الى الاسكندرونة . وتفكر انكلترة في طرق اخرى لمده الى حيفا حيث ينشأ الميناء الجديد

المشرق

الدين المسيحي والترقي المدني

بقلم الاب انطون صالحاني اليسوعي

ان اللورد كرومر معتمد الدولة الانكليزية في مصر سابقاً كان قد نشر كتاباً عن « مصر الحديثة » تكلم فيه عن الاسلام والمسلمين ونسب تقهقرهم الى الدين . فاستاء منهُ المسلمون وردُّوا عليه . ومن جملتهم جناب الشيخ مصطفى الغلاييني في كتاب لهُ سمّاه « الاسلام روح المدنية . او الاسلام وكرومر » ولمّا نفدت الطبعة الاولى اعاد طبعه واهدى الينا منهُ نسخة

اننا نعترف لهُ بحقّ الدفاع عن دينه بما يراه صواباً . والغيرة على الدين تُحمد . ولو اكتفى حضرته بالدفاع لما آخذناه . لكنه تخطّى الى الغمز بالدين المسيحي والانجيل واوّل آياته تأويلاً لا ينطبق على الحقيقة فحاول في الفصلين الرابع والخامس ان يُبيّن ان تعليم الانجيل ينافي الترقي الذي يطنطن بهِ اللورد كرومر . فنقول لجناب الشيخ انهُ لم ينظر في الانجيل الّا الى المعنى الظاهر من الالفاظ دون المعنى الذي قصده السيد المسيح كما سنبيّنهُ

وقبل ان نخوض في الموضوع يلزمنا ان نبيّن ما هو الترقي :

ان الترقي الحقيقي لا يقوم بالترقي المادّي فقط بل خاصةً بالترقي الادبي لان الترقي المادّي ان لم يصحبه الادبي كان كسيفٍ ذي حدّين لا قبضة لهُ يجرح ويؤذي من يستعملهُ . وقد صرّح بذلك حضرة الشيخ (ص٥٠) اذ حدّد الترقي « بتهذيب النفس والعقل والتحلي بمكارم الاخلاق ومحاسن الآداب » . وقد اقرّ الشيخ (ص ٥٠) ان الدين المسيحي « هو الخروي بحت يُراد بهِ ترقّي

النفس وتهذيبها واحتقار الدنيا وما فيها كما قدّمنا فالدين المسيحي إذن دين اخروي ليس الّا » . فترضى بوصف الشيخ للدين المسيحي مع استثناء الالفاظ « بحت» و« ليس الّا » . لانّ المرء ان هذّب النفس وترفّع عن الدنيويّات كان عقله اسرع قبولًا للعلوم ذكيّ الفهم كما ان الزجاج النقيّ تجتازه اشعّة الشمس وكما ان العين الصحيحة تبتهج بالنور . ومن ثمّ فعقل الانسان المسيحي المهذّب بالدين هو اكثر قبولًا للآداب والعلوم الالهية والفلسفية والرياضية والطبيعية والهندسية والصناعية وعلم الهيئة والنبات والتاريخ والجيولوجية ولكل اختراع مُفيد بذاته للانسانية . ونرى فعلاً ان معظم المخترعين والعلماء الذين كشفوا اسرار الطبيعة هم من المسيحيين وقد تفوّقوا على غيرهم في كل العلوم والفنون . ونرى ايضاً الناس المترفّهين في دنياهم قلّما تنفتح عقولهم للعلوم لكونهم اجسادًا اكثر منهم نفوساً كما قال الربّ (سفر التكوين ٦ : ٣) « لا تحلّ روحي على الانسان ابدًا لانه جسد» فهم كالزجاج المطليّ بالاسبيداج لا تخرقه اشعّة الشمس وكالعين الرمداء لا تطيق النور فتغمض جفونها عنهُ . فصحّ اذًا ان الدين المسيحي هو اقوى عامل للترقي الحقيقي الادبي والدني . ولا يُستنتج من قولنا هذا ان الترقي يشمل جميع المسيحيين . فان حُكمنا يختصّ بالدين كعامل للترقي فلا يشمل الجميع لانه يوجد من المسيحيين مَن لا يتأدّبون بالدين المسيحي ولا يعملون بمقتضى شرائعه فهؤلاء هم مسيحيون بالاسم فقط

بعد ان بيّنا ما هو الترقي يلزمنا ان ننقد ما قاله الشيخ (ص ٥٠) عن الانجيل والدين المسيحي اذ كتب ان تعاليمه « تأمرنا بعدم الترقي في الدنيا وعدم الاستعداد الّا لما بعد الموت » قال جنابه (ص ٤٨) :

« ونحن نقول للورد كرومر : ما هو الترقّي المسيحي الذي تنتقده ؟ ان كان ما هو مسطور في كتب الدين المسيحي فقد ظلمت في الحكم . لان مشمد كتب الديانة عندكم هو الانجيل ونحن نرى ان جلّ ما في الانجيل تاريخ السيد المسيح صلوات الله عليه في هذا العالم وبعد انتقاله الى العالم الآخر . وما فيه من سوى ذلك فكلّه حاثّ على ترك العالم الفاني وعدم الالتفات اليه بوجهٍ من الوجوه الّا ما يسدّ الرمق . وهو يؤنّب الاغنياء والامراء اشدّ التأنيب ويوبخ من يسعى للدنيا اقرع التوبيخ . وغير ما فيه كما يقول المسيحيون خطية الجبل بل بالغ بعضهم فقال : انما هي الديانة المسيحية . وكلها امرٌ بالتمسك بالعالم الباقي وترك الدنيا ومن يسعى لها .

هذا وان الانقطاع عن الدنيا اصل من اصول الديانة المسيحية حتى صرّح في الانجيل بما نصّه : لا تقدرون ان تخدموا الله والمال . لذلك اقول لكم لا تهتموا لحياتكم بما تأكلون وبما تشربون ولا لاجسادكم بما تلبسون اليست الحياة افضل من الطعام والجسد افضل من اللباس ؟ ولكن اطلبوا اولاً ملكوت الله وبرّه وهذه كلّها تزاد لكم . فلا تهتموا للغد لان الغد يهتم بما لنفسه . يكفي اليوم شرّه . الحق اقول لكم انهُ يعسر ان يدخل غني ملكوت السموات . واقول لكم ايضاً : ان مرور جمل من ثقب ابرة ايسر من ان يدخل غني ملكوت الله . لا تقتنوا ذهباً ولا فضّة ولا نحاساً في مناطقكم ولا مزوداً للطريق ولا ثوبين ولا عصا الخ»

فماذا يظنّ الشيخ انهُ يُستنتج من كلام السيد المسيح ؟ ان نتكتّف وننتظر من القضاء والقدر معاشنا في ما يخصّ الطعام واللباس والمأوى ؟ ان اقوال الانجيل هي الحكمة بالذات فاذا قال لنا السيد المسيح : « لا تهتموا لحياتكم بما تأكلون ولا لاجسادكم بما تلبسون الخ» . فليس المعنى ان الله يطعمنا ويسقينا ويكسونا دون جدّ وسعي من قِبلنا بل المعنى ان نسعى لمعاشنا متكلين على عناية ابينا السماوي . فقد علّمنا السيد المسيح في الصلاة الربية ان نطلب قوت يومنا وما نحتاج اليه . ونعلم ايضاً ان الله قال لآدم «بعرق وجهك تأكل خبزك » . « ملعونة الارض بسببك بمشقةٍ تأكل منها طول ايام حياتك وشوكاً وحسكاً تُنبت لك » . فلا يخفى على الشيخ ان الاقبال المفرط على الخيرات الدنيوية والتعلّق الزايد بها وجمع الاموال بنوع يُشغل المرء عن عبادة ربّه ويُلهيه عن خلاص نفسه عمّا يطرح به ويحمله على كثير من الذنوب . والانسان ميّال طبعاً الى الخيرات الارضيّة فان لم يكبح هذا الميل ويحصره ضمن حدود معقولة ألقاه في لجة من الهموم فينسى خالقه ويترك عبادته وما يترتب عليه من تأدية الواجبات لربّه فيأثم ويهلك . هذا ما عناه السيد المسيح اذ قال انهُ يصعب على الغني دخول ملكوت السموات لانهُ يغرق في بحر غناه ويختنق . وقد اثبت ذلك السيد المسيح في مثل الزرع (ويعني بالزرع كلام الله المُلقى في عقول السامعين) . فقال عن الزرع الذي سقط في الشوك ان الشوك نبت معه فخنقه وفسّر المثل فقال : « الذي سقط في الشوك هم الذين يسمعون ثم يذهبون فيختنقون بالهموم والغنى وملذات الحياة فلا يأتون بثمر » (لوقا ٨ : ١٤) . وقال ايضاً السيد المسيح : «حيث يكون كنزك هناك يكون قلبك» (متى ٦ : ٢١) .

فان جعلنا كنزنا الخيرات الدنيوية وحدها لتعلق بها قلبنا ونسينا ربّنا . الامر الذي لا يريده لنا جناب الشيخ

واذ كانت النفس اهمّ من الجسد بما لا يُقدَّر لان خلاصها او هلاكها يصحبه خلاص او هلاك الجسد في يوم الحشر فتُلزمنا الحكمة ان نفضل النفس على الجسد. ومعلوم ان الانسان لا يحتاج الى الحثّ على اقتناء الغنى لانه يميل اليه طبعاً لكنه هو في حاجة ماسّة الى ان يُحرَّض على الاقتصاد والزهد فيه . هذا ما علّمه السيد المسيح فانهُ لا يحرّم الغنى بل التعلق به القرط

واي واعظ من المسلمين ان كتب او خطب في الجوامع لا « يوبخ من يسعى للدنيا اقرع التوبيخ » . اقرأ الخطب التي في نهج البلاغة تتحقق صحة ما نقوله . اسمع ايضاً ، رعاك الله ، كيف يؤنّب الزمخشري من يعبد الدينار والدرهم . قال في المقالة ٣٣ من كتابه « اطواق الذهب » :

« يا عبد الدينار والدرهم متى انت عتيقهما . ويا اسير الحرص والطمع متى انت طليقهما . هيهات لا عتاق الآن تكاتب على دينك المزرّق . ولا إطلاق او تفادي بغيرك الملزّق . يا من يشبه القرص . ما هذا الحرص . ويا من تُرويه الجُرَع . ما هذا الجزع . ستعلم غداً اذا تندمت . ان ليس لك الا ما قدّمت . واذا لقيت المنون . لم ينفعك مالٌ ولا بنون . ما يصنع بالقناطير المقنطرة . عابر هذه القنطرة . وما يريد من البهجة والفرحة . نازل ظل هذه السرحة »

فاذا كانت مثل هذه المواعظ الموجّهة الى المسلمين تبيح لهم مع ذلك الخيرات الدنيوية بشرط ان لا تمنعهم عن تأدية ما عليهم من الواجبات لله وللقريب . فلماذا جناب الشيخ يستنتج من وعظ السيد المسيح انهُ يحرّم علينا «الالتفات الى العالم الفاني بوجه من الوجوه الّا ما يسدّ الرمق» اذا كنّا لا نعبد المال كرب بل نستعمله كواسطة للمعيشة ولعمل الخير . فيرى الشيخ ان تأويله لاقوال الانجيل لم يكن مُصيباً . فالمسيح لا يحرّم علينا امتلاك الخيرات الدنيوية بل يريد ان لا نعطيها في اعتبارنا وفي سعينا لتحصيلها الّا المقام الثاني وان نخصص المقام الاول لعبادة ربّنا والاعتناء بخلاص نفسنا . وقد بيّن ذلك بقوله «اطلبوا اولاً ملكوت الله وبرّه وهذا كله يزاد لكم» (متى ٦ : ٣٣) . وبقوله « لا تقدرون ان تعبدوا الله والمال » (متى ٦ : ٢٤) . فقل لي بحياتك ايها الشيخ كم من الاغنياء يعبدون المال ويهملون عبادة الله اذ يجمعون المال بالطرق

المحرّمة والظلم او ينفقونه بما يضادّ الشريعة الالهية او يخزنونه بخلًا منهم فلا يجودون بشيء منهُ في سبيل البرّ . فمثل هؤلاء يعبدون المال فلا يقدرون ان يعبدوا الله فيصدق فيهم ما قاله السيد المسيح « انهُ لأسهل ان يدخل الجمل في ثقب الابرة من ان يدخل غني ملكوت السموات » (متى ١٩ : ٢٤) . امّا الاغنياء الذين لا يمنعهم غناهم عن عبادة ربّهم بل يخصّصون قسماً وافرًا منهُ لعمل البرّ فيستحقون كل مديح وقد مدح السيد المسيح زكّا الذي كان رئيس العشّارين وغنيًّا فقال لهُ « اليوم قد حصل الخلاص لهذا البيت » (لوقا ١٩ : ٩) لان زكّا كان قال للرب « هاءنذا يا رب اعطي المساكين نصف اموالي وان كنتُ قد غبنت احدًا في شيء اردّ اربعة اضعاف » (لوقا ١٩ : ٨) افينكر الشيخ ان بين المسيحيين خاصّة في اوربة عددًا وافرًا من الاغنياء يملكون المال ولا يدّعون المال يملك عليهم فيقتنونه بالعدل والجدّ ولا ينفقونه في الحرام ويجودون بهِ على الفقراء والمعوزين والارامل والايتام وكل عمل خيري . فاذا اعطاهم الله شكروا وان سلبهم لم يتذمروا ولم يأثموا ولم يقولوا في الله جهلًا بل يرددون مع ايوب الصدّيق : « الرب اعطى والرب اخذ فليكن اسم الرب مباركًا » . فمثل هؤلاء لا يوجّهم السيد المسيح اقرع التوبيخ لاقتنائهم الخيرات الدنيوية

فباي حقّ ينفي الشيخ في تعليم الدين المسيحي ما نسبه (ص ٥١) لدين الاسلام اذ قال : « الزهد في الدنيا المطلوب شرعاً هو ان لا يغترّ المرء بزخارفها ويصبو الى مشتهياتها ان كان شيء من ذلك يضرّ بأمر الدين وأن يكون ما عنده من الاموال في يده لا في قلبه بحيث يصرفه في وجوهه المشروعة متى دُعي الى ذلك لا ان يهمل الاشغال والاعمال ويكون كلًّا على العباد » . نعمّا القول ولكن فسأل الشيخ اين يجد هذا الزهد اكثر وفورًا أعند المسلمين ام عند المسيحيين . لعمري انهُ عند المسيحيين لأوفر

وجدير بالاعتبار ان السيد المسيح وهو الذي نهى تلاميذه عن اقتناء الذهب والفضة كان يحفظ ما يقدّمهُ لهُ من الصدقة تابعوه الرجال والنساء . وقد اشار الى ذلك يوحنا في انجيله (١٢ : ٦) اذ قال عن يهوذا الاسخريوطي احد رسُل

المسيح الذي خانه وباعه واسلمه الى اعدائه « انهُ كان سارقاً وكان الكيس عنده وكان يحمل ما يُلقى فيه »

فترى حفظك الله ان السيد المسيح كان يقتني المال لمعيشته ومعيشة تلاميذه واسعاف الفقراء كما يتضح مما ورد في انجيل يوحنا (١٣: ٢٩) « فظنَّ بعضهم اذ كان الكيس عند يهوذا ان يسوع قال لهُ اشترِ ما نحتاج اليه للعيد او امرهُ ان يعطي المساكين شيئاً » . وتعلم ايضاً من مثل الرسول الخائن ان الغنى اذا تعلَّقنا به تعلقاً غير معقول يدفعنا الى ارتكاب افظع الآثام . ومن ثم قد اظهر السيد المسيح حكمة إلهيَّة اذ قرَّع من يسعى لدنياه وينسى ربّه والغاية الوحيدة التي خُلق لاجلها فانما خلقنا الله لنعبدهُ ونربح الحياة الخالدة في السماء وليست الخيرات الدنيوية الَّا واسطة لبلوغ غايتنا فاذا اصبحت مانعاً وكثيرًا ما تكون مانعاً ، بما فينا من الميل اليها ، فلا بدَّ من رفضها والتضحية بها احرى من التضحية بالنفس

ولم يُدرك جناب الشيخ الحقيقة في قصة حنانيا التي وردت في الفصل الخامس من اعمال الرسل واشار اليها في كتابه (ص٤٩) . فان ما كان يلقيه المؤمنون من اثمان مبيعاتهم عند اقدام الرسل لم يكن « هدية للرسل » كما ذكر الشيخ بل نذرًا للربّ ينذرونه برضاهم لا اضطرارًا . يتضح ذلك مما قاله بطرس لحنانيا « الم يكن لك (ملكك) مدَّة بقائه وبعد أن بيع الم يكن في سلطانك . فلماذا جعلت في قلبك هذا الامر ، انك لم تكذب على الناس بل على الله » (اعمال ٥: ٤) . فكان يتحتم على المؤمنين اذا نذروا ان يوفوا بنذرهم لئلَّا يأثموا . كما ورد في كتاب الله (الجامعة ٥: ٣و٤) « اذا نذرت نذرًا لله فلا تؤجل الايفاء فانهُ لا يرضى عن الجهَّال فأوفِ ما نذرت . أن لا تنذر خير من ان تنذر ولا توفي » . ولو تأنَّى الشيخ في قراءة القصة لكان فهم حقيقة معناها . قال سفر الاعمال : « لم يكن احدٌ يقول عن شيء يملكهُ انهُ خاصٌ به بل كان لهم كل شيء مشتركاً ... لم يكن فيهم محتاج لانَّ كل الذين كانوا يملكون ضياعاً او بيوتاً كانوا يبيعونها ويأتون باثمان المبيعات ويلقونها عند اقدام الرسل فيوزَّع لكل واحد على قدر احتياجه » (اعمال ٤: ٣٢و٣٤و٣٥)

ولم يُصب ايضاً الشيخ في ما كتبه عن الموادعة والمسالمة التي قال انها من احكام الدين المسيحي ولا في تاويله نصيحة السيد المسيح ان نُدير الخدّ الايسر لمن لطمنا على الايمن وان لا نجاري المسيء الّا بالخير الخ . فاسمع رعاك الله ما كتب (ص ٤٩) :

« ان من احكام الدين المسيحي ايضاً الموادعة والمسالمة لكل من اراد المسيحي بسوء فهو يأمره ان يُدير الخد الايسر لمن يلطمه على الايمن وان لا يجازي المسيء الا بالخير الى غير ذلك من الاحكام التي لو تمسّك بها المسيحيون اليوم وتلفت باهدابها الدول النصرانية لكانت اذلّ امم الارض ولمّا قام لهم قائمة ولما عزّت لهم شوكة بل كانوا طعمة لغيرهم لان مقتضاها ان من ارادهم بشرّ يجب عليهم ان يسالموه ولا يقابلوه بمثل اعتدائه وشرّه . فهو لو غصب منهم مقاطعة وجب عليهم ان يعطوه مقاطعة اخرى جزاء عدوانه وبغيه . وهكذا الى ان يبقوا تحت نير غيرهم وحكم كل متسلط يعتدي عليهم . فما هو اذن ذلك الترقي المسيحي الذي يفتخر به كرومر . وان دينه يأمره بعدم الترقي في الدنيا وعدم الاستعداد الّا لما بعد الموت . ان كنتم متمسكين بالآداب المسيحية التي تدّعون انها سبب رقيكم ونجاحكم فلمَ تسعون للدنيا سعيكم المعروف وتشنّون الحروب وتهيجون الدماء بيع الماء للحصول على لذة التحكم والغلبة اذاكم لم تعملوا بالآداب المسيحية بل بضدها فلستم اذاً مسيحيين وهذا الترقي ليس مسيحياً . الترقي المسيحي الذي يأمر به الانجيل هو اخروي بحت يراد به ترقي النفس وتهذيبها واحتقار الدنيا وما فيها كما قدّمنا فالدين المسيحي اذن دين اخروي ليس الّا »

فنشكر لحضرة الشيخ وصفه الدين المسيحي بأنهُ يرقّي النفس ويهذّبها ويجعلها تحتقر الدنيا وما فيها . ولكن لا نسلّم لهُ بان السيد المسيح أراد كل النتائج التي استخرجها جناب الشيخ من اقوال الانجيل . وبما انهُ مطلع على الانجيل كما يظهر لنا لا يخفى عليه ان السيد المسيح لُطم على خده امام محفل اليهود ، لطمهُ احد الخدم لانهُ اجاب رئيس الكهنة . فلم يُذكر ان المسيح ادار للخادم الخد الآخر ليلطمه ثانيةً . فلماذا لم يعمل ما سبق وحرّض عليه تلاميذه وهو مثال للمسيحيين في كل شيء . وقد اكّد ان « الذي يعمل ويعلّم فهذا يُدعى عظيماً في ملكوت السموات » (متى ٥ : ١٩) . فالسيد المسيح ليس فقط لم يُدِر الخدّ الآخر بل التفت الى الخادم وقال له : « ان كنتُ تكلمتُ بسوء فاشهد عليَّ بالسوء وان بخير فلماذا تضربني » (يوحنا ١٨ : ٢٣)

فيرى الشيخ ان المعنى ليس كما يظن بل ان السيد المسيح اراد منع ما هو مذموم في الغيظ والغضب لا ما هو ممدوح . فالانسان الغير الوديع كثيراً ما

يدفعه طبعه الشرس اذا غضب الى ارتكاب ما لا يُحمد من تعدٍّ وشتم ومشاجرة وانتقام وضرب وقتل . الامر الذي لا يرضاه جناب الشيخ وكل انسان عاقل مسيحياً كان ام يهودياً ام مسلماً . فلكي يبعدنا السيد المسيح من كل هذه الشرور غالى في كلامه ليرسخ في عقول السامعين تعليمه وقال : « من لطمك على خدك الايمن فحوّل له الآخر » (متى ٥ : ٣٩) . وهكذا الحكم في ما يلي هذه الآية . لان الشريعة الموسوية كانت « العين بالعين والسنّ بالسن » فاراد السيد المسيح ان يُبدل هذه الشريعة بشريعة المحبة والموادعة والمسالمة والمسامحة . وقد قال لنا « تعلموا مني اني وديع ومتواضع القلب فتجدوا راحة لانفسكم » (متى ١١ : ٢٩) ومع ذلك كان اذا اقتضى الامر يقرّع الكتبة والفريسيين امرَ تقريع . قال (متى ٢٣ : ٢٣ — ٣٣) « الويل لكم ايها الكتبة والفريسيون المرائون فانكم تُعشرون النعنع والشبث والكمّون وتتركون أثقل ما في الناموس وهو العدل والرحمة والايمان . وكان ينبغي ان تعملوا هذه ولا تتركوا تلك . ايها القادة العميان الذين يُصفّون من البعوضة ويبلعون الجمل . الويل لكم ايها الكتبة والفريسيون المرائون فانكم تنقّون خارج الكأس والجام وداخلهما مملوء خطفاً ودعارةً . ايها الفريسي الاعمى نقِّ اولاً داخل الكاس والجام حتى يتطهّر خارجهما ايضاً . الويل لكم ايها الكتبة والفريسيون المرائون فانكم تُشبهون القبور المجصّصة التي تُرى للناس من خارجها حسنة وهي من داخلها مملوءة عظام اموات وكل نجاسة . كذلك انتم يرى الناس ظاهركم مثل الصديقين وأنتم من داخل ممتلئون رياء وإثماً . الويل لكم ايها الكتبة والفريسيون المرائون فانكم تُشيّدون قبور الانبياء وتزيّنون مدافن الصديقين وتقولون لو كنّا في أيام آبائنا لما كنّا شاركناهم في دم الانبياء . فانتم تشهدون على أنفسكم انكم بنو قتلة الانبياء . فجمعوا انتم مكيال آبائكم . ايها الحيّات اولاد الافاعي كيف تهربون من دينونة جهنم »

هذا هو لعمري الترقي المسيحي الشريف والجميل والممدوح ان نكون مثل المسيح ربّنا ودعاء متواضعين مسامحين لا نمزّق الاعراض والاجسام كالوحوش الضارية وان لا نكون مع ذلك ضعفاء بل ابطالاً نغضب لله وللحق والفضيلة

والدين كالكابيين الذين ببسالتهم اعادوا مجد أمتهم . ولا يخفى عليك ان جمعية الامم تسعى للوصول الى الترقي المسيحي بان كل خلاف يقع بين الامم والممالك يسوّى بالتي هي احسن اي بالمسالمة والموادعة لا بالعداوة والقوة والسلاح . هذا هو روح المسيح وروح كنيسته فاذا كان الدين المسيحي يرغب الينا ان نكون متواضعين وودعاء ومسالمين فلا يطلب منا ان نكون جبناء وان نترك حقوقنا تُهضم . وما سبب اقامة المحاكم . أليس لتأخذ للمظلوم من الظالم اللهمّ اذا جرت المحاكم بمقتضى العدل ولم تقبل الرشوة التي ينهى عنها الدين المسيحي . ايرضى الشيخ للانسان الذي قاسى الضيم من عدوّه ان ينتقم لذاته

وليعلم الشيخ ان ترقي الافراد يختلف عن ترقي الجماعة والحكومة فترقي الأمّة والحكومة لا يقوم بان تزهد في حطام الدنيا وتلزم الفقر وتُغضي على الاذى وتصبر على الضيم وان تعامل بالمغفرة من اساء اليها متعدّياً على حقوقها . بل يقوم بان تكون عادلة في شرائعها وحكامها وقضاتها محافظة على حقوق الامة والافراد فلا تسمح بان تُهضم . وان تكون غنية قوية بالعدد والعُدد يمكنها ان تدافع برًّا وبحرًا عن ممتلكات الأمّة وحدود المملكة لئلا يغتصبها عدوّ وان تساعد ابناءها على كسب المعيشة بتنشيط العلوم والاختراعات والفلاحة والصناعة والتجارة . وان تسهّل المواصلات بين اطراف البلاد بفتح الطرقات وان تؤلف جميع القلوب ليكونوا يدًا واحدة في منفعة الوطن وردّ غارات العدوّ . فتعزّ شوكتها ولا تجسر دولة ان تطمع بها وتتعدى عليها او تريدها بشرّ وتغصبها مقاطعة او تبغي عليها

فالدين المسيحي لا يمنع الحكومات النصرانية من ان تكون فيها هذه الصفات المرغوبة ، بل يمينها جدًّا على اكتسابها . هو الذي علّم الشعوب المساواة والاخاء والعدل والمحبة . هو الذي حرّر البشر بعد ان كان معظمهم قبل السيد المسيح ارقّاء وعبيدًا يباعون كالبهائم والسلع تاهين في مهامه الجهل . هو الذي رفع مقام المرأة واعتبرها رفيقة للرجل لا عبدة له . هو الذي منع تعدّد الزوجات والطلاق آفة العيل . هو الذي نشر العلوم ورقّى الفنون . فالحكومات الاوربية وان كان بعضها انفصل عن الدين تسير مع ذلك بمقتضى ما اكتسبته سابقاً من

الدين المسيحي لما له من التأثير البليغ في افكارها وشرائعها واعمالها . وليست شرائعها الّا شرائع يوستنيان الملك المسيحي مهذبة بالحق القانوني الكنسي

ومن ثم فلم يكن من خطر على « الدول النصرانية ان تكون اذلّ امم الارض » ولا ان يكون المسيحيون « طعمة لغيرهم » وان غصب عدوّ مقاطعة من بلادهم لا يرون واجباً عليهم « ان يعطوه مقاطعة اخرى جزاء عدوانه وبغيه » . ولا « ان يبقوا تحت نير غيرهم وحكم كل متسلط معتدٍ عليهم » ذليلين واحياء كاموات

ومعلوم ان ترقّي الافراد اذا عمّ وكثر في امّة يساعد على ترقّي الحكومات . والحكومات وان كان بعضها فصل الدين عن المدنية لم يقوَ على فصل معظم ابناء المملكة عن الدين فينسب رقيها الى ترقّيهم . فبقدر ما يكثر في مملكة عدد الافاضل والعلماء والمخترعين ومن يحسن الفلاحة والتجارة وارباب الصنائع والفنون الجميلة بقدر ذلك تترقى تلك المملكة . وقد سبق القول ان الدين المسيحي من اقوى العوامل على ترقّي الأفراد

ألق بنظرك الى خمس قارات العالم ترَ جماعات المسيحيين وافرادهم ينفقون بيدٍ سخية مئات الالوف والملايين من الليرات على بناء الكنائس ودور العلم والمستشفيات والمآوي للفقراء والعجز والايتام ومختلّي العقول ليس فقط لبني امتهم لكن ايضاً للغرباء من مسيحيين ومسلمين ووثنيين وقد انشئت لهذه الغاية جمعيات رهبانية خصصت ذاتها لهذه الاعمال وما غايتها الّا نشر العلوم وافادة البشر وخدمة الانسانية والتقرّب من الله تعالى . اليس هذا الترقي المسيحي الحقيقي؟ يؤيد قولنا ما نراه من التقهقر والانحطاط في الآداب عند الشعوب التي يضعف فيها الدين المسيحي فيعودون همجاً وحوشاً فيندفعون الى ارتكاب افظع الآثام كما حدث في الثورة الفرنسية الكبرى اذ تعدّى جمهور منهم على الدين المسيحي وحاولوا محوه فاثاروا الحرب الاهلية وقتلوا كثيرين من رجال الدين والمتدينين ولم تهدأ الاضطرابات في البلاد ولم تجد الامّة الراحة الّا لما اعاد نابوليون بونابرت الدين الى المملكة وصالح الكنيسة . واليوم يحدث افظع من ذلك في

البلاد الروسية التاعسة حيث عمّ الخراب الديني والادبي والمادّي بسبب عداوة اولي الامر الشديدة للدين المسيحي . وهكذا القول عن المكسيك حيث قام نيرون ثانٍ شرّ من الاول. فأبدى الكهنة والرجال والنساء والاولاد حماسة في دينهم وبسالة في قبول الموت لاجل ايمانهم يُقضى منها العجب

اليس الدين المسيحي الذي حفظ من الخراب الامتين النشيطتين بولونية وايرلندة ؟ فبولونية بعد ان بقيت زمناً مديداً تحت نير روسية وبروسية الخشن منحها الدين المسيحي حياة جديدة وفخراً وسطوة. والدين المسيحي ايضاً هو الذي حرّر ايرلندة بعد ان كانت خاضعة ذليلة لانكلترة

فقد ثبت اذاً ان تعليم الانجيل ليس فقط لا ينافي الترقي المدني بل هو مصدره ومورده ويساعد على حفظه وانتشاره . فالدول الاوربية هي مَدينة للترقي الباهر الذي نشاهده فيها

وان اعترضتَ وقلتَ ان اليابان تضاهي الامم الاوربية في الترقي المدني ، واليابان دولة وثنيّة لا مسيحية ، اجبتك ان هذا الترقي لم ينشأ في اليابان الّا بعد الانقلاب الذي حدث في السنة ١٨٦٨ اذ اختلط اليابانيون بالممالك المسيحية واقتبسوا منهم ما يسمّونه « ميجي » اي عصر النور .. فادخلوا في بلادهم النظام الاوربي المسيحي في ما يتعلق بالادارة والعدلية والحربية والبحرية والمالية والنافعة والمعارف . فاليابان مَدين الدين المسيحيّ في ما اكتسبه من الترقّي المدني .

قل لي رعاك الله اذ كانت دولة الاتراك في ايام سطوتهم يجتازون من برّ الاناضول الى بلاد اليونان فالبلغار فالرومان فالعرب فهنغارية حتى النمسة ويشنّون الحروب على الامم المسيحية « ويبيعون الدماء بيع الماء للحصول على لذة التحكم والغلبة» كما كتبتَ أكان عملهم هذا من الترقي الممدوح ام من التمدّي المذموم. وقد مكثوا سائدين على معظم تلك البلاد وعلى مصر وسوريّة وبلاد بين النهرين وجزيرة العرب وغيرها من البلدان مئات السنين فايّ ترقٍّ احدثوا فيها الّا ترقي الخراب. واذ بدأوا يتنعمون بالترفه في العيش وتأففوا من الزهد في

الخيرات الدنيوية اخذوا في الانحطاط والتقهقر وخسروا تباعاً كل ممتلكاتهم في اوربة ما عدا بقعة الاستانة لعدم اتفاق دول اوربة على من يمتلكها منهم . وخسروا مؤخراً كل البلاد الاسيوية ما عدا برّ الاناضول فعادوا الى حيث كان مركز دولتهم قبل ان تمتدّ

فحضرة الشيخ يبين لنا سبب هذا الانحطاط . قال (ص ٥٤ و ٥٥) :

« واقول ان المسلمين حادوا ايضاً عن الدين لان القرآن يأمرهم بالاقتصاد في الدين والدنيا وان يكونوا آخذين بالترقيين الدنيوي والاخروي فتركوا الدنيا ثم تبع ذلك تركهم للدين فاصبحوا مذبذبين واضاعوا الدين والدنيا معاً فخسروا بذلك خسراناً مبيناً حتى صدق عليهم قول نبيهم اخسر الناس صفقةً من اخلق يديه في آماله ولم تساعده الايام على امنيته فخرج من الدنيا بغير زاد وقدم على الله بغير حجة . غير ان الفرق بين المسلمين والنصارى من حيث ترك الجميع للدين كبير . فالنصارى تركوه لما هو ارقى واسمى من حيث الترقي المدني والمعاشي واختلقوا لذلك عذراً يتذرون به وهو فصل الدين عن المدنية او السياسة . والمسلمون تركوه لما هو اذلّ واحطّ في الدنيا والآخرة . فلما ترك اولئك الدين وتعاليمه القاضية بأن يكونوا روحيين فقط لا يتعلقون بأهداب الدنيا نجحوا وارتقوا في سلم الحضارة الدنيوية الى غاية يقصر عنها الوصف . غير انهم اكثرهم سقط من جهة الاخلاق والدين في هوّة سحيقة لانهم تمسكهم بالدنيا تمسكاً كلياً اهملوا جانب الدين وما يأمر به من المكارم والاخلاق والرحمة »

هذا كلام الشيخ نقلناه بحرفه . والشيخ اعلم بدينه ونحن اعلم بديننا . ونعلم ان الترقي الدنيوي في الامم المسيحية ينتج عن الدين كما بيّنا ذلك وبيّنّه . ومتى انحطّ الدين في مملكة مسيحية انحط فيها الترقي الدنيوي

واعجب مما سبق تأويل الشيخ لآيات الانجيل (لوقا ١٤ : ٢٦ ومتى ١٠ : ٣٤) فقال (ص ٥٢) يقابل تعاليم الانجيل مع تعاليم القرآن :

« فان الثاني (اي الانجيل) يأمر المرء ان يُبغض اباه وامه واولاده واصحابه ليتبع المسيح عليه السلام حتى انه قال لا تظنوا اني جئتُ لألقي سلاماً على الارض ما جئت لالقي سلاماً بل سيفاً فاني جئتُ لافرّق الانسان ضدّ ابيه والابنة ضدّ امها والكنّة ضدّ حماتها واعداء الانسان اهل بيته »

ان حضرة الشيخ يجهل او يتجاهل . فكيف يمكن ان لا يوصي المسيح بمحبة الابوين والأهل والاولاد والزوجة وهو الذي صرّح بقوله « احبب الرب

الهك بكل قلبك وكل نفسك وكل ذهنك . هذه هي الوصية العظمى والاولى والثانية التي تشبهها احبب قريبك كنفسك » (متى ٢٢: ٣٧ــ٣٩) وهو الذي اوصانا قائلاً : « احبوا اعداءكم واحسنوا الى من يبغضكم وصلوا لاجل من يعنتكم ويضطهدكم » (متى ٥: ١٤) ولا يخفى عليك ايها الشيخ ان الشريعة المسيحية هي شريعة المحبة : ولم يتعدَّ قط المسيحيون على المسلمين بل كانوا هم كالحملان تقاد للذبح . ولكن اسمع ايها الشيخ تأويل كلام الانجيل الصحيح في آية الانجيل التالية التي ذكرتها في كتابك . قال السيد له المجد (متى ١٠: ٣٧) « من احبَّ اباً او اماً اكثر مني فلن يستحقني . ومن احبَّ ابناً او بنتاً اكثر مني فلن يستحقني . ومن لا يحمل صليبه ويتبعني فلن يستحقني » . فالمراد من كلام المسيح ان نفضّل محبة الله على محبة كل انسان حتى اعزّ اقربائنا كآبينا وامّنا . فاذا كان قد قال الله (تكوين ٢: ٢٤) : « لذلك يترك الرجل اباه وامّه ويلزم امرأته » فكم بالحري اذا كان ابي او امي او اخي او اختي او احد اقاربي يريد ان يبعدني عن ديني او عن عبادة الله يتحتم عليَّ ان اتركهم وابغض عملهم هذا واتبع الله . فلو افترضنا ان ولداً مسيحياً عاشر المسلمين فلقنوه دينهم فرآه لجهله صرابياً واراد ان يدخل فيه فمانعهُ اهله واخوته واقاربه واصحابه وحاولوا ان يردّوه عن قصده افما كان يقول له الشيخ ان يقاوم اهله واخوته واقاربه واصحابه ليدخل في دين الاسلام ويعتبر ذلك غيرةً منه . هذا هو البغض الذي يتكلم عنه السيد المسيح لا كما فهم الشيخ . هذه هي العداوة الممدوحة ان نعادي كل البشر حتى اهلنا واعزّ اصحابنا ولا نعادي الله تعالى وان نحبَّ ابانا السماوي اكثر من كل ابنٍ ولمٍ واخٍ وزوجة على الارض . هذا هو السيف الذي يشير اليه السيد المسيح . فاذا قبل ابن او ابنة تعليم الانجيل ورفضه الاب او الامّ كان الانجيل كسيفٍ يفرّق الابن عن ابيه والابنة عن امّها لاختلاف المعتقد خاصة اذا كان ثمَّ اضطهاد من الاب او الامّ للابن او للابنة بسبب الدين . اقرأ كل آيات الانجيل تفهم معنى كلام السيد المسيح المتلئ حكمة وقداسةً

فلو فهم الشيخ معنى الانجيل لما سطّر ما ورد في كتابه (ص ٥٣):

« ولو قال قائل ان الانجيل يأمر بالمسالمة والرحمة فما بالك تصفه بانه يأمر بايقاع ذات البين والتفرقة بين المرء وزوجه والوالد وابويه والصديق واصحابه . الم يقل احبّوا اعداءكم باركوا لاعنيكم الخ تقول ذلك حقّ ولكنه يهدم في موضع ما يبنيه في موضع آخر فلا يكاد يثبت في نفس القارئ ما يناه حتى يزعزعه بكلام آخر فيتركه حيران لا يستقرّ على رأي ولا يأخذ بخلق . ألم يأمر اصحابه بالاتيان باعدائه وذبحهم تحت اقدامه وان يبغض الرجل اباه وامه . الخ »

فنقول للشيخ : كن مطمئناً من جهة المسيحيين لانهم يُدركون تعاليم الانجيل ومعناها وليسوا حيارى . فالسيد المسيح اعطى مثل رجل شريف ذهب الى بلد بعيد ليأخذ لنفسه ملكاً ويعود . وكان اهل مدينته يبغضونه فأنفذوا في إثره رسلاً قائلين لا نريد ان يملك علينا هذا . فلما اخذ الملك ورجع انزل القصاص باعدائه وقال « امّا اعدائي هؤلاء الذين لم يريدوا ان املك عليهم فأتوا بهم الى ههنا واذبحوهم امامي » (لوقا ١٩ : ٢٧) فترى ان الكلام كلام الملك في المثل ويُراد بالمثل ان الله تعالى يوم الدين يعامل بقساوة من لم يقبل الايمان بالمسيح انه ابن الله كما يعامل ملوك الارض بقساوة من يعصاهم من سكان المملكة ويرفض الطاعة لهم . فحضرة الشيخ يورد الكلام كأنّ المسيح امر في حياته ان يُذبح اعداؤه امامه . ومعلوم ان السيد المسيح إله الوداعة والمسالمة والرحمة لم يأتِ لينشر دينه بالسيف بل بالاقناع وبكمال تعاليمه وسموّها وبالمعجزات العديدة التي صنعها وخاصةً بقيامته من الموت . وكان يعامل برأفة لا مزيد عليها الخطأة ما داموا في هذه الحياة ويدعوهم الى التوبة ويحتذيهم بحنوّه

اما قول جناب الشيخ ان الانجيل او بالحري المسيح يهدم في موضع ما يبنيه في موضع آخر فهو في منتهى العجب ويبيّن صريحاً ان الشيخ لم يقرأ الانجيل بكامله او انه لم يفهم معناه . فالانجيل لا احد يجد فيه تناقضاً في تعليم الفضيلة وترويض النفس اذا تأدب بآدابه وقابل آياته بعضها ببعض وفهم المعنى الذي اراده الربّ . وها نحن نبين لك بالاختصار ايها الشيخ ما علّمنا اياه السيد المسيح ولم تأتنا الّا بالنزر منه . وذلك املاً منّا بانك تفقه سموّ الدين

المسيحي وقداسته وتحترمه لانه يرفع من يتبعه الى اوج الكمال ويرقيه الى اعلى درجة من التمدن

قد اوصانا السيد المسيح كما يذكر الانجيل بالسير في الطريق التي توصلنا الى الحياة الخالدة في السماء وذلك بأن نحفظ وصايا الله ووصايا الكنيسة التي تنوب عنه. فامرنا بان نحبّ الله فوق كل شيء. ونحبّ قريبنا كنفوسنا. والقريب هو كلّ انسان حتى العدوّ. وحرّضنا على اعمال التوبة ومقاومة ما يهيج فينا من الاهواء الفاسدة كالغضب والحسد والاميال الدنسة الزنائية. فقد قال «من نظر الى امرأة لكي يشتهيها فقد زنا بها في قلبه» (متى ٥ : ٢٨) يحرّم الدين المسيحي كل فكر وعاطفة ونظر وقول يضادّ العفة. فالدين يخرق العقل والقلب والمخيّلة والحواس ليحفظ الانسان بكامله طاهرًا . ويوصينا السيّد المسيح بالصلاة والاماتة لكي ننال العون من العُلا وننتصر على تملق الجسد بالشهوة وتجارب ابليس فقد قال «ان لم تتوبوا تهلكوا جميعكم» (لوقا ١٣ : ٥) «صلوا لئلا تدخلوا في تجربة» (متى ٢٦ : ٤١). وينادي الربّ بالطوبى للمساكين بالروح والودعاء والحزان والجياع والعطاش الى البرّ والرحماء والانقياء القلوب ولفاعلي السلامة وللمضطهَدين من اجل البرّ . ويحرّم علينا الحلف ضدّ الحقّ او بغير ضرورة او بدون وقار لئلا نهين اسم الله القدوس . ويوصينا بان ننفر من كل قلبنا لمن اساء الينا . ويامرنا في ما يخصّ الاعمال الصالحة كالصلاة والصوم والصدقة أن لا نصنعها لكي ينظرنا الناس ويمجّدونا بل لوجه الله ومرضاته . فقد قال «واذا صليتم فلا تكونوا كالمرائين فانهم يحبون القيام في المجامع وفي زوايا الشوارع يصلّون ليظهروا للناس» (متى ٦ : ٥) ويُلزمنا بالطاعة لرؤسائنا ان روحيين وان مدنيين بشرط ان لا يأمرنا هؤلاء بما يضادّ شريعة الله فيلزمنا اذ ذاك ان نضحي بحياتنا حفظاً للشريعة فقد قال «لا تخافوا ممن يقتل الجسد ولا يستطيع ان يقتل النفس بل خافوا ممّن يقدر ان يُهلك النفس والجسد في جهنم» (متى ١٠ : ٢٨) ونلتزم ايضاً بأن لا ننكر ديننا لا من خوف ولا من حياء بشري لئلا ينكرنا الربّ في يوم الدين «من ينكرني قدام الناس انكره انا قدام ابي الذي في السماوات» (متى ١٠ : ٣٣) وقد اعاد الزواج الى قداسته

الاولى بمنعه الطلاق على الاطلاق . الى غير ذلك من المواعظ التي تنير العقول وتخشع القلوب وتبعد الانسان عن اباطيل الدنيا الغرور

وقد شاء حبًّا لنا وليشجعنا بمثله ان يسير قدامنا في الطريق التي اوضحها لنا طريق الزهد والتواضع والاماتة . فدبّر بحكمته الازلية ان يكون ميلاده البشري في مذود وبفاقة لا مزيد عليها . ولم يمنع وهو الاله القدير ان يُضطهد وهو طفل . ولم ينجُ من القتل الّا بالتغرُّب والهرب الى مصر ليلًا كالضعيف الذي لا قدرة له ولا مُعين . ولما ترعرع وشبّ صرف معظم حياته في شغل النجارة ليكون قدوة للعملة في اتعابهم . واذ شرع بنشر الدعوة لم يقابله عظام القوم الا بالحسد والبغض والعداوة والاضطهاد رغماً عما اظهر من المحبة والرأفة والصبر والاناة نحو الجميع ورغماً عمّا صنع من المعجزات في شفاء كل من كان به مرض وفي اقامة الموتى . وقد قبل الموت ليكون كفّارة عن خطايا البشر ويستمدّ لهم المغفرة من الآب السماوي . فخضع لجميع الآلام . خانه احد تلاميذه وخذله الباقون وقبض عليه اعداؤه اذ كان يصلّي في بستان الزيتون وحكموا عليه بالموت لانه صرّح بانه المسيح ابن الله . فذاق من العذابات امرّها ومن الهوان افظعه . جُلد على العمود وكُلّل بالشوك وهُزئ به وعُلّق على خشبة بين لصّين كانهُ اكبرهما جرماً . وكان وهو غائص على الصليب في بحر من الاوجاع والاحزان والاهانات يصلي لاجل اعدائه وقاتليه حتى اسلم الروح

هذا هو الدين المسيحي وهذه هي حياة منشئهِ على الارض قد انقضت من المهد الى اللحد في الفقر والتواضع والاماتة والوداعة والصبر والمحبة والمغفرة وعمل الخير . ولم يكد المسيح يموت حتى انتصر وقام من القبر ممجدًا . ولم يلبث العالم ان تنصّر مع ان ملوك رومة الوثنيين اثاروا الاضطهاد العنيف على الدين المسيحي مدة ثلاثمائة سنة فقتلوا من المسيحيين مئات الالوف في كل جهات المملكة البعيدة الاطراف من الشرق الى الغرب ومن الشمال الى الجنوب فجرت دماؤهم كالانهر . لكنّ الدين المسيحي انتصر على الوثنية واليهودية كما انتصر في ما بعد على كل اضطهاد وكما ينتصر اليوم على روح الكفر المنتشر في العالم . فان الكنيسة الكاثوليكية تتجلى ببهاء يفوق ما عودتنا اياه في ما مضى من

حياتها وذلك بتقوى معظم ابنائها وطاعتهم واحترامهم ومحبتهم لها فانهم مع رعاتهم متحدون مع راس الكنيسة المقام من السيد المسيح اتحاداً يُقضى منه العجب. وسلطة الكنيسة هي الوحيدة التي تثبت قوية في العالم محترَمة ومعزَّزة بينما نرى كل سلطة سواها متزعزعة ضعيفة. ان كنيسة المسيح هي كسفينة تجري في بحر هذا العالم بين الرياح العاصفة والامواج المزبدة . فلا تخشى الغرق لان المسيح معها يؤيدها بقدرته . فنشاهدها ناشرة شراع شرائعها تستعين بالرياح المعاكسة لها تكسر الامواج المندفعة عليها وتسرع بمن فيها الى الامام الى ميناء الخلاص

افيمكن للشيخ بعد هذا ان يدّعي بان الدين المسيحي لم يُحدث ترقياً في العالم . لا لسري لا يمكنهُ . لانه اذا كان بقي في العالم ترقٍ مدني فالفضل في بقائهِ لا يُعزى الا للديانة المسيحية . انّ الشيخ يسلم بكمال الدين المسيحي لكنه يقول (ص ٥٤) « ان المسيحيين جميعاً حادوا عن دينهم . وذلك لان الانجيل يأمرهم بترك الدنيا بتاتاً وترك الحروب وادارة الخدّ الايسر لمن ضربهم على الايمن الى غير ذلك . وهم تركوا كل ذلك وتمسكوا بضدّ مبادئهِ وتعاليمه وآدابه »

اننا ننكر ما يدّعيه الشيخ من ان المسيحيين جميعاً حادوا عن دينهم . فالكاثوليك يبلغون اليوم ثلاثمائة وخمسين مليوناً والبروتستانت والاورثذكس مائتي مليون . فلو كانوا جميعهم حادوا عن دينهم افيمكن ان يكون وجود للديانة المسيحية في العالم . وهي مزدهرة ازدهاراً عجيباً

اما قوله ان الانجيل « يأمرنا بترك الدنيا بتاتاً وعدم الالتفات اليها بوجه من الوجوه الا ما يسدّ الرمق وادارة الخدّ الخ » فقد برهنا فساد تأويل الشيخ هذا . وفي ما قلناه كفاية

وقفة باطلال بابل

بقلم حضرة الاب ا . س . مرمرجي الدومنيكي
من اساتذة المعهد الكتابي والاثري الفرنسي في القدس الشريف

١

تمهيد

في لساننا العامي ، او في لغتنا العراقية ، لفظة « نَكّاب » وجمعها « نَكّابة » لا نكاد نتلفظ بها ، الّا وقد تمثل في مخيّلتنا ، رجل امّي ، فقير الحال ، ذو مهنة حقيرة — هي حفر الارض ، ونقل التراب او فضلات مواد البناء — يزاولها لكسب قوته ، وقوت عياله ، بشق النفس ، وعرق الجبين . اما اذا عدلنا عن اللفظ الدارج ، ونطقنا بالكلمة طبقاً للغة الفصحى ، باخراجنا الحرف الثاني قافاً ، لا كافاً ، كالعراقيين ، ولا آفاً ، كالسوريين او الفلسطينيين ، انتقلنا من عالم الانحطاط ، الى عالم الارتفاع ؛ ومن جمهور العامة ، الى طبقة الخاصة ؛ ومثل امام بصيرتنا أمرؤ له المقام الكريم في الالفة العصرية المتمدنة ؛ امرؤ له الفضل العميم على ابناء جنسه ، بما يكشفه لهم من الكنوز المدفونة في جوف الارض ؛ تلك الكنوز التي تُرْدي ، لثمنها المعنوي ، باجزل الاموال المادية . فما هو ، يا ترى ، سرّ هذا الفرق والتباين بين « النكّاب » و« النقّاب » ؟ سرّه كلمة اخرى ، قد كانت ولا تزال مدعاة للتقدم والتمدن والكمال ؛ ومبعثة للمفاخرة والمنافسة والمباهاة ؛ كلمة يتكهرب ، لمجرّد ذكرها ، ارباب العقول الثاقبة ، والمدارك العالية ، والالباب الصافية ، الا وهي تلك الكلمة السامية ، تلك الكلمة المقدسة « العلم » العلم ، اجل ، هو العلم انشأ الفرق بين « النكّاب ، والنقّاب » اذ بعدم العلم ، وجد النكّاب ومهنته الخسيسة ، وان كانت ، من غير باب ، نافعة ، لازمة ، بين طبقات البشر ؛ وبوجود العلم ، رُفع النقّاب ، اي مكتشف الآثار القديمة ، الى مقامه

هذا الشريف ، ومن هنا تظهر خطورة فن التنقيب ، اذ هو الواسطة لتوسيع علم الاثريات ، وبهذا العلم عينه ، يترقى علم التاريخ وغيره من العلوم . ولذا فاستناداً الى مبادئ ونتائج هذين العلمين الجليلين : علمي العريقيات ، والتأريخيات ، المتوسمين بفنّ ارباب الحفر العصري ، قد انشأتُ هذا المقال المعنوّن «وقفة باطلال بابل» والغاية منه ان اصف ، وصفاً موجزاً ، ما قد بقي هناك ، من الآثار التي ذهبتُ ، في شهر تشرين الاول الفائت ، فوقفت بينها وقفة الباحث (١) ؛ ثم اشفع الوصف بلمحة القيها على تأريخ هذه المدينة الشهيرة ، على كرور الازمان ، وتقلب الدول . وهو ، وايم الحق ، موضوع اطرقه بلذة وسرور ، وافتخار واعتزاز ، لان بلاد بابل هي العراق وطني العزيز ، «ومن احب وطنه وافتخر به ، ما ظلم»

ذكرى اسمها

بابل ! ومن يا ترى يجهل اسم بابل ؟ بابل اسم عرفناه ، منذ نعومة اظفارنا ، ونحن على مقاعد المكاتب ، نتلقى مبادئ التاريخ القديم ، بابل هي البقعة التي نزل اليها ابناء نوح عند خروجهم من السفينة ، بعد الطوفان . بابل هي سنعار التي قال فيها ابناء البشر : «تعالوا نصنع لبناً وننضجه طبخاً .» فكان لهم اللبن بدل الحجارة ، والحُمَر بدل الطين . ثم قالوا : «تعالوا نبنِ مدينةً وبرجاً ، رأسه الى السماء ، ونقم لنا اسماً ، لكي لا نتبدد على وجه الارض .»

بابل هي التي فيها قال الباري : «هلمَّ نهبط ، ونبلبل هناك لغتهم ، حتى لا يفهم بعضهم لغة بعض .» . ولذلك سميت بابل ، لان الرب هناك بلبل لغة الارض كلها . بابل هي البلاد التي نشأت فيها اول مملكة في الدنيا ، على يد نمرود الجبار . من يذكر اسم بابل ، ولا يخطر بباله جلاء اليهود الى

(١) يطيب لي ان اسدي في هذه الفرصة ، خالص شكراتي الى ابناء وطني الاماجد ، الشبان النجباء : احمد حامد آل الصرّاف ، وفخري بك الطبلجه لي واخاه ، لما ابدوه نحوي من اللطف والحفاوة ، وادّوه لي من الخدم الجليلة ، يوم نزلت الحلة ، قصد الوقوف على اطلال بابل .

تلك الديار ، حيث بقوا السنين الطويلة ، متشوقين الى اورشليم ، مردّدين بكآبة قائلين : « على انهار بابل هناك جلسنا نبكي ، عند ما تذكرنا صهيون ، على الصفصاف ، في وسطها ، علّقنا كنانيرنا . » ؟ من يتلفظ باسم بابل ولا يتصوّر منّا سجيناً ، وحزقيال اسيراً ؟ من يورد اسم بابل ، ولا يتبادر الى ذهنه قصة سوسنة العفيفة ، واستير الملكة الجليلة ، ودانيال النبي الكريم ، ملقى في جب الاسود ، وهي رابضة عند اقدامه ؛ والشبان الثلاثة في اتون النار سالمين مرفهين ؟ بابل ام المدائن ، وسيدة البلاد ؛ مركز الحضارة والعمران ؛ مصدر العلوم والفنون . بابل منجبة الرجال العظام ، كشركينا القديم ، ونادَمين ، وسنموبَليت ، ونبوكدنصَّر الاول والثاني ، ولاسيما حمورابي ، معلي شأنها ، ورافع لوائها . بابل المدينة التي طبقت شهرتها الخافقين ، وقد عرفتها امم الارض طرًّا ؛ فوصفها لنا المؤرخون القدماء ؛ منهم اربعة يونانيون وهم : هيرودوت ، واكتازياس ، وديودورس ، وابيدين . واثنان ساميان وهما : بيروس او برهوشا البابلي ، وابو حسن ثابت الحرّاني . وقد جاء ذكرها في تأريخ يوسيفوس اليهودي ، واوسابيوس القيصري ، واقليميس الاسكندري ، وغيرهم ممن جاءوا بعدهم . الّا ان كلامهم لم يأتِ وافياً بالمرام

وصف موقعها واطلالها

وبقيت الحال ، على هذا المنوال ، حتى القرن الغابر ، حيث هبّ علماء اوربة ، فشدوا الرحال ، الى هذه الديار ، ليطّلعوا عن كثب على ما حوته من قديم الاثار ، غير مكترثين لما يتجشمونه من جسيم المشقات ؛ وما يصرفونه من طائل النفقات ، فاضحوا نقّابين ، وقلبوا التلال ظهرًا لبطن ، ليعرفوا ما كنّه داخلها من جليل اللقى الاثرية . وكان مقدّم النقّابين وشيخهم ، في بلادنا العراقية ، المسيو بطّة ، قنصل فرنسة في الموصل . وقد اجرى اول اعماله الحفرية الفنية ، تجاه الحدباء ، قرب قرية النبي يونس ، في تل قوينجق ، اي في موقع نينوى القديمة عاصمة المملكة الاشورية ، ثم انتقل الى ضرضباط اي موقع

دورشرّوكين ، وذلك سنة ١٨٤٢ . ثم تبعه في العمل فلاندا سنة ١٨٤٤ وبلاس ، ولاَيرد سنة ١٨٤٥ . وشارك لاَيرد في تنقيباته هرمزد رسام الموصلي . واما التنقيبات الاولى التي جرت في الربوع البابلية ، فكانت على يد لاَيرد ، ولوفتوس ، وفرنل ، واوبير ، ورولنسون . وجميعهم من اصحاب الاثريات المتضلعين في علمهم وفنّهم . وجرت اعمالهم بين ١٨٤٩ و ١٨٥٢

على ان البلاد التي ندعوها اليوم العراق تشمل ثلاث ولايات ، من لولايات التركية القديمة . اي ولاية الموصل شمالاً ، واقصى حدودها نواحي مدينة زاخو ؛ وولاية بغداد ، العاصمة ، وهي في الوسط ؛ وولاية البصرة ، جنوباً ، الى خليج فارس . وقد سميت في القديم ما بين النهرين ، اي دجلة والفرات ، لانها مكتنفة بهذين الرافدين ؛ ودعيت في سفر الخلق بارض سنعار ؛ والعرب اطلقت عليها اسم الجزيرة ؛ واما اليونان فهي معروفة عندهم باسم ميزُوبوتاميا . ولكن في عهد اهلها القدماء ، كان لكل قسم منها اسم خاص . فالشمال كان يدعى اشور اي آثور ، وحدود هذه المنطقة ، في الجنوب ، نواحي بغداد ، اي على طول الخط الممتد من فلوجة ، الى دلّي عباس . واما بين بغداد والخليج الفارسي ، فكانت البقعة ، في اقدم عصور التأريخ ، منقسمة الى منطقتين ، المنطقة الشمالية وتعرف بالربوع الاكَديّة ؛ والمنطقة الجنوبية ، وتسمى الديار السُمرية . وقد شمل يوماً هذه الاصقاع اسم البلاد البابلية او الكلدانية . ومن مدن المنطقة الجنوبية السُمرية مدينة « اورو » وتعرف اليوم بالمقَيّر او المكَيّر ، على اللفظ العراقي ، وهي التي سمتها التوراة « اور الكلدانيين » موطن ابراهيم الخليل ، ومن هناك دعاه الربّ ليذهب الى بلاد كنعان ، عابرًا بحرّان . ومنها مدينة « اريدو » المدعوة اليوم ابو شهرين ، وكانت مرفأً على البحر ، مع انها الان في القفر . وذلك لان الخليج ، في تلك الازمان ، كان يصل الى مسافة نحو ٢٠٠ كيلومتر عن ساحله الحالي ؛ ولم يكن لشطّ العرب من وجود ، لان الفرات ودجلة كان لكلّ منهما مصبّ منفرد ، ولم يتصلا ويكوّنا شطّ العرب الا على كرور الادهار ، بقدر ما كان يبتعد ساحل الخليج بفعل تراكم الرمال المندفعة منه بقوة المدّ . ومن الحواضر

الشمالية الاكدية ، نيبور ، وبارسيا ، وكوتا ، وسيارا ، ودوركوريكالزو ، وبغداذا ، وكيش ، ولاسيا أكد التي لاهميتها في ذاك الزمان سميت باسمها المنطقة كلها ، الا ان الاكثر خطورة وشهرة هي ، دون مراء ، مدينة بابل التي نحن في صددها

مما لا شبهة فيه تاريخياً ، ومما قد ثبت راسخاً في تقاليد سكان البلاد الموروثة منذ القدم،هو ان موقع بابل القديمة في نواحي المدينة التي بناها العرب، في صدر الاسلام ، الا وهي مدينة الحلة التي هي اليوم مركز لواء من الوية مملكتنا العراقية ، وتبعد عن بغداد نحو ٩٠ كيلومتراً الى الجنوب الغربي . اما بابل فكانت ممتدة على ضفتي الفرات ، وكان القسم المهم منها على الضفة الشرقية

وقد ذكر هيرودوت ان محيطها كان يقدر بنحو ٤٨٠ غلوة ، او زهاء ٩٠ كيلومتراً ؛ وكان علو اسوارها ما يقرب من ٢٠٠ قدم ، وثخنها ٥٠ قدماً . ويذكر المؤرخون انه يوم دخلها الاسكندر المقدوني ، ونجم مجدها وعزها قد افل ، كان محيط المأهول منها نحو ٩٠ غلوة اي زهاء ١٥ كيلومتراً ، وهو محيطها الحالي ، وقد هدم النهر القسم الصغير منها ، وهو الواقع على الضفة اليمنى ، فلم يبق سوى بضع قطع من سوره

وضمن محيط المدينة ، ترى اليوم قائمة ثلاثة تلول : الواحد في الوسط ، الواقع في شرقي ضيعة ، جالسة على النهر ، تدعى « كُوَيرش » وهو تصغير اسم كورش ملك الفرس الذي استولى على المدينة . وهذا التلّ يعلو عن الفرات ١٤ او ١٥ متراً . واهم موقع منه يدعى « القصر » ، لان في جهته الجنوبية كان مبنياً قصر نبوكدنصّر . وقد كشف المنقّبون اساسه ، واظهروا عدة قاعات ، منها ردهة العرش الخارقة الاتساع . ومن جهة التلّ الشمالية ، قد كشفوا سطحاً ، وقعوا في أُسه ، على قواعد عواميد من الآجرّ ، وهي كلها راجعة الى قصر آخر للملك نبوكدنصّر . ومن الناحية الشرقية لهذه الخرائب ، قد وجدوا طريقاً ، مزينة بالنقوش الناتئة ، المصنوعة من الآجرّ الملون ، المصقول ، الشبيه بما ندعوهُ اليوم « كاشي » في عراقنا . وفيه صور اسود ، وثيران ، وتنانين ، وهناك ايضاً باب جميل ، فاخر ، يدعى « باب إشتر الالاهة»

و« هيكل نِتاخ » وهذه الطريق هي طريق « الطواف الحافل » الذي كان يجري لاكرام الاله مردوخ . ومن جملة اللقى التي وجدت في خرائب بابل ، على تلّ القصر ، تمثال كبير ضخم ، يمثل اسداً ، وهو من حجر البركان ، غير كامل الصنع . والظاهر انه من زمن « باب إشتر ، وطريق الطواف » اي من القرن السادس ق.م . الّا انه يمكن ان يرقى به الى القرن الثالث عشر ، لان صنعه من الطرز الحثي المعروف . وقد كشفت التنقيبات الحديثة اشياء كثيرة من طرزه ، كما يرى ذلك في زنجرلي ، قرب عينتاب ، في تركية ؛ وفي كركميش ، قرب جرابلس ، من نواحي حلب . وهذا الاسد راكب على رجل يريد خنقه وسحقه . ومن التآويل التي أُبديت في شأنه ، انه يمثل ملك بابل ، الاسد الهاجم على اعدائه ؛ وان الرجل الساقط تحته يشخص الملوك المقاومين ، الذين حاربهم ، فانتصر عليهم

الى جنوب القصر ، تلّ آخر ، يدعى « تلّ عمران بن علي » يوجد فيه آثار اهم هيكل للبابليين ، وهو هيكل « إيساكيلا » الذي كان داخله الهرم ، او البرج ذو الطبقات ، او « المَنْزول » في عرف العراقيين اليوم . ومحلّه الحفرة المتسعة التي مساحتها نحو ١٠٠ متر مربع ، المدعوة في ايامنا « الصحن » ، وهي في وسط الجامع ، تحت القبة . وعلى مسافة نحو كيلومترين الى شمالي القصر يرى تلّ منفرد يدعى بابل ويحتمل ان يكون موقع قصر آخر من قصور نبوكدنصر ، ومكان ما دعي بالبساتين المعلّقة الشهيرة للملكة شميرام . والى شرقي القصر موقع يدعى « الحُمَيرة » تشاهد منه اثار السور القديم .

« بَرْز نمرود » على بعد ١٢ كيلومتراً ، الى جنوب غربي الحلة ، واقع تل عظيم ، فيه خرائب تظهر كان لا شكل لها ولا نظام ، قوامها من آجر قد تغير لونه ، فصار من قبيل الفخار او الزجاج . وهذا التل ، القائم وحده في وسط تلك السهول ، هو ما يدعى اليوم : « برز نمرود » اعني البناء البارز ، المعزوّ الى نمرود . وما هو بالحقيقة سوى بقايا مدينة « بُرسِيا » وقد بقي هناك ، بفضل التواتر ، ذكر « برج بابل الشهير » . وهذا البرج يرى عن بعد ، من وراء الفرات ، في منتصف الطريق المؤدّية من بغداد الى الحلة . واذا خرج السائح من هذه المدينة ، بَرَز

حالًا امـامه البَرْز كجبل ، يتخيله قريباً ، وهو لا يزال يبتعد ؛ ممـا يذهل المسافرين ، فيوقفهم في حيرة . علو البرز الآن ٤٦ مترًا ، ودائرته من اسفل نحو ٧٠٠ متر ، وجهته الجنوبية الغربية وعرة المسلك . ويرقى اليه من الطرف الشرقي ، بوادٍ متحدّر . وبناؤه من هذه الجهـة ، باللَّبِن المشوي ، ومن نظر اليه يتذكر قول ابناء البشر : « تعالوا نصنع لبناً ونَنضجه طبخاً » فكان لهم اللَّبِن بـدل الحجـارة ، والحُمَر كان لهم بدل الطين . ومن كان لـه علم بالاشوريات ، وعرف مقابل هـذا الكلام ، في النص العبري وهو : « نِبني لِبَنِيم » لا يتمالك من ان يتذكر هذه العبارة الاشورية « Usalbina libiltu » ومؤداها : «جعلت ان يُصنع لِبنًا.» والعبارة للملك سرجون ، فان هـذا ابن البلاد العراقية ، تراه يستعمل ، بعد قرون عـديدة ، عين العبارة التي استعملها سلفاؤه ، في شأن هذا العمل ، والسبب في ذلـك ان ارض بابل مكوَّنة من الرواسب الحاصلة من فيضـان الرافدين . ولا وجود للحجـارة فيها ، فمن ثم كانت حالة البناء فيها واحدةً ، من الاعصر القديمة ، حتى ايامنا هذه ؛ اذ ان اهل العراق يشيدون الدور ، اما باللَّبِن المجفَّف بحرارة الشمس ، او بالآجُرّ ، اي اللَّبِن المشوي بالنار . وهم محافظون على عادة من سبقهم في تلك الديار ، من ابناء البشر الاولين ، ومن عقبهم فيها من الفاتحين العظام ، الذين اسسوا هناك اكبر وافخر مدنية في العالم القديم ، ولكنهم لم يستطيعوا ان يستعملوا مادة لبنائهم ، سوى الصلصال

هذا واذا رقينا بذاك المنحدر ، نصل الى مستوىً واسع ، ومنه نبلغ الى قمة الربوة . ومنها نشرف على سهول بابل ؛ فنرى الحلة ، وبابل ، وتل عمران ابن علي ، وكريش ، والقصر ، وبقعة المستنقعات . في اعلى الربوة قائمة ، حتى اليوم ، قطعة حائط جسيمة ، علوها نحو ١٢ مترًا ، ما هي الا بقية من برج نبوكدنصَّر ، حسبما حقَّق ذلك اهل الاثريات الـذين نقبوا في تلك المواطن ، من مثل فرنل واوبير وروولنسون . وقـد اعتمدت عليهم في هذا الشأن ، ومن رأيهم ان لون آجر الحائط ، وما حوله ، وتحجّره ، لا ريب انه قد نجم عن حريق هائل ، شبت نيرانه ، في هذا البناء الفخم ، فبدّلت حاله ، ولون آجره (للبحث صلة)

الجدري

أشيع الأوبئة ؛ أقتلها ؛ أسهلها اتقاء

لذلك رغب «المشرق» الى حضرة الحكيم ابن الجميّل
في نشر هذا المقال، إبّان واقدته الحاليّة

كان الجدري، قبل ان عُرف التطعيم اي الى قرنٍ سبق، إذا غشا بلدًا او دخل أسرة، فتكَ بربع اهلها، ما عدا من يشوّهه او يعميه كأبي العلاء المعرّي

عرفنا عيلةً ممّن يستسلمون للقضاء والقدَر وصل اليها الجدري فما مضت اسابيع قليلة حتى ذهب بثلاثة ارباعها : ومن ١٢ نسمة لم يبقَ الا ثلاث . ان هذه الآفة قضَت على سلالة لويس الرابع عشر ملك فرنسة العظيم ؛ ولم يسلم الّا ولد حفيدهِ اي خلَفه لويس الخامس عشر، الذي مات بالجدري في شيخوختهِ، على إصابتهِ به صغيرًا

الجدري داءٌ أهمُّ تظاهراتهِ حُمّى شديدة يصحبها ألمٌ في الرأس وخاصةً في الظَّهر، فطفحٌ يبرز بين اليوم الثاني الى الرابع، بين الشدّة والخفّة، لا يلبث ان يتحوّل الى بُزور فبثور فتقشور فيها جراثيم العدوى، بل هي العامل على نشرها

منذ القِدَم يفتك الجدري بالانسانيّة . وامامي نصٌّ خطيرٌ استوقف كثيرًا نظري في اثناء درسي في الحقبة الاخيرة : «الطبّ في الكتاب المقدّس» : جاء في سفر الخروج، الفصل التاسع، العدد العاشر : «فأخذ موسى وهارون من رَماد الأتون، ووقفا بين يدَي فرعون ؛ وذرّاهُ موسى الى السماء ؛ فصار قروحاً وبُثورًا مُتفجّعةً في الناس والبهائم»

لا جرم انه كلامٌ ينطبق الانطباق كلّهُ على هذا الداء وعلى أخيه في البهائم المسمّى : جدري المواشي (La clavelée)

وللرازي، حكيمنا العظيم، السبق ايضاً في معرفة الجدري وتعريفهِ (انظر رسالته التي نشرها المرحوم كرنيليوس ڤانديك)

* * *

في ان الجدري اسرع الاوبئة اتقاء واوكدها عصمة لمن يتطعم

كان هذا الداء ، الى القرن الماضي ، أذيع من الطاعون ولم يكن أقلّ منه ولا من الكوليرا (١ فتكاً ، إذ ان نسبة الوفيات فيه تراوح بين ٥٠ و ٧٥ في الـ ١٠٠ وله بزيادة التشويه والعمى كما قدّمنا

لذلك كان كشف واسطةٍ اكيدةٍ بسيطةٍ تقي من هذا الداء ، (الـذي لم يزل الى الساعة بدون دواء) من أفيد مـا كشف الانسان

من عدّة قرون تَوَفّق الشرق الى المناعة على هذه الوافدة بما سُمّي بصوابيرِ « الطعوم البلدي » وهو الى الآن معروف في الشام ، معمولٌ بهِ ببعض انحاء لبنان

كثيراً ما كان بعض أهل بلادنا يأخذون شيئاً من صديد مُصابٍ بالجدري إصابةً خفيفةً ويخدشون بعض خدوش طفيفة على اليد او في اي قسم آخر من جسم رجلٍ سليمٍ يُراد تطعيمه ، فتظهر على المطعَّم اعراضُ جدري خفيفٍ تصونه في المستقبل صيانةً مطلقةً من هذهِ البَلِيَّة لمدّة لا تنقص عن ١٥ سنةً

غير ان لهذه الوسيلة عَيبَين كبيرين قُلْ هائلين: احدهما ان المُلقَّح قد يصاب بجدري شديدٍ (بِكْر) يؤول الى الموت ؛ والآخر انهُ يُصبح أداة عدوى تُذيع المرض في محيطه !

ومع ذلك — ولما كان المرء بين شرّين يختار اصغرهما — اشتهرت هـذه الطريقة وامتدّت الى استانة؛ وهناك تعلّمتها قرينة سفير انكلترة السيدة مونتاغ عام ١٧٢١ وأجرتها على ولدها ونقلتها الى انكلترة ؛ فـامتدّت الى سائر اوربة واميركة ، التي لم تعرف هذا الداء الّا بعد عهد خريستوف كولمبوس

وقد تمّ التوفيق للانسانيّـة على يد الحكيم جنّر (Jenner) الخالد الفضل والاسم فعُدّ من اكبر المحسنين اليها ، لان طريقته لا محذور لهـا ولا عدوى منها ولا خطر ولا عطب . وهاك بيانها :

كان جنّر طبيباً في بلدتهِ بركلـه (Berkley) (من بريطانية العظمى) ؛ وسمع هناك على لسان بعض العامّة ان المُعتنين بالأبقار لا يصـابون بالجدري

١) ولم يُعرَف الهواء الاصفر في بلادنا قبل مئة سنة

بثّة. وبالتقصي أدرك ان البقر قد تُصاب على أثدائها ببثور تشبه حُبيبات الجدري. فاذا عَلِقَ شيء من صديد البثور باصابع بقّار ، حين الحلب مثلاً ، وظهرت بثورٌ على الاصبع، فتلك البثور تقي، فيما بعد من الجدري الانساني ، ذلك الذي أُصيب بها . ثم أخذ نابغتنا بالاختبار ، ورأى بالامكان نقل البثور بالتلقيح من البهائم الى الانسان ؛ ومن الانسان الى الانسان على شكل ما كان يصنع للتطعيم الذي سمّيناهُ البلَدي اي التجدير (variolisation)

وفي اليوم التأريخيّ الخالد ، وهو ١٤ ايار عام ١٧٩٦ أخذ ، جنّر شيئاً من بثور كانت على يد خادمة تحلب البقر اسمها سارة نِلمس (Sarah Nelmes) ولقّح بها ذراع فتى بعمر ثماني سنين يُدعى جمس فيبس (James Phips) . ثم بعد ايام لقّحهُ بمدّة (قيح) الجدري الحقيقي فلم يُصَب الغلام . وبعد تكرار هذا الامتحان على الصغار ثبتت فائدة الاكتشاف فملأ الدنيا انتشاراً فوقاية (١

* * *

كيف يجرى التطعيم ؟

يجب تطعيم كل رضيع متى بلغ الشهرين الى الثلاثة ، وإعادة التطعيم كل خمس سنين للصغار وكل سبع سنين للكبار، فتكون الضمانة مطلقة اكيدة

ولن ترى أصلاً مَن سار على هذه الطريقة يُصاب بالجدري ولو كانت مهنته أبداً الطبابة او خدمة المجدورين، ولو لم يحتطْ بسوى هذه الواسطة . وقد علمتَ ان التلقيح بصديد الجدري عينه لا يأخذ في المطعّمين ولا يؤثّر فيهم ابداً

ولذلك ينبغي للحكومات والإدارات ان تجعله إجبارياً

متى أُريد التطعيم يؤخذ انبوبٌ من مادّة الصديد الخاصّة المستنبتة على البقر في دُور علميّة أُقيمت لذلك . ويُفرَغ الانبوب على صفيحة صغيرة طُهّرت بالإغلاء او بالاحراق بالكحول ، ثم بردَتْ كي لا تُميت الحرارة اللقاحَ ، وهو مادّة حيّة بروتوميّة

تُبضَع الذراع اليسرى او الفخذ بَضعاً خفيفاً سطحياً بحيث يظهر الدم ولا

(١ (عن كتاب « قانون الصحة » صفحة ٢٦)

يسيل . ونحن نعمل ثلاثة خطوط متوازية بطول نحو سنتمتر ويُفصَل بين الخطّ والآخر بقَدْر سنتمترين (انظر الرسم) ، عن نشرتنا « في غياب الطبيب »

لا بدّ من تطهير ريشة التطعيم المدنيَّة بالإغلاء ، او بلهب الكحول

يُستحبُّ غسلُ الذراع قبل ذلك او مَسحهُ بالكحول . وبعد ان تستطير الكحول يوضع في كل جرح مقدار قمحة صغيرة من مادَّة اللقاح

لا بدَّ من ١٠ دقائق انتظار قبل تلزيل الملابس اي الى ان يجفَّ اللقاح ويلتصق بالجرح

لتتأكد لك جودةُ الطعوم وجدَّتهُ انظر الى الرَّضع ، اي من لُقّحوا لاول مرَّة فانك ، بعد اسبوع مثلًا ، ترى بثور اللقاح جليَّة على الخدوش مع سائر الأعراض الموضعيَّة كالاحمرار والورَم ، والتظاهرات العامَّة كبعض الحرارة . اما الذين يجدّدون التطعيم فقد لا يأخذ او إنه يأخذ قليلًا . فذلك دليل على ان القديم لم يزل واقياً نافعاً

قد أسهبنا في هذا الموضوع لشأنه الكبير في وقاية الوطن من الجدري . ونحن نودّ ان يكون هذا البيان دافعاً لجميع الاطباء والدايات والمعلّمين بل الائمة والكهنة ، حتى في آخر مزرعة ، لتعميم هذه الخدمة الانسانية السامية في كل مكان

وبشِّرْ بعد ذلك من خدمتهُ هذه الخدمة بالمناعة التامَّة على شرّ آفة !

نشأة

الديانة المسيحية في لبنان

محاضرة القاها في نادي الشبيبة الكاثوليكية في بيروت

حضرة الخوري بطرس غالب

١

سيدي الرئيس

قبل ان اشكرك على ما تلطفت به من جميل الثناء ، إيذن لي ان أحيي بعاطفة التأثر ذكر ذلك الراهب المتكمل ، والعالم المقدام ، المأسوف عليه كثيراً الاب لويس شيخو ، الذي جمع بين سذاجة الطفل وسعة علم نادرة المثيل في الشؤون الشرقية . فانهُ ، رحمه الله ، ما احتفظ بما اكتنزه من المعارف بل سعى السعي الموفق الى نشره بما اذاعه من المؤلفات وما القاه من المحاضرات

فاني ، ان عبّرت الآن عن الاسف الشامل الذي عمّ البلاد لفقده ، فما صوتي الّا صدى لما سمعته ورأيته . ويحق للتاريخ الكنسي الشرقي ان يلبس الحداد على العالم الذي تفانى في كشف ما استطاع من اسرار اجيال النصرانية الاولى في الشرق. ولا يمكن ان نطرق هذا الباب دون ان ترتسم صورته امام اعيننا فان خسارته ليس بالهيّن الاستعاضة عنها . عسى ان يكون نال جزاء العملة الصالحين النشيطين

والان تحت اشراف هذا الفقيد الجليل ، اشرع في الكلام عن الموضوع الذي دُعيت لبسطه امامكم. على انهُ لا بد لي من القول اوّلاً انك يا حضرة الرئيس وصفتني لهؤلاء الكرام وصفاً اوقعني في حيرة وارتباك. غير اني التمس من كرم اخلاقهم ان ينظروا اليّ بعين الرفق اذا لم أقم بما قد يتوقعونه مني

استناداً الى ما وعدتهم به . فليس لي الا ان اعرب لك عن شكري لشمورك الرقيق واقدم بكل جرأة على طرق الموضوع الذي اقترح عليّ وهو: نشأة الديانة المسيحية في لبنان .

* * *

ان لبنان المقصود من خطابي هذا انما هو لبنان اليوم ،التاريخي والجغرافي ، الذي اعيد الى تخومه الطبيعية بفضل مساعي غبطة البطريرك اللبناني الجليل ومساعدة الدولة الفرنسية النبيلة . يحدّه قبلةً رأس الناقورة ، وشمالاً النهر الكبير ، شرقاً قمم لبنان الشرقي ، وغرباً بحر الروم

فلبنان هذا لم يدخلهُ الدين المسيحي دفعةً واحدة ودون صعوبة ؛ بل اخذ ينسلّ بادئ ذي بدء في المدن الساحلية، لان فتحها كان أيسَر من فتح غيرها ، اذ ان اليهود المتنصرين ما كانوا ليروا محذوراً في التبشير بالانجيل في الجهة الجنوبية من بلادنا بما انها كانت في نظرهم جزءاً من ارض الميعاد . وكان لبنان هذا منذ القديم منحصراً في اقليمين كنسيين : اقليم فينيقية البحرية ، وقاعدة مطرانيته مدينة صور ؛ واقليم فينيقية لبنان ، وقاعدة مطرانيته حمص . وكان الاقليم الاول يشتمل على الساحل من مدينة عكا حتى مدينة اورتوزيا(١ في بلاد عكّار . والثاني يضم السفح الشرقي من لبنان وسهل البقاع والسفح الغربي من انتيلبنان . اما هذا الاقليم الاخير فانه اقتطع وسلخت منهُ مدينة حمص كرسي مطرانيته .

ويخيَّل اليَّ ان هذا التنظيم قد كان نتيجة التبشير بالانجيل الذي تمّ في عصرين غير متقاربين . فكان انهُ لما اكمل الرسل عملهم التبشيري في السواحل فتبعهم فريق من سكان مدنه ، جعلوها اقليماً كنسياً مستقلاً وعيّنوا لها رعاة وألوا عليهم اسقف مدينة صور

واعلم ان المخلّص لهُ المجد قد وطئ ارض فينيقية الساحلية فاتى صور وصيدا وروى بعضهم انهُ زار مدينتنا بيروت . وقد ورد في انجيلي متى ومرقس ذكر مجيئهِ الى منطقتي صور وصيدا

١) هي الآن أرتوزي قرب النهر البارد (لامنس)

ولا ريب ان المعلم الالهي كان يخرج احياناً خارج اراضي اليهودية بل يترك اراضي الجليل ايضاً لكي يخلو الى نفسه متأملاً ثم يعيد الكرة على الفريسيين وعلماء الناموس المرائين . وفي آخر مرّة قدم الى اراضي لبنان انبأ رسلهُ انهُ سيسلّم الى ايدي اعدائه ليميتوه على انهُ في اليوم الثالث يقوم . وكان هذا الدور الاخير من حياته على الارض قريب الحلول

* * *

ان المهمة التي القاها الاب السماوي على عاتق يسوع لم تكن محصورة ضمن نطاق معلوم ، او زمن مقيّد . ولذا يمكننا التصريح والتأكيد انه قد نادى بالحقيقة امام سكان هذه البلدان ليقوم بحق رسالته اولاً ثم ، ليكافئ اهل صور وصيدا نظير تشوقهم الى التعرّف اليه ؛ فانهم ما اكتفوا بان اتوا اراضي الجليل القريبة منهم ليسمعوا تعليمه بل انطلقوا الى اورشليم ذاتها . ولذا جاز يسوع الى اراضيهم ليشفي سكانها على ما ارتأى القديس ايرونيموس

وفي واقع الحال ، ما كاد السيد المسيح يجتاز تخوم الجليل حتى وافتهُ امرأة كنعانية فانطرحت عند قدميه متوسلة ان ينقذ ابنتها من شيطان كان قد تسلّط عليها . لكن يسوع لم يلتفت اليها ولم يستجب سؤلها ، حتى اعلنت بايمانها به واتت فعل تواضع حقيقي . قال لها : « او ما تعلمين ان خبز الابناء لا ينبغي ان يُلقى للكلاب » . قالت : « بلى . ولكن الكلاب ايضاً تلتقط الفتات المتساقط عن مائدة البنين . » فلمّا بدت منها تلك الثقة العظيمة طيّب المخلص نفسها وطرد الشيطان من ابنتها . وبهذه الاية أقّب العقول لقبول تعليمه

ومثل ذلك صنع في رحلته الثانية الى لبنان الجنوبي . فانهُ في اثناء انطلاقه الى ارض قيسارية فيلبّس (١ دنت منهُ امرأة بها نزف دم فلمست طرف ثوبه فشفيت لساعتها . فهذه ارادت ان تخلد ذكر تلك الاعجوبة ، وتعرب عن عاطفة شكرها الى المحسن اليها ، فاستصنعت صورة تمثلها جاثية عند قدمي يسوع طالبة منهُ ان يبرئها وعلقتها على مدخل دارها . وقد روى اوسابيوس اسقف قيسارية ، وابو التاريخ الكنسي ، ان عشبة نبتت في تلك الصورة

١) هي بانياس الواقعة في سفح جبل حرمون

خوّلها الله قوّة الشفاء من الداء الذي كان مُلمّاً بتلك المرأة (١

ومن اخص اعمال الرب في تلك البقعة انـهُ في مكان قريب من قيسارية فيلبّوس — وهي احدى الكراسي الاسقفية التابعة صور — وعد القديس بطرس بان يؤسس عليه كنيسته وخوّله ملء السلطان عليها . فيصحّ القول اذاً انـهُ منذ ذلك اليوم أسس الدين المسيحي في البلد اللبناني

وقد امتدح السيد المسيح سكان صور وصيدا حين أنّب بيت صيدا وكورزين بقوله : « لانه لو كان لصور وصيدا مثل ما صنع لكما من الآيات لتابتا بالمسح والرماد . » ومما يروى استناداً الى التقليد ان يسوع في مسيره الى صور استراح عند رأس العين وكانت امه العذراء تصحبه اليها ، وتخليداً لهذا الحادث اطلق اسم بركة السيدة على ما كان يعرف ببئر سليمان . ثم بني هيكل فخم في المدينة نفسها اكراماً لوالدة الله

وبعد ان صعد يسوع الى السماء اخذ الصوريون والصيداويون يأتون اورشليم ليسمعوا تبشير الرسل فمسّت النعمة قلوبهم واصبحوا هم ايضاً رسلاً يبشرون بالانجيل

ومن المعلوم ان كنيسة صور هي اولى الكنائس التي انشئت بعد اورشليم لان مؤمنيها كانوا قد اظهروا من رباطة الجأش والثبات في الايمان ما ادهش القديس بولس نفسه . وما مضى على رجم القديس اسطفانوس بضعة اعوام حتى كثر عددهم ، من الصوريين انفسهم ، ومن اللاجئين الى تلك المدينة هرباً من الاضطهاد . فنظّم لهم الرسل سلك المراتب الكنسية وجعلوا مدينتهم مطرانية ، فاصبحت على مر الايام مرجعاً لاربعة عشر كرسياً اسقفياً

ومما جعل الصوريين يحافظون على وديعة الايمان مرور الرسل بمدينتهم ، وبالمدن الساحلية الاخرى في مسيرهم الى الجهات الشمالية . فانهم كانوا يقضون بضعة ايام في صور وغيرها من الثغور ليحضّوا المؤمنين على السلوك بما يفرض عليهم ايمانهم ، ويكسروا لهم خبز الكلمة ، ويثبتوهم في الايمان ، وينشطوهم للوقوف في وجه المضطهدين

(١) وقد رواه الدويهي في « منارة الاقداس »

وكان اليهود يثيرون الاضطهادات ، او يغرون الوثنيين على اشعال نارها فتُصلى بشدّة عظيمة . وكانت الاوامر تصدر من مجمع اورشليم

حين كان القديس بولس عائدًا الى اورشليم بعد سفرته الاولى الى سورية الشمالية الحّ عليه مؤمنو صور ان يعدل عن فكره لان اعداء الايمان ينتظرون قدومه بفروغ صبر ليميتوه . فشكر لهم عواطفهم الشريفة غير انه بقي مصرًا على عزمه ، فانقادوا لارادته . لكنهم شيّعوه الى شاطئ البحر ، وقبل ان يركب السفينة جثوا امامه طالبين بركته وصلاته والدموع تجري من عيونهم غزيرةً

كذلك القديس لوقا التقى في صور بتلاميذ كثيرين ادهشته رباطة جاشهم

وكنت اود ان اذكر لكم اسماء اساقفة صور الاولين لكن التاريخ يخلّ علينا بها . بيد ان هذا لا يمنعنا من التأكيد ان صور رئسها اساقفة من عهد الرسل ، لانها كانت اول مدينة خارجة عن تخوم اليهودية والجليل بُشّر فيها بالانجيل . وقد توفقت في الوقوف على اسماء بعض هؤلاء الاساقفة الاولين : مثل كاسيانوس الذي شهد مجمع قيسارية فيلبوس المنعقد عام ١٩٠ للبحث في قضية الفصح ، وزينون الذي حضر مجمع القسطنطينية

وقد شربت ارض صور دماء كثيرين من الشهداء وابعدهم شهرةً الاسقفان تيرانيوس ومتوديوس

وفي صور بُنيت اجمل كنيسة في فينيقية ، دمّرت سنة ٣٠٣ ثم اعاد بناءها بولينوس الاسقف ، ويوم تدشينها خطب اوسابيوس اسقف قيسارية ممجّدًا امجادها

وحاول الاريوسيون ان يستولوا على هذا الكرسي فعقدوا مجمعاً ضد القديس اثناسيوس سنة ٣٣٥ ، فما عتم الضلال ان حبطت مساعي اهله . وفي سنة ٥١٨ التأم مجمع آخر في كنيسة صور الكاتدرائية رئسه ابيفانيوس ، رئيس الاساقفة ، لمحاكمة ساويروس الدخيل . فطلب الشعب المتألب حول الدار الاسقفي ان يحرم ساويروس ويوحنا مَندريت ، والاضاليل التي كانا يناضلان عنها ، اي مذهب الطبيعة الواحدة . فلما قطعا من شركة الكنيسة ، دوت اصوات الهتاف اكراماً للعذراء المجيدة ، وصرخ الشعب المؤمن قائلاً : «قد أخزت امُّ الله ساويروس مُقلق الكنائس !»

غير ان هؤلاء الهراطقة تمكنوا بعد اعوام قليلة ، بفضل مساعدة الامبراطرة لهم ، من ان يقيموا في صور وسائر المدن الساحلية وضواحيها . وقد قال بطرس الايباري — الذي عاش في القرن الخامس وكان من اتباع مذهب الطبيعة الواحدة — انه شاهد ثمّ عدداً كبيراً من الاديار يسكنها من المونوفيزيتيين رجال ونساء عديدون . وفي عام ٦٣٦ خربت صور المسيحية وانتقض فيها نظام المراتب الكنسية . وذلك ان اعصاراً قالعاً هب من الصحراء فدمّر كل ما صادف في طريقه . وبقيت الحال على هذا المنوال الى عهد الصليبيين الذين رمموها . لكنها عادت فخربت بعد ان رحلوا عنها

وتألفت في صيدا جماعة من المؤمنين زارها القديس بولس يوم قذفت الريح سفينته الى شواطئ تلك المدينة ، حينما كان مسافراً الى رومية . فاقام بين اظهرهم مدة قليلة ، تأكد في غضونها انه قد مضى عليهم عشرون سنة وهم ثابتون على ايمانهم فسرّ بهم سروراً عظيماً .

وقد سُقيت تربة هذه المدينة بدم الشهداء ، واشهرهم زينوبيوس الكاهن الطبيب . وشهد احد اساقفتها المدعو تيودور مجمع نيقية المنعقد سنة ٣٢٥ . وفي صيدا عقد مجمع ضم ٨٠ اسقفاً هرطوقياً التأموا ليحرموا المجمع الخلقيدوني وحاولوا ان يعزلوا فلاڤيانوس بطريرك انطاكية ويجلسوا موضعه ساويروس المنافق الشهير ، تلميذ مدرسة الحقوق في بيروت . وكان هذا الرجل قد حاز منزلة ونفوذاً بتزهده وتقشفه واتساع معارفه

وفي سنة ٥٥١ نقلت اليها مدرسة الحقوق البيروتية بعد ان دمر الزلزال مدينة العلم . فنالت شهرة ولمعت مدة ثمانين سنة الى ان مرّ بها الاعصار فلم يبق ولم يذر . فطمس الاسم المسيحي فيها الى عهد الصليبيين ، وحلّ بها ما حلّ بصور

(للبحث صلة)

الدكتور طه حسين

ونظراته في الادب العربي وتدريسه

للاب فردينان توتل اليسوعي

ما من حاجة الى تعريف القراء بالدكتور طه حسين. حلّ بلادنا في العامين الاخيرين، مرّةً ليمثل الجامعة المصرية في المؤتمر الاثري واخرى لقضاء موسم الحر في مصايف لبنان؛ وهو في مصر من الاعلام المشار اليهم بالبنان، تخرّج من الازهر الشريف واقتبس العلوم من مصابيحها في اوربة، فعُهِد اليه امر تعليم ادب اللغة العربية بالجامعة المصرية

القى دروسه على تلامذتها اولاً ثم اذاعها في الناس على صفحات الكتب والمجلات والجرائد فانتشرت انتشاراً واسعاً

وان اسلوبه الجديد، المتمكن بالعربيـة، والمتشرّب روح الغرب، قد هداه الى ابراز افكار لم تألفهـا البيئة العلمية العربية في مصر. فصار هدفاً لاستحسان البعض ولغضب غيرهم، حتى اضرم نار فتنة ادبيـة التحمت حول شخصيته القوية، فآل امرها الى « المعركة بين القديم والحديث »: وقف فيهـا الدكتور طه حسين ومن حبّذ منهجه من رجال الادب والعلم، واخذوا يبثون الدعاية الى النهضة الادبية والى نبذ ما قد رثّ من القديم، واصطف تجاهه حزب الغُيُر على سمة القديم، المحافظين على تقاليده، لما لها في نظرهم من العلاقات الوثيقة مع الامور الدينية فوضعوا المؤلفات ردًا ودفاعاً (١

لست ابغي خوض المعركة بين الفريقين، انما غرضي في هذا المقال بسط آراء الدكتور طه حسين في الادب العربي وتدريسه؛ وهذه الاراء مدوّنة في المقدمة

---

١) راجع لمتني جمعه: الشهاب الراصد... رد على كتاب الشعر الجاهلي — محمد وجدي: نقد كتاب الشعر الجاهلي — مصطفى صادق الرافعي: تحت راية القرآن، المعركة بين القديم والجديد... وقد وصف المشرق هذه الكتب عند ظهورها

التي صدّر بها صاحب الكتاب « في الشعر الجاهلي » ، الطبعة الثانية من كتابه، وقد سماه « في الادب الجاهلي » واحدث فيه بعض التغييرات من حذف فصول واضافة فصول

تلك المقدمة تشمل سبعاً وخمسين صفحة ، من القطع الثمن ، يصف فيها الدكتور طه حسين اولاً حالة التدريس في مصر في اوائل هذا القرن فيكشف عن نقائصها ويلتمس سبيل الاصلاح اليها . فيسوقه البحث الى نظرات ثاقبة في اصول الثقافة ومعاني الادب وتاريخه وشروط نشأته وازدهاره وتنوّعه ، فيضع من ثمّ اركان النهضة الادبية بعبارة وضّاحة تستهوي الخواطر وهو اول من نهج المنهج اليها بين العرب في ايامنا

وان في نظرات الدكتور طه حسين عبرًا ومرامي تفيد مُريدي الادب عامة وارباب التعليم خاصةً . لانها وان تكن وُضعت في مصرَ والمصريين ، فقد عالجت اصول التعليم بنوع عام ، فيفيدنا الاطلاع عليها لاسيما في البلاد السورية اللبنانية حيث الهمم مشحوذة لتجديد برنامج الدروس العربية في معاهد الحكومة

١ كيف يدرس الادب ؟ — ايه سبيل الاصلاح ؟

عدّ الدكتور طه حسين ثلاثة مذاهب فيمن يدرّسون الادب : الاول ، مذهب القدماء الناحين في التفسير نحوَ اللغويين من قدماء المسلمين مع ميل شديد الى النقد وانصراف عن النحو والصرف وعلوم البلاغة ؛ والثاني مذهب المستشرقين السالكين في درس الآداب العربية مسلك الافرنج في درس الآداب الاوربية الحيَّة او القديمة ؛ والثالث مذهب يمكن تسميته «بالتلفيق» لان اصحابه يعجزون عن الاخذ باحد الاسلوبين الاولين ، اخذ المتضلع الاختصاصي ، فيعالجون شتى المواضيع ولا يستوعبون منها واحدًا

قال طه حسين :

« هذا المذهب . . . لا يأخذ بحظ من اسلوب القدماء في النقد ولا من أسلوب المحدثين في البحث ، وانما يحاول ان يقلّد الاوربيين فيما يسمونه تاريخ الآداب فيعمد الى الكتاب والشعراء والخطباء والفلاسفة فيترجم لهم او يختلس لهم ترجمة من كتب الطبقات على اختلافها ، ثم يتبع

كل ترجمة بشيء من شعر الشاعر أو نثر الكاتب أو بيان الخطيب ، ثم يلمّ في كل عصر بطائفة من المعاني يلفّق بعضها الى بعض في غير فقه ولا فهم ولا احتياط ولا دقة ، ويسمى هذا الخليط كله « أدب اللغة العربية » حيناً « وتاريخ ادب اللغة العربية » حيناً آخر . وكانت العادة قد جرت بأن يكتب اساتذة الآداب هذا الكلام للطلاب ويذيعوه فيهم فيستظهره هؤلاء الطلاب استظهاراً يستبينون به على أداء الامتحان حتى اذا فرغوا من هذا الامتحان انصرفوا عما حفظوا او انصرف عنهم ما حفظوا ، لم ينتفعوا منه بقليل ولا كثير ، ولم يتعلموا منه نقداً ولا بحثاً ، ولم يفيدوا منه ذوقاً ولا شيئاً يشبه الذوق . وانما كان يخيّل اليهم ، وقد رأوا انفسهم يمرّون بالآداب العربية منذ خلقها الله الى ايامنا هذه ، ان صدورهم قد وعت العلم كله »

وهذا المذهب ساد ولا يزال يسود امهات المعاهد المصرية رغماً عن جهد الحكومة في احداث الاصلاح « فليس بين الدروس في هذه السنة وبين الدروس التي كانت تلقى من خمس عشرة سنة فرق ما » لا كأن الادب لم يتقدم بمصر لانك « تظفر منه بشيء كثير لا يخلو من طرافة وشخصية واستعداد صالح للنمو » بفضل ما يجده من الحياة والقوة والنشاط في الصحف اليومية والمجلات والكتب والاندية والاحاديث . اما في المدارس فانه مثقل باغلال « جماعة مضطرة الى السكون والجمود »

« فلن يستطيع الادب العربي ان يأخذ من الحياة بحظه المقدور له ، ولن تستطيع اللغة العربية ان تأخذ بحظها من القوة ولا ان تصبح لغة علمية بالمعنى الصحيح » ما دامت المدارس تسير بالتلامذة على الطريقة المعيّنة ، المشاعة ، المؤدية بهم الى الفوز بالشهادة لا غير

قال طه حسين :

« ما أكثر ما نشكو من ان اللغة العربية ليست لغة التعليم ، وما اكثر ما نضيق ذرعاً باضطرارنا الى اصطناع اللغات الاجنبية في التعليم العالي ! ولكن ما اقلّ ما نبذل من الجهد لنجعل اللغة العربية لغة التعليم ، بل نحن لا نبذل في هذا جهداً ما . وكيف تكون اللغة العربية لغة التعليم وهي لا تدرس في المدارس المصرية ! فاللغة العربية لا تدرس في مدارسنا وانما يدرس في هذه المدارس شيء قريب لا صلة بينه وبين الحياة ، لا صلة بينه وبين عقل التلميذ وشعوره وعاطفته . وآية ذلك انك تستطيع ان تمتحن تلاميذ المدارس الثانوية والعالية وتطلب اليهم ان يصفوا لك في لغة عربية واضحة ما يجدون من شعور او احساس او عاطفة او رأي ، فان ظفرت منهم بشيء فانا المخطئ وأنت المصيب ؛ ولكنك لن تظفر منهم بشيء ، او لن تظفر من

اكثرهم بشيء . فان وجدت عند بعضهم شيئاً فليس هو مديناً به للمدرسة وانما هو مدين به للصحف والمجلات والاندية السياسية والادبية »

وان المؤلف لا يمس الجرح ليدميه فحسب ، بل يلتمس له الشفاء بما لديه من الادوية والعقاقير . وهي على نوعين : احدهما موقت نتعلل به حتى نستطيع الحصول على الثاني

فالاول ان نجتهد ما استطعنا في ان نحبب الى طلاب المدارس قراءة النصوص وتفهمها فنقربها اليهم ونحسن لهم اختيارها ليكونوا على بينة « ان الادب العربي ليس جافاً جدباً عسر الهضم لا سبيل الى اساغته ولا الى تذوقه وانما هو لين خصب لذيذ وفيه ما يرضي حاجة الانسان في حياته الفردية والمنزلية والوطنية والانسانية »

وانه لواجب على الحكومة ان تأخذ على عاتقها مهمة عرض تلك الصور الجذابة الحلوة من الادب ، على الشبان فتعهد بامرها الى طائفة من الفنيين « الذين لم يتخذوا الادب وسيلة للعيش انما هم يدرسونه عن ذوق وفقه » فتستعين بهم على الاصلاح الموقت ريثما تجد سبيلاً الى تهيئة معلمين اختصاصيين، لان الاساتذة الحاليين ليسوا اكفاء للقيام بمهمتهم . وصفهم طه حسين فعابهم وعيرهم « باللغو ورصف الكلام » وهم مع ذلك يحتكرون اللغة ويدعون بالعصمة من الغلط او يكادون « وليس فيهم كاتب ولا ناقد » ثم تعوذ من نقائصهم باقتراحه على الحكومة في « الغاء دار العلوم والاعتماد على مدرسة المعلمين والجامعة وهذان المعهدان وحدهما قادران على تقدير حاجة اللغة العربية وارضائها لما بينها وبين الحياة العلمية الاوربية والادب الاوربي من اتصال متين . لان مدرسة دار العلوم لا تعرف من الادب الاوروبي ولا من الحياة الاوربية الا صوراً مشوهة ان لم تضر فلن تفيد » وقال :

« وكيف تتصور استاذاً للادب العربي لم يلم ولا ينظر ان يلم بلغة اجنبية ولا بادب اجنبي ولا يخرج من مناهج البحث عن حياة اللغة واطوار الادب ! وكيف تتصور استاذاً للادب العربي لا يلم ولا ينظر ان يلم بما انتهى اليه الفرنج من النتائج العلمية المختلفة حين درسوا تاريخ الشرق وآدابه ولغاته المختلفة ! وانما يلتمس العلم الآن عند هؤلاء الناس . ولا بد من

التاسه عندهم حتى يتاح لنا نحن ان ننهض على اقدامنا ونطير بأجنحتنا ونتفرد ما ظلنا عليه هؤلاء الناس من علومنا وآدابنا وتاريخنا »

ولاستاذ الجامعة في هذا المقام كلام جريء لم يدر في خلد جيلنا انه يسمعه عن علامة مسلم ، نرويه على حرفه لما فيه من حجج راهنة لا بد من التبصر فيها ان كان في القلوب بارقة امل بتحقيق ما نرغبه للاداب العربية من حياة جديدة تنعشها وتضعها في مصاف الاداب الغربية

بعد ان وصف طه حسين داء العقم الذي اعترى دار العلوم قال (وجه ١٢) :

« لا بد من العدول عنها الى دار المعلمين العليا والى الجامعة المصرية ولكن على ان يذهب هذان المعهدان في درس الادب العربي مذهب الجامعة المصرية القديمة ، يدرسانه كما كان يدرسه القدماء في عناية قوية باللغة والنحو والصرف والبيان والغريب والعروض والقافية ، ويدرسانه كما يدرسه المحدثون في عناية قوية بفهم الصلة بين الادب والشعب وبين الادب وغيره من مظاهر الحياة العقلية والشعورية المختلفة ، وفي عناية قوية بتحقيق الصلة بين آداب الامم المختلفة وما يمكن ان يكون لبعضها من تأثير في بعض الآخر ، يدرسانه معتمدين في درسه على اتقان اللغات السامية وآدابها ، وعلى اتقان اللغتين اليونانية واللاتينية وآدابها ، وعلى اتقان اللغات الاسلامية وآدابها ، وعلى اتقان اللغات الاوروبية وآدابها . فمن زعم لك ان الادب العربي يمكن ان يدرس الآن دون الاعتماد على هذا كله فهو اما مخدوع واما مشعوذ . وكيف السبيل الى ان يدرس الادب العربي درساً صحيحاً اذا لم تدرس الصلة المادية والمعنوية بين اللغة العربية واللغات السامية وبين الادب العربي والادب السامي ؟ وهل هناك سبيل الى ان يدرس الادب العربي دون ان تفهم التوراة والاناجيل ؟ وهل تظن ان بين شيوخ الادب في مصر من قرأ التوراة او قرأ احد الاناجيل ؟ وكيف السبيل الى درس الادب العربي اذا لم ندرس اللغة اليونانية واللاتينية وآدابها ، ولم نتبين مقدار ما كان لحضارة اليونان والرومان من تأثير في ادبنا وفلسفتنا وعلمنا ، ولم نتبين مكانة ادبنا العربي بالقياس الى هذه الآداب اليونانية واللاتينية ؟ وهل تظن ان من شيوخ الادب في مصر من قرأ الياذة هوميروس وانيادة فرجيل فضلاً عن تمثيل الممثلين وغناء المغنين وخطابة الخطباء وحوار المتحاورين ؟ !

اليس من شيوخ الادب في مصر من يعلم ما للعابه الآن ان ليس لليونان ادب ولا شعر ولا خطابة كما لاهل الضاد ؟ وكيف السبيل الى درس الادب العربي اذا لم ندرس اللغات الاسلامية المختلفة ولاسيما الفارسية منها ونتبين ما كان لهذه اللغات وآدابها من تأثير في ادبنا العربي الذي لم ينشأ في برج من العاج وانما تأثر بالآداب المختلفة وأثر فيها ؟ وهل تظن ان من شيوخ الادب في مصر من قرأ الشهنامة أو الم بشيء من شعر عمر الخيام او من شعر السعدي او الحافظ ؟ وكيف السبيل الى درس الادب العربي اذا لم ندرس اللغات الاوروبية الحية ونتبين تأثيرها في ادبنا الحديث ؟ ثم كيف السبيل الى درس الادب العربي اذا لم نأخذ بمناهج البحث العلمي الحديث وندرس آدابنا كما يدرس الفرنسيون والانجليز والالمان آدابهم ؟

٢ الثقافة ودرس الادب

لم ينه المؤلف كلامه في شأن المدارس والمدرسين حتى تناول البحث في امر المواد الواجب الالمام بها لوفاء درس الادب حقه ، فميز فيها عنصرين : الاول دعاه الثقافة العامة ، وهو بمثابة الاساس للبناية يستحيل دونه تشييد صرح العلم الحقيقي في اراضي العلوم . هذا الاساس يشمل المعارف المهذّبة في الانسان قواه الروحانية والحاسة ؛ والمروّضة العقل على التبصر ، والارادة على العزم ، والشعور على الرقة ، والمخيلة على الخيال : حتى اذا اصبت ادوارها في مسارح النفس ، تناولت مواضيع الحياة باطرافها كافة ، فذاقتها وساغتها وتغذّت بها وتقوت وتجهزت من ثمّ للاختصاص بفرع من العلوم دون غيره ؛ وهذا الاختصاص هو العنصر الثاني الذي يتبسط بوصفه استاذ الجامعة المصرية

وتلك الثقافة العامة لا تتم ، في نظره ، الا بالاطلاع على الآداب التي هذّبت الشعوب الاوروبية اعني بها اليونانية واللاتينية . ومن الضروري ان يضاف اليها درس لغة او لغتين حيّتين حتى اذا اخذ منها الطالب حظاً وافراً وتوسعت قواه النفسية والحسية ورحب صدره تمكن من الانتقال من الدروس الثانوية الى معاهد التعليم العليا وخاصة الى درس الادب وتدريسه

«ولم اذكر شيئاً آخر كان ينبغي ان يجيء قبل هذا كله ، لانه اساسي لا لدارسة الادب وحده بل لكل دراسة علمية قوية منظمة ، وهو هذه الثقافة العامة المتينة التي لا يستطيع ان يستغني عنها طالب الادب كما لا يستطيع ان يستغني عنها طالب الكيمياء ، بل كما لا يستطيع ان يستغني عنها كل انسان يريد ان يعيش عيشة راقية في بيئة راقية . ولعل حاجة الادب الى هذه الثقافة اشد من حاجة الدراسات الاخرى على اختلافها ، فالادب متصل بطبيعته اتصالاً شديداً بانحاء الحياة المختلفة سواء منها ما يمسّ العقل وما يمسّ الشعور وما يمسّ حاجاتنا المادية . والادب بطبيعته شديد الحاجة الى المقارنات والموازنات . وليس من سبيل الى التعمق في الادب على هذا النحو الا اذا كان الطالب قد تمكن من هذه الثقافة المتينة الواسعة العميقة . وكيف السبيل الى درس الادب العربي اذا كان الطالب يجهل ، كما يجهل طلابنا وشيوخنا ، آيات الادب الاجنبي قديمه وحديثه ، هذه الآيات التي اثرت في حياة الانسانية كلها والتي تتغلغل العلم بها في طبقات الشعوب الغربية كافة ! ولقد يكون من العسير ان تجد في مصر شيخاً من شيوخ الادب قد قرأ هوميروس او سوفوكل او ارستوفان فضلاً من شكسبير او تلستوي

او أبين ، ذلك مبرر ان لم يكن مستحيلاً . وما رأيك في انك لا تكاد تجد في فرنسة او المانية او انكلترة شاباً من اوساط الناس لا يختص في الادب ولا يعنى بدراسته دون ان يكون قد الم من هذا كله بحظ لا بأس به »

٣ الادب

ومن ثمّ تطرّق الدكتور طه حسين الى البحث في معنى « الادب » . فحلّل هذا اللفظ تحليلاً علمياً ، تلا فيه تلو الافرنج في استنباطهم اصول الكلام ، متقصياً آثاره في بطون التاريخ ، متبصراً في معانيه على تطورات الزمان . فان بعضهم اشتقهُ من « الادب » بمعنى الدعوة الى الولائم ، اما الاستاذ نلينو ، فاشتقهُ من « الدأب » بمعنى العادة ، وهو على رأيه ، من «أدآب» جمع دأب ثم قلبت فقيل « آداب » كما جمعت بئر على آبار . ومهما يكن من صحة افتراض هذا او اولئك « فالشيء الذي لا شك فيه هو اننا لا نعرف نصاً عربياً جاهلياً صحيحاً ورد فيه لفظ الادب ، حتى ولا في القرآن » . نعم ورد اللفظ في الحديث ، في قوله (صلعم) : «ادبني ربي فاحسن تأديبي» الا ان هذا الحديث « لا يثبت ثبوتاً لا يقبل الشك » . اما الرواية التي ظهر فيها هذا اللفظ ، ولا ريب في صدقها ، فهي النصوص التي استعملت فيها هذه المادة ايام بني امية ، ومعناها التعليم على النحو المألوف في ايامهم . اي « التعليم برواية الشعر والاخبار واحاديث الاولين وكل ما يتصل بالعصر الجاهلي وسيرة الابطال قدمائهم ومحدثيهم وكل ما كان من شأنه تكوين الثقافة » ولكن هل يكون اصل اللفظ عربياً او ألا يكون من لغة سامية غيرها ؟ والمؤلف في التأثر المتبادل بين اللغات السامية نظرات جديدة تضرب صفحاً عنها لضيق المقام، على ان تحليله المدقق يؤدي به الى وصف معاني« الادب » على اختلاف اصطلاحاته في القرون الاولى للهجرة وعلى المقابلة بينه وبين ما يدل عليه عند الامم الاجنبية القديمة او الحديثة فيستخلص من ثم (ص٢٤) ان :

« الادب قد كان في القرن الثاني والثالث والرابع يدلّ على ما يؤثر من الشعر والنثر وما يتصل بهما تفسيرها من ناحية ونقدهما من ناحية اخرى »

ولا يخالجنك الظن ، ايها القارئ اللبيب ، ان تفقه المؤلف في استنباط لفظة الادب ومعانيه وتحديدها لهو اسهاب ليس من ورائه نتيجة لان كل كلمة

من التحديد المنطقي الذي انتهى اليه طه حسين صارت بين يديه ركناً اقرّ عليه حجته ليحتج به للجديد على القديم؟ كيف لا وقد جاء في تحديده للادب « انهُ كل مأثور من الشعر والنثر وما يتصل بهما في التفسير والنقد » . وهل يتم ذلك الاتصال بالتفسير والنقد ما لم يُعمل فيه المفسر او الناقد رويّته مع مراعاة حقوق الشعر والنثر وزمان وقوعهما ومكانه . وان ذلك يلجئه الى بعض الالمام بجميع المعارف البشرية والى حسن التعبير عنها اعني انهُ محتاج في تدريس الادب وتاريخه الى الثقافة العامة التي سبق طه حسين ووصفها فجاء اذاً برهانه الثاني دعامةً واثباتاً لحجته الاولى قال (ص ٢٦) :

« ولكن مؤرخ الادب لا يستطيع ان يكتفي بمأثور الكلام ولا بهذه العلوم والفنون التي تتصل بمأثور الكلام اتصالاً شديداً لتمكننا من فهمه وتذوقه . وانما هو مضطر الى ان يتجاوز هذا الانسان من حيث هو حيوان ناطق يجب أن يعرب عما في نفسه بصورة كلامية فنية . فهو مضطر الى ان يدرس تاريخ العقل الانساني ، وهو مضطر الى ان يدرس تاريخ الشعور . ولنعد الى التبسّط فنقول أن مؤرخ الآداب مضطر الى ان يلم بتاريخ العلوم والفلسفة والفنون الجميلة وتاريخ الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ايضاً الماماً يختلف ايجازاً واطناباً ويتفاوت إجمالاً وتفصيلاً باختلاف ما لهذه الاشياء كلها من تأثير في الشعر والنثر او تأثر بهما . . . ولاضرب لك مثلاً عربياً : فهل ترعم انك تستطيع ان تفهم همزية ابي نواس : دع عنك لومي فان اللوم اغراء . . دون ان تعرف النظّام خاصة والمعتزلة عامة وما كان لهم من مذهب وقوة ايام ابي نواس ؟ وكيف تستطيع ان تفهم قوله :

فقل لمن يدعي في العلم فلسفة حفظت شيئاً وغابت عنك اشياء

اذا لم تعرف انهُ يريد النظّام ، فاذا عرفت انهُ يريد النظّام فانت في حاجة الى ان تعرف من النظّام . ولِمَ عرض به ابو نواس ؟ فترى ان النظّام كان من المعتزلة الذين يقولون ان اصحاب الكبيرة مخلد في النار ، واذ كان شرب الخمر كبيرة فصاحبها مخلد في النار ؛ واذن فانت في فلسفة النظّام وانت متعمّق في فلسفة المعتزلة ، وانت مضطر الى ذلك اضطراراً ، مضطر الى ان تدرس التوحيد واختلاف اهل السنّة والمعتزلة فيه لتفهم خمرية من خمريات ابي نواس

تاريخ الآداب اذاً لا يكتفي بالآداب وانما هو يؤرخ معها كل شيء

٤ مقاييس الادب وشروطه

وتبحر الدكتور طه حسين في البحث ففرق بين الادب الانشائي والادب الوصفي ثم ضرب معدلاً لمقاييس التاريخ الادبي فهو في نظره ليس المقياس السياسي . كما يزعمه انصار القديم في مصر . فانهم ينسبون ازدهار الادب وانحطاطه

الى ازدهار الدولة وانحطاطها فحسب؛ لكنّ التاريخ شاهد ان هذه السنة لم تجرِ طرّاً في العصور كافةً . وليس هو المقياس العلمي كما اتخذه « سانت بوف » « من درس شخصيات الكتّاب والشعراء درساً نفسياً عضوياً » وليس هو كما حسبه « تين » من آثار الامة التي ينشأ فيها المؤلف او من آثار الجنس الذي ينشأ منهُ في زمانه ومكانه . وليس هو كما اورثه « برونتيير » الذي اخضع فنون الادب وانواعه لنظريات النشوء والارتقاء على مذهب اصحاب التطور . انما هو المقياس الادبي الشامل العلم والفن معاً : ذلك هو المقياس الذي اتخذه طه حسين

فالعلم يقضي على مؤرخ الادب بالانصاف فلا يتأثر بذوقه وميله فيما ينتهي اليه من النتائج ولا يتخذ ذوقه وشخصيته «الّا في شيء من التلطف وعلى شيء من الاستحياء» امّا الفن فينفخ في المؤلف روحاً نشيطة عطرة تولد فيه الخيال والشعور وتحول دون الجدب والعقم اللذان يعتريانه اذا اكتفى ان يكون عالماً فحسب . فالكمال اذاً في ان يبرز الكاتب في كتابه شخصيته بكمالها قلباً وقالباً عن عقل ثاقب وذهن واسع وذوق سليم ويعالج الاشياء كما هي في طبيعتها وكما اتفق ذوو الالباب والثقافة على النظر الدقيق والحكم فيها . ولعلك تشعر ببعض الغموض في ما عرضته لك عن هذا المقياس الادبي فالاحراك بمراجعة طه حسين في كتابه فتقف على افكاره دون ان يحجبها التلخيص عن النظر

وان مؤرخ الادب لا يبلغ مراده الّا بشرط ان تتوفر لديه المواد التي يعنى بها من مأثور الشعر والنثر ولا يتم ذلك الا بعد نشر روائع المؤلفات العربية نشراً قيماً متقناً معهود امره الى رجال متقدرين فيسهلون الطريق للمؤرخين «فعلى كلية الادب ومدرسة المعلمين تخريج هؤلاء العمال الذين اشرنا الى امثالهم في اوربا والذين يتفقون حياتهم وجهودهم على تهيئة الارض واعداد مواد البناء »

الاب شيخو والتاريخ

بقلم الاب لامنس اليسوعي

في آخر جزء من مشرق سنة ١٩٢٧، اختصر مديرنا المأسوف عليه حركة المجلة العلمية، في الخمسة والعشرين سنة الاولى من حياتها. وعلى رغم من استحكام الداء الذي اودى بـه قبل الاوان، اراد ذاك العامل الكبير أن يلقي نظرة على عمل خصّص في سبيله افضل سني حياته المخصبة. فكان مقالـه مختصراً، ولكن واضحاً، كـكل مـا خطّهُ ذاك القلم. فـذكر قبل كل شيء جميع من عاونوه بطريقـة دائبة او منقطعة. ولم ينسَ الّا ذكر نصيبه. وقد كان هذا النصيب عظيماً لا حاجة الى تعريف القرّاء به. على اننا رأينا ان نذكر، في الاسطر التالية، شيئاً من ذاك النصيب فيما يخصّ الاب شيخو بصفة كونه مؤرخـاً

١

قبل ان يبني المهندس القصر الرفيع، يبـدأ بجمع الموادّ المعدّة لبنائه. فيختارها متينة، صالحة، نافعة لاتمام العمل. وهكذا فان التاريخ، الذي هو اعادة بناء الماضي، يلزمه عمل استعدادي، عمل شاقّ، عمل وضيع، ولكنه ليس بالاقلّ نفعاً. هـذا العمل ! يقوم باكتشاف الوثائق ونشرهـا وهي الموادّ التي يلزم المؤرّخ استعمالها في عمله التاريخي. ونحن نرى ان الاب شيخو خـدم التاريخ في هاتين الطريقتين، فعمل في سبيل تقدّمه وازدهاره.

وفعلاً فان قليلاً من المستشرقين يعادلون فقيدنا في اكتشاف المخطوطات، وتقديرها حقّ قدرها، ونشرها بتلك الصراحة والدقة، التي يزيدهـا صعوبة

الاب شيخو على فراش الموت (بريشة الاب برجي)

خلوّ المكاتب الّا من نسخة واحدة من المخطوطة ، مع المشقّة في تفهّم قراءتها لما يكون فيهـا من التصحيف والتحريف . ولكنه في جدّه وراء الوثائق النادرة والغير المنشورة ، لم يكن ليبالي بشيء ، ولم يكن شيء ليثبط عزيمته : لا الاسفار الشاقّة الى المناطق السحيقة والموحشة بعض الاحيان ، ولا الجلسات الطويلة تُخصّص كلها لنقل المخطوطات . ففي هذا العمل المطّرد ، تفانت ، ببطء وبدون ان يشعر ، بنيةُ هذا العالم المتينة التي كان من حقّها ان تخدمـه مائة سنة . وكان ، اذا ابتعد بضع ساعات عن محلّه المعتاد اي المكتبة الشرقيّة ، يذهب الى مكاتب المدينة ، فيبحث فيها ويعود ، مثقل اليدين بالكتب الجديدة . اما اذا خرج من بيروت ليلتهي قليلًا من الشغل المعتاد، فكان ينصرف بكليته الى الملهاة الوحيدة التي عرفها والعزيزة لديه ، الا وهي الجدّ وراء المخطوطات . وكم كان هـذا الجدّ وافر الانتاج ! ان زوّارنا المعتـادين تحققوا ذلك مرّات عديدة . اما الآخرون فيتحققونه ، اذا ما القوا نظرة على « بيان مخطوطات المكتبة الشرقية » الذي ظهر في نشرة كلية القديس يوسف (Mélanges de l'Université St Joseph)

ولم يكن فقيـدنا ليستأثر بهـذه الكنوز العلميّة ، وهو لم يُعرف قط بواحدة من تلك الخلال الغريبة التي تنفّر النـاس احياناً من بعض غواة الآثار وجمّاعها . ولكنه بذلها لإفادة الجمهور ، فرتّبها بطريقة عقليّة ، وكان يظهرها ، دون ملل ، لكل زائر ، ويسهّل الاطّـلاع عليهـا والاستفادة منها لجميع معتـادي المكتبة الشرقية ، ويجيب على كل الاسئلة والاستفهامات المتراكمة عليه من الغرب والشرق . ويعرف جميع من عاشره ، تلك الصفات السامية التي كانت تدفعه للتضحية والترفّع التام عن تطلّب الشهرة الشخصيّـة . ولم يكن وقتـه يسمح له بفرصة الّا اغتنمها لنشر مخطوطـاته ، وجعلها بين ايدي الـدارسين فطبعها مع مقدّمات قيّمة ، وشروح وافية ، كثيرًا ما كانت تثير او تحلّ بعض المسائل التاريخيّة

ولما كان الاب شيخو من فطرته ميّالًا لوصف الكتب ، نال في هذه الاعمال حظًّا وافرًا . فظهرت غيرته على هـذا العلم في كتابه « المخطوطات العربيّـة

لكتبة النصرانيّة » حيث ذكر على حروف الابجدية ، مؤلفات لا تزال خطية لاكثر من ٩٠٠ كاتب قديم وحديث . ونحن مدينون له ايضاً بنشر « مجموعة اربع رسائل لقدماء فلاسفة اليونان ، ولابن العبري » وتلك خدمة مهمّة ادّاها لتاريخ تعريب المؤلفات الفلسفيّة ، وللدور الذي كان للمسيحيّين في ذلك . وقد يكون اقدم من اهتمّ من كتبة النصارى ، بالتأليف الديني في اللغة العربيّة ، الاسقف الملكي المشهور ، تيودورس ابو قُرّه . فنشر له الاب شيخو رسالة في « وجود الخالق والدين القويم . » واضاف اليها رسائل عدّة في الجدل واللاهوت المسيحي مع بعض امثلة عربيّة غير منشورة من الخطابة الدينية النصرانية . وقيمةُ هذه النصوص أنها تفيدنا في اتباعنا الحركة العقلية في الجماعات النصرانية التي كانت تعيش تحت سيطرة المسلمين . كما اننا نتحقق ، في مواعظ خطباء النصارى ، تأثير خطب « الجمعة » الاسلامية الذي لم يكن دائماً بالحسن

ولما ابتدأ الاب شيخو في التعليم ، لخمسين سنة خلت ، لم يكن يتصوّر المعلمون اهمية المادّة التاريخيّة ومنفعتها في تفهّم مؤلفي العرب . فكانوا يدرّسون النصوص القديمة دون ان يضعوها في زمانها ومكانها التاريخيّين . ولهذا نرى ان شرح المجاني ، وهو اشبه بدائرة معارف محتوية على ١٥٣٠ صفحة بخطّ رفيع ، كان اوّل من نبّه الافكار الى حركة تجديدية ، وبرهن عن عقم تلك الطريقة التقليدية . وقد اظهر بكل وضوح ، معاوننا الاديب فؤاد افرام البستاني ، في العدد الفائت من المشرق ، هذه الوجهة من اعمال الاب شيخو في تاريخ الادب العربي

وفضلاً عن ذلك فان الدواوين الشعرية العديدة التي نشرها الاب شيخو ، كانت تظهر مقدّمةً ببحث انتقادي في حياة الشاعر وشخصيته . وان الكثيرين من هؤلاء الشعراء مدينون له بشهرتهم لانهُ اخرجهم من ظلمة النسيان الى عالم النور ، لاسيما شواعر الجاهلية البالغ عددهنّ الستين اللواتي نشر حياتهنّ في « رياض الادب في مراثي الشواعر العرب » ، وفي « ديوان الخرنق اخت طرفة » وفي « انيس الجلساء في شرح ديوان الخنساء » . وينبغي القول ان هذه الطبعة المزيّنة بعدد عديد من الانتقادات والملاحظات ، التي كانت الاولى من نوعها في

الشرق ، اصبحت أثراً لكثير من دروس مستشرقي ايطالية والنمسة فيما يتعلق بالخنساء كبرى شواعر الرثاء.

ولو لم يكن لفقيدنا الا نشره « تاريخ بيروت لصالح بن يحيى » لكفى وحده محيي تاريخ سورية حتى يولوا الناشر خالص شكرهم لطبعه ذاك الاثر المهمّ ، حسب النسخة الوحيدة الموجودة في باريس ، ولما اردفه من التعليقات النقديّة والشروح. فكان عمله خدمة جليلة لتاريخ بيروت ولبنان خاصّة ، في القرون الوسطى ، وهو موضوع لم ينتبه له كتبة العرب الاقدمون . ولهذا كان هذا التاريخ الوثيقة الوحيدة لمعرفة الحالة الاجتماعية اللبنانية في ذاك العصر.

٢

على ان الاب شيخو لم يكتفِ ان يقدّم للمؤرخين موادّ قيّمة ، بل اراد ايضاً ان يؤلف في التاريخ . وكان يفضّل ، في هذا الموضوع الفسيح ، كل ما يختصّ بماضي الشرق ؛ وما يختصّ ، في هذا الماضي ، بتاريخ الآداب العربية ، والتاريخ الديني . اما اعماله في تاريخ الآداب العربية ، فاننا نحيل القرّاء ايضاً الى مطالعتها في درس معاوننا الاديب فؤاد افرام البستاني ، وفي المقالات النقدية العديدة التي ظهرت في « المشرق » ، وفي الدروس الكتبية المنشورة للفقيد في المجلة المذكورة ، وفي نشرة كلية القديس يوسف (Mélanges)

اما فيما يتعلق بالتاريخ العامّ ، فاننا ، تفادياً من سرد جدول طويل وجافّ ، نكتفي بالاشارة الى اهمّ المواضيع التي عالجها بالتدريج ؛ فمنها : تراجم مشاهير الشرق ، وتاريخ الطوائف الشرقية وائمتهم ، وبطاركتهم ، واساقفتهم ، وفلاسفتهم وعلمائهم ؛ مع دروس ليتورجياتهم ، واعيادهم ، وكلنداراتهم ، وحياة قدّيسيهم — خصوصاً اللبنانيين — ومنها تاريخ الابرشيات الشرقية ، وتاريخ القصادة الرسولية في سوريا ، وتاريخ الزيارات والمزارات المهمّة ، الى غير ذلك ممّا لو جمع وحده لالف عدّة مجلدات ضخمة

وبعد ان نشر تاريخ بيروت لصالح بن يحيى ، شاء ان يتعرّض للموضوع نفسه . لان مؤلّف صالح لم يكن بالحقيقة تاريخاً خاصّاً بمدينة بيروت ، بل كان

تاريخاً عاماً للبنان من القرن الحادي عشر الى القرن السادس عشر. وهو يتكلم عن بيروت بمناسبة صلاتها مع لبنان. فوضع الاب شيخو تاريخه من نشأة بيروت الى ايامنا هذه ، مستفيداً من آخر الاكتشافات الاثرية ، واحدث دروس المستشرقين الذين جدّدوا هذه المادة . ثم نشر عمله بعد ان زيّنه بالتصاوير القديمة فكان ، دون شك ، اوسع بحث واوثقه في ماضي عاصمة لبنان

* * *

ذكرنا ، بين الطبعات الاولى التي قام بها الاب شيخو ، شعراء العرب الجاهليين. ولا لزوم للقول ان الطابع لا يشارك الدكتور طه حسين في شكه فيما يختص بصحة الدواوين القديمة . وقد كان لهذا الكتاب الكبير ، المؤلف من ٩٣٠ صفحة مشمئة ، ان يسدّد وجهة الابحاث التاريخية ويجعل ، من نصرانية بلاد العرب قبل الاسلام ، نظرية عزيزة على المؤلف حتى انه خصص لها افضل ساعات نشاطه العجيبة في النصف الاخير من حياته المخصبة. فنشر ، بعد « شعراء النصرانية » الجاهليين ، بحثه في « النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية » وهو كتاب ذو ٥٠٠ صفحة يتكوّن منه مقدّمة «لشعراء النصرانية». وقد درس فيه المؤلف ، بكل تفصيل ، تاريخ النصرانية في بلاد العرب استناداً الى اقدم المصادر ، وأظهر انتشارها في كل الجزيرة قبل الاسلام

وان هذه المقدّمة تظهر الوحيدة ، بين جميع الكتب العربية ، في تعمقها وكثرة البحث والتفتيش التي تنمّ عليه ، لانه لم يكتف لتأليفها ، بمعرفة تامة بالآداب العربية فقط ، بل لزم ثقّاب جلود كالاب شيخو ، عارف باشهر اللغات العلمية في الشرق والغرب ، ومطّلع على احدث الدروس الجدلية لمستشرقي اوروبة

فبدأ المؤلف بجمع كل الشهادات المتفرّقة في عدد عديد من التآليف اليونانية ، واللاتينية ، والسريانية ، والعربية ، التي تشير او تلمح الى نصرانية العرب . وكثير من هذه الشهادات استخرجت من نصوص يصعب الاطلاع عليها ، او نقلت من مخطوطات جمعها المؤلف ، او درسها ، اثناء زياراته العلمية

لمكاتب اوروبة والشرق . ولم تفته الكتابات القديمة ، بل استعمل كل ذلك مع ما تقدَّم فاظهر فضل النصارى على جزيرة العرب الجاهلية ، وكل ما هي مدينة به اليهم ، وكيف ان آدابها اغتنت بالكثير من المفردات الدينية ، واسماء الاعلام ، والامثال ، والاشارات الى اخبار العهد العتيق والجديد ، مما يبلغ المئات من الحكم والامثال التي دخلت بعد ذلك في مجموعات الحديث الاسلامي ، الى غير ذلك من الاستعارات المسيحية التي تبدو مأخوذة عن الكتب المقدَّسة

بقي صعوبة مهمة : وهي ان القصائد الجاهلية لا تتضمَّن مقاطع تظهر بصراحة نصرانية اصحابها . وقد اجاب الاب شيخو على هذه المسألة ، في آخر فصل من مؤلفه ، بان ذكَر ان هؤلاء الشعراء من قبائل مسيحيَّة . والحال اننا ، بما نعرف من التضامن المتين الذي كان يجمع بين افراد القبيلة جميعهم ، نتحقق ان الشعراء ، وهم رافعو لواء قومهم ، لم يكونوا يفترقون عنهم في امر مهم كالديانة . وفضلاً عن ذلك فان خلوّ اشعارهم من آثار الوثنية ، ومظاهر اعتقادهم بالتوحيد ، وبالحياة المستقبلة ، وتعوّدهم الكثير من الافكار والمؤسسات والاعياد المسيحية ، والتعبير اللطيف الذي يستعملونه لذكرها والذي يُلزم كونهم في محيط نصراني او متنصّر ، كل هذا يهيّئ للمؤلف برهاناً جديداً على صحّة نظريّته

وقد كان الاب شيخو يعتقد كل الاعتقاد ان تاريخ الآداب العربية اجحف بحقّ المسيحيين . على ان نظريّته في نصرانية بلاد العرب وشعراء الجاهلية كانت تختلف كثيراً عن الآراء المقرَّرة اذ ذاك ، وفيها من الجرأة ما كان لا بدّ له ان يثير المعارضات . وقد يكون اعتقاده الشخصي جرّه بعض الاحيان الى الاسراع في تعميم نظريّته ، وابراز بعض البراهين التي لا تقوى على النقد الدقيق ، وهو مصير كل النظريات الجديدة التي يطرحها رجال الاقدام . ولم يكن الاب شيخو الّا من هؤلاء . كما لاحظت مجلة « المسرّة » (١ اذ قالت : « كان ، مدة اربعين سنة ، رجل الاقدام لفتح الطرق الجديدة وتمهيد السبل وتذليل المصاعب في وجه من شاء اغتراف العلوم العربية . » ولكن لم يقم احد من معارضي الاب

(١ المسرّة – عدد كانون الثاني ١٩٢٨ ؛ ص : ٦٤

شيخو فينكر عليه تعمقه في العلوم العديدة . بل ان الجميع يثقون ويشكرون له ابراز الوثائق العديدة التي كانت مجهولة او غير معتبرة قبل ان يستعملها ، وقد قالت المجلة نفسها ايضاً : « الاب لويس شيخو هو سبب النهضة الكبيرة التي نراها اليوم بين الادباء لجمع آثار السلف ، والانصباب على العلوم التاريخية الشرقية ادبية كانت ام مدنية »

* * *

خصّص فقيدنا لبحثه في النصرانية وشعرائها في الجاهلية مجلدين كبيرين يحويان اكثر من ١٤٠٠ صفحة . وكانت غاية هذا العامل الجلود ان يعاود درس الموضوع ويتابعه في العصور الاسلامية . وقد بدأ ذلك في « شعراء النصرانية بعد الاسلام » فذكر عدداً كبيراً من الشعراء الذين تظهر نصرانيتهم اقل عرضة للشك من نصرانية سلفائهم الجاهليين . انما لم ينل جميعهم حظّ الاخطل التغلبي في نبوغه ولمانته لدين اجداده . وكان المؤلف يُلحق بترجماتهم الكثير من اشعارهم مأخوذة من مصادر اكثرها لم يُنشر بعد . على انهُ لم يظهر من هذا العمل الا ثلاثة كراريس تحتوي على ٤٠٠ صفحة . وكان للكرّاس الرابع ، الذي كان قد اوشك ان ينجز ، ان يتضمّن ما نُشر في مشرق كانون الاول ١٩٠٧ ، عن ابن افرنجية الشاعر الحلبي في اواخر القرن الثامن عشر . ولكن الموت قطع سلسلة هذه الابحاث النفيسة في نصيب المسيحيين من تطوّر الآداب والمدنية العربية ، التي بدأها المؤلف منذ اربعين سنة فطبع اولها عام ١٨٩٠ . وهي اذا اخذت من المؤلف افضل حصة من حياته العلمية ، فذلك لانه كان يرى فيها الامرين العظيمين اللذين خصّص حياته لخدمتها ، الا وهما : الديانة المسيحية والآداب العربية

ومن اعمال فقيدنا المهمّة انه سدّ تلك الثلمة الواهية في معلوماتنا عن آداب القرن التاسع عشر ، فنشر في ذلك مقالات واسعة ظهرت اولاً في المشرق ، ثم طُبعت وحدها في ٣٥٠ صفحة بعنوان « الآداب العربية في القرن التاسع عشر » ولم تلبث ان طُبعت طبعةً ثانية . فتلقاها علماء الشرق والغرب بكل

سرور ، وأبان المستشرق الكبير اغناطيوس غولدزيهر اهميتها (١ . وكانت غاية الاب شيخو ، في ذاك الكتاب ، ان يتتبع حركة النهضة العربية في القرن التاسع عشر ، فذكر جميع الاسباب التي انتجت ذاك التطوُّر رغم حكم عبد الحميد المضيّق . ثم اعاد العمل نفسه في « الآداب العربية في الربع الاول من القرن العشرين » وقد نشر ، في آخر عدد من المشرق سنة ١٩٢٧ ، لائحة ابجدية باسماء ادباء المسلمين . وهكذا فان المجاهد الكبير قام ، حتى آخر دقيقة من حياته ، بالوعد الذي ذكره في اول صفحة من المجلة قائلاً انه سوف يفضّل دائماً « كل الابحاث المتعلقة بالشرق والطوائف الشرقية . . . لئلّا يُقال ان الغريب ادرى بما في البيت من أهله . »

* * *

ونحن ، اذ نختم هذه اللمحة العامّة على اعمال الاب شيخو التاريخية ، نرى من حقّنا ان نعدّه بين اخصب واجدر مؤرخي الشرق العربي . وهذا ما رأته الحكومة اللبنانية في الاسباب التي حملتها على تكريم مديرنا العزيز بعد وفاته ، فقالت :

« منحت مدالية الاستحقاق اللبناني الفضية ذات السعف للاب شيخو اكراماً له ، بعد الوفاة للاسباب ، الآتية :

« بقي نحو خمسين سنة يخدم اللغة العربية بنشر كنوزها المدفونة ، وتأليف الكتب العديدة فيها . وخدم لبنان خاصّةً وبلاد الشرق عامّةً بما نشره من التآليف عن تاريخها وآثارها وعلومها حتى بلغت مطبوعاته مئة وعشرين مجلّداً ، فاستحقّ شكر لبنان . »

(١ . راجع Deutsche Literaturzeitung, 1 Mai 1909; 25 Février 1911

ترقي العلوم في سنة ١٩٢٧

بقلم الاب يوسف فرنه اليسوعي ، استاذ الكيمياء في المكتب الطبي الافرنسي

استخدام قوة ابخار الجاورة لدائرتي الاقطاب

مشروع بوشرو (Boucherot) وجورج كلود (Claude) هذا ، لفت نظر الجمهور ، في اواخر ١٩٢٦ ، محاضرة كلود الملقاة على اكاديمية العلوم ، والمصحوبة بالبرهان العملي ، كانت قد حوّلت جلسة ١٦ تشرين الثاني الى احدى اعجب الجلسات واشدّها تأثيراً في الحاضرين . لذلك امّل الناس ان سنة ١٩٢٧ لا تنقضي بدون ان يُدخل المخترع في مشروعه تحسينات اضافية ، نظريّة او عمليّة . لكننا لا نقدر ان نذكر شيئاً من هذا القبيل ، غير ان جورج كلود نشر في « مجلة العالمين » مقالة للعامّة ، في هذا الموضوع ، مع سلسلة جوابات على الاعتراضات التي اثارها ذلك المشكل الكبير .

المحرّك لكل هذه المباحث هو الرغبة في تجديد ذخائر قوى العالم الميكانيكية ، السريعة الفناء ، بسبب كثير مقتضيات التمدن العصري ؛ يؤكد لنا العلماء ان ما تبقّى من تلك الذخائر لا يكفي البشر الّا مدّة بضعة عصور ، بعد الوقت الحاضر . فسدُّ هذه الثلمة هو احد اثقل هموم البحّاثين العصريين ؛ ليعجّلوا كل التعجيل ، قبل ان تفرغ مناجم الفحم الحجري وتنضب آبار البترول !

مشروع جورج كلود يرتكز على ثلاثة مبادئ مشهورة في علم الطبيعيّات ، اليك بيانها :

١ً تستطيع دفقةُ بخارٍ مصوّبة الى اجنحة « خذروفيّة » ان تُوجد قوّةً ميكانيكية . قد اطلقنا الكلمة « خذروفيّة » على المحرّك الذي يسمّيه الفرنسيّون turbine ، لعدم وجود كلمة عربية متّفق عليها ، للتعبير عن هذا المحرّك الخصوصي .

٢ً من طبيعة البخار ان يتّجه الى نقطة يمكن فيها برودة : فاذا جعلنا الخذروفيّة بين مرجل الغليان ووعاء بارد ، يُدعى المكثّف (condenseur) اتّجهت دفقة البخار نحوها ، من تلقاء ذاتها ، واحدثت مفعولاً ميكانيكياً

٣ درجة حرارة الغليان تتناقص بتناقص الضغط . الماء يغلي بدرجة مئة ، تحت ضغط الهواء المعتاد ، المعروف ، عند الغربيين ، باسم «جوّ» (atmosphère) . لكنه يغلي بدرجة الثمانين ، على قمة الجبل الابيض (Mont Blanc) ، حيث ينقص الضغط . بل انه يمكن غليانه بدرجة الصفر ، في اناء فُرّغ من الهواء تفريغاً شديداً . كذلك يغلي ، بدرجة بين ٢٦ و ٣٠ ، تحت ضغط $\frac{1}{300}$ من « الجوّ » ، بمعنى هذه الكلمة المحدَّد سابقاً .

كل ذلك معروف ، ليس فيه ادنى جِدّة لعلماء الطبيعة . امّا اكتشاف بوشرو وكلود ، فهو قائم في اختيار السائلين اللذين يصوَّب احدهما الى المرجل والآخر الى المكثّف . السائلان المذكوران يأخذانها من البحار الانقلابيّة (tropicales) ، اعني المجاورة لدائرتي الانقلاب . لانّ سطحها ، الملازم درجةً من الفتور ثابتة تقريباً ، وهي بين ٢٦ و ٣٠ ، هو مصدر الماء الذي يغلي تحت ضغط $\frac{3}{300}$ من « الجوّ » . امّا المياه العميقة ، التي درجة حرارتها نحو ٥ ، بعمق الف متر ، فهي التي تُبرّد المُكثّف .

يتضح ممّا سبق ان مشروع جورج كلود يحاول استخدام اثنتين من اهمّ ظواهر نواميس العالم الفيزيكيّة ، ومن اشدّها تماكساً ، اعني سخونة البحار بتأثير الحرارة الشمسية ، من جهة ، ومن الاخرى ، برودتها بتأثير التيارات العميقة ، الصادرة من القطبين . كل ذكاء المخترع قائم في كونه اكتشف ان هذين العاملين القديرين هما تحت يدنا ، في مكان واحد ، وان معظم مفعوليهما في البحار الانقلابية ، الامر الممكّن من استثمارها على طريقة مطرّدة ، خلاصتها ان انبوبين يأخذان ماء تلك البحار ، الاول من سطحها ، والآخر من اعماقها ، فيترتّب على ذلك سهولة استخدام القوى الحراريّة المخزونة في المحيط .

لنحسب الآن مقدار القوّة الخارجيّة ، الواجب إنفاقها لاستثمار قوّة البحار الباطنية . يلزم اوّلاً نقل مياه السطح الى المرجل ومياه الاعماق الى المكثّف . النقل الاول قليل النفقة ، بسبب قرب المسافة ؛ امّا الثاني ، فتكون نفقته معتدلة ، اذا غُطّس الى مستوى المياه العميقة انبوب ذو قُطر كافٍ ، يُصعدها بسهولة الى مستوى السطح ، ثم الى المكثّف ؛ وسبب تلك السهولة ان الماء

العميق يرتفع من تلقاء ذاته ، ليذوب مثاب ماء السطح المأخوذ . بقي شغل آخر ، وهو تفريغ المكثف من الهواء ، على انه يكفي اجزاؤه مرّة واحدة ، لان البخار الوارد من المرجل الى المكثف ، يتحوّل في هذا الى ماء ، فلا يزيد ضغطه على ضغط الهواء القليل ، المنبسط المتاية في ذلك الجهاز ، بعد التفريغ . وبما ان هذا التفريغ نفسه لا يتعدّى درجة محدودة ، فهو سريع ويسير النفقة.

هذه ميزانيّة القوة الميكانيكية اللازم انفاقها ؛ وهي خفيفة كما سبقت الاشارة ؛ فما هي ميزانية القوى المستثمرة ؟ اختبار جورج كلود ، في اكاديميّة العلوم بباريس ، يُطلعنا عليها . قد اجرى المخترع ذلك الاختبار بواسطة خذروفية صغيرة ، مصنوعة لتدور تحت ضغط ٢٠ «جوّ» ، لا $\frac{1}{300}$ ، كما في ذلك الاختبار فهو يفضي الى نتائج اقلّ من التي يسوغ توقّعها عملياً . في المرجل الذي سعته ٢٥ لترًا ، وضع ماء بدرجة ٢٨° من الحرارة ، وجعل في المكثف جليدًا ذائباً . ثم فرّغ المرجل ، بواسطة مضخة ، فانقص ضغط الهواء فيه الى $\frac{1}{300}$ من « الجوّ » ، فصار الماء يغلي اشدّ الغليان ، وتدفّق البخار نحو المكثف ، مُديرًا على طريقه الخذروفية ، خمسة آلاف دورة في الدقيقة ، اي نحو ٨٣ في الثانية ! هذه القوة الميكانيكية تُشعل ثلاثة قناديل كهربائية ، صغيرة بضياء ابيض ، باهر ، يثبت ما دامت درجة الماء دون عشرين.

لنفرض ان ماء المرجل يتجدّد على الدوام ، بواسطة مضخّات ، ويلازم درجة ٢٨ ، وان ماء المكثف يتجدد ايضاً ، ليبقى باردًا ؛ في هذه الظروف تكون النتيجة العملية اجمل كثيرًا مما كانت في اختبار كلود . من جهة اخرى ، اذا صنعنا خذروفية تدور تحت ضغط يسير ، فالإنتاج يزيد زيادة اضافية.

هذه هي الارقام التي تحقّقها المخترعان بالاختبار : من كل مترا مكعّب من ماء سطح البحر ، يمكن استخراج ٥٠٠٠ كالورية (calories) ، او بتعبير آخر ، انّ ٨ كيلوغرامات بخار تُحدث تحت ضغط بين $\frac{1}{100}$ و $\frac{1}{300}$ من «الجوّ» شغلَ مئة الف كيلوغرامتر . واذا فرضنا ان انتاج الخذروفية العملي لا يتعدى ثلاثة ارباع قوّتها ، فان القوّة المستخرَجة من متر مكعّب من ماء سطح البحر، يُنتج ٧٥،٠٠٠ كيلوغرامتر . يجب ان يُطرح من هذا الرقم ما يُبذل من

الشغل الخارجي لاستخراج المياه الحارّة والباردة ، لنبذ ما استُخدم منها ، لابعاد الغازات المتحلّلة فيها والمنقصة لدرجة تفريغ المرجل والمكثّف ، اخيراً لعمليّة التفريغ نفسها . كل ذلك الشغل المبذول لا يتعدّى ٣٠،٠٠٠ كيلوغرامتر لكلّ متر مكعّب من الماء البحري ؛ اذاً يصبح الربح المحض ٤٥،٠٠٠ كيلوغرامتر . وبفرض كون ذلك الماء يتدفق في جهاز كلود ، بمقدار الف متر مكعّب في الثانية ، يكون الربح المحض نحو ٤٠٠،٠٠٠ كيلووات (kilowatt).

بواسطة المقابلة يفهم المرء اتم الفهم هول تلك الارقام . باستخدام اجود العُدَد لاستخراج قوّة مدّ البحر ، في مكان شديد الموافقة ، لا تبلغ هذه القوة المقتبَسة من متر مكعب من الماء ، سوى نحو ٣٠٠٠ كيلوغرامتر ، بدلاً من ٧٥،٠٠٠ ! واذا انتبهنا لعدم اطّراد المدّ ، للبنايات الفسيحة اللازمة لاستثماره ، وللبد العاملة الواجب استخدامها ، ثبت لدينا ان القوة المستخرَجة على هذا النسق يسيرة بالنسبة الى النفقات الباهظة . وهل تستوجب طريقة كلود ، هي ايضاً ، نفقات فادحة ؟

يجيب المخترع بالنفي القاطع ، بل يصرّح بان مشروعه ليس اكثر نفقة من استخدام ادنى الشلّالات لايجاد القوّة الكهربائية . واين توجد شلالات ذات علوّ كافٍ لينتج المتر المكعب من الماء ١٠٠،٠٠٠ كيلوغرامتر ، اعني القوّة المتولدة من سقوط ذلك الماء من علوّ مئة متر ؟ بل اين يوجد شلال يتدفق مازه بمقدار الف متر مكعب في الثانية ، او اكثر من ذلك ، بحسب اختيارك ، كما في طريقة كلود ؟

يتّضح ايضاً كمال هذه الطريقة بالحساب الآتي : في مصانع فرنسة التي توجد منتي الف كيلووات من القوّة ، يكلّف ايجاد الكيلووات ١٥٠٠ فرنكاً ورقاً ، اي ٧٥ ليرة سورية . فاذا حسبنا ١٦ في المئة لربع الراسمال وسائر التكاليف ، وفرضنا ان معدّل سير المصنع هو رُبع مقدرته القصوى ، وجدنا ان ثمن الكيلووات في الساعة ١٢ سنتيماً ورقاً . من الواضح اذاً ان الاقتصاد الناجم عن طريقة كلود مُدهش في بابه ؛ واذا خامرك ادنى شكّ في ذلك ، فأعد النظر الى بيانات الدفع لنورك الكهربائي .

يسوغ لنا القول ان مشروع كلود وبوشرو هو حلّ جزئي لشأن مشكل استثمار قوّة الشمس ، وذلك باختيار بقعة الارض التي فيها مفاعيل التدفئة الشمسية والبرودة القطبية اشدّ ثباتاً واقرب تناولاً ؛ وباكتشاف وسيلة استخدام تلك المفاعيل ، رغم البون اليسير (نحو ٢٥ درجة) الفاصل بين حدّي درجة حرارة المياه البحرية ؛ وبغلي ماء لا يكاد يكون فاتراً ، تحت ضغطٍ مُنقَص ؛ وبتوجيه المجرى البخاري ، بدون قوة خارجية اضافية ، بل بمجرّد التبريد ، الى المكثّف المقتبس مياهه الباردة ، بدون جهد يُذكر ؛ من اعماق المحيط ؛ وباختراع خذروفية تحوّل ، تحت الضغط اليسير ، قوةَ اندفاق البخار الى مفعول ميكانيكي واخيراً الى سائر انواع القوى ؛ الخلاصة بعجيب تسخير العوامل الشتى التي تقدّمها لنا الطبيعة ونواميسها.

اذا عُدنا الى ميدان العمليّات ، كثرت المصاعب ، وقد اشارت اليها مقالات المخترعين واجابت على بعضها. لا شك ان مصاعب اخرى ستظهر ، حين يُخرَج المشروع الى حيّز العمل ؛ ولعل هذا هو سبب تأجيل ذلك الاخراج ، حتى يومنا.

اول تلك المصاعب المتوقّعة هو الخطر الناجم عن انزال الانابيب الى عمق نحو الف متر ، وتعريضها لهجمات العواصف والتيّارات تحت البحر والامواج العنيفة ، الى غير ذلك من قوى اللُجَج المجهولة . اكّد بعض الخبراء ان صدمة المدّ او الموج كافية ، فضلاً عن الزوابع ، لتخريب الانابيب . فاجاب كلود ان الهدوء المطلق سائد على المياه ، بعمق ٥٠ متراً ، او مئة ، على الاكثر ، وان الاخطار مقصورة على هذه المسافة فقط . ومن اسهل الوسائط لازالة هذه الاخطار المحدودة ، في المصانع الساحلية ، ان يُحفر تحت الشاطئ نفقٌ طويل ، منحدر ، يُدرك البحر في عمق نحو مئة متر ، تلك المئة المعرّضة للاخطار ، فيتّصل هناك بالانبوب النازل عمودياً الى عمق نحو الف متر ، كما مرّ بك.

امّا العواصف ، التي في الظروف السابق شرحها ، لا يمكن إضرارها بسوى المصنع ، فيؤمّل كلود ان رسوخ البنايات يردّ صدمتها . ذلك جواب معقول ، لكن تأثيرات التيّارات تحت البحر ، والغمار الشديدة العمق ، وحركات المدّ والجزر في مستوى ادنى من مئة متر ، يصعُب تقديرها بالضبط ، قبل إخراج

المشروع الى حيز العمل ؛ بل انها تختلف — ولا شك — باختلاف احوال المصانع.

هناك اعتراض آخر ، مختصّ باستخراج مياه اعماق البحر لتبريد المكثّف : أصحيحٌ ان هذه العملية لا تزيد نفقتها عمّا اذا كانت تلك المياه في سطح البحر ؟ اجل ، ان مياه السطح الفاترة ، الداخلة في المرجل ، بكميّة هائلة ، لتتحوّل فيه الى بخار ، تُحدث في البحر فراغاً تسدّه المياه الباردة ، بصعودها من الاعماق البعيدة ؛ ولكن هل تدرك المياه الباردة السطحَ نفسه ؟

لا نرتئي ذلك ، فانها اكثف من الفاترة ؛ وفي الدرجة ٤ من الحرارة — وهي درجة المياه بعمق نحو الف متر — تبلغ الكثافة حدّها الاقصى . بالنظر الى هذا العامل ، تدلّ الحسابات على ان المياه الباردة ، في صعودها من قعر البحر ، تقف على نحو مترٍ من سطحه . يترتب على ذلك ضرورة بذل قوّة اضافية لاستخراج ذلك الماء . على كل حال ان تلك القوّة يسيرة ، ويخفّف محذورَها كونُ المياه السطحية اكثر احتواء من المياه العميقة للغازات المتحللة ، الامر الذي يزيد كثافة المياه الاولى ، فيمكن اعتبار المياهين بمستوى واحد ، على وجه التقريب.

كذلك في البون بين درجتَي حرارتهما مشكل آخر : حين يصعد الماء البارد من الاعماق ، يسخن رويداً في مسافة الاف متراً التي يقطعها ، فيعود لا يبرّد المكثّف بمقدار كافٍ . يجيب كلود على هذا الاعتراض الصائب بامكان جعل الانابيب من موادّ غير ناقلة للحرارة ، وتكبير قُطرها الى حدٍّ لا يقلّ عن خمسة امتار ، فيصير تبرُّد تلك الكميّة الهائلة من المياه في حكم العدم . ثم يزيد ان مدّة صعودها الى السطح لا تتعدّى ساعة ؛ وهو زمن يسير جداً ، لا يكفي لتدفئتها بمقدار عُشر درجة ، في اوفق الظروف . بل ان تلك المياه المضغوطة في الاغوار البعيدة ، يزيد انبساطُها بنسبة درجة صعودها ، وذلك الشغل الخارجي يخفض حرارتها ، بمقدار نحو ربع درجة . الحقّ يُقال : الاعتراض الاخير لا اساس له اصلاً ، لا في الاجراءات العملية ولا في التوقّعات النظرية.

بقي اعتراض جديد ؛ وهو ان مياه المرجل السطحية تحوي غازات متحللة فيها ، تنطلق مع البخار . فنتيجة ذلك هي عدم كفاية فراغ الجهاز من كل

انواع الغازات ، وبالتالي تعذّر غليان المياه السطحية بدرجة ٢٦ من الحرارة ، ما لم تُعدْ عمليةُ التفريغ من حين الى حين . على كل حال نُجبَر على بذل قوّة اضافية ، اذ نحن بين امرين: أمّا اعادة التفريغ ، واما إبعاد الغازات المتحلّلة ، قبل نقلها الى المرجل.

الاعتراض صائب ؛ وبحسب تقدير الفنيين ، تقتضي هذه النفقة الاضافية ما بين ٣٠٠و٥٠٠ بالمئة من القوّة الناتجة عن دوران الحذروفية ! فهل تُزيل هذه الصعوبة كلَّ الاماني لجيلة المبنيّة على اختراع كلود ، بحيث تتحول الارباح البديعة الى خسارات باهظة ؟ ان المخترعين لا ينكران حقيقة ذلك الاعتراض الكبير ، لكنهما يصرّحان بامكان حل المشكل عملياً ، وخلاصة ذلك الحل تسخين المياه السطحية ، تحت الضغط المعتاد ، قبل نقلها الى المرجل ، الامر الذي يخفض كثيراً نفقات ذلك النقل ويزيد صعوبة انفصال الغازات المتحلّلة عن المياه . فضلاً عن ذلك ، ان استخدام ضاغطات دائرة (compres-seurs rotatifs) يقلّل تلك النفقات . وقد دلّ اختبار المخترعين على امكان إسقاطها من ٥٠٠ بالمئة الى ١٠ بالمئة ؛ وهو حدّ يجعل مشروعهما مقبولاً . لكن الاختبار أُجري بالماء المعتاد ؛ فهل يبقى مقبولاً في مياه البحار ؟ الله اعلم . مهما يكن من الامر ، ان مقدرة المخترعين تدعونا الى امل كونهما يحلّان ما يعترضهما من المشاكل الجديدة.

رغم سهولة المشروع والاجوبة السديدة على الاعتراضات وفخامة النتائج المتوقّعة ، لم يُحاوَل ادنى تحقيق له . يلوح لنا ان ما يحول دون التحقيق ليس الظروف المبحوث فيها — فقد امكن حلّ مشاكلها حلّاً لبقاً ، مشرّاً — انما الحائل هو الظروف غير المتوقّعة . قبل الاندفاع في مشروع كهذا ووضع الرساميل فيه ، يجب الاهتداء الى اساس راسخ يُستند اليه ؛ وذلك لا يتسنى الّا بعد التجربة العملية ، اعني بعد المخاطرة بمبلغ كبير . فاذا لم يجسُر احد عليها ، بقيت حالة الجمود ثابتة ، وظلّت اجمل المشروعات النظرية حبراً على ورق . هنا آفة اكتشاف كلود وبوشرو ، اذ فيه من الجسارة ما يُثير الشكوك ، ومن الابتكار ما يميل بالناس عن اختبار لم يسبق له مثيل . مهما اكّد المخترعان

ان جرأتهما لا تُقاس الى التي وصلت القارّات بالقلوس التلغرافية الاولى ، فان الجمهور يبقى على شكّه وتردّده . فوالحالة هذه ، لا يُقدم احد على التجربة ، ولا يزال بعيدًا موعدُ ايجاد القوّة بهذه الواسطة .

* * *

لماذا نُحجم عن التوسل بذرائع ابسط واقرب منًا ، وإن كانت اقلّ إنتاجاً ان ارقى امم العالم في استخدام قوّة مدّ البحر ، في مصنع آبر ڤراخ Aber (Vrac'h) لا تقدر ، بحسب ما يظهر ، على انتاج القوّة رخيصةً ؛ فالكيلووات بسبب نفقات التجهيز الباهظة ، يبلغ ثمنه ما بين عشرة وخمسة عشر الف فرنك ، بدلًا من نحو ١٥٠٠ ، في مشروع كلود وبوشرو !

كذلك تقتضي مُعدّات استثمار قوّة الشلالات بذل الاموال الطائلة ؛ وفي ايامنا قد تباطأت حركة الاشغال ، بتأثير الازمة الاقتصادية . ورغم ذلك ، يزيد احتياجنا الى قوّة رخيصة ؛ فلماذا لا نتوسل بمشروع المهندس كنستنتان (Cons-tantin) ، المختصّ بقوّة طبيعية اقلّ وفرة واطرادًا ، لكنها ، في بعض البلاد ، من اكثر القوى فائدةً ، اعني قوّة الرياح ؟ سنعود الى تفصيل هذا المشروع ، في مقالة اخرى . الآن يكفي ان نصرّح بانه من الحكمة ان نستثمر قوى الطبيعة التي تحت يدنا وقليلة النفقة ، بدلًا من اضاعتها ، ما دمنا غير متجاسرين على الاندفاع في مشروعات استثمار ، ذات ارباح وافرة ، ولكنها تقتضي بذل رسمال طائل ، مع ما في ذلك دائمًا من المخاطرة .

الحسابات المُقنعة والتجارب المُجراة تحت مراقبة مكتب الاختراعات القومي ، تجعلنا نقدّر نفقة إنتاج الكيلووات ، على طريقة كنستنتان ، بما لا يزيد عن ألف فرنك . يكفي اقامة خذروفية هوائية على عمود تركيز (pylône) ، لا غير . هو امر اسهل وارخص من ان يُثير همة مروّجي المشروعات التجارية وجامعي رساميلها . وما زالوا مُعرضين عن مشروع كنستنتان ، فمن المحال ان تنتصب الخذروفيات الهوائية من تلقاء نفسها ؛ والريح التي صارت لا تطحن قمحنا ولا تدفع بواخرنا ، ستواصل مرورها سدًى فوق رؤوسنا . . .

(للبحث صلة)

مجلة المجلات

للاب توتل اليسوعي

مكتبة الفاتيكان – الاسلام والخلافة – سعد زغلول واخلاق الدينية – الوطنية الصامتة
هل من عقل للبهائم ؟

مكتبة الفاتيكان

يرقى عهد مكتبة الفاتيكان الى عصور البابوية الاولى ؛ لكنها لم تدخل في طورها التاريخي المرسوم إلّا لما وضع لها البابا مرتينوس الخامس (١٤١٧–١٤٣١) نظامها الخاص ، فاخذت تزداد وتتسع ، فكان فيها من المخطوطات اللاتينية واليونانية ثلاثة آلاف وخمس مئة في ايام البابا سكستوس الرابع (١٤٧١–١٤٨٤) اما في يومنا فيبلغ عددها الخمسين الفاً .

ومكتبة الفاتيكان مفتوحة دوماً للزوّار وللمطالعين ، فالزوّار يقصدونها من وجوه البابين ، يجتازون اليها قاعات منشاة الجدران ببدائع التصاوير معروضة فيها المخطوطات النادرة الثمينة ، مع الهدايا التي اتحف بها الملوك الاحبار الاعظمين على مدى الدهور . اما المطالعون فيجدون في قاعة واسعة نيّرة كل ما يحتاجون اليه للقيام بمهامهم .

وقد ضاقت المكتبة الفاتيكانية على رحبها بمحتوياتها الجليلة . فهمّ الاب الاقدس البابا بيوس الحادي عشر بتوسيعها ، وغيرته عليها مشهورة لان امرها كان معهوداً اليه قبل ان يرقى السدة البطرسية . فحدثت مجلة الهلال قراءها في هذا الموضوع وقالت (فبراير ص: ٤٤٦)

« ان قداسة البابا قد امر بتنظيم مكتبة الفاتيكان واوفد الى اميركا بعثة لدرس التنظيمات الحديثة في المكاتب لكي يعمل بها في مكتبة الفاتيكان نفسها فيجد فيها الباحثون من العلماء في مختلف مخطوطاتها ومطبوعاتها ما يكشف

لهم عن التاريخ القديم وخاصة تلك الفترة التي تقع بين القرن الاول للميلاد وقرن النهضة.

ونحن هنا في مصر بل في العالم العربي كله يجب ان نهتم لهذا المشروع فان في مكتبة الفاتيكان نحو ٣٥٠٠٠ [بل ٥٠٠٠٠] مخطوط منها عدد غير قليل من الكتب العربية القديمة التي لا يوجد مثلها في العالم كله . ويجب ان نذكر ان الكتب العربية طبعت لاول مرة في التاريخ في ايطاليا وربما كان باباوات رومية اول من طبعوا كتاباً عربياً في العالم.

ويسأل صاحب المقال هل يؤول كشف اسرار المخطوطات القديمة الى ما يغير معارفنا عن خطط التاريخ المسيحي. فنجيب انه لم يظهر ولن يظهر مخطوط ينفي حقيقة وجود نابوليون بونابرت لانها ثابتة ثباتاً علمياً في جوهرها وان اختلف المؤرخون في رواية بعض اعراض حياته. وكذلك لا سبيل الى الناقشة في صحة ما اتفق عليه المؤرخون المنصفون من الحقائق التاريخية المشهود لها شهادة لا ريب فيها كحياة السيد المسيح الاله الانسان. فان كل ما ظهر من دفائن الاثار القديمة يزيد تلك الشهادة قوة وصدقاً.

وقد تؤاخذ صاحب المقال فيما قاله من مقاومة الكنيسة للمطبعة عند ظهورها وكلامه مناقض للحقيقة. واليك ما قاله البابا لاون العاشر (١٥١٣-١٥٢١)

« المطبعة هي التحفة التي اهدتها السماء الى الارض، والتي ادت للجنس البشري وللكنيسة منافع جمة جسيمة اذ بها تصبح الكتب قريبة المنال من الخاصة والعامة فتنور العقول وتثقف الاذهان وتمهد السبيل الى نشر تعليم الايمان وهداية النفوس »

على ان بعض الذين تولوا شؤون المطابع استعملوها آلة للفساد والضلال فلا عجب ان وضع الباباوات قوانين لنشر الكتب اتقاء من شرها وتم ما فعلوا. وهذا عين ما تفعله الحكومات العاقلة في ايامنا

الاسلام والخلافة

وصفت المنار لمكاتبها (نوفمبر ١٩٢٧) حالة الاسلام، فاطرأت فضائله في الانسان والعمران، وذكرت ما امر به وما حث عليه. وما انتهى اليه الامر من تفرق كلمة المسلمين وتخاذلهم، الى ان تكلمت في امر الخلافة فروت اولاً اقتراح المحرر، قال:

« بينما نرى تركية قد ادبرت عنا وشغفت بمظاهر الغربيين اذ بايطالية ترسل

عقاربها باليمن وانكلترة تحاول ان تخادع ابن سعود وتظفر به ... يجب

— الاسراع في تنصيب خليفة المسلمين الذي يكون بالانتخاب كما كانت الطريقة المتبعة لدى الخلفاء الراشدين الاربعة لا بطريق الذرية والوراثة

— ان يكون المرشحون للخلافة من اساطين العلماء الجهابذة ذوي العبقرية على ان يكونوا من ذوي الجد والهمم والارادة القوية والعزيمة الماضية، العاملين، الممتازين بماضيهم المجيد المعروف، وكفاءتهم الشخصية ومقدار ثقة الشعوب فيهم من سائر الممالك الاسلامية على السواء

— ان يكون مقرّ الخليفة القاهرة ويكون مجرّدًا من السلطة الاجنبية او في اي قطر مستقل وان يسري نفوذه الديني لدى جميع المسلمين على نص الشرع والسنة

— ان يكون للخلافة مجلس اعلى يسمّى مجلس الخلافة ينعقد في اوقات مخصوصة معينة برئاسة الخليفة ويكون له عن كل قطر اسلامي نائب او اكثر للنظر في شؤون الاسلام والمسلمين المادية والمعنوية »

فاجاب صاحب المنار على ذلك الاقتراح وقال :

« ان كل جملة من رسالتكم تدل على معرفتكم بحال امتكم وعصرها الّا هذه الاقتراحات في الخلافة ، من ذا الذي ينصب الخليفة ؟ من ينتخبه ؟ من يرشح جهابذة العلماء ذوي العبقرية للانتخاب ؟ اي مملكة ترضى ان تكون مقرًا لخليفة منتخب غير ملكها او اميرها ؟ اما قرأت يا اخي ما كتبته الجرائد المصرية من الطعن بمؤتمر الخلافة والسخرية من كبار العلماء لتأليف هذا المؤتمر ؟ اما سمعت صياح ملاحدة مجلس النواب في انكار صرف مبلغ حقير من الاوقاف الخيرية على هذا المؤتمر اتباعاً لملاحدة جريدة السياسة ؟ »

سعد زغلول واخلاقه الدينية

وخصص بمقالة سعد باشا زغلول فقال :

« ان سعدًا دخل في اطوار التفرنج في معيشته وافكاره الاجتماعية

والقانونية وغلبت نزعة الوطنية المصرية عنده على فكرة الجامعة الاسلامية ... ولا تعلم انه كان يذهب الى المساجد الا في بعض الاحتفالات الرسمية في عهد وزارته وبعض صلوات الجمعة في زمن زعامته ، وانكر عليه اهل الدين امورًا منها عمله في تجرئة النساء على السفور المتجاوز للحد الشرعي ولكنه قاوم الدعوة الى لبس البرنيطة.»

الوطنية الصامتة

نضع تحت هذا العنوان بعض ما انتقيناه من مقال في مجلة الكشاف موقع باسم الآنسة عبرة سلام ، وفيه وصف شائق لبلاد الانكليز :

الحرية الشخصية « ممنوحة فيها باوسع معانيها لكل انسان ما دام لا يخل بالنظام ولا بالآداب العامة ولا بالامن

والعمل منظم : تدخل محطة القطار فتجد الناس يتراكضون الى شباك التذاكر ، حتى اذا اربوا على اثنين او ثلاثة الفوا صفاً يقف في مؤخره دائماً القادم الجديد ولا يخطرن في باله ان يحاول التقدم على سابقه مهما كان باعثه شديداً ، ولا تجد ازدحاماً على امر مهما يكن تافهاً الا الف الصف حالاً كانه بإشارة مدرسية خفية

ومن تهذيبهم الراقي ان بائع الحليب يمر على الابواب ويترك مطلوب كل بيت من زجاجات الحليب مملوءة دون ان يطرق الباب ودون ان يخاف عليها السرقة او التحطيم بل اعظم من ذلك ان تدخل بيتاً جامعاً لسكان مختلفين فتجد طاولة امام باب المدخل عليها قائمة كل منهم لحساب الغسيل وقد وضع كل الدراهم المطلوبة منه فوق قائمته دون ان يخطر في باله التحفظ من سرقتها او من سوء امانة مستلمها

ومن وطنيتهم الصامتة ان الامة باجمعها تسند الحكومة بذراع متين اذ انه لما اضرب العمال واعتصبوا وشلت يد الحكومة في جميع انحاء البلاد وتعطلت حركة السير تطوع الشبان لخدمة البوليس ووضع كل صاحب سيارة نفسه وسيارته تحت اشارة الشعب واستلمت الفتيات النبيلات ادارة توزيع الاعاشة . وهل ادل على هذه الوطنية الصامتة من تلك التبرعات الدائمة بارقام ضخمة

للخزينة دون ان يـذكر منها اسماء ؟ ان الضرائب تجبى — وكل انسان يتملل من الضريبة — فيتلقى وزير المالية كل يوم مبالغ عظيمة وطفيفـة من مجهولين يعتقدون ان هنالك خطأ في الحساب المتوجب عليهم فهم يسددون ما يذممهم من دين مفروض وان زوجة رئيس بلدية لندن ترسل نداء تستندي به الاكف لمساعدة البائسين بهدايا صالحة لعيد الميلاد فيأتيها في خمسة عشر يوماً ثلاثون الف هدية عدا ما جاءها من اموال

كنت اشهد هذه المشاهد كل يوم فتنتابني رجفة اسى على بلاد تمسة انتمي اليها ، لا تفقه فيها للوطنية معنى ...»

هل من عقل للبهائم ؟

في هذا العصر الجديد ، عصر العجائب والغرائب ، عصر الطيـارات والتلفون اللاسلكي ، عصر الاخاء والمساواة ، لماذا لا ينحني ابن آدم على الحيوان ويصافحه اذا وجد فيه تلك المزايا البشرية التي تقربه الى الانسان ؟ اذا اكتشف في حركته ، واستنتج من اصواته ، او من تكشير انيابه ما ينم عن عقل ؟ تلك هي النتيجة المؤدي اليهـا مقال المتصف في الكلب الـذي يتعلم القراءة :

هـذا الكلب لم يقتـأ ان اظهر علامات الـذكاء المختصة بابن آدم . هذا الكلب هو « اليف من الكلاب الصغيرة التي لها شعر طويل جعد وهي مشهورة بشدة نباهتها » تعلّم ان يميز بين الاوراق المكتوب عليها باحرف كبيرة كلمات الاكل والشرب فيا له من كلب نابغة . يعرض حاجته الى الطعام والشراب بورقة مبيّنة مكتوبة يحملها الى صاحبه . فلتخذل دونه سائر الكلاب وخاصة تلك « الكلبة من الكلاب الكبيرة التي كانت ترى هذا الكلب يجلب القطع من الورق ويعطى الطعام فلم يخطر ببالها ان تفعل فعله مع انها رأته يفعل ذلك مراراً لا تحصى» تيّاً لها من كلبة مجباه

اما الهلال فلا ريب عنده ان الجواد يضحك ، والقطة تضحك ، والنعجة تضحك ، والشبتري تضحك ، والكلب يضحك ، واذا خالجك ادنى ريب في صحة زعمه فحسبك النظر الى الصور التي نشرهـا وهي تبين تلك البهائم ضاحكة وان اعترضت قائلاً ان الضحك هو مزية ابن آدم الخاصة الدالة على النفس الناطقة . . اجابك نعم ولكن كان ذلك في العصور القديمة المتقهقرة — اما الان ونحن في عصر الثورة والمساواة فلا عجب بان تحاكي البهائم البشر عقلاً وذكاء

مطبوعات شرقية جديدة

Altorientalische Texte und Bilder zum Alten Testament, *herausg. v.* Hugo Gressmann.

I. Texte, *in Verbindung mit* E. Ebeling, H. Ranke *u.* N. Rhodokanakis, *X-478 pp. gr. 8°*

II. Bilder, *X-224 pp., 678 fig. en 260 pl., 1 carte. Berlin, W. de Gruyter u. C°, 1926-1927. Prix: 70 Marks.*

نصوص وصور لفهم العهد القديم

يسرّنا ان نقدّم لقرّائنا هذا الكتاب النفيس للدكتور غريسمن ، الاستاذ في برلين ، الذي توفي مؤخرًا في اميركة . وهو كتاب يهمّ خصوصاً شرقنا العزيز ، وتلزم مطالعته المستشرق ، ومؤرخ الديانات القديمة ومؤرخ الفنّ وامثالهم . وامامنا الآن الطبعة الثانية للمجلّدين اللذين ظهرا بالعنوان نفسه سنة ١٩٠٩ . على ان هذه الطبعة الجديدة قد نُقّحت وحُسّنت وزيد عليها بطريقة تمكننا ان نعتبرها تأليفاً جديدًا مرتوفاً على احدث الاكتشافات الاثرية في الشرق الادنى . ولكي يصل المؤلف الى غايته فقد استعان ، كما فعل في الطبعة الاولى ، ببعض الاختصاصيين ؛ فعاونه السيد ابلنغ (Ebeling) في النصوص السمارية ؛ والسيد رانكه (Ranke) في النصوص المصرية ، والسيد رودوكاناكيس (Rhodokanakis) في نصوص بلاد العرب الجنوبية . وهذه النصوص العربية تظهر لاول مرة في الكتاب فتزيد فائدته .

لا يجهل قرّاؤنا الكرام اننا كي نتمكن من فهم تاريخ شعب من الشعوب وفكرته الدينية والادبية وحياته اليومية وبكلمة واحدة مدنيّته ، يلزمنا ان نضعه في بيئته الخاصّة . والحال ان اسفار العهد القديم لا تفيدنا ، قبل كل شيء ، الّا معلومات دينية وتاريخية . ثم ان الحفريات التي أُجريت في فلسطين لم تفدنا كثيرًا من المعلومات عن بني اسرائيل خاصّة . وعليه كان من الواجب ان تتجه الانظار الى ما حول ذلك : من جهة ، الى مصر وقد كان للعبرانيين كثير من العلاقات المتينة مع هذا البلد . ومن جهة اخرى الى بلاد الدجلة والفرات وهي مهد ابراهيم ابي العبرانيين . واخيرًا الى البلاد السورية والفينيقية

والعربية جارات فلسطين. وقد كان لكل من هذه الجهات ثقافتها الخاصة. وان لم يكن بالامكان ان يُعرف دائماً مقدار التأثير الذي احدثته في تاريخ شعب الرب وتطوُّر ثقافته، فلا اقلّ من ان يُستفاد بالمقابلة اهمّ مظاهر آداب كلٍّ منها والآثار التي تركتها لنا والتي تزيدها يوماً فيوماً الحفريات الحديثة.

فاستناداً الى هذه الفكرة قسم الكتاب الى قسمين: النصوص والآثار. اما النصوص فهي: المصرية، والسومرية، والبابلية، والاشورية، وبعض نصوص حثية (وهي المكتوبة بالخط المسماري) والفينيقية، والعبرانية (وهي غير نصوص العهد القديم) والعربية الجنوبية. واما الآثار فتشابه النصوص. وقد رُتّبت جميعها حسب المواد. فوضعت النصوص الدينية اوّلاً، فالاساطير، فالحكايات، فالتاريخ، فالشرائع... الخ وقد نُظر خاصة في اختيارها الى فائدتها الصريحة في فهم التوراة. على ان المقاطع التي لا علاقة ظاهرة بينها وبين ديانة بني اسرائيل، ولا تاريخهم، ولا حياتهم الخاصة يمكنها ان توضح العهد القديم بالتضادّ اذ تظهر الفروق التي كانت تميّز العبرانيين عن جيرانهم من الشعوب. وقد اقتصر المؤلفون على اعطاء افضل الترجمات مع بعض شروح مقتضبة، ومراجع كاملة الى احدث المؤلفين في هذا الموضوع. وقد رأينا في هذا المجموع كل المكتشفات الحديثة تقريباً مثل امثال أمنموبه وكنوز توتنخ امون فيما يختص بمصر؛ وخرائب أور وطن ابراهيم فيما يختصّ بما بين النهرين؛ والقرائن الاشورية والحثية فيما يختص ببلاد أشور والاناضول؛ وناووس أخيرام وغيره من آثار بيبلوس فيما يختصّ بفينيقية؛ وحفريات بيسان الجزيلة القدر فيما يختصّ بفلسطين... الخ اما عدد الصور فقد جاوز ضعف ما كان عليه في الطبعة الاولى، بيد ان بعضها حُذف بصواب. من ذلك الاسطوانة (cylindre) رقم ٢٢٦ (في الطبعة الاولى) ولم تكن الّا تزويراً، ومسلّة الفرزل (البقاع) رقم ١٣٤، وكانت صورتها غير موافقة. وفي قسم الصور هذا نرى الشروح وافية مُسهبة جزيلة الفائدة لمن ليس لهم معرفة كافية في الآثار القديمة. والخلاصة ان هذا الكتاب مفخرة للمؤلف وللطابعين، واننا نتمنى ان نرى نظيره في لغتنا العربية

س. د

J. R. Mucke: Die Urbevölkerung Griechenlands und ihre allmähliche Entwickelung zu Volkstämmen. 1er *Halbband, mit d. Bildn. d. Verfass.*, 8°, 328 *pp.*, *Leipzig*, *Osm. Weigel*, 1927.

سكان يونان الاصليون وتطورهم المتدرج الى جماعات من الشعوب. بقلم الاستاذ موكه

كان مؤلف هذا الكتاب ، المتوفى سنة ١٩٢٥ ، استاذًا للجغرافية وعلم السُلالات البشرية في جامعة دوربا (ليڤونيا) القديمة الشهيرة . وقد اشتغل في مؤلفه هذا حتى آخر ايامه ، فتركه بين ايدي صالحة قدّمت لنا اليوم منه القسم الاول منه ، وستقدّم القسم الثاني قريباً

بدأ الاستاذ موكه بعرض آرائه في الازمنة السابقة للتاريخ وفي السُلالات البشرية ، من سنة ١٨٩٥ الى سنة ١٩٠٥ في سلسلة مؤلفات نفدت كلها واصبحت اليوم نادرة الوجود الّا في مكاتب اوربة الكبرى . اما المسألة الخاصة التي يتعرّض لها في كتابه هذا فهي من المسائل التي شغلت مؤرخي اليونان من عدة سنين وخصوصاً منذ ظهور المؤرخ الانكليزي غروت (Grote) في اوائل القرن الماضي . وهي لم تنل حلّها بعد . وقد اتخذ المؤلف شعارًا له انه « كي يفهم الانسان امرًا ما ينبغي له ان يتتبّعه في جميع تطوّرات ميلاده . » وعليه فهو يبدأ عمله بفصل اول في المصادر ، والمواد ، وعرض المسألة ، ويبيّن بالتفصيل ان زمن اليونان السابق للتاريخ ان هو الّا تاريخ تطوّر العناصر التي يمكن تمييزها في التقاليد ، والخرافات ، والآثار القديمة في البلاد . ثم يطرح في الفصل الثاني هذا السؤال : ما هو الشعب ؟ ويجيب : ليس الشعب وحدة تامة . بل يلزم التفتيش عن جميع العناصر التي كوّنت هذه الوحدة والتمييز بينها . ويعرض مثلًا على ذلك حالة الفرس والحمار : ولا ريب بالقرابة بين هذين الحيوانين . ولكن هل هما مولّدان من جدّ واحد : لا ! وفي الفصل الثالث يدرس اقسام المقاطعات عند اقدم سكان اليونان فيعتبرها ضمن بيئاتها الاولية المختلفة ، وطرق سكناها ، وعاداتها ، وانواع اعمالها ، وانظمتها

وسيأتينا القسم الثاني من المؤلف بنتائج الكاتب : فنحن ننتظره ليمكننا اصدار حكم عامّ عقلي ومقرّر

س . د

M. Asin Palacios: Dante y el Islam (*Coleccion Hispania*). *Editorial Voluntad, Madrid*, 1927. *Prix* 5 *pesetas*

دانتي والاسلام

هو اسين الانباء المستشرق واحد الاعلام المتخصصين في فلسفة الاسلام وفي طرائقه الصوفية ، له في الشاعر دانتي رأي مخالف لمذهب العلماء في امر « الالهية الالهية » (La Divine Comédie) فانهم يرون ان مواضيعها مقتبسة من الاساطير الشائعة في اوربة في القرون الوسطى . اما المؤلف فيقول ان الشاعر الايطالي استوحى شعره من «اسراء ومعراج» نبي المسلمين ومن مجموعات الحديث وانه استفاد في عدة مواضع من الحكايات السائرة في المسلمين عن الحياة الاخرى من امر الجحيم والسماء والمطهر وغيره . ودليله على ذلك ان التشابه بين اقوال المسلمين وبين رواية دانتي لهو اكثر من ان يحصى فلم يصبه الشاعر عفواً وصدفةً ولكن عمداً . اما نحن فنجلّ المؤلف ونقرّ له بسعة المعارف والتضلع من علم الحديث الاسلامي لكن حجته هذه واهية البراهين فلم تقنعنا على ان آل المطالعة والتنقيب اختلفوا في حل هذا المشكل وانما اشرنا اليه لما فيه من الوثائق والتعليلات المفيدة للقارئ الراغب في الاطلاع على قضية يتجادل فيها العلماء.

م . ل

Gérard de Nerval: Voyage en Orient suivi d'Isis, *texte intégral établi par* Jean Chuzeville, *orné en gravures au burin, d'un frontispice et d'un portrait* — 3 *vol. in*-16, 1927-*Paris. Editions Bossard.*

رحلة جيرار دي نرفال الى الشرق

كانت نسخ هذا الكتاب قد نفدت من زمن بعيد فاعادت طبعه شركة بوسار في مجموعتها المسماة « افضل المؤلفات بنصها الافضل » فاذا به جميل الظاهر ، جيّد الورق ، واضح الحرف . وقد اهتمّ كل الاهتمام في اعادة نصّه الاصلي بعد ان قُدّم عليه مقدّمة ولاحقة بالآخذ فظهر من افضل كتب المكاتب .

ويمكننا القول نفسه عن الكتاب التالي وقد طبعته الشركة ذاتها في المجموعة ذاتها :

Prosper Mérimée: Mateo Falcone, Carmen, Columba. *Texte définitif revu sur l'édition originale avec introduction et notes par* **Marie-Louise Pailleron,** *orné, en gravures au burin, d'un frontispice et d'un portrait.* — 1 *vol. in*-16, 1927

ثلاث روايات لبروسبر مريميه

ولا يخفى ان مريميه القصاص والروائي التمثيلي ينحطّ بسهولة الى تصاوير بعض المشاهد الفاسدة وعليه فلا يمكن الجميع ان يقرأوه . وان افضل ما في هذا الكتاب رواية كُرْمِن ج.ل

J. Froebes S. J. Psychologia speculativa. *t. II, VI et* 344 *pp. M.* 5, 20; *relié* 6, 70 - 1927-*Freiburg im Breisgau. Herder et Cie*

البسيكولوجية النظرية

وصفنا الجزء الاول من هذا الكتاب في المشرق (٢٥ [١٩٢٧] : ٩٥٣) واذا بالجزء الثاني يتبع الاول بسرعة ، وموضوعه البسيكولوجية الحسية الخاصّة : كالحاسّة الداخلية ، والحاسّة الخارجيـة وباقي القوى الحسّية كالشهوة ، والقوّة المحرّكة ، والعادة ، وكل ما قلناه عن صفات هذا المؤلف في معرض كلامنـا عن الجزء الاول ، ينطبق تماماً على هذا الجزء. ج.ل

Georges Lanoë-Villène: Le livre des symboles, *Dictionnaire de symbolique et de mythologie — lettre B. - prix* 30 *frs. vol. in*-8° *de* 236 *pp.* 1927-*Paris, Editions Bossard*

كتاب الرموز

هو عمل شديد الجرأة أن يريد رجل فرد القيام بتأليف كتاب في الرموز والميتولوجية على شكل قاموس . واذا اراد المؤلف ، كما يظهر في هذا الجزء ، ان يخصص كتاباً كاملاً لكل حرف من الابجدية ، فيكون تأليفه مـا يغطي شعاعاً برمّته من المكاتب . على انه بهذا العمل ، تُصبح الرموز والخرافات الميتولوجية ، التي كانت ولا تزال من اخصب الموارد في آداب الشعوب المختلفة ولغاتها ، عرضةً لكثير من النسيان والغلط . ومهما يكن من الامر فان هذا الكتاب ، المختصّ بحرف « ب » ، يحتوي على ٣٠ مادّة من « bague » (خاتم) الى « bulle » (نُفّاخة) وكلهـا تُظهر مطالعات واسعة ، الّا ان المؤلف لا يُعمل الانتقاد في المعلومات التي يستخدمها ج.ل

Morojkowsky (Dmitri) : Julien l'apostat ou la mort des Dieux. *traduction approuvée par l'auteur, intégrale et conforme au texte russe par* **Henri Mongault.** *in-12. Paris, Editions Bossard*, 1927- *Prix*: 12 f.

يوليانوس الجاحد او موت الآلهة

لمؤلف هذا الكتاب رواية معروفة دعاها « قيامة الآلهة او ليونارد دي فنتشي » وقد ألف الرواية التي نحن بصددها الآن مقابلةً للاولى . وهي رواية كبيرة لا تضعف سلسلة الحوادث فيها رغم التطويل (اذ فيها ٤٦٦ ص) اما مشاهدها فاكثرها شرقية تنتقل من كبادوقية حيث يُسجن يوليانوس صغيراً في قلعة ماسأوم ، قرب قيسارية ، الى سهول ما بين النهرين حيث يطلق احد الاعراب سهماً حاداً فيخرق صدر القيصر .. على انّ هذا الرجل المُحاط بالالغاز لا يظهر واضح الاخلاق في الرواية التي نحن بصددها . بل ان الطالع قد يشعر بميل الى يوليانوس وبعاطفة اجحاف بحقّ النصرانية فليتنبه اذاً مطالعو هذا الكتاب الذي لا يمكن ان يقدّم الى الجميع ج . ل

Martin Luthers Leben und sein Werk von Hartmann Grisar S.J. professor an der Universität Innsbruck, 2e *édition* 1927. *vol. gr. in-8 de* 596 *pp. avec* 14 *planches hors texte* — *broché* 13 *mark, relié* 16 *m.*

مرتين لوتير : حياته واعماله

لما ظهر هذا الكتاب لاول مرة ، اتحدت الصحافة البروتستانية والصحافة الكاثوليكية ، لاظهار ما له من الاهمية ، وما فيه من عدم التشيّع . وفعلاً فان المؤلف نال ، في هذا الموضوع ، مقدرة لا يعادله فيها احد ، واشتهر بمؤلفات عديدة مثل كتابه المدعو « لوتير » في ثلاثة مجلدات ومؤلفه المدعو « لوتير الدارس » في اربعة اقسام . اما المؤلف الذي نصفه اليوم في حياة لوتير واعماله ، فانه يُعتبر افضل بحث وضعي في شخصية ذاك المرطوقي الشهير واخلاقه . وهذه طبعته الثانية ، (الالف الخامس والسادس) في غاية الاتقان مزيّنة باربع عشرة لوحة . ج . ل

Camille Moilline : L'Oubli, *broch. in-8° de 20 pp. prix 1 f°, 20*
Paris, Editions Bossard, 1927

النسيان

اقام مؤلف هذا الكرّاس زمناً طويلاً في المانيا ، فتحقق ان مواطنيه الفرنساويين ينسون سريعاً ؛ وهو يسألهم ان يحافظوا دائماً على جيش قوي ، وأمل وطيد ج . ل

C. Lavergne O. P. : Synopse des quatre Evangiles en français d'après la synopse grecque du **P. Lagrange O. P.** *pet. in-8° de 267 pp. — 15 f°*

مجموعة الاربعة الاناجيل

يلاقي هذا الكتاب دون شك كثيراً من الطلّاب لانه منسّق على اسلوب المجموعة اليونانيّة للاناجيل الذي قام به الاب لاغرانج . وترتيب الكتاب يسهّل للمطالع ان يعرف تاريخ الحوادث من حياة السيد المسيح . ويلحق به ثلاثة جداول يختص الاول بترتيب الحوادث على الطريقة التوقيتية ، ويُظهر الثاني ما ذكره كل من الانجيليين الاربعة . اما الثالث فيجمع كل الحوادث ، والاطوار ، والامثال ، والتشابيه التي ذُكرت في المتن . ويتبع كل ذلك بعض الشروح والتعاليق مع خارطة لاورشليم واخرى لجغرافية الانجيليين . وبالاختصار فان المطالع يرى ، في حجم لطيف ، آلة سهلة للعمل ج . ل

H. Valloton-Warnery: Sur une six-roues. De Paris au Caire par Constantinople et Bagdad. 58 *ill. et 2 cartes. Préface du* Gal **Weygand.** *in-12,* 1927-*Paris, Berger-Levrault*

على ذات الستة الدواليب

مؤلف هذا الكتاب سويسري كلفته حكومة الاتحاد بعثة رسمية فاتخذ سيّارة خاصّة من ماركة رينو (Renault) ذات ستة دواليب مزدوجة اي اثني عشر طوقاً من الكاوتشوك . وسار من باريس بسرعة ٣٣ كيلومتراً في الساعة ، فمرّ في لوزان ، ميلانو ، بلغراد ، صوفيا ، القسطنطينيّة ، انقرة ،

الاسكندرونة ، حلب ، بغداد ، بيروت ، اورشليم حتى وصل الى القاهرة. وقد استحق باقامته في سورية ، رسالة من الجنرال ويغان جعلها مقدّمة لمؤلفه . وان من يقرأ هذا الكتاب لا يلبث ان يصبح من رأي الجنرال المذكور اذ قال المؤلف : « لم يخب املي ، لان كتابك على رغم من تمهيده البسيط ، يقوم بكل المواعيد التي وعدها سابقاً» ج.ل

Vorgeschichtliches Jahrbuch für die Gesellschaft für vorgeschichtliche Forschung, herausgegeben von Dr Max Ebert *O. Prof. an der Universitdt Koenigsberg - Band II, Lexikon-Oktav mit 6 Tafeln und einer Abbildung im Text. IX-344 pp.* 1926. *Verlag von Walter de Gruyter und Co Berlin u. Leipzig, M.* 25

قائمة المطبوعات السنوية للزمن السابق التاريخ

وصفنا في المشرق (٢٤ [١٩٢٦] : ٥١٢) المجلد الاول من هذا الكتاب. وها قد اتانا الثاني محتوياً في قسمه الاكبر على لائحة بالكتب التي ظهرت خلال سنة ١٩٢٥ . ولما كان كل قطر معهود به الى اختصاصي معروف فقد امكن للمطالع ان يثق كل الثقة بالمعلومات التي يستقيها ، ونرى مثلاً واضحاً فيما يختص بسورية وفلسطين اذ ان الاستاذ الدكتور طُمسن (Thomsen) من اكبر جمّاع الكتب والمعلومات في اختصاصه . وفضلاً عن ذلك ففي هذا المجلد دروس ومعلومات تجعله قائمة لا مندوحة عنها في درس الزمن السابق للتاريخ ، نذكر منها بحث السيد برسو (G. Bersu) في فن الحفريات عن التحصينات الحربية في الزمن السابق للتاريخ ، وهو ذو فائدة عامة . كما اننا نذكر بحث السيد وسندونك (Von Wesendonk) في الآثار القديمة في بلاد القوقاس ، ومقالته عن وفاة مورغان (Morgan) ج.ل

الوسيط في الادب العربي وتاريخه

تأليف الشيخ احمد الاسكندري والشيخ مصطفى عناني

الطبعة السادسة — مطبعة المعارف — مصر ، ص : ٣٥٩

هو الوسيط وتعم الاسم المسمى اذ يتعرف فيه الادباء الى كثير من الامور الواجب الوقوف عليها من نشأة اللغة العربية وآدابها منذ العصور الاولى لتاريخها الى اليوم. وهو الوسيط يتخذه الاساتذة بينهم وبين تلامذتهم ليستعينوا به على

القاء الدروس في الصفوف العليا فلا عجب اذن ان قررت وزارة المعارف العمومية في مصر تدريس هذا الكتاب بمدارسها. وقد ظهرت منه الطبعة السادسة . وهو الوسيط بين البصيرة والذاكرة تنيض امهات المواد من متونه على الهامش فيسوغها المراجع ويستظهرها . على اننا مع ثنائنا على المؤلفين نستأذنهما بابداء بعض الملاحظات عسى ان يستفاد منها في طبعة اخرى

لا بد من كتابة تاريخ الآداب بلغة انيقة فصحى ؛ ولكن ، الا سبيل اليها الا بالتقعر وتذييل كل صحيفة من صحائف الكتاب بطائفة من الحواشي ؟ نعم ان كثرة الرادفات تشهد للمؤلفين بحافظة باهرة وهي مفيدة في فقه اللغة ، اما في التاريخ فقد تحول دون الاطلاع الملمّ سريعاً بالحوادث والاخبار . هذا ومن الحواشي ما وددنا لو وجدناه منظوماً في سلك المتن موجزاً ، شفقة على الاساتذة والتلاميذ . مثلاً (وجه ٣ الحاشية ١) : « ان لغات العالم (على كثرتها التي لم تتناه ولن تتناهى) ! »

وقد يؤاخذ الكتاب بقلة وفاء بعض الفضلاء والأدباء حقهم فانه لم يكد يحسب حساباً للمسيحيين في الاداب العربية كأنهم لم يخلقوا . . . ف . ت

زراعة محاصيل القطن المصرية

تأليف عبد القادر فؤاد الناسترلي

مطبعة النهضة . مصر ١٣٤٥-١٩٢٧ ص ٧٢٦ كبير

انتقل صاحب الكتاب من ديوان الاوقاف الى سلك مدرّسي مدرسة الزراعة العليا فدرّس فيها علم النبات مدة عشر سنوات ثم نُقل الى قسم تربية النباتات ، للاشتغال بقسم الفطريات بوزارة الزراعة . ثم عاد ودرّس الزراعة فاخذ في وضع موسوعات زراعية لمصر ، وهذا الكتاب هو فاتحتها : ٧٨ صفحة منه تشمل المبادي الزراعية ، والتداوي اي البذرة وتحسينها ، واستجلاب النباتات من الخارج ، وترتيب محاصيل الحقل ، وغيره ثم يعنى المؤلف بمحاصيل الاغلال (ص ٧٩ــ٣٥٩) فيبحث في القمح والحنطة والشعير والارز والدخنة والذرة الشامية

والريانة والذرة الرفيعة والذرة السكرية وذرة المكانس والحرارة وقصب السكر والسمار — ثم يتناول محاصيل البقول (ص ٣٥٩ــ٤٩١) من الفول والعدس والبرسيم المصري والبرسيم الحجازي والترمس والفول السوداني والحلبه والجلبان والحمص — ومن ثم (ص ٤٩٤ ــ ٥٦٩) محاصيل البصلات (البصل) والدرنات (البطاطس) والبذور الزيتية (خس الزيت والقرطم والسمسم) ومحاصيل الصباغة (الحنا) واخيراً محاصيل الالياف (٥٦٩ــ٧٢٦) الكتان والقطن والتيل

ويعالج كل نوع من هذه الانواع معالجة علمية فيعرّفه الى القارئ ويبيّن له منزلته في علم « البوتانيقا » ويذكر اصنافه وتاريخه وشروط مناخه وتوزيعه وارضه وزرعه وما يحتاج اليه من عناية خاصة ومن ريّ ، وكيف يكون امر حصاده واستغلاله الى غير ذلك مما يجعل هذا الكتاب مفيداً جداً ليس فقط للطلبة ولكن للمزارعين ولكل اديب يرغب في الالمام بشيء من علم الزراعة . ولم يكن بدّ للمؤلف من وضع الاصطلاحات العلمية الافرنجية بحرفها اللاتيني فرضها ، والكتاب متقن الطبع مرتب باسلوب سهل المطالعة . فنشكر للمؤلف هديته ونتمنى له ملازمة عمله الخطير فيتحف العربية بمجموعة فريدة في شأنها نحن في مسيس الحاجة اليها ف . ت

مجموعة خطب

محمد طلعت حرب بك

مطبعة مصر ١٩٢٧ — ص : ٣٥٦ ، كبير

السيد محمد طلعت حرب بك ، نائب رئيس مجلس ادارة بنك مصر ، وعضو مجلس ادارته المنتدب ، من كبار ماليي القطر الشقيق . وقد حملته الظروف على القاء عدة خطب في امور البنك المذكور وغيرها من الشؤون المالية والاقتصادية . فجمعت له شركة مطبعة مصر تسع عشرة خطبة فاه بها بين سنة ١٩١٣ وسنة ١٩٢٧ واثبتتها في هذا المجلد الجميل الظاهر الجيد الورق فجاءت وثائق قيمة لتاريخ بنك مصر ولآراء المالية والاقتصادية . وقد أضيف الى

الخطب بعض الوثائق الاقتصادية ايضاً ونخبة من اقوال الجرائد في البنك مع ثلاث قصائد لاحمد شوقي بك. وزيّن الكتاب بعدّة صور للخطيب ، ولكبار رجال مصر ، ولردهات البنك المذكور . ف.١٠.ب

الجُمَل للزجاجي

صححه وشرح ابياته الشيخ احمد ابي شنب

مطبعة جول كربونل - الجزائر ، ١٩٢٧ - ص: ٢٠٢ ، صغير

وصف المشرق (٢٥ [١٩٢٧] : ٩٥٦) هذا الكتاب القيّم لابي القاسم عبد الرحمن الزجاجي اللغوي المشهور في العصر العبّاسي الثاني (+٩٢٣م). وقد وقف على طبعه فصححه وشرح ابياته الشيخ احمد ابي شنب مدرّس الآداب العربية في كلية الجزائر. فنحن نكرّر شكرنا لكلية الجزائر المذكورة ، ولاستاذها ، والمطابع ف.١٠.ب

الرسالة الرحمانية

تبحث عن حركة السفور في البلاد العربية لعبد الرحمن محمود الحص

اول ما تتعاطاه هذه الرسالة هي مسألة السفور. فلا تهمّ الّا المسلمين وما العهدة في حلها الّا عليهم . اما المسألة الثانية فهي القاهرة وعهدتها على كل غيور على مصالح النظام والادب . وكذلك الثالثة وهي تصف مضارّ الخمر . وفي الوجه ٣٢ نبذة عنوانها :

« بناتنا اعراضنا: فاتقوا الله فيهنّ! كلمة الى تلامذة مدرسة الطلبانية في بيروت: لقد آن لكم ان تخجلوا . . ؟ »

حسبنا التنويه بها واننا نلقي على صاحب المقال المسؤولية فيما يحتجّ به وفيه ما يهمّ كثيراً الاداب العامة وسمعة مدنيتنا .

اما المشكل الاخير وعنوانه :

« جمعية المقاصد تعلن الاحكام العرفية في مدارسها » فهو منوط بالمسلمين وحدهم ه.ل

من كتب الشيخ يوسف نوما البستاني — المطبعة العربية بمصر

ديوان ابي مسلم البهلاني

هو مجموع صلوات وقصائد دينية وصاحبه خارجي من عمان في بلاد العرب عاش في القرن الماضي، وهو من الاباضية . ولكن لا شيء في هذا الديوان ينوّه بمعتقدات مذهبه الخاصة وقد وددنا لو وضع الناشر ترجمة وجيزة للمؤلف في صدر الكتاب ه.ل

بهجة الافراح في مناجاة الارواح

تأليف الدكتور ابراهيم عريبلي

مناجاة الارواح اضغاث احلام يذهبون فيها الى ان اتصالهم بعالم الغيب يتمّ على يد « الوسيط » (medium) ، وقد جرت مؤخرًا في فرنسة وفي غيرها من البلاد اختبارات عديدة اشترك فيها علماء منتمون الى شتى المذاهب فاجمع رأيهم على ان « الاوساط » الذين اختبروهم لم يكونوا الا مشعوذين . ولا شك ان مؤلف هذا الكتاب ، لو اطلع ، قبل وفاته ، على نتيجة ذلك البحث ، لاحجم عن نشر كتابه ه.ل

هدايا ارسلت الى المشرق

— مهاتما غاندي — تأليف رومن رولان، ترجمة عمر فاخوري ، مطبعة وزنكوغراف طبارة في بيروت — هي حكاية مصلح هندي اهدتها مجلة الكشاف الى قرائها في العام ١٩٢٧

— نظام الرياضة البدنية — هي نشرة موضوعة باللغتين العربية والافرنسية اشفعتها وزارة المعارف بنسخة من النشيد الوطني اللبناني وقد لحنه الاستاذ وديع صبرا ونظم شعره رشيد بك غنام

اهمّ حوادث الشرق في شهر

١٥ كانون الثاني — ١٥ شباط

للاب لويس معلوف اليسوعي

كانون الثاني

١٥ : اشترت شركة يهودية اميركية الحقوق التي لشركة عربية في تشغيل الهامات الحارة في طبرية – انيم في مدرسة الحكمة في بيروت مهرجان ادبي عظيم للشيخ عبدالله البستاني احتفالاً بيوبيله لخمسين سنة قضاها في خدمة اللغة العربية

١٦ : ظهر الطاعون في عدن - بدأ تسيير القطر السريعة بين طرابلس والاستانة فأوربة – وافق البرلمان العراقي على اعطاء الملك علي ملك الحجاز السابق وشقيق الملك فيصل ' الامتياز بزرع ١٣ الف فدان من الارض بلا مقابل ' مكافأة لخدمته القضية العربية ' وقد احتج عدة نواب على هذا العطاء احتجاجاً عنيفاً

١٧ : سن المندوب السامي الانكليزي في فلسطين قانوناً يلزم باستعمال الموازين والمقاييس والمكاييل العربية ويجازي من استعمل سواها بغرامة قدرها ٥٠ جنيهاً – استجوبت محكمة الجنايات في الاستانة الشيوعيين المقبوض عليهم وعددهم ٥٧ فدلّت اجوبتهم على وجود جمعية سرية تعمل بمعاونة موسكو على اقامة الشيوعية في تركية والغاء الجمهورية

١٨ : تلقى زعماء المعارضة في روسية اوامر الحكومة بالسفر الى جهات بعيدة ليقيموا فيها اقامة اجبارية الى اجل غير معين

١٩ : حلّ البرلمان العراقي — تنتشر الفتنة سريعاً على الحدود الايرانية بالقرب من شط العرب . وقد رفض الفلاحون ' وسطهم من العرب ' ان يدفعوا ما فرضته عليهم الحكومة الايرانية وذبحوا في قرية كاملة جميع موظفيها

٢٠ : أرسل خبيران من باريس الى الاستانة وانقرة لمعاينة كنوز آل عثمان وبحثها وتقدير قيمتها ' وكانت الحكومة التركية تفكر ببيع جزء منها

٢١ : اثار محمد علي باشا العضو في مجلس النواب المصري قضية الاوقاف الاسلامية ' وهي شطر كبير من ثروة مصر العقارية ' واقترح الغاءها . وكان النواب ميالين الى قبول الاقتراح ' لكن رجال الازهر وعلماء الدين عارضوا المشروع معارضة شديدة

٢٢ : وصل الى القاهرة العلامة الاثري مسيو شاسينا موفداً من لدن الحكومة الفرنسية للسعي في نشر الكتابات القديمة المنقوشة على معبد ادفو

٢٣ : قمعت الجنود الايرانية فتنة فلاحين العرب الذين ثاروا على الحكومة لزيادتها الضرائب – طلبت لجنة المجلس الوطني التركي ' المكلفة تحقيق الاختلاسات المتعلقة باصلاح الدارعة الالمانية غوبن ' اصدار حكم شديد على احسان بك وزير البحرية السابق ومعاقبة اثني

عشر ضابطاً من كبار ضباط البحرية – اعلنت شركة كوك انها اتخذت التدابير اللازمة لتمكن السياح وغيرهم من زيارة فلسطين وشرق الاردن بالطيارة

٢٤ : تشتد ازمة البطالة بين العمال الصهيونيين في فلسطين

٢٥ : شرعت الحكومة الايرانية تنفذ قانون المعارف السوية الذي سُنّ حديثاً وهو يحظر تعليم التوراة في المدارس ويجعل تعليم الفارسية الزامياً في المدارس الاجنبية – اعلنت شركة مركبات النوم « في باريس » انها ستسيّر من ١ شباط قطاراً « يسافر مرتين في الاسبوع » بين باريس والقاهرة (من طرابلس الى حيفا بالسيارات)

٢٦ : بدأت المواصلات اللاسلكية بين انقرة وطهران – وافقت وزارة المعارف المصرية على قبول بعثة من الطلبة قررت حكومة نجد والحجاز ارسالها لتلقي العلم في مصر

٢٧ : اغارت قوة كبيرة من الوهابيين على ارض الكويت وقتلت كثيراً من السكان ونهبت مواشيهم وجمالهم ومقتنياتهم

٢٨ : تلقت مصلحة الآثار المصرية في القاهرة ٤٥ صندوقاً من التحف والآثار التي وجدت في المدة الاخيرة في الغرفة الرابعة بمقبرة توت عنخ امون

٢٩ : اعتقل رجال الشرطة في انقرة مائة عامل متهمين ببث الدعوة الشيوعية ووجدوا معهم منشورات وكتباً واختاماً خاصة بالشيوعيين – احتفل صاحب الغبطة بطريرك السريان الكاثوليك في بيروت بترقية المطران يوسف رباني الى الدرجة الاسقفية على ابرشية حمص وحماة وتوابعها

٣٠ : نشر في القدس الشريف نص المعاهدة المعقودة بين بريطانيا وشرقي الاردن وهو يشبه نص المعاهدة الجديدة بين انكلترة والعراق – اعلن عدد كبير من الفلاحين والشيوخ في جنوب العراق انهم يريدون التخلي عن الجنسية العراقية والاقامة في ايران – اقامت جمعية « التعاون الفكري » في القاهرة حفلة تكريمية لشعراء الكبار شوقي وحافظ ومطران حضرها وفد كثير من اهل الادب والعلم ؛ شرقيين وغربيين

٣١ : وصل ولي عهد ايطالية الى الاسكندرية على البارجة سان جورجيو فاحتفلت به الحكومة المصرية والجالية الايطالية احتفالاً عظيماً

شباط

١ : بدأ تبادل البرقيات الرسمية والخصوصية باللاسلكي بين انقرة وطهران – اصدرت حكومة قبرس طوابع بريدية جديدة تذكاراً لمضي ٥٠ سنة على الاحتلال البريطاني للجزيرة منذ ما تخلت عنها تركية – اصدرت الحكومة التركية قراراً باقفال مدرسة اميركانية في بروسه بتهمة ان المعلمين فيها حملوا بعض الطلبة القاصرين على اعتناق النصرانية

٢ : وصل الى انقرة اثنان من اعضاء مجلس الادارة لبنك فرنسة والمدير العام للبنك العثماني وعرضوا الاشتراك مع جماعة من الماليين الاميركيين في اصدار قرض قدره ٦٠ مليون دولار لانشاء مصرف تركي للدولة

٣ : الّفت الحكومة التركية لجنة للنظر في انقاص الجوامع في الاستانة

٤ : اقرّ مسلمو الهند مشروعاً لنقل الحجاج من جدّة الى مكة بالطيارات

٥ : امرت المفوضية الفرنسية العليا برفع الحجر الصحي عن البلاد العراقية لثبوت ان قد زال وباء الكوليرا فيها

٦ : الصقت على جدران المحال العمومية في الامتانة منشورات تدعوا السكان ان لا يتكلموا الّا باللغة التركية – اشتد الطاعون في مقاطعة عدن وكان عدد المصابين في الاسبوع المنتهي في ٥ شباط ٥٤ والمتوفين منهم ٣٣

٧ : احتفل في القاهرة احتفالاً عظيماً بوضع الحجر الاساسي في بناء الجامعة المصرية الجديد – صرح مسيو هريو وزير المعارف في فرنسة بان الحكومة الفرنسية وافقت على مشروع يضمن تعزيز العلاقات العلمية والفكرية بين فرنسة وافغانستان

٨ : رفع سمو الداماد ناجي بك رئيس الحكومة السورية الى المفوض السامي استقالته واستقالة الوزارة ، فقُبلتا – أُذيعت باللاسلكي من لندرة محاضرة في الشعر العربي القاها السير ونيسون روس – وصل ملك الافغان وعقيلته الى بلجيكة

٩ : وصلت الانباء من رومية بان الحبر الاعظم عين الاب جرجس كورتيكيان النائب البطريركي في دمشق مطراناً للطائفة الارمنية في حلب – احتفل في مصر احتفالاً عظيماً بوضع الحجر الاساسي لقناطر نجع حماده

١٠ : تجمهر نحو عشرة آلاف شخص في بغداد منتظرين السير الفرد موند ، آتياً من سورية وفلسطين ، للتظاهر امامه ضد الصهيونية ، ظناً منهم انه جاء ليبث مبادئها بينهم

١١ : اوصت حكومة الافغان بصنع مقدار كبير من المدافع والبنادق والذخائر الحربية في معامل فرنسة – ترك ملك الافغان بلجيكة قبل ان يتم زيارة المدن التي كان في نيته زيارتها وسافر الى سويسرة لمرض ألمّ به

١٢ : قرر المجلس البطريركي الارثوذكسي في الاسكندرية اتباع الحساب الغريغوري ابتداءً من ١ تشرين الاول سنة ١٩٢٨

١٣ : اذاعت لجنة تضامن الازهريين في القاهرة نشرة تقول فيها انها احتراماً لناموس التحول وحرصاً للتفريق بين طوائف المتعلمين قد قررت تحبيذ فكرة استبدال الزي القديم بالزي الفرنجي وجعل الزي الفرنجي الزي الرسمي للطلبة الازهريين – قُتل ما يزيد على مائتي شخص في معركة نشبت بين فيصل الدويش وبني صخر بالقرب من حدود شرقي الاردن ، وكان جاء يطلب الجزية من قبائل بني صخر باسم الملك ابن السعود فرفضوا

١٤ : وافق المجلس النيابي اللبناني على قانون التنظيم القضائي الجديد الذي تقرر فيه ايجاد محاكم وطنية ومحاكم اجنبية

١٥ : تألفت الوزارة السورية الجديدة برئاسة الشيخ تاج الدين الحسني – الغيت في حكومة سورية الاحكام العرفية ومراقبة الصحف المسبقة ، وصدر عفو عام عن زعماء الثورة السورية الاخيرة ما عدا البعض منهم – سنّت الوزارة العراقية قانوناً يقضي بجلد الطلبة الذين يخلون بالنظام اذا لم يكونوا قد بلغوا التاسعة عشرة من العمر

المشرق

حادث ديني خطير

في الكنيسة الانكليكانية

THE BOOK
OF
COMMON PRAYER

بقلم الاب انطون صالحاني اليسوعي

وقع في انكلترّة ، اواخر السنة الماضية ، حادث ديني خطير شغل الكنيسة الانكليكانية والحكومة والمجلات والجرائد ، حتى كاد ينسيهم الامور السياسية الا وهو تعديل كتاب الصلوات العمومية في الكنيسة المذكورة

تمهيد

بدء الانشقاق والهرطقة

كان هنريكوس الثامن ملك انكلترّة غيوراً على الايمان الكاثوليكي وقد دافع عنه بالكتابة ضدّ لوثيروس وكلوينوس وكان يبغضهما اشدّ البغض واصدر احكاماً قاسية ضدّ الهراطقة . لكن لمّا فسد قلبه فسدَ ايمانه . فكما ان الضباب اذا ارتفع من الوادي الى اعلى الجبال حجبَ عنها أشعة الشمس هكذا حدث لهنريكوس . فان الشهوات الاثيمة التي هاجت في قلبه صعدت الى عقله وحجبت عنهُ نور الايمان . احبّ هنريكوس حنّة بولين ورغب في الزواج بها ، فالحّ مراراً على الحبر الاعظم اكليمنضوس السابع ملتمساً منهُ السماح بان يطلّق امرأته الشرعيّة كاترين دي اراغون التي كان قد عاش معها اربعاً وعشرين سنة

ورُزق منها خمسة اولاد. فكان البابا ينصحه ويذكّره بالشريعة وبان السيّد المسيح حرّم الطلاق بتاتاً فلا يمكنه ان يخالف ما رسمهُ المسيح لارضاء الملك . فاستمال هنريكوس بعض الاساقفة واقدم على الطلاق وجاهر بالعصية وانكر سلطة الحبر الاعظم على كنيسة انكلترة واتخذ له لقب « رئيس كنيسة انكلترة الاعظم » . لكنه لم ينكر اذ ذاك شيئاً من عقائد الايمان الكاثوليكي

الّا ان ضلال لوثيروس وكلوينوس كان قد اتصل الى انكلترّة ومال اليه البعض من الاكليروس والعلمانيين لكن خفيـةً خوفاً من الملك . فكانت الهرطقة كجذوة نار تحت الرماد . ومنذ ذاك الوقت ظهر في كنيسة انكلترّة حزبان: حزب يميل الى ما يعلّمهُ الهراطقة يقوده كرنمر رئيس اساقفة كنتربري ، وحزب المحافظين وهم حزب الملك. فجمع هنريكوس في السنة ١٥٣٦ اساقفة الحزبين ورغب اليهم ان يُقرّوا عقائد الايمان . فتراضوا على ستة بنود اعلنها الملك وهي : ان سرّ التوبة هو ضروري للخلاص. وان السيد المسيح موجود حقيقةً في القربان المقدّس . وانهُ يجب حفظ صور القديسين واكرامهم والالتجاء الى شفاعتهم. وابقوا الماء المبارك ورتبة الرماد في بدء الصوم الاربعيني. والصلوات لاجل الموتى مع الارتياب بوجود المطهر. وقالوا بتبرير الانسان بالايمان بمعزل عن الاعمال الصالحة . وان الكتاب المقدس وحده هو قاعدة الايمان دون التقليد . فكان ما أقرّوه خليطاً من الحقّ والضلال

في السنة ١٥٣٩ خطوا خطوةً نحو كنيسة رومية فقرّر البرلمان ستة بنود هي: حقيقة الاستحالة في سرّ الافخارستيّا . وان المناولة تحت الشكلين ليست ضرورية . وان الشريعة الالهية تأمر بتبتّل الكهنة . وتلزم بنتائج نذر العفة . وان فوائد القداس عظيمة . وان الاعتراف السرّي هو ضروري

في السنة ١٥٤٠ عيّن الملك لجنة من اساقفة ولاهوتيين ليقرّوا التعاليم والطقوس التي يلزم قبولها . واصدر البرلمان امرًا يوجب على وعايا الملك الخضوع لما تقرّه هذه اللجنة . فجاهر فيها كرنمر برقاحة بتعاليم الهراطقة . والحق يقال لو كان الاكليروس متمسكاً تمسكاً شديداً بالايمان الصحيح لما كانت انتشرت الهرطقة في انكلترة

مات هنريكوس في السنة ١٥٤٧ وملك بعده ابنهُ ادوار السادس(١٥٤٧ــ ١٥٥٣)وكان لهُ من العمر عشر سنوات والوصيّ عليه خاله الدوك دي سومرست وكان ميالًا الى البروتستانت الالمانيين فساعد على بثّ تعاليمهم . فلم يلبث ان نبت بذار الهرطقة الملقى في انكلترة على عهد الملك هنريكوس . فألغيت الشرائع التي كان سنها ضدّ الهراطقة . ورضي الاكليروس بمناولة العلمانيين تحت الشكلين. ومُزّقت الصور. وسُمح للكهنة بالزواج. واعلنت الحرية في الاعتراف. وبقي الاعتقاد بحضور السيد المسيح في الافخارستيا . وابقيت ذبيحة القداس كتذكار دائم لموت المسيح مع حذف بعض اجزائه

وفي ايام الملكة ماري تودور الكاثوليكية التي خلفت الملك ادوار(١٥٥٣ــ ١٥٥٨) اعيدت الكثلكة الى المملكة وحُكم بالموت على كثير من الهراطقة

لكن لما ملكت اليصابات(١٥٥٨ــ١٦٠٣) توطد الانشقاق وفازت الهرطقة وأعلنت الملكة في ٢٩ نيسان ١٥٥٩ سلطتها العليا على كنيسة انكلترة ونُشرت في السنة ١٥٦٣ البنود التي توضح معتقد الكنيسة الانكليكانية . ثم ابتدأ ضد الكاثوليك الاضطهاد الشديد الذي دام قرنين ونصف قرن . فقُتل بعد عذابات شديدة كثيرون من الاساقفة والكهنة والرهبان والعلمانيين، ذهبوا الى الموت ببسالة يُقضى منها العجب

كتاب الصلوات في الكنيسة الانكليكانية

تستقي الكنيسة الانكليكانية معتقداتها وتعاليمها ورتبها وعباداتها من ثلاثة ينابيع هي البنود التسعة والثلاثون، وكتاب الصلوات العمومية، والمياض

فالبنود هي كقانون الايمان عندهم، يُعلن فيها معتقدهم . وقد قبل بها واثبتها مجمع الاكليروس واقرّها مجلس اللوردات في ٢٩ كانون الثاني ١٥٦٣ ولهذه البنود السلطة في الكنيسة الانكليكانية فيلتزم خدّام الكنيسة بقبولها وتوقيعها وهي الشريعة التي يرجعون اليها في الدعاوي الكنسية

المياض هي مجموع مواعظ في مجلّدين ايدها واوصى بها العدد ٣٥ من البنود واعلن انها منزّهة عن الضلال وحرّض على قراءتها في الاجتماعات العمومية

كتاب الصلوات ، وهو باللغة الانكليزية ، يحتوي كل ما يتعلق بالعبادة العمومية والطقوس ومنح الاسرار والسيامات. فانهُ يعيّن الصلوات التي تُتلى وترتيبها والقراءات والاناشيد في اجتماعات المؤمنين ويعلن طريقة منح الاسرار خاصةً المعمودية والافخارستيا . ويرتب نظام سيامة الاساقفة والكهنة والشمامسة . فهو للانكليكان عوض كتاب القداس وفرض الكهنة والطقسيات والحبريات عند اللاتين ، اقتبسوه من كتب الكنيسة الكاثوليكية الرومانية بعد حذف ما لا ينطبق على معتقد البروتستانت . ظهر هذا الكتاب في السنة ١٥٤٩ على عهد الملك ادوار السادس وأُبطل في ملك ماري تودور وتقرَّر نهائياً في ايام الملكة اليصابات في السنة ١٥٥٩ بعد ان حُذفت منه رتبة القداس. ومذ ذلك الوقت لم يحدث فيه ألا تغيير ثانوي طفيف على عهد الملك جاك الاول سنة ١٦٠٤ والملك شارل الثاني سنة ١٦٦٢ وهذه النسخة الاخيرة هي المعوَّل عليها الآن .

وهاك ما يحتوي هذا الكتاب :

« ١ : المقدمة المختصة بغاية الكتاب ومحتواه وتنسيقه . ٢ : خدمة الكنيسة . ٣ : الطقوس واذا أُلغي بعضها وابقي البعض الآخر . ٤ : نظام تلاوة المزامير لكل رتبة . ٥ : نظام تلاوة سائر الاسفار من الكتاب المقدس . ٦ : جدول القراءات والمزامير لكل رتبة. ٧ : التقويم لكل شهر مع تعيين قراءتين من الكتاب المقدس لصلاة الصبح ومثلها لصلاة المساء . ٨ : جداول وتقاويم للاعياد والاصوام والقطاعات على مدار السنة . ٩ : رتبة صلاة الصبح . ١٠ : رتبة صلاة المساء . ١١ : قانون الايمان القديس اثناسيوس. ١٢ : الطلبات . ١٣ : صلوات واعمال شكر لظروف شتى. ١٤ : صلوات ورسائل واناجيل مستعملة في رتبة المناولة المقدسة على مدار السنة . ١٥ : رتبة المناولة المقدسة . ١٦ : رتبة العماد الاحتفالي والنبر الاحتفالي. ١٧ : رتبة العماد للبالغين . ١٨ : التعليم المسيحي . ١٩ : رتبة التثبيت . ٢٠ : رتبة الزواج الاحتفالي . ٢١ : رتبة زيارة المرضى ومناولتهم . ٢٢ : رتبة دفن الموتى. ٢٣ : شكر المرأة بعد ولادتها . ٢٤ : اعلان غضب الله واحكامه على الخطاة . ٢٥ : سفر المزامير. ٢٦ : صلوات تقال وقت السفر بحراً. ٢٧ رتبة سيامة الاساقفة والكهنة والشمامسة . ٢٨ : صلاة لليوم العشرين من حزيران (وفيه تذكار ارتقاء الملكة فكتوريا على العرش) . ٢٩ : عقائد الدين » (وهي البنود التسعة والثلاثون التي أشرنا اليها)

حركة اوكسفرد

منذ اواسط القرن الماضي نشأت في اوكسفرد في الكنيسة الانكليكانية حركة سُميت حركة اوكسفرد . فان بعض علماء الانكليكان لدى مشاهدتهم

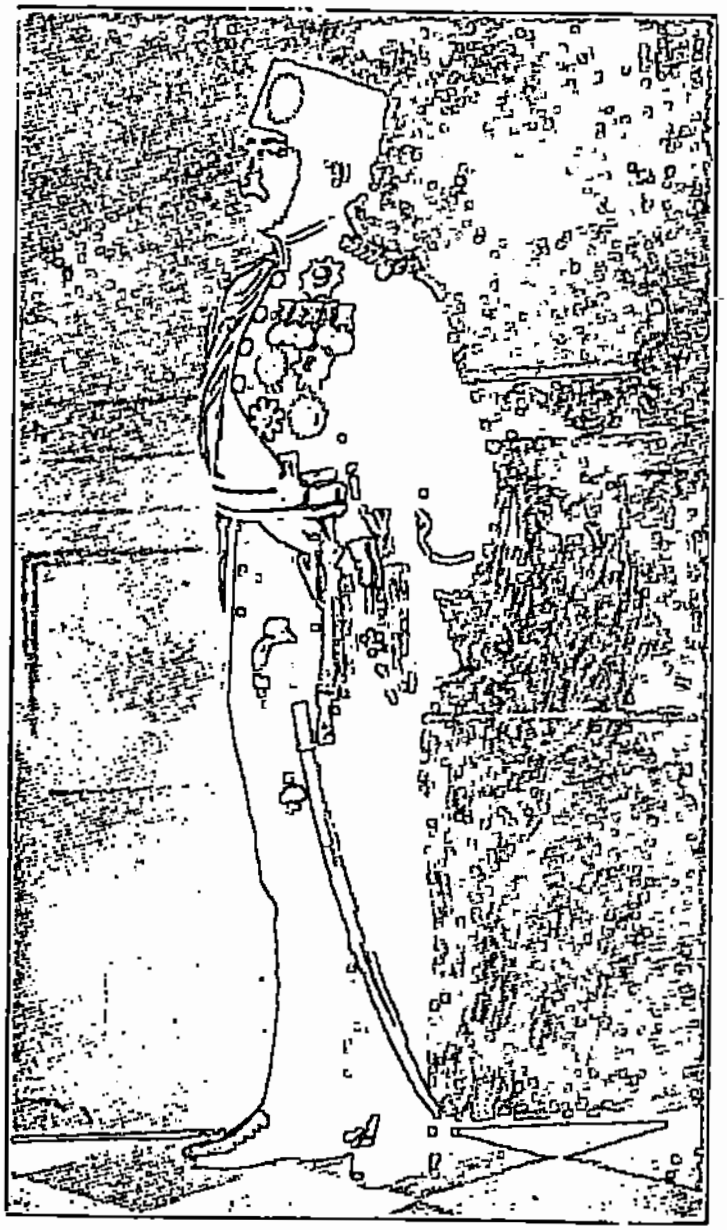

صاحب الجلالة امان الله خان ، ملك بلاد الافغان

ما صارت اليه كنيستهم من التنور والخمول اخذوا يبحثون من كنيسة المسيح في العصور الاولى للنصرانية. فبدرسهم وتنقيبهم عن الحقيقة قشعوا عنها الضباب الكثيف الذي جمعه حولها الهراطقة. فعلموا ان من مميزات الكنيسة سرّ الافخارستيا وذبيحة القداس وسرّ التوبة واكرام القديسين والالتجاء الى شفاعتهم. فاعلنوا أن الكنيسة الانكليكانية لا تشبه بشيء البتة الكنيسة التي اسسها المسيح ووجدوا انفسهم كالمحصورين والمختوقين باليسير من رُتب كتاب الصلوات الضيقة النطاق التي لا تفسح لهم مجالًا لاظهار عواطف قلوبهم بافعال عبادة خارجية خاصّةً بسرّ الافخارستيا وذبيحة القدّاس. فشرعوا يقتربون من الكنيسة الكاثوليكية واقتبسوا كثيرًا من رتبها وطقوسها فأُطلق عليهم اسم «ريتواليست» ومعناه رُتَبيون او طقسيون. فان دخلتَ اليوم احدى كنائسهم لا تكاد تفرقها عن كنيسة كاثوليكية رومانية. فتجد فيها المذابح تعلوها الشماعد والشموع المضيئة وبيت القربان يعلوه المصلوب وامام الهيكل الكاهن متوشحاً بالحلة الكهنوتية يحتفل بالقداس ويرفع القربانة بعد كلام التقديس ويعرضها لسجود المؤمنين المقابلين الهيكل ويناولهم في اثناء القدّاس. وترى جدران الكنيسة مزيّنة بصور القديسين وصور درب الصليب. وفي جانبي الكنيسة كراسي الاعتراف. وتسمع الكاهن ينادي في الكنيسة بالاعياد والاصوام والقطاعات التي تقع في الاسبوع. الى غير ذلك مما تجده في كنائس الكاثوليك

فمن الانكليكان الطقسيين من تعمقوا في درس كتب الآباء القديسين والمجامع العامّة وتاريخ الكنيسة في العصور الاولى النصرانية فعرفوا الحقيقة بكاملها وقبلوها مجاهرين بالايمان الكاثوليكي معترفين بسلطة الحبر الاعظم على الكنيسة جمعاء فخضعوا لها ودخلوا الكنيسة الكاثوليكية شاكرين لنعمة الرب وهم كثيرون. ومن الانكليكان الطقسيين من وقفوا على الباب ولم يدخلوا مكتفين بان يأخذوا من الكنيسة الكاثوليكية طقوسها وحفلاتها دون ان يعترفوا برئاسة الحبر الاعظم ويدّعون مع ذلك بان كنيستهم هي فرع من الكنيسة الكاثوليكية ويسمون انفسهم «انكلو كاثوليك». وهم ليسوا من الكثلكة بشيء سوى الظواهر. قال لهم احد الكتبة اليسوعيين: «بقيتم

القنطرة لكن بقي عليكم ان تخضعوا الفلق لتكمل » اي اقتديتم بما عندنا من الطقوس فبقي عليكم ان تخضعوا لسلطة الحبر الاعظم لتكونوا كاثوليكيين حقيقيين

راقت في عيون الانكليز طريقة الطقسيين وانتشرت وتعددت الكنائس التي يجتمعون فيها لاقامة الحفلات الدينية فكنت تراها غاصة بالشعب بينما ترى كنائس الانكليكان غير الطقسيين مهجورة. ولا يخفى ما في الحرية التي يتخذها الطقسيون من المضادة لمنطوق كتاب الصلوات وروحه ومن التقرب الى الكنيسة الكاثوليكية. فانهُ يدخلها في كل سنة اكثر من خمسة عشر الفاً من الانكليكان

اغتاظ اكليروس الكنيسة الرسمية وحنقوا على الطقسيين . هاج الاساقفة وماجوا فنبهوا ونبوا وتهددوا. ولكن اين من يسمع ؟ او من يُذعن لاوامرهم ؟ فشعروا بان سلطتهم تضعضعت وكادت تزول وفهموا ان تدبير الامر بالتي هي احسن اوفق لهم وانفع . فعزموا على نشر كتاب صلوات جديد يُدخلون فيه بعض التغييرات لكي يوحدوا العبادة العمومية ويرضى بهِ جميع اعضاء الكنيسة الانكليكانية من طقسيين وغيرهم اذ يرى فيه هؤلاء ما اعتادوه من الرتب القديمة ولا يأباه اولئك اذ يجدون فيه ما يرغبونه من الرتب الحديثة . فيكون كتاب صلوات واحد يخضع لهُ الجميع. فاخذ الاساقفة منذ السنة ١٩٠٤ يهتمون بتعديل كتاب الصلوات وعيّنوا لجنة تدرس المسألة . وبعد سنتين اي في السنة ١٩٠٦ بعد البحث الطويل ابدت هذه اللجنة رأيها فقالت : « ان شريعة العبادة العمومية في الكنيسة الانكليكانية هي ضيقة النطاق في ما يخصّ الحياة الروحية في العصر الحاضر . فانها تحرّم بدون ضرورة اموراً لها اهمية وتأثير عند كثيرين. فالافكار والعواطف في ايامنا هذه تمتاز بالميل الى الطقوس والعناية بها والى حبّ الابهة اللائقة بالعبادة والى الاعتقاد بدوام الكنيسة كما أُنشئت. وتلك امورٌ كانوا في غنى عنها عندما سُنّت هذه الشريعة . . . فيهمنا اذاً ان نُصلحها ونوسّعها توسيعاً معقولاً ونسهّل وسائل الالزام بها لكي يمكننا ان نوجب على الجميع الخضوع لها ». بقولهم هذا كانوا يعنون الطقسيين. ومذ ذاك الوقت باشروا العمل

في اوائل كانون الثاني من السنة ١٩٢٧ كانوا قد اتفقوا تقريباً على طريقة تعديل كتاب الصلوات. فعُرض على السينودسين الاقليميين: سينودس كنتربري

المؤلف من رئيس اساقفة كنتربري واساقفة الابرشيات الخاضعة لهُ . وسينودس يورك المؤلف من رئيس اساقفة يورك واساقفة الابرشيات الخاضعة له . اجتمع السينودسان في ٧ شباط ١٩٢٧ فكان الاتفاق مرضياً وان لم يكن كاملاً لان عدد المعارضين كان قليلاً سواء كان من جهة لانكليكان المتعصبين ام من جهة الانكليكان الطقسيين . وكانت تُعطى الاصوات بالقبول او بالرفض على مجمل المشروع لا على كل جزء بمفرده

كان من اللازم ان يُعرَض قرار السينودسين على جمعية الكنيسة الوطنية . ويراد بهذه الجمعية لجنة لا سلطة قانونيَّة لها عيَّنها البرلمان في السنة ١٩١٩ لدرس المشاريع المتعلقة بالكنيسة وابداء رأيها فيها وتقديمها الى البرلمان ليُصدر حكمه فيها . فيفحصها البرلمان ويقبل بها او يرفضها باغلبيَّة الاصوات . وليس لهُ ان يعدّلها . فان قبل بها مجلس اللوردات ومجلس العموم تُرفع الى الملك ليقرّها . تلك هي الطريقة المتبعة . وتؤلف جمعية الكنيسة من الاساقفة ومن الكهنة المنتخبين الذين حضروا السينودس ومن العلمانيين الذين انتخبهم في الخورنيات مجلس الخورنية . ويشترط في هؤلاء العلمانيين ان يكون عمرهم ثماني عشرة سنة ويكونوا معمَّدين وان لم يحضروا العشاء الربَّاني ولم يتناولوا اي وان لم يكترثوا لديانتهم

عقدت جمعية الكنيسة الوطنيَّة جلساتها في تموز ١٩٢٧ لكي تعطي رأيها في مشروع كتاب الصلوات كما عدَّلهُ الاساقفة . فبعد البحث والجدال والاعتراض والردّ اعطيت الاصوات فكانت كما يلي :

٣٤ من الاساقفة قبلوا بالمشروع و ٤ رفضوه

٢٥٣ من الكهنة قبلوا به و ٣٧ رفضوه

٢٣٠ من العلمانيين قبلوا به و ٩٢ رفضوه

وقد كانت اصوات الاساقفة والكهنة في هذه الجمعية كما كانت في السينودسين

بعد ان رضيت جمعية الكنيسة الوطنية بالمشروع باغلبية ٥١٧ صوتاً ضدّ ١٣٣ عرضه رئيس اساقفة كنتربري على البرلمان قائلاً ان الكنيسة جمعاء تؤيد المشروع . فخصَّص مجلس اللوردات يومين للبحث فيه واعطوا آراءهم في ١٣

كانون الاول من السنة الماضية فقبله ٢٤١ ورفضه ٨١ ولم تكن هذه الاغلبية العظيمة منتظرة . ولما قُدّم المشروع الى مجلس العموم خصصوا له يوماً واحداً في ١٥ كانون الاول. ولما اعلنت الاصوات كانت ٢٤٠ لرفضه و ٢٠٧ لقبوله . وهكذا سقط المشروع وحبطت مساعي الاساقفة وكان معظم الناس في انكلترة يأملون ان مجلس العموم سيقبل بالكتاب الجديد . ولذا سبق ارباب المطابع وطبعوا منهُ مائة الف نسخة

لا ريب في ان القرّاء يرغبون ان يطّلعوا على بعض التغييرات التي أُدخلت في كتاب الصلوات الجديد المرفوض. فنقول ان الاساقفة قصدوا مراعاة خواطر الفرق الانكليكانية المختلفة . فارضاء المستحدثين (مودرنيست) لم يحتموا بتلاوة قانون الايمان للقديس اثناسيوس . وارضاء للطقسيين سمحوا بالصلوات لاجل الموتى وبحفظ القربان لاجل المرضى. واضافوا في الكلندار اسامي قدّيسين لم تكن في القديم وهم القديس اغناتيوس اسقف انطاكية ، پوليكربوس ، اكليمنضوس الاسكندري ، قبريانوس ، اثناثيوس ، باسيليوس ، يوحنا فم الذهب ، لاون البابا ، انسلموس ، برنردس ، فرنسيس الاسيزي ، كاترينا السيانية ، القديس انطونيوس ابو الرهبان ، القديس انسكار (ارضاء لكتائس اسوج ونروج) ، القديس پتريس (ارضاء للارلنديين). وعينوا ٨ تشرين الثاني عيداً لجميع القديسين والشهداء ومعلمي الكنيسة في كنيسة انكلترة . ولم يُدخلوا في الكلندار القديس يوسف البتول ولا القديسين توما الاكويني ودوميفيكوس ولا نياحة العذراء مع انهُ يوجد في كلندارهم القديم عيد الحبل بالعذراء. ثم انهم حذفوا من الكلندار اسامي بعض القديسين وهم بلاسيوس ، سلوسترس ، والقديسات پرسكا ، اغاثا ، كاترينا الاسكندرانية ، لوسيا الخ. وقد زيد في الكلندار تذكار النفوس اي نفوس الموتى في ٢ تشرين الثاني كما في الكنيسة الكاثوليكية الرومانية. فالصلوات المعيّنة لذلك اليوم تُفيد انهُ يمكن للمؤمنين الاحياء ان يخصصوا بصلواتهم لنفوس الموتى مواهب آلام المسيح الغير المدركة . فهذا التعليم يفترض حقيقة المطهر التي ينكرها البند الثاني والعشرون من البنود التسعة والثلاثين . ولا يخفى ما لهذا التغيير من الاهمية

سكت الكتاب الجديد عن رتبة القداس التي يرغب فيها جدًّا الطقسيون ويحتفلون بها . فالاساقفة بسكوتهم ينفون القداس اذ انهم لا يذكرون الا عشاء الرب والمناولة كما في الكتاب القديم الذي يصرّح بان العشاء الرباني والمناولة يقتضيان ان يكون حاضرًا مع الكاهن عدد كافٍ من المؤمنين يتناولون معه . وهكذا يثبتون المعتقد البروتستاني ان العشاء السرّي يقوم بالمناولة وانه ليس هناك ذبيحة تمثل ذبيحة الصليب

يُسمح في الكتاب الجديد للكاهن بان يرتدي في الكنيسة الدرع والبطرشيل او الكتونة البيضاء والغفارة ولم يجسر الاساقفة ان يسمحوا له بالبدلة المستعملة في القداس عند اللاتين

ان الجزء الاعظم اهمية في عشاء الربّ عند الانكليكان هو صلاة التقديس . فالكتاب الجديد يحتوي قبل هذه الصلاة فقرة توضح ان السيد المسيح مات على الصليب لاجل فدائنا وان ذبيحة الصليب كافية لمغفرة جميع خطايا العالم. فقد ارادوا بهذه العبارة نفي ذبيحة القداس . وعبثاً حاول الاساقفة بهذه الفقرة ان يقاوموا ما يعلمه الكاثوليك عن ذبيحة القداس . لاننا لا ننكر البتة ان ذبيحة الصليب هي كافية لمغفرة كل خطايا العالم لكننا نعلم ايضاً ان ذبيحة القداس تمثل ذبيحة الصليب وتخصص بنا النعم التي استحقها لنا السيد المسيح بموته على الصليب

اضاف الاساقفة في الكتاب الجديد الى كلام التقديس صلاة الابيكليسيس اي الابتهال الى الروح القدس لكي يقدس التقدمة فيجعل الخبز والخمر في من يتناولون جسد يسوع المسيح ودمه . وهكذا ينفون حضوره في الخبز والخمر خارجاً عن المناولة . ويفترضون ان الاستحالة في المناولة تتمّ بفعل الروح القدس لا بكلام السيد المسيح « هذا هو جسدي . هذا هو دمي الخ » . ان الانكليكان الطقسيين يعترفون بوجود يسوع المسيح تحت اعراض الخبز والخمر خارجاً عن المناولة ايضاً ويحفظون القربان في الهيكل ويسجدون له. فلم يجسر الاساقفة ان يبتّوا في المسألة شيئاً لئلّا يغيظوا احد الفريقين بل اكتفوا بان يسمحوا بحفظ القربان لاجل مناولة المرضى بعد استئذان الاسقف وقدّروا ان

الاسقف قد تكون له اسباب لرفض هذا الاذن . والقربان المحفوظ لا يمكن ان يُستعمل الّا لمناولة المرضى لا لِمرض لاكرام المؤمنين . وهكذا ينفون حضور السيد المسيح تحت الاشكال الّا في وقت المناولة التي تُعطى تحت شكلي الخبز والخمر . افيمكن ان يرضى الطقسيون بهذا الامر وتعليمهم الاساسي هو ان السيد المسيح يحضر تحت الاشكال بكلام التقديس . كما نؤمن نحن الكاثوليك ؟

* * *

وردتنا الاخبار الاخيرة تُنبئنا بان الاساقفة والكهنة عادوا فاجتمعوا وادخلوا اصلاحات جديدة في كتاب الصلوات الذي أبى التصديق عليه مجلس العموم في ١٥ كانون الاول ١٩٢٧ وهذه الاصلاحات هي خطوة الى الوراء تضادّ اميال الطقسيين . والغاية منها ان ينالوا التصديق المرغوب

فالاصلاح الاول يختصّ بالصلاة لاجل الملك فجعلوها الزامية بعد ان كانت تُركت لارادة خادم الرتبة .

ثانياً : في ما يتعلق بالركوع وقت المناولة في العشاء الرباني وحقيقة وجود جسد ودم يسوع المسيح تحت اعراض الخبز والخمر ، يوجد في كتاب الصلوات تنبيه طقسي يسمونه «التنبيه الاسود» (Rubrique noire) يذكر المتناول بان ركوعه لا يُعتبر كسجود لجسد ودم يسوع المسيح ولا يعني مطلقاً ان يسوع المسيح موجود حقيقةً تحت اعراض الخبز والخمر . فالاساقفة في اصلاح الكتاب المرة الاولى كانوا عيّنوا لمنح المناولة ثلاث عبارات مختلفة ليختار منها الكاهن الصورة التي تروق له وتوافق اعتقادهُ . وهي : «جسد سيدنا يسوع المسيح الذي بُذل لاجلك يحفظ نفسك وجسمك للحياة الابدية . خذ وكل هذا ذكراً لموت المسيح لاجلك واقتت به بالايمان مع الشكر» . وللكاهن ان يقول الجزء الاول فقط : «جسد سيدنا يسوع المسيح الذي بُذل لاجلك يحفظ جسدك ونفسك للحياة الابدية» . ولهُ ان يختار الجزء الثاني فقط فيقول : «خُذ وكُل هذا ذكراً لموت المسيح لاجلك واقتت به في قلبك بالايمان مع الشكر» . فبالقول عن الخبز الذي يقدّمه الكاهن لمن يتناول «جسد سيّدنا يسوع المسيح» يمكن المتناول ان يفهم ان جسد المسيح موجود قبل

المناولة تحت اعراض الخبز المقدَّم له. وهذا الاعتقاد يوافق تعليم الانكلوكاثوليك اي الانكليكان الطقسيين ويرفضه البروتستانت. وهكذا القول عن الكأس المحتوية الخمر في العشاء الرباني: «دم سيدنا يسوع المسيح الذي أُهرق لاجلك يحفظ جسدك ونفسك للحياة الابدية. اشرب هذا ذكرًا لاهراق دم المسيح لاجلك وكن شاكرًا». وللكاهن الحرية ان يقول الجزء الاول فقط: «دم سيدنا يسوع المسيح الذي أُهريق لاجلك يحفظ جسدك ونفسك للحياة الابدية». وله ايضاً ان يقول الجزء الثاني فقط: «اشرب هذا ذكرًا لاهراق دم المسيح لاجلك وكن شاكرًا»

فالاساقفة في اصلاح كتاب الصلوات للمرّة الثانية بعد رفض مجلس العموم التصديق عليه عادوا فاثبتوا «التنبيه الاسود» مرة ثانية قبل صورة اعطاء المناولة. وذلك ارضاء المتعصبين من البروتستانت اذ ان التنبيه من شأنه ان يضادّ قوة العبارة «جسد سيدنا يسوع المسيح» «دم سيدنا يسوع المسيح»

ثالثاً. في الاصلاح الاول لكتاب الصلوات كان الاساقفة سمحوا بحفظ الوديعة اي الخبز والخمر المقدَّسين في العشاء الربّاني لاجل مناولة المرضى. فبعد رفض مجلس العموم التصديق على الكتاب عاد الاساقفة فادخلوا فيه اصلاحاً جديداً وهو ان بيت القربان المحتوي الوديعة المقدَّسة لا يوضع في الجهة الشرقية من الكنيسة حيث يقوم عادة المذبح وتوقد عليه الشموع ويُضيء امامه قنديل الزيت بل في جهة حائط الكنيسة الشمالي او الجنوبي لئلا يعتقد المؤمنون المتجهون نحو المذبح، اذا وُضع عليه بيت القربان، ان هناك جسد المسيح ودمه ولئلا يُظنّ انهم يقدّمون لها العبادة والسجود. فبهذا الاصلاح الجديد ابطل الاساقفة ما كانوا تساهلوا فيه مع الطقسيين وأمّلوا انهم ينالون موافقة مجلس العموم على كتاب الصلوات

في الثامن من شهر شباط الماضي قبلت بهذه الاصلاحات الجديدة جمعية الكنيسة الوطنية التي تدرس المشاريع قبل ان تُقدَّم الى البرلمان. وسننظر ماذا يكون حظّ كتاب الصلوات في البرلمان بعد هذه الاصلاحات الجديدة. ومن المحقّق ان ايدي البشر تتلاعب به حسب اهوائها لا وفقاً للحقيقة ولتعاليم السيد المسيح

قد خاب رجاء الاساقفة في توحيد العبادة في الكنيسة الانكليكانية. فان

تسامحهم المتلئ تناقضاً لا يرضي الاحزاب بل يزيدها نفوراً وتباعداً . فالانكليكان البروتستانت لا يرضون بما سُمح به للطقسيين ويعتبرونه تقرباً من الكنيسة الرومانية . يتضح ذلك مما قاله احد اعضاء مجلس العموم بعد رفض الكتاب الجديد اذ هتف « سَلِم مذهب البروتستانت» (Protestantism is saved) . ولا الطقسيون يرضون بما سُمح به لهم اذ يعتبرون انهم لم ينالوا الّا القليل مما كانوا يطالبون به . وسيداومون على اقامة ذبيحة القداس وحفظ القربان وعرضه لسجود المؤمنين والزياحات والاحتفال بعيد الجسد . الى غير ذلك من الرتب التي اكتسبوها من الكنيسة الكاثوليكية مع بقائهم في الكنيسة الانكليكانية . ما لم يفتحوا عيونهم ليتحققوا الى اي درجة انحطت كنيستهم . لانّ ما ارادهُ اساقفتهم واكليروسهم ، رفضه مجلس العموم المؤلف من اشخاص علمانيين بينهم اعضاء لا يؤمنون بلاهوت السيد المسيح ولا بالكنيسة ومنهم فرنسيون ويهود وهنود واباحيون . فنسألهم لمن قال السيّد المسيح « اذهبوا الآن وتلمذوا كل الامم معمّدين اياهم باسم الآب والابن والروح القدس وعلّموهم جميع ما اوصيتكم به وها انا معكم كل الايام الى منتهى الدهر » (متى ٢٨ : ١٩ و ٢٠) المرسل اعطي هذا الامر الالهي ولخلفائهم ام للحكام المدنيين ؟ وهل أمر السيّد المسيح السلطة الروحية ان تخضع للسلطة المدنية في ما يتعلق بالايمان ؟ اما قال الرسل امام محفل اليهود « ان الله احقّ من الناس بان يُطاع » ؟ (اعمال ٥ : ٢٩) . أما ضحّى الرسل والوف من المسيحيّين بحياتهم ليدافعوا عن الايمان ؟ فالامل وطيد بان الطقسيّين اذ يفتكرون بما جرى حديثاً يرجعون الى نفوسهم ليتأملوا ويتحققوا ان كنيسة رومية هي كنيسة المسيح الرسولية الواحدة المقدسة الكاثوليكيّة لا الكنيسة الانكليكانية التي لا همّ لاساقفتها الّا مراعاة الاحزاب والتأليف بين الحق والباطل . وان في الكنيسة الرومانية السلطة العليا سلطة الحبر الاعظم المُقام من السيد المسيح نائباً عنه ليرعى الخراف والغنم اي الرؤساء والمرؤوسين . وهذا الرئيس لا يراعي رغائب البشر بل الحقيقة ويعلّم المؤمنين كما قال الانجيل عن السيد المسيح (متى ٧ : ٢٩) « كان يعلّمهم كمن له سلطان لا ككتبتهم والفريسيين »

بلاد الافغان

وملكها الشاب

بقلم الاب لامنس اليسوعي

قد يكون اطلع قرائنا الكرام ، في الجرائد اليوميّة ، على تلك الحوادث التي اثارها في مصر ، مرور امان‌الله خان ، ملك بلاد الافغان . فرأوا كيف ذُعر علماء القاهرة ، اذ شاهدوا اميرًا كانوا يعتبرونه احد المرشحين للخلافة الميتة ، يدخل الجامع الازهر وعلى رأسه القبعة ؛ ويظهر بكل بساطة امام الجمهور ، كما يفعل العامّة من المسيحيين ، جاعلًا من عن يمينه امرأته الملكة اللطيفة . وان هذه الحوادث البسيطة تكفي وحدها للفت الانتباه ، اذ انها تنمّ عن شخصية خارقة العادة ، وعقليّة مستقلّة تسمو على احكام العامّة وآرائهم التقليدية . وهي ليست باولى المدهشات ، فان قرار السفر الى اوربة نفسه ظهر حادثًا غريبًا في بلاد الافغان ، وزاده غرابة الرغبة في استصحاب الملكة ثُريّا ، التي قضت قسطًا من طفوليتها في دمشق

واننا ندع الآن امان الله خان وامرأته ينهيان زياراتهما لاشهر العواصم الاوربية ، ويجتازان الى الولايات المتحدة ؛ ونجتهد في ان نتعرّف الى بلاد هذا الملك الشاب ، الى بلادَ الافغان التي لم تخرج بعد من محيط الاسرار والغوامض . . . شاهدت هذه البلاد ، فيما خلا ، مرور فاتحي الزمن القديم كدارا ، والاسكندر الكبير ، وانطيوخوس . ومما يذكره التقليد ان القديس توما الرسول مرّ بها ايضًا . ولكن كل ذلك لا يمنع كونها ظلّت ، مع بلاد التبت ، من اغرب اقاليم آسية المتوسّطة ، واعرقها في الغموض . وحتى السنين المتأخرة ، لم تكن حكومتها تسمح للسيّاح الاجانب بالدخول اليها

* * *

البلاد : تاريخها وسكانها

تتاخم افغانستان شمالاً مقاطعة بُخارى ؛ وغرباً بلاد العجم ؛ وشرقاً وجنوباً الهند الانكليزية . وتبلغ مساحتها ٥٥٨,٠٠٠ كيلومتر فتزيد على مساحة فرنسة . وهذه البلاد جبليّة في اكثرها ، يبلغ ارتفاع اعلى قمة فيها ، وهي قمة « كوهي بابا » ٥,١٥٠ متراً . فيصعب الدخول اليها لان مجازاتها ضيّقة يكفي لحمايتها قليل من الرجال . وهو امر يشرح تلك العزلة التي انفردت بها طويلاً . اما السكان فيبلغ عددهم نحو السبعة الملايين . وهم متفرّقون في قرى ومدن اهمها كابُل ، وفيها ١٨٠,٠٠٠ نسمة ؛ وقندهار ، وفيها ٤٠,٠٠٠ نسمة ؛ وهراة ، وفيها ٢٠,٠٠٠ منهم ١,٥٠٠ يهودي . ومدينة كابل عاصمة المملكة يحيط بها سهل فسيح مزدرع ، ويرويها احد سواعد نهر الهندوس . على ان الملك امان الله خان شاء ان يبني عاصمة جديدة ؛ فبدأ على مسافة عشرة كيلومترات من كابل ، بانشاء مدينة عصرية دعاها « دار الامان »

تقلبت على افغانستان حكومات عديدة . فبعد ان ملكتها دولة تمتّ بعرق الى اليونانيين ، مدة المائتي سنة المتوالية منذ الفتح الاسكندري ، عادت فوقعت تحت النفوذ الهندي ، فانتشرت فيها اذ ذاك العقائد البوذيّة . ولم تتّسع الفتوحات العربية ، حتى دخلتها الجيوش الاسلامية مرّات ، في القرنين الاولين للهجرة ، ونهبتها . ولكنها لم تقدر على الثبات فيها الى اوائل القرن التاسع للمسيح ، اذ ظهر السلطان محمد الاول الغزنوي (٨١٥ – ٨٤٠م) فأقرّ فيها الدين الاسلامي . ثم اكتسحتها الفتوحات التترية ، فدخلها جنكيز خان ، فتيمورلنك ، فالملك الاكبر ، فملوك العجم المختلفون . ولم تنل استقلالها التام وتنفصل عن الهند الاسلاميّة الّا في القرن الثامن عشر

وسببُ هذه البلايا في تاريخ افغانستان ، عائد الى مركزها الجغرافي : فانها ، على صعوبة مجازاتها ، كانت ولا تزال الممرّ الوحيد لمن يريد الوصول من غرب آسية او شمالها الى بلاد الهند الخصبة . ولهذا فان اسياد الهند لم يكونوا ليُعرضوا عن الاهتمام بمصير افغانستان السياسي ، ولم يكونوا ليُحجموا امام شيء

في سبيل تعزيز نفوذهم في تلك البلاد . فرأينا انكلترة وروسية لا تنفكان من تجاذب هذا النفوذ ، منذ ابتداء القرن التاسع عشر . وقد استعاد السوفيتيون مؤخراً تقاليد القياصرة في هذا الشأن ، فاخذوا بالاجتهاد في الوصول الى الهند ، من خلال افغانستان ، وباثارة سكانها على انكلترة . اما حكومة الهند فظلت حتى سنة ١٩١٩ تدفع الى امير افغانستان ، جُعالة سنوية قدرها ١,٨٥٠,٠٠٠ روبية . تلك سلسلة ذهبية لم تكن لتغطي تماماً السيطرة الانكليزية

اما الاهلون فاكثرهم من اصل ايراني . وقد احصي نحو نصف المليون من العنصر الآري ، واكثر من ٣٠٠,٠٠٠ من القبائل التركية والقيزلباشية وغيرها ، ونحو الثلاثة آلاف من اليهود . وعدا هؤلاء ، فان جميع السكان يدينون بالاسلام ديانةً شديدة التعلق بالظواهر ، فلا يفرقهم الّا الوهابيون في تأويلهم الحرفي الدقيق لنصّ الشريعة . واكثرهم من السنيين التابعين المذهب الحنفي . على ان بينهم نحو المليون والنصف من الشيعيين الاثناعشريين ، ونحو الثلاثمائة الف من الاسماعيليين . واما اللغة الافغانيّة فهي من فصيلة اللغات الايرانية وتكتب بالابجدية العربيّة – الفارسيّة يُضاف اليها خمس اشارات خاصّة . وقد اعتُبرت اللغة الفارسيّة لغة رسميّة في الحكومة والمدارس

* * *

الحكومة والمؤسسات

قُتل الامير حبيب الله ، والد الملك الحالي ، اثناء يوم صيد في ٢٠ شباط ١٩١٩ . فطمحت ابصار ثالث اولاده ، امان الله خان ، المولود سنة ١٨٩٢ ، الى الحكم ؛ وساعده الجيش والحزب الوطني ، فنجح وخلف اباه في السلطة على الرغم من معارضة اخويه الاكبرين . ولم يثبت به العرش حتى شهر الحرب على انكلترة ، فاسرعت هذه الدولة واعترفت باستقلال افغانستان التام في ٨ آب ١٩١٩ ، ولكنها منعت عن الامير تلك الجعالة السنوية التي كانت تدفعها لسلفه ، وقيمتها ١٢٠,٠٠٠ ليرة انكليزية ذهباً . وكان على الامير ان يقاوم

ايضاً ثورة داخليّة احدثهـا حزب العلماء الرجعيين ، الـذي لم يرضَ من سلوك المولى . فقمعها بشدّة اوقعت الرعب في قلوب المنـاوئين ، واظهرت للبـلاد جمعاء ، ان لديها رجلاً حازماً مستعدًّا للسير الى الامام رغم حداثة سنـه ، ولم يكن بلغ الثلاثين بعد

وفي سنة ١٩٢٦ ، رأى امـان الله خان ان لقب « الامير » التقليـدي لا يوافق مقامه الجديد ، فاستبدل به لقب « پادشاه » اي ملك . وهذا ما حدث ، في مثل هذه الظروف ، لابن سعود ، امير الوهابيّين ؛ ولفؤاد الاول ، ملـك مصر . ثم عقد الملك الجديد معاهدات مع روسيّة السوفيتيّة ، وتركيّة الكماليّة ، وبلاد العجم وغيرها ؛ وارسل لدى الدول القناصل والمعتمدين السياسيّين . وفي شهر حزيران سنة ١٩٢٦ حضر ممثلـه المؤتمر الاسلامي الـذي نادى ابن سعود بعقده في مكة

يعرف هذا الملك الشاب اللغة الافغانيّة والفـارسيّة ، ويلمّ بعض الالمـام بالعربيّة والفرنساويّة ، وهو يحبّ النجاح والتقدّم بالتجـديد الحسن . على ان عمله الاصلاحي عارضته عقبات كؤود في بلاد متأخرة عمّا سواهـا بنحو قرن ، بسبب اعتزالها المقصود ، وما يثور فيهـا من الحروب الاهليّة . فزادت تلـك الصعوبات في همته ، واخذ يقاومها بمواظبة وحزم ، حتى انتصر عليهـا . وبدأ اعماله باصلاح قانون الزواج فقرّر ، سنة ١٩٢٤ ، ضرورة قبول الفتاة بعريسها قبولاً واضحاً تصرّح بـه قبل عقد الزواج . والغى الحق القديم ، الذي كان يستفيد منه رؤساء الاسر ، فيزوّجون بناتهم قبـل سنّ البلوغ احيـاناً ، ولا يكترثون لرأيهنّ وارادتهنّ . ومن المفيد الاشارة الى ان الملـك يعطي مثالاً صالحاً باقترانه بزوجة واحدة . فلا عجب اذن ، وقد عرفنا اعتباره لهذه المؤسّسة المهمّة ، ان نراه يبدأ اصلاحاته بها ، ويدخل في التفاصيل فيحدّد للمهر قيمةً لا يمكن لاحد ان يتجاوزها ، وهو يجعلها ٥٠٠ روبية لاعضاء الاسرة المالكة ، و٢٠٠ للاشراف ، و٣٠ لباقي الرعيّة . ويلغي ذلك الاسراف الجنوني الذي كان يقوم به الافراد في معرض اعراسهم ، فيضحّون بثروتهم في شراء الهـدايا الكثيرة من الحلويات ؛ فيقرّر ان اعلى قدر لنفقات العرس ثماني ليرات . وقد

لجأ الى القوة في تعزيز هذه القوانين الاصلاحية ، والغاء تلك العادات السيئة ، فنجح وتجاوزها الى اصلاحات اوفر اهمية .

وكان له ، من قرار السفر الى اوربة ، سبب جديد لتهييج الخواطر التي لم تكن مستعدة لقبول هذا العمل الخارق ، ولا سيما الرغبة التي ابداها الملك في استصحاب الملكة . فكثرت المناظرات في هذا الشأن ، وأجبر امان الله على دعوة أشراف القوم الى اجتماع خاص شرح لهم ، في اثنائه ، غايته من ذلك ؛ وصرح بان الوقت قد جاء لدخول البلاد في طريق التقدم ؛ وان مراده الذهاب الى اوربة ، ليقف بنفسه على نتائج المدنية فيها قبل ان يدخلها الى بلاده ؛ وان غاية الرحلة الدرس والاختبار ، لا اللذة والسرور . ونلاحظ هنا ان الملك لم يكن رأى بعد سكة حديدية ، لانه لم يكن تجاوز حدود مملكته

. . .

يعاون الملك في ادارة شؤون بلاده الداخلية عشرة وزراء ، ومجلس شورى مؤلف من اعضاء معيَّنين واعضاء منتخبين ، واحداً عن كل مقاطعة . ولا مجلس نواب هناك بل لجنة استشارية تدعى « دربار » تجتمع كل سنة ، بدعوة من الملك ، وتؤلف من كبار الموظفين الملكيين والعسكريين ، واشراف البلاد ، وكبار العلماء او الملا (رؤساء الدين) . وفي المقاطعات ايضاً لجان تدعى « مجلس مشورة » تعاون الحكام في الادارة .

وهناك القضاة يعينهم الملك ؛ وهم من المذهب الحنفي يخضعون في سلكهم « لقاضي القضاة » . وقد تكون بلاد الافغان الوحيدة بين المناطق الإسلامية ، اذا استثنينا جزيرة العرب ، في تطبيق عدليتها على الشريعة الاسلامية تطبيقاً دقيقاً حرفياً . فتقرر العقوبات حسب الحق القرآني ، او « حدود الله » . وهكذا فانهم لا يزالون يعاقبون الزاني او السكران بالرجم او الجلد ، والموقد بالقتل ، والسارق بقطع اليد .

اما فيما يختص بالمعارف ، فان في افغانستان اربع مدارس للتعليم العالي وهي : مدرسة القضاة ، ومدرسة المعلمين العالية ، ومدرسة الهندسة ، ومؤسسة خاصة تدعى « مدرسة اللغات » يدرس فيها من يستعدون للدخول في سلك

رجال السياسة والقناصل . وعدا هذه ، فان في البلاد عدة مدارس رشدية وابتدائية . وقد ارسلت الحكومة بعثات من الطلّاب الى باريس وبرلين . وفي ٣١ تشرين الاول ١٩٢١ ، وصل الى باريس ، الامير هداية الله ، ابن الملك ، ليتابع دروسه في احدى كليّاتها ؛ ومعه اميران صغيران من انسبائه ، ونحو العشرين ولدًا من اشهر أسر البلاد. وفي الافغان صحافة لا تزال في طفوليتها . فان الجرائد قليلة ولاسيما اليومية ، ونحن نذكر من هذه : جريدة « افغان » في كابُل ، وجريدة « استقلال افغانستان » في قندهار . على ان الحكومة مهتمة كل الاهتمام في تعزيز الصحافة ، وهي تساعد جميع الجرائد والنشرات مساعدة مادّيّة ، وتجبر كل موظّف ، ملكيًا كان او عسكريًا ، يقبض اكثر من ٥٠٠ روبية في الشهر ، ان يشترك بجريدتين على الاقلّ.

وافراد الافغان شجعان وهم في الحرب ، جنود اقوياء. وقد اصلح جيشهم على عهد البعثة التركية الالمانية التي كان يرئسها جمال باشا ، السيء الذكر في سوريا . ويبلغ عدد الجيش اليوم ٨٠,٠٠٠ من المشاة ، و ١٨,٠٠٠ من الخيالة مع ٤٠٠ مدفع

وقد بلغ الاصلاح الحالة الاقتصادية ايضاً، فاخذت التجارة والزراعة بالازدهار وهي لا تطلب الّا السكينة والامان . اما نوع النقد المتداول فهو الروبية الذهبية والفضية مع نقد من النحاس . ووحدته الروبية ، وقيمتها ٨ بنسات انكليزية.

* * *

هذه هي البلاد التي يسير بها اليوم امان الله خان . وسيطلعنا المستقبل الى اي حدّ يصل هذا الامير الحازم بالشعب الذي اناله الاستقلال السياسي.

ويمكننا طرح السؤال نفسه فيما يختص بمصطفى كمال ، رجل انقرة ؛ وبرضا خان شاه العجم ، فان كلهم يرغبون في البناء بعد الهدم ؛ وكلهم يشتركون بقوّة الارادة ، ووفرة الثقة بعدهم. وسيرينا الزمن هل تكفي هذه المعدّات !

نشأة
الديانة المسيحية في لبنان

محاضرة القاها في نادي الشبيبة الكاثوليكية في بيروت

حضرة الخوري بطرس غالب

٢

واما بيروت الفتانة حبيبة الامبراطرة ومنارة العلوم فان تسيطرها الادبي والمعنوي قد تعدّى حدود الشرق الادنى ، واصبح اساتذتها وتلاميذها مرجع العلوم الفقهية وتنظم القوانين

روى القديس اقليمس تلميذ الرسل ان القديس بطرس نزل هذه المدينة وحمل الشعب على طرد سمعان الساحر بعد ان اوسعوه ضرباً هو ورفقاؤه ، وأسس فيها اسقفية ولّى عليها كوارتوس احد السبعين تلميذاً . وقال ابن العبري ان القديس يهوذا الملقّب بتداوس بذل فيها نفسه شهادةً للحق فبنيت على اسمه كنيسة يرجح انها أُقيمت في الموضع الذي رجم فيه،وفيها حفظ جسده زماناً طويلاً . وهو اول الشهداء الذين ارسلوا على بيروت نوراً ساطعاً لا نظير له . وفي هذه المدينة مسقط راس القديس بمفيلوس ، العالم الشهير ، الذي خلف اوريجانوس في ادارة مدرسة الاسكندرية ، ووضع تآليف قيّمة في شرح الكتاب المقدس ، وأسس مكتبة شهيرة في قيسارية فلسطين ، حيث قُتل بغضاً بالمسيح سنة ٣٠٩ . ومن شهدائها القديسان يوحنا واركاديوس . ومنهم اقيان من نيقية احد تلاميذ مدرسة الحقوق،وكان من ذوي الشهرة الواسعة،استشهد ولم يتجاوز العشرين ربيعاً

وحضر اساقفة هذه المدينة المجامع التي عقدت في الشرق فكان غريغوريوس من آباء المجمع النيقاوي ، وتيموتاوس من جملة الذين وافقوا على المجمع القسطنطيني الاول المنعقد عام ٣٨١ . وجعل اوستاتيوس احد خلفائهما كرسيه مستقلاً عن كرسي صور،فاحتج فوتيوس رئيس اساقفتها،غير ان الامبراطور تيودوسيوس الثاني لم يكترث

لهذه الاحتجاجات بما انه كان يرغب في ان يكافئ اوستاتيوس ، نظير مقدرته على ايجاد طريقة وفّق بها بين الكاثوليك والنساطرة ، فارضى الطرفين وهدأ الحال بينهما . وكان قد عقد لهذا الغرض مجلسان : اولهما في بيروت ، والآخر في صور ، لمحاكمة ايباس اسقف الرُّها مشايع نسطوريوس . وكان ايباس ادهى من اوستاتيوس وفوتيوس فخدعهما . وبنى الاسقف يوحنا بالاتفاق مع القديس رابولا السيماطي ديراً كبيراً في الجبل في محل غير بعيد عن بيروت وعاونه في بنائه الامبراطور زينون ويوحنا حاكم المدينة

اما مدرسة الحقوق فاقول فيها كلمة مختصرة لان مؤلفات عديدة وصفتها وصفاً كافياً وافياً ، وغرضي من ذلك ان اذكركم باسماء بعض تلاميذها الذين لمعوا في سماء القداسة والعلم ، كالقديس غريغوريوس العجائبي ، واخيه تيودور ، والقديس اثيندور ، والفتى افيان الشهير الذي مرّ ذكره . فاتمنى من صميم الفؤاد ان ارى بين هؤلاء الطلبة الملتفين حولي اقراناً لاسلافهم المجيدين

* * *

ايها السادة ، ان بيروتنا اليوم لا تختلف عن بيروت القديمة اختلافاً محسوساً ولا اعني بذلك البنايات والقصور بل الاخلاق والآداب . لقد وجد في بيروت سحرة ورقاة ، ومجاثون عن الركاز (المخابي) وندعوهم اليوم « المغاربة » ، وكان فيها دور للملاهي والخلاعة ، يقبل الدارسون اليها ، اما من قبيل الفضول واما باغراء الرفقاء الاشرار . وكان فيها عصابات قتلة يستأجرون للفتك بالسكان الآمنين

غير ان امراً اخذ يتلاشى تماماً وهو سلطان الرؤساء الروحيين على الشؤون الزمنية المتعلقة بالامور الروحية . كان قسطنطين الظافر قد اقرّ لهم هذا السلطان في مرسوم ميلانو ، اعتباراً انهم اقوى سند للسلطة المدنية التي تتوخى جدّياً ان تصلح الاخلاق وتعلي مستوى الحضارة الوثنية . فبقوة هذا السلطان كان الاساقفة يجمعون كتب السحرة ويلقونها في النار امام الكنائس كما جرى في بيروت مراراً ، وكانوا يعاقبون المؤمنين الملتجئين الى السحرة ، فيقون بهذه الواسطة السذّج من شعوذات الرقاة والباحثين عن المخابئ . وكانوا يسهرون على الشبيبة ليبعدوها عن الملاهي المفسدة

الاخلاق ، القائلة نضارة الشبان وحميتهم ووقتهم الواجب تخصيصه بالدرس والمطالعة ، وبهذه الرقابة كانوا يخدمون اهل هؤلاء الطلبة ويحفظون التلاميذ من الانغماس في الملاذ . فهل أكون في مأمن من السخرية اذا اقترحت ان تعاد هذه السلطة للاساقفة ، او لا تكون رقابتهم انفع واجدى للاخلاق والدروس ؟

وقد سخرت العناية مرات الحوادث الطبيعية لنصرة الاساقفة ، لانه في عام ٣٤٩ زلزلت الارض زلزالها فخاف سكان المدينة الوثنيون والخطأة المشهورون ، فاهتدى اولئك وعاد هؤلاء الى السلوك بموجب الشريعة . غير انه ما كادت الارض تستوي على محورها حتى انتكص المرتدون على اعقابهم وعادوا يعمهون في ظلمات الاضاليل والذنوب

وفي سنة ٥٥١ حدث زلزال عظيم جعل بيروت قاعاً صفصفاً ، فتهدمت الكنائس ، والمدارس والمسارح والقصور ، ولم يبقَ فيها حجر على حجر . ومن الكنائس التي سقطت في ذلك اليوم كنيسة ام الله ، وكانت قريبة من المرفإ ؛ وكنيسة القيامة ، وكنيسة القديس يهوذا ، وكنيسة المخلص ، وكنيسة الشهداء الاربعين . وقبل ان ينقضي قرن بكامله تتوارى بيروت المسيحية ، ولا تعود اذان سكانها تسمع أنشودة القديس جرجس البطل المغوار الذي قامت كنيسته خارج الاسوار ، وكان المسيحيون يتغنون بها ولا تزال آثارها في مديحة بالشعر العامي اذكر جيداً ان نساء وفتيات عاملات في معامل الحرير كنّ ينشدنها في المعامل المذكورة بعد طلبة السيدة العذراء ، قائلات :

« نار جرجس يليق المدح والنيّة لانه شريف وسلطان المنازيّة »

ولا بد لنا ان نخص بالمدح القديسة مَطرونا، الامرأة الشريفة صاحبة الفضائل الراهنة التي بعد ان اسست ديراً للراهبات في مدينة حمص ، ما عتمت ان جاءت بيروت فردّت الى الايمان كثيراً من النساء الوثنيات وبنت ديراً للعذارى المتعبدات . وكذلك رومانوس المرتّل الذي نظم نحو الف انشودة روحية نالت شهرة واسعة

ومما يروقكم سماعه قصة المصلوب الجائي ، استخلصتها من رواية نُسبت الى القديس اثناسيوس وتُليت في مجمع نيقية الثاني وهاكموها :

لما كان عدد اليهود قد كثر في بيروت ، وجدوا في بيت كان يقطنه منذ القديم عائلة مسيحية ، صورةً تمثل يسوع مصلوباً . فاخذوا الصورة الى مجمعهم واوسعوها اهانةً وشتماً ، وطعنها بعضهم بحربة في جنبها ، فجرى للحال دم وماء ، مسّها كثير من السقماء فنالوا الشفاء لساعتهم . فلما عاين اليهود هذه الآيات آمن منهم جمع كبير،وحُوّل مجمعهم الى كنيسة دعوها«كنيسة المخلص». ومنذ ذلك اليوم جعل سكان بيروت اليوم التاسع من شهر تشرين الثاني عيداً سنوياً ، ذكراً خالداً لهذه الآية يحتفلون به احتفالهم بعيدي الميلاد والفصح. واني لارجو من حضرة الاب لامنس ان يدلّكم على الموضع الذي أقيمت فيه هذه الكنيسة فانه اقدر من سواهُ على تعيين محل هذه الامكنة

* * *

والآن قد حان لنا ان نلقي نظرة على بيبلوس (جبيل) التي انشأ فيها كنيسةً القديس بطرس هامة الرسل ، وسقّف عليها رفيقه وتلميذه يوحنا مرقس. وممن خلفوه على كرسي هذه المدينة باسيليوس الذي حضر مجمع القسطنطينية ، وروفينوس احد اباء المجمع الخلقيدوني

وجبيل مسقط رأس القديسة اكوبلينا التي تقدمت الى الموت من اجل المسيح ، ولم تتجاوز الثانية عشرة من سنيها

ولبُتريس (البترون) اساقفة نعرف منهم بورفيريوس الذي اشترك في مجمع خلقيدونية ، واسطفانوس الذي حضر المجمع المسكوني الخامس. اما سلفه ايليا فقد ربطه عن التصرّف بالجريات ابيفانيوس مطران صور رئيسه لانه انحاز لساويروس الدخيل وانتحل هرطقته

ومن شهداء هذه المدينة القديس لوقيوس — وحرّف بعضهم اسمه وسمّوه لوجيوس — وهو المعروف عند اللبنانيين باسم نوهرا ، وله عندهم منزلة عالية واكرام ممتاز ، ولاسيما في سهل جبيل حيث أقيمت على اسمه كنيسة يؤمّها الزوار من كل فجّ وصوب استشفاء من امراض عيونهم

ومن المدن التي زارها القديس بطرس طرابلس ، ويروي لكويان عنها ان هذا الرسول سقّف عليها مارون وكان قديساً. وبعض خلفاء هذا الاسقف الجليل

هلانيكس ، ثم تيودور : الاول احد اباء مجمع نيقية ، والثاني احد اباء المجمع الخلقيدوني

وفي هذه المدينة ذاق الموت حباً بالمسيح الشهيدان الجليلان مقداتيس ولاونسيوس الجندي . وهذا كان من طرابلس نفسها وقد أقيمت لاكرامه كنيسة كان يتوافد اليها الزائرون من كل قطر . ويقصد اليها عدد من بلاد قاصية ليقبلوا المعمودية على قبر هذا الشهيد ، ومنهم ساويروس الدخيل وايفغريُس المؤرخ

انها لعجيبة والحق يقال سرعة انتشار التبشير بالمسيح في فينيقية الساحلية ، وتنظيم المراتب البيعية فيها . وعجيب ثبات هذه الكنائس مدّة ستة قرون ، ازاء الحملات العنيفة التي حملها عليها المضطهدون والمراطقة دون ان يعتريها وهن ، وان تمكن المبتدعون من استجلاب بعض اعضائها . فانها استمرت تحيي بحياة الكنيسة الكاثوليكية ، وتشترك في كل مظاهر تلك الحياة ، راسخة في عقيدتها ، الى ان دالت الدول المسيحية فعتها غيرها في الحكم . فبادت تلك الكنائس الزاهرة وعمّ الخراب جماعة المؤمنين

أجل قد بقي بعض كنائس منظمة لكن المراطقة وضعوا ايديهم عليها ، لانهم ما اكتفوا بان تمتوا هذا الانقلاب بل ساعدوا عليه فجاء عملهم الشائن متمماً لرغائب فاتحي البلاد الباحثين عن طريقة يستجلبون بها قسماً من النصارى ، ليوقعوا الشقاق بينهم فينتسب لهم الامر دون كبير مشقّة ، ويقطعوا الرُبط التي كانت تربط الشرق بالغرب وتوحد كلمة المسيحيين

* * *

بيد انه قبل ان يتم هذا الخراب الذي باشره المراطقة المتنوّعو المذاهب كآريوس ، ونسطوريوس ، واوطيخا ، وساويروس ، كانت عناية الله قد سبقت فهيأت اسباب ارتداد اهل فينيقية الجبليّة ، الذين اصبحوا بعد اهتدائهم شديدي الطاعة للكرسي الروماني المقدس ، ثم جعلهم الله مثالاً حيًّا ، ما بين بدَع كثيرة تمزّقها الشقاقات الداخليّة ، للخضوع التام لخليفة بطرس الرسول ، نائب المسيح على الارض . فكأن الجبليين ، بايمانهم القويم ، صاروا سفينة خلاص في بحر

تلك المرطقات المتلاطم الامواج ، المحفوف بالظلام الدامس والخطر المستمرّ ، حتى ان الشعب اضحى لا يعلم اين هي الحقيقة ولا ما هي الطريق المؤدية اليها

وقد خاف القديسون انفسهم ان يضلّوا سواء السبيل ، فوجّهوا انظارهم الى رومية ، عمود الحق المنير ، يسألونها ان تبدّد غيوم القلق والريب عن قلوبهم . وحسبي ان اقدّم لكم مثلاً يوقفكم على هذه الحالة : ان انطاكية ، ام الكنائس الشرقيّة ، كانت متبلبلة في عهد القديس ايرونيموس ومنقسمة اربع فرق : النيقاويين القدماء ، والنيقاويين الحديثين ، والاريوسيّين ، والابوليناريين . فازاء هذا التفريق اضطرب القديس ايرونيموس وأشكلت عليه معرفة حقيقة احوال هؤلاء النصارى فاستغاث برومية . ومثله فعل تودوريطس اسقف قورس الذي كان من فطاحل العلماء الكنسيّين ، ذكيًّا نشيطاً مكبًّا على العمل . ولم ينجُ من هذه الحالة النفسية القديسان العظيمان باسيليوس الكبير ويوحنا فم الذهب ، وجميعهم رفعوا امرهم الى بابا رومية طالبين منه الفصل في كل تلك المعضلات . فرومية كانت ولا تزال المنارة المرسلة اشعتها على الشرق والغرب ؛ والخضوع لها كان وسيكون ابدًا العلامة الفارقة الكاثوليكي من غير الكاثوليكي ، وصوتها مسموع على شواطئ البوسفور كما على ضفاف نهر العاصي

قلت ان العناية الصمدانية كانت قد اعدّت الوسائط لتكوين جرثومة كاثوليكية تتميز عن سواها بعلامة عملية خارجة فارقة هي الطاعة للحبر الروماني ، واليكم كيف تمّ الامر :

كثيرون من البررة ابتعدوا عن ميدان تلك الفتن والشقاقات الاهلية التي لا نهاية لها واعتزلوا الى الاودية او قمم الجبال او شقوق الصخور والاشجار ليعبدوا الله في السلام والسكينة والتزهّد . فاستخدمهم الله لارشاد غيرهم الى سبيل الخلاص . فان ما نالوه من شهرة قداسة وفضل ونسك ، وما كان الله يجترحه من الآيات على ايديهم ، كان يجلب اليهم الزوّار والاعلاء والراغبين في الوقوف على الاحوال فيرجعون من عندهم مستفيدين نفساً وجسداً محمولين على حب الفضيلة وتائبين . وكان هؤلاء الزوّار يأتون من بلاد العرب نفسها

(للبحث صلة)

ابو فراس الحمداني (٩٣٢ ـ ٩٦٨)

الرجل والشاعر

بقلم فؤاد افرام البستاني استاذ الآداب العربيّة في كليّة القديس يوسف

زينُ الشباب، ابو فراس لم يُمتَّعْ بالشباب!
(ابو فراس)

ابو فراس شابٌ لم يُمتَّعْ بشبابه! وابو فراس أمير لم يوفَّقْ في امارته! وابو فراس شقيٌّ توفّرت اسباب شقائه! وابو فراس شاعر بملاهي الشباب، ومفاخر الإمارة، واعباء الشقاء! صفات لو تفرّقت في رهطٍ من الناس لكان فيها ما يدفعنا الى درسهم جميعاً، فكيف بها وقد اجتمعت في رجل واحد!

الرجل

الشابّ الأمير (٩٣٢ — ٩٥٩)

اسمه - أسرته

ابو فراس الحارث بن سعيد، بن حمدان، بن حمدون الحمداني. وُلد سنة ٩٣٢(١) من أسرة امراء كانوا في ابهة عزّهم ومجدهم. وكان جدّه حمدان قد اشتهر بالبأس في القتال، والكرم، وحسن السياسة. وغرس هذه الصفات في اولاده فشبّوا على حبّ المجد، والاستخفاف بالمعارك. ووافق ظهورهم بدء انحلال النصر العربي في الخلافة العباسية، ومنافسة قوّاد الشعوبيين، من فرس وأتراك، في بسط سلطتهم عليها. فاغتنموا تلك الفرصة وبدأوا بالحروب، اولاً في سبيل الخليفة، ثم في سبيل مصلحتهم. فاحتلّ عبدالله، ابو سيف الدولة وعمّ شاعرنا، بلاد الموصل، واورثها ابنه الحسن المعروف «بناصر الدولة». وكان اخوة هذا وابناء عمه قد تفرّقوا في مقاطعات سوريا الشمالية فملكوها فعلاً، مع اقرارهم بسلطة الخليفة على الجميع. وكان من حظّ سيف الدولة ان سبق كلّهم الى التملّك فصار امير حمص؛ ثم انتزع

١). وهي الموافقة لسنة ٣٢٠هـ. وقيل بل كان مولده سنة ٣٢١هـ، اي ٩٣٣م. راجع ابن خلكان: وفيات الاعيان، ج ١، ص: ١٥٨.

حلب من يد اميرها احمد بن سعيد الكلابي سنة ٩٤٤ فملك فيها، وانشأ حوله بلاطاً جمع الكثير من الادباء والشعراء واللغويين (١. فعاونه ابناء عمه وانسباؤه على اقرار هذا الملك، وكانوا له من افضل القوّاد، واخلص المساعدين

شبابه – في بلاط سيف الدولة

في ايام هذا الملك الكريم، الأديب، الشجاع، ترعرع ابو فراس؛ فشبَّ على الفخر بجدّه، وابيه، واعمامه، وخاصّة ابن عمه سيف الدولة، امير البلاد. وكان هذا يعطف على نسيبه الصغير ويخصّه بالحب، على ما روى الثعالبي؛ فاتخذه في مجلسه، وكان يأنس بحديثه، وهو فتى بعد، ويتوسّم فيه الخلال الطيّبة في الشجاعة والأدب

وما بلغ ابو فراس اشدّه حتى حمّل آمال ابن عمه، فانخرط في عسكره يذود عن البلاد هجمات الروم المتعدّدة، ويحارب الدمستق قائد قوّادهم في آسيا الصُغرى. حتى اذا سكن القتال، عاد شاعرنا الى مجلس مليكه، فاخذ بمذاكرة الشعراء، ومنافسة الادباء. وكان له مع المتنبي مواقف عدّة حتى ان هذا كان «يتحامى جانبه، فلا ينبري لمباراته، ولا يجترئ على مجاراته» (٢ وقد ذكرنا في الروائع (٣ تلك الحادثة المشهورة اذ ابان ابو فراس عدداً كثيراً من سرقات ابي الطيب في قصيدته البديعة «واحرَّ قلباه!.»

امير مَنبج

وكان سيف الدولة يقدر شاعرية ابي فراس حق قدرها، ويجلّه لكرم اخلاقه وشجاعته، حتى انه كان يدعوه بعض الاحيان «بسيّده». روى ابن خلكان ان ابا فراس كان في مجلس مليكه مع جماعة من الشعراء، فقال لهم سيف الدولة «أيكم يجيز قولي؟ وليس له الا سيدي (٤» يعني ابا فراس

ثم قال بيتاً فاجازه ابو فراس، فاستحسنه المليك واعطاه ضيعة باعمال مَنبج «تغلّ الفي دينار كلّ سنة.» ولم يلبث ان صار والياً على كل تلك المقاطعة؛ فعاد

١) وقد توسعنا في ذلك اثناء درسنا للمتنبي في المشرق (٢٥[١٩٢٧]: ٨٣٦)
٢) الثعالبي: يتيمة الدهر – ج ١، ص: ٢٢
٣) الروائع (جزء ١٢ [ابو الطيب المتنبي: المراثي والمفاخر والحكم] ص: ٢٩)
٤) ابن خلكان: وفيات الاعيان – ج ١، ص: ٤٦١–٤٦٢

الى محاربة الروم، والذود عن حماه وحمى ابن عمه . ولكنه لم يكن ليفارق سيف الدولة بسرور، اذ انّ البلاط وملاهيه، ومجالسة الشعراء والادباء كانت تستهويه؛ فظهر ذلك كثيراً في شعره

الشاب الأسير (٩٥٩ — ٩٦٦)

الأسر الاول : في خَرْشَنَة (٩٥٩)

كانت ايام هذا الأمير الشاب حروباً متوالية كما ذكرنا، وكان من طبيعة الحال ان ينتصر مرّةً وينشل اخرى . وهكذا ظلّت الحرب سجالاً حتى أُسر في مغارة الكحل سنة ٩٥٩ . فحمله الروم الى خَرْشَنَة، وهي بلدة على الفرات، قرب ملطية، كان فيها للروم حصن حصين يطلّ على النهر . ويظهر ان هذه البلدة كانت تتداولها ايدي العرب والروم، فتكون تارة لهؤلاء وطوراً لاولئك، كما نستنتج من قول ابي فراس نفسه في أسره :

ان زرتُ خَرْشَنَةً أسيراً ، فلقد حللتُ بها منيرا . . .

اسطورة نجاته

لم يمكث الأمير الاسير طويلاً في هذا الحصن . وقد اختُلف في نجاته، فمنهم من قال ان سيف الدولة فداه . ومنهم من قال بل هو هرب . وفي معرض هربه هذا، تألفت اسطورة شائقة، كثيراً ما ترافق هرب الامراء المسجونين، وقد نقلها ابن خلكان فقال : « وفيها يقال انه ركب فرسه، وركضه برجله، فأهوى به من اعلى الحصن الى الفرات؛ والله اعلم » (١ وقد نقل المعلم بطرس البستاني الحادثة نفسها في دائرة المعارف وزاد : « وهو مما لا يُعوَّل عليه » (٢

وعلى كلّ فان ابا فراس نجا من أسره؛ ولم تنقله الروم، هذه المرّة، الى القسطنطينية كما يزعم من يتبع ابا الحسن بن الزرّاد الديلمي في روايته، فيقول ان الشاعر لم يُؤسر الّا مرةً واحدة فنقله الروم الى خَرْشَنَة ومنها الى القسطنطينية . وبيانُ صحة رأينا ان المؤرخين اتفقوا على القول ان ابا فراس اقام أسيراً في

١) ابن خلكان : الكتاب المذكور — ج ١، ص : ١٥٨

٢) البستاني : دائرة المعارف : ابو فراس الحمداني — مجلد : ٢، ص : ٣٠٠، العمود الثاني . واننا نسمع مثل هذه الاسطورة منسوبة الى بعض الامراء المسجونين، فيركبون جيادهم ويرمون بأنفسهم من علوّ شاهق فيخلصون : من هؤلاء احد مماليك مصر، والامير بشير . . . وكثير غيرهم .

القسطنطينية اربع سنوات ، ونحن نعرف انه خلص من القسطنطينية سنة ٣٥٥ هـ. اي ٩٦٦م . فاذا اعتبرنا انه أسر مرّةً واحدة — وهم يذكرون تاريخ أسره سنة ٣٤٨ هـ. — فيكون اقام في الأسر سبع سنوات لا اربع

الأسر الثاني : في القسطنطينية (٩٦٢–٩٦٦)

ولم يخلص من محنتـه في خرشنة حتى عاود الكرة على الاعداء ، فكان ينتصر مدةً ؛ الى ان تكاثروا عليه ، وحصروه في مدينته مَنْبج . فسقطت قلعته في تشرين الثـاني سنة ٩٦٢ ، ووقـع أسيراً في يد الروم . فحملوه هذه المرّة الى القسطنطينية حيث اقام اربع سنوات

وكأنّ سيف الدولة نسيَه ، كل هـذه المدّة ، فكانت تأتي رسائله طافحةً بالشعور الأليم ، والحنين الى الوطن ، فتلقاها أمه بتلهّف شديد . ولم يزل يراجو من سيف الدولة ان يذكر حسناته السالفة ، ويناديه ان يضنّ بابن عمه ، حتى فداه سنة ٩٦٦

الشاب القتيل

موت سيف الدولة (٩٦٧)

وبعد سنة من خلاصه توفي ابن عمه سيف الدولة سنة ٩٦٧ ؛ فتضعضع ذاك الملك الوطيد . وكان لسيف الدولة مولىً اسمه فرغويه طمع في التسلّط فنادى بابن سيّده ، ابي المعالي ، ملكاً على حلب راجياً ان يبسط يده ، باسم اميره ، على المملكة بأسرها

مطامع ابي فراس – قتله (٤ نيسان ٩٦٨)

وكان ابو فراس يرى من حقّه أن يستولي ، ولو على قسم من مملكة ابن عمه ؛ فدخل حمص واقام فيها . فاتصل خبره بابي المعالي ، وكان هذا ابن اخته ، على ما اورد ابن خلكان عن بعض الرواة (١ . ولكن لم تمنعه القرابة من المطالبة بحقه ، فاوفد الى خاله جيشاً ضيّق عليه حتى قُتل في قرية تُعرف « بصدَد » ، كما ورد في احد التعاليق التي نقل عنها المؤرخ المذكور . واختُلف في طريقة قتله وتاريخه ، فقال المصدر نفسه انه قُتل يوم الاربعاء في ٨ ربيع الاول سنة ٣٥٧ (١٢ اذار ٩٦٨) . وذكر ثابت بن سنان الصابئ ، في تاريخه ، ان قتله كان نهار السبت في ٢ جمادى الاولى سنة ٣٥٧

١) راجع ابن خلكان : ك. م. ، ج ١ ، ص : ١٥٩

(٤ نيسان ٩٦٨) ولعلّه اصح . وقيل ان ابا المعالي لم يعلم بقتله حالاً لان فرغويه اخفى عليه ذلك ، فلما علم به شقّ عليه

وقد نسب اليه ابن خالويه شعراً زعم انه قاله قبل وفاته مخاطباً ابنته(١ . فحمل ذلك ابن خلكان على القول : « وهذا يدلّ على انه لم يُقتل . . . » ثم اردف : « او يكون قد جُرح وتأخر موته ثم مات من الم الجراحة . . . » ولعله الصواب . وقد ورد في نسختي برلين ما يأتي ، بعرض هذه الابيات :

« وبلغني ان ابا فراس اصبح ، يوم مقتله ، حزيناً كئيباً . وكان قد قلق ، في تلك الليلة قلقاً عظيماً ، فرأته ابنته امرأة ابي المثاثر كذلك ، فأحزنها حزناً شديداً . ثم بكت ، وهو على تلك الحالة ، فانشأ يقول ، ورجله في الركاب ، والخادم يضبط السير عليها . وانما قال ذلك كالذي يعي نفسه وان لم يقصد ذلك . » (٢

وهناك مشكل آخر فيما يختصّ بامّ ابي فراس : فان ابن خلكان يروي انها ، لما بلغها نعيه ، لطمت وجهها فقلعت عينها . وهي حادثة لا تدخل في طور المستحيل ، على ما فيها من الغرابة وندور الوقوع عادةً ؛ بل ان المطالع قد يحملها على محمل التفجّع والتأثر . ولكنها تصبح غريبة مستحيلة ، اذا ما عرفنا ان لأبي فراس قصيدة عاطفية رائعة يرثي فيها امّه ، التي ماتت اذ كان أسيراً . . . بيدَ ان هذه القصيدة لم تُذكر في ديوان ابي فراس المطبوع في بيروت مرّتين ، ولم يُشر اليها الثعالبي ، وكان حقه ان يذكرها ، لو عرفها ، لانها تستحقّ الذكر . ولكنها موجودة في نسختين مختلفتين في برلين ، وفي نسخة محفوظة في اكسفورد ، وقد نقلها المستشرق دفوراك في كتابه(٣ فنقلناها عنه في الروائع (٤

فيصبح من المستحيل حلّ هذا المشكل الّا اذا رأينا انتحال القصيدة ؛ ولا شيء يسمح لنا بذلك ، وهي اشبه بشعر ابي فراس من الماء بالماء ، ولا موجب يدفع الى هذا الامر ؛ او اذا اوّلنا جملة ابن خلكان على غير معناها الظاهر ، فتصبح المقلوعة العين ام ابي المعالي ، اخت ابي فراس لا امّه . وهذه جملته نذكرها بحرفها : « قال غيره : وكان ابو فراس خال ابي المعالي وقلعت امّه سخينة عينها لما بلغها وفاته . وقيل انها لطمت وجهها فقلعت عينها . » (٥

---

١) هي الابيات الاربعة المشهورة التي اوّلها :

ابنيّتي لا تجزعي ! كل الانام الى ذهاب !

٢) D' R. Dvorák : Abû Firâs, ein arabischer Dichter und Held p. 34

٣) راجع الكتاب المذكور ص : ١٢—١٣

٤) الروائع : (١٦ [ابو فراس] ص : ٢٦)

٥) ابن خلكان : ك . م . ج : ١ ، ص : ١٥٩

الشاعر

الديوان

جمعه

لم يكن ابو فراس ليهتمّ بجمع شعره او تنقيحه ، وهو لم يشأ ان يُعدّ من الشعراء ، كما سنرى. على انّ جمال شعره أثّر في الأديب المشهور ابن خالويه ، وكان من اصحاب مجلس سيف الدولة ، فأخذ بجمع قصائد ابي فراس وشرحها حتى ألّف منها ديواناً متوسّط الحجم

ثم جاء ابو منصور الثعالبي فاختار من هذه القصائد الشيء الكثير في يتيمته ، خصوصاً مما يدعى « بالروميات »

طبعه – شروحه – ترجمة بعضه

لديوان ابي فراس ، حسب روايـة ابن خالويه ، طبعتان ، طُبعتا في بيروت ؛ الاولى سنة ١٨٧٣ في المطبعة السليمية ، دون شروح ؛ والثانية سنة ١٩٠٠ مـع شروح قليلة بقلم نخله قلفاط . ولا تخلو الطبعتان من التصحيف والتحريف.

وطبعت مختارات الثعالبي ، في يتيمة الدهر ، في دمشق . وذكرُ ابي فراس في الجزء الاول ، الباب الثالث ، ص : ٢٢ – ٦٢

على ان هناك ثلاث نسخ تتضمّن شعر صاحبنا اثنتان منهـا في مكتبة برلين ، وواحدة في اكسفورد . وقد استغلّها المستشرق دفوراك (Dr R. Dvorak) ، فطبع فصل الثعالبي بعد ان قابله عليهـا ، واضاف الى ذلك قصيدة لم تُذكر الّا في النسخ المتقدّمة ؛ وهي في رثاء امّه ، وقد تكلمنا عنها قبيل هذا . ثم طبع كتابه مع شروح وترجمة بالالمانية في ليدن سنة ١٨٩٥ باسم : « ابو فراس : الشاعر والبطل العربي » « Abû Firâs, ein arabischer Dichter und Held. » . وكان المستشرق وليم بن الورد (Ahlwardt) قد ترجم ايضاً الى الالمانية احدى قصائد شاعرنا الى والدته

شعره

ترفّعه عن ادّعاء الشعر – اجحاف التاريخ بحقّه

اول ما يلفت النظر في ابي فراس انه لم يدّعِ الشاعرية قط ، بل لم يشأ ان يكون شاعراً ، اذا أُريد بهذا الاسم مدّاح الأمراء والملوك او مطرّبهم في مجالس

انسهم ، وكثيراً ما كانوا يفهمونه كذلك في ذاك العصر . ولهذا نفر امينا من لقب المستجدين والمطربين . فقال بعد ان بيّن انه يستعمل الشعر لذكر مفاخره ومفاخر آبائه :

لا في المديح ، ولا الهجاء ، ولا المجون ، ولا اللعب

وقد اشمأزّ وغضب اذ قال له الدمستق : «انما انتم كتاب ولا تعرفون الحرب !» فاجابه : «نحن نطأ ارضك منذ ستين سنة بالسيوف ام بالاقلام ؟» (١

وهكذا فان اول ما كان يريد ان يعرف الناس عنه انه محارب ، وهو القائل :

وصناعتي ضربُ السيوف ، وانني متعرّض ، في الشعر ، بالشعراء

وهو القائل ايضاً ، في آخر رائيته الطويلة في الفخر :

نطقتُ بفضلي ، وامتدحت عشيرتي فما انا مدّاحٌ وما انا شاعرُ !

والحق يُقال ان الشعر في الامراء صفة ثانوية لا يعوّل عليها ، وخصوصاً في ذاك العصر . ولعلّ عدم اهتمام ابي فراس بشعره دفع الناس الى اهماله . اذ لا شكّ في انّ التاريخ الادبي اجحف بحقّ شاعرنا .

وعلى كل فان هذا الترفّع عن الشعر ، كان ولا يزال اشعر من كثير ممّن نرفع لهم المنابر في تاريخ الآداب ، ونغدق عليهم النعوت الطنّانة ، متدفقين بتأثير احكام الغير ، وتقليد الادباء الاقدمين . وهو شاعر لم تفته روعة الفخر ، ولا دقة الوصف ، ولا لطف العواطف الخالصة في الرثاء والصداقة والحنين

الفخر

ابو فراس اميرٌ قبل كل شيء ، وهو لا يضحّي بامارته وما يتبعها من صفات العزّ ، والانفة والترفّع ، بل هو يسخو حتى بنفسه دونها ، لانه شديد الاباء «يأكل لحمه» ، اذا لزم الامر ، ولكنه «لا يؤكله» اي لا يسمح لاحد ان ينال منه . وهو عارف بمقامه ، وان اجحف الزمان بحقّه ، فلم يقصّر في طلب العلى ، ولكن «كأن الدهر غافلٌ عنه» . فسمح مرّتين بأسره ، ولم يكن لبطلنا ذنب في ذلك :

أسرتُ ، وما صحبي بعزل لدى الوغى ولا فرسي مهرٌ ، ولا ربّه غمرُ !
ولكن اذا حُمَّ القضاء على امرئٍ فليس له برٌّ ، وليس له بحرُ

على ان هذا الأسر لم يكن ليغضّ من اباء الشاعر بل هو لم يزده الّا جلاء ، كالسيف يجلوه الصقل . فبقي في علّه لأن الأيام دُوَل وهو «إن زار خرشنة أسيراً ،

(١) الثعالبي : اليتيمة ج : ١ ، ص : ٥٧

فلقد حل بها مغيراً » وظلّ على الرغم من نوائب الدهر رفيع المقام ، من سراة لا يحلون « الا الصدور او القبور » فلا يعرف عندهم التوسط .

واحر بمن كانت هذه صفاته المقتبسة من اجداد امراء ، ان يفخر على اقرانه ، ويشكو من دهره . وابو فراس لم يتردد في ذلك ، ففخر دون ادّعاء ، وشكا دون تذمّر . ولعل اوضح مثال لطريقته في الفخر ما كتب به الى ابي احمد جعفر بن ورقاء :

إنّا ، اذا اشتدّ الزما ن ، وناب خطبٌ وادلهمّ ،
ألفيتَ ، حول بيوتنا ، عدد الشجاعة والكرَم :
لقا العدى بيض السيو ف ، وللندى حُمر النعَم !
هذا وهذا دأبُنا : يردى دمٌ ، ويُراق دم !

ولا غرابة ان يفخر بشجاعته ، وهو موضوع كثيراً ما يستغله شعراء العرب . ولكنّ ابا فراس يصيغه بصبغة جديدة من لطف الظاهر ، ودقّة التصوير تخرجه عن محيط الفخر الصبياني الذي نراه احياناً في شعر بعض الجاهليين ، وعن الغلوّ في الادعاء الذي نتحققه في بعض ابيات المتنبي . وذلك لانه كان يصوّر ما اتصف به حقًّا بينما كان غيره يصف ما ليس فيه . اما الكرم ، وهو ايضاً من موضوعات العرب المفضّلة ، فيذكره ابو فراس واسطةً لنيل المجد بالثناء ليس غير ، لانه يعتبر الثناء يعادل الكرم ان لم يفقه ، وهو القائل عن جدّه وعُفاته :

فآبوا بجدواه ، وآب بشكرهم وما فيهما في صفقة المجد ، خاسرُ !

الوصف

هذا الامير الشابّ ، المشغول بالحروب والمفاخر ، لم يكن ليغطم نفسه عن ملاهي الشباب ، ولم يكن ليستطيع ذلك دون الخروج عن عادات مقامه ومحيطه . فلزمه اذاً ان يلهو ، أوان السلم ، وان يشرب الخمر ، ويصف مجالس الانس واساليب السرور ، بدقّة ورقّة تذكّرنا اوصاف ابن المعتزّ ، دون ان يرى مغمزاً في ذلك

وما في طلب اللهو على الفتيان ، من عار !

وكأنّ الدهر اراد ان يخرج هذا الشاب من سلك الفتيان الى حلقة الشيوخ قبل اوانه ، فأنزل الشيب برأسه ، وهو لم يتجاوز العشرين ، فتأثّر طويلاً . ولكن كان له ذلك من اسباب التشكي ، والشعراء يحبّونها ويتطلبونها ، فكيف اذا اتتهم عفواً ! فاستغلّ كل ذلك وترك لنا ابياتاً وصفية دقيقة في شيبه من امثال :

وما زادت على العشرين سنّي فما عذرُ المشيب الى عذاري ... وغيرها

العواطف

لاغروَ ان سمّينا ابا فراس شاعر العواطف ، فهو اخلص شاعر عرفته الآداب العربية ، واصدق شاعر في تصوير اخلاصه ، لا نستثني من جمهورهم احداً . فلقد عاش رقيق القلب ، وافر الشعور ، لطيف التعبير ، ووفّرت له صروف الدهر من الأحزان والنكبات ما أثّر في ذاك القلب ، فزاده رقّةً ، واذاب تلك الحاسّة ، فاخرج شعورها ، والان تلك الفريكة ، فضاعف لطفها ، فأتى بالبدائع العاطفية

فهو اذا اراد ان يصف عبث اصدقائه به ، واخلاصه لهم ، لا يشكو الغدر ، ولا يتشاءم بالبشر عامّةً ، بل يقول ، بكل لين ، عن صديقه المذنب :

يجني عليَّ فاحتو صافحاً ابداً . لا شيء احسن من حانٍ على جانِ !
ويتبعُ الذنب ذنباً ، حين يعرفني ، عبداً ، فاتبع غفراناً بغفرانِ !

واذا اراد تعزية سيف الدولة عن اخته ، لم يعرف كيف السبيل الى ذلك لما يشعر به من الألم ، فاضاع طريق التعزية الباردة الرسمية الى ذكر مشاركته في الحزن ، وذلك افضل بكثير . فبدلاً من ان يقول له مثلاً كقول المتنبي :

اسيف الدولة استنجدْ بصبرٍ وكيف بذل صبرك للجبالِ

اقرَّ بكل بساطة واخلاص :

لي بعض ما بك من حزنٍ ومن جزعٍ ، وقد لجأتُ الى صبرٍ فلم اجدِ !

وهذان بيتان من رثائه لأمّه ، وقد ماتت وهو في الأسر ، نوردهما دون تعليق :

ابا امأه كم بُشرى بقربي اتتكِ ! ودونها الأجلُ القصيرُ !
الى من اشتكي ؟ ولمن أناجي ؟ اذا ضاقت بما فيها الصدورُ !

اما القصائد التي كان يكتبها من أسره ، وهي المعروفة « بالروميات » فلا اعلم كيف يستطيع ناثر ان يشرح ما فيها من العواطف ! تصوّروا ابا فراس ، كما عرفناه ، امير الشجعان ، و« زين الشباب » ، ورجل العاطفة والإخلاص ، والأنفة والإباء ، ينكسر في معركة ويصيبه سهمٌ في فخذه ، فيأسره العدوّ . ويطول أسره وألم جراحه ، وفي بلاده عجوز مسكينة تترقّب اخبار « وحيدها » ، ونسيبٌ امير افنى ابو فراس حياته في خدمته ، وهو مع ذلك لا يظهر مهتماً بأمره ، ولا مكترثاً لرسائله المتعدّدة

تصوّروا كل ذلك وتأملوا بما عساه ان يفيض ذاك القلب الطافح ، وبما عساه ان يخرج من تلك العواطف المختلفة المتدافعة بين جوانحه . . . أسير مسكين يود

ان يطلب فداءه من ابن عمه، ثم يتذكر انه لم يجبه على رسائله ، فتهيج فتنته ويُعرض عن إعادة الطلب . ثم يتذكر ان في منبج عجوزاً أملها الوحيد من الدنيا خلاص وحيدها . فيرغم نفسه الابية ويعود الى مراسلة سيف الدولة صاغراً ، وهو :

لولا العجوز بمنبج ما (خاف) اسباب المنيّه !

ولا يسهو ، في معرض ذلك ، عن توصية امه بالصبر والثقة بالله ، وصيّة تظهر مقدار تعبُّده لربه ، وتسليمه الى احكامه تعالى ، فيختم رسالته بهذه العاطفة السامية :

يا أمّتا لا تحزني ! وثقي بفضل الله فيّه !
كم حادث عنّا جلا ! وكم كفانا من بليّه !
اوصيكِ بالصبر الجميـ ـل ، فانه خيرُ الوصيّه !

ويسوّفه سيف الدولة ويطول التسويف . فيعود الى مكاتبته طالباً ان يأذن له بمراسلة اهل خراسان ليفادوه وينوبوا عن ابن عمه ، وفي ذلك من التأنيب ما لا يخفى . فيجيبه سيف الدولة بكلام خشن قائلاً : « ومن يعرفك بخراسان ؟ » عند ذاك تظهر خدمات الشاعر القديمة حاضرة امام عينيه ، ويعود الى عنفوانه فيترع اميره بهذا التلميح :

وإن خراسانَ ان انكرت علاي فقد عرفتها حلب !

ويبلغه ان والدته اتت من منبج ، تتضرع الى سيف الدولة ، فلم تنل منه مطلوباً ؛ فيعاوده الحنق ويرجع الى الاستعطاف اشفاقاً على العجوز فيقول :

يا حسرةً ما اكاد احملها ! آخرها مزعجٌ وأوّلها !
بأيّ عذرٍ رددتَ والهةً عليك دون الورى معوّلها ؟
أرحامنا منك لم تقطّعها ولم تزلْ دائماً نوصّلها !

ثم يعمد الى هياج حنق سيف الدولة بالمقابلة بين حالة الامير من العز والرفاهية ، وحالة الأسير المسكين من الضنك والشقاء :

يا واسعَ الدار ، كيف توسعها ، ونحن في صخرةٍ تزلزلها ؟
يا ناعمَ الثوبِ ، كيف تبدله ؟ ثيابنا الصوف ما نبدّلها ؟
يا راكبَ الخيلِ ، لو بصرت بنا نحمل اقيادنا ونثقلها !

فترى الان صواب حكم الصاحب بن عباد ، اذ قابل بين هذا الشاعر الامير الاسير ، وذاك الشاعر الامير الضليل ، فقال : « بُدئ الشعر بملك ، وخُتم بملك ! » ونحن لو اردنا ذكر جميع تلك العواطف الرقيقة ، والتصاوير الرائعة ، للزمنا نقل « الروميات » برمّتها . فنكتفي بهذا القدر مردّدين مع الثعالبي :

« اللهمّ ارحم تلك الروح الشريفة ! »

وقفة باطلال بابل

بقلم حضرة الاب ا . س . مرمرجي الدومنيكي
من اساتذة المعهد الكتابي والاثري الفرنسي في القدس الشريف

٢

اما برج بابل ، او برج تبلبل الالسن ، الآتي ذكره في التوراة ، فلا ريب انه قد شُيّد في تلك الاصقاع ، لكن العلماء لم يتوصلوا بعد الى الاتفاق على تعيين محله بالتدقيق . ومهما يكن من الامر ، فان الناظر الى تلك الانقاض ، لا يعتم ان يجول في خاطره بان في تلك النواحي ، ان لم نقل في ذاك المحل عينه ، قد حلَّ غضب الرب بابناء البشر العصاة ؛ وانَّ حالة تلك الخرائب تدلّنا على ما استحال اليه برج بابل ، والمدينة التي شرع ببنائها . ولذا فاطلال بَرْز نمرود من اهم الاطلال التي اكتشفت في بابل ؛ وقليلة هي الآثار الباقية من العالم القديم ، الحاصلة على ابهته وعظمته ، ولها في نظرنا خطورة مثل خطورته ، وذلك لما هناك من الذكريات والتقاليد العارقة في القدم ، التي تتمثل في خاطر من يقف فوق تلك الربوة المهيبة

على ان برز نمرود ، كما ذكر ، ليس هو الا آثار مدينة برسيا وبرجها . وهذا ما جاء ، في ذا الشأن ، في رقيم مسماري لنبوكدنصَّر بن نبوبولَصَّر :

« ان هيكل انوار الارض السبعة ، المنوطة بـه اقدم ذكريات بُرسيا ، قد بناهُ ملك قديم ؛ لكنه لم يكتمل قمته . وكان الناس قد اهملوهُ ، من الايام البعيدة . وكانت الزلازل والرعود قد اتلفت اللبن ، وفسخت الآجر الذي حوله ، فصار اللبن تلولًا . فوضع الاله العظيم مردوخ في قلبي ان اجدّد بناءه . فلم اتعرّض للأُسس . وفي شهر النجاة ، واليوم المبارك ، فتحتُ قناطرَ في اللبن والآجر ، ووضعتُ يدي لابني البرج ، واعلي قمتهُ . وعمّرته ، معيدًا اياه الى حالته

التي كان عليها ، يوم شُيّد للمرة الاولى . وعلّيتُ قمّته ، كما كان في الايام البعيدة »

وقد وجد من هذه البروج في اماكن مختلفة ، من البلاد العراقية وبذلك عُرف شكلها ، ومن هيئة هذه البروج ، يمكننا ان نتصوّر شكل برج بابل المذكور في سفر الخلق ؛ لان المحقّق من نصّ الكتاب ان البناء المعهود كان برجاً ، فلا ريب انه بني حسب الطرز الوحيد ، المعروف في تلك الديار ، لمثل هذه الابنية ، ولا بأس ان آتي بوصف وجيز لمثل هذه الابراج ، مستنداً بذلك ، الى اقوال علماء الآثار العراقية :

كان البرج من هذه البروج مركباً من مكعّبات بنائية ، معتدلة الزوايا ، راكبة الواحدة على الاخرى . مما يجعل ان تكون الثانية اصغر من الاولى ، والثالثة اصغر من الثانية ، وهلم جرّا . وحول هذه المكعّبات سلّم يُرمى بها من الطبقة الواحدة الى الطبقة الاخرى . واما عدد الطبقات فكان مختلفاً . فان اقدم هذه البروج اي برج اور الكلدانيين ، وبرج اورك ، لم يكن فيها الّا طبقتان ، او ثلاث . لكن برج بَرز نمرود ، كان له سبع طبقات ، فضلاً عن السطح العالي الذي كان يُقام فيه الاثر . وكل طبقة كانت مختصة بواحد من الآلهة السبعة ، اي السيارات ، ولكل منها لون خاص ، نسبةً الى الاله الموقوفة لاكرامه . فكان لون الطبقة السفلى اسود ؛ ولون الثانية ابيض ؛ والثالثة قرمزياً ؛ والرابعة ازرق ؛ والخامسة احمر ؛ والسادسة فضياً ؛ والسابعة ذهبياً . وكل زاوية من زوايا البرج كانت قبالة جهة من الجهات الاربع . والمعبد القائم فوقها ، كان بمنزلة هيكل ، ومرصد ، في وقت معاً . وكانت تُبنى الابراج بالآجرّ من خارج ، وباللبن المكدّس من داخل ؛ وكان الآجرّ الخارجي يلحم بالقار المغلي ، المتوفّر وجوده في البلاد العراقية . وكان في هيكل بابل ، المختص بعبادة الاله مردوخ ، زعيم الآلهة ، برج من هذه البروج ، شهير بطبقاته . وفي المعبد الفوقاني ، كانت منتصبة ثلاثة تماثيل كبيرة من ذهب : الاول لمردوخ ؛ والثاني لزوجته ، مليتّا ذِيرَبانيتْ ؛ والثالث للالاهة إشتَر . ثم حيّتان من فضة ، واسدان ، وثلاثة اكواب ، وطاولة عريضة من ذهب .

وكان يُطلق على هـذه الابراج اسم خـاص وهو « ذيكُورَتْ او زقرتا » وهو مشتق من فعل (zakaru) الأكدي ، ويقابله في السريانية فعل (ܙܟܪ) ومعناه « العالي » وهو اسم ينطبق على هـذا المسمّى ، كما جاء وصفـه . على ان هذه الزقرتات او الذيكورات لم يبقَ منها ولا واحدة صحيحة كاملة البناء . الا ان صورهـا ، بهيئتها التامة ، ترى على النقوش الاشورية البابلية .

لمحة في تأريخها

بابل عريقة في القدم لرقيها الى زمن الطوفان ، وذلك ان ابناء البشر سعوا في تشييد برج بابل والمدينة في بقعة سنعار ، التي هي بابل عينها . وهناك ايضاً قد بنى نمرود الجبار مدن مملكته ، كما ذكر في سفر الخلق : « وكوش ولد نمرود ، وهو اول جبّار في الارض . كان جبار صيد امام الرب ، ولذلك يقال : كنمرود جبار صيد امام الرب . وكان اول مملكته بابل ، واورك ، وأكد ، وكلنة ، في ارض سنعار . » ومن ذلك الزمان ، لم يعد لبابل ذكر في التوراة ، الا اوان الجلاء البابلي الشهير

على ان التنقيب الفني ، والرقم المسمارية ، قد عرفتنا بامور كثيرة ، كانت مجهولة ؛ واثارت حقائق عديدة ، كانت غامضة في تاريخ بابل . فقد يرقى ورود اسمها الى بـدء الالف الرابع ق.م. فـالطور الاول طور الاخبار البابليـة المكتّاة بالمتخيّلة او الوهمية . والطور الثاني ، وفيه تبتدئ الاخبـار التاريخيـة الصحيحة ، اي منذ اوائل الالف الرابع ق.م. يمتد الى عهد الدولة البابليـة العظمى ، اعني الى نصف الالف الثالث ق.م. والطور الثـالث من ذلك العهد الى نصف الالف الاول ق.م. وهذا الطور يتفرّع الى اعصر اهمها :

اعصر الدول : الحمورابية العظمى ، والجنوبية الساحلية ، والكوسنية ، والباشية ، والبابلية الثانية الكبرى

من قديم الإخبار عند البابليين ما يشبه ، بعض الشبه ، الاخبار الواردة في التوراة . فانهم يذكرون انه قام فيهم ، قبل الطوفان عشرة ملوك ، اولهم ألور ،

وآخرهم شمش نپشتيم او ششيت ؛ وان كل واحد منهم ، ملك عشرة دارات ، اي ٣٦,٠٠٠ سنة . لان الدار عندهم ٣,٦٠٠ سنة . وفي ايام ششيت ، حدث الطوفان ، لتفاقم آثام البشر . فظهر الاله بيل لششيت ، وامره ان يبني الفلك ، ويدفن الكتب المقدّسة ، في مدينة سپارا . فاطاع ششيت أمر بيل واعدّ السفينة وادخل فيها كل نوع من انواع الحيوانات ، ومن اصناف الطيور كلها . ثم اوعز اليه الاله شمش ان يلج الفلك ويغلق الباب ، حالما يرى وقت المساء ، واله المطر ينزل السيول. فذات مساء هطلت الامطار مدراراً . فاسرع ششيت الى داخل الفلك هو ومن معه. وكان معهم يوزربيل الربان لقيادة المركب

اما بعد الطوفان ، واستقرار السفينة على جبل قردو ، فنقل الاله بيل ششيت الى السماء ليسكن مع الالهة هو وزوجته. وابرز بيل امره للناس بالعودة الى بابل ، واخراج الكتب المقدسة المدفونة . لكنهم عند رجوعهم الى بابل داخلهم روح الخيلاء ، فحقروا الالهة وفضلوا نفوسهم عليهم . فاقاموا في بابل برجاً شامخاً كاد يناطح السماء . مما اثار غيظ الالهة عليهم ، فامروا الرياح فعصفت ، فاسقطت برجهم وبلبلت السنتهم

واما غرود فلم يحرم في اساطير البابليين ، من اقاضيص غريبة ؛ وهو معروف عندهم باسم «كلكميش» ، الذي تشبه حكايته غاية الشبه قصة نمرود التوراة . وقد دونت هذه الحكاية في القرن الثالث والعشرين ق.م. ووجد منها عدة نسخ . وهذه خلاصتها : ان كلكميش كان ملكاً على اوروك وكان شهيراً بقوته الجبارية وجماله . وهو من حفدة شمش نپشتيم الذي على زمانه حدث الطوفان . وقد احب كلكميش الالهة شمش فحباه بوضعه تحت إمرته وحشاً اسمه «حباني» ، كان يلازمه دون انفصال البتة . وحدث ان «خمبابا» ملك عيلام اغار على كلدية . فما كان من كلكميش الا ان حمل عليه وبصحبته حباني ، فقطعا راسه . ولما عادته الالاهة اشتر ، لانكاره عليها ما رغبته منه ، خلقت سبعاً مخيفاً ، فالقى الرعب في قلوب سكان اوروك . لكن كلكميش

وحباني قتلاه ، فضربته اشتر بالبرص . مما الجأه الى قصور جده ششيت طلباً للشفاء . وكانت الطريق مخطرة . وفي عبوره فيه قتل هو وحباني غرًا ؛ لكن الشر توصل قبل موته ان يجرح حباني ، فلقي حتفه . واما كلكميش فواصل طريقه حتى بلغ الاوقيانوس ، فبنى له سفينة ركبها . وبعد اربعين يوماً ارسى عند ساحل الجزيرة السعيدة ، فرأى ششيت واقفاً في انتظاره على الساحل . فرحب به وشفاه ثم سرد عليه قصة الطوفان

على ان الاخبار البابلية الصحيحة تبدأ بملوك كيش ولجش . منهم شركينا القديم ، وابنه نارَمسين ، واورشمشا ملك اور ، وابنه ايلفي ، وبُورسين وخلفاؤه

وكان ظهور شركينا هذا ، حسبما ورد في الرقم الاثرية ، سنة ٣٧٨٠ ؛ ولم يكن بادئ الامر مالكاً الا على أكَد قاعدة الديار البابلية الشمالية . ولم يزل يتبع الفتوح بالفتوح حتى اصبح يوماً مستولياً على بابل ، وسپارا ، وكيش ، ونپور . وتسلط ايضاً على كل مدن المنطقة الشمرية . ثم افتتح بلاد اشور ، والحثيين ، وسورية ، وفنيقية ، وبلغ مكان اي سيناء ، وبلاد العرب

ومما اشتهر به شركينا ، فضلاً عن مآثره الحربية ، بناء الهياكل والقصور . فقد شيد في أكَد ونپور هيكلين عجيبين ، اكراماً للاله بيل . وعمّر قصراً جميلاً في بابل جُعل بعده مقبرة للملوك . وابتنى لذاته مدينة سماها : « دور شركينا » وهذا ملخص ما وُجد على تمثاله :

« انا هو شركينا الملك القوي ، ملك اكَد . كانت امي خاملة الاصل ، وابي مجهول الاسم . ولدتني امي خفية ، ووضعتني في قنة من البردي ، والقتني في النهر ؛ فدفعتني المياه الى حيث وجدني أقي السقاء ، فترحم عليّ وربّاني مثل ابنه ، ثم اقامني بستانياً . فنظرتْ اليّ ، وانا احترف هذه الحرفة ، إشتر الالاهة ، بعين الشفقة والمحبة . فملكت مدة اربع واربعين سنة . »

وقام خلفه ابنه نارَمسين نحو السنة ٣٧٥٠ وقد ضارع اباه في كل منقبة ومحمدة . ومن مآثره ، انه اخضع العيلاميين لسلطانه ، وفتح مدناً وبلاداً ،

منها مدينة بيراق ، وقد عاد بعد حملته على مصر ، بما وفر من الغنائم . وحارب ايضاً اهل جبل « زكرا » ، المدعو اليوم جبل اياق طاغ ، الواقع بين بلاد ايران والعراق ؛ وقد عرف ذلك من حجر منقوش عليه قصة هذه المحاربة . ومما شابه به نارمسين اياه ، ولوعه بالبناء . فهو الذي شيّد الهياكل في نيور ، وأكد ، وسيارا

وجاء بعده اورشمشا ، ملك أور ، الواقعة على شطّ الفرات ، في المحل الذي يسمى اليوم المكير ، كما سبق القول . ويُعتبر هذا الملك مؤسساً لها ، وهو الذي بنى سورها وشيّد الزقرتا العظيمة التي قيل انها برج بابل . واقام قصراً فخماً وعلى جدرانه ترى الى اليوم صورة اورشمشا . وكذلك شيّد ذكورات اخرى في لارسام ، واوارك ، ونيور ، وسيارا ؛ واعظمها ذكورت اورك وهي بعدُ قائمة ، وقوامها تلّ يسمكه نحو ٧٠ متراً وعلوه ٣٥ . وقد قدّر بعضهم انه لزم لبنائها ٣٠ مليون آجرّة . ومن خاصيات اور ، انها بقيت زمناً طويلاً ، مركزاً للتجارة ، براً وبحراً

اما بابل فلم تكن في بادئ الشأن ، عاصمة للملك ، ولا منتظمة في سلك المدن الخطيرة . الّا ان الدهر قلب لنيرها ظهر المجنّ ، فدامت لها الدولة ؛ فبلغت ذروة الكمال والاهبة ، ونالت من الفخر ما لم ينله غيرها . فاصبحت اعظم مدن آسيّة ، وابعدها ذكراً ؛ ولم تماثلها حاضرة او عاصمة بالعمران ، والعزة والسلطان . وجرت فيها اعمال باهرة ، وأسست فيها مقامات فخمة ، وكثرت ارزاقها ، واتسع نطاق تجارتها ، وليتبالغ ما بلغ اليه غناها وثروتها ، لُقبت بمدينة الذهب

كان ملوك بابل في القديم ، تارة مستقلين ، وتارة خاضعين لملوك مدن البلاد الاخرى ، ولاسيما لملوك أكد . وفي اواخر القرن الخامس والعشرين ق . م . قامت في بابل دولة بابلية . واول ملوكها سُومُوأبيم (٢٤١٦ ــ ٢٣٨٥) وحكم ٣١ سنة . وبعده ، سُومُولاَلُو (٢٣٨٥ ــ ٢٣٧٠) وملك ١٥ سنة . ثم ابنه زَابُوم ، ثم أَمْلِيلِين ، ثم سِنْمُوبَلِيت . وفترة حكمهم من ٢٣٧٠ الى

٢٢٨٧ . وفي ذلك الزمان ، كان كُوتَرْنَاحُنْتَا ملك عيلام ، قد مدّ سلطته على بابل . واما بلاده ، عيلام ، فكانت ازاء بابل ، وتمتدّ الى مادي ؛ وقاعدتها مدينة شُوشَن . فاغار هذا الملك على بابل ونهب تماثيل الالهة ، ووضعها في هيكل شوشن . وخلف بعده كدرلاعمار ، وهو المذكور في التوراة انه حمل على بلاد كنعان

اما سِنْموبلِيت ، فكان قد مات سنة ٢٢٨٧ ، وجلس مكانه حَمُورَبِّي ابنه . وكان هذا من اهل الحزم والعزم ، فحدثته نفسه ان يستولي على بلاد الجنوب الخاضعة للعيلاميين . فحارب رِيمسين الملك العيلامي ، وانتصر عليه وتتبّعه . ففتح جميع الحصون وخربها ؛ فدانت جميع الديار لحكمه

وبنى على طول النهر حصوناً كثيرة . فاصبحت مملكته واسعة الارجاء ، وبلغت اعظم مبلغ من الثروة والترف ، وراجت فيها سوق المعارف والعلوم والفنون والصنائع على اختلافها

ولم يجتزئ حمورَبِّي بتوطيد ملكه ، بل بعد ان استتبّ السلام داخل بلاده ، لم يكن منه الّا ان وجّه نظره الثاقب الى ما فيه مصلحة رعاياه . واذ كان عالماً بان العدل اساس الملك ، فكّر في امر التشريع ، فعمد الى قوانين سلفائه ، فجمع شتاتها ، مضيفاً اليها ما كان يراه ملائماً لزمانه ، وحصرها كلها في كتاب واحد ، عرف بدستور حمورَبِّي . ولسعد الطالع لم تعبث يد الضياع بهذا الكنز الادبي ، بل وصل الينا بكماله . وهو يشتمل على ٢٨٢ فصلاً ، في الحق المدني . فمنه ما يتوط بسلك القضاة ، وسائر الموظفين ؛ وما يرجع الى الاراضي ، من زرع ، وسقي ، ومرعى المواشي وغيرها ، وتجاوز الحقوق الشخصية والملكية ، والتعدّي حتى على الحيوانات . وهناك ما يتعلق بالتجارة ، والملاحة ، او ما يختصّ بالامور البيتية ، كالزواج ، وحقوق المرأة ، والرجل ، والاولاد ، وتوزيع الميراث ، وحالة العبيد والجواري . ومن تلك القوانين ما يبحث عن مهنة الاطباء والمحامين ، والبنّائين ، وسائر ارباب الحرف المعروفة في ذلك الزمان ؛ الى آخر ما هناك من الامور المتصفة بالحكمة والعدالة ، وقد

اكتشفت هذه الشريعة ، في مدينة شُوشَن (وهي اليوم : السوس) عاصمة العيلاميين . وكان ناشرها واول مترجم لها ، شيخ اهل الاشوريات وامامهم ، الاب شيل الدومنيكي

فضلاً عما اتصف به حمورابي من حسن الادارة والسياسة ، فقد كان مغرماً ببناء الهياكل ، وحفر الانهر واصلاحها . فلم يترك مدينة من مدن مملكته الا خلّف له فيها ذكرًا خالدًا . وحفر نهرًا كبيرًا سمّي باسمه ؛ ظفر اهل التنقيب بآجرّة من جدرانه ، كتب عليها ما هذا مآله :

«انا حمورابي القدير ملك البابليين ، المسيطر على الاقطار الاربعة ، القاهر اعداء مردوخ ، قد حفرت نهر حمورابي ، الذي هو سعادة البابليين . واوصلته الى ربوع شمر وأكد ، فارتوت به الفلوات القاحلة . فكان لها بمنزلة منهل لا ينضب ، مما اوجد الخصب في المدن والقرى . وحوّلتُ القفر الى مروج رائعة وناديت الناس قائلاً : ألا اقيموا في بحبوحة الرغد . لان ارضكم هذه قد اصبحت موطن السعادة والهناء . انا حمورابي الهمام ، خليل الالهة العظيمة . وبقوة مردوخ قد بنيت عند راس نهر حمورابي قصرًا عاليًا شامخًا شموخ الجبال ؛ ودعوته : دار سنموبليت الذي اولدني ، وذلك تخليدًا لذكر ابي . »

وقد نجح حمورابي غاية النجاح ، في تدبير مملكته ، واستمرّ قابضاً على زمام الحكم ٥٥ سنة ، وكانت وفاته سنة ٢٢٣٢ . وخلفه على العرش ، شمشوإيلونا ، وأبيشو ، وأميديتانا ، وأميزدُوكًا ، ثم شمشوديتانا . ودام ملك جميعهم معاً ، من سنة ٢٢٣٢ الى ٢٠٨٣ . واقتدى سائرهم بحمورابي ، بتشييد الهياكل او ترميمها ، وحفر الانهر او تنظيفها ، كما تدلّ على ذلك آثارهم . وقد امتدت سلطتهم ، ورسخت قدمهم في سورية ، حتى طمحوا الى الاستيلاء على مصر عينها

هذا ولم يكتفِ هولاء الملوك ، وفي مقدمتهم حمورابي الكبير ، بامور الحرب ، والفتوح ، والسيطرة على الممالك ، او البناء بتشييد القصور والهياكل ، وتقديم بلادهم في باب الزراعة والتجارة والاقتصاد ، بل انهم فضلاً عن هذا

كله قد كانوا من اكبر انصار العلوم والفنون والصنائع الجميلة . حتى بلغت البلاد في عصرهم الى اوج الكمال ، كما شهد بذلك المحققون من العلماء . قال بعضهم : ان انسجة الصوف والكتان ، التي كانت تشتغلها بابل ، حازت اعتباراً بلغ الدرجة الاولى من الخطورة . وكذا القول عن صنع الاقبية والطنافس ، فقد برّز البابليون في اتقان صنعها ، فلم يسبقهم فيه احد ، وكانت المعامل حينئذٍ في بابل وفي سائر مدن المملكة ونواحيها . ومما يجدر بالاعجاب ان النساء كنّ المتفرّغات لمثل تلك الاعمال الجليلة ، وقد تفرّدت البابليات بنسج الثياب الملكية ، والنمارق ذات الصور الفاتنة الالباب . وكان ايضاً سلفاؤنا البابليون يحسنون التطريز بالقصب ، وبالتصاوير البهجة ، والالوان الطبيعية ، ويُتقنون تنزيل الذهب والفضة على الفولاذ ، والترصيع ، والشغل بالميناء ، والحفر على الحجر . وكان النملة والعمال ماهرين في صنع الطاباق والاوعية الفخارية . وكل هذه الصنائع والفنون قد بقي لها آثار كثيرة عند صناع بغداد وما حولها من المدن .

وقد اشتهر في زمن الدولة الحمورابية رجال كثيرون في الطب، والصيدلة ، ودرس طبائع المعادن والعقاقير . اما العلم الذي اختص به البابليون اكثر من غيره ، فهو علم الفلك . فانهم كانوا يرصدون الكواكب ، وسير النجوم ، فاستنتجوا نتائج مفيدة للعالم ، وهم الذين قسموا الزمان الى سنين وشهور وساعات . واخترعوا الساعة المائية ، والساعة الشمسية ، ووقفوا على حوادث الكسوف والخسوف . وناهيك ان البابليين كانوا يستعملون هذه الكتابة المسمارية ، التي دون تعلمها خرط القتاد ، وكانت قد فقدت ممارستها منذ انقراض بابل . وقد توصل العلماء في عصرنا الى حلّ الغازها ، وكشف معمّاها ، فافادوا العلم بما اكتشفوه بواسطتها من الآثار التاريخية والادبية والدينيّة .

هذا وبموت شمشوديتانا ، انقرضت سلالة حمورابي . . . (للبحث صلة)

الجامعة المصرية الجديدة

بقلم الاب توتل اليسوعي

كان الامير فؤاد بن اسماعيل ، حفيد محمد علي ، قبل جلوسه على عرش مصر ، مشهوراً بولعه بالعلم والمطالعة ، واكرام العلماء ، والميل الى معاشرتهم . وان تلك الخصال الملوكية قد ازدهرت وسطع كوكبها الطالع في سماء مصر حتى نوّرت الشرق ، والملك فؤاد ، في عزّ دولته ، يذكرنا بعصر الرشيد والمأمون ، وبعهد النهضة العباسية

وانه على ايامه تأسست الجامعة المصرية : خمرت فكرتها اولاً في عقول الزعماء المصريين المشربين الروح الاوربي العصري ، فاجتازت تدريجاً المراحل العمية التي تؤدي بالمساعي العظمى من طور الفكر الى طور العمل ، حتى بلغت عهدها الحالي وهي تطمح الى منافسة الجامعات الاوربية الكبرى ، بسعة بناياتها وفخامتها ، وكثرة انواع التعليم ، ووفرة وسائل النجاح فيها

واننا في هذه المقالة لنتحدث الى القراء بتطورات هذا المشروع الجليل بمناسبة حفلة ٧ شباط الماضي التي وضع فيها اول حجر للجامعة المصرية الجديدة

عهد النشأة والنمو

اول من فكر في انشاء الجامعة فاستحق ان يذكر اسمه في رأس لائحة من لهم الايادي البيضاء في تأسيسها هو مصطفى كامل الغمراوي ، فقد دعا اليها واكتتب لها بمبلغ ٥٠٠ جنيه . فلبى دعوته سعد زغلول باشا (١٢ اكتوبر ١٩٠٦) ودعا الى منزله جماعة من اهل الغيرة والفضل فقرروا تأليف لجنة تمهيدية انتخب فيها سعد زغلول وكيلاً لرئاستها ، ثم من بعده قاسم بك امين . الى ان تألف اول مجلس ادارة للجامعة ، قبلَ الرئاسةَ فيه الامير احمد فؤاد باشا (صاحب الجلالة الملك فؤاد الاول) وعُيّن حسين رشدي باشا ، وابراهيم نجيب باشا ، وكيلين واحمد زكي بك سكرتيراً ، وحسين سعيد بك امين صندوق

وقد عدَّ المجلس بين اعضائه كبار الموظفين والعلماء ليس فقط من المسلمين

ولكن من المسيحيين والافرنج ايضاً

ومن البديهي ان اشتراك اعيان مصر في هذا المشروع بثّ في الهمم روح الحماسة فاشحذها في التسابق والسخاء بالتبرعات المالية ، والمال للمشاريع البشرية كالحديد في اللاط المسلح لا يقوم من دونه قائم بناية . فاجريت عليها الاوقاف ونُفحت بالذهب الرنان عن ايدي المحسنين من مسلمين ومسيحيين حتى بلغ مدخولها في العام ١٩٠٨ اكثر من عشرين الف جنيه . فصار بوسع ادارتها ارسال الشبان المصريين الى اوربة ، ليستقوا من مناهلها العلوم العالية في الاخلاق والاقتصاد والرياضة والفلك والتاريخ والفلسفة والطبيعيات ، ويعودوا من ثمَّ الى بلادهم فيفيضوا من ذخائر معارفهم على الشبيبة المصرية ما يكفيها مؤونة التغرّب عن الاوطان اذا وجدت في اساتذتها رجالاً مرشدين يفسحون لها مجالاً في ميدان المعارف ، ويهدونها الى موارد العلوم والفنون

عهد التجدد

ظلت ادارة الجامعة مستقلة عن الحكومة مدّة تعاقب في رئاستها بعد جلالة الملك فؤاد ، الامير يوسف كمال ، ثم حسين رشدي باشا . وفي العام ١٩٢٥ صدر مرسوم ملكي (١١ مارس) بانشاء الجامعة المصرية وتنظيمها ، في ٢٣ مادة هاك الاولى منها : « تُنشأ في مدينة القاهرة جامعة تسمى «الجامعة المصرية» وتتكوّن من الكليات الآتية : كلية الآداب ، كلية العلوم ، كلية الطب وتشمل فرع الصيدلية ، كلية الحقوق وغير ذلك من الكليات التي يجوز ان تنشأ فيما بعد بمرسوم ، بناء على طلب وزير المعارف العمومية ، وبعد اخذ رأي مجلس الجامعة . »فدخلت اذ ذاك الجامعة المصرية في طور حياة جديدة ، اصبحت فيها خاصة الامة وعلى نفقتها . فعقد اولياء الامر الهمم على ان يشيدوا بناياتها في محل واسع يليق باسم مصر واجدادها ، ويخلد ذكر المحسنين اليها وخاصة اسم الاميرة فاطمة اسماعيل شقيقة صاحب الجلالة الملك،فانها حبست لها العام ١٩١٣ ايراد ٦٦١ فداناً من التربة الجيدة ، واهدت اليها كمية من الحلى والمجوهرات تُقدّر ثمنها بمبلغ ٢٢ الف جنيه ، وستة افدنة في جهة بولاق الدكرور لعمارتها،على

ان الحكومة الحالية ابتاعت هذه الارض وقدمتها للجامعة مقابل ارض الاورمان ومساحتها تبلغ تسعين فداناً

وفي ٧ شباط الماضي ، عُقدت في تلك الحديقة حفلة مهيبة وضع فيها صاحب الجلالة الملك فؤاد الاول حجر الاساس لبناية الجامعة المصرية الجديدة بحضر من وزراء المملكة واعيانها وعلمائها ، ورهط من المعتمدين السياسيين والرؤساء الروحيين وممثلي المعاهد العلمية الكبرى واعلام الصحافة . ووقع الملك اسمه الشريف على ثلاث كراسات كتب فيها العبارة التالية :

« بقوة الله تعالى قد وضع صاحب الجلالة الملك فؤاد الاول ، ملك مصر المعظَّم ، الحجر الاساسي في بناء الجامعة المصرية يوم الثلثاء ١٥ شعبان سنة ١٣٤٦ هـ — ٧ فبراير سنة ١٩٢٨ م »

ثم تناول الملك مالجاً من الذهب وجوف به قليلاً من اللاط ووضعه بين الحجر والاساس . ثم ادلى بعض الواقفين الحجر على الاساس ، فطرق عليه الملك بمطرقة من ذهب ، بينما كان وزير المعارف يضع مجموعة من الصحف والنقود المصرية في جوف الحجر

في تلك الحفلة وقف صاحب المعالي علي شمسي باشا ، وزير المعارف ، ورئيس الجامعة الاعلى ، والقى خطاباً اطرأ فيه المبادي التي دفعت الى انشاء الجامعة ، فذكر الجمهور بما كان سبق الملك وقاله في العام ١٩٠٨ انه « قد حان الوقت الذي تقضي به الضرورة على الشبيبة المصرية بورود مناهل التربية العلمية المحضة في نفس القاهرة حتى تتربى فيهم فضيلتا الصبر والاستمرار لانهما سرّ النجاح »

ثم تلاه صاحب العزة احمد لطفي السيد بك مدير الجامعة فالقى خطاباً ثانياً طبعته الحكومة واذاعته في الجرائد فحمله الينا البريد المصري في خلال شهر شباط الماضي ، تكلم صاحبه في تاريخ الجامعة وعرض لوائح كلياتها الاربع مع بعض الاحصاءات ، نقتطف منها ما يفيدنا للوقوف على الحركة الفكرية الحالية في القطر الشقيق

مرافق التعليم في الجامعة

قسمت ادارة الجامعة كلية الادب الى ستة اقسام يبتدئ التخصص في كل منها من اول سنة وهي :

١ ــ قسم اللغة العربية واللغات السامية
٢ ــ قسم الآثار المصرية
٣ ــ قسم الفلسفة وعلم الاجتماع
٤ ــ قسم التاريخ والجغرافية
٥ ــ قسم اللغات الحية
٦ ــ قسم الآداب اليونانية والرومانية

وينال الطلبة في هذه الاقسام درجة الليسانس او المأذونية بعد اربع سنين ، ودرجة الماجستير او لقب استاذ بعد ست سنين ، ودرجة دكتور بعد الحصول على الليسانس بثلاث سنوات وتقديم رسالتين او اطروحتين (thèses) ترضاهما الكلية

ويقوم بالتدريس في كلية الادب احد عشر استاذاً رسمياً منهم اثنان مصريان وتسعة اجانب ولهم مساعدون وعدد الطلبة في هذه الكلية ٥٠٦

اما كلية العلوم فتدرس فيها الرياضة البحتة ، والرياضة التطبيقية، والكيمياء، والنبات ، والحيوان ، والجيولوجية ، ولها شروطها لمنح درجة بكلوريوس وماجستير ودكتور. وعدد الطلبة فيها ٣٧٨، واساتذتها سبعة رسميون ، احدهم مصري ، وفيها استاذان مساعدان مصريان

ثم ذكر مدير الجامعة كلية الحقوق فقال :

« وقد نحت الكلية في تعاليمها نحو الكليات الاوربية من حيث صرف جد عنايتها الى تكوين ملكة التفكير القانونية عند الطلبة ، والاستزادة من دراسة تاريخ القانون ومقارنة الشرائع ، ومن حيث اعداد قاعات للبحث يشترك فيها الطلبة والاساتذة في البحوث العلمية »

وعدد طلبة الحقوق ٥٩٩، وعدد الاساتذة الرسميون تسعة منهم اثنان مصريان

وعدد طلبة الطب ٨٥٨، وعدد الاساتذة الرسميون ١٥ منهم خمسة مصريون وقال في لغة التعليم :

« ان الجامعة لم تستطع ان تجعل اللغة العربية لغة التعليم كما هو يرجو، وان كان لها في التعليم حظ عظيم في كلية الحقوق وبعض اقسام الكليات الاخرى . والمأمول ان قسط اللغة العربية في التعليم يزداد شيئاً فشيئاً بالزمان وكلما امكن ذلك من غير ان تستتبع صعوبة في الاتصال بالحركة العلمية في اوربة ، ذلك الاتصال الذي يجب على العلم المصري ان يرقاه، فضل رعايته، ولهذا الغرض ينبغي ان لا يستغني التعليم المصري عن اللغات الاجنبية تعليماً لذاتها واداة للتعليم الى زمن غير قريب »

ترقي العلوم في سنة ١٩٢٧

بقلم الاب يوسف فرنه اليسوعي ، استاذ الكيمياء في المكتب الطبي الافرنسي

تأثير الكلف الشمسية في الميدان البيولوجي

لاحظ العلماء ان في عالمنا حاضراً اختلالات طقسية وزلزالية كبيرة ، فضلاً عن التي لاحظوها في الكواكب . فهل من التهوّر ان نعزوها جميعها الى علة وحيدة ، القوّة الشمسية ؟ الاطباء انفسهم سبقونا الى هذا التعليل ، فاوضحوا مقارنة الكلف الشمسية (taches solaires) لبعض الحوادث الباثولوجية ، من نحو ازدياد الوفيات الفجائية واشتداد نوبات انحطاط قوى الاطفال

لا نرتئي امكان تعليل كل تلك الظواهر التعليل السابق ذكره ، لكنه يلوح لنا ان البراهين متكاثرة بشأن تأثير الكُلَف الشمسية في الميدان الفسيولوجي . قد لاحظ علماء الطبيعة انها تُسبّب دائماً ما يسمونه عواصف مغناطيسية ، تصاحبها تقلبات بارومترية فجائية ؛ وقد لاحظ البيولوجيّون تأثيرها في الاجسام : وليس ذلك التأثير في الاعصاب فقط ، كالذي يشعر به الاشخاص الجتابون قبل عصف العواصف ، او كالذي يظهر في الحيوانات ، على شكل اضطراب غير معتاد ، قبل حدوث الزلازل ؛ بل هو تحرّك خلايا الجسم نفسها ، بتأثير

ذلك المؤثر ، البعيد بوقعه والقريب مثا للغاية ، اذ يؤثر في اجسامنا ، نعني الكُلَف الشمسية .

موضوع ابحاث العلماء حاضراً هو سلسلة الانقلابات « الفيزيكية » والكيماوية ، الخارجة عنّا ، والمحدثة فينا الظواهر البيولوجية المُشار اليها . لكن تلك الابحاث احدث من ان تُفضي الى استنتاجات اكيدة . بل انه لا يزال عسيراً تعيين تلك التأثيرات ، ونحن نجهل حقيقتها الكاملة . على كل حال كاد يثبت ان تلك الظواهر ناتجة عن الاشعاعات (radiations) ، وقد لاحظ العلماء ، في المدة الاخيرة ، اشعاعات صادرة من الكواكب وغير معروفة حتى عهدنا ، فاطلقوا عليها اسم الاشعة ذات النفوذ الفائق (rayons ultra-pénétrants) . قبل اصدار حكمنا فيها ، يتحتم علينا التدقيق في درس تأثيرها البيولوجي .

من جهة اخرى يواصل الاطباء اختباراتهم ، ولربما قادتهم ، في المستقبل القريب ، الى ان ينسبوا الى الكُلَف الشمسية ظواهرَ باثولوجية لا تتضح الآن علاقتها بالكُلَف . من اشهر الاختبارات المذكورة ، تلك التي أُجريت بشأن ما بعد البنفسجي وما قبل الاحمر ، في الطيف الشمسي . وحوادث الشفاء الناتجة عن تأثير الاشعة التي بعد البنفسجية تسوّغ املنا اكتشاف تأثيرات فسيولوجية مختصة بالاشعة التي قبل الحمراء . قد توفّق العالم الاميركي وُود (Wood) الى صنع حاجز يفصل ، في الطيف الشمسي ، الاشعة المراد استخدامها عن غيرها ، ففتح بهذا الاختراع باباً واسعاً لمباحث عديدة ، اوضحت خصوصاً تأثير الاشعة التي قبل الحمراء في إفراز الغُدَد وحركة الخلايا ، الى غير ذلك مما يطول ذكره . تسير تلك الاختبارات المفيدة سيراً حثيثاً ، ولا شك في انها ستُفضي ، في العام القادم ، الى علاجات جديدة ، شديدة الرواج ، تنتج عنها حوادث شفاء لم تخطر قبلاً ببال العلماء .

ما يُهمّنا على الاخص ، في هذا المقام ، هو ان نتفهم امكان التفسير المقبول ، بواسطة الاشعة ، لتأثير القوى الشمسية او الكونية في الميدان البيولوجي .

ترقي العلوم الطبية

اجرى الدكتور كالمت (Calmette) ، التابع لمعهد باستور ، اختبارات ناجحة باستخدام مصله الواقي من السلّ الدرّني لمعالجة المولودين حديثاً . وفي ميدان آخر بحث الاختصاصيّون ، على طريقة جديدة ، عن اسباب انتشار السرطان ، مستندين الى الاحصاءات الدُولية . فبعضهم يقول بان درجة انتشاره تختلف باختلاف الاجناس البشريّة ، ويذهبون الى ان الشعوب القاطنة بجوار البحر المتوسط ابعد عن ذاك المرض من الشعوب الشمالية . والبعض يعلّلون اختلاف درجة انتشار السرطان باختلاف خواصّ الاراضي ، فيقولون ان الاراضي الصلصاليّة تسهّل انتشارهُ . وعلى كل الحال لم تُفضِ المباحث الى نتيجة علمية اكيدة

كتاب الاغاني

وطبعته الجديدة

بقلم الاب انطون صالحاني اليسوعي

نبشر طلّاب الادب بأنّهُ وُجد مؤخرًا من ينشر كتاب الاغاني بطبعة تليق به !

ان كتاب الاغاني لابي الفرج الاصفهاني كتاب نفيس جليل القدر لم يؤلّف مثله في العربية . جمعهُ صاحبهُ في خمسين سنة وضمّنه تراجم كثير من شعراء العرب من جاهليين ومُخضرمين واسلاميين ومُحدَثين . وتراجم كثير من المغنّين في الدولتين الاموية والعباسية . واستطرد فيه لاخبار حروب وقصص ونُكت جمعت بين الفائدة واللذة . وابرز كل ذلك بعبارة عربية صريحة فصيحة منزّهة عن التصنع والتكلّف وبرودة الاستعارات . فهو ينبوع للادب يرده كل متأدّب ، وكل كاتب كلف بالانشاء المتين

وقد وصفه صاحبه بنصه الشائق فقال انه « جمع فيه ما حضرهُ وامكنه جمعه من الاغاني العربية قديمها وحديثها ونسب كل ما ذكره منها الى قائل شعره وصانع لحنه ... واعتمد في هذا على ما وجد لشاعره او مغنّيه او السبب

الذي من اجله قيل الشعر او صُنع اللحن خبراً يُستفاد... واتى في كل فصل بنُتف تشاكله ولُمع تليق به وتقرّ، اذا تأملها قارئها، لم يزل متنقلاً بها من فائدة الى مثلها ومتصرفاً بها بين جدّ وهزل وآثار واخبار وسِيَر واشعار متصلة بايام العرب المشهورة واخبارها المأثورة وقصص الملوك في الجاهلية والخلفاء في الاسلام، تجمل بالمتأدبين معرفتها وتحتاج الاحداث الى دراستها ولا يرتفع مَن فوقهم من الكهول عن الاقتباس منها. اذ كانت مُنتخلة من غُرر الاخبار ومنتقاة من عيونها ومأخوذة من مظانّها. ومنقولة عن اهل الخبرة بها»

قال ابو محمد المهلّبي ان ابا الفرج اهدى كتاب الاغاني الذي كان كتبه بخطه الى سيف الدولة فانفذ له الف دينار. ولما سمع الصاحب بن عباد قال: «لقد قصّر سيف الدولة وانّه ليستحقّ أضعافها اذ كان مشحوناً بالمحاسن المنتخبة والفِقَر الغريبة فهو للزاهد فُكاهة، وللعالم مادّة وزيادة، وللكاتب بضاعة وتجارة، وللبطل رُجلة وشجاعة، وللمضطرب رياضة وصناعة، وللملك طيبة ولذاذة. ولقد اشتملت خزانتي على مائة الف وسبعة عشر الف مجلّد ما فيها سيري غيره.» ولقد كان عضد الدولة لا يفارقه في سفره ولا في حضره. وذكر ابن خلكان «ان ابن عباد كان يستصحب في اسفاره حمل ثلاثين جملاً من كتب الادب فلما وصل اليه هذا الكتاب لم يكن بعد ذلك يستصحب غيره لاستغنائه به عنها»

قلتُ وهذا يدلّك على ولع كبار القوم في ذلك العصر بكتب الادب وعلوّ قدر كتاب الاغاني

فلا عجب ان اعتبر الادباء هذا الكتاب الجليل. والمستشرقون هم اول مَن انتبه له وقد عهدناهم اهل عزم وحزم واقدام. فدرسوا نُسخه الخطية المختلفة واكتسبوا منه منافع جزيلة، وصمّموا النية على نشره بالطبع تعميماً لفوائده وخدمةً للادب العربي. فاقبل على العمل غير هيّاب العلامة كوسغارتن الالماني بعد ان استعدّ له مدة عشرين سنة. فبرز المجلّد الاول في السنة ١٨٤٠ مصدَّراً بمقالة واسعة في اللاتينية في ٢٠٦ صفحات كبيرة تكلم فيها صاحبها عن الغناء عند قدماء العرب وكيفية اتصاله اليهم، وعرّفنا بأشهر المغنّين والمغنيات في ايام الخلفاء الراشدين، فدولة الامويين، فاوائل دولة العباسيين. وذلك في

٣٢ صفحة. وخصص ١٧٤ صفحة من المقدمة لشرح صناعة الغناء ووصف آلات الطرب عند العرب، ولذكر مؤلفات ابي الفرج، وايضاح الطريقة التي سلكها في تأليف كتاب الاغاني، ولذكر الذين اختصروه، ولتبيان النسخ التسع التي اعتمد عليها في نشر الكتاب. وأثبت تاو المقدمة في ١٢٩ صفحة ترجمة المتن العربي الى اللاتينية نثرهُ ونظمهُ مع ما رآهُ مفيداً من الملاحظات. وطبع المتن العربي في ٢٣٨ صفحة باحرف جلية مع سعة معتدلة بين الالفاظ المحلاة بالشكل الكامل. فيرتاح النظر في مطالعتها ويفهم العقل بدون عناء معانيها. وان كانت لا تخلو من بعض الاغلاط خاصةً في ابيات الشعر. وينتهي هذا الجزء الاول باخبار ابن مُحرز

فترى مما سبق جدّ المستشرقين وتدقيقهم وعنايتهم في نشر الكتب لتكون في اقصى درجة من الكمال يمكنهم الحصول عليها

في تلك الاثناء ظهرت الاجزاء الاولى من كتاب الاغاني التي اصدرتها في السنة ١٢٨٥هـ مطبعة بولاق الاميرية. فكفّ المستشرقون عن اكمال ما كانوا ابتدأوا به لعلمهم بانّ صاحب البيت ادرى بما فيه، ولظنّهم ان أدباء العرب اقدر من غيرهم على نشر هذا الكتاب النفيس. الّا ان املهم خاب اذ رأوا تلك الطبعة السقيمة قلباً وقالباً، فانها خالية من مختلف الروايات والفهارس ولا تجد، في اجزائها العشرين، كلمةً واحدة مضبوطة بالحركات، وترى الالفاظ ملزوزة كأن السطر انملة واحدة. فيتعب النظر في مطالعتها، وهي مملوءة بالتحريف والتصحيف. ومع ذلك فهذه الطبعة، وان سقيمة، قد خدمت الادباء وخاصةً المستشرقين خدماً جليلةً لعدم وجود غيرها فتهافت عليها الادباء ولا تهافت الجياع على القصاع. فلا ترى مستشرقاً عُني بنشر كتاب او ديوان شعر عربي الّا ويشير الى كتاب الاغاني ويقتبس منه. هذا ما حدا بنا الى اختيار اجمل ما في الكتاب لتُتحف به اهل الادب في جزئين عنوّناهما « رنات المثالث والمثاني في روايات الاغاني »

وفي السنة ١٣٢٣هـ ظهرت الطبعة الثانية لكتاب الاغاني بمطبعة التقدّم بمصر. فأبقيت فيها اغلاط الطبعة الاولى وزيدت فيها اغلاط جديدة. فكانت طبعة تجارية اكثر منها علمية

لكنّ ارباب المطابع في مصر افاقوا من بضع سنوات من غفلتهم فاخذوا يحسّنون طبع الكتب التي ينشرونها

ومن سنتين حرّكت الاريحية حضرة السريّ النبيل السيّد عليّ راتب. فرغب في اعلاء شأن اللغة العربيّة وفكّر باعادة طبع الاغاني طبعة تليق بهذا المؤلّف المنقطع النظير فتسهّل على المتأدبين الاستفادة منه وقد تكفّل بنفقة الطبع في مطبعة دار الكتب المصرية وتبرّع لها بجميع نُسخ الكتاب. والامل ان يحذو حذوه كثيرون من اصحاب الثروة. وقد شكره على هذه الاريحية وزير المعارف ورئيس المجلس الاعلى لدار الكتب المصرية

فباشر القسم الادبي في دار الكتب مراجعة الكتاب وتصحيحه وضبط غريبه وجميع اعلامه وما ورد فيه من شعر، مع شرح ما غمض في ثنايا الكتاب، وتصويب ما وقع من التحريف في طبعتيه السابقتين معتمدين على ثماني نسخ ومستعينين باكثر من سبعين مؤلّفاً لتصحيح الكتاب ذُكرت اسماؤها في التصدير. الّا ان بعض هذه الكتب لا تفيدهم كثيراً ولا قليلاً للغاية المبتغاة. وكنّا نودّ لو استعانوا ببعض دواوين الشعر التي نُشرت بالطبع في السنوات الاخيرة ولم يرد لها ذكر في التصدير، وهي بدون شك بين ايديهم او قريبة منهم في المكتبة الخديوية كشعر عبيد بن الابرص وعامر بن الطفيل وديوان المفضليات الذي عني بطبعه المرحوم السر ليل في ٨٩٢ صفحة بقطع كبير. وديوان الاخطل والقطامي وذي الرمّة والعجاج ورؤبة والهذليين والخنساء والاصمعيات ونقائض جرير والفرزدق ونقائض جرير والاخطل وغيرهم. فان هذه الدواوين تساعدهم مساعدة اعظم من كثير من الكتب التي ذكروها في التصدير على اصلاح ما وقع في الطبعتين السابقتين من الاغلاط في الاشعار التي اوردها صاحب الاغاني. وفي ظنّنا انهم سيُشيرون الى دواوين الشعراء هذه وان لم يرد لها ذكر في التصدير فقد رأيناهم يذكرون ديوان الاخطل ٢٤٣ : ١١ ت

اننا نستبشر خيراً بالطبعة الجديدة لما عرفناه من مقدرة اللجنة الموكول اليها تصحيح الكتاب فانها مؤلفة من اكابر الاساتذة والعلماء في العربية

أهدي الينا مؤخراً الجزء الاول من هذه الطبعة الحديثة. فنقول الحقّ اننا

طالعناه ببهجة ولذّة فالفيناه حائزاً كل كمال نتمناه في مثل هذه الكتب ويرغب فيه كل اديب سواء كان في حسن الطبع والورق او الضبط او صحة الرواية او تفسير ما غمض. وقد الحقوا بهذا الجزء ، في مائة وعشر صفحات بعمودين ، ثانية فهارس واسعة لاسماء الشعراء الذين ورد لهم ذكر في هذا الجزء ، ولرجال السّند ، والمغنين ولرواة الالحان ، ولاعلام الناس والقبائل والبلاد ، ولأسماء الكتب التي وردت في الكتاب او في حواشيه ، وللقوافي وانصاف الابيات ، ولايام العرب ، وللامثال الواردة في الكتاب ، وللموضوعات كما دُوّنت على هوامش صفحاته

فليُسمح لنا بابداء رأينا في هذه الفهارس. فنقول : ان كثيراً مما أُثبت في فهارس الجزء الاول سيرد له ذكر لا محالة في فهارس الاجزاء التابعة ، وهي عشرون جزءاً . اذا كان الاوفق ان يُفرد عند نهاية طبع الاجزاء كلها جزء كامل للفهارس ، وان واسعاً . فاذا اراد اديب او مؤرخ ان يعرف كل ما ورد في الاغاني عن شاعر ما او بلد او قبيلة او بيت شعر الخ . لا يلتزم أن يقلّب فهارس عديدة متفرقة في عشرين جزءاً ، بل يكون بين يديه فهرس عام في مجلّد واحد يجد فيه كل ما يرغب الدلالة عليه في كل الاجزاء بخصوص الشاعر او البلد او القبيلة او بيت الشعر المنشود الخ . كما صنع غوبدي لطبعة الاغاني الاميرية وبيّن لنقائض جرير والفرزدق . ما لم يكن في عزم المتوكلين بطبع الكتاب ان يعملوا فهرساً عاماً لجميع الاجزاء في مجلّد واحد عند نهاية الطبع. فتبطل اذ ذاك فائدة فهارس كل جزء بمفرده . هذا فضلاً عن ان الفهرس في كل جزء من الكتاب يشغل مائة صفحة ونيّف فيجعل ثمنه اغلى فيصعب على غير الموسرين اقتناؤه

ولدينا ملاحظة اخرى وهي ان الفهارس تشير الى الصفحة في الكتاب والسطر في الصفحة . فيحسُن ان يوضع في هامش صفحات الكتاب بالتتابع والترتيب الاعداد ٥، ١٠، ١٥، ٢٠ ازاء السطر الخامس والعاشر والخامس عشر والعشرين فيقف الطالع بسرعة ودون عناء على السطر المطلوب الذي عيّنه الفهرس . والّا فيلتزم ان يعدّ الاسطر فيُضيع وقتاً ثميناً

ثمَّ انَّ الارقام ترد بوفرة في الفهارس وتشغل موضعاً واسعاً فتزيد صفحات الكتاب. ولا يصعب التوفير ، وذلك بان يُوضع الرقم الدالّ على السطر على يمين الرقم الدالّ على الصفحة ويوضع في اعلاه ويكون دقيقاً . مثلاً ٣٧٥[٨] عوض ٣٧٥ : ٨ وقد اتّبعنا هذه الطريقة في فهارس شعر الاخطل فاخترنا ارقاماً غليظة للصفحات ودقيقة للاسطر

ويحسن ايضاً ان توضع نجمة صغيرة على يسار الرقم في اعلاه للدلالة على السطر في التعليقات مثلاً ٢٥٩[٢]* عوض ٢٥٩ : ٢ ت

كثيرًا ما يشير المستشرقون في تآليفهم الى كتاب الاغاني والى طبعة بولاق الاميرية مع تعيين صفحاتها. ومن المحقق ان هذه الطبعة ستُلقى في زوايا الاهمال والنسيان بعد ظهور طبعة دار الكتب المصرية. فيحسُن ويفيد جدًّا ان تُعيَّن في الطبعة الحديثة صفحات الطبعة القديمة لكي يسهل على الادباء ان يجدوا بسرعة ، في الطبعة الحديثة ، ما اشار اليه المستشرقون وغيرهم في مؤلفاتهم في الطبعة القديمة. والطريقة في ذلك هي ان يضع صفّاف الحروف في اثناء سطور الصفحة بين هلالين او معكّفين عدد الصفحة القديمة . وليس في هذا العمل كبير عناء او كلفة او خسارة بل فيه فائدة عظيمة للادباء ولدار الكتب اذ يُقبل كثيرون على اقتناء طبعة حاصلة على كل ما يُرغب فيها من التسهيلات والتحسينات والكمال

في السطر الاخير من الصفحة ٢٨ نقصٌ بيّن في العبارة . وكمالها كما في طبعة بولاق: ١٥[١٢] : « قال ويُقال فلان في أبيّه اي في أصله . والأبيّ والاساس واحد . وذُرى كل شيء اعاليه وهو جمع واحدته ذُرْوَة . ويروى أبلغْ السلام ان جئتَ قومي - وروى الزُّبير الخ »

في الصفحة ٥٥[١٢] عَلْوه . الصواب عَلْوَة

" " ٦٢[٥] للهضم. يروى في طبعة اوربة «للخصم»

" " ٩١[٥] هذا لَعمرُكَ . يُروى : « نِعَمٌ لَعمرُكَ »

" " ٣٢٧[٧] أَبِيلَ مَدامِعُهُ . الصواب « أَبِيلٍ مَدامِعُهُ »

مجلة المجلات

للاب جبرائيل لوفنك اليسوعي

المرافق الاقتصادية في فنلاندا – المؤتمر الجغرافي السلافي في بولونية – النحر الحجري في الاناضول – الحج الى فلسطين في القرن الرابع عشر – نبات « الماته » او « شاي اليسوعيين » – البترول في الكونغو البلجكي – الاسكندر ذو القرنين – قياس المثلثات في افريقية – آفة الجراد

المرافق الاقتصادية في فنلاندا

فنلاندا بلاد موقعها على شواطئ بحر البلطيك في شمالي اوربة، وهي شبه جزيرة متصلة باراضي روسية واراضي اسوج ونروج، مساحتها ٣٧٧,٥٠٠ الف كيلومتر مربع، وعدد سكانها ثلاثة ملايين وثلاثمئة وثلاثون الفاً؛ وهي دولة مستقلة منذ الحرب العظمى. كتبت مجلة الحوليات الجغرافية (Annales de Géographie. Paris, Nov. 1927) بحثاً عن حركة الترقي والاقتصاد فيها فقالت:

فنلاندا ارض شمالية، باردة، وتربتها مجدبة، وهي مع ذلك على جانب من الثروة، بفضل ما يبذله سكانها من الجهود في استغلال محصولاتها باكثر ما يستطيعون الى ذلك سبيلاً، حتى نالوا مكانة عالية في عالم التجارة، بما يتوفر لديهم من الخشب والتبن والسمن والجبن، فيتاجرون بها ويربحون المبالغ الطائلة

قد تبلغ محصولات الخشب كل عام ٤٠ مليوناً من الامتار المكعبة، وعليها تدور حركة معامل: نشر الخشب، ومعالجته الكيماوية، وصنع الورق من الصنوبر، وتلوين الواح السندر، وقطع العيدان للكبريت من شجر الحور

المؤتمر الجغرافي السلافي في بولونية

غرض المؤتمرات العلمية ان تضم في مجلس واحد رجالاً معدودين من الاختصاصيين في فرع من العلوم فيتباحثون ويتبادلون الآراء وتسفر مذاكراتهم عن تقريرات مفيدة تخطو بالعلم خطوات الى الامام. وقد عقد في بولونية اخيراً مؤتمر اشترك فيه الجغرافيون السلافيون وهو الثاني من نوعه، لان الاول كان قد تم في تشكوسلوفاكية منذ عامين. ومن ميزات هذا المؤتمر الثاني ما روته مجلة الحوليات الجغرافية المذكورة قالت:

ان اعضاءه لم يفتأوا ينتقلون من مكان الى مكان مدة المؤتمر ، فلم يقيموا في ڤرسوڤية الا يومين ولم ينـاموا ليلةً في غرفـة ، بل كان لهم مركبتان ، يبيتون فيها في قطار خاص ، فاستطاعوا من ثمَّ ، باقـل من ١٥ يوماً ، ان يشاهدوا مناظر البلاد الطبيعية ويقفوا على احوالها الاجتماعية

الفحم الحجري في الاناضول

وذكرت المجلة ذاتها معادن الفحم الحجري في « ارغلي ايسبالو » فقالت :

على سيف البحر الاسود تمتد مساحة من الارض طولهـا ٢٠٠ كيلومتر ، وعرضها خمسون ؛ فيها كميات وافرة من الفحم الحجري لم تُستنبط بعد الا في نواحي زنقولداغ ؛ على ان استخراجها امر يسير ، وهي على قرب من البحر بعشرين كيلومتراً ، وطبقات الفحم فيها عرضها المتر والنصف او المتران وبعضها عرضها ٤ او ٥ امتار ؛ واشجـار الغاب مجاورة لها على بعـد ١٥٠ كيلومتراً فيمكن اتخاذها اخشاباً لسقف الأسراب ولكن فحمها يحتوي كمية من النفاية توازي ٢٥ او ٣٠ بالمئة فنوعه خسيس ؛ وتصديره عن طريق البر عسير ، لما يعتور طرق الداخلية من العقبات

على انه قريب الموارد للفلاحين ، وكلهم عند الضرورة يتعلمون استنباطه . فانهم يتذرعون بالزنابيل ويعمدون على الارض فينبشون منها الفحم ويعودون . وقد يتواطأ بعضهم ، مع اهل بيته او غيرهم من العملة ، على استعمال المعاول في استخراج الفحم بكميات وافرة ، فيحتلونه الى الغيال ويأتون به غلةً يتراوح محصولها اليومي بين الخمسة الاطنان والخمسين طناً

وهناك شركات ذات رؤوس اموال ، تألفت لاستنباط الفحم الحجري ، أهمها الشركة الافرنسية المرقلية ، تأسست بين العامين ١٨٩٦ و ١٨٩٧ ، لها الحق باستنباط المعادن على مساحة ٣,٥٠٠ كيلومتر مربع وتنفيذه بحراً عن ثغر زنكولداغ ، واستخدام الخط الحديدي رابطةً بين مرفإها والمعادن . وقد اخذت ارباحها تنمو وتزداد منذ العام ١٩٢١ بفضل ما لادارتها من الحزم وما لرجالها الاختصاصيين من الخبرة والعلم

واليك لائحة محصولاتها في السنين الاخيرة:

١٩٢٢	٥٠٠ الف طن
١٩٢٣	٢٨٦ «
١٩٢٤	٣٩٠ «
١٩٢٥	٥٥٠ «
١٩٢٦	٨٥٧ «

اما غلة سائر الناجم في تلك النواحي فقد بلغ محصولها زهاء ٤٠٠ الف طن ، وقد صدروا هذا الفحم الى القسطنطينية لان مدن الاناضول الغربية والجنوبية تتموّن الفحم الانكليزي والروسي

الحج الى فلسطين في القرن الرابع عشر

من اجلّ ما اتته الاختراعات الحديثة من الخدمات للبشرية تسهيل الطرقات وتأمينها برًّا وبحرًا وسائر ما يجده المسافرون في عصرنا من لذة وفوائد في التنقل السريع . على ان الاسفار على نظامها العصري الجديد كثيرًا ما تحرم المسافرين فرصة التريث في البلاد التي يجتازونها فلا يتاح لهم ان يقفوا على احوالها شأن المسافرين في القرون الوسطى

جاء في مجلة الجمعية الجغرافية الملكية الايطالية :

(Bollettino della Societa Geografica italiana, Roma 1927, sept.-oct.)

بين العامين ١٣٤٤ و١٣٤٥ قطع احد الحجاج الانكليز بلاد ايطالية من الشمال الى الجنوب قاصدًا الى فلسطين عن طريق مرفأ اوترانته (Otrante) فتسنى له ان يرى عن كثب احوال البلاد في تلك الايام المضطربة ، فابدى فيها ملاحظات مختصرةً مفيدة منها ان حاجيات الحياة كانت وافرةً رخيصةً في ايطاليا . وكانت البابوية آنئذ مقيمةً في فرنسة منذ اربعين سنة . وتطرّق الى الكلام في البحر المتوسط فدعاه بحر الروم ، وكان يخاف ركوب البحر فعبره على مسافات قصيرة كالمسافة بين اوترانته وكورفو ، وبين كورفو وقبرس ، وقال انه ممكن للمسافر ان يجتاز من اوربة الى اورشليم برًّا عن طريق افريقية الشمالية . ومن ملاحظاته انه وجد ، ابان سفره في ايطالية وفي فلسطين ، خمرة طيبة ، فأطرأ وصفها واجاد

نبات «الماتّه» او «شاي اليسوعيين»

بلاد الباراغواي موقعها في جنوبي اميركا بين البرازيل والجمهورية الفضية، ومساحتها ٢٥٣,١٠٠ كيلومتر مربع، حلها المرسلون اليسوعيون فعمروها حتى صارت بنظامهم اشبه بالدولة المستقلة الى ان اقتسمتها بينها دول البرازيل، والباراغواي الحالية، والارجنتين وكانت حصة الارجنتين من القسمة ما ينيف على ٣٩ الف كيلومتر مربع. وقد كتبت مجلة الجمعية الجغرافية في نوشاتل (Bulletin de la Société Neuchateloise de Géographie, Neuchatel 1927, t. 36.) وصفاً في محصولات تلك البلاد فقالت:

هذه البلاد لم تزل جنة عدن للمولعين بعلم النبات والزراعة والصيد كما كانت لسكانها على ايام حكم المرسلين فيها. ومن اخص محصولاتها شجر «الماته» (ilex paraguayensis) والوطنيون يعرفونه من عهد عهيد. اما الفضل في بزره واغراسه وغرسه يعود الى اليسوعيين، فانهم اكتشفوا سر النجاح في زراعته ثم ضاع من بعدهم الى ان اكتشف مرةً اخرى سنة ١٨٩٦. ولا تفلح زراعة «الماته» الا في الباراغواي والشاهد على ذلك انهم جربوها في مصر ولم ينجحوا. اما في بلاد اهلها فتأتي بمحصولات جيدة، وهي تنتشر بسرعة وثمنها ارخص من ثمن الشاي الصيني. اما طرائق معالجتها فاهمها انهم يجمعون اوراقها المشوكة الاطراف ويضعونها في بنايات من الآجر فينمو عبيرها بفضل ما ينالها من الاوكسيجين، ثم يأتون بها الى الطاحون فتطحن ثم توزع فيُغلى سحيقها كما يُغلى الشاي ويشرب

وشاع استعمالها في اميركة الجنوبية وازداد مع الايام حتى صارت الارجنتين تستهلك منها كميات يتراوح مقدارها بين ٨٠ و٩٠ مليون كيلو. وربما ذاع شرب «الماته» في سائر انحاء العمور والفهل الناس فيروج سوقها وتعود على بلاد اهلها بارباح جمة. واسم «الماته» عند العامة «شاي اليسوعيين»

البترول في الكونغو البلجكي

الكونغو بلاد واسعة موقعها في اواسط افريقية وهي مستعمرات لفرنسة وبلجكة فيها نهر كبير مناسب في بلاد البحيرات الكبرى. والكونغو البلجكي مساحته مليونان وثلاثمئة واثنان وثمانون الف كيلومتر مربع، وعدد سكانه يناهز العشرين مليوناً. وهو من اخصب بلاد الله واكثرها خيرات. وقد اكتشفوا فيه حديثاً منابع للبترول جديدة. جاء في المجلة الملكية البلجكية الجغرافية (Bulletin de la Société royale belge de Géographie, Bruxelles, 1927, n°1.)

عهدت جمعية معادن الذهب في «كيلوموتو» الى القبطان «بوريس نولده» بامر تدبير الصيد على بحيرة «ألبر» (١٩٢٦) [بين الاوغاندا والكونغو] وكان بوريس ابان رحلته من الضفة الانكليزية الى الضفة البلجيكية قد بلغه ان العبيد يعرفون محلاً فيه كميات وافرة من السمك الميت، لكنهم يكتمون امره وهو عندهم مقدس، على انه موجود في نفس البحيرة، وسطحه مغشى بالزيت. فتجهز القبطان بما تسنى له من الوسائل للسير على المياه وما كان اقلها فلم يكن بين يديه زورق، والبحيرة مجهولة مسالكها، لم تشق عبابها سفينة قط! فسار مستطلعاً بالحدس والظن ووجهته نقطة خمّن بُعدها بين ٨٠ و ٩٠ كيلومتراً فبلغها بعد سير احدى عشرة ساعة ونصف. فاذا هي على نحو ١٠٠ متر من الشاطئ وسطحها مغشى بالزيت وقد بدا الزيت من حركة لولب السفينة. فنزل القبطان على اليابسة في موضع كثير الاعشاب كثيف الاشجار، فقطعه الى بقعة عارية من النبات طولها متر بعرض مترين، وارضها سوداء زلقة لامعة. انما هي نبع البترول ينجم ويسير الى البحيرة. فعاد نولده وبشر ارباب شركة المعادن باكتشافه

الاسكندر ذو القرنين

هو الفاتح المكدوني الشهير، وصف علي بن الشاه الفارسي في مستهل كتاب كليلة ودمنة الموقعة التي جرت بينه وبين ملك الهند فانتصر فيها الاسكندر، وكانت النفس تحدثه بمجاوزة الهند الى بلاد الصين، لكن العياء كان قد اخذ من جنوده ماخذه فاضطروا قائدهم الى الرجوع على اعقابه. ومات الاسكندر في بابل العام ٣٢٣ ق. م. وله من العمر ٣٣ سنة. جاء في الجريدة الجغرافية عن حملته على الهند: (The Geographical Journal; London, 1927, n° 1)

لم يخطر على بال انسان ما عاناه الاسكندر من المشقات في حملته على الهند حتى بلوغه سهول البنجاب. ان السير اوريل ستاين جال في الحدود الشمالية الغربيّة بين الصواط الاعلى والهندوس، فاطلع عليها وتمكن من المقابلة بين ما رآه بعينه وما قرأ عنه في المؤلفات القديمة التي وضعها اريان والمؤرخان ديودوروس وكورسيوس فقال انها متفقة اجمالاً في تعيين المحلات والمراحل الشهيرة التي قطعها الاسكندر. فاتخذ من ثمّ فرصة لذكر الاسكندر ونبوغه واطراء جرأته وبأس جنوده المكدونية ومراسها وهو في ذلك قمين ان يبتّ الحكم وقد وقف على احوال تلك البلاد ودرس تاريخها الحربي

قياس المثلثات في افريقية

افريقية قارة من القارات الخمس، تبلغ مساحتها ٣٨ مليون كيلومتر مربع لم يجر فيها التقسيم العلمي المبيّن لكل ذي حق حقه من الاراضي، ولا يتم ذلك الا بعد مسحها مسحاً مدققاً طبقاً لقواعد الهندسة فأخذوا من ثم يهتمون بشأنه واليك ما قالته المجلة المذكورة آنفاً في هذا الصدد :

ان مشكل القياس في افريقية ذو وجهين : اولها يعالج قياس المثلثات في القطر الافريقي كله ، وثانيها في افريقيـة الشرقيّة فقط . ولا سبيل الى حلّ المشكل الاوّل الّا ان تتفق عليه الدول ذات الاملاك في افريقية ، لكنها عملت كل واحدة في سبيل مصلحتها بمعزل عن غيرهـا . على ان هناك طائفتين من المقاطعات قد أجريت فيها القياسات الهندسيّة وقد ظهرت نتائجها في الخارطة . اولاً مقاطعات افريقية الافرنسيّة الشاملة مراكش والجزائر وتونس ، وهي تدخل في دائرة القياسات التي جرت في اوربة وشملت اسبانية . وثانياً مقاطعات افريقية الجنوبيّة وهي متصلة مع افريقية الشرقيّة وممتـدة الى البحر المتوسط

اما المقاطعات المعروفة بشطّ الذهب ، وشطّ العبيد ، وافريقية الايطاليّة ، والكونغو البلجكي ، فقد اخذوا يمسحونها ؛ على ان المناوز الداخليّة في الشمال وفي الغرب لا تزال مجهولة

اما الوجه الثاني من مشكل المساحة في افريقية فهو يهمّ بريطانية العظمى خاصة ، وقد تقربوا الى حله قبل الحرب اذ اخذت اللجن الدوليّة تدرس تعيين الحدود بين المستعمرات الانكليزية والبلجكيّة والالمانيّة والبرتغاليّة . وقـد قامت اللجنة الانكليزية المعهود اليها امر المساحة بقياس المثلثات بين القـاهرة واصوان على طول ٥٥٠ ميلاً تقريباً . ومُسحت في السودان، وفي الشمال والغرب، وعلى جانب البحر الاحمر ، اراضي واسعة . ومُسحت غيرها في غينيا واوغنـدا وتنغانيكا وجنوبي بحيرة فيكتوريا . وقامت لجنـة مسح الاراضي في مستعمرة افريقية الجنوبيّة مساحة طولها ٥,٠٠٠ ميل

فالنتيجة من ذلك ان قياس المثلثات في افريقية سوف يتمّ اذا مـا اتفقت عليه الدول ووحدت مجهوداتها في هذا السبيل

آفة الجراد

جاء في مجلة جنيف الباحثة في اسباب الكبات الكونية (Matériaux pour l'Etude des calamités, Genève, 1927, juillet-septembre) مقال في الجراد لاحد الاختصاصيين ذكر فيه اسماء البلاد التي احتلها الجراد بين العامين ١٩٢٦ و ١٩٢٧ فبين جلياً :

ان الجراد آفة كونية على خلاف ما تعتقده العامة من انه يحصر فتكه ببعض البلاد فقط . زحف جيش الجراد على بلاد اليونان في العام ١٩٢٦ فسبب ضرراً جسيماً لزراعة التبغ في تسالية ، واتلف منه في مكدونية وتراقية كمية تبلغ قيمتها ٦٠٠ مليون درهم ، واكل من الصنب والتين والذرة ما يقدرون ثمنه باربعمئة مليون درهم

ودارت دائرته في العام نفسه على بلاد المسكوب الجنوبيَّة وعلى شمالي القوقاس فدمر فيها من الحقول المزروعة مساحة تبلغ ٨٠,٠٠٠ اكر (والاكر يكاد يوازي نصف الهكتار) وفتك خاصةً بالجاورس والذرة والالياف من القصب المستعمل للوقود ولسقف البيوت . ونزلت آفة الجراد العام ١٩٢٧ في بلاد استراخان وكلوك والقوقاس فاضرت بمساحة ١٢٥,٠٠٠ اكر من المزروعات . اما بلاد الجزائر فزحف عليها جيش الجراد بقوة لم يعهدها عصرنا قط وقد حاربته الحكومة وابلت فيه البلاء الحسن ، لكنها لم تستأصل شأفته . وظهر في العام ذاته نوع من الجراد الجبار في اقاليم الهند الشرقيَّة والغربيَّة . وظهر غيره في اميركا الجنوبيَّة في الارجنتين في ايلول من العام ١٩٢٦ وخاصةً في كانون الثاني من العام ١٩٢٧ .

وقد تمكنوا في مقاطعة سانتافه من جمع واتلاف كمية من الجراد اناف ثقلها على ١٠,٠٠٠ كيلو وتحدث بعضهم بانشاء نظام دولي لمكافحة الجراد . وفي شهر تشرين الثاني الماضي اجتمعت ، في المعهد الدولي الزراعي في رومة ، لجنة من العلماء الاختصاصيين في درس مكافحة آفات النبات . فتناولت في مباحثها امر الوسائل الحديثة المختبرة والممكن اختبارها مكافحةً للجراد . وقد بلغنا ان المفتش الذي عينته لجنة المكافحة للنظر في هذا الامر قد نال في الشام نتائج حسنة باستعمال نُخالة مسمومة ابتاع سمها من فرنسة . وقد استعملوا الطيارة في بلاد روسية وشيلي آلةً لنشر السحيق القتال للجراد فنجحوا .

شذرات

مغناة الملكين

« المغناة » تعريب لفظة « اوپرا » وهي عند الافرنج المأساة او الرواية التمثيلية ، يرسل فيها الممثلون كلامهم نشيداً على الحان مختلفة مراعاةً للحوادث وطبقاً لاخلاق الشخصين . فيشغل هؤلاء ادوارهم بين عزف آلات الطرب ، مستشفعين بها على القيام بمهمتهم الدقيقة ، مستريحين عليها من مواصلة الغناء ، فيتسنى لهم السكوت ، ولمؤلف الغناء الفيضان عن نفس طويل بما يطفح به الفؤاد

ولا يقدم على تأليف المغناة الّا ابن الفن القدير في صناعة الالحان ولا بد له من شعر متين يطرزه بمبتكرات غنائه فيستمد منه قوةً ونشاطاً ويزيده حسناً وطلاوة

في ١٩ و ٢١ من الشهر الماضي مُثلت مغناة الملكين لاول مرة على مسرح كلية القديس يوسف وهي من تلحين الاستاذ وديع صبرا ، اما كلماتها فللخوري مارون غصن . موضوعها مأخوذ من التوراة : اخبار شاول ملك اسرائيل وداود المختار من الرب ليخلفه . فاستحسنها الجمهور ورددت الصحافة صدى استحسانه واطرأت مآثر المؤلفين وفضل الذين هيأوا لها المسرح الفخم وسائر ما لا تستغني عنه الفنون الجميلة من عناية واتقان لتبرز بحلة الرونق والعز . ومغناة الملكين انما هي الاولى بموسيقاها في الفنّ العربي وظهورها يعد محطة من محطات تاريخه

كان مارون نقاش قد وضع رواية البخيل المضحكة الملحنة منذ زهاء ستين سنة لكن الالحان فيها لم تقرَّر بالضوابط الاوربية بل اتخذت من النغمات العامة الشائعة . اما فيما يخصّ الكلام وحده فقد ألّف ابو شادي في العام الماضي مغناتين شعريتين وصفناهما في المشرق ، وهما إحسان وزينوبيا . فكان لمغناة الملكين الحاضرة ميزة الموسيقى الراقية المقرَّرة بالضوابط فبرزت لحناً وكلمات ، تحفة مصاغ كامل

فنفاخر بها ونهنئ المؤلفين وارباب المسرح بما اتحفونا به ونتمنى لهذه البلاد العزيزة ان تبلغ من الرقي ما يعود على ارباب الفن بثمرة اتعابهم فيكون جودها عليهم عنواناً لما قطعته من شوط بعيد في مسالك الثروة والفلاح وقد قال ابن

خلدون: (المقدّمة ، طبع بيروت ص : ٤٢٦)

«وإذ قد ذكرنا معنى الغناء ، فاعلم انه يحدث في العمران ، اذا توافر وتجاوز حدّ الضروري الى الحاجي ثم الى الكمالي ، وتفننوا فيه ، فتحدث هذه الصناعة ، لانه لا يستدعيها الّا من فرغ من جميع حاجاته الضرورية والمهمة من المعاش والمنزل وغيره ، فلا يطلبها الّا الفارغون عن سائر احوالهم تفنّناً في مذاهب الملذوذات »

ف . ت

رقيم من عهد الصليبيين

بينا كان بعض العملة يحفرون في ميناء طرابلس الشام ، عثروا على صفيحة رخامية عليها اثر كتابي من عهد الصليبيين . فحُفظت كي تُرسل الى المتحف اللبناني في الثغر . وهذه صورتها

اما لغة الرقيم فهي الفرنسية القديمة التي كانت ، مع اللاتينيّة ، لغة الصليبيين الرسمية . والكتابة تظهر في عشرة اسطر ، وهي كاملة الّا بعض حروف

باهتة ، وحروف غيرها مفقودة ، بسبب العطب اللاحق باسفل الصفيحة من عن اليمين . ونحن ننقل الكتابة كما هي ، واضعين بين معقفين الحروف غير الواضحة

✠ En non dou Saint Es[pr]it je Beimont par la grace de Deu prince d'Antioc[he] conte de Triple [fis] faire ses[te] tor de la monee de la comu[nau] te des gens de Tri[ple en] lan de lincarnas..... [s]tre Seinor[H]..... [MC]CLXVI[II].

وهذه ترجمتها :

« ✠ باسم الروح القدس ، انا بيمون ، بنعمة الله ، امير انطاكية وكونت طرابلس ، امرت بصنع هذا البرج ، من اموال مشيخة اهالي طرابلس سنة ١٢٦٨ لتجسّد سيدنا المسيح . »

وكان صاحب هذا الرقيم بوهيموند السادس قد خلف اباه ، بوهيموند الخامس ، سنة ١٢٥١ في امارة انطاكية وكونتية طرابلس . وحدث في اواخر ايار سنة ١٢٦٨ ان مدينة انطاكية سقطت في يد السلطان المملوك بيبرس . فلجأ بوهيموند اذ ذاك الى طرابلس، وبنى البرج المذكور كي يتمكن من الدفاع عن المدينة . وكانت وفاته سنة ١٢٧٤ . « اما مشيخة اهالي طرابلس » فكانت لجنة من سكانها تدير شؤون المدينة التي بلغت اوفر ازدهار في عهد الصليبيين .

المشرق منذ ثلاثين سنة

شهر نيسان ١٨٩٨

كان المشرق ، في اول عهده ، يظهر مرتين في الشهر . وظلّ على هذا الترتيب عشر سنوات ، حتى رأى مديرهُ المرحوم ان يُفسح مجالًا اوسع للمقالات الطويلة ، ووقتاً اوفر لجمع المعلومات وتهيئة الابحاث المختلفة ، فادغم العددين، واخذ المشرق بالصدور شهرياً بالحجم الحالي منذ اول سنة ١٩٠٨

اما شهر نيسان سنة ١٨٩٨ الذي نحن بصدده ، فبُدئ ببحث مشهور للمرحوم الاب شيخو في الكاتب المؤرخ غريغوريوس ابي الفرج ، المعروف بابن العبري (١٢٢٦ــ١٢٨٦) درس فيه قسماً وافياً من حياته على ان يعود في الاشهر المقبلة فيتمّ درسه . يلي ذلك مقالة للاديب المرحوم سليم اصفر وصف فيها الفيلوكسيرة او دودة الكرم ، وصوّرها ، وبيّن اضرارها الجسيمة ، وطرق التخلص منها . ثم بحثٌ نفيس للاب لامنس في الزلازل في سورية وبيان نواميسها مع خارطة لمعرفة سيرها . وهو البحث الذي تناقلته الجرائد مؤخراً في معرض الكلام عن زلازل فلسطين وشرقي الاردن . وهناك ايضاً بحث صحي للدكتور فيليب بركات عنوانه « كيف يضمر السمان ؟ » تكلّم فيه عن اسباب السمن وانواع علاجه . ونبذة في استعمال الكحل للدكتور كامل سليمان الخوري من حمص . ومن آثار الاب زمّوفن في هذا الشهر مقالان : الاولى في الاول نظرة على ترقي العلوم في الربع الاول من السنة ١٨٩٨ . وتابع في الثاني بحثه الواسع عن طور الظرّان في فينيقية ، فتكلّم عن طور الحجر الصقيل وخصّ بالذكر محطات : جبيتا ، وجراجل ، ورأس الكلب ، ورأس بيروت ، والمعاملتين ، ومصنع نهر الزهراني . وفي هذين العددين يتابع المرحوم الاب شيخو نشر تاريخ بيروت لصالح بن يحيى ؛ والمرحوم المعلم رشيد الشرتوني نشره السلسلة بطاركة الطائفة المارونية . وفيها ينهي الاب لامنس روايته «خريدة لبنان» ويبدأ رواية ثانية عنوانها « الشقيقتان » . وينتهي مشرق نيسان ١٨٩٨ بوصف خمس مطبوعات جديدة ، وبعدة شذرات عنوانها : اكتشاف كتب خطّية في مصر ؛ يوم ميلاد المسيح ؛ الرخّ والعنقاء . مع عدة اسئلة يجدر بالذكر منها ما سأله احد مستشرقي المانية ، ك . ف . « عن اقدم شهادة جاءت في كتب العرب عن الابرة المغناطيسية » فأجيب ان اقدم شهادة وردت في كتاب خطي يُدعى « كنز التجار في معرفة الاحجار » لبيّاق القبجاقي الكاتب في سنة ٦٨١ هـ . (١٢٨٢ م .) وذلك في الصفحة ٦٨ من نسخة باريس .

مطبوعات شرقية جديدة

Philosophia Moralis in usum scholarum, auctore Victore Cathrein S. J. 14e *édition*, *Freibourg im Breisgau*, *Herder*, 1927 *Prix* 6 *M.*

الفلسفة الادبية

عرفت معاهد التدريس الاكليريكية منذ زمن بعيد كتاب الاب كاترن في الفلسفة الادبية . وقد اتت الان هذه الطبعة الرابعة عشرة تبرهن ان نجاحه لا يزال مستمراً . ولا عجب في ذلك فان صفات الوضوح ، وحسن التناسق ، والترتيب التي تميز هذا المؤلف تجعله الكتاب الامثل لهداية المبتدئين في درس تلك المسائل الصعبة التي تهم بنوع خاص مبادئ الادب والحق المدني ، وعلم الحياة البشرية ، وادارة المجتمعات الانسانية

وتزيد على ذلك ان نفع الكتاب المذكور لا ينحصر في فائدته المدرسية . فاننا لا نرى افضل منه لتعليم الجميع المبادئ الراسخة التي يلزم الرجوع اليها دائماً في عصرنا المتخاذل ؛ في هذا العصر الذي نرى فيه المجتمعات الانسانية تضطرب على قواعدها ، فيقوم لتثبيتها كثير من اصحاب الآراء والادعاءات المستحيلة التحقيق ، المخطرة النتائج . ومهما تنوعت المسائل الحاضرة ، وسواء كانت اجتماعية او سياسية او دولية ، فاننا نرى ، في الكتاب المذكور ، كل ما يعلمه العقل السليم بشأنها ، متفقاً مع تعاليم الوحي ، وتقليد الكنيسة

الاب غ . نيرون

Dr Aug. Vallet: Guérisons de Lourdes en 1926, 2e *édit.* 1927. *Paris*, *Téqui*. *Prix* 6, 50 *f.*

شفية لورد في السنة ١٩٢٦

صاحب هذا الكتاب رئيس لجنة التحقيقات الطبية في لورد ، وهو يقدم مؤلفه الى زملائه واصدقائه الاطباء . فيفحص امامهم بكل دقة ووضوح جميع الامراض التي شفي اصحابها في لورد سنة ١٩٢٦ ، بعد ان يبين في الفصل

الاول كيف ان العجائب المستمرة في تلك البلدة ترفع من يتحققها الى المسبب الاول ، اي الخالق ، وتزيف مبادئ المذهب المادي . ويخص الفصل الثاني بالبحث في مستوصفات لورد . ثم يعرض في الثالث عشرين حادثة شفاء بطريق الاعجوبة فيدرسها ويمحصها حتى لا يدع شبهة في صحتها ج.ل

Aloys Pottier S. J. : Le P. Louis Lallemant et les grands spirituels de son temps. *t. I* 1927. *Paris, Téqui. Prix* 15 *f*.

الاب لويس لالمان وكبار الروحانيين في زمنه

سيلحق بهذا الجزء مجلدان آخران فتؤلف جميعها درساً في اللاهوت الروحاني على سبيل المقابلة . وقد بدأ المؤلف بتحديد مذهب الاب لالمان الروحاني فيما يختص بالكمال ، وشروطه ، وطرق الوصول اليه ؛ والمشاهدات الروحية . وهو يفتش ، في آراء سلفاء الاب المذكور ، عما يشابه هذا المذهب او يعاكسه . فيظهر ، في بحثه الدقيق الوافر المآخذ ، عالماً بكل ما كتب في الموضوع ، وعارفاً بطرق استغلاله . وينتهي الكتاب بفهرس واسع لاسماء العلم ج.ل

Hubert Pernot : Etudes sur la langue des Evangiles. *Collection de l'Institut néo-hellénique de l'Université de Paris. fasc. 6*, 1927 *in*-12. *Paris, société d'édition « Les Belles-Lettres »*

دروس في لغة الاناجيل

نظرية مؤلف هذا الكتاب أن في الاناجيل اداة ممتازة ، وطريقة صالحة ، لمن يرغب في درس اللغة اليونانية ؛ وفضلهُ في انهُ اشار بكل دقة الى خاصيات لغات النصوص المختلفة . وهو يميل الى الاعتقاد ان تدرج البَدْي المكتشفة ، على نفاستها في درس اللغة ، لا تضاهي نصّ الاناجيل في هذا الامر ، فانهُ شاهد اكثر دقة ، واوفر ثقة

لا يرى الطالع في هذا الكتاب قواعد صرفية ونحوية للغة الاناجيل . ولكنه يجد كثيراً من المسائل اللغوية التي وفرت لذتها للمؤلف فسردها ؛ من ذلك عدة ملاحظات على لغة انجيل القديس لوقا ، وانشائه ، وافكاره ، وعلى الحروف (ὅτι, ἵνα) عند الانجيليين ، واسماء الموصول ، وتركيب الجملة في (καὶ ἐγένετο)

وغيرها ... وقد استعمل الكاتب اللغة اليونانية الحديثة كي يظهر بوضوح وجهة المسائل وطريقة حلها ج. ل.

Georges Ménutis : L'aristocratie athénienne. *Collection d'études anciennes. Paris*, 1927. *in*-12 *de* 46 *pp. Société d'édition « Les Belles-Lettres »*

سراة أثينا

يبحث مؤلف هذا الكتاب الصغير ، وهو استاذ في جامعة نوشاتل ، في دور السراة وتأثيرهم في أثينا ، فيرى اصدق مثال لذلك في القصائد الهوميرية حيث لا يظهر جمهور السوقة الّا نادراً ، وكثيراً ما يبدو السراة صُلفاء متكبرين ، محتقرين من كان احطّ منهم . على اننا نرى في آثار هيزيدوس ، وتيوغنيس دي ميغار أن للشعب صوتاً يرفعهُ ضدّ اجحاف الاقوياء . ومهما يكن من الامر فان لأشراف أثينا ، على صلفهم واجحافهم ، تقاليد تربطهم الى اراضيهم ، ولهذا فانهم يمتازون بصفة خاصّة بالمحافظة على القديم . وبالاجمال فان هذا العمل يفيد ويلذّ مطالعه ، وقد احسن المؤلف في استخدام مصادره ج. ل.

F.-X. Kortleitner: De Judaeorum in Elephantine-Syene colonia ejusque rationibus cum vetere testamento intercedentibus. (*Commentat. Biblic. II*) 63 *pp.* 8° *Oeniponte, Rauch*, 1927 *M*. 1, 00

بحث عن الجالية اليهودية في اسوان وعلاقتها بالعهد العتيق

هذا بحث نشير بمطالعته على جميع قرّائنا الشرقيين ، وخصوصاً على طلاب اللاهوت منهم ، الذين يرغبون التوسّع في مسائل العهد العتيق توسّعاً لا يساعدهم عليه ، ما بين ايديهم من الكتب المدرسية . وقد عُرف مؤلفه ، وهو احد افراد الرهبنة البرغترية ، بما نشره سابقاً ، باللغة اللاتينية ، عن ديانة العبرانيين ، وديانات الوثنيين ، ومبادئ شرح الاسفار المقدّسة ، والعاديّات المختصة بالتوراة . وهو يلخّص في هذا المؤلّف الجديد كل ما كُتب عن دروج البردي اليهودية ، التي يرقى عهدها الى القرن الخامس قبل المسيح ، والتي اكتُشفت حديثاً في اسوان ، او بالحري في جزيرة اسوان . كان اولئك اليهود يسكنون المحلة

المذكورة قبل ذلك باكثر من قرن ، فتركوا لنا عدداً من دروج البردي مكتوبة كلها باللغة الآرامية الجارية في العهد الفارسي . وبعد ان يلخص المؤلف تاريخ اكتشاف هذه الدروج ، ينتقل الى البحث في الاصل العسكري لهذه الجالية اليهودية . ومن ثمّ يخصّ بالذكر الدروج المتعلّقة بديانة اليهود المذكورين ، فيدرس درساً طويلاً تلك المسألة التي لا شبهة فيها وهي انهُ كان لهؤلاء اليهود هيكل يعبدون فيه יהו (ياهو) وبعض آلهة الوثنيين ايضاً . وينتهي بان يسأل كيف كان يمكن ان تتفق بناية هذا الهيكل ، الذي هدمه المصريون ، مع الشريعة القائلة بوحدة الهيكل في اسرائيل . ويضيف الى ذلك بعض صفحات عن اقسام رواية أخيقار ، مع جدول بالمآخذ

Georges Goury : Origine et Evolution de l'Homme. 124 *illustr. dans le texte*, 18 *pl. hors texte* – *Aug. Picard, Paris*

اصل الانسان وتطوّره

سيتبع المؤلف هذا الجزء المخصص لعلم الآثار السابقة للتاريخ ، بمجلد ثانٍ يدرس فيه الطور الظرّاني الحديث وهو يبدأ منذ الآن بالبحث في اوليّاته اي بالمصريين التارديناوازي (tardénoisien) والازيلي (azilien) . وان هذا الكتاب الجامع لاحدث الآراء في علمه يكفي المتمدنين مؤونة البحث في كتب الاختصاصيين الكبيرة ، وكذلك طريقة فنه الفسيحة والدقيقة معاً ، فانها لازمة لكل من يميل للتفتيش عن الكنوز الظرّانية القديمة الوافرة في مغاور لبنان وسورية ، وينابيعهما ، واوديتهما . وبدلاً من ان يضيع المؤلف في درس طبقات الارض درساً لا يهمّ الّا المتعمقين من الاختصاصيين او في اطالة التشريحات العظميّة ، يهتمّ خصوصاً بتطوّر الصناعة الاولية فيدرس الظرّان المشغول ، والرسوم ، والنقوش . وهو درس سهل المأخذ ليس فقط على الاختصاصيين ، بل ايضاً على المنقّبين عن الآثار ، ومهندسي البناء والطرق ، وغُواة المجاميع من الاسلحة والادوات الظرّانية . وفضلاً عن ذلك فاننا نرى المؤلف لا يكترث الّا للامور الوضعيّة ، ولا يُشغل فكره ببناء نظريّات تخيّلية ضررها اكثر من فائدتها . وعليه فيمكن للجميع قراءة كتابه بطمأنينة

الاب برجي

J. Kessel: En Syrie, *in*-12 *de* 99 *pp. Kra éditeur, Paris*, 1927

في سورية

زار صاحب هذا الكتاب سورية إبان معارك الثورة الدرزية ، فاختار من بلادنا ثلاثة او اربعة مشاهد ليصفها . ولما كانت اكثر علاقاته مع العسكريين كانت احسن اوصافه فيما يختصّ بهم ، فابان لنا قوة بطشهم وما اظهرته من الشجاعة فرق الهجّانة السورية ، وجيوش الفرنساويين ، والشركس ج.ل

Jul. Ribera: Historia de la Musica arabe medieval y su influencia en la Espanola. (*Coleccion de Manuales Hispania. vol. I. Ser. G.*) *in*-16, 355 *pp. ill.*, 1927, *Madrid, Editor. Voluntad, S. A.*

تاريخ الموسيقى العربية في القرون الوسطى وتأثيرها في الموسيقى الاسبانية

في هذا الكتاب الصغير المنشور للجمهور ، يختصر المستعرب الاسباني المشهور جوليان ريبيرا بحثين علميين كان قد نشرهما عن اصل موسيقى اناشيد الملك الفونس العالم ، وعن الموسيقى الاندلسية في القرون الوسطى الظاهرة في اغاني منشدي اسبانية خاصةً واوربة عامة.

امّا نظريّته فملخّصها ان الموسيقى العربية بعد ان كانت في الطور الابتدائي على عهد شعراء الجاهلية ، ترقّت سريعاً في ايام الامويين مازجةً ما استفادته من الموسيقى الفارسيّة والموسيقى اليونانيّة والرومانية . ولم تكد تدخل هذه الموسيقى اسبانية مع العرب ، حتى اصبحت اصلاً لموسيقى المنشدين والمغنّين من النصارى منذ القرن الثالث عشر . ومن ثمّ انتشرت في فرنسة وايطالية والمانية . فتكون الموسيقى الاوربيّة العصرية مدينة لها بقسم من رقيّها . ويرى المؤلف ان الشرق نفسه تأثّر ايضاً بهذه الموسيقى العربيّة - الاسبانيّة القديمة .

والكتاب وافر اللذة ، ينير عدة مسائل لم تحلّ جميعها الى الآن ، ويهمّ كثيراً شرقنا العزيز حتى انه يستحقّ ان يترجم حالاً الى اللغة العربيّة . وان مجلّتنا مستعدّة للقيام ، بكل سرور ، بنشر هذه الترجمة ، لاسيما اذا باشرها موسيقي سوري عارف باللغة الاسبانيّة . فتأتي في حينها بعد تجربة اول مغنّاة عربيّة وضعها الموسيقي الاستاذ صبرا ؛ وتفيد موسيقيي عصرنا اذ تعلمهم ان الاقدمين من موسيقيي العرب لم يكتفوا فقط بالانغام (mélodie) بل عرفوا

واستعملوا آلة الايقاع (harmonic) ايضاً . فيتمزون متحققين ان مغاة الاستاذ صبرا المضبوطة حسب مبادئ آلة الايقاع الاوربية وافقت، على شكل جديد ، ذاك التقليد الموسيقي القديم الذي لم يبقَ الا ذكره س . ر

Pierre Salet: Omar Khayyam, savant et philosophe. vol in - 12 de 165. p. *Librairie orientale et américaine, Maisonneuve Frères, éditeurs, Paris*, 1927

عمر الخيّام : العالم والفيلسوف

لعمر الخيّام الشاعر والرياضي الفارسي التابغ في القرن الحادي عشر (+١١٢٣) شهرة واسعة في اوربة واميركة حتى بلغ ما طُبع عنه من المنشورات ، باللغات الاوربية ، نحو ١٦٠ كتاباً . اما في لغتنا فرباعياته معروفة بالترجمة الرشيقة التي نشرها في مصر سنة ١٩١٢ السيد وديع البستاني . وقد اختلف العلماء في درس فلسفته وتحليل عقائده : فمنهم من قال انه كان صوفياً يتغنى بالخمر والسكر ، ويقصد العزة الالهية ومحبتها على نحو ما ينسب الى الفارض . ومنهم من ترك كل تخريج صوفي ، وفسّر الرباعيات على معناها الظاهر ، جاعلاً من عمر الخيّام شاعراً خمرياً متنعماً بالحياة قبل فنائها ، متراوحاً ، من حيث المذهب الديني ، بين المادّية والحلولية . وها نحن الآن نرى كتاباً جديداً في نظريّات الشاعر الفلسفيّة والعلميّة ، كتبه عالم فلكي في مرصد باريس ، ولا يخفى ان عمر الخيام كان عالماً فلكياً وكان له مرصد مهم في عصره . يبدأ الكتاب بدرس في الرباعيات ونسخها المختلفة ، وترجماتها . ثم يذكر اهمها ، مقسمةً على تسعة ابواب مراعاةً لتقسيم الفرس للسموات الى تسع طبقات . وقد بحث فيها الكاتب ، مستنداً الى اقوال الشاعر ، عن آرائه في الله ، والحبّ ورموزه ، ومظاهر الدين ، « والقلم ولوح القضاء » وتشاؤم الخيّام ، والخليقة ، ودولاب السموات ، والشرة الازلية ، ومذهب الحلول عند الصوفيين . يلي ذلك ملحقان فيهما بحث عن قيمة الخيّام من علم الفلك ، واصحّ مظهر لها اصلاح التقويم المعروف بالتقويم الجلالي ؛ ودرس في كتاب الجبر المنسوب اليه والذي ترجمه المستشرق ويكه (Woepcke) ونشره سنة ١٨٥١ . والكتاب حسن الاسلوب ، ملذّ المطالعة ، يكاد يخلو من التطرّف في النظريّات ف . ا . ب

J. de Ghellinck S. J: Les Franciscains en Chine aux XIII° et XIV°s. (*Ambassadeurs et Missionnaires*) — *Xaveriana, série n° 42 et 44. Museum Lessianum, Louvain*, 1927

الفرنسيسكان في الصين في القرنين الثالث عشر والرابع عشر

لا شيء اروح للنفس من مشهد الجهود المديدة التي بذلتها الكنيسة لارشاد الشرق الاقصى ، في زمن كان يتقصه كل ما نحسبه اليوم لازماً . وقد قامت في ذاك العصر رهبانية القديس فرنسيس باعباء هذا العمل الشاق ، فنالت شرف السبق . غير ان آمال اوربة في استمالها المغول ضدّ الاتراك لم تلبث ان خابت . ولم يبقَ من مساعي اولئك السفراء الا آثار صفات المرسلين من الوعظ والارشاد . ولكن عمل هؤلاء الابطال كان سريع الاضمحلال ، فلما وصل خلفاؤهم الى الصين كان ذكرهم وآثارهم قد محيت بكاملها . اما انشاء الكتاب فلطيف رشيق ج . ل

Dr B. Liber: L'enfant et nous, *traduit de l'américain par* **Louis Postif.** *vol. in-12; Prix 12 f. Paris, Jean Clar, éditeur*

نحن والولد

مؤلف هذا الكتاب من اعداء الدين المجتهدين في ثلم صروحه ، وهو يعتبر كل العقائد الدينيّة خرافات لا طائل تحتها . فنفهم اذاً كيف تُرجم كتابه الى اللغة الفرنساوية . اما ما يسميه « بالتربية العقلية » فطريقة خالية من كل مظهر ديني . وهو يعرض بعض النصائح المفيدة الناتجة عن اختبار طويل ، على ان المبدأ الذي يبني عليه طريقته فاسد فلا يقوى على حفظها ثابتة ج . ل

Madame Francisque Gay et Louis Cousin, marianiste : Comment j'élève mon enfant. *Puériculture, éducation, enseignement jusqu'à 7 ans. vol. in-12, illustré, pp. 677. Paris, Bloud et Gay.* 1927

كيف اربي ولدي

اشترك في تأليف هذا الكتاب امّ عالمة ، وكاهن وطبيب ، فاتى جديداً تامًّا في نوعه . وهو يُقسم الى ثلاثة اقسام : العناية بالاعقاب ، وتربيتهم ، وتهذيبهم . وفي معرض كل قسم تصل المباحث الى التفصيلات الدقيقة . مما يجعل هذا المؤلف جديراً بانتباه الامهات الشابات ، اذ لا يمكن للانسان ان يأمل خيراً منه . ج . ل

Dr D'Espinoy: La psychothérapie du Dr Vittoz. *Prix 2 f. Paris, Téqui*

طريقة الدكتور فيتوز في الشفاء بالتأثير العصبي

يقدم المؤلف هـذا الكتابَ الصغير لجميع الـذين يلاقون ، من حالتهم العقليَّة والعصبيَّة ، عقبات شديدة في سبيـل حسن سلوكهم . وان الانسان ، اذا تحقق صعوبة السيطرة على الشهوات عند الرجل العادي ، يفهم كم تكون عديدة وقوية تلك الصعوبات عند من كان مضطرب الاعصاب ، مُضعضع الارادة ، فهو يقول : ان القوى تنقصني . اما الحقيقة فانه لا يُحسن استعمال ما بقي له من القُوى . وهو امر يقرّره هـذا الكتاب بتطبيقه طريقة الـدكتور فيتوز وقوامها : إعادة تهذيب الراقبة على الاعصاب . وهي فلسفـة عملية لها كثير من النفع في الحياة ج . ل

عصر المأمون

بقلم الدكتور فريد رفاعي المفتش بوزارة الداخليَّة

مطبعة دار الكتب المصرية ١٣٤٦ هـ - ١٩٢٧ م ثلاثة مجلدات من القطع الكبير

ان عهد الملك فؤاد الاول لهو عهد نهضة وعلم ونشاط نال فيه فن التاريخ حظه من التجدّد ؛ وما الكتاب الذي نعرض وصفه للقراء الا زهرة من زهوره وثمرة من اثماره . قال فيه صاحبه ، تواضعاً واحتشاماً ، انه « محاولة » لكتابة التاريخ العربي ، لكنه في الحقيقة مشروع عمارة وتجديد بناية ، يقيم البنـاء دعائمها على « النظم العلمية الحديثة » من غير ان يتقيّد بالتقاليد القديمة « وانت تعلم ان تاريخنا العربي ، لا يزال بلا مغالاة ولا اغراق ، تعوزه شتى المصادر كما يعوزه التنظيم والترتيب والتحقيق والاستقراء »

قال المؤلف في عصر المأمون انه « ازهى عصورنا الاسلاميَّة » (وجه ٢٧٢) فاشاد بذكر امجاده بعبارة انيقة ، ولغة سلسة ؛ وبعث فيمن يمثلون فيه ادوارهم روحاً ، فاحياهم على مسرح كتابه . وقد عدل عن بيان المصادر والمراجع في نهاية كل صحيفة اشفاقاً منه على عامة القراء من الارهاق . ذلك ما تأسف له الخاصة لولا وجود تلك المصادر والمراجع في مجلدين (هما الثاني والثالث وعدد

صفحاتها يناهز ٧٥٠) وفيها من النماذج والآثار ما أتى مجموعة ادبية سياسية تاريخية ثقة اوقفتنا على احوال العصر المأموني ، بل على العصر العباسي الاول ؛ لان المؤلف وضع لعصر المأمون مقدمة مسهبة تناول فيها الكلام ، ليس فقط عن التاريخ السياسي في ايام سلفائه ، ولكن عن الخلفاء الامويين وعن الراشدين عهد عز وبهاء ! ولكنه عصر حروب اهلية ، وجرائم فظيعة . وقد اقرّ بها المؤلف . فانك اذا قرأت تفاصيل تلك الحوادث الهائلة والخيانات (وجه ٢٦٧ وما بعده ؛ وجه ٣١١ وما بعده) لا تلبث ان ترغب عن ايامها متمنياً الا تعود ابداً . اذ لا يمضي زمان الا والخلفاء يقتالون وزراءهم ، ثم يأمرون بقتل القتلة لعلهم يمحون آثار اثمهم ونكثهم العهود ، ومن هؤلاء الخلفاء المأمون ذاته « الوديع ، الحليم » و« قد انتشرت السعايات والدسائس في ذلك العصر انتشاراً مريعاً » جاء عن المأمون (وجه ٣٢٧) « انه كان يحب سماع اخبار الناس حتى جعل برسم الاخبار ببغداد الف وسبعمائة عجوز . فتأمل جاسوسية العصر التي لا تستبعد البتة ان كانت لها ادارات خاصة ! »

فلذلك عسير على القارئ ان يفهم تحمس المؤلف للعباسيين ، وسوء ظنه بالامويين ، ولم يبلغ هؤلاء من اغتيال وزرائهم وقاتليهم ما بلغه اولئك . فان من كان يُدعى فجأة الى الامويين لم يكن يدخل عليهم «متكئاً متحنطاً» كما كان الدخول على العباسيين (وجه ١٠٧)

هذا وان الوقائع تتناوب ، في الكتاب ، كما يتناوب نور الشمس وفيئها فيزيد المناظر بهاء . لان الحوادث السياسية مسرودة اخبارها بين احاديث المنتديات الادبية في مجلس الخليفة ومحاضر الحكماء والادباء ، فيروق القارئ وصفها ويمتع عنه الملل

وقد كتب المؤلف (وجه ٢٨٨ في السطر ١٠) اسم باربيه دو مينار (Barbier de Meynard) كما لو كان اسم شخصين ، انما هو اسم مستشرق واحد . وقال في نعمان بن بشير انه في طليعة شعراء العلويين (وجه ٦٨ ، سطر ٤) وان في قوله لعجباً . لان بشير « كان كبيراً اثيراً مكيناً عند معاوية » الاول كما يشهد على ذلك المؤلف نفسه (المجلد الثاني وجه ١٦٤) . ه.ل

الوضيعة في الحكمة الخلقية

تأليف الدكتور سليمان غزاله

دار المطبعة الحديثة في بغداد ١٩٢٧ م ١٣٤٦ ه

اهدى الينا نائب البصرة الكتب الاربعة التي وضعها صلة لما كتبه في الحكمة الخلقية : الكتاب العاشر يبحث في ﴿ الاقتصاد السياسي ﴾ وفوائده وشروطه وانواعه . والكتاب الحادي عشر في ﴿ الادب النظري العمومي ﴾ وسننه ، وقواعده الاولية ، فينتهج منها مسالك للتعمق في درس الضمير واصول التمييز بين الخير والشرّ ، واستقراء علل الفضائل والاهواء والنظر في الفرض والحق والعدالة والمحبة وامضاء السنة الادبية ؛ ويذكر من ثمّ المذاهب الادبية المختلفة فيرد عليها . والكتاب الثاني عشر يعالج ﴿ المعضلة الادبية ومزاولة حلها تاريخيًا ﴾ فيمرّ بالاعصر القديمة والحديثة الى يومنا ويستقصي الشرق والغرب في امرها ويروي آراء الفلاسفة في هذا الكتاب ولا يكاد يبت حكمه فيها. وقد اضاف المؤلف العالم الى هذه المجلدات الثلاثة كتاباً آخرًا دوّن فيه شعرًا آراءه ﴿ في الحب البشري ﴾ ف . ت

الثورة الفرنسية ونابوليون

تأليف محمد صبري

مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة ، وسط ص ٣٠٤

برز هذا الكتاب الى النور فجاء دليلًا على ان جمهور الادباء من قراء العربية اخذوا يهتمون بتاريخ الغرب . عنوانه : الثورة ونابوليون ، وهما جزءان متعادلان ثانيهما حقيق بالثناء كل الثناء . اما الاول فحري بان يمق بعين التروي والتحفظ . لان الحقيقة لا تظهر فيه الا عن طرف من اطرافها وقد استقاها المؤلف من موارد المؤرخين المجاهدين في سبيل الثورة ، ولم يدرِ ان مؤلفات جليلة غيرها قد وضعت في هذا الصدد ومنها تاريخ لاغورس (La Gorce) فسخط على فظائع الثورة الجسيمة سخط الحليم المعتدل وبالغ في تسويد صفحة

العهد السابق وقبح افراطه وغالى. قال (ص ٢٧) « كانت ابواب الوظائف في الحكومة موصدة في وجه البروتستانت واليهود » وفاته ان نكر (Necker) وزير المالية الشهير في ايام لويس السادس عشر كان بروتستانتياً. على ان للكتاب محامد، وقد زادها رونقاً وفائدةً ما يتخلله من رسوم متقنة. وهو واضح الاسلوب سهل المطالعة، فياض بالفاظ جديدة تعرب عن المعاني الجديدة التي اذاعتها الثورة في الناس فحاز بها السبق على المعاجم م . ل

هدايا ارسلت الى المشرق

— ادب وتاريخ — تأليف محمد صبري الحائز لدكتوراه الدولة في الآداب مع الشرف من السربون، استاذ التاريخ الحديث بدار العلوم. الطبعة الثانية، مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٢٧ — سبق المشرق ووصف هذا الكتاب في العام السابق (وجه ٦٧٦)

— المرحوم الطيب الاثر السيد مصطفى الحسيني — هي لمحة في حياته يتلوها خطاب القاه انقى واصاف كرم القرطباوي ساعة دفنه

— سورية ولبنان في اعتبار جريدة الطان — نشرة للجمعية اللبنانية في القاهرة، ١٠ فبراير سنة ١٩٢٨

— الخالدات — مجلة شهرية اصاحبها الخوري ايليا الحاماتي والارشمندريت انطونيوس بشير، كانون الثاني ١٩٢٨، مطبعة جريدة الحرية في ديترويت ميشيغان (الولايات المتحدة)

— الحكمة — مجلة دينية ادبية تاريخية اخبارية. صاحب امتيازها المطران فوريس ميخائيل انطون، ومحررها مراد فرّاد حتي — مطبعة بيت المقدس، القدس

— مجلة التربية والتعليم — مؤسسها ابو خلدون ساطع الحصري — بغداد — مطبعة دار السلام

انشاء التاسعة عشرة (١٩٢٨-١٣٤٦) من قائمة المطبوعات والكتب الموجودة في — مكتبة العرب — لصاحبها الشيخ يوسف توما البستاني — مصر

— جامع التصانيف الحديثة — اسلاديب يوسف اليان سركيس صاحب المكتبة المعروفة باسمه. مصر

اهمّ حوادث الشرق في شهر

١٦ شباط — ١٥ آذار

الاب لويس معلوف اليسوعي

شباط

١٦ : نشرت جريدة فلسطين الرسمية شروط الاتفاق بين الحكومة الفلسطينية وشركة المواصلات الجوية في لوندرة على نقل البريد الجوي الى فلسطين وفيها ومنها — انتشر الجراد في بعض الاراضي العراقية الفلسطينية — اتخذ المفوض السامي الفرنسي قراراً بان لا يسافر الحجاج في البلاد المشمولة بالانتداب منفردين وان يسير نقلهم براً او بحراً بواسطة شركات تعطى امتيازاً بذلك

١٧ : استدعي الى العراق مزاحم بك وزير العراق المفوض في لندرة . وعين خلفاً له جعفر باشا الذي استقال من رئاسة الوزارة العراقية على اثر اعلان المعاهدة المعقودة بين بريطانية والعراق

١٨ : اعتقل في الاستانة فكري بك نائب يلد جك ورئيس الماسونية التركية بامر الحكومة العليا — تقرر ان يعطى المهندس الوطني انطون افندي سليم النحاس جائزة مالية قدرها ١٠ آلاف فرنك لوضعه افضل تصميم لبناية المتحف اللبناني

٢٠ : أعلن في جريدة فلسطين الرسمية ان النقود المصرية من ذهب وفضة ونكل وورق لا تعتبر عملة قانونية في فلسطين بعد اليوم الحادي والثلاثين من شهر آذار ١٩٢٨

٢١ : اصدر رئيس الجمهورية اللبنانية مرسوماً يقضي بتأليف المجمع العلمي اللبناني وبعين اعضاءه وهم بحسب ترتيب الحروف الهجائية :

الشيخ عبدالله البستاني . الشيخ امين تقي الدين . الشيخ محمد الحسيني . الاستاذ بولس الخوري . غبطة البطريرك انطونيوس افرام الرحماني . الشيخ عبد الرحمن سلام . الخوري بولس عبود . الشيخ منير عسيران . وديع افندي عقل . الياس بك فياض . الشيخ احمد عمر المحمصاني . عيسى افندي اسكندر معلوف . الاب لويس معلوف . الشيخ حسين منيه . الشيخ ابراهيم منذر — أقرت اللجنة الفرعية من لجنة الاوقاف في مجلس النواب المصري منع الوقف الاهلي في المستقبل بتاتاً واقرت حل الاوقاف الاهلية الموجودة

٢٢ : اطلق الوهابيون الرصاص على الضابط الطيار الانكليزي هلتون جاكسون وهو قائم بالاعمال الحربية ضد القبائل فاردوه قتيلاً ودمروا الطيارة التي كان فيها . وقد هاجموا قبائل الجوادين فخسروا ٦٠٠ قتيلاً و ٢٠٠ جريح . اما خسارة العراقيين فتزيد على ذلك — استقال الامير محمد علي من منصب الاستاذ الاعظم للمحافل الماسونية المصرية التي كانت برئاسته

٢٣ : وصل الى بيروت مسيو روبر ده كاي مندوب فرنسة في لجنة الانتدابات لدى

جمعية الامم – يُقال ان قوى الوهابيين وصلت الى قرية تبعد ثلاثة ايام عن معان ، وقد تحركت سبع دبابات و ٢٢ طيارة لصد هجماتهم

٢٤ : اخذ رجال الشرطة في دمشق يطاردون المتطرين في رمضان فقبضوا على عدة اشخاص كانوا يأكلون او يدخنون وساقوهم الى السجون مخفورين

٢٥ : شرع ورثة السلطان عبد الحميد في رفع قضية امام محاكم الاستانة على الحكومة البريطانية يطالبونها بان ترد اليهم ممتلكات مورثهم في بغداد وقبرس والموصل – ثارت عاصفة ثلج شديدة على الاستانة وتراقية وبلغ البرد حدًا لم يبلغه منذ سنة ١٨٩٦ وتعطل سير السفن في البحر الاسود وبحر مرمره

٢٦ : احتفل في كنيسة الاباء اليسوعيين في بيروت بسيامة السيد جرجس كورتيكيان مطرانًا على ابرشية حلب للارمن الكاثوليك

٢٧ : اقرت الحكومة البولشفية استعمال الحروف اللاتينية في كتابة اللغات الروسية ومتفرعاتها التي يتكلمها شتى الشعوب القاطنة في الجنوب الشرقي من روسية

٢٨ : باتت جزر البحرين في خليج العجم مدار نزاع شديد بين ايران وبريطانية العظمى

٢٩ : تزداد العلاقات توترًا بين مصر وانكلترة بسبب مشروع المعاهدة الذي اقترحته انكلترة بعد المفاوضات التي جرت بين ثروت باشا ومستر تشمبرلين لاجل التوفيق بين مصالح الامتين

اذار

١ : تطبق منذ الان في الدول المشمولة بالانتداب الفرنسوي الاتفاقية البريدية المعقودة من مدة قريبة مع فرنسة . وبموجب هذه الاتفاقية تستوفى عن الحوالات والمراسلات البريدية المبعوث بها الى فرنسة ومستعمراتها او الواقعة تحت حمايتها الرسوم والاجور التي تستوفى في داخلية سورية ولبنان – يقدرون في البصرة ان السلاح الجوي الانكليزي قتل في الخمسة عشر ايام الاخيرة ٨٠٠ من « الاخوان » الغزاة

٢ : صدر قرار العفو في سورية عن كل من فوزي بك البكري ونسيب بك البكري واسعد بك البكري ومحمد كامل الخراط المحكوم عليهم بالاعدام ، وأعفي فك الحجز عن املاك ٢٠٠ شخص من الذين شملهم العفو واخذ سكان دمشق يستعدون لاستقبال آل البكري استقبالًا عظيمًا

٣ : انتهت المفاوضات التي كانت جارية من شهر ايار سنة ١٩٢٦ بين الحكومة المصرية من جهة والمفوضية الفرنسوية بالنيابة عن حكومتي لبنان وسورية من جهة اخرى بشأن الاتفاق التجاري الذي يراد عقده بين الفريقين وتكون قاعدته « التعامل بالمثل » . وسيعرض مشروع الاتفاق على المجالس النيابية لتصديقه قبل التنفيذ

٤ : باتت الكويت في حالة قلق وهياج عظيمين بسبب ما يأتيها من اخبار البادية حيث تتأهب القبائل لهجوم عظيم تكون الكويت هدفه

٥ : اصدر المفوض السامي قراراً يتعلق بتنظيم المحاكم في سورية جاء فيه ان المحاكم تتألف من قضاة سوريين ، وان قاضياً فرنسياً يرئس المحكمة عندما تنظر في دعوى يكون فيها الخصوم او احد الخصوم من التبعة الاجنبية ، واذا طلب احد المتخاصمين الاجانب ان تكون المحكمة مؤلفة من قضاة اكثريتهم فرنسويون تؤلف المحكمة وفقاً لطلبه . ويراد بالاجانب هنا الذين اشتركت دولهم في معاهدة لوزان — كشف الاستاذ فرث آثاراً هامة في سقارة

٦ : بعد تقديم المذكرة المتضمنة رفض المعاهدة البريطانية قدم ثروت باشا رئيس الوزارة المصرية استقالته وظل مصراً عليها برغم الحاح الملك فؤاد عليه بالرجوع عنها

٧ : كان جواب انكلترة على رفض مشروع المعاهدة بلاغاً فحواه ان الحكومة البريطانية لا تسمح بسن قوانين او اصدار اوامر يكون من شأنها اضعاف السلطة التنفيذية في البلاد او عرقلة اعمال الحكومة البريطانية في المحافظة على الاموال والارواح وعلى مصالح الاجانب في مصر ، وانما تحتفظ بامور الجيش المصري ومراكز الضباط البريطانيين فيه وسلطتهم

٨ : وافق مجلس جمعية الامم على دعوة تركية الى اللجنة التمهيدية لمؤتمر نزع السلاح

٩ : توجه الشيخ تاج الدين الحسني رئيس الحكومة السورية الى بكركي لزيارة غبطة السيد البطريرك الماروني — احتفلت جمعية « التعاون الفكري » في دولة لبنان بافتتاح جلساتها الرسمية — اجتمع اعضاء المجمع العلمي اللبناني في وزارة المعارف فتصدر جلستهم رئيس الوزارة اللبنانية وانتخبوا الشيخ عبدالله البستاني رئيساً والاستاذين وديع عقل والشيخ محمد المحمصاني معاونين واناطوا الرئاسة الفخرية بصاحب الغبطة البطريرك اغناطيوس افرام رحماني الثاني

١٠ : وصل الى القاهرة مسيو هانوتو الوزير الفرنسي الشهير

١١ : سافر وزير الخارجية التركية الى جنيف لتمثيل تركية في اللجنة التمهيدية لمؤتمر نزع السلاح

١٢ : وافق المجلس النيابي اللبناني على تأجيل انتخاب المختارين واعضاء البلدية في بيروت وطرابلس

١٣ : استقبل ملك افغانستان وملكتها استقبالاً حافلاً باهراً في العاصمة الانكليزية

١٤ : وصلت الى بورسعيد الاميرة ماري كريمة ملك بريطانية العظمى ومعها الفيكونت لاسل قرينها

١٥ : وصلت نجدات عسكرية الى الكويت وباشرت حفر الخنادق للدفاع

المشرق

رسالة الحبر الاعظم

واتحاد الكنائس

بقلم الاب انطون صالحاني اليسوعي

في عيد الفطاس من هذه السنة ١٩٢٨ ، نشر قداسة الحبر الاعظم رسالة عامّة في الوحدة الدينيّة الحقيقية اشرقت كالشمس في ليل مدلهمّ فبدّدت الظلام وانارت العقول

اتت هذه الرسالة في انسب وقت ، بعد تلك الضجة التي احدثتها مسألة « كتاب الصلوات » الانكليكاني واتصل صداها الى اقصى المعمور ؛ وعقيب المؤتمرات العديدة التي عقدها البروتستانت في انحاء شتى ليوجدوا شيئاً من الوحدة الدينية بين جميع الكنائس ، فلم يهتدوا الى الطريق المؤدية الى الوحدة المرغوب فيها ، وحدة الايمان التي بدونها لا يمكن ان تكون وحدة

اذا ألقينا نظرًا عموميًا على العالم المسيحي ، رأينا الكنيسة الكاثوليكية متمتعة بالوحدة الكاملة في الايمان ، والاسرار ، والرئاسة . فالكاثوليك اينما وُجدوا ، وهم ثلاثماية وخمسون مليوناً منتشرون في كل اقطار العالم وفي جميع الممالك ، يتلون بكل اللغات قانون الايمان ذاته ، ويقبلون الاسرار ذاتها ، وينقادون لرئيس واحد يعتبرونه نائب المسيح على الارض ، ومعلّم الكنيسة جمعاء في ما يخصّ الايمان والآداب

واذا نظرنا الى الكنائس الغير الكاثوليكية ، تحققنا انهُ ليس لها وحدة تجمعها في الايمان ، ولا في الاسرار ، ولا في الرئاسة . فايمان اللوثراني يختلف عن ايمان الكلويني ، وعن ايمان الانكليكاني . وهكذا القول عن سائر الكنائس البروتستانية التي لا يحصيها عدّ . ويوجد بين اعضاء الكنيسة ذاتها اختلاف جوهري في المعتقد اذ ان كلًّا منهم يفهم الكتاب المقدس كما يُلهمه ، على زعمه ، الروح القدس . والكتاب المقدس هو عندهم الركن الوحيد للايمان دون التقليد . ومن هنا نشأت الاختلافات وتعددت الشيع في الكنائس البروتستانية ، فهي أشبهُ بحجر رَملي تكسَّر وتفتت وانحلّ وصار تراباً تذريه الرياح

امّا الكنائس الشرقية المنفصلة عن الكنيسة الكاثوليكية فانها مع رفضها بعض الحقائق التي تؤمن بها الكنيسة الكاثوليكية كانبثاق الروح القدس من الآب والابن (١) ، ورئاسة الحبر الاعظم على الكنيسة (٢) ، وحقيقة المطهر ، وسعادة نفوس القديسين قبل الدينونة العامّة ، تُحافظ على مُعظم الحقائق التي تؤمن بها الكنيسة الكاثوليكية كسرّ الافخارستيا ، وذبيحة القدّاس ، ووجود السيّد المسيح حقيقةً تحت اعراض الخبز والخمر ، وسرّ التوبة لمغفرة الخطايا للتائبين بالاعتراف الصادق للكاهن المفوّض ، والتقليد احد ركني الايمان ، ودوام الكهنوت الخ . فهذه الكنائس ، بمحافظتها على هذه الحقائق ، تشهد للكنيسة الكاثوليكية ضدّ شيع البروتستانت وتحكم عليهم . فما دامت الوحدة غير موجودة في العقائد الايمانية ، والطاعة للرئيس المقام من السيد المسيح لترعى جميع خرافه وغنمه ، عبثاً تُطلب الوحدة بين الكنائس

ان السيد المسيح قبل صعوده الى السماء رتّب الكنيسة في كل اركانها الجوهرية . فأسّس كنيسة واحدة لا كنائس متعدّدة « انت الصفاة وعلى هذه الصفاة سأبني كنيستي » (متى ١٦ : ١٨) لم يقل كنائسي بل كنيستي . وهذه الكنيسة الواحدة هي جماعة منظورة مؤلفة من البشر فلا بدّ لها ، كسائر الجماعات

١) راجع مقالتنا في انبثاق الروح القدس ، في كتابنا الحقائق اللازمة في الكنيسة الجامعة
٢) راجع في الكتاب ذاته مقالتنا في رئاسة القديس بطرس

البشرية، من رئيس واحد منظور يحفظ فيها وحدة الايمان والسلطة. وهذا الرئيس هو بطرس الرسول وخلفاؤه. وقد سبق السيد المسيح ولقبه كيفا(١): «انت سمعان ابن يونا انتَ تُدعى كيفا الذي تفسيره الصفاة» (يوحنا ١: ٤٢)، «سأعطيك مفاتيح ملكوت السماوات فكلُّ ما ربطته على الارض يكون مربوطاً في السماوات وكلُّ ما حللته على الارض يكون محلولاً في السماوات» (متى ١٦: ١٩) «صلّيتُ من اجلك لئلا ينقص ايمانك وانت متى رجعت فثبّت اخوتك» (لوقا ٢٢: ٣٢) «ارعَ خرافي ارعَ غنمي» (يوحنا ٢١: ١٥ – ١٧)

وهذه الكنيسة لها غايتها المعيّنة من السيد المسيح، وهي تعليم كل الامم ما علّمه المسيح للرُسل والاهتمام بخلاص النفوس «اذهبوا الآن وتلمذوا كل الامم... وعلموهم ان يحفظوا جميع ما اوصيتكم به» (متى ٢٨: ١٩و٢٠) «اذهبوا الى العالم اجمع واكرزوا بالانجيل للخليقة كلها فمن آمن واعتمد يخلص ومن لم يؤمن يُدان» (مرقس ١٦: ١٥و١٦)

ولهذه الكنيسة ليتورجيتها المقدسة التي مدارها على سرّ الافخارستيا، وقد وعد به السيد المسيح في كفرناحوم، ورسمهُ في العشاء السرّي ليلة موته: «انا الخبز الحيّ الذي نزل من السماء ان اكل احد من هذا الخبز يحيا الى الابد والخبز الذي سأعطيه انا هو جسدي لحياة العالم... جسدي هو مأكل حقيقي ودمي هو مشرب حقيقي» (يوحنا ٦: ٥١و٥٢و٥٦)، «خذوا كلوا هذا هو جسدي» (متى ٢٦: ٢٦)، «اشربوا من هذا كلكم لانَّ هذا هو دمي للعهد الجديد الذي يُهراق عن كثيرين لمغفرة الخطايا» (متى ٢٦: ٢٧و٢٨)

ولهذه الكنيسة ذبيحتها الطاهرة تُقدَّم لله على الدوام لكي بواسطتها تخصّص المؤمنين النعم التي استحقّها لنا يسوع المسيح بموته على الصليب «من مشرق الشمس الى مغربها اسمي عظيم في الامم وفي كل مكان تُقدَّم وتُقرَّب

---

(١) كيفا بالسريانية الكلدانية، وكانت لغة السيد المسيح، معناها الصفاة اي الصخرة، وباليونانية πετρα وباللاتينية (Petra) «بترا». ومنها أُخذ الاسم (Petrus) بطرس، في هيئة العَلَم المذكّر «وجعل لسمعان اسم بطرس» (مرقس ٣: ١٦)

لاسمي تقدمة طاهرة لان اسمي عظيم في الامم قال ربّ الجنود » (ملاخي ١ : ١١) ، «اصنعوا هذا لذكري» (لوقا ٢٢ : ١٩) ، « كلما اكلتم هذا الخبز وشربتم هذه الكاس تخبرون بموت الربّ الى ان يأتي (١ كور ١١ : ٢٦)

ولهذه الكنيسة ايضاً نظامها الاساسي الكهنوتي : « انتم جسد المسيح واعضاء من عضو . وقد وضع الله في الكنيسة اناساً اولاً رسلاً ثانياً انبياء ثالثاً معلمين . . . » (١ كور ١٢ : ٢٧ و ٢٨) . « وهو (المسيح) الذي جعل بعضاً رسلاً وبعضاً انبياء وبعضاً مبشرين وبعضاً رعاة ومعلمين لاجل تكميل القديسين ولعمل الخدمة وبُنيان جسد المسيح » (افسس ٤ : ١١ و ١٢) . « بعث (بولس) الى أفسس فاستدعى كهنة الكنيسة . . . احذروا لانفسكم ولجميع القطيع الذي اقامكم فيه الروح القدس اساقفة لترعوا كنيسة الله» (اعمال ٢٠ : ١٧ و ٢٨)

وهذه الكنيسة لم يؤسسها السيد المسيح لامّة واحدة ولعصر واحد بل لجميع الامم ولكل الازمنة «تلمذوا كل الامم . . . ها انا معكم كل الايام الى منتهى الدهر » (متى ٢٨ : ١٩ و ٢٠) . فليست اذاً خصوصية أو وطنية ، بل جامعة كل الامكنة والازمنة والشعوب . ويلزم ان تبقى الآن وفي المستقبل كما كانت على عهد الرسل في اركانها الجوهرية التي رتّبها السيّد المسيح منشئها لانها ضرورية لخلاص جميع البشر

قال قداسة الحبر الاعظم مبيناً ماهيّة الكنيسة الحقيقية التي أسسها السيد المسيح : « الكنيسة جماعة منظورة ، يعني انهُ يجب ان تظهر كجماعة من المؤمنين متفقين في الاعتقاد بتعليم واحد تحت سلطة معلم واحد وادارة واحدة » . وقال ايضاً : «ان المسيح أسس كنيسته كجماعة كاملة ، من طبيعتها ان تكون ظاهرة منظورة ، تواصل في قابل الايام عمل فداء الجنس البشري بادارة رئيس واحد(١ بساطة التعليم الشفهي (٢ ، وبتوزيع الاسرار ينابيع النعمة السماوية (٣ . لذلك شبّهها في الامثال بمملكة (٤ وبيت(٥ وبحظيرة(٦ وبقطيع (٧ . فهذه الكنيسة

١) متى ١٦ : ١٨ و ١٩ ولوقا ٢٢ : ٣٢ ويوحنا ٢١ : ١٥ – ١٧ ٢) مرقس ١٦ : ١٥
٣) يوحنا ٣ : ٥ و ٦ : ٤٨ – ٥١ و ٢٠ : ٢٢ وما يلي . ومتى ١٨ : ١٨ وما يلي
٤) متى ١٣ ٥) متى ١٦ : ١٨ ٦) يوحنا ١٠ : ١٦ ٧) يوحنا ٢١ : ١٥–١٧

التي تأسست ذلك التأسيس العجيب لم يكن من الممكن ان تنتهي وتضمحل بموت مؤسسها والرسل الذين كانوا اول من نشروا الدعوة اليها، اذ قد عهد اليها ان تقود الى الخلاص الابدي الناس كافةً من غير اقلّ تمييز ما بين الازمنة والاماكن : « اذهبوا الآن وتلمذوا كل الامم » (١ . فهل من الممكن ان تُحرَم الكنيسة شيئاً من القوّة والتوفيق للقيام بهذه المهمة الدائمة في حين ان المسيح نفسه يمنحها مساعدته الدائمة بناء على ذلك الوعد الشهير «ها انا ذا معكم كل الايام الى انقضاء الدهر» (٢ اذن لا بدّ من ان تبقى الكنيسة كما كانت في عهد الرسل اليوم وفي كل زمان »

فمثل هذه الكنيسة الواحدة الرسولية الجامعة لا يتحقّق وجودها الّا في الكنيسة الكاثوليكية الرومانية . فانها وحدها تعلّم تعليم الرسل ، وهي ايضاً واحدة في ايمانها واسرارها وسلطتها . وهي جامعة لانها تمتدّ الى كل الازمنة والامكنة ، وتجمع ضمنها من كل الشعوب واللغات والطقوس من عهد الرسل الى الآن والى منتهى الدهر لان السيد المسيح اكّد ان « ابواب الجحيم لن تقوى عليها » (٣ . امّا الكنائس الغير الكاثوليكية فانها تضادّ في تعليمها تعليم الرسل وليست كنائس جامعة ، ولا وحدة تربطها في الايمان ولا في السلطة ، بل هي كنائس خصوصية ووطنية ومنقسمة بعضها عن بعض . فهي نسطورية او يعقوبية او لوثرانية او كالوينية او انكليكانية الى غير ذلك من الشيع التي لا تُحصى

انّ البروتستانت ، ونعني المحافظين منهم على شيء من الدين ، قد انتبهوا في السنين الاخيرة واستيقظوا من غفلتهم وعرفوا ان كنيستهم ، او بالحري كنائسهم ، ليست كما كانت في ايام الرسل وفي اوائل النصرانية ، وانهم فقدوا الوحدة التي ارادها المسيح وجعلها من مميزات كنيسته وبرهاناً على ارساليته الالهية . لانهُ في خطابه لتلاميذه في العشاء السرّي عندما صلّى الى ابيه طلب لهم هذه الوحدة

---

١) متى ٢٨ : ١٩ . ٣) متى ١٦ : ١٨

٢) متى ٢٨ : ٢٠

فقال : « ليكونوا باجمعهم واحداً كما انت ايها الآب فيَّ وانا فيك ، ليكونوا هم ايضاً واحداً فينا حتى يؤمن العالم انك انت ارسلتني » (يوحنا ١٧ : ٢١) . وقوله ايضاً : « بهذا يعرف الجميع انكم تلاميذي إذا كنتم تحبُّون بعضكم بعضاً » (يوحنا ١٣ : ٣٥)

فاذ تحقق البروتستانت انهم فقدوا الوحدة واختلفوا تماماً عن الكنيسة الرسولية ، صمموا النية على ان يُوجدوا نوعاً من الوحدة بين جميع الكنائس الكاثوليكية والاورثذكسية والبروتستانية على اختلاف معتقداتها . هذا ما قصدوه في مؤتمر استُكهُلم عاصمة السويج حيث اجتمع ، من ١٩ الى ٣٠ آب ١٩٢٥ ، ستمائة مندوب ينتمون الى ٣٩ امة والى ٣١ شيعة ، اتوا من الغرب والشرق ومن العالم الجديد . فكنتَ ترى جنباً الى جنب رئيسَ اساقفة اللاباد ومطريرك الاسكندرية للروم الاورثذكس ، وأحد اساقفة تشيكوسلوفاكية ، واسقف ونشستر الانكليكاني ، وكثيرين من قسس البروتستانت الذين وفدوا من برلين وبيرن وجنيف وباريس ونيويرك وشيكاغو وبادو وبكين وبومباي الخ

وقد رغبوا الى الحبر الاعظم ان يُرسل مندوباً من قبله ليشترك في المؤتمر . فذهب الى رومية لهذه الغاية القسيس نيازدر . فقبله البابا بيوس الحادي عشر بلطافته المعهود . لكنه لم يُجب الى رغائبه ولم يُرسل احداً ينوب عنه لانهُ لم يكن ممكناً ان يشترك في هذا المؤتمر للاسباب التي سنوضحها

تعددت في المؤتمر الخطب والتقارير والمباحثات . لكنَّ مساعيهم ذهبت ادراج الرياح ولم يصلوا الى الوحدة المنشودة . لانهم سكتوا عن المسائل المختلف عليها بينهم في الايمان والتي تُثير الضغائن ، واكتفوا بأن يطنطنوا بالمحبة التي يلزم ان تسود في الكنائس مع بقاء كل كنيسة في معتقدها المخالف لمعتقد غيرها

وهكذا القول عن المؤتمر العام الذي عقدهُ البروتستانت في لوزان ، في آب من السنة الماضية . وقد اجتمع فيه مندوبون من ثمانين كنيسة او شيعة مسيحية ، فلم يصلوا الى تقرير معتقد يربط الجميع في ايمان واحد . ومما يستحق الذكر ان البروتستانت لم يمكنهم ان يتفقوا حتى مع مندوبي الكنائس الشرقية

المنفصلة عن الكثلكة. فان الاورثذكس ، بفم رئيس الاساقفة جرمانوس ، اعلنوا في المؤتمر انه من المستحيل ان تتحد كنيستهم مع كنائس البروتستانت ما لم يعترفوا بأربع حقائق وهي: الاسرار السبعة ، والنظام الاسقفي في الخدمة ، وان الكنيسة مؤسسة من الله ، وان قانون ايمان نيقية باقٍ في قوته . فتصريح الاسقف جرمانوس انقضّ كالصاعقة على رؤوس البروتستانت الذين لا يؤمنون بحضور السيد المسيح حقيقة في الافخارستيا ، ولا يقبلون السبعة الأسرار ، ولا النظام الكهنوتي ، ولا دوام قانون ايمان نيقية في حقيقته الاولى . فدُهشوا وساد بينهم السكوت كأنهم ألقموا الحجر . ورأوا حاجزاً متيناً قائماً كالجبل بينهم وبين الاورثذكس . فترى اعضاء الكنائس المسيحية المنفصلة عن الكنيسة الكاثوليكية كما وصفهم القديس بولس (١) «اطفالاً متقلبين مائلين مع كل ريح تعليم بخداع الناس بمكر يُفضي بهم الى مكيدة الضلال» . فهم كسفينة فقدت سُكّانها (دفّتها) تجري في البحر كما تدفعها الرياح . قال عن مثل هؤلاء الحبر الاعظم في رسالته : « تراهم يُحيون الآمال بانهم سيحملون بدون صعوبة الشعوب ، وإن مختلفة الرأي في الحقائق الدينية ، على اتفاق اخوي والاعتراف ببعض تعاليم تُتخذ كأساس عامّ للحياة الروحية . ولهذه الغاية يعقدون المؤتمرات والاجتماعات ويخطبون بحضور كثير من السامعين ، ويدعُون الى البحث دون تمييز المؤمنين بالمسيح والغير المؤمنين به من اي جنس كانوا . وايضاً الذين لشقائهم تركوا المسيح والمصرّين بعناد على انكار طبيعته الالهية ورسالته »

ولعلّ بعض الكاثوليك الذين يغرّهم ترديد هذه الالفاظ : المحبة ، والاتفاق ، والوحدة ، يلومون رؤساء الكنيسة الكاثوليكية لعدم قبولهم دعوة كنائس البروتستانت الى حضور مؤتمراتهم والاتفاق معهم على ايجاد الوحدة العامّة في الكنيسة . فلهؤلاء الكاثوليك نقول : ان الفكرة في الوصول الى الوحدة المسيحية العامة هي في حدّ ذاتها حسنة وممدوحة ويلزم الجميع ان يرغبوا فيها ويبتهلوا بصلوات حارّة الى الله لتحقيقها . الّا ان الكاثوليك يختلفون عن الغير

(١) افسس ٤ : ١٤

الكاثوليك في الوسائل الواجب اتخاذها للحصول على الوحدة المشتهاة. فالبروتستانت يريدون الوحدة بأن يضحي كل فريق شيئاً مما يتمسك به من المعتقدات ، للوصول الى معتقد وسط يرضى به الجميع ويقبلونهُ . « لا يعتبرون الكنيسة المنظورة الّا كتحالف يتألف من جماعات عديدة من المسيحيين رغمَ انّ اعضاءها يتبعون تعاليم متباينة متناقضة » (رسالة الحبر الاعظم) . فيتصرّفون في عقائد الدين الجوهرية الموحى بها من الله كما تتصرّف الحكومات في ما تبرمه بينها من المعاهدات السياسية والتجارية. فتترك كل واحدة شيئاً من مطاليبها ليمكنها ان تتفق وتبرم المعاهدات . ومن الواضح الذي لا يشوبه ريب ان الكنيسة الكاثوليكية ، عمود الحقّ والملهَمة من الروح القدس ، لا يمكنها ان تسلك هذه الطريق التي هي انكار الوحي الالهي . فالبروتستانت ، في عقد مؤتمراتهم ودعوة الكاثوليك الى حضورها ، يُشبهون رجلًا خسر ملكهُ فرغب الى جاره ان يتخلّى لهُ عن قسم من ملكهِ ليمكنهُ انْ يتفق ويشترك معهُ. هذا ما يعملهُ البروتستانت في مؤتمراتهم . وقد قال قداسة الحبر الاعظم :

« ان الكاثوليك لا يقدرون بوجهٍ من الوجوه ان يستحسنوا هذه المساعي المؤسسة على النظريّة الكاذبة التي مآلها ان الديانات كلها حسنة وحقيقة بالاطراء على درجات متفاوتة بمعنى ان الديانات كلها على السواء ، وان كان ذلك بطُرق متنوّعة ، تُظهر وتُفيد الماطنة الفطرية التي تدفعنا نحو الله وتحملنا على الاقرار مع الاحترام بقدرته تعالى . والحال ان انصار تلك النظرية لفي اقصى دركات الضلال ، وانهم علاوة على ذلك إذ ينبذون الدين القويم ويُفسدون حقيقته يتدرّجون شيئاً فشيئاً الى المذهب الطبيعي فالالحاد. إذن من الواضح ان معاضدة اصحاب هذه التعاليم ومساعيهم هو ابتعاد عن الديانة الموحاة من الله »

وقال ايضاً قداستهُ : « يتضح بكل جلاء ان الكرسي الرسولي لا يستطيع بوجهٍ من الوجوه ان يشترك في مؤتمراتهم وانهُ لا يجوز مطلقاً للكاثوليك ان يوافقوا على مثل تلك المشاريع او ان يعاضدوها . فانهم ان فعلوا كان فعلهم تأييداً لديانة مسيحية كاذبة غريبة تماماً عن كنيسة المسيح الوحيدة. وهل نستطيع

نحن ان نرضى بما يكون في اقصى درجات الفيّ اي ان تكون الحقيقة التي اوحى بها الله مادّة للمفاوضات والمواطنات »

وقال ايضاً قداستهُ : « كيف يُستطاع اذاً ان يتصوَّر عقد حلف مسيحي يكون لكل من اشياعه ، في ما يتعلق بموضوع الايمان ، ان يتمسك بما يحلو لهُ من الآراء والاحكام رغمَ انها لا تتفق مع معتقدات سواه . ثم نسأل بايّ واسطة يستطيع تأليفَ جمعية مؤمنين واحدة رجالٌ تتناقض مذاهبهم وتتعاكس . كالذين يؤكدون مثلاً ان التقليد المقدس هو مصدر راهن للوحي الالهي ، والذين ينكرون ذلك . او كالذين يعتبرون نظام السلطة الكنسية المؤلف من الاساقفة فالكهنة وخدّمة الهيكل انهُ ترتيب إلهي ، والذين يؤكدون انهُ نشأ شيئاً فشيئاً حسبما اقتضت الازمنة والظروف . او كالذين يعبدون المسيح الموجود حقيقةً في القربان المقدس بقوة ذلك التحوّل العجيب في الخبز والخمر المعروف بالاستحالة ، والذين يؤكدون ان جسد المسيح لا يوجد هناك الّا بالايمان او بالرمز او بفاعلية السرّ . او كالذين يعترفون بانّ الافخارستيا ذبيحةٌ حقيقية وسرٌّ ، والذين يقولون ان ليس هناك سوى ذكرى العشاء الرباني او تمثيله . او كالذين يعتقدون انّ من المفيد والممدوح ان نبتهل الى القديسين المتمتعين بالملكوت مع المسيح ولاسيما القديسة مريم العذراء والدة الله وان نتضرّع اليهم ونكرّم صورهم ، والذين يدّعون انهُ لا يجوز اداء تلك العبادة من حيث انها لا تتفق مع شرف «الوسيط الوحيد بين الله والناس » (١ يسوع المسيح . اننا نعلم كيف يمكن ان هذا الاختلاف العظيم في الآراء يفتح السبيل الى تحقيق وحدة الكنيسة ، اذ ان الوحدة لا يمكن ان تنجم الّا عن سلطة تعليمية واحدة وعن قانون الايمان واحد وعن عقيدة للمسيحيين واحدة . على اننا نعلم حقّ العلم انهُ بذلك يكون التدرّج الى اهمال الدين او عدم الاكتراث لهُ ، ثم الانحياز الى ما يسمونه بدعة المستحدثين (مودرنيست) التي يزعم دُعاتها التاعسون ان الحقيقة الايمانية ليست مطلقة بل نسبية ، اي انها تتغير بتغيّر الازمنة والاماكن وحسب تنازع

(١) ١ تيموتاوس ٢ : ٥

النفوس لانها غير متضمنة في وحي ثابت ولكنها من طبعها ان تكون طبق احوال البشر . زد على ما سبق انهُ في ما يتعلق بحقائق الايمان لا يجوز مطلقاً التمييز الذي يروق بعضهم ادخاله ما بين مواضيع الايمان الاساسية حسب قولهم والغير الاساسية ، بحيث يكون بعضها واجباً على الجميع التسليم به ويُترك البعض الآخر مباحاً للمؤمنين ان يؤمنوا به او لا يؤمنوا . لان الاساس الحقيقي الذي تقوم عليهِ فضيلة الايمان الدائمة الطبيعة انما هو سلطة الله الموحي وهذه السلطة لا تقبل ايّ تمييز كان من هذا النوع »

فماذا يجب اذاً على الكاثوليك عملهُ تجاه المؤتمرات التي يعقدها البروتستانت ؟ نقول انهُ يتحتم عليهم اولاً ان لا يشتركوا فيها . ويجب عليهم ثانياً ان يشكروا الله على النعمة العظيمة التي منحهم اياها ان يكونوا من ابناء الكنيسة الحقيقية الكاثوليكية الرومانية . ثالثاً ان يبتهلوا الى الله لكي يُنير عقول اخوتنا المنفصلين ويحرّك قلوبهم بنعمته ليعرفوا الحقيقة وينقادوا لها . قال قداسة الحبر الاعظم :

« علينا ان نحظى بما لم يحظَ به حتى الآن العدد العديد من سلفائنا اي ان نعانق معانقة ابوية اولئك الابناء الذين يحزننا ان نرى الاختلاف المشؤوم يفصلهم عنا . وعسى « الله مخلصنا الذي يريد انّ جميع الناس يخلصون ويبلغون الى معرفة الحق » (١ ان يسمع توسلاتنا الحسية ويتنازل فيدعو جميع الضالّين الى وحدة الكنيسة برباط السلام . واننا ، في عمل لهُ مثل هذه الخطورة ، نلتجئ ونريد ان يلتجئ الجميع الى شفاعة الطوباوية مريم العذراء امّ النعمة الالهية قاهرة كل الارتقات ومعونة النصارى ، لكي تنال لنا بأقرب الاوقات بزوغ فجر ذلك اليوم المرغوب فيه اشدّ الرغبة ، يوم يسمع فيه جميع البشر صوت ابنها الالهي « مجتهدين في حفظ وحدة الروح برباط السلام » (٢

كان لرسالة الحبر الاعظم وقع حسن عند كثير من الانكليكان ، وقد اثّر فيهم ما تضمنته من التعليم المنطقي الصريح الجليّ الذي لا يدع مجالاً للريب

(١ ١ تيموثاوس ٢ : ٤ (٢ افسس ٤ : ٣

والتمويه . بينما يرون الآراء المتضاربة في كنائس البروتستنت موضوع المناقشات والمجادلات

ان المورننغ بوست ، وهي جريدة بروتستانية حائزة على الاعتبار العظيم بين مُطالعيها وجلهم من الطبقة الراقية ، خصَّصت مقالة اولية لرسالة الحبر الاعظم قالت فيها : « اننا نرى في تلك الرسالة الاثبات الواضح الغير المتبدل في كل ما يتعلق بالايمان والنظام كما اعتاد ان يراهُ في الكنيسة الكاثوليكية الرومانية لا ابناؤها وحدهم بل العالم اجمع . ان ابناء هذه الكنيسة يُحذَّرون اليوم كما كانوا يُحذَّرون في الماضي من اي خلاف في ايمانهم ... يقول البابا ان كل خرق للحقائق الاساسية في الايمان انما هو خيانة . وانه لمن المستحيل ان نتصوَّر جمعية مسيحية بين المؤمنين يكون لكل من اعضائها الحرية في اتباع آرائه الشخصية في ما يتعلق بموضوع الايمان والسلوك . » وقال كاتب المقالة :

« اذا عمد ابناء الكنيسة الانكليكانية الى التنديد بهذه الرسالة عُدَّ تنديدهم مخالفاً للياقة والسداد ومستحقاً هزء العقلاء . ان البابا يعلم حق العلم ماذا يريد ان يقول ، ويعبّر عنه بعبارات لا ينقصها شيء من الصراحة والسلطة . وهل يمكن ان لا تتمنى هذه الصراحة وهذه السلطة حين نرى المصاعب الجمة التي تعترض اليوم الاساقفة الانكليكان ؟ »

وتكلمت ايضاً جريدة تشرتش تيمس ، وهي لسان حال الانكلوكاثوليك من البروتستانت ، فامتدحت صراحة اقوال البابا التي بها يرذل تعليم المستحدثين (مودرنيست) القائل بالريب في لاهوت السيد المسيح . وقد لاحظت هذه الجريدة ان رسالة البابا كما كان يُنتظر لا تقبل اي تنازل عن الحقيقة . وان بيوس الحادي عشر يُثبت من جديد انهُ يمثل سلطة الله التي لا تغلط . ولا يخفى على احد ان جميع الكاثوليك في الكنيسة الرومانية يعترفون بهذه الحقيقة

هل اللغة العربيّة غنيّة؟

ام هي فقيرة قاصرة عن التعبير عن حاجات العصر ؟

بقلم حضرة القس عبد المسيح زهر

ان البعض من كتّابنا يبالغ اشدّ المبالغة في وصف اللغة العربية ، وغناها وكثرة ترادفها ، وسعة تعابيرها ، وينسب اليها من الحسنات والصفات ، ما لا يقع عليه عدّ ولا احصاء ، ويجعلها في مقام ارقى اللغات واكملها ، ويدّعي انها قادرة بلا الاستعانة بغيرها ، على القيام بحاجات العصر الحاضر ، والتعبير عن المعاني باجمعها . ومنهم مَن يُصرّح بقصورها عن مجاراة غيرها من اللغات ، وينسب اليها العجز والقصور ، ويرغب في خلق لغة اخرى تقوم مقامها ، وتقوى على سدّ حاجات عصرنا . ولمّا كان الفريقان مغاليَين في دعواهما ، مائلَين عن النهج القويم ، رأينا ان نعرض رأينا في ذلك على العلماء والادباء لعلّه يروقهم فنقول :

١

اللغة

لمّا كان الانسان من طبعه عاقلاً مدركاً ، احتاج ، بلا ريب ، الى دلالات ، او الفاظ ، وان شئت قل الى اصوات ، ليعبّر بها عما ينطبع في عقله من التصوّرات والمعاني وذلك لانه لا يستطيع ان يعيش وحده كالوحوش في القفار ، بل يفتقر الى معايشة جموع من اخوانه ، وابناء نوعه ، متعاونين على اشغال كثيرة في دنياهم . فلا بد اذن اذ كان لهم اجتماع ، من ان يكون لهم لغة ، اي دلالات او الفاظ يعبرون بها عن المعاني التي تنشأ وتقوم في عقولهم . ولا بدّ لهذه الدلالات او الالفاظ ان تكون حسيّة ؛ لان البشر مركبون من نفس وجسد . على ان الانسان قد استعان منذ وجوده ، قبل ان يعرف الكتابة ، بالكلام والالفاظ ، للتعبير عن المعاني التي تحصل في عقله ، واتخذ قوالب الالفاظ لابراز صور هذه المعاني . اذن الالفاظ او الكتابة تدله على الصور ، او المعاني ، وذلك من قبيل الوضع ، او الاصطلاح ولهذا السبب عينه عبّرت كل امّة او شعب عن تصوّر من تصوّراتها

بلفظ غير اللفظ الذي استعملته امة ، او شعب آخر ، للدلالة عليه وهذا امر مسلّم به لا يحتاج الى بينة ، ولا الى دليل

امـا التلفظ او النطق بالكلام فهو مركوز في جوهر الانسان ، منـذ خلقته ؛ وهو يعمّ جميع شعوب الارض ، على اختلاف الوانها ، وبلادها . وهذا التلفظ مهما بلـغ الانسان من المدنيّة والحضارة ، لا يقبل التقدم ، ولا التحسّن ؛ وذلك لانهُ طبيعي ، فطري ؛ خصّه خالق الطبيعة وفاطرها بالانسان ، ليعبّر به عمّا يدور في ضميره ، ويفهم اخوانه ابناء نوعه ، ما يريد ؛ كما خصّ سبحانه خلائقه على كثرة انواعها ، واختلاف هيآتها ، بخواصّ يمتاز بها احدها عن الاخر . ولما كانت هذه الخاصّة ، خاصّة التلفّظ ، مركوزة طبعاً في جوهر الانسان ، كان في طاقة الآدمي ولا ريب ، ان يتلفظ باصوات تمكنه من تبيين ما يجري في خاطره ، وان يعيّن لكل صوت معنى يدلّ عليه ، وينقله الى ابنـاء نوعه ؛ وامكن هؤلاء ايضاً ، لِمَا فيهم مثله من العقل والفهم ، ان يعقلوا ويفهموا دلالات الالفاظ والاصوات .

بيـدَ ان الالفاظ لا تدلّ على الاشياء من طبعهـا ، بل من قبيل الوضع والاصطـلاح ؛ لان الشيء الطبيعي لا يتغيّر عندنا كل الشعوب . امّا الوضع ، او الاصطلاح ، فيتغيّر . فما نسـميه مثلاً كتابـاً وندلّ عليه بهـذه الاحرف ، يسـميه غيرنا بلفظ آخر ، واحرف غير الاحرف التي ذكرناها . وهذا برهان على كون الالفاظ ليست تدلّ بذاتهـا ، على المعاني والاشياء .

٢

مساعدة الكلام للعقل

لا ريب ان الكلام يساعد العقل على توسيع دائرة تصوّراته ، واتقـان معارفه . ولكن هذه المساعدة ليست ضرورية لتحصيل التصوّرات المجرّدة الكليّة ؛ لان النفس تكتسبها ، بالقوى المركوزة فيها ، من اصل فطرتها . فاذن الوضع ، او الالفاظ ليست علّة الادراك ، ولا شرطـاً لهُ ضروريًّا لا تتمّ بخلوّه الفائـدة . ولذلك يستطيع الانسان تحصيل التصوّرات ، مجرّدة كانت او كلية ، وان جهل الالفاظ الدالّة عليها ؛ كما هي حالتنا الآن ، بالنسبة الى

اكثر الاختراعات الجديدة ، التي ليس لها في امتنا الفاظ تدلّ عليها . امّا ادراك الشيء فهو شرط ضروري لا يتمّ الكلام من دونه ؛ لان الكلمة الخارجة هي بنت العقل ، ومتى كان العقل خلوًا من الصورة ، لا يقدر ان يأتي بلفظ لها . ولذلك نرى العوامّ السوقة ، متى رأوا شيئاً جديداً لا يعرفونه ، يخترعون لـهُ اذ يدركونه ، اسماً يدلّ عليه بسهولة وبلا اقلّ تكلف . فهم والحالة هذه ، احذق من الكتّاب في ايجاد الالفاظ . فاذن لا بدّ ، قبل كل شيء ، من ادراك الشيء قبل وضع الاسم للدلالـة عليه . ولكن كيف يحدث اننا في عصرنا هذا ، ندرك اشياء كثيرة ، وآلات عديدة ، واختراعات شتى ، ولا نستطيع ان نسميها ، ولا ان ندلّ عليها بارضاع جديدة ؟ نظنّ الامر ناتجاً من تمسكنا بآرائنا ، واعتقادنا غنى لغتنا ، وتمكنها من التعبير عن كل ذلك ، بينما نحن نرى عجزها ولا نقرّ به ، ونتحقّق قصورها ولا نسلّم به . فاذن العوامّ اقدر من الكتّاب الماهرين على اختراع الالفاظ . رأى اولاد في احدى القرى البعيدة عن التمدّن العصري ، درّاجة (bicyclette) وللحال سمّوها : فرس حديد

لست اريـد ولا احاول ، في مقالتي هذه ، ان اثبت او اذهب الى ان اللغة العاميّة اكمل من الفصحى ، ولا انها تحلّ محلّها ؛ انمـا غايتي ان ابيّن عجز اللغـة العربيّة ، وقصورها عن القيام بحاجات كتّاب العصر الحاضر ، مهما لا يريدون ان يستعينوا بلغة اخرى ، او يجدوا طريقة يتفقون عليها لسدّ هـذا الخلل . ولسنا نعبـأ باقوالهم ودعاويهم بان لغتنا الحاليـة اغنى اللغات ، وانها اعارت غيرها كلاماً كثيراً . فهذا نوع من التبجح لا يعود علينا بأقلّ نفع ؛ اذ انها اعارت ما تملك ، واستعارت ما لا تملك ، واعطت من كلامها ، واخذت ما ليس في كلامها . فاذا كانت اللغة الفصحى عاجزة عن سدّ حاجات العصر ، فاللهجة العامية اعجز ؛ اذ الفاظها اقلّ جدًّا .

٣

اسباب الاعارة والاستعارة

اخصّ هذه الاسباب ، على ما نرى ، الجوار ، والمخالطة ، والعلم ، والتجارة وغير ذلك . فالاسبان مثـلاً اخذوا عن العرب كلاماً كثيراً ، لما كان بينهم

وبين العرب من الجوار ، والمخالطة ، والعلم ، والمعاملات . ثم انتقل شيء من هذا الكلام ، الى لغات اخرى . فهذا لا يبرهن على ان الاسبان كانوا قاصرين عن وجدان مرادف ، في اللغة اللاتينية او لغتهم ، لما اخذوه عن العربية ؛ ولا سيما اننا نجد الفاظاً في اللاتينية ، لكل ما اخذوه تقريباً . ولكن الجوار والمخالطة اثرا فيهم ، حتى فعلوا ما فعلوا . وهكذا قل عن العرب ، لما مدّوا فتوحهم ، وجاوروا الفرس وخالطوهم ، واحتاجوا الى نقل العلوم التي كانوا يجهلونها ، من اللغة اليونانية ، صاحبة الفضل على لغات اكثر الدنيا تقريباً ؛ فانهم اضطروا الى الاخذ عنها ، وافتقروا الى استعمال الكلام اليوناني ، على رغم غنى لغتهم بالمترادف والصفات . ولا حاجة هنا الى تعداد الكلام اليوناني المستعمل في العربية ، لاننا لا نظن احداً ينكر هذا القول .

٤

متى تكون اللغة فقيرة وغنية . وغزيرة المادة

تكون اللغة فقيرة متى استعملت فيها الكلمة الواحدة للدلالة على معنيين ، او على معاني كثيرة . ولما كانت الغاية من اللغة ، كما قلنا سابقاً ، التعبير عن المعاني مع وضوح الدلالة ، كان كل ما يدل على الغموض والابهام في المعاني ، عيباً في اللغة ، شأنه ان يوقع في اللبس ، والتلاعب بمعاني الالفاظ .

اما اللغة الغنيّة فهي التي فيها لكل معنى لفظ ، او هي التي معانيها لا تزيد على الفاظها ، والفاظها تقوم بالدلالة على معانيها . فمتى كان الشعب قليل التبسط في الحضارة والتمدن ، كانت الفاظه قليلة ؛ ولكن مهما زاد تبسطاً في الحضارة والتمدن ، احتاج بحكم الضرورة الى معاني كثيرة ، والفاظ شتى ، فالفقر حينئذٍ منسوب الى الشعب ، صاحب اللغة ، لا الى اللغة نفسها .

واللغة الغزيرة المادّة هي التي تحوي الفاظاً كثيرة للدلالة على المعنى الواحد . ثم ان اللغة الغنيّة هي التي تكون تعابيرها حسنة الدلالة على المعاني ، وكلامها مطابقاً لمعاني الشعب الناطق بها ، ومادتها غزيرة في باب الترادف . بيد ان الترادف نوع من كثرة الترف ، والتفنّق ، والنعيم ، لا غنى حقيقي . نعم انه يعين على الاجادة في الشعر ، الذي هو نوع من الترف ، والتفنّق ،

والتأنق في الخطاب . امّا اللغة الغنيّة ، المتقنة الاوضاع ، فهي الخالية من المترادف والمتوارد تحقيقاً ، او هي التي تحوي القليل النادر من هذا النوع . وقد يحدث ان بعض اللغات فيها من المترادف والمتوارد ما يدلّ على المعنى الواحد ، الشيء الكثير ، والجمّ العظيم ، ولكنها لا تحوي على كل المعاني ؛ فهي تشبه الاقوام المتبحّرين في الترف والنعيم ، المتبسّطين في الخصب والتفنّق ، الذين يملكون الفضول ، ويحتاجون الى الضروري .

فاللغة اذن تكون فقيرة وغنيّة وغزيرة المادّة ، كما يكون الانسان في دنياه فقيرًا وغنيًا وترفاً متفنّقاً . غير ان الفقير حاصل على الضروري اي ما لا يُستغنى عنه في قوام البدن ، من مسكن ، وقوت ، وثياب ؛ اسوة بالغني الحاصل على الضروري ، والزائد على الضروري ايضاً ، اي على مسكن يأوي اليه ، وثياب تدفئه ، وتحصن بدنه من البرد ، وقوت يمسك روحه ، ويقيم جسده . ولكن الغني يكون له بيت في المدينة ، ومصيف في الجبل ، وغرفة لكل عمل ، وخدام رُوقة ، وخيل جياد ، وسيارات ومراكب ، ومرافق متنوّعة ، وثياب لكل فصل من فصول السنة ، والوان من الاطعمة فاخرة ، ومآكل متأنق فيها . بينما الفقير لا يملك سوى حجرة واحدة ، فيها ينام ، ويقوم ، ويشتغل ، ويأكل ؛ وثوب واحد لكل فصول السنة ، ولون طعام او لونان لا يكاد يتعداهما . اما الترف فيملك القصور الجميلة ، الحسنة البنيان ، الكثيرة الاتقان ، والرياش الفاخر ، والادوات الثمينة ، والخدام العديدين ، ويبدل حلة كل يوم ، وله مائدة حافلة بالوان الاطعمة ، المتنوعة ، الفاخرة ، النادرة . ومع هذا كله ، فالانسان ان فقيرًا او غنيًا او ترفاً ، لا يتغدى ولا يتعشى سوى مرّة واحدة ، ولا يسكن الّا بيتاً واحدًا ، ولا يلبس غير حلة واحدة وقد يقع للمترف في بعض الاوقات ، انهُ لا يسكن في ترفهِ ، ولا يلبس ، ولا يطعم احسن من الانسان المتمتّع باللذات الناقصة التي مصدرها الغنى ، ولا يعرف مضارّ الترف ، وفضول العيش .

(للبحث صلة)

عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود

« ملك نجد والحجاز وملحقاتها » مع احد رجاله

(والملك هو الطويل القامة)

ابن سعود والوهابيّون

بقلم الاب هنري لامنس اليسوعي

يخال المطالع ان الصحافة ، بعد ان تعبت من ذكر فظائع الباشفية وحروب الصين ، شاءت تغيير موضوعها . فظهرت جرائدنا ، منذ اكثر من شهر ، متحدة متفقة على ان ترعدنا بنكبة جديدة جاعلة بلادنا عرضة لغارة من غارات البدو الهائلة ، كما لو لم يكن خطر الجراد كافياً وحده . وكان على الوهابيين ان يشنّوا هذه الغارة فيخرجوا من صحاريهم ، ويكتسحوا العراق وشرقي الاردن . وكانت جيوشهم ، على ما ظهر ، اخذت تنقضّ على الكويت من جهة خليج العجم ، واصبحت الوفهم ، من جهة البحر الاحمر ، على بضع كيلومترات من معان والعقبة . وزاد الموقف حرجاً ما اكّدته الصحف من ان ابن سعود نادى «بالجهاد» . فغدا الشجعان من الناس ، رجال تلك الغيوم المكفهرّة ، يستكشفون الافق البعيد ، بينا راح المتشائمون يُكثرون من التعاليق المختلفة على تلك الاخبار المقلقة .

ولكن سرعان ما تبدّدت هذه الغيوم ! فعلمنا انهُ لم يدر قط في خلد ابن سعود ان ينادي بالجهاد . وان كل ذاك الوعيد يستمدّ اصله من غارات شعراء شنّها البدو على حدود شرقي الاردن والعراق . على انها لم تكن بالبسيطة ، لان قوّات الانكليز الهوائية اشتغلت في ردّها . فاحدثت ذلك الضجيج المتردّد ، اذ ليس من دخان بلا نار !

اما الآن وقد تلاشى ذاك الدخان ، فهلمّ ندرس هؤلاء الوهابيّين وما يمثلون . ولنجتهد في تخمين قوى ابن سعود ومقدار ما عنده من العدد والعُدد التي احدثت تلك الضجّة ؛ حتى اذا عادت الاندية المختلفة الى تحريك تلك النزّاعة ، عرفنا حقّ قيمتها ، وتحقّقنا مبلغها من الارهاب .

الوهابيون

سنة ١٧٠٣ ، وُلد في عُيَيْنة ، من محالّ نجد ، رجل اسمه محمد بن عبد الوهّاب ، فورث منهُ الوهابيون اسمهم الذي انتشر بين الناس. أمّا هم فيسمّون انفسهم « مسلمين » ، وبلادَهم « بلادَ المسلمين » كما لو لم يكن الإسلام من وجود خارج نجد ؛ بل هم يعتبرون سائر المسلمين غير الوهابيين كفرة ومشركين . وكان ابن عبد الوهّاب من اصحاب المذهب الحنبلي ، وهو اضيق مذاهب السنّة ، فشُغف من صغره بكتب ابن تيميّة ، احد كبار المناضلين من الحنابلة في الشام († ١٣٢٨) . ولم يلبث النجدي الشابّ ان شعر بضرورة اصلاح الإسلام ، وارجاعه الى طهارته الاولية . فبدأ بتحريم الكثير من العادات التي دخلت مع الزمن بين المسلمين ، معتبرًا اياها من البدع . ولم يكتفِ بمنع القهوة ، والتبغ ، والموسيقى ، والعاب القمار ، وملابس الحرير ، وحلي الذهب والفضة ، بل تجاوزها الى تحريم زيارة قبور الانبياء والاولياء ، ورفع الزوايا والقبب لتكريمهم ، ونذر النذور لهم . حتى انه لم يستثنِ من ذلك الصلاة على قبر نبي الإسلام . فكان مشروعه برنامجًا شاملًا الكثير من الإصلاحات الدينيّة والاجتماعية . وقد ساعدهُ في تحقيقه الامير محمد بن سعود († ١٧٦٨) من اسلاف سلطان نجد الحالي ، فتمكن بالعنف تارة ، وبالاقناع اخرى ، من اجراء اصلاحاته في قبائل نجد .

على ان الوهابيين لم يلبثوا ان تجاوزوا حدودهم . فانقضّوا على العراق اولًا ، فخرّبوا هياكل الشيعيين في النجف وكربلاء . ثم اتجهوا الى الحجاز في السنتين ١٨٠٣ و ١٨٠٤ ، فاحتلّوا مدن الطائف ، ومكة ، والمدينة ، واحدثوا الفظائع العديدة من سلب ومذابح ، حتى انهم هدموا جميع ما رفع على قبور الاولياء من المعابد والمزارات . واستصفوا كل ما جُمع من الكنوز في قبر محمّد في المدينة . ثم اجبروا علماء مكة ، وجمل سكانها ، على توقيع وثيقة يقرّون فيها عن انفسهم بأنهم عاشوا في الكفر حتى ذاك اليوم . وبعد ان الزموا الحجّاج

مدة السنين العديدة ، دفع ضريبة خاصة ، قطعوا طريق الحج بشاتاً . فحرج الموقف اذ ذاك ولم يبق مندوحة عن استعمال السلاح . ولما كانت السلطنة العثمانية ، في ذاك الاوان ، اضعف من ان تقاومهم ، عهدت بمحاربتهم الى محمد علي باشا خديوي مصر فشهر عليهم حرباً دامت نحو ربع قرن ، حتى انتصر عليهم بمعاونة اولاده.

ومن ثمَّ ساد السكوت حول الوهابيين ، واخذت الفوضى تفسد جموعهم حتى قسمتهم الى امارتين : امارة شمر في الشمال وعاصمتها حائل ؛ وامارة الجنوب وعاصمتها الرياض . فملكت في الشمال أسرة ابن الرشيد ، وفي الجنوب أسرة ابن سعود. وزادت المنافسة بينهما حتى نشبت الحروب العديدة ، فسفكت الدماء الكثيرة في تلك الصحاري ، طوال القرن التاسع عشر.

بلادهم

بلاد الوهابيين نجد التي طالما تغنَّى بها شعراء العرب . وهي صحاري تكثر فيها الواحات . ولا يُعرف عدد سكانها بالتدقيق ، ونرى ان امين الريحاني قد ضاعف هذا العدد لما ذكر مليونين في نجد وملحقاتها . ويعيش نصف السكان تقريباً في المدن والقرى واهمها : الرياض ، وهي العاصمة ، وعدد سكانها ١٨,٠٠٠ ؛ وبُرَيْدَه : ١٥,٠٠٠ ؛ وعُنَيْزَه : ١٠,٠٠٠ ؛ وشقرا : ٥,٥٠٠ ؛ ومَنْفُوحة : ٥,٠٠٠ ؛ وحائل : ٤,٠٠٠ ؛ والمجمعة : ٣,٥٠٠ ؛ وحُرَيملا : ٢,٥٠٠ . واكثرية السكان في الجنوب مؤلفة من سُلالة بني تميم ، وقبائل عنزة ، ومن هؤلاء الاسرة المالكة المعروفة بآل سعود . اما في الشمال فان السكان ، بني شمر ، ينتسبون الى قبائل طيّ المشهورة.

وفي اطراف تلك البلاد من جهات الشمال ، والشرق ، والجنوب ، فلوات واسعة فيها كثير من كثبان الرمل تُعرف بالنفود ، وهي مراعٍ خصبة اذا ما سقط عليها المطر . ووراء هذه النفود تظهر مرتفعات جبل شُمّر وهي منطقة

حسنة المناخ ، مشهورة في الادب العربي القديم باسم « جَبَلَي طيء » . اما في الجنوب فالمناخ شديد الحرّ.

وكل سكان تلك البلاد من المسلمين الوهابيّين ، لا يهود ولا نصارى بينهم . وهناك ، كما في بلاد الافغان ، يتقيّدون التقيّد الدقيق في المحافظة على أحكام الشريعة . فحضور الصلوات اليوميّة واجب لازم ، ولا يزال الاسترقاق جارياً مجراه ، واكثر خدم ابن سعود من العبيد.

اما اقسام البلاد الادارية فاهمها مناطق القصيم ، والجوف في جوار شرقي الاردن ، وهو « دومة الجندل » القديمة ، وحائل او شمّر ، ويحكمها امراء يعيّنهم السلطان . ثم منطقة عارض وعاصمتها الرياض ، ويحكمها مباشرةً ملك الوهابيّين . وكان النقد المتداوَل حتى ايامنا المتأخرة ، الريال القديم المنسوب الى ماري تريز ، ثم المجيدي العثماني ، فالغاهما ابن سعود واوجد نقداً وطنياً وهابياً. على ان موارد الموازنة قليلة محدودة ، وذلك ان البلاد فقيرة لا تصدر الّا التمر والسمن وتستورد كل شيء . وفي سنة ١٩١٩ أسّس ابن سعود جمعية «الاخوان» وهي مؤلفة من فرق عسكرية يشتغل رجالها بالحرب تارة وبالزراعة اخرى . ويؤكد البعض ان باستطاعة السلطان تجنيد ٨٠,٠٠٠ (؟) مقاتل . ولكن هل بامكانه ان يسلّح هذا الجيش ؟ وان يتكلّف النفقات الباهظة التي تجرّها الحروب العصرية ؟ ثم ينبغي ألّا ننسى قوّةَ المخيّلة البدويّة التي تضاعف الارقام ، كما انها تحوّل بضعة ادغال من العوسج الشائك الى غابة كثيفة.

ابن سعود

اسم سلطان الوهابيّين الحالي عبد العزيز بن عبدالرحمان ، وهو التاسع عشر من امراء آل سعود الوهابيّين . وكان منافسه ابن الرشيد قد ظهر عليه وطرده من امارته ، ففرّ لائذاً بمبارك بن الصبّاح شيخ الكويت . ولكنه على الرغم من حداثة سنّه ، لم يفتأ يستعدّ ويعمل حتى رجع ظافراً فاستعاد النجد الجنوبي، ودخل الرياض ، عاصمة آبائه ، سنة ١٩٠٢ . ولم تزل العداوة تضطرم في صدري المنافسين حتى زمن الحرب الكبرى حيث انضمّ ابن الرشيد الى الاتراك،

فانحاز ابن سعود الى الحلفاء . فكافأته انكلترة بان جعلت له ، من سنة ١٩١٥ الى سنة ١٩٢٤ ، جعالة سنوية قدرها ٦٠,٠٠٠ ليرة انكليزية ، واعترفت له بلقب « السلطان » بعد انتصاره على ابن الرشيد سنة ١٩٢١ ، اذ دخل عاصمته حائل وذبح عائلته باسرها . وكان قبل ذلك بسنتين ، قد اختلف مع الحسين بن علي شريف مكة .

ولا شك في ان شخصية ابن سعود اعظم شخصية سياسية في جزيرة العرب ، في الوقت الحاضر . وهو مهيب الظاهر ، طويل القامة ، يبلغ مترًا و ٨٠ سنتيمترًا . زاره امين الريحاني في اواخر سنة ١٩٢٢ ، فوصفه بما يلي : (١

« السلطان عبد العزيز طويل القامة ، مفتول الساعد ، شديد العصب ، متناسق الاعضاء . وهو اسمر اللون ، اسود الشعر ، ذو لحية خفيفة مستديرة ، وشارب يقضبه على الطريقة الوهابية . له من السنين سبع واربعون ؛ وله في التاريخ — تاريخ نجد الحديث — مجد اذا قيس بالاعوام تجاوز السبع والاربعين والمئة . يلبس في الصيف اثوابًا من الكتان بيضاء ، وفي الشتاء « قنابيز » من الجوخ تحت عباءة بنية . وينتعل ويتطيب ، ويحمل عصًا من الشوحط (٢ طويلة يستعين بها على الافصاح عن آرائه ، على تشكيل كلماته ، اذا صعبت الاستعارة ، وتمكينها . وله في الحديث غيرها من الاعوان . له انامل طويلة لدنة يشير بها في مواقف البلاغة . وله عينان عسليتان تتغيران اماكن العطف واللطف ساعة الرضى ، وتضرمان في كلامه ساعة الغيظ نار الغضا . وله فم هو كورق الورد في الحالة الاولى ، وفي الحالة الثانية كالحديد ، يتقلص فيشتد ، فهو اذ ذاك كالنصل حدًا ومضاء »

ولم يكن في جزيرة العرب مكان اطامعين من طراز الشريف حسين وابن سعود ، يطمح كل منهما الى السيادة على الجزيرة بكاملها . فساءت الحالة

---

١) امين الريحاني : ملوك العرب ، الجزء الثاني ، ص : ٦٩

٢) الشوحط : شجر تتخذ منه القسي ، او نوع من النبع شبيه بالشربان ينبت في نجد الغربية .

بينها حتى صيف سنة ١٩٢٤ ، اذ زحف ابن سعود على الحجاز فاحتل الطائف ومكة . ولم تمض سنة على ذلك حتى كان سيد جدة فوضع حداً فاصلاً للدولة الشريفية في الحجاز . وكان قد وعد بانه يرفع مصير الحجاز السياسي ، الى مؤتمر اسلامي تحكيمي . ولكنه لم ينتظر قرار هذا المؤتمر بل اتخذ لنفسه لقب «ملك الحجاز» . ثم تناسى وعده ايضاً بأن لا يُلحق الحجاز بنجد ، فجمع بين البلدين وسمى نفسه رسمياً «ملك نجد والحجاز وملحقاتها» . وكان ان احتلاله بلاد الاحساء ، والعسير الشمالي ، جعله اقوى امير في بلاد العرب فتاخمت اراضيه بلاد العراق ، وفلسطين ، وسورية ، وانبسطت من البحر الاحمر الى خليج فارس .

بيد ان هذا التوسع السريع اثار قلق امراء العرب . فقامت اليمن تحتج على وضع العسير تحت حماية الوهابيين ، وهي تدعي ان تلك البلاد لها ، وتعد العدد لاسترجاعها . وقد تنشب حرب يتحقق فيها الوهابيون قوة اقرانهم . وتوترت علائق ابن سعود مع مصر منذ حادثة «المحمل» في حج سنة ١٩٢٦ ، وهي لم تعترف بعد بالقابه الرسمية . وان تسرعه في تملك الحجاز ، وخفره لوعده سود صفحته امام العالم الاسلامي اجمالاً ، ومسلمي الهند خاصة الذين كانوا حتى ذلك العهد ، من اخلص مريديه .

وكذلك أثر اثراً سيئاً عددُ الوفيات الكبير ، الذي حصل اثناء حج سنة ١٩٢٧ ، وهو ناتج عن عدم الاهتمام بتحقيق الوسائل الصحية . فضلاً عن ان تعصب الوهابيين يُغيظ البيئات المتنورة في الاسلام ، ويُرهق سكان مكة والمدينة . حتى انه اكتشف ضمن حاشية الملك مؤامرات على حياته .

اما موقف حيال انكلترة فنعرفه من المعاهدة التي وقعها مع هذه الدولة في الصيف الماضي . وهي تلغي كل ما سبقها من المعاهدات . وبها تعترف انكلترة باستقلال الدولة الوهابية استقلالاً تاماً ، وبالقاب ملكها الرسمية . ولقاء ذلك ، يتعهد ابن سعود الا يهاجم العراق ، ولا الكويت ، ولا بلاد عُمان ، ولا شرقي الاردن ، ولا يُغير على من حالف انكلترة من العرب .

ويقبل بان يؤخر الى وقت آخر المطالبة بحقوقه في معان والعقبة . وهو يطالب بهاتين المنطقتين لزعمه انها من الحجاز.

* * *

لا مشاحة في ان ابن سعود رجل طماع ، ولكن لا مشاحة ايضاً في انه رجل ذكي عاقل . وان جميع من عرفوه ، عن قرب او عن بعد ، متفقون على ذلك. فهو يعرف قوته دون شك ، ولكنه يعرف ايضاً حدود هذه القوة . وهو لا يخشى الحرب ، ولكنه يعرف انها غالية الثمن ، وان خزانته فارغة او عاجزة عن القيام بنفقاتها ؛ وانه عند اول فشل حربي ، يرفع جميع اعدائه رؤوسهم ويستعيدون قواهم. وهو يعرف ايضاً ان حظوته لدى العالم الاسلامي تختلف عما كانت عليه منذ ثلاث سنوات ، فالقوم لا يعتقدون اليوم بتجرده واخلاصه . على ان بغضه لأسرة الشريف حسين بن علي لم يكن ليخمد بسقوط كبيرها عن عرش مكة ، فابن سعود لا يزال يغتنم الفرص للانتقام من بني هاشم بالهجوم على ولدي الشريف : فيصل ملك العراق ، وعبد الله امير شرقي الاردن . ولكنه لا يجهل انه يلاقي في طريقه انكلترة وهو مربوط معها بمعاهدة سياسية لم ينشف حبرها بعد . . .

بقي علينا ، والحالة هذه ، ان نتساءل هل نشط ابن سعود غارات الوهابي فيصل الدويش ، ام لا ؟ الجواب في غاية الصعوبة ، اذ يجب الا ننسى انه من الصعب ضبط البدو الذين لا يتراجعون امام تجربة النزو الغرارة.

وعلى كل فنحن نعتقد ، استناداً الى الاسباب المذكورة اعلاه ، ان ابن سعود ، وهو الرجل السياسي الحكيم ، يتردد كثيراً قبل ان يغامر في مشاكل كالتي تنسبها الصحف اليه مجاناً.

التنوير الكهربائي

بقلم انطوان باز
مهندس من المكتب الافرنسي في بيروت ومن مدرسة الكهرباء العليا في باريس

تمهيد

لا غروَ اذا دعي جيلُ العشرين بجيل الكهرباء. فانتشارها يزداد يوماً فيوماً ، واستخدامها اصبح شاملاً لجميع الصناعات والفنون : فهناك الآلات الضخمة يديرها صغيرُ المحرّكات ، والقطارات الكهربائية تسير بسرعةٍ هائلة ، والمدُن تُنيرها الوف من الانوار ، والاحاديث والاغاني تنشرها المراكز اللاسلكية فيسمعها من يشاء عن بُعدٍ بعيد . وقد نالت البيوت حظاً وافراً من الرفاهية ففيها المكانسي والمراوح وآلات التدفئة ، وفيها القناديل تنيرها وتطفئها بحركة صغيرة.

ولما كانت بلادنا في شوطها الاول من تقدّم هذا الفن ، والمشاريع والاعمال الكهربائية منها ما ابرز الى حيّز الوجود ما ومنها ما لا يزال تحت الدرس،احببنا الخوض في سلسلة مواضيع لعلّ منها لطلاب المشرق الاغر استفادة وسلوى.

ولا نكتم القرّاء الكرام ما صادفناه وما سنصادفه من المشقة في نحت الكلمات الفنية فقد كتبنا تلك الالفاظ بين خطين مع وضعها الافرنسي شارحين ، عند اللزوم ، ما يُرادُ بها في عرف الاختصاصيين . واننا نشكر كل من يمدّ لنا يدَ المساعدة في هذا السبيل راجين من أئمة عصرنا ان يهتموا بهذا الامر ، فهو لغتنا العزيزة بمثابة الماء الزلال للوردة العطشانة.

هذا وقد رأينا ان نبدأ بموضوع ذي اهمية كبرى الا هو التنوير الكهربائي فنقول :

يعلمُ الكل ان المعادن اذا ارتفعت حرارتُها انارت كالحديد في كير الحدّاد، وتوليدُ النور من الكهرباء تابع لهذه الشريعة (١ — فلو اجرينا تيّاراً كهربائياً

١) يوجد طريقة اخرى اساسها الشهاب الكهربائي (arc électrique) تُستعمل خاصة لإنارة ألواح السينما ، وبعض الشوارع في المدن الكبرى

في سلك دقيق من المعدن ، ارتفعت حرارته ؛ فاذا لحقت درجة الالفي ستتفراد او اكثر اضاء. لكن يُخشى عليه ، اذ ذاك ، من التأكسد بالهواء. وهذا الذي دفع بعض العلماء الى ان يجعلوا ذلك الشريط ضمن بلبوس (ampoule) من زجاج ، محكم السدّ ، يُسحب منه الهواء.

امّا السلك فكان في البدء من «الكربون» المعجون لان بقية المعادن تذوب بدرجة تحت الالفين فلا يمكن استعمالها . ثم استعاضوا عن الكربون «بالتنجستين» (tungstène) يومَ وجد كوليدج العالم الاميركي طريقةً لعمل اسلاك دقيقة صلبة من هذا المعدن.

عمل القناديل

ان رأس البلبوس مُحكمٌ فيه قمع من النحاس الاصفر يُدعى (culot) يسير منهُ السلك واليه ينتهي. وهذا السلك يُسند ضمن الزجاجة الى شناكل من « الموليبدين » (molybden) غارقة في عامود زجاجي . امّا قطر هذا السلك فدقيق جدًّا ، كما يظهر من الجدول التالي.

قوة القنديل	توتر المجرى	قطر السلك	طول السلك
١٦ شمعة	١١٥ فولت	٠,٠٢٦ مليمترًا	١٨٠ مليمترًا
٢٥ «	«	٠,٠٣١ «	١٩٠ «
٥٠ «	«	٠,٠٥٠ «	٦٨٠ «

قناديل « نصف وات » (demi-watt) — معناها

ان مقياس القوّة الكهربائية هو « الوات » (watt) وهو كناية عن جزء من ٧٣٦ من الحصان . فالقناديل على الكربون كانت ذات استهلاك عظيم ؛ اي ان كل شمعة كانت تصرف ثلاثة او اربعة واتات . وهذا هو السبب الذي ادّى الى تركها واستبدالها بقناديل « التنجستين » . وهذه ، رغم تسميتها

بقناديل «مونووات» (monowatt) اي ذات وات واحد ، تستهلك في الحقيقة اكثر من وات لكل شمعة خصوصاً في القوات الصغيرة كما يرى في الجدول ١

وقد قام سنة ١٩١٣ مهندسان اميركيان باختراع قناديل «نصف وات» ، وهو نعت غرّار لأننا سوف نرى ان استهلاك هذه القناديل ، في القوات الصغيرة ، مثله للقناديل العادية ، فضلاً عن انها تبهر النظر بسطوع نورها ، مما يستلزم لاستعمالها «نواشر» تحتفظ بقسم من النور . أمّا الفرق بين هذه القناديل والقناديل ذات «الوات الواحد» فهو ان داخل تلك مملوء من غاز الاركون (argon) وان السلك فيها على شكل ثلاثة ارباع الدائرة. وذلك لاسباب فنّية يضيقُ بنا المجال لتبيانها.

جدول ١: بميزات قناديل «وات واحد» لمجرى ١٠٠ الى ١٣٥ فولت

قوة القنديل شمعة	استهلاك القنديل وات	الاستهلاك النوعي[1] وات	عمر القنديل ساعة
١١	١٦	١,٤٥	٠٨٠٠
١٨٫٢	٢٥	١,٣٥	١٠٠٠
٢٥,٨٠	٣٢	١,٢٤	١٠٠٠
٤١	٥٠	١,٢٢	١٠٠٠
١٠٠	١٠٠	١	١٠٠٠

١) الاستهلاك النوعي او (consommation spécifique) هو مقدار القوة الكهربائية اللازمة لكل شمعة . وقد اصبحوا اليوم يحددون القناديل تجارياً بما تستهلكه وليس بما تعطيه من الشمعات فيقولون قناديل ١٦ او ٢٥ او ٣٢ وات الخ الخ

جدول ٢: بمميزات قناديل «نصف وات» لمجرى ١١٥ فولت (١

قوة القنديل شمعة	استهلاك القنديل وات	الاستهلاك النوعي وات
١١,٤٠	١٦	١,٤٠
١٩,٢٠	٢٥	١,٣٠
٢٦,٦٠	٣٢	١,٢٠
٤٣,٥٠	٥٠	١,١٥
١٠٢	١٠٠	٠,٩٨
٢٢٣	٢٠٠	٠,٩٠
٥٩٥	٥٠٠	٠,٨٤
١٣٣٥	١٠٠٠	٠,٧٥
٣٣٥٠	٢٠٠٠	٠,٥٩
٥٣٥٠	٣٠٠٠	٠,٥٦

يظهر من المقابلة بين الجدولين ان القناديل «نصف وات» لا تمتاز عن قناديل «وات واحد» من حيث الاستهلاك الا لقوات ما فوق المائة شمعة.

اسوداد البلبوس

ان لاسوداد البلبوس، مع تمداد الزمن، سببين. الاول رطوبة ضمن البلبوس وسوء حالة الفراغ فيه. فهذه الرطوبة تجتزئ بحرارة السلك مما يؤدي الى تكوين اوكسيد التنجستين، وهو بدوره يتحول الى بخار مياه بواسطة الهيدروجين المحبوس بمعجون الزجاج، والى تنجستين معدني يتجمع على الزجاج، فيسوده.

١) ان الارقام المعطاة تختلف قليلاً حسب مصدر القنديل، اذ ان لكل «ماركة» مميزات خاصة بها.

امّا السبب الثاني فتبخّر (évaporation) معدن السلك بقوة الحرارة ، وتجمّعه على صفحة الزجاج

وقد توصلوا اليوم الى ملافاة هذا الاسوداد بزيج كيماوي يدعى «الجاتر» (getter) يُدهن به داخل الزجاج عند صنعه ، فيبيّض ما يتبخّر من التنجستين.

عمر القناديل

ان من القناديل الكهربائية ما تُنير الوفاً من الساعات دون ان تنكسر او ينقطع سلكها . غير ان نورها يتضاءل شيئاً فشيئاً وذلك لتبخّر السلك ، وسوء حالة الفراغ ضمن البلبوس . فمتى خسرَ القنديل عشرين في الماية من قوّته ، اي متى صار قنديل الخمسين شمعة مثلاً لا يعطي سوى اربعين او انقص ، عُدَّ ذلك القنديل معطلاً اي في آخر عمره ؛ ولزم استبداله بغيره . امّا هذا الوقت فيتراوح بين الثمانماية والالف ساعة.

وتزيد ان سرعة عطب القناديل تزداد بارتفاع توتّر المجرى ، لدقّة سلكها. ولهذا فقد عوّلوا في انارة السيارات والعربات المعرضة فيها القناديل لارتجاج دائم ، على توتّر يتراوح بين ٦ و ١٢ ڤولت.

نوع المجرى الصالح للتنوير الكهربائي

ان المجرى الكهربائي على نوعين منهُ مستمرّ ومنهُ متناوب (alternatif) وكلاهما يصلحان للتنوير اي لتحمية سلك القنديل . انما المجرى المتناوب يلزم ان يكون ذا تكرار (fréquence) كافٍ منعاً لارتجاف النور وازعاج النظر ، وقد اتفقوا في اوربا على التكرار ٥٠ وفي اميركا ٦٠ اي ان المجرى يتلاشى ماية او ماية وعشرين مرة في الثانية مع انقلاب القطبين . فلو كان التكرار ١ او ٢ مثلاً لرأينا القنديل يضيء ثم ينطفئ ثم يضيء وذلك مرتين او اربع في الثانية ، انما بكثرة التكرار يصعب على شبكية العين (rétine) التمييز بين ادوار التلاشي وادوار الانارة فيظهر لها النور متساوياً. ولا يجوز صحيًا استعمال تكرار اخف من ٢٥ في الثانية للمجرى المتناوب.

يظهر مما سبق ان التنوير بالمجرى المستمر اصلح للنظر منهُ بالمجرى المتناوب انما سهولة نقل المجرى المتناوب بتحويله من توتّر الى توتّر عمّت استعماله . امّا التوتّر

المستعمل للتنوير فهو ١١٠ فولت ، غير ان بعض الشركات تستعمل ، خصوصاً للمجرى المستمر ، توتر ٢٢٠ فولت وهذا عدد لا يجوز تخطيه ضمن البيوت ، خوفاً من خطر التكهرب بلمس المجرى.

اصول التنوير

للتنوير قواعد يجهلها غالباً من اتخذوا مهنة مدّ الاسلاك في البيوت ، فتارة يعلقون القنديل في اعلى السقف واخرى ينزلونه الى ان يدق رؤوس اهل البيت ، هذا اذا ضربنا صفحاً عن قوة القناديل التي يضعونها وهي غير كافية للأشغال المقصودة ، انما تلك مسألة اقتصادية تتعلق بالزبائن فلا نلومهم عليها.

قيمة الانارة

ان قوّة النور اللازمة لعمل ما تختلف بنوع هذا العمل . فصفّافو الاحرف المطبعيّة مثلاً يلزمهم تنوير اقوى من الواقفين لدى آلات الطبع. وخانطات الابيض ليست كخانطات الاسود من هذه الجهة . وسبب ذلك هو ان الاجسام منها ما تعاكس النور كالابيض ومنها ما تحتفظ بقسم منهُ كالاسود . وقد قام بعض الاختصاصيين فجعلوا لمختلف الصناعات حدّاً ادنى للتنوير فنقتطف من اعمالهم الجدول الآتي :

جدول ٣ : قيمة الانارة بحسب نوع العمل

نوع العمل	قيمة الانارة
الخياطة على قماش زاهر (فاتح)	٢٥ لوكس
« « « مشبع (غامق)	٥٦ «
« « « اسود	٨٠ «
الرسم	٥٠ «
غرف الشغل والقراءة	٤٠ «
غرف البيوت	من ٢٥ الى ٤٠
الماشي	١٠ الى ٢٠

وربما يتساءل البعض عن معنى لفظة لوكس . فهي في عرف الاختصاصيين مقياس الانارة او الدفقة النورية (flux lumineux) في المتر المربع ويمكن تحويلها الى شمعات كما سنرى

عدلنا الآن قيمة النور اللازمة بحسب نوع العمل ولا بأس من الزيادة عليها ، رغم ما يزعم البعض من العامّة ، بان كثرة النور تضرّ في اعصاب العين وتسبب العمى . فكيف يكون ذلك وقوّة انارة الشمس ثمانين الف لوكس ، وفي الظل خمسة آلاف ونحن لاسباب اقتصادية لا نتخطى المائة .

ان سبب الضرر ليس قوة النور بل استعماله بدون نواشر (diffuseur) فيبهر النظر

رسم ١ – ناشر للنور

بقي علينا البحث في قيمة توزيع النور : اننا نفضل ان يكون في غرفة واحدة فسيحة جملة قناديل بقوّات صغيرة على قنديل واحد عظيم النور . فهذا متعب للنظر بسطوعه وتلك موزّعة للنور ومخففة للظل . اما المسافة بين القنديل والآخر فتتراوح بين واحد واثنين من علوه فوق طاولة العمل (١) ، وبعده عن الحائط نصف ذلك .

ولا بُدّ لنا من كلمة في مايسمونه «ضاربة الاستخدام» (cofficient d'utilisation) اي في نسبة مجموع الدفقة النورية الى الدفقة المستخدمة (flux utile) وهذه الضاربة تابعة للون الجدران ، والسقف ، وقوة القناديل ، ونوع المراكس والنواشر ، وعليها تؤسّس قيمة النور اللازمة . وقد يُستعاض عنها في دروس التنوير بعدد تقريبي يتغير بحسب لون الغرفة يدعى « ثابتة الانارة » (constante d'éclairement)

---

١) ان طاولة العمل او سطح العمل (plan utile) يعدل علوها عن الارض ٧٥ سنتيمترًا

جدول ٤ : قيمة ثابتة الانارة بحسب لون الغرف

لون السقف	لون الجدران	قيمة ثابتة الانارة	
		بعاكس للنور	بناشر
زاهر (فاتح)	(كثير الفتوح)	٤	٣
"	عادي	٢,٦	٢,٧
مشبع (غامق)	مشبع (غامق)	٢,٣	٣

هذا ما احببنا تبيانه بخصوص قواعد التنوير وها اننا اتماماً للفائدة نحل للقراء العمل الآتي :

مثل : انر غرفة عمومية القراءة طولها ١٣,٥٠ متراً وعرضها ٩ امتار بعلو ١,٢٥ لون سقفها ابيض وجدرانها رمادي

١ً : قيمة التنوير — نرى في الجدول ٣ ان قيمة التنوير الضرورية لغرف القراءة هي ٤٠ لوكساً

٢ً : عدد القناديل — من الحكمة توزيع القوة على ست قناديل كما في الرسم

٣ً : علو القناديل فوق طاولات العمل :

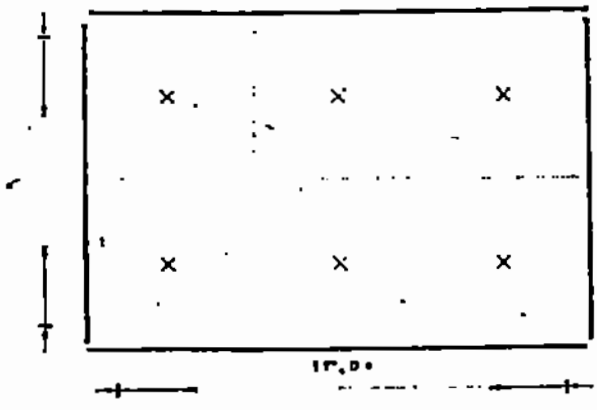

ان قاعدة العلو هي

علو = المسافة بين القناديل ٤,٥٠ / ١,٥٠ = ١,٥٠

اي ثلاثة امتار

٤ : قوة القناديل — القاعدة ضرب قيمة الانارة اي ٤٠ لوكساً بمساحة الغرفة (١٣,٥٠×٩=١٢١,٥٠ متراً مربعاً) مقسومة على ثابتة الانارة (٤ ، حسب الجدول) فيكون

١٢١,٥٠×٤٠ / ٤ = ١٢١٥ شمعة

اعني لكل قنديل ٢٠٠ شمعة تقريباً او ٢٠٠ وات اذا انتقينا قناديل «مونوولت»

* * *

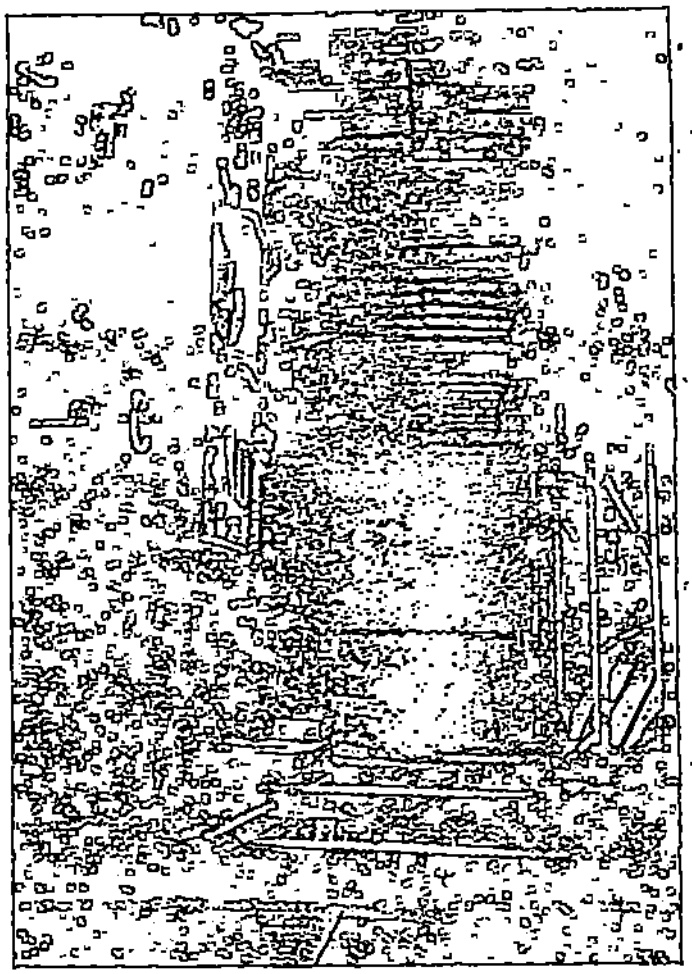

رسم ٢ — معمل صناعي انير بطريقة غير فنية

تلك بعض اصول التنوير ولا يخفى ما لها من الاهمية خصوصاً في انارة الدوائر الادارية والمحلات الصناعية . فقد اصبح من الثابت في اوربا انه متى

تحسنت حالة التنوير في المعامل والدوائر زاد الانتاج بالماية ٢٠ و ٣٠ ونقص التعطيل والكسر وغيره . وقد شعر رؤساء الصناعات بما لهذا الامر من التأثير

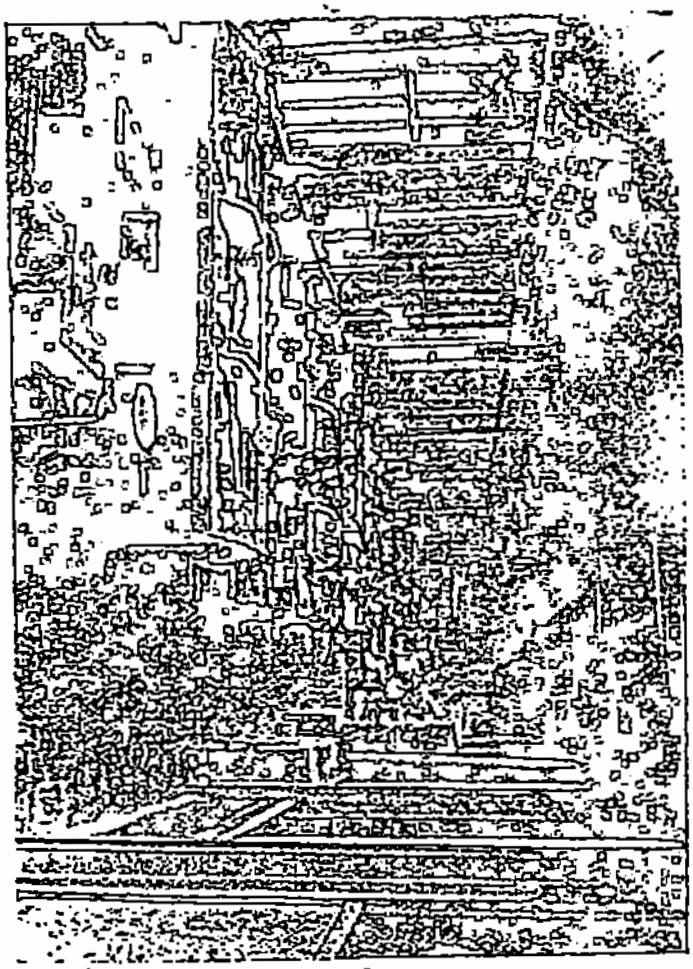

رسم ٢ — المعمل بنتائج بعد التنوير حسب الاصول

في زيادة ارباحهم فعمدوا ، في تنوير معاملهم ، الى اختصاصيين . وها نحن ناشر رسمين لمحل واحد انير في البدء بعواكس مبسطة وقناديل قليلة العلو (الرسم ٢)، ثم على طريقة فنية بواسطة عواكس مخصوصة كما في الرسم ٣ . فيرى القارئ ان توزيع النور في الاول سيء جدًا وانهُ في الثانية مختلف للظل ، متساوٍ .

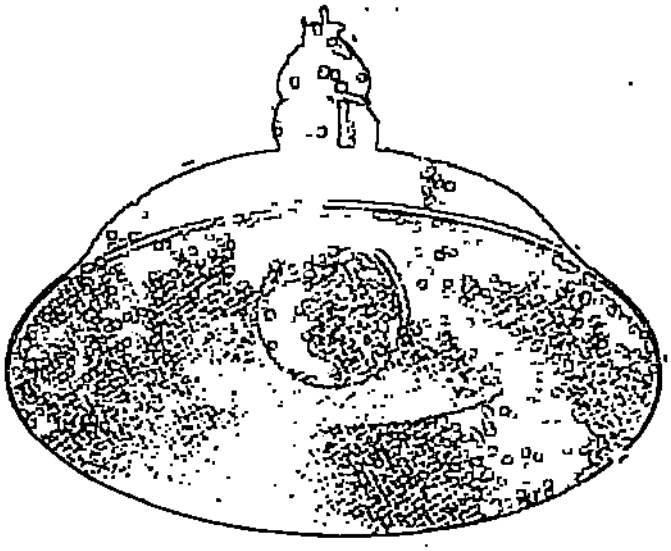

رسم ٤ — عاكس لانارة المحلات الصناعية

وقفة باطلال بابل

بقلم حضرة الاب ا . س . مرمرجي الدومنيكي

من اساتذة المعهد الكتابي والاثري الفرنسي في القدس الشريف

٣

بعد انقراض سلالة حمورابي ، نهضت عائلة اصلها من نواحي مصب الفرات ، وظفرت بالملك . وقام منها ١٢ ملكاً ، اولهم ايلميلو ، وآخرهم عكشيل . وكانت مدة حكمهم من ٢٠٩٩ الى ١٧١٤ . ولم تفدنا الآثار بشيء عن اخبارهم . الا انهُ في زمن الملكين الاخيرين ، حدثت قلاقل وفتن في بابل ، مكنت قبيلة الكونسيين من الاستيلاء على المملكة ، فجلس زعيمها كنديش في بابل نحو سنة ١٧١٤

وأصل هؤلاء الاقوام من جبل زكرا على حدود مادي ، وكانوا حتى ذلك الاوان مستقلين لما كانت عليه بلادهم من المناعة ، وكان منهم فريق قد بقوا على حال البربرة ، ومنهم فريق متحضرون متمدنون . والظاهر انهم في القرن الثامن عشر ق.م. ابان القلاقل والاضطرابات ، قد انقضوا على كلدية ، وأسسوا مملكة عرفت باسم «كردونياش» . ثم مدوا سلطتهم الى بابل ومازجوا سكانها تدريجاً ، وقد حكموا مدة طويلة في بابل ، الا انهم لم يقم بينهم ملك حازم ، يكتسب شهرة بافتتاحه البلاد او باتيانه اعمالاً باهرة ، مثل شركينا الاول ، ونارمسين ، وحمورابي . لا بل انهم ، لتغافلهم عن واجباتهم وانهماكهم في الملذات ، قد صاروا سبباً لانحطاط المملكة . وفي ايامهم انتهز الاشوريون الفرصة الملائمة ، فاستقلوا عن بابل . وكانت مدة الكوسيين ٥٠٠ سنة . وقام في خلالها ٣٦ ملكاً . وعقبتهم الدولة الباشية البابلية

ومن اشهر ملوك هذه الدولة ، نبوكدنصر الاول . وكان العيلاميون قد حاربوا البابليين فعبروا دجلة ، ونهبوا تمثال بعل . ومغبة الحرب كانت انهم استولوا على منطقة نامار ، فانتزعوها من بابل . فحينئذ حمل نبوكدنصر على نامار في فصل القيظ ، فأثر الحر والعطش في جيشه . لكنه مع ذلك استولى عليها وتوجه بعساكره الى شوشن . فانتشب القتال بين الفريقين ، وكان عنيفاً . فدارت الدوائر على العيلاميين ، وفاز البابليون بالظفر . فاضطر اهل عيلام ان يعيدوا الى اهل بابل بلد نامار ، ويرجعوا تمثال بعل . فانقلب نبوكدنصر الى مقره غانماً منصوراً

وفي زمن مردوخ نادينحا ، اي سنة ١١٠٥ ، اغار الاشوريون على بابل برئاسة تغلاتبلاسر الاول الشهير ، وشبت نار الحرب ، عند الزاب الأصغر ، ولم تظهر النصرة لاحد . الا ان تغلاتبلاسر استأنف القتال ، في السنة التابعة فظفر بالبابليين ، وفتح دور كوريكلزو ، وسيارا ، واوبي ، وبابل ، واتخذ لقب ملك بابل . وصارت كلدية واشورية مملكة واحدة . لكن هذه الحال لم تدم على هذا المنوال سوى سنتين . فان مردوخ دينحا قام على الاشوريين وطردهم من بلاده ، واستولى على مدينة هيكلا ، واخذ تماثيل الهتها ، وعاد

بها الى بابل حيث بقيت مُقفلاً عليها في هيكل بَيل

بعد الدولة الباشية البابلية المنقرضة بسبب الفتن ، قامت الدولة البازية . لكنها لم تستمرّ طويلاً لتلك الاسباب عينها . وكانت كلما ضعفت قوة اولي الامور في بابل اشتدّت شوكة ملوك أشور واستولوا عليها. الّا ان تغلاتبلاسر، حين ملك على بابل ، ترك لها الحرية لتتمتع بولاياتها ، وعوائدها ، وسننها ، لكون بابل كانت مقدسة عند البابليين والاشوريين معاً . فلذا احب اهل بابل تغلاتبلاسر ، واقتدى به خلفاؤه

وفي عدّة قرون ، بقيت بابل ، دون مُلك وسلطان خاص ، خاضعة لملوك اشور . وذلك الى نحو القرن السابع ق.م. فحينئذٍ نهضت من رقادها ، على يد نبوكدنصّر الثاني ، ابن نبوبلصّر . وكانت شوكة الارميين الرُّحل ، والاشكوزيين ، قد قويت في ذاك الحين . واذ كان نبوبلصّر قد شاخ ، ارفد ابنه نبوكدنصّر ، فاخضع تلك القبائل . وأما كانت سنة ٦٠٤ ، وكان المصريون يتوقّعون الفرصة للتحفّز ، بالقرب من مدينة كركميش ، وكان جيشهم جرّارًا ، حمل عليهم نبوكدنصّر حملة شديدة ، فقتل منهم خلقاً كثيرًا وطاردهم حتى حدود بلادهم. وبانتصاره على المصريين ، تسلّط على جميع سوريّة ، فسلم لهُ يوياقيم ملك يهوذا وغيره من ملوك تلك الديار . وبينما كان زاحفاً الى مصر لافتتاحها ، اذ نعي اليه موت ابيه ، فخشية وقوع فتنة في بابل ، اسرع في الرجوع بطريق الصحراء ، ودخل بابل فجأة ؛ وكان الكهنة قابضين على زمام الشؤون ؛ فجلس على سرير الملك ، واستتبّت لهُ الامور ، وقضى نبوكدنصّر فترة طويلة متمتعاً بالرغد والهناء . على ان ملك مصر كان لا يزال حانقاً ، لما لبسه من العار بظفر البابليين به . فصمّم النيّة على الاخذ بثأره. ولم يألُ جهدًا على مثال سلفائه ، في ان يحالف ملوك سورية . فاحتال وحمل يوياقيم ملك يهوذا ، على خلع الطاعة للبابليين . فلمّا بلغ الخبر نبوكدنصّر ، صعد الى اورشليم. فاستولى الرعب على يوياقيم فاذعن لهُ ؛ الّا انهُ لم يقم ان عاد فتمرّد . فارسل عليه حينئذٍ قوّادًا بفرقهم ، حاصروا اورشليم . وفي تلك الاثناء توفي يوياقيم فملك بعده ابنه يوياكين ثلاثة اشهر لا غيرها ، لان ملك بابل افتتح

اورشليم عنوة ، واغتصب كل ما في بيت الرب ، وبيت الملك ، من الكنوز، وكسر اوعية الذهب ، التي كان قد صنعها سليمان ، واستأسر جميع الصناع من اليهود ، ونقلهم الى بلاده ، ليشتغلوا فيها . والقى القبض على يوياكين وامه ، ونسائه ، وساقهم الى بابل ؛ وكان في جملة الاسرى دانيال النبي ورفاقه سنة ٥٩٧

وهذا نبوكدنصّر الثاني الشهير في الكتاب العزيز ، ولاسيما في سفر دانيال وهو الذي حارب المصريين وقهرهم وفتح كل سورية . وقد غضب على اليهود غضباً شديداً لعنادهم وعدم تسليمهم ، مع ما كان النبي ارميا يبذله لهم من النصح . ولذا حاصر الملك البابلي اورشليم ثانية ، ودخلها قوّاده . فانهزم الملك صدقيا ، لكن البابليين لحقوا في اثره فادركوه في سهل اريحا ، واتوا به الى نبوكدنصّر ، فعاملهُ اقسى معاملة لحقته عليه . فقد امر بقتل ذويه بحضرته ، وبفقأ عينيه ، وتكبيله بالسلاسل وسيه الى بابل . واما المدينة المقدسة، فاوعز الى عساكره ، فقوّضوا اسوارها ، وانزلوا الخراب والدمار في بيوتها

بعد هذا كله ، اذ كان نبوكدنصّر قد طعن في السنّ ، صرف جزيل عنايته الى اتمام الابنية الفخمة الجبارية التي اشتهر بها كثيراً . فان بابل كانت قبل خراب نينوى قد دمّرت مرّتين على يد اشور بنيال وسنحاريب . ولذا فكل ما قد بقي في موقع بابل حتى اليوم من الاثار ليس هو الّا مما قد شيّده واقامه هذا الملك الكبير نبوكدنصّر الثاني في زمن الدولة البابلية الثانية . ومما ساعد الملك البابلي على تأسيس هذه المباني العظيمة الاسرى الكثيرون الذين اتى بهم من اشور ، وسورية ، وفلسطين ، ومصر ، وبلاد العرب

فاعاد الى بابل رونقها وجمالها الاول . ومن خواص موقع بابل ان نهر الفرات كان يخرقها كما تخرق اليوم دجلة بغداد . فكانت مقسومة الى شطرين ، وفي كل شطر كان قصر فاخر ، او قصور جميلة . واما القصر الملكي فكان مشتهراً بالبساتين المعلقة المعدودة في نظر الاقدمين من جملة عجائب العالم السبع . ولا بأس ان آتي بكلمة وصف لها ، وان اضحت موضوع شك وريب عند المحققين من علماء العصر . فقد كانت هذه الجنان على هيئة سطوح راكبة بعضها

على بعض ، على شكل المدرَّج . فكانت تلوح لناظرها شبه رابية مكسوّة بالخضر ، قد علتها المروج والرياض. وكل واحد من هذه المروج كان على هيئة المربّع ، وكان يرقى من الواحدة الى الاخرى بسلّم ، وهي كلها كانت قائمة على اعمدة ومفروشة بالحجارة ، وفوق الحجارة شيء وافر من الحُمَر يعلوه الاجرّ . وعلى كل هذه الطبقات قد مُدَّت صفائح من الرصاص لمنع المياه من النفوذ في داخل البناء ، وعلى الرصاص طبقة ثخينة من التراب ، وفيه كانت تغرس الاشجار . والعمد كانت مجوّفة وفي احدها آلات لرفع الماء من الفرات تسقى به تلك الجنان.

اما مدينة بابل في ذاك الزمان فكانت محوطة باسوار شاهقة مبنية باللبن الملحم بالقار المغلي ، وفي الاسوار عشرات من الابواب ، وعلى قمتها صفّان من البروج وتحتها خنادق . وكان فوق الفرات الجاري في وسط المدينة جسر عظيم يصل الجانبين ، وطرق المدينة وشوارعها كانت على احسن ما يرام من النظام والهندسة . وشهرة نبوكدنصّر كانت فضلاً عن مآثره الكثيرة ، باقتدائه بمن سبقه من الملوك العظام في تشييد الهياكل والقصور العديدة الفاخرة ، وحفر الانهر والبحيرات ، لحصر المياه فيها إبّان الفيضان . وكانت وفاة هذا المليك العظيم سنة ٥٦٢ ، وبقي على سرير الملك ٥٣ سنة.

ومن بعده اصبحت بابل ميداناً للفتن والقلاقل ، لكثرة ما نشأ فيها من الاحزاب ، فكان ذلك مدعاة الانحطاط ، وجلب البوار عليها وآل الى ذهاب الملك منها على يد كورش ملك فارس ، في زمن آخر ملوكها نبونهيد وابنه بلطشاصر . وكان انبياء اسرائيل قد تنبأوا على سقوط بابل . وهذا ما جاء في سفر ارميا النبي بصددها قال : « هكذا يقول الرب : هاءنذا أثير على بابل وسكانها ، ذوي القلوب المقاومة لي ، ريحاً مهلكة . وارسل الى بابل مذرّين فيذرّونها ويخلون ارضها . ان بابل كاس ذهب بيد الرب ، تسكر كل الارض ؛ من خمرها شربت الامم ؛ لذلك تدلّهت الامم . قد اقام الرب روح ملوك مادي ، وقد اضمر ان يدمّرها . ايتها الساكنة على المياه الغزيرة ، الكثيرة الكنوز ، قد وافت عاقبتكِ ، وحدُّ سُحتكِ . انصبوا الراية في الارض ، وانفخوا بالبوق في الامم . نادوا عليها ممالكَ ارارط ، ومنّي ، واشكناز . تتزلزل الارض

وترتعد ، لان افكار الرب تقوم على بابل لتجعل ارض بابل مستوحشة لا ساكن فيها»

وهكذا سقطت بابل المدينة الشهيرة ، وكان سقوطها عظيماً ، ولم تقم من كبوتها هذه ، ولم يعد لها سلطان وملك البتة ، في ما عقب من القرون ، بل تلاشت رويداً رويداً الى ان اصبحت ، كما جاء وصفها اعلاه ، تلولاً وخرائب ينعق فيها الغراب ، ويأوي اليها البوم . الا انَّ تلك الخرائب تدلنا على ما كان عليه سلفاؤنا البابليون ، اهل العراق الاقدمون ، وما حصلوا عليه من القدرة والسلطان العظيم وهي اوضح دليل على ان الامر بيد مدبّر الاكوان يهب الملك من يشاء وينزعه ممن يشاء . عسى عراقنا العزيز ، في زمن هذه النهضة العصرية ، يعود الى مجده القديم الاثيل ، وعسى الشرق اجمع يسير سيراً حثيثاً في سبيل التقدّم والفلاح . وفّق الله رجال الاوطان الغُيُر الى كل ما فيه خير البلاد ، وجلب العمران ، انه السميع المجيب !

نشأة
الديانة المسيحية في لبنان

محاضرة القاها في نادي الشبيبة الكاثوليكية في بيروت

حضرة الخوري بطرس غالب

٣

اما الرؤساء الكنسيون ورؤساء الاديار المجاورة لهذه المناسك فاستغربوا سيرتهم وتولاهم شيء من القلق لدن مشاهدتهم هذا التفنّن في التقشّف وشظف العيش اما لقلة تعودهم هذا النوع من التوبة والتكفير اما لمخالفته تماماً لافكارهم الماجزة ولذا عُقد مجمع في انطاكية للنظر في امر هؤلاء النساك وربما كان الغرض من ذلك عزلهم وترنيبهم . — اقول هذا ايها السادة ليكون لنا عذر يوم نحكم ان القداسة لن تكون قداسة الّا اذا جاءت مطابقة لتصوراتنا القاصرة — غير ان الله الذي كان قد اوحى الى هؤلاء التوّابين العظام ان يفضلوا تلك الحياة الشاقة الغريبة ، لم يكن ليغضي عنهم طرف عنايته فكان ان اجتاع الاساقفة

والارشيمندريتيين الذين كانوا قد اعتزموا على استئصال شأفة تلك السيرة التي وصفوها بانها «معثرة» للشعب ، افضى بهم الى الثناء على النسّاك من عمودين وشجربسين لانهم كانوا اكتسبوا قلوب دائنيهم بتواضعهم العميق وفضائلهم السامية. وان الفضل لهؤلاء القساوسة في هداية لبنان الى الايمان الصحيح

لا ننكر انهُ وجد في لبنان قبل الجيل الرابع جماعة من المسيحيين البسلاء وعدد من الشهداء من مثل تاليليوس الجندي البطل وكيرلس اليعلبكي وجلاسينوس، والعذارى الجريئات اللاتي قاسين شرّ الاهانات ثم ضُربت اعناقهنّ بسيف الجلّادين والتائبات الشهيرات افدوكيا وبلاجيا وغيرهما

اجمل ان قسطنطين الكبير كان قد امر بدكّ هياكل الاصنام غير ان يوليانوس الجاحد جاء بعدهُ وشدّد عزائم الوثنيّين وحضّهم على ترميم تلك الهياكل واثار الاضطهاد على المسيحيين . وقد انقذ القديس يوحنا فم الذهب مرسلين فبعضهم طرد وبعضهم قُتل وحُكم على المهتدين بالعمل في المناجم.

كان التبشير هيّناً وسهلاً بعض السهولة في السواحل. امّا لبنان فان الحقيقة لاقت في سبيل النفوذ الى قلبه وتوغّل فيه مصاعب جمّة تحاكي تلك التي سيلقاها الضلال فيما بعد بحينما يحاول طرد النصرانية من تلك الجبال، بل انه سيلقى اشدّ منها. وسيحمل المبشرون على لبنان حملة قوية تبتدئ من الشمال متواصلة متتالية بعد ان يكون قوّادها قد سبقوا فأعدّوها واحسنوا ترتيبها فانهم لم يعمدوا الى المجادلات اللاهوتيّة التي قلّ ان تؤثر في شعب شديد المراس. كالشعب اللبناني بل الى ممارسة فضائل نسكية سامية ومتواصلة. وقبل ان يذيعوا فيهم كلمة الخلاص علموا انهُ لا بد لهم من ان يُروا اولئك الابطال انهم هم افضل منهم ومن كهنتهم واوثانهم انفسها وان يستميلوهم ليعودوهم الى مدة عن جبالهم ، ان لم يكن كلهم فجلهم ، ليعاينوا قداسة اولئك المسيحيين المجتلين بالفضائل ، ثم يعودوا الى اخوانهم ممجدين الله ومتحدثين بالآيات التي ابصرتها عيونهم . ان في القداسة جاذباً لا سبيل للافلات منه ولاسيما اذا رأى الله ان يؤيدها بالمعجزات الباهرات

ولا ريب ان هؤلاء النسّاك لم يخطر لهم ببال حين اعتزالهم الدنيا وما فيها انهم سيكونون آلةً بيد الله لتتميم هذا العمل العظيم. وما كانوا يرغبون في ان يزدحم

الشعب حولهم ذلك الازدحام العجيب لكن العناية الالهية التي توسطتهم لتبشير الجيلين هي هي قادتهم الى تلك الصوامع والعواميد . والراهب مارون حين ساقه الروح الى جبال قورس لم يكن يفتكر بغير خلاص نفسه ، انما الله اراد به غرضاً معلوماً وهو ان يجذب اليه ويجمع حوله رجالاً من كل امة يؤلف منهم هو وتلاميذه بعده جماعة متحدة مع كرسي بطرس برباط الايمان والخضوع. اجل لقد حان لهذه الجرثومة الكاثوليكية ان تتكوّن وتتقوّى لان الهرطقة كانت قد شتّتت شمل المسيحيين واخذت في فكّ عرى الاتحاد برومية فامسوا قطيعاً لا راعي له . عدا انهُ كان قد اخذ يطلع في الفلك نجم ذلك الرجل الذي يجهز على النصرانية في الشرق.

اعتزل القديس مارون في جبل القورسيّة وكانت عاصمتها مدينة قورس البعيدة ٧٥ كيلومترًا عن حلب لجهة الشمال الغربي . احرزت تلك المدينة نصيباً وافرًا من الشهرة والعمران ومعظم الفضل في ذلك عائد الى نسّاكها الذين عطّروا الآفاق برائحة قداستهم وزهدهم وتقشفهم وعجائبهم . وقد حفظ لنا تاودوريطس اسقف قورس المؤرّخ الشهير ذكر تلك الزهرات التي تفتّحت اكمامها في حديقة السيرة النسكية.

واقول على سبيل الاستطراد ان هذا الاسقف الذي صنّف كتباً كثيرة قد وجد من وقته متفسحاً للاهتمام بشؤون ابرشيته المادية ولا سيما تنظيم مدينته الاسقفية: بنى فيها اروقة ، وحمامات عمومية ، وجسورًا ، وجرّ اليها الماء الصافي واستقدم طبيباً وكان الاطباء في ذلك العصر عزيز وجودهم . ولا يسعني السكوت عن شكر الاب لامنس الذي استقيت من ينبوع علمه هذه التفاصيل.

امّا القديس مارون فقد عقد النيّة على التخصّص بخدمة الله في العزلة جعل مقامه على قنة جبل كان مكرّساً لعبادة الشياطين، فقدّس فيه هيكلاً لله ونصب لنفسه خيمة من جلد كان يأوي اليها في حين الضرورة.

والّف اناشيد ومدائح للحكمة الالهية فجاد الله عليه بصنع الآيات فاخذ الناس يفزعون اليه من كل حدب وصوب فيبرئ عللهم المختلفة بدواء واحد هو الصلاة، ويشفيهم من امراض النفس كما كان يعالج امراض اجسادهم فانبت

مثله ونفوذه عدداً كبيراً من اغراس الحكمة لان الجنّة التي ازهرت في بلاد القورسية انما هي من غرس يده المباركة . ومن تلك الاغراس الناضرة يعقوب الكبير وتلاسيوس المعروف ايضاً بليميناوس وموسى ودوفينوس وابرهم وزبينا وغيرهم كثيرون.

ومن النساء من سلكن طريقه الموعر منهنّ دومنينا وكورا ومارينا العذراء الفريدة التي لبست زي الرجال واتت فترهّبت في احد اديارهم وكتمت حالها فلم ينكشف امرها الّا بعد موتها . وقد نُظم اناشيد مختلفة تخبر بواقع حالها منها مديحة الّفها البطريرك يوسف حليب الماروني وهي طويلة لا يسمح لي ضيق الوقت بروايتها بنصها فاكتفيت بالاشارة اليها . ولمّا كثر عدد هؤلاء النساء تحوّلن الى العيشة المشتركة وأربين على ٢٥٠ راهبة .

وقد القديس مارون في الرب بين عام ٤١٠ و ٤١٢ فاقتتل الناس على جسده — وسيجري مثل ذلك بعد موت سمعان العمودي — اذ كان كل فريق يريد لنفسه امتلاك هذا الكنز الثمين . على ان اهل القرية المجاورة لصومعته تغلبوا على خصومهم واقاموا له كنيسة في مكان قريب من موضع عزلته بعيد عن قورس اذ ان تاودوريطس يشكو من حرمانه هذه الذخيرة ويقول: «اما انا فوان كنت بعيداً عن جسمه المقدّس فعزائي بما لي من رجاء الحصول على شفاعته.»

ان كان فيكم سادتي من اسعده الحظ بزيارة وادي قديشا «وادي القديسين» فلا ريب انهُ قد عاين تلك الاعمال العظيمة التي قام بها اولئك الرهبان ليجعلوا مناسكهم امنع من عقاب الجوّ وابعد من النجوم منالاً على زائرها، فانهم نقروا في الصخور الصمّاء صوامع وكوى ومعابد بل اديارًا، وتلك المناسك تعد بالمئات . الى تلك المناسك كان يأوي اولئك الذين افتخروا لبنان للمسيح وهم تلاميذ القديس مارون الذين واصلوا عمله فانهم ما لبثوا بعد موت ابيهم ان نزلوا سورية الثانية حتى ابواب لبنان وقد ارسل احدهم مرقيانوس رهبانه يشيدون ديراً قرب افامية . ويروي ابو الفداء عن مجريات سنة ٤٥٢ ان الملك مرقيانوس امر بتوسيع هذا الدير الذي تألّب حوله المؤمنون الخاضعون للبابا لاون الكبير القديس ، والمخلصون للمجمع الخلقيدوني فلقّبوا بالخلقيدونيين.

وكان الرهبان ينتشرون من ذلك الدير متفقدين القرى نازلين الى المدن ليجادلوا في المسائل اللاهوتية يقضون فيها مدات ، كما جرى لهم في انطاكية حيث مكثوا ستة اشهر يجادلون خصوم المجمع الخلقيدوني ويظهر انهم كانوا يعمدون مرات الى العصا لافحام المناوئين بدليل تأنيب اليعاقبة لهم في الرسائل التي كانوا يرسلونها اليهم . غير انه لم يذكر عنهم انهم لجأوا الى السيف حلاً لمشكل تعليمي كما كان يفعل خصومهم الغاضبون لاستعمال العصاء

وكان اكبر عضد لاعمال هذه الرسالة النساك العموديين واشهرهم القديس سمعان الكبير وقد قيل انه من تلاميذ القديس مارون . اتاه اللبنانيون مرة يسألونه ان يتقدمهم من الضواري التي كانت تعيث في قراهم وحقولهم فاجابهم : انكم ستكفون شرها بذريعة واحدة وهي ان تتطهروا وتنقشوا صلباناً في حجارة تجعلونها تحوماً لاملاككم . فلما فعلوا نجاهم الله من الضواري . وقد قرأت في « المكتبة الشرقية » للعلامة السمعاني انه في اثناء رحلته الى لبنان (١٧٣٦) أراه اهل الشمال اربعة حجارة محفورة فيها صلبان احدها قرب حصرون وثانيها في خراج بشراي وثالثها في أيطو ورابعها في ارض اهدن

ومن العموديين سمعان الصغير ودانيال ومن الشجريين مارون الناسك الذي عاش في نقرة شجرة وصنع آيات كثيرة .

وقد اقتفى الرهبان آثار هؤلاء الرسل الذين بشروا بثلهم وفضائلهم وعجائبهم ، على انهم اتبعوا طريقة يعتبرها البشر اشد تنظيماً . فانهم ما زالوا يتقدمون شيئاً فشيئاً حتى اجتمع حولهم عدد امكنهم ان يطلقوا عليه اسم موارنة او جماعة مارون نسبة الى رجل الله القديس مارون ابيهم والى الدير الذي شيد على اسمه . وامتدت هذه الطائفة في انحاء سورية حتى الفرات ، على ان الوفاد الاعظم منهم استوطن لبنان في اواسط الجيل الثامن كما يستفاد من شهادة التلمحري المؤرخ اليعقوبي الذي كاد ان يكون معاصراً لما رواه من الاحداث وكان للموارنة منذ ذلك الجيل بل قبله سلطة كنائسية منظمة ولهم بطريرك واساقفة كلما فقد منهم واحد قام غيره . ويظهر ان مقام اولئك الاحبار كان في اول امرهم دير مار مارون على العاصي ، يستدل على ذلك من اصرار اعدائهم

على ذلك أسس هذا الدير وتفريق رهبانه اعتقاداً منهم انهُ متى ضرب الراعي تشتت الخراف ومتى قوّض المعقل تبدّد الجند . وظل الموارنة الى غاية القرن السادس عشر ينتخبون اساقفتهم من الرهبان والجباه وكان هؤلاء الاساقفة يقيمون قرب البطريرك في احد الاديار وهو يرسلهم الى اقسام بطريركيته المختلفة يتفقدون احوال الموارنة وحتى اليوم يُطلق اسم «دير» على المقر البطريركي الماروني.

وكان هؤلاء الرهبان متصفين بالصفات الكافلة لحفظ الايمان الخلقيدوني في قلوب القطيع المتألب حولهم ، وقد برهنوا على صحّة معتقدهم وثباتهم في الايمان بالجدال الذي جرى بينهم وبين اليعاقبة في حضرة معاوية وبالآلام التي قاسوها فقتل منهم ثلثمائة وخمسون راهباً تشبثهم بالايمان الكاثوليكي وجرح عدد كبير ممن بقوا في قيد الحياة . وكثيرون لاقوا من الهراطقة ضروب المظالم والعنف وأسلم ديرهم للنهب والسلب وخرب فرعمه يوستينيان وبقي عامراً الى اواخر الجيل الثامن . ولمّا اشتدّت عليهم الاضطهادات عرضوا واقع حالهم الى البابا هرميداس وطلبوا منه ان يرشدهم ولقبوا انفسهم في رسالتهم اليه « بابناء الكنيسة الكاثوليكية » . وكان تعلقهم الشديد بالحبر الروماني يقيم ويقعد الهراطقة اشياع الطبيعة الواحدة فجعلوا يعيرونهم قائلين : « لاوونكم » يعنون بذلك البابا القديس لاون الكبير الذي كان الموارنة يدافعون عن تعليمه.

على هذا الشكل نشأت الطائفة المارونيّة واهتدى الى الايمان الصحيح القسم الجبلي من فينيقية : جاليات تنزل قرب الاديار في لبنان وتجعل هناك محل سكناها . بُنيت الاديار اولاً ثم قامت القرى من حولها ودخلت لبنان عناصر مختلفة فانضمت الى تلك الجاليات فازداد بها عددها منهم مردة متخلفون عن قومهم كعبيد معتوقين، وأسرى فارّون الى غير ذلك . والكاثوليك المضطهدون كانوا يجدون في لبنان ملجأ حصيناً، من الرهبان الذين اجلاهم الملك انستاس حتى المؤمنين العائدين الى حضن الكنيسة في القرن الماضي ، لا يجمع بين هؤلاء الاقوام سوى الوحدة في الايمان الكاثوليكي الذي جعلهم اخوة وان اختلفوا اصلاً وفصلاً

اما الطوائف الشرقيّة الاخرى فانقسمت قسمين . قسم كاثوليكي ما عتم ان ضعف فقلّ فقدوا رئاستهم الروحيّة ، وقسم هرطوقي شدت

ازره السلطة المدنيّة فاستسلم لها حتى في امور دينه فسادت الفوضى فيما بين افراده وقد اجهزت عليهم بيزنطية حين فضّلت ان تخضع عنقها لنير الفاتحين على ان تنقاد لتعليم الكنيسة البطرسيّة ، فحرمت نفسها وحرمتهم التدبير المعصوم واصبحت حالتهم حالة الغصن المقطوع من اصله فجفوا ويبسوا.

على انه قد ارتجع قسم منهم الى حضن الكنيسة فعاود تأليف هيئة كنيسة منظمة فسارت فيهم حياة المسيح فاورقوا واثمروا

فان كان الموارنة صينوا من الضلال وتجسمت في طائفتهم الكثلكة في الشرق مدة اجيال فما ذلك الّا بفضل خضوعهم السريع التام لذلك الذي اقامه المسيح رئيساً على كنيسته لا بغزارة علومهم اللاهوتيّة وكثرة خوضهم بحر المجادلات العقيمة . ومتى قلنا عنهم انهم كانوا كاثوليك في كل اطوار تاريخهم فاننا نفهم انهم بصفتهم جماعةً كانوا اذ يصل اليهم صوت رومية يذعنون دون ما تردّد والحق يقال ان هذا الخضوع هو العلامة الخارجة الفارقة للكاثوليكي عن غيره

حسبنا الآن ما تقدّم فلنقف عند هذا الحدّ اذ ان المرحلة الثانية من تاريخ لبنان سيجوزها بكم اب عالم له كل الالمام بالوقائع التاريخيّة الشرقية وهو سيفتح كتاب حوادث هذه البلاد في الفصل الذي انتهيت اليه.

وها اني اوجز ما تقدّم فأقول: أذيع الانجيل في لبنان الساحلي عقيب التبشير به في اليهودية وقد جاهدت كنائس السواحل لا اقلّ من اربعة قرون دفاعاً عن كيانها الديني وردًّا لحملات اعداء الايمان غير ان الضعف نالها منذ أُذن للهراطقة ان تمزق ثوبها ووحدتها فما طال امرها حتى ابتعدت عن مركز الوحدة فماتت . اما لبناننا الجبلي فكان في بادئ امره مستعصياً على الكرازة الانجيلية فبعد ان قبايا لم يبقَ شيء يقوى على زعزعة ثباته وآثر اوديته وجباله وغاباته ومغاوره على رخاء العيش في السواحل ليصون ايمانه فانه قلما اكترث للمجادلات اللاهوتية لكنه اهتم بالطاعة لرومية فظلّ كاثوليكيًّا . فاسألكم ايها السادة ان تتشبثوا بايمان اولئك الجبليين وتتجملوا بسذاجتهم وخضوعهم فتستمرّون مدى الدهور ثابتين على عهد الاخلاص الذي سجله جدودكم الكرام عليهم وعليكم وقيدوكم به

نداء اسلامي

لتحرير المرأة

بقلم الاب لامنس اليسوعي

ظهر في بيروت كتاب جديد اسمه « السفور والحجاب : محاضرات ونظرات مرماها تحرير المرأة ، والتجدّد الاجتماعي في العالم الإسلامي ؛ تأليف الآنسة نظيره زين الدين » وهو مُهدى الى والد المؤلفة ، سعيد بك زين الدين الرئيس الاول لمحكمة الاستئناف في الجمهورية اللبنانية . ونحن اذا اعتبرنا هذه التقدمة الصادرة عن برّ بالوالد بليغ ، وتدبّرنا بإزوبّة نصّها الدقيق ، علمنا ان امامنا مؤلفين للكتاب لا مؤلف واحد ، وشعرنا ان « السفور » وليد المحادثات الليلية ، ونتيجة جهود الابنة والوالد الذي احتجب ، بعد انتهاء العمل ، مختفياً وراء من كان عليها كتابة اماليه . لأننا ، دون ان نبخس الآنسة نظيرة حقّها ، نرى ان اسلوب المناظرة في الكتاب ، والاستشهاد الكثير بأحكام الشريعة ، مع تلك السهولة في استعمال الفقه والقوانين ، كلّ هذا ينمّ عن تدخل رجل القانون . وكذلك فان الاستشهاد بفقري القرآن ، والاشارات العديدة الى مجاميع الحديث ، ليست من المواضيع التي تحذقها الفتيات على مقاعد المدرسة .

وقد استلمنا ، برفق النسخة التي اهديت الى مجلّتنا ، رسالة ترجو بها الآنسة نظيرة من ادارة التحرير ان تبدي رأيها بكل حرّية . فنحن ، مع شكرنا للآنسة ثقتها فينا ، نجتهد في ان لا نطيع تلك الدعوة . لاننا قلنا سابقاً (مشرق آذار من هذه السنة ص:١٣٦) ان المسألة لا تهمّ الا المسلمين ، ولهم وحدهم الحق في ان يفحصوا فوائد الحجاب ومضارّه ويعيّنوا مقدار ما ينالونه من الحرية لنسائهم . امّا في ما يخصّنا من ذلك فقد حلّت المسألة ، منذ نحو الفي سنة ، بفضل الانجيل ، وقانون المدنية المسيحية .

على ان تحامينا الدخول في هذا البحث لا يمنعنا من القول ان الكتاب جمّ

الفوائد ، يثير كثيراً من المسائل . واذا استثنينا بعض المراجعات ، ظهرت اكثر البراهين متسلسلة بوضوح ، موفقة في عرضها ، لاذعة بعض الاحيان . وانها للمرة الاولى التي يظهر فيها في سوريا ، على ما نظن ، درس موضوع السفور بهذا المظهر الجامع (اكثر من ٤٢٠ صفحة) وبهذه السعة في العقل ، تكتبه مؤلفة مسلمة ، فتتكلم وتناظر مسلمة .

ونحن ، دون ان ننكر حقها في ذلك او ننحاز اليها او عنها ، نرى ان قرّاءنا يشكروننا اذا ما اوردنا لهم ملخص الكتاب ، واشرنا الى اهمّ البراهين التي تستند اليها المؤلفة . فيكون دورنا دور الناقل ليس غير . وهكذا فلا نخشى ان نحتجب وراء الكاتبة ، تاركين لها مجال الكلام ، ناقلين بعض نصوصها .

* * *

يبدأ القسم الاول « بجولات عامة في الحرية ، والحق ، والشرع ، والدين ، والعقل » وليس هو اطرف ما في الكتاب . تعرض فيه مؤلفته ما يستند اليه اعداء السفور من ان المرأة احطّ من الرجل ديناً وعقلاً ، وبما يبرهنون على ذلك من ادلة يتخذونها من الشريعة القرآنية التي تعتبر المرأة نصف رجل في مسائل الشهادة ، والارث ، وتعطي الرجل حقّ تعدّد الزوجات ، والاستبداد بالطلاق متى شاء دون رضاهنّ . ثم تجتهد في دحض تلك الاستنتاجات (الصفحة ٩٠ وما يليها) بشهادة بنصوص عديدة من الحديث . على انه بامكان الاعداء ان يوردوا نصوصاً اخرى من الحديث تعاكس تماماً هذا الرأي . فلمن تميل الحجّة ؟ وباي نصّ تتعلق الحقيقة ؟

ويأتي القسم الثاني وفيه توسيع الادلة العقلية فيبدأ هكذا : (ص: ١٠٩)

« قابلتُ في اول الامر ، بين عدد انصار السفور ، فرأيت ان أهل الحجاب لا يجاوزون عدة ملايين من الاسلام يسكنون المدن ، وان العالم الاسلامي في القرى ، وأكثر من الف وسبعمائة مليون من الامم الاخرى ، كلهم من اهل السفور ، وقد نبذوا الحجاب الذي كانوا انصاره من قبل ورأيت ان الامم التي نبذت الحجاب ، امم راقية في العقل والمادة ، رقياً ليس للامم المتحجبة مثله . فالامم السافرة هي التي اكتشفت بالبحث والتنقيب اسرار الطبيعة ، وسخرت لارادتها العناصر ، كما تعلمون وتشهدون . اما الامم المتحجبة فلم تكتشف سرّاً ، ولم تسخر لارادتها عنصراً ، وانما هي تتغنى بمجد مضى ، وتقليد لما قدم ، مستميتة بذلك الفناء على الجمود . »

بعد هذه المقابلة ، تؤكد المؤلفة ان الحجاب لم يكن فخراً للرجل بل هو اهانته لانه يجعل كلّ رجل « يحقر امّه ، وابنته ، وزوجته ، واخته ، بسوء ظنه المستمرّ ، يسد اليهنّ فساد الأخلاق » ويعتبرهن عاجزات عن مقاومة ميول الطبيعة الفاسدة . وهي تستشهد بقول شوقي بك « امير الشعراء » :

« ان السفور كرامةٌ وبسارةٌ ، لولا وحوش في الرجال ضواري »

ولكن من حسن الحظّ ان الشعراء يستبيحون ان يغيّروا آراءهم كلما عنّ لهم ذلك ، وان لا يتقيّدوا اليوم بما قالوه أمس . وما قولكم بهذه الابيات لشوقي بك نفسه :

قم حيّ هذي النيّرات ! حيّ الحسان المقبرات !
واخفضْ جبينك هيبةً للخرّد المتخفّرات !
مصر تجدّد مجدها بنساؤها المتجدّدات ،
السافرات من الجنو د كأنهنّ شبح الممات !
هل بينهنّ ، جوامداً ، فرقٌ وبين الموميات !

وان الآنسة نظيره تأبى كل الإباء ان تمدّ بين تلك « الموميات » . وهي تعتبر ان الحياة في العالم ، والاجتماع المختلط ، يتمّ التهذيب المدرسي ، وان الاجتماعات العيلية مراقي العقل والاخلاق . ودون ادنى حياء بشري ، تذكر مثال الراهبات السافرات فتقول :

« لا يجوز لنا ان ندّعي ان نساءنا المتحجّبات بزحن الحاضر الخلاب اكثر شرفاً ، واكمل ادباً ، واعفّ نفوساً ، وابعد زيّاً من التبرّج والفتنة من الراهبات السوافر اللواتي اقتلعن من الرجال ولا قوّام عليهن في هذه الحياة ، كأنما هنّ اللواتي عملن بكتاب الله وسنة رسوله في العلم والتعليم وفي الزيّ اذا خرجن من بيوتهن . وكأنما نحن الألى خالفوا .

ان كل من تأمل منصفاً بعقل مجرد عن الهوى يرى ما رأيت .

وهل بيننا من لا يثق بهنّ كل الثقة وقد اعترف لهنّ العالم بحسن السجايا فضلاً عن شديد عنايتهنّ بتهذيب الصغار وتثقيف اخلاقهم وانارة عقولهم .

وهل ينكر احد انهنّ مرجع الفقير ، وملجأ العاجز والمريض ، وغوث المعوز واليتيم ؟ أكان سهلاً عليهن ان يفعلن ما يفعلن في سبيل خير البشر لو كنّ في اسر الحجاب يرسفن بقيوده كما يريد سيدي الرجل ان نكون نحن ؟

وهل يرضى الله عزّ وجلّ، وهو العدل كله، من ضعفنا وخمولنا ونحن عجبات، ولا يرضى من جليل عمل اولئك ومن سوافر، وقد ملأن البشرية بنافع واحسانا ؟

انظروا مساعد العلم التي انبتها، وهي تنير ارضنا كما تنير النجوم السماء. انظروا اليها وقد صيّرتها بقوة الحرية والارادة وسمو المدارك وصدق العزيمة، جنات باسقة الاغصان ناضجة الثمار. واسمعوا من وراء جدران الملاجئ دعاء الايتام والمعوزين الذين رحمتهم يد الشفاء الى وهدة البلاء والشقاء، فتلقتهم ايدي ملائكة البر والعطف البشري تشبع جوعهم، وتكسو عريهم، ناشلة اياهم من تلك الوهدة.

انظروا كل هذا يا سادتي الرجال، وقابلوا بين الفئتين الراهبات السوافر، والنساء المعجبات اللواتي حرمن القوّامين عليهن، ترفا هؤلاء وقد عجزن عن كسب قوتهن يتزاحمن على ابواب المحاكم الشرعية ودوائر التنفيذ منكسرات القلوب ذليلات النفوس يسألن نفقة تقيهن فاتلة الجوع، وبعضهن يشتهي الرغيف، واولئك يضمن الفقراء واليتامى. افلا يخشى الرجل ان تتبذّل المرأة التي لا معين لها اذا عجزت، وقد منعها الحجاب، عن كسب رزقها الحلال ؟ (ص: ١٥١-١٥٢)

ولكن اعداء السفور يدّعون ان ترك الحجاب يجرّ الى ترك المنزل، فعدم الاهتمام بتربية الاطفال، ويقود لا محالة الى قلة المواليد. فتجيب الكاتبة «ان عدد نفوس الملل الاسلامية المعجبة في تأخر وتوقف، ونفوس الملل السافرة تتضاعف عددًا في عشرات السنوات.» ثم تلقي نظرة عامّة فتقول:

حين نرى ان مدينتي لندن ونيويورك تبلغ نفوس كل منها عدًا سبعة ملايين ونيّفًا، وذلك اضعاف اضعاف ما كانتا عليه قبل مئة سنة، واضعاف ما بقي في سورية ولبنان وفلسطين والعراق من نفوس.

حين نرى المدن الاخرى في العالم السافر تتضاعف مثلها نفوسًا حتى ضاقت ارض السفور باهلها على رحبها فانتشروا في الارض مستولين بما خلفت عقولهم من قوة، وبما اعدّوه من عدة، على بلدان الامم المعجبة، او بلدان الامم المتأخرة، وهي التي امست الارض فيها واسعة على سكانها الجامدين في مقدار نفوسهم، كما جمدوا على العادات في عقولهم او تأخروا.

حين نرى الخفائق تنصرف دون اعتراض على حكمة الباري، ودون انكار لحكم الاجل، ان نصف الاطفال عندنا يموتون من جهل امهاتهم، وقلما يموت عندهم طفل الا بقدر.

حين نرى ما انجبت تلك الامهات في هذا العصر، عصر العلم والنور، من مخترعي طيارات وسيارات وغوّاصات وتلغرافات وتلفونات سلكيات ولاسلكيات، وميكروسكوبات وتلسكوبات. ومن كاشفي ميكروبات، وايونات، وراديوم وانزار واشعات، وغير ذلك من المدهشات المذهلات.

حين نرى كيف انجبت اولئك الامهات السوافر اولئك المخترعين والمخترعات، والمكتشفين والمكتشفات، والمعلمين والمعلمات، والاطباء والطبيبات. ثم تلقي نظرة الى انفسنا والى ما انجبت امهاتنا.

حين نتأمل فنرى ونعرف ، ان لا فرق بيننا وبين ذلك العالم ، إلّا نقاب النساء ، يجب ان نعترف بان الام هناك لم تهمل تربية اولادها ، بل أحسنتها وان السر في زيادة عدد النفوس هناك ، ونقصانها هنا ، انما هو حسن تربية الام عندهم وسوء تربيتها عندنا . (ص: ١٦٢-١٦٣)

ثم تنال الآنسة نظيره من جبن الرجال ، والتناقض بين آرائهم واعمالهم (ص : ١٦٥) فاكثرهم يعترفون بضارّ الحجاب ، ولكنهم لا يجرأون على رفعه خائفين من نقد العامّة . ويزعم غيرهم انه من اللازم قبل السماح بالسفور « تعميم تعليم البنات ، وتهذيب الشباب ، تعليماً وتهذيباً صحيحين ، وبعدئذ يحسن تعميم السفور . » (ص : ١٧١) ولكن هذا المنطق لا يفرّ الآنسة فتلاحظ انه لا تهذيب ولا تعليم مع الاحتفاظ بالحجاب وحبس النساء ، فيلزم اذن رفع ذلك الحاجز . (١

* * *

اما القسم الثالث فيتناول الادلة الدينية ويتوسّع فيها في البرهان عن نظرية المؤلفة . وهذه الادلة مستمدّة من المعتقدات الاسلامية ، وسنختصر ايجازنا لها لئلّا يؤول بنا الأمر الى مناظرة في ذلك . فنكتفي اذن بالقول ان المؤلفة تزعم ان آيات القرآن القائلة بتحجب النساء ، وبقائهنّ في المنزل ، لا تخصّ الّا نساء النبي (ص : ١٨٧) وان المفسّرين أخطأوا في تعميم تلك الآيات على المسلمات كافّة . وهي تؤكّد ايضاً انه ، في القرن الاول للاسلام ، لم يكن استعمال الحجاب عاماً بعد ؛ ولم يكن من فرق ، في العلاقات الاجتماعية ، بين الرجال والنساء (ص : ١٩٠) . واخيراً تنادياً من الوقوع في اغلاط كالتي تنسبها المؤلفة الى المفسرين ،

ترى من الواجب ان تؤلف لجنة لتفسير القرآن من اجلّة الفقهاء المصريين ، وعلماء الاجتماع والاخلاق ، وذوي الاختصاص في العلوم والفنون المتنوّعة ، يشتغل كل منهم ضمن دائرة اختصاصه . (ص : ٢١٤)

وينتهي المطالع الى القسم الرابع ، وهو اطول الاقسام واوفرها طرافة .

١) في الصفحة ١٦٩ ، تذكر المؤلفة حادثة غاليلة الشهير فتقول انه لمّا هُدّد بالحريق ، اقتحم النار ومات . ولا ندري من اي نبع استقت هذه الخرافة ؟

وفيه الردّ على بعض الكتابات الحديثة ضدّ السفور. ونحن نمرّ عليه بسرعة آخذين بعض المُثُل منه ، محيلين القرّاء الى مطالعته في الكتاب نفسه ، مؤكدين لهم انهم لا يضيعون وقتهم ، ولا يندمون اذا طالعوه.

تفتتح المؤلفة سلسلة ردودها بذكر معارضة لاحد قضاة الشرع سابقاً ، دون ان تذكر اسمه (ص : ٢٧٥) ، ثم تنتقل (ص : ٢٨٠) الى كتاب للشيخ سعيد البغدادي ، وهو يزعم ان النساء ، اذ ظهرنَ سافرات ، اوقعن الرجال في الكبائر . فتردّ عليه بقولها:

اذا كان يجب ستر ما يراه الانسان مما ليس قادراً عليه ، ولا صابراً منه ، فيجب ان يستر عن كل انسان كل ما يشتهيه ، ومن الفقراء كل ما عند الاغنياء ، من بيوت وملابس ، ومآكل ، واسباب الرفاهية على انواعها. (ص: ٢٨٢)

ويرى الشيخ نفسه ان لبس الحجاب يميز الإنسان عن سائر الحيوان . . . فتجيب :

قلت: اذن الاولى بسيدي المرشد ، ان يتحجب ويضع النقاب على وجهه ، مثل النساء ، ليمتاز عن سائر الحيوان ، فالرجل اجدر من المرأة بهذا الامتياز ، لان عقله كامل ، وعقل المرأة ناقص ، كما زعم حضرته في جوابه على السؤال الثاني في الرسالة المذكورة. وهكذا اقول ، لكل من يقول ان الحجاب للمرأة ليس بدليل على تحقيرها ، انما هو دليل على احترام الرجل اياها ، اني اقول له: اذن الاولى بالرجل ان يحرز مثل هذا الدليل على احترام المرأة اياه ، فيحتجب ساتراً وجهه. والا فهو مراد فيما يقول و « إنَّ اللهَ حرَّمَ الجنّةَ على كُلِّ مرّاد ». (ص: ٢٨٥-٢٨٦)

وان الشيخ البغدادي الذي سمّى كتابه بهذا العنوان الجريء « السيف البارق في عنق المارق » يثير قريحة الآنسة نظيره فتتهمه ان الزمان قد سار بنا ، وتسأله :

ايجوز لنا بعد ، ان نستعمل « بارودة بخنيل » تجاه البراريد والقنابل والمدافع البعيدة المرمى ؟ وهل يجوز ان نستعمل النوق والجمال ، تجاه الدبابات والطيارات والسيارات المصفحة؟ ايجوز لنا ان نؤثر الجهل على العلم ، والظلم على العدل ، والباطل على الحق ، والاستبداد على الحرية ، والحجاب على السفور؟ (ص: ٣٠١)

وهنا نكتفي بالاشارة الى ردّ محكم (ص : ٣٠٢) على احد شيوخ الازهر وهو من اعداء تعليم النساء.

واوفر منه طرافة ذاك الرد على الشيخ محمد رحيم الطرابلسي القائل ان الدين الإسلامي يجبر المسلمين ان يتميزوا عن غيرهم باللباس ، فيلزمهم مثلاً ان يحافظوا على العمامة ولا يتشبهوا بغيرهم (ص: ٣٢٩) فتجاوبه المؤلفة قائلة :

يا سيدي الشيخ ، اذا كان الاشتراك في الملبس ممنوعاً ، سواء كان مقروناً بقصد التشبه والميل لدين صاحب الزي ، او لم يكن ، فلمَ اشتركنا معهم في كل ملابسهم ، واخذنا عنهم كل ما يلزم لمعيشتنا حتى الابرة والخيط ، والمدقة و « الشحيط » .

لقد أجهدنا بعض ذوي العمائم يا سيدي الشيخ ، في التعصب الجامد ، والورع البارد ، حتى خدرت عقولنا ، وشلت ايدينا ، وعجزنا من صنع ما يلزمنا ، وجلبنا كل شيء من العالم السافر الراقي ، ولبسناه او استعملناه ، ولم يبقَ شيء مما عندهم لم نشترك فيه ، الا البرنيطة او المظلة ، والمؤمنون احق منهم بها . وقد كانت عندنا قبل ان كانت عندهم ، ونحن احوج منهم اليها ، فالحر عندنا اشد من الحر عندهم . (ص: ٣٣٦)

وهنا تُوفق الكاتبة الى ذكر كل ما حُرّم قديماً من المرافق على غير المسلمين ، والتي جمعها قدماء الفقهاء كابن عابدين ، ثم تقول :

لم يجز ابن عابدين لغير المسلم ان يركب الخيل مطلقاً ، وان ركب حماراً لضرورة فينزل عنه عندما يمر بالمسلمين ، واوجب عليه التضييق ، والجأه الى اضيق الطريق ، كل ذلك للاذلة والصغار على ما ذكر . وانظر اليوم ، انت يا سيدي الشيخ ، الى غير المسلم ، الا ترى انه بعد نيله حرياته وافلاته من قيوده واغلاله ، لم يكتف بتسخير الارضين ، وسهولها ، وحزونها ، لمجلاته ، وسياراته ، ودباباته ، وبتسخير البحار لبواخره ، وغواصاته ، ومدرعاته ، بل سخر الافلاك الواسعة لطياراته ، وركب متن الجو ينظر الى الارضين من عل ، مسازاً بالقطبين والاوقيانوس الشاسع الواسع ، الفاصل بين العالمين ؟

لم يجز ابن عابدين لغير المسلم ان يسكن داراً عالية البناء لئلا يقف عند داره سائل ويدعو له بالمغفرة او يعامله في التضرع . وانظر اليوم انت يا سيدي الشيخ ، الى غير المسلم ، وقد نال حريته ، وافلت من قيوده واغلاله ، الا ترى ان قصوره الشاهقة ، وقد يبلغ بعضها سبعين طبقة ، تناطح السحاب وقد تعلوه ؟ وهو لا ينتظر السائل ليدعو له بالمغفرة ، او يعامله بالتضرع ، انما ترفع عن ذلك ، وهو يرسل الى ما وراء البحار ، والى كل الاقطار ، ملايينه ومليارات ، لاسعاف الفقير ، وشفاء المريض ، ونشر العلم ، وتثقيف العقل ، واسعاد البشر ؟

لم يجز ابن عابدين لغير المسلم ان يستخدم العبيد والجواري استخداماً به . فتأمل انت يا سيدي الشيخ فيما قبل غير المسلم ، بعد نيل حرياته وافلاته من قيوده واغلاله . انه حرّر العبيد والجواري ، في الدنيا كلها جبراً ، بمعاهدات خاصة ، وبدلاً من ان يستعبد اخوته وأخواته من

بني الانسان، ويسخرهم، استعبد الطبيعة الجامدة، مسخرًا اياها، ومسخرًا قواها لارادته، وخدمته، وراحته، ونعمه.

لم يجز ابن عابدين لغير المسلم، ان يلبس الثياب الفاخرة، مثل الصوف المربع، والجوخ الرفيع، والابراد الرقيقة، ولا زنار الابريسم لان ذلك جفاء في حق الاسلام ومكسرة لقلوبهم، بل يلبس الكستج ثوب العجز والذل، مؤكًا من خيوط الصوف والشعر الثخين.

وقد تناسى ابن عابدين على ما يظهر انه لما علّم القرآنُ نبينا محمدًا صلى الله عليه وسلم ان يستعيذ من مساوئ الاخلاق كان الحسد من جملة ما لقنه الاستعاذة منه فقال تعالى ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ. مِن شَرِّ مَا خَلَقَ. . . وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾.

وانظر اليوم يا سيدي الشيخ، الى غير المسلم، الا ترى انه قد حصر فيه صنع الاقمشة الفاخرة، كما حصر فيه سائر الصناعات العامة عنوان العز والقدرة؟ فهو الذي يرسل الينا من الاقمشة الفاخرة ما نلبس.

هل يرى ابن عابدين موافقًا لمكارم الاخلاق التي انما بعث نبينا صلى الله عليه وسلم لتتميمها، ان نحسد غير المسلم، على لبس الملابس الفاخرة، وزنار الابريسم، ونعد ذلك مكسرة لقلوبنا، في حين ان غير المسلم، يرسلها الينا من وراء البحار، لنتزين بها، دون ان يجول في فكره شيء من الحسد؟ (ص: ٣٥١-٣٥٣)

ثم تسرد الكاتبة الاحاديث الكثيرة التي ورد فيها ان الله «يحب الجمال والتجمل، ويبغض البؤس والتباؤس». «فلماذا تُكلف المرأة ان تكون بغيضة، مكذّبة بنعمة الله» (ص: ٣٦١) وهي لا تخشى الدفاع عن البرنيطة فتقول:

وانك يا سيدي الشيخ، تقاوم لبس البرنيطة، وما هي الا مظلّة. وقد سئل الرضا رضي الله عنه، عن رجل يلبس البرطلّة، فقال: «قد كان ابو عبدالله جعفر الصادق رضي الله عنه، يلبس مظلة يستظل بها من الشمس» (ص: ٣٦٢)

فكيف تلوم المسلم يا سيدي، اذا استحسن مظلة قلبها يستظلّ بها من الشمس، وقد لبس مثلها ابو عبدالله جعفر الصادق رضي الله عنه.

لبس المسلمون الطرابيش، وما هي الا قلانس بوقائية الوضع، تركها الاتراك بما غيروا فيها، حتى صارت الى حالتها الحاضرة، وهي جامدة على حال واحد صيفًا شتاء لا تتغير. إنهم في هذا الشرق، جعلوا كل ملبس للانسان، يتغير بحسب الفصول، والحر والقر، الا ملبس الرأس، فانهم جعلوه جامدًا. وكأنهم اجمدوه، لأنه لُبسُ مواطن العقول التي ارادوا واشاء ان يجمدوها. (ص: ٣٦٣)

وتقف الآنسة نظيره امام معارضة للشيخ الغلاييني في كتاب «الدين الاسلامي واللورد كرومر» فتقول أن كتابه هذا من عمل الشباب ، وقد يكون مؤلفه نال في العشرين سنة التي مضت على تأليفه ، آراء جديدة عن دور المرأة في الحياة . اما الشيخ فانه يبدأ بمنح المرأة بعض الحقوق ، ثم لا يلبث ان يسترجع كل ما منح فيقول بكل تشاؤم مستشهداً بقول غيره :

« ما دامت المرأة تضيع ثلاثة ارباع الوقت ان لم اقل تسعة اعشاره في الملبس والزينة ، وتقضي معظم العشر الباقي في الكلام عن الاسرين ، فهي لا يمكنها المطالبة بحق واحد من حقوق الرجل . ولو وكل امر تدبير هذا الكون الى النساء فقط لكان اليوم قفرا هذا ان بقي » !!

ولكنّ محمّداً « جعل المرأة ربة المنزل وسيدته » .

وأنّى تكون ربةً لمنزلٍ او سيدة فيه حقاً ، وهي في عرف رجلها ، لا يجوز لها ان تقرب من نافذة ذلك المنزل ، او تطلع الى سطحه ، او تخرج الى شرفته ، او داره ، بل يجب عليها ان تخدمه فيه ، واقفةً امامه ، كأمة بين يديه .

كيف تكون ربة لمنزل او سيدة فيه حقاً ، وهي في عرف رجلها لا تزال في المنزل ، كما قال السيد جميل بيهم ، الا من قبيل الفئة ، يُتزوّج بها للخدمة والتناسل ، ويترفّع الرجل سيدها عن مصاحبتها ، ومؤاكلتها ، ومجالستها ، وجعلها بوقا لانه يتهيأ له بذلك فراش جديد ؟

أهذه هي المساواة التي امر بها الدين ؟ أهذا هو تنظيم شأنها الذي اوجبته الشريعة الاسلامية ؟

ان المرأة لا تعارض احكام شرع الله ، يا سيدي الشيخ ، بل تطأطئ رأسها طاعة واحتراماً له ، وانما تعارض ما يعانيها به الرجل خلافاً للدين ، ولشرع الله ، ولقانون البشر ، ولناموس الطبيعة ، وللمروءة والمصلحة . (ص : ٢٠٨)

وينتهي الكتاب بان تسأل المؤلفة ما عساه يقول ابو حنيفة لو بُعث حياً . . . فتقول انه لو بُعث حياً لرأى في كتاب السفور ما يدفعه الى التفكر ، فالموافقة على ما فيه من روح التحرر الحقيقي . ونحن نعلم ان مذهب مذهب اصحاب الرأي ، واذن فهو يرى من الواجب استعمال العقل في المسائل المتعلقة بآداب المجتمع .

القفص المهجور

بحث انتقادي

بقلم فؤاد افرام البستاني استاذ الآداب العربية في كلية القديس يوسف

قامت في مصر ، لبضعة اشهر خلت ، ضجة حول الشعر والنثر . فانقسم الادباء الى فريقين كل يدلي بحججه المديدة ويُفنّد آراء خصمه . وكانت النتيجة ان اسفر الضجيج عن حقيقة قرّرت لدى اكثر المتناظرين ، وهي ان النثر العربي في مصر جرى شوطاً واسعاً ، وان الشعر لا يزال في دائرته الضيّقة ، جامداً ، جافاً .

هكذا كان حكم ادباء القطر الشقيق على الشعر . والشعر عندهم لا يزال « إمارةً » مقيّدة باسلوب « امير » لا يتنزّل عن تقاليده الموروثة من زمان قديم ومكان بعيد ، الى الحياة في زمانه ومكانه . وجمهرة الشعراء عندهم — اذا استثنينا شاعر قطرين ، وهو بحكم الطبع خرج عن دولة « الامير » ، وبعض من شقّوا عصا الطاعة فاخرجوا انفسهم من تلك الدولة — لا يزالون سائرين بقوّة الاستمرار وراء من جهل حقيقة الشعر فخصّه بالمخيلة والشعور فحسب ، وافرده عن تأثير العقل ، ففصل بينه وبين العلم ؛ وجعله في تلك الجزيرة القاحلة تتدافع من عن جانبيه موجات الثقافة البشرية والاختبار العالمي ، فيلقاها هازئاً بها ، وتعدوه غير مكترثة لهزئه ؛ فيبقى جامداً عقيماً غير قابل للنموّ ولا للتطوّر .

هذه على الجملة حالة الشعر العربي الحاضر في اكثر بلاد الناطقين بالضاد . وسيبقى كذلك حتى يشعر انه صدى لآمال الشعوب ، ومرآة لحياة المجتمع ، فيتنزّل اذ ذاك عن عرشه التالد ، ويطرح اكاليله العريقة في القدم ؛ ويحتك بعلوم تلك الشعوب ، ويستفيد من ثقافة ذاك المجتمع . فاذا رأيت شاعراً يتجاسر ان يلجأ الى غير مخيّلته وشعوره المكتسَبين ، فيشاهد صوراً جديدة

ويحس عواطف شخصية تباين التي الفها العرب منذ الجاهلية ؛ اذا رأيت شعراً لا يأنف من مطالعة الكتب، ولا يرى بأساً في فتح غير الدواوين العربية القديمة ؛ اذا رأيت شاعراً لا يتراجع امام اجهاد الفكر والدرس والبحث ليس فقط في مظاهر الشعر العديدة ، بل في العلوم والمدنيات على اختلاف انواعها ، فيشغل عقله ومخيلته وشعوره جميعاً في تحصيل الافكار والصور والعواطف ، ويجعل كلامه صدى لآمال شعبه وصورة لحياة مجتمعهم ؛ اذا رأيت كل هذا ، فاستبشر خيراً بترقي الشعر العربي ، وقل ان امامك شاعراً مستقلاً ، شاعراً شخصياً ، شاعراً حياً ، بل قل انه « شاعر » وكفى .

حداني الى كتابة ما تقدم ما رأيته من الحياة ، والاستقلال ، والشخصية في مجموعة جديدة من الشعر(١) . وكان بقلبي شيء من جمود الشعر العربي في بلاد الشرق ، وبنفسي شيء كثير من حرق البخور امام « موميات » الشعر المحنط .

عرف يوسف غصوب معنى الشاعر الحي ، المستقل ، الشخصي ، فعمل على اقامة مثال له في اول مجموعته ، واجتهد ، في باقيها ، ان يسير تدقاً الى تحقيق هذا المثال .

عرف الشاعر الحقيقي ، لانه فهم حقيقة الشعر وحقيقة الحياة ، وشعر ان لا حياة للشعر اذا انفردت به قوة واحدة من قوى النفس . فالشعر عنده « خلاصة آمال الشعوب » ولكنه لا يبني « المجد المخلد » الا اذا كانت « قوافيه من القلب والنهى » . هو « خمرة » لاذة ، مفرحة ، ولكنه ايضاً « أنة » موجعة . هو « عزة النفس وابائها » المتشامخ ، ولكنه ايضاً رقة القلب وبكاؤه لدى بكاء التعساء . وبكلمة اخرى هو الحياة بنعيمها وبؤسها ، بغناها وفقرها ، بافراحها وآلامها ، برجائها ويأسها ، بكبريائها وتواضعها ، بجحودها ووحشتها ، « بلذاتها » العديدة التي « قراراتها الأسى » .

هذه القرابة بين الشعر والحياة بل هذه المعادلة بينهما وفق الشاعر الى تحقيقها في القصيدة الاولى التي دعاها « الشعراء » ، ولعلها اصدق مثال لذلك الاتحاد بين

---

١) القفص المهجور : ليوسف غصوب ، مطبعة جدعون ، بيروت ، ١٩٣٨

القلب والنهى ، وارصن ما رأينا من القصائد ، في هذه الايام ، عقلاً وخيالاً ، يقرنان الى شعور كافٍ ، في سبك لا بأس به ، وايجاز أبلغ (١

جمع فيها ذاك النزاع الدائم بين العواطف الحية ، وجعلها مقدّمة لما سيتلوها من القصائد المختلفة ، فاجاد . لانها تدلّ اوفر دلالة على روح الشاعر عامة ، وروح غصوب خاصّة ، الحائرة في ملاوي القلب يدفعها الرجاء فيتلقفها القنوط ، وتحدو بها الرغبة فيرجعها النفور . فهو ان يبكي وحشة قلبه وتحقق ، بحزن ومرارة ، أن « الإلف شريدٌ » وأن

قفصَ الإلف كئيبٌ مهملُ !

لا يتمالك ان يحارب اليأس بالرجاء فيصيح :

آه ! يا صدّاح هل من عودةٍ فيؤاتينا الزمان الأولُ !

حتى اذا رأى انه مخيّب الآمال ، فاقد العزاء ، كأنه

آيةُ اليأس في جبين النهار !

قاطعاً الرجاء حتى من ساوان التذكارات ، وما الذكرى اذ ذاك الا « صور قاتمة » تظهر الحبّ صريعاً في بعثه وعلى

جنباتِ النعش دمعٌ وزفيرُ !

لم يبقَ له الّا الالتجاء الى « جنة الاحلام » فيرى فيها من اسباب الملاذ والافراح ما لم يعهده في الدنيا الغرّارة . ولعلّ عبث الحلم يدفعه الى بعض المبالغة والتطرّف في تلك التصاوير . بيد انهُ لا يستفيد من ذلك اذ يكون غرور الامل ومرارة اليأس قد برّحا به ، فلا يفكر في السعي الى تلك الملذّات ، بل يقف دونها ، تعباً دنفاً يرى « غاية الاماني » ولكنه يراها بعد فوات الحين ، فلا يجد من نفسه نشاطاً للتقدّم اليها ، ولا يتمنى الا السكون والتلاشي فيها بهدوء فيقول :

هذهِ غاية الاماني ؛ هلّا وقدةٌ في ظلالها بسلامِ !

---

١) وسيرى المطالع قسماً من القصيدة في آخر هذا الدرس.

تتلاشى اقامنا في حدود دون ما حسرة ولا آلام
مثلما تفقد الزهور شذاها حسنات في جنة الاحلام!

ثم لا يلبث ان يستفيق من ذاك الحلم المريح ، فيرى امانيه قد تلاشت على كرّ الايام وهي مدفونة امامه في «توابيت» تختلف قدراً وقيمة ، فيعاوده الأسى ، على انه يطمئن اذ يرى بين اضطرابات الافق نوراً ضئيلاً ، فتستقرّ نفسه ، ويسكن اليه خاطره ، ويدعوه « مرفأ السلام » . فهو في كل حالاته ، كأنه يُنشد دائماً .

ويحَ نفسي وحيدةً تتمادى في رجاء من اللقاء ويأس!

وان هذا النزاع المؤلم يتابع الشاعر في كل مجموعته ، فيؤلف منها وحدةً تامة متماسكة الأجزاء ، مشتركة بين المعاني والالفاظ . وهذه الوحدة الجديدة في الشعر العربي ، هي اول مظهر لشخصية غصوب ، وهي اول ثمرة لذلك الخروج على اساليب الشعر القديم ، والاستقلال بسبيل في الطريقة .

واذ ذكرنا شخصية غصوب لا نرى بدّاً من اظهار بعض مختصّاتها . فهي تميل الى التصوير بالتشبيه اللطيف حتى يكاد يكون الوصف ادقّ ما فيها ، وهو على كل حال ، من اوضح مميّزات شعر غصوب يحتلّ مركزاً مهمّاً . فيرفع اصاحبه مقاماً بين وصّاف العصر لا يُستهان به . وانت اذا قرأت الصورة شعرت بها تامة التحديد ، واضحة التقاطيع ، ماثلة امامك قطعة من تمثال ، بل افضل من تمثال ، لان الشاعر ينفخ فيها حياة فتتموج وتتحرّك . فاذا سمعت صوت الذئاب الوهّاجة في الليل المدلهمّ ، رأيت امامك :

كرات نور حيارى تجول في الظلماء

واذا بصرت بأوراق الوردة المتناثرة على الحضيض ، شاهدتم

كفراشات كسالى لا تطير!

واذا رأيت الشاعر مبتسماً فترك ظاهره الباشّ ، اجابك منبهاً :

لا تقل : باسمٌ! فربّ ابتسام كسراج يغفو في كوخ بؤس!

ومن مميّزات تلك الشخصية الاقتصاد في المعاني الثانوية ، والايجاز في الالفاظ ، اقتصاداً غاية في الجودة والتفنن لانه ينمّ عن تعمق بليغ عند الشاعر ،

وعن ثقة واسعة في المطالع ، الذي يتمّ ويوسّع ، في فكره ، ما اشار اليه شاعره . واي بيتين في العربية جمعا على ايجازهما اكثر ما في هذين من المعاني:

برأ الله انفس الناس ازواجاً تداعى فكل نفس لنفس
تنشدان اللقاء ما من قرار لهما دونه ولا من تأنّ !

اما الايجاز في الكلمات فقد يكون شديد الميل الى الاقتضاب . وهو ، على حسنه ، يحتاج الى شيء من التوسّع كي يمكن المطالع فهم المقصود دون تردّد .

ولا ننسى من صفات الشاعر الجلية ذاك الضبط الدقيق في الشعور وذاك التسيطر المطلق على القلب وفيضانه . فان من يقرأ قصيدة « الانتظار » وما على شاكلتها ، يجتلي العواطف واحدة واحدة متتابعة إبّان ذاك الانتظار المملّ ، ويتصوّر حالات تلك النفس القلقة بدقة ووضوح لم يتعوّدهما من المشاق . فيتخيّل الشاعرَ آخذاً بريشة طويلة ، دقيقة ، يرسم بها عواطفه بطريقة وضيّة قد يكون فيها بعض التطرّف ولكن الضبط والقياس يسيطران عليها . فيودّ لو كانت تلك الريشة أقصر فتصبح الصور الدقيقة ادنى من اضطراب قلب الشاعر ، واقرب من فيضان شعوره . يودّ هذا لأول وهلة ثم يفكر فيقول : واملنا احوج اليوم الى هذه الطريقة الوضية والى هذه الإمارة على الخاصيات ، بعد ان كدنا نغرق في ذوبان العواطف ، وتدفق شعور بعض ادعياء الشعر . . . ثم يعود فيقول: واملّ بين الطريقين وسطاً يكون امثل منهما ! وانا اشاطره هذا القول الأخير .

واذا اضفت الى هذه الخاصيّات محبّة الانسجام الشعريّ ، وفهم موسيقى الالفاظ ، وحسن ايقاع التعابير الشعرية ، التي يتطلّبها صاحب القفص المهجور في كل لفظة يخطّها ، وكثيراً ما يظفر بها ، تمّ لك تحديد شخصية يوسف غصوب . ونحن نورد مثالين على الموسيقى والانسجام الشعري ، نأخذ الاول من قصيدة الشعراء وهو المطلع ، وفيه توفيق ظاهر لاطراد احرف اللين المفتوحة ، الماثلة بالألفات المتعدّدة ، مما يحدث في السمع اجمل وقع ، وهو قوله :

على غارب الاحلام في مائج الضحى ذهبنا مع الآمال نسعى الى المنى

ونأخذ الثاني من « الاوراق المتناثرة » والانسجام يدافع فيه النفس الشعري؛ وهو قول المصدور لأمه التي تخفي عنه زفراتها:

لا تبكي يا امّ دمك ، واسكبي فالنفس قد بلغت الى اللهوات
وتناثري يا خافقات في الهوا فحياتكنّ قصيرة كحياتي !

غير ان هذا النفس اللطيف قد يدقّ كثيراً ويخفت بعض الاحيان فلا يتابع الشاعرَ حتى انتهاء قصائده ؛ فتأتي بعض الخاتمات دون المطالع ، كما في هذه القصيدة عينها ، وكما في « الترابيت » التي كنت اودّ ان اراها منظومة شعراً سوياً .

* * *

زعم البعض ان يوسف غصوب اقتبس من شعراء الفرنساويين كألبر سامَن (Albert Samain) ، والفرد دي موسه (de Musset) ؛ وزعم غيرهم انه اقتبس من الشاعر العربي خليل مطران . من الحقّ ان غصوب تأثّر بكآبة موسه ، ورموز سامَن وتلميحاته ؛ ومن الحقّ أنه تأثر بايجاز خليل مطران وتصاويره البديعة ، وانتباهه الى مظاهر الوجود الدقيقة التي لا يكاد يؤبه لها . ولكن من الحق ايضاً ان شاعريته الشخصية استفادت من هذه الكُتل الفائقة وهضمتها ، فحوّلتها الى كيانها المستقلّ . فكانت اقوى من ان تبقى جافّة ترجع صدى تلك النغمات . كما انها اقوى من ان لا تتخلص في القريب العاجل من بعض الهنات الطفيفة كقافية باهتة هنا ، وتعبير مضطرب هناك ؛ وعاطفة تحتاج الى الطبيعة هنالك . كل هذه هناات لا تغيّر تلك المرآة الصقيلة التي تعكس النفس الشاعرة بكاملها ، وكل هذه توترات لا تؤثر في جوهر تلك الاوتار الحسّاسة التي

ترد لأخفى ما يمرّ بها صدى !

فنحن نشكر الشاعر النابغ لأنه اقرأنا شعراً حيا مستقلاً شخصياً ، كما اننا نشكر الخطّاط الشيخ نسيب مكارم ، والمصوّر عزّت بك خورشيد ، والطابع في مطبعة جسدعون لانهم أرونا نزراً من الفنّ رائعاً . ونتمنى للشاعر الحائر ان « يجد شقيقة نفسه » ، والّا يحرمنا من مواهب تلك النفس في هذه الحياة ، حتى اذا تخلّصنا من « ليل سجننا » سرنا بضيائها الساطع ، اذ

تقرّب حتى تستحيل شرارة تضيء مع الانوار في منبع السنى !

الشعر الأندلسي

ليوسف غصوب

غارب الاحلام ، في مانج الضحى
ذهبنا مع الآمال ، نسعى الى المنى

فجزنا بحار النور تنثني عيوننا ... بلألائه ، ترقى ذرى بعدها ذرى
فكان عبير الخلد يملأ صدرنا ... ونسمع تسبيح الملائك في العلى
وتاشنا الارواح في خطراتها ... —وقد عبقت — لثم الاشعة للندى
وحأت بنا روح الاله ، فقلبنا ... كهبط وحي فاض بالنور والهدى
وطهرنا من ريبة ، فنفوسنا ... كأعين اطفال روانٍ الى السما
واودعنا ، ما شاء ، سر جماله ... فلا شيء يعدونا من الحسن في الورى
ولطف اوتار القلوب ، فاصبحت ... تردُّ لأخفى ما يمرُّ بها صدى
غنى دونه جاهُ الملوك وعرشهم ... وكلُّ نفيس من ثراه ومن ثرى
وقال : كثيرٌ ما وُهبتم ! وإنما ... تذوقون من جزاء نعمائه الشقا
تعيشون، والالام ترعى ضلوعكم، ... وتسقون لذاتٍ قرارتها الأسى
غنيون بالنفس الابية عزةً ... وبالدمع يجري كلما بانس بكى
تحسون يؤسَ الكون في ظلماته ... كأنَّ فؤاد الكون في صدركم ثوى
وتبنون للاوطان مجداً مخلداً ... بشعر قوافيه من القلب والنهى

خلاصة آمال الشعوب وفخرها ... به تسكر الابطال لو تقحم الوغى
هو العلم العالي هو الانة التي ... تثير رميم المجد من مضجع البلى

* * *

تمرون ملء العين، فوق جباهكم، ... من الملإ الاعلى اكاليل من بهاء
يُشار اليكم بالبنان ويُرتجى ... لقاكم كما تُرجى السعادة والغنى
اذا ما ازدهتكم في المعارج نشوة ... أدال لكم منها التواضع والتقى
وتحيون افرادًا لكم من نفوسكم ... عوالم لم يدرك لها الظنّ منتهى
على صلة بالروح حتى كانه ... يحدثكم عما سيجري وما جرى
فتجلى لكم قبل انجلت غوامضٌ ... يحار بها من لا يرى فوق ما يُرى
وحين تفرُّ النفس من ليل سجنها ... الى العرش حيث الله في مجده استوى
تقرّبُ حتى تستحيل شرارةً ... تفنى مع الانوار في منبع الغنى

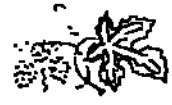

مجلة المجلات

للاب فردينان توتل اليسوعي

في سبيل السلام – حجر الزاوية – الجامعات في التجارية – حاجتنا الى مجلة تاريخية – محمد والمرأة – هل يجدد الشيخ شبابه

في سبيل السلام

ان صاحب الغبطة كيرلس التاسع بطريرك انطاكية والاسكندرية واورشليم وسائر المشرق على الطائفة الرومية الملكية الكاثوليكية قد اصدر في مستهل جلوسه على السدة البطريركية منشورًا موضوعه فضيلة العدل ؛ وها ان «المدرة» نشرت غبطته وثيقة ثانية موضوعها السلام. ومنها يؤلف الجزء الثاني من الشعار البطريركي افتتحها صاحب المقامات بوصف شقاء البشر وتعاستهم باستقائهم مياه السلام من غير مواردها ثم قال :

« الى الله اله السلام ندعوكم اليوم برسالتنا الرعائية مبينين مناهج السعادة الثابتة والهناء الراسخ ، مظهرين طرق السلام الذي طالما طمحت اليه النفوس المتألمة ، باسطين امامكم مصدر السلام ومنشأه وضرورته ومفاعيله والوسائل المؤدية اليه ، والخلل الناجم عن الخطيئة في الافراد والاسرة والهيئة الاجتماعية . »

فتناول غبطته الموضوع بنداً بنداً بحسب الاجزاء التي عرضها في مقدمته ، مبيناً ان الله هو مصدر السلام بشخص ابنه الحبيب ، رسول السلام ، وبواسطة الكاهن ممثله ، فإنه

« يضرع الى الله طالباً السلام وقائلاً : بسلام من الرب نطلب ، راجياً السلام العلوي والعالمي ، سائلاً بخشوع السلام الحاضر والآتي ، وعمراً حافلاً بالسلام والنعمة ، مذكراً البشر بتلك الهبة السماوية الضرورية للحياة الروحية والآخرة الحميدة ، داعياً اياهم الى مسالمة الله والقريب والنفس »

وتخطى غبطته الى تحديد السلام فهو « الرواحة في النظام » واستمار من نظام الفلك ، ومن الترتيب الطبيعي الموفق في اقنوم الانسان بين العنصرين المتباينين ، الروحاني والهيولي ، تشابيه وآيات تشهد ان السلام لا يتم الا بالخضوع لرب الكون . واذ ان الخطيئة بلبلت النظام بعصيان الخليقة لخالقها ، فلا بد من ثم ، للفوز بالسلام ، من كبح جماح الخطيئة اسوة بالقديسين وخاصة بمعلمهم سيدنا يسوع المسيح .

ثم القى غبطته نظرة على الحال الواقع في العالم من جراء مقاومة مبادي السلام الحقيقية . وخص بكلامه التعلم اللادبني ، والكتب والصحف اللادينية ، والمسارح الخلاعية ، والازياء المحرمة ، ومخالفة سنن الله تعالى في الزواج المقدس ، وضعف السلطة الوالدية ، وروح المخاصمات الدينية . ومن اقواله :

« تلك المخاصمات الدينية لم تزل الى ايامنا الحاضرة تشعر بوطأتها . فلكم اصدر البابوات براءاتهم ورسائلهم ، للنضح عن العقائد الكاثوليكية ودحض الاضاليل الحاضرة ، من التعاليم الفلسفية الكفرية الى المبادي الاجتماعية والاشتراكية والفوضوية والماسونية وغيرها التي تنشأ يوماً فيوماً في عقول الملحدين

فلو ايقن الكاثوليكي بالوهية الكنيسة ، وعرف ان المسيح يكون معها الى انقضاء الدهر ، لارتاح بالاً وكف عن الاعتراضات والمماحكات واصبح بسلام . فاعتصموا ايها المؤمنون الكرام بالصخرة البطرسية ، ولا تحيدوا عن تعاليم الاحبار الرومانيين الذين هم خلفاء الرسل وممثلو المسيح على الارض ، فبتلك العقيدة تحيون . ولا تبالوا بضجة الكفرة والملحدين »

حجر الزاوية

صدرت في نيويورك مجلة جديدة تدعو ذاتها « الحق » « ولسان حال الفرع السوري للكنيسة الاميركية الارثوذكسية الجامعة». قرأنا في عددها الثاني مقالاً للنائب الاسقفي المتقدم في الكهنة باسيليوس خرباوي بحث فيه عن « المستندات الشرعية لوضع حجر زاوية الاستقلال الكنائسي في اميركا الشمالية »

نخطر على بالنا كلام الرب المنوّه به عن الكنيسة « ها اني واضع حجراً في صهيون حجراً مختاراً رأس زاوية كريماً ، اساساً موثقاً ، فمن آمن به فلن يتزعزع (اشعياء ٢٨ : ١٦ – ١ بطرس ٢ : ٦) فتوسمنا خيراً من ذكر كلمات تدل على واجب الاتحاد بالكنيسة المؤسسة ، لا على البشر ، ولكن على المسيح ، وعلى الذين فوّض امره اليهم اعني الرسل وخاصةً خليفة بطرس ؛ وقد قال القديس بولس : « قد بنيتم على أساس الرسل والانبياء ، وحجر الزاوية هو المسيح يسوع » وتذكرنا كلام الرب : « يا بطرس انت الصخرة وعلى هذه الصخرة ابني كنيستي وابواب الجحيم لن تقوى عليها » فلما تكلم صاحب المقال في « حجر زاوية » الكنيسة الارثوذكسية في اميركا كدنا نستنتج من كلامه انما هو الصخرة البطرسية . ولكن لم يكن الامر على ما توهمناه لان حجر الزاوية في نظر حضرة الاب باسيليوس خرباوي هو الكنيسة الروسية . قال :

« مما لا جدال فيه ان الرئاسة الروحية على الكنائس الارثوذكسية في اميركا الشمالية هي للكنيسة الروسية . وقد تمتعت بهذا الحق منذ عام ١٧٩٢ واعترف لها فيه البطاركة الاربعة وسائر رؤساء الكنائس الارثوذكسية المستقلة ؛ ولم ينازعها في ذلك الحق منازع ، او تجاسرت احدى الكنائس الارثوذكسية على ادعاء رئاسة روحية في العالم الجديد الا بعد انتكبة الروسية المؤلمة على ما هو مقرر ومعلوم »

فليس من برهان افصح على ان « حجر الزاوية » في عين صاحب المقال انما هو الكنيسة التي استندت الى حكومة القياصرة . اما الآن وقد ثلّ عرش القياصرة ، وذُكّ « حجر زاوية » الاساس ، فمن اين للبناية ان تقاوم « ابواب الجحيم » ؟

الجامعات في التاريخ

عمدت مجلة المقتطف الى مقال نشرته منذ ٢٢ سنة في الجامعات فرّوته برمّته (اذار) من غير ان تتكلف اصلاح اغلاط فادحة كانت صدرت فيه ، قالت :

« ولم يعن المسيحيون في اول امرهم بالعلم الزمني بل حصروا همهم في العلم الديني لانهم كانوا يتوقعون انقضاء العالم وما فيه ، فسبقهم الفرس والعرب

وانشأ كسرى انوشروان مدرسة الحكمة والطب في جنديسابور ٢٥٠ للمسيح فدامت الى زمن العباسيين »

ولكن فات حضرة المؤلف ان كسرى انو شروان ظهر في القرن السادس لا في القرن الثالث وان الدولة العباسية لم تنشأ قبل العصر الثامن وان الاسكندرية شاهدت مدرسة طار صيتها منذ القرن الثاني ، واشتهر فيها في القرن الثالث الاساتذة الكبار بنتان ، واقليمس الاسكندري ، واوريجانس العلم وان ما بقي من آثارهم حتى اليوم دليل قاطع على مجاراتهم لمشاهير زمانهم في ميدان العلوم

وفات صاحب المقال ان المدن الشرقية العظمى كانت فيها مناهل العلوم طافحة ، يردها كل متعطش الى مياه المعارف . وكانت فيها المدارس بالقسطنطينية ، وفلسطين ، والشام ، ومصر ، وفيها تردحم الطلبة ، وظلت بازدهارها الى ظهور الاسلام . وكان مثلها مدارس في بلاد الجزيرة وما بين النهرين ، وعلى الاخص مدرستا الرها ونصيبين ، ومدرسة الحقوق البيروتية ، التي أنشئت في القرن الثالث ومن اساتذتها اوليانوس ، وبابينيانوس ثم دروثاوس ، واناتوليوس ، وهذان كانا من جملة الذين عهد اليهم في تحرير القانون اليوستنياني ، وهو مجموع الشرائع الرومانية التي امر يوستنيانوس الاول بتدوينها

حاجتنا الى مجلة تاريخية

على اننا نستحسن ما نشره في المجلة ذاتها (نيسان ص : ٦٦٦) السيد متري قندلفت ، عضو المجمع العلمي العربي ، في دمشق من افكار وخواطر تبحث في حاجتنا الى المجلات العلمية قال :

اما المجلات العلمية التي اضحى الشرق العربي يتقاضى انشاءها على سنن التدرج الطبيعي في مصر العربية معقد الآمال وكعبة الطلاب فهي على الاخص :

﴿ الاولى ﴾ مجلة تاريخية يكون غرضها الاقصى

١ً – الاستعانة بارباب التحقيق في التاريخ الشرقي على الاجمال والعربي على الخصوص وتمحيص الروايات المجروحة الواردة في تضاعيف الكتب العربية منذ عهد الاسلام ، ونشر ما يصح من نتائج هذا التحقيق على الوجه الاحكم من حسن الاختيار وتقديم الاهم على المهم وسوق الكلام على منهج جلاب للذة والانشراح خلافاً لما في تلك الاصول من ضروب الحشو ودس الاوهام والخرافات

٢ً – نقل اهم مطولات التاريخ الغربي المتصل العلائق بالشرقي ولاسيما العربي من سياسة وتشريع واجتماع وعلم وفن وصناعة

وفي اليقين ان مثل هـذه المجلة التاريخية تلقى من نفوس الامـة العربية والمستشرقين من الغربيين اعظم ترحيب واكرم اقبال خصوصاً وان حديث التاريخ حيث هو سمير من ليس له سمير ونزهة المجالس وسلوة البائس وعشير الكبير والصغير لما فيه من مختلف السير والاقاصيص مما يخف وقعه على الاذهان ، بل هو اقرب اليها من سائر الفنون والمرء مطبوع على شهوة السماع للسير والحوادث ومطرف الحديث ينشرح له حيثما كان ويأخـذه من اي كان ولاسيما اذا سبق فيه الكلام على وجه الاحكام

محمد والمرأة

القى الشيخ عبد القادر المغربي خطبة امام جمعية تهذيب الشبيبة السورية موضوعـه « محمد والمرأة » ونشره في مجلة التعليم المتوسط امرها بالكومبـارية العليا (Bulletin d'Enseignement) (شباط) فقال فيه :

« ومن اعجب المصادفات ان ينعقد مجمع « ماكون » في زمن محمد اي في سنة ٥٨٦ للميلاد ويبحث في : هل المرأة انسان ؟

ثم قرر انها انسان . لكنها انما خلقت لخدمة الرجل

ولم يكد يصدر قراره هذا في فرنسة حتى نقضه محمد في الحجاز ورفع صوته قائلاً : « انما النساء شقائق الرجال »

وانا لم نكن لنتوقع من سماحة الشيخ ان يتجاوز موضوعه الاسلامي المحض ليغمز بالدين المسيحي في روايته « عن مجمع ماكون » وما ادرى الساسين « بمجمع ماكون » وقد اخذها عن بعض الاوروبيين الخارجين عن الدين المتشدقين على الكنيسة ورجالها بالاكاذيب . ولعل حضرة الشيخ لو فقه اللغة اللاتينية لكان تحقق بنفسه ان ما ينسب الى مجمع ماكون من الحط من قيمة المرأة ليس الا افك وافتراء لان السؤال : « هل المرأة انسان »

اولاً — لم يطرح على المجمع

ثانياً — ان يكن تحدث فيه بعضهم فانما كان ذلك خارجاً عن المجمع ، وعلى سبيل التفكهة والظرافة لما قال احد الاساقفة : « من سمى المرأة (homo) غلط ولحن لان هذه اللفظة لا تطلق الا على الرجل » فعارضه بعضهم قائلين : « ان كلمة (homo) معناها « الانسان » اجمالاً وهي تطلق على الرجل والمرأة معاً » واستشهدوا على كلامهم الآية الكتابيـة « خلق الله الانسان (homo) ذكراً وانثى » (تكوين ٥ : ٢) واستنتجوا منها انه يصح ان تسمى المرأة انساناً (homo) فالمسألة انما هي لغوية محضة ولو كان سماحة الشيخ يفهم اللاتينية لما كان اشتبه امرها عليه . وقد يتاح له ان اراد مراجعة اعمال مجمع ماكون ان يستعين بصديق له يفقه اللاتينيـة

فيوقفه على آثار المجمع التاريخية وهي في دور الكتب الكبرى ، فيتحقق ان ليس فيها ذكر للسؤال: « هل المرأة انسان ؟ »

هل يجدد الشيخ شبابه ؟

حلّ الدكتور فورنوف بلادنا وعرض نتيجة مباحثه الطبية في محاضرتين: التي احداهما في دمشق (٢٧ آذار) والاخرى في بيروت (٢٩ آذار) في المكتب الطبي الافرنسي حضرها بعض رجال الحكومة وبعض الاطباء وتلامذة المكتب الطبي وبعض المدعوين. ان الدكتور فورنوف فكر بطريقته من سنة ١٩١٣ ، واخذ بعد الحرب يجري تجاربه في الحيوانات ، فكانت النتائج باهرة. وملخص هذه الطريقة ان يلقح الحيوان العاجز من حيوان شاب ، فتعود الى العاجز قوته وتطول حياته ويمكن تلقيح ستة حيوانات من حيوان واحد . وبعد ان القى الدكتور فورنوف محاضرته في بيروت باشر عملية تلقيح بعض رؤوس الغنم الشائخة من اغنام قتبة اسراعاً لنموها ، وزيادةً لسمنها وصوفها

وكان الدكتور كوتار حاضراً في الجلسة ، فقام هو ايضاً بالعملية ذاتها

قالت المجلة الطبية الطبية (نيسان ص: ١٧٧) بمناسبة هذه الحوادث الخطيرة :

«فيمكننا اصلاح ما اختل من الاعضاء الرئيسية التي تسبب لنا سرعة بلوغنا دور الكبر كداء النقرس وتصلب الشرايين والبدل « داء المفاصل » والنزلات المعوية وتلك الاضطرابات وغيرها من شتى الادوار المزعجة والعوامل الطبيعية الهادمة القوى التي تنقلنا الى الهرم رجالاً ونساء في الدور الذي يجب ان نتمتع بـه بنشاطنا البدني والعقلي معاً . ان الطب لا يعتريه الشك ، فقد اقتحم المعترك وعاد متوجاً بالظفر ، باستخدامه المجهودات العقلية ، والاختبار الواسع في علم حفظ الصحة ووفرة القوة الكامنة في العلاج ، والسلاح الواقي المؤلف من العوامل الكيمائية والبدنية وعلم تركيب الاجسام ووظائفها الخاصة ونظام الاطعمة . كل هذه الميزات تمكننا الآن من التحقق من امكان تجديد اي عضو في الهيكل الجسمي مهما تتعدد اسباب اختلاله اكانت من الاجهاد العام ام كان الخلل من افناء بعض وظائف الاعضاء »

وسيرينا المستقبل قيمة هذه التمنيات !

مطبوعات شرقية جديدة

Kerényi (Karl): Die Griechisch - Orientalische Romanliteratur in religionsgeschichtlicher Beleuchtung. Ein Versuch. XVI-275 *pp. gr.* 8°, *Tübingen, Mohr (Siebeck)*, 1927

الاستعانة بتاريخ الديانات في درس الفنّ القصصي اليوناني – الشرقي

ليست هذه المرة الاولى التي يدرس فيها المحققون اصل الفنّ القصصي (roman) في الآداب اليونانية القديمة . فهم ، بعد ان سألوا مدّةً ان هذا الفنّ يوناني المنشأ ، مالوا الى الابحاث الموضعية التي ادّت بهم الى الاعتقاد بعلاقته مع الآداب الشرقية ؛ ولا يزالون الآن يتسابقون التفتيش عن مصادره . وان من هذا المذهب في الابحاث الكتاب الذي نصفه اليوم

بدأ المؤلف بان لخص بسرعة ما كان يعتقده القدماء في الفنّ المذكور ، وعرض مميّزات القصة اليونانية العامّة ، وانتشارها الجغرافي في العصر اليوناني ، ثم بحث في وجود القصة عند الشرقيين ، وخصوصاً في مصر وسورية ، في العهد اليوناني - الروماني ، وفحص بالتفصيل بعض القصص اليونانية المشهورة . فبدت نتيجة هذا الدرس المتقن الدقيق ان المثال الاعتيادي للقصة اليونانية — وهي حكاية حبّ يتراوح بين السعادة والشقاء ، ولكنه حسن الخاتمة — تمتّ بجذورها الى الاقاصيص والخرافات الدينية التي كانت جارية في الشرق . وان الشرقيين انفسهم كانوا ، اذا أُمّ الامر ، يضمون اقاصيص بلادهم باللغة اليونانية كما يظهر ذلك في ما كُتب عن ايزيس وأوزيريس .

وان المؤلف ، وهو ينتمي الى مذهب عصري في تاريخ الديانات ، يستنتج مزوّرات الآداب المسيحية ، على انه يتطرّف احياناً في استنتاجه لاسيما فيما يختصّ بالكتابات النصرانية . ولا يسعنا ان نذكر هنا بالتفصيل كل ما يؤخذ عليه في ذلك .

هذا ومع كل ثنائنا على حسن اختياره المصادر التي استعان بها في درسه ما يخصّ الشرق ، فاننا نأسف لكونه غير مستشرق ، فاته بعض مقابلات مع

قصص « الف ليلة وليلة » ، لو امكنه القيام بها لكانت جليلة الفائدة في درس من هذا النوع ، ولكانت اظهرت كيف ان الشرق بدوره صار مديناً للآداب اليونانية الرومانية بواسطة الادبين البيزنطي والسرياني. س . د

Steindorff (Georg) : Die Kunst der Aegypter. *Bauten - Plastik - Kunstgewerbe, mit 200 Bildtafeln u. 17 Abbild.* 104 *pp. gr.* 8°. *Leipzig, Insel Verlag,* 1928. 14 *M*[rm].

فن المصريين : هندسة البناء ، التمثيل ، الصناعة الفنية

اهدى الينا الطابع هذا الكتاب الذي دبّجه يراع احد كبار علماء الآثار المصرية في عصرنا ، ومؤلف الكتب العديدة التي تكلّم « المشرق » عن بعضها قبل الحرب ، ومدير المجلة الالمانية الباحثة في الآثار المصرية . وهو ايضاً مؤلف الدليل المصري (بدكر) كما نراه في وصف الكتاب التالي.

يبدأ المؤلف بمقدمة قصيرة يبيّن فيها صفة هذا الفنّ المصري من حيث استقلاله ووطنيته ، مظهراً التأثير الذي احدثه في الفنّ اليوناني منذ القرن السابع قبل المسيح . ثم يستعرض آثار الهندسة البنائية : كالبيوت ، والقبور ، والاهرام ، والهياكل من اقدم عصورها حتى العصر الروماني . وفي القسم الثاني ، الذي خصّه بفنّ التمثيل ، تتبع تموّ فنّ النحاتة والتماثيل منذ اولياته العريقة في القدم ، فعرض امامنا اجمل المصنوعات المعروفة ، قادراً قيمتها مظهراً اهم مجالي تطوّرها من عصر الى عصر . واننا نرى الفن المصري ظلّ وطنيًّا صرفاً ، رغم التقلبات السياسية على بلاده ، وتأثير اليونان منذ عهد الاسكندر والبطالسة . ويجدر بنا ذكر الملاحظة ذاتها فيما يتعلق بآنية الصناعة الفنية وهي موضوع القسم الثالث من النصّ وفيه يذكر المؤلف الصناعات المختلفة المختصة بآنية الفخار او الحجر ، وآنية الزجاج ، والخزف ، والرياش المختلف ، وصهر المعادن ، والصياغة ، وادوات الزينة ، والاسلحة الخ . وفي كلّ هذه الصناعات اخرجت مصر آثاراً رائعة يمكن مواطنينا الاوربيين من سكّان مصر ، ان يمتعوا النظر بمشاهدة مثل منها في المتحف الوطني . ويتم القسم المخصّص بالنص بخمس صفحات في نظرة توقيتية وتاريخية مع ١٧ رسماً ظهرت في تضاعيف الكلام.

اما ما يجعل لهذا التأليف قيمة خاصة فوجود ٢٠٠ لوحة كلها بالتصوير

الشمسي ، تمّ الكتاب بل تكوّن اساسه . واني لا اعرف كتباً كثيرة ، من التآليف المنشورة للعامة ، يبلغ فيها اتقان التصوير مبلغه في هذا الكتاب . واذا انتبهنا الى ان هذا المجلّد الجميل لا يتجاوز ثمنه ١٤ مرْكاً حُرنا بمَ نعجب : أباختيار التصاوير ونشرها ، ام بالمعجزة التي قام بها الطابع إنسل ڤرلاغ (Insel Verlag) . ويمكن اهل الشرق الاستفادة من تلك اللوحات دون ان يعرفوا اللغة الالمانية . على ان الفائدة تكون اعمّ اذا طُلب من الطابع الاذن بترجمة الكتاب الى العربية ونشره من مصر او سورية س.ر

Baedeker (Karl) : Aegypten und der Sûdan. *Handbuch für Reisende.* 21 *Kart.*, 87 *Plan. u.Grundr.*, *u.* 56 *Abbild.* 8te *Aufl.*, 1928. *CCII* - 450 *pp.*

دليل المسافر (بدكر) لمصر والسودان

هو من اشهر ادلة المسافر في الشرق يظهر بالطبع للمرّة الثامنة . وقد يكون دليل مصر والسودان اوفر المجلّدات العديدة التي ظهرت في مجموعة بدكر علماً وتدقيقاً ، وعلى كل فهو اكملها وانفعها . وهو ، كالمؤلف المشار ذكره من آثار الاستاذ ستيندورف (G. Steindorff) . وقد قابلناه مع طبعته السابعة التي ظهرت قُبيل الحرب بترجمتها الانكليزية ، فرأينا ان التغييرات غير كثيرة ولكنها تجعل المطالع عالماً بجميع مظاهر الترقي المهمة التي حصلت منذ ذلك الوقت الى اليوم سواء كان في حياة البلاد السياسية والاجتماعية او في محيط التنقيبات والاكتشافات العلمية .

تظهر في المقدّمة اسماء المساعدين انفسهم الا فرنز باشا الذي ساعد في القسم المخصّص لهندسة البناء الاسلامي فقد ابدل بالانكليزي كريسويل (Creswell) . وكذلك فان بحث الرحالة الالماني شوينفورث (Schweinfurth) قد أُصلح بقلم ستيندورف فيما يتعلّق بالاصول الحاميّة والساميّة للشعب المصري القديم .

اما الخارطات والرسوم فقد تجدّدت كلها واصبحت جلية الخطّ . وكذلك كل المعلومات والإفادات العملية فقد تجدّدت بفضل التدقيقات والاستخبارات التي قام بها المؤلف نفسه في البلاد المذكورة وهو قد زار مصر بعد الحرب غير

مرة . واما الملخص التاريخي الذي قدم توقيته ٢٠٠ سنة (نجلت الدولة الاولى نحو السنة ٣٢٠٠ قبل المسيح عوض ان كانت نحو السنة ٣٤٠٠ في الطبعات الماضية) فهو يمتد حتى موت زغلول باشا (٢٣ آب سنة ١٩٢٧)

وقد طبع الكتاب على ورق متين ولكنه كثير الدقة حتى ان السبعمائة صفحة مع الخرائط العديدة والرسوم المطوية لا تتجاوز حجم المجلد الاعتيادي من أدلة « بدكر » فيمكن الانسان ان يضعه في جيبه . وهو امر يستحيل تحقيقه في الطباعة العربية ، وانه اذا اريد ترجمة الكتاب المذكور الى لغتنا ، للزم ستة مجلدات من الحجم المذكور . فنحن نهنئ الطابع والمؤلف . لان المؤلف من الكتب التي يحفظها الاختصاصيون انفسهم على مناضدهم لما فيه من المعلومات الثمينة . ونتمنى ان نرى قريباً تجديد طبعة الدليل « بدكر » لفلسطين وسورية

س . ر

Paul Collomb: La Papyrologie. *Publication de la Faculté des lettres de l'Université de Strasbourg*, 1927. *Paris, société d'édition « Les Belles-Lettres »*

علم البردي

هذا الكتاب الصغير البالغ ٣٥ صفحة متوسطة فيها لوحتان تمثلان بعض الدروج من البردي ، يبدأ سلسلة جديدة من الابحاث غايتها اشراك الناس بالمعلومات بطريقة واضحة . وفعلاً فان المؤلف يقدم المعلومات اللازمة عن هذا الموضوع الذي يجهله حتى الآن اكثر الخاصة فضلاً عن العامة . ما هو علم البردي ؟ ما هي منفعته ؟ وما الفوائد التي اداها حتى الآن ؟ سؤالات يجيب عليها الكاتب بطريقة تدل على سعة اطلاعه وينهي بذكر جدول للمآخذ الكفيلة باشراك الناس في هذا العلم الخاص

ج . ل

A. Rubio y Lluch: Los Catalanes en Grecia. Ultimos anos de su dominacion. *Coleccion Hispania*, 1927. *Madrid, Editorial Voluntad. Pesetas* 5

شعب الكتلان في اليونان ، ومنتهى حكمهم

في القرن الرابع عشر أسست احدى الجماعات الكتلانية دولة جديدة في بلاد اليونان الداخلية . ولم تكن هذه الحادثة معروفة خارجاً عن اسبانية مع ان شلمبرجر (G. Schlumberger) نشر عنها كتاباً في فرنسة سنة ١٩٠٢

دعاه «بعثة المغاورين». فنشر المؤلف كتابه الذي نصفه وبدأ الكلام باحثاً لماذا تستعمل كلمة « كتلان » للدلالة على حكم أسرة ارافون في اليونان ، وفتوح الناثار في البانية ، وموره ، واثينة ، وثيبة ، واشهر مشاهير أثينة الكتلانية. ولكن الفصل الاهم هو الذي يخصصه بدرس قيمة اعتبار الكتلان للاكروبول في زمن ساد فيه جهل ماضي أثينة المجيد . وعلى الجملة فالكتاب نفيس لانه من آثار رجل اختصاصي في المسألة. ج . ل

Les élites en pays de mission. *Compte-rendu de la 5e semaine de missiologie de Louvain 1927-Museum Lessianum. Section Missiologique n° 8 - Editions du Museum Lessianum - Louvain*, 1927

دور نخبة الناس في بلاد الإرساليات

ان الاجتماعات الاسبوعية للبحث في الإرساليات وافرة الحياة في بلجيكة، وقد عقدت مجمعها الخامس سنة ١٩٢٧ . وكانت غايتها ان تدرس دور نخبة الناس في بلاد الإرساليات ، ويمكننا القول انها نالت غايتها . فنشرت ٢٢ محضراً كتبها الاختصاصيون عن جميع اقسام العالم. وان من يقرأها يشعر بعاطفة تمزية وارتياح اذ يتحقق حياة الكنيسة المستمرة واعمالها الدائمة في سبيل نشر الايمان. ج . ل

منتخبات ادبية

للاب بشير آجيا اليسوعي

الجزء الاول . للصف السادس من التعليم الثانوي – المطبعة الكاثوليكية ، ١٩٢٨

طالما تذمّر اساتذة الصفوف الثانوية في اللغة العربية من افتقارهم لمنتخبات تلذّ التلاميذ وتفيدهم في وقت معاً . وطالما تذمّر التلاميذ الصغار من عدم فهم ما يوضع بين ايديهم من المنتخبات . وكان في رفع هذا التذمّر صعوبة لا يُستهان بها وهي ايجاد نصوص سهلة، لذيذة، متينة ؛ وتحليتها بالرسوم المتنوّعة ، والشكل الكامل وشرح الالفاظ الصعبة والاعلام التاريخية والجغرافية ؛ واستغلالها بوضع اسئلة على معانيها وتمارين صرفية وانشائية يجري عليها التلميذ اذا ما انتهى من قراءتها. هذه الغاية المشعّبة سار نحوها حضرة الاب

بشير اجيا مدير التعليم العربي في كلية القديس يوسف ، فادركها واصدر الحلقة الاولى من سلسلة منتخباته في ١١٠ صفحات تختص بالصف السادس من التعليم الثانوي . وسيتابع قريباً اصدار باقي الاجزاء.

واذا اضفنا الى الصفات العامة المذكورة اعلاه تنوع القطع المنتخبة ، وهي تتراوح بين القديم والحديث من ابن المقفع وابن عبد ربه ، الى الف ليلة وليلة، ومجاني الادب ، الى محمد جلال المصري ونجيب حبيقة، وبين فنون الانشاء من مثل ، الى حكاية ، الى قصيدة وصفية ، الى موعظة ، تبدو كلها بحرف جميل ، على ورق صقيل ، تزينه الصور الفنية العديدة ، تدرنا الكتاب حق قدره ، وتأكدنا ان سيكون له مستقبل باهر في التعليم العربي العصري ف . ا . ب

هدايا ارسلت الى المشرق

— الوحدة الدينية الحقيقية — رسالة عامة لاب الاقدس البابا بيوس الحادي عشر (تعريب جريدة البشير) — المطبعة الكاثوليكية ، شباط ١٩٢٨

— الملامة النفيسة في تعريف الكاثوليكي والكنيسة ، وقصارى الاجوبة الجلية على الاعتراضات البروتستنطية — للخوري اسقف خيرالله اسطفان المتحد البطريركي في اميركا الشمالية — مطبعة الهدى ، نيويورك ، ١٩٢٨

ان عنوان هذا الكتاب لهو افصح دليل على محتوياته ومناقبه ، فنتمنى له الرواج فتتداوله ايدي الشعب وتستعين به على دحض الاضاليل

— الحب الالهي امام الآلام والموت — تاريخ وشرح رسالة القديس اغناطيوس اسقف انطاكية الى الرومانيين (باللغتين العربية والافرنسية) — للاب بولس قوشاقجي

— الشهر المريمي للعيلات المسيحية — مطبعة القديس بولس في حريصا (لبنان) ١٩٢٨

ان تعاليم الكنيسة المقدسة كثيرة لا تفنى وقد استنبط منها حضرة الاب قوشاقجي هذين المؤلفين فله الشكر.

— ذكرى كليفلند ضودج ، في بيروت ١٩٢٦ — المطبعة الادبية بيروت

هذا الكتاب هو مجموعة خطب وشذرات ومقالات جرائد طبعت اكراماً للمرحوم والد الرئيس الحالي للجامعة الاميركية في بيروت . فنحن نضم صوتنا الى اصوات زملائنا لنحيي في ذكر الفقيد رجل المروءة والاحسان.

الحركة الكاثوليكية في العالم

بقلم الاب رفائيل نخله اليسوعي

تنبيه : لا يسمح لنا ضيق المقام بسوى تركيز بعض اهمّ مظاهر تلك الحركة.

الكثلكة والحكومات

الحكومات كالافراد : طوراً تعظم المسيح وكنيسته المقدسة ، وتارةً تحتقرها وتضطهدها . من مظاهر التعظيم في المدّة الاخيرة كون الحكومة الايطالية سنّت شريعة تعاقب اهانة الاديان العلنيّة بجزاء نقدي ، حدّه الاقصى الفا فرنك ايطالي ، ويكون اربعة آلاف ، اذا وُجهت الاهانة الى الكثلكة.

بفرنسة اقترح مئة وخمسة عشر نائباً على المجلس النيابي الغاء الشريعة الظالمة التي تمنع الرهبان الفرنسيين من الاقامة في وطنهم وفتح المدارس فيه.

بلجيكة قرّرت ان ترفع من مليوني فرنك الى اربعة ملايين مساعدتها الكلية لوثان الكاثوليكية.

في مصر صرّح جلالة الملك ، فؤاد الاول ، للسيّد جيراز ، النائب الرسولي في مصر السفلى ، بانه يقدّر كل التقدير الاعمال التعليمية والخيرية التي يقوم بها في بلاده ، ابناء الكنيسة الكاثوليكية.

في اليابان منحت الحكومة كليّة اليسوعيين في طوكيو صفتها الرسمية ، باعتبار شهاداتها مساوية لشهادات الكليّات الحكومية.

في الصين فعلت الحكومة مثل ذلك بشأن كلية بكين الكاثوليكية ، فاعترفت بان ذلك المعهد « ممتاز بنظامه وان غايته ان يُدخل في الصين احدث « مقتنيات العلم الغربي ، وفي الوقت ذاته ، ان يصون ويجدّد حضارة البلاد « التقليدية . »

* * *

تلك بعض مظاهر إجلال الحكومات للكثلكة ، على ان مظاهر التحقير والاضطهاد لا تزال من مميزات كنيسة المسيح الحقة ، بحسب نبوءة مؤسسها الالهي . كما ابغضه العالم ، لانه قاوم شهواته ، كذلك يبغض العالم كنيسته ، التي تواصل عمله في الارض ، الى منتهى الاجيال.

روسيا البلشفية تزيد اضطهاداً الكاثوليك ، فيزيد سنة عن سنة ، عدد الكنائس الكاثوليكية التي تغلقها وتضع يدها عليها ؛ وليس في طول البلاد وعرضها اسقف كاثوليكي واحد ، متمتع بحريته . امّا عدد الكاثوليك ، من الاكليرس والعوام ، الذين سجنتهم الحكومة ، فقيل انه يتجاوز ستة آلاف ! في السنة الاخيرة وحدها سجنت ٣٢ كاهناً كاثوليكياً في موسكو ونفت خمسة من لنينغراد.

المكسيك فاقت روسية توحشاً في اضطهاد رعاياها الكاثوليك ؛ قيل انها قتلت حتى الآن ١١٥ كاهناً منهم . كذلك حكمت على الصحافة الكاثوليكية بالموت ، لكن الكاثوليك ينشرون في الخفاء صحيفة عنوانها « الديماميس » ، غايتها تشجيع آلاف القرّاء على الثبات في ايمانهم المقدس ، وعلى الاضطهاد الفظيع . وقد رضي احد اكبر اغنياء المكسيك القيام بنفقات مدرسة لاهوتية ، أنشئت في اسبانية ، يمكنها قبول ١٨٠ من الشبان المكسيكيين ، الذين تحرمهم الحكومة حرية مباشرة تلك الدروس في وطنهم.

الكوادور تقتفي آثار المكسيك ، بمنع دخول الكهنة الآتين من الخارج ، وبنفي بعض الكهنة الاجانب . كذلك وضعت يدها على دير راهبات قلب يسوع ، في كيتو.

الكثلكة والتقوى

في المانيا بظرف ثماني سنوات ، زاد عدد الرهبان والراهبات من ٧٣,٠٨٤ الى ٨٤,٣٣٨ ؛ وفي ذلك القطر نحو خمسين الف عائلة تكرّست لقلب يسوع .

بفرنسا استقرض الاساقفة من رعاياهم ، في ١٩٢٢ ، مئتي مليون فرنك ، لاعادة بناء ٧٠٠ كنيسة تهدّمت في الحرب الكبرى ؛ وفي المدة الاخيرة

استقرضوا المبلغ نفسه لاعادة تشييد ١٢٠٠ كنيسة اخرى . ولكن ما فائدة آلاف الكنائس بدون عدد كاف من الكهنة ؟ والحال ان ذلك العدد معدوم بفرنسة حاضراً . لذلك انعقد ، في رُوان ، بحضرة الكردينال ديبوا (Dubois) و ١٣ اسقفاً ، المؤتمر القومي الثالث لزيادة عدد رُعاة النفوس ، بافعل الوسائل .

في انكلترة ذهب ستون الف كاثوليكي اسكتلندي ، من كل انحاء بلادهم ، لزيارة سيدة كارفين (Carfin) ، وهي بمثابة سيدة لورد هناك .

في برتغال زار سيدة فاتمة (Fatima) ، في العام الماضي ، نحو اربعمئة الف زائر ، فقد صنعت ام الله اعاجيب عديدة في تلك البقعة . جمع الكاثوليك اكثر من اربعة ملايين فرنك ، حتى يبنوا لها هناك كنيسة كبيرة ، تحوي ٦٥ مذبحاً .

في اسبانية احتفلت العاصمة ايما احتفال باليوبيل الذهبي لجمعية السجود الليلي للقربان المقدس ، البالغ عدد اعضائها فوق مئة الف ؛ في الطواف الختامي بالقربان المقدس مشى ثلاثون الف شخص . وفي برشلونة اجتمع مؤتمر ضد التجديف ، حث الحكومة على استئصال تلك الرذيلة ، باشد الوسائط ، من قلوب رعاياها . كذلك تباحث مئات من الشبان الكاثوليك بشأن مقاومة كل انواع الخلاعة .

في بلجيكة انعقد مؤتمر عجائز الكاثوليكيات البلجيكيات ، اللواتي عددهن نحو سبعين الفاً ، فقررن حفظ الاحتشام في الملابس واجتناب الرقص الخلاعي ومقاومته .

في نيويرك اشترك الفا معلم في رياضة أُلقيت عليهم ، بكاتدرائية القديس باتريك .

الكثلكة والنفوذ العقلي

بامر الكرسي الرسولي دُشن بغاية الاحتفال المعهد البابوي لعلم الآثار المسيحية ، وهو قصر فخم ، شُيد على تلّ اسكيلين ، في رومية .

بفرنسا عين الجنرال دي كاستلنو (de Castelnau) ، لسمي « المحالفة القومية الكاثوليكية » في هذه السنة ، البنود التالية : ١ً اعتراف الحكومة بحرية اتحاد الرهبان وتعليمهم الناشئة ، ٢ً محاربة الاشتراكية والشيوعية ، ٣ً مراقبة التعليم والتهذيب في مدارس الحكومة اللادينية.

* اجتمع بباريس مؤتمر الكتاب الكاثوليك لتشديد نفوذ الكثلكة في وطنهم وفي سائر البلاد. للغاية نفسها أنشئ في باريس ، بحضرة ممثلين عديدين لصحافة العالم الكاثوليكية ، مكتب دُوَلي لها ، يكون صلة وثيقة بين كل عمالها . أمّا الصحافة الكاثوليكية الفرنسية ، فهي في تقدم متواصل ، فان لجريدة « الصليب » (La Croix) ٩٠٠٬٠٠٠ مشترك بطبعتها الباريسية ، و ٤٬٠٠٠٬٠٠٠ بطبعاتها الشتى في ولايات فرنسة ؛ ولمجلة « الزائر » (Le Pélerin) نحو مليون مشترك ؛ ولمجلة الوضة الكاثوليكية نحو ١٦٠٬٠٠٠.

* لجمعية طلبة المدارس العليا الكاثوليكية نحو ٦٠٠٠ عضو ، في ١٦ مدينة ذات كلية ؛ فذلك نجاح باهر فاق الآمال . هكذا نجحت جمعية السينما الكاثوليكي ، المؤسسة حديثاً ، لنشر المبادئ المسيحية ومقاومة السينما الخلاعي.

في انكلترة اجتمع المؤتمر الاول للكتاب الكاثوليك ، تحت رئاسة الكردينال بورن (Bourne) . وقد بلغ عدد المشتركين بالمجلة الكاثوليكية الاسبوعية « العالم » (The Universe) نحو مئة الف.

في الولايات المتحدة اجتمع ٦٣ اسقفاً للتباحث بشأن نشر التعليم الكاثوليكي في بلادهم ؛ فقرروا جمع ستة ملايين دولار لهذه الغاية.

الكثلكة والاحسان

في فرنسا تحوي باريس وحدها ٦٥٠٠ جمعية خيرية ، منها نحو ٧٦٠٠ كاثوليكية . وفي ١٨٩٦ كان بولايات فرنسة ، بغض النظر عن باريس ، نحو اربعين الفاً من تلك الجمعيات ، وكلها تقريباً كاثوليكية وتحت ادارة الرهبان.

في بلجيكا انضم نحو الف عضو الى جمعية تلاميذ الكليات ، لمساعدة الرسالات الكاثوليكية في الخارج.

في عاصمة اسبانيا جمعية سيدات ، ينشرن المطبوعات الصالحة بكل الوسائل ، ولاسيما بين الفقراء . يؤسسن المكاتب المجانية ؛ يُهدين كتباً حسنة الكهنة الرعايا ، للعائلات الحديثة النشأة وللجنود الاسبانيين في مراكش ؛ يقرأن على الخياطات في معاملهن ؛ يدفعن ثمن اشتراكات العائلات الفقيرة بالصحف الكاثوليكية ؛ الخ.

بعاصمة جزيرة ايسلندة ، لراهبات القديس يوسف مستشفى شهير ، خدمن فيه ، منذ ٢٤ سنة ، خمسة عشر الف مريض.

في الولايات المتحدة جمعت شركة نشر الكثلكة ، في العام الاخير ، ١,١٤٧,٢٩٩ دولاراً ، لمساعدة الرسالات في داخل البلاد وفي ملحقاتها . وقد انفقت فوق مئة الف دولار ، لمساعدة الكهنة والراهبات المنفيين من المكسيك ، بسبب الاضطهاد ، ولبناء مدارس للمهاجرين من ذلك البلد ، للسبب نفسه.

الكثلكة والاهتداءات

في سورية اهتدى كثير من اهالي قرية فيرون السريان الارثذكس الى الكثلكة ، فاوفد بطريركهم وفداً من اعيان رعيته لاقناعهم بالرجوع الى دينهم الاصلي ، لكنهم ثبتوا في الايمان الكاثوليكي القويم.

في ايرلندة اهتدى الجنرال البروتستانتي برايان ماهون (Bryan Mahon) ، الشهير بخدمه في الحرب الكبرى.

في ايطالية اهتدى اليهودي جورج دل ڤكيو (del Vecchio) ، مدير كلية الحكومة في رومية.

في بولونية اهتدى القاضي اليهودي الشهير اوسكار پولاك (Pol-lak) ، بل صار كاهناً . ثم اقتدت به امه ، فعُمّدت السنة الماضية ، وهي بنت ٧٥ سنة !

في بولونية الشرقية حركة اهتداء شديدة بين الارثذكس . في ابرشية ڤلنة وحدها اهتدى ستة آلاف منهم في الخمسة الاعوام الاخيرة . لتعزيز تلك

الحركة أنشئت ١٤ خورنية كاثوليكية ، فُرض عليها الطقس الشرقي الصقلبي ، لاجتذاب اربعة ملايين من الارثذكس الى الكثلكة . من الخمسة والعشرين كاهناً الذين يخدمون تلك الخورنيات ستة عشر مهتدياً من الارثذكسية.

في عاصمة النمسا ، كما في غيرها من المدن الكبرى ، تأسست جمعيات المهتدين الى الكثلكة ، بقصد ضم قواهم الثبات في ايمانهم الجديد.

في دانيمرك التي ليس بها غير ٢٣,٤٥٤ كاثوليكياً ، اهتدى العام الماضي ١٩٢ شخصاً الى الكثلكة.

في الولايات المتحدة اهتدى العام الماضي ٣٥,٧٥١ شخصاً ، كانوا كلهم تقريباً بروتستانتاً.

في البرازيل اهتدى وتعمد اربعمئة من اليابانيين الوثنيين المهاجرين.

في اليابان اهتدى تاناكا ، استاذ الحقوق في كلية طوكيو ؛ ثم بيّن اسباب اهتدائه في كتاب ، بيعت كل نسخه في اسبوعين فقط.

الكثلكة والرسالات

عدد المرسلين البسوعيين في الرسالات بين غير المؤمنين ، كان ٢٣٠٥ في اول السنة الماضية . في تلك السنة عمدوا ١٩٨,٢١١ شخصاً ، منهم ٤٢,٩٤٩ بالغاً. كانوا يخدمون ١,٨٨٩,٨١٩ من الكاثوليك و٢٢٩,٣٠٢ من طالبي العماد ؛ ولهم ٧٩١٤ كنيسة او معبداً ؛ ٤٧٤٣ مدرسة التعليم المسيحي ، فيها ٩٤,٢٣٠ ولداً ؛ ٣٧٢٩ مدرسة ابتدائية ، فيها ١٠٨١٧٣٢ تلميذاً ؛ ٨١ مدرسة صناعية ، فيها ٣٧٢٩ تلميذاً ؛ ٣٣٥ مدرسة ثانوية ، فيها ٥٣,٢٠٤ تلاميذ ؛ ١٠ كليات ، فيها ٤٤٢٠ طالباً ؛ ٢٧ مستشفى ، فيها ١٥,١٩٨ مريضاً ؛ ٣١٢ مستوصفاً ، وزعت ١,١١٢,٥٠٩ ادوية ؛ ١١٧ ميتماً ، فيها ١١,٠٦٠ يتيماً ؛ ١٤ مطبعة ، فيها ١٣٩ مستخدماً.

مؤتمر الرسالات في قصر لاتران بروميسة ، دُشن في ٢٢ كانون الاول ١٩٢٧ ، بحضور الكرادلة ، السفراء وممثلي الرهبنات. معلوم ان الحبر الاعظم

قرّر انشاءه ، على إثر باهر نجاح معرض الرسالات في ١٩٢٥ و ١٩٢٦ ، لحث الكاثوليك على الاهتمام بالرسالات وبذل مساعداتهم لها.

لجمعية انتشار الايمان انشأت شركة اسمها « الايمان » (Fides) ، غايتها ايصال كل الاخبار المهمة من بلاد الرسالات الى مركز يجمعها وينشرها.

في بولونيا عشرون مدرسة تحضر الكهنة ، الرهبان والراهبات لاعمال الرسالات في الخارج ؛ وفي البلد نفسه نحو ثلاثين مجلة رسالية

في الولايات المتحدة انشأ الاب وُلش (Walsh) اليسوعي ، رئيس كلية واشنطون ، حركة شديدة ، لهداية روسية الى الكثلكة ، فدخل فيها نحو مليون ونصف من كاثوليك الولايات ، مستعدين لبذل انواع المساعدة الروحية والمادية للروس التاعسين.

كندة ف حاضرًا سبعة آلاف من المرسلين ، رجالًا ونساء ، اكثرهم في البلاد الوثنية.

في الارجنتين نُرى في العاصمة بركة احتفالية على معبد متنقل ، مركز على سيارة ، يقيم فيه المرسلون السالسيّون (Salésiens) القداس وسائر الرتب ، في اثناء رسالاتهم ، لمتدة الى اقاصي ارض النار ، الواقعة في طرف اميركة الجنوبية.

في الصين بين الحروب المدنية الهائلة ، بقي الكهنة المرسلون الكاثوليك ، البالغ عددهم ٢٥٠٠ ، في مراكزهم ، بين رعود المدافع والبنادق . أما المرسلون البروتستان ، البالغ عددهم ٨٠٠٠ ، فقد هرب منهم ٥٠٠٠ ، حرصاً على حياتهم واموالهم . في زمن الشدة خصوصاً يظهر الفرق بين الراعي الصالح والاجير !

المشرق

الدين وقوام الألفة الاجتماعيَّة

بقلم حضرة الاب ا . س . مرمرجي الدومنيكي
من اساتذة المعهد الكتابي والاثري الفرنسي في القدس الشريف

الألفة الاجتماعية بمثابة جسم عظيم . فكما ان الجسم تتضامّ فيه الاعضاء ، متكاتفة ، مشتركة في اداء الاعمال اللازمة ، لقوام الحياة ، فعلى هذا النسق ترى افراد الالفة مجتمعين ، متآزرين في القيام باعباء ما تتطلّبهُ حياة الاجتماع . وكما ان في البدن عضواً مهمّاً هو مركز القوى ، والقائم بادارة جميع الاعضاء ، ففي الالفة ايضاً نجد قوّة مركزية هي بمنزلة الراس من جسم المجتمع ، الا وهي السلطة التي من شأنها اصدار الشرائع المقصود منها الخير العام . وهذا امر طبيعي بديهي ؛ اذ غير بعيد عن فكر نبيه ان هذه السلطة لم تنشأ ، في كل زمان ومكان ، الا بقوة طبيعة الاشياء . ولذا فالسلطة ضرورية ، لانهُ بدونها لا ينجم الّا الخراب ، وليد تنازع الافراد ، وتنافرها ، وتفرّقها .

هذا ، وما من مراقب سرّح رائد الطرف في فضاء المجتمع الانساني ، الّا لاحظ في افراده تبايناً في المقدرة ، وتراجحاً في المنزلة ؛ وهي حالة ملازمة الانسان ، دون انفكاك ، منذ نشأته نشأةً اجتماعيَّة . الّا ان تلك الحالة ، مع ما فيها من الخواصّ الطبيعية ، لا تروق في عيون من يدّعون الإصلاح في هذا العصر ، ويرون لزوم قلب الاحوال من اهم الفعال ، واستئصال كل قديم ، وان كان يجتمع الكمال ؛ لظنهم ان الالفة سائرة على

غير ما يُرام ، وان قِوامها الطبيعي في التوازن العام ، بين سائر الافراد ، وفي مطلق الاحوال ؛ وان التراجح المشاهد الآن ان هو الّا نتيجة النظام القديم ، المتحتم تقويضه ، لاعادة الالفة الى الحالة الملائمة لطبيعتها.

أما الدين القويم ، فالواضح لديه ، وضوح الشمس في رائعة النهار ، هو ان بين البشر تشابهاً وتعادلاً بالطبيعة . واما في حياة الاجتماع ، فقد كان ولا يزال بينهم تباينات جاءت وفق النواميس الطبيعية ، وبمقتضى الاحوال الانسانية. ولذا فما يجدر بنا اثباته في ذا المقال ، استناداً الى مبادئ الدين ، المعززة باحكام العقل والاختبار ، هو هاتان القضيتان وهما : الألفة قائمة على التوازن في المقامات والحقوق الطبيعية . والالفة قائمة على التراجح في المقامات والحقوق الشخصية :

١

الالفة قائمة على التوازن في المقامات والحقوق الطبيعية

مما لا مِريَة فيه ان لكل خليقة طبيعةً ، ولكل طبيعة مقاماً ، ولكل مقام حقوقاً . فاذا اختلفت الخليقة عن غيرها ، اختلفت طبيعتها ، ومقامها ، وحقوقها . وبالعكس اذا توحدت الخليقة ، توحد بذلك الطبيعة ، والمقام ، والحقوق . والحال ، ان ما لا يفتقر الى دليل هو وحدة الطبيعة البشرية ؛ مما ينجم عنه وحدة مقامها ، ووحدة حقوقها . فالخلق اذن ، لتعادلهم في الطبيعة ، متعادلون في الخواصّ ، والمقامات ، والحقوق الطبيعية.

هذه هي الحالة حالة الناموس الفطري . الّا ان البشر قد شوّهوها بقلبهم نظامها ! واستمرّ هذا الاختلال الى بزوغ شمس الدين المسيحي ، فعند الهنود كان الناس ، ولا يزالون ، منقسمين الى طوائف او لفوف . ومن معتقداتهم أن طائفة الكهنة قد انبثقت من دماغ « براهما » كبير الهتهم ؛ مما جعلهم مستأثرين بالاعمال الفكرية كالعلوم والفنون . وغيرهم قد صدروا من صدر « براهما » وهم فريق المحاربين ، الذين من شأنهم الذبّ عن حياض الوطن . وآخرون خرجوا من جوف « براهما » وهم الحرّاث والصناع . وادنى

طبقة بين البشر ظهر اعضاؤها في الوجود عن طريق رجلي «براهما» وهم ارباب المهن الحقيرة . على انه مع ما في هذا التنسيق من هضم الحقوق ، فلا اقلّ من ان واضعيه او متخيليه قد حافظوا بعض المحافظة على المقام البشري ، وشيء من شرفه ، بعزوهم الورى الى اصل الهي . اما اليونان والرومان فقد كان المجتمع عندهم مؤلفاً من طبقتين : طبقة السادات ، وطبقة العبيد . ومما يقضي بالعجب العجاب ان فلاسفتهم اعيتهم كانوا موافقين على هذا الضلال الاجتماعي ، بل دافعين الناس الى السير بموجبه ؛ حتى ان زعيمهم الاكبر ، ارسطو الفيلسوف الشهير ، قد جارى ، في هذا الشأن ، اهل عصره مجاراةً حملته على القول بان نفس العبيد ليست كنفس الاحرار . وهؤلاء العبيد ، وان اطلق عليهم اسم البشر ، فقد كانوا معدودين في جملة الانعام ، يُشترون ويُباعون كالسلع ، ويُستخدمون لاشقّ الاشغال ، ويُذاقون الوان العذاب ، بل يُفتك بهم فتكاً ذريعاً . ولم يكن ذلك من باب الشذوذ ، بل كان قاعدة مطردة ، تثبتها الشرائع المدنية ، وتقرّها الاحكام الدينية ، ويعتبرها الجمهور حالة طبيعية ، لا تُستغرب ولا يُنفر منها . اما الدين المسيحي ، فما كادت انواره تسطع على العالم حتى اخذ يناهض هذا الضلال ، باجهاره بين الناس انهم جميعاً اولاد أب واحد ، متشابهون في الطبيعة ، متساوون في المقام البشري ، متمتعون بحقوق واحدة .

على ان الدين يعلمنا ، فضلاً عن ذلك ، ان مرجع البشر ايضاً واحد ؛ لانهم مدعوّون الى غاية واحدة وسعادة واحدة . بما خوّلهم في ذا الشأن حقاً واحداً ، حقاً من اهم الحقوق لتفوّقه عليها خطورة وفائدة ، ولاستناده على جودة الله وحكمته وعدله . فانه عزّ وجل لأعدل من ان يحرمنا من نيله ، والّا لنفيت هذه الصفات منه ، وهي صفة الجودة الراغبة في الخير لكل كائن ؛ والحكمة الجازمة بوجوب بلوغ كل مخلوق غايته القصوى ، والعدل القاضي باعطاء كل ذي حق حقه .

على ان التعادل في المكافأة يتطلب التعادل في مكابدة القصاص . وبالحق ان البشر يعاملون في ديوان الله دون محاباة كلٌّ حسب اعماله . لا نجحد انّ

في العالم الحاضر لا يظهر عدل الباري كما هو ، لاننا نرى المنافقين موشحين بجلباب الشرف والاعتبار ، راتعين في بحبوحة الهناء ، سالمين في عيشهم ، ناجحين في سعيهم ؛ مما يثير ثائر الناقصين رأياً وايماناً ، فيحملهم على التذمر والتشكي من العدالة الالهية . بيد انه قد فاتهم ان الله قد احتفظ له يوماً ، يدعى يوم الرب ، فيه يعاقب من اساءوا التصرف بخيراته ، وينتقم للمظلومين من الظالمين، وربما يحل ذاك اليوم ، يوم التعادل بين الخلق في كل شيء ، قد ساواهم الآب في ابنه يسوع الفادي. لأن الحياة الحقيقية ، في نظر الايمان ، ما هي الا حياة المخلص فينا وحياتنا فيه . وكما ان الاعضاء كثيرون ، والجسد واحد ، فهناك ايضاً مسيحيون عديدون ، والمسيح واحد ، هذا ما علمه الرسول المصطفى ، وما اعتقد به المؤمنون ؛ مما حمل هذا الرسول العظيم على القول : « ليس بعد يهود ولا يونان ؛ ليس احرار ولا عبيد . » اجل ليس بيض وسود ، ليس كبار وصغار ، ليس اغنياء وفقراء ، ليس علماء وجهلاء ، ليس تفاوت بل تعادل ، لان الجميع قد اصبحوا واحداً بالمسيح ، لاصطباغهم بصبغة معمودية واحدة . واذ كان المسيح مساوياً لذاته ، فقد اضحى تلاميذه متكافئين . وكلهم عظماء لنيلهم العظمة من ابيهم الوحيد العظيم ؛ وكرامتهم واحدة ، لكونهم ابناء اب واحد ، واخوة اخ واحد ، هو المسيح ؛ فلم يعد فرق بينهم ، ولا فضل لاحدهم على صاحبه . واذا فالمسيحي المتشح بالثياب الناعمة ، والمسيحي المترمل بالاطمار ، لابسان ثوباً واحداً ، لأن ثوبهما هو المسيح.

وهذه الوحدة بالمسيح جعلت ان يكون الايمان واحداً للجميع ، خلافاً لما نراه بين علماء هذا الدهر ، الذين يحتقرون عامة الناس ، معتبرين نفوسهم حكرة العلم ، وامراء الفكر والكلام. في الدين المسيحي ليس تعليم للعلماء ، وتعليم للجهال . لان في دستور الاعتقاد من البساطة ما يهيئ تلقيه على العامة ، وفيه من السمو ما تستطيبه عقول الخاصة . فالتعليم واحد للكل لان الكل في عين المسيح على حد سواء . وكذا القول في الرياسة ، فهي في الكنيسة الكاثوليكية ، واحدة على الجميع ، وللجميع . هي على سائر المؤمنين لانتشارها في العالم باجمعه ، وتناولها كل مسيحي ، دون استثناء . وهي ايضاً للكل ،

لان المسيحيين قاطبة ، مهما كانت حالتهم ، ومنزلتهم المدنية – اغنياء ام فقراء ، اشراف ام عاملين ، من الخاصة ام من العامة – يسوغ لهم الانخراط في سلكها ، لا بل الرقي الى اعلى مراتبها ، اذا دعاهم الله الى ذلك. ومن ثمّ ، فاذا رأت الكنيسة ابن احد النعلة اهلاً لان يتبوأ منصة اسمى الدرجات الكنسية ، رقّته اليها ؛ فيصبح بذات النعل أباً ، ومعلماً ، وملكاً للعالم الكاثوليكي باسره . وما قولنا الآن في التوازن الذي انشأته في المعمورة تلك الفضيلة السامية التي جاء بها السيد المسيح ، وشمل بها البشر برمتهم ، وهي فضيلة المحبة . فان البشر من باب الاطلاق لا يمكنهم ان يحبوا احداً الا مالوا الى بغض الآخر . اما الربّ الفادي فقد وجد طريقاً لحلّ هذه المعضلة برفعه جميع الناس الى مستوى محبة واحدة ، ترقى بهم الى قمة مجد واحد ، وسعادة واحدة ؛ فانه لم يأتِ الى البشر اتيان السيد الى عبيده ، بل نزل اليهم من سمائه ، نزول الاب الى اولاده ، والاخ الى اخوته ، والصديق الى اصحابه متساوين في عينه . وهذه المحبة الشاملة كانت مصدر كل ما عمله الربّ لاجل فداء العالم.

٢

الالفة قائمة على التراجع في المقامات والحقوق الشخصية

لقد قيل : الامثال حكمة الشعوب . ونعم القول ! لان الامثال والحكم زبدة الخبرة المتواصلة . ومن جملة ذلك حكمة فلاسفة الاخلاق القائلة : « خير الامور اوسطها ! » وطبقاً لهذا المبدأ جاء الحق سائراً في محجة الطريق ، غير زائغ الى احد الطرفين ، حيث الضلال ؛ والحقيقة التي نحن في صددها قائمة في الوسط ، يكتنفها ضلالان : الاول هو الذي دحضناه باثباتنا حقيقة التوازن الطبيعي بين الورى ؛ والثاني هو ضلال غلاة ابناء هذا العصر ، المحاولين نقل البشرية من التعادل الطبيعي الى التعادل الشخصي . وهو ، كالذي سبقه ، ضلال يتكره العقل ، ويردّه النقل ، وينفيه الدين.

يختلف اعتبارنا الانسان لاختلاف احواله . فان نظرنا الى المرء نظرنا الى

فرد منفصل عن بقية اقرانه في البشرية ، جاز لنا القول بان صفته الانسانيـة دليل على تساويه بغيره . اما اذا لاحظنا الجماعة المنضمّ هو اليها ، اضطررنا الى الإقرار بان هولاء الاشخاص ، الذين هو واحـد منهم ، وان تعادلوا ، وهم منفردون ، فلا يلبثون ان يتراجعوا في المنازل والدرجات ، حالمـا ياخذون في الاجتماع . لانه من المحال انشاء جمعية خالية من نظـام وتنسيق . على ان من مطلبات التنسيق وجود التفاوت في المقامات مما ينجم عنه ان التراجع الاجتماعي ليس من عثنات الاشياء وحسب ، بل من جوهرهـا وقوامها . فان البشر كانوا ، ولا يزالون ، ولن يزالوا متباينين في القوى البدنية ، والعقلية ، والادبية ، وفي الاحوال الشخصية ، والمالية ، والاهلية ، والقومية ، والاممية . وقد بدأ هذا التراجع مع بدء العالم ، ولا يزال يتجدّد بتجدّد الجماعات ، والحكومات . وسببه بادٍ لكل ذي عين . فان الناس ، وان كانوا متوازنين من حيث الطبيعة — وهذا مجد الجنس البشري — الا انهم متفاوتون في الخواص ، والاقتدار ، والقيمة الشخصية — وهذا فخر الافراد ، ومجدهم ، واجرهم — وهذا الذي احدث في الالفة قوات متباينة ، كانت داعياً لوجود مقامات اجتماعية مختلفة .

على ان هناك من يقول : كفى تساوي البشر في البشرية ليُعتبر كل انسان كعشوه الانسان . ان هذا القول لقول وجيه ، الا ان صوابه من وجه دون وجوه ، فما رأي المعترض في من يدّعي ان كل وردة كبقية الورود ؛ وكلّ شجرة كغيرها من الاشجار ؛ وكل نجم كسائر النجوم اي ان جميعها على حد سواء . اجل ! انها متعادلة في شيء ، وهو الطبيعة ؛ لكنها مختلفة في اشياء اخرى وهي الخواص الفردية . لان كل وردة ليس لهـا رونق وعطر كل الورود ؛ ولا كل شجرة متصفة بما ازدان به غيرها من القوة والارتفاع ، والنضارة ، والثمرة ؛ ولا لكل النجوم حجم واحد ، ونور واحد ، وبعد واحد ؛ ولا كل حيوان حائز كمالات جميع الحيوانات . فكذلك البشر ، مع كونهم متعادلين في الطبيعـة ، ليس لكل منهم ما لغيره من القوى البدنية ، والمزايا العقلية ، والفضائل الادبية . زد على ذلك ان من مسببات هذا التراجع حالة الطبيعة الخارجة عن الانسان ؛ فان تصرّفها نحو الواحد ، غير تصرفها نحو الآخر . فعلى هذا الرجل تظهر شفيقة ،

رحيمة ؛ وعلى ذاك ، شديدة ، قاسية . تكلل بالخصب اتعاب هذا الفلاح ، فيعيش عيشاً رغيداً ؛ وتقطع آمال الآخر بالجدب والفلاء ، فيقع في البلاء . وهناك ايضاً داعي اختلاف درجات المواهب الطبيعية في الناس . فان منهم من يخلقون كالنسور فيدنون من شمس الحق ، والجمال ، والعظمة ؛ ومنهم من يسيرون بخطوات بطيئة ، وبعد جهد وعناء كثير ، لا يتوصلون الا الى ما نزر . منهم من ينصبّ على تحصيل العلوم والفنون ، على حين ان غيرهم يقضون اوقاتهم بالبطالة والهذيان ، وما يقال عن العقول يمكن تطبيقه على الاخلاق ، فان الناس مختلفون فيها اختلافهم في غيرها ، اذ هناك انام يقدمون على صعاب الامور ؛ وهناك من يفشلون لمجرد وقوفهم على العقبات . منهم من يجدّون فيتوصلون الى قمع الاهواء النفسانية ، ومنهم من تخور عزائمهم فيسقطون ، مستسلمين لسلطان الاميال الدنية .

وكم من الذين يقضون الايام والسنين ، تارة شجعان ، مقدمين ، غالبين ، مكللين ؛ وطوراً جبناء ، مدبرين ، مغلوبين ، مخذولين . وناهيك ما للجسد من نفوذ في هذه المعارك ، لما هو عليه من شدة التأثر ، ولما له من الدخل في مجاري الحياة ؛ فيقف غالباً ، حائلاً دون الرغائب الصالحة ، بما يعتوره من الضعف والخور . هذا ومهما سمت القوى في البشر ، فهي ليست بكافلة لهم النجاح ، والتفوق الاكيد ، اذ كم من رجل ذكي ، اديب ، شجاع ، نراه خاملاً وضيعاً ؛ وكم من غبيّ ، جاهل ، جبان ، نجده ، رفيعاً ، جليلاً ، مثرياً .

هذه هي حالة البشر الوضعية ، اي الطبيعية . فمن اراد ازالة هذا التراجح ، والاستعاضة عنه بالتوازن في المقامات الشخصية ، تحتّم عليه ، قبل ذلك ، ان يسعى فيتوصل الى محو كل اختلاف في الثروة ، والعلم ، والفضيلة ، والاخلاق ، والاهواء ، والقوى البدنية ، والعقلية ، والادبية ، والحرية . والخلاصة عليه قلب نظام الطبيعة ، وتغيير نواميسها ، واستبدال جوهرها . وهذا ما لا يغيب مستحيله على ذي بصيرة . اجل ! محال على شرائع الاجتماع مناقضة نواميس الطبيعة ؛ محال اخضاع اشخاص ، متفاوتي القوى والخصال ، والكمال ، لنير تعادل قسري ، اذ من ذا الذي في وسعه اجبار رجل نبيه ، شجيع ، همام ،

مقتصد ، عفيف ، متفانٍ ، على الهبوط ، في باب الثروة ، والمقام ، والشرف ، الى دركة رجل بليد، جبان ، قُعَدة ، مسرف ، متهتك ؟ ولِمَ يا ترى لا يحقّ للاذكيـاء ، والافاضل ، والنوابغ ، التفوّق في المنزلة ، والتمتع بما يتصل بها من الفخر والمجد ؟ واذا جاز ذلك للنابغة ، فلِمَ لا يحلّ له ان يورثه لاعقابه اللائقين به ؟ ومتى حتمت الطبيعة وقضى العدل ، ان تضطر الاسرة الراقية اعضاؤها ذوي المجد ، الى الهبوط في دركات الذلّ والهوان ، لتكون على مستوى العائلات الدنية السافلة ؟ فانت ترى ، ايها اللبيب ، ان هذا التعادل الذي يسعى في تحقيقه ارباب الاوهام باسم الطبيعة ، لتبرأ منه الطبيعة عينها . لان من شأنها الترقي ، ولاسيما الترقي الاجتماعي ، وهذه المبادئ المعوجة تلزمها بالانحطاط والتقهقر . وهو والحقّ يقال ، أمر شائن بها ومناف لكل تقدّم وعمران .

اضف الى ذلك الحاجة التي يشوّه بها هذا التوازن الاضطراري وجه الألفة . اذ من الامور الواضحة ان لا جمال دون نظام ، ولا نظام ، دون تساوق ؛ ولا تساوق ، دون تفاوت ؛ ولا تفاوت دون اختلاف في الاموال ؛ ولا اختلاف في الاموال دون تباين في القوى والكمالات الفردية . وبزوال هذه التباينات يزول كل جمال . على ان حالة الكون باسره تناقض هذا الادعاء ، فان المرئيات جماء ، سماوية كانت ام ارضية ، مزدانة بالنظام ، ومن ثمّ فتلألئة بانوار الجمال ، اذ ما بهاء الملائكة ، لو كانوا كلهم زمرة واحدة ؟ وما رونق النجوم ، لو كانت كلها سديماً ؟ وما ملاحة الحيوانات لو كانت باسرها جنساً فذاً ؟ وما نضارة النباتات ، لو كانت جميعها طائفة منفردة ؟ وما صباحة افراد البشر لو كانوا بجملتهم قالباً واحداً ؟ فالذي رتّبه الله لا يسوغ للانسان ازالته ، لما في ذلك من المنافاة للطبيعة ، والحطّ من قدر البشرية ، والامتهان للحكمة الالهية .

هذا وهب ان دعاة الضلال ساعدتهم التقادير ، فانشأوا في الالفة نظام التوازن القسري ، افتظن انه يثبت دون تزعزع ؟ كلا ثم كلا ! فان هذا الوليد وليد العقول الضعيفة ، والمخيلات الواهنة ، لا يعتم ان ينال حتفه في مهده ،

بسيف الطبيعة ذاتها ، المتأصل فيها الاختلاف الشخصي ، والتراجح الاجتماعي ، اجل ! لا بد للطبيعة من استرجاع قواها ؛ لا بد للذكاء والشجاعة ، والفضيلة من استئناف التفوّق على ما يعاكسها ؛ لا بد للاهواء المنحرفة من استعادة ما فقدته من التسلط على المتقاعسين ، فتقعدهم عن اللحاق بالجادّين في سبيل التقدم؛ لا بد من ان تعود الثروة الى ايدي العارفين اكتسابها من ابوابها ؛ وبعودة الثروة ، لا بد من عودة الامتيازات ، ومن ثم فالاختلافات ؛ مما يزول به التوازن الصناعي ، ويحلّ ثانية التراجح الاجتماعي الطبيعي . وهذا ما ليس بخاف على دُعاة هذا التعادل الوخيم . والدليل انه ، يوم تأجج نيران الثورات، وحدوث الانقلاب في المجتمع ، بعد ان يصل الثوار الى غايتهم ، فيحين اوان اجراء التسوية والتعادل بين الافراد ، نجد اولئك المكرة الخوّنة يحتفظون لذاتهم النصيب الاوفى ، فيغتنون وينعمون ، على حين ان الشعب المسكين الذي قادوه في وهاد الضلال فظلموه ، مستفيدين من عماه وغباوته ، تراه باقياً في حالة الذلّ والهوان ؛ تائهاً حيران ؛ بائتاً جوعان عطشان ؛ سالكاً عريان بردان ؛ معترى بالاسقام والآفات ؛ منهوكاً بالامراض والعاهات ؛ متجرّعاً غصص الآلام ؛ الى ان يشرب كاس الموت الزؤام.

فعلى العاقل ان ينبذ وراء ظهره هذا الاختلال المقوت ، ويقبل ما رتبه الخالق ، وجرت عليه الطبيعة ، وحكم بصوابه العقل ، وأقرّه الدين ، الا وهو التوازن في الخواصّ والمقامات والحقوق الطبيعية ؛ والتراجح في الخواصّ الشخصية الناجم عنها المقامات والحقوق في الالفة الاجتماعية . مما به يرقى المجتمع في معارج الفلاح ، وتتوطد اركان الحضارة المثلى ، والسلام.

التشيع لمعاوية

في عهد العباسيين

بقلم الاديب حبيب زيات

كان مقتل الخليفة عثمان بن عفان اوّل ما شتت الألفة في الاسلام، وحلّ عُرى الوحدة والجماعة، ودعا الى التحيّز والتحزّب في الامصار؛ فتباينت الاهواء والبدع، وتعدّدت الفرق والشيع، وتميّز كل قطر بنزعته ونحلته. ولذلك لما اراد محمد بن علي بن عبدالله بن العباس توجيه دُعاته الى الامصار، قال لهم، في ما حكاه ابن الفقيه في كتاب البلدان، (١ وعنهُ نقل البشاري في احسن التقاسيم،(٢ وياقوت في معجم البلدان،(٣ ورواية ابن الفقيه اتم واصح. قال:

« اما الكوفة وسوادها فشيعة علي وولده. واما البصرة وسوادها فعثمانية تدين بالكف تقول: «كن عبد الله المقتول، ولا تكن عبدالله القاتل.» واما الجزيرة فحرورية مارقة، واعراب كعلاج، ومسلمون في اخلاق النصارى. واما اهل الشام فليس يعرفون الا آل ابي سفيان وطاعة بني مروان. عداوة راسخة وجهل متراكم. واما مكة والمدينة فغلب عليهما ابو بكر وعمر. ولكن عليكم باهل خراسان فان هناك العدد الكثير والجلد الظاهر. »

اما كون اهل الشام شيعة آل ابي سفيان ومروان، لا يعرفون سواهم، فهو مما لا حاجة الى التنبيه عليه لاستفاضته واشتهاره. ولكن قد خفي علينا كثير من انباء هذه المداورة الراسخة التي كانوا يناجزون اعداء بني امية ومناوئيهم والخوارج عليهم. فمن اطرف ما وقفت عليه من نوادر اخبارها، بل من اغرب مظاهرها وآثارها، ما ورد في ترجمة ابي الحسن المدائني بروايته. قال:

« امر المأمون احمد بن يوسف بادخالي عليه. فلما دخلت ذكر علي بن ابي طالب، عليه السلام، فحدثته فيه باحاديث. الى ان ذكر لعن بني امية لهُ

١) ص: ٣١٥ ٢) ص: ٢٩٣-٢٩٤ ٣) ج: ٣ ص: ٤١٢

فقلت: حدثني ابو سلمة المثنى بن عبدالله ، اخو محمد بن عبدالله الانصاري، قال: قال لي رجل: كنت بالشام فجعلت لا اسمع احداً يسمّي علياً ولا حسناً ولا حسيناً . وانما اسمع معاوية ويزيد والوليد . قال فمررت برجل جالس على باب داره، وقد عطشت ، فاستسقيتهُ . فقال: «يا حسن اسقه.» فقلت: «أسميتَ حسناً؟» فقال: «اي والله ان لي اولاداً اسماؤهم حسن وحسين وجعفر . فان اهل الشام يسمون اولادهم باسماء خلفاء الله . ولا يزال احدنا يلعن والده ويشتمه . وانا سميت اولادي باسماء اعداء الله . فاذا لعنت انما العن اعداء الله.» فقلت لهُ: «ظننتك خير اهل الشام ، واذا جهنم ليس فيها شر منك» (١ ولا يخفى ما في استقراء نظائر هذه المنحة من الفائدة في تمثيل العصر الشامي في اخلاقه وعاداته ونوادره ونكاته.

وقد يغلب على الظنّ ان حب معاوية وآله كان منحصراً في الشام وحده لم يتجاوز قط الى العراق، موطن الشقاق والنفاق ، في قول الحجاج ، وان دولة بني العباس ، لما قضت على بني امية وتتبّعت رجالهم وآثارهم قتلاً وتشريداً وتخريباً ، نسخت ذكرهم من الافئدة والابنية ، واستأصلت اولياءهم ودعاتهم من المدن والامصار ما خلا الاندلس . ولكن هنالك ادلة كثيرة على ان التشيّع للامويين لم يزُل بزوال ملكهم ، بل ظل يكمن تارة ويظهر اخرى ، حسب تشدُّد السلطان في اقتصاص آثاره ، واقتناص انصاره . وهذه بغداد نفسها ، مع انها كانت مقرّ اعدائهم وعاصمة الخلافة العباسية ، لم تخلُ في وقت من متحيّز للعثمانية والاموية ومجاهر بفضائل معاوية . وقد نُقل عن ابي عمر الزاهد من ائمة اللغة واكابر اهلها في بغداد حيث كانت وفاته سنة ٣٤٥ هـ انه كان « قد جمع جزءاً في فضائل معاوية فكان لا يمكن احداً من السماع منه حتى يبتدئ بقراءة ذلك الجزء » (٢

وقد كانت شيعة عليّ في العراق ولاسيما بغداد تؤثّم كل من دافع عن عثمان ابن عفان ولم يتبرأ من الشيخين ، وتلعن معاوية وسائر الامويين. ولذلك لما دخل

١) ياقوت: ارشاد الاريب ج : ٥ ، ص : ٣١١

٢) ارشاد الاريب ج: ٧ ، ص: ٢٩

الجاحظ الشاعر البصري ببغداد في ايام جعفر المتوكل، وكان قد كتب في حمله اليه ، انشده :

ليس لي ذنب ، الى الشيعة ، الا خلّتين :
حبّ عثمان بن عفّان ، وحب العُمرين (١

وفي ضدّ ذلك كان فريق من اهل السنّة يصرّحون بتفضيل معاوية ويبالغون في تقدير فضائله ، ويعدون رافضياً كل من لم يرَ رأيهم فيه ولو كان سنياً . وقد حكى البشّاري ، صاحب احسن التقاسيم ، نكتة حرية بالذكر في هذا الباب ، قال:

« كنت يوماً بجامع واسط واذا برجل قد اجتمع عليه الناس ، فدنوت منه ، فاذا هو يقول: حدثنا فلان عن فلان عن النبي (صلعم) « ان الله يدني معاوية يوم القيامة فيجلسه الى جنبه ، ويغلّفه بيده (اي يطيّبه بالغالية ويعطره) ثم يجلوه على الخلق كالعروس.» فقلت له: «بماذا ؟ بمحاربته عليًا ؟ رضي الله عن معاوية ! وكذبت انت يا ضالّ.» فقال: «خذوا هذا الرافضي.» فاقبل الناس عليّ. فعرفني بعض الكتبة فكركهم عني » (اي دفعهم وردّهم)(٢

ومعلوم ما في هذا الشاهد ، والذي تقدمه من حكاية ابي عمر الزاهد ، من الدلالة الكافية على ما كان للتشيّع لمعاوية في العراق من الشيوع والانتشار ، حتى كان يُجاهر به بمسمع من الخلفاء العباسيين في حلقات الدرس ومجالس القُصّاص دون اقل انكار . وقد اشتهر بالمغالاة فيه من اهل السنة الحنابلة خصوصاً . وهو ما اشار اليه البشاري حيث قال: « حنابلة العراق غالية مشبهة يفرطون في حب معاوية ويروون في ذلك اخبارًا منكرة. بخاصة البربهارية »(٣ على انهم لم ينفردوا بذلك في العراق وحده بل عُرفوا به ايضاً في ما وراء دجلة في اقاليم الجبال ، اي اصفهان وهمذان والريّ وما اليها من بلاد فارس ، كما حكاه البشاري نفسه في ما رواه عن اهل هذه البلاد وقال: هم « اما غوالي حنابلة يفرطون في حب معاوية. او نجّارية غالية يقطعون بالكفر على الطوائف الهادية »(٤

١) تاريخ بغداد للبغدادي. باريس ٦١٥٢، ص: ٣٦
٢) ص : ٣٦ ٣) ص : ١٢٦ ، حاشية : C ٤) ص : ٣٨٤

وورد له مثل هذا في اخباره عن اليهودية قصبة اصفهان قال: « غوالي حنابلة » . « وفي نسخة اخرى « يفرطون في معاوية »(١ . واتفق له في اصفهان قريب مما اتفق قبلاً في واسط ، وهي نكتة اخرى نثبتها في هذا المقام اشارةً الى الحدّ الذي كان بلغه حب معاوية من النشوّ والإغراق في المصر المجاور لخراسان حيث نشأت الدعوة العباسية . قال:

« في اهل اصفهان بَلَه وغلوّ في معاوية. ووُصف لي رجل بالزهد والتعبد ، فقصدتهُ وتركت القافلة خلفي وبتُّ عندهُ تلك الليلة ، وجعلت اسائلهُ الى ان قلت: «ما قولك في الصاحب؟» (ابن عباد) فجعل يلعنه. ثم قال: «انه اتانا بمذهب لا نعرفه». قلت: «وما هو؟» قال: «يقول: معاوية لم يكن مرسلاً . » قلت: «وما تقول انت ؟» قال: «اقول كما قال الله عزّ وجلّ: «لا نفرق بين احد من رسله». ابو بكر كان مرسلاً ، وعمر كان مرسلاً. حتى ذكر الاربعة. ثم قال: «ومعاوية كان مرسلاً.» قلت: « لا تعقل. اما الاربعة فكانوا خلفاء. ومعاوية كان ملكاً. قال النبي (صلعم): الخلافة بعدي الى ثلاثين سنة ثم تكون ملكاً. » فجعل يشنّع عليّ واصبح يقول: هذا رافضي . فلو لم تدركني القافلة لبطشوا بي . ولهم في الباب حكايات كثيرة » (٢

ومن هنا يُعرف كيف تطوّر حب معاوية تدريجاً ، وكيف ان شقيق ام حبيبة بعد ان كان « خال المؤمنين وكاتب وحي رب العالمين » لم يلبث ان صار مرسلاً . ومن الاسف ان البشاري لم ينقل لنا بقية هذه الحكايات الكثيرة التي اشار اليها ، لنقف منها على تاريخ التشيّع لمعاوية في تقلباته ودقائقه . ومن الغريب ان التاريخ ، في ما اتصل بنا منه الى اليوم ، لم يتعرض لذكر شيء من هذا التعصب في الاندلس ، مع انه كان مباءة الامويين ومعقل انصارهم. ولا شكّ انه لم يخلُ من داعٍ لهم ومُشيد بحقوقهم وصحة امامتهم . واشهر من عُرف فيه بذلك الامام العلامة ابن حزم الطائر الصيت ، فقد حُفظ عنه « تشيّعه لامراء بني امية ماضيهم وباقيهم بالشرق والاندلس ، واعتقاده لصحة امامتهم وانحرافه عن سواهم من قريش » (٣

١) ص: ٣٨٨-٣٨٩ ٢) ص: ٣٩٩ ٣) ارشاد الاريب ج: ٥ ، ص: ٩٣

بقي ان نرى السبب الذي كان من اجله بعض اهل السنة ، وفي مقدمتهم اتباع الامام احمد بن حنبل ، يفرطون هذا الافراط في حب معاوية ويبالغون في التعصب له،وهو ما لا يكفي في تعليله ما نُقل من حسن رأي الامام احمد في « صهر الرسول وامينه على وحيه » . ولعلّ هذا التحزّب لم ينشأ في العراق خصوصاً ، ولم يكن الا رجماً اصدى مبالغات الشيعة في علي ابن ابي طالب ، من باب مقابلة التشيّع بضده ، ومكافأة الخصم بقرنه . ثم امتزجت بذلك الضغائن والحزازات فكان بعض اهل السنّة ، كلما انكروا إفراطاً من شيعة علي ، تلقوهم بمثله في معاوية مناظرةً واقتصاصاً . وكل من طالع تاريخ العراق يعلم مبلغ العداء الذي كان مستحكماً بين السنّة والشيعة ، وكثرة الفتن والشرور التي كانت تثور دائماً بين الفريقين ، ويجري فيها كل قبيح من سلب ونهب وقتل وإحراق . فلا عجب اذا كان اخصام الشيعة يبالغون احياناً في المجاهرة بكل ما كانوا يعلمون انه يسوء اعداءهم اعتقاده ، ومن ثم لا يبعد ان يكون قسم من المتحزبين لمعاوية ، ولاسيما من العامة والسوقة الذين استدرجتهم البغضاء والاحقاد ، اكثر من الذين تلقوا التشيّع من طريق الاجتهاد والاعتقاد . وقد عثرت في هذا المعنى في مجلد من تاريخ بغداد لابن النجار ، محفوظ في خزانة باريس ، قد ذُكر فيه غلطاً انه للخطيب البغدادي ، على نكتة فريدة تؤيد هذا الرأي اجملها مسك الختام . قال في ترجمة علي بن محمد بن الكيس ابي القاسم ، في رواية عنه :

« اخبرنا ابو بكر احمد بن جعفر بن مالك القطيعي في مسجده قال : سمعت عبدالله بن احمد بن حنبل يقول : كنت أحبو فاخذ ابي بيدي وعبر بي الى الجسر فمضى الى جامع الرصافة . فلما انتهينا اليه رأينا حِباباً فيها السويق والسكر والماء المبرد بالثلج ، وخدماً في ايديهم الطاسات يقولون للناس : اشربوا على حب معاوية بن ابي سفيان . قال : فقلت : « يا أبه من معاوية ؟ » فقال : « هؤلاء قوم بغضوا رجلاً لم يكن الى الطعن عليه سبيل فاحبّوا اعداءه » . قال الشيخ : احفظ هذه الحكاية عن ابن مالك فهذه حكاية عجيبة ظريفة (١

(١) باريس ، ٢١٣١ ، ص : ١٦

قلت : واعجب من هذه الحكاية ان يكون لابن ابي سفيان اول مرتي الدول في الاسلام ، وسائس الامم وراعي الممالك في الشام ، مثل هذه المكانة والشهرة الذائعة التي طبقت الامصار والآفاق ، وبعث على محبته اشباه هؤلاء الغلاة في فارس والعراق ، ثم لا يكون حظهُ اليوم في وطنه دمشق ، وهي العاصمة التي عقد لها تاج الفخر على هامة العصر ، الا الجفاء والاطراح والنسيان ، وقلة الكرامة والشيعة والاعوان ، فما احقه فيها بقول ابن حزم :

انا الغلق الذي لا عيب فيه سوى بلدي، واني غير طاري
تقرّ لي العراق ومن يليها واهل الارض، الّا اهل داري!

أفالون (فرنسة) في ١٣ نيسان ١٩٢٨

الكهرباء ومستقبلها في لبنان

بقلم انطوان باز
المهندس من المكتب الافرنسي في بيروت ، ومن مدرسة الكهرباء العليا في باريس

١

لا يزال ملك الكهرباء يمتد يوماً فيوماً ، منذ شعرت الدول بالقوة الهائلة التي يمكن استخراجها من المياه الذاهبة هدراً الى البحر .

إنَّ ما تحويه طبقاتُ الارض من الفحم لمحدود ، وينابيع الكاز في روسية واميركة لا تلبث ان تجفّ ، فمن اينَ لنا بالقوة الحيليّة (الميكانيكية) ، ومن اين لنا بالنور والحرارة ان لم نعمد الى استخدام الشلّالات والانهر ، وفيها من القوة الكامنة ما يربو على الاربعمئة والخمسين مليون حصان . فلو توصل العالَم الى استخراج هذه القوّة لتوفّر عليه كل يوم مليون ومائة وخمسة وعشرون الف طن من الفحم . هذا اذا عدّلنا سير الماكنات خمس ساعات في النهار فقط . ونأسف ان يكون ما استخرج من تلك القوة الى اليوم لا يبلغ التسعة والعشرين مليوناً من الاحصنة موزعةً هكذا :

اميركة الشمالية	١٣,٧٠٠,٠٠٠
اميركة الجنوبية	٦٥٠,٠٠٠

اوربة	١٢,٣٠٠,٠٠٠
آسية	٢,٠٠٠,٠٠٠
افريقية	١٤,٠٠٠
استرالية	٢٢٠,٠٠٠

ثم إنَّ هنالك مسألة وطنية تدفع بالدول المفتقرة الى مناجم الفحم وينابيع الكاز الى استخدام القوة المائية كي تكون في غنى عن جيرانها . ولذلك اهمية كبرى في وقتِ الحرب ، اذ تنفردُ كل دولةٍ بمحصولات ارضها . ولم ننسَ بعد سنتي ١٩١٦ و ١٩١٧ لمَّا اضطرَّت الحكومة التركية الى قطع احراجنا لتسيير قطاراتها .

ان تلك النظرية هي التي دفعت بثلاثٍ من دول اوربة الى زيادة مراكزها المائية . فاسبانية زادت على قواتها ٦٧ ٪ منذ سنة ١٩٢١ ، وايطالية ٥٧ وفرنسة ٥٠ ٪ . ولا تزال الاعمال متابعةً بنشاط . ولم تكن سويسرة باقلّ دراية منها، وهي تعدُّ في مقدمةِ دول العالم في هذا السبيل . كيف لا و٨٩,٢ ٪ من القوة فيها مولَّد على الماء والباقي ، وهو النذر اليسير ، على الفحم . وقد كان ذلك سبباً لاستخدام الكهرباء بكثرة في البيوت ، كما يظهر من الشكل الآتي ، وقد مثّلنا فيه مقدار ما استهلكته كلُّ نفسٍ من الكيلووات في الساعة (kilowattheure) في سنة ١٩٢٣

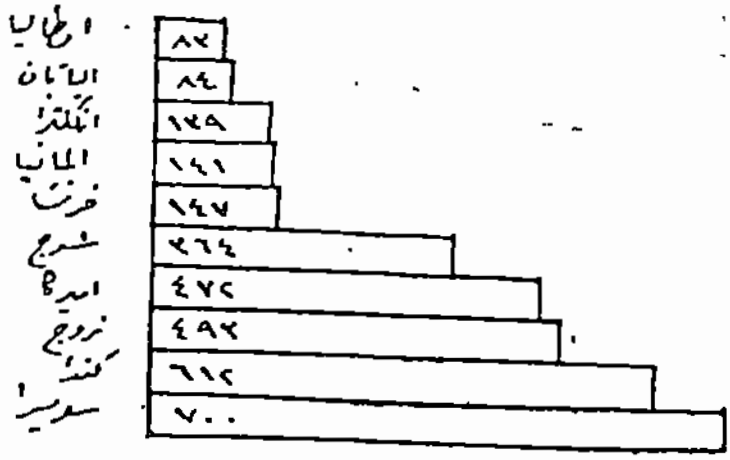

لندع الآن اوربّة جانباً ولنلقِ نظرةً على لبنان ، وما فيه من ينابيع تتفجّر ، وشلّالات تتدفّق ، وانهر تسيرُ من الجبلِ الى البحر ، حاملة طي مياهها القوة والحرارة والنور . واننا نقسم هذا الدرس الى قسمين :

١ً المشاريع الكبيرة : ما حُقّق منها ، وما هو باقٍ تحت الدرس

٢ً المشاريع الصغيرة : ما عُمِلَ ، وما لم يُعمل

إنّ ما عُمل من المشاريع العظيمة لقليل ، بل هو واحد ، وهو مشروع زحلة . وقد استعملت له مياه البردوني بعلوّ عامودي يبلغ المائة والثلاثة عشر متراً ، وكمية الماء كافية لتوليد قوة الف حصان مدة عشرة اشهر ، وثلاثماية حصان في شهري آخر الصيف . والماء يصبّ في دوّامتين (turbines) بواسطة انابيب

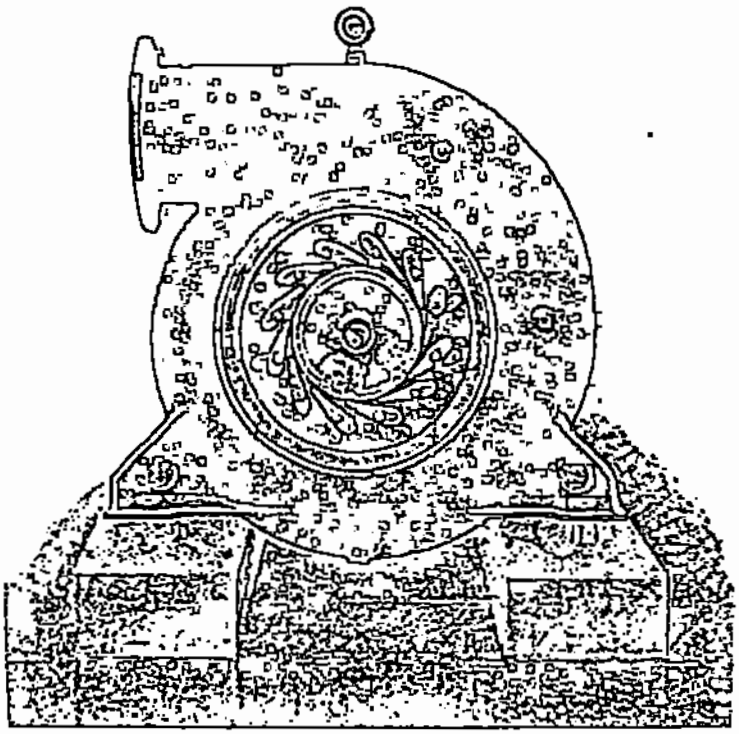

رسم : ١ — دوّامة (turbine)

طولها ٣٤٢ متراً . امّا مقدار ما تولّده الماكنات من الكهرباء فهو كناية عن ستماية الف شمعة ، او عشرين الف قنديل قوة كلٍّ واحدٍ منها ثلاثون شمعة

أمّا المشاريع التي هي تحت البحث فاولها مشروع نهر ابراهيم ، وكلٌّ يعلم ما بُني عليه من الآمال . انما يدُ السياسة عرقلت مساعي البعض من الوطنيين . ثمّ إنّ هنالك صعوباتٍ فنية من جهة عدم انتظام كمية الماء ، وصعوبة بناء سدّ (barrage) لخزنها بسبب خسوف الارض . فكمية الماء التي تقارب الاربعة والعشرين متراً مكعباً في الثانية مدة فيضان النبع ، لا تكاد تبلغ المتر الواحد في شحائح الصيف ، والمتر المكعب كناية عن ٥٠ تنكة . وقد يُرجى من هذا المشروع قوة ستين الف حصان اي ما ينير بيروت وكل القرى المجاورة

وفي مقدمة المشاريع التي يؤمل تحقيقها قريباً مشروع الصفا ، وقد طلبت امتيازه شركة الجرّ والتنوير في بيروت . فمياه هذا النبع تتفجر من صخور الصفا قرب قرية عين زحلتا بمقدارٍ لا يقلّ عن الستين الف متر مكعب في الاربع والعشرين ساعة ، فتسير في وادي الصفا الى البحر عند الدامور حيث تحيي اغراس التوت . وقد فكّرت الشركة ببناء قاطعٍ في اول مجرى النهر ، يخزن تلك المياه ، فتسير في قناةٍ مخصوصة في لحف جبل المرقوب ، ثم في نفقٍ في الجبل طويل ، الى ان تخرج عند قرية كفرنبس ، في الجهة المعاكسة . وهناك تدخل في انابيب لتحريك المولّدات الكهربائية في قعر وادي الرملية . وعلوّ انحدار المياه لا يقلّ عن الخمسماية متر عامودي ممّا يوازي قوّة ثلاثة آلاف وخمسمائة حصان في الشحائح . وفي نيّة الشركة نقل هذه القوّة الى بيروت بواسطة اسلاك جويّة . وقد يؤمل ، اذ ذاك ، انزال سعر الكيلووات في الساعة ، رغم ما تتكلّفه الشركة ، في بادئ الامر ، من النفقات الفادحة ، لجر المياه ، وبناء المركز ، ونقل القوة . ويُخشى ان تعدل الشركة عن هذا المشروع اذا لم تتمكن من شراء كل مياه الصفا — وثلثها خاص بكرسي بيت الدين لاسقفية صيدا ودير القمر المارونية — فترجع اذ ذاك الى مشروع نهر الاوّلي قرب صيدا وان كانت نفقات هذا المشروع تزيد على نفقات الصفا ، لطول السد ، وبعد المركز عن بيروت(١

ويجب الّا ننسى مشروع الفاديشا ، النبع المقدس ، فوق بشرّاي ، وقد اخذت

١) بلغنا ، عند اصلاح مسودّة هذه المقالة ، ان الاتفاق بين الاسقفية والشركة تمّ بوجه فيه منفعة للفريقين

امتيازه شركة عمادها السادات جعجع وكيروز فبدأت بالأعمال بنشاط . ومن المعلوم ان معظم القوة المحتمل توليدها والتي تبلغ في الشحائع الف حصان ونيّف ، سيُساق باسلاك لانارة مدينة طرابلس

هذا مُجمل المشاريع العظيمة . واننا نعلق آمالاً كبيرة على كثير من المشاريع الصغيرة — ومجموعها يعطي عدداً من القوة غير قليل — فضلاً عن ان تلك المشاريع لا تستلزم نقلَ القوّة الّا الى مسافاتٍ قصيرة بحيث ان كل بلدة او مقاطعة تكفي ذاتها . وقد حُقق من تلك المشاريع الصغيرة مركز نهر الكلب على مسافة من جسر الخط الحديدي ، وهو الذي ينير جونية الآن وقوته مائة حصان .

ومثل مشروع نهر الكلب ، مشاريع عديدة يمكن ان تقام في كلّ ناحية ، وعلى ضفاف كل نهر . وكم من الطواحين يمكن تحويلها ، بنفقاتٍ زهيدة ، الى مراكز كهربائية

خلاصة القول إنّ ما عندنا من الينابيع والانهر يَضمن لنا مستقبلاً كهربائياً باهرًا فيتسنى لنا ، ليس فقط ان نستنير ، بل ان نطبخ ونصطلي ونتمتع بجميع مرافق القوّة الحيلية

* * *

درس مركز كهربائي

امّا وقد القينا نظرة اجمالية على مشاريع لبنان ، فمن المفيد ان ندرس مركزًا كهربائيًا ، فنبيّن الطرق التي تُحوَّل بها قوةُ الماء الى تيّار كهربائي . وعليه نقول :

ان القوة الكهربائية المحتمل توليدها من المياه تزيد بغزارة تلك المياه ، وعلوّ انحدارها ، ولذلك فكثيرًا ما يحوّلون الماء عن مجراه الطبيعي ليتمكنوا من زيادة العلوّ ، فيبنون في مجرى النهر سدًّا متيناً تجتمع وراءه المياه ، ثم تسير منه بواسطة قناة في لحف الجبل الى ان تصل الى مركز مناسب يُشرف على الوادي . فتُسيّر اذ ذاك ضمن انابيب او « قساطر » تؤدي الى المحرّك المائي

او الدوّامة فتديره . وفي الغالب يجعلون ، بين آخر القناة واوله ، غرفةً يرسب فيها ما تقذفه المياه من الرمال ، والاجسام الغريبة ، وهي لو نزلت على الدوّامة لبرتها مع طول الايام . وفي البلاد الكثيرة الاشجار ، يجعلون ايضاً شبكةً من حديد لتوقيف الاوراق التي يحتمل ان تسدّ مجاري المحرّك .

أمّا الانابيب فهي غالباً من الحديد . انما اذا زاد قطرهـا عن المترين او الثلاثة ، فتُصنع احياناً من « البطون » المقوّى (béton armé)

ويجب لتركيب هذه الانابيب احتياطات عظيمة بحيث تكون راسخة في الصخرة لا تزحزحها الامطار والزوابع . وقد تفنّن المهندسون في مدّها حتى انهم توفّقوا الى عبر الاودية بها دون جسور والرسم في الصفحة المقابلة يمثّل انابيب قناة فوق وادي « الأرك » (arc) قرب بلدة (St Jean de Maurienne (Savoie في فرنسة ، عملت بشبه جسر مقوّس كي تحمل ذاتها وما فيها من الماء . ومن الغريب انهم جعلوا عن جانبيها حواجز ليتمكن المارّون من السير عليها كجسر او عبّارة .

* * *

قلنا ان المياه تدخل بقوة على الدوّامة ، او المحرّك المائي فتديره ثم تخرج منه . وفي بيان الحكومات ان تعاد تلك المياه الى مجراها الاصلي ، بواسطة قناة مخصوصة ، كي يتمكن من الاستفادة منها باقي المزارعين . وكثيراً ما يصير استعمالها ثانيةً لتوليد القوة الكهربائية كما في المرة الاولى ، وهلمّ جرّاً .

وهنالك مسألة ذات اهمية الا وهي انتظامُ جريان الانهر . فن الانهر ما لا تجري الّا في الشتاء ، وهذه لا يحسن استعمالها لتوليد الكهرباء ، ومنها مـا تفيضُ في الشتاء وتشحّ في الصيف وهي المغذّاة بمياه الينابيع ، ومنها ما اعتدلت مياهها نوعاً صيف شتاء ، بسبب الامطار في الشتاء ، وذوبان الثلج مدة الربيع والصيف . وهذه الانهر هي الانسب للمشاريع الكهربائية للسبب الآتي :

هب اننا نُريد توليد قوة كهربائية من نهر مياهه في الشتـاء الف ليتر في الثانية ، وفي الصيف عشرة ليترات فقط . فلو جعلنا الدوّامة لعشرة ليترات لما تمكنت في الشتاء من اعطاء قوة الف ليتر ، ولو اشتريناها لهذه القوة لتكبدنا

نفقات زائدة بدون جدوى ، اذ ان هذه القوة لا تدوم الّا مدة الشتاء . ففي هذه الحال يعدّلون عيار الماء مدة سبعة او تسعة او عشرة اشهر ويجعلون الدوّامة مناسبة لهذه الغاية.

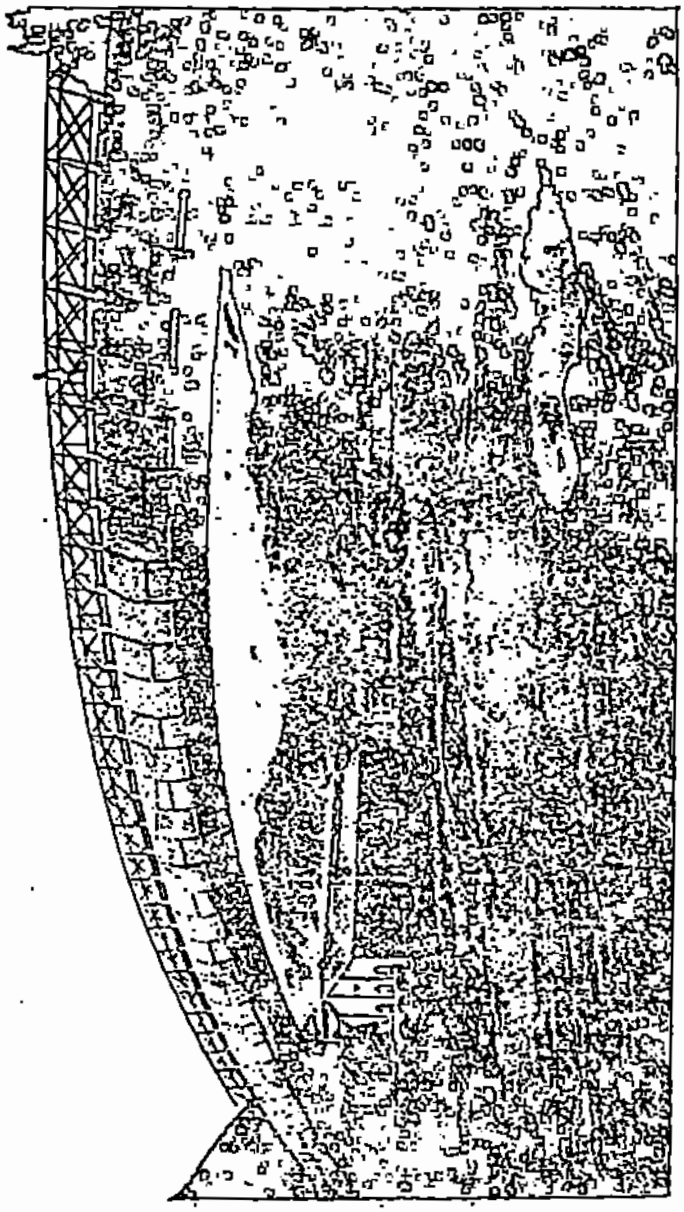

رسم ٢ – منظر لانابيب ماء جُمعت كجسر فوق وادي الارك في فرنسا قرب (St Jean de Maurienne (Savoie

وكثيراً ما ينظمون جريان الانهر بواسطة خزّانات للماء (réservoirs) يجمع فيها ما يزيد من المياه في الشتاء لاستعماله ايام الشحائح . انما هذه الخزّانات تقتضي نفقات عظيمة اذ يجب ان تكون متينة البناء لئلّا تنفجر فتجرّ من الويل والخراب ما لا يوصف — وترى ادناه شكلاً لمركز كهربائي

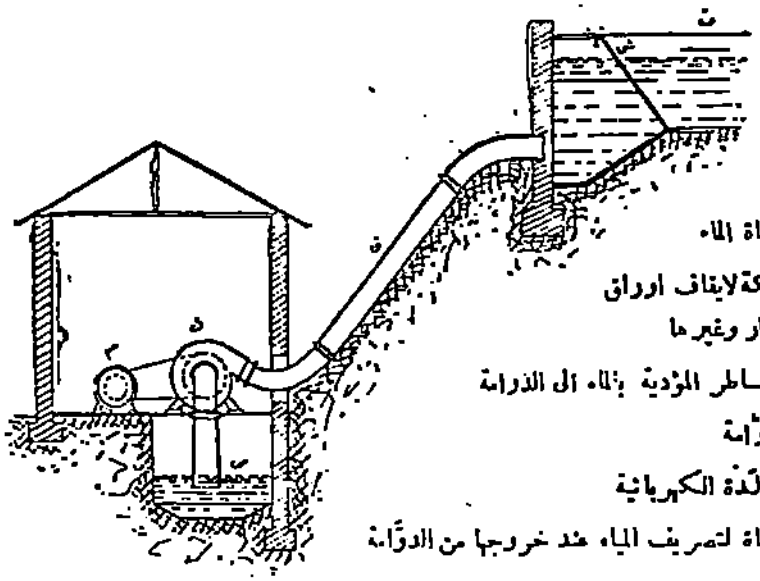

رسم ٣ — شكل هندسي لمركز كهربائي

توليد الكهرباء من الماء

لا ريب في ان كثيراً من العامة يتساءلون عن ذلك؛ وقد سمعت بعضهم يقول: « ولماذا يولّدون الكهرباء في بيروت على النار وماء البحر غزيرٌ لديهم ؟» ان الكهرباء تولّدها ماكنات مخصوصة تدعى « دينامو » (dynamo) المجرى المستمرّ و « ألترناتور » (alternateur) المجرى المتناوب. واستعمال الماء متوقفٌ فقط على ادارتها بواسطة الدوّامة كما يُدير الدولاب حجر الطاحون. ولا تصلح مياه البحر لتوليد الكهرباء ليس لانها مالحة ، بل لان لا قوّة لها لتحريك الدوّامة. كذلك الانهر الجارية في السهول كالليطاني مثلاً في البقاع . انما في تلك الحال يُستعاضُ عن علوّ الانحدار بغزارة الماء فيبنون سدّاً في مجرى النهر وامامه المركز الكهربائي . ومن امثال ذلك مركز موزاك (Mauzac) على نهر الدُردون

في فرنسة، وفيه ست ماكنات قوة كل واحدة منها ٢٧٠٠ حصان. امّا علو الماء فاربعة امتار فقط . ومن زار مدينة جنيف في سويسرا رأى، على نهر الرون، بناية قديمة الصنع، فيها عددٌ كبير من المحركات المائية تُديرها المياه الجارية . وهذه المحركات تدير مضخّات مخصوصة لرفع مياه الشرب الى أحياء البلدة.

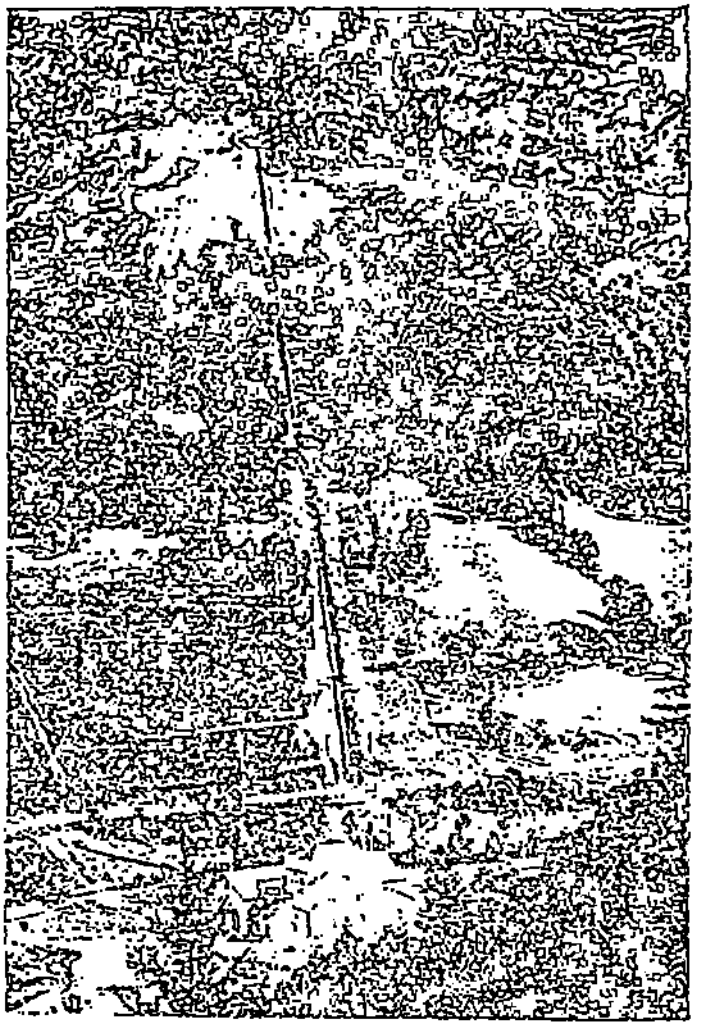

رسم ٤٠ – منظر لمركز كهربائي تُرى في اعلاه انابيب الماء الداخلة على الدوّامة

المولدات الكهربائية

ان المولّدات الكهربائية على نوعين منها ما تولّد المجرى المستمرّ وتدعى دينامو (dynamos) ومنها ما تعطي المجرى المتناوب وتسمى (alternateurs) كما ذكرناه[1] والمجرى المتناوب هو ما كان ذا تكرار ، اي ما يتلاشى ثم يقوى، ثم يتلاشى بانعكاس القطبين وذلك مرّاتٍ في الثانية . وقد اتفقوا اليوم في اوربة على التكرار ٥٠ دفعةً ، وفي اميركة ٦٠ دفعة في الثانية . ولا يجوز للتنوير استعمال تكرار اقل من ٢٥ دفعة خوفاً من ارتجاف النور وازعاج النظر . فلو كان التكرار ذا دفعة واحدة او اثنتين لرأينا التنديل الكهربائي يُضيء ثم ينطفي ثم يضيء وذلك مرتين او اربع مرّات في الثانية. اما بكثرة التكرار يصعب على شبكية العين التمييز بين ادوار التلاشي وادوار الظهور ، فيبين لها النور متساوياً

ويولّد ، في بيروت ، المجرى المتناوب بتكرار ٥٠ دفعة للنور ، والمجرى المستمرّ بتوتّر ٦٠٠ فولت للجرّ

ومما عمّم استعمال المجرى المتناوب هو سهولة تحويله من توتّر الى توتّر بواسطة المحوّلات (transformateurs) ، وفي الصفحة المقابلة صورة لعدة منها، ونقله الى مسافاتٍ بعيدة بأسلاك دقيقة كما نبينه بعد حين. أمّا المجرى المستمرّ فلا يزال مستعملاً في احوالٍ عديدة لا يحل فيها محلّه المجرى المتناوب كمثل التلبيس بواسطة الكهرباء او (galvanoplastie) وعمل خزّانات الكهرباء (accumulateurs) وتدعوها العامة «بطاريات» وهي غير البطاريات المرونة اتناديل الجيب، والتلفون، والاجراس. فهذه اذا فرغت لا تُجدَّد او تجدد بملح الامونيوم او النشادر؛ وتلك تمتاز بان يجري فيها تيّار كهربائي مستمر، فهي خزين بكل معنى الكلمة . ولا يزال المجرى المستمرّ يستعمل للجرّ كالترامواي ، والقطارات الكهربائية ، نظراً لمرونة المحركات بالمجرى المستمر بتحتيتها سرعات مختلفة. أمّا المحركات بالمجرى المتناوب فتكون غالباً ذات سرعة واحدة.

---

[1] ومن المولّدات ايضاً ما تعطي المجرى المستمر والمجرى المتناوب في وقت واحد وتدعى بالافرنسية (générateurs polymorphiques) . امّا استعمالها فنادر

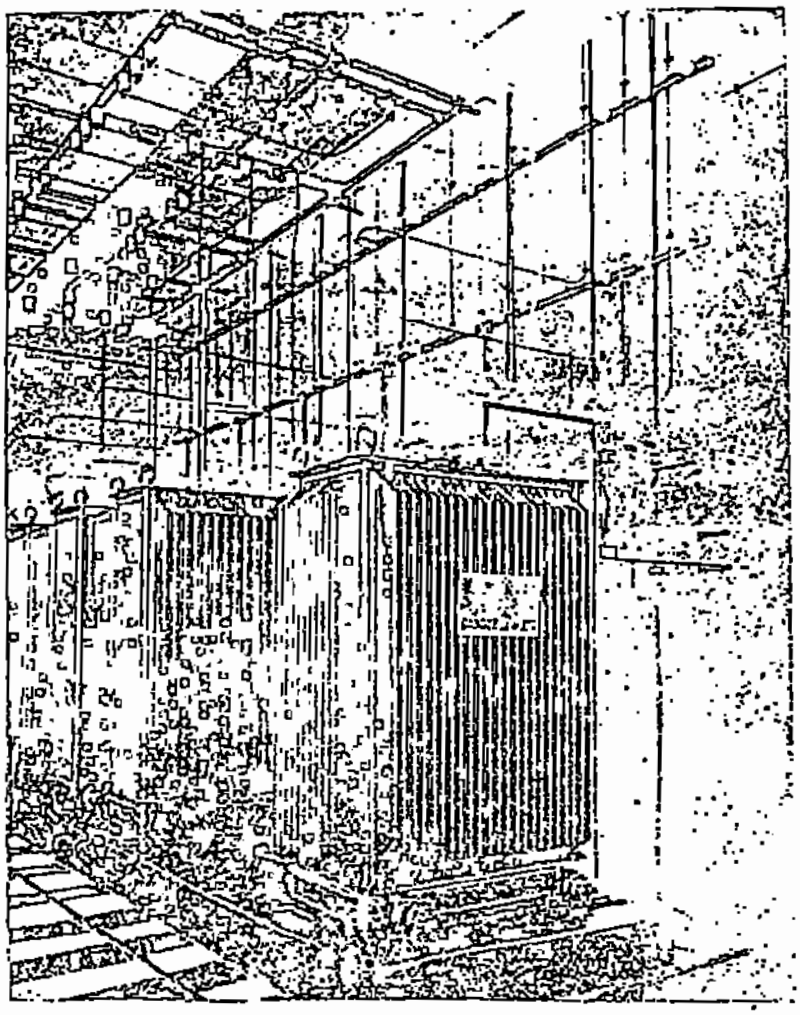

رسم ٥ – منظر للمحولات الكهربائية وهي تحوّل المجرى المتناوب من توتر الى توتر اقوى او اخف

وفي المشاريع التي نحن في صددها تستعمل مولّدات المجرى المتناوب وهي تديرها محرّكات الماء او الدوّامات . والسرعة المعوّل عليها تتراوح بين الثمانية دورة في الدقيقة للماكنات الضخمة ، والثلاث آلاف للماكنات الصغيرة . انما يستعملون غالباً سرعة الف دورة . ومن المهمّ تنظيم هذه السرعة دفعاً لارتجاف النور ، اذا استعملت الكهرباء للانارة ، فيُعمَد اذ ذاك الى التيّار وهو دولاب ضخم (volant) ، والى منظّم (régulateur) يسد او يفتح مجرى الماء في الدوّامة من تلقاء ذاته حسب السرعة. (للبحث صلة)

أتاء أم هاء ؟

او

علامة التأنيث في اللغات الساميّة

بقلم حضرة الاب ا.س. مرمرجي الدومنيكي
من اساتذة المعهد الكتابي والاثري الفرنسي في القدس الشريف

دونك ايها القارئ اللبيب مثالاً حسياً يريك فضل « الألسُنيّة » او القابلة الالسنيّة (Philologie comparée) مطبقة مبادئها على نقطة مهمة في اللغات الساميّة ، ومفيدة لدراسة النطق البشري او « النُطقيّة » (Linguistique ou science du langage) ألا وهي مسألة علامة التأنيث.

في اصل علامة التأنيث آراء متضاربة ، لا بل متنازعة. منها القول الآتي : « ان حروف التأنيث الموجودة في اللغة العربيّة هي أثر كلمة كانت تقوم مقامها ، ثم استغني عنها استغناء من يكتفي بالاثر عن الاصل. وهذه الحروف مقطوعة عن كلمة واحدة هي « أنثى ». فقولك « اديبة » اصلها : « اديب انثى » فاستغنوا بالتاء او بالهاء عن بقيّة اللفظ. وقولنا « صفراء » معناه : « اصفر انثى » قالوا في اول الامر « أصفراء » ثم كرهوا ان تكون همزتان في اللفظة الواحدة؛ فحذفوا الاولى ، وابقوا الثانية التي في الآخر لتقابل الهاء او التاء في سائر الالفاظ. وكذا القول في « الكبرى » فان اصلها : « الاكبرا » فتصرفوا فيها تصرفهم في الصفراء » انتهى.

وهناك قول آخر ، هذا ملخصهُ : « هاء التأنيث والوحدة محوّلة في الاصل عن ضمير الغائب المفرد مذكرًا ومؤنثاً ... والبحث الفلولوجي يُستدلّ منه دلالة واضحة قطعية على انها ضمير الغائبة ، اذا كانت لتأنيث الصفة ؛ وهاء ضمير الغائب او الغائبة ، اذا كانت للوحدة . بيان ذلك : أُلحق بزمن ضمير

النابة « هي » فيصير المركب « مؤمن‌هي » او مومنهي » ومع الايام ، وبدافع الطبع ، للاختصار ، وحسن اللفظ مع السهولة المتوخاة في اللغة ، يتحول المركّب على الالسنة الى « مؤمنا » او مؤمني » او الى ما تولّده الإمالة من التوسّط بين اخلاص الفتح ، واخلاص الكسر . قس على « مؤمن‌هي » ، « حمام هي » او « حمام هو » ... ولا يخفى ان ياء « رومي ، زنجي ، عربي » وامثالها هي وهاء الوحدة شيء واحد ايضاً ... وهاء التأنيث هذه هي اذن هاء النسبة . وتسهيلاً للفظ ، ومنعاً من اللبس ، تقلب تاء اذا اضيفت او تحركت في الدرج . وهي ليست ، كما يظن البعض ، تاء هجاء اجتلبت للتأنيث اعتباطاً ، ثم هي تقلب هاء عند الوقف . » انتهى

وانت ترى ان اصحاب كلٍّ من هذين الرأيين في واد عميق . واما اقطاب « الألسُنيين : Les philologues comparatistes » و « والنُطقيين : Les linguistes » فرأيهم ان امثال هذه النظريات — مع ما يظهر عليها من مسحة الاحتمال — لوعرة المسلك ، لا تتعدّى حيّز التكهّن .

على انك ، فضلاً عن هذا ، قد لحظت ان هذين القولين ، وان اختلفا في اصل علامة التأنيث ، الّا انهما متفقان او يكادان يتفقان في ماهيتها . اذ ان الثاني لا يسميها الّا « هاء التأنيث » والاول يدعوها « تاء او هاء التأنيث » واما نحن فقصدنا ان نحصر البحث في طور نجد فيه اللغات آثاراً شاهدة ، نستخلص منها براهين غير قائمة على حرف هاءٍ ، نجعل محور المقال يدور ، لا على اصل علامة التأنيث ، بل على حقيقتها وماهيتها ؛ لا في اللغة العربية وحسب ، بل في جميع الالسنة السامية . ولتسهيل العمل ، نرى من اللازم ان نتقصى اثر هذه العلامة في لسان لسان من ألسن بني سام ، وعند ذلك يتبين ما يمكننا بسطه من الادلة المثبتة ارجحية التاء ام الهاء .

هذا وغير خافٍ على من له المام « بالألسُنية السامية » ان اشهر واهم لغات هذه الطائفة هي العربية ، والعبرية ، والارمية ، والحبشية ، والأكدية . الّا اننا عند البحث ، ناخذ بطرق باب اعرقها قدماً ، لا من حيث الاصول اللغوية ، بل من جهة الآثار الادبية ؛ اذ لا مشاحة في ان للأكدية حق التقدّم ، في ذا

الشأن ، على اخواتها ؛ تليها العبرية ، فالارمية ، فالحبشية ، فالعربية ، التي يظهر انها ، من حيث التمسك بالقديم ، اولاهنّ واشبههنّ بالاصل(١) .

* * *

علامة التأنيث في الاكدية

في الاكدية شقّان : مذكر ومؤنث . واما الجامدات ، والاسماء المعنوية ، فيُستعمل لها المؤنث ؛ وعلامته هي «أُتو ، وأُوتو» مثلاً : «كِبِرتو» = الكلية . «شَرُوتو» = الملك . واذا دخلت هذه العلامة على الاسم او الصفة ، تسقط حركة الحرف الثاني مثلاً : «كَلَابُو» = كلب . «كَلَبْتُو» = كلبة . او ان حركتها تضمحل ، فتصبح هي «تو» اذا بقيت حركة الحرف الثاني . مثلاً : «رَبْشُو» = واسع ، «رَبْشْتُو» = واسعة . «شَپْلُو» = سافل ، «شَپْلِيتُو» = سافلة . «مَخْرُو» = مقابل ، «مَخْرِيتُو» = مقابلة .

وعلامة التأنيث في الجمع هي التاء ايضاً ، كما في المفرد . والمفردات المنتهية بـ «أُتو ، وإيتو» تجمع بـ «آتي وآتي ، âté et âti» نحو «كَلْبُتو» تجمع «كَلْبَاتي Kalbâté» ، «رَبْشْتُو» تجمع «رَبْشَاتي Rapšâté» ، شَپْلِيتُو «شَپْلَاتي Šaplâté» .

---

(١) ليشقّ على حبّنا لاوطاننا العزيزة ان نرى بعض الادباء — وحاشانا من التعميم : فان هناك علماء اجلاء ، يتشرّفون بالعلم ، ويشرّفونه ؛ وهم حجة بسعة معارفهم ، وقدوة برفيع شمائلهم — اجل ! ليشقّ علينا ان نجد بعض حملة الاقلام ، المتنزهين للآداب العربية ، يحطون من قدر علمهم ومقامهم ، بخلة شائنة لسمتهم ، الا وهي عدم مراعاتهم « للآداب الاجتماعية » . فانك ، ان دافعت عن رأيك ، خلافاً لرأيهم ، وجادلتهم جدالاً علمياً ، مطابقاً لاصول المناظرة ومشيماً بروح التجلة والمجاملة ؛ فلا تشاهدهم يتفون تجاهك ، مقابلين لعاتك بلطف ، وادلتك بادلة ؛ بل يهاجمونك من الوراء ، شأن الجبناء ، ويطعنونك ، شأن ضعاف الحجة ، بسلاح « الشتم والاهانة » . ولذا ، فصيانةً لشرف العلم ، من الامتهان ، في ذا الميدان ، الذي نجلّ قلمنا عن مجاراة قلمهم فيه ، ترانا مع احترامنا لذوي الاقدار ، وافقونا في الرأي ام خالفونا ، نعدل عن طريقة الجدل المألوفة ، ونجتزئ عند البحث ، اثباتاً لقضية ، او دفاعاً عن نظرية ، بنمط البراهين ، متحاشين عن ذكر الاشخاص ؛ اللهم الّا من توسّم فيهم ، لدى المجادلة ، سلامة الذوق ، ورحابة الصدر ، وكرامة الشيم ، مقرونة بغزارة المادّة العلمية .

علامة التأنيث في العبرية

ليس في العبرية ، كما في اخواتها السامية ، الا شقّان : المذكّر ، والمؤنّث . وللجامدات ، والاسماء المعنوية يُستعمل إما المذكر واما المؤنث . والشقّ المؤنث ، في العبرية الحالية ، علامتان ، هما اكثر شيوعاً من غيرهما : اي التاء والهاء ، في الاسماء والصفات . نحو «طوبا» من «طوب» ومعناها صالحة ، من صُلُح . «عَلَمَه من عَلِم ‘êlêm» = غلام

الّا ان اهم هاتين العلامتين ، والعارقة في القدم ، لا بل الوحيدة في سالف الادهار ، هي «التاء» ودونك طريقة استعمالها ، في يومنا هذا :

١ً تثبت في كثير من الاسماء المنتهية بحركة ، نحو «يهودي، يهوديت» اي يهوديّ ، يهودية

٢ً في عدد وافر من الاسماء المنتهية بحرف صائت (voyelle) . واذ ذاك يلين اللفظ بادخال حركة بين الحرف الاخير ، وعلامة التأنيث ، وهي الفتحة اذا كان الحرف حلقيًّا ، والربعة او الإمالة ، اذا كان غيره . نحو «روخيم ، Rôḥêm ، روخمت Rôḥmat» اي مُحِبّ ، مُحبّة . «قوطل ، Qôṭel ، قوطلت Qôṭêlet» = قاتِل ، قاتلة

٣ً في الغالب ، تسبق هذه التاء فتحة تجلب النبرة اليها . وتجد هذه التاء في بعض اسماء الجنس . نحو : «بَرَقَتْ» = زمرّد . وكثيرًا ما تشبع الفتحة السابقة لهذه التاء . نحو : «مخاروت ، Maḥarôt» = صباح

٤ً بيد ان هذه التاء تظهر ، اجلى ظهور ، في الاضافة ، اعني حين اتصالها بالاسم التابع ، نحو : «مَلْكَه = مَلِكَة» . «مَلْكَتْ شبأ = ملكة سبأ»

٥ً اما الاسماء المطلقة فقد تضاءل فيها ظهور هذه التاء ، رويدًا رويدًا ، الى ان اضمحلت . وبقيت طويلة الفتحة السابقة لها ، واضحت مفتوحة المقطع ؛ ودلالةً على هذا الفتح المشبع ، استعملت لها «الهاء» كعلامةٍ كتابيّة

* * *

علامة التأنيث في الارمية او السريانية

في الارمية مذكر ومؤنث ؛ ويستخدم كل منهما ايضاً للجامدات ، والمعنويات . ومن الاسماء ما يستوي فيه المذكر والمؤنث ، ومنها ما هو مؤنث دون علامة ، في المفرد ، والجمع

اما علامة التأنيث فهي، على وجه الاطلاق ، «التاء» الزائدة. نحو «مَلكا، مَلكتاَ» اي ملك ، ملكة. «كَلباَ ، كَلبتاَ ، كَلباَتا» =كلب ، كلبة ، كلبات. وتبقى تاء التأنيث ، في الاسم المطلق ، نحو «مَلكتاَ» ؛ وفي جزم الاضافة ، مثلاً: «شاعَتْ مَوتَا» = ساعة الموت. واما جزم التنكير ، فتُحذف فيه التاء ، وتبقى الالف. نحو «مِلتاَ ، مِلاَ» = كلمة ؛ «شَعتاَ ، شَاعاَ» = ساعة

* * *

علامة التأنيث في الحبشية

في هذه اللغة ثلاثة اجناس : المذكر ، والمؤنث ، والمشترك . ويعرف الجنس عادةً من معنى اللفظة . وعلامة التأنيث هي « التاء » الساكنة ، يتبعها فتحة قصيرة ؛ الا ان استعمالها ليس بثابت ، وثمة شذوذ كثيرة. وكذا الشان في الصفات ، فان علامة تأنيثها « التاء » في جميع الصيغ او تكاد . وهاك بعض الامثلة على ذلك :

	مذكّر	مؤنّث
صفة :	شَنَاي (Śanây) = جميل ، سني	شَنَاوَتْ (Śanâwêt) = سنية
اسم فاعل :	نَكَاشي (Nagâśê) = مالك	نَكَاشيتْ (Nagâśêt) = مالكة
اسم مفعول :	كِبُوري (Gebûrê) = مصنوع	كِبَرَيتْ (Gebêrêt) = مصنوعة

* * *

علامة التأنيث في العربية

في العربية شأنان: المذكر والمؤنث ؛ واما الاسماء الجامدة ، والمعنوية، فتلحق بالمذكر ، او بالمؤنث سماعاً : وفيها المؤنث بالمعنى ، والمؤنث بالعلامة . وعلامة التأنيث المستعملة اكثر من غيرها هي « التاء » ، ويلحقوا الالف الممدودة ،

والالف المقصورة ؛ وهما قليلتا الورود . ودونك مـا جاء في كتاب ابن عقيل لالفية ابن مالك ، في ذا الشأن ، لتقف على حقيقة الأمر :

« علامةُ التـأنيث تاء او ألفْ ، وفي امام قدّروا التا ، كالكتف »

«اصل الاسم ان يكونَ مذكرًا ، والتأنيث فرع عن التـذكير . ولكون التذكير هو الاصل ، استغنى الاسم المذكّر عن علامة تدلّ على التذكير . ولكون التأنيث فرعاً عن التذكير ، افتقر الى علامة تدلّ عليه ، وهي «التاء» والالف المقصورة او الممدودة . «والتاء» اكثر استعمالًا من الالف ؛ ولذلك قُدّرت في بعض الاسماء ، كعين ، وكتف . ويستدل على تأنيثها بالضمير العـائد اليها ؛ نحو الكتف نهشتُها ، والعين كحلتُها . »

« في الوقف تا تأنيثِ الأسم ما جُعلْ ان لم يكن بساكنٍ صَحَّ وُصِلْ »

« اذا وقف على ما فيه تاء التأنيث ؛ فان كان فعلًا ، وقف عليه بالتاء ؛ نحو هند قامتْ ؛ وان كان اسماً ، فان كان مفردًا ، فلا يخلو إما ان يكون ما قبلها ساكناً صحيحاً ، او لا ؛ فان كان ما قبلها ساكناً صحيحاً ، وقف عليها بالتاء ؛ نحو بنتْ ، واختْ ؛ واذا كان غير ذلـك ، وقف عليها بالهاء ، نحو فاطمه . وان كان جمعاً او شبهه وُقف عليه بالتاء نحو هنداتْ ، وهيهاتْ . وقل الوقف على المفرد بالتاء ؛ نحو : فاطمت ، وعلى جمـع التصحيح وشبهه بالهاء ؛ نحو : هنداه وهيهاه . » انتهى

وقال سيبويه : « تاء التأنيث تدخل على المصادر المجرّدة وذوات الزوائد ، دخولًا مطردًا ؛ فهي تدلّ على المرة ، كضربة ، واجتماعـة . واذا لحقت تاء التأنيث آخر الفعل ، كتبت بصورتها ، كضربتْ ، ويقال لها المبسوطة . واذا لحقت آخر الاسم ، فان كان مفردًا ، كتبت هاء منقوطة ، كضاربة ؛ ويقـال لها المربوطة . وان كان جمعاً ، فان كان سالمًا ، كتبت مبسوطـة ، كضاربات ؛ وان كان مكسـورًا ، كتبت مربوطة ، كقضاة . » انتهى

* * *

تحقيقات السنة

بعد ان استمددنا من المصادر النحوية ، لجميع اللغات السامية ، ما بـه تمكنا من استطلاع كنه البحث ، يجدر بنـا الآن ان نلخص بقولنا ان علامة التأنيث في هذه اللغات هي «التاء» وان كان في بعضها ، مع هذه التاء ، غير علامة . على ان التاء هي الوحيدة في الحبشية ، والاكدية ، دون غيرهـا من العلامات . ونحن اذا توغلنا في الفحص والاستقصاء ، رأينا ان العلامة الاصلية هي «التاء» حتى في الالسنة التي فيها غير التاء من العلامات . واثبت برهان لذلك نستخرجه من الاكدية العريقة آثارها الادبية ، والتي نجد في طريقـة كتابتها المسمارية المقطعية ، افضـل وسيلة للوقوف على حالة اللغة في الازمان القاصيـة عنا قروناً تُعدّ بالعشرات . وزيادة في الايضاح نعلمك ان الاكدية ، كالعربية الفصحى ، لغة معربة . وغير خاف عليك ان الاعراب او تحريك الحرف الاخير من الكلمة يلحق اواخر الاسماء والصفات ، الا اذا كانت مضافة . هذا في اللسان الاكدي ، خلافاً للعربي القرشي ؛ فـان الاعراب يثبت فيه حتى اذا كان الاسم او الصفة مضافة . وحركات الاعراب ثلاث ، وهي الحركات السامية الاصلية ، اي الضم ، والفتح ، والكسر . فالضم يدلّ على الرفع ، والفتح على النصب ، والكسر على الخفض . وهذا الاعراب جار في الكتابـة العربية على طريقتين : اعراب بالحروف ، وهو قليل ؛ واعراب بالحركات ، اي بالعلامات غير الداخلة في مادّة الكلمة ، وهو كثير ؛ وله قواعد مطردة ، لا تحتمل الّا ما ندر من الشذوذ . اما في اللغة الاكدية ، فهو مَقطَعيّ ، طبقاً لطبيعة الخط المسماري القائم على العلامات المتكوّن من كل منها مقطـع . فالحركة الاعرابية متضمّنة في المقطع الاخير من اللفظة ، المؤلفة من حرف وحركة ، او من حرف محرّك وحرف ساكن . وللكتابة المسمارية وآثارها ، في هذا الصدد ، فضل عظيم على بقية الكتابات والآثار السامية الابجدية ، الخالية من الحركات ، اللهمّ الّا الحبشية — ويكاد يُطلق ذلك على المندائية — القائمة على «ابجدية مقطعية» اي ان كل حرف من حروف هجائها متصلة به حركة من الحركات السبع المستعملة

في هذه اللغة . على ان الكتابة الحبشية ، مع ما فيها من هـذه المحدثات ، لحديثة العهد ، وان هي الا وليدة الخط السبئي ، وليست بخط وتمي (écriture épigraphique)

هذا وعلى حين نرى الإعرابَ في العربية ، سواء كان بالحروف ام بالحركات مطرد القواعد ، منتظم الاصول ، مقبولاً نظرياً ، معمولاً به فعلاً ، تعتبر مخالفته غلطاً فاحشاً ، في الكلام والكتابة ؛ نجد ، بعكس ذلك ، الإعراب في الاكدية — مهما عرقت في القدم آثارها ، حتى اذا صعدنا عدة الاف من السنين — فاننا نشاهده مضطرباً ، مختلفاً ، يكاد يخلو من ضابط . وبفعل هذا الاختلال نرى الفتح مستعملاً بدل الضمّ ، والكسر عوض الفتح . الّا انه مهما يكن من هـذا الاضطراب ، اضطراب احوال الإعراب ، في مختلف عصور اللغة الاكدية ، فاننا نلاحظ امراً وهو ان الاعراب يبطل في حالة الاضافة ، فيُفقد الكلمة حركتها النهائية . مثال ذلك الالفاظ الآتية اعراباً ، واضافةً : «أبيلُو»=ابن ؛ «شَرُّو»=ملك ؛ «مَاتُو»=بلد ؛ هذا لفظها اعراباً ، فتضحي عند الاضافة ، بفعل حذف علامة الرفع منها ، وهي «أُو» واسكان الحرف الاخير ، «أبيلْ شَرْ مَاتْ شور» . ومعرّبها : ابنُ ملكِ بلدِ أشور

على ان النقطة الجوهرية المهمة في بحثنا هي ان الكلمة المنتهية بالتاء ، تاء التأنيث ، اذا فقدت حركتها الاخيرة ، بموجب قاعدة الاضافة ، فتاؤها تبقى ساكنة ، ولا تحذف ، او تتحوّل الى غير حرف . مثال ذلك : «شَرُّوتُو»= مُلك او مملكة ؛ فـاذا اضفتها الى بلد أشور ، قلت : «شَرُّوتْ مَاتْ أشور» اعني : مملكةُ بلد اشور . «ايكَلُّو شُوبَتْ شَرُّوتيشو . Ekallu Šûbat Šarrutišu) = القصرُ مقرُ مُلكه» . ومن هذا كله يظهر ، ظهور الشمس في رائعة النهار ، ان «التـاء» هي ، دون غيرها ، علامة التأنيث ، في اللغة الاكدية ، اعني منذ نحو ستة الاف سنة ، وهو اقدم اعصر التاريخ القديم

على اننا نرى في العبرية ، والارمية ، والعربية ، بجانب «التاء» الكثيرة الاستعمال ، علامات اخرى للتأنيث ، وهي الهاء ، والالف الممدودة ، والالف المقصورة . فما داعي ذلك ؟ قبل الجواب عليه ، نسرد لك كلمة في خصوص

مادة لغوية ، وهي ما يدعى « بالحركات المشبعة » ، او « علامات الكتابة » ، او ، كما يقول العبريون ، «امهات القراءة »

فاعلم ، حرسك الله ، ان الابجدية السامية لا تقوم سوى على الحروف الصامتة (consonnes) ، او ما نسميه حروفاً ، على وجه الاطلاق ؛ اي انها خالية من الحروف الصائتة او الحركات . وقد سبق التبيان ان الحركات السامية الاصلية ليست الا ثلاثاً وهي الضم ، والفتح ، والكسر . على ان في هذه الطائفة من اللغات ، كما هو الشان في اللغات عامة ، يوجد حركات مدغمة (diphtongues) وهي ما تركب من الفتح والواو ، والفتح والياء ، كقولك ، في العربية ، « لَوْ ، كَيْ » غير انه يفعل سنّة طلب الخفة ، قد كسرت حدة هذه الحركة المدغمة ، فنتج عنها حركتان فرعيّتان ، وهما ما يدعى في الارمية « الزلام ، والرواح » وفي العبرية « شفول ، وخولَم » وفي العربية « التفخيم ، والامالة » وفي الفرنجية يقابلهما حرف (o و ê)

واذ كانت قد اخذت المدغمات تُلفظ ، بتوالي الازمان ، كالمفردات ، اعتبرت الواو والياء ، في مثل هذه الحال ، لا كحرف هجائي ، او صامت (consonne) ، بل كعلامة كتابية ، او قل كحرف قائم مقام الحركة الناتجة من ادغام الحركتين المزدوجتين . وهذا كان الداعي الاولي لاستعمال بعض الحروف الابجدية كعلامات للحركات ، او وسائل للقراءة ؛ مما كان في امكان الناس ان يستخدموا غيره من العلامات ، غير الشبيهة بهذه ، دون تأثير في الكلام ، او في الكتابة ؛ كما صنعوا بعد ذلك ، عند استنباطهم النقط والحركات . واذ كان هذان الحرفان غير كافيين للدلالة ، كتابةً ، على الحركات الطويلة ، عمد القومُ ، تدريجاً ، الى حرفين آخرين ، وهما « الالف ، والهاء » . واما اختيار هذه الاحرف ، دون غيرها ، لتلك الغاية ، فذلك لما هي عليه من الليونة ، والابهام في الصوت ، مما جعلها قريبة من الحركات . على ان كلًّا من هذه الاحرف استُعمل لاشباع حركات متعددة . فالواو تُكتب للدلالة على الضم المشبع ، والتفخيم الطويل ، سواء كان ذلك في وسط الكلمة او في آخرها . والياء تُتخذ لكتابة الكسر المشبع ، والامالة الطويلة . أما الهاء ، فاذ كان

لفظها حلقياً ، وكان الحلقي ميالاً الى الفتح ، في كل اللغات السامية ، لستعملت للفتح الطويل ، وللتفخيم المطلق ثم للتفخيم الناجم عن الفتح المشبع . وفضلاً عن هذا تدلّ الهاء ، احياناً ، على اشباع الامالة . اما الالف ، فاذ كانت هي والهاء من مخرج واحد ، اي حلقية ، أستُعملتْ لما أستُعملت له الهاء عينها

وهذه الطريقة ، طريقة اتخاذ بعض الحروف الهجائية بمنزلة علامات الكتابة او امهات للقراءة ، فقد كانت اكثر شيوعاً عند السريان منها عند العبريين ، ودخلت بعدهم عند العرب . الّا ان استعمالها في الرقم المؤرّخة حول صدر التاريخ الميلادي لهو اقل شيوعاً مما في المخطوطات السريانية . اما الكتابة التدمرية (القرن الاول للميلاد) فالحركات القصيرة لا تكاد تذكر فيها . وهذه الحروف المستعملة علامات وصلت الى تطوّرها الاخير في القرن الخامس ، وهو اقدم عهد تصل اليه المخطوطات . ومنذ ذاك القرن شرع القوم في اتخاذ النقط دون اهمال الحروف

فاذا عرفت هذا نقول : ان «التاء» كانت شائعة في العبرية كعلامة خاصة للتأنيث ، ويجدر بنا القول انها كانت العلامة الوحيدة . اما اليوم فنرى ، في هذه اللغة ، ان الاسماء المطلقة تؤنث بهاء . فما هذه الهاء ؟ وما هو مسوّغ استعمالها ؟ فعلى هذا نجيب انه ظهر لك ان هذه الحروف اللينة اي الالف ، والواو ، والياء ، والهاء ، اصلها حروف هجاء ، فاستعملت علامات للحركات . فالهاء اذن هاءان : هاء حرفٌ ، وهاء ليست بحرف . وللتمييز بينهما قد استعمل العبريون نقطة يضعونها في وسط الهاء تدل على كونها حرفاً صامتاً ، وتلفظ لفظها الطبيعي . وهذه النقطة تدعى في نحوهم «مَبيق» اي المُخرج لفظ الهاء . واما الهاء غير المنقطة فليست سوى علامة لاشباع الفتح . ولذا يجب ان تعلم ان الاسماء المطلقة في العبرية لم تكن الّا التاء علامة لمؤنثها . الّا انها قد تضاءل لفظها شيئاً فشيئاً ، كما رأينا ، فحذفت . واذ كانت الحركة السابقة لها فتحة مشبعة ، استعملت بعدها الهاء ، لا كحرف هجاء ، بل كعلامة كتابية . فمن هنا يظهر خطأ الراي القائل بان الهاء مع الفتحة المشبعة هي العلامة الاصلية المؤنث في العبرية ، وان التاء مع الفتحة السابقة صادرة عنها . ولك مثال على

ذهاب لفظ التـاء النهائية في غير اللغات السامية كالفرنسية ، فانك ترى ذلك محققاً في الكلمات التالية : (candidat. mandat, contrat, apparat) واصلهـا من الالفاظ اللاتينية (candidatus, mandatum, contractum. apparatus)

اما الارمية ، فانا نجد فيها التـاء علامة عامة للتأنيث ، الا في جزم التنكير ، فان الكلمة المؤنثة تنتهي فيه بالالف . بيد ان هذه الالف ، كالهاء العبرية المذكورة اعلاه ، ليست علامة التأنيث . لان العـلامة الحقيقية للتأنيث ، وهي التاء ، قد حذفت ، كما حذفت التاء في العبرية . وما الالف هنا الا علامة لاشباع الحركة . وقد ظهر لك ذلك من المثال المورد آنفاً وهو «ملتا، ملّا» = كلمة

بقي علينا النظر فيما نجده في اللغة العربية ، مما دعاه النحاة ، قديماً وحديثاً ، «هاء التأنيث» فهل هذه الهاء هي حقيقةً هاء التأنيث ؟ رأينا من كلام سيبويه وابن مالك ، وابن عقيل ، ان العلامة الخاصة هي «التـاء» وانها عند الوقف تُكتب بصورة الهاء ، في الالفاظ المفردة لا غير . والحقيقـة انها تبقى تاء غير ملفوظة . واذ كانت التاء المربوطة ، قبل اختراع الاعجام شبيهة ، كتابةً ، بالهاء ، دعوها من باب المماثلة الصورية «هاء» لكنها ليست بشيء من الهاء . فلا يسوغ اذن ، من باب التدقيق ، ان تدعى «هاء التأنيث» اذ ليست في العربية كما في اللغات السامية جميعها «هاء التأنيث» . واذا كان الأمر كذلك ظهر ان الصواب في العربية في جانب البصريين ومن تابعهم ، خلافاً للكوفيين ، اي ان «التاء هي الاصل في التأنيث»

بعد هـذا الذي سبق من مقدمات ، وتحقيقات ، ونتائج ، مستندة الى اصول «الألسنية السامية» يليق بنا ان نجيب على السؤال الذي عنونا به مقالنا وهو : «أتاء ام هاء ؟» فنقول : «تاء ، ولا هاء» علامة التأنيث الاصلية ، القديمة ، في الالسنة السامية قاطبة ؛ ومن ثم في اللغة السامية الام ، مصدر هذه اللغات الاخوات» وبذلك نظن ان قد ثبت صدق كلامنـا عن فضل «الالسنة السامية» وفوائدها الجمة العائدة على كل من هذه اللغات ، ولاسيما على العربية

وهنا ندع القارئ ان كان من اهـل الاختصاص ، يحكم في الآراء التي وقف عليها في هذا البحث ، والسلام على من اتبع الهدى

هيّا على درس تاريخ بلادنا

بقلم الاب لامنس اليسوعي

نشر كاتب هذه السطور ، تحت هذا العنوان ، في اول سنة للمشرق (١) نداء دعا به قراء المجلة من لبنانيين وسوريين الى درس تاريخ البلاد - وهما قد مضت ثلاثون سنة على ذاك النداء . على ان ادارة المجلّة ، بيطا كانت تنتظر سماع صدى له ، رأت من المفيد ان تشجع القوم بمثلها في الابحاث التاريخية ، فاهتمّ محرّروها بالامر ؛ وكان في مقدّمتهم مؤسسها المأسوف عليه المرحوم الاب لويس شيخو . وقد اشرنا الى ذلك في المقالين اللذين خصصناهما بقسم ضئيل من اعماله العلمية ، ونشرناهما في عددي شباط واذار من هذه السنة . ولم يلبث معاونوه ان اقتفوا اثاره المجيدة حتى انه يصعب علينا ذكر عدد من المشرق خلا من بحث في ماضي سورية ولبنان ، وتاريخهما الديني والمدني والاثري والفني ، وآدابهما ، ولغاتهما القديمة والحديثة .

وليس الذنب ذنبنا ان لم يمكننا تحقيق المشروع منذ ذاك العهد بتأليف تاريخ مستوفٍ لسورية . فان الاستبداد التركي كان يحول بيننا وبين هذا التحقيق ، ذاك الاستبداد الذي لم يكن يسمح للمشرق ان يذكر اسم «الامويين» . فلزم اذن حدوث الحرب العامّة وما جرّته من الانقلابات ، وسقوط السيطرة التركية ، حتى امكننا ان ننشر سنة ١٩٢١ ، تاريخنا لسورية .

وقد أبنتُ ، في النداء الذي دعوت به منذ ثلاثين سنة ، تقدُّم الدروس التاريخية بفضل اختيار المصادر والتقيّد الدقيق بها ، ودرس الوثائق التي يستخدمها المؤرخون ويستندون اليها . ثم اقترحت انشاء جمعية للتاريخ ، ونشرت رسماً لبيان اعمال هذه الجمعية ، وحدّدت غايتها . ومنذ ظهور هذا الرسم شاهدتُ

(١) المشرق ١ [١٨٩٨] : ٣٦١

بلاد سورية ولبنان كثيراً من الجمعيات المختلفة الغايات والمقاصد : شركات تجارية ، جمعيات لتعزيز سباقات الخيل ، اندية رياضية ، الى غير ذلك من الجمعيات المتباينة . اما التاريخ فلا يزال ينتظر دوره . كما لو كان التاريخ نوعاً من الترف يجدر بالشعوب الغنية وحدها ان تهتم به . وكما لو كانت الوطنية تثبت وتحيا الا بتفهم ماضي البلاد ودرسها .

ولم يفت صاحب النداء ما في بلادنا من العقبات ، فتدبر بالروية حالة الزمان والمكان . فلم يجازف بالآمال والاحلام ، ولم يرغب في منافسة الجمعيات العلمية الكبيرة في اوربة ، بل حدد افق رغباته على حاجة البلاد وقال :

« ويا حبذا لو قام في كل طائفة جمعية غايتها درس التاريخ الطائفي . فيكون رئيسها الشرفي بطريرك الملة ، وهو يعين لها رئيساً عاملاً احد الاساقفة ، او رجلاً من اعيان الطائفة له المام بالدروس التاريخية . فتتألف الجمعية من اعضاء مشتركين وعاملين ، وكلهم يدفعون راتباً معيناً لسد نفقاتها . وتطبع في كل سنة نشرة حاوية خلاصة اعمالها في سبيل غايتها . »

ثم ذكر عشر مواد تحدد في نظره اعمال هذه الجمعية . وهاك اولاها :

« ان تنشر مع الضبط نص الاوراق الرسمية المتعلقة بالطائفة كالفرمانات مثلاً ، والمعاملات الصادرة من الباب العالي مما له دخل في تاريخ الطائفة . وكذلك براءات البابوات المحفوظة في الفاتيكان او في سجلات البطريركية . »

* * *

وها نحن بعد انتظار ثلاثين سنة ، نستقبل ، بعاطفة ذهول وسرور ، نشرة الدكتور اسد رستم ، استاذ التاريخ في الجامعة الاميركية . وانا ننشر سطوره هذه في مجلتنا بكل ارتياح ، حاثين قراءنا الكرام على ان يساعدوا ، كل بقدر امكانه ، هذا المشروع الخطير الذي يقوم بنشره المؤرخ العالم :

« رأت ادارة مكتبة جامعة بيروت الاميركية ان تعنى عناية خاصة بجمع وتنسيق وحفظ جميع الاوراق العربية لتاريخ سورية في عهد محمد علي باشا وابنه

ابراهيم باشا المشهور حرصاً عليها وخدمة للعلم والتاريخ . وقد توفر لدينا الآن اكثر من اربعة آلاف رسالة رسمية وغير رسمية . ولما كانت ادارة هذه المكتبة تعتقد ان النشر لا يأتي بالفائدة العلمية المطلوبة الا متى شمل كل الموجود من هذه الاوراق رأت ان تنشر على صفحات هذه المجلة الآن انموذجاً للاصل كله الذي سينشر في كتب على حدة في المستقبل القريب

والقصد من نشر هذا الانموذج الآن هو اعلان غايتنا هذه لجميع السوريين والمصريين حثًّا للذين لم يساعدونا باتحافهم ايانا بما لديهم من الاوراق العربية الرسمية والغير رسمية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية التي ترجع الى عهد محمد علي باشا في هذه البلاد (سورية من غزة هاشم الى جبال طورس ما بين سنة ١٨٣١ و ١٨٤١ م . و ١٢٤٧ و ١٢٥٧ هـ .) وان بامثال هذا التعاون نأمل لنا ولمن يأتي بعدنا استكمال هذا المشروع التاريخي المفيد وغايتنا ايضاً ان نقسم هذه المجموعة متى تمت وعدت للطبع (والجزآن الاول والثاني من الاوراق السياسية معدان للطبع الآن) الى قسمين رئيسيين: الاوراق السياسية، والاوراق الاقتصادية الاجتماعية

وسنضع لهذه المجموعة مقدمة مطولة في «تاريخ» هذه المصادر الخطية (الاوراق العربية نفسها) وكيفية قراءة اصطلاحاتها الفنية والخطة التي نتمشى بموجبها في نشر محتوياتها . ومن ثم تأتي الرسائل نفسها مرتبة بترتيبها التاريخي ومنشورة بموجب نصوص شرائع الاسلوب العلمي في التاريخ — اي اننا نوجه انظارنا اولاً الى ضبط كلمات هذه الرسائل وقراءتها كما يقرأها واضعوها فيما لو تسنى لنا اولاً ان يقرأها امامنا ثم نجتهد في تعيين تاريخها اذا كانت مجهولة التاريخ وتعيين مؤلفها اذا كان مجهولاً ايضاً .»

ويرى المطالع في الصفحة التالية انموذجاً من هذه الاوراق

محمد سليم باشا والبطريرك يوسف حبيش

١٩ ربيع الاخر سنة ١٢٥٦

٢١ × ٣٢ س من الورق السكوكي القديم وهو مدفون بين اوراق سنة ١٨٤٠ في مكتبة بكركي لبنان. ومنه نسخة بالفوتغراف بين اوراق سنة ١٢٥٦ هـ . في مكتبة جامعة بيروت الاميركية

فخر الملة المسيحية وقدوة الطايفة العيساوية بطريرك الوارثة في الشرق زيد قدره غب السؤال عن احوالك المنهي اليك انه لقد شرع ديوان باب همايون الدولة العلية صانها رب البرية بموافقة اراء حضرات الملوك العظام انكليز ومسكوب ونمسا وبروسيا على رفع الاثقال الصادرة من عساكر المصرية الخوارج عن عدم ولايتهم وادمارهم من الوجود قصاصاً لما فعلوه من المظالم في بلاد سوريا وقد تصدر الامر الهمايوني وحصل خط شريف خصوصي فيما يخص جبل لبنان ان كلاً منهم يبقى على عادته القديمة وتكرمت منعطفة هذه الدولة السعيدة باعطاء انعامات موبدة ومنها محدودة لمن يقوم بصدق الخدامة من اكابر واصاغر وانتشر السنجق الملوكي الهمايوني المستطاب بتوجيه العساكر المنصورة برًا وبحرًا وقد تيسر وصولنا بعناية صاحب العناية الى صحراء جونية كسروان بجانب وفير من الجيوش المتأيدة والآن تم تصدير مرسومنا هذا الدستوراني اليكم فبحال وصوله اليكم ووقوفكم على مضمونه ان تكونوا طيبين القلوب والخواطر وان شاء الله لا تشاهدوا من طرفنا الا كلما يسركم يلزم تشهروا مرسومنا هذا على كل من هو تحت طاعتكم مطارنة ورهبان واكليروس وعامة ان يكون حاصل عندهم الاطمئنان وبلوغ الامان ما عدا الذي يبدا من احدهم وساوس ام مفاسد لمعاونة الدشمان الخوارج الخاسرين فيكون جزاه عبرة وشهرة اعلموا ذلك واعتمدوه غاية الاعتماد في ١٩ ر سنة ٢٥٦

الختم سليم

قايد جيوش الدولة العلية

بين المعرّي والخيّام

فكرة الموت، ومصير الاجساد

بقلم فؤاد افرام البستاني، استاذ الآداب العربية في كلية القديس يوسف

الموت يخدن الحياة، رافقها منذ نشأتها ويجاريها حتى انتهائها ؛ فلا يلد لها غصن الا قصفه ، ولا تتفتح لها زهرة الا نفخ عليها سمومه ، ولا تينع لها ثمرة إلا جناها، حتى اصبح غاية كل حساس متحرك ، ومآل كل نام ناشئ ، واضحى الأحياء ابناء الموت

هذه السيطرة المطلقة على كل مظاهر الحياة ، شعر بها الناس منذ نشأة الانسانية ، فحاروا في سلطتها ، واقاموا يفكرون فيها القرون العديدة ، دون ان يجدوا للنجاة منها سبيلاً. يتراءى شبح الموت السيد القادر سلطته ، الغني باموالها ، السعيد في حياته ، فيقلق عليه راحته ، ويتهدده بانقضاء سعادته ، فيخافه ويجتهد بتأخير اجله؛ ويبدو الشبح نفسه للمعارك الفقير التاعس ، فيرى فيه خير مخلص من متاعب الحياة ، ولكنه لا يلبث ان يرى وحشة هذا الطريق فيرتجف ويظل حائراً بين الرغبة والرهبة. يشعر بزور الموت الفتى المغرور بمظاهر العالم ، المنغمس في حمأة الملاهي والملذات ؛ فيخشى سرعة حلول الأجل ويجتهد عبثاً في الهرب ؛ ويأخذ الشعور نفسه من روع الناسك المتعبد، فيرجو خلاص نفسه من الجسد المادي ، ولكنها يهاب عبور ذلك الجسر الهائل ولو الى الجنة.. يدنو الفيلسوف المتشائم ، الشاك ، من عتبة القبر فيتراجع رهباً مع كل ما في نفسه من يأس من الحياة، ورغبة في كشف ما وراءها؛ وكذلك يسير المتفائل المؤمن ، الواثق بالآخرة الصالحة ، الى قبره بين الخشوع والتردد . كثيراً ما تختلف آراء الناس في الموت ، وكثيراً ما تتباين حالاتهم تجاهه . ولكنهم مجمعون على التفكر فيه ، وعلى الرهبة منه

سلطان قادر ، آمر لا مردّ لحكمه،اوقع الرعب في قلوب البشر منذ البدء وسيوقعه الى الانتهاء.وكان من الطبيعي ان يكون وقعه اشدّ تأثيرًا في قلوب الحسّاسين من الناس ، ولاسيما الشعراء.ولهذا كان الموت من اخصب المواضيع الشعرية ، واكثرها مرونة ، فعلق بـه الكثيرون من شعراء الشرق والغرب . ولعلّ من فتن به خاصّة في آدابنا ابو العتاهية وابو العلاء.

اما ابو العتاهية فاكثر من تصوير الفنـاء ، واهوال الموت.ولم يكن له فكرة شخصية في مصير الاجساد بعد الدفن.ولهذا لا دخل له في كلامنا اليوم. واما ابو العلاء فعليه مدار بحثنا . على ان هنـاك شاعرًا فارسيًا اولع بالموضوع نفسه ، وافاض عليه كثيرًا من تأثيراته الشخصية، وتصاويره الطريفة ، الا وهو عمر الخيّام الذي عاش نحو نصف قرن بعد المعرّي (١ ، والذي يعتبره الكثيرون آخذًا عنه ، وناسجًا على منواله فيما يختص بمصير الأجساد

ان يتفق المعرّي والخيّام في تصوير اهوال الموت : وسلطانه القاهر ، ووحشة القبور ، فهذا ما لا غرابة ، ولا حاجة الى نسبته الى النقـل ، وقد قدّمنا ان الموت من المواضيع العامّة الشائعة بين الشعراء . اما ما يستحقّ درسًا خاصًّا ، فمقابلة بين الشخصيّتين ، فهو ما نسميه بمصير الأجساد ، وما تتفق فيه آراء الشاعرين من ذكر مآل الرفات بعد الموت ، وتحوّله الى تراب ، وخزف ، وآنية تتفرّع عنها . ونحن نرى ان الخيّام استفاد من المعرّي ، في هذا الموضوع ، وهو كان يُتقن العربية وله فيهـا تآليف (٢ ، وعاش بعيد موت المعرّي في عصر شاعت فيه شهرته ، وتنوقلت اخباره ، وسارت آراؤه . كل ذلك يظهر من المقابـلة التي سنأتي بها بين اقوال الشاعرين فنعرضها بطريقة وضعية ونترك للمطالع حق الحكم فيها ، فشاركتنا في الرأي او مع كـتنا

١) عاش المعرّي من سنة ٩٧٣ الى سنة ١٠٥٧ في معرّة النعمان . وبغداد ، فالمعرّة ، وقضى اكثر حياته (١٠٠٩ - ١٠٥٧) في بيته معتزلًا . وسمّى نفسه رهن المحبسين ، اي حبس بيته وعماه . اما عمر الخيّام فعاش في نيسابور ، وبلخ ، وبعض مدن فارس ، واشتغل في العلوم الرياضية والفلكية ، وتوفي في نيسابور سنة ١١٢٣

٢) من تآليف الخيّام بالعربية كتاب الجبر والمقابلة الذي ترجمه المستشرق ويبكه (Woepcke) ونشره سنة ١٨٥١ ، وقد نُسب اليه ابيات شعرية بالعربية ايضًا .

ولنبدأ الآن بذكر آراء الشاعرين في الموت اولاً:

اول ما يلفت النظر بين الشاعرين اتفاقهما في ذكر سلطة الموت ، وشمولها الخلق جميعاً،وذاك امرٌ طبيعي.فيقول ابو العلاء ، وملءُ جوانحه الرعب والأسى:

انبأنا اللبّ بلقيا الردى ؛ فالغوثُ من صحةِ هذا النبأ !

ولكن لا غوث من ذلك،بل

يُعال الترابُ على من ثوى ! فآهٍ من النبأ السائلِ !

ثم يتسع تحققه اثناء الناس،فيراهم ينزلون بطن الارض ولا يرى احداً يعود، فيصرخ متمنياً المستحيل :

فليت الفتى كالبدر ، جُدّد عمره ، يعود هلالاً كلما فني الشهرُ !

ولم نرَ بطنَ الارض يأتي لظهرها رجالاً ، كما يأتي الى بطنها الظهرُ !

وهو اشبه بتحقق الخيّام ، اذ يقول عن الفلاسفة والحكماء الاقدمين :

وهم اليومَ ، في الثرى ، ساكتونا لا خطاب يأتونه ، صامتونا ،

بلْ افواههم ترابٌ ، فما هم بعد يلقون في الأنام خطابا ! (١

وينتقل الى ذكر من فارقوه من الاصدقاء المديدين فيصيح بعجب واسف ، متحققاً فراغ البيت ، وامتلاء القبور :

كم حبيبٍ كان الجليس الأنيسا ، كلما جئتُ ، او طلبت الكؤوسا !

كم حبيبٍ ! سلِ الثرى والرموسا !

واحداً اثر واحدٍ ودّعوني وأسىً يُلهب الحشى اودعوني

فرغ البيت ، والقابر ملأى ، وعيوني الملأى تفيض انسكابا ! (٢

ويشبه اسى الخيّام هذا خوف المعرّي على حياته ، اذ يصوّر انقضاء اجله ، واهتمام الناس بحفر قبره ، بتلك الصورة المفزعة المرعبة فيقول :

---

١) رباعيات عمر الخيام معرّبة نظماً بقلم وديع البستاني . النشيد الاول ؛العدد : ٢٣ – وسنشير في شعر الخيام الى العدد والنشيد من ترجمة البستاني . وهناك ترجمة لرباعيات الخيام ظهرت في مصر بقلم محمد السباعي . على اننا استعملنا ترجمة البستاني لانها اقدم واشهر . – اما ابيات المعرّي فاكثرها من اللزوميات ولم نرَ لزوماً للاشارة الى مآخذها الدقيقة .

٢) النشيد : ١ ؛ العدد : ١٧

يكرّ الحولُ بعد الحولِ مني ، وتلك مصارعُ الاقوامِ حولي
كأني بالألى حفروا لجاري ، وقد اخذوا المعاول واتحوا لي!

على ان الشاعرين يسكنان الى القضاء والقدر والى ان الموت محتّم على كل حي لا مهرب منه ، بدليل الآية القرآنية: «اينما تكونوا يُدرككم الموت !»(١ ذاكرين ان الانسان لا يموت الا في ساعته بدليل الآية الاخرى : «فاذا جاء اجلهم لا يستقدمون ساعةً ولا يستأخرون » (٢ فيقول المعرّي :

كم هلكت غادةٌ كعابٌ وعمرت امها العجوز !
احرزها الوالدان خوفاً ، والقبرُ حرزٌ لها حريز
يجوز ان تبطئ المنايا ، والخلد في الدهر لا يجوز !

ويردف عن نفسه :

ان يرحل الناس ، ولم ارتحلْ ، فمن قضاء لم يُفوَّض اليّ

فيدعوه الخيّام الى التسليم لله وقضائه :

فاسلّم لربه تسليما فهو من كان بالمصير عليما
منذ كانت هذي البرايا سديما !
خُطَّ ما خُطَّ من سطور القضاء! لا تحاولْ ابدالَ ياء بباء
فبنو الياء يُلحدون شيوخاً ، وبنو الباء أُلحدوا ، اطفالا !(٣

ولكن هذه الغاية التي لا مناص من السير اليها ، هل هي حسنة ام سيئة ؟ نافعة ام ضارّة ؟ مرغوب فيها او مصدوف عنها ؟ هذا ما اضطربت فيه افكار المعرّي خاصّة ! فحار طويلاً ولم يهتدِ . فهو تارة يرى في الموت الراحة المنشودة التي تنسي الانسان همومه ، وارجاعه ، وتُغنيه عن الناس ومطالب الحياة المتعدّدة فيقول :

رقدة الموت ضجعة يستريح الجسمُ فيها ، والعيشُ مثلُ السهادِ
تعبٌ كلها الحياةُ ! فما اعـ جب إلّا من طامعٍ في ازديادِ !

١) القرآن : سورة (٤ [النساء] ٨٠)
٢) القرآن : سورة (٧[الأعراف] ٣٢)
٣) النشيد : ٢ ، العدد : ٢١

ويقول :

لعل موتاً يريح الجسم من نصب ! ان العناء هذا العيش مقترنُ

فهو يتمنى الموت ، وهذه آماله فيه :

أصبح في لحدي ، عني وحدتي ، لستُ الى الدنيا بمحتاجِ

متى غدوتُ ببطن الارض مضطجعاً فثم اعتد اوصابي وامراضي !

كأس المنية اولى بي ، واروح لي من ان أكابد اثراء واحراجا

العيش افقرَ منا كلَّ ذاتِ غنى والموت أغنى ، بحقٍ ، كل محتاجِ

اذا حياة علينا ، للأذى ، فتحت باباً من الشرّ ، لاقاه بارتاجِ

لكونُ خلك في رمسٍ أعزّ له من ان يكونَ مليكاً عاقد التاجِ

الملك يحتاج آلافاً تناصره والميت ليس الى خلقٍ بمحتاجِ !

اعفى المنازل قبرٌ يُستراح به ، وافضلُ اللبسِ ، فيما اعلمُ ، الكفنُ !

فالي اخاف طريقَ الردى وذلك خير طريقٍ سُلك !

يريحك من عيشةٍ مرّةٍ ومالٍ تُضيع ، ومالٍ مُلك !

ولكنه يخاف ، رغم اعتباراته ، لأنَّ

وخوف الردى آوى الى الكهفِ اخاه وكلّف نوحاً وابنه عملَ السُفنِ

وما استعذبته روح موسى وآدمٍ ، وقد وُعدا ، من بعده ، جنتي عدنِ !

ولأن طرقه موحشة مخيفة ، كيف لا و

لو لم تكن طرق هذا الموت موحشةً مخشيّةً ، لاعتراها الناسُ افواجا

وكان من انفت الدنيا اليه اذىً يؤثرها تاركاً للعيش امواجا !

ولهذا فهو دائم الاضطراب ، تشتدّ عليه صروف الحياة فيدعو ملاك الموت ، حتى اذا سمع حفيف اجنحته ، لجأ الى شعار البشر الخالد وهو : «العذاب ولا الموت !» ثم لا يرى في حيرته من ملجأ الّا الله ، فيتكل على حكمته ، ويقول :

ان كان نقلي عن الدنيا يكون الى خيرٍ وأرحبَ ، فانقلني على عجلِ

وان علمت مآلي عند آخرتي شرًّا وأضيق، فانسأ ربّ في اجلي!

يذكر الضيق والسعة خصوصاً لان نفسه

... ثوى الرحب في كل منزلٍ فكيف بها إن ضاق في الارض قبرها!

اما عمر الخيّام فلم يكن ليتردّد امام الموت تردّد المعرّي، وهو لا يذكره الا قاطعاً للذات، ومفرّقاً للاصدقاء، فيتوقف هنيهة حائرًا في سرّه رغم البحث والدرس، ويقول:

واجتليتُ الغوامض المبهماتِ ولقيتُ الحقائقَ السافراتِ
غير أن الآجال، والموت فيها، ذاك سرٌّ لم أنضُ منه نقابا! (١)

ثم لا يلبث ان يستنتج من ذاك نتيجة ابيقورية قد لا تمرّ في ذهن المعرّي، فينادي ان اغتنم فرصة البقاء، والهُ ما شئت لانك سوف تموت،

وبذاك الحجاب سوف تمرّ، حيثُ سرٌّ يبدو لديك ومرٌّ،
فاغتنم فرصة البقاء فان الـ موتَ ما عوّد الفتى إمهالا! (٢)

* * *

هذه مجمل آراء الشاعرين في الموت وهي لا تعدو رأي كل فردٍ اختبر الحياة وتحقق غايتها، فعرف ان الموت جسرٌ لا بدّ للناس من عبوره، كلّ في ساعته. ولكن ما وراء هذا الجسر؟ وما يكون مآل القوم بعد عبوره؟ هذا ما وقف دونه الشاعران ففكرا فيه طويلاً، فنجحا مرة، وفشلا مرة، وشكّا في نجاحهما وفشلهما مرارًا

اما مصير الأرواح فيتفق الشاعران في الشكّ فيه، رغم ما يظهر من اقوالهما بعض الاحيان من اتباع تعاليم الدين والايمان بالبعث. وانما تلك لمحات من نور في ظلام الشكّ المطبق، يسيران بضيائها دقائق معدودة، يتذكر فيها الخيّام ما تعلّمه من المبادئ الدينية، فيندم على خطاياه، ويشاهد الخالق يوم الدينونة، في عظمته وجلاله، فيخشع متأسفاً ويصلّي:

انت يا عالمًا بذات الصدورِ، ومقيلَ العبدِ الكثيرِ العثورِ،
هَبْ لخيّامَ، قبل يوم النشورِ،

١) النشيد: ١، العدد: ٢٨. — ٢) النشيد: ٣، العدد: ٣٦

وازعاً زاجراً يكفُّ يديهِ عن كؤوسٍ مشعشعاتٍ لديهِ
فهو فيها جيم كل مُيامٍ ، ولديها يحيي الليالي الطوالا (١

ويرتفع المعرّي في ذاك الايمان الصالح ، والاعتقاد القويم ، الى درجة المُناضل عن صحّة البعث ، المدافع عن حقيقة النشور ، فيأتينا بالبيتين الرائعين اللذين ظهرا خير سابقة لما يسمونه في الآداب الفرنسية « رهان پسكال » . وهما :

قال المنجّم والطبيب كلاهما : «لا تحشر الاجسام !» قلت : «اليكما !
ان صحّ قولكما ، فلست بخاسرٍ ! او صحّ قولي ، فالخسار عليكما ! »

ولكنها لمحات من نور في جوّ من ظلام الشكّ ، كما قلنا . فلا تكاد تنطفئ — وسرعان ما تنطفئ — حتى يعود كلٌّ منهما الى جحوده وإنكاره للقيامة ، فيقول الخيام يائساً :

فتودّعْ ، ولا تدعْ في الربوع متسعٌ تلقاه بعد الرجوعِ !
لا رجوعٌ ولا محالة إنّا سوف نطوي هذا السبيل ارغالا (٢

ويردّد استاذه المعرّي ، بشيء من التشاؤم المرّ :

ضحكنا ، وكان الضحك منا سفاهةً ، وحقّ لكان البسيطة ان يبكوا
تمطّينا الأيام حتى كأننا زجاجٌ ! ولكن لا يُعادُ لنا سبكُ !

فهما ، تُجاه مصير الارواح ، على حدّ قول ابي العلاء نفسه :

اما الجسوم فللتراب مآلها وعيت بالارواح أنّى تلكُ !

للتراب مآل الجسوم ! حقيقة أيدها الاختبار ، وفتن فيها الشاعران فلم يتوقفا عندها جامدة باردة ، بل توسّعا فيها ما شاء خيالها الفسيح ، وحسّها الدقيق . فكان أوّل آرائها في ذاك التراب الجسمي الأصل ، عاطفة اشفاق ورحمة تبدو من شعر المعرّي اذ يقول :

خفّف الوَطْء ! ما اظنّ اديم الأر ض إلّا من هذه الاجسادِ !
سرْ ان استطعتَ ، في الهواء رويداً لا اختيالاً على رفات العبادِ !

---

١) النشيد : ٢ ، العدد : ٣١ ٢) النشيد : ٣ ، العدد : ١٢

وتتجاوز عاطفة الخيّام الإشفاق الى الصدقة والإحسان ، فيجود على تلك الاجساد البالية بما تملكه يداه ، وما تملك يدا سكّير سوى الخمر ! فيقول ، مشيرًا الى عادة سُقاة الفرس باهراق قليل من الخمر ، قبل تقديم الكاس :

ما جُزافًا ما قد اراق السُقاةُ ! لا لعمري ! بل تلكُم صَدَقات !
اغا التربُ يا نداماي رفاتُ !
فليريقوا ! فتلكمُ القطراتُ لكبودٍ تذيبها الحسراتُ
وليريقوا ! لعلّها مضغات لوعة في الثرى تؤجُّ التهابا ! (١)

غير ان ذاك الخيال المولّد في الشاعرين لا يقف عند التراب ،وهو المصير الاوّل لكل حيّ ، بل يتجاوزه الى ما يؤخذ من التراب من الآنية الخزفية ؛ فتكون هذه المحطة الثانية لتلك الاجزاء الجسدية المقسّمة هباء بعد الموت، على حدّ قول الخيّام :

ذا مصير الورى : اناسٌ ، فترابٌ ، فأوانٍ كانوا لها اصحابا

وهنا يدخل الشاعر الفارسي الى معمل الخزّاف ، فيسمع اصوات الارواح ترتفع اليه من خلال الطين المجبول ، فيصيح :

امس ابصرتُ جارنا الخزّافا يجبلُ الطينَ كيف شاء اعتسافا
ويكيل المقدارَ منه جُزافا !
وكأني أسمعتُ ، بين يديه ، صوت ذات مظلومة تشتكيه :
« آه رفقًا ! فانت طينٌ وماءٌ ، ايها المرءُ ، لا تسمني العذابا ! » (٢)

ولم تكن هذه الرائعة الا توسيعًا لما صوّره المعرّي في المعنى نفسه ، بقوله :

فلا يبدي فخارًا ، من افتخر ، عائدٌ الى عنصر الفخّار للنفع يُضرب
املّ اناء منه يُصنع مرّةً فيأكل فيه ، من اراد ، ويُشرب
ويجعل من ارض لأرض ، وما درى فواعًا له ، بعد البلى ، يتقرّبُ !

وقوله في التصوير نفسه :

تبسّموا بترابي عليّ فضلكم ، بعد الهمود ، يوافيني باغراضي
وان جُعلتُ ، بحكم الله ، في خزف يقضي الطيورَ ، فاني شاكرٌ راضي !

(١) النشيد : ١ ، العدد : ٣٣ (٢) النشيد : ١ ، العدد : ٣١

ويرى المعرّي غير ذلك من منافع التراب المتكوّن من اجسام « كانت جديرة بالصون ، وقد صارت في طلاء الجدار » فيقول :

كم من رجالٍ جسومهم عفر تُبقى بهم ، او عليهم ، الجُدُرُ ! [1]

ويقول ايضاً ، والصورة فيه اروع ، لما فيها من التخصيص والتضادّ :

لمّ مفاصل البناء تُضحي طلاءً للسقفة والجدار !

الى هنا ينتهي الشبه ، على ما نرى ، بين المعرّي والخيّام . فيقف الشاعر العربي لدى هذه الاعتبارات المحزنة ، المميتة ، اللاّى بالهيبة والروع . ويتجاوز زميله الفارسي تلك المحطة من مصير الاجساد الى ما وراءها ، فيصوّر الناس يصبحون غذاء للنباتات

واصولاً يغدونَ للاشجار !

فيتراكمون بعضهم فوق بعض في الكروم والبساتين ، حتى انه يصف الخمرة بانها .

بنت كرمٍ كريمةٌ ، وابوها رجلٌ صدرُه يضمّ رجالا ! [1]

ثم لا تلبث تلك الاغذية النباتية ان تصير بدورها الى نبات منوّر ، فتصبح ثغور الاموات ثغوراً جميلةً من الازهار ، وتتحوّل دماء الملك المقتول الى وردة ناضرة ، والخال الجميل في الخدّ الى زهرة من البنفسج ، وذلك قوله :

حيث تلقى الورد الضمير الجميلا فلبك هناك خرّ قتيلا !
وكم ظلت ما اقتطفت بنفسجٍ ، ونرفّت انه بين عوسجٍ ،
وهو خالٌ نامٍ بخدّ فتاةٍ بدر حسنٍ في ظلمة القبر غابا [2]

ولا يشكّ في انه هو ايضاً سيتحوّل الى تلك الاعشاب والازهار ، ولكنه يشكّ في جمال تلك الازهار التي ستخرج من جسده ، فيقول :

ليت شعري ، اذ نحن في الروض زهرٌ ، ايّ عين نروقها إعجابا !

---

١) النشيد : ٢ ، العدد : ٣ ٢) النشيد : ١ ، العدد : ١٩

وعلى كل فهو يتمنّى ان يطلّ من ترابه نبتاً بعد الف والف من السنين فيحيي الربوع والاطلالا !

ولا ينسى قبل موته ، ان يرجو من نديمه ، متابعة سكب الخمر على زهور قبره ، فيشمل كما كان حال حياته ، وهو يوصيه بهذا المقطع الرائع :

يا نديمي ، قد آن موت النديم ! فاذكرني ذكرَ الصديق القديم
وابكيني بدمع بنت الكروم
وبكأس الرحيق ، قِفْ فوق قبري واسكب الخمر فوق عشب وزهر
فرفاتي ، اذ ذاك ، زهرٌ وعشبٌ ، وانا الشيء كان كوناً ، وحالا ! (١

* * *

هذا ما رأيناه من الطريف في الموت ومصير الأجساد، عند المعرّي والخيّام. ونترك للمطالع الحكم الاخير ، ومشاطرتنا الرأي في ان الخيّام استفاد من المعرّي فيما يختص بمصير الاجساد الى التراب والخزف والانية . ولكنه لما كان اوسع خيالاً ، وادقّ حساً ، واوفر شاعرية ، جاوزه الى التحوّلات الاخرى من جذور واشجار ، ونبات وازهار ، فنال السبق في ذلك ، وفتح في الآداب الشعرية باباً جديداً لتصوّر نهاية الانسان . فتنقلت فكرة التحوّل الى النبات والزهر بين الشعراء وقرّرها علم الكيمياء بدورة الازوت في الطبيعة ، وكان فيها من الروعة ، وجمال التصوير ، واثارة التأملات ما كفل بفوزها فسارت في الشعر العالمي . ولعلّ آخر ما اطلعنا عليه من نوعها في الشعر العربي ، قول فوزي المعلوف (شاعر في طيّارة) متشائماً في منفعة الانسان :

وهو لا ينفع البسيطة ، إلّا حين يثوي في القبر ، بين رحابه
حين يمتصّه الأديمُ ، فيُمضي منه بعض الغذا الى اعشابه .
ليت شعري كل النبات الذي في الـ كون ، من زهره الى ايبلابه
ليس الا عصير اجسام من ماتوا ، فزانوا الثرى باجمل ما به !

---

١) النشيد : ٢ ، العدد : ٤٠

هل اللغة العربيّة غنيّة؟

ام هي فقيرة قاصرة عن التعبير عن حاجات العصر ؟

بقلم حضرة القس عبد المسيح زمر

٥

العربية بالنسبة الى هذه الحالات الثلاث

هيهات ان تكون اللغة العربية فقيرة ، فهي بعيدة عن هذه الشائبة العائبة . ولكن هل هي غنية ، ام هي غزيرة المادة ؟

الجواب: العربيّة غنيّة من وجه ، وفقيرة من وجه آخر ، كما انها غزيرة المادة من وجه ، وقليلتها من وجه آخر.

قلنا سابقاً ان اللغة الغنيـة هي التي فيهـا لكل معنى لفظ ، او هي التي معانيها لا تزيد على الفاظها ، والفاظها تقوم بالدلالة على معانيها ، بلا زيادة ولا نقصان تقريباً . لا ريب ان اللغة العربية كانت على هذا الوصف ، في ماضي الزمان ، يوم كان اهلها في حالة البداوة ، قليلي المعاني والحاجـات ، اذ كانت بيوتهم الشعر والاديم ، ومفرشهم الباري والبلاس ، وملبسهم الكساء والرداء ، واثاثهم الرحى والقربة والقدر ، وآنيتهم القعب والدسيعة والجفنة ، وقوتهم اللبن والتمر ، وسلاحهم السيف والرمح ، ومراكبهم الخيل والابـل ، وتنقلهم في البراري والقفار . ولكنهم لما تطوروا بتطور الحضارة ، واتخذوا البيوت المنجدة ، وتأنقوا في معالاة البيوت والصروح ، وعلاج الاقوات ، واستجـادة المطابخ ، وانتقاء الملابس الفاخرة ، زادت المعاني على الالفـاظ ، وشرعوا يأخـذون بعض الكلام ، عن الامم المجاورة لهم . فاخذوا الكثير الجمّ عن الفـارسية ، واخذوا عن الحبشية ، والعبرانية ، والسريانية ، واللاتينية ، والسنسكريتية ، والهندية ، وذلك عن حاجـة وافتقار الى تلك الالفاظ . ومهما اتصلوا بأمّة

او شعب ، اخذوا عنه ما خلت لغتهم منه . ولما احتاجوا الى تعلّم العلوم التي كانوا صفرا منها ، وعمدوا الى نقل كتب علماء اليونان الى لغتهم ، ادخلوا فيها كلاماً كثيراً ما كانوا يعرفون له لفظاً في اوضاعهم ؛ وهذا ليس بعيب ولا بعار . لانّ الشعوب في اول امرها ، لمّا كانت تعيش في البداوة ، مستقلّة بعضها عن بعض ، غير متعاونة ولا اجتماع لها ، كانت غير مفتقرة الى استعارة الكلام ، اذ كل شعب وكل امّة ، كانت تتداول من الالفاظ ما يدل على المعاني التي عندها ، على القدر المطلوب . ولكن لمّا عدلت عن حالة البداوة الى حالة الحضارة ، وعن التوحّش الى التأنّس ، واخذ التجّار يضربون في البلاد للتجارة والارتزاق ، واختلطت الشعوب بالامم المجاورة لها ، وادركت من المعاني ما كانت تجهل في بلادها واقطارها ، اضطرت امّا لتصاقب الديار وقرب الجوار ، واما للمخالطة والتجارة ، وامّا لكسب العلم ؛ الى اخذ الفاظ عن جيرانهم وخلطائهم ، وهذه سنة الله تعالى في خلقه ، ان المفضل يعطي والمحتاج يأخذ .

فاذن ليست اللغة العربية غنيّة كما يدعي بعضهم ، ولا هي غزيرة المادة على وجه الاطلاق ، كما يظن فريق متعصب لها عن هوى وميل ؛ بل هي غنيّة من وجه فقط ، وغزيرة المادة من وجه ايضاً ؛ وهي في حاجة الى الالوف من الالفاظ ، وينقصها الكلام الكثير في علم المواليد ، وفي علم الهيئة ، وفي علم الطب ، والتشريح ، والصيدلة ، والكيمياء ، والطبيعيات ، والآلات ، و . . . فمن اين نأتي بهذه الالوف المؤلفة من الالفاظ الدالة على المعاني ، اذا كان لا يصحّ اخذها عن لغة اخرى ؟ وكيف نقدر ان نعبر عن تلك المعاني ، ما دمنا ننفر من الدخيل ؟ ولماذا هذا النفور ، وقد استعمل العرب الصُرحاء الدخيل في عهد جاهليتهم ؟ نعم ان كتابنا قد عرّبوا الفاظاً قليلة ، ولكن ما عرّبوه في جانب ما نحتاج اليه يجري مجرى القطرة من البحر الافيح ، او الرملة الواحدة من حبل الرمل . بل كم من مرّة اصطلحوا على كلمة ، ثم نبذوها ، ثم عادوا اليها والامثال على ذلك كثيرة ، . فلله در من قال :

انا اتفقنا على عدم الاتفاق وحسب .

٦

هل الترادف غنى للغة حقيقي

أما تبجحهم بان العربية غنيّة ، ومن اغنى اللغات ، فهو ضرب من الدعاوة لا غير . فمصدر هذا القول كثرة المترادف والمتوارد ، اي ان للاسد ٤٠٠ اسم وقال بعضهم ٥٠٠ ، وللداهية مثل ذلك ، وللسيف ٣٠٠ ، وللحية ٢٠٠ وقال بعضهم ٣٥٠ ، وللناقة ٢٥٥ وقال بعضهم بل ٥٠ فقط ، وللماء ١٧٠ ، وللخمر ١٠٠ ، وللبئر ٩٠ ، وللمطر ٧٠ ، وللظلام ٥٢ ، وللسحاب مثل ذلك ، وللشمس ٣٠ ، وللسنة ٢٤ ، وللثور ٢١ ، وللبن ١٣ ، وللعسل مثل ذلك فضلاً عن الصفات ، اذ عندهم للقصير نحو ١٦٠ صفة ، وللطويل ١٠٠ ؛ وعن ترادف الافعال كقولهم : ابرتُ فلاناً العقرب ، وزعته ، وشحطته ، وضربته ، وكوته ، ولتفته ، ولدغته ، ولزبته ، ولسبته ، ولسعته ، ولسنته ، ولكمته ، وندغته ، ونهشته ، ووكته ؛ وادل الباب ، وابهه ، وترّعه ، ودسه ، وردّه ، ورتجه ، وزلجه ، وازلجه ، وسقه ، وسكره ، وصفقه ، وصكّه ، واصحقه ، واعجمه ، وعلّقه ، واقفله ، وكظمه ، ولصّه ، ولطّه ، وامسكه واوجفه ، ووصّده ، وغير ذلك . وعن ترادف الجمل من مثل قولهم في طلوع الصبح : بثّ الصبح طلائعه ، وبدا حاجب الشمس ، وبدا محيّا الغزالة ، وبرزت الغزالة من حجابها ، وحسرت الشمس قناعها ، وسطع عمود الصبح ، وشاب غراب الليل ، وطار غراب الظلام ؛ وفي زوال الشمس وغروبها : مال ميزان النهار ، وزلّت قدم العصر ، وبقل وجه النهار ، وجنحت الشمس الى مغاربها ، وانحدر كوكب الشمس الى مغربه ، ودبّ الشفق الاحمر في حاشية الافق ؛ وفي اقبال الليل : بسط الليل على الكون جناحهُ ، وجثم الليل في بحشه ، وخفقت راية الظلام ، ودجا جنح الليل ، وارخى الظلام سدوله ، وضرب الليل بارواقه ، واغتمض جفن الليل ، ونشر الليل اجنحته السوداء على الكون ، الى غير ذلك من الاوصاف الكثيرة ، والترادف الممل ، مما يزيد في صعوبتها ، وينفّر الدارسين منها ، ومن الاقبال عليها .

على اننا لسنا نرى ، ولا يرى معنا ، كل من حكم عقله في كثرة الترادف

والأوصاف ، غنى تحقيقاً وتدقيقاً ، ما دامت اللغة في حاجة ماسّة الى الفاظ كثيرة لا تُعدّ ولا تُحصى للدلالة على المعاني التي ليست فيها . فالغنيّ كل الغني هو الذي لا يحتاج الى غيره بوجه من الوجوه ؛ وإلّا مهما احتاج الى غيره ، فهو ليس غنيًّا على الاطلاق ، بل من وجه فقط . وكانّ هذا الغنى المزعوم ، واليسار الموهوم ، نتج من تعدّد القبائل ، والعمائر ، والبطون ، والافخاذ ، وتنوّع لغاتهم ، وكثرة لهجاتهم ، واختلاف السنتهم . ولمّا جمعوا كلامهم ودوّنوه ، لم يعتمدوا على القبيلة الافصح لساناً ، والاصدق بياناً ، بل جمعوا كل ما سمعوه منهم ، على اختلاف قبائلهم ، وعمائرهم ، وبطونهم ، وافخاذهم ، ولغاتهم ، ولهجاتهم ، والسنتهم ، فاتى ذلك الترادف الممل ، والتوارد الذي لا جدوى فيه سوى اتعاب الدماغ ، واسهار الاعين الاحاطة به . وكذلك لا يأتي المتعلم على حفظ اسماء الاسد مثلاً ، او الداهية ، او الجمل والناقة ، او السيف والرمح ، او الشعر ، حتى يتعلم نصف لغة اخرى ، ويقوى على التعبير بها عن افكاره ؛ فضلاً عن لغة الاضداد ، التي توجب اضاعة وقت لا يستهان به . فنحن نرى ان هذه المحاسن معايب ، وهذا الغنى تخمة ، ولعلّ هذا من جملة الاسباب التي تحدو بالكثيرين الى التنكب عن العربية والنفور منها .

٧

هل الاعراب كمال في اللغة

ليس الاعراب كمالًا في اللغة ، بل هو ضغث على ابّالة صرفها ونحوها ، وتفرّع اصولها وقواعدها ، واختلاف آراء علمائها ونحاتها ، حتى ان اللحن مهما كان فظيعاً ، يجد له المرء تخريجاً في كتب النحو . فلو كان آخر الكلم ساكناً ، او مبنيًّا غير متغيّر ، لهان على المتعلمين شيء من الصعوبات . أما يكفينا ما نجده من المصاعب في تحريك اول الكلمة ، ووسطها ، وفي تحريك عين الماضي والمضارع ، حتى نزيد على ذلك حركات الاعراب ؟ فكم من تعلّم لغات ، بينما غيره لم يتقن القراءة .

فاذن مهلاً ايها الكتاب الافاضل ، لا تتمدّحوا بامور لا تعود على العربية بالفخر . نعم هذه هي اللغة ، ولا يستطاع تغييرها في الوقت الحاضر ، ولكن

ينبغي لنا تسهيلها على الدارسين قدر الامكان ، هذا اذا اردنا تسهيلها على المتعلمين ، وتحبيبها الى الطالبين.

٨

بعض وسائل تسهيل اللغة

اولاً : ترك استعمال الترادف ، والاقتصار على الاسم الشائع ، الذي يفهمه كل الناس ، ويعرفه سوادهم الاعظم ؛ مثلاً ان نستعمل لفظ الاسد للحيوان المعروف ، ونترك : الليث ، والهزبر ، والضيغم ، والشدقم ، وقس عليه انواع المترادفات.

ثانياً : وضع معجم لغوي ، باتفاق بعض العلماء الاعلام ، يحوي الكلام السهل اللين ، القريب المتناول ، وترك الكلام الوحشي ، الجاهلي غير المأنوس ، والاقتصار في تعدية الافعال على حرف واحد ، واسقاط الباقي.

ثالثاً : تسهيل قواعد الصرف ، وترك القواعد التي لا خير فيها ، سوى اتعاب الطالب ، مثلاً تحريك عين الفعل ماضياً ومضارعاً ، والاعتماد على وزن او وزنين ، والاقتصار على مصدر واحد من الثلاثي ، وعلى جمع واحد فقط من جموع التكسير ، وعلى حركة واحدة مما يحرك بالتثليث ، وحذف بعض القواعد والفصول من النحو ، مثل باب الاشتغال ، والتنازع ، وتسهيل موانع الصرف الى غير ذلك. فاي نفع يا ترى في هذه القواعد ، سوى التثقيل على الطالب ؟

رابعاً : وضع كتاب صرف ونحو يحوي القواعد الاساسية ، يكون حافلاً بالتمارين ، جامعاً بالقليل من اللفظ ، اخص القواعد ، بعبارة سهلة حرة خالصة من التعقيد ، على نسق اللغات المتمدنة . فما دمنا لا نريد ان نمس اصول اللغة ولا معجماتها ، فلن يحصل للغة تقدم ابداً.

خامساً : الاقبال على اختراع الالفاظ الخالية منها اللغة ، سواء كان بالاستعارة ، او النحت ، او التعريب على نوع مقبول لا ينفر منه الذوق ، ولا يمجه السمع. فهذا ما اردنا التنبيه اليه ، مؤملين ان يصادف اذناً صاغية ، وقلوباً مفكرة واعية ، وعلماء فعالين لا قوالين.

جولة في كسروان

لحضرة القس انطونيوس شبلي اللبناني

٤ً دير مار ضومط فيترون (١

كتب خزانته الخطية

١ً كتاب اعمال الرسل باللغة السريانية . تاريخهُ ١٢ آب سنة ١٦٩٠ – ٢ً : كتاب « ايضاح اعتقاد الآباء القديسين ضدّ إلحاد المشائين » تأليف القس جرمانوس آدم (هو المطران جرمانوس آدم الشهير ، الحلبيّ الملكيّ تلميذ مدرسة انتشار الايمان المقدّس) . هذا الكتاب مجلّدٌ ضخم خطهُ عربي لم يثبّتهُ الناسخ – ٣ً : الكتاب الثالث من الكمال المسيحي لرودريكس . خطُّهُ عربي كنائسي رفيع وجميل . وان فصوله وآيات الكتاب المقدّس فيه مكتوبة بالحبر الاحمر . جاء في آخره :

« قد تمّ نسخهُ اولاً بعون الله تعالى وثانياً بيد الحقير الذميم . . . الاثيم اليه يوسف شامين غزاله الراهب اللبناني الحلبي في اليوم الاثنين من شهر تموز من شهور سنة ١٧٢٣ مسيحية . وهذه هي النسخة الاولى المقولة على اول النسخ التي عُرّبت بيد القس جبرائيل فرحات اللبناني المشهور بعلم اللغة العربية ورسولي الكنيسة الرومانية (٢ في زمن رئاسة سيّدنا البطريرك يعقوب (عوّاد) وكان رئيساً عامّاً على الرهبان اللبنانيين ابنا القس مخائيل اسكندر من قرية امدن .

---

١) هو للرهبانيّة الحالية المارونية . والمخطوطات الموجودة فيه نُقلت اليه من دير اللويزة

٢) ذكر حضرة الاب العلّامة المونسنيور حرحس منّش في كتابه « المستطرفات في حياة السيّد جرمانوس فرحات » (ص ٣١) : ان معرّب كتاب الكمال المسيحي الثلاثة الاجزاء هو العلّامة القس يوسف الباني الحلبي المذروني وان مصحّح عبارتها هو السيّد فرحات . ولم يبقَ مجالٌ للريب بعد تصريح الناسخ الاب شامين في ان مصحّح الجزء الثالث من كتاب الكمال المسيحي هذا هو الاب فرحات . وقوله : « وهذه النسخة هي النسخة الاولى المقولة على اول النسخ التي عُرّبت بيد القس جبرائيل فرحات . . . » فيريد بكلمة « عُرّبت » صُحّحت بقلم فرحات لا تُرجمت على ما ارى

نسأل كل اخٍ طالع فيه ان يذكرني في صلواته والمجد لله دائماً . »

وبعده تأتي هذه العبارة بخطٍ يختلف عن خط الناسخ وهي :

« ثمّ تعريب اعراب هذا الكتاب قس جبرائيل فرحات . وقف مؤبد وحبس مخلّد برسم اخوية الرهبان الملبيين اللبنانيين وهو مخصوص لديرهم سيّدة لويزة قرب ذوق مصبح . »

٤ً : كتاب رسائل الرسل . خط كرشوني مخروم من اوله . جاء في آخره :

« كمل بعون الله تعالى هذا الكتاب المبارك رسايل الرسل الاطهار وكان كماله في ٣ ايام خلت من شهر تشرين الاول المبارك من شهور سنة (١٦٧٥) رباني . على يد خاطي حقير يوسف باسم شدياق من قرية اهدن من عيلة الدويهية وكان ذلك بايام عمي الجالس على الكرسي الانطاكي مار اسطفانوس بطريرك دير قنوبين المعمور . وايضاً بايام خالي المطران بولس مطران قرية اهدن المعمورة . الله يديم على كراسيهم زمان طويل امين . وكان النجاز في دير مار شليطا مقبس من كسروان . . . »

٥ً : كتاب «مصباح المتريضين ونجاح الزاهدين» . تأليف القس نتانائيل

واما ناسخ هذا الكتاب القس يوسف شاهين فهو من طائفة الروم الكاثوليك على ما افادني حضرة المؤرخ المدقق المونسنيور جرجس منش وهو ابن اخت القس يوسف البتن احد مؤسسي رهبانيتنا اللبنانية كما جاء في مذكرات الاب عبدالله قرالي . وكان له معرفة بالالسنة الافرنجية (الطليانية) وقد سافر مرتين الى رومية : الاولى برفقة خاله الاب الياس والثانية مع القس جبرائيل فرحات (راجع مذكرات السيد قرالي . تاريخ الرهبانية اللبنانية الجزء الاول ص ٦٩ و ٧٩)

وكان الاب شاهين المذكور اسبق اخوانه الرهبان الى احتضان تآليف اخيه في الرهبانية ورئيسه القس جبرائيل فرحات ونسخها بخطه الجميل عن النسخ الاصلية المكتوبة بقلم فرحات نفسه . وقد جاء في آخر كتاب رسائل القديس بولس الذي عرّبه القس يوسف البالي بين كتبي الخطية ما نصّه :

« كان النجاز من نسخ هذا الكتاب باعانة الملك الوهاب راح يوم من شهر كانون الثاني افتتاح سنة ١٧١٩ في دير القديس البشع النبي الشاد في سفح الوادي المقدس من جبل لبنان المبارك يد الخاطئ يوسف شاهين القس الراهب الحالي الماروني . . كان نسخه على النسخة التي عرّبها ابينا الفاضل القس جبرائيل (فرحات) المحترم ورئيسنا العام يومئذٍ بخط يده . فنكم نسأل الدعا ومن الرب الغفران »

وفي آخر هذه السطور كتب الاب فرحات هذه العبارة بخطه المعروف وهي : « بلغ مقابلة حسب الامكان . »

(جوهرجي الارمني الماروني الحلبي) الراهب اللبناني (١ وهو عبارة عن تأملات روحية ومشحون بآيات الكتاب المقدس واقوال الآباء القديسين . وان فصوله مقسمة الى اجزاء . وهو بخط يد المؤلف نفسه بحرف عربي كتابي جميل وآيات الكتاب المقدس فيه مكتوبة بالحبر الاحمر وهو ناقص من الخاتمة في آخره وعدد صفحاته ٦٢٤ صفحة .

٦ً : كتاب يحتوي بعض ميامر لمار افرام ومار اسحق (الناسك) ويعقوب (الرهاوي) واخبار بعض القديسين . خط كرشوني مجلد كبير – ٧ً : السنكسار بخط كلداني قديم وقد نخر العث اوراقه والورقة التي كتب الناسخ فيها اسمهُ – ٨ً : كتاب يتضمن بعض مقالات ليوحنا فم الذهب وعظات للخوري مسعد ايكونومس الكرسي الاسكندري – ٩ً : منطق مخروم من اوله خطهُ بالعربي القس انطونيوس الراهب القبطي ابن مونس ملوخيه من مصر سنة ١٧٣٥

١٠ً : كتاب ميامر القديس افرام السرياني مترجمة من السريانية الى العربية (٢ ولم يذكر المترجم اسمهُ وخطها كرشوني . وهي اثنتان وخمسون ميمراً مصدَّرة بترجمة حياته من ولادته الى نياحته مع ذكر عجائبه التي صنعها بمدينة نصيبين . ويلي هذه الميامر « مديح والدة القديس غريغوريوس اسقف نيصص في الأب القديس البار مار افرام السرياني (٣ . » وفي آخره جاء ما حرفيتهُ

« نجزت واستتمت هذه الاثنين وخمسون ميمر الذي هو ميامر القديس المثلث مار افرام في خامس عشر يوم من شهر ايار المبارك نهار السبت من شهور سنة ١٦٦٦ م . وهو برسم الشماس عبدالله بن ميخايل المكنى قراعلي . وهو ناظران عبدالله قراعلي مؤسس رهبانيتنا اللبنانية)

---

١) هذا الكتاب هو غير كتابه العظات الادبية المجلدين الذي ذكرناه بين كتبنا المطبوعة في المشرق (٢٦[١٩٢٦] : ٦٥٨) طالع ما جاء من اخبار الاب جوهرجي في الجزء الثاني من تاريخ الرهبانية اللبنانية المطبوع في مصر سنة ١٩٢٥

٢) من هذا الكتاب نسخة في دير مار اليشع بشري للرهبان الحلبيين (راجع المشرق (٢٦[١٩٢٦] : ٧٦٨) ونسخة اخرى في مكتبة كلية القديس يوسف الشرقية

٣) قد نُشر هذا المديح في مجلة المشرق (١٩[١٩٢١] : ٤٥٢ و٥٠٦)

الله بنيه فيه زمان طويل. وذلك على يد العبد الحقير الخاطي... شماس ابن ميخايل المكنى زنده (علي) وقف مؤبد برسم اخوية الرهبان الحلبية في ايام الاب المكرم قس جبرائيل الحلبي وطنًا سنة ١٦٩٦ ربانيّ.»

ويلي ذلك «رسالة ارسلها ديونسيوس الكبير الى تيموثاوس الرسول تلميذ بولس الحبيب من اجل شهادة الرسولين القديسين بطرس وبولس بمدينة رومية العظمى» ثمّ ٢٩ ميمرًا لمار افرام ايضًا خط كرشوني يختلف عن خط الناسخ الاول. وميمران آخران الاول قالهُ في مجيء ربنا والهنا سيدنا يسوع المسيح في اليوم الاخير للدينونة والعقاب المنتظم. والثاني قالهُ على انقضاء العالم... ثمّ وصيتهُ الاخيرة عند موته وجاء في آخرها ما يلي:

«تمت وكملت بعونه تعالى النسخة وعشرون ميمرًا لابينا الجليل في القديسين افرام السرياني ثمّ ميمراهُ الثابتان لهم مع وصيتهِ وذلك على يد أحقر عباده يعقوب الشمس الراهب الحلبي من اخوية الرهبان الحلبيين الذين نقلوا من بومنغ في دير القديس مار اليشع النبي الكاين وقرعه في سفح وادي النهر المقدّس من جبل لبنان المبارك وذلك سنة ١٧١٠ لتجدد في ثلاثة ايام مضت من شهر كانون الثاني. وفيه المجد دائمًا.»

وبعدهُ تاتي «رسالة ليوحنا فم الذهب ارسلها الى بعض محبين المسيح الساكنين في العالم وكان قصدهُ ان يسلك في سيرة الرهبنة فبعث اليه رسالة يستشيرهُ بها فردَّ اليه ابينا العظم في القديسين يوحنا فم الذهب وهو في البريّة جوابها هكذا.» ورسالة اخرى القديس مقاريوس ارسلها الى بنيه الروحانيين. هذه هي محتويات هذا الكتاب وهو مجلّد ضخم وورقه سميك وقد قرض العثّ بعض اطراف ورقه

(للبحث صلة)

مجلة المجلات

للاب فردينان توتل اليسوعي

وصية المطران — شيخ المؤلفين والعاملين — شهادة البروتستانت للمرسلين الفرنسيسكان واليسوعيين — دعمة على الماسونية — الشيوعية في مصر

وصية المطران

صدّرت « رسالة السلام » عددها في شهر شباط بترجمة المثلث الرحمات المطران بشاره الشمالي، رئيس اساقفة دمشق على الطائفة المارونية. وُلد في سهيلة (كسروان) في سنة ١٨٧٧، ودرس مدة ١٣ سنة في المدرسة الاكليريكية اللاصقة بكلية مار يوسف للاباء اليسوعيين، ونال شهادة الملفة في اللاهوت، وسيم كاهناً سنة ١٩٠٠ واسقفاً على دمشق سنة ١٩٢٠، وسعى السعي الموفق في تثبيت الشهداء الطوباويين المسابكيين. وله مؤلفات منها ترجمة المثلث الرحمات المطران جرمانون الشمالي، وعدة مقالات في المشرق، وكتاب في الشهداء المسابكيين. انتقل الى رحمته تعالى في مدرسة الحكمة في بيروت، في ٢٦ كانون الاول ١٩٢٧. واليك صورة وصيته الاخيرة كما روتها « رسالة السلام »

« اقتبل القربان المقدس لآخر مرة وقال: هذا هو زادي الاخير لانني على ثقة ان اعيّد اليوم عيد الميلاد المجيد في السماء صحبة الملائكة والقديسين ... والتفت الى نائبه وقال:

انني سأموت ولا شك انك تستغرب مقالي. فلا تهلع ولا تخف. نعم كنت احب وارغب من صميم فؤادي ان اعزز هذه الابرشية. ولكن احكام الله لا يدركها بشر. فربما يكون لها بموتي ما ارغبه. فأنا اقدم مرتي فداء عنها. ولي ملء الامل بانني اكون اكبر مساعد لها لدى العزة الالهية التي اسألها من اعماق فؤادي ان تلهم شيخنا الجليل المبجل وعيدنا الوحيد غبطة السيد البطريرك امد الله بايامه ليختار لها راعياً صالحاً فيه الكفاءة والافضلية. يقوم بسياستها الروحية ويعززها. فتصبح كالوردة النضرة بين الاشواك بشفاعة شهدائنا الثلاثة المطوبين.

وأما أنا فأموت فقيراً لا أملك شيئاً فالماديات للدنيا وجسدي للتراب وروحي لله خالقها . وعليك اذاً ان تقوم بما اوصيك عن حفلة دفني . واثقل ضميرك به واحذر من المخالفة : ضعوني في صندوق يعلوه المصلوب . عليه مسحة الفقر والبساطة . وانقلوني من هنا الى كنيسة مار جرجس صربا . تخفيفاً على المدعوين وهناك صلوا على جثماني . واستمطروا عليَّ مراحم الله . وعلى الاثر انقلوني الى كرسي الابرشية وادفنوني في مدفن خاص بالقرب من سلفي المثلث الرحمات . واصفحوا عن قصوري»

شيخ المؤلفين والعاملين

خص الاستاذ عيسى المعلوف في مجلة «الآثار» المرحوم الاب لويس شيخو بمقال مسهب نشره في عددي شباط واذار، وذكر فيه اولاً اصل الفقيد ونشأته، ثم مؤلفاته الدينية والمدرسية والتصانيف الادبية والتاريخية. وقال:

«واقترح على الاب شيخو عزمي بك والي بيروت في اثناء الحرب العامة ان يؤلف تاريخاً مختصراً لبيروت وآثارها القديمة فألف كتاباً بعنوان «بيروت تاريخها وآثارها» فكان هذا التأليف داعياً لفتح «المكتبة الشرقية» التي اقفلت في اوائل الحرب فراجع ما فيها من المؤلفات العربية والاجنبية ووضعه باسلوب جميل وفي المقترح ان يطلبه منهُ فحفظهُ الى ان طبعه سنة ١٩٢٧ فجاء كتاباً لطيفاً في ١٤٠ صفحة

ولما دعاهُ متصرف لبنان اسماعيل حقي بك باغراء حسين كاظم بك والي سلانيك سابقاً ونزيل بيروت في ايام الحرب الكبرى، ليؤلف تاريخاً للبنان يكون دليلاً عاماً لجميع شؤونه انتخب لجنةً من الكتاب، ووزَّع عليها المواد فكتب كل اختصاصي شيئاً منها وطبع باسم «مباحث علمية واجتماعية» عن لبنان سنة ١٣٣٤ هـ (١٩١٨ م) باتقان ورسوم جميلة في ٥٧٥ صفحة

واخذ الاب شيخو مفاتيح «المكتبة الشرقية» لمراجعة المواد لهذا التاريخ المطوّل فحافظ عليها خشية ان تعبث بكتبها ايدي الطامعين. ولا تزال التذكرة التي ارسلها الينا الاب شيخو محفوظة معنا بخطهِ في المواد التي اقترحت الحكومة

علينا كتابتها لهذا التاريخ وكتبناها . فطبع الكتاب بالمطبعة الادبية في بيروت وكتب فيه هذا الاب مقالات وشارف العمل به مع زميله العلامة الاب انطون صالحاني اليسوعي ، فكان هذا الكتاب من ادق ما كتب عن لبنان وشؤونه

اما مقالات الاب شيخو فيه فهي : (اولاً) الآثار القديمة في لبنان من صفحة ١٠٤—١١١ (ثانياً) العناصر اللبنانية ومذاهبها الدينية من ص١٨٢-٢٢٥ (ثالثاً) القسم الاول من « لمحة تاريخ لبنان» الى زمن العرب من ص٢٢٥—٢٤٩ (رابعاً) تصرف قليل في مقالة « العلوم والآداب في لبنان وفينيقية » لصاحب مجلة الآثار هذه ص ٤٥٨ (خامساً) لائحة باسماء الكتب العربية والاجنبية التي اعتمد عليها كتاب المقالات من ٥٥٧—٥٦١ وكان يصلح التجربات (البروفات) ويرتب الكتاب مع الاب صالحاني جزاهما الله خيراً عن الادب والادباء بهذا الاثر النفيس »

وقال في اعمال الاب شيخو في اللغات الاجنبية :

«اتقن الاب شيخو اللغات العربية والفرنسية واللاتينية بآدابها قراءة وتكلماً وكتابة ، وألمّ الماماً كافياً لمباحثه باليونانية القديمة والالمانية والانكليزية والايطالية والسريانية والعبرية والتركية ، مما ساعده على فهم آراء العلماء والمستشرقين في العلوم والتاريخ وآداب اللغات الشرقية ولاسيما العربية وتحليل ابناء الاعلام»

وقال في الاب شيخو مؤسس مجلة المشرق وصاحب امتيازها :

«وفي خريف سنة ١٩١٤ طبع معظم الجزء الاخير من سنتها السابعة عشرة واقفلت المطبعة في الحرب الكبرى فطوي ذلك الجزء الى اول سنة ١٩٢٠ فاستأذن الاب شيخو نشر المجلة وطبع الجزء الناقص وبدأ بالسنة الثامنة عشرة وبقي يدبجها بقلمه ويقترح الموضوعات على زملائه الرهبان واصدقائه وعندنا بخطه بعض الرسائل التي اقترح علينا فيها مقالات نشر معظمها في المشرق كنصرانية امراء لبنان وغيرها

وكل من طالع المشرق ورافق ظهورها باوقاتها وقرأ مقالاتها المتنوعة المفيدة عرف ما عاناه في ترتيبها وتعريب مقالات كثيرة لها ووضع فهارسها وما نالت

من المكانة السامية لدى المجامع العلمية الكبرى والمستشرقين حتى بادلتها المجلات الاسيوية الفرنسية والانكليزية والالمانية والنمسية والايطالية والاميركية، واهديت اليها اهم المؤلفات التي ظهرت في العالم الشرقي والغربي فقرظتها وانتقدتها معجبة بها في خدمة الشرق وآدابه وتوثيق الصلات بينهُ وبين الغرب . ولقد ختمها هذا الفقيد بمقالة في «مجلة الشرق في ربع قرن» لخص فيها نشأتها وتطوراتها مما يدل على جهادهِ في خدمتها وثباتهِ في كتابتها وجعلها معرضاً لافكار اكبر الكتاب واعظم المنشئين»

وتكلم صاحب الاثار في المكتبة الشرقية فقال :

«وفي الخزانة الشرقية اكثر من ثلاثة آلاف مخطوط في العربية والسريانية والكلدانية والتركية والفارسية وقليل منها باليونانية والقبطية والحبشية ومعظمها بالعربية وعلومها ولقد حافظ الفقيد عليها اشد المحافظة ولاسيما في اثناء الحرب العامة لما اقفلت باقفال ديرهم الكبير في بيروت فبقي هو مع بعض الآباء ملازمين بيروت واقفين بالمرصاد لكل حركة تتجه اليها مستقصين اخبار من يزورها ويأخذ منها كتباً

وما كنت ازورهُ مرَّة الَّا وهو يختلف من غرفة عمله الى غرف الخزانة يراجع ويطالع ويحقق وينقل بعض ما يحتاج اليه بيده الى غرفته ويعيده كذلك .واذا طلبتُ منه كتاباً لاطالعهُ صعد على السلم بخفةٍ وناولني اياهُ بلمحة طرف، ووضع لهذه الخزانة برامج مرتبة طبع منها اربعة اجزاء

وكان شديد الحافظة غريب الذكر لكل كتاب ومكان ومحتوياته حتى يعين الصفحة منه وجهتها ايضاً لمن يسألهُ . وكان لا يضنّ على من يريد مطالعة شيء منها وذلك من عجيب ما يعرف عن غواة الكتب ومحبيها وجامعيها »

وتطرّق الى وصف اخلاق الاب شيخو وعاداته فقال :

« كان هذا الاب رحمه الله دمث الاخلاق لطيف العشرة بشوش الوجه باسم الثغر مع كثرة انهماكه بالتأليف والمطالعة فلا تراه الَّا بين الكتب المنضدة واضابير الاوراق تحدق به كالتلال وهو يتنقل بينها تنقل المتنزه في الحديقة الغناء طروباً يحلّ ما احتاج اليه من المباحث . واذا خرج من غرفته فقلما تخلو

يده من ورقة او كتاب وهكذا في تخطره بساحة (كلية القديس يوسف) ذهاباً واياباً الى المطبعة . فاحسن استعمال وقته ولم يضيع منه دقيقة

ولم يكن له عادة خاصة بل كان يكتب واقفاً او ماشياً في غرفته او في المطبعة سريع الخاطر وهذا مما يساعد المؤلفين على الاعمال الكثيرة ولاسيما من كان كالفقيد يكتب بسرعة وسهولة واطلاع كافٍ وبدون قيد يوقف مجرى القريحة السيالة مع تمتعه بصحة البصر والجسم

وكانت خطته في تآليفه افرنجية الاسلوب في التحقيق والاسناد والترتيب والتصوير ووضع التعاليق والاستدراكات والفهارس ومعارضة النسخ المختلفة وكان يعتني باصلاح التجربات (البروفات) ويدقق فيها وله انتقادات وتحقيقات في اصول الالفاظ ولاسيما الاعلام وفي المباحث الكثيرة والمؤلفات وآراء سديدة في كثير من الموضوعات

وكان ينام والكتاب بيده ويقوم باكراً وهو رفيقه فبعد اتمامه واجباته الرهبانية ينكبُّ على عمله بكل رغبة ولذة فلا يضيع فرصة يفيد فيها او يستفيد

واهم عاداته كثرة المطالعات والمراجعات والتنقيبات والعمل الدائم بجلد غريب وثبات عجيب مما ساعدته صحته القوية عليه

وعلى الجملة فان الاب شيخو كان جباراً بعمله عاملاً بعلمه مشهوراً بآثاره واخلاقه وآدابه مفيداً مستفيداً واسع الاطلاع قوي الذاكرة سريع البادرة جيد القريحة يكتب كيف شاء واينما كان بدون توثيث ولا تمهل فلا غرو اذا كان « شيخ المؤلفين والعاملين »

رحمه الله رحمة واسعة عداد حسناته واعاض الادب بامثاله العلماء الاعلام المجتهدين الثابتين »

شهادة البروتستانت للمرسلين الفرنسيسكان واليسوعيين

ان مجلة « الشرق والغرب » لسان حال الارسالية البروتستانتية في مصر نشرت حياة القديس فرنسيس كسافاريوس اليسوعي رسول الهند واليابان على التتابع في اعدادها وتكلمت في عدد نيسان (ص ١٢٧ – ١٢٨) من « طريق الملك – طريق الام » الذي لا بد للمسيحي ان

يسلكه وهو طريق الصليب فذكرت الشهداء الذين افتدوا ايامهم بحياتهم وقالت:

واذا تأملنا قليلاً نجد ان يسوع المسيح نفث في روح تلاميذه الاولين ان لا ينتظروا من وراء السير معه الا الاضطهاد والالم والحزن في حياتهم . وصارحهم قائلاً ان العالم سيبغضهم من اجل اسمه . وقد استشهد فعلاً كثيرون من المسيحيين في القرون الثلاثة الاولى التي تلت صلب المسيح

وقد كان الاضطهاد نصيب كثيرين من اتباع المسيح في القرون المتأخرة واستشهد في سبيل نشر دعاية الانجيل آلاف من المرسلين . ولدى بعثات الفرنسيسكان والجزويت سجل حافل باسماء شهدائهم المرسلين

ومات في القرن السابع عشر في بلاد اليابان مئات الالوف من المسيحيين بسبب اعتناقهم الديانة المسيحية . وهنا نورد بياناً موثراً عن الذين ماتوا في جبل الشهيد في نجاسكي (بلاد اليابان) حيث اعدم اثنان وخمسون من الكهنة والعلمانيين والنساء والاولاد جاء فيه : « ظلوا ينشدون ويرنمون حتى خانتهم اصواتهم ومع انهم لم يكونوا موثقي الاغلال وكانت فرصة الهرب سانحة امامهم لم يجرأ واحد منهم على الافلات بل سلم الجميع حياتهم فائزين منتصرين على الموت »

وانا نشكر الله عنايته بتمجيد شهدائه حتى صلبهم نوراً وقدوة للمسيحيين ونسأله ان يكشف عن قلوب اخواننا المنفصلين القناع الذي يحول دون اتفاقهم وايانا بوحدة الايمان

دمعة على الماسونية

وصفت « مجلة المعارف » حالة الشقاء التي آلت اليها الماسونية في سورية ، فقالت (شباط ١٩٢٨) :

اصبحت محافلنا ، مع وفرة عددها ، قليلة المنفعة وصار عدد من يحضر المحافل يقل عاماً عن عام والسبب في ذلك يرجع الى ما يأتي :

١) وفرة عدد المحافل ، وعددها في بيروت فقط ١٤

٢) الفوضى في المحافل فاذا ما بحثوا في أمر ، تحمسوا وصفقوا ، ولا تسفر اجتماعاتهم عن جدوى

٣) ان الذين دخلوا العشيرة « اكثرهم وُجدوا ليكونوا آلات مسيّرة بيد زعماء المحفل . . . انا اعرف اناساً يجادلون ويعترضون في المحفل على كل متكلم وهم لا يفقهون معنى ما يقولون ، يعترضون ويجادلون وسيدهم الرئيس يبسم لهم بينما هو يسكت من ليس من حزبه اذا احتجوا عليهم »

٤) الاعضاء فضلهم مجهول ، فلا احد يكترث لاعمالهم اما الرؤساء فلهم وحدهم الاوسمة وامامهم تُطأطأ الرؤوس

٥) صندوق المال بيد انفار يتصرفون به كيفما يشاؤون

٦) التعصب الديني : فالمسلم والارثوذكسي والدرزي والبروتستاني واليهودي لا ينسون دينهم اذا ما دخلوا المحفل

ولصاحب المقال ملحوظات غيرها فالاخيرة منها وهي الثانية عشرة ، يطالب فيها بالقصاص القانوني للمقصرين في الماسونية

ويختم كلامه قائلاً

« هلاذه محظه [كذا] يقولها رجل هو اخلص ابناء العشيرة لها ، اخ يبذل روحه وماله في سبيل اعلاء منارها ورفع كلمتها وما دفعه الى ذلك غير غيرة تلهبه لرفع منارها »

مسكين ابن الارملة !

الشيوعية في مصر

نشرت التيمس تلغرافاً لمكاتبها في القاهرة قال فيه ان الشيوعية ستبلغ حداً خطراً في مصر في المستقبل القريب ، اذا لم تتخذ التدابير الشديدة لمكافحتها . فان بعض الشبان المصريين ، الذين سافروا سنة ١٩٢٢ على حساب السوفيت ، وتعلموا في كلية موسكو لنشر الدعاية البلشفية في الشرق ، عادوا الى مصر واظهروا انهم ذوو مقدرة ونشاط في نشر الدعاية . ولا يزال غيرهم من الشبان المصريين يتلقون الدروس في موسكو ، ويحتمل ان يستمر سفر المصريين الى موسكو لتلقي الدروس فيها استمراراً مطرداً في السنوات المقبلة . ووجود عنصر شيوعي مهم في فلسطين يقوم بوظيفة ادارة البريد بين القاهرة وموسكو يزيد الصعوبات في وجه ولاة الامور المصريين

وجاء في الجرائد ان البوليس المصري هاجم صباح يوم الاربعاء ٩ ايار عدة منازل في القاهرة وضواحيها يقطنها جماعة من عمال البلاشفة الاجانب ، فضبط وثائق تثبت قيامهم ببث

الدعوة الشيوعية وضبط مطبعة لنشر مطبوعاتهم

وفيما نحن نقرأ هذه الاخبار، اذ وقعنا على مقال في الهلال (ايار) خصته الرميلة القراء بذكر «مكافحة روسية للأمية»، واطراء «مجهود الشيوعيين في تعليم الامة». وقد استقت معلوماتها عن مقال ارملة لنين الزعيم الاحمر الشهير، وقابلت بين «التعليم مدة القيصر» والتعليم على عهد البلشفية وتكلمت في عناية الشيوعيين بالاطفال قبل المدرسة، وفي مكافحتها الامية، وعرضت الموضوع باسلوب يترك في العوام من القراء هذا التأثير: ان البلشفية لشيء مستحسن. فاستغربنا قراءة مثل هذا المقال، بينما رجال الشرطة يتعقبون دعاة البلشفية في مصر فهو يثير ارائه فضلاً عن انه مخالف للحقيقة

وما هي الحقيقة؟ ان البلشفية فتحت ابواب المدارس على مصراعيها للناشئة باجمعها، لكنها لم تسع بتلقين العلوم على اسلوب صحيح يبلغ المراد. قال «فيدوروف» صاحب الكتاب: «روسية تحت حكم الشيوعية» (١ في العام ١٩٢٠، كان في روسيا الوسطى ٨٦ بالمئة يفقهون القراءة والكتابة بين الاولاد المتراوح عمرهم بين ١٢ و ١٦ سنة. وقد تلقنوا علمهم في المدارس «مدة القيصر» وكان ٥٥ بالمئة من الاولاد الذين يتراوح عمرهم بين ٨ و ١٠ سنوات يرتادون العلوم من المدارس الشيوعية

ثم ازداد عدد طلبة المدارس البلشفية لكنهم لم يستفيدوا من اسلوبها بالتعليم قدر ما استفاد التلامذة الذين تلقنوا العلوم خارجاً عنها وقد كان الفوز بالامتحانات حليف المدارس الغير المنتمية الى الاحزاب الشيوعية

واطرأت الرميلة عناية البلشفية بالاطفال لكن زعمها باطل واليك ما روي من الاحصاءات في جريدة (Pravda) البراقدا في ١٦ كانون الثاني ١٩٢٥: بلغ في العام ١٩٢٢ عدد الاولاد المصابين بفقر الدم في موسكو ٢١,٩ بالمئة. اما في العام ١٩٢٤ فقد بلغ عددهم ٣٠٣ بالمئة. وكان ما بينهم ١٣٠٥ بالمئة مصابين باضطرابات بالجهاز الغاي، فبلغ عددهم ٣٦ بالمئة، في العام ١٩٢٤

اما الحياة في العائلة، وسلطة الابوين، وهيبة الاساتذة، وروح النظام، فهذه مبادئ تنتقدها البلشفية مماكسة لمبادئها وتبذل مجهودها في محاربتها كما انها تحاول اطفاء كل حياة دينية في القلوب.

ومن الطريف الطريف ان مجلة «الهلال» صدرت بصورة ملك مصر عدد ما الذي اطرأت فيه اعمال الشيوعية

(1) Feodoroff: La Russie sous le régime communiste. Nouvelle librairie Nationale, 1926.

مطبوعات شرقية جديدة

[Gutberlet (C.) : Das zweite Buch der Machabäer. [*Alttestam. Abhandl.*, *X*, 3-4] ; 219 *pp. gr.* 8°, *Münster*, *Aschendorff*, 1927 : 8 *M*°, 40

بحث في كتاب المكابيين الثاني

هذا المؤلَّف في شرح الكتاب المقدَّس . وهو حلقة من سلسلة كاثوليكية نفيسة ، بدأ بها المأسوف عليه الاستاذ ج. نيكل (Nikel) ويديرها اليوم الاستاذ ا. شولتز (Schulz) من برسلاو ، واسم هذه السلسلة «مفكرات في العهد العتيق » (Alttestamentliche Abhandlungen) وهي واسعة الانتشار. ونحن اليوم نسرّ بان نقدّم للقرّاء هذا البحث في كتاب المكابيين الثاني ، وهو تابع ما كتبه المؤلف سابقاً ، في السلسلة نفسها ، عن كتاب المكابيين الاوّل. واذا عرفنا ان مؤلف الكتاب ، الدكتور غوتبرلت ، وهو من اساقفة البلاط البابوي ، دخل في سنّ التسعين في شهر كانون الثاني من السنة الحالية ، عجبنا كيف امكنه الوقوف على طبع كتاب كبير كهذا نرى فيه جميع الصفات التي انالت قسمه الاول ذاك النجاح الباهر.

يتسع المؤلف ، في المقدّمة ، في ما يحتويه كتاب المكابيين الثاني ، وما يرمي اليه ؛ وفي ثقته التاريخية ، واللغة التي كُتب فيها اوّلاً ، ومؤلفه ، وتاريخ تأليفه . ثم ينتقل الى نشر النص اليوناني ، مردفاً اياه بترجمته الالمانية ، معلقاً عليه الشروح العديدة ، وفيها مقابلات لا غنى عنها مع نصّ النسخة العامية اللاتينية (Vulgate) وغير ذلك من النسخ . وهو يتوقف عند المعنى الدقيق للكلمات والتعابير اليونانيّة ، وينقد حجج من رأوا وجوهاً للتضادّ بين كتابي المكابيين ، فاسباباً للشك في صحة نسبة الثاني وتاريخيته . وليس لنا في اللغة العربيّة شرح للكتاب المقدَّس من هذا النوع في متانته ، ووضوحه ، وترتيبه ورزانته . فهو من هذا القبيل مثال يُقتدى به في افادة القرّاء الدارسين ، ولاسيا الاكليريكيين والكهنة.

س. ر.

Wiedemann (A.): Das alte Aegypten (*Kulturgesch. Biblioth. herausg. von W. Foy. 1 Reihe, Ethnol. Bibl. 2*), *mit 78 Text- und 26 Tafel-Abbild.; XV-446 pp. in-12; Heidelberg, C. Winter*, 1920

مصر القديمة

لم نقدر ان نتحدّث الى قرّائنا قبل اليوم ، عن هذا الكتاب المؤلف سنة ١٩٢٠ ، ولكن الكلام عن الكتب الحسنة يكون دائماً مقبولاً . ان مكتبة هيدلبرغ الشهيرة السيد كارل وِنتر ، كلّفت الاستاذ و. فُوي نشر مجموعة تبحث في المدنيات . والكتاب الذي نتكلم عنه اليوم هو الثاني من قسم الابحاث في السُلالات البشرية (ethnographie) من تلك المجموعة التي تنال دروسها كل الشرق القديم . وسنتكلّم قريباً عن كتاب آخر في مدنيات ما بين النهرين القديمة (شُومر ، وبابل) ومدنيات اشور . اما الكتاب الحاضر فهو من قلم احد كبار علماء المصريّات الذي تفتخر به المانيا المصرية ، وهو من اقدم المهتمين بالعلوم المصريّة عامّةً . وهذا يكفي للاشارة الى ان في الكتاب ما يُرجى من صفات التدقيق والمتانة . وفضلاً عن ذلك فان المؤلف، الاستاذ ويدمان ، لا ينتمي لحزبٍ من الاحزاب ، فهو بعيد عن المدرسة الانكليزية لدرس العاديّات المصرية ، وبعيد عن المدرسة الفرنساوية ، ولعلّه ابعد عن المدرسة البرلينية ، وهو مستقلّ لا يسكن الّا الى الشيء الوضعي والقول المعقول . وعليه فيمكن لكل انسان ، اذا ما تبعه ، ان يثق انه على الطريق المستقيم . والكتاب ، وان لم يكن مكتوباً للاختصاصيين الذين يرون فيه على كل حال فوائد جمة ، فهو يتطلّب قارئاً دارساً فوق المعتاد . لانهُ يعتبر ، عند المطالع ، عادة الدرس العلمي في محيط التاريخ ، والاثريات ، ودرس السُلالات . وبناء على ذلك يبتدئ المؤلف بمقدّمة قصيرة وشاملة يذكر فيها مآخذ الكتب العلمية ، القديمة والحديثة ، لكل موضوع بمفرده . وهذه المواضيع المرتّبة ترتيباً حسناً ، تبدأ بلمحة عامة على البلاد ، والنيل ، والسكان ثم تذكر العصور السابقة للتاريخ ، وتكوين الشعب المصري ؛ ثم الحكومة ، والملك ، والهيئة الاجتماعية ، والحياة اليومية ، والموت ، واللباس ، والسكن ، والحروب ، وصيد الوحوش والطيور والاسماك ، فالتجارة والزراعة ، والغذاء ،

والصناعة . واخيراً الديانة والفنون والآداب : كالخط واللغة والعلوم المختلفة . والكتاب مزيّن باكثر من مائة رسم في لوحات منفردة ، او وسط النصّ . فنحن نقدّم للطابع وللمؤلف العالم الخاص تهانينا . س.ر.

Ter Haar, C. SS. R.: De Occasionariis et Recidivis juxta doctrinam S. Alphonsi aliorumque probatorum auctorum; *Marietti* 1927 *XVI*, 448 *pp. Prix* 30 *Lires*

اسباب الخطيئة وتعوّد السقوط فيها

قد يجد الكاهن في كرسي الاعتراف نفوساً بعضها لا يكاد يستطيع اتقاء حبائل الشيطان اما لضعف الارادة واما لتسلط الظروف . وبعضها ، وهم كثيرون ، يسقطون بخطيئة مراراً فيتعوّدونها ويُمسون اسرى قيودها . كيف يعالجهم الكاهن ؟ هل يمكنه حلّهم كلما تقدموا الى الاعتراف وهو يتوقع عودتهم الى سالف خطاياهم ؟ وكيف يرشدهم ؟ والى اي طريقة يهديهم ؟ هذه سؤالات خطيرة كثيراً ما تلقي الكاهن في لجة الوجل والريبة، وقد اسهب اللاهوتيون بالجواب عليها في فصل التوبة من اللاهوت الادبي . وخصها بيرارد بمؤلف كامل دعاه (De Recidivis et Occasionariis) على ان حضرة الاب « تيرهار » قد عاد الى الموضوع وعالجه وتبحر فيه والم به من وجوهه كافة ، فبسط تعليم القديس الفونس دي ليكوري وامعن النظر فيه وشرحه شرحاً وافياً وبرهن عليه بادلة قوية وطبقه على احتياجات الزمان الحاضر ، واشفعه باقوال اللاهوتيين على تنوع مذاهبهم، ومنهم كثيرون يوافقون على آراء القديس الفونس وانما المسائل انما نحن بحاجة دائمة الى حلها . وقد توسع المؤلف بوصفها وتبسط في شرحها وتعمق في كشف غوامضها فاحتوت من ثم وسائل عديدة يمكن المعرّف استخدامها في معالجة دائنا العصري وهو تواتر السقوط في الخطيئة من جراء كثرة الظروف وضعف الارادة . وقد يؤاخذ الكتاب بشيء من الشدة والعسف ومن الممكن تفسير المؤلفين الاقدمين على خلاف ما فسرهم . على انه ينبه الكهنة المعرّفين الى الفطنة في تطبيق المبادي فيقيهم خطر التطرف في الحكم ويرشدهم الى اصابة المرمى ي.م.

L'Islam et les missions Catholiques. *Conférences données à l'Institut catholique de Paris*, 1926-1927. *in*-12 *de* 329 *pp.* 1627. *Paris, Bloud et Gay.*

الإسلام والإرساليات الكاثوليكية

يحتلّ الإسلام مركزاً مهماً في التاريخ والجغرافية . وفي امكنة عديدة نرى اوربا عامة ، والارساليات الكاثوليكية خاصّة، واقفة تجاه هذا الاحتلال . فما هي الطريقة التي يجب ان يُسار عليها في هذا الامر ؟ هذا ما ردّده كثير من رجال الارساليات وارباب الاعمال على انفسهم فاجتمعوا وتبادلوا نظراتهم المختلفة . ويرى المطالع في هذا الكتاب عشر محاضرات بعضها في مواضيع الاسلام العامّة وبعضها في البلاد خاصّة كالعجم ، والهند ، والسنغال ، والنيجير ج . ل .

Emile Henriot : L'art de former une bibliothèque. *in*-12 *de* 166 *pp.* 1928. *Paris, Delagrave*

كيف تؤلف مكتبة !

كتاب صغير لم ينتبه فيه صاحبه الّا الى سهولة المطالعة ، فسرد اسماء كتب عديدة منذ القرن السادس عشر الى ايامنا ، وقسمها الى طبقات : كالروايات ، والشعر ، والتاريخ ... ثم قسم كل طبقة الى ابواب (A, B, C...) ولكنه نسي ان يذكر كتب الدين ، وان يشير الى قيمة الكتب التي يوردها ، فاتت مختلطة تمام الاختلاط . ج . ل .

G. Legaret : Histoire du développemont du commerce depuis la chute de l'empire romain jusqu'à nos jours. *in*-12° *de* 480 *pp.* 1927. *Paris, Libr. Paul Belin*

تاريخ ترقّي التجارة منذ سقوط الامبراطورية الرومانية الى ايامنا

كتاب مفيد ، ليس فقط للتلامذة والطلّاب ، بل ايضاً لاهل العالم الذين يجهلون كثيراً من المعارف فيما يختصّ بهذه المواضيع . وقد قُسم الكتاب الى اربعة فصول : القرون الوسطى ، الطور العصري ، الحقبة من ١٨١٥—١٨٧٥ ، ثم من ١٨٧٥ الى ايامنا . وفي كل فصل يعرض الكاتب الميزات العامة ، ويُنهي بذكر المآخذ ... ج . ل

Arcangelo Ghisleri : La Libia nella storia e nei viaggiatori *vol. in-12 illustré de plusieurs cartes hors texte, Milano, G.B.Paravia et Cie* 1928.L. 17,50

ليبية في التاريخ وفي نظر الرحالة

ليبية هي البلد من افريقية الشمالية الذي كان يُدعى حتى اليوم برقة وطرابلس الغرب . اراد الايطاليون احياء الاسم القديم فسموه « ليبية » بطريقة رسمية . وعليه كان من اللازم ان يُذكر ما قاله التاريخ وخصوصاً الرحالة عن هذا البلد . فظهر هذا الكتاب النافع لانه جمع النصوص المتفرقة . فبدأ مؤلفه بذكر آراء اليونان (هوميروس وهيرودوت) والرومان ، والبيزنطيين ، من جغرافيين وشعراء . وهذا العصر خاصة غنيّ بالافادات ، وهو العصر الذي ترك الآثار العديدة لعلم العاديات . ولكنه لم ينقض حتى دخلت ليبية في ظلام دامس . بيدَ ان نورمان صقلية ، وجمهوريات ايطالية ، وبعض المسافرين اجتهدوا في اقامة بعض العلاقات التجارية والعلمية مع تلك الارض التي كان عليهم ان يكتشفوها من جديد ، ولكن تجرباتهم هذه لم تدم زمناً طويلاً . اما اليوم فان ليبية تستيقظ لتسترجع مركزها بين البلاد المكتنفة البحر المتوسط ، فتُنيل مياهها وشواطئها حركةً جديدة ج . ل

A. Vigourel S.S. :Liturgies et spiritualités:origines apostoliques. *in-8e de 275 pp.* 1927. *Paris, de Gigord*

ليتورجيات وروحانيات : اصولها الرسولية

قضى مؤلف هذا الكتاب سنين عديدة معلماً في المدارس الاكليريكية الكبرى ، فاراد ان يبيّن ترقي الليتورجيات ، وتأثيرها في الروحانيات ، جامعاً موادّ بحثه من العناصر الاولية لذبيحة القداس ، وتقديس التقدمات ، والصلاة الربية . وقد قسم كتابه الى ثلاثة اقسام درس فيها : التقليد الشفهي ، والتقليد المكتوب ، والتقليد المطبّق في الحياة العملية . جال في كل ذلك بحرارة وتقوى ظاهرتين ج . ل

G. Grosjean: Le sentiment national dans la guerre de cent ans. *vol in-12 de 232 pp.* 1928. *Paris, Editions Bossard*

عاطفة الوطنية في حرب المئة السنة

طالما أثّرت في تاريخ الوطنية الفرنساوية مذاهب فاسدة وسيئة القصد . وحتى

الان لا تزال نرى في كتب التلامذة ذاك المزعم الفاسد ان الوطنية في فرنسة لم تولد قبل عيد الاتحاد ، اي قبل ١٤ تموز ١٧٩٠ . مزعم فاسد ، كما قلنا ، لانه لا يحتمل البحث ، فايّ عصر درسناه من تاريخ فرنسة نراه مناكساً لهذا الزعم . وقد اظهر المؤرخون ذلك فيما يخصّ عصر كلوفيس وشارلمان . وهـذا كتاب يدرس الامر نفسه في عصر مضطرب غامض ، عصر حرب المئة السنة العظيمة بين فرنسة وانكلترة، حيث كادت تهوي فرنسة لولا تدخل جانّ دارك ، وحيث احتمل العامّة والفلّاحون عذابات وآلاماً لا توصف، ليس خدمةً للمصالح الخاصة بالاسر المالكة بل كي يمنعوا العدوّ من اخذ قطعة صغيرة من ارض فرنسة . ولقد كان الفضل في استمال كل هذه القوى الشعبية لجانّ دارك التي ارسلتها العناية الالهية آية للنصر اجابةً للصلاة الوضيعة السرية التي كان يُصعدها ملك يورج المسكين . وعلى الجملة فان هذا الكتاب يؤلف فصلًا من ذاك السفر الجليل الذي لم يكتب بعد عن تاريخ العاطفة الوطنية في فرنسة ج.ل

اثار الزعيم سعد زغلول — عهد وزارة الشعب

مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة

١٣٤٦ هـ - ١٩٢٧ م

ما من كاتب اجدر بجمع آثار سعد زغلول من السيد محمد ابراهيم الجزيري « سكرتير سعد زغلول الخاص في رئاسته للوفد المصري ولمجلس النواب » فجمع آثار « الرئيس الجليل » خطباً ووثائق ومذكرات سياسية وادارية واجتماعية . وقد اخذ ينشرها اجزاء متتابعة من غير ان يلتزم فيها الترتيب الزمني بل « بدأ بالاهم فالمهم . »

على ان مطالعة الجزء الاول من هذه المجموعة تبين ان الوثائق مضمومة فيه طبقاً لزمان ظهورها . وهي ليست بتاريخ بل فيها ما يساعد على كتابة تاريخ حياة زغلول باشا وحوادث مصر في العام ١٩٢١ . وان لفي اقوال واعمال الزعيم المصري وموقفه السياسي، عبراً ومرامي مفيدة . فانه لم يكن رجل الثورة والانقلاب ورسول الحرية بلا قيد . واليك ما قاله في البارلمان في حرية الاجتماعات والمظاهرات

(وجه ٢٨٥) « حسن ان نكون احراراً ، ولكن هناك بلاداً سبقتنا في الحرية وهي مع ذلك قد اضطرت الى اخذ احتياطات حتى لا يساء استعمال الحرية ، وجدير بنا ان نقتدي بتلك البلاد الحرة ونتخذ الحيطة لما عساه ان يقع من الحوادث المكدرة » . وقال للازهريين (وجه ٣٧٧) لما اضربوا احتجاجاً على سياسة الحكومة : « حركة الاضراب ليست في مصلحة القائمين بها ولا هي من مقتضيات العطف على مطالب الازهريين . . . فاحتفظوا بمصلحتكم بقدر احتفاظي بها ولا تطلبوا علاج الامور من ناحية غير مشروعة »

وخطب في مجتمع للسيدات فقال : « انني اعبر لكنّ عن سروري برؤيتكن راغبات في المعاونة في العمل الاجتماعي والفكري المفروض على الجميع »

وترجم المؤلف أسرة الرئيس عرضاً في خلال الكتاب ويا ليته صدر بها الكتاب واتخذ من ثم فرصة للالمام بحياة زغلول الماماً وجيزاً شاملاً

ف . ت

العقل الباطن او مكنونات النفس

تأليف سلامه موسى

عنيت بنشره ادارة الهلال بمصر ١٩٢٨

لولا ان مجلة الهلال رغبت الينا في التنويه بهذا الكتاب لاهملناه ، وهو دون ما كان يرجى من الزميلة ، هدية الى مشتركيها لائقة بكرامتهم . عالج فيه مؤلفه النفسولوجية اعني البسيكولوجية فخاض غمارها ، ولم يكن من رجالها ، فاكتفى بتعريب تعاليم الدكتور فرود الشهوانية ، وهي مزاعم احدثت ضجة عند ظهورها ثم أسدل عليها ستر النسيان ورغب عنها المفكرون من اي ملة او مذهب كانوا . ه . ل

تاريخ الموصل

لمؤلفه القس سليمان صائغ

الجزء الثاني ، طبع في المطبعة الكاثوليكية ببيروت سنة ١٩٢٨ (ص ٢٩١ قطع ثمن)

وصف المشرق (نيسان ١٩٢٤) الجزء الاول من هذا الكتاب وها هوذا الجزء الثاني . يدور فيه البحث على الحركة الادبية في الموصل مع ذكر نوابغها

قال المؤلف في مقدمة الكتاب :

وجرينا في تبويبه على نسق الجزء الاول معتبرين عصور الدول التي حكمت الموصل فعُنينا في جمع شتات المؤلفين والادباء الموصليين من بين صحف الكتب الضخمة وجعلناهم من اهل العصر الذي فيه قضوا نحبهم واسهبنا خاصة في احياء ذكر المؤلفين والادباء الذين نبغوا في العصر التركي . . . ونشرنا شيئاً من آثارهم على قدر الاستطاعة

في الكتاب نظرات عامة في تاريخ الآداب واستطرادات في ذكر اسماء من ليس لهم علاقة بالموصل الا لكونهم نطقوا بالضاد ونالوا شهرةً في تاريخ اللغة مثل امرىء القيس ، وابن المقفع ، وابن رشد ، وغيرهم

وفصل المؤلف العلماء الآراميين عن غيرهم وخصهم بالذكر على حدة في كل عصر من العصور وبينهم المسيحي والمسلم وتآليفهم عربية محضة . فلمَ ذلك الاختصاص ؟ وقد يكون موقع الجداول النسبية لبني حمدان وبني عقيل وبني اتابك آثر له في الجزء الاول منه في الجزء الثاني . على ان تلك هنات يضرب القارئ صفحاً عنها اذا ما درس الكتاب وهو حافل بتعليقات وفوائد لا تحصى تشهد لصاحبها بطول الباع في التنقيب والمطالعة والتحرير ف . ت

هدايا أرسلت الى المشرق

— جلل المحبة الخالد القديس منصور دي بول — تأليف الاب يوسف علوان اللازري المطبعة الكاثوليكية بيروت ١٩٢٧

— حياة القديس يوحنا الرحوم بطريرك الاسكندرية (٥٥٢ — ٦١٦) — للارشمندريت ارسانيوس عطية مطبعة القديس برلس في حريصا لبنان

كتيبان لطيفان يدعوان الى اقتداء امثال القديسين البطريركيين بحبتهما للقريب فما احلاهما جائزتين في ايدي تلامذة المدارس.

— كلمات جبران خليل جبران — جمعها من مؤلفاته المختلفة الارشمندريت انطونيوس بشير ، عني بنشرها الشيخ يوسف توما البستاني صاحب مكتبة العرب بالفجالة بمصر

ان قدس الارشمندريت لهو رجل الله ومزين بسمة الكهنوت المقدس وبمواهب العلم البشري ، فيا ليته يستخدم معارفه البشرية في خدمة النفوس المتعطشة الى قراءة الكتب الروحية فيجمع ويرتب لها اخبار القديسين واقوالهم ، فلا ينكر عليه احد اعماله لكلمات جبران خليل جبران « ورمله وزبده »

— الدير في تربية دود الحرير — بقلم الاب الياس بكيفا مطبعة الاجتهاد بيروت ، ثمن النسخة ٢٥ غرش سوري

شذرات

يوبيل الاستاذ جبر ضومط

مساء السبت الواقع فيه الثامن والعشرون من شهر نيسان الفائت ، احتفل في الجامعة الاميركية بيوبيل الاستاذ جبر ضومط الذي قضى خمسين سنة يخدم اللغة العربية بالتدريس والتأليف . وقد حفّ به جمع غفير تقدّمه رئيس الجمهورية ، ورئيس الوزراء ، ورئيس المجلس النيابي ، وبعض كبار الموظفين. فُتحت الحفلة بالنشيد اللبناني ، ثم تعاقب الخطباء فابانوا مناقب الاستاذ وفضله مهذباً ، ومؤلفاً ، ومجاناً. وفي اثناء ذلك قلّده رئيس الجمهوريّة وسام الاستحقاق اللبناني. وختم الحفلة نجل صاحب اليوبيل اميل افندي فالقى كلمة الشكر. وقد طبع حضرة جورج افندي باز سيرة المحتفل بتكريمه في كرّاس على حدة اهدى الينا منهُ نسخة . فنشكر لهُ هديتهُ كما انّنا نقدّم تهانئنا القلبية للاستاذ الكريم داعين ان يكثر الله من العلماء امثاله في بلادنا.

كنز اليسوعيين

لم يكن ليخطر على بالنا ان مجلة المقتطف تلقي كلامها جزافاً لتعبث بقرائها ، فانها روت في عدد نيسان ١٩٢٨ في باب الاخبار العلمية [كذا] حكاية تناقلتها الجرائد ، وهي احرى بان تدخل في باب الروايات منها في باب العلميات . وقد جرت في بلاد بوليفية اي في اميريكا بلاد العجائب والغرائب ، قالت : « ان اليسوعيين في العام ١٧٧٨ دفنوا في بوليفية كنزاً تقدر قيمته بزهاء اثني عشر مليون جنيهة وان بعضهم ألّف شركات لاكتشاف ذلك الكنز وقد اخذت تلك الشركات تهتدي الى ضالتها المنشودة.» فمن اراد زيادة تعليمات عن هذا الحادث الخطير فليراجع زميلتنا في القطر المصري م.ل

سؤالان وجوابان

سألنا من حلب احد افاضل الكهنة :

١ً هل كان زواج الامبراطور نابوليون الاول مخالفاً للقانون ؟ وان كان ذلك فما بال البابا لم يحتج عليه ؟

الجواب : نعم قد كان الزواج مع الارشيدوكة ماريا لويسا مخالفاً للقانون وقد احتجّ عليه البابا . لكنه كان اسيراً في قبضة الامبراطور ، فضُرب صفحاً عن احتجاجه . ومن اراد الالمام بهذا المشكل فليطالع كتاب فلشنجه : « طلاق نابوليون » Welschinger: Le divorce de Napoléon. Paris, Plon 1889

م . ل

٢ً ان الرباط عن الالهيات (suspensio a divinis) انما هو قصاص ثقيل على الخطأ الثقيل . فهل يستطيع الكاهن المربوط عن الالهيات ان يتقرب ويتناول جسد الرب قبل ان يتوب ويفكّ سبب « الرباط »

الجواب : ان التأديبات نوعان بعضها يمنع عن التقرب من الاسرار ، كالحرم مثلاً ، وبعضها لا يمنع عنه كالرباط عن الالهيات .

فمن ناله الحرم لا يستطيع ان يُحل من خطاياه قبل ان يُفكّ من الحرم بحلة خاصة .

اما المربوط عن الالهيات فان اعترف وتاب واستعد للتكفير عن ذنبه ، ولمراضاة رئيسه وقصارى الكلام اذا « تحسنت حالته » فيمكنه ان ينال الحلّة على خطاياه من معلم الاعتراف الاعتيادي . ومن ثمّ يستطيع ان يتقرب من مناولة القربان المقدس وان يكن مرسوماً بسمة الرباط عن الالهيات .

ومن البديهي ان امر الحكم « بتحسّن حالة » الانسان التائب ، وبامر تكفيره ، والظروف التي يجب ان يتمّ فيها ، انما هو منوط بالكاهن الذي يعرّفه .

ي . م

اهمّ حوادث الشرق في شهر

١٥ نيسان — ١٥ ايار

للاب لويس معلوف اليسوعي

١٥ كُشفت بئر غزيرة الزيت في شرقي الاهواز من اعمال ايران يبلغ ما تخرجه من الزيت في اليوم الواحد ٢٠٠٫٠٠٠ غالون — امضت حكومة افغانستان وحكومة السوفيات الروسية اتفاقاً على تسيير الطيارات بين كابُل وتشقند

١٦ : اعلنت اللجنة المؤلفة في الاستانة لمكافحة داء السل في نشرة رسمية لها ان معدل الوفيات بهذا الداء في الاستانة يزيد على عشرة آلاف في السنة وان معدل السكان المصابين به خمسة او اكثر في المائة

١٧ : اشتد المرض على البطريرك المسكوني باسيليوس ودبّ الخلاف بين المطارنة على مسألة خلفه ووقعت منازعات يؤسف لها بين الذين يطمحون الى الكرسي البطريركي — وصلت اختا ملك الافغان الى بومباي مسافرتين ولابستين احدث الازياء الباريسية ، فاستنتج القوم من ذلك ابطال تحجب النساء في بلاد الافغان قريباً

١٨ : أُلقي القبض في الاستانة على ربان باخرة بريطانية بدعوى انه ضُبط وهو يهرب ذهباً

١٩ : تقام في شرقي الاردن عدة تظاهرات ضد المعاهدة التي عقدت بين انكلترة وحكومة تلك البلاد

٢٠ : ترتفع اسعار الطحين كثيراً في سورية ولبنان بسبب الجراد وانقطاع المطر

٢١ : باشر الملتزمون تعمير منازل راشيا المهدمة

٢٢ : دخل مبشر بروتستنتي الجامع الازهر في القاهرة ووزع على الطلبة رسائل تطعن في النبي والدين الاسلامي ، فهاج الطلبة عليه وعلى من كان معه من الساعين الاجانب ورأى ولاة الامور ابعاده من مصر

٢٣ : اقام المسلمون تظاهرات شتى في مدن فلسطين احتجاجاً على المؤتمر التبشيري البروتستنتي تحولت في آخر الامر الى تظاهرات ضد المسيحيين اجمالاً

٢٤ : ظهر الجراد على الحدود اللبنانية — حدث زلزال شديد في قورنثية دمر نحو ٢٠٠٠ منزل وقتل فيه زهاء الخمسين شخصاً وأصبح نحو ١٩٫٠٠٠ من السكان بلا مأوى — عين اللورد بلومر المفوض السامي البريطاني في فلسطين مفوضاً سامياً في شرقي الاردن — هجم الجراد بكثرة على صعيد مصر

٢٥ : انتخب الخوري الاسقفي يوحنا الحاج مطراناً على ابرشية دمشق خلفاً للمثلث الرحمات المطران بشارة الشهالي

٢٦ : انتهت الانتخابات النيابية في دولة سورية – عثر مسيو دونان في جبيل على عدد كبير من التحف الاثرية القيّمة يرتقي عهدها الى ٢٥٠٠ او ٣٠٠٠ سنة قبل المسيح وهي محفوظة بحالة حسنة

٢٧ : بعث الدمشقيون الى وزير الخارجية الفرنسية والمفوض السامي ببرقيات يشكرون لهما فيها اطلاق رجال السلطة لهم حرية الانتخابات تامةً – رجع الشاه الى طهران بعد ما اعاد السكينة الى نصابها في لورستان واخضع القبائل التي تمردت

٢٨ : كانت الحكومة الانكليزية في قبرس تريد ان تقيم عدة احتفالات بعرض اليوبيل الخمسيني لتسلط الانكليز على تلك الجزيرة فعدلت منها لان الاروام رفضوا الاشتراك فيها

٢٩ : ابلغت الحكومة البريطانية الى الحكومة المصرية مذكرة انذار تحتجُّ فيه على مشروع قانون الاجتماعات والتظاهرات وفيه تطلب : ١ً ان تسحب الحكومة المصرية ذلك المشروع من البرلمان . ٢ً ان تتعهد بان لا يصدر هذا القانون فيما بعد

٣٠ : قدم عمر بك بيهم نائب بيروت الى المجلس النيابي اقتراحاً بان ترد قضايا الاوقاف التي لها علاقة بالمسلمين الى المحاكم الشرعية وكان الاتراك قد شاؤوا ان تنظر فيها المحاكم المدنية

ايار

١ : اجابت الحكومة المصرية على انذار انكلترة ان مجلس الشيوخ قرّر ان لا يستمر على النظر في مشروع قانون الاجتماعات والتظاهرات وذلك بناء على طلب حكومة الملك فؤاد . فاخذت الحكومة الانكليزية علماً بذلك معتبرةً ان الحكومة المصرية ستعنى بتجنب كل ما يعيد الخلاف الذي افضى الى تلك الازمة ، ومعلنةً انه اذا اعيد هذا المشروع او اذا قدمت مشروعات اخرى تتضمن مظاهر تراها الحكومة البريطانية خطرة تضطر الى التدخل ثانية لمنعها ان تصير قوانين

٢ : برح ملك الافغان وعقيلته عاصمة بولونية الى موسكو

٣ : حدث زلزال شديد في كرتاهية فقتل عدة اشخاص وكانت الخسارة المادية كبيرة

٤ : وصل الى فلسطين مسيو مفروماتي الذي باع من شركة انكليزية امتيازه في انارة مدينة القدس ومد خطوط للترامواي الكهربائي فيها – اجمعت الصحف المصرية على تخطئة الوزارة بانتهاء الازمة واثنت على ما ابدته الحكومة البريطانية من التساهل وروح الولاء – ظهر الجراد في جزيرة قبرس – نشرت مجلة «اعمال الكرسي الرسولي» قراراً من مجمع شؤون الكنيسة الشرقية بيد صاحب الغبطة السيد بولس بطرس ترزيان الثالث عشر بطريرك الارمن الى مسلّ التمتع بحقوق وظيفته وسلطته

٥ : اقام «الاتحاد المصري» النسائي حفلة عظيمة لذكرى مرور عشرين عاماً على وفاة قاسم امين اول داعٍ الى سفور المرأة المصرية

٦ : جرى الاحتفال في رومية بافتتاح مجمع الطائفة الارمنية – تقدم بعض الماليين

والمهندسين الى الحكومة التركية بمشروع جسر كبير فوق البوسفور يصل بين الشاطئين الاوربي والاسيوي

٧ : اصرت محكمة الاستئناف في حلب على حكمها في قضية ارث غزالة الذي كانت محكمة التمييز قد نقضته فأيدت حكمها الاول وقضت بموجب الشريعة اليزنطية التي تخول ابناء الاخت حق الوراثة مثل ابناء الاخ – طلبت حكومة اليونان الى موسوليني التوسط في انقرة لتصفية المسائل المختلف عليها بين تركية واليونان لاجل التمكن بعد ذلك من توقيع ميثاق بين الدول الثلاث

٨ : قبضت الحكومة المصرية على ٢١ شيوعياً وهي تبذل مجهوداً عظيماً في مكافحة الشيوعية

٩ : نُشرت تفاصيل رسمية بشأن المرفأ الذي قررت حكومة فلسطين بناءه في حيفا

١٠ : اقيمت الاحتفالات في عدة مدن في بلاد العجم ابتهاجاً بالغاء الامتيازات الاجنبية

١١ : عقدت الحكومة التركية مع شركة سويدية اتفاقاً تمد الشركة بموجبه خطوطاً تلفونية بين انقرة واهم المدن التركية

١٢ : بعد ان الغت حكومة العجم الامتيازات الاجنبية عقدت مع انكلترة وفرنسة معاهدات تجارية اقتصادية تتعلق خاصة بالتعريفة الجمركية – افتتح في كولونية معرض الصحافة الدولي وقد اوفد ارباب الصحف المصرية من يمثلهم فيه

١٣ : كانت جريدة «الوطن» البيروتية قد نشرت كلام طعن بحق صاحب النيافة السيد القاصد الرسولي فبعث صاحب الغبطة بطريرك الطائفة المارونية الى ممثل الحبر الاعظم برسالة يشجب فيها كاتب ذلك المقال وموحيه ويعرب للسيد القاصد عن عواطف شكره واكرامه ويثني على دراية وحكمته

١٤ : حدثت قلاقل جديدة في اليمن – عقد مندوبو الغرف التجارية في لبنان وسورية عدة اجتماعات للاحتجاج على فداحة الرسوم الجمركية والنظر في كيفية تخفيفها – غرقت في الخليج الفارسي سفينة كانت تقل فريقاً من الحجاج فهلك ٧٠ شخصاً من ركابها

١٥ : اهدى ملك ايطالية ، بناء على طلب البرنس امبرتو ولي عهده بعد زيارته الاراضي المقدسة الوشاح الاكبر من وسام تاج ايطالية الى صاحب الغبطة السيد برلاسينا البطريرك اللاتيني في القدس الشريف – حصلت في مركز بني مزار (مصر) عدة اصابات بالطاعون الدملي وقد توفي ثلاثة من المصابين – رفع رؤساء الرهبانيات المارونية العامون الى مقام السيد القاصد الرسولي عريضة احتجاج على ما كتبته جريدة الوطن ضد الزيارة الرسولية – قررت الحكومة اللبنانية اعتبار رأس السنة الهجرية عيداً رسمياً تقفل فيه دوائر الحكومة – وصل ملك الافغان وعقيلته الى سيباستوبول

المشرق

نسب السيد المسيح

لا تناقض في الاناجيل

بقلم الاب انطون صالحاني اليسوعي

بين الامور التي يظهر فيها اختلاف في الاناجيل قد اشتهرت خاصةً مسألة الاختلاف في نسب السيد المسيح بين متى (١ : ١—١٧) ولوقا (٣ : ٢٣ - ٣٨). وقد انتبه لهذه المسألة العلماء من قديم الزمان كيوليوس الافريقي والقديس اوغسطينوس ويعقوب الرهاوي والقديس يوحنا الدمشقي وديونيسيوس برصليبي وغيرهم . فبيّنوا انه لا يوجد بين الانجيليين تناقض وإن وُجد اختلاف ظاهر، او نقص في بعض حلقات النسب

فباطلًا اذًا يطنطن في ايامنا العقليّون الذين ينفون الوحي الالهي وينادون بغلط الاناجيل مثل ستروس الالماني ، وريتان الملحد الفرنسي الذي يقتفي آثار الالمان كعبدٍ مأجور، فينتحل آراءهم ويعرضها في إنشاء ممزوج بالتردد والريب، فيلبس الحقيقة ويُلقي الشكّ في العقول الضعيفة . فهو كالبزاقة تلوّث ببزاقها كل نبتة نضرة وكل زهرة عطرة .

عناية اليهود بحفظ الانساب

كانت لليهود عناية عظيمة بحفظ أنساب عيالهم وصيانتها، لانها كانت تُثبت حقوق العيال في امتلاك الاراضي كما قسّمها موسى ويشوع بن نون (١ بين الاسباط وبين العيال في الاسباط . لانه في سنة اليوبيل اي بعد مرور خمسين

(١) سفر العدد ف: ٣٢؛ وسفر يشوع بن نون ف: ١٣—٢٢

سنة كان يرجع الحقل الى البائع ويرجع كلٌّ الى ملكه كما ذكر ذلك سفر الاحبار (٢٥ : ١٣ و ٢٧ : ٢٤) . فكان من اللازم لكل عائلة ان تُثبت نسبها وملكها . وقد بيّن لنا عناية اليهود بحفظ الانساب الكتابُ المقدس ، فان الانساب ترد فيه متسلسلة في عدة مواضع . وكلٌّ يعلم ان الفصل الخامس من سفر التكوين مخصَّص للانساب « هذا كتاب مواليد آدم » . وكذلك الفصل العاشر منه ، وجزء من الخامس عشر ، والخامس والعشرين ، والسادس والثلاثين ، والسادس والاربعين . والفصول الاربعة الاولى من سفر العدد ، والسادس والعشرون منه ، والفصول التسعة الأولى من سفر اخبار الايام الاوّل . وغيرها من اسفار كتاب الله . كما ورد في سفر استير (١١ : ٢) : « مردكاي بن يائير بن شمعي بن قيس من سبط بنيامين » وهذا ليس خاصًّا بأنساب الرجال بل قد يأتي ايضاً الكتاب المقدس بنسب النساء كما ورد في سفر يهوديت (٨ : ١) : « يهوديت الارملة وهي بنت مراري بن ايدوس بن يوسف بن عزّيا ... الخ » فيسلسل الكتاب نسبها بخمس عشرة حلقة . وفي انجيل لوقا (١ : ٥) : « وامرأته من بنات هرون اسمها اليصابات »

وهذه العناية بحفظ الأنساب عند اليهود لم تبطل عندما خربت اورشليم وأُجلي الشعب الى بابل بل دامت في مدّة الجلاء وبعد عودة اليهود الى اوطانهم . نعلم ذلك من سفر نحميا (٧ : ٥) حيث يقول : « فنقى إلهي في قلبي ان اجمع العظماء والولاة والشعب للانتساب فوجدتُ سفر نسب الذين صعدوا اولًا فاذا هو مكتوب فيه ... » . وقال ايضاً عن نسب بعض الكهنة (٧ : ٦٤) : « هؤلاء بحثوا عن كتابة أنسابهم فلم توجد فأُقصوا من الكهنوت »

وهذا يوسيفوس المؤرخ اليهودي الذي عاش في السنوات ٣٧ — ١٠٠ بعد المسيح قد اورد نسبه في بدء الكلام عن حياته ، فأكّد انه أثبته كما وجده مدوَّناً في السجلات العمومية

وأخبر ايضاً في كتابه ضدّ ابيون (ك ١، ف ٢) ان الكهنة كانوا يحافظون بنوع خاصّ على انسابهم ، فلا يتزوّجون الّا في سبط اللاويين ، سواء وُجدوا في اليهودية او في مصر او في بابل او في موضع آخر ، فيرسلون الى اورشليم

اسم الي الابنة التي يريدون الزواج بها مع ايضاح نسبهم مُثبتاً من شهود صدق. وقال ان الكهنة يمكنهم بواسطة سجلات رسمية ان يسلسلوا نسبهم متعدراً من الفي سنة . (كذا)

فمما قاله نحميا ويوسيفوس يتضح ان اليهود كانوا يدونون أنسابهم في سجلات رسمية يستودعونها السلطة الدينية لتحفظها وتصونها. فيلتجئ اليها عند الضرورة من شاء الاطلاع على أنساب العيال. فلم يصعب اذاً على متى ولوقا ان يتصفحا تلك السجلات ويستخرجا منها نسب المسيح سواء كان النسب العائليّ او الملوكي

المسيح من داود

كان من المحقق المشهور عند جميع اليهود ، وعند الوثنيين المخالطين او المجاورين لهم ، ان المسيح سيُولد من سبط يهوذا (١ ومن ذرّية داود الملك . يتضح ذلك من كل آيات الانجيل . قال متى(٢٢: ٣٢و٤٣) : « وفيما الفريسيون مجتمعون سألهم يسوع قائلاً : ماذا تظنون في المسيح ابن من هو ؟ قالوا له ابن داود» . وقال ايضاً (متى ٢١: ٩) : « كان الجموع الذين امامه والذين وراءهُ يصرخون قائلين: هوشعنا لابن داود مبارك الآتي باسم الرب هوشعنا في الاعالي». وقال مرقس (١٠: ٤٦ و ٤٧) : « وفيما يسوع خارج من اريحا ومعه تلاميذه وجمع كثير كان برتيماوس الاعمى جالساً على الطريق يستعطي . فلما سمع بان يسوع الناصري مُقبل طفق يصرخ ويقول : يا يسوع ابن داود ارحمني . فزجره كثيرون ليسكت فازداد صراخاً: يا ابنَ داود ارحمني » . ونسمع المرأة الوثنية الكنعانية في تخوم صور وصيداء « تصيح وتقول : ارحمني ايها الرب ابن داود فانّ ابنتي بها شيطان يعذبها جداً » (متى ١٥: ٢٢) وقال بولس الرسول متكلماً عن المسيح (رومية ١: ٣): « عن ابنه الذي صار من ذرّية داود بحسب الجسد». وقال ايضاً (٢ تيموثاوس ٢: ٨) « أذكر ان يسوع المسيح الذي من نسل داود قد قام من بين الاموات»

فلا عجب اذاً ان كان لأعضاء ذُرية داود ، وان فقراء ، اهتمامٌ خاصّ

١) قال يعقوب ليهوذا ابنه (تكوين ٤٩: ٨ و ١٠) : «يهوذا ايّاك يحمد اخوتك . . . يسجد لك بنو ابيك . . . لا يزول صولجان من يهوذا ومشترعٌ من صلبه حتى يأتي شيلو وتطيعه الشعوب»

بحفظ أنسابهم لكي يُثبتوا تسلسلهم من عائلة داود الملوكية التي منها يُولد المسيح . ومن ثم قد اعتنى الانجيليان متى ولوقا بتبيان كون المسيح من ذرية داود ومن نسل ابراهيم بمقتضى وعد الله لهما ووفقاً للنبوات الخاصة بالمسيح . فابتدأ متى انجيله بقوله «كتاب ميلاد يسوع المسيح ابن داود ابن ابرهيم» فيقف في ايراد نسب المسيح عند ابرهيم ولا يتجاوزه لانه كتب لاجل اليهود. اما لوقا فانه ذكر نسب المسيح مبتدئاً بأبيه الشرعي يوسف رجل مريم العذراء وصاعداً بالنسب الى داود فابرهيم حتى يوصله الى آدم والى الله تعالى . لانه كتب لاجل المتنصرين من الوثنيين

علينا الآن ان نبيّن صدق الانجيليين متى ولوقا في ايرادهما نسب السيد المسيح وصحة هذا النسب

من آدم الى ابرهيم

في ما يتعلّق بالاشخاص الذين ذكرهم لوقا في نسب المسيح وسكت عنهم متى ، اي من ابرهيم الى آدم ، قد تحققنا ان لوقا يتفق كل الاتفاق مع العهد القديم كما ذكر هذا النسب موسى (تكوين: ف ٥ و ١٠ و ١١) وكما ورد في سفر اخبار الايام الاول (ف ١ : ١ و ٢٤—٢٧) . فمن مقابلة جدول العهد القديم مع جدول انجيل لوقا يظهر الاتفاق التامّ بينهما . ومن ثم نتحقق صدق الانجيل . ولا بدّ من الملاحظة اولاً ان موسى ينحدر من آدم الى نوح ومن نوح الى ابرهيم . بينما لوقا يصعد من ابرهيم الى نوح ومن نوح الى آدم . ثانياً ان كتبة العهد الجديد ، اللهمّ الذين كتبوا باليونانية ومنهم لوقا ، اذا اشاروا الى العهد القديم او اقتبسوا منه يستندون الى الترجمة السبعينية(Les Septante). وقد ورد في هذه الترجمة اسم «قينان» بين ارفكشاد وشالح. واهملته النسخة المعروفة بالعامّة (La Vulgate) . فيروى في السبعينية (تكوين ١٠ : ٢٤) : «وارفكشاد ولد قينان وقينان ولد شالح وشالح ولد عابر» . اما في النسخة العامّة فيروي «وارفكشاد ولد شالح وشالح ولد عابر»

فالعلماء السبعون الذين ترجموا العهد القديم الى اليونانية اذ كان بتوليمي فيلادلف مالكاً على مصر (٢٨٥—٢٤٧ قبل المسيح) لا بُدّ من ان يكونوا

قرأوا اسم قينـان في الاصل العبراني بين ارفكشاد وشالح . فمن المحتمل ان يكون هذا الاسم سقط في ما بعد من النسخ العبرانية لسهو من النساخ

واليك بيان الجدولين:

العهد القديم	انجيل لوقا
١ آدم	١٠ نوح
٢ شيت	٩ لامك
٣ انوش	٨ متوشالح
٤ قينان	٧ اخنوخ
٥ مهلئيل	٦ يارد
٦ يارد	٥ مهلئيل
٧ اخنوخ	٤ قينان
٨ متوشالح	٣ انوش
٩ لامك	٢ شيت
١٠ نوح	١ آدم

العهد القديم	انجيل لوقا
١ نوح	١٢ ابرهيم
٢ سام	١١ تارح
٣ ارفكشاد	١٠ ناحور
٤ قينان	٩ سروج
٥ شالح	٨ رعو
٦ عابر	٧ فالج
٧ فالج	٦ عابر
٨ رعو	٥ شالح
٩ سروج	٤ قينان
١٠ ناحور	٣ ارفكشاد
١١ تارح	٢ سام
١٢ ابرام (ابرهيم)	١ نوح .

وكذلك في ما يختص بنسب الآباء في نسب المسيح من ابرهيم الى داود يتفق متى ولوقا بينهما ومع سفر اخبار الايام الاول (ف ١ : ٢٨ و ٣٤ و ف ٢ : ١ و ٤ و ٥ و ٩—١٢ و ١٥) ومع سفر راعوت (٤ : ١٨—٢١) كما يتضح من مقابلة الجداول . ومعلوم انه في سفر اخبار الايام وفي انجيل متى يُنحدَر من ابرهيم الى داود بينما لوقا يصعد من داود الى ابرهيم

اخبار الايام		متى		لوقا	
١ ابرام (ابرهيم)	٨ عميناداب	١ ابرهيم	٨ عميناداب	١٦ داود	٧ ارام
٢ اسحق	٩ نحشون	٢ اسحق	٩ نحشون	١٣ يسّى	٦ حصرون
٣ اسرائيل (يعقوب)	١٠ سلما (سلمون)	٣ يعقوب	١٠ سلمون	١٢ عويد	٥ فارص
٤ يهوذا	١١ بوعز	٤ يهوذا	١١ بوعز	١١ بوعز	٤ يهوذا
٥ فارص	١٢ عويد	٥ فارص	١٢ عويد	١٠ سلمون	٣ يعقوب
٦ حصرون	١٣ يسّى	٦ حصرون	١٣ يسّى	٩ نحشون	٢ اسحق
٧ رام (ارام)	١٤ داود	٧ ارام	١٤ داود	٨ عميناداب	١ ابرهيم

ويروى في سفر راعوت : « هذه مواليد فارص . فارص ولد حصرون . وحصرون ولد راماً . ورامٌ ولد عمّيناداب . وعمّيناداب ولد نحشون . ونحشون ولد بوعز . وبوعز ولد عوبيد . وعوبيد ولد يسّى . ويسّى ولد داود» . فترى ان متى ولوقا يتفقان ايضاً مع سفر راعوت كما اتفقا مع سفر اخبار الايام .

فالانجيليان متى ولوقا اللذان اعتنيا هذه العناية وصدقا في ايراد الانساب من آدم الى ابراهيم كما فعل لوقا ، ومن ابرهيم الى داود كما فعل متى ولوقا ، متفقين مع العهد العتيق ، هل يمكن ان لا يكونا اعتنيا وصدقا في ايراد ما بقي من الانساب من داود الى يوسف خطيب مريم العذراء . فان وُجد بينهما اختلاف في ايراد هذه الانساب الاخيرة فمن الضروري ان نفرض انهما اتّبعا طريقة مختلفة لاسباب صوابيّة يلزمنا ان نبحث عنها . ولا ننكر ان الاختلاف بينهما من داود الى يوسف عظيم يشمل كل الحلقات ما عدا اثنتين هما شألتيئيل وزربابل . وهل يمكن لمتى ولوقا ان يخترعا أنساباً لا صحة لها ولديهما سجلّات رسمية يستطيعان ان يطّلعا عليها بكل سهولة ويستخرجا منها نسب يسوع المسيح ، كما يمكننا نحن في ايامنا هذه ان نطّلع اذا اقتضى الامر على سجلّات الحورنيات ونعلم اسماء الممتّدين والمزوّجين والمتوفين وتاريخ عمادهم وزواجهم ووفاتهم . ومن المحقّق كما سبق القول ان اليهود كانت لهم عناية لا مزيد عليها بحفظ الانساب لما يترتب عليها من الفوائد الجزيلة . وقد أكّد لوقا انه بحث بتدقيق عن الامور التي كتبها . قال (١ : ٣) : « رأيت انا ايضاً بعد ان ادركتُ جميع الاشياء من الاول بتدقيق ان اكتبها لك بحسب ترتيبها » .

فيلزمنا اذاً ان نفحص عن سبب الاختلاف بين متى ولوقا في ايراد نسب المسيح من داود الى يوسف خطيب العذراء ، سواء كان في اختلاف الاشخاص ام في عدد حلقات النسب . فان لوقا اورد ٤١ حلقة من داود الى يوسف ومتى ٢٦ فقط . ويكفينا لنتفي الغلط عن الاناجيل أن نبيّن انّ الآراء التي نعرضها محتملة ومقبولة . هذا ما يقتضيه العدل . ومن ثم لا يحقّ للخصم ان يرفض الرأي المعقول وان لم يكن في اقصى درجة من التأكيد ولا ان يطالبنا باكثر من ذلك بعد مضيّ اكثر من الف وثمانمائة سنة على كتابة الاناجيل . وليس

لدينا ولا لديه الينابيع التي استقى منها الانجيليون

فلان ولد فلاناً . فلان ابن فلان

ان كتبة الاسفار المقدسة عندما يوردون انساب العيال اذا كتبوا : « فلان ولد فلاناً - او فلان ابن فلان » كثيراً ما يستعملون اللفظتين « ولدَ » و « ابن » بمعنى اوسع من المعنى الذي وُضعتا له . فاذا قالوا فلان ولدَ فلاناً لا يريدون دائماً انه والده رأساً بل قد يريدون ان المولود هو من ذريته . فقد يكون بين من يقال عنهما والد ومولود حلقة او حلقات في النسب يهملونها . وكذلك اذا كتبوا « فلان ابن فلان » لا يريدون دائماً انه ابنه رأساً بل قد يَعنون انه من نسله . وقد يُقصد بهاتين العبارتين التبنّي فقط ولدينا في الكتاب المقدس ادلة على ذلك لا تدع محلاً للريب . يكفي لاثبات هذه الحقيقة آية متى في بدء انجيله « كتاب ميلاد يسوع المسيح ابن داود ابن ابراهيم » . والكاتب عزرا في السفر المعنون باسمه « سفر عزرا » قد عرّفنا بنسبه فكتب (عزرا ٧ : ١-٥) : « عزرا بن سرايا بن عزريا بن حلقيا . . . الخ » . ونجد ايضاً نسب عزرا في سفر اخبار الايام الاول (٦ : ٣-٥) : « وعزريا ولد سرايا وسرايا ولد يوصاداق ويوصاداق ذهب في جلاء الرب ليهوذا واورشليم على يد نبوكدنصّر » . فتتحقق من مقابلة النصّين ان عزرا سكت في ايراد نسبه عن كثير من الحلقات وعن ذكر والده وذكرَ سرايا احد اجداده كأنه هو والده وذلك لشهرته . فسرايا هذا كان الكاهن الاول في ايام صدقيا ملك يهوذا اخذه نبوكدنصّر الى ربلة وقتله هناك مع من قتلهم (راجع سفر الملوك الرابع ٢٥ : ١٨-٢١) . الى غير ذلك من الامثلة . وفي مؤلفات العرب ايضاً وخاصّةً في كتاب الاغاني لابي فرج الاصفهاني امثلة تؤيد بكل صراحة ما نقوله

فكتبة الاسفار المقدسة ومؤرّخو العرب كثيراً ما يذكرون في الأنساب صعوداً او انحداراً الاشخاص الاكثر شهرة ويُهملون ذكر بعض الحلقات المتوسطة بين من يسمونهما والداً ومولوداً وينسبون مع ذلك الولادة للجدّ الابعد . فلا يُستنتج من ذلك انهم غلطوا

اسماء مختلفة لشخص واحد

ان لبعض الاشخاص اسماء مختلفة . فاذا ذكر احد كتبة الاسفار المقدَّسة اسم شخص وذكر غيره اسماً له آخر فلا يكون بين الكتبة الّا اختلاف ظاهر فقط في الاسم دون تناقض في تعيين الشخص المتكلَّم عنه . فسمعان بن يونا لقَّبهُ السيّد المسيح بطرس (يوحنا ١ : ٤٢) . وشاوول اتخذ اسم بولس (اعمال ١٣ : ٩) نعلم ذلك من الانجيل ومن اعمال الرسل . فلو كنّا جهلنا ابدال هذين الاسمين وقرأنا في الاسفار المقدَّسة تارةً سمعان وطوراً بطرس ومرةً شاوول ومرةً اخرى بولس ولم يبيّن لنا من القرائن ان الاسم لمسمًّى واحد فحكمنا انَّ ثمَّ تناقضاً ، لكنَّا اخطأنا في حكمنا لعدم معرفتنا الحقيقة .

واطلاق اسمين مختلفين على الشخص نفسه ليس بنادر . فابرام يسمَّى ابرهيم (تكوين ١٧ : ٥) ويعقوب بن اسحق يُسمَّى اسرائيل . ورام بن حصرون يُسمَّى ايضاً ارام . ويواقيم إلياقيم . ويوياكين يكنيا وكنيا . والرسول الذي في انجيل متى (١٠ : ٣) ومرقس (٣ : ١٨) يسمَّى «تداوس» يسمى في انجيل لوقا (٦ : ١٦) وفي اعمال الرسل (١ : ١٣) «يهوذا» وكذلك برتلماوس الرسول هو نتنائيل . لان يوحنا في انجيله (١ : ٤٥–٤٩) ذكر اسم نتنائيل ولم يذكر اسم برتلماوس اما متى (١٠ : ٣) ومرقس (٣ : ١٨) ولوقا (٦ : ١٤) فانهم ذكروا اسم برتلماوس ولم يذكروا اسم نتنائيل . ثم ان يوحنا (٢١ : ٢) ذكر اسم نتنائيل مع ستة من رسل المسيح كأنه منهم لانه ذكرهُ بعد بطرس وتوما الرسولين وقبل ابني زبدى يعقوب ويوحنا . فكل ذلك دليل على ان نتنائيل هو برتلماوس الرسول فنتنائيل هو اسمه وقيل له برتلماوس اي ابن تلماوس . والانجيلي المسمَّى متى العشار (متى ١٠ : ٣) يسمَّى ايضاً «لاوي بن حلفا» (مرقس ٢ : ١٤ ولوقا ٥ : ٢٧) . فاليهود بعد اختلاطهم باليونان والرومان كثيراً ما كانوا يتخذون لهم اسمين اسماً عبرانيًّا واسماً يونانيًّا او رومانيًّا : «يوسف المسمَّى برسابا» (اعمال ١ : ٢٣) وتوما المسمَّى التوأم «ديديموس» (يوحنا ١١ : ٢٦)

فمن المحتمل ان يكون بين الذين ورد ذكرهم في نسب السيد المسيح في انجيل متى ولوقا بعض اشخاص معروفين باسمين مختلفين فذكرهم متى باسم ولوقا باسم آخر فلا يكون بينهما تناقض (المبحث صلة)

امَيَّة بن ابي الصَلْت

بقلم الاديب ميشيل سليم كيد

ذهب قوم يعرفون شعر امية ،
وكذلك اندراس الكلام.
(العجاج)

من الشعراء الجاهليين الذين قلّ ذكرهم ، وخفت صيتهم ، امية بن ابي الصَلتْ . هو احد افذاذ الشعر الجاهلي واحدى درره الخوالي ، سكتت عن ذكره الالسن ، وكتمت عنه الافواه ، عدّة اجيال ، إمّا لهوى في النفوس ، وإما لذهابه من الذاكرة ؛ فبخس قدره ، وضاعت منزلته ، وهو أحقّ أن يرفع ويكرّم ، ويتبوأ مركزه بين مبرّزي الجاهلية.

وقد اختلف رواة شعر امية في تقدير منزلته وتخصيص طبقته ، فمن قائل يعدّه من شعراء الطبقة الاولى ، وآخر يضعه في الطبقة الثانية ، وآخر يضعه في الطبقة الثالثة . ولكن اذا نُظر اليه بعين مجرّدة عن الاهواء ، ونفس لا تعرف المحاباة ، وفؤاد لا يميل مع التعصب ، وُجد جديرًا بان يوضع في مصافّ شعراء الطبقة الاولى . قال الكميت : « امية اشعر الناس ، قال كما قلنا ولم نقل كما قال » . وقال ابو عبيدة : « اتفقت العرب على ان اشعر اهل المدن ، اهل يثرب ، ثم عبد القيس ، ثم ثقيف ، وان اشعر ثقيف امية بن ابي الصلت » .

قلنا ان امية اختلفت في تقديره الرواة ، ومن اختلف عليه الناس وتخاصموا لاجله ، كان لا شك عظيماً ، فلماذا يأبه القوم لرجل ، ليس له منزلة أو مكانة في الرجال أو الشعراء ؟ . ولماذا يضعه احدهم في مرتبة فيأتي آخر فيسقطه عنها ؛ وآخر يعظمه فيرفعه ، بعد كرّ اجيال وقرون ، أليس لانه كان عظيماً ؟ أليس لانه كان مبرزًا على اقرانه ؟ وأليس في هذا الدليل الكافي ان في الافئدة لهوى ؟ وفي النفوس لدفائن ؟ حقاً ، لقد كان عظيماً في اعماله ، عظيماً في الشعراء ، وعظيماً بين الاقران !

الرجل

نشأته

امية بن ابي الصلت عبدالله بن ابي ربيعة بن عمرو بن عوف ، الثقفي ، العدناني،لا يُعرف وقت مولده، كما انه لا يجزم تاريخ موته. كثر فيه الاختلاف كما اختلف في شعره.

وما ترعرع حتى ظهر ذكيًا ، ميالًا للعلم ، فقرأ كل ما وقع بين يديه من الكتب القديمة ، فدرس السريانية حتى قيل برع فيها ، وتهذّب احسن تهذيب، قال مُصعب بن عثمان : كان امية بن ابي الصلت قد نظر في الكتب وقرأها ، ولبس المسوح تعبدًا . وحين شبّ قدم الى مكة ، وكان يستفتح كتبه : « باسمك اللهمّ » . فجعلوها اول كتبهم بدلًا عن « بسم الله الرحمن الرحيم ». ثم سافر الى الشام ، وهي اذ ذاك في اعلى مكان من العلم ، فجالس العلماء واغترف من مناهل العلم ما امكنه

اتصاله بعبدالله بن جدعان التيمي

وكان بمكة حين قدومه اليها ، عبدالله بن جدعان بن عمرو بن سعد ، التيميّ ، وكان رجلًا كريمًا ، وسيدًا جوادًا ، من قريش ، يصل الرحم ويطعم المسكين ، فالتصق به امية ، وامتدحه ، فقرّبه عبدالله ، وأحسن اليه ، وأنعم عليه.

وبلغ من احسان عبدالله ان امية دخل عليه يومًا ، وعنده أمتان دعاهما بجرادتي عاد ، فقال له عبدالله : « لأمر ما اتى بك ؟ » فقال امية : « كلاب نبحتني ونهشتني » فقال له عبدالله : « قدمتَ عليّ وانا عليل من حقوق لزمتني ، ونهشتني ، فانظرني قليلًا مما في يديّ ، وقد ضمنتك قضاء دينك ، ولستُ بسائل عن مبلغه .» فمضى امية ، واقام اياماً . ثم اتاه وقال له هذه الأبيات ، وهي من ارقّ واعذب ما يقال عند السؤال والمديح :

أأذكر حاجتي ام قد كفاني حياؤك ؟ ان شيمتك الحياء !
وعلمُك بالامور وانت قرمٌ لك الحسب المهذب ، والسناء

خليلٌ لا يغيّره صباحٌ عن الخُلُق الجميل ، ولا مساء
وارضُك كلُّ مكرمةٍ بنتها بنو تيمٍ ، وانت لها سماء
اذا اثنى عليك المرء يوماً كفاه من تعرّضه الثناء
فهل تخفى السماء على بصيرٍ ! وهل بالشمس ، طالعةً ، خفاء !

فلما انشده امية هذا الشعر كانت عنده قينتان ، فقال : « خذ ايتهما شئت » فاخذ احداهما ، وانصرف بها . فمر بمجلس من قريش ، فلاموه على اخذها ، وعذلوه ، وقالوا لهُ : « لقد لقيته عليلًا ، فلو رددتها اليه فان الشيخ يحتاج الى خدمتها ، وكان ذلك اقرب لك عنده ، واكثر من كل حقّ ضمنه الك » فأثّر هذا القول في امية عظيماً ، ووقع منهُ اليماً ، فنكص ، وحين اتاه بها ، قال لهُ عبدالله : « لمَ رددتها ، ألعلّ قريش أخذوك على اخذها وقالوا الك كيتاً وكيت . » وذكر لأمية ما قالهُ القوم ، فقال امية : « والله ما اخطأتَ يا ابا زهير » فقال ابن جدعان : « فما الذي قلتَه في ذلك ؟ » فقال امية :

عطاؤك زينٌ لامرئٍ ، ان وصلتَه بذلٍ ، وما كلُّ العطاء بزينُ
وليس بشينٍ لامرئٍ بذلُ وجهه اليك كما بعض السؤال يشينُ

قيل : فكاد عبدالله يثب عن فراشه . وقال لامية : « خذ الاخرى » فاخذها جميعاً وخرج .

ولبث امية منقطعاً الى ابن جدعان الى ان وافت هذه المنية ، ويحكى ان امية دخل عليه ، وهو يجود بنفسه ، وقال لهُ : « كيف تجدك ، ابا زهير ؟ » قال عبدالله : « اني لمدابر ! » فقال امية :

علم ابن جُدعان بن عمرو م انه يوماً مُدابرْ
ومسافرٌ سفرًا بعيدًا م لا يؤوب به المسافرْ
فتدورُه بفنائه للضيف ، مُقرعةٌ زواخرْ
بذّ المعاشر كلها بالفضل ، قد علم المعاشرْ !
وعلا علوَّ الشمس حتى م ما يفاخره مفاخرْ
دانت له ابناء فهر م من بني كعبٍ وعامر
انت الجوادُ ابن الجوا د بكم يُفاخر من يُفاخرْ !

نصرانيته

يدلّ على تنصّر امية ذكره الكثير للملائكة ، وتمييزه بين طبقاتهم ورتبهم كالكاروبيم ، والحرّاس ، وجبرائيل ، وميخائيل . الخ . التي لم تكن معروفة ارائذٍ إلّا عند النصارى واليهود . قال ، ودعا ميخائيل ميكالا ، والكروبيم كروبية ، بعد ان وصف العزّة الالهية أجلّ وصف :

امينٌ لوحي القُدس جبريلُ فيهم ، ومكالُ ، ذو الرُّوح القويّ المسدَّدُ
وحرّاسُ ابواب السّماوات دونهم قيامٌ عليها بالمقاليد ، رصّدُ ،
ملائكةٌ لا يفترون عبادةً كروبيّةٌ منهم ركوعٌ وسُجّدُ :
فساجدُهم لا يرفع الدّهر رأسه يعظّم ربّاً فوقه ، ويمجدُ ،
وراكعهم يحنو له الدّهر ، خاشعاً يردّد آلاء الاله ، ويحمدُ !

وممّا يزيدنا ثقة من نصرانيته : ١ً – كونه من اياد ، وهي القبيلة المعروفة بنصرانيتها لدى جميع كتاب العرب ، فهي القبيلة التي ابتنت اديرة كثيرة في ديارها ، كدير قرّة ، ودير السوا ، وغيرهما . ٢ً : كان من الحنفاء وقد قال حين دنت ساعته : « قد دنت ساعتي ، وهذه المرضة منيّتي ، وانا اعلم ان الحنيفية حق . . . » والحنيفية في الجاهلية يراد بها النصرانية ، أو شيعة من شيعها (١ . ٣ً : اطلاعه على الاسفار المقدسة والانجيل ودرسه لها . ٤ً : دخوله كنائس النصارى واجتماعه برهبانها . ٥ً : معرفته للغة السريانية لغة نصارى العراق . . . وفي شعره من مقتبسات الكتب المقدسة ، والعقائد الدينية كوصفه الجليل للعزّة الالهية ، والملائكة والدينونة ، والجحيم والنعيم ، وبشارة العذراء ، وميلاد المسيح العجيب ، ما يدلّ صريحاً على تنصره (٢

شعره والفرائد

زعم غير واحد من كتاب العرب الاقدمين ، ان امية استقى كثيراً من

١) جلّ ما يُعرف عن اتباع الحنيفية انهم كانوا من الموحّدين ، ولا يمكن اثبات شيء فوق ذلك (ه. ل .)

٢) . الاب لويس شيخو : النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية ، ص : ٤٢٧

افكاره من القرآن ، ونسج على منواله (١ . ولكن ، اذا بحثنا واعملنا الروية ، وجدنا ان أمية قد سبق النبي بزمن كثير في تعاليمه ، وفلسفته الدينية ، وانه حين قضى لم يكن القرآن قد انتشر الانتشار الكافي ، ولم يكن قد اثّر وتتغلغل في العقول والافكار ، يدلنا على ذلك شواهد كثيرة نراها بين طيات الاغاني ، وغيره من الكتب ، تثبت لنا جليًا ان العرب حتى بعد الهجرة بكثير وفتوحهم الشام ، لم يكونوا قد تخلّوا عن عاداتهم ونزعوا افكارهم في الجاهلية ، بل قضوا كثيرًا من الزمن متأثرين بما كانت عليه اجدادهم . واذا علمنا ان نبيّ المسلمين كان عارفاً بكثير من تعاليم امية ، وملمًّا بكل اشعاره اتمّ المام ، فلِمَ لا يكون قد استمدّ هو تلك الافكار التي نراها في القرآن من امية ؟(٢ ولماذا لا تكون تعاليم امية المنبع الذي استقى منهُ، والروض الذي اقتطف منهُ وروده ؟ أليس هذا اقرب الى العقل وأدنى الى الصواب ؟ فاذن لا يأخذنا العجب ، ولا يجنح بنا العقل ، فنشطّ عن معقل الحقّ اذا ما عثرنا في طريقنا على شبانه بين افكار امية والقرآن !

شعره والعزّة الالهية

كان امية متديّناً ورعاً ، مؤمناً بالله ، خلا شعره خلوًّا تامًّا من اثار الشرك ، فلم يذكر الاصنام المعروفة في ايامه ، والمتفشية بين اكثر العرب عموماً وسكان الحجاز خصوصاً ، وان كانوا تابعين لاحدى الشيع النصرانية المرطوقية ؛ كاللات والعزّى وغيرهما . أليس هذا امرؤ القيس ، الثابتة نصرانيته دون باقي شعراء الجاهلية ، مرّ بتبالة ، بعد ان استأجر للثأر لابيه رجالًا ، وبها للعرب صنم تعظمه يقال لهُ ذو الخلصة ، فاستقسم عنده بقداحه وهي ثلاثة ، الآمر ، والناهي ، والمتربّص . فأجالها مرات ثلاث ، فخرج لهُ فيها جميعاً الناهي ، فجمعها وضرب بها وجه الصنم فكسرها ، وقال: ويحك لو ابوك قُتل ما عقتني . وهذا ابن ابي سلمى زهير ، ألم يحلف بالكعبة ، مع تنصره فقال :

١) كنا نودّ لو درس حضرة الكاتب صحة نسبة بعض القصائد المنسوبة الى امية ، فاننا نلاحظ تقليد القرآن خاصة في الآثار المنحولة (ه.ل.)

٢) صرّح بهذا الرأي كايتان دوار ، ولكنه لم يصادف نجاحًا لدى المستشرقين (ه. ل.)

فأقسمت بالبيت الذي طاف حوله رجالٌ بنوه من قريشٍ وجُرهُمِ
يميناً لنعم السيدان وجدتُما على كل حالٍ من سحيلٍ ومُبرَمِ

وان يكن ابن حجرٍ استقسم بالصنم فما فعل ذلك إلا عن جهالة، كما يذهب بعض جهّال عصرنا. ويستشيرون السحرة والمنجمين وضاربي الرمل وغيرهم. وكذلك ابن ابي سلمى، فحلفه آتٍ عن عادة كانت متفشية في ايامه.

اما امية فكان يعتزل عن شعراء الجاهلية، واقفاً بعيداً عن امثال هذه الترّهات، وهذا مما يزيد في شعره قيمة ويكسبه حلة النقى، ويجعله الى عواطفنا اقرب دون اكثر الشعر الجاهلي ... هوذا ابيات يظنّها المرء بنت افكار احد الشعراء المعاصرين، لاول وهلة، يذكر بها الله عزّ وجلّ، وتكوين البرية، وها اننا نجدها اقرب الى مزاجنا وادنى الى طبيعتنا من أشعار الشنفرى والنابغة وغيرهما:

الهُ العالمين وكل ارضٍ وربُّ الراسيات من الجبالِ
بناها، وابتنى سبعاً شداداً بلا عمدٍ يُرَينَ، ولا رجالِ
وسوّاها، وزيّنها بنورٍ من الشمس المضيئة، والهلالِ
ومن شهب تلألأ في دجاها مراميها اشدُّ من النصالِ.
وشقّ الارض فانبجست عيوناً وانهاراً من العذب الزلالِ
وبارك في نواحيها، وزكّى بما ما كان من حرثٍ ومالِ

واذا ما انتهى من ذكر اعمال القدرة العلوية، عدل فذكّرنا ان الدنيا دار فناء، وان كل حيٍّ «يوماً على آلة حدباء محمول» وان عاش وعمّر، ثم يذكر حكمته تعالى، فالخطأة يزجون الى الجحيم بينما التقاة ينعمون بالنعيم.

فكلُّ مسافرٍ، لا بدَّ يوماً وذي دنيا يصير الى زوالِ
ويفنى بعد جدّته ويبلى؛ سوى الباقي المقدّس ذي الجلالِ.
وسيق المجرمون، وهم عراةٌ، الى ذات المقامع والنكالِ
فنادوا ويلنا ويلاً طويلاً وعجّوا في سلاسلها الطوالِ
فليسوا ميّتين، فيستريحوا؛ وكلُّهمُ يصير النار صالِ
وحلَّ المتّقون بدار صدقٍ وعيشٍ ناعمٍ تحت الظلالِ
لهم ما يشتهون وما تمنّوا من الافراح فيها، والكمالِ.

وفي قصيدة اخرى يمدح كمالاته تعالى ، بما يعجز عنهُ كثير من افذاذ الشعر ، وهي من ارق واجود ما قيل في مثل هذا :

لك الحمد والنعماء والملك ربنا ، فلا شيء اعلى منك مجداً ، وأمجدُ
مليكٌ على عرش السماء مهيمنٌ ، لعزته تنو الوجوه وتسجدُ
عليه حجاب النور ، والنور حوله ، واضارُ نورٍ حوله تتوقدُ
فلا بصرٌ يسمو اليه بطرفه ، ودون حجاب النور خلقٌ مؤيدُ

ومنها :

فسبحان من لا يعرف الخلقُ قدرهُ ، ومن هو فوق العرش فردٌ موحدُ
ومن لم تنازعهُ الخلائق ملكهُ ، وان لم تُفرِدهُ العبادُ فمفردُ
مليكُ السماوات الشدادِ وارضها ، وليس بشيء من قضاه تأوّدُ
هو الله باري الخلق ، والخلقُ كلهم ، اماءٌ له طوعاً جميعاً ، واعبدُ
وانى يكون الخلق كالخالق الذي ، يدومُ ويبقى والخليقةُ تنفدُ
وليس لمخلوقٍ من الدهر جدةٌ ، ومن ذا على مرّ الحوادث يخلدُ
وفنى ، ولا يبقى سوى الواحد الذي ، يُميتُ ويُحيي دائباً ليس يجمدُ
تسبحهُ الطير الجوارحُ في الحفى ، واذ هي في جوّ السماء تصعّدُ

فاين هذا الاسلوب السهل الرقيق والوصف البليغ من سجع شعراء عصرنا ، وتنميق كلامهم ، وزخرفة حواشيهم . فان القارئ لشعر امية يكاد يشعر نفس شعور قائله حين نطق به ، بينما يرى في شعر هؤلاء «معجماً» ، اذا صحّ ان نسميه كذلك ، لكل ما نعت به الناعتون وقيّده لغويو العرب في كتبهم من صفات العزّة الالهية . فبعُد شعرُهم عن الضرب على وتر الاحساس وشطّ عن القصد ، فليس يشتم منهُ رائحة خضوع أو تعبّد ، وليس يثير في النفس خشوعاً او تقوى ، أو على الاقلّ ينبئ عن تلك العواطف التي جالت بين جنبي قائله !

ورأينا ان امثال هذا الشعر اولى بها ان يقرأها من يحبّ ويريد ان يجمع لدينه «قائمة» أوصافه تعالى واسمائه الحسنى ، فانها تغنيه عن تقليب صفحات الكتب للعثور عليها .

(للبحث صلة)

أرز لبنان

في

هيكل سليمان (١)

لحضرة الخوري بطرس روفائيل

نحو القرن العاشر قبل المسيح ، كانت مملكة بني اسرائيل قد اتسعت اتساعاً لم تعرفهُ فيما سلف من الايام . كانت تمتدّ من حدود مصر الى حدود بلاد الكلدان ، ومن شاطئ البحر الاحمر الى جبل لبنان.

ولمّا حارب داود الملك اليبوسيين ، فتح عزوةً مدينتهم اورشليم واتخذها عاصمة لهُ ، وأراد ان يجعلها جميلة عظيمة غنيمة . وكان يعلم حقّ العلم ان رعاياهُ يجهلون فنون الهندسة والنقش ، فاستدعى الفينيقيين ليضعوا فكرتهُ موضع التحقيق.

فأرسل اليهِ حيرام ملك صور بخشب الارز مع مهندسين ونقاشين اقاموا البيوت البهيجة ، والبنايات الفخمة ، فسقفوها بالارز وشدّوا مصاريع الابواب بالواح من الارز ، وبنوا للملك قصراً لا مثيل لهُ . في ذلك القصر ، كان داود يضرب بالقيثارة بينما كانت ميكال ابنة شاول امرأتهُ ، تستهزئ بهِ ساخرة محتقرة . فيهِ ارتكب خطيئتهُ ، وبكى وتاب ، وفيهِ ايضاً كتب مزاميره البديعة وضمّنها اصدق علامات الندم واسمى عواطف الايمان والرجاء.

ولمّا أنجزت تلك البناية الملكيّة سُرّ داود كل السرور ، وقال لناثان النبي مفتخراً : « ها انا مقيمٌ في بيتٍ من ارز . » فاجابهُ النبي : « اصنع كلّ ما في نفسك لان الله معك . »

* * *

(١) من اراد الاطلاع على مضامين هذا الموضوع ، عليه بمراجعة الفصل السابع من كتاب للمؤلف في اللغة الافرنسية عنوانه : « Le Cèdre du Liban dans l'Histoire »

وبعد ان استقرّ مقام داود في قصره ، صار كلام الله الى ناثان قائلاً : اذهب وقل لداود عبدي : « لماذا لم تبنوا لي بيتاً من الارز ؟ اني لم اسكن بيتاً يوم أخرجتُ اسرائيل من مصر الى هذا اليوم ، ولكني كنتُ من خيمة الى خيمة ومن مظلة الى مظلة . »

فكلّم ناثان داودَ بما سمع ، فداخل حينئذٍ داودَ نخزُ الضمير ، اذ رأى ان لا بيت للربّ الاله بينما كان للآلهة الكذبة ، عند جيرانه المصريين والفينيقيين ، هياكل وبيوت شاهقة غنيّة مشهورة .

فعزم على تشييد هيكل يكون بيتَ قرار تابوت العهد ، ولموطئ قدمي الرب ، اله اسرائيل . فأقام نحّاتين لينحتوا حجارة مربّعة للبناء ، «وجهّز حديداً كثيراً للمسامير لمصاريع الابواب ، ونحاساً كثيراً يفوت الوزن ، وخشب ارز لا يحصى لان اهل صور وصيدا احضروا خشب ارز كثير الى داود » .

لكن تحقيق الفكرة كان مُلقى على عاتق سليمان ، لان داود كان شاخ واتت ساعة وفاته ، فأحضر ابنهُ واعطاهُ رسم الهيكل وبيوته وخزائنه وغرفه ومخادعه الداخلية ، وجميع المخادع حولهُ ، وخزائن بيت الله وخزائن الاقداس .

ولما جلس سليمان على عرش ابيه ، باشر العمل ، وزاد على موادّ البناء زيادةً كبيرة ، حتى انهُ « جعل الفضة في اورشليم مثل الحجارة ، وجعل خشب الارز مثل الجميز الذي في الصحارى كثرة » .

وحذا سليمان حذو ابيه فاستنجد الفينيقيين ووكل اليهم القيام بالعمل . ولا غروَ فان حذاقتهم كانت معروفة وهياكل آلهتهم في بيبلوس (جبيل) وافقا ، وصيدا ، وصور ، اشهر من نار على علم .

فبعث الى حيرام ملك صور برسالة قائلاً : « كما فعلتَ مع داود ابي ، وأرسلتَ لهُ ارزاً ليبني لهُ بيتاً ليسكن فيه ، تفعلُ معي . فاني أبني بيتاً لاسم الرب الهي لاقدّسهُ لهُ وأُقتّر امامهُ بخوراً عطراً . والبيت الذي انا ابنيه بيت عظيم ، لان الهنا عظيم فوق جميع الالهة . فمن يستطيع ان يبني لهُ بيتاً والسماوات وسماوات السماوات لا تسعهُ ، ومن أنا حتى ابني لهُ بيتاً الّا لأسجد لهُ . فالآن

أرسلْ لي رجلاً حاذقاً بعمل الذهب والفضّة والنحاس والحديد والأرجوان،ماهراً في النقش ... وأرسلْ لي اخشاب ارز وسرو وصندل من لبنان ، لاني أعلم ان عبيدك حاذقون بقطع الخشب من لبنان . وهؤلاء عبيدي مع عبيدك ، فليجهّزوا لي اخشاباً بكثرة ؛ لان البيت الذي ابنيه عظيم عجيب . وانا اعطي القطّاعين الذين يقطعون الخشب عشرين الف كُرّ من الحنطة طعاماً لعبيدك ، وعشرين الف كُرّ من الشعير ، وعشرين الف بَثّ من الخمر ، وعشرين الف بثّ من الزيت . »

وكان الكُرّ يوازي تقريباً اربعمائة ليتر ، والبثّ اربعين ليتراً

ولمّا اطلع حيرام على كتابة سليمان ، وجد الشروط موافقة جدًّا . فاجابهُ ، وهو وثنيّ يعبد بعل وعشتروت ،قال: «مُبارك الرب اله اسرائيل صانع السماوات والارض الذي رزقَ داود الملك ابنًا حكيماً . صاحب معرفة وفهم ليبني بيتاً للربّ . والآن فقد وجّهتُ رجلاً ماهراً صاحب فهم ، حيرامَ ، ابوهُ رجل من صور ، وهو خبيرٌ بعمل الذهب والفضة والنحاس والحديد والحجر والخشب والارجوان ، وصناعة كلّ نقش واختراع كل شيء يُلقى اليه . والآن فالحنطة والشعيرُ والزيتُ والخمرُ ما تكلّم عنهُ سيّدي يرسلهُ لعبيده ، ونحن نقطع الخشب من لبنان بحسب كلّ حاجتك ونرسلهُ اليك على الطوافي في بحر يافا ، وانت تُصعدهُ الى اورشليم . »

وأصحب ملكُ صور حيرامَ رئيس العمل بعدد عديد من المهندسين والنقاشين والنحاتين والنجارين والبنائين والرسامين . فسخّر سليمان الشعب الذين بقوا من الاموريين والحثيين والفرزيين والحويين واليبوسيين الذين لم يكونوا من بني اسرائيل . ضرب عليهم تسخير عبوديّة لاشغال الهيكل . وسخّر ايضاً كل اسرائيل ، فعيّن ثلاثين الف رجل . كان يرسل منهم الى لبنان عشرة آلاف في الشهر مناوبةً ، فيكونون في لبنان شهرًا وفي بيوتهم شهرين . وكان سبعون الف رجل يحملون الاثقال وينقلون الاخشاب من يافا الى اورشليم ، وثمانون الف رجل يقطعون الحجارة في جهات جبيل وحوالي اورشليم ، وثلاثة آلاف وستمائة يناظرون ويأمرون على القوم الذين يعملون العمل .

لا نعجبنّ من مثل هذا التسخير لالوف من العملة ، فانهُ كان مألوفاً في الايام القديمة لاقامة المشاريع العامّة . روى المؤرخ هيرودوت انهُ سُخّر لتشييد هرَم شيوبس في مصر مئة الف عامل ، يتناوبون في الشغل في كل ثلاثة اشهر، وذلك مدة عشرين سنة.

وفي احد مؤلفات لينورمان الاثري الشهير صورة يُرى فيها مئات من العبيد مربوطين بعضهم الى بعض بحبال قويّة يجرّون على دواليب من خشب ، وبواسطة آلة رافعة ، ثورًا مجنّحاً عظيماً من الحجر.

ولم تكن اجرة العامل باهظة ؛ بل كانت تقوم في اغلب الاحيان بشيء من القمح او من بعض الحبوب ، وبشيء من الزيت والخمر

وكان الاشراف والاغنياء لا يعتبرون العبيد وأسرى الحرب من جنس آدم وحوّاء،انما كانوا يُعدّونهم آلاتٍ للعمل لا نفس لهم ولا عقل ، بل لا لحم فيهم ولا دم . وسار عندهم مثل :« ان الانسان له ظهر ، فلا يطيع ولا يتحرّك الّا اذا شعر بضرب العصا المؤلم » هي العصا خصوصاً التي شُيّدت في مصر الاهرام،وفي صور هيكل بعل العجيب ، وفي اثينا قلعتها المدهشة ، وفي بعلبك بناياتها الفريدة بفخامتها.هي العصا ايضاً التي ساعدت في تشييد هيكل اورشليم.

ولمّا شخص حيرام ومن معهُ بين يدي سليمان شرع بالعمل . وأمر سليمان ان يقلعوا حجارة كبيرة لتأسيس الهيكل . فكان العملة يستخرجون الحجارة ويقطعونها ؛ وأما أمر نحتها وتنقيتها فكان موكولًا الى اهل بيبلوس (جبيل) ، وكانت بيبلوس مدينة فينيقية مشهورة بحذاقة بنائيها ونقّاشيها . فكانت الحجارة تُنقل الى مكان البناء تامّة كاملة ، ولم تكن تُسمع مطرقةٌ ولا نشرٌ ولا شيء من آلات الحديد عند البناء.

ودامت الاعمال الاعدادية ثلاث سنين . وبُدئ بالبنيان في السنة الرابعة لملك سليمان.ولم يُنجز الّا بعد سبع سنين ، وكان ذلك في السنة ٤٨٧ لخروج بني اسرائيل ، ونحو الف سنة قبل ميلاد مخلّص العالم سيّدنا يسوع المسيح.

كان الهيكل ستين ذراعاً طولًا،وعشرين عرضاً ، وثلاثين علوّاً ، والرواق

امام هيكل البيت عشرين ذراعاً ؛ واقيم على جوانب الهيكل طوابق ثلاثة ، وغُرفاتٌ على محيط الهيكل لخدمته وأثاثه وللكهنة . وسقف الهيكل كلهُ بالواح من الارز ، وفرش الطوابق المحيطة بالهيكل بخشب الارز ، وبنى الدار ثلاثة صفوف من الحجارة المنحوتة وصفاً من الواح الارز . وداخل الهيكل فرش ارضهُ بالواح السرو وجدرانهُ بالواح ارز ، وكان على الجدران ارزٌ منقوش على شكل زهور مُتفتحة . ويُخبر الكتاب المقدس ان داخل الهيكل كان كلهُ ارزاً فلم يكن يُرى حجر .

وكان قدس الاقداس اي بيت تابوت العهد ، حيث لا يدخل رئيس الكهنة الّا مرة واحدة في السنة عشرين ذراعاً طولاً ، وعشرين عرضاً ، بُني بالواح الارز ، وغشّاهُ سليمان بذهبٍ خالص ؛ وصنع مذبحاً من الارز تجاه قدس الاقداس وغشّاهُ بذهب ، وهذا هو مذبح البخور .

قال الكتاب المقدّس عن حيرام انهُ رجل يمتلئ حكمةً ومعرفةً في عمل كل صنعةٍ من النحاس ، فأشرف ليس على اقامة البناء ونقشه فحسبُ ، بل ايضاً على صنع اثاث الهيكل . فبنى في سهل نهر الاردن مصانع اصبّ النحاس وسبكه . فرسم عمودي النحاس طول العمود الواحد ثماني عشرة ذراعاً ، وصنع تاجين من نحاس مسبوك ليضعهما على رأسي العمودين ، سَمْكُ كلٍّ منهما خمس أذرع ، ونصب العمودين في رواق الهيكل .

« وصنع البحر النحاسيَّ مستديراً قطره من شفةٍ الى شفة عشر اذرع » وفي وسعهِ ان يحتوي على الاقلّ على اربعين الف بيتر من الماء . وكان قائماً على اثني عشر ثوراً من النحاس . « وصنع المُنصّلاتِ العشر والقواعدَ والقدورَ والمجارفَ من النحاس المجلوّ . وصنع جميع ادوات بيت الربّ : المذبح من الذهب ، والمائدة التي عليها خبزُ التقدمة من الذهب ، والمنائر من ذهبٍ خالص خمساً عن اليمين وخمساً عن الشمال ، والازهارَ والسُّرُجَ من الذهب ، والطسوت والمقاريض والجاماتِ والصحون والمجامر من ذهب خالص ، والمفاصل لمصاريع قدس الاقداس ولمصاريع الهيكل من ذهب » . وكانت نفقاتُ الهيكل على سليمان باهظة .

كان حيرام ملك صور قد أمدَّه بخشب أرز وسرو وبذهب على حسب طلبه ، وكان سليمان يرسل اليه لقاء ذلك بحبوب وخمر وزيت . وبعد عشرين سنة خلت من اتمام الهيكل ، كان سليمان لا يزال مديناً لملك صور بمائة وعشرين قنطاراً من الذهب (١ . ولتصفية الحساب اعطاهُ سليمان عشرين مدينة في الجليل بقرب عكا . فخرج ملك صور لينظر اليها فلم تحسن في عينيه فقال : « ما هذه المدنُ التي اعطيتني يا أخي » وسماها ارض كابول اي جدباء لا فائدة منها

وبقي هذا البناء المقدس قائماً نحو ٤١٧ ، اي الى سنة ٥٨٧ قبل ميلاد المسيح المخلص ، وفي تلك السنة وفد نبوكدنصَّرُ ، ملك بابل ، مع جيوشه على اورشليم . فحصرها وأعمل السيفَ في بني اسرائيل ، والذين نجوا من السيف جلاهم الى بابل حيثُ صاروا عبيداً لهُ ولبنيه .

وكسر عمد النحاس التي في الهيكل ، والقواعد وبحر النحاس ، وحمل نحاسها الى بابل ، وأخذ القدورَ والمجارفَ والجامات والصحون وجميع ادوات النحاس التي كان بنو اسرائيل يخدمون بها . والمجامر والمقاريض ما كان منها ذهباً فالذهب ، وما كان منها فضةً فالفضة أخذها الكلدانيون .

وهدم أسوار اورشليم ، وأحرق جميع بيوتها ، واحرق ايضاً هيكل الرب . ولما كان خشبُ الارز والسرو كثيراً في داخله وفي خارجه ، في سقفه وجدرانه وأرضه ، التهمتهُ النار عالاً وسريعاً . وأصبحت اورشليم قفراً لان شعب اسرائيل سيقَ الى المنفى .

(للبحث صلة)

---

١) كان وزن القنطار نحو ٤٣ كيلوغراماً ونصف كيلوغرام

الخابور

لصاحب السيادة المطران اثناسيوس اغناطيوس نوري

نهر بين دجلة والفرات جاء ذكرهُ في الكتاب المقدس ، في سفر حزقيال النبي ص ١ ع ١ ؛ وقال فيهِ الشاعر :

ايا شجر الخابور ما لك مورقاً كانك لم تحزن على ابن طريف !

منبعه من راس العين (مدينة مندثرة) تبعد من دنيسير (قرج حصار) ٢٥ كيلومترًا ، من ارض مستوية . وفي ايام الشتاء والربيع ، تصبّ فيه جداول آتية من جبال كردستان ، وطور عبدين . ومصبُّهُ في الفرات ، عند البصيرة ، واسمها القديم قرقيسيا ، وقد حفظ اسمها عرب البادية حتى اليوم . وهي شرقي دير الزور ، على مسافة ٢٥ كيلومترًا. وطول الخابور ، من ينبوعه حتى مصبّه ، زهاء ٤٠٠ كيلومتر . والاراضي الواقعة على جانبيه مخصبة للغاية ، اذا اشتغلت بها الايدي العاملة .

قد رحلت ست مرات ، ذهاباً واياباً ، بين ماردين ودير الزور ، مارًا بريفه الغربي وما زلت اتذكر ما رأيتهُ في رحلتي الاولى ، في ١٣ ايار سنة ١٨٧٣ . خرجت في اليوم المذكور من ماردين ، ترافقني اسرتي وسواها ، قاصدين دير الزور ، وعمري يومئذٍ زهاء ١٦ سنة

وفي ١٧ منهُ ، نزلت القافلة في محلة تعرف بعجاجة ، على ضفة الخابور اليمنى ، بالقرب من تلّ كبير . وهناك شرعت مع اقراني نجول حول التلّ ، فصادفنا مغارةً يشرف مدخلها على النهر ، فدخلناها وشاهدنا في صدرها تمثالين ضخمين ، طول الواحد اكثر من مترين وعلوّهُ متر ، ورأسهُ يمثل الانسان ، وجسمهُ النسر ، وارجله الاسد . ويُعرف هذا التمثال في عادات الاثوريين بصنم نرغال .

وبعد ان استراحت القافلة ذاك النهار ، رحلت بنا ثاني يوم غلساً ولم اكن اعرف شيئاً يومئذٍ من التاريخ ، وما هي الاصنام ولا قيمة العاديات . . .

وبعد ان وصلت لدير الزور واقمت فيها ثلاثة اشهر ونيفاً ، اتيت مدرسة الشرفة في لبنان وتلقنت بها ما تلقنت من العلوم المطلوبة من الكاهن . وبعد سبع سنوات عدت الى دير الزور ، ومكثت فيها ثلث سنوات . ثم ذهبت الى ماردين مارًا بمجاجة المذكورة ، وما كدت انزل عن فرسي حتى اسرعت الى المغارة التي رأيتها قبل عشر سنوات لاشاهد الصنمين المذكورين آنفاً . وما اشد اسفي اذ رأيتها مكسرين تكسيرًا،ولم يبق منها سوى قطع مبعثرة تكاد لا تمثل شيئاً منها . فامتعضت اشدّ الامتعاض . وقلت في نفسي قبح الله الجهل

ثم اخذت انعم النظر في جدران المغارة الترابية ، فشاهدت قطعاً من الفخار والعظام البالية تتخلل ما بين التراب ، دلالة على ان التل اطلال بلدة مندثرة

وسلكت في احدى رحلاتي من ينبوع الخابور ، اي من رأس العين ، حتى مصبه ، ولاحظنا التلال الكثيرة الواقعة على ضفتيه . فجزمت بانها بلاد لعبت بها ايدي الدمار . واكبر تلّ هو تل كوكب بالقرب من الاحمجه ، من الجهة اليسرى .

وكانت ضفتا الخابور مأهولتين بالسكان ، معمورتين بالابنية والقصور ، من عهد الاثوريين حتى بعد الفتح الاسلامي . ورأينا سكور نواعير كثيرة لري ارضه .

وقد سعى سعياً مشكورًا عمر باشا المجري المتحد ، ثاني متصرف دير الزور في عهد الاتراك ، حتى يحضر عرب البادية ، ليفلحوا ويزرعوا تلك الاراضي . انما حال دون مساعيه عزله وتعيينه فريقاً عسكريًا لولاية حلب .

وعلى مقربة من رأس العين ، تلّ حلف الذي نقبه الالمانيون قبل الحرب الكونية ، وباعلان الحرب توقفوا عن اتمام عملهم . وقد عثروا على عاديات مهمة كثيرة فيه .

فنلفت البحاثين عن العاديات في دار الانتداب الفرنسي ، الى ان يحفلوا بهذا الامر الخطير ويصرفوا اليه عنايتهم . وفي يقيننا انهم سيعثرون على اشياء كثيرة تفيد التاريخ وغيره

جونيه ، لبنان ، في ٣٠ ايار سنة ١٩٢٨

مشهد من مشاهد السياسة

على عهد الدولة الاموية

بقلم الاب فردينان توتل اليسوعي

طبقاً لعادتها المألوفة، اظهرت كلية القديس يوسف عن العام ١٩٢٧ نشرتها العلمية المعروفة (Mélanges de l'Université S'. Joseph) وهذا المجلد هو الثاني عشر من مجموعة حلّت من الرجال المتضلعين من العلوم الشرقية، محلّ المؤلفات الثمينة النادرة، فاستحسنها المستشرقون واقتنتها المكاتب الكبرى

وان يجاد هذا العام يحوي، في مقالاته، درساً واسعاً بلغ عدد صفحاته ١٠٧، خصّه حضرة الاب هنري لامنس بتاريخ نشأة الدولة المروانية وخلافة مروان الاول. فاضافه حلقةً الى سلسلة مباحثه في الاسلام، وعظماء رجاله، وامّهات مدنه، وسرعة انتشاره في الشام وتوطيد دعائمه فيها، خاصةً على ايام الخلفاء الامويين.

وانه يلفت انظار القراء، في مستهلّ كلامه في الدولة المروانية، الى وعورة مسلكه اذا ما اهتدى بالمؤرخين العرب الى معرفة الحقائق التاريخية في الشام. لان الرواة الذين اخذ عنهم مصادره، معظمهم عراقيون فيكرهون الشام واهلها ولا يحبهم امرها فيهملونه. على ان المؤرخ اذا ما اعمل الروية في مؤلفاتهم وجد فيها روايات وتمايات لا تخفى تفيد تاريخ الشام. وقد قام بتلك المهمة حضرة الاب لامنس، فاستقلّ مأخذه من جهابذة المؤرخين العرب واخصهم الطبري، واشار اليها في ذيل كل صفحة من صفحات كتابه، شأنه في مؤلفاته العلمية. وفسرها مستعيناً على فهمها بقرائنها، وبمعرفته للتاريخ الاسلامي العام، فاستنبط منها حججاً وبراهين ونتائج تاريخية لم يسبقه اليها الاوائل. وانا نتوغل والقارئ في الفصل الاول من هذا الكتاب الجديد، فنحلله ونعلق عليه، عسى ان نقف على اسلوب المؤلف ونجتني مما غرست يداه آثاراً يانعة.

اقدام الامويين في الشام

في ١١ تشرين الثاني ٦٨٤ م (٦٣ هـ) مات الخليفة يزيد، وملك بعده ابنه معاوية الثاني، ولم تبلغ مدة ملكه ستة اشهر حتى توفي في العام ٦٨٤ بالطاعون الجارف وظل امر الخلافة مبهماً، وسفينتها لا قبطان عليها، تتلاعب

بها امواج السياسة واهواء التحزبات . فبويع في الحجاز وفي مصر لخليفة مكة عبدالله بن الزبير ؛ وسعى الضحاك بن قيس ، حاكم دمشق ، في استمالة الناس اليه على امل البيعة . وكان بوسع الامويين بالشام ان يوحدوا كلمتهم ، ويلتفوا حول خالد بن يزيد ، وهو الاكبر بين اخوة معاوية الثاني ، لكنهم تفرقوا احزاباً وسعوا في سبيل مصالحهم الشخصية ، واتسع الخرق بين اليمانيين في الجنوب والقيسيين في الشمال

الازمة في العراق

وكان عبيد الله بن زياد امير العراقين على البصرة والكوفة ، وقد قبض على الحكم بيد من حديد منذ مقتل الحسين بن علي ، واضطر الناس الى طاعته اضطراراً ، فخضعوا قسراً وضمروا له السوء مترقبين الفرصة السانحة لرفع لواء العصيان واذكاء نار الفتن . وكان عبيدالله محنكاً بصيراً عارفاً بسرائر القوم ، وهي اشهر من ان تكتم وقد تحدث بها الناس ، وبلغ صداها عبيدالله عن لسان الشاعر ابن اخيه الحرث بن عباد بن زياد اذ كتب اليه منذراً : (١

الا يا عُبَيْدَ الله ، قد مات من به ملكتَ رقابَ العالمين ، يزيدُ
أتثبت القوم الذين وتزعم وذاك من الرأي الزبون بعيدُ !
وما لك غير الأزد جارٌ فاعلم اجاروا اباك ، والبلاد ، قيدُ

ومعنى كلامه ان عبيدالله بسط سيادته على العراق بقوة الامويين . اما ، وقد مات الخليفة ، والتبس امر الخلافة ، واضطرب حبل الامن ، ودبّ الشقاق في بني امية ، فما بقي على عبيدالله الا ان يختار بين الامرين : اما ان يهجر العراق الى الشام ، او يستجير بالأزد . والازد قبيلة موالية لبني امية حلت البصرة وقاتلت العاويين . فان استنجد عبيدالله بهم ، اعلن انفصاله عن اهل البصرة وصار هدفاً لعاداتهم فقاموا عليه ، وشقوا عصا الطاعة وخلعوه عن الامارة . فدخلت اذن الازمة بطورها العصيب ؛ واشعر عبيدالله انه لا بد من

١) راجع الدينوري : الاخبار الطوال ، ص : ٢٩

ان يخلي امارة العراقين او ان يستلين قلوب الجماعة . فرأى ان يدعوهم الى مؤتمر عام ، فيعرض لهم خطته بالحكم ، فيمهد السبيل الى التفاهم واياهم ، فيرضوا عليه ويجددوا له البيعة . فالتمس الحيلة الى ذلك بمناداته الصلاة جامعةً

الصلاة جامعة

كان المسلمون اذا ما توخوا النظر في امر خطير من شؤونهم المدنيـة ، يعقدون لها اجتماعات يقيمونها غالباً في جامعهم الاكبر يومَ الجمعة ، عند وقت الصلاة العامة ، حيث تحتشد الجموع ويخطب فيهم الخطباء . على ان الصـلاة « جامعةً » لم تكن في بادئ الامر لتعقد يوم الجمعة فحسب ، ولم تكن لتقام في المساجد فقط ؛ وغرضها الخاص التـداول في شؤون المملكة ؛ بل كانوا يقيمونها ايضاً في كل مكان الجأتهم الحاجة اليه . وانما اختاروا لها المساجد لرحبها وسعتها دون سائر البنايات

اما المدعوون الى الصلاة جامعةً فهم المسلمون المتمتعون بسائر الحقوق المدنية ، لهم الحق بالبيعة ، والعطـاء ؛ وعليهم واجب الدفاع عن الامصار ، ومنهم « العرائف والمناكب والمقاتلة . » وكانوا اذا ما سمعوا مناداة الصلاة تهافتوا على مكان الاجتماع لئلا يؤاخذوا بالانشقاق عن الجماعة وبالتفريق بين المسلمين . ومن كان منهم يصلي بمعزل عن الجماعة كانت صلاته غير مقبولة ، وبهذا المعنى وصف الطبري الصلاة جامعةً على عهد عبيدالله ، فقال : (١)

« فصعد ابن زياد المنبر وخرج اصحابه معه فامرهم فجلسوا حوله قبل الخطبة وأمر عمرو ابن نافع فنادى : ألا برئت الذمة من رجل من الشرطة والعرفاء او المناكب او المقاتلة صلى العشاء الا في المسجد فلم يكن له الا ساعة حتى امتلأ المسجد من الناس ؛ ثم امر مناديه فاقام الصلاة »

اخلاق السامعين

وكان عبيدالله بن زياد في عز شبابه ، لم يبلغ من العمر ٣٥ سنة ، وكان

(١) الطبري : ٢، ٣٦٠، ٦

يعرف نظام الصلاة جامعةً واصول الاجتماعات والمناقشات العامّة ، وهو أدرى بطباع العرب وكبريائهم ومفاخرتهم بحسبهم ونسبهم وعصبياتهم لاسيادهم ، وكل منهم اذا سُئل عن اصله كاد يفاخر بقول الحجاج بن يوسف لعبد الملك بن مروان : « لم تلدني أمة ، بيني وبين آدم ، ما خلا هاجر » (١

او انتحل شعر من قال : (٢

ان الذي سمك السماء بنى لنا بيتاً دعائمه أعزُّ وأطولُ ؛
بيتاً بناه لنا المليك ؛ وما بنى حكمُ السماء فانه لا ينقل
بيتاً زرارة مُجتب بفنائه ومجاشعٌ وابو الفوارس نهشلُ

وان من يبلغ منهم العتوّ والكبرياء الى القول:

فضل العز عزنا حين يسمو مثل فضل السماء فوق السحاب (٣

هم اصاب عوداً من أن ينقادوا الى ارادة زعيم او يرتدعوا لرادع ، وكل منهم ينظر الى سيده شزراً فيضمر له السوء اذا لم يجاره على اهوائه ويقول محتجاً : (٤

« أيظلمهم قسراً فتىً لعبيده وكلُّ مطاعٍ لا ابالك ظالمُ »

وكيف تخفى على عبيدالله حراجة موقفه في وسط جماعة قد أوغرت صدورها عليه حقداً ، وهو يعرف ما لتاريخ الخطابة عند العرب في مثل تلك الازمة من ذكرات تشهد للسامعين بالتعصب الاعمى وسرعة الانقلاب على زعيمهم ، وقد طالما حاول محمد نفسه في القرآن ان يكبح جماحهم ويطفئ نيران الحسد والمنافسة المتأججة في القلوب ، فيما هم يلتمسون لسماع النبي وللاهتمام في شؤون الامة ، وقد جاء في سورة الحجرات (٤٩ : ٢ ، ١١)

« لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر

---

١) الجاحظ : البيان ١ ، ١٨٠
٢) نقائض جرير والفرزدق ، وجه ١٨٢ ؛ Bevan ٣ ، ٢ ، ١
٣) اغاني : ٢١ ، ٩٧ ، ١٩
٤) الجاحظ : حيوان : ٣ ، ٢٥ ، ٥ .

بعضكم لبعض ... يا ايها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم... ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالالقاب . بئس الاسم الفسوق بعد الايمان ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون »

وهو أدرى بان العرب اذا التفوا حول الخطيب ولم يرقهم كلامه هاجوا وماجوا عليه ، وربما أدت بهم الغباوة الى المجازفة بالحصا والحجارة ردًا على الخطاب ، وأي خطيب يأمن شرهم ويسلم من نقمتهم ، وعمر بن الخطاب نفسه لم ينجُ من نقمة الناقمين حتى قتل « في المسجد بعد ما كبر » (١ فلذلك لما صعد عبيدالله المنبر ، جاءه الحصين ابن تميم قائلًا : « ان شئت صليتَ بالناس او يصلي بهم غيرك ، ودخلت أنت فصليت في القصر،فاني لا آمن ان يغتالك بعض أعدائك » (٢

السياسة ما وراء الحجاب — العثمانية

فتدبر عبيدالله الامر بحكمته ودهائه واول ما سعى به كان جمع المؤتمر ، لا في الكوفة حيث الاغلبية لحزب العلويين ، ولكن في البصرة وله فيها بين العثمانية قوم يناصرونه اذا ما احسن التفاهم معهم.

وكان العثمانية قوم بينهم وبين الخليفة عثمان رابطة الاسرة أو رابطة الولاء وكانوا ناقمين على قاتلي عثمان ، فانتصروا للامويين على العلويين ، وبعضهم يزعم ان لعلي يدًا في مقتل عثمان فاضاع بها حقه من الخلافة.

وكان منهم جماعة وفدوا الى العراق واستقروا في البصرة ، وغيرهم اقاموا في الكوفة ثم نزحوا عنها قائلين : « لا نقيم في بلدٍ يُشتم فيه عثمان» (٣ فاليهم عمد عبيدالله ، وعليهم اتكل في ترجيح كفة الميزان الى جهة الامويين ، اذا ما انتصب الجدال في المؤتمر. ولم يغفل ان يضع في كفة ذلك الميزان مقادير المال ويرشو من لهم تأثير في الرأي العام ، ففعل ما يفعله في يومنا العمال اذا ما

١) حماة الاسلام : ٩٩,١ ٢) طبري: ٢,٢٦٠,١١
٣) اسد الغابة : ٣,٣٩٧,٩

فوّض اليهم الرشحون للوظائف امر ابتياع اصوات الناخبين.

قال الطبري : (٢: ٤٣٤-٤٣٥)

« حدثنا الاسود بن شيبان عن خالد بن سمير ، ان شقيق بن ثور ومالك بن مسمع وحصين بن المنذر ، اتوا عبيد الله ليلاً ، وهو في دار . فبلغ ذلك رجلاً من الحي من بني سدوس قال : « فانطلقت فلزمت دار الامارة »

فلبثوا معه حتى مضى عليه الليل ؛ ثم خرجوا ومعهم بغل موقر مالاً

قال : « فاتيت حصيناً فقلت : مر لي من هذا المال بشيء . » فقال : « عليك بني عمك ! »

فاتيت شقيقاً فقلت : « مر لي من هذا المال بشيء » (قال ، وعلى المال مولى له يقال له ايوب) فقال : « يا ايوب اعطه مائة درهم » قلت : « اما مائة درهم فوالله لا اقبلها . » فسكت عني ساعة وسار هنيهة . فاقبلت عليه فقلت : « مر لي من هذا المال بشيء » فقال : « يا ايوب اعطه مائتي درهم . » قلت : « لا اقبل والله مئتين . »

ثم امر لي بثلاثة ثم باربعمائة . فلما انتهينا الى الطفاوة قلت : « مر لي بشيء »

قال : « ارأيت ! ان لم افعل ما انت صانع ؟ » قلت : « انطلق ، والله ، حتى اذا توسطت دور الحي ، وضعت اصبعي في اذني ، ثم صرخت باعلى صوتي : « يا معشر بكر بن وائل ، هذا شقيق بن ثور ، وحصين بن المنذر ، ومالك بن مسمع ، قد انطلقوا الى ابن زياد فاختلفوا في دمائكم » .

قال : « مالك ؟ قبل الله به وقبل ! ويلك ، اعطه خمس مائة درهم . . . »

فسكت الرجل وقد تقاضى ٥٠٠ درهم على سكوته . واعلم ان شقيقاً وحصيناً ومالكاً كانوا من زعماء القوم وقادتهم . فلقنهم عبيدالله فأكلوا وشبعوا فلا خطر عليه من معارضتهم اذا ما قام خطيباً في القوم عسى ان يستعطف الجماعة ويستميل قلوبهم .

خطاب عبيدالله بن زياد

رواه الطبري ولعله موجز . وهو ، على ايجازه ، آية من آيات الفن الآخذ بالباب الجماعة . استهله الخطيب بحمدالله وذكره ، ثم تخطى بكلام اطيف جذاب الى قلوب سامعيه ، فاثار فيهم الحمية القومية ، وانتمى اليهم كأنه يلتمس حمايتهم ، وقد ترك من اجلهم آله ووطنه « فصار منهم وفيهم . » وما اكثر ما نسمع هذه العبارة على افواه المتولين تدبير الشعب وحكمه ، خاصة اذا ما حانت ساعة الانتخابات ، قال :

« يا اهل البصرة انسبوني فوالله لتجدنّي اصاهر والدي ومولدي فيكم وداري .»

وان عبيدالله لعارف بمفاخرة البصريين بعددهم وعديدهم ، وانهم يستحسنون الخدمة في الجندية ، وهي لا تكلفهم سوى حمل السلاح للذود عن امصارهم اذا ما دُعوا الى ذلك ، وهم يتقاضون عليها الرواتب ، ويتراوح راتب المقاتل سنوياً بين ٦٠٠ و١٠٠٠ درهم ، فذكّرهم بان عدد المقاتلة في امصارهم قد ازداد على ايامه فقال :

« وليتكم وما أُحصي ديوان مقاتلتكم الّا سبعين الف مقاتل ؛ ولقد أُحصي اليومَ ديوانُ مقاتلتكم ثمانين الفاً ؛ وما أُحصي ديوان عمّالكم الّا تسعين الفاً ؛ ولقد أُحصي اليوم مئة واربعين الفاً »

وهل من صفات في الحاكم احب الى الرعية من محافظته على الامن وسعيه في سبيل عمران البلاد وغناها ؟ وهل من حنكة احق بالثناء من حنكة الزعيم الذي يبعد عن ذكر السامعين كل ما عساه ان يهيج الخواطر ؟ ولما كان عبيدالله عالماً بخوف العراقيين من الشام وجندها فلم يأتِ على ذكرها ، بل نوّه باسم يزيد تنويهاً لكنه نبّه السامعين الى ما اصطنعه في سبيل خيرهم وراحتهم وهو على ذلك لا يطلب الّا ثقتهم ومبايعتهم ، وهو متفق واياهم في جميع الاحوال

« وما تركت لكم ذا ظنة اخافه عليكم الا وهو في سجنكم ؛ هذا وان امير المؤمنين يزيد بن معاوية قد توفي ، وقد اختلف اهل الشام ، وانتم اليوم اكثر الناس عدداً ، واعرضه فناء ، واغناه عن الناس واوسعُهُ بلاداً ، فاختاروا لانفسكم رجلاً ترتضونه لدينكم وجماعتكم ، فانا اول راضٍ من رضيتموه ، وتابع . فان اجتمع اهل الشام على رجل ترتضونه ، دخلتم فيما دخل فيه المسلمون ؛ وان كرهتم ذلك ، كنتم على جديلتكم ، حتى تعطوا حاجتكم فما بكم الى احد من اهل البلدان حاجة ، وما يستغني الناس عنكم » (١

فتحرك السامعون لهذا الكلام ، واستحسنوا الخطاب وتظاهر زعماؤهم

(١ طبري ٢ : ٦٣٣–٦٣٤

بالاعجاب، وكان لهم خطباؤهم وتراجمة عواطفهم في مثل هذه المواقف فامروهم بالجواب. قال الطبري :

« فقامت خطباء اهل البصرة فقالوا: قد سمعنا مقالتك ايها الامير وانا والله ما نعلم احداً اقوى عليها منك . فهلمّ نبايعك»

وكأني بعبيدالله يبغي مساومتهم صدق نياتهم قبل مصافقتهم على البيعة فقال : « لا حاجة لي في ذلك فاختاروا لانفسكم » فأبوا عليه ، وأبى عليهم ، حتى كرروا ذلك عليه ثلث مرات فلما ابوا بسط يده فبايعوه»

وكان قد اعرب عن قصده تولي الامر باسمهم ، والسهر على توزيع المال والدفاع عن ذمار المسلمين

فقال : « ان الذي كنا نقاتل عن طاعته قد مات فان امرتموني جبيت فيئكم وقاتلت عدوكم»(١

بعد اللتيا والتي

ففرح القوم عند سماعهم هذا الكلام ، وايقنوا ببلوغ الارب بجزيل العطاء وقد اصبحت اموال المسلمين اموالهم ؛ فلا يرسل منها الى الشام ما يفضل عنها بالعراق ، بل يوزّع عليهم . فالامور اذاً تسير على رغائبهم وشهواتهم . الا انهم لم ينسبوا الفضل في ذلك الى اميرهم بل احتقروه لتواضعه لهم ، وافراطه بمجاملتهم وملاطفتهم . فانفرط عقد الصلاة جامعةً ، وخرج القوم ، وهم يتهامسون ويقولون: « لا يظن ابن مرجانة (٢ انا نستقاد له في الجماعة والفرقة ، كذب والله ، ثم وثبوا عليه»

وهكذا بعد اللتيا والتي اخفق الصائد واورق ، فخاب سعي الامير وتنازل عن الامارة ، وهرب من العراق الى الشام . فاضطرمت نار الفتنة في البصرة والكوفة

---

١) طبري ٢٢ : ٤٥٩ ٢) مرجانة : ام عبيد الله وكانت اميرةً فارسية

الكهرباء ومستقبلها في لبنان

بقلم انطوان باز

المهندس من المكتب الافرنسي في بيروت ، ومن مدرسة الكهرباء العليا في باريس

٢

توتر المجرى (Tension)

امّا توتر المجرى للمولدات الكهربائية فيتراوح بين ١١٠ و ١٠,٠٠٠ ڤولت وهذا العدد لا يتخطّى الّا نادرًا ، اولًا : الخطر المتأتي من ذلك . وثانياً : اصعوبة عمل الآلات لهذه الغاية . وفي الغالب لا يتجاوز التوتر خمسة آلاف ڤولت ، وهذا كافٍ لنقل القوة بطريقة اقتصادية الى مسافة بضعة كيلومترات . واذا زادت المسافة ، فيحولون المجرى في المركز الكهربائي بواسطة محوّلات من توتر خمسة آلاف ڤولت الى اكثر ، وينقل الى مكان الاستخدام ، اذ يعدّل فيحوّل الى توتر عادي ١١٠ ڤولت ، سهل الاستعمال ، خالٍ من الخطر

نقل القوة الكهربائية

وتنقل القوّة الكهربائية بواسطة اسلاك من النحاس او البرونز (bronze siliceux) تُمد في الهواء على اعمدة من الخشب او الحديد ، ولا يجوز اختلاط الاسلاك بهذه الاعمدة ، لئلّا تتسرّب الكهرباء منها الى الارض. فلذلك يُعمد الى مقاعد من البورسلان تدعى فاصلة (isolateurs) يُعقل بها السلك ؛ والبورسلان معروف كوصل رديء (mauvais conducteur) امّا ثخانة السلك فتابعة لتوتر المجرى ، والقوّة المنوي نقلها ، والخسارة المقبول بها عند النقل ، ونوع معدن السلك ، حسب قاعدة معروفة عند الفنيين . ولتوتر المجرى اهمية كبرى في تخفيض نفقات النقل كما يظهر من المثل الآتي :

منظر لانابيب الماء الساقطة على مركز زحلة الكهربائي
لادارة الدوامات وبواسطتها المولدات الكهربائية

هب اننا نريد نقل قوة مائة كيلووات اي مائة الف وات (ما يقارب ١٣٥ حصاناً) الى مسافة ١٥ كيلومتراً (مثلاً من نهر الكلب الى بيروت) بخسارة ١٠٪ والمجرى متناوب بسيط. فلو استعملنا توتر ١٠٠٠ ڤولت، لاحتجنا الى سلك قطره ٣٥ مليمتراً مما يوازي ٢٥٨٠٠٠ كيلو من النحاس للخمسة عشر كيلومتراً. وهذا الوزن من النحاس يبلغ ثمنه اليوم، على معدّل ثمن الكيلو الواحد ١٠ فرنكات فقط، مليونين وخمسماية وثمانين الف فرنك اي ماية وتسعة وعشرين الف ليرة سورية. فلو اخترنا، لنقل القوة نفسها توتر خمسة آلاف ڤولت عوضاً عن الالف، لاكتفينا بقطر ٧ مليمترات وكان وزن السلك من النحاس، للخمسة عشر كيلومتراً، ١٠٠٠٠ كيلو وثمنه ماية الف فرنك فقط.

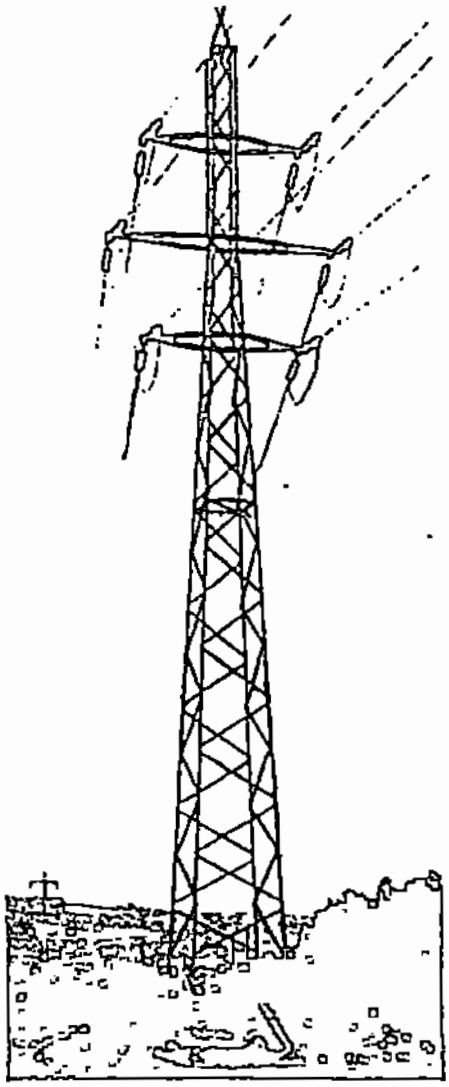

رسم ١ : عمود لمدّ الاسلاك في نقل القوة الكهربائية

فيظهر مما سبق اهمية المجرى المتناوب في نقل القوة، وقد توصلوا اليوم الى توتر ٢٥٠ الف ڤولت.

ويجب الانتباه الى بُعد الاسلاك بعضها عن بعض لئلا يُلهبها الهواء، فتلتصق

فتسبب شرارة كهربائيـة . وهذه الشرارة او الشهاب الكهربائي يحدث ايضاً بقوة التوتر اذا قرب السلك من الآخر دون ان يلصق به . لذلك قد حدّدوا ، بحسب التوتر ، المسافة التي يجب حفظها بين السلك والآخر ؛ كما انهم حدّدوا ايضاً علوّ الاسلاك فوق الارض بحسب التوتر ، تأميناً للمارّة ، كما في الجدول الآتي :

توتر المجرى	المسافة بين الاسلاك	علوّ الاسلاك فوق الارض
١٠٠٠٠ فولت	٤٥ سنتيمتراً	٨ امتار
٢٠٠٠٠ «	٦٠ «	«
٣٠٠٠٠ «	٨٠ «	«
٤٠٠٠٠ «	١٠٠ «	«
٥٠٠٠٠ «	١٢٠ «	«
٦٠٠٠٠ «	١٤٥ «	«
٧٠٠٠٠ «	١٦٥ «	«
٨٠٠٠٠ «	١٩٠ «	«
٩٠٠٠٠ «	٢١٥ «	«
١٠٠٠٠٠ «	٢٤٠ «	«

المراكز الصغيرة

خلاصة القول ان نقل القوّة الكهربائية شيء مكلف ، خصوصاً للقوّات الصغيرة . لذلك ليس من الحكمة نقل القوّة من قرية لأنارة قرية اخرى تبعد اكثر من ١٠ او ١٥ كيلومتراً عن الاولى . بل الافضل توليد الكهرباء في نفس القرية التي ستصرف فيها . هذا فيما يختصّ بالقرى ، أمّا المدن الكبيرة

فلا خوف من نقل القوة اليها من مسافات بعيدة، خصوصاً اذا كان توليدها على الماء. لأن كمية القوة الوافرة تسهل على الشركات استيفاء نفقات النقل.

اذاً نحن نعلق اهمية كبرى على المراكز الصغيرة التي تُتيح لكل قرية انارة ذاتها، واي قرية تخلو من نهر او ساقية او ينبوع يولد من الكهرباء ما يكفي اهلها والجوار؟ ثم إنّ هنالك طواحين عديدة يمكن، بمبلغ وجيز، تحويلها الى مراكز كهربائية. وتنبيهاً للأفكار نعطي فيما يلي نفقات مشروعين في هذا الباب:

المثل الاول

إن مياه نبع القاع الخاصة باسقفية صيدا ودير القمر المارونية تأتي من جسر الصفا الى كرسي الاسقفية في بيت الدين بواسطة قناة يتراجع بناؤها الى عهد الامير بشير. فتنحدر بعلو مائة متر تقريباً لادارة طاحونين على جانبي طريق بيت الدين - بعقلين وعيار الماء في «الشحايح» مائة ليتر في الثانية. فلو حوّلنا احدى الطاحونين الى مركز كهربائي بواسطة دوّامة ومولّد، لكان لدينا من القوّة ما يقارب المائة حصان وهي كافية لانارة بيت الدين ودير القمر وبعقلين. أما نفقات هذا المشروع فتبلغ مائة وعشرين الف فرنك، اي ستة آلاف ليرة سورية، كما هو مبيّن ادناه:

دوّامة للقوّة السابق ذكرها	١٥٠٠٠	فرنك
مولّد للكهرباء (alternateur)	١٧٠٠٠	«
منظّم للسرعة (régulateur)	٠٨٠٠٠	«
«قساطر» لايصال الماء الى الدوّامة	٢٥٠٠٠	«
تيّار (volant)	٠٢٠٠٠	«
لوحة (tableau) لقياس التوتر والمجرى	٠٢٠٠٠	«
نفقات شحن من اوربة	١٥٠٠٠	«
اجرة تركيب الماكنات والقساطر	٢٥٠٠٠	«
نفقات بناء لتحويل الطاحون	١١٠٠٠	«
المجموع	١٢٠٠٠٠	فرنك

فيكون لكل بلدة اربعون الف فرنك اي الفي ليرة سورية ، ما عدا نفقات مدّ الاسلاك من بيت الدين الى دير القمر وبعقلين.

المثل الثاني

في مجرى احد الانهر طاحون نريد تحويلها الى مركز كهربائي . عيار المياه ٢٠٠ ليتر في الثانية . علوّ الانحدار ٩ امتار

ان القوة المحتمل توليدها تقارب الثمانية احصنة اي ما يكفي لانارة قرية صغيرة ، اما نفقات المركز فهي :

دوّامة	٨٠٠٠	فرنك
مولّد لمجرى مستمر	١٨٠٠	«
لوحة وتيّار	٢٠٠٠	«
نفقات شحن	٣٠٠٠	«
اجرة تركيب الماكنات وبناء المركز	١٢٢٠٠	«
المجموع	٢٧٠٠٠	فرنك

لم نجعل منظماً السرعة لغلاءه بالنسبة لثمن الماكنات

الجر الكهربائي

ولا بدّ لنا الآن من كلمة في الجرّ الكهربائي بعد ان اصبح من ضروريات الحياة.

انّ تاريخ الجرّ الكهربائي يتراجع الى سنة ١٨٣٤ ، حيث قام احدُ عمّال الاميركان واسمه Thomas Davenport باختراع ماكنة كهربائية اساسها القوّة المغنطيسية تدور على البطاريات . غير إنّ عربته ، اذ ذاك ، كانت اشبه بالالعوبة منها بعربة استخدام ، اولاً لعدم وجود قوة كافية ؛ وثانياً لضرورة تغيير البطاريّات كلّما فرغت . انما فكرته هذه كانت فاتحة عصر جديد للدرس

والتنقيب . ولم يتقدم فنُّ الجرّ الكهربائي الّا يوم بيّن العالم الفرنساوي هيوليت ڤونتان ، باختبارات شهيرة ، امكان نقل القوة الكهربائية ، بواسطة الاسلاك ، الى مسافةٍ بعيدة واستخدامها لادارة المحرّكات . وعلى اثر ذلك قام سيمنس وهالسك ببناء خطٍّ كهربائي لمعرض برلين سنة ١٨٧٩ ، وهو اوّل خطٍّ سهل الاستخدام . وقد حققوا فيه ، وقتئذٍ ، سرعة اثنتي عشر كيلومترًا في الساعة . ثم قاما ببناء خط ترامواي طوله ٥٠٠ متر لمعرض الكهرباء في باريس سنة ١٨٩٣ . وفكّر بعد ذلك المهندسون في استخدام الكهرباء للخطوط الطويلة فكانت نهضةٌ تبارى فيها دول اوربة واميركة .

والجرّ الكهربائي على نوعين : منه ما يتعلق بالمدن وضواحيها ، وهنالك الترامواي والتروبوليتان . والتروبوليتان قطارٌ كهربائي يسيرُ في انفقةٍ تحت الارض ، نظرًا لازدحام الشوارع في المدن الكبرى . وله محطات مخصوصة كل ثمانماية او الف متر ينزل فيها الركاب ثم يصعدون منها الى ما فوق الارض . وهذه الانفقة والمحطات منارة كلها بالكهرباء ، حتى إنَّ الداخل اليها لا يدري اهو تحت الارض ام عليها . ومن زارَ باريس او لندرة دُهش لهذا الاختراع العجيب الذي لولاه لوقفت كلُّ حركة ولضاقت الشوارع ذرعاً بالرائحين والغادين . واني اذكر مرةً في العام الماضي في باريس ان ذلك القطارَ وقف ساعةً بسبب انقطاع المجرى ، فصار حول ذلك ضجةٌ كبرى ورفع الامر امام البرلمان الفرنساوي للمناقشة فيه . وعند ساعات الازدحام ، اي حوالي الساعة التاسعة صباحاً والسابعة مساء ، يمر ذلك القطار كل دقيقة او دقيقتين تقريباً . وفي كل محطة تنزل منه الناس وتصعد اليه افواجاً .

وعلى شكل التروبوليتان القطارات التي تصل ، بالمدن الكبرى ، توابعها وضواحيها كخط باريس - ڤرسايل وهو ذو حركةٍ عظيمة لانَّ كثيرين من ذوي الاشغال ، في باريس ، يؤثرون السكنى في الجوار نظرًا لجودة المناخ ورخص الاجور ، فيذهبون كل صباح الى العاصمة ويرجعون في المساء الى بيوتهم . وهذه القطارات تسير كل ربع او نصف ساعة على الاكثر ، فتقطع بعشر دقائق

مسافة ١٠ او ١٥ كيلومتراً

ومن الجرّ الكهربائي ما يتعلق بالخطوط الطويلة (grande traction) ، كخط باريس - اورليان - بوردو ، وخط بوردو - تولوز في فرنسة . وهذه المشاريع ذات نفقات واهية اذ تستوجب ، عدا مدّ الاسلاك ، مراكز لتحويل المجرى ، كل ١٥ او ٢٠ كيلومتراً . انما بعض الحكومات ، خصوصاً من كانت بلادها فقيرة بالفحم الحجري غنيّة بشلالات الماء ، تمدّ الى الشركات يد المساعدة في هذا السبيل لاسباب وطنية سياسية . مثل ذلك ايطالية التي عرفت ان تستغني رويداً رويداً عن جاراتها . وها ان لديها الآن ٥٢٤ قاطرة كهربائية (automotrice) مقابل ٤٦٥ في الولايات المتحدة ، و ٣٦٦ في فرنسة و ٣٠٤ في المانية ، و ٢١٤ في سويسرة

ورغم تقدّم الجرّ الكهربائي فلا يحسب الناس ان القطارات البخارية اصبحت في دور التلاشي ، فهي والقطارات الكهربائية تتعاضدان في سبيل منفعة الانسان . ولا يمكننا ان نختم باحسن ما قاله المهندس الكبير في هذا الفن السيد سبراغ (Sprague) حيث قال سنة ١٨٩٥ : « لا اظن أنّ احداً كان اشدّ اختلاطاً مني بصناعة الجرّ الكهربائي ولا اكثر ايماناً بمستقبله . انما ذلك المستقبل لا يتوقف على ذلك صرح المجموع الحاضر . إنّ الكهرباء سوف تخلف البخار في كثير من الخطوط فتستولي على الترامواي والتروبوليتان وتكون مساعداً قوياً للخطوط الطويلة ، لكنها لم تحكم بعد بموت القاطرة البخارية ، فلكلّ منها نطاقُ عمل محدود ، ولكل منها دورٌ تمثله » .

نوع المجرى المستعمل للجر

يستعمل للترامواي المجرى المستمرّ بتوتر ٦٠٠ ڤولت نظراً لمرونة المحركات بالمجرى المستمر . وهذا المجرى يسير ، من المولدة الكهربائية ، في سلك جوّي ، منفصل عن الارض ، فيدخل الى المحرك الموجود تحت عربة الترامواي ، بواسطة البكرة ، فيديره ويخرج منه ويعود الى القطب السلبي من المولدة

بطريق الخط الذي هو موصل حسن (انظر الرسم ٢)

ومن الشركات ما تستعمل ايضاً الجرى المستمر للخطوط الطويلة فهي تولد المجرى المتناوب ، لسهولة نقله ، وتحوّله في مراكز على طول الخط الى مجرى مستمر يسير في الاسلاك لتسيير العربات . فان خط باريس - بوردو

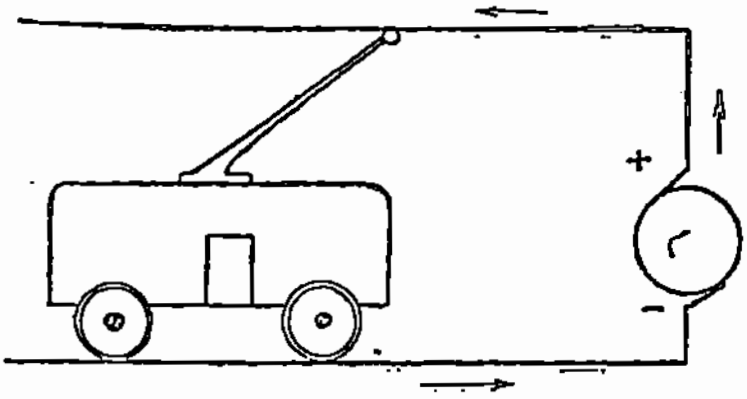

الرسم ٢ – قاطرة كهربائية

معمول لمجرى مستمر ١٥٠٠ ڤولت . وهذا المجرى يولّد في مركز اكيزون (Eguzon) على نهر الكروز (Creuse) بقوة ٧٥ الف حصان . والسدّ المبني يجمع ٥٤ مليون متر مكعب من الماء وهو يعد من اعظم المشاريع . كيف لا وطوله يبلغ الثلاثمائة متر ، وعلوه الستين،وعرضه الفوقي ٥٥ سنتيمترًا وعند الاساس خمسة امتار . يولّد المجرى المتناوب بتوتر ١٠٥٠٠ ڤولت ، فيرفع في المركز الى ٩٠٠٠٠ ڤولت الثقل ثم يسير في اسلاك على جانب الخط حيث يحوّل قسمٌ منه كل ١٥ و ٢٠ كيلومترًا الى مجرى مستمر لتشغيل القاطرات .

وقد اصطلحوا في سويسرة على استعمال المجرى المتناوب المثلث بواسطة محركات مخصوصة .

ومن مزايا الجرّ الكهربائي ، التخلّص من الدخان المزعج المركاب ومن حمّ الماكنات البخارية كلما استعدت القاطرة للسير .

السيارة الكهربائية

ولقد سعى اصحابُ الفن الى تطبيق الجرّ الكهربائي على السيارات. وطريقة ذلك هو ان يُستبدل المحرك العادي على البنزين بمحرّك على الكهرباء تديره بعض خزّانات(١ تجعل ضمن العربة. انما هذا الاختراع لم يُعمَّم بعد، خصوصاً للمسافات البعيدة، لان الخزّانات الموجودة اليوم لا تخزن الّا كمية وجيزة من الكهرباء. واذا اردنا زيادة هذه الكمية زاد حجمها وثقلها فقلّ محمولُ السيارة. ولا يخفى ان هذه الخزّانات كلّما فرغت وجب ملؤها بالمجرى المستمر. فلو فرغت مثلاً في قرية او على الطريق ولم يكن ما يُستعاض عنها لتعطّلت السيّارة عن السير. وقد حاولوا في اوربة ان يكون على الطرقات مراكز لملء الخزّانات وفي ذلك صعوبة من وجه ثانٍ وهي ان ملء هذه يستلزم اربع او خمس ساعات على الاقل والسيارة التي تقف لا يمكنها الانتظار. فيجب اذاً ان يكون في تلك المراكز خزّانات مملوءة حتى لو جاءت سيارة وضعت خزاناتها الفارغة واخذت عوضها. ولكن من يرضى باستبدال خزاناته بغيرها؟.

لذلك لا يُعمَّم الجر الكهربائي بواسطة السيارات الّا متى توصلوا الى اختراع خزّانات للكهرباء خفيفة الوزن، عظيمة القوة. وقد خُيّل الى العلماء انهم وجدوا حاجتهم المنشودة لمّا قام، منذ اشهر، الاب الناديا اليسوعي الاسباني باختراع خزّان متمم للشروط السابق ذكرها. انما ظهر، لسوء الحظ، ان اختراعه هذا لا يزال في المهد. واليكم ما قاله احد اشهر اختصاصيي الفرنسيس السيد جيمو (Jumeau) في هذا الصدد:

« اننا نشكّ في ان نرى ابداً خزّانات للكهرباء تمكّن من قطع الف كيلومتر، كما زعمت الجرائد الاسبانيولية عن خزّان الناديا. لكن ذلك لا يمنعنا، منذ الآن، تطبيق الجر بواسطة الخزّانات على سيارات المدن

(١) الخزّان هو نوع من البطارية مُعلأ من الكهرباء كلما فرغ. ويقدر ان يعطي اضعاف اضعاف ما تعطيه البطاريات العادية من القوة. والفرق ايضاً هو ان البطاريات لا تجدّد متى فرغت (بطاريات الجيب)، او تجدّد بملح كيماوي (البطاريات السائلة)

(كالعدّاد التاكسي) وغيرها ، وقاطرات المناجم والمعامل ، ما دام تبيّن أن الحرّاثات الحالية كافية لتحقيق هذه الاعمال »

استخدام الكهرباء

وهذا الجرّ لم تدع الكهرباء فناً الّا تسرّبت اليه فقلبته او حسّنت فيه . فهنالك التنوير الكهربائي وكلٌّ يعلم محاسنه وسهولة استخدامه (راجع مقالة المشرق ، عدد ايار)

وفي بلادنا يمكننا استخدام الكهرباء ، متى كثرت ورخصت ، في الوف من المسائل الحيوية ، كالتدفئة ، وري الاراضي ، وتحريك المحرّكات الصغيرة كالتي تدير مكابس الزيت ومناشير النجارة . وقد شعرت الحكومات بما تؤديه من الخدمات في القرى والضياع الزراعيّة فقرّرت نشرها فيها . وهي الآن تُستعمل في « العراد » (fermes) لادارة آلات عمل الزبدة والجبن ، ولدرس الحبوب عند حصدها ، وغربلة القمح ، ونقله ، ونقل التبن لخزنه . فكل ذلك يخفّف من اليد العاملة ، خصوصاً في البلاد المتقدّمة اليها . وقد عملت المعامل محركات نقّالة يكتفي الزارع او الفلّاح بواحد منها للري تارة ، وتارة لنشر الحطب ، واخرى لدرس القمح الخ . . . كما يرى في الرسم ٣

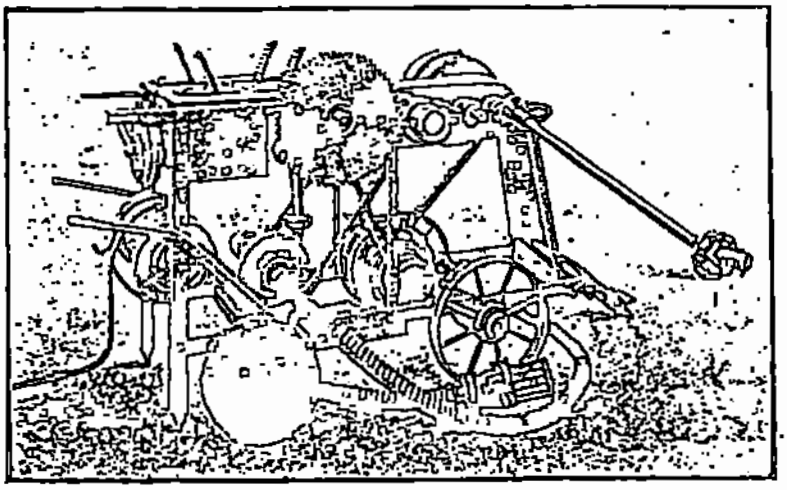

الرسم ٣ - محرّك نقّال مختلف الاستعمال

ومن غريب ما توصلوا اليه في هذا الفن هو حمّ الاراضي لزرع البقول ، خصوصاً في جوار المدن حيث السماد نادر ، وطريقة ذلك هو ان يُمدّ ، تحت قطعة الارض المنوي زرعها ، حبلٌ كهربائي يسير فيه المجرى ، فيعطيه من الحرارة ما يكفي . وقد جرّبوا تلك الطريقة ، في العام الماضي ، في عاصمة اسرج ؛ فتمكنوا من انتاج ستين الف خسّة بمدة وجيزة ، وزمن النضج اقلّ ٢٥ في المائة منه بالطريقة العادية. وفي انكلترة اصبحوا ينيرون بيوت الدجاج بواسطة الكهرباء حتى يتساوى ليلها ونهارها فتكثر من البيض في ايام الشتاء . ومنهم ايضاً من استعمل الكهرباء لتفقيس البيض وبعض الآلات تضم ٢٤٢٠ بيضة.

تعريفة القوة الكهربائية

اما وقد القينا نظرةً على كيفية توليد الكهرباء واستخدامها فيجدر بنا الآن ان نبحث في كيفية بيعها.

ان طريقة بيع القوة الكهربائية تختلف بحسب الشركات والاصقاع . ففي البلاد الغنية بشلّالات الماء، يبيعون الكهرباء بالكيلووات السنوي، اي ان الزبون يشترك بكيلووات او اكثر لمدة سنة فيخوّله ذلك حقّ استعماله ما شاء ، كما ان مشترك الماء في بيروت وغيرها يقدر ان يفتح حنفيته طول النهار والليل. اما تلك الطريقة تدفع بالزبون الى الاسراف . ثم انها لا تسمح له ، عند اللزوم ، بزيادة ما اكتسب به من القوة. فلو فرضنا ان رجلًا اكتتب بكيلووات واحد اي بما يوازي قوة ٧٥٠ شمعة تقريباً ، واضطرّ ، في ليلة ساهرة ، الى انارة الف شمعة لَلَعِبَ العيار وقطع عنه المجرى فانطفت القناديل كلها . ولا يعود المجرى الّا متى رفع ما وضعه من الزيادة في القناديل فيعود اليه النور . والعيار هذا بسيطٌ وارخص من العداد العادي.

وفي الغالب تباع الكهرباء بالكيلووات في الساعة، وبالفرنسية «كيلوواتار» (kilowattheure) وهو نتيجة ضرب القوة الكهربائية بعدد ساعات الاستخدام. مثلًا: قنديلان قوة كل واحد منها ٢٠٠ شمعة يستلزمان قوة نصف كيلووات تقريباً . فلو اضأناهما ساعتين لسجّل العداد ٢×٠,٥٠ اي « كيلوواتار » واحد

اما ثمن الكيلووات في الساعة فتابعٌ لنوع القوة وساعة اخذها . فالقوة

الكهربائية التي تؤخذ للنور تباع بأغلى من التي تستعمل للقوة الحيلية رغم كونهما واحدة ، وسبب ذلك هو ان ما تنفقه القناديل وجيز وما تنفقه المحركات كثير ، فلا يجوز بيع الاثنين بسعر واحد . ثم إنَّ لطلب القوة الكهربائية ساعاتُ ازدحام كالساعة الخامسة شتاء حيث تنار الاضواء ولا تزال المعامل دائرة ، فتضطر شركات توزيع الكهرباء الى زيادة مولداتها . لذلك فالكيلووات في الساعة في هذا الوقت يُباعُ باغلى منه في الصباح او عند الظهر او في الليل بعد الساعة الثامنة او التاسعة . وقد عملوا لتسجيل القوّة عدّادًا مزدوجاً موصولاً كهربائياً بساعة عادية . فتدور هذه الساعة بحيث انه متى وصل العقرب امام الساعة الخامسة مثلاً يسير المجرى في العدّاد ٢ عوضاً عن العدّاد ١ او بالعكس .

ويوجد ايضاً العدّاد المثلّث للقوة التي تُصرف في الليل وفي النهار وفي ساعات الازدحام وتلك الارقات مقسومة هكذا لمدينة باريس :

	تعريفة الليل	تعريفة النهار	تعريفة ساعات الازدحام
مدة فصل الشتاء من اول ت ١ الى ٣١ آذار	من الساعة ٦ مساء الى الساعة ٧ صباحاً ومن الساعة ١١٫٧ الى الساعة ١٫٧ بعد الظهر	من الساعة ٧ الى الساعة ١١٫٧ صباحاً من الساعة ١٫٧ الى الساعة ٣ بعد الظهر	من الساعة ٣ الى ٦ مساء
مدة فصل الصيف من اول نيسان الى ٣٠ ايلول	من الساعة ٦ مساء الى الساعة ٧ صباحاً من الساعة ١١٫٧ الى الساعة ١٫٧ بعد الظهر	من الساعة ٧ الى الساعة ١١٫٧ صباحاً من الساعة ١٫٧ الى الساعة ٦ مساء	

امّا ثمن الكيلووات في الساعة فهو :

لليل	٠٫٣١٠	فرنكاً اي غروش سورية	١٫٥٥
للنهار	٠٫٧٦٣	« «	٣٫٨١
لساعات الازدحام	١٫٤٩٢	« «	٧٫٤٦

هذا فيما يختص بالعداد المثلث امّا في العدّاد البسيط فهكذا :

ثمن الكيلووات في الساعة للتنوير	١٫٦٨	فرنكاً اي غروش سورية	٨٫٤٠
« لغير التنوير	٠٫٩٨٩	« «	٤٫٩٥

وهذه الاسعار تابعة للاحوال الاقتصادية كثمن الفحم ، واجرة اليد العاملة. فهي اذاً قابلة للتغيير تحت مراقبة قائمقام السين.

وربّما يعجبُ البعض من فرق ثمن القوّة الكهربائية في باريس وفي بيروت ، حيث يباع الكيلووات في الساعة بخمسة غروش ذهب اي خمسة فرنكات بدلاً من ١,٦٨ فرنكاً . وربما يزيدون عجباً اذا عرفوا انه في بعض ضواحي فرنسة ، حيث تولّد الكهرباء بواسطة شلّالات الماء ، يبيعون الكيلووات في الساعة بستين سنتيماً اي بثلاثة غروش سورية. انّما ما يتيسّر لشركة عظيمة كالتي تنير باريس ، وفيها اربعة ملايين نفس،لا يتيسر لغيرها من الشركات الصغيرة . اولاً لانه متى كثرت القوة قلّت بعض النفقات نسبةً ، ثم ان استيراد الفحم والمواد المشتعلة اهون لباريس منه لبيروت ، وباريس على مقربة من مناجم فحم شمالي فرنسة ومناجم فحم انكلترة . ومع ذلك فنحن نرى ان ثمن الكهرباء في بلادنا لا يزال فاحشاً،فلا يسمحُ لنا بالتمتع بكل ما يعطيه هذا السيّال من الرفاهية كالتدفئة والطبخ وادارة المراوح والمحركات . وانني اكتفي لذلك بمثل صغير :

ان بابور التدفئة على الكهرباء قوته العادية نصف كيلووات . فلو اشعلناه خمس ساعات فقط في كل يوم من ايام الشتاء لجاءنا بمصروف ٠,٥٠٠×٥=٢,٥٠ كيلووات في الساعة اي ١٢,٥٠ غرشاً ذهباً على معدل الكيلووات في الساعة خمسة غروش . فمن منا ، وان كان غنيّاً ، لا يضنُّ بصرف هذا المبلغ وهو يقدر ان يصطلي عشر ساعات بواسطة بوابير على الكاز لا تصرف جزء هذه القيمة.

انا نتوجع لهذه الحالة ! انّما نعلق على المستقبل آمالاً نرجو ان يحققها الغد. فمتى قامت شركاتنا واغتبطنا بتحقيق مشاريع نهر ابراهيم، والصفا، والاولي، وغيرها ومتى تحوّلت قوةُ مياه لبنان سيّالاً كهربائيّاً ، تيسّر لكل منا استخدام الكهرباء لكثير من الحاجات الضرورية ، مقابل بعض دريهات . فتقدمت الصناعة ، والزراعة ، وكان لساكني البلاد عصرُ رفاهية وسعادة.

ابن سعود ايضاً وايضاً

كتاب جديد للريحاني

بقلم الاب لامنس اليسوعي

مصائب قوم !..

كثر الضجيج مؤخراً حول ابن سعود وحول وهابيته (راجع مشرق ايار ص ٣٣٧–٣٤٤) ولم يكن ذلك مما يسوء طابعي المؤلفات عن بلاد العرب، في حالتها الحاضرة، وهم يتطلبون فرصةً للاعلان عن كتبهم، فكيف اذا اتتهم عفواً !

فلا عجب اذاً ان رأينا امين الريحاني يمدّ طبعةً جديدةً «لملوك العرب». بينا كانت الصحافة تحرّك النزّاعة الوهابية، كان «فيلسوف الفريكة» ينشر في لندرة (Ibn Sa'oud of Arabia, his people and his land) وها نحن نستلم اليوم، من القلم نفسه، «تاريخ نجد الحديث، وسيرة ابن سعود»

ان شخصية ابن سعود، وآثاره، واعماله، تملأ اكثر من ثلاثة ارباع الكتاب. فيظهر بكل صراحة ان هنا غاية المؤلف المهمّة. ويدلّ على ذلك ايضاً تقدمة الكتاب الى ابن سعود؛ وهي تستحق درساً خاصاً، على قصرها وايجازها :

يبدأ المؤلف بذكر «العهد السعودي» كمن يذكر عصراً ذهبياً. فلا يرى، في كل تاريخ العرب، الّا فراغاً تاماً، منذ عهد الخليفة عُمر الى عهد ابن سعود، الذي يلقبه الريحاني «بعُمر ثانٍ»؛ وقد كان هذا اللقب، حتى اليوم، يختص بالخليفة الاموي عُمر بن عبد العزيز. ثم يقول المؤلف :

«كان في بني امية معاوية، وفي بني العباس المأمون، وفي الايوبيين صلاح الدين. ثلاثة من عظام العرب، بل من عظام الرجال في التاريخ العام. ولكنهم، وان وصلوا الى ذرى المجد ورفعوا اعلام العرب في اقاصي البلدان، فلم يتمكّنوا من بسط سيادتهم على شبه الجزيرة كلها. ولا كان يحميهم العنصر الاكبر فيها، اي البدو، الا كحطب للحروب»

ونحن نمرّ بسرعة على ذكر الكردي صلاح الدين الذي ينعته المؤلف بالعربي ، ويقيم منه مقابلاً لمعاوية والمأمون قوّةً وادارةً . على اننا نقف قليلاً عند حكم الريحاني على الامويين ، فيسمح لنا القرّاء ان نفضّل على هذا الحكم حكماً آخر لاحد معاصري الامويين ، وهو الشاعر ابن قيس الرقيّات ، الذي كان عدوّهم ، ولكن الحقيقة انتزعت منهُ هذا الاقرار فقال:

واضع معدن الملوك ، فلا تصلح ، الّا عليهم ، العربُ !

وهنا امر يتّفق على اقراره جميع المستشرقين ، وهو ان عصر بني امية كان اوفر العصور مجداً للعرب ، بل كان عصرهم الذهبي . ومن بعدهم ، بدأ العنصر العربي بالانحطاط ، اذ انتقلت الاسبقية في الخلافة الى العناصر غير العربيّة .

ولنذكر ايضاً ان الخليفة عمر نفسه ، هو الذي قال عن البدو انهم « مادّة الاسلام »(١) يعني انهُ كان يستعين بهم لسدّ الثُلم في جيش المسلمين . ولقد كان الخليفة عمر اوفر اسلاماً من ان يعاكس القرآن الذي يدعو جميع البدو « منافقين » ، فلم يمكنه اذاً ان يعتبرهم الّا « كحطب للحروب » .

وعلى كل فان الله اشفق على العرب ، بعد ان انتظروا ١٣٠٠ سنة ، على قول الريحاني :

« الف وثلاثمائة سنة ! ثم كُتب لهم بعد ثانٍ ، بعث اليهم عبد العزيز ابن سعود ليجمع شملهم ، ويوحّد مقاصدهم ، ويعزّز جانبهم ، ويؤسس ملكاً عربياً هو منهم ، وهو فيهم ، وهو لهم . »

وبعد هذا ، ماذا يجب ان يصنع ابن سعود ؟ ذاك ما يشرحه لهُ الريحاني فيقول :

« بنيّ ، يا طويل العمر ، البيوت للبدو ، هي الخطوة الاولى في غدينهم . فدى ان تخطوا الخطوة الثانية فتبنوا لهم كذلك المدارس . ان في المدارس تخنق كل ما تنشدون . المدارس تكمّل عمل السيف . المدارس تمهد السبيل الى الوحدة العربية الثابتة ، الوحدة الشاملة ، الوحدة العزيزة الوثيقة العُرى . »

* * *

(١) الطبري : ١ ، ٢٧٢٤ ، ١٣

ان هذه التقدمة التي حللناها تظهر ما للريحاني من الثقة العمياء في دواء التعليم ؛ ولكنها تظهر ، فوق كل شيء ، ذلك التحمس البليغ لشخصية « عمر الثاني » وسياسته . تحمسٌ لا يصعب فهمه ، ومعرفة مصدره ، على من قرأ ملوك العرب . فلنتصوّر اللبناني امين الريحاني وقد فُتحت امامه على مصاريعها ابواب جزيرة العرب المكتنفة بالاسرار ، فسُمح لهُ بالتوغّل حتى الى قلب نجد ، واستقبله الامير الوهابي استقبالاً حسناً ، وأضافه عنده اكثر من شهر ، وكان لهُ معهُ محادثات خاصّة ، واملى عليه معلومات عديدة . فكان في ذلك ما يكفي الانسان حتى يتحمّس ويفقد رزانته ، وان فيلسوفاً .

ولنعلمنَّ ان ابن سعود رجل دقيق النظر ، داهية ، يعرف اخلاق من يقتربون منه ، ويعرف كيف يمتدح انانيّتهم ، فيجتذبهم اليه ، ويجعل منهم اعواناً لتحقيق مطامحه السياسية . وكان ابن سعود يعلم افكار الريحاني ، وامياله الى الوحدة العربية الشاملة . وكان يعلم ايضاً ان الريحاني يؤمن باصله العربي القحّ . ولا تعوقه عن شيء معتقداته الدينية . وكان يعلم انهُ صاحب قلم ، وان هذا القلم يدخل اندية ومجتمعات لا تدخل اليها كتابة محمد رشيد رضا ولا مجلة المنار ، فيمكنه اذاً تمهيد الطريق في سوريا ، حيث نسبت الصحف مؤخراً الى الامير الوهابي ، مطامح دولية . كل هذا كان يعرفه ابن سعود ، فكان من الصواب ان يستجلب ذلك الرجل . وقد رأينا كم بذل « عمر الثاني » في سبيل هذا الامر ، وكيف نجح !

* * *

بعد هذه التحفظات ، نذكر بكل طيبة خاطر ما نراه من الحسن في هذا المؤلف الجديد . فان المآخذ والوثائق غاية في الدقّة والاهمية ؛ وهي تشمل اولاً معلومات ابن سعود نفسه الشفهية والخطية ، ثم المنشورات العربية عن الوهابيين واميرهم وفيها تواريخ لبلاد نجد وحوادثها الاخيرة ، وهي وثائق لا يعرفها الكثيرون بل يصعب الحصول عليها ؛ وقد قابلها الريحاني بمؤلفات المستشرقين وناشري الكتب الغربيين ، ثم بالمنشورات الرسمية والنصوص الادارية التي ظهرت حتى سنة ١٩٢٧ . فتكوّن من كل ذلك تاريخ جامع ، بل اجمع تاريخ نعرفه

للحركة الوهابيّة، منذ نشأتها الاولى حتى حوادثها الاخيرة التي انالت ابن سعود لقب «ملك الحجاز ونجد وملحقاتهما». وفي كتابة هذا التاريخ، يبذل المؤلف بعض الجهد ليقف موقف الحكم المدل، الّا ان المطالع يشعر ان الدور الحسن يُحفظ دائماً «لعُمر الثاني» وهكذا فان المؤلف يذكر (ص ٢٥٦ وما يليها) بطريقة مؤثرة مأساة بيت الرشيد حيث ذُبح جميع افراد عائلة ابن الرشيد، بعد ان أُمنوا على حياتهم. ولكنه يتجنب البحث في اقرار تبعة ابن سعود في هذه المجزرة المؤلمة التي تذكرنا، بما فيها من التدبير والترتيب، بوحشيّة بني العبّاس في استئصال الامويين.

وهناك مسألة اخرى فيما يختصّ بموقف ابن سعود تجاه الحجاز، فانهُ كان قد وعد رسمياً بانتظار قرار العالم الاسلامي عن مصير ذاك القُطر. ولكنه، اذ تحقق ان هذا القرار سوف لا يوافقه، نادى بنفسه ملكاً على الحجاز. ويشرح لنا الريحاني هذا الحادث (ص ٣٨٨ وما يليها) على الطريقة السعودية. ولكنه لا يذكر شيئاً عن الاحتجاجات التي رفعها المؤتمر الاسلامي المنعقد في مكة، في حزيران ١٩٢٦، فهل امكنه ان يجهلها؟

ومع ان الريحاني من انصار الوحدة العربية الشاملة، واعداء الدول الاوربية «الاستعمارية» في قوله، تحقق ان فشل الوحدة العربية ناتج عن انقسام امراء العرب، ومعاكساتهم وخيباناتهم بعضهم لبعض (ص ٢٠٨) اكثر منهُ عن سياسة اوربة. وهكذا فان ابن سعود نفسه، بعد ان اتخذ لقب «السلطان» سنة ١٩٢١، كتب الى المفوّض السامي البريطاني يطلعه على الخبر «ويرجو ان يكون ذلك مستحسناً لدى الحكومة البريطانية البهيّة» (ص ٢٤٩)

* * *

كان في حاشية ابن سعود سنة ١٩١٥، ضابط انكليزي برتبة كابيتين اسمه شيكسبير؛ وكان الامير على وشك الاشتباك في معركة مع ابن الرشيد، فاراد منع الضابط من حضورها.

فاجاب شكسبير: «لا يجوز ان يُقال ان رجلاً انكليزياً قرب من ساحة القتال بين ابن

سعود وابن الرشيد ورجع جبانةً وخوفاً.»

الحّ عبدالعزيز في النصيحة، فالحّ شيكسبير في الاستئذان، وركب مع الجيش الى ساحة القتال، الى جراب.

قد كان هذا الضابط الشاب انكليزياً نحاً، شديد التمسك بعادات اجداده وتقاليد أمته في اي مكان كان. فلم يتنازل في البلاد العربية عن شيء منها. هو الرحالة الانكليزي الوحيد، على ما اظن، الذي ابى ان يبدل برنيطته مثلاً بالكوفية والعقال، ولا جامل العرب في داخل البلاد بغير العباءة التي كانت تستر ثيابه الافرنجية.

ولكن البرنيطة ا– ركب في جيش ابن سعود وهو لابسها، وحامل بين امتعته آلة التصوير» (ص: ١٩٨-١٩٩)

وكانت نتيجة هذه الوقعة سيئة على الضابط المسكين، فان احدى الرصاصات الطائشة طرحته جثة لا حراك بها.

وان المقاطع الوصفية الدقيقة من هذا النوع، تكثر في كتاب الريحاني فتزيده لذة ورونقاً. وها نحن نذكر مثلاً آخر، يدور فيه الكلام عن امير حائل، عبد العزيز بن الرشيد († ١٩٠٦) ويشعر فيه الانسان بذلك التصلب الفولاذي الذي يميّز بعض امراء البدو.

«كان عبد العزيز جالساً للناس في الفلاة يوماً من الايام، فاحسّ بشيء يلذعه في ظهره، فخاف ان تكون حشرة لا تستحق الاهتمام، فسكت وتجلّد حتى انتهى من عمله. ثم دخل الى الخيمة وطلب احد عبيده، فرفع العبد ثياب عبد العزيز، فاذا بين كتفيه عقرب كبير يقرص جلده. صاح العبد مذعوراً، وخشي ان يمسّ العقرب، فتناوله عبد العزيز بيده ورماه خارج الخيمة. ثم امر العبد ان يذرّ على مكان اللذع رماداً حامياً ففعل، ونام الامير بعد ذلك كأن لم يكن شيئاً.» (ص: ٩٨-٩٩)

وكذلك يشعر المطالع بما في نفوس الوهابيين من العجب والخيلاء، اذ يقرأ هذا الكتاب الذي ارسله اميرهم الى سلطان الاستانة، سنة ١٨٠٣، بعد دخوله مكة، قال:

«من سعود الى سليم: اما بعد فقد دخلت مكة في الرابع من محرّم سنة ١٢١٨ وأمنت اهلها على ارواحهم واموالهم بعد ان هدمت ما هناك من اشياء الوثنية، والغيت الضرائب الا ما كان منها حقاً. وثبت القاضي الذي وليته انت طبقاً للشرع، فعليك ان تمنع والي دمشق ووالي القاهرة من المجيء بالمحمل والطبول والزمور الى هذا البلد المقدّس فان ذلك ليس من الدين في شيء. وعليك رحمة الله وبركاته.» (ص: ٥٨)

والريحاني يتتبع المؤرخين الغربيين في انشاء اوصاف فارقة (portraits) لأهم الابطال الذين يعرضهم في كتابه . ومن الحق انه ينجح في ذلك نجاحاً لا بأس به . ونحن نعرض مثالاً على ذلك وصف مبارك بن الصباح ، امير الكويت

« كان حاد المزاج ، شديد البأس ، كثير التقلب . فيه شيء من الاسد واشياء من الحرباء . بدوي الطبع ، حضري الذوق ، تارة يحبه الجميع وطوراً يجامله . وكان كريماً جواداً ؛ بل كان مسرفاً . يسترسل الى الترف والبذخ ، ويقدم بعد حبه للمجد والسيادة ، نواعم العيش ونوافله على كل شيء سواها .

اما سيف مبارك فكان مثل سياسته ذا حدين . قتل اخويه محمداً وجراحاً طمعاً بالامارة ، وحباً بالمجد ؛ فكان اميراً مجيداً . هو من اولئك الحكام المتفردين بالحكم الذين يرهقون الامة بالضرائب ليحركوا لها حلاً من الفخر والعز باهرة .

شيد قصوراً في الكويت وهدم قصوراً في السياسة . كان يلقب بـ « الحواقة » من حاق ومرادفاتها مثل دار ولف ، اي ما يراد به السير على عكس الخط المستقيم . نصف عمله مرلا يدركه سواه ، والنصف الآخر خدعة باهرة ؛ او خدعة مضحكة ، او خدعة كثيفة مدلهمة .

لاعب المشاتر وغلبوا ، وما كان دائماً من الفائزين أجزل لها العطاء ، فاخذت ماله وهداياه ، ودعت لاعدائه . » (ص : ٩٥-٩٦)

وهذه بعض مميزات طبيعية للبدو تصور اخلاقهم ادق تصوير :

« والبدو مثل ذي الاجنحة طيارون . او ان لهم مربة الرشق ، فيجتمعون ويفترقون ، وانت تتلو الفاتحة . لا يحملون شيئاً في جيوبهم ، ولا في قلوبهم ، بل لا جيوب لهم ولا قلوب . رفاقك في الطريق اليوم ، واعداؤك غداً . ولا اظنهم لولا الجنة والحوريات ، يخضعون لرب الكائنات . قد اكون مخطئاً جداً وهم يكثرون من ذكر الله في كل حالاتهم .

ولكن النبي نفسه أنبهم ولم ينفعهم التأنيب . فقد جاء في القرآن : قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا .

اما الدين عندهم فكالرداء يلبسونه ردحاً من الزمن ، فيغسلونه مرة او مرتين ثم يلبسونه مقلوباً ثم ينبذونه وقد تمزق نبذ النواة — كيف نتوضأ ونحن نبغي الماء للشرب ؟ ولم الصوم والسنة كلها عندنا رمضان ؟ ولم — الصلاة وليس لنا وقت ليسعنا ؟ » (ص : ٢٣٣)

ثم يعرض الريحاني بسرور وعجب (ص : ٢٣٤) ، كيف اجتهد ابن سعود ونجح في تقييد بعض الوف من البدو بالارض ، حتى اقاموا البيوت الثابتة . وان اصعب عقبة في سبيل حياة الحضر هي الجمال

« ومعلوم ان رزق البدوي الباعرة ، فما زالت عنده ما زالت البادية تستهويه ، فيروح في

ساعات الضجر طالباً الرزق حلالاً او غزواً حيث كان. لذلك جُبر البدو على بيع جمالهم.» (ص : ٢٣٥)

وهكذا فقد ألف ابن سعود نحو ٧٠ هُجرة ، والهُجرة هي الطارئة الزراعية في بلاد نجد.

وهنا نسأل نفسنا ما سيكون مستقبل هذه الهُجر ؟ ونحن نعلم ان كثيراً من الواحات في بلاد نجد اضمحلت او كادت بسبب الجدب الذي يمتد احياناً عدة سنين دون ان تجود السماء بنقطة من الغيث وقد ذكر الريحاني مثلاً على ذلك بقعة اليمامة (ص ١٣و١٦) التي كانت قُبيل الهجرة ، مقاطعة فسيحة ، مشهورة بخصبها . اما اليوم فلا تتجاوز مساحة الارض الخصبة فيها الا بضع كيلومترات ، اما ما بقي فقد غطته الرمال القاحلة . فهل تعيش اصلاحات ابن سعود الزراعية الى ما وراء حياته ؟ وهل يجد خلفاً قادراً على القيام بهذا الارث المُثقل ؟ هذا هو السؤال نفسه الذي يُطرح ، اذا ما ذُكر مصطفى كمال وموسوليني وسائر المتسلطين في العصر الحاضر . ولا يجتهدنّ الريحاني في نسبة اميره الى الاخلاق الديموقراطية ، فان « عُمر الثاني » لا ينقص في شيء عن المتسلطين.

ولا يمكننا الّا ذكر تلك الكلمة التي كان يردّدها السياسي تاليران وهي: « فلنترك الوقت للزمان ! » فالزمان وحده يجيبنا على تلك الاسئلة ، ويعرض عمل ابن سعود على محكّ الثبات : فبدلاً من ان نتعرّض للتكهّن ، وهي دعوة لا نحسّ من نفسنا بالميل اليها ، نكتفي بالقول ان كتاب الريحاني ، على ما فيه من التفاؤل ، يفيدنا كثيراً في معرفة بلاد العرب في حالتها الحاضرة ، وفي تفهم تاريخها العصري ، وفي درس شخصية ابن سعود الصعبة البارزة.

الجاحظ (٧٧٥؟ – ٨٦٩)

المفكر والكاتب

بقلم فؤاد افرام البستاني ، استاذ الآداب العربية في كلية القديس يوسف

« كتب الجاحظ تعلّم العقل أولاً ، والادب ثانياً ! »
(ابن العميد)

١

إمام الادباء ، وحجّة المفكرين ، في العصر العباسي الثاني . عاش مستقلاً في مآتيه واعماله ، واختطّ لنفسه مذهباً خاصاً في علم الكلام عُرف به ، وجرى في الكتابة على اسلوب جديد انفرد به عن غيره . فهو في حياته رجل شخصي ، وفي آرائه مفكر شخصي ، وفي انشائه اديب شخصي .

اما شخصية الرجل فلا يعنينا منها اليوم الّا ذاك الاستقلال الذي رافق الجاحظ في حياته الطويلة ، وبلاياه العديدة ، فجعله يستقبل المحاسن والمساوئ بثبات متساوٍ ، وازدراء بليغ ، مع مسحة من التهكم على كل شيء ، امتزجت بعقليته فرفعته الى مقام امرّ الادباء اذعاً في انتقاداتهم ، وافكههم حديثاً ، واظرفهم نكتة .(١) اما شخصية المفكر ، وشخصية الكاتب ، فهما ما نحن دارسون :

المفكر

مؤلفاته

قبل ان نبحث في آراء الجاحظ ، وطرق تفكيره ، يجدر بنا ان نلقي نظرة على كتبه المطبوعة وغير المطبوعة ، المعروفة في عصرنا وغير المعروفة ، الثابتة له وما نُسب اليه خطأً او ترجيحاً . ونحن نبدأ بالمطبوعة :

---

(١) من شاء الاطلاع على حياة الجاحظ واخلاقه بالتفصيل ، فليراجع ما كتبناه في مقدمة الجزء الثامن عشر من الروائع (الجاحظ : كتاب الحيوان : ١ – المقدّمة)

ا — كتاب الحيوان

في اخلاق الحيوانات الظاهرة ، وعلاقاتها مع الإنسان ، أكثر منه في التاريخ الطبيعي. اورد فيه ما يُنسب الى ارسطو من الحيوانات ، ثم ما ذكره المداتي من الامثال المضروبة بها ، وما ورد عنها في الشعر العربي ، والقرآن ، والحديث . — وهو سبعة مجلدات ، طُبع في مصر ، ١٣٢٣-١٣٢٥ (١٩٠٥-١٩٠٧) . وقد اخترنا منه منتخبات ستصدر في الروائع (الاجزاء ١٨ ، ١٩ ، ٢٠)

ب — كتاب البيان والتبيين (ويُقال: التبيُّن)

في الادب ، والانشاء ، والبيان ، والخطابة والخطباء مع امثلة من خطب النبي والخلفاء . وفي السجع والتنسيق ، والشعر والشعراء ، والنساك والزهاد . وفي اللحن واللحّانين ، والاحاديث والنوادر. وقد اهداه الجاحظ الى ابن ابي دؤاد . وهو في مجلّدين . طُبع طبعةً اولى في مصر سنة ١٣١١ — ١٣١٣ هـ. (١٨٩٣ — ١٨٩٥) وشرح بعض الفاظه حسن افندي الفاكهاني . وقد طُبع مؤخرًا طبعةً جديدة في مصر ايضًا

منتخبات البيان والتبيين — فصول مختارة من الكتاب السابق — طبعت ، مع اربع رسائل لغير الجاحظ ، في مطبعة « الجوائب » ، القسطنطينية سنة ١٣٠١ هـ. (١٨٨٣)

ج — كتاب البخلاء

درس اخلاقي انتقادي . طبعه المستشرق فان ڤلوتن (Van Vloten) في ليدن سنة ١٩٠٠

د — سلوة الحريف في المناظرة بين الربيع والخريف

طُبعت في مطبعة « الجوائب » ، القسطنطينية سنة ١٣٠٢ (١٨٨٤)

ه — مناقب الترك

طُبعت في مصر ، في مطبعة جريدة « مصباح الشرق » سنة ١٨٩٨ ، ثم في ليدن

و — ثلاث رسائل : مناقب الترك ، فخر السودان على البيضان ، التربيع والتدوير

طُبعت في ليدن بعناية المستشرق فان ڤلوتن (Van Vloten) سنة ١٩٠٣

ز — احدى عشرة رسالة : الحاسد والمحسود ، مناقب الترك ، فخر السودان على البيضان ، التربيع والتدوير ، تفضيل النطق على الصمت ، مدح التجار وذمّ عمل السلطان ، العشق والنساء ، الوكلاء ، استنجاز الوعد ، بيان مذاهب الشيعة ، طبقات المغنين

طُبعت في مصر سنة ١٣٢٤ هـ. (١٩٠٦)

ح – ثلاث رسائل : الردّ على النصارى ، ذمّ اخلاق الكتّاب ، القيان

طُبعت في مصر بعناية يوشع فنكل (Finkel) سنة ١٣٤٤ هـ. (١٩٢٦)

ط – فصول مختارة من كتب الجاحظ

طُبعت على هامش الجزء الثاني من كتاب «الكامل» للمبرّد ، في مصر ، سنة ١٣٢٤ هـ. (١٩٠٦)

اما ما طُبع منسوباً الى الجاحظ ، ولم يثبت فهو :

ا – كتاب المحاسن والاضداد

طبعه المستشرق فان ڤلوتن (Van Vloten) في ليدن سنة ١٨٩٨ . ثم طبعه في مصر محمد امين الخانجي سنة ١٣٢٤ هـ. (١٩٠٦)

ب – كتاب التاج

في اخلاق الملوك . طبعه احمد زكي باشا في مصر سنة ١٩١٤

ج – كتاب تهذيب الاخلاق

طبعه محمد كرد علي في دمشق سنة ١٩٢٤

د – كتاب الدلائل والاعتبار على الخلق والتدبير

طبعه محمد راغب الطباخ الحلبي في حلب سنة ١٩٢٨

ونحن نذكر الآن ما ذُكر في ثبت مؤلفات الجاحظ ، ولم يُطبع على ما نعلم ، فأخذ ذلك عن الجاحظ نفسه في مقدّمة كتاب الحيوان ، وعن ياقوت في معجم الادباء :

كتاب النبي والمتنبي . كتاب المعرفة . كتاب جوابات كتاب المعرفة . كتاب مسائل كتاب كتاب المعرفة . كتاب الردّ على اصحاب الإلهام . كتاب نظم القرآن (ثلاث نسخ) . كتاب مسائل القرآن . كتاب فضيلة المعتزلة . كتاب الردّ على المشبّهة . كتاب الإمامة على مذهب الشيعة . كتاب حكاية قول اصناف الزيديّة . كتاب العثمانية . كتاب الردّ على العثمانية . كتاب الاخبار وكيف تصحّ . كتاب عصام المريد . كتاب إمامة معاوية . كتاب إمامة بني العبّاس . كتاب الفتيان . كتاب القوّاد . كتاب اللصوص . كتاب ذكر ما بين الزيدية والرافضة . كتاب صياغة الكلام . كتاب المخاطبات في التوحيد . كتاب تصويب علي في تحكيم الحَكَمَين . كتاب وجوب الإمامة . كتاب الاصنام . كتاب الشارب والمشروب . كتاب افتخار الشتاء والصيف . كتاب المعلّمين . كتاب الجواري . كتاب نوادر الحسن . كتاب الفخر ما بين عبد

شمس ومخزوم . كتاب المرجان والبرهان . كتاب فخر القحطانية والعدنانية . كتاب الطفيليين . كتاب الفتيا . كتاب الردّ على اليهود . كتاب الصرحاء والهجناء . كتاب المعاد والمعاش . كتاب التسوية بين العرب والعجم . كتاب السلطان واخلاق اهله . كتاب الوعيد . كتاب البلدان . كتاب الاخبار . كتاب الدلالة على ان الإمامة فرض . كتاب الاستطاعة وخلق الافعال . كتاب الهدايا (منحول) . كتاب الاخوان . كتاب الردّ على من ألحد في كتاب الله عزّ وجلّ . كتاب آي القرآن . كتاب الناشيء والمتلاشي . كتاب حانوت عطار . كتاب التمثيل . كتاب فضل العلم . كتاب الزاج والجعد . كتاب جمهرة الملوك . كتاب الصوالجة . كتاب ذمّ الزنا . كتاب التفكّر والاعتبار . كتاب الحجر والنبوّة . كتاب آل ابراهيم بن المدبّر في المكاتبة . كتاب احالة القدرة على الظلم . كتاب امهات الأولاد . كتاب الاعتزال وفضله من الفضيلة . كتاب الاخطار والمراتب والصناعات . كتاب احدوثة العالم . كتاب الردّ على من زعم ان الإنسان جزء لا يتجزأ . كتاب ابي النجم وجوابه . كتاب التفاح . كتاب الانس والسلوة . كتاب الكبر المستحسن والمستقبح . كتاب نقض الطب . كتاب الحزم والعزم . كتاب عناصر الآداب . كتاب تحصين الأموال . كتاب الامثال . كتاب فضل الفرس . كتاب علي الصلاح . كتاب الرسالة الى ابي الفرج بن نجاح في امتحان عقول الاولياء . كتاب رسالة ابي النجم في الخراج . كتاب رسالته في القلم . كتاب رسالته في اثم السكر . كتاب رسالته في الأمل والمأمول . كتاب رسالته في الحلية . كتاب رسالته في ذمّ الكتّاب . كتاب رسالته في مدح الكتّاب . كتاب رسالته في مدح الورّاق . كتاب رسالته في ذمّ الورّاق . كتاب رسالته في من يسمّى من الشعراء عرّاً . كتاب رسالته اليتيمة . كتاب رسالته في فرط جهل يعقوب بن اسحق الكندي . كتاب رسالته في الكرم الى ابي الفرج بن نجاح . كتاب رسالته في موت ابي حرب الصفّار البصري . كتاب رسالته في الميراث . كتاب في الأسد والذئب . كتاب رسالته في كتاب الكيمياء . كتاب الاستبداد والمشاورة في الحرب . كتاب رسالته في القضاة والولاة . كتاب الملوك والامم السالفة والباقية . كتاب رسالته في الردّ على الزنديقة . كتاب العالم والجاهل . كتاب النرد والشطرنج . كتاب غش الصناعات . كتاب خصومة الحول والسود . كتاب ذوي العاهات . كتاب المتيّمين . كتاب اخلاق الشطّار

آراؤه

في الفلسفة وعلم الكلام : « الجاحظيّة »

نعلم ان الجاحظ كان تلميذ النظّام . ومن ذكر النظّام ذكر إمام المفكرين وشيخ المعتزلين ، في ذاك العصر . يدرس ويدرّس ، فينمو المذهب المنتسب اليه وينتشر ، مستفيداً من تلك الحريّة الفكريّة التي بثّت خلافة المأمون . وكانت آراء

المعتزلة قد تجاوزت آراء مؤسسها واصل بن عطاء (†٧٩٧) فدرس أئمتها، وفي اولهم النظّام، كتب الفلاسفة اليونانيين ولاسيما الطبيعيين منهم كارسطو وتلامذته. واخذوا يطبقون تلك المبادئ على عقلياتهم، فحكموا العقل في الوحي، وعرضوا العقائد الدينية على القواعد المنطقية، ورفضوا ما فاق منها العقل البشري. فتوصلوا الى انكار الآيات والعجائب، والى ان الانسان حرٌّ خالق لأعماله، وتجاسروا فقالوا ان القرآن مخلوق

هذه كانت آراء المعتزلة اذ تبع الجاحظ استاذه النظّام في دروسه، فعكف هو ايضاً على تفهّم فلسفة اليونان. على انه لم يلبث ان شعر بجفاف تلك الاستنتاجات المنطقية، فلجأ الى تطبيق مبادئه على التاريخ، والاستعانة بالاختبار في شرح غوامض المسائل. وكان له من آرائه الشخصية دافع عن بعض مقرّرات المعتزلين، فانفرد عنهم وأسّس مذهباً جديداً في الفلسفة اللاهوتية، او علم الكلام، عُرف «بالجاحظيّة»

وكنا نودّ لو وصلنا كتاب خاصّ للجاحظ في هذا المذهب ومبادئه وآرائه. ولكن هذا التمنّي لم يتحقق اولاً لأنه لم يصلنا شيء في ذلك؛ ثانياً، ونظن هذا السبب الاقوى، لان الجاحظ لم يكن من الجلَد على جانب كافٍ بحيث يُتعب ذهنه في تنسيق كتاب فلسفي وتبويبه بطريقة منطقية؛ ونحن نعرف اسلوب الجاحظ في الكتابة، وعبثه الدائم بالترتيب والتقسيم. على اننا لم نعدم من اختصارات لمبادئ الجاحظية اوردها الشهرستاني في الملل والنحل، (١ والبغدادي في «الفرق بين الفِرَق»؛ (٢ ونحن نوردها عنهما، شارحين ما يلزم شرحه:

١ - المعارف كلها ضرورية طبيعية وليست باختيار العباد، اي لا حرّية لهم فيها

٢ - ليس للعباد كسب سوى الإرادة، التي هي جنسٌ من الأعراض. اما الافعال فانها جبرية يأتيها العباد طبيعةً

والجاحظ يوافق ثمامة بن أشرس في هذا الرأي وقد علّق البغدادي على هذا الزعم بقوله: ان كان «لا فعل للإنسان الّا الارادة، لزمه ان لا يكون الانسان مصلياً ولا صائماً ولا حاجاً ولا زانياً ولا سارقاً ولا فاذفاً ولا قاتلاً. لانه لم يفعل عنده (اي عند الجاحظ) صلاةً ولا صوماً ولا حجاً ولا زنىً ولا سرقةً ولا قتلاً ولا

١) الشهرستاني: كتاب الملل والنحل - ليبسيك ١٩٢٣ - ص: ٥٢ - ٥٣

٢) البغدادي: الفرق بين الفرق - مصر - ص: ١٦٠ - ١٦٣

قذفاً . لان هذه الأفعال عنده غير الإرادة واذا كانت هذه الافعال التي ذكرناها عنده طباعاً لا كسباً ، لزمه ان لا يكون للإنسان عليها ثواب ولا عقاب ، لأن الإنسان لا يثاب ولا يُعاقب على ما لا يكون كسباً له . كما لا يُثاب ولا يُعاقب على لونه وتركيب بدنه ، اذ لم يكن ذلك من كسبه .» (١

على اني اخال البغدادي لم يتتبع رأي الجاحظ حتى منتهاه ، فيفهم ما يريد «بالارادة» ؛ وهي ، عنده ، نوع من المعرفة . فاذا عرف الفاعل عمله كان مريداً له . ومن ثمّ لم يبقَ فرق ، من حيث النتيجة ، بين العمل والارادة . وهذا قول الجاحظ :

٣ – اذا انتفى السهو عن الفاعل ، وكان عالماً بما يفعله ، فهو المريد على التحقيق . واما الإرادة المتعلقة بفعل الغير فهي ميل النفس اليه

٤ – الطبائع ثابتة للأجسام ولها افعال مخصوصة بها

يوافق الجاحظ هنا الطبيعيين من الفلاسفة ، ويجعل الأجسام ميولاً طبيعية ناتجة عن قوتها الداخلية

٥ – الجواهر وحدها خالدة لا يجوز ان تفنى . اما الاعراض فتتبدل

وبهذا التبدّل الحادث في الأعراض يمكن الانسان ان يشرح تنقلات الأجسام والأرواح بسبب ما في مادّة الجواهر الخالدة من القوّة الغريزية . ولهذا رأى المستشرق كارا دي ڤو أن من يعتقد بهذا المذهب ويتتبع نتائجه ينتهي الى مذهب ليبنتز المعروف «بالوحدات» (Monadologie) (٢ . اما السنيّون فيردّون على زعم الجاحظ هذا بأن رأيه يوجب القول بأن الله سبحانه يقدر على خلق شيء ولا يقدر على افنائه

٦ – اهل النار لا يخلدون في العذاب فيها ، بل يصيرون الى طبيعتها

فهم خالدون فيها من جهة الإقامة ، غير خالدين من جهة العذاب

٧ – الله لا يُدخل احداً في النار ، بل ان النار تجذب اهلها

٨ – اما في ما يختصّ بالله وصفاته فان مذهب الجاحظ كمذهب الفلاسفة في نفي الصفات ، وفي اثبات القدر ، خيره وشرّه . وحكى الكعبي انه قال بوصف الباري تعالى بانه مُريد بمعنى انه لا يصحّ عليه السهو في افعاله (٣ ولا الجهل ، ولا يجوز ان يُغلب ويُقهر

٩ – الخلق كلهم من العقلاء عالمون بان الله خالقهم ، وعارفون بانهم محتاجون الى

---

١) البغدادي : الكتاب المذكور ، ص : ١٦٠ - ١٦١

٢) Bon Carra de Vaux : Avicenne, Paris, 1900. p. 32

٣) راجع ما يفهم الجاحظ بلفظة « مُريد » ، قبيل هذا ، في الآراء : ٢ ، ٣

النبي، وهم محجوجون بمعرفتهم . ثم هم صنفان : عالم بالتوحيد، وجاهل به . فالجاهل معذور، والعالم محجوج

ومن انتحل دين الإسلام، فان اعتقد ان الله تعالى ليس بجسم ولا صورة، ولا يُرى بالابصار، وهو عدل لا يجور، ولا يريد المعاصي؛ وبعد الاعتقاد والتبيين اقرّ بذلك كله، فهو مسلم حقاً . وان عرف ذلك كله، ثم جحده وانكره، او دان بالتشبيه والجبر، فهو مُشرك كافر حقاً . وان لم ينظر في شيء من ذلك، واعتقد ان الله ربّه، وان محمداً رسول الله، فهو من لا لوم عليه، ولا تكليف عليه غير ذلك .

١٠ – خلق القرآن

هي مسألة كلامية شغلت علماء الإسلام مدة القرون الطوال، واشتدّ الجدال فيها في هذا العصر خاصّة فقال المعتزلون ومن تبعهم ان القرآن مخلوق، وخالفهم السنيّون في ذلك قائلين انه موجود منذ البدء . الى ان صرّح الخليفة المأمون رسمياً، سنة ٨٢٧، بأن القرآن مخلوق . الّا ان فوز المعتزلة هذا لم يدم الّا ٢١ سنة، فقام المتوكل واضطهدهم وقرّر ان القرآن غير مخلوق؛ وهو الرأي السنّي الشائع . اما الجاحظ فكان يقول بخلقه . وما كنا لنطيل الكلام في هذا الامر، لولا ان كلام الجاحظ حُرّف على طريقة مضحكة . وتفصيل ذلك ان احدهم سأله : كيف خُلق القرآن ؟ فاجاب : خُلق القرآن كما خُلق الرجل، والمرأة، والبقرة وكل حيوان ذكراً كان او انثى . فحرّف بعض اعدائه هذا الجواب، وقالوا ان الجاحظ يعتقد «ان القرآن جسد يجوز ان يقلب مرةً رجلاً، ومرةً حيواناً» (١ ومن الغريب ان هذا الزعم لا يزال في اكثر الكتب الكلامية، حتى في تآليف المستشرقين

وعلى الجملة نرى ان الجاحظ كان يميل في فلسفته الى مذهب الفلاسفة الطبيعيين خاصّة . على انه لم يكن يهتم كثيراً بالتبويب والتنسيق والاستنتاج، بل كان يذكر آراءه عفواً في اثناء كتاباته مغشياً كل ذلك بستر شائق من الجملة الجذّابة والاسلوب المتكه . ولهذا كان نفوذه عظيماً في عصره، وتأثيره بليغاً في مفكري زمانه، حتى خاف العلماء السنيون اكثر من خوفهم غيره من الفلاسفة، واهتموا الاهتمام الشديد بمناوءته . ولم يكتف البعض بتزييف مبادئه على طريقة الكلاميين والفقهاء بل تجاوزوا الى هجوه، وتعييره بأصله، والزراية على كتبه . فقال البغدادي :

«واما كتبه المزخرفة فاصناف : منها كتاب في حيل اللصوص، وقد علم بها الفَسَقة

١) الشهرستاني : الملل والنحل : ص : ٥٣

وجوه السرقة . ومنها كتاب في غش الصناعات وقد افسد به على التجار سلعهم . ومنها كتابه في النواميس وهو ذريعة للمحتالين يختلبون بها ودائع الناس واموالهم ... ومنها كتاب في حيل المكدين ... ومعاني هذه الكتب لائقة به ، وبصفته ، وأسرته . ومنها كتاب طبائع الحيوان وقد سلخ فيه معاني كتاب الحيوان لارسطاطاليس ، وضم اليه ما ذكره الدانني من حكم العرب واشعارها في منافع الحيوان . ثم انه شحن الكتاب بمناظرة بين الكلب والديك ، والاشتغال بمثل هذه المناظرة يضيع الوقت بالعبث . ومن افتخر بالجاحظ سلمنا اليه قول اهل السنة في الجاحظ كقول الشاعر فيه :

لو يمسخ الخنزير مسخاً ثانياً ما كان الا دون قبح الجاحظ
رجل ينوب عن الجحيم بنفسه وهو القذى في كل طرف لاحظ (١)

فهذا الحقد ، والتحامل العاطفي ، والتحقير ، الظاهر في كل سطر بل في كل كلمة ، يدل على تأثير الجاحظ ومنزلته في قلوب اخصامه (للبحث صلة)

مجلة المجلات

للاب فردينان توتل اليسوعي

الدين اساس المدنية الاوربية — هاجر او لا تهاجر — التعاون — اللغة الفصحى في المحادثات — المآتم في لبنان

الدين اساس المدنية الاوربية

روت مجلة المنار (ابريل وجه ١٥٢) عن احدى الصحف الاسلامية مقالاً في فصل الدين عن السياسة فقالت :

ومن جملة بنود بروغرام الوزارة البلجيكية الجديدة مساعدة المبشرين بالدين المسيحي على تنصير اهالي الكونغو الوطنيين . ونحن لا يسوءنا ان يتنصر اهالي الكونغو انما مقصودنا من هذا الخبر الاعلان : « ان الحكومات المتشبعة بروح

١) البغدادي : الكتاب المذكور ، من : ١٦٢ — ١٦٣

المدنية لا تعادي الدين

فدولة بلجيكة دولة مدنية تامة الادارة

وامة بلجيكة امة متمدنة راقية لا تنحط عن امة اخرى اوربية في سلم الاجتماع ولا في درجات الثقافة

وهي مع ذلك تجعل من اركان بروغرامها نشر الدين المسيحي في مستعمرة الكونغو التي هي من اعظم مستعمرات اوربة في افريقية واغناها

اذن المدنية تجتمع مع الدين

اذن الحكومة تتصل بالكنيسة »

واذن لم يصدق بكلامه من قال ان الافرنج كلما ترقوا سلم الحضارة ابتعدوا عن الدين المسيحي

هاجر او لا تهاجر

نشرت مجلة المارس في شهر ايار مقالاً مهماً في المهاجرة والمشقات التي يتكبدها المهاجرون في تغربهم عن الاوطان . وقد اضحى المهاجرون من لبنان يعادلون نصف سكانه والاغنياء بينهم لا يتجاوزون ١٠ في المئة « اما الذين يتعذبون ويشقون هناك لتحصيل قوتهم اليومي فعددهم هائل يكاد يناهز الخمسين في المئة »

ولا شك ان صاحب المقال هاجر في سابق حياته لان ملاحظاته صادرة عن حسن رؤية وخبرة صادقة . وهي حقيقة بان تلفت الخواطر قال في اللبنانيين (وجه ٥٧٧)

« ولو بذلوا في لبنان نصف التعب الذي يبذلونه في المهاجر ولو لم يستحيوا هنا في العمل الذي يعملون هناك لكان حظهم أوفر وعيشهم أيسر . لكن الفقير المعدم هنا لا يكاد يحمل علبة دخان في يده حتى لا يراه احد من عارفيه . وهو في اميركة لا يأنف من حمل الاثقال الباهظة على ظهره متعزياً بان لا احد يعرفه ممن يرونه »

واننا مع تقبيحنا المهاجرة لما تجرّه من الويلات على عدد عديد من ابناء الوطن وعلى الوطن ذاته وهي تحرم البلاد يدها العاملة وشبانها الاقوياء ترانا حائرين في الجواب على من يسألنا : هل ترون ان ابقى في البلاد ام اهاجر

« نرى الحجج القوية والبراهين الدامغة تصدمنا اثناء البحث في المهاجرة على

الورق او في المجالس اللسانية . ولكن عندما تواجهنا المصلحة القطبية والحاجة العملية الواقعية تضمحلُّ البراهين والحجج امام الكساد والجمود المستوليَين على اسواق التجارة والصناعة والزراعة في ديارنا . ولا نجد للشاب المجتهد منفذاً من مأزقه الحرج الا وراء البحار

ان اخبار المهاجرين في هذه الايام تفطر الاكباد . فقد تكاثر عديدهم وتبدلت الاحوال عندهم بتغير مجاري الاشغال وتقاطر اناس الى ما حولهم اقدر منهم حالاً وخبرةً ، فاصبحوا لا يستفيدون اليوم كما استفاد اكثر اسلافهم المهاجرين من محض التسكن والتذلل واستدراء العواطف الحنونة . بل انتبهت الحكومات الى اخطار المهاجرين على رعاياها فاوصدت ابوابها في وجوههم وصارت اكثر البلدان لا تقبل اللبناني والسوري لاسباب متعددة متنوعة . وكل هذا لا يجدي فتيلاً في لبنان ولا يمنع احداً ممن يستثيرهم في السفر من ان يجيبوه : « سافر على كل حال »

فما السبب في ذلك ؟ . ان في لبنان حكومة لا يجهل اعضاؤها السبب . لكنهم يجهلون على ما يظهر كيفية تلافيه

اذا شئت ان تطاع فسل ما يستطاع . واذا شئت ان يعيش الناس قربك . فسهّل لهم ذلك العيش . اذ ليس في الدنيا من يريد مفارقة وطنه واهله ما لم يكن مضطراً الى ذلك . فلكي يؤثر اللبناني البقاء في لبنان يجب ان يتسنى له ذلك البقاء . يجب ان يستطيعه . يجب ان تتيسر له سبل العيش ليبقى . اما أن نكتفي بالبرهان المعنوي لاقناعه بان الحالة سيئة في الخارج فلا يشبع البرهان بطناً خاوياً ولا يغذي مطمحاً الى النجاح »

فيستنتج صاحب المقال مما تقدم ان لا مانع يقاوم تيار المهاجرة فعلاً الا تحسين حالة البلاد ومن الواجب على كل فرد من افراد الامة ان يسعى ويساعد الحكومة عليه ، وانما هي المسؤولة بتوحيد كلمة الجماعة وموآزرتهم على مكافحة المهاجرة

التعاون

ولما كان التعاون انجع دواء لداء المهاجرة ، فقد راقنا ما كتب فيه صاحب « المحراث » الاديب ادوار غالب المهندس الزراعي قال : (حزيران)

« ولنا من النمل والنحل اكبر عبرة واثبت عظة . النمل ، وهو من صغار

الحيوان ، يعيش الفرد منه لحياة المجموع وسعادته كما ان المجموع يعمل لحياة الفرد وسعادته ايضاً . ثم النحل وهو معروف باجتهاده المستمر ونشاطه الذي لا يعتريه ملل وسهره الدقيق على الصالح العمومي . فهو يسهر على تربيـة صغاره وصناعة الشمع والعسل ، ومطاردة العدو . . .

كما في النمل والنحـل كذلـك في بعض انواع الطيور والحيوان كالوعول والفيلة والقرود . . . فاذا كان الحيوان يشعر بهذا الروح فما رأي الانسان اذن بالتكاتف والتضامن والتعاون ؟؟؟

انتشر روح التعاون في اوربة وكثرت مذاهبـه وبقيت غايته الوحيـدة لم تتغير : اقتصاد وتقدم . اوجد الاوربيون المصارف الزراعية انقاذاً للفلاح من جشع المرابي ، والجمعيات الزراعية اسعافاً له ان كان في بيع محصولاته او مشترى لزومياته . . واما نحن فاذا اوجدنا ؟

نظامنا الزراعي في حالة يرثى لها وفلاحنا مع كده واجتهاده المتواصل في حراثة ارضه والعناية بها لا يجني غير القليل الزهيد مما لا يكفي لسد احتياجاته الضرورية . وسبب ذلك :

١ً عدم ايجاد من يحميه من شر المرابين

٢ً احتكار الاسواق بواسطة بعض المتمولين »

ولا وسيلة لرفع هذا التحكم وحفظ ثروة البلاد من التبديد الا بنشر جمعيات التعاون التي تحمي المزارع من شر المرابي وتتولى شراء وبيع ما يلزم من المواد الاولية . فعلى الحكومة ان تؤيد هذه الحركة وتمدها بالاسعاف وعلى الشعب ان يتولى تدبيرها

اللغة الفصحى في المحادثات

هل من امل بتوحيد كلمة الناطقين بالضاد ، فيتكلموا بلغة واحدة من اقصى العالم العربي الى اقصاه ، ويتفاهموا اينما اجتمعوا ومن اي بلد كانوا من العراق او من الشام من مصر او من الجزائر شأن المتكلمين بالافرنسية او بالانكليزية في سائر انحاء المعمور ؟ ان ذلـك الامل لا يتحقق الا بالعدول عن اللغة العامية الى العربية الفصحى . وقد يقتضي بذل مجهودات جمة اولاً في التعليم . وهذا ما جاء في مجلة التربية والتعليم البغدادية (مايس وجه ٢٦٥ وبعده) :

« تعليم اللغة الفصحى من أهم الغايات التي يجب ان يرمي اليها المعلم ، عليه أن يجمع بين الحزم والتأني ، يفكر دائماً في اصلاح الغلطات ومحاربة العامية ومع هذا لا يعارضها كلها مرة واحدة . فاذن :

١ً على المعلم أن يلاحظ الكلمات الاعجمية الدارجة فيبدلها بما يقابلها بالعربية ان كان من ثم لها مقابل

٢ً يجب مراعاة حقوق التشكيل في صيغة الكلمة فيميز الثلاثي عن الرباعي واسم الفاعل عن اسم المفعول الخ

٣ً يجب العناية بعلامات الاعراب والبناء

وقد ذكر صاحب المقال غير ذلك من وسائل الاصلاح واسهب. على اننا نرى بالتذرع بالبنود الثلاثة المذكورة آنفاً وسيلة قريبة المنال سهلة الاستعمال مؤدية بالمطلوب على شرط ان يقرّ الرأي العام استحسانها ومؤازرة المدارس عليها ' فيكرم ضيافة العربية الفصحى في المحادثات البيتية فتنتقل من المدارس الى البيوت رويداً رويداً فتألفها الفئة الراقية وتتفاخر بها . ثم يحذو العوام حذو الفئة الراقية فيأخذون عنها اساليبها بالكلام متحاشين مخالفة قواعد الاعراب ولا تنقضي السنوات الا واللغة المكاتبة تصير هي هي لغة المحادثة شأنها في الشعوب الراقية . ولعلّ تلك الخطوة ' ان خطوناها ' تقرّبنا الى ما نرغبه كلنا للغة العربية العزيزة من نهضة وتجدد ' تجعلها آلة مرنة لدنة تصلح للتفكير والتعبير في كل باب من ابواب العلوم ' لان اتفاق الناطقين بالضاد على المحادثة بلغة الكتب يقرب تلك اللغة الى التصور العقلي فيرتاضها الفكر وتنقاد له المعاني مضبوطة لا بقوة الثعالبي او الهمذاني او بتقرير احد المجامع العلمية ولكن بدافع الطبيعة التي تهدي الشعب الى التعبير عن الاشياء بالطريقة التي فطر عليها وهي الاقرب مثالاً من الهدف(١) . هذا على شرط ان تكون لغة الشعب واللغة الكتب واحدة . ومهمة المجمع العلمي بالامر تكون مراقبة حركة اللغة الفصحى هذه على افواه الشعب ليقف على ما انتهت اليه من تعيين الحي من الالفاظ ' الصالح للاستعمال فيدونه ويميز بينه وبين الميت

المآتم في لبنان

نشر حضرة الاب الفاضل مبارك ثابت الراهب اللبناني في مجلة الآثار الشرقية (اذار ' نيسان ' ايار) مقالاً مسهباً وصف فيه المناحة التي يقيمها الاهلون في لبنان لموتاهم . وفي خلال وصفه حكم وعبر يفيدنا ذكرها قال :

١) تلك حقيقة راهنة سبق الشاعر اللاتيني هوراسيوس وعبّر عنها اذ تكلم على ناموس العادة في تقرير معاني الالفاظ فقال فيها : « انما الحكم الوحيد والقاضي الذي لا يرد قضاؤه في امر اللغة» «Usus-Quem penes arbitrium est, et jus et norma loquendi» *Art. Poet.*

«لذوي الالقاب والوجاهة متاحة ثلاثة ايام او يومين،وقد يدعون اليها سكان القرى المجاورة وقد يلتقي وفـدان في الطريق من قريتين فيقع بينها الخلاف على اي الرايتين تُتقدّم حيث لا تكون عادة اثبتت حقّ التقدم لاحداهما ؛ فاما ان تحملا جنبـاً لجنب ، واما ان يشتد الخلاف ويصير الى المخاصمة فاللاكمة حتى يفصل في الامر العقلاء او يظفر فريق فيكسب حق تقـديم رايته بقوة اللسان والذراع »

وقال في النساء :

«ينصرفن الى مجلسهن،وهو الموضع المعروضة فيه الجثة، فيعزين ذوات قرابة الميت ويجلسن معهن محيطات به ، باكيات او متباكيات ، ولا يكلفن الصمت لناقضته لخلقهن ؛ ولكي لا يخرجن الى احاديث لا تلائم المقام او يصرن الى الضحك والقهقهة ، يشغلن بالندب، فمنهن من ينحن وينحبن، ومنهنّ من يبكين ويشهقن ، ومنهنّ من يتجاذبن اطراف الحديث غير مباليات. ومنهن من يترحمن على الميت ويوجهن الى قرائبه عبارات الترحم والرثاء . وايضاً فمنهن من يضحكن ويخبئن الضحكة وراء مناديلهن . وقريبات المرتى يظهرن بتعابير مختلفة شدة اسفهن واحتراق قلوبهن وجسامة مصابهن »

وذكر صاحب المقال اسلوب الندب عند الرجال والطواف بالنعش والمسابقة والرقص والدفن وطعام المأتم او الوضيمة ولبس الحداد . ثم ختم داعياً اللبنانيين الى الغاء عـادة الندب والمناداة والتعديد والطواف بالنعش المثقل والتابوت واسراج الخيل فانها باصلها مأخوذة عن الوثنية وقد استنكرها القديس بولس اذ قال « ان الذين يرقدون بالربّ لا ينبغي ان تحزنوا عليهم كسائر لا رجاء لهم . » وما احرانا بتقليد الافرنج في اكرامهم موتاهم فانهم يحفون الجثـة بالهيبة والسكوت والكرامة ، وينفقون الاموال ، لا بالتظاهرات الباطلة ولكن بالاحسان على الفقراء وبتقدمة القداديس ، مشرات ومئات ، ولسنين عديدة عن انفس الموتى

مطبوعات شرقية جديدة

Kulturgesch. Biblioth. herausg.v.W. Foy.

1 *Reihe: Ethnolog. Biblioth.* : (*C. Winter, Heidelberg*)

3 — **Meissner (Bruno)** : Babylonien u. Assyrien. Ier B^d, *mit* 138 *Text-Abbild.*, 223 *Tafel-Abbild. u.* 1 *Karte*, 1920, *VIII* - 466 *pp.*

4 — II^er B^d, *mit* 46 *Text-Abbild.*, 58 *Taf.* - *Abbild. u.* 2 *Karten*, 1925, *VIII*-494 *pp.*

5 — **Schmidt** (*Pater* W.), *S. V.D.* Die Sprachfamilien und Sprachenkreise der Erde, *mit ein. Atlas v.* 14 *Kart. in Lithogr.*, 1926, *XVI*-595 *pp.*

اشرنا ، في العدد الماضي من المشرق (ص: ٤٦٩) ، الى تابع لوصف كتاب الاستاذ ويدمان عن «مصر القديمة». وها نحن نقدّم اليوم الى القرّاء ثلاثة مجلدات، من المجموعة نفسها ، يبحث الاوّلان منها في تمدّن بابل واشور ، وهما من قلم العالم الاشوري الالماني مَيسنر (Meissner) والثالث يبحث في الفصائل اللغوية وادوارها في الكرة الارضية ، وهو من قلم الاب وليم شميت (Schmidt) المشهور ، مدير مجلة انتروبوس (Anthropos) المعروفة بابحاثها في السُلالات البشرية.

لا شكّ في ان المجلّدين الأوّلين رقم ٣ و ٤ ، خير ما عندنا في نوعها فيها ، وان كُتبا لجمهرة الدارسين ، يفيدان كثيرًا المستشرقين ، ومؤرخي العصور القديمة ، وعلماء الاشورية انفسهم. وقد كان فكّر المؤلف بعمل من هذا النوع منذ اول دروسه للاشوريات . على انه لو قام بالعمل في ذاك الوقت ، لكان اتى سابقاً لاوانه . اما اليوم فان كثرة الآثار والوثائق المسماريّة ، ونتائج الحفريات تسمح بمثل هذه التجربة . هذا وان المؤلف ، البالغ التضلّع من تصاريف اللغة المسمارية كما تشهد بذلك منشوراته السابقة ، لم يتراجع امام عرض عمله على كثير من الاختصاصيين من زملائه ومن تلامذته ايضاً في علم

الاشوريّات . فظهر كتابه بنصوصه وتصاويره ورسومه وخارطاته على غاية ما يُرام من الدقة ، لا يحتاج الى اصلاح الّا في بعض الدقائق الثانوية . بيد انه لم يمكنه الاستفادة من الحفريات الاخيرة كالتي قام بها الانكليز والاميركان مثلاً في أور ، من بلاد كلدة ؛ وذلك لان المجلد الثاني ظهر سنة ١٩٢٥ . ويختصّ المجلد الاول بدرس البلاد ، والشعب ، والمجتمع ، والملك ، والجيش ، والادارة ، والزراعة ، والتجارة ، والفنّ ، والحياة اليومية . اما المجلد الثاني فيبحث في الديانة ، والعبادة ، والسحر ، والطب ، والعلوم اللسانية ، والطبيعية ، والرياضية ، والفلكية . ومما يزيد في قيمة الكتاب جداول باسماء الدول ، مع مآخذ قيّمة ، وفهارس واسعة ، فلا يسعنا اذ ذاك الا القول بكل حق ان الغريب ادرى بما في البيت من أهله .

هذا ما يخصّ كتابَي الاستاذ ميسنر . اما كتاب حضرة الاب شميت فمن الصعب ، ان لم نقل من المستحيل اطلاع القراء الشرقيين ، بطريقة واضحة ، وان سطحية ، على غايته ومحتوياته . فيلزمنا عند ذلك ان نبسط لهم القول في علم السُلالات المختلفة وتاريخ الانسان الطبيعي . ثم ان نشرح باختصار المسائل المتباينة التي يتناظر فيها علماء اوربة في وحدة الجنس البشري ، وانتشاره . ثم ان نبيّن لهم ، مع صرف النظر عن مسألة وحدة الجنس البشري ، كيف يُبرهَن ان كل اللغات المعروفة في الوقت الحاضر يمكن ردّها الى امثلة معروفة تؤلف فصائل خاصة تتفاوت اعضاؤها قرباً وبعداً ، ثم كيف يُستطاع ردّ هذه الفصائل نفسها الى ادوار اوسع يمكن اقرار المقابلات بين مميزاتها التوقيتية وبعض ادوار السُلالات البشرية المعروفة تماماً بواسطة مدنياتها . انّ عملاً كهذا يظهر فوق قوى رجل واحد ، وهو ما يقرّ به المؤلف العالم . على انهُ تهيّأ لهُ باعمال الكثيرين من علماء اللغات والسُلالات . فكان من اللازم اختصار مؤلفاتهم ، وقد خصّ المؤلف بذلك القسم الاول من المجلد وفيه لائحة نفيسة بالمآخذ . ثم عمد الى تحليل النتائج اللغوية لتلك المؤلفات مع الانتباه دائماً الى ادوار المدنيات ومقابلتها بها . وذلك يؤلف القسم الاوفر طرافة في الكتاب . ولا يظنّ المطالع ان المؤلف يعتبر تلك النتائج نهائية . بل هو يدعو النقّاد والموازرين الى

الاشتراك في هذا البحث وان الملاحظات التي يقرّها في نصوصه والطريقة التي يستظلها بها في سلسلة من الخارطات الجميلة ، غاية في التأثير ؛ وستساعده دون شك على ابراز طبعة ثانية تكون اقل نقصاً في بعض النقاط . ونلاحظ ان الاب شميت يعمل دائماً في طريقة واحدة مُفردة: فانه كما اراد ان يُبرهن علمياً على وحدانية الله بواسطة شهادة الانسانية جماء واقرارها فكرة الاله ؛ كذلك يريد ان يُبرهن ان الانسان لا يتحدّر عن القرد ، بل هو يتحدّر عن رجل واحد وامرأة واحدة ، كما تعلمنا التوراة . والمؤلف يدير اليوم المتحف الكبير لعلم السُلالات البشرية ، والرسالات ، الذي اسسه البابا بيوس الحادي عشر في رومية

س . ر

Fables chinoises, du IIIe au VIIIe siècle de notre ère (*d'origine hindoue*) *traduites par* Edouard Chavannes, *membre de l'Institut, versifiées par* Mme Edouard Chavannes, *dessins* d'Andrée Karpelès. *vol. II, Paris, Editions Bossard. Prix*: 15 *f*.

امثال صينية

وصفنا في عدد سابق من المشرق المجلد الاول من هذه الامثال . وها قد جاءنا اليوم المجلد الثاني شبيهاً بسالفه من حيث طيب الورق ، وحسن الرسم ، ورونق الطبع ، وخصوصاً من حيث جمال الشعر الرشيق الحيّ . اصل هذه الامثال من الهند ، ويعلم الجميع ان الهند بلاد الحكايات والقصص والامثال ، اوجدت او اتخذت الآلاف منها ، فجعلتها في البدء آلة لنشر البوذية وتعاليمها حتى اجتمع من ذلك المجلدات الضخمة في اللغة السنسكريتية ، فنقلت الصين وبلاد التبت الكثيرَ من ذلك ، الى ان تضى الاسلام على تلك الآداب البوذية القديمة . ويبتدئ الكتاب بمقدّمة من قلم جوزف بيديه (J. Bédier) يبيّن فيها غاية الكتاب وقيمته .

ج . ل

A. Hettner: Die Geographie, ihre Geschichte, ihr Wesen und ihre Methoden. *vol. in-8° de* 463 *pp.* 1927. *Prix, relié,* 22 *mark. Breslau, Ferdinand Hirt.*

الجغرافية : تاريخها ، ماهيتها ، اساليبها

الجغرافية : تاريخها ، ماهيتها ، اساليبها . هذا موضوع الكتاب وهذه اقسامه ، وهو نتيجة حياة كاملة صرفها المؤلف في هذه الدروس ، وقد احتُفل

مؤخراً ببلوغه السنة الستين . وكان قد سافر مرتين الى اميركة الجنوبية ، فاستفاد من ذلك ، ومن رحلات غيره التي كان من شأنها الرجوع الى طريقة التقسيم والترتيب في المؤلفات الجغرافية ، وماهيتها واغراضها ، والابحاث الجغرافية ، وترقي الفكرة الجغرافية ، وعلم رسم الخرائط ، والوصف الجغرافي ، ثم التنشئة الجغرافية ، والتعليم الجغرافي في المدارس والكليات . فيظهر كل ذلك خلاصة تامة للعلم الجغرافي ، تعرض باسلوب غاية في الدقة والوضوح ج.ل

Paul Nourrisson : Visions de Pélerinage:Souvenirs de Palestine. 1 *vol. in-12 de* 103 *pp. Prix:* 5 *f* 50. *Librairie Excoffre, J. Gabalda et Fils, Editeurs, Rue Bonaparte,* 90,*Paris VI*e.

تذكارات من فلسطين

ذكريات عديدة تركتها في نفس الكاتب الزيارة الثامنة والخمسون (نيسان — ايار ١٩٢٧) ، التي قام بها بعض الفرنساويين الى الاراضي المقدسة تحت ادارة آباء رهبانية الصموديين ، فدونها بعبارة رشيقة ، مؤثرة ، منعشة . وقد خص بعض الصفحات بمعلومات استقاها بنفسه من مصادر ثقة عن حالة فرنسة في فلسطين ، وعن الاخطار المحدقة بثبات الايمان في بلاد المسيح ، بسبب الدعاية الصهيونية ، وخصوصاً الدعاية البروتستانية الانكليزية . وهي امور على جميع الكاثوليك ان يطلعوا عليها

Mgr Pierre Batiffol : St Grégoire le Grand - *Collection « Les Saintes»,-Paris, Gabalda* 1928. *Prix:* 7 *f*,50.

القديس غريغوريوس الكبير

كان المونسنيور دوشين (Mgr Duchesne) يود لو ختم كتابه النفيس عن « الكنيسة في القرن السادس » بفصل عن القديس غريغوريوس . على ان ما لم يتمكن الفقيد من عمله اتمه المونسنيور باتيفول فاتحف مجموعة «القديسين» بكتاب كان ينقصها . كان القديس غريغوريوس من رجال القرن السادس . ولكنه لا يزال حياً بيننا بما اقتبس منه كتاب الفرض الكنائسي من الصلوات ، وهو يظهر رجلاً متعقلاً ، رزيناً ، محبوباً بما عنده من الانسانية . فيظل ، والحالة هذه ، اوفر عصرية من كثير من تابعيه . وهو مشهور ايضاً بصفته بابا انكلترة ،

ولكن من اللازم ايضاً معرفة تفاصيل هذه الحياة وخصوصاً معرفة علاقاته مع الشرق اليوناني . وللمؤلف ، بهذا الصدد ، جملة مفيدة لا بأس بايرادها ؛ قال (ص : ٢٣١) : « ان سياسة غريغوريوس ، لو تُبعت ، كان من شأنها ان تجعل من المملكة اللومباردية ومن مملكة الفرنجة ، حدوداً حامية لايطالية البيزنطية ، وكان من شأنها ان تحفظ الاولية للامبراطورية الرومانية القديمة لا الجرمانية ، وكان من شأنها ايضاً ان تحول دون الانشقاق مع الشرق اليوناني . » ومهما يكن من الامر فان تلك الحياة تظهر امامنا شخصية عظيمة، وهي مَدينة بشيء من شهرتها للمؤلف الفاضل ج.ل

H. Guethe: Palästina.[*Monographien zur Erdkunde n°21*],°2e *édition* 1927 *avec* 158 *illustrations dont* 6 *en couleurs et une carte coloriée.* – 1 *vol. gr. in-8° Verlag von Velhagen und Klasing; Bielefeld, Leipzig.*

فلسطين

ظهرت الطبعة الثانية لهذا الكتاب بعد الطبعة الاولى بتسعة عشر عاماً ، فاستفادت من كل الآثار التي حدثت في هذه المدّة ، وهي عديدة وقيّمة فيما يخصّ فلسطين . وهذه الطبعة اوسع من الاولى بعدد الصفحات ، وبزيادة ١٦ صورة ، مع بعض المناظر الملوّنة ، وقد جُدّدت الخارطة فأُشير فيها الى المقاطعات السياسية . والكتاب يؤلف حلقة من مجموعة استحقّت شهرتها لاتقانها ونفاستها

S. Gsell - G. Marçais - G. Yver : Histoire d'Algérie. 1927. *illustré de gravures hors texte. Prix* 15 : f°. *Paris, Boivin et Cie.*

تاريخ الجزائر

اشتغل في هذا الكتاب ثلاثة من الاختصاصيين ، وهو مقسوم الى ثلاثة اقسام : العصور القديمة ، والعصر الاسلامي ، والعصر الفرنساوي الحاضر ، وهو اوسعها . على انه لا بدّ من السؤال عمّا يُقصد « بالجزائر » ؛ ومن المعلوم ان كثيراً ما احتلّت افريقية الشمالية كلها مكان « الجزائر » في العصور القديمة والاسلامية . ولهذا كانت تلك البلاد بحاجة الى وحدة تاريخية تحدّدها ، وان الاقسام الثلاثة تتتابع ولكنها لا تظهر اقساماً لوحدة تامّة . ولكن فائدة

الكتاب ان المطالع يرى فيه كثيراً من المعلومات مجموعةً حول اسم واحد . بيد ان هناك بعض الاغلاط والاحكام الغريبة مثلاً : يذكر المؤلفون (ص : ٦٩) اثناء الكلام عن كنيسة افريقية الشمالية فيقولون : « انها كانت تُظهر كل اعتبار واحترام للبابا ، وتحتفل بعيدي الرسولين الرومانيين الكبيرين بطرس وبولس . ولكنها لم تكن تقرّ بسلطة البابا في الشرع والآداب . » وهذا من القاء الكلام على عواهنه دون تبصّر . وكذلك ما ورد في الصفحة (١٨٦—١٨٧) عند الكلام عن اعمال القنصلية الفرنساوية، وان الملك كان قد عهد بها الى اللعازريين ؛ فذكر المؤلفون ، بعد ان شهدوا بفضلهم ، وآدابهم السامية ، ومعرفتهم للبلاد ، « انهم كانوا مفرطي الميل للسلام ، وان حكومة لويس الرابع عشر لم تكن ممثلة جدّ التمثيل باشخاص هؤلاء الرهبان الذين يرون ان التسليم فضيلة » وهذا تعبير يميل الى الغلوّ فيحيد عن جادّة الصواب ج.ل

E. F. Gautier: L'Islamisation de l'Afrique du Nord: Les siècles obscurs du Maghreb. 1 *vol. in-8° de la Biblioth. Historique*, 12 *illustr. hors texte et* 16 *fig. dans le texte. Prix:* 30 *f°. Payot, Paris.*

اسلام افريقية الشمالية : القرون المظلمة في تاريخ المغرب

تركت رومية القديمة في بلاد الغرب جمعاء آثاراً لا تُمحى ؛ وكانت من تلك البلاد افريقية الشمالية فتكلمت باللاتينيّة مدة ستة قرون ، وانشأت للكنيسة آباء عظاماً من امثال القديس اوغسطينوس . ومع كل هذا فقد اضمحلت منها جميع تلك الآثار الرومانيّة والمسيحيّة ، وبسط الاسلام نفوذه فغطّى كلّ شيء . فكيف حدث هذا التغيّر الغريب ، البعيد الاثر في تاريخ شواطئ البحر المتوسط ؟ هو امرٌ مبهم غامض لم يجرّب احد ، فيما سلف ، ان يكشف القناع عنه ، ولهذا دُعيت تلك القرون بالقرون المظلمة . اما اليوم وقد تُرجمت مؤلفات مؤرخي العرب ، قيّمة او لا ، عن المغرب (الجزائر ، تونس ، مراكش) فاصبح من الممكن تجربة انارة تلك العصور . هذا رأي مؤلف الكتاب الذي نحن بصدده ، وهو عالم اختصاصي من اساتذة جامعة الجزائر ، قضى في بلاد المغرب نحو ربع قرن ، ووقف حياته على درسها . ومما يزيد

الموضوع اهمية في عصرنا الحاضر تلك المسائل العديدة التي تثيرها مواجهة الشرق للغرب ، وكيف يمكن الاول ان يستفيد من الثاني مع الاحتفاظ بشخصيّته البارزة. وقد اجتهد المؤلف ان لا يؤخذ بالتأسف عن ماضي الاسلام ومستقبله، بل ان يفهم جدّ الفهم الموضوع الذي يكتب فيه . فالكتاب اذاً قيّم بمعلوماته التاريخية ، وهو قيّم ايضاً بانشاء المؤلف السهل الجذّاب واساليبه التي تحيي امام المطالع مشاهد كثيرة شائقة من المدنية العربية في تلك البلاد

Franz Toussaint: Les Colombes des Minarets, *anthologie islamique*. *1 vol. in-12 de 174 pp. Prix: 15 f. Paris, Editions du Monde Moderne*, 1928.

حمام المآذن

يحتوي هذا الكتاب الجميل الظاهر على مجموعة بالفرنساوية تمثل في عرف مؤلفه الآداب الاسلامية ، من اقصى عصورها الى اليوم . وقد اهداه صاحبه فرنس توسان الى الملك ابن سعود ، وبدأه بآية من القرآن « وان تعدّوا نعمة الله لا تحصوها . » ثم اختار بعض مقاطع من المعلّقات ومن القرآن ، ومن شعراء العربية وكتابها . واردفها بمقاطع لادباء افغانستان ، فبلوخستان ، فبلاد الشركس ، فجرجان ، فتركية ، فمصر ، فمراكش . اما الشعر العربي فيحتلّ اكثر الكتاب، ولا نظنّ ان المؤلف ممن يفقهون اللغة العربيـة ، بل من المرجّح انه لا يُلمّ بآدابها . يدل على ذلك اتباعه المستشرقين في كثير من الاغلاط في الترجمة ، وجعله « لامية العجم » في الشعر الجاهلي الى جنب لامية العرب ، ونسبته بعض الشعر الى غير قائليه ، وخلقه من الطغرائي شخصين مختلفين ؛ يقيم من الاول شاعراً جاهلياً باسم « Mouaïd ed-Din' Ettouraï » ويترك الثاني اسم «Al-Tograï»، الى غير ذلك من المغالطات الكثيرة . ولعلّ افكه ما في الكتاب ما ورد في ترجمة قصيدة ابي البقاء الرندي المشهورة في « رثاء الاندلس » . فان المؤلف يجري فيها كعادته ، اي انه يستعين بترجمة قدماء المستشرقين ويغيّر فيها بعض التعابير كي يجعلها اوفر شاعرية في زعمه ، فوقعت بين يديه ترجمة المستشرق « غرانجره دي لاغرانج » (Grangeret de la Grange) وفيها غلطة فظيعة لان المستشرق ، الذي ترجمها عن نسخة خطّية قديمة ، قرأ خطأً البيت :

يا ربّ امٌّ وطفلٍ (حَيلَ) بينهما كما تفرّقُ ارواحٌ وابدانُ !

فصحّف لفظة « حِيلَ » بلفظة « جَبل » وترجم هكذا :

« O Dieu ! faut-il qu'une *montagne* soit posée entre la mère et ses enfants ? faut-il que les âmes soient séparées des corps ? »

فاتى بعده صاحبنا ، واحبّ زيادة الشاعرية في المعنى ، فقال :

« N'avez-vous pas entendu dire qu'une *muraille* vient de s'élever entre une mère et son enfant ? »

وما كنّا لنطيل الكلام في هذه الامور ، لولا ان الاستشراق اصبح زيًّا عامًّا في بلاد الغرب ، ونحن نضنّ ان يدّعيه من ليس يعرفه ، فيظهر بلادنا وآدابنا على غير ما هي.

ف.ا.ب

Acta V Conventus Velehradensis anno 1927. *in*-8° *de* 322 *pp. Prix.* 7 *M. Olmütz, Academia Velehradensis.*

اعمال المؤتمر الخامس في فيلهراد

ان قرية فيلهراد الصغيرة التي لا يبلغ سكانها الثمانمائة نفس ، شهيرة في بلاد موراڤ من تشيكوسلوڤاكية بما يُعقد فيها من المؤتمرات منذ السنة ١٩٠٧ . وغاية هذه المؤتمرات العمل في سبيل اتحاد الكنائس خصوصاً في بلاد الصقالبة . والمجلّد الذي نصفه اليوم يحتوي على مساجريات المؤتمر الخامس بعد الحرب ، المنعقد سنة ١٩٢٧ ، وفيه كل ما أُلقي من المحاضرات والبيانات كلها باللغة اللاتينية . واننا نرجو ان ينتشر هذا الكتاب في شرقنا حيث لا تختلف مسألة اتحاد الكنائس عنها في بلاد الصقالبة ، لاسيما وان روح ذلك المؤتمر ، وطريقة المناظرة ، ومواضيع الابحاث ، تفيدنا كثيرًا وتنشّط الكاثوليك اذ توسّع أفق آمالهم .

ج.ل

R. Le Forestier: L'Occultisme et la Franc-Maçonnerie écossaise. *in*-12°. XV-320 *pp. Prix*: 15 *f*. *Paris, Librairie académique, Perrin et C*^e, 1928.

العلوم الباطنية والماسونية الاسكوتلندية

موضوع هذا الكتاب يشمل ما في الانسان من الطموح الى ما وراء الحقيقة

الحسية ، ورغبته في التسلط على القوى المختلفة التي تحيط بنا ، والتي تتعلق بها سعادتنا المادية والادبية . فيدرس المؤلف تطوّر هذه المطامح التاريخي من زمن السحر حتى العصر المسيحي ، والوسائط التي التجأ اليها البشر كالكيمياء والعقد ، حتى الى القرن الثامن عشر حيث اختفت تلك العلوم الباطنيـة ، والتجأت الى المحافل الماسونية . وهنا يبدأ القسم الثاني وهو اوفر طرافة ومعلومـات . في ذاك العصر الذي بدأت تتخاذل فيه العقائد الدينيّة المسيحيّة في المجتمع ، واخذت النظريات العقليّة تتسلّط شيئاً فشيئاً ، بدأت المحافل تتحوّل الى ملاجئ يأوي اليهـا « المريدون » الذين لم يكونوا يرضون بالمذاهب المادية او مذهب الشكّ المحض . وكان الجميع يقرّون « الفلسفة » في المسرح امام الجمهور ، امـا في المخادع فكان يُحفظ مكان للراغبين في العلوم السرّية،وهم ذوو عقول قلقة نسوا الكثلكة في ذاك العصر الملقب بعصر النور ، فاصبحوا من ثمّ عرضةً للتعلّق بالعلوم الباطنية . على ان الماسونية الاسكوتلندية لم تخلق هذه الحركة ، ولكنها استفادت منها وساعدتها ، فكانت في القرن الثامن عشر شاهداً مهمّاً على ان كل طموح من جهة العقليّين الى التسلط على العقول ، يثير احتجـاجاً معاكساً ليس فقط من جهة المؤمنين بل ايضاً من جهة جميع اصحـاب الحسّ والمخيّلة السائرين على غير الصواب . ومهما يكن حكم المطـالع على نتائج المؤلف ، فـلا يمكنه الا القول بان هـذا الكتاب بحكم الترتيب يبعث على التفكر والتبصّر .

ج . ل

P. d'Armailhacq : Silhouettes d'apôtres: le R. P. Gondard s. j. (1839—1917) *in*-12, 71 *pp. Paris, Beauchesne.*

سيرة الاب غوندار اليسوعي

كان الاب غوندار سكرتيراً لرئيس مجلس الشيوخ قبل ان يدخل الرهبنة، ثم اشتهر بتآليفه الموسيقية . اذاً فهو ليس بالرجل الاعتيادي . هكذا ظهر في حياته ، وهكذا تظهره هذه السيرة التي كُتبت لتشجّع من عرفوه وتطلع الغير على حياته الملأى بالعبر والمواعظ

Rudi Paret: Der Ritter-roman von 'Umar an-nu'mân und seine Stellung zur Sammlung von Tausendundeine Nacht. *in-8° de 48 pp. M. 4,50. 1927. J. C. B. Mohr, Tübingen*

رواية عمر النعمان

يحلّل المؤلف هذه الرواية التي تكوّن اليوم حلقة من سلسلة « الف ليلة وليلة » ولا شكّ في ان تأليفها النهائي حدث بعد عهد الصليبيين لان فيها تلميحاً اليهم . والمؤلف يدرس اقسامها المختلفة ، ويبحث في العلاقة بينها وبين مجموعة « الف ليلة وليلة » . ه.ل

العفو عند المقدرة

بقلم الخوري نقولا ابي هنا المخلصي

ص : ١٢٠ ، قطع وسط – مطبعة دير المخلّص ، ١٩٢٨

هي رواية تمثيلية تاريخية ذات اربعة فصول ، دبّجتها يراعة حضرة الخوري نقولا ابي هنا ، مدرّس اللغة العربيـة في مدرسة دير المخلص ، فاختار مسرحاً لروايته العصر العباسي الزاهر بآثار العلم والتمدّن ، الغنيّ بالحوادث السياسية ، وانتقى ابطاله من صفوة رجاله ، فجعل الخلاف بين الخليفة المأمون وعمّه ابراهيم ابن المهدي الطامح الى الخلافة . وتقيّد بما ينسبه التاريخ الى المأمون من الحلم وسعة الصدر « والعفو عند المقدرة » . فاتت الرواية صفحة حيّة لتاريخ ذاك العصر ، ومدرسة آداب تغني المطالع بالشهامة وكرم الاخلاق ، ومعرض بلاغة ظهر فيها الاسلوب العربي القديم الخالص ، بكل ما يميّزه من الايجاز ، والمتانة ، وارسال المثل وجوامع الكلم . فتعدّدت فوائدها ، ووفرت دواعي الشكر لمؤلفها ف.ا.ب

حديث عيسى بن هشام

لمنشئه محمد المويلحي

الطبعة الرابعة مع الرحلة الثانية – مطبعة مصر – قطع وسط ، ٤٦٦ ص – الثمن : ٢٥

مزيج من الانشاء القديم والحديث ، اخذ من الاول حلاوة اللفظ ، ومتانة التركيب ، وتكلّف السجع ، ومال الاسهاب ، ومن الثاني تناسق

الافكار ، ودقّة التصوير ، ومرارة النقد . فاتى اصدق مثال على هذا النوع الادبي المختلط . وهو على الطريقة القصصية ، يلذّ المطالع ويفيده اذا ما قوي على تحمّل ذاك السجع المقبول حيناً ، والمملّ احياناً ، وتلك الجناسات التي تتراوح بين البرودة والسخافة . على ان في ملاحظاته العديدة على مظاهر الحياة المصرية ، في مصر خاصّةً وفي الشرق الادنى عامّة ، ادقّةً وصواباً يستحقّان كلّ اعتبار . وهذا ما دفع وزارة المعارف الى وضعه بين ايدي طلّاب المدارس الثانوية . بيدَ انّا كنّا نودّ لو اعفي هؤلاء الطلّاب من الوقوف على بعض المغالطات والأحكام الفاسدة ، والاوصاف المتطرّفة التي يراها المطالع في تضاعيف الكتاب. ف.ا.ب.

البُستان

كتاب الاستظهار للمدارس الابتدائية وهو سبعة اقسام مدرجة . ٥

مطبعة المعارف مصر ١٣٤٦ - ١٩٢٦

جمع السيد اسعاف النشاشيبي في هذا الكتاب اللطيف آنق ما اقتطفته يده من زهور الاداب العربية وثمراتها ودعاه البستان، وفيه الحكم والمواعظ والنوادر مطبوعة بحرف جلي ، مشكلة بالشكل الكافي الوافي ، مذيلة بالشروح اللغوية ومواد الكتاب وشروحه موضوعة للمتقدمين من التلامذة فوددنا لو زاد المؤلف على منافعها بعض الفوائد التاريخية فعرّف الى فتيان المدارس الابتدائية من هو ابو فراس الحمداني ومن البحتري ومن صفي الدين الحلي وغيرهم من مشاهير الرجال المذكورة اسماؤهم في الكتاب ف.ت

روضة الانشاء

وهي مجموعة مقالات عصرية للمدارس الثانوية

عني بوضعها لفيف من الاساتذة تطلب من مدرسة القديس يوسف بالخرنفش (القاهرة) المطبعة الرحمانية

فضل هذا الكتاب الخاصّ هو انه يعالج مواضيع عصرية متنوعة يكاد يبلغ عددها المئة ، كل موضوع بصفحتين او ثلاث وفيه الابواب في التهذيبات

والادبيات والامثال والحكم والاجتماعات والوصف ؛ ولغته انيقة رشيقة وهي على فصاحتها تعني المعاني وتحصرها على دقتها ولا حاجة الى معجم لفهمها ف.ت

التائه في بيداء الحياة

رواية عصرية اجتماعية اخلاقية فلسفية

بقلم ايليا الخوري ابو رزق ؛ عني بنشرها الشيخ يوسف توما البستاني ، مكتبة العرب . مصر . الجزء الاول ١٧٦ص . والثاني ١٦٠ من القطع المثمن

اليك موضوع هذه الرواية وقد وقعت في البرازيل :

الياس فرحات تاجر سوري اغتنى في مساعدته احدى الجمعيات السرية الايطالية على تزوير الاوراق المالية ؛ ثم اختلف معها وهددها بافشاء سرها . وكانت امرأته ، كارولينا الايطالية ، صلة بينه وبين الجمعية . فساعدت على قتله ، وخدعت احد السوريين ، المدعو ميشيل ، فصار ميشيل آلة في يد الجمعية السرية ، وحمل جثة الياس فرحات المقطعة وسافر بها وحاول طرحها بالبحر . فألقي القبض عليه وأتهم بالجريمة . وخاف ان يوقف المحكمة على امر الجمعية الايطالية فنصح اليه الاب اغناطيوس الكاهن السوري ان يعترف بالحقيقة . فاعلن ميشيل الحقيقة ، لكن الحكام خافوا تبعة القضاء عليهم فحكموا على ميشيل ظلماً فاصابه جنون ومات بالمنفى .

وان هذه الرواية لم تكذب عنوانها . لان حوادثها تجري في عيرنا وهي تمثل اخلاق السوريين والمنافسة الواقعة بينهم وبين غيرهم من المهاجرين الاوروبيين وفيها مشاهد رائعة وعبر ومرامي تشهد لصاحبها بالتضلع من الفن الروائي ودقة النظر في تحليل الاخلاق . اذا وصف ميشيل السوري قال فيه عن لسان احد اعدائه (٢، ٨٤)

« ان سكينته ذات منزى فالرجل من الدواهي واصحاب الغرائز القادرة ككل افراد امته فالسوري يحتمل العذاب بسكون كالحجر الصلد تحت مطرقة الحجار »

وقال : « ان السوريين خليط امم وبقايا معارك وحسبي ان صح تسميتهم امة من حيث البلاد ، فهم امم وطوائف لها امزجة وصفات خاصة ، وحدتها الدهور الطويلة بالاختلاط فقط »

وفي الكتاب حوادث مريعة ومشاهد مرعبة ينقبض لها الصدر يباشر القارئ مطالعتها ولا يتمالك عن قراءتها ما لم يفك عقدة الرواية ولغتها تصلح للاسلوب الروائي انما سقط فيها من الاغلاط ما نتمنى اصلاحه في طبعة اخرى ف . ت

اللذة الحقيقية في الترانيم الروحية

للاب بولس الاشقر

طالما حنت قلوب اتقياء المؤمنين الى كتاب يشتمل على ترانيم تقوية ، ترافقها الاوضاع الموسيقية ، تسهيلاً لتعلمها وإنشادها بطريقة موحدة ، راقية ،

خاشعة . وها هو الاب الفاضل والاستاذ الموسيقي بولس الاشقر ، قد حقق أماني الطالبين ، فوضع هذا الكتاب الذي جاء تحفةً تقوية ثمينة . وقد اعتمد في جمعه على ثلاث مطبوعات سبق ظهورها : مطبوعة المطبعة الكاثوليكية سنة ١٨٩٨ ، مطبوعة الآباء الفرنسيسيين سنة ١٩٠٤ ، مطبوعة المطران يوسف دريان سنة ١٩٠٩ ؛ وأضاف الى ذلك أناشيد روحية جديدة ألفها بعض الشعراء الافاضل ، من مثل انشودة لعيد المسيح الملك ، وانشودة القديسة ترازية الطفل يسوع ، وأنشودة المسبحة الوردية ، الخ . وقد ضبط الاناشيد القديمة بالاوضاع الموسيقية ، ووضع الحاناً جديدة للاناشيد الجديدة ، موفقاً في كل ذلك بين روح الموسيقى الشرقية والغربية . فجاء كتابه جديداً في بابه ، مُشبعاً لرغائب التقوى الصالحة . فحبذا المؤلف ، وحبذا اقتناؤه وإقبال المدارس المسيحية عليه

صفحات الكتاب ٣٦٨ صفحة ، وورقه جيد ، وهو مطبوع بمطبعة قوزما ؛ ثمن النسخة منه ليرة سورية ونصف ليرة م . غ .

هدايا أرسلت الى المشرق

— الرابطة الشرقية — تاريخها ، قانونها ، اعمالها . منذ انشائها رجب سنة ١٣٤١ إلى رجب سنة ١٣٤٦ (١٩٢٣-١٩٢٨) مطبعة احمد شفيق باشا مصر . هي فذلكة تعرض فيها اعمال الجمعية ، وغرضها التضامن بين الامم الشرقية ومن اعضائها «المصري والسوري والفارسي والهندي والعراقي والمغربي والتركي وبعض اهل الشرق الاقصى وبعض المستشرقين »

— ارجع الى القبلة القديمة — المستشرق الشهير الدكتور صموئيل زويمر ، مطبعة النيل المسيحية ١٩٢٧ . هو خطاب يعالج فيه صاحبه تاريخ « القبلة في صلاة المسلمين » قال : «والطبري يبين لنا ان تحويل القبلة [من بيت المقدس الى مكة] نشأ من تهجم اليهود على النبي» وقال : وما تلك القبلة المادية الا رمزٌ للقبلة الروحية وهي الايمان بسيدنا يسوع المسيح

— القديس فرنسيس الاسيزي — نبذة وجيزة مصورة . تأليف الاب يوسف خليل اليسوعي ، المطبعة الكاثوليكية ١٩٢٨ . عطر القداسة ونفثات الحياة السارونيمية تفوح من طيات هذا الكُتيب ، وهو حقيق بان يوزّع بالمئات وثمن كل نسخة منه غرش ذهبي لا غير

— دائرة المراقبة على بزور التز — والمنشطات العامة لكل ما يتعلق بالتوت والحرير في البلاد الواقعة تحت الانتداب ، المطبعة الكاثوليكية ١٩٢٨

— الحق — مجلة شهرية جامعة ، لسان حال الفرع السوري للكنيسة الاميركية الارثوذكسية الجامعة ، صاحبها ومنشئها المطران افتيميوس عفيش بروكلن نيويورك — (صندوق البريد ٨٠٥)

اهمّ حوادث الشرق في شهر

١٥ ايار — ١٥ حزيران

كان الاب الاقدس وجّه الى العالم الكاثوليكي رسالة دعاه فيها الى التعويض عن الاهانات الصادرة من البشر ضد القلب الالهي ؛ فعرّبت جريدة البشير تلك الرسالة ، وزفتها ، الى مشتركيها وقرائها ، هدية مباركة في شهر حزيران المخصص لعبادة قلب يسوع . وقد شمل الاب الاقدس شرقنا العزيز بلطفه الخاص اذ اكرم زيارة عبدالرحمان باشا، وكيل وزارة مصر، الى القاتيكان في ٢٦ ايار بمقابلته والتصريح له بانه يحفظ اجمل ذكرى لزيارة جلالة الملك فؤاد وقد كلفه ان يحمل اطيب الاماني الى ملك مصر وبلاده

اما الحادث الجليل الواجب ذكره في تاريخ البلاد للشهر الماضي فهو افتتاح المجلس التاسيسي في دمشق (٩ حزيران) القى فيه المفوض السامي مسيو بونسو خطاباً امام نواب سورية دعاهم به باسم فرنسة وباسم عصبة الامم الى وضع دستور سورية . ومن ثم القى الشيخ تاج الدين الحسيني رئيس الوزراء خطابه فاشار الى الحوادث والادوار المختلفة التي تعاقبت على البلاد واعرب عن واجب تناسيها والاتكال على الجهود مع الاسترشاد « بوحي عقولنا وضمائرنا . » ولما كان عرفان الجميل من شيم الكرام وتقدير كل ذي قيمة بحسب قيمته ، من مزايا العقلاء والحكماء، لم يختم خطابه قبل ان يذكر اسم الدولة المنتدبة وعطفها .

اما هاشم بك الاتاسي رئيس المجلس التأسيسي فقد اشار الى سياسة التعاون النزيه بين الفريقين وهو يفهم بالفريقين سورية من جهة والدولة المنتدبة من جهة .

نسأل الله ان يفيض على المجلس التأسيسي روح الحكمة والتبصر فلا يسن في البلاد الا الدستور اللائق بشرفها والمؤدي الى سعادتها الحقيقية .

ومن الاخبار الدمشقية الدالة على عناية الدولة المنتدبة بمصالح دمشق ان مصلحة الاوقاف وادارة سكة الحجاز الحديدية خصصتا ثلاثين الف ليرة لاصلاح الجامع الاموي وتبليط صحنه وساحاته . وابتاعت وزارة الزراعة آلة بخارية

لتحويل المشمش الى قمر الدين،وسعت بتجهيز علب مختومة على الاصول الفنية لحفظ عصير المشمش،وتصديره الى اوربة.واخذت تسعى بالوسائل اللازم اتخاذها لحفظ الثمار والفواكه السورية وسرعة نقلها الى مصر.

ومن الاخبار الاقتصادية التي تهم سائر البلاد السورية اللبنانية هو سير قطار سريع يقطع المسافة بين بيروت وحلب بمدة اثنتي عشرة ساعة ويصل الشهباء قبل ان يقوم منها قطار الشرق السريع الى الاستانة ؛ والغاء الرسوم عن السيارات وجعلها على البنزين ، فاصبحت ضريبة كل ليتر منه نصف غرش سوري ذهبي.وجاء في احصاء وضعته مفتشية الجمارك العامة انه دخل البلاد سنة ١٩٢٧ من البنزين ١,٠٢٥,٠٠٠ تنكة استهلك منها نحو ٦٥ في المئة في الاراضي اللبنانية

وفي ٢ حزيران ، على اثر استشارة مندوبي الفرق التجارية والهيئات التجارية والصناعية والزراعية في الدول المشمولة بالانتداب الفرنسوي،اصدر المفوض السامي قرارًا ذكر فيه المواد التي تستفيد من تخفيض رسم الجمرك او من الاعفاء منه

وهي جميع المواد الغذائية العمومية والمواد الاولية المستعملة في الصناعة السورية اللبنانية ، وعدد فئات هذه الاصناف يبلغ ٦٣ فئة ما عدا فروعها ولا تقل الرسوم المتروكة عن ٢٣ مليون فرنك

اما الاخبار الزراعية فتختلف باختلاف المقاطعات في البلاد ؛ فبينما الفلاح يشكو المحل في بلاد عينبل وجبل عامل وفي ضواحي حلب كانت الاخبار الاخيرة الواردة من دير الزور والجزيرة تبشر باصلاح الاحوال وكان موسم القز على الاجمال حسناً في الساحل ؛ وتأسست نقابة الحرير في لبنان ومن اهم اغراضها « تمكين التفاهم بين اللبنانيين الذين لهم اهم مغنم من هذا الصنف مهما تفاوتت درجة مصلحتهم فيه ؛ فيحيوا ويجددوا ويوقروا مزروعات التوت ومحلات تربية دود القز ومصانع الحرير »

وظهر الجراد في حوران وبلاد بعلبك وطرابلس ونواحي حمص فنهض الاهلون لمكافحته

وروت الجريدة « بعلبك » ان لجان المكافحة في منطقة بعلبك قامت باعمال

خطيرة كانت نتيجتها جمع ثلاثين الف مدّ من الجراد وستة آلاف مد من البزر. وقد بُذلت مثل هذه المجهودات في سائر البلاد والامال معقودة على النجاح

ومن الاخبار المسرة ان مياه نبع المنبوخ وصلت الى ضهور الشوير من سفح صنين وسوف يمدون قساطلها الى بكفيا وبيت مري

ومن اهم حوادث الاقطار المجاورة لبلادنا تبادل الزيارات بين ملوك الشرق القريب والاوسط ، والاتفاقات المعقودة بين حكوماتهم : كزيارة ملك افغانستان لمصر وتركية وايران ؛ وتعاهد علي احمد خان وزير الخارجية المفوض من لدن ملك الافغان، على الصداقة بين مصر وافغانستان ، في سبيل تبادل المعاونات الاقتصادية والتجارية (٣٠ ايار ١٩٢٨) . ومن اخبار الاستانة (٦ حزيران) ان بعثة عسكرية يرئسها الجنرال كاظم باشا ، رئيس اركان الحرب ومعه اربعة امراء آلاي، تسافر الى كابل، لتتولى تنظيم الجيش الافغاني، وسيكون كاظم باشا رئيساً لاركان الحرب ومستشاراً عسكرياً للملك امان الله ، ويفوض الى امراء الآلاي الاربعة تفتيش اقسام وزارة الحربية. ونشرت الصحف الفرنسية خبر توقيع معاهدة بين تركية وافغانستان

وفي ٢١ ايار نشرت التيمس تلغرافاً لمكاتبها من بغداد ذكر فيه كلام الملك فيصل على الخدمة العسكرية الاجبارية في العراق

وتضاربت الاراء في امر ترشيح ملك الافغان لنصب الخلافة، وهو مستقل، في مملكته ولكن ليس له من القوة ونفوذ الكلمة ما يعزز شأنه عند المسلمين اجمعين فيبايعوه بالخلافة

ومن الاخبار العلمية المختصة بالشرق اكتشاف الاثار في نجع ريصا وقرية الخوالد بمركز البداري في مديرية اسيوط من القطر المصري ؛ وهي مساكن صغيرة تبرهن على وجود عصر سابق لتاريخ الاسر المصرية وقد لقبوه بعصر البداري نسبة للقرية التي جرى فيها الاكتشاف. وقد اتضح منه ان «البداريين» توصلوا الى صناعة النحاس وكان لهم المام بفن الزراعة ، وعلى عهدهم كانت الامطار غزيرة في افريقية الشمالية وكان ذلك الزمان معاصراً لما يلقبه علماء الجيولوجية بعصر الثلوج في اوربة

ف.ت

المشرق

نسب السيد المسيح

لا تناقض في الاناجيل

بقلم الاب انطون صالحاني اليسوعي

٢

اليك بيان الآراء التي تنفي التناقض بين ما اورده متى ولوقا في نسب السيد المسيح وشرح سبب الاختلاف بينهما :

الرأي الاول : النسب الطبيعي والنسب الشرعي

ان سبب اختلاف متى ولوقا في نسب السيد المسيح ، من داود الى يوسف خطيب العذراء ، هو ان متى اورد نسب يوسف الطبيعي ولوقا نسبه الشرعي . وهذا الرأي هو ليوليوس الافريقي الذي اشتهر في اوائل القرن الثالث للمسيح وقضى قسماً عظيماً من حياته في فلسطين ، واكّد انهُ اقتبس من اقارب المسيح ما ذكرهُ عن نسبهِ . قال (١ ان ماتان الذي من ذُرّية سليمان بن داود رُزق من استا امرأته ابناً سمّاه يعقوب . ثم ترمّلت استا فاقترنت بملك(٢ من ذرّية ناتان

١) اورد قوله اوسابيوس في تاريخهِ ك ١ ف ٧ (مجموعة الآباء اليونان لمين المجلّد ٢٠ العمود ٨٩) ٢) روى يوليوس « ملكي » عوض « متّات » واغفل ذكر متات ولاوي اللذين يذكرهما لوقا بين عالي وملكي . كما ان بعض آباء الكنيسة ايضاً اهملوا ذكرهما كامبروسيوس وغريغوريوس النزينزي ويوحنا الدمشقي في ايضاحهِ

ابن داود فولدت لهُ عالي(١) . فيعقوب وعالي هما اخوان من امٍّ واحدة لا من ابٍ واحد . فيعقوب هو من ذرّية سليمان بن داود . وعالي من ذرّية ناتان بن داود . ومن ثم يؤكد متى الذي كتب انجيله بالعبرانية لاجل اليهود ان يسوع هو من النسل الملوكي ، ولهُ حقّ الملك كما تنبأ الملاك جبرائيل اذ بشّر العذراء قائلًا «وسيعطيه الرب الاله عرش داود ابيه ويملك على آل يعقوب الى الابد ولا يكون لملكه انقضاء» (لوقا ١ : ٣٢و٣٣) . وفي اعمال الرسل (١٥ : ١٥و١٦) : «وعليه وافق الانبياء حيث قالوا اني بعد هذا أرجعُ فأُقيم مسكن داود الذي سقط وأبني ما سقط منهُ وانصبهُ ثانيةً» . فيورد متى نسب يسوع الملوكي فلا يذكر الّا اسماء الملوك من سليمان الى يكنيا الذي رذله الله هو وذريته لاجل آثامه فأُجلي الى بابل . اما بعد جلاء بابل حيث زال الملك فاورد متى اسماء من كان لهم حقّ الملك وان لم يملكوا لانهم كانوا من ذرّية الملوك . كما انَّ في فرنسة في الازمنة الاخيرة لمّا أُلغيت الملكية وقامت مكانها الجمهورية او الامبراطورية بقي حقّ المُلك للكونت دي شامبور هنري الخامس لانهُ من عائلة بوربون الملوكية . وبعد وفاته اذ لم يكن لهُ ولد انتقل حقّ الملك الى فرع آخر من عائلة بوربون، الى الكونت دي باري . ثم الى ابنه الدوك دورليان . ولمّا توفي هذا ولم يكن لهُ ولد انتقل حقّ الملك الى فرع آخر ، الى الدوق دي غيز . هكذا عمل متى في ايراد الانساب من يكنيا الى المسيح .

امّا لوقا فانهُ كتب لاجل المتنصرين من الوثنيين فاورد نسب يسوع الشرعي من فرع ناتان بن داود فلم يذكر احدًا من الملوك

ثم ان عالي تزوّج وتوفي قبل ان يُرزَق ولدًا . فتزوّج ارملته اخوه يعقوب

الايمان المستقيم (ك ٤ ف ١٤) (في مجموعة الآباء اليونان لابن المجلّد ٩٤ العمود ١١٥٧) . فأثبتنا اسم متّات عوض ملكي وفقًا لانجيل لوقا ولما يقتضيه شرح بوليوس

(١) نثبت في مقالتنا هذه الاسم «عالي» كما ورد في طبعة الكتاب المقدس اليسوعية . ويروى في طبعة البروتستانت «هالي» . أُريد بالحرفين ع و ه التعبير عن النفخ الشديد او النبرة (esprit rude) التي ترافق في اليونانية الحرف الاول من الاسم «إلي» والمعبَّر عنه في اللاتينية بالحرف Heli : h . ومع ان الحرف ه يعبّر احسن من الحرف ع كان الاوفق ان يُستغنى عن كليهما ويُكتفى بالهمزة «إلي» . ومعلوم ان إلي مجتزأ من إلياقيم

ليقيم له نسلاً عملاً بما أمر الله به في الناموس : « اذا اقام اخوانٍ معاً ثم مات احدهما وليس له عقب فلا تصر زوجة الميت الى خارج لرجل اجنبي بل اخوه يدخل عليها ويتخذها زوجة له ويُقيم عقباً لاخيه . ويكون البكر الذي تلده منهُ هو الذي يخلف اسم اخيه الميت فلا يندرس اسمه من اسرائيل » (تثنية الاشتراع ٢٥ : ٥و٦ ومتى ٢٢ : ٢٤) . فمن هذا الزواج وُلد يوسف خطيب مريم العذراء . وهكذا كان ليوسف نسبانِ احدهما طبيعي والآخر شرعي . لانهُ كان ابن عالي بحسب الشريعة وابن يعقوب بحسب الطبيعة . فذكر متى نسبه الطبيعي ولوقا نسبهُ الشرعي . وقد بيناً ذلك في الرسم التالي :

نسب يوسف خطيب العذراء

فرع ناتان — فرع سليمان

ناتان ← [illegible] ← سليمان

عالي — يعقوب

يوسف

وهذا الرأي قد عرضهُ ايضاً ستروس الالماني (١ الّا انهُ لم يسلّم به لانهُ يأبى قبول كلّ رأي يوافق رواية الانجيل . ومع ذلك اقرّ بانه رأي مُحتمَل

الرأي الثاني لاوغسطينوس : نسب النبي

ان اوغسطينوس في تأليفه عن اتفاق الاناجيل (٢ يرتأي ان عالي وهو في قيد الحياة تبنّى يوسف ، دون ان يفرض اوغسطينوس كون عالي ويعقوب اخوين من امّ واحدة لا من ابٍ واحد كما قال يوليوس . ومن ثم يعلّل الاختلاف الموجود

١) ستروس في حياة يسوع الجديدة الترجمة الفرنسية المجلد ٢ ص ١٥

٢) ك ٢ ف ٣ ع ٥-٧ (الآباء اللاتين لمين المجلّد ٣٢ العمود ١٠٧٢)

بين متى ولوقا بان يوسف كان ابن يعقوب بالطبيعة وابن عالي بالتبني.

معلومٌ ان التبني كان دارجاً عند اليهود فعلًا من قديم الزمان وان لم يخصَّص لهُ لفظ التبني. نعلم ذلك من سفر التكوين (٤٨: ٥) فان يعقوب بعد انتقاله الى ارض مصر تبنَّى ولدَي يوسف ابنه قال: «والآن فابناك اللذانِ وُلدا لك في ارض مصر قبل قدومي عليك الى ارض مصر هما لي افرائيم ومنسَّى مثل راؤبين وشمعون يكونانِ لي» اي انهما يرثانِ مثل سائر اسباط اسرائيل. وكذلك تبنَّت ابنة فرعون موسى الطفل: «ولمَّا كبر الصبيّ جاءت بهِ ابنةَ فرعون فاتخذتهُ ابناً لها وسمَّتهُ موسى قالت لأني انتشلته منِ الماء» (خروج ٢: ١٠). ونعلم ايضاً من سفر استير (٢: ٧) ان مردكاي تبنَّى ابنة عمّه استير: «كان حاضناً لهدَسَة التي هي استير ابنة عمهِ اذ لم يكن لها ابٌ ولا امٌ... فلمَّا مات ابوها وامُّها اتخذها مردكاي ابنة لهُ».

ويروى في قصَّة حيقار(١ الذي كان في ايام طوبيا البارّ انهُ توسل الى الله لكي يرزقه ولدًا. فقيل لهُ: «حيث انك اتكلت اولًا على الاصنام والمنحوتات وقدَّمتَ لهم القرابين كذلك تبقى بلا ولد ولا بنين ولا بنات. بل قُم خُذ نادان ابن اختك واجعلهُ لك ولدًا وعلِّمهُ علمك وادبك وحكمتك وهو يرثك بعد موتك». فمن كل هذه الآيات يتضح ان التبنّي لم يكن نادرًا عند اليهود وعند كلّ الشعوب السامية. فبكل صواب فرض اوغسطينوس تبنّي عالي ليوسف ابن يعقوب. لكن اوغسطينوس بعد ما اطّلع على رأي يوليوس الافريقي استحسنه وفضّله(٢.

الرأي الثالث: نسب يسوع بواسطة مريم عالي

الرأي الثالث يقول ان متى اورد نسب يوسف ولوقا نسب مريم العذراء. ومن ثم يُنفى كل تناقض بين متى ولوقا.

---

١) قصة حيقار في المجموعة «طرائف فكاهات في اربع حكايات» الطبعة الثانية ص ٢ بمطبعتنا الكاثوليكية

٢) اوغسطينوس في كتاب إعاداته (Rétractations) ك ٢ ف ٧ ع ٢ (الآباء اللاتين لمين (المجلَّد ٣٢ العمود ٦٣٣)

قبل ان نشرح هذا الرأي يُفيدنا ان نقدّم بعض الملاحظات. اولاً: من المعلوم ان لوقا اثبت في انجيله حوادث عن حياة مريم العذراء لم يأت بها غيره من الانجيليين كظهور الملاك جبرائيل للبتول مريم وبشارته لها. وزيارتها لنسيبتها اليصابات. وذهابها مع يوسف رجلها الى بيت لحم للاكتتاب. وتقدمتها الطفل يسوع في الهيكل. وفقدانها الطفل يسوع ووجدانها اياه في الهيكل. فبكل صواب يُعتبر لوقا انجيلي طفولية يسوع وحياة والدته في طفوليته. فلا عجب ان يكون ذكرَ نسبها بذكر نسب ابيها. ثانياً: ان والد العذراء يسمّى يواقيم. يُعرف ذلك من التقليد القديم. ولعلّ هذا التقليد يستند الى بعض اناجيل الزور التي قد تصدق في بعض الامور. فان انجيل ميلاد مريم يقول ان ابوي مريم العذراء هما يواقيم وحنّة. ولا ريب في ان الاسم يواقيم او يوياقيم هو الاسم إلياقيم ذاته. يؤيد ذلك ما ورد في سفر يهوديت حيث يسمّى الكاهن العظيم تارة إلياقيم وتارة يوياقيم: «وكتب إلياقيم الكاهن الى جميع الساكنين قُبالة يزرعيل... ان يضبطوا مراقي الجبال التي يمكن ان تُسلك الى اورشليم... فعمل بنو اسرائيل كما رسم كاهن الرب إلياقيم» (يهوديت ٤: ٥و٧). «واتى يوياقيم الكاهن العظيم من اورشليم الى بيت فاوى مع جميع شيوخهِ ليرى يهوديت» (يهوديت ١٥: ٩). ويروى في سفر اخبار الايام الثاني (٣٦: ٣و٤) وفي سفر الملوك الرابع (٢٣: ٣٤) ان ملك مصر عزل يواخاز بن يوشيا واقام «إلياقيم اخاه ملكاً على يهوذا واورشليم وغيّر اسمه يوياقيم». ولا يخفى احداً ان الاسمين إلياقيم ويوياقيم في العبرانية يدخل في تركيبهما اسم الله وان لاسم الله تعالى في العبرانية لفظتين هما «إل» و «يهو». فالاسمان «إلياقيم» و «يوياقيم» (وبالاختصار يواقيم) هما صورتان لمسمّى واحد. ومعلوم ثالثاً: ان العامّة كثيراً ما تتصرّف باسامي العلم اما اختصاراً واما استحساناً. ويتبع العامّة في ذلك الكتبة والمؤرّخون. فالاسم يهوياكين «يوياكين» (٤ ملوك ٢٤: ٦و٨و١٢). يصير «يكنيا» (ارميا ٢٧: ٢٠ واخبار الايام الاول ٣: ١٦و١٧) و «كنيا» (ارميا ٢٢: ٢٤). وهكذا في سائر اللغات وخاصة في العربية: فالاسم جبرائيل يصير عند العامة جبْرُ وجَبرا وجبُور وجبران. واليصابات يصير صابات. وانطونيوس يصير انطون

وطانيوس وطنوس. الى غير ذلك من التغييرات. فالاسم «إلي» (عالي او هالي) مجتزأ من إلياقيم الذي بمعنى يوياقيم . ومن ثمّ يكون الاسم «إلي» في انجيل لوقا (٣:٢٣) اسم والد مريم العذراء وجدّ السيد المسيح. وعليه يمكن تأويل آية لوقا في اليونانية هكذا: وهو (اي يسوع) الذي كان يُظنّ انهُ ابن يوسف كان ابن إلي. اي انهُ ينتسب الى جدّهِ إلي بواسطة والدته مريم. فالعبارة «الذي كان يُظنّ انهُ ابن يوسف» هي جملة معترضة. والعبارة «ابن إلي» خبر للمبتدأ «هو» اي يسوع. فيُستنتج من ثم ان لوقا اورد نسب مريم العذراء بنسب ابيها وأوصل هذا النسب الى ناتان بن داود.

شاع هذا الرأي بين العلماء منذ اوائل القرن السادس عشر للمسيح لما فيهِ من البساطة ونفي كل مضادّة بين متى ولوقا. ولا مانع من قبول هذا التأويل ومن ان يُنسب يسوع لجدّه إلي كما لا مانع من ان يُقال (متى ١:٨) «يورام ولد عزيا» وبين يورام وعزيا ثلاث حلقات احزيا ويواش وأمصيا . قال ستروس: «لا يسعنا ان ننكر ان المضاف اليه في عبارة لوقا (في النص اليوناني) لهُ معنى النسبة فيقبل معنى اي نسبة كانت ومن ثم يكون لهُ معنى الصهر والحفيد»(١. فيكون معنى ابن إلي ان يسوع هو حفيد إلي.

اما اذا لم يُقبل هذا التأويل واعتُبرت النسبة خاصّة بيوسف بمعنى ان يوسف هو ابن إلي فمع ذلك نقول انهُ لا مانع من ان يكون لوقا اورد نسب مريم العذراء لان يوسف هو ابن إلي بالتبني لا بالطبيعة . ونسب إلي هو نسب ابنته مريم. فيكون إلي تبنّى يوسف بن يعقوب ثم اعطاه ابنته مريم عروسةً لهُ ليبقى ميراثها في عائلتها اذ يوسف هو ابن عمها وذلك عملاً بالشريعة (عدد ٣٦:١١و١٢) «صارت محلة ... بنات صلحفاد زوجات لبني اعمامهنّ ... فبقي ميراثهنّ في سبط عشيرة ابيهنّ»

حلقات النسب المهملة

يتضح من اسفار الكتاب المقدس انه قد أُهمل في سلسلة نسب المسيح كثير من الحلقات . وهذا الاهمال في الانساب ليس خاصاً بمتى ولوقا فانهما اتبعا كتبة

١) حياة يسوع الجديدة ترجمة ليتري الفرنسية المجلّد الاول ص ١٥٨-١٦٠

العهد العتيق ونقلا عنهم . ومن ثمَّ نقول اولاً: انَّ متى اهمل بين يورام وعُزيّا اسماء ثلاثة ملوك لم يمكن ان يجهلوا وهم احزيا ويواش وامصيا . هؤلاء كانوا من نسل عتليا ابنة آحاب وامرأة يورام . وكان الله توعّد بيت آحاب بالشرّ: « هاءنذا جالبٌ عليك الشرّ وأُبيد نسلك » (٣ ملوك ٢١ : ٢١) . ولا يخفى ان الذرّية في الكتاب الكريم تُحسب الى الجيل الرابع . فلهذا السبب اغفل متى ذكر هؤلاء الثلاثة الملوك . ثانياً : كتب متى ان يوشيًا ولد يكنيا . ونعلم ان يوشيا هو جد يكنيا . فقد ورد في سفر اخبار الايام الثاني (٣٦ : ٤و٨): ان يوشيا ولد إلياقيم الذي غيّر اسمه ملك مصر وسماه يوياقيم وان يوياكين (وهو يكنيا) هو ابن يوياقيم . ثالثاً : لم يذكر متى ولوقا بين فارص ونحشون الّا ثلاثة اشخاص هم حصرون وارام وعمّيناداب وفقاً لسفر اخبار الايام الاول كما يُرى في الجدول الاول الذي قدّمناه . وهذا العدد قليل بالنظر الى المدّة التي بقي فيها الاسرائيليون في مصر سواء كانت هذه المدّة ٤٣٠ سنة كما حسبها البعض ام ٢١٥ سنة كما حسبها غيرهم . رابعاً : بين سلمون (او سلما) ويسّى ابي داود لم يذكر متى ولوقا الا شخصين هما بوعز وعوبيد . وهذا قليل ايضاً لمدة ثلاثمائة سنة ونيّف . لان سلمون ابا نحشون يُذكر في سفر العدد (٧ : ١٢) في السنة الثانية لخروج الاسرائيليين من مصر وبين الخروج من مصر وبناء سليمان لهيكل اورشليم كانت المدّة ٤٨٠ سنة كما يتضح من سفر الملوك الثالث(٦ : ١): « وكان في السنة الاربعمائة والثمانين لخروج بني اسرائيل من ارض مصر ... بنى (سليمان) البيت للربّ » . خامساً: بين زربابل ويعقوب والد يوسف خطيب العذراء لم يذكر متى الّا ثماني حلقات بينما لوقا يذكر ثماني عشرة حلقة . ومعلوم ان جلاء بابل انتهى ٥٣٨ سنة قبل المسيح . فيكون متى اهمل كثيراً من الحلقات في سلسلة نسب المسيح . وذلك لا سهواً ولا خطأً بل تعمّداً منه . لانه اراد ان يقتصر على ذكر بعض الحلقات كاعلام نُصبت في طريق المسافر ليهتدي بها في مسيره . فان كتبة الاسفار المقدسة ، في ايراد نسب اي شخص كان، لم تكن غايتهم ان يوردوه تامًّا بتعداد جميع الاجداد الذين سبقوه، بل كان مرادهم فقط ان يربطوه ببعض اسلافه المعروفين ويرقوه الى اصل مشهور .

فيضربون صفحاً عند ذكر سلسلة آبائه عن كثير من الحلقات التي تربطه بهذا الاصل ويكتفون بايراد بعض الحلقات الاكثر شهرةً وذلك طبقاً لمرادهم، وهي الخطة التي نرى كتبة العرب ومؤرخيهم يتبعونها في كثير من تآليفهم . وهذه الخطة لا تنافي صحة ما يُذكر من الحلقات في النسب وإن أهمل بعضها .

ومما يحسن الانتباه اليه ان متى في ايراده سلسلة نسب المسيح عدّد ١٢ حلقة قسمها ثلاثة اقسام من ابرهيم الى داود ١٤ حلقة او سبعتان . ومن داود الى جلاء بابل ١٤ حلقة او سبعتان . ومن جلاء بابل الى المسيح ١٤ حلقة او سبعتان . فتكون الجملة ست سبعات

وقد اعاد في بدء القسم الثالث اسم يكنيا الذي ينتهي به القسم الثاني لانه اعتبر يكنيا في القسم الثاني كملك فذكرهُ مع الذين ملكوا . اما في القسم الثالث فاعتبره كفرد من الافراد الذين كان لهم حقّ الملك ولم يملكوا لانَّ الملكية كانت أُلغيت مع جلاء بابل فاثبت اسمه في بدء هذا القسم

اما لوقا فانه عدّد في سلسلة نسب المسيح ٧٧ حلقة قسمها اربعة اقسام : من يسوع الى زربابل ٢١ حلقة او ثلاث سبعات . ومن شألتيئيل الى ناتان بن داود ٢١ حلقة او ثلاث سبعات . ومن داود الى ابرهيم ١٤ حلقة او سبعتان كما في انجيل متى . ومن تارح الى الله تعالى ٢١ حلقة او ثلاث سبعات . فتكون الجملة احدى عشرة سبعة . فمن المحتمل أن يكون متى ولوقا سلكا هذه الطريقة عمداً ليسهّلا لمطالعي الانجيل حفظ هذه الأنساب

شألتيئيل وزربابل

بقي مشكلٌ يجب علينا حلّه . ان متى ولوقا في ايرادهما سلسلة نسب المسيح بين داود ويوسف خطيب مريم العذراء لم يتفقا الّا في حلقتين فقط هما شألتيئيل وزربابل . قال متى (١ : ١٢) : « بعد جلاء بابل يكنيا ولد شألتيئيل وشألتيئيل ولد زربابل » . وقال لوقا (٣ : ٢٧) : « ريسا بن زربابل بن شألتيئيل بن نيري » .

ان بعض شارحي الاناجيل ينكرون كون شألتيئيل وزربابل اللذين يذكرهما

متى هما نفسا الشخصين اللذين يذكرهما لوقا. فيكون اتفاق الاسماء في الانجيلين بالعرض . فاذا صحّ هذا الرأي زالت الصعوبة

الّا ان كثيرين من مفسّري الكتاب القدس يرجّحون بكل صواب ان متى ولوقا يتكلمان عن الشخصين نفسيهما. ومن ثم نقول ان يكنيا الملك كان جُلي الى بابل وزُجّ في السجن وبقي فيه مدّة ٣٧ سنة الى وفاة نبوكدنصّر. وحينئذٍ اخرجهُ من السجن اويل مرودك ملك بابل واكرمه . كما ورد في نبوّة ارميا (٥٢ : ٣١ و ٣٢) وفي سفر الملوك الرابع (٢٥:٢٧–٣٠). فيوياكين هذا (وهو المسمّى يكنيا) إما انه كان وهو في السجن فقد اولاده المذكورين في أخبار الايام الاول (٣:١٧ و ١٨) . واما اذا فرضنا ان يكنيا لم يكن فقدَ جميع اولاده لم يتجاسر ان يسمّي احدًا منهم خلفاً لهُ لئلّا بعد ما تأدّب وتاب في السجن ، يخالف تهديد الرب له في نبوّة ارميا (٢٢:٢٤ و ٣٠): « لو كان كنيا بن يوياقيم ملك يهوذا خاتماً في يدي اليمنى لنزعتك من هناك . . هكذا قال الرب اكتبوا هذا الانسان عقيماً رجلًا لا يُفلح في ايامهِ ولا يُفلح من ذرّيته احد يجلس على عرش داود ويتسلط في يهوذا من بعدُ » . فلئلّا تفنى الذرية الملوكية يكون تبنّى شألتيئيل بن نيري من ذرية ناتان بن داود . ومن ثم يُمكن ان يُنسب شألتيئيل الى يكنيا كما فعل سفر اخبار الايام الاول (٣ : ١٧) وكما فعل متى (١ : ١٢) . ويمكن ان يُنسب الى نيري كما فعل لوقا (٣:٢٧) . وسنرى ان شألتيئيل تبنى زربابل ابن اخيه فدايا. وهكذا اجتمع في شألتيئيل الذي من ذرّية ناتان وفي شخص زربابل الذي من ذرّية سليمان فرعان من نسل داود فرع ناتان وفرع سليمان . ولهذا السبب اتفق متى ولوقا في ذكر شألتيئيل وزربابل

زربابل

كتب متى (١ : ١٢) : « شألتيئيل ولد زربابل » . وقال لوقا (٣ : ٢٧) : « زربابل بن شألتيئيل » وورد في نبوّة حجّاي (١ : ١٤) : « نبّه الربّ روح زربابل بن شألتيئيل حاكم يهوذا » . وفي سفر عزرا (٣ : ٨) : « زربابل بن شألتيئيل » . الّا اننا نقرأ في سفر اخبار الايام الاول (٣ : ١٩) :

« وابنا فدايا زربابل وشمعي » . فكيف يمكن ان يكون زربابل ابن فدايا وابن شألتيئيل وفي سفر اخبار الايام الاول(٣:١٧و١٨) يُذكر ان فدايا هو اخو شألتيئيل : «وابناء يكنيا اسير وشألتيئيل وملكيرام وفدايا . . . » وقد بيّنا سابقاً ان شألتيئيل هو ابن يكنيا بالتبني وابن نيري في الحقيقة فيكون اخاً لفدايا بالتبني . وقد سبق القول ان زربابل هو الشخص نفسه عند متى ولوقا . فنقول ان شألتيئيل لم يكن له اولاد يتضح ذلك من سفر اخبار الايام الاول الفصل الثالث حيث تُذكر اسماء الملوك من سليمان الى يكنيا وذرية يكنيا وذرية زربابل . ولم تُذكر البتة ذريةٌ لشالتيئيل . فيكون شألتيئيل تبنى زربابل ابن اخيه فدايا . ومن ثمَّ يمكن ان يُنسب زربابل الى فدايا كما فعل سفر اخبار الايام . او الى شألتيئيل بالتبني :

يهوذا . يوحنا . ريسا . ابيهود

ورد في انجيل لوقا (٣ : ٢٦ و٢٧) : « يهوذا بن يوحنا بن ريسا بن زربابل » . وورد في انجيل متى (١ : ١٣) : « زربابل ولد ابيهود » . فنقول ان بعض شارحي الانجيل حاولوا توحيد الاسمين يهوذا وابيهود . فان هذا الاسم ورد للشخص نفسه مختلفاً في الكتابة : يهوذا (لوقا ٣ : ٢٦ وعزرا ٣ : ٩) . يهوذا ابن السَّنوءة (نحميا ١١ : ٩) . هودايا (اخبار الايام الاول ٣ : ٢٤) . هرديا (عزرا ٢ : ٤٠) : هرديا بن هسَّنوءة (اخبار الايام الاول ٩ : ٧) . فيقولون انه هو المسمّى أبيهود (متى ١ : ١٣)

وقد حاولوا ايضاً توحيد اسم يوحنا الذي ذكره لوقا ويحنايا بن فدايا الوارد في سفر اخبار الايام الاول (٣:١٩) . ولا يخفى ان العامة عند كل الشعوب وفي كل الازمنة كثيراً ما تتصرف بحرية في أسامي الأعلام كما بيّنا ذلك . فمتى درج الاسم في العامة يستعمله ايضاً الكتبة

وارتأى بعضهم (١ ان « ريسا » في آية لوقا « ريسا بن زربابل » ليس اسماً علماً بل هو لقب لزربابل وان اللفظة « ابن » ادخلها خطأً النساخ بين الكلمتين

١) شرح انجيل لوقا للكاتب البروتستانتي بلومر Plumer . الطبعة الرابعة ص ١٠٦ وقد تبعه في هذا كثيرون من البروتستانت

ريسا وزربابل وان الرواية هي « ريسا زربابل » اي زربابل الرئيس او القائد لانه قاد جمهور العائدين من جلاء بابل . وقد قال عنه النبي حجاي (١ : ١٤) : « زربابل بن شالتيئيل حاكم يهوذا »

وفي الختام نعيد ما سبق لنا قوله انه يكفينا ان نعرض للقرّاء شرحاً معقولاً وتفسيراً مقبولاً لآيات متى ولوقا ، ليحق لنا ان ننفي عنها المناقضة وان ظهر بينهما اختلاف . فان كلًّا منهما سلك طريقاً مختلفة عن الآخر لغاية صوابية قاصداً الحقيقة ومتوخياً الصدق . فلا يجوز ولا يمكن ان يُنسب اليهما او لاحدهما الغلط طالما لا يقدر احد ان يبيّن الخطأ في ما كتباهُ ولا ان يؤيده ببراهين ثابتة .

أرز لبنان

في

هيكل سليمان

لحضرة الخوري بطرس روفائيل

٢

وفي سنة ٥٣٦ اي بعد ٥١ سنة من حصار نبوكدنصر ، أطلق كورُش ملك فارس في مملكتهِ كلها نداء وكتابات قائلًا : « هكذا قال كورش ملك فارس : جميع ممالك الارض قد اعطانيها الربّ اله السماوات وأوصاني أن ابني لهُ بيتاً في اورشليم في بلاد يهوذا ، فمن كان منكم من شعبه فليصعد الى اورشليم . وكل من بقي من بني اسرائيل في أحد المواضع حيث هو متغرّب فليُمدِدهُ أهلُ موضعهِ بالفضة والذهب والمال والبهائم فضلًا عمّا يتطوّعون بهِ لهيكل الربّ في اورشليم »

ثم أخرج الملك كورش آنية بيت الربّ التي كان أخذها نبوكدنصر من اورشليم ووضعها في بيت آلهتهِ . أخرجها كورش وسلّمها لرئيس بني اسرائيل .

وأمر كورُش ان يُبنى الهيكل بثلاثة صفوف من حجارة عظيمة وصف من خشب الارز والنفقة تكون من بيت مالهِ . ومن مال الملك من خراج

عبر نهر الاردن ، تُعطى النفقة معجّلةً لليهود ولشيوخهم لئلّا يتعطّلوا.

فقام كلُّ من في بلاد بابل من الاسرائيليين المنفيين ، والتفوا حول زرُبّابل أحد رؤساء الشعب ، وهو من ذرّية داود. ورجعوا الى اورشليم وشرعوا حالًا بالعمل . وأمّا زرُبّابل فلكي يضمن نجاح المشروع التجأ الى الفينيقيين ، بعد استئذان كورش ، ووكل الى سكّان صور وصيدا أمر تشييد الهيكل ثانيةً . وكان بنو اسرائيل يعطون فضة للنحّاتين والنجّارين ، وطعاماً وشراباً وزيتاً للذين يأتون بخشب الارز من لبنان الى يافا . وكانت توضع أُسس الهيكل بثلاثة صفوف من حجارة عظيمة وصفّ من خشب الأرز. بُدئ بالشغل سنة ٥٣٥ لكنهُ ما عتّم ان أُوقف بسبب وشايات رُفعت الى ملك فارس ، وفي سنة ٥٢٠ استؤنف العمل على عهد الملك داريوس ؛ ولم يُنجز الّا سنة ٥١٦ قبل ميلاد السيد المسيح. وقد كان لخشب الارز في هذا الهيكل الثاني نصيب عظيم في اقامة جدرانهِ وسقوفهِ. وكان داخلهُ كلّهُ مزيّناً بخشب الارز المنقوش ، حتى ان زكريا النبي يدعو هذا الهيكل « لبنان » لكثرة ما فيه من خشب الارز فيقول : « افتح يا لبنان ابوابك ولتأكل النارُ أرزَك ».

فينتج ممّا سبق ان الفينيقيين ، عُبّاد البعل وعشتروت ، شيّدوا ايضاً بأرزهم وحجارتهم للاله الحقّ ، هذا الهيكل الثاني ، الذي سيجلس فيه من هو اكبر من سليمان ، اعني يسوع فادي العالم ومخلصهُ.

وقد قال الرب عن هذا الهيكل الثاني بسبب جلوس فادي البشر فيه : « اني أُزلزل جميع الامم ، ويأتي مُتمنّى جميع الامم ، فأملأ هذا البيت مجداً ، قال ربّ الجنود.

« وسيكون مجدُ هذا البيتِ الاخير اعظم من الاول ، قال رب الجنود.

« وفي هذا الموضع أُعطي السلام ، يقول ربّ الجنود. »

ان اسكندر الكبير قد زار هذا الهيكل الثاني وذبح فيه ذبائح للاله الحق . وجاء بعدهُ انطيوكوس ملك سوريّة فدنّس الهيكل ، وابطل الصلاة فيه للاله الحق. وبنى على مذبح المحرقات مذبحاً صغيراً للاصنام ، واخذ مذبح الذهب ، ومنارة النور مع جميع ادواتها ، ومائدة التقدمة والمساكب والجامات ومجامر الذهب والاكاليل والحلية الذهبيّة التي كانت على وجه الهيكل ،

وحطّمها جميعاً ، واخذ الفضة والذهب والآنية النفيسة ، وما وجد من الكنوز المكنونة ، اخذ الجميع وانصرف الى ارضهِ.

وفي السنة الثالثة والستين قبل ميلاد مخلّص البشر، استولى بومبيوس القائد الروماني على اورشليم ، وولج وحاشيتهُ حتى الى قدس الاقداس. انما لم يمدّ يدًا الى كنوز الهيكل ولا الى ادواتهِ . وفي اليوم التالي أمرَ فطُهّر الهيكل ، وقُدّمت فيهِ المحرقات. امّا كراسوس القائد الروماني الآخر فدنّس ما كان احترمهُ بومبيوس ، ووضع يدهُ على كل الكنوز التي كانت العائلات الاسرائيلية قد ودعتها في الهيكل.

ولمّا تُوّج هيرودوس في رومية ملكاً على اليهودية سنة ٣٩ ، رجع الى اورشليم تصحبهُ الجنود الرومانية . فحاصر المدينة فهرب الملك انطيغون خصمهُ مع اليهود انصارهِ ، الى جبل موريّا . وبعد حصار دام خمسة اشهر سقطت المدينة وسلّمت ، فنهب الرومانيّون الهيكل وانتهكوه واحدثوا اضرارًا فيه، انما لم يُخربوهُ.

وكان هيرودوس هذا قد شيّد هياكل عديدة باسم القيصر عاهل رومية ، وساعد اهل جزيرة رودس الوثنيّين في اقامة هيكل لابولّون. فاراد ان يستميل اليه اليهود ويرضيهم ، فرمّم هيكل زرُبابل ، وزيّنهُ احسن تزيين ، وكبّرهُ ووسّعهُ ، ولم تُبطل فيهِ الخدمة الالهية في اثناء العمل . وقد استخدم لذلك عشرة آلاف رجل ، وعلّم نحو الفٍ من الكهنة واللاويّين مهنةَ نحتِ الحجارة ونقش الخشب ليُصلحوا قدس الاقداس ، حيث يتعذّر الدخول على العملة العلمانيين.

وكان لاهل فينيقية ولبنان اليد الطولى في تجديد البناء ، وادخال الارز فيهِ بكميّات عظيمة.

وكانت الحجارة ذات حجم جسيم ، وكان قياس بعضها يبلغ اربعين ذراعاً طولًا . وقد تكون تلك الحجارة التي تكلّم عنها المخلّص. ذكر متى الانجيلي ذلك قال : « وبينما كان يسوع خارجاً من الهيكل تقدّم اليهِ تلاميذهُ يُرونهُ بناء الهيكل اما هو فقال لهم : أترون هذه البنايات ؟ الحقّ الحقّ اقول لكم

انهُ لا يُترك فيها حجرٌ على حجر الّا سيُنقض ».

وكان البناء قائماً بثلاثة صفوف من الحجارة وصفٍّ من خشب الارز ، وكان داخلُ الهيكل كلّهُ بسقفهِ وجدرانهِ مُغطّى بخشب الارز المنقوش كما كان هيكل سليمان.

ففي هذا الهيكل الذي رمّمهُ هيرودس الاول، قُدّم يسوع مخلّص العالم الى ابيهِ السماوي ، وقُدّم عنهُ زوج يمام . وفيهِ كان يأتي مع امّهِ ومار يوسف للاحتفال بالاعياد. وفيهِ علّم وهو في الثانية عشرة من عمرهِ ، وجلس بين العلماء يجادلهم . وفيهِ لما بدأ بالتبشير كان يصلي مع تلاميذه . وفيهِ ايضاً غضب وطرد من الاروقة البيّاعين والصيارفة وقال لهم : « قد كُتب بيتي بيت الصلوة يُدعى وانتم تجعلونهُ مغارةً للصوص ».

ولما تبوّأ هيرودوس اغريبا عرش ابيهِ ، احبّ ان يزيد في علو الهيكل ليساوي علوّ هيكل سليمان ، فأتى بخشب لبنان من أرزٍ وسرو لهذا الغرض ، وانفق في سبيل ذلك مبالغ جسيمة ، الّا ان الحرب اشتعلت نارُها بين اليهود والرومان فاستُخدم هذا الخشب لاعمال الدفاع.

وفي السنة السبعين بعد ميلاد المخلّص، تمرّد اليهود وثار ثائرهم على الرومانيين ، فاستولوا على حصن إنطونيا وذبحوا حاميتهُ وكانت من الجنود الرومانيين . فهاجمهم طيطوس القائد الروماني بعسكرهِ . وكان السيد المسيح قد سبق وقال لتلاميذهِ : « متى رأيتم الجيوش تحيط باورشليم وتحاصرها ، فاعلموا حينئذٍ ان يوم خرابها قد قرب . فالذين يكونون في اليهودية فليهربوا الى الجبال ، والذين يكونون في المدينة فليخرجوا منها ، والذين يكونون في الحقول فلا يخالجهم فكر الرجوع الى المدينة ».

اذكرَ المسيحيّون نبوّة سيّدهم وانتبهوا ، فتركوا اورشليم على منظر من الجنود الرومانيّين ، وفي مقدّمتهم اسقفهم سمعان ، وهربوا الى الجبال ومكثوا فيما وراء الاردن الى ان تمّت النبوّات على المدينة الجاحدة.

وبعد ان طال امرُ الحصار ضربت المجاعة والأمراض اطنابها في اورشليم ، فدخل طيطوس وجنوده المدينة وارتكبوا فيها الفظائع ، فأخربوا وأحرقوا كلّ

شيء. وكل من وقع من اليهود بين ايديهم كان يُذبَح ذبحاً بدون شفقة ولا رحمة.

الجنود منقطعون الى النهب والتدمير ، وطيطوس مهتمّ كلّ الاهتمام بصيانة الهيكل من كل ضرر ، لانهُ كان من اجمل وافخم الآثار في السلطنة الرومانية. لكن ارادة الله كانت غير ذلك. ظهر جنديّ كأنهُ مدفوع بقوّة الهيّة ، فطلب ان يُرفع الى علوّ احدى نوافذ الغرف الملاصقة للهيكل ، ورمى جمرة، فاشتعلت النار وانتشرت. عرَفَ طيطوس بذلك فأسرع على عجلتهِ ، وأصدر أمرهُ بالكلام والاشارات أن اطفئوا النار ، فتعامى الجنود كي لا ينظروا حركاتهِ وتصاموا كي لا يسمعوا كلامهُ ، فما عتم ان سقط البناء، ولكثرة الخشب فيه ، التهمت النار كلّ شيء بسرعة غريبة.

ولمّا تمّ الانتصار لطيطوس أتت الشعوب المجاورة تقدّم لهُ مع التهاني اكاليل الغار والزهور، فاجابَ القائد الظافر الوفود قائلاً: «اني لم اكن الّا آلةً للانتقام الالهي.»

وبعد ذلك بسنين اقام ادريانوس الامبراطور الرومانيّ في مكان الهيكل بناية نصب فيها تمثالهُ وتمثال جوبيتر كبير الالهة ، فجاء قسطنطين فأمر بهدمها. ولمّا تقلّد الملك يوليانوس الملقّب بالجاحد ، رام تجديد بناء الهيكل فشمّر عن ساعد الجدّ ، ووضع في تحقيق فكرته كل نشاطهِ ونفوذهِ وكنوزهِ ، فخيّل ان النجاح مضمون لان المشروع قد صادف انصاراً ومساعدين من كل الجهات: الامبراطور في رومية ، والحكام في اليهوديّة ، والشعب. العلم والقوّة والغنى. وما كان يحول دون انجازهِ الا امرٌ واحد ألا وهو نبوّة يسوع الناصري.

تلك النبوّة لم يكن لها اقلّ اعتبار في عيني يوليانوس . بل انهُ سيبذل وسعهُ في تكذيبها.

أخذ الجميع يعملون بنشاط وحماسة : الرجال والنساء والاولاد . وكان يوليانوس يستنهض همّة اليهود فاراد كلٌّ منهم ان يكون لهُ حجر في ذلك الهيكل . لكن خاب ظنّهم وحبط مسعاهم وباطلاً كان ادّعاؤهم.

كان اليبيوس رئيس نظّار الاشغال يشرف يوماً على العمل بصحبة حاكم اليهودية ، واذا بريح ناريّة مرعبة خرجت من أُسس البناء فالتهمت مراراً العملة، وجعلت ذلك المكان قفراً . فأُهمل المشروع تماماً وغُلِب يوليانوس على أمره.

كان يسوع الناصري قد قال : « الحقّ الحقّ اقول لكم لن يبقى في هذا البناء حجر على حجر . »

وها قد صدقت نبوّتهُ . وما يريدهُ الله لا يقاومهُ البشر .

* * *

نقول ، ولا مبالغة ، ان هيكل سليمان ، آية زمانهِ ، وطُرفة العهد القديم ، قد اقامهُ ابناء فينيقية ، ابناء لبنان . فينيقيًا كان المهندس الذي اشرف على الاعمال . فينيقيين كان الصاغةُ والنقاشون والبناؤون ونحّاتو الحجارة . من فينيقية اكثر الموادّ اللازمة للبناء ، وفي اولها خشب الارز . ان عبّاد عشتروت وبعل الفينيقيين هم الذين شيّدوا وزيّنوا هيكل الاله الحقّ .

ان ننسَ لا ننسَ ويلات الحرب الكبرى التي اجرت الدماء انهرًا ، وما حلّ بلبناننا العزيز وجبالنا وسهولنا من المصائب . تلك الحرب قد دمّرت بلادنا فأقفرت الارض ، ويتمت من بقي من الاولاد ، وهدّت اركان العيال ، وجعلت القرى العامرة قبورًا دُفِن فيها سكانها عشراتٍ عشراتٍ ، مئاتٍ مئاتٍ ، بل الوفًا الوفًا .

في تلك الايام السوداء قام اللبنانيون المتشتتون في بلاد المهجر ، مذعورين ، ونشطوا الى مساعدة ذويهم الذين يهلكون في الوطن جوعًا وضنكًا وهمًّا وفاقةً وظلمًا . ارسلوا الاعانات افرادًا وجماعات ، نشروا الكتابات مستصرخين ، حبّروا المقالات مستغيثين ، ألّفوا الجمعيات مستعطين ، ليسدّوا رَمَقَ مَن هم في لبنان المحبوب هدفُ سهام الجور والتعصّب .

وكان بين تلك الجمعيات جمعيّة عُرفت في الولايات المتحدة باسم « جمعية بنات لبنان » اعضاؤها عقيلات وكريمات مواطنينا الكرام ، وغايتها مساعدة من يتضوّر جوعًا في لبنان . ففي سنة ١٩١٧ تأسّس في مدينة بوفالو فرع لهذه الجمعيّة . ويومًا ما كانت سيّدة وابنتها تتفاوضان في امر الجمعية بحضرة اسرائيلي كريم معتبر يُدعى المستر شوستر ، فاستوضحهما الرجل عن غاية الجمعية . ولما عرفها قدّم مبلغًا من المال قائلًا : « نحن يا سيّدتي مديونون بهيكل سليمان لأرز لبنان . فعلينا جميعًا ان نهتمّ بخلاص الأرز ، وبلاد الأرز ، واولاد الأرز . »

حبّذا القول ! ونعمَ القائل !

سورية وطريق الهند

بقلم الاب لامنس اليسوعي

ان يرسخ في قلبنا اعتقاد ، منذ زهاء اربعين سنة ونحن ندرس تاريخ هذه البلاد ، فهو اعتقادنا خطورة مركزها الجغرافي ، واملنا بمستقبلها الباهر . وهذه العواطف قويت فينا لما جمعنا الموادّ لتأليف كتابنا «تاريخ سورية» المطبوع في العام ١٩٢١ ، فانعمنا النظر في مصيرها على تطوّرات الايام ، فرأيناها رابطة الجأش صابرة على النكبات . حمل الاعداء عليها فعاثوا فيها فساداً ، ونزلت بها نوازل المجاعات والطاعون والزلزال ، فصرعتها ، لكنها لم تلبث ان نهضت وجددت شبابها كأن الزوابع تزيدها نشاطاً ، والكارثات تورثها حياةً . ولم يكن صبرها على الجور والاستبداد ايام حكامها الظالمين باقل منه بالة على آفات الطاعون والمجاعة

وحسبنا ، في هذا الصدد ، ان نعود بالذكر الى عهد المماليك (١٢٩١–١٥١٦) والى ايام دولة بني عثمان ، وهي الاقرب زماناً منا والاشدّ ضرراً بنا . أتستطيع بلاد مقاساة ما قاستهُ سورية في تلك الايام ولا تغنى عن بكرة ابيها .

اناخ المماليك بكلكلهم على البلاد والعباد ، سحابة قرنين ، فسلبوا ونهبوا واستباحوا الدماء ، وهم عصبة شذّاذ مغامرين ، وارقاء ابناء ارقاء ، لان المملوك معناه العبد الرقيق ، دأبهم الفوضى والقتال ، فاقتتلوا واجهز بعضهم على بعض ، ولم يهتموا بامر السوريين الا فيما كان يعود عليهم بالارباح والمغانم . وان دولة المماليك انقرضت وباد اثرهم ، اما سورية فلم تتحوّل الى قفر ولم تمُت .

على انها بدلت حكاماً بحكام ، وخلف الباشاواتُ الاتراكُ المماليك ، في العام ١٥١٦ ، وحذوا حذوهم فحكموا واستبدوا وتركوا مقاليد الدولة لعبة بين ايدي الرشوة والطمع والفوضى ؛ وما كان دأبهم سوى تحصيل الاموال باسرع الوسائل واقرب الطرق . اما معدن الاموال لهم فهم السوريون .

كانت القسطنطينية اشبه منها بالسوق تُعرض فيها الوظائف للبيع ، فيتقاسمونها ويتصافقون عليها. وكانت وظيفة الباشا في حلب او في دمشق يبلغ ثمنها ما يوازي مليوناً من عملتنا اليوم ، ووظيفة الدفتردار نصف ذلك. ولم تكن تلك المبالغ بكثيرة على اصحابها ، وهم يستعيضون عنها بمدة عام يقضونه في الولايات . فيعودون الى استانبول وقد وفوا ديونهم وزادوا ثروتهم اضعافاً . ثم يخلفهم غيرهم في تلك الوظائف فيقبضون على زمام الامر ويأكلون ويشبعون ولم يكن ذهب سورية يشبع جشع هؤلاء فقط بل كان يبلغ عن ايديهم قصر السلطان ومنهُ يوزع على سراريه ووزرائه .

طالت دولة الاتراك اربعة قرون واهرقت من الدماء ما اهرقت ثم انقرضت عقبَ الحرب العظمى وسورية لا تزال تتمتع بحياتها وعمرانها .

من اين لها هذه الحياة العجيبة ؟ انّى لكنوزها ان تتجدّد وتتوفر بعد السلب وبعد النهب ؟ كيف عادت المياه الى مجاريها وقد حاول المماليك والاتراك استنزافها من مناهلها ؟ ألعلّ الفضل في ذلك عائد الى تربة البلاد وخصبها ؟ نعم لقد نظر اليها البدوي ابن الصحراء معجباً بغناها وسماها « ارضَ الخمر والخمير والديباج والحرير »(١ ولكن خصبها اشبه منه بالغرسة الضئيلة بالنسبة الى الشجرة ، اذا ما قابلته بخصب مصر « وتربتها الغبراء ونهرها الميمون الغدوات، المبارك الروحات »(٢

ولم تكن معادنها اساساً لثروتها لان ما تحتويه طبقاتها الارضية من الدفائن لا يزال امره مبهماً غامضاً .

ان موارد ثروتها الحقيقية، والسلاح التي تقاومة لتقهر نكبات الدهر، انما هو موقعها الجغرافي ، فهو خير معتمد تتكل عليه لتنظر الى مستقبلها الاقتصادي بعين الثقة والارتياح .

* * *

لا تلقي نظرك على خارطة آسية الغربية ، ايها القارئ اللبيب ، حتى تبدو

١) (اغاني ١٦ : ١٥٦)

٢) عمرو بن العاص في كتابه الى عمر بن الخطاب

لك بقعة هيئتها هيئة المربع المستطيل الممدود بين البحر المتوسط والبادية ، وموقعها على مفارق الطرق بين اقطار العالم القديم اعني اوربة وآسية وافريقية . تلك هي البلاد السورية وهي تحلّ في العالم المتمدن محلّ النقطة المركزية من الدائرة،لان حضارة مصر واليونان وبابل احاطت بها واثّرت فيها ، وروتها من ينابيع خيراتها . فلا عجب اذن ان قال فيها السير رنه بينون : « ان سورية في العالم البشري كالنقطة الحيوية من الانسان.» وهي كاداة الوصل للعالم القديم لانها تربط آسية بافريقية.وهي وجه المشرق الوضاح يغتسل بمياه البحر المتوسط ويتنسم من طيات موجه نسمات الغرب البليلة

هذه هي بلادنا . وليست هي بشرقية محضة ، وليست بغربية محضة . انما هي جسر يصل جزيرة العرب الماحلة الجدبة وصحراءها بارياف النيل الغنية واودية الفرات المخصبة بل هي ارض الحركة والماطاة التجارية والمعاملات الاقتصادية . وما ان نتصفح الكتاب المقدس حتى نتحقق انها كانت منذ القدم ارض المرور التاريخية.

في سورية مر ابراهيم ابو الشعب العبراني والعربي بعد خروجه من اور الكلدانيين . وبسورية اجتاز التجار الاسماعيليون ، فقطعوا بطونها وحزونها ، وابتاعوا يوسف من اخوته وسافروا به الى مصر . والى سورية أمّ الملوك من اوفير وسبأ ، اسياد البلاد الغنية بالذهب ، وارباب الأيالات الشهيرة بالعطور والبدّ والطيب . ومن سورية اشرق عليهم نور فاجتذبهم اليها.وبفضل روحاتهم وجيئاتهم اصبحت سورية سوقاً يتبادل فيه البشر محصولات الخافقين . تلك المواكب الملوكية والركب الفخمة لا يزال ذكرها حيًا في ما روتهُ التوراة ، واليك بعض شذراتها : « وكان وزن الذهب الذي ورد على سليمان في سنة واحدة ست مئة وستة وستين قنطار ذهب غير الوارد من المكاسين وتجار الجلب وجميع ملوك العرب وولاة الارض الذين كانوا يأتون سليمان بالذهب والفضة (١ ايام : ٩ ؛ ١٣،١٤) وقال حزقيال ان اغنياء التجار كانوا يفدون الى صور من بلاد سبأ واليونان وما بين النهرين ويتزاحمون في اسواقها.(حز ؛ ٢٨)

* * *

اما في يومنا فما من مؤرخ يستطيع ان يضع موضع الريبة تأثير طريق الهند التجارية في تطور التاريخ وفي حياة الشعوب الاقتصادية . وان الاستيلاء على تلك الطريق المؤدية الى الغرب بمحصولات الشرق انما هو دأب الدول المعروفة بجرأتها ونشاطها .

هكذا كان الامر على ايام الدول البابلية والمصرية والحثية، وهكذا لا يزال الى يومنا . على هذه البلاد الفريدة في نوعها تقاتلت البشرية بالامس ولا يزال قتالها متواصلاً الى اليوم . وهو تارة محصور في دائرة السفارات والدواوين ، وتارة منتشر تحت لواء الحروب الهائلة . رجال الحكم ورجال التجارة يطمحون الى اسواق الهند كأن برقاً خلباً ذهب ببصائرهم . وكلما توفرت وسائل النقل واقتربت المسافات بفضل الاختراعات الحديثة ، تبارى أولو الامر وتسابقوا في الوصول الى مأربهم . وما اشدهم كدّاً في الجد اليه ، وسعياً الى التمتع به وحدهم . فلا يزاحمهم عليه مزاحم . وكان من اثار ذلك الاجتهاد فتح ترعة السويس ومدّ الخط الحديدي البغدادي . حتى قال بعضهم ولم يغالوا : ان المسألة الشرقية هي في حقيقتها مسألة الهند . ولخص الالمان القضية كلها بهذه الكلمات (Drang nach Osten) اي « الزحفة على الشرق » . ولم تكن الزحفة في الحقيقة الا على طريق الهند ، وليست هي من اقل العوامل التي اضرمت نيران الحرب الكونية سنة ١٩١٤ .

في العهد القديم ، وفي القرون الوسطى، كانت المعادن الثمينة والابزار التي اشتهرت بها الهند هدفاً للمطامع ومدعاةً للمشاكسات . وقد نشبت ، في اواخر القرون الوسطى ، حرب فريدة في نوعها دعيت « حرب البهار » . اما اليوم فليس القتال على البهار والقرفة والقطن فحسب ، بل هو ايضاً على البترول ولا غنى عنه للصناعة العصرية (١

فلا عجب ان يدور دولاب التاريخ ويجدّد في الزمان الحاضر حوادث العهد الغابر ، لان الاحتياجات ذاتها الناتجة عن المطامع ذاتها هي التي تحوّل الطرق

(١ راجع الفصل الاول من كتابنا : «La Mecque à la veille de l'Hégire»

التجارية العظمى الى طرق لحركة الجيوش والتحام المعارك.

وان الممرّ السوري هو الاقرب مسافةً والاقلّ نفقة للتنقل بين الهند واوربا وهو برّيٌّ وبحريٌّ معاً. لان مياه شط العجم كانت في سالف الزمان تلجه من مصب النهرين الكبيرين، دجلة والفرات، الى قلب البر كأن وادي الفرات ترعة اخترقتها الطبيعة صلةً بين البحر المتوسط وخليج فارس. وكان التجار يركبون السفن ويجتازون عليها المياه من الشرق الى ان يبلغوا منبج وجرابلس، وهم على قاب قوسين او يكادون، من الاسكندرونة، حيث مياه البحر تختلج الاراضي السورية، وحيث كوع الفرات يتجه نحو البحر المتوسط كأنه يلتمس له مصباً فيه ليقرب بين الشرق والغرب.

وان الطريق من الهند الى اوربة عن مجرى الفرات هي اسرع من غيرها واوفر وآمن، ولا سبيل الى الريبة في الامر. وحسبنا شاهداً على صدق كلامنا ما رواه التاريخ عن وفرة عدد المارّين عليها على مدى الزمان، فضلاً عن وجود المدن الكبرى على جانبيها، واثارها الى يومنا تنطق بغناها، وقد كانت حياتها على المياه ومن المياه. تلك المياه المحيية قد قيّض لها في يومنا ان تغور في الصحراء فلا حياة على مجاريها ولا عمران

كيف انقلب خصبها القديم الى صحراء عقيم؟ ذلك لانّ المنازعات السياسية والحروب والاضطرابات حالت دون حركة الاسفار التاريخية، فترك المسافرون طريق الفرات الى غيرها، محوّلين سيرهم عن البادية نحو الجنوب، وكانوا اينما توجهوا فتحوا باباً للتجارة والعمران

وقد يخطر على بالنا، ونحن نذكرهم، تاريخ تدمر ونشأتها المدهشة وعزها الشامخ. فانها برهان على ذكاء الاعراب وحزمهم، لانهم قدروا قيمة الصحراء واستغلوا موقعها الجغرافي، اذ حطوا رحالهم فيها وابتنوا مدينتهم بين الفرات والثغور السورية. وما يقال عن تدمر يطلق ايضاً على بترا، عاصمة النبطيين، وعلى غيرها من المدن التي ازدهرت في اودية العاصي والفرات، ولا تزال انقاضها تنطق بسالف عمرانها. فما احرانا بالاسف عليها وبندب ايام حولت ميدان الثروة والمدنية قاعاً صفصفاً

قال العلامة رينه دوسو في مؤلفه المعنون « اماكن سورية التاريخية » : « ما ان يقطع المسافر تلك المسالك المقفرة حتى يمتاص عليه امرها . ولا يصدق ما يروى عن عمرانها السالف الا اذا احيا صورتها في مخيلتـه ، وتذكر تارة الشرق وفارس والهند ، وطوراً الغرب . فـلا يلبث ان يفهم ان طريق الصحراء كانت مطروقة معبدة للقوافل وحركة التجارة » (١ هذه هي اسباب النجاح في الماضي

* * *

فينتج مما تقدم ان ليس بين الطرق المؤدية من اوربة الى الهند طريق اسهل مسلكاً من سوريـة ، فمن الواجب ان نعتني به اعتناءنا باحد مرافقنا الحيوية ، فنبذل الجهد لنجهزه بما يحتاج اليه التنقل العصري ، لان نجاحـه متعلق بسائر العوامل المؤثرة في الحركة النقلية البرية ؛ وغنى البلاد منوط امره ليس بالدولة وحسن ادارتها فقط ولكن برواج حركة النقل ايضاً ، والمحافظة على طريق الهند . ومن الشاهد على ذلك ان اكتشاف رأس الرجاء الصالح كان له تأثيره السيء في امهات المدن السورية القديمة اعني بها انطاكية وسويدية واللاذقيـة وغيرها من المرافئ

على شاطئ الفرات السوري نشأت سلسلة مدن قديمـة ، هي شاهـد على حركة التجارة على النهر ، أنقاضها تنعيها اليوم واكثرها لا يُعرف منها الا اسمها نهتدي به تدريجاً الى الاطلاع على انحطاط تلك الطريق التجارية . وكان كلما ابطأت حركة المسافرين كسدت سوق التجارة وجمدت حركة الماطاة في سورية

تقلص ظل الدولة الرومانية في البلاد السورية ، فاخـذت مصابيح مدنهـا الفراتية تنطفئ واحداً واحداً . ثم ظهرت الدولة العباسيَّة فرغبت عن سورية في العراق ، ولم تكترث لمصالحهـا وتجـارتها فانقطع سير السفن على الفرات واصبحت اراضيه قفراً يُغير فيه البدو على القوافل فينهبونها

لم ننه تحرير هذه الاسطر الا وقع نظرنا على النشرة الافرنسية الاسبوعية

---

١) راجع R. Dussaud : Topographie historique de la Syrie p. 249

(جورنال دي ديبا في ١٢ كانون الثاني ١٩٢٨) فقرأنا فيها ما يلي « إيلنا والنسيان ان مركز سورية الحربي هو مفتاح من مفاتيح طرق المواصلات العالمية في المستقبل . كلما عمدنا الى السفر والنقل ابتغينا فيه السرعة ومن وسائل هذه السرعة الطيارات والسيارات والخطوط الحديدية . وان موقع سورية في ملتقى الطرق الجوية والبرية الدولية . وباديتها المفتوحة المواصلات على ايام الرومان قد اوشكت ان تستعيد سالف اهميتها » . ونوّه صاحب المقال بما يُنسب الى ايطالية من المطامع فقال : « من قبض على زمام السير في سورية كانت في يده مقاليد الاتصال بين الشرق الاقصى والغرب وبين آسية واوربة »

* * *

فيحق اذاً السوريين ان يعلقوا الذ الاماني على مستقبل وطنهم الاقتصادي . لكنه لا بد لهم من التفطن الى ان العناية الالهية لا تبتذل العجائب ابتذالاً ، ولا تخلص من الغرق من يترك دفة سفينته العوبة الموج والرياح . لقد قام جيراننا يزاحموننا على طريق الهند (وحسبنا ذكر فلسطين) لعلهم يحولونها اليهم ، وهم يعللون النفس بالظفر لما يبذلونه من العناية في سبيل تنظيم السفر وشدّ حبل الامن ليستعيضوا بذلك عما تفوقهم به سورية من قرب المسالك

فعلى السوريين ان يتقوا تلك الخاطر وقد بينت الاضطرابات الحديثة انها ليست اضغاث احلام . ان الجغرافية مخالفة لهم فليحالفوها . ولتكن سورية الطريق الدولية المؤدّية الى الهند ، المفضّلة على سواها ، ليس فقط لقربها ، ولكن لنظامها وسرعتها ووفرة اسباب الراحة والامن فيها . ولا بد ان يهتمّ اولياء الامر آجلاً او عاجلاً بشأن الملاحة على الفرات

وان ما عرضنا امره للقراء لهو برنامج واسع . انما هو عنوان النهضة الاقتصادية وتجديد حركة المواصلات . ولا يدخل في حيّز العمل الا بالتضحيات المالية . اما المال المبذول في سبيل تحقيقه فهو اثر من مآثر الفطنة ، وزرع يأتي حصاده باحسن المحصولات

الدين والحرية

بقلم حضرة الاب ا.س. مرمرجي الدومنيكي

من اساتذة المعهد الكتابي والاثري الفرنسي في القدس الشريف

من اسبغ ما غمر به الخالق عبده الانسان من الآلاء هو تلك الهبة المنقطعة النظير ، والعاجز عن وصفها كل لسان ، الا وهي الحرية ، الممكنة صاحبها من تخيّر الاشياء واتيان اعماله بما خوّله من سلطان . وما احسن صنع البشر ، لضنّهم بهذه الدرّة الكريمة ، وافتخارهم بهذه المزيّة الفريدة . وما كان اضلّ القوم المدّعين ما لا يقبله العقل ، ويمجّه الذوق السليم ، وهو خلوّ المرء من هذه الصفة الجزيلة القدر والفائدة ، على ان كثيرين من ابناء هذا العصر ، ان لم ينكروا الحرية نكراناً تامّاً ، فقد حادوا عن جادّة الصواب في ما يرجع الى ماهيتها وطريقة استعمالها . وقد استدرجهم الى هذه الوهدة التعاليم الفلسفية الاجتماعية المموّجة ، ونجاح المجتمع الحالي في الماديات ، فطمحت النفوس المتهوّرة الى اساءة العمل ، باسم الحرية ، والمغالاة في ادّعاء الاستقلال الذاتي ، او الاباحية . ولذا ، فالجدير بذوي الحجى والنهى ، ان يستطلعوا كنه هذه المزية ، الفارقة بني البشر عن بقية الخلائق الارضية ، ليقفوا على ما هي عليه من الكمال ، فيحسنوا ممارسة اعمالها ، غير مفرطين ولا مفرّطين ، متذكرين ان خير الامور الوسط ، وحب التناهي غلط . وما من وسيلة انجع لبلوغ المرام ، في هذا المقام ، من تمحيص نظرية الحرية ، وحقيقتها بذلك المحك الفعّال ، محك الدين القويم . واذ كان اعداء الدين قد تاهوا في بيداء الضلال ، منهم بنكرانهم وجود الحرية ، وبعضهم بجهلهم او تجاهلهم ماهيتها ، وغيرهم بادعائهم ان الدين مناهض لها ، لاق بنا ان نستفتي الدين في كل قضية من هذه القضايا .

١ً وجود الحرية

بين معتقدات الدين المسيحي ، حقائق فائقة الادراك البشري ، يجب ان يؤمن بها المرء استناداً الى علم الله غير المتناهي ، وصدقه ، قولاً وفعلاً . وهذه العقائد هي ما ندعوه اسراراً . بيدَ انَّ هناك حقائق متفق على اعلانها الدين الطبيعي ، والدين العلويّ . ومن جملتها قضية وجود الحرية . فانها عقيدة من عقائد الايمان ، وحقيقة من الحقائق الفلسفية . ولذا تتضافر في ايضاحها الأدلّة اللاهوتية ، والبينات المنطقية . وفي مقدمة المستمسكات ، في ذا الشان ، هو الكتاب العزيز . فان مختلف اسفاره يحوي الآيات الجمّة ، التي ترينا لله ، عزّ وجلّ ، متشكياً ، غالب الاحيان ، من انصراف البشر عن خدمته ، ومقاومتهم لمشيئته . فتارة يتوعّدهم بالهلاك ، ان هم اصرّوا على العصيان ؛ وطوراً يعدهم بالغفران ، ان هم عادوا اليه تائبين . وهو أمر يفرض دون ريب وجود الحرية ، في هؤلاء العباد . اذ لولا الحرية ، لما كان من معنى للوعد والوعيد ، ولا من داعٍ لكل الوصايا المسنونة لدفعنا الى الخير وصدّنا عن الشرّ ، ولا من مسوّغ لانزال القصاص الزمني والابدي في من يخالف الشريعة ، والمكافأة بالخيرات والجنة الخالدة لمن يسير بموجبها . لانه حيث تسود الضرورة ، والاجبار ، فلا يحل الثواب والعقاب ، لا في هذه الدنيا ولا في الآخرة

فضلاً عن شهادة الكتاب ، هناك شتى الشهادات العقلية . اولاها مستمدة من طبيعة نفس الانسان وهي اتصافها بالروحانية او التنزّه عن المادة ، اي عدم الاختلاط بها والخضوع لاحوالها ، كالكمية ، والحركة ، والقياس . اذ غير ممكن ان يقال ، الا بطريق المجاز ، ان النفس ، او العقل ، او الفكر مدوّر او مربّع ، ابيض او اسود ، بارد او حارّ ، عالٍ او واطئ ، واقف او جالس ؛ اذن خواص المادة ليست بخواص الروح . واذ كانت النفس غير منحصرة في دائرة المادة ، فهي ممتدة القوى ، ومتجهة نحو الاشياء العامة او غير المحدودة . ولذلك اتسعت سلطتها على الكائنات ، وهذا الاتساع مصدر حريتها . لان النفس تشرك العقل بغزارة حياتها ، مما يمنحه القدرة على معرفة الاشياء المختلفة

منزّهة عن المادة . وقوة الارادة تابعة لقوة العقل ، وبذلك تتصف بهذه الصفة اي الميل الى الموجودات المطلقة ميلًا ينجم عنه حريتها . زد على ذلك ان قوانا البشرية جارية اعمالها بنظام لا يشوبه ادنى تنافر او اضطراب . اجل ! اننا لسنا بجاحدين ان هناك مجالًا فيه الانسان معدوم الحرية ، وهو مجال الحقائق البديهية ، التي لا مناص للعقل السليم من قبولها ؛ ومجال الخير الاعظم الذي تميل اليه الارادة تائقة هائمة دون منة منها . لكن خلا هذا ، هناك ميدان فسيح الارجاء ، هو ميدان الامور الحادثة ، والخيرات الجزئية ، فيه يرى الادراك سارحاً ، والمشيئة مارحة ؛ فلا العقل يحكم احكاماً متضارعة ؛ ولا الارادة تعطف ، ضرورةً ، الى خير دون غيره من الخيرات . وداعي ذلك هو ، على ما جاء به مار توما اللاهوتي ، ان القوة المدركة اذا جالت بين الحقائق النسبيّة الجزئيّة ، لا تشعر بذاتها متيدة بحكم واحد ؛ اذ لو كان الامر كذلك ، لقضى جميع البشر ، في كل الشؤون ، قضاء واحداً ، مهما تباينت احوالهم ؛ مما كان ينشأ عنه ، حتماً ، تماثل اعمالهم ؛ كما نشاهد ذلك جارياً في افعال الحيوانات الغريزية . وما يقال في شأن العقل يقال في شأن الارادة ، لانها تميل الى ما يحكم العقل بخيريّته ، طبقاً للمبدأ المنطقي القائل : « لا يُرغب في الشيء الّا بعد عرفانه . » فاختلاف اميال الارادة وحريتها مستند الى اختلاف احكام العقل وحريته

وهذا الاختبار مما نتحققه في ابسط الاشياء واكثرها مزاولة بين الناس . فان كلًّا منّا يشعر ، عند رفعه يده ، ان في استطاعته ان يعليها او ينزلها ، او يميل بها يمنة او يسرة ، او ان يدعها دون حركة . وكذا القول في بقيّة حركات الانسان او سكناته . من مثل القيام والقعود ، والسير والثبوت ، والتكلم والسكوت ، الى غير ما هناك ، مما هو متعلق بمشيئة المرء ، دون ان ينفذ فيها فعل محرّك خارج عنها . وما نجدهُ في نفسنا نراه في غيرنا . ودليله شعورنا بعجزنا عن دفع اقراننا في البشرية الى فعل ما نريده إلّا يرضوا به ، ويميلوا اليه ، من تلقاء نفوسهم

ومن منّا لا يدلّه وجدانه على ثبوت هذه الحقيقة ؟ اذ لا ندحة لامرئ

من ان يحسّ من نفسه براحة واطمئنان ، عقيب فعله الخير ؛ وبأسف وحزن وقلق ، بعد اتيانه الشرّ ؟ وهذا امر يفرض المسؤولية فينا ، والمسؤولية تفرض الحرّية ، لما هو معلوم من انه حيث لا حرية ، فلا مسؤولية . وما اصوب كلام فيتلون الخطيب الفرنسي الذي جاء به في احد تحاريره على الدين ، قال :

« ائتوني برجل متفلسف ناكر الحرية ، فاني لا اجادله بل امتحنه في فرصة اكثر الفرص حدوثاً في الحياة ، لأخجل نفسه بنفسه . فافرض ان امرأة هذا الرجل لا تحفظ له الامانة ، وان ابنه عاصٍ عليه ومحتقر له ، وان صديقه يخونه ، وان خادمه يسرقه . فان تشكى منهم ، اجبته : « الا تعلم ان لا واحداً من هؤلاء مذنب في ما يأتيه ، لكونهم ليسوا باحرار لان يتصرفوا غير هذا التصرّف . وانت مقرّ بانهم مدفوعون الى ارادة ما يريدونه كما يميل الحجر الى السقوط حين لا يسند . » او تظنون ان هذا الرجل يرضى بهذا البرهان فيعذر خيانة امرأته ، وجسارة ابنه ونكوده ، وغدر صديقه ، وسرقة خادمه ؟ او ليس من المحقّق ان هذا المتفلسف الجاحد وجود الحرية عند الجدال على مقاعد المعاهد ، يفرض وجودها فرضاً اكيداً في بيته ، فلا يخفّف من شدة صرامته نحو هؤلاء الاشخاص ، كما لو كان كل حياته قد آمن بعقيدة الحرية التامة . فالواضح اذن ان هذه الفلسفة ليست بفلسفة حقيقيّة ، وانها تضادّ نفسها دون حياء . »

فالناجم من هذه البراهين الساطعة ، انه لولا الحرية لاضحت حياة الانسان دون معنى ، ولا غاية . فقوّضت بذلك اركان الالفة ، ودرست معالم التاريخ ، ومحيت الآثار المخلّدة اسماء عظماء البشرية . اذ لا يعزب عن ذي نهى ان هناك أناماً ، وان طوي بساط حياتهم في هذه الفانية ، فهم لا يزالون أحياء بجميل ما خلّدوه في المجتمع الانساني . والألفة تنشد محامدهم ، وتنشر مآثرهم ، وتعتزّ بهم ، مقرّة بفضلهم العميم . واظهاراً لامتنانها ، تقيم لهم الانصاب ، والتماثيل ؛ وتشيّد المباني الفخمة ؛ وترسم الرسوم الفتانة ، وترفع الاقواس العالية ، وتعمّر الهياكل البديعة . وبالحقّ ان جميع هؤلاء الاعاظم قد رحلوا عن هذه الدار ، وصيتهم ذائع في اربعة اقطار العالم ، فمنهم من قد اشتهروا بالعلوم

والفنون ، او بوضع الانظمة والدساتير ، او الاختراعات والاكتشافات العجيبة، المفيدة للالفة . وغيرهم نزلوا في مقدمة الجيوش الجرّارة ، الى حومة القتال ، فسفكوا دماءهم ، في سبيل نيل النصر ، والفخر ، لاوطانهم . وفي جملتهم ، من قد وقفوا ذواتهم ، واموالهم ، على مؤاساة المساكين ، وخدمة المرضى ، والاعلّاء . وفي عدادهم من تسابقوا في ميدان الفضل ، ففازوا بقصب السبق، في القداسة . على ان هؤلاء الرجال لم يصبحوا اهلًا للمديح ، والذكر الحسن ، الّا لانهم أتوا هذه الاعمال الباهرة ، بحرّية مطلقة . فان لم تكن الحرية عند هؤلاء الابطال ، ابطال البشرية ، فلتقرأنَّ السلام ، على الامجاد والمفاخر ؛ فلتقرأنَّ السلام ، على البسالة ، والشهامة ؛ فلتقرأنَّ السلام ، على الفضيلة ، والقداسة . ثم لتعد الى الاسفار التاريخيّة ، فتمزّقها وتحرقها ؛ والى الانصاب والتماثيل ، فتسقطها ؛ والى الاقواس النصرية ، فتحطمها ؛ والى القصور الشامخة ، فتدكّها؛ والى المباني الاثرية الفخمة ، فتقوّضها ؛ والى الكنائس ، والمعابد ، فتخربها ، وتدمّرها . اجل ! لتمحُ آثار الاقدمين ، اذ لا معنى لها ، ولا صواب ؛ ولان كل ما تدعوه مفاخر ، ومآثر ، انما هو مضاحك ، ومهازئ ؛ ولان الذين تنسب اليهم الفضل ، والكرامة ، لم يكن لهم فخر ، لانجازهم اعمالهم مضطرّين . فهل يا ترى للشمس فخر وأجر ، اذا اضاءت على المعمورة ؟ وهل للارض فضل ، باخراجها الاشجار ، والاثمار ، موفورة ؟ وهل للاسد مجد ، اذا ارعد ، بزئيره ، فرائص حيوانات البقاع المهجورة ؟ فكذلك لا فضل ، ولا قدر ، لكبار الرجال — بمعزل عن الاصاغر — في ما جاءوا به من المفاخر ، ان لم يكونوا احرارًا .

زد على ما تقدم اننا اذا ازلنا الحرية ، اصبحت المحاكم باطلة ، والعدالة ظالمة قاسية . اذ ما الحجة على اصابة رأينا في تحبيذنا افعالًا وتقبيحنا افعالًا ؟ لم يا ترى نذمّ الكبرياء ، والبخل ، والحسد ؛ ونمدح التواضع ، والسخاء ، والمحبة ، ان كان الانسان خلوًا من الاختيار ، خاضعاً لحكم الضرورة والاقدار ؟ باي حق نتزل القصاص في من ندعوهم مذنبين، اذا كان اعتقادنا انهم مقدمون على اعمالهم مضطرين ؟ ما الفرق ، والحالة هذه ، بين السارق ، والحيوان المفترس ؟ ما

الاختلاف بين القاتل ، والشر الضاري ؟ ما الميز بين العصاة الثوار ، وبين العواصف القالعة الاشجار ، والزوابع المغمرة السفن في البحار ؟ . اننا لا نتأخر عن قتل الوحوش ، وكسر شوكة العواصف ، بما لدينا من الوسائل ، وسائل القوة القاهرة ، كلما وجدنا الى ذلك سبيلًا . ونعم الفعل فعلنا ، اذ المقصود منه صيانة حياتنا . الّا اننا ، ان لم نستطع كبح جماح هذه القوّات ، بقوة اشدّ منها ، فلا نرافعها الى المحاكم ، طالبين القضاء عليها بالعقاب ؛ لانه لم يرد قط في تاريخ الدواوين العدلية ان رفعت اليها دعوى نهب ، او هجوم ، او جرح ، او قتل ، على احد الحيوانات الضارية ، او الطيور الكاسرة ، او الحشرات السامّة . كل ذلك لعلمنا اليقين انها انما تنزل المضارّ عن غير اختيار . اما الانسان ، والانسان وحده ، فنعامله غير هذه المعاملة ، لاننا واقفون على ما يترتّب عليه من المسؤولية ، الفارضة الحرية . فلولا هذه الخاصيّة ، خاصية الحرية ، لما اقيمت مجالس ومحاكم ؛ ولا منحت مكافآت على المكارم ، ولا انزل القصاص في مقترفي الجرائم .

ومن هذا كله ، يظهر ، باجلى بيان ، ان في الانسان وجودًا للحرية ، شاء ام ابى المكابرون ، واذ قد اثبت الدين والعقل وجود الحرية ، ساغ لنا التخطي الى استطلاع ماهيّتها

٢ ماهية الحرية

في ذا الصدد ضلال قلّ من لا زلّ قدمه في وهدته ، وهو ضلال الذين يظنون ان حقيقة الحرية متوقفة على تخيّر المرء بين الخير والشر ، او في قيام الارادة متوازنة بينهما ، شاعرة بالقدرة على الميل الى احدهما ، دون اضطرار . وهذه هي الطامّة الكبرى ، لكون قابلية الجنوح الى الشرّ ليست من مقدّمات الحرية ، بل من توابع حالتها الحاضرة ، اي الساقطة ، التي فيها يجد المرء نفسه اميل الى الشر منها الى الخير . اما حدّ الحرية ، من باب الاطلاق ، ولا من باب النقصان والوهن ، فهو قابليّة العمل ام تركه ، او القدرة على اختيار احد خيرين متساويين او متفاوتين . ولذا يمكننا القول عن الرجل الحائز هذه الحرية انه

عائش على الارض ، كما يرفرف الطير في الهواء ، او كما يسبح السمك في الماء . افيجوز ، والحالة هذه ، الادعاء بان الطير حبيس في الجواء ، او ان السمك سجين في الانهار ؟ كلا ! بل الاولى قولنا بان السمك مائت ، لا محالة ، اذا اخرج من الماء ؛ والطير بائد ، دون شك ، اذا حبس عنه الهواء . وهذا الشأن هو شأن الانسان . فانه اذا عاش منعطفاً الى الخير ، تمتع بحياة الحرية ؛ واذا جنح الى الشر ، مات موت العبودية

ومما يزيد في مبلغ بيان هذا مبلغاً هو المثبات السيئة الناشئة عن انكاره : وفي طليعتها حصول التناقض ، لا بل التنافر ، بين طبيعة الانسان وطبيعة الحرية . لأنه ، لو كان كمال الحرية قائماً في اختيار الشر ، لكان كلما ازداد المرء صلاحاً ، نقص حريةً . والحال ، من المقررات ، بدليل الاختبار ، ان ابن آدم ، كلما قمع اهواءه المنحرفة ، جادت اعماله ، وتحسنت صفاته . وبقدر ما يكسر من شوكة رذائله ، يضعف فيه ميله الى الشر ، ويقوى انعطافه الى الخير . مما يمكن الجزم معه ، بسابق علم ادبي ، ان الرجل الذي تدرَّب في طريق الفضيلة ، اذا عرض عليه الخير والشر ، في وقت من الأوقات ، اندفع غاية الإندفاع الى الخير ، نافراً من الشر النفور كله ، فاذا كان الامر كذلك ، افيا ترى من الصواب ان يقال عن هذا الرجل الهائم في الخير انه خالٍ من الحرية ، وان الرجل المائل الى الشر حاصلٌ عليها ؟ كلا ثم كلا ! بل يسوغ لنا ، بعكس ذلك ، اذ نطلق القول بان اوفر الورى حريةً ، اسماهم فضيلة وقداسة . ودونك بعض الامثلة ، تعزيزاً لهذه القضية التي هي من الخطورة بمكان :

نحن النصارى ، نعلم ، من تعاليم ديننا ، ان طائفة من اولياء الله قد عُصموا من الخطيئة ، واثبتوا في حال البرارة ، بانعام رباني خاص مما جعلهم يميلون الى الخير ميلاً ، جاز لنا معه التأكيد بعجزهم عن الهيام في اودية الضلال ، وركوب متن المعاصي . فهل يا ترى جاء هذا الانعام سبباً لحرمانهم من مزية الحرية ؟ امنا العذراء مريم ، عليها اشرف السلام ، لم يكن الشر ليفعل في ارادتها ادنى فعل ، مهما كان طفيفاً ، فهل كانت لذلك غير متمتعة بالحرية ؟ ويسوع ربنا ، لاسمه السجود ، لم يكن قادراً على اتيان اي عمل شابه من

القبح ولو ظله ؛ فهل قام ذلك حائلاً دون مطلق اختيـاره ؟ والله ربّ العزّ والجبروت ، المجتمعة كمالاته في وحدة طبعه ، والعاجز عجزاً مطلقاً عن الشرّ ، مهما كانت صفته ؛ فهل من قائل بعدم حريته ؟

فاذا اتضح ذلك قلنا : كلما اقترب الانسان من مُثلى الكمالات الالهية ، فقد اقترب من مُثلى الحرية المطلقة . ومتى وجدنا رجلاً مائلاً الى الخير ميلاً ينفر معـه من مجرّد تصوّر الشر ، نفوراً يكاد يكون غريزيًا ، لزم ان نقضي جازمين انه قد حقق في نفسه مثال الحرية البشرية الكاملة ، وانه جـدير ان يلقّب بالحرّ حريةً مطلقة . فاذن قابلية اصطفاء الشر ليست من كمال الحرية ، بل هي من نتائج حالتها الحاضرة ؛ هي من حاصلات ضعفها وكللها ، ولا من مفاعيل قوتها وشدتها ؛ هي من آفاتها ، ولا من منافعها ؛ هي مبدأ انحطاطها ، ولا عنوان تقدمها ورقيها . وان رمنا دليلاً حسّياً ، واقعيًا ، فمن هذه الأدلّة ، وجدناه في الذين ينكرون هذه الفكرة ، وهـذا النـاموس ، ناموس الحرية الخيرية ؛ فان حال شرّهم فانحطاطهم ، لاقوى شهادة على ما نحن في صدده . وذلك ، لان صانع الشرّ من تلقاء نفسه ، وبتعمد منه ، ينقص فيـه الحرية بدل ان يزيدها . وكلما تمادى المرء في ارتكاب المساوئ ، واعتاد الرذائل ، قعدت به حريته ، وهذا ما قد حصر الكتاب العزيز سرّ حقيقته ، بقوله : « من ارتكب الخطيئة ، فقد صار عبداً للخطيئة »

على ان الله خلق الانسان متصفاً بالنطق ، فجعلـه نطقه الفاً ؛ وصيّرته ألفته عضواً في جسم البشرية ؛ فكان له حياتان : حياة انفراد ، وحياة اجتماع ؛ ممّا انشأ فيـه حريتين : حريةً فردية ، وحرية اجتماعية . فـالفردية هي التي رأيناها . فما عسى ان تكون الحرية الاجتماعية ؟ هي عين الحرية الاولى ، مع هذا الفرق وهو ان الحرية في الفرد ، سير ارادة واحدة سيراً مطلقاً في سبيل الخير . واما في المجتمع ، فهي سير ارادات متعـددة ، في تلـك الطريق ، باشتراك وتضامن . وكما ان الفرد كلما ازدادت حريته تضـاعفت خيريته ؛ فالمجتمعات الاكثر حرية اجتماعية هي المجتمعات الاسبق جرياً في مضمار الخير ، والاقوى سلاحاً لصدّ هجمات الشر .

قلنا « لصدّ هجمات الشر » لان من حقوق الخير ، بعد وجوده ، ليس العمل دون عائق وحسب ، بل الوقوف في وجه الشر ، منعاً له من انزال المضرة فيه . وهذا الحق مصدر كل حرية صادقة وعدلة . فان اهتضم ، تقوّضت اركان الحرية الاجتماعية . وعليه ، فالقاعدة الاساسية لحياة الشعوب الحرّة ، هي ان يسير القوم في محجة العدل ، طبقاً النظام ، وبروح المحبة ، دون ان يلحقهم ادنى أذى من قبل الظلام ، واعداء السلام ، ارباب الثورات الهدّامة المشؤومة . وحيث تصان الحقوق ، وتراعى الآداب ، ويعيش المرء بأمن من كل سوء ، فهناك يهنأ الناس بنعمة الحرية . الّا ان هذه الحانة ، حانةَ جنةِ الخلد ، لم تفضل بها الطبيعة علينا ، ولا رضيت بها العناية نصيباً لنا ، لما لا نزال نراه من مهاجمة الشر للخير ، في هذه الدار الفانية . وهذا ما كان سبباً في انشاء المحاكم ، على اختلاف اصنافها ، وكل جماعة خلت من سلطة تقيم قسطاس العدل ، امست مسرحاً للظلم والجور . وما الغاية من القوة الحاكمة سوى صون الحقوق ، ونشر لواء الحرية ، مما دلت عليه آية التنزيل العزيز الماثلة على لسان الرسول المصطفى : « ان الملوك هم خدام الله للخير »

هذا واذ سطعت انوار حقيقة الحرية الصادقة ، هان علينا ان نبدد باشعتها ظلمات الاباحية ، اي الحرية الكاذبة الفاسدة التي قوامها الضلال ، وغايتها تضليل العقول ، وافساد القلوب . تلك الاباحية التي يحاول بها ، ناشرو لوائها ، مساواة الحق بالباطل ، والرذيلة بالفضيلة ، والنجاسة بالقداسة ؛ تلك الاباحية القاضية بان تعتبر السلطة الشرعية هذه المتناقضات على حد سواء في الالفة ؛ اي ان تمنح حقوقاً متعادلة للدين والالحاد ، الآداب الصالحة والآداب السيئة ، او بكلمة واحدة ، الخير والشر ؛ وان تبيح لارباب الكفر والخلاعة ، ان يضلّلوا الناس بآرائهم السقيمة ويفسدوهم باقوالهم وافعالهم السمجة . هذه هي المبادئ الوخيمة التي يبذل اهل الضلال العصري قصارآهم في تنفيذها بين الورى ، باسم الحرية . الّا ان هذا لا يقبله العقل السليم ، ويشجبه الدين القويم ، وينفر منهُ كل امرىء فيه بقية من شرف الانسانية . وذلك لان الشرّ لا حقّ له بالوجود ، لانهُ غير موجود ، وليس هو سوى نفي الخير ، وعدم الوجود . هذا

وعلى فرض اننا سلّمنا بالاباحية ، ومنحنا للشرّ مـا نمنحه من الحرية للخير ، افيقف الشرّ عند حـدّه ، ويرضى بنصيبه ؟ كلّا ، فان الاختبـار والتاريخ دليلان واضحان على ان الشرّ من طبعه قاهر ظلّام ، لا يكتفي بما قسم لهُ ؛ ومن فطرته الاعتداء على الخير ، وهضم حقوقه . ولكان محا الخير ومحقه لو بلّغته الى ذلك ذريعته . ولذا فحيث ضربت الاباحية اطنابها ، تفرقت مبادئ الخير ايادي سبأ ، وتشتّت شمل النظام ، والعدل ، والحرية ؛ فقرىء السلام على الألفة الاجتماعية.

٣ الدين نصير الحرية

ينجم مما تقدم ان اعظم الحريات ينبت زرعها في تربة اعظم الخيرات ،وفي اصلح المجتمعات ، اذ ان مَرْبَى الحرية الصلاح ، ومـا الصلاح الا فضل من افضال الدين الذي من اركانه الامر بالمعروف ، والنهي عن المنكر . فالدين اذن نصير الحرية ، لكونه ينبوع الخير ، الضروري وجوده لسير الحريـة ، بأمن من كل ضير . وهذا مفصله :

من مطلبات الصلاح المرغوب فيه لحياة الحرية ، في الالفة البشرية ، ان يقوم كل فرد من الافراد ، وكل فئة من الفئات ، باعباء مـا يحتّمه عليهم الواجب الاجتماعي. فمن كانت بيدهم مقاليد الامور ، ينبغي ان يكون العدل شعارهم، واساساً لحكمهم ؛ والظلم مكروهاً في عيونهم ، وخارجاً عن اعمالهم . واما الباقون ، فيلزمهم الخضوع لأوليائهم ، واداء الخدم المفروضة عليهم ، للمصلحة العامة . بيد ان هذه العلاقات ، بين الحكام والمحكومين ، لا تعود بالفائدة المنشودة ، إلّم يكن لها ضابط يضبطهـا ، خشية ان يجنح اوليـاء الامر الى الاستبداد ، او يرفع الشعب لواء العصيان ؛ اي يجب ان يكون هناك ، فوق الأدنين والأعلين ، شرائع وقوانين يحترمها الجميع ، كل في مقامه . وبذلك تحصل المقوّمات للحرية الاجتماعية الحقّة . والحال ، ليس من كفيل يحقق هذه المطلبات ، سوى الدين . اذ انه ، بفضل تعاليمه الالهية ، يرقى بكل شريعة الى مصدرها الاول ، وهو ارادة الله ، واحكامه الازلية ، المدبرة الكائنات ،

مهما كان نوعها . ولانه يفصل بين النواميس فصلاً ناشئاً عن الحكمة ، باعلانه ما فيها ازلي ، ثابت ، غير مشوب ، على تعاقب الادهار ، وتطوُّر الاحوال ، اعني به النواميس الطبيعية ، والسنن الالهية ؛ وبيسطه ما فيها وضعي ، بشري ، تابع لمقتضيات المكان ، وظروف الزمان ؛ كالشرائع ؛ والقوانين المدنية . فان الدين لا يجزم في شأنها بشيء البتة ، بل يدع الحرية جائلةً ، عاملةً ، في حمى السلطة الشرعية . وتراه في ما ينوط بنظام الحكم ، لا يظهر مأثرة طريقة على طريقة اخرى ، ولا يحدد في ذلك عقيدة لا مردّ لها . فلا يأمر بالحكم المطلق ، والمقيد ، او الجمهورية ؛ بل يفسح المجال لكل شعب ، فيختار النظام الموافق لمشاربه الاجتماعية ، او مأثوراته القومية . اضف الى ذلك ان الدين لا يتسرَّع في الامور ، بل يتربص منتهزاً الفرص الملائمة ، خلافاً لروح الثورات المتهجم المتهوّر . واذ كان الدين صادراً عن الله ، تجده متخذاً ، في اعماله ، طريقة الله ذاتها ، وهي ان يترك الامور تجري مجراها ، وسنن الاخلاق تأتي مأتاها . وعملاً بهذا المبدأ ، لا يضغط على حرية القوم ، بل يتوقع الازمنة المفيدة . ومثله في ذلك ، مثل البستاني الذي يصبر على الشجرة حتى ايام الموسم فيقبل عليها وقد نضج ثمرها،فيجنيه ، ويأكله يانعاً ، شهياً . ومن خواص الدين ، في سنّه الشرائع ، المقصود منها تحرير الشعوب ، انهُ لا يجتزىء بالنظريات العقيمة بل يبذل جهده في ايجاد الحرية المحسوسة ، في الحياة المألوفة ، وهي الحرية المدنية المتوقفة على ان يباح لكل احد اتيان الاعمال المشروعة التي لا تجحف بحق الغير ولا تنزل المضرة به .

اما ارباب الحكم فان الدين يدرّبهم في مسالك الصلاح ، وبذلك يجعلهم لائقين بمقامهم وقائمين بفروضهم احسن قيام ، اذ معلوم ان افضل الحكام من تحاشوا القسر والظلم ، ومهّدوا للامة سبل الخير ، والحرية المرغوبة . والحال ان هذه الصفات الحسنة لا تتحقق في اولياء السلطة ، الا اذا كانوا سائرين بموجب احكام الدين . فان روح الدين يدفعهم الى معاملة الرعية ، لا معاملة السادة للعبيد ، بل معاملة الآباء للبنين . تعليم الدين ان الرؤساء وكلاء الله .

فنعم الوكيل من تشبه بوكيله. والحال ان ربنا مع كونه خالق الاكوان ، ومالك رقاب العالمين ، قد اراد ان تكون صلتنا به صلة البنوة والابوة ، فعلمنا ان ندعوه : ابانا الذي في السموات . واذا كان الرؤساء آباء ، والمرؤوسون بنين، فاحرِ بالامة ان تصبح بمثابة عائلة . وهل يا ترى من شيء اخلق بالحرية من حالة الابناء الخاضعين لسلطة آبائهم ، تلك السلطة التي منشأها المحبة ، فضيلة السعي في خير القريب ، وخدمة مصالحه ؛ وهي التي قد وضعها السيد المسيح اساساً لتحرير الشعوب بقوله : «من اراد ان يكون فيكم كبيراً ، فليكن للكل خادماً.» هذا ، وان بعض ذوي الشوكة والصولة ، من تبعة الدين ، قد اساءوا التصرف بما سُلم لعنايتهم ، فلم يكن ذلك من نتائج الدين ، بل من وهن الطبيعة البشرية ، واعتساف الحرية . وما من ملك او أمير عدل عن محجة الحق والعدل ، وتمادى في اعمال الظلم والجور ، الا وقد سبق فنبذ وراء ظهره شرائع الدين المقدس.

ثم ان من شأن الدين ان ينشيء احسن المرؤوسين ، باعداده الافراد ، لقبول السلطة ، والخضوع للقوانين ، خضوعاً مصدره اليقين ، وطيب السريرة ، وحسن السيرة وبهذا يمهد لهم السبيل الى عيشة الحرية الحقة ، الفارضة وجود سلطة حاكمة ، في كل الفة خليقة بهذا الاسم . اذ ليس من شعب حرّ ، حرية صادقة الّا اذعن لرئاسة ؛ لان النظام الضروري لحياة الحرية ، يتطلّب انتمار الأدنين باوامر الاعلين . وهذا ما نلاحظه في نفس الآلات الصماء ، التي لو حاول احد دواليبها التمنع من الانقياد للدولاب الاعلى ، لنشأ الاضطراب ، ووقع العطل في الجهاز كله. ومن ثم فلا شيء اضرّ بروح الحرية المقدسة من روح الاستقلال الموهوم ، او الاباحية المرذولة . وبالعكس ، ما من حرية حقيقية الّا جرت اعمالها ضمن دائرة السلطة الشرعية.

هذا والخبرة تفيدنا انه مهما كانت الحكومة مقتدرة ، وارباب ذوي حُنكة سياسية ، فلا سبيل لهم الى قيادة شعب قد خلت منهُ الفضائل الادبية وفشت بين ظهرانيه الرذائل ، وليدة الاهواء الدنيّة وعليه ، فمن اراد ادارة

قوم ، تحتم عليه ان يُعدّه لهذه الحالة ؛ وبذلك يهبه الحرية . والحال ان هذا لا يحصل الّا بفضل الدين وقوته . لانه ، كلما انتشر روحه بين امة ، حمل ابناءها على الاستسلام الى تدابير مدبّريهم، اذ يكون قد سبق فعوّدهم السلوك في طريق الفضائل المطلوبة ، وعلمهم ، خاصةً ، ثلاثاً منها ، لا مندوحة لشعب من امتلاكها ، والعمل بها ، وهي : المحبة للقريب ، والاحترام للرؤساء ، والاذعان القوانين ، واذا كانت هذه الحال الفضلى حال الجماعة ، هان الأمر على اوليائها ، وكفتهم مؤونة العمد الى ذرائع القسر والعنف ، وبذلك يحصل النظام ، وتسود الراحة ، وتملك الحرية ، ويستتبّ السلام. مما يمكن القول معه ان لا حرية اجتماعية ، الّا بالانقياد ؛ ولا انقياد ، دون الفضيلة ؛ ولا فضيلة حقيقية ، دون الدين ؛ ولا دين ، الّا بتملك ربّ الدين ، في حياة الافراد ، وحياة الجماعات البشرية.

زبدة المقال هي ان الحرية صفة من صفات الانسان ، خاصة بطبعه ، وضرورية لاعماله . بيد ان الحرية حريتان : حرية كاملة حقة ، وهي تخيّر الارادة الاشياء الخيرة ، في طريق الصلاح ؛ وحرّية ناقصة موهومة ، وهي الاباحة للفرد ، والجماعة ، باتباع الشرّ ، واقامته في الألفة ، بازاء الخير ، بل فوق الخير . وهو ضلال لا يقبله العقل ، ولا النقل ، ولا الدين . اذ ان الدين نصير الحرية ، والحامي عن حقوق الخيرية ، والمساعد البشر على العيش باطمئنان ورفاهية . مما ينجم عنهُ ان لا حرية الّا حرية ابناء الله السائرين تحت ظلال الدين القويم . وبهذه الحرية الصحيحة ، لا بالاباحية المقترنة ؛ تقوم الحضارة المثلى والتقدم المفيد ، والروح العصري المقبول . وهي كافلة النجاح والفلاح في سبيل الكمال المادي ، والمعنوي ، والمدني ، والديني . والسلام.

التلبيس الكهربائي

بقلم انطوان باز

المهندس من المكتب الافرنسي في بيروت ، ومن مدرسة الكهرباء العليا في باريس

إنَّ لتلبيس المعادن ، بواسطة الكهرباء ، شأناً عظيماً في عالَم الصناعة ، خصوصاً في صناعة الحلي والمجوهرات . كيف لا وبه يمكنك ان تعطي ، للمعادن العادية ، قشرةً فضية او ذهبية ، فتزيد في رونقها وجمالها دون ان يتجاوز ثمنها مبلغاً زهيداً . وهي طريقة جُلّى اذ تجمع البذخ الى الاقتصاد ، وتُجيز ، للعامة من الناس ، حمل الحلي ، وكانت قبلاً من مميزات الاغنياء واصحاب الثروة . وقد عرفَ بائعو المجوهرات ان يستفيدوا منها فعمدوا الى تذهيب الاسورة والحلق والخواتم ، وغيرها فزاد ذلك في اشغالهم التجارية

ويفضّضون كثيراً من الحلي النحاسية لزيادة قيمتها الخارجية كسلاسل الساعات والدبابيس وغيرها . وعند الاغنياء يفضّضون آنية الطعام من ملاعق وصحون ، حفظاً لها من التأكسد بالهواء والحوامض

ولم ينحصر التلبيس الكهربائي بالفضة والذهب بل عمَّ كثيراً من المعادن الصناعية لاسيما النحاس والنكل . امّا التنحيس فيستعمل لكثير من الحاجيات كالريش المدنية ، والمسامير ، والشريط الفولاذي . والتنكيل يستوعب جميع الاشياء الحديديّة قصدَ حفظها من الصدأ والزيادة في رونقها . وله اليوم اهمية كبرى في صناعة السيارات ، والتلفون ، وآلات الجراحة ، وماكنات الخياطة الخ الى حدٍّ أنَّ ٩٩ في المائة ممّا نراه من الآنية المدنية البيضاء ، هو ملبَّس بالنكل .

ولم تتوقف فوائد الكهرباء على التلبيس فقط ، بل اجازت نقل كثير من المصكوكات والنحوت ، فكانت مساعداً قوياً للفنون الجميلة في انتشار بدائعها ، وسهّلت اشغال الحفر في المطابع . واننا سندرس كيفية ذلك مع بعض مسائل

التلبيس في بابين ، غير انه لا بُدَّ لنا اولًا من ان نبيّن اساس النظرية اجمالًا، وهي مرتكزة على مفعول الكهرباء في تجزء بعض المحلولات المعدنية

نظرية التلبيس

لنأخذ وعاء من الزجاج ، ولنضع فيه محلولًا لملح معدني، كمحلول كبريتات النحاس مثلًا ، وهو معروف عند العامة « بالشبّة الزرقاء » . ثم نغطّس فيه قطعتين معدنيتين الاولى صفيحة من معدن المحلول اي النحاس ، والثانية آلة نريد تلبيسها كمفتاح مثلًا ، ونصل الصفيحة النحاسية بالقطب الايجابي من مجموع بطاريتين كهربائيتين ، والمفتاح بالقطب السلبي ، كما في الرسم ادناه . فاذ ذاك يسير المجرى من القطب الايجابي من البطارية الى الصفيحة النحاسية ، الى المفتاح بعد مروره في السائل ، الى القطب السلبي من البطارية . انما ذلك التيّار ، بمجرد مروره في السائل ، يقسمه الى اجزائه اي الى نحاس معدني والى اوكسيجين كبريتي ، وهو كناية عن جزء من الكبريت لاربعة من الأوكسيجين . وهذه

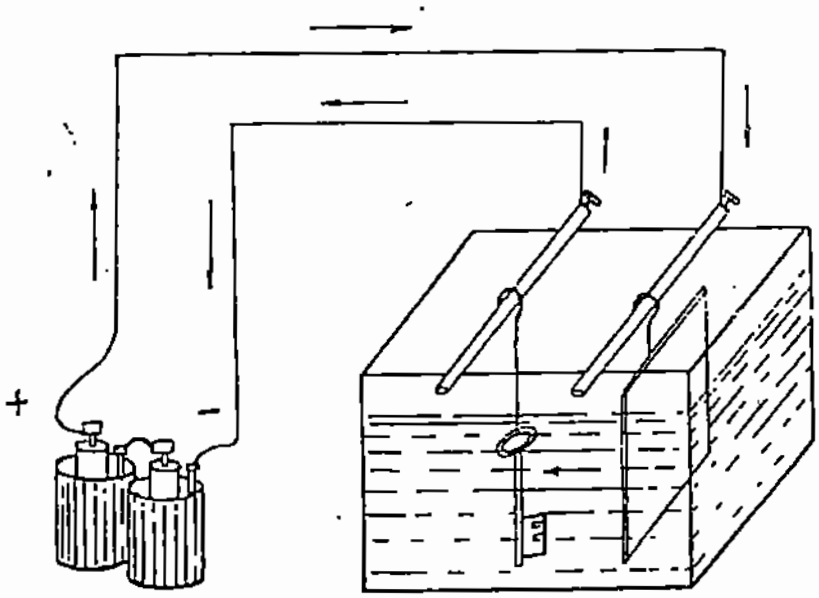

الرسم ١ – كيفية التلبيس + : القطب الايجابي – : القطب السلبي

الاجزاء او الذرات(molécules)هي صغيرة جدًّا بحيث انها لا تُدرك بالعين. أمّا الذرّة النحاسية فتسير مع المجرى وتلصق بالمفتاح فتكوّن قشرة معدنية. والذرّة الكبريتيّة تعود الى الصفيحة النحاسية فتسلبها ذرةً نحاسية لتكوّن بها كبريتات النحاس ، مجدّدةً هكذا المحلول الاولي . فكأنا ، والحالة هذه ، قد نقلنا النحاس من الصفيحة النحاسية في القطب الايجابي ، الى القطعة التي نريد تلبيسها في القطب السلبي . لذلك فالصفيحة النحاسية لا تزال تبرى الى ان تذوب تماماً فيصير استبدالها بغيرها . ولا يُلبَّس من المفتاح الّا الجهة المقابلة للنحاس . فاذا قُصد تلبيس الجهتين ، كما في الغالب ، يُجعل هذا في وسط الوعاء ويُعمد الى صفيحة ثانية من النحاس تُوضع في الجهة المعاكسة ، وتُوصل ايضاً بالقطب الايجابي.

يُستنتج ممّا سبق أنّ التلبيس بواسطة الكهرباء يستلزم:

١ً ينبوعاً كهربائيًّا كبطّارتين مثلاً للاشغال الصغيرة او مولّدة مخصوصة للاعمال الصناعية

٢ً محلولاً من ملح المعدن الذي نُريد التلبيس منه

٣ً صفيحةً من نوع المعدن نفسه ، غارقة في المحلول ، موصولة بالقطب الايجابي من البطارية ، ولذلك ندعوها « الايجابية » (anode)

٤ً القطعة التي نريد تلبيسها ، غارقةً ايضاً في المحلول ، موصولة بالقطب السلبي ونسميها « السلبية » (cathode)

صناعة النقل

هذه هي عملية التلبيس. أمّا اذا اردنا نقل قطعة حفرية ، بواسطة الكهرباء ، فما علينا الّا ان نستبدل السلبيّة ، في المثل السابق ، بقالب من الشمع او الطبرخي (gutta percha) أخذت فيه علامات الرسم او المصكوكة (médaille) المنوي نقلها ، فتجتمع عليه قشرةٌ معدنية يمكن فسخها عن القالب الشمعي فتعطي نسخةً للصورة الحقيقية. وكثيرًا ما تُعمل هذه النسخ من النحاس لأنّ القشرة التي يكوّنها المجرى ، بالنحاس ، متساوية ، وتُعمل باسرع ممّا في

بقية المعادن. وقد تبلغ ثخانة هذه القشرة او الراسب الكالفاني مليمترًا واحدًا في الاربعة والعشرين ساعة ، للنحاس . ولا يخفى أن هذه القشرة قابلة بدورها التفضيض والتذهيب الخ

ويُعمل القالب بان تؤخذ قطعة من الطبرخى ، فتُلَيَّن في الماء السخن بدرجة ٧٠ سنتغراد ثم تُفرك بالأسرب (plombagine) كي لا تعود تلصق بالرسم المنقوش عند طبعه فيها . وبعد ذلك تنظَّف المصكوكة ، او القطعة المنوي نقلها ، بالبترين لإزالة ما يكون قد علقَ بها من المواد الزيتية او الدهنية ، ثم تُطبع في الطبرخى فتُبقي رسمها فيه . ومن الضروري ، اذ ذاك ، فركُ هذا القالب بالاسرب تكرارًا ، بواسطة فرشاة صغيرة ، ليسهل مرورُ المجرى الكهربائي ، اذ إنَّ الاسرب موصلٌ حسن والطبرخى موصلٌ رديء

وقد يُستعاض عن الطبرخى ، في عمل القوالب ، بتركيب شمعي ، خصوصاً اذا كانت النقوش خفيفةً ، خاليةً من الدقة . فيذيبون في اناء تسعةَ اجزاء من الشمع العملي مع جزء ونصف من التربنتينا الجامدة وربع جزء من الاسرب الناعم ثم يسكبونها صفائح ، ثخانتها سنتيمتر واحد ، تُستعمل عند الحاجة كما سبق

المغطس الكالفاني

امَّا السائل المستعمل غالباً او المغطس الكالفاني فهو محلول من كبريتات النحاس او « الشبّة الزرقاء » حسب الوصفة الآتية :

ماء مقطَّر	١٠ اجزاء
كبريتات النحاس	١
حامض كبريتي	٠.٥٠

وقد يُستغنى عن الحامض الكبريتي ، اذا وجوده يزيد في ايصالية السائل الكهربائية (conductibilité électrique) فيسهل مرور المجرى فيه ويسرع في انهاء العملية

كيفية العملية

بعد تحضير القالب يوضع قسمٌ من المحلول السابق في وعاء زجاجي ، او برسلاني ، او خشبي مبطّن داخله بالطبرخى حفظاً من مفعول المادة الكيماوية ، ثم يغطّس فيه ، القطعة النحاسية من جهة ، والقالب من جهة اخرى بحيث يكون النقش مقابلاً القطعة الاولى . ثم توصل هذه بالقطب الايجابي والقالب بالقطب السلبي من بطارية او ينبوع كهربائي . فلا يلبث ان يتغشّى وجه القالب قشرة نحاسية تزداد ثخانةً مع الوقت ، فاذا بلغت المليمتر الواحد ، او الاثنين ، عُدَّ ذلك كافياً فقُطع المجرى ، وأخرج القالب من السائل ، ونزعت عنه القشرة المعدنية التي جاءت بالرسم الاول فأُغسلت بالماء ، ونُشفت بنشارة الخشب . وكثيراً ما يزيدون سمك هذه القشرة ، ضناً بحفظها ، لاسيما اذا استعملت للطبع ، فيصبّون وراءها مزيجاً (alliage) من معدن لين

تلك هي عمليةُ النقل ، وقد اخذت اليوم دوراً مهماً في الطابع لحفظ صفحات المؤلفات ، كما فعلت المطبعة الكاثوليكية في «المنجد» وغيره . فبعد إن صُفّت حروف هذا الكتاب صفحاتٍ صفحات ، أُخذت نسخةٌ من كل واحدة منها ، بواسطة الكهرباء ، فجاءت الاحرف فيها قطعةً واحدة . وهذه النسخ اسهلُ حفظها من الحروف المركّبة ، وبها يمكن اعادة طبع الكتاب تكراراً دون عناء

صناعة التلبيس

بقي علينا أن نبحث في القسم الثاني من هذا الفن ، ألا وهو فنُّ التلبيس بذاته وفيه التنجيس ، والتنكيل ، والتفضيض ، والتذهيب الخ . وفي كل الاحوال ينبغي ، قبل كل شيء ، جلي القطعة المقصود تلبيسها ، لتتساوى سطوحها . وهذه العملية تُجرى على الدوّار (tour) بواسطة حجر ناري ، او دولاب خشبي ملبّس من جلد الثور ، او دولاب من اللبّاد او الجوخ ، كما في الرسم ٢٠ . والدوّار كناية عن محورٍ سطحي ، محكمٌ في طرفيه دولابان ، يدور بسرعة . فاذا

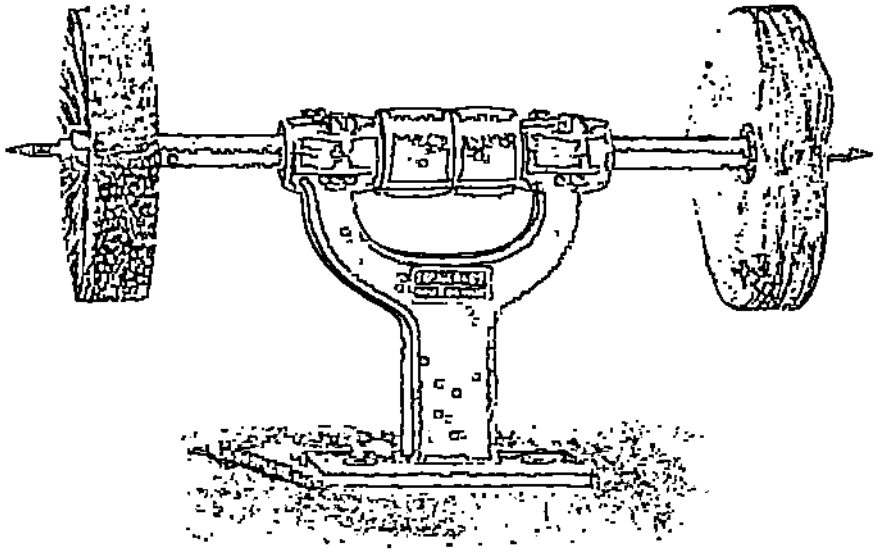

الرسم ٣ : صورة الدوّار

قربت القطعة المعدنية الخشنة من احد هذين الدولابين،اخذت بالاحتكاك نعومة واماناً . وكثيراً ما يُبدأ بالجلي على الحجر النـاري ، كي يذهب بالخدوش الكبيرة ، ثم يصير التنعيم بالدولاب اللبادي بعد ان يدهن وجهه مادّةً آكلة

وعندما تُجلى القطعة المذكورة يُعمد الى ازالة الموادّ الدهنية عنها ، وهي مانع لمرور المجرى ومتانة التلبيس ، فتُحمى في النار او تُغلى في محلولٍ قلوي ككربونات البوتاس ، او الصودا ، او محلول ١٠٪ من القطرون . ثم تُغسل بالماء وتغطّس في محلول من الحامض الكبريتي جزء لعشرة يذهب بالاوكسيدات التي تتغشى سطحَ المعدن . وعلى اثر ذلك تؤخذ فرشاة نظيفة ناعمة منغوسة في مغلي الكلس فيُفرك بها جيداً سطحَ القطعة ، لازالة ما يكون لحق بهـا من الموادّ الدهنية بلمس الايدي ، ثم تعلّق بشناكل ، وتُغسل طويلاً بالماء الحلو ، جاهزةً لأن تلبَّس ايَّ معدنٍ كان

تلك هي الاعمال الاولية في التلبيس ، وهي واحدة سواء قصدت التنحيس او التنكيل او التفضيض او التذهيب الخ

التنحيس

تُنحَّسُ الاشياء المعدنية بان تُلبَّس قشرةً نحاسية بواسطة الكهرباء . والتنحيس ضروري قبل تلبيس بعض المعادن بالفضة والذهب كالحديد والتوتيا ، لان تلك المعادن تعلق بالنحاس اكثر منها بالمعادن الثمينة . فاذا اردت اذاً تلبيس قطعة حديدية فضةً او ذهباً عليك اولاً ان تلبسها قشرةً خفيفة من النحاس الاحمر ثم تعود فتفضّضها او تذهّبها بالطريقة نفسها . وفي التنحيس يجب ان تكون الايجابية قطعة من النحاس الاحمر والمنطس النحاسي كما يأتي :

ماء مقطر	ليتر واحد
خلات النحاس	٢٠ غرام
كربونات الصودا	٢٠ «
بيسولفيت الصودا	٢٠ «
سيانور البوتاس	٢٥ «

ويُعدَّل المجرى بحيث لا يتجاوز الستة اعشار الامبير (ampère) لكل مائة سنتمتر مربع من السلبية او القطعة المنوي تنحيسها ، فيجيء التلبيسُ ناعماً متساوياً . فلو فرضنا قطعة عرضها ١٠ سنتمترات وطولها ١٥ ، اي مساحتها ثلاثماية سنتمتراً مربعاً ، لاضطررنا الى مجرى قوته ١,٨٠ امبير على الاكثر . والامبير مقياس السيلان الكهربائي كما سنرى

التنكيل

تُعدّ اليوم صناعة التلبيس بالنكل من اهمّ الصناعات ، لرخص هذا المعدن نوعاً ، ولجماله اذا صقل . وممّا زاد في استعماله ، ثبوته ضدَّ عوامل الرطوبة ، كالتأكسد بالهواء وغيره ، وصلاحيّته لتحضير الاطعمة فيه دون خطر ما . وكاد لم يترك صناعةً الّا تسرَّب اليها . وقد المنا في بدء هذه المقالة الى صناعاتٍ شتى زاد التنكيل في انتشارها . امّا المنطس المستعمل فمركَّب من :

كبريتات النكل او النشادر المزدوج	٦٠٠ غرام
« النكل	٣٠٠ «
ملح طعام عادي	٣٠٠ «
ماء	١٠ ليترات

وهو محلول ذو لون اخضر جميل . وثقل الجرى (densité de courant) يتراوح بين ٠,٣٠ و٠,٥٠ امپير لكل مائة سنتمتر مربع من السليّة ، فلا تلبث تلك ان تاخذ قشرة بيضاء تبلغ بساعة واحدة ثخانة جزء من اربعين من المليمتر وهذا كاف ليعطيها الصلابة المطلوبة . ثم تخرج القطعة من المحلول فتغسل جيداً ، وتنشف بنشارة الخشب ، وتصقل على الدوّار بواسطة دولاب من اللباد مدهون بمعجون كيلاري

التفضيض

واذا اردت تفضيض آلة ما ، فان كانت نحاسية عليك ان تضعها بضع ثوانٍ في محلول بيوكسيد الزيبق (غرام واحد في ليتر ماء . يذوّب بان يضاف اليه قليل من الحامض الكبريتي) قبل عملية التلبيس . واذا كانت مفضّضة من ذي قبل ، واردت تجديد القشرة الفضيّة ، فمن الضروري نزع القشرة الاولى تماماً ، وذلك بان تضع القطعة في مزيج من الحامض الكبريتي والحامض النتري ، اجزاء عشرة لواحد ، ثم تبدأ بالتلبيس حسب الاصول . والمغطس الفضي محلول مركب من سيانور الفضة والبوتاس

التذهيب

لقد بيّنّا سابقاً انه يمكن تذهيب الاشياء النحاسية والفضيّة رأساً دون وسيط . امّا القطع الحديدية وغيرها فالاحسن تنحيسها قبل التذهيب . ومغطس التذهيب مزيج من فوسفات الصودا المبلورة ، وسيانور البوتاس ، وكلورور الذهب ، يُباع تجارياً ضمن علب محضّرة تُذوّب في الماء . والتذهيب الكهربائي يكون امّا بالطريقة الباردة وإما بالطريقة السخنة وهي تفرق عن الاولى بان يُسخّن المغطس ، قبل استعماله ، حتى درجة ٦٠ سنتغراد . امّا الايجابية ، فاذا عملنا بحسب النظريّة العمومية ، يجب ان تكون سبيكةً من الذهب الخالص .

انّما التلبيس ، في تلك الحال ، يجيء بطيئاً . لذلك فكثيراً ما يُستعاض عنها بشريط من البلاتين ، على أن يجدّد المحلول كلما ضعفت فيه المادّة الذهبيّة التي تكون قد تجمّعت قشرةً صفراء على السلبية . ومن الغريب انه يمكن الحصول على الوانٍ شتى منها الذهبيّ الاصفر، والاحمر، والاخضر، حسب قوّة المجرى واملاح كيماوية تضاف الى المغطس كسيانور النحاس للون الاحمر، وسيانور الفضة للاخضر .

هي بعض عمليّات التلبيس احببنا تبيانها . واننا ، مخافة ان نملّ القرّاء ، نضرب صفحاً عن كثيرٍ غيرها كالتلبيس بالنحاس الاصفر والقصدير والتوتيا الخ . غير انه لا بدّ لنا من كلمةٍ في تلبيس القطع الصغيرة كالمسامير والدبابيس التي ، لو قُصد تلبيسها واحدةً واحدةً كالقطع الكبيرة ، لما استطيع الى ذلك سبيلاً، اولاً لصغرها ، وثانياً لعددها الوافر . لذلك فغالباً ما توضع هذه كأنها ضمن مصفاةٍ من خزف تنزل في المغطس او الاحسن ضمن برميل ، كثيرُ الثقوب من جميع جهاته ، يدور في المغطس بحركةٍ خفيفة ، كي يتمكن الراسب الكالفاني من الوصول الى سطوح كل المسامير على السواء .

هذا وتعميماً للفائدة نعطي ادناه جدولاً بميّزات كلّ من العمليّات السابقة من مثل توتر المجرى ، وقوته ، وكمية الراسب الذي يتجمع على السلبية في الساعة ، والوقت اللازم لكل من تلك العمليّات :

نوع التلبيس	توتر المجرى فولت	ثقل المجرى امبير لكل مائة سم	كمية الراسب المعدني في الساعة لقوة امبير واحد	معدل الوقت اللازم ساعة
نحاسي (لتلبيس الخوت)	٠,٥٠ الى ١,٥٠	١ الى ٣	١,١٨ غرام	يختلف بحسب السماكة
نحاسي (للتلبيس)	٣	٠,٢ الى ٠,٦	٢,٣٧	من ١/٢ الى ١
نكل على الحديد	٣ الى ٣	٠,٢٠ الى ٠,٥٠	١,٠٦	١ الى ٢
« على النحاس الاصفر	«	«	«	١/٢ الى ١/٢
فضي «	٠,٥٠ الى ١	٠,٢٠ الى ٠,٦٠	٤,٠٢	١ الى ٨
ذهبي	٢,٥٠ الى ٣	٠,١٠ الى ٠,٢٠	٣,٦٨	١/٢ الى ١ ١/٢

نوع المجرى المستعمل للتلبيس

ان نظرية التلبيس مرتكزة على نقل المعدن من الايجابية الى السلبية كما بيّناه . فلهذا يجبُ استعمال المجرى المستمر ، اي ما كان قطبه الايجابي ثابتاً ، وكذلك السلبي . امّا المجرى المتناوب فلا يصلح للتلبيس لان قطبيه ينعكسان مائة مرة في الثانية (للمجرى العادي ذي التكرار ٥٠ دفعة) . فالذرّات التي

تكون نُقلت من القطب الايجابي الى القطب السلبي ، مدة ١/١٠٠ من الثانية الاولى،تعود فتُنقل بالعكس متى انقلب القطبان مدة١/١٠٠ من الثانية ايضاً وهلم

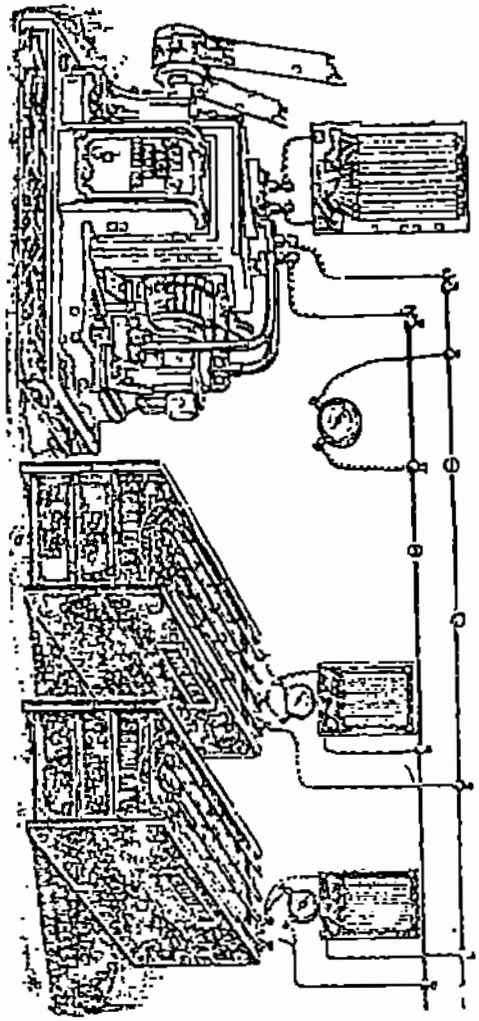

الرسم ٣٠٤ قاعة التلبيس

جزًا بحيث انه في آخر الامر لا يعلق بالسلبية شيء من المعدن . وهذا ما منع المجرى المستمر من التلاشي ، رغم تقدم المجرى المتناوب. فهو لا يزال يستعمل في احوالٍ مخصوصة منها الجرّ ، وصناعة التلبيس ، والكيميا الكهربائية. وتوتر المجرى في التلبيس يتراوح بين ٠,٥٠ و ١٠ ڤولت حسب نوع المعدن . امّا قوة المجرى ومقياسها الامپير تتابعة لمساحة القطعة المنوي تلبيسها ونوع التلبيس كما

رأينا . ويجب ان لا نخلط قوة المجرى ، ومقياسها الامپير ، بقوة التوتر ومقياسها الڤولت . فلو اردنا التشبيه بين السيّال الكهربائي والسيّال المائي لقلنا انّ قوة المجرى اشبه بشخانة القسطر المائي ، والتوتر بالضغط او سرعة سيلان الماء . اما القوّة الكهربائية فمقياسها الوات اي جزء من ٧٣٦ من الحصان . وهي نتيجة ضرب التوتر بقوّة المجرى . مثلاً مولّدة كهربائية تعطي مجرى عشرة امپير بتوتر ٦ ڤولت تكون قوتها ١٠ × ٦=٦٠ وات ، اي ٦٠/٧٣٦ من الحصان . وهذه القاعدة لا تصح تماماً الّا في المجرى المستمر

قلنا اذاً انّ التلبيس الكهربائي يقتضي مجرًى مستمرًا . ففي الاشغال الصغيرة من مثل تفضيض ايقونة او آلة دقيقة ، نقدر ان نستعمل بطاريتين او خزّانين . امّا الاحسن استعمال مولدة مخصوصة ، خصوصاً لمن اتخذوا هذا الفن مهنةً يعيشون منه . ففي المدن ، حيث لم يعد للمجرى المستمر اثر ، يحولون المجرى المتناوب الى مجرى مستمرّ بواسطة مجموع مركّب من محرّك كهربائي ومولدة كهربائية . يسير الاول بقوة المجرى المتناوب فيُدير الثانية فتعطي المجرى المستمرّ . والرسم ٣ ، في الصفحة المقابلة ، يمثّل قاعةً لتلبيس يُرى عن شمالها المولدة الكهربائية ، وعن اليمين الصناديق المستعملة للتلبيس ، منها للتنكيل ومنها للتنحيس ، وفي كلٍّ منها المحلول الكيماوي اللازم لهذه الغاية . امّا التيّار الكهربائي فيأتي لكلّ واحدة منها بواسطة جهازٍ مخصوص ولوحة لوزن التوتر وتعديل المجرى

الخلاصة

يظهر ممّا سبق أنّ صناعة التلبيس صناعة جُلّى تشهد بقوّة السيّال الكهربائي وبما له من المكانة في تغيير هيئة المعمور واحواله الاقتصاديّة . انما نأسف ان يعمد الانسان احياناً الى استعمال ما وضعه الله بين يديه ، من الوسائل العلمية ، لعمل المنكر . فقد تبيّن انّ البعض كانوا يعمدون الى طريقة التلبيس ، لنقل السكك والنقود ، غير ان هؤلاء الجناة كثيراً ما لقوا جزاءهم اشدّ العقوبات . ثم كم من الصاغة يستعملون التلبيس قصد الغشّ وترويج بضائعهم ، وهو فعل مستقبح اجارنا الله من شرّه . . .

صفحة من تاريخ سورية

تنازع الاسقفية في انطاكية (٣٦٢–٣٩٢)

بقلم الاب غوستاف نيرون استاذ الفلسفة في كلية القديس يوسف

١

ان سورية كما لا يخفى هي من البلدان الاولى التي استولت عليها الديانة المسيحية . فان اعمال الرسل تنبئنا ان في عاصمتها انطاكية بدأ استعمال كلمة «مسيحي». لذا كان التبشير فيها ، منذ اول عهده ، سريعاً جداً . ففي اوائل الجيل الرابع ، بينا كان الغرب لم يزل معظمه وثنياً، ولا يعدّ في كثير من اقطاره الّا بعض مراكز متفرقة للمسيحيين ، اذا بسورية قد توطد فيها الدين الجديد مؤلفاً في جميع انحائها جماعات متلازّة من المؤمنين.

اما ارتداد قسطنطين فلم يكن الا ليزيد في تعزيز موقفها . فمنذ ذاك العهد ، لا يتميز تاريخ كنيسة سورية عن تاريخ البلاد الذي كانت الحوادث الدينية لحمته . ولكن لا نتوهمنّ اننا لا نجد في هذا التاريخ موضوعاً فسرده سوى انتصارات الايمان والروح المسيحي ؛ فان الديانة المسيحية ، بانتصاراتها نفسها ، وبامتياز موقفها ، كانت عرضة لاخطار جديدة اعظم ، على نوع ما ، من اخطار الاضطهادات الوثنية . فان الامبراطور ، وقد غدا من ابناء الكنيسة ، استعمل في وسطها نفوذاً كبيراً خوله اياه مجاري الامور . ومن ثم كان يخشى ان يدفع الطمع بعض الاكليريكيين المفسدين للتألب حوله ، سعياً وراء تنفيذ اميالٍ غير اميال الانجيل.

ذلك ما جرى خصوصاً اثناء المنازعات الاريوسيّة التي ملأت القسم الاكبر من الجيل الرابع . فان البدعة الاريوسيّة ، التي طرحت الوهية المسيح على بساط النقد ، لم تنل نجاحاً بين الشعب المسيحي : امرٌ عرفهُ الجميع عندما حرم المجمع النيقاوي بدعة آريوس . لان تحديدات هذا المجمع قُبلت في جميع

الاقطار بخضوع وسرور تأمين . غير انهُ اذا كان المؤمنون الاتقياء قد نبذوا هذا الضلال المقوّض لاركان الايمان ، فان فئة من الاحبار ، وجال الطمع والسياسة ، ارادوا لاسباب مختلفة ان يترتّب مصيرهم على مصير آريوس. وكانوا لذلك يجتهدون بكل ما لديهم ليتيحوا له الاخذ بالثأر ، مما اثار اضطرابات مستطيلة ، وانقسامات شديدة، واحياناً اضطهادات لا تقل قساوة عن اضطهادات الملوك الوثنيين انفسهم . بيد انهُ لا توجد كنيسة تألمت من هذه الحالة الموجعة اكثر من كنيسة انطاكية.

* * *

في سنة ٣٢٥ ، ايام التئام مجمع نيقية ، كان يرئس كنيسة عاصمة سوريّة رجل سامي القدر، حازمٌ ، صارم العزيمة ، وهو القديس افسطاتيوس ، احد الذين بادروا قبل انعقاد المجمع الى حرم المبتدعين . ولمّا انفض المجمع وحاول هؤلاء اعادة الكرة خلسةً ، كان من اول العاملين على كشف دسائسهم . ولهذا لم يلبث ان نال ما سبّب له سهره المتواصل من المشاكل.

ففي سنة ٣٣١ التأم في انطاكية مجمع قبض على زمامه الاحبار الاريوسيون فحط افسطاتيوس عن كرسيه مستنداً الى وشايات افترائية ؛ ونال من قسطنطين تثبيت الحكم بدعوى انه متمرّد ، فنفي الى تراقية حيث لم يلبث ان مات : ضربة قوية جرّت على كنيسة انطاكية ، التي كانت اذ ذاك على ازدهار واتحاد عظيمين ، عواقبَ مؤلمة بقيت زهاء قرن.

وذلك اولاً ان الموقف الجديد جعل كاثوليك انطاكية امام مشكل كبير من مشاكل الضمير . ما العمل ؟ ايرضون بحط افسطاتيوس الجائر ويعترفون بالاساقفة الذين جُعلوا خلفاء له، وهم رجال ذوو ايمان مريب ، بما ان علاقاتهم كلها كانت مع الاريوسيين ، او قلما يكون مع النصف الآريوسيين ؟ ام ينفصلون عنهم ويؤلفون طائفة على حدة ؟

موقفٌ حرج فيه الاكليريكيون والمؤمنون ، حتى الذين تسامو منهم تقوى وتمسكاً بايمان نيقية لم ينهجوا منهجاً واحداً . فان فئة ذات شأن قد انفصلت عن الطائفة القانونية ، التي فقدت راعيها الشرعي . ولئلا تشترك مع آثام عليهم

شبهة الهرطقة ، كانت تجتمع على انفراد في مساكن خصوصية . اما شعارها فقد كان اسم افسطاتيوس ، لذلك دُعي ذووها بالافسطاتيين.

وآخرون ممن كان ايمانهم نقيًا ايضاً لم يفقهوا واجبهم على هذه الصورة ؛ فان عزل افسطاتيوس كان غير عادل ، الّا ان المحكوم عليه نفسه كان يظهر انهُ راضٍ بذلك حبًا بالسلام.

واما تعاليم نيقية فان الذين اسقطوا الاسقف القديس كان انتحالهم لها موضع الريب . بيد انهم كانوا قد وقّعوا عليها وكانوا يعلمونها . ولم يكن اذ ذاك في المملكة كلها وفي الكنيسة جمعاء قانون ايمان غير الذي تعلمه نيقية . اذًا بما ان المعتقد القويم لم يُمَسّ أما كان الاولى ان يضحّى بكل شيء في سبيل وحدة الكنيسة ، ويحفظ الاتحاد مع الجماعة الشرعية ؟ وذلك لكي لا تذهب هي ايضاً فريسة الهرطقة . فهؤلاء الكاثوليك الاكثر تساهلًا قد اعترفوا اذًا بالاساقفة الذين تتابعوا على كرسي انطاكية بعد سنة ٣٣١

بالحقيقة ان الطائفة الشرعية ، التي كانت لم تزل مستولية على الكنائس بحيث امكنها ان تقيم فيها جهارًا الاحتفالات الطقسية ، كانت اكثر عددًا من الاخرى . لكنها كانت اكثر اختلاطا . فبإزاء الكاثوليكيين الذين لا يؤخذون بلائم ، كنت ترى جمًا من الآريوسيين بين متكتمين ومتظاهرين ، ونفوساً مترددة تتلاعب بها رياح المذاهب.

* * *

. ففي عهد الامبراطور قسطنتيوس بن قسطنطين الكبير ، استأثر الآريوسيون بجميع نعم ذوي السلطان . والاسقف لاونتيوس ، الذي بقي في كرسيه من سنة ٣٤٤ الى سنة ٣٥٨، كان بلا ريبٍ اكثر مناصرة لهم منه للكاثوليكيين الحقيقيين . غير ان هؤلاء كان في مقدمتهم رجال حزم وعزم ، فحافظوا بثبات على ايمانهم الذي قلما وجد نصرةً في اسقفهم . فهذا الاختلاف الداخلي في الافكار ، الذي كان يتزايد يوماً فيوماً ، قد جرّ احياناً الى الخارج مشاكل غريبة . ففي تلاوة الفرض في الكاتدرائية ، كان الكاثوليكيون يجاهرون بايمانهم بتساوي الثالوث الاقدس ، خاتمين كل زبور بالعبارة التي لا تزال نستعملها

وهي « المجد للآب والابن والروح القدس.» وامّا الاريوسيون فتلميحاً الى عدم مساواة الابن كانوا يقولون « المجد للآب بالابن في الروح القدس» . فالاسقف الذي كان يريد ان يتجنب كل سبب معثرة رأى ذاته واقعاً في حيص بيص . وممّا يخبر عنهُ انهُ كان يبتدئ بقول « المجد للآب» بصوت جهوري جليّ. ثم يسهل او يميت صوته هنيهة ؛ ولا يعوده صوته الا عند الخاتمة « الى دهر الداهرين.»

فوالحالة هذه كان يرى الاقدام على تغيير الاساقفة سبباً لاثارة منازعات جديدة في كنيسة انطاكية . والاسقف الشيخ لاونتيوس قد شعر بذلك. وكان يقول وهو يمرّ يده بين شعره الابيض « متى ذاب هذا الثلج صار وحلاً في شوارع انطاكية » . وقد مات سنة ٣٥٨ وخلفه افضوكيوس ، وهو آريوسي مجاهر بآريوسيّته . فاضطرب من ذلك الكاثوليكيون ؛ غير انهُ ما هتم ان مضى عنهم لانه في بدء سنة ٣٦٠ نقل الى القسطنطينيّة ، فوجب من ثمَّ ان يُعمد الى انتخاب اسقفيّ جديد كان لابدان يفضي الى قلب الحالة الحاضرة ظهرًا لبطن.

من ذا يكون الاسقف الجديد ؟ والى اي فريق سيميل ؟ هذا ما كان الجميع يتساءلون عنهُ. وان الظروف كانت تبين غير مناصرة للكاثوليكيين . فان الآريوسيين كانوا منذ قليل قد فازوا في مجمع ريبني غير الشرعي، والقديس اثناسيوس مع المحامين الباسلين عن ايمان نيقية كانوا في الجلاء . والاحبار الذين يحفّون بالامبراطور قسطنتيوس ، والقابضون فعلًا على دفّة الكنيسة الشرقية كانوا رجال سياسة واسعي الضمائر ، كلهم مناصرون للهرطقة مناصرة متفاوتة. ففي هذه الاحوال يا ترى هل يكون الانتخاب حرًّا وما تكون نتيجته ؟

ان الاساقفة تهافتوا بكثرة على انطاكية ليكون لهم يد في الانتخاب . فلم يمض الّا زمن يسير حتى طار الخبر ان المنتخب اكليريكي قليل الشهرة ، وديع ، ساذج ، محب للسلام ، عدوّ للقلاقل والبلابل ، جعله حبه الكنيسة والعزلة خارجاً عن الاحزاب . وكان لهُ في كل منها على اختلافها اصدقاء كثيرون بحيث ان في كلا الفريقين ، فريق الكاثوليكيين الأمناء وفريق الاريوسيين ، من توسّم الخير في انتخابه.

لقد انتظر القوم بفروغ صبر خطاب الجلوس اذ منهُ يعرف الى اي فريق

يميل المنتخب الجديد . وهنا يجب الاقرار انهُ حضر الحفلة بموكب القى في القلوب بعض الخشية . فكان يحفّ بهِ جاورجيوس الكپادوكي الدخيل ، الذي اجبر الشرطةُ الامبراطورية اهالي الاسكندرية بقبوله عوضاً عن القديس اثناسيوس . ثم اكاكيوس قيصارية ، حبرٌ مهتم بالسياسة قبل كل شيء قليل الاكتراث للديانة . بيدَ ان علاقاته كانت تميل بهِ الى جانب الهرطقة .

* * *

خطب الاساقفة الثلاثة تباعاً . فجاورجيوس الاسكندري تكلم طبقاً لما كان ينتظر منهُ اي بمعنى آريوسي محض . اما اكاكيوس فقد كان اكثر تحفظاً لكنه لم يُرضِ الكاثوليكيين الحقيقيين . واما الاسقف الجديد فما عساه ان يقول ؟ انهُ بدأ بكل سكون يحرّض على الاتحاد والسلام . ثم جاهر بايمانه تاركاً العبارات التي من شأنها اضرام نار المنازعات نظير « المساوي في الجوهر » فاذا باعترافه لم يدع مجالاً للشك في صحة معتقده الكاثوليكي الصميم .

فرقص الكاثوليكيون طرباً . امّا الآريوسيون فقد تهيأوا مذ ذاك للاخذ بالثأر . وكان ذلك غير بعيد . فبعد مضي شهر اقيمت الشكاية عليه بانه تجاوز الحدّ في بعض اعمال ادارية ، فخُطّ عن كرسيه واقيم بدلاً منهُ هرطوقي متظاهر اسمه افزونيوس ، احد رفاق آريوس .

هكذا كانت امور انطاكية تزداد تعقيداً يوماً فيوماً . فاذا ضربنا صفحاً عن فئتين اقل اهمية من الأخر — نتركها تفادياً من الالتباس — وجدنا الطائفة المسيحية منقسمة آنئذٍ الى ثلاثة اقسام : الفئة الاريوسية ، ويرئسها الاسقف افزونيوس . فهذه كانت مستأثرة بنعم اولي السلطان ، مستولية على الكاتدرائية التي شادها قسطنطين . ثم فئة ملاتيوس التي كانت خاضعة للاسقف المنفي ومستولية على الكنيسة القديمة . اخيراً الفئة المنتمية لافسطاتيوس والحافظة الامانة لاول ضحية من ضحايا الآريوسيين وهذه كانت تقيم اجتماعاتها في بيوت خصوصية ، وكان على رأسها الكاهن بولينوس .

ولو قيل ما الفرق بين هاتين الفئتين الاخيرتين اجبنا : اشياء بالحقيقة لا يعتدّ بها . فاذا نظرنا الى المعتقد ، فقد كانوا كما يظهر متمسكين على السواء بالايمان

الذي علّمه المجمع الثيقاوي من تساوي الثالوث الاقدس . فجلُّ ما يميز احداهما عن الاخرى بعض اختلافات في التعابير لا يعتدّ بها . فالافسطاتيون كانوا يتحرّون اسلوب تعبير الغربيين خلافاً لتبّاع ملاتيوس الذين بقوا محافظين على التعابير الشرقية . امّا حقيقة ما يميز الواحدة عن الاخرى فهي نزعات واميال شخصية .

* * *

منذ ثلاثين سنة كان الافسطاتيون قد تعوّدوا ان يعيشوا على حدة وان يعتبروا المجاورين لهم كواطنين للهرطقة . فانفرادهم في الشرق — حيث كان دستور التساهل قد أُقيم تقريباً في كل اقطاره — جعلهم يؤثرون الأعتصام برومية والاسكندرية ، ويظهرون بمظهر «المتلتنين» (latinisants) خلافاً لتباع ملاتيوس الذين لم يقطعوا علاقاتهم مع الاساقفة الشرقيين ، الذين كان كثير منهم اعداء للقديس اثناسيوس ، ومقاومين سرّاً لتعليم نيقية .

ففي الموقف الجديد كان لا بد من امر ، كيفما تقلبت الاحوال . وهو ان تتحد الفئتان اللتان لم يفصلهما سبب صوابي . فانهما كلتيهما حُرمتا انعامات الحكومة ، وتألمتا من نفس العلة . فكان من ثم كل شيء يدعوهما لمدّ يد المصافحة . ناهيك عن ان خير وسيلة لقهر هرطقة عضدتها السلطة بجميع ما لديها من القوة كانت بلا جدال جمع الكاثوليكيين حزمة واحدة لا تقوى عليها الايدي . وهو امر سهل للغاية اذ ان اتباع ملاتيوس كان لهم وحدهم اسقف . ولكن واحسرتاه بينا كلٌّ يهتف بلسان حاله : الاتحاد ، الاتحاد ، اذا بداء الانقسام قد استفحل .

بيد ان سلطات عالية حاولت التوسّط لاجل السلام ، فانه بعد ان نفذ سهم القضاء بقسطنتيوس ، الذي اتاح موته للكاثوليكيين قليلاً من الراحة ، عقدت مجامع في كثير من الامكنة لمعالجة ادواء الكنائس التي عاثت بها الاريوسية . فان القديس اثناسيوس ترأس احداها في الاسكندرية . وذلك اثر عودته اليها عودة ظافر .

فهذا الرجل العجيب كان معروفاً بغيرته الشعواء في الدفاع عن الحقيقة تجاه اغتصاب المضطهدين ، وضعف كثيرين من زملائه . امّا الآن وقد عادت

السكينة فاستتبت ، فانهُ اظهر لاعدائه بالامس ملاطفةً لا تقلّ عن الشجاعة التي ابداها وقت الكفاح . فقد صرف كل همته وذكائه لاجتناب المنازعات الفارغة ، وللجمع بين آنام اتحدوا افكارًا الّا انهم اختلفوا اقوالًا . ولما كان مجمع الاسكندرية لا يسعه اهمال شؤون انطاكية ، كتب كتاباً للافسطاتيين يحرّضهم فيهِ على الاتفاق مع كل الذين كانوا حقيقة مسلّمين بتعاليم نيقية . الّا ان تعابيرهم عنها تختلف بعض الاختلاف عن التي استعملت الى ذلك العهد .

غير ان المؤمنين الموجَّه الكتابُ اليهم لم يكونوا ليفقهوا معنى تلك النصائح المشيرة بالاتحاد . فقد كانوا منذ ثلاثين سنة قائمين في معتقدهم القويم ، ملازمين لهُ ، غُيُرًا عليهِ ، محتملين لاجله الوحدة والاضطهاد اخرى من مجاراة الضلال باقل شيء . حالةٌ اثبت فيهم قوة الحزم والتجرد وحرارة العاطفة الدينيّة . الّا انها لم تعدّهم لهذه السعة والمرونة في الافكار فيرضوا بالتساهلات حتى اكثرها جوازًا تجاه الضمير . هذا فضلًا عن ان حادثاً خطيرًا كان مزمعاً ان يجعل كل تقرّب مستحيلًا قبل زمن طويل .

ان الكتاب الموجه الى الانطاكيين عُهد بهِ الى اوسابيوس مطران ڤيرسيل الذي كان في ايام قسطنطين قد نُفي الى مصر وكان اذ ذاك عائدًا الى ايطالية بعد حضوره المجمع الاسكندري . فهذا الرجل القديس الذي كانت حكمته تباري غيرته كان في وسعه عند وصوله الى انطاكية ان يستعمل من نفوذه ما يكفي لاعادة الاتحاد . لو لم تكن الحالة قبل وصوله قد انقلبت انقلاباً خطيرًا .

* * *

بين الغربيين المنفيين الى الشرق لاجل قانون نيقية ، كان لوسيفيروس اسقف كالياري في سردينيا . وهو رجل ذو غيرة فريدة على الايمان الّا ان اخلاقه لم تكن تشبه اخلاق ابطال الايمان الحقيقيين كالقديس اثناسيوس واوسابيوس .

فهذا قد ابدى جرأة فائقة في حين ان الكل طأطأوا الرأس امام قسطنطيوس بيد ان ثبات عزيمته لم ترافقه اصابة الحكم ، فان لهجة تقريعاته الحديثة الامبراطور تدلّ على اندفاع وتهوّر . ثم لما دعي الى المجمع الاسكندري رفض الدعوة واسرع الى انطاكية حيث كان اشتباك الامور يجتذبه . فان رجالًا

من هـذه الجبلة قلما لا يندفعون لاول وهلة وراء ما لا يسوغ عمله . ولكن لنتصفنّ لوسيفيروس مقرّين بانه عند وصوله الى انطاكية اجتهد في ان يخفف من تعصب الافسطاتيين. غير انهُ لمّا اخفق مسعاه فعل ما كان يجب تجنبه قبل كل شيء.. اي صيَّر الانقسام غير قابل الالتحام ، وذلك بسيامته بوليتوس اسقفاً ولنلاحظنّ حالًا ان هذه السيامة كانت مناقضة لقوانين الكنيسة من وجهين : اولًا لان انطاكية كان لها اسقف وهو ملاتيوس الذي يصعب جدًّا ان لا يعتبر شرعيًّا. ثانياً لان لوسيفيرس هو الاسقف الوحيد الذي قام بحفلة السيامة على حين انهُ كان يقتضي اثنان آخران معه.

ولما وصل اوسابيوس كان الشر قد وقع ، فحزن جدًّا ولم يُرد ان يعترف ببوليتوس ولا بملاتيوس . ومن ثم انقلب راجعاً الى ايطالية فعملُ لوسيفيرس العاري من الفطنة بقي مدة طويلة شديد الوطـأة على مصير كنيسة انطاكية ، وزد على ذلك غلطة اخرى ارتكبها هذه المرة الحزبُ الآخر فزاد الموقف حراجة.

لقد سبقنا فاشرنا الى روح المسالمة في القديس ملاتيوس . وإن للمؤرخ بلا ريب تعزيةً كبرى في رؤيته هذه الصورة الوديعة ، بارزة في وسط يؤلمه احبار مواطئون للآريوسية ، يسود فيهم رجال الاحزاب والدسائس . على انهُ قـد اضطرّ ان يُظهر بعد قليل ، ايام اضطهاد ثالنتا، ان الوداعة لا تنفي منهُ رباطة الجأش في مناهضة الكفر. ولكن من نظر الى العلاقات التي ارتبط بها في بدء حياته صعب عليه ان لا يرى فيه الافراط في محبة التآلف . فانهُ كثيرًا مـا رأى في اصحاب هيبات ان يشابهوه ما كان يراه في نفسه من استقامة النية . والحال انهُ يتفق احيانـاً ان الافراط في مجاراة من لا يستحقّ المساهلة يحمل صاحبه تبعات بل ذنوباً كبيرة تجاه الاكثر جدارة، وهذا ما وقع آنئذٍ بملاتيوس.

في سنة ٣٦٣ اي بعد سيامة بوليتوس بسنة اضطر القديس اثناسيوس ان يذهب الى انطاكية . فلا ريب ان ظروف انتخاب ملاتيوس لم تكن لتنيل هذا خطورة في عيني القـديس . ناهيك ان تقرّب اسقف الاسكندرية من الشرقيين الذين قاموا بهذا الانتخاب كان ليحتسب مصافحة رجـال اصلوه نار العداء مدة ثلاثين سنة وطردوه من كرسيه ووشوا به عنـد القياصرة ونالوا

الحكم عليه بالنفي ثلاث مرات. غير ان اثناسيوس كانت نفسه اكبر من ان تدع مجالاً لاقلّ عاطفة حقد. وان خير الكنيسة في ذلك الوقت كان يقتضي نسيان المخاصمات القديمة. وعليه فان القديس صرّح لملاتيوس برغبته في موالفته.

اما كيف لم يقبل سؤال كهذا للحال فذاك امر لم تصلنا تفاصيله وافية. بيد انهُ يبين واضحاً ان الذنب في ذلك ليس ذنب الاسقف نفسه، بل ذنب محيطه الملتبس الذي اتخذه، عنيتُ تلك النفوس الصغيرة التي لم تكن لتدرك شهامة اثناسيوس الكبيرة. ولكن لما أنس القديس في جوليم روح المماطلة، بادر الى الاشتراك مع بولينوس فافضى ذلك الى عواقب لا تُحصى.

منذ بدء المنازعات الاريوسية حملت ظروف الحال رومية على مطابقة وقفتها في الشرق لوقفة الاسكندرية، التي كانت تبدو بفضل اثناسيوس كحصن الايمان الحقيقي. اذاً جعلُ بولينوس تحت حماية مصر كان ضامناً لهُ بالوقت نفسه معاضدة الغرب. وعليه فان الاختلاف الانطاكي الذي كان لم يزل موضعاً اخذ منذ ذاك يشغل الكنيسة جماء، ويثير في كل الانحاء المشاكل والخصومات. وفيما ان شديد استئناف الاضطهاد الاريوسي في زمن قالنتا يتقاضى من الكاثوليكيين اشد اتحاد، كانت احوال انطاكية التاعسة موشكة ان ترمي الخلاف بين الكراسي الاسقفية المختلفة، وتلقي الخصام بين اشخاص من اجلّ الناس قدراً وقداسة. فسترى، من جهة، الشرقَ كله يعرف ملاتيوس اسقفاً شرعياً لانطاكية. ومن جهة اخرى، الاسكندرية ورومية مائلتين بالاحرى الى بولينوس. ولذلك سنجد دوماً، بين المساعي الصادقة في سبيل الاتفاق، سوء تفاهم يتكرّر، ومصدره التباس هذا الموقف.

ان التدابير المديدة التي اتخذت على التوالي لقطع شأفة الشقاق تتألف منها قصة طويلة معقدة يجد القارئ فيها ما يوله، واكثر من ذلك ما يفيده موعظة. ولما كنا لا نستطيع ان نسرد هنا كل التفاصيل آثرنا ان نتوقف عند الحوادث الهامة.

* * *

فلننتقل اذاً الى ما بعد اثنتي عشرة سنة اي الى سنة ٣٧٥. فقبلُ بسنتين كان اثناسيوس قد مات ، واقيم خلفاً لهُ على كرسي الاسكندرية ، اخوه بطرس . ولا جدال في ان اعظم رجل في الكنيسة اذ ذاك كان القديس باسيليوس الذي نُصّب منذ ثلاث سنوات اسقفاً على قيسارية في كپادوكيا.

ان حالة شطري المملكة الرومانية كانت في ذلك العهد مختلفة كل الاختلاف . ففي سنة ٣٦٤ تبوأ العرش ڤالنتينيانوس القائد المسيحي ، فاشرك معهُ اخاه ڤالنتا ليملك على الشرق . فڤالنتينيانوس لم يرد ان يتدخل في المسائل اللاهوتية ، بل ترك للكنيسة حريتها التامة ، بحيث ان المغرب كله الذي لم تستطع الاريوسية قط ان تتأصل فيه ، غدا منذئذٍ باتحاد وسلام يسير تحت رعاية الكنيسة الرومانية على صراط الدين القويم ، خلافاً للشرق الذي كانت جميع اقطاره مواطن للاضطراب والبلبال . فان ڤالنتا منذ بدء تملكه عليه جد في رفع لواء الهرطقة ، فكان الاساقفة الشرعيون يُجرّون من كل الانحاء الى المنافي ، ويقام بدلاً منهم دخلاء جهلة متعصبون . ففي انطاكية اظهر حينئذٍ ملاتيوس المعروف بوداعته بأساً لا يدانى في الدفاع عن الايمان . لذلك حمل المضطهدون ، عليه وعلى رعيته ، حملة شعواء ، فكان الانتماء لملاتيوس مرادفاً للامانة على الايمان الحقيقي . اما كنيسة بولينوس الصغيرة التي كانت اقل عدداً ونفوذاً بكثير فانها لم تكد تمس باذى .

على انهُ بين تلك الاضطرابات العمومية ، تلوح لنا حركة تولينا أكثر تعزية واملاً . وهي ان كثيرين ممن انخدعوا بتهيمات براهين الهراطقة اخذوا ، لما كان يولمهم من قساوة الاضطهاد الاريوسي ، يتقربون من الديانة المستقيمة يوماً فيوماً . واذا كان لم يزل عالقاً بهم اكثر مَن وهم باطل فلا يتبعون دون تردد محض المعتقد النيقاوي ، فانهم مع ذلك ناهجون منهج الحقيقة ولا يسألون الا ان يُسعفوا قليلاً ليصلوا اليها . ففي هذه الحالة المشتبكة كانت سياسة القديس باسيليوس واضحة كل الوضوح ، وهي ان يجمع كل من بقي في الشرق اميناً على حقيقة نيقية او من عاد اليها : وذلك بان يبذل بصبر كل الايضاحات

اللازمة مُعرضاً عن كل ما من شأنه اثارة الخواطر . ثم ان يكمل عمل الاتحاد هذا باكتساب معاضدة رومية والغرب . لانهُ اذا ما تألب الكاثوليكيون في الشرق كله كتلة واحدة ، وبان واضحاً ان الغرب باجمعه يسير الى جنبهم ، فان المضطهدين مهما اشتدت حملتهم يجدون في هذه الوحدة التي ابست موطدة كل التوطيد قوةً لا يقوى عليها . ولكن وآسفاه فان هذه الآمال الجميلة ستصطدم بسوء تفاهم حصل في انطاكية . فان اسقف قيسارية ارسل الى البابا داماسيوس كتبه الواحد تلوَ الآخر واصفاً له فيها آلام الشرقيين ، وطالباً الى من يتمتعون بالسلام اغاثة اخوانهم التعساء . ومن البديهي انهُ دافع في الوقت نفسه دفاعاً حاراً عن صديقه الحميم القديس ملاتيوس لان بولينوس لم يكن في نظره الّا دخيلاً . ومن ثم كان يجب ، لاعادة الاتحاد بين الكاثوليكيين ، ان يجاهر صريحاً بان ملاتيوس هو الاسقف الوحيد لانطاكية،فانه بموقفه وبقدرته الشخصية مقام ليكون نقطة اتحاد جميع الكاثوليكيين في الشرق.

غير ان باسيليوس قد طال انتظاره لاجوبة داماسيوس. ولما وردت لم يجد فيها ما تقتضي الحال من البتّ الوافي . ثم بلغه ان وفد بولينوس قد قُبل في رومية ، وان البابا قد اجرى العلاقات معه فحزن اذ ذاك وثار ثائره. ففي احدى رسائله التي يسارُّ فيها صديقاً لهُ ، وكان قد كتبها في احدى ساعات غضبه ، تراه يتشكى من عنفوان داماسيوس وقلة فطنته باستسلامه لكل رائح وغادٍ. ويعلن اخيراً ان الغربيين لا يفهمون شيئاً من امور الشرقيين.

* * *

ومما يقضي بالاسف ان صروف الايام لم تتح لرومية ان تسرع الاسراع الواجب لمناصرة عمل القديس باسيليوس المملوء حكمة وملاءمة . بيد ان من نظر الى كل الظروف تردد كثيراً في لوم القديس داماسيوس ، لان هذا كان امامه في رومية نفسها شقاق اخر قويّ صعب المراس ايضاً قد اضعف شوكته ونقص من حريته . فضلاً عن انهُ كان بعيداً جداً عن الشرق ، لا يستطيع ان يعرف بدقة ما يجري فيه. وكان لا بد لهُ من اعتبار الاخبار المختلفة التي ترده ليرى كيف يسير . اما اخبار باسيليوس فانها كانت بلا ريب ذات قيمة

فريدة . الّا انها لم تكن الوحيدة ؛ فما خلاها ، كانت تتوارد عليه اخبار كبيرة الاعتبار لا تضرب على الوتيرة نفسها . فان بطرس الاسكندري كان قد اضطره الاضطهاد الاريوسي الى ان يهرب الى رومية ، وهناك عرضاً عن ان ينهج منهج الاعتدال الذي تحلى به اخوه اثناسيوس حمل على ملاتيوس ووشى به انهُ هرطوقي . وشايةٌ جائرة جدًّا . الّا ان علاقات ملاتيوس الاولى التي اشرنا اليها سابقاً كانت داعية لاثارة الشكوك عليه. بينا ان استقامة ايمان جماعة الافسطاثيين الساطعة كانت افصح مدافع عن بوليثوس.

ومن سورية نفسها ، قد كانت وصلت رومية اخبار مخاصمات غريبة لم تكن لتجعل ثقة داماسيوس في حزب ملاتيوس.

في ذلك الوقت بدأت جماعات لاتينية تهاجر لتقيم في الشرق . لان الاماكن المقدسة ، التي رجعت بهمة هيلانة وقسطنطين الى حالها الاول ، كانت تجتذب اليها النفوس الورعة . ومن ثم بدأت تظهر حركة ذات شأن دامت في الاجيال الوسطى بفضل الحروب الصليبية ، وتواصلت الى ايامنا هذه بواسطة الرسالات اللاتينية في الشرق . فهذه الحركة لم تكن مبدئيًّا الّا لافادة الجميع اذ بها تألق تألقاً ساطعاً وحدة الكنيسة. كيف لا وان اخوةً في الايمان يختلفون اصلًا وعادات ومشارب ، كانوا بذلك يتعلّمون ان يعيشوا معاً في احترام تذكارات مقدسة واحدة ؛ وبمعيشتهم جنباً الى جنب ، يتعارفون اكثر فيتسنى لهم من ثم ابادة سوء التفاهم المتبادل المتواتر.

بيد انهُ لضرب من السذاجة ان نتصوّر ان مثل هذه العلاقات يمكن انشاؤها دون احداث اضطراب ما . فمنذ البداءة قام جم من الصعوبات.

ان السابق الاخص في هذه المهاجرات التقوية هو صديق خاص للبابا داماسيوس اعني القديس ايرونيموس . فهذا الرجل ذو الطبيعة النارية والطباع الحادّة . كان يجتهد في ترويض اخلاقه . فالوحدة ، والصلاة المستطيلة ليل نهار ، والتقشفات الهائلة ، والانصباب على درس العبرانية التي كان يشعر بكراهية شديدة لها ، كل ذلك استعمله ليلطف من حدة طباعه . ومع ذلك فان الطبيعة فيه لم تكن قد ماتت بعد وكان لصبره حد محدود. امر لم يلبث

ان اختبره بانفسهم بعض الرهبان الشرقيين.

ان ايرونيموس لم يأت الى قفار سوريا الّا طلباً للسكينة والسلام.. واذا بالمجادلات النائمة في النواحي المحيطة تتأثره حتى مكان خلوته . فان رهباناً ، اغتلوا حسب كلمته اللاذعة وضاعة طريقتهم ليستحيلوا الى قضاة الايمان ، حدثتهم انفسهم بالمجيء اليه للوقوف على معتقداته . ولانهُ لم يكن يستعمل في التعبير عن سر الثالوث الاقدس كل العبارات الشرقية دعوه هرطوقياً . ولقد حاولوا بكل الوسائل اضطراره الى التحزّب للاتيوس على بولينوس. فايرونيموس والحالة هذه ، لم يجد واسطة الّا الالتجاء الى الكرسي المقدس ، فكتب الى البابا داماسيوس هذه الاسطر الحامية :

« لما كنت قبل كلّ مبدأ اميناً للمسيح اتحد في الشركة مع غبطتكم ، اي مع سدة بطرس ، فانني احلم ان على هذه الصخرة بنيت الكنيسة . فكل من اكل الحمل خارج هذا البيت كان نجساً . ومن لم يكن داخل هذا الفلك هلك متى جاء الطوفان . . . لا اعرف فيتاليوس ، واني ارفض ملاتيوس ، واجهل بولينوس . وكل من لا يجمع معك فهو يفرّق . اي من ليس من المسيح فهو من الدجال » .

وبعد ان تبرأ على هذه الصورة من الانحياز الى حزب ما انتقد حسب طريقته سلوك اتباع ملاتيوس . كان ايمانه في نظرهم مريباً ، فرماهم بهذه التهمة نفسها وارشك ان يدعوهم هراطقة . فيُفهم من ثم لماذا داماسيوس ، الذي اجتهدوا بقوة ان يستميلوه لجهات متناقضة كل التناقض ، لم يجرأ ان يحكم في الامر حكماً جازماً . ومع كل فان القديس باسيليوس قد اتيح له ان يفرح قبل موته بوصول مكاتيب من رومية ملأته آمالاً . فانها وان لم تكن جاءلة الاعتراف الفعلي بملاتيوس ، فان داماسيوس ارسل فيها للشرق تشجيعات قوية وارشادات واضحة يستنير بها . فباسيليوس اعرب للحال عن شكره بكلمات مملوءة احتراماً ومحبة تتيح لنا القول انهُ ، وان كان قبلاً تذمر بحدة لما ان اقواله لم تصادف اذناً واعية ، فما ذاك الّا لانهُ كان يضع اهمية كبرى في كل ما يصدر عن رومية .

(للبحث صلة)

نكبة النكبات

امين الريحاني مؤلف تاريخ سورية

بحث انتقادي للاب لامنس اليسوعي

امين الريحاني! صفقوا له استحساناً ، وضفروا له اكليل الزهور اعجاباً ، ولقبوه بالاستاذ الكبير! امين الريحاني ، فيلسوف الفريكة ؛ تطلع الى فن التاريخ ، ومدّ يده قاطفاً منهُ وردةً يضمّها الى زهور اكليله .

لم نبخس الريحاني حقه بالثناء ، لما قرّظنا ، في الشهر السابق ، كتابه «تاريخ نجد الحديث» ؛ اما اليوم والكلام على «النكبات» فلا بد من القول فيها ، انها تلفيق بتلفيق ، لخواطر اختمرت في دماغ صاحبها ، والتاريخ براء منها . «النكبات ؛ او خلاصة تاريخ سورية منذ العهد الاول بعد الطوفان الى عهد الجمهورية بلبنان» — هي كرّاسة لا يتجاوز عدد صفحاتها ١١٢ ، وصاحبها يفاخر بانها حوت لباب تاريخ سورية . لم نتردد في اطراء مؤلف « تاريخ نجد » اذ لكل امر أوان ؛ ولكل غرض تحت السماء وقت ، الولادة وقت والموت وقت ؛ للغرس وقت ولقلع المغروس وقت ؛ للقتل وقت وللمداواة وقت ؛ للهدم وقت وللبناء وقت ؛ للبكاء وقت وللضحك وقت (١

اما اليوم فلا بد ان نُسمعه كلامنا في « النكبات » ، راقه او لم يرقه ؛ وللمديح وقت وللوم وقت ، وقد طاش سهم الريحاني بكتابه واخطأ المرمى فلم يحصل به على لقب المؤرخ الفيلسوف

* * *

النكبات! وحسبنا بالعنوان مخبرٌ عن المعنى

ان البشر اينما عاشوا كانوا بشراً ، وكان تاريخهم سلسلة شرور ونكبات وفظائع . تلك الآفات عبّر عنها المثل السائر عند الافرنج ، القائل : « يا سعد

(١) راجع سفر الجامعة ٣ : ١-٦

الشعوب التي لا تاريخ لها »

فلا عجب ان دوّن الريحاني في مختصر تاريخه السوري ذكرى النكبات . وهذه قد نالت بلادنا كما نالت بلاد غيرنا من الامم ذات المجد الاثيل

لكن الريحاني لم يذكر في تاريخه الا الفظائع والفواحش ، والذل ، والاعمال البربرية ، فسوّد صفحة البلاد ؛ وضرب على ماضيها بسرادق ظلام لا يخترقه شعاع نور على مدى الاجيال . نعم ليس البشر كلهم ملائكةً او ابطالًا ؛ ولكن ليسوا كلهم مسوخاً وشياطين . اما الريحاني فلم يتوسّط بين التفريط والافراط ، بل تطرّف وقسم جدود السوريين الى شطرين ، فقال في المقدمة :

« ومن هم الاجداد ، اجدادي واجدادكم ؟ القوي منهم كان ظالماً ، والضعيف كان مستعبَداً » . فإما اصوص لئام وإما عبيد اوغال

النكبات ! معظم فصولها هذه خلاصتها : « ان السوريين قد اظهروا منذ القدم عدم اهليتهم الاصيل الفطري لحكم ذواتهم بذواتهم من غير ما تدخل سلطة اجنبية في شؤونهم ؛ وختم فصلًا بهذه العبارة الباعثة على اليأس : « من اجنبي الى اجنبي على الدوام » وغيره من الفصول بهذه الآية ، وهي صفعة لطم بها وجه سوريّة ، ولا لطم الابن العقوق خدّ امه « انت سورية بلادي وانتم ايها الطغاة العتاة اجدادي » (ص : ٩٤) وفصّل اخبار العرب الوحشية وشنّعها وقال في دُولهم (ص : ٥٥) :

« دول الكلاب كلها !

فمنذ سنة ٢٥٤ الى سنة ٤٦٣هـ . (٨٦٧-١٠٦٧ م .) كان الحكم في هذه البلاد السورية حكم « أبخناها لكم » ولا فرق اذا كانت الدولة طولونية او اخشيدية او حمدانية او كلبية . فيا لتعس الناس الذين عاشوا في ذلك الزمان المظلم ، وكل حاكم فيه يباري زميله ، او يباهي خصمه ، بالمظالم والمذابح ، وبالنهب والسلب ، والسبي والتدمير

– ابخناها لكم ثلاثة ايام !

« للسبي ما نكحوا ، والقتل ما ولدوا ، والنهب ما جمعوا ، والنار ما زرعوا »

يا للهول ويا للويل ، رحم الله من عاشوا في زمن الاباحات ، ولا رحم الله ارباحا وجنودهم . أبشرٌ خلقوا على صورة الله ومثاله يتحوّلون في ساعة واحدة الى وحوش ضارية ؟

وهل يستحقّ اولئك البرابرة خمسين صفحة في التاريخ ؟ انهم لا يستحقون والله اكثر من سطر ، فيه كل امرهم . فقد تحاربوا ، وتكالبوا ، وذبحوا ، ونهبوا ، وفسقوا ، ودمّروا .

وبكلمة اخرى: قد استباحوا كل حلال من عرض ودم ومال »

وختم المؤلف فصله مردداً كلماته آية اليأس ، وقال: «وهم ايضاً اجدادي» على من الضحكة ايها الاستاذ ؟ اتبغي ان تدفع السوريين الى الانتحار فيرموا بانفسهم في البحار ؟

اما نظرية الريحاني في سلالة بني امية فهي نظرية اهل الشيعة ، قال: « ان حرية الكلام تقيدت على ايامهم ولو كان في عهد عبد الملك صحافة لما تمتعت يوماً واحداً بالحرية التي هي كنزها وكنز الحقيقة الاكبر» (ص : ٤٢) يا لسعدك يا عهد الامويين ! لولا شعراءك الذين استباحوا بهجائهم ما لم يستبحه الصحافيون في ايامنا

« النكبات » ! هي خلاصة تاريخية ، او بالحري هي ملفة خرق واطمار نشر الريحاني طواياها ففاحت منها رائحة النتانة والجرائم . انما فيها ديباجة واحدة لا غير وهي باسم فخر الدين « علم الوطنية الحقة ومثالها الاوحد في تاريخنا » (ص: ٩٠) ما اضنّك على وطنك بالمجد ايها الاستاذ !

اما نكبة النكبات في عين الريحاني فهو الاستقلال الاداري الذي تمتع به لبنان منذ العام ١٨٦٠ (ص: ١٠٢) وان لفي عبارته الناظاً لا تأتي الا على فم من جحد في شبابه وكهولته ما عبده في صباه ، لان الريحاني ماروني المولد ، ولا يزال ذكر المارونية يدهمه ويغشي على بصره فينظر الريحاني ويحكم من خلال ذلك الذكر القتال، فيسمي الابيض في عينه سواداً. من هم في نظره اعداء البلاد الالداء ؟ .

— الموارنة . ومن حالف الاجانب ووالاهم ؟ الموارنة . —

«وقد نصر الموارنة الافرنج كما نصروا الرومان على العرب من قبل ، وكما نصروا الفرنسيس من بعد (ص: ٦٠) — والاسماعيليون او العلويون هم اخوان الموارنة في حب الاجانب وفي البلاء (ص: ١٦٠)

وختم المؤلف الفصل الحادي عشر من كتابه (ص: ٦٥) بهذا السؤال:

«لبنان بلدي . راح الصليبي ، وبقيت انت . فهلا تعلّمت ! ؟ »

واتى في الفصل الثالث عشر على ذكر تيمورلنك ، وحريق دمشق ونهبها سنة ١٤٠٠ فقال (ص: ٧٣)

«ويد خمسة وخمساً وعشرين سنة من هذا الحريق يجيئك، يا دمشق، من الغرب قوم مشمدنون، فيدبون في دباباتهم هادمين، ويطيرون في طياراتهم مدمّرين، ويحرقون قصورك، ويغارون بابنائك المجاهدين في الساحة التي شهدت مئات من الكوارث والنكبات»

وما على القارئ الا ان يحسب الحساب، ويعرف من هم انداد تيمورلنك وأضراب التتر. أوَ ليست فرنسة «امنا الحنون» كما يدعوها الموارنة «هي التي تسمر لنا الطيبات — بالمذابح!» (ص: ١٠٣) وتستخدمنا لاغراضها كما كانت تستخدمنا الدولة العثمانية» (ص: ١١٠) لله درك يا ريحاني ما اطيب عواطفك نحو الدولة المنتدبة!

* * *

لا يألو الريحاني جهداً في الاشادة بذكر الوهابيين وحميتهم الدينية (راجع تاريخ نجد) لكن صدره موغر حقداً على معتقدات مواطنيه، فالايمان والخرافات عنده سيان.

على ان مجد سورية الفذ هو انها مهد التوحيد. اما الريحاني فقد انكر على سورية مجدها السامي ونسب اليه كوارثها وبلاياها. ولما لاح له شبح الانبياء والرسل، حاملي لواء المدنية بين البشر، غطى وجهه بكفيه وضرب عنهم صفحاً «لانهم بلبلوا نصف العالم» (ص: ٤). اما الديانة التي استثارت كمين بغضائه فهي الديانة المسيحية التي بشر بها «بولس العبراني، احد تلاميذ يسوع الناصري» [كذا] (ص: ٢٩) — ذلك ما انتهى اليه الريحاني في ميدان الفلسفة

اما السياسة فقد سبر غورها وحكم فيه لعهد الخلفاء الراشدين بالجمال والكمال. ودعا من ثم مواطنيه ليقتدوا في «ذلك الينبوع الانساني الذي تفجر بمكة، ينبوع العدل والاخاء والمساواة» (ص: ٧٩) ويا ليته قرأ سيرة عمر بن عبد العزيز بطبعتها النفيسة التي نشرها احمد عُبَيد، لوجد فيها (ص: ١١١، ١٣٢) كيف كان ابو بكر يعامل العرب اذا ما خطر على بالهم ان يرتأوا رأياً غير رأيه في مبادي العدل والمساواة «فانتزع [ابو بكر الصديق] السيوف من اغمادها، واوقد النيران في شعلها، وركب بحق الله في اكتاف اهل الباطل، فما برح يخرق اعراضهم، ويسقي الارض من دمائهم حتى ادخلهم في الباب

الذي خرجوا منه »

واذا اضاف الريحاني الى هذه الاخبار ما جاء مثلها في كتاب الاغاني (١٤، ٦٧، ٦٨) لتعلم كيف كان خالد بن الوليد يفهم الاخاء، وكيف كان ابو بكر يشمله بجاه وسلطانه. عصر الخلفاء الراشدين! ويا له من عصر ذهبي! والخلفاء الراشدون اربعة ثلاثة منهم هلكوا اغتيالاً؛ فتباً لها من مساواة بالموت الاحمر. وقد عدّوا بين الخلفاء الراشدين خامسهم عمر بن عبد العزيز وهو الذي امر بألّا يوقر الجمل باكثر من ثقل ٦٠٠ رطل وحبذا الرفق رفقه بالبهائم؛ اما حنانه على مواطنيه فاليك عنوانه :

« كتب عمر بن عبد العزيز الى عماله (راجع سيرة عمر بن عبد العزيز ص: ١٦٥-١٦٦) : وانظر فلا يركبنّ نصرانيٌّ على سرج ويركبوا بالاكف، ولا تركبنّ امرأة من نسائهم راحلة وليكن مركبها على إكاف، ولا يفحجوا على الدواب، وليدخلوا ارجلهم من جانب واحد، وتقدم في ذلك الى عمالك حيث كانوا، واكتب اليهم كتاباً في ذلك بالتشديد واكفنيه، ولا قوة الا بالله »

وكتب عمر بن عبد العزيز الى الآفاق :

« ان لا يمشينّ نصراني الا مفروق الناصية، ولا يلبس قباء، ولا يمشي إلّا بقرتار من جلود، ولا يلبس طيلساناً ولا سراويل ذات خدمة، ولا نعلاً لها عذبة، ولا يوجدنّ في بيته سلاح »

* * *

قال الشاعر النجاشي : (١

« وما فيّ من خير وشرّ، فانما سجية آبائي، وفعل جدودي
هم الفرع، فرعي منهم متفرّع وعودهم، عند الحوادث، عودي »

من اي فرع تفرّع الريحاني؟ انه لأدرى بالامر منا. على انه وضع لكتابه نتيجة وعبرة وهذه هي : يجب ذلك الاجداد ونبذ القديم والاعراض عن عصور الجهل والغبارة التي سبقت النكبات. وخلع نير « المعممين والمقلنسين » فلا ننقاد لرجال الانتداب « ولا نرضى بخيال الجمهورية » (١١٠-١١١)

تلك هي نتيجة حملة الريحاني وجهاده وبئس النتيجة، بعد المقدمات. الم يعلن على رؤوس الملا ان السوريين خلقوا للعبودية الدائمة وهم عاجزون على حكم انفسهم بانفسهم

(١) راجع حماسة البحتري طبعة شيخو، عدد: ١١٧٧)

« وهم متحدّرون من اولئك الذين كانوا في الماضي يدفعون الخراج ، ويأكلون الكرباج » (ص : ١١٢) فلماذا يدعونا الى الحكم الذاتي ؟ لماذا ؟ لانه تقدم الينا وبيده الدواء الشافي ، ولسان حاله يقول : اقرأوا الريحانيات ، وتصفّحوا النكبات ، فتجدوا السبيل الى النجاة . وان لم تجدوا الضالة المنشودة فحدثوا انفسكم بالمعجزات تروها ، والخوارق تبصروها ، اذا حلّ الوهابيون البلاد ، وفي طليعتهم ابن سعود ، عمر الثاني ، سلطان العباد ، ومن عن يمينه وزيره الاوحد ، الاستاذ الكبير ؟

لقد زلزلت الارض زلزالها ، وزحف جيش الجراد على ربوعنا بعدده وعديده ، واحلت الارياف ، وقلت محاصيلها . تلك كانت نكبات هذا العام ، ولم يخطر قط في بالنا ان الريحاني يزيدنا نكبة على النكبات

امَيَّة بن ابي الصَلْت

بقلم الاديب ميشيل سليم كيد

ذهب قوم يعرفون شعر امية ،
وكذلك اندراس الكلام .
(العجاج)

٢

ينظر امية الى الله كمكافئ فقط ، فلا يذكر في شعره سوى عفوه ورحمته واما عدله تعالى فلا يذكره ، قال ، وهو يجود بنفسه :

إن تغفرِ اللهمَّ تغفرْ جمّا ؛ وايُّ عبدٍ لك لا ألمّا !

فهو يتوسل اليه تعالى ان يغفر له ذنوبه ، وها هو هنا يظهر لنا « ليس نبيًا كمحمد بل كمعلم ديني ، يؤمل مكافأة ربه فقط ، الذي لا يخدم هو سواه بقية ايامه ، قال :

ولسوف ينسى ما اقول معاشرٌ ولسوف يذكره الذي لا يزهدُ

فأغفر لعبدٍ ان اول ذنبه شرب وابارٌ يشاركها دُدُ (١)

وهنا ايضاً في هذين البيتين يطلب غفران ربه مع بركة خالقه عليه وعلى بنيه واملاكه :

واني لو سبّحتُ باسمك ربّنا لاكثر إلا ما غفرت خطايا
قربٌ العباد التي سيباً ورحمة عليّ، وبارك في بنيّ ومالياً

وفي شعره الشيء الكثير من اخبار وحوادث ورد ذكرها في التوراة، يصفها احسن وصف ، قال يذكر قصة تضحية ابراهيم لابنه اسحق :

ولابراهيم المُوَفّى بالنذ ر احتساباً، وحامل الاجزالِ
بكره لم يكن ليصبر عنه، أو يراه في معشر اقتالِ
ابنيّ اني نذرتك قد م شحيطاً، فاصبرْ، فذى لك حالي
واشدُد الصفد لا احيد عن م السكين حين الأسير ذي الاغلالِ
وله مُدْية تحابل في اللحم م حُذامٌ، حنيّةٌ كالهلالِ
بينا يخلعُ السرابيل عنه فكّه ربّه بكبشٍ جُلالِ
فخذنْ ذا، فارسل ابنك اني، للذي قد فعلتا، غيرُ قالِ
والدٌ ينفي، واخرُ مولو دٌ، فطارا منه بسمعٍ فعّالِ
وبها تجزعُ النفوسُ من الامر م له فرجةٌ كحلّ العقالِ

وقال يصف قصة لوط ، وخراب سدوم ، وما حلّ باهلها من العذاب جزاء اعمالهم :

ثم لوطٌ، اخو سدُومٍ، اتاها اذ اتاها برشدها وهُداها
راودوهُ عن ضيفه ثمّ قالوا : « قد ضيناك ان تقيم قراها »
عرّض الشيخ عند ذاك بناتٍ كظباءٍ باجرعٍ ترعاها
غضب القومُ عند ذاك وقالوا : « ايها الشيخُ اخطبةً تأباها »
أجمع القوم امرهم، وعجوز خيّب الله سعيها ورجاها.
ارسل الله عند ذاك عذاباً جعل الارض سُفلها اعلاها.
ورماها بحاصبٍ، ثم طين ذي حروفٍ مسوّمٍ، إذ رماها.

(١) Rev. E. Power : Ummayya ibn Abi-s-Salt (Mélanges de la Faculté Orientale) Tome I - P. 198

رأيه بالملائكة

يكثر امية من ذكر الملائكة . فيصف رتبهم ويميز بين طبقاتهم ، وهذا ينبئنا انهُ درس التوراة والانجيل درساً جيّداً ، كما يجب على كل مسيحي حق، ولكنه يصوّرهم كالبشر ، لولا قدرة العلي لتعبوا من الوقوف وسئموا من كثرة التسبيح والتمجيد.

ملائكةٌ اقدامهم تحت عرشه ، بكفّيهِ لولا الله ، كلّوا وابلدوا
قيامٌ على الاقدام عانين تحته فراشُهم من شدّة الخوف تُرعدُ

وان لهم اجنحة كأجنحة النعام تحملهم مسافاة شاسعة بسرعة الرياح:

نهضوا باجنحةٍ فلم يتواكلوا لا مبطىء منهم ولا مستوغدِ

ثم يذكر خدمتهم عنده تعالى « وانها على العموم رقّ اجباري ، وان بعضهم تمرّد عليه عزّ وجلّ ، فذللوا ، وهم يحرسون السموات ، التي كان امية ينظر اليها ويصفها كجدران عالية بنيت حول الحصن الذي يسكنه العلي ، وان حراسهم ما هي الّا النجوم الشواهب بها الاباليس ، وعند اشتباكهم في حرب مع الشياطين ، يظفرون اذا ما تضامنوا » (١

يتابه المتصفّون بسجرةٍ في الفِ الفٍ من ملائك تُحشدُ
رسل يجوبون السماء بأمرهِ لا ينظرون ثواء من يتقصّدُ
فيهم كأوب الريح بينا ادبرت رجعت بوادي وجهها لا تُكرَدُ
حدٌّ مناكبهم على اكتافهم زفٌّ يزفُّ جم اذا ما استنجدوا
واذا تلاميذ الإله تعاونوا غلبوا ، ونشّطهم جناحٌ معتدُ

وذكر امية ايضاً الملائكة الموكلين بالمخلوقات السفلى ، قال :

وتحت كثيف الماء في باطن الثرى ملائكةٌ تنحطُّ فيه وتسمعُ

وكما ذكر الملائكة الذين في خدمة الله كذلك ذكر الملائكة الذين عصوه ، فاذلهم والقاهم في جهنم النار جزاء عصيانهم ، قال يذكر جهنم والشياطين :

١) Rev. E. Power: Ummayya ibn Abi -s - Salt. M. F. O. t. I. p. 203

وفيها من عباد الله قومٌ ملائك ذُلِّلوا وهمُ صعابُ

ثم ذكر كيف ذلّلهم بتلك النجوم الشواهب التي القيت عليهم من السماء :

وترى شياطينًا تروغُ مُضاهةً ورواغُها صبرٌ اذا ما يُطردُ
تُلقى حليها من السماء مذلّةً وكواكبٌ تُرمى بها فتمرّدُ

امية والنبي

ولما ظهر الاسلام كان امية من اكبر مقاوميه والدّ اعدائه، فمال الى قريش وانضمّ الى مخالفيه ، وقاوم محمّدًا ما امكنه زمنًا طويلًا ، وقيل انهُ اخذ بنتيه وهرب بهما الى اقصى اليمن ، ولبث هناك يترقب الفرص الى ان عاد الى الطائف فكان يحرض بني قريش على ان يقاوموا النبي ، وسافر الى الشام . ولما عاد الى الحجاز عقب وقعة بدر الشهيرة ، مر بالقليب فقيل لهُ ان فيه قتلى بدر ، ومنهم عتبة وشيبة ابنا خاله ربيعة ، فنزل عن راحلته وجدع اذنيها ، ثم قال قصيدته الشهيرة يرثي من قُتل ببدر ، ويحرّض قريشًا على اخذ الثار وغسل العار :

ألا بكيتَ على الكرا م بني الكرامِ أولي المادحْ
كبُكا الحمامِ على فُرُو عِ الأيكِ في الغصن الجوانحْ
يبكين حرّى مستكينا ت يَرُحن مع الرّواحْ
من يبكهم يبكِ على حزنٍ ويصدُق كلُّ مادحْ
من ذا ببدرٍ فالمَنَقْلِ م من مرازبةٍ جحاجحْ
فدافعِ البرقين فالحنّا ن من طرف الاواشحْ
شطرٍ وشأنٍ جا م ليلٍ مناويرٍ دحادحْ

وهكذا الى آخر القصيدة وهي على هذا النمط ، ولهُ غير هذه شعر كثير. غير ان المسلمين سكتوا عن كل قصيدة فيها تعريض بالنبي وصحبه ، وهذا ابن هشام يقول : « تركنا منها (من هذه القصيدة) بيتين نال فيهما من اصحاب الرسول » وكم هناك من قصيدة طواها الغيب ، وكم من اقوال ادركها النسيان. فنستدل ان المعري قد تعمّد في اكثر شعره ، حتى فقد وعفت آثاره ، لانه قد

وقف من محمد موقف العداء وحرض عليه وأيد خصومه ، ورثى صرعى موقعة بدر وغيرهم من مخالفيه . ومما يزيدنا ثقة ، ان الحجاج قال: « ذهب قوم يعرفون شعر امية ، وكذلك اندراس الكلام » فضاع ما ضاع ، وبقي لنا بضعة ابيات شعر وان تكن غير كثيرة فهي تدلنا في اي مرتبة يمكننا ان نضع اميّة ، وما هي قيمة شعره ، وتفيدنا ايضاً في تفهم كثير من احوال الجاهلية ، عند ظهور الاسلام .

وظلّ امية مثابراً على خصومة النبي الى وفاته يحض قريشاً على الاخذ بالثأر ويقاومه كل ما دعت الحاجة ، ولما مرض مرضه الذي قضى به ، جعل يقول: « قد دنا اجلي ! وهذه المرضة منيّتي وانا اعلم ان الحنيفية حق ولكن الشك يداخلني في محمّد » وعليه نراه لبث الى آخر نسمة من حياته ، وهو يشاكس نبي الاسلام ويناصبه العداء ! فكيف اذاً نرجو أن نحصل على كثير من شعره ! .

هذا ما بقي لنا من اخباره ، وشعره ، التي سلمت من الضياع ، وعبث الزمان ، وانما ابقي عليها لغاية من الغايات ، أو تناقله اعداء محمد .

وكان نبيّ المسلمين يميل لشعر اميّة دون شعر باقي اعدائه ، وكان يقول اذ يسمعه : « كاد اميّة يسلم » لان اميّة كان ، كما بيّنا ، يبتعد كثيراً من ذكر الاصنام ، فليس يُشتم من وراء شعره رائحة للشرك ، ولكن النبي مع ذلك نهى عن مذاكرة شعره ، الذي يتعرّض فيه الشاعر لهُ أو لدينه .

* * *

وحسبنا ان نعلم ، وفيما اوردناه الكفاية ، ان امية كان من افذاذ الشعراء في الجاهلية واوائل ظهور الاسلام، فهو وان اختلفت في تقديره الرواة وبكمت عنهُ الادباء ، فلا بد ان يتبوّأ يوماً ما مركزه بين شعراء زمانه .

صفحة من تاريخ لبنان

تبرير النصارى

مما نسب اليهم في حوادث سنة ١٨٦٠

نشرها حضرة الاب لويس بليبل اللبناني

تمهيد

انه في اثناء بحثي في اوراق دير سيدة لويزة ، في سنة ١٩٠٨ للاستعانة بمحتوياتها على وضع تاريخ الرهبانية اللبنانية ، عثرت على كتابة عنوانها « تبرير النصارى » من تهمة حوادث سنة الستين المحزنة ، بدون امضاء . فطالعتها باستمان وتروٍّ ، ومع انها خارجة عن موضوعي ، فلم اهمل نسخها . انما لم اشأ نشرها لاسباب قد زالت الآن . وما المقصود من نشرها الا العبرة والذكرى . الا انني بمطالعتي « المحررات السياسية » للمرحومين الشهيدين الشيخين فيليب وفريد الخازن ، قرأت فيها ان الكولونل روز الانكليزي ، ومتمدي دولة انكلترة وخورشيد باشا والي ايالة صيدا (١) قد اتهموا المطران طوبيا عون ، مطران بيروت الماروني ، انه هو نفسه سبب حوادث سنة الستين المؤلمة . والظاهر ان التهمة قد شاعت في تلك الايام ، فتألفت هذه الكتابة دفاعاً عن المطران طوبيا وتكذيباً لمفتريها . وبهذا الدفاع وقعت التهمة ثابتةً على زعماء الطائفة الدرزية ، وعلى رجال الحكومة العثمانية وعساكرها

ان عنوان الكتابة ونسق كتابتها يفيد على الظاهر انها لغير المطران طوبيا ، وان القصد منها تبرير النصارى من تهمة تلك الحوادث المشؤومة . ولكن يرجح القارئ المتأمل ان مؤلفها هو المطران المومأ اليه ، او انها على الاقل قد تألفت باشارته ، وغايتها تبريره من الوصمة التي الحقت به ، وتبرير النصارى معه ، وكان الكولونل روز ومتمدي دولة انكلترة وخورشيد باشا وخلافهم ممن ورد ذكرهم اعلاه لم يتهموا كل النصارى وبالخصوص الموارنة ، بل حصروا تهمتهم بالمطران طوبيا واحياناً بالاكليروس الماروني

ولما كان قارئنا جاء في المحررات السياسية المرقومة قد يداخله الريب بشأن مسلك المطران طوبيا والاكليروس الماروني ويحمله على تصديق تلك التهم ، رأيت ان انشر هذه الكتابة كصفحة تاريخية اخدم بها الحقيقة التي قد تشوهها اغراض ومقاصد سياسية

---

(١) مجلد ٢ ، صفحة ١٦

ثم ان ابناء الوطن يستفيدون منها اعتبارات مفيدة ترشدهم الى سواء السبيل اذ يرون اننا بتهوّرنا في تلك الحوادث المحزنة المشؤومة قد خدمنا مطامع ومآرب رجال حكومة تلك الايام العاملة بمبدأ «فرّق تسُدْ» فجلبنا على نفوسنا وعلى بلادنا وقوميتنا الخراب والويلات وحزازات شقينا بها، ولا نزال حتى الآن نجني من ثمارها المرّة . . . وقد اوردت الدفاع بحرفه لاحفظ له قوته

الاب لويس بلبل اللبناني

تبرير النصارى

انه قد تسامع انه في احدى المفاوضات التي صارت في ديوان لوندرا العالي ان احد الوزرا العظام تكلم بصراحةٍ : ان انشا الملحمة الكبرى التي صارت في سورية على النصارى كان من الموارنة بتحريك اكليرسهم واخصهم مطران بيروت (طوبيا عون) (١ فيا للعجب من النوض البشري كيف انه ينتصر على صاحبه ولو مهما كان حكيماً وشريفاً ويستقيده بهذا المقدار حتى الى تصديق من يريد ان يشجب البري ويبرر المجرم بجرائم فظيعة كما ترى في هذا الموضوع الذي شهرته اعطت البرهانات الساطعة بان المتهومين المومى اليهم ليس فقط هم ابرياء من هذه التهمة الشنيعة بل انهم مظلومين وجني عليهم جناية فظيعة فكان الخليق بهذا الرجل الشريف الحكيم ان يرفض قبول تهمة مثل هذه كاذبة ويوافق الرجل الشريف الصادق المستر نابيه (٢ الذي حكم بصراحة ان انكلترة هي بالوجه الاول علة هذه الملاحم عندما في سنة ١٨٤٠ انفشت من الدولة العثمانيّة فاستخلصت سورية من يد الحكومة المصرية العادلة وقسمت حكومة جبل لبنان الى قائمقاميتين ودفعت المسيحيين المختلطين واخصهم الموارنة غنيمةً للدروز وسلّمت سورية وبالتالي قدمت نصاراها ضحايا للدولة العثمانية فكانت هذه الدولة هي العلّة الثانية لهذه الملاحم المريعة . وهكذا كان هتاف غالب اصوات شعب انكلترة بخلاف ما تكلّم فيه ضد الموارنة الوزير الجليل المشار اليه أخذ عن ذوي غرض ذاتي . ولكي نقدم للنصارى البراهين الساطعة على ذلك فنقول:

---

١) المحررات السياسية : المجلد ٢ ، صفحة ٢٩١

٢) المحررات : المجلد ٢ ، صفحة ٢٨٩

انه ما عدا الفتك الوبيع الذي صار في النصارى في لبنان سنة ١٨٤١ وسنة ١٨٤٥ بانتشاش الدولة الاولى (انكلترة) ومساعدة ودسائس الدولة الثانية (تركية) عندما سمحت للدروز بمحاربة الامير بشير قاسم الشهابي وخلعه من حكومة جبل لبنان مع كونها هي قدمته لهذه الحكومة بدل تعلقه بها ولم يكن له جنحة سوى مضاددته للدروز اصدقائها الجدد (١ فان الدروز من ذلك الحين الى الآن قد استعبدوا النصارى واسترقوهم استرقاقاً لا نظير له . الّا ان كان في زمان فرعون مصر . لانهم اي الدروز وعلى الخصوص مشايخهم اصحاب المأمورية واخصهم سعيد بك جنبلاط قد ارتكبوا ضد النصارى جميع المنكرات من قتل نفوس وسبي حريم (عرض) ظاهر على وجه الغصب وسلب اموال وموجودات وضبط املاك باوقات عديدة ومتفرقة دون انقطاع بنوع لا يحصى وكل ذلك كان ينعرض بوقته لجانب الحكومة باطلاع قونسلاتو انكلترة وما كانت تحصل ادنى مساعدة لاباستحصال الماضي ولا بالمنع عن المستقبل

* * *

الّا انهُ في ١٤ آب سنة ١٨٥٩ اكمن الدروز كميناً في قرية بيت مري لاجل سبب جزئي تسبب منهم فاثاروا حرباً ضد نصاراها بعد ان كان السيد طوبيا امطران بيروت المجني عليه افرغ كل جهده بمنع هذه المحاربة واجتمع بالدروز مرتين وارتضوا منه ان يأخذ اليهم الغريم الواقع منه السبب لتصير المصالحة ويصير منع الحرب ولما اتم السيد المومى اليه اخذ الغريم فعند قرب وصوله اليهم فتحوا الحرب في وجهه وكاد الرصاص ان يصيبه فيقتل غدراً . وعمل سيادته هذا اقرّ به الدروز انفسهم امام الحكومة وامام قناصل الدول الفخيمة وحاز المدحة واسمه الشريف دائماً ازداد شرفاً جديداً . ولما بسبب هذا الحرب ارتكب الشيخ يوسف عبدالملك احد مقاطعجية جبة الدروز جهلاً ما سبقه اليه احد اذ انه في ثاني يوم من هذه الحرب جمع دروز مقاطعته وسطى بهم على بعض قرى النصارى وبعض اديرة في قائمقامية النصارى وشتت شملها ونهبها وحرقها جميعها ومزّق الايقونات ودنّس الاقداس . عند ذلك تحركت ركاب مشير الايالة (صيدا) خورشيد باشا بالقيام

١) المحررات : مجلد ١ ، صفحة ٧٣٠

مع العسكر الى خان المديرج مظهراً قصده بربط يوسف عبد الملك واجرا قانون الجزا بحقه لاستئصال كامل حقوق النصارى وثمن محروقاتهم . الّا انه بعد ان وصل الى المركز المذكور واجتمع بالقائمقام ومقاطعجية جبة الدروز تغير قصده هذا وقبل عنده يوسف عبد الملك بكل اكرام وبعد ذلك انعم عليه بوظيفة محافظ طريق الشام وعيّن تحت يده جانب من الخيالة وضمّد جروحات هذه الفتنة على فساد ولم يستحصل من حقوق النصارى شيئاً يذكر . فحضر عند ذلك المطران طوبيا المومى اليه ادى دولته وعرض لديه دفعات متعددة ان الصمت عن قصاص المذنبين مثل يوسف عبد الملك تقودهم ومن مثلهم الى الطمع بارتكاب حركات فاسدة اعظم مما صار بنوع يوصل الى سلب راحة الاهالي وازعاج الحكومة من هذا السبب . فالوالي ما اعطى التفاتاً الى هذه النصيحة العادلة بل اظهر جفاء الى السيد المشار اليه فالتزم ان يظهر فكره هذا الى جناب قنصل جنرال دولة فرنسة وقنصل جنرال دولة اوستريا الفخيمتين وكلاهما صادقا سيادته على رأيه وتكلما مع الوالي عند ذلك بشدة كلية . اما هو فاحتال عليهما بالوعود الفارغة وازداد حنقه على السيد المشار اليه لانه كشف له ما سيصير قبل وقته كما صار ذلك بالفعل دون ابطاء لانه في شهر تشرين من السنة المذكورة توجه خطار بك العماد احد مقاطعجية جبة الدروز الى جهات حاصبيا واقام هناك عدة اشهر يحرّك دروزها للقيام على النصارى . اما هم اي الدروز المشار اليهم لم يتأخروا عن ان يجاوبوا مقصده هذا الرديّ بل اثاروا حالاً حرباً ضد اولئك النصارى الّا انهم لم ينجحوا لان الحكومة لم تساعدهم بحينه مساعدة ظاهرة كما فعلت ذلك فيما بعد حيث لم تكن عقدت بعد تلك الرابطة التي عقدتها فيما بعد في اوائل شهر آذار سنة ١٨٦٠ لانه في الوقت عقد احمد باشا سر عسكر اسبق جمعية سرية في الشام مؤلفة منه ومن طاهر باشا فريق العساكر ومن ارباب دولته العسكرية ومن بعض ذوات مسلمي الشام وكان موضوع الاجتماع ارتباط المسلمين مع الدروز وباقي الامم ضد نصارى سورية وقد اشترك في هذه الجمعية ايضاً خورشيد باشا مشير ايالة صيدا لانه ارسل بالنيابة عنه احمد افندي الصيداوي المشهور بالفساد الّا انه بالحال وصل خبر هذه الجمعية بظروفها من احد ذواتها

الى قنصلاتو فرنسة الجنرال الكونت بنتيفوليو فكتب عن ذلك حالًا الى حكومته كما ولا بد ان قنصلاتو دمشق تكون فعلت ذلك. ومن دون ابطاء ابتدأت تظهر العلامات المؤكدة لما صار بهذا الاجتماع الردي لانه في ١٩ منه انوجد الخوري اثناسيوس نعوم رئيس دير عميق الروم الكاثوليك مقتولًا على مضجعه ومنهوبة موجوداته من اوضته من دراهم نقود وغير ذلك وقد تقرر ان القاتلين هم دروز من عزوة بشير بك نكد وقد فعلوا ذلك باذنه وهو الذي اخذ المال لان هذا المقتول كان متمولًا. وانعرض امر ذلك الى الوالي وكان من جملة العارضين السيد طربيا المومى اليه الذي ما تأخر قط عن ان يذكر الوالي ان هذا السبب هو من جملة الاسباب التي قال له عنها التي تعود الى حركات الفساد. اما الوالي فوعد بمسك القاتلين ولما لم يفعل الوالي شيئاً حضر احد مأمورين الدروز وتعهد للسيد المومى اليه انه هو يمسك القاتلين ان قلدته ذلك الحكومة وسيادته قرر هذا الخصوص الى قنصل جنرال فرنسة فالقنصل طلب من الوالي ان يقلد هذا المأمور مسك القاتلين فلم يفعل. ثم بعد ذلك بمدة قليلة رجل درزي من عيناب قتل ظاهرًا وعمدًا على سكة كروسة الشام رجلًا نصرانيًا من العبادية واحتمى هذا القاتل عند الشيخ سعيد تلحوق الذي لم يشا ان يسلمه للحكومة بزعمه لاحد معتبري الفرنسيس انه غير جائز له دينًا ان يسلم قاتل للقتل. واما الحكومة فلم تجبره على ذلك. وفي ٢٦ نيسان توجه رجلان درزيان من بعقلين ودرزي ثالث من جهات حاصبيا الى خان محمد بك شبيب متوالي من اقليم الشومار وقتلوا فيه عمدًا وغدرًا نفرين وقطعوا يد ثالث وجرحوا الرابع وجميعهم نصارى من قيتولي التابعة اقليم جزين من مأمورية سعيد بك جنبلاط وانعرض بذلك الى الوالي فلم يسأل عن شيء لا هو ولا المأمور المذكور. ثم في ١٤ ايار انوجد قتيلان من دروز الشوف مقتولان بالقرب من صيدا وتقرر ان القاتلين من متاولة اقليم الشومار اخذًا بثأر ما فعله الدروز في خان محمد علي المومى اليه فدروز الشوف من مأمورية سعيد بك جنبلاط هاجوا وماجوا وفي ١٥ شهره شهروا بيارق الحرب وابتدوا بالتحوزب والحدو واطلاق البارود على سماع ومعاينة مأمورهم سعيد بك المومى اليه القريب منهم. وبمعرفته قتلوا بالوقت ذاته الخوري يوحنا

الخوري وبطرس الصايغ من بتدين اللقش وانطون ابراهيم الحجار من جزين وفرنسيس ميلان من القبع ومنعوا اهلهم من دفن جثثهم وربطوا الطريق على اهالي اقليم جزين وعلى اهالي دير القمر حتى لم يعد يمكن لاحد منهم الخروج خارجاً . وسعيد بك المأمور المار ذكره بعد ان انعرض له عن ذلك كله فليس فقط انه لم يسأل بل انه ارسل من قبله ايضاً قاسم يوسف حماده ربط طريق البحر من جهة صيدا بجمهور من الدروز والاسلام . وفي ٢٩ منه قتل دروز بشير بك نكد فارس خليل ابي سعيد من نصارى معلقة الدامور. وفي ٢٧ منه قتل دروز التينه الياس غنطوس من اوجه نصارى عبيه في بيته جهراً وعمداً بوجود المأمور نفسه في القرية المذكورة وبالنهار ذاته حرقوا دروز عرامون من مقاطعة قاقام الدروز مزرعة عين‌درافيل التابعة الامرا اولاد الامير قعدان شهاب واتلفوا كلها فيها مع دود القز بعد ان نهبوها وكل ذلك انعرض على الوالي ودولته لم يسأل عن شي . ثم اشتدت المضايقة على النصارى من كامل مقاطعجية جبة الدروز وعلى الخصوص من سعيد بك جنبلاط وخطار بك العماد وبشير بك نكد واخذوا بنزع السلاح من النصارى والذي لم يسلم سلاحه قتلوه والذي امكنه فرّ هارباً الى زحلة نهبوا بيته واحرقوه . فارتعبت من ذلك قلوب النصارى المختلطين لانهم شاهدوا الموت باعينهم وان الذي يسلم من الموت بالسيف يموت جوعاً . فحرروا الكتابات لاخوتهم النصارى الغير المختلطين ليتصرروا باستخلاصهم من هذه الحالة ومن الجملة حرر اهالي زحلة ودير القمر واقليم جزين الى سيادة المطران طوبيا المرمى اليه لكي يساعدهم امام الحكومة وامام قناصل جنرالية الدول الفخيمة لكي تمكنهم النجاة من الموت . اما سيادته فجاوبهم محرّضاً اياهم على الابتعاد عن كل حركة فساد وان يكونوا متيقظين على انفسهم فقط وتوجه لدى الحكومة مرات متعددة يلتمس فيها ارسال عسكر الى جهة دير القمر والشوف ويفتح طريق بوجه النصارى ويرفع المضايقة عنهم لكيلا يهلكوا جوعاً .

ومثل ذلك قرر للقناصل وهم قرروا للوالي الذي كان يجاوبهم بالوعود الفارغة التي اعتاد عليها من دون ادنى عمل ما عدا تشديد للدروز وامدادهم بالقوة سراً . واما اهالي كسروان فلما بلغتهم اخبار اخوتهم الحاصلين عليها بهذا

الضيق حضر منهم نحو اربعماية نفر الى بعبدا عمأة النصارى لاجل المكاشفة على اخوتهم فلما بلغ خبرهم الى الوالي امتلا غضباً ضد النصارى . وفي ٢٨ منه جمع اليه المجلس الكبير ومجلس التحقيق وبعض ذوات الاسلام واحضر ايضاً في هذا المجلس سيادة مطران بيروت المومى اليه وطلب من المجلس مضبطة في ضرب النصارى الحاضرين من كسروان فاعرض المطران لدولته بحضور هذا المجلس الحافل ان هؤلاء النصارى ليس لهم قصد ان يفتحوا حرباً مع الدروز بل قصدهم ان يدافعوا عن اخوتهم الذين صار عليهم غدر وانه هو يتعهد لدولته بمنع النصارى عن فتوح ادنى حرب بشرط ان دولته يهتم بمنع مضايقة الدروز عن النصارى وبارسال عسكر الى جهات دير القمر وجزين لفتح طريق للنصارى . فدولته وعد بذلك وكان وعده كوعوده السابقة . فسيادته حرر النصح المشدّد على نصارى كسروان لكي يرجعوا من بعبدا الى الوراء ودولته اصدر امراً بهذا المعنى عن يد منصور افندي الشيان وامين رمضان . الّا ان دولته لم يتوقف عن الفعل بل انه في ثاني يوم الواقع في ٢٩ منه تحرك ركابه بالعساكر الشاهانية بالقيام الى محطة الحازمية الواقعة بالقرب من بعبدا ليكون هناك في وجه النصارى ويمنعهم عن مساعدة اخوتهم وترك الدروز بجراح مطلقاً ففي هذا النهار عند الضحى نزل دروز كفرنبرخ وعلى روسهم مشايخهم بيت عماد واحرقوا مزرعة معاصر بيت الدين بما فيها من درد القز بعد ان نهبوها وبقيت دروز المرقوب مع دروز الجرد وعلى روسهم خطار بك العماد ومشايخ بيت عبد الملك توجهوا الى قب الياس وفتحوا حرباً مع اهالي زحلة وانتهوا الى ضهر البيدر . وعند المساء اجتمع دروز المبيدية وبقية دروز المتن الى بيت مري وفتحوا مع دروزها حرباً على نصاراها بتحريك ابراهيم آغا محافظ المحل بامر الوالي وهو مع عسكره الموظف كان البادي باشارة الحرب والحريق واول محل احرقه هو دار الامير سعيد الذي كان مشتاقاً له . وعند ذلك صارت المقابلة من النصارى باحراق محلات الدروز . وفي صباح اليوم الثاني الواقع في ٣٠ منه رجع انفار كسروان من بعبدا امتثالاً لامر دولته وبنصح وانذار سيادة المطران طوبيا وكان ذلك بمشاهدة دولته لوجوده بالقرب . وصار التطمين من دولته لاهالي بعبدا وبقيت

اهالي الساحل فتوجهوا لاشغالهم آمنين. واذ ذاك بعد مرور ساعتين وثبت عليهم الدروز باشارة من دولته وقائمقام الدروز ورجال مقاطعته من جهة الحدث والشيخ حسين تلحوق واقاربه ورجاله من جهة الوادي والشيخ محمود تلحوق واخوه ورجالها من جهة بعبدا . واثاروا الحرب واشترك معهم العسكر الموظف بالقتل والنهب والحريق وتمزيق الايقونات واحتقار الاديرة والكنائس وكل ذلك تحت نظر دولته القريب جداً من هذه الفظائع ولم يأنف أنفه من اشتمام رائحة الدخان الذي غطاه وغطى عسكره مدة النهار كله حتى الى المساء وبمعاينة جميع قناصل الدول وكافة الاوروباويين وسائر سكان بيروت الذين غطاهم الدخان ايضاً . وكانوا ناظرين خراب هذه المقاطعة الواسعة الفخيمة بفعل الوالي دون كل شبهة الذي بعد ان انتهى من عمله هذا الفظيع جمع اليه مساء قائمقام ومقاطعجية جبة الدروز وشكرهم على عملهم متهللاً مسروراً واجتمع معهم سراً وارشدهم الى اتمام العمل واصرفهم . وفي غد ذلك اليوم توجه دولته لمقابلة قناصل الدول الخمس وطلبوا منه توقيف الحرب ومنع هذا الفتك الشنيع اما هو فجاوب بالايجاب واتخذ على ذاته عهد توقيف الدروز وهم تعهدوا بتوقيف النصارى ورجوعهم الى بيروت واتخاذهم قول دولته بحمل الصدق وقد اتخذوا هم سيادة المطران طوبيا المومى اليه مساعداً لهم في توقيف النصارى المجتمعين للمداولة مع اخوتهم بان يقفوا بارضهم ولا يتقدموا نحو المحاربة ولا خطوة واحدة . ثم توجه سيادة المومى اليه بذاته الى محل الاجتماع وصار توقيف النصارى عن التقدم. وجميعهم امتثلوا ولم يتقدم منهم احداً الى أدنى محاربة حتى الى نهاية حرب الدروز مع النصارى المختلطين . وهذا الامر ظاهر وهو كلي الصدق خالٍ من ادنى ريب وما ذلك الا لاخذ النصارى قول دولته بحمل الصدق واعتبارهم نصائح جناب القناصل وسيادة المومى اليه . اما الدروز فما وقفوا عند هذه الحدود بل في هذا النهار ذاته جمع خطار بك العماد والمشايخ بيت عبد الملك وغيرهم دروز العرقوب والجرد وغيرهم واثاروا حرباً على نصارى المتن مبتدئين من حمانا وفالوغا وكل جورة المتن وكل مقاطعة المتن ونهبوها مع الاديرة والكنايس والمدارس واحرقوا جميعها ومزقوا الايقونات . وفي ٣١ منه غدر قائمقام الدروز برجال الشويفات

محل حكومته بالنصارى الحاضرين من منطقة الدامور والدبيه تحت محافظته بتوصية الوالي له ولذلك عند وصولهم ليلاً مقابل الشويفات فذبح منهم نحو اربعين نفراً وجرح البقية من رجال ونساء وبنين واغتنم موجوداتهم . وهكذا اخذ الدروز بمحاربة دير القمر واقليم جزين ثم كامل محلات النصارى مع زحلة ومشهور ما فعل العسكر مع طاهر باشا في ملحمة دير القمر وبتدين وما فعله العسكر والدروز في ملحمة حاصبيا لحد ٢٢ حزيران وما فعله احمد باشا وعسكره واسلام الشام مع نصاراها من القتل والنهب والسبي وانتهاك العرض والحريق من ٩ تموز الى ١٤ منه . وما جرى قبل ذلك بنصارى القرى المجاورة الشام من مثل هذه القبائح وزد عليها اكراه جميع نصارى احدى القرى مع خوريهم على دين الاسلام وهم نصارى روم كاثوليك . وفي كل هذه المواقع كان القناصل دفعات متعددة يطلبون من دولته توقف الحرب والفتك وهو كان يسددهم مواعيد فارغة الى ان تم كل مقاصده بالنصارى وانتهى الامر بالحكم على نصراني بري من قائمقام مشير صيدا وفتك بالبري في نفس بيروت ايجاباً لشهوة اسلامها الذين هاجوا وماجوا وطلبوا ذلك بدلاً من مسلم قتله احد الاسلام . فمن هذه التصرفات غناية للقاري المنصف العادل اذ يفتي ببراءة الموارنة واكليروسهم من هذه التهمة الشنيعة لاسيما مطران بيروت الذي انتهبت كرسيه مع كنيسته (في عين سعادة) وتمزقت ايقوناتها الشريفة الفاخرة وسلبت كل موجوداته التي لا تنقص قيمتها عن ماية وعشرين الف فرنك وكلها كانت منظورة من خورشيد باشا الذي شرف الى كرسيه ونظر اتقانه وكثير من القناصل والذوات الاوربايين المتبرين الذين زاروا هذا الكرسي وشاهدوا ما به من التحف والاثاث التي لم يسبق المطران الومى اليه ان نقل شيئاً منها فلو كان قصده المحاربة كما يتهمه زوراً وظلماً ذوو الاغراض المنحرفة لغاياتهم الخصوصية أما كان سبق ونقل من كرسيه اقلها يكون الاشياء الثمينة ووضعها في محل السلامة . فمن هذه المبادي التاريخية الكلية الصدق تظهر براءة الموارنة واكليروسهم واخصه المطران طوبيا ويتضح كذب هذه التهمة لهم ونسبتها حقيقة لغيرهم ١ً من كيفية بداية هذه الحركات . ٢ً من تصرفات الحكومة المار ذكرها . ٣ً من اشتراك كل الامم بهذه الحروب

ضد النصارى من اسلام وعربان واكراد ومتوالي ودروز . ٤ً من بداية هذه الحروب اولاً في حاصبيا واخيراً في الشام حيثما الموارنة هم اقلّ عدداً . ٥ً من توقف النصارى الغير المختلطين عن التقدم الى المدافعة بعد اجتماعهم اخذاً بتعهد الوالي واعتباراً لنصح المطران المومى اليه عن رأي القناصل حتى تمكنت الامم من اخوتهم النصارى المختلطين وصيروهم ملحمة . اخيراً من معنى التحرير المقدم من المطران طوبيا الى القناصل الخمس الجنرالية وهم انكلترة وبروسية واوستريا (النمسة) وفرنسة وروسية في ٥ حزيران سنة ١٨٦٠ وهذه صورته :

انه في مواجهتنا التي صارت مع سعادتكم بموجب استدعائكم وذلك بعد مقابلتكم مع دولة المشير المعظم في سحرا الحازمية قد فهمنا من نفس سعادتكم كمن فم واحد ان نتيجة مذاكرات سعادتكم مع دولته في المواجهة المشار اليها هو ان دولته من صميم رحمته اتخذ على ذاته الشريفة توقيف طائفة الدروز عن التقدم الى المحاربة من جديد وعن القتل والسلب والتلف وحريق الاماكن وكأف سعادتكم توقيف النصارى عند هذه الحدود لكي يصير فيما بعد عقد صلح واصلاح ما مضى بموجب القوانين العادلة الموصلة لكل ذي حقّ حقه والمانحة الرواحة والاستراحة . ومن ثم طلبتم منا بكل صراحة قوية وتحيز وثيق ان نبرز كامل اهتمامنا لكي يكون النصارى بمتثلين اوامر دولته هذه الآيلة لخير العموم وموافقين لنيته الصالحة المساعدة على حجب سفك دمّ العباد والوقوف عن التقدم الى خراب البلاد وبما ان هذه النتيجة هي كلية الجودة والحسن فلا يعاديها الا كل من كان شيطاناً ماردًا او مجنوناً فلذلك قد اوضحنا لسعادتكم بالكفاية حالاتنا المتألمة مما جرى من الحروب والخراب الماضي . وكيف ان هذه النتيجة وجدت محبوبة منا وكيف وعدنا سعادتكم وحققنا لكم اننا نبذل جهدنا ونفرغ جدنا لكي نجعل النصارى واقفين عند هذه الحدود وان جماهيرهم المتجمعة في محلات مختلفة نهتم بالا تدعها ان تتقدم خطوة واحدة بهيئة حرب وتممنا ذلك فعلاً بارسال كتاباتنا المشدّدة لكل الجهات ومع كون الدروز كانوا غدروا بالنصارى واستظهروا عليهم في المحاربة بجهتي المتن وساحل بيروت لاضرامهم حرباً ذريعة كانوا اضمروها بينما كانت النصارى غير قاصدين اليها

« كما كنا عرضنا لدولته مقدماً » وقد عظمت بذلك ضربة النصارى وصاروا مجبورين من قبل الحق الطبيعي والمدني ان يدافعوا ويحاموا عن انفسهم وموجوداتهم . وقد كانوا استحضروا على القوات الكافية لهذا الخصوص الجائزة لهم قانوناً ان يبرزوها . ومع ذلك لما بلغت اليهم كتاباتنا المحكي فيها عن الامر الكريم المشيري وعن افادات سعادتكم توقفوا حالاً من ذلك الحين ولم يتقدموا خطوة واحدة نحو المحاربة ولو بوجه المدافعة كما هو ظاهر وبهذا اعطوا برهاناً قوياً على حسن طاعتهم لكم واحترامهم اوامر دولته ورأي سعادتكم بخلاف الدروز الذين بعد ما اتخذ دولته توقيفهم على ذاته الشريفة قد اهانوا اوامره الكريمة وفتحوا حرباً ذريعة على دير القمر وحرقوا محلات كثيرة من اطرافها وفتحوا حرباً على جزين وكامل اقليمها وقتلوا كل من وقع في يدهم من الرجال والنساء والاطفال ثم ومن الكهنة والرهبان والراهبات واستظهروا عليها واحرقوها وشتتوا اهلها وفعلوا كذلك في الاديار والكنائس . ثم نهبوا وحرقوا محلات النصارى الخالية من السكان في الشوف والمرقوب وغربي البقاع والمتن والجرود والشحار والمتن من ذاك الحين الى يوم تاريخه دون توقف وها هوذا الحريق منظور في شويا والبادية بالقرب من محطة ركاب دولته وربما ان ذلك منظور منه .

فن يمكنه ان يحتمل هذا التفاوت من الدروز بالجرأة التي تنفر منها طبيعة الانسان وعدم اهابتهم اوامر دولته غير مبالين من هذا النظر العام الذي يشهرهم ويجعلهم مجرمين هذه الجرائم الفظيعة ليس فقط امام دولته وامام سعادتكم بل امام الخاص والعام ومع ذلك لم يقفوا عند هذا الحد . ومع هذا كله فنحن موافقة لرأي البعض من سعادتكم متوجهون الان بذاتنا لكي نكمل شفاهاً ما ابتدأناه كتابة بتوقيف جماهير النصارى عند هذه الحدود وان لا يتقدموا خطوة واحدة بهيئة حرب . ويمكننا ان نؤكد لسعادتكم بكلمة الشرف التي لها فوق القسم انه كما ان عدم المحاربة هو رأينا من الابتداء هكذا الان نفرغ جهدنا بالوقوف عند هذا الحد وان كنا نتعهد بعدم التفاوت به ان يرجع الدروز عن جرأتهم الظاهرة بالحاضر . الا انهم اذا بقوا على ما هم عليه

من القباحات والنهب والحريق فلا اكون مسئولاً عن مجاوبة النصارى ومدافعتهم القوة بالقوة التي هي بالحاضر اشد كثيراً لان امر العذاب يؤذن بخرق الحجاب. الّا اننا نتأمل من معدلة دولة افندينا المشير المعظم توقيف هؤلاء البغاة عن بغيهم بحسن مساعي سعادتكم ويكفينا شر الزيادة وادام الله مدة بقائكم . في ٥ حزيران سنة ١٨٦٠ — الداعي لسعادتكم طوبيا عون مطران بيروت.

ان الجنرالية المشار اليهم بعد اطلاعهم على هذا التحرير واعتبارهم موافقته الكلية الصدق قرروا باجتماعهم سوية ان يتوجهوا جملة لدولة الوالي وخاطبوه بمعناه طالبين منهُ الوقوف عند تعهده اما هو فقد وعدهم بمواعيده الفارغة حسب عادته وانصرفوا. فليعتبر القارىء قائلاً: يا للعجب من الغرض البشري المنحرف لعمري ان هذه التهمة جسيمة ولو وجدت صحيحة لما امكن اوليك المنصفون القابضون بايديهم ميزان العدل ان يضربوا صفحاً عن تهمة مثل هذه سببت قتل نفوس لا يحصى عددها واهلاك اموال لا تستقصى بل كان مقتضى العدل ان يصير احقاق الحق ومجازاة كل بعمله الّا انه ما من احدٍ كبيراً ام صغيراً تجاسر وتكلم رسمياً ضد الاكليروس الماروني وضد مطران بيروت المشار اليه بهذه التهمة بل يوشي بقدر ما يمكنه بالسر واضعاً ذلك باذن الذين يرغبون سماع مثل هذه الاقاويل الكاذبة ضد من ذكر ليقصروا مساعيهم عن محاماة شعبهم وجنسيتهم اذ بذلك يفوز اولو الاغراض الذاتية بنوال اغراضهم لانهُ امر موكد لا ريب فيه لو وجد من يتجاسر باقامة هذه الدعوى على السيد المشار اليه وباقي الاكليروس لكان في المحاكمة يظهر محقوقاً بل مفضوحاً هو وغيره من الذين حرّكوه الى هذه الافعال الفظيعة فيجري بحقه في المحاكمة قانون الجزاء العادل. الّا انهُ لو صمتت اخصام الاكليروس المومى اليه عن المدعاة لفروغ دعواهم من الصحة فهم اي الموارنة لا يصمتون عما لهم من الدعاوى الصحيحة التي لا بد من اظهار صحيحها فعلاً لدى المحاكم لان الحق واحد لا يتجزأ وما اكثر ما يهم الاكليروس الماروني المحافظة على صيتهِ وشرفهِ وخصوصاً امام دولة عادلة كدولة انكلترة الفخيمة ووزيرها الشريف المشار اليه.

وليعلم القارئ الامر المعلوم لدى العالم بان الشعب الماروني لهُ تعليق قديم

وشديد مع فرنسة بهذا المقدار حتى ان اعظم المصاعب والاهوال لا تقوى على ان تحلّ اوتاره ومعلوم ايضاً ان سلسلة هـذا التعلق هي تحت محافظة ايـدي الاكليروس الماروني وذلك لموضع الحب القديم على هـذا الشعب واكليروسه بواسطة محاماتهم الدائمة دون انقطاع. فلعل هذا هو اولاً من جملة الاسباب التي حملت الوشاة ان ينقلوا هذه التهمة الكاذبة ضد الموارنـة واكليروسهم لوزير انكلترة المشار اليـه . والحال ان فعل الموارنة هذا هو رد الشكر وعـدم الكفران بالجميل فما من منصفٍ حكيمٍ نظير هذا الشريف يقاوم فعلاً حميـداً ليظهر فعل الموارنة هذا. او لعل ثانياً ان مقاومة الاكليروس المـاروني الشيعة البيليشية (١ الاميركانية من عام ١٨٢٣ لحد الآن وارجاعها بالصوت الرعائي عن الامتداد في جبل لبنان ومنعها عن بثّ عقيدتها بين الشعب الماروني ولكن ان هذه الشيعة نَعَم انها دخلت جبل لبنان تحت حماية انكلترا الّا ان هذا الامر هو ملاحظة العقائد التي هي من حقوق الاكليروس الطبيعيـة وغير متعلق في الامور البوليتيكا (اي السياسة) التي تكلم بها الوزير المومى اليه ومن ثم لا يليق بعدالته ان يواخذ الاكليروس الماروني على ذلك . او لعلّ ثالثاً عدم قبول المرحوم السيد يوسف حبيش بطريرك الموارنـة بمدرسة عين ورقـة الرجلين الانكليزيين وذلك في اوائل حكم المصريين في سورية بموجب امر خديوي مصر وامر الامير بشير حـاكم جبل لبنان . فهذا الصد من البطريرك المشار اليه مؤسّس على حجج عادلـة فاذاً ليست عادلة المواخذة على ذلك دون معرفـة السبب. او لعلّ رابعاً واخيراً : ما كتبه الكولونل روز بمـدة وجوده قنصل جنرال انكلترة في بيروت متشكياً ضد مطران بيروت المومى اليـه الى وزير دولتـه والى السفارة في اسلامبول هو السبب لعـدم رضا الوزير المرقوم عن الاكليروس الماروني. الّا ان ما كتبه الكولونل المذكور وبقية قناصل انكلترة هو مـلاحظ الامور البوليتيكا التي كان يعلم مطران بيروت المومى اليـه ان القناصل المومى اليهم مغشوشون بها من طرف الدولة العثمانية ولذلـك مطران بيروت المشار اليه ما امكنه ان يوافقهم على هذا الغش ضد وطنه . وها هوذا

١) البيليشية : يريد بها الكاتب الشيعة البروتستانية

الآن قد ظهر انغشاشهم ببراهين ساطعة ومن ذلك ينتج واضحاً ان المطران المومى اليه غير مؤاخذ بمضادته هذه البوليتيكا الضارة في وطنه ومع هذا فالكولونل المومى اليه نفسه ومن خلفه في كونسلاتو انكلترة في بيروت ما انكروا ولا ينكروا حسن استقامة وتصرفات المطران المومى اليه كما يتضح هذا من المكاتبة المذكورة المطبوعة . .

ولذلك نتوسل من سعادة الوزير المشار اليه ان يغير حكمه وفكره ويصلح نيته من نحو الاكليروس الماروني عموماً وخصوصاً ويتخذ هذه البرهانات القاطعة حجج راهنة ببراءة الاكليروس المذكور من هذه التهمة الكاذبة ويهتم من ثمَّ الى اجابة اصوات شعب انكلترة الذي التمس منهُ دفعات متعددة ان يبادر للأخذ بثارات النصارى في سوريا ويخولهم راحتهم وامنيتهم في المستقبل مقتنعاً بما مضى من عكس تصرفات الحكومة العثمانية وادخالها الغش على دولته الفخيمة وباقي دول اوروبا متوقعاً المجازاة من العلي من مجازي كلًّا لعمله لاسيما بعد ان يسمع حلول القضاء العادل من جديد على احمد باشا سر عسكر سابق وعلى غيره من ضباط الحكومة العسكرية ونفوذ الحكم بقتلهم وسيحل ايضاً هذا الحكم بغيرهم مثل خورشيد باشا وطاهر باشا وغيرهم ومن ذلك يتأكد ان هؤلاء هم علة ملحمة سوريا الحاضرة لا الاكليروس الماروني المظلوم.

في ١٨ ايلول سنة ١٨٦٠

جولة في كسروان

لحضرة القس انطونيوس شبلي اللبناني

٤ دير مار ضومط فيترون

كتب خزانته الخطية (تابع)

١١ : قلائد الياقوت في واجبات الكهنوت (طبع بالمطبعة الكاثوليكية في بيروت) للبادري بطرس فروماج اليسوعي . خطهُ بالعربي القس جرجس بن حنانيا من طائفة الروم في ايام الطاعون في ١٢ حزيران سنة ١٧٣٣ وقد وقفهُ

على الرهبان الحلبية جرجس بن سركيس المكنى بابن بليط.

١٢ : كتاب « الحاوي الكبير الشريف الامجد المنسوب الى بعض الرهبان القاطنين بالجبل الاسود » تأليف الاب الفاضل نيفن الراهب البار . يحتوي هذا الكتاب ٦٣ مقالة في النسكيات والتعاليم الروحيّة . وهو مجلّدٌ ضخم وخطّهُ عربي جميل ويبلغ طولاً ٣٣ س، وعرضاً ٢١ ونصف س . وقد بيّن مؤلفهُ في مقدمتهِ انهُ يوجد كتاب حاوي صغير منسوب الى بعض الآباء يسمّى نتيوخس من دير القديس سابا . وهذا الحاوي الصغير عدّة مقالاته ١٣٠ مقالة.

١٣ : منطق لابن العبري باللغة السريانية . خطّهُ بالكلداني الراهب نعمه الاهدني في ٩ آذار سنة ٧٠٨٧ لآدم (١٥٧٩م) . وقد كتبهُ للشمّاس نصرالله نجل المرحوم الحاج الياس المعروف بابن المقطوع من مدينة بعلبك . ويلي ذلك مختصر في اللغة يسمى «كفاية المتحفظ». كتبهُ بالعربي نعمه الاهدني المذكور سنة ٧٠٨٧ سنة لكون العالم (١٥٧٩م) الموافقة شهور سنة ٩٨٧هـ. وقد عُلّقت عليه هذه الجملة وهي :

« وقف برسم الاخوة الملليّة القاطنين دير مار ليشع في بشري ودير مرت مورا في اهدن بايام رياسة قس جبرايل الملي سنة ١٦٩٦ »

١٤ : كتاب «بستان الرهبان». خط كرشوني وقد وضع فهرسه القس جبرائيل فرحات سنة ١٦٩٦ على ما جاء في مقدمتهِ . ١٥ : « كتاب في الفلسفة وفي المنطق وفي علم الكلام ليوحنا القس الدمشقي . ويحتوي ٥٣ باباً وتقدمة رسالة سابقة الابواب » خط كرشوني . وقد أُضيف اليهِ بالتجليد بعض فصول من الكتاب المقدّس وهو وقف الرهبان الحلبيين والقس رزق‌الله المرحوم بحلب سنة ١٧٤٨ . ١٦ : اعمال الرسل القديسين وهو الابركسيس المنسوب للقديس لوقا الانجيلي يُقرأ في ايام الخمسين . خط عربي قديم . ١٧ : متعبّد مار انطونيوس الكبير : صلاة المساء والسّتار والليل والصبح تمت كتابته سنة ١٧٨٣.

١٨ : كتاب « عامود اسرائيل وهو كتاب الناموس . تأليف الشماس

يوحنا وهبه الدويهي الهدناني سنة ١٧٠٦م (١٧٠٦) تلميذ المدرسة المارونيّة برومية.»
خط كرشوني مخروم من آخره. عدد صفحاته ٤٧٩ صفحة، طوله ٢٢ ونصف س ، وعرضه ١٦ ونصف س . وهذه هي مقدمتهُ ننقلها بالحرف الواحد.

« نبتدئ بعون الله وحسن توفيقه نكتب الكتاب الملقّب بعامود اسرائيل وهو كتاب الناموس. تأليف الشماس يوحنا وهبه الدويهي الهدناني سنة ١٧٠٦م (١٧٠٦) ربّاً .

مقدمة الكلام

« فلما كان تاريخ سنة ١٧٠٣م وكنت انا الحقير الشماس يوحنا وهبه الدويهي الهدناني قاطناً في رومية العظمى تلميذاً في مدرسة الموارنة تواجهني ذات يوم رجلٌ من بلاد الشرق وفاوضني وفاوضته وسالني وجبتهُ (واجبتهُ) عن علومي ودرسي واحوالي. فاخذني في عقب المخاطبة وقال: والعلم انما حسناً مفيداً جداً إلّا ان كلما يعبر على ضهن (ذهن) الانسان فهو زايل وليس هو بثابت. فان كنت تشا يا هذا ان علمك يثبت في بالك فحرّره في الورق لان ما قد يُسطر في الكتاب فلا يبلى ولا يزول سريعاً . . .

« وبعد هذه الاقوال فرغ من كلامه وافترزعني فتحسّن قولهُ برأيي فاخذتُ بتصنيف هذا الكتاب الملقّب « بعامود اسرائيل » اما بعد مدّة زمان يسيرة فتقلّبت الامور وتحوّلت الاحوال وتركتهُ واعطاني الله واخذتُ صنّف كتباً أُخر غيره . ولعمري صنّفتُ الكتاب الملقّب « بانتفاع الروح » ثمّ الاربع كُتُب في الوعظ والارشاد للمؤمنين.

« وفي تلك الزمانات عينها وقد وصلوا الى رومية سنة ١٧٠٦م (١٧٠٦) ربّاً سبع تلاميذ بشهم جيوم جدّي (كذا) البطريرك اسطفانوس (الدويهي) الذي قد توفي في تلك السنة ثالث يوم من شهر ايار. وعندما دخلوا المدرسة فطنّهم الروما برقيتي لكي اتقيّد بهم وسوسهم (واسوسهم) ودرّجهم باللغات الثلاثيّة واللاتينيّة والسريانيّة فصار ذلك. وبلغنا سنة تاريخه وهي سنة ١٧٠٦ لخلاص العالم فتذكّرتُ كتابي عامود اسرائيل الذي كنتُ ابتديتهُ وقصدتُ اني كمّلتهُ فكمّلتهُ بعونه تعالى . . .

وانا لعمري ملتزم اني اهتمّ بخلاص النير لا بالكرز الصوتي فقط بل بالكتابة ايضاً على قدر امكاني واستطاعتي لئلا اصير مذنباً امام الله والحمر وزنتي تحت الارض لاني اكلتُ خبز الاوجاع في المدرسة التي فيها حصلتُ على العلوم بنفقات الكنيسة على اسم طايفتي المارونية المحبّة لله ابداً دايماً.

« وقد لقبتُ الكتاب « بعامود اسرائيل » تشبهاً بالعامود النير الذي قد ارسلهُ الله تعالى للشعب الاسرائيلي في البريّة عند خروجهم من مصر ليطرد الظلمة من امامهم ويسلكوا بالسلامة. فعلى هذا النحو التعاليم التي في هذا الكتاب تنير عقل كل من يتأمّل بها . . . وهي تعاليم لاهوتية وادبيّة ورياضيّة وروحانيّة وعلميّة الموجّهة لخير الناس جميعاً وخصوصاً . . .

١٩ : تفسير حساسي ومرامي الشحيمة . خط الاخ سمعان داريًا الحلبي اللبناني سنة ١٨٨٣ . ٢٠ : المزامير . سرياني مخروم من اوله . خط فتح‌الله ابن شماس سقر ابن المرحوم مقدسي منصور المعروف ابن القريـع الساكنين بمدينة حلب سنة ١٧٠٦ للاسكندر . ٢١ : ديوان المطران فرحات . خط عربي سنة ١٧٥١ . ٢٢ : « رسالة وجيزة تحتوي على رقيق المعاني والدقايق في شرح ما تعتقده النصارى من الحقائق » وهي جواب على الخواجا باسيلي فخر . خط كرشوني بيد القس انطون مارون الحلبي اللبناني النائب العام في مصر سنة ١٨٢٢ ؛ وتقع في ١٢٠ صفحة بطول ٢١ ونصف س . وعرض ١٦ س .

٢٣ : كتاب الالهيات . وهو بحث في شرح التوحيد والتثليث وغيرهما . « مستند على اقوال الاباء القديسين واراء اللاهوتيين المتعمقين » تأليف القس يواصاف البسكنتاوي الراهب الماروني الحقير (هو المطران يواصاف السدبي البسكنتاوي الشهير) . مجلد ضخم خطّ بالعربي في عهد رئاسة مؤلفه على دير القديسين بطرس ومارشلينوس برومية . رؤوسهُ مكتوبة بالحبر الاحمر والجائهُ على نسق الخلاصة اللاهوتية لمار توما الاكويني . وفيه اعتراضات ودحضها ومجادلاته مقسمة الى فصول . عدد صفحاته ٥٥٠ صفحة طولهُ ٢٧ س . وعرضهُ ٢٠ س . وسمكه ٦ ونصف س . وهو مقسوم الى اربعة كُتُب وكاد الحبر يخرق ورقهُ وقد صدَّرهُ مؤلفهُ بمقدمة جميلة ولم يذكر اسماء كتب العلماء والقديسين الذين استشهد باقوالهم ، وعدد صفحاتها وفصولها ، لانها في اللغات الافرنجية وجاء في آخر الكتاب الثالث منهُ ما نصُّهُ :

« كمل الكتاب بعون الملك الوهاب سنة ١٧٣٨ في ١٨ ايار بمدينة رومية الكبرى . »

وقد ابان في طرقه هذه الابحاث الالهية واشباعه الكلام فيها عن مقدرته وتضلعه من العلوم العالية وتعمقه في درس ادق الاسرار العويصة . ولا بدع فهو من تلاميذ مدرسة الموارنة برومية واحد افراد نوابغها المشهورين . ويا حبذا لو اسرع احد الى نسخ او طبع هذا الكتاب النفيس الذي اوشك الحبر ان يثقب ورقه ويطمس سطوره . وان للمؤلف النابغة تآليف عديدة حلّق بها في جو العلوم السامية مما دلَّ على رجاحة عقله ومضاء ذهنه وكلها محجوبة عن العيان

مختبئة في زوايا الاديار والبيوت ولم يُنشر منها كتابٌ واحد بالطبع . واننا نلفت اليها نظر ابني وطنه حضرة الشقيقين البرديوط بطرس والقس يوسف حبيقه والى وضع ترجمةٍ لهُ مطوّلة . فحرامٌ ان تظلَّ آثار هذا الحبر الخالدة مدفونةً في عالم الخفاء وكلها عالية غالية تستأهل ان ترى النور قبل غيرها .

٢٤ : شرح ديوان المطران فرحات . للخوري ارسانيوس الفاخوري تلميذ مدرسة عين ورقا . كتبهُ بالعربي عبدالله بن شبلي الشدياق من عشقوت سنة ١٨٦٣ .

٢٥ : كتاب التجسد . تأليف القس يواصاف البسكنتاوي الراهب اللبناني المذكور . وهو غير كتاب الالهيات . خطهُ كرشوني ، ومجلّد برقّ غزال ، ومصدَّر بمقدّمة لمؤلفه ، ومداره على سرّ تجسُّد ابن الله ويُقسم الى مقالات . ويقع في ٥٥٨ صفحة بطول ٢٧ س ، وعرض ٢٠ س ، وسمك ٥ . وورقه سميك . جاء في اخره ما يلي :

« تمّ بعونهِ تعالى على يد أحقر الناس وأزدلهم القس يوسف بن طربيه الزيّات الزوقي الراهب اللبناني . وكان ذلك في ١٠ ايام من شهر نيسان سنة ١٧٣٩ مسيحيّة في دير مار بطرس ومرشاينوس برومية العظمى . وقف مؤبد برسم اخوية الرهبان اللبنانيين »

٢٦ : كتاب خزانة الاسرار والمنارة المسيّمة الانوار . تأليف المطران سمعان عوّاد (البطريرك) الحصروني الماروني مطران دمشق الشام . كتبه بالكرشوني جرجس بن جبرائيل من قرية غباله سنة ١٧٣٢

٢٧ : كتاب « تفسير رسالة القديس بولس الرسول الى الغلاطيين وتفسير رسالتهِ ايضاً الى الافسوسيين ، للمعلم العامل الانبا كرنيلوس الحجري . وقد كان استخراجهُ من اللغة اللاتينية الى اللغة العربية بنفقة الرجل الورع العابد ميخايل فرحات (شقيق المطران جرمانوس فرحات) الحلبي الماروني ، على يد المعلم الفاضل يوسف بن جرجس القسّ الحلبيّ الماروني سنة الف وسبعماية وخمس عشرة مسيحية . »

ان عنوان هذا الكتاب المتضمن الافادة عن مؤلفهِ ومستخرجهِ ومقدمته

التي تبيّن فحوى الرسالتين هي بخط عربي بيد القس جبرايل فرحات نفسه. ومن ختام المقدمة وصاعداً يبتدئ الكتاب بخط كرشوني ولعله بيد المؤلف الذي عهد الى الاب فرحات باعادة النظر فيه وفي الاجزاء الآتية وتصحيحها(١) لانك ترى فرحات قد ضرب بقلمه على كل عبارة يقتضي لها تصحيح في هذا الكتاب — وفي الجزء الثاني الآتي ذكره — وعلّق بخطه العربي الرفيع على هامشه تصحيحها ولا تخلو صفحة منه من خطش وتهذيب . هذا الكتاب هو النسخة الاصلية التي هذّب عبارتها القس جبرايل فرحات بيده . عدد صفحاته ٤١٢ صفحة . طوله ٢٦ ونصف س، وعرضه ٢٠ س، وسمكه ٣ ونصف س.

٢٨ : كتاب « تفسير رسالتي القديس بولس الرسول الى القُرنتيين للمعلم العامل الانبا كرنيلوس الحجري . وقد كان استخراجه من اللغة اللاتينية الى اللغة العربية بنفقة الرجل الورع العابد ميخايل فرحات الحلبيّ المارونيّ ، على يد المعلم الفاضل يوسف بن جرجس القس الحلبيّ المارونيّ سنة الف وسبعماية وخمس عشرة مسيحية. »

فبيان هذا الكتاب ومقدمته التي تنطوي على محتويات الرسالتين . من انشاء الاب فرحات وبخطه بالعربي ايضاً . اما الكتاب فبخط كرشوني كالاول ومصحّح بقلم فرحات كالجزء السابق . ويقع تلخيص فرحات للرسالتين في ١٣ صفحة والكتاب في ٦٧٠ صفحة بطول ٢٧ س، وعرض ٢٠ س، وسمك ٥ س. وعرض هامشه ٥ ونصف س . وقد كتب القس جبرايل فرحات على قفا هذا الكتاب هذه العبارة بخطه وهي :

« وقف مؤبد برسم اخوية الموارنة اللبنانيين . »

وهذه هي النسخة الاصلية المصححة بقلم فرحات ايضاً.

(للبحث صلة)

---

١) راجع جدول مصححات السيد فرحات في المستطرفات للاب منش ص: ٣٠ وما يليها

من رمضاء مكة الى مصيف الطائف

بقلم الاب فرديناند توتل اليسوعي

آب اللهاب ! في هذا الشهر يحتدم اوار الحر على سطح المناطق المعتدلة من شمالي الكرة الارضية ، فتتوق فيها الصدور الى العيش في الجبال العالية وفي الارياف الواسعة ، حيث الهواء اصفى والجو افسح منه في المدن المكتظة بالبنايات الآهلة بالسكان

ثقيلة هي وطأة القيظ على بلاد الشام ومصر والعراق لكنها اثقل واشد في الجزيرة العربية الواقعة في المناطق الحارة من البسيطة ، في طحراء تصليها اشعة الشمس نارًا لا يهمد اوارها ، فتخترق اعماق تربتها وتمتص آخر ما رسب فيها من رطوبة اغاثتها به السماء في فصل الشتاء !

قد يلجأ مواطنونا من الحر الى الجبال في لبنان ، او الى الرمال على شواطئ البحر ، او الى البساتين في ضواحي مدن الداخلية . اما سكان مكة فاين موئلهم في الصيف ؟ هو الطائف . واني لاتكلم على تلك البلاد ، لا كاني زرت مكة والطائف ، « واهل الحرمين يبالغون في مراقبة الاجانب الذين يفدون الى بلادهم ، فلا يتعدى جدة وينبع وصنعاء جنوباً ، ومحطة العلا شمالاً ، احد من الاجانب بالمرة ؛ وان فعل ، فما هو الا مورّط بنفسه الى حتفه من اهل البلاد » (١ لكني استعصم من اللوم بقول الشاعر (٢ :

« فانني ان ارى الديار بطرفي فلعلي ارى الديار بسمعي »

فاهتدي ، والقراء ، الى بلاد التهامة والى جبال السراة ، بما كتب فيها(٣ من قديم وحديث متوخياً وصفها كما كانت في القرون الاولى للهجرة . ولا يخفى

---

١) رحلة الحجاز للبتنوني ص : ٤٧ ٢) وفاء الوفاء للسمهودي ١ : ٣

٣) راجع لانس الطائف ؛ ومكة قبيل الهجرة في المجموعة Mélanges de l'Université S' Joseph : 1922-1924

على بصير ما في هذا البحث من الافادة للوقوف على احوال التاريخ العربي وجغرافيته ؛ وعلى الله الاتكال في الحلّ والترحال

رمضاء مكة

« ربنا اني اسكنت من ذريتي بوادٍ غير ذي زرع عند بيتك المحرّم ؛ ربنا ليقيموا الصلاة ، فاجعل أفئدة من الناس تهوي اليهم ، وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون » (القرآن ١٤ : ٤٠)

هذه الآية تلخص اخبار مكة وتصف حالتها الجغرافية . مكة او ام القرى موقعها في التهامة في جزيرة العرب في الحجاز الجنوبي على مسافة ٧٠ كيلومتر من البحر الاحمر ، وهي مبنية على شكل الهلال في وادٍ « غير ذي زرع » تكتنفه الجبال الجرداء وتناله اشعة الشمس اللاذعة من غير ما يلطفها ظل شجر ظليل

في قاع ذلك الوادي مركز الكعبة ، محجة العرب في الجاهلية والاسلام ، وهي في وسط المسجد ، يحيط بها المطاف ، وحولها اتخذ عظماء قريش مساكنهم وهم يُدعون لذلك قريش البطاح ، فرقاً بينهم وبين سكان ظواهر مكة

« لهم غاير البطحاء من جلن مكة وردمه يسقى بالجبال القياسر » (١

« وكانت بعض دورهم ملاصقة بالمسجد الحرام في ظهر الكعبة تغني على الكعبة بالعشي وتغني عليها الكعبة بالبكر » (٢

وحرّ مكة في الصيف لا يطاق ، خاصة في قعرها ، اعني في المسجد والمطاف . زاره ابن بطوطة فوصفه وقال: (١ : ٢٨٠–٢٨١) « المطاف مفروش بالحجارة الرود ، وتصير بحرّ الشمس كانها الصفحات المحمات ولقد رأيت السقائين يصبون الماء عليها فما يُجاوز الموضع الذي يُصبُّ فيه الماء الا ويلتهب الموضع من حينه واكثر الطائفين في ذلك الوقت يلبسون الجوارب »

---

٢) الاغاني ١٣ : ٤١، ١٦

٣) الازرقي : اخبار مكة ص : ٣٦٣ .

وقد حاول ابن بطوطة الطواف حول الكعبة حافياً فذاق من العذاب الواناً قال :

« وصلت الطاف ، واردت استلام الحجر الاسود ، فلحقني لهب تلك الحجارة ؛ واردت الرجوع بعد تقبيل الحجر ، فما وصلته الا بعد جهد عظيم ، ورجعت فلم اطف وكنت اجعل بجادي [كساني] على الارض وامشي عليه حتى بلغت الرواق »

وليس مناخ مكة حارًا فحسب ، بل فيها ازمة المياه دوماً. روى الازرقي (ص : ٤٤٤) انهم باعوا فيها الراوية (او القربة ، حمل الدابة) عشرة دراهم واكثر (١ وقلة المياه فيها مع شدة الحر تسبب فساد الهواء وكثرة الامراض(٢ وخاصةً الحمى المعروفة عندهم بوباء مكة وقد احتالوا عليها فاستعملوا بول الناقة دواء لها وقال الاعراب ان هذا الدواء لناجع . على انه لم يكن ليضاهي بفاعيله مفاعيل الهواء الصافي والماء الزلال

ذلك الهواء وذلك الماء قد تمتع بهما تجار العرب في رحلاتهم في العراق والشام لما شربوا من مياه دجلة والفرات واستحموا في بردى دمشق، وسرّحوا ابصارهم في رؤية ارض «الخمر والخمير والديباج والحرير» وكانوا اذا عادوا الى مساكنهم في البطحاء وشعروا بضيقة النفس حدثتهم النفس بما كانوا شاهدوه فسألوا النبي ان يفرج كربتهم ؛ واليك صدى لهفاتهم كما زدده ابن هشام في السيرة النبوية (ص : ١٨٨)

« قالوا يا محمد انك قد علمت انه ليس من الناس أحد اضيق بلداً ولا اقل ماء ولا اشد عيشاً منا ، فسل لنا ربك الذي بعثك بما بعثك فليسيّر عنا هذه الجبال التي قد ضيقت علينا وليبسط لنا بلادنا وليخرق لنا فيها انهاراً كانهار الشام والعراق »

وكأني بطلبتهم قد استجيبت : لانه بالقرب من مكة قد وضع الله الطائف ومصيفها « مثل الجنة التي وعد المتقون ، فيها انهار من ماء غير آسن ، وانهار

١) وكانت قيمة الدرهم الفضي توازي ثقل الغرامين والنصف او الثلاثة الغرامات

٢) راجع كتاب رحلة الحجاز للبيب البتنوني ص : ٦٣

من خمر ، لذة للشاربين ، وانهار من عسل مصفى ولهم فيها من كل الثمرات . »
(القرآن ٤٧ : ١٦ ، ١٧)

بلاد الطائف

على سيف البحر الاحمر ، في شبه الجزيرة العربية ، تمتد سلسلة جبال من الشمال الى الجنوب اسمها جبال السراة وهي الحد الفاصل بين نجد وتهامة وفيها « الثنايا الغلاظ » وهي طرق وشعبات تخترقها تتقرب المسافات بين قبائل الداخلية وبين مدن الحجاز التجارية

في منتصف تلك السلسلة ، وبالقرب من الخط العرضي للكرة الارضية ، الواقعة عليه مكة ، فتحت يد الطبيعة جوفاً دعاه العرب وادي النعمان واتبعوه بقاطعة الطائف ، وموقعه بينها وبين عرفة ؛ يشاهد فيه المسافر ارضاً طليحة تنمو فيها الاشجار بكثرة ، ومن ثم صخوراً منتصبة كالجدران ، ترتقي شيئاً فشيئاً الى ان يبلغ ذراها الالفي متر . وفي شمالي تلك المقاطعة جبل عدلوا ارتفاعه فوق سطح البحر بعلو ثلاثة آلاف متر ، ولعله جبل غزوان الذي ذكره جغرافيو العرب لان المياه تجمد فيه بالشتاء فيصح فيه ما قاله ابن حوقل (ص : ٢٧)

« وليس بالحجاز فيما علمته مكان هو ابرد من رأس جبل غزوان وبلغني انه ربما جمد الماء في ذروة هذا الجبل وليس بالحجاز موضع يجمد فيه الماء سوى هذا الموضع ، وعلى ظهر ذلك الجبل موقع الطائف »

وكانوا يقطعون المسافة بين مكة والطائف بمرحلتين او ثلاث « على الرفق والتؤدة » (١) . وفي اغلب الاحايين كانت نقطة الماء محطة للرحال . فيجتازون البطون والحزون ويمرون بقرى ذكرها جغرافيو العرب ، وكانت عامرة في القرون الاولى للهجرة ، ثم انحطت عن عزها : منها قرية العرج مسقط رأس الشاعر العرجي الذي اسهب بذكره صاحب الاغاني ، وقرية البقيع ، وجلذان ، وقرية الوهط وقد قال فيها العجيمي :

---

١) ابن جبير ٣ : ١٢٢

« بهذه القرية مزارع وعين كبيرة الا انها الآن ضعيفة وبستانها المذكور فلم يبق على معشار ما كان عليه ».

وكانت ارياف الطائف مخصبة يحرثها الفلاحون لحساب اهل الطائف او لغيرهم من اغنياء مكة.

وذكر الهمداني املاك الطائف وملاكها فاوقفنا على حالة البلاد ايام تمتعت بالامن وازدهرت بنشاط سكانها . على ان كثيراً من تلك المواضع التي ذكرها لا يكاد العلماء ، يقفون لها اليوم على اثر محقق قال(١) :

« وساكن الطائف ثقيف ؛ ويسكن شرقي الطائف قوم من ولد عمرو بن العاص وواد قريب من الطائف يقال له برد ، فيه حائطان لزُبَيْدَة عظيمان يقال لموضعها وجّ ، وبشرقي الطائف وادٍ يقال له لية يسكنه بنو نصر من هوازن ، ومن يماني الطائف وادٍ يقال له جنن لثقيف وهو بين الطائف وبين معدن البرام ويسكن معدن البرام قريش وثقيف ، ومن قبلة الطائف ايضاً وادٍ يقال له مشريق لبني امية من قريش ، ووادي جلذان منقلب الى نجد في شرقي الطائف يسكنه بنو هلال ، وفي قبلة الطائف حائط ام المقتدر الذي يدعى سلامه ، وبين الطائف وبين عرفة وادي نمان ، وفيه طريق الطائف المختصرة الى مكة واما المحجة فعلى قرن المحرم »

وكانوا يعنون بالحائط الحديقة الجميلة التي احاط بها اصحابها لبناً صيانة لمزروعاتها . وكانت تلك البقاع مشهورة باشجارها واثمارها وخاصة « وج » فانها امتازت بشجر الطلح والسدر وكان بضواحي الطائف كروم بذل اصحابها تعباً عظيماً في حرثها وسقايتها وقد حفظ ابن الاثير ذكر تلك العناية الخونة والغيرة والاجتهاد في سبيل الزراعة ، في المعاهدة التي ابرمت بين الثقفيين وبين ملاكي تلك الاراضي الاولين لما احتل ثقيف الطائف وشارطوا من وجدوا فيها من السكان على ان يتقاسموا واياهم الاراضي وغلاتها فقالوا :

« نثيرها حرثاً ونغرسها اعناباً وثماراً واشجاراً ونكظمها كظائم ونحفرها اطواء ونملأها عمارة وجناناً »(٢)

فكم بذلوا من المجهودات في حفر الآبار وفتح الترع لمجرى المياه حتى اذا

---

١) راجع صفة جزيرة العرب ص : ١٢٠.
٢) الكامل ١ : ٣٨٨

انجزوا العمل وشاهدوا كرومهم المعروشة تعقد عنبها فاخزوا بها واشاروا الى مياهها وقالوا :

« فان الماء ماء ابي وجدّي وبئري ذو حفرت وذو طويت » (١

وحيث يكون الاجتهاد والنشاط بجراثة الارض وريها لا تلبث ان تكتسي الارياف ثوب العز والغنى فيزداد اصحابها ولعاً بها وحرصاً عليها ولذلك لما ضرب النبي الحصار على الطائف وتهددها بتخريب الكروم هاج هائج السكان وخافوا على ما غرست ايديهم بمشقات عظيمة فارسلوا الى النبي يتوسلون اليه ان يبقي على المزارع البعيدة وإلا اذا عاث فيها العسكر فساداً فقد يكون خرق القتاد دون اصلاحها (٢

وكانوا يعقدون المعاهدات مع بدو السراة لينالوا الحماية للحقول والمزارع من القطعان والرعيان

محصولات الطائف

« الخبز عندهم ممدوح وهم اذا فخروا قالوا منا آكل الخبز » (٣

الخبز الطري ، الخبز الابيض ، الخبز مرقوقاً او رغيفاً ، كل يوم مرات ناكله ونشبع منه وقد بارك الله القمح في بلادنا السورية واوفره واكثره . ولكن في البلاد العربية طعام العامة اللبن والتمر ، اما الخبز فهو طعام نادر لا يأكله الا الامراء والعظام وبفضله يتسمو فيهم العقل ويمتازون بالدهاء والحكمة على ما رواه ابن الاثير

قال في غيلان بن سلمة الثقفي الطائفي ، الذي كان هجر ستاً من نسائه بعد اسلامه ، ولم يبق عنده سوى اربع ، بامر النبي محمد ، انه كان وفد على كسرى ، فدار الحديث بينهما . فقال له كسرى : اي ولدك احب اليك ؟ قال : الصغير حتى يكبر والمريض حتى يبرأ والغائب حتى يقدم ؛ فقال كسرى : ما لك

١) راجع ديوان عامر بن الطفيل : ٩,١٢٦

٢) راجع السيرة لابن هشام ص : ٨٧٣

٣) الجاحظ : البخلاء ، ٢٥٤

ولهذا الكلام ؟ وهو كلام الحكماء وانت من قوم جفاة لا حكمة فيهم ، فما غذاؤك ؟ قال خبز البر . قال هذا العقل من البر لا من اللبن والتمر . » (١

وكان القمح في بلاد الطائف وافرًا ويسمونه البرّ على ان الطائف اشتهرت خاصة بكرومها ومنها العنب والزبيب والخمرة. الكرمة هي الشجرة المتواضعة اللطيفة ، وضعها مواطنونا اللبنانيون موضع الحب في جوار بيوتهم وعلى مدرجات جبالهم ووديانهم. الكرمة النضيرة بنت الشام كيف دخلت بلاد العرب الملتهبة ؟ دخلتها على يد امرأة يهودية ، قدّمت عيدانها هديةً لابي رغال احد زعماء الطائف (الاغاني ٤ : ٧٥) فزفتها هديةً شاميةً من بني اسرائيل الى مصيف الجزيرة الشهير. وبفضل تلك الامرأة الحقيرة اصبحت قرى السراة تُصدر العنب والزبيب والخمر الى مكة والى سائر انحاء الجزيرة

وكانت خمر لبنان وفلسطين معروفة من عشاقها في الطائف فيستوردونها . ويشربها كل منهم على صحة من قال :

ناولتها شبه مصباح مشعشعة صرفًا كأن سناها ضوء مقياس

وكانوا يجدونها تحاكي « عين الديك لمانًا » . فشربوا خمر بلادنا وشربوا خمر الطائف ايضاً . على انهم كانوا يستعملون زبيب الطائف مروّقاً لمياههم الآسنة

روي عن العباس عم النبي انه كان يستغلّ من كرومه في الطائف نوعاً من الدبس يمزجه بماء زمزم الذي قال فيه الشاعر :

تباركت انهار البلاد سوانح بعذب وخصت بالملاحة زمزم (٢

وكان الخليفة عمر بن الخطاب يشرب كل يوم صباحاً عصير الزبيب ممزوجاً بالماء (٣

وظهر الاسلام وحرّم شرب الخمر فكسدت سوقها وقلت بضاعتها وارتفعت اسعارها اما عشاقها فلم يزهدوا فيها وفازت بمديح شعر العرب كما فازت به عند اليونان والرومان . ولابي محجن الثقفي خبر في ذلك نرويه عن كتاب

١) اسد الغابة ٤ : ١٧٢-١٧٣

٢) راجع الازرقي ، اخبار مكة ٧٠ : ٢٩٤، ٣٤٠

٣) راجع ابن سعد : طبقات ٦ : ١٠٥

الاغاني (١ وفيه فكاهة وافادة :

« اتي عمرَ بن الخطاب رضي الله عنه بجماعة ، فيهم ابو محجن الثقفي ، وقد شربوا الخمر ، فقال : اشربتم الخمر بعد ان حرمها الله ورسوله ؟ فقالوا : ما حرمها الله ولا رسوله ؛ ان الله تعالى يقول : ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا ، اذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات . . .

فقال عمر لاصحابه : ما ترون فيهم ؟ فاختلفوا فيه ؛ فبعث الى علي بن ابي طالب عليه السلام ، فشاوره . فقال علي : ان كانت هذه الآية كما يقولون فينبغي ان يستحلوا الميتة والدم ولحم الخنزير . فسكتوا . فقال عمر لعلي : ما ترى فيهم ؟ قال ارى : ان كانوا شربوها ، مستحلين لها ، ان يقتلوا ؛ وان كانوا شربوها ، وهم يؤمنون انها حرام ان يحدّوا [يجلدوا]

فسألهم . فقالوا : والله ما شككنا في انها حرام ، ولكنا قدرنا ان لنا نجاة فيما قلنا . فجعل يحدّهم رجلاً رجلاً وهم يخرجون حتى انتهى الى ابي محجن . فلما جلده انشأ يقول :

أَلَمْ تَرَ ان الدهر يبشرُ بالفتى ... ولا يستطيعُ المرءُ صرفَ القادرِ
صبرتُ فلم اجزعْ ولم اكُ طائعاً ... لحادثِ دهرٍ في الحكومةِ جائرِ
وإني لذو صبرٍ ، وقد مات اخوتي ... ولستُ عن الصهباء يوماً بصابرِ
رماها اميرُ المؤمنين بحتمها ... فخلاها يبكون حول المعاصرِ

فلما سمع عمر قوله « ولست عن الصهباء يوماً بصابر » قال : قد ابديت ما في نفسك ولأزيدنّك عقوبةً لإصرارك على شرب الخمر

فقال له علي عليه السلام : ما ذلك لك ، وما يجوز ان تعاقب رجلاً قال لأفعلنّ وهو لم يفعل . وقد قال الله في الشعراء : وانهم يقولون ما لا يفعلون . فقال عمر قد استثنى الله منهم قوماً . فقال : الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات . فقال علي عليه السلام : أفهؤلاء عندك منهم وقد قال رسول الله صلعم لا يشرب العبد الخمر حين يشربها وهو مؤمن »

ومات ابو محجن شاعر الخمرة وهو القائل :

اذا مت فادفني الى اصل كرمةٍ ... تروّي عظامي بعد موتي عروقها
ولا تدفنوني بالفلاة فانني ... اخاف اذا ما مُتُّ ألا اذوقها

وذكر صاحب الاغاني قبره فقال : « رأيت قبره قد نبتت عليه ثلاثة اصول كرم قد طالت واثمرت وهي معروشة » (٢

ولم تكن بلاد الطائف ارض خمر وخمير فحسب ، بل كانت جنةً ذات افنان فيها من كل فاكهة زوجان (٣ تزدهي بانواع الاثمار من زيتون ورموز وتين ودراقن وسفرجل ورمان وبطيخ . واذا ورد الربيع واكتست الاشجار بالزهور خرج النحل عليها واستغلّ سكرها المطر ثم اخرجه « من بطنه شراباً مختلفاً

١) الاغاني : ٢١ ، ٢١٩ ٢) الاغاني : ٢١ ، ٢٢٠ ٣) القرآن : ٥٥ : ٤٨ ، ٥٢

الوانه فيه شفاء للناس » (١ وهو العسل . والعسل من اهم محصولات الطائف كانت النحل تبني منه في المغاور «بيوتاً » وكان عمال الجباية يتقاضون عليه المال . وقد تضاربت آراء الفقهاء في شأنه وكان للعسل مكانة في عوائد العرب : يمزجونه بالسمن ويسقونه الاطفال عند الفطام . وكان الملوك والامراء يفضلون عسل الطائف على سواه لانه مصنوع من زهور جبال السراة ونباتها ذي العطر العابق ، وكما انهم مزجوا عصير الكرمة والتمر بالماء تحلية له كذلك شربوا الماء معسلاً ؛ ومن العسل والبر عملوا الفالوذج وقد تعلموه على الفرس(٢

« كان ابن جذعان سيداً من قريش فوفد على كسرى فاكل عنده الفالوذ فسأل عنه . فقيل له هذا الفالوذ . قال وما الفالوذ . قال لباب البر يلبك مع عسل النحل . فقال فاتوني بغلام يصنعه فابتاعه ثم قدم به مكة ثم امره فصنع له الفالوذ بمكة »

المصطافون والمصطافات بالطائف

ما اعذب موارد الماء في الصحراء الماحلة ! وما اجمل الطائف في قلب الجزيرة المحترقة باشعة الشمس ! زار الطائف بروكارت الروّادة الشهير فقال فيها : ان منظرها اجمل ما شاهده من مشاهد الشرق بعد لبنان ؛ وقال فيها الرحالة تاميزيه : بعد السير في اتون نار تصلي ، وبعد قطع اودية وبطون يابسة ناشفة : ما احلى بساتين الطائف والطف نسيمها وابلّ هواءها !

وان يكن الافرنج ترنموا بمديح الطائف مع كونهم رأوا في بلادهم من جمال الطبيعة وعظمتها وخصبها ما يسحر الالباب ولا يخطر للعرب ببال فما احرى العرب بان تنطلق السنتهم بمديح الطائف وفضائلها ، فيهيموا بها ويجعلوها محطة للنسور !

وقف الخليفة سليمان بن عبد الملك امام الطائف فلم يمالك ان قال :

لله درّ قسي باي عشّ وضع افراخه ! (٣ وقسي مؤسس الطائف

وما عسى ان ينقص هذه الجنة ، والابل ترعى فيها فتاكل من تحتها وتاكل من فوقها على الارض كلأ كثيفاً اخضر مطيباً وعلى الاشجار اوراقاً واثماراً !

١) القرآن : ١٦، ٧١ ٢) جاء في كتاب الأغاني : ٨، ٩

٣) ابن الفقيه : ٢٢

أو ليست هي الارض المباركة التي تدرّ العسل واللبن

فلا عجب ان فاض العرب بذكر محاسنها فشبهوها ببلادنا فنعتوها « شامية الهواء باردة الماء » « فتهوى اليها الافئدة » ؛ ويؤمها المصطافون لا شك ان « من صبرَ على حرّ مكة تباعد عنه جهنمُ مسيرةَ مائة عام وتقرّبت منه الجنةُ مسيرةَ مئتي عام » (١ ولا يضيع اجر الفقراء الذين يحتملون وطأة الحر وثقله في البطحاء ابتغاء وجه الله ؛ على ان ذوي اليسر اذا ما تسنى لهم ان يهجروا رمضاء مكة الى مصيف الطائف لم يتلكأوا عن الرحيل

وكما ان اغنياء التجار ، في يومنا ، يشدّون رحالهم الى صوفر او الى ضهور الشوير او حمانا اذا ما اشتدّ الحرُّ في المدن ؛ كذلك كان عظام تجار مكة يقصدون الى الطائف . وربما حدثتهم النفس بالعودة اليها وهم بعيدون عن الاوطان. قال الاب لامنس(٢ : كان الخليفة معاوية يعلل نفسه بالامل ، وهو في قصره في الخضراء بدمشق ، بان يعود يوماً الى الطائف فيستريح فيها من هموم السياسة ومتاعبها . وكان عظماء الموظفين في اوائل العصر الهجري يعودون الى الطائف ليقضوا في المدن العربية المقدسة باقي حياتهم ويتمتعوا بما اكتنزوا لانفسهم من ثروات طائلة جمعوها في توليهم حكم اقاليم الشرق الغنية . لكل منهم قصر في مكة او في المدينة يقيمون فيه ببحبوحة العيش الى ان تهب الريح السموم فتسوقهم الى مصايفهم، منهم ابو سفيان كان يحلّ الطائفَ ويراقب حركة الزراعة في اراضيه وقطف العنب ودبغ الجلود وهو في ضيافة بناته المزوّجات . ومنهم ابو احيحة الصرّاف المتموّل ، وابو عمر بن العاص فاتح مصر ، بلغ من العمر ٨٤ سنة وكان يركب حماره ويجول في ارزاقه بين الطائف والوهط .

ولم يكن ما بينهم الشيخ الوقور والامير المهيب فقط بل كان ايضاً الغواة والشبان وطلّاب الملاهي وبينهم الشاعر والمغني يتبختران في المتنزهات ويلفتون الانظار وقد حفظ لنا ذكرهم كتاب الاغاني عن لسان الشاعر العرجي الطائفي بهذا الشعر البديع (٣

١) ابن الفقيه : ١٧ ٢) Taif p. 162 ٣) ١ : ١٥٥

أمشي كما حرّكتْ ريحٌ بمائبةٍ غصناً من البان رَطْباً طلّه الدّيمُ
في حلّةٍ من طراز الروس مشرفةٍ تنفو جدائلها ما اثرت قدمُ
فبتُّ أسقى باكواسٍ أعلُّ بها من باردٍ طاب منه الطعم والشّمُ
حتى بدا ساطعٌ للفجر نحسبهُ سنى حريقٍ بليلٍ حين يضطرمُ
كفُرّةِ الفرس المنسوب قد حُسرتْ عند الجلال تلالاً وهو يلتجمُ

اما النساء بنات حوّاء أفيقصرن عن مرافقة آدم في ذلك الفردوس ؟ كلّا ثم كلّا ! بل يتسابقن والرجال الى مصيف الطائف كما تتسابق البيروتيات والمصريات ورجالهن الى مشارف عاليه وبشري . وقد حفظ كتاب الاغاني لهنّ نكتاً وحكايات يروقنا الاطلاع على بعضها وفيها ما يوقفنا على حالة المرأة في القرون الاولى للهجرة . أتتصورها أسيرة جدران بيتها لا قيمة لها ولا مقام ؟ لا تطلّ على عالم الوجود الّا من ثقب برقع يحول دونها ودون النور ! فاسمع ما جاء في الاغاني (١٠،٥٤) :

« كانت عائشة بنت طلحة لا تستر وجهها من احد ، فعاتبها مصعب في ذلك ، فقالت ان الله تبارك وتعالى وسمني بميسم الجمال ، احببت ان يراه الناس ويعرفوا فضله عليهم ، فما كنت لاستره ؛ والله ما فيّ وصمة يقدر ان يذكرني بها احد »

وفي مصيف الطائف وقفت عائشة وقفة الحكم تقضي في الشعراء ايهم الاشعر . وهناك قضت سُكينة اياماً طوالاً بين طلاق وطلاق ، وسفر واسفار ، تذكرنا بالنساء القلقات اللواتي يتنقلنَ دوماً من مصر الى الشام ومن الشام الى اوربا . سكينة حفيدة علي ، عُدّد ازواجها على الاصابع العشر ، وصفها كتاب الاغاني بالمفة . وشتان ما بين عفتها والعفة ، الفضيلة الملائكية ، التي تنصر النفس على الجسد . وكانت سُكينة أبية النفس ، تحكم في الازياء والجمال والادب . « وكانت سلمةً ، برزةً من النساء ، تجالس الأجلّة من قريش وتجتمع اليها الشعراء وكانت طريفة مزاحة » وجاء في الاغاني : (١٤،١٦٥)

« كانت سكينة احسن الناس شعراً وكانت تصفف جمتها [او شعرها] تصفيفاً لم يُرَ أحسن منه حتى عُرف ذلك وكانت تلك الجُمّة تسمى « السُكينية » وكان عمر بن عبد العزيز اذا وجد وجلاً يصفف جُمّته « السُكينية » جلده وحلقه »

فظهرت عائشة وسكينة في الطائف ومثلهما غيرهما من النساء الشريفات كنّ يفاخرن بحسنهنّ ويتصفنَ « باحسن من النار في عين المقرور » او « باحسن

من النار الموقدة في الليلة القراء ، كان لهن اموال وبنايات في الطائف.

وهناك كانت تصيف ثريا وارسلت الى ابن ابي ربيعة من اعلمه بموتها فأتاها عاجلًا وقال شعره المشهور الذي رُوي بين الاصوات الثلاثة المختارة للرشيد

«تشكّى الكُميتُ الجريَ لما جهدتُه وبيّن ، لو يستطيعُ ان يتكلّما»

على ان الامرأة الكبيرة المستحقة دون غيرها ان تُذكر عنواناً للشهامة النسائية عند العرب هي سبيعة بنت عبد مناف.

كانت رحى الحرب دائرة بين مكة والطائف . ومن المألوف عندهم انهُ من لجأ من الاسرى الى بيت زعيم ودخل في حماه لم ينلـه مكروه . وكان مسعود بن معتب الثقفي زوج سبيعة قد ذهب الى ساحة القتال « فجعلت سبيعة توصل في خبائها ليتسع . فلما انهزمت قيس دخلوا خباءها مستجيرين ثم كثر عددهم فضاق بهم المكان . فقال لها احد جيرانها « يا عمة من تمسك باطناب خبائك لو دار حوله فهو آمن» فنادت بذلك فاستدارت قيس بخبائها حتى كثروا جدًا فلم يبق احد لا نجاة عنده الّا دار بخبائها ؛ فقيل لذلك الموضع مدار قيس « وكان يضرب به المثل» (١)

واوفدت سبيعة اولادها الصغار ينادون في الفارّين ان من لجأ الى سرادقهم ولاذ بحمى امهم نجا . فما عتمت ان امتلأت خيمة سبيعة من الاسرى . وعاد مسعود من الوقعة ظافرًا فرأى عناقيد بشرية معلقةً باهداب حماه فصفح عنهم واطلق سراحهم ، فمضوا سالمين بفضل الامرأة العربية.

* * *

هذا وحسبي . فاني أُحيي المروءة والانسانية والشهامة بشخص سبيعة وانداده . واتمنى للبلاد العربية ان ينشأ فيها من امثال سبيعة نساء كثيرات يظهرن بشرفهنّ وكرمهنّ ورقتهنّ ولطفهن على قوة الرجولية،فيظفرن بها ويحللن محل الاحترام والكرامة في المجتمع . وانما مكانة المرأة في البلاد عنوان رقيها ونجاحها.

---

(١) الاغاني : ١٩، ٢٩

الجاحظ (٧٧٥؟ – ٨٦٩)

بقلم فؤاد افرام البستاني ، استاذ الآداب العربية في كلّية القديس يوسف

«كتب الجاحظ تعلّم العقل أوّلاً ، والادب ثانياً ! »
(ابن العميد)

٢

ولابن قتيبة صفحة لعلّها ابلغ في تبيان هذا التأثير ، واصدق في تصوير عقلية الجاحظ في كتبه وانتقاله من موضع الى آخر دون رابطة ، مع استهزائه بالامور مهما كانت عظيمة معتبرة ، نوردها كقياس لقيمة الجاحظ في الابحاث الكلامية الاسلامية . قال ابن قتيبة :

الجاحظ احسن المتكلمين « للحجة استثارة ، واشدّهم تلطفاً لتعظيم الصغير حتى يعظم ، وتصغير العظيم حتى يصغر . ويبلغ به الاقتدار الى ان يعمل الشيء ونقيضه ، ويحتج بفضل السودان على البيضان . وتجده يحتج مرة للعثمانيّة على الرافضة ، ومرة للزيديّة على العثمانية واهل السنة ، ومرة يفضل علياً (رضه) ومرة يؤخره . ويقول : «قال رسول الله (صلعم) . . . » ويُتبعه : «قال الجاز . . . » وقال اسماعيل ابن غزوان . . . كذا وكذا من الفواحش . ويُجلّ رسول الله (صلعم) عن ان يذكر في كتاب ذُكرا فيه ، فكيف في ورقة او بعد سطر او سطرين . ويعمل كتاباً يذكر فيه حجج النصارى على المسلمين ، فاذا صار الى الردّ عليهم تجوّز في الحجة كأنه انما اراد تنبيههم على ما لا يعرفون ، وتشكيك الضعفة من المسلمين . وتجده يقصد في كتبه للمضاحك والعبث ، يريد بذلك استمالة الاحداث وشرّاب النبيذ . ويستهزئ من الحديث استهزاء لا يخفى على أهل العلم : كذكره كبد الحوت ، وقرن الشيطان ، وذكر الحجر الاسود وانه كان ابيض فسوّده المشركون وقد كان يجب ان يبيّضه المسلمون حين أسلموا . ويذكر اشياء من احاديث اهل الكتاب في تنادم الديك والغراب ، ودفن الهدهد امه في رأسه ، وتسبيح الضفدع ، وطوق الحمامة ، واشباه هذا . . . وهو مع هذا من اكذب الأمة واوضعهم لحديث ، وانصرهم لباطل .

ومن علم، رحمك الله، ان كلامه من عمله، أقلّ الا فيما ينفعه؛ ومن أيقن انه مسؤول عما ألّف وعما كتب لم يعمل الشيء وضدّه، ولم يستفرغ مجهوده في تثبيت الباطل عنده. وانشدني الرياشي

ولا تكتب بخطك غير شيء يسرّك في القيامة ان تراه. » (١

في الاجتماع والاخلاق

لم يدرس الجاحظ الفلسفة رغبةً في المناقشات المنطقية العقيمة، ولم يصطنع علم الكلام توصّلاً الى فرض النظريّات في منشأ العوالم، وعلاقات الخلائق بالخالق. ولكنه كان فضولياً، والفضولية في العلم شرط اساسي، فأحبّ ان يطّلع على آراء المفكرين، فاطّلع عليها وعرضها على ما نعرفه فيه من حبّ المحادثات الطويلة، وخلط الجدّ بالهزل. فاتجهت افكاره الى درس المذاهب الدينية والفلسفية فدرسها، وتوسّع فيها حتى انتج منها لنفسه مذهباً خاصاً كما رأينا.

وكان من حكم الطبع ان يتدرّج من ذاك المذهب النظري الى تطبيق آرائه على المجتمع، واجلى مظهر فيه الامامة. فكان الجاحظ في هذا المبحث ايضاً هو في المباحث السابقة. اي يدرس كل شيء، ويفهم مزاعم الاحزاب المختلفة فيبسطها بكل صراحة، منتصراً تارة للعثمانية مثلاً، وطوراً لاعدائهم، حيناً يقرّ إمامة بني امية وحيناً يفضّل عليهم بني العباس. كذلك كان موقفه في المناظرات بين النصارى، والمسلمين واليهود كما اوردناه قبيل هذا. وهو في كل ذلك لا يظهر اعتقاده الخاصّ بل يكتب « تماجناً وتطرّباً » (٢

على انه كان يرى في تلك المدنية الزاهرة فضلاً لغير العرب ايضاً، ولم يكن ليبخس الموالي حقّهم، ولهذا انتقده البغدادي(٣. وكان للجاحظ الفضل السابق في قدر الاتراك حقّ قدرهم في العصر العبّاسي الاول. وما رسالته في فضائل الترك الّا استحساناً لفكرة ادخالهم في الامامة الإسلامية، ونبوّة تحقّقت عن مصير ذاك

١) ابن قتيبة: تأويل مختلف الحديث، ص: ٧١ — ٧٢

٢) المسعودي: مروج الذهب، الجزء ٦، ص: ٥٦

٣) البغدادي: الفرق بين الفرق: ص: ١٦٣

العنصر المهم في العصور التالية

هذا ما يخصّ الشعوب . اما اخلاق الافراد فدرسها الجاحظ درساً دقيقاً، وكان له من فكاهته معاون على تصويرها فصوّرها بنقائصها، وتهكّم فابدع في ذلك. ولعلّه كان اوّل كاتب عربي انتقد طبقات المجتمع، والجماعات من الناس، فادخل في آدابنا ذلك الفنّ الشائق بمرارته واذعه، المفيد بما يدفع اليه من الإصلاح، المعروف بدرس الاخلاق. فاظهر حيل التجار في «غش الصناعات»، وخزعبلات المتسوّلين في «حيل المكدين»، وسخافات الشبان المتخنثين، واخلاق المغنّين والعبيد والموالي من ذكور واناث، في كتب «الفتيان»، و «الجواري والغلمان»، و «المغنّين»، و «القيان». ولم تفته اخلاق النساء وحياتهنّ فخصّ بهنّ كتاباً . على ان افضل روائعه في هذا النوع، «كتاب البخلاء» الذي خلّد صفارة تلك الفئة من اهل البصرة، مدى الاجيال؛ وما ارشق قلم الجاحظ في تمزيق الستار عن تكالب اولئك «المتصدين»

في العلوم : كتاب الحيوان

ان رغبة الجاحظ في الاحاطة بالمعلومات جميعها، وعقليته الشاملة التي اكسبته بجدارة صفة اصحاب الموسوعات، دفعتاه الى الكتابة في كل المعارف البشرية . فخاض شتى الابحر ولم يتراجع امام موضوع سواء اتقنه او لم يتقنه. وكان كلما ازداد سعة نقص تعمقاً حتى عرّض نفسه لنقد الاختصاصيين. ومنهم المسعودي الذي كثيراً ما استفاد من الجاحظ؛ ومع ذلك فانه لم يتمالك من نقد معلوماته الجغرافية، وهو علم لم يتقنه كاتبنا، لانه «لم يسلك البحار، ولا اكثر الاسفار، ولا تقرّا المسالك والامصار» (١ فوقع في مغالط عديدة . وكان من افكهها، وهي حقيقة بالجاحظ وبعقليته، انه قرّر ان نهر مهران السند (اي الهندوس) مصدره نيل مصر، واستدلّ على ذلك بوجود التماسيح فيه ... الى غير ذلك من التحقيقات السطحية التي اشتهر بها الجاحظ

على انه، وان قصّر في وصف البلاد الجغرافي، لم يقصّر في وصف المدن

١) المسعودي : مروج الذهب – الجزء الاول – ص: ٢٠٦ – ٢٠٧

الكبيرة ، واهلها ، وطريقة معيشتهم ؛ ككلامه ، في كتاب البلدان ، عن مكة ، والمدينة ، ومصر ، والكوفة ، والبصرة ، ودمشق وغيرها

وقد ألحق بذلك مباحث في الفرق بين الشعوب المختلفة ، لا من حيث الاخلاق فحسب كما ذكرناه ، بل ايضاً من حيث النشأة الطبيعية والفوارق الظاهرة ، فألّف في « السودان والحُمران » و « الصرحاء والهجناء » و « الرجال والنساء » وفي اي موضع يفلنَ ويفضلنَ وفي اي موضع يكنَّ المغلوبات والمفضولات ... وكان من متممات الجغرافية البشرية ان يبحث في معتقدات البشر ، فذكر الاديان وتشعباتها ، والهياكل وما يُعبد فيها من الآلهة المختلفة على شكل الاوثان والاصنام والدُمى في شرح طويل .

وتجاوز درس الارض ، من حيث الجغرافية الطبيعية والبشرية ، الى درس المحصولات ، من حيث الجغرافية الاقتصادية ؛ فكتب في المعادن العديدة ، وجواهر الارض واصباغها ، والكيمياء وما اليها . ثم ارتقى الى النبات فتكلّم عن النخل والزيتون والاعناب ومختلف الزرع . وكان من الطبيعي ان يصل الى الحيوان ، فذكره وخصَّ به ذاك الكتاب الكبير الطريف . ولما كان اوّل كتاب من نوعه في الآداب العربية ، وقلّ من درسه واكترث له ، على ان مريدي سائر كتب الجاحظ كثيرون ، رأينا ان نخصّه بدرس مفصل فنستفيد منه الشيء الكثير عن مبلغ العلم في عصر الجاحظ ، وعن عقليّة الكاتب ، وطريقته في التأليف :

كتاب الحيوان

ماهيته — طبعه

كتاب الحيوان مجموعة كبيرة انشأها الجاحظ في سبعة مجلّدات واهداها الى محمد بن الزيّات . وغايته جمع ما تفرّق في الكتب ، وما انتشر على الألسنة من الاقوال والأحكام والامثال والاشعار عن الحيوانات وعلاقاتها مع الانسان . وقد طُبع الكتاب كله في سبعة اجزاء تبلغ ١٠٨٩ صفحة كبيرة ، في مصر سنة ١٣٢٣—١٣٢٥هـ . (١٩٠٥—١٩٠٧) على نفقة الحاج محمد الساسي المغربي ، ووقف على تصحيح الجزءين الاخيرين محمد بدر الدين النعساني الحلبي . على ان في هذه

الطبعة من التصحيف ، والتحريف ، والإسقاط ، وعدم اقامة وزن الابيات ، والاغلاط المطبعية ، وإبدال الاسطر، ما يقف في سبيل الدارسين عقبة كؤودًا يزيدها صعوبةً أنَّ الجاحظ لا يأبه للترتيب والتقسيم، ولا يتكلّف، كما في سائر مؤلفاته، كتابة عناوين للابحاث والفصول ؛ اللهمَّ بعض العناوين العامّة للابواب الشاملة . وهذه ايضاً لا يراها المطالع الا في اول الكلام ، وكثيراً ما لا تنطبق على الباب برمّته . وقد اخذنا منه بعض المنتخبات فنشرناها في الروائع (الاجزاء: ١٨ و١٩ و٢٠) ولكي لا نحرم القارئ الكريم الاطّلاع على محتويات سائر الاجزاء نلخّص ادناه المجلّدات السبعة ، بعد ان نذكر مصادر الكتاب ، راجين ان يقوم من يعيد النظر في هذا المؤلف ويعرضه على النسخ الخطية ، ثم يطبعه طبعة جديدة علمية نقديّة فيؤدي خدمة عظيمة للجاحظ وللآداب العربية

مصادره

كثيراً ما يذكر الجاحظ في كتابه ارسطو ، ويستند الى اقواله في الحيوانات حتى اتّهمه بعض اعدائه بالنقل ، فقال البغدادي : « وقد سلخ فيه معاني كتاب الحيوان لارسطاطاليس. » (١ على ان من يدرس الكتاب حقّ الدرس يعجب اذ يرى ضعف التأثير اليوناني فيه، ولاسيما تأثير ارسطو، ويتحقق ان كثيراً من تلك المنسوبات لارسطو هي مرويات إمّا ان يكون رآها الجاحظ في كتب منحولة للفيلسوف الكبير، واما ان يكون ألّفها من عنده ونسبها الى غيره ، ليجعل لها قيمة القِدَم وقيمة الاجنبيّة ، جرياً على ما هو معروف من عادته في ذلك

وهناك مصادر عديدة للكتاب اخصّها ما وُرد في القرآن والحديث عن الحيوانات التي يذكرها، وما جمعه الادباء والرواة قبله من حكم العرب وأشعارها في منافع الحيوان وصلته بالانسان . ويجب ألّا ننسى ملاحظات الجاحظ الخاصة وآراءه الشخصية ، وهي تؤلّف قسماً لا يُستهان به من حيث الدقة في الفراسة ، والإصابة في الأحكام

اقسامه

من العبث ان يحاول المطالع ايجاد تقسيم مرتّب ، معقول ، لكتاب الحيوان .

١) راجع الروائع : الجزء ١٨ ، ص: ك .

وهو أمر لا نستغربه بعد ان عرفنا عقليـة الجاحظ . اما من حيث الظاهر فيبدو الكتاب مقسماً كما يلي :

الجزء الاول

فيه ١٩٦ صفحة ، يبدأها الكاتب بمقدمة طويلة ، يرد في اولها على من انتقد كتبه السابقة . وهي ذات قيمة لانها تطلعنا على القسم الكبير من مؤلفات الجاحظ قبل كتاب الحيوان . ثم ينتقل الى ذكر منفعة الكتب على الجملة . فيأتي بتلك المعلومات الزاخرة والآراء القيمة في الخط والشعر والآثار(١ . ثم يعرض ملحوظات عامة عن الانسان والحيوان ، ويبدأ القسم الاكبر من كتابه اي المناظرة بين الديك والكلب

الجزء الثاني

فيه ١٣٥ صفحة ، يخصها المؤلف بمتابعة تلك المناظرة ، ويخللها باحاديث وحكايات وحوادث غريبة عجيبة عن كثير من الحيوانات والطيور

الجزء الثالث

فيه ١٦٨ صفحة، نحو التسعين منها مخصصة لذكر الحمام يتخللها وصف من يشتهر بصدق الظن والمديح بالجمال ، والغضب والجنون ، والفطن والفهم ، وخصال الحرم. ثم يفرد الكاتب باباً للذبان(٢ ، وباباً للغربان ثم للجعلان ، والخنافس ، والهدهد ، والرخم ، والخفاش

الجزء الرابع

فيه ١٥٦ صفحة ، يبحث في اكثرها عن الذر(٢ والقرد ، والخنزير ، والحيات(٣ والظليم . ثم يبدأ البحث في « النيران وانواعها عند العرب والعجم وفي الديانات وغيرها . »

الجزء الخامس

فيه ١٧٥ صفحة . يتابع في اوله الكلام عن النيران ثم ينتقل الى شرح الآية

١) نشرنا منتخبات وافية من هذا الباب في الروائع (الجزء : ١٨)
٢) يرى المطالع منتخبات من باب الذبان والذر في الروائع (الجزء : ٢٠)
٣) يرى المطالع منتخبات من باب الحيات في الروائع (الجزء : ١٩)

في « الذين يأكلون اموال اليتامى ظلماً » . ثم يذكر الالوان واختلافها ، والماء ومفعوله ، ثم يعود الى النيران . وبعد ذلك يفرد باباً لمدح « النصارى ، واليهود ، والمجوس ، والأنذال ، وصغار الناس » ولذمّ الأماني . وكأنه يشعر انه لم يذكر شيئاً عن «الحيوان» فيعوّض عن سكوته ويخصّص ما بقي للكلام عن اجناس الطير التي تألف دور الناس ، وعن الفار ، والجرذان ، والسنانير ، والعقارب ويستطرد الى ذكر « فضيلة السنور على جميع اصناف الحيوان ما خلا الانسان . » ثم يذكر الحيوانات الآتية : القمل ، الصؤاب ، البقّ والجرجس وما شاكل ، العنكبوت ، النحل ، القراد ، الحبارى ، الضأن والمعز ، الضفادع . وبعد ان يحدّد الفرق بين الانسان والبهيمة ، والانسان والسبع ، يكتب فصلاً في القطا . ويختم بذكر نوادر وأشعار واحاديث

الجزء السادس

فيه ١٧٥ صفحة . يلخّص في اوله كلّ ما ورد في الاجزاء السابقة . ثم يتكلّم عن الضبّ وصفاته ، ويبدأ بتفسير قصيدة البهراني في الحيوانات ، وقصيدة بشر بن المعمر في الموضوع نفسه تفسيراً يجاوز الثمانين صفحة يذكر في خلاله من ادّعى من الشعراء انهم رأوا الغيلان وسمعوا عزيف الجن . وبعد ان يبحث قليلاً في الارانب ، يورد اشعاراً كثيرة في السباع والوحش والحشرات ، وينتقل الى ذكر الثأر عند العرب ، والجن ، ووهل الجبان ، ثم يتكلم عن الوَرَل والفهد . ويختم بنوادر واشعار واحاديث

الجزء السابع

هو اصغر الاجزاء وفيه ٨٤ صفحة . يبدأها بإحصاء اجناس الحيوان ، وبالامثال الواردة في ذلك . ثم يؤيد نظريته العامّة وهي « ما يستدلّ به في شأن الحيوان على حسن وضع الله واحكامه وتدابيره . » وينهي بذكر ذوات الظلف ، والزرافة

غرضه – قيمته

على المطالع ان يستنتج من هذه الاخلاط ايّ عبث كان يدفع الجاحظ الى الانتقال من موضوع الى آخر ، ومن حكم الى شعر ، ومن آية قرآنية الى نادرة مضحكة .

ويقرن هذا الى مفاعيل تلك الذاكرة الغريبة ، وتلك التنشئة الادبية المتينة ، وذاك الاسلوب الانشائي الشائق ، فيعلم مبلغ الكتاب من اللذّة والفائدة . من اللذّة اولاً لان الجاحظ لم يكتب قط ليفيد بل ليسلّي . واذا كان ثمّ فائدة فانها تأتي عن طريق اللذة ، وأكاد اقول عن غير قصد من المؤلف

على ان ذاك العبث بالتأليف ، والاختلاط في الافكار ، لم يكن ليمنع الجاحظ من غاية يسير اليها ، وغرض يرمي اليه في كتاب الحيوان خاصّةً . ونحن اذا ما تدبّرنا بالروية اكثر فصوله ، رأينا اجتهاداً متواصلاً في تبيان قدرة الخالق عزّ وجلّ ، وفي البرهان على ان الحيوانات الضخمة لا تفوق الحشرات الصغيرة في الدلالة على حسن صنع مسيّر هذا الفلك واحكامه وتدابيره . فهو ينال من هذا القبيل شيئاً لا يُستهان به من الفلسفة الكلامية ، وشرح عجائب المخلوقات . وفضلاً عن ذلك فان المطالع يرى في تضاعيف هذه المجلدات مبادئ اولية بسيطة دون شك ، ولكنها حقيقية ، لكثير من النظريات العصرية عن ترقي الحيوانات ، وتبليدها اي قبولها لمناخ الاقليم الموجودة فيه ، ودرس اخلاقها وعلاقاتها مع البشر خاصةً . بيد ان حبّ الحقيقة يوقفنا هنا ، ويمنعنا عن التهوّر والاندفاع الى القول ان الجاحظ كان من سلفاء علماء الحيوان المشهورين في القرن التاسع عشر ، كما اراد بعض المتحمسين ان يصفوه ، فنسبوا اليه ما هو براء منه ، وحطّوا من معارفهم في العلم والادب

الكاتب

ان كان المراد بالكاتب من اذا شاء طرق موضوع ، فكّر فيه طويلاً فاختطّ لنفسه غايةً واضحة ، ورسم تقسيماً جليّاً متسلسلاً ، ثم سار عليه مرتقياً من فكر الى آخر ، ومنتقلاً من مقدّمة الى نتيجة ، لا يحيد عن التقسيم ، ولا يتعدّى الغاية ؟ فقد خسر الجاحظ دعواه واضاع لقب « الكاتب » . وان كان المراد بالكاتب المُنشئ المتضلع من اللغة ، العارف بمواقع مفرداتها ، الحافظ تراكيبها المدرسية ، مَن اذا رغب في التعبير عن فكر عادي ، اخذ يرصف الالفاظ فيحذف ، ويقدّم ، ويؤخّر ، وينمّق ، حتى يضحّي المعنى في سبيل اللفظ فيُبرز جملةً متينة السبك ، موجزة الكلام ، موسيقية الوقع ، وان جافّة فارغة ، فقد خسر الجاحظ دعواه

ثانيةً وكان ابعد من ذي قبل عن صفة « الكاتب »

اما اذا اردنا بالكاتب ذاك المؤلف الذي يجبرك على مطالعته ، ويجذبك الى مجالسته، والاصغاء اليه، ولو حدثك عن اتفه الامور وابسط المواضيع ، فليهنأ الجاحظ بلقبه وليتبوأ عرش الآداب في مقدمة كتاب العربية

لا عبرة بكل ما في انشاء الجاحظ من مراجعات معاني ، وترديد ألفاظ ، وخلط في الاقسام ، وخروج عن الموضوع ، ما دمنا حدّدنا المراد بالكتابة ، اذا ما تكلّمنا عن الجاحظ . ولا عبرة ايضاً بما في تعابيره من الجدّة والخروج عن الاساليب الموجزة المتينة . وهو لو بقي متّبعاً اياها لما وصلت الجملة العربية الى تلك السهولة والمرونة واحتواء المعاني الدقيقة التي اوصلها اليها الجاحظ

هذا فضلاً عن الفكاهة الفطرية التي اشرنا اليها غير مرّة في هذا البحث ، والتي وسمت كل انشاء الجاحظ بتلك السمة الخاصة فرفعته عن الانشاء المدرسي المعروف في جملة ابن المقفع وسهل بن هارون ، دون ان تحطّه عنهما من حيث البلاغة ودقّة التعبير

واي شيء ادلّ على روحه الخفيفة وظرفه الجذّاب من تلك الانتقالات السريعة من الجدّ الى الهزل ، او بالعكس ؛ والاستنتاجات غير المنتظرة في موضع يعدّه المطالع مهماً فيعرضه له الكاتب قابلاً لكثير من الدعابة والعبث . فهو بينا يظهر محدّداً تحديداً علمياً ما يُعتبر طيراً وما ليس بطير فيقول : «وليس كل ما طار بجناحين فهو من الطير . قد يطير الجعلان ، والذباب ، والزنابير . . . وغير ذلك ولا يسمّى بالطير . . . » ، اذا به لا يتمالك من ايراد النكتة فيردف : « وجعفر بن ابي طالب ذو جناحين يطير بهما في الجنّة حيث شاء ، وليس جعفر من الطير . . . » ثم يعود الى الرزانة العلمية فيتابع : « واسم طائر يقع على ثلاثة اشياء : صورة ، وطبيعة ، وجناح» . ولا يكاد يذكر السنور وشبهه بالاسد ، حتى يجتهد في شرح اصل هذه المشابهة ، فلا يخطر على باله الا خرافة مضحكة ، لا يتردّد دقيقة في ذكرها واسنادها الى المفسّرين ، فيقول : « زعم بعض المفسّرين واصحاب الاخبار ان اهل سفينة نوح كانوا تأذّوا بالفار . فعطس الاسد عطسةً فرمى من منخريه بزوج سنانير ؛ فلذلك السنور اشبه شيء بالاسد . وسلح الفيل زوج خنازير ، فلذلك الخنزير أشبه شيء

بالفيل .» ولا يكتفي بهذا حتى يشرح تلك الحادثة عن لسان كيسان ، ومن المعلوم المشهور مجون كيسان ودعابته ،فيُردف : « قال كيسان : فينبغي ان يكون ذلك السنور آدم السنانير وتلك السنورة حوّاءها . » الى آخر ذلك من النكت وهي وافرة لا تخلو منها صفحة من كتبه جميعها

وقد يرافقه هذا الروح الهزلي في تصوير الاخلاق فيسمو به الى الابداع كما في كتاب « البخلاء » ؛ واني لواثق انه لو عرف العرب فن التمثيل في ذاك العصر ، لما كان الجاحظ في «بخلائه » ، اقلّ دهاء في اختيار المشاهد ، ودقّة في التصوير ، وفكاهة في التعبير من موليير في « بخيله »

واذا اضفنا الى ذلك تعقّل كاتبنا ورزانته عند اللزوم ، وقريحته السيّالة ، وتقاطر الالفاظ الموافقة ، عفواً ، من شقّ قلمه ، مع التوازن في الجملة الذي اكتسبه من استاذه في الانشاء الادبي ابن المقفع ، ادركنا سرّ ذاك النفوذ الذي ناله ، وعمق ذاك التأثير البعيد الذي احدثه في الاسلوب العربي مدة طويلة . على اننا نأسف جدّ الاسف ان يكون ادباء القرن التاسع عشر نسوا او كادوا مركز الجاحظ في الآداب ، وقدّموا عليه كثيراً من الكتّاب غير المستحقّين . ولعلّ عذرهم في ذاك ان كتب اديبنا لم تكن مطبوعة معروفة . اما اليوم وقد طُبع الشيء الكافي منها،فقد آن للجاحظ ان يسترجع مكانته العالية ، وان يُعدّ بحق إمام الانشاء العربي

هكذا يجب ان نقدر الجاحظ ! وهكذا قدره كبار الادباء في العصور العبّاسية كما يظهر في حكم ابن العميد الصائب الذي صدّرنا به هذا الدرس والذي نحن به خاتمونه :

قال ابو القاسم السيرافي : حضرنا مجلس الاستاذ ابي الفضل بن العميد الوزير . فجرى ذكر الجاحظ فغضّ منه بعض الحاضرين وازرى به ، وسكت الوزير عنه . فلما خرج الرجل قلت له : «سكتّ ايها الاستاذ عن هذا الرجل في قوله ، مع عادتك في الردّ على امثاله . » فقال : « لم اجد في مقابلته ابلغ من تركه على جهله . ولو واقفته وبيّنت له ، لنظر في كتبه وصار بذلك انساناً ، يا ابا القاسم ، فكتب الجاحظ تعلّم العقل اولاً والادب ثانياً . ولم استصلحه لذلك » (١

(١) ابن خلكان : وفيات الاعيان ج : ١ ص : ٤٩١ - وياقوت : ارشاد الاريب ج : ٦ ص : ٧٤

انتقاد على الناقدين

بقلم حضرة القس عبد المسيح زهر

اتانا من حضرة القس عبد المسيح زهر مقال مستفيض جال فيه حول ديدن بعض علماء اللغة وادعيائها في انتقاد الكتاب والشعراء انتقاداً مجحفاً بحق الانشاء ، مضيقاً على اللغة اساليب الانشاء ، وقد ضمنه كثيراً من الملاحظات القيمة والافادات النفيسة . على انه لما كان المشرق قد سبق وذكر الكثير من هذه الامور رأينا ان نقتصر من مقال حضرة الكاتب على الملاحظات التالية :

المعاجم ناقصة

ان الاوضاع سبقت ولا ريب المعاجم . على اننا نجد كلاماً كثيراً مستعملاً في كلام العرب واشعارهم ، ولا نجد له اثراً في المعاجم التي تتداولها الايدي . وهذه هي مزلة قدم لاكثر الناقدين ، فانهم متى ارادوا الانتقاد ، كلفوا انفسهم التفتيش عن الكلمة التي يرتابون في وجودها ، وعربيتها ، في كتب اللغة ومعاجمها ، بدلاً من التنقيب عنها في كتب العرب ودواوين اشعارهم . واذا رأوها خالية عنها ، جازفوا في الحكم ، وقطعوا بانها لم ترد في كلام العرب ، ولم يستعملها الاولون . والامثال في ذلك كثيرة نقتصر على بعضها

من ذلك « الجمعة » بمعنى الاسبوع لم ترد بهذا المعنى في اكثر المعاجم ، وقد استعملها صاحب الاغاني اذ قال : « سألت الرشيد ان يهب لي يوماً في الجمعة لا يبعث فيه اليّ بوجه ، ولا سبب ، لاخلو فيه باخواني ، فاذن لي في يوم السبت . »

وهذه « اجواء » ، جمع جو ، ناقصة . وقد وردت في كلام الامام علي : « ثم انشأ سبحانه فتق الاجواء ، وشق الارجاء ، وسكانك الهواء . » والجو معنى آخر لم يرد في كتب اللغة ، وقد جاء في كلام كعب بن زهير ، واراد به البر الواسع :

« منه تظل سباع الجو ضامرة ولا تغني براديه الاراجيل . »

وقال ابن خلدون : « فتشعبت في ارض الفضاء فصائلهم ، وتعدد في جو

القفر افخاذهم وعثانينهم . »

وكذلك « فصيلة » جمعها فصائل بمعنى الاقبال ، والفصائل . قال عنترة :

« يا هبلَ ان سفكوا دمي فقصائلي في كل يوم ذكرهنَّ جديدُ . »

و«تناسبوا الى احسابهم» — اي انتسبوا اليها . قال الاخطل :

« ولقد تناسبتم الى احسابكم وجدتمُ حكماً من السلطانِ . »

و«قرَب» — بمعنى قصد الماء . قال الاخطل :

« اذا ما مصابيف القطا قربت به من الغيظ اذاها السرى وهي لقبُ . »

و«البرادة » — على وزن كتابة بمعنى الارسال مع البريد . قال الفرزدق :

« كتبتُ وعجَّلتُ البرادة انني اذا حاجة حاولتُ عجَّت ركابها . »

« ولي بلاد العرب عند اميرها حوائج جمَّات وعندي ثوابها . »

و«تكنفت الشمس » — قال ابن مقرّب :

« ترى الارض حالت دونه فتكنفت لمرآه اقتار الدجى والملاعب . »

واذا قلنا ان المعاجم ناقصة ، فنريد التي تتداولها الايدي . واملّ المطوّلة لا تخلو من بعض ما ذكرنا .

اغلاط مصلحي الاغلاط

وقد وقع لنا فوائد جمّة جمعناها ، واثبتناها ، واحببنا ان ننشرها خدمة لآداب اللغة :

«ائتمر بامره» — زعم بعضهم ان «ائتمر» بهذا المعنى من باب الغلط ، اذ يقال : ائتمروا بزيد اي امر بعضهم بعضاً بقتله . ولكن المصلح غلط في قوله اذ ان صاحب النجعة قال : « ائتمر بما امرته » وقال الامام عليّ : « يامرون بالقسط ويأتمرون به ، وينهون عن المنكر ، ويتناهون عنه . »

«آنس» — جاء في الضياء : [١ : ٤٨٢] « يؤانس مضارع آنس غلط ؛ والصواب آنس يؤنس ايناساً من فلان ميلاً اليه ، شعر منه بميل ؛ لان الفعل على وزن افعل لا على وزن فاعل . » ولكن الاصح ان « آنس » يكون على وزن افعل وفاعل ، وقد جاء على وزن فاعل في الاغاني : « فما زال يحدثنا ، ويؤانسنا ، طول طريقنا . » وجاء كذلك في رسالة « ايها الولد » للغزالي : « فتفكرت وقلت : افضل محبوب المرء ، ما يدخل في قبره ، ويؤانسه فيه ،

فما وجدت غير الاعمال الصالحة ؛ فاخذتها محبوباً لي ، لتكون سراجاً لي في قبري ، وتؤانسني فيه ، ولا تتركني فريداً . »

«باقة» — قالوا لا يجوز القول: باقة زهر ، بل طاقة زهر . على ان الباقة معناها حزمة البقل ؛ وقد استعملها بديع الزمان الهمذاني اذ قال : « يا ابن المشؤمة ، ذهبت بقناطير ، وجئت باساطير ، لا يبيع بها ذو عقل ، باقة بقل . » فاذا كان يصح القول : باقة بقل ، فلمَ لا يقال : باقة زهر ؟ ولمَ التعنت والتحكم ؟ .

«جرود لبنان» — يقال: مكان جَرْد ، اي لا نبات فيه . وجمعه جرود . فلمَ لا يجوز استعماله ؟ ولمَ نغلط اذا قلنا : جرود لبنان ، بدلاً من صرود لبنان .

«خونة» — ان فاعل السالم يجمع على فَعَلة ، نحو ظالم ظَلَمة ، وعابد عَبَدة ، وكامل كَمَلة ، وساحر سحرة . قال ابن مالك « وشاع نحو كامل وكَمَلة . » ولكن هل يجمع الاجوف على وزن فَعَلة ؟ لسنا نعلم . غير ان اليازجي استعمل « خوَنة » في نجعته . وجاء في اقرب الموارد جمع خائك حاكة وحوكة . فاذا كان منقولاً عن ثقة صح جمع خائن خوَنة . والا فلا .

«ادمن» — هل يتعدى مباشرة ، ام بالحرف ؟ الاول اشهر . ولكنه قد ورد في الاغاني متعدياً بالحرف : « فجعل يذكر الوليد بن يزيد ، وتهتكه ، وادمانه على الشراب ، ويذكر ذلك في مجلسه ، ويقوم ويقعد به . » فهل هذا من غلط النساخين ، ام من باب تعدية الفعل بحرف مرادفه ؟ .

«ترامى الينا» — قال الشيخ ابراهيم اليازجي في نجعته : « ترامى اليّ » وانكره بعضهم . فمن هو صاحب الحق يا ترى ؟ .

« ريح ، ارياح » — ريح جمعها رياح . ولكن « ارياح » هل هو صحيح ام غلط ؟ . لا ريب في ان رياح وارواح هما الجمعان المشهوران . ومع ان ارواح جمع روح فهو ايضاً جمع ريح باعتبار الاصل وقد جاء في كلام الشعراء قال عنترة :

« وكما الربيع ربوعها انواره لأ ستنها الناديات عهودها »
« وسرى بها نشر النسيم فعطرت نفحات ارواح الشمال صعيدها . »

وقال زهير ابن ابي سلمى المزني :

«قف بالديار التي لم يعفها القدم بلى وغيّرها الارواح والديم.»

ولكن هل يجوز استعمال ارياح ؟ ربما جاز باعتبار الحال . ان الالفاظ التي على هذا الوزن قليلة جداً . منها : جيز ، وزير ، وعيد ، وقيل ، وليث ، اسم نبات ، ونيم . فجيز ، وقيل ، وليث ، ليس لها في اقرب الموارد جمع . أمّا «زير» فلها جمعان : ازوار ، باعتبار الاصل ، وازيار ، باعتبار الحال . غير ان «عيد» جمعها اعياد ، لا اعواد . فاذا كان العرب ، والفصحاء لم يستعملوا «ارياح» فهل استعمالها يكون من باب الغلط ، او من باب القليل النادر ؟

«زيجة» – ذهب الشيخ ابراهيم اليازجي الى ان استعمال زيجة غلط ، والصواب الزواج . الّا ان هذه الكلمة وردت في الاغاني ، في حكاية «اللصان ابو حردبة وشظاظ» : «فرّ بالقبر الذي انا فيه ، فوقف عليه ، وقال لرفيقه : والله لانزلنّ الى قبر فلان ، حتى انظر هل يحمي الآن زيجة فلانة .» فكانها اسم النوع من زَوَجَ ، اعلّت بقلب الواو ياء فصارت زيجة ، واصلها زوجة .

«اسدى» – يقال اسدى فلان الى فلان معروفاً ، ولا يقال اسدى اليه شكرًا . ولسنا نعلم سبب هذا التحكم . قال نُفيل بن مرة العدي :

«بنيَّ اسمع مني هديتَ ، وصاتيا ولا تكُ عنها مدة الدهر ساهيا اه
«اذا ما امرؤ اسدى اليك امانة فأوفِ بها ، ان مت سيّتَ وافيا .»

وقال ابن سينا في «كتاب السياسة» : فالرفيق المتثبّت لا حوز عليه فضل ما يسديه نصحك .» فاذا كان يقال : «اسدى اليه معروفاً ، واسدى اليه امانة ، واسداه نصحاً» ، فلمَ لا يقال اسدى اليه شكرًا ؟ بل من وقف على كلام العرب باجمعه ، حتى يعرف هل نطقوا بهذا التعبير ، ام لا ؟ .

«سيّد» – جمعه سادات وسادة ، وقد جمع المتنبي الجمعين في قوله :

«سادات كل اناس من نفوسهم وسادة المسلمين الاعبد القزم .»

ولكن هل يجمع اسياد ؟ قال الشيخ ابراهيم اليازجي : «اسياد من لفظ العامة» الّا اننا عثرنا على هذا الجمع في قول النمر بن تولب :

«ابقى الحوادث والايام من نمر اسياد سيف كريم اثره بادي .»

«تطوّر» – اغلب كتابنا يستعملون هذا الفعل . الّا ان بعض الناقدين قال :

« لم يسمع وزن تنفل من هذا الفعل . » ولكن ابن خلدون استعمله قبلنا باجيال اذ قال : « فبلغوا الغاية في ذلك ، وتطوّروا بطور الحضارة والترف في الاحوال . » فان لم يكن من كلام العرب ، فهو من المولّد ؛ والمولّد كثير في اللغة ، ان التشبث بهذه الترّهات لما يؤخر اللغة ويعيق تقدّمها .

«فضاء» — زعم بعضهم ان الفضاء لا يطلق على الجوّ ، فلا يقال : فضاء صافي الاديم . ولكن المنتقد يظهر بهذا القول جهله باللغة . اننا اذا فتشنا عن هذه اللفظة في المعاجم ، وجدنا معنى الفضاء ما اتسع من الارض . الّا ان العرب استعملوها بمعنى الجوّ . قال القزويني : « ان لم يكن في فضاء الافلاك ، وسعة السماوات خلائق ؛ فكيف يليق بحكمة الباري تركها فارغة ، خاوية مع شرف جوهرها . » وقال الامام علي : « ونعقت في اسماعنا دلائله على وحدانيته ، وما ذرأ من مختلف صور الاطيار ، التي اسكنها اخاديد الارض ، وخروق فجاجها ، وراسي اعلامها ، ذات اجنحة مختلفة ، وهيآت متباينة ، مصرّفة في زمام التسخير ، ومرفرفة باجنحتها ، في مخارق الجو المنفسح ، والفضاء المتفرج . »

واستعملها حاتم الطائي بمعنى الفجوة التي بين البيوت :

« وابرز قدري بالفضاء فلامها يرى غير مضنون به ، وكثيرها . »

وقال الغزالي : « يلجئون الى ما يشرحهم من النظر الى السماء ، وسعة الفضاء . »

«مارّة» — قيل : جمع مارّ مرّة لا مارّة . قال ابن خلدون : « ومنع كل من اخاف المارّة ، ومنع الخفارة لاولئك الشطّار . »

«وصل» — يقال : وصل الى المكان ؛ ولكن ابن خلدون يستعمل هذا الفعل متعدياً : « ويودّ لو يحول بينه وبين ما يصله من المعاطب . »

« اوقف نفسه » — قالوا : لا يقال اوقف نفسه على خدمة الاداب ، والعلم ؛ بل وقف نفسه . على ان ابن خلدون يستعمل اوقف لا وقف . قال : « وبعثه الى خزانتهم الموقوفة لطلبة العلم . »

هذا ما رأينا وجوب التنبيه عليه في هذه المقالة ، حرصاً على سلامة اللغة من عبث المتنقدين ، ورغبة في كشف القناع عن وجه الصواب ، والسلام .

مجلة المجلات

بقلم الاب لامنس اليسوعي

حلب في القرن العشرين ق.م. — جبيل قبل القرن العشرين ق.م. — اصل المونوتيلية — البطريرك مكاريوس الانطاكي — المستشرقون وتاريخ الاداب العربية — القرصان في اسلاندة — الاحصائيات الاسلامية في الهند — الابجدية اللاتينية عند الاتراك

نوهنا بهذه الاسطر الى بعض ما رأيناه في المجلات الاوربية متعلقاً بتاريخ الشرق :

حلب في القرن العشرين قبل المسيح

وضع الاب دورم الدومنيكي في مجلة « سورية » Syria(1927, p. 31etc.) مقالاً في اقدم تاريخ معروف لمدينة حلب قال :

انها مدينة عريقة في القدم ولا يختلف في ذلك اثنان . لكن الكتابات الهيروغليفية المنتهي امرها الينا لم تكن ترقى بتاريخ حلب الى ما قبل القرن الخامس عشر قبل المسيح ، حتى هذه الآونة الاخيرة اذ تمكن العلماء من قراءة الكتابات الجثية ، فاستفادوا منها : ان تاريخ حلب يرقى الى ما قبل المسيح بعشرين قرناً فزادوا اذاً على عمرها خمسة قرون .

وكانت حلب آنئذٍ تدعى باسمها الحالي ، وكانت مركزاً لمملكة زاهرة ، وهي على طرف الحدود الشمالية تقي الشعوب السامية غارات الحثيين ، وتحامي عن وادي العاصي وعن سورية الداخلية

جبيل قبل القرن العشرين قبل المسيح

قد يعرف قراؤنا اسم مسيو بيير مونته وقد تهمهم امر اكتشافاته الرائعة في جبيل . فقد بينت ان العلاقات بين مصر وجبيل كانت متصلة العرى منذ القدم . وكانت مصر قد تركت لتلك المدينة حكومتها الوطنية . على ان المسيو مونته اكتشف مؤخراً كتابتين وجيزتين بالهيروغليفية ، اصلهما من جبيل جاء فيها

ان التغيير طرأ على جبيل في ايام الدولة المصرية الثانية عشرة ، اذ ولت مصر على جبيل رجلاً مصرياً ابن مصري ومتزوجاً مصرية ؛ وذلك لاسباب نجهلها . وكلما اعرق النقابون في درس التاريخ القديم وعالجوا قراءة الكتابات الهيروغليفية، ثبتَ لهم ان مدينة جبيل كانت في الالف الثالث قبل المسيح تفوق عمراناً مدينتي صور وصيدا وكان التفوق على ذلك العهد للعناصر السامية في فلسطين وسورية (cf. Syria, p. 217, 231)

اصل المونوثيلية

ان مجلة صدى الشرق (Echos d'Orient) لغزيرة الفوائد بكل ما يتعلق امره بتاريخ الكنائس الشرقية،وقد اخذت تنشر منذ كانون الثاني ١٩٢٨ سلسلة مقالات في تاريخ المونوثيلية

ومعنى المونوثيلية في مباحثها مأخوذ على سعته اي بكونه يشمل التعليم القائل «بوحدة العمل ووحدة الارادة في المسيح» وان هذه المسألة اصلها غامض ولم يتوفق احد بعد الى تعيين تطورات نشأتها الاولى . فاخذ صاحب المقال على عاتقه ان يعالج هذا المشكل ، مبتدئاً بتاريخ القرارات العديدة التي اصدرها هرقل امبراطور بيزنطية في ذلك الموضوع معيناً زمان ظهورها . وسوف يُتاح لنا ان نلخص لقراء المشرق النتائج التي ينتهي اليها المؤلف عند اختتام مباحثه

البطريرك مكاريوس الانطاكي

وقد ظهر في العدد ذاته من المجلة نفسها (ص: ١٨ وبعده) بحث في مكاريوس بطريرك انطاكية الارثوذكسي (١٦٤٧—١٦٧٢) فيه ترجمته مع ذكر مؤلفاته الادبية وعلاقاته مع رومة . وكان مكاريوس متزوجاً ورزق ابناً قبل ترقيه الى الطرانية . وكان سوري الاصل عربي اللغة يجهل اليونانية وما تعلمها الا بعد جلوسه على الكرسي البطريركي ، وفي زمان اقامته في بلاد رومانية اذ كان قاصداً منها الى روسية . هذه افادات بلغتنا عن بولس ابنه ورفيقه في اسفاره وقد وصف رحلته الى روسية . فلم تكن اذن اليونانية على مدى الزمان لغة الملكيين الطقسية في سورية ، وقد سبقنا وبرهنا على قولنا هذا

في المشرق (٣ [١٩٠٠] : ٢٦٧) وكانت مرى الصداقة والمودة تربط مكاريوس بسائر الطوائف والمرسلين الكاثوليك . وجرت مخابرات وتحارير بينه وبين البابا اسكندر السابع ، وبينه وبين ملك فرنسة لويس الرابع عشر . على انه تردد في اعلان انضمامه الى الوحدة الرومانية وابى الا ان يُبقي امر علاقاته مع الباباوية سرياً وظل كذلك حتى وفاته

المستشرقون وتاريخ الاداب العربية

ما اشد اكتراث المستشرقين لآثارنا الادبية ، وما احرصهم على الالمام بسائر ما يؤول امره الى توسعة معارفنا التاريخية . لقد تعرفنا منذ عشرين سنة الى السيد اغناطيوس كراتشكوفسكي المستشرق الروسي ايام اقامته في كليتنا في بيروت . وها هو قد نشر في مجلة العالم الشرقي الاسوجية (Le Monde Oriental Upsala ; 1927 p. 103-313) مقالاً في تاريخ الاداب العربية من العام ١٨٩٥ الى ١٩١٥ اظهر فيه طول الباع والتضلع من العلوم العربية اذ عرض لذكر آداب المهاجرين العربية وانتشارها ومكانتها في الحركة الفكرية ، مع ما يلحق بها من مطابع ومنتديات ، في سان باولو ، وشيكاغو ، ونيويورك ، وريو دي جانيرو حيث تمثل الروايات على مسارح عربية . ولفت الانظار الى امين خير الله احد المهاجرين وهو صاحب ملحمة شعرية موضوعها حريق مدينة سان فرنسيسكو (كليفورنية) وقال ان قوة الابتكار والاجتهاد في معالجة المواضيع الجديدة ، المأخوذة عن آداب اوربة واميركة ، لم تظهر الا في الناشئة الحديثة من المهاجرين الذين تلوا دروسهم في اميركة . ثم خص بالبحث بعض المهاجرين السوريين وهم : امين الريحاني ، وجبران خليل جبران (الشاعر والناثر والمصور) وشكري الجوري صاحب الملح والطرف والمواضيع المأخوذة من الحياة اللبنانية والمسبوكة باللغة العامية الطيبة

وعالج الموضوع ذاته المسيو « ه . جيب » الاستاذ في جامعة لندن في مجلة المعهد الشرقي (Bulletin of the School of oriental Studies.—London vol. IV p.745-760) ، وتوسع في الكلام على تاريخ الاداب العربية العصرية فاعرب عن اسفه لاشتغال المستشرقين عنها في التبحر بدرس الادب القديم ، وقال

ان جلّ ما انتهى اليه جهد العاملين في هذا الصدد هما مجلدا المأسوف عليه كثيراً المرحوم الاب شيخو ، وعنوانها « الآداب العربيـة في القرنين التـاسع عشر والعشرين » وبيّن المسيو جيب ان للنهضة الحديثة مركزين احدهمـا في مصر والثاني في سورية وكلاهما مدينان لاوربة بما نالاه من تأثيراتها وهي كثيرة. وكان لبنان المسيحي اول من مشى في طليعة النهضة الادبية في سورية وذلك بفضـل المدارس الاجنبية

وقد تنازع ارباب النهضة عاملان : عامل الغيرة على القديم ، وعامل الغيرة على الجديد ، فكان دأب المحافظين على القـديم الحرص على تقاليـد السلف واقتفاء امثالهم فيما وضعوه من جيد المؤلفات وفي مقدمتهم اليازجيـان ناصيف (١٨٠٠–١٨٧١) وابراهيم (١٨٤٧–١٩٠٦) فانهما من غير مـا يُقلّدا زمـام الزعامة حالا دون الكتبة السوريين وسلوكهم الاعمى سبيل الافرنج فالجـأهم الّا يقتصروا على التقليد والنسخ واضطرّاهم الى الابتكار. اما المحدثون وممثلهم بطرس البستاني (١٨١٩–١٨٨٣) فقد احرزوا لسورية المكانة الاولى في الاداب العربية في الشطر الثاني من القرن التاسع عشر (وجـه ٧٥٠) وكان السوريون من العملة الغيورين على نشأة الصحافة العربية وانمائها . فانها بفضلهم قطعت في مصر شوطاً بعيداً في سبيل الرقي، وروح الحياة ونسمة الابتكار تفوح من طياتها. وما نقوله في الصحافـة يطلق على المجـلات السورية المحررة في مصر . ومن رجالها من ادهشنا نخصبه في التأليف كجرجي زيدان (١٨٦١–١٩١٤) صاحب الروايات والمؤلفات المتنوعة ومن حذا حذوه ، وظهر محمد عبده (١٨٤٩–١٩٠٥) فقبض على عنان الحركة الادبية في مصر . وبينما كان الحكم الحميدي وتعصب فتيان الاتراك على اللغة العربية يحاولان اطفاء حركة الجنسية في سورية كانت قد نشأت حركة الادب بين المهاجرين ودفعتهم فبرزوا في ميدان التأليف كما ذكرنا سابقاً

القرصان في اسلانده

كان القرصان يخرجون من الجزائر ومن مراكش فيغيرون على جنوبي اوربة البحرية ، ويعودون من غزواتهم بالاسرى من رجال ونساء يبيعونهم رقيقاً ،

وكثيراً ما كان الشقاء واليأس يحمل هؤلاء البائسين على اعتناق الاسلام . وان اخبار القرصان معروفة شائعة لكنه لم يبلغنا حتى اليوم ان القرصان شقوا في حملاتهم عباب البحار حتى وصلوا الى جزيرة ايسلاندة ، وموقعها في اقاصي البحر شمالي اوربة وهي تثوي تحت حجاب كثيف من الثلج سحابة نصف العام.

جاء في رسالة قُرئت في « مجمع بلجيكة الملوكي » ونشرت في مجلة « فئة الادب» (Bulletin de la Classe des Lettres 1926,n°11-12,p.252 etc.) ان بعض القرصان الجزائريين احتلوا اسلاندة سنة ١٦٢٧ وكان اسطولهم مكوناً من اربع سفائن : ثلاث جزائرية وواحدة مراكشية، فسبوا من سبوا وعادوا باربع مئة من الاسرى ذبحوا منهم خمسين وباعوا الباقين عبيداً . واهتمت اسلاندة لامر هؤلاء المساكين فاكتتب الناس بالحسنات وافتدوا منهم زهاء ثلاثين.

الاحصائيات الاسلامية في الهند

اليك ما وقفنا عليه من التعليمات الحالية عن حالة المسلمين في الهند الانكليزية أخذاً عن المجلة «العالم الاسلامي» (The Moslem World;Avril, 1928 p.114 etc.) ، ان اكثر المسلمين فيها سنيون ، وما بينهم ٥٨ مليوناً من مذهب ابي حنيفة ومليون واحد من المذهب الشافعي وتسعة ملايين ونيف حنبليون واسمهم في الهند «اهل الحديث» و٥ ملايين ونيف شيعيون . اما الاسماعيليون فهم الاقل عدداً وينتسبون الى داوديين وسليمانيين والى الخوجه وهؤلاء ينتسبون الى اغا خان كسائر اسماعيلي سورية (في قدموس ومصياف الخ).

وعدد الأميين بين مسلمي الهند يفوق عددهم في سائر الاديان . واليك جدول بعض الاحصاءات :

الهنود المسيحيون	منهم ٣٢	بالمئة	يقرأون	ويكتبون
الهنود الوثنيون	« ١٥	«	«	«
الهنود المسلمون	« ٨	«	«	«

اما المسلمات الهنديات فليس فيهن من تقرأ وتكتب الّا الواحدة بالمئتين.

وكانت في العام ١٩٢٠ المدارس الابتدائية للمسلمين في الهند عدد تلامذتها ١٨٢٥٠٠٠ منهم ٢٨٥٠٠٠ من الاناث فقط ولم يكن لهم سوى ١٤ مدرسة

ثانوية وعدد قليل جداً من الكليات او المعاهد العالية . لكنهم اسسوا جمعيات عدة لنشر الدعوة الاسلامية ،منها «جمعية التبليغ» «والتنظيم» «وخدام الكعبة» الخ . و«الجمعية المحمدية» وهي الانشط بين سائر الجمعيات . وقد اهتم مسلموا الهند بامر الخلافة اهتماماً عظيماً . أما امر تحرير المرأة والحجاب والسفور وتعدد الزوجات فلا يكترثون له كاخوانهم في سائر البلاد .

الابجدية اللاتينية عند الاتراك

في مشرق شباط الماضي ، تحدثنا الى القراء في قضية الابجدية التركية ، والاستعاضة فيها عن الاحرف العربية بالاحرف اللاتينية وذكرنا مؤتمر باكو المنعقد في ربيع ١٩٢٦ وقراره باكثرية الاصوات استعمال الابجدية اللاتينية . وكان ولا بد من اقناع الشعوب التركية بقبولها وقد بلغنا عن مجلة المباحث الاسلامية (La Revue des Etudes islamiques ; 1927, p. 321-353) انهم عهدوا بالامر الى لجنة مهمتها نشر تلك الابجدية في الشعب فوزعوا من ثم كميات وافرة من الاحرف اللاتينية ، يبلغ وزنها الوف الكيلو لطبع الكتب ولآلات الكتابة وكانوا قد اوصوا عليها في اميركة .

وقد رحبت بلاد اذربيجان بالاحرف الجديدة ، وتهافت الناس عليها حتى اصبح من المقرر ان تركها مستحيل وقد اخذ اكثر من ١٢٠٠٠٠ من السكان يتعلمون الكتابة بالاحرف اللاتينية . وصاروا يلقنونها الاحداث في المدارس . وطبعوا بها ٥٣ كتاباً . والموظفون اجمعون ملزومون باستعمال الابجدية الجديدة . وكان التقدم في هذا السبيل بطيئاً في البلاد الخارجة عن اذربيجان وقد حالت دونه مقاومة العلماء . على ان رجال الاصلاح اعتمدوا خاصة على معلمي المدارس لنيل غرضهم ، وفتحوا مكاتب لتلقين المعلمين اسلوب استعمال الابجدية اللاتينية . ومنعوا في اذربيجان المجلات التعليمية والكتب المدرسية عن الصدور الّا بالابجدية اللاتينية منذ سنة ١٩٢٨ . امّا في سائر الجمهوريات التركية الواقعة في آسية الوسطى فالآمال معقودة على ان لا تخلو الاربع او الخمس سنوات الا وتكون بلغت فيها حركة الاصلاح الشأوَ الذي انتهت اليه اليوم في بلاد اذربيجان .

على عهد الامير

لماذا ؟

رواية لبنانية تاريخية

بقلم فؤاد افرام البستاني

وقد يكون من الابناء ضحايا في سبيل آبائهم
من حيث لا يعلمون

الفصل الاول

قصر الشربين

أغصان مشوشة ، متشعبة ، يتراوح لونها بين الخضرة والسواد ، تعصف عليها الرياح الهوج ، فلا تنال منها سوى ثمراتها الكروية الصغيرة ، فتدحرجها ككلل الاطفال على الصخور المنحدرة !

جذوع برشاء ترتفع عمودية ، متقابلة ، ملساء ، تغمرها الثلوج الغزيرة ، وتنتابها فأس الحطّاب الحادة، فلا تظفر منها بسوى القشور الطافية تتطاير وتتناثر !

جذور دكناء ملتفة ، مشتبكة ، تتزاحم تحت الثرى ، طالبة سعة المجال، فتدفع الحصى ، وتفلق الصخور ثابتة على ممر الاجيال !

هي تلك الشجرات القليلة العدد، المهيبة المنظر . . . بقيت في اعالي دير القمر اثرًا خالدًا من غابة الشربين القديمة التي كانت تحرس بظلالها الوارفة قصر الشيخ قعدان ابو غانم.

قصر الشربين ، او قصر بو غانم ، كان بناء مستطيلًا على الطراز الشامي ، بواجهة ضخامتها اوفر من جمالها ، لما رُصف فيها من الحجارة الكبيرة المتلاصقة.

وكان في صدر الواجهة رتاج عظيم تعلوه عتبة منقوشة من المرمر المعرّق ؛ وفوقها صفّ منظم من الحجر المصقول تتخلله بعض حجارة عكار الحمراء الصفرّة. وكان الصفّ يؤلف قاعدةً لمثلث متساوي الأضلاع ، يفتح نافذة لمجرى الهواء ، ويتصل رأسه بجنّة بارزة تمنع قطرات المطر عن الرتاج . وعن الجانبين أسدان أصفران مهيبان ، رفعا ذنبيهما بعجب واختيال الى فوق الرأسين ، ونظرا الى الداخلين بعيون ملؤها الغضب والشراسة . امّا الباب فكان وافر السماكة من خشب السنديان الملبّس برقائق التوتيا ، وقد غرست فيه ، على خطوط أفقية متوازية ، مسامير سوداء ضخمة الرؤوس. وجُعل في المصراع الأيمن باب صغير ، لأن الباب الكبير لم يكن يُفتح الّا في الاحتفالات الرسمية.

وكان الداخل ، يمرّ في دهليز مستطيل ، سقفه من العقد المصالب يستند الى ركائز ضخمة قصيرة متقاربة تمنع دخول النور والهواء الجافّ ، فتحفظ ليلًا ونهارًا ، رطوبةً مزعجةً ، وظلامًا يكاد يكون متساويًا. وعن جانبي الدهليز كان ديوانان من الحجر يجلس عليهما الخدم ومن ينتظر مقابلة الشيخ. واذا ما تجاوز الداخل هذا الممرّ ، كان لا يملك جفونه ان تطرف شديدًا ، لسرعة الانتقال من الظلّ المظلم الى النور المتألق بانعكاس اشعّة الشمس على تلك الدار الفسيحة البيضاء. فكان يفرك عينيه قليلًا ، ثم يحدّق فيرى امامه ، في وسط صحن الدار ، بركة مستديرة ، قريبة القعر ، تتدافع فيها امواه الشلّوط المجرورة في قناة صغيرة من الفخّار . وتجاه البركة قاعة الاستقبال ترتفع عاليةً عن باقي الغرف فتنتهي بقبة بيضوية الشكل تحيقها النوافذ العديدة ، وقد قسمت الى جانبين فسيحين ، وبُني في مؤخرها كشك صغير ، على طراز سراي الامير يوسف.

في هذا الكشك كان يقضي الشيخ قعدان بو غانم باقي ايامه ، فيشرف على قيسارية الحرير من جهة ، وعلى سراي الامير من جهة اخرى ، ويراقب الحوادث الاخيرة ، تارةً يفرح لذكرى ما اتاه من افعال البطش ومظاهر البطولة في ايامه السالفة ، وطورًا يقلق لحراجة موقف الامير بشير تجاه الجزّار وابناء الامير يوسف ، ويتأسف لعجزه عن مساعدة ابن صديقه الامير قاسم . وكيف يمكنه ذلك وقد كلل الشيب هامته ، واثقلت كاهله الثمانون بما جرّت عليه من

متاعب الحروب ومشقاتها ، ومن عظمت الانتصارات وتأثيراتها . فلم تعد رجلاه تحملانه على ظهر الادهم ، ولا يده تقوى على تحريك البندقية ، ولا كتفه على نقل الرمح. فرزح خاضعاً لاحكام الله ، مشغلاً فكره بفهم ملاوي السياسة ، ماداً بآرائه الصائبة حزب الامير الشاب ، مؤملاً ان حفيده غانم يكون افضل خلف له في مساعدة اميره ، فيسعد جده في آخر حياته ، ويوفر له الموت براحة وسكون.

***

كانت اشباه هذه الخواطر تتلاعب بمخيلة الشيخ ، وهو متكئ في كشكه ، مساء الخامس والعشرين من تشرين الاول سنة ١٧٩٣ ، وقد حرج موقف الامير بشير في الجبل ، وتوالت عليه مطاليب الجزار ، واشتدت مضايقة العسكر له . على ان اخبار فوزه على مخالفي ابناء الامير يوسف ، وضبطه ما كانوا خبأوه من الكنوز في سراياتهم وفي الاديرة ، مع تغريم النكدية بخمسين الف غرش ؛ كانت تبعث بوارق الامل في ذاك الجو المدلهم . فيفرح الشيخ قليلاً ، ويلهو بلحيته دقائق ، ثم يمج طويلاً في ماسورته ، فيندفع الدخان متكاثفاً بين شاربيه . ولكنه لا يلبث ان يتلاشى متقطعاً في مهب الهواء ، فيبدو الافق البعيد ، ويرى الشيخ قرص الشمس يبعث آخر دفعة من انواره على قمم الجبال ، ويهبط نقطة حمراء ، في بحر الدامور الاغبر . فتتراكم اذ ذاك الغيوم الدكناء ، ويتقدم الظلام رويداً رويداً سادلاً على البلاد جماء ستر السكون والسكوت . وكأن الشيخ رأى مماثلة بين نهاية ذاك النهار المؤثرة ونهاية حياته الطويلة ، وشعر بعجزه عن نصرة اميره الشاب ؛ فترك حبل الرجاء ، واندفع غائصاً في بحار اليأس لا يفكر في شيء واضح . وظل في جلسته تلك حتى طفئت ماسورته ، واثقل النعاس جفنيه ، فلم يحس بنسيم تشرين التافح ؛ ولم يستفق الا على صوت جهير ملأ صحن الدار صائحاً :

— يا شيخ يو غانم ! ... اين اهل الدار ؟

فهب الشيخ مسرعاً ، وقبل ان يقف اجاب بكل قواه :

— تفضل ! تفضل !

وظهر في الظلّ شبح رجل يميل الى الطول ، يتخطى القاعة بقدم ثابتة ، ووطأة شديدة . وما ان وصل قرب الشيخ حتى وقف قليلاً وضمّ اطراف عباءته ، وقال :

— اسعد الله مساء العم بو غانم !

فوقف الشيخ متمهلاً ، متفرّساً في وجه الزائر . ثم اشار بيده الى الديوان في صدر الكشك ، واجاب :

— ومساءك ... يا معلم نقولا ! تفضّل !

وصفق بيديه صائحاً :

— برباره !

فاتت الخادمة واثارت مسرجةً من الفخار ، غُمست في زيتها عدة فتائل قطنية ، ورُفعت على شمعدان من النحاس المنقوش . ثم اغلقت نوافذ الكشك ، فهدأ اضطراب النور . وظهرت ملامح الزائر فاذا هو شابٌ في سن الثلاثين ، خفيف العارضين ، براق العينين ، حسن الشعر قد كفّه تحت طربوش مغربيّ قصير ، وارتدى ، تحت العباءة القصبيّة ، جبة طويلةً سوداء محقولة ، شدّها في وسطه بزنّار حرير عريض ، وشكّ في الزنار ، لجهة اليسار ، دواة مستطيلة من النحاس الاصفر ، ولجهة اليمين ، خنجرًا معقوفاً كانت تلمع قبضته المرصعة : هو لباس العلماء في ذاك العصر . وما كان الزائر سوى نقولا الترك ، كاتب الامير ، وشاعره الخاص فيما بعد . فطرح العباءة على الديوان ؛ ثم خلع حذاءه والقاه في الزاوية جنب الباب ، ورجع فارتمى قرب الشيخ ارتماء التعب المنهوك .

وما انصرفت الخادمة حتى تحرّك الشيخ في مركزه قليلاً ، ومال بكليته الى الزائر ، وقال بصوتٍ يلهثه الرجاء ، ويقطّعه الخوف من سماع ما يكره :

— الحمد لله على السلامة !

— سلّم الله عمرك ! رحلة متعبة والله

— واين تركت الامير ؟

— تركته في جهات حمّانا . كان قد كمن له المنفيون في خان الكحّالة ، واطلقوا الرصاص غدرًا على مؤخرة العساكر فقتلوا بعضهم . فعاد اليهم الامير

برجاله فبدّدهم بعد ان القى منهم عشرات القتلى . ثم قام من هناك الى البادية فنهبها ، وقتل عدداً كبيراً من اهلها لانها كانت بؤرة الفساد ، ومجمع احزاب اولاد الامير يوسف . وكان فيها من ودائع تجار بيروت ما لا تقل قيمته عن الثلاثة آلاف كيس ، فضمها الامير وفرّق الكثير منها على العساكر . ومن هناك سار الى بحمدون فاخضعها ، وكذلك راس المتن .

— سمعنا هنا ان اهل المتن طلبوا اولاد الامير يوسف ، وان الامير حسيناً قدم الى بعبدات بعسكر جرّار من بلاد جبيل وكسروان والقاطع .

— كل هذا صحيح . ولكن كيف تقاوم رجال الامير حسين عسكر الجزّار وعسكر الأمير البالغ عدده ستة آلاف من اشدّ الابطال . هذا فضلاً عن ان المتنيين لما رأوا بطش اميرنا ، أيّده الله ، خذلوا الامير حسيناً ولم يساعده احد . فلزمه ان يرجع من حيث اتى . وتقدّم الامراء اللمعيّون الى الامير بشير فاعطاهم الأمان .

— اذن كل شيء على طبق المرام !

وانفرجت ملامح الشيخ ، وبدا بريق الأمل في عينيه ، فصفّق بشدة حتى اتى احد الخدام ، فقال :

— اشعلوا الغلايين ، واحضروا القهوة حالاً !

اما المعلم نقولا فلم يغيّر جلسته ، ولم ينبض عرقٌ في وجهه ، بل بقي مظهراً جدّ الاهتمام وتابع :

— ولكن المسألة لا تزال معقدة . ولا يهمّنا الآن الانتصار في الحرب بل الانتصار في السياسة . لانّ المعركة انتقلت من لبنان الى عكاء . . . وشعر الجزّار ان الامير سائر على طريق الظفر فاحبّ ان يستفيد منه . ووافق ذلك ان الشيخ قاسم جنبلاط اعطاك عموه في عكاء .

فقطّب الشيخ بو غانم ، واطرق مفكراً ، ثم تمتم :

— ولا شكّ ان الجزّار سوف يطلب رهينة عرض الشيخ قاسم .

— طلب رهينتين بدل الرهينة . طلب اولاً الشيخ بشير ابن الشيخ قاسم ، ثم شيخاً آخر من وجهاء دير القمر . . . مع ثلاثمائة الف غرش ، يلزم الامير ارسالها

قبل سفر الجزّار الى الحج ، اي قبل كانون. والّا فهو يعزل الامير ، ويخلع على الامراء ابناء الامير يوسف . هذه هي المصائب التي لم تكن في الحسبان. وقد تركت الامير في حمّانا ، واتت قبل ان يعلم بالامر احد ، عساني اتوفّق الى حلّ هذا المشكل.

وكان الخادم قد اشعل ماسورتين فقدّمها . ثم احضر القهوة فتناولاها صامتين. والخادم جامد كالصنم يسمع صوت رشف القهوة ، ويرى كلل الدخان المرتة تتصاعد بين الرشفة والرشفة.

واذ وضع الشيخ الفنجان ، مسح شاربيه ، وتنحنح : ثم مجّ طويلًا في غليونه ، وقال بتمهّل :

— في صندوقي خمسون الف غرش كنت اعددتها لحفيدي غانم ، يتبلّغ بها بعد وفاتي حتى يفتح الله عليه بمصلحة . واني مستعدّ لبذلها في سبيل اميرنا . يبقى مائتان وخمسون .

— لقد غرّم الامير النكديّة بخمسين الف غرش. وقد يكون جمع مما وجد في سرايات الامراء ، ومخبآتهم في الاديرة ، ومن الغنائم نحو المئة الف.

— بقي علينا اذن مائة الف غرش

واطرق مفكرًا عدة ثوانٍ ، ثم رفع رأسه متهلّلًا وقال :

— وجدتُها ! افتح دواتك واكتب كتابًا عن لساني ، الى صديقنا وعزيزنا الامير جهجاه في بعذران ، نعرض عليه المسألة مع توصيته بحفظ السرّ ، ونطلب مساعدته ، فلا يتأخر .

— وهل تظنّ ان عنده هذا المبلغ نقدًا ؟

— كيف لا واملاكه في رأس بعلبك ، وسهل البقاع ، تدرّ عليه مئات الاكياس سنويًا !

— اخاف ان يقع المكتوب بيد عدوّ ، فتُعرف المسألة ، ويتزعزع موقف الامير .

فتوقف الشيخ ، وتذكّر ان الامير جهجاه لا يقرأ ولا يكتب . ولكنه ثبت على عزمه وقال :

ـ انا أرسل المكتوب مع حفيدي غانم، تلميذك ، وهو يقرأه للامير ، ولا خوف من افتضاح السر .

عند ذلك اخرج المعلم نقولا من صدره ربع ورق ، وفتح دواته ، بعد ان سحب من جاروزها قلماً دقيقاً من الغزار . وتناول سكينه فقطّ القلم ، ومسحه بالمبقة . ثم كبسه قليلاً على ظفره وبدأ بالكتابة ، والشيخ يملي عليه :

«من الشيخ قعدان بو غانم الى صديقه صاحب السعادة المير جهجاه حفظه الله

معلوم لدى سعادتكم الحالة الحرجة التي موجود فيها امير البلاد ومولى العباد المير بشير أيده الله . والجزّار لم يكتف بما اخذ من اموال اللبنانيين حتى انه ارسل من مدة قريبة يطلب من اميرنا ثلاثمائة الف غرش لمغ رهينتين عوض الشيخ قاسم جنبلاط الذي اعطاكم عمره في عكا لكم من بعده طول البقاء . وهذا امر ضمن السر فالامل حفظه في صدركم الواسع . كما وان الامل من غيرتكم تسليم حفيدنا غانم الحامل اليكم هذا المكتوب مائة الف غرش نحن والامير بكل حاجة اليها وترد اليكم عند هدوء الخواطر من ناحية الجزّار . واني اعتمدت على اعطاء كل ما املك الامير وان ارسل حفيدي المذكور رهينةً الى عكاء وهو يودعكم في هذه السفرة ويطلب دعاكم . . . .

واذ وصل الى هذه الجملة انتفض المعلم نقولا وقال :

ـ وكيف ترسل وحيدك الى عكاء ؟ الا تعلم انه ان يعود من بين مخالب الجزّار ؟

فاشار اليه الشيخ بالهدوء وقال :

ـ اكتب الامضاء : الداعي بطول عمر سعادتكم .

الشيخ قعدان بو غانم

عن دير القمر في ٢٥ تشرين الاول ١٧٩٣»

ثم تناول الشيخ الرسالة فطواها ، ونادى الخادم فامره ان يدعو له حفيده غانم .

وما هي دقائق حتى دخل فتى في السابعة عشرة من عمره ، مستقيم القامة ،

واسع الصدر ، ممتلئ العضلات ، دقيق الخصر ، لبس شروالاً من الحرير ، ولفّ على ساقيه طماقات من الجلد الاسود فانطبقت كل الانطباق على بطّتيه القويتين، واظهرت رسغيه الدقيقين . وكان في نظره ثبات وعزيمة ، وفي ملامحه كلها قوة ارادة وحزم ، وفي وطأته شدّة وشجاعة ، تجمل من يراه لاول وهلة يجزم بانه شابّ في الثلاثين من عمره ، لولا خلوّ خدّيه من الشعر ، ووسامة تقاسيم وجهه الدالة على سنّ الفتوة. دخل ذاهلاً لانها كانت المرّة الاولى التي يدعوه فيها جدّه لمقابلة الناس ، وليس من العادة ان يجلس الفتيان والشيوخ في القاعة نفسها ، ولا ان يشتركوا معهم في المحادثات ولاسيما السياسية منها .

ولكنه اذ رأى معلمه نقولا ، ظنّ انه سأل عنه ، فأسرع واكبّ على يده يقبلها ، فقبّل المعلم رأسه وانهضه بلطف . اما الشيخ فالتفت اليه بحنوّ وغيرة وقال :

— هل تحبّ الامير بشيراً يا غانم !

— كيف لا احبه يا جدّاه ، واقصى مناي ان تسمح لي بالمحاربة في جيشه وبالعمل في خدمته .

— ها انا اسمح لك الآن . ولكن ليس بالمحاربة في جيشه بل بخدمته في عكاء . فاني سوف ارسلك رهينةً عند الجزّار حتى يدفع الامير ما عليه من المال .

فتقدّم غانم صامتاً ، وتناول يد جدّه فقبّلها قائلاً :

— كما تريد .

— ولكن قبل ان تذهب الى عكاء سأرسلك بمهمة الى صديقنا الامير جهجاه في بعذران . فتوصل اليه هذا المكتوب ، فتقرأه له بنفسك ... اتحسن قراءته ؟

فابتسم الفتى والتفت الى معلمه فضحك ، وضحك الشيخ ، ثم تابع :

— فتقرأه له بنفسك دون ان يعرف احد ما فيه . ثم تستلم من الامير مبلغ مائة الف غرش يجبيها هو بمعرفته في اكياس من التبن او الشعير ، وتحملها على البغال وتأتي بها مع خادمنا فرحات ... ثم تودّع اهل بيت الأمير .

لفظ الشيخ هذه الجملة الاخيرة بصوت خافت ، وابتسم ابتسامة معنوية. فارتجف الفتى طرباً ، واحمرّت وجنتاه حياء طاهراً . اذ كان في بيت الامير من يسرّه مرآها ويسرّها مرآه.

ثم خرج كي يعدّ فرسه وسلاحه ، وينبّه خادمه ؛ وعاد فقبّل يد جدّه ، ويد معلّمه ، وودّعهما . وسار على بركة الله.

* * *

الفصل الثاني

الامير جهجاه

تخايل القمر من خلال السحب الرقيقة ، المنتشرة في اعالي الهضبات المتصلة بجبل الباروك جنوباً ؛ فارسل انواره ضئيلة باهتة ، تتدحرج ببطء في ظلمات وادي «الداقوق» الاجرد. فكانت المنعرجات تظهر برشاء بما فيها من الحصى الكثير ، والصخور الضخمة تلقي اظلالها القاتمة فتؤلف اشكالاً غريبة ، تختلف دقة ووضوحاً باضطراب الغيوم امام وجه القمر.

وبدا في وسط الوادي خيّال يسير صعداً بتمهّل ، والى جنبه ساعٍ يرافقه راجلاً ، متنقّلاً برشاقة على الحجارة النافرة ، واضعاً يده من وقت الى آخر على ركاب الخيّال . وكان الفرس قد تعب من الصعود ، ووجيت حوافره من الحصى المتناثر تحتها ، فاخذ يعارض في سيره ، متطلّباً الناحية الممهّدة من الطريق ، مرسلاً من منخريه المفتوحين نفخات منتظمة كانت وحدها تقطع سكون ذاك الليل .

وكأنّ الخيّال اشفق على فرسه ، فاوقفه الى جنب صخرة عالية ، وبعد ان امرّ يده بحنوّ على عرفه ، التفت الى رفيقه وقال :

— تعبت «نعامة» ، يا فرحات ... ما قولك لو ترجّلت !

— لا لزوم لذلك يا سيدي ! قليلاً ونصل الى رأس الوادي . ومن هناك تصبح الطريق سهلاً .

ثم تابعا الصعود صامتين . حتى رأى فرحات من اللازم تسلية سيّده بالحديث ،

وكان يتردّد في الابتداء بالكلام ، فقال كمن يخاطب نفسه :

— سنصل مع الشمس الى دار المير جهجاه !

فانتفض الخيّال انتفاضةً لم تخفَ على خادمه . وتابع هذا :

— وقد سمعنا في الدير ان المير استقدم العيلة من صيدا . فستستقبلنا «الستّ» بلطفها المعتاد . وسنرى « الستّ» الصغيرة ايضاً تلعب راكضةً وراء كلبها « هوّاش» .

ولو حدّق فرحات الى وجه سيّده لرأى ابتسامةً خفيّة تفرج شفتيه ، وبريقاً لطيفاً يغزل في عينيه ، واحمراراً خفيفاً يعلو وجنتيه ، فكأنه يضحك بكل جوارحه . على انه تمالك نفسه سريعاً ، وكأنه خجل من وجود الخادم ، فاراد تغيير الحديث :

— لا بدّ انا من الرجوع غداً قبل الظهر ، لان جدّي اوصاني بالاسراع

— انا طوع امرك ! ولكن اهل البيت قد لا يتركوننا نعود بهذه السرعة .

فاشمأزّ غانم لإعادة الحديث الى هذه النقطة ، وقال مظهراً عدم المبالاة :

— كم تظنّ يبقى من الليل الآن ؟

فالتفت فرحات الى السماء ، وتأمل قليلاً في النجوم . ثم قال :

— هذا «الغرّار» قد مال الى المغيب ، وقد طلع « الميزان » . . .

فاغتنم الشابّ تلك الفرصة لابعاد مجرى الحديث عن بيت المير جهجاه فقاطع خادمه :

— وما «الغرّار» ؟

— «الغرّار ! » انظره ، هو تلك النجمة الكبيرة الشديدة اللمعان التي اصبحت الآن من جهة بمقلين .

وبعد ان اطرق قليلاً ، متذكّراً اقوال الشيوخ في ذاك الكوكب ، رفع رأسه بشيء من العجب والافتخار بانه اضحى كبيراً مجرّباً ، يعرف اشياء لا تعرفها الشبّان ، حتى من ابناء المشايخ . كيف لا وهو سيشرح الآن لماذا دعي ذاك الكوكب «بالغرّار» . والتفت الى غانم فقال :

— وقد سمّيت تلك النجمة «بالغرّار» لانها تشبه نجمة الصبح . ومعروف

انه متى طلعت نجمة الصبح يكون الفجر قد قرب . ولهذا ينتظر طلوعها جميع المكاريّة حتى يحملوا دوابّهم ويسيروا « على البرود » .

وسكت قليلاً حتى اذا تحقّق اصغاء غانم لكلامه ، سرّ وتابع :

— وحدث مرة ان بعض مكاريّة الفريديس كانوا قادمين باحمال القمح من البقاع الى الدير ، في احدى ليالي الشتاء . فداهمهم الظلام قبل الباروك ، واشتدّ عليهم البرد ، فنزلوا في خان هنالك . وقبل انتصاف الليل ، افاق احدهم فرأى هذه النجمة في اول طلوعها ، فغرّته منها شدّة اللمعان فظنّها نجمة الصبح وان الفجر قريب . عندذاك اسرع الى رفاقه فأيقظهم ، وشدوا الاحمال ، ثم ساروا في ذاك الجبل المكلل بالثلوج ، منتظرين الصبح القريب . ولكن الصبح لم يطلع . وكان البرد يشتدّ شيئاً فشيئاً ، والجبل مقفر لا خان فيه ، ولا ضوء في الافق البعيد . ثم لم يلبث ان بدأ الثلج بالسقوط فثقلت الاحمال ، وتلكّأت الدواب ، وجمدت الاطراف . فتوقفت القافلة ، وبدأ المكاريّة بالصراخ ، ولكن من يسمع ! . . . وظلوا يقاسون امرّ العذاب ملتحفين بتلك الثلوج ، حتى صباح اليوم الثاني . فخلّصهم اهل القرى المجاورة وكان قد دنق منهم مكاريّان ودابة . فعرفوا بعد فوات الحين ، انهم غرّوا بذاك الكوكب ، فسمّوه « النزّار ! »

فاظهر غانم سروره بهذا الشرح ، فزاد اعجاب فرحات بنفسه . وكانا قد وصلا الى اعلى الوادي ، فاستراحا قليلاً . ثم عاودا السير الى بعذران .

* * *

كان الامير جهجاه من آل الحرفوش المتاولة ، اصحاب الاقطاعات الواسعة في بلاد بعلبك وجوارها . وقد صرف شبابه في تلك الجهات بكل طمأنينة ، عائشاً عيشة الامراء الكبار يأمر وينهي ، ولا متردّد ولا معارض . حتى نشأ اختلاف طفيف ، على حدود بعض الاملاك ، بينه وبين احد ابناء عمه ، الامير جواد . فتعصّب اخوة هذا على الامير جهجاه الذي كان وحيداً ، وتعمّدوا له الاذى والمكروه . فوشوا به الى والي الشام وحثّوا له ان يسلب الامير املاكه الواسعة ، ففعل . عند ذاك اشمأزّ الامير جهجاه من تلك الاساليب ، وانف من قرابة تدفع ابناء العمّ الى الغدر بابن عمهم ، وفضّل الهرب على العيش في ظلّ حاكم

ظالم ، فترك دينه ، واهله ، وارزاقه ؛ وهام على وجهه ، ولا رفيق له سوى جواده ، ولا مؤنس الا رمحه وسيفه .

وكان نجم الامير يوسف بدأ باللمعان في دير القمر، وقد استلم خلعة الولاية من درويش باشا سنة ١٧٧٠ ، فاستقلّ له الامر من « ظاهر طرابلس الى ظاهر صيدا . » فقصده الامير جهجاه واثقاً بمساعدته ، فلم يخيّب ظنه بل عيّنه في خيّالته ، وشمله بانعامه فنزل له غرفة في سرايته . ووافق ذلك هياج الصغيريّة والصعبيّة من متاولة جبل عامل ، وتحرّشهم بحدود لبنان . فنهض الامير يوسف لمحاربتهم بجيش لا يقلّ عن عشرين الفاً من فرسان ومشاة ، وخيّم بالقرب من جسر صيدا . ورأى الاميرُ جهجاه الفرصة سانحة للانتقام من ابناء طائفته ، فاخذ يوالي الهجمات والغزوات ليلاً ونهاراً حتى ضعضع قواهم ، واحرق جميع قرى اقليم التفاح ، الى ان بلغ جباع الحلاوة فنهبها وقطع اشجارها . فسرّ الامير يوسف بذلك غاية السرور ، واقطعه ارضاً واسعة في مرتفعات بعذران .

وعندما انتهت الحرب استلم الامير جهجاه ارضه فحسّنها وعمّرها . ثم دعا الخوري يوسف ، خوري الضيعة ، واظهر رغبته في الديانة بالنصرانيّة نكاية باهله . فعلّمه الخوري المبادئ الاولية ، وعمّده في حفلة مهيبة . ثم زوّجه فتاة من بنات المشايخ ، فرزق منها ابنة دعاها «بدور» على اسم امه . وكان قد استرجع املاكه في بعلبك ، فولّى عليها الخوّل وبقي في بعذران سعيداً وسط تلك العيلة الصغيرة .

ولما ظهر الامير بشير مال اليه الامير جهجاه كل الميل ، لا سيما بعد شنق الامير يوسف في عكا ؛ واخذ بمساعدته المادّية والفعلية . وكان الامير قد عيّنه ، في تلك المناوشات الاخيرة ، قائداً عاماً لجهات الشوف وجزّين ، يحصّن اعالي بعذران ومزرعة الشوف ، ويحرس تومات نيحا ووادي مرج بسري . فقام بالمهمّة خير قيام ، وقتم العساكر بكل حكمة ، وجعل يزور جميع النقاط كل يوم تقريباً .

وكان ، في ذاك النهار عائداً من تفقد نقطة المزرعة ، اذ سمع هرير الكلاب شديداً من شرقي بيته . فوقف متطلعاً ، وكانت الشمس قد ذهبت القمم ، فاستكشف . واذا به يرى «نعامه» ، فرس الشيخ قعدان صاعدة بجفيده غانم ، ومعه خادمه الامين فرحات .

(البقية تأتي)

شذرات

هل يجدد الشيخ شبابه ؟

جاء في مجلة المشرق (ص:٣٨٧) نبذة تحت ذلك العنوان . ولاجل تعميم الفائدة اسمحوا لي ان اشرح ما هي الشيخوخة:

ان الشيخوخة سببها الاصلي ليس ضعف بعض الاعضاء وزوال قواها عنصرياً ، بل ان ذلك يحدث من تكاثف وتصلب عناصر النسيج الموصل ، او النسيج الجامع (tissu conjonctif) وهذا التكاثف طبيعي يعمّ الحيوان والنبات جميعاً.

ان النسيج الموصل هو الجامع بين الخلايا لكي يجري كل فريق منها وظيفته التي يتخصص لها . فان بعض العناصر من النسيج العضلي مثلاً يجمع بينها ذلك النسيج. وهكذا القول في جميع الانسجة ، اركان الجسم. فان الجامع بينها هو النسيج الموصل . ولولا هذا النسيج لما وجد حيوان او نبات مركباً من جملة خلايا.

ان هذا النسيج تصنعه خلايا خصوصية،وهو لا يتبدل قط ولا يتغذي ليتجدّد. والخلايا التي تصنعه حاضرة لاجراء وظيفتها كلما دخل الى الجسم شيء يهدّد حياته. فهي تتهيأ لانقاذه صانعة من ذلك النسيج لتلفه به ، وتمحي الخلايا التي دخل اليها المكروب لتفصلها عن الصحيحة . وبهذه الواسطة يتكاثر النسيج الموصل على مدى اضطراب الجسم بالاوجاع. وهكذا فان كل مرض او التهاب من شأنه تزييد كمية ذلك النسيج يدعو الى الشيخوخة.

ان هذا النسيج، لما كان لا يتغذي، فلا يتجدد ، وكل غير متجدد لا يبقى طبيعياً في حالته مذ تكوّنه . فهو يتكاثف ويتصلب. وفي هذه الحال نرى ان الخلايا او العناصر من الجسم ، التي هو قائم بحمايتها ، يكون هو ايضاً سبب هلاكها . لانه بتكاثفه يمنع جريان الدم اليها بواسطة الشرايين ويصدّ الاوردة عن اخذ الفضلات « فتموت وتهلك »

هذا هو سبب الشيخوخة !

اما ضعف الانسجة والعناصر فلا يُعدّ ذلك من الشيخوخة . والطب قد وجد وسائط مختلفة لتقويتها وانعاشها . ومن ذلك وسائط « الدكتور ثورنوف » فهذه الوسائط لا تسمّى اعادة الشباب بل تقوية الضعف .

واما طول العمر فهو آتٍ من الاصالة الجنسية ، ومن حماية النفس والجسد عن الشذوذ في الحياة ، وعن استعمال ما يساعد على تكاثف النسيج الموصل مثل المرض الزهري واستعمال المسكرات واقتباس الامراض .

ان تكاثف وتصلب النسيج الموصل في اي عضو كان لا مسوّغ لمعالجته بالاودية ، كما يحصل في التهاب احدى الكلى فلا علاج لها الا رفعها وتنحيتها . هذه شيخوخة بعض الاعضاء من الجسم . واما شيخوخة الجسم بكليته فلا علاج لها الّا الموت

الدكتور سليمان غزاله

عجائب الجعلان

« ليس الجبل بادلّ على الله من الحصاة » ، قال الجاحظ ، ولا النيل من الحشرة الصغيرة . وان اعمل الانسان النظر فيما حوله من الهوامّ والحشرات الطائرة ، والدابّة ، والزاحفة ، رأى العجائب والغرائب . وها نحن نذكر فصيلة من الجعلان كثيراً ما نصادفها ونقتلها ، وقليلاً ما ننتبه لما في اجنحتها من دقّة التركيب ، وجمال الزخرف .

ان الجعلان من ذوات الاجنحة الاربعة ، كما لا يخفى . الّا ان الجناحين الاعليين متصلّبان يؤلّفان غلافاً واقياً للجناحين الاسفلين . وفي هذا الغلاف الواقي نرى جمال الفنّ ، والمظاهر المختلفة ، شكلاً ولوناً ، التي تميّز كل فئة من هذه الهوامّ عن غيرها . امّا الالوان فتتنوّع الى ما لا نهاية له ، وتتحد فتمتزج تارةً بألفة رائقة ، وطوراً بتنافر غريب . واما الاشكال فهي اغرب ؛ والعجيب فيها ان كل فئاتها تقريباً تحتفظ بحبوب ونقاط يأتي ترتيبها وتنسيقها على صور شتى . وقد جمعنا في الرسم الآتي ستة من هذه الاشكال تمثل غلافات اجنحة فئات متنوّعة من فصيلة الجعلان الكبيرة المشبّهة بالسرطان والمدعوّة (carabes) وهي لا تظهر بالنهار الّا اذا فتّشنا عنها تحت الاحجار ، وفي جذوع الشجر

المقطوعة ، وشقوق الصخور ، وبين الجشائش النابتة بالاماكن الرطبة ، فتوخذ حالاً بروعة لونها الزاهي المدني ، المتراوح بين الأسود المصقول اللمّاع والنحاسي المتموّج ، وبين الاخضر الذهبي ، والرمادي القاتم الجافّ . على ان كل هذه الالوان تظهر ثانوية اذا ما فصحنا نوع حبوب الغلاف وترتيبها .

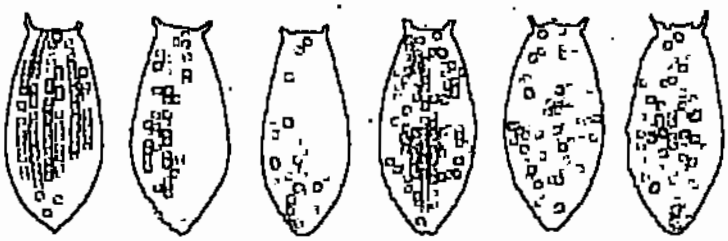

١ محدّب ٢ منقط ٣ ملآلا . ٤ محبّب ٥ مخطط ٦ مضلع

فهناك الجُعَل ذو الغلاف الأملس الصافي المجموع من عن اطرافه، ولم يمثل في الرسم . اما الرقم الاول فيمثل الغلاف المحدّب ، وهو خشن فيه نوعان من الحبوب : اولهما صغير كثير مرصوف عموديًا ، والثاني حبوب كبيرة قليلة تظهر كحدبات متوازية على جنبين عموديين ايضاً ، ويُرى منها في الرسم ست حدبات . اما الغلاف الثاني فتكثر فيه النقط الصغيرة دون ترتيب ولا نظام . ثم يأتي الغلاف الثالث وفيه تظهر الحبوب كعقود من اللؤلؤ الصافي في غاية الترتيب ، ولهذا سميناه الغلاف الملآلأ . الى جنبه الغلاف المحبّب (رقم ٤) ولنلاحظ انّ هذا الحبّ يكون إمّا نافرًا ، واما داخلًا فيصبح على شكل حفر صغيرة . واذا اجتمعت هذه النقاط او هذه الحفر بعضها الى بعض حتى تكوّن خطوطاً متقابلة متوازية سمي الغلاف مخطّطاً كما في الرقم ٥ .

اما الرقم السادس فيمثل الجُعل المذهّب او « المقصّب » وكثيرًا ما نراه في ايدي الاولاد ، ولكن قلّما ننتبه الى اضلاعه العجيبة المتناسقة .

وعدا هذه النقاط والحبوب ، تمتاز بعض الغلافات بوبَر ناعم مخملي ، وبعضها بشعر حريري ، وبعضها ايضاً بشواك مؤلم . واعجب من هذا كله انه يكون في بعض النبات غلافات ملساء للذكور ، ومخطّطة للإناث . فسبحان من ملأ الكون بالعجائب والغرائب .

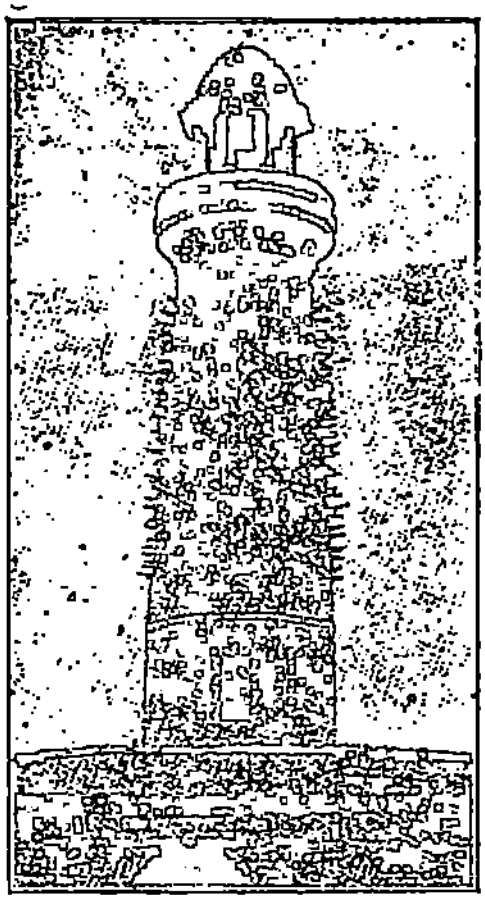

قبر فيل

ليس امامك ، ايها القارئ العزيز ، معبد ديني ، ولا مدفن ملوكي ، ولا قبة انتصار . ان هو الا قبر حيوان ، قبر فيل نال الحظ الاوفر بانه كان يحمل ، مدة حياته ، صاحب الجلالة الملك الاكبر . ومن يذكر الملك الاكبر يذكر ذاك الجبار المغولي ، سليل تيمورلنك ، الذي اخضع الهند ورفعها الى اقصى درجات المجد والترف من سنة ١٥٥٦ الى سنة ١٦٠٥

كان الملك الاكبر قائداً سفاحاً ، ولكنه كان ايضاً منظماً بصيراً ، ومشيداً عاملاً للذكر والخلود . تشهد بذلك الآثار البديعة العديدة التي لا تزال تهزأ بتقلبات الايام في الله آباد ، ولاهور ، فتبين رغبة مشيدها في اتقان الفن وميله الى

الجمع بين الطراز الفارسي والطراز الهندي . ولعلّ افخمها واوفرها تأثيراً قبر اخيه همايون القائم في دلهي . فيظهر كيف كان الملك الاكبر يعتبر ذكريات من تقدّمه من كبار الرجال ، وكيف كان يبرهن عن اعتباره . . .

ولكنه لم يكن ليقف عند ذكريات الرجال ، بل تجاوزها الى تخليد ذكر الحيوانات ايضاً . وهو امر يتحققه من يتأمل الاثر البديع المصوَّر اعلاه ، او من يفحصه بنفسه في مدينة بومباي ، ويعرف ان لا غاية منه الّا تخليد ذكر فيل الملك الاكبر . يستريح ذاك الحيوان السعيد في اسفل هذا البرج الذي يعلو عن سطح الارض ثلاثين متراً . وقد بني جميعه بالرخام المصقول ، وزخرف دائره بقطع الخزف المنتق بالالوان المختلفة . وفي وسطه درج لولبي يصعد بالراقي الى شرفة مستديرة يعلوها كشك مثمّن الزوايا يرتكز سقفه البيضوي على عواميد لطيفة . على ان اجمل ما في الاثر تلك الهنات النافرة التي تظهر ، في الصورة ، كالابر الشائكة . وهي ذات قيمة لا تقدَّر لانها كلّها انياب فيلة غُرزت في البرج تكريماً للفيل المائت ، ومعلوم نفاسة العاج والمنافسة في الحصول عليه . وقد قتل الملك الاكبر مائتين وخمسين فيلاً كي يستحصل على موادّ هذا البناء الغريب ، التي بقيت الى اليوم موضوع اعجاب الناظرين ، وقد تتحوّل بعض الاحيان الى مجاثم تستريح عليها النسور والعقبان

المشرق منذ ثلاثين سنة

شهرا آب وايلول سنة ١٨٩٨

يبتدئ شهر آب بمقال لحضرة الاب انستاس الكرملي البغدادي درس فيه قبيلة غريبة من البدو تُدعى «الصُلَيب» كثيراً ما اختلف المؤرّخون والرحّالة في اصلها ، فيميل الكاتب الى الاعتقاد انها ليست من العرب . يلي ذلك نبذة دقيقة لحضرة الاب سبستيان رنزفال في اصل كلمة زنديق فيستنتج انها «فارسية عريقة في القدم معناها الاصلي رجل السحر ، لا رجل التأويل كما زعم العرب ومن ذهب مذهبهم .» وبعده بحث مفيد عن البيطرة عند الأعراب لحبيب افندي شيحا البغدادي . وخطبة ممتعة القاها المرحوم الاب شيخو عن تدريس اللغة العربية في كلية القديس يوسف . ثم مقال جغرافي لحضرة الاب لامنس قابل

فيه بين جبال الألب وجبال لبنان . ونظرٌ للاديب جول كتسفليس رمى بسهمه الى درس اخلاق شعبَي الاسبان والاميركان واخصّ علائقهما . ويعود الكلام لحضرة الاب لامنس فيحدّث المطالع عن ذكر كرلس الكبير ملك فرنسة في كتاب «الف ليلة وليلة». وفي هذا الشهر يتابع حضرة الاب سبستيان رنوفال بحثه الطويل المفيد في زينب الزبّاء ملكة تدمر. ويتابع حضرة الاب كولنجت مقاله في التنوير فيخصّ منهُ القسم الكهربائي . وكذلك يتابع حضرة الاب لامنس رواية الشقيقتين ، والدكتور اوغست هفنر نشر كتاب النبات والشجر للاصمعي . والمرحوم الاب شيخو نشر كتاب تاريخ بيروت لصالح بن يحيى ، ويبدأ نشر مقالة فلسفية نفيسة في النفس البشرية لابي الفرج ابن العبري. وينتهي الشهر بوصف ثلاث مطبوعات شرقية جديدة مع عدّة شذرات وبعض الاسئلة .

اما شهر ايلول فيُفتتح بمقال اثري لحضرة الاب جوون اليسوعي يتكلم فيه عن آثار حمص القديمة . يتلوه مقال لاهوتي لحضرة الاب جان باريزو عن اشتراك الكهنة في التقديس. ثم مقالة في اهمية جمع خواصّ الكلام الدارج للمستشرق الالماني الدكتور مرتين هرتمان قابل فيها بين لهجات بيروت ، والقاهرة ، وتونس واللهجة الفصيحة . يتبعها نبذة للخواجا ح. عون ابي خرما في تعليم اصول الشرب . ودرس تاريخي عن اللغة الشائعة في سورية قبل الهجرة للطيّب الذكر المطران اقليميس داود . ومن الابحاث العلمية في هذا الشهر مقال في الهواء الجوّي وميزان ضغطه (البارومتر) لحضرة الاب زموفن ؛ وبحث جمع فيه حضرة الاب رنوفال كل مستحدث من الاخبار العلمية المختلفة. ومن آثار المرحوم الاب شيخو متابعة نشره لتاريخ بيروت ، ومقالة ابن العبري في النفس ، ومباشرته نشر « خلاصة معتقد النصارى في التوحيد والاتحاد لبولس الراهب اسقف صيداء الانطاكي » . وفي هذا الشهر ايضاً نبذة لغوية مفيدة عن حرف العين في الالفاظ العربية ، ولفظ السوريين لحرف القاف ولفظ الجيم عند العرب ، لحضرة الابوين لامنس وانستاس الكرملي . وبعد ان يبدأ حضرة الاب ويغو نشر روايته «السفر العجب الى بلاد الذهب » ينتهي المشرق بعدّة شذرات ، واسئلة مع وصف ثلاث مطبوعات شرقية جديدة.

مطبوعات شرقية جديدة

A. Puech : Ce qu'il faut connaitre de la Grèce antique. *in*-12°, 157 *pp.* 1928. *Prix*: 7 *f*. *Paris*, *Boivin et Cie*.

ما يجب معرفته عن بلاد اليونان القديمة

هذا الكتاب هو الحلقة السابعة من سلسلة عنوانها "ما يجب معرفته" يكتب اجزاءها اختصاصيون في المسائل المختلفة فيعرضونها ثقةً لفائدة الجمهور . يشتمل هذا المجلد على بحوث في الآداب ، والفلسفة ، والعلوم ، والفنون اليونانيّة ، مع مقدّمة عن اليونان في التاريخ . فيلذّ المطالع ويدفعه الى التعمّق في هذه المعلومات النافعة والشائقة ، فيكون من ثمّ للمؤلف فضلٌ يُذكر . ج . ل

Silvio Solero: L'Islamismo: sintesi storicocritica. *I-X; pp.* I-261; *Ulrico Hoepli, Milano*, 1928.

الاسلام : خلاصة تاريخية نقدية

لما كان مؤلف هذا الكتاب يجهل اللغات الاسلامية ، ظنّ كافياً ان يجمع في درس واحد نتائج دارسي الاسلام . ولكنه كثيراً ما لم يفهمها . وانه ليطول بنا الكلام اذا اردنا تعداد هفواته التي لا تُحصى ، فهو يزعم مثلاً ان كلمة « شيعة » (ص : ٧٨) تُطلق على ترجمة حياة محمد (اي السيرة) ويزعم ايضاً (ص : ١٢١) ان مؤسسي المذاهب السنّية لا يدعون مالك بل ابو مالك ، ولا الشافعي بل ابو الشافعي ... الخ وقد حوّل اسم القائد الشهير عمرو بن العاص الى « عمرُو بَرْساد » ('Amrou bar Sad) (ص : ١٢٥) وكذلك فانه يعطي لقب الخليفة للسلطان نور الدّين . فلهذه الاسباب لا يمكننا ان ننصح لقرائنا مطالعة هذا الكتاب على الرغم من الاشارات العديدة التي يخصنا بها المؤلف . ه . ل

Julius Richter: Der Islam als Religion – *Wissenschaft und Bildung n° 239 — 167 pp. 1927. Prix : 1 M. 80. Leipzig, Verlag von Quelle und Meyer.*

في الدين الإسلامي

ليس مؤلف هـذا الكتاب من المستشرقين . نتحقق ذلـك بالالتباسات العديدة ، وباغلاط النقل ، فان « دار الحرب » مثلاً ، ينقلها الى « دار الغرب» (ص : ١٣) ، وهو يدعو المعتزلة (ص : ٥١) « رجال العقـل » بدلاً من « رجال العدل» . على ان الفصل الاخير (ص : ١١٣) الـذي يخصّه بالاسلام المصري ، لا يخلو من فائدة. ه . ل

Actes de S. S. Pie XI, *texte latin et traduction française. t. I 1922-23. vol. in-8°, 395 pp. Paris, Maison de la Bonne Presse.*

آثار قداسة البابا بيوس الحادي عشر

اختصّت شركة « المنشورات الصـالحة » (Bonne Presse) بنشر آثار الباباوات ، فطبعت سبعة مجلّدات من آثار لاون الثالث عشر ، وثمانية من آثار بيوس العاشر ، وثلاثة من آثار بنديكتوس الخامس عشر ، وها انها تبدأ نشر آثار بيوس الحادي عشر المالك سعيداً بهذا المجلّد الذي يحتوي ، فضلاً عن آثار البابا الخاصة في السنتين ١٩٢٢ و ١٩٢٣ ، جميع الوثائق الصادرة من المجـامع الرومانية

P. Emm. d'Alzon : Méditations sur la perfection religieuse. *2e partie, médit. pour retraites. 486 pp. Prix : 12 f. Paris, Bonne Presse.*

تأملات عن الكمال في الحياة الرهبانية

اشتهر مؤلف هذا الكتاب ، وهو مؤسس رهبانية الارغـطينيين الصموديين وأحد اركان الحركة الكاثوليكية في القرن التاسع عشر ، بأنه من رجال الله الصالحين . وقد اراد بوضعه هذه التأملات ، إصلاح اعضاء رهبانيته ومريديهـا المبتدئين ، والسير بهم الى الكمال في الحياة الرهبانية . وهي مواضيع تفيد غير رهبانه من النفوس المسيحية.

Taufik Canaan : Mohammedan Saints and sanctuaries in Palestine. [*Luzac's oriental Religions series. vol. V*] *London, Luzac*, 1927. *Prix* : 15 sh.

اولياء الاسلام ومزاراتهم في فلسطين

هو كتاب نفيس نتج عن ابحاث طويلة في ديانة العامّة من مسلمي فلسطين قام بها المؤلف بكل إخلاص، فدرس الامثلة المختلفة للمزارات ، وطرق العبادة التي تُقام فيها كالنذور ، والذبائح ، والزيّاحات وغير ذلك. ثم بحث في كيفية تصوّر العامّة لطبيعة الاولياء الذين يكرّمونهم ، ولاخلاقهم. وهناك ليس اولياء فقط ، بل وليّات ايضاً وشيخات ، واولياء بيض ، واولياء سود. وعلى الجملة فان هذا الكتاب نافع لمن يدرسون التوراة فيرون فيه ما بقي من آثار العبادات القديمة التي كان يقوم بها الكنعانيون. ونحن نودّ ان نرى بحثاً كهذا عن اولياء البلاد السورية. ه.ل.

Bibliothek arabischer Historiker und Geographen herausgegeben von Hans v. Mzik. *Einleitung, inhaltsangabe und Register zum ersten Band. Leipzig. Otto Harrassowitz*, 1928.

مجموعة آثار مؤرخي العرب وجغرافيتهم

هذه مقدّمة كتاب الوزراء والكتّاب لمحمّد بن عبدوس الجهشياري الذي تكلّم عنهُ المشرق سابقاً. وهي تحتوي ، في ٣٥ صفحة ، على ملخص الكتاب باللغة الألمانية ، مع نشر المقاطع العربية التي تصعب قراءتها في المخطوطة الاصلية ، وجدول واسع بالأعلام المذكورة. ه.ل.

Jos. Hell: Die arabische Dichtung in Rahmen der Weltliteratur. *Erlangen*, 1927.

الشعر العربي في الآداب العالمية

كان المؤلف نزيل كليتنا منذ ٣٥ سنة ، وهو اليوم رئيس كلية ارلنجن في بافاريا، وقد اهدى الينا هذه المحاضرة المختصرة في المقابلة بين تطوّر الشعر العربي وتطوّر الشعر الاوربي في القرون الوسطى ، وتأثير التطوّرين . وهو يرى رأينا (راجع مشرق آذار من هذه السنة ص ٢٢٩) فينفي تأثير الادب العربي في « الالهية » لدانتي ه.ل

Dom. Prümmer O. P. : Manuale theologiae Moralis secundum principia S. Thomae Aquinatis in usum scholarum. Herder, Freiburg. im Br. *Tomus I. Editio 4ª et 5ª (XXXVIII et 462 pp.) Marc* 10.

كتاب في اللاهوت الادبي

مرَّ زمن طويـل واللاهوت الادبي لا يُنفصل عن اللاهوت النظري في التعليم والمؤلفـات . الى ان زادت الرغبـة في تسهيل الدرس على الطالبين ، وفي افادة الكهنة القائمين باعمال الخورنيات ، فدفعت المؤلفين الى فصل القسم العملي من اللاهوت . ولكن كان في هذا العمل خطرٌ لم يتجنبه جميع المؤلفين ، وهو خطر المغالاة في عزل الآداب عن المبادئ التي ترتكز عليها . امَّا حضرة الاب پروميز ، مؤلف هذا الكتاب ، فلم يسقط في ذلك الخطر ، بل تبـع عن قرب استاذه الاكبر القديس توما ، فبيَّن ان اللاهوت الادبي علم حقيقي ، وأثبت قواعده بطريقة راهنة ، واعلن مبادئه واحكامه . وهو يقدّم لنا اليوم الطبعة الرابعة والطبعة الخامسة من المجلد الاوّل . وهذا وحده يدلّ على رواج الكتاب والاقبال عليه ، وقد ظهرت طبعته السابقة سنة ١٩٢٣ ، في ٤٥٠٠ نسخة . ولا شك ان الطالعين قدروا علم المؤلف ، وكثرة المواد التي يخوض فيها ، ووضوح اسلوبه ، والترتيب الذي تبعه تاركاً الطريقة القديمـة باتباع وصايا الله ووصايا الكنيسة ، الى طريقة ارسطو في تقسيم الفضائل . فهو يعرض اولاً ماهية الكمال ودور كل فضيلة بفردها ، ثم ينتقل الى تحليل الخطايا التي تعاكسها . فيمكن المطالع ، ليس فقط ان يحكم على صفة الاعمال السيئة ومبلغها من الخطأ ، بل ايضاً ان يتجه نحو مثل اعلى في الحياة الكاملة . وهكذا فان المؤلف بعد ان يتكلم عن مبادئ الآداب العامّة ، اي عن غاية الانسان ، والاعمال البشرية ، والضمير ، والخطايا والفضائل على الجملة ، ينتقل الى الفضائل الالهية ففضيلة الحكمة ، تاركاً للمجلد الثاني البحث في فضائل العدل ، والقوّة ، والقناعة . وانهُ ليسرّنا في الختام ان نذكر أنَّ في اوّل الكتاب جدولاً جامعاً باسماء المؤلفين الـذين كتبوا في اللاهوت الادبي ، والمؤلف يردف كل اسم باحكام غاية في الصحة

الاب مونجان

Wenceslas Pohl : De Vera Religione, questiones selectæ. *in*-8° *XX*-388, *prix* : 9 *Mark, Herder et Cie, Friburgi Brisgoviae,* 1928.

في الديانة الحقيقية

نشر الاستاذ بوهل في هذا المجلد القسم الاول من محاضراته في اللاهوت ، وقد قسمه الى ثلاثة كتب : ١ً — في أساس الديانة ويشمل الابحاث في وجود الله مع تزييف المذهب النقدي الذي جاهر به الفيلسوف « كانت » ، والمذاهب المادية والحلولية . ٢ً — في الديانة على الجملة وماهيتها ، وضرورتها ، واصلها . ٣ً — في الوحي : ماهيته ، وامكانه ، وضرورته ، مع البحث في دليليه اللازمين اي العجائب والنبوات . ويذكر المؤلف ، قبل الخوض في كل موضوع ، لائحة في المآخذ مستوفاة خصوصاً في ما يتعلق بالكتب الالمانية . ومما يستحق ذكراً خاصاً هو درس أصل الديانة ، في الكتاب الثاني ، فان المؤلف يبسط بكل دقة نظريات تيلر (Tylor) ولونغ (Long) ويأتي بالبراهين العديدة على وجود التوحيد مبدئياً في الجنس البشري ، يأخذ ذلك من شهادات الديانات الاولية كديانة البمنة ، والديانات الهندية الاوربية ، واليونانية ، والرومانية ، والسامية ، والصينية وغيرها . على ان الطريقة التي سار عليها الكاتب تسهيلاً للطلاب ، رأيناها على جانب من الغرابة . فان الكتاب الاول من المؤلف الذي يختص بذكر البراهين عن وجود الله ، يبدأ باقرار قيمة العقل والمبادئ الاولية . وهي امور كان من الاوفق تركها للابحاث المنطقية . ثم كان من الموافق ، وقد توسع المؤلف كثيراً في وجود الله ، ان يزيد على كلامه البحث في طبيعته ، فيصبح موضوعه تاماً كاملاً . والكتاب مطبوع طبعاً جميلاً على ورق حسن يستحق طابعه كل تهنئة .

الاب مصيريان

Prof. D' theol. **Ludwig Berg** : Die katholische Heidenmission als Kulturträger. 2 *Auflage*. 3 *vol. in*-12, 1927 — Abhandlungen aus Missionskunde und Missionsgeschichte, herausgegeben im Auftrage des Franziskus Xaverius Missionsvereins. Aachen - Aachener Missionsdruckerei. *Prix* : 6m,80 + 5, 90 + 4,40.

مباحث عن الرسالات الكاثوليكية

يبحث هذا التأليف النفيس في الرسالات الكاثوليكية ودورها في تثقيف

الشعوب الوثنية وتمدينها وهو عمل كافٍ وافٍ يجمع كل ما يمكن الكلام عنهُ في هذا الموضوع ، كفاية الرسالات ، وترقيها ، وتنظيمها ، وإرسالها نحو الشعوب الوثنيــة . ثم تهذيب هؤلاء ادبيًا ودينيًا ، بالاعمال والدراسة ، والعلوم ، والآداب ، والفنون كالبناء والتصوير والموسيقى ، ودرس اللغات ، والبحث في البلاد ، وسكانها ، ودياناتهم . واخيرًا يتنـاول الكلام عن الرسالات من حيث هي مشاريع خيرية ، لازمــة لتحقيق ضروريات النفوس والاجساد المتعدّدة ، واداة صالحــة لتحقيق التقارب بين السُلالات المختلفة . في كل هذه المواضيع يخوض المؤلف عارفًا كل المعلومات اللازمة ، ذاكرًا الامثال العديدة على اقواله ، فيهيئ لكل من اراد درس امر منها المواد الصالحة التي لا غنى عنها في ذلك .

ج . ل .

R. Cagnat: En pays romain, *in*-12°, 282 *pp.*, 6 *planches*, *Prix* 12 *f*°. 1927. *Paris, de Boccard.*

في البلاد الرومانية

يقدّم لنا مؤلف هذا الكتاب ، وهو متضلّع من موضوعه ، مقالات عديدة لذيذة ومفيدة عن مدن اليزيا ، نيم ، ڤينة ، ليون ، هركولانُم ، وعن عذارى الرومان المعروفات بالقستال ، وعن المصريين في العصر الروماني ، ثم عن قرطجنة والمدن الكبيرة في افريقية الشمالية كطرابلس الغرب وغيرها .

Tafrali (O.): La Cité pontique de Dionysopolis, *Kali-Acra*, *Cavarna*, *Téké et Ecréné*. 79 *pp.* 8°, 16 *pl.* *Paris*, *Geuthner*, 1927. *Prix* : 40 *f*°.

مدينة ديونيزوبوليس على شاطئ البحر الاسود

قام السيد تافرالي ، الاستاذ في جامعــة ياسي (رومانية) سنة ١٩٢٠ ، برحلة علمية بحث فيها عن الآثار القديمة على شاطئ البحر الاسود ، في مقاطعة دوبرودجا السفلى قرب ڤارنة . وها هو يقدّم لنا اليوم ملخّص هذه الرحلة في مجلّد حافل بالصور المتقنة

معنى ديونيزوبوليس مدينة ديونيزوس وهو الاله باخوس عند اليونانيين . وقد أسس هذه المدينة بعض البحّارة اليونانيين في زمنٍ لا يُعرف عنه الّا انه سابق عهد الاسكندر . وظهر ان تلك المدينة هي ميناء بلطشيق وكانت الطريق المحاذية للشاطئ والموصلة الى القسطنطينيّة تمرّ بها على العهد الروماني . برهنت الحفريات عن صحة ما دلّت عليه النقود من انّ الاله الاعظم في تلك المنطقة كان ديونيزوس اله الخمر والخصب. وكان اهاليها يعبدون مع هذا الاله بعض الهة اليونان،واغرب من هذا انهم كانوا يعبدون ايضاً ، قبل المسيح، اوزيريس وسيرابيس،مما يدلّ على ان العلاقات التجارية كانت متصلة بينهم وبين مصر . على انه لم يكن من تمييز عند العامة بين اوزيريس وديونيزوس . وقد اكتشف في ذاك المحلّ تمثال لاوزيريس من الفنّ المصري المحض. اما ما بقي من الاثار المكتشفة فكلها لا ترقى الى ما قبل المسيح وليس فيها ما يخرج عن المعتاد. وبعد هذا يستعرض المؤلف بعض الآثار البيزنطية والتركية الباقية في البلدان المجاورة كاكرينة ، وكاقرنة ،وكالي - اكرا ، وتيكه ، وهي دير قديم اوتكيّة لدراويش الاتراك . وللمجلد ملحق تورد فيه كلّ الرُقم المكتشفة في تلك المدينة وهي احد عشر منها اثنان باللغة اللاتينية اولها يرقى الى السنة ٤٨ قبل المسيح ، والثاني مسيحي من القرن الرابع س. ر.

Koehm (J.):Zur Auffassung und Darstellung des Wahnsinns im Klassischen Altertum [*Beil. z. Jahresber. d. Hessisch. Gymnas. in Mainz*, 1927 / 8.] 8°, 32 *pp.*, *Mainz*, *Wilcken*, 1928.

تصوّر الجنون وتأويله عند اليونان والرومان

ان الجنون ، اذا فهمناه باوسع معانيه ، نرى انه يدفع دائماً مؤلفي اليونان والرومان ، من هومير الى ڤرجيل ، الى التفتيش عن تأويل له خارج عن الطبيعة البشرية . وبكلمة اخرى انهم ينسبون دائماً الى تأثير الارواح او الجنّ كل حالة للنفس البشرية تخرج عن المعتاد ، سواء كانت تلك الحالة من نوع الاحلام ، او الهذيان ، او التصوّرات الوهمية ، او المسّ ، او المتابعة ، او الانجذاب ، او التوسوس ، او الجنون على اختلاف طبقاته . وقد رأى الدكتور كوهن ان

يعرض هذه الآراء لإفادة طلّاب معاهد الدروس اليونانية واللاتينية ، وهو يورد بهذا الصدد كثيراً من النصوص في اللغتين المذكورتين تسير به الى غايته . على ان مما يؤسف له ان المؤلف لم يستشر احداً من المستشرقين . وهو ، لو فعل ، لرأى ان كلمة « جنون » في اللغة العربية مثلاً ، التي تعبّر عن مجمل هذه الحالات هي من مادّة « ج . ن . ن . » التي تأتي منها كلمة « جنّ » للتعبير عن الروح اللابشري ، وأن معنى هذه المادّة الاصلي في اللغات السامية الستر والتغطية ، لاحظ مثلاً التعبير العربي « جنون مُطبق » س . ر .

Zellinger (J.). Studien zu Severian von Gabala. [*Münsterische Beitraege zur Theolog.* 8] *VIII*-182 *pp. gr.* 8°, *Aschendorff*, 1920, 7m, 20.

دروس على سيفريانوس الجبلي

كان سيفريانوس ، اسقف جبلة في جنوبي اللاذقية ، معاصراً للقديس يوحنا فم الذهب (اواخر القرن الخامس — اوائل السادس) وابرشيته تتعلق بكرسي انطاكية . اما اصله فمن المقرر انه سوري ، وان من عرفه من المؤلفين يقولون انه كان يتقن اللغة اليونانية ولكنه كان يلفظها على اللهجة السورية . ولا يُعرف الّا القليل عن اعماله الاسقفية في سورية . ولكن يُعرف انه كان له علاقات كثيرة متواصلة مع بلاط القسطنطينية التي زارها مرّات . ولم تكن دسائسه دون تأثير في نفي القديس يوحنا فم الذهب وموته . هذا وقد كان الدكتور زلّنغر ، الاستاذ في جامعة مونيخ نشر سابقاً ما يُنسب الى سيفريانوس من المواعظ القليلة في شرح سفر التكوين ، وهو كل ما يُعرف من الآثار الكتابية في مؤلفاته . اما ما بقي فهو من المياصر ، ولهذا ظلّت مدة طويلة مُلحقة بآثار القديس يوحنا فم الذهب . فعاد اليها الاستاذ المذكور واخذ يدرس في هذا المجلّد المياصر الباقية في النصوص اليونانية ، والارمنية ، والحبشية . اما الاسقف فينتسب الى المذهب الانطاكي ويدافع بحماسة وجلد عن عقيدة الثالوث الأقدس . وكنّا نودّ لو تعمّق الدكتور زيلّنغر في درس ترجمات المياصر السريانية والعربية ، على اننا نؤمل ان يقوم من علماء الشرقيين ، ولاسيما من كهنة الروم الملكيين ،

مَن يفتّش عن آثار الاسقف المذكور ، فينشر ما يجده في مخطوطات لبنان الكبير وسورية س.ر.

Jean Mars : L'agonie de Georges Marchand, *avec* 10 *bois gravés. Paris, Guillaume et Huot, éditeurs.*1928.

نزاع جورج مَرْشان

هي شهادة عن حروب الخنادق مؤثرة ببساطتها وبما تتركه في النفس من عواطف الإكبار لأبطال قضوا حياتهم في سبيل الواجب

Revue des Études islamiques *Année* 1927,*cahier II.Paris,Geuthner,* 1927. *Le prix de l'année est de* 80 *f pour la France et de*100 *f pour l'étranger*

مجلة الدروس الإسلامية – الجزء الثاني من سنة ١٩٢٧

يقسم هذا الجزء من مجلة الدروس الإسلامية كسابقه الى ثلاثة اقسام : المذكرات ، والابحاث ، والوقائع . وهو يبعث على الأمل ان المجلة تسير دائماً على تقدّم تحت ادارة الاستاذ ماسينيون . يرى المطالع ، في هذا الجزء ، القسم الاخير من مذكرات مصطفى كمال ، وبحثاً في انظمة قبائل البَرْبر التي لا تزال مستقلة ، مع بحث في بعض الجمعيات الاسلامية من هندية ـ فارسية ومراكشية . وفي قسم الوقائع نقد لكتاب قاضي الموصل الى لبارت ، وبعض ملاحظات بشأن انشاء جدول توقيتي للكتابات العربية ، وبشأن بعض مقالات ظهرت مؤخراً في دائرة المعارف الاسلامية ؛ وفي الختام لائحة باسماء المطبوعات المرسلة للمجلة

ج.ل

Konstantinopel und die Meerengenfrage von Dr Paul Mohr. *Meereskunde,Band XVI,2, Heft* 178.*Berlin, Mittler und Sohn,*1927. *Prix*: 1 *M.*

القسطنطينية ومسألة المضيقين

يجمع المؤلف في هذا الكتيب ملخّص مسألة المضيقين اي مسألة البوسفور والدردنيل ، اللذين يجمعهما بحر مرمرة من بحر ايجه الى البحر الاسود . ولقد كان

لتركية ، حتى القرن التاسع عشر ، كل الحق في ان تفتح او تسد طريق المضيقين بوجه المراكب الحربية الاجنبية . اما في عصرنا فان انكلترة اوجدت هذه المشكلة المهمة التي سوف لا تحل بسرعة ، رغم التفاؤل والآمال العديدة. وان المؤلف يتوقف بعدل عند الحوادث الاخيرة المؤثرة في مصير المضيقين ، وهي كل ما جرته الحرب العامة . وعلى الجملة فان هذا الكتاب يؤلف بحثاً مفيداً يُغني عن كثير من التفتيشات الطويلة ج.ل.

Müller (Karl): Kanon 2 und 6 von Konstantinopel 381 und 382- *Festgabe für Adolf Jülicher — Verlag von J. C. B. Mohr. Tübingen*, 1927. *Prix : M.* 1, 20

قانونا القسطنطينية الثاني والسادس

يبحث المؤلف عمّا اذا كان القانونان اللذان يُنسبان عادة ، تحت رقمي ٢ و٦ ، الى المجمع القسطنطيني المنعقد سنة ٣٨١ ، ليسا فعلاً ، ولاسيما الثاني ، من عمل المجمع المنعقد سنة ٣٨٢ . ان مجمع سنة ٣٨١ المنعقد في القسطنطينية دعا اليه الامبراطور تيودوسيوس ، ومع انه لم يكن فيه الّا اساقفة الشرق فقط ، عُدّ مجمعاً مسكونياً . اما القانونان المذكوران ، فيبحث الاول منهما في تحديد دائرة نفوذ كل اسقف ، والثاني يحدّد ويراقب التهم الملصقة بالاساقفة.

ج.ل

Dr Josef Schmid : Der Ephesserbrief des Apostels Paulus - *Biblische Studien XXII Band*, 3/4 *Heft-gr.8° XXIV et 466 pp. Freiburg im Breisgau*, 1928, *Herder*. 16 *M.*

رسالة القديس بولس الى الافسسيين

عمل غاية في الطرافة والتوسع ، وهو اول عمل كاثوليكي من نوعه ، يعرض فيه المؤلف كل المسائل المتعلقة بهذه الرسالة من حيث العنوان ، واللغة ، وصلتها باسلوب العهد الجديد . فيظهر متضلعاً من موضوعه كل التضلع حتى انه من المستحيل ان يجد الطلاب من كهنة واساتذة ومتعلمين درساً اوسع من هذا واوفر دقة. ج.ل.

Prof. Hickmanns : Universal-Atlas 1927 vollständig neu bearbeitet von Alois Fischer. 90 *vielfarbige Tafeln*, 80 *Seiten Text*. *Petit in-4°*. *Prix* : 10 *M*.

تقويم جغرافي جامع

ان نجاح هذه النشرة المشهورة، واقبال الناس عليها ، يجعلها بحاجة دائمة الى الترقي ومطابقة مقتضى الحال. وان فيها من المعلومات الجغرافية والاقتصادية وغيرها المبسوطة بطريقة سهلة واضحة ما يصيرها لازمة كل اللزوم للصحافي والتاجر ، ولكل من اراد الوقوف على ما يجرى في الكون في زمانه. ج.ل.

Mgr. Jaquet : Grammaire du grec du nouveau Testament. *in-8°*, 165 *pp. Paris, de Boccard*, 1927.

غراماطيق للغة العهد الجديد اليونانية

ليست لغة العهد الجديد من اليونانية الفصحى بل الدارجة . وعليه فترى الفائدة جزيلة من معرفتها وتمييزها. ولما كان همّ المؤلف افادة طلّاب الكهنوت اوّلًا ، قابل في كل صفحة من كتابه اللغة الدارجة باللغة المدرسية. وهو اسلوب حسن لولا انه تشوّه بالاغلاط المطبعية الكثيرة.

Mgr. Louis Prunel : Pour l'Église et pour la Patrie, *discours à des Jeunes Gens. vol in-16, VI-275 pp. Téqui, Paris. Prix: 12 f*

في سبيل الكنيسة والوطن

هي مجموعة خطب غايتها حثّ الشبيبة على السير دائمًا في سبيل اعلاء شان الكنيسة والوطن . وان المطالع يشعر فيها بروح الغيرة يدفع الخطيب لعمل الخير دون ان يدركه الضجر او اليأس ، وهو القائل « كما انه لا يمكن للمسيحي وللكاهن الكاثوليكي ان يَيأسا من نجاح الكنيسة ، كذلك لا يمكن للفرنسوي ان ييأس من نجاح فرنسة.» اذًا فالكتاب مفيد كل الافادة ، ليس فقط للشبّان ، بل ايضاً للكهنة المهتمين بامور الشبّان ، ولارباب الاسر المكترثين لتنشئة ابنائهم تنشئةً دينية وطنية صالحة ، وبالاجمال لكل الشعوب الكاثوليكية.

Dr Otto Bardenhewer : Der Brief des heiligen Jakobus, *übersetzt und erklaert .gr.8°.VIII et 160 pp.Freiburg im Breisgau*,1928, *Herder. Prix* : *M.* 4, 40.

رسالة القديس يعقوب

مقصد المؤلف الاولي ان يبيّن صريحاً ترتيب هذه الرسالة العقلي وغايتها من التعليم وهو يراها ، لا رسالةً فردية امتيادية ، بـل كتاب تنشيط ووعظ على نحو ما نشاهده في رسالة القديس بولس الثانية الى اهل كورنتس. والمؤلف يشرح كل ذلك بطريقة وافرة المعلومات صائبة دائماً ، مستحقـة كل الشكر . ومن المفيد الملاحظة انه من عهد بعيد لم يُقدم احد كاثوليك المانية على شرح هذا النصّ .

ج.ل

Gustave Kahn : Vieil Orient. Orient neuf. *in*-12, *Paris, Biblioth. Charpentier, Eugène Fasquelle, éditeur*,1928. *Prix*: 12 *f*.

الشرق القديم شرقٌ جديد

ليس هذا العنوان اطروحة فلسفية او اجتماعية. ان هو الّا مجموعة حكايات تمثّل شرقاً منظوراً من خلال سراب وهّاج اكثر من تمثيلها الشرق الحقيقي على ان هـذا الشرق يوافق ، في عرف المؤلف ، بلاد مراكش موافقته بلاد العجم ؛ فلا وحدة في ذلك الّا الديانة . وكأنّ المؤلف يقول انه كلّما تعدّد هذا الشرق وتشعّب ظهر واحـداً . ولعلّ هذا اقرب اقواله الى الحقيقة . والكتاب مقدّم لادوار هريو الذي ينعته الكاتب « بخالق الحقائق الاجتماعية »

ج.ل

فقر وعفاف

او مذكرات شاب فقير ، تأليف اوكتاف فوييه ، وترجمة الاستاذ احمد رأفت

عني بنشرها الياس انطون الياس صاحب المطبعة المصرية

لقد اظهر معرب هذه الرواية وناشرها حسن ذوق وغيرة على الآداب العربية تذكر لهما فتشكر . وهذا الكتاب تفيد مطالعته الشبيبة عموماً ، والشبان النبلاء

الذين حطهم الدهر عن عزهم ، خصوصاً :

يرون في « المركيز ده شامباي دوتريف » اخاً لهم ومرافقاً في طريق المصائب والشدائد يتيم ولم يرث من ابويه مالاً . فلم يسترسل الى اليأس ولم يستنكف من الدخول في خدمة اسرة « لاروك » الغنية وقد غيّر اسمه وتنكّر . فأدّى به حسن سلوكه وأنفته وطيبة اخلاقه الى امتلاك قلب الآنسة لاروك . على ان تباين الحالة بين العروسين كان يحول دون قرانهما ، لكن الشاب الفقير حظي فجأة ، بثروة طائلة ، نالها بالوراثة فكُشف النقاب عن نسبه وعُرف كرم محتده ومن ثم تمت به الافراح .

واكتاف فويه (١٨٢١—١٨٩٠) واضع الكتاب هو من الرواة المقتدرين والكتبة المجيدين في وصف الحياة الاستقراطية الفرنساوية في زمانه . ورواية « نقر وعقاف » من اعزّ مؤلفاته ادباً ، وفناً ، وتحليل اخلاق . اما لغة التعريب فمتينة ، لكنها كثيراً ما تنمّ عن اصلها الافرنسي ف . ت

معجم المطبوعات العربية والمعربة

وهو شامل لاسماء الكتب المطبوعة في الاقطار الشرقية والغربية مع ذكر اسماء مؤلفيها ولمحة من ترجمتهم وذلك من يوم ظهور الطباعة الى غاية السنة ١٣٣٩-١٩١٩ م

جمعه ورتبه يوسف اليان سركيس

الجزء الاول — مطبعة سركيس بمصر ١٣٤٦-١٩٢٨

لولا الفهارس لتورط مريدو المكاتب تورطاً تزايد مع وفرة الكتب في دورها وخزائنها . والفهارس منها تعرض الكتب مرتبةً بعناوينها كفهارس دار الكتب المصرية . ومنها ، تعرض الكتب مصفوفةً بحسب اسماء مؤلفيها طبقاً لعادة الافرنج . ونحن نفضل الترتيب الثاني على الاول وهو اقرب منهُ منهجاً لمطالعة الكتب . فلذلك راقنا ما وجدناه في « معجم المطبوعات » من نظام جديد سوف يكون ان شاء الله فاتحة عهد جديد في ترتيب الكتب العربية وتسميتها . فنشكر لصاحب الكتاب همته الشماء وغيرته على ذكر آثار السلف مثالاً جميلاً يقتدي به الخلف . وقد عني السيد يوسف سركيس بوضع ترجمة المؤلفين موجزة وان ذلك لشروع تنوء دونه اكتاف الاقوياء من الكتاب . فنتمنى لهُ انجازه بالنجاح ونود لو لم يهمل المؤلفات الدينية النصرانية ولها في تاريخ الآداب العربية مكانة لا يستهان بها ف . ت

نقد كتاب الديارات

الوارد في الجزء الاول من مسالك الابصار لابي فضل الله العمري . تحقيق الاستاذ احمد ذكي باشا

بقلم حبيب الزيات

بشرى لطلاب العلم وعشاق التدقيق في البحث، فان لهم في هذه النشرة آية يهتدون بها الى فن النقد ، والمقابلة بين النصوص التي تمكن القارئ من الوقوف على متن المؤلفات ، قبل ان تعبث بها اقلام النساخ والخطاطين . ان الاستاذ حبيب افندي الزيات معروف من قراء المشرق وما ان عقله الثاقب أدى به الى اقتراح تصحيحات رآها مفيدة لكتاب الديارات، فأبداها مدعمة بالشواهد والحجج مما لا يدع مجالاً للريب في صحتها

اكرم بها محاسن قلدها الاستاذ حبيب الزيات كتاب الديارات فزاده منافع من غير ما يحط من قدره وفضله . وطبعة احمد زكي باشا قد حلت من العلماء محلاً من الاعتبار لم يبلغه غيرها من امثالها في المطبوعات المصرية الحديثة ه.ل

المنتخبات العصرية لدرس الآداب العربية

الجزء الاول : نصوص المنتخبات

جمع السيدة كلثوم نصر عوده تاسيليفا ، معلمة اللغة العربية في الكلية الشرقية في لينينغراد

قطع وسط ، ص XXV + ٢٥٨ ، لينينغراد ١٩٢٨

في عاصمة روسية نهضة لتعزيز الآداب العربية تستحق كل ثناء . وقد تكلمنا مرات في المشرق عن جهود الاستاذ اغناطيوس كراتشقوفسكي ، وهو من طلاب كليتنا الشرقية سابقاً ، في هذا السبيل . وها نحن نرى اليوم شاهداً جديداً على عنايته وغيرته الا وهو مراقبته لنشر هذه المنتخبات العصرية ، وكتابته مقدمتها باللغة الروسية ذاكراً المصادر التي استقت منها السيدة عوده تلك القطع المختلفة . والكتاب مخصص كله للنثر العربي منذ تطوره في اواخر القرن الماضي الى عصرنا . اما زمن كتابة المنتخبات فيتراوح بين السنة ١٨٨٠

والسنة ١٩٢٥ ، واما الكتّاب المذكورون فاكثرهم من اللبنانيين والسوريين من متمصّرين ومتأمركين ، واشهرهم : محمد عبده ، اديب اسحق ، نجيب الحدّاد ، سليمان البستاني ، جرجي زيدان ، فرح انطون ، وليّ الدين يكن ، المنفلوطي ، جبران خليل جبران ، مخائيل نعيمه ، محمود تيمور . ويُختم الكتاب بذكر ثلاث سيّدات هنّ ملك حفني ناصف ، ومي ، وسلمى صائغ . هذا ولا عيب في الكتاب سوى انتخاب بعض قطع لا تفيد شيئاً في درس الادب المصري ، ولا تدلّ على شخصية كتّابها ، اما لكونها ظرفية محضة فقدت قيمتها بسبب مرور زمن انشائها ، واما لكونها كثيرة التكلف فاصبحت قديمة بالنسبة الى التطوّر الذي حصل في عقلية كاتبها ، مع بعض الاغلاط الطبعية التي قد تحول بين القارئ وحقيقة النصّ . وعدا ما تقدّم فالعمل يستحق كلّ ثناء .

ف . ا . ب

سيرة عمر بن عبد العزيز

على ما رواه الامام مالك بن انس واصحابه تأليف ابي محمد عبد الله ابن عبد الحكم نسخها وصححها وعلق عليها

احمد عبيد

المطبعة الرحمانية بمصر ١٣٤٦-١٩٢٧

هو الخليفة عمر الثاني وهذه سيرته وهي اقدم ما انتهى الينا عن حياة هذا الرجل الكبير ، منقولة عن نسختين احداهما موجودة في دمشق والثانية في باريس ومنشورة بمعرفة السيد احمد عبيد العلامة المدقق ، السالك في النقد الاسلوب العلمي الحديث . وقد صوّر في الكتاب مثالين لكل نسخة من النسختين وصدره بمقدمة ترجم بها لابن الحكم مؤلف سيرة عمر واحسن ترجمته

ما اجلّ الخليفة عمر الثاني في نظر المسلمين حكمةً وما اعظمه رقة ووقاراً . كأن الرحمان قد منّ عليه بموهبة الدموع كما مَنّ بها على بعض اصفيائه من الرهبان فكان الدمع ينسجم من عيونه انسجاماً

« دخل عليه رجل ، وبين يديه كانونٌ فيه نار ، فقال عظني . قال : يا امير المؤمنين : ما ينفعك من دخل الجنة اذا دخلت انت النار وما يضرك من دخل

النار اذا دخلت انت الجنة : فبكى عمر حتى طفئ الكانون الذي بين يديه من دموعه » (ص ١٠٩)

وامثال ذلك كثيرة . رواها السيد احمد عبيد ولم يرَ من شأنه ان يتحقق صدق نسبتها وحقيقة امرها وانما مهمته مهمة الناشر فقام بها خير القيام فنشكر له هديته ه.ل.

مختصر الفرائد الدرية

في اللغتين العربية والفرنساوية

Petit Dictionnaire Arabe-Français

كذلك بعنوان الكتاب منبئاً عن فحواه ؛ فهو ملخص قاموس الاب بلو اليسوعي ، عهدت ادارة المطبعة الكاثوليكية بامره الى لجنة من الرجال المتضلعين من اللغتين العربية والفرنساوية،فرضوه على ان يجد فيه اصحاب الصناعة والتجارة ما يحتاجون اليه من الالفاظ لمعاملاتهم اليومية ، ويستغني به طلبة المدارس عن المعاجم الكبرى لترجمة الكتب الموضوعة بين يديهم من امثال كليلة ودمنة ومجاني الادب في اجزائه الاولى وغيرها . وعدد صفحاته ينيف على ٨١٦ من القطع الصغير (١٦) وثمن النسخة منه ١٨ غرشاً ذهباً ف.ت.

كتاب المنهاج السوي في التخريج اللغوي

وضع ظاهر خيرالله — استخرجه ابن الواضع امين

(مطبعة الاجتهاد بيروت ١٩٢٨ ص ١٢٠)

هذا الكتاب غرضهُ هداية المتضلعين من اللغة العربية الى التنقيب عن معاني الالفاظ الاصيلة طبقاً لقواعد التخريج . وعلم التخريج ليس هو بعلم الصرف ولا بالنحو ولا بالبيان بل هو قائم بذاته ، او اقرب من علم المعاني. فانه يتناول كل فعل من الافعال المجردة ويبحث في العلل التي تُزيد عدد المشتقات منه او تنقصها،لان مزيدات الثلاثي عشرة ولا يؤخذ منها كلها مشتقات لكل الافعال. وان مادة هذا المؤلف النفيس لاوسع من ان نحصر وصفها بهذه الاسطر الوجيزة وحسبنا التنويه بها وحثّ الاساتذة على اقتناء الكتاب فتبدو لهم منه الفوائد الجمة. ف.ت.

رواية شهداء الاخلاص

مترجمة عن الافرنسية بقلم طانيوس عبده

هذا الكتاب نشره ايضاً السيد الياس انطون الياس ، وددنا لو وقفنا من عنوانه على اسم مؤلفه الافرنسي ، فينال من ذكر اسمهُ بلغتنا بعض ما استحقه من الثناء بوضع كتابه . اما بلاغة المعرّب فمعروفة ولغته رائقة سائغة ارخت سدولها على المتن الافرنسي الاصلي فاتاته رونقاً ف.ت.

هدايا أُرسلت الى المشرق

— الاسرة العلوية في مصر — هي طائفة من الشعر رفعها الى الملك فؤاد الاول السيد يوسف الحاجّ من الشبانية (لبنان) وصدّرها برسم جلالته ، مع رسم محمد علي باشا ، والخديوي اسماعيل والد الملك الحالي ، والامير فاروق وليّ العهد . فكان هذا الكتيّب برهاناً عن تعلّق الناظم بجلالة الملك فؤاد ، وشعار ولاء بين القطرين المتجاورين .

— في سبيل الاخلاق — قصيدة اجتماعية نظمها وفسّر الفاظها السيد احمد عبيد وغايته ان يمثل ما بلغ اليه من التهوّر وانتهاك بعض جهّال الشبّان من متبّعي الفساد العصرية ، وان يدعو الى التمسّك بالحجاب ضدّ دعاة السفور

— استعراض اللغة العربية — محاضرة القيت في بيروت في ٢٢ ايار سنة ١٩٣٨ بقلم يوسف سعاده ، ثمن النسخة ٥ غروش سورية . مطبعة جدعون بيروت

— طرائف الحكمة — مجموعة رائعة من اقوال المتقدمين والمتأخرين في الادب والحكمة والامثال العربية من منظوم ومنثور جمعها ورتبها احمد عبيد طبعت بنفقة عبيد اخوان الجزآن الاول والثاني — المطبعة الرحمانية

اتخذ صاحب الكتاب كلام علي بن ابي طالب شعاراً فقال « ان هذه القلوب تملّ كما تملّ الأبدان فابتغوا لها طرائف الحكمة » واهتدى به في انتخاب النصوص فاجاد وافاد

— فهرس المطبعة السلفية ومكتبتها — لصاحبيها محب الدين الخطيب وعبد الفتاح قتلان . بيان فيه شروط المطبعة والمكتبة ، ونماذج من حروف المطبعة ، وذكر المطبوعات الخاصة والعامة واجور التجليد؛ القاهرة ١٣٤٦ . هو كتاب كبير القطع يناهز عدد صفحاته ٢٥٠ وفيه لائحة اهم ما طبع في اللغة العربية من الكتب فهو يشهد لاصحاب المطبعة السلفية بحسن الذوق والنشاط والغيرة على نشر الاداب العربية وعلى رفع لواء لغتها الشريفة

اهمّ حوادث الشرق في شهر

١٥ حزيران — ١٥ تموز

نهضت الكنيسة الارمنية المخضبة بدم شهدائها الزكي ، وسارت الى مقر الرئاسة البطرسية بشخص احبارها الموقرين ، وعقدت مجمعها التاريخي فجمعت شتاتها في حمى الكرسي الرسولي ، واسترشدت بهدايته الى ما اتخذته من التدابير الآئلة الى نجاحها : فنقلت الكرسي البطريركي الارمني الكاثوليكي الى الجمهورية اللبنانية (٣٠ حزيران).

* * *

لقد كدّر صفاءنا وآلمنا ما اصاب دمشق من حريق ذهب بارواح عزيزة ، وسبّب اضرارًا ماديةً جسيمة لم نكن بقط احوج الى تلافيها منا اليوم . (١٩ حزيران) . واسفنا لما وقع في محافظة حوران (٥ تموز) من حوادث التلصص وفي جوارنا من التعديات المخلة بالنظام العام والمشنعة سمعة البلاد . على انها كوارث حلت بنا كما تحل يومياً في سائر بلاد الله . اما حالة البلاد اجمالًا فكانت مرضيةً حسنة ؛ وقد خيمت الراحة والامن على البلاد من الفرات الى الاردن ومن تدمر الى البحر.

* * *

لم يبلغنا عن اعمال المجلس التأسيسي الدمشقي ما يدعو الى القلق في امر المستقبل ، ومصير البلاد ، وحسن اتفاقها مع الدولة المنتدبة ومع الجمهورية اللبنانية . وكأني بعقلاء الامة قد فطنوا الى مصالح البلاد الحقيقية فاخذوا يشتغلون عن السياسة العقيمة بما هو انفع لمستقبلنا واسرع في مداواة امراضنا المزمنة . ان ثروة سورية ومعدن غناها هو موقعها الجغرافي وهذه حجة دامغة وحقيقة راهنة اثبتها الشرق الحالي (ص : ٥٧٧—٥٨٣) فالبطل والنابغة فينا هو الذي يهدي مواطنيه الى استنباط تلك الكنوز واستغلالها

وقد بذلت الحكومة في هذا السبيل من المجهودات ما يذكر لها فيشكر: لان الطريق بين بيروت وصوفر تزفّت ، والمياه في قرية الشهباء في حوران انسجمت. وحامت شركات النور الكهربائي حول مياه العاصي لتشغيلها. ووقفت اللجنة المعهود اليها امر مد الخط الحديدي بين حمص ودير الزور وقفة المتبصر الحزوم المجدّ في العمل

* * *

ان الاخبار الاقتصادية الشرقية فيما يخص الصلة بين بغداد وحيفا ومد انابيب النفط من معادنها الى البحر لأهم من ان تغفل عنها الدولة المنتدبة ؛ ولها الحق في الربع من منابع البترول ، وحياة البلاد السورية ومستقبلها ونجاحها منوط امره بمرور تلك الانابيب في بلادنا لا في سواها . فليست اذن الساعة ساعة ابتذال الكلام ونص القوانين والمتاجرة « بالبارلمانية » . وثروة البلاد وحياتها موضوعة في كفة الميزان . بل علينا نحن السوريين ان نوحد كلمتنا ونضم صوتنا الى صوت الدولة المنتدبة لتقوى شوكتنا ، وتقوى هي بنا على حفظ حقوقها وحقوقنا في بترول الموصل . فيبقى لنا جبل سنجار وما فيه من معادن النفط ، ولا تنسلخ عنا الاراضي التي الحقتها بسورية معاهدات الدول سواء كان ذلك شرقاً او شمالاً او جنوباً.

* * *

ليس المجال لذكر ما تبذله ايطالية من المساعي لتحلّ في الشرق محل فرنسة ريثما يتسنى لها ان تزحزح ايضاً انكلترة عن مقامها فتتمتع بمكانة الدولة الالمانية القيصرية في الشرق . وما اعظم ما بذلته من الجهود في هذا السبيل ! فقد ابرمت معاهدة الحياد مع تركية ، واتفقت مع اليمن ، واوفدت ولي عهدها الى فلسطين والقطر المصري تعزيزاً لاسمها . وهي تحرك جهاراً وعلانيةً عوامل السياسة عسى ان تنال من جمعية الامم اعادة النظر في الانتداب السوري . وليست انكلترة باقل غيرة على مصالحها وطموحاً الى انشاء مملكة عربية واحدة تضم سورية الى العراق والى فلسطين والجزيرة ، وتكون تحت سيادة الملك البريطاني وما مزاحمتها لايطالية في اليمن الا شاهد على ذلك الاجتهاد . ونحن

في غضونها نلتهي عن الاهم بالمهم او بما لا يهم . فنستقبل الريح من حيث هبت ولا يقر لنا قرار على مبدأ كأنَّ البلاد مخيرة في ان تغير مصيرها كل عام او عامين . او كأن الشرف والمروءة وحفظ العهود بضاعة تعرض في المزاد

لقد مضت السنون والاحقاب ومصر على غناها وعزها مورطة في امر حماية الانكليز عليها . وكلما حاولت فك قيودها بالعنف تورطت ؛ وما الازمة الوزارية الاخيرة الا فصل من فصول تلك السياسة وشتان بين مصر الغنيَّة الآهلة بالسكان وبين سورية التي لا يكاد يبلغ عدد سكانها الثلاثة ملايين. فحسبنا اذن بالعقل والفطنة والكرامة مدعاة للخلود الى السكينة وللعمل يداً بيد مع الدولة التي انتدبناها لنسير واياها في سبيل خير البلاد الحقيقي

* * *

ولعل البعض ينظرون الى انقرة ويتوقعون من حركة التجدد المتواصلة في تركية آمالاً يعللون بها انفسهم بما يعود بالخير على مصالحهم الشخصية . ولعل هذه العاطفة مصدرها العصبية التي جمعت شتات المسلمين حول شخص الخليفة العثماني مدة اجيال . ولكن آخر ما بلغنا عن تركية انها «تقطع آخر صلة لها بالاسلام» (١) باستبدال الاحرف العربية بالاحرف اللاتينية . فلم يبق اذاً بيننا وبين الاتراك ما يربطنا بالصلة الادبية المؤلفة بقلوب الشعوب المتفقة على قراءة واحدة.

وليس مما بلغنا عن معاهدة امان الله خان ، ملك الافغان ، مع مصطفى كمال مما يرجى منه خيرٌ لنا. وتلك المعاهدة مآلها توحيد كلمة العناصر الطورانية وضم مجهوداتها في سبيل الفتح ، اذا ما سنحت لهم فرصة الفتوح . واي خير يرجى منهم ؟ بل اي خير نالته سورية من جدهم تيمورلنك فاتح حلب وناهبها ومدمر دمشق (١٤٠١) الم يكف هذه البلاد ما قاسته من ظلم الاتراك مدة خمسة قرون ؟

ف.ت.

(١) من مقالة للاستاذ الفاروقي في جريدة البلاغ المصرية

المشرق

اخوة واخوات يسوع

بقلم الاب انطون صالحاني اليسوعي

١

ذكر لفظ « اخوة » في الآيات

ورد في اسفار العهد الجديد ذكر « اخوة واخوات يسوع » فنقول انهُ يُراد بهم اقارب السيّد المسيح ، لا اخوة ليسوع في الحقيقة

يُفيدنا ان نأتي بادئ بدء بالآيات التي ورد فيها ذكر اخوة واخوات يسوع:

« فيما هو يتكلّم مع الجموع اذا امّه واخوته قد وقفوا خارجاً يريدون ان يكلّموه . فقال لهُ واحدٌ ان امّك واخوتك واقفون خارجاً يريدون ان يكلّموك » (متى ١٢: ٤٦و٤٧)

« اليس هذا هو ابن النجّار . اليست امّه تسمّى مريم واخوته يعقوب ويوسى وسمعان ويهوذا . او ليست اخواته كلهنّ عندنا فمن اين لهُ هذا كله . وكانوا يشكّون فيه » (متى ١٣: ٥٥ — ٥٧)

« حينئذٍ جاءت امّه واخوته ووقفوا خارجاً وارسلوا اليه يدعونه . وكان الجمع جلوساً حوله فقالوا لهُ ان امّك واخوتك خارجاً يطلبونك » (مرقس ٣: ٣١و٣٢)

« أليس هذا هو النجّار ابن مريم واخا يعقوب ويوسى ويهوذا وسمعان . او ليست اخواته ههنا عندنا . وكانوا يشكون فيه » (مرقس ٦: ٣)

« واقبلت اليه امّه واخوته فلم يقدروا على الوصول اليه لاجل الجمع . فأُخبر

وقيل لهُ ان امك واخوتك واقفون خارجاً يريدون ان يروك» (لوقا ٨: ١٩و٢٠)

«وبعد هذا انحدر الى كفرناحوم هو وامه واخوته وتلاميذه ولبثوا هناك اياماً غير كثيرة» (يوحنا ٢: ١٢)

«فقال لهُ اخوته تحوَّلْ من ههنا واذهب الى اليهودية ليرى تلاميذك ايضاً اعمالك التي تصنعها ... لانَّ اخوته لم يكونوا يؤمنون بهِ» (يوحنا ٧: ٣و٥)

«هؤلاء [اي الاحد عشر رسولاً] كلّهم كانوا مواظبين على الصلاة بنفس واحدة مع النساء ومريم امّ يسوع ومع اخوتهِ» (اعمال ١: ١٤)

«أما لنا سلطان ان نجول بامرأةٍ اختٍ كسائر الرسل واخوة الرب وكيفا (١) » (١ كور ٩: ٥)

«ولم ارَ غيره من الرسل سوى يعقوب اخي الرب» (غلاطية ١: ١٩)

فمن إلقاء النظر على مجموع هذه الآيات يتبادر الى الذهن انَّ المسمَّين اخوة يسوع هم اولاد مريم العذراء ويوسف واخوة يسوع في الحقيقة . وليس الامر كذلك بل هم من اقارب المسيح كما سنبيّنه بالادلّة التي لا مردَّ عليها

* * *

بتولية العذراء مريم والقديس يوسف

انَّ الكنيسة جمعاء ، إن شرقيَّة وإن غربية ، اعتقدت ولا تزال تعتقد كحقيقة من الايمان ان مريم امّ يسوع هي عذراء لم تعرف رجلاً . وهذا الاعتقاد يؤيّده جميع آباء الكنيسة كاوريجين وباسيليوس واپيفانيوس وثاوفيلكتوس وكيرلُّس الاسكندري وتيودوريت وايرونيموس وامبرسيوس واوغسطينوس وكثير غيرهم . وقد سلَّم بهذه الحقيقة بعض البروتستانت . زد على ذلك اننا نجدها في قانون ايمان الرسل حيث مريم امّ يسوع تسمَّى عذراء: «وُلد من مريم العذراء» فكان

(١) كان من عادتهم ان يستصحبوا في جولاتهم نساء تقيّات ليخدمنَهم في التبشير كما هو مذكور في الانجيل عن المسيح نفسه «وبعد ذلك جال في المدُن والقرى يكرز ويبشّر بملكوت الله ومعهُ الاثنا عشر ونساء كان قد ابرأهنَّ من ارواح شريرة واسقام وهنَّ مريم ... وحنّة ... وسوسنّة ... وأُخر كثيرات كنَّ يبذلنَ من اموالهنَّ في خدمته» (لوقا ٨: ١-٤)

هذا اللقب مميزاً لها ، لانها حبلت بيسوع بقوّة الروح القدس: «انَّ الروح القدس يحلّ عليكِ وقوّة العلي تظلّلكِ » (لوقا ١: ٣٥) . وكانت عذراء في ولادتها يسوع اذ انهُ وُلد منها كما يجتاز شعاع النور الزجاج دون ان يثلمه ، وكما دخل يسوع عليّة صهيون بعد قيامته والابواب مُغلقة (يوحنا ٢٠: ١٩و٢٦) ويُستنتج ذلك ايضاً من نوع كلام لوقا (٢: ٧) في ميلاد يسوع : «ولدت ابنها البكر فلفّتهُ واضجعتهُ في مذود». فالعذراء مريم ذاتها عُنيت بمولودها الحديث الطفل يسوع. وهذا يدلّ صريحاً ، وإن ضمناً ، على ولادة خارقة العادة وميلاد عجائبي. وبقيت عذراء بعد الولادة لانها حياتها كلّها لم تعرف رجلاً ولم تلد غير يسوع . ونرى الآباء القديسين يخصصون بالعذراء مريم ما قالهُ حزقيال النبي (٤٤: ٢) عن باب المقدس: «قال لي الربّ ان هذا الباب يكون مُغلقاً لا يُفتح ولا يدخل منهُ رجل لان الرب إله اسرائيل قد دخل منهُ فيكون مغلقاً » . او كان لائقاً ان التي ولدت يسوع وحفظها عذراء في ميلاده تلد غيره وتفقد بتوليتها ؟ لا لعمرُ الحقّ . فالمعتقد القويم الذي نادت بهِ جميع الكنائس منذ ابتداء النصرانيّة هو ان مريم العذراء هي دائمة البتولية

وقد اثبت هذه العقيدة الاحبار الاعظمون ، والمجامع. فأصدر البابا سيريس حكمه سنة ٣٩١ مؤيداً هذا الايمان . وفي المجمع اللاتراني المنعقد سنة ٦٤٩ قرّر الآباء. ان البتول مريم بقيت عذراء بعد الولادة . وفي السنة ١٥٥٥ حرم البابا بولس الرابع هرطقة السوسنيين ، واعلن ان مريم والدة الله هي عذراء قبل الولادة ، وفي الولادة ، وبعد الولادة ؛ وان هذا الاعتقاد هو من جملة الحقائق التي يجب ان نؤمن بها

ثم ان بعض الآباء ، واخصّهم القديس ابيفانيوس ، رغبةً منهم في ان يدافعوا عن حقيقة بتولية مريم العذراء ، بسبب ما ورد في اسفار العهد الجديد من ذكر اخوة واخوات يسوع ، ارتأوا ان من يسمّيهم الكتاب المقدس بهذا الاسم كانوا اولاد يوسف خطيب مريم البتول ، وُلدوا لهُ من امرأةٍ كان تزوّجها قبل ان يخطب العذراء . لكنّ هذا القول لا سند لهُ وهو بعيد عن الصواب ، ومنافٍ لما علّمتهُ وتعلّمهُ الكنيسة من ان خطيب مريم العذراء كان

وبقي بتولاً حياته كلها. وقد دافع عن بتولية القديس يوسف القديس ايرونيموس وكثير من آباء الكنيسة ومعلميها

قال القديس ايرونيموس : « ظنّ البعض ان اخوة الرب هم اولاد يوسف وُلدوا لهُ من امرأة اخرى منقادين في ظنهم هذا الى احلام الاناجيل الابوكريف» اي الاناجيل الزور . وقال ايضاً مخاطباً هلفيديوس الذي كان ينكر بتولية مريم العذراء « تدّعي انت ان مريم لم تبقَ عذراء . وانا اقول لك ما هو اعظم وهو ان يوسف نفسه كان بتولاً وذلك بسبب مريم لكي يُولَد البتوليَّة بالذات (اي يسوع) من زواج بتولَيْن ». وتعليم ايرونيموس هذا قد تمسَّك بهِ يوحنا فم الذهب مصباح الكنيسة الشرقية وقد انضمّ اليهما تيودوريت وثاوفيلكتوس من آباء اليونان . امّا آباء الكنيسة الغربية فانهم لم يذكروا مسألة زواج يوسف خطيب العذراء بامرأة اخرى الّا ليفنّدوا هذا القول الفاسد ويرذلوه . قال القديس اوغسطينوس في عظته ٢٤ ليوم ميلاد الرب « قد وُلد المسيح قوة الملائكة من مريم ويوسف المتشابهين في البتولية »

وتعليم الآباء تؤيده الليتورجيات : فالكنيسة اليونانية تمدح يوسف بثناء عطر لم تخصّ بهِ اعظم القديسين وتذكر صريحاً بتوليته في المناون الكبير في يوم الاحد المعروف بأحد يوسف الواقع بعد عيد الميلاد حيث ورد عنهُ ما ترجمته « انك (يا يوسف) قد حصلتَ على البتولية ودُعيت ابأً للطفل المولود » وفي مناون الروم المطبوع ببيروت (الجزء الاول ص ٣٦٤ العمود ٢) نقرأ « يا يوسف المجيد بما انك مزيَّن بسيرة لا عيب فيها فقد حصلت حافظاً للبتولية الحقيقية البريئة من العيب ودُعيت ابأً للغلام المولود فتعظمت بهذه التسمية الشريفة ». أيوجد شهادة اوضح من هذه ؟ وفي السنكسار اليوناني المستعمل في كنائس اليونان في ايطالية ورد ذكر عيد القديس يوسف بهذه الصورة « عيد الجليل والدائم البتولية يوسف خطيب مريم العذراء »

ان مقام القديس يوسف وشرف العذراء مريم كانا يقتضيان بتولية يوسف لان يسوع اختار امّاً بتولاً واصطفى لهُ صابغاً بتولاً ، يوحنا المعمدان ، وأحبّ تلميذاً بتولاً ، يوحنا الحبيب. افما كان من اللائق ان يختار لهُ ابأً شرعياً يكون

بتولاً ؟ لان البتولية اسمى رتبة من الزواج وتفوقه شرفاً فقد قال الحكيم (حكمة ٤:١) «ان البتولية مع الفضيلة اجمل» . وقال بولس الرسول (١ كور ٧:٣٨): «من زوّج عذراءه يفعل حسناً ومن لم يزوجها يفعل احسن». والوثنيون انفسهم نظروا الى البتولية بعين الاعتبار وأقرّوا بشرفها فقد كان الشعب الروماني يفتخر كل الافتخار بتلك العذارى المنقطعات الى خدمة الالهة ڤستا ولقد قرظوا في كتبهم العفة ابدع تقريظ. قال شيشرون «لا شيء انقى واحسن من حياة العزّاب المنقضية بملازمة العفة»

امّا مصدر رأي ابيفانيوس الفاسد فهو الاناجيل الابوكريف، اي الاناجيل المزور، انجيل يعقوب وانجيل بطرس وانجيل ميلاد مريم وانجيل طفولية يسوع.

فلتأييد حقيقة بتولية مريم لا حاجة الى القول بان من يُسمَّون اخوة يسوع كانوا اولاد يوسف خطيب مريم العذراء من زواج سابق لزواجها. بل يكفي ان نبيّن اولاً ان اللفظة «اخ واخوة» تُطلق على الاقارب بدرجات متفاوتة . وان نبيّن ثانياً ان الذين يُسمَّون اخوة يسوع نجد لهم في الانجيل وفي التاريخ ابوين مختلفين عن مريم العذراء وخطيبها يوسف

* * *

معنى كلمة «اخوة»

نقول اولاً ان اللفظة «اخ واخوة» وردت في مواضع مختلفة من الكتاب المقدس بمعنى الاقارب، لا بمعنى الاخوة الحقيقيين. ففي سفر التكوين (١٣:٨) يسمّي ابراهيم الخليل لوطاً اخاهُ: «انا نحن رجلان اخوان»؛ «فلمّا سمع ابرام ان اخاهُ قد أُسِر... فاسترجع جميع المال ولوطاً اخاه» (تكوين ١٤: ١٤و١٦). ومعلوم ان لوطاً لم يكن اخاً لابراهيم بل ابنَ اخيه: «واخذوا لوطاً ابن اخي ابرام» (تكوين ١٤:١٢) . وفي سفر اخبار الايام الاول (٢٣:٢٢) نقرأ: «ومات اليعازار ولم يكن لهُ بنون بل بنات فاخذهنَّ اخوتهنَّ بنو قيش». يريد بالاخوة بني العمّ كما يتّضح من الفصل ذاته (٢٣:٢١) : «وابنا مَحْلي أليعازار وقيش» . وجاء في سفر الاحبار (١٠:٤) : «دعا موسى ميشائيل وألصفان ابني عزيئيل عمّ هرون. وقال لهما تقدّما واحملا اخويكما من امام

القُدس الى خارج المحلّة» يعني باللفظة «اخويكما» ابني ابن العمّ ، لانّ الكلام عن ناداب وابيهو ابني هرون اللذين قرّبا بين يدي الرب بخوراً لم يأمرهما بهِ فأكلتهما النار وماتا. وفي سفر الملوك الرابع (١٠:١٣) ورد ما حرفه: «صادف ياهو اخوة أحزيا ملك يهوذا فقال لهم من انتم فقالوا نحن اخوة أحزيا انحدرنا لنسلّم على بني الملك» فامر بذبحهم وكانوا اثنين واربعين رجلاً . ونعلم من سفر اخبار الايام الثاني (٢٢:٨) انهم لم يكونوا بالحقيقة اخوة احزيا بل بني اخوته: «لما كان ياهو يقضي على بيت آحاب وجد رؤساء يهوذا وبني اخوة احزيا الخادمين لأحزيا فقتلهم»

فمن هذه الآيات وغيرها يتضح جليًّا ان اللفظة «اخوة» في الكتاب المقدّس وردت بمعنى الاقارب بدرجات متفاوتة في القرابة . وبهذا المعنى ايضاً استُعملت اللفظة «اخوة يسوع» في العهد الجديد اي بمعنى اقارب يسوع . واطلاق اسم الاخوة على الاقارب لا يزال جارياً في ايامنا في انحاء كثيرة من الشرق

* * *

أبوا المسمين «اخوة يسوع»

والآن نتقدّم خطوةً اخرى ونبيّن مَن هما في الحقيقة ابوا الاربعة الاخوة المسمّين اخوة يسوع . فنقول :

ان الانجيل يذكر اربعة اخوة ليسوع هم يعقوب ويوسى وسمعان ويهوذا (متى ١٣:٥٥ ومرقس ٦:٣) . ويقرن دائماً يعقوب ويوسى معاً ، وسمعان ويهوذا معاً ، وسنبيّن سبب ذلك. فان وجدنا في الانجيل والتاريخ لهؤلاء الاربعة الاخوة ابوين مختلفين عن مريم العذراء ويوسف خطيبها ، نكون اثبتنا ما نريد اثباته من ان الذين يُسمّون اخوة يسوع واخواته ليسوا الّا اقاربه لا اخوته واخواته بالحقيقة؛ ونكون ايّدنا معاً بتولية مريم العذراء وبتولية يوسف خطيبها

قال يوحنا في انجيله (١٩:٢٥) : «كانت واقفة عند صليب يسوع امّه واخت امّهِ مريم التي لكلوبا». فنقول ان مريم هذه ، التي هي لكلوبا والتي هي اخت مريم امّ يسوع ، هي والدة الاولاد المسمّين اخوة يسوع ؛ وانّ كلوبا

او حلفى هو ابوهم. والبرهان على ذلك نجده في الانجيل وفي ما سلم من الضياع من تاريخ هجزيب

ورد في الانجيل : « مريم امّ يعقوب » (لوقا ٢٤ : ١٠) « مريم امّ يعقوب ويوسى» (متى ٢٧ : ٥٦) «مريم امّ يعقوب الصغير وامّ يوسى» (مرقس ١٥ : ٤٠). فبقوله « الصغير » اراد ان يميّزه عن يعقوب بن زبدى اخي يوحنا الحبيب

فها قد وجدنا امًّا ليعقوب ويوسى المسمّين ، اخوي الرب ؛ فأمّهما مريم التي لكلوبا اخت مريم العذراء الواقفة معها عند صليب يسوع

ويؤيّد كلام الانجيل ما ورد في تاريخ هجزيب . نشأ هجزيب في فلسطين في اوائل القرن الثاني للمسيح. ثم وُجد في رومية على عهد البابا أنيسيت(١٥٦— ١٦٧)وأتمّ تدوين معلوماته بالكتابة في ايام البابا إلوتيروس(١٧٥ — ١٨٩) وكان طعن في السنّ. وقد استقصى في الاستعلام عن اقارب المسيح ، اذ كان مقيماً في فلسطين ، ممن كانوا باقين في قيد الحياة من اقارب المسيح وقد اضطهدهم الامبراطوران دوميسيان وتراجان لانهم من نسل داود الملك . ويُعتبر هجزيب كأب للتاريخ الكنسي. وقد قرّظه اوسابيوس المؤرخ ، واقتبس بعض المقاطيع من تاريخه الذي فُقد مع توالي الايام والحوادث الّا النزر منهُ. ومن ثم فهجزيب هو اعلم من غيره باقارب المسيح فيمكننا ان نعتمد عليه ونثق الثقة التامة بما كتب

فهجزيب هذا ، اذ يذكر سمعان ويعقوب اخوي الرب ، يسمّيهما ابني عمّ الرب. واليك تعريب عبارته اليونانية : «يعقوب الملقّب الصدّيق بعد ان استشهد مثل الرب وبسبب تعليمهِ الحقيقة ذاتها أُقيم اخوه سمعان بن كلوبا عمّ الرب خلفاً لهُ باتفاق الجميع على المناداة بهِ اسقفاً [لاورشليم] لانهُ هو ايضاً ابن عمّ آخر للرب » (١ فترى ان هجزيب يسمّي كلوبا عمّ الرب وان سمعان هو ابن كلوبا وان يعقوب وسمعان هما اخوان وابنا عمّ الرب . وفي بدء مقالتهِ نرى هجزيب يسمّي يعقوب «أخا الرب» (٢ مُتّبعاً في ذلك مثال كتبة العهد الجديد فيستعمل اللفظتين «الاخ» و «ابن العمّ» على الترادف. فيعتبر لفظة الاخ مرادفة لابن العمّ

١) مجموعة الآباء اليونان ابن المجلد ٥ العمود ١٣٢١

٢) مجموعة الآباء اليونان ابن المجلد ٥ العمود ١٣٠٨

ولفظة ابن العم مرادفة للاخ . وقال ايضاً هجزيب (١ ان مريم التي لكلوبا ولدت سمعان . ونعرف من الانجيل ان مريم التي لكلوبا هي ايضاً « امّ يعقوب ويوسى » . فترى ايها القارئ ان مريم التي لكلوبا هي امّ يعقوب ويوسى وسمعان

بقي علينا ان نبحث عن ابوي الاخ الرابع يهوذا . فيهوذا هذا في بدء رسالته يصرّح بانهُ اخو يعقوب : « من يهوذا عبد يسوع المسيح واخي يعقوب » (يهوذا ١) . ذكرَ يعقوب لشهرته لانه كان اول اسقف على اورشليم . فاذًا يهوذا هو ايضاً ابن عمّ الرب وابن مريم التي لكلوبا . وقد قال عنهُ هجزيب (٢ « يهوذا المسمّى اخا الرب بحسب الجسد » . فلو كان يهوذا اخا الرب حقيقةً لما كان من معنى للفظة « المسمّى » بل كانت لغوًا . فلم يكن اخا الرب حقيقةً بل من اقاربه . اما قوله « بحسب الجسد » فلكي يميّز تلميذ الرب وقريبه من سائر التلاميذ الذين هم اخوة الرب بالروح فقط لا بالقرابة . كما قال السيد المسيح لمريم المجدلية (يوحنا ٢٠ : ١٧) : « امضي الى اخوتي وقولي لهم اني صاعدٌ الى ابي وابيكم والهي والهكم . فجاءت مريم المجدلية واخبرت التلاميذ »

فلخص القول هو ان يوسف البتول واخوه كلوبا تزوّجا اختين تسمّيان كلتاهما مريم ، (٣ على فرض ان مريم التي لكلوبا هي شقيقة مريم العذراء ، فعاش يوسف مع خطيبته مريم العذراء متبتلين . امّا كلوبا فانه اولد اربعة بنين وثلاث بنات (٤ وهؤلاء السبعة هم اولاد كلوبا عمّ يسوع وأبناء خالته مريم اخت مريم العذراء . فلا عجب ان يُسمّوا اخوة واخوات يسوع بسبب القرابة المزدوجة من قِبل الاب والامّ .

ولدينا رأي آخر نراه اصحّ مما تقدم وسنبيّنه في العدد القادم

١) مجموعة الآباء اليونان لمين المجلد ٥ العمود ١٣١٧

٢) مجموعة الآباء اليونان لمين المجلد ٥ العمود ١٣١٦

٣) ليس من الغريب ان اختين في العائلة الواحدة تُسميان باسم مريم . وكان هذا الاسم شائعاً عند اليهود . ففي آية واحدة من انجيل يوحنا (١٩ : ٢٥) تذكر ثلاث نسوة باسم مريم : مريم ام يسوع ، ومريم التي لكلوبا ، ومريم المجدلية . وكان لهيرودس الكبير ابنان باسم فيلبس وابنان باسم هيرودس وابنان باسم فاسايل . وكان لاوكتافي اخت اوغسطوس قيصر اربع بنات اثنتان منهنّ تُسمّيان مرسلّا واثنتان انطونيا

٤) ان الانجيل يقول « اخوانه » بصيغة الجمع . وهذه الصيغة تستلزم على الاقل ثلاث بنات

نظرة في تاريخ يافا

بقلم حضرة الاب ا. س. مرمرجي الدومنيكي
استاذ المعهد الكتابي والاثري الفرنسي في القدس الشريف

١

يافا مدينة من المدن الفلسطينيَّة . فتأريخها مرتبط غاية الارتباط بتاريخ هذه البلاد العام ، واحقاب تاريخ هذا الثغر ، هي عين الاحقاب التي مرت بها فلسطين . وما يقال من باب الاطلاق عن عامة المدن الفلسطينيَّة ، يقال من باب الحصر عن يافا . لانها كانت بمنزلة معبر بين البلاد المختلفة ، وباباً لفلسطين ، ومدخلاً للقدس . ولذا فشهرتها كانت متصلة غاية الاتصال بشهرة اورشليم .

اسمها

ان اسم يافا ، حسبما حققه علماء الألسُنيَّة السامية ، فنيقي الاصل ، ومعناه : « الجميلة » . وهو اسم منطبق غاية الانطباق على مسماه . فان الجمال قد كان سمة يافا ، على كرور الازمان . فقبل ٣٢ قرناً ، اشتغف بهذا البهاء احد السياح المصريين ، واعجب بما شاهده في ضواحيها من الجنان الفتَّانة . وفي القرون الوسطى دعاها احد الزوَّار : « جمال البحار » . وفي هذه الحقبة الاخيرة قال عنها احد الشعراء الفرنسيين : « انها اطيب مقرّ لمن يتوق الى الراحة بعد العناء »

وقد جاء ذكر هذا الاسم بلفظة « يَاُپو » في قائمة اسماء المدن التي افتتحها طوتمس الثاني ، فرعون مصر . وكان من السُلالة الثامنة عشرة ، اي من اوائل القرن الخامس عشر ق. م. وهذه القائمة وجدت مكتوبة على جبهة هيكله العظيم في الكرنك . ثم ورد هذا الاسم بصورة « يَاُپوأو » مرتين في رسالات تل العمارنة : اولاً في رسالة « عبد هيا » امير القدس ، الذي استنجد

الفرعون في ساعة الضيق . ثانياً في رسالة « يابيتري » امير يافا وغزة ، على ما يأتي بعضه : « ليسأل الملك سيدي عامله ، ولينظر هل حافظت على باب « خازاتو » (غزّة) « ويَاپُوأو » اي يافا . ورسالات العمارنة ، كما لا يخفى على لبيب ، هي قسم من سجلّات أمينحوتيب الرابع وسلفه . وهي طائفة مهمّة من التحارير وجّه اكثرها امراء فلسطين وسورية الى الفرعون . وقد كتبت باللغة البابلية ، وبالخط المسماري ، في القرن الرابع عشر ق. م. لان هذه اللغة بخطها هذا ، كانت منتشرة في هذه الديار ، بمنزلة لغة رسميّة سياسيّة. ثم وُجد اسم يافا ، في قائمة سنحاريب ملك اشور ، الذي عاش في القرن السابع ق.م. وهذا نصّ ما يتعلق بها: « في اثناء حملتي حاصرت « بيت داكُون ، ويَاپُوأو ». اما اليونان ، فعند استيلائهم على البلاد ، بدّلوا اسمها فدعوها « جُوپي : Joppé » واليهود سموها « يافُو » كما جاء ذلك في سفر يشوع ، وفي سفر الملوك ، واخيراً في سفر المكابيين. واطلق عليها الفرنجة ، منذ عهد الصليبيين ، اسم « جَافا : Jaffa » وبقي اسمها عند العرب « يافا » وهو الحالي

موقعها

قد خصّت الطبيعة يافا بفضل جزيل ، بجعل موقعها موقعاً ذا خطورة كبرى. فان المدينة القديمة كانت راكبة على رابية صخرية تعلو نحو ٣٠ متراً عن الحضيض ممّا كان يُسهّل معهُ الإشراف على جميع السهول المجاورة . واما من جهة البحر القائمة على ساحله ، فكانت نحو ٥٠ متراً فوق سطحه . زد على هذا الفضل فضلاً آخراً وهو ان هذه القمّة هي المكان العاصي الوحيد على ساحل البحر ، بين الديار المصرية وجبل الكرمل . ومناعة هذا المحل آتية من سلسلة الصخور المنبسطة في اسفلها . وهي بحالها الطبيعية على شبه دائرة ، نشأ منها مرفأ وليد الطبيعة ذاتها . اما من وراء الربوة ، فترى بقعة خصبة . وخصبها هذا ما هو الّا من فضل وجود الرابية القائمة من جهتيها الشماليّة والجنوبيّة ، وقد اضحت لها بمنزلة حاجز يقيها خطر الرمال الكثيرة المنتشرة في غيرها من المواقع الساحلية ، تلك الرمال التي لولاها لتمتّعت هذه البقاع

بالخصب والرغد ، كما يشاهد ذلك في يافا . فان المدينة من هذه الجهة محاطة بالبساتين والرياض الحاوية اشجار البرتقال ، وغيرها من ذوات الاثمار اليانعة ، وقد كانت ولا تزال زينة يافا وعلة شهرتها .

اما مرفأها فانه ، على ما هو عليه من الضيق والحرج ، كان في غاية الملاءمة للمسافرين ، لوجوده في ملتقى الطرق التي كانت تسير فيها قوافل التجار ، وجيوش الفاتحين . ولذا فالقوة الطبيعية ، والخطورة الحربية ، والخصب في الاراضي ، كلها مزايا وخواص قد تضامنت فجعلت ليافا موقعاً في غاية الخطورة من الوجهة التجارية ، والعسكرية ، اذ لم يكن هناك من جيش يمر في تلك الديار ، الا ويحسب لهذا المعقل البري والبحري الف حساب .

عصور تاريخها

يافا مدينة من اعرق المدن قدماً . فان نحن صدقنا متخيلات القدماء ، رقينا بها الى قبل الطوفان ، او لا اقل من ان نعزوها الى يافت بن نوح الذي يقال ، في هذه المتخيلات او الخرافات ، انهُ بانيها ؛ وذلك لما بين اسمه واسمها من الشبه .

اما العصور المنقسم اليها تاريخها ، فتعد بموجب ازمان الامم التي حكمتها بذات حكمها فلسطين :

١ : فالعصر الاول عصر الاوائل والمجاهيل ؛ من القرن الاربعين ق . م . الى القرن الخامس والعشرين ق . م .
٢ : عصر المصريين القدماء ؛ من القرن ٢٥ الى القرن الثامن .
٣ : عصر الاشوريين والبابليين والفرس ؛ من القرن الثامن الى الرابع .
٤ : العصر اليوناني اليهودي ؛ من القرن الرابع الى منتصف القرن الاول ق . م .
٥ : العصر الروماني البوزنطي ؛ من القرن الاول ق . م . الى القرن السابع ب . م .
٦ : العصر العربي ؛ من القرن السابع الى الحادي عشر ب . م .
٧ : العصر الفرنجي او الصليبي ؛ من القرن الحادي عشر الى الثالث عشر .
٨ : العصر المماليكي ؛ من الثالث عشر الى السادس عشر .
٩ : العصر التركي ؛ من السادس عشر الى بدء العشرين .
١٠ : العصر الحالي

١ً عصر المجاهيل

الظاهر من ابحاث العلماء أن هذه السواحل البحرية لم تؤهل بالبشر الّا نحو الالف الرابع ق. م. وقد كان اول سكانها من سكان المناور ، اتوها من جهات شرقي الاردن ، احترافاً للصيد . وكان الساحل مقسوماً الى قسمين اولهما القسم الشمالي وهو المدعو في التوراة بوادي صارُون . وثانيهما القسم الجنوبي وهو ما سمي بالبلاد الفلسطينيّة.

آراء العلماء مختلفة في شأن مهد الساميين ، اي ابناء سام بن نوح ، الذين تفرقوا الى شعوب كثيرة منهم العرب ، والبابليون الاشوريون ، والارميون ، والكنعانيون ، والفنيقيون ، والعبريون ، والحبشة ، وغيرهم . والرأي الارجح اليوم ، بين ارباب الشأن ، ان مقامهم الاصلي كان بلاد العرب ، منها نزحوا الى جميع البلاد التي نشروا فيها حضارتهم ، وفيها توسعت ، وتباينت السنتهم

ففي الالف الثالث ق. م. ظعن من جزيرة عربية ، نحو هذه الاصقاع ، اقوام من الساميين الرحل . وكان في مقدمتهم الفنيقيون ، والكنعانيون . وعقبهم ، في هجرة اخرى ، غيرهم ، اهمهم العبريون . وآخر نزحة كانت نزحة العرب المسلمين ، امّا الفنيقيون فنزلوا سورية ، ولبنان ، وامّا الكنعانيون ، ففلسطين.

٢ً العصر المصري القديم

كانت بداية هبوط المصريين هذه البلاد في اوائل الالف الثالث ؛ وقد جاؤوها عن طريق جزيرة سيناء . والواضح من المصادر انهُ منذ السُلالة السادسة المصرية ، اي نحو القرن الخامس والعشرين ، شرع الفراعنة ينقلون جنودهم اليها ، بطريق البحر . ولا يستبعد ان يافا ، وهي المرفأ القريب من البرية ، اضحت عصر ذاك ، القاعدة البحرية للمصريين ، في فلسطين . على ان هذا الامر ، مع ما فيه من الخطورة ، لم يأتِ ذكره الّا في عهد طوحتمس الثالث ، من السلالة الثامنة عشرة . كما رأينا عند ذكر اسم يافا.

والذي يُستنتج من رسالات العمارنة هو ان يافا كانت في القرن الرابع عشر قلعة مهمّة ، ومحط رحال الجيش المصري ، وكان يحكمها حاكم وطني ، باسم ملك مصر .

وفي عهد رعمسيس الثاني ، انقرضت السُلالة التاسعة عشرة . وهذا الزمان هو الذي يعيّن فيه العلماء خروج الاسرائيليين من مصر . وفي غضون تلك السنين ، عبروا نهر الاردن ، مقبلين الى جنوب فلسطين ، مما مكّنهم برهةً من احتلال يافا ، اذ لم يجدوا ادنى مقاومة من المصريين . والذين نزلوها من اليهود ، كانوا من سبط دان ، على ما ذكرت التوراة ، الّا انهم ، لعيشهم عيشة البداوة ، لم يدم زمن حكمهم فيها . ولمّا طردهم السكان ، اضطروا الى النزول نحو نواحي الشفلتة ، او البقاع المنحطة ، الفاصلة جبال اليهودية ، عن سواحل البحر .

الفلسطينيون

في تلك الآونة ، ظهر الفلسطينيون على ابواب يافا . وهم الذين جاء ذكرهم في كتابات العمارنة ، باسم «بُولُستي: Pulisti» ، والذين سماهم المصريون: « اقوام البحار » . امّا اصلهم فمن آسية الصغرى ، اي الاناضول . وسبب نزوحهم الى هذه الديار ، هو انهُ هجم عليهم قبائل غربيّة ، فاضطروا الى مغادرة البلاد ، فهاجروا مجتازين بسورية ، واتوا فلسطين ، ووجهتهم مصر . الّا ان رعمسيس الثالث ، من اهل القرن الثاني عشر ، كسر جيوشهم ، واوقفهم عند الشفلتة فاستقروا فيها . فدعيت هذه النواحي الساحلية « فلسطين » باسمهم . وبعد ذلك بزمان ، عمّ هذا الاسم ، كل البلاد المدعوة به . وواصل العبريون محاربة الفلسطينيين مدة طويلة ، وقصدهم من ذلك ان ينزعوا منهم ديارهم ، ويفتحوا لهم منفذًا الى البحر ، فلم يفلحوا . ولما كان العبريون والفلسطينيون في قتال غير منقطع ، كان الفراعنة ينظرون اليهم بعين السرور والاطمئنان ، إذ كانوا يجدون في ذلك من الامان والصيانة لحدود بلادهم الآسيوية . غير انهُ لمّا كُسرت شوكة الفلسطينيين ، وظهرت من الاشوريين

مطامع في الفتح والتبسط في جهات الغرب ،وكان ذلك نحو القرن العاشر ق.م. حينئذٍ جاء المصريون يخطبون ودّ العبريين ، وكانت قد نشأت لهم مملكة ، وحاولوا التحالف معهم بمعاهدة ، جرت بالمصاهرة ، تبعاً لعادات تلك الازمان . وهذا كان سبب تزوّج سليمان الملك بنت فرعون.وكان مهرها معقل جَاذَن ؛ وبفضل ذلك ، أجيز لسليمان التصرّف بمرفأ يافا ، حيث كانت ملّاحة حيرام ملك صور ، تُوصِل الارز من لبنان ، لبناء هيكل اورشليم ، كما جاءت اخبار ذلك مفصّلة في التوراة . وقد استعمل سليمان هذا المرفأ غير مرة ، حين كان يرسل كل سنةٍ ، الى حيرام القمح ، والزيت ، والخمر ، عوض ما كان يأتيه منهُ ، من الارز(١ .وحين كان يوفد الرسل ، لاستجلاب الذهب ، من اوفير.

وممّا اشتهر بهِ مرفأ يافا حادث يونان النبي المعروف . اذ انهُ لمّا حاول الهرب من وجه الرب ، الذي امره بالذهاب للكرازة في نينوى ، قصد يافا ، ومن مرفأها ركب سفينة ، كانت مقلعة الى ترسيس . وغير خاف على احد ما حلّ بهِ من القاء الملّاحين لهُ في اليمّ ، وكيف ابتلعه الحوت ، وبعد ثلاثة ايام قذفه الى الشاطئ.

٣ العصر الاشوري البابلي الفارسي

ممّا جاء في الرُقُم المسمارية أن هَدَد نيراري ، ملك اشورية ، احتلّ فلسطين . وكان ذلك في القرن الثامن . ودونك ما ورد مسطّرًا في اخبار حروبه :

« احتللتُ بيلستّه ، الى حدود البحر العظيم ، بحر مغرب الشمس » (اي المتوسط) . وبعد هذا الملك بزمانٍ ، جاء تغلاتبلاسر ، الى نجدة احاذ ، ملك يهودا . فاحتلّ سورية ، وسار الى فلسطين ، واستولى على مدنها ، وجلا اهلها ، وجلب عوضهم الى هذه البلاد ، اقواماً من بابل ، وارمينية، وغيرهما . ومن ملوك اشورية سنحاريب الشهير الذي عقب اباه شركينا على سرير

١) راجع تفصيل ذلك في مشرق هذه السنة ، ص (٤٩٦-٥٠٢) و (٥٧١-٥٧٧)

الملك . فهو ايضاً اجتاز سورية ، ونزل الساحل ، وقهر المدن ، فسلّمت اليه ، الّا بعضها ، فانها لم تخضع الّا بعد المقاومة . وذلك ظاهر من النصوص المسمارية ، ودونك بعض ما جاء فيها ، في ذا الشأن:

« في اثناء حملتي حاصرت بيت داكون ، ويَاپو ، وبيت بركا ، وأرزري ، مدينة صدقيا ، التي لم تسلّم اليّ بسرعة ، فخربتها ، وغنمت غنائم كثيرة »

وبعد سنحاريب ، بقيت فلسطين ، ويافا ضمنها ، في حكم الاشوريين ، الى ان توفي احد كبار ملوكهم ، وهو اشور بانيپال . فعند وفاته ، كان ملكه قد تضعضعت اركانه لكثرة الحروب ، ولطموح شعوب عاهليته الى الاستقلال .

امّا في عهد المملكة البابلية الكبرى الاخيرة ، التي تأسست بعد خراب نينوى ، في القرن السادس ق. م. فدخلت فلسطين في حكم البابليين ، بعد معركة كركميش الشهيرة الواقعة قرب الفرات ، وفيها كانت النصرة لنبوكدنصر الثاني البابلي على المصريين . وفي اواسط القرن الخامس استولى كورش الماذي على بابل ؛ وبذا العمل ، دخلت في حوزته جميع البلاد التي كانت خاضعة لها ، وفي جملتها فلسطين ومدنها الساحلية ، وفي عدادها يافا . وفي ذلك الزمان ، اذن كورش لليهود بالعودة الى ديارهم ، فلسطين ، ليبنوا المدينة المقدسة ، وهيكل سليمان ، الذي كان قد هُدم . واباح لهم بان يقطعوا الارز من لبنان . فاعطوا الصوريين والصيداويين ، زيتاً وخمراً ، لكي يأتوا اليهم بالارز ، بطريق البحر ، فينزلوه في يافا ، حسب الاجازة الممنوحة لهم ، من الملك كورش ، كما جاء ذلك مفصّلا في سفر عزرا . (للبحث صلة)

اللاسلكية

بقلم انطوان باز

المهندس من المكتب الافرنسي في بيروت ، ومن مدرسة الكهرباء العليا في باريس

١

لم يشهد العالمُ اختراعاً سار في التقدم والانتشار باسرع من التلفون اللاسلكي . كيف لا واكبرُ مراحله قُطعت منذ سني الحرب ، اذ ظهرت منافعه في ساحات القتال : في الارض ، والجوّ ، والبحر . وكانت نهضةٌ تبارى فيها ايمّة العلم فجاؤوا باختراعٍ على اختراع ، وتحسينٍ على تحسين ، حتى خرج ذلك الفن من دائرةِ المختبر ، والمصالح العمومية ، الى المصالح الشخصية ، والرفاهية البيتية . ثم بُنيت في كل عواصم الدول وبلدانها مراكز لنشر الاخبار ، والاغاني ، والقطع الموسيقية ، حبًّا بسعادة الاهلين ، وتشجيعاً لصناعةِ التلفون اللاسلكي . فقامت المعامل تعمل مراكز القبول (postes récepteurs) وبها يتسنّى لكل فردٍ سماع ما يُنشر من الحوادث ، قريباً كان ام بعيداً .

وقد كانت المزاحمة التجارية سبباً للتقدم ، فهبَّ مهندسو تلك المعامل يشحذون قرائحهم لايجاد ما لم يتوصل اليهِ غيرهم من قوة الصوت وجلائه . ومنهم من لم يهمل المنظرَ الخارجي ، وهو جلّابٌ للزبونِ ، خلّابٌ ، فجاءت آلاتهم غايةً في الجمال والذوق تتزيّن بها بُهُوَ الملوكِ والامراء .

وصدرت مجلّات خصوصية للاسلكية مشحونةً بالاعلانات ، والمقالات العلمية ، يرمي اكثرها الى تعميم اسرار التلفون بين افرادِ الشعب ، فاخذت تنشر رسوماً وتراكيب تُسهّل للقارئ عمل آلته بنفسهِ مقابل بعض دريهمات . وهذه الطريقة هي التي عمّمت استعمال التلفون اللاسلكي في البيوت ، خصوصاً في المدن الكبرى حيث تنشر الاخبار والاغاني ليليًّا . ومن العجب ان تكون

العامّة من الشعب اشدّ تهافتاً على هذا اللهو من غيرها . فكم من مرّةٍ طرقَ اذنيَّ هذا الحديث بين عاملٍ وآخر : سمعتُ لندرة ، امس ، يا صاحِ ، بقوةٍ نادرة — حسنٌ ! امّا انا فلم انتهِ بعدُ من تركيب مركزي ، غير انني اوّمل سماعَ برلين بهِ متى تمّ . . .

تقدّم التلفون اللاسلكي . انّما استعماله في بلادنا لا يزال قليلاً ، رغمَ ما يرمي اليهِ نخبةٌ من الوطنيين ، من انشاء مركزٍ باعث في بيروت ، يبعث بالاخبار الى ما وراء حدودِ سورية ولبنان . لذلك احببنا ان نكتب في «المشرق» الاغر كلمةً عن هذا الفنّ منذُ نشأتهِ الى اليوم فنقول :

إنَّ فن اللاسلكية مرتكزٌ على نوع من التموّجات الكهربائية - المغنطيّة تُعرف بتموّجات هرتز (Hertz) اعترافاً بفضل مكتشفها العالِم الالماني . وهذه التموّجات تسيرُ في الهواء ، غيرَ عابئةٍ بما تجده من الحواجز — الّا المعدنيّة منها — حتى اذا وجدت في طريقها قابلاً كهربائياً أثّرت فيه . وهي اشبهُ بتموجات الماء على وجه بحيرةٍ راكدة ، اذا رُمي في وسطها حجرٌ . فسقوطُ الحجر في الماء يكوّن تموّجاتٍ دورية تمتدُّ رويداً رويداً حتى تضمحل . امّا تموّجات هرتز فسرعتها تفوقُ سرعة تموّجات الماء اي انها تمتدُّ كتموّجات النور ، والاشعّة البنفسجية ، واشعّة رنتجن ، بسرعة ثلاثمائة الف كيلومتر في الثانية . ولها شبهٌ عظيم بتلك التموّجات من حيث الانعكاس والانكسار انما ما يفرقها طبيعيًّا هو طولها ، والطول عكس التكرار(١ . فبينما نرى تموّجات اشعة رنتجن لا تبلغ طولاً خمسة من مليون من مليون من المليمتر نرى تموّجات هرتز المستعملة في الفن اللاسلكي تتراوح بين المتر الواحد والثلاثة والعشرين كيلومتراً .

كانت تولّد تموّجات هرتز بشرارةٍ تقدحُ في قدّاحة مركبة من كُرتين متقابلتين موصولتين بمُكثِّفٍ (condensateur) وينبوع كهربائي متقطّع كما في الرسم ١ . فعندما يسير المجرى ، يرتفع توتّر المكثّف حتى اذا بلغ حدّاً ما انقدحت شرارةٌ بين الكرتين فارسلت في الهواء سرباً من التموّجات . وتكرارُ العملية تابع لتقطع المجرى او تكراره اذا كان المجرى متناوباً . فلو

١) التكرار في الثانية يساوي $\frac{٣٠٠,٠٠٠,٠٠٠}{\text{طول التموّجات (بالمتر)}}$

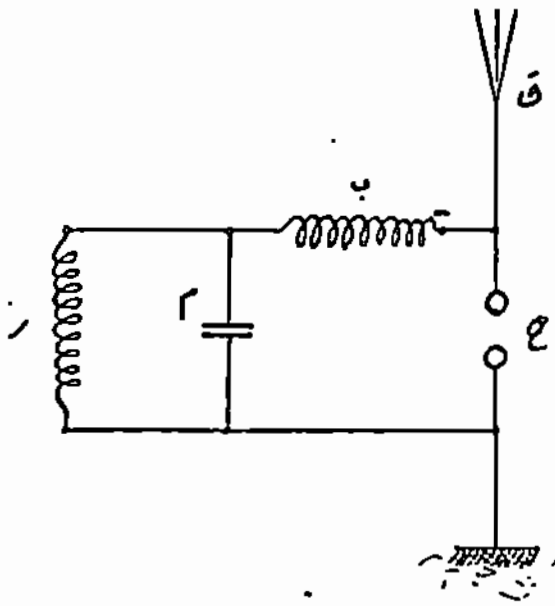

الرسم ١ : باعث هرتز
ر : بكرة روميكروف او مولدة كهربائية لمجرى متقطع
م : مكثف
ب : بكرة كهربائية : شريط باعث
ج : قداحة مولدة للتموجات الهرتزية
ص : الارض

استعملنا مفتاحاً تلغرافياً (manipulateur) قبل المكثف ، وارسلنا التموجات حسب نمط مورس المعروف ، لكان التلغراف اللاسلكي . وهذه الطريقة ابتدائية اتينا بها لافهام النظرية .

لم يجد هرتز اختراعه الا عفواً اثناء ابحاثه في مختبره سنة ١٨٨٥ . ومما يروى عنهُ انه عُيّن ، في تلك السنة ، استاذاً للطبيعيات في جامعة كارليش في المانيا وهو لم يبلغ العقد الثالث من عمره . فلمّا عثر على اختراعه ، وقصد التحقق فيه ، كتب على باب المدرسة — دون استئذان رؤسائه — انه لا يرجع الّا لخمسة عشر يوماً من تاريخه . واحتبس في مختبره ليلَ نهار حتى اتى على نتائج جليلة . فلمّا عاد الى اعطاء دروسه اخبر تلاميذهُ بالامر وكرّر امامهم شيئاً من اختباراته فهنأوه . وعرف رؤساؤه فغضّوا الطرف عن عصيانه

ثمّ قام الاستاذ الروسي پوپوف فزادَ على جهاز هرتز اسلاكاً تطلع في الجوّ موصولة باحدى كُرتي القداحة ، والكرة الثانية ذات اتصالية بالارض كما في الرسم السابق ، وقد مكّنتهُ تلك الطريقة من بناء مركز باعث سُمعَ على مسافة ستة كيلومترات .

وعقبه العالم الايطالي ماركوني ، وكان لم يزل شاباً ، فصنع سنة ١٨٩٩ مركزاً

للنشر سُمع من ضفّةٍ الى أخرى من بحر المانش على بعد عشرين كيلومترًا . وقد اعتمد ، في بناء مركزه هذا ، على مقتضِب (détecteur) الاستاذ برانلي الفرنساوي . والمقتضب هذا آلةٌ كان لا بدَّ منها في مركز القبول ، اذ تُحوّل التموجات الكثيرة التكرار ، التي يجمعها الشريط القابل ، الى مجرى مستمر يؤثر في الآلة التلغرافية . وعُرف بعدئذٍ انَّ معدن كبريت الرصاص ، ويسمى بالفرنسية (galène) ، يعملُ عمل مقتضِب برانلي اذا اتّصل به ابرةٌ من البلاتين او غيره . ثم تقدَّم فن اللاسلكية ، خصوصاً منذ وجدت القناديل المعروفة بالقناديل المثلّثة الشبكات (lampes à trois électrodes) حتى لم يعد لمقتضِب برانلي ولغيره سوى اثر تاريخي ، على انهُ لا يجب ان ينسى العالم فضل هذا الرجل الذي لولاه لما تمكن زميله من تحقيق امنيّتهِ . والاستاذ برانلي ، اليوم ، شيخٌ جليل قضى حياته في خدمة الدين والعلم ولا يزال استاذًا في المعهد الكاثوليكي في باريس . وقد اسعدني الحظ بزيارته ، اثناء وجودي في العاصمة الفرنسية ، فاراني غرفة صغيرة اجرى فيها اختباراته ، اذ ذاك ، عن المقتضِب . وكان مركز البث في المختبر ومركز القبول في غرفة اخرى من المعهد ، على الزاوية ، تبعد اكثر من مئة متر عن الاولى . . .

الرسم ٢
قنديل مثلّث الشبكات

* * *

لم تشتهر قدّاحة هرتز الّا زمنًا ثم استعاضوا عنها بالشهاب الكهربائي ، ثم بمولدة كهربائية لمجرى سريع التكرار (alternateur haute fréquence) وبعده بالقناديل المثلثة الشبكات . ذلك لان الشرارة في القداحة لا تعطي الّا تموجات مائلة (ondes amorties) اي قوية في البدء ثم خفيفة ، وهي اقل صلاحية من التموجات المستوية (ondes entretenues) التي يعطيها الشهاب الكهربائي وغيره من الآلات المنوّه بها . امّا اليوم فلا يُستعمل في مراكز النشر سوى القنديل للقوات الصغيرة ، والمولدة الكهربائية للقوات العظيمة وهذه المولدة لمجرى سريع التكرار لم تُحقّق نهائيًا الّا سنة ١٩١٠ بهمة

الاميركي الكسندرسون ، نظراً لما اعترض ذلك الاختراع من صعوبات فنيّة منها كهربائية ومنها حيلية . كيف لا وسرعة هذه المولدة ١٠٫٠٠٠ دورة في الدقيقة وتكرار مجراها ١٥٫٠٠٠ مرة في الثانية !..

وهنا لا بُدَّ لنا من ذكر بعض قواعد السمعيّات وهي انَّ الصوت هو اهتزازٌ في الاجسام ، ينقلهُ الى الاذن تموّج ينشأ عن ذلك الاهتزاز في الهواء. فلو اثبتنا ريشة معدنية في خشبة، كما في الرسم ٣ ، ونقرنا على رأسها لاهتزّت وسُمع لها صوت يزيد علوه بزيادة اهتزاز الريشة . ولا يُسمع من الاصوات الّا ما قلَّ اهتزازه او تكرارُه عن الست عشرة هزة في الثانية وما زاد عن الثلاثة آلاف وهذه الاحوال تابعة للسنّ والاشخاص . امـّا الاصوات الموسيقية في المعزف فتتراوح بين ٢٧ هزة لطبقة لا ٢ (la^2) و ٣٤٨٠ الصوت اهتزاز في الاجسام لطبقة لا ٦ (la^6) لذلك فكثيراً ما يحصرون السلّم الاهتزازي للصوت البشري ، وباقي الاصوات الموسيقية ، بين مائة وخمسة آلاف هزة في الثانية. وهذا اهمية كبرى في التلفون اللاسلكي كما سنرى

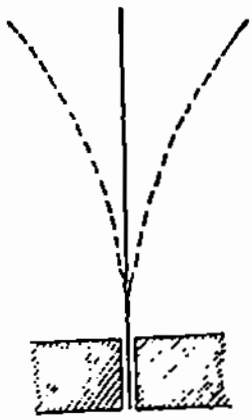

الرسم ٣

المركز الباعث

مرَّ بنا انَّ مركز البعث متوقفٌ على ارسال التموجات الهرتزية في الهواء بواسطة شريط يصعد في الجو عمودياً ، او يمتدُّ افقياً على اعمدة عالية . ونسمّي ذلك بالشريط الباعث وبالفرنسية (antenne d'émission).

تولد هذه التموجات من مجموع مكثف وبكرة كهربائية (bobine de self induction) موصول بمولدة كهربائية او قنديل مثلث الشبكات . ومجموع البكرة والمكثف ذو اهمية كبرى في الفن اللاسلكي فيُدعى الهزاز (circuit oscillant) اذ باهتزازه ترسل التموجات وبهِ يُعدّل طولها

فاذا استعمل المركز للتلغراف يُكتفى بمفتاح يرسل التموجات متقطعة

حسب نمط معروف . وان قُصدَ التلفون ، اي نشر الكلام والموسيقى ، عُمد الى جهاز مخصوص يُعرف بالملحِّن (modulateur) . والملحن هذا يمزج الهزات الصوتية الناتجة عن الكلام او الموسيقى المنوي نشرها ، بالتموجات الهرتزية التي يولدها المركز ، فتحملها هذه في الهواء الى مراكز القبول.

المركز القابل

امّا مركز القبول فعماده شريط قابل (antenne de reception) يجمع التموجات المنتشرة فيسير بها الى الهزاز وهو كبوّاب لا يُدخل منها الّا ما وافقه تكراره . فاذا دخلت مرت بموسّع سريع التكرار فيضخّمها (amplificateur haute fréquence) ، ثم بمقتضِب ، وبعده بموسّع ثانٍ خفيف التكرار (amplificateur basse fréquence) حتى تخرج في المضخّم (haut parleur) فتُسمع.وقد مثلنا ذلك المجموع في رسم هندسي ، يسهل فهمه.

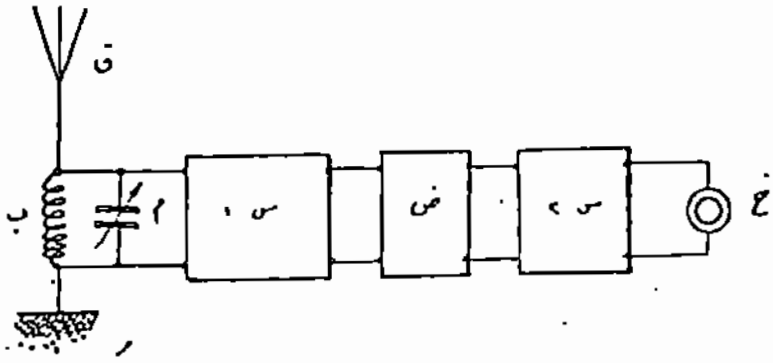

الرسم ٤ : مركز قابل

ق : شريط قابل	س ١ : موسّع سريع التكرار
ب : بكرة كهربائية	ض : مقتضب
م : مكثف	س ٢ : موسّع خفيف التكرار
ر : الارض	خ : مضخّم للصوت

والقابل شريط يُمدُّ في الهواء على اعمدة من الخشب او القصب او الحديد

بشرط ان يكون مفصولاً عنها كهربائياً بواسطة بكرات زجاجية او برسلانية يُعقل بها كما في الرسم ٥ . امّا طول هذا الشريط او علوه فيزداد ببعد المركز القابل عن المركز الباعث ، غير انهُ اليوم كثيراً ما يُستعاض عنهُ بقابل صغير الحجم ، يُجعل داخل المنزل ، وهو اطارٌ خشبي (cadre) لُفَّت عليهِ دورات من الشريط (انظر الرسم ٦)

والمزّاز يُعدّل بتغيير عدد لفيفات (spires) البكرة او قوة المكثّف او الاثنين معاً . امّا الآلة الموسعة فمركبة من قنديل او اكثر وهي توسع بتكرار سريع او خفيف . والقناديل تعمل ايضاً عملية الاقتضاب وكلما زاد عددُها في مركز القبول زادت قوته . لذلك يعبرون عادةً عن قوة المراكز بعدد قناديلها فيقولون : مركز ذو اربعة او خمسة او سبعة قناديل

وربَّ قائل يقول: وكيف لا تختلط مراكز النشر بعضها ببعض ، وعددها كثير ، اي كيف يمكننا سماع باريس دون لندرة ، ولندرة دون برلين ، لانهُ ، كما لا يخفى ، اذا وصلت الى المركز القابل احاديث مركزين مختلفين معاً اختلط الحابل بالنابل وامتنع الافهام . فالسر منحصر في طول التموجات المرسلة اي عدد تكرارها . فلو حسبنا ان تكرار التموجات المستوية في مركز ما هو عشرة آلاف وان المزّات الصوتية لا تتجاوز الخمسة آلاف هزّة في الثانية ، لوجب ان تكون تموّجات المراكز الباعثة الاخرى اكثر من ١٠٠٠٠ + ٥٠٠٠ = ١٥٠٠٠ هزة ، او اقل من ١٠٠٠٠ — ٥٠٠٠ = ٥٠٠٠ هزة حتى يمتنع الاختلاط . لذلك فكل مركز من مراكز العالم يشتغل على تموجات محدودة تكراراً او طولاً . فان مركز راديو - باريس مثلاً ينشر اخباره بتموجات ١٧٥٠ متراً مما يعادل ١٧١ الف هزة في الثانية ، بينما يرسلها برج ايفل بطول ٢٦٥٠ متراً اي بتكرار ١١٣ الف هزة .

يُستنتج مما سبق أن لا اختلاط من جهة المراكز المرسلة . بقي علينا ان نبحث كيف يتمكن الافراد من سماع مركز دون غيره . يكفي لذلك ان يُعدّل المزاز كي يهتزّ لتموّجات المركز المطلوب دون سواها . وبعده يصير تخفيض الصوت او تقويته بواسطة القناديل الموسّعة . وتُجرى هذه الحركات

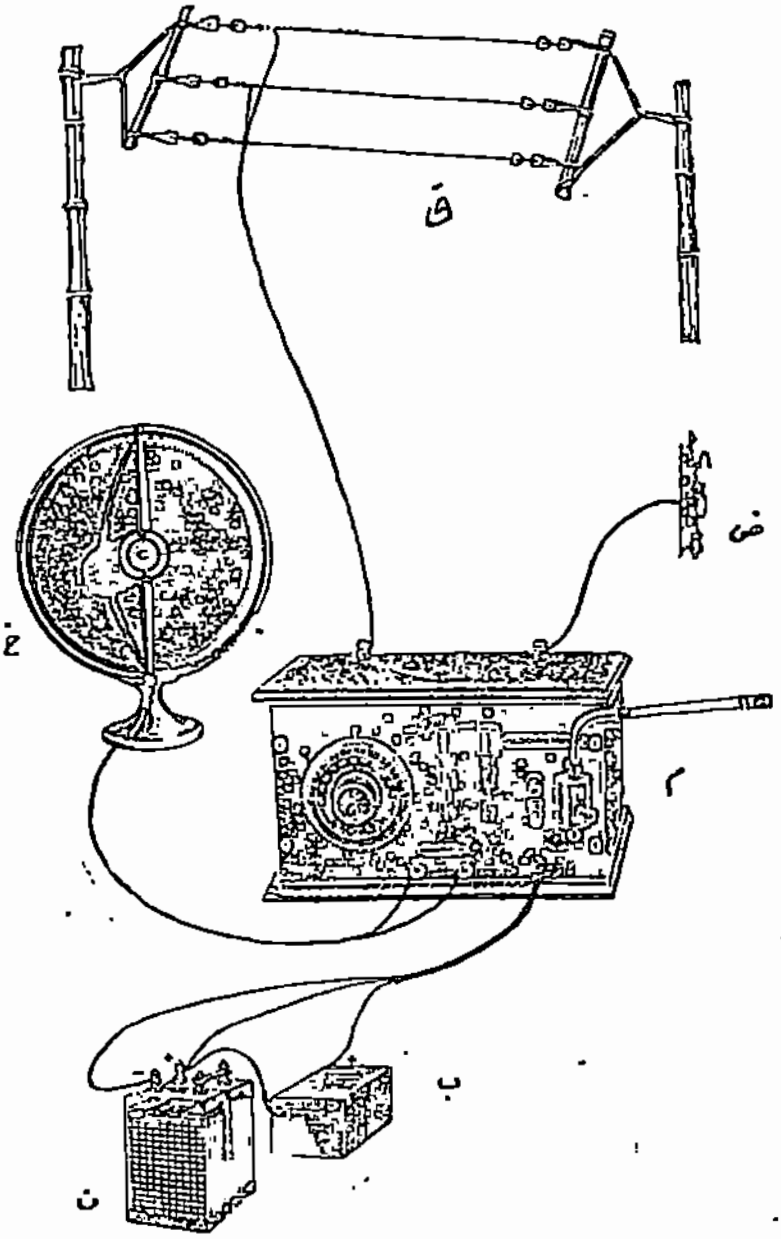

الرسم ٥ : صورة لمجموع مركز قابل

ق : شريط قابل ممدود في الهواء
ض : الارض
م : المركز
غ : مضخم الصوت
ن : خزان ٤ فولت
ب : بطارية ٨٠ فولت

غالباً بان تبرم زرًا او ازرارًا موجودة خارج الآلة كما يرى في الرسمين ٥و٦. امّا الخزّان وتوتّره ٤ ڤولت والبطارية ٨٠ ڤولت فلازمان لاعطاء القوة الكافية للقناديل.

ولا يحسب القارئ انهُ يمكن سماع ايّ بلدٍ كان بأية آلةٍ كانت. فكلما بعدت المسافة صعُب القبول او استلزم تركيبا خاصاً. فالآلة ذات السبعة قناديل ماركة «راديولا» الشهيرة لا تعطي من بيروت، في المضخّم، اي بصوت عالٍ، لا باريس ولا لندرة بل تُسمِع مراكز القسطنطينيّة وموسكو وڤينّة في النمسة، واحياناً تولوز في فرنسة. وربّما يقيّض لنا المستقبل ان نرى ادوات تسمح بقبول ابعد البلدان. اتكلم الآن عن التلفون اي عن سماع الكلام والموسيقى بصوت واضح جلي. امّا من جهة التلغراف فالامر في غاية السهولة، غير انها مسألة تهمّ الحكومات والشركات اكثر من الافراد.

امّا ثمن الجيّد من المراكز القابلة فلا يزال غالياً نظرًا لاتقان صنعها داخلًا وخارجاً. واننا تنبيهاً للافكار نعطي ادناه اسعار مراكز راديولا الشهيرة:

مركز ذو خمسة قناديل كامل مع مضخّم للصوت وخزّان ٤ ڤولت وبطاريتين ٤٠ ڤولت ٢١٣٠ فرنك

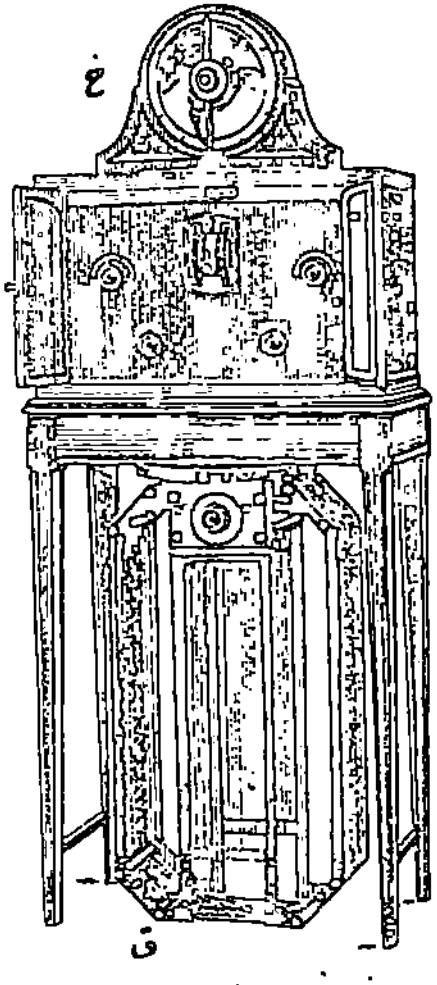

الرسم ٦
مجموع مركز قابل «راديولا» ذي ٧ قناديل
ق: اطار قابل م: مركز قابل
خ: مضخّم للصوت

مركز ذو سبعة قناديل مع اللوازم السابقة ٤٨٩٠ فرنك

ولا بدَّ من القول ان الـذين يشترون تلك المراكز قليلون ، اكثرهم من اصحاب الثروة . امّا الاكثرية الباقية فتكتفي بمراكز صغيرة ، ذات قنديلين او ثلاثة ، تسمح بالقبول لمئتي كيلومتر ونيف . وعشّاق اللاسلكية يبنون مراكزهم بانفسهم حسب الرسوم والتعليمات التي تنشرها مجلات التلفون اللاسلكي ولهم في ذلك لذةٌ خصوصية ، فتراهم يخربون اليوم ما عملوه بالامس مختبرين هكذا مفاعيل تراكيب شتى

هل تؤثر الايام والاحوال الجوية في حسن القبول

سؤال خطير اجبنا الجواب عليه فنقول: اذا كنت على مقربة من الوسط الباعث ، فيمكنك القبول بجلاء ووضوح ، لا فرق كان ذلك في الصيف او في الشتاء ، ايام الزوابع او في صفاء الجو . امّا اذا كنت بعيدًا عن مركز النشر فقد تمتزج تموجات دخيلة (ondes parasites) بالتموجات المرسلة فتحدث في المضخم ضوضاء وصفيرًا يعكّران صفوَ الكلام ويُدمّشان آذان السامعين . والتموجات الدخيلة لا يمكن فرزها تماما ، مهما أُتقن عمل المركز القابل ، انما جهود الفنيّين متواصلة لتخفيف عملها . فهي اذًا ممقوتة من محبي اللاسلكيـة وهي اكثر انتشارًا في الصيف منها في الشتاء في جهاتنا

ويكاد لا يخلو من شرّها من كانوا على مقربـة من المركز الباعث ، اذا وجد بقربهم خط « ترامواي » او آلات كهربائية . فلمّا كنت في باريس ، العام الماضي ، جرّني الولع الى ان ابني بنفسي مركزًا صغيرًا لقبول الاخبـار اللاسلكية . فاشتريت ما احتجتُ اليهِ من القطع وركبتها بحبٍّ واتقان فجاء المركز لطيفًا انيقًا . وكنت ارمي الى سماع مراكز النشر في باريس وعددها كثير ، منها مركز راديو باريس ، ومدرسة البوسطة والتلغراف ، وبرج ايفل . غير انني لم احسب حساب جار مزعج لي ، وهو مصعاد (ascenseur) جُعل في فندق قربي ليسهّل على الزبائن صعود اللولب . وكان يرفع هذا المصعاد محرك كهربائي يدور بان تضغط على زرّ في الآلة الرافعة . وكانت مراكز العاصمة

تنشر اخبارها واغانيها من الساعة الثامنة مساء حتى العاشرة او بعدها. وكثيراً ما وافق ذلك ، في الفندق ، حركة ذهاب واياب غريبة بسبب قدوم الزبائن من المطعم واحداً واحداً او خروجهم للسهر في المسارح وبيوت السينما . فكان كلما قدم زبون وكبس على زر المصعد سمعتُ في آلتي ، عوضاً عن الكلام العذب والاصوات الشجية ، صريراً وصفيراً يدومان الى ان يصل المصعد الى اعلى السلّم . ثم تعود الضجة عندما يكبس الزبون على الزر ثانيةً ، من اعلى ، ليُعيد المصعد الى اسفل اللولب . وسبب تلك الضوضاء الشرارات النارية التي تولد من الفحم ، في بعض المحركات الكهربائية ، فاذا تطايرت بعثت في الفضاء نوعاً من التموجات الهرتزية المضرة—وقد سميناها بالدخيلة—فدخلت على المركز القابل فاعلةً مفعولها . وكنت اسمع الضجة نفسها عندما يمر في الشارع الترامواي الكهربائي بسبب الشرارة التي تُقدح احيانا بين البكرة والسلك الذي تحتك به.

كلّ ذلك مزعجٌ للجالس امام آلة يتّبع خطاباً ، او يسمع الحاناً ، غير ان تلك التموجات الدخيلة قليلة في المدن الكبرى قرب مراكز النشر ، وفي ذلك لمحبي اللاسلكية تعزية وافرة . . . (للبحث صلة)

تنازع الاسقفية في انطاكية (٣٦٢-٣٩٢)

بقلم الاب غوستاف نيرون استاذ الفلسفة في كلية القديس يوسف

٢

وفي سنة ٣٧٩ مات القديس باسيليوس، وكان قد سبقهُ الى القبر بايام قليلة ثالثتا ، الذي خلَف على العرش ثاوضوسيوس فكانت احوال الشرق موشكة ان تدخل في طور جديد ، اذ ان الامبراطور الجديد ، وهو المثال الحي للملك المسيحي ، مال بكليته الى معتقد نيقية . فقضى من ثمَّ على الاضطهاد الاريوسي وآن للكنيسة ان تتنفس الصعداء . وبعد مضي يومين من دخول ثاوضوسيوس الى القسطنطينية ، نُزعت كنائس المدينة من ايدي الاريوسيين ،

وارجعت للكاثوليك . واخذوا بعدئذٍ يهيئون التئام مجمع عام غايته الاولى اشهار ايمان نيقية احتفالياً ، وحسم المخاصمات الاريوسية حسماً نهائياً . فعقد سنة ٣٨١ وهو اول مجمع قسطنطيني . اما حق الترؤس فيه فكان بلا جدال للقديس ملاتيوس ، اذ كان هو الاسقف الاكثر شهرة في الشرق كله . بيد انهُ لم يُدرهُ طويلاً اذ وافاهُ الموت بعد ايام قلائل .

فهذا الحادث الذي لم يكن في حساب احد ، فتح السبيل الى حلٍّ مرضيٍ لمشكل شقاق انطاكية . وبما انهُ لم يبقَ من الاسقفين الّا واحد فقط ، كان على أتباع ملاتيوس ان يقبلوا بولينوس خلفاً لهُ وهكذا يتلاشى الشقاق . وذاك كان الحل الذي نادت بهِ رومية

***

كانت تلك الفكرة الحكمة بعينها . غير ان الخواطر لم تكن بعد مهيأة لقبولها ، لأنَّ الاحبار الشرقيين الملتئمين للمجمع كانوا يرون في بولينوس عدوَّ الامس ، ودخيلاً يحاربونه منذ عشرين سنة . فلكي يقبلوه كان لا بد لهم من تضحية عظيمة وكفر بالذات . ولذا بذل رئيس المجمع الجديد ، القديس غريغوريوس النازيانزي اسقف القسطنطينية ، كل جهده لانجاح هذا المسعى . ولكنه لم يتوفق لانه كان ينقصه ما تقتضيه ادارة مجمع ذي اهواء مختلفة ولاسيما في مثل هذه الآونة العصيبة .

لقد قال حقائق مفيدة لهؤلاء الاحبار الشرقيين ، الذين كانوا بالامس متقلبين امام اولي السلطان ، وهم اليوم مملوؤن ضغائن . ولقد حمل خصوصاً على قلة تفقههم بالغرب ، منتقداً ، بتهكم قارص ، نظرهم الغريب للايمان بعين تتغير فيها الحقيقة مع تغير الامكنة . بيد ان هذه الحدة في اقواله لم تكن واسطة مفيدة لاكتساب العقول واستمالتها الى آرائه ، ولذا لم يُعبأ بتقريعاتهِ ولا ببراهينه .

وفي اثناء ذلك وصل الاسقف تيموتاوس الاسكندري الذي قد يكون قادماً لنصرة غريغوريوس . غير ان هذا الاخير كان مريباً ليس فقط عند انصار ملاتيوس لشدة ميله الى الغرب ، بل عند تيموتاوس ايضاً . فان اسقف

الاسكندرية رفع اعتراضات قانونية على انتخاب غريغوريوس لكرسي القسطنطينية . اما هذا فبلغت السآمة منه مبلغها فتنحى عن كرسيه وعن تروس المجمع ، وانزوى في الخلوة قاضياً حياته بين جميل الاشعار ينظمها في زوال الاشياء العالمية ، وسعادة الحياة التي تقضى كلها في سبيل الله . وفي اثناء ذلك اقام المجمع الكاهن فلابيانوس خلفاً لملاتيوس .

* * *

كان ذلك الانتخاب غاية ما يتمنى . فان المنتخَب الجديد هو احد اولئك الذين كانوا ، منذ ثلاثين سنة ، يصرفون الهمة الكبرى لتوطيد الايمان الكاثوليكي في انطاكية ، مزدرين بجميع الدسائس التي نصبتها لهم المرطقة . غير ان الشقاق الذي ظهر هنيهة قريب الاضمحلال ، لم يزل راسخ القدم . وانهُ يخشى بسبب عدم اتباع مشورة رومية ان يقع خلاف جديد مع الغرب .

اما بولينوس فانه ، بعد ان اعترض على الانتخاب ، توجه الى رومية ليدافع بنفسه عن دعواه فاحدثت فضيلته الكبيرة تأثيراً حسناً وكان ايرونيموس قد غدا كاتم اسرار البابا داماسيوس فلم يتوانَ عن مناصرته حتى اعترفت رومية انه الاسقف الشرعي الوحيد لانطاكية . وهكذا كلما كانوا يزدادون سيراً ، كانت الصعوبات تزداد تعقيداً . اما فلابيانوس الذي انتخب بطريقة قانونية جداً في مجمع كثير العدد ، متحد مع رومية فكان لهُ ان يقول : انهُ ان لم يعترف بهِ الرومانيون فذلك ناجم عن محض سوء تفاهم . غير ان بولينوس من جهة اخرى ، كان لهُ ان يجيب ان انتخابه مهما كان من امر صحته الاولى فانه غدا صحيحاً منذ اعترف بهِ رئيس الكنيسة .

وفي سنة ٣٨٨ مات بولينوس . ولكن موته لم يضع حداً للشقاق . فقبل موته كان اتخذ خلفاً لهُ الكاهن ايفاجر فسامه اسقفاً . فلم تسلّم رومية بهذه السيامة بل دعت كلا المتنازعين لرفع دعواهما الى مجمع يتقضى بطريقة شرعية صاحب الحق . غير ان هذه الفتوى اعترضتها عقبات جديدة ، اذ ان فلابيانوس لم يكن ابن الجانب فيذعن لذلك . بل ابى الامتثال لثقته بان حقه اوضح من ان يرى نفسه مضطراً لمثل هذه المرافعة . فاحدث هذا الرفض في الغرب

تأثيرًا مؤلمًا مما دفع القديس امبروسيوس ، وهو في كرسيّه البعيد بميلان ، الى ان يثور من جرّاء ذلك زاعمًا ان اسقف انطاكية وضع نفسه فوق الشرائع ، ووطد بعناده الانقسام في الكنيسة جمعاء. خلاصة القول ان الشرقيين والغربيين تعذّر عليهم جدًا ان ينظروا الى الامور نظرًا واحدًا . اخيرًا انتهى المشكل بموت ايفاجر دون ان يسمّي خلفاً لهُ . وبعد ايام قلائل ثُبّت رومية فلابيانوس حينئذٍ لم يطق الشقاق الثبوت طويلًا ، فان الاتحاد آن لهُ ان يتوطد في كنيسة انطاكية . وامست الاضطرابات التي ادخلها الانقسام قريبة ان تتلاشى . اجل لقد آن الاوان ! فان موضوع الخلاف قد تلاشى الآن او كاد ، ولم يبق مجال الّا لبعض منافسات حقيرة شخصية . اين لنا ان نسمع القديس الذهبي الفم ، وهو كاهن شاب بعد منتمٍ لاكليروس ملاتيوس ، يسم بميسم كلامه الحادّ تلك الخسائس والدسائس الممقوتة التي مازجت هذه المنازعات .

فان التحزبات العالمية قد مثّلت فيها دورها . فكنت ترى سيدات انطاكية الشريفات ينحزن ، بعضهن لفلابيانوس ، وبعضهن لبوليتوس ، مدفوعات باغراض لم يكن للمسائل اللاهوتية ادنى علاقة بها . وقد اتفق اكثر من مرة ان من ارتكب خطيئة ، رجلًا كان او امرأة ، يعمد الى التملّص من التكفير عنها مهددًا بانه ينضوي الى الحزب الآخر . فلم يطق ذاك الخطيب ان يرى الرسوم الكنسية آئلة الى هذا الانحلال واذا به يهتف : « ليذهبن لا يرجعن وليبقين معهم .... اني اتألم من جراء ذلك كما لو قطع احد اعضائي ، بيد انني اتألم اكثر اذا الجاني اتقاء هذا الالم الى اهمال واجباتي » .

فهذه الحالة كانت قريبة الزوال لحسن الطالع . غير انه بقي بعض العقبات التي لا بد من تذليلها للبلوغ الى السلام التام ، فالاكليروس الافسطاتي ، مع انه لا رئيس له ، لم يرضَ بالامتثال . على انه يجب الاقرار بان سلوك فلابيانوس على ما بهِ من الاعتدال في مسائل اخرى ، لم يسهل السبيل الى ذلك . فانه كان يعتبر ان جميع اولئك الكهنة سامهم اساقفة غير شرعيين ، ولذلك ابى قبولهم في عدد اكليروسه الخاص . ومن ثم شعر الجميع بمسيس الحاجة للترافع الى حكم اعلى تذعن لكلمته الاحزاب كلها . لقد نظرنا ان رومية في اثناء

هذه المخاصمات لم يبادر كثيراً الى تلبية صوتها . غير ان من لاحظ عراقيل هذا الموقف المتشابكة ، وما كانت عليه رومية من بُعد المسافة ، والصعوبة في الاستقصاء عن كل شيء ، فهم جيداً لماذا صادفت التدابير التي اشارت بها مقاومة لم تصدر عن نية سيئة.

على انه اذا قضى الامر اخيراً بالنزوع الى السلام فلرومية وحدها الحقّ ان تفرض الفتوى العادلة الجزيلة العائدة التي توحّد جميع العقول . وهذا ما تم في ايام الكسندروس ، ثاني خلف لفلابيانوس.

منذ بلغ البابا اينوشنسيوس خبر تسقيف هذا ، اعلن انه مستعد للاقرار بالمنتخَب الجديد بشرط ان يقبل الكهنة الافسطاتيين في عداد اكليروسه ، ويجري الاتفاق الذي طال انتظاره . فللحال اخذ الكسندروس في العمل وفي سنة ٤١٥ شهدت انطاكية مهرجاناً لا تنساه ، مهرجاناً كما يقول ثاودوريطس الشاهد العياني ، لم يرَ نظيره احد قط. فلنسمعه يصفه لنا : «ان الكسندروس سار في مقدمة شعبه من اكليريكيين وعلمانيين متوجهاً الى مجمع الافسطاتيين فجعلهم في موكبه . فعلت اذ ذاك الترانيم وانشدت الاناشيد باتحاد الاصوات من الباب الغربي الى الكنيسة الكبرى . وان ساحة المدينة الفسيحة كانت غاصة بالرجال فكنت ترى نهراً من الناس ينساب على جانب نهر العاصي.

« فاليهود ، والاريوسيون ، والقليلون من الوثنيين الباقون في انطاكية ، كانوا امام هذا المشهد يتنهدون ويعولون . اما سائر الانهار فأتت على تلك الصورة تنصبّ في اوقيانوس الكنيسة.»

* * *

في نهاية قصة هذا الخصام الطويل جداً والذي قد نكون اسهبنا في سرده تتبادر بديهياً الى الذهن بعض اعتبارات . فاننا نرى اولاً ان التفاهم قد تعذّر على الانام الصلّاح في كل عصر . واغرب من ذلك تعذره على صميم المؤمنين ابناء الكنيسة الواحدة المقدسة الكاثوليكية . فسيدنا يسوع المسيح في صلاته الاخيرة طلب الى ابيه نعمة الوحدة كسمة خصوصية لتلاميذه الحقيقيين

« ليكونوا باجمعهم واحداً كما نحن واحد .. حتى يؤمن العالم انك انت ارسلتني »

غير انه لم يشأ ان تُحفظ هذه الهبة الالهية ، هبة الوحدة ، من غير جهاد؛ ولهذا لم ينزع من كنيسته اختلاف الاصل والمشرب ، ولا تناقض الاخلاق ؛ وكثيراً ما سمح بظروف مؤلمة جرّت الى الخصام في قلب الجماعة المسيحية نفسها ، في من هم اشد الناس استقامة نية.

فلا نعجبنَّ اذاً ولا نيأسن ؛ اذا ما رأينا في ايامنا ايضاً عبّاد مسيح واحد وتلاميذ ايمان واحد مختلفي الاصل والتربية ، واحياناً ذوي آراء متناقضة ، يتعذّر عليهم ان يتفقوا حتى تجاه العدوّ المشترك. فان العقبات التي تعترضنا قد اعترضت آباءنا من قبلنا.

لكن لنضف حالاً انهم ايضاً بيّنوا لنا بمثلهم ، السبل لتذليلها . ولعل الطرفين لم يسلما من الخطأ ومن بعض انفعالات قوية جداً ، وتشبُّث مفرط بآرائهم. بيد انهم باجمعهم يعطوننا مثال محبة الوحدة. اجل انهم جميعاً يتعشقون حقاً وحدة الكنيسة ، ولم تحدثهم نفسهم قط بالبقاء منقسمين حتى انه بعد ساعات الغيظ التي تبودل فيها بين شرقيين وغربيين اقوال حادة ، كنت تراهم يسعون وراء التقرّب ، ويكثرون من الايضاحات ، واحياناً يحملهم حبهم للاتفاق على ترك ما كانوا يؤيدونه من قبل

اخيراً كلهم علموا ان مركز هذه الوحدة هو رومية . انهم تلكأوا احياناً — وهذا طبيعي في البشر — عن اتباع احكامها حينما كانت هذه الاحكام تناقض آراءهم الخصوصيّة . بيد انه لم تحدثهم نفوسهم قط بالتصرف في الامور دون معاضدة رومية وقبل اعرابها لهم عن رضاها . وعلى هذه الصورة امكنهم ان يتملّصوا من هذا المأزق الكلي الحرَج . فان كان هذا الخلاف الذي طال امده قد انتهى اخيراً بفوز باهر للكنيسة ، واعلان ساطع لوحدتها الجميلة ، فذلك لان هذه الوحدة ، التي احتجبت هنيهة عن العيان ، بقيت دوماً حيّة في قلوب بنيها.

مرافق التعليم عند العرب

على عهد بني امية

بقلم الاب فرديناند توتل اليسوعي

كانت ايام بني امية بمعظمها ايام حروب وفتوحات ، فلم يتسنَّ فيها للملوك ان يصرفوا همهم الى احياء المعارف وانشاء المدارس ، واستغلال اثار انتصاراتهم بكمالها ، باقتباس العلوم عن الامم المغلوبة المتفوّقة عليهم بعمرانها ، كما تمّ ذلك على عهد الدولة العباسية . على انهم لم يهملوا امر التعليم ، ولعلّه كان على ايامهم ارسخ قدماً وامكن بالعروبة منه على ايام بني هاشم المسترشدين بالاعاجم ليسلكوا العرب سبيل النور . لان ما بلغنا عن حالة التدريس ايام الدولة الاموية ، يفيدنا ان الناشئة كانت تتأدّب آنئذٍ بالآداب الجاهلية لقرب عهدها منها ، وكان القرآن بين يديها كتاباً تتعلّمه على اساتذة سذّج ، فتستغني به عن المؤلفات العلمية والفلسفية التي تهذّب عليها العرب فيما بعد ، أخذاً عن السريان واليونان والفرس ؛ وتكتفي به مؤونة الاجتهاد الممل المتعب فلا تتكلف اكثر مما تحتاج اليه في عصر كان العرب ينصرفون فيه عن القلم الى السيف

وان البحث في ذلك الموضوع لطيّب مفيد ، وابواب مدارسنا مفتوحة ، وناشئتنا كبارها وصغارها متزاحمة على موارد التعلم حائمة حولها حوم النحل حول بيوت العسل ، والاهلون يودعون ابناءهم ويستودعونهم ارباب التثقيف والتهذيب

* * *

ان هدف التلامذة في طلبهم العلوم وكعبة آمالهم اليوم ، هي الشهادة على تنوّع درجاتها ، فتراهم لا يألون جهداً ، ويصلون آناء الليل باطراف النهار كدّاً ، استعداداً لامتحانات ينالون بها ، اذا نجحوا ، لقب «باشيليه او ليسانسيه او دكتور» وهذه هي السعادة التي لا مزيد عليها عندهم لمستزيد

ولم تجهل الشبيبة العربية على ايام بني امية لذة ذلك الانتصار جهلًا تامًّا ، فكان الشعراء اذا امتدحوا سيدًا اطرأوا صفاته الحسنى وعدوا في مقدمتها صفة العلم . والعالم المتهذّب عندهم سمّوه «الكامل»

قال ابو دهبل في مدحه ابن الازرق : (الاغاني ٦ : ١٦٥ ، ٩)

بابي وامي ، غير قول الباطل ، الكامل ابن الكامل ابن الكامل !
والحازم الامر الكريم برأيه ، والواصل الارحام ، وابن الواصل !
جمع الرئاسة والسماح كليهما جمع الجفير قداح نبل النابل

ترى ان الشاعر وصف صاحبه بالحزم ، والكرم ، والحنان نحو ذويه وسداد الرأي ، المقرون بالحلم اللائق بالزعماء ، وهذه الخصال والمحاسن الحميدة مجموعة ومتحدة في شخصه جمع السهام في جعبة الرامي . الّا انها دون المزية الشريفة التي ذكرها في مستهلّ الشعر وأردفها مغالاةً وتعظيماً فقال : «الكامل ابن الكامل ابن الكامل»

وما ادراك من هو الكامل ؟ انه الشاب العربي المتعلم القراءة ، والكتابة ، والرمي ، والسباحة .

قال ابن سعد في كتاب الطبقات (٣ : ٩١ ، ١٠) : « وكان الكامل عندهم في الجاهلية واول الاسلام الذي يكتب بالعربية ويحسن العوم والرمي» ؛ وحبذا الكمال مطمحاً لبصائر الشبيبة . فما اعذبه موردًا وما اقربه منالًا لولا ما يعتور السالك اليه من عقبات تذللت في ايامنا ، لكنها كانت على ايام الجاهلية اكأد من ان يذللها غير الامراء والاعيان . فالرمي امره يسير عندهم ، وهم يرتاضونه منذ نعومة اظفارهم في الصيد ، ويجهدون النفس في اصابة الهدف حرصاً على صنعة اشتهر بها جدودهم ، منذ القدم ، والرماة التدمريون ذكرهم في تاريخ الرومان اشهر من نار على علم .

اما العوم او السباحة فأمرها مبهمٌ علينا . اين السباحة وليس في بلادهم ما يكفي مواشيهم ومزروعاتهم مؤونة العطش ! كيف السباحة في المدينة ونهر العقيق يسيل اياماً ويجفّ اشهرًا واعواماً ! كيف يعوم ابن آدم في مياه المدينة وليس فيها حياة للسمك ؟ لان ما رواه الحديث في ذلك الصدد

مردودة روايته . جاء في كتاب الاغاني (٢١ : ٢٧٢)

«خرج رجل من زقاق ابن واقف في المدينة ، بيده ثلاث سمكات قد شق اجوافها وقد خرج شحمها » ثم قال الراوي : « واحسب ان هذا الخبر مصنوع لانه ليس بالمدينة زقاق يعرف بزقاق ابن واقف ولا بها سمك . ولكن رويتُ ما رُوي»

على ان الامر الذي لا يختلف فيه اثنان هو انتشار الكتابة العربية منذ القرون الميلادية الاولى ، مع رواج حركة الاسفار والتجارة وتواتر المعاهدات بين العرب ومريديهم من الشعوب جيرانهم . ثم ان الاكتشافات الحديثة قد اثبتت ان الخط النسخي على سهولته كان معروفاً منذ القرن الميلادي السادس . فتعلمت الناشئة العربية الخط بعد القراءة وهي في حاجة عظيمة اليه خاصة في المراكز التجارية مثل مكة والمدينة . ولم يكن الامراء بغنى عنها وديوان العطاء والمال والجباية هو قوام ملكهم واليه مرجع امرهم وكانوا لا يهتمون بشيء اهتمامهم به .

وكانوا يستعملون مختلف المواد من اوراق نباتية او جلود او عظام او اخشاب لرسم الحروف او نقشها ، فتحفظ للخلف اثار السلف . وان من تلك الآثار الشعر الجاهلي وفيه لباب العلوم الجاهلية ، غاية ما بلغ اليه من الرقي الذكاء العربي في تلك الايام . فقد خاض عباب العواطف والخواطر وولج كل باب من ابوابها فوصف وترسل وتغنى وتغزل ومدح وهجا ورثى ودوّن الاخبار وضرب الامثال ووضع الحكم وتنافر وتفاخر ، فكان مرجع الاساتذة في تعليم الناشئة .

* * *

ومن البديهي ان مواضيعه لا تصلح كلها على السواء لتثقيف العقول وتهذيب الالباب ، فلا بد من ان يغربلها المعلم ويلتقط منها العواطف النبيلة والمبادي الجليلة التي يودّ كل اب وكل معلم صالح ان يلقي بذرتها في صدر ولده ، فتنمو وتزدهر بالمحاسن والمناقب .

تلك المحاسن كانت ناضرةً جميلة على ايام الجاهلية ، حيث لم يشوّه جمالها مشوه وهي ارث الجدود ومجدهم الاثيل اعني بها : مراعاة حقوق الجوار ،

واحترام المرأة ، وحفظ العهود ، والصبر على الشدائد ، والمروءة ، والكرم . فقد نبتت في صحراء الجزيرة وارياقها نبات الشجرة في الارض الطيبة وظلت تشيفة الاوراق كثيرة الاثمار بديعة الظلّ طول تمتعها بنور سمائها وصفاء هوائها حتى عبثت بها ايدي الارديا، فذهبت ببهائها

واني لاتصوّر المؤدّب او المعلم موفقاً في جمع شتات تلامذته الحركين ، فيناديهم فيلتفون حوله كما تلتفّ الفراخ حول الدجاجة ؛ فيستملك اسماعهم وهم بالقرب من اهاليهم وتحت انظارهم ، والمدرسة تعقد اينما انعقد الجمع حول الاستاذ ؛ فيأخذ بتلاوة اشعار الاقدمين ، واعادة الابيات الواجب حفظها : فيشرحها ويترنم بها ويتمادى في التبسط في ذكر ما يقتطف منه ثمرة ادبية لاذّة مفيدة. فان اراد تعليمهم واجب التآلف بين الجيران والاتحاد والمدافعة بعضهم عن بعض ، دفعاً اغارات العدو او توقياً لمكروه ، وصف لهم حالة التائه في الصحراء ، اذا ما دهمه الليل الحالك ، ولا معين لهُ ولا رشيد ، وقد يئس من الحياة واشرف على الموت ؛ لكنه رأى عن بعد نوراً ففزع اليه من الظلام واستبشر به الخلاص لان صاحب ذلك النور رجل صالح جواد كريم جدير بان يُقتدى به وان يُكثر الله من امثاله . فأنشد او قرأ لتلامذته شعر الحطيئة يمدح بني رياح (١

لنعمَ الحيُّ حيُّ بني كليب اذا ما ارقدوا فوق اليفاع
هم صنعوا لجارهم وليست بدار قاء مثلَ يدِ الصناع

او تغنى بشعر مسكين الدارمي (٢

ناري ونار الجار واحدةٌ واليه قبلي تُنزَلُ القدرُ

ومنَ الآيات البديعة التي كان الاساتذة يتمثلون بها لتهذيب البنين ، وما احوجنا نحن اليها اليوم : حفظ العهود وانجاز الوعود. فيذكرون قول عبيد بن الابرص في قوم مدحهم (٣

كم فيهم من سيد أيد ذي نفحاتٍ قائلٌ فاعلُ

١) راجع ديوان الحطيئة طبعة غولزير ، ص: ١١٩
٢) راجع ابن قتيبة : الشعر والشعراء ، ص: ٣٢٨
٣) راجع ZDMG 893, p. 168

من قوله قول ، ومن فعله فعل ، ومن نائله نائل

واي شعر اشد تأثيرًا في قلب الناشئة واسمى عاطفة من قول السموأل :

اذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضهُ ، فكل رداء يرتديهِ جميلُ
وان هو لم يحمل على النفس ضيمها ، فليس الى حسن الثناء سبيلُ
اذا سيد منّا خلا ، قام سيدٌ قؤول لما قال الكرام ، فعول
وما اخمدت نار لنا دون طارقٍ ولا ذمّنا في النازلين نزيلُ

وعلى الفتى الشجاع ان يحتمل برباطة جأش وقلب لا يهاب الشدائد ما لا بدّ للانسان من ان يحتمله من نوائب الدهر ، فيتسلّح عليها بالصبر وان الله مع الصابرين

صبرنا وكان الصبر منّا سجيةً باسيافنا يقطرن كفًا ودمعا (١)

وما اكرم عاطفة الاحتشام والاحترام التي يلقنها المؤدب تلميذه منبهاً الى واجب كف النظر والتحفظ لئلّا يزعج امرأة او فتاة . ذلك ما يذكرنا احترام الافرنج للمرأة ويفسر لنا السبب الذي من اجله كان امر السفور والحجاب غير معروف في الجاهلية

جاء في الكامل للمبرد عن رثاء الخنساء لاخيها (ص ٧٣٧، ١٦)

لم تره جارةٌ تمشي بساحتها لريبةٍ ، حين يُخلي بيتهُ الجارُ

وايضاً من اقوال الحطيئة في مديح بني كلب :

يُديرُ سترَ جارتهم عليهم ويأكل جارُهم انف القصاع

ومن اقوال مسكين ايضاً :

ما ضرّ لي جارًا اجاوره ألا يكون لبابه سترُ
أعمى ، اذا ما جارتي برزت ، حتى يغيّب جارتي الخدرُ

وليس الشعر الجاهلي خالياً بالمبادي الشريفة والآداب الانسانية الكريمة فقط بل هو مشحون ايضاً بما دوّن فيه الشعراء ، جوّابو البلاد ، مما رأوه ابان رحلاتهم في الشام واليمن وغيرها من الاقطار التي ضربت فيها قوافل العرب . فتعلم هؤلاء الشعراء امورًا كثيرة عن جغرافية البلدان واخلاق سكانها ، ثم عادوا الى الجزيرة ونفخوا معارفهم ببوق شعرهم الرنّان فاسمعوا الاعراب من التعاليم ما هيأهم لنبذ عبادة الاوثان ، والايمان بالله الاوحد . تلك الاسفار

١) راجع شيخو : شعراء النصرانية (ص ٧٣٦)

كان يردّدها الاساتذة على تلامذتهم ومنها قول الاعشى في وصفه اسفاره في البلدان(راجع الهمداني: وصف جزيرة العرب: ٢١٤)

وطوّفتُ للمالِ آفاقَها عُمانَ ، وحمصَ ، فأورَشلَمْ
أتيت النجاشيَّ في داره ، وأرض النَّبيط ، وأرض العَجمْ
فنجرانَ ، فالسردَ من حِمير ، فأيَّ مرام له لم أرمْ
ومن بعد ذاك الى حضرَمَوْ ت ، فأوفيت هي وحيناً أمم

واختلط الشعراء في سفراتهم بالنصارى واليهود ، وتأثروا بمعتقداتهم واخذوا عنهم كثيراً من الحقائق الدينية وترغوا بها

على ان الشعر كان في نظر نبي المسلمين مادةً للمفسدة والفتنة لا تسوغها النفوس المتديّنة ، وهو فخ للمؤمنين وملهاة لهم عن تلاوة القرآن. قال الفرزدق لقوم لاموه على فتوره في الدين: «انتم تعرفون سجدة القرآن وانا اعرف سجدة الشعر» (الاغاني ١٤: ٩٨) فكان على المؤدب ، في مذهبهم ، ان يتقي في تهذيب الصغار ذلك الخطر وان يدربهم على حفظ القرآن

* * *

لمّا تُلي القرآن على مسامع العرب اخذ الصحابة يستظهرون آياته ، ويدوّنونها في المخطوطات من جلود او اوراق نخل او قطع خشب او عظام ولم يكن امر كتابتها بالميسر لما كان عليه فن الكتابة من الانتشار في مكة ، كما قلنا سابقاً ، فضلاً عن ان احدى نساء محمّد حافظة ام كلثوم كانت تفقه القراءة والكتابة. فمن المعقول ان محمّداً استعان بقلمها على كتابة الآيات المنزلة. وما لم يُكتب ويُحفظ من تلك الآيات على حياة محمّد وضاع في الناس فانهم لم يأسفوا عليه وقد جاء في القرآن ان «ما ننسخ من آية او ننسها نأتِ بخير منها»

ولكن لما قبض محمد ، نهض غُيُر الصحابة ، واخصهم ابو بكر وعثمان ، فعنوا بجمع القرآن ونشره فاصبحت آياته مرجعاً لعامتهم ولخاصتهم ، وهو دستور الحكم واساس الشرع عندهم

فكان من الضروري والحالة هذه ان يحفظ صاحب الدولة فيهم ما جاء في القرآن ، فيصبح اشبه بالمحامي المتمكن من معرفة نصوص الشرع ، المجابه

بها خصمه ؛ وان اقوى المحامين اتقنهم لعلم الحقوق . فكان اذن اعظم الامراء واغلبهم احفظهم للآيات القرآنية . فمن ثم كان درسها وشرحها واستظهارها محتماً عليهم منذ نعومة اظفارهم . ومن رائع ما رواه الطبري شاهداً على صدق كلامنا ، قوله : (٢ : ٣٧٦—٣٧٧)

«لما جلس يزيد بن معاوية دعا اشراف اهل الشام فاجلسهم حوله ، ثم دعا بعلي بن الحسين وصبيان الحسين ونسائه ، فأدخلوا عليه والناس ينظرون فقال يزيد لعلي : يا علي ابوك الذي قطع رحمي وجهل حقي ونازعني سلطاني فصنع الله به ما قد رأيت ، فقال علي (١ : «ما اصاب من مصيبة في الارض ولا في انفسكم الا في كتاب من قبل ان نبرأها» فقال يزيد لابنه خالد : «اردد عليه» قال فما درى خالد ما يرد عليه فقال له يزيد قل (٢ «ما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم»

وكان الخليفة في بعض الحفلات العظمى يقف وقفة السلطان المنتدب من الجامعة الاسلامية الى منبر الملك . فيفتتح حفلات الوفود ويترأس الصلاة الجامعة . وكان الامراء الامويون يهتمون اشد الاهتمام بالقيام بتلك الوظيفة بغاية الابهة والفخامة .

ومثلهم من بعدهم الخلفاء العباسيون الاولون . والمنبر للامير كالعرش للملك ، والميدان للفارس ، قال السيد الحميري مادحاً ابا العباس السفاح حين نزل عن المنبر (الاغاني ٧ : ٧)

دونكموها ، يا بني هاشم ، فجددوا من عهدها الدارسا
دونكموها ، لا على كرب من كان عليكم ملكها نافسا
دونكموها ، فالبسوا تاجها لا تعدموا منكم له لابسا
لو خير المنبر فرسانه ما اختار الا منكم فارسا . . .

* * *

اما معلمو القرآن فكانوا يدعون في اول امرهم «القراء» لكثرة الامين في ذلك العصر . على ان الآباء لم يرتاحوا طويلاً الى تسليم ابنائهم يد القراء بل عهدوا بتربيتهم الى المؤدب وكان المؤدب غالباً غير مسلم يتردد الى منازل تلامذته ، ويعلمهم بالقرب من اهلهم

١) (القرآن ٥٧ : ٢٢) ٢) (القرآن ٤٢ : ٢٩)

وربَّ مناقشةٍ وقعت بين الاستاذ وتلميذه آل امرها الى استنجاد الصبي اباه على قساوة المؤدب . ولم يكن الاب لينتصر لابنه على المعلم . جاء في الكامل : (١٤٦:٢)

«كان مروان ابياً عزيز النفس فدخل به على عبد الملك باكياً لضرب المؤدب اياه فشقّ ذلك على عبد الملك فاقبل عليه المخارجي فقال لهُ : دعه يبكِ فانه ارخب لشدقه ، واصح لدماغه ، واذهب لصوته ، واحرى ان لا تأبى عليه عينه اذا حضرته طاعة ربه فاستدعى عبرته.»

على ان عمر الثاني كان يحذّر المعلم من ان يبالغ في ضرب التلميذ وكان يقول : «يكفي في تخويف الغلام»

وقال عمر بن عتبة لمؤدب بنيه :

«علّم الاولاد كتاب الله ولا تلقّنهم فيه فيتركوه ، ولا تتركهم منهُ فيهجروه . روّهم من الحديث اشرفه ، ومن الشعر اخفّه ، ولا تنقلهم من علم الى علم حتى يحكموه ، فان ازدحام الكلام في القلب مشغلة للفهم ، وعلّمهم سنن الحكماء ، وجنّبهم محادثة النساء ، ولا تتكل على عذر مني لك فقد اتكلت على كفاية منك.» (العقد الفريد ١ : ٢٧٦)

وقال «ليكن اول اصلاحك لولدي اصلاحك لنفسك فان عيونهم معقودة بعينك . فالحسن عندهم ما صنعت والقبيح عندهم ما تركت»

وكما ان رؤساء المدارس يشرفون على التلامذة ابّان الدروس يستحثونهم على الاجتهاد ، كذلك كان عبد الملك بن مروان يقف على رأس بنيه ، وبين يديهم الكتب ، فينصحهم قائلاً :

«عليكم بطلب الادب فانكم ان احتجتم اليه كان لكم مالاً ، وان استغنيتم عنه كان لكم جمالاً (العقد الفريد ١ : ٢٧١)

* * *

فعلى ذلك المنهاج البسيط كان يُسلك العرب ابناءهم سبيل المعارف ، فيبلغون «الكمال» باتقان الادب الجاهلي ومعرفة القرآن ؛ الى ان تعرفوا الى نوابغ الاساتذة من النصارى ، فسلموهم ابناءهم للتعليم(١

١) راجع شيخو : النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية (ص : ٣٨٩ وما بعدها)

على ذكر ميثاق كيلوغ

هل من حرب مقبلة في الباسيفيكي ؟

جهود الولايات المتحدة وجهود اليابان

بقلم فؤاد افرام البستاني

اذا اردت السلم ، فاعدّ الحرب !

لا تخلو صحيفة ، في هذه الايام ، من ذكر ميثاق كيلوغ واتفاق الدول على توقيعه . وما كان ميثاق كيلوغ الا نتيجة احلام الشعوب بالراحة ، ومطامحهم الابدية الى السلام العامّ ، ظهرت لازمنة كل اللزوم بعد الحرب الكبرى اذ اصبحت الدول ، بفضل اساليب التدمير الحديثة وطرق التهلكات العصرية ، عرضةً للخراب بين ليلة وضحاها . فاخذت تفتش عن الوسائل الكافلة لها الخلاص من شبح الحرب الهائل دون ان تتوفق الى ذلك . فمن مبادئ احترام الشعوب الصغيرة ، الى تأسيس جمعية الامم ، الى عقد المعاهدات المختلفة ، تعدّدت التجربات الاوّلية لتحقيق الحلم الجميل بالسلام العامّ ، حتى وصلنا الى ميثاق كيلوغ . فعسى ان لا يكون مصيره مصير ما تقدّمه من المواثيق والاتفاقات

هذا ومن الجدير بالذكر ان الولايات المتحدة كانت ولا تزال تظهر في مقدمة دعاة السلم ، ومرتغبي الطمأنينة والسكون ، ومبغضي الحرب وويلاتها . على ان من يُعمل الروية في اهتمام الولايات المتحدة بتحقيق هذا السلم العام ، ثمّ يلقي نظرة على جيشها البحري ، يتحقق انها تستعد حقيقةً للسلم ؛ ولكنها تستعد له على طريقة المثل المشهور : « اذا اردت السلم ، فاعدّ الحرب »

فهي ترغب كل الرغبة في السلم والراحة ، ولهذا تراها تتدخل مرات

عديدة في امور هايتي ، وسان دومنغو ، ونيكاراغوا ، وپناما ، والمكسيك . ترغب كل الرغبة في السلم والراحة ، ولهذا نراها تريد جيوشها يوماً فيوماً ، وتعزز طيرانها ، وتقوي اسطولها بانشاء القطع الحربية وتحسين نقاط الدفاع .

عُقد ، لسنوات قليلة ، مؤتمر واشنطون لتحديد التسليح البحري ، وكان الداعي اليه الولايات المتحدة نفسها . فخرجت منهُ ، على الرغم من ادعائها حب السلام ، اقوى الدول سلطةً على المياه ؛ حتى ان سلطانة البحار نفسها تنازلت عن سيطرتها بان قبلت ان يكون للولايات المتحدة اسطول مساوٍ لأسطولها . فجُعل الرقم الضارب للعمارات الاميركية والانكليزية ٧ ، واكتفت اليابان بالرقم ٥ ، ولم تحصل فرنسا وايطاليا الا على الرقم ٣ . على ان تعيين تلك الارقام الضاربة كان نسبةً الى قوة الاساطيل المختلفة في زمن المؤتمر . وقد عُيّن ايضاً عدد الدوارع في كل دولة ومقدار حمولها ، وحُدّد عيار المدافع ، مع عدد الطرّادات المدرّعة ، والطرادات الخفيفة .

ولكن، على الرغم من هذه الاحتياطات ، لم تطمئن الولايات المتحدة الى السلم ، وما السلم في عرفها الا كفّ اعدائها عن الحرب ، وجعلهم قاصرين عن التغلب عليها . وهي اذا ما تكلّمت في هذا الامر ، نظرت خصوصاً الى دولة الصُّفر ، الى اليابان التي لا تزال تقلقها ، مع كونها اقل معدات منها ؛ حتى ان احد كبار كتّاب الاميركيين من المتخصصين بدرس الامور البحرية تنبأ عن حرب هائلة تشبّ في الاوقيانوس الپاسيفيكي سنة ١٩٣٥ ، فتدوم عدة سنوات ، وتنتهي بانتصار اميركة طبعاً ، ولكن هذا الانتصار يكلفها تضحيات كثيرة .

وما كنّا لنشير الى هذه النبوءة لولا ان السلطات الاميركية البحرية وضعتها موضع الاحتمال ، ان لم نقل موضع التأكيد ، فأخذت تعمل لتعزيز عماراتها البحرية مع محافظتها في الظاهر على اصول معاهدة واشنطون . ففتحت في اول السنة الماضية (كانون الثاني ١٩٢٧) اعتماداً قدره ١٣،٥٠٠،٠٠٠ دولار لتصليح دارعتين من دوارعها الكبرى ، يرى المطالع واحدةً منهما في الرسم ١ ، واهتمت بتحصين الموانئ الحربية في پيرل هربور (Pearl-Harbour) من جزر هوايي ، وكافيت (Cavite) من جزر الفيليپين ، وبالبوا (Balboa) في منطقة قنال

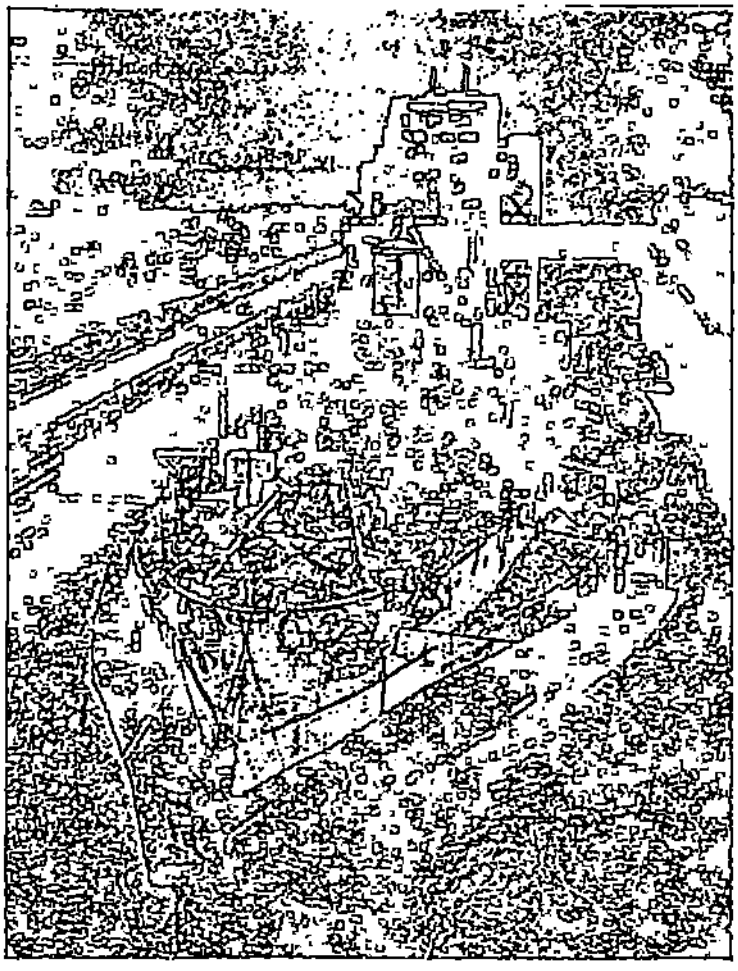

الرسم ١

صورة دارعة في قُرضة بوسطن وقد قررت الولايات المتحدة اصلاح اسقاطها وفحص آلاتها الدافعة

باناما . وهناك ، على ما يُذاع رغم التشديد المطلق في حفظ السرّ حول هذه الاستعدادات ، مدافع هائلة يتجاوز عيارها ٤٥٠ ميلمترا . ثم صرفت الحكومة

اهتمامها لتعزيز الطيران ولاسيما البحري منهُ فطلبت اللجنة المالية في مجلس النواب اعتماداً قدره ٥٠٠،٠٠٠ دولار يخصص لبناء عشرين طيارة حربية ، جديدة فأقر في ١٣ كانون الثاني ١٩٢٧ . وقررت كذلك بناء عدة مراكب تحوّل الى محطات للطيارات او مطارات عائمة.

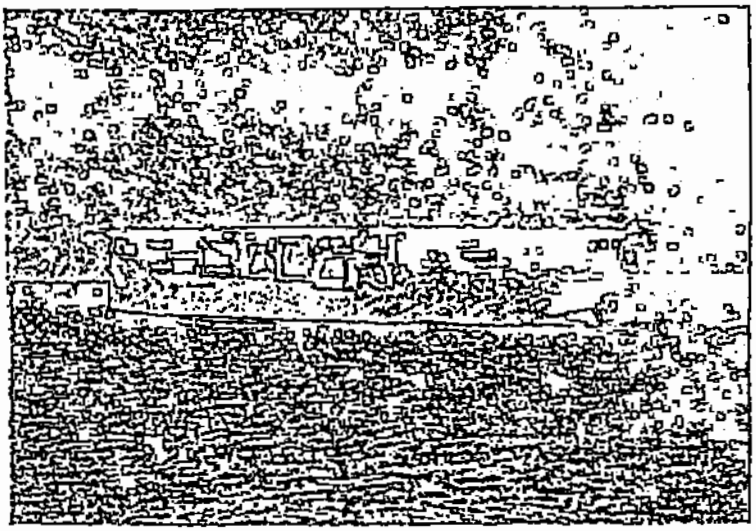

الرسم ٢

صورة الباخرة لانغلي (Langley) وهي محطة عائمة للطيارات من اسطول اميركة في الاوقيانوس الباسيفيكي . ويُشاهد الى اليمين طيارة على وشك النزول

ومن الجدير بالذكر اهتمام خاص بعمل القنابل المولدة للدخان ، ترميها الطيارات في البحر ، فتنفجر وتنشر دخاناً كثيفاً يحول بين الاسطول وسفائن العدو ، فلا ترى هذه من حركات الاسطول شيئاً . وقد ظهرت منافع هذه القنابل في الحرب الكبرى ، اذ استفادت منها المراكب الالمانية في معركة جوتلاند ، فهربت ونجت من الهلاك. وقد كان يكلّف القاء القنابل في ذاك الحين نوعٌ من المراكب الحربية يختص بوضع الالغام في البحار . امّا اليوم فاصبح من الاسهل رميها بواسطة الطيارات.

* * *

الرسم ٣

صورة عمارة اميركية من واضعات الالغام مع باخرة كبيرة تقوم مقام المعمل في ميناء سان دييغو (كاليفورنيا الجنوبية)

ولا يتصور القارئ ان اميركة وحدها تستعد للحرب المقبلة. فان اليابان لا تغفل طرفة عين عما يجري حولها . وها ان الاشاعات تذاع في الولايات المتحدة ان « الصفر » عقدوا اتفاقا سريا مع المكسيك تتعهد هذه بموجبه ان تجعل تحت تصرف اليابان خليج المجدلية (Magdalena) اذا ما شهرت الحرب ، وان تقوم بما يطلبه الاسطول الاصفر من المازوت، وغير ذلك من الزيوت المختلفة

* * *

فيتحقق المطالعون اذن تلك المناقضة بين الاستعدادات العملية للحرب ، والاستعدادات النظرية للصلح والسلام . وبينا نحن نتفاءل خيرا بتوقيع ميثاق كيلوغ ، نورد ، عن مجلة «العلوم والرحلات» الفرنساوية ، على سبيل الذكرى ، مقابلة بين قوات الولايات المتحدة البحرية اليوم ، وقوات اليابان التي قد تصبح عدوتها :

الولايات المتحدة

١٨ دارعة ، اسماؤها : ارْكنساس ، ويومينغ ، ميريلاند ، كولورادو ، وست فرجينيا ، كاليفورنيا ، تنيسي ، نيومكسيكو ، ايداهو ، ميسيسبي ، بنسلفانيا ، اريزونا ، نيفادا ، اوكلاهوما ، نيويورك ، تكساس ، اوتاه ، فلوريدا .

٣٤ طرّادة مدرّعة اسماؤها : ميسولا ، سيتلي ، شرلوت ، هورون ، بويبلو ، بتسبورغ ، فريدريك ، هونتنغدون ، تشارلستون ، سان لويس ، روشستر ، اوماها ، ميلوويكه ، سنسيناتي ، رالغ ، ديترويت ، ريشموند ، كونكورد ، ترنتون ، ماربلهيد ، مفيس ، شستر ، سالم ، برمنغام ، اولمبيا ، دنفر ، تشاتانوغا ، كليفلند ، دسموانس ، غالفستون ، البانى ، نيواورليانس .

يبقى طرّادتان وهما : بناكولا ، وسلت ليك سيتي ، لم ينتهِ بناؤها بعد

ثلاثة مطارات عائمة : لانغلي ، ليكسنغتون ، ساراتوغا

٢٧٥ نسافة

١٢٢ غواصة منها غواصتان قيد البناء .

٦٤ نازعة للالغام

١٢ مدفعية وكشافة

١٢ مدفعية غربية

مع كثير من المراكب المعاونة والمراكب المعدّة لرفع الاثقال ، والمحوّلة الى معامل ، والمحوّلة الى آبار للماء وغيرها . . .

اليابان

٦ دوارع اسماؤها : ناغاتو ، موتسو ، ايزي ، هيوغا ، فوزو ، ياماشيرو .

٣٩ طرّادة منها اثنتان لوضع الالغام و١٤ : آزو ، وتوكيوا . اما الباقية فهذه اسماؤها : نيشين ، كاسوغا ، ادزومو ، ايواتي ، أدزوما ، ياكومو ، أزاما ، جنتزو ، ناكا ، سندي ، ايزودزو ، ناغارا ، ياتوري ، يورا ، ابوكوما ، كينو ، كوما ، كاما ، اوهي ، كيتاكامي ، كيزو ، تاتسوتا ، تنريو ، هيراتو ، ياهاغي ، شيكوما ، توني ، تسوشيما ، يوباري .

يبقى ثماني لم تنتهِ بعد وهي : ناشي ، ميوكو ، اشيغارا ، هاغورو ، كاكو ، فوروتاكا ، كيفوغازا ، آوبا

مطاران عائمان : هوشو ، وآكيا ، مع مطارين لا يزالان قيد البناء : أكاجي ، كاغا .

١١٠ نسافات منها ٣٤ قيد التجربة

٧٨ غواصة منها ٢٥ قيد البناء

١٨ نازعة للالغام وهي نسافات قديمة تحوّلت لهذه الغاية

٤ طرّادات معارك وهي من طراز خاص تصلح في كثير من الاحيان لمقاومة الدوارع وهي : كونغو ، هيي ، هارونا ، كيريشيما

يظهر من هذا الجدول تفاوت القوى بين الاسطولين الكبيرين . على ان مصير المعارك لا يكون دائماً بنسبة المعدّات ولاسيما في البحار . وما حادثة نلسون في ترافلغار الّا شاهدة على هذا القول . وان النصر بيد ربك يؤتيه من يشاء !

مطعومٌ واقٍ من شرِّ داء

قد وضعه الحكيم كلمت نائب رئاسة دار باستور الباريزيّة

Le Vaccin B. C. G. de Calmette

بقلم الحكيم امين الجُمَيِّل

أوما هو شرُّ الأمراض السلّ الفاتك في كلّ عام بمئات الألوف من الناس في جميع الانحاء ، المسبّب لخُمس الوفيات ، الحارم قرنا وحدها سنوياً ما يوازي سكّان مدينة كالشام ، على كونه ابدا آفة الرضّع والأطفال الجارفة لفريق عظيم من الشبّان !

إنّا ، اذا تأملنا ما تقدّم ، فهمنا سرّ مسرّة الانسانية وقدر هذه المسرّة ، لاكتشاف الاستاذ كلمت ومعاونيه مطعوماً سهل الاستعمال شديد الوقاية من أفظع بليّة

ونزولاً عند رغبة حضرة مدير « المشرق » المفضال قد كتبنا هذا الموجز عن هذا الترياق

* * *

ان الحكيم كلمت قد أثبت ان جرثوم السلّ (باشلُس كوخ) الهائل ، اذا نُقل من مُزدرَع الى آخر حتى ٢٥٠ مرّة ، وكان المزدرَع من البطاطا المطبوخة في صفراء البقر ، فالجرثوم اللعين يصبح غير مؤذٍ للحيوانات أصلاً ، وعاجزاً عن استعادة مقدرة الإيذاء .

والأعجب — وهنا عظم الفائدة — انهُ ، متى تربّى ونما على هذه الطريقة ، يفرز موادَّ تحثُّ أنسجة الجسم وكريّات الدم على الذّود عن حياتها ، ومكافحة ميكروب السلّ والتفوّق عليه ، بقوّة مُفرَزاتٍ خاصّةٍ تُسمّى المُناهضات (antigène) تعصم البنية من ذيوع العدو وإضراره . ذلك على مثال ما قد توفّق الطب اليه بطاعيم عديدة لأمراض كثيرة . امّا للوقاية من السلّ فللاستاذ كلمت هذا السبق فمنتهى الشرف .

وبرهان هذه الخاصّة الجديدة انك اذا لقّحتَ حيواناتٍ بجرثوم السلّ ، ولم تكن قد طعّمتها قبل ذلك بالميكروب المُستنبَت بالصفراء على نحو ما ذكرنا ، فانها تهلك بالداء ؛ وبعكسه لو سبق تطعيمُها فانها لكانت تظفر بالعدوّ وتسلم .

ولم تكن هذه الاختبارات المتعدّدة في الحيوانات المتنوّعة الا مُقدّمةً وسبيلًا لوقاية الانسان :

قد أثبتت الاحصاآت ان الاطفال ، من عمر يوم الى سنة ، القائمين في بيئةٍ مدنّسةٍ بجراثيم السلّ ، عرضةٌ له وفريسة كاولئك المصابات والداتهم بالداء . ان العلّة على أشكالها تجرفهم بنسبة ٢٥ الى ٦٠ في الـ ١٠٠ . ولكن اذا أعطوا المطعوم فهم لا خوف عليهم ولا هم يموتون منهُ او به الا بنسبة ١ من ١٠٠

وما عَرَفَ علماء العالَم بهذه النتائج حتى هبّوا من كل جهات أوربة واميركة للاستفادة منها . فجاءت خبرتهم تؤيّد خبَر دار باستور الباريزيّة .

ومن البداهة ان هذه الوقاية لا تزداد الا فائدةً فيما اذا فُصِل الرضيع عن محيطه الوبيّ المُمدي ، للاقامة في وسطٍ نقيّ الهواء شامس الجوّ ، حسَن التغذية ، عملًا على نهج المرحوم غرانشه : اي المبادرة الى ارسال المُعرَّضين لهذه العدوى الى الحقول ، لعلّهم ايضاً يندمجون يوماً بصاف الفلّاحين السليمي البنية . والمخترع كلمت نفسه يعتبر ان لا ندحة عن هذه الحيطة في الاسابيع والشهور الأولى ، اي الى ان يتمّ للجسم ان تتألف فيه عناصرُ المناعة والمقاومة .

* * *

وللطبّ في كل هذه الاعمال شرطٌ أوليّ انما هو نزاهة المعالجة عن الايذاء

فالاحصآت على ١٨٠،٠٠٠ بنيف من الاطفـال المولودين والمطعَّمين في محيطٍ سليمٍ ، قد جَلَتْ أنهُ لم يظهر قط ضررٌ على احدٍ منهم يُنسَب الى المطعوم ؛ بل أتت بما هو أفضل من ذلك وهو ما نوَّهَ بهِ في الأكادمي الباريزيَّة ، بتاريخ ٢٥ ايار ١٩٢٨ ، عالمان رومانيَّان من ان الاطفال في بوخارست وغيرها من مدُن رومانيا ، المطعَّمين على اسلوب كلمت ، وهم ٦٥ الى ٩١ من الـ ١٠٠ قـد هبطت وفيَاتهم الى ٤ في الـ ١٠٠ ، وهي ٢٠ في الـ ١٠٠ من كل الذين لم يُعطَوا الترياق الواقي . نتأمَّل !

ويلذُّنا ان ندوِّن فوق ذلك ان الاولاد المطعَّمين منذ عام ١٩٢١ و١٩٢٢ لم يزالوا حتى الساعة بعصمةٍ من الداء . لذلك كانت الثقة بهذا المطعوم الجديد كبيرة والآمال المبنيَّة على شأنه وطيدة . (ولحرمة الحقيقة نقول ان المناعة لم تطل في الحيوانات الى هذا المدى)

واذا عرَف قارئ « المشرق » ان الكثيرين من ارباب الفنّ يذهبون الى ان السلّ في الشباب وما بعده يُتَّخذ في الطفوليَّة ، وعن طريق القناة الهضميَّة ، ويظلُّ كامناً الى ان تتسنَّى لهُ ظروفٌ ملائمـة للفشو كالإفراط وفساد الجو ، وبالأحرى « فساد السيرة » ، أدرك أنَّ كلمت انما هو التلميذُ الجدير بمعلمـه العظيم پاستور .

* * *

كيف يُستعمل هذا الواقي ؟

إن التجارب الحاليَّة ، على ما فتحتهُ من الآمـال ، لم تزل مقصورةً على العشرة الأيام الاولى التي تعقب الولادة : فالامهـات أيامئذٍ فقط تمتصُّ المطعوم وتستفيد منهُ . وهو يؤخذ عن طريق الفم على الوجه الآتي :

كل ٤٨ ساعة من العشرة الأيام الأولى التي تعقب الولادة ، يُعطَى الطفل القطَرات المعدودة الموضوعة في نفَّاخة (ampoule)(١ وقوامها المُستحلَب الجرثومي في ملعقة صغيرة من الحليب ، على درجـة حرارة الجسم (٣٧) . ذلك نصف ساعة قبل الإرضاع من الثدي .

١) ترجمة اليازجي

ونحن نبشّر الجمهور أن من البحّاثين مَن أخذ في استعمال هذا المطعوم في الأطفال حتى الأولاد وتلاميذ المدارس ، بل مُمرّضي المصاح(١ (sanatorium) عن طريق الجلد حقناً تحته ، باعتبار انه لم يبقَ بوسع المعى امتصاص المطعوم والاستفادة منهُ . والرأي السائد الآن انها طريقةٌ مفيدة وعلى كلٍ فلا خوف منها ولا حرج.

ولا يخفى ان هذا الاختراع لم تتجاوز سنّهُ السابعة وذيوعه الرابعة ؛ ومع ذلك فان عدد الجرعات الموزّعة منهُ من دار باستور وحدها قد بلغ ٣٠٠،٠٠٠ وعدد المطعّمين ٩٤،٣٠١ والانتشار على الازدياد المطّرد مع تحسّنات متواصلة كان بعضها عن اعتراضات وملاحظات لبعض المُنتقِدين تصبو الى اتقاء السلّ في كل عمر.

إن يوماً تبلغ فيه البشريّة هذه الأمنيّة لهو بدون ريب من أجمل أيامها. جعلهُ اللهُ قريباً بمنّهِ وكرمه !

طُفَيْل الغَنَوِيّ والطِرِمّاح الطّائي

بقلم الاب انطون صالحاني اليسوعي

اهدى الينا العلّامة المستشرق الهمام ف. كرينكو نسخة من ديوان طُفَيل الغَنَوِيّ ، رواية ابي حاتم السجستاني عن الاصمعيّ ، وديوان الطِرِمّاح الطائي ، في مجلّدٍ واحد عُني حضرته بنشرهما عنايةً لا مزيد عليها ، معتمداً على نسخة وحيدة خطيّة كُتبت في اسبانية في السنة ٤٣٠ للهجرة . وقد استعان لهذا العمل بمراجعة مائة وثلاثة وعشرين تأليفاً عربياً بعضها مخطوط ومعظمها مطبوع، ذكر اسماءها في مقدمة الكتاب وأشار اليها في الحواشي المثبتة في ذيل كل صفحة.وقد ضُبطت الابيات والشرح الذي يرافقها بالشكل الكامل

١) ترجمة الشيخ ابرهيم ايضاً

ومما يُسهّل الاستفادة من الكتاب الفهارسُ العديدة المُلحقة به . منها فهرس للقوافي ، وآخر لأعلام الناس والقبائل وغيرها ، وفهرس للبُلدان، وفهرس لأهمّ الالفاظ الواردة في الديوانين مع تفسيرها بالانكليزية ، وفهرس خامس يُشغل ٢٥ صفحة ذُكرت فيه التآليف التي وردت فيها ابيات من شعر طُفيل او من شعر الطرمّاح مع تعيين الجزء والصفحة ، فيسهل الوقوف عليها في كتب الادب او في الامهات اللغوية

ولم يكتفِ العلّامة المستشرق بذلك ، بل اقدم على عمل اصعب وهو نقل معنى الابيات الى الانكليزية . وكلّ من يعرف ما يعترضنا من الصعوبة لتدرك معاني الشعر القديم يستعظم هذا العمل ويقرّظهُ

والكتاب مُقدَّم لذكر المرحوم السر شارلس جيمس ليَل الذي كان قرأ معظم النسخ قبل طبعها ، وقد طُبع على نفقة وقفية جيبّ ، بمطبعة بريل بليدن من اعمال هولندة ، طبعاً نظيفاً على ورق متين صقيل ناصع البياض ، باحرف واضحة هي اكبر واشد سواداً في الابيات منها في الشرح . ويحتوي ٣٨٢ صفحة بقطع كبير بطول ٢٧ سنتيمترًا وعرض ٢١

على اننا كنّا نود ان نرى في بدء الكتاب صفحة او صفحتين من النسخة الاصليّة الخطّيّة ممثّلة بتصوير النور ، ليمكننا ان نعلم حالتها من الصحّة او الخطإ في الالفاظ والحركات . فقد عثرنا على بعض الاغلاط فأحببنا ان نوردها هنا مع تعيين الصفحة والسطر ونُتبعها بما نراه الصواب ، خدمةً للعلم :

	خطأ	صواب		خطأ	صواب
٢[٩]	مُشغب	مُشغَب	٥[١]	إهداب	إهذاب
٥[١٦]	المرتفع	المُرتَفع	٣٤[٢]	يَنْهَبْنَ	يُنْهَبْنَ
٣٨[١١]	خَيْزُم	خُبْزُم	٣٩[١]	ومُستلجم	ومُستلحم
٤١[٥]	تَحْرَمْ	في الاصل محرواه تجزُوا	٥٣[٧]	تُفرَّقُ	تَفرَقُ
٥٧[٧]	أبرَزْنَ	أبرزْنَ	١٤٩[٩]	لِأولاها	لِأولاها
١٥٢[١١]	مُخَضْرَة	مُخَصَّرَة	١٦٣[١٠]	قُلْبًا	قَلْبًا
١٦٦[٧]	ضُبِرَتْ	ضَمُرَتْ	١٦٧[١٦]	مُقلِصة	مُقلِمة

الى غير ذلك من الاغلاط التي تُريأها لحظة عين مثل: النِقال [١٢]١٩٢، الجامض [٥]١٥٠ ، وتسقيطاً [١٤]١٦٣ ، وقطرُ الرّجلِ [٢]١٧٢ ، وأرطاةِ حِقفٍ [١]١٧٤ الخ. والصواب: النِمال ، والحامض ، وتقسيطاً ، وقطرُ الرّجلِ ، وأرطاةِ حِقفٍ

***

هذا وقد رأينا ان نُثبت في « المشرق » ترجمة طفيل والطرماح ، ونورد مثالاً من شعرهما ، ليطّلع القرّاء على صفات هذين الشاعرين:

طفيل الغنوي

طُفيل بن عوف الغنوي شاعر جاهلي من الفحول المعدودين . يقال انهُ من اقدم شعراء قيس كان يقال لهُ « طفيل الخيل » لكثرة وصفه اياها . وكان طفيل يُسمّى في الجاهلية مجبّرًا لحسنِ شعره . قال معاوية بن ابي سفيان : « خلُّوا لي طُفيلًا وقولوا ما شئتم في غيرهِ من الشعراء »

ذكر طفيل في شعره وقعة اوقعها قومه بطيء وحرباً كانت بينه وبينهم . وسبب ذلك ان رجلًا من غنيّ يقال لهُ قيس الدارمي وفد على بعض الملوك وكان قيس سيّدًا جوادًا . فلمّا حفل المجلس اقبل الملك على من حضرهُ من وفود العرب فقال : لأضعنّ تاجي على اكرم رجل من العرب . فوضعهُ على رأس قيس وأعطاهُ ما شاء ونادمهُ مدّة . ثم اذن لهُ في الانصراف الى بلدهِ فلمّا قرب من بلاد طيء خرجوا اليهِ وهم لا يعرفونه فقتلوه . فلمّا علموا انهُ قيس ندموا لأيادٍ لهُ كانت فيهم ، فدفنوهُ وبنوا عليهِ بيتاً . فجمع طفيل جموعاً من قيس ، فاغار على طيء فاستاق من مواشيهم ما شاء ، وقتل منهم قتلى كثيرة . فقال بعد النسيب في قصيدة لهُ وهي الاولى من ديوانه وعدد ابياتها ٧٧ :

وبَيتٍ هَبَّتِ الريحُ في حَجراتهِ ... بأرضٍ فَضاءٍ بابُهُ لم يُحَجَّبِ
سَماوَتُهُ أسمالُ بُردٍ مُحبَّرٍ ... وصهوتُهُ من أتحميٍ مُعصَّبِ
وأطنابهُ أرسانُ جُردٍ كأنّها ... صُدورُ القَنا من بادئٍ ومُعقَّبِ
نَصبتُ على قومٍ تُدِرُّ رماحُهم ... عُروقَ الأعادي من غَريرٍ وأشيَبِ

وفينا ترى الطُّولى، وكلَّ سَمَيْدَعٍ مُدرَّبِ حربٍ وابن كلِّ مُدرَّبِ
طويلِ نِجادِ السَّيفِ، لم يرضَ خُطَّةً من المَجدِ، وَرَّادٍ الى الموتِ مَضرَبِ
تَبيتُ كعِقبانِ الثَّريّقِ رجالُهُ اذا ما نَوَوْا إحداثَ امرٍ مُحبَّبِ
وفينا رِباطُ الخيلِ، كلُّ مُطهَّمٍ رَجيلٍ كبرجانِ الفضا المتأوِّبِ
يُذيقُ الذي يلو على ظهرِ مَتنِهِ قِلالَ خَذاريفٍ من الشدِّ مُلهَبِ،
وجَرداءَ مِمراحٍ، نبيلٍ حِزامُها طروحٍ كمُودِ النِّعمةِ المُتنخَّبِ
تُنيفُ اذا اقورَّت من القودِ، واطوت جمادٍ رَفيعٍ يَقهرُ الخيلَ صَلهَبِ

وقال يفتخر بقومه من قصيدة هي السادسة من الديوان وعدد ابياتها ٣٩:

بَني جعفرٍ، لا تكفُروا حُسنَ سعيِنا وأثنوا بحُسنِ القولِ في كلِّ محفلِ
فنحنُ منعنا، يومَ حرسٍ، نساءَكم غَداةَ دَعانا عامرٌ غيرَ مُؤتلي
فقالَ: «اركبوا انتم حُماةٌ لمثلِنا» فطرنا الى مَقصورةٍ لم تُبَتَّلِ
فجاءت بفرسانِ الصباحِ عوابساً سِراعاً الى الهَيجا معاً، غيرَ عُزَّلِ
فأحمشَ أولاهم، وألحقَ سِرجَهم فوارسُ منّا بالقنا المُتخلِّلِ
فحامَى حُمامينا، وطرَّفَ عنهمُ عَصائبُ منّا في الوَغى لم تُخاذلِ
رَددنا السَّبايا من نُفَيلٍ وجعفرٍ ومُنَّ حَبالى من مُخفٍّ ومُثقلِ
وراكضةٍ ما تستجنُّ بجُنَّةٍ بسيرَ حلالٍ راجعته مُجفَّلِ
فقلتُ لها، لما رأينا الذي بها: «من الشرِّ لا تستوهلي وتأمَّلي
فان كان قومي ليس عندكِ خُبرهم فانَّ سُؤالَ الناسِ شافيكِ فاسألي!»
ومُستَلحِمٍ تحتَ العوالي حَميَّهُ مُعمَّمِ دَعوى، مُستغيثٍ مُعلَّلِ
مُشيفٍ على إحدى أثنتينِ بنفسهِ فُوَيتَ المَعالي بين أسرٍ ومَقتلِ
ففرَّجتُ عنه الكربَ حتى كأنَّما تأوَّى من الهَيجا الى حوزٍ مَعقلِ

وقال طُفَيل يصف سحاباً من قصيدة هي السابعة في ديوانه وعدد ابياتها ٣٣:

اصاحِ ترى برقاً أُريكَ وميضَهُ يُضيءُ سَناهُ سُوقَ أثلٍ مُركَّمِ
أسَفَّ على الأفلاجِ أيمنُ صَوبِهِ وأيسرُهُ يلو مَخارمَ شَمشَمِ
لهُ هَيدبٌ وانٍ كأنَّ فُروجَهُ فُوَيقُ الحصى والارضُ أرفاضُ حَنتَمِ
أبَثَّت بهِ ريحُ الجَنوبِ فأسعدَتْ رَوايا لهُ بالماءِ لمَّا تصرَّمِ

الطرماح الطائي

الطِرِمّاح بن حَكيم الطائي من فحول الشعراء الاسلاميين وفُصحائهم . نشأ بالشام ، وانتقل بعد ذلك الى الكوفة مع من وردها من جيوش اهل الشام . نزل في تيم اللّات بن ثعلبة ، وكان فيهم شيخ من الشراة الازارقة له سمتٌ وهيئة ، وكان الطرمّاح يجالسه ويسمع منهُ ، فرسخ كلامه في قلبه ، ودعاه الشيخ الى مذهبه فقبلَه واعتقدهُ اشدَّ اعتقادٍ واصحّهُ ، حتى مات عليه. وقد اشار الى معتقده هذا اذ قال :

فهِ دَرُّ الشَّراةِ ! إنهمُ اذا الكَرَى مالَ بالطُّلا ، أرِقوا
يُرجِّعُون المَنينَ آونةً وإن عَلا ساعةً بهم شَهِقوا
خوفاً تَبيتُ القُلوبُ واجِفةً تَكادُ عنها الصُّدورُ تَنفَلِقُ
كيفَ أُرجّي الحياةَ بعدهمُ وقد مضى مُزْنيَّ فانطلقوا ؟
قومٌ شِحاحٌ على أعتقادِهم بالفوزِ ، مما يُخافُ قد وَثِقوا

وكان الطرماح كبير النفس أبيّها . قال ابن الاعرابي : وفد الطرماح ابن حكيم ، والكميت بن زيد على مخلد بن زيد المهلّبيّ . فجلس لهما ودعاهما . فتقدَّمَ الطرماح ليُنشِد. فقال لهُ : « أنشِدْنا قائماً . » فقال : « كلّا والله ما قدر الشعر ان اقوم لهُ فيحطّ مني مقامي ، فأحطّ منهُ بضراعتي ، وهو عمود الفخر وبيتُ الذكرِ لمآثر العرب. » فقيل لهُ : « فتنحَّ ! » ودُعي بالكُمَيت فأنشدَ قائماً . فأمر لهُ بخمسين الف درهم . فلمّا خرج الكميت شاطرها الطرماحَ وقال لهُ : « انتَ ابا ضبية ابعدُ همّةً ، وانا ألطفُ حيلةً . »

كانت بين الطرماح والكميت خلطة ومودّة وصفاء لم تكن بين اثنين . وهذه الاحوال بينهما على تفاوت المذاهب والعصبية والديانة . وكان الكميت شيعيًّا عصبيًّا عدنانيًّا من شعراء مُضَر متعصّباً لاهل الكوفة . والطرماح خارجي صفري قحطاني عصبي لقحطان من شعراء اليمن متعصب لاهل الشام .

فقيل لهما : « فبمَ اتفقتما هذا الاتفاق مع اختلاف سائر الاهواء ؟ » قالا : « اتفقنا على بغض العامة »

وأنشد الكميت قول الطرماح :

إذا قُبضَت نفسُ الطرماح ، أخلقَتْ عُرَى المجدِ ، واسترخى عنانُ الفصائلِ

فقال : « إي والله وعنانُ الخطابة والرواية والفصاحة والسماحة »

وكان الطرماح كثير الغريب يتضح ذلك من مطالعة شعره . قال روبة : « كان الطرماح والكميت يصيران اليَّ فيسألانِ عن الغريب فأخبرهما به فأراهُ بعد في اشعارهما » . وسُمع محمّد بن حبيب يقول : « سألتُ ابن الاعرابي عن ثمان عشرة مسألة كلّها من غريب شعر الطرماح ، فلم يعرف منها واحدة يقول عن جميعها : « لا ادري ، لا ادري . »

ومن شعر الطرماح هذه القصيدة وهي الثانية من ديوانه وعدد ابياتها ٤٣ قالها يفتخر بقومه ، ويصف بلاءهم في الحرب :

انّنا معشرٌ شنئنا العبرْ اذا الخوفُ مانَ بالأحناضِ
نُصُرٌ للذليلِ في ندوةِ الحيِّ مَراتيبُ للنأى المنهاضِ
من يرُمْ جمعهم يجدْهم مَراجيحَ حماةً للنزّلِ الأحراضِ
لم يفُتنا بالوترِ قومٌ ، وللضيمِ رجالٌ يرضون بالإغماضِ
فسلي الناسَ إن جهلتِ ، وإن شئتِ قضى بيننا وبينكِ قاضي
هل عدَتْنا ظاعنةٌ تبتغي العزَّ من الناسِ في القُرونِ الموالي
كم عدوٍّ لنا ، قُراسيةِ العزّ ، تركْنا لحماً على أوقاضِ
وجلبنا إليهم الخيلَ ، فاقتيضَ حمامٌ والحربُ ذاتُ اقتياضِ
بلادٍ يفري الشؤون ، وطعنٍ مثل إنزاعِ شابذاتِ المخاضِ
ذي فُروعٍ يظلُّ من زبَدِ الجو فرِ عليهِ كثامرِ الحُماضِ
نقبَتْ عنهمُ الحروبُ فذاقوا بأسَ مستأصلِ العدى مُتناضِ
كلُّ مُستأنسٍ الى الموتِ قد خا ضَ اليهِ بالسيفِ كلَّ مَخاضِ
لا بَني يُحمِضُ العدوَّ وذو الحقْـ ـدِ يُشفّى صَداهُ بالإحماضِ
حينَ طابت شرائعُ الموتِ فيهـ ـا ومرارًا يكون عَذْبَ الحياضِ

باللواتي لم يَتْرُكنَ عِقاقاً ، والمَذاكي يَنهضنَ ايَّ انتهاضِ
تلك أحسابُنا اذا احتتَ المَصْلُ ، ومُدَّ المَدى مَدَى الأغراضِ

وقال الطرماح في القصيدة الثالثة من ديوانهِ وعدد ابياتها ٣٤ يصف الثورَ الوحشيَّ والكلابَ وصيدها لهُ :

كمُخَفَّقِ المَشْيَينِ ، باتَ ثَلاثُهُ وطفاءُ ساويةٌ ، وهفٌّ مُبرِدُ
ضاحي المَرائعِ والطَّيات ، كأنَّهُ بَلَقٌ تَعاوَرَهُ البُناةُ مُمدَّدُ
يَقَقُ الشَّراةِ ، كأنَّ في سَفِلاتهِ أثرَ التَّؤُورِ جرَى عليهِ الإثمِدُ
حُبِسَتْ صُهارتُهُ نظلَّ عُثانُهُ في سَيْطلٍ كُفِئَت لهُ يتردَّدُ
حتى اذا هوَ آلَ ، واطَّردَت لهُ شُعَبٌ كأنَّ وُحيَّهنَّ المُسْنَدُ ،
أجلَت بِدا بَلويَّةٍ عنها لها إبَرٌ تَرَكنَ قراغاً ما تَبلُدُ
يبدو وتُضمِرهُ البلادُ ، كأنَّهُ سَيفٌ على شَرَفٍ يُسَلُّ ويُغمَدُ
هاجَت بهِ كُسُبٌ تَلمعُ للطَّوى والحرصِ ، يَذأَلُ خلفَهنَّ المُوسِدُ
صُمُرُ السَّوالفِ بالجراء ، كأنها خلفَ الطرائدِ ، خَشرمٌ مُتبدِّدُ
فاجتبنَ حاصبَهُ ، وولَّى يقتري ، فَيحانَ يُسمِحُ مرَّةً ويُعرِّدُ
يُذري رَوانسها الاوائلَ ، مثلَ ما يُذري فَراشَ شَبا الحديدِ المِبرَدُ
تبرًا ، ويَعصِفُها بمرقَى وَرْقِهِ شزرًا كما اختصفَ النِّعالَ المِسرَدُ
فصدفنَ عنهُ ، وقد عصفنَ بنعجةٍ خَذَلَت وأفلتَها قَريرٌ مُفرَدُ
فالقومُ أجنُبَها شرائحَ منهمُ طاهٍ يَحُشُّ ، وهَبهَبيٌّ يَفأدُ
وغَدا تَشُقُّ يداهُ اوساطَ الرِّبى ، قسمَ القِتالِ تَفُدُّ اوسطَهُ اليدُ
يغرو المَقاتلَ بين حَزمِ عُوارضٍ ويَسوفُ اسفلها خُزامى تَفأدُ

وفي القصيدة الخامسة ، وعدد ابياتها ٧٥ ، قال الطرمّاح يُزهِد في الدنيا :

ترك الدهرُ اهلَهُ شُعَبًا فاستمرَّتْ من دونهم عُقَدُهْ
وكذاك الزمانُ يَطردُ بالنا سِ الى اليوم يومُهُ وغدُهْ
لا يُلِيانِ باختلافهما المر ءَ ، وان طال فيهما أمدُهْ
كلُّ حيٍّ مستكملٌ عدَّةَ العمـ ـرِ ومُودٍ ، اذا انقضى عَدَدُهْ
عجبًا ما عجبتُ للجامع المالَ يباهي بهِ ويرتفدُهْ
ويُضيعُ الذي يصيرُهُ اللهُ م اليهِ ، فليسَ يتقيدُهْ

يومَ لا ينفع المُخوَّلَ ذا الثروة م خُـلَّانُـهُ ، ولا ولـدُهْ
يوم يُوْتَى بِهِ ، وخصماه ، وسطَ م الجبنِ والإنس ، رجلُه ويـدُهْ
خاشعُ الصوتِ ، ليس ينفعه ثَمَّ م أمـانيُّـهُ ، ولا لَـدَدُهْ
قُل لباكي الاموات : لا تبكِ للنا سِ ، ولا يَـتبعْ بـهِ فَنَـدُهْ
انما الناسُ مثلُ نابتةِ الزَّر عِ متى يـأنِ ، يأتِ مُحتصدُهْ

وفي القصيدة الثامنة ، وعدد ابياتها ٣٦ ، قال الطرمّاح يردُّ على الفرزدق ويهجو تميماً :

بأيِّ بلادٍ تطلبُ العزَّ بعد ما ، بمولدِها ، هانت تميمٌ وذلَّتِ
اقرَّت تميمٌ لابنِ دَحمةَ حُكمَهُ ؛ وكانت ، اذا سيمت هَوانًا ، اقرَّتِ
وكانت تميمٌ وسطَ قحطانَ اذ سمَتْ كمقذوفةٍ في اليمّ ليلًا ، فضلَّتِ
ونجّاكَ من أسْرِ العراقِ كتائبُ قحطانَ اهلِ الشام يومَ استهلَّتِ

الى ان قال :

افخرًا تميمٌ ، اذا فتنةٌ خبَتْ ! ونُومًا ، اذا ما المشرفيةُ سُلَّتِ !
ولو خرجَ الدجّالُ يَنْشُرُ(١) دينَهُ نزافتْ تميمٌ حولَهُ واحزألَّتِ
فَراشُ ضلالٍ بالعراقِ وحوقٍ اذا مات ميتٌ من قُريشٍ اهلَّتِ
فاينَ تميمٌ ، يومَ تمطرُ بالقنا كتائبُ أمنًا اقامَتْ واحلَّتِ ؟
كتائبُ من قحطانَ ، بالعَفْرِ اوقعت وقائعَ فيها اعظمَتْ واجلَّتِ
فخرْتَ بيومِ العَفْرِ ، شرقيَّ بابلٍ وقد جبُنَتْ فيهِ تميمٌ ، وفلَّتِ
فخرتَ بيومٍ لم يكن لكَ فخرُهُ ، وقد نحلَتْ منكَ الرماحُ وعلَّتِ
كفخرِ الإماءِ الراغماتِ عشيةً برقمِ حُدوجِ الحيِّ حينَ استقلَّتِ

---

(١) في طبع دواوين الشعر القديم ، اذا عثر من يُعنى بنشر الديوان على رواية في كتب الادب مختلفة عن رواية النسخة الاصلية وكانت هي الصحيحة ، ترى الاوفق ان يثبتها في القصيدة ويشير في الحاشية الى رواية النسخة الاصلية . مثلًا في هذا الشطر من شعر الطرمّاح : «ولو خرج الدجّال ينشدُ دينهُ» يروى (في اللسان ١٣ : ١٥٩) «يَنْشُرُ» عوض «يَنْشُدُ» . «ينشر» هي الرواية الصحيحة . فكان الاوفق ان تُثبَت في البيت ، ويُشار في الحاشية الى رواية النسخة الاصلية «يَنْشُدُ»

الاب غُدفريد زمّوفن

بقلم الاب اسكندر طوران اليسوعي

في اول ايلول الماضي فاضت على مهل ، في كلية القديس يوسف ، روح الاب غدفريد زمّوفن اليسوعي بعد حياة طويلة ناهزت الثمانين عاماً .

وليس الاب زمّوفن رجلًا مجهولًا في بلادنا ، سواء كان لدى تلامذته العديدين الذين تبدّلوا في صفّه ، على مدّة ثلاثين سنة ، يدرسون العلوم الطبيعية والرياضية ، او لدى قرّاء مجلة « المشرق » الذين طالما استفادوا من مقالاته النفيسة في اول عهدها .

وليس من الانصاف ان يخمد ذكره في فكر اللبنانيين ، وهو من العلماء الذين وقفوا حياتهم المدرسية في سبيل لبنان ؛ تاركاً مؤلّفاً اغدق عليه الاختصاصيون اطيب الثناء ، الا وهو كتاب « جيولوجية لبنان » . درس فيه انواع طبقات الارض المختلفة في بلادنا فعاد لهُ الفضل بتقرير معرفتها وتعيين اعمارها المتباينة ، بعد ان كان الاختلاف في هذا الامر مستحكماً بين العلماء الاوربيين المختلفي الجنسيّات من فرنسويين والمانيين وايطاليين وانكليز . فانهم درسوا في ظروف شتى طبقات الارض اللبنانية ، ولكنهم لم ينتهوا الى قول فصل في زمن تكوينها ، قبل ان ظهرت آراء الاب زمّوفن .

ومن المعلوم ان تقرير زمن طبقةٍ من طبقات الارض يستند الى ما يوجد فيها من المتحجّرات (fossiles) والمطمورات المختلفة الخاصّة بها ، اي التي لا توجد في غيرها . فصرف مؤلف « جيولوجية لبنان » اهتمامه الى جمع هذه المطمورات حتى حصل منها على شيء كثير وافر التنوّع عثر عليهِ في نقاط مختلفة من لبنان . ثم اجتهد ، بواسطة كثير من الاختصاصيين الفرنسويين الذين كانوا على صلات متتابعة معه ، حتى قابل المتحجّرات اللبنانية بمتحجرات البلاد المختلفة المحفوظة في متاحف اوربة . فكان لهُ من ثمّ وسيلة يقابل بها انواع طبقات الارض في لبنان بانواعها المدروسة غاية الدرس في اوربة . وهكذا تمّ لهُ ان يحل تلك العقدة

التي كانت تجعل الخلاف بين آراء علماء اوربة فيما يختص بعمر الارض اللبنانية. وكانت نتيجة ابحاثه ان اقدم ارض معروفة في لبنان هي من العصر الجوراسي (Jurassique)

ومما امتازت به ابحاث الاب زمّوفن عن ابحاث زملائه من علماء الغرب طول المدّة التي كان في وسعه استعمالها للتحقيق والتدقيق. فان ما كان يخصصه رحّالة الاجانب من الوقت لدرس جيولوجية لبنان لم يكن يتجاوز بضعة اشهر. امّا الاب زمّوفن فتمكّن، بوجوده استاذًا في كلية القديس يوسف على مدة ثلاثين سنة، من تخصيص فرصه المدرسية طول تلك المدّة لزيارة انحاء لبنان وجمع الوثائق اللازمة من كل الجهات. حتى انهُ لم يترك نقطة يهمه امرها الّا تفقدها من البقاع الى البحر، ومن نهر القاسمية جنوباً الى النهر الكبير شمالاً. واي قرية لم تشاهد هذا الراهب، حاملاً كيس السفر على كتفه، ومعولاً صغيراً في يده، يقطع السهول، والاودية، والهضاب، والجبال، حتى اذا لفتت نظره حصاة صغيرة او قطعة من صخر، التقطها فلفها بورقة وكتب عليها اسم المحل الذي وجدت فيه. وكم من مرّة كان عليه ان يعاود صعود وادٍ من قعره حتى قمّته كي يتمكن من وصف جميع طبقات الارض التي كشف عنها السيل غشاءها السطحي.

ولم يكن عمله ينتهي بعد هذه الرحلات. بل انه كان يتابع دروسه في غرفته فيرتّب جميع غنائمه ويدرسها ويحلّلها.

هذا ما يشرح ما نراه في كتابه النفيس من التصاوير المتعددة لجميع طبقات الارض في لبنان. وكان هذا العمل قد قارب الانتهاء اذ شهرت الحرب العامّة. فعاد اليه صاحبه بعد الحرب ورتّب ما كان باقياً قيد البحث. ثم اراد تحقيق بعض النقاط الغامضة، فقام برحلات جديدة ازالت من عقله كلّ شك. فتمكن اذ ذاك من طبع المؤلّف النفيس مع خارطة لجيولوجية لبنان مُيّزت فيها كل طبقة من الارض بلون خاصّ يدلّ على تركيبها ودرجة قدمها. وقد ترك لنا عدا ذلك:

١ — مجموعة متحجّرات لبنان مرتّبة على اختلاف طبقات الارض مع

ايضاحات تُشير الى نوع المتحجّرة ومصدرها.

٢ — مجموعة موضحة ايضاً لمطمورات الأسماك في ساحل علما.

٣ — مجموعة اخرى لمطمورات الأسماك في حاقل (محافظة جبيل)

على ان اعمال الاب زموفن لم تنحصر في محيط الجيولوجية فحسب ، بل تجاوزتها الى التفتيش عن الوثائق لعلم ما قبل التاريخ . فكان اول عالم قام في لبنان بابحاث متتابعة في هذا العلم.

ابتدأ سنة ١٨٩٠ بحفريّات في مغارة من وادي انطلياس قريبة من القرية. فاكتشف كثيراً من الادوات الظرّانيّة المنحوتة وعظام الحيوانات ، المعاصرة سكان لبنان في الزمن السابق للتاريخ. فكوّن منها آثاراً نفيسة يراها المطالع في مجموعة نشرها بعد ذلك بسنوات وسمّاها « فينيقية قبل الفينيقيين »

ثم قام بحفريات وتنقيات غيرها في الهضبات المجاورة لمصبّ نهر الكلب وفي مغاور النبع في جعيتا . ثم انتقل الى نهر ابراهيم ، فنهر الجوز ، فعدلون ، فنهر الزهراني ، فرمال بيروت. وقد توفّق في كلها ، وترك مجموعة ظرّانيّة لكلّ من هذه المحطّات.

وترك ايضاً مجموعات من عظام حيوانية وجدها مع الادوات الظرّانيّة المنحوتة . وتلك العظام آثار لحيوانات انقرض اكثرها من لبنان . ولكنها كانت تعيش فيه في العصر الذي عاش فيه شاغلو تلك الادوات الظرّانيّة ، واهمّها الوعل الكبير ، والخنزير البرّي ، والدبّ ، والكركدنّ ، والثور الوحشي ، مع ثلاثة انواع من الأيل.

كان الانسان السابق للتاريخ يصيد هذه الحيوانات ، ولا سلاح لهُ سوى الحجر الصوّاني الذي يحدّده ويستعمله كالفأس او يرشقه كالسهم فيرمي فريسته ، فيأكل لحمها ويطرح حول مسكنه عظامها التي تراكمت على مرور العصور، حتى وصل الينا ما قوي منها على احتمال تقلّبات العناصر الجوية ، وهي الاسنان والفكوك ، فعرفنا منها انواع الحيوانات العائشة في ذاك الزمان . وهي ، كما يظهر ممّا تقدّم ، مختلفة جدّ الاختلاف عن الحيوانات الحاضرة. ولا عجب في ذلك بعد ان اضمحلّت الغابات الكثيفة التي كانت تغطّي جبال لبنان

على عهد الامير

لماذا ؟

رواية لبنانية تاريخية

بقلم فؤاد افرام البستاني

وقد يكون من الابناء ضحايا في سبيل آبائهم
من حيث لا يعلمون

الفصل الثاني

الامير جهجاه (تابع)

ولم تمرّ دقائق حتى وصل المسافران . فترجّل غانم ، واسرع مسلّماً على الامير جهجاه . فتلقّاه فاتحاً ذراعيه ، وعانقه طويلاً . ثم التفت الى فرحات فقبّل هذا يده ، وتأخر عنهما قائداً الفرس بتمهل .

وكانت عينا الامير لا تزالان عالقتين بوجه حفيد صديقه ، يتأمل ذاك الشباب المتدفق من كل جوارحه ، ويسرّ بتلك الحياة السارية في كل عروقه . بينا كان غانم تارةً يخفض عينيه حياء ، وطوراً يسترق النظر الى قامة الأمير فيعجب بتلك البنية الراسخة ، ناقلاً نظره من الجبين العريض ، الى الصدر العريض ، الى الكتفين العريضين ؛ ويُكبر العزم والهمّة في شيخ ادرك الستين ولا يزال يقتحم غمرات الحرب كابن عشرين ... ثم انتقلت به الفكرة ، بسرعة البرق ، الى كلمة كثيراً ما ردّدها امامه جدّه الشيخ ، اذ كان يأتي على ذكر الامير جهجاه ، فيقول لغانم : « انه يشبه اباك كل الشبه ، وا حسرتي عليه ! هكذا كان ابوك ، رحمه الله ، عريض الجبهة ، عريض الكتفين ، عريض الصدر ... » وذهب يفكر انه لولا وقعة عانوت سنة

١٧٨٣ ، لكان يتمتع الآن برأى والده بتلك العافيـة التي يرى فيها الامير جهجاه ، ولكان يرى شاربيه الخرنوبيين يقسمان وجهه المتجعد ... ولم يكد يسترسل الى حزنه هذا حتى قطع الامير مجرى افكاره ، فقال :

— وكيف تركت اخي الشيخ بو غانم ؟

— بكل خير يسأل خاطر سعادتكم . وقد ارسلني بمهمة دقيقة احب ان ابسطها امامكم على انفراد.

وكانا قد قربا من دار الامير ، فشاهد غانم رتاجاً ضخماً يقود الى دهليز فسيح ، طالما اختبأ في زواياه ، اذ كان يلعب في السنوات الغابرة مع الصغيرة بدور ؛ ولكنه لم يكن انتبه قبل اليوم الى ضخامة البناء ، وارتفاع السور ، ومناعة الدار . فظهرت على وجهه ، امارات العجب والاطمئنان ، ممزوجة بعاطفة خفيّة من الأمل بلقاء رفيقة ألعابه الصبيانية ، والرهبة من لقائها ايضاً . تلك الرهبة التي تدفع الانسان الى البعد عن الخطر والى اقتحامه في وقت واحد ، والتي يشعر بها المحبّون المخلصون الاوفياء اذا ما دنا اجتماعهم بعد غياب طويل . فهم يرغبون كل الرغبة في الاجتماع القريب ، ولكنهم يخافون من ان يكون البعاد احدث تغييراً في تلك المحبة الخالصة . فلا يزالون بين الرغبة والرهبـة حتى تخلّصهم الحوادث من ذاك التردد المزعج .

واذ رأى الخدم اميرهم مقبلاً ، اسرع احدهم فاقتاد الفرس الى الاصطبل ، وتحوّل آخر مع فرحات الى غرفة سفلى . بينا كان غانم يصعد مـع الامير ، الدرجات القليلة امام الرتاج ، وقلبـه ينبض بسرعة ، وفكره مشغول بامور كثيرة منها تلك المسألة المهمة التي اتى من اجلها . وقد كان باشدّ الحاجة الى الراحة ، فاستقبل عمل الامير بكل ارتياح ، عندما اخذه هذا الى غرفة منفردة حسنة الرياش ، ووكل بخدمته ثلاثة من الخدم كي يريحوه من وعثـاء السفر ، ويكونوا قيد إشارته في كل ما يطلب .

بعد ساعـة رجع الأمير فسأل ضيفه عن صحته ، فاستقبله هـذا بكل بشاشة شاكراً له اهتمامهُ . ثم اختليا ، فقرأ غانم التحرير بصوت خافت وهو ينظر ،

بين الفينة والفينة ، الى ملامح الامير تنقبض ، والى تجعُّدات جبينه تتعمّق ، والى باصرتيه يلمع نورهما . وما ان فرغ من القراءة ، حتى استقام الامير في مجلسه ، وقال بصوت جمع فيه كل ما عنده من الرزانة والطمأنينة :

— عندي !

وسكت قليلاً كأنه يلتذ بذاك القصد الذي اتخذه في سبيل مساعدة اميره . ثمّ اتجهت افكاره في شعب مختلفة ، فجعل يعظم قدره شيئاً فشيئاً اذ يرى نفسه ملجأ يقصده الاصدقاء ، وملاذاً يطرق بابه ارباب الحاجات ، وغوثاً يمدّ بمعونته الامير بشير نفسه ... عند ذاك تذكّر ما كان يردّده الخوري يوسف ، اذ كان يشرح له اسم ضيعته « بعذران » فيقول انهُ من السريانية « بيت عُدران » ومعناها « المعونة » « والاغاثة » ، ويتمنّى لهُ ان يحقّق المسمّى الاسم على الدوام ...

ثم التفت الى غانم بشيء من العُجب والإخلاص ، واردف :

— وعليّ اتمام الباقي !

وانتبه اخيراً الى سفر غانم ، فشقّ عليهِ ذلك اذ كان يحبّ حفيد صديقه ، وابن رفيقه ، حبّاً يوازي حبّهُ لابنتهِ ، فعاود ملامحه الانقباض ، وقال بصوت خافت :

— وانت ؟ كيف تسافر وتتركنا ؟

فحنى الفتى رأسه كي لا يظهر ما على وجهه من الاحمرار ، واجاب بصوت لا يقلّ ضعفاً :

— تلك ارادة جدّي !

فأراد الامير ان يصرف هذا الهمّ عن قلب الفتى ، ويريح فكره قليلاً ، فتكلّف الابتسام وامرّ يده بلطف على خدّ غانم المتورّد ، وقال بحنوّ :

— قم بنا الآن نزور امرأة عمك ، ونسلّم على بدور .

الفصل الثالث

بدور وغانم

كانت « امرأة عمه » ، اي الاميرة سعدى ، سيدةً في الخامسة والاربعين من عمرها ، ممشوقة القامة ، دقيقة الأطراف ، لا يزال على وجهها مسحة من الجمال على الرغم مما قاستهُ من العذاب العقلي ، في اول زواجها ، كي توفق بين اذواقها واذواق الامير جهجاه . كان هذا «اميرًا» بكل ما كانت تحويه تلك الكلمة من الصفات في ذاك الوقت ، اي حادّ الطبع ، سريع التقلُّب ، كثير الاوامر ، لا يحتمل معاكسة ، ولا يطيق تردُّدًا ، ولا يتصوَّر ان في الكون من يمكنه ان يعصي لهُ امرًا ؛ وقد رأيناه يترك دينه ، واهله ، وارزاقه على اثر خلاف مع احد ابناء عمه .

امَّا سعدى فكانت من افضل بنات المشايخ ، واتقاهنَّ ، واسماهنَّ عقلًا ، واعمقهنَّ فضيلةً ، اشتهرت بين أترابها بالتعقُّل ، وطول الأناة ، وبغض الملاهي ؛ حتى انها لم تكن تشترك الَّا نادرًا بالحفلات التي كانت تُقام على اثر الانتصارات ، وهي لا تكاد تعرف نقل رجليها للرقص ، ولا تحريك اصابعها على الدربكة .

وكان ان الخوري يوسف ، خوري بعذران وما جاورها ، اراد ان يخفِّف من غُلواء الأمير جهجاه بعد تنصُّره ، فكلَّمه في امر الزواج ، وهداه الى تلك الفتاة . امَّا اول اسئلة الامير عن شريكة حياته ، فكان عن اصلها . واذ علم انها ليست من الامراء اشمأزَّ قليلًا ؛ ثم قبل ، نكايةً بأهله . وهو ، لولا ذلك ، لم يكن يتصوَّر انه يتزوَّج بفتاة من بنات المشايخ . حينئذٍ استسلم لارادة الخوري يوسف فكلَّله في حفلةٍ مهيبة كانت الاولى من نوعها لصفتين غريبتين : اولاهما تنصُّر الامير الشيعي ، وثانيتهما ، وكانت اعظم من الاولى في نظر الكثيرين ، تنازل امير الى الاقتران بفتاةٍ ليست من مقامه . وعليهِ فلم يكن من الغريب ان يجتمع ابناء القرى العديدة في تلك الحفلة ،

فيقيموا العرس عشرة ايام بلياليها تتوالى فيها الولائم والالعاب المختلفة.

ولم يكن الامير رأى امرأته الّا على مرتبة الاكليل ، فعجب لذاك الجمال في غير بنات الامراء . واختبر ، فيما ولي من الايام ، ان في غير الامراء ايضاً صفاتٍ واخلاقاً لا تُحتقر كلّها . على انه لم يكن ليستطيع كبح جماح غضبه بعض الاحيان ، فيبدو حانقاً كانه لم يغفر لزوجته ذنبها الاعظم بولادتها في أسرة تنحطّ عن أسر الامراء . حتى أنعم عليه المولى ببدور ، فتعلّق بها تعلّقاً شديداً وجعل منها أمل حياته الوحيد . واصبح ، بفضل تلك الصلة التي يجعلها الله اضمن واسطة للتوفيق بين الزوجين ، واقوى دافع للجهاد العائلي المتضامن ، دمث الاخلاق لين الطباع ، لا يكلّم امرأته الّا بلطف ، ولا يأمر خدمه إلّا بهدوء ، ولا يحسن لفقير الّا باتّضاع . فرسخت هيبته في القلوب اذ احاطت بها المحبة ، واشتدّت وطأته في البلاد اذ زانها الاعتبار والاحترام.

وفي صيف سنة ١٧٨٢ ، على اثر اخماد هياج الجانبلاطية الذي حصل بسبب ضريبة التوت ، دعا الامير جهجاه صديقه الشيخ بو غانم مع ابنه غانم لقضاء مدة في اعالي بعذران . فاقبلا ومعهما الولد الصغير ، وعمره اذ ذاك نحو الست سنوات ، وكانا قد اسمياه يوسف . فاقاموا شهراً في اهنأ عيش . وكان يوسف الصغير يقضي ايامه باللعب مع بدور ، التي كانت تصغره بنحو سنتين . حتى اذا اقبل المساء جلسا يتحادثان ، فيتبادلان الحكايات العديدة التي كان يقصّها على كل منهما بعض الاهل والخدم . او يرميان بنظريهما الى نقاط الافق البعيد ، وقد كلّلها المساء الأغبر بستاره ، فاتصل الضباب بقمم الجبال واطراف السماء ؛ فكان يوسف يُري رفيقته ، في تلك الهنات من الغيم ، جميع انواع الحيوانات الضارية باختلاف اشكالها . وربما شاهدا ، في بعض المنعطفات المظلمة في اسفل الوادي ، غير ذلك من الاشكال المخيفة كحيوانات لا وجود لها الّا في مخيّلة الصغار ، او جبابرة قهّارة من فصيلة الجان المفزعة.

كل هذه الألاعيب والمحادثات كان يراها ويسمعها الامير جهجاه وامرأته وضيفاهما ، فيرعونها بكل انتباه ، وفي دماغ كل منهم يجول فكر واحد ، وهو ان « بدور ليوسف ويوسف لبدور ! » ولكن لم يكن احد منهم يبدي ذاك

الفكر ، لاعتبار الست سعدى ان الأمر في ذلك لزوجها ولا رأي لها الّا الموافقة عليه ، ولاعتبار الامير ان ذاك المشروع سابقٌ لأوانهُ . اما الشيخ بو غانم وولده فلم يكونا يصدّقان بعد ان الامير يرضى بزفاف ابنته الى احد ابناء المشايخ . لم يكونا يصدّقان ، ولكنهما كانا يشعران الشعور التام انه لن يكون الّا كذلك . اما الصغيران فلم يكن يهمّهما من تلك الافكار الخفيّة شيء سوى انهما كانا يُسرّان غاية السرور ، اذ يلعبان معاً او يتحدثان معاً . حتى انهما لم يشعرا بعزم الاهل على الفراق حتى دخلا في حزن عميق تحوّل ، ساعة السفر ، الى بكاء وعويل

* * *

مرّت الشهور على تلك الزيارة ، فكانت المؤامرة على الامير يوسف في دير القمر ، بتدبير اخويه الامير سيد احمد والامير افندي مع بعض الجانبلاطية . وكان مقتل الامير افندي وهرب الامير سيد احمد الى المختارة ، وهياجه الشيخ حسن جانبلاط والشيخ عبد السلام العماد ، وسير الجميع على دير القمر . ثم هرب الامير يوسف الى عكار ورجوعه بعسكر الجزار . وكانت وقعة عانوت المشؤومة على بيت الشيخ بو غانم ، اذ قُتل فيها وحيده غانم تاركاً ذاك الطفل يتيماً من الوالدين ، لان امه كانت قد توفيت على اثر ولادته . فحزن جدّه عليه كل الحزن ، واستبدل اسمه « يوسف » باسم ابيه « غانم » ، وانقطع عن كل اشغاله منفرداً في قصر الشربين مع الوحيد الصغير ، مخصّصاً ما بقي من حياته لتنشئته على اساليب الشهامة اللبنانية

اما الامير جهجاه فكان وقع النبأ شديداً عليه وعلى جميع اهل بيته ، فأقام لصديقه مناحة لائقة . ثم قدم مع اهل بيته لتعزية الشيخ بو غانم فمكثوا مدة كان الامير جهجاه يتنقل في اثنائها مع عسكر الامير يوسف ، من الشوف الى البقاع ، الى حاصبيا ، الى بلاد جبيل ، الى جبال عكار . حتى اواخر سنة ١٧٨٥ ، اذ أمّن الجزار الامير يوسف وامر مدبّره ان يكتب الى الشيخ سعد برجوع الامير الى بلاده . فعاد الامير جهجاه باهله الى بعذران

ولما كان تعلّق الولدين احدهما بالآخر يزداد يوماً فيوماً، استأذن الامير جهجاه صديقه باخذ غانم معه، كي يروّح عن نفسه بقضاء مدة في تلك المرتفعات. وكان قد عرض على الشيخ ان يعقد خطبة وحيده على بدور من ذاك الحين، حتى اذا اصيب الابوان باحدى غوائل الحرب، لا سمح الله، يكون مستقبل الولدين مقرّرًا. فسرّ الشيخ لهذا التنازل من الامير، ورأى ان الايام ستحقّق ما كان يرجوه ويخشى من عدم تنفيذه؛ فاتفق مع الامير والست سعدى على ذاك الامر وسلّم الولد «لعبّه» كي يقضي مدةً في بعذران. وكانت تلك الايام السعيدة التي تذكرها غانم اليوم، اذ ظهر امامه الرتاج الضخم والدهليز الفسيح بزواياه العديدة ...

* * *

كانت الست سعدى، في ذاك الصباح، على السطح تستقبل اشعة الشمس، والمغزل بيدها تارةً تفتله برشاقة فيبرم ساحباً وراءه خيط الصوف طويلاً دقيقاً، وطورًا تلتفت نحو المزرعة، فتتجه افكارها الى زوجها، واعماله وتفقّد مراكز رجاله والاخطار التي تحيق به، فتخاف ان يكون اصابه شيء.... وتريد ان تتحقق هل تأخر عن ميعاد رجوعه، فتنظر الى حيث بلغت أشعة الشمس من الدار، فتطمئنّ اذ ترى انها لم تتجاوز الحوض بعد. وبينا هي كذلك اذ لمحت زوجها يسير مع رجل آخر، ووراءهما ثالث يقود فرساً خيل اليها انها تعرفه. فأسرعت بالنزول عن السطح، واشارت الى الخدم باستطلاع طلع القادمين. ودخلت الى دار صغيرة مختصة بالنساء، كانت فيها بدور تسقي بعض النباتات الغضّة زرعتها بيدها، وسهرت عليها حتى ازهرت؛ فكان فيها الزنبق الابيض، والفلّ المكتبس، والقرنفل الاحمر والبرتقالي، والمنثور الابيض والبنفسجي، مما كان يعجب به ابوها، اذا جاء مساء وجلس يدخن الماسورة امام بستان بدور الصغير الجميل

وما هي دقائق حتى عاد الخادم غر واخبر الست بوصول غانم. فاضطربت بدور قليلاً، واسرعت مع امها تستعدّ لمقابلة رفيق صباها، لانها لم تكن تحجب عنه، ولا امها عن اهله (لها بقيّة)

مطبوعات شرقية جديدة

S. Landesdorfer O. S. B. : Die Kultur der Babylonier und Assyrer. [*Sammlung Kösel*, 61] 2. *neubearb. Aufl., mit* 32 *Tafelbild. u.* 1 *Karte. München, Kösel-Pustet*, 1925.

تمدن البابليين والاشوريين

من المعلوم ان الالمانيين اعتادوا الكتابة في الامور العلمية وبسطها بسهولة لدى الجمهور . وما مجموعة كوزل الكاثوليكية في مونيخ إلّا مثال من كثير على هذا الامر ، ومنها هذا الكتاب الصغير المؤلف من ٢٤٢ صفحة بقطع ١٦ يُعيد به الاب البنديكتي العالم لاندسدورفر ، للمرّة الثانية كتاباً ظهر سنة ١٩١٣ ، بعد ان اصلح فيه اشياء ، مستفيداً من الاكتشافات الحديثة على قدر الامكان ، لاسيا فيما يتعلق بالتوقيتات والدول الاشورية التي تجدّدت كل لوائحها تقريباً في السنوات الاخيرة . يعرض المؤلف اولا للبلاد التي يدرسها ثم لتاريخ الاكتشافات ، فتطوّر السياسة في بابل واشور ، فذِكر المدنية فيها من مادية ودينية واجتماعية واقتصادية وعلمية . ومما يزيد رونق الكتاب التصاوير الحسنة ، فيصبح دون شك موافقاً لما تتمنى الطبقة من القرّاء التي ترغب في امثاله س . ر

Léon Ostrorog : The Angora Reform. *University of London Press Ltd. London.* 1927.

اصلاحات انقره

الف هذا الكتاب احد الاختصاصيين بالشرع الاسلامي ، وتوخى فيه تعيين المحطات التي قطعها المتطرفون في انقرة في البلوغ الى اصلاحاتهم الاخيرة . فالمحطة الاولى هي نص قوانين سلاطين بني عثمان ، ثم تنظيمات القرن التاسع عشر وكثير منها لم يكن ليطابق الشرع الاسلامي بكماله ، ثم الحركة الطورانية الوطنية ، واخيراً النجاح في محاضرة لوزان وقال : اعلنوا في دستور

الجمهورية التركية ان الاسلام هو دين الدولة ، ثم اتخذوا القانون السويسري فاسقطوا من ثمّ ذلك البند من دستورهم بالامر الواقع (ص: ٩٤) ه.ل

Styger (Paul): Die altchristliche Grabeskunst. *Ein Versuch der einheitlichen Auslegung.* 123 *pp. gr.* 8°, 30 *fig. sur pl.*, 1927. *München. Kösel-Pustet.*

فن الأضرحة في العصور المسيحية الاولى

ان الكتاب الذي نقدّمه اليوم لقرّائنا الشرقيين ، والذي يلذّ لهم خصوصاً لبحثه في الاصول الاولية للنصرانيـة ، هو من انفس الكتب التي ظهرت في السنين الاخيرة عن الفنّ المسيحي . فان الاستاذ سطيجر الذي اشتهر مديراً للحفريات في طريق ابيا (Via Appia) يرغب في ان يبيّن ان النظرية الرمزية، التي كثيراً ما اطرأها حتى اليوم اكثر الاختصاصيين بفنّ الاضرحة المسيحيـة على الجملة من دياميس ونواويس ، لا تثبت لدى حقيقة الواقع . فان الباحث يكتشف في فرعي الفنّ (التصوير في الدياميس ، وعمل النواويس) ٢٧ مثالاً مأخوذاً من العهد القديم (كسقوط آدم وحوّاء ، ونوح في سفينته ، وذبيحة ابراهيم ، وحكاية يونان الملقى في البحر ، ودانيال في جب الاسود الخ . . .) و ٤٠ مثالاً مأخوذاً من العهد الجديد (كالبشارة، والزيارة، والمجوس، ومعمودية السيد المسيح ، وقيامة الفتى في نائين ، والراعي الصالح ، والآلام بتفاصيلها الخ . . .) و ٤ امثلة مأخوذة من اعمال الرسل ، و ٧ من اناجيل الزور . ففي كل هذه المواضيع التي تظهر في بنايات الاضرحة ، شاء اصحاب النظرية الرمزية ان يروا رموزاً وتلميحات الى الحياة الاخرى في ما وراء القبر ، والى الفردوس، وسرّ الافخارستيا ، وخلاص النفوس الخ . . . على ان المؤلف يقول انه يلزم طرح كل هذه الاستنتاجات او اعادة درسها مجدّداً . فهناك مواضيع كثيرة لا علاقة لها بحالة الاموات ! وفضلاً عن ذلك فان مقابلة هذه الآثار مع آثار مسيحية غيرها لا دخل لها بالأضرحة ، تظهر دائماً الصور نفسها الموجودة في الدياميس والنواويس . فيتضح ان هذه الامثلة كانت جارية في الحياة العادية للمسيحيين الاولين وكانوا يستعملونها في كنائسهم ، وبيوتهم ، وعباداتهم

الخاصة وغير ذلك. ومن ثم نرى ان المعنى نفسه — وهو معنى تاريخي قصصي — كان يُعبّر عنه بالامثلة نفسها سواء كانت الآثار خاصة بالاضرحة او لا دخل لها بفكرة الموت

اما الامر الذي أخّر العلماء في سبيل الشرح الحقيقي لهذه الرسوم فهو قلة الآثار النصرانية القديمة في ما سوى الدياميس والنواويس، وعدم اطلاعنا اطلاعاً كافياً على اصول الفنّ المسيحي الاولية. وقد بدأ الشرق بايضاح هـذا الموضوع ولكن ايضاحه لا يزال قاصراً عن اقناع الجميع . فنؤمل اذن ان الحفريات في بلادنا الشرقية تأتي بايضاحات وافية في السنين المقبلة س . ر

Dom Fr Josaphat Moreau: Les Anaphores des liturgies de St J. Chrysostôme et de St Basile, comparées aux canons romains et gallicans. *vol. in-12° de* 112 *pp.* 1927. *Paris, Bloud et Gay.*

تقدمة التقديس في الليتورجيات اليونانية والرومانية

اراد المؤلف ، وهو من رهبان البنديكتيين من دير ليغوجي (Ligugé) ، ان يطلع الغربيين على جمال الكلمات التي كان يستعملها آباؤنا في التقديس ، فاختار لذلك عبارات التكريس في اهمّ الليتورجيّات اليونانيّة وقابلها بعبارات التكريس في الليتورجيّة الرومانية القديمة ، والليتورجية الغالية . وغايته من ذلك ان يعمل في سبيل اتحاد الكنائس

G. Giannelli : La Magna Grecia da Pitagora a Pirro. Parte 1a Gli stati italioti fino alla costituzione della lega dei Brusi. *con tre carte fuori testo.- Publicazioni d. Università cattolica del Sacro Cuore. Serie quinta: Scienze storiche. vol. IX. Milano, Soc. editrice « Vita e Pensiero ». Prix :* 10 *lires.*

بلاد الاغريق الكبرى

يدرس مؤلف هذا الكتاب ، وهو استاذ التاريخ القديم في جامعة ميلانو الكاثوليكية ، بلادَ الاغريق الكبرى، اي ذاك القسم من ايطالية المنتهي بشبه جزيرتين والذي احتلّته الطوارئ اليونانيّة في الزمن القديم . فيبدأ في القسم الاول بتاريخ الدول في تلك البلاد حتى تأليف الاتحاد بين سكان بروسيوم .

ويُلحق ذلك بجدول يدرس فيه المسائل التوقيتيّة في الحروب الفينيقيّة الثانية ، وعلاقات الطاغية دنيس السياسيّة مع مدينتي رجيو ولوكري ، ثم توقيت حرب دنيس في ايطالية وسقوط مدينة رجيو . ويزيّن هذا الكتاب ثلاث خارطات غاية في الجودة والاتقان ج . ل

Sorrento (Luigi) : Francia o Spagna nel settecento. Battaglie e sorgenti di Idee. *Publicazioni della Università Cattolica del Sacro Cuore. Serie quarta : Scienze filologiche, vol. VIII. Milano. in-8° de 300 pp.*

فرنسة واسبانية في القرن الثامن عشر : حركة الافكار ومنازعها

ان الاقبال على مقابلة الآداب بعضها ببعض يدفع المؤلفين الى ابحاث غاية في الطرافة والدقة . ومنها موضوع هذا الكتاب الذي يخصه المؤلف بفرنسة واسبانية في النصف الثاني من القرن الثامن عشر ، اذ بدأت اللغة الفرنسوية بالسيادة ، فيبيّن كيف ان اسبانية كانت تعارض هذه الحركة ردا على الحملات التي كان يحملها كتبة فرنسة على المدنية الاسبانية تجاه المسألة الجارية في ذلك العصر : ماذا نحن مدينون لاسبانية ؟ وكان ادباء ايطالية وبلنية يناصرون حركة الاسبانية اذ ذاك . يعرض المؤلف كل ذلك باسلوب سهل مستندا الى وثائق عديدة فيجمع بين وفرة اللذة وكثرة الفائدة ج . ل

Duguet (Raymond : Un Bagne en Russie rouge ; Solovki, l'île de la faim, des supplices, de la mort. *in-12° de 280 pp., 17 hors-texte. Prix: 12 f°. Paris, éditions Jules Tallandier.*

لوبان في روسية الحمراء : سولوفكي جزيرة الجوع والعذابات والموت

ليس المؤلف بالمبتدئ في الجهات الروسية فقد نشر سابقا كتابا عن « موسكو وجيوردجية الشهيدة » وصفه « المشرق » في حينه . وها هو يوم يقود قرّاءه الى منطقة متجلّدة في البحر الابيض ، الى جزيرة كان اثنان من الرهبان حوّلاها الى مكان مقدس ، ولكنها اصبحت اليوم ، بعد ان نُهبت وأُخربت ، لوماناً يتألم فيه اكثر من ١٥،٠٠٠ مسكين قُضي عليهم بالعذاب فيقاسون امرّه منتظرين الموت بفروغ صبر . على ان المحكومين السياسيين

اتعسهم حياةً واشدّهم عذاباً اذ لا أمل بخلاصهم ، فتلك الجزيرة جحيمهم الخالدة . كان الناس يتكلمون ، في ايام القياصرة ، عن سيبيريا ومشقاتها ، ولكن جزيرة سولوفكي أنست بعذاباتها وآلامها،على عهد الاستبداد السوفيتي، كل ما تقدّمها من اساليب الانتقام . اقرأوا هذا الكتاب تروا عبراً كثيرة

Benoist (Charles): La question méditerranéenne. *Prix*: 15 *f*. *Editions Victor Attinger, Neuchatel-Paris*, 1928.

مسألة البحر المتوسط

يذكر الكاتب انّ من ديدنه جمع الوثائق وتأليفها. ولكنه تحقق ان من كان يجمع لهم هذه الوثائق لم يستعملوها قط . هذا كان شأنه في مسألة مراكش ، وفي صلح سنة ١٩١٨ ، «فهم يحتقرون، كما يقول ، كل ما لا يصدر من عندياتهم » . فهل يكون الجمهور اكثر اقبالاً على هذه الوثائق من رجال السياسة ؟ ذاك ما يرغب فيه المؤلف وهو يقدّم للجمهور هذا الكتاب الخاصّ بمراكش وتونس ، الحافل بالمعلومات الدقيقة النافعة عن تونس خاصّةً . اما شرقي البحر المتوسط فلا يكاد يتعرّض له

de Moreau (Edouard) s. j. : St Amand, apôtre de la Belgique et du nord de la France. *vol. in-8° de* 367 *pp.* 1927. [*Museum Lessianum, section missiologique n°* 7]

القديس امان رسول بلجيكة وشمالي فرنسة

لا تقوم فائدة هذا الكتاب بايقاظنا على حياة اسقف قديس من القرن السابع فقط ، بل باطلاعنا على جدول دقيق عُرضت فيه التنظيمات الكنائسية في ذاك العصر ، مع طريقة التبشير في تلك البلاد

Dourmoussis (E.) : La vérité sur un drame historique : La catastrophe de Smyrne, septembre 1922. *in*-12, 1928. *Paris, Librairie Caffin*.

الحقيقة عن مأساة تاريخية : نكبة ازمير في ايلول ١٩٢٢

لا يزال البعض يذكرون نكبة ازمير الهائلة بعد ان مرّ عليها عدة سنين. ومنهم صاحب هذا الكتاب ، وقد هلك اخواه في تلك المذابح ، فاراد اقرار

التبعة على المجرمين . على ان قيمة الكتاب ليست بالحملة على الاتراك ودولي اوربة وتجريمهم جميعاً ، بل بما يعرضه المؤلف من دقائق تاريخ اليونان في ذاك العصر وهو أمر لم يكن اوضحه احد بعد

Annuaire pontifical catholique pour 1928 ; *vol. in-8° de 928 pp. 200 illustr. Prix : 35 f. Bonne Presse, 5, rue Bayard, Paris,*

الدليل البابوي الكاثوليكي لسنة ١٩٢٨

لا شك ان قرّاء الدليل العديدين يستقبلون هذه الطبعة الجديدة بسرورهم المعهود ، لما يظهر فيها من الافادات والمعلومات الوافرة التي تزداد وتتحسن سنةً فسنةً . ومما يجدر بالذكر في هذه الطبعة، فضلاً عما تقدم، لائحتان مهمتان تحتوي اولاهما على اسماء كرادلة القرن الثالث عشر مع تراجمهم ، وثانيتها على اسماء سفراء الحبر الاعظم في فرنسة مع تراجمهم ايضاً . وهناك مقالة مفيدة عن الكرادلة الذين قدموا استعفاءهم

تاريخ اليهود في بلاد العرب في الجاهلية وصدر الاسلام

تأليف الدكتور اسرائيل ولفنسون (ابو ذؤيب)

كبير ، ص : ك + ١٨٩ – مطبعة الاعتماد ، مصر ١٣٤٥ – ١٩٢٧

ان سيرة الرسول ، والسور المدنية من القرآن ، لا تنفك عن ذكر اليهود ، ولهم فيها مكانة لا يستهان بها ؛ ذلك ما يخوّل هذا المؤلف اهميته الخاصة . وهو تاريخ علمي لليهود في الجزيرة وضعه صاحبه عن استعداد واقتدار بعد ان وقف على المصادر العربية وفحصها ، واستقى من آراء المستشرقين احذقها ، واستغلّ المآخذ العبرانيّة وضبطها ، فاستوضح من ثمّ مغمضات عديدة لم يسبقه اليها غيره من العرب . فمن امثال ذلك شرحه للفظة حنيف (ص: ٨١) فانه جدير بالاعتبار ، وتنقيبه عن العلل التي سببت غزوة بني النضير (ص: ١٣٥) . على انه بالغ في قوله (ص : ٩) ان سكان فلسطين كان عددهم في سابق الزمان ينيف على ٤ ملايين، والحقيقة انهم لم يكادوا يجاوزون ربع ذلك المبلغ.

ولا نوافقه في قوله (ص : ٤٥) : « ان نجران لم تكن سوى بلدة صغيرة » وقال (ص : ٧٢) ان اليهود لم ينشروا ديانتهم في الجزيرة ، فنرى ان قوله هذا والحقيقة على طرفي نقيض . ومن غريب ما جاء به (ص : ٩٤) انه نسب الينا رسالة عنوانها (Les Juives à la Mecque) « اليهوديات في مكة » (كذا !) وروى عنا « ان عدداً من اليهود كان يسكن مدينة مكة قبيل ظهور الاسلام» والواقع اننا في بحثنا عن اليهود في مكة — لا عن اليهوديات — « Les Juifs à la Mecque à la veille de l'hégire » اثبتنا انه لم يكن فيها احد منهم قبيل الهجرة . فإما ان المؤلف لم يقرأ رسالتنا ، او انه قرأها فلم يفقها . وفي الكتاب بعض الاغلاط بالنصوص الافرنجية وددنا لو لم نرها تشوه صفحته ؛ وهو بالجملة قيّم ، حقيق بالثناء. ه . ل

امير الارز

بقلم الخوري حنا طنوس بصبوص المعادي
صغير ، ص : ٩٦ — مطبعة دير سيدة المعونات (جبيل) ، ١٩٣٨

طالما صفّق اهل بيروت لروايات حضرة الشاعر الناثر المعروف الخوري حنا طنوس . وهو يتابع تلك النشأة الرشيقة في فنّ التمثيل العربي فيهدي الينا رواية تاريخية تهذيبيّة ، جمعت بين النثر والشعر ، وتخلّل فصولها غناء موقّع على الموسيقى العربيّة . فاتت تحفة وطنيّة لا تقل في شيء من اثارة العواطف وهياج التأثير ، عن سالفاتها ، وان نهج فيها المؤلف نهجاً جديداً قد يخرج قليلاً عما عُهد فيه من حبّ القواعد المدرسيّة المقرّرة لهذا الفنّ ف . ا . ب

كتاب الخراج

للقاضي ابي يوسف يعقوب بن ابراهيم
كبير ، ص : ٣٠٤ — المطبعة السلفية ، القاهرة ، ١٣٤٦

قيمة هذا الكتاب في موضوعاته ، وقدمه ، واسم مؤلفه : فهو يبحث ليس في الخراج فقط بل في ادارة الدولة حسب الشرع الاسلامي . وقد كانت

طبعته الاولى في بولاق (١٣٠٢ هـ) اصبحت نادرة فضلاً عن سقمها . فقام احد الافاضل — وهو لا يذكر اسمه — بتجديد طبعها في المطبعة السلفية بعد ان قابلها بنسخة مخطوطة في الخزانة التيمورية ، وكنّا نودّ الاطلاع على بعض ايضاحات عن هذه المخطوطة . وفي الطبعة الجديدة تعاليق نقدية وفهارس متعدّدة تستحق كل ثناء . على انه ورد في الصفحة ٢٥٦ جَيْرون ، والصواب حَيْرون كما يدلّ عليه النصّ وحيرون هذه مدينة في فلسطين ، اما جيرون ففي الشام

ه . ل

العلم والعمران

هدية المقتطف السنوية ١٩٢٨

مطبعة المقتطف والمقطم بمصر

هذا الكتاب يشتمل على ٢٤ مقالةً او خطاباً ظهرت معربة في المقتطف سابقا ، ثم جمعت واعيد طبعها ، وفي الاعادة افادة لمن يرغب في مطالعة خطب مجمع تقدّم العلوم البريطاني . وقد توخى فيها اصحابها تقريب العلوم الى فهم العامة فجاء الكتاب سهل المنال ، سائغ المطالعة ، مسبوكاً بلغة عربية متقنة . وقد ذلّل المعرّب كثيراً من العقبات التي تحول دون نقل الكتب العلمية الافرنجية الى لغتنا . فنشكر للمقتطف هديته

ف . ت

رجب افندي

تأليف محمود تيمور

المطبعة السلفية ، مصر ، ١٩٢٨

هما قصتان تتسلسل وقائعهما تحت سماء مصر . وصف بها المؤلف نفس بعض مواطنيه من الطبقة الوسطى والحقيرة ، فابرز ، في تحليل دقيق مصيب ، ما تكنه تلك النفس في بعض مواقفها من الفزع المتطرّف والرهبة المفقدة للرشد . ومن هذه الوجهة القصتان صفحة من حياة الشعب المصري الاجتماعية في ايامنا . والكتاب في ١٤٧ صفحة مزين برسوم عديدة بعبارة منسجمة ، ولغة متينة ، وانشاء حيّ

ب . ا

الرجل الذي لا يعرفه احد

بقلم بروس برتون . ترجمه الارشمندريت انطونيوس بشير
عني بنشره الشيخ يوسف توما البستاني – مكتبة العرب بمصر ١٩٣٨

من هو الرجل ؟ هل هو الانسان الذي عاش في اليهودية والجليل منذ عشرين قرناً وصنع العجائب وبرهن بها عن لاهوته ؟ هل هو الاله الحق ابن الله وابن البتول ؟ هل هو سيدنا يسوع المسيح الذي يؤمن به الشعب المسيحي في الشرق والغرب ؟

قال بروس برتون صاحب الكتاب ، واردف بعده الارشمندريت انطونيوس بشير : «هذا الرجل لا يعرفه احد»

فضرب مؤلف الكتاب صفحاً عن معرفتنا التقليدية لشخص السيد المسيح ، وجاءنا بصورة ذلك الرجل ، لا كما رسمها الانجيل ولكن كما تفننت بها مخيلته . فلا اقل من القول انه شوّه وجه الحقيقة التاريخيّة وقاوم الرأي المسيحي العام . قال (وجه ١٥) « قد اساء علماء اللاهوت كثيراً الى جمال حياة يسوع المسيح بزعمهم انه قد عرف جميع الحوادث التي جرت في حياته منذ ولادته » فاذاً ، بزعم المؤلف ، لم يعرف الرب يسوع تلك الحوادث قبل وقوعها عنده ، كما لو لم يكن إلهاً . فاعتقاده هذا ضالّ كفري . وهو يضع الرب يسوع في مصاف الرجال العظام لا غير ، وهم عنده : « يسوع الناصري ، وبوذا ، وأسوكا ، واريسطو ، وروجر باكون ، وابراهيم لنكلن » (وجه ١٦٥) فأنكر بذلك لاهوت المسيح . وذكر سيدتنا مريم العذراء (وجه ٥١) فقال « انها لم تعش بدون الشكوك الكثيرة في حقيقة ابنها » فجاء كلامه مناقضاً لما رواه الانجيل (لوقا ١:١) وفي الكتاب اضاليل عديدة لا مجال لذكرها ، وفيه اغلاط لغوية ونحوية فادحة يراها المطالع في صفحات عديدة منها ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٤ وغيرها

ف . ت

شذرات

نحن وامين الريحاني

درسنا في عدد تموز الماضي كتاب السيد امين الريحاني المعنوَن «تاريخ نجد الحديث» ، فاظهرنا ، بكل اخلاص ، حسناته العديدة ، بعد ان اتخذنا بعض التحفُّظات منها واحدة فيما خصّ مسؤولية ابن سعود في مجزرة آل الرشيد . ولم نلبث ان استلمنا رسالةً صادرة عن الفريكة (لبنان) بتاريخ ١٢ تموز الفائت ، يُنكر فيها الريحاني وجوب تلك التحفُّظة ، ويرجو منّا نشر تعديله لما جاء في مقالنا . فقبلنا ذلك بطيبة خاطر ، وكنّا على وشك النزول عند رغبته بنشر رسالته في «مشرق» هذا الشهر — لأن مشرق آب - ايلول ظهر قبل وصول الرسالة — اذ فوجئنا بالرسالة نفسها منشورة في احدى جرائد المدينة بتاريخ ٧ آب . فكانت فعلته هذه مناقضة لجميع العادات المعهودة بين الصحافيين .

وكان قد امكن السيد امين الريحاني ان يقرأ ، في «مشرق» آب - ايلول ، حكمنا القاسي على «نكباته» ؛ فهل يجب ان نعزو عمله هذا غير اللائق الى بادرة غضب اثارها ذاك الحكم ؟ لسنا ندري . على انه لمّا لم يكن من عادة «المشرق» أن ينقل منشورات رصيفاته ، فسوف يُحرم قرّاؤنا الكرام رؤية اسم الريحاني بين كتبة مجلّتهم .

تمثال السمعاني

جاءنا من لجنة «تمثال السمعاني» ما يلي :

«لمّا كان السيد يوسف سمعان السمعاني ، الطائر الشهرة في الخافقين ، قد ترك من الآثار التاريخية والمؤلفات العلمية التي تقف عند عدّها الاقلام ، وتحار في وصفها الافهام ، رأت اساطين ائمة عصرنا هذا الأعلام ، وجهابذة

المؤرخين الثقات ، ومحبو نشر مآثر السالفين الغرّاء ، الهائمون بتخليد ذكر الرجال الافذاذ ، والدائبون برفع منار العلم ، واعلاء شأن الوطن بمن تفرّدوا فيه نبوغاً في العلم والادب ، ان يُقام أثر فخم لعلّامة الشرق هذا اعجوبة دهره وعصره ، فلبى آل مسقط رأسه هذه الدعوة فألفوا لجنة تعنى بهذا المشروع الخطير ، قوامها سيادة رئيسها الحبر العلّامة المطران بولس عواد رئيس اساقفة قبرس السامي الاحترام ، وحضرة المونسنيور الخوري اسقفي لويس السمعاني ، والمونسنيور ميشال ابراهيم الحوراني ، وبعض كهنة وذوات حصرون فسبكوا له تمثالاً من الشبه (البرونز) يمثله كاملاً ماسكاً بيده اليمنى قلماً وباليسرى قرطاساً يدوّن فيه تواريخ العصور الخوالي ، ناشراً ما طوتهُ الأدهار من العلوم والاخلاق ، وتراجم مشاهير الرجال الدينيين والمدنيين . وقد عيّنت هذه اللجنة لحفلة رفع الستار عن تمثاله ، برئاسة صاحب الغبطة ماري الياس بطرس الحويك بطريرك انطاكية وسائر المشرق الكلي الطوبى ، ميعاداً ستعلنه بدعوة رسمية في حينه . وهذه النشرة هي بمثابة إعلان لجميع اللبنانيين والسوريين ولعموم الشرقيين والغربيين ، لان هذا النابغة قد احيى في تأليفه المشهور المعروف « بالمكتبة الشرقية » ما كان قد اندثر من مآثر الشرق والغرب ، وتواريخ رجاله العظام ، وما انطمس من معالم الائمة المبرزين من كل امة ومذهب ، فأصبح الحجة الراهنة والمرجع الاخير لكل من كتب ويكتب عن الشرق والغرب من شرقيين ومستشرقين وسواهم . وبما ان هذه اللجنة من عزمها ان تنشر بالطبع تاريخ حياة هذا العلّامة ، وكل ما يصير القاؤه في ميقات الحفلة من الخطب والقصائد ، وما يُرسل اليها من هذا الباب مع اقوال الجرائد العربية والاعجمية ، لذلك ترجو من الكتبة والشعراء المُجيدين ان يتحفوها بغرر اقوالهم نثراً او شعراً ، الى بريد حضرون باسم هذه اللجنة ، او باسم رئيسها العامل حضرة المونسنيور الخوري اسقفي لويس السمعاني . وسلفاً تشكر لهم همتهم الشماء ، ونهضتهم الوطنية العليا . »

اهمّ حوادث الشرق في شهرين

١٥ تموز — ١٥ ايلول

طلب بعض الفلسطينيين الحكم الذاتي لبلادهم ، فقيل لهم ان حكومة الملك لا يسعها السماح باي توسع كان في الحكم النيابي ، ما لم يقترن بانما. المصالح المشتركة في البلاد كلها ، ومعناه ان الاستقلال الادبي والاقتصادي هو الممهّد الذي لا غنى عنهُ لبلوغ الاستقلال الاداري والسياسي ، وان فلسطين لا تزال في مسيس الحاجة الى مساعدة الاجانب المادية والمعنوية ، فعيشا يعلّل سكّانها انفسهم بالحكم الذاتي.

وما كانت مصر ، على نهضتها الحديثة ، لتفوز بطالبها في سبيل الاستقلال التام ، بل آل امر سياسة المتطرّفين من الوفديين الى تعطيل الحياة النيابية (١٩ تموز) الى ثلاث سنين ، واعادة المراقبة على الصحف ، وتوزيع الجيش في الامكنة التي يخشى حدوث حركات فيها.

وعقد في عمّان مؤتمر من اعيان البلاد وزعمائها البحث في المعاهدة المبرمة بين بريطانية وشرق الاردن وغرضه المطالبة بتوسيع الحكم الذاتي للبلاد . ولكن ما جاء في تقرير الحكومة البريطانية عن الادارة في شرق الاردن ، وعن المبالغ التي انفقت على القوات العسكرية على الحدود ، وقيمتها نحو مئة الف ليرة انكليزية للعام ١٩٢٧ ، دليل على ان اولياء الامر يهتمون فيها بحفظ الامن في البلاد ، وفتح موارد الرزق فيها اكثر من اهتمامهم بفتح البارلمان.

* * *

ويا ليتنا نحن ايضاً نترك السياسة لاصحابها ونصرف مجهوداتنا اولا في سبيل المشاريع التي تعود على سكان البلاد بالرزق والراحة والسلام . ولكن أَبَينا إلّا ان نُحدث الانقلاب في الحكومة اللبنانية ، فبُدلت الوزارة الثلاثية بالوزارة الخماسية وخلف حبيب باشا السعد الشيخ بشاره الخوري في رئاسة الوزراء. ووعد بانجاز اعمال مفيدة للشعب ونحن نرويها حتى اذا ، لا سمح الله ،

انقلبت الوزارة الخماسية الحالية ولم يتسنَ لها ان تفي بوعودها الصالحة ، فلا اقلّ من ان يحفظ ذكرها لمن يليها من الحكّام.

هذا هو بيان الوزارة اللبنانية الجديدة :

١ً تحضير القوانين التي نصّ عنها الدستور ولا تزال حتى الآن غير محضّرة

٢ً تخصيص الفائض من الموازنات السابقة باعمال الريّ وتغطية الطرق بالاسفلت وتحسين حالة الزارع بزيادة الاعتادات المرصودة للمصرف الزراعي

٣ً بناء دار لانقة بمجلس النواب

٤ً ايجاد المال اللازم لبناية دار للكتب والآثار

٥ً وضع قانون للانتخابات كي تجري الانتخابات المقبلة بمقتضاه

٦ً تنظيم البلديات ووضع الموازنة الجديدة على اساس الورق والاهتمام بمسألة حصر التبغ (الرجي) وحصة لبنان من الديون العثمانية بحيث يكون ما يدفعه موازياً لما تدفعه تركية

٧ً العناية بالتحريج والطرق والضرائب ولاسيما التمتع ومساعدة مدرسة الفنون والصنائع وتشويق المدارس اللبنانية الى انشاء فرق كشافة لفوائدها

٨ً انشاء بكلوريا لبنانية ورفع التعطيل الاداري عن الصحف والعناية بالمهاجرين وما يعود عليهم بالراحة ويحملهم على العود الى اهليهم

* * *

اما في سورية فقد اضطرمت نيران الهياج في قلوب النواب فاجمعوا على اعلان الوحدة السورية ومقاومة روح الانتداب . ولم يُسمع بينهم صوت مقاوم او معارض . وربّ نائب بينهم نبذ في حلب ما كان قد اعتنقه في الشام وقال في المادة الثانية من الدستور انها تعليلة علّلوا بها الشعب

على ان بعض موادّ مشروعهم الدستوري لا توافق المبادىء المقيّدة بقانون عصبة الامم . فاضطر العميد السامي الى إيقاف اعمال المجلس التأسيسي ، وتأجيل جلساته الى ثلاثة اشهر ريثما يتسنّى للنواب ان يتروّوا في امر الدستور وحتى تكون الدولة المنتدبة على بصيرة مما لها وعليها في تلك الازمة.

واليك موادّ مشروع الدستور الواقع عليها الخلاف بين الفريقين :

المادة ٧٣ لرئيس الجمهورية حق العفو الخاص . اما العفو العام فلا يمنح الا بقانون

٧٤ يتولى رئيس الجمهورية عقد المعاهدات الدولية وابرامها . اما المعاهدات التي تنطوي على شروط تتعلق بسلامة البلاد ، او بمالية الدولة ، او المعاهدات التجارية او سائر المعاهدات ، التي لا يجوز فسخها سنة فسنة ، فلا تعدّ نافذة الا بعد موافقة المجلس عليها

٧٥ يختار رئيس الجمهورية رئيس الوزراء ويعين الوزراء بناء على اقتراح رئيسهم ويقبل استقالتهم . ويولي الممثلين السياسيين ويقبل الممثلين السياسيين الاجانب . ويعين الموظفين الملكيين والقضاة ضمن حدود القانون ويرأس الحفلات الرسمية

١١٠ تنظيم الجيش الذي سيؤلف يكون بقانون خاص

١١٢ لرئيس الجمهورية ان يعلن بناء على اقتراح الوزارة الاحكام العرفية في الاماكن التي تحدث فيها اضطرابات او قلاقل . ويجب ان يُعلم المجلس النيابي اعلان الاحكام المذكورة فوراً ، واذا لم يكن المجلس مجتمعاً فيدعوه على وجه السرعة

٢ للبلاد السورية المنفصلة عن الدولة العثمانيّة وحدة سياسيّة لا تتجزأ ، ولا عبرة بكل تجزئة طرأت عليها منذ نهاية الحرب العامة

ومن اوضاع الدستور السوري ان رئيس الجمهورية لا يكون الّا مسلماً مما يدعو الى الاقرار بأن الدولة السورية قد اتخذت دين الاسلام ديناً رسمياً لها . ولا يخفى على العقلاء ما في ذلك الاقرار من قصر النظر والتسرّع في الحكم . وهل تسمح الظروف بان تصطبغ البلاد بصبغة دينية رسمية وثلث سكانها لا يصطبغ بها ؟ او لا تقضي الظروف عينها بان تعترف سورية باحترام الدين اجمالاً ومراعاة حقوق السكّان الدينية ، من غير ما تنحاز الى فئة دون غيرها ؟ لقد رأى المتنوّرون في الامة ان تقتدي سورية في ذلك بالحكومة اللبنانية فلا تضع في دستورها امر الديانة مانعاً يحول بين الرئاسة ومن تكون فيه الكفاءة لها

ف . ت

المشرق

اخوة واخوات يسوع

بقلم الاب انطون صالحاني اليسوعي

٢

آراء مختلفة

قال بعض مُفسّري الكتاب المقدس ان العبارة «مريم التي لكلوبا» لا يُراد بها امرأة كلوبا بل شقيقتهُ. وقال غيرهم ان كلوبا هو حلفى الوارد اسمه في انجيل لوقا (٦ : ١٥) وفي اعمال الرُسل (١ : ١٣) : «يعقوب بن حلفى». وان كلوبا وحلفى هما اسمان لمسمًى واحد. فأُبدل اسم حلفى العبراني חַלְפַּי بالاسم اليوناني Ἁλφαῖος او Κλωπᾶς لان الاسم حلفى، في اللغة الآرامية هو חלפא فصار بنقله الى اليونانية Κλωπᾶς او Κλωπᾶ كلوبا

لكننا لا نوافق على هذا التوحيد والابدال في الاسمين «حلفى» و«كلوبا» لان الاسم كلوبا Κλωπᾶς كما في انجيل يوحنا (١٩ : ٢٥) وفي مُقطّعات هجزيب، او كليوبا Κλεόπας كما في انجيل لوقا (٢٤ : ١٨) هو مُجتزأ من الاسم اليوناني Κλεόπατρος كليوباترس.

ولهذا السبب قال آخرون ان كلوبا اسم رجل غير حلفى. وانه كان ليوسف البتول اخ اسمه كلوبا واخت اسمها مريم تزوّجها حلفى. فأولد كلوبا سمعان ويهوذا واولد حلفى يعقوب ويوسى. فبمقتضى هذا الرأي يكون اثنان من الستّين اخوة يسوع ابني عم يسوع، واثنان ابني عمته

الّا ان هذا الرأي لا يشرح لنا العبارة « مريم التي لكلوبا » بل يتركها مُبهمة. وقال غيرهم ان المرأة المسماة « مريم التي لكلوبا » هي شقيقة مريم العذراء. كان تزوّجها حلفى ، فولدت له يعقوب ويوسى . ثم ترمّلت فتزوجها كلوبا شقيق يوسف البتول ، فولدت له سمعان ويهوذا . ويؤيدون قولهم بما ورد في انجيل يوحنا (١٩ : ٢٥) : « اخت امه مريم التي لكلوبا »

ان هذا الرأي يقرب من الحقيقة . الّا انه يبقى فيه شيء من الريب : أكانت « مريم التي لكلوبا » شقيقة مريم العذراء حقيقةً ام كانت فقط ابنة حميها كما هو المرجّح (belle sœur) ؟

وقد اطّلعنا على رأي آخر للاب پرا اليسوعي (١ يقرب من الرأي السابق ، دون ان يفرض ان « مريم التي لكلوبا » هي شقيقة مريم العذراء . وإليك خلاصة هذا الرأي: ان كلوبا هو شقيق يوسف البتول كما يحقّق ذلك هجزيب . فرُزق كلوبا من زوجةٍ اولى ولدين ، هما سمعان ويهوذا . ولما ماتت زوجته عقد زواجاً مع امرأة ارملة اسمها مريم لها ايضاً ولدان من زوجها المتوفّى (يفرض الاب پرا انه حلفى) واسم ولديها يعقوب ويوسى . فكلوبا كشقيقه يوسف هو من سبط يهوذا ومن ذرّية داود الملك هو وولداه سمعان ويهوذا . امّا حلفى وولداه يعقوب ويوسى فانهم من سبط لاوي ، ومن عائلة كهنوتية . ومعلوم من انجيل لوقا (١ : ٣٦) انه توجد قرابة بين مريم العذراء ونسيبتها أليصابات امرأة زكريا الكاهن

ان هذا الرأي مقبول في اكثر اجزائه لكنه مردود في امرين : الاول في فرضه انّ « سمعان » ليس ابن « مريم التي لكلوبا » ومن ثم اخوه ايضاً يهوذا . مع ان هجزيب يؤكد ان سمعان هو ابن مريم التي لكلوبا ، اذ قال (٢ : « ان مريم التي لكلوبا ولدت سمعان » . فاذاً سمعان ويهوذا كانا ابني كلوبا من زواجه الثاني مع ارملة حلفى . وهكذا بطل الفرض الآخر الذي

1) Recherches de Science Religieuse. T. XVII. n° 2 (Avril 1927) p. 127-138

٢) مجموعة الآباء اليونان لمين: المجلد ٥ ، المعمود ١٣١٧

فرضهُ الاب پرا وهو ان كلوبا كان ارملاً وله من امرأته الاولى ولدان هما سمعان ويهوذا . ولا حاجة البتة الى هذا الفرض لانه يمكننا بدونه ان نفسّر تفسيراً صحيحاً مرضياً كل ما ورد في الاناجيل ، وفي تاريخ هجزيب ، عن اخوة يسوع ، كما صنع الاب پرا بكل ذكاء.

رابعاً

ان كلوبا شقيق يوسف البتول عقد زواجاً مع ارملة حلفى ، التي كان لها من حلفى ولدان هما يعقوب ويوسى . ثم رُزق كلوبا ، من زواجهِ هذا مع ارملة حلفى ، ولدين هما سمعان ويهوذا

فبمقتضى هذا الرأي نفهم جيداً اولاً : السبب الذي جعل الانجيليين يقرنون معاً ، على حدة ، اسمي يعقوب ويوسى ، لانهما ابنا مريم امرأة حلفى ولدتهما قبل ان تفقد زوجها : « مريم امّ يعقوب ويوسى » (١ (متى ٢٧ : ٥٦) . « مريم امّ يعقوب الصغير وامّ يوسى » (مرقس ١٥ : ٤٠ و٤٧) « مريم امّ يعقوب » (لوقا ٢٤ : ١٠) . « يعقوب بن حلفى » (متى ١٠ : ٣ ، ومرقس ٣ : ١٨ ، ولوقا ٦ : ١٥ ، واعمال ١ : ١٣) . فاذا ذكر الانجيليون الاخوة الاربعة معاً زاهم يقرنون اسمي يعقوب ويوسى ، ويذكرونهما قبل سمعان ويهوذا ، لانهما اكبر في العمر ، حيث ولدتهما امهما قبل ان تتزوج بكلوبا . قال متى (١٣ : ٥٥) : « اخوته يعقوب ويوسى وسمعان ويهوذا » . وقال مرقس (٦ : ٣) « أليس هذا هو النجار ابن مريم واخا يعقوب ويوسى ويهوذا وسمعان » . ومما يستحق الذكر هو ان يعقوب بن حلفى اشتهر اكثر من اخوتهِ لانهُ انتُخب اسقفاً اوّل على اورشليم . ولهذا السبب تُعرف امُّهُ بهِ خاصةً « مريم امّ يعقوب » . ولشهرتهِ قال بولس الرسول (غلاطية ١ : ١٩) : « ولم أرَ غيرهُ من الرسل سوى يعقوب اخي الربّ » ولشهرته ايضاً قال يهوذا اخوه : « من يهوذا عبد يسوع المسيح واخي يعقوب » (يهوذا ١) . فلو كان يهوذا اخا يسوع المسيح بالحقيقة لكان افتخر بذلك وقال : من يهوذا اخي يسوع المسيح . لكنه لم يقل ذلك لانه

١) لم يُشغل يوسى وظيفةً تشهره كاخيه يعقوب ، ولم يرِدْ له ذكر في الانجيل الّا عرضاً ، عندما يُذكر مع اخوتهِ (متى ١٣ : ٥٥ ، ومرقس ٦ : ٣)

ليس اخاه بل قال : « عبد يسوع المسيح » . وكذلك كتب يعقوب في بدء رسالته : « من يعقوب عبد الله والرب يسوع المسيح » . فلم يُسمِّ ذاته اخا يسوع المسيح بل عبده . اما يعقوب هذا فهو الرسول يعقوب الصغير غير الرسول يعقوب ابن زبدى

ثانياً : نفهم بايّ معنى يقول يوحنا في انجيله (١٩ : ٢٥) عن مريم التي لكلوبا انها اخت مريم امّ يسوع لانها صارت سلفتها (belle sœur) بعد ما تزوجت بكلوبا شقيق القديس يوسف

ثالثاً : نفهم لماذا يقول هجزيب ، اذ يتكلم عن سمعان ، انه ابن كلوبا . ولم يقل ذلك عن يعقوب ، لان يعقوب هو ابن حلفى « يعقوب الملقّب الصدّيق بعد ان استشهد على مثال الربّ وبسبب تعليمه الحقيقة ذاتها ، أُقيم اخوه سمعان ابن كلوبا عمّ الرب ، خلفاً له باتفاق الجميع على المناداة به اسقفاً [لاورشليم] لانهُ هو ايضاً ابن عمٍّ آخر للربّ » (١

رابعاً : نفهم لماذا قال هجزيب عن سمعان ويهوذا انهما من ذرّية داود (٢ لان اباهما كلوبا شقيق يوسف البتول كان من ذرّية داود

خامساً : نفهم لماذا قال هجزيب عن يعقوب (٣ انه وحده كان يسمح له الدخول في الهيكل ، في المكان المخصّص للكهنة ، لانه كان ابن حلفى ومن عائلة كهنوتية . وقد اسهب هجزيب في وصف تقوى يعقوب وتقشّفه ، واعتبار الشعب له ، واستشهاده

سادساً : نفهم لماذا قال هجزيب عن سمعان الذي خلف يعقوب كاسقف على اورشليم انه ابن عمّ آخر للربّ . ولم يقل عنه انه اخ دموي ليعقوب لانهما من ابوين مختلفين : فيعقوب هو ابن حلفى وسمعان هو ابن كلوبا

سابعاً : نفهمما اخبر به هجزيب (٤ من ان دوميتيانوس الملك اضطهد

---

١) مجموعة الآباء اليونان لمين : المجلد ٥ ، العمود ١٣٢١

٢) مجموعة الآباء اليونان لمين : المجلد ٥ ، العمود ١٣١٧

٣) مجموعة الآباء اليونان لمين : المجلد ٥ ، العمود ١٣٠٧-١٣١٣

٤) مجموعة الآباء اليونان لمين : المجلد ٥ ، العمود ١٣١٦

من كان بقي في ايامهِ من « ذرّية يهوذا المدعوّ اخا الربّ بحسب الجسد لانهم كانوا من ذرّية داود » . فانّ دوميتيانوس كان يخاف على ملكه في فلسطين من عائلة متسلسلة من داود الملك

فاذا فهمنا كل ذلك ، وتحققنا ان ما قلناه هو موافق لما كُتب في الاناجيل، ولما ورد في التقليد في تاريخ هجزيب ، نفهم ايضاً ان القرابة التي كانت بين السيد المسيح والاخوة الاربعة المسمّين اخوة يسوع لم تكن من نوع واحد . بل اثنان منهم ، وهما سمعان ويهوذا ، كانا ابني عمّه كلوبا . امّا الاثنان الآخران ، وهما يعقوب ويوسى ، فكانا ابني امرأة عمهِ قبل زواجها بعمّهِ . ومن ثم لم يكن ممكناً ، عندما يُسمّى الاربعة معاً ، ان تُطلق عليهم لفظة تعني قرابتهم المختلفة الّا اللفظة « اخوة يسوع » . وقد بيّنّا ، في القسم الاول من هذه المقالة ، ان اللفظة « اخ واخوة » في اسفار الكتاب المقدس وردت بمعنى الاقارب بدرجات متفاوتة في القرابة

بعد ان أُطلقت هذه اللفظة « اخوة » على الاخوة الاربعة اقارب المسيح ، اذا ذُكرت اسماؤهم كلّهم معاً ، جرت العادة في ما بعد اذا سُمّي احدهم بمفرده ان يُقال له « اخو الرب » او « ابن عمّ الرب » كما فعل هجزيب

ان في البراهين التي اثبتناها من الكتاب المقدس ، ومن التاريخ ، كفاية ليعرف الحقيقة من لا يغمض عينيهِ عن النور

براهين اخرى

ولدينا براهين اخرى ليست اقلّ قوة من التي اوردناها لنبيّن ان الذين يُسمّون اخوة يسوع ليسوا في الحقيقة الّا اقاربه . فاننا لا نجدهم ولا مرّة يُسمّون اولاد مريم العذراء ، او اولاد يوسف ، بينما نرى دائماً يسوع يُسمّى ابن مريم كصفةٍ خاصة بهِ ويُعرف بها « أليس هذا هو النجار ابن مريم » (مرقس ٦ : ٣) . كما ان العذراء تُعرف بابنها يسوع كوحيدها « مريم ام يسوع » (يوحنا ١٩ : ٢٥ واعمال ١ : ١٤) . وزد على ذلك اننا لا نجد لهؤلاء الاخوة ذكرًا او اثرًا عند سفر يوسف ومريم الى بيت لحم ، ولا عند هربهما الى مصر ،

ولا في زمن طفولية يسوع ، ولا في حياته الخفيَّة مدة ثلاثين سنة . فلما صعد ابواه الى اورشليم في العيد لم يكن معهما الَّا يسوع ، وكان بلغ من العمر اثنتي عشرة سنة . ولما فقداه « كانا يطلبانه عند الاقارب والمعارف » حسب قول لوقا (٢ : ٤٤) . فلا يبعد ان هؤلاء الاقارب هم الذين يُسمَّون اخوته

وفي رأينا ان يوسف خطيب مريم العذراء توفي عندما ابتدأ يسوع حياته العمومية ، اي التبشير بملكوت الله . وكذلك كان توفي كلوبا شقيق يوسف . ولهذا السبب انضمَّت عائلة يوسف الى عائلة كلوبا ، وانتقلوا جميعاً الى كفرناحوم ، وسكنوا هناك : « وترك الناصرة وجاء فسكن في كفرناحوم ، التي على شاطئ البحر » (متى ٤ : ١٣) (١ . ومنذ ذاك الوقت تظهر اقوال وافعال المسمَّين اخوة يسوع ، ومقاومتهم له في بدء تبشيره ، ثم ايمانهم به

ولا حاجة الى القول بانه لو كان ليسوع اخوة حقيقيون ، لما كان وهو على الصليب أوصى بامهِ غريباً اي يوحنا الحبيب ، ولما كانوا تركوا دفنه للغرباء منهم نيقوديموس ويوسف الذي من الرامة

الاعتراضات

الَّا ان من يقولون بان المسمَّين اخوة يسوع هم اولاد مريم ويوسف يستندون قولهم الى الآية « لم يعرفها (يوسف) حتى ولدت ابنها البكر » (متى ١ : ٢٥) فيقولون ان الابن البكر يستلزم اولاداً بعده . وقوله : « لم يعرفها حتى ولدت » يستلزم انه عرفها بعد ما ولدت ابنها البكر

فعلى هذا الاعتراض نجيب : ان اللفظة « البكر » هي خاصة بالابن الاول ،

١) وان انتقال يسوع من الناصرة الى كفرناحوم كان بتدبير الحكمة الالهية . فانَّ مدينة كفرناحوم كانت قريبة من حدود ولاية فيلبس . فكان يتسنى ليسوع ان يترك سرياً ولاية هيرودس انتيباس ، في الجليل ، ويعبر الى ايطورية في ولاية اخيه فيلبس ، وينجو هكذا من شرّ انتيباس قاتل يوحنا المعمدان . ثم ان كفرناحوم كانت مدينة عظيمة حافلة بالسكان ، ومحطّ المسافرين من سورية الى مصر ومن مصر الى سورية . فكان من ثَمَّ للبشارة بملكوت الله انتشار اعظم . هذا فضلًا عن ان موقع كفرناحوم على شاطئ بحر طبرية كان يسهّل ليسوع الانتقال بحرًا من تلك المدينة الى المدن والقرى التي حول ذلك البحر

اي بالمولود الاول ، سواء كان له اخوة بعده أو لم يكن . فقد جاء في رسالة بولس الرسول (عبر ١ : ٦) عن ابن الله الوحيد : « وحين يُدخل البكر الى المسكونة ثانيةً يقول ولتسجد له جميع ملائكة الله » . وكلٌّ يعلم ان ابن الله ليس له ، ولا يمكن ان يكون له ثانٍ . ومع ذلك يُسمى « البكر » . فاذا قيل عن يسوع المسيح انه بكر العذراء فلا تستلزم هذه اللفظة ان يكون له اخوة بعده

اما قول الانجيلي عن يوسف انهُ « لم يعرفها حتى ولدت ابنها البكر » فلا يُستفاد منه انه عرفها بعد ميلاد المخلِّص . انما المراد من هذه العبارة هو ان يوسف لم يعرفها ، حين كان يُمكن الظنّ انه عرفها ، حيث كانت حبلى وكان رجلها . فلا يُستنتج من ثم انه عرفها في ما بعد . فلو قلنا مثلاً : سافر زيد بحرًا ولم يشعر بالدوار حتى خرج الى البرّ ، فهل اللفظة « حتى » تستلزم ان يكون شعر زيد بالدوار بعد ان خرج الى البرّ ؟ لا لعمري ! انما المراد انه ، لما كان ممكناً ان يشعر بالدوار اذ كان راكباً البحر ، لم يشعر بهِ . وهكذا القول في ما يخصّ مريم العذراء ويوسف رجلها . فثبت اذًا ان اللفظة « حتى » لا تستلزم ان يكون يوسف عرف العذراء بعد ميلاد يسوع

ويعترضون بقولهم ان العهد الجديد يميّز بين الاثني عشر رسولًا واخوة يسوع ، وان اخوة يسوع لم يكونوا يؤمنون به . ويستنتجون من ذلك ان المسمّين اخوة يسوع ليسوا الاشخاص المذكورين في مصفّ الرسل ، وقد قلنا عنهم انهم اقاربه لا اخوته الحقيقيون . ويوردون آية يوحنا (٧ : ٣ و ٥) « قال لهُ اخوتهُ تحوّلْ من ههنا واذهب الى اليهودية ، ليرى تلاميذك ايضاً اعمالك ... لانّ اخوته لم يكونوا يؤمنون بهِ » . والآية (يوحنا ٢ : ١٢) . « وبعد هذا انحدر الى كفرناحوم ، هو وامه واخوته وتلاميذه » . والآية (اعمال ١ : ١٤) : « هؤلاء (اي الاحد عشر رسولًا) كانوا مواظبين على الصلاة بنفس واحدة مع النساء ومريم امّ يسوع ومع اخوته »

فنجيب على هذا الاعتراض اولًا : ان بولس الرسول يؤكد عن بعض الذين يُسمَّون اخوة الرب انهم كانوا من عدد الاثني عشر رسولًا ، اذ قال في رسالته

الى اهل غلاطية (١ : ١٩) : « ولم أرَ غيرهُ من الرسل سوى يعقوب اخي الرب ». ثانياً : لا مانع من ان يكون اخوة يسوع من جملة الرسل وان يُخصّوا مع ذلك بالذكر على انفراد ، كما فعل بولس الرسول اذ كتب (١ كور ٩:٥): « أمَا لنا سلطان ان نجول بامرأةٍ اختٍ كسائر الرُسل واخوة الرب وكيفا » . فان كيفا اي الصفا هو من جملة الرسل ، ومع ذلك افرده بولس بالذكر لتقوية المعنى المقصود . وهكذا القول عن اخوة يسوع اذ خُصّوا بالذكر وان كانوا من جملة الرسل . هذا فضلًا عن ان بعضهم ، وهو يوسى اخو الرب ، لم يكن من الرُسل . وفي رأينا انه كان ليسوع اقارب غير المذكورين في الانجيل

يؤيد هذا الرأي ما ورد في انجيل مرقس(٣:٢١)فان الانجيلي بعد ان ذكر اسامي الاثني عشر رسولًا ، انهم كانوا في بيتٍ مع يسوع ، واجتمع جمعٌ حتى لم يقدروا ولا ان ياكلوا خبزًا. قال « وسمع ذووه فخرجوا ليمسكوه لانهم قالوا انه شارد العقل ». فاذا كان ليسوع اقارب غير الذين كانوا رسلًا . على اننا ، وان سلّمنا بان المسمّين اخوة يسوع لم يكونوا من مصفّ الرسل ، فهذا لا يُضعف البراهين التي تُثبت انهم ليسوا اخوة يسوع حقيقة بل اقاربه ، وذلك لاننا بيّنّا ابويهم الحقيقيين المختلفين عن مريم امّ يسوع وخطيبها يوسف

امّا قول الانجيلي يوحنا ان اخوة يسوع لم يكونوا يؤمنون بهِ ، فنجيب عليهِ انهم لم يكونوا يؤمنون بهِ في البدء ، ثم آمنوا بعد ان عاينوا المعجزات الباهرة التي صنعها يسوع ليحقق انهُ المسيح ابن الله . وترى الرسل انفسهم ، حتى في يوم القيامة وبعده لا يكادون يؤمنون. قال متى (٢٨:١٧):« لما رأوه سجدوا له ولكن بعضهم شكُّوا » وقال مرقس (١٦:١٤) : « اخيرًا تراءى للاحد عشر وهم متكئون وبكّتهم على عدم ايمانهم وقساوة قلوبهم ، لانهم لم يصدّقوا الذين رأوه قد قام» . امّا ان اخوته آمنوا بهِ فالدليل على ذلك هو اننا نراهم ، في العليّة ، مواظبين على الصلاة يستعدُّون لقبول الروح القدس ، الذي وعدهم بهِ يسوع « لا تبرحوا من اورشليم بل انتظروا موعد الآب الذي سمعتموه مني . . . امّا انتم فستُعمَّدون بالروح القدس بعد ايام غير كثيرة » (اعمال ١ : ٤ و ٥) فكان اذًا عدم ايمان اخوة يسوع تبدّل بايمان حي

ولنا الامل الوطيد ان الذين لا يؤمنون في ايامنا هذه ايام الانهماك في الخيرات الدنيوية والامور العالمية ، سيؤمنون بما اوحاه الله وتعلّمنا اياه الكنيسة المتعلّمة من الروح القدس ، والتي وعدها مؤسسها يسوع المسيح ان يكون معها الى منتهى الدهر

الاعشى الاكبر (٦٢٢ او ٦٢٩م)

بقلم الاديب ميشيل سليم كميد

١

توطئة

اذا ذُكرت الجاهلية تبادر الى الاذهان ذكرى ذلك العهد البعيد ، الذي روى عنه الرُّواة ما شاؤوا وشاءت مخيّلتهم ، واودعوا كتاباتهم من مولّدات مخيّلاتهم ما ارادوا . فاصبح ذلك الزمن واخباره اشبه بقصص الف ليلة وليلة ، واقرب اليها منه الى الحقيقة . واذا قرأ المرء الآن ما خطته انامل اولئك الكتبة ، وما اوحت اليهم القريحة المختلقة ، طارت نفسه الى عالم الخيال ، وتوهّم معيشة تلك الجماعات من البدو اسمى واعلى بكثير من معيشتنا الحالية ، في حين كانت الارض فراش الاعرابي ، والسماء غطاءه ، في اكثر الاحايين ، واكله الابارص والجراذين والثعابين ، وما تحويه الصحراء من امثال هذه الدويبات الدنيئة . وهكذا نسجت حول قطاحل شعراء الجاهلية خيوط الاوهام ، وحبكت لهم فصول روايات كثيرة . ومن هؤلاء الذين كثرت حول اسمهم الاساطير عنترة والنابغة والاعشى . ونختار الآن موضوعنا الاخير ، فقد عظّم الرواة شأنه ، وابدعوا في وصف مركزه ، لدى ملوك العرب ، ومساجلاته . بيدَ ان الامر لا يخلو من بصيص من الحقيقة ، وليس من دخان بلا نار . ولكنهم اتخذوا من الاعشى موضوعاً لبعض مشاحناتهم في صدر الاسلام ، واستغلّوه تأييداً لدعوى بعضهم .

الرجل

الاعشى هو ميمون بن قيس بن جندل بن شراحيل بن عوف ، ويعرف بأعشى قيس أو الاعشى الاكبر ، ويكنى بابي بصير . وُلد في النصف الاول من المئة السادسة للسيد المسيح . وكان يقال لابيه ، قيس بن جندل ، « قتيل الجوع » . وسبب ذلك انه دخل غاراً ، يستعدي فيه حرّ الهاجرة ، فسقطت صخرة سدّت فم الغار . وقيل في هجوه :

ابوك قتيل الجوع ، قيس بن جندلٍ وخالك رقّ من خماعة راضعُ

والاعشى شاعر من الطبقة الاولى بين شعراء الجاهلية ، يجمع في شعره كثيراً من وصف الخمر والصيد وبعض المجون ، اشتهر بكثرة مديحه وهجائه . وقد قضى حياته متنقلاً بين أحياء العرب . وحريّ بمن كان صاحب لهو ولذة وطرب ، وجليس صهباء ، وأنيس اقداح ، ان يتتبع اقاصي البلاد ، ويطوف بالقوم يتسلّفهم ، وينابذ من عاداهم . وبلغ بالرواة ان رووا ، في شدّة تعلقه بالخمر ، انه حين ادرك الاسلام احجم عنه ، ولِمَ ؟ ليستوفي ما بقي لديه من بنت الكرم في المهراس . وكان يقول شعره غناء ، والعرب تدعوه « صناجها . »

قيمة شعره

قيمة شعره والرواة

اتفقت آراء الرواة والكتاب ان الاعشى من اعلام الشعر الجاهلي . وراجت حوله الاشاعات ، وتنوقلت القصص عن مبلغ تأثير شعره في احياء العرب . وان يكن بينها ما هو على شيء من الصحة والحقيقة ، فلا شك أن يد المبالغة قد لعبت دورها فيها كسائر اخبار الجاهلية . وفيما يلي بعض منها :

اخبر ابن سلام قال : سألت يونس النحوي : « من اشعر الناس ؟ . » قال : « لا أومئ الى رجل بعينه ، ولكني اقول : امرؤ القيس اذا غضب ،

والنابغة اذا رهب ، وزهير اذا رغب ، والاعشى اذا طرب . » وقال يحيى بن الجون العبدي ، راوية بشار : « نحن حاكة الشعر في الجاهلية والاسلام ، ونحن اعلم الناس به : اعشى بني قيس استاذ الشعراء في الجاهلية ، وجرير بن الخطفى استاذهم في الاسلام . »

وروت الرواة ايضاً ان يحيى بن سليم الكاتب ، بعثه المنصور الى حمّاد ، يسأله عن أشعر الشعراء . قال : فأتيت باب حمّاد ، فاستأذنت . وقلت : « يا غلام . » فأجابني انسان من اقصى بيت في الدار . فقال : « من انت ؟ » فقلت : « يحيى بن سليم ، رسول امير المؤمنين . » قال : « ادخل رحمك الله . » فدخلت حتى وقفت على باب البيت . فاذا حمّاد . فقلت : « ان امير المؤمنين يسألك عن اشعر الناس . » فقال : « نعم . ذلك الاعشى صنّاجها . »

هذا بعض مما تتناقله الكتّاب ، من حيث مركز الاعشى وقيمة شعره ، وجودته ، وسيرى القارئ في التالي بعض ميزات الشاعر عن شعراء العرب في تلك الايام ، عند الكلام عن شعره .

تأثير الشعر عند العرب

كان من اكبر المؤثرات في اعصاب العرب الشعر في الجاهلية ، والدين والشعر في الاسلام . والشاعر عندهم بمنزلة الخطيب الآن عند جميع الامم . وايضاً في كثير من الاحايين ما كانت لتؤثر فيهم العصبية لولا الشعر . فكم من قصيدة غيّرت مجرى الامور والاحوال ، بل كم من بيتٍ اسعر الحروب ، وكم من بيتٍ ضربت لاجله الاعناق او عفيت اعناق ؟ !

وقد بقي للشاعر ، حتى في الاسلام ، مركز عظيم ، وشرف يناله حيث حلّ وانّى ذهب . على انه لا يضارع ما كان له في الجاهلية ، حيث كان موضع كل اكرام ، وعنوان احترام كل اعضاء القبائل . ولا يمكننا ان نقدر مركزه ، إلّا حين نعلم انه كان قائد قومه بلسانه ، وامامهم ، وخطيبهم ، وحليمهم وحكيمهم وحَكَمهم ، والذابّ عن اعراضهم امام تحرّصات الاعداء . وقد كاد يكون الكل في الكل ! . . . والاعشى هو اول من

اتخذ من الشعر متجرا يتجر به . ومن ايامه تفشّى هذا الداء العضال ، داء الضراعة . وممن والاه ، وكان معه من اساطين هذه الصنعة ، النابغة الذبياني. ومن ثمّ اتخذ الشعر اداة للتسوّل ، وكسب الرزق ، وسرى هذا الداء في الشعراء ، سريان النار في الهشيم ، الى يومنا هذا.

وقد روت الرواة ان القبائل كانت تتهافت على اكرام الاعشى ، وتتسابق الى الحصول على رضاه. وتحدّثوا ان قريشاً ، حين رصدته في طريقه الى محمدٍ ، كي ترجعه عنه فيذمّه ، وكانت تخاف ان يفوتها اليه فيمتدحه ويرفع ذكره بين العرب ، كانت تتحدث فيما بينها : « هذا صنّاجة العرب ، ما مدح احداً قط الا وفع قدره . » ومن هنا يظهر المركز الذي كان يحتلّه في تلك الايام ، وكيف كانت تتخوّف العرب من الشعراء. فبينا كانت تستزري من يتكسب بشعره ، وتعتبر ذلك حطّة من قدره ، كانت تجلّ الاعشى وتقدمه على سائر الشعراء . ومع انها كانت اوانئذ تمادح وتتهاجى ، فلم تكن تتخذ الشعر اداة ضراعة ، ولا سعياً وراء الرزق ولا طمعا في مالٍ ونوال . بل كانت تمدح من يعاملها بالحسنى وتهجو من يشاكسها او يعاديها . ولكن الاعشى عرف كيف يغريها ويستهويها بفصاحته وقوة عارضته.

رووا ان الاعشى كان يوافي سوق عكاظ في كل سنة . وكان المحلّق الكلابي متنسّكاً مملقاً . فقالت له امرأته : « يا ابا كلاب ، ما يمنعك عن التعرض لهذا الشاعر ، فما رأيت احداً اقتطعه الى نفسه إلا اكسبه خيراً . » قال : « ويحكِ ، ما عندي إلّا ناقتي وعليها الحمل . » قالت : « الله يخلفها عليك باحسن منها . » قال : « فهل له بدّ من الشراب والمسوح ؟ » قالت : « ان عندي ذخيرة لي ، ولعلي ان اجمعها . » فجمع نفسه ووافاه قبل ان يسبقه اليه احد ، وابنه يقوده . فأخذ بالخطام . فقال الاعشى : « من هذا الذي غلبنا على خطامنا ؟ » قال : « المحلّق . » قال : « شريف كريم . » ثم سلّمه اليه فاناخه . فنحر له ناقته. وكشط له عن سنامها وكبدها ، ثم سقاه . واحاطت به بناته فقال : « ما هذه الجواري حولي ؟ » قال : « بنات اخيك ، وهنّ ثمان شريدتهن قليلة . » وخرج من عنده ولم يقل فيه شيئاً . فلما وافى

سوق عكاظ ، اذا هو بسرحة قد اجتمع الناس عليها. واذا الاعشى قائم ينشدهم :

لعمري ! لقد لاحت عيونٌ كثيرةٌ الى ضوء نارٍ باليفاع تحرّقُ
تشبُّ لمقرورين يصطليانها وبات على النار الندى والمحلّقُ
رضيعَي لبانٍ ثدي أمٍ تحالفا بأسحم داجٍ عوض لا نتفرقُ

فسلّم عليه المحلّق. فقال له: « مرحباً يا سيدي بسيد قومه. » ونادى : « يا معاشر العرب ، هل فيكم مذكار يزوّج ابنه الى الشريف الكريم . فما قام من مقعده ، وفيهن مخطوبة إلا وقد زوّجها . » (١

من هذه القصة نستخلص كيف كان العرب يداهنون الشاعر ، ويضيفونه ويجاملونه . فان من عاداتهم ان يكرموا الشاعر ، ليكون لهم من جرّاء ذلك الصيت الحسن والسمعة الطيّبة . فان الاعرابي من طبيعته ايام المحل ، ان يسعى الى الغزو ، لا يراعي في ذلك جاراً ولا عهداً . فاذا ما اضاف ، فعل ذلك استجلاباً لمنفعة . فاذا مرّت عليه « سنون طيبة ، ونزلت الامطار الغزيرة ، فأنعشت تلك الوحدة ، ونفخت اضراع سائمته . تذكر سليلُ اسماعيل جدّه ابراهيم. فيتبدل حالاً الى سيد عظيم ، ويضيف بكرم. خصوصاً اذا وجد في جواره شاعراً ، يشيد بذكره في اربعة اطراف بلاد العرب — حيث الشاعر بمثابة الصحافي ، متحكم بالآراء — ويروي اخبار كرمه . لانه يحبّ التعظيم ، وهو ذو حاسة بجاذبية الاشعار الجميلة . ويعتقد ان الصيت الحسن يستحق الجلب بالذهب » (٢ فالشعر يستهويه ، فيقري الضيف ، ويأتي بالمكرمات على امل اذاعة صيته بين العرب ، واشتهاره بالكرم والسخاء . وكلنا يعلم اخبار حاتم طي (٣ (للبحث صلة)

١) وفي الاغاني رواية مخالفة لهذه الحادثة اذ يجعل الجواري اخوات للمحلّق. (المشرق)

٢) H. LAMMENS S. J. : L'Islam, Croyances et institutions. (Hospitalité) p. 14

٣) نحن لا نميل الى تصديق كثير من روايات حاتم ، بل نحن اميل الى الاعتقاد ان حاتماً نفسه ما هو إلا حديث خرافة. وما اخباره إلا مزاعم الفت في صدر الاسلام ، في اوان تغلبت فيه العصبية وسادت به التحزّبات . وهذه الرواية ، وان لم يكن للحقيقة فيها كبير اثر ، ما اوردناها إلّا لانها اشهر قصة في الجاهلية ، فيها يظهر ميل الاعراب الى جلب الصيت والاسم الحسن ، وانه هدفهم الاسمى وغرضهم الاقصى .

اللاسلكية*

بقلم انطوان باز

المهندس من المكتب الافرنسي في بيروت ، ومن مدرسة الكهرباء العليا في باريس

٢

لقد بيّنّا ، في العدد السابق ، نظرية اللاسلكية في الارسال والقبول ، وبذلنا الجهد حتى يكون شرحنا سهل الافهام ، على الرغم من صعوبة المادة. فيجدر بنا الآن ان نلقي نظرةً على فوائد هذا الفن. والبحث يتناول استخدام القوة اللاسلكية في التلغراف ، والتلفون ، وادارة المحركات والتصوير عن بعد (Télémécanique et Télévision)

التلغراف اللاسلكي

اول ما استُخدم فنّ اللاسلكية في المواصلات التلغرافية ، وقد المعنا سابقاً الى تجارب ماركوني ، على شواطئ بحر المانش بين فرنسة وانكلترة . وعلى اثر ذلك تألفت شركة عمادُها العالِم المذكور لتحقيق المواصلات اللاسلكية بين الشواطئ الانكليزية والسفن والبواخر القادمة اليها . ثم قامت تلك الشركة ببناء خطٍ لاسلكي بين اميركة وانكلترة ، وهو عملٌ يُذكر . كيف لا وكل يعلم ان نفقات حبل تلغرافي ، بين القطرين ، يستغرق ملايين من الذهب . هذا اذا ضربنا صفحاً عمّا يعترض مدّه واصلاحه من الصعوبات والمخاطر . فلمّا مدَّ اول حبل تلغرافي بين اوربة واميركة سنة ١٨٦٥ ، استلزم نقل الاسلاك بناء باخرةٍ مخصوصة ، دُعيت لضخامتها « لَوياثان » (Léviathan) وهي اعظم ما شاهد ذلك العصر . امّا طولها فبلغ الخمسمائة متر . وعرضها الخمسة

* تكرّم باعطاء الصور المنشورة في هذه المقالة السيد دلان (M' Delagnes) مدير الراديو في بيروت . فنشكره

والعشرين ، يديرها دولابان قطرُ كل واحد منها عشرون متراً . وطول الحبل كان اربعة آلاف كيلومتر ، ووزنه خمسة آلاف طن . وثقل الوزن هذا سببه اغلافٌ من المطّاط والطبرخى ، يحميها شريطٌ فولاذي ، يحفظ السلك المعدني من تأثيرات املاح البحر. ففنُّ اللاسلكية اليوم يُغنينا عن تلك الاعمال الجبارية

وقد كانت الحربُ دافعاً قوياً لزيادة المراكز اللاسلكية في المخابرات التلغرافية ، فاظهرت المانية تفوّقاً على اقرانها ، بعد ان قطع لها الحلفاء حبل مواصلاتها مع مستعمراتها في افريقية . وكان في فرنسة مركزان : مركز برج ايفل ، ومركز ليون لمخابرات روسية ورومانية وسالونيك واميركة . ومركز ليون هذا بُني بماكناتٍ كانت قد أُعدَّت لبلدة سايغون (Saïgon) في الهند الصينية . وهي اكبر مستعمرات فرنسة في آسية الشرقية ، فحالت الحربُ دون ارسالها

ولمّا دخلتِ الولايات المتحدة في جانب الحلفاء بنت مركز لافايت (La Fayette) ، قرب بوردو في فرنسة ، تسهيلاً للمواصلات بين الدولتين. وقد ساعدت الحكومة الفرنسية على بناء المركز وقتئذٍ بتقديم الارض واليد العاملة. على انها بانتهاء الحرب ، استخلصت من الحكومة الاميركية المركز بكامله فاصبح مع المراكز السابقة ومركز كرودانس تحت ادارة وزارة البرق والبريد

ثم تأسست بعد الحرب شركة «راديو-فرانس» لتحقيق العلاقات اللاسلكية بين فرنسة وعواصم العالم ، فبنت مركز سانت اسيز (Saint assise) وهو من اعظم المراكز اللاسلكية . ومركز سانت اسيز هذا هو مجموع مراكز صغيرة تصل باريس باحدى المدن الآتية : بيروت ، نيويورك ، ريو ده جانرو ، بوينوس آيرس في الجمهورية الفضية ، توكيو في اليابان ، پكين وموكدن في الصين . وقوة المجموع تربو على الالف حصان

امّا مركز بيروت (١ وموقعه «خلدة» على مقربةٍ من العاصمة اللبنانية ، فقد تمَّ بناؤه سنة ١٩٢٢ بسعي شركة راديو-اوريان . والرسم ١ يمثل منظر المركز الخارجي ، وقربه العمود الحامل الشريط القابل والباعث بشكل قمع

١) نضرب صفحاً عن مركز نهر الموت للعكريين ، بين بيروت والجديدة.

او مظلّة . وعلوّ العمود هذا ٢٥٠ متراً ، وهو مرتكز على قاعدة من البطون ومسنود من جانبيه الى اسلاكٍ فولاذية مربوطة باوتادٍ في الارض . وداخل البناية مركّب من اربعة مراكز باعثة :

الاول : باعثٌ مزدوج — اي مؤلف من مجموعين متشابهين ، يسير احدهما ويبقى الثاني ليُستخدم عند الحاجة ، فيما لو وقع خللٌ في الاول . وقوة كلٍّ من المجموعين ٣٤ حصاناً — وهو مصنوع لمجرى عالي التكرار يولّده مولدتان كهربائيتان ، يديرهما محركان كهربائيان ايضاً

الثاني : باعثٌ لتموّجات قصيرة يشتغل بواسطة القناديل ، وقوته ١٦ حصاناً

الثالث : باعث ذو تموّجاتٍ مائلة ، لمخابرة السفن والبواخر

الرابع : باعث للاختبارات ذو تموّجاتٍ قصيرة ، قوّته ثلاثة ارباع الحصان .

امّا المجرى اللازم لإدارة المحرّكتين الكهربائيتين فيؤخذ من شركة الجرّ والتنوير في بيروت ، بواسطة اسلاك مدت خصوصاً ، في العام الماضي ، فوق اعمدة من البطون . يصلُ هذا المجرى وهو متناوب ، الى المركز فيحوّل بواسطة آلة كهربائية تدعى (commutatrice) الى مجرًى مستمرّ يُستعمل لإدارة المحركات . وقد اتخذت الاحتياطات اللازمة لعدم وقوف الاشغال ، اذا امتنعت بيروت عن تقديم المجرى ، لخللٍ في الاسلاك او عطلٍ في الآلات ، فجيءَ بمحرك على الزيت الوسخ او المازوت ، يستعمل عند الضرورة

وعدد المستخدمين في مركز خلدة اثنان او ثلاثة . واشغالهم متوقفة على انتظار الاوامر من مركز بيروت ، قرب المرفأ ، لتسيير الماكنات او ايقافها ، والمشارفة على حسن سيرها . امّا البرقيات فترسل من بيروت بواسطة سلكٍ تلغرافي بين المركزين ، فاذا بلغت خلدة مرّت رأساً دون وسيطٍ سوى وصلٍ كهربائي مغنطي (relais électro-magnétique) . وكذلك البرقيات القادمة من باريس فانها تصل رأساً الى بيروت بعد مرورها بالمركز اللاسلكي ؛ وفي تلك الطريقة من الحكمة ما لا يُنكر . فلو جُعل مركز قبول البرقيات في خلدة بعيداً عن العاصمة ، لما قبل به الذوق السليم ومصالح الشعب ، ولو نقل

مركزُ البعث من خالدة الى بيروت ، لما وُجدت له المساحة الكافية من الارض ، او دفع ثمنها اضعاف الاضعاف

ولا يحسب الناس ان اللاسلكية سوف تبتلع الخطوط العادية في التلغراف. فالاثنان يتكاتفان لمنفعة الانسان ، ولكلٍ نطاقُ عملٍ محدود . فاللاسلكية تستوعب المواصلات الدولية ، والمراكز العادية تحتفظ بالمواصلات الداخلية ، وفي ذلك اقتصادٌ ظاهر . فلو شاءت ادارة البرق والبريد في لبنان مثلاً تحقيق علاقاتٍ لاسلكية بين بيروت ودمشق ، لاضطرت الى بناء مركزين ، وتعيين فنيين اختصاصيين لا يرضون براتب المستخدم البسيط . فالحكمة تقضي بان تبقى المخابرات بين البلدان القريبة الوصول ، السهلة العلاقات ، سلكيةً محضة

اللاسلكية في خدمة البحرية

لقد سردنا منافع اللاسلكية في المواصلات الدولية برًّا وبحرًا . على ان خدماتها في سبيل البحرية اجلّ من ان تُنكر ، وهنالك من السفن والبواخر والبوارج ما تملأ البحار وليس لديها من وسيلةٍ للنجاة ، ساعات الويل والرعب ، سوى ذلك السلك الممدود فوقها ، الناشر في الفضاء اصوات الاستغاثة والنجدة . وكثيرًا ما كان صدى تلك الاصوات دخانًا مقتربًا يلمع فيه بارق الامل والنجاة

واللاسلكية في البحر باعثٌ للسلوى واستقصاء الاخبار ، وهي ، لمن نأوا عن الاوطان والارض اليابسة ، صلةٌ بينهم وبين من كان لديهم عزيزًا . وكم من البواخر اليوم حملت مع المركز التلغرافي مركزًا تلفونيًا ينشر عند المساء ، على اسماع الركاب الحانًا موسيقية اتت من بعيد فوق اجنحة النسيم.

هذا في السفن التجارية امّا في الحربية فمن ينكر منافع اللاسلكية ، واخبارُ الحرب الاخيرة شاهدة بها . فهنالك بارجة تستنجد ، وغوّاصاتٍ تتلصّص حركات العدو فتعلم بها القيادة العامة ، وهلم جرًّا

ولا بد لنا من كلمة عن قياس الزوايا باللاسلكية (Radiogoniométrie) وهو فنٌ تُعرف به نقطةُ باخرةٍ في البحر ، او طيارة في الجوّ ، منعها الضباب او خلل في البوصلة من تحديد موقعها الجغرافي . واساسُ هذا الفن ميزةٌ خاصة

بالإطار القابل . قلنا انه في كثير من الاحوال يُستبدل الشريط القابل لجمع التموّجات الهرتزية وادخالها على المركز اللاسلكي ، بإطارٍ يُجعل ضمن المركز او الغرفة او البيت . وهذا الإطار كناية عن جهازٍ خشبي ، مستدير او مثمّن ، لُفّت عليه بعضُ دوراتٍ من الشريط . والنقطة الجوهرية هي أنّ ذلك القابل لا يجمع من التموّجات الّا ما يكون متجهاً لخطّةِ المركز الباعث ، اي عمودياً لها . فلو احببنا سماع مركزٍ في دمشق مثلاً ، يرمنا الاطار القابل على محوره حتى نسمع المركز الباعث باشدّ قوة ممكنة ، فكان لنا بذلك طريقة لمعرفة خطة دمشق وهي مقابلة لسطح الإطار اي عمودية له . فلو فرضنا الآن باخرةً في البحر ضلّت طريقها ، لمكنتها تلك النظرية من تحديد خطين :

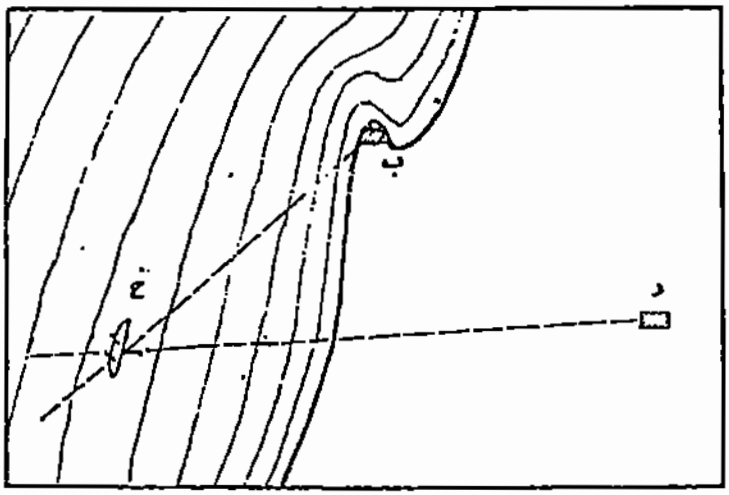

الرسم ٣ : معرفة نقطة باخرة في البحر باللاسلكية ب : بيروت ، د : دمشق ، خ : الباخرة

خط مركز بيروت ، وخط مركز آخر (دمشق مثلاً) . فكان لها ، بالتقاء الخطين ، وسيلةٌ لمعرفة نقطتها الجغرافية . وكثيراً ما يُحلّ العمل بالعكس اي ان الباخرة او الطيارة تستعلم عن موقعها لاسلكياً . فاذا سمعها مركز بيروت ، رسم على الخارطة من بيروت الخطة التي حدّدها بواسطة الإطار القابل ، ثم استعلم من مركز دمشق عمّا اذا كان سمع نداء الباخرة ، وعن الخطة التي حددها ذلك المركز ، فيرسمها على خارطته ايضاً ؛ وتقاطع الخطين يعطيه

موقعَ الباخرة فيعلمها به لاسلكيًا (انظر الرسم ٣) . وقد استعمل الالمان تلك الطريقة ايام الحرب في الطيران ، فكانوا يرسلون طياراتهم ويعلمونها من حين الى حين عن موقعها الجغرافي بواسطة مركزين ارضيين

اللاسلكية والطيران

إنَّ في الجوّ ، كما في البحر ، اخطارًا ومصائد سلَ عنها من حاولوا عبور الاتلانتيك العام الماضي ، من ننجسر وكولي الطيَّارين الشهيرين الى لندبرغ الاميركي وقد اسعده الحظ بالنجاة وحلول باريس قادماً من اميركة ، وحيداً في طيَّارته . فاللاسلكية درعٌ يتدرَّع به الطيَّار ضدَّ تلك الاخطار ، فيجدد في نفسه الامل والنشاط . وان وُجد من لم يُنجهم التلغراف اللاسلكي من الهلاك كننجسر وكولي ، فكم هنالك غيرهم ممن كانت لهم تلك الآلة الصغيرة خشبة الخلاص والنجاة

والمخاطر التي تعتري السابحين في الفضاء هي عواصفُ وزوابع تضطرهم الى تغيير خطتهم او الى الصعود او الهبوط في طبقات الجو . ومنهم من غمرتهم الغيوم الكثيفة ، فاضلتهم الطريق وارغمتهم على الرجوع ، كما يحدث غالباً للطيارات التجارية بين باريس ولندرة . وفي هذه الاحوال يتمكن سائق الطيارة ، او معينه الجالس الى الآلة اللاسلكية ، من مخابرة مركز الطيران الذي سار منه ، والاستعلام عن حالة الجو من مركز البلد السائر اليه

واذا كان التلغراف اللاسلكي ذا منافع في الطيران أيام السلم ، فمنافعه اجلُّ واثمن اثناء الحرب ، وقد بيَّنَّا فوائده في تحديد نقطة الطيَّار . ثم لا ريبَ اليوم في أنَّ كثيراً من المعارك التي كسبها الحلفاء ابَّان الحرب الكبرى سببها ما أدلَت اليهم به من التعليمات عن حالة العدو وعدده واستعداده ، تلك الطيارات الكشَّافة التي كانت تحوم فوق مخابئه فترصده وتعود مفشية اسراره

في بعض استخدام اللاسلكية

ومن اغرب استخدام اللاسلكية الذي اشغل عقول المهندسين والعلماء فنَّا التلفزيون والتلمكانيك (télévision et télémécanique) . فالاول يبحث

عن ارسال الرسوم والصور باللاسلكية ، والثاني اساسهُ ارسال القوة لتحريك المحركات عن بعد . وقد بنت مؤخرًا الشركة الفرنسية اللاسلكية « راديو إلكتريك » قاربًا طوله تسعة امتار ونصف متر وعرضهُ ثلاثة ، يُديره محركان كاللذين يُستعملان للطيران ، قوّة كل واحد منها مئتا حصان ، وسرعةُ القارب ٧٠ كيلومترًا في الساعة لمحمول ٧٠٠ كيلوغرام. وقد جهزته بالآلات اللاسلكية الكافية لتسييره دون رقيب . امّا حركاته فتُرسل اليه من طيّارة تحومُ فوقه راقبةً سيره . وفي الطيّارة لوحة ذات سبعة مفاتيح يستعملها الطيّار لتسيير القارب او ايقافه ، وزيادة سرعته او تخفيضها ، وادارته يمينًا او شمالًا الخ ... كلُّ ذلك بواسطة تموّجات لاسلكية ترسل من الطيّارة فتسطو على المركز القابل الذي في القارب ، فتخضع له حركات المحركين بواسطة اوصال مغنطية كهربائية(relais électromagnétique)والتموجات هذه كافية لاتمام العمل المقصود ، حتى لو بعدت الطيّارة عشرة كيلومترات عن القارب

تلك تجارب سوف يُسمع صداها في الحربية ، حيثُ يُكلّف القارب ضربَ العدوّ بالمدافع او ضرب احدى بوارجه . وقد اختبرت النظرية ذاتها لارسال الطيّارات الحربية دون رقيب مُسيّرةً بمركز لاسلكي واحد

اللاسلكية تزيد في رفاهية الافراد

ما تقدّم فنُّ اللاسلكية حتى استخدمه الاهلون للزيادة في رفاهية الافراد وسعادة العائلة ، فبُنيت في المدن الكبيرة ، مراكز لنشر الاخبار والاغاني والالحان الموسيقية ، كل مساء ، (postes de radiodiffusion) يسمعها من اسعده الحظ بشراء مركز قابل صغير . ومن يزر باريس يدهش من ولع الاهلين بهذا اللهو . فلا يكاد يخلو بيتٌ من آلة قابلة ، تُجعل في زاوية من البهو ، حتى اذا جاء الليل اجتمع الكلُّ حولها يسمعون . ومراكز النشر في باريس عديدة منها خاصة بالحكومة كمركز برج ايفل وقوته ثمانية احصنة ، ومركز مدرسة البرق والبريد العليا وقوته ثلاثة ارباع الحصان . ومنها ملك الشركات التجارية ، وفي عدد ذلك مركز راديو باريس وقوته اربعة احصنة ،

وجريدة البتي باريزيان ، وراديو ڤيتوس ، وراديو ل. ل. (لوسيان ڤي) ، وقوة كل واحد منها ثلاثة ارباع الحصان . وراديو ڤيتوس وراديو ل. ل. شركتان لعمل الآلات اللاسلكية بتنا مركزيها برخصة من الحكومة ، ونيّتها الاعلان ونشر الدعوة لتصريف بضائعها. ولا تختلط نشرات تلك المراكز بعضها ببعض، اذ ان كل مركز يبعثُ بتموّجات تختلف عن غيرها في الطول كما بيّناه في العدد السابق من هذه المجلة . فتموجات برج ايفل تبلغ طولاً ٢٦٥٠ متراً ، بينما يبلغ طول تموجات راديو باريس ١٧٥٠ متراً ، وطول تموجات مركز البرق والبريد ٤٥٨ متراً ، والبتي باريزيان ٣٤٤ الخ . فاذا شئت سماع احد تلك المراكز عدّلت آلتك بيرم زرّ او ازرار كي تهتزّ لتموجات ذلك المركز فتسمعه دون غيره

امّا مراكز النشر هذه فتعتمد في حياتها الاقتصادية على عضد الحكومة (كمركزي برج ايفل ومدرسة البرق والبريد) ومساعدة شركات التلفون اللاسلكي وجمعياته . وفي مقدمة تلك الجمعيات جمعية احياء اللاسلكية ، وجمعية بنّاني آلات النشر (Groupement des constructeurs de radiodiffusion) وهذه الجمعية تفرضُ على كلّ شركة تنضمّ اليها ، مبلغاً معلوماً لقاء بياعاتها الشهرية او السنوية . فان شركة راديو - تكنيك لعمل قناديل التلفون اللاسلكي تدفع الى صندوق تلك الجمعية فرنكاً ونصف فرنك عن كل قنديل تبيعه ، مما يبلغ اربعين الف فرنك كل شهر ، اذا عدّلنا بياعاتها بـ ٢٧ الف قنديل على الاقل . وهكذا في سائر الشركات . وكثير من الحفلات والليالي تُعطى بمساعدة المحلّات التجارية كالپرنتان وغيره ، او الجرائد اليومية. فكم من مرّة تسمع في المضخّم مثل هذه العبارة : « ليلة موسيقية رُتبت بمساعدة جريدة الماتان ، او الشركة الفلانية الخ . . . » والمساعدة تقتصر غالباً على دفع اجرة الموسيقيين والملحنين . ولشركات النشر ايضاً ايرادٌ عظيم من الاعلان ، وتأثيره غير تأثير الاعلان المخطوط . فبينما انت تنتظر تتمة قطعة موسيقية ، او رواية تمثيلية اذا بصوتٍ يدعوك في المضخّم : « ان القطعة التي سمعتموها وشنّفت آذانكم ضُربت على المزف ماركة كذا » ... الى غير

ذلك من الاساليب اللطيفة الفعّالة التي اشتهر بها مبشر مركز راديو باريس . والمبشر هو الذي يُعلن للسامعين برنامج الحفلة بندًا بعد بند فتسمعه ينوه بمثل تلك العبارة «لقد سمعتم محاضرة الدكتور ... عن فوائد البطاطا ، فاسمعوا الآن قطعةً موسيقية لبتهوفن» ... امّا البرنامج فمتنوّع واسع ، موافق لمختلف الاذواق؛ يبتدي ، غالباً ، عند الساعة الثامنة مساء ، باخبار محلية ثم بمحاضرات مختصرة اجتماعية او علمية ، حتى اذا صارت الساعة التاسعة جاءت الاغاني والالحان الموسيقية موقّعة من اشهر مغني الاوپرا ... ومن الغريب ان بعض المراكز تنشر احيانًا روايةً تمثيلية بكاملها ، ذات فصل او فصلين ، يمثل ادوارها اثنان او ثلاثة

وقد شعر الكاثوليك بما في طريقة النشر باللاسلكية من التأثير في بثّ روح الايمان بين من ضلّلتهم اقوال الملحدين ، او اسكرتهم ملذات الحياة ، وبين الالوف من العملة وقد دُسّت في عقولهم سموم البلشفية ، فطلب الكردينال ديبو رئيس اساقفة باريس الى الاب لاند اليسوعي (R. P. Lhande) ان يُلقي سلسلة عظات مدة آحاد الصوم سنة ١٩٢٧ ، ينشرها مركز راديو باريس . فقام الاب لاند بتلك المهمة ، وما بدأت عظاته تُنشر على الالوف من السامعين حتى وردته رسائل التحبيذ والتهنئة . كيف لا والاب لاند كاتبٌ مجيد وقد اتخذ له ، في القاء تلك المواعظ ، اسلوباً سهلاً سلساً يضربُ فيه على اوتار القلب . فكان يسحر السامعين بطلاقة لسانه ، ورشاقة تعبيره ، ونبرات صوته . ولكم وددت ، عند سماعه احياناً ، ان يطيل كلامه ساعات لما كنت اجد فيه من اللذة السحرية . وعظاته هذه كانت تنشر ، عند الظهر ، والناس في بيوتهم على المائدة ، فيسمعون خاشعين مفكرين

وكانت تُنشر ايضاً مواعظ الصوم في كنيسة نوتردام (Notre-Dame) في باريس كي يتمكن من سماعها من تعذّر عليهم الحضور ، ومن لم تعد تسعهم ارجاء الكنيسة على رحبها

اللاسلكية في بلادنا

هذا ما توصلوا اليه في اوربة ، خلال سنوات قليلة ، من استخدام التلفون

اللاسلكي . ونحن في الشرق لا نزال محرومين من هذه المنافع ما لم يُخلق في وطننا مركز للنشر كما في القسطنطينية . فسماعُ باريس ولندرة ليس على الافراد بالشيء السهل ، والمسافة بيننا وبين تلك المراكز تنيف على العشرة آلاف كيلومتر فلا تأتينا الموجات التلفونية الّا ضئيلةً ، مشحونةً بالموجات الدخيلة . فاذا وسّعنا تلك لسماعها ، وسّعنا هذه ايضاً فجاء الكلام مشوّهاً ، والموسيقى صفيراً . وهكذا فان مركز راديولا ذا السبعة القناديل لا يُسمع باريس ، رغم قوته واتقانه ، الّا نادرًا . فيضطر المرء الى الاكتفاء بمراكز القسطنطينية وڤينة وموسكو . ومع ذلك فلا يخلو سماعُ تلك المراكز الّا أياماً قليلةً في الاسبوع او الشهر نظرًا لكثرة الموجات الدخيلة . وقد افسح عن ذلك حضرة العالم الاب بلامپوا اليسوعي (R. P. Blampois) ، استاذ الكهربائية في مدرسة الهندسة الفرنسية ، بمحاضرة عن اللاسلكية في سورية ولبنان ، ألقيت ، الشتاء المنصرم ، في ردهة كلية القديس يوسف في بيروت . وهب انه توصل الى سماع تلك المراكز بقوة وجلاء فمن لا يضنّ على نفسه بهذا اللهو ، وثمن المركز القابل يناهز الخمسة آلاف فرنك

فلا يعمّم اذًا هذا الفن عندنا ما لم يُخلق في بيروت مركزٌ ناشر تلفوني (centre de radiodiffusion) ينشر كلَّ مساء الاحاديث والاخبار والمحاضرات والقطع الموسيقية ، فيسمعها من يشاء ، في سورية ولبنان ، بواسطة مركز صغير لا يبلغ ثمنه الالف فرنك . وهذا ما دفع الاستاذ كميل ادّه ، في العام الماضي ، الى انشاء جمعية ترمي الى تحقيق هذه الامنيّة . وستتابع هذه الجمعية جهادها ، مدة الشتاء المقبل ، حتى تُتحف البلاد بما اصبح من ضروريات الحياة . ولا ريبَ اليوم في انَّ التلفون اللاسلكي ، كما بيناه ، هو وسيلة لترقية الشعب بالخطب والمحاضرات ، وزيادة رفاهيته بالاحاديث والموسيقى ، وتحسين اشغاله التجارية بما تتحفه به كل يوم من اسعار الحاجيات ، وحالة الصناعة والزراعة . وقد يزيد ذلك في رفاهية الفنادق في لبنان فيكثر حركة الاصطياف

وما يمنعنا من نشر دروس ليلية تُعطى من حين الى حين في اللغات

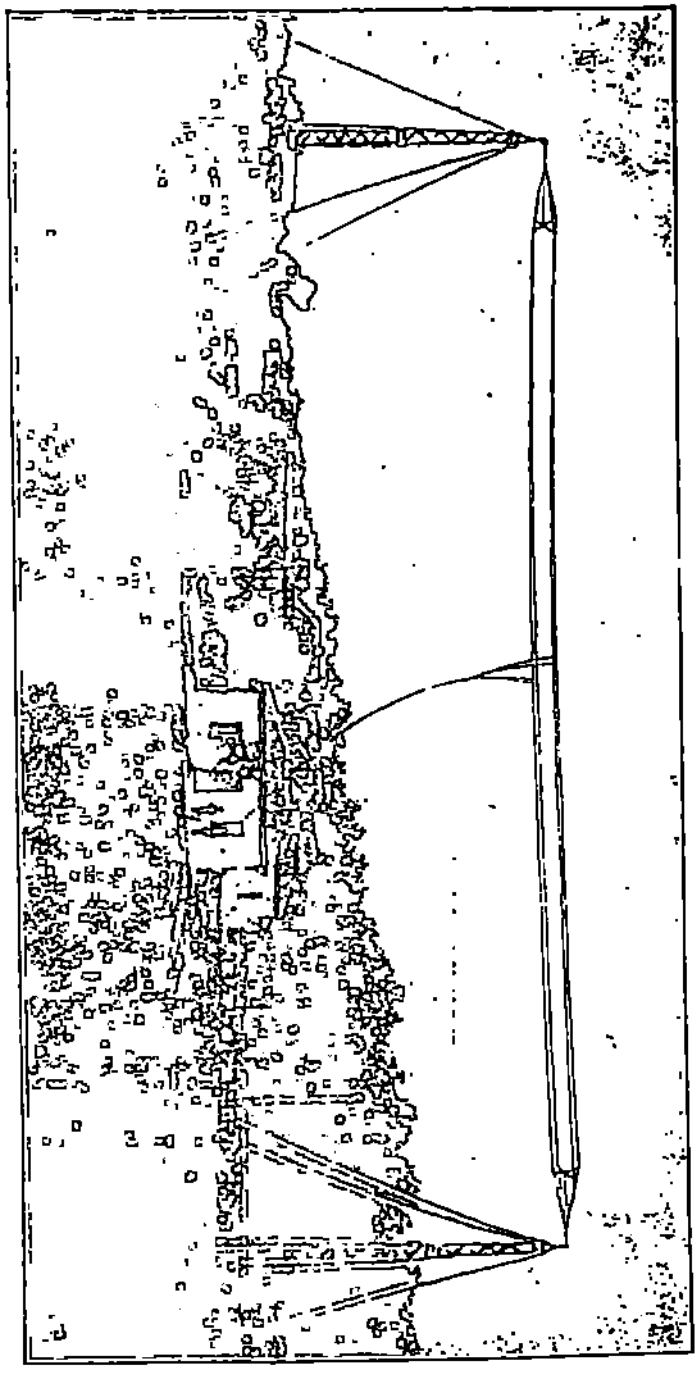

الرسم ٦ : منظر خارجي لمركز باث

الاجنبية كالفرنسية والانكليزية ، او في العلوم التجارية او الرياضية ، يتبعها من يحب الاستفادة ولا تسمح له اوقاته واشغاله من دخول المدارس الخاصة بها . فمجال الانتفاع اذاً واسع . انما المهمُّ التحقيق . ولا يتمُّ ذلك الّا متى عضدت فكرتنا هذه الحكومات والجرائد والافراد ليس فقط معنوياً بل مادياً ... امّا نفقات هذا المشروع فتبلغ السبعمائة الف فرنك تقريباً ما عدا ثمن الارض واجرة البناء . والمركز هذا يكون من النوع المعروف بالمقاطعي (type départemental) كما في الرسم ٤ ، وقوته تكفي لان يُسمع بواسطة قابلٍ ذي اربعة قناديل ، لمسافة ٢٠٠ كيلومتر بالمضخم ، اي بصوت عالٍ ؛ و ٣٠٠ كيلومتر بالسمّاع البسيط يُجعل على الأذن (écouteur)

ويُقسم المركز الباعث الى قسمين : القسم الاول غرفة القاء للمغنين والموسيقيين والخطباء ينشدون فيها ما يريدون نشره وتدعى بالفرنسية « auditorium ». والقسم الثاني بناية تضمُّ المحركات ، والمولدات الكهربائية ، والمجموع الباعث ، والشريط الناشر ممدودًا في الجو كما في الرسم ٤ . ولا مانع من وجود غرفة الملحّنين بعيدة عن مركز النشر بثمانية او عشرة كيلومترات ، على ان يكون بينها اتصالية تلفونية . وكثيرا ما يُعمد الى هذه الطريقة في المدن الكبرى ، حيثُ لا مجالَ لبناء المركز الباعث ، فيبنى هذا على مقربة من المدينة بآلاته واعدته واسلاكه ، وتبقى غرفة الالقاء في البلد

امّا اذا قصد نشر خطبة تلقى في حفلة او اجتماع ما ، فيُجعل على طاولة ، امام الخطيب ، قابل تلفوني (microphone) يؤدي بالكلام الى المركز الباعث فينشره . ولا بُدَّ ، والحالة هذه ، من مدّ سلك تلفوني بين محل الاجتماع والمركز

تلك هي بعضُ اسرار اللاسلكية احببنا اطلاع قراء « المشرق » عليها ولا نكتمهم أنَّ مجال هذا الفنّ فسيح ، وانّنا لم نخض في الموضوع الّا غمرة ، منتظرين الرجوع اليه اذا سنحت الفرصة ...

نظرة في تاريخ يافا

بقلم حضرة الاب ا. س. مرمرجي الدومنيكي

استاذ المعهد الكتابي والاثري الفرنسي في القدس الشريف

٢

٤ً العصر اليوناني اليهودي

في سنة ٣٣٢ ، احتلّ الاسكندر المكدوني فلسطين . فسقطت بذات العمل صور ، وغزة ، ويافا . على ان الاسكندر لم يكن على شاكلة الفاتحين القدماء ؛ لكونه لم تكن مُنيته الفتح وحسب ، بل كان يسعى في الوقت عينه ، بنشر الروح الاغريقي ، والحضارة اليونانية . وكانت يافا معدّة لهذه السياسة ، لما كان بينها وبين جزائر ايجه ، واليونان ، من سابق الصلاة . فنزلها قوم الاسكندر ، وجعلوها يونانية ، حتى في اسمها ، فانهم ابدلوه باسم «جوبي» Joppé ومما يجدر بالذكر ان اول مضرب اقامه الاسكندر لضرب النقود ، كان في يافا .

اما بعد موت الاسكندر ، وتخاصم قواده على السيادة ، واقتسامهم ملكه ، فقد وقعت يافا في حكم بطلميوس الاول ملك مصر . واستمرت تنتقل من يد مالك ، الى يد مالك آخر ، من هؤلاء القواد وخلفائهم ، حسب احوال الحروب ، وتقلبات السياسة . فبعد البطالسة ، حكم على يافا السلوقيون ومنهم سلوقس الرابع ، وفيلوباتر ، وانطيوخس ابيفانيوس ، الذي كان قاسيا . ولبغضه لليهود ، واضطهاده لهم ، اثار ثائر المقابيين ، فنجم عنه استقلال الاسرائيليين حقبة . من الزمن لم تدم طويلا ، وهذه هي المرة الاولى التي طال بها ملك اليهود ليافا ، فأضحت مرفأ لهم . ويخبرنا الكتاب انه في ذلك الزمان ، كانت طائفة من اليهود ساكنين في يافا . ففي بداية الحروب المقابية ، خانهم الوثنيون ، اذ تظاهروا لهم بالصداقة ، ودعوهم يوما الى النزهة في البحر .

ومن غريب الامور ، ان اليهود لم يشكوا في ما اضمره لهم اعداؤهم. فصعدوا السفن ، وبصحبتهم نساؤهم ، واولادهم. غير انهم ما بلغوا عرض البحر ، حتى قام عليهم الوثنيون ، فاغرقوهم . وكان عدد الغرقى نحو المئتين . فلمّا بلغ الامر يهوذا المقابي ، جمع جنده ، وزحف الى المدينة ، ودخل الميناء ليلاً ، فاضرم النار في السفن الراسية هناك ، وامر بقتل كل من حاول الفرار الى البرّ. ثم بعد ان نال المقابيون الاستقلال بانتصاراتهم المتواصلة ، احتلّ سمعان اخو يهوذا المقابي يافا ، واقامها مرفأ لحكومته.

٥ً العصر الروماني البيزنطي

اول ما احتلّ الجنود الرومانيون من البلاد الشرقية ، كانت مصر وآسية الصغرى . ثم عقبتها بلاد البنطس وارمينية . فان بمبيس القائد الشهير ، بعد ان استولى على تلك البلاد ، وكرّ راجعاً ، فتح في عودته سورية ، ودخل دمشق منصوراً . وتبعت فلسطين سورية في امر الخضوع والتسليم لحكم الرومانيين . امّا المدن الساحلية ، فانها كانت منفصلة عن بقية البلاد ، أعلنت مدنا حرّة ، وفي جملتها يافا. واضطرت الاحوال يوليس قيصر الى محاربة بمبيس فكسّره . وقد ساعده في ذلك انتيباتر. فكافأهُ له على هذه الخدمة ، ملّكه على اليهودية . وبما ان سكّان يافا كانوا من انصار قيصر ، منح مدينتهم امتيازات شتى ، واعفاهم من تأدية الجزية سواء لرومة او القدس.

وفي زمن السيد المسيح ، كانت يافا في عداد المدن العشر الممتازة ، في حكم الرومانيين . ولمّا اخذ الدين المسيحي بالانتشار ، كان سكان يافا من اول الذين دانوا به . والظاهر ان جماعتهم كانت وافرة من بادئ الأمر ، وقد زادهم عدداً ورسوخاً في الايمان ، بَعْث الرسول بطرس لطبيته من الموت. وقد استمرّ بطرس زمناً طويلاً فيها ، ساكناً عند سمعان الدباغ ، الذي كان بيته قرب البحر . وفي هذا البيت عينه ، اذ كان بطرس يوماً على السطح يصلي ، رأى في الرؤيا وعاء نازلاً من السماء ، مملوءاً حيوانات مختلفة الاجناس، منها طاهرة ومنها نجسة . وعند ذلك سمع صوتاً يحمله على قبول الامم في الكنيسة . وبينما هو مفكر في امر الرؤيا ، اذا برسل كرنيليس قائد المائة

قد اتوا اليه ، فطلبوا منهُ ان يذهب معهم الى قيصرية . وهناك قبل تنصّر كرنيليس ، فكان اول متنصّر من الامم .

وبعد ذلك الزمان ، نجد يافا عامرةً ، والدين المسيحي زاهرًا فيها ، ازدهارًا جعلها ان يُقام فيها كرسي اسقفية . وقد زارها القديس هيروغوس ، في القرن الرابع ، تصحبه القديسة پاولا النبيلة الرومانية وابنتها اسْتُوركيُم . وقد عجبوا من مرفئها الذي انهزم منهُ يونان النبي ؛ ورأوا الصخرة التي يذكر في محيّلات اليونان ان « ادروميدا » كانت موثوقة فيها بسلاسل . وفي اعمال المجامع التي عقدت في القرنين السادس والسابع تقرأ اسماء كثيرين من اساقفتها

٦ً العصر العربي

كان دخول الجيوش العربية سورية وفلسطين ، ومن ثمَّ بيت المقدس ، سنة ٦٣٦ . وقد كان احتلالهم المدينة المقدسة بقيادة الخليفة عمر الفاروق ابن الخطّاب . وفي ذاك العام نفسه دخل يافا عمرو بن العاص فاتح مصر الشهير ، فبدل اسمها اليوناني ، باسم يافا . وبقيت المدينة في مقام المدن المهمّة في فلسطين واستمرت المرفأ الذي ينزل اليه الزوّار القاصدون القدس . وهناك كانوا يتبركون بزيارة بيت سمعان الدباغ ، وقبر طابيته ، وكنيسة القديس بطرس الرسول . وحسب رواية اليعقوبي المؤرخ العربي ، الذي عاش في القرن التاسع للميلاد ، عادت يافا فاضحت مركز التجارة في فلسطين ، ودامت على هذه الحال الى زمن الصليبيين .

٧ً عصر الصليبيين

في سنة ١٠٩٩ ، لمّا اقبل الصليبيون الى هذه الديار ، كانت يافا في مقدمة المدن التي استولى عليها غودفروا دي بويون ، وهو زاحف الى القدس . وكان سير الصليبيين في الطريق عينها التي طرقها الفلسطينيون ، قبل ذلك الزمان بزهاء ٢٣ قرنًا . اي انهم توجهوا من انطاكية نحو الغرب على طريق الساحل ليتصلوا بمراكب الجنويين عند يافا . وبعد ان فتح غودفروا القدس ، عاد فشرع ببناء ما هدم في يافا عند محاصرتها .

وفي عيد الميلاد من تلك السنة ، تأسست المملكة اللاتينية في اورشليم

على الطريقة الاقطاعية . فاقيمت يافا ونواحيها كونتية. وبعد ان أُخذت عسقلان أُلحقت بها ، فدُعيت كونتية يافا وعسقلان ، واعيد اليها كرسيها الاسقفي . وقد كان عصر المملكة اللاتينية ، كالعصر العربي ، عصر تجارة عظيمة ، وتقدم زراعي ، للمدن الساحلية ، ولاسيما ليافا ، اذ انها كانت اهم مرفأ تجاري ، واقوى معقل حربي في هذه الربوع ، ما بقيت القدس بيد الصليبيين . امّا بعد سقوطها ، فاضحت عكا المرفأ العسكري ، وبقيت يافا في المقام الاول ، سواء من جهة التجارة ، او من جهة الزيارة للاراضي المقدسة . وكانت الميناء الاخير الذي ترسو فيه سفن الغرب الجائلة في سواحل البحر المتوسط . وكانت هذه السفن تأتيها فرادى او بعدد محصور ، وفي اي فصل من فصول السنة . الّا ان العمارة التجارية كانت تقدم اليها مرات معينة كل عام ، من السواحل الايطالية وكان يرفق العمارة اسطول مسلّح ، يقوده امير موفد من قبل حكومات تلك الديار .

ولم تزل يافا منذ ذاك الحين عرضة لتقلبات الاحوال . فكانت تارةً بيد الفرنجة ، وتارةً بيد المصريين . ومن المواقع الشهيرة التي جرت فيها بين الصليبيين والمصريين ، المعارك التي اشتبكت فيها جيوش صلاح الدين وملك الانكليز ريكاردس قلب الاسد ، وما اظهره هذان الملكان الكريمان ، والفارسان الصنديدان ، من الشهامة ، والبسالة ، والبطولة ، قد خلّد لهما الذكر الطيّب في التاريخ . فان صلاح الدين ، عند محاصرته هذه المدينة ، لم يجتزئ بالقاء الاوامر على قواده وجنوده ، بل كان يرتقي هو ذاته الى الامام ، ويساعد عسكره على حفر الالغام ، ونبال المحاصرين تنزل عليه كالمطر الوابل ، وهو في وسط الدخان ، وامام النيران المتأججة . وكذلك الملك ريكاردس ، فانهُ لمّا اقبل من عكّا باسطوله الى مرفأ يافا ، وقد احتلّها المصريون ، الّا القلعة التي التجأ اليها الصليبيون ؛ ولمّا علم ان هذه القلعة لم تزل في حوزة عسكره ، لم تكن الّا لحظة ، وقد القى بذاته الى البحر ، قبل الجميع فتبعه قواده . وصعد الى الساحل حيث كان قد احتشدت جنود المصريين ، جماهير مجمهرة . فما كان منهُ الّا ان امتشق حسامه ، واقبل اليهم بقلب دونه قلب الاسد جرأة

وبسالة ؛ فشقّ صفوفهم ، وشتّت شملهم ، واسرع متقدما عسكره الى المدينة فرفع فيها رايته . فلمّا رآها المحاصرون في القلعة ، عادت اليهم شجاعتهم ، فنزلوا اليه ، ودفعوا الاعداء الى الخارج ؛ ممّا مكّنه ان يفاوض صلاح الدين ، في شأن الصلح ، على شروط شريفة .

ومما يجمل بالذكر في هذا الصدد ، ان القديس لويس ملك فرنسة ، احتلّ هذه المدينة وعسكرَ جنده في ما حولها من البساتين . وقد سعى في بناء سورها وابراجه ، وكان هو عينه يشتغل مع العملة . وهو الذي اسّس ديرًا للفرنسيسيين وعمّر لهم كنيسة .

٨ً العصر المماليكي

في ايام بيبرس عادت يافا فخربت ، الّا ان اهاليها ، اصحاب الهمة ، لم يعشوا ان عادوا اليها ، فاخذوا بتعمير اسوارها وابراجها وقلعتها . كما ان سفن التجارة استأنفت المجيء اليها ، ولاسيما الايطالية منها . وقد زارها ابو الفداء فقال : انها مدينة صغيرة جميلة ، اراضيها مخصبة ، ويتردّد الى اسواقها كثير من التجار ، ويرسو في مرفأها كل السفن القادمة الى فلسطين ، ومنها تقلع الى غير بلاد . وقال عنها السائح اليهودي رابي اسحق شيلو : انها محال البحار ، ومحل تجارة مهمة ، وان اهاليها في غنى ورفاه . واهم ما يتّجر به فيها الزيت ، والقطن ، والصابون ، والآنية الخزفية ، وغير ذلك . وفي القرن الرابع عشر ، شيّد الامير جمال الدين بن اسحق مقام الولي المدعو « قبة الشيخ مراد » ، الموجود اليوم شرقي ضواحيها ، المدعوة « بسكنة ابي كبير » .

٩ً العصر التركي

الّا ان الدهر الخؤون عاد فقلب لها ظهر المجن ، فحالت الى الدمار . لكنها لم تزل مع ذلك محطّ رحال الزوّار ، المقبلين لزيارة القدس ، ولم يكونوا يجدون فيها محلًّا يستظلّون به من الشمس والمطر ، الّا معبدًا صغيرًا كان من بقايا كنيسة القديس بطرس . واستمرت على هذه الحال ، حتى بعد ان كسر الترك المماليك ، واحتلّوا مصر ، وفلسطين على عهد سلطانهم سليم الاول ، في القرن السادس عشر .

نحو منتصف القرن السابع عشر ، نزل بعض الرهبان الفرنسيسيين،فسكنوا يافا ، بين تلك الخرائب ، ثم ابتنوا بعض الغرف ، لايواء الزوّار ، فاتهمهم الترك ببناء معاقل ، فاخزوا ما عمروه . الّا ان هؤلاء الرهبان ، بعد سنين قلائل ، نالوا الاجازة بتعمير ما خرب . وعلى مثال الفرنسيسيين سار غيرهم من الطوائف المسيحية ، وكثير من الاهالي الساكنين الرملة ، وغيرها ، ممن مهنتهم مزاولة التجارة . فاخذوا يأتون رويدًا رويدًا فيسكنون يافا . عندئذٍ تحسّنت احوالها ، وراجت اسواق تجارتها ، من منتصف القرن الثامن عشر الى ما بعده .

ومما يجدر بالذكر في تاريخ هذا العصر ، الحوادث التي جرت على يد الرجال الذين حكموها ، من مثل علي بك صاحب مصر ، وظاهر بن عمر ، حاكم عكا ، ومحمد ابي الذهب ، واحمد الجزار ، وحملة نابوليون عليه ، وابي نبّوت ، ومحمد علي ، وابنه ابراهيم باشا .

فعلي بك الذي توصل فامتلك مصر ، في منتصف القرن الثامن عشر ، انتهز فرصة ارتباك الترك بمحاربة الروس ، فزحف الى غزة ، والرملة ، واللّد . واتفق مع ظاهر بن عمر الذي كان يقاتل عثمان باشا والي سورية .

واما يافا ، فلاجل الانقسام الذي حصل بين اهلها ، تمكن ظاهر بن عمر من دخولها واقامة الحامية فيها . امّا علي بك فارسل ابنه محمد الملقب بابي الذهب — لما كان في خيمته من الرياش الثمينة — على رأس ٤٠ الف مقاتل لمساعدة ظاهر . فتوجه كلاهما الى الشام ، وبعد ان استوليا على القلعة ، اذا بمحمد قد غادر المدينة فجأةً ، فعاد الى مصر حيث اعلن الحرب على علي بك . وبعد ان كسر جيشه ، قبض على زمام الحكم في القاهرة . وفرّ علي بك الى غزة ، ومنها الى عكّا ، حيث التجأ الى حليفه ظاهر العمر ، ثم تمكن بعد ذلك من العودة الى يافا ، للاقتصاص من اهلها . فحاصرها ثمانية اشهر ، وفي آخرها سلّمت . الّا ان علي بك جرح وأُسر في معركة بينه وبين ابي الذهب .

ثم عاد ابو الذهب بامر من الباب العالي ، فزحف الى فلسطين ، وجاء فحاصر يافا . واشتدّ الامر عليه ، لان السكان قاوموه من داخل . وفي اثناء المفاوضة في شأن الصلح ، دخل بعض المماليك المدينة ، وحاولوا السلب ،

فانهم الاهلون . حينئذٍ انقضت العساكر كلها عليهم ، واعملوا فيهم السيف بطريقة تقشعر لها الابدان. واما ابو الذهب ، فهو عينه أمر بان تجمع رؤوس القتلى ، فصار منها هرَم ، اقامهُ على التل الذي عليهِ نصب مدافع المصريين . فدعي منذ ذاك اليوم « تل الرؤوس » وبعد اخذ عكّا بايام ، مات فجأةً . فاسرع جيشه بالعودة الى مصر.

وقام بعد ذلك على عكّا خلفاً لظاهر العمر ، احمد الجزار المشهور . وهو الذي طرد منها الفرنج الذين كانوا ساكنين فيها منذ قرون للاتجار ، فاغتصب املاكهم واموالهم . وعليه ، فلمّا حمل بونابرت حملته من مصر الى فلسطين ، لكسر شوكة الجيش التركي ، كان من مقاصده اخذ عكّا ، وانزال القصاص بالجزار ، فبعد ان استولى نابوليون على غزة والرملة ، انسحب العسكر التركي الى يافا ، وهناك في داخل المدينة ، جرت معركة اسفرت عن اشدّ اهوال الحرب . وفي يافا ايضاً فشا الطاعون بين عسكر الامبراطور ، فاضطر هو عينه الى الذهاب لافتقاد المضروبين . وكان يجسّ قروحهم بيده ، تشجيعاً لهم ، ولغير المصابين.

امّا السنون التي عقبت ذلك فقد كانت حقبة تقدم وفلاح للمدينة . اذ تولّاها رجل يلقب « بابي نبوت » وهو الذي شيّد الجامع الكبير ، والسوق ، والمعين ، وكل هذا من ابدع ما يكون من البناء ، والاتقان ، والزخرف . واقام سبيلاً يُدعى سبيل « ابي نبوت » وهو واقع على طريق القدس.

وفي اواسط القرن التاسع عشر استقلّ محمد علي حاكم مصر ، وارسل الجيوش لفتح فلسطين بامرة ابنه ابراهيم باشا . فجاء الجيش وعسكر بين يافا والولي ابراهيم العجمي . اما السكان ، فبعد المفاوضة والتدبّر ، اجمع رأيهم على التسليم ، دون مقاومة ، حقناً للدماء . فاحتلّ ابراهيم المدينة . وفي اثناء هذا الحكم ، لم ينل يافا ادنى ضرر ، بل انها سارت متقدمة ، وزهت . وقد كان من نيّة ابراهيم باشا ان يحيل « بصّة يافا » الى مرفأ داخلي ، تصله ترعةٌ بالبحر . الّا ان هذا الفكر لم يجرَ بالعمل ، اذ توصلت تركية ، بمعاونة

بعض كبار الدول الاوربية ، الى ان تستعيد فلسطين . فكان ذلك آخر العهد بحكم المصريين.

على ان بعض مئات من العائلات المصرية ، من الذين هاجروا من مصر الى فلسطين ، في غضون احتلال ابراهيم باشا ، استقرت في ضواحي المدينة ، فانشأت قرى صغيرة ، احتاطت بها البساتين . ومن هذه القرى ، سكنة ابي كبير ، وسكنة حماد ، وسكنة الدرويش.

وامّا الحالة من ذاك الحين الى هذه الايام فهي معروفة من الجميع ، فلا حاجة الى الاستفاضة بها.

بعد هذا الطيران ، بطيارة الفكر ، على تاريخ يافا وحياتها الطويلة ، طولًا يربو على الخمسين قرناً ، الا يجدر بنا ان نستنتج ان ليافا الحق بان تفتخر وتفاخر غيرها من المدن . اجل لها الحق ان تفتخر ، لان اسمها الجميلة، وهو اسم وافق المسمّى ؛ لانها جميلة بموقعها ، جميلة بهوائها ، جميلة بجناتها ، جميلة ببحرها. وهي بنت البحار ، ومقصد التجار . يحق لها ان تفتخر بقدمها ، لان مدناً قليلة قد وُجدت منذ وجودها . يحق لها ان تفتخر لما لموقعها من المناعة والخطورة ، ولاراضيها من الخصب ، ولتجارتها من الاهمية . فانها في كل زمان قد كانت سوقاً رائجة ، يقصدها التاجرون برًّا وبحرًا . يحق لها ان تفتخر لكثرة الدول التي طمحت اليها بابصارها ، ولحلول اعاظم الرجال ، والملوك والقواد فيها . يحق لها ان تفتخر لما فيها من الذكريات الدينية ولكونها مدخل اشهر مدينة في العالم ، وهي المدينة المقدسة . يحق لها ان تفتخر حتى بمصائبها ونكباتها ، لانها لم تكن تدمّر فتخرب ، الّا وبعد قليل تنبعث من رمسها . فهي حرية بان تلقب بالمدينة « الميتة الحيّة » . يحق لها ان تفتخر بثبات وصلابة اهاليها وتعلقهم بها ، ان كانوا من القدماء او من الحاليين . لان يافا قد زادت ، وتقدمت في هذه الآونة ، اكثر من كل زمان ، وحال من الاحوال . فهي راقية من الوجهة التجارية ، والاقتصادية ، والزراعية ، والادبية ، والعلمية ، والدينية ، والاعمال الخيرية ، زادها الله تقدماً ونجاحاً ، وصانها من آفات العصر الوخيمة.

اركان النهضة الحديثة

الشيخ ناصيف اليازجي (١٨٠٠ـ١٨٧١)

الرجل ـ « العالم » ـ الشاعر

بقلم فؤاد افرام البستاني استاذ الآداب العربية في كلية القديس يوسف

١

هو من اشهر اعلام اللغة العربية في القرن الماضي ، ومن اثبت اركان النهضة الحديثة في المحافظة على القديم ، وتحدّي القدماء . تحدّى امتن منشئي العرب في انشائهم ، وعارض افخم شعرائهم في شعرهم ، واقتفى انبغ « علمائهم » في « علومهم » المختلفة من صرف ، ونحو ، وبيان ، وبديع ، وفقه ، وطب . وكأنّ الطبيعة شاءت مناصرته في هـذا الاقتفاء ، فارادت ان يقتفي مشاهير الادباء في موتهم ايضا ؛ فرمته ، كما رمت قبله الجاحظ ، وابن دريد ، وابن عبد ربه ، بفالج عطّل نصف جسمه على مدة سنتين . فعاش ومات إمـام المحافظين المقتفين من ارباب النهضة ، سواء في شخصيته ، او في «علومه» ، او في شعره :

الرجل

اصل أسرته

« يازجي » كلمة تركية معناها « كاتب » دُعي بها احد جـدود الشيخ ناصيف اذ كان يكتب لبعض عمّال الاتراك ، في اواسط القرن الثامن عشر . والاسرة اصلها من روم حمص ، كثرت فروعهـا في تلك المدينة حتى اواخر القرن السابع عشر ، فهاجر منهـا سعد — وهو جدّ جدّ الشيخ ناصيف — مع جماعة من اهله ، الى لبنان ؛ فسكن بعضهم في ناحية الغرب الاقصى من

الشيخ ناصيف اليازجي

١٨٠٠ — ١٨٧١

ساحل لبنان ، وسار الآخرون الى وادي التيم . وكان كاتب العامل التركي من الفرع المهاجر فلصق لقب « اليازجي » بذريته التي تركت المذهب الارثوذكسي وجاهرت بالكاثوليكي ، في اواخر القرن الثامن عشر

شبابه (١٨٠٠—١٨٢٨)

نشأته

ناصيف بن عبدالله ، بن ناصيف ، بن جنبلاط ، بن سعد اليازجي ، وُلد في كفرشيما من قُرى الساحل اللبناني ، على مقربة من بيروت جنوباً ، في ٢٥ اذار سنة ١٨٠٠ . وكان ابوه عبدالله من اطباء عصره المعروفين على مذهب ابن سينا ، درس اصول الطب القديم على بعض رهبان الشوير واخذ بالاختبار حتى برع فيه . وكان يميل ، مع ذلك ، الى الادب ، وقد يتعاطى النظم اذا ما سنحت الفرصة

فنشأ الولد في محيط مشبع بروح العلم والدرس . ولم يلبث ان تلقى مبادئ القراءة والكتابة من راهب لبناني اسمه القس متى الشبابي ، فوجد من نفسه ميلاً الى المطالعة والتحصيل ، فشرع يقرأ كل ما وقع تحت يده من الكتب ، وهي نادرة في تلك الايام حتى انتهى الميسور منها ، فأقبل على أديار الرهبان يستعير منها ما امكنه . وكان في خلال ذلك يدرس الطبّ على والده ، ويجتهد في تحصيل ما يقف عليه من فنّ الموسيقى وتوقيع الالحان . وقد ساعدته ذاكرته في كل ذلك مساعدة فعّالة ؛ فقلّما كان يحتاج الى قراءة الكتاب غير مرّة واحدة . وكان ، اذا صادف مؤلفاً نفيساً وخاف ضياعه او خروجه من يده ، ينقله بخط جميل واضح على القاعدة الفارسية

في دير الترقفة (١٨١٦—١٨١٨)

ولم يبلغ السادسة عشرة من عمره ، حتى اشتهر ذكره في قريته كفرشيما وما جاورها من قرى الساحل . وكان قد بدأ ينظم بعض « المطالع » من المغنّى ، او الشعر العامي ، وبعض المقطعات الشعرية ، فاخذ اهل وطنه يشيرون اليه بالبنان ، وعُرف « بالعلم » ، والدرس ، وحسن الخطّ ايضاً . فدعاه البطريرك

اغناطيوس الخامس الملكي الكاثوليكي ليكون كاتباً عنده. وكان مقامه اذ ذاك في دير القرقفة في اعالي كفرشيما. فسار ناصيف اليه ولبث عنده مدة سنتين. ثمّ انتقل البطريرك الى الزوق ، فترك كاتبنا وظيفته ورجع الى قريته، يتابع الدرس والمطالعة وقرض الشعر

عند الامير بشير (١٨٢٨ - ١٨٤٠)

وحدث بعد مدّة ان الامير بشير الكبير عاد الى مقرّه منتصراً على اعدائه ومناوئيه ، في الحروب والمناوشات التي تعدّدت قبيل سنة ١٨٢٤ ، فاغتنم الشيخ هذه الفرصة وامتدح الامير المذكور بقصيدة طويلة ابدع فيها ما شاء له خياله الذي كان لا يزال فتياً غير مضبوط ، وثقافته المشبعة بروح المتنبي، فقال في مطلعها :

جنيك ! جنيك ! هذا النصرُ والظفرُ ! فانعمْ اذن انت ! بل فلتنعم البشرُ !

فوقعت القصيدة من الامير موقعاً حسناً ، ولفت نظره هذا الشاب المتعلّم ، فمال الى استخدامه. ولكنه لم يستدعه قبل السنة ١٨٢٨ ، على قول المؤرخين . فاقام الشيخ ناصيف في ديوان الامير ، في بيت الدين ، اثنتي عشرة سنة ، الى ان كانت سنة ١٨٤٠ المشؤومة على امير لبنان ، وكان القرار بنفيه الى مالطة ، فدكّ عرش مجده ، وتفرّق اعوانه ومن جملتهم الشيخ ناصيف

ولكن على الرغم من ملازمة شاعرنا الامير طول هذه المدة ، لا نجد له في اميره الّا المدائح القليلة . ممّا يستغربه الدارس بادئ بدء ، ولكنه لا يلبث ان يفهم السبب ، اذ يعلم ان شاعر الامير الخاص كان المعلم بطرس كرامه ، فلم يرغب الشيخ ناصيف في منافسته اتقاء لاحفاظ المولى . على انه كان لا يتراجع امام رغبة الامير في اقامة تلك الحفلات الادبية ، والمناظرات الشعرية التي اشار اليها لامرتين اثناء وصفه لقصر بيت الدين . وللشاعر الافرنسي الكبير كلام عن احد شعراء الامير لا ينطبق الّا على الشيخ ناصيف ، فيدلّ على ما كان له من المنزلة في ذاك الوقت . قال لامرتين ما تعريبه :

« كان بين كتاب الامير آنذاك شاعر من اشهر شعراء البلاد العربيـة . ولكني لم اعرف ذلك الّا بعد حين . ولمّا عرف هذا الشاعر ، بواسطة بعض ابناء العرب من السوريين ، انني انا ايضاً من شعراء اوربة ، بعث اليّ بابيات تشوبها الزخرفة والتكلّف ، ويشينها التلاعب اللفظي ، وتلك صفات اللغـات والمدنيّات الشائخة . ولكنّ فيها ، على الرغم من ذلك ، مقـدرة في الفن ، وتناسقاً في الافكار ، ارفع بكثير مما نتصوّره عنها في اوربة » (١

في بيروت (١٨٤٠—١٨٧١)

حياة الدرس والتأليف — في الجمعية السورية

وبعد ارتحال الامير بشير من لبنان ، انتقـل الشيخ ناصيف بعائلتـه الى بيروت ، وهي عاصمة العلم ، ومدينة النهضة ، فاتصل بمشاهيرها من الكتّاب والشعراء ، واقبل يباحثهم ويجالسهم ، صارفاً وقته بالدرس والتأليف في جميع « العلوم » التي ألّف فيها العرب . وكان اكثر اجتماعـاته بالمرسلين الاميركيين ومن اليهم من علماء اللبنانيين . فكان من مؤيدي الدكتور عالي سميث في انشاء الجمعية السورية سنة ١٨٤٧ ، فدخل فيهـا وانتخب عضواً في عمدتها الخصوصية (٢

حياة التعليم — المراسلات الأدبية

ولمّا انشأ المعلم بطرس البستاني مدرسته الشهيرة المعروفة بالوطنية سنـة ١٨٦٣ ، انتدب صاحب الترجمة لتدريس الصف الاول العربي فيهـا ، فكان يدرّس ارجوزته المعروفة في النحو . وقد تخرّج عليه اذ ذاك عدد عـديد من نوابغ الكتاب والشعراء.

وفي السنة التالية ، اذ انشأ البطريرك غريغوريوس يوسف المدرسة البطريركية للروم الكاثوليك ، دعا اليها الشيخ ناصيف فكان يدرّس في المدرستين معاً . وبعد ذلك دخل في الكلية الاميركية فدرّس فيهـا مدةً ايضاً . وكان يقف على

1) Lamartine : Voyage en Orient, Paris, 1841. p. 230–231

٢) راجع المشرق (١٢ [١٩٠٩] : ٤٠)

منشورات المطبعة الاميركية ولاسيا الكتاب المقدس الذي كان باشر ترجمته الدكتور سميث والمعلم بطرس البستاني سنة ١٨٤٧ . وفي تلك الاثناء ألّف اكثر كتبه فاشتهر بها وبالتدريس ، حتى سار ذكره من قطر الى قُطر ، وراسله كبار الادباء والشعراء في الشرق والغرب ، فكانت تأتيه قصائد المدح والتقريظ من بغداد ، والموصل ، ومصر ، والمغرب ، وانحاء لبنان وسورية . واشهر مراسليه : عبد الباقي العمري ، وعبد الحميد الموصلي ، وحبيب البغدادي ، وشهاب الدين العلوي ، من بغداد ؛ عبد الهادي نجا الابياري ، وعبد الرحمن الصوفي ، ومحمد عاقل كاشف زاده ، من القطر المصري ؛ احمد فارس الشدياق ، ومارون النقاش ، واسعد طراد ، وخليل الخوري من اللبنانيين النازحين ؛ ابراهيم الاحدب ، ومحمد المؤقت من طرابلس ، وكثير غيرهم . وقد راسل بعض المستشرقين ايضاً ذكر منهم البارون سلفستر دي ساسي المستشرق الافرنسي الكبير

وكان منزله ، الكائن في زقاق البلاط جنب مدرسة المعلم بطرس البستاني ، محطاً لرحال طلّاب المعارف يتوافد عليه العلماء من انحاء مختلفة من لبنان ، ويزوره كبار الرجال اثناء مرورهم في بيروت، فيحيّون شيخه العالم الجليل

مرضه الاخير (١٨٦٩-١٨٧١)

ولم يزل الشيخ ناصيف محور تلك الحركة الفكرية حتى ليلة الثلاثاء في ١٦ آذار سنة ١٨٦٩ ، فشعر بدوار وثقل شديد في الراس مع ضعف في البصر والذاكرة ، وتنبّه مؤلم في الحواسّ ، فعقبته سكتة نزيفية انتهت بعد ٣٦ ساعة بفالج نصفي عطّل الشطر الايسر من الجسم . فجزع طلّابه ومريدوه ، وخافوا على تلك الجذوة ان تخمد . على ان الامل لم يلبث ان عاد قليلاً اذ افاق الشيخ بعد ايام ، وفي عينيه اماثر سلامة العقل ، ولكنه لم يكن قادراً على الكلام . وكان ممّن حضره في تلك الحالة الاديب سليم دياب ، فاراد اختبار حالته العقلية فسأله عن اعراب « يَذْهَبْنَ » من القول : «النساء يَذْهَبْنَ» ، فاشار الشيخ بالدواة والقرطاس وكتب :

« يذهب مبني على السكون ، وهو في موضع الرفع بالتجرد . والنون في موضع الرفع بالفاعلية . وهما في موضع الرفع بالخبرية عن النساء . ففيها بناء من ثلثة اماكن ، واعراب من ثلثة اماكن . »

فتحقق صحة عقله ، وعجب من ثبات جنانه وذاكرته (١

ولم يمض القليل على ذلك حتى انحلت عقدة لسانه وامكنه الافصاح عن مراده ، فاقبل يملي بعض الابيات التي كان ينظمها وهو في تلك الحالة . وظل على ذلك نحو السنتين ، حتى فاجأهُ المصابُ الأليم بوفاة ولده الشيخ حبيب في ٣١ كانون الاول ١٨٧٠ ، وهو في ريعان الشباب . وكان ابوه يعلق عليه الآمال الكبيرة لطيب اخلاقه ، وسرعة فهمه ، وما حوى في صدره من المعارف الكثيرة . فضاع ذاك الامل . فحزن الشيخ حتى لم يمكنه الصبر بعد ، بل كان دائم الحزن ، دائم البكاء ، شهرًا كاملًا ، الى ان وافى شباط ١٨٧١ فحدث له سكتة دماغية قوي على احتمال تأثيرها مدة اربعة ايام ، افاق بعدها منتعشاً قليلًا . ولكنها راجعته مساء الثامن من شباط المذكور ، فأطفأت ذاك المصباح المنير

دفنه — قبره

كان وقع المصاب شديداً في بيروت ولبنان ، فهرع القوم على اختلاف الطبقات والطوائف ، لوداعه . وساروا في جنازته بمشهد حافل تتقدمه تلامذة المدارس بالنشاد مناحة شجية ، من الكنيسة الى مقبرة الروم الكاثوليك في الزيتونة ، حيث دُفن في ضريح خاص معروف الى اليوم ، وعليه هذه الابيات :

هذا مقامُ اليازجيّ ! فقف به ... وقل : السلام عليك ، يا علمَ الهُدى
حرمٌ تحجّ اليه ارباب المجى ... ابدًا ، وتدعو بالمراحم سرمدًا
هو مغربُ الشمس التي كم اطلعت ... في شرق آفاق البلاغة ، فرقدا
فخرُ النصارى ، صاحبُ الغرر التي ... ضربت على ذكر البديع واحمدا .
هذا عماد العلم مال به القضا ... فأمال ركنًا للعلوم مشيّدا
احمى تجاهَ البحر ، جانبَ تربةٍ ... هي مجمع البحرين أشرف مجتدى .

١) راجع الجنان (٢ [١٨٧١] : ١٦١)

فعليك ، يا ناصيف ، خيرُ تحيّةٍ طابت بذكرك ، حيثُ فاح مردّدا :
لو انصفتك النائباتُ ، لغيّرت عاداتها ، ووقتك حادثةَ الردى .
تتنزّل الاملاكُ حولك بالرضى ويجود فوقك ، باكرًا ، قطرُ الندى
وجميل حظّك في الاعالي رحمةٌ أرّخ ، وذكرٌ في الصحائف خُلّدا !

١٨٧١

صفاته واخلاقه

كان الشيخ ناصيف معتدل القامة فوق الربعة قليلًا ، اسمر اللون ، اسود الشعر ، مهيب المنظر . وكان محافظاً اشدّ المحافظة على لهجة قومه ، مقلّداً لاجداده في جميع عاداتهم من الأكل ، والشرب ، واللبس ، وسائر المظاهر الخارجية . فكان يبدو امام تلاميذه لابساً عمامة كبيرة سوداء ، وجبةً طويلةً سابغة على القفطان القديم ، وصرمايةً حمراء . ذلك على قلة من كانوا يظهرون بهذا الزيّ القديم في عصره . ولكنه كان متشبثاً بعاداته هذه لا يتركها ، وقد قال مرة امام تلميذه وابن وطنه الدكتور شبلي الشميل ، على سبيل المزاح : « لو فُقد الشاش لاعتممتُ بالمأوعة » والقطّوعة ، في لغة عامة لبنان ، قطعة من الحصير العتيق (١ . الا انه لم يطلق لحيته قط بل كان يحلقها حتى آخر حياته

امّا عادته في الكتابة فكانت على الطريقة القديمة ، اي بان يجلس على الارض متربّعا ، فيمسك القرطاس في يده مسندا اياها الى ركبته ، ويتناول قلم الغزّار من مسحب دواته النحاسيّة التي لم تكن تفارق وسطه . وكان له جلَد غريب على تلك الجلسة وإطالتها لتحسين الخطّ ونقل الشيء الكثير ، حتى قيل ان ما نقله من الكتب يبلغ محمول جملين . ومن عاداته ان يكتب ما اعجبه بخطّ يده الجميل انصرافاً منه عن الاملاء ، لانه كان اجشّ الصوت غير فصيح اللسان ، اذا تكلم تأنّى بحديثه واشاراته كي يفهم سامعه . وعلى الرغم من عدم مطابقة صوته للنغمات ، كان مولعاً بالموسيقى — وقد درس هذا الفن في بدء حياته كما قدمنا — مُغرماً بالغناء الحسن . ذكر الدكتور شاكر الخوري انه

١) رواه الفيكونت دي طرّازي : تاريخ الصحافة العربية ، الجزء الاول ، ص : ٨٨

كان في صفّه ، في المدرسة الوطنية ، احد التلامذة من اصحاب الصوت الجميل . فكان الشيخ ناصيف يلقّنه امامه التواشيح ليتعلمها وينشدها على الاصول(١

وكان مولعاً بالتدخين بالقليون تارةً وبالسيكارة اخرى . سواء كان ذلك في البيت ، او في السوق ، او في المدرسة . ولما كان يعلّم الصف الاول في المدرسة الوطنية ، كان يعهد الى احد تلامذته ، الدكتور شاكر الخوري ، في اشعال السيكارة او القليون ، فيذهب الى خارج الدرس ويشعله ، ويعود بعد ان يدخّن فيه قليلاً .(١ وكان يعهد ايضاً الى غيره من كبار التلاميذ في امر لفّ السيكارة ، فيغافله بعضهم ويسرق قليلاً من التبغ يدخّنونه خفيةً عن المعلمين . فشعر الشيخ مرّةً بتلاعبهم فنزع ثقته منهم ، ووضعها في الشيخ عبدالله البستاني ، لانه كان اصغر تلامذة الصفّ ، ولم يكن له رغبة في التدخين اذ ذاك . اما ولعه بشرب القهوة فلم يكن ليقلّ عن ولعه بالتدخين ، وهما امران يثقلان .

امّا ما سوى ذلك من اساليب التسلية والترويح فكان الشيخ ينفر منها . فيتجنّب جميع المجتمعات التي تُعقد في سبيل اللهو والمزح . ولا يتوقف في طريق ، ولا يمازح في سبيل ، بل كان ، بعد انتهاء الدرس ، يعود الى منزله الكائن قرب المدرسة ، فيقصد جنينته الصغيرة ويبدأ بالشغل فيها حتى يتصبّب العرق من جبينه . فيستريح قليلاً على حجر ، ملقياً معوله الى جانبه ، ظاهراً بكل مظاهر الفلّاح اللبناني النشيط .

هذا الشيخ ناصيف في بساطته الخارجية . ولم تكن صفاته الداخلية اقلّ بساطةً وصفاء نيةً ، فقد كان ثابت المحبة ، مخلص الصداقة ، رقيق القلب ، حسن التديّن ، مبالغاً في اجتناب السحت ، كما ذكر عنه ابنه الشيخ ابراهيم ، لا يُعطي مالاً ولا يأخذ مالاً بالربى ، ولا يكتب صكّاً فيه ربى (٢ . يجمع الى ذلك رزانة المحضر ، وجد الحديث ، وعفة اللسان ، حتى انه لم يستعمل الهجاء في شعره ، على كثرة التجارب التي تعرض للشعراء في هذا الباب ولم

١) الدكتور شاكر الخوري : مجمع المدرات ص : ١١٧
٢) راجع مقدّمة النبذة الاولى من الديوان ، ص : ت

يذكر المؤرخون عنه من هذا النوع الا بيتين ارتجلهما في بخيل ، على سبيل المداعبة ، وهما :

قد قال قومٌ : ان خبزك حامضٌ والبعض أثبت بالحلاوة حكمه
كذب الجميع بزعمهم في طعمه من ذاقه يوماً ليعرف طعمه؟

وكذلك لم يهجه احد من الشعراء احتراماً ، وتهيباً . وقد قال له احدهم يوماً ، على سبيل المزاح ، ان الشيخ ابراهيم الاحدب ، والشيخ يوسف الاسير يستعدّان لهجائه بقصيدة طويلة ، فتبسّم الشيخ ناصيف ، وقال :

ان ممدوحَ اربعين أميرًا لا يبالي بأحدب وأسير

قال ذلك مورّياً بلفظتي « احدب » و « أسير » . لان « الاحدب » في لغة « المنجّدين » من عامة اليهود ، تُطلق على قوس النـدّاف ، و « الاسير » على الضرّاب .

هذا وقد قرن الى تلك الصفات الحسنة صدق الرواية في الحديث ، ساعدته في ذلك ذاكرته الغريبة . فانه كان كثيرًا ما ينظم القصيدة فلا يكتبها حتى تبلغ البضعة عشر بيتاً . وقد ألّف المقامة اليامية ، وهي الحادية والخمسون من مجمع البحرين ، على ظهر الفرس اذ كان مسافرًا من بيروت الى بحمدون سنة ١٨٥٣ ، فلما وصل اخذ ورقة فكتبها . وكان يحفظ القرآن بتمامه ، وكثيرًا من الشعر القديم والحديث ولاسيما شعر المتنبي ، فضلًا عن النكات والنوادر والاخبار المتعددة في ادب العرب ، مما كان يجعل لحديثه لذة خاصة على الرغم من تلجلج لسانه . فكان اذا روى القصة سرد تواريخها ، واسماء اصحابها ، واسماء بلدانهم ، وكل ما يتعلق بهم فيشعر بها السامع كما لو حضرها .

وعلى الجملة فقد كان الشيخ ناصيف ، في القرن التاسع عشر ، مثالًا سامياً للثقافة العربية التقليدية الخالصة

هذا هو الرجل المحافظ في مظاهره ومآتيه واخلاقه وصفاته ، وسندرس ، في العدد القادم ، «العالم» المحافظ ، والشاعر المحافظ .

تطاحن الدول

في القرن الرابع عشر قبل المسيح

بقلم الأمير موريس شهاب امين دار الآثار اللبنانية

الدول المتنازعة

كان القرن الرابع عشر قبل المسيح عند الاقدمين كالقرن العشرين في ايامنا هذه : كثرت فيه العلاقات السياسية ، وسُنّت لها الشرائع المحكمة تجنباً للخلاف بين الدول الكبرى . وذلك لان الاسيويين ، بعد ان اغاروا على مصر بجماهيرهم ، وملكوها بضعة قرون ، طُردوا منها ؛ وقام المصريون يفتحون البلاد الاسيوية دفعاً للغارات ، وحفظاً لحدودهم ، كما احتلّ الفرنسويون اليوم بلاد الروهر ، وقاية لبلادهم من كرّ الغارة عليها

وكان المصريين النفع الجزيل من احتلال البلاد السورية ، نظراً لما في الجبال اللبنانية من طيب الخشب وهو نادر في مصر ، واساطيل البلاد الكنعانية اي الفنيقية ، تخدمهم جلّ الخدمة ، وإن لم يكن للكنعانيين ملك البحار قبل القرن العاشر

وقد ساعدت الظروف فراعنة مصر ، فقادتهم الاقدار من نصر الى آخر ، حتى اصبح الفتح غريزة فيهم يتوارثون حبه ، وقد ادّعوا ان البلاد المفتوحة انما هي من مستعمرات اجدادهم ، ومن الواجب عليهم ان يعيدوها لأمّتهم . واتفقت مصالحهم الاقتصادية والسياسية مع هذه المبادئ الارثية ، فزادتها قوة . وكان الفرعون عند عودته من الفتح ينعم على الاله آمون ، اله عاصمته الجنوبية ، باعظم الهدايا حتى اصبحت اوقاف هيكل الاله وثروته توازي ملك الفراعنة انفسهم . وما زالت الفتوح تتلو الفتوح ، حتى اصطدم المصريون بدولة عظيمة الشأن ملكت معظم آسية الصغرى ، واكثر البلاد السورية الشمالية ، الا وهي مملكة الحثيين

اما الحثيون فهم شعب عظيم نجهل عنه كثيراً ، لاننا حتى الآن لم نتوفق

الى حلّ لغز كتابته ، وهي على الغالب رَسمٌ من نوع الكتابة الهيروغليفية في مصر . وفي المتحف اللبناني غرفة بكاملها فُرشت جدرانها بالكتابة الحثية التصويرية المنقولة عن صخور جبال كيليكية . وامّا ما نعلمه عن هذه الدولة العظيمة فقد ابدتهُ لنا الحفريات في جرابلس ، وفي عاصمة البلاد الحثية بوغازكي، المدعوة قديماً « حتوسيل » ، على مقربة من نهر كيزيل ارمك في منتصف آسية الصغرى . وكتابة الحثيين على شكلين : تصويرية ، وقد اتيت على ذكرها ؛ ومسمارية ، وقد أُخذت عن البلاد الكلدانية الممتدة ما بين النهرين. وبواسطة هذه الكتابة المسمارية ، المعروفة معرفة توشك ان تكون تامة ، تمكنّا من الاطلاع على سياسة الحثيين وتجارتهم

ولم يكن في ذلك العصر ، في جميع الشرق الادنى ، مملكة تضاهي بنفوذها الاقتصادي ممالك المصريين والحثيين سوى الدول المتعددة في جزر بحر ايجي ، والقسم الكبير من الشاطئ كطروادة مثلاً ، مع معظم جزيرة قبرص

وقد اشتهر اهل الجزر بذوقهم السليم في الفنون الجميلة ، فكان منهم البناؤون الماهرون ، ولهم من ماضيهم تاريخ مجيد عرفناه حتى نحو الثلاثة آلاف سنة قبل المسيح. وكانوا على حذق عظيم في فن البحارة ، وهم بحّارة طبعاً ، وقد جابوا بسفنهم البحر المتوسط والقوا نفوذهم على جميع اطرافه ، حتى قلّد صناعتهم اهل فنيقية وفلسطين وسورية ، اي الكنعانيون والاراميون ، لان اسماء فنيقية وفلسطين وسورية لم تُطلق على هذه البلاد الّا منذ القرن السابع قبل المسيح . وفي المتحف الوطني من صنع اهل الجزر ، او ممّا نُقل عن صناعتهم ، خزف وتحف جميلة الهيئة والرسم . وكثيراً ما استُعملت هذه الخزف الفخارية لنقل الطيوب، وزيوت الجزر ، وخمورها المشهورة . ويرى المطالع ، في الرسم ١ ، بعض الآنية من عمل الجزر يقدّمها سكان جزيرة كريت الى فرعون مصر.

وقد طمر النسيان منذ القدم هذه المدنية الرائعة ، حتى ان هوميروس الشاعر في القرن الثامن قبل المسيح ، حين ابدع إلياذته ، جهل كيان هذه المدنية نوعاً ما ، ونسب خطاء بدعها الى غيرها من المدنيات. وبقيت مدنية اهل الجزر مجهولة كل الجهل حتى عصرنا هذا ، اذ قام سنة ١٩٠٢ بعض الاثريين

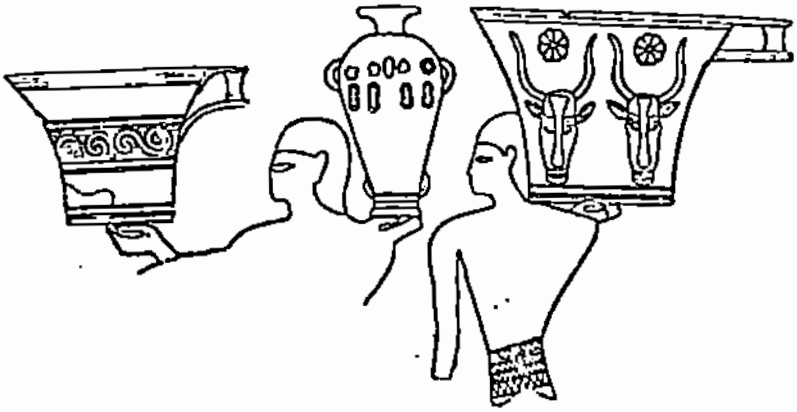

الرسم ١ : هدايا سكان جزيرة كريت الى فرعون مصر

عن موري وداڤي (Morot et Davy)

الاميركان وباشروا الحفريات فوجدوا آثار هذه المدنية العظيمة وبقايا فنها الجميل.

هذه هي الدول التي سطت او فاز نفوذها على الشرق الادنى في القرن الرابع عشر ، وقد احتكت منافعها الاقتصادية احتكاكاً كاد يوقد شرر حروب هائلة . فكان الفضل لحكمة ملك مصر امينوفيس الثالث ، اذ توصل بدرايته لتوطيد العلاقات الحبية والسياسية بين الممالك المختلفة . فساد الوئام وعاشت البلاد السورية بسلم وهناء . ولكن لسوء الحظ لم يكن ذاك السلم سوى رماد على نار تهب لدى اول نفخة

***

السياسة المصرية

اختلفت الدول في طرق الاستعمار منذ القدم ، وقد ابدى المصريون من الحنكة ما يثبت تضلعهم من السياسة الخارجية والداخلية ، فهم قبل ان يحتكوا بالعدو الخارجي ، سعوا كل السعي لتوطيد سلطتهم في البلاد المحتلة

وقد اظهر الفرعون في حكم هذه البلاد حلماً شديداً ودراية اشد ، اذ ترك فيها الملوك الوطنيين الذين امن شرهم ، واكتفى بفرض الضرائب العادلة ، وطلب تسديدها بانتظام . وكي يتأكد ولاء الملوك الوطنيين ، اسر اولادهم او

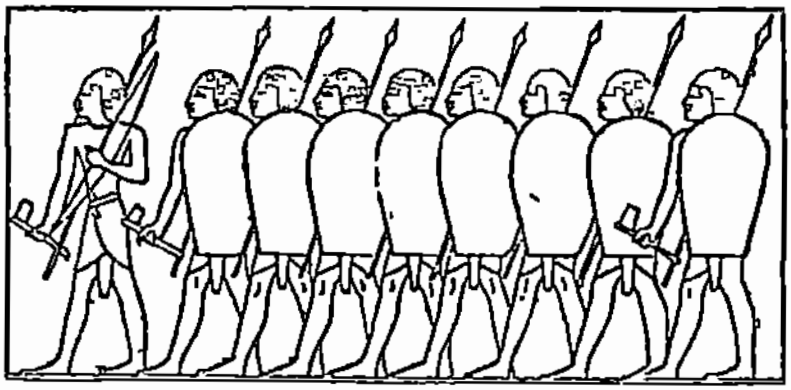

الرسم ٢ : صورة جيش المُشاة المصري على عهد الدولة الثامنة عشرة
عن موري ودالي (Morot et Davy)

انسباءهم بحجة تثقيفهم في بلاطه الملكي في مصر ، واحتفظ في حاشيته بمن نازع هولاء الملوك عرشهم ، ليخيفهم من مزاحمة خصمهم . وقد جعل الفرعون في البلاد ، لحفظ السيطرة المصرية ولجباية الضرائب المفروضة ، مفوضين سامين لهم القطع والحلّ في الامور بعد مشورة الفرعون في بعضها . وجعل ايضاً في بعض النقط الهامة اقساما من الجيش للدفاع عن البلاد المُحتلة ضد العدو الخارجي والداخلي . واحتراماً لشعور الشعوب الخاضعة ، اقرّ الفرعون بالوهية آلهة البلاد المحتلة ، ولم يكتفِ بان سمح لاهل البلاد ان يبقوا على عقائدهم الدينية بل نصب بنفسه ، او بواسطة اقاربه او كبار موظفيه ، معابد جديدة لالهة البلاد ، ورمّم ما خرب منها . فكانت السيادة المصرية على هذه الحال سيادة ممدّن لا مستعمر . وقلما سلك الاقدمون هذه الطريقة قبل اليونان . هذا ما كان من امر الفرعون في سياسته مع البلاد المحتلة ، امّا في سياسته الخارجية ، فقد كانت مهارته اوفر

الرسم ٣ : صورة « خازن » كنعاني ، ومعنى «الخازن» الوالي او الحاكم
عن موري ودالي (Morot et Davy)

فحين اعتلى العرشَ الفرعونُ امينوفيس الثالث، في اواخر القرن الخامس عشر، كانت بلاد الكلدان قد اصيبت بضربة اوشكت ان تقضي عليها، ولم يبقَ لها من دور الّا في الحياة الاقتصادية. فعقد معها الفرعون عهوداً حدّدت شروط التبادل الاقتصادي بين البلدين. وعلى كل فان الفرعون حرّض ملك اشور على بلاد الكلدان سرّاً، فامن شرّها. ولم يبق في وجه الفرعون من عدوّ يخشاه سوى الحثيين، لاسيما وقد فترت العلاقات معهم نظراً لما جرى من الاحتكاك السياسي. وملك الحثيين ملك عظيم مهيب، وليس له من عدوّ يقف في وجهه سوى ملك الميتاني. وبلاد الميتاني تمتد بين البلاد الكلدانية والاشورية شرقاً، والبلاد الارمنية شمالاً، والحثية غرباً، وسورية الشمالية جنوباً. فجعل الفرعون يسعى لمحالفة ملك الميتاني وصاهره، ووطد دعائم عرشه فكان له هذا صديقاً صدوقاً وخير حليف، لاسيما اذ عرف ان عون الفرعون له هو اكبر قوة ضد الاعداء المحيطة به. وحين مات الملك امينوفيس الثالث حزن عليه جداً ملك الميتاني، دوشراتا، فكتب الى ابنه وخلفه امينوفيس الرابع: «حين وصلني خبر وفاة ابيك مرضت من حزني. ولكني عرفت ان ابنه خلفه فقلت: كلّا امينوفيس لم يمت». وما اشبه هذه العبارة بالهتاف الذي طالما ردده البلاط الملكي الفرنسوي عند موت عاهله: «مات الملك فليحيى الملك!»

* * *

هفوات فظة (المشرفة)

مات الملك امينوفيس الثالث وقد قضي على السلام بموته. فخلفهُ ابنه امينوفيس الرابع، وهو حمو توت عنخ آمون، وقد ولي الحكم من سنة ١٣٨٠—١٣٦٢ قبل المسيح. وكان لحكمه دور مهم في التاريخ. فان كثرة الفتوح والهدايا الواردة على معبد الاله آمون جعلت سيطرة رئيس كهنة المعبد توازي سيطرة الفرعون، لا بل تفوقها. ولذا خشي الفرعون ان ينقلب عليه شرّ هذه السطوة. فاراد التخلص منه، وذلك بنشر الدعاية لاله كان من اعظم آلهة مصر القديمة، وقد رآه المصريون في جميع فتوحهم معبوداً في البلدان تحت اسماء واشكال جمة لا تخفى دونها حقيقة طبيعته الالهية. وهذا الاله هو كوكب

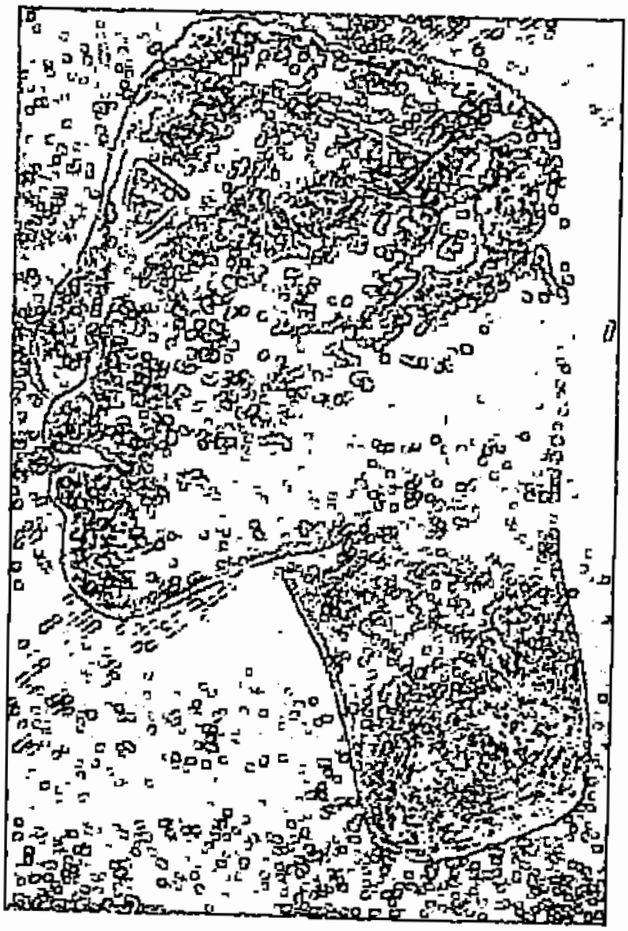

الرسم ٤ : قناع الفرعون امينوفيس الرابع

عن ماسبيرو (Maspero)

الشمس الساطع. فاعلن امينوفيس وحدة الاله الشمسي لا شريك له ، وخلافاً لما اعتاده القدماء ، اراده إلهاً لمصر وللبلاد الغربية ايضاً. وجعل يبشر اتباعه بديانة سامية ، فيقول المؤمن للاله : « ارحمني يا رب لاني سقيت العطشان ، واطعمت الجائع ، وكسوت العريان ، ودافعت عن الارملة والايتام . . . » الى ما شاكل ذلك . وقام اتباع الفرعون يحطمون بامره تماثيل الالهة ، خاصة الاله آمون ، ويضطهدون كهنتهم . وقد عثر الاثريون على عاصمة الملك محفوظة كل الحفظ

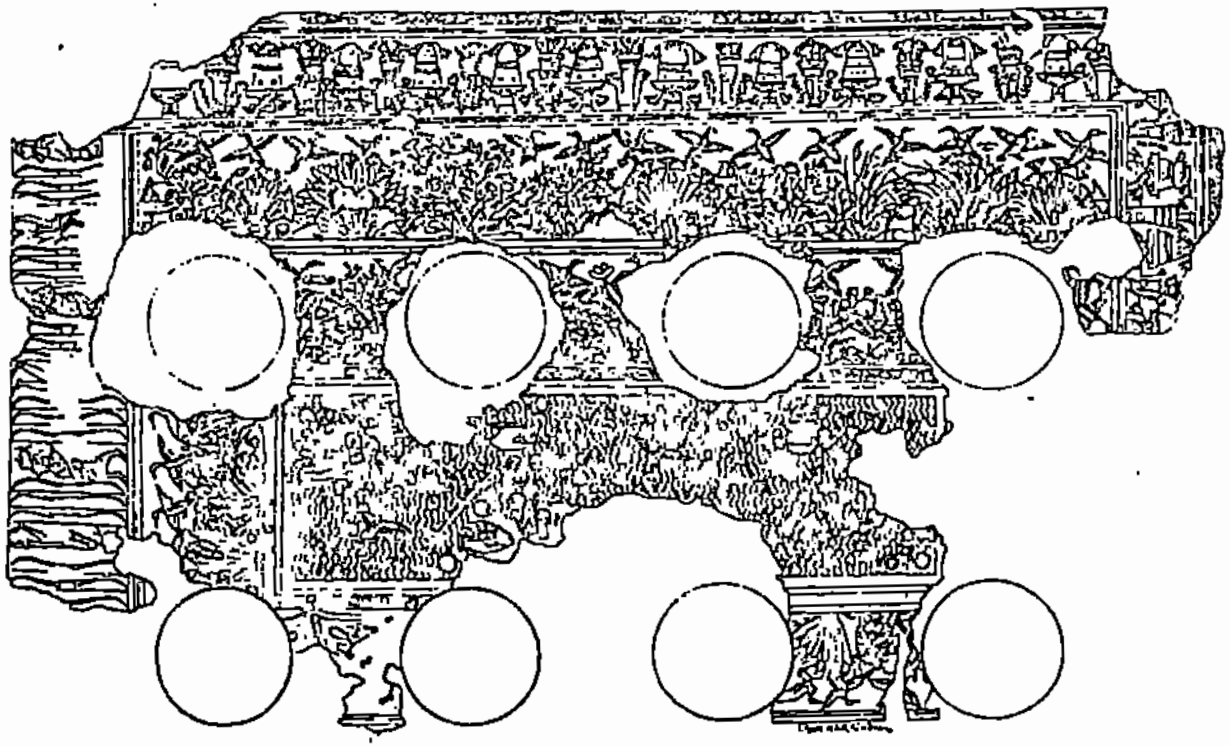

الرسم ٦ : صورة النقوش في ارض احدى الردهات من قصر امينوفيس الرابع

عن ماسبيرو (Maspero)

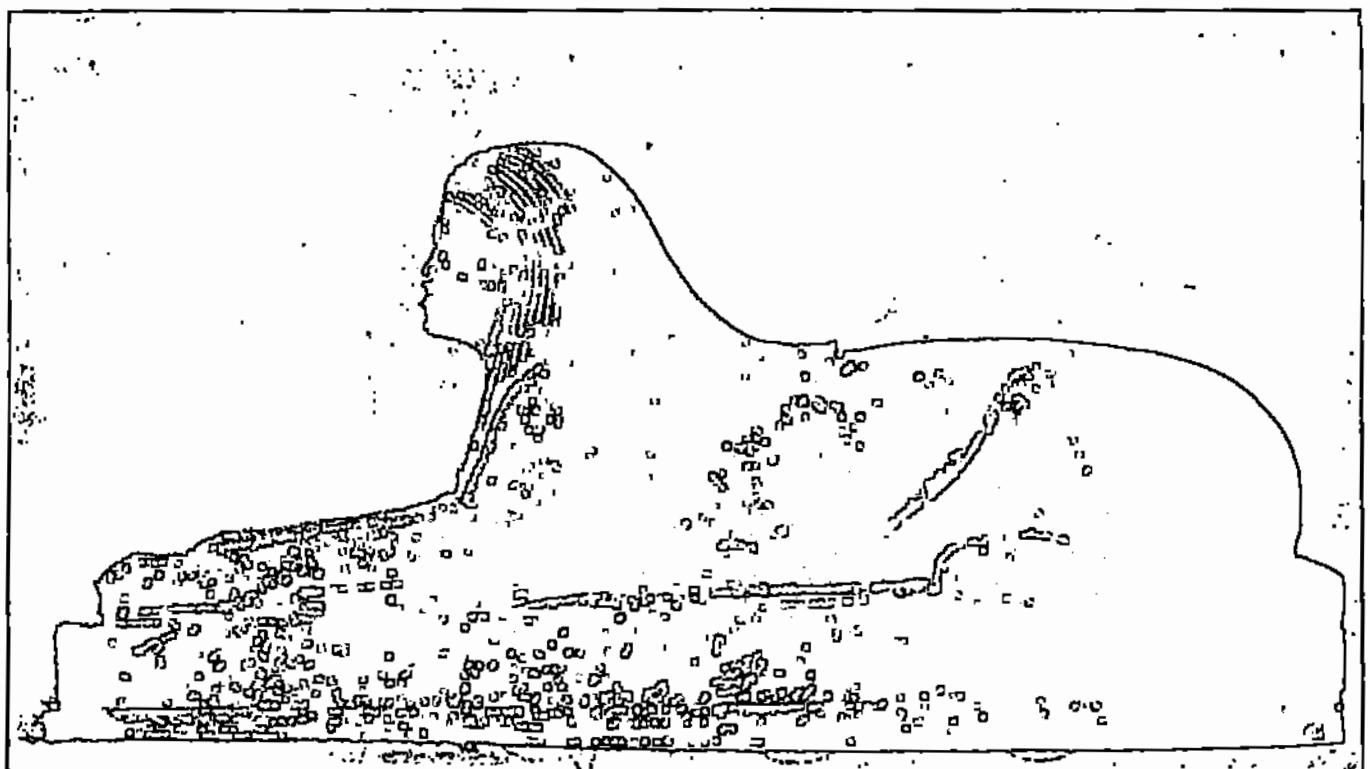

الرسم ٩ : تمثال ابي الهول المكتشف في قطنة . وهو هدية من الأميرة إينا الى معبد الإلهة لين في قطنة .
والاميرة المذكورة من الدولة الثانية عشرة ، في القرن الرابع عشر ق . م .

الرسم ٥
الفرعون امينوفيس الرابع يبشر اتباعه في تل العمارنة بديانة الشمس. والى جنبه امرأته
عن موري (Morot)

في انقاض تل العمارنة ، لان توت عنخآمون بعد موت حميه وارتقائه العرش عاد الى سياسة اجداده وهجر بلد الزندقة. واكثر هذه الآثار الواح من الطين المطبوخ حفرت عليها كتابة مسمارية ، لان هذه الكتابة كانت الرسمية في اكبر دول العصر . وبين هذه الرسائل ستة كتب أتت فرعون مصر من بلد تدعى قطنة ، وفحواها ان ملك المدينة يطلب من الفرعون النجدة ضد عدو عظيم تألبت حوله جميع ملوك الجوار ؛ وملك قطنة يشكو من تضييقهم عليه لانه بقي اميناً لفرعون مصر . ثم ان ملك قطنة جعل يشدد الطلب، زاعماً ان العدو اصبح على ابواب مدينته ، وان لم تدركه نجدة الفرعون فهو هالك لا محالة ثم انقطعت اخبار ملك قطنة عن اهل مصر ولم يعرف عنه شيء فيما بعد . اما الحفريات في بلاد الحثيين ، نبهت العلماء الى نص حثي مسماري يعدد كنوز معبد قطنة ، ويقول ان ملك الحثيين بعد ان استولى على هذه الكنوز ونقلها الى عاصمته ، احرق المدينة باسرها واعتقل سكانها

حار العلماء في امر هذه المدينة المهمة ، وقد عرف عنها ما عرف. وقلما اتتنا الاخبار عن بلد كما اتتنا عن هذا، يتصل بعضها ببعض غير متنافية سواء صدرت من صديق او من عدو. لكن لم تجدِ الحفريات نفعاً وبقيت قطنة تعد بين المدن المجهولة حتى كتب الاب روتزفال اليسوعي مقالاً عن تمثال صغير وجد في المشرفة ، قبل الحرب واثبت كون هذا الشخص ينتمي الى نحو القرن العاشر قبل المسيح. فتولى الكونت دي مينيل دي بويسون حفريات المشرفة وهي قرية تبعد عن حمص ١٥ كيلومتراً . فوجد مدينة احاط بها سور مربع في منتصف كل من

جهاته الاربع باب مؤلف من ثلاث باحات تبعاً للعادة الحثية . وقد انتشرت المدينة بمعابدها على مرتفع من الارض حماه السور من جهة ، وشفير اصطناعي من الجهة الاخرى فكان علوه نحو الستة امتار . وقد نبه تحصين هذه المدينة الافكار فتواصلت الحفريات واذا بمعبد قد دمرته النيران ، وُجدت فيه الواح من الطين المطبوخ تعدد موجودات هيكل الالهة نين . وقد ارتقى عهد انشاء هذا المعبد الى ثالث

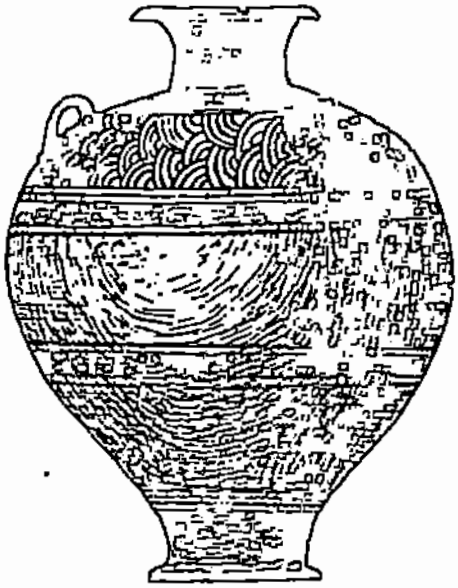

الرسم ٧
إناء خزفي وُجد في قطنة (المشرفة ، قرب حمص)

اسرة ملكت اور في بلاد الكلدان ، وهي المدينة التي هجرها ابراهيم الخليل نحو القرن العشرين قبل المسيح . وقد ابدت حفريات اور ، هذه السنة ، تحت ادارة العالم الانكليزي هولي ، كنوزاً هي للعراق ككنوز توت عنخ آمون لمصر . وبعد ان كان الكلدان النفوذ الاكبر في قطنة جعل النفوذ المصري في القرن الثامن عشر قبل المسيح يمتد اليها . والدليل على ذلك تمثال لابي الهول اهدته احدى

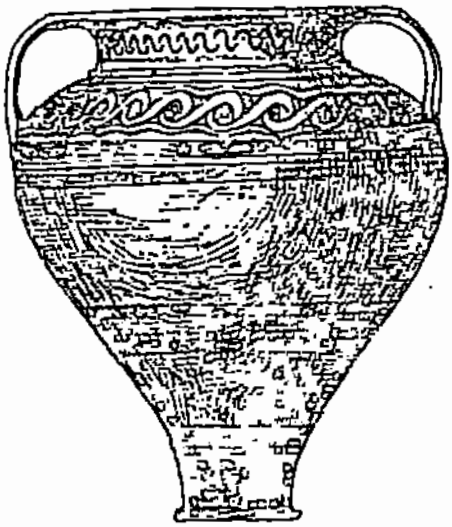

الرسم ٨ : إناء خزفي آخر وُجد في قطنة ، وطريقة الزينة فيه كثيرة الاستعمال في احدث النقوش المصرية
والرسمان ٧ و ٨ عن الكونت دي مينيل دي بويسون
(du Mesnil du Buisson)

اميرات الاسرة الثانية عشرة المصرية المدعوة إيتا لالهة قطنة الجليلة (انظر الرسم ٩) . ومنا زال النفوذ المصري يضعف ويقوى في قطنة حتى أحاط بها الحثيون ودمروها . وقد امتدت تجارة اهل الجزر الى المدينة قبل خرابها . والدليل على ذلك بعض الاواني الفخارية الجميلة الصنع والرسم التي وجدت في اطلال البلد . ويرى المطالع اناءين منها في الرسمين ٧ و٨ وهما من صنع جزر بحر ايجي من القرن الرابع عشر . واما الفضل في معرفة اسم البلد فيرجع الى المسيو شارل ڤيرولو ، فهو اختصاصي بالكتابة المسمارية وهو اول من اعلن قراءة اسمها

هذه بلدة لعبت بها ايدي المحرقين فبقيت منذ القرن الرابع عشر ق.م. منعقاً للغربان يسود عليها الخراب ، وتنهبها ايدي التجار ؛ حتى جاءت طرق القرن العشرين العلمية فبعثتها من النسيان بعد ثلاثة آلاف واربعمائة سنة من الهجر والخراب

حول موتمر المستشرقين السابع عشر

في اكسفرد

للاب اريك بروس اليسوعي سكرتير المؤتمر للصحافة

ان الاب بروس اليسوعي قضى عامين في كلية القديس يوسف ايام ازدهار المعهد الشرقي فيها ، وانكب على العلوم الشرقية ثم تخصص بالدروس الاشورية وعاد الى انكلترة بلاده . وهو اليوم من عمدة الرجال المعهود اليهم بالتنقيب عن آثار اور الكلدانيين لمصلحة المتحف البريطاني ومتحف كلية بنسلفانية . لا تخف وطأة الحر الا نراه عائداً بيننا بعد قضاء ايام العطلة ، حاطاً رحاله في بيروت ، وهو على طريق العودة الى العراق . ولما انعقد مؤتمر المستشرقين أخيراً في أكسفرد ، عين فيه الاب بروس مندوباً خاصاً لموالي الصحافة بالافادة عن اهم اعمال المؤتمر . فأخذت عنه التيمس ، والديلي تلغراف ، والمورنينبوست ، والاسيانيك ريفيو ، والنيراليست وغيرها من امهات الصحف والمجلات ما نشرته على قرائها ، وقت انعقاد المؤتمر . وقد تفضل حضرته ولخص بعض اخباره لقراء « الشرق » ف . ت .

اول موتمر عقده المستشرقون كان في باريس عام ١٨٧٣ ، ثم تلاه خمسة عشر موتمراً كان اخيرها في اثينة عام ١٩١٢ . والموتمر الحالي هو الاول منذ نهاية الحرب . وقد عاد الفضل الاعظم في انعقاده ونجاحه لكلية اكسفرد

كلية اكسفرد مجموعة معاهد علمية يبلغ عددها الاحد والعشرين ، كل معهد منها قائم بنفسه ومستقل عن غيره ، مادياً وادبياً ومعنوياً ؛ وله اساتذته

وتلامذته واغراضه الخاصة . ومجمل المعاهد يدعى كليةً بواسطة الرابطة المركزية الكبرى التي تعين موادَّ الامتحانات ، وتعطي الشهادات ، وتهتمّ بمصالح الدارسين وحمايتهم

من يوم الاثنين ٢٧ آب الى يوم السبت ١ ايلول ، فتحت كلية اكسفرد معاهدها لقبول المستشرقين الملبّين دعوة لجنة المؤتمر . فجاؤوا زهاء ٦٠٠ ، وحلُّوا في دور التدريس الواسعة وهي خالية من تلامذتها ايام العطلة . وبينهم رجال من الشرق العربي ، ومن المغرب ، ومن الهند ، بعضهم يُعرف من عمامته وجبته ، وبعضهم متزيٍّ بزيّ الافرنج . وكان بينهم ممثلون لما ينيف على ثلاثين دولة او حكومة . وكان قداسة الحبر الاعظم قد ارسل من قبلهِ وفداً خاصاً ، رأس عليه سيادة المنسنيور « مولّى » ، وقد رفعه بمناسبة انتدابه الى المؤتمر الى درجة « المقرّب الخاص لشخص الحبر الاعظم » (Prélat domestique) . والمنسنيور مولّى اصله من كريت ، نشأ في الدين الاسلامي ثم تنصّر وسيم كاهناً ، وعُهد اليه امر التعليم في المعهد الشرقي البابوي . واستصحب سيادته الأب شميت مدير المتحف الرسالي والاثنوجي في اللاتران ، ومؤسس مجلة « انتروبوس » الشهيرة والاستاذ في كلية فينا ؛ والاب فكاري اليسوعي الاستاذ في المعهد الكتبي البابوي الروماني ، والاب دايل اليسوعي استاذ الاشورية في المعهد نفسه

وكان ممن لفتوا الانظار من المؤتمرين الكاثوليكيين : السيد تيسران مساعد مدير مكتبة الفاتيكان ، والمتولّي شؤون القسم الشرقي فيها ، وممثلو المعاهد والكليات الكاثوليكية ، كالمعهد البابوي الكتبي ، والمعهد الاورشليمي اليسوعي الكتبي اللاحق بمعهد رومة ، وكنيسة القديس يوسف اليسوعية في بيروت . وكان عدد المعاهد العلمية الممثلة في المؤتمر ينيف على المئة

وقد عُهد برئاسة المؤتمر الى اللورد تشالمرس (Chalmers) احد الموظفين الكبار في بلاد الهند سابقاً . خطب مرات في نهاية الولائم التي أُقيمت للمؤتمرين ، فكان لكلامه خير وقع في القلوب ، واقوى مساعد على شد عُرى التفاهم والتحابب بين المؤتمرين على اختلاف اجناسهم ومشاربهم

وكانت لجنة المؤتمر قد تشكلت منذ نحو عام ، لتدرس مشروعه ، وتعين شروطه المادية والعلمية ، وتبث الدعوة اليه في الخافقين ، وتهيئ له المكان في اكسفرد ، وتتوفّق على قدر الامكان كل مانع يحول دون نجاح المؤتمر التام

والحق يقال ان تلك اللجنة قامت بعملها خير قيام . ومن محاسن تدبيرها انها قسمت المؤتمر الى دوائر تسع وزعتها على المعاهد في اكسفرد فكانت كل دائرة تعقد جلساتها الخاصة في القاعة الكبرى لمعهدها الخاص ، حيث تجد كل ما تحتاج اليه لمذاكراتها

* * *

وتخصصت كل دائرة بمعالجة فرع من العلوم . فالدائرة الاولى ضمت العلماء الاختصاصيين في علوم الانتروبولوجية والإثنولوجية اي علوم نشأة الانسان وتفرّع الشعوب . وجمعت الدائرة الثانية اقطاب العلوم الاشورية .

وفرقوا علماء الآثار الارمنية والقوقاسية والمصرية والهندية والعبرية والسريانية والاسلاميـة وبلاد الشرق الاقصى ، في الدوائر الثالثة والرابعـة والخامسة والسادسة والسابعة والثامنة . واختصت الدائرة التاسعة بالفنون الشرقية

وكان المؤتمرون يلتئمون في دوائرهم كل يوم مرتين ، من الثلاثاء الى الجمعة ، من نحو الساعة ١٠ الى الساعة ١ ، ومن نحو الساعة ٥ الى الساعة ٧ وكانوا يصرفون ساعات السهر ، بعد العشاء ، في حضور المحاضرات المعروضة فيها الصور المنوّرة . وكانت ابواب المؤتمر مفتوحة لكل حامل تذكرة الدخول ، وثمنها ليرة انكليزية ؛ فكان يقدمها عند دخوله ، وتبقى بين يديه فيقدمها مرة ثانية او ثالثة كلما قصد حضور جلسة من الجلسات العلمية في ايام المؤتمر . وكان على المؤتمرين انفسهم ان يقتنوا تلك التذكرة

* * *

وامتاز عدة كهنة كاثوليكيين بالدروس التي عرضوها في دوائرهم الخاصة . فقدم الاستاذ كوبنس من لوفان مقالًا في قضية سفر التوراة الذي وجده حاقيا الكاهن في الهيكل على ايام الملك يوشيا (٢ الايام ٣٤ : ١٥)

ولفت الاب دايل اليسوعي من رومة انظار سامعيه الى مشكل حروف

الزيادة في اول الفصل السومري ، فاشرأبت اليه الاعناق لما كان لكلامه من التأثير الجميل

وذكر الاب مالون اليسوعي ما حصل عليه من النتائج عقب الحفريات التي قام بها بالقرب من اورشليم ، هو وغيره ، وقد كشفوا القناع عن آثار سابقة للتاريخ

ومن الدروس الشائقة المقدمة للمؤتمر مقال للمنسنيور مولّى عن الكاتب التركي كمال نامي الذي ألف ردًا على رنان الزنديق ، وبحثٌ للاب پاور اليسوعي ، الدكتور من معهدنا الشرقي والاستاذ في رومية ، في المزمور الثاني والعشرين وفي آيات العهد القديم المساعدة على كشف غوامض هذه الكلمات : « عصاك وعكازك هما يعزيانني » اذا ما عُوّل على تفسيرها بمعرفة عادات بلاد فلسطين الحالية . ومقالٌ للاب ڤكاري على ما روي عن الفردوس في تاريخ الديانات وعمّا يُعرف من امره في اعتقادات الشعوب ، وخاصة في التعليم الكاثوليكي المتعلق بالخطيئة الاصلية

وقرأ الاب شميت محاضرة جليلة الشأن في نشأة اللغات الاسترالية ، فقال انه لا سبيل الى الحكم في اصل الديانة عند الاوستراليين ما لم نكن قد وقفنا على اسرار لغاتهم ، واستوضحنا غوامضها . ولكن ليس لنا شيء من ذلك . ثم استحث المؤتمر على استعمال نفوذه عند الحكومات لبذل العناية في درس اللغات الاوسترالية ، لانها على قاب قوسين من الاندثار ، فاذا ضاعت ذهبت معها آمالنا باستجلاء مختفيات تاريخ تلك الشعوب ، وبالكشف عن حقيقة اعتقاداتها الدينية

فاستحسن جمهور المؤتمرين اقتراح الاب شميت وقرروا باجماع الآراء ، الالحاح على الحكومة الاوسترالية لكي تسعى حالًا في تحقيق اماني المؤتمر ، إمّا بتأسيس معهد خاص لدرس اللغات الاوسترالية مشابهٍ للمعهد الاميريكي في واشينغتون ، واما بانشاء دائرة يُعهد اليها بمراقبة حياة اللغات الاسترالية كالدائرة المنشأة بالهند ، واما باستعمال وسيلة من الوسائل الفعّالة لبلوغ ذلك المأرب الشريف

وعرض الاب بويج اليسوعي ، مندوب كليتنا ، على الدائرة المهتمة بالعلوم الاسلامية مشروع نشر الكتب الفلسفية العربية التي استفاد منها فلاسفة اوربة المدرسيون في القرون الوسطى (Bibliotheca Arabica Scholasticorum). وقد اخذت كلية القديس يوسف في بيروت على عاتقها امر نشر تلك المؤلفات تحت ادارة الاب بويج وكان ذلك المشروع محققاً لفكرة اختمرت منذ اعوام عديدة في اذهان مؤرخي الفلسفة المدرسية ، وكان الاب شوسا اليسوعي والكردينال ارله اول من حث على استثمارها

فلبى المؤتمر طلب الاب بويج كما لبى طلب الاب شميت وخصه في جلسته الاخيرة العامة بعبارات المديح والتشجيع

ومضت ايام المؤتمر بالهناء والسرور تتابعها المحاضرات العلمية والاجتماعات الودية والولائم والمتنزهات فتجلت فيها مظاهر الآداب الاجتماعية والاخلاق الشريفة باجمل مظاهرها ، اذ اتفقت الاراء وتقاربت القلوب ، واشتدت عرى الصداقة بين المؤتمرين وانفسح المجال للمذاكرات المفيدة والمحادثات الفنية ، مما لا تنحصر نتائجه في زمان المؤتمر ومكانه فقط ، بل تجتازه الى ما وراء البحار فتزرع في بلاد الغرب معرفة الشرق وحبه ، وتجتذب قلب الشرق وعقله الى التفاهم مع الغرب ، ليتسابق واياه في ميدان التمدن الحقيقي والعمران الدائم

وطلب بعض المؤتمرين المجتمعين في الدائرة المخصصة للعلوم الاسلامية ان يلتئم المؤتمر الآتي في دمشق ، او في بيروت ، او في القاهرة. لكن طلبهم لم يبلغ مركز الدوائر العام فظل محصوراً ضمن دائرتهم الخاصة . وقد استحسن المؤتمر ، في جلسته الاخيرة ، الكلمات التي القاها احد المستشرقين الكبار وعمدة المؤتمرين ، داعيا فيها الجميع الى اللقاء في المؤتمر الثامن العشر وسوف ينعقد ، ان شاء الله ، سنة ١٩٣١ في مدينة ليدن في هولاندة

مجلة المجلات

بقلم الاب فردينان توتل اليسوعي

المسيحيون والصحف الاسلامية — لا تطأرا اللآلئ — الماسونية — اصلاح الازهر — المستشرقون وعلم الشرق

المسيحيون والصحف الاسلامية

جاء في العرفان (ايار-حزيران ١٩٢٨ ، وجه ١١٧٣-٧٤) عن مراسل في الارجنتين

« لماذا لا يرغب اخواننا المسيحيون في الاشتراك بالجرائد والمجلات الاسلامية ويمقتون مطالعتها حتى الطبقة المتعلمة الراقية منهم ويصدر في هذه الجمهورية جريدتان اسلاميتان احداها [؟] من الصحف المصورة الراقية ولا يتجاوز مشتركوها المسيحيون عدد الاصابع مع ان الصحف المسيحية أثرت من معاضدة المسلمين لها ولو ارسلت الجريدة لرجل امي مسلم يقبلها ؟ »

طرح هذا السؤال مراسل العرفان ولا يفوت القراء ما في كلامه من المغالاة اذ قال ان المسلم الأمي يشترك بالجريدة المسيحية لكونها مسيحية . فاجاب صاحب العرفان على ذلك السؤال :

« تجول هذه الحقيقة الجارحة في نفسنا من زمن بعيد ولا نرى مجالاً لابدائها . امّا وقد سأل السائل فلا بد من الجواب : المسيحيون اكثر تضامناً من المسلمين واحرص على ترويج صحفهم والاشادة بادبائهم . ونعرف صحفاً لو كانت اسلامية لماتت في مهدها ومع ذلك فهي رائجة رواجاً عظيماً وهذه صفة حسنة يمدحون عليها لكن عدم اشتراكهم بالصحف الاسلامية ولو كانت راقية يعد تعصباً غير محمود »

وانا نشكر لصاحب العرفان حسن ظنه باخلاق المسيحيين الاجتماعية وتقريظه تضامنهم بعضهم لبعض لكننا ننكر عليه اتهامه ايام بالتعصب الذميم . لان السواد الاعظم من القراء اذا فضل جريدة على جريدة او مجلة على مجلة انما فضلها لانها تفيده وتلذه دون غيرها ، ليس الا . ومن

المعلوم ان الصحافة بالاجمال نشأت في اوربة ودخلت منها الى بلادنا على يد المسيحيين الشرقيين الذين طالما كانوا صلة بين العرب المسلمين والعالم الغربي : فان السريان جدودنا عرّفوا الى العصر العباسي مؤلفات اليونان وفتحوا كنوزها للمسلمين وكذلك صحافيونا (١) اليوم قاضم نقلوا معارف الغرب الى العربية وقربوها الى عامة القراء قبل ان يخطر على بال المسلمين انشاء صحافة مسلمة . وان طبيعة الامور تقضي للفوز بميدان السباق لمن ادركوا الهدف قبل غيرهم . فلا عجب اذن ان توغلت الصحافة المسيحية في مصاف الامة وجعلت لها منها اصدقاء وزبائن عديدين عاهدوها على موالاتهم وعاهدتهم على استمداد نجدتهم ومعاونتهم رفعاً للواء العلم وغذياً للشعب ويحق لها ان تفاخر اجمالاً وتقول انها وفت بوعودها : فليس ثمّ تعصب ذميم فيمن فضلوا تلك الصحافة على غيرها . وهناك سبب آخر لقلة عدد المسلمين المشتركين بالصحافة خاصة في البلاد السورية فان « ثلثهم من البدو » كما اعلنت ذلك مؤخراً مضبطة الكتلة الوطنية الموزعة في الناس . ومن المعلوم ان البدو لم يألفوا قراءة الجرائد والمجلات

لا تطأوا اللآلئ

الحب . . . والجمال . . . والدين . . . والادب . . . كلمات عسجدية ودرر ثمينة تُدبج بها المقالات النفيسة وتنظم فيها القصائد المطربة على ان تُسلّم ايدي من هو كفوء لها فتحلى القوس باوتارها

ولكن اذا سقطت الجواهر الموبة للصبيان ، او تناولتها ايدي مدعي الفن والفلسفة وليس هو الا متقمر جسور ، فانه لينثر الحباء في عيون السذج ويحط من مكانته ويعرض نفسه للازدراء في عيون العقلاء

اليك عنوان المقالة التي نشرها السيد سلامه موسى (الهلال : اوغسطس وجه ١١٧٦)

« الحب والجمال — الحب مذهب الاديان ، والجمال مذهب الآداب الرفيعة ، وكلاهما ينبع من اصل واحد هو الحيرة »

وقد ترك فيها المؤلف العنان للسخرية والقلم فتظاهر بالتعمق والابتكار ومعالجة المواضيع العويصة والمشاكل الفلسفية الفنية والنفسانية . وانك لتقرأه مرة ومرتين وثلاث مرات ولا تتمالك ان تأسف على الحب والدين والجمال والادب ان يُخلط بها هذا الخلط فيزيد اشارك بمسيس حاجة اللغة العربية الى معجم فلسفي يحدد معاني الالفاظ فلا يتلها العابثون غير محلها . واننا لنكتفي ببعض ما جاء عن الحب وعلاقاته بالدين

ذكر صاحب المقال الحب الديني فحطّ من قدره السامي اذ جسّمه بالحب المادي لما ضرب له مثلاً من حب الفتى المشغوف بفتاة وعشق الاديب المكلف بجمال الطبيعة وما هذا الحب إلا بالمدركات السفلى بالنسبة الى الحب الكامل المنزه من الميول القائم على تبادل المعرفة والمشاركة

(١) راجع تاريخ الصحافة العربية للبيكونت دي طرازي (وجه ٤٧)

في المغيرات بين الخالق والخلائق العاقلة فهبط بنا من عالم الروح الى عالم المادة

ومما يزيد بالطين بلة انه اتخذ ذلك الحب المادي غاية ما يبلغ اليه المتدين بعبادته فقال ان النساك والمتعبدين كافة ليسوا إلا رجالاً سلب الحب او المجون لبهم

قال : « ان الحب هو أساس الدين ولا نعني ديناً بعينه بل نعني جميع الاديان فلو أن أحداً غريباً عن الارض أراد أن يعرف الصفة الغالبة السامية التي ينشدها رجال الاديان لقلنا له أنها الحب . وقد عرف الناس من قديم الازمان شيئاً يسمى الصوفية ما زلنا نحن نعرفه ونسعى له فلو أردنا أن نلخص معنى الصوفية لقلنا « انها ربط الانسان بالناس والطبيعة برباط الحب » . وليست الصوفية سوى الدين بلا وطن ولا قومية أو هي لباب الأديان قد استخلص منها جميعاً . فمذهب الغزالي ومحيي الدين بن عربي وغيرهما من الصوفيين المسلمين لا يختلف بتة عن مذهب الصوفيين من البراهمة والمسيحيين وهو الحب

وقال : « وكما اننا نفهم معنى الصحة من علامات المرض كذلك نفهم من تهتك الصوفيين احياناً ان الدين ... يحدو رجاله احياناً الى الاستهتار بالجمال »

فينتج من هذه الاقوال وغيرها ان الدين في لبابه يدفع الى الاستهتار والتهتك فبئست النتيجة وقد ساءت مقدماتها

ولو اردنا مناقشة المؤلف على كل عبارة ضالة اتانا بها مثل هذه : ان دين الصوفيين والبراهمة والمسيحيين سيان ، لأدى بنا الكلام الى ما لا مجال لذكره واعرنا مفاسده اهمية لا تستحقها

الماسونية

استفتى احد ادباء تونس حضرة الاستاذ رشيد رضا صاحب مجلة المنار في امر الماسونية فاجابه (المنار ، يوليو وجه ٢٧)

« أعلم بالاجمال ان الجمعية الماسونية قد أسست لاجل هدم الحكومة الدينية البابوية أولاً وبالذات ثم هدم كل حكومة دينية وإقامة حكومة لادينية مقامها وحيثما تم لهم ذلك فان الجمعية تكون رابطة ادبية وصلة تعارف وتعاون بين أهلها المؤلفين من أهل الملل المختلفة وأكثرهم لا يعرف منها الآن أكثر من ذلك . والواضعون لاساسها الاول هم اليهود وغرضهم الاساسي منها

إعادة ملك سليمان الديني الى شعبهم في القدس وإعادة هيكله الى ما وضع له وهو المسجد الاقصى ، فأعظم كيد لهم وجد في الارض انهم هدموا الحكومات المسيحية الدينية من اوربة غربيها فشرقيها والحكومة الاسلامية التركية والنطرنية [كذا] الروسية ،وبعد هذا كله ظهرت جمعيتهم الصهيونية تستغل خدمتهم للانكليز في الحرب بالتوسل بها الى إقامة حكومة دينيـة يهودية في فلسطين واذا اردتم الاطلاع الواسع على شؤون هذه الجمعية فعليكم بما كتبه فيها أشد خصومها في العالم وهم الجزويت وليسوا لديكم بقليل » [كذا]

اصلاح الازهر

اليك ملخص المذكرة التي وضعها الاستاذ الاكبر الشيخ المراغي شيخ الازهر وقد نشرتها مجلة المنار (سبتمبر وجه ٣٢٥)

قد تولى سلف علماء المسلمين القيام بمهمة التعليم فدرسوا المذاهب والديانات والفلسفة على ما كان معروفاً في زمانهم وكانت للعقل عندهم حرمته وله حريته التامة في البحث. وكان الاجتهاد غاية يسعى اليها كل مشتغل بالعلم متفرغ له

«ولكن العلماء في القرون الاخيرة استكانوا الى الراحة وظنوا انه لا مطمع لهم في الاجتهاد فاقفلوا أبوابه ورضوا بالتقليد وعكفوا على كتب لا يوجد فيها روح العلم ، وابتعدوا عن الناس فجهلوا الحياة وجهلهم الناس ، وجهلوا طرق التفكير الحديثة وطرق البحث الحديث . وجهلوا ما جد في الحياة من علم وما جد فيها من مذاهب وآراء فاعرض الناس عنهم ونقموا هم على الناس»

وقد اصاب الازهر ما اصاب غيره من المعاهد في الشرق من خمول وضعة

« فيجب على الامة المصرية وهي تحمل راية الامم الاسلامية أن تنقي هذا المصباح (الازهر) من الاكدار وأن توجد له جهازاً قوياً يستمد نوره منه على طريقة تناسب مع ما جد في العالم من أطوار في العلم وفي التفكير وفي الحوار والتخاطب وفي طرق الاستدلال والبحث . والدولة تنفق على الازهر قدراً عظيماً من المال لا تستطيع ان تمنعه عنه ولا تستطيع أيضاً ان تلغي الازهر وما يتبعه من معاهد لتوجد بدلها معاهد أخرى ، فالحاجة الى اصلاح الازهر واضحة لا تحتمل نزاعاً ولا جدلاً»

واني أقر مع الاسف ان كل الجهود التي بذلت لاصلاح المعاهد منذ عشرين سنة لم تعد بفائدة تذكر في اصلاح التعليم »

ووضع صاحب المقال برنامج الدروس الدينية ثم قال :

« يجب ان تدرس اللغة العربية دراسة جيدة كما درسها الاسلاف وأن يضاف الى هذه الدراسة دراسة اخرى على النحو الحديث في بحث اللغات وآدابها . يجب أن توجد كتب قيمة في جميع فروع العلوم الدينية واللغوية على طريقة التأليف الحديثة وان تكون الدراسة جامعة بين الطرق العقلية والطرق الحديثة المعروفة الآن عند علماء التربية»

المستشرقون وعلم الشرق

نشرت الزهراء (ربيع الاول وجه ١٠) محاضرة المستشرق ميكائيل انجلو جويدي من اساتذة جامعة رومة والجامعة المصرية القاها في قاعة الجمعية الجغرافية الملكية بالقاهرة عنوانها «علم الشرق وتاريخ العمران» وهي الحلقة الاولى من سلسلة محاضرات غرضها التعاون بين الشرق والغرب في تاريخ التمدن . ومما راقنا في مقال الاستاذ جويدي ما فهمناه من كلامه في تحديد معنى علم الشرق ولفظة مستشرق

علم الشرق ليس مقصوراً على مجرد درس اللغات او اللهجات او تقلبات تاريخ بعض الشعوب ، كلا بل هو الوقوف على الحياة البشرية الفكرية في اصلها ونشأتها ونموها ودوامها في مظهر من مظاهرها السامية التي هي تلك الصبغة التي يبرز بها في بلاد الشرق . واعلم ان كلمة الشرق تحتمل معنيين المعنى الواسع وهو يشمل بلاداً عديدة تجدها من الشرق الاقصى الى المغرب في مراحل عديدة وفيها ما فيها من التشابه والعلاقات بحياة الانسان الروحية والدينية والعلمية والاجتماعية مما يصل تلك الشعوب بعضها الى بعض بقرابة ادنى منها من قرابتها الى عالم الغرب

اما الشرق بالمعنى المحصور الذي نعبر عنه اذا تكلمنا في تاريخ العمران «فانما هو الشرق الادنى الذي له ارتباط بالبحر المتوسط . »

« وليس صاحب علم الشرق [او المستشرق] الجدير بهذا اللقب بالذي يقتصر على معرفة بعض اللغات المجهولة او يستطيع ان يصف غرائب عادات بعض الشعوب بل انما هو من جمع بين الانقطاع الى درس بعض انحاء الشرق وبين الوقوف على القوى الروحية الادبية الكبيرة التي اثرت على تكوين الثقافة الانسانية . هو من تعاطى درس الحضارات القديمة ومن امكنه ان يقدّر شأن العوامل المختلفة في تكوين التمدن في القرون الوسطى مثلاً او في النهضة الحديثة . »

على عهد الامير

لماذا ؟

رواية لبنانية تاريخية

بقلم فؤاد افرام البستاني

وقد يكون من الابناء ضحايا في سبيل آبائهم
من حيث لا يعلمون

الفصل الثالث

بدور وغانم (تابع)

استعدّت السيدتان لوصول الزائر العزيز ، ولبثتا منتظرتين نحو الساعة فلم يحضر . فقلق بالهما وجعلت الافكار المختلفة تنتاب مخيلتيهما المختلفتين ايضاً . كانت سعدى تعرف ان البلاد في حالة حرب لا يُعرف مصيرها ، وان حزب الامير بشير او حزب زوجها وصديقه الشيخ بو غانم ، يقوى يوماً ويضعف آخر ، وان الجزّار لم يرضَ عنه بعد ، فخافت ان تكون تلك الزيارة غير المنتظرة نتيجة معركة سيئة ، او مؤذنة بعقدة جديدة من عقد تلك السياسة الصعبة . اما بدور فلم تكن لتنتبه للسياسة وملاويها ، ولا للحرب واهوالها . ومع ذلك فانها كانت قلقة جداً . ولم يكن من سبب للقلق سوى انها خافت ان يكون ابوها غضب على غانم فمنعه من زيارتها ... سببٌ تافه لمن فكر بعقله . ولكنها لم تكن تفكر حينئذٍ الا بقلبها ، فلا تتصوّر الّا ذاك السبب

على ان مجرى تلك الافكار المشؤومة لم يطل ، اذ قطعه صوت غانم يدوّي في الممرّ الخارجي مداعباً كلب بدور . فسرّي عن الاثنتين والتفتا الى جهة الباب ، فوقف نظرهما على الامير جهجاه ، والى جنبه الشاب وقد افترّ ثغره ،

وغرقت عينـاه في حجاجيهما وراء وجنتيه المنفرجتين من الفرح والسرور . وكانت اولى حركاتـه ان اكبّ على يدّ « امرأة عمه » يقبلها ، فقبلته في نقرته داعيةً له ، سائلةً عن جدّه . ثم مدّ يده الى بدور فتلقتهـا باضطراب ظاهر ، بعد ان اطرقت حياء مجيبةً بكلمات متقطعة خافتة عن السؤال عن صحتهـا ، الذي القاه غانم بكلمات لا تقل تقطعاً وخفوتاً

وبعد ان دار الحـديث دورته فبـدأ بالاسئلة عن الأسرتين جميعاً ، وانتقل الى الاحوال السياسية ، والاشاعات المختلفة عن مساعي ابنـاء الامير يوسف ، ومقاصد الجزّار ، مما لم يكن يهمّ غـانماً ولا بدوراً ، ظهرت بوادر الصمت على هاذين . وكان الامير جهجاه يفكر باعـداد مطلوب الشيخ بو غانم ، فترك الردهة واعداً بقرب الرجوع ، وخرج الى غرفته الخاصة بعد ان دعا امينه سعداً وبدأ بتعبئة المال في اكياس من التبن

* * *

ثم خرجت الست سعدى الى المطبخ تلقي على الخـدم بعض الاوامر لتهيئة الغداء . فلم يبقَ في الغرفة الّا بدور وغانم ، وكأن رهبة اللقـاء غير المنتظر عقدت لسانيها فلبثا صامتَين دقائق كلّ يهمّ بمخاطبة الآخر ، فيهاب ان يقطع مجرى افكار رفيقه ، حتى تململت بدور فقالت :

— ولماذا لم تطلعنا بزيارتك هذه يا غانم ؟

فاضطرب هذا قليلاً ، والتفت اليها بسرعة ، مرتاحاً الى الخروج من ذاك الموقف الصعب ، فقال :

— لانني لم اكن افكر بالمجيء اليوم ! ولم يعلمني جدي بضرورة هـذه الزيارة الّا امس مساء

— لا بأس عليك ! وستعوّض عن هذا التقصير غير المقصود بطول الاقامة عنـدنا

فهزّ غانم رأسه ونظر اليها بعينين احاط بهما اليأس ثم اجاب بصوت ترجرجت فيه نبرة الاسف والاستسلام

— يا ليت !

وسكت ...

فنظرت بدور مضطربة واجفة ، وحدقت اليه مستفهمة بكل جوارحها ، فتابع :

— دعاني جدي امس مساء فأخبرني بوجوب المجيء اليكم هذا الصباح ، وامرني بالرجوع باسرع ما يمكن من الوقت . وانا لولا احترامي ارادة الامير جهجاه لما انتظرت حتى الآن

فلم تفهم بدور غاية هذه الزيارة ، ولا سبب ذاك الامر بالرجوع السريع . ولكنها لم تشأ التطفل ، لعلمها ان في علاقات الرجال اموراً لا يجدر بالنساء التشوف اليها . ولكنها احست بما ظهر على ملامح غانم من الاسف على تركه بيت الامير جهجاه ، وشعرت بما بدا من كلماته من الايجاس من تلك السفرة . ففهمت ، بفضل تلك الحاسة الشفافة الدقيقة التي تختص بها النساء ، فيدركن الخطب قبل وقوعه ، ويتنبأنَ — اذا صحَ التعبير — عن المصيبة قبل نزولها . حدثها قلبها ان غانماً مقدم على خطر غير معروف ، وان بين زيارته لهم وما تحتبه لها الايام علاقةً محزنة ، وصلةً لم يتضح منها بعد الا سوء وقعها . اذ ذاك بدت تتلاعب بها اشكال من الظلمات التي تتقدم الطوارئ النازلة ، فتتنقل بها في انواع الرزايا من قتل ، وحرق ، وسبي ، وخراب ، ويعزز تلك السلسلة المشؤومة حالة الحرب الحاضرة ، فتظهر تارة جلية تقرب من نتائج المذيان ، وطوراً ملتحفة بستار كثيف من الغموض لا يلبث ان ينبسط واسعاً فيستر عنها كل شيء حتى غانماً نفسه ، فتدخل اذ ذاك في منطقة الظل الثقيل المزعج الذي يتقدم دائماً كل مصيبة فادحة

اما غانم فكان لا يقل عنها حزناً ، ولكنه كان يفوقها صبراً واحتمالاً ، لانه يعرف سبب حزنه . فكان ينظر اليها بعطف ، فلا ينكر على سكينتها شيئاً سوى ما يراه من اصفرار الصدغين ، وجمود المقلتين . فيندم على تفوهه بتلك الأنة ، واصعاده تلك الزفرة ، ويهم بمتابعة الحديث معها . ولكنه يجفل محترماً سكوتها ، اذ يرى نظرها التائه امامه في حنايا الردهة ، الهارب من منافذها الى ما وراء الافق البعيد . ولشد ما كان فرحه عظيماً حين سمع وقع

خطوات امرأة عمه عائدة من مهمتهـا ، فتنفس مرتاحاً الى سبب الخلاص من ذاك الضيق بينـا كانت بدور تستعيد قواها بسرعة ، مظهرةً امام امها كل سكينة ووقار.

ولم تلبث الام ان اعادت الحديث الى مجراه السابق صارفةً عن القلبين الفتيين اكثر ما علق بهما من خوفٍ وأسى

* * *

وما قرب الظهر حتى اقبل الامير جهجاه والبشر يتدفّق من وجهه ، فقال لعائم :

— قد تمّ كل شيء !

ثم التفت الى امرأته فسأل :

— وهل الغداء حاضر ؟

فاومأت برأسها ان نعم

اذ ذاك تحوّل الجميع الى قبو فسيح . فتربعوا على بساطٍ ثمين فرش ارض القبو من الزاوية الى الزاوية . فاقبل احد الخدم بشرشف من الصوف الابيض زُركشت اطرافه بالقصب ، وعلقت في حواشيه دوائر صغيرة من البرق اللماع ، فبسطه امام الجالسين . ورجع حاملاً طاولـة قصيرة القوائم من خشب الجوز المصقول المطعّم بفلق اللؤلؤ الصافي ، المنقوش في معامل دمشق . ووضع عليها «صدراً» من النحاس السبيك ، وهو منقوش ايضاً ، وعلى دائره سلسلة مشاهد لبعض المعارك تمثّل الخيّالة بالسيوف والرماح يتضاربون ويتطاعنون . ثم اقبل ثلاثة من الخدم بالصحاف الفخّارية الواسعة فيها الالوان المختلفة من الاطعمة اللبنانية القديمة ، ورائحة الابهار والافاويه تفوح منها هائجةً القابلية . فدار الاربعة حول الصدر يلتقمون بايديهم من الصحاف ، حتى شبعوا ، فرفعت . وقدّم لهم صحفة من العنب «الجوزاني» الفاخر ، وهو نوع ممتاز كان يرغب فيه الامير جهجاه ويبقي قسماً منه الى الشتاء فيقوى على البرد اذا ما «كُبِست» عناقيده بقماش ضابط ، وصحفةً من التين المشكل ، مع صحفة قُسم فيهـا رأس من بطيخ بسري المشهور ، فتناول كل كفايته وشكروا . فاتى الخادم بابريق من النحاس

الاصفر المزخرف المخرّم عنقه ، مع طسته ، فغسلوا ايديهم . ثمّ تحوّلوا الى الردهة الأولى

* * *

وبعد ان اديرت القهوة ، تناول الامير ماسورته يلتذّ بدخانها المتصاعد ، واقبل يروي احاديث بعض المواقع المشهورة من التي حضرها بنفسه او سمع روايتها ممن حضرها . والسامعون يتلقّون تلك الحكايات بعجب وسرور ، وقد تملك الانشراح قلوب الجميع

فرح الامير برأى ابن صديقه ، وحفيد صديقه . وفرح لانه اظهر اريحيّته وكرمه بتلك الهبة ، فكان سروره مزدوجاً : سرور رجل أدّى خدمةً نصوحاً لصديق مخلص

فرحت الست بزيارة غانم وما غانم سوى صهرها العتيد ، وولدها المحبوب .

امّا غانم وبدور فكانا فرحين وحسب . ولم يكونا ليفتشان عن سبب هذا الفرح العظيم الذي كاد يقشع ما تملك عليهما من الكآبة قبل ذاك ، لو لم يقف الامير فيُعلن للجميع سفر غانم الى عكّاء بمهمة سياسية مخففاً ما امكنه وقع ذاك الخبر ، وذكر ما يكتنف المسافر من المخاطر والمهالك

عند ذاك تحققت بدور سبب اكتئابها السابق ، وتمثلت لها التهلكة باروع مظاهرها . فعاودها ذاك الجمود في عينيها ، والانجذاب عن محيطها ، حتى انها مدّت يدها لوداع الراحل دون ان تشعر ، اذ اقبل نحوها ، بعد ان ودّع اباها وامها . فشدّ غانم على يدها وأسرع الى الدار حيث كانت الفرس بانتظاره ، مع فرحات الامين ، وأحد خدم الامير يقود البغل الموقر مالاً . فركب مسرعاً ، وسار الجميع صامتين نحو قصر الشربين

الفصل الرابع

مجلس شورى

غابت شمس التاسع والعشرين من تشرين الاول سنة ١٧٩٣ على بضعة عشر فارساً متجهين نحو بيادر دير القمر ، يقودهم ببطء الشيخ قعدان بو غانم ، وعن يمينه حفيده ، وبين يديه خادمه فرحات. وما ان وصلت الكوكبة الى اعالي ديربابا حتى وقف الشيخ وترجل مستعيناً بيد حفيده . فترجل الجميع وحدقوا الى منحدرات الشحار يفتشون في معارجها الملتوية ، وبين اشجارها المتكاثفة ، عن خيالات الفرسان

وكان لحسن الحظ ان الضباب لم يتراكم ذاك المساء في الوادي الفسيح ، فظلّ نور الشفق يندفع قوياً من جهة بحر الدامور ، فيصبغ الجبال المقابلة بانوار لطيفة متكسرة تتراوح الوانها من البنفسجي في اعالي القمم ، الى الوردي الزاهر في الاواسط ، الى الرمادي القاتم عند اقدام الجبال . وكانت ذرات الغبار الدقيقة تترجرج في مجرى النور ، على طول الوادي ، فتسدل بين ابصار الناظرين وهدف النظر ، ستاراً شفافاً متموجاً يغلف كل ما وراءه ، فيدوّر اطراف الزوايا البارزة ، ويقلّم اغصان الاشجار البعيدة ، فتظهر الجبال كأنها تتراجع الى الوراء هاربةً من وقع الابصار . الى ان يتلاشى ما فيها من الطرق والمنعرجات امام هجمات الظلام الاغبر

وقف الخيّالة مدةً امام هذا المشهد بسكون وهيبة ، يسترقون السمع من النسيم الآتي علّه يحمل اليهم حركةً ممن ينتظرون ، الى ان اعياهم الصبر ، وحاروا في سبب هذا التأخر ، فالتفتوا الى الشيخ بو غانم ، وتقدّم منه احدهم فقال :

— ولعلّه يأتي من طريق غير هذا ؟

— لا ! لقد كتب اليّ انه يترك رأس المتن الى عبيه حيث ينزل على الامير قعدان . ومنها يسير الى بشامون فيزور الامير حيدر ملحم . ثم يأتي الينا الليلة . فلا ممرّ له اذن إلّا من هذا الطريق

عند ذلك تقدّم رجل كان بعيداً عن الحلقة ، وقال :

— اتيت الامس من الساحل ، وقد شاع فيه خبر مفاده ان الامير عزم على

التحوّل بالعساكر الى بلاد جبيل . فاستغربت هذا العزم اذ كنت عارفاً بقصده الينا الليلة . واردت تحرّي الخبر فلم اوفق الى تأييده او انكاره ، غير اني سمعته يتردّد بسرعة فيخاف الناس من نتائجه ، ويهتمّ اهل الساحل بتوقّل الجبال ، واهل الجبال بالانحدار الى الساحل . لان ناشر الخبر لم يذكر الطريق الذي يسلكه الامير

ولم ينهِ المتكلم خبره حتى شاهد المجتمعون ، على آخر اضواء الشفق ، ملامح الشيخ بو غانم تنفرج بسكون ، وشفتيه تخطّان تحت الشاربين علامة الاستئناس ، ونور الحبور يلمع من عينيه شأنَ من غامر في امرٍ خطير ونجح النجاح التام . فنظروا اليه مستفهمين ، فقال :

— تلك اشاعة رغب فيها الامير ذاته . ولا يخفى عليكم ان بلاد جبيل لم تطهَّر بعد من نفوذ اولاد الامير يوسف ، فلا تزال بحالة القلق والاضطراب . كما انه لم يحن الوقت لترك بلاد المتن ، ولم يفتأ بعض اللمعيين والنكدية يعيثون فيها . ولمّا كان قصد الامير ان يأتي الليلة لعقد المجلس ، رأى من الموافق ان يذيع بين القوم انه قاصد ناحية جبيل لكي يصرف افكارهم عن الاتجاه الى دير القمر ، بينا يشغلهم في التكهن عن الطريق الذي يسلكه . فيصيب الهدفين في آنٍ واحد : يدخل دير القمر فيستثير اعوانه ، ويعوّه على اعدائه خافياً عليهم وجهة ذهابه

فعلت سيماء الحبور وجوه السامعين ، وهزّوا رؤوسهم معجبين بمهارة اميرهم السياسية ، وكلهم يتمنى ان تقصر دقائق الانتظار فيمتع ناظريه برأى المولى ، ويشنف مسمعيه بصوت الآمر الناهي . ولم تطل تلك التمنيات حتى شعروا بتحقيقها ، اذ سمعوا وقع حوافر تصعد الجبل مجفلة فتتجاوب اصداؤها في المنخفضات . فأنصتوا . واذا بفارس يعلن لهم وصول الامير . فاعتلوا صهوات خيولهم بسرعة ، وجمدوا مصطفّين في مكانهم ، راقبين بين اغصان الزيتون المتعرّة ظهور كوفية الامير

(لها بقية)

شذرات

اضخم قطعة نقود في العالم

دعا السيد فران زرب رئيس الجمعية النقودية الاميركية السابق، واحد العاملين بجمع نقود العالم الجديد الى اقامة معرض نقودي في نيويرك كان اعظم ما عُرف من نوعه اذ جمع ٣٠٧٠٠٠ قطعة مختلفة، مثلت وسائل المعاملات بين البشر منذ خمسة آلاف سنة الى اليوم، في جميع المناطق السياسية والجغرافية من الارض. فكان الزائرون يعجبون بتلك الآثار الشائقة، من الشهادات التجارية القديمة الى الخواتم المعدنية والنقود الكروية، الى مصكوكات دول اليونان، وقياصرة الرومان، وقدماء الاميركان، الى الاوراق النقدية والحوالات المالية الموقعة بامضاء مشاهير الاميركيين كواشنطون، ولنكلن، وروزفلت، وامثالهم. واغرب ما ظهر في ذاك المعرض نقود الشاي في بلاد التبت، ونقود الحرير في منغولية، ونقود الجبن في الصين. واغرب الغرائب قطعة نقود من النحاس ضُربت في اسوج سنة ١٦٥٢ بقيمة ٨ تليرات، او دولارات، على ان غرابتها ليست بقيمتها بل بضخامتها، فهي تزن نحو ١٥ كيلوغراماً بعرض ٣٠ سنتيمتراً وطول ٦٠ سنتيمتراً. فتكون دون شك اضخم قطعة نقود معروفة في العالم

اول كاهن وطني في بلاد الداهومي

احتفل مؤخراً في ويداه من بلاد الداهومي برسامة الاب توما موليرو، وهو اول كاهن وطني من تلك البلاد. وقد حضر تلك الحفلة الاولى من نوعها جمهور غفير من الداهوميين النصارى والوثنيين، فشكروا جميعهم للمرسلين اهتمامهم ببلادهم وغيرتهم على العنصر الوطني فيها. امّا الكاهن الجديد فهو محرر المجلة الداهومية المدعوّة «اعتراف افريقية بالجميل» ولها مقام معتبر عند علماء الديانات في اوربة، لما تنشره من المعلومات الجديدة النفيسة عن ديانات القبائل المختلفة في بلاد العبيد.

أسئلة وأجوبة

سألنا من بوينوس ايرس (الارجنتين) حضرة الاديب السيد فؤاد حدّاد :

١ً – هل صدر الجزء الثالث من كتاب الآداب العربية للمرحوم الاب لويس شيخو ؟

٢ً – هل صدر الجزء الثالث من كتاب تاريخ الصحافة العربية للتيكونت دي طرّازي ؟

٣ً – ما هو احسن كتاب في تاريخ آداب اللغة العربية ؟

كتب في الآداب العربية

ج : ١ً – نظنّ ان مرادكم « بالجزء الثالث من كتاب الآداب العربية للمرحوم الاب لويس شيخو »، ما كان ينشره تباعاً في المشرق عن الآداب العربية في الربع الاول من القرن العشرين . فاذا كان ذلك ، نفيدكم ان هذا الجزء لم يصدر بعد على حدة . وقد كان ، رحمه الله ، اوشك ان ينهي طبعه لما وافاه داعي ربّه . على اننا سنجتهد في اصداره قريباً خدمةً للآداب العصرية

٢ً – كان التيكونت دي طرّازي باشر طبع الجزء الثالث من كتابه سنة ١٩١٤ ، فاوقفته الحرب . وهو مستعدّ ان يتابع عمله ، ويُظهر الكتاب قريباً

٣ً – امّا « احسن كتاب في تاريخ اداب اللغة العربية » فمن الصعب ارشادكم اليه لاننا لا نزال اليوم نتمنى صدور الكتاب الحسن في هذا الموضوع . على ان بين الكتب المطبوعة ما يفيدكم بعض الافادة ، وان قاصرة ، من ذلك كتاب بروكلمن بالالمانية (Geschichte der arabischen Litteratur,1898) في جزءين ، وهو اشبه بجدول جافّ جامع لمؤلفي العرب واسماء كتبهم ، وكتاب هوار بالفرنساوية (Littérature arabe,1902) وهو موجز يتوخى فيه صاحبه القاء نظرة على مجمل الآداب العربية ليس غير ، وكتاب المرحوم جرجي زيدان : «تاريخ آداب اللغة العربية» في اربعة اجزاء ، جمع كثيراً من المعلومات المتفرّقة ، ولكنه يكاد يخلو من النقد الادبي للمؤلّفات . وقد ظهر في نقده مقالات نفيسة في المشرق (١٩١١ و ١٩١٢ و ١٩١٣) . امّا ما سوى ذلك من التآليف المتعدّدة في آداب اللغة العربية ، من مختصر ومطوّل ، فلا تكاد تغني شيئاً لبُعدها عن روح الدرس الادبي الصحيح واقتصارها على جمع الاخبار والنوادر

مطبوعات شرقية جديدة

Fischer (Johann) : Das Alphabet der LXX-Vorlage im Pentateuch. *Eine textkritische Studie.* [*Alttestamentl. Abhandlgn, X*, 2] *XVI*-120 *pp. gr.* 8°, 1924, *Münster i. W., Aschendorff*, 6 M. 30.

أبجدية النصّ العبراني لاسفار موسى في الترجمة السبعينية

ينشر الاستاذ العالم جان فيشر من مونيخ في هذا المؤلف عملاً غاية في الافادة لنقد نصّ الكتاب المقدّس . وهو يجيب عن السؤال التالي : لمّا قام العلماء السبعون في القرن الثالث ق. م. بترجمة اسفار موسى من العبرانية الى اللغة اليونانية ، هل كان النصّ امامهم مكتوباً بالحروف العبرانية القديمة ام بالحروف الارامية ؟ والسؤال في غاية الاهمية اذا اردنا اصلاح الاغلاط في النص العبراني الحالي المسمى الماسورتيكي ، المكتوب بالحروف الارامية من النوع المربّع (١) ، وهو من الصعوبة بمكان لانه ليس لدينا سوى نسخ حديثة عن الترجمة السبعينية ، ومن جهة اخرى لان النصوص الماسورتيكية المخطوطة التي لدينا لا ترقى الى ابعد من القرن العاشر للمسيح

امّا غاية المؤلف فهي البرهان على ان ابجدية الترجمة السبعينية لم تكن العبرانية القديمة كما ذهب اليه بعضهم ، ولا السامرية ، بل كانت نوعاً من الارامية يقرب من الابجدية المربّعة . وكي يبرهن على ذلك يعرض الاختلافات في نصوص التوراة والمقابلة بينها فيما يختصّ باسماء العلم ، وفي بعض مقاطع اسفار موسى ، ثم يُظهر ان الاختلافات ، او الاغلاط المنسوبة للنقلة — سواء كان

(١) انا ، إفادةً لقرّائنا الشرقيين غير المطّلعين على هذه الامور ، نذكر ان الابجدية العبرانية القديمة لا تختلف كثيراً عن المثال الفنيقي المعاصر . اما الابجدية الارامية فان اقدم مثال لها يشبه تقريباً الابجديتين السابقتين . ولكن نحو القرن السابع الى السادس ق. م. اخذت هذه الابجدية الارامية بالتطوّر حتى عهد الفرس ، فانتشرت في كل مكان من آسية الصغرى ، وبابل ، واشور ، وفلسطين ، وسورية . وقد ظهرت في دروج البردي المكتشفة في إليفنتين قرب أسوان . وبعد ذلك تطوّرت تلك الابجدية ايضاً فتحوّلت ، في زمن المسيح ، الى الابجدية المربعة ، وهي ابجدية التوراة العبرانية في عصرنا

بالنصّ العبراني او اليوناني — يمكن شرحها ، في غالب الاحيان ، باستعمال الابجدية الارامية المختصة بالعصر الحديث ، اي في نحو القرن الثالث الى الثاني قبل المسيح. ولمّا كان المؤلف يرغب في ايضاح هذه المسألة الاخيرة ، أُجبر على ان يضيف الى عمله جدولًا قابل فيه بين جميع الابجديات السامية في فروعها المختلفة من فنيقية وارامية مهتمًّا خاصةً بهذه الاخيرة ، متتبعاً اياها الى ما بعد المسيح

هذا واذا ضُرب صفحاً عن بعض الامور الثانوية التي قد تكون عرضةً للانتقاد ، سواء في البراهين او في الحوادث ، يمكننا القول ان المؤلف برهن على صحة نظريته . ولمّا كان الشيء بالشيء يُذكر ارانى محمولًا على الاشارة الى تذكار شخصيّ قد يروق للمؤلف . وذلك انه لمّا كنت طالباً في اول شبابي ، بدأت درس نصّ التوراة في اللغة العبرانية ، وأخذت على نفسي كتابة اسفار موسى كلها بالابجدية الفنيقية القديمة وبالابجدية العبرانية القديمة ايضاً ، مؤمّلًا ، بتلك الطريقة ، ان اكتشف على سبب الفروق والاختلافات والاغلاط الموجودة في نسخ التوراة المختلفة . على اني ما كتبت نحو العشر الصفحات حتى شعرت ان الكتابة القديمة لا تشرح شرحاً كافياً تلك الاختلافات ، وانه من الاوفق العدول عنها الى الكتابة الارامية المعاصرة لزمن البردي اي للقرن الثالث قبل المسيح . وتلك نتيجة تتفق تمام الاتفاق مع نتيجة استاذ مونيخ (١ . فاليه نقدّم جميع تهانينا ونتمنى ان يزيدنا اعمالًا وضعية من هذا النوع ! س . ر

Paul Nourrisson : Histoire légale des congrégations religieuses en France depuis 1789. 2 *vol. in*-8° 1928. *Paris, Librairie du Recueil Sirey.*

التاريخ القانوني للرهبانيات في فرنسة منذ سنة ١٧٨٩

اشتهر مؤلف هذا الكتاب ، وهو محامٍ لدى محكمة الاستئناف ، بالابحاث النفيسة التي نشرها في مسائل حرية الجمعيّات والرهبنات . وما كتابه الحديث

١) يبتدئ المؤلف ، في الجدول الذي قابل فيه بين الابجديات ، بذكر حروف سينا . وهو اهتمام لا لزوم له لاستعماء تلك الحروف على القراءة . على انه فاته ذكر اقدم كتابة فنيقية ، وهي كتابة ناووس أخيرام ، المكتشف في بيبلوس ، وذلك لانها لم تكن عُرفت بعد

عن التاريخ القانوني للرهبنات في فرنسة الّا اثر مهمّ في تاريخ فرنسة العام في القرن التاسع عشر . فهو ينير بكل جلاء مسألة غريبة عجيبة الا وهي ان بلدًا كفرنسة ، مشهورًا بتساهله وحبه للحرية حتى انه يفاخر الغير بكونه اول من نشر في العالم معنى الحرية الحقيقية ، بقي متأخرًا عن باقي البلدان فيما يختص بالحرية نفسها ، اذ ضيّق على الجمعيات الدينية ذاك التضيق المعروف . ولقد كانت جميع الحكومات التي تقلبت في فرنسة سواء فيما يخصّ هذا التضييق . على ان قضية السبق حازتها الجمهورية الثالثة بشرائعها المعلومة . هذا والكتاب حقيقٌ بان يقرأه ويتأمله جميع من تهمهم المسائل الحقوقية كالمحامين ورجال السياسة . وان الكاثوليكيين يرون فيه اسباب الفخر الحقّ لان تاريخ الرهبنات ليس بتاريخ مؤسسة ميتة او على وشك الاضمحلال ، بل هو تاريخ جمعيات حية نامية باعمالها العديدة ، حية بصبرها على المعارضات وفوزها على جميع الهجمات التي قامت عليها قصدَ إبادتها ج . ل

Germaine Rouillard : L'administration civile de l'Egypte byzantine. Préface de Ch. Diehl. 2e *édit. revue, illustrée. in-8°, XV-268pp. Paris, Geuthner,* 1928.

الإدارة المدنية في مصر البوزنطية

ينتج هذا الكتاب من مقابلة بين القرار الثالث عشر الذي اصدره يوستنيانوس لإصلاح الإدارة في مصر ، والمعلومات الموفورة في مكتشفات الدروج البردية . وهو جديد في بابه ، ليس فقط بما فيه من وفرة الوثائق المستغلّة — وكلّ يعلم زيادة المعلومات البردية — بل ايضاً بالتقسيم الذي اختارته المؤلفة . فان الآنسة رويلّار اضافت الى وصف المؤسسات المدنية (كالتقسيم الإداري ، والمالية ، وضريبة الحنطة ، والعدلية) وصف العادات الادارية في مصر البوزنطية ، من ذلك : اخلاق السكّان الصعبة المراس ، المشبعة بروح التذمر والاحتدام ، وجور الموظفين ، وضعف السلطة المركزية بما يجره من الهفوات . مما انتج فساد تلك المؤسسات . فان بوزنطية لم تعرف ان تطبق اساليب الإدارة التي انشأتها الامبراطورية الاولى ، في بلد كمصر طمحت الى ان تصير أمة

فرجعت الى الطريقة الاقطاعية . هذا وفي الكتاب جدول هجائي يفيد المتعمقين فائدة جليلة . امّا التصاوير فغاية في الاتقان وقد نُقلت عن رسوم مصر التي قامت بها بعثة نابوليون ، وخصوصاً عن مجموعات متحف اللوفر غير المنشورة بعد

ر . م

, Dr Konrad Lübek : Die christlichen Kirchen des Orients. *Sammlung Kösel n° 43.*

Dr Joseph Lippl : Der Islam. *Sammlung Kösel n° 92.*

Verlag Kösel et Pustet. München.

الكنائس المسيحية في الشرق – الاسلام

هذان كتابان من مجموعة «كوزل» الكاثوليكية المشهورة لا يستغني الواحد منها عن الآخر . فالاول يحتوي على اهمّ المعلومات عن الكنائس الشرقية وتاريخها ، وتنظيماتها وخصوصاً حياتها الدينية والادبية . على اننا نتمنى ان يُنظر مجدّدًا في هذا التأليف فيُستفاد ممّا حصل من التغيير منذ الحرب الكبرى . وهناك تطوّرات لم تتم بعد فيمكن انتظار انتهائها من يوم الى آخر

امّا الاسلام ، وهو موضوع الكتاب الثاني ، فتأليف احدث من الاول لانه كُتب إبّان الحرب وجميع الاوربيين يتوقون الى معلومات وافية عن تلك الديانة . فاهتمّ المؤلف باختيار اوثق المصادر والاستفادة من اقوال اشهر المؤلفين في تلك المادّة . وقد اورد مآخذه في آخر الكتاب وهي تامة حتى سنة ١٩٢١

Kévork Aslan : Etudes historiques sur le peuple arménien. *Nouvelle édition illustrée par les soins de* Fréderic Macler, *avec* 16 *pl. hors texte. Paris, Geuthner,* 1928. *Prix* : 60 *f*

دروس تاريخية عن الشعب الارمني

هذه طبعة جديدة لكتاب ظهر سنة ١٩٠٨ . وقد اكتفى السيد ماكلير بان اضاف بعض الاسطر بين معقفين في النصّ الاصلي او في الحواشي . على انه قدّم الوثائق اللازمة لتزيين الكتاب بالصور والرسوم التي اوضحت بعض النقاط الخاصّة بالدروس الارمنية . امّا التأليف نفسه ، فيقسمه صاحبه الى ستة فصول

يسرد فيها بطريقة لاذة تاريخ الشعب الارمني منذ اصوله حتى غزوة السلجوقيين نحو السنة ١٠٥٠ ، وهو يعيّن مكان الحوادث الارمنية من التاريخ العام للدول التي كانت تارة تجاور تلك البلاد وطوراً تكتسحها وتحتلها . وللمؤلف ميل للتخلص من الاساطير الشعبية يُشكر عليه ، وما كانت الاساطير بالاساس المتين للدروس التاريخية . ومما يستحق الثناء ما يبذله الكاتب من الجهود في تقرير اسماء بعض الاماكن ، او الاشخاص ، او الآلهة ، التي استعملتها بعض الشعوب في ازمنة متفاوتة . ولكن مما يؤسف له انه ، في ذكر مآخذه ، يكتفي بالاشارة الى عنوان الكتاب او اسم المؤلف دون ان يذكر بتدقيق رقم الصفحة . على ان العمل قيّم في مجمله وهو يظهر بمظهر جميل في ٣٤٠ صفحة بطبع متقن خليق بالطابع الذي اصدره

الاب مصيريان

Dr Henry Aurenche : Vers Jérusalem. *in*-8° *écu de* 244 *pp. avec* 20 *cartes, plans et illustrations. Prix* : 25 *f*. *Paris, Perrin et Cie, éditeurs.*

الى اورشليم

هي تذكارات زيارة للاراضي المقدّسة قام بها رجل كاثوليكي ، فوصفها في هذا المجلد الجميل العصري . وهو يريحنا من قراءة تلك الصفحات المنتقة الملأى بالعُجب والزهو التي يُكثر منها من تعوّدوا السياحات العديدة فقصدوا تلك الاماكن ووصفوها دون ايمان . امّا المؤلف فلاحظ كل شيء بدقة تخلو من العُجب ، وروى ذلك بنبرة لطيفة بسيطة تُظهر للمطالع الكلمات واللهجة الموافقة في مثل هذا الموضوع . فالكتاب جميل بكل ما فيه : بموضوعه ، وكتابته ، واعتناء الطابع به وهو اعتناء يُشكر عليه اذ انه توفّق الى وضع الصور في الصفحات الموافقة فزادت منفعتها ، وعدّد فيه الخارطات والرسوم . وعلى الجملة فان هذا التأليف يحتفظ بمركز حسن بين الكتب العديدة عن البلاد الشرقية

ج.ل

اصول المراسلة في السريانية

نشرها لاول مرة حضرة القس اسحق ارملة السرياني

المطبعة السريانية في بيروت

ان حضرة الناشر معروفٌ في عالم التأليف بكتبه التاريخية واللغوية باللغتين العربية والسريانية وقد متع قراء المشرق بكثير من مقالاته النفيسة وها انه اهدى الينا كتاباً جديداً هو مجموعة في فن التراسل بالسريانية لمؤلفها الربان يشوع بركيلو تلميذ دير الزعفران في اواسط القرن الثالث عشر ، يرقى عهدها الى العام ١٢٩٠ م ، اشتراها السيد قزحيان سنة ١٩١٥ ووقفها لدير بزمار بلبنان وهي تتضمن عدة رسائل وعناوين ومقدمات في مواضيع متنوعة نشرها حضرة القس اسحق بالشكل الكامل وعلق عليها الحواشي واتبعها برسائل يعقوب برشقاقو البرطلي ورسائل داود الربان واضاف اليها معجماً سريانياً وعربياً فقرب منالها من القارئ فاستحق الثناء . وقيمة الكتاب ليرة سورية ف.ت

القياس في الشرع الاسلامي

بقلم احمد بن تيمية ، ومحمد ابن قيم الجوزية

وسط ، ص ٢٣٥ – المطبعة السلفية ، القاهرة ، ١٣٤٦ هـ

يبحث هذا الكتاب ، وهو من قلم الامامين الحنبليين الشهيرين ، في عدة مسائل وافرة الصعوبة في الشرع الاسلامي ، كمسألة طلب اربعة شهود في الزنا ، والاقتناع بشاهدين فقط في القتل (ص : ١٠٩) ولماذا أبيح للرجل ان يتزوج باربع نساء ، ولم يُبح للمرأة ان تتزوّج باكثر من زوج واحد ؟ (ص: ١٣٥) . امّا مسألة عدد الإماء غير المحدود فتُشرح بانهنّ « بمنزلة الاموال من الخيل والعبيد وغيرها » (ص : ١٣٥) . لماذا يقطع الكلب الاسود الصلاة ، ولا يقطعها غيره من الكلاب المختلفة الالوان ؟ (ص : ١٣٩) لماذا تُقطع يد السارق في ربع دينار ، ولا يُقطع لسان المجدّفين والقاذفين ، (ص : ١٤٧) لماذا لا تُعتبر المرأة في الشهادة الا نصف رجل ؟ (ص : ٢٢٠) لماذا تُعتبر الهرّة والفارة من الحيوانات الطاهرة ؟ (ص : ٢٢٦) : الى غير ذلك من

المسائل المجانسة والتي تحيل المطالع على حلها في الكتاب المذكور ، فيرى ان حذاقة المؤلفين ولباقتها لا تتردّدان امام صعوبة ه.ل

فوائد منزلية

جمعه امين الغريّب

وسط ، ص: ٦٤ – مطابع قوزما ، بيروت ، ١٩٢٨

جمع حضرة رصيفنا الفاضل السيد امين الغريّب صاحب مجلة الحارس ، هذه الفوائد مما نشره في صحيفته قبل الحرب وبعدها . فاتى مجموعه سفرًا قيّماً وافر الفائدة لربّات المنازل في ادارة بيوتهن ، وهو مرتّب على ابواب تناسب غرف البيت المختلفة . فللزميل الفاضل اخلص الشكر عن تلك العناية ف.ا.ب

منتخبات الترجمة عربية وفرنسيّة

مع اسئلة الامتحانات العمومية في الترجمة لطلاب شهادة الدراسة الثانوية ، قسم اول ، جمعها ووقف على طبعها لفيف من الاساتذة – المطبعة الرحمانية بمصر ، يطلب من مدرسة القديس يوسف بالمرخش .

لا حاجة الى الاسهاب في ذكر منافع الترجمة وهي تساعد على تمحيص الفكر واتقان اللغتين المنقول منها واليها . فرحباً بالكتاب الجديد وقد انتخبت دروسه مدرجةً في تبويبها مع مراعاة صعوبتها ومُهّد السبيل اليها بترجمة بعض الالفاظ الصعبة موضوعة في رأس الدروس عدا الدروس المفروضة في الامتحانات العمومية ف . ت

قبض الريح

تأليف عبد القادر المازني

عني بنشره الياس انطون الياس صاحب المطبعة المصرية بمصر

لقد اثرت فينا المدنية الغربية خيرًا وشرًّا . فمنها اقتبسنا شعلة النهضة الحديثة بالعلم والعمران ومنها لسوء حظنا تسربت الينا بعض العوائد الذميمة في عالم التأليف فشغف بها بعض الكتبة وحذوا حذو الطبقات السفلى من كتبة الافرنج فشوهوا صحائف كتبهم بالصور الخلاعية وسودوها بما املته عليهم المخيلة من تصاوير وعواطف تخدر العقل وتذهب بالرأي السديد

اليك ما جاء في مقدمة هذا الكتاب :

« كتبت هذه الفصول وغيرها — وكثيراً غيرها — في الفترة الطويلة التي كان فيها شبح الماضي — اي نعم ، طيف الماضي — يمايشني . وكان اقرب جيراني الى نفسي ، السماء . وكنت يومئذٍ — وما زلت — في رقعة من الارض مدحوة للتفكير والاحلام والموت (ص:٧) ... وهذا كان نصيبي من كل تعبي ... قبض الريح ! ... وقد خرجت كما سيخرج القارئ ، وكما سنخرج جميعاً من هذه الدنيا ، وليس في يدي شيء. (ص:٩) »

وانك لتخرجن من هذا الكتاب ايضاً ايها القارئ اللبيب وليس في يدك شيء ! على ان صاحبه عالج فيه مواضيع متنوعة في الادب والفلسفة والاخلاق ولغته انيقة وخيالاته لطيفة وشعوره رقيق وهو يلج بك اليها من باب نفسه فتسير واياه في طلب حقيقة راهنة او حجة دامغة او عبرة تعتبر بها او مثل تقتدي به او ابتسامة تتوسم منها اشعة الامل ولكن لا يبلغ بك المجهود الا الى « قبض الريح » وما قبضتك الا صفقة المغبون ف . ت

نقد السائس والمسوس

نظم الحوماني : نقد — سياسة — اخلاق — اجتماع

مطبعة العرفان — صيدا

وصف مشرق العام الماضي ديوانَي الحوماني فأطرأ حماسة الشاعر وعبقريته وجودة نظمه في وصف الطبيعة والاخلاق . واليك كتاب آخر ، وليس هو دون الاول رشاقة في الالفاظ وغيرة على بث روح محبة الاوطان . واننا وددنا لو سمع المؤلف الفاضل نصيحة الاب شيخو فلم يتطرف بهياج الاهواء واثارة الحفائظ . قال في البارلمان (ص:١٨)

فيا عجباً لم اجد بينه غيوراً على كرم العنصر
أأبكي على لغتي فيك ام على وطني ام على معشري

وقال في زعماء البلاد (ص:٢٢) :

اتعرف اصلاحها امّة يديل بها الحكمَ دجالُها
واشرافها تحت نير الهوان وفوق المنصات انذالها

ولذع المجمع العلمي بكلام مرّ فقال (ص:٥٧) :

اذا جئت مجمع علم الشآم فكن مسلماً ثم مستلما
وان انت عارضت قول الرئيس خرجت وخلفك شهب السما
اذا شئت كونك عضواً به فسالنْ ذويه ولو بالملق
وما لم تحز لقب (البيك) لا تكنه ولو كنت رب الفلق

ونقده للحياة العصرية نقد المغالي الذي لا ينظر الّا الى قبائح الوجوه مع ان محاسنها في العالم كثيرة . فلذلك لن يوافقه الكثيرون . من سكّان جبل عامل ولا من غيرها من البلاد الّا البدو الرحالة في قوله (ص:٦٦) :

وعدنا نمش في ظلال السوام كراماً ونركب ابكارها
نصيف فنشرب من درّها ونشتو فنلبس اوبارها
ونتخذ الطرف والفرش من ادم المعز ومن شعره
فيغبطنا النجم في افقه ويحسدنا الملك في قصره

ووددنا لو نزّه الشاعر قلمه عن بعض الاوصاف والتصاوير المخلة بالذوق السليم والاداب

ف . ت

هدايا أرسلت الى المشرق

* رسالة رعائية في مظاهر الملاعة * وجهها سيادة المطران انطون عريضه ، مطران طرابلس الى ابناء ابرشيته في ١٢ تموز سنة ١٩٢٨ – المطبعة الكاثوليكية – بيروت ١٩٢٨

* رسالة رعائية * وجهها سيادة المطران يوحنا الحاج ، مطران دمشق ، الى ابناء ابرشيته في ٢٥ تموز سنة ١٩٢٨ ، وهي الاولى منذ تبوأ سيادته الكرسي الاسقفي

* تسابيح للقديسة ترزيا الطفل يسوع * بقلم الاب مرتيتوس مسعد الوكيل العام ، المطبعة الكاثوليكية بيروت ١٩٢٨

* نشرة لزيارة السيد ايليا ديب لاميركة الشمالية * لسيادة المطران افتيميوس ، في بروكلن ، نيويورك في ١ حزيران ١٩٢٨

* الدليل * مجلة شهرية جامعة تعنى بالشؤون الاقتصادية والعمرانية مديرها ورئيس تحريرها : توفيق ضعون يساعده نفر من صفوة الادباء والمفكرين ، سانباولو ، برازيل

* اضحك يضحك لك العالم * مجموعة هزلية مصوّرة انتخبتها مطبعة الهلال بمصر من صحفها الفكاهية

* ليلى ابنة الباشا * رواية معربة للقس بطرس زهر اللبناني ، مطبعة دير سيدة المعونات

* بحث في الكتب المحرّمة * للاب مارون كرم اللبناني كان نشره في البشير فجمعه على حدة ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ١٩٢٨

* برنامج الجمعية الخيرية للقديس منصور دي بول في دمشق * عن سنة ١٩٢٧

اهمّ حوادث الشرق في شهر

١٥ ايلول — ١٥ تشرين الاول

في الشطر الثاني من الشهر الماضي أذيعت في العالم الكاثوليكي ، وفي شرقنا العزيز خاصةً ، رسالة الحبر الاعظم «في الاهتمام بترقية الدروس الشرقية» استهلّها الاب الاقدس بذكر المجهودات التي بذلها الكرسي الرسولي سحابة العصور الاخيرة في سبيل وحدة الكنائس وعرض فيها مشروع المعهد الشرقي الروماني على امل ان يبلغ صوته الابوي آذان ابنائه المتنائين فتتحرك قلوبهم وتهتدي عقولهم تلبية لدعوة الحبر الروماني الى التفاهم والاتحاد ليس فقط بين المسيحيين بل بينهم وبين الشعوب الغير المؤمنة بالرب يسوع

ومن الوقائع الدينية الواجب ذكرها المنشور الذي اصدره صاحب الغبطة البطريرك ملاتيوس للروم الارثوذكس في مصر الى ابناء طائفته من جميع العناصر موضحاً فيه مسألة توحيد الحسابين الشرقي والغربي وداعياً اياهم الى اتباع التاريخ اليوليانى المصحح منذ اول تشرين الاول بحيث يُحسب ذلك اليوم الرابع عشر من الشهر نفسه. فبفضل ذلك المنشور تم في البطريركية الارثوذكسية المصرية الاصلاح الذي كان قد احدثه البابا غريغوريوس الثالث عشر عام ١٥٨٢ المعروف بالحساب الغريغوري

انقضت ايام عطلة الصيف بالراحة والسلم فلم يبلغنا عن سورية سوى استعداد من يسمّوا انفسهم الكتلة الوطنية الملكية لمبايعة ملك على البلاد وهي تطلب ان يكون ذلك الملك مسلماً ، والا لما اطاعه البدو ، « ولتزحت اكثر القبائل الى الاقطار المجاورة » . . . ولكن متى اهتمّ البدو بأمر تشكيل الحكومة المركزية ؟ وهل يهمهم غير امر حياتهم العشائرية ؟

على ان الدروز في جبلهم لا يزالون باغلبيتهم يميلون الى البقاء على الحياد غير متصلين بسورية او تابعين لها. ويقولون انهم اذا انضموا الى سورية اضطروا الى دفع ضرائب تنوء اكتافهم دون حملها

ومن الظريف انه بينما ينادي البعض في الشام بالملكية ويطبلون ويزمرون

بالوحدة ، نسمع الاهلين في لواء الاسكندرونة يعربون عن رغائبهم بان يظلوا متمتعين باستقلالهم الاداري والمالي ، وهم في حمايته منذ العام ١٩٢٠ ، وداعيهم الى ذلك اختلاط الجنسيات والاديان مما لا يتفق والوحدة العربية المنشودة من الكتلة الوطنية

ولم يكتفِ اهل انطاكية برفع صوتهم بالمعنى نفسه بل رفعوا ايديهم ورجوا احد النواب السوريين المتحمسين للوحدة

وحدث في ٢٤ ايلول يوم عيد الغفران (يوم كبور) ان رجال الشرطة دخلوا في منطقة مبكى اليهود الشهير في اورشليم ليرفعوا حاجزاً انشأه اليهود في موضع واقع ضمن دائرة وقف المسلمين ومنطقة البراق (المبكى) ؛ فهاج الشعب اليهودي في فلسطين واحتجّ على اختراق حرمة المكان والزمان وردد صداه بعض المراجع الاسرائيلية في اوربة . مما يفيد ان المشاكل الدينيّة لا تزال في الاراضي المقدسة شديدة عصية وليس انتشار الصهيونية ورسوخها في فلسطين مما يساعد كثيراً على التقارب والتفاهم بين العناصر الوطنية وغيرها

وافادت اخبار بلاد الافغان ان الملك امان الله خطب في قومه فوصف رحلاته في اوربة ونوّه بشراء مصنع لصنع السلاح واحصى المعاهدات التي عقدتها افغانستان مع الدول ونشر قانوناً أوجب فيه على جميع رعاياه ارتداء الالبسة الاوربية . فازداد نبذ النساء للحجاب واجيز لهن الاختلاط بالرجال في المجتمعات العامة

وطردت حكومة افغانستان جميع العلماء الهنود الموجودين في بلادها والعلماء الافغان الذين تخرجوا في مدرسة ديوبند . ومدرسة ديوبند هذه هندية انشئت من ثمانين سنة في قرية ديوبند من اعمال بلدة سهارنبور القريبة من دلهي وهي تدرّس العلوم الشرعية على الطريقة القديمة

وقد كان هؤلاء العلماء المطرودون من افغانستان يعارضون الاصلاحات الجديدة ويحرضون الشعب على نبذها

وافتتح شاه العجم طريق خورماباد وشهد الحفلة التي اقيمت لوضع الحجر الاساسي للخط الحديدي الكبير الذي يربط خليج فارس ببحر الخزر .

ف . ت

المشرق

أَأَبِيَاتَار ام أَحِيْمَلِك ؟

بحث كتابي

بقلم الاب انطون صالحاني اليسوعي

يظهر انه يوجد تناقض بين مرقس الانجيلي وسفر الملوك في ما يخصّ قصة داود واكله خبز التقدمة . فمرقس يقول انّ ذلك كان في عهد ابياتار رئيس الكهنة . اما سفر الملوك فانه لم يذكر ابياتار ، بل اباه احيملك الكاهن

فنقول انه ليس ثمّ تناقض ، الّا في الظاهر . ولكي نبيّن ذلك يُفيدنا ان نروي الآيات التي ورد فيها ذكر ابياتار ، واحيملك ابيه :

« قال لهم [يسوع] اما قرأتم قطّ ما فعل داود حين احتاج وجاع هو والذين معه كيف دخل بيت الله في عهد ابياتار رئيس الكهنة واكل خبز التقدمة الذي لا يحلّ اكله الّا للكهنة واعطى للذين معه » (مرقس ٢ : ٢٥ و ٢٦)

ان متى (١٢ : ٤) ولوقا (٦ : ٣ و ٤) اخبرا بما فعل داود دون ذكر العبارة « في عهد ابياتار رئيس الكهنة » . وهذه العبارة لا توجد في بعض نسخ لاتينية قديمة من انجيل مرقس . ولا في نسخة بيزا التي هي في اللغتين اليونانية واللاتينة . ولهذا السبب تساءل كثيرون من شارحي الكتاب المقدس ، من الكاثوليك وغير الكاثوليك ، أ كانت هذه العبارة اصلية في انجيل مرقس ، ام ادخلها بعض النسّاخ . ولكن على فرض انها اصلية لا يصعب نفي التناقض

بين آية انجيل مرقس وآيات سفر الملوك . واليك آيات العهد القديم :

« أتى داود الى نُوبَ الى احيملك الكاهن ، فارتعد احيملك عند لقاء داود وقال له : لماذا انتَ وحدك وليس معك احد . فقال داود لاحيملك الكاهن ان الملك قد امرني بحاجة وقال لي : لا يَعلم احد بشيء مما ارسلتك فيه وامرتك به . واما الغلمان فقد واعدتهم الى موضع كذا . والآن فما الذي تحت يدك اعطني خمسة ارغفة او ما تيسَّر . فاجاب الكاهن وقال لداود : ليس تحت يدي خبز مُباح انما عندي خبز مقدَّس . . . فدفع اليه الكاهن من الخبز المقدس لأنه لم يكن هنالك خبز خلا خبز الوجوه المرفوع من امام الربّ ليوضع خبز سُخن في يوم رفعه » (الملوك الاول ٢١ : ١—٦)

« اجاب دُوئيج الادومي الذي كان مُقاماً على عبيد شاول وقال : رأيت ابن يسَّى قد اتى الى نُوبَ الى احيملك بن احيطوب . فسأل له الربَّ واعطاه طعاماً وسيفَ جُليات الفلسطيني دفعهُ اليه . فارسل الملك فدعا احيملك بن احيطوب الكاهن وجميع بيت ابيه الكهنة الذين في نوب فأتوا كلهم الى الملك . . . ثم قال الملك للسعاة الواقفين بين يديه اعطفوا واقتلوا كهنة الرب . . . فلم يشأ عبيد الملك ان يمدّوا ايديهم ليقعوا بكهنة الرب . فقال الملك لدوئيج اعطف انت واهجم على الكهنة . فاقبل دُوئيج الادومي وهجم على الكهنة وقتل في ذلك اليوم خمسة وثمانين رجلاً لابسي أفود كتّان . . . فنجا ابنٌ لاحيملك بن احيطوب اسمه ابياتار وهرب الى داود . . . » (الملوك الاول ٢٢ : ٦—٢٠)

« وكان لما هرب ابياتار بن احيملك الى قعيلة الى داود انه نزل وفي يده أفود . . . وعرف داود ان شاول قد اضمر له السوء . فقال لابياتار الكاهن هلمّ بالافود » (الملوك الاول ٢٣ : ٦ و ٩) رغبةً منه في ان يشاور الربّ

« استدعى داودُ صادوقَ وابياتار الكاهنين » (اخبار الايام الاول ١٥ : ١١)

« فرجع صادوق وابياتار بتابوت الله الى اورشليم واقاما هناك . . . عندك هناك صادوق وابياتار الكاهنان فكل كلمة تسمعها من بيت الملك فأخبِر بها صادوق وابياتار الكاهنين » (الملوك الثاني ١٥ : ٢٩ و ٣٥) . يقوله داود لبحوشاي عند ما اغتصب أبشالوم الملك وهرب داود . وذلك لكي يُطلعه

بحوشاي بواسطة الكاهنين على كلّ ما يفعله ابشالوم

« وكان [أدونيّا] يفاوض يوآبَ بن صَرُوية وابياتارَ الكاهن وكانا يعاونان ادونيا . وامّا صادوق الكاهن وبنايا بنُ يويادع وناتان النبي . . . فلم يكونوا مع ادونيا » (الملوك الثالث ١ : ٧ و ٨)

« وامّا ابياتار الكاهن فقال له [سليمان] الملك انصرف الى عناتوت الى حقولك فانك رجل مستحق الموت . لكني لستُ اقتلك في هذا اليوم لانك حملت تابوت الرب الاله بين يدي داود ابي وعانيت كلّ ما عاناه ابي . وعزل سليمان ابياتار عن كهانة الربّ ليتمّ القول الذي قاله الربّ في بيت عالي في شيلو . . . واقام [سليمان الملك] . . . صادوق الكاهن مكان ابياتار » (الملوك الثالث ٢ : ٢٦ و ٣٥)

* * *

هذه هي اهمّ الآيات التي ورد فيها ذكر احيملك وابياتار . وملخصها هو ان احيملك كان ابا العائلة الكهنوتية ، في نُوبَ ، في ايام شاول الملك . وان ابياتار ابنه كان كاهناً ومعاوناً له . وانه بعد ان قُتل ابوه والتجأ هو الى داود ، صار رئيس الكهنة عندما نظم داود العيال الكهنوتية . وانه فاق اباه شهرة فبقي رئيس الكهنة زمناً مديداً ، في عهد داودَ الملك ، اي مدة اربعين سنة . وان رئاسة الكهنوت في تلك الايام الصعبة ، كانت مشتركة بين كاهنين هما ابياتار بن احيملك وصادوق بن احيطوب . وانّ ابياتار مال الى أدونيا وتحزّب لهُ ، واخذ يسعى له ليحصل على ملك ابيه داودَ ، بينما كان صادوق معاوناً لسليمان . فلمّا ملك سليمان انتقم من ابياتار فعزله

المشكل

ان كان احيملك كاهناً ، واباً للعائلة الكهنوتية ، عندما أتى داود الى نُوبَ وطلب من احيملك ان يعطيه من خبز التقدمة لعدم وجود خبز مُباح ، كيف امكن مرقس ان يكتب في انجيله « على عهد ابياتار رئيس الكهنة » ؟

الجواب

قد حاول كثيرون من شارحي الكتاب المقدس حلّ هذا المشكل ، وسلكوا طرقاً مختلفة ، لينفوا التناقض بين العهد الجديد والعهد القديم ، ويبرهنوا ان التناقض هو في الظاهر فقط . فقال بعضهم ان الاسمين احيملك وابياتار هما اسمان لمسمًّى واحد . وأيدوا رأيهم بما ورد في سفر الملوك الثاني (٨:١٧) : « احيملك بن ابياتار » ، وفي سفر اخبار الايام الاول (١٨:١٦) : « ابيملك بن ابياتار » . ولكن هذا الرأي لا حظّ له من الصحة لانّ الكتاب يصرّح بوجود شخصين : احدهما أب ، والآخر ابنه . وعبارة سفر الملوك الثاني (٨ : ١٧) « احيملك بن ابياتار » تروى مُصحَّحة في الترجمة السريانية هكذا « ابياتار بن احيملك » . امّا عبارة سفر أخبار الايام الاول (١٨ : ١٦) : « ابيملك بن ابياتار» فالاسم « ابيملك» هو تصحيف «احيملك » ارتكبه النسّاخ ، كما يتّضح من عدّة نسخ وخاصّةً العامة حيث يروى « احيملك» . واذ كانت اخبار الفصل ١٨ من سفر اخبار الايام الاول هي نفس الاخبار الواردة في الفصل ٨ من سفر الملوك الثاني ، وكانت النسخة السريانية روت في سفر الملوك « ابياتار بن احيملك » ، كان من اللازم انْ العبارة في سفر اخبار الايام تُصحّح ايضاً هكذا: « ابياتار بن احيملك » . فثبت اذاً ان الرواية الصحيحة هي « ابياتار بن احيملك » ، وان الكلام لا عن شخص واحد أُطلق عليه اسم ابياتار او احيملك ، بل عن شخصين مختلفين هما الاب احيملك وابنه ابياتار

وقال غيرهم ان ابياتار بن احيملك كان لهُ ابن يسمى احيملك كجدّه ، كما ورد في سفر الملوك الثاني (٨ : ١٧) : « احيملك بن ابياتار » . « ابيملك [احيملك] بن ابياتار » (سفر الاخبار الاول ١٨ : ١٦) . فأحيملك هذا ناب عن ابيه ابياتار ، الذي كان رئيس الكهنة ، اذ قصد داود نُوبَ ودخل بيت الله . ومن ثم لا تناقض البتة بين انجيل مرقس وسفر الملوك

الّا اننا قد بيّنّا ان احيملك ، الذي يذكره سفر الملوك ، كان اباً لابياتار لا ابنه

قال آخرون ان احيملك في سفر الملوك يُسمَّى كاهناً لا رئيس كهنة. بينما مرقس يسمّي ابياتار رئيس الكهنة . فيحتمل الفرض ان احيملك كان كاهناً فقط ، وابنه ابياتار رئيس الكهنة . فيكون داود في قدومه الى نُوبَ التجأ الى احيملك الكاهن كما ذكر سفر الملوك . لكن بما ان ابياتار كان رئيس الكهنة ، فبكل صواب قال مرقس «في عهد ابياتار رئيس الكهنة» . ويؤيدون رأيهم بقولهم ان شاول لم يجسر ان يقتل ابياتار لانه كان رئيس الكهنة

فعلى هذا يجيب ان وظيفة الرئاسة الكهنوتية لم تكن بعد ترتّبت ولا وُجدت ، لمّا ذهب داود الى نوب ، واكل خبز التقدمة. فوظيفة رئيس الكهنة انشأها في ما بعد ، داود الملك كما سنبينهُ . انما احيملك كان أب العائلة الكهنوتية كما ورد في سفر الملوك الاول (٢٢: ١١) : «احيملك بن احيطوب الكاهن وجميع بيت ابيه الكهنة الذين في نُوب» . فله كانت الاهمية ، واياه استدعى شاول ، واياه وبّخ . فاذا كان مرقس سمّى ابياتار رئيس الكهنة فلسبب آخر سنذكره ، لا لانه كان وقتئذٍ رئيس الكهنة

* * *

والآن نُبدي رأينا فنقول: ان اجيملك كان كاهناً في نوب اذ قدم داود . وكان ابنه ابياتار من جملة الكهنة الموجودين هناك . ومعلوم ان الابن يكون اكثر من غيره معاوناً لأبيه في الوظيفة . فكان طبعاً ابياتار هو الموكل برفع خبز التقدمة العتيق وبحفظه عندهُ وبوضع السخن مكانه . فالتجأ داود الى احيملك ، لانه كان اب العائلة الكهنوتية . فأمر احيملك ابنه ابياتار ان يعطي داود من خبز التقدمة المرفوع والمحفوظ عنده . فامتثل ابياتار امر ابيه . ومن ثم يمكن القول ان ابياتار هو الذي اعطى داود لانه اعطاه فعلًا الخبز . ويمكن القول ايضاً ان احيملك هو الذي اعطاهُ لانه هو الذي امر باعطاء الخبز

ولكن كيف يسمّي مرقس ابياتار رئيس الكهنة ولم يكن في ذلك الوقت رئيساً للكهنة ؟ فالجواب هو ان قول مرقس «على عهد ابياتار رئيس الكهنة» لا يُستنتج منه ان ابياتار كان «اذ ذاك» رئيس الكهنة . بل المعنى

ان ابياتار المعروف والمشهور كرئيس الكهنة ، في ما بعد ، وفي مُعظم حياته ، وفي مدة ملك داود ، اي مدّة اربعين سنة ، هو الذي اعطى داود خبز التقدمة. فالفقرة « رئيس الكهنة » هي وصف لابياتار وليست خاصة بالوقت الذي قدم فيه داود الى نُوب

وقد طالعنا معجم الكتاب المقدس الذي نشره البروتستانت في تسع مجلدات ضخام(١ فوجدناهُ يُبدي تفسيراً لآية مرقس موافقاً تماماً لتفسيرنا. واليك تعريب عبارته: « في ايام ابياتار رئيس الكهنة ، اي في مدة حياته ، ولكن لا لزوماً في مدّة رئاسته الكهنوتية » (٢

ولنضرب لذلك مثلاً : لو كتبنا ، في كلامنا عن حياة البابا بيوس الحادي عشر ، انّه من طُلّاع نجاد جبال الالب ، فلا يُستنتج من قولنا هذا انه في حبريته صعد الجبال العالية إذ انه ، مذ رقي العرش البابوي ، عاش سجيناً في قصر الواتيكان

انما المعنى هو ان بيوس الحادي عشر الذي صار حبرًا اعظم كان ، قبل حبريته ، من طُلاع جبال الالب . فلو أتى بعد ألف سنة رجل وقرأ في التاريخ هذه العبارة « بيوس الحادي عشر من طُلّاع جبال الالب » فحكم انه في حبريته صعد الجبال ، يكون غلط

وهكذا القول في عبارة انجيل مرقس : « في عهد ابياتار رئيس الكهنة » فلا يُستنتج منها ان ابياتار كان رئيس الكهنة اذ دخل داود نُوبَ . بل المعنى في عهد ابياتار ، المشهور كرئيس الكهنة في معظم حياته ، وفي كل ملك داود

هذا التفسير مُرض يحلّ كل مشكل ويُزيل كل صعوبة وينفي كل تناقض.

ولنا مثال آخر في الكتاب المقدس : قال متى (١ : ٥) : « ويسّى ولد داود الملك » . فلما ولد يسى داود لم يكن داود ملكاً ، بل صار ملكاً في ما

---

١) العمود الاول Dictionary of the Bible edited by J.Hastings. vol I.p.7

٢) In the days of Abiathar the High priest i. e. in his lifetime, but not necessarily during his high priesthood

بعد . فاللفظة « الملك » هي مميزة لداود لانه اول من اشتهر كملك على شعب الله . وحتى الآن اذا ذكرنا اسم داود نُتبعه باللفظة « الملك » فنقول داود الملك . وكذلك القول عن ابياتار الذي سُمّي رئيس الكهنة ، كما يتضح من سفر اخبار الايام الاول (٢٤ : ٢—٥) : « كهنَ أليعازار وأيتامار . وقسمهم داود عشيرةً صادوق من بني اليعازار وعشيرةً احيملك من بني ايتامار . . . لانّ رؤساء القُدس ورؤساء بيت الله كانوا من بني اليعازار وبني ايتامار» . فابياتار بن احيملك بن احيطوب من بني ايتامار بن هرون كان اول من اعطي من عائلة ايتامار هذا اللقب : « رئيس الكهنة »

وانّما آثر مرقس ذكر ابياتار دون ذكر ابيه ، لشهرته عموماً ، ولانه كان حاضراً عند قدوم داود الى نوب . ولانّ غاية مرقس كانت متجهة لا الى شخص الكاهن سواء كان احيملك ام ابياتار ، بل خاصةً الى مسألة اكل الخبز المقدس الذي لم يكُن يحلّ اكلهُ الّا للكهنة

دير كفيفان

الدير — المدرسة — الابتداء

بقلم الاب بطرس ساره رئيس مدرسة الرهبان اللبنانيين في بيروت

هو احد اديار الرهبانية اللبنانيـة البلدية ؛ موقعه على هضبة بين قريتي كفيفان الى جهة الشمال ، وعبدلي الى الجنوب ؛ لا يعلو عن سطح البحر اكثر من ستمائة متر ، يرقد الى جانبه القبلي حرج جميل من السنديان ندر ان ترى مثله في غير جوار الاديار . والى الجهة الغربية غابة غضة من الصنوبر هي نزهة تلك البقعة . وبما ان لهذا الدير شأناً في تاريخ الاديار اللبنانية ، رأيت ان اضع فيه لمحةً كنت قد وعدت بها قراء المشرق الكرام ، وها انا وافٍ بوعدي :

١

الدير : تاريخه ، تسميته

اننا لم نجد قبل مطلع القرن الثالث عشر اثراً لتاريخ هذا الدير . وليس ما ذكره عنه العلامة الدويهي في سلسلة البطاركة ، والدبس في تاريخه ، شيئاً وافياً بالمراد ؛ ولا عجب فان تاريخ تلك العصور لم يكن جلياً واضحاً ، او ان ما تركه لنا ذهب كغيره من الآثار ، فريسة الضياع والدمار . وكل ما جاء عن ذلك الدير : انه كان كرسياً بطريركياً في مستهل القرن الثالث عشر، كما ذكر الدويهي في سلسلة البطاركة حيث يقول :

« انتقل الكرسي البطريركي سادسةً من سيدة يانوح ، حيث كان جالساً على السدة البطريركية ارميا العمشيتي السنة ١٢٠٩ ، الى دير القديس قبريانوس في كفيفان ، وهناك جلس دانيال الشاماتي خليفة ارميا ، ونقل الكرسي الى دير مار جرجس الكفر ، ومنه الى دير القديس مارون في كفرحي » (١

ونظن ان عهد التاريخ بديرنا هذا ابعد من تلك الايام . ونرى على مسافة نحو كيلومتر من الدير ، من الجهة الغربية الجنوبية ، كنيسة قديمة في قرية رامات لا يبعد ان تكون من ايام الصليبيين ومثلها في الجهة الشرقية كنيسة اخرى على اسم السيدة لا تبعد اكثر من عشر دقائق . اما تسمية الدير بدير كفيفان ، فهي منسوبة الى قرية كفيفان القريبة منه ، كما هي العادة بتسمية الاديار باسماء القرى المجاورة لها . واللفظة على ما يظهر سريانية او كلدانية تصحيف لفظة ܟܦܦܐ ، ومعناها المحدّب ، المنحني ، لوجود القرية والدير مثلها فوق ارض محدبة ، بين واديين او شعبين كما تقدم . وقد تخصص مقاماً للقديسين الشهيدين كبريانوس ويوستينا ، منذ تعيينه كرسياً بطريركاً

* * *

استلمته الرهبانية ، مع ديري سيدة ميفوق ، ودير مار انطونيوس حوب وانطوش جبيل ، من الامير يوسف شهاب ، حاكم الجبل في تلك الايام . وكان المستلم لهذه الاديار واملاكها وقتئذٍ الرئيس العام الاب اقليموس المزرعاني ، مع

(١) سلسلة البطاركة — طبعة المطبعة الكاثوليكية ، ١٨٩٨

الآباء مدبريه الاربعة وهم عمانويل الرشماني ، ومرقس الكفاعي ، ويعقوب البسراوي ، وجرمانوس الشبابي . وذلك في ١٣ رجب السنة ١١٨٠ هجرية ، الموافقة لسنة ١٧٦٣ . وقد اهملت روزنامته او سجله ذكر من ترأس عليه مدة اثنتي عشرة سنة اي من السنة ١٧٦٣ الى السنة ١٧٧٥ حيث تبتدئ سلسلة رؤسائه بالاب فرنسيس الكفاعي ، والاباء مرقس المرقباوي (عكار) وماتيا المتيني الخ ... وتنتهي بالآباء : اغناطيوس التنوري ، الرئيس العام الحالي ، وباسيل البتروني ، وبطرس البجدرفلي ، ويوحنا المنداري الكفوري . وكان عدد الرؤساء الذين تعاقبوا عليه مدة مائة واحدى وخمسين سنة ، اي من السنة ١٧٧٥ الى السنة ١٩٢٨ خمسين رئيساً . وكان جمهور رهبانه ، كما في سائر الاديار ، دائبين في الشغل والعمل لاجل تحسين الاملاك وتوسيعها ؛ فزادت مداخيله اضعاف ما كانت عليه . غير انه ما زال معدوداً ، بين اديار الرهبانية ، من الاديار المتوسطة بل الفقيرة بمداخيلها . لكن جمهوره الكبير يعيش بالبركة من تعب يديه وعرق جبينه

ولما كان بناؤه القديم غير كافٍ لسكن الرهبان ، وكنيسته ضيقة حقيرة ، بنى الاب موسى الشرتوني ، الرئيس آنئذٍ ، الكنيسة الحالية في السنة التاسعة والاربعين من دخوله في حوزة الرهبانية ، اي سنة ١٨٢٦ ، في عهد البطريرك يوسف حبيش[١] ، والمطران جرمانوس ثابت ، مطران جبيل والبترون ، والاب العام اغناطيوس بليبل ، كما يُستفاد من تاريخ قديم محفور على عتبة الكنيسة بصورة شعر عامي . وقد شرع بتجديد بناء الدير الاب الياس المشمشاني سنة ١٨٦٥ ؛ ولقصر ذات اليد لم يتمكن من اتمامه دفعةً واحدة . ثم استؤنف البناء برئاسة الاباء بطرس البجدرفلي ، وبطرس البجاني ، وبولس الغوماوي ، الذي اقام الجهتين القبلية والبحرية حتى الباب الكبير على نفقة الرئاسة العامة ويرجع الفضل باتمام بنائه الى الاب يوحنا الشبطيني ، الذي حسّن في الاملاك

١) علق هذا البطريرك على مذبح الكنيسة الكبير غفراناً كاملاً مؤبداً يومياً يربحه كل كاهن يقدس عليه ، ويربح مثله كل زائر كنيسة الدير على شرط ان يعترف ويتناول ويصلي على نية الحبر الاعظم . وهذا الانعام بموجب تفويض معطى في ١٦ تموز السنة ١٨٢٧ من البابا لاون الثاني عشر

واقتصد بمداخيلها ، حتى تمكن من انجاز العمل في السنة ١٨٩٥ . واستلزم ذلك مبلغاً من المال لا يستهان به . فيكون ان اتمام بناء الدير على هيئته الحاضرة قد استغرق مدة ثلاثين سنة (١٨٦٥–١٨٩٥) وهذا ما يدلك على عجز مالية هذا الدير ، اذ لم يستطع الرؤساء بناءهُ الّا بعد سنين متتالية . وهذا حظ كثير من الاديار التي لم تكن تبنى الّا من مداخيل املاكها ، كدير ميفوق الفخم وغيره . وترى اليوم ان الرهبانية اذا عزمت على بناء دير او تجديده اضطرّت ان تبيع قسماً من املاكه ، اذ لا مورد لها يدرّ عليها ما يقوم بنفقات البناء الباهظة وهذا داحض لوهم بعض الناس الناظرين بعين الحسد الى تلك الاملاك الواسعة وهم يجهلون ان مداخيلها تكاد تقوم بمعاش جماهير اديارها وبحرث اراضيها وتحسينها فلا تصبح بوراً

٢

المدرسة

قد سبق لنا كلام في المدرسة الرهبانية باللمحة التاريخية عن دير سيدة المونات (دير البنات) (١ وفي حينهِ بيّنا ما كانت عليه المدرسة التي تنشئ بها الرهبانية ابناءها متنقلة بهم من دير الى دير ، ملزمةً اياهم ، فوق الدرس والمطالعة ، بعض الاشغال اليدوية كالحصاد وحرث الارض وتربية دود الحرير ، وغير ذلك من الاشغال المتعبة . وهي خطة سارت عليها الرهبانية شوطاً من الزمن ، كانت اوفق لحالتها وغايتها الاولى المقصودة من مؤسسيها ، اي النسك والتقشف ، والصلاة والعمل بممارسة بعض الحرف الضرورية للمعاش . وكان معظم الرهبان يدرسون العلوم اللازمة لاعدادهم الى درجة الكهنوت المقدسة ، والقيام بواجباتهم الرهبانية والكهنوتية ، مرسخة في اذهانهم وموصية اياهم بان يبقوا متمسكين بروح الشغل المقدس ، عاكفين على مقاتلة روح البطالة الممقوت ، ومحافظين على ما اورثهم اياه الاسلاف من الاملاك الواسعة التي حرثوها وسقوها عرق جبينهم ، ودم قلوبهم

على ان الرهبانية ما كانت لتهمل تخريج بعض ابنائها ممن ترى فيهم قابلية

١) راجع المشرق (٢٥ : [١٩٢٧] ١٢٣)

كافية لدرس اللغات والعلوم العالية ونيل شهاداتها في المدارس الكبرى ، كمدرسة البروبوغنده في رومية ، وكلية القديس يوسف في بيروت ، حيث تخرج ويتخرج عدد غير قليل من الرهبان. امّا المدرسة في دير كفيفان فقد تعيّن إنشاؤها ، على ما يتبين من روزنامة الدير ، في السنة ١٨٠٨ . ولم تكن المدرسة ، في ذلك العهد ، على دقتها ونظامها الحالي كما اشرنا ، فان الرهبان الدارسين لم يكونوا ينفكون عن مطاولة الاشغال اليدوية في الحقل ، او في داخل الدير ، ويقيمون جميع الصلوات الفرضية والرتب البيعية . ورغماً من ضيق الوقت فانهم كانوا يتقنون اللغتين العربية والسريانية ويدققون في علم اللاهوت الادبي ودرس بعض القضايا الهامة . وكان الاب نعمة الله الكفري (١ ، واضع الغراماطيق السرياني « مورد التحقيق » ، احد اساتذة تلك المدرسة . وقد تخرج فيها مدة الست والستين سنة (١٨٠٨ — ١٨٧٤) نحو من مئتين وستين كاهناً ، كثيرون منهم اشتهروا بعلمهم وقداسة سيرتهم كالاب نعمة الله كساب الحرديني الشهير ، والاب اغناطيوس بليبل الذي كان رئيساً عاماً على الرهبانية واتى فيها من الاعمال ما يذكره له تاريخها بالفخر ، والاب انطونيوس الفغالي الذي اتقن اللغة العربية ووضع فيها بعض تآليف في فن العروض وارجوزة في المعاني والبيان ، والاب بطرس البجدرفلي الذي ترأس على دير قزحيا وبنى كنيسته الحالية على هندستها الحاضرة بواجهتها الفخمة (٢ . والاب يواصاف العنيسي الجاجي ، وكان من اصحاب الذكاء والرأي الصائب ، والغيرة على مصالح الرهبانية . وغير هؤلاء كثيرون ممن اشتهروا بفضلهم وفضائلهم ، وذهب لهم صيتٌ حسنٌ في الطائفة وفي الرهبانية وتقلبوا في وظائفها وخدموا فيها اصدق خدمة

وانقطع التدريس في دير كفيفان مدة الى ان عهد المجمع المقدس بالرئاسة العامة الى المرحوم الاب مبارك سلامه المتيني (٣ فعين دير كفيفان مدرسة منظمة على الطريقة الجديدة ، وعهد بادارتها الى الاب المرحوم اسطفان صقر البنتاعلي ، احد خريجي كلية القديس يوسف ، وكان من ذوي المقدرة والمكانة في الوعظ

١) المشرق (٤ [١٩٠١] : ٨٧٣)
٢) وقد جلب الى دير كفيفان مكتبة الآباء نحو اربعمائة مجلد
٣) المشرق (٢٠ [١٩٢٢] : ٨٥٢—٨٦٣)

والارشاد وطريقة التعليم. فسارت المدرسة سيراً حثيثاً في طريق التقدم والنجاح ، وكانت تدرس فيها اللغات الثلاث العربية والسريانية ومبادئ الافرنسية . ومن خريجيها حضرة الاب مبارك ثابت الديراني ذو الباع الطولى في الانشاء والكتابة . وقد ضمّ الرؤساء الى تلك المدرسة ، في السنة ١٨٩٧ ، مدرسة اخرى خارجية وداخلية للتلاميذ العالميين استلم ادارتها المرحوم الاب الياس المشمشاني ، وخلفه الاب ليباوس داغر التنوري ، وكلاهما من خريجي مدرسة القديس يوسف الكلية . وقد استحقت تلك المدرسة ثناء الكثيرين ممن وقفوا على ادارتها وتعليمها ، اذ كانت وافية بمراد الاهلين يتعلم فيها الطالب ما هو ضروري لاجل معاطاته ومعاملاته بين الناس ؛ ولا يستنكف من الرجوع الى مهنة والده ان كانت الزراعة او حرفة من الحرف ، غير طامع بما هو فوق طاقته ومقدوره . ومثل هذه المدارس المتوسطة كانت انفع لبلاد لا قيام لسكانها الّا بجراثة اراضيها واستثمار المياه الكثيرة التي فيها وترويج صناعتها وتسهيل طرق الاصطياف في ربوعها

٣

الابتداء

ولما القى المجمع المقدس مقاليد الزيارة الرسولية بين يدي غبطة السيد البطريرك ماري الياس بطرس الحويك على اثر تبوئه السدّة البطريركية ، امر بنقل المدرسة الى دير سيدة النصر في نسبه قرب غسطا ، لتكون قريبة من كرسيه بكركي ، وتحت ظل عنايته الابوية الخاصة. وعيّن عندئذٍ دير كفيفان ، ديراً للابتداء . وكان باب الابتداء قد أقفل في الرهبانية بحكم بعض الظروف بعد ان عزّ عدة سنوات وكثر الاقبال عليه في ديري الناعمة ؛ ثم في دير مار موسى الحبشي ، في قضائي الشوف والمتن . وكان يبلغ عدد المبتدئين ، في بعض السنين ، نحو السبعين مبتدئاً . ومن دير مار موسى الحبشي ، نقل الابتداء ، بامر السعيد الذكر البطريرك يوحنّا الحاج ، الى دير قزحيا ، ومنه تفرق المبتدئون ، بامر الرؤساء ، كل خمسة او ستة معاً في بعض اديار الرهبانية ، لظروف طرأت

ولم يكن الابتداء موحّداً كما هو اليوم بل كان رؤساء الاديار ، في جميع المعاملات ، مفوّضين بقبول طالبي الترهب في اديارهم ، وذلك تسهيلاً للطلبة ، وتكثيراً لابناء الرهبانية . وكان الابتداء في قديم عهده على غير الطريقة الحالية . فانها في القديم كانت صعبة قاسية لا يستطيع احتمالها الا من كان ذا ارادة صلبة ، عزومة . اما اليوم وقد تغيرت الاحوال والامزجة فاضطرت الرهبانية ان تراعي في الطالب مزاجه ومقدرته على العمل ، فلا تكلفه من الاشغال ، ولا تفرض عليه من العقوبات ، ما كانت تكلفه اياه وتفرضه عليه من قبل . ورغماً عن كل هذه التسهيلات ، نرى الدعوات تقل عن الماضي ، وقد اصبح تمحيصها نادراً . وربما كان سبب ذلك النقص فتوراً في الدين نراه اليوم بعين دامعة ينسلّ في قلوب الكثيرين ويدسّ فيهم روحاً عصرية فاسدة هي روح الكبرياء والانانية ، ويبعدهم عن روح الانجيل المقدس ، روح الكفران بالذات ، والتواضع المسيحي . والسبب الثاني لنقص الدعوات الاكليريكية هو فتح باب المهاجرة على مصراعيه حتى كاد يفرغ البلاد من سكانها . ومن المعلوم ان الابتداء في جميع الرهبانيات على تنوع غاياتها انما هو مدرسة الفضيلة فيها يتلقن الطالب دروس الفضائل المسيحية والرهبانية ، ويتمرس عليها ، بما تفرضه القوانين من رياضات روحية ، واعمال يدوية ، ويتعلم الشروع ببناية كماله الرهباني على اساس التواضع ، والاماتة ، والكفران بالذات . وبهذا نعلم ما للابتداء من الاهمية في نظر الكنيسة والاباء مؤسسي الرهبانيات ؛ ولهذا السبب تُوجّه اليه كل العناية ، لانه حجر الزاوية في تأسيس الجماعات الرهبانية . فيختارون له من الآباء والرهبان ، افضلهم علماً وتقى ، واقدرهم على تدريب الناشئة وتهذيبها بالقول والمثل . وقياماً بهذا الفرض رأى غبطة السيد البطريرك الكلي الطوبى ، يوم تعيينه دير كفيفان ديراً للابتداء ، ان يختار له ابوين غيورين ، عرفا بتقواهما وتجردهما الرهباني ، وغيرتهما على حفظ القانون ، هما : المرحوم الاب نعمة الله الكفري ، والاب اغناطيوس داغر التنوري الرئيس العام حالياً على الرهبانية . وعين لهما مساعدين من خيرة الآباء والاخوة الرهبان . وكان غبطته يتنازل ويذهب بذاته احياناً لزيارة دير الابتداء ، متفقداً شؤون المبتدئين

لما عليهم من الاماني والآمال في تجديد الروح الرهباني ، والمحافظة على القوانين المقدسة . ومن الاسباب التي حملت غبطته على تعيين دير كفيفان للابتداء دون سواه ، وجود جثمان رجل الله الطيب الاثر الاب نعمة الله كساب الحرديني في ذلك الدير سليماً لم يسطُ عليه فساد القبر ، بعد ان مرّت عليه السنون ، وهو كنز ثمين تفوح منه رائحة القداسة فتعطر جميع الارجاء اللبنانية . فانه ما زال وهو ميت مثالًا حيًا بذكراه الطيبة وفضائله الخالدة ، ومعجزاته الكثيرة يتحدّث بها الرهبان والركبان في كل اين ومكان . ونحن نعتقد ان تلك الذخيرة الثمينة كانت وما زالت لدير كفيفان اثمن كنز وافضل بركة ، وكان بها للمبتدئين خير قدوة واقوى سند ينشط بهم الى مداومة السير في طريق الكمال الانجيلي

امّا قانون الابتداء ، فهو عبارة عن مجموع بعض قواعد تهذيبية ، وكناية عن توطئة وتمهيد للقانون الرهباني . وقد حصر غبطة السيد البطريرك عدد المبتدئين في بادئ الامر بخمسة وعشرين مبتدئاً ، ملاحظاً بذلك حالة الدير المادية ، وانتخاب الاصلح من الذين يتقدمون الى الترهب . وما مرّ ردح من الزمان حتى كثر اقبال الطلبة ، فاضطر الرؤساء عندئذٍ الّا يتقيدوا بعدد محصور ، وان يأذنوا بقبول من تكون فيه الصفات القانونية والشروط اللازمة . وكان اول المبتدئين وبكرهم ، كما يُستفاد من السجل الموجود في الدير ، الشاب اسطفان اسحق الطبشي من ابكاة البترون ، وهو اليوم الاب لويس البتروني المرسل البطريركي الذي يتعاطى اعمال الرسالة منذ اكثر من عشرين سنة ، وقد عرف بغيرته على النفوس وتفانيه في عمل الخير ومقدرته على الوعظ ، في اكثر الانحاء اللبنانية التي جالها ، وما زال مبشراً بكلمة الحق . وقد طالعت سجل الناذرين ولائحة اسمائهم من السنة ١٩٠١ الى السنة ١٩٢٨ الحالية فاذا عددهم ٣١٨ راهباً . وهو عدد لا يستهان به . واذا طرحنا منهم العدد القليل الذي لم يثبت في دعوته ، نراهم اليوم اكثر من نصف الرهبانية ، منهم من اسندت اليهم رئاسات الاديار وغيرها من الوظائف الرهبانية ، ومنهم اساتذة في المدارس او خدمة نفوس في الرعايا ، او منذرون بكلمة الله في عمل الرسالة ، وغير

رسم اللجنة الطبية مع بعض الموجودين في حفلة دفن جثمان الاب نعمة الله المرديني
في دير كنيغان سنة ١٩٢٧

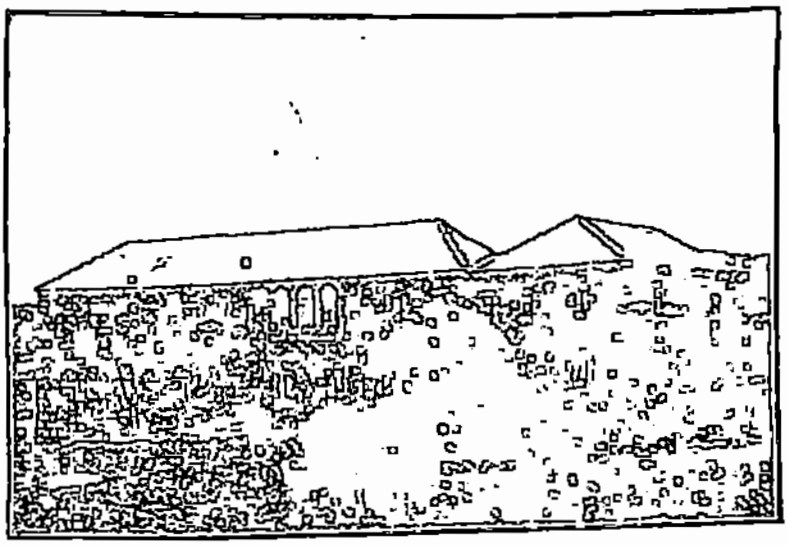

صورة دير كنيغان

ذلك من الاعمال المفيدة للدين وللوطن . فيحق لدير كفيفان ان يفخر باولئك الرهبان الذين تنشّقوا فيه روح الفضيلة والتقوى وثبتوا في دعوتهم قائمين بواجباتهم الكهنوتية والرهبانية حق قيام

ومن حسنات هذا الدير حسنة يسطرها له تاريخ الحرب الكونية بالشكر والثناء وهي انه ، رغم فقره وقلة مداخيله ، وكثرة جمهوره ، كان يطعم عدداً وافراً من الفقراء الطارقين بابه كل يوم ، ويوزّع الصدقات على المحتاجين ، ويقوم باعمال الرحمة الروحية نحوهم كما هو اليوم . وذلك برئاسة حضرة الاب بطرس الحائك البجدرفلي ، معلم المبتدئين حالياً . ولم يزل ، بفضل حضرة رئيسه الحالي الغيور الاب يوحنا العنداري الكفوري ، ديراً قانونياً عامراً تربى فيه ناشئة الرهبانية على سنن البر والصلاح . وهو باقٍ وسيبقى محجة تقى وقداسة لزائري ضريح ذلك البارّ صفيّ الله الاب نعمة الله كساب الحرديني حيث ثوى جثمانه بعد ان أُجري عليه الفحص الطبي السنة الماضية بحفلة حافلة ، بحضور اللجنة المقامة لفحص دعواه ودعوى رفيقيه البارّين الاب شربل مخلوف بقاعكفرا ، والراهبة رفقا الرئيس حملايا . وقد سافر مؤخراً حضرة رئيس الرهبانية العام الاب اغناطيوس التنوري الكلي الاحترام ، يصحبه حضرة الاب مرتينوس طربيه الوكيل العام على الرهبانية ، الى رومية لرفع تلك الدعوى الى المجمع المقدس لينظر فيها ، ويرفعها الى قداسة الحبر الاعظم فيتنازل الى قبولها . وقد كتب مؤخراً حضرة الوكيل العام المشار اليه ، يبشر بان الاب الاقدس تنازل وابدى عن عطفه الابوي السامي الى الرئيس العام والرهبانية وارتياحه التام الى تلك الدعوى ، اذ اراد ان يُعنى بها عناية خاصة ويرغب في مطالعتها ، ثم يحولها الى المجمع ؛ وهذه نعمة خارقة العادة تجعلنا ان نأمل ، بمعونة الله وصلوات اتقيائه القديسين ، تطويب هؤلاء الاصفياء الثلاثة ، وتكون دعواهم ، بعد تطويب الاخوة الثلاثة المابكيين ، الدعوى الثانية اللبنانية في الكنيسة الشرقية بعد وضع قانون تثبيت القديسين . وسنرى ، ان شاء الله ، صورهم مرفوعة على المذابح لاجل مجد الله الاعظم ، وفخر الكنيسة المقدسة ومسرة ابنائها ولاسيما الشرقيين ، حقق الله الآمال ! . . .

عمر الأرض (*)

الماضي والباقي ، هرمها وموتها

بقلم حضرة القس عبد المسيح زهر

١

عمر الارض الماضي

لقد صرف العلماء اهتمامهم الى درس الارض ، وبذلوا وسعهم في تخمين عمرها ، ومعرفة الزمان الذي مرّ ، منذ ابتداء وجود النواة السديمية ، التي تكاثفت شيئاً فشيئاً ، وغلظت ، وتصلّبت حتى كان من جملة ما تكوّن منها هذه الكرة الارضية . واتفق العلماء المتفرّغون لدرس طبقات الارض ، والجغرافيون ، وارباب الطبيعيّات ، بالرغم من المصاعب العظيمة الجمة ، على تحديد عمر سيّارتنا ، وجعله بين الالف والالفي مليون من السنين . وتوصلوا الى تخمين الزمان الذي انقضى منذ ابتداء تصلّب القشرة الارضية ، ووجود الكتلة الرخوة الداخلية التي جعلت كرتنا قوية صلبة . وذلك بعد درس امور كثيرة ، وحوادث مختلفة متنوّعة ؛ ولاسيما تخمين الزمان اللازم لتكوّن الملوحة الحاصلة الآن في مياه البحار ، اذ ان هذه الملوحة ، ما حدثت الّا بانتقال موادّ استخلصتها المياه بجريها من قشرة الارض ، بطريق التذويب التدريجي المتواصل

على ان العلماء الالمانيين ، لمّا حاولوا تخمين عمر الارض ، عمدوا الى وزن كمّية الملح التي تحملها ، وتنقلها ، كل سنة ، الى البحر ، مياه الانهار والجداول ؛ وقابلوا الملوحة الحاصلة من هذا النقل بملوحة البحار المحيطة ، اعني الاوقيانوسات ؛ فاجمعت آراؤهم على انه يلزم ، على القليل ، مائة مليون من السنين ، لحصول الملوحة الموجودة اليوم في البحار كلها . ولكن هذا الرأي لا يمكن التسليم به ، لان الماء الذي كان يسيل فوق اديم الارض ، عند ابتداء تكاثف البخار ، كان حارًّا ، ولشدة حرارته ، كان يستخلص من القشرة الارضية ، بطريق

(*) ان هذا المقال مقتطف من كتاب عنوانه : السماء (Le Ciel) لمؤلفه (A. Berget)

التذويب ، موادّ كثيرة مالحة ، اكثر مما يستخلصه الان في الوقت الحاضر ، بعد هبوط الحرارة ، ووقوفها في حالتها الحاضرة . فاذن لا يمكن تخمين عمر الارض الّا على وجه التقريب

امّا العالم الانكليزي ارشيلد جيكي (Archibald Geikie) فانه سلك طريقاً غير هذه الطريق ، للتوصّل الى تخمين عمر الارض . فوجّه عنايته خاصة الى درس الحوادث التي توالت على سيّارتنا ، وعمد الى الموادّ الراسبة في الطبقات ، التي منها تكوّنت القشرة الارضية . ولمّا كان سَمْك هذه المواد ، بحسب آراء العلماء ، ثلاثين الف متر يتكوّن منها القشرة الصلبة المغطية الارض ، لزم لتكوين كل متر من هذه الطبقات من ثلاثة آلاف الى عشرين الف سنة ؛ ومن ثمّ يلزم لتكوين الطبقات الناشئة من رسوب هذه الموادّ الف مليون من السنين . غير ان فئة الجغرافيين ، لمّا حاولوا هم ايضاً تخمين عمر الارض ، وحساب الوقت اللازم الذي استطاعت فيه الارض ان تبرد ، ويتولّد من برودتها بعض التقبُّض الظاهرة آثاره في اغوار الارض ، ومطاوي الجبال ؛ درسوا قبل كل شيء ما اعتور طبقات القشرة الارضيّة من التغيّرات والتقلّبات ، ولاسيما تلك الطبقات التي تكوّن منها سلاسل الجبال ، على اثر الانخسافات التدريجية ، التي حصلت فوق وجه الارض ، حين تقبّضها الناشئ عن برودتها ، وعجز النواة الداخلية عن حمل الثقل الذي على ظهرها . لانه كلما تقبضت القشرة الارضية ، وحاولت اللصوق بالنواة ، نفرت النواة وتباعدت عن القشرة ، فتغضّنت من اجل ذلك قشرتها ، وانزوت كما تنزوي الجلدة في النار ، او كما تنزوي وتتغضّن التفاحة المشوية . فهذا التقبّض يوازي هبوط الحرارة الى تحت الدرجة الثلاثمائة ؛ وهذا الهبوط لا يتمّ في اقل من نحو الفي مليون من السنين ، وفقاً لما ذهب اليه العلامة ارشيلد جيكي ، الذي جعل حدّ عمر الارض الاعلى في نحو هذا العدد من السنين

ثم ان آراء علماء الطبيعيات توافق آراء الفئتين المذكورتين سابقاً ، وان اختلفت الوسائط التي استعملوها لبلوغ غرضهم ؛ اذ انهم اسندوا نظرياتهم الى حوادث انبعاث النور من الاجسام ، التي اكتشفها هنري بكرل (Becquerel) ،

وتوصلوا بعد التجارب التي اجراها العالم الانكليزي روترفورد (Rutherford)، واستناداً الى كمية الهليوم الموجودة في المعادن ، الى تعيين عمر بعض الصخور . فجعلوا عمر بعض الصخور النروجيـة ٥٤ مليوناً من السنين ؛ وخمّنوا عمر بعض صخور جزيرة سيلان ٢٨٦ مليون سنة ، وعمر « الارض الزرقاء » في مدينـة كمبرلي (Kimberley) من مستعمرة الراس الانكليزية ٣٢٠ مليون ، وعمر صخرة بحيرة أنتـاريو في اميركة الشمالية ٦٠٠ مليون ، وعمر بعض الصخور الاسوجيـة من الالف الى الالف والثلاثمائة مليون ، وعمر بعض صخور اميركة الشمالية ١٤٠٠ مليون ، وعمر الصخور التي في جوار كولومبو ، عاصمة سيلان اكثر من ١٦٠٠ مليون سنة

اذن آراء علماء الطبيعيات توافق آراء علماء طبقات الارض وآراء الجغرافيين، الذين خمّنوا عمر ارضنا ، وجعلوا لها نحو الفي مليون من السنين . على ان هذه الطرق التي سلكها العلماء ، والوسائط التي استعملها الفئات الثلاث ، مع ما هي عليه من الاختلاف ، تؤدّي كلها الى نتيجة واحدة ، وتعيّن عمر الارض على وجه التقريب ، وتتفق على حلّ هذه المسئلة ، التي عليها يدور البحث في هذا المقال ، وتثبت ان عمر سيارتنا يقارب الالفي مليون من السنين . هذا وان علماء طبقات الارض متفقون على انه يلزم لتكوّن الطبقات الاولية $\frac{٧٥}{١٠٠}$ من العدد الكلي ، ويلزم للطبقات الثانية $\frac{١٩}{١٠٠}$ ، وللطبقات الثالثة $\frac{٦}{١٠٠}$ ؛ اما الطبقات الرابعة فلم يعيّنوا بعد مدتها وهي تمتد الى يومنا الحاضر . ولا يعترض على ذلك بما ورد في التوراة من ذكر الايام الستة ؛ لان اليوم بلغـة الكتاب يدلّ على مدة غير معينة من السنين

٢

الباقي من عمر الارض

رأينا على وجه التقريب ما مضى من عمر الارض ؛ فكم يبقى لها يا ترى من الحياة في المستقبل ؟ ان الارض خاضعة ، ولا ريب ، لعوامل تؤثر فيها ، وتعرّضها للتلاشي والفساد . وهذه العوامل هي : الماء ، والهواء ، والجليد . فالشمس بحرارتها تسخن الصخور والاحجار من الجهة المقابلة لأشعّتها ، فيحدث

فيها من جرّاء ذلك التسخين امتداد ، فتتصدّع وتتفرّق اجزاؤهـا . ثم ينزل عليها المطر ويخترق صـدوعها وشقوقها ، ويجمد في جوفهـا فوق قمم الجبال الشاهقة ، وعندما يجمد الماء يزيد حجمه ، فتتصدّع الصخور ، وتتطاير اجزاؤها وتهبط بقوة نواميس الثقل الى الاماكن المنخفضة الوطيئة ، متدحرجة على سفوح الجبال . ومن هناك تسوقها مياه المطر الى اسفل لان قطار الامطار لا تقرّ ولا تهدأ الى ان تبلغ قرارها في بطون البحار . وما دامت على وجه الارض ، فهي لا تزال تسيل ، وتجري ، وتتدافع حتى تصل الى مركزها . وعند سيلانهـا وجريانها ، تجرف معها قطع الصخور التي انفصلت من الجبال ، بل انها تخـدّ الارض ، وتجري مندفعة بقوة وبأس شديد ، فتهدم وتجرف كل ما يعترضهـا حين جريها . فالساقية الصغيرة تصير جدولاً ، والجدول يصبح سيـلاً جارفاً لا يطاق دفعه ، فيكسر السدود ، ويبثق الحواجز ، ويُحدث الثلم في الصخور ، ويندفع بكل قوته وشدته الى البحر مقرّه . وكلما كانت الجبال عالية ، كان اندفاع السيول اعظم واشدّ . وعندما تصل الى السهول والارضين الوطيئـة ، تترك هنالك التبن الذي حملته في سيرهـا . فهذه الاعمال ، اعمـال التخريب والملاشاة ، لا تنقطع ولا تقف . يأتيها النهر العظيم ، والسيل ، والجـدول ، والساقية ، فيحدث من اجلها ، على ممرّ الزمان ، وتعاقب الاوقـات ، زوال تضاريس الارض ، واستواء الانجاد . اذ ان المواد المنفصلة والمنتزعة من الجبال تنتقل بواسطة الماء الجاري الى اعماق البحار مقرّها الاخير

واعلم ايضاً ان الماء الجاري يؤثر في وجه الارض ؛ لان قطع الجليـد المتراكمة في الاودية العالية عندما تاخذ في الهبوط الى الاماكن الوطيئة تجرف معها الصخور والاحجار اللاصقة بها حتى الواقفة في طريقهـا . وكذلك الثلج المتراكم على سفوح الجبال ، فانه يتكسر ويهبط الى الاودية ، جارفاً كل مـا يجد في طريقه من صخور ، واشجار ، وبيوت ، واكواخ ، وقرى ، وضياع ، كانه مسحاة عظيمة تسحو وجه الارض . وعندما تذوب ، تجرف مياهها الحجارة التي تجدها في طريقها ، وتسوقها الى اسفل . وكما يحدث على الجبال ، يحدث في الارضين المجاورة للقطبين حيث تنفصل قطع الجليد ، وتهبط الى البحار ؛

فتطفو فيها ، وتسبب غرق السفن مهما كانت كبيرة ، كما جرى « للتيتانيك » سنة ١٩١٢ . ولا تزال عائمة في البحار حتى تذوب وتترك في اعماق اليم الصخور التي كانت ملتصقة بها . فهذا ايضاً من جملة العوامل العاملة في نقل المواد الارضية الى لجج البحار . وما عدا ذلك فان الماء الفائر في قلب الارض يذوب كمية كبيرة من المواد الصلبة ، ويستخلصها من القشرة الارضية ، ويذهب بها الى البحار ، ومن اجل هذا تحدث الانخسافات . امّا الاماكن الخالية من المياه ، القليلة الامطار ، كالقفار ، والصحارى ، فلها ايضاً آفة غير ما ذكرنا . فهنالك الرياح تنسف الرمال ، وتقطّع بها تضاريس الارض . وعلى هذا النحو لا تنجو ارض ، ولا بلد من اعمال التخريب ، وتأثير الحوادث الجوية . كما ان البحر يساعد اعمال التخريب والافساد ، لانه يهاجم الارض بشدة امواجه ، ومدّه ، وجزره . فالريح عندما تثير الامواج ، تكسبها قوة شديدة تؤثر في الشواطئ البالغة ٢٥٠،٠٠٠ كيلومتر ؛ وآثار ذلك بادية في بريطانية ، وزمندية من اعمال فرنسة . على ان هذه الاعمال ، اعمال التخريب التي يسببها البحر ، ما هي الا الثمن من اعمال التخريب التي تحدثها المياه الجارية . وقد حسب علماء طبقات الارض ان كرتنا تخسر ، في كل سنة ، اثني عشر كيلومتراً مكعباً من المواد الصلبة . ولمّا كانت اليابسة تبلغ مائة مليون كيلومتر مكعب ، نتج من ذلك انه بعد سبعة ملايين من السنين ، لا يبقى اثر للارضين . بل اقل من هذه المدة يكفي لنقل المواد الصلبة من على الارض الى البحر . غير ان الاراضي تدافع عن كيانها ، وتردّ هجوم البحر وغاراته ، بما تكسبه من المواد التي تحملها اليه الانهر ، مثال ذلك مثلثات الرون ، والنيل ، والمسيسبي . فضلاً عما في قلب البحار الكائنة بالمنطقة الحارة من العمال الصغار الذين يبنون ، بشكل جزائر مرجانية ، اقساماً جديدة من اليابسة ؛ وهولاء العمال هم انواع الاخطبوط ، كما يرى ذلك على شواطئ اوسترالية من جهة الشمال الى الغرب . ولا يحسن ان ننسى هنا مدداً كبيراً يساعد الارض على ردّ غارات هذه الآفات المتضافرة على ملاشاتها ، اعني القوة الباطنة التي تقذف من فوهات جبال النار بالحمم الذائبة ، والموادّ المصهورة التي تزيد اليابسة . فان بركان جزائر سندويش ودّ

على الارض ، دفعةً واحدة ، ما خسرته هنالك في مدة اثني عشر الف عام ، بسبب تأثير العوامل الجوية . فلا ريب اذن ان اليابسة تكسب احياناً بعض الشيء ؛ ولكن القوى المخرّبة الملاشية اقوى وأشدّ ، وهي تؤثر في تضاريس الارض ، وتلاشيها شيئاً فشيئاً ، بالرغم من الانفجارات البركانية ، الخارجة من قلب الارض

٣

هرم الارض وموتها

ان الحرب الناشبة بين الارض وعوامل الهدم والفساد ستدوم اجيالاً عديدة ، وسنين طويلة . وبعد زمان طويل يكثر الحامض الكربوني في الجوّ ، لان جبال النار التي هبّت ، على ما يظهر ، من سباتها ، وتقدُّمَ الصناعات ، وبلوغها اوج الكمال ، وكثرةَ استخدامها للوقود المعدني المتجمّع في قلب الارض ، يزيد هذا الحامض الواقي الارض من البرودة ، ويزيد ايضاً الحرارة . فاذا خلا الجوّ عن هذا الحامض (١/٣٠٠٠) هبطت درجة الحرارة فوق الارض الى درجة العشرين . ومهما زاد الحامض الكربوني في الهواء ، ارتفعت درجة الحرارة ، وطاب الهواء ، وقلّ البرد ، وأمن الجليد الشديد الذي شمل الارض في العصر الرابع ، وكثرت الغلّات ، ونما النبات

فاذن برودة الشمس هي التي سوف تؤثر في الارض ، وتسوقها حتماً الى الموت والهلاك . ولكن متى يحلّ بها هذا الموت والهلاك ؟ هل الزمان قريب ام بعيد ؟

ان العلامة الالماني هلمهولتز (Helmholtz) عيّن الزمان الباقي من حياة الارض ، وجعله سبعة عشر مليوناً من السنين ، تصير الشمس بعدها بفعل الانقباض الناتج من برودتها الى ربع جرمها الحالي . ولكنها قبل وصولها الى هذا الحجم بزمان طويل ، تصبح عاجزة عن تسخين الارض ، فتكون الحرارة في درجة الصفر ، ومتى هبطت الحرارة الى درجة الصفر ، لا تطول حياتها زماناً طويلاً . ولكن اذا طال عمر الشمس بسبب الحوادث الباعثة النور (radio-actifs) طال ايضاً عمر الارض الذي جعله علماء الطبيعيات ستة ملايين سنة

ماذا يحدث فوق وجه الارض ، بعد ستة ملايين سنة ؟ وماذا تكون

الاكتشافات ، والاختراعات التي سوف يتوصل اليها البشر ؟ اتراهم يتوصلون الى الاتصال بعوالم اخرى ، ويستخدمون قواها ، التي لسنا نعرفها في الوقت الحاضر ، ولا نعرف كيفية وجودهـا ؟ ولكن على كل حال تكون اذ ذاك الحرارة تحت درجة الصفر ، وتصبح شروط الحياة مفقودة على وجه الارض ، فيـدنو زمان موتها وهلاكها . ومتى بردت الشمس ، وتناقصت ، او بالحري تلاشت حرارتها ، تبطل حينئذٍ سخونة الابحر ، والانهر ، الضرورية لحفظ المياه مائعة ، وتجمد كلها ، وتتكاثف الغيوم ، وتصير ثلجاً ، فتسرع البرودة ، ويتخلخل الحامض الكربوني فيسقط على الارض ثلجاً دقيقاً ، ويذهب بسقوطـه العامل الاخير الذي كان يسخن الارض . وعندما تصل الحرارة الى الدرجة الثالثـة والسبعين ، اعني درجة ٢٠٠ تحت الصفر ، حسب موازين الحرارة التي عندنا ؛ تظهر بحار اخرى في الارض ، تتكون من الجليد ، وتنشأ عن تخلخـل غازات الهواء : الازوت والاكسيجين ، ولا يبقى اذ ذاك في الجو المتخلخـل جداً ، سوى آثار من اكسيدروجين والهليوم ؛ فتصبح قشرة الارض محـدودة على كرة باردة ميتة في ظاهرها . ولا تزال مع ذلك تحوي ، تحت القشرة الجامـدة ، الكتلة الرخوة الملتهبة ، مركز المواد الذائبة . فتكون شبيهة بقذيفة كبيرة محشوة مواد منفجرة ، وتصير كوكبا ميتاً بالحقيقة ، وذلك بسبب تراكم الثلوج على سطحها . وتدوم على تلك الحال اجيالاً لا يعلم مقدارها الا الله وحده .

امّا الشمس فسوف يصيبها ما سيصيب الارض : وتجري عليهـا الاحكام عينها التي تجري على كرتنا ، منذ ابتداء تاريخها . غير ان تصلّب قشرتها سيكون اسرع من تصلّب القشرة الارضية - لعدم وجود كوكب مضيء بالقرب منها لينيرها بجوارته . ففي وسط ذلك الظلام الشديد المدلهم الـدائم ، سوف يتكوّن فوق قشرة الشمس ، ابحر مياه تتحوّل بعد حين الى غـازات ، وتبقى الشمس كوكباً مُطفأ ، يسير في وسط اجواز الفضاء الافيح ، الى ان تصـادف كوكباً آخر ميتاً ؛ فحينئذٍ يتصادمان فتتطاير اجزاؤهما ، ويتولد من ذلك الاصطـدام سديم جديد ، يخرج منه عالم جديد . وهكذا سوف تعود في لانهاية الزمان والفضاء دورة نشوء العوالم . سبحان مبدع الافلاك ، ومقدّر حركاتها !

لغة مسلمي الأندلس

بقلم الاب لامنس اليسوعي

باي لغة كان يتفاهم مسلمو الاندلس ؟

سؤالٌ ، قد يتسرّع الكثيرون من قرّائنا الكرام فيجيبون عنه بان لغة مسلمي الاندلس كانت العربية . ولمَ هذا التسرّع في الحكم ، ولا شيء يُجبر المسلمين على التكلم بذاك اللسان ، بل لا شيء يجبرهم على فهمه ؟ ونحن اذا دقّقنا البحث ، لا نعدم بلادًا اسلامية تتكلم اكثرية سكانها بلغة غير العربية . لنأخذ مثلًا بلاد مراكش ، بل بلاد الجزائر عينها ، فنرى لاكثرية اهليها تتفاهم بلسان بربري . على انه قد يعترض علينا احدٌ فيقول : وماذا نفعل بآداب الاندلس العربية ؟ فان ابن عبد ربه ، وابن رشد ، وكثيرًا غيرهما من كتاب الاندلس ، قد وُجدوا وعاشوا في تلك البلاد ، ولا سبيل الى انكار ذلك . ولقد كتبوا مؤلفاتهم باللغة العربية ، وهم انما فعلوا ذلك لاعتبارهم ان في معاصريهم ووطنييهم من يقرأ مؤلفاتهم ويفهمها .

ولكن لا يصعب دحض هذا الاعتراض ، وهو لا يختصّ باسبانية الاسلامية وحدها ، اذ ان هناك كثيرًا من البلدان استعملت لسانًا مزدوجاً يتفرّع ليس فقط من لهجتين مختلفتين للغة واحدة ، بل من طائفتين متباينتين من اللغات . فكان في كل من تلك البلدان لغة رسمية تستعملها الحكومة ، ولغة ثانية يستعملها الشعب وافراد الرعية في معاملاتهم . تلك كانت حالة سورية قبل الفتح العربي ، اذ كانت لغة البلاد السريانية ، او لهجة من الآرامية ، بينما كان مؤلفو ذاك العصر ، وهم سوريون ، ينشرون كتبهم باليونانية . وكذلك القول عن الرُقُم المكتشفة في بلادنا فان اكثرها كان مكتوباً باليونانية او باللاتينية . ولم تنحصر اللغة اليونانية في سورية بكونها اللغة الرسمية ، كما كان اللسان التركي على عهد العثمانيين ، بل كانت ايضاً لغة المناظرات والتآليف العلمية

واننا نتحقق الحالة ذاتها في اوربة ، منذ القرون الوسطى حتى القرن السادس عشر ، حيث نرى في اكثر البلدان الاوربية كفرنسة ، وايطالية ، وانكلترة ، والمانية ، جميع العلماء من آباء الكنيسة حتى اساتذة الجامعات المختلفة ، ينشرون مؤلفاتهم ، ويتناظرون باللغة اللاتينية. ومنشوراتهم هذه تملأ المكاتب الضخمة في عصرنا . وكذا القول عن لغة المعاملات الإدارية ، والنقوش على النقود حتى ان انكلترة تحتفظ الى يومنا هذا بنقش لاتيني على ليرتها . فهل ينتج من هذه الآثار والوثائق العديدة ان الشعب ، في كل تلك البلدان ، كان يتكلم اللغة اللاتينية او يفهمها ؟ لا لعمري ! وليس احد ليزعم هذا الزعم !

* * *

جال في خاطرنا ذاك السؤال عن لغة مسلمي الاندلس بينما كنا نتصفح مجموعة اسبانية وصلتنا مؤخراً ، وهي غاية في الاتقان . وذلك انه في السنة الفائتة ، احتفل علماء الاسبان بيوبيل مستشرقهم الشهير خوليان ريبيرا إي تلّاغو (Julián Ribera y Tarrago) بمناسبة مرور اربعين سنة على مباشرته التعليم العالي (١٨٨٧—١٩٢٧) . وبعد تلك الحفلة قام اصحابه وتلاميذه العديدون بنشر مقالاته المتفرقة ، في مجلدين كبيرين(١ . وقد كتب مقدمة تلك المجموعة المستشرق الاسباني المعروف، الاستاذ اسين بلاسيوس (Asin Palacios) فبحث فيها عن خدمات المحتفل به المتعددة في سبيل العلم والعرفان . وقد تأسف الاستاذ اسين على ان اعمال مستشرقي الاسبان تكاد تكون مجهولة كل الجهل . ونحن نرى تأسفه في محله لاسيما فيما يختص ببلادنا، لان جميع الذين اهتموا بدرس الاندلس ، من مؤلفينا العصريين ، جهلوا تماماً اعمال مستشرقي الاندلس ، ويكفينا ان نذكر اسمي البتانوني والنصولي ونقيس عليها باقي مؤرخي عصرنا

اما فيما يتعلق بالسؤال عن لغة مسلمي الاندلس، فهذا بالاختصار رأي الاستاذ

---

١) DISERTACIONES Y OPUSCULOS, Madrid, Est. Maestre, 1928. Tome I, CXVI, 637 ; Tome II, 796 pp.

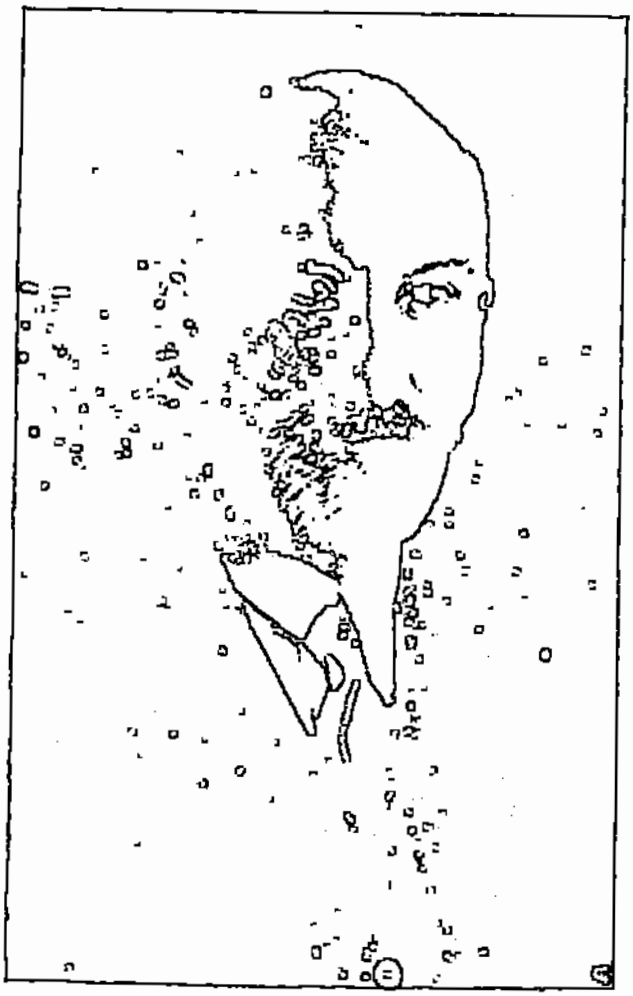

فولباند ريبرا

المستشرق الاسباني الكبير

ريبيرا ، ونحن نحيل المطالع على المؤلف نفسه حيث يرى البراهين الوافية (١ :

لم يكن بين المسلمين الذين قاموا بفتح الاندلس الا القليل من العنصر العربي الخالص ، فكان منهم قوّاد العسكر واصحاب الرُتب فيه ليس غير . امّا اكثرية الجيش فكانت مؤلفة من البربر والافريقيين

وفضلًا عن ذلك فان عدد العرب الأقحاح كان ينقص باطّراد متواصل ، بسبب الحروب الاهلية التي اثارتها عوامل المنافسة والطمع . فاذا تقرَّر هذا ، رأينا انفسنا مدفوعين الى الاقرار مع الاستاذ ريبيرا: ان نسبة العنصر العربي ، او الشرقي ، في تكوين الشعب الاسباني المسلم قليلة جدًّا . ومن ثمَّ فلا شيء يُجيز لنا نعت مسلمي الاندلس بالعرب ، خصوصاً منذ الجيل الرابع بعد الفتح الاندلسي

وقد كانت لغة هؤلاء الناس في علاقاتهم العادية اللغة الاسبانية . حتى انه في داخل الأُسر الاسلامية القليلة ، التي كانت تُفاخر باصلها العربي ، لم يكن يجري التفاهم بالعربية بل بالاسبانية . فنرى على الجملة انه كان في الاندلس لغتان جاريتان معاً: الاسبانية ، وهي لغة المعيشة العيلية والحياة اليومية ؛ والعربية وهي اللغة الرسمية ، لغة الحكومة ، والعقود ، والجامع ، والمدرسة . وان هذا الازدواج في اللغة لا يختصّ بالاندلس فحسب ، بل نراه في اكثر البلاد التي افتتحها العرب ، والتي احتفظ سكّانها بلغاتهم الوطنية القديمة ، كاللسان البربري في مناطق المغرب ، والفارسي والتركي في المشرق . ولم يتلاشَ واحد من هذه الالسن امام اللغة العربية . لان الانسان ، مهما تعاظمت الطوارئ الخارجية عليه ، يفضل دائمًا ان يتفاهم مع بني قومه بما يدعوه الاوربيون « بلغة الامّ » ، بتلك اللغة التي تعلمها ، وهو لا يزال صبيًّا يتنقل في حضن امه

وهناك سبب ظرفي غاية في الاهمية ، كان يحول دون انتشار اللغة العربية في الاندلس ، وهو عدم وجود امهات عربيّات ، حتى في الأُسر العربية الاصل . وذلك ان الفاتحين من العرب لم يستصحبوا نساء من عنصرهم . فأُجبروا على

١) *Disertaciones* : I, 10 etc...

التزوّج بنساء اجنبيّات عنهم. ولا يُستثنى احد من هذا الامر ، حتى ان افراد الأسرة الاموية المالكة في قرطبة كانوا يتخذون لهم نساء من الاسبانيّات ؛ وقد حسب الاستاذ ريبيرا ان هشام الثاني (٧٩٦–١٠٠٩) ، وهو الخليفة الاموي العاشر في الاندلس ، لم يكن في عروقه الّا جزء من الف من الدم العربي . وفي جميع الأسر الاسلامية كانت النساء والجواري اجنبيّات واكثرهنّ من العنصر الاسباني . فلم يكن بالامكان التفاهم في تلك الأسر الّا بلسان الاسبان الذي ظلّ مستعملًا جارياً على ما كان عليه قبل الفتح . ولنا من شهادات مؤرخي المسلمين انفسهم البراهين المتعدّدة على ذلك. فابن حَزم (١ يذكر ، كحادث نادر غريب ، وجود قبيلة عربية في ضواحي قرطبة لم تزل تحافظ على عاداتها القديمة فلا تتكلم الا اللسان العربي ، وهو يلاحظ ان افرادها من رجال ونساء ايضاً ، لا يفهمون اللغة الاسبانية . فنرى من هذه الملاحظة ان الكاتب يقرّ ضمنيًا انه ، حتى في الاسر التي كانت تجاهر باصلها العربي ، كانت اللغة الاسبانية جارية في التخاطب والتفاهم .

هذا ولنا برهان آخر في قول كاتب ثانٍ من بلاد الاندلس وهو الُخشَني . فانه يروي حادثة جرت على عهد عبد الرحمن الثاني (في النصف الثاني من القرن التاسع) اذ اقيمت دعوى على « قاضي الجماعة » في قرطبة . وقد حُكم على القاضي المذكور ، بفضل شهادة أدّاها احد سكّان قرطبة ، وكان شيخاً جليلًا « مقبول الشهادة ، ومشهورًا في العامّة بالخير ، وحسن المذهب . » فهو اذن من افاضل المسلمين . الّا انه كان اسباني الإسم ، يُدعى « بيناير » ، ولم يكن يمكنه الإفصاح الّا باللغة الاسبانية. وقد قال عنهُ الُخشَني المذكور(٢ : « كان اعجمي اللسان » أدّى شهادته « باللفظ الأعجمي » اي الاسباني . وقد نظرت محكمة قرطبة في دعوى ثانية من هذا النوع ، جرت فيها جميع المرافعات باللغة الاسبانية (٣

١) ابن حزم : جمهرة انساب العرب ، ص : ٢٢٠ ، من مخطوطة تونس
٢) الُخشَني : كتاب القضاة بقرطبة (طبعة Ribera ، ١٩١٣) ص : ٩٦
٣) الُخشَني : الكتاب المذكور ، ص : ١٣٩

ثم ان مسلمي اسبانية كان من عادتهم ان ينعتوا عظماء رجالهم بالقاب وكنى بعيدة عن الاعتبار ، وقصدهم في ذلك نقد اعمالهم، او التهكّم على بعض صفاتهم . ولمّا كانت كل هذه النعوت والالقاب متّخذة من اللغة الاسبانية — من امثال « كيلو: Camello » (جمل) « وبطرا سكا: Petra Seca » (الحجر الجافّ) وهو لقب احد مشاهير مجلاتهم — جاز لنا ان نستنتج ان الشعب الذي كان يخترع هذه الالقاب كان يستعمل اللسان الاسباني في معاملاته اليومية وعلاقاته العادية

وقد تحقّق امر ازدواج اللغة بين مسلمي اسبانية الجغرافي السوري المشهور المقدسي (من اواخر القرن العاشر) ، فقال في كتابه « احسن التقاسيم » واصفاً الاندلسيين الذي شاهدهم بكثرة في مكة ، اثناء الحج (ص:٢٤٣) : « لغتهم منغلقة مخالفة لما ذكرنا في الاقاليم ، ولهم لسان آخر يقارب الرومي . » وهذا اللسان الآخر هو اللسان الاسباني ، الذي « يقارب الرومي» بالحقيقة ، كما قال المقدسي ، لانه مشتقّ من اللاتينيّة

فكل هذه البراهين المتعددة تؤيّد نظرية الاستاذ ريبيرا في انه كان لمسلمي الاندلس لغتان مختلفتان كما ذكرنا

* * *

ونحن نختم كلامنا راجين من الله ان يمدّ سنين عديدة حياة الاستاذ ريبيرا، فيتابع باجتهاد واتقان ابحاثه النفيسة . هذا ما نتمنّاه باسم « المشرق » للعالم الاسباني الكبير . امّا كتّابنا الذين يهتمّون بالاندلس وتاريخه وآدابه فاننا ننصح لهم ان يستفيدوا من اعمال مستشرقي الاسبان ، ويسيروا في انوار معارفهم ، لان اهل البيت ادرى بما فيه !

الاعشى الاكبر (٦٢٢ او ٦٢٩م)

بقلم الاديب ميشيل سليم كميد

٢

شعره وما يمتاز به

مما يمتاز به الاعشى عمن سبقه من الشعراء ، ومن عاصره ، ومن عقبه ، الى الآن ، قصيدة تشابه في جزء منها ما اخترعه الاغريق ، وتابعهم عليه الرومان ، في الشعر القصصي اي الملاحم . فان صحت نسبة هذه القصيدة ، يكون قد بذّ الشعراء العرب وفاز عليهم ، والى بشيء لم يكن عند العرب به علم(١

١) لقد عرّب العرب كتباً جمة عن اليونانية ، فلا شك ان اوديسة هوميروس أو الياذته وقعت بين ايديهم . ولسنا نعلم لماذا لم يخطر لهم ، ان ينافسوهم في هذا الميدان. ألاحتقارهم هذا الفن من الشعر القصصي ؟ أم لظنهم ان هذا لا يفيدهم ؟ وهم قد اخذوا عن الاغريق ، كل ما وجدوه يفيدهم فائدة ما . من الفلسفة لدعم اسس الدين. ومن العلوم الاخرى المختلفة لاجل فائدة الدولة . ولم ينظروا الى الآداب اليونانية بعين الاعتبار ، بل ضربوا بها عرض الحائط . وتوهموا ان كل ما تحتوي عليه اللغات الاجنبية من آداب غير جدير بالتفاتهم والاعتناء به ، وهذا منتهى الطغيان والعجرفة . وذلك لضيق مخيّلتهم ولطبع التعصّب الذي فيهم ، وتخيّلهم ان العربية كاملة اتم الكمال ، فهي غير محتاجة الى النقل عن غيرها والاقتداء به. وضُربت الاستر على بصيرتهم ، فخضعوا في جهالتهم وضلالتهم ، وعميت ابصارهم عما تكنه تلك الكتب ، وتضمنه بين طيّاتها من آداب راقية في الملاحم والروايات التمثيلية

أما ابيات الاعشى ، فسببها انه هجا رجلًا من كلب ، وسبّ الناس الكلبيّ بذلك ، فتغيّظ عليه واتفق ان اغار على قوم ، وأسر منهم نفرًا ، ومنهم اذ ذاك الاعشى ، وهو لا يعرفه . وجاء به ، حتى نزل بشريح بن السموأل بن عادياء ، صاحب تيماء . وصادف ان مرّ شريح بالاعشى ، فناداه هذا واستجار به بهذه القصيدة التي منها :

كن كالسموأل ، اذ طاف الهمامُ به ... في جحفلٍ ، كهزيع الليل جرّارِ
اذ سامه خطّتي خسف ، فقال له : ... قل ما تشاء ، فاني سامعٌ حارِ
فقال : غدر وثكل انت بينهما ... فاختر ، وما فيهما حظٌّ لمختارِ
فشكّ غير طويلٍ ، ثم قال له : ... اقتل اسيرك ، اني مانعٌ جاري .
انا له خلفٌ ان كنت قاتله ... وان قتلت كريمًا غير خوّارِ
فقال عندما ، اذ قام يقتله : ... أشرف ، سموأل ، فانظر للدم الجاري
أأقتل ابنك صبرًا ، أو تجيء بما ... طوعًا ؟ فأنكر هذا ايّ انكارِ

هنا نجد الاعشى يصف قصة السموأل مع الحارث بن ابي شمر الغساني ، حين حاصر الاخير الاول ، في حصنه الابلق ، لاجل دروع كانت لامرئ القيس ، تركها وديعة عنده . واختار السموأل تضحية ولده في سبيل الوفاء ، وحفظ العهد والجوار . وذكر الاعشى لهذه القصة في غاية الاقتضاب والايجاز — كجميع شعراء الجاهلية ، فحبّهم له يماثل شغف وتعشق الافرنسيين بالايضاح — وهو قد قصد من ذلك ، أن يبلغ مأربه ، وينجو من قبضة عدوه . ومهما يكن فقد صادفه هذا عفوًا ، واتى بما يشبه الملاحم عن غير قصد منه . وكثيرًا ما يوجز غاية الايجاز في اشعاره ، ويأتي فيها من البيان سحرًا . كقوله :

اذا انت لم ترحَلْ بزادٍ من التُقى ... ولاقيت بعد الموت ، من قد تزوّدا

وغيرها مما شعرنا بالحاجة اليه ، في منصرم القرن الماضي ، ومستهلّ هذا القرن . ووجدنا انفسنا في تأخر عن مستوى الشعوب المتمدنة . فهذا الجمود ، وهذا التعصب الاعمى ، حرما آداب لغتنا الكريمة ، ان تستمدّ بعض انوارٍ مشرقة ، وفنون ممتازة ، من اللغات الاجنبية !

ندمتَ على ان لا تكون كمثله وانك لم ترصدْ كما كان ارصدا .

فهنا نصح بالفعل الحسن والتزوّد بالاعمال الصالحة ، واتى على ذكر الموت ، وما يلاقي بعده الانسان الفاعل الخير ، وذكر ما يعتوره اذ ذاك من الحزن والندم . اتى على وصف كل ذلك في بيتين من الشعر وهذا غاية الابداع والايجاز . واكثرية شعره على هذا النمط البديع . وله القصيدة اللامية المشهورة التي عدّها بعضهم في جملة المعلقات السبع ، مطلعها :

ودّعْ هُريرة انّ الركب مرتحلُ وهل تُطيقُ وداعًا ايها الرّجلُ

...

كلّا ! زعمتم بانّا لا نقاتلُكُم انا لامثالكم يا قومنا قُتُلُ
نحن الفوارسُ يوم الجنو ضاحيةً جنبَي نُطَيفة لا ميلٌ ولا عُزُلُ
قالوا : الطراد ! فقلنا : تلك عادتنا ! أو تنزلون فانا معشرٌ نُزُلُ
قد نخضبُ العيرَ من مكنون فائله وقد يُشيط على ارماحنا البطلُ !

موته

لا غرابة ان لا نعرف تاريخ موته ، فهو كجُلّ شعراء الجاهلية ، بل كلهم ، لا نقدر ان نحدّد زمن موتهم ، فكل قصّاص روى شيئاً ، وقيّد ما عنّ له أو ما تُحدّث به امامه ، أو نسي زمن حادثة حصلت للشاعر قضى بها ، فكتب ما ظنّه اقرب للحقيقة . فالاعشى ، روى بعضهم عن وفاته قبيل الهجرة بزمن ، وبعضهم ذكر موته بعدها وفي السنة السادسة ، ومنهم من توسط المسألة ، وأراد حلّ المشكلة ، فجعلها في اوان الهجرة .

واننا نجد انه من العبث ، بل من المحال ، ان يبحث المرء عن زمن موت احد الشعراء في تاريخ العرب ، مهما كان الرجل عظيماً ، أو ان يبحث عن حادثة ، كي يستخلص حقيقة ، أو يستنتج فائدة ما . فيذهب تعبه ؛ وما قاساه من العنت والبرح في هذا السبيل بلا جدوى ، فالعرب قد قصروا في ترجمة فلاسفتهم وعلمائهم وشعرائهم حتى خلفائهم تقصيراً عظيماً .

ولنعد الآن الى الاعشى ، ولنرَ ماذا روى الرواة عن موته ، فقد ذكر هشام بن القاسم ، وكان علّامة بامر الاعشى ، انه وفد الى نبيّ المسلمين وقد

مدحه بقصيدته التي اولها :

ألم تغتمض عيناك ليلة أرمدا وعادك ما عاد السليم المسهدا
ولكن ارى الدهر الذي هو خائن اذا اصلحت كفاي عاد فأفسدا

. . . .

ألا أبلغا السائلي اين يممت فان لها في اهل يثرب موعدا
فان تسألي عني فيا رب سائل حفي عن الاعشى به حيث اصعدا

. . . .

فآليت لا ارثي لها من كلالة ولا من حفى حتى تزور محمدا
نبي يرى ما لا ترون وذكره اغار لعمري في البلاد وانجدا
متى ما تناخي عند باب ابن هاشم تراحي وتلقي من فواضله يدا
له صدقات ما تغب ونائل وليس عطاء اليوم مانعه غدا (١ . . . الخ

وبلغ خبره قريشاً ، فرصدوه على طريقه ، وقالوا : « هذا صناجة العرب ما مدح احداً قط إلا رفع قدره». فلما ورد عليهم قالوا له :« اين اردت يا ابا بصير ؟ » قال : « اردت صاحبكم هذا لأسلم . » قالوا : « انه ينهاك عن خلال ويحرمها عليك وكلها بك رفق ، ولك موافق . » قال :« وما هي ؟ » فقال ابو سفيان بن حرب : « القمار .» قال: « لعلي ان لقيته ان اصيب منه عوضاً عن القمار . ثم ماذا ؟ » قالوا : « الربا .» قال : « ما دنت وما ادنت ، ثم ماذا ؟ » قالوا :« الخمر . » قال :« اوه ، ارجع الى صبابة قد بقيت في المهراس ، فأشربها . » فقال له ابو سفيان :« هل لك في خير مما هممت به. » قال :« وما هو ؟» قال :« نحن وهو الآن في هدنة ، فتأخذ مائة من الابل وترجع الى بلدك سنتك هذه ، وتنظر ما يصير اليه امرنا ، فان ظهرنا عليه كنت قد اخذت خلفاً ، وان ظهر علينا ، اتبعته . » فقال : « ما اكره ذلك.» فقال ابو سفيان : « يا معشر قريش هذا الاعشى . والله

١) ذكر هذه القصيدة الدكتور طه حسين في كتابه « في الادب الجاهلي » في معرض كلامه عن الاعشى ، صفحة ٢٥٨–٢٥٩ . واتقدها وابان فسادها ، وسخافتها . ونسب انتحالها الى زمن العصبية في الاسلام

لئن اتى محمداً ، واتبعه ليضرمنّ عليكم نيران العرب بشعره . فاجمعوا له مائة من الابل . » فقطعوا . فأخذها وانطلق الى بلده. فلما كان بقاع منفوحة ، رمى به بعيره ، فقتله.

هذه اظهر قصة للاعشى ؛ وكثير من كتب الادب كالاغاني والعقد الفريد محشوّة بقصص لا تحصى على هذا النحو.

ومن الفكاهات التي نسج بردتها الرواة على ذكر حبّ الاعشى للخمرة ، ان يحيى بن عليّ رأى قبر الاعشى ، بمنفوحة ، وان الشبّان اذا ارادوا ان يشربوا ، خرجوا الى قبره ، واداروا الراح بينهم ، وصبّوا عليه فضلات الاقداح. وحدث ابو سليمان النوفلي . قال :

اتيتُ اليمامة ، والياً عليها ، فمررت بمنفوحة ، وهي منزل الاعشى التي يقول فيها « بشطّ منفوحة فالحاجر » فقلت : « اهذه قرية الاعشى ؟ » قالوا : « نعم. » فقلت : « اين منزله ؟ » قالوا : « ذاك. » واشاروا اليه قلت : « فأين قبره ؟ » قالوا : « بفناء بيته . » فعدلت اليه بالجيش ، فانتهيت الى قبره ، فاذا هو رطبٌ : « فقلت ما لي اراه رطباً. » فقالوا : « ان الفتيان ينادمونه ، فيجعلون قبره مجلس رجل منهم ، فاذا صار القدح اليه ، صبّوه عليه لقوله : « ارجع الى اليمامة ، فأشبع من الاطيبين : القمار والخمر . »

بمثل هذه الاختلاقات ، وهذه السخافات ، تتقوّل الرواة ، وتتحدّث القصّاص . وكأنهم لم يريدوا ان يكتفوا بما انتحلوه من فاسد الخبر ، وردئ الشعر لحياته ، بل ارادوا ان يتبعوه باكاذيبهم الى حافّة القبر ، والى ما بعد الممات ، ولم يخجلوا ان يقلقوا عظامه حتى في مرقدها الاخير ، ويعكروا عليه صفاء راحته الابدية . وهكذا انتهت حياة شاعرنا بين تهريف هذا ، وتلاعب ذاك ، وصار الى ما الكون اليه صائر

الرّيّ

خِصْبٌ للبلاد وصحّةٌ للعباد

بقلم الحكيم امين الجميّل

عنينا بالريّ ضبْط المياه وتنظيمها بعد استنباطها ، طِبقاً لقوانين اقتصاديّة وعمرانية وصحّية جعلناها موضوع هذا البحث وغايته

بالريّ عمران الارض ، وجمال خضرتها وأزهارها ؛ وبه رفاهيـة الشعب ، وسلامته وعافيته . فالماء العنصر الأوليّ لكيان النبات والحيوان والانسان، المؤلف لثلاثة ارباع زنة أنسجة هذه المخلوقات: « وجَعَلْنا من الماء كلّ شيء حيّ » !

أجل ان الماء ذلك، كلّ ذلك على شرط ان يكون نقيًّا ، جارياً ، غزيرًا . وهو ويلٌ ووَبالٌ اذا جاء دَنِساً، ساكناً ، شحيحاً . قلنا وكتبنا مرارًا حتى للمفوَّضين السامين انفسهم عن عقيدة لنا قديمة ، ولم تزل جديـدةً ، تزداد مع الزمن رسوخاً ويقيناً: أَلِفُ وباء الاصلاح والتصحيح في البلاد انما هما العناية بالمياه . ان المُصلح العظيم للوطن ، ان المُحسن الاكبر ، إنمـا هو ذلك الذي ينظّم الريَّ ويضبط فيه المياه

وقد تشتت الأمّة عن المُصلح المصحّح ، فظهر لها اثنان اذا أرادا وفعـلا متعاونَين ، كانا صاحبَي الخير العميم والاسم الخالد المجيد

فانت اوّلهما ايها الوزير المحقّق حسين الأحدب ، وقـد أتمتَ النهوض بنهضة بيروت الجميلة ، وأقمتَ البنـايات الفخمة في مقـام الخرائب الشنيعة ، وفتحتَ الشوارع المستقيمة النظيفة في مكان الأزقّة المتعرّجـة ، آتياً بالشمس المُحيية والهواء الحيّ الى حيث الرطوبة الدائمـة منبت العفونة وجاعلًا من سوق «الفشخة» شارع « ڤيغان » ؛ وهو أحقّ باسمك كما قلتُ يومَ كنا نشتغل معاً في وضع اسماء للشوارع ؛ وأخيرًا حللتَ مُعضلة الغبار في طرُق لبنان

وانت يا وزير الصحة الحكيم ابا الروس ، مَن عرفناك طبيباً لامعاً ، حبيباً للعِلم والرقيّ ، وعايناك منصرفاً في منصبك الى خير بلادك ، انتا مَن يُطلب

منها هذا العمل الخطير ، أخطر الأعمال ، ألزمها ، أفيدها ؛ وهو في ذمّتكما

نقاوة الماء = فإنّ بها ، ليس فقط عذوبته ولذّته ، ولكن بهذه النقاوة — الأمر الأهمّ — اي سلامتـه من جراثيم الهواء الأصفر ، والتيفيّة واخواتها ، والزحار ، وبعض الديدان . ومن الثابت ان هذه الأوبئة لا تنتشر الا عن طريق الماء ، مُباشرةً او عن طريق تلويثه للخضراوات المأكولة نيئة ، او الآنية

إن يُصَبْ احدٌ بما ذكرنا من الامراض او يدهمْ الوباء مدينةً او حَيًّا قُـلْ وانتَ على صوابٍ : جراثيم دخلت الماء وذاعت عن هذا السبيل وفتكت . هذا هو السبب الوحيد لتواتُر اوبئـة الكوليرا الى السنين الاخيرة في بغداد والشام وطرابلس ، وإقامة التيفيّة في صيداء وبعلبك ، وسائر المدائن إذ ترى مياه الشرب مكشوفة اي ملطّخة !

جريان الماء = إن يكن الماء يقتلُ من عرف القطر المصري الجار العزيز ، أكبر بدون ريبٍ مدهوشاً شبكة قنوات نيله المبارك ، الساري فيها الخصب العجيب

كان فدّان الارض قبل تنظيم الريّ يُباع باربعين جنيهاً وهو الآن يُؤجَر بهذا القدر . ولم يكن ذلك الخصب لو لم يتم بجانب ، اي بجذاء تلك الشبكة الساقية ، شبكةٌ ثانيةٌ غايتها عكس غاية الاولى يُحدّدها اسمُها الشائع « مصارف » لذهابها برطوبة التربة وما يفيض عنها من الماء ، تباعاً الى البحر : فالرطوبة المقيمة خَتَم وفسادٌ وموت حتى لجذور النبات

وما الضرر هذا وحسب ، بل هو ايضاً وخاصةً بالبرغش . وهو لا يتولّد الّا في الماء الساكن . وهذا الحيوان ، شرُّ الحيوانات ، السبب الوحيد الناشر لأفظع آفات بلادنا الشرقيّة : البرداء ؛ ولأثقل أوبئتها : ابي الركب . فضلاً عن غير علّل كحبّة حلب ، وعلاوةً على إزعاجه بلدغه وصوته . وما دام عندنا بعوضٌ وننام بدون ناموسيّات فما نحن ببيئةٍ صحية تليق بقوم ناهضين يعرفون للعافية قيمة ، وللوقاية مقدرة

غزارة الماء = ضروريّة للحدائق والحمّامات والفواصل المائيّة (siphons) الواقية وحدها البيوت من الروائح الفساديّة ؛ وللنظافة جملةً وعلى إطلاقها . والنظافة أمّ الصحة وابوها ؛ لا جمال بدونها ؛ ولا زينة طبيعية بغير الماء الدافق :

إذن ليكن الماء بكل مكان وليُعطَ الجميع كافياً وافرًا !

وها انا قد وصلنا ، بعد النظريّات ، الى العمليّات اي الى التحقيق . فكيف يكون ذلك ؟

في مقدّمة المطالب والحاجات الوطنية ، مسئلة المياه ، فيُطلب منكما ايها الوزيران ، ونودّ ان يبلغ هذا النداء فخامة المفوض السامي(١ نفسه والدوائر التي نقرأ على أبوابها عنوانات مراجع لما هو من الصحة والعمران والأشغال النافعة وربما « الريّ » باسمه

Services hydrographiques Services économiques

Services sanitaires et d'Hygiène

البحث بكل اهتمام ودقّة في مياه كلّ نهر وعين حتى في أصغر قرية بل في ان يُستنبَط ما في قلب الارض من هذا الكنز السائل اكبر الكنوز المخفية ، فتُجمَع وتضبَط في قنوات محكمة او تُسيَّل بحيث لا يدخلها أدناسٌ بتةً ولا تستنقع أصلًا . فيُعطى كل بيت وكل فردٍ قسطه منه

ثم يُدفع بالباقي السقي بحيث لا يضيع منه قطرةٌ ، وفاقاً لحاجات الجماعة والأفراد وضروريات الأملاك . كل ذلك بمعيار واوقات مُعيّنة .

ولا يحسبنّ احدٌ انا نطلب أمرًا فريًا غريباً فكل الحكومات الجديرة بهذا الاسم ، كجمهوريات اميركة ، ومدُن خليج السويس ، واقليم الصعيد نفسه ، تتمشّى على هذه القواعد فلم يبقَ بها برغش ولا مرض بَعُوضيّ . وبالامس قد سلّمت لبعض الجرائد ولحضرة وزير الصحة رقاعاً بريديّة من فلسطين مطبوعة بالعربيّة والانكليزيّة والعبرانية تفيد : ان كل من كان ببيته برغشٌ ، عليه ان يكتب عنوانه ويلقي كتابه مجاناً في علبة البوسطة لتهتمّ الحكومة حالًا في تخليصه من الضيف المؤذي الثقيل !... وليوقن الجميع ان كل خلل في هذا النظام ويلٌ وضربات وآفات ؛ وكل ماء يذهب سدى ، ولو قلّ جرمه ، جريمةٌ على اقتصاديّات البلاد ؛ وبكل ماء ساكنٍ بعوضٌ فأذى للصحة ؛ وكل دنسٌ

١) يزيد المبرّة طالمنا ونحن نتفح المسوّدات ان المفوّضية سلّمت حكومة لبنان ٥٠ مليونًا بشرطة إنفاقها في الري . فنعم الشرط ! ونعم التقيّد به

يلحق بالماء يمكنه ان يُنتج اوباء

كل مَن يهمل او يعرقل سير المياه وطهارتها يجرم الى الأمة ويقتل لا فردًا فقط ، كمن يطلق على مشنقة ، بل مئات !...

ما أحلى الاشتراكيّة في توزيع المياه ؛ وما أحكم ما قاله امس في خطابه في بيروت بجمعية الاطباء الاستاذ الشهير اشار البارزي : « ليس مالٌ أحقّ بالإنفاق وأفيد للشعوب مما يُبذَل في سبيل ضبط المياه وسلامتها وتسييلها...»

نحن لا ريب عندنا يا حضرة الوزيرَين بان المهمة جسيمةٌ وتنفيذها شاقٌّ ؛ ولكن إن جعلتما لكل بلدةٍ ، ولو صغيرة ، بلديةً بنظام خاصّ لكل مياهها واشرفتما في كل عام على ما يُتمّم منه ؛ واذا جعلتما لكل مجموعة دساكر متجاورة لجنةً تعنى فيها بمثل هذه المسائل الحيويّة ؛ وراقبتما مَن أقمتما من المراقبين او المفتّشين ، فانه لا يمضي القليل من الوقت حتى تكونا قد أحييتما وطنكما واراضي شعبه المتهافت على المهاجرة او المخيّم في الفقر والذلّ

ان الأمر ليسهل عليكما اذا استعنتما برجال الهمّة العاملين اليوم ما فعله من قبلُ الشهابيّون في نهر الكلب ولنهر انهار والخوري الغريب في الدامور . واذا ساعدتما الرجال الوطنيين النافعين كيوسف الزين الراوي لجهات النبطيّة ، ويوسف البريدي الذي اشتغل مع اعوانه لضبط مياه زحلة وتوزيعها على البيوت ، ومثله حبيب عقل لمياه المنبوخ في المتن الشمالي وناحية بكفيا ، والمير امين ابي اللمع لجلّ الديب ، وما سيفعله قريباً المهندس الاختصاصي الشهير بفنّ الري ادمون بشارة لنهر القاسمية

وما اكثر مثل هذه المشاريع من نهر ابرهيم الى الليطاني او نهر انطلياس ونبع العسل والينوني ، نفوّار البوشرية ، فنهر بيروت (قناطر زبيدة) ، ومثله الف نبع وعين من كل جهة وصوب . وكل ذلك ينتظر حكومةً حكيمة محقّقة تنهض بقوم اتفقوا على ان لا يتفقوا . وحذار ايها الشعب ، حذار ايتها الحكومة من الاستسلام الى شركات تحتكر مواردكم دون قيد ولا شرط

ونحن ، على هذا الامل ، نلتمس من الحكومة النشاط الى العمل ؟

جولة في كسروان

لحضرة القس انطونيوس شبلي اللبناني

٤ دير مار ضومط فيترون

كتب خزانة الخطية (تابع)

٢٩ : كتاب تفسير رسالة القديس بولس الى العبرانيين للحجري استخرجها من اللاتينيَّة الى العربيَّة القس يوسف جرجس الحلبي المذكور بنفقة مخايل فرحات سنة ١٧١٥ . عدد صفحاته ٣٣٨ صفحة ، طوله ٣٠ س ، وعرضهُ ٢١ ونصف س . خطُّهُ بالحرف العربي القس يوسف مارون الطرابلسي تلميذ المطران اسطفان الدويهي في ١٥ نيسان سنة ١٧٥٠ م ، وذكر بعد كتابة اسمهِ انهُ نقلهُ عن المسودَّة التي هي بخط المعرّب .

٣٠ : تفسير اربع رسائل بولس الرسول للحجري . الاولى : الى اهل فيلبيوس ، والثانية : الى كولوسايس ، والثالثة : الى تسالونيكي ، والرابعة : الى تسالونيكي ايضاً . نقلها عن اللاتينيَّة القس يوسف بن جرجس الحلبي المذكور بنفقة مخايل فرحات سنة ١٧١٥ . خط عربي يقع في ٢٩٤ صفحة ، بطول ٣٠ س ، وعرض ٢١ س .

٣١ : تفسير رسالة القديس بولس الى الرومانيين للحجري . استخرجها من اللاتينيَّة الى العربيَّة القس يوسف جرجس الحلبيّ الآنف الذكر بنفقة مخايل فرحات سنة ١٧١٥ . عدد صفحات هذا الكتاب ٣٩٨ صفحة ، طولهُ ٣٠ س ، وعرضهُ ٢٠ س . خطُّهُ عربي جاء في آخرهِ :

« علَّقهُ بيده الفانية العبد الخاطي يوسف مارون القس الطرابلسي نقلاً عن المسودَّة المضبوطة . تحريرًا في اليوم الحادي والعشرين من شهر آب سنة ١٧٤٩ . . . »

وقد كُتب على الورقة الاولى من هذا الكتاب نبذتان الاولى بخط ناسخه

القس يوسف مارون وهي:

«كتاب تفسير رسالة مار بولس الى الرومانيين لكرنيلوس الحجري قد عرّبهُ المعلم الفريد والشاعر المجيد المطران جرمانوس فرحات الحلبي الماروني مطران حلب.»

والثانية بخط عربي يختلف عن خط الناسخ وهي:

«صح. ان المرحوم المعلم القس يوسف الحلبي الماروني الملقب بالباني كان يستخرج كتب العهد الجديد من اللاتيني للعربي تفسير كرنيلوس الحجري اليسوعي. وكان يأخذ نفقة الكتب المذكورة اجرة استخراجه من المرحوم الخواجا خايل فرحات الماروني. وكان المرحوم القس جبرايل فرحات أخوهُ يعرّب الكتب المذكورة باللغة العربيّة. اعلمْ ذلك.»

٣٢ : نسخة ثانية من كتاب تفسير رسالتي مار بولس الى القورنتيين. نقلها بخط كرشوني عن نسخة المسودة الاصليّة المصححة بقلم فرحات التي مرّ ذكرها تحت عدد ٢٨ من هذه المقالة، القس يوسف مارون الطرابلسي في ٥ حزيران سنة ١٧٤٩

٣٣ : نسخة ثالثة من كتاب تفسير رسالتي القديس بولس الى القرنتيين. للحجري ايضاً. استخرجها بنفقة خايل فرحات القس يوسف الباني الآنف الذكر. بخط عربي جميل ورؤوسها مكتوبة بالحبر الاحمر سنة ١٧١٩

٣٤ : رسائل القديس بولس. خط كرشوني سنة ١٨٢٠. — ٣٥: قاموس المطران جرمانوس فرحات. خط القس يوسف عوّاد الحصروني الراهب الحلبي سنة ١٨٤٦. — ٣٦: كتاب اخبار روحية. خط كرشوني قديم. كتب برومية. — ٣٧ : اسئلة روحية واجوبة عليها لاحد تلاميذ رهباننا في رومية. — ٣٨: مختصر التعليم اللاهوتي. خط عربي قديم وجميل. ٣٩ : رسالة الفوائد في العروض. تأليف المطران جرمانوس فرحات. — ٤٠ : الكمال المسيحي. خط عربي مُشرق. — ٤١ : كتاب خلاص الخطأة الجزء الاول. تأليف الراهب اغابيوس القريطشي المتزهد في دير اطس. خط عربي سنة ١٧٠٢

٤٢ : كتاب «نسكيّات القديس باسيليوس الكبير رئيس اساقفة قيساريّة الكبادوق. يتضمّن اقوال مسايل واجوبة سأل عنها الاخوة الرهبان المحبّون للاله.» خط عربي بيد الشمّاس داود من مدينة لاذقيّة الشام. كتبهُ

في دير طورسينا سنة ١٧٠١ للتجسُّد الالهي المحكوم لابينا آدم سنة ٧٣٠٩ وللهجرة ١١١٣ . وقفهُ للرهبان اللبنانيين الحلبيَّة جرجس موسان الحلبي .

٤٣ : ترجمة مار يوحنا الرحوم القبرسي بطريرك الاسكندريَّة . خطَّها بالكرشوني الياس يشوع التوسطاني الماروني في رومية بدير مار بطرس ومرشلينوس في ٢٤ كانون الاول سنة ١٧٢٢ . ويليها تأملات روحية في غاية الانسان .

٤٤ : مزامير داود ، حقلان سرياني وعربي خُطَّ بالكرشوني سنة ١٩٦٠ يونانيَّة في ١٨ حزيران . مخروم من اوله .

٤٥ : كتاب التوحيد من كتاب الالهيات . مجلَّد كبير . تأليف القس يواصاف البسكنتاوي الراهب الماروني اللبناني . خط كرشوني . جاء في آخره : « قد تمَّ وكمل كتاب التوحيد من اللاهوت على يد ناسخهِ القس اندراوس خضرا الراهب اللبناني في دير مار بطرس ومرشلين (برومية) في زمان رياسة الاب الفاضل القس يواصاف البسكنتاوي (المؤلف) وكان هو المعلِّم في الدير المذكور (١ في سنة ١٧٣٨ في اول آب . »

٤٦ : كتاب «الاستفهام بعد الاستبهام» . «يتضمَّن معرفة سرّ التجسُّد الالهي وتعيينهِ وكيفيتهِ وكيف يجب الاعتقاد بهِ وفي ذكر آراء بعض المبتدعين ودحضها وفي ذكر اشياء اخرى غير ذلك تختص بالايمان المستقيم والتقوى . تأليف احد القبط العلمانيين المتمسكين بالايمان المقدَّس الارثوذكسي القاثوليقي خطاباً الى كل واقفاً (كذا) عليه من الاخوة القبط العلمانيين المتمسكين بالاعتقاد المحدث اليعقوبي . وذلك في سنة ١٤٨٧ قبطيَّة وهي سنة ١٧٧١ مسيحيَّة وسنة ١١٨٥ عربيَّة . » عدد صفحاته ٢٢٢ صفحة . طولهُ ٢٢ ، وعرضهُ ١٦ س ، وخطهُ عربي . وفيهِ سؤال الخوري مسعد في مصر القاهرة في ٢ كانون الثاني سنة ١٧٨٣ القائل هكذا : (سؤالات في الخطايا) وسؤال من ابرهيم الجوهري القبطي في مصر سنة ١٧٨٣ وسؤاله في الايمان والاجوبة عليها من مؤلف هذا الكتاب الذي لم يبن عن اسمهِ .

---

١) قد رأس هذا الاب الذي سيمطرانًا على صور سنين عديدة دير مار بطرس ومرشلين برومية . وكان في الوقت نفسه استاذًا لرهبانها فيه ووكيل رئيس عام رهبانيتهِ لدى المجمع المقدَّس . (طالع تاريخ الرهبانية اللبنانية للاب لويس بليبل الجزء الاول .)

٤٧ : كتاب « الايساغوجي اي مدخل المنطق » تأليف القس يواصاف البسكنتاوي الراهب اللبناني . خط عربي يقع في ١٣٨ صفحة بطول ٢٢ س ، وعرض ١٥ س . جاء في آخره ما يلي :

« كمل بعونه تعالى نسخ الايساغوجي اي مدخل العلوم المُصنَّف من الاب الفاضل والمعلم الماهر العامل اي الاب يواصاف القس البسكنتاوي الراهب اللبناني وتمَّ ذلك برومية العظمى في دير مار بطرس ومرثالينوس على يد أحقر الناس وارذلهم القس اوغوسطينوس ابن زنده الحلبي الراهب اللبناني . في ايام رئاسة الاب الاكرم القس يواصاف المذكور . وكان ذلك في اليوم الرابع من حزيران سنة ١٧٣٧ م »

ويلي ذلك نبذة في علم الفصاحة للمؤلف القس يواصاف تقع في ٢٨ صفحة

٤٨ : كتاب « بعض مسألات (سؤالات) وجوابات نافعة جداً لكل من يرغب خلاص نفسه وخلاص نفس قريبه . مجموعة من كتب المعلمين المثبوتين ومن جواباتهم بالمدارس في مدينة رومية العظمى سنة ܐܠܦܬ (١٦٤٢) و ܐܠܦܬ (١٦٤٣) و ܐܠܦܬ (١٦٤٤) و ܐܠܦܬ (١٦٤٥) و ܐܠܦܬ (١٦٤٨) و ܐܠܦܬ(١٦٦٥) » خط كرشوني مجلد ضخم . كان باستعمال القس داود المقيّر رئيس دير ريفون سنة ١٦٩٥ . ونرجح بان هذا الكتاب هو لتلامذة مدرسة الموارنة برومية

٤٩ : مزامير داود سرياني ترجمة الى اللسان اللاتيني في باريس سنة ١٦٢٤ القس جبرايل الصهيوني الاهدني . خط يوحنا الدويهي سنة ١٧٢١ — ٥٠ : نسخة اخرى من كتاب الالفيات تأليف القس يواصاف البسكنتاوي اللبناني . خط عربي بيد القس اغناطيوس الراهب اللبناني سنة ١٧١٤ في ١٠ تموز — ٥١ : مواعظ خط كرشوني قديم ، ويحتوي محاولة جدلية جرت بين الراهب الساكن في دير مار سمعان وبين ثلاثة من المسلمين . ومضموم اليه بالتجليد « رسالة لمخائيل بطريرك الموارنة ولكل طايفته من عند السيد الشريف انطونيوس كرافا وكيلهم . » وهي شرح تعليم مسيحي مطبوعة برومية سنة ١٥٨٠ مسيحية

٥٢ : قاموس سرياني مجلّد ضخم مخروم من آخره — ٥٣ : لاهوت في الثالوث الاقدس . مجموعة خطيّة باللاتينيّة لاحد تلاميذ رهباننا اللبنانيين برومية . خط قديم مجلّد كبير — ٥٤ : الجزء الثالث من تأملات الانبا لويس الجسري اليسوعي ،

خطّهُ عربي بديع بيد حنّا ابن شمّاس جبرايل الشهير بابن مخايل الحموي ، وذلك في حلب سنة ١٧٣٨ — ٥٥ : كتاب حوادث الجوّ « من مصنّفات الاب العالم الفاضل ايونا ونتورا اللوداني رئيس رهبان الكبوجيين بحلب المرسلين الى الشرق . » خط عربي جميل بيد عبدالله سرياني سنة ١٦٨١ . وعلى جلد هذا الكتاب كُتب تاريخ تنصير ولدين من حلب : الاول سنة ١٧٢١ ، والثاني ١٧٢٣، نصّرهما الخوري بطرس التولاني — ٥٦ : كتاب « اورولوجيون الصلوات المفروضة في السبعة اوقات . أخرجهُ من الرومي بكدّ وتعب الفقير ملاتيوس مطران حلب . » خط عربي

٥٧ : كُتيّب الايساغوجي مدخل المنطق للخوري بطرس التولوي . كتبهُ بالعربي فارس بن يوسف الشدياق سنة ١٨١٨ . —٥٨ : غرامطيق سرياني . —٥٩ : كُتيّب يسمّى « ايضاح مفيد في فحص الضمير . تأليف البادري بطرس اليسوعي فرماج» ٦٠ : كُتيّب في شرح سرّ التثليث ، خط عربي سنة ١٧٣٨ ، كتب في دير مار الياس شويّا برياسة القس اوسانيوس الحلبي على الدير في ١٨ نيسان . — ٦١ : حياة بعض القديسين . خط كرشوني مجلّد كبير . —٦٢ : «الجزء الثاني من كتاب مار اسحاق اسقف مدينة نينوى الذي ترك الاسقفية وهرب الى البريّة وكمّل حياتهُ في الوحدة » خط كرشوني . كُتب في دير مار انطونيوس قزحيا سنة ١٧٣٢

٦٣ : كتاب في اسرار البيعة ، خط كرشوني قديم غفل من اسم المؤلف . وفيه زجلية طويلة لجبرائيل القلاعي اللحفدي تسمّى « مديحة كسروان » وفي بدئها هذا البيان وهو :

« ايضاً تكتب مديحة على ظهور الاسلام من مدينة مدوخ بقرب الذي هي مكّة ظهروا على النصارى لاجل خطاياهم حتى توجد الرجل وابنه على امرأة واحدة وقد أكلوا النصارى من السكر والزنا لاجل ذلك سلّط الله عليهم محمّد قضيب غضب حتى ملك بلدانهم واخرب مدنهم وحاصر البلدان حتى وصلوا (اي الاسلام) الى جبل لبنان . من قول جبرايل ابن القلاعي بلحن افرامي . »

ويعرّض في هذه الزجلية بذكر سمّيا من لحفد ، الذي تبع اليعاقبة (راجع تاريخ الدويهي المطبوع) ويذكر فيها اقامة البطريرك دانيال الشاماتي في دير كفيفان الخ . . . ويأتي بعدها مطلع سرياني لجبرائيل بن حنّا بن بولس بن الحج

حتاً من اهدن كتب سنة ١٦٦٥ . وسننشر هذه الزجلية ان وفّق المولى

٦٤ : كتاب « التفنيد السديد للمجمع العنيد » مجلّد كبير. وهو « ردّ على الرسالة المنفذة الى الابرشية الانطاكية من قبل الاساقفة الذين اجتمعوا حديثاً في مدينة القسطنطينية » وان مؤلفهُ يحامي عن الكنيسة البطرسية بجرأة. خطّهُ بالعربي جبرايل يوسف عبد العزيز كحيل في مصر سنة ١٨٣٥. — ٦٥: كتاب الانجيل الطاهر والمصباح المنير الزاهر . وهو مقسّم الى فصول على عدد ايام السنة . خط عربي ، مجلّد ضخم . — ٦٦: كتاب القداس خط الخوري رافايل الباني في ٦ ايلول سنة ١٧٩١

٦٧: كتاب درب الصليب الملوكيّ « ألّفهُ في اللغة اللاتينية المعلم مبارك افتينيا راهب من رهبنة ماري مبارك من جبل كامين. ونُقل الى اللغة الايطاليانية من احد الكهنة العابدين . ثمّ نُقل من اللغة الايطاليانية الى اللغة العربية من احد الرهبان اللبنانيين الحلبيين. » (هو القس اغوسطين زنده الحلبي (١ الذي كتب اسمه في كتاب المنطق للاب واصاف البسكنتاوي الذي نسخهُ برومية. ويقع تحت عدد ٤٧ من هذه المقالة) وهذا الكتاب بخط عربي مجلّد برق غزال. يقع في ٣٦٨ صفحة بطول ٢٠ س ، وعرض ١٤ س. وهذه النسخة ثمينة ، لانها مكتوبة بقلم المترجم القس اغوسطين نفسه

لها بقيّة

١) ان القس اغوسطين كان من تلاميذ مدرسة الرهبان الموارنة برومية. ولهُ في دير بزمّار تعريب لمواعظ احد الاباء الكبوشيين في مجلّد ضخم. (راجع كتاب المخطوطات العربية ص ١١٠ عدد ٣٨٨)

اركان النهضة الحديثة

الشيخ ناصيف اليازجي (١٨٠٠ـ١٨٧١)

الرجل ـ « العالم » ـ الشاعر

بقلم فؤاد افرام البستاني استاذ الآداب العربية في كلية القديس يوسف

٢

العالم

ليس « العالم » ، في كلامنا عن الشيخ ناصيف ، ذاك البحّاثة الذي يفتش عمّا في ظواهر الكون المختلفة من صلة واحدة تجمعها ، فيدوسها ويردّها جميعاً الى نظرية شخصية يقرّرها ويبرهن عنها ؛ ولا ذاك المستنبط الذي يطبق المبادئ العامّة ، واساليب الاختبار على مواهب الطبيعة فيستنتج نتائج ، ويتحقق خاصيّات ، لم يسبقه اليها احد ، فيعرضها سهلة المنال جزيلة الفوائد لمنفعة البشر . ليس هذا « العلم » من صفات الشيخ ناصيف ، بل هو بعيد عنه بُعدَه عن « علماء » العرب الاقدمين . انما نريد « بالعالم » المطّلع على ما في اللغة العربية ، من حيث هي اداة التعبير ، من مواضيع للبحث تتفرّع عن قواعد إحكامها ، واساليب الانشاء فيها . وذلك ما كان يسميه العرب تارةً بالعلوم اللسانية ، وطوراً بالعلوم العربية ، او علوم اللغة ، وحيناً بعلم الادب ، واحياناً بفنون العرب . فنرى ان لفظة « علم » لم يكن موضوعها مقرّراً ولا استعمالها محدّداً ، ولهذا كثرت على اقلام الكتاب مرادفةً للفنّ مرّةً ، وللمعرفة مراراً

فاذا تقرّر ما المراد بلفظة « عالم » ، القينا نظرة اجمالية على « العلوم العربية » فرأينا ان ما تجب منها معرفته على «العالم» يبلغ الاثني عشر فرعاً : هي الصرف والنحو ، والمعاني والبيان والبديع ، والعروض والقافية ، واللغة ، والمنطق ؛

يلحقون بها الفقه ، والطب ايضاً ؛ وقد يتمونها بالموسيقى . وكلها موضوعات نقلية لا تُفسح المجال الواسع للاستنباط ، وبسط الآراء الشخصية ، لاسيما في عصر أُغلق فيه باب الاجتهاد في الفقه ، وقيست عليه سائر المعارف ، فانصرف جميع « العلماء » الى الحفظ والنقل والتعليق ، دون الاختبار والقياس والتوليد . ولمّا كان إعمال الذاكرة اسهل من كدّ الذهن ، ولمّا لم يكن لقادة الفكر في الماضي مقياس عقلي صحيح لمعرفة قيمة المؤلفات ، اكتفى علماء ذاك الزمن باطلاع الناس على نتائج حفظهم كسَرْد الحوادث المختلفة باسماء اشخاصها وتحديد مواقعها ، والإكثار من نوادر عظماء الرجال ، ومشاهير الادباء . وهي اشدّ وقعاً ، واعظم تأثيراً في نفوس جمهرة المتأدبين ، من نتيجة البحث والتفكير كتحديد الشخصيات الادبية ، وإبداء الاحكام المعقولة . فسار « علماؤنا » يتبعون بعضهم بعضاً على غير هُدًى ، ويقلّدون الاقدمين عن قلّة علم

ونحن اذا عرضنا سلسلة تلك « العلوم » المتعدّدة ، نجد ان الشيخ ناصيف وعاها كلها على طريقة الاقدمين ، وألّف في اكثرها تآليف تختلف طولاً ، واسلوباً ، وقيمة . ولكي يسهل علينا درس تلك المؤلفات ، ومن ثمّ معرفة قيمة الشيخ « العالم » ، نوردها مرتّبةً على الاقسام التالية :

الصرف والنحو

كان اول ما ألّف الشيخ ناصيف في علم الصرف :

ا — لمحة الطرف في اصول الصرف

وهي ارجوزة قصيرة مشروحة بقلمه ، ألّفها سنة ١٨٥٤ ، وجعلها « كحجر الزاوية الذي هو ركن البناء مقتصراً على المهمات القريبة المأخذ »

، طبعت في المطبعة الخاصية ، بيروت ، سنة ١٨٧٠ ، في ١٧ صفحة صغيرة

ب — الجُمانة في شرح الخزانة

الخزانة ارجوزة مطوّلة في علم الصرف ، علّق عليها المؤلف شرحاً سماه الجمانة . وقد جمع المبادئ والشروح من كتب ائمة ذاك العلم ، مقتصراً على

ما يُحتمل وقوعه في الاستعمال دون الشوارد والمفروضات ، التي كثيراً ما كان يلتجئ اليها صرفيو العرب ونحويّوهم تطلباً للمماحكات والمشاحنات . وقد ختم نظمها وشرحها سنة ١٨٦٤ ، وانتهى من تبييضها سنة ١٨٦٦

طبعت في المطبعة المخلصية اولاً ، ثم في المطبعة الاميركانية سنة ١٨٧٢ ، في ١٤٠ صفحة ، ولها طبعة ثالثة . ثم طُبعت مختصرة بقلم ابن المؤلف الشيخ ابراهيم اليازجي سنة ١٨٨٩

امّا في النحو فللشيخ ناصيف :

ج — طوق الحمامة

مختصر نثري في ٢٠ صفحة صغيرة ، طُبع في المطبعة المخلصية سنة ١٨٦٥

د — الباب في اصول الاعراب

ارجوزة قصيرة في مبادئ النحو مع شرحها بقلم المؤلف . طبعت في بيروت سنة ١٨٨٩ ، في ٢٨ صفحة صغيرة

ه — نار القرى في شرح جوف الفرا

جوف الفرا ارجوزة مطوّلة واسعة جمع فيها المؤلف ما تفرّق في كتب النحاة المختلفة ، فأدّى للمبتدئين خدمة جليلة لاسيما بشرحه الذي سماه نار القرى . وهذا التأليف هو اجمع كتاب عصري صُنّف في الموضوع . فرغ المؤلف من تبييضه سنة ١٨٦١

طبع في بيروت سنة ١٨٦٣ في ٣٨٩ صفحة متوسطة . ثم مختصراً بقلم ابن المؤلف الشيخ ابراهيم سنة ١٨٨٢ ، في ٢٩٦ صفحة متوسطة

وللمؤلف ايضاً كتابان في الصرف والنحو معاً :

و — الجوهر الفرد

وهو موجز طبع في المطبعة المخلصية ، بيروت ، سنة ١٨٦٥ في ١٥ صفحة صغيرة . ثم شرحه ابنه الشيخ ابراهيم وطبعه في بيروت سنة ١٨٨٨ ، بعنوان « مطالع السعد في شرح الجوهر الفرد »

ز — فصل الخطاب في اصول لغة الاعراب

مطوّل نثري مقسوم الى كتابين : كتاب التصريف ، وكتاب النحو . انهاه المؤلف سنة ١٨٤٧

طُبع في بيروت سنة ١٨٥٤ ، في ١٢٤ صفحة صغيرة . ثم أُضيفت الى شرحه بعض زيادات وطُبع سنة ١٨٦٦ ، في ٢٥٧ صفحة ؛ ثم سنة ١٨٧٧

وقد اشتغل الشيخ ناصيف ايضاً بتنقيح « بحث المطالب » المشهور للمطران جرمانوس فرحات

البيان

وهو يشمل ما يدعوه الادباء عادة بعلوم او فنون المعاني ، والبيان ، والبديع ، والعروض ، والقافية. وكان اول ما ألّف فيه الشيخ ناصيف:

ح – عقد الجمان

كتاب نثري في المعاني والبيان والبديع ، الحق به بحثاً في العروض والقافية سماه نقطة الدائرة . وانهاه سنة ١٨٤٨

طُبع مرّات عديدة في بيروت ، تارةً باسم « عقد الجمان » وطوراً باسم « مجموع الادب في فنون العرب » فالاسمان لمسمى واحد . وأكثر طبعاته في ٢١٤ او ٢١٦ صفحة صغيرة .

ط – اللامعة في شرح الجامعة

الجامعة ارجوزة واسعة في علم العروض والقوافي انهاها الشيخ ناصيف سنة ١٨٥٣ ، فشرحها ابنه الشيخ حبيب وسمّى الشرح « اللامعة »

طُبعت في بيروت سنة ١٨٦٩ ، في ١٢٧ صفحة صغيرة

ي – الطراز المُعلم

ارجوزة مختصرة في البيان اقتصر فيها على المبادئ المهمّة ثم شرحها وختمها سنة ١٨٦١

طُبعت طبعاً متقناً في المطبعة الخاصية ببيروت ، سنة ١٨٦٧ ، في ٣٥ صفحة صغيرة

اللغة

لم يُطبع للشيخ ناصيف في اللغة سوى اثرين هما :

ك – نقد طبعة دي ساسي لمقامات الحريري

وهي رسالة مطوّلة بعث بها الى المستشرق الافرنسي الشهير ، البارون سيلفستر دي ساسي ، تدارك بها ما سها عنه المستشرق في طبعته لمقامات الحريري. وقد سأل الشيخ كتابة الرسالة المسيو دليسبس قنصل فرنسة اذ ذاك في بيروت

طبعت في ليبسيك مع ترجمتها الى اللاتينية بعناية المستشرق مهرن(A. F. Mehren) في ١٥٦ صفحة ، سنة ١٨٦٨ ، بعنوان : «رسالة الشيخ ناصيف اليازجي البيروتي الى البارون ساوستري دساسي » وباللاتينية (Epistola critica Nasifi al-Yazigi Berytensis ad De Sacyum)

وقد تضمنت كثيراً من الملاحظات الدقيقة ، والنظرات الصائبة ، في اللغة وقواعدها مما اهتم به المستشرقان رينو(Reinaud) وديرنبورغ(Derenbourg) فاستفادا منه اذ اعادا طبع المقامات في باريس سنة ١٨٥٣ . ولكن يؤخذ على الشيخ ناصيف في تلك الرسالة انصرافه عن التمحيص العلمي اللغوي الصحيح ، الى الاندفاع في زيادة الشروح والافادات عن الامور الثانوية التي لا يأبه لها العلماء . وهذا ما لاحظه المستشرقان ايضاً فحطّ من قيمة لغوي الشرقيين في نظرهما (١

ل — مجمع البحرين

هو اشهر كتب الشيخ ناصيف . جرى فيه على اسلوب الحريري في مقاماته . وضمّنه ما شاء له اطلاعه الواسع ، وما اعانته به ذاكرته القويّة ، من الفوائد اللغوية ، والقواعد النحوية ، والنكات البيانية ، ونوادر النظم والبديع . فهو من هذا النوع خير اقتداء بالحريري إمام هذه الصناعة . على انه لا يمكن تسميته بالتأليف اللغوي الّا من حيث بيّنّا . لانه بمنتوجات الذاكرة والتوسّع اجدر منه بمؤلفات الذكاء والقياس

كان المؤلف قد انشأ مقامة صغيرة على اسلوب الحريري دعاها «المقامة الغيثية » فنشرت سنة ١٨٥٣ في مجموعة اعمال الجمعية السورية التي كان هو عضواً فيها . ثم نُشرت في مجلة الجمعية الاسيوية الالمانية مع ترجمة لها بقلم المستشرق فليشر (Fleischer) . فاعجب بها ادباء العصر ورأى الشيخ منهم تشجيعاً ادبياً ومن بعض الدُّور تشجيعاً مادياً على طبع الكتاب ، فيما لو تمّ . فانصرف الى اتمامه والفه من ستين مقامة ، زائداً ١٠ مقامات على الحريري . وختمه في شهر نيسان سنة ١٨٥٥ . فطبع لاول مرة في بيروت سنة ١٨٥٦ ، في ٤٣٢ صفحة متوسطة ، في المطبعة الاميركية . ثم توالت طباعته في المطبعة المذكورة والمطبعة الكاثوليكية . منها طبعتان مصلحتان بقلم ابن المؤلف الشيخ ابراهيم سنة ١٨٧٢ ، وسنة ١٨٨٠

١) LES SÉANCES DE HARIRI, *édition de Sacy* — 2e édition, Paris 1853 — t. II, introduction, p. 73

المنطق

المنطق علم آلي ، اي لا يُراد لذاته بل هو آلة يتوصّل به الى اتقان غيره من العلوم كالفلسفة وما تنطوي عليه ، والفقه ، وعلم الكلام . وهو عند العرب تابع لازم للعلوم اللغوية يتقنه الانسان بعد البيان والعروض . ولما كان الشيخ ناصيف متتبعاً علماء العرب في كل موضوعاتهم ، رأى ان يؤلف في المنطق ، فترك اثرين :

م — قطب الصناعة في اصول المنطق

رسالة نثرية مختصرة اقتصر فيها على المبادئ المهمة من البحث في انواع القضايا وضروب القياسات . وكان الفراغ منها سنة ١٨٥٦

ن — التذكرة في اصول المنطق

ارجوزة قصيرة استخلص بها الناظم اركان المنطق ، بعد ان عرضها نثراً في الرسالة السابقة

طبعت الرسالتان في كرّاس واحد في بيروت سنة ١٨٥٧ ، في ٤٨ صفحة صغيرة

الطب

تلقى الشيخ ناصيف الطبّ عن ابيه الذي كان طبيباً على مذهب ابن سينا . فاراد ان يُذكر به ايضاً ، فنظم فيه ارجوزة مختصرة ضمّنها بعض الفوائد والنصائح والوصفات ، وسماها :

س — الحجر الكريم في الطب القديم

طبعت في مجلة « الطبيب » لبوست والبارودي (١٤ [١٩٠٢] : ١٢٥ و ١٥١) وهي لا تتجاوز ٨٤ بيتاً

والشيخ ايضاً مقامة طبيّة في « مجمع البحرين » ، وهي المقامة الثلاثون

الفقه والموسيقى

كان على الشيخ ناصيف ان ينظم ارجوزة في الفقه حتى يُتمّ سلسلة «العلوم» العربية ، ويقلّد قدماء «العلماء» في جميع مقروءاتهم . الّا انه كان يكره ان يشتهر بالفقه . كما ذكر احد معاصريه (١ ولم يذكر سبب هذا الكره الّا بطريقة غامضة.

١) سليم ذياب : في الجنان ، سنة ١٨٧١ ، ص : ١٩٥

فقال : « لأمور لم يكن يحبها . »

امّا الموسيقى فكانت عند العرب من العلوم السماعية ، ولم يعرفوا طريقةً لاقرارها بالخطّ . ولهذا لم يحاول الشيخ وضع شيء فيها مع اتقانه لبعض فنونها ، على ما يذكره المعاصرون

هذا ما تركه الشيخ ناصيف من المطبوعات في مختلف العلوم . وقد ذُكر له ايضاً رسالتان مخطوطتان

الاولى : في التوجيهات النحوية سماها « عمود الصبح » . انتهى فيها الى المفعول فيه . ولم يُفسح له الاجل باتمامها

والثانية : معجم في اعضاء الانسان والصفات التي على « أفعل » ، سمّاه : « جمع الشتات في الاسماء والصفات . » ولا نعرف عنه شيئاً

وكان قد باشر ايضاً شرح ديوان المتنبي ، فكان يعلّق على هوامش الابيات بعض الشروح المختلفة دون ان يتتبعها ويرتبها ، فجمع هذه الملاحظات ابنه الشيخ ابراهيم واتمّها ، وطبع الديوان بعنوان « العرف الطيّب في شرح ديوان ابي الطيّب » في بيروت سنة ١٨٨٢ ، وقد تركه باسم ابيه .

فتكون جملة متروكات الشيخ ١٧ رسالة في علوم العرب المختلفة ، عدا الدواوين الشعرية . وكل تلك المؤلفات سار فيها ، على طريق الاحتذاء والتقليد ، دون الرغبة في الاستنباط والابتكار . وهي ، وان كانت جليلة القيمة في عصر ظهرت فيه لازمة لمعارضة متروكات العرب القديمة في مواضيعها ، سوف تفقد من قيمتها شيئاً فشيئاً حتى تُصبح بعد قليل ولا ذكر لها الّا من حيث التاريخ . فتحقق ان لا خلود الّا لمنتوجات الذكاء وآثار الابتكار . على ان هذا لا ينفي فضل المؤلف وخدماته للغة في عصرنا ، وعمله في سبيل تمكين النهضة الحديثة وهي لا تثبت الّا على اركان قوية ، ومن الصعب ان تُسند هذه الاركان الى غير آثار الاقدمين . فاذا عرفنا ذلك ادركنا ان الشيخ ناصيف احسن بتقليده القدماء لانه لم يكن يمكنه غير ذلك ، لما تحققناه من طبيعة « المحافظة » في صفات الرجل ، التي كان من شأنها ان تتابعه في كل اعماله . واننا كما عرفناه رجلاً «محافظاً» على كل قديم ، نراه ايضاً «عالماً محافظاً» في جميع ابحاثه

الشاعر

آثاره

للشيخ ناصيف ثلاثة دواوين شعرية هذه عناوينها :

ا — نبذة من ديوان الشيخ ناصيف اليازجي

طُبعت ، لاول مرة ، في بيروت سنة ١٨٥٣ ، في ١٢٨ صفحة متوسطة . ثم طُبعت ، في المطبعة الشرقية ، الحدث ، بعنوان « النبذة الاولى » مصححة بقلم ولده الشيخ ابراهيم ، ومصدّرة بترجمة الناظم بقلم سبطه الشيخ امين الحدّاد ، سنة ١٩٠٤

ب — نفحة الريحان

وهي النبذة الثانية . طبعت ، لاول مرة ، في المطبعة العمومية ، بيروت ، سنة ١٨٦٤ ؛ في ١٣٨ صفحة متوسطة . ثم طُبعت مصححة بقلم ولده الشيخ ابراهيم في المطبعة الادبية ، بيروت ، سنة ١٨٩٨

ج — ثالث القرين

طُبع في بيروت سنة ١٨٨٣ ، وقد اضيف اليه كثير من التواريخ الشعرية ، في ١٤٦ صفحة متوسطة

وقد نُشر للشيخ على حدة غير ذلك من الآثار الشعرية منها :

د — نبذة تواريخ مقتطفة من ديوان الشيخ ناصيف اليازجي

طُبعت في بيروت سنة ١٨٥٩ في ١٦ صفحة صغيرة

ه — فاكهة الندماء في مراسلات الادباء

رسائل شعرية بين الشيخ ناصيف وكبار ادباء عصره في الشام ، والعراق ، ومصر ، وبلاد المغرب ، طبعت في المطبعة المخاصية ، بيروت ، سنة ١٨٥٦ ، في ١١١ صفحة متوسطة

و — البرهان الصريح في اثبات لاهوت المسيح

قصيدة دينية طُبعت في بيروت سنة ١٨٦٧ في ٧ صفحات صغيرة

وعدا ذلك ، له بعض رسائل من شعرية ونثرية تفرّقت في حياته فلم تُجمع . وكثير من المنظومات والاناشيد الدينية اكثرها مأخوذ عن مزامير داود ، كان الشيخ ينظمها لمدارس الاميركان . وله غيرها من القصائد المختلفة بعضها نُشر في المجلّات والجرائد ، وبعضها عبثت به ايدي الضياع .

شعره

« كأني قاعدٌ في قلب المتنبي »

(الشيخ ناصيف اليازجي)

لا يألف الرجل الّا شبيهه ، ولا يعاشر الّا من يرى فيه شيئاً من اخلاقه. فاذا وجد ذو الشخصية رجلًا آخر على شاكلته ، يحسّ من ذاته دافعاً اليه لا يقاوم ؛ فيتقاربان ويتصادقان ، فيُسرّ كل منهما بصحبة الآخر اذ يرى فيه شيئاً من نفسه ، ويسكن كل منهما الى آراء الآخر اذ يراها نسخةً عن آرائه . وهكذا فان الانسان يحبّ دائماً ذاته ، ولكنه يحبها منعكسة في شخصية صديقه واليفه . فاذا رأيت صديقين متباينَي الاخلاق ، مختلفَي الاذواق ، فهما إمّا صديقا ظرف لا تلبث صداقتهما ان تضمحلّ باضمحلاله ؛ او عشيرا منفعة، حسنةً كانت او سيئة ، لا تزول حتى يودّعا تلك العشرة. او ان احدهما ضعيف الارادة ، طامس الشخصية ، يتأثر بنفوذ رفيقه القوي ، فيسير الى حيث يأمره لا الى حيث يريد

امّا وقد شرحنا هذا الشواذّ ، فلنطبق ذاك المبدأ العام على شخصية شيخنا اليازجي من حيث الشاعرية ، فنرى انها اشبه شيء بشخصية المتنبي

عرف الشيخ ناصيف جميع شعراء العرب دون شكّ ، ودرس بعض شعرهم اثناء ابحاثه العديدة في فنون الادب . ولكنه لم يعجب ذاك الاعجاب البليغ لا بالمتنبي . هذا ولم يكن ابو الطيب في أوج المجد بين ادباء القسم الاول من القرن التاسع عشر ، فننسب تعلّق الشيخ ناصيف به الى التزيّي بزيّ العصر الادبي . بل لم يشتهر المتنبي عند رجال النهضة الّا بعد ان عرفه اليازجي وعرّفه الى الادباء

فاذا فهمنا ذلك ، عرفنا سبب ميل اليازجي للمتنبي ، وتفضيله اياه على شعراء العرب كافةً ، وادركنا ما دعا الى ذاك الاعجاب الماثل في حكمه هذا :

« كأنّ المتنبي يمشي في الجو ، وسائر الشعراء يمشون على الارض. »

ليس هذا حكم رجل ناقد يُعمل عقله ببرودة ورزانة في الآثار الادبية

فيقيها دون هوس ولا حماسة. بل هو حكم شاب وافر التأثر أعجب برجل وافر التأثير ، بعد ان فهمه كل الفهم ، فراعته عظمته وجلاله ، ولم يجد في اساليب نقده غير هذه الصورة. وهي تدلنا على تلك الصلة التي كان يشعر بها الشيخ ناصيف بينه وبين مادح سيف الدولة ، تدلنا على تلك الموهبة في عقل الشيخ التي بسطت له معاني المتنبي ففهم بعضها على طريقة خاصة لعلها كانت اقرب الطرق الى روح الشاعر الكبير ، تدلنا على تلك القرابة النفسية بين الشاعرين التي دفعت الشيخ الى القول المشهور الذي صدّرنا به هذا الدرس وهو:

« كأني قاعدٌ في قلب المتنبي ! »

نعم ! كأنه قاعد في قلب المتنبي ! وايّ شيء ادلّ على تلك الخاصة من آثار الروعة والفخامة والجلال التي نراها في اكثر مطالع الشيخ ، لاسيما في قصائد المدح والرثاء . من منّا يسمع هذا المطلع في مدح اسعد باشا ، قائد جيش البلاد العربية :

بناءُ العُلى بين القنا والبوارق على صهوات الخيل ، تحت البوارق !
وقد مرّ في العباد ، وانما قليلٌ على السرّ بين الخلائق
يقلّب هذا الدهر احوالنا ، كما تقلّبَ فينا لاحقاً اثر سابق !

ولا يشعر بروح المتنبي ترفرف على جميع مقاطعه ! بل من منا لا يجزم ، لاول وهلة ، بانه للمتنبي لولا لفظة « البارق » المستحدثة

وما قولكم بهذا المطلع في مدح باني مدرسة :

لولا التفاوتُ في الاخلاق والادبِ تساوت الناس في الاقدار والرتبِ

وهذا المطلع في الرثاء :

لكل مصائب الدنيا خصوصٌ به افترقت ، وللموت العمومُ

وهذه الابيات :

انما نحن في اختلاف عقولٍ مثلما نحن في اختلاف وجوهِ

وكلُّ كريمُ النفس من مال غيره وقلّ كريمُ النفس من نفس ماله

اذا شاب رأس المرء فالشيب لاحقٌ بهمّته حتى يوسّدها الترب !

ولكن مالي ولتعديد الاستشهادات . وانا لو شئت ذكر المطالع او الابيات التي يتنسّم فيها القارئ روح ابي الطيّب ، لذكرت ثلاثة ارباع شعر الشيخ. فان

تأثره المتنبي بلغ منه مبلغاً تجاوز الاسلوب الشعري الى المعاني ، وسبك الجمل ، بل الى القوافي والالفاظ ايضاً . حتى انه قد يستعمل لفظة لا مسوّغ لها ولا حاجة لاستعمالها ، سوى انها وردت في شعر المتنبي ، وعلقت بذاكرة الشيخ فأتت في شعره ، عن غير قصد منه ، كما حدث له في لفظة «جُلاهق». قال المتنبي واصفاً مهره :

كأنما الجِلدُ لعُرْيِ الناهزِ منحدرٌ عن بيتَي «جُلاهقِ».

يريد ان ناهِقَي مهره ، وهما عظماه الناتئان في مجرى الدمع من عينيه ، عاريان من اللحم حتى كأن جلدهما مشدود على بيتي الجُلاهق ، والبيت طرف القوس ، والجُلاهق القوس كما يقتضيه المعنى. فبقيت ذاكرة الشيخ ناصيف تردّد لفظة الجلاهق بمعنى القوس حتى دفعتها في شعره ، اذ قال في مدح اسعد باشا :

اذا اشتدّ خطبٌ اعجز الناسَ كشفه رماه به عن مثل قوسٍ «جُلاهق»

فدُفع الى استعمال اللفظة نفسها بغير معناها ، اذ اوردها صفةً وهي موصوف . كل ذلك ايثاراً ، عن غير علمٍ منه ، لتتبع المتنبي حتى في الفاظه.

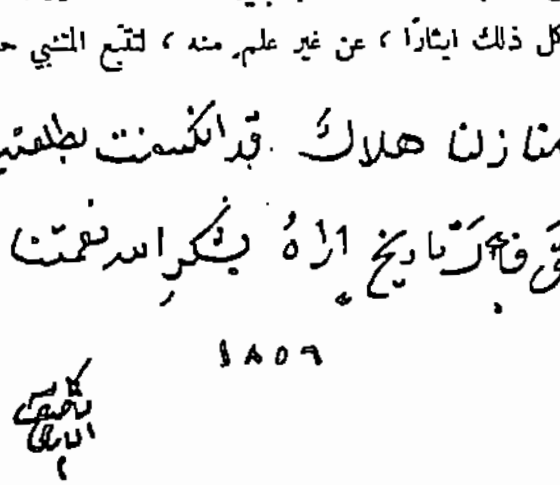

مثال من خط الشيخ ناصيف اليازجي وامضائه : تاريخ ولادة شكرالله بن ميخائيل مدوّر
(عن مجموعة الفيكونت دي طرازي)

فينتج ان اليازجي ، في شعره ، صورة مصغّرة للمتنبي : صورة مصغرة بالحسنات ، صورة مصغرة بالسيئات ايضاً . فانه ، ان كان المتنبي المبتدع فاق

بما لا يُقاس اليازجي المتبع ، فان اليازجي تجنّب كثيراً من سقطات المتنبي . فهو كما قدّمنا صورة صُغرت ، فضُعفت حسناتها وسيئاتها معاً

على ان اليازجي لو اتبع ابا الطيب وحده ، لكان تخلّص من كثير من الشوائب وضعف الذوق . ولكنه ، لما كان من طبيعته مقلّداً محافظاً على القديم ، دفعته تلك الطبيعة الى احتذاء «العلماء» حتى في الشعر . ومن صفات الشعر الحي الشخصي ان يكون بعيداً عن تأثير ذاك «العلم» . فبينا تراه يرقى الى اسمى درجات البلاغة والروعة في السكب الشعري ، كما في مدحه للشيخ احمد الأغرّ مثلاً اذ يقول :

كعبةٌ حجّت القوافي اليها طائفاتٍ بركنها مستظلّهْ

تجده ينحط الى اسمج التلميحات الصرفية والنحوية والبديعية والعروضية ايضاً . وهي شوائب كادت تعلق بشعر المتنبي ولكنه تخلص منها اذ لم تكن تملكت بعد في عصره . فترك اليازجي استاذه عند هذا المفرق ، لسوء الحظ ، وعطف على «علومه» ، فقال ملتحاً الى الصرف والنحو :

وقطبتُ عند زجر الصبّ حاجبَها لانها تعبد التأكيدَ بالنونِ !

ما زلت مستنداً اليك عدّتي فكأنني خبرٌ وانت المبتدا !

ضربتني فسألت لا كضربٍ دار في النحو بين زيدٍ وعمرو

وهذه ، وفيها من تكلّف التلميح والتلاعب اللفظي ما يذهب برونق ديوان بكامله :

حباني على بعد المدى برسالةٍ تناولتها بالقلب لا بالأصابعِ
منعت انصراف الدين عنها تعصّباً كما حال دون الصرف بعضُ الموانعِ

له من قوافي الشعر جيشٌ عرمرمٌ أتتنا الى بيروت منه طلائعُ
قوافٍ قفاها انه تابعٌ لها كما تبعت من قبلهنّ التوابعُ !

وهناك تلميح الى العروض ، والى فنون النظم من تشطير وتخميس :

حسبٌ فوق ذلك المجد قد زا دَ كابيات الشعر بالتشطيرِ !

اوفى وزاد على القديم حديثُه كصناعةِ التخميس للشعراء !

والى الفقه ايضاً :

قد تلفت في يدها مهجتي عمداً ، ولم يثبت عليها الضمانْ

ما بين عينيها واكبادنا داهيةٌ بكرٌ وحربٌ عوانْ

وانا اكتفي بهذا القدر ، وامثاله كثيرة في شعر الشيخ مما لم يكن بحاجة الى الالتجاء اليه ، لغزارة ما كان في نفسه من الشاعرية الطبيعية ، واختلاف اوتارها .

على اننا لا نتسرَّع في الحكم عليه بفساد الذوق ، قبل ان نعرف نظريّته في الشعر ، وفي كيف كان القدماء ، اساتذتهُ ، يفهمون الشعر :

نعرف اولًا ان هذه الانواع من التلميح والإشارات الى فنون الادب المختلفة تؤلف نكاتاً غريبةً جميلة في مذهب علماء الادب . ونعرف ثانياً ان التلاعب اللفظي ، على سخافته ، كان — ولا يزال لسوء الحظ عند بعض عبّاد الالفاظ — يؤلف نوعاً لطيفاً من انواع البديع . فلنعرف الآن ما كان يفهم الشيخ ناصيف بالشعر ، فهو يقول :

اجلُّ الشعر ما في البيت منه غرابةُ نكتةٍ او نوعُ لطفِ

فاذًا هو على وفاق بين نظريته ونظمه . واذًا فتلك الابيات الباهتة في عرفنا هي من « اجلّ الشعر » في عرفه . واذًا فلا لوم لنا عليه لانه لم يتجنب هذه الانواع ؛ بل لا لوم عليه لانه قلّد « ايمة الادب » ، وهو قد طُبع على ذلك . وكما انه احسن في تقليد الحسن ، كان من اللازم ان يسيء في تقليد السيء .

امّا ما زاد فيه على غيره من انواع التقليد ، كنظم تلك الالغاز والاحاجي ، وسبك القصائد العواطل وعواطل العواطل ، والخيفاء والرقطاء ، والمعجمة والمطمّة ، وامثلة العكس والطرد ، وترتيب التواريخ من مفردة ومزدوجة . فلا مجال لي للبحث فيه ، اذ انني ادرس شاعرية اليازجي ، وتلك التلاعبات تبعد عن الشاعرية بعدها عن الذوق السليم

ورب سائل يقول : وما سبب ضعف الذوق في اليازجي خاصّة ، وفي شعراء القرن التاسع عشر عامة ؟ فاننا نحيله على الشيخ ناصيف نفسه ، وهو لم تخفَ عليه معايب الشعر في عصره ، ولم يخفَ عليه سببها ، فقال بكل صواب :

ولئن تكنْ كثرت معايبُه فقد ستَرَتْ عليها قلّة التفأدِ

ونحن نختم بهذا البيت متأسفين الّا يكون الشيخ ناصيف عرف ناقدًا سار بهديه ، واستضاء بحسن ذوقه . وهو ، لو فعل ، لظهر لنا مثالًا سامياً ، تامًّا ، للثقافة العربية الخالصة ، في النصف الاول من القرن التاسع عشر

مجلة المجلات

بقلم الاب فردينان توتل اليسوعي

هل احدث الدين المسيحي عالماً جديداً ؟ — الكتب الطقسية — التهذيب الاميركي في الشرق — القرية العربية منذ مئة عام — الخط والخطاطون — الشيخ علي عبد الرازق وآراؤه في الاصلاح — التكيّف اللغوي

هل احدث الدين المسيحي عالماً جديداً ؟

في المقتطف (سبتمبر . اوكتوبر . نوفمبر) مقال على العلم والعمران جاء فيه (ص : ٢٨٤ وما بعدها) انه اذا لم يجارِ رقي العلوم رقي الاخلاق كان العلم اعظم خطر على العمران، لانه يسلّح بني البشر بعضهم على بعض فيقتتلون ويتفانون بقوة احدث مخترعاتهم العلمية، قال :

« ما برحت غرائزنا العتيقة وشهواتنا وانفعالاتنا النفسية ، على حالها الاولى فتثور وتستولي علينا غيلة اذا ما غضضنا الطرف هنيهة عن شريعة الاجتماع او اذا لم يكن لنا من ديننا او شرائعنا الروحية وازع لكبح جماحنا في حياتنا . وحسبنا دليلاً على ذلك الحرب العظمى فقد كانت كارثة اثبتت لنا ان رجالاً متحضرين مثل كتبة الدواوين والنوابغ والشبان المهذبين تهذيباً سامياً قد يصيرون وحوشاً ضارية تشتهي اراقة الدماء البشرية وتقبل على التقتيل بلا رأفة اسوة بالقبائل العريقة في التوحش التي كان بعضها يقاتل البعض الآخر بالفؤوس الحجرية والسهام ذات الرؤوس العظمية . »

واحسن صاحب المقال باعرابه عن رغائبه في واجب تعجيل النشوء البدني ، والارتقاء الاخلاقي ، لما في حسن الخَلق والخُلق من ضابط لحسن استعمال العلم ورقيّه في سبيل سعادة الافراد والجماعات

لكننا لا نرضى بما قيل تشاؤماً في حالة الانحطاط الاخلاقي اللازمة الجنس البشري منذ نشأته الى يومنا . قال :

« ومن اغرب الامور التي توجب الدهشة والاسف ان الانسان الذي اخضع لسلطانه جميع قوى الطبيعة لم تبد عليه اعراض اية قوة من قوى الارتقاء الخلقي منذ فجر التاريخ » (ص: ٢٨٦)

نعم لقد تظهر فظائع البشرية الساقطة باشنع قبائحها حتى في قرننا العشرين ولكن البون بين حالتنا والحالة كما كانت منذ عشرين قرن ابعد من ان يقاس

هل فطن صاحب المقال الى درجة الذلّ والتهتك التي انحطت اليها الاسرة الرومانية من جرّاء الطلاق والتعقّم ، حتى اضطر اوغسطوس قيصر الى وضع شريعة تفرض الضرائب على العزّب من الامة ؟ هل بلغه ان معظم الجنس البشري كان آنئذٍ رقيقاً مستعبداً يباع كالسلع وان الشغل اليدوي كان معتبراً مهنة العبيد فلا يمسه الاحرار ؟ وان الامة اليونانية الرومانية المتأنقة بأكلها وملبسها وملاهيها لم يكن ليخطر على بالها فتح ملجأ لعجّز او مأوى لايتام او مستشفى لمرضى ؟ هل عرف ان المراسح كانت مجازر تعرض فيها الاسرى فرائس بشرية لانياب الوحوش الضواري ، ومناظرَ هائلةً لأعين المتفرجين من بني الانسان ؟

تلك كانت حالة العالم القديم في اقصى ما بلغه من درجة مدنية وعمران لما ظهرت المسيحية، فاخذت تلك قيود البشرية تدريجاً : اعلنت ان الزواج عروةٌ لا تنفصم ، وان قيمة نفس الرجل والامرأة والولد والحر والعبد متساوية وثمنها دم المسيح . واستحثت البشر بمثل النادي مؤسسها ، والرسل مبشريها ، على حب الشغل اليدوي والكفران بالذات واسعاف البائسين . وما مضت سنون الا نشأت على انقاض الوثنية مدنية جديدة وعالم جديد انما هي المدنية المسيحية التي لا تنفك تحيي العالم باسمى ما ظهر فيه من جمال وكمال . فهي منبت الفضائل وينبوع الاخلاق الطاهرة وام البتولية والشفقة

ان يظهر الشر احايين ويتغلب احياناً في ايام المدنية المسيحية ، فلا عجب ، والدين لا يمحق الحرية والشعب المسيحي كسائر الشعوب مخيّرٌ في مسيره ومصيره ؛ ولكن الفرق عظيم بين منزلة الجرائم في عالمنا المسيحي ، وبين ما كانت عليه قبل العهد الميلادي . لانه اذا ما ارتكب المتحاربون في يومنا فظائع ، خجلوا منها وحاولوا الهرب من تبعتها شأن المذنبين الماقتين آثامهم . امّا الشعوب قبل المسيح فكانت تستبيح المحرّمات وتعلّلها واحياناً تقدّسها . فضلّ اذاً من قال « ان الجنس البشري لم يتقدم باخلاقه منذ فجر التاريخ الى يومنا » وشتان بين اخلاق البشر قبل المسيح وبعده .

الكتب الطقسية

يذكر قراؤنا للاديب يوسف مدوّر مقالات ملؤها الغيرة المسيحية على مصالح الكنيسة ، نشرها سابقاً في المشرق ، وها ان رصيفتنا الغراء رسالة السلام اتحفت بصديقنا ، وصدرت عددها لتشرين الاول بنظرات له مفيدة في الكتب الطقسية المارونية قال :

«وان ما حدا بنا الى انشاء هذا المقال انما هو لنبين لقراء هذه المجلة وجلهم من رؤساء طائفتنا واكليروسها واعيانها الكرام ، ان في هذا القرن العشرين حيث انتشرت المطابع في كل صقع ومكان ، ولم تبقَ لغة من اللغات المعروفة بين الامم المتمدنة إلّا وسُبكت حروفها وأعدت للطبع ،وقد بلغ فن الطباعة الى ارقى درجات الرقي ، وهو من السهولة في اقرب مكان ، ومع كل هذا ما برحت كتبنا الطقسية في كنيستنا المارونية نادرًا وجود الجزء المطبوع منها ، والجزء الآخر ما زال تحت رحمة النساخ وهو اندر من الكبريت الاحمر ، تبين ذلك اذ لعل واحدًا من وجوه الطائفة وممن لهم المقدرة تستفزه الغيرة الطائفية والحماسة الجنسية الى الاقدام على نشر كتبنا الطقسية بالطبع بعد استئذان السلطة العليا فيخلد اسمه ويجعل لنفسه ذكرى حسنى ؟

فكم من الكنائس والمعابد التي شيدت حديثاً سواء في الوطن او في بلاد المهجر هي في حاجة قصوى الى الكتب الطقسية ولا تجد منها إلّا ما ندر فيضطر القائمون بخدمة هذه الكنائس اما الى تكليف من ينسخ لهم بعض الكتب الاكثر لزوماً واما الى الاستغناء عن البعض الآخر مُرغمين...

اليس من الحيف ان تكون كنائس طائفتنا المارونية مفتقرة الى الكتب الطقسية ؟ فلا المطبوع منها بقيت منه نسخ يسهل وجودها والحصول عليها ، وما لم ينشر بالطبع تداولته ايدي النسّاخ ولم يعد يوجد من يُتقن الخط السرياني في هذه الايام! »

وذكر صاحب المقال الكتب التي طبعت قديمًا ولم يجدد طبعها وهي:

١ً كتاب التنقيت الشتوي – ٢ً التنقيت الصيفي – ٣ً الاناجيل الاربعة بالسرياني والعربي – ٤ً الزيشتريان – ٥ً النوبة او الرتب الكهنوتية .

ثم الكتب التي طبعت قديمًا وجدد طبعها حديثًا :

١ً الشحيم –٢ً كتاب الاناشيد المعروفة بالافراميات–٣ً كتاب الخطب المعروفة بالحمايات (طبعة غير كاملة)– ٤ً كتاب توزيع الاسرار–٥ً رسائل القديس بولس–٦ً خدمة القداس – ٧ً كتاب الرتب البيعية–٨ً كتاب القداس الالهي – ٩ً كتاب منائر الطقسيات – ١٠ً كتاب فرض اسبوع الآلام وهو المعروف بالملاش

ثم الكتب التي لا تزال مخطوطة وهي :

١ً كتاب الصيامي – ٢ً كتاب التشمشت – ٣ً كتاب فصول الاناجيل التي تتلى في القدس مساء وصباحاً – ٤ً السنكسار – ٥ً كتاب السياميذ او الشرطونية

التهذيب الاميركي في الشرق

نشرت مجلة الكلية (ايار وتشرين الثاني) مقالاً لمتى افندي عقراوي « في التهذيب الاميركي خارج الولايات المتحدة » وهو سلسلة شذرات مأخوذة عن خطب القيت في المؤتمر التهذيبي المنعقد في ٣ كانون الاول ١٩٢٧ في نيويورك ، تحت رعاية جمعية كليات الشرق الادنى والمعهد الاعمى في جامعة كولومبيا في نيويورك . ونحن يهمنا ان نعرف حكم احد علماء الاميركان في تهذيبهم وتأثيره في الشرق. قال (ص ٧١) :

« ان شعوب غرب اوربة واميركة هي التي وضعت اصول التربية المنتشرة في اقطار العالم وطرقها وموادها اي ان مئتين وخمسين مليوناً من الناس ابتدعوا اصول التربية لسائر سكان الارض الذين يبلغ عددهم الفاً وخمسمئة مليون نفس . وكلا الشرق والغرب يطالبان بالحاح بوجوب تعميم التربية وزيادتها

على ان هنالك فرقاً بين الداعين الى التربية في الغرب وبين الداعين اليها في الشرق . اما اهل الغرب فهم اليوم في شك من امر تهذيبهم يتساءلون عن صلاحية طرقهم واصول الترقية عندهم ولم ينجحوا حتى الان في اعطاء الجواب على اسئلتهم هذه . اما اهل الشرق فهم يقتبسون عن الغرب دون ما تمحيص ولا سؤال . لذلك فنحن الان امام امر واقع وهو ان الشرق يقتبس عن الغرب ما لم يعد الغرب مؤمناً بصحته ونفعه . وسيعود هذا التقليد الاعمى على الشرق بما لا تحمد عقباه وسينتبه الشرق يوماً الى خطأه »

القومية العربية منذ مئة عام

وفي الكلية ايضاً (ص : ٣٨ وما بعدها) بحث انتقادي تاريخي للدكتور اسد رستم عالج فيه هذه القضية: اكانت الروح القومية العربية سبباً للنزاع بين الاتراك والعرب المصريين ؟ واليك الدواعي التي تحدو بالمؤرخ الى الايجاب سلباً :

« ان اكثر الاصول التاريخية المعروفة الان والتي تبحث في هذا النزاع لا تشير اليه كنزاع قومي بين محمد علي والسلطان محمود الثاني ومن تلك الاصول

اوربيون كثيرون . قال جيراردان عن محمد علي : «هو تركي لا يتكلم الا اللغة التركية ولا يثق الّا بابنائها» — وقال غيره : «ولا يسمح محمد علي باشا للعرب الوطنيين الدخول في مدرسة الضباط العسكرية ولا ان يترقوا في مسالك الجندية»

وزد على ذلك انه بينما كان الحصار لا يزال مضروباً على عكّا دبرت فتنة ضد محمد علي في القاهرة عاصمة حكمه . وكثير من الشبان المصريين ومئات من الفلاحين تذرعوا بكل ما استطاعوه من الوسائل للهرب من الخدمة العسكرية — والفكر الشرقي آنئذٍ لم يستأنس بمعنى القومية كما عرفها الافرنج وكان الاسلام في ذلك الزمان اقوى العوامل الاجتماعية في الشرق يضم الاتراك والعرب معاً . فمن المحتمل ان النزاع الذي وقع بين محمد علي باشا والسلطان محمود الثاني لم يكن نزاعاً بين جنس وجنس ... ولكن ربما جال بمخيلة ابراهيم باشا فكر احياء القومية العربية وذلك ينتج من اثر للبارون بوالاكونت معتمد فرنسا آنئذٍ في مصر ... على ان البتّ في الامر غير ممكن وليس لدينا سوى شاهد واحد.

الخط والخطاطون

لصاحب الآثار الاستاذ عيسى المعلوف مآثر في حفظ الاعلام الشرقية والتنقيب عن اصلها وقد راقنا ما ذكره عرضاً في مقال على الخط العربي بعض اشهر الخطاطين المعاصرين قال : (الآثار في عددها الممتاز تشرين الاول ص : ٤٣٥) :

وشافهت كثيراً من كبار الخطاطين في بلادنا ومنهم :

— مصطفى الساعي الحمصي الدمشقي اشتهر بالخط الفارسي

— نجيب بك الهواويني مؤلف (السلاسل الذهبية) بعشرين كراساً تجمع انواع الخطوط الثلاثة الرقعي والنسخي والثلث

— جميل بك العظم

— علّام يوسف علّام وله دفاتر طبعها الآباء اليسوعيون

— الشيخان مراد الشطي وحسن الشطي والشيخ حسين الباغجاني وممدوح افندي في دمشق ومسعود الكواكبي ومحمد علي الخطيب في حلب ونسيب مكارم في لبنان

وقال في انواع الخطوط الحديثة (وجه ٤٣٨) :

« وكانت الاقلام عند القدماء والمتأخرين كثيرة جاوزت العشرين ولكنها ارجعت الى قلمين رئيسيين هما (النسخ) و (الكوفي) وعرف من فروعها عند المتأخرين تسعة اقلام هي : الثلث والنسخ والكوفي والرقعة والتعليق (الفارسي) والمعلق (فرع التعليق) والريحاني (الاجازة) والديواني (الهمايوني) والديواني الجلي

ومن مائة سنة اقتصر على الاقلام الاربعة منها وهي : الرقعة والنسخ والثلث والفارسي . ويكتب الخطاطون عدا ذلك: الخط الديواني والريحاني ، والديواني الجلي ونادراً تكتب هذه على بطاقة بعض الاشخاص

والعامة في الاستانة ومصر وسورية في هذه الايام تكتب الخط الرقعة (ويسمى في سورية الديواني خطاً) لان الديواني خط آخر يستعمل لكتابات التقاليد (الفرمانات) التي يمنح بموجبها رتب »

وانا لنضيف الى من ذكرهم الاستاذ صاحب المقال اسم الخطاط ابراهيم فارس بزبك المصحح في مطبعة الارض المقدسة في اورشليم ، نشر قانون الايمان مكتوباً بعشرة خطوط بديعة ويرى المطالع صورته مصغرة في الصفحة السابقة ، نشرناها عن نسخة محفوظة في مكتبتنا الشرقية

الشيخ علي عبد الرازق وآراؤه في الاصلاح

تعلم الشيخ علي عبد الرازق وعلم في الازهر ، وتخرج من اكسفرد فقابل بين جامعتها والمؤسس المصري الكبير ، فعطف الى مواضع ضعف الازهر وقام يطالب باصلاحه . روت له مجلة الهلال حديثاً قال فيه : (نوفمبر ص : ٢١)

« امّا الازهر كجامعة دينية لتخريج العلماء الكفاة فهو بحالته الحاضرة ليس سوى صفر لا فائدة فيه البتة ، وانا اوثر ان ارى للمسلمين علماء يقيمون دينهم متخرجين من الجامعات العصرية على الطراز الحديث . ولقد اذهب الى ابعد من ذلك واتمنى لو ارى بين علماء المسلمين من يتخرجون في الجامعات الاوربية »

وقال في السفور :

« وانا اوافق بلا تردد على السفور ولا ارى في الاسلام ما يعارضه ولكني احب ان يكون للسفور قيود خلقية شديدة متينة كما كان عند الانكليزيات قبل الحرب »

وقال: «ان الوقف الاهلي كله ضرر واذى بالناس وليس في الدين ما يمنع

من تقييد الزواج والطلاق وتنظيمها مدنياً اذا اقتضت المصلحة العامّة.

وقال: « اني من القائلين بان الاسلام لا يعرف سلطة دينية لرجل من الناس ولا جماعة وما القضاء بجميع احواله الّا نظام مدني وما المسائل الشخصية في نظر الدين الّا كالمسائل الجنائية والمدنية يمكن القضاء فيها لرجل واحد او لهيئة واحدة. »

وقال في الادب : « اكبر ما انكره في اسلوبنا الحاضر هو الجانب الخلقي اكثر من الجانب الكتابي من حيث تساهل عامّة الكتّاب في استعمال الالفاظ والتعبيرات التي لا تجيزها قواعد الاخلاق وربما لا تقع اللائمة على الكتّاب وحدهم في ذلك فان بعضاً منها يقع على الأمّة »

التكيف اللغوي

القى الاستاذ احمد سامح الخالدي مدير الكلية العربية بالقدس في النادي الرياضي الاسلامي بيافا محاضرة تكلم فيها على التكيّف او التطور عموماً ثم على التكيّف اللغوي خصوصاً فقال: (الكشاف ، ايلول ص: ٤٤٥).

« يخطئ من يظن ان اللغة بحالتها الحاضرة تصلح كل الاصلاح لمقتضيات هذا العصر كما يدعي البعض: ان هذا الكلام لا يقام له وزن وكيف ينتظر من قوم ناموا ستّة قرون او ما يزيد ان يوجدوا ما اوجده غيرهم هذه المدة ؟ من اين لنا ان نجد هذه المعاني والمسميات الكثيرة والعلوم الحديثة ؟ فاللغة تنمو وتضعف بحسب نمو وضعف المتكلمين بها . اليست تابعة لنظام التكيّف ؟ . . .

اللغة بحالتها الحاضرة لا تفي اذاً بحاجة . واما اننا نهتم باللفظ اكثر من المعنى فهذا امر ثابت . غير ان انحطاط الفكر هو الذي سبب هذا التقيد اللغوي. فاصبحوا يهتمون باللفظ دون المعنى وهو كل رسالهم ، شأننا يوم كنّا طلّاباً ندرس اللغة ، فكان الاستاذ يطلب منّا انشاء، اذا ما اردنا ان نكتب تواردت علينا الالفاظ دون المعاني والافكار . . . يتم اذاً التحرير اللغوي [او التكيّف] بانقلاب في تدريس اللغة وتقريبها الى اذهان الطلبة وحذف القواعد الجافة منها وتسهيلها وترغيبهم فيها »

على عهد الامير

لماذا ؟

رواية لبنانية تاريخية

بقلم فؤاد افرام البستاني

وقد يكون من الابناء ضحايا في سبيل آبائهم
من حيث لا يعلمون

الفصل الرابع

مجلس شورى (تابع)

وما هي ان ظهرت حتى ترجلوا هاتفين . فترجل الامير مجيباً عن هتافهم بكل ما في صوته من نبرات الاخلاص والوفاء . ثم تقدّم فعانق الشيخ بو غانم وسلّم على الباقين كلًّا بمفرده ، وركب معهم فساروا فرحين الى سراي ديرالقمر

في الطابق الاسفل من السراي القديمة التي بناها الامير ملحم شهاب ردهة فسيحة ، يغطيها سقف عالٍ من العقد المصالب يرتكز ، في الزوايا ، على اربع عضائد ، وفي الوسط ، على عمود واحد ضخم مصقول منقوش الدائر ، يلفت انظار الداخلين بضخامته ومتانته ، وقوته على حمل ذاك البناء العظيم ، حتى ان الناس اجمعوا على تسمية تلك الردهة « بقاعة العمود » — امّا « قاعة العمود » في قصر بيت الدين فقد سُمّيت تشبيهاً بهذه — وكان في الردهة شبابيك مزدوجة معروفة « بالقندلونات » ترتكز على شمعات لطيفة دقيقة من المرمر الخالص وتطلّ من الجهة الجنوبية ، على « حيارة » الدير ؛ فتفسح مجالًا للنظر يرتاح فيه الى مشهد شائق من الاشجار والنباتات المختلفة . وتحت الشبابيك من الداخل ديوان واطئ من الحجر يدور في الردهة ، كان قد فُرش تلك الليلة بطيالس نفيسة من الاطلس الاحمر ، علته الطنافس الوثيرة يلمع مخملها الاسود تحت وقع انوار الشموع والقناديل العديدة التي انيرت لاستقبال الامير

وما ان علت الجلبة في السوق ، حتى هرول من كان في « قاعة العمود »

من الامراء والمشايخ الى استقبال القادم . فهتفوا له ودخلوا به الى المجلس . فاعتلى طنفسة مزركشة بالذهب احاط بها شمعدانان ، وجلس اعوانه بين يديه بصمت وسكون ، ووقف الخدم مسلّحين امام الباب وقوف الليوث امام العرين

تلك كانت هيئة « مجلس الشورى » الذي قصد الامير بشير عقده قبل الجواب عن مطالب الجزّار . شاء ان يأخذ آراء اهل دير القمر ، وهم نواة حزبه وانصاره ، وكلهم ممن يعتمد عليهم في تقلبات الامور من اصحاب الآراء الصائبة ، وحملة السيوف الباترة ، وقادة الفرسان المَهَرة ، وارباب الثروات الوافرة .

كان الامير يعرف ذلك فلا يبتّ في امر قبل ان يستشيرهم ؛ وقد كان اوفر حكمةً من اخصامه ، اذ لم يكن يكتفي بطلب آراء الامراء والمشايخ فحسب ، بل يلجأ الى استشارة الشعب ايضاً فيجمع في مجلسه شيوخ العيال من « العامية » . وهو ما اراده تلك الليلة فأمر ، قبل ان يُبدأ بالبحث ، ان تُدعى شيوخ دير القمر مع رئيس انطوش سيدة التلة

وكان اول من اقبل رئيس الانطوش لقرب الكنيسة من «قاعة العمود». فاستقبل بالاكرام واتخذ محلّه بين المشايخ . ثم اقبل وفد من شيوخ العيال ، فنحنوا رؤوسهم عند الباب ووقفوا مسلّمين. فردّ الامير عليهم السلام ، وقال:

— تفضّلوا !

فتقدموا الى المقاعد وظلّوا واقفين . فالتفت اليهم الامير ثانية وقال:

— تفضلوا ! اقعدوا !

فقعدوا على جنب واحد جالسين على الركبة اليمنى ومستندين الى الاخرى. حتى اقبل عليهم الامير ثالثة وقال :

— تفضلوا ! خذوا راحتكم !

عند ذلك استقرّوا في مجالسهم مطمئنين . وتلطّف الامير فأمر بالقهوة للجميع . وبعدها بدأ مجال البحث في اسباب عقد ذاك المجلس ، فقال الامير:

— سمعتم جميعكم ، دون شك ، بالحوادث الاخيرة التي تظهر كلها موافقة لحزبنا . وان من ترقّب مجرى السياسة في هذه الايام ، وعرف

قيمة المراكز التي اخذناها ، والطرق التي ترابط فيها جنودنا ، لا يمكنه الّا الاقرار بظفرنا والتفاؤل بنجاحنا القريب . فقد ارسل اليَّ الجزار خلعة الولاية بعد ان اتّفق الجميع على رجوعي الى الحكم ،والتمسوها لي بامضاءاتهم التي لا يمكنهم «لحسها» . وقد شعر الاعداء بضعفهم عن المقاومة فهربوا الى الشمال كما تعلمون ، بعد ان دخل هذا البطل — واشار الى الشيخ بشير جانبلاط الذي كان عن يمينه — مع اخي حسن ، والمتلا اسماعيل ، بلاد الشوف . وهذا امر مشهور يعلمه كلكم . وتعلمون ايضاً اني ما كدت اصل بالعسكر الى كفرحتل حتى اقبل اليَّ الامراء اللمعيون ، والعمادية ، وسائر الاعيان مسلمين . فامنتهم ، وكان لم يبقَ الّا النكدية ، وعبدالله القاضي ، وبعض التلاحقة . ولكن هؤلاء ايضاً لم يلبثوا ان استسلموا طالبين الامان بعد ان رأوا العبادية تُخرب ، وقرى الغرب الاعلى تُنهب ، والكنوز والمخبآت تُكشف من الاديرة والقصور ، والنكدية تُغرَّم بخمسين الف غرش ، والعسكر يتقدَّم يوماً فيوماً ؛ حتى دان لنا الجنوب والشوف والمتن . وقد قدم اليَّ مؤخرًا الامير قعدان ، والامير حيدر ملحم يطلبان الصفح ، فعفوت لهما ، وطيّبت قلبيهما ، واطلقت لهما التصرّف بارزاقهما ، فرجعا : الاول الى رأس المتن ، والثاني الى بشامون ، وهما من اخلص الاصدقاء ، واصدق المعاونين

ثم استراح قليلًا كي يرى وقع كلامه ، فرأى رؤوساً متطاولة ، وعيوناً شاخصة ، وانفاساً مضبوطة ، ووجوهاً طافحة . فشعر بان حبه لا يزال متماسكاً بالقلوب ، وان كلامه يصادف احسن وقع ، فتابع :

— غير ان تلك الانتصارات لا تقوم الا بالتضحيات الوافرة : تضحيات المال وهي لا يؤبه لها في سبيل الظفر وحفظ الشرف . وتضحيات الرجال ، واحسرتاه !

وهنا اغبرّت سيماؤه ، وانقبضت ملامحه :

— واحسرتاه على الشيخ قاسم ! واحسرتاه على منصور ! واحسرتاه على فارس ! واحسرتاه على حسين ! واحسرتاه على حماد !

وجعل الامير يسرد اسماء شجعانه المفقودين بتأثر ظاهر وصوت متهدّج ،

ونبرة ضعيفة ، حتى تصوّر الجميع انهم يسمعون صدى نشيجه في افئدتهم . فترطبت آماقهم ، وظهرت امامهم اشباح اولئك الفرسان الذين قضوا شهداء واجبهم ، وفداء اميرهم المحبوب

— ولكن من مات في سبيل الواجب والشرف فإنه لم يمت ؛ بل ذكره حيّ خالد بحياة الواجب ، وخلود الشرف .

قال الامير هذا مستجمعاً ما في صدره من القوى الكامنة ، وما في ارادته من الصبر على المحن :

— واذا اراد هذا الواجب ، واذا شاء هذا الشرف ، ضحايا جديدة فاننا جميعاً مستعدّون لبذل نفوسنا . فالموت بالعزّ ولا الحياة بالذلّ . او ما سمعتم قول شاعر الفرسان ، وفارس الشعراء :

لا تسقني كأس الحياة بذلّةٍ بل فاسقني بالعزّ كأس الحنظلِ
كأس الحياة بذلّةٍ كجهنّمٍ وجهنّمٌ بالعزّ أطيبُ منزلِ

وكان الامير يضرب على اوتار حسّاسة في قلوب ارقّ ما فيها عاطفة الشرف والاخلاص . فتلاعب بها ما شاءت بلاغته ، محوّلاً وجوه سامعيه ، في اقلّ من خمس دقائق ، من مظاهر الاعجاب الشديد ، الى الحزن العميق ، الى الحماسة والتهوّس . فجعلوا يتململون كما في صهوات خيولهم ، كأنهم ينتظرون ساعة الطراد ، متشوّقين الى سماع صليل السيوف ، وتنشّق رائحة البارود

ولكنّ الخطيب اراد المحافظة على تلك الحميّة ، وخزنها لساعة اللزوم ، فغيّر لهجته من الحماسة الى الاطمئنان ، وتابع :

— امّا الآن ، والحمد لله ، فلا نرى من حاجة الى بذل النفوس ، اذ ان الحالة لا تتطلب حروباً بعد . بل جلّ ما نبذله اكياس المال ، وهو ايسر ما يُبذل في سبيل الواجب والشرف . وانتم اعلم من ان اخبركم بمطامع الجزّار وشدّة شرهه للاصفر الرنّان . فقد ارسل يطلب مني مؤخّراً مبلغ ثلاثمائة الف غرش مع رهينتين يحتفظ بها بدلاً من ذاك الشيخ الجليل ، الشيخ قاسم ، الذي عرفتم جميعكم مبلغ وطنيته وشهامته ... ولا تحاروا في كيفية الحصول على المبلغ ، وفي اختيار الرهينتين . فقد دبّر الله كلّ شيء . وما جمعتكم الّا

لاستشيركم في ما قصدنا عمله . فقد رأينا ان نُرسل غداً الفتى غانم ، حفيد كبيرنا الشيخ بو غانم ، وهو جلّ ما يطمح اليه الجزّار . مع مبلغ مائة وخمسين الف غرش . على ان يذهب اليه بعد رجوعه من الحج ، رفيقي ومعاوني ، الشيخ بشير ، حاملاً المبلغ الباقي . فما قولكم ؟

وما اتمّ الامير خطابه الطويل حتى افاق السامعون كمن سبات عميق ، مضطربي العواطف ، مروّعين امام تلك الحواجز التي تعترض اميرهم في سبيل الحكم ، معجبين بطريقته في حلّ الصعوبات وتمهيد العقبات بتلك السهولة والرزانة . حتى انهم حاروا فيما يجيبونه ولم يبقَ مجال للمداولة ولا سبيل للشورى

وكأنّ الامير شعر بحيرتهم هذه فقال :

— لا تهتموا بالقيمة الباهظة فقد حصل لدينا منها حتى الآن مائة وخمسون الف غرش . وقد ارسلت اجمع الهميد من البلاد ولا يمضي الشهر حتى نحصل على الباقي . اوَ ليس كذلك يا معلم نقولا ؟

فوقف هذا واجاب :

— نعم يا مولاي !

عند ذلك وقف الشيخ بو غانم وقال :

— ان حكمتكم السامية في حلّ العقد المحكمة ، وتمهيد العقبات الكؤود ، وتذليل الصعوبات الشديدة ، لم تدع مجالاً للبحث والتفكير . فما رأيتموه هو الرأي الصائب ، وما اشرتم به هو المشورة المثلى . وان غانماً لطوع امركم حيث ارسلتموه ، وهو لا يلتمس سوى تقبيل يديكم

فأمّن الجميع على كلامه . بينما كان احد الخدم ينادي غانماً من الدار الخارجية . فاقبل هذا وودّع الامير والحاضرين

وبعد ان امر بدور ثانٍ من القهوة ، انفضّ المجلس ، والجميع معجبون بهذا الامير الجليل ، وبهيبته التي تجعل ان «يميل اليه الناس ، وتلوح منه اللطافة والايناس»

(لها بقية)

شذرات

الاخ غريغون وجبل لبنان

بعد ثلاثين سنة

في السنة الاولى من المشرق (١٨٩٨ ص: ١١ وما بعدها) خصصنا بحثاً مطوّلاً بالاخ (فرا) غريغون وجبل لبنان في القرن الخامس عشر . وها اننا ، بعد ثلاثين سنة ، نستلم من احد اصدقائنا ، شذرةً من مخطوطة لاتينية محفوظة في مكتبة ليل (فرنسة) تتضمّن وصف زيارة احد البلجيكيين ، الثثاليه انسلم ادورنس من مدينة بروج ، للأراضي المقدسة في سنة ١٤٧٠

يذكر الزائر المذكور انه صادف في بيروت ، في دير المخلص للآباء الفرنسيسكانيين ، « الاخ غريغون المولود في كورترى (Courtrai) من بلاد الفلاندر ، وهو راهب عالم ، يعيش بغاية القداسة ، ويتكلم اللسان العربي بسهولة فائقة كأنه لسانه الوطني.» ثم يتكلم ادورنس عن اعمال الاخ غريغون الروحية وعلاقاته بالموارنة فيذكر حادثةً غريبة نوردها على عهدته ، قال:

« وقد اقنع غريغون البطريرك الماروني حتى دخل في رهبانية مار فرنسيس وقام بالنذر . وقد رأيناه في بيروت يلبس الثوب الرهباني (كذا) . . . وهؤلاء النصارى الموارنة يسكنون جهةً من لبنان تُدعى ، عند العامة ، بالجبل الاسود ، (١ وهي قرب طرابلس . . . وهم منتشرون في نحو عشرين بلدة معتبرة اكبرها اكورا (Achora) [اي العاقورة] . وهم شجعان ورماة حاذقون.»

« وفي تلك الجبال بُنيت كنيسة السيدة مريم حيث يُقيم غالباً الاخ غريغون والبطريرك(٢ . وان جبال لبنان الشائقة تملأها القُرى الجميلة ، والسكان ،

١) هنا يخلط الكاتب بين جبل الموارنة من جهة ، والاماتوس وجبال شمالي انطاكية من جهة اخرى

٢) المقصود دير قنوبين دون شكّ .

والثمار ، والينابيع ، وشجر الارز ، والسرو ، وغيرهـا من الاشجار الزكية الاريج من النوع نفسه ، وغير ذلك من المحصولات النفيسة.»

هذا ما كتبه ذاك الزائر البلجكي . وان اسطره هذه وافرة القيمة لأنها لشاهد عياني واجه الاخ غريفون وتحادث اليه . وهي تؤيد نهائياً ان المرسَل الشهير كان فلمنكي الاصل لان ادُرْنِس ينسبه الى مسقط رأسه مدينة كورترى. امّا ما خصّ البطريرك الذي دخل في الرهبانية الفرنسيسكانية ، فاننا نترك لغيرنا ايضاح هذه المسألة التي يزيدها تعقيداً قولُ الشاهد أنه صادف البطريرك نفسه لابساً ثوب الرهبنة الفرنسيسكانية . على اننا نظنّ ان الزائر خلط هنا بين ثوب الفرنسيسكان وثوب الرهبان الذي كان كثيراً ما يرتديه الاحبار الشرقيون . ولعلّ احد قرّائنا يرى حلّاً آخر لهذا المشكل . وعلى كل فينتج من هذه الوثيقة التاريخية ، ان الاخ غريفون ، خلافاً لما أكده الكثيرون من كتبة التاريخ ، لم يكن قطّ بطريركاً على الموارنة ؛ بل هو لم يكن اسقفاً اذ صادفه ادُرْنِس سنة ١٤٧٠ ، فقال عنهُ انه «راهب» لا غير . كما انها تظهر ما كان يحيط باسم المرسَل من دلائل الشهرة في العلم والقداسة.

يوبيل الاب انستاس الكرملي

اقام فريق من ادباء العراق ، وفي مقدمتهم الشاعر البغدادي جميل صدقي الزهاوي ، حفلة يوبيل للاستاذ المعروف الاب انستاس الكرملي الذي خدم اللغة العربية زهاء ربع قرن في ذاك القطر . وقد اقيمت الحفلة في دار عبد المحسن بك السعدون ، رئيس الوزراء ، واشترك فيها الكثيرون معترفين بفضل الاب المذكور على اللغة وعلومها في عصرنا.

فمجلة «المشرق» تضمّ صوتها الى اصوات مُكرّمي العلم ، وتهنئ من كان يتحفها بمقالاته النفيسة في اللغة والادب ، بيوبيله متمنّية له سنين مديدة يواصل فيها بتقدم ونجاح ابحاثه المفيدة.

مطبوعات شرقية جديدة

W. Van Rees : Les mandats internationaux. Les principes généraux du régime des mandats. *in-8° de 259 pp.* 1928. *Prix*: 30 *f*. *Paris, Rousseau et Cie, éditeurs.*

الانتدابات الدولية . المبادئ العامة لحالة الانتدابات

نشر المؤلف ، وهو نائب رئيس لجنة الانتدابات الدائمة ، كتاباً نفيساً في العام الماضي ، عن مسألة الانتداب سماه : « الانتدابات الدولية . المراقبة الدولية على الانتدابات » . وقد وصفه « المشرق » في حينه (٢٦ [١٩٢٨] ١٤٨) وبيّن ما فيه من المحاسن . ومما لا شك فيه ان المؤلف ثقة في هذه المسائل الصعبة والدقيقة لما تخوّله وظيفته من سهولة الابحاث في هذا الموضوع . وهو لم يبخل على الناس بآرائه ونتيجة اختباراته ، فحقّ له شكرهم ، خصوصاً شكر الشعوب الواقعة عليها الانتدابات . لأنه مهما يكن من البعد بين النظرية والعمل ، فلا تُعدم الفائدة من عرض مبادئ الانتداب وإعادة ذكر نصوص الصكوك امام من كُلّفوا شرحها وتطبيقها . هذا وان المؤلف يقوم بعمله بتجرّد ونزاهة جديرين بكل شكر فهو بعيد عن مركز القضاء ومركز الخصم . فيبدأ اولاً بدرس مبدأ الشخصية الدولية المختلفة عن الاراضي الواقعة تحت الانتداب ، والناتجة من ان الدولة المنتدَبة ليست بصاحبة الأرض ولا بالمسيطرة عليها . ثم يبحث في تطبيق هذا المبدأ عملياً . بعد ذلك ، يعرض في قسم ثانٍ ، تحديد صلاحيات السلطة المنتدَبة في الادارة وغيرها ، ويحلّل نوع الواجبات التي تولدها العلاقات بين السلطة المنتدبة والدول الغريبة التي يعدّها كفريق ثالث ، ويحلّل الواجبات التي تنتجها مهمّة السلطة المذكورة من حيث تدريب الشعب والسير به الى الامام . وهو عرض وافر الترتيب ، كثير الأمثال التي توضح ، اتمّ ايضاح ، كثرة المبادئ الحقوقية التي يستند اليها الكاتب

ج . ل .

Denzinger - Bannwart : Enchiridion symbolorum, *definitionum et declarationum de rebus fidei et morum. Editio* 16ª *et* 17ª *quam paravit* J. B. Umberg *S. J.* 8°, XXX, 612, 28 *et* [58] *pages. Prix* : 6 *M. Freiburg im Breisgau. Herder et Cie.*

كتاب في العقائد الدينية

لا لزوم لشرح منفعة هذا التأليف الجليل وما ناله من الفائدة اجيال الطلّاب المتعددين الذين درسوه . وهو لا يزال يسير من تحسين الى تحسين وهما ان الطبعتين السادسة عشرة والسابعة عشرة تشهدان بذلك . وفيهما اجود النصوص اخذاً عن اجود الطبعات ، مع نصوص جديدة وكثير من الاصلاحات والشروح التاريخية . فان كتاباً كهذا لجدير بان يكون بين يدي الطالب ، والكاهن ، والمعلّم ، واللاهوتي ، والاسقف .

Comte H. de Keyserling : Figures symboliques, *traduit de l'allemand avec une préface par* **Christian Sénéchal.** 1928, *Librairie Stock, Paris. Prix*: 22 *f.*

وجوه رمزية

تكلم « المشرق » (٢٥ : [١٩٢٧] ٦٣٠) عن كتاب سابق للمؤلف نفسه نعرّفه الى القرّاء من فلاسفة الألمان المتشاغلين بالعالم الادبي . وقد اجتهد المترجم ، كما في الكتاب السابق ، في ان يوضح عقلية الرجل ندرسه ودافع عنه ، وبذل جهده في جعل الترجمة واضحة . ومن ثمّ يتحقّق المطالع بدرسه هذا الكتاب ، ان نجاح هذا النوع من الفلسفة لهو علامة واضحة عن تضعضع النفوس المسيحية وتقلقلها ، اذا خرجت عن الكثلكة . امّا الوجوه الرمزية في عرف المؤلف فهي وجوه شوبنهاور ، وسبنغلر ، وكانت ، والمسيح . وقد بدأ المؤلف بتصوير ذاته في فصل تمهيدي عنونه : « في الخصب الناتج عن الأمر الناقص ! » وهي صفحات جديرة بالانتباه يلزم الرجوع اليها اذا اردنا الكلام عن الكونت كيسرلنغ ، ولكنها تدلّ على تنشئة وتطوّر لا نراهما تحت سماء العالم اللاتيني

ج . ل .

MELODIES LITURGIQUES, Syriennes et Chaldéennes, *recueillies par* **Dom Jeannin O. S. B.** *et publiées avec la Collaboration de* **Dom J. Puyade** *et de* **Dom A. Chibas-Lassalle O. S. B. — Mélodies Syriennes. II,** *Introduction liturgique et recueil de mélodies.* **1928.** *Paris, Leroux; Beyrouth, Imprimerie Catholique.*

الحان كنائسية سريانية وكلدانية

وصف المشرق عام ١٩٢٥ (ص: ٣٠٩) المجلد الاول من مجموعة الالحان الموسيقية في الكنيستين السريانية والكلدانية . واليك المجلد الثاني ، وفيه الالحان مضبوطة بالعلامات الموسيقية ، وفي مقدمتها ديباجة وضعها الاب لاسال في عشرين صحيفة كبيرة عن اصل تلك الالحان وميزاتها ، واستعمالها في الطقوس، وصلتها بالمجموعات الطقسية القديمة . ومتن الكتاب يشتمل على ٦٨٢ صحيفة ، وطبعته تضاهي باتقانها ونظافتها خير ما ظهر من امثالها الى يومنا ، على ما يعتور ضبط الموسيقى الشرقية والفاظها من العقبات وقد ذللتها المطبعة الكاثوليكية . ومعظم نفقات الكتاب قام بها السيد جون ستودارد المحسن الكريم ، والكاتب الاميركي الشهير . فلا يسعنا الا الثناء على غيرة المؤلف ومساعديه لانهم احرزوا لبيعة الله كتاباً يكون اقوى مساعد على حفظ الطقوس الشرقية برونقها واصولها طبقاً لرغائب الاحبار الاعظمين ف. ت.

Talbot Mundy : Yasmini, princesse de Sialpore, *roman traduit de l'anglais par* **Louis Postif.** *Prix : 12 f. Librairie Stock, Paris.*

ياسمينة اميرة سيالبور

هي رواية لكاتب اميركي نالت شهرة بعيدة في اميركة وفي جميع بلاد اللغة الانكليزية ، لما فيها من الحوادث والوقائع المتنوعة التي يسردها المؤلف باسلوب شائق لذيذ ، بما عليه من امارة الحياة ومسحة الفكاهة اللطيفة . ولهذا السبب تُرجمت الى اللغة الفرنسوية . امّا الكاتب فهو رحّالة معروف جاب اوستراليا ، وافريقية ، والهند ، وقد اختار هذه البلاد الاخيرة مجالاً لحوادث روايته .

Revue des études arméniennes. *t. VII, fasc.* 2 (*VIIe année*)

مجلة الدروس الارمنية

بهذا العدد ينتهي المجلّد السابع من المجلّة . وفيه تاريخ ملوك كوريكيان من لوري بقلم الاب موثريزيان وقد ترجمه فرنسيس ماكلير . ثم بحث لذيذ عن الاكتشافات الاثرية في ارمينية من سنة ١٩٢٤ الى سنة ١٩٢٧ . واخيراً تذكارات ماكلير في بعثته الى جنيف ليدرس اعمال السويسريين في سبيل ايتام الارمن . ويُختم العدد بوصف بعض المطبوعات الخاصّة بالارمن الصادرة سنة ١٩٢٦ .

J. Arimont et A. Brou S. J. : Jésuites missionaires au XIXe et au XXe siècles. *vol in-12°. Prix: 5 f^r . Paris, éditions Spes.*

المرسلون اليسوعيون في القرن التاسع عشر وفي القرن العشرين

في هذا الكتاب قسمان : الاول يظهر جدولاً عاماً عن الرسالات اليسوعية على الجملة ؛ والثاني يدرس رسالةً خاصة . وقد ظهر تأليف كهذا في المطبعة نفسها يبحث عن رسالة كيانغ - نان - ايي في الصين . امّا الرسالة المدروسة فرسالة بنغال الغربية وهي كبيرة واسعة مزدهرة اتمّ الازدهار وغاية في الانتظام والترتيب .

ج . ل .

E. Rabbath : L'évolution politique de la Syrie sous mandat. *vol. in-8°. Prix: 27 f^r. Paris, Marcel Rivière*

التطوّر السياسي في سورية الواقعة تحت الانتداب

هذا الكتاب جديرٌ بالانتباه لأن مؤلفه ، وهو من مسيحيي حلب ، يقرن الى درس بلاده الشرقية القاباً حقوقية تدلّ على تنشئته الغربية ، فيظهر كتابه من اجمع ما أُلف في مسألة الانتداب في سورية . على ان في جميع صفحاته روحاً غريبة تتخلل احكامه كلها وتنتج من مبدأ متزعزع فتسم الكتاب بسمة التحامل والانحياز . وذلك ان المؤلف يرى ، على الرغم من التقاسيم الطائفية المتباينة الواضحة ، ان سورية كلها جامعة واحدة من الميول والافكار تتفرّع عن اصل تاريخي يحدّده بقوله : « منذ القرن السابع من التاريخ الحديث ،

دخلت (سورية) في تاريخها الحقيقي مع وصول العرب اليها ونشر الديانة الاسلامية . ومنذ ذاك التاريخ المهم المؤثر في كل ما عقبه من التطور السوري عاشت سورية معيشة العرب متخذةً دينهم الإسلامي ، ولغتهم ، وروحهم ، مكونةً جزءاً جوهرياً في امبراطوريتهم مدة قرون عديدة حتى الفتح العثماني . وبفضل العرب ، استمال الدين الاسلامي والروح العربي سورية فتقدها الدين المسيحي والغرب » (ص: ٢٠) وهكذا يشطب المؤلف بكل بساطة كل التاريخ السابق للقرن السابع . ولا يقف ، في هذا التاريخ الطويل ، الّا عند الفصل الاخير فيعلنه نهائياً . ومنه ينتج ، في عرفه ، ان الطوائف المختلفة ليست سوى جماعات رجعية ثائرة تؤلف ظواهر مغايرة للتاريخ . هذه نتيجة مقرّراته ، وهي لعمري ، لا تستند الى شيء من البراهين الثابتة القديمة . لاننا نرى ، على عكس ما يزعم المؤلف ، ان الطوائف المختلفة هي شهود عدول لما في سورية ، وهي تذكرنا بعصر اقدم من عصر العرب فيها . وان ثباتها ونجاحها في تلك البيئات المضيّقة ، والشروط المجحفة ، يظهران بكل وضوح انها تشاء الحياة والبقاء ، وهي ستحيا وتبقى . ج.ل.

FEUILLES DE L'INDE N° 1: L'Inde et son âme. Ecrits des grands penseurs de l'Inde contemporaine. *Orné de 40 compositions décoratives par* Andrée Karpelès, *de documents iconographiques et de planches musicales. Vol. in-8° de 504 pp. Publications Chitra. C. A. Högman, éditeur, Boulogne sur Seine.*

منتخبات من مفكري الهند في العصر الحاضر

في الصفحة ٤٨٨ من هذا الكتاب الجميل الظاهر ، الحسن الطبع ، يفصح الناشر عن غايته : فقد اراد ان يعرّف الهند الى العالم الفرنسوي ، بواسطة كبار كتّابها ومفكريها . فجمع في هذا المجلّد مقالات مختلفة مترجمة عن الانكليزية ، في بلاد البنغال خاصّةً ، واكثرها مكتوب باقلام وطنيي الهند الّا بعض ابحاث لبعض الغربيين . وسيتبع هذا المجلد باجزاء اخرى ، وبمجموعة من الاقاصيص الهندية . ج.ل.

Paule Henry Bordeaux : Une princesse babylonienne chez les Druses. *in-12° de* 100 *pp. Prix*: 8 *fs. Paris, Plon.*

اميرة بابلية في بلاد الدروز

بعد ان نشرت مؤلفة هذا الكتاب مجلديها الصغيرين عن اللادي استانهوب لفت نظرها نصّ انكليزي ، فاستغلته واستخرجت منه هذه الرواية المنمّقة . فاظهرت لنا فتاةً من عائلة الاسمر تخرج من بغداد وتهاجر حتى تنهي حياتها في انكلترة ، فتؤلف تضاداً عجيباً مع تلك الانكليزية الغريبة الاطوار التي هربت من اوربة ملتجئةً الى بلاد الشرق . على ان بين الاثنتين شبهاً في مخيلتيهما المضطربتين . اما فائدة التاريخ من هذا الكتيب فهي اقل من ان تُذكر ج.ل.

Henri Baulig: Exercices cartographiques [*initiation, méthodes : fas.* 2] *Prix*: 5 *fs. Publication de la faculté des Lettres de l'Université de Strasbourg*, 1927. *Paris, les Belles-Lettres*

تمارين على الخرائط الجغرافية

غاية هذه التمارين ان يتمكن الطالب من شرح خرائط الجغرافية اي ان يمكنه استغلال الخرائط ليستخرج منها مبادئ الوصف الجغرافي للبلاد المصوّرة. يبدأها المؤلف بدروس عامّة يلحقها بتمارين ابتدائية . يأتي بعدها امثال حيّة مأخوذة اكثرها عن جغرافية فرنسة . وبالاختصار نقول ان صفة هذا الكتاب الوضوح والدقّة التي عرفت بهما المجموعة المذكورة والتي وصف المشرق اول اعدادها في « علم البَرْدي » (ص: ٣٩١ من السنة الحالية) ج.ل.

Revue des Etudes islamiques, *année* 1927, *cahiers* 3 *et* 4. *Paris, librairie Geuthner*

مجلة الابحاث الاسلامية : الجزءان ٣ و ٤ من السنة ١٩٢٧

عُرفت هذه الصحيفة ، منذ اعدادها الاولى ، بانها مجلة رزينة لا تقدّم امراً الّا بعد البحث والتحقيق . فان « ابحاثها ومذكراتها وحوادثها » وهي الاقسام الثلاثة التي تظهر في كل عدد ، تنمّ عن درس واهتمام واستقراء . وقد احتوى الجزء الثالث منها ، بين الابحاث المختلفة ، على درس عن مسلمي الصين والجمهورية ، ودرس آخر عن استعمال الحرف اللاتيني للابجدية التركية في الجمهوريات التركية - التترية . اما الجزء الرابع فاننا نذكر من محتوياته تابعاً لدرس واسع عن الازهر وتطوّراته ، ثم منتخبات من الصحف الفارسية .

تقويم البشير لسنة ١٩٢٩

تأليف الاب لويس معلوف اليسوعي

المطبعة الكاثوليكية ، بيروت

شبهوا هذا الكتاب بالتقويم السنوي الصادر في مطبعة هاشيت الافرنسية ، ونعم التشبيه لان تقويم البشير يحوي ، في نحو مئتين وسبعين صفحة من القطع الوسط وبالحرف الدقيق ، مواد غزيرة ، وفوائد لا تُحصى سوف تزداد منافعها سنة فسنة ، مع تسلسل التقاويم على تعاقب الاعوام . فلا يسعنا اذن الّا الثناء على الكتاب ومؤلفه والنصيحة الى من يقتنون تقويم البشير ان يستودعوه خزائنهم فيلحقوا به اتباعه عند ظهورها ان شاء الله . وان المقام اضيق من ان نصف هذا الكتاب الوصف الكافي فحسبنا التنويه ببعض مواده :

السنة الميلادية ١٩٢٩ وبدء السنوات التي تقابلها في التواريخ الشهيرة . فوائد في الحساب السنوي . مقابلة الساعات في اعظم المدن والدول . جدول البابوات والاساقفة وعظام الرجال . نظام البلاد المشمولة بالانتداب الافرنسي وسائر ما يتعلق بذلك (مع خارطة كبيرة ملونة) . فوائد صحية وتاريخية واقتصادية وعلمية الخ الخ .

وقيمة الكتاب ٢٥ غرشاً سورياً ف . ت .

مرآة الحرمين

او الرحلات الحجازية والحج ومشاعره الدينية محلّاة بمئات الصور الشمسية

تأليف ورسم اللواء ابراهيم رفعت باشا

جزءان بقطع كبير اكثر من ٩٠٠ صفحة مطبعة دار الكتب المصرية

كان المثل السائر عند الافرنج «ان بلاد الشرق هي بلاد القديم على قدمه» وها ان الحوادث تترك ذلك المثل بعالم النسيان ؛ لان تيار التغيرات قد عصف على الشرق فاخذ يقتلع القديم حتى من بلاد العرب . كيف لا والسيارات مزاحمة للابل على الطرق ؛ ومراسيم الحج الديني (وهو من اركان الاسلام الخمسة) آخذة بالتطوّر ، وقد وقف ابن السعود في وجه الحجاج مانعاً دخول المحمل ، وخرب الوهابيون عدة مساجد في الحرمين ، وحالوا دون تظاهر العبادات طبقاً للتقليد القديم . فانّى لآثار الحج البائدة ان ينالها قلم كاتب تحرير خبير فيصف الحجّ كما كان ايام القديم على قدمه ؟

لقد ظهر الرجل الكفوء لوصف تلك المشاهد التاريخية وهو اللواء ابراهيم رفعت باشا صاحب كتاب «مرآة الحرمين» فقبض على ناصية موضوعه بيد قوية لان مقامه الرسمي ، واقاماته في الحجاز ، وتوظيفه اميراً للحج المصري ، وجميع ما منّ الله عليه به من نور بصيرة ، وصفاء سريرة في البحث والتدقيق ، ايده في وضع كتابه عن نظر ثاقب وخبرة كاملة . وانك لتجدنّ هذا المؤلف اشبه بدليل الحرمين او بمجموعة فنية من مئات الصور وكلها وضّاحة انيقة ، وبعضها فريدة بالوجود ذات قيمة اثرية لا بد من التعويل عليها في درس جغرافية الجزيرة . حررنا هذه العجالة واملنا ان نعود فيما بعد الى الكلام عن المؤلف الجليل لنظهر للقراء من فضله ما لم يُتح لنا الزمان والمكان سبيلاً اليه .

ه.ل.

اناشيد المحبة

قصائد مصوّرة من نظم الاب رافائيل نخله اليسوعي
المطبعة الكاثوليكية – بيروت ١٩٢٨

اناشيد المحبة بل زهور التقوى مقطوفة من افنان شجرة حديثة العهد بالنشأة اسرعت بنموّها حتى استظل بظلها الناطقون بالضاد شرقاً وغرباً : اعني بها مجلة رسالة قلب يسوع . ولما كانت الزهور لا تستمدّ اريجها الا من حياة الشجر واصله ، فلا عجب ان برزت هذه الاناشيد وفيها نسمة روح «الرسالة» غيرة واجتهاد في تقريب الروحيات الى العامة وفيها من لذيذ الشعر ما يتردد صداه في القلوب التقية ويستطيبه الادباء ، وقد يذكرنا حيناً بشعر المطران فرحات . ومن امثال ذلك « الهتاف من المنفى الى امي مريم »

ايا امّ ، قد اثقلتني المطايا ؛ فحني لضعفي وقودي خطايا !
اما انت لابنك اعطف امٍ ، تداوين روحي برّ البلايا ؟
فهل نحو غيرك ارفع صوتي وهل لسواك تمد يدايا ؟
فجودي عليَّ بنظرة حب تجددُ حياتي وتمُ قوايا ! . . .
واغزو بعونك جيش نفوس تنقاد لحبك ، شبه السبايا . . .

ف.ت.

اهمّ حوادث الشرق في شهر

١٥ تشرين الاول — ١٥ تشرين الثاني

في ٢١ تشرين الاول أحتفل في حصرون بازاحة الستار عن تمثال السيد يوسف سمعان السمعاني (١٦٨٧—١٧٦٨) العلامة اللبناني ، صاحب المؤلفات الجليلة العديدة . خدم الكنيسة والعلم في الثلثين الاولين من القرن الثامن عشر ، فخلّد مجدًا لاسمه في تاريخ الشرق المسيحي

أجّل العميد السامي ميعاد عودته من فرنسة ، فأجل حلّ المشاكل المنوط به امرها ، واهمها وضع الدستور السوري على مبدأ ملائم لروح الانتداب ؛ والاتفاق مع الاتراك في امر حدود سورية الشمالية . وقد تنمّ اخبار انقرة عن قلق متواصل ، وطموح الى اعادة النظر في أمر الحدود فيبسط الاتراك نفوذهم على جهات حلب وانطاكية ريثما يتسنى لهم الاستيلاء عليها

وقد أرسل مفوضٌ الى الاتراك القاطنين المقاطعة الشمالية ليطلعهم الابجدية اللاتينية . وذكرت الجرائد عدّة حوادث تلصص جرت نسب الاتراك اسبابها الى ان الحدود بين سورية وتركية غير طبيعية ، ولا تزال العراقل تمنع حرية المعاطاة التجارية بين الدولتين ، مما يؤدي الى جمود الحركة الاقتصادية في شمالي سورية فيزيد وطأة ما لحق بها من الاضرار الزراعية في هذا العام من جراء المحل وفتك الجراد باماكن عديدة .

هذا وقد بدت من رجال فرنسة مظاهر الاهتمام بمصير الاحوال السورية ، فطالب بعضهم بتقرير الاعتمادات المالية الضرورية لتعزيز الجيش ضمن البلاد المشمولة بالانتداب دفعاً لهاجمات فجائية كوقوع ثورة درزية مثلاً . ولفتوا نظر الحكومة الى واجب المحافظة على الامن التام لئلا يتسنى من ثم لدولة مجاورة ان تتذرع بحجّة عدم الامن في سورية لتقوى على مدّ انابيب في ارضها لجرّ البترول الممنوح لفرنسة في العراق .

ومن البديهي ان للبلاد السورية اللبنانية حقها الطبيعي الجغرافي في ان يمرّ

البترول فيها دون سواها فاهتمت به الصحافة ، واكترثت لـهُ الغرف التجارية وخابرت فرنسة في شأنه . ولكن آخر ما بلغنا عن الامر من اخبار فلسطين ان حكومتها اوشكت ان تباشر العمل بتهيئة مرفأ حيفا حتى اذا طرحت قضية الانابيب جدًّا على بساط البحث وتناولها الرأي العام ، كانت وفرة المعدات والاعمال المقام بها امرًا واقعيًّا يدعوا الى ترجيح كفة الميزان جهة فلسطين فينصب منها النفط في البحر المتوسط.

ولا يزال الاتراك يتابعون في ادارتهم الداخلية المنهج الكمالي المعروف ودأبه نشر المدنية الاوربية اللادينية في بلادهم.وقد وردت برقية عن الاستانة تخبر بانهم يفكرون بتعطيل يوم الاحد عوض الجمعة ؛ ودخل في حيز العمل امر استعمال الاحرف اللاتينية في الكتابة والقراءة . امّا ميزانيّة تركية للعام ١٩٢٩ فتقدر فيها النفقات بـ٢٢٠،٢٩٣،٣٠٠ ليرة والمداخيل بـ٢٢٠،٢٩٨،٣٠٠ ينفق منها مليونان في انشاء خطوط حديدية وموانئ جديدة.

وقد يجاري ملك الافغان مصطفى كمال بالاقدام على نبذ القديم من عوائد امته وتقاليدها ، فاستعمل الشدة كبحًا لجماح المقاومين لاصلاحاته وقد جاء في برقية من بشاور ان عبد الرحمن ، القاضي الاكبر السابق في كابل ، وثلاثة من العلماء المتهمين بالشغب اعدموا في كابل.

واننا فرحنا لما بلغنا عن عطف جلالة الملك فؤاد الاول نحو اخوة المدارس المسيحية ، وافتتاحه المعهد الجديد الذي بنوه اخيرًا في الاسكندرية موئلًا للادب وصرحًا للعلم.

ومن اخبار العراق ان البعثات العلمية على اختلاف جنسيّاتها تتبارى في التنقيب عن الآثار القديمة ومنها بعثة المتحف البريطاني وجامعة بنسلفانية وهي تشتغل في «اور» ؛ ومعها بعثة المانية اختصت بالتنقيب في خرائب «ورقة» ؛ وبعثة الاستاذ لانكدون باسم جامعة اكسفورد ومتحف «فيلد» وهي تنقب في «كيش» ؛ وبعثة اللوفر وهي في تبحث في «تللو» ؛ وبعثة جامعة ميشيغان في «طاق كسرى» ؛ وبعثة جامعة هارفورد في «طراقلان» وغيرها في السليمانية وغيرها في نينوى.

ف.ت.

فهرس اوّل

لموادّ اعداد السنة السادسة والعشرين من مجلة المشرق

١٩٢٨

(الرقم الاسود يدلّ على اعداد المجلة ، والرفيع على الصفحات)

العدد ١ (كانون الثاني) المرحوم الاب لويس شيخو اليسوعي: ذكرى، بقلم التحرير (١-٥) = رؤيا سمعان الشيخ: رواية ميلادية ، من آثار المرحوم الاب شيخو (٥-١٢) = مؤتمر بال الصهيوني ، بقلم الاب لامنس اليسوعي (١٣-١٨) = نظرة في العام ١٩٢٧ ، بقلم الاب توتل اليسوعي (١٨-٢٦) = الفارابي وتوماس موروس او المدينة الفاضلة وجزيرة «الطوبى» ، بقلم فؤاد افرام البستاني (٢٦-٣٤) = دير ميتا وكنيسته ، بقلم اللواء احمد شفيق باشا (٣٤-٣٧) = ترجمة المونسنيور انطون مرقس ، بقلم الخوري يوسف العشيق (٣٧-٥١) = ابو الطيب المتنبي ، بقلم فؤاد افرام البستاني (تابع) : الشاعر : طريقته في المراثي والمفاخر والحكم (٥١-٥٨) = جولة في كسروان ، للقس انطونيوس شبلي اللبناني (تابع): ريفون (١ : ٥٨-٦١) — دير مار سركيس ريفون (٢ : ١٢٨-١٣١) — دير مار ضومط فيترون (٦ : ٤٥٦-٤٦٠ ؛ ٨و٩ : ٦٤٤-٦٥٠ ؛ ١٢ : ٩١٧-٩٢٣) = مجلة المجلات للاب توتل اليسوعي : لغة السريان الملكيين . ابن العبري . حول مؤتمر لوزان . الكنيسة المصرية . في سبيل احياء اللغة العربية . ابن عنا سادول (٦١-٦٨) = مطبوعات شرقية جديدة (٦٨-٧٤) = اهم الحوادث في شهر ، للاب معلوف اليسوعي (٧٤-٨١)

العدد ٢ (شباط) الاب لويس شيخو: تأبين للحكيم بشير قصّار (٨١-٨٤) = تأثير الاب شيخو في تاريخ الآداب العربية ، بقلم فؤاد افرام البستاني (٨٤-٩٢) = الألسنية السامية واللحم واللقم ، بقلم الاب ا . س . مرّاجي الدومنيكي (٩٢-١٠٠) = بين الكلدان والموارنة ، بقلم الخوري بطرس روفائيل (١٠٠-١٠٩) = اسباب الفتن والاضطهاد في المكسيك ، بقلم الاب فردينان توتل اليسوعي (١٠٩-١٢٠) = مسألة الابجدية في اللغات التركية ، بقلم الاب لامنس اليسوعي (١٢٠-١٢٨) = ترقي العلوم في سنة ١٩٢٧ ، بقلم الاب يوسف قرنه اليسوعي (٢ : ١٣١-١٤٣ ؛ ٣ : ٢١٣-٢٢١ ؛ ٤ : ٢٨٨-٢٩٠) = مجلة المجلات ، للاب لامنس اليسوعي: علي الهي . الحرية الدينية في تركية . من هو ادريس ؟ . مذكرات مصطفى كمال . الأزهر . الحالة الاقتصادية في تركية . امير الشعراء . احصاءات فلسطين الحديثة

(١٤٣-١٤٦) = مطبوعات شرقية جديدة (١٤٦-١٥٤) = شذرات : بويل البستاني. مؤتمر المستشرقين في عاصمة بني امية (١٥٤-١٥٦) = اهم حوادث الشرق في شهر ' للاب معلوف اليسوعي (١٥٦-١٦١)

العدد ٣ (اذار) الدين المسيحي والترقي المدني ' بقلم الاب انطون صالحاني اليسوعي (١٦١-١٧٨) = وقفة باطلال بابل ' بقلم الاب أ. س. مَرْمَرْجي الدومنيكي (٣: ١٧٨-١٨٥ ؛ ٤: ٢٧٥-٢٨٤ ؛ ٥: ٣٥٤-٣٥٩) = الجُدَري ' بقلم الحكيم امين الجميل (١٨٥-١٨٩) = نشأة الديانة المسيحية في لبنان ' بقلم المنوري بطرس غالب (٣: ١٨٩-١٩٥ ؛ ٤: ٢٥٩-٢٦٥ ؛ ٥: ٣٥٩-٣٦٦) = الدكتور طه حسين ونظراته في الادب العربي وتدريسه ' بقلم الاب توتل اليسوعي (١٩٥-٢٠٤) = الاب شيخو والتاريخ ' بقلم الاب لامنس اليسوعي (٢٠٤-٢١٢) = مجلة المجلات ' للاب توتل اليسوعي: مكتبة الفاتيكان. الاسلام والخلافة. سعد زغلول واخلاقه الدينية. الوطنية الصامتة. هل من عقل للبهائم ؟ (٢٢١-٢٢٦) = مطبوعات شرقية جديدة (٢٢٦-٢٢٨) = اهم حوادث الشرق في شهر ' للاب معلوف اليسوعي (٢٢٨-٢٤١)

العدد ٤ (نيسان) حادث خطير في الكنيسة الانكليكانية: كتاب الصلوات العامة ' بقلم الاب انطون صالحاني اليسوعي (٢٤١-٢٥٢) = بلاد الإفغان وملكها الشاب ' بقلم الاب لامنس اليسوعي (٢٥٣-٢٥٩) = ابو فراس الحمداني: الرجل والشاعر ' بقلم فؤاد افرام البستاني (٢٦٥-٢٧٥) = الجامعة المصرية الجديدة ' بقلم الاب فرديان توتل اليسوعي (٢٨٤-٢٨٨) = كتاب الاغاني وطبعته الجديدة ' بقلم الاب انطون صالحاني اليسوعي (٢٩٠-٢٩٦) = مجلة المجلات ' للاب لوقنك اليسوعي: المرافق الاقتصادية في فنلاندة. المؤتمر الجغرافي السلافي في بولونية. الفحم الحجري في الاناضول. الحج الى فلسطين في القرن الرابع عشر. نبات « الماته » او « شاي اليسوعيين ». البترول في الكونغو البلجيكي. الاسكندر ذو القرنين. قياس المثلثات في افريقية. آفة الجراد (٢٩٦-٣٠٢) = شذرات: مغناة الملكين. رقيم من عهد الصليبيين. المشرق منذ ثلاثين سنة (٣٠٢-٣٠٧) = مطبوعات شرقية جديدة (٣٠٧-٣١٨) = اهم حوادث الشرق في شهر ' للاب معلوف اليسوعي (٣١٨-٣٢١)

العدد ٥ (ايار) رسالة الحبر الاعظم واتحاد الكنائس ' بقلم الاب انطون صالحاني اليسوعي (٣٢١-٣٣٣) = هل اللغة العربية غنية ؟ ام هي فقيرة قاصرة عن التعبير عن حاجات العصر ؟ ' بقلم القس عبد المسيح زَهر (٥: ٣٣٣-٣٣٧ ؛ ٦: ٤٥١-٤٥٦) = ابن سعود والوهابيون ' بقلم الاب لامنس اليسوعي (٣٣٧-٣٤٤) = التنوير الكهربائي ' بقلم انطوان باز (٣٤٤-٣٥٤) = نداء اسلامي لتحرير المرأة ' بقلم الاب لامنس اليسوعي (٣٦٦-٣٧٥) = القدس المهجور: بحث انتقادي ' بقلم فؤاد افرام البستاني (٣٧٥-٣٨١) = الشعراء: قصيدة ليوسف غصوب (٣٨١-٣٨٣) = مجلة المجلات ' للاب توتل اليسوعي: في سبيل السلام. حجر

الراوية. الجامعات في التاريخ. حاجتنا الى مجلة تاريخية. محمد والمرأة. هل يجدّد الشيخ شبابه؟ (٢٨٣-٢٨٨) = مطبوعات شرقية جديدة (٢٨٨-٢٩٤) = الحركة الكاثوليكية في العالم، بقلم الاب رافائيل نخله اليسوعي (٢٩٤-٤٠١)

العدد ٦ (حزيران) الدين وقوام الالفة الاجتماعية، بقلم الأب ا. س. مَرْمَرْجي الدومنيكي (٤٠١-٤١٠) = التشيّع لماوية في عهد العباسيين، بقلم حبيب زيّات (٤١٠-٤١٥) = الكهرباء ومستقبلها في لبنان، بقلم انطوان باز (٦: ٤١٥-٤٢٦؛ ٧: ٥١٢-٥٢٥) = علامة التأنيث في اللغات السامية، بقلم الاب ا. س. مَرْمَرْجي الدومنيكي (٤٢٦-٤٣٧) = هيأ على درس تاريخ بلادنا، للاب لامنس اليسوعي (٤٣٧-٤٤١) = بين المرّي والخيّام: فكرة الموت ومصير الأجساد، بقلم فؤاد افرام البستاني (٤٤١-٤٥١) = مجلة المجلّات، للاب توتل اليسوعي: وصية المطران، شيخ المؤلفين والعاملين. شهادة البروتستانت للمرسلين الفرنسيسكان واليسوعيين. دعمة على الماسونية. الشيوعية في مصر (٤٦٠-٤٦٨) = مطبوعات شرقية جديدة (٤٦٨-٤٧٦) = شذرات: يوبيل الاستاذ جبر ضومط. كتر اليسوعيين. سؤالان وجوابان: نابوليون الاول وزواجه الثاني. الرباط عن الالهيات (٤٧٦-٤٧٨) = اهم حوادث الشرق في شهر، للاب مطرف اليسوعي (٤٧٨-٤٨١)

العدد ٧ (تموز) نسب السيد المسيح، بقلم الاب انطون صالحاني اليسوعي (٧: ٤٨١-٤٨٦؛ ٨ و ٩: ٥٦١-٥٧١) = امية بن ابي الصلت، بقلم ميشيل سليم كسيد (٧: ٤٨٩-٤٩٦؛ ٨ و ٩: ٦٢٦-٦٣١) = ارز لبنان في هيكل سليمان، بقلم الخوري بطرس روفائيل (٧: ٤٩٦-٥٠٢؛ ٨ و ٩: ٥٧١-٥٧٧) = الخابور، بقلم المطران اثناسيوس اغناطيوس نوري (٥٠٢-٥٠٤) = مشهد من مشاهد السياسة على عهد الدولة الاموية، بقلم الاب فردينان توتل اليسوعي (٥٠٤-٥١٢) = ابن سعود ايضاً وايضاً: بحث انتقادي بقلم الاب لامنس اليسوعي (٥٢٥-٥٣٣) = الجاحظ: المفكّر والكاتب، بقلم فؤاد افرام البستاني (٧: ٥٣٣-٥٣٩؛ ٨ و ٩: ٦٦٣-٦٧٣) = مجلة المجلات، للاب توتل اليسوعي: الدين اساس المدنية الاوربية. هاجر او لا هاجر. التعاون. اللغة الفصحى في المحادثات. المآتم في لبنان (٥٣٩-٥٤٥) = مطبوعات شرقية جديدة (٥٤٥-٥٥٨) = اهم حوادث الشرق في شهر (ف. ت) (٥٥٨-٥٦١)

العددان ٨ و ٩ (آب وايلول) سورية وطريق الهند، بقلم الاب لامنس اليسوعي (٥٧٧-٥٨٤) = الدين والحرية، بقلم الاب ا. س. مَرْمَرْجي الدومنيكي (٥٨٤-٥٩٧) = التلبيس الكهربائي بقلم انطوان باز (٥٩٧-٦٠٨) = تنازع الاسقفية في انطاكية، بقلم الاب غوستاف نيرون اليسوعي (٨ و ٩: ٦٠٨-٦٢١؛ ١٠: ٧٤٦-٧٥٣) = نكبة النكبات: بحث انتقادي، بقلم الاب لامنس اليسوعي (٦٢١-٦٢٦) = تبرير النصارى عمّا نُسب اليهم في حوادث سنة ١٨٦٠، نشرها الاب لويس بلبل اللبناني (٦٢١-٦٤٤) = من رمضاء مكة

الى مصيف الطائف ' بقلم الاب فرديان توتل اليسوعي (٦٥٠-٦٦٢) = انتقاد على الناقدين ' بقلم القس عبد المسيح زهر (٦٧٢-٦٧٧) = مجلة المجلات ' للاب لامنس اليسوعي: حلب في القرن العشرين قبل المسيح. جبيل قبل القرن العشرين قبل المسيح. اصل المونوثيلية. البطريرك مكاريوس الانطاكي. المستشرقون وتاريخ الآداب العربية. القرصان في اسلاندة. الاحصائيات الاسلامية في الهند. الابجدية اللاتينية عند الأتراك (٦٧٧-٦٨٣) = لماذا ؟ رواية لبنانية تاريخية ' بقلم فؤاد افرام البستاني (٨ و ٩: ٦٨٣-٦٩٥ ؛ ١٠ : ٧٨٠-٨٨٧ ؛ ١١ : ٨٦١-٨٦٨ ؛ ١٢ : ٩٤٤-٩٤٦) = شذرات: هل يجدّد الشيخ شبابه ؟ (الدكتور سليمان غزاله) عجائب الجبلان. قبر فيل. المشرق منذ ثلاثين سنة (٦٩٥-٧٠١) = مطبوعات شرقية جديدة (٧٠١-٧١٨) = ام حوادث الشرق في شهر (ف. ت.) (٧١٨-٧٢١)

العدد ١٠ (تشرين الاول) اخوة واخوات يسوع ' بقلم الاب انطون صالحاني اليسوعي (١٠ : ٧٢١-٧٢٩ ؛ ١١ : ٨٠١-٨٠٩) = نظرة في تاريخ يافا ' بقلم الاب أ. س. مرمجي الدومنيكي (١٠ : ٧٢٩-٧٣٦ ؛ ١١ : ٨٢٦-٨٣٤) = اللاسلكية ' بقلم انطوان باز (١٠ : ٧٣٦-٧٤٦ ؛ ١١ : ٨١٤-٨٢٦) = مرافق التعليم عند العرب على عهد بني امية ' بقلم الاب فرديان توتل اليسوعي (٧٥٢-٧٦٠) = هل من حرب مقبلة في الارقيانوس الباسيفيكي ؟ ' بقلم فؤاد افرام البستاني (٧٦٠-٧٦٦) = مطعوم واقٍ من شرّ داء ' بقلم الحكيم امين الجميل (٧٦٦-٧٦٩) = طقيل التنوي والطرماح الطائي ' بقلم الاب صالحاني اليسوعي (٧٦٩-٧٧٧) = الاب غدفريد زمّوتن ' بقلم الاب اسكندر طوران اليسوعي (٧٧٧-٧٨٠) = مطبوعات شرقية جديدة (٧٨٧-٧٩٦) = شذرات : نحن وامين الريحاني. تمثال السماني (٧٩٦-٧٩٨) = ام حوادث الشرق في شهرين (ف. ت) (٧٩٨-٨٠١)

العدد ١١ (تشرين الثاني) الاعشى الاكبر ' بقلم ميشيل سليم كيد (١١ : ٨٠٩-٨١٤ ؛ ١٢ : ٩٠٨-٩١٣) = الشيخ ناصيف اليازجي : الرجل - « العالم » - الشاعر ' بقلم فؤاد افرام البستاني (١١ : ٨٢٤-٨٤٣ ؛ ١٢ : ٩٢٣-٩٣٦) = تطاحن الدول في القرن الرابع عشر قبل المسيح ' بقلم الامير موريس شهاب (٨٤٣-٨٥١) = حول مؤتمر المستشرقين السابع عشر في أكسفرد ' بقلم الاب اريك بروس اليسوعي (٨٥١-٨٥٦) = مجلة المجلات ' للاب توتل اليسوعي : المسيحيون والصحف الاسلامية. لا تطأوا اللآلئ. المارونية. اصلاح الأزهر. المستشرقون وعلم الشرق (٨٥٦-٨٦١) = شذرات: اضخم قطعة نقود في العالم. اول كاهن وطني في بلاد الداهومي (٨٦٨) = اسئلة واجوبة : كتب في الآداب العربية (٨٦٩) = مطبوعات شرقية جديدة (٨٧٠-٨٧٩) = ام حوادث الشرق في شهر (ف. ت) (٨٧٩-٨٨١)

العدد ١٢ (كانون الاول) أأبيتار ام احيملك؟ بقلم الاب صالحاني اليسوعي (٨٨١-٨٨٧) = دير كتيفان: الدير - المدرسة - الابتداء ' بقلم الاب بطرس ساره اللبناني (٨٨٧-

٨٩٦) = عمر الارض: الماضي والباقي ، بقلم القس عبد المسيح زهر (٨٩٦-٩٠٢) = لغة مسلمي الاندلس ، بقلم الاب لامنس اليسوعي (٩٠٢-٩٠٨) = الري: خصب للبلاد وصحة للعباد ، بقلم الحكيم امين الجميل (٩١٣-٩١٧) = مجلة المجلات للاب توتل اليسوعي: هل احدث الدين المسيحي عالماً جديداً ؟ الكتب الطقسية. التهذيب الاميركي في الشرق. القومية العربية منذ مئة عام. الخط والخطاطون. الشيخ علي عبد الرازق وآراؤه في الاصلاح. التكيُّف اللغوي (٩٣٦-٩٤٤) = شذرات : الاخ غريغون وجبل لبنان . يوبيل الاب انستاس الكرملي (٩٤٩-٩٥١) = مطبوعات شرقية جديدة (٩٥١-٩٥٩) = ام حوادث الشرق في شهر (ف.ت) (٩٥٩-٩٦١)

فهرس ثانٍ

يحتوي اسماء كتبة المشرق ومقالاتهم

آجيا (الاب بشير اليسوعي): له وصف مطبوعة ٧٩٤

باز (انطوان) : التنوير الكهربائي واصوله ٢٤٤-٢٥٤ – الكهرباء ومستقبلها في لبنان ٤١٥-٤٢٦ ؛ ٥١٢-٥٢٥ – التلبيس الكهربائي ٥١٧-٦٠٨ – اللاسلكية ٧٣٦-٧٤٦ ؛ ٨١٤-٨٢٦

برجي (الاب اوغسطين اليسوعي): له وصف مطبوعة ٢١٠

بروس (الاب اريك اليسوعي) : حول مؤتمر المستشرقين السابع عشر في اكسفرد ٨٥١-٨٥٦

البستاني (فؤاد افرام) : الفارابي وتوماس موروس او المدينة الفاضلة وجزيرة « الطوبى » ٢٦-٣٤ – ابو الطيب المتنبي: الشاعر : طريقته في المراثي ٥١-٥٣ ؛ في المفاخر ٥٣-٥٤ ؛ فلسفته ومذهبه في ما وراء الحياة ٥٤-٥٨ – تأثير الاب لويس شيخو في تاريخ الآداب العربية ٨٤-٩٣ – ابو فراس الحمداني : الرجل ٢٦٥-٢٧٠ ؛ الشاعر ٢٧٠-٢٧٥ – القفص المهجور (بحث انتقادي) ٢٧٥-٢٨١ – بين المرّي والخيّام : فكرة الموت ومصير الاجساد ٤٤١-٤٥١ – الجاحظ : المفكر ٥٢٢-٥٢٩ ؛ ٦٦٢-٦٦٩ ؛ الكاتب ٦٦٩-٦٧٢ – هل من حرب مُقبلة في الباسيفيكي ٧٦٠-٧٦٦ – الشيخ ناصيف اليازجي : الرجل ٨٢٤-٨٤٣ ؛ « العالم » ٩٢٣-٩٣٠ الشاعر ٩٣٠-٩٣٦ – لماذا ؟ رواية لبنانية تاريخية ٦٨٣-٦٩٥ ؛ ٧٨٠-٧٨٧ ؛ ٨٦١-٨٦٨ ؛ ٩٤٤-٩٤٩ – وله وصف مطبوعات ٧٣ ؛ ١٥٣ ؛ ٢٢٥ ؛ ٢٣٦ ؛ ٢١٣ ؛ ٢٩٣ ؛ ٥٥١ ؛ ٥٥٤ ؛ ٧١٤ ؛ ٧١٣ ؛ ٨٧٦ ؛ وله شذرات متفرقة

بليبل (القس لويس اللبناني) : نشره لأثر مخطوط في «تبرير النصارى عمّا نُسب اليهم في حوادث سنة ١٨٦٠» ٦٣١-٦٤٤

توتل (الاب فردينان اليسوعي): نظرة في العام

١٩٢٧ : الكرسي الرسولي ١٨-٢١؛ سورية ولبنان ٢١ - ٢٤؛ فرنسة ٢٤-٢٦ - اسباب الفتن والاضطهاد في المكسيك : الاسباب البعيدة : ١٠٩-١١٢؛ الاسباب القريبة ١١٧-١٢٠ - الدكتور طه حسين ونظراته في الادب العربي وتدريسه ١٩٥-٢٠٤ - الجامعة المصرية الجديدة ٢٨٤-٢٨٨ - مشهد من مشاهد السياسة على عهد الدولة الاموية ٥٠٤-٥١٢ - من رمضاء مكة الى مصيف الطائف ٦٥٠ - ٦٦٢ - مرافق التعليم عند العرب على عهد بني امية ٧٥٢-٧٦٠ - له مجلة المجلات في ٧ اعداد : ٦١-٦٨؛ ٢٢١ - ٢٢٦ ؛ ٢٨٢-٢٨٨؛ ٤٦٠-٤٦٨؛ ٥٢٩-٥٤٠؛ ٨٥٦-٨٦١؛ ٩٢٦-٩٤٤ - وله وصف مطبوعات ٢٤؛ ١٥١؛ ٢٢٢؛ ٢٢٤؛ ٢١٦؛ ٤٧٢؛ ٤٧٤؛ ٥٥٥؛ ٥٥٦؛ ٧١٢؛ ٧١٣؛ ٧١٦؛ ٧٩٤؛ ٧٩٥؛ ٨٧٥؛ ٨٧٦؛ ٩٥٢؛ ٩٥٧؛ ٩٥٨ - وتلخيص حوادث الشهر في ٥ اعداد : ٥٥٨؛ ٧١٨؛ ٧٩٨؛ ٨٧٩؛ ٩٥٩ وشذرات متفرقة .

الجميّل (الحكيم امين) الجُدري : وصفه طرق الوقاية منه ١٨٥-١٨٩ - مطعوم واقٍ من شرّ داء : مطعوم الدكتور كلمت ٧٦٦-٧٦٩ - الريّ خصب للبلاد وصحّة للعباد ٩١٢-٩١٧

روفائيل (الخوري بطرس) : بين الكلدان والموارنة ١٠٠ - ١٠٩ - ارز لبنان في هيكل سليمان ٤٩٦-٥٠٢ ؛ ٥٧١-٥٧٧

روتزفال (الاب سبستيان اليسوعي) : له وصف مطبوعات ٦٨-٧٠؛ ١٤٦؛ ٢٢٦-٢٢٩؛ ٢٠٩؛ ٢١١؛ ٢٨٨-٢٩١؛ ٤٦٨-٤٧٠؛ ٥٤٥-٥٤٧؛ ٧٠٦-٧٠٩؛ ٧٨٧؛ ٧٨٨؛ ٨٧٠

زهر (القس عبد المسيح) : هل اللغة العربية غنية ؟ ام هي فقيرة قاصرة عن التعبير عن حاجات العصر ٢٢٢-٢٢٧؛ ٤٥١-٤٥٦ - انتقاد على الناقدين ٦٧٢ - ٦٧٧ - عمر الارض : الماضي والباقي ٨٩٦-٩٠٢

زيّات (حبيب) : التشيّع لمعاوية في عهد العباسيين ٤١٠-٤١٥

ساره (الاب بطرس اللبناني) : دير كفيفان : الدير - المدرسة - الابتداء ٨٨٧-٨٩٦

شبلي (القس انطونيوس اللبناني) : جولة في كسروان (تابع) : ريفون ٥٨-٦١ ؛ دير مار سركيس ريفون : مخطوطاته ١٢٨-١٢١ ؛ دير مار ضومط فيترون : مخطوطاته ٤٥٦-٤٦٠؛ ٦٤٤-٦٥٠؛ ٩١٣-٩٢٢

شفيق (اللواء احمد باشا) : دير سينا وكنيسته ٢٤-٣٧

شهاب (الامير موريس) : تطاحن الدول في القرن الرابع عشر قبل المسيح ٨٤٣-٨٥١

شيخو (المرحوم الاب لويس اليسوعي) : رؤيا سمعان الشيخ ٥-١٢

صالحاني (الاب انطون اليسوعي) : الدين المسيحي والترقي المدني ١٦١-١٧٨ - حادث دبي خطير في الكنيسة الانكليكانية : كتاب الصلوات العامّة ٢٤١-٢٥٢ - كتاب الاغاني وطبعته الجديدة ٢٩٠-٢٩٦ - رسالة الحبر الاعظم واتحاد الكنائس ٣٢١-٣٣٢ - نسب السيد المسيح ٤٨١-٤٨٨ ؛ ٥٦١ - ٥٧١ - اخوة واخوات يسوع ٧٢١-٧٢٩ ؛ ٨٠١ - ٨٠٩ - طفيل النتوي والطرماح الطائي ٧٦٩-٧٧٧ - أأبيباتار ام أحيملك؟ ٨٨١-٨٨٧

طوران (الاب اسكندر اليسوعي) : الاب غدفريد زموفن ٧٧٧-٧٨٠ - وله وصف مطبوعة ١٥٣

العشيّق (الخوري يوسف) : ترجمة المونسنيور انطون مرقس ٣٧-٥١

غالب (الخوري بطرس) : نشأة الديانة المسيحية في لبنان ١٨٩-١٩٥ ؛ ٢٥٩-٢٦٥ ؛ ٢٥٩-٢٦٦ – وله وصف مطبوعة ٧٣
غزاله (الدكتور سليمان) : هل يجدّد الشيخ شبابه؟ ٦١٥
غصن (الخوري مارون) : له وصف مطبوعة ٥٥٦
غصوب (يوسف) : الشعراء (قصيدة) ٢٨١-٢٨٢
فرنه (الاب يوسف اليسوعي) : ترقي العلوم في سنة ١٩٢٧ : الطيران على الاطلنتيك ١٢١-١٢٦ ؛ السياحات الى القطب ١٣٩-١٤٠ ؛ سياحات البحث ١٤١ ؛ استخدام قوة البحار المجاورة لدائرتي الانقلاب ٢١٢-٢٢٠ ؛ تأثير الكُلف الشمسية في الميدان البيولوجي ٢٨٨ ؛ ترقي العلوم الطبية ٢٩٠
قصار (الحكيم بشير) الاب لويس شيخو : خطاب تأبيني ٨١-٨٤
كميد (ميشيل سليم) : امية بن ابي الصلت : حياته وشعره ٤٨٩-٤٩٦ ؛ ٦٢٦-٦٣١ – الاعشى الأكبر : حياته وشعره ٨٠٩-٨١٤ ؛ ٩٠٨-٩١٢
لامنس (الاب هنري اليسوعي) : مؤتمر بال الصهيوني ١٢-١٨ – مسألة الايجدية في اللغات التركية ١٢٠-١٢٨ – الاب شيخو والتاريخ ٢٠٤-٢١٢ – بلاد الافغان وملكها الشاب ٢٥٣-٢٥٦ – ابن سعود والوهابيون ٢٣٧-٢٤٤ – نداء اسلامي لتحرير المرأة ٢٦٦-٢٧٥ – هيأ على درس تاريخ بلادنا ٤٣٧-٤٤١ – ابن سعود ايضاً وايضاً ٥٢٥-٥٢٢ – سورية وطريق الهند ٥٧٧-٥٨٤ – نكبة النكبات (بحث انتقادي) ٦٢١-٦٢٦ – لغة مسلمي الاندلس ٩٠٢-٩٠٨ – له مجلة المجلات في عددين ١٤٢-١٤٦ ؛ ٦٧٧-٦٨٢ – وله وصف مطبوعات ٧١؛٧٢؛١٤٦-١٤٨؛ ١٥١؛ ٢٢٩؛ ٢٣٦؛٢٣٧؛٢١٤؛٢١٦؛ ٤٧٤؛ ٥٥٤؛ ٧٠١؛ ٧٠٢؛٧٠٣؛٧١٤؛٧١٥؛٧٨٧؛٧٩٢؛٧٩٣؛٨٧٥؛ ٩٥٧ – وله شذرات متفرقة
لوفنك (الاب جبرائيل اليسوعي) : له مجلة المجلات في عدد ٢٩٦-٣٠٢ – وله وصف مطبوعات ٧٠؛٧١؛١٤٨؛١٥٠؛٢٢٩-٢٣٣؛ ٣٠٧-٣٠٩؛٣١١؛٣١٣؛ ٣١١؛ ٣٩٣؛ ٤٧١-٤٧٣؛٥٤٧-٥٥١؛ ٥٥٢-٥٥٤؛ ٧٠١؛ ٧٠٣؛ ٧٠٥؛٧٠٩؛٧١٢-٧٨٦؛٧١٢؛٨٧١؛٨٧٤؛٩٥١-٩٥٧
مرمرجي (الاب ا. س. الدومنيكي) : الالسنية السامية واللحم والثلم ٩٣-١٠٠ – وقفة باطلال بابل : تمهيد ١٧٨-١٧٩ ؛ ذكرى اسمها ١٧٩-١٨٠ ؛ وصف موقعها واطلالها ١٨٠-١٨٤ ؛ ٢٧٥-٢٧٧ ؛ تاريخها ٢٧٧-٢٨٤ ؛ ٢٥٤-٢٥٩ – الدين وقوام الالفة الاجتماعية ٤٠١-٤١٠ – علامة التأنيث في اللغات السامية ٤٢٦-٤٢٧ – الدين والحرية ٥٨٤-٥٩٧ – نظرة في تاريخ يافا ٧٢٦-٧٣٦ ؛ ٨٢٤-٨٢٦
مصيريان (الاب يوحنا اليسوعي) : له وصف مطبوعتين ٧٠٥؛٨٧٣
معلوف (الاب لويس اليسوعي) : له تلخيص حوادث الشهر في ٥ اسداد : ٧٤-٨١؛ ١٥٦-١٦١؛٢٢٨؛٢١٨؛٤٧٨
موترد (الاب رينه اليسوعي) : له وصف مطبوعة ٨٧٣
موغان (الاب يوسف اليسوعي) : له وصف مطبوعات ١٤٩؛٤٧٠؛ ٧٠٤ – وجواب عن سؤال ٤٧٧
نخله (الاب رافائيل اليسوعي) : الحركة

الكاثوليكية في العالم ٣٩٤-٤٠١
نوري (المطران اثناسيوس انطاطيوس) : المقابور ٥٠٢-٥٠٤
نيرون (الاب غوستاف اليسوعي) : تنازع الاسقفية في انطاكية ٦٠٨-٦٢١ ؛ ٧٤٦-٧٥٢ – وله وصف مطبوعة ٢٠٧

فهرس ثالث

للمطبوعات التي ورد وصفها في السنة السادسة والعشرين للمشرق

على ترتيب اسماء مؤلفيها

١ ــ المطبوعات العربيّة والسريانيّة الخ

ا

آجيا (الاب بشير اليسوعي) : منتخبات ادبية : الجزء الاول (٢٩٣)
ابن تيمية وابن قيم الجوزية : القياس في الشرع الاسلامي (٨٧٥)
ابو ذؤيب : اطاب ولفنون
ابو رزق (ايليا المتوري) : التائه في بيداء الحياة (٥٥٦)
ابو شادي (احمد زكي) : الزباء او زينوبيا ملكة تدمر (٧٢)
ابو شنب (الشيخ احمد) : الجمل الزجاجي (٣٣٦)
ابو هنا (المتوري نقولا) : العنو عند المقدرة (٥٥٤)
ابو يوسف القاضي : كتاب الخراج (٧٩٣)
ارملة (القس اسحق السرياني) : اصول المراسلة في السريانية (٨٧٥)
اسحاق (المتوراسقف خيرالله) : الخلاصة النفيسة في تعريف الكاثوليكي والكنيسة وقصارى الاجوبة الجليّة على الاعتراضات البروتستنطية (٣٩٣)
الاسكندري (الشيخ احمد) ، والشيخ مصطفى عناني : الوسيط في الادب العربي وتاريخه (٣٣٣)
الاشقر (الاب بولس) : اللذة الخفية في الترانيم الروحية (٥٥٦)
الاصبهاني (ابو الفرج) : كتاب الاغاني . طبعة جديدة بعناية دار الكتب المصرية (٣٩٠-٣٩٦)
انطون (المطران فوريس ميخائيل) ، ومراد فؤاد حقي : مجلة الحكمة (٣١٧)

ب

باز (جرجي نقولا) : جبر ضومط (٤٧٦)
برتون (بروس) : الرجل الذي لا يعرفه احد (٧٩٥)
البستاني (الشيخ عبدالله) : البستان ، المجلد الاول (١٥١)
البستاني (الشيخ يوسف توما) : قائمة مطبوعات مكتبة العرب (٣١٧)
بشير (الارشمندريت انطونيوس) : تعريب : الرجل الذي لا يعرفه احد (٧٩٥)– والمتوري ايليا الحاماني : مجلة الخالدات (٣١٧)
بكيفا (الاب الياس) : المنير في تربية دود

الحرير (٤٧٥)
البهلاني (ابو سالم) : ديوانه (٢٢٧)
بيوس الحادي عشر : الوحدة الدينية الحقيقية (٣٦٢)

ت

تيمور (محمود) : رجب افندي (٧٦٤)

ج

جبران (جبران خليل) : كلمات (٤٧٥)
الجزيري (محمد ابراهيم) : آثار الزعيم سعد زغلول (٤٧٣)
الجمعية الخيرية للقديس منصور دي بول في دمشق : برنامجها عن سنة ١٩٣٧ (٨٧٨)
الجمعية اللبنانية في القاهرة : سورية ولبنان في اعتبار جريدة الطان (٣١٧)

ح

الحاج (المطران يوحنا) : رسالة رعائية (٨٧٨)
الحاج (يوسف) : الاسرة العلوية في مصر (٧١٧)
الحاماني (الخوري ايليا) ، والارشمندريت انطونيوس بشير : مجلة الخالدات (٣١٧)
حبيقة (البرديوط بطرس) : الجزء الثالث من ترجمة البطريرك اللبناني (١٥٣)
حرب (محمد طلعت بك) : مجموعة خطب (٢٢٥)
الحصري (ابو خلدون ساطع) : مجلة التربية والتعليم (٣١٧)
الحص (عبد الرحمن محمود) : الرسالة الرحمانية (٢٣٦)
حقي (مراد فؤاد) والمطران قوزيس ميخائيل انطون : مجلة الحكمة (٣١٧)
الحوماني : نقد الناس والمسوس (٨٧٧)
الحويك (البطريرك الياس بطرس) : منشور بطريركي (١٥٣)

خ

خباز (حنا) : المعارك الفاصلة في التاريخ (٧٣)
خدمة القداس الالهي (١٥٣)
الخطيب (محب الدين) ، وعبد الفتاح قتلان : فهرس المطبعة السلفية ومكتبتها (٧١٧)
خليل (الاب يوسف اليسوعي) : القديس فرنسيس الأسيزي (٥٥٧)
خيرالله (طاهر) : المنهاج السوي في التخريج اللغوي (٧١٦)

د

دائرة المراقبة على بزور القز (٥٥٧)

ذ

ذكرى كليفلند ضودج (٣٦٣)

ر

الرابطة الشرقية : (٥٥٧)
رأفت (احمد) : فقر وظاف (٧١٣)
رستم (اسد) : حروب ابراهيم باشا في سورية والاناضول لمؤرخ مجهول (١٥١)
رفاعي (الدكتور فريد) : عصر المأمون (٣١٤)
رفعت (ابراهيم باشا) : مرآة الحرمين (٩٥٧)
روضة الانشاء : مجموعة مقالات عصرية (٥٥٥)
الرواد : الجزء الثاني من كتاب اعلام المقتطف (٧٤)
الريحاني (امين) : تاريخ نجد الحديث وسيرة ابن سعود (٥٢٥-٥٢٢) — النكبات (٦٢١-٦٢٦)

ز

الزجاجي : كتاب الجمل (٢٢٦)
زهرة (القس بطرس اللبناني) : ليلى ابنة الباشا (٨٧٨)
زويمر (الدكتور صموئيل) : ارجع الى القبلة القديمة (٥٥٧)
زين الدين (نظيرة) : السفور والحجاب (٢٦٦-٢٧٥)

ازيات (حبيب) : نقد كتاب الديارات (٧١٤)

س

سركيس (يوسف اليان) : جامع التصانيف الحديثة (٢١٧)–معجم المطبوعات العربية والمعرّبة (٧١٣)

سعاده (يوسف) : استعراض اللغة العربية (٧١٧)

ص

صائغ (القس سليمان) : تاريخ الموصل ، الجزء الثاني (٤٧٤)

صبري (محمد) : الثورة الفرنسية ونابوليون (٢١٦)–ادب وتاريخ (٢١٧)

ض

ضمون (توفيق) : الدليل (٨٧٨)

ط

طنوس (الخوري حنا) : نشرة في زراعة التبغ (١٥٣)–امير الأرز (٧٩٣)

ع

عبده (طانيوس) : شهداء الاخلاص (٧١٧)

عبيد (احمد) : سيرة عمر بن عبد العزيز (٧١٥) – في سبيل الاخلاق (٧١٧) – طرائف الحكمة (٧١٧)

عريلي (الدكتور ابراهيم) : بهجة الافراح في مناجاة الارواح (٢٣٧)

عريضه (المطران انطون) : رسالة رعائية في مظاهر الخلاعة (٨٧٨)

عطيه (الارشمندريت ارسانيوس) : حياة القديس يوحنا الرحوم (٤٧٥)

عقيش (المطران افتيميوس) : مجلة الحق (٥٥٧)–نشرة لزيارة السيد ايليا ديب لاميركة الشمالية (٨٧٨)

العلم والعمران : هدية المتحف لسنة ١٩٢٨ (٧٩٤)

علوان (الاب يوسف اللازري) : بطل المحبة الخالد ، القديس منصور دي بول (٤٧٥)

عناني (الشيخ مصطفى) ، والشيخ احمد الاسكندري : الوسيط في الادب العربي وتاريخه (٢٣٣)

غ

غالب (ادوار) : مجلة المحراث (١٥٢)

الغريب (امين) : فوائد منزلية (٨٧٦)

غزاله (الدكتور سليمان) : الوضيعة في الحكمة الخلقية (٢١٦)

غصوب (يوسف) : القفص المهجور (٢٧٥–٢٨١)

غنيمة (يوسف رزق الله) : محاضرات في مدن العراق (١٥٣)

ف

الفاخوري (عمر) : مهاتما غاندي (٢٣٧)

فاسيليفا (كلثوم بنصر عوده) : المنتخبات العصرية لدرس الآداب العربية ، الجزء الاول (٧١٤)

ق

القاضي : راجع ابو يوسف

القانون الاساسي لجمعية الشأن المسلمين (١٥٤)

قانون الجمعية اللبنانية في القاهرة (١٥٤)

قتلان (عبد الفتاح) ، ورجب الدين الخطيب : فهرس المطبعة السلفية ومكتبتها (٧١٧)

قوشاقجي (الاب بولس) : الحب الالهي امام الآلام والموت – الشهر المريمي للعيلات المسيحية (٢٩٢)

ك

كرم (الاب مارون اللبناني) : بحث في الكتب المحرّمة (٨٧٨)

كرم (القس واصاف الفرطباوي) : السيد مصطفى الحسيني (٢١٧)

ل
لفيف من الاساتذة : منتخبات الترجمة عربية وفرنساوية (٨٧٦)

م
المازني (عبد القادر) : قبض الريح (٨٧٦)
مختصر الفرائد الدرّية (٧١٦)
مسعد (الاب مرتيوس) : تسابية للقديسة ترزيا الطفل يسوع (٨٧٨)
معلوف (الاب لويس اليسوعي) : تقويم البشير لسنة ١٩٢٩ (٩٥٧)
المناسترلي (عبد القادر فؤاد) : زراعة محاصيل القطن المصرية (٢٢٤)
موسى (سلامه) : العقل الباطن (٤٧٤)
الموبلحي (محمد) : حديث عيسى بن هشام (٥٥٤)

ن
نجيب (يوسف) : مذكرات في التربية الوطنية (١٥٣)
نخله (الاب رافائيل اليسوعي) : اناشيد المحبة (٩٥٨)
النشاشيبي (اسعاف) : البستان (٥٥٥)

و
وزارة المعارف : نظام الرياضة البدنية (٢٣٧)
والنسون (الدكتور اسرائيل) : تاريخ اليهود في بلاد العرب في الجاهلية وصدر الإسلام (٧٩٣)

٢ — مطبوعات اوربية

Acta V Conventus Velehradensis anno 1927 (552)
Almanach Catholique Français pour 1928 (72)
Alzon (P. Emm. d') : Méditations sur la perfection religieuse (702)
Annuaire pontifical catholique pour 1928 (792)
Arimont (J) et Brou (A). a.j: Jésuites missionnaires au XIXe s. et au XXe s. (945)
Armailhacq (P. d'): Silhouettes d'apôtres (553)
Arméniennes (Revue des Etudes) t. VII, fasc. 2 (954)
Aslan (Kévork) : Etudes historiques sur le peuple arménien (873)
Asin Palacios (M.) : Dante y el Islam (229)
Auvergne (Dr Henry) : Vers Jérusalem (874)
Baedeker (Karl) : Aegypten und der Sûdan (390)
Bannwart : cf. Denzinger
Bardenhewer (Dr Otto) : Der Brief des heiligen Jakobus (712)
Batiffol (Mgr Pierre) : St Grégoire le Grand (548)
Baulig (Henri) : Exercices cartographiques (950)
Benoist (Charles) : La question méditerranéenne (791)
Berg (Ludwig) : Die katholische Heidenmission als Kulturträger (705)
Bernard (A.) : Conférence sur l'Islam (71)
Bibliothek arabischer Historiker und Geographen (703)
Bilabel (F.): Geschichte Vorderasiens und Aegyptens vom 16 Jahrh. v. Chr. bis auf die Neuzeit (68)
Bordeaux (Paule Henry): Une prin-

cesse babylonienne chez les Druses (956)
Boyer (Paul) : Conférence sur l'Islam (71)
Brou : cf. Arimont

Cagnat (R) : En pays romain (706)
Cambon (Jules) : Conférence sur l'Islam (71)
Canaan (Tawfik): Mohammedan Saints and sanctuaries in Palestine (703)
Candioti (Alberto M.) Historia de la Institución consular en la Antigüedad y en la Edad media (146)
Cathrein (Victor) s. j. : Philosophia Moralis in usum scholarum (307)
Chavannes (Edouard) : Fables Chinoises, du IIIe au VIIIe s. (547)
Chiban-Lassalle (Dom A.):cf. Jeannin
Chuzeville (Jean) cf. Merval
Collomb (Paul) : La Papyrologie (391)
Cousin (Louis) et Gay (Mme Francisque) : Comment j'élève mon enfant (313)

Denzinger Bannwart : Enchiridion symbolorum (952)
Dourmoussis (E.) : La vérité sur un drame historique : La catastrophe de Smyrne, septembre 1922 (791)
Dubois (le Cardinal) : Saint Joseph (150)
Duguet (Raymond) : Un bagne en Russie rouge ; Solovki, l'île de la faim, des supplices, de la mort (790)

Ebeling (E.) cf. Grossmann
Ebert (Dr Max) : Vorgeschichtliches Jahrbuch für die Gesellschaft für vorgeschichtliche Forschung (233)
Les élites en pays de mission (392)
Espinay (Dr D') : La psychothérapie du Dr Vittoz (314)

Fischer (Johann) : Das Alphabet der LXX-Vorlage im Pentateuch. (870)
Froebes (J.) s. j. : Psychologia speculativa (230)

Gabrieli (Fr.) : Studi sulla poesia di al-Mutanabbi (147)
Gaudefroy-Demombynes : Conférence sur l'Islam (71)
Gautier (E. F.) : L'Islamisation de l'Afrique du Nord (550)
Gay (Mme Francisque) et Cousin (Louis) : Comment j'élève mon enfant (313)
Gheellinck (J. de) s. j. : Les Franciscains en Chine aux XIIIe et XIVe s. (313)
Ghisleri (Arcangelo) : La Libia nella storia e nei viaggiatori (472)
Giannelli (G.) La Magna Grecia da Pitagora a Pirro (Parte Ia) (789)
Goury (Georges) : Origine et Evolution de l'Homme (310)
Granet (Marcel) : Conférence sur l'Islam (71)
Grossmann (Hugo) : Altorientalische Texte und Bilder zum Alten Testament. avec E. Ebeling, H. Ranke et N. Rhodokanakis (226)
Grisar Hartmann (s. j.) Martin Luthers Leben und sein Werk (231)
Grosjean (G.) : Le sentiment national dans la guerre de cent ans (472)
Gsell (S.) — Marçais (G.) — Yver (G.): Histoire d'Algérie (549)
Guetho (H.) : Palästina (549)
Guidi (Michelangelo) : La Lotta tra l'Islam e il Manicheismo (148)
Gutberlet (C.) : Das zweite Buch der Machabäer (468)

Heil (Jos.) : Die arabische Dichtung in Rahmen der Weltliteratur (703)
Henriot (Emile) : L'art de former une bibliothèque (471)
Hettner (A.) : Die Geographie, ihre Geschichte, ihr Wesen und ihre Methoden (547)
Hickmanns : Universal - Atlas 1927 (711)

Inde (Feuilles de l'), n° 1 (955)
L'Islam et les missions Catholiques, conférences (471)
L'Islam et la politique contemporaine, conférences (71)
Islamica : vol. III, fasc. I 1927 (72)
Islamiques (Revue des Etudes), année 1927, cahier 2 (709) — cahiers 3 et 4 (956)

Jacquet (Mgr) : Grammaire du grec du nouveau Testament (711)

Jeannin (Dom) o. s. b. : Mélodies liturgiques syriennes et chaldéennes (953)

Kahn (Gustave) : Vieil Orient, Orient neuf (712)
Kerényi (Karl) : Die Griechische - Orientalische Romanliteratur in religionsgeschichtlicher Beleuchtung (388)
Kessel (J.) : En Syrie.(311)
Keyserling (Cte H. de) : Figures symboliques (952)
Kohn (J.) : Zur Auffassung und Darstellung des Wahnsinns im Klassischen Altertum (707)
Kortleitner (F.-X.) : De Judaeorum in Elephantine — Syene colonia ejusque rationibus cum veteri testamento intercedentibus (309)

Landsdorfer (S.) o. s. b. : Die Kultur der Babylonier und Assyrer (787)
Lanoë-Villène (Georges) : Le Livre des symboles (230)
Lavergne (G.) o. p. : Synopse des quatre Evangiles en Français (232)
Le Forestier (R.) : L'Occultisme et la Franc-Maçonnerie écossaise (552)
Legarot (G.) : Histoire du développement du commerce depuis la chute de l'empire romain jusqu'à nos jours (471)
Lewy (J.) : Die Chronologie der Könige von Israel u. Juda (146)
Libor (Dr B.) : L'enfant et nous. Trad. de Louis Postif (313)
Lippl (Dr Joseph) : Der Islam (873)
Lübeck (Dr Konrad) . Die christlichen Kirchen des Orients (873)
Lyautey (Mgr) : Conférence sur l'Islam (71)

Marçais (G.) — Gsell (S.)— Yver (G.): Histoire d'Algérie (549)
Mars (Jean) : L'agonie de Georges Marchand (709)
Massignon (Louis) : Conférence sur l'Islam (71)
Méautis (Georges) : L'aristocratie athénienne (309)
Meillac (Camille) : L'Oubli (232)
Meissner (Bruno) : Babylonien u. Assyrien (545)
Merejkowski (Dmitri) : Julien l'apostat ou la mort des Dieux (231)
Mérimée (Prosper) : Matteo Falcone. Carmen. Columba (230)
Meunier (Marie) : Les Légendes épiques de la Grèce et de Rome (71)
Mohr (Dr Paul) : Konstantinopel und die Meerengenfrage (709)
Mongault (Henri) cf. Merejkowski
Moreau (Edouard de) s. j : St Amand, apôtre de la Belgique et du nord de la France (791)
Moreau (Dom Fr Josaphat): Les Anaphores des liturgies de St Jean Chrysostôme et de St Basile, comparées aux canons romains et gallicans (789)
Mucke (J. R.) : Die Urbevölkerung Griechenlands und ihre allmähliche Entwickelung zu Volkstämmen(228)
Müller (Karl) : Kanon 2 und 6 von Konstantinopel 381 und 382 (710)
Mundy (Talbot) : Yasmini, princesse de Sialpore (953)

Nerval (Gérard de): Voyage en Orient, suivi d'Isis. Texte établi par Jean Chuzeville (229)
Neyron (G.) s. j. : Histoire de la Charité (150)
Nourisson (Paul) : Visions de Pèlerinage : Souvenirs de Palestine (548) — Histoire légale des congrégations religieuses en France depuis 1789 (871)

Ostrorog (Léon) : The Angora Reform (787)

Pailleron (Marie-Louise) cf. Mérimée
Paret (Rudi) : Der Ritter-roman von 'Umar an-Nu'mân (554)
Pernot (Hubert) : Etudes sur la langue des Evangiles (308)
Pie XI : Actes (702)
Pinon (René) : Conférence sur l'Islam (71)
Pohl (Wenceslas) : De Vera Religione (705)
Postif (Louis) cf. Libor et Mundy
Pottier (Aloys) s. j. : Le P. Louis Lallemant et les grands spirituels de son temps (308)
Prümmer (Dominicus) o. p.: Manuale Juris Canonici in usum scholarum.

(149) — Manuale theologiae Moralis secundum principia S. Thomae Aquinatis in usum scholarum (704)
Prunel (Mgr Louis) : Pour l'Eglise et pour la Patrie (711)
Puech (A.) : Ce qu'il faut connaitre de la Grèce antique (701)
Puyade (Dom J.) cf. Jeannin

Rabbath (E.) : L'évolution politique de la Syrie sous mandat (954)
Ranke (H.) : cf. Grossmann
Rees (Van.) : Les mandats internationaux. Le contrôle international de l'administration mandataire (148) — Les mandats internationaux. Les principes généraux du régime des mandats (951)
Rhodokanakis (N.) : cf. Grossmann
Ribera (Jul.) : Historia de la Musica arabe medioval y su influencia en la Espanola (311)
Richter (Julius) : Der Islam als Religion (702)
Rouillard (Germaine) : L'administration civile de l'Egypte byzantine (872)
Rubio Y Lluch (A.) : Los Catalanos en Grecia (391)

Saint-Aulaire (Cte de) : Conférence sur l'Islam (71)
Salet (Pierre) : Omar Khayyam, savant et philosophe (312)
Schmid (Dr Joseph) : Der Ephesserbrief des Apostels Paulus (710)
Schmidt (Pater W.) Die Sprachfamilien und Sprachenkreise der Erde (545)
Sénéchal (Christian) cf. Keyserling
Solero (Silvio) : L'Islamismo (701)
Sorrento (Luigi) : Francia e Spagna nel settecento. Battaglie e sergenti di Idee (790)
Steindorff (Georg) : Die Kunst der Aegypter (339)
Stygar (Paul) : Die altchristliche Grabenkunst (738)

Tafrali (O.) : La cité pontique de Dionysopolis (706)
Ter Harr (C. Ss. R.) : De Occasionariis et Recidivis juxta doctrinam S. Alphonsi aliorumque probatorum auctorum (470)
Toussaint (Franz) : Les Colombes des Minarets (551)
Tscherikower (V.) : Die hellenistischen Städtegründungen von Alexander dem Grossen bis auf die Römerzeit (70)

Vallet (Dr Aug.) : Guérisons de Lourdes (307)
Valloton-Warnery (H.) : Sur une six roues. De Paris au Caire par Constantinople et Bagdad (232)
Vigourel (A.) s. a. : Liturgies et spiritualités (472)

Weygand (Gal) : Conférence sur l'Islam (71)
Wiedemann (A.) : Das alte Aegypten (469)
Worrel (W. H.) : A study of races in the ancient Near East. (69) —

Yver (G.) — Gsell (S.) — Marçais (G.) : Histoire d'Algérie (549)

Zellinger (J.) : Studien zu Severian von Gabala (703)

فهرس رابع

لجميع موادّ السنة السادسة والعشرين من المشرق

على طريقة حروف المعجم

ا

الابجدية واللغات التركية ١٢٠-١٢٨، ٦٨٣
ابن سعود والوهابيون ٢٣٧-٢٤٤، ٥٢٥-٥٣٣
ابن العبري ٦٣
ابو فراس الحمداني : الرجل ٢٦٥-٢٧٠ ؛ الشاعر ٢٧٠-٢٧٥
أبياتار ام احيملك ؟ ٨٨١-٨٨٧
اتحاد الكنائس ورسالة الحبر الاعظم ٣٢١-٣٣٣
الاحصائيات الاسلامية في الهند ٦٨١
أحيملك أم أبياتار ؟ ٨٨١-٨٨٧
الادب العربي ونظرات الدكتور طه حسين ١٩٥-٢٠٤ – المستشرقون وتاريخه ٦٧٩-٦٧٩ – السؤال عن كتب في تاريخه ٨٦٩
ادريس ١٤٣
أرز لبنان في هيكل سليمان ٤٩٦-٥٠٣؛ ٥٧١-٥٧٧
الارض : عمرها ٨٩٦-٩٠٣
الازهر ١٤٣ – اصلاحه ٨٥٩، ٩٤٣
الاسكندر ذو القرنين ٣٠٠
الاسلام والعلاقة ٣٣٣ – الصحف الاسلامية والمسيحيون ٨٥٦
اسلانده : القرصان فيها ٦٨٠
الاصلاح وآراء الشيخ علي عبد الرزاق ٩٤٢-٩٤٣
اضخم قطعة نقود في العالم ٨٦٨
الاضطهاد في المكسيك : اسبابه البعيدة والقريبة ١٠٩-١٢٠
الاعشى الاكبر : الرجل وقيمة شعره ٨٠٩-٨١٤، ٩٠٨-٩١٣
الاغاني (كتاب) : طبعته الجديدة ٢٩٠-٢٩٦
افريقية : قياس المثلثات فيها ٣٠١
الافغان : بلادهم وملكهم ٢٥٣-٢٥٩ : تاريخهم ٢٥٤ ؛ الحكومة والمؤسسات ٢٥٥
اكسفرد : حول مؤتمر المستشرقين السابع عشر فيها ٨٥١-٨٥٦
الألسنية السامية واللحم واللقم ٩٣-١٠٠
الالفة الاجتماعية والدين ٤٠١-٤١٠
الامويون : مشهد سياسي على عهدهم ٥٠٤-٥١٣ مرافق التعليم على عهدهم ٧٥٣-٧٦٠
امير الشعراء ١٤٤
الاميركي (التهذيب) في الشرق ١٢٩-
امية بن ابي الصلت : حياته وشعره ٤٨٩-٤٩٦؛ ٦٢١-٦٢٦
الاناضول : الفحم الحجري فيه ٢٩٧
انتقاد على الناقدين ٦٧٢-٦٧٧
الاندلس : لغة مسلميه ٩٠٣-٩٠٨
انطاكية : تنازع الاسقفية فيها ٦٠٨-٦٢١؛ ٧٤٦-٧٥٣
الانكليكانية (الكنيسة) وكتاب الصلوات العامة ٢٤١-٢٥٣
اوربة : الدين اساس مدنيتها ٥٣٩

ب

بابل : وثقة باطلالها : تمهيد ١٧٨-١٧٩ ، ذكرى اسمها ١٧٩-١٨٠ ، وصف موقعها واطلالها ١٨٠-١٨٤ ، ٢٧٥-٢٧٧ ، تاريخها ٢٧٧-٢٨٤ ، ٢٥٤-٢٥٩

بال : المؤتمر الصهيوني المعقود فيها ١٢-١٨

البترول في الكونغو البلجيكي ٢٩٩

البحار المجاورة لدائرتي الانقلاب : استخدام قوتها ٢١٢-٢٢٠

البروتستانت : شهادتهم للمرسلين الفرنسيسكان واليسوعيين ٤٦٤

البستاني (الشيخ عبدالله) : يوبيله ١٥٤-١٥٥

البهائم : عقلها ٢٢٥

الباسيفيكي هل من حرب مقبلة في ؟ ٧٦٠-٧٦٦

بولونية : المؤتمر الجغرافي السلافي فيها ٢٩٦

ت

تاريخ بلادنا : هيأ على درسه ٤٣٧-٤٤١

التأنيث : علامته في اللغات السامية ٤٢٦-٤٢٧

تبرير النصارى عما نسب اليهم في حوادث سنة ١٨٦٠ ٦٢١-٦٤٤

تجديد الشباب ٢٨٧ ، ٦٩٥

ترقي العلوم في سنة ١٩٢٧ ١٢١-١٤٢، ٢١٣، ٢٢٠-٢٨٨، ٢٩٠

الترقي المدني والدين المسيحي ١٦١-١٧٨

تركية : الابجدية اللاتينية ولغتها ١٢٠-١٢٨ ، ٦٨٢ : الحرية الدينية فيها ٨٤٢ : الحالة الاقتصادية فيها ١٤٤

التشيع لمعاوية في عهد العباسيين ٤١٠-٤١٥

تطاحن الدول في القرن الرابع عشر قبل المسيح ٨٤٢-٨٥١

التعاون ٥٤١

التعليم على عهد بني امية ٧٥٢-٧٦٠

التكيف اللغوي ٩٤٣

التلبيس الكهربائي ٥٩٧-٦٠٨

تنازع الاسقفية في انطاكية ٦٠٨-٦٢١ ، ٧٤٦-٧٥٣

التنوير الكهربائي ٢٤٤-٢٥٤

التهذيب الاميركي في الشرق ٩٢٩

ج

الجاحظ : المفكر ٥٢٢-٥٢٩ ؛ ٦٦٢-٦٦٩ ؛ الكاتب ٦٦٩-٦٧٢

الجامعة المصرية الجديدة ٢٨٤-٢٨٨

الجامعات في التاريخ ٢٨٤

جبيل قبل القرن العشرين قبل المسيح ٦٧٧

الجُدَري : وصفه وطرق الوقاية منه ١٨٥-١٨٩

الجراد ٢٠٢

الجلان : عجائبها ٦٩٦-٦٩٨

الجمال والحب والدين ٨٥٧

جولة في كسروان ٥٨-٦١ ، ١٢٨-١٣١ ، ٤٥٦-٤٦٠ ، ٦٤٤-٦٥٠ ، ٩١٧-٩٢٢

ح

حاجتنا الى مجلة تاريخية ٢٨٥

الحب والجمال والدين ٨٥٧

الحبر الاعظم : رسالته في اتحاد الكنائس ٢٢١-٢٢٢

حجر الزاوية ٢٨٤

الحرب المقبلة في الباسيفيكي ٧٦٠-٧٦٦

الحركة الكاثوليكية في العالم ٣٩٤-٤٠١

الحرية والدين ٥٨٤-٥٩٧

حسين (الدكتور طه) : نظراته في الادب العربي وتدريسه ١٩٥-٢٠٤

حفريات قطنه ٨٤٧-٨٥١

حلب في القرن العشرين قبل المسيح ٦٧٧

الحمداني (ابو فراس) : الرجل ٢٦٥-٢٧٠ ؛ الشاعر ٢٧٠-٢٧٥

حوادث الشرق : مذكورة في آخر كل عدد

خ

الخابور ٥٠٢-٥٠٤

الخطّ والخطّاطون ٦٤٠–٩٤٢
الخلافة والإسلام ٢٢٢
الخيّام والمعرّي : فكرة الموت ومصير الاجساد عندهما ٤٤١–٤٥١

د

الداهومي : اول كاهن وطني فيها ٨٦٨
دمشق : مؤتمر المستشرقين فيها ١٥٥
الدول وتطاحنها في القرن الرابع عشر قبل المسيح ٨٤٣–٨٥١
دير سينا وكنيسته ٢٤–٢٩
دير كفيفان : الدير – المدرسة – الابتداء ٨٨٧–٨٩٦
دير مار سركيس ريفون ١٢٨–١٣١
دير مار ضومط فيترون ٤٥٦–٤٦٠ ؛ ٦٤٤–٦٥٠ : ٩١٧–٩٢٢
الدين المسيحي والترقي المدني ١٦١–١٧٨ — نشأته في لبنان ١٨٩–١٩٤ : ٢٥٩–٢٦٥ ؛ ٢٥٩ – ٢٦٦ — احداثه عالماً جديداً ٩٢٦–٩٣٧ — الدين وقوام الالفة الاجتماعية ٤٠١ – ٤١٠ — الدين اساس المدنية الاوربية ٥٢٩ — الدين والحرية ٥٨٤–٥٩٧ — الدين والحب والجمال ٨٥٧

ر

الرباط عن الالهيات ٤٧٧
رسالة الحبر الاعظم واتحاد الكنائس ٢٢١–٢٢٢
رقيم من عهد الصليبيين ٢٠٤
رؤيا سمعان الشيخ (رواية ميلادية) ٥–١٢
الريحاني (امين) : نحن وهو ٧٩٦
ريفون ٥٨–٦١ ؛ دير مار سركيس ريفون : مخطوطاته ١٢٨–١٣١
الريّ خصب للبلاد وصحة للعباد ٩١٢–٩١٧

ز

زغلول (سعد) : اخلاقه الدينية ٢٢٢
زموفن (الاب غدفريد اليسوعي) : وفاته وآثاره ٧٧٧–٧٨٠

س

سادول الشيوعي الافرنسي ٦٦–٦٨
سركيس (دير مار) ريفون : مخطوطاته ١٢٨–١٣١
السريان المالكيين : لغتهم ٦١
السلام : في سبيله ٢٨٣
السل : مطعوم الدكتور كلمت الواقي منه ٧٦٦–٧٦٩
سليمان : ارزلبنان في هيكله ٤٩٦–٥٠٣ ؛ ٥٧١–٥٧٧
السماني : تمثال له ٧٩٦
سنة ١٨٦٠ : تبرير النصارى عمّا نُسب اليهم في حوادثها ٦٢١–٦٤٤
سورية وطريق الهند ٥٧٧–٥٨٤
سورية ولبنان في سنة ١٩٢٧ ٢١–٢٤
السياحات الى القطب في سنة ١٩٢٧ ١٣٩–١٤١
سياحات البحث في سنة ١٩٢٧ ١٤١
السياسة : مشهد من مشاهدها على عهد الدولة الاموية ٥٠٤–٥١٢
السياسة المصرية في القرن الرابع عشر قبل المسيح ٨٤٥–٨٤٧
سينا (دير) وكنيسته ٢٤–٢٧

ش

شاي اليسوعيين ٢٩٩
الشعراء (قصيدة) : ٢٨١–٢٨٢
الشالي (المطران بشاره) : وصيته ٤٦٠
شهادة البروتستانت للمرسلين الفرنسيكان واليسوعيين ٤٦٤
شوقي (احمد) ١٤٤
شيخو (المرحوم الاب لويس اليسوعي) وفاته وترجمته ١–٥ ؛ تأبينه في جمعية التعاون الفكري ٨١–٨٤ ؛ تأثيره في تاريخ

الآداب العربية ٨٤–٩٢ ؛ تأثيره في التاريخ ٢٠٤ – ٢١٢ ؛ شيخ المؤلفين والعاملين ٤٦١–٤٦٤
السيوعية في مصر ٤٦٦

ص

الصابيون : رقم من عهدهم ٢٠٤
الصهيونية : مؤتمرها المنفرد في بال ١٣–١٨

ض

ضومط (جبر) : يوبيله ٤٧٦
ضومط (دير مار) فيترون : مخطوطاته ٤٥٦–٤٦٠، ٦٤٤، ٦٥٠–٩١٧، ٩٢٢

ط

الطائف : من مكة اليها في فصل الصيف ٦٥٠–٦٦٢
الطبية (العلوم) : ترقيها في سنة ١٩٢٧ ٢٩٠
الطرماح الطائي وطفيل النتوي ٧٦٩–٧٧٧
طفيل النتوي والطرماح الطائي ٧٦٩–٧٧٧
الطفسية (الكتب) ٩٢٧–٩٢٩
«الطوبى» (جزيرة) والمدينة الفاضلة ٣٦–٣٤
الطيران على الاطلنتيك في سنة ١٩٢٧ ١٢١ – ١٢٩

ع

العباسيون : التشيع لمعاوية على عهدهم ٤١٠–٤١٥
عبد الرازق (الشيخ علي) وآراؤه في الاصلاح ٩٤٢–٩٤٣
العربية (القومية) منذ مئة عام ٩٣٩–٩٤٠
عقل البهائم ٢٢٥
علامة التأنيث في اللغات السامية ٤٢٦–٤٢٧
العلوم : ترقيها في سنة ١٩٢٧ ١٢١–١٤٢، ٢١٣، ٢٢٠–٢٨٨، ٢٩٠
علي الهي (بدعة) ١٤٢
عمر الارض ٨٩٦–٩٠٢

غ

غريغون (الاخ) وجبل لبنان ٩٤٩–٩٥٠

ف

الفارابي وتوماس موروس ٣٦–٣٤
الفحم الحجري في الاناضول ٢٩٧
فرنسة في سنة ١٩٢٧ ٢٤–٣٦
فلسطين : احصاءاتها الحديثة ١٤٥ ، الحج اليها في القرن الرابع عشر ٢٩٨
فنلاندة : المرافق الاقتصادية فيها ٢٩٦
الفاتيكان : مكتبته ٢٢١

ق

قبر فيل ٦٩٨
القرصان في اسلاندة ٦٨٠
القطب : السياحات اليه في سنة ١٩٢٧ ١٢٩ – ١٤١
قطنة : حفرياتها ٨٤٧–٨٥١
القفص المهجور (بحث انتقادي) ٢٧٥–٢٨١
القومية العربية منذ مئة عام ٩٣٩–٩٤٠
قياس المثلثات في افريقية ٣٠١

ك

الكتب الطفسية ٩٢٧–٩٢٩
الكثلكة : حركتها في العالم ٣٩٤–٤٠١
الكرسي الرسولي في سنة ١٩٢٧ ١٨–٣١
الكرملي (الاب انستاس) : يوبيله ٩٥٠
كروان : جولة في : ريفون ٥٨–٦١ ، دير مار سركيس : مخطوطاته ١٢٨–١٣١ ، دير مار ضومط فيترون : مخطوطاته ٤٥٦–٤٦٠، ٦٤٤، ٦٥٠–٩١٧، ٩٢٢
كفيفان : دير ٨٨٧–٨٩٦
الكلدان والموارنة ١٠٠–١٠٩
الكلف الشمسية : تأثيرها في الميدان البيولوجي ٢٨٨–٢٩٠
كلست (الدكتور) : معلومه الواقي من السل ٧٦٦–٧٦٩
كمال (مصطفى) : مذكراته ١٤٢
الكنائس : اتحادها ورسالة الحبر الاعظم ٢٢١–

٢٢٣
كتر اليسوعيين ٤٧٦
الكنيسة الانكليكانية وكتاب الصلوات العامة ٢٤١-٢٥٢
الكنيسة المصرية ٦٤
الكهرباء: التنوير بواسطتها ٢٤٤-٢٥٤ — مستقبلها في لبنان: مقدمة ٤١٥، درس مركز لها ٤١٩، توليدها من الماء ٤٢٢، المولدات الكهربائية ٤٢٤-٤٢٦، نقل قوتها ٥١٢، الجر الكهربائي ٥١٦، استخدامها ٥٢١-٥٢٥ — التلبيس بواسطتها ٥٩٧ — ٦٠٨
الكونغو البلجيكي: البترول فيه ٢٩٩

ل

اللاسلكية: مبادئها ٧٣٦ — ٧٤٠، مراكز البث والقبول ٧٤٠-٧٤٦، تطبيقاتها ٨١٤-٨٢٢، في بلادنا ٨٢٢-٨٣٦
لبنان: نشأة الديانة المسيحية فيه ١٨٩-١٩٤، ٢٥٩-٢٦٥، ٢٥٩ — ٢٦٦ — مستقبل الكهرباء فيه ٤١٥-٤٢٦، ٥١٢-٥٢٥ — ارزه في ميكل سليمان ٤٩٦-٥٠٢، ٥٧١ — ٥٧٧ — المآتم فيه ٥٤٢ — والاخ غريغوار ٦٤٩-٦٥٠
لبنان وسورية سنة ١٩٢٧ ٢١-٢٤
اللغات التركية ومسألة الابجدية فيها ١٢٠-١٢٨، ٦٨٢
لغة السريان الملكيين ٦١
اللغة العربية: في سيل احيائها ٦٤-٦٦ — غناها وفقرها ٢٢٢-٢٢٧، ٤٥١-٤٥٦ — اللغة الفصحى في المحادثات ٥٤٢ — التكيف فيها ٦٤٣
لغة مسلمي الاندلس ٩٠٢-٩٠٨
لماذا؟ رواية لبنانية تاريخية ٦٨٢-٦٩٥، ٧٨٠-٧٨٧، ٨٦١-٨٦٨، ٩٤٤-٩٤٩
لوزان حول مؤتمرها ٦٢-٦٤

م

المآتم في لبنان ٥٤٢
«الماته» (نبات) او شاي اليسوعيين ٢٩٩
المأمونية: دمعة عليها ٤٦٥ — افتاء المنار عنها ٨٥٨
المتنبي (ابو الطيب) شاعريته: طريقته في المراثي ٥١-٥٣، في المفاخر ٥٣-٥٤، فلسفته ومذهبه في ما وراء الحياة ومقابلته بنيتشه ٥٤-٥٨
مجلة تاريخية: حاجتنا اليها ٢٨٥
محمد والمرأة ٢٨٦
المدينة الفاضلة وجزيرة «الطوبى» ٢٦-٣٤
المرأة: نداء اسلامي لتحريرها ٢٦٦-٢٧٥ — المرأة ومحمد ٢٨٦
المرافق الاقتصادية في فنلاندة ٢٩٦
المرسلون: شهادة البروتستانت لهم ٤٦٤
مرقس (المونسنيور انطون) ترجمته ٢٧-٥١
المستشرقون وتاريخ الآداب العربية ٦٧٩ — مؤتمرهم في دمشق ١٥٥ — حول مؤتمرهم السابع عشر في اكسفرد ٨٥١-٨٥٦ — اهتمامهم بالعلوم الشرقية ٨٦٠
المسيح: نسبه في الاناجيل ٤٨١-٤٨٨، ٥٦١-٥٧١
المسيحيون والصحف الاسلامية ٨٥٦
المشرقة: حقرباتها ٨٤٧-٨٥١
المشرق منذ ثلاثين سنة: نيسان ١٨٩٨، ٢٠٥، آب وايلول ١٨٩٨، ٦٩٩
مشهد من مشاهد السياسة على عهد الدولة الاموية ٥٠٤-٥١٣
مصر: الشيوعية فيها ٤٦٦ — سياستها في القرن الرابع عشر قبل المسيح ٨٤٥-٨٤٧ — جامعتها الجديدة ٢٨٤-٢٨٨
مصطفى كمال: مذكراته ١٤٣

مطوم الدكتور كلنت ضد السل ٧٦٦-٧٦٩
معاوية : التشيع له في عهد العباسيين ٤١٠-٤١٥
المعرّي والخيّام : فكرة الموت ومصير الاجساد عندهما ٤٤١-٤٥١
مقتأة الملكين ٣٠٣
مكّة : من رمضانها الى مصيف الطائف ٦٥٠-٦٦٢
المكسيك : اسباب الاضطهاد والفتن فيها ١٠٩-١٢٠ ، هيئة البلاد وجغرافيتها ١١١ ، سكانها واخلاقهم ١١٢ ، دياناتهم الاولية ١١٤ ، الفتح الاسباني ١١٥ ، عهد الاستقلال ١١٦ ، سياسة الاستعمار ١١٧ ، دسائس الشيوعية ١١٩
المهاجرة ٥٤٠
الموازنة والكلدان ١٠٠-١٠٩
الموت (فكرة) ومصير الأجساد عند المعرّي والخيّام ٤٤١-٤٥١
مؤتمر بال الصهيوني ١٢-١٨
المؤتمر الجغرافي السلافي في بولونية ٢٩٦
موروس (توماس) والفارابي ٢٦-٣٤
المونوثيليّة : اصلها ٦٧٨

ن

نابوليون الاول : زواجه الثاني ٤١٧
نداء اسلامي لتحرير المرأة ٢٦٦-٢٧٥
نسب السيد المسيح ٤٨١-٤٨٨ ، ٥٦١-٥٧١
النصارى : تبريرهم مما نُسب اليهم في حوادث سنة ١٨٦٠ ٦٣١-٦٤٤
نكبة النكبات (بحث انتقادي) ٦٣١-٦٣٦
نيتشه : مقابلته بالمتنبي ٥٤-٥٨

هـ

هل اللغة العربية غنية ام فقيرة ؟ ٢٢٢-٢٢٧ ، ٤٥١-٤٥٦
هل من حرب مقبلة في الباسيفيكي ٧٦٠-٧٦٦
الهند : طريقها وسورية ٥٧٧-٥٨٤ ، الاحصائيات الاسلامية فيها ٦٨١
هيأ على درس تاريخ بلادنا ٤٢٧-٤٤١

و

الوطنية الصامتة ٢٢٤
الولايات المتحدة واليابان : استعدادهما لحرب مقبلة ٧٦٠-٧٦٦
الوهابيون وابن سعود : اصلهم ، بلادهم ، حكومتهم ٢٣٧-٢٤٤ ، كتاب جديد عنهم ٥٢٥-٥٢٢

ي

اليابان والولايات المتحدة : استعدادهما لحرب مقبلة ٧٦٠-٧٦٦
يافا : نظرة في تاريخها ٧٢٩-٧٣٦ ، ٨٢٦-٨٢٤
اليازجي (الشيخ ناصيف) الرجل ٨٢٤-٨٤٢ ، « العالم » ٩٢٢-٩٣٠ ، الشاعر ٩٣٠-٩٣٦
يسوع : نسبه في الاناجيل ٤٨١-٤٨٨ ، ٥٦١-٥٧١ — اخوته واخواته ٧٢١-٧٢٨ ، ٨٠١-٨٠٩

AL-MACHRIQ

Revue Catholique Orientale Mensuelle

SCIENCES—LETTRES—ARTS

Sous la direction des Pères de la Cie de Jésus
UNIVERSITÉ St JOSEPH

Vingt sixième année

1928

BEYROUTH
Imprimerie Catholique
1928

TABLES DES SOMMAIRES

XXVIe ANNÉE 1928

JANVIER

Le Père Louis Cheikho, *in Memoriam* (p. 1) : *La Rédaction.*

La Vision du Vieillard Siméon (p. 5) : *P. Louis Cheikho S. J.*

Le Congrès sioniste de Bâle (p. 13) : *P. Lammens S. J.*

Coup d'œil sur l'année 1927 (p. 18) : *P. F. Taoutel S. J.*

La « Cité Idéale » d'Al-Fârâbi et « l'Utopie » de Morus (p. 26) : *Mr Fouad E. Boustany.*

Le Couvent de Sinaï (p. 34) : *Ahmad Chafiq Pacha.*

Mgr Antoine Marcos (p. 37) : *Abbé Joseph 'Amchiti.*

Mutanabbi : III, sa poésie et sa philosophie (p. 51) : *Mr F.-E. Boustany.*

Une excursion dans le Kisraouan : Raïfoun (p. 58) : *P. Antoine Chibli O. S. A.*

Revue des Revues : La langue des Syriens Melchites — Bar-Hebræus — Autour du Congrès de Lausanne — L'Eglise égyptienne — Pour la renaissance de la Langue arabe — Notre cousin Sadoul (p. 61) : P. F. Taoutel S. J.

Bibliographie (p. 68).

Ephémérides du mois (p. 74).

FÉVRIER

Le Père Louis Cheikho (p. 81) : *Dr Béchir Qassar.*

Le Père Cheikho et l'histoire de la Littérature Arabe (p. 84) : *Mr F.-E. Boustany.*

Notes de philologie (p. 92) : *P. A. S. Marmardji O. P.*

Entre Chaldéens et Maronites (p. 100) : *Abbé Pierre Raphaël.*

La révolution au Mexique (p. 100) : *P. F. Taoutel S. J.*

La réforme de l'Alphabet turc (p. 120) : *P. Lammens S. J.*

Une excursion dans le Kisraouan : Le couvent de Mar Sarkis, Raïfoun (p. 126) : *P. Antoine Chibli O. S. A.*

L'année scientifique (1927) : Les traversées de l'Atlantique en avion — Vers le Pôle Nord — Voyages scientifiques (p. 131) : P. Joseph Vernet S. J.

Revue des Revues : 'Ali-Ilâhi — La liberté religieuse en Turquie — Idris I — Les mémoires de Mustapha Kamal — Al-Azhar — La situation économique en Turquie — Le « prince des poètes » — Le dernier recensement en Palestine (p. 142) : P. Lammens S. J.

Bibliographie (p. 146) :

Varia : Le Jubilé du Cheikh Abdallah Boustany Un congrès orientaliste à Damas (p. 154).

Ephémérides du mois (p. 156)

MARS

Le Christianisme et le Progrès moderne (p. 161) : *P. A. Salhani S. J.*

Sur les ruines de Babylone : I (p. 178) : *P. A. S. Marmardji O. P.*

La Variole (p. 185) : *Dr A. Gemayel.*

Origines Chrétiennes du Liban : I (p. 189) : *Abbé P. Ghaleb.*

Les théories pédagogiques du Dr Taha Hussein, (p. 195) : *P. F. Taoutel S. J.*

Le Père Cheikho, historien (p. 204) : *P. Lammens S. J.*

L'année scientifique (1927) : L'utilisation des mers tropicales (p. 213) : P. J. Vernet S. J.

Revue des Revues : La Bibliothèque du Vatican — L'Islam et le Califat — Saad Zaghloul et ses sentiments religieux — Le patriotisme silencieux — L'intelligence des bêtes (p. 221) : P. Taoutel S. J.

Bibliographie (p. 226).

Ephémérides du mois (p. 238).

AVRIL

Le « Prayer-Book » anglican (p. 241) : *P. A. Salhani S. J.*

L'Afghanistan et son roi (p. 253) : *P. Lammens S. J.*

Origines Chrétiennes du Liban : II (p. 259) : *Abbé P. Ghaleb.*

Abû Firâs : l'Homme et le Poète (p. 265) : *Mr F.-E. Boustany.*

Sur les ruines de Babylone : II (p. 275) : *P. A. S. Marmardji O. P.*

La nouvelle Université égyptienne (p. 284) : *P. F. Taoutel S.J.*

L'année scientifique (1927) : Les taches solaires et leur influence biologique. La lutte contre le cancer (p. 288) : P. J. Vernet S. J.

La nouvelle édition du Kitâb al-Aghâni (p. 290) : *P. A. Salhani S. J.*

Revue des Revues ; Progrès économiques de la Finlande. — Congrès des Géographes Slaves — La houille en Anatolie. — Un pèlerinage palestinien au XIVe siècle. — Le « thé des Jésuites ». — Le pétrole au Congo-Belge. — Triangulation de l'Afrique. — Le péril acridien (p. 296) : P. G. Levenq S. J.

Varia : Le premier opéra arabe. — Inscriptions des Croisés. — Al-Machriq il y a 30 ans. (p. 303).

Bibliographie : (p. 307).

Ephémérides du mois. (p. 318).

MAI

L'Encyclique pontificale et l'union des Eglises (p. 321) : *P. A. Salhani S. J.*

Richesse et Pauvreté de la Langue arabe : I (p. 332) : *Abbé Abd-el-Masih Zahr.*

Ibn Sa'oud et les Wahhabites (p. 337) : *P. Lammens S. J.*

L'Eclairage électrique (344) : *Mr Antoine Baz.*

Sur les ruines de Babylone : III (p. 354) : *P. A. S. Marmardji O. P.*

Origines Chrétiennes du Liban : III (p. 359) : *Abbée P. Ghaleb.*

Un manifeste du féminisme musulman (p. 366) : *P. Lammens S. J.*

La « Cage vide », notes critiques (p. 375) : *Mr F.-E. Boustany.*

Les Poètes, vers (p. 381) : *Mr Joseph Ghossoub.*

Revue des Revues : Pour la Paix. — La Pierre angulaire. — Les anciennes Universités. — Création d'une revue historique. — Mahomet et la femme. — La lutte contre la vieillesse. (p. 382) : P. Taoutel S. J.

Bibliographie (p. 388).

Chronique religieuse du 1er trimestre de 1928 (p. 394) : *P. R. Nakhla S. J.*

JUIN

La Religion et l'équilibre de la Société (p. 401) : *P. Marmardji O. P.*

Les partisans de Mo'âwia sous les Abbassides (p. 410) : *Mr Habib Zayat.*

L'avenir de l'Electricité au Liban : I (p. 415) : *Mr Antoine Biz.*

La désinence du féminin dans les langues sémitiques (p. 426) : *P. Marmardji O. P.*

Etudions notre histoire ! (p. 437) : *P. Lammens S. J.*

Le thème de la mort chez Al-Ma'arri et Al-Khayyam (p. 441) : *Mr F.-E. Boustany.*

Richesse et Pauvreté de la Langue arabe : II (p. 451) : *Abbé Abd-el-Masih Zahr.*

Une excursion dans le Kisraouan : Le Couvent Mar Doumid, Faïtroun (p. 456) : *P. A. Chibli O. S. A.*

Revue des revues : Le testament d'un évêque. — En mémoire du P. Cheikho. — Témoignage des Protestants en faveur des missionnaires Franciscains et Jésuites. — Les infortunes de la Maçonnerie. — Le Communisme en Egypte. (p. 460) : P. Taoutel S. J.

Bibliographie (p. 468)

Varia : Le Jubilé de Mr Jabr Doumit. — Le trésor des Jésuites. — Deux questions et deux réponses (p. 479).
Ephémérides du mois (p. 478).

JUILLET

Généalogie du Christ : I (p. 481) : *P. A. Salhani S. J.*
Omayya ibn Abi-ṣ-Ṣalt : I (p. 489) : *Mr Michel Kemeïd.*
Les Cèdres du Liban dans le Temple de Salomon : I (p. 496) : *Abbé P. Raphaël.*
Le district du Khâbour (p. 502) : *Mgr Ath.-Ig. Nouri.*
Scène de la vie politique sous les Omayyades (p. 504) : *P. F. Taoutel S. J.*
L'avenir de l'Electricité au Liban : II (p. 512) : *Mr Antoine Baz.*
De nouveau sur Ibn Sa'oud (p. 525) : *P. Lammens S. J.*
Djâḥiz : Le Penseur et l'Ecrivain : I (p. 532) : *Mr F.-E. Boustany.*
Revue des Revues : La religion et les gouvernements européens. — L'émigration. — L'aide mutuelle. — La correction du langage. — Le deuil au Liban. (p. 539) : P. Taoutel S. J.
Bibliographie (p. 547).
Ephémérides du mois (p. 558).

AOUT - SEPTEMBRE

Généalogie du Christ : II (p. 561) : *P. A. Salhani S. J.*
Les Cèdres du Liban dans le Temple de Salomon : II (p. 571) : *Abbé P. Raphaël.*
La Syrie et la route des Indes (p. 577) : *P. Lammens S. J.*
Religion et Liberté (p. 584) : *P. Marmardji O. P.*
La galvanoplastie (p. 597) : *Mr Antoine Baz.*
Le schisme d'Antioche (362-392) : I (p. 608) : *P. G. Neyron S. J.*
Les « Nakabât » d'Amin Riḥâni (p. 621) : *P. Lammens S. J.*

Omayya ibn Abi-ṣ-Ṣalt : II (p. 626) : *Mr Michel Kemeïd.*

La responsabilité des Chrétiens dans les événements de 1860 (p. 631) : *P. L. Bleibel O. S. A.*

Une excursion dans le Kisraouan : Le Couvent Mar Doumit, Faïtroun (suite) (p. 644) : *P. A. Chibli O. S. A.*

La villégiature à Ṭâïf au siècle de l'Hégire (p. 650) : *P. F. Taoutel S. J.*

Djâḥiz : Le Penseur et l'Ecrivain : II (p. 662) : *Mr F.-E. Boustany.*

Critique de la critique (p. 672) : *Abbé Abd-el-Masih Zahr.*

Revue des Revues : Les plus anciens documents relatifs à Alep et Djéboil. — Debuts du Monothelisme. — Macarios, patriarche d'Antioche. — Les Orientalistes et l'histoire des Lettres arabes. — Les corsaires barbaresques en Islande. — Statistique de l'Inde musulmane. — Les peuples turcs et l'alphabet latin. (p. 677) : P. Lammens S. J.

Pourquoi ? roman historique libanais : I (p. 683) : *Mr F.-E. Boustany.*

Varia : La lutte contre la vieillesse (Dr S. Ghazalé). — Formes variées des coléoptères. — Une tombe d'éléphant. — Al-Machriq il y a 30 ans (p. 695).

Bibliographie (p. 701).

Ephémérides du mois (p. 718).

OCTOBRE

Les Frères du Christ : I (p. 721) : *P. A. Salhani S. J.*

Coup d'œil sur l'histoire de Jaffa : I (p. 729) : *P. Marmardji O. P.*

La T. S. F : I (p. 736) : *Mr Antoine Baz.*

Le schisme d'Antioche (362-392) : II (p. 746) : *P. G. Neyron S. J.*

L'enseignement sous les Omayyades (p. 752) : *P. Taoutel S. J.*

La prochaine guerre du Pacifique (p. 760) : *Mr F.-E. Boustany.*

Le vaccin B. C. G. de Calmette (766) : *Dr A. Gemayel.*

Ṭofaïl al-Ghanaoui et al-Ṭirimmâḥ aṭ-Ṭâ'i (p. 760) : *P. A. Salhani S. J.*

Le Père Gadefroid Zumoffen (p. 777) : *P. A. Torrend S. J.*

Pourquoi ? roman historique libanais : II (p. 780) : *Mr F.-E. Boustany.*

Varia : Amin Riḥâni et nous. — Le monument d'Assemani (p. 796).

Ephémérides du mois (p. 793).

NOVEMBRE

Les Frères du Christ : II (p. 801) : *P. A. Salhani S. J.*

Le poète A'cha-Qaïs : I (p. 809) : *Mr Michel Kemeïd.*

La T. S. F. : II (p. 814) : *Mr Antoine Baz.*

Coup d'œil sur l'histoire de Jaffa : II (p. 826) : *P. Marmardji O. P.*

Le Cheikh Nâcif Yâzigi : l'Homme. — le « Savant ». — Le Poète : I (p. 834) : *Mr F.-E. Boustany.*

La mêlée des Nations au XIVe siècle avant J.-C. (p. 843) : *Emir Maurice Chéhab.*

A propos du XVIIe Congrès des Orientalistes, à Oxford (p. 851) : *P. Eric Burrows S. J.*

Revue des Revues : Les Chrétiens et la presse musulmane. — Divagations sur « l'amour ». — Le Manâr et la Franc-Maçonnerie. — La réforme d'al-Azhar. — Orientalistes et Orientalisme (p. 856) : P. Tworzel S. J.

Pourquoi ? roman historique libanais : III (p. 861) : *Mr F.-E. Boustany.*

Varia : La plus volumineuse pièce de monnaie. — Le premier prêtre indigène au Dahomey (p. 868).

Questions et Réponses : A propos de Littérature arabe (p. 869).

Bibliographie (p. 870).

Ephémérides du mois (p. 879).

DÉCEMBRE

Abiathar ou Ahimelec (p. 881) : *P. Salhani S. J.*

Le Couvent de Kfifân (p. 887) : *P. P. Sarah O. S. A.*

L'âge de la terre (p 896) : *Abbé Abd-el-Masih Zahr.*

Quelle langue parlaient les Musulmans d'Espagne ? (p. 903) : *P. Lammens S. J.*

Le poète A'cha-Qaïs : II (p. 908) : *Mr Michel Kemeid.*

Comment utiliser nos eaux courantes? (p. 913) : *Dr A. Gemayel.*

Une excursion dans le Kisraouan : Le Couvent Mar Doumit, Faïtroun (suite) (p. 917) : *P. Antoine Chibli O. S. A.*

Le Cheikh Nâcif Yâzigi : L'Homme — le « Savant » — le Poète II : (p. 923) : *Mr F.-E. Boustany.*

Revue des Revues : Christianisme et Progrès — Réimpression des livres liturgiques maronites — l'éducation américaine en Orient. — Le nationalisme arabe il y a 100 ans. — Calligraphie et Calligraphes. — Les réformes d'après 'Ali 'Abd-ar-Raziq. — Evolution linguistique. (p. 936) : P. F. Taourel S. J.

Pourquoi ? roman historique libanais : IV (p. 944) : *Mr F.-E. Boustany.*

Varia : Fra Gryphon et le Liban — le Jubilé du Père Anastase. (p. 949).

Bibliographie : (p. 951).

Ephémérides du mois : (p. 959).

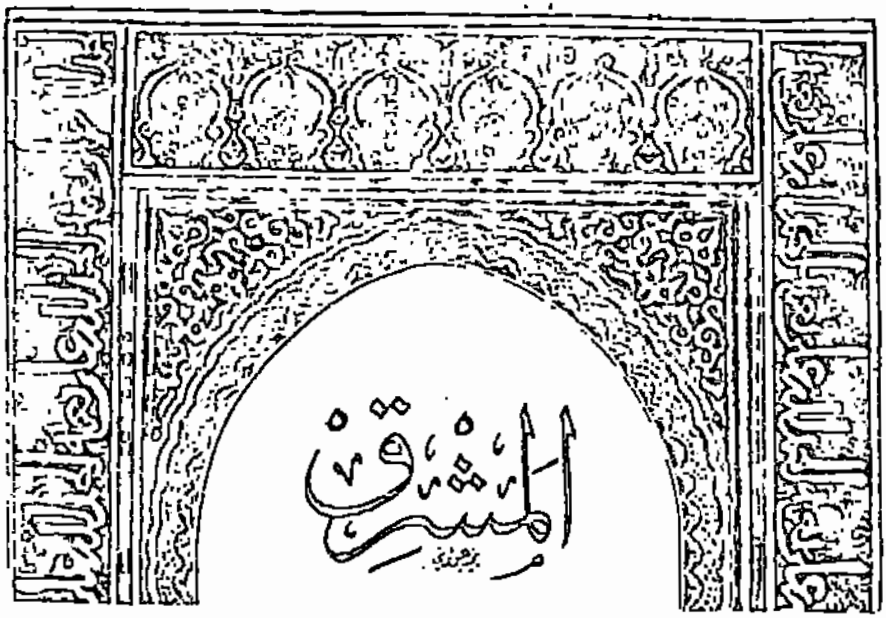

كانون الثاني ١٩٢٩

على قبر الاب لويس شيخو

مرّ السابع من كانون الاول الماضي ، ومرّت معه السنة الاولى على وفاة مؤسس « المشرق » ومديره ، المأسوف عليه كثيرًا ، المرحوم الاب لويس شيخو . ولقد قام قلم تحرير المجلة ، على اثر الفاجعة ، بذكر بعض مميّزات الفقيد ؛ فنشر في عدد كانون الثاني ملخص تلك الحياة الملأى بالاعمال والامثال . ثم اظهر ، في عددي شباط وآذار ، ما كان لتلك الاعمال من الفائدة لتاريخ الآداب العربية خاصةً ، وللتاريخ الشرقي عامّةً ، لاسيما ما اختصّ منه بتاريخ النصرانية في الشرق . اما الآن فاننا نودّ جمع بعض شهادات تبرهن عن التأثير الشديد الذي احدثه في البيئات المختلفة موتُ الاب شيخو ، وعن الفراغ الواسع الذي تركه في جيوش العلم ذاك العالم المعتبر .

* * *

في مساء الثامن من كانون الاول سنة ١٩٢٧ ، ضاقت كنيسة كلية القديس يوسف عن المتقاطرين اليها من ارباب الفكر في بيروت ، ليشهدوا

بخشوع ، الصلاة الاخيرة عن نفس الفقيد العزيز . وكانت الاكاليل قد أرسلت من قِبل رئيس المجلس النيابي اللبناني ، عطوفة الشيخ محمد الجسر ، ومن قِبل وزير المعارف العامة اللبناني ، ومن قبل نقابة الصحافة . وعند ابتداء الصلاة ، تقدّم سعادة الاستاذ بشاره بك الخوري ، رئيس الوزارة اللبنانية ووزير المعارف ، فانحنى على نعش الراهب الوضيع ، وعلّق عليه ، باسم حكومة لبنان وشعبه ، مدالية الاستحقاق اللبناني الفضية ذات السعف ، للاسباب التالية :

« بقي نحو خمسين سنة يخدم اللغة العربية بنشر كنوزها المدفونة ، وتأليف الكتب العديدة فيها . وخدم لبنان خاصّةً وبلاد الشرق عامّة ، بما نشره من التآليف عن تاريخها وآثارها وعلومها ، حتى بلغت مطبوعاته مائة وعشرين مجلّداً . فاستحقّ شكر لبنان . »

وفي شهر كانون الثاني سنة ١٩٢٨ ، لما التأمت الجمعية اللبنانية للتعاون الفكري ، التي كان الفقيد عضواً فيها ، وقف رئيسها الاستاذ كميل اده ، ووصف حياة الاب شيخو العلمية بتعابير انيقة ، ثم اوقف الجلسة حداداً . وقد اشترك في المؤاساة حضرة الدكتور بشير قطار رئيس الكلية الاسلامية في بيروت ، فألقى تأبيناً نشره المشرق في حينه (عدد شباط ١٩٢٨) .

وما انتشر النعي حتى اخذت برقيات المؤاساة ورسائل التعزية تتوارد من كل جهة على كلية القديس يوسف ، وعلى ادارة المشرق . وكان من اولاها برقية من مصر وقعها ذو الفقار باشا ، كبير حجاب جلالة الملك فؤاد ورئيس جمعية قدماء تلامذتنا في مصر . فتأسف فيها ، باسم جميع القدماء ، لوقع ذاك المصاب « بوفاة استاذهم القديم ، وخسارة الآداب العربية التي لا تعوّض . »

هذا ولا يسعنا المقام لذكر جميع برقيات التعزية والمؤاساة العديدة ، فنكتفي بالاشارة الى برقيات : الجالية المارونية في سانپاولو (البرازيل) ، ونادي الشبيبة الارثوذكسية في يافا ، ورئيس الجامعة الاسلامية في دمشق ، والى رسائل الجامعة الاميركية في بيروت ، والآباء الصعوديين في قاضي كوي ، ومديري مجلة (Echos d'Orient) العلماء ، ومعهد الدروس العالية المراكشية في الرباط (مراكش) ، وادارة تحرير مجلة (Deutsche Palaestina Verein) في برلين ،

وادارة مكتبة مقاطعة فريبورغ (سويسرة)، وادارة مكتبة مدرسة اللغات الشرقية في برلين. الى غير ذلك من الجمعيات العلمية او معاهد علوم الاستشراق. وكلهم يبدون اسفهم الشديد لفقد العالم المعتبر، ويقدرون صفاته الممتازة كرجل وكراهب. وسنذكر اقوالهم في آخر هذه الاسطر، شاكرين للجميع عواطفهم النبيلة في مشاطرتهم ايانا تحمّل تلك الفاجعة.

وقد شاطرنا وقع المصاب ايضاً جميعُ الطوائف المسيحية في الشرق. فارسل غبطة السيد عمانوئيل توما، بطريرك الكلدان الجليل، يعبّر لنا «عن ألمه الذي لا يوصف، لدى وصول نعي الاب شيخو الكثير التقى، والوافر العلم. وقد وقع هذا النعي عليه وعلى كهنته في بغداد، وقوعَ الصاعقة. لان المصاب بهذا الراهب العالم القديس، سيُحدث في جميع الشعب الكلداني حدادًا عامًا كما انه سيُحدث فراغاً لا يُسدّ في جميع الرسالات الشرقية.»

واتانا من الاستاذ شتروتمان محرّر المجلة المشهورة (Der Islam) رسالة تعزية باسم جميع مستشرقي هامبورغ (المانية) يقول فيها: «نحن ايضاً قد خسرنا بالفقيد عالماً متخصصاً نعتبره عن جدارة واستحقاق. ونحن نشعر معكم بالفراغ الذي احدثته وفاته.» وختم الرسالة بطلب المعلومات عن حياة الفقيد، لكي يتمكن من نشر المقال الذي يستعدّ لكتابته عنه في المجلة المذكورة.

ووافتنا رسالة تطلب المعلومات نفسها من كييف (روسية)، وذلك باسم المجمع العلمي في اوكرانية، بعد ان ذكرت غاية مرسليها، وهي الرغبة في «تخليد ذكرى الاب شيخو، العالم الشهير، بين مستشرقي الروس»

ومن روسية ايضاً اتتنا رسالة الدكتور اغناطيوس كراتشكوفسكي، عضو المجمع العلمي للجمهوريات السوفياتية، وسكرتير فرقة التاريخ ودرس اللغة. كتب الينا بها من لينغراد، قال: «ان الخسارة التي اصابتكم سيشاطركم ايّاها جميع علماء العربيّة في الدنيا قاطبةً. لان الفقيد كان، ولا منازع، اشهر عالم في موضوعات الآداب العربيّة النصرانيّة. واننا لنتصوّر بصعوبة وجود خلف له في هذا الفرع. وفي سائر المعارف العربيّة نرى من الصعب ايضاً وجود مثيل له. وان مجلة «المشرق» التي أسسها الفقيد وادارها تمثل دائرة معارف الدروس

العربيّة ، وموضوعات الاستشراق على الجملة.

« على انني اشعر شخصياً بعظم هذه الخسارة لانه كان لي الحظ بالاستفادة من تعليمه الشفهي في المكتب الشرقي ، وباتباع محاضراته مدة السنوات ١٩٠٨—١٩١٠. وقد تبادلت واياه ، بعد ذلك ، صلاتٍ متتابعة يسُمها الاخلاص. ولم يكن قط ليرفض مساعدتي بمعلوماته ، ومعاونتي بنصائحه الغالية . »

وكان الدكتور اوغست هَفنر ، استاذ اللغات الشرقيّة في جامعة انسبروك (التيرول)، قد اقام مدة سنتين ضيفاً على كلية القديس يوسف. ثم طبع ، مع الاب شيخو ، عدة رسائل في اللغة العربيّة كانت لم تُنشر بعد. فكتب الينا ما يلي :

«لم يقتصر اعجابي بالفقيد على صفاته بحّاثةً وعالماً واستاذاً فقط ، بل ساعدني الحظ بالتقرب منه الى درجة امكنتني ان اعطيه اسم الصديق . وها ان ذكرى اقامتي في كلية بيروت المضيافة تحيي فيّ اليوم فتعيدني الى زمن كنت فيه اعاشر الاب شيخو ، واقدر فيه صفات الرجل وصاحب الاقدام . وقد كنّا نتبادل ، حتى الشهور الاخيرة ، الرسائلَ المختلفة في البحث عن بعض المسائل العلمية. هذه هي التذكارات الصالحة والنفيسة التي الى الموت فجأةً فقطع مجراها ! »

* * *

للبعثة البروتستانتيّة في مصر صحيفة شهرية تصدر باللغتين العربية والانكليزية اسمها « الشرق والغرب » . وقد كتب الينا محرّروها من القاهرة « يعربون عن تأسفهم الشديد لموت الاب شيخو المشهور شهرة حقّة بسبب فضائله المسيحيّة وغيرته على تقدّم الدروس الشرقيّة . ونحن ، من زمن طويل ، نقدر قيمة آثار الاب ليس فقط فيما خصّ العالم المسيحي ، بل فيما خصّ البيئات العلميّة ايضاً. فنقدم لآبائه كلية القديس يوسف واجبات المؤاساة والاحترام بمناسبة الخسارة التي وقعت عليهم. » وكان مع الكتاب ترجمة افرنسية للاسطر التي خصّتها مجلة « الشرق والغرب » بالفقيد . وهذا تعريبها :

« باسف شديد تلقّت ادارة المجلة نعي المستشرق ، حضرة الاب لويس شيخو من كلية القديس يوسف في بيروت . ان الاب المرحوم ، الذي لم تكن غيرته العلمية لتنقص عن تقاه المشهور ، قد عمل اكثر من ايّ انسان في سبيل

نشر الآداب العربيّة النصرانية قبل الاسلام واظهار قيمتها . ولهذا فان جميع مريدي الآداب العربيّة سيظلّون مَدينين لابحاث الاب شيخو التي قدَّم بها معرفتنا بالشعر العربي القديم . »

وارفر من ذلك تأثيراً ما نشرته بكل ايجاز عن وفاة الاب شيخو المجلة (The american Journal of semitic Languages and Litterature) التي تصدر في اميركة الشمالية[1] في شذرة اغفل كاتبها ذكر اسمه ، ولكنه يظهر انه عرف فقيدنا شخصياً ، فرغب ان يخصّص له سطراً « يتضمن معرفة الجميل لذكرى صديقنا الممتاز ومعلّمنا ذي الحنوّ الابوي ، الاب لويس شيخو الذي سيبقى اسمه حيًّا في تذكارات زملائه المستشرقين ، وفي قلوب الشعوب العربية . وها إن كتبه تشهد بسعة معارفه ، وببساطته المحبوبة التي تشابه بساطة الولد . »

بساطته المحبوبة التي تشابه بساطة الولد ! وهل كان بالامكان ان تُنعت باوفر وضوح عقلية المرحوم الاب شيخو ؟ ولهذا فان اسمه سيبقى حيًّا في قلوب الشعوب العربية ، كما يقول الكاتب العالم .

هذا وان باقي مجلّات المستشرقين لم تجد لديها ، حتى الآن ، متّسعاً من الوقت يمكنها من قدر اعمال الاب شيخو . وقد باشر كثير منها هذا الدرس كما قدّمنا . وان المطّلعين على الفترات الفسيحة بين العدد والآخر من هذه الصحف لا يستغربون تأخرها

ويسرّنا ان نختم بتعريب اسطر تفيض فيها عاطفة الحب والاحترام للاب الفقيد ، وللمرّسة التي قضى فيها حياته الملأى بالعلم والعمل . ننقلها عن مجلّة (Rivista dell'unione missionaria del clero in Italia.)[2] وقد وقّعها مستعرب شابّ من كبار النوابغ على حداثة سنه :

« في اوائل كانون الاول سنة ١٩٢٧ ، كنت اتحدّث عن الاب شيخو و « مشرقه » الى احد مستعربينا المشاهير . فذكر لي اعجابه بالحميّة التي تدفع هذا الرجل السبعيني الى متابعة عمل مهمّ يكاد يكون وحيداً في القيام باعبائه . وكيف انه ينعش بما ينشره قلمه السيّال من المقالات القيّمة المختلفة الموضوعات

١) شهر نيسان ١٩٢٨ ، ص : ٢٠٧ ٢) عدد شباط ١٩٢٨ ، ص : ٢١

المتابعة الصناوين ، تلك المجلة اللطيفة ، ذات الغلاف الازرق ، التي تأتي كلّ شهر ، حاملةً الى مكتبي ، سلامَ ذاك الشرق البعيد الذي لم يُتح لي بعد ان اتعرّف اليه . في تلك الايام ذاتها ، كان قد وصلني العدد الاخير من المجلة مرتدياً ثوباً ابيض دلالةً على اليوبيل الفضي . وفيه القى الاب شيخو نظرةً اجمالية على حياة مجلّته مدة ربع قرن ، حياة لم تكن لتخلو من صعوبات وقلاقل . عندما كنت اتحدّث عنهُ ، عندما كنت اتصفّح سطوره الأخيرة المفعمة بالغبرة والسرور المشروع لدى مشهد العمل المتمم البناء المشيَّد الاركان ، عند ذاك من كان ليتبنني أنّ على الطريق تلك الورقة المحاطة بالسواد ، التي تذكر فيها كلية بيروت خسارتها الفجائية بفقد بطلها البارز وركنها المتين.

« ولكنّ ذاك النعي ، على شدّة ألمه ، أثّر فيّ ، كما يؤثّر في كل من عرف الفقيد ، وان عن بعد ، أثرًا من الطمأنينة هادئاً ، أثرَ مشهد عامل يتراجع بسكون امام عمله التام ، وقد ارتاح ضميره الى انه قام بواجبه حتى النهاية . ان الدين والعلم ، اللذين خدمهما الاب شيخو مدة حياته ، كما خدمتهما كلية القديس يوسف ، هما مسروران دون شك من الاول ومن الثانية : هما مسروران من الرجل الذي ، قبل موته بقليل ، القى ، في آخر مقالة خطّها ، لمحةً اجمالية على المعتقد الكاثوليكي ، ثم انطفأ بكل طمأنينة وسلام مسلماً سراج الحياة الى من هم اعزّ شباباً منه . هما مسروران ايضاً من المؤسسة التي كانت ولا تزال مصدرًا للايمان والعلم ، والتي تناولت من اليدين اللتين جنّدهما الموت ذاك السراج ، ينبوع النور والحرارة ، وناولته لغيرهما من عمّالها راغبةً في ان تعزّيهم وتعينهم على تحمّل ايام الحداد ، وتهيّئهم لانتظار ما يفضل ذلك من الايام . » (فرنشيسكو غبريالي)

* * *

شاء الله سبحانه ان يستأثر بالمرحوم الاب شيخو ، فيجازي خادمه الصالح الامين . فلتكن مشيئته ! ولتكن مشيئته ايضاً بان ينعم على من خلف الفقيد في « مشرقه » بان يسيروا على خطواته في خدمة الحقّ سبحانه ، وخدمة الوطن العزيز !

نور الفؤاد

جاءني الموت فألفيتني ... ملقى على نعش وشير الوساد
نبي من حولي شموع التقى ... مفقودة لعناتها بالحداد
وقد حاني الرأس أودت به ... أنفاسه الحرى وطول السهاد
غرفة منفسحة رهبة ... يغالب النور عليها السواد
دمع يجري هادئاً قانياً ... كأنما في العين مشوك القتاد
جثساني وقد أغمضت ... أجفانه وامتد فيه الفساد
ت الى الغبراء ذراته ... وأسرعت في عودها للحطام
ت النفس الى أصلها ... فأفلت من علقات الصفاد
أهل فوق النعش آلامهم ... حائمة كالعطف فوق المهاد
ون في روعتهم ساريا ... أدركه فجر الهدى والرشاد
تت الآفاق عن سرها ... وانصدعت سبع الطباق الشداد
كون نور فائض رحمة ... ينثرها في الكون باري العباد
تدي بالحب أرواحنا ... فكل روح نفحة من وداد
رض في هواتها لمحة ... خاطرة أو ذرة من رماد
طخب القوم على سطحها ... ما بين أجساد الهوى والوهاد
نوا بنير الأرض أطماعهم ... واستقدحوا في كل نحف زناد
بت بالترب أرواحهم ... فمالها فوق السحاب امتداد
تذقت في ساطعات الضحى ... أرجتني من بعد ليل الجهاد
في مثواي مستسلما ... للحب تحت العرش حتى المعاد
قظوني إن أكن حالما ... فقد أضاء الموت نور الفؤاد

يوسف غصوب

الدين والروح العصري

بقلم الاب مرمرجي الدومنيكي
من اساتذة المعهد الكتابي والاثري الفرنسي
في القدس الشريف

من شتى الوجوه ، حياة الجماعة كحياة الفرد ؛ لما هو معهود من ان الجماعة ليست سوى مجموع افراد . فغالبُ ما اختصّ بـهِ عضو من اعضاء الجماعة ، اختصّ بهِ المجموع كلّه ، وكما ان الفرد يتأثّر بما يحيط بهِ من الاحوال ، فالجماعة ايضاً تفعل فيها المؤثرات التي تكتنفها ؛ مما ينشأ عنه في الافراد والجماعة ، مزيّة خاصّة يمتاز بها الفرد عن اقرانه ، وتتفرّد بها الجماعة عن غيرها من الجماعات . ومن جملة هذه التأثيرات في الآحاد ، والجماعات ، تأثيرات الزمان الصادرة عن تطوّرات العصور المتعاقبة ، التي تسم اهلها بسمة فريدة . وبقوة هذه المفاعيل ، يتولّد في الافراد ، ومن ثمّ في المجتمعات ، عقليّة فارقة ، ترجع الى ذاك العصر ، دون غيره . وهذه العقلية هي ما ندعوه « روح العصر » او الروح العصري .

فاذا كان ذلك كذلك ، فما هو روح عصرنا ؟

قلنا ان الروح العصري صادر عن التطوّرات الحاصلة على كرور الايام . فبدون الاستفاضة في المقدمات ، نقول قولاً سنده الاختبار ، وهو ان روح عصرنا وليد تقدّم الانسان في عالم المحسوسات ؛ ذاك التقدم الآتي من توسّع نطاق معارفه في العلوم الوضعيّة ، وقبضه على ناصية الامور في الصناعة المادّية . مما كانت مثبّته ابهار العيون ، واذهال العقول ، والأخذ بمجامع الالباب . فما كان من البشر الّا ان مالوا الى السعي وراء الرغد في العيش ، والإخلاد الى الرفاه في الحياة . هذا ما بلغ اليه القوم في الأصقاع الغربية ؛ فكان منهُ في

مجتمعهم مـا كان . امّا نحن اهل الديار الشرقيّة ، فقد زاد اتصالنـا بالامم الاجنبيّة الراقية هذا الرقيّ المادي ، انتعشت منّا النفوس ، بعد خمودها ؛ وتولّدت في القلوب رغبةُ السير في هذا السبيل ، أسوةً بتلك الاقوام . فاخذ يتشرّب افرادنا وجماعاتنا هذا الروح العصري ، الروح المادي.

على ان الحكيم لا يسلم بصحة أمر ، الّا بعد ان يسبر غوره بمسبر المبادئ الخالدة. واذ كان مسبرنا مسبر كل عاقل فطين ، اي مسبر الدين ، تحتّم علينا ان نضع هذا الروح العصري تحت محكّ الدين العزيز ، لنرى ايّ حكم يُبرز فيـه . واذ كان الدين دينين : ديناً فطرياً يُضيء علينـا نوره باشعة العقل البشري ؛ وديناً فائق الطبيعة ، أنزله الله على يد ملائكته وانبيائه ، واكمله بابنه الوحيد ، ونشره بواسطة كنيسته المقدسة ، كان من الملائم ان نجعل محور هذا البحث يدور اولا : على الروح العصري في حكم الـدين الفطري ، او العقل المستقيم. ثانياً : على الروح العصري في حكم الدين المنزل ، وهو الدين المسيحي القويم .

١

الروح العصري

في حكم الدين الفطري ، اي العقل المستقيم

ممّا لا مشاحّة فيه هو أن عصرنا عصر رقي ؛ لانه قد سار ولا يزال سائراً ، على ناموس البشرية ، بل على ناموس الكون العام ، وهو ناموس الارتقاء من كمال الى كمال . الّا ان كمال عصرنا عابرٌ في سبيل كل محسوس ، وجائلٌ في عالم الماديّات ؛ ممّا نشأ عنهُ عمرانٌ مادي ، ومن ثمّ روحٌ عصري مادي . فما قدر هذا التقدّم ، وهذا الروح العصري في نظر الدين الطبيعي او العقل السليم؟

الجواب هو ان المزيّة الخاصّة بالنهى مزيّةُ الحكمة التي من شأنهـا ابراز الاحكام السديدة ؛ وما الحكم السديد الّا ذاك الذي يتوسّط الطريق دون الزيغ ، لا الى جانب الافراط ، ولا الى جانب التفريط . وعليه ، فاستناداً الى مبادئ العقل الصوابيّة ، يمكننا ان نقدر الروح العصري ، روح الرقيّ المادي ،

بهذا الحكم وهو : مما لا يجوز نكرانه هو ان للفلاح المادي قيمةً حقيقية ، ذات مقام ممتاز في جملة الظواهر العمرانية . الّا ان هذه القيمة ليست مطلقة بل نسبية . ولذا فطالما سارت المادة وكمالاتها طبقاً لما وضع لها ربّ الكون من النواميس ، بقيت معتبرة ، ذات قدر سامٍ ؛ لانها ، بجريها هذا المجرى ، تتجه نحو الغاية المقصودة من وجودها ، وهي خدمة الألفة البشرية . وهذه القضيّة تزداد جلاء بنور حقيقة مقرّرة ، وهي حقيقة طبيعة الانسان ، المركّب من مادّة وروح .

فكما ان المرء مفتقر ، في مزاولة اعماله الروحية ، الى قوة ورفاه في بدنه ، بموجب المبدأ الفلسفي القائل : « العقل السليم ، في الجسم السليم » لزم ، بفعل هذا المبدأ عينه ، ان يتمّ هذا التقدم ، في المجتمع البشري ، ببعض الكمالات في الماديات ، وذلك مساعدةً لافراد البشر في اكتسابهم الخواصّ النفسية . وعلى هذا النمط تتدرّج الشعوب في ذا السبيل ، اي بتوسّع الماديات وبلوغها الى حدّ تستطيع معه القوى البشرية والهمم الاجتماعية ان تصل الى غايتها المتوخّاة . مما ينجم عنه تقدّم النظام الادبي ، وتفوّقه على النظام المادي ، مقدارَ تفوّق الروح على المادة . وعلى هذا متوقف الرقيّ الحقيقي ، والحضارة المثلى ، والروح العصري المرغوب فيه .

فاذا تقرر هذا قلنا : ان نحن اجلنا رائد التبصّر والتدقيق في عالم المحسوسات ، فلا مندوحة لنا من الاقرار بان مسيرَ الماديات ، وتبسّطها في النجاح ، ان هو الّا مفعول من مفاعيل تسلّط الانسان ، يوماً بعد يوم ، على الطبيعة الهيولية . وهو ، والحق يقال ، تقدّم مقبول ، وعمران مفيد ، جاء ملائماً غاية الملاءمة حالة البشرية ؛ فهو اذاً من مطلبات الحياة . الّا ان الخطر كلّ الخطر في الذهاب الى ان كمال البشريّة قائم في هذا الرقيّ وحده . وذلك لان البون شاسع بين الرقيّين المادي والبشري ، الواجب ان يترقى اليه الانسان ، وان ينشأ عنه روح الافراد والجماعات ، او الروح العصري ، في كل آن ومكان . والسبب في هذا ان الترقي المادي هو خارجَ الانسان ، اي في الاشياء المحسوسة الملموسة التي تظهر فيها مظاهر قريحته الوقّادة . واما التقدّمُ البشري ، اي الرقي

في العقليـات ، والادبيات ، والاجتماعيات ، فمجاله الانسان ذاتـه ، بكامل طبيعته ؛ والغاية منهُ اعلاء شأن البشرية عينها ، بصفتها البشرية . اجل اننا لأبعدُ القوم عن القول بوجود مناقضة بين العمران المادي ، والعمران الادبي . بل زدْ على ذلك اننا من الموقنين بان ارتفاعَ درجة الكمال في الماديات لدليلٌ ساطع على تكمُّل قوى الانسان وامتدادِ سلطانه في عالم البرايا ، على تضارب انواعها . الّا ان هذا لا يقيم الحجّة الراهنة على ضرورة اتحادهما ، وسيرهما كتفاً لكتف . اذ الخبرة تطلعنا على امكان وجود المرء في حال الانحطاط ادبياً ، وهو ساعٍ ، لا بل ناجحٌ في ترقية احوال الماديات . وقد يُشاهد بعض الاحيان ، وفي وقت معاً — كما هو الامر واقع في مجتمعنا اليوم — الانسان متسلطاً على المادة ، من جهة ؛ والمادة مسيطرةً على الانسان ، من جهة اخرى. وسيد ان كمال المحسوسات ، مهما علا وسما ، فهو ادنى من ان يتوقف عليهِ فضلُ الانسان وقدرُه . ولإدراك هذه النظريّات ، حقّ إدراكها ، من اللازم ان ترسخ في عقولنا هذه الحقيقة السامية : وهي ان البشر لم يخلقوا للمادّة ، انما المادة أوجدت لأجلهم ، لا كغاية يقصدون اليها ، بل كوسيلة يستخدمونها في سبيل تقدمهم البشري ، الصادر عنهُ العمران والروح العصري الأمثل . اما اذا عمدنا الى استطلاع كنه الرقي الانساني ، فقد توجب علينا التقصي في كيان الحياة البشرية . ولمعرفة هذه الحياة ، ينبغي استبطان ماهيّة الانسان.

فما ادراك ما الانسان ؟

الانسان ، بموجب ما حدّده الفلاسفة القدماء ، هو حيوان ناطق . اجل ! الانسان حيوان ؛ بيد ان الحيوانيّة مزيّة مشتركة بينه وبين ذوات الاربع . امّا الصفة الخاصة التي تفرقه عن الخلائق الدنيا ، وتدلّ على حدّه ومقامه ، وسلطانه على الطبيعة ، فهي خاصة النطق . الانسان عُرَيلم يحوي في بدنه جميع كمالات الطبقات السفلى من المبروءات ؛ وبعقله يتوقل ذرى الاعالي ، فيحلّ مقام الكائنات العاقلة ، او الارواح المجرّدة ، التي هي ارقى منه درجة ، في سلّم الوجود . الانسان كائن حيّ مركب من مادّة وروح . فهو الاخير في فريق العاقلات ، وهو الاول في صنف المجسّمات ، ممّا انزله منزلة الصلة بين

العالَمَين : المادي والروحي . الانسان متصف بخاصة الحرّية التي تجعل في وسعه ان يقبض ، بتوقد ذهنه ، على ناصية الحق قبضاً ؛ وان يعشق بلبّه الجمال عشقاً ، وان يهيم بارادته نحو الخير الاعظم هياماً. ألا انها ، لاعتسافها قد تهوي به من حالق. الى الاسافل ؛ فيتيه في بيداء الباطل ؛ ويُطلق لنفسه الامّارة عنان الهوى العاطل . حدّث ولا حرج عن الجسم وما اجتمع فيه من البدائع والغرائب خلقة وقواماً . غير ان هذا كله لم يكن ليرفعه الى درجة اسمى جزء في الانسان ؛ اذ الانسان بجسمه هابط الى الارضيّات ، ميّال الى الماديّات ؛ وقد قوّى شدة ذاك الميل تأثيرات الضعف المتوارَث ؛ ممّا زاد في طينة انحطاطه بلّة.

فاذا كانت حياة الانسان وكمالاته ليست بقائمة في الجسد وحواسّه ، ظهر ان التقدّم الصادر عن الماديّات ، التي يطبّل ويزمّر بعلوّ قيمتها ارباب المبادئ المعوجّة ، واهل الروح العصري المنحرف . ليس ذا شرف وقدر مطلق في هذه الحياة البشرية ، اذ ليس فيه كمال الانسان بتمامه . ونجم ايضاً ان الرقي هذا ليس له من الرقي الحقيقي سوى الدرجة الدنيا . وشأن هذا الأمر في المجتمع كشأنه في الأفراد ؛ اي ان فلاح الجماعة وتبسّطها في الماديات لا ينزل الّا المنزلة السفلى من منازل عمرانها على وجه الاطلاق.

هذا ما يُثبته العقل السليم ، الخالي من الاوهام ، والخالص من عمل الأغراض والاهواء المنحرفة . هذا ما يتطلّبه الحق ، والعدل ، والنظام . اذ عليه قائمة القضية الاساسية ، التي لا يسوغ لامرئ نكرانها دون جحد حقيقة الحياة الانسانية ، والشرف البشري ، الحاتم على الفلاح المادي ان ينزل الى مقامه الطبيعي الذي انشأه له الخالق ، اي المقام الاخير بين مقامات العمران المقبول. فالدين الطبيعي اذن يعلّمنا ان كمال الافراد والجماعات في هذا العصر ، وفي كل عصر ، خليق ان يستند الى الكمالات النفسية والعقلية والادبية ؛ وان يستخدم المرء الكمال المادي آلة لا غاية . ومن ينبوع هذه الكمالات يتحتّم على اهل العصر ان يستمدوا الروح اللائق بان يسمى الروح العصري.

* * *

٢

الروح العصري

في حكم الدين المنزّل ، اي المسيحي

لقد كان للدين اعداء في كل زمان ومكان . وذلك لان الدين نور ، واهل الضلال ، كالبوم ، يحبّون الظلام ، لكلل في بصائرهم ، يقعدهم عن النظر الى النور والتمتع به . ولذا يبغض الضالون الدين . ولبغضهم له ، لا يألون جهداً في استخدام كل ضرب من السهام ليرشقوه بها ، حتى لا يبقى في قوسهم مقرع . ومن جملة سهام اعداء الدين ، في هذا العصر المادي ، هو افتراؤهم بان الدين والروح العصري على طرفي نقيض لان الدين ، على زعمهم ، قائم في اعلاء شأن الروحيات ، والحطّ من قدر الماديات ، التي سعى العصر فنجح بترقيتها . وان الدين يعظم النفوس ، ويذلّ الاجساد ، التي اتضح للعقل العصري ان الحياة واكرة فيها . ومن ثمّ فلا يرى الدين في الروح العصري سوى هلاك البشر ، وخراب العالم .

هذا البهتان هو سلاح خصوم الدين . امّا نحن ، فباسم الدين العزيز ، نردّ هذا الكيد الى نحر اصحابه ، معلنين على رؤوس الأشهاد هذه الحقيقة الساطعة وهي : انّ الدين لقصيٌّ عن كُره التقدم والروح العصري قصاء الشرق عن الغرب . فهذا التاريخ ، فليستنبشوه ، يروا فيه خير شاهد على ان الدين كان ، ولا يزال ، اول واكبر نصير للعمران على اختلاف انواعه ودرجاته . فهو اذن من المحبّذين للترقي حتى ماديّه . والبرهان العقلي على صحة ذلك ، فضلاً عن النقلي ، هو ان الدين ، اذ كان حقاً وصلاحاً ، فهو عاجز كل العجز عن ان يرذل ما هو صالح بذاته ، وحقٌّ في مبادئه ، ومفيدٌ في نتائجه . والحال ان التقدّم المادي ، كما سبق التبيان ، ليس فيه من الشرّ شيء ، بمطلق القول . اذن ما ارفعَ الدين عن ان يناقض ذاته بذاته ، وما اجلّه عن كره التقدم ورذله .

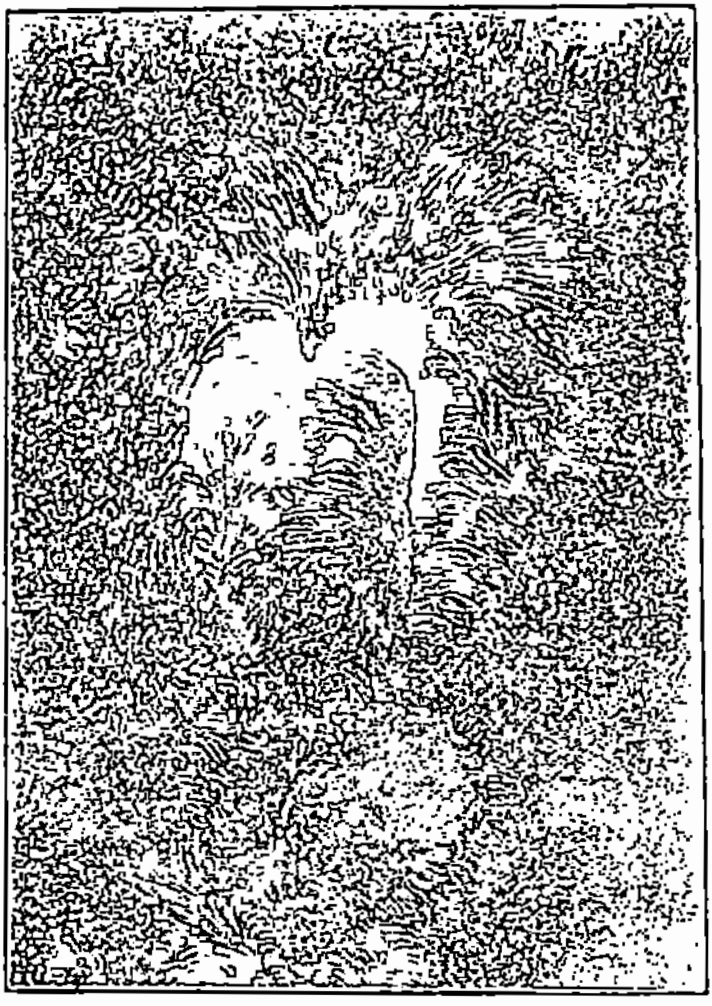

صورة كُلفة شمسية
تظهر فيها النواة السوداء وأشعة الكرة المنيرة متجهة اليها

من المقررات التي نوّهنا بها في مطلع المقال ، ان الرقي المادي قد نضج بفضل العلوم والفنون الوضعية ، التي نجم عنها توسّع الصناعة المادية . والخلاصة من هذا كلّه هي انتصار العقل على المادة ، وتسلّط الانسان على الطبيعة ، واستخدامه اياها لمنافعه ، طبقاً للسلطان الذي خوّله اياه الباري في صدر البشرية ، اذ قال لأبوينا : « انموا ، واكثروا ، واملأوا الارض وأخضعوها ، تسلّطوا على طير السماء ، وسمك البحر ، وجميع الحيوان الدابّ على الارض.» فاذاً الانسان مَلك الطبيعة ، وهي خادمة قد وضعت لفائدته . والحال ان اوّل مطلبات الدين حضّ البشر ، لا بل إجبارهم على استغلال هذا الإنعام الالهي . فالشغل قد نشأ وظهرت منافعه ، مع نشوء الانسانية . الا انه تغيرت صفته دون تغيّر جوهره . فقد صدر الانسان من يد خالقه كامل الخواصّ ، فكان له الشغل ، اوان ذاك ، بمنزلة حقّ وسلطان ، يتصرّف به في المخلوقات . الّا انهُ لم يعتم ان عصا ربه ، فسقط عن عرش مجده ، وبسقوطه ، فقد تلك المزايا ، مزايا الصحة والبرارة . فاصبح العمل ، منذئذٍ ، شريعةً محتومة في حياته . في حالة البرارة ، كانت الطبيعة كالعبدة الذليلة بين يدي سيدها الانسان . امّا في الحالة الساقطة ، فقد قامت رافعةً عليه لواء العصيان . في حالة البرارة ، كان المرء متمتّعاً بسلطانه ، براحة وطمأنينة ؛ وامّا في الحالة الساقطة ، فقد اضطرّ الى ان يدافع عنهُ بسلاح الشغل ، وتجشّم الاتعاب ، وتجرّع غصص الآلام . في حالة البرارة ، كانت الارض تنبت لهُ مختلف الاثمار اليانعة ، بوفرة وغزارة ؛ وامّا في الحالة الساقطة ، فلم تعد تخرج لهُ سوى القرطب ، والشوك ، والحسك . كل ذلك لان الارض لُعنت بسبب معصية آدم ؛ فلم يعد لهُ مندوحة لاستثمارها الا بشديد العناء ؛ كما جاء في الكتاب العزيز : « ملعونة الارض بسببك ؛ بمشقّة تأكل منها طول ايام حياتك ؛ وشوكاً وحسكاً تنبت لك ؛ وبعرق جبينك تأكل خبزك ، حتى تعود الى الارض التي أُخذت منها.»

هذا مصدر العمل البشري الناجم عنهُ التقدم المادي والروح العصري . على اننا من ايّ وجه لاحظناه ، فلا نرى الدين مناهضاً لهُ ؛ بل بخلاف ذلك ، نجد الدين مكرماً لهُ ، لكونه سلطاناً وحقاً ؛ وآمراً به لكونه واجباً محتوماً .

حتى ان اشدّ الرذائل مقتاً في عين الدين رذيلةُ البطالة . فانه يرى فيها أمّ الرذائل ، ومنبع الشرور ، ومهواة للانسان في دركات الانحطاط ، وسبب الخراب في المجتمع . ولذا فالدين يلزم ابن آدم بالشغل طول حياته ، دافعاً اياه الى ان يتهر ، بقوة عقله وحريته ، مقاومة الطبيعة ، فيسترجع بذلك السلطان الذي خوّله اياه رب الكائنات . ومن هنا يظهر جلياً حق الانسان وواجبه . فاذا كان هذا شأن الدين ، كيف يعقل انه يشجب الشغل ، ويرذل السعي والاجتهاد ، هو العارف والمثبت بان العمل منتجة للخصب ، ومجلبة للرغد في المجتمع ، وعنوان حقّ الانسان وقوته على استخراج الخيرات المكنونة في قلب الطبيعة . اجل ! ليس من غاية الدين الخاصة تمكين الانسان من بسط سيادته على الكون بسطاً تاماً وشاملاً . الّا انه عرض ان يشجب هذا الاستيلاء، نراه يحبّذ فوز البشر ، وانتصارهم على المادة ، بل يستفزّ هممهم للتولّي على الارض تولية كبرى .

ولذا فيحقّ لدُعاة الدين ان يخاطبوا ، باسمه ، ابناء جلدتهم ، قائلين : الا يا معشر الانام . ها نحن اولاء نجاهر بانكم ارباب الارض وما فيها من المخلوقات ، لان الباري قد اوجدها لاجلكم . فسيروا في طريقكم سيرَ الفاتحين المدوّخين . أخضعوا الطبيعة مهما استطعتم الى ذلك سبيلاً . اشفعوا النصر بالنصر ، والقهر بالقهر . اشحذوا القرائح ، استنهضوا الهمم ، شمّروا عن السواعد واسعوا متكاتفين ، متضامنين . ابحثوا متقصّين في دواخل الكائنات اهتكوا اسرارها ؛ استطلعوا نواميسها ؛ اكتشفوا واخترعوا ، اقبضوا على زمام الماء ، والبخار ، والهواء ، والكهرباء . شقوا عباب البحار ببواخركم . غوصوا في اعماق اللجج بغوّاصاتكم . اقطعوا المسافات الشاسعة بقطركم . انهبوا الارض نهباً بسياراتكم . حلقوا في الجوّ مزاحمين الطيور بطيّاراتكم . انيروا البيوت ، والقصور ، والمدن ، بنور كهربائكم . تفاوضوا وتراسلوا ببرقياتكم ، ولاسلكياتكم . قصارى الكلام ، أوتوا كلّ عجيب ؛ أظهروا كلّ غريب ؛ مما لم يحلم به اسلافكم ، ويعود بالطائلة الكبرى ، على اخلافكم . فلن تجدوا في الدين لا مستهجناً ، ولا مثبطاً ، ولا معادياً ؛ بل بالعكس ، تروه

محذّراً ، ومشجعاً ، وناصراً . هذا هو اعلان الدين الذي يفتري عليه المفترون بانه مناهض للتقدّم ، والرقي ، ومن ثمّ الروح العصري.

على ان الدين يرى ما لا يراه البشر ، لوقوفه على مظنّة الشرّ ، حيث يتوهم القوم وجود الخير . ولذا فبينما نسمع صوت الدين محرّضاً الناس على اتباع طريق الحقّ ، نسمعه في الوقت عينه ، يحذّرهم مما يقوم في سيرهم من العقبات ، وما لعلّهم يتدهورون فيه من الدركات . فهو القائل لهم : شجاع ! شجاع ! يضيف الى ذلك: حذار ! حذار ! هو الذي نراه من الجهة الواحدة ، مستحسناً ، مادحاً ، راضياً ؛ نجده ، من الجهة الاخرى ، مقبحاً ، قادحاً ، رافضاً . وان خيّل الى احد ان هناك مناقضة ، فليعلم انها ليست الا ظاهرية . لان الدين ، في القضيّة عينها ، يُقرّ شيئاً ، ويعارض في شيء آخر . يمدح الامر بذاته ، ويذمّ الافراط في استعماله ، او اتيانه من غير بابه . الدين يبيح لنا ان نكون من ابناء العصر ، وان نقتبس الروح العصري ، وان نسير نحو الترقي والتمدن العصري . لكنه يحذرنا من التقهقر والانحطاط في حالتنا البشرية ، اي حالة الآداب ، في العيشة الفردية ، والعيشة الاجتماعية . يوافق الدين على استيلاء الانسان على الطبيعة ، غير انه ، في الحين ذاته ، يشجب استيلاء الطبيعة على الانسان . يقبل الدين التقدم ، وان كان مادياً ، ويقدر مقامه وخطورته ، على انه لا يسعه الّا ان ينكر عليه الحقّ في قلب النظام الذي وضعه الخالق في طبيعة المخلوقات . صفوة القول ، ان الدين يرضى للمجتمع بالرقي المادي وسيلةً ، الّا انه يرفض ، رفضاً باتاً ، ان يكون للآلفة غايةً .

ولذا فيناشد خدمة الدين اخوانهم محذرين قائلين : الا يا قوم ، فاعلموا ان لكم السيادة ، وعلى المادّة الخدمة ، لانها أمة . فان رتبتم الأمة في دست السيّدة ، فايقنوا انكم لحقّ العقل لباخسون ، ومن قدر النفس لحاطون ، وتاج الشرف الانساني لمهينون ؛ فتضحون سوقة وعبيداً ، بعد ان كنتم اشرافاً وسادة . على كلٍّ ، ان كان هذا التقدم تقدّمكم ، وهذا الروح روح عصركم ، فاعرفوا ان الدين الذي كان بالامس ، وهو اليوم وغداً ، يرذلكم ويرذل عمرانكم ؛ يخذلكم ويخذل روح عصركم ، لكونه مخالفاً

لاحكام العقل السليم ، ومضرًا بالمصالح الانسانية . اذ حاشا للدين ان يرضى بتقويض اركان النظام في الألفة الاجتماعية ، اي بتقديم الماديات ، على الروحيات ، وتفضيل الاجسام على الارواح ؛ وجعل الرذيلة في مقام الفضيلة ، وتغليط الشرّ على الخير . فأدركوا يا ناس انكم ملوك وعبيد معاً : ملوكٌ على الماديات ، وعبيدٌ في خدمة رب العباد . فحافظوا على سلطانكم ، وقوموا باعباء عبوديتكم ؛ اجروا حقوقكم على الطبيعة ، وادّوا ما لله من الحقوق عليكم وعلى الطبيعة . واذكروا قول مؤسس الدين الالهي ، الملخصة فيه كل هذه المبادئ ، وهو : « اطلبوا اولًا ملكوت الله ، وهذا كله يُزاد لكم . »

هذا هو حكم الدين ! هذه هي الفلسفة المسيحية ، في شأن مقام الماديات في الحضارة . وهذا نظرها في كيفية تكوّن الروح العصري المقبول . وعليه يمكننا ان نلخص هذا المقال ، فنقول : ان الانسان مخلوق مركّب من مادّة وروح ، اي من جسد ونفس ؛ وهو كائن حي . ومن شأن الحيّ ان ينمو ويرقى ؛ فالانسان اذن نامٍ وراقٍ ، ومن ثمّ فمتقدّم ، ومتمدّن . الّا ان العقل والدين يقضيان بان تجري الصنائع مجرى الطبائع . ومن طبيعة المرء ان يمتاز بالجزء الاشرف فيه ، وهو النفس المدركة ، المريدة ، الحرّة . واما الجسم وما يتعلّق به ، فليس له سوى المقام الادنى . ولهذا فيليق بابناء البشر في هذا العصر ، وفي كل عصر ، ان يسيروا في سبيل تقدّمهم على هذا النمط ، اي بالترقّي البشري ، وهو الترقي العقلي والادبي ، المتخذ وسيلةً للحصول عليه ، الرقيّ المادّي . ومن هذا الينبوع الصافي ، ينبغي لاهل هذا العصر ان يستمدّوا روحهم العصري . فان كان هذا الروح سائدًا في حياتهم الفردية ، والاجتماعية ، كان الدين نصيرهم ، والنجاح والفلاح حليفهم ، في كلا الدارين ، والسلام .

الموسيقى الشرقية

بقلم

الاستاذ وديع صبرا

مدير مدرسة الموسيقى الوطنية

١

الاستاذ وديع صبرا من مفاخر الموسيقى الشرقية عامةً والموسيقى اللبنانية خاصةً. انتدبته حكومة الجمهورية لادارة المعهد الموسيقي الوطني فقام بذلك بطريقة دلّت على ان بين يديه ذلك المتفنن رجلاً عالماً باصول الفنّ، غيوراً على مستقبله في البلاد. وقد القى في الشهر الماضي امام وزير المعارف العامة والفنون الجميلة وجمهور من ارباب الفنون الوطنية محاضرة نفيسة باللغة الافرنسية عن الموسيقى الشرقية. عرض في اثنائها آلته المشهورة «بيانو صبرا» وهي ذات وتر واحد، ودساتين عديدة، تعطي جميع النغمات الشرقية، فتكون الآلة الغربية الوحيدة التي تتكلم بلغتنا. هذا وقد شاء ان يخصّ «المشرق» بتلك المحاضرة، فشكرناه باذلين الجهد في ترجمة كلامه، منتقين في كتب قدماء الموسيقيين ما يمكن استعماله في تعريب الكلمات الوضعية.

ف. ا. ب.

كنت في باريس سنة ١٨٩٥، وكان الاستاذ الموسيقي الشهير، السيد لافينياك (M. A Lavignac) يجمع المواد لتأليف دائرة المعارف الكبرى للمعهد الموسيقي، فرغب اليَّ في وضع لحن مختصر تظهر فيه جميع مميّزات الموسيقى الشرقية. ومن ذاك الحين، تولّد فيَّ ميل قوي الى درس موسيقانا، والتضلّع من جميع قواعدها وقوانينها.

وفي سنة ١٩١٣، توفي الاستاذ الكبير بعد ان عهد في مستقبلنا الموسيقي الى صديقه السيد غوستاف ليون (M. G. Lyon) والسيد ليون في عصرنا اشهر عالم في فنّ السماعيّات دون منازع. وقد قدرت الحكومة الفرنسوية مواهبه، فانعمت عليه مؤخراً بوسام جوقة الشرف من رتبة كومندور،

فكافأت العلم والفنّ ، عن جدارة واستحقاق.

تلقّى السيد ليون وصيّة الاستاذ لافيناك ، بكل احترام ، وقام بموجبها بكل اخلاص وامانة ؛ فلم يألُ جهداً في خدمة موسيقانا. وقد كان له الفضل في منح مدرستنا الموسيقية الوطنية تلك الجائزة السنوية النفيسة الا وهي بيانو من صنع معامل « پلايل » (Pleyel) الشهيرة ، التي يديرها السيد ليون نفسه. وكان لهُ الفضل ايضاً في اتمام آلتنا الثابتة الأبراج التي تمكننا من توقيع الانغام الشرقية المختلفة.

لم يكد السيد ليون ينتهي من اعداد رسم رَدْهة « پلايل » الفخمة وهي من روائع الفنّ العصري ، حتى شاء ، على الرغم من اشغاله المتعددة ، ان يخصص الساعات الطوال من نهاره للبحث معي في اصل السُلّم او الديوان الموسيقي (gamme) . كل هذا يُظهر مبلغ اهتمام العالم الشهير بنشر الفنّ الموسيقي في بلادنا . ولنا برهانٌ آخر بكتاب ارسله ، من بضعة ايام ، الى احدى الصحف الفرنساوية في بيروت يقول فيه : « لا يفرح احد من الناس فرحي اذا اطلعت على بعض الايضاحات عن تلك المسألة التي لا تزال عويصةً مبهمة ، الا وهي مسألة الديوان الشرقي . واني ليستفزّني الطرب اذا ما عرفت انه بالامكان ايضاح تلك المسألة التي كثيراً ما دفعت العلماء الى احراق الحبر على الورق دون ان يعرضوها او يخلّوها كما يجب.»

وان هذه المسألة الفنية تهمّ ليس اللبنانيين فحسب ، بل كلّ انسان نال حظاً من الثقافة العقلية العامّة. وهذا ما امكننا تحقيقه في باريس :

لما كانت الاثنا عشر نصفاً من الابراج (demi-ton) الموجودة في مجموع الدساتين (clavier) العصري لا تكفي لتوقيع جميع النغمات الشرقية على اختلافها ، بدأنا بقسم ديواننا الى ٣٦ جزءاً . وللحصول على هذه النتيجة جمعنا ، في ردهة پلايل ، بين ثلاث آلات من نوع البيانو ربطت بعضها الى بعض ووُحدت دساتينها في مجموع واحد كان يُنقر عليه بواسطة الكهرباء . ولكن هذا التقسيم لم يكن كافياً لاختباراتنا جميعها . فأُجبرنا اذ ذاك على قسم الديوان الى ١٤٤ جزءاً متساوية . وعلى الرغم من ذلك لم تكفِ كل

هذه القسم للقيام بمرغوبنا . على اني عدت بعد ذلك الى بيروت حاملاً تلك الوثائق واخذت بعمل اول آلة متوحدة الوتر (Monocorde) ، وقد سمعها بعضهم في مدينتنا هذه.

ولم تمض سنتان حتى رجعت الى باريس ، فقرّر السيد ليون صنع مثال اولي لتلك الآلة المتوحدة الوتر في معامل «بلايل» في سان دنيس. وكان ذاك المثال يُنقر عليه بواسطة الكهرباء . ولكن لمّا كان النقر بواسطة المجرى الكهربائي صعباً بسبب تأثره بالانفعالات الجويّة ، رأيت ان استبدل به الطريقة الحِيَليّة.

* * *

وقبل ان نبدأ هذا البحث ، ينبغي لنا ان نعرض بعض ايضاحات فنقول:

لنأخذ وترًا طوله متر واحد . فاذا حبسنا الوتر من جزءه التاسع ، وذلك بان نضع الاصبع على ذاك الجزء ، ثم نقرناه حصل لنا نغمةٌ من البرج الأكبر (ton majeur) . واذا حبسنا الوتر من جزءه العاشر ونقرناه ، حصل لنا نغمة من البرج الأصغر (ton mineur)

امّا في الموسيقى العصرية فلا يستعمل هذان البرجان الأكبر والأصغر ، بل يُستعمل برج آخر يسمّونه المعتدل (ton tempéré) . ومن المفيد ان نوضح اننا لا نقصد بالأكبر والأصغر ما يُفهم بهذين النعتين من الانغام الموسيقية ، بل ما يدعوه علماء الطبيعة بالبرج الأكبر والاصغر.

هذا وان ما يسمّى الديوان المعتدل ديوانٌ اتفاقي لا يُستعمل غيره في الموسيقى العصرية ، وفيه تتساوى جميع الابراج وجميع انصافها. امّا الجزء التاسع من البرج ، او الفرق بين نصف البرج الأكبر ونصف البرج الأصغر ، فقد اعتاد موسيقيّو العصر ان يسمّوه «كوما» (comma) من كلمة يونانية معناها المقطع في الجملة . وليس هناك من برج اصغر من البرج الأصغر ، وهذا الامر هو موضوع بحثنا اليوم.

واذا قسمنا طول وترنا البالغ المتر الواحد على الارقام ١،٢،٣،٤،... حصل

لنا الديوان الطبيعي.

امّا الديوان الشرقي ، او سلّم الموسيقى الشرقية كما يسمّيه البعض ، فقد اهتمّ بتجزئته كثير من علماء الموسيقى فتركوا في ذلك النظريات المختلفة ، والتجربات العديدة لترتيب الانغام ممّا لا يسمح لنا الوقت بالتبسّط فيه ، ولا بالكلام عن جمهرة اولئك العلماء. فنكتفي بذكر اثنين من مشاهيرهم هما حضرة الاب كولنجيت اليسوعي ، والسيّد اسكندر شلفون.

ان حضرة الاب كولنجيت اغنى المؤلفين بالموادّ والآثار والمعلومات عن تاريخ الموسيقى في الشرق ، وعن علم الموسيقى الشرقية . وبما ان الوقت اتاح له ان يُقيم في بلاد الشرق اكثر من غيره من المستشرقين الاختصاصيين بالموسيقى ، كان من حظّه ان يتوصّل الى تلخيص اصول الموسيقى الشرقية من قديمة وحديثة، واقرارها بابحاث غاية في الدقّة والوضوح . ولهذه الابحاث العلمية ، التي طُبعت في باريس منذ ثلاثين سنة ، يعود الفضل بايضاح نظرية الموسيقى الشرقية ونشرها بين علماء البلدان المختلفة.

وما كنّا لنترك هذه الفرصة دون ان نقدّم نصيحة لمن يحبّون هذا الفنّ الشرقي ويعملون لتوسيع انتشاره ؛ فنقول لهم ان يعتنوا بتعريب ونشر مؤلفات العالم الكبير ، فيؤدوا الخدمة الجلّى للفنّ الشرقي.

امّا السيد اسكندر شلفون فهو من وطنيينا اللبنانيين المقيمين في القاهرة. وهو في الوقت الحاضر ، اشهر من يُذكر من ارباب الموسيقى الشرقية . تدلّ على ذلك مقالاته النفيسة التي ينشرها في مجلّته الشهرية ، « روضة البلابل » .

هذا وعندما تُنشر جميع الابحاث في علم الموسيقى الشرقية ، يمكننا ان نقابل بين العلوم الشرقية والغربية ، فنظهر الفروق بين الفنّين الشرقي والغربي.

* * *

لا يخفى عليكم ان الموسيقى الشرقية تلاقي اليوم صعوبات جمّة وتتلقّى هجمات عنيفة . وهما ان الشعب اليوناني تركها منصرفاً عنها الى الموسيقى الغربية . ويمكن القول نفسه عن الأتراك الذين لا يقتنعون اليوم بفنّ لا يزال

في مهده . حتى ان المصريين انفسهم يتساءلون هل يستحق هذا الفن ما يُبذل في سبيله من التشجيعات ؟ وقد نشرت احدى صحف القاهرة المهمّة مقابلةً معنوية بين النوبة الشرقية ، والنوبة المصرية ، وذلك بمناسبة افتتاح المدرسة الموسيقية المصرية في اوبرا القاهرة .

فينتج ان الفنّ الشرقي في خطر . فهل من طريقة لتلافي هذا الخطر ؟ وما هي تلك الطريقة ؟

لا يمكننا وصف الدواء قبل ان نفحص العليل جيداً ونشخّص الداء بدقة : ان صناعتنا الموسيقية ضعيفة فقيرة . وان فنّنا الموسيقي مهجور . وان علمنا الموسيقي يجهله موسيقيونا بالاجمال ؛ اللهمّ بعض العلماء القليلين الذين وجدوا من انفسهم ميلاً خاصاً لهذا العلم فلم يقدروا على درسه الّا في مؤلفات الاجانب .

فنرى ان في الموسيقى الشرقية كثيراً من النواقص ، كما نرى فيها كثيراً من الحسنات ايضاً :

وهذا ما سندرسهُ في العدد القادم .

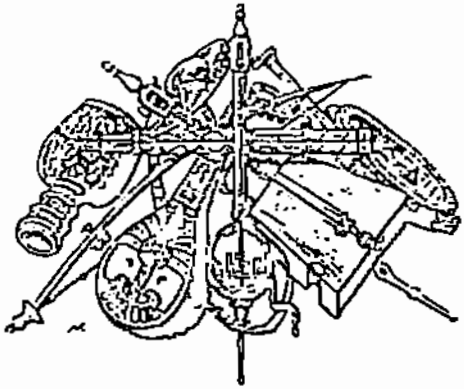

كلف الشمس وتأثيرها

بقلم الاب انطون صالحاني اليسوعي

ان العلم المسمّى « علم الفلك الطبيعي » (Astronomie physique) اي العلم الباحث عن العناصر الكيماوية التي تتكوّن منها الاجرام السماوية ، وعن الظواهر الطبيعية التي نشاهدها فيها ، هو علم حديث نشأ في القرن الاخير . بعكس علم الفلك الهندسي والميكانيكي ، المعروف من اقدم العصور ، والباحث عن اوضاع وحركات تلك الاجرام لا غير . فلا غرو اذاً ان لم يبلغ الفلكيون في علم الفلك الطبيعي ، بسبب حداثته ، ما بلغوه من النتائج الراهنة في علم الفلك الهندسي والميكانيكي . ولذلك ترى نظرياتهم متضاربة كل التضارب حتى الآن في كثير من مشاكل علم الفلك الطبيعي . مثلاً في مشكل الكلف الشمسية ، ووجه تعليلها ، مع اتفاقهم في اشكال واوضاع وقياسات هذه الكلف ، لكون هذه المعلومات تابعة للفلك الهندسي .

كُلف الشمس

كُلف الشمس ، ويُقال لها ايضاً الشُفَع ، هي لطخات سوداء تظهر في سطح الشمس المُنير . وهي وقتية تدوم مدةً ثم تغيب ، وتختلف كبراً وشكلاً ، ويُرى فيها عادةً لونان : الواحد اسود حالك : وهو نواة الكُلفة او وسطها . والثاني رمادي يحيط بالنواة . وقد يظهر في الكلفة نواتان واكثر . وتُرى في الشمس كُلف لونها كله رمادي دون نواة . وكُلف كلها نواة لا يحيط بها جرم بلون رمادي ، وهذه تكون عادةً صغيرة . امّا اشكال الكُلف

فكثيرًا ما تكون مدوَّرة ، او بيضاوية الشكل ودائرتها ذات اضلاع وزوايا. وقلّما تحفظ الكلفة هيئتها الاولى ، بل يطرأ عليها تغيّر متواصل في مدة ظهورها . وتُرى كُلف مخرَّقة الجوانب كالجُزر في البحار يتعذَّر تعيين هيئة لها . وقد يقطع الجزء الحالك خطوطٌ رماديةُ اللون (انظر الرسم ١)

الرسم ١ : كلفة قطعت نواتها خطوطٌ رمادية قسمتها الى اربع

وبعض الاوقات خطوطٌ منيرة (انظر الرسم ٢) فتقسم النواة الى اثنتين وثلاث واكثر . وقد يُرى الجزء الرمادي من الكلفة منفصلًا عن النواة بخطٍ منير . (انظر الرسم ٣)

تختلف مساحة الكلف كما تختلف اشكالها . فمنها صغيرة تظهر كنُقط لا تكاد تُرى حتى بآلات تعظيم المرئيات كثيرًا . وهذه الكلف خاصةً تكون امّا نواة فقط دون مُحيط رمادي وامّا لطخات رمادية فقط دون نواة . ومن الكُلف ما هو متّسع اتساعاً عظيماً جدًّا . قاس شريتر كُلفة ، فكانت تساوي اربع مرّات مساحة ارضنا اي نحو مليارَي كيلومتر مربّع . فاذا وقعت ارضنا في مثل هذه الكلفة كانت كحجر وقع من فُوهة بركان . ولو فرضنا شكل

هذه الكلفة مربعاً ، لكان طولها وعرضها نحو ٤٤ الف كيلومتر . وقال لالند انهُ شاهد في اواسط السنة ١٧٦٣ اكبر كلفة رآها واشد سواداً ، فكان طولها يساوي دقيقةً ، اي جزءاً من ستين من الدرجة ، وهي توازي جزءاً من ٣٢ من قُطر الشمس . فيكون طول هذه الكلفة ٤٧,٠٠٠ كيلومتر . وقال ماير

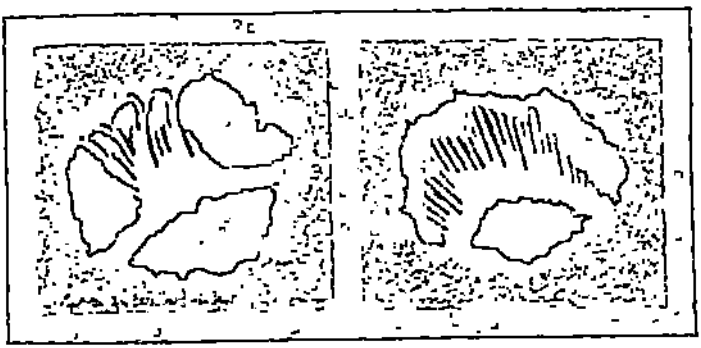

الرسم ٣ : كلفتان قطعت بواتيها خطوط مستقيمة فقسمتها

انهُ عاين في ١٥ آذار ١٧٥٨ كلفة كبيرة يوازي قُطرها جزءاً من عشرين من قُطر الشمس (اي ٩٦ ثانية) . واخذوا بتصوير النور في مرصد ميدون صورة كلفة بلغ قطر نواتها دقيقتين وهي بطول نحو ٨٤,٠٠٠ كيلومتر اي نحو ست مرات ونصف طول قطر الارض الذي يساوي نحو ١٢,٧٢٠ كيلومتراً . ويذكر اراغو كلفة طولها ١٦٧ ثانية فتكون ثلاث مرات تقريباً اطول من التي راقبها لالند اي بطول نحو ١٣١,٠٠٠ كيلومتر . وقال الاب موزو انهُ راقب في السنة ١٩٠٥ كلفة كان طولها الاعظم ١٨٠,٠٠٠ كيلومتر ، وانها اعظم كلفة شوهدت منذ رصدوا الشمس اي من السنة ١٦١٠ الى الآن . ولا عجب في ذلك اذا علمنا كبر الشمس فهي اكبر من الارض ١,٣١٠,٠٠٠ مرة . والارض وجميع السيارات التي تدور حول الشمس مع اقمارها ليست الّا جزءاً من ٧٠٠ من كبر الشمس ، اي ان الشمس هي ٧٠٠ مرة اكبر من جميع السيارات التي تدور حولها . والكلف العظيمة المساحة يمكن مراقبتها بالعين المجردة باستعمال زجاجة ملوّنة بلون قاتم .

تعليل الكلف

لم يتفق الفلكيون في تعليل كلف الشمس . فذهب الفلكي الفرنسي فاي الى انها مجاري غازات صاعدة تخرق سطح الشمس المنير . وهذا الرأي يشبه رأي اولئك القائلين بان الكلف هي انفجارات تحدث في الشمس . فلو شاهدنا

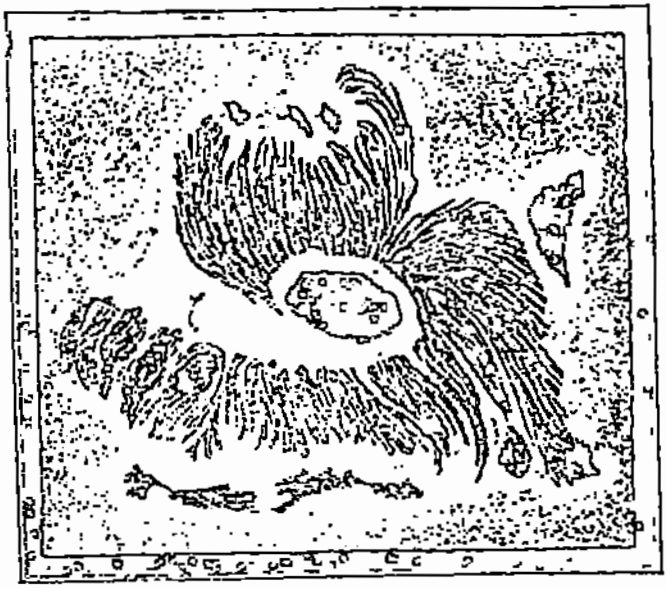

الرسم ٣ : كلفة تُرى فيها النواة منفصلة عن الجزء الرمادي

عن بعد حريقاً هائلاً نرى النيران ترتفع ويتخللها بعض الاحيان عواميد من دخان تصعد بين ضياء النيران . ويكون لون هذا الدخان شديد السواد ، اذا كان كثيفاً عند ما ينبعث من الموادّ الملتهبة . ويكون رمادي اللون اذا انتشر واتسع . وهذا ما يحدث في الشمس . فان خارجها آخذ في البرودة . امّا باطنها فمركّب من غازات لها حرارة هائلة وتبلغ الحرارة في الطبقة المُنيرة ٦٠٠٠ او ٧٠٠٠ درجة سنتيغراد . فاختلاف الحرارة بين الطبقة الباطنية والطبقة الخارجية التي هي اقلّ منها حرارةً يسبّب مجاري صاعدة بشكل زوابع من داخل الشمس الى سطحها ،

كما يحدث في اناء ماء يغلي ، وفي الجوّ اذا سخّنته الشمس . فالغازات الشديدة الحرارة والغير المنيرة تصعد من باطن الشمس ، وتشقّ سطحها المنير الاقلّ حرارةً . فتُحدث كلفاً كبيرة او صغيرة حسب كمية الغازات المتصاعدة. وتدوم هذه الكُلف ما دامت الغازات لا تلتهب ، اي ما دامت عناصرها البسيطة منحلّة اي مفصولة بعضها عن بعض بسبب فرط الحرارة . ثمّ بعد حين تخفّ تلك الحرارة بالتماسّ مع غازات سطح الشمس ، التي هي اقلّ حرارة ، فيحدُث بين العناصر المذكورة اختلاطات كيماوية يرافق النور حدوثها . وتتغير اشكالها حسب انتشار الغازات . فتكون حالكة اللون في الوسط ، حيث الغاز كثيف ، ورمادية اللون في الجوانب حيث الغاز اقلّ كثافة واقرب الى اللهيب.

الّا ان فاي ، في ما بعد ، عزا الكلف مباشرةً الى ناموس دوران طبقات الكرة الساطعة بسرعة تزيد من طبقة الى اخرى بقدر تقارب الطبقات من خطّ استواء الشمس ، حيث تبلغ سرعةُ دورانها على محورها حدّها الاقصى . فينتج عن اختلاف سرعة الدوران ، من طبقةٍ الى الطبقة المجاورة ، احتكاكٌ شديد يولّد اعاصير عمودية بالنسبة الى سطح الشمس ، شبيهة بالتي تحدث في مجاري المياه متى طرأت عليها قوةٌ ما ، كاعتراض صخر ، فأحدثت اختلافاً بين سرعات سطوح الماء المحاذية لوجهة جريانها . ان هذا التعليل يبيّن لماذا لا توجد الكلف بالقرب من قطبي الشمس ، وفي خطّها الاستوائي ، لان سرعة الحركة هناك ، إن خفيفة وإن قوية ، لا يطرأ عليها تغيير في الانتقال من طبقة ما محاذية لسطح الاستواء الى الطبقة المجاورة لها ، بعكس المنطقة الممتدة مثلاً بين الدرجة العاشرة والدرجة الاربعين من العرض ؛ فان الكلف تكثر في تلك المنطقة لكون سرعة الدوران تتغير تغيراً محسوساً في الانتقال من طبقة الى جارتها.

هذا وللاب سِكِي رأيٌ مفاده ان الانفجارات التي تحدث في جهةٍ ما من الشمس تسبّب في الجهة المجاورة لها انخفاض الغازات التي بسطح الشمس لتملأ الفراغ الداخلي الذي سبّبه الانفجار ؛ فالانخفاض في سطح الشمس يُحدث هُوَة ظاهرة ، هي الكلفة.

امّا الاب مورو فكان يرى ان سبب الكُلف هو ارتفاع الحرارة في بعض

جهات من الشمس . لان الحرارة الشديدة في باطن الشمس تحفظ العناصر في انحلال كيماوي دائم . لكن في سطح الطبقة المنيرة ، حيث تخف الحرارة ، تحدث مركبات كيماوية ينتج عنها إصدار حرارة ونور . فتكون الكرة المنيرة سبب نور الارض وحرارتها . امّا اذا ازدادت الحرارة في بقعة من الكرة المنيرة ، فقد بطلت التركيبات الكيماوية ، ونتج انحلال في العناصر فزال النور هناك ، وظهرت الكُلف ، لان الغازات الحارّة جدًا لها لون قاتم بسبب كونها قليلة اشعاع النور .

الّا ان الاب مورو عيّن سببًا آخر لكلف الشمس نثبته هنا ونزيده شرحًا :

ان الشمس هي مجموع غازات شديدة الحرارة . فالطبقة الخارجية منها الظاهرة للعيون هي وحدها منيرة ، فسمّوها « فوتوسفير » اي الكرة المنيرة . والغازات في هذه الطبقة هي اكوام نيّرة متراكمة فوق طبقةٍ اقلّ ضياء منها كما تتراكم الغيوم فوق سطح الارض . فكُوَم الغازات هذه ، التي يبلغ قطر الواحدة منها الف كيلومتر ، قد تجتمع فيتكوّن منها سحابات ساطعة الضياء سمّوها «المصابيح» . الّا ان بعض المساحات المختلفة السعة قد تخلو من هذه الكوَم الساطعة الضياء ، بسبب اضطرابات وزوابع وإعصارات تهيج على سطح الشمس . فاذا انقشعت السحابات المنيرة ظهرت الطبقة الاقلّ ضياء فيقال ان هناك كلفة . ثم انه يُرى في وسط الكلفة في اغلب الاوقات بُقعة قاتمة اللون يضرب لونها الى البنفسجي ، سمّوها نواة الكلفة . ويحيط بالنواة دائرة افتح لونًا تؤلّف من غازات مُتّقدة ، تنشعب من غيوم غازات الدائرة المنيرة ، وتتجه نحو النواة كألسنة نارية . وقد ظلّوا مدةً طويلة ان كُلف الشمس ليست الّا هوّات عظيمة وعميقة تكشف لنا عن باطن الشمس . الّا ان الارصاد المدقّقة بيّنت ان الكُلف تتكوّن تقريبًا على مساواة الطبقة المنيرة . ونحن نقرّب للعقول فهم رأي الاب مورو بالتشبيه التالي : لو ارتفع انسان في منطاد فوق الغيوم المخيّمة على سطح الارض والمضيئة لهُ باشعة الشمس ، ونظر الى الارض من خلال شقوق الغيوم لرأى بُقعة قاتمة اللون . هذا ما يحدث في الطبقة المنيرة من الشمس اذا انشقّت لسبب من الاسباب

فترى ان الفلكيين لا يتفقون في شرح اسباب كلف الشمس. وقد يختلف رأي الواحد منهم من وقت الى آخر

تأثير كلف الشمس في حالة الجوّ

نلخص عن مجلة الطبيعة الباريسية[1] في عددها ٢٧٩٧ مقالاً عن شتاء السنتين ١٩٢٩ و ١٩٣٠ كيف تكون حالته ايكون قاسياً ام معتدلاً ؟

ولا حاجة الى القول ان ما كتبهُ محرر المقالة يختصّ باوربة حيث رصدوا كلف الشمس وحالة الجوّ في سنوات عديدة. ولو أُجريت هذه الارصاد بتدقيق في بلادنا الشرقية في المدة ذاتها لعلمنا هل ما كتبه صاحب المقالة ينطبق على بلادنا ام لا :

يمكن في بعض الظروف ان نسبق ونقدّر حالة الجوّ ودرجة الحرارة عموماً في غربي اوربة ، وذلك استناداً الى ظهور الكُلَف الكبيرة في الشمس . لانه بعد غياب هذه الكلف باثني عشر او ثلاثة عشر يوماً تهبط الحرارة على الارض ، وتثور الزوابع في بحر الاتلانتيك . كذلك يمكننا ، مع بعض الامل بالنجاح ، ان نسبق ونقدّر حالة فصل من فصول السنة . على اننا لا ندّعي ان هذا التقدير هو نبأ اكيد. ولعلّه يتسنى في المستقبل ، بعد مراقبات عديدة في مدّات طويلة ، استخراج نواميس طبيعية ثابتة

ان ما يمكّننا من تقدير فصول السنة هو ايضاً ما يظهر من الكلف في الشمس. ظنوا قديماً ان حرارة الشمس ثابتة لا يطرأ عليها تغيير . لكنّ الحقيقة ان لها مُدّات ثوران يليها خمود نسبيّ . وقد دلّ على ذلك كل ما رُوقب في الشمس من الحوادث. وكل احدى عشرة سنة تقريباً نشاهد عَوْد كُلف الشمس بالترتيب نفسه في درجات اشتدادها وتضاؤلها . فبعد ان تكون صارت الى حدّها الادنى تعود فتأخذ في الظهور والازدياد مدة اربع سنوات ونصف. وبعد ذلك تقلّ تدريجاً مدّة ست سنوات ونصف. ثم تعود تكثر وتقلّ ايضاً مدة

1) La Nature, 15 Nov. 1928 p. 467

احدى عشرة سنة . وهلم جرّا . وهذه التقلّبات في الحرارة والكلف لها علاقة مع حالة الجوّ والامطار وضغط الهواء والزوابع على الارض الخ . الّا ان ابحاث بعض الفلكيين مؤخرًا (لوكيير والاب مورو) بيّنت ان المدة هي اعظم من احدى عشرة سنة وانها تدوم ٣٣ او ٣٥ سنة

فاذا قابلنا مدتين متساويتين من السنين في قرنين مختلفين وجدنا ان التغيرات في الحالة الجوية هي متشابهة في المدّتين المذكورتين وفقًا لتطوّرات كلف الشمس في تينك المدتين . وهذا يتضح في الجدولين التاليين من مقابلة حالة الجوّ مدة اربعين سنة ، والفرق بين المدتين قرن كامل . فالمدة الاولى من السنة ١٧٨٨ الى ١٨٢٨ والثانية من ١٨٨٨ الى ١٩٢٨

١٧٨٨–١٨٢٨		١٨٨٨–١٩٢٨	
١٧٨٨–١٧٨٩	شتاء قاس	١٨٨٨–١٨٨٩	شتاء قاس
١٧٩٢	صيف شديد الحرّ	١٨٩٢	صيف شديد الحرّ
١٧٩٥	شتاء قاس	١٨٩٥	شتاء قاس
١٨٠٠	صيف شديد الحرّ	١٩٠٠	صيف شديد الحرّ
١٨٠٤–١٨٠٧	سنوات حارّة	١٩٠٤–١٩٠٧	سنوات حارّة
١٨١١	كانون ٢ بارد وصيف شديد الحرّ	١٩١١	كانون ٢ بارد وصيف شديد الحرّ
١٨١٢–١٨١٤	شتاء قاس	١٩١٢–١٩١٤	شتاء قاس
١٨٢٦	صيف حارّ	١٩٢٦	صيف حارّ
١٨٢٧	صيف لطيف الحرارة وماطر	١٩٢٧	صيف لطيف الحرارة وماطر
١٨٢٨	سنة حارّة	١٩٢٨	سنة حارّة
١٨٢٩	شتاء بارد	١٩٢٩	؟
١٨٣٠	شتاء قاس	١٩٣٠	؟

ان كاتب المقالة لم يذكر الجدولين المختصّين بكلف الشمس في المدتين المذكورتين ولا بدّ انه اطّلع عليهما وتحقق اتفاقهما في المدتين المرصودتين مع اتفاق احوال الفصول فيهما .

فهل يمكن القول ان المشابهة التامّة بين المدتين المذكورتين حدثت عرضًا ؟ لا نظنّ . فمن مقابلة الحالة الجوية مع حالة كلف الشمس يتضح ان تطوّر حالة

الكلف في كل دور من السنوات ١٨٨٨—١٩٢٨ يشبه تطوّرها في كل دور من السنوات ١٧٨٨—١٨٢٨.

انّ دور الكلف الذي نحن فيه بدأ في السنة ١٩٢٣ . وقد بلغ أوجه في السنة ١٩٢٨ . وفعلًا طرأ ثوران شديد على الشمس في شهر تموز الماضي فظهرت فيها كلف عديدة بعضها كبيرة امكن رؤيتها بالعين المجرّدة . فعدّوا ١٨٤ كلفة من اول كانون الثاني من السنة ١٩٢٨ الى ١٥ تموز منها . بينما كان عدد الكلف ١٥٩ فقط في المدّة ذاتها من السنة ١٩٢٧ . فلا عجب ان كان صيف السنة ١٩٢٨ ناشفاً وشديد الحرارة بعكس السنة ١٩٢٧ التي كانت فيها كلف الشمس اقل عدداً فكان صيفها لطيف الحرارة.

وبما انه في السنة ١٩٢٨ ، في الدور الحاضر ، بلغت كلف الشمس معظمها في الصيف ، فنقدّر ان الكلف التي تأخذ في النقصان تسبّب هبوطاً في الحرارة في شتاء ١٩٢٨—١٩٢٩ لما يوجد من الارتباط بين كلف الشمس والحالة الجوية على الارض . وكل آتٍ قريب . وعلى كلٍّ فالشتاء الذي دخلنا فيه سيعلمنا هل تقديرنا مُصيب ام مخطئ.

وها ان الزمهرير والزوابع الهائلة التي حدثت في شهر تشرين الثاني في غربي اوربة تثبت ان بدء شتاء هذه السنة كان قاسياً جداً.

فحالة كلف الشمس ودرجة الحرارة تكونان لنا سنداً جديداً لتقدير شتاء السنة ١٩٣٠ لانه من مائة سنة ، اي في السنتين ١٨٢٩و١٨٣٠ ، كان الشتاء قاسياً جدا بسبب تضاؤل كلف الشمس.

ومن ثمّ يتضح كم يهمّنا مراقبة ما يطرأ كل يوم على سطح الشمس من التقلبات لنسبق ونقدّر ما تكون حالة الجوّ في فصلَي الصيف والشتاء.

مقابلة الآداب

بقلم فؤاد افرام البستاني
استاذ الآداب العربية في كلية القديس يوسف

توطئة

الادب وتحديده

قليلةٌ هي الكلمات العربية التي تضطرب متقلقلةً بين المعاني المتباينة ، متردّدةً بين التصوّرات المتجاورة ، اضطرابَ لفظة « الادب » . فالأدب هو مجمل الاخلاق الفطرية الحسنة ؛ والادب هو مجمل الصفات المكتسبة الصالحة ؛ والادب هو مجمل الشمائل اللطيفة التي يتّصف بها الرجل المهذّب ؛ والادب هو معرفة الاصول والقواعد دون حصر ولا تخصيص ؛ والادب هو كل فنّ من المنظوم والمنثور . فترى ان لفظة الادب عرضةٌ للمعاني المختلفة تتنازعها من كل جهة ، وهدفٌ للكتّاب يحدّها كلٌّ منهم بما شاء . بعضهم يجعلها من الفنون ويقابل موضوعاتها بموضوعات العلوم الدينية [1] وبعضهم يجعلها من العلوم ويقسمها الى نوعين ، وستة فروع [2] او الى ثمانية فروع [3] او الى عشرة فروع [4] ، او الى اثني عشر فرعاً [5] . هذا فضلاً عن توسّع موضوعات الادب او حصرها باختلاف العصور ،

---

١) راجع دائرة المعارف الاسلامية في مادة « ادب »

٢) راجع الضبيّ : بغية الملتمس في تاريخ رجال اهل الاندلس (طبعة Codéra) ص : ٣٦٣

٣) تقسيم الانباري . راجع الاب شيخو : مقالات علم الادب ، الجزء الاول ، ص : ٤

٤) تقسيم الحسن بن سهل . راجع الحصري : زهر الآداب (طبعة الدكتور زكي مبارك) الجزء الاول ، ص : ١٤٠

٥) تقسيم الجرجاني . راجع الاب شيخو : مقالات علم الادب ، الجزء الاول ، ص : ٤

حتى اجتنب البعض ان يجعلوا له موضوعاً خاصاً ، ومنهم ابن خلدون فقال عن الادب : « هذا العلم لا موضوع لهُ يُنظر في اثبات عوارضه او نفيها . وانما المقصود منه ، عند اهل اللسان ، ثمرته وهي الإجادة في فنّي المنظوم والمنثور على اساليب العرب ومناحيهم .»[1]

امّا اصل لفظة الأدب ، واشتقاقها ، وتفرّع معانيها ، وتطوّر استعمالها على اختلاف العصور ، فاوسع من ان يسمح لنا المكان بذكره . واننا نحيل الراغبين في مثل هذه الابحاث الى الكتب الخاصة بذلك ،[2] مكتفين بتحديد الأدب تحديداً واسعاً شاملاً ، كما ورد عن ابي زيد :

« الأدب كل رياضة محمودة يتخرّج بها الانسان في فضيلة من الفضائل .»

هذا ما نُقل عن ابي زيد في تحديد الادب في اوسع معانيه . والمراد به الأدب الكسبي . امّا الطبيعي ، وهو ما فُطر عليه المرء من الاخلاق الحسنة والصفات الحميدة ، ممّا لا قدرة للانسان الّا على تحسينه او تشويهه ؛ فهو لا يدخل في بحثنا .

وكذلك لا يدخل في بحثنا هذا ، الادبُ الكسبي في واسع معناه المذكور آنفاً . فان من الرياضة ما تكون بحفظ القواعد النحوية البيانيّة والتمرّن على الكتابة باتباع الاساليب المختلفة محاكاةً لمشاهير المؤلفين . وهذا النوع يُعرفُ

---

١) ابن خلدون : المقدمة (طبعة بيروت ١٩٠٠) ص : ٥٥٣

٢) راجع من الكتب القديمة : معاجم اللغة في مادّة « ادب » ، وابن قتيبة : ادب الكاتب ؛ والمبرّد : الكامل ؛ والجاحظ : البيان والتبيين ؛ والرسالة السابعة من رسائل اخوان الصفا ؛ وخصوصاً : عبد القادر البغدادي : خزانة الادب (طبعة بولاق) الجزء الرابع : ص : ١٢٤ وفيه إختصار حسن للموضوع . — ومن كتب المحدثين : دائرة المعارف للبستاني . ودائرة المعارف الاسلامية الفرنساوية في مادة (ادب) . والاب شيخو : مقالات علم الادب ، الجزء الاول ص : ٣-٩ . وخصوصاً الدكتور طه حسين : في الادب الجاهلي ص : ٧-٢٩ ، والدكتور ، بعد ان يُنحي باللائمة على من يتكلّفون تحديد الادب فيتمرّن بكلمة « ادب ومعانيها المختلفة في العصور العربية المختلفة » ، يُعنى هو نفسه بالكلمة نفسها وبمعانيها المختلفة في العصور العربية المختلفة فيتكلّف تحديدها في احدى عشرة صفحة كبيرة ، ويفرض الفرضيات من معقولة ومنقولة . على انه يصل الى نتيجة قيّمة حقيقة بالانتباه .

«بعلم الادب» ويُحدَّد «بمعرفة ما يُحترز بهِ عن جميع انواع الخطأ في كلام العرب لفظاً وكتابة» . وكتب البيان كفيلة بشرحه وتدريسه.

امّا الادب المقصود في موضوعنا فهو مُجمل مولّدات الفكر البشري المعبّر عنها بالمبنى الأنيق على اختلاف اشكالها ومواضيعها . ودرس الادب يكون بالنظر في هذه الآثار الفكرية وانتقادها ، وبعرضها على نظريات «علم الادب» ثم بالحكم عليها.

تاريخ الادب وفوائده

ولما كان لكل شعب من الشعوب سلسلة من الآثار العقليـة او المولّدات الفكرية تبتدئ بنهضته من طور الهمجية الى طور التمدّن ، وتنتهي بخمولـه واندثاره ، كان من الواجب على دارس ادب ذاك الشعب الاّ يستأثر بعصر من عصور تفكيره او بمظهر من مظاهر مدنيته ، بل يتتبّع جميع عصور حياتـه ومظاهرها حتى يكون حكمه عادلاً ، وتقديره مطابقاً للواقع . فكان إذاً من الواجب الموافقة بين معرفة آثار الشعب العقلية ، وآثاره المادية كالحروب ، والسياسات ، وطرق المعيشة المختلفة . وكما دُعي هـذا العلم بتاريخ الشعب دُعي العلم الأول بتاريخ ادب الشعب المذكور.

فتاريخ الأدب في شعب من الشعوب هو « درس آثار الفكر في هـذا الشعب وتتبّعها على مدّة حياته منذ النشأة الى الازدهـار ، الى الخمول ، الى النهضة — ان كان ثم نهضة — الى الانحلال فالتلاشي.»

وكما ان تاريخ الشعب لا يُعنى إلّا بالحوادث والآثار المادية المهمّة ، فيترك في زوايا النسيان كل الاعمال الثانوية التي لم يكن لها من تأثير في مجموع الامة. كذلـك تاريخ الأدب فهو لا يكترث الّا لآثار الفكر القيّمة البارزة بالمبنى الأنيق التي تقوى على تقلّبات الزمـان وتمكن الاستفادة من درسها لمن يأتي بعد عصر اصحابها الادباء والعلماء.

امّا فوائد هذا الدرس فكثيرة تنتج ممّا تقـدّم من المبادئ والتعريفات وأهمها :

١ً — معرفة اساليب التفكير الاجماليـة في شعب من الشعوب ، والطرق

التي يسير عليها الكتّاب في التعبير عن افكارهم . مع الاستفادة من تطوّر هذه الأساليب بتطوّر التأثيرات الخارجية من دينية ، واجتماعية ، وسياسية ، فيمكن الدارس تمييز انشاء عصر من انشاء غيره من العصور .

٢ً — معرفة اساليب التعبير التي تفيدها اللغة في عصر من العصور بفضل مرونتها الاصلية وما يدخل اليها من المفردات اللازمة العلوم الدخيلة ، وما يندثر فيها من المفردات الوحشية بفضل انتقال الشعب من الهمجية الى المدنية . فضلاً عن الاطلاع على الحركة العلمية واللغوية التي تجعل لكل عصر لغته الخاصة تقريباً بمفرداتها وتعابيرها وطرق تزيين الانشاء فيها .

٣ً — معرفة شخصية الكتّاب الأدبية وهي لا تقلّ اهمية عن شخصيتهم الحيوية . وكما ان الانسان يُسرّ او يُساء من التعرّف الى اشخاص التاريخ المدني فيطمئنّ الى الصفات الحميدة ويُعجب بالاعمال الباهرة ، ويشمئزّ من الاخلاق السافلة ، ويذمّ المآتي الخاطئة ، في الأشخاص الذين يدرس سيرهم وآثارهم في تاريخ الأمم والشعوب . كذلك نراه يأنس بالكتّاب والشعراء فيعجب بشخصية المبرّزين منهم ، ويدفع به الميل الى تفضيل من يطابق افكاره والتعصّب لمن يوافق مزاجه وعقليّته من اعلامهم المشهورين . حتى انهُ يُصبح بفضل درس الشخصيّات الادبية وما فيها من الاستقلال بالتعبير ، والاختصاص بنوع التفكير ، قادراً على التمييز بين كاتب وكاتب ، وشاعر وشاعر ، وإلحاق القول بقائله . وهو امرٌ ممكن لما تقرّر في درس الشخصيات الادبية من انّ المؤلف النابغة يختصّ بفكرة عامّة ، او بطريقة للتعبير يحتفظ بها في كل مآتيه الادبية ، ويحوم عليها في جميع تآليفه ، فيكرّرها على صور مختلفة ، ويجري اليها في تضاعيف انشائه من دون ان يشعر بعض الأحيان .

٤ً — وهناك فائدة لدرس تاريخ الآداب اهمّ من كل ما تقدّم بسبب اتساعها ، ولكنها تتطلب شروطاً خاصّة . وهي انماء الثقافة العامّة بالمقابلة بين آداب الأمم المختلفة . وشرطها الخاصّ هو درس آداب عدة أمم ، كأن يدرس الكاتب مثلاً ادب الامة اليونانية ، او اللاتينية ، او الفرنسوية ، او غيرها من الآداب العصرية ، ويقرن اليها درس الآداب العربية . ثم يقابل بينها جميعاً ،

او بين اثنتين منها ، فيبين اوجه الشبه بين كتّاب اختلفوا عصرًا ؛ وبلدًا ، وتنشئةً ، ولغةً ، ودينًا بعض الاحيان ؛ ويستخلص مما اصبح ايضاً بحكم المقرّر من ان لبعض الظواهر الحيويّة تأثيرًا واحدًا في البشر على السواء ، يدفعهم الى إصدار حكم واحد مهما تنوّعت نزعاتهم وشخصياتهم . وهذا الدرس يُدعى بعلم «مقابلة الآداب» ، او درس الآداب بالمقابلة . وهو علم حديث اهتمّ به الاوربيون في عصرنا فافردوا له في صحفهم الادبية حقولًا خاصّة ، وانشأ له بعضهم مجلّات مستقلّة يقوم بتحريرها جماعة من اختصاصيي الادباء ، فيصفون ما يظهر من الآثار الادبية خارج بلادهم ، ولا يكتفون بدرس آدابهم الوطنية بل يقابلونها باكثر ما يمكنهم من الآداب الاجنبيّة . فيوسّعون عقلية الانسان على الجملة ، ويزيلون من امام الفكر البشري ما تقيمه النزعات الوطنية والعنصرية من حواجز التاريخ والجغرافية .

على انهم قلما يهتمون بالآداب العربية . بل هي لا تدخل في حلقة ابحاثهم الّا من جهة الدروس الفردية ، كأن يقوم احد المستشرقين مثلًا فيدرس نقطة خاصة ، مثل تأثير كليلة ودمنة في امثال لافونتين وما شاكلها ، او تأثير قصّة المعراج والإسراء في الالهوية الالهية لدانتي ، او المقابلة بين الزجل والموشحات الاندلسية وبعض الاناشيد الاوربيــة في فرنسة وانكلترة وايطالية واسبانية

بيد اننا نودّ ان نتوسّع في هذا الموضوع ، فقد نحوّر مقياسنا الادبي بعرضه على مقاييس الأجانب ، وقد نحسّن ذوقنا بصقله باذواق الغير ، وعلى الجملة فاننا نفيد آدابنا بان نفتح في صرحها الشامخ نافذة على آداب الناس فتتأثر بها وتؤثر فيها . وهذا جلّ ما نطمح اليه في درس الادب .

امّا وقد ظهر المراد من «مقابلة الآداب» ، فسنبدأ في العدد القادم بشرح ضرورة هذا العلم في عصرنا ثم نباشر القسم الأول ، بتحقّق التشابه غير المقصود بين منتوجات ادباء العرب ومنتوجات غيرهم من ادباء الشعوب الاجنبية ، وهو ما نسمّيه «بتوارد الخواطر» . ثم ننتقل الى تحقّق التشابه المقصود ، فالاقتباس ، فالتأثر ، فنذكر الطرق التي تمكّننا من الاطلاع على تلك الآداب الاجنبية ، واهمّها التعريب .

رئيس الولايات المتحدة الجديد

قلم الاب لامنس اليسوعي

في شهر آذار القادم ، سوف يحلُّ البيت الابيض في واشنغتون محلَّ السيد كلفن كوليدج ، السيد هربرت هوفر المنتخب لرئاسة الولايات المتحدة.

نشأ هذا الرجل العظيم ، كالكثيرين من امثاله الاميريكيين ، في الطبقات السفلى من الشعب ولم يرتقِ المعالي الّا بجدّه وكدّه الشخصيّين ، حتى فاز اخيرًا فوزًا باهرًا على خصمه سميث الكاثوليكي في المعركة الانتخابية.

ولد هوفر منذ ٥٤ سنة في قرية حقيرة من اعمال ايوا (Iowa) في شمالي اميركة ؛ وكان ابوه فيها حدادًا . ولم يبلغ السنة التاسعة من عمره حتى مات ابواه ففزع الى عمه في مصابه وجدّ في تحصيل مبادئ العلوم حتى تعرف الى مهندس انتمى اليه واهتدى بنصائحه ، ليقرر مسيره في سبيل الحياة . فدخل احدى كليات كليفرنية ، وانصرف فيها الى دروس الهندسة . وكان اذ ذاك فقير الحال ، مضطرًا الى تحصيل ما يقوم باحتياجاته ببيع الجرائد ، او بتدبير معمل لغسل الثياب ، او بعقد اجتماعات ، وفتح اندية ، تُلقى فيها المحاضرات وتعزف فيها آلات الطرب . وفي تلك الظروف برزت في هوفر الصفة التي امتاز بها فيما بعد حتى لفت انظار العالم الى شخصه القدير ، اعني بها قوّته الفائقة في التنظيم والتدبير.

خرج من معهد الهندسة وبيده الشهادة ، فلم يحجم عن اخذ المعول واقبل على الاعمال الشاقة ينكش الارض نكشًا ، كأنه احد العمال الحقيرين . الى

ان عُهد اليه بمراقبة استنباط المعادن في اوستراليا ، فقصد اليها وليس له من العمر الا ٢٣ سنة . ثم أنتدب الى بلاد الصين ، وكانت الثورة فيها قد بلغت اشدها سنة ١٩٠٠ ، فكان من حسن رأيه وتدبيره انه قام بوجه الثوّار ، واطعم الوفاً من الذين لاذوا بجاه ؛ فذاعت شهرته وانتشر اريج عطرها في الخافقين فلقبوه « بطبيب المعادن المريضة » لما عهدوا فيه من فطنة واقتدار على رتق فتوق المشاريع الكبرى ، وانتشالها من وهدة الخراب. وكانت له اذ ذاك دوائر خاصة يقيم فيها تارة في نيويورك ، وطوراً في لندن ، وحيناً في استرالية ؛ وعدد العمال تحت امره يبلغ ١٢٥٠٠٠

ولم يكن نصيب هوفر من المال اقلّ منه من الشهرة والصيت . وفي السنة ١٩١٤ نشبت نيران الحرب العظمى فطوّق الحلفاء بجيوشهم برًا وبحرًا على الالمان ، ومنعوا الذخيرة والطعام عنهم وعن البلاد التي احتلّوها في البلجيك وفي شمالي فرنسة . فاصبح سكانها معرضين للمجاعة والموت . ولا يسعنا الاسهاب في هذا الموضوع ، وفي سرد ما اتى به آنئذٍ هوفر من الاعمال الجليلة . فان عزمه وبأسه حالا دون وقوع الكارثة ، وقد جاز الموانع وذلّل العقبات وعمل على تموين البلاد واطعامها سحابة سني الحرب الاربع . فلم تمت .

فذكر له ملك البلجيك تلك الخدمات وكافأه عليها اذ دعاه بقرار ملوكي « من اهل بلجكة شرفاً ، وصديقاً للشعب البلجكي » فجاء ذلك القرار امتيازًا فريدًا في نوعه ، ناله هوفر ولم يعطَ احدًا سواه

وحبذا القرار والرجل اهلٌ له . ولم يخالج البلجكيين ادنى ريب بعواطف الاميركيين وانسانيتهم ، على ان تلك العواطف لم تكن مجانية فحسب ، وقد ضلّ من توهم ان الاميركان اتخذوا كلام الرب وصيةً عملوا بها وقد قال عزّ وجلّ : « ان العطاء اعظم غبطةً من الاخذ » (اعمال ٢٠ : ٣٥) وأبى البلجكيون الّا ان يسدّدوا المبالغ المعروضة عليهم لوانّها دَيناً لم يحملوا نيره الّا تخلصاً من المجاعة والموت . واذا صح ما انتهى الينا من اخبارهم ، نرى انهم لا يزالون يستهلكون ذلك الدين عاماً فعاماً ، وقسطاً فقسطاً ، الى ان يدفعوا آخر فلس منه .

* * *

لقد تعرفنا الى ذلك الرجل المقدام الداهية ، صاحب العزم والتدبير ، وقد نصبه الاميريكان على كرسي الرئاسة . واننا لننظر اليه والى المستقبل ونسأل ونقول ما عسى ان تكون سياسته ؟

كيف يقف تجاه المانيا ؟ وكيف يعامل الدول المطالبات المانيا بالتعويض والمديونات للولايات المتحدة بما اقترضته منها ايام الحرب ؟ ان علاقات هوفر السابقة ، وخبرته الشخصية اطلعته على احوال اوربة ، فهل يرضى بان يدفع غرماء بلاده اعني بهم انكلترة وبلجكة وفرنسة وايطالية الى الولايات المتحدة اكثر مما يحصلونه من تعويضات المانية ؟ انه لمشكل يهم متحالفي الامس غاية الهم .

هل من سبيل الى ولوج قلب الرئيس من باب العواطف فنعرف وجهة اميالة ؟ ان يكن تأثر بالعواطف ابان عمله على نجاة البلجيك من المجاعة وفي رضاه بان ينادى به على رؤوس الملا صديقاً لها ، فلا اثر في تصرفه لعاطفة مآلها التساهل معها بالدفع او تخفيض ما عليها من الديون المدونة لاختها في سجل حسابات التموين .

فلذلك ، يمكننا ان نقول من غير تكهن ان رئيس المستقبل سيكون اميريكياً بسياسته ، او اميريكياً فقط ، ولا لوم عليه في ذلك ولا حرج . وانه سيكون مناصراً لمنتخبيه وهم الحزب الجمهوري ، فتؤدي به سياسة حزبه الى مراضاة الرأي العام الاميريكي قبل ان يصرف همه الى حالة اوربة والى ما نزل بها من النكبات من جراء طموح المانية وطغيانها . ولعمري ان في تلك السياسة تجسمت روح اميريكة على ما فيها من نزعة تميزها عن الروح الاوربية ، اعني بها الميل الدائم الى الانفراد والابتعاد عن اوربة ، وانك لتجدن في هذا الميل عنوان تاريخ الولايات المتحدة منذ نشأة جمهوريتها ، على ايام واشنغتون الى آخر ما انتهى الينا من عهد موزو وتعليمه المنافي لكلام الرئيس ولسن والمناقض لمعاهدة ڤرساي .

ولا بد للرئيس هوفر من ان يعير جوق الجمهوريين اذناً صاغية . وهو

على ما يقال ينتمي الى احدى البدع البروتستانية الاشدّ تعصباً بمبادئها . وقد كان من المناصرين لمنع المشروبات الكحولية من البلاد . وكان انصاره قد صوّروا سميث الكاثوليكي مزاحمه على كرسي الرئاسة بصورة مثلته مرتدياً ثياب البابا تهويلاً للرأي العام البروتستنتي . وسميث يميل الى التساهل والتلطف في زعمّ قانون المشروبات فلا يرى افادة بتجييش جيش من الدرك ليحول دون كأس الجعة او كأس الخمرة وصاحبها . ولكن من وراء سميث ومن وراء كثلكته وتساهله كان شبح اوربة يلوح على الافق ، فأعرض عنهُ المنتخبون الاميريكيون واعربوا باصواتهم عن ارادتهم بالبقاء منزوين منفردين عن اوربة . وهم يشعرون بانهم خرجوا من الحرب العظمى ظافرين وهم في الحقيقة اصحاب النصر ، والعالم اجمع مدين لهم . ذلك النجاح الباهر والغنى الوافر هو نصيب الولايات المتحدة منذ تسنّم فيها الحزب الجمهوري مناصب السلطان . فلا عجب اذاً ان نادى الاميريكان باكثرية الاصوات رئيساً عليهم بزعيم الحزب الذي نسبوا اليه انماء خيرات البلاد .

فمن المعقول اذن ان يسير الرئيس المنتخب حديثاً ، في سياسته ، مدة اربع سنوات ، طبقاً لما ذكرناه من روح الشعب الاميريكي ومن مبادئ حزبه الجمهوري .

الهواء مصدر القوة

بقلم انطوان باز
المهندس من المكتب الافرنسي في بيروت*
ومن مدرسة الكهرباء العليا في باريس

عرف الاقدمون ما يطويه ذلك التيار من القوّة حينما يعصف بشدّة ، فمنهم من استخدمه لتسيير مراكبهم ، ومنهم من دفع بهم الخوف الى اتخاذه الهاً فعبدوه . ويرتقي عهدُ المراكبِ الشراعية الى اليونان كما يشهد ما ترامى الينا من آثارهم منقوشةً كانت ام مخطوطة . وهذه المراكب لا تزال تُستعمل حتى اليوم في المواصلات التجارية بين الشطوط البحرية . ولكم باقٍ منها في بلادنا لنقل الذخر والاغلال بين مدن السواحل ، وفي استخدامها اقتصادٌ ظاهر . كيف لا وطعامها وشرابها من انفاسِ الارياح ! كيف لا واسعارُ الشعير بازدياد ، والكاز والبنزين وغيره من الزيوت المعدنية التي تحرقها المحركات النارية — واهمها السيارات — تذهبُ بأنوف من الذهب ، آكلة نارها ثروةَ البلاد يوماً فيوماً ! وعدا الوجهة الاقتصادية ، فما اجملَ منظر تلك المراكبِ سابحةً في البحر ، ناشرةً شراعها الناصع البياض تزيده الشمس بياضاً عند شروقها ، وتلوّنه حمرةً عند المساء ! إنّ منظر ذلك المركب الصغير لأجمل في عيني من مرأى هاتيك البواخر الضخمة التي اذا مرّت اكفهرّ من دخانها المتصاعد وجهُ السماء الصافي .

وامتدّ استخدام الهواء لتحريك الطواحين بواسطة مراوح خشبيّة ، طالما

---

* تكرّمت علينا بارسال الرسوم المنشورة في هذه المقالة ادارة الشركة الفرنساوية « سيكلون » لعمل المراوح الهوائية (Etablissements des aéromoteurs Cyclone) فنشكرها .

هيّج منظرها عواطف الشعراء ، فوصفوا ذلك الكوخ الحقير فوق الرابيـة ، وذلك الصليب العظيم تديره انفاس الارياح فينشر في الفضاء انينـه وصريره . وتصل حركته الى الحجر فيحوّل البُر الذهبي الى دقيق أبيض !

الرسم ١ : المروحة الخشبية تدير حجر الطاحون

والمروحة هذه كناية عن خشبتين متقـاطعتين شبـه صليب ، دُقّت فوقها اخشاب دقيقة تعرف بخلايا المروحة او ضلوعها . فاذا هبّت الريح من الجهة المناسبة اعترضتهـا تلك الضلوع فكانت حركة دورية حول المحور . لكنه كثيرا ما كانت العواصف تحطّم تلـك الاخشاب ، فيُضطرّ الطحـّان المسكين الى اصلاحها .

* * *

وما تقدم فن الحيل حتى استُبـدلت مروحـة الطاحون الاوليـة بمراوح فولاذيـة ، مستديرة الشكل ، تُعرف « بالمولندية » لكثرة استعمالها في تلك النواحي . واستخدمت هذه المراوح لاستخراج المياه من الآبار بواسطة المضخّات (الطلمبات) . وشاع استعمالها في البلاد الكثيرة الارياح كاسوج ، ونروج ، وهولندة ؛ فتراها اينما سرت ، منصوبة فوق الروابي وفي السهول .

المروحة الهولندية

واذا دقّقنا في المسألة ، من الوجهة الفنية ، رأينا ان الامر كان لا يخلو من عقبات شتى توصّل الفنيون الى اجتيازها واحدة فواحدة . فلا شكّ ان الهواء

كثير التقلّب اذ تراه تارةً يعصف بشدة ، فهي الارياح — واذا زادت كانت العواصف — وتارة ينفس بهدوء ، فهو النسيم الشافي ، وحيناً يسكن فلا ريح هنالك ولا نسيم . ولا يمكن استخدام ذلك التيّار الّا متى اعتدلت سرعته . فاذا كان نسيماً عجز عن ادارة المروحة ، واذا جاء عاصفة حطّم هذه اذا اعترضته . لذلك فالمروحة تحكَم فوق رفّاص من الفولاذ حتى اذا زادت سرعة الهواء التوت المروحة امامه فسلمت من كيده .

ثمّ ان خطّة الهواء تتغيّر في كل ساعة ، بل في كل دقيقة . فحيناً يعصف من الشمال الى الجنوب ، وحيناً من الشرق الى الغرب او بالعكس . فلزمَ ان تكون المروحة مقابلةً لهُ في كل الاحوال . وقد وكل ذلك الى دفّة المروحة وهي لوحة اذا اعترضها الهواء دارت فجاء سطحُ المروحة مقابلًا لاتجاه الهواء .

ولا حاجة الى القول انه لا يمكن استعمال تلك المراوح الّا في البلاد الكثيرة الهواء ، حتى تكون الفائدة موازية لنفقات المشروع . فهل من الصواب تركيب مروحة كهذه في ناحية لا ينفخ فيها الهواء الّا ساعات في الاسبوع ، وثمن الآلة يناهز العشرة آلاف فرنك ؟ . لذلك فعلى المهندس ان يبدأ اولًا بدرس حركة الهواء في النقطة المقصودة من حيث السرعة والتكرار والاتجاه .

وهذا الدرس يستغرق سنة بكاملها . امّا الهواء فاشده ما يكون على الروابي والقمم العالية ، وفي منعطف الاودية ، وعلى شواطئ البحر . وسرعته تُقاس بواسطة آلة صغيرة ، تدعى بالفرنسية (anémomètre) ، مركبة من فراشة ، غاية في الخفّة ، تدور حتى من انفاس الناس . فاذا دارت وصلت حركتها الى عدّاد يُقرأ عليه عددُ الدورات في الثانية ومنها سرعة الهواء (انظر الرسم ٢)

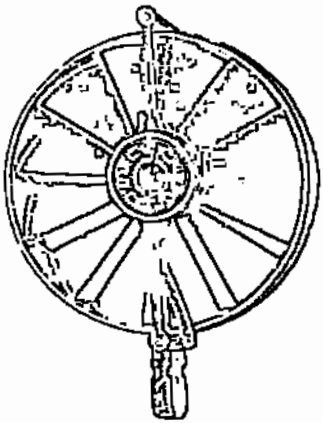

الرسم ٢ : آلة لقياس سرعة الهواء

وهذه السرعة تتراوح بين المترين في الثانية

النسيم الخفيف ، والثلاثين متراً للعاصفة الشديدة[1] ، غير ان المروحة لا تدور الّا بسرعة اربعة امتار في الثانية على الاقل . واذا زادت سرعة الهواء حتى العاصفة وقفت ومالت لتسلم من التحطيم كما هو مبيّن في الجدول التالي:

نوع الهواء	سرعة الهواء امتار في الثانية	حركة المروحة
نسيم خفيف	٢	المروحة واقفة لا تدور
نسيم	٣	〃 تدور خفيفاً
نسيم بليل	٤ – ٥	〃 تدور بانتاج معتدل
هواء منعش	٦ – ٧	〃 تعطي معظم قوتها
هواء قوي	٨	〃 〃 منتهى قوتها
هواء مزعج	١٠	〃 تلوي قليلاً
اول العاصفة	١٢	〃 〃
العاصفة	٢٠	〃 تلوي قليلاً بانتاج ضعيف
الزوبعة	٣٠	〃 تميل تماماً فتقف عن الحركة

يظهر من هذا الجدول ان المستعمل من الهواء هو ما تراوحت سرعته بين الاربعة والسبعة امتار في الثانية ، وهو الاكثر هبوباً في جهات فرنسة. فالمراصد الجوية تعدّل ان الهواء ذا السرعة المتراوحة بين الاربعة ، والخمسة الامتار في الثانية ، يهب مئتي يوم في السنة تقريباً والهواء ذا السبعة او الثمانية امتار يهب مئة يوم . امّا العواصف والزوابع فنادرة لا يعوّل عليها.

* * *

ويجب ان تكون المروحة عالية عن الارض مرتكزة على اعمدة من الفولاذ مثلثة او مربّعة القوام . واذا وقع مركزها بين البيوت والاشجار وجب ان يزيد علوها اعلى البيوت او الشجرات ، ثلاثة امتار على الاقل ، كي لا تكون هذه حاجزاً للهواء. امّا حركة المروحة فتصل الى محور عمودي ينزل على المضخّة ، او الآلة الكهربائية ، فيديرها وكثيراً ما تُجعل الآلة الكهربائية في رأس العمود ، وراء المروحة ، ضمن صندوق يحفظها من الامطار ، وتنزل الاسلاك

[1] ان سرعة متر واحد في الثانية توازي سرعة ٣,٦ كيلومتر في الساعة.

الكهربائية الى محلّ الاستخدام.

خزن القوة في استخدام الهواء

وربَّ قائل يقول : « وكيف لنا بالقوة ، احياناً ، والهواء غرّار يعصف حين شاء . ويسكن متى شاء . وقد يحكم ان الحاجة الى القوة لا تصادف وجود الهواء او بالعكس . . » فالمسألة صعبة الحلّ ان لم يكن هناك خزّانات تخزن القوة التي يولدها الهواء في ساعات الفراغ الى حين الحاجة . والخزّانات على نوعين : مائية وكهربائية وافضلها الكهربائية اذ يمكننا بواسطتها الاستنارة وتحريك المحرّكات لايّ عمل كان . امّا خزّانات الماء فلا تسمح لنا الّا باستخدام الماء للشرب او الريّ . واذا قصدنا استخدامها لتوليد القوة وجب بناء محرّك مائي (دوّامة) وهو ، ولا ريب ، اصعبُ منالاً من المحرّك الكهربائي . كيف لا والدوامة تستلزم انابيب لأدخال الماء اليها ، ومنظّمات للسرعة الخ . . وثمن ذلك فاحش [1] .

استخدام الهواء لسحب المياه ورفعها

لقد شاع استخدام المراوح الهوائية لسحب المياه من الآبار ورفعها الى اي علوّ كان بواسطة مضخّة (طلمبة) محكمة في اسفل العمود ، ضمن كوخ صغير ، فوق البئر ، وهذه المضخة تدور كلّما حرك الهواء المروحة فتستخرج المياه من البئر وتسكبها على الاراضي للري او ترفعها الى البيوت لحاجات المنزل . وفي الغالب تُدفع هذه المياه الى خزّان مرتفع يُستقى منه عند الحاجة كما في الرسم ٣

امّا كمية المياه الممكن استخراجها فتابعة لقوة الهواء ، وقطر المروحة ، وعلو الدفع ، اي علو الخزان عن الارض . فلو عدّلنا سرعة الهواء اربعة امتار في الثانية ، وارتفاع الخزّان عشرة امتار ، لكانت العلاقة بين قطر المروحة وكمية المياه الممكن رفعها كما في الجدول الآتي:

---

١) راجع مقالتنا في المشرق (٣٦ [١٩٣٨] ٤١٥) : عن الكهرباء ومستقبلها في لبنان

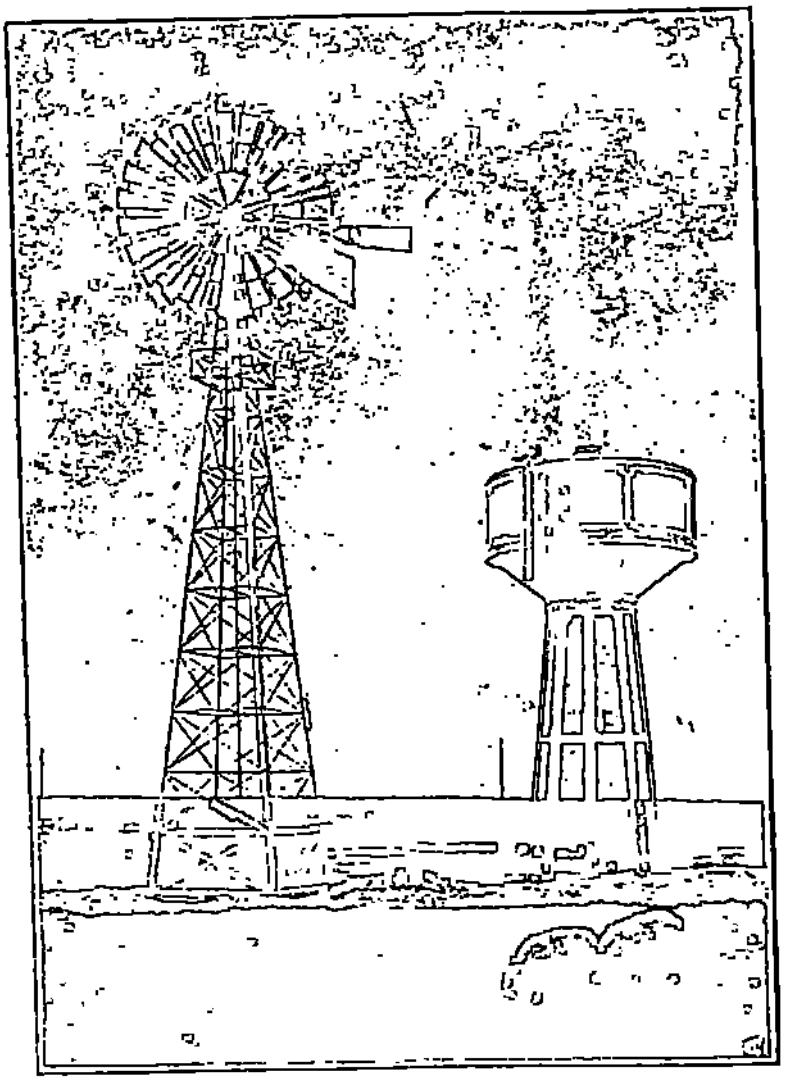

الرسم ٣ : مروحة تدير مضخة ترفع المياه الى
خزان من السباتو .

كمية المياه في الساعة ليترات	قطر المروحة امتار
١٢٠٠	٢,٨٠
٥٠٠٠	٣,٥٠
٩٠٠٠	٤,٢٠
١٣٠٠٠	٤,٨٠
٢١٠٠٠	٥,٧٠

فاذا كانت سرعة الهواء ثمانية امتار عوضاً عن الاربعة لضوعفت كمية المياه هذه للمراوح نفسها . ثم ان هذه المضخات موضوعة لرفع مياه قليلة الى علو يتراوح بين الخمسة امتار والمائة متر ، والجدول السابق وضع لرفع عشرة امتار . فاذا زاد العلو اضطررنا الى زيادة قطر المروحة والا نقصت كمية الماء . اما اذا قصد الري او التجفيف اي استخراج مياه غزيرة وسكبها على الارزاق دون رفعها ، فهنالك مضخات مخصوصة تعرف بمضخات الري تسحب مساية وعشرين الى خمسمائة الف ليتر في الساعة ، حسب قوة المروحة وسرعة الهواء .

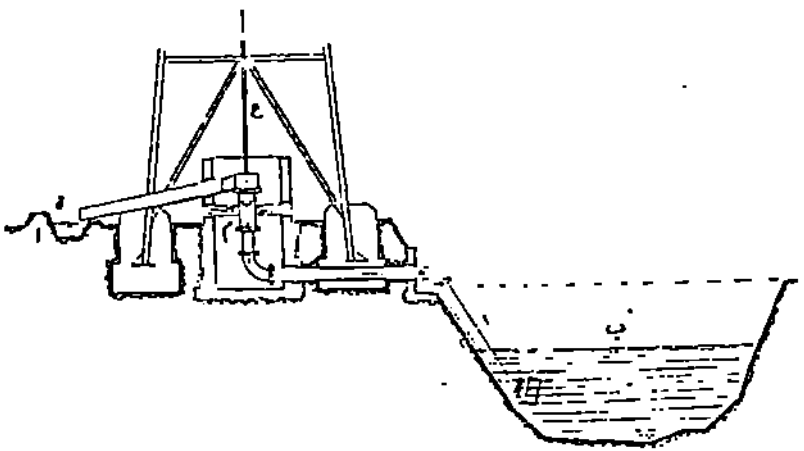

الرسم ٤ – شكل هندسي لمضخة للري

ب : البئر او النهر
ا : انبوب المضخة
م : المضخة
ع : العمود النازل من المروحة
ه : قناة الماء للري

ولا يحسب القارئ ان استعمال المحركات الهوائيـة نادر او انهـا أعوبة غالية الثمن . فاستخدامها في اوربة شائع ، وجهود الفنيين متواصلة لتحسينها وزيادة انتاجها . وها ان شركة السكة الحديدية للحكومـة في فرنسة قـد استعملتها لاستخراج المياه في بعض المحطات ، فاقامت في كل مركز مروحة هوائية ومضخة تخزن الماء في مستودع قرب الخط ، حتى اذا جاء القطار اخذ من الماء حاجته لتوليد البخـار . وسنقول في العدد القـادم كلمة عن اختراع قسطنطين ، المهندس الهوائي المعروف ، وعمّا اجراه مؤخرًا من الاختبـارات في هذا الفن .

الهواء والكهرباء

ان الماء لا يكفي لسدّ حاجات الانسان ، وقد اصبح اليوم في حاجة الى القوة الحيلية والقوة الكهربائية ، خصوصاً في القرى والمزارع حيث لا شركات ولا مشاريع عمومية لتوليد القوة ولتوزيعها . والفلاحُ اليوم كادَ لا يستغني عن استعمال المحركات نظرًا لضعف اليد العاملة ، وزيادة الانتاج باتخاذ الطرق الفنية في الزراعة . فهنالك الآلات المختلفة لحصد الاغلال ودرسها . وهنـالك ايضاً الآلات البيتيّة لعمل الدقيق واستخراج الزبدة من الحليب الخ . يديرها كلها محرّك صغير . وارخص المحركات اليوم واسهلها المحرك الكهربائي ، لكن كم من القرى في بلادنا ، حتى وفي بـلاد الافرنج ، لم تتمتّع بعد بمنـافع التيار الكهربائي ، فاضطرّ المزارعون فيها الى ادارة آلاتهم بايديهم او بواسطة دابـة كالتي تدير عندنا دواليب النواعير للريّ : وهذه كلها طرقٌ اولية تنافي التقدم الفني والحضارة الحاضرة .

غيرَ ان البعض استعاضوا عن المحرك الكهربائي بمحركات على الكاز او الزيت وُضعت لغاية الزراعة وحاجاتها . انمّا تلك المحركات دقيقة جدًا بما تستلزمه من المناظرة والنظافة . هذا اذا ضربنا صفحاً عن ثمنها الفاحش وعمّا تستهلكه ، كل يوم ، من الوقود السائل .

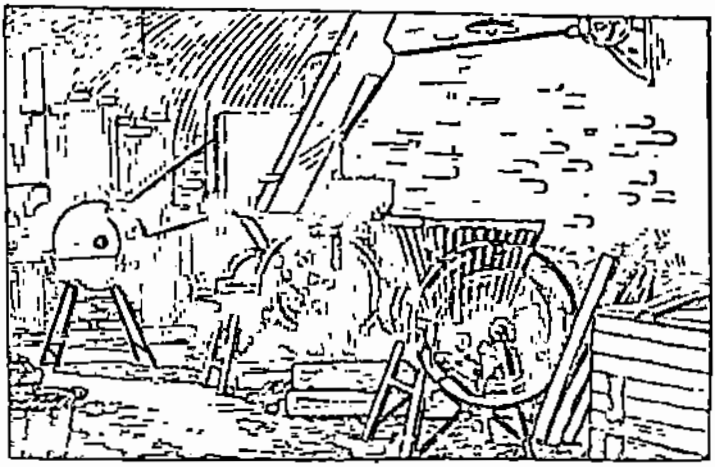

الرسم ٥ منظر داخلي لغرفة الآلات الزراعية في بعض المواد . تديرها الكهرباء مولدة بقوة الهواء

كل ذلك دفع الانسان الى درس مولّد للقوة مجاني . كيف لا والله ، سبحانه وتعالى ، جعل لنا ، مع خيرات الارض الداخلية كناجم الفحم والبترول وغيرها ، موردين للقوة لا يفنيان الا بانطفاء الشمس وخمود الحياة ، ألا وهما الماء والهواء . وتدر ان تخلو بقعة في الارض من احد هذين العاملين فكان لا هواء فيها ولا ماء . لذا فكر المهندسون في استخدام الهواء لتوليد القوة الحيلية كما فكروا ايضاً في استخدام الماء.[1] واستخدام الهواء امر صعب ، لعدم ثبوته على سرعة واحدة ، فيصبح المرء عبداً له لا يحسن عملاً الا متى هب ، ويضطر الى تركه متى سكن . واني اتصور كوخاً في الجبل ، في ليالي السهر ، يستنير اهله بالنور الكهربائي الذي تولده المروحة ثم يسكن الهواء فتنطفي الانوار ، ثم يهب الهواء فيعود النور وهلم جرا . . . فخير لتلك العيلة ان تستنير بضوء القنديل الصغير من ان تعمد الى نور متقطع يسطو على الاعصاب فيهيجها . وقد يشعر بذلك الازعاج من يستنيرون بالكهرباء ، في بيروت ، عندما ينقطع المجرى ثم يعود ، ولو صادف ذلك مرتين في الليلة الواحدة . (للبحث صلة)

١) راجع ما قلناه في المشرق (عدد ٧ سنة ١٩٢٨) عن توليد القوة بواسطة شلالات الماء

قشرة الارض والانفجارات (*

بقلم انس عبد المسيح زهر

ان قشرة الارض التي نقضي فوقها ايام حياتنا القصيرة معرَّضة لحركات فجائية ، وحركات بطيئة ، وحركات منظَّمة تقع في اوقات معيَّنة. مثال الاولى: الزلازل . ومثال الثانية : الارتفاع والانخفاض. ومثال الثالثة : المدّ والجزر.

على ان هذه القشرة التي تكوَّنت بطريقة تصلُّب الجزء البارز مِن النواة النارية التي نشأ عنها الارض الاوليَّة ، ما زالت متضمِّنة في جوفها بقايا عظيمة عظيمة من القوَّة الفاعلة ؛ وما برح وسطها مكمن الحرارة. غير ان هذه القشرة ليست صلابتها متساوية ؛ لان التصلُّب حدث شيئاً فشيئاً لا دفعة واحدة . وقد شُبِّهت بقيض البيضة ؛ بيدَ ان قيض بالنسبة الى البيضة يفوق سَمك قشرة الارض بالنسبة الى جرمها. هذا وان العلماء لمَّا ارادوا تخمين سَمك قشرة السيَّارة التي نسكنها ، بنوا اقوالهم على اختلاف درجة الحرارة الارضيَّة ، اذ عرفوا بالتجربة والاختبار ، انه على قدر النزول في قلب الارض ، بواسطة الآبار ، تزداد الحرارة ، بحيث ان كل ٣٣ متراً تزيد فيها الحرارة درجة واحدة. وبناء على ذلك تزيد حرارة المئة متر ثلاث درجات . وقد ساعدهم على تحقق هذا الامر آبار المعادن العميقة البالغة الفي متر من العمق واكثر. ومنها عرفوا ثبوت درجة الحرارة الارضية . فلا بأس اذن بتشبيه قشرة الارض ، وتشبيه انتشار الحرارة فيها ، بصفيحة حديد غير متناهٍ كبرها ، متصل وجهاها بمركزين مختلفي الحرارة ، ولكن درجة حرارتهما ثابتة غير متغيِّرة . فانتشار الحرارة في هذه

* بتصرُّف عن كتاب « السماء » لمؤلفه برجي (A. Berget)

الصفيحة الحديدية يزيد وينقص بالنسبة الى قرب ذرّاتها وبُعدها عن البؤرة او مركز الحرارة. فيكون وجهها الملامس لبؤرة شديد الحرارة ؛ ولكن كلما بعدت ذرّات الصفيحة عن تلك البؤرة نقصت الحرارة وقلّت.

فاذا كانت حرارة مئة متر ثلاث درجات ، فتكون حرارة الالف ثلاثين ، وحرارة العشرة الآلاف ثلاثمائة ، وحرارة المائة الف ثلاثة آلاف. ومتى كانت درجة الحرارة بالمئة ثلاثة آلاف ، فكل الاجسام تكون ذائبة ، بل متصعّدة كما يتصعّد البخار والغاز . فاذن قشرة الارض لا يبلغ سمكها مئة كيلومتر ؛ بل يخمّنها العلماء نحو ستّين ؛ اي عُشر شعاع الارض . النتيجة ان سَمك قشرة الارض ارق من قيض البيضة يزيد على نصف الميليمتر ؛ ولكن بدلاً من ان يحوي هذا القيض آحاً ومُحّاً ، فهو حاوٍ مواد نارية وحمماً ذائبة مصهورة.

الانفجارات البركانية

ان قشرة الارض بالنسبة الى جرمها ما هي الّا كجُليدة رقيقة تغطي هذا الجرم العظيم . وقد نشأت وتكوّنت شيئاً فشيئاً من تألُف اجزاء متفرقة والتصاقها بعضها ببعض . وهي اشبه بصفائح مرجل كبير تتفاوت قوى حافاته في المتانة والرخاوة ؛ ومتى اصابه ضغط ، انبعج من احد جوانبه. فهكذا يجري للارض ، فان القوى العاملة الكامنة في قلبها تظهر بانصداع قشرتها ؛ وعلى اثر الانصداع يحدث انفجار فجائي تارة يكون سريعاً ، وتارة بطيئاً ، يقذف مواد نارية مصهورة ذائبة : وهذا هو الانفجار البركاني.

امّا السبب فليس عندنا عليه جواب مقنع ، قد ذكر «المشرق» شيئاً من آراء العلماء في ذلك في سنته الثالثة[1] . فلعل السبب تأثير التقبّض البطيء الدائم ، الحادث بلا انقطاع في النواة المركزيّة . وعلى اثر هذا التقبض تندفع الغازات من مقرّها وتتجمّع تحت القشرة الارضيّة فيُحدث شدةُ الضغط صدعاً او شقّاً فيها . بل لعلّ السبب ناتج من تنأُب مياه الابحر ونفوذها القشرة لما هي عليه من الرقّة في قعر البحار كما ذهب اليه العلّامة ليبمان (Lippmann) ومتى اتصل الماء بغتة الى الغازات التي تركبت هي منها في القديم.

١) المشرق (٣ [١٩٠٠] : ١٠٥٤)

ومن الصحيح الثابت ان قوة الارض الباطنة العاملة ، تظهر في الاماكن الهشّة الضعيفة من القشرة الارضيّة ، فتنشق ويحدث الانفجار ، وتتزلزل الارض ، وتتداعى المباني ، وترهق الارواح . اذًا انفجار جبل النار والزلزال ينشآن عن اصل واحد . ولكن لا يلزم عن حصول الواحد حصول الآخر ، فقد يكون انفجار بلا زلزال ، وزلزال بلا انفجار . فهذه بلاد اليابان امّ الزلازل يحدث فيها كل سنة نحو الف زلزال بلا انفجارات . ثم ان في تلك البلاد جبلًا قديماً اصله بركان منطفئ يُدعى «الفوزياما» لم تستطع القوة العاملة الكامنة في قلب الارض ايقاظه من سباته الطويل الثقيل . وجملة القول ان جبل النار يتخذ مركزه عادةً في رأس جبل مخروط الشكل ، ويكون له فوهة تبعث اوقات السكون دخاناً وبخارًا كبريتيًّا ، تارة كثيفاً ، وطورًا لطيفاً . ولكنه عند هياجه يرشق الجو بوابل من الاحجار والرماد ، مصحوبة بغمام كثيف من البخار ، او من الغازات الملتهبة ؛ كما اثبت ذلك المعلّم لاكروا مع خطر فقدان حياته ، ساعة انفجار جبل بيله (Pelée) في المرتينيك سنة ١٩٠٢ ؛ بل بالحري ان ما يخرج من جوف الارض من الحمم والحجارة والرماد ، على اثر الانفجار ، هو الذي يسبّب ويكوّن مخروط الجبل الذي تخترقه الفوهة . لان المواد الخارجة من صدع قشرة الارض تتجمّع حول الصدع ، وتتخذ لها هيئة مستديرة . ومهما حدث انفجار ، زاد المخروط واتسع اسفل الجبل ، حتى يصير المخروط عينه جبلًا تنفذه مدخنة يشبه رأسها فم الكوب اي الكأس .

والدليل على غزارة المواد الناتجة عن الانفجارات البركانية جبل جزائر سندويش الذي يبلغ علوه اربعة آلاف متر ، قوامها المواد المقذوف بها من جوف الارض . بل ان الجزيرة كلها تكونت من حمم تتصل الى قعر الاوقيانس الهادئ ، فصارت بمنزلة الاساس للجزيرة كلها ، واحدث رَصفاً يزيد على ثلاثمائة الف كيلومتر مكعّب .

عامل الانفجارات

فاذا تأملنا مدخنة بركان جزائر سندويش المخترقة قشرة الارض ، المنتهية الى هذا العلو الشاهق ، ادركنا قوة الضغط الضرورية لقذف عمود الحمم الى

فوق . على ان عامل هذا الضغط ، على ما يظهر ، وجود كميات كبيرة من الغاز ، تنبعث من النواة المركزية ، وتتراكم تحت القشرة الارضية ، فتسبب هذا الضغط العظيم الذي لا يقوى شيء على مقاومته . وهذه الحمم التي يقذفها هذا الضغط من فوهة البركان ، تكوّن حول الجبل بحيرة نار ، فتجري المواد المصهورة كالنهر . وبدلاً من ان يكون اندفاعها متواصلاً دائماً ، يقع في بعض الاحيان بطريقة الطفور فيحدث نكبات هائلة كما هي حال الإتنا ، والفيزوف . عندما تخنّ وطأة الانفجار ، تقف الحمم وتتجمّع في اعلى المدخنة ، فتصير بمثابة الصمام لها ، ولا يخرج اذ ذاك من شقوقها سوى بخار ودخان . ولكن الغازات المنبعثة من الكتلة الرخوة المركزية ، لا تزال تتراكم وتزداد قوةً حتى تقلع في آخر الامر الصمامة ؛ ومتى انقلعت حدث الانفجار مصحوباً بدويّ عظيم . فتتطاير قطعها في الهواء ، ويُقذف الرماد ، في الجو على اميال ، وتبقى اجزاؤه الدقيقة السنين الطوال واقفةً في الهواء ، تطوف حول الارض كرماد جبل كركاتوا في جزائر السُند ، ١٨٨٣ ، الذي دار حول الارض مراراً كثيرة .

وعندما يضغط الانفجار على فوهة الجبل ، كما جرى لبركان بيله ، يسبب لما حوله نكبة هائلة . واذا حدث هذا الانفجار في بركان كائن بجزيرة صغيرة ، فانه يطمس اثرها ، او يغرّقها في البحر ، ولا يترك منها سوى الفوهة . وامثال ذلك كثيرة في جزيرة القديس بولس بجنوبي المحيط الهندي ، وسنتوران في البحر المتوسط . وقد يحدث الانسداد والانفتاح بطريقة متناسقة كما يجري لبركان جزيرة سترمبولي اي في كل نصف ساعة .

ما عدا البراكين الظاهرة ، يوجد براكين تحت البحر ، فضلاً عن انّ في بعض البلاد قداقيس (geysers) اي ينابيع مياه محترقة حارّة ، وبراكين منطفئة ينبعث منها على الدوام غازات وبخارات مائية ، اشهرها بركان بوتزول في جنوبي ايطالية . ومن ذلك كله يُستدلّ على ان القوة الكامنة في جوف الارض ، تظهر تارة بطريقة الانفجار ، وطوراً تحدث الزلازل ، وحيناً تكون خفيفة ، ووقتاً قوية . فسبحان الخلّاق العظيم .

* * *

بقلم الاب فرديناند توتل اليسوعي

احوال الحبشة

نشر المقتطف للسيد توفيق حبيب مقالاً سار به والقارئ في تاريخ الحبشة واحوالها ، وذلك بمناسبة الحفلات الكبرى التي اقيمت في تتويج الرأس تفري ماكونين نجاشياً للحبشة (تشرين الاول) . فقال في العلاقات بين مصر والحبشة :

أرسل اساتذة من الاقباط يعلمون في المدارس الحبشية على نفقة الحكومة المصرية ، وصدق البارلمان المصري على انشاء قنصلية مصرية في اديس ابابا ، وتبدي الحكومة المصرية في حل مشكلة دير المطران القائمة بين الاقباط والاحباش وتمهيد السبيل لانتخاب مطران قبطي للحبشة حفظاً لسيطرة كنيسة مصر على الحبشان.

وقال في تاريخ الحبشة الحديث

وقبض على زمام السلطان في الحبشة الحديثة منذ ١٨٥٠ كاسا محافظ احدى مدن الحرا وبسط ملكه على الحبشة كلها ونودي به نجاشياً باسم تيودروس (١٨٥٥) وحارب الانكليز وقُتل (١٨٦٨) ؛ وتُوج بعده نجاشياً خصمهُ يوحنا كاسا (١٨٧٢) وحارب مصر والسودان وانتصر ثم قتل (١٨٨٩) ؛ وخلفه النجاشي منليك وقاتل الايطاليين وغلبهم (١٨٩٦) . واعلنت وفاة منليك ١٩١٣ ؛ وكان عمر النجاشي ياشو ١٦ سنة فقامت بمهام المملكة الامبراطورة طاطيو زوجة منليك ؛ ثم حدثت فتن في البلاط الملوكي آل امرها الى انتقال مقاليد السلطة من يد الى يد الى ان قبض عليها الرأس تفري الامبراطور الحالي.

وقد انضمت الحبشة الى جمعية الامم في ٢٨ سبتمبر سنة ١٩٢٦ بعد ان قبلت برنامج الجمعية وكل تعهدات الدول ومنها مقاومة تجارة الرقيق التي يقال انها لا تزال منتشرة في اكثر مقاطعات الحبشة.»

وتكلم صاحب المقال في تنصر الحبشة قديماً فقال :

ان المتفق عليه هو ان الحبشة ظلت بعيدة عن المسيحية حتى القرن الرابع عشر [كذا] (والصواب القرن الرابع للمسيح) اذ بشر بها فرمونتيوس (ص:٩١٨)

وذكر العلاقات بين الحبشة والاسلام فقال :

« وكان النبي قد ارسل في السنة التاسعة للهجرة هدية الى النجاشي اصحمة فوصلت بعد موته . ولما بلغ النبي نعيه جمع الصحابة وصلى عليه غائباً.»

ولو راجع صاحب المقال ما كتب حديثاً في هذا الصدد لما عرض اخباره هذه الا بعبارات التحفظ والريبة. (راجع الموسوعة الاسلامية في مادة حبشة لجويدي ومقالات السيد عبدالله رعد في مجلة المجمع العلمي (شباط ، اذار ١٩٢٨ ، والمشرق سنة ١٩١١)

اصلاح الازهر

عرضنا في مشرق تشرين الثاني الماضي (رجه ٨٥٩) ملخص المذكرة التي وضعها شيخ الازهر في سبيل الاصلاح ؛ واليك اليوم شيئاً من خلاصة القرارات التي اصدرتها اللجنة المعهود اليها من قبل الحكومة المصرية باصلاح التعليم في الازهر وفي المعاهد الدينية الاسلامية في مصر (المنار اكتوبر)

« لقد تظهر في بعض الاحايين الوان من المواهب لو انها تعهدت وفسح لها في جوانب الطريق لربت وخرج بها العظماء والفاتحون في ابواب العلم المختلفة... فيحسن ان تسن في المستقبل طريقة لالتماس اصحاب هذه المواهب وتخريجهم وتخصيصهم حتى يستطيع كل منهم ان ينقطع للبحث العلمي في الباب الذي هيأته له موهبته.

مراحل التعليم في الازهر اربع : ابتدائي ، ومدته اربع سنين ، ثانوي ، ومدته خمس ؛ وعال ، ومدته اربع ؛ وتخصص ، ومدته سنتان ... ويجري الازهر في قسميه الابتدائي والثانوي في العلوم الحديثة على المنهج المرسوم لتلاميذ المدارس الابتدائية والثانوية ما عدا اللغات الاجنبية.

لا يتيسر الدخول للطالب في المعاهد مستغنياً من كفالة اوليائه من دون

السنة الثانية عشرة.

ينتظم التعليم العالي ثلاث شعب : ١ً – الفقه ورسائله . ٢ً – الكلام والنظر . ٣ً – دراسة علوم اللغة العربية وآدابها وتاريخها . وفي هذه الشعب ينتظم الطلاب لاعدادهم للدعوة والارشاد.

البراق

جاء في القواميس البراق (كغراب) اسم (دابة ركبها رسول المسلمين ليلة المعراج وكانت دون البغل وفوق الحمار) سمي بذلك لنصوع لونه وشدة بريقه وقيل لسرعة حركته شبهه فيها بالبرق وجاء في المنار (وجه ٦١٧) :

«كان يقال ان اليهود يعتقدون ان كسارة ألواح موسى عليه السلام مدفونة تحت الجدار الغربي من سور الحرم الشريف ببيت المقدس فهم يجتمعون هنالك يبكون ويحيون ذكر مجدهم الديني في هيكلهم . والمسلمون يروون ان البراق الذي ركبه النبي (صلعم) ليلة الاسراء قد ربط بهذا الجدار فله مزية عندهم على سائر جدران المسجد ويسمونه «البراق» . وقد كان تسامح المسلمين وتساهلهم ان سمحوا لليهود بما ذكر في أيام ضعف اليهود وسلطان المسلمين فطمع هؤلاء بعد الاحتلال البريطاني ومشروع الدولة في تنفيذ عهد بلفور لهم حتى حاولوا في هذا العام الاستيلاء على هذا الجدار وما حوله من بناء على انه معبد لهم ، وصاروا يضعون هنالك الكراسي والمساند والاضواء في وقت اجتماعهم حتى كان من عدوانهم في عيد الغفران لهم ما يأتي بيانه . وهم يعلمون كما تعلم الحكومة البريطانية في لندن وفلسطين ان هذا من الاوقاف الاسلامية الثابتة بالتواتر . وكان من قواعد ما يسمونه الانتداب في فلسطين ان المعاهد الدينية لجميع الملل تبقى على حالها لا يسمح لاحد بالاعتداء عليها . ولكن عامة اليهود الصهيونيين يعتقدون انهم ما جلبوا الى فلسطين الا لاقامة ملك سليمان فيها وجعلها وطناً لهم دون غيرهم ، فاستعجلوا في هذا العام بالتمهيد لاعادة هيكل سليمان الذي حل محله مسجد الصخرة بامتلاك الجدار الغربي من الحرم وهو أقرب الجدران الى جامع الصخرة.»

وقالت «الرابطة الشرقية» (وجه ٦٣) :

انها ترى من اخص واجباتها تنبيه اليهود الى ما في عملهم من المضرة عليهم

وعلى الانسانية جميعاً وتنبيه الدولة الانكليزية الى سوء العاقبة وانها تنتظر القرار بالامر موافقاً لما هو مشهور عن العدل البريطاني فيكون فيه رضاء المسلمين واليهود معاً.

اللغة العربية والحروف اللاتينية

لو قيل لنا منذ عشرين سنة ان مجلة ستصدر في دمشق الشام لسان حال لمجمع علمي عربي، مفاخر بالبحث عن تاريخ اللغة العربية وحياتها ورقيها، وان تلك المجلة ستضع مقالاً تتناول فيه وجوه قضية استعمال الابجدية اللاتينية في لغة القرآن لضحكنا؛ ولكنها هو الامر الواقع.

سمع الاستاذ عبد القادر حمزة محاضرة في باريس للمستشرق الشهير ماسينيون وفيها ذكر منافع الابجدية اللاتينية اذا استعملت في العربية فقال: (مجلة المجمع العلمي ايلول وجه ٥٦٨):

ان شروع الترك في كتابة لغتهم بالحروف اللاتينية قذف بهذه الفكرة على اللغة العربية فبخسها حقها لان اللغة العربية بحروفها الحالية، حملت مدنية كاملة ومعها كل العلوم اليونانية، وكثيراً من العلوم والآداب الفارسية والهندية والرومانية، والحروف العربية الحالية تمتاز على اللاتينية فانها اسرع كتابة لاشتباكها. ولن تكون كتابة العربية بالحروف اللاتينية تنقيحاً ولا تخفيفاً وانها لتضيع اثني عشر حرفاً من حروفها الهجائية كالثاء والجيم والحاء والذال والصاد والضاد والطاء والظاء والعين والغين والقاف. «وقلّ ان توجد كلمة ليس فيها حرف من هذه الحروف، فتضييعها تضييع جزء عظيم من اللغة»

على ان الحجة التي لا مرد لها للتمسك بالابجدية العربية هي واجب الصلة بين قديم العربية وحديثها وبين الشعوب الناطقة بالضاد شرقاً وغرباً فضلاً عما يراه المسلمون في تغيير الكتابة العربية من التحامل على حرمة القرآن. تلك العواطف استفزت حمية احد الكتاب فوضع مقالاً (منار اكتوبر ص: ٤٥٨) نسب فيه للكماليين الهجوم على الاسلام ودعا «الشباب الاسلامي في كل بقاع الارض» وشباب الامة العربية خاصة الى مقاومة الخطر الاعظم الذي دونه «الحروب الصليبية»

وله بين اللغة العربية واللغة التركية مقابلة جديرة بالاعتبار فان التركية ليست لغة موحدة بل هي بمعظمها مستعارة عن اللغات العربية والفارسية وغيرها والعنصر التركي القحّ فيها زهيدٌ جداً. فان نجح اصحابها بكتابتها بأحرف لاتينية لم يظلموها ظلماً فاحشاً واذا عروها من ثوب اجنبي ليلبسوها

ثوباً اجنبياً لم يبخسوها حقها . فهم وشأنهم في امرهم ! امّا اللغة العربية فهي اشرف اصلاً واعز منعةً من ان تبدل الثوب التي سارت به على مدى التاريخ بثوب يقلب سحنتها ويقطع الصلة بين حياتها العصرية وبين كرامة أرومتها .

بين السنة والشيعة

في المنار ايضاً (اكتوبر) مقالان دار فيهما محور الجدال الديني بين السيد محمد رشيد رضا والسيد عبدالله محمود شكري الآلوسي من جهة ، وبين الشيخ محسن الامين العاملي من جهة أخرى ، اتينا على تلخيصها وفيها اهم ما يُعرف عن الفواصل بين الفرعين الكبيرين للاسلام .

ألف الشيخ محسن الامين العاملي رسالة سماها : « المصون المنيعة في الرد على ما اورده صاحب المنار في حق الشيعة » فقال على ما رواه المنار (وجه ٦٢٤) :

ان اصول السنة والشيعة في العقائد والاحكام واحدة وان الخلاف بينهما كالخلاف بين فقهاء السنة وانما يمتاز الشيعة بانهم هم الذين « يوالون ويتبعون اهل البيت الطاهرين الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً ، الذين دخلوا مدينة العلم النبوي من بابها وتمسكوا بالثقلين كما امرهم نبيهم [والثقل كل شيء نفيس مصون ومنه قوله « اني تارك فيكم الثقلين القرآن وعترتي » اي اهل بيتي] ... « وهم مسلمون يقرون لله بالوحدانية ولنبيه بالرسالة . ويلتزمون بجميع ما جاء به من عند ربه مما اتفق عليه جميع المسلمين ويرجعون فيما اختلفوا فيه الى اقوال الائمة الذين ان لم يكونوا فوق الائمة الاربعة وفوق ابن عبد الوهاب في العلم فليسوا دونهم .

وكان المسلمون في اول الاسلام فرقة واحدةً حتى قتل عثمان وبويع الخليفة الرابع ، فلم يجد اعداؤه وسيلة الى هدم خلافته اقوى من نسبة قتل عثمان اليه ، وانشق المسلمون فرقتين احداهما علوية والاخرى عثمانية . وقهر العثمانيةُ علي بن ابي طالب واولاده وله عندهم ثارات بدر وغيرها ولم يكتفوا بهذا حتى امروا بسب علي بن ابي طالب على جميع منابر الاسلام . ودامت العداوة بين الفريقين مدة ملك بني امية وبعض ملوك بني العباس حتى قل المنتسبون الى اهل البيت وتستروا . وظهر في غضونها مذهب اهل البيت في عهد الامامين محمد الباقر وجعفر الصادق وصار المنتسبون الى اهل البيت يعرفون بالشيعة وغيرهم بالسنة

وردّ الشيخ الآلوسي على خصمه ودعاه من الروافض « والرفض يراد به الغلو في التشيع » (وجه ٤٢٥) وقال (وجه ٤٣٣) ما خلاصته :

الامر الاعجب هو دعوى الرافضي حب اهل البيت والعمل بعلومهم والاخذ بالكتاب والسنة . ان الروافض كاليهود يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض ، وذلك لان العترة باجماع اهل اللغة تقال لاقارب الرجل ، وهم ينكرون نسب بعض العترة ، ولا يعدون بعضهم داخلًا فيها ، ويبغضون كثيرين منها ويسبونهم؛ ويزعمون ان القرآن محرف وانه مخلوق ، وان الصحابة ارتدّوا جميعاً عن دين الاسلام الا عددًا يسيرًا .

وزعموا ان اصح كتبهم اربعة : الكافي ، وفقه من لا يحضره الفقيه ، والتهذيب ، والاستبصار . ومنهم من اثبت الجهل لله في الازل ، وقد يتعبدون بالرقاع الصادرة من المهدي المنتظر : وذلك انهم يكتبون مسألة في رقعة ويضعونها في ثقب شجرة ليلًا فيكتب الجواب عنها المهدي صاحب الزمان بزعمهم . « فهذه الرقاع عند الرافضة من اقوى دلائلهم » وهم يزورون القبور ويكرمونها ويندبون الحسين ويسبون الصحابة وهم اضر على المسلمين من جميع المخالفين . فان اليهود والنصارى وعباد الاوثان لا يتمكنون من اغواء احد من الاعراب ؛ اما الروافض فربما نفقت خزعبلاتهم على عوام الاعراب وتوصلوا الى مقاصدهم من جمع النذور واخذ الخمس واجرة قصص التعازي ونحو ذلك مع حثهم ووعظهم على عدم طاعة الحكومة ولا اعانتها في شيء . . . . وهم يفضلون الائمة الاثني عشر على اولى العزم من المرسلين ، ويقولون ان موتهم باختيارهم ، وان الائمة سيرجعون الى الدنيا ، ويتصفون من اعدائهم ابي بكر وعمر وممن والاهما ويصلبونهم ، وان امام الوقت هو محمد المهدي ، الذي غاب في سرداب (سر من رأى) وانه حيّ يُرزق

ثم نسب اليهم صاحب المقال غير ذلك مما لا سبيل الى ذكره

على عهد الامير

لماذا ؟

رواية لبنانية تاريخية

بقلم فؤاد افرام البستاني

وقد يكون من الابناء ضحايا في سبيل آبائهم
من حيث لا يعلمون

الفصل الخامس

عند الجزار

كبيرُ الأنف براقُه ، بارز الحاجبين وقد غارت تحتهما عينان واسعتان تارةً يغشيهما حجابٌ شفّاف من الماء الصافي يدفع اشدّ الناس حذرًا الى الثقة والاطمئنان ، وطورًا ينعشهما بريقٌ غريب ما كانت السنون لتخفّف من جاذبيته ونفوذه ؛ عريض الجبين وقد زاده صلع القرنين مساحةً وظهورًا ؛ اشعث الشعر مسترسله ، من جهة الصدغين على لحية متفرّقه عبث الشيب باحد طرفيها ، وعبثت انامل صاحبها بالطرف الآخر تنتف من شعراته آن التفكير فبدت ولا شكل لها يُعرف فيوصف.

هكذا ظهر الجزّار متربّعاً في عرش نقشت قواعده ، وعلته طنفسة حمراء مذهّبة الاطراف ، اذ دخل غانم ديوان عكا يصحبه وفد الامير بشير ، مقدّماً الطاعة والخضوع « للباشا ».

ولم يكن غانم شاهد مجلساً للامراء بعد ، فذهل لدى تلك المظاهر الفخمة ، وأخذ بما رأى من اساليب العظمة التي تكتنف مولى عكا ، وحار

لبه امام الابواب العديدة تحيطها الحرّاس المختلفو الأجناس والاثواب ، والملمشي الضيّقة تدور حولها الجنود بالسلاح الكامل ، والتي يراها كل من شاء مقابلة الجزّار ، فيقع الرعب في فؤاده قبل ان يصل . كان على رتاج القلعة ، حارسان من الارناؤوط بأيديهما الكشيف ، وسيفيهما المعقّفين . ووراءهما فرقة من الدالاتية وقد اطلقوا شواربهم وارسلوا شعورهم ولحاهم ، فبدوا بقواويقهم المخروطة وثيابهم الغريبة الالوان ، واصابعهم الطويلة الاظفار القابضة على نُصُب الخناجر المرصعة كأفظع ما يكون من مظاهر الشراسة والوحشية .

اجتاز غانم مع رجاله ذاك المضيق الى المشور الداخلي فاذا جدرانه مغشاة بانواع الاسلحة المختلفة ، واذا في صدره امام الباب المؤدّي الى الديوان ، فرقة من السودان فُطس الانوف ، مُلس الوجوه الّا بعض الوجنات المخطّطة بندوب مختلفة الطول والاتجاه ، بيض الاسنان ، مُتَلَبِّدو الشعور وقد شكّوا على اطرافها كثيراً من ريش الطيور بعد ان لوّنوها بالاصباغ القوية ؛ عُراة الصدور لفّوا على اوساطهم زنانير عريضة من القماش الأحمر القاني ، تمنطقوا فوقها بطبنجات مزدوجة ، وحملوا بايديهم رماحاً لدنة تلمع الاسنة في اعلاها لمعاناً تزيد بريقه عتمة ذاك المكان .

وكان في صدر الديوان كشك قليل الارتفاع نُصب في وسطه عرش المولى على قوائم مزخرفة انتهت باربعة من رؤوس الاسود . وعلى جانبي الكشك مقاعد مختلفة ارتفاعاً وزينةً جلس عليها امناء السرّ ، والمدراء والقوّاد والكتّاب . ووقف في الزوايا اربعة من الجنود الطوال وقد غطّت اجسادهم وقبعاتهم الزخارف الذهبية تدلّت منها الشراريب اللمّاعة ، وحملوا رافعين على اوساطهم ألوية الباشا . واذا اضفنا الى جانب المدخل صفّين من الجنود بالسلاح الشاكّ ، رأينا ما صار به غانم اذ اقتيد امام الجزّار . فتقدّم ببطء حانياً رأسه ووراءه اعضاء الوفد اللبناني ، حتى وصل ازاء العرش فوقف جامداً لا يجسر على رفع بصره .

وكان احد الكتّاب قد استقبل غانماً ، واستأذن له بالدخول ، بعد ان اخذ منه رسالة الامير وفيها يظهر خضوعه للجزّار ، ويقدّم له المنة والحسين

الف غرش صحبة غانم وهو احدى الرهينتين ؛ ويمده بارسال الشيخ بشير جنبلاط مع المال الباقي في اقرب وقت . ثم يهديه اربعة من جياد الخيل العربية . فتقدّم اذ ذاك الكاتب بالرسالة على صحفة من الذهب الوهّاج . . ففضّها الباشا وناولها الى احد امناء سرّه ، فقرأ مضمونها .

عند ذاك التفت الجزّار الى غانم متكلّفاً الابتسام . ثم حكّ عثنونه ، ولها بطرف لحيته قليلاً ، وقال بتمهّل .

— الامير بشير ولدنا ! ووفده مكرّم ! وهديّته مقبولة !

فاومأ احد القوّاد الى غانم ، فتقدّم وقبّل يد الجزّار . فقرّبه هذا واجلسه الى يساره ثم اقبل عليه قليلاً فسأله عن حال الأمير وحزبه وتركه منصرفاً الى امنائه مستفهماً عن احوال البلاد .

وكأن الظروف شاءت ان تُطلع غانم على مثال من عدالة الجزار ، ونموذج على أحكامه . فتقدم اليه كبير الكتاب وقال :

— اتتنا شكاية ، يا مولاي ، من شيخ نصراني على ابنه . . .

فقاطعه الباشا بحدّة :

— ومضمونها ؟ ؟ ؟

— يقول الشيخ ، يا مولاي ، ان له بيتاً مؤلفاً من قبو وعلّية . وقد كان يسكن العلّية من عهد بعيد تاركاً القبو لابنه . حتى كان الشهر الماضي ، فاراد ابنه الزواج وتقدّم راجياً منه ان يعيره العلّية ليُقيم فيها حفلة العرس . . .

فعلت شفتي الجزّار ابتسامةً خفيّة ، صادفت مثالها على جميع الشفاه . وكان الكلّ قد اعجبوا بهذه القضيّة الغريبة . ثم تابع الكاتب .

— فرضي الاب ، واحتفل الابن بزواجه في العلّية .

— وممّا يشكو الاب ؟

— يشكو ، يا مولاي ، من أنّ ابنه لا يزال في العلّيـة . وها قد مرّ اكثر من شهر على قرانه ، وكان كلما خاطبة الاب بشأن الغرفة يسوّفه حتى اول من امس فقال له بكل صراحة انه لن يتنازل عن علّيته .

فتململ الجزّار في مقعده ، وقال بحدّة !

— وقاحة ! واين الابن ؟

— هو قيد التوقيف ، يا مولاي !

— ليُحضر !

وما كان كرجع النفس حتى اقتيد المتّهم مقيّدًا ، فتقدّم ببطء وقد اصطكّت ركبتاه ، وصبغ الخوف صدغيه بالاصفرار . واشتبكت عليه انظار الجميع حائرين في ماذا سيكون حكم الجزّار في تلك القضية الغريبة .

ولما وصل الى وسط الديوان ، رفع الجزار رأسه فصوّب اليه بصره فقال:

— انت المتّهم ؟

فارتجف الشابّ ، وحنى رأسه ، وسكت .

— ما هو دينك؟

فتلا ذلك سكوت رهيب تململ الجميع من وقعه ، وخاف غانم ان تكون نصرانية الشابّ سبباً لقتله . امّا المتّهم فالتفت الى الجزّار بعينين ملؤهما الرعبة والرجاء وقال بصوت خافت :

— نصراني يا مولاي !

— نصراني ؟ اذًا فارسم اشارة الصليب !

فبلغ الاستغراب من الحاضرين اشدّه ولم ينتبهوا الّا ليد الشاب ترتفع مرتجفة الى جبهته ثم تهبط الى صدره ... وصوته يتهدّج قائلًا :

— باسم الآب و..الابن . . .

— الا ترى يا مجنون ان الاب فوق والابن تحت ؟ اذهب حالًا فارجع اباك الى عليته فوقك ، وارجع انت الى تحت حيث يجب ان يكون الابن ..

وما اخرج الشاب المسكين وهو لا يكاد يصدّق بالنجاة من مخالب ذاك القاضي ، حتى قهقه الجزّار عالياً فجاوبت اصداء ضحكته بين الحاضرين . ثم اقبل على غانم فقال بكل عجب :

— كيف رأيت ؟

فتبسم غانم واجاب :

— رأيكم اعلى ، يا مولاي!

ثم اشار المولى الى علي آغا احد الامناء ان يُطلع غانماً وسائر اعضاء الوفد على مدينة عكاً ، وان يبالغ في اكرامهم . فخرجوا معه وكلّهم مأخوذون بمشهد ذلك الرجل الغريب الأطوار العجيب المآتي حتى لا يكاد الانسان ان يجد له تحديداً

* * *

ساروا نحو الساعتين في شوارع عكاً الضيقة ، وعلي آغا يُطلعهم على ما فيها من المخازن والمستودعات . وقد ادخلهم الى خانات التجّار الواسعة شارحاً لهم كيف اصبحت عكاً اعظم مدينة تجارية على الشاطئ فتقدّمت بيروت في كل شيء حتى انه لم يبقَ اذ ذاك في بيروت من السكّان سوى ستة آلاف . ثم قادهم الى مرفأ المدينة فأراهم اسطول الباشا المؤلف من اربعة مراكب احدها كبير مهمّ ، واثنان متوسطان ، والآخر صغير خفيف قال لهم علي آغا ان تجارة الامير غنمه من اهالي مالطة .

ثم عاد بهم الى الاسوار فداروا حولها وهو يخبّر لهم عرض جدرانها مشيراً الى ضخامة ركائزها ، وارتفاع ابراجها ، ومنعة بوّاباتها . حتى ذهلوا جميعاً . فقال غانم :

— ومن بنى هذه الاسوار ؟ وهل هو مولانا الباشا ؟

— لا ! بل ان بناءها قديم جداً يرقى الى عهد الكفار من الفرنجة الذين أتوا منذ مئات السنين فاحتلّوا هذه البلاد . بنوها كي تدفع عنهم هجمات المؤمنين . وها ان الله ردّها الى المؤمنين .

فجعل اللبنانيون يعجبون بتلك الاركان الضخمة ، والمشارف الشاهقة . بينما كان علي آغا يُتابع كلامه :

— ولكن لا يسبق الى ذهنكم ان هذه الاسوار لا تزال من عهد كفّار الفرنجة على هذه الحالة . لا ! فان مولانا الباشا رمّم الكثير من ابراجها ، وشيّد بعض اركانها . واحتفر هذا الخندق الفسيح الذي يفصل بينها وبين الهاجمين من البرّ . وقد رأى بحكمته ان يسرع في العمل ففرض على كل قرية من قرى الجوار ان تأتي برجالها فتشتغل ثلاثة ايام في الاسبوع . حتى قويّ البنيان،

واعيدت الاسوار الى سالف منعتها ، فاصبحت عكاً تتطاول على كل طامع وتهزأ بكل محارب.

فقال غانم مستغرباً :

— وما القصد من كل هذه الاتعاب ؟ ومن يمكنه محاربة مولانا الباشا ؟ بل من يمكنه التفكير في محاصرته ضمن هذه الأسوار ؟

فابتسم علي آغا وقال :

— انك لا تزال شاباً بعد ، فلم تختبر تصاريف الدهر ، وانقلابات الايام. من يدري ما يقوده الينا الزمان مما لعله يُظهر منفعة هذه الأسوار . وما ادراك ما سيكون لمنعتها من التأثير في مستقبل الأحوال . قد تنفع المولى في اشدّ ازماته ، وقد تغيّر مجرى كثير من المقاصد والمطامع ...

وبعد ان تفقّدوا جميع الآثار في ذاك البلد التاريخي ، عادوا الى الديوان ، فأمر الباشا بانزالهم في جانح خاصّ من قصره ، وبان يُهتمّ بهم ويُبالغ في إكرامهم .

* * *

وبعد ثلاثة ايام استأذن اعضاء الوفد إلّا غانماً ، في الرجوع الى دير القمر. فاذن لهم الجزّار بعد ان خلع عليهم ، واعطاهم هديةً للامير بشير مع علامات الرضى.

فودّعوا غانماً . وانصرفوا وكلّهم يتحدّث عن عظمة عكّا ، وابّهة واليها

وكان غانم قد سلّم الى خادمه ثلاثة تحارير : واحداً للامير بشير يذكر فيه جميع ما شعر به لدى مقابلة الجزّار ، والثاني لجدّه الشيخ يخبره بانه غير حزين في عكّا ويطمئنه الى صحته واحواله . والثالث الى عمه الامير جهجاه يقبّل به يديه ويدي امرأة عمه ، ويسلّم على بدور...

(لها بقية)

شذرات

عند الانكليكان

نقتطف من مجلة العالمين الافرنسية[1] بعض ايضاحات عن الكنيسة البروتستانية الانكليكانية للكاتب جان كيتون لا تخلو من الفائدة . واليك تعريبها :

« ان بلاد باركر وإليزبيت[2] استرجعت الشموع والبخور والمذبح وكراسي الاعتراف والقداس والسجود للقربان . ليس من النادر ان تجد في احياء العملة بلندن كنائس للطقسيين لا تكاد تميزها عن كنيسة كاثوليكية رومانية . فالقناديل تضيء امام المذبح . وتُقام القداسات كلَّ صباح . وترى مرتفعاً امام دعامة من دعائم الكنيسة تمثال العذراء محاطاً بالزهور وقدامه المؤمنون رُكَّعٌ يُصلّون باخفات . وهنا وهناك في جوانب الكنيسة تمثال قلب يسوع والقديس يوسف بل والقديس انطونيوس البادوي . ويُقدَّر انه يوجد في ايامنا في المذهب الانكليكاني اربعة آلاف كنيسة يرتدي فيها خدَمة الدين بالثياب الكهنوتية . ونحو ألفي كنيسة يحضر فيها المؤمنون القداس يومياً . وقال اللورد هوغ سيل[3] انه يوجد في لندن مائة كنيسة يُحفظ فيها القربان . ثم ان اكثر من ثلث الاكليروس الانكليكاني وربع العلمانيين هم من الحزب المسمّى انكلوكاثوليك . ومما لا ريب فيه هو انَّ هؤلاء العلمانيين هم اشدّ حرارة في العبادة من سواهم وان كهنتهم هم اوفر علماً وتهذيباً واعظم تفانياً في خدمة النفوس . وكثير منهم وخاصةً الحديثون يعيشون غير مزوَّجين . وقد عدّوا في السنة ١٩٢٧ ثماني رهبانيّات للرجال واكثر من خمسين رهبانية للنساء . وبعض هذه الرهبانيّات الانكليكانية اتخذت لها اسم الفرنسيسكان والبندكتيين » .

---

١) Revue des Deux Mondes, 15 Nov. 1928 p. 269, 270

٢) إليزبيت هي ملكة انكلترة التي اتمّت انفصال كنيسة مملكتها عن الكنيسة الكاثوليكية . باركر هو رئيس اساقفة كنتربري الذي وكلت اليه إليزبيت تنظيم الكنيسة الانكليكانية

٣) Lord Cecil Hugh

تأثير الاشعة المجهولة في تنمية النبات

ان الأشعة الغريبة التي لا يزال العالم العلمي يدعوها مجهولة بسبب ما فيها من المزايا التي لم يعرفها بعد ، اظهرت حتى الآن خاصيات عجيبة في بيئات مختلفة من الحيوان والجماد . فهي التي مكنت الاطباء من فحص ما تكنه الاجهزة الداخلية في الجسم البشري من المواد الغريبة . وهي التي ساعدت نقاد فن التصوير على معرفة التصاوير المقلدة وابرازها عن الروائع القديمة . وهي التي سهلت ، لارباب المصاهر المعدنية ، تحليل معادنهم واختيارها بما كشفت لهم من النقص او الاختلال في دقائق المعدن الواحد وخلاياه

وقد كان من منافعها محاربة السرطان وذلك بفضل احدى خاصياتها وهي التأثير في تطور الخلايا الحية وتنميتها او ايقاف نموها بحسب كمية تلك الاشعة وكيفيتها . فكان من الطبيعي اذاً ان يتساءل المشتغلون بذلك عما يكون تأثير تلك الاشعة في الخلايا الحية من النبات . ولم يلبث الاختبار ان تبع السؤال فقام الاستاذان بودسبيد (Poodspeed) وأولسون (Olson) من كاليفورنية بتجربة نهائية برهنا فيها عن حقيقة تأثير الاشعة في نمو النبات . فأجريا الاشعة على بعض نباتات من التبغ كانت مع غيرها في محيط واحد وبشروط متماثلة . فلم تلبث النباتات المعرضة للاشعة ان نمت بسرعة حتى فاقت الاخرى بضعف واحد في قليل من الزمن

اما نتيجة هذا الاختبار فغاية في الاهمية بما سيكون له ، فضلاً عن التقدم العلمي ، من التأثير في عالم الزراعة والصناعة اذ يظهر نوعاً جديداً من الاسمدة الاصطناعية .

مطبوعات شرقية جديدة

Grabar (André) : Recherches sur les influences orientales dans l'art balkanique. [*Publications de la Faculté des Lettres de l'Université de Strasbourg*. 43] *Paris, Les Belles Lettres*, 1928, *XIII*-151 *pp. in*-8°, 28 *fig. et* 16 *pl. phototyp.*

ابحاث عن التأثير الشرقي في الفنّ البلغاني

لقد عُرف الاستاذ غرابَر ، المحاضر في جامعة ستراسبورغ ، بابحاثه السابقة في الفنّ البوزنطي . وها هو الآن يبدأ سلسلة جديدة من الابحاث في الآثار القليلة الشهرة من بلغارية وسربية ، التي ذهب ودرسها في مواقعها سنة ١٩٢٥ . وقد خصّ البحث الاول ببقايا بطانة احد الجدران من كنيسة پتلينا ، وهي قرية على مقربة من پرسلاف ، عاصمة بلغارية القديمة . امّا الكنيسة التي يرقى زمن بنائها الى القرن التاسع او العاشر للمسيح ، فتكاد تكون اليوم طامسة الاطلال . الّا ان الحفريات اظهرت وجود بطانات للجدران من القشاني الصقيل اللمّاع ، ونقوش خاصّة يُستنتج من براهين المؤلف الدامغة أنها تلتحق بالفن الساساني الذي يرقى الى عصر التأثير المسيحي في الفنّ . ويعرف قرّاؤنا كم كان تأثير سورية وما بين النهرين ومصر كبيرًا في نشوء الفن المسيحي في البلاد الاوربية اعتبارًا من القرن السادس . ولنا برهان جديد في الآثار التي اهتمّ الاستاذ غرابَر بجمعها ودرسها ذاك الدرس العميق المفيد ليس من حيث التأثير الشرقي في الفن الاوربي فحسب ، بل من حيث اصول الفنّ الاسلامي ونشأته وهو امر يشغل جميع علماء المستشرقين في عصرنا . اما القسم الثاني من الكتاب فقد خصّه الاستاذ بدرس عدّة مخطوطات سربيّة وبلغاريّة يرقى تاريخها الى القرون التاسع والعاشر والحادي عشر ، وتقرب رسومها ونقوشها بعضها من بعض . وبينها نوع خالص مستقلّ تؤلفه نقوش مخطوطتين من مجموعة الاناجيل الاربعة . وقد افرد المؤلف درساً خاصًّا لرسوم مخطوطة لقصة الاسكندر تظهر شبهاً

غريباً بالفنّ الشرقي . ان طريقة المؤلف المنطقية الصارمة ، ودقّته العلميـة ، ووفرة معلوماته الموافقة الظاهرة في جميع ابحاثه وفي جدول مآخذه المعروضة في اول كلامه ، تجعل من كتابه مثالاً لهذا النوع من الأبحاث . فنحن نتمنى ان يقوم بيننا من كتاب سورية والعراق ومصر من يسير في اقرب وقت على طريق المؤلف في هذه الموضوعـات ، ويباشر بطريقـة عقلية عرض وترتيب الرسوم والنقوش العديدة التي تزيّن المخطوطات القديمة ومن سريانية وعربية والتي تكاد تكون مهملة في المكاتب العامّة والخاصّة س . ر

REALLEXIKON DER ASSYRIOLOGIE. Unter Mitwirkung zahlreicher Fachgelehrter. Herausgeg. von Ebeling(E)*u.* Meissner(B.) 1er *Bd*, 1sto *Lief*.A — Altkleinasiatische Völker. *Berlin u. Leipzig, Walter de Gruyter u. C°*:1928; *XI*-80 *pp. gr.* 8° *à* 2 *col.* 14 *pl.*

دائرة معارف العلوم الاشورية

يقوم بنشرها البلغ ومبسر بمعاونة عدّة اختصاصيين

هذا تأليف طالما انتظرناه ، وكان قـد أُعلن صدوره قبـل الحرب تحت ادارة احد قدماء علماء الالمان بالامور الاشورية ، الاستاذ هـ . زمّرن (Zimmern) على انـه لم يظهر الّا اليوم تحت ادارة اثنين من مشاهير علماء الاشوريات الالمانيين ، وبين ايدينا الجزء الاول في ثمانين صفحة و ١٤ لوحة مع عدد وافر من الرسوم . ويكاد يكون كل المعاونين في نشر هذا الجزء من الالمانيين ، واننا نرى بينهم بشيء من الغرابة اسم الاب دَيْمـل (Deimel) الاستاذ في المعهد الكتابي البابوي في رومية . اما محتويات الجزء فمن المستحيل تلخيصهـا فنكتفي بالقول انها كافية مرضيـة . وهي مكتوبة ليس لمن يهتمهم درس الاشوريات فحسب ، بل لجميع المستشرقين ، والمؤرخين ، وعلماء العـاديات ، الذين يحتاجون الى الاطلاع على حالة الموضوعات العامّة والخاصّة المتعلقة ببلاد ما بين النهرين . حتى انه يمكن القول ان الكتاب المذكور نُشر لهـذا الفريق الاخير من العلماء . ولهذا نرى فيه كثيراً من الحوادث ملخّصة تلخيصاً يجتنب الدخول في بسط الآراء المختلفة والمناظرات . بيد انه كان من المفيـد ، على

الرغم من التقيُّد بالايجاز المقصود ، زيادة بعض الايضاحات التي تُساعد غير الاختصاصيين بالاشوريات مثلاً في مادّة «آيب» ، امير بحيّي على عهد العمارنة. هذا وفي الكتابات بعض ترجمات قصيرة لعلماء لا يزالون احياء وفي عنفوان شبابهم مثلاً ترجمة المستشرق ألبرَيت (Albright) مدير المعهد الاميركي في القدس . وان في بعض الابحاث نقصاً بيّنا كما في مادة «النسر» (Adler) مثلاً وفي اللوحة ٧'c نسرٌ قد يكون من آثار حلب او بعلبك فهو غير عريق في القدم . الى غير ذلك من النواقص كما في مادة « المذبح » (Altar) (ص: ٧٣) حيث لم تُذكر المقابلة مع المكتشفات الاخيرة في بَيسان (فلسطين) . وكما في مادّة « شعوب الاناضول » في القسم الجنسي حيث لم يُذكر شيء من المؤلفات الفرنساوية في الموضوع . هذا واننا ننتظر بفروغ صبر صدور الجزء الثاني من الكتاب النفيس الجدير بالثناء لتقسيمه وقيمته ، متأسفين ألّا يكون لشرقنا العزيز كتابٌ مثله س . ر

Mohammad Abdel Gawad : L'exécution testamentaire en droit musulman. *Paris, Geuthner*; *in*-8° 168 *pp.*

تنفيذ الوصية في الشرع الاسلامي

هذا المؤلَّف قدمه محمد افندي عبد الجواد الى جامعة ليون فنال به لقب دكتور في الحقوق . تنفيذ الوصية ؟ كلمة اعجمية ، نظرية غريبة عن الشرع الاسلامي مع تحقيق وجودها في شرائع اخرى كثيرة . ففي هذه الشرائع نظرية تنفيذ الوصية هي مجموع القواعد المختصة باجراء مقتضيات وصية من قِبل شخص اختاره الموصي

بيد ان المؤلف يرى ان هذه النظرية موجودة في الشرع الاسلامي وان لها علاقة ثانية مع الوصاية ، فهما من اصل واحد ولا يفترقان في الجوهر

ومع ان نظرية تنفيذ الوصية في الشرائع الاخرى هي نظرية مستقلة عن غيرها ، ثابتة بذاتها ، فلا بد من القول انها في الشرع الاسلامي مندمجة بالوصاية والمؤلف نفسه ركن لما يؤكده على هذه الصورة ، الا انه لم يظهر لنا مستندًا مبررًا مع ان فكرته جديرة بالاعتبار وكان امكن ان تأتي بثمرة طيبة

لا يُحجَم عن الاقرار ان في الحالة التي ما عتم ان تصلّب بها الشرع الاسلامي ، اضحت نظرية تنفيذ الوصية جزءاً كثيرها من اجزاء نظرية الوصلية العامة . فنفذ الوصية اصبح الوصي ذاته الذي ينصبه شخص ليقوم وصيًّا على اولاده القاصرين من بعد وفاته وهو في لغة الشرع الوصي المختار

ومن ثم اخذ المؤلف يسرد فصول بحثه . فيتكلم اولًا عن اصل تنفيذ الوصية التاريخي . ثم يقسم الكتاب الى بابين : الباب الاول فيه البحث عن كيفية تعيين منفّذ الوصية . فيتكلم عن الصور المختلفة التي يمكن ان يتم عليها هذا التعيين ، وعن الشروط التي يجب ان يستوفيها المنفذ وعن قبول ورفض الوظيفة . والباب الثاني يحتوي على بيان وظيفة المنفذ وصلاحيته والمسؤولية اللاحقة به .

ولكن بديهي نظرًا لما ذكرنا ان مدار البحث هو كله عن الوصي على القاصرين وعن تعيينه ووظيفته ومسؤوليته

ومن الامور الاخرى التي لفتت نظرنا هو قلة ذكر المستندات الى المؤلفات التاريخية التي استقى منها المؤلف موارد بحثه .

ولكن على وجه الاجمال يدلّ الكتاب على جهد في التأليف يوجب الثناء . واكبر فضله هو انه نبّه الافكار الى موضوع بحث جليل الا وهو : هل يوجد في الشرع الاسلامي صلة بين الوصاية والوصية ؟

اميل تيان

استاذ مساعد في مكتب الحقوق الافرنسي في بيروت

E. Stein : *Geschichte des spätrömischen Reiches. I. Vom Römischen zum Byzantinischen Staate* (284-476 *n. Chr.*) . *Vienne, L. W. Seidel u. Sohn*, 1928. *in-8°* XXI + 591 *pp.*, 10 *pl. et* 4 *cartes.*

تاريخ الامبراطورية الرومانيّة

ان الاستاذ ستين يكتب خصوصاً لجمهرة المتأدبين ، وبالاخصّ للشبّان المتعمقين في الدروس ، كما يقول في مقدمته ، وهو يوفّر لهم في كتابه معلومات واضحة ومآخذ صحيحة . وان من قلّب صفحات دروسه السابقة

(Studien zur Gesch. des byzantin. Reiches) يتأكد انه يقوم بوعده حقّ القيام . على انه حتى تمكن المطالع الاستفادة من ملاحظات المؤلف الدقيقة ، يلزمه ان ينتظر ظهور الجدول العامّ في آخر المجلد الثاني . امّا هذا المجلّد الاول فيبدو كثير المادّة متراكم المعاني . ولو وضع المؤلف بعض العناوين الثانوية لزاد في قيمة الكتاب من حيث مظهر الطباعة ، ولساعد المطالع على الفهم اذ يسير في احد عشر فصلًا ، دون اقسام ثانوية ، فيدرس فيها تاريخ الامبراطورية الرومانية البوزنطية من عهد ديوقليسيان الى دمار الامبراطورية الغربية . وهو عصر وافر العقد قليل الوضوح لزم لدرسه كثير من المقابلة والموافقة بين ابحاث التاريخ الكنسي ، وعلوم اللغة والجنس البشري ، وتاريخ الحقوق والمعلومات المالية . ولقد توفّق الاستاذ ستين في ذلك فعرض لنا بمظهر فسيح ودقيق كل ما يتعلّق بالمنازعات الدينيّة والسياسية في الامبراطورية ، ثم دخول الغزاة من البرابرة ، وتطوّر المؤسسات المستمرّ . وفي الكتاب صور ورسوم لا تنقص اتقاناً عن النصوص

ر . م

Hans Kohn : Geschichte der nationalen Bewegung in Orient. *XVI et* 360 *pp.* 15 *Karten.* 1928. *Prix:* 24^{m}. *Kurt Vowinckel Verlag. Berlin. Grunewald.*

تاريخ الحركة القومية في الشرق

غاية هذا المؤلف كتابة تاريخ الحركة القومية في الشرق . وهو يفهم الشرق بمعناه الأوسع : من مصر حتى الهند . على ان البلدان التي تهمّنا خصوصاً هي دون شك جاراتنا : مصر ، وبلاد العرب ، وفلسطين ، والعراق ، وتركية . وقد استغلّ المؤلف ، بطريقة وافرة العدالة والدقة ، كل ما نُشر عن الموضوع في اللغات الاوربية ، وهو يبسط ملخّصاً جيداً يُظهر الحركة القومية عند جيراننا ، ويتتبعها في مجراها . بيد ان المطالع يتحقق عند مروره على بعض الاغلاط والاوهام ان المؤلف ليس من المستشرقين . من ذلك انه يخلط بين الزعيم المصري مصطفى كامل ، ومصطفى كمال (ص : ١٥٠) ، ويخلط بين القرآن والحديث (ص : ١٩٣) ، ويجعل الشيخ ناصيف اليازجي من الطائفة

المارونية (ص : ٢١٥). اما جريدة « بريد الحجاز » فقد انشأها ، لا ابن سعود كما قال (ص : ٢٥٠) بل خصمه الشريف علي بن الحسين . ثم اننا نعتبر حكمه على الملك فؤاد الاول (ص : ١٦١) غير عادل ، وكذلك فاننا لا نشاطره الرأي في ان ثورة الدروز سنة ١٩٢٥ تظهر عمق العاطفة القومية الوطنية في سورية (ص : ٢٣٥) . على ان كل هذه الشوائب لا تنقص من قيمة هذا العمل النفيس وهو اتمّ وارزن جميع ما كُتب عن تلك المسألة العويصة اذ نرى فيه كثيراً من الافكار الصائبة والاحكام الحقّة . وفيه ايضاً اوصاف جغرافية غاية في الدقة والموافقة ه . ل

J. de Morgan: La préhistoire orientale, *ouvrage posthume publié par* Louis Gormain. 3 *vol, gr. in*-8° 1925-27. *Prix* : 400 *f*°. *Paris, Librairie P. Geuthner.*

ما قبل التاريخ الشرقي

يتضمن المجلد الاول من هذا المؤلف الكبير معلومات عامّة على ما قبل التاريخ . امّا الثاني فيختصّ بمصر وافريقية الشمالية ، والثالث بآسية الغربية . وقد كان المؤلف اجدر الناس بهذا العمل في ما قبل التاريخ الشرقي ، لانه قضى حياته بدرس الموضوع فجمع المعلومات المتنوّعة المختلفة في علوم ما قبل التاريخ ، والعاديّات ، والتاريخ ، وطبقات الارض ، والطبيعيات . وعلى الرغم من بعض دقائق ثانوية قد تتحوّر بتواصل الحفريات والمكتشفات ، يظهر المؤلف كافياً مرضياً جديراً بان يطّلع عليه كل من يعمل في هذا الموضوع ج . ل

M. Psellos: Chronographie ou histoire d'un siècle de Byzanco. *t. II, texte établi et traduit par* F. Renauld *vol. de* 200 *pp.* 1928 *Paris, Société d'édition « Les Belles Lettres ».*

مئة سنة من تاريخ بوزنطية

ينتهي بهذا المجلد كتاب المؤلف من قسطنطين التاسع الى مخائيل السابع (راجع وصف المجلد الاول في المشرق ٢٤ [١٩٢٦] : ٧٨٩) وفيه جدول الاعلام مع الزيادات والإصلاحات التي قام بها المترجم على اثر ملاحظات المنتقدين

Islamica, vol III, fasc. 3. *Verlag der Asia Major, Leipzig* 53

مجلة الاسلاميات

مما يجدر بالذكر في هذا الجزء مقالٌ عن « ايام العرب » ومبلغ قيمتها من حيث التاريخ الجاهلي لعربي جزيرة العرب . ثم النصّ التركي للمذكرات « اسلاماشمق » التي كتبها الامير المصري سعيد حليم باشا الوزير التركي السابق، عارضاً فيها آراءه في اصلاح الإسلام

Almanach catholique français pour 1929. *Paris, Bloud et Gay*

التقويم الكاثوليكي الفرنساوي لسنة ١٩٢٩ .

ظهر هذا التقويم النفيس للسنة العاشرة وهو يواصل التحسين في موضوعاته والزيادة في معلوماته، التي تفيد المطالع الكاثوليكي مدة ايام السنة. فبدا مثالاً فائقاً حقيقاً بان يحتذيه جميع ناشري التقاويم.

نقض الكتاب في الشعر الجاهلي

تأليف السيد محمد الخضر حسين احد علماء الازهر

القاهرة – المطبعة السلفية ١٣٤٥ (ص ٣٦٢ ، مثمن كبير)

هذا الكتاب هو رابع المؤلفات التي وردتنا ردًا على الكتاب « في الشعر الجاهلي » للدكتور طه حسين . ان المشكل لعويص والقضية لأبعد من ان يدقق النظر فيها الّا المتضلعون من التاريخ الاسلامي المتخصصون في البحث عن مصادره . تناول السيد محمد الخضر حسين كتاب خصمه فصلًا فصلًا وبندًا بندًا ، امّا بالحرف واما بالايجاز ، وبحث فيه واعرب عن نتائج بحثه مسهباً فنال من حجة خصمه من غير ان يحطّ من كرامته وحبذا الاسلوب في النقد . فانكر صاحب الكتاب على الدكتور طه حسين منهجه في الشك ونسب اصل ذلك الشك الى مرغليوث (ص:١٧) ونبذ طريقة ديكارت « لانه لا يخرج العقل من غسق الجهالة او الحيرة الى وضح اليقين او الرجحان » (ص:٣٦) ونسب الى خصمه التطرّف لانه يرفض رواية بعض الشعراء الجاهليين ويقبل

غيرها » فيعتمد في حياة الجاهلية شعر ابي عزة الجمحي وعبدالله بن الزبعري ولا يعتمد فيها شعر حسان والاعشى » (ص:٤٠) وعابه لكونه لم يعرّف قراءه بلغة الجاهلية ، قبل ان ينفي صحة نسبة الشعر الجاهلي اليها . ورأى ان الفرق بين اللغات وخاصة بين الفرع العدناني والفرع القحطاني قد خفّ قبل ظهور الاسلام فقرب بينهما وهيّأهما لان يكونا لغة واحدة (٧١) وقال : « تختلف لهجات القبائل العربية اختلافاً لا يخرجها عن ان تعدّ لساناً واحداً ، وان يكون هذا اللسان ذا قوانين تجري في هذه اللهجات بأسرها » (٩٨) وكان الدكتور طه حسين قد بيّن ان انتحال الشعر او نسبته الى غير صاحبه ليس مقصوراً على العرب لان الانتحال كان شائعاً عند اليونان والرومان. فاجاب الناقد منكراً على خصمه حق التشبيه بين الامم طرّاً . وفي نظره ، ان المؤثرات في حياة الامم اليونانية والرومانية والعربية ليست واحدة ولا متقاربة ، ولا تصلح كلها على السواء لان تكون موضعاً للبحث التاريخي بحسب منهج ديكارت الذي اشاد به صاحب الكتاب في الشعر الجاهلي . ولعلّ عقدة المشكل انما هي في الفصل المعنون « في السياسة وانتحال الشعر » وهو سلسلة اخبار فكّ الغازها طه حسين قائلاً : ان الحزازات القديمة والضغائن صارت سبباً لقول شعر انما قيل بعد الاسلام لغايات سياسية فوسع صاحب النقد المجال للبحث (ص:١٣٨ — ١٨٦) في تلك الاخبار ووقف في تفسيرها وقفة المسلم الغيور على تأويل النصوص بروح التقاليد. ومن امثال ذلك ما روى عن الخليفة عمر. فانه سمع الشاعر حسان ينشد الشعر في المسجد فلامه وسكته . فقال الدكتور طه حسين : ان عمر القرشي خشي هجاء الشاعر لقريش فسكته ، ورأى ان هذا التسكيت دليل على العداوة بين قريش والانصار ، وان هذه العداوة سبّبت انتحال شعر تسلّح به احد الفريقين على الآخر . امّا صاحب كتاب النقض فرأى ان الخليفة سكّت الشاعر خشية ان يخترق حرمة المسجد « الذي هو معدّ للعبادة » وقال انه ليس من ثم دليل لحجة الانتحال او عليها (ص:١٥٥) . ووضع السيد الخضر روايات الاغاني موضع الريبة والشك لان الاصبهاني في نظره « ظاهر التشيّع واهل العلم طعنوا في امانته » (ص:١٦٤)

فحيّرنا واوقعنا في ريبة من امر تاريخ الآداب العربية ، وكتاب الاغاني من اجلّ مصادرها وارسمها.

وللجدال بين الفريقين وجوه والحرب سجال وكل صاحب كفوء لصاحبه ، ذلك مما يزيد كتاب السيد الخضر رونقاً واذةً فضلاً عما فيه من صفات مستحسنة في المناقشة الادبية الجامعة بين دقة البحث واعتدال اللهجة ف.ت.

المسيح في الهند

المطبعة الاميركية — بيروت ١٩٢٨

اهدت الينا المطبعة الاميركية ببيروت كتاباً معرَّباً عن الانكليزية للمبشر ستانلي جونس البروتستاني عنوانه « المسيح في الهند » . غايته ان يعرّف المسيح للهنود لكي يجتذبهم الى الدين المسيحي. فقرأناه بكامله ، فوجدناه متشرباً مذهب الحلول والتحوّل في الدين . فلا عجب ان اتانا بتعاليم غريبة لا تتفق مع الدين ، ولا مع الحقيقة ، ولا مع العقل السليم . يتأكد ذلك القارئ من بعض عبارات نثبتها هنا ، وهي قليل من كثير. قال: « اني اعتقد انه ان كان الله مثل المسيح فهو إله صالح يمكن الاتكال عليه والثقة به » (ص: ٤١) . فلا يخفى عليه ان مجرّد معنى الاله يستلزم الصلاح. كما قال المسيح: « لا صالح الّا الله وحده » (مرقس ١٠: ١٨) . وكتب في الصفحة ١٨٧ « ليست العجيبة الكبرى قيامة المسيح من الاموات » . فهل نسيَ ما قاله بولس الرسول « ان كان المسيح لم يقم فكرازتنا باطلة وايمانكم ايضاً باطل » (١ كور ١٥: ١٤). وقال المسيح ايضاً « ان هذا الجيل الشرير يطلب آية فلا يُعطى آية الّا آية يونان النبي » (لوقا ١١: ٢٩) . اي ان قيامته من الموت برهان على انه المسيح ابن الله . وقال المبشر عن الديانة « انها اختبار نفسي او شعور في النفس ... ان الاله الحقيقي هو الذي يبرهن على ذاته بشفاء النفس من امراضها ... والنغمة التي تحتاج بلاد الهنود الى ترددها في ارجائها انما هي نغمة اليقين لا نغمة التمسك بتعاليم او عقائد معيّنة بل نغمة الاختبار المسيحي المقنع »

(ص ١٦٠و١٦١) . فيُستنتج من هـذا التعليم ان الاله الحقيقي متوقف على اختبارنا النفسي فليست حقيقة وجوده قائمة بذاتها دون شعورنا. وهذا كفر بوجود الله . ومعلوم ان الشعور يختلف مع اختلاف الاشخاص فتختلف من ثمَّ الحقائق. فلا تكون حقائق . قال ايضاً المبشر : « كنَّا في ما مضى ... نستدل من عجائب يسوع المسيح على الوهيته ونحاول التوصل من « ماذا » الى « من » وهذا القياس ضعيف ضعفاً واضحاً » (ص ١٨٤) الا ان هذا القول يُشتمُّ منهُ ضمناً انكار الوهية المسيح . وقال ايضاً وهذا من العجب « ان كثيراً من الشرور التي تئنُّ منها بلدان الغرب الآن جاءها مع دخول المسيحية اليها » (ص ١٣). فلو قال ان سبب الشرور هو لان كثيرين وخاصة الحكّام تركوا المسيحية لاسيما بعد ان شقّ لوثير عصا الطاعة وتمرَّد على الكنيسة التي اسسها المسيح لكان نطق المبشر بالحق . ومن اقواله الغريبة « ان روح الغطرسة والتسلط لا يزال متأصلاً في بلدان الغرب بالرغم من وجود المسيحية فيها . لا عجب لانه وصل اليها مع دخول المسيحية » (ص ١٤). ولكنه معلوم عند القاصي والداني ان لفظة التواضع ، من حيث هي فضيلة ، لم تكن معروفة قبل المسيحية . ومن اقوال المبشر البروتستاني « لشدة رغبتي في ان تكون العقائد نقية طاهرة اريد ان يكون وضعها في نور شخصيته (شخصية المسيح) الساطع وقابلاً للتصحيح الدائم تحت تأثير فكره الحي » (ص ١٨٩). فينتج من هذا الكلام انهُ لا توجد عقيدة ثابتة في الديانة ، فيريد المبشر البروتستاني وفقاً لمذهبه ان ينكر اليوم ما اعتقده امس ، وان يصحّح كل ما لا يتفق مع الاختبار النفسي او الشعور في النفس . الى غير ذلك من الآراء المتضاربة والترّهات.

ان الهندي الذي يطالع هذا الكتاب لا يعلم ما هو الدين المسيحي . أهو جمعية لها نظامها وشرائعها ام لا. وما هي الوسائط التي تستخدمها لتؤدي العبادة لله . وهو يرى احزاب المبشرين المتضادة والمتناقضة يعتقد هذا ما ينفيه ذاك ، ويحقق الواحد ما ينكره الآخر ، حتى يؤول معتقدهم الى ملاشاة الدين المسيحي لولا وجود الكنيسة الكاثوليكية المؤسَّسة على الصفاة

١٠ص .

روضة الانشاء

وهي مجموعة مقالات عصرية للمدارس الثانوية

عني بوضعها لفيف من الاساتذة؛ تطلب من مدرسة القديس يوسف بالمرقش؛ المطبعة الرحمانية بمصر

النهضة على قدم وساق والهمم مشحوذة في سبيل احياء دروس اللغة العربية وتلقينها باسلوب لذيذ مفيد ، ولاخوة المدارس المسيحية فضلهم في ذلك لا ينكر وهذا الكتاب شاهد جديد على همة واضعيه واضطلاعهم من اساليب الانشاء المدرسي المتدرّج بالتلامذة من ايجاد الالفاظ الطيبة الى سبكها بعضها الى بعض ثم الى سرد الافكار واتصالها في مواضيع عصرية مأنوسة

جدول الامراض

لمؤلفه الدكتور فؤاد غصن

وهذا الكتاب ايضاً دليل قيّم على الاجتهاد في سبيل اللغة. انما هو اجتهاد الخاصة واهل الطب فلا نتصفحه الا بتحفّظ واحجام وهو يحتوي على اسماء الامراض باللغات الفرنسية والانكليزية والعربية خدمة للاطباء وطلاب الطب على اختلاف الموارد التي استقوا منها . فمنهم نتوقع الحكم البات في امره

التقرير الرسمي

المرفوع الى عصبة الامم عن احوال الادارة العراقية في سنة ١٩٢٦

تعريب عطا عزم محرر في جريدة العالم العربي ، بغداد دار الطباعة الحديثة ، ١٩٢٨

هذا الكتاب نشرته جريدة العالم العربي تباعاً وقدمته هدية لمشتركيها «فهو اذن مرآة انعكست عليها الاعمال والوقائع التي حدثت مدة عام كامل في ادارة اوضاعنا السياسية والادارية والاقتصادية والاجتماعية وهو اذن اشبه بمعجم لوقائع الادارة في العراق في ذاك العام كما يشاهدها اقطاب السياسة.» (للمعرب) وان الكتاب انكليزي الروح والنشأة فلا بد من ان يتنسم منه القارئ رائحة اصله على انه مفيد جداً للوقوف على احوال السياسة وتاريخ العراق الحالي وعلى

علاقاته بالبلاد المجاورة وخاصة سورية فلا بد لحكامنا من مطالعته والمقارنة بين احوال العراق واحوالنا ليقتبسوا نوراً اينما وجدوه ويسلكوا بنا طريق الرشاد التي ادّت بغيرنا الى النجاح.

الحياة البسيطة

تأليف شارل واغنار. تعريب الارشيمندريت انطونيوس بشير

مطبعة العرب للبستاني بمصر

ما هي صفات البساطة ؟ « انها لا تتعلق باذيال هذه الطبقة من الناس دون تلك ولا تتميز بالملابس والاثواب ولا في المسكن فالبساطة انما هي جزء من اجزاء الفكر الانساني وهي تتحرك وتعيش في كنف الحياة الطبيعية البعيدة عن الكلفة والتصنع ... لتكن الزهرة زهرة والصخرة صخرة وليكن الانسان انساناً » (ص:٥٣) هذه العبارات تكاد تلخص فحوى الكتاب وفيه من النظرات القيّمة والعبارات الجميلة البارزة بلغة عربية سلسة ما يجعله سائغ المطالعة مفيداً . على اننا لا نوافق المؤلف في جميع آرائه وبعضها (ص:٣٦) مخالف لروح التعليم المسيحي المستقيم. ف.ت.

الآيات الالهية في الاقوال المسيحية

جمعها عبد المسيح الفلويري قس

مطبعة القديس بولس في حريصا (لبنان) ويطلب من المكتبة العلمية بتونس ١٩٢٨.

لقد اقترب المسيحيون والمسلمون بعضهم من بعض حتى كادوا يمتزجون ، وقد امتزجوا في مصاف المتحاربين في الحرب العظمى وصارت وسائل النقل تزيد في حركة الاختلاط بين الفريقين . ولا بد ان تحتكّ النفوس اذا ما تقاربت الاجساد. وما غرض هذا الكتاب الا ان يبين الحقائق الدينية العديدة التي تسهل الطريق الى المسيحيين والى المسلمين ليتباحثوا على اساس مقبول من الفريقين ويتفاهموا في امر المسير والمصير واذا طالع اخواننا المسلمون هذا الكتاب فلا اخالهم يعتبرونه الّا محتوياً خيرة معتقداتهم وزبدتها. ف.ت.

نظام العالم

للخوري يوحنا بركات رحمة

يُطلب من ناشره البرديوط بطرس الفرح من دير الاحمر

كتابٌ يتضمن فصولاً مفيدة . ويتضمن ايضاً تعليلات مبتكرة الى حدّ الغرابة . منها رأي المؤلف في تركيب الزئبق وفي عناصر الاجسام الاولية .

وهناك ايضاً آراء لاهوتية كان اجدر بالمؤلف ان يوردها كنظريات شخصية ولا يجزم بها كأنها أكيدة راهنة . منها قوله في ضرورة تجسّد ابن الله حتى في حال عدم معصية البشر . ش . ا .

هدايا

* المسلمون والنصارى * بقلم عبدالله مخلص . للسيد جميل البحري صاحب مطبعة الزهرة وجريدة الزهور يد عاملة في التعريب والتأليف والنشر وهو يسعى في التقريب بين سكان البلاد على اختلاف اديانهم ، فنشر للسيد عبدالله مخلص محاضرة عنوانها المسلمون والنصارى القاها بنية التقريب بينهم . وحبذا الفكرة لولا تطرف الكاتب في تأديبة براهينه التاريخية وطعنه في المدارس الاجنبية (ص : ٣٠)

* غادة الترعة او جمال باشا والترعة * بقلم القس جبرائيل نادر الراهب اللبناني . مطبعة دير سيدة المعونات جبيل ١٩٢٨ . المؤلف لبناني والرواية عثمانية قلباً وقالباً وبطلها جمال باشا السفاح ولكن المؤلف جرده من خلقه الوحشي «مخافة ان تقوم بوجهه اشباح المجاعة واعواد المشانق» . تباع الرواية في مكتبة موسى صفير واولاده وثمنها ١٠ غ . س .

* ممالك الطبيعة * الكتاب الثاني في مملكة النبات ، لصاحبيه الفرد داي وداود قربان المطبعة الاميركية بيروت ١٩٢٨ – هذا كتاب كله درر وفوائد وفيه ما لا غنى عن معرفته لكل اديب متثقف من مبادي علم النبات وتعريبها . وهو صلة لكتاب اول سبق في علم الحيوان . ويليه كتاب ثالث في علم طبقات الارض

اهمّ حوادث الشرق في شهر

١٥ تشرين الثاني — ١٥ كانون الاول ١٩٢٨

التاع الشرق المسيحي لنعي صاحب الغبطة البطريرك غريغوريوس حداد كبير احبار الطائفة الارثوذكسية . ولد ، رحمه الله ، سنة ١٨٥٩ في عبيه (الشوف) ودخل المدرسة الاكليريكية سنة ١٨٧٢ ، وسيم كاهناً سنة ١٨٩٠ ، واسقفاً بعد ذلك على مدينة طرابلس . وجلس على السدة البطريركية سنة ١٩٠٦ . وافته المنية مساء الليل الواقع بين ١١ و ١٢ كانون الاول في سوق الغرب فاقيمت له مآتم عظيمة في لبنان وسورية ظهرت فيها عواطف المحبة بين المسيحيين اجمعين بمؤاساتهم الطائفة الارثوذكسية الكريمة بخطبها الجسيم

واننا لنذكر للفقيد الجليل رحابة صدره في اكرامه ضيافة المطران دريني اليسوعي رئيس المعهد الشرقي البابوي ، لما زار سيادته غبطة البطريرك غريغوريوس في صيدنايا . ومما بلغنا عن الحديث التي جرى بينهما حينذاك ، كلام غبطة البطريرك في اتحاد الكنائس قال :

« ان المسيح على كل شيء قدير . لقد حاول البشر ان يجتذبوه كل واحد من جهته ، اما هو فله من القوة ما يمكنه ان يجتذبهم الى قلبه من جميع انحاء المسكونة . لو كان المسيحيون اقوى ايماناً واشد محبةً وايماناً ومحبةً لرسخ قدماً بالتعليم المستقيم لكان التائب الالهي قد وجد سبيلاً سهلاً الى التقريب بين الاخوة المنفصلين على ما هم فيه من تباعد وافتراق » (١

* * *

ومن اهم الاخبار الدينية انتخاب الانبا يونس بطريركاً على الاقباط الارثوذكس في مصر . وازدياد حركة التآلف بين الطائفة الارثوذكسية الالبانية وبين الكنيسة الرومانية . واصدار أمر غبطة البطريرك كيرلس التاسع بتأليف لجنة غايتها تحضير مواد المجمع الملي الكاثوليكي الملكي . واتفاق الاراء في

١) راجع: Etudes, janvier 1928, p. 145

المجمع الارثوذكسي ، في سوق الغرب ، على اتباع الحساب الغريغوري حالما يمكن ذلك.

وقد أظهر الاب الاقدس نحو الطائفة المارونية عطفاً اخذ بمجامع القلوب لما اعلن ارادته ان يُلبّي طلبها وطلب سائر من ضمّ صوته الى صوتها من الكنائس الشرقية ، فيطوّب ابناءها الممتازين بقداستهم حالما يثبت امرهم لدى التحقيق القانوني . « ويعجل اليوم الكثير البهاء الذي تتمكن فيه الكنيسة الشرقية من ان تضيف صفحات لامعة جديدة على تاريخ مفاخرها.»

* * *

وتناقش مجلس النواب الافرنسي في هل تحافظ فرنسة على انتدابها في الشرق . ففاز حزب القائلين بواجب المحافظة باكثرية ثمانين صوتاً على خصومهم.

* * *

ومن اخبار بلاد الافغان ان الملك امان الله دعا مجلس العرش الى اجتماع اقرّ فيه :

انشاء برلمان افغاني – فصل الدين عن الدولة – إلغاء نظام الاوقاف والاقطاعات – اتخاذ قانون تركية اساساً لقانون مدني جديد – فرض التعليم الاجباري – انشاء عاصمة كبرى في كابل وتأسيس معاهد للذكور والاناث في المدن الكبرى – سن نظام لتأسيس محاكم للقضاء – ارسال بعثات علمية وفنية وعسكرية الى الاستانة والى بلاد الغرب – تنظيم الجيش الافغاني بواسطة ضباط من الاتراك – تنظيم البوليس والجندرمة – انشاء معامل كبرى لصهر الحديد وصنع الآلات الحربية وسائر ما يحتاج اليه الجيش – فرض الضرائب على افراد الامة وخاصةً على الموظفين وانفاق ما يجمع منها على ابتياع طيّارات واسلحة وانشاء مطارات عديدة.

على ان آخر ما اشاعته البرقيّات عن حركة التجدّد انها لم تبلغ المراد بل اثارت حرباً اهلية نشبت نيرانها بين الجنود وفئة المعارضين لسياسة الملك الداخلية

ف . ت

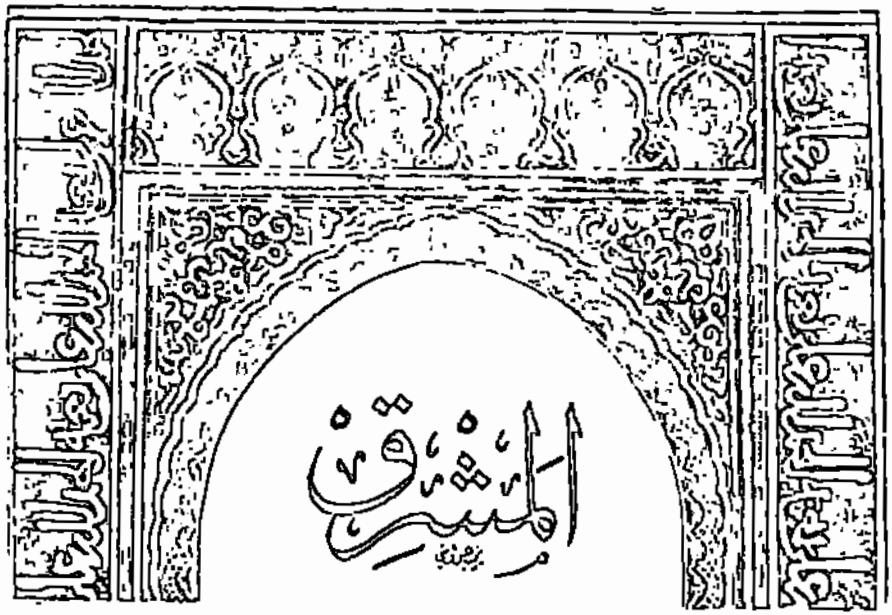

شباط ١٩٢٩

أمالي السنية

١

البارية ليست بفارسية

بقلم الاب ا. س. مرمرجي الدومنيكي
من اساتذة المعهد الكتابي والاثري الفرنسي في القدس الشريف

سُئلت مجلّة « لغة العرب » الكرملية البغدادية هذا السؤال :

« أأصاب اربابُ المعاجم العربية بقولهم : « البارية او البورية الحصير المنسوج من القصب ، وهي كلمة معرّبة اصلها فارسي » ؟ فان كان صحيحاً ، فما هو اللفظ الفارسي الاصلي ، وما هو مدلوله ؟ وان لم يكن ، فما رأيكم في الامر ؟ » ،

فاجابت المجلّة الغرّاء :

« البارية او البورية فارسيّة لا تحتمل شكّاً ، وهي في هذه اللغة « بوريا » بضم الباء ضمّاً غير صريح ؛ اذ تُلفظ (bóriâ) ومعناها الاصلي نوع من القصب يكثر في الآجام ويشبه البلاج بعض الشبه ، تتخذ منهُ الحصر او البواري . » الى آخر ما هناك مما لا يهمّنا (١

---

١) مجلة لغة العرب : سنة ٦ ، جزء ١٠ ، ص ٧٩٢

الغاية من هذه المقالة وما يتبعها ، بهذا العنوان الشامل « أمالي ألسُنيَّة » ليست مجرَّد الجدال او المكابرة او الملحكة ، بل هي اولاً: نشر الحقيقة واثباتها بما يسعنا ايراده من البراهين ؛ ثانياً: تشويق الخاصة من اهل العربية ، ولاسيما الشبان منهم ، الى دراسة « الألسُنيَّة السامية » ببسطنا امام عيونهم مبادئها مطبَّقةً على بعض المواضيع ، مما تتجلى معه فوائدُها لبصائرهم.

تقول « لغة العرب » : « البارية او البورية فارسية لا تحتمل شكاً » ونحن نقول : « البارية او البورية ليست بفارسية قطعاً ». فما هو اصلها اذن ؟ ذاك ما يجيب عليه هذا المقال . فضلُ « الألسُنيَّة السامية » هو انها تفرض معرفة جميع ألسُن بني سام ، ولو بدرجات متفاوتة ؛ مما يمكِّن صاحبها من مقابلة بعضها ببعض ؛ فيتوصل الى استنتاج نتائج ، وحلّ مشاكل كثيرة . وهو ما يعجز عنه مَن ليس لهُ وقوف الّا على لسان او لسانين منها . فمن قال : « البارية فارسية لا تحتمل شكاً » فقد صدَّق بسذاجة ودون تروٍّ قول المعاجم العربية ؛ او لانه وجدها في الفارسية ، فنشأ في مخيلته ما نشأ . اجل ان هذه اللفظة واردة في اللغة الفارسية. ولكن هل يا ترى مجرد انتظام كلمة في سلك الفاظ لغة من اللغات دليلٌ على انها من اصل تلك اللغة ؟ لو سلمنا بهذا المبدأ ، لجعلنا مئات بل الوفاً من الكلم من اصل لسان قوم ، وهي ليست الّا دخيلة فيه

ان هذه اللفظة التي تخيَّل للبعض انها فارسية لورودها فيها ، لها وجود في التلمود البابلي ، وفي اللغة الارمية السريانية ، وفي الاكدية (الاشورية البابلية) ؛ ولها اثرٌ في العبرية ، والحبشية ، والعربية عينها. فمن اي ينبوع من هذه الينابيع قد صدرت ؟

قبل الجواب على هذا جواباً ألسُنياً ، نرى من المفيد ، بل من الضروري ، ان نمهد السبيل بكلمتين اولاهما في تأريخ مستندات اللغات التي لها دخل في هذا المقال ؛ وثانيتهما في الموطن الذي تكثر فيه المادَّة الدالة عليها هذه الكلمة

***

الفارسية لغة من طائفة اللغات الايرانية . اوّلُ اطوارهـا طور الفارسي القديم ؛ وليس له من الآثار سوى الشيء الزهيد ؛ اذ لا يعرف الّا من بعض الرُقَمِ المسمارية المنقوشة على القصور في برسيبوليس وغيرها على عهد سُلالة كورش الفارسي، اي بين القرن السادس والقرن الرابع ق.م. طورُها الثاني هو طور الزندية ، بين القرن الثاني ق.م. والقرن الثالث ب.م. طورها الثالث هو طور البهلوية ، على عهد الساسانيين ، بين القرن الثالث والقرن السابع وما بعده . طورُها الرابع هو طور الفارسية الحاليّة ، المتفرّعة عن اللغة البهلوية ، والراقية آثارها الى القرن التاسع ب.م.

الاكدية طورهـا الاقدم من ٣٨٠٠ حسب التوقيت الطويل ، او من ٣٠٠٠ طبقاً للتوقيت القصير ، الى عهد السُلالة الحمورابية ، اي الى ٢٠٠٠ وما بعد ؛ الى العهد الاشوري ، وهو طورها الثاني اي منذ اواخر الالف الثاني الى عصر الدولة البابلية الجديدة ، في اخريات القرن السابع ، وهو طورها الثالث . فمن منتصف الالف الثالث حتى اوائل الالف الاول ق. م. كانت لغة بابل واشور اللغة الأكدية وحدها. لكن منذ القرن الثامن اخذت اللغة الارمية تغالبها الى ان محتها من التكلُّم.

العبرية اقدم آثارها اسفارُ موسى ، واكثر بقية الاسفار المقدسة كتب بين القرن التاسع والسابع ق.م. وانحطت اللغة العبرية بجلاء اليهود الى بابل في القرن السادس. وفي اثنائه تعلّم اليهود الارمية التي كانت سائدة في تلك الديار في ذلك العصر ، فانتشرت بينهم . وعند الفتح الاسكندري لفلسطين (٣٣٢) كانت العبرية قد زالت من ميدان التكلُّم ، وقامت عوضها الارمية.

الارمية مما ورد في التوراة والآثار المسمارية الأكدية ان الارميين كانوا من القبائل الرحل ، مواطنهم من شمال بلاد العرب الى تخوم سورية وفلسطين وبابل . وقد ظهروا في التاريخ بين القرنين الخامس عشر والرابع عشر ق.م. وتغلغل اكثرهم تدريجاً في الديار الحضرية ، وتوصّل حضرُيوهم الى اشغال المناصب العالية في الدولة البابلية الثانية ، والدولة الفارسية . ومنذ القرن الثامن كانت

لغتهم آخذة في الانتشار والنفوذ في تلك الاصقاع حتى انها اضحت اللغة الرسمية في زمن الدولتين المذكورتين . ومحت الارمية ، مع توالي الازمان ، بقية اللغات السامية كالأكدية والفنيقية والعبرية . والارمية لهجات ، شرقية وغربية ؛ ومن اللهجات الشرقية الارمية الرهوية او السريانية ، ومنها ارمية التلمود البابلي . واقدم آثار الارمية في الديار البابلية ، هي الراقية الى القرن التاسع ق.م. ثم آثار القرن الخامس ، وهي عناوين اللويحات المسمارية ؛ وعهد التلمود البابلي القرن الخامس والسادس ب.م. والسريانية ترقى آثارها الى القرن الخامس

الحبشة هي لغة العرب اليمنيين القدماء الذين نزحوا تدريجاً الى بلاد الحبشة قبل التاريخ الميلادي بعدة اجيال . وهذا اللسان مؤاخٍ للعربية ولاسيما الجنوبية اي الحميرية وطوره القديم ، طور لغة « الكعز » ولا يعرف شيء من آثاره الّا في القرون الاولى للتاريخ الميلادي ، بقليل من الرُقّ . واثره المهم ، بعد تنصّر الحبشة في القرن الرابع ، هو ترجمة الكتاب العزيز . ودامت الكعز الى القرن الثاني عشر ، فزالت من التكلّم ، فخلفتها عدّة لهجات تستعمل حتى اليوم ؛ اهمها الامحري والتكري[1]

* * *

هذا في شأن المستندات اللغوية ؛ امّا في صدد الموطن الذي تكثر فيه المادّة الدالّة عليها لفظة البارية ، اعني بها القصب ، فاقول:

لا عجب اذا جهل احوال العراق من كان غريباً عنهُ . لكن انت ، يا ابن الوطن العراقي المطّلع على مقالي هذا ، انت من اهل الدار ، وصاحب الدار ادرى بما فيه ؛ فانك ، ولا ريب ، قد جلت في نواحي مملكتنا الجنوبية ، اي في ألوية الكوت ، والعمارة ، والديوانية ، والمنتفق ، والبصرة ؛ الم ترَ ان اغلب

١) راجع في هذا الشأن الكتب الآتية :

Renan : *Histoire des langues sémitiques*

Brockelmann : *Précis de linguistique sémitique*, 1re *partie:langues sémitiques* (*Trad. fe de* Cohen)

Les langues du monde (*groupe sémitique, groupe iranien*) *par un groupe de savants, sous la direction de* Meillet *et de* Cohen

تلك البقاع ممتدّة فيها المستنقعات او البطائح او الاهوار ؟ أوَلم تسمع قط باسم اهوار العمارة ، وسوق الشيوخ ، والناصرية ، والكحلاء ، والحميسية ، ولاسيما «هور الحمّار» الشهير ، وبما في تلك السهول من غابات القصب الكثيفة الواسعة ؟ وبالحقيقة ان اكثر اهالي تلك الربوع يسكنون تحت « الصرائف» (جمع صريفة وهي البيت او الكوخ من قصب) ويستعملون القصب لصنع القوارب السائرة في الأهوار والمدعوّة « مشاحيف » مفردها « مشحوف » ، ويعملون منهُ الحصر المعروفة باسم « البواري جمع بارية » وهي الكلمة التي يدور بحثنا عليها : وهذه البواري تنقل الى جميع مدن العراق الجنوبي والمتوسط ، من الخليج الفارسي الى سامرا. وتكريت ، وتُستخدم ، كما يستخدم ايضاً القصب غير المصنوع ، لاغراض مختلفة ، وتدخل بنوع خاصّ في تسقيف البيوت . فجنوب العراق اذن موطن ومنبت طبيعي للقصب لتوفّر الاهوار فيه ؛ مما لا نجده في العراق المتوسط والشمالي ؛ وباولى حجة في بلاد فارس الجبلية المتعذّر وجود المستنقعات فيها . ومن ثمّ فالبواري سلعة ليست بمستجلبة الى العراق ، بل مصنوعة فيه . فهي اذن محليّة وطنية . ومن البديهي ان يكون اسمها وطنياً عراقياً

لكن ربما يتصوّر القارئ ان وفرة القصب والبواري في العراق بنت يومها او هي من حسنات الرقي العصري . كلّا ، فان جنوب العراق المسمى قديماً البلاد السمرية الاكدية ، او الديار البابلية الكلدانية ، قد بقي الى اليوم كما كان عليه في العصور المتوغلة في القدم ، لانه ابن الرافدين وميدان المستنقعات. وهذا « هور الحمّار » الواقع بين خليج فارس ومصبّ النهرين القديم قد احتاطته في كل زمان السهول النابت فيها القصب بغزارة عجيبة . ومدينة « اريدو » ، الثغر السمري الشهير ، كانت واقعة على ضفة هذا الهور المدعو « بحرًا » عند البابليين الاولين . وقبل ازمنة التاريخ كان الاقوام الحالُون هناك يسكنون في الأكواخ المبنية باللّبن او تحت « الصرائف » . وذلك قبل الاحتلال السمري ، حتى ان « سمر » عينها ، وان لم يثبت معناها بتدقيق ، الّا ان بعض علماء الاشوريات يذهبون الى ان مؤدّاها «ارض القصب» لكثرة ما هناك من اليراع النامي بين الاهوار . ومنذ ٣٠٠٠ سنة ق.م. بعد استنباط الآجر او اللّبن المشوي ، لم

يُستعمل هذا الآجر ، او «الطابوق» في عرف العراقيين اليوم ، الّا لبناء القصور والهياكل وبيوت علية القوم. واما الفقراء ، فكانوا يستخدمون القصب للصرائف ولصنع المشاحيف او القوارب[1]

ويُذكر في متخيّلات البابليين ان «أُتونبشتيم» ، المقابل لنوح التوراة ، في حكاية الطوفان البابلية . كان يسكن في مثل هذه الصرائف ، حين اتاه سيّده «أنكي» ، إله الحكمة ، فباح اليه بسرّ الآلهة ، وهو قصدهم انزال الطوفان بالبشر . واذ لم يتمكن ان يكلّمه رأساً ، وجّه الخطاب الى الصريفة ، مسمّياً اياها (kikkiš) فقال :

ki-ik-kiš, ki-ik-kiš; i-gar, i-gar ; يا صريفة ، يا صريفة ؛ يا حائط ، يا حائط ؛
r) ki-i-kki-šu, ši-me - ma ; i-ga-ru, hi-is-sa-as. يا صريفة اسمعي ؛ يا حائط انهر

وكذا كان الحال في عهد «كوديما» (٢٤٩٢ق.م.) فان اكابر القوم كانوا يستعملون الآجر للحيطان ، وجذوع النخل كجسور تمتد من حائط الى حائط ؛ واما العامة فكانت تسكن في الصرائف[2]. وسارت الاحوال على هذا المنوال ، على تعاقب الاجيال حتى ايامنا هذه.

* * *

هذا في شأن وفرة القصب والبواري في العراق اي البلاد الشمرية الاكدية أمّا ورود اسم «البارية» قديماً ، وفي أيّة لغة ورد قبل غيرها ، فهذا ما بقي علينا تبيانه . فقد ظهر لك من الفذلكة السابقة ان الفارسية القديمة والزندية قليلتا الآثار ؛ وان الفارسية البهلوية هي التي كانت دارجة في البلاد زمنَ وضع المعاجم العربية ؛ وان التلمود البابلي ارمي اللسان ، وان الارمية كانت منتشرة ورسميةً عصرَ السلطنة الفارسية القديمة عينها ، بل في عهد الدولة البابلية الثانية ، ومنذ القرن الثامن ق.م. امّا الاكدية فترقى الى منتصف الالف الثالث ق.م. والحال ان كلمة «البارية» واردة ، فضلًا عن العربية والفارسية

1) *Cambridge ancient history. vol. I, pp. 316 496 ss.*

2) P. Dhorme O. P.: *Choix de textes religieux assyro-babyloniens, p. 102*

3) *Premières civilisations, par un groupe de savants, p. 95*

في التلمود البابلي وفي الارمية ، ولاسيما في الاكدية القديمة والحديثة . فاستنادًا الى هذه المعلومات التاريخية الظاهر منها أقدمية الاكدية ، وأحدثية الفارسية نسبةً اليها ؛ وبعد الذي عرفناه من كثرة القصب والبواري في جنوب العراق منذ العصور القديمة ، لا بل من العصر السابق للتاريخ ، نظن ان النتيجة الطبيعية والمنطقية التي يمكن استخراجها هي ان كلمة «البارية» هذه «اكدية النجار» فنقلت الى الارمية ، (والتلمود البابلي ضمن الارمية) ؛ وتناولتها الفارسية ، إما رأساً من الاكدية ، واما بواسطة الارمية . وعن الفارسية اخذتها العربية ، على رأي اهل المعاجم ، ومن آمن بقولهم . لكنّا نفضّل الارتياب بانها دخلت العربية عن لغة عراقنا عينه ؛ لان هذه اللفظة لم تندثر قط في بلادنا ، بما ان القصب وحُصُر القصب لم تزل فيها ، وحتى اليوم ندعوها «بواري».

دونك الآن الشواهد المتعدّدة على ورودها في المواطن المذكورة: جاءت في التلمود البابلي بصورة: Bûryâ ؛ وفي الارمية السريانية Buryâ جمعها Buruyâtâ او Buryâtâ[1] ؛ وفي الفارسية Bôryâ ؛ وفي المعاجم العربية : البوري والبورية والبورياء والباري والباريا، والبارية[2]. اما الاكدية ، لغتها الاصلية ، فقد أُستُعملت فيها منذ طور البابلية القديمة المشاهد فيها علاماتُ الاعراب ، وذلك بصورة Burû . مثاله ما جاء في احد الاناشيد القديمة :

Amatsu uimma martam kima «burû» ukappar

وتعريبه: «كلمته (أو أمره) تُزيل الأمَّ والبنتَ كما تُزال (او تُرفع) «البُورُو» اي البارية او حصير القصب.

وممّا يُثبت ان كلمة burû تدلّ على شيء معمول من قصب هو انها غالباً ما تأتي مسبوقةً بعلامة التخصيص ؛ كما هو جارٍ في الكتابة المسمارية ، مثلاً: دجلة والفرات ، تبعتها علامة النهر (naru) ؛ بابل ونينوى ، تتقدمها علامة

١) المطران متأ الكلداني : معجم دليل الراغبين في لغة الاراميين ، ص ٥٧

٢) انظر ، رحاك ربك ، اي حشو تافه يتولّد من تعدّد هذه الصور للفظة الواحدة . لكن بهذه النافلات ، بل قل المترعيلات ، قد شحن اهل المعاجم اسفارهم ، فجعلوها «كنفية نوح». ولاجل هذا وامثاله ، يقول «بنتي العربية» اهل الجمود المحاولون ارجاع لغة اهل القرن العشرين الى عصر البادية المظلم

المدينة (alu) ؛ شُتر واكد ، توضع قبلها علامة البلد (matu) ؛ وما شاكل ذلك . فالخصّ السابق ، عادةً ، كلمةَ burû هو qânu اي القصب ومقابله في العربية : القنا ؛ وفي السريانية : qanyâ ؛ وفي العبرية : qânê وفي الحبشية : qanât . ومن الشواهد التي لا تبقي مجالاً للشكّ في ان burû تدل على الحصير المنسوج من القصب ، هي الرسالة المدرجة في مجموعة رسائل العهد البابلي الحديث ، وفيها يعلّم المرسل « نَبُوزِرإِبِني » كيفية صنع البواري المُرسَل اليه « رِيمُت ». وها نحن نوردها لك « مُكَرْشَنَةً بالابجدية الصائتة »[1] ومترجمةً الى العربية ، ومذيلةً ببعض الحواشي تتميماً للفائدة ؛ وقد عثرنا عليها منشورةً في كتاب مسيو فرنسوا مارتن الفرنسي[2]

Duppu (١ [d]Nabu - zir - ibni ana
Rimut (٢
Ahiśu (٣ — [d]Bêl u [d]Nabu šulum
Ahiiâ (٤ liqbu - Kaspa ša (٥ ana
Qânu (٦ *burâni* (٧ idinnu.
Ṣâbê [m] (٨ ša iśśuma amlik.
Alkamma lukallimka.
Amru ḫarra ša *qânu burâni*
Iśten amilu, ina kutallika, issir
Alkamma ṣâbê [m] anabêliiâ (٩
lukallim. 800 *qânu burâni*
ina pân bêlinu.

رسالةٌ من « نبوزرابني » الى « ريمُت »
اخيه — الاله بيل والاله نبو صِحّةً
اخي فليحتا — فضّة شمّش (المخصّصة لصنع)
« البواري » قد سلّموها —
الكلمة الذين أتوا بها قد فاوضتهم.
حلرهُ ، فأريك (كيفية العمل).
هوذا (انظر) مستقيم صغير (لغرس القصب المعدّ
(لصنع) « البواري ».
رجلٌ واحد ، في حديقتك ، يحوّطها
حلرهُ ، لكي العملة (في حال الشغل) تستدي
أربيّ . (ها هي ذي) ٨٠٠ « بارية » (من قصب)
(معدة) لأمر (اي قدام) مولانا.

١) duppu معناها اللبِنة او الآجُرّة ؛ ويقابلها ، لفظاً ومعنى ، الكلمة العربية « طُوبَة » المستعملة خاصةً في مصر . واذ كان سلفاؤنا البابليون يكتبون لفتهم ، بخطّها المسماري ، على الويحات من لبن او (طوبات) سمّوا الرسالة باسم اللبنة او الطُوبَة المكتوبة عليها .

٢) Nabu zir ibni . اسم علم للمُرسِل ، مركّب من جملة معناها : (الاله نبو اقام زرعاً او ذرية) ويقابلها بعض المقابلة في اصطلاحنا اسم (رزق الله) . واسم المرسل اليه ، Rimut اعني رحمة . ٣) ahiśu–الاخ كالعربية–و śu ضمير الغائب المقابل للهاء العربية .

٤) هذا الضمير خاص بالاكدية وقد بقي في عربية عراقنا ، وهو اثر من لغة بلادنا

١) انظر في عدد قادم كلمتنا المنونة : « الأبجدية الصائتة والكَرْشَنَة »

٢) François Martin : *Lettres néo-babyloniennes* [*Bibliothèque de l'Ecole des Hautes études*] *p. 108, n° 152*

القديمة. فاننا نقول اليوم (أبُويَا ، أخُويَا ، حمُويَا) عوض ابي ، اخي ، حمي.

٥) ša اسم موصول او اداة اضافة كما في العبرية.

٦) qânu وردت في هذه الرسالة كاداة تخصيص لكلمة burâni.

٧) burâni جمع burû اي الحصير المصنوع من قصب او البارية والبواري. وقد تكررت ثلاث مرات في هذه الرسالة ؛ وفي كل مرة تسبقها كلمة التخصيص qânu لتدل على القصب ، المادّة المصنوعة منها. ٨) meš علامة الجمع تكتب ولا تقرأ.

٩) bêliiâ. على وزن ahiia حذفت منهُ العين لانها حرف حلق ، واصله ba'liâ ومعناه بَعْلي او سيّدي.

لقد ثبت اذن ، على ما لاح لنا ، « ان البارية او البورية ليست بفارسية قطعاً » ولا هي ارمية ، بل أكّدية ، اي عراقية قديمة كانت مادّتها مستعملة في اوطاننا عصرَ لم يكن فيها لا ارميون ولا عبريون ولا فرس ولا عرب . بل كانت آهلة بسكّانها الاقدمين اعني بهم الشمريين الاكّديين . امّا اهل المعاجم العربية ، فلعدم معرفتهم كل هذا ، ولوجودهم الكلمة في الفارسية ، سقطوا في وهدة الضلال بادعائهم انها فارسية ؛ فورّطوا في ورطتهم حتى الئمة عصرنا المعجميين ، المنتقدين ، المغربلين ، القائلين القول الفصل !! « البارية او البورية فارسية لا تحتمل شكاً » لكن قد فات هؤلاء كما فات اولئك ما وراء الاكمة

دونك زيادةً في الجلاء طريقة اشتقاق كلمة burû الاكّدية . ونعلمك ان الحروف الحلقية تسقط في هذه اللغة ما عدا حرف الخاء ؛ وعليه فأصل burû يكون « بورعو » bur'u ، سقطت منهُ العين ودلت على ذلك الحركة الطويلة في آخره . وما يا ترى يكون معنى bur'u ؟ تعيننا على معرفة ذلك اللغة الحبشية ، اذ نجد فيها لفظة «برع» ber' جمعها « ابراع » 'abrâ: ومدلولها: القصب والقلم والبراع.[1] واذا كان الامر كذلك ، فاصل bur'u و ber' واحد. تزيد عليه ان البراع العربية (او البُرْع) من عين هذا الاصل . معلوم ان الواو والياء في اللغات السامية عموماً ، والعربية خصوصاً ، يكثر تعاورهما ؛ ودليله وجود المثال الواوي واليائي . ومن هذه المادة نجد في العربية فعلَي «وَرُع ويَرِع» . امّا في شأن ابدال الباء الموجودة في الكلمتين الاكّدية والحبشية من حرف الواو او الياء في العربية فنقول : ان ابدال الباء بالواو نرى لهُ مثالاً في السريانية الشرقية التي

1) Dillmann : *Lexicon linguæ Aethiopicae, p. 506*

يجري فيها الترخيم بلفظ البـاء واواً ، كقولك « أوا » awâ في ترخيم « آبا » âbâ ؛ و « ورا » wrâ في ترخيم « برا » brâ ؛ فضلاً عن ان فعل rabrèb تلفظ لا بل تكتب بادّه الاولى واواً ، اليوم كما في القديم ، فيقال «رَوْريب» rawrèb . ومقابل bur'u في العربية « وُرْع ويَرَع ثم يراع » ومقـابله في العبرية فعل « يارع » yâra' . نعم ان فعل « يَرِع » العربي مدلوله: صار جباناً ومعنى «وَرُع» صغر وجبن وتحرّج اي كفّ عن المحارم ؛ بيد ان هذه الدلالة مجازية . وقد فقدت في الفعلين المذكورين الدلالةُ الاصلية ، او لم يدوّنها اهل المعاجم ؛ وبقيت في الفعل العبري المراد بهِ : اهتزّ وارتجف. ودليله ان القصب يسمّى « يراعاً » لتمايله واهتزازه ، حتى يشبّه بهِ الانسان ، فيقال : يتمايل فلان او يهتزّ او يرتجف كالقصبة . والاصل في اليراع القصب ، ثم سمّي بهِ الجبان والضعيف ، لاهتزازه وارتجافه كالقصب او اليراع ، ساعةَ الخطر . هذا وفعل « وَرُع » الواوي ، الذي مصدره او اسمه « وُرْع » ، يُشتقّ منه « الوَرِع » اي المهتزّ والمرتجف او الخائف من الله ، ولخوفه منهُ تعالى ، يتحرّج اعني يكف عن المحارم.[1]

خلاصة البحث : البارية ليست بفارسية قطعاً ؛ ولا هي إرمية ، بل هي في الاصل كلمة « burû او bur'u الاكدية » ومعناهـا « اليراع او القصب » وباسم القصب دعي الحصير المنسوج منه ، من باب تسمية المصنوع باسم المـادّة المعمول منها . فاذن « البارية او البورية عراقية قحة ، لا غبار عليها ، عمرُهـا ما يربو على الاربعين قرناً »

هذا رأينا ؛ ابديناه باسم حرية القول في العلم ، وان ناقض بل قوّض رأي اصحاب المعاجم العربية وتبّاعهم . فللقارئ ان يقبله ، ولهُ ان يهمله ؛ فهو محيَّر ، غير مسيَّر . على كلٍّ ، ان ظهر بهذا المقال شيء من الحقيقة خفي عن المتقدمين وفات المتأخرين ، فما الفضل في ذلك الّا لمبادئ وطريقـة « الألسُنية السامية » . فما احراها ان تسترعي انظار الخاصة من ابناء العربية ، فيقبلوا على التفرّغ لها ، فيستفيدوا ويفيدوا. والسلام

---

١) لسان العرب : جزء ١٠ ، ص : ٣٦٨ و ٣٩٥

اسمعان القيرواني ام السكيريني

بقلم الاب انطون صالحاني اليسوعي

في الحواشي التي علّقناها على الاناجيل ، في السنة ١٩٢٧ اثبتنا على آية متى (٢٧ : ٣٢) هذه الحاشية : «سمعان القيريني (من قيرين في ليبية) «ابو الاسكندر وروفس» (مرقس ١٥ : ٢١) . . . . ولا يبعد ايضاً ان سمعان وابنيه كانوا من القيرنيين الذين يذكرهم كتاب اعمال الرسل (١١ : ٢٠) ويقول انهم بَشّروا اليونانيين في انطاكية بالرب يسوع » اه.[1]

لم يخطر ببالنا اذ كتبنا هذه الحاشية ان نطعن بعربي الكتاب المقدس سواء كانوا من اليسوعيين ام من الاميركان . بل اكتفينا بان نثبت اللفظة « القيريني » في الحاشية عوض « القيرواني » ، لان الغلطة في اسم بلد هي عرضية لا تذهب بمحاسن الترجمة . ومن ثم استغربنا عمل احمد زكي باشا . وكان الاليق به ان يورد البراهين التي تؤيد رأيه دون ان يطعن ويُفرط في الطعن في مسألة ليس لها من الاهمية ما تصوَّر .

ان النسخ العربية القديمة لم يُروَ فيها « القيرواني » ، بل رُوي ما يُفهم منهُ ان النسبة الى مدينة غير القيروان . فترجمة الاناجيل لأبي المواهب يعقوب ابن ابي الغيث الدَّبسي الماروني ، وتاريخها ١٦٩١ ، تروي آية متى كما يلي : «واذ هم خارجون صادفوا رجلًا قيروينيًا يُدعى سمعان» . وفي النسخة التي طُبعت في اوكسفرد ، سنة ١٧٢٧ ، تُروَى آية متى هكذا : «وفيما هم خارجون وجدوا

---

١) راجع طبعتنا (انجيل ربنا يسوع المسيح واعمال الرسُل) الطبعة الثانية ، الصفحة ٤٨٨

انساناً قيرينياً اسمه سيمون » . وروت ايضاً الآية (اعمال ٦ : ٩) : « فنهض قوم من المجمع الملقَّب بجمع الليبرتينيين[1] والكيرينانيين والاسكندرانيين » وايضاً اعمال (١١ : ٢٠) : « وكان منهم اناس قبرصيين وكيرينيين » وايضاً (اعمال ١٣ : ١) : «وكان بانطاكية قوم في الكنيسة التي بها أنبياء ومعلّمون . . . منهم لوكيوس الكيريناني » . فترى ان طبعة اوكسفرد تنسب الى غير القيروان وتكتب اللفظة بالقاف او الكاف .

والترجمة العربية للاناجيل لططيانوس المسماة « دياتسرون » وهي قديمة جداً تروي في الحاشية « قورسا » [قورينيًا] . والنسخة السريانية البسيطة المشهورة تروي ܩܘܪܝܢܝܐ [قورينويو] بالواو بعد القاف وفقاً للحرف اليوناني « » في اسم المدينة Κυρήνη .

فترى ان كل هذه الروايات هي بعيدة عن الرواية « القيرواني » نسبة الى مدينة القيروان . والنسبة الصحيحة هي قيريني او قوريني او بالكاف كيريني او كوريني ، نسبة الى كيرين وهي مدينة Cyrène[2] التي اعطت اسمها للمقاطعة الموجودة فيها المدينة فسُمّيت كيرينية Cyrénaïque ، وهي التي يسميها العرب « برقة » وموقعها شرقي بلاد طرابلس الغرب . وهذه البلاد هي متاخمة لبلاد مصر وتبعد كثيراً عن القيروان . فالقديس لوقا في كتابه اعمال الرسل (٢ : ١٠) يقرن معاً «مصر ونواحي ليبية عند كيرين » . وان هذه المدينة كانت آهلة باليهود الذين انتقلوا اليها من مصر على عهد بطليموس الاول(٣٠٥—٢٨٣ قبل المسيح) . يخبرنا يوسيفوس المؤرخ نقلاً عن الرحّالة استرابون[3] انهُ كان يوجد اربعة اصناف من السكان في قيرين . فالصنف الرابع هم اليهود . وان سيلّا عندما قدم الى بلاد اليونان لمحاربة ميتريدات ارسلَ لوكولوس الى كيرين ليقمع الثورة التي كان احدثها هناك اليهود . مما يدل على كثرة اليهود في كيرين .

والكتاب المقدس يشير في مواضع كثيرة الى اليهود الكيرينيين . فقد

---

١) اي المتحرّرين ٢) انا نفضّل كتابة هذا الاسم بالعربية بالكاف لا بالقاف ليكون الفرق اعظم بينه وبين القيروان

٣) يوسيفوس في كتابه الآثار اليهودية القديمة ، ك ١٤ ف ٧ عدد ٢

اشتهر منهم قبل المسيح ياسون الكيريني الذي وضع تأليفاً في خمسة كتب تكلم فيها عن اعمال يهوذا المكابي واخوته . وقد اختصرهُ صاحب كتاب المكابيين الثاني حيث يقول « تلك الامور التي شرحها ياسون الكيريني في خمسة كتب قد اقبلنا نحن على اختصارها في درج واحد» (٢مكابيين ٢ : ٢٤).

ومما يدلّ ايضاً على كثرة الكيرينيين وغناهم ونفوذهم في فلسطين وسورية انهم بنوا لهم مجمعاً في اورشليم « مجمع المعتقين والكيرينيين » (اعمال ٦ : ٩) . ونعرف ان كثيرين منهم قبلوا الايمان بالمسيح باكرًا وبشروا بهِ اليونانيين في انطاكية (اعمال ١١ : ٢٠). وكانوا حاضرين امام علّية صهيون يوم حلول الروح القدس على التلاميذ في اورشليم (اعمال ٢ : ١٠)

فسمعان الذي سُخِّر بحمل صليب يسوع كان اصله من كيرين لا من القيروان . وننكر نسبته الى مدينة باسم القيروان يُفرَض وجودها في برقة تكون خُربت ثم جُدّدت في بلاد افريقية بالقرب من تونس . لانه ليس من مؤرخي اليونان ، او اللاتين ، او العرب ، من يذكر مدينة باسم قيروان في برقة . بل كلهم يتكلمون عن مدينة باسم كيرين Cyrène ويُعيّنون موقعها في تخوم ليبية ومصر

اذا تصفحنا مؤلفات العرب في وصف البلدان نراهم كلهم يتكلمون عن مدينة واحدة باسم القيروان. ويعيّنون موقعها في شمالي افريقية بالقرب من تونس. ويقولون انها مُصّرت في اوائل الاسلام . فليس اذاً من الصحيح ان العرب يُطلقون اسم القيروان « على المدينة التي يسمّيها الفرنج Cyrène وعلى الناحية التابعة في الحكم لهذه المدينة والتي يدعوها الفرنج Cyrénaïque » كما قال حضرة مُراسل البشير (في العدد ٣٨٨٢).

ان الحقيقة الثابتة هي ان العرب يُطلقون اسم القيروان على المدينة التي مصّرها المسلمون في بلاد تونس فقط. قال ابن رسته في كتابه الاعلاق النفيسة (ص ٣٥٣) : « من اراد جزيرة الاندلس نفذ من القيروان الى تونس على ما ذكرنا وهي على ساحل البحر المالح. الخ » . وقال ايضاً (ص ٩٧): « ثم يقطع الى اسفل ارض مصر ... ثم يمرّ على بلاد برقة ثم على بلاد افريقية وفيها

مدينة القيروان وينتهي الى بحر المغرب ». ان ما يسميه ابن رستة « برقة » هو الجزء الشرقي الشمالي من البلاد التي نسميها طرابلس الغرب وهناك مدينة برقة. وما يسميه افريقية هو ما نسميه بلاد تونس. وقال ايضاً (ص٣٤٧): «القيروان مدينة كان عليها سور من لبن وطين فهدمه زيادة الله بن ابراهيم بن الاغلب لما ثار عليه عمران بن مجالد وعبد السلام بن المفرّج ومنصور الطنبذي فانهم ثاروا عليه بالقيروان وهم من الجند القدم الذين كانوا قدموا مع ابن الاشعث». وقال ابن خرداذبه في كتابه المسالك والممالك (ص ٨٧): « تونس من غرب الوسيط قريبة من القيروان »[1] . وقال (ص ٢٢٥) : « مدينة القيروان هي مدينة افريقية » . يريد بلاد تونس كما سبق القول . وقال الاصطخري في كتابه مسالك الممالك (ص ٣٩ و ٤٠): « القيروان هي اجلّ مدينة بارض المغرب... وهي المدينة التي كان يقيم بها وُلاة المغرب وبها كان مُقام الاغلب وبنيه الى ان ازال ملكهم ابو عبدالله المحتسب » . وقال ايضاً (ص ٤٦): « من مصر الى برقة ٢٠ مرحلة . ومن برقة الى طرابلس مثلها. ومن طرابلس الى القيروان مثلها . فذلك من مصر الى القيروان ٦٠ مرحلة ... ومن القيروان الى تونس ٣ مراحل ».

وهذا ياقوت (معجم البلدان ٤: ٢١٢) الذي يذكره مراسل البشير لا يتكلم الّا عن مدينة واحدة باسم القيروان وهي التي مصّرها المسلمون ايام معاوية . ويعيّن موقعها في افريقية كما يتضح من النصّ الذي اورده مراسل البشير. امّا قول ياقوت « وليس بالغرب مدينة اجلّ منها الى ان قدمت العرب افريقية واخربت البلاد فانتقل اهلها عنها » فالكلام عن القيروان التي في افريقية اذ لا قيروان غيرها يذكرها ياقوت . ونعرف من التاريخ ان القيروان أُخربت مرارًا . قال ابو الفداء في تاريخ الدول الاسلامية بالمغرب (الجزء الاول ص ٢٠٥ طبعة البارون دسلان) : « فرماه... بالعرب من هلال الذين كانوا مع القرامطة... ودخل العرب القيروان وانتهبوها »

فيتضح من كل ما اوردناه عن جغرافيي العرب انهم لم يعرفوا ولم يذكروا

1) في الحاشية m ، عن نسخة A ، في هامشها

الّا مدينة واحدة باسم القيروان لا مدينتين ، وانهم عينوا موقعها في افريقية اي في بلاد تونس . وهي تعدّ عند المسلمين ، مدينة مقدسة . واذ كان كتبة الكتاب المقدس يشيرون الى مدينة وبلاد في تخوم مصر وبلاد ليبية فلا يجوز ان يقال عن سمعان الذي سُخّر بحمل صليب المسيح انه قيرواني لئلّا تُعتبر النسبة الى القيروان التي لم تعمّر الّا في اواخر القرن السابع للمسيح ، بل يلزم ان يُقال « قيريني» كما كتبنا في الحواشي التي علّقناها على الاناجيل ؛ او قوريني او كيريني . ونقول اننا الآن بسبب الجدال الذي وقع ، نفضل ان نكتب «الكيريني» بالكاف ليكون دفع الالتباس مع اسم القيروان اعظم ما يمكن. امّا قول حضرة مراسل البشير ان العرب«عرّبوا Κυρήνη عن اليونانية بالقيروان» فلا نسلّم بهِ . بل هم يعربون عن تلك البلاد باسم برقة

وان ما ذكرهُ حضرته عن قاموس الكتاب المقدس للعلّامة ڤيگورو لا يُستنتج منهُ نتيجة صوابية . قال حضرته :

« جاء في قاموس الكتاب المقدس باللغة الفرنسوية تحت لفظة Cyrène ما مفاده: « ان هذه اللفظة تطلق على ناحية ومدينة كانتا في افريقية بين قرطاجة ومصر . والتمييز بينهما ، اي بين الناحية والمدينة ، بالقرائن . وقد مصّرت المدينة طارئةٌ من اليونان في القرن السابع قبل الميلاد ودعتها « Κυρήνη »بذلك دعاها الكتاب المقدس والمؤلفون القدماء» . ولكن الافرنج ترجموها بلفظ «Cyrène»لما أنهم ألفوا ان يترجموا الحرف اليوناني K بالحرف الفرنجي C فقالوا مثلًا Cilicie في «Κιλικία» وقالوا « Cyrille » في «Κυριλλός» وهلمّ جرّا . واما العرب فبالأعم الاغلب لا يراعون قاعدة في التعريب ولكنهم يكتبون الاسم الاعجمي بما يبدو لهم من ظاهر لفظه وبما يوافق منطوقهم . ولذلك عربوا «Κυρήνη» عن اليونانية بالقيروان

فنجيب ان كل ما كتبه ڤيگورو حسنٌ ومقبول . وما استنتجه حضرة مراسل البشير في غير محلّه لان محور البحث كلّه تعريب اسم المدينة فالذين عربوا اللفظة Κυρήνη بالقيروان اخطأوا. وذلك لوجود مدينة باسم القيروان مختلفة عن المدينة Κυρήνη التي يريدونها.

الموسيقى الشرقية

بقلم
الاستاذ وديع صبرا
مدير مدرسة الموسيقى الوطنية

٢

لا شيء اوقر تأثيراً من ترنم المؤذن عند السحر !

لا شيء افعل في الحس من الاغاني القديمة « كالميجانا » و« العتابا » فهي تجسمات الشرق بكل ما فيه من حسن وجمال.

واي شيء اشد وقعاً في النفس من نبرات « البغدادي » القوية ، التي تتجاوب اصداؤها بين قمم جبالنا ؟ واي شيء اغنى من تلك التلحينات الشرقية التي تتباين مداتها وليّاتها الى ما لا نهاية له ، ومن تلك الاصوات التي لا يعاكس المغني شيء من القواعد والاصول ، في التصرف بنغماتها ما شاء ، وكيف شاء ؟

واي شيء اظهر شخصية من ذاك التعليق الشرقي الذي يسمح للفنان ان يوقع المقطع الموسيقي كما يريد حسب تأثير الظروف ، فيعطي للتوقيع صفة غاية في المرونة ؟

وقد امتاز واضعو الالحان من الشرقيين بتمهيد السبيل لحرية التنغيمات . فجعلوا لالحانهم طريقة عجيبة يسير عليها المغني في اول اللحن ، وفي وسطه ، وفي آخره . وكذلك القول عن الترنيمات فانها كثيراً ما تكون وافرة وغنية بفضل الأبعاد بين انصاف الابراج المختلفة.

وعليه فان الموسيقى الشرقية ، اذا ما سمعناها من مغنٍ واحد ، تجذب حواسنا ، وتذهب بنا كل مذهب. لان ما فيها من اختلاف الأبعاد بين انصاف الأبراج يسر جميع الآذان كما سنرى . على ان مجموع الآلات الشرقية ، او

النوبة ، تظهر حافلةً بالكثير من النواقص . فهي خليط من الألحان المتنافرة تشمئز منها الآذان المثقّفة فلا تُقرّها بسهولة . ولهذا فان جدول قطع النوبة هو هو دون تنوّع ، لأن الضاربين او النافخين يحفظونه دون الاستعانة بالعلامات الموسيقية . وفضلاً عن ذلك فان آلاتنا الوترية لا تُدوزَن غالباً حسب درجة اشتداد الوتر ، او توتّره ، بل وفقاً لصوت المغنّي ، فتفقد الآلة بهذه الطريقة حدّة (timbre) نغماتها .

وما ابعد « الناي » الشرقي ، وهو آلة من القصب ، عن دقّة الشبابة البرهمية ! فان آلتنا القصبية لا يمكنها ان تعطي نغمات صحيحة من حيث علم الطبيعيات[1]

وفي القانون ايضاً ، الذي يمكننا تسميته بالبيانو الشرقي ، نقائص عديدة سأشير اليها . ولكن ما لي وللتوقف عند هذه النقائص ، فلأذكر الدواء حالاً

يلزمنا اولاً ان نقرّ مبدئياً انه من الواجب علينا الحصول على العقلية « الموسيقية » واحترام القوانين العلمية التي لا يمكن ان تقاوَم . ومن ثمّ فالواجب علينا ان نُخضع صناعتنا الموسيقية للاصول والقواعد الطبيعية . فيلزمنا ان نبدأ اليوم بما بدأت به اوربة من مائتي سنة ، اي بجعل التعليم الموسيقي اجبارياً في كل المدارس . افلا يكون موافقاً ان يوضع في كل مدرسة رسمية آلة بيانو يُمرّن عليها التلامذة ، فيؤلف منهم صفوف ابتدائية للموسيقى الصوتية ؟ عند ذاك نرى كثيراً من المواهب تظهر وتزدهر ! عند ذاك نشاهد كثيراً من الشبّان يتخصّص بعضهم بدرس علم الموسيقى ، وبعضهم بدرس طبيعة الصوت ، وبعضهم يتوافدون على مدرسة الموسيقى الوطنية ، متخصّصين بالعزف على الآلات المختلفة . ثم يؤمّون المراكز الموسيقية المختلفة فيتخرّجون على معلّميها . فيصيرون بحقّ اساتذة الغد ، مَن يُناط بهم عن جدارة مستقبل الفن الموسيقي في الشرق .

* * *

امّا وقد وطّأنا بتلك المقدّمات عن الموسيقى الشرقية ، فلننتقل الى درس

١) لا يخفى ان الطبيعيين يميّزون في كل نغمة ثلاث صفات هي : الثِقَل ، والحِدّة ، وعدد الاهتزازات . فاذا فقدت النغمة احداها كانت غير صحيحة طبيعياً (المشرق)

الديوان الموسيقي : قسمَ اليونان ديوانهم الى ٦٨ جزءاً ؛ فجعلوا للبُعد الرباعي (quarte) ٤٠ جزءاً ، وللبعد الخماسي او الغمّاز كما يسمّيه مؤلفونا الاقدمون (quinte) ٥٠ جزءاً ؛ وكان عندهم الرقم ١٢ يمثل البرج الكامل ، والرقم ٣ ربع البرج . على اني لست لأتوقف لدى هذا التقسيم الذي ظلَّ نظرياً اذ لم يُعرف لهُ تطبيق عملي يُذكر . بل انتقل الى ديوان فيثاغورس . وهو يؤلّف اولاً من برجين اكبرين وبُعدٍ اصغر من نصف البرج العادي سمّاه « ليما » (limma) ، ويسمّيه مؤلفونا «الفضلة» ؛ ثم من ثلاثة ابراج كبرى وفضلة . وبين البرج والآخر فضلتان واحدة مرتفعة والثانية منخفضة . فيكون مجموع النغمات المستخرجة بالابراج المختلفة ١٧ في الديوان كلّه .

اما الديوان الطبيعي فهو الحاصل لنا ، اذا قسمنا طول الوتر الذي اخترناه[1] على الارقام ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ... الى ما لا نهاية لهُ . فينتج لنا ، والحالة هذه ، مجموعة مؤلفة من ٨ ابراج ، ثم من ١٦ ، ثم من ٣٢ ، الى آخر ما هنالك .

وهناك ديوان يُنسب الى زَرْلَن (Zarlin) يُبتدأ فيه ببرج أكبر ثم ببرج أصغر ، فنصف برج ، ثم بثلاثة ابراج يليها نصف البرج . وهذه الطريقة أُسّ نظرية الموسيقى العصرية . ولكنها عُدّلت اليوم بما يسمّونه الديوان المعتدل (gamme tempérée)

وشبيهٌ بديوان فيثاغورس الديوان التركي الذي يؤلّف من الابراج نفسها ، ويزاد فيه برج اصغر قبل كل برج أكبر ، مما يجعل في المرتبة (octave) ٢٤ برجاً او نغمة . هذا ولا يستعمل الاتراك ابراجاً اصغر من البرج الاصغر . فيكون ان موسيقاهم تقصر جداً عن الوصول الى جمال موسيقانا في انغامها المختلفة .

وها نحن نصل الى الديوان العربي . فهو يتألف ، على قول اصحاب النظريات الموسيقية عندنا ، من ٢٤ ربعاً من البرج . وقبل ان نفند البراهين المؤيدة لاستعمال ربع البرج ، نرى من اللازم ان نقف على آراء ارباب هذا العلم في

---

١) راجع العدد الثالث من المشرق ، ص ١٦

عصرنا فنقول :

لقد قسم السيد اسكندر شلفون البرجَ الى اربعة اجزاء متساوية ، محافظاً ، في مرتبته على صحة البُعدين الرباعي والخماسي او القمّاز . ثم قال انه يجدر بنا اعتبار هذا التقسيم كالديوان العربي القانوني المضبوط . على انه يُقرّ ان بعض النغمات لا توافق هذا الديوان.

هذا وان الاب كولنجيت ، بعد ان لخص ابحاثه في هذا الموضوع ، قال: ان الابراج الاساسية في الديوان العربي هي من نوع الابراج الكبرى . اما ارباع الابراج الباقية فتظهر كأنها أُدخلت في سبيل التنسيق والترتيب في اقسام المرتبة.

ونحن ، اذ اردنا توقيع جميع النغمات الشرقية حسب مرتباتها المختلفة على آلتنا الموحّدة الوتر ، تحققنا انه من المستحيل استعمال ربع البرج الحقيقي . فلو اردنا مثلاً تحقيق موقع نغمة « العراق » ، وقياسها $\frac{3}{4}$ البرج ، على وتر يبلغ طوله المتر الواحد ، لكان ذاك الموقع حسب الحساب الرياضي الدقيق بـ١٨,٣٢ سنتمترًا والحالة ان تلك النغمة تقع ، في ديوان كولنجيت ، اعلى منها بمليمترين اي بـ ١٨,٥٢ سنتيمترًا ، فتؤلف $\frac{11}{12}$ من طول البرج . وسنرى انه لا يمكن استعمال نغمة بهذا الانخفاض الّا نادرًا وبكل تحفظ . اما ربع البرج الحقيقي ، كالنغمة «قب نيم حصار» مثلاً التي تُقرَّر ، في ديوان كولنجيت ، بـ ٢,٧٨ سنتمترًا وفي ديوان شلفون ، بـ٢,٩٠ سنتمترًا ، فلم يمكن استعمالها في احد الانغام الشرقية المعروفة . على ان السيد الحُلْمي ، وهو مؤلف كتاب في الموسيقى الشرقية ، يذكر في ديوان خاصّ به ، ان نغمة « العراق » تعادل $\frac{10}{11}$ من طول البرج عوضاً عن $\frac{11}{12}$

وهنا اتوقف قليلاً كي ادرس بدقّة الديوانين اللذين اراهما ارزن واثبت ، واجدر بالانتباه من غيرهما ، وهما ديوان حضرة الاب كولنجيت وديوان السيد اسكندر شلفون :

اذا استعملنا كأسَ لقياس الابراج ، وترًا طوله مترٌ واحد ، كانت اول نغمة من الديوان «يكاه» ، وهي تكون بالوتر الكامل دون حبس. ثم تأتي باقي النغمات كما في الجدول التالي:

النغمات	في ديوان كولنجيت سنتمتر	في ديوان شلفرن سنتمتر
قب نيم حصار	٢ ، ٧٨	٢ ، ٩٠
حصار	٥ ، ٠٨	٥ ، ٧١
تيك حصار	٨ ، ٣٤	٨ ، ٤٤
عُشيران	١١ ، ١١	١١ ، ١١
نيم عجم	١٣ ، ٥٨	١٣ ، ٦٠
عجمٌ	١٥ ، ٦٢	١٦
عراق	١٨ ، ٤٨	١٨ ، ٣٢
نِيم كَوَشت	٢٠ ، ٩٩	٢٠ ، ٦٠
تِيك كَوَشت	٢١ ، ٨١	٢٢ ، ٨٢
رَست (رصد)	٢٥	٢٥
نيم زِرْكُلاه	٢٧ ، ٠٨	٢٧ ، ١٥
زِرْكُلاه	٢٨ ، ٨١	٢٩ ، ٢٥
تيك زِرْكُلاه	٣١ ، ٢٥	٣١ ، ٣١
دوكاه	٣٣ ، ٣٣	٣٣ ، ٣٣
نيم كردي	٣٥ ، ١٨	٣٥ ، ٢٨
كردي	٣٦ ، ٧٢	٣٧ ، ١٥
سيكاه	٣٨ ، ٨٩	٣٨ ، ٩٧
نيم بوسليك	٤٠ ، ٧٤	٤٠ ، ٧٤
بوسليك	—	٤٢ ، ٤٣
چهاركاه	٤٣ ، ٧٥	٤٤ ، ٠٦
نيم حجاز	—	٤٥ ، ٦٣
حجاز	٤٧ ، ٣٢	٤٧ ، ١٤
تيك حجاز	—	٤٨ ، ٥٩

(للبحث صلة)

نكبي بك الدهر رفيع عمادها

القصيدة البليغة التي نظمها حضرة الشاعر الناثر عبدالله بك رزق الله خير في رثاء فقيد العلم والادب الاب لويس شيخو بمناسبة اتفاقها في حفلة تأبينه ، وقد نشرناها بنصها الكامل

بيروت في ١٠ كانون الثاني ١٩٢٨

ساق الزمانُ عليَّ جيشَ وبالِ ... وسطا ، فشتّت معظم الآمالِ
وأراش سهمَ النائبات فمزّقت ... قلبي الكئيب ، وقطّعت اوصالي
وأمضّني بنوازلٍ وشدائدٍ ... لو لامست رضوى هوى من عالِ
والمفتاه على زمانٍ كنتُ فيـ ... ـهِ اليفَ ايناسٍ ، خليَّ البالِ
اجني بهِ من دانيات قطوفهِ ... ثمر الصفا والخير والاتبالِ
ذكرى اذا ما مرَّ طيفُ هنائها ... بالفكر ، اهتف في شجيّ مقالِ
لله ايام مضت في منعةٍ ... فلقد حوت دعةً وبيض ليالِ
ولّت ، فجرّعني زماني بعدها ... كأس المصائب والشجا القتّالِ
زمنٌ غشوم لا يروم سوى الحشا ... غمداً لسيف خطوبهِ الفصّالِ
زمن تُصيب سهامُه ، فمتى رمت ... كبداً تقطعها بغير نصالِ
زمن يضنُّ على النزيه بحقّهِ ... ويخوّل الجدوى اخا الاذلالِ
زمن يُقيم الظلمَ في احكامه ... ويدوس آي العدل تحت نعالِ
لم يبقَ للأقلام شأنٌ عندهُ ... والحقُّ بات لأسيفٍ وعوالِ
بل صار طوع زعامةٍ وهميةٍ ... او تحت رحمة ثروةٍ وجمالِ
ما لي أعدّد ضرّه فلقد غدا ... في ضرّه مثلاً من الامثالِ
أتخاله يبغي اتصال كوارثي ... فيديم ناراً في خطوط قتالي
يا دهر ، خفّف من غرورك واتّئد ... في الجور ، واستهدف لوقع نبالي
فانا أجاهد في سبيل مبادئي ... مهما دهاني من شقا ونكالِ

لا أغمض الطَّرف الابيَّ على قذىً ويُقرُّ عيني طيبُ الافعالِ
لم اخشَ امرًا في الحياة ، ولم ازل خوَّاض كلِّ ملمَّةٍ ومجالِ
حتى اظلَّ ، ولو دعا داعي الردى ، ثبتاً ثبات الليث يوم نضالِ
لكنَّ عزمي زلزلته فجيعة هزَّت شعوب العُرْب كالزلزالِ
قالوا قضى شيخ المعارف والحجى شيخو الكبيرُ الخالد الإفضال
العالم الفرد الجليل ، العامل الـ حبرُ النبيلُ ، الباهر الاعمال
أستاذيَ الندبُ التقيّ ، الزاهد الـ ورع النقيّ ، الطاهر الأذيالِ
الباحثُ النقَّابة ، العلَمُ الذي احيا بمسعاه الرميمَ البالي
آثاره الغرّاء ذاعت في الملا وغدت له كالمورد السلسالِ
في كل علم كان قطبَ زمانه ومجدِّدًا اثر الزمان الخالي
في كل علم كان بحرًا زاخرًا يطوي وينشر عنبرًا ولآلي
وجرت يراعته الى اقصى المدى سبَّاقةً كالجوهر السيَّالِ
الشرق عزَّ «بشرقه» ، والغرب شا طره الفخارَ وواجبَ الاجلالِ
من لي به ابنًا يُعدِّد وصفهُ ونفيسَ آثار وحسنَ خصالِ
هذي المدارس والمنابر شاهدٌ عدلٌ يفوه بصادق الاقوالِ
ومعارك الاقلام تعرف انهُ صِنديدُها المغوار ، حين جدالِ
بحديثهِ ملك القلوبَ ، ووعظُه احيا النفوسَ ، وكان خير مثالِ
ولكم لزمتُ رحابهُ متعلِّماً اروي غليلي من سُلاف زلالِ
ولكم وقفتُ هنا[1] أسير بهديه في فنّ تمثيل وبسطة حالِ
واقول قافيةً ، وألقي خطبةً ، فلهُ عليَّ فواضلُ المفضالِ
ما راعني يومٌ كيوم وفاته فأثار احزاني وبلبل بالي
نكأ الجراح الداميات فشاركت بالسيل مجرى مدمعي الهطَّالِ
واحسرتاه على ذكاء زال من أفق العلوم وكان وقت زوالِ[2]

١) نادي كلية الآباء اليسوعيين في بيروت حيث كان تقرَّر اقامة حفلة التأبين
٢) وقت الظهر وقد شُبِّه ذكاؤه بذُكاء وهي من اسماء الشمس ، اي زال حين كان يُنيرُ بعلومه كالشمس وهي في دائرة الزوال

أيموتُ من يُحيي سواه بفضلهِ ... ويعيش كلّ منافقٍ دجّالِ
سبحان باري الخلق في تحديده ... زمن الحياة وساعة الآجالِ
يا راحلاً نوح المعارف بعده ... نوح الصدى ، يوم فقد موالِ
ورنينُها في العالمين كليهما ... يا يُتمَ شملٍ فضائلٍ ومعالي
فلقد جرتَ على السهى ذيل العلى ... وطلعتَ في أفق النهى كهلالِ
وطويتَ اطراف البلاد منقباً ... بعزائمٍ كالمرهفات صقالِ
ونشرتَ للفصحى لواء عالياً ... في الخافقين كوارفات ظلالِ
أنشأتَ مكتبتين ، واحدةٌ ثوت ... مرصوصةً بدماغك الفعّالِ
وجمعتَ في الاخرى الوف بدائعٍ ... ومفاخرٍ ونفائسٍ وغوالي
وهمتْ سحائبُ علمك السامي على ... اوطاننا ولساننا بنجالِ
وأذبتَ في تعليمنا قلباً معمر ... غاً من وفا ومحبةٍ ونوالِ
وتركتَ من آثارك الغرّاء ما ... يبقى بقاء الدهر للأنسالِ
فأنلتَ اهل الضاد رِفداً خالداً ... حسناتُه كُثُر كحبّ رمالِ
طوّقتَ جيدهمُ بفضلٍ باهرٍ ... وعوارفٍ بالمكرمات ثقالِ
تبكي بك الفصحى رفيع عمادها ... ومُعين نهضتها بغير ملالِ
وتشقُّ غانٌ عليك جيوبَها ... وتضجّ بالويلات والاهوالِ
هذا فتاها قد تولّاه الاسى ... ودهته صدمة موجه المتوالي
علّمتني نظم القريض فصغتُهُ ... عُربونَ معرفة الجميل الغالي
لو لم أهاجرهُ بقبل الصبا ... لنظمتُ فيك اللؤلؤ المتلالي
لي في القريض سليقة فطرية ... تعنو لها مُستعصياتُ خيالِ
أعرضتُ عنهُ والسياسةُ قبلتي ... لأخوض غُمر تقلّب الاحوالِ
والشعرُ إمّا عن سرور نظمُهُ ... او عن اسىً يغلي كقلب القالي
فجرت قوافيه بروضها الشجا ... وعقودهُ نُظمت من الإعوالِ
وتدفّقت كالزاخرات بحورُه ... فاخترتُ « كلمها » لوصف كمالِ
سالت حشايَ دماً وعيني ديمةً ... والقلبُ في جزعٍ وفي تشعالِ
فلأندبنّ جليل شخصك في الملا ... وأنوح في الأسحار والآصالِ

البترول في سورية ولبنان

بقلم الاب فردينان توتل اليسوعي

ان الطريق التي يسلكها المنقبون الى التحقيق في وجود البترول في ارض ما هي اولاً البحث في طبيعة تلك الارض ، وفي انواع العناصر الدالّة على وجود الوقود السيّال فيها ، واهمها الاسفلت . على ان الاسفلت المكتشف عليه في بقعة من البقاع ، وان يكن شاهداً صادقاً على وجود البترول ، فليس هو علامة قاطعة على ان الاراضي التي تحته تحوي الآن مستودعات النفط . لانه من المحتمل ان يكون النفط قد جفّ على مدى الدهور بقوى العوامل الطبيعية ، كقوّة حرارة الارض الباطنية . ومن المحتمل ايضاً ان يكون مدفوناً في طبقات الارض ، باعماق متفاوتة وكميات كبيرة محصورة في مخازن هائلة مصونة من كل عطب وثلمة . وحالةُ النفط في بطن الارض تلبس ملابس شتى ، فتارة يكون سيّالاً خالصاً ، وطوراً تتكاثف على سطحه الجرة تتولّد في أعماق الارض ، وحيناً ترسب في اعماقه مياه مالحة . وهذه الموادّ تزيد او تنقص بثروة الآبار المعدنية التي ينتهي اليها المنقبون استنباطاً لخيراتها .

فاذا بلغ المنقبون مآربهم من درس طبقات الارض المرجّح فيها وجود البترول ، عمدوا الى سبر اعماقها . حتى اذا بلغوا القرار الراسبة فيه كميات البترول الوافرة ، همّوا باستخراجها بواسطة ما اخترعوه من الآلات الحديثة ، وذلك انهم يغرسون في الارض انابيب يبلغون بها اعماقاً تزيد على الف او الفي متر[1] وكلما توغلوا في العمق اتخذوا من تربته المتطبقة موادّ عرضوها للتحليل العلمي ، وعرفوا

1) راجع مجلة الطبيعة الافرنسية ، كانون الاول ١٩٢٧ ، ص: ٤ وما بعدها

منها هل فيها اثر للبترول ام لا . فاذا استشفوا رائحته داوموا التنقيب الى ان يبلغوا مستودع البترول ، فيثلمونه ويحصلون على ما فيه ، إما باستخراجه بطرائق صناعية وإما بانسجامه عفواً . لان البترول قد يكون مضغوطاً عليه مع تولد الغازات وانتشارها ، وهي في حبسها تلتمس فرصةً سانحة لتطلق العنان لجماحها . فاذا انفتح لها منفذ بواسطة انبوبة النقابين اتخذت منهُ سبيلاً الى الخروج . وربما حدثت انفجارات طبيعية في مستودعات البترول الكمينة في بطن الارض من مجرَّد ازدياد الغازات فيها وقوة اندفاعها ، كما جرى العام ١٩٢٧ في بلاد الموصل . وان هذه الاعمال تتقاضى النفقات الباهظة ، وتستغرق الزمن الطويل ، ولم تجرِ بعد في بلادنا لتوقفنا على حقيقة محتويات الطبقات السفلى في سورية ولبنان .

ومن البديهي ان اولياء الامر لا يباشرون اعمال التنقيب بالوسائط الفنية ، ما لم يكونوا اولاً قد اهتدوا ، بالاكيد او بالمرجَّح ، الى وجود البترول من آثاره التي يكتشفها علماء الجيولوجية . وان علم طبقات الارض السورية لا يزال في نشأته فلسنا نعرف ما فيها الا على سبيل التخمين . امَّا لبنان فقد ناله حظٌّ من الدرس وافر بفضل الاب زموفن ، مؤلف كتاب طبقات الارض في لبنان ، وواضع خارطة لبنان الجيولوجية ، وهو معوَّل العلماء ومرجع المنقبين .

* * *

هذا وقد استعان الاستاذ لافون الافرنسي بما وُضع قبله من المؤلفات ، ليأتينا بلائحة المواقع السورية اللبنانية البارزة فيها آثار الهيدروكاربور ، ونشرت عنهُ مجلة الطبيعة الافرنسية (١٥ تشرين الثاني ١٩٢٨)[1] مقالاً لفتت فيه الرأي العام الى واجب الاكتراث للتنقيب عن البترول في بلاد الانتداب الافرنسي . واليك لائحتها :

في حاصبيا منجم من الاسفلت او الحمر المتلبق كل طبقة منهُ يبلغ سمكها ٥٠ سنتيمتراً . باشروا أعمال التنقيب فيه عن غير تنظيم ، فلم يحصلوا على نتيجة واضحة .

في سحمر ، على مسافة ١٥ كيلومتراً شمالي حاصبيا ، ظهر عجين من الاسفلت .

1) *La Nature, 15 Novembre 1928*

وظهرت آثار الاسفلت في الاراضي الكلسية ، في مواضع شتى منها وادي اليرموك على قرب من حدود فلسطين ، وجدوا فيه ٨٢ متراً مزيجاً من التربة الكلسية والفوسفات والقار ، وما بعدها ٤٢ متراً من سحيق الصدف (marnes) ، ثم ٣٧ متراً من التربة الكلسية الحمرية . وظهرت من امثال هذه الادلة في دمر بالقرب من دمشق . وقد اخذوا يهتمون باستنباط معادن الاسفلت في بلاد العلويين ، لكن العمل بطيء فيها[1]

ووجدوا اثراً للنفط في جبل سنجار ، الواقع على الحدود الشرقية بين سورية والعراق ، ظهرت فيه صفحات الحمر ولم يتقدم احدٌ للبحث فيها . على ان ما يُعرف عن اهتمام الانكليز بتلك المقاطعة ، ونصفها الشرقي واقع ضمن انتدابهم ، لجديرٌ بان ينبهنا الى اهميتها المعدنية. وفي شمالي سورية الغربي ، بين عرسوس واسكندرونة ، على سطح من الرمل ملاصق لتربة خزفية ، يتقطر النفط قطرات تملي ليتراً بالساعة. وكانوا قبل الحرب قد حفروا قليلاً ، وسبروا عمق الارض في جوار ذلك الموضع فلم يحصلوا على نتيجة.

وفي جبل بشري شرقي بلادنا ، في بادية تدمر على مسافة ٤٠ كيلومتراً من غربي دير الزور ، في مقاطعة طولها ١٠ كيلومترات وعرضها ٣ ، توجد عدة بحيرات من الاسفلت الصافي الطري او الممتزج بالرمل الصالح للاستنباط ، وجبل بشري برمته حقيق بان يستوقف النقابين ، والأمل عظيم بوجود البترول فيه . وقد نال بعضهم الرخصة بتمدين مناجمه منذ اعوام ، ولم يأتوا بعد بعمل عاد على الصناعة العامة بخير يذكر

على ان البلاد الغنية بالهدروكربور والجديرة دون غيرها بلفت الانظار انما هي المقاطعة التي يسميها الافرنج « منقار الوز » نسبة لصورتها المرسومة على الخارطة الجغرافية ، فهي بقعة البلاد السورية الواقعة بين الاناضول والعراق ، وراء الفرات

١) تحدثنا بالامس الى الخواجا قبوات الدمشقي ، ملتزم اعمال ترفيت طريق بيروت - دمشق ، فاعلمنا انهُ استعمل اسفلت العلويين على مسافة خمسين متراً من الطريق المذكورة ، فأتت بأحسن النتائج . ولكن رخص النفط الصادر من بور سعيد يحول دون تفضيل اسفلتنا البلدي عليه . ذلك مما يدلّ على ان وجود النفط في البلاد لا يكفي ما لم نعمّ بان نقربه مثالاً واستعمالاً.

وبالقرب من دجلة ، وهي متصلة بجزيرة ابن عُمر . فانها على مقربة من زاخو وهريول الواقعتين شرقي نهر دجلة وفي شمال الموصل . فمن الطبيعي ان تكون مستودعات البترول الموصلية المدفونة في بطن الارض ممتدةً نحو الغرب في البلاد المشمولة بالانتداب الافرنسي ، اي تحت اراضي « منقار الوز » . وفي جنوب الموصل الغربي ، موضع اسمه الحضر ، وهو قريب من الحدود السورية ومن الخط العرضي من الكرة الارضية الواقعة عليه بحيرة الملح المسماة بواره . وهذه البقاع تتقطر بترولًا بكميات وافرة ، وهي جزء من الاراضي النفطية الواقعة جنوبي الموصل او في جنوبها بغرب في وادي دجلة وفيها المحلات التالية : حمام علي (او الغليل) وبابا گرگور ، وكركوك ، وطارل ، وقصر شيرين

وآثار البترول كثيرة في وادي الفرات ليس تقط بالقرب من هيت ولكن على ضفاف ملتقى الفرات والخابور ايضاً وفي جوار الرقة ، وفي بلاد حلب نفسها .

وان بئر البترول في بابا گرگور بالعراق قد اخرج في ٢٢ تشرين الثاني من العام ١٩٢٧ ، كمية من النفط بلغ وزنها ١٤,٠٠٠ طناً ثم أُغلق عليها . وكان البترول يطفر من تلك البئر في ١٧ تشرين الاول ، من عمق ١٥٠٠ قدم بضغط ٧٠ جوًّا ؛ وطبقة الارض التي كان يخرج منها ذلك الينبوع تمتد على مسافة ٣٠٠ كيلومتر .

وفي حزيران من العام ١٩٢٨ ، انفجرت بئر في طارل على مسافة ٣٠ كيلومترًا من بابا گرگور ، وكانت القوة الضاغطة فيها هائلةً ، وبترولها غنياً جدًا بالغازات .

وان ملازمة طبقات الارض لهيئة واحدة في بلاد العجم وفي العراق لأمرٌ يؤدّي بنا الى نتائج خطيرة . فان الطبقات التي تشقّ الكرة الارضية في اعماقها على مسافة ٧٠٠ الى ٨٠٠ كيلومتر ، من الشرق الى الغرب ، ومن الجنوب الشرقي الى الشمال الغربي ، ومن بلاد العجم الى بلاد العراق ، هي التي روّت العجم بالبترول وهي التي تدرّ اليوم بخيراتها على العراق . وهذه الطبقة لا تنتهي في العراق ، لكنها تمتدّ على مسافة ٤٠٠ الى ٥٠٠ كيلومتر واكثرها متوجهة من بلاد الموصل الى الشرق والشمال والغرب . فمن المعقول انها تدخل حدود

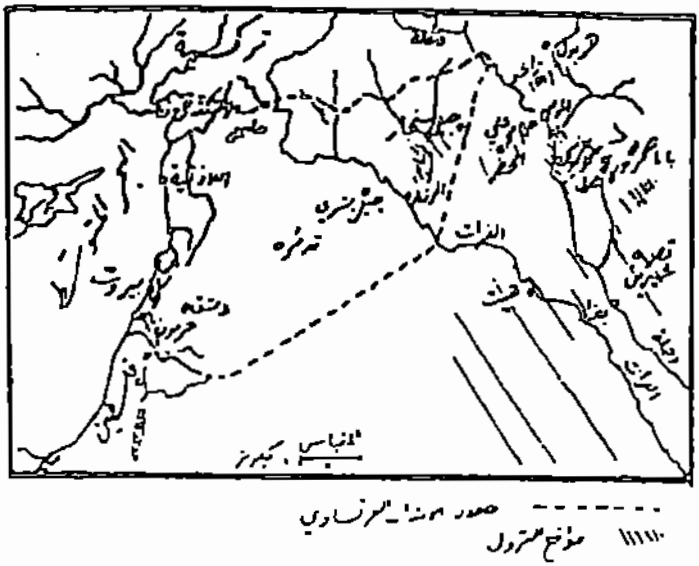

خارطة مواقع البترول في سورية ولبنان والعراق

البلاد المشمولة بالانتداب الافرنسي حتى بلاد حلب ، ومن المعقول انها متصلة بمقاطعة الحضر الشهيرة بنفطها وبالمستودعات النفطية الواقعة تحت مصب الخابور. ولعلها تلوي نحو الغرب الى جوار اسكندرونة.

فيبدو من ثم ان املنا بوجود كميات وافرة من البترول في نفس بلادنا مبني على أساس متين. فيا ليت اغنياءنا يستعينون بالحكومة ، ويتفقون مع الشركات الافرنجية القديرة على اعمال التنقيب واستنباط المعادن ، ليباشروا العمل في شمالي سورية وفي الجزيرة . فاذا ظهر النفط في بلادنا ، واسعدنا الحظ ، وامتدت انابيب الموصل الى البحر المتوسط عن طريق سورية ولبنان ، كان لنا رافدان من الوقود السيال جاريان في بلادنا ، وفيهما من الحركة والحياة والخيرات ما لا تحمله بمياههما دجلة والفرات.

مقابلة الآداب

بقلم فؤاد افرام البستاني
استاذ الآداب العربية في كلية القديس يوسف

٢

ضرورة هذا الدرس في عصرنا

تكلمنا في العدد الماضي عن المراد « بمقابلة الآداب » ، بعد ان حددنا الأدب ، وذكرنا الفوائد المتعددة الناتجة عن درس تاريخه درساً معقولاً . وها نحن نبدأ بشرح حاجتنا الماسة اليوم الى درس مقابلة الآداب ، اذا اردنا ان نبني نهضتنا العصرية على أسس ثابت يستند الى مبادئ الثقافة العامة ، فنطلع على منتوجات العقول الاجنبية المختلفة ، ونجاريها آخذين منها ما يفيدنا ، نابذين ما يؤخرنا في طريقنا ، او يشذ بنا عن غايتنا . وان هذه الحاجة تظهر من المقابلة التالية :

لنأخذ شاباً من اواسط المتعلمين في فرنسة مثلاً ، تاجراً يصرف وقته بتنضيد بضاعته وعرضها على الزبائن ؛ او وسيطاً تجارياً (قومسيونجياً) يقضي نهاره بين ادارة الجمرك والمخازن من كبيرة وصغيرة ، او مستخدماً في احد المصارف يُذيب دماغه فوق ارقام سوداء ، او موظفاً في احدى دوائر الحكومة ، سواء كان في العاصمة او في غيرها من المدن . ولنأخذ مقياساً للمعلومات . ولنفرض اننا تمكنا من قياس علم هذا الشاب ، الذي هو من اوساط المتعلمين في فرنسة ، فاذا نرى ؟

نرى اولاً ان في دماغه أساً متيناً من تلك الثقافة العامة التي يلزم كلَّ انسان ان يُتقنها ، كي يبني عليها في المستقبل ما يطمح اليه من قصور الآمال وصروح الاحلام . نرى انه قد درس كل مظاهر ادب أمته على اختلاف عصورها ، ولم يكتفِ بذلك ، فأضاف الى الفرنساوية لغةً عصرية ، هي الانكليزية او الالمانية عادةً ، والمَّ بشيء كافٍ من آدابها . نرى انه قد المَّ ايضاً بشيء لا بأس بهِ من آداب اليونان والرومان ؛ فهو ، على الاقل ، عارف بمن كان هوميروس ، وسوفوكل ، وفرجيل ، وهوراس ، وغيرهم . وقد يكون قرأ بعض الشيء من منظوماتهم ؛ كما قد يكون قرأ الشيء الكثير من آثار دانتي ، وشكسبير ، وسرفنتس ، وغوته ، وشلر ، وتولستوي ، سواء كان ذلك بلغاتهم او بالترجمات الوافرة في اللغة الفرنساوية .

ثم أتظنون ان ذلك الشاب ، اذا انتهى من عمله اليومي ، لا يفتح جريدته فيطّلع من خلال اسطرها على الحركة العامة في الكون من سياسية وعلمية وادبية وفنية ؟ وقبل ان ينام ، الا يفتح كتابه — سواء كان رواية او اثراً ادبياً علمياً — فيغذي عقله بمنتوجات الكتّاب الحديثة .

ثمَّ أترون ان ذلك الشاب ، اذا خلا برفقائه ، لا يتحدَّث اليهم بما عرفه عن آخر مؤلفات هنري بوردو ، او بيير بنوا ، او من شئتم من الروائيين ؟ هذا اذا كان ميّالاً الى القصص فحسب . امّا اذا كان لديه بعض الطموح الى الادب ونقده ، افلا تتصوَّرون انه يتناظر واياهم في آراء بروست ، وكوكتو ، ومورياك ؟ الا تخالونه يبسط بشيء من الحماسة او البرودة ، طريقة بول كلودل او بول ڤاليري في النثر الشعري ، او آخر مجموعة شعرية لفرنسيس جايمس ؟ او يحمل على نظرية بريمونـد في الشعر الخالص ، او يدافع عن نظرية جوس في الانشاء الشفاهي ؟

هذا هو معدَّل التهذيب العقلي في شابٍ افرنسي منصرفٍ عن الآداب في اعماله اليومية . ولم اذكر من معارفه الّا الوجهة الادبية وهي التي تهمّنا ، فضربت صفحاً عن العلوم والفنون والآراء الاقتصادية والسياسية وما تجرّه من الدروس والمعارف .

ولا تخالوا ان امثال هذا الشاب نادرو الوجود في فرنسة. لا لعمري بل هم عديدون ، ولم ابالغ اذ جعلتهم من اوساط المتعلمين فيها. والّا فكيف يمكننا شرح رواج الكتب والمطبوعات . ونحن اذا صرفنا النظر عن القصص المطبوعة بمئات الالوف والتي لا يهمنا امرها كثيراً ، نرى ان الكتب الادبية والفكرية ، حتى الغريبة بآراء مؤلفيها الغامضة ، تنفق بسرعة عجيبة . فلا تظهر رواية من قلم پول بورجيه — وفي ابسط رواية لبورجيه من الافكار والدروس ما يُعادل مضمون عشرة مجلّدات من كتبنا — حتى تُعاد طبعتها ؛ ولا يظهر كتاب لپول كلوديل — ومن قرأ شيئاً منهُ عانى ما يلاقيه المطالع من صعوبة تفهمه — حتى تندر نسخه ؛ وهذه مؤلفات برغسون الفلسفية بعضها في طبعاتها العشرين. وبعض ترجمات مؤلفات نيتشه ، الفيلسوف الالماني ، بلغت ما فوق الاربعين من الطبعات. امّا مؤلفات روستان الشعرية وما شاكلها فيلزم عدّ نسخها بمئات الآلاف وبانصاف الملايين.

ثم قد يكون ذاك الشاب ميّالاً الى الاستغراب اي محبة الشيء الغريب ، وهي كلمة اعرّب بها لفظة (exotisme) ، واكثر الفرنسويين ميّالون الى ذاك ، فيلتهم روايات پيير لوتي عن تركية ، وبعض الجزر المنفردة ، وما ينشره ارباب المكاتب اليوم عن الهند والصين وعادات سكّانهما . . . او يتلقف ما يعبث به فرنس توسّان من الشعر المنثور وينشره على انه مترجمٌ عن العربية ، ويُسرع الى اساطير ابنة هنري بوردو ومريم هاري وهما تطبعانها بمرّتين انهما عرفتا الشرق . والشرق من احدث الازياء الادبية في فرنسة.

هذا مجمل ما يظهر لنا من المعارف في دماغ شابٍ من اوساط المتعلمين في فرنسة . وقد اطلت في وصفه قصدَ ان اظهر التفاوت بينه وبين مَن سأقابله به . فلنأخذ الآن علماً من كبار علمائنا ، او من فحول شعرائنا ، او من مشاهير كتّابنا ، على شرط ان نفهم بلفظة « العالم » و «الشاعر» و « الكاتب » ما يفهم به ارباب التنشئة القديمة في اللغة العربية ، اي اولئك الذين يضحّون المعاني على مذابح الالفاظ ، ويخنقون الحياة في نعش القوالب الفارغة ، ويحنطون الافكار في نواويس الجمود. لنأخذ عالماً او شاعراً او كاتباً من هؤلاء ، ولنقس

دماغه بقياسنا المعروف . فاذا نرى ؟

قد نرى قواعد كثيرة مفوظة مع جميع شواذاتها ، ومعلومات وافرة في تاريخ الآداب ونوادر الادباء ، وأحكاماً نقدية في قوالب مصوغة قد تكون رنّانة وقد تكون طنّانة . ولكنها جميعاً بعيدة عن الحياة لانها نشأت وماتت في بيئة واحدة ؛ لانها لم تتغذ بشيء من المغذيات الخارجية ، بل كانت تجترّ وتلوك ما تجترّه ، حتى قضت كما نشأت لم تنمُ ولم تنضج ؛ ولم يبقَ الّا قناعها الجافّ يحافظ عليه اربابه كأثمن ما يكون من الذخائر .

ولا تقف التنشئة القديمة في درس اللغة عند هذا الحدّ من المصائب ، وهي وحدها كافية للاقلاع عنها ، بل تتجاوزها الى نوع من ضيق العقل ، وجمود الذهن ، وقلة الذوق ، والسهو عن مواقع الكلام ، يرافقه لون من التعصب المذموم يدفع اهله الى الحطّ من شأن كل ادبٍ غير عربي . وهو تعصبٌ حرمنا الكثير من الفوائد في العصور الخالية فيجدر بنا الّا نؤخذ به اليوم . تعصبٌ قيّدنا مئاتِ السنين الى منتوجات لغتنا وحدها ، نلوكها ونلوكها ، فلا هي تغذينا ولا نحن نسيغها . ونرى لغات الغير حرّة طليقة ، تتناول الموادّ من حيث وافقتها ، وتستعير الالفاظ من كل شعب ولغة . تعصبٌ ربطنا الى رحال الابل في باديةٍ قاحلة ، نسير بسيرها ونقف بوقوفها ، بينما كان الغير يمرّ بنا على سيّاراته مرورَ الطير ، ويزفّ من فوقنا بطيّاراته زفوفَ الريح ، فينظر الينا بهزء وإشفاق . امّا نحن فنغمض عيوننا عن مرأى سرعته ، ونصمّ آذاننا عن أزيز مركباته ، ثم نمرّ ايدينا بحنوّ على مطايانا ، ونسوق اظعاننا « نطوي البيد طيّ » وننشد باكين اطلالنا ودمننا ، فنسكر بتلك الذكريات ونقول : ليس في الكون مركبة الّا الناقة ، وليس عند الاعاجم ادبٌ وشعر .

شيعنا ، يا اسيادنا « الأعلام » ، من الذميل والوخد والإرقال . وليس بامكاننا بعد ان نصرف اربعين يوماً برفقة النجب والابكار والمها والاوعال حتى نصل الى بغداد . فنحن في عصر ضاق الزمان فيه عن مثل هذا العبث الفارغ . فاذا لم نجارِ الناس سبقونا الى محجّة الحياة ، وظللنا نندب الماضي ،

ونبكي من ذكر الاحبة والمنازل بين المرابض والاطان ... لا ! نحن بحاجة الى الحياة ، نحن بحاجة الى التجدد ، نحن بحاجة الى ادب يكون مرآة مجتمعنا والّا كان فاسداً ، سطحياً ، وقتياً ، كذلك الطحلب الذي ينبت بسرعة فوق الدمن وفي الزوايا الرطبة ؛ ولكن ما هو ان ترشقه اشعة الشمس حتى يذوي ويتلاشى . نحن بحاجة الى الاحتكاك بالاعاجم ، نعم بتلك الأمم التي احتقرها العرب والتي لا سبيل لخلاص لغتنا اليوم الّا على يدها ، نحن بحاجة الى درس آدابها ، وتفهم اساليب الكتابة فيها ، حتى نخلّص آدابنا من الخمول ، ونعلم مؤلفينا اساليب الكتابة . نحن بحاجة الى السيارة لنقطع بها تلك الأبعاد التي تفصلنا عن الحياة .

اما اذا شاء اسيادنا المحافظون ، المقلدون ، المحتقرون كلّ ما هو اعجمي ان يظلّوا متمسّكين باذيال إبلهم كي لا يحيدوا عن « الصراط المستقيم » فانّنا نؤثر لهم . فاماً ان يفسحوا لنا الطريق صاغرين ... واماً ... على ان هناك حلّاً آخر : نقدّم لهم سيّاراتنا ، ونصعدهم فيها مع نوقهم وجمالهم . فيرضون ونرضى ...

من مثل هؤلاء الغيُر على الادب العربي ، ومن مثل هؤلاء المحتقرين كلّ ادب غير عربي ، يلزم ان نحذر في درس الادب العربي . ومثل هؤلاء الغيُر وهؤلاء المحتقرين ، كثيرون لسوء حظ الادب العربي . وبمثل هؤلاء ، كان يفكّر الدكتور طه حسين ، عندما كتب تلك المقدمة الجريئة لذلك الكتاب الجريء ، فقال :

« وكيف السبيل الى ان يُدرس الادب العربي درساً صحيحاً اذا لم تُدرس الصلة المادية والمعنوية بين اللغة العربية واللغات السامية ، وبين الادب العربي والادب السامي ؟ وهل هناك سبيل الى ان يُدرس الادب العربي دون ان تفهم التوراة والأناجيل ؟ وهل تظنّ ان بين شيوخ الادب في مصر من قرأ التوراة او قرأ احد الاناجيل ؟ وكيف السبيل الى درس الادب العربي اذا لم ندرس اللغة اليونانية واللاتينية وآدابهما ... ولم تتبيّن مكانة ادبنا العربي بالقياس الى هذه الآداب اليونانية واللاتينية ؟ وهل تظنّ ان من شيوخ الادب في مصر

من قرأ إلياذة هوميروس واينياذة فرجيل فضلاً عن تمثيل الممثلين ، وغناء المغنين ، وخطابة الخطباء ، وحوار المتحاورين.

« أليس من شيوخ الادب في مصر من يعلّم طلّابه الآن ان ليس لليونان ادب ولا شعر ولا خطابة كما لأهل الضاد ؟ وكيف السبيل الى درس الادب العربي اذا لم ندرس اللغات الاسلامية المختلفة ولاسيما الفارسية منها ، ونتبيّن ما كان لهذه اللغات وآدابها من تأثير في أدبنا العربي الذي لم ينشأ في برج من العاج وانما تأثر بالآداب المختلفة وأثّر فيها ؟ وهل تظنّ ان من شيوخ الادب في مصر من قرأ الشهنامة او الّم بشيء من شعر الخيّام او من شعر السعدي او الحافظ ؟ وكيف السبيل الى درس الادب العربي اذا لم ندرس اللغات الاوربية الحيّة ونتبيّن تأثيرها في ادبنا الحديث ؟ ثم كيف السبيل الى درس الادب العربي اذا لم نأخذ بمناهج البحث العلمي الحديث وندرس آدابنا كما يدرس الفرنسيون والانكليز والالمان آدابهم ؟ . . .

«وكيف السبيل الى درس الادب العربي اذا كان الطالب يجهل ، كما يجهل طلّابنا وشيوخنا ، آيات الادب الاجنبي قديمه وحديثه ، هذه الايات التي أثّرت في حياة الانسانية كلها والتي تتناقل العلم بها في طبقات الشعوب الغربية كافةً .»[1]

هذا رأي اديب مصري كبير عانى درس الادب على شيوخه ، وعانى تدريسه ايضاً . فيتبين من قوله انه اصبح من اللازم في عصرنا ، بل من الضروري ، مباشرة هذا الدرس الجديد المفيد الذي ندعوه « مقابلة الآداب».

(للبحث صلة)

---

١) الدكتور طه حسين : في الادب الجاهلي ، ص ١٣ - ١٤

جيراننا في الشرق الادنى

بقلم الاب لامنس اليسوعي

ان لبلادنا بلاداً مجاورةً ، ولها مع القطر المصري خاصة علاقات متواصلة ، فلم نشأ ان نودّع العام الماضي قبل ان نلقي نظرة على احوال جيراننا

اول ما يلوح للبصر حركة التجدّد والاصلاح السياسي . وقد تزايد سعيها او تناقص بتفاوت استعداد الشعوب ، وتنوّع اساليب الاصلاح ، واختلاف اخلاق المصلحين:

ان لمصطفى كمال المفاجأة في التغيير والبطش بالاعداء والمناوئين . ولرضا خان بهلوي ، شاه العجم ، التدرّج من انقلاب الى انقلاب . ولفؤاد الاول ، ملك مصر ، الرزانة والتؤدة في السير الى الامام . وللملك فيصل الحصافة السياسية بين اقدام واحجام خشية ان يغيظ قوماً غُيرًا على شعائرهم الدينية ، شديدي التمسك بتقاليدهم . ولابن سعود قصب السبق في التشبث بالقديم مجاراةً للوهابيين وللاعراب البدو على امياهم

تركيا

في ١ تشرين الثاني الماضي عقد مجلس الامة الاكبر اجتماعه الاول في انقره . فالقى الغازي خطاباً في سياسته أقرّ فيه ضرورة استعمال الابجدية اللاتينية للاسراع بنشر التعليم العام وترقيه . وأقرّ المجلس باتحاد الاصوات رسم التشريع في هذا السبيل . فشمّرت الحكومة عن ساعد الجد واخذت تلقّن الامة الابجدية الجديدة ، ولا مناص للشعب من الخضوع ، والّا فالويل لاعداء التجدّد !

وفي ٢٨ ايار سنة ١٩٢٨ اتفقت الآراء في المجلس على وضع قانون ، دخل في قيد التنفيذ منذ اول كانون الثاني ١٩٢٩ ، وعنوانه الجنسية التركية. وبنده الرابع يعلن « ان الاجانب مواليد تركية هم اتراك الى ان يبلغوا اشدهم فحينئذٍ يُفسح لهم مدة ستة اشهر ليختاروا في غضونها بين جنسية اهلهم او الجنسية التركية » امّا اذا اختاروا جنسية اهلهم فعليهم ، طبقاً للبند الثامن من القانون ، ان يهجروا البلاد التركية بعد تصفية اموالهم وارزاقهم . ولا يُستثنى منهم الّا رجال السفارات وعمال القنصليات . ومن البديهي ان غرض القانون المرمى اليه هو اجلاء العناصر الاجنبية اجلاء باتّاً عن البلاد التركية فلن يستطيع الاجانب ان يقيموا فيها من بعد .

فلسطين

كاد سير الامور بين الصهيونيين والفلسطينيين يتحوّل من الشدة والتوتر الى ما يبشر باللين والتساهل ، لولا ان حادث « البُراق » فتح باباً جديداً للخصام (راجع المشرق ، كانون الثاني ١٩٢٩ ، ص:٤٥) . فعلت اصوات الفريقين ، وتصدّى لها المجلس النيابي في لندن ولجنة جمعية الامم في جنيف . واعربت اللجنة المذكورة عن املها بان تبذل الحكومة البريطانية قصارى جهدها اتقاء وقوع حوادث شبيهة بالتي جرت حول المبكى . وما زال الحديث دائراً في فلسطين حول بناية مرفأ حيفا ، وهم يعللون النفس بالامل ان يكون ذلك المرفأ محطة نهائية لانابيب البترول من الموصل . امّا الامر الذي لا يخالف فيه اثنان فهو ان الهيئة الجغرافية والمصالح الاقتصادية تحكم للبنانيين بحق مرور الانابيب في بلادهم دون غيرها . ولكن تجري الرياح بما لا تشتهي السفن . قالت مجلة الشرق الحديث الايطالية (ص:٥٢٣) « يعزّ على انكلترة ان تمرّ انابيب بترول الموصل في بلاد غير البلاد الخاضعة لانتدابها ومن البديهي ان اكتراثها للامر منذ العام ١٩٢٠ هو الذي دفعها الى وضع اركان حكومة شرقي الاردن وتحديد حدودها وتوطيد الاساس للاعمال العسكرية والجوية فيها »

شرقي الاردن

سخطت البلاد على الامير عبدالله فنظرت شزراً الى معاهدته مع انكلترة وتضجرت من الحالة الاقتصادية العمومية . ولم يصفُ جوّ المدعوّين الى انتخاب اعضاء المجلس النيابي ، وقد حاول الامير التدخل في الانتخابات على امل اصلاح الحالة فلم ينجح ، فاضاع من ثمَّ شيئاً من نفوذه . ومما زاد بالطين بلّة انشاء هيئة حرس من رجال الشركس المهاجرين حديثاً الى شرقي الاردن ، المفرقين من الاهالي ، وحسبنا بذلك مدعاةً الى القلق والريبة في امر مصير البلاد.

العراق

وليست احوال العراق على ما يُرام ، طبقاً لما وصفها به الملك فيصل في خطابه الافتتاحي للمجلس النيابي في ٢ تشرين الثاني الماضي . فانهم لم يحلوا عقدة المشاكل الواقعة بينهم وبين الوهابيين فيما يخصّ الحدود . ولم يستطيعوا اسكان حركة الشقاق البادية طلائعها في البصرة حيث يطلب الكثيرون من الاعيان الحكم البريطاني مباشرة . وقد اتهمت الصحافة العراقية انكلترة بتشجيع تلك الحركة.

وعادت الى بلادها آخر فرقة عسكرية هندية فلم يبقَ في العراق جيش يتقاضى امواله من انكلترة غير القوى الجويّة والعساكر الاشورية . وعددها قليل . وان الرأي العام يوجس خيفة من امر الخدمة العسكرية الاجبارية ، ومن تكوين جيش وطني . امّا مالية البلاد فتحسّنت اذ زاد دَخل الخزينة سحابة الخمس السنوات الاخيرة زهاء ٤٨٠,٠٠٠ ليرة انكليزية اي ١٢ بالمئة سنوياً . امّا الخرج فزيادته ٢٥ بالمئة ؛ والدليل من ثم واضح على ان الميزانية لم تتساوَ حتى الآن بين الدخل والخرج.

مصر

كانت الازمة الوفدية شديدة الوطأة ، ثم خفّت بفضل سياسة الحكومة وحلمها ، وهي تسير سيرها من غير عائق ولا مانع يحول دون بلوغ الغرض . وقد هبّت على البلاد ريح الثقة والسلام ، فنشطت الحكومة على الاقدام

والاجتهاد في تحسين الاحوال في الداخل ، وعلى اعلاء منار مصر في الخارج . ومما يلفت الانظار من المشروعات العامة : تقرير بناء ١٥٠ مستشفى ، باشروا بناء ثلاثين منها ؛ وجرّ مياه الشرب الى المدن الآهلة بالسكان مثل طنطا والزقازيق والمنيا والفيوم ؛ واتفقوا على تحقيق مشروع جرّ المياه بصورة تمكنهم من ري القرى المجاورة ، وعدد سكانها ٨٠٠,٠٠٠ فلاح . وتحدثوا في رفع جدران خزّان اسوان ليزيدوا من ثم مساحات الاراضي الممكنة زراعتها ؛ واهتموا باصلاح التعليم في الازهر ، وقد كلّمنا قراءنا في هذا الموضوع سابقاً . وها ان الاصلاح اخذ يشمل دوائر القضاء وموظفيها ؛ وصارت الحكومة تسعى في تمليك الفلّاح ارضه ، وعمّرت بنايات صحية في القاهرة لسكنى العمّال وعائلاتهم ؛ وحذّرت على الشبّان الدارسين الاشتراك بالمظاهرات السياسية التي تعوّدوها على ايام الحكم الوفدي ، وبئس العادة !

وحبّذا المثل مثل حكومة الملك فؤاد ! فما اجدر سائر حكومات الشرق الادنى باقتفاء آثاره فيما يرشد اليه من معالجة داء السياسة الخرقاء والاجتهاد في سبيل احياء قوى الامة .

افغانستان

امّا ملك افغانستان السابق ، امان الله ، فقد خلب نظره وميض برق لاحت فيه صورة مصطفى كمال وفتوحاته ، فلم يتربّص في امره وفاته ان الافغان الغلاظ ليس فيهم الاستعداد الكافي ليتبعوه في طريق الاصلاحات ، شأنَ الاتراك في اتباعهم مصطفى كمال وهزالاء احتكوا بالعالم الاوربي واستعدوا للاصطباغ بصبغته . ذي امان الله خان كل هذا « وآفة العلم النسيان »

وان في ذلك النسيان لعبرة لمن يقطع المفاوز من غير ان يحطّ رحاله في مواطن الحكمة وسداد الرأي . وان في ذلك المثل لنوراً لحكّام يعقلون .

الهواء مصدر القوة (*)

بقلم انطوان باز
المهندس من المكتب الافرنسي في بيروت ،
ومن مدرسة الكهرباء العليا في باريس

٢

لقد بحثنا في العدد السابق من هذه المجلة عن المروحة الهولندية ، واستخدامها لرفع المياه ، وتوليد القوة الكهربائية . ثمَّ بيَّنا منافع الخزّان ، مائياً كان او كهربائياً ، لتنظيم القوة ، رغم تقلّب الهواء.

والخزّان الكهربائي (accumulateur) وعاء من زجاج او غيره ، ضمنه صفائح معدنية غارقةٌ في سيّالٍ حمضي او قلوي . وفي الصفائح قطبان ، ايجابي وسلبي ، اذا وُصلا بقطبي المولـدة عند سيرها دخلت الكهرباء في الخزّان وبقيت فيـه ريثما تستعمل عند الحاجة ... فاستخدام الهواء للنور او القوة يكون اذاً على الوجه الآتي :

عندما تسير المروحة بقوة الهواء ، تدير مولدة كهربائية في اسفل العمود او في اعلاه . وهذه المولدة تُرسلُ تيّارها في الخزّان فيمتلئ . وبين المولدة والخزّان مفتاح قطع وصلة (disjoncteur conjoncteur) يقطع المجرى من تلقاء ذاته ، كلما خفت سرعة المروحة ، او امتلأ الخزّان ، ويعيده اذا ما فرغ قسمٌ من الخزّان ، او زادت دورةُ المولدة فغلب توتّرهـا على توتر الخزّان . والتوتّر للآلة الكهربائية كالضغط للمياه . فكما تسير الميـاه ، بقوة الضغط ،

---

* ان الرسوم الاولى الثلاثة عن المراوح الهولندية هي بقيّة ما ارسلته الينـا إدارة شركة مراوح سيكلون الفرنسوية «Société des aéromoteurs Cyclone» ، فنشكرها

من اعلى الى اسفل، تسير الكهرباء من التوتر العالي الى الاخف. فتوتر الخزّان يرتفع كلّما امتلأ هذا ، وتوتر المولدة يزيد بسرعة دورتها اي بسرعة الهواء ، والعكس بالعكس . فعلى المفتاح ان يقطع صلة المولدة بالخزّان كلّما غلب توتر هذا على تلك ، لئلّا تعود الكهرباء من الخزّان الى المولدة فتذهب ضياعاً .

وكهربائية الخزّان تُستعمل اية ساعة كانت ، للنور او للقوة ، وُجد الهواء ام لا — الّا اذا سكن هذا اياماً متواصلة ففرغت الخزّانات تماماً — والتوتر المصطلح عليه غالباً هو توتر ٦٠ او ٦٤ ڤولتاً عوضاً عن المائة والعشرة ڤولت للمجرى العادي . والمقصود من ذلك انقاص عدد الخزّانات : فان توتر الخزّان الواحد معدّله ٢ ڤولت . فاذا عُمل المجرى لمائة وعشرة ڤولت لزم ٥٥ خزّاناً موصولة كهربائياً بعضها ببعض كما في الرسم ١ ؛ امّا اذا استعملنا توتر ٦٠ ڤولت فنكتفي بثلاثين خزّاناً .

امّا مجموع الآلات هذه فيُجعل غالباً ضمن غرفة صغيرة في اسفل العمود . ويُرى في الرسم ١ مجموع كهذا مؤلّف من مولّدة كهربائية تديرها المروحة الهوائية ، ومفتاح قطع وصلة بين المولدة والخزّانات ، ولوحة لقياس التوتر

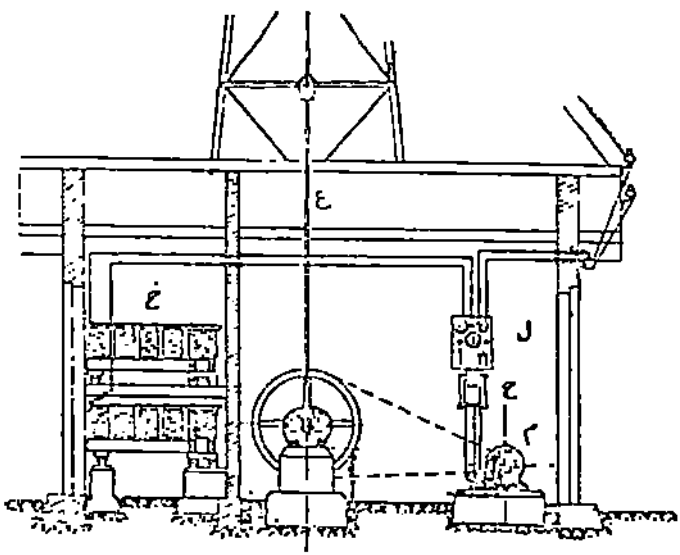

الرسم ٢ : شكل هندسي لمجموع هوائي كهربائي

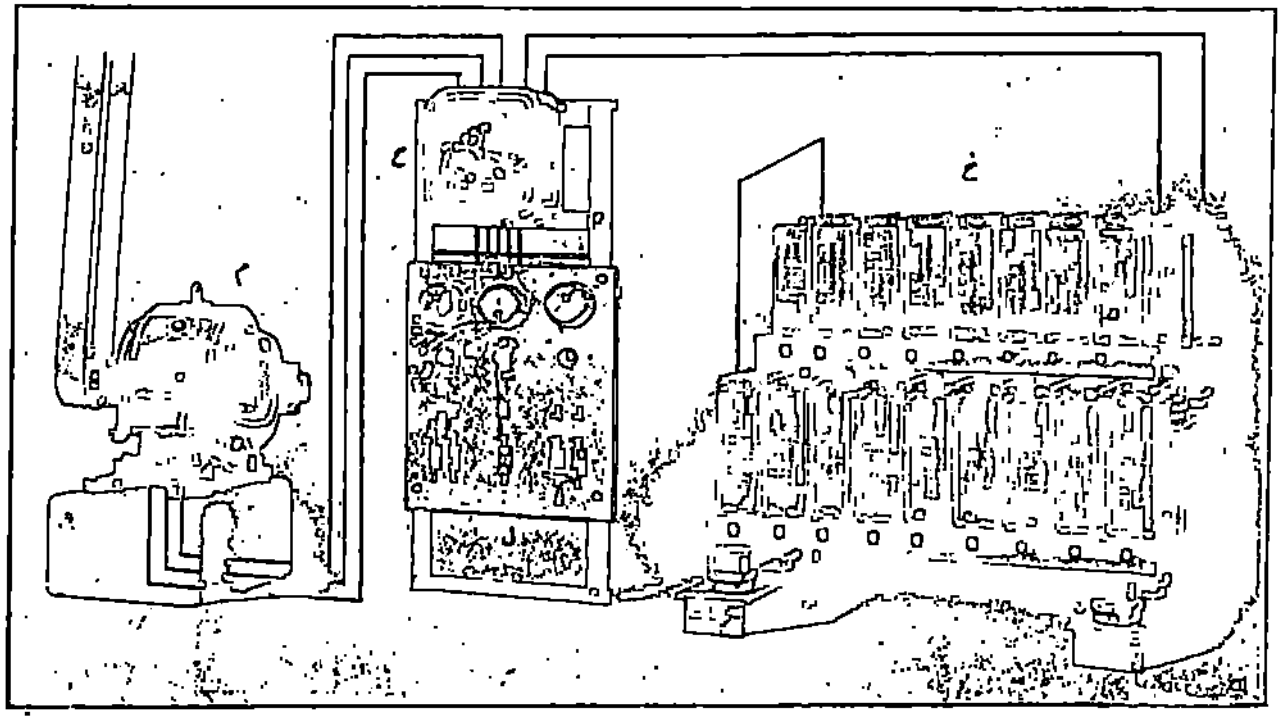

الرسم ١ : منظر لمجموع هوائي كهربائي

م : المولّدة الكهربائية يديرها محور المروحة

ل : لوحة لقياس التوتر والمجرى

ح : مفتاح قطع وصلة بين المولدة والمزّانات

خ : المزانات الكهربائية تملأها المولدة وتستخدم كهربائيتها للنور والقوة

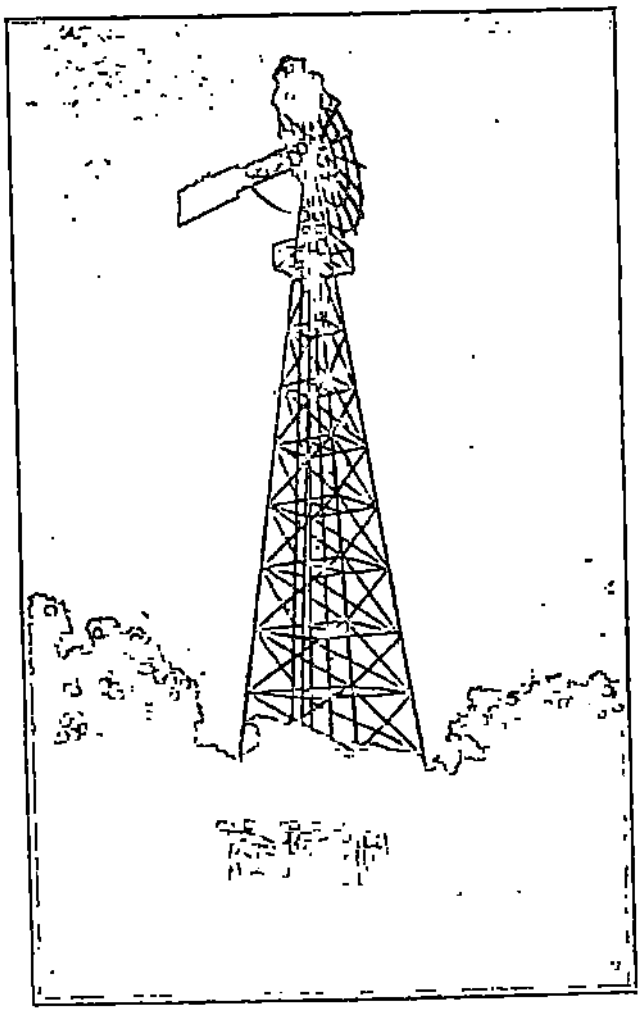

الرسم ٣ : منظر مروحة هوائية من مراوح شركة « بيكلون »

والمجرى ، وعددٌ من الخزّانات . وفي الغالب تُقسم الغرفة الى شطرين تُجعل الخزّانات في واحدٍ منها ، والمولدة والمفتاح في الشطر الآخر . كل ذلك حتى لا تُؤثّر الغازات الحمضيّة التي تتصاعد من الخزّان في المولدة فتهريها . وهذا التنسيق يُرى في الشكل الهندسي عدد ٢ ، اذ تظهر الخزّانات (خ) مصفوفة لجهة الشمال ، مفصولة عن باقي الآلات ، وفي الوسط محور المروحة يُدير دولاباً وبواسطته المولدة(م) . ومن على اليمين الاسلاك الكهربائية طالعةً في الجوّ نحو مركز الاستخدام . وقد وضعت شركة المراوح الهوائية « سيكاون » التي تكرمت علينا بارسال الرسوم المنشورة في هذا العدد ، مجامع هوائية كهربائية تختلف قوّتها بين عشري الحصان والعشرة الاحصنة ، اي ما يكفي لانارة ١٢ الى ٣٠٠ قنديل ، قوّة كل قنديل ٢٥ شمعة . وها نحن ننشر بعضها في الجدول الآتي مع تبيان قوتها ، وعدد الخزّانات اللازمة لها ، وعدد القناديل التي تسمح بانارتها دفعةً واحدة

القوة: وات	القوة احصنة	توتر المولدة فولت	عدد الخزّانات	عدد القناديل ٢٥ شمعة
٣٠٠	٠ ر ٤٠	١٢	٦	١٢
٥٠٠	٠ ر ٦٨	٢٤	١٢	٢٠
٨٥٠	١ ر ١٥	٦٤	٣٢	٣٦
١٤٥٠	٢ ر ٠٠	٦٤	٣٢	٥٨
٢١٠٠	٢ ر ٨٥	١١٠	٥٥	٨٤
٣٩٠٠	٥ ر ٣٠	١١٠	٥٥	١٥٦
٤٥٠٠	٦ ر ١٥	١١٠	٥٥	١٨٠

اسعار المراوح الهولندية

لا ريب في ان المحرك الهوائي هو اغلى ثمناً باضعاف من المحرك الناري او المحرك الكهربائي لما يستلزم من الدقة في التركيب والتوقيع . غير ان فرق الثمن كثيراً ما يُستهلك خلال سنةٍ او سنتين ، اذا اعتبرنا ان المحرك الهوائي لا يصرف

وقوداً ، والمحركين الباقيين يذهبان سنوياً بكمية واهية من الزيت او السيال الكهربائي . وتنبيهاً للافكار ، فلنفرض مضخةً تسحب كلَّ يوم عشرة آلاف لتر من الماء لعلو خمسة وعشرين متراً ، اي الفي ليتر في الساعة ، مدة خمس ساعات . ولنقابلْ نفقات المحرّك الذي يدير هذه المضخة سواء كان نارياً او كهربائياً ، بنفقات مروحة هوائية ، فيتضح لنا تفوّق المروحة من الوجهة الاقتصادية . وقد اعتمدنا في مقابلتنا هذه على ان سعر الكهرباء خمسة عشر غرشاً سورياً للكيلووات في الساعة ، وسعر البنزين اثنا عشر غرشاً الليتر الواحد ، كما هو في بلادنا الآن ، فكان البيان الآتي :

نوع النفقات	نفقات المحرك الكهربائي		نفقات المحرك على البنزين		نفقات المروحة	
	غروش سورية		غروش سورية		غروش سورية	
	في اليوم	في السنة	في اليوم	في السنة	في اليوم	في السنة
الوقود الكهربائي	٣٠	١٠٨٠٠	٣٠	١٠٨٠٠	٠٠	٠٠٠
شحم		١٢٠	١٠	٣٦٠٠		٣٠٠
اجرة عامل		٣٠٠٠		٥٠٠٠		٠٠٠
تنظيف الآلة		٢٨٠		٦٠٠		١٠٠٠
المجموع في السنة		١٤٢٠٠		٢٠٠٠٠		١٣٠٠

فيكون الاقتصاد السنوي ١٨٧ ليرة سورية ، اذا قابلنا المروحة بالمحرك الناري ؛ و ١٢٩ ، اذا قابلناها بالمحرك على الكهرباء ، وهذا كاف لاستيفاء ثمن المروحة بزمن وجيز .

امّا ثمن تلك المراوح فتابعٌ لقوتها وقُطرها . وقد كنّا درسنا مشروعاً ، في هذا الصدد ، لانارة دير الارمن الكاثوليك في بزمّار (لبنان) ، يحتوي على مروحة قطرها خمسة امتار ونيّف مرتكزة على عمود فولاذي علوّه عشرة امتار ، ومولّدة كهربائية قوتها ١٢٠٠ شمعة تقريباً تديرها المروحة ، وعدد من الخزانات ، ولوحة من الرخام عليها المفاتيح والآلات الكهربائية كما في الرسمين ١ و ٢ فعدلنا النفقات كما يلي :

المروحة وتوابعها مع العمود	١٦٠٠٠ فرنك
المولدة الكهربائية	٢٤٠٠
اللوحة وآلاتها	١١٢٥
الخزانات	٨٥٠٠
المجموع	٢٨٠٢٥

اي الفاً واربعمائة ليرة سورية ما خلا نفقات الشحن والتركيب . والمروحة هذه المصنوعة لقوة حصان واحد ونصف الحصان تعطي قوة ثلاثة او اربعة احصنة اذا اشتدَّ الهواء . ولنا الامل بان هذا المشروع يتم عاجلاً او آجلاً ، فيكون الاول من جنسهِ في هذه البلاد

الدوّارة الهوائية[1]

تكلمنا فيما سبق عن المروحة الهولندية واستخدامها لتوليد القوة . انا هذه المروحة ، وان شاع استخدامها لسهولتها ، لا تعطي سوى قوة صغيرة لا تزيد على العشرين حصاناً بهواء معتدل ، سرعته ثمانية امتار في الثانية ، وبقطر طوله اثنا عشر متراً . امّا اذا قصد زيادة القوة فيلزم توسيع القطر الى ما فوق ذلك مما يزيد في ضخامة المروحة وينقص من متانتها . ثم ان انتاج المراوح الهولندية ضعيف، والانتاج كما بيّناه في مقالات سابقة هو نسبة القوة المستخرجة الى القوة الممكن استخراجها .

لذا فكّر المهندسون الهوائيون ، واخصهم المهندس الفرنساوي قسطنطين (Constantin) ، في درس محرك هوائي ، حسن الانتاج ، عظيم القوة ، رخيص الثمن . فاستبدل المروحة بالدوارة او الفراشة (hélice) كالتي تستعمل في الطيران او البحرية ، وهي كناية عن خشبتين مفتولتين ، اذا اعترضهما الهواء دارتا ، انا بانتاج افضل وقوة اعظم .

---

١) اخذنا بعض التعليقات عن هذه الدوارة من حضرة الاب ڤرنه (Vernet) نسيب المخترع ، فنديه شكرنا

وكانت الحرب فحالت دون ابراز فكرة العالم الى حيّز الوجود . غير انه ما وضعت هذه الحرب اوزارها حتى رجع الى درس ما بدأ بهِ ، باحثاً منقباً ، فوضع امثلةً صغيرة لدوّارته ، وامتحنها في مختبر برج ايفل للأعمال الحيلية والهوائية ، فاستبشر بالنجاح . امّا قوة الدوّارة هذه فتزيد كمثلث سرعة الهواء ، ومربّع قُطرها حسب قاعدة معروفة . اي ان السرعة اذا ارتفعت من الواحد الى الاثنين زادت القوة ثمانية اضعاف ، لقُطر واحد . واذا ارتفع القُطر من الواحد الى الاثنين زادت القوة اربعة اضعاف لسرعة واحدة . . . واستناداً الى ذلك عدّل السيد قسطنطين انه لو نُصب مثل هذه الدوّارة على قمة جبل «الفنتو» (Ventoux) في جنوبي فرنسة ، لأعطت مئات من الاحصنة ، حسب سرعة الهواء وقطر الدوّارة .

سرعة الهواء امتار في الثانية	قوة الدوّارة قطر ٣٠ متراً	قوة الدوّارة قطر ٤٠ متراً
٦	٤٣ حصاناً	٧٦ حصاناً
١٠	٢٠٠ «	٢٥٦ «
١٤	٥٤٦ «	٩٧٢ «
٢١	١٨٤٠ «	٣٢٧٥ «

امّا قطر ثلاثين واربعين متراً فليس بالشيء الصعب نظراً لتقدّم فن الحيَل وبساطة هيئة الدوّارة ، حتى ان البعض عوّلوا على قطر خمسين متراً . فتكون القوة ، اذ ذاك ، بهواء سرعته ٢١ متراً ، خمسة آلاف حصان للدوّارة الواحدة وهو عددٌ لا يُستهان به . وكم من مثل هذه الدوّارة يمكن رفعها فوق الجبل المذكور ، المشهور بكثرة هوائه وشدته ! كيف لا وقد عدّلت المراصد الجوية ان الهواء فيه يهبّ مدة ١٠٦ ايام في السنة بسرعة عشرة امتار في الثانية ، و ٦٣ يوماً بسرعة اربعة عشر متراً ، وخمسين يوماً بسرعة واحد وعشرين متراً

ولم يكتفِ المهندس المذكور بهذه الارقام بل حقّق دوّارتين صغيرتين : الاولى قطرها ثمانية امتار ، جُعلت في بلدة روان على عمود طوله ١٨ متراً ،

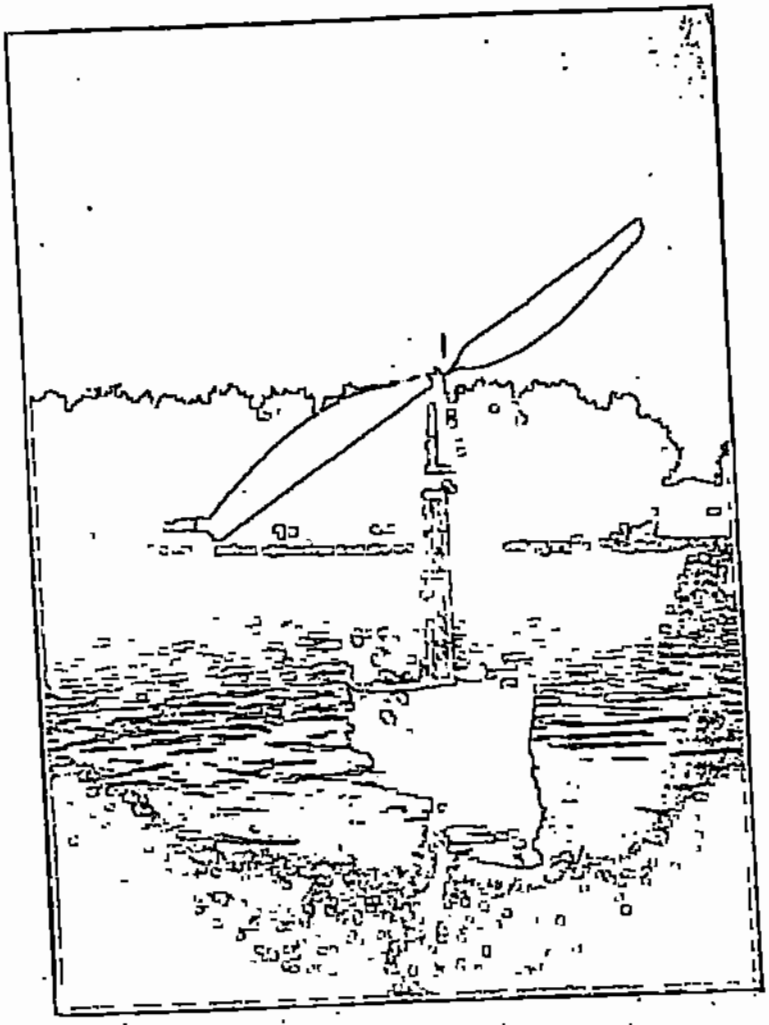

الرسم ٥ : دوّارة صُنعت خصيصاً لتسيير هذا المركب

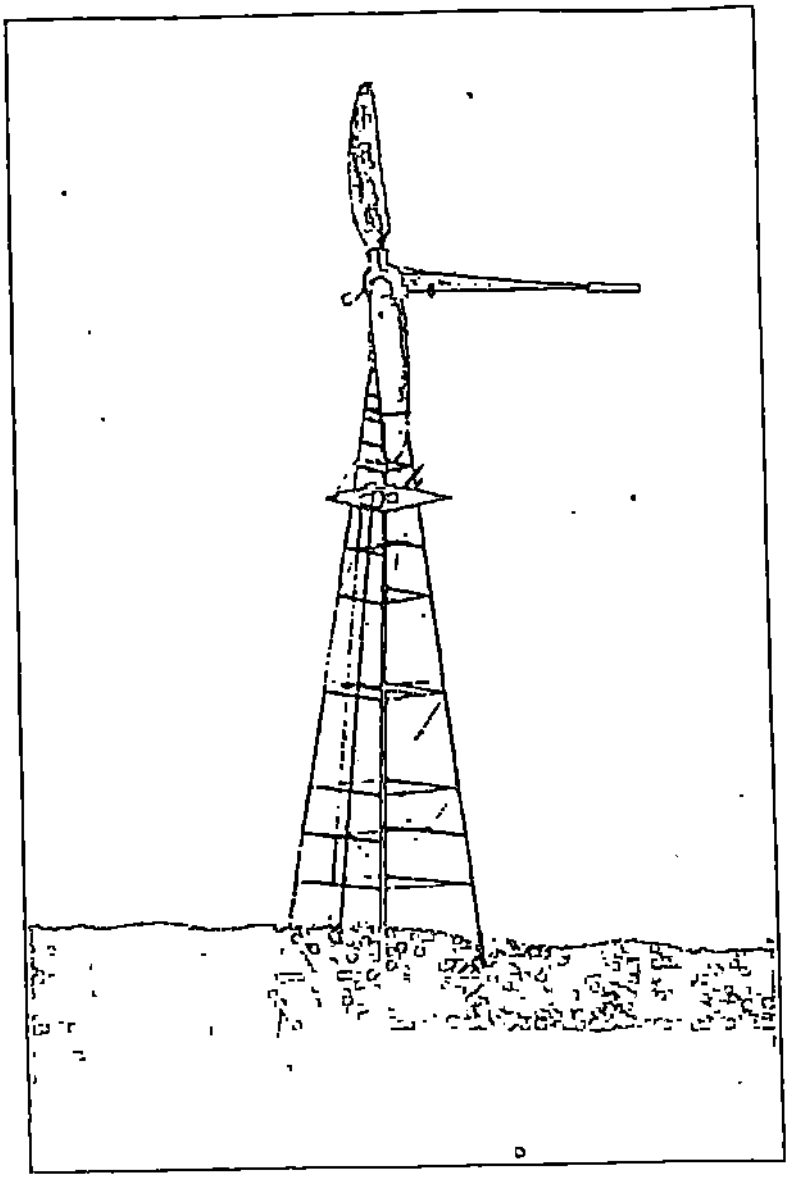

الرسم ٩ : دوّارة في بلدة روان ، ترفع المياه من بئر عميقة

لرفع مياه بئر عميق للري (انظر الرسم ٤) والثانية عُملت خصيصاً لتسيير مركب صغير ، على النسق الآتي : تدور الدوّارة بواسطة الهواء فتحرّك فراشة في الماء تدفع المركب الى الامام ، كما في السفن البخارية ، والدوارة تبرم فوق العمود لأيّ اتجاه كان ، بواسطة دفّة يديرها النوتي (الرسم ٥).

وقد تُتمم هذا المركب الجميل بمساعدة فنيَّين «دالوز وجسّال» ، واختُبر في نهر السان ، في الخامس عشر من ايلول سنة ١٩٢٤ ، امام جمهور غفير . وكان السيد بريتون ، مدير مكتب الاكتشافات في باريس ، فابى الّا ان ينزل فيه فيمسك بالدفة يُدير المركب كيفما شاء . وقد أعجب بمرونة حركته وسرعة سيره التي بلغت ثماني كيلومترات في الساعة بهواء معتدل ... واطنبت الجرائد والمجلّات الفرنساوية وتتنذ بوصف ذلك الاختراع ، محطّ اعجاب الجميع والباريسيين خصوصاً ، واثنت على همة المهندس النشيط الذي ما زال تابعاً فكرته الى ان ابرزها الى حيّز التحقيق . ومن المدهش هو ان ذلك المركب يسير بالهواء ضدّ الهواء ، خلافاً للمراكب الشراعية التي لا تسير الّا مع الهواء . وفي ذلك مثال لما يبلغ اليه الفن من اخضاع عوامل الطبيعة لخدمة الانسان . ولا حاجة الى القول انه سوف يكون لهذا الاختراع مستقبل في المواصلات التجارية خصوصاً بين الشواطئ البحرية والمدن المتشتة على ضفاف الانهر حيث لا تدخل السفن الضخمة .

* * *

هذا شوطٌ اول من استخدام الدوّارة الهوائية . وما يمنعنا من استخدامها لتوليد القوة الكهربائية ، فالقوة الحيلية على مختلف انواعها ؟ وقد رسم السيد قسطنطين شكلاً هندسياً لهذا التحقيق (الرسم ٦) جعل فيه المولدة الكهربائية وتوابعها ضمن قشرة معدنية تُجعل في رأس العمود فوق بكرات تدور عليها ، والقشرة جعلت بشكل بيضوي مُستطيل كي لا تكون حاجزاً للهواء . اما الاسلاك الكهربائية فتنزل من المولدة الى محل الاستخدام ... ولابدّ لنا هنا من ايضاح وهو ان القوة الكهربائية ، كما رأينا ، تُجمع في خزان الى حين الاستعمال . والخزّان الكهربائي ذو محاسن جمّة ، انّما اذا ارتفعت القوة المنوي

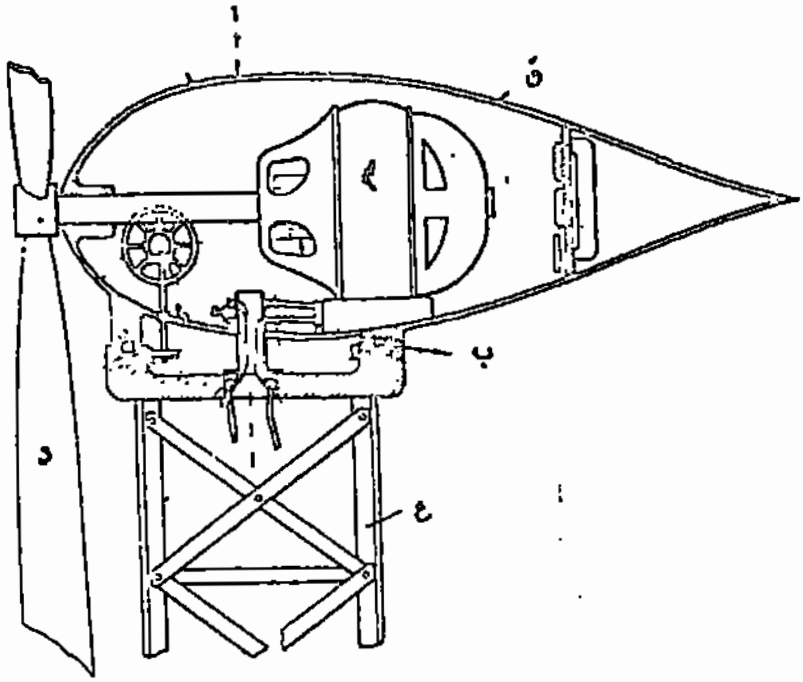

الرسم ٦ : شكل هندي لمجموع هوائي كهربائي

د : الدوارة الهوائية ع : العمود

م : المولدة الكهربائية ب : البكرات

ق : القشرة او الغلاف

خزنها صُعب عمله وغلي ثمنه . واني لا ارى وسيلة البتة لخزن الخمسة آلاف حصان التي نوّهنا بها ، بواسطة هذا الخزان . بيد ان لنا طريقتين أخريين : الاولى استخدام قوة الهواء لرفع مياه غزيرة الى بركة عظيمة تُخزن فيها ، ثم تستعمل لادارة دوّامات مائية ، كما شرحنا ذلك في العدد السابع من السنة الماضية لهذه المجلة . انما تلك الطريقة لا تصح إلّا اذا وجد بالقرب من المركز الهوائي نهر او بحيرة ، وعلى كلّ فهي ذات نفقات واهية . اما الطريقة الثانية ، وهي الاقرب منالًا ، فأن تُستعمل القوة الكهربائية التي يولدها الهواء لتسخين كمية من الماء وتبخيرها كما هو جارٍ في القطارات والسفن والمعامل البخارية حيث يُستعاض عن الكهرباء بالفحم الحجري ، ثم تستخدم قوة البخار هذه لتحريك

محركات بخارية تعودُ اليك بشيء من القوة . اقول بشيء من القوة لأن انتاج الماكنات البخارية خفيف جداً ، لا يبلغ العشرين بالمائة ، بينا ان انتاج الخزان الكهربائي يبلغ السبعين والثمانين. غير ان هذه الطريقة هي الوحيدة التي يمكن استعمالها في تلك الاحوال ، للأسباب المار ذكرها ، وقد صادفت في الولايات المتحدة نجاحاً عظيماً بعد ان اقام الفنيون الاميركان بخاريةً كهربائية (chaudière électrique) قوتها اربعة وعشرون الف حصان ، تستقي قوتها من شلالات نياغرا.

هكذا توصل المهندسون الى حلّ المسألة نهائياً واستخدام الهواء ليس فقط لرفع بعض ليترات من الماء او انارة بضعة تناديل كهربائية ، بل لتوليد قوة هائلة ، دفعةً واحدة ، واستخدامها بطريقة مستمرّة. وهل يُستهان بتلك القوة بعد ان عدلوا ان الدوّارة الهوائية ذات الخمسة آلاف حصان تقتصد سنوياً الف ومئتي طن من الفحم تقريباً ؟

استخدام الدوارة الهوائية لاعمال التجفيف والانتاج الزراعي

لم يقف الهولنديون عند استخدام مراوحهم الصغيرة لإشغال الطواحين ورفع مياه الشرب او الري ، بل حققوا بها عملاً لم يكن ليحلم به انسان ، الا وهو تجفيف قطعة من بلادهم غمرتها المستنقعات . فاصبحت تلك البقعة من الارض ، بعد ان كانت باعثاً لانواع الحمّى ، خصبةً خضراء ترعى في مروجها الاغنام ، ويسكن في ارضها مئة الف من السكان . وقد شجّعهم ذلك على تجفيف مقاطعة بكاملها تعرف «بالزويدرزه» ، مساحتها الفا كيلومتر مربع ، اي ما يكفي لإسكان مليون من السكان.

وما صار في هولندة سوف يتمّ في جنوبي فرنسة لتحسين مقاطعتين مَحلت ارضها هما : مقاطعة الكرو (la Crau) ومساحتها ٣٦٠ كيلومتراً مربعاً ، ومقاطعة الكامرغ (la Camargue) ومساحتها ٥٥٠ كيلومتراً مربعاً . امّا الاولى فارضها من الحصى ، على عمق اربعة عشر متراً ، وتحت تلك القشرة الحجرية ، مجرًى قديم لنهر الديرانس. فاذا زرعت تلك الارض مات الزرع ولم

يبلغ ، لان مياه الشتاء او الري لا تمكث على وجهها بل تتسرب سريعاً بين الحصى الى ان تصل الى المجرى الطبيعي . فيلزم اذاً ريها مراراً والّا تلف الزرع . ولا سبيل الى ذلك الّا بواسطة المضخّات تأخذ من النهر الداخلي قسماً من الماء وتسكبه ابداً على وجه الارض . وهذا لا يجوز اقتصادياً الّا متى كانت القوّة اللازمة لادارة تلك المضخّات ، مجّانية ، اي مولدة من الهواء . . . والمقاطعة الثانية موقعها بين ساعدي الرون عند مصبّه في البحر المتوسط . كانت قبلاً مغمورةً بمياه البحر فجُفّفت طبيعياً بما يجرفه نهر الرون من الرمال والاوحال ، غير ان الزرع فيها لا ينمو الّا اذا امطرت السماء مدراراً والّا فالاملاح المطمورة في الارض تحرقه . وليس من وسيلة لتلافي ذلك سوى تذويب الملح المتجمع في الارض والتخلّص منه . وهذا يصير برفع مياه نهر الرون وسكبها على الاراضي بكثرة ثم اخراجها مشحونة بالاملاح الى بحيرة ڤكّارز .

تلك اعمال جبّارية سوف يحققها الغد ، ان شاء الله ، اولاً لاختراع الدوارة بشكلها الحاضر ، وثانياً لكثرة الهواء في هاتيك الضواحي حتى اصبح ، من بلايا البلاد ، يصف صفيره الشعراء ويعرف بالميسترال .

* * *

نظيم استخدام الهواء في بلادنا

وقبل الانتهاء من الموضوع يجدر بنا ان نرى ما عساه يكون مستقبل الهواء في بلادنا ، فنقول : لا ارى عندنا مجالاً للمشاريع العظيمة كالتي نوهنا بها والتي تشغل اليوم عقول الفنيين والاداريين . فالهواء في جهاتنا ، عموماً ، خفيف السرعة قليل التكرار . غير انه ليس من الصعب استخدامه في القمم والروابي والقرى التي وهبها الله قسماً وافراً من هذا التيّار ، فترفع بواسطته مياه الآبار ، ويولد به قسم من الكهرباء للانارة والتدفئة . واني اظن ان على اكتاف سهل البقاع قوّة من الهواء لا يهزأ بها ، اذا اعتمدنا على نقاط مثل المريجات وقب الياس وغيرها معرّضة لهواء مزعج يهبّ كل يوم في ساعات معلومة . وعلى كلٍّ فالمسألة تستلزم درساً خصوصياً اذا حُقّق كان به للبلاد منفعة تُذكر .

القلق عما وراء الطبيعة

خطاب للسيد لوسيان كوينو

ان السيد لوسيان كوينو ، استاذ علم الحيوان في جامعة نانسي ، وأحد الاعضاء المراسلين في المجمع العلمي الفرنسوي (Institut) ، يُعدّ من اشهر علماء الحيَويّات (biologie) في العصر الحاضر . فلا عجب اذا ان اهتمّت البيئات العلمية المختلفة بذاك الخطاب الممتع الذي القاه في اكادمية ستانيسلاس (نانسي) في ٢٤ ايار الفائت ؛ ولا عجب ان تراجعت اصداء تصريحاته في اندية العلوم العصرية ، وقد برهنت على ان العلم السطحي القريب من الادعاء ، قد ينحرف عن مبادئ الدين وقد يهزأ بالايمان فيطرح جانباً كل ما يقلقه من الخواطر عمّا وراء الطبيعة ، ويكتفي بعالمه المادّي مجالاً ضيّقاً لافكاره المقيدة بالحسيّات حتى لا يمكنها الارتفاع الى ما وراء المادّة . امّا العلم الحقيقي الذي يقوم بهِ اربابه بكل اخلاص ، فلا يسعه الّا الاقرار بتلك القوة السامية غير المنظورة المنظّمة لمبادئ الطبيعة كلها ، السائنة القوانين لظواهرها المختلفة ، المسيّرة جميع قواها حسب رسم واحد . اجل ان العلم الحقيقي لا يسعه الّا الخضوع والانحناء امام علّة العلل ، امام خالق البرايا جمعاء ، امام « الحقيقة الازلية » ، امام الله .

هذا ما توصّل اليه العالِم الحيوي الشهير ، وذلك بالسير بكل اخلاص على طريقته العلمية الوضعية البحتة . وانه ليطول بنا المجال اذا اردنا تعريب خطابه

بكامله ، وهو يبلغ العشرين صفحة بقطع « المشرق »[1] فنكتفي بتحليله ، ونختم بتعريب خاتمته البليغة الشائقة.

بدأ السيد كوينو بتحقق ذاك الميل الفطري الذي ينمو في الانسان ، وقد تنبهت افكاره ، ودفعه الفضول الى الرغبة في البحث عما يجاوره ، فراح يفكر حائراً مفتشاً عن معنى كيانه ، وكيان هذا العالم الذي يجره في لانهاية المكان والزمان. وبعد ان برهن ان إنكار كل ما هو خارج عن المادة ، الذي قام به ردحاً من الزمن بعض العلماء العاجزين عن شرح هذا الميل الفطري ، لم يعد اليوم ليشفي غليلاً ، اخذ يسرد الاساس التي يضعها الانسان ، بواسطة عقله وعلوم عصره ، فيبني عليها آراءه في هذا الكون . اما اول تلك الاساس فهو مبدأ السببية ، او العلة والمعلول ، الناتج عن الاختبار اليومي والذي تشيد عليه جميع العلوم البشرية . ومن ثم ذهب الخطيب يعدد الامثال على هذا المبدأ ونتائجه في مختلف العلوم من فلكية ، وجيلية ، وطبيعية ، وكيمية ، مشيراً الى كيف ينعت العلماء هذا المبدأ بقولهم انّ كل مظهر من مظاهر الطبيعة ، مهما كان غريبا ونادراً ، فهو مقدّر ، لا يمكنه الّا ان يكون معلولاً صادراً عن علّة طبيعية واضحة او خفية ، بسيطة او مركبة . وقد نال بقوله هذا من « الفقراء » والوسطاء ، ومن على شاكلتهم من سائر المشعوذين. اما الصدفة فلا معنى لها ، في نظام الطبيعة الجبري ، سوى انها ظاهرة خاصة تكثر فيها العلل ، او تدقّ ، حتى لا يمكننا تحليلها في الوقت الحاضر ، ولكنه يمكننا توقع نتائجها بما نجريه من الاحصائيات.

على هذه الكرة المنيرة ، في هذا الكون الطبيعي المادي المقيد بنظام جبري لا مندوحة له عن اتباعه ، ظهر في احد الايام شيء جديد : كائن حي. وهنا تبسط الخطيب في صغر هذا الكائن الاولي وقدمه ، وفي كيفية شرح ظهور الحياة في الكون ، فذكر النظرية القائلة ان الحياة هبطت على عالمنا من عالم آخر (panspermie) ، والنظرية القائلة ان الحياة ظهرت فجأةً ودفعةً واحدة

١) نشر الخطاب بنصه الكامل في مجلة « المباحث » الفرنساوية
Etudes, 20 *Octobre* 1928 p. 129-143

(génération spontanée) . ولكن مهما يكن من طريقة وصول الحياة الى الأرض ، فان الحياة وُجدت عليها من زمن طويل ، وتفرّعت مظاهرها من النباتات العجيبة ، والحيوانات المختلفة ، يكلّلها كائن جديد ظهر مؤخراً ، يُعرف بالانسان ، وهو حيوان شاعر بما في ذاته ، يصنع الآلات ، ويفكّر ، ويُعبّر عن أفكاره بواسطة الكلام.

وهنا لاحظ السيد كوينو اننا لو بقينا تابعين نظرية الجبرية التي تبعناها في العالم المادّي ، للزمنا ان نرى في اول كائن حيّ مجموعاً من الذرّات الكيميية تخضع مظاهرها ومفاعيلها لذاك النظام المقدّر كما تخضع لـه تبلّورات حجر الكوارتز مثلاً . ولزمنا ان نقدّر ايضاً جميع مآتي الخلائق الحيّة ، واعمال الانسان وتعابيره وافكاره.

ثم بعد ان ذكر كل ما يمكن استخلاصه من نتائج هـذا النظام الجبري المطلق ، بيّن مناقضتها للواقع ، مشيراً الى ان في الانسان عاطفةً لا تقاوم تدفعه الى التفكّر ان تلك المظاهر الحسيّة البـادية في الطبيعة ، والظاهرة بواسطة الاختبارات ، ليست كل الحقيقة في الكون ، وان وراء هذه الدريئة الماديّة شيئاً آخر يسمو عن المادّة . وعليه فان الانسان دُفع منذ القديم الى التشوّف الى ما وراء هذا الحجاب الطبيعي الكثيف. ولم يكن العلم ، الذي يبسط سلطانه يوماً فيوماً على الاشياء ، لينقع غلّته . بل بالعكس فان العلم يزيد ، بما يُثيره كلّ يوم من الأسرار ، تعطّشَ الانسان الى العدالة ، ورغبتـه في الطمأنينة والسلام ، وحاجته الى المعرفة. وبالاختصار فان الانسان ، مهما صنع ، فلا يزال يراوده القلق عمّا وراء الطبيعة.

* * *

ولكن قد يقول بعض العلماء من الوضعيين او الماديين ان هذا القلق عمّا وراء الطبيعة الذي نراه في الانسان لا يثبت على اسّ علمي ؛ بل هو نتيجة التربية غير الوضعية ، او التنشئة التي تُقف بواسطتها بعيداً عن العلم ، او هو نتيجة العوامل الوراثية. ولهذا فان السيد كوينو في اثبات نظريته لم يطلب الايضاحات

من الانسان نفسه ، ولم يستشهد باقوال احد من الناس ، بل طلب الايضاح من علم الحيويات ، وتكلّم كعالم حيوي. فبحث في ثلاث نقاط ، هذا ملخّصها:

النقطة الاولى : ان اصعب ما يظهر في تحديد الكون ، على الطريقة الوضعية المادّية ، هي مسألة الحياة وكلّ ما يخصّ الحياة . فانها لا تقع تحت محدّدات العلم ، ومن الصعب شرحها بواسطة مآتي المختبَرات المختلفة . لأن في الكائن الحي ، مهما كان حجمه ودرجة رقيه في سلّم الحيويّات ، شيئاً غير الذرات الطبيعية والكيميية. وقد يمكن العلماء ان يحقّقوا بطرقهم العصرية كلّ مركّبات الكائن الحيّ من حيث المادّة ، ولكنهم يولّدون كائناً جامداً ، اذ تنقصهم دائماً تلك «الشرارة» التي يسمّونها الحياة. فينتج اذاً ان من اللازم الاقرار بان الحياة اسمى من المادّة بما لا يُقاس فهي ترتّب اجزاءها وتسيطر عليها. وبما انه لا يمكننا القول بنظرية هبوط جرثومة الحياة على عالمنا من عالم آخر (panspermie)، لأن هذه النظرية لا تحلّ المسألة بل تنقلها من نقطةٍ الى اخرى ، فلا مندوحة عن الاقرار بان الحياة بدأت على الأرض بتأثير قوة من وراء الطبيعة.

النقطة الثانية : نتحقّق ان الانسان هو الوحيد بين الحيوانات الذي يمكنه عمل الآلات. وعمل الآلة يستدعي عقلاً مفكّراً يقرّر غاية الآلة التي يصنعها. والحال اننا نرى في اجسام الحيوانات آلات متعدّدة تشابه الآلات التي يخترعها الناس ، ولكنها تفوقها دقّةً وترتيباً (وهنا يعدّد الخطيب الآلات الظاهرة في تكوين الحيوانات) فاذا شرحنا وجود هذه الآلات بالعلل الطبيعية ، لا نحلّ المسألة بكامليا. فان الطبيعة تدخل دون شكّ في تركيب الآلات التي يخترعها البشر ؛ ولكنها لا تكفي لشرح وجود عضو في حيوان مثلاً . وهو امرٌ شعر به داروين فكان يردّد: «ان مسألة ولادة العين تسبّب لي الحمّى» وذلك لعجزه عن شرح وجودها بالاسباب الطبيعية. فحتى يمكننا ، والحالة هذه ، فهم كل ما نراه من الآلات العجيبة في تكوين اجهزة الحيوان ، يجب علينا دون تردّد ان نقرّ بان وراء علل الطبيعة الثانوية التي يدرسها العلماء ، عاملاً اعلى يتدخّل في الكون من وراء الطبيعة فيسيّر جميع هذه المخلوقات المتنوّعة الى غاية مفيدة .

وان هذا العامل قد تختلف اسماؤه بين الفلاسفة ولكنهم يجمعون بجملتهم على تحقق تأثيره.

في النقطة الثالثة، ينتقل الخطيب من هذا الموضوع البسيط الى نظرة عامّة شاملة. فيقوده ذلك الى نتيجة كالنتيجة السابقة، اي الى الاقرار بوجود عامل سامٍ دبّر هذه الآلة العظيمة التي هي العالم، ووضع لها نظاماً تسير عليه بكل دقّة الى غايتها، لا فرق فيها بين الجماد والنبات والحيوان والانسان. ثم يختم خطابه بهذا القول الشائق:

«وبالاختصار فان الكون موجود دائم. كلّ شيء فيه يتغيّر؛ ولكن، على الرغم من الشرّ الطبيعي والشر الادبي، كلّ شيء يتنظّم ويستمرّ. وان مظهر هذا الاستمرار في النظام، وفي الارتقاء العامّ، يبدو لي اعجوبة الاعاجيب.

«فاذا اعتبرنا ان حالة العالم، في مدة مفروضة من الزمن، نتجت عن تناسق غير مقصود حصل صدفةً بين ذرّيرات النواة السديمية الأصلية، فاننا نرى من غير المعقول ان هذا التناسق توصّل دائماً الى شيء ملتحم، منظّم، مرتّب على الرغم من كونه في تطوّر دائم. وقد كان يكفي الشيء البسيط حتى تفصم اللحمة بين الشمس والهواء والماء والارض والنبات والحيوان والانسان. ويتهافت كل شيء في اختلاط لا يوصف. لنفرض ان عدداً عديداً من حروف المطابع تراكمت في كومة، ولنفرض ان اعمى جاهلاً اتى فجعل يتناولها واحداً واحداً ويرتّبها. فنقول ان درجة الاحتمال اضعف من ان يمكننا تصوّر خروج انشودة كالالياذة من هذا الاختيار غير المقصود. والحال ان الكون يفوق الالياذة بما لا يُقاس تركيباً وتعقيداً. اذاً فمن المستحيل امكان نسبة توفّقه بل توفّقاته المتتابعة الى تصادُف حصل عرضاً بين الذرّيرات. على ان الذي لم يكن بالامكان، الذي لم يكن بالاحتمال، الذي لم يكن بالفكر ان يحصل، حصل! وها هو العالم الذي لم يكن بالامكان تصوّر وجوده يبدو لدينا كائناً موجوداً. فنتحقق انه كان في تلك النواة السديمية ترتيبٌ سابق فائق، كما

انه كان ترتيبٌ سابق في كومة الحروف المطبعية...

وهنا ليس بالامكان ان نتخلّص من التضادّ ، ونشرح هـذا الامر المهم الذي نتحقّقه في الترتيب السابق للعالم الّا بالخروج عن الحقيقة الوضعية ، وبالاقرار بتدخل ممّا وراء الطّبيعة ، بالاقرار بفكرة سامية يكون الكون عملها. فيلزمنا اذاً اعتبار التطوّر العام نتيجةً لارادة تسمو عنّا بما لا نهاية لهُ ، وان تلك الارادة بدأت فأعطت الحركة للكون وظلّت تقوده في سبله المتشعّبة بواسطة الأسباب الثانوية.

واذا اعتبرنا هذه الاحتمالات امكننا التأكد أن قلقنـا عمّا وراء الطّبيعة ليس بوهم خائب ، وان وراء هذه الحقيقة التي نلمسها وندرسها حقيقةً اخرى. على ان رجل العلم لا يمكنه ، بطرقه العلمية وحدها ، ان يسير الى ابعد من هذه النقطة في التفتيش عن الكائن المطلق.

فهو رجلٌ مقيّدٌ بالمادّة ، دفعته الجرأة الى الاقتراب من الكائن غير المُدرك نُبهر طرفه ولمّا يزل ، فعاد موجساً من جرأته ، مقرّاً بصغره ، متواضعاً خاضعاً امام سرّ العالم وسرّ مصيره. على انه تأكّد حقيقة غير المحسوس ، ففهم سبب تعطّشه الشديد الى المعرفة والإدراك ، وتوّقه الحارّ الى عدنٍ جديدة لا يكون فيها من وجود الألم والموت والزمان . وهو ينتظر بطمأنينة ذاك اليوم القريب اذ يردّ جسمه الفاني الى حضن الطّبيعة التي خرج منها ويشاهد ، وجهاً لوجه ، الحقيقة الازلية

ف. ا. ب.

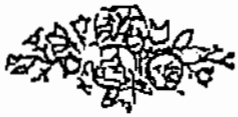

مجلة المبعوث

سقراط – في سبيل الاتفاق – الابنة التعيسة – حملة الشهادات من الشبان – المجلس الاسلامي الاعلى – صوت من مكة

سقراط

من مشاهد النهضة الحديثة الاكباب على درس المؤلفات المدعوة عند الافرنج « بالمدرسية» لانها داخلة في برامج التعليم ، وحقيقة بان يدرسها الطلاب على اختلاف طبقاتهم ، اذ هي خيرة ما انتجه العقل البشري . ولا بد من الاطلاع على حياة المؤلفين اذا ما قصدنا فهم مؤلفاتهم . دفعنا الى هذه المقدمة مقال عن سقراط ، وحياته ، وفلسفته ، وتأثيره صدّر به حضرة القس سليمان صائغ مجلة جديدة ظهرت في الموصل ، عنوانها «النجم» ، وهي لسان حال البطريركية الكلدانية ، قال : (كانون الاول ، ص : ٦)

« مات ابوه وكان نحاتاً وترك له ثروة متوسطة فتأبى سقراط عن خدمة المال وترفع عن الاحتراص به مقفلاً عليه ضمن الصناديق بل اتخذه كفرصة سانحة هيأتها له الظروف لخدمة الانسانية ورأى من الواجب صرفه في وجوه البر ...

« قاوم الضلال وعنف اهله ، استقبح القبيح وامتدح الحسن ... وكان يدل الى نقائص تلاميذه ، غير آبه برفعة منزلتهم وبنفوذهم في القوم ؛ فاغتاظ بعضهم وعزموا على الانتقام منه فوشوا به الى اولياء الامر وادعوا عليه بانه لا يعبد آلهة آثينا بل ان عنده آلهة غريبة وقد افسد اخلاق الشبان . والدعوى في كلا القولين كاذبة »

ووقف سقراط مدافعاً عن نفسه امام حكامه وكان عددهم ٥٠٠ ، وكثيرون منهم كانوا رجالاً من عامة الشعب ، لا يفقهون علم الحقوق ولا يفهمون فلسفة سقراط . فلم يقسطوا في

قضاتهم وحكموا عليه بالموت. فرأى سقراط من واجبه ان يدافع عن نفسه ذلك الدفاع الذي لم يصل الينا الا عن لسان افلاطون ، تلميذ سقراط ، وقد نشره تحت هذا العنوان « الابولوجيا او دفاع سقراط عن نفسه » فاغتنمتا مجلة «المصور» بتعريب هذا الاثر النفيس . انما عربته عن اصل انكليزي ونحن نتوق الى اليوم الذي به يُتاح للناشئة العربية ان تراجع مؤلفات اليونان في نصوصها الاصلية ، فتثقف بما كناشئة سائر الشعوب المتمدنة . ولا اظنك ايها القارئ العزيز الا راضياً عن ترجمة المصور ، واليك شذرة منها (كانون الثاني ص: ٦٤٢)

« يا أبناء أثينا ، انه غير جدير برجل بلغ من العمر ما بلغت ، أن يقف امامكم وبين يديه دفاع معدّ من قبل كما تفعل الصبيان . وليس لي عليكم من سلطان الا ان اسألكم امراً واحداً ، لا أبغي منكم عنهُ حولا : فانكم ان وجدتموني اتكلم خلال الدفاع عن نفسي كما تعودت ان اتكلم فيكم من قبل في الاسواق وساحات المدينة ، وكما سمعني فيها كثير منكم وفي غيرها من الاماكن ، فلا تغربوا في الحيرة والعجب ، ولا تقطعوا على سياق قولي . ولقد يحسن بي الآن أن اشرح لكم حقيقة حالي . فان هذه الساعة هي اول فترة من عمري ، وقد بلغت السبعين ، وقفت فيها ادافع عن نفسي في محكمة قضائية ، وجهت اليّ فيها تهمة ما . ولذا تجدونني غريباً عن الاصطلاحات التي استأثرت بها المحاكم من لغتنا . امّا وقد سمحتم لي بالكلام كما لو كنت بعيداً عن لغة ومحجة ولدت وربيت بعيداً عنها ، فانه يخيل اليّ انه من حقي ان اسألكم الاصغاء وان تتحملوا سماع ما اقول حسن لديكم ام قبح ، وان تصرفوا اذهانكم الى تحقيق قضية واحدة لا تتعدد ، بل هي مقصورة على امر واحد هو . « هل ما تسمعون مني صواباً ام غير صواب » هذه هي فضائل القضاة العدول ، كما ان فضيلة الخطيب مقصورة على ان ينشد الحقيقة المطلقة . »

في سبيل الاتفاق

جاء في مجلة « المقالدات » الارثوذكسية لصاحبها الارشيمندريت انطونيوس بشير (نيويورك ، ايلول ، ص: ٧١٤)

«شهدت مؤخراً خصاماً قام في احدى الكنائس انقسمت فيه الرعية الى قسمين الواحد ينصر راعي الكنيسة ويؤيده في عمله والثاني يقاوم الراعي

المسلمين الشخصية طبقاً لمذهب ابي حنيفة وبعض مبادئ من المذاهب الاخرى. وهو قسمان ابتدائي واستئنافي. ويشمل الابتدائي خمسة عشر محكمة. والاستئناف مرجعه محكمة الاستئناف الشرعية وهي تتألف من ثلاثة قضاة. ويلحق بذلك المحاماة الشرعية.

ثانياً — الاوقاف الاسلامية ، فان المجلس هو الذي يتولى ادارتها والنظر في جميع شؤونها ، وهو الذي يضع ميزانيتها العامة ، وليس للحكومة الّا ان تطلع عليها.

ثالثاً — الافتاء ، فرئيس المجلس الاسلامي الاعلى هو مفتي الديار الفلسطينية. وله ان يعين كل المفتين المحليين ، ويُستعان برأيه احياناً في بعض مسائل القضاء المدني . ولمفتي الجهة ان يعين الخطباء والوعاظ اللازمين للمساجد الواقعة في اختصاصه.

رابعاً — يقوم المجلس بقسط محمود في حركة التعليم والتربية . وقد انشأ في هذا السبيل عدة معاهد يشرف عليها ويتعهدها بالادارة والانفاق منها الكلية الاسلامية ، وهي معهد للتعليم الثانوي المدني ، ودار الايتام وهي معهد صناعي علمي ، ومدرسة البنات الاسلامية ، وكلية رياضة المعارف وهي ثانوية للبنين ، وكلها في القدس . ويشرف ايضاً على عدة مدارس ابتدائية في الاقاليم. ويوفد بعض الطلبة الى الخارج ، ويساعد بعض طلبة فلسطين في الجامع الأزهر بمصر والقضاء الشرعي وقد انشأ ايضاً مستوصفاً للمعالجة المجانية.

وللمجلس الاسلامي الاعلى مجلس ادارة عام يتألف من خمسة اعضاء منهم الرئيس وهو الى اليوم سماحة الحاج محمد امين افندي الحسيني وقد انتخب للرئاسة منذ المجلس المنتخب السابق ، لان المجلس الحالي قد عينته الحكومة نظراً لبعض مطاعن وجهت الى قانون انتخاب المجلس. ويتناول الاعضاء مرتباتهم بعضها من الحكومة والباقي من المجلس . ويستعين مجلس الادارة في تأدية مهامه بمستشار نظامي ومستشار قضائي ، ومراقب مالي ، ومفتش للتعليم ، وملحق فني.»

***

صوت من مكة

اغتنا السيد محمد حامد الفقي ، رئيس شعبة الطبع والنشر في مكة ، بمجلته الحديثة العهد وقد دعاها « الاصلاح » وهي لسان حال ابن سعود وشعارها : « ان أريد الّا الاصلاح ما استطعت وما توفيقي الّا بالله » فتصفّحناها فاذا هي حافلة بالمواضيع الاسلامية الدينية والعلمية والاجتماعية والاخلاقية . ومن اقوال صاحب المجلة نصائحه للزوجين بحسن المعاشرة (اوكتوبر ص : ١٣)

« اما الزوجات فواجب عليهن اطاعة ازواجهن في كل معروف فلا يعطلن لهم امرًا ولا يخالفن لهم نهيـاً ... وعليهن المحافظة على اموالهم وبيوتهم واولادهم ... ولتكن النظافة في مقدمة ما ترعاه المرأة في بيتها ، ونفسها واولادها وخدمها فان النظافة من الايمان ، ونعمَ هي المسرة للانسان ، ولتكن في بيتها حكيمة مدبرة غير مقصرة ولا مسرفة ، ولتكن اسوة لمن حولها في حسن اخلاقها وجميل اعمالها ، والمحافظة على واجبها ، واياها ان تكلف زوجها ما لا يطيقه ، او ترهقه في مطعم او كسوة او زينة او بهرجة ، فان ذلك متلفة للاموال مفسدة الاخلاق . »

وروى (ص . ١١) حديثًا نبويًا جاء فيه :

« لو امرت احدًا ان يسجد لاحد لامرت المرأة ان تسجد لزوجها من عظم حقه عليها . . . »

وروت المجلة ذاتها منشور الامام سعود الاكبر ، ومما جاء فيه نبذ الوهابيين لاكرام الاولياء . (ص . ٢٣)

« كل من دعا مخلوقاً او استغاث به او جعل فيه نوعاً من الالهية مثل ان يقول : « يا سيدي فلان ، اغثني ، او انصرني ، او اقضي ديني او اشفع لي عند الله في قضاء حاجتي ، او انا متوكل على الله وعليك » فهو مشرك في عبادة الله غيره ... فشعائر الكفر بالله والشرك به هي مثل بناء القباب على القبور ، وايقاد السرج عليها ، وتعليق الستور عليها ، وزيارتها بما لم يشرعه الله ورسوله ، واتخاذها عيدًا ، وسؤال اصحابها قضاء الحاجات ، وتفريج الكربات واغاثة اللهفان . »

ف . ت .

* * *

على عهد الامير

لماذا ؟

رواية لبنانية تاريخية

بقلم فؤاد افرام البستاني

وقد يكون من الابناء ضحايا في سبيل آبائهم
من حيث لا يعلمون

الفصل السادس

انقلاب مفاجئ

قضى غانم في منفاه نحو ثلاثة أشهر ، في معزّة وإكرام . وكان الجزّار قد قضى فريضة الحجّ ورجع . فأخذ يتابع مظاهر العطف نحو ممثل الأمير بشير ، فتارةً يدعوه الى ديوانه الخاصّ فيخلع عليه ، وطوراً يرسل اليه احد افراسه العتاق ، مع بعض افراد الحاشية ، فيسير صحبتهم الى ضواحي المدينة يروّح ما يلمّ بنفسه من الضجر والسآمة . ولم تكن اخبار البلاد لتنقطع عن غانم ، فكان يأتيه فرحات ، كلّ اسبوع ، بالتحارير من جدّه ، بخطّ معلّمه الشاعر نقولا ؛ ومن عمّه المير جهجاه ، بخط بدور ، فيطلع على حالة كل شخص بمفرده . وكان يزداد سروره ، من وقت الى وقت ، اذ يأتيه تحرير خاصّ من بدور يطلعه ، بانشاء جمع بين السذاجة والإخلاص ، على الفراغ الذي احدثه غيابه في قصر بعذران ، ويشجّعه على تحمّل مضض البعاد ، واضعاً نصب عينيه بريقاً ساطعاً من الامل باللقاء القريب . امّا اخبار الامير بشير ، وحوادث الجبل ، وموقف الاعداء في تلك الايام القلقة ، فكان يعرفها مفصّلةً من فرحات الذي كان يعرّج دائماً قبل ان يأتي عكا ، على معسكر الامير في بلاد المتن ، فيحمل الى غانم مجمل الحوادث الاخيرة مع سلام الامير ؛ فيطلع هذا الجزّار على ما يوافق

اطلاعه من ذلك . وكان مولى عكا كثيراً ما يُظهر الارتياح لحالة الامير بشير امامَ غانم ، فيكتب هذا بالأمر الى اميره منشطاً على متابعة الأعمال.

على انه لم يمضِ شهر من السنة ١٧٩٤ ، حتى أحسَّ غانم ببعض الحذر يشوب علاقات الجزّار معه . وكانت اول دلائل هذا التطوّر برودة شعر بها اثناء المقابلة الاخيرة . ثم اصبح الجزّار يباعد بين المقابلات ، ويُقصر مدّتها ؛ وانتهى بان لمّح مرّة الى تأخر الأمير بارسال المال الباقي ، وبإيفاد الشيخ بشير جنبلاط يقيم مع غانم في حيفا.

فأسرع غانم وارسل يُخبر اميرَه بالأمر كي يكون على حذر من حادث مفاجئ لا يُستغرب ان يُقدم عليه الجزّار ، وهو المعروف بتقلُّب الأخلاق ، وفظاظة الطباع ، والملل السريع من معاونيه.

امّا الأمير بشير فأجاب غانماً حالًا ، وذكر له ما يراه من اسباب هذا الانقلاب . وهو ان اختلافاً كان حصل بينه وبين السرعسكر ، قائد جيش الجزّار في صحبة الأمير. وكان اصل الخلاف طمع السرعسكر وشدّة نهمته الى المال . وكأنه ارسل فأخبر الجزّار بالخلاف على غير حقيقته ، فأوغر صدره . ثم تابع الأمير انهُ لا يهتمّ بهذا الحادث اذ لا يرى لهُ من تأثير شديد على الجزّار ، وقد ارضاه ويرضيه فوق الرضى ، فيقدّم لهُ كل ما يطلب

الّا ان غانماً لم يكن ليشاطر الأمير بشير رأيه في عدم اهمية الحادث ، وهو على مقربة من الجزّار يرى جوّ السياسة يربدّ شيئاً فشيئاً ، والعاصفة تقترب سريعاً حتى لا يُظنّ كيف تنتهي دون دويّ وانفجار. كان يتنبه لكل حادثة تصدر في حاشية الجزّار ، ويرهف مسمعيه لدى كل إشاعة تتناقلها السنة الخدم من كبار وصغار ، ويجتهد في تفهم كل ايماءة يشير بها ارباب المناصب اليه او الى رفقائه من اللبنانيين ، ويشتغل في تأويل كل تلميح الى حالة الجبل وحالة اميره ، فلا يصل الى نتيجة مطمئنة ، ولا يشعر الّا بعاطفة الايجاس والخشية.

هذا وقد زاده شعوراً بجراجة الموقف انَّ فرحات تأخر عليه بالاخبار. وكان قد اوصاه بالعودة قبل مضيّ الاسبوع ، واقام ينتظره انتظار من لم يبقَ لهُ بالنجاح سوى امل ضعيف لا يكاد يتمسّك به فيبني صروحاً من الاحلام

شاهقة ، حتى ينفخ عليها اليأس نفخته السامة القاطعة ، فتتخلخل ، وتتداعى ، وتهبط في اختلاط مُبهم . فيعود حاني الرأس ثقيل الدماغ ، ضيّق الصدر ، يفتش عن آثار صروحه ، حتى اذا جمع اشتاتها ، خلق منها شبه امل جديد ، مجتهداً في مغالبة شعوره بالفشل مغالطاً الحقائق المؤلمة . هذه حالة الإنسان امام الخطر المداهم الاكيد ، وهذه كانت حالة غانم في انتظاره لفرحات . ولكن فرحات لم يأتِ ...

مضى اليوم على ميعاد رجوعه ، فاليومان ، فالثلاثة . فودّع غانم كلَّ امل ، وانفرد في حجرته منصرفاً الى سويدائه ، ساكناً الى تفكراته المحزنة . حتى جُنَّ الليل فنبا به مضجعه ، وطردت الهموم النعاس من جفنيه . فقام الى نافذته يتأمل السماء الصافية في تلك الليلة القارسة ، واذا بالبدر يبدو جامداً كساحة واسعة من الجليد ، والغيوم تظهر لاصقة بأديم السماء لا نسيم ينوش اطرافها ولا ريح تجرّها في الفضاء اللانهائي . ثم هبط بصره الى ما حوله فاذا المدينة ساكتة ، جامدة ، مغمورة دون حراك ، بذاك النور الأزهر الضارب الى الصفرة الموحشة . واذا الاشجار الباسقة رافعة اغصانها المُعرّاة ، وقد ماتت فيها مائية الحياة ، فقنطت من الرجوع الى الحياة . واذا بالمآذن الشاهقة منتصبة فوق القباب الساكنة لا صوت يُهيب من حناياها ، ولا نظر يخترق الفضاء من نوافذها ، بل هي مركوزة خاوية كأنها آثار عادية لقوم امرَّ عليهم التلاشي يده فدخلوا في حيّز الفناء .

ووصل بصره الى قباب القلعة الشامخة ، الى قمم الأبراج المتينة ، فجال فيها واستقرَّ على الركن الارسخ ، على الجناح الذي ينام فيه الجزّار . فراح يقابل ، عن غير قصد منه ، بين حالته القلقة ، وحالة الجزار الذي ينام مستريحاً مطمئناً ، خالي الشعور بما اقضّه ويقضّه من المضاجع ؛ بما حرّقه ويحرّقه من الأجفان ؛ بما اساله ويسيله من الدموع الحارّة ؛ بما أيّم من النساء وايتم من الاطفال . هو ايضاً يرقد جامداً ساكناً فيدخل في ظلّ الموت الذي يبسط جناحه كلَّ مساء على المدينة .

مظاهر الجمود والسكون والموت ، بدت لغانم في صفحة السماء ، وعلى

سطح الأرض ، فأصابت من مخيلته موضعاً حساساً ؛ فقادته بعيداً عن الحرية ، بعيداً عن التجدد ، بعيداً عن الأمل ، بعيداً عن الحياة ، فاستسلم الى عقارب القنوط الدابة في قعر نفسه على مهل ، المسممة كل ميل الى الخلاص ، القاطعة كل امل بالنجاح . وهكذا ظلّ متنقلاً ببطء وبرودة ، من مجاهل اليأس الى حقول الموت ... حتى انه لم يشعر بنفحات البرد القارس ، تجمد مجاري الدم في اطرافه ؛ ولم ينتبه لمظهر من مظاهر الحياة في منطقة الموت الجامدة ؛ لم ينتبه لحركة بطيئة في ذاك السكون الثقيل المرهف ، لم ينتبه لشبح ضئيل كان يبدو بطيئاً امام الجدران البيضاء ، ويزف سريعاً تحت القناطر المظلمة ، فتظهره المرتفعات متثاقلاً ، وتخفي المنحدرات خطواته المتتابعة ؛ حتى وصل تحت نافذة غانم . فالتفت متنحنحاً . ولم يكد يدرك الباب ، حتى فتحه الشاب وقد انطبعت على وجهه تأثيرات ما تزاحم في دماغه من عواطف الخشية والرغبة فلم يتمالك ان قال :

— فرحات ؟!...

وانطرح على المقعد لا يقوى على القاء السؤال خشية من سماع جوابه .

فاقترب منهُ فرحات . وبصوت يكاد يكون لهاثاً ، قال :

— الموقف في غاية الحرج . فقد ارسل الجزار منذ خمسة ايام امراً الى الأمير والسرعسكر ان ينزلا بالجيش من المتن الى ساحل بيروت في الحال . وقد فهم الأمير معنى هذا الامر ، واحس بارادة الجزار ان يكون الجيش في الساحل حتى يمكنه ، اذا شاء ، القبض على الامير ورجاله وارسالهم بطريق البحر الى عكا .

ففتح غانم عينين جامدتين ، بينما كان فرحات يستريح قليلاً . ثم تابع :

— فارسل الأمير حالاً الى المختارة الشيخ بشير جنبلاط كي يخبئ ما عند حزبه من السلاح في سرايته . وذهبت انا بصحبة فارس ناصيف الى دير القمر ، فاقمنا ليلة جمعنا فيها كل ما عند رجالنا من السيوف ، والرماح ، والبنادق ، والطبنجات ، والبلطات . وحفرنا ارض حارة فارس المذكور على طول القبو الاسفل فدفنا في الحفرة كل ما جمعناه . ثم طمرناها وفرشنا البسط فوقها قبل الصباح .

فاذا حصل امرٌ ما وهلكت مع فارس ، فتذكّر محلّ السلاح: في منزل فارس ناصيف ، وهو آخر بناء في دير القمر لجهة الشرق ، اي مما يلي بتدين ، في ارض القبو الأسفل.

ثم رجعنا وكان الامير قد سار بالجيش حسب الأمر . فالتقينا به في ظاهر بيروت وقد خيّم العسكر في حرج الصنوبر . فتركتهم هناك وأتيت لأتنسّم اخبار الجزار.

وما كاد فرحات ينهي حديثه حتى انطرح على الديوان ، وكان التعب قد اخذ منه كلّ مأخذ ، واثقل اجفانه النعاس ، فهوّم قليلًا ثم الوى يغطّ غطيط الجمل.

امّا غانم فقضى ليلةً بيضاء ، يفكّر فيها بما عسى ان تؤول اليه هذه الحالة.

وعند السحر افاق فرحات ، فتناول قليلًا من الطعام مع غانم . ثم ودّعهُ قائلًا : اني سأعرّج على القلعة فاتجسّس اعمال الجزّار ، واتناول ما يُشاع عنهُ ، فاحمل ذلك الى الامير . وبعد ان ضرب لهُ موعدًا قريباً ، شدّ طماقاته ، وقفز سريعاً خفيفاً

* * *

كان ذاك الانقلاب السريع في اخلاق الجزّار ، وموقفه تجاه الأمير ، ناتجًا عن امرين : اوّلهما ، وهو السبب الحقيقي الباطن ، ما كان اولاد الامير يوسف يتابعونه من اساليب الدسّ والتمايق في بلاط عكّا بواسطة بعض ابناء الجزّار ، فيتّهمون الامير بشير بكل كبيرة ، ويرمونه بانه يهزأ بالجزّار ، ويتناسى ما وعده به من المال والرهائن ، ثم يعرضون على مولى عكّا الآلاف من الأكياس. فينيلهم الجزّار اذناً واعية ، بينا كان يرمي بطرفه موقف الامير بشير من اعدائه ، وحالة الحركات الحربية في الجبل ، حتى اذا لحظ بعض التأخر في سير العسكر اللبناني ، وتأكد ان ابناء الامير يوسف يدفعون لهُ «خدامة الفين كيس على ثلاث سنين» ، وعرف النفور الحاصل بين الامير بشير والسر عسكر ، تشبّث بهذا الحادث وجعل منه سبباً ظاهرًا لنزع ثقته من الامير ، فأمره بالنزول مع الجيش الى الساحل.

وما لبث ان ارسل امراً سرياً للسرعسكر بان يقبض حالاً على الامير بشير واخيه الامير حسن ، والشيخ بشير جنبلاط ، وفارس ناصيف . فاعتقلهم على غفلة ، وسار بهم بحراً الى عكا

امـا اولاد الامير يوسف فكانوا يترقبون الحوادث في جبيل ؛ حتى اذا عرفوا بالواقع جمعوا رجال حزبهم واستعدوا للسفر منتظرين امر الجزار الذي ما عتم ان وصل ، فانتقل الامير حسين والامير سعد الدين الى ساحل بيروت فاحتلا مركز الامير . وما هو ان ارسل لهما الجزار الخلع المعهودة حتى انقسما فسار الامير حسين ، برفقة مدبره برجس باز ، الى دير القمر ؛ ورجع اخوه الامير سعد الدين ، برفقة فرنسيس باز ، الى جبيل .

ولم يكن من الصعب على الامير حسين ان يدخل دير القمر ، بعد ان وصل خبر اعتقال الامير ، وامر الجزار بتولية خلف له . فتضعضع الحزب ، ولجأ اربابه الى المختارة وبعذران وجوارهما يجتمعون مع سائر الجنبلاطية ، فيتداولون في مصيرهم ، وموقفهم تجاه الحزب الحاكم . وقد كانوا لزموا السكون منتظرين ، لو لم يبدأ الامير حسين بالعداء فيأخذ بظلم كل من كان يناله من افراد حزب الأمير . فيحجز الأرزاق ، ويبتز الاموال ، ويرمي الناس في السجن دون مسوغ ، حتى ضج السكان ، وارتفعت الاحتجاجات ، وهو لا يزيد الا مضاء في طغيانه .

وكان المظلومون العديدون يلجأون ، في مصائبهم ، الى قصر الشربين ، فيشكون للشيخ بو غانم مآتي ذاك الأمير الجائر . وكان الشيخ لم يفارق قصره مع حزب الأمير ، لأنه لم يكن يقوَ على السفر ، فظلَّ ينظر بطرف كئيب الى آماله تتلاشى ، وامانيه تتبدد ، منتظراً كل دقيقة عودة فرحات من عكا ، فيخبره بحالة الامير وحالة حفيده غانم ؛ باذلاً كل ما عنده من اساليب البلاغة في تسكين خواطر المظلومين ، وتعزيتهم ، وارضائهم بالآمال والمواعيد ، مُغدقاً البلسم على قلوبهم الجريحة ، والسلام على خواطرهم الثائرة ، طالباً منهم ان يصبروا ، مردداً على مسامعهم الآية الالهية : « من يصبر الى المنتهى يخلص »

(لها بقية)

مطبوعات شرقية جديدة

Aimé Puech : Histoire de la littérature grecque chrétienne. 2 *vol. in-8° 500 + 668 pp.* 1928. *Paris, Société d'édition Les Belles-Lettres.*

تاريخ الآداب اليونانية المسيحية

وصف المشرق، لعدة سنوات خلت، كتاباً للسيد دي لابريولّ (de Labriolle) في الآداب اللاتينية المسيحية . وها نحن نصف الآن كتاباً جديداً الى مقابلاً لذاك الكتاب. وهو تاريخ الآداب اليونانية المسيحية. يحتوي على ثلاثة مجلّدات ظهر منها اثنان فقط، يبحث الاول في اسفار العهد الجديد، والثاني في آداب القرنين الثاني والثالث . وسيكون موضوع المجلّد الثالث آداب القرن الرابع . هذا ولم يكن من غاية المؤلف ان يضع بين ايدي القرّاء كتاباً تعليمياً يلخّص فيه آراء العلماء في كل نقطة بمفردها، ولكنه تبع مجرى الافكار الادبية والدينية في اوائل النصرانية، وتطوّر المباني والاساليب الكلامية المستعملة للتعبير عنها، دون ان يميّز بين هذه الآداب والآداب المدنية المعاصرة . ونرى ان المؤلف قد نجح بعرض موضوعه على طريقة واضحة، وبسيره الى الغاية المقصودة دون توقّف ولا مراجعات. ومن الواجب ايضاً ذكر مظهر الكتاب الشائق ج. ل

Dom M. Prümmer O. P. : Manuale theologiae moralis secundum principia S. Thomae Aquinatis. *t. II, editio quarta et quinta. Friburgi Brisgoviae,* 1928 ; *Herder. M°* 11, *relié* : 12, 60

كتاب تعليمي في اللاهوت الادبي

نقدّم الى قرائنا الكرام المجلد الثاني من تأليف الأب برومير النفيس في اللاهوت الادبي . وقد كنّا وصفنا في مشرق السنة الماضية (٢٦[١٩٢٨]٧٠٤) قسمه الاول. وهذا القسم الثاني في طبعتيه الرابعة والخامسة يظهر بكل الصفات الحسنة التي ميّزت سابقه. واهمّها ذاك التبسّط الواسع وتلك الدقّة العلمية الوافرة

في عرض جميع المسائل مع الاستناد الى القديس توما خاصةً ، وسائر الآباء الكبار عامةً . امّا موضوعات المجلّد فثلاثة : فضيلة العدالة ويلحق بها الدين، والتقوى ، والطاعة ؛ وفضيلة القوة ؛ وفضيلة القناعة . واننا نشكر للمؤلف ذاك التفصيل الذي خصّ به القسم الاول ، وهو الاوفر صعوبة ، حتى انه بلغ نصف الكتاب اي ٢٧٢ صفحة ، كما اننا نشكر لهُ تلك الاقسام التي اشار بها الى التشريعات المدنية في البلدان المختلفة . واننا نختم بذكر كلمة في الكتاب نشرها احد مشاهير اساتذة اللاهوت الادبي ، وهو الاب كروزن (R. P. Creusen) اليسوعي في عدد كانون الاول من « مجلّة اللاهوت الجديدة » ، قال : « نحن نعتبر ان كتاب الاب بروميه نفيس ، بل من افضل الكتب التعليمية في اللاهوت الادبي . » ي . م .

W. Bjorkmann: Beiträge zur Geschichte der Staatskanzlei im islamischen AEgypten. *in*-4°, *VIII et* 217 *pp.* 1928. *Verlag. von Friederichsen, de Gruyter et Cie, Hamburg* 36 — *M.* 14 [*Abhandlungen aus dem Gebiet der Auslandkund, Band* 28, *Reihe B, Band* 16, *herausgegeben von der Hamburgischen Universitaet*]

وثائق لتاريخ كتابة الانشاء في دولة مصر الاسلامية

ان اسّ هذا العمل الدقيق تحليلٌ واسع لمحتويات المجلدات الاربعة عشر من « صبح الأعشى » للقلقشندي . وقد وطّأ المؤلف لذلك بمقدمة نفيسة درس فيها تنظيم كتابة انشاء الدولة في مصر ، وذكر سبّاق القلقشندي في هذا الموضوع ممن نُشرت آثارهم او لم تنشر بعد ، والمصادر التي استقى من بعضها ، ونقل بعضها حرفيًا احيانًا . وكذلك درس التعابير المستعملة في الموضوع ، والكلمات الوضعية الواردة في البراءات والأوامر التي كانت تصدر عن كتابة الانشاء . وبالاجمال هو عمل غاية في الطرافة . وان المطالع يشعر ، اذا ما انهى قراءته ، ان المؤسسات الديوانية كانت في اوج تشعباتها في مصر ، منذ عهد المماليك ، حتى ان الديوانية الحالية لا تفوقها بشيء . فكان لتلك المؤسسات طرق تقرأ بواسطها الخطوط السرّية ، واساليب تضلّل بها حيل الجواسيس الذين كثيرًا ما كانت تتكل عليهم الدول المعادية او المعاكسة ، وترى ان فِرَقًا

عديدة من المسيحيين كانت تحارب في جيش الفاطميين وجيش مراكش . هذا وفي آخر الكتاب فهارس عامّة متقنة باسماء المؤلفين ، والأشخاص ، والبلدان وبالكلمات الوضعية ايضاً . والنتيجة ان المؤلّف جدير بكل ثناء لما كلف من جهود مخلصة في التفتيش الدقيق . ه.ل.

Angel Gonzaloz Palencia: Historia de la Literatura Arábigo-Espanola, [*Coleccion Labor, Section III, Ciencias literarias*] *vol. in-8° 356 pp. Barcelona, editorial Labor, S. A.*, 1928

تاريخ الآداب العربية – الاسبانية

كتاب جامع مختصر فيه كل ما يهمّ دارس الادب العربي - الاسباني ، وتأثيره في فكر ذاك الشعب الاوربي الذي ادّى لآدابنا ، ولا يزال ، الخدمات الجليلة بفلاسفته وعلمائه وشعرائه ومستشرقيه . قسم المؤلف كتابه الى مقدمة تاريخية واربعة عشر قسماً ، جال في الاول منها في زمن الجاهلية فتكلّم عن الشعر الجاهلي ، وانعكاس صورته في الشعر العربي - الاسباني ثم ذكر ميّزات هذا الأخير قاسماً اياه الى مظهرين : المدرسي او الفصيح ، والعامي ويشمل فيه الأزجال والموشّحات . اما الشعر المدرسي فيبحث فيه متنقّلاً من عصر الامراء الى الخلفاء ، الى ملوك الطوائف ، الى المرابطين ، الى الموحّدين ، الى مملكة غرناطة . ثم يخصّص القسم الثاني « للأدب » فيبدأه بالاديب المشهور ابن عبد ربه ؛ ومن ثم ينتقل الى علوم اللغة ، فالتاريخ ، فالجغرافية والرحلات . فالفلسفة وعلم الكلام ، فالحديث ، فالقراءات وتفسير القرآن ، فالفقه ، فالرياضيات والفلك ، فالطب والنباتات ، وبعد ان يمرّ على آداب الشعوب الاسبانية من غير المسلمين ، يصل الى آخر قسم من الكتاب وهو من اوفرها اهمية على ما نرى ، فيدرس تأثير الآداب العربية - الاسبانية في منتوجات الفكر الاسباني خاصة والاوربي عامّة ، ويختم بذكر مآخذ الابحاث وبفهرس ابجدي باسماء الاشخاص . هذا مجمل ما في ذاك الكتاب من الفوائد الجمّة ، والمعلومات المتنوّعة . واذا صرفنا النظر عن بعض الهفوات الطفيفة ، كذكره لقصائد ابن عبد ربه (ص: ٤٧) تحت اسم (Almahasat) وهي « الممحّصات » من محّص الله الرجل

طهّره واذهب ما علق به من الذنوب ، ولا يخفى ان ابن عبد ربه نظم هذه القصائد ، بعد ان تاب ، وغايته ان ينقض قصائده الغرامية السابقة ؛ وكذلك جعله وفاة الاديب المذكور سنة ٩٣٩ (ص:١١٣) ؛ والمعروف المشهور انه توفي في ١٨ جمادى الاولى ٣٢٨ هـ ، الموافق ٣ آذار ٩٤٠ ، الى غير ذلك من السهو البسيط ؛ فاذا صرفنا النظر عنه ، لا يسعنا الّا الثناء الجمّ على همّة المؤلف العالم ، والأمل بانه يتابع ابحاثه المفيدة. ف.ا.ب

Ch.Journet : L'Union des Eglises.[*Collection «La vie chrétienne» N° 3*] *Paris, B. Grasset*, 1927. *Prix* : 12 *f*^rs.

اتحاد الكنائس

كُتب هذا المؤلف على إثر مؤتمر استوكهولم الذي عقده بعض المسيحيين المنشقين ، من الشعب المختلفة ، وغايتهم جعل اتحاد بينهم . على ان الكتاب لم يفقد شيئاً من صفاته بمرور ذاك الظرف. وفضله انه يعرض للمطالع ما يفهم الكاثوليكيون بالوَحدة ، بتلك الوَحدة التي طلب السيد المسيح تحقيقها من ابيه اذ قال : « ليكونوا باجمعهم واحداً كما انك انت ايها الآب فيّ وانا فيك ليكونوا هم ايضاً واحداً فينا » (يوحنا ١٧ : ٢١) . وهي الوحدة الدينية السامية التي تفرض ان في قلب المؤمن الذي يراجع الصلاة نفسها ، ايماناً وطيداً بنظام سام . وهي وحدة جوهرية لا تمنع وجود تنوّع عرضي ينتج عن الطرق والدرجات المختلفة التي يشترك بها الناس ، بواسطة السيد المسيح ، بمعرفة الله ومحبته. اما البروتستانيون فيعكسون الآية في فهم الوحدة والتنوّع. والكتاب الذي نحن بصدده لا يفيد الكاثوليكيين فحسب ، بل هو نافع لازم لجميع من يشتهون الوحدة ولا يعرفون كيف يحققونها ج.ل

Joseph Bonsirven : Sur les ruines du Temple. (*Collection «La vie chrétienne» N° 5*) *Paris, B. Grasset*, 1928. *Prix* ; 12 *f*^rs.

على انقاض الهيكل

مؤلف هذا الكتاب احد مشاهير الواقفين على حالة اليهود الدينية ، وقد عرض امام المطالع مشهداً لتلك الحالة ، منذ زوال الدولة اليهودية (في السنة

٧٠ ب.م.) حتى اليوم ، ويمكننا القول ان ما يصوّره الكاتب حالة يهودية جديدة قلّما يعرف عنها العالم شيئاً ، والكاتب يذكر تاريخها ، ومعتقداتها ، وعبادتها ، وآدابها ، باحترام وعطف . فهو لا يخفي شيئاً من كنوزها ولكنه كثيراً ما يعرضها محجّبة قانعة.

ج.ل

Goettsberger, Dr. Johann : Einleitung in das alte Testament, mit 12 Bildern auf 4 Tafeln. [*Herders theologische Grundrisse*] *gr. in-8° XVIII — 522 pp. Freiburg im Breisgau*, 1928, *Herder*, 16 *M.*

مقدمة للعهد القديم

لم يترك كاتب هذه المقدمة شيئاً من المسائل التي تهمّ العهد القديم فقد بحث في الاسفار التاريخية ، والاسفار الشعرية والحكمية ، واسفار الانبياء ، وتاريخ العهد القديم ونقده ، وهو يقول انه يعرض في كل موضوع احدث الدروس والايضاحات . فينتج ان الكتاب جزيل النفع سواء اعتبر تأليفاً علمياً او تعليمياً . وقد اجتهد الطابع في إبرازه بحلة لائقة.

تاريخ الجزائر في القديم والحديث

لمؤلفه الاستاذ مبارك بن محمد الهلالي الميلي

الجزء الاول — المطبعة الجزائرية الاسلامية بقسنطينة (ص ٣٦٨ ، مشن كبير)

هذا الكتاب ، في علمنا ، هو اول تاريخ عربي للجزائر توخى فيه صاحبه مراعاة حقوق التأليف والتدقيق العلمي . فتحه بذكر قدماء الجزائر ، اهل العصر الحجري ، ثم تخطى الى البحث المتتابع في اخبار العصر القرطاجني والروماني والوندالي والبيزنطي الى ايام الفتح العربي فوصف جيليه الاولين . واننا وددنا لو اسهب صاحب الكتاب في مقدماته واشار الى المصادر التي اقتبس منها تعليماته . على انه مع اعترافه بجهله اللغة الافرنسية (ص٥٠) لا ينفكّ في سياق حديثه يحيل القرّاء الى المؤلفين الافرنسيين ، واغلب من يستشهد بهم هم من المؤلفين ذوي الطبقة الثانية ، وكان الاجدر به ان يهدي القرّاء الى موارد المؤلفات

المدرسية التي وضعت اخيراً باللغة الافرنسية على تاريخ الجزائر وهي غاية ما انتهى اليه الفن في هذا النوع. ويا ليته اتقن فهم المؤلفات المنوّه بها ! وهو لم يرضَ بما انتجته المباحث العلمية الحديثة من الحقائق المناقضة للتقاليد العربية او الاسلامية فقاومها من غير جدوى . وكتاب الاستاذ مبارك مجهز بخارطة جغرافية ومزين بالصور ، وهو يشهد لصاحبه بالوطنية الصادقة ؛ ولكن هل الوطنية وحدها تكفي لكتابة التاريخ ؟ ه.ل

نظم العقيان في اعيان الأعيان

تأليف جلال الدين السيوطي — حرّره الدكتور فيليب حتي

المطبعة السورية الاميركية في نيويرك ، ١٩٢٧ — وسط ، نحو ٢٣٠ ص

لجلال الدين السيوطي فضل عظيم على التاريخ عامّةً وعلى تاريخ الحركة العقلية خاصةً بما دوّنه في مؤلفاته العديدة من المعلومات عن الآداب في مختلف العصور وبما كتبه عن حياة ارباب الآداب . وقد ذكر في هذا الكتاب مئتي ترجمة لمشاهير القرن التاسع للهجرة من فقهاء ومحدّثين وادباء ورجال دولة ، بينهم بعض النساء . وممّا يجعل لهذه التراجم لذة خاصة ، كما قال المحرّر ، ان اكثر اصحابها ممن عاصرهم السيوطي بنفسه ، وبعضهم ممن عرفهم معرفة شخصية . » وعليه يُدرك المطالع كم يكون شكر العالم العلمي والادبي كبيراً للدكتور فيليب حتي ، لقيامه بطبع هذا الكتاب ، بعد ان اجتهد في المقابلة بين مخطوطتيه الوحيدتين: المخطوطة التيمورية المصرية ، ومخطوطة ليدن التي تمكّن من الحصول على صورة شمسية عنها . وقد قدّم مقدّمة ضمنها وصف المخطوطتين وطريقته في معالجتهما ؛ وتبع في نشر الكتاب طريقة المستشرقين في نشر مطبوعاتهم ، اي انه عيّن في المتن صفحات المخطوطة ، ودلّ في الحواشي على الاختلاف الوارد في مخطوطة ليدن ، وعلى ما ادخله من الاصلاح الطفيف ، وجعل للكتاب بعض العناوين الثانوية ، والحقه بفهرس واسع للمصنّفات الوارد ذكرها في الكتاب ، بعد ان قدّم عليه فهرساً للتراجم على حروف المعجم .

فاستحق كل ثناء على الرغم مما وقع في الكتاب من اغلاط كتكسير بعض الابيات ، وتحريف بعض الكلمات ، مما كان من السهل اصلاحه تارةً بالاعتماد على مخطوطة ليدن ، وطوراً بالاستناد الى علم العروض ، وحيناً بتحكيم العقل او الذاكرة . واننا نكتفي ، لضيق المقام ، بذكر مثال واحد على ذلك ، وهو ما ورد في الصفحة : ١٤ ، سطر : ٨

وكم بتّ مسروراً لعمري بتركها وبات على النار الندي يحلّقُ

هكذا طبع الناشر وذكر في الحاشية انه ورد في نسخة ليدن ، في الشطر الثاني ، « على النار الندى والمملقُ » هذا وكل من له اقلّ المام بالشعر الجاهلي يعرف ان الشطر للأعشى في مدح المحلّق ، ويعرف ان الصواب : « وبات على النار الندى والمحلّقُ . » ، الى غير ذلك من الهفوات التي كنّا نودّ ان يخلو منها هذا الكتاب . ف.١٠.ب

كلمات في سبيل مصر

لحضرة صاحب السمو الامير عمر طوسون

المطبعة السلفية ، القاهرة ١٩٣٧ ، ص: ٣٨٦ ، ربع كبير

وحدة هذا الكتاب انما هي في عنوانه وهو لسان حال حياة تنقضي في خدمة البلاد والامة . فلا عتاب اذن على رجل من رجالات السياسة المصرية الكبار ان لم تسنح له اوقاته الضيقة بالتأليف عن نفس طويل . ولكن الفخر كل الفخر للامير البصير المحنك الذي قال في شؤون بلاده وخدمتها كلمات دوّنها له الادب والعلم وجعلها مرجعاً يعوّل عليه كتاب التاريخ في المستقبل . ومن روائع اقواله استهجانه للتساهل في كبح جماح المخالفين للآداب العامة (ص:٩٨) وقوله مجيباً على نداء الداعين الى عقد مؤتمر عام ، يجب اولاً « ازالة الخصومات القائمة بين الاحزاب . . . واننا مستعدون للسعي في هذا الصلح . . . اذا رأينا من رؤساء الاحزاب ورجالاتها استعداداً لقبوله . . . وتنازلاً عن شخصياتهم لشخص واحد هو الوطن المفدى . » (ص:٩٨) ف.ت.

ديوان العقّاد

نظم عبّاس محمود العقّاد

اربعة اجزاء في مجلّد واحد ، قطع ربع ، ص: ٣٦٢ – مطبعة المقتطف ، مصر ١٩٢٨ –
الثمن : ١٥ غرشاً صاغاً

كثيراً ما نصح النقّاد للشعراء الّا ينشروا من شعرهم إلّا الفني الممتاز ، وكثيراً ما الحوا عليهم باللائمة لعدم تهذيبهم ما ينشرونه من الشعر . على انه ، لحسن حظّ الأدب ، لم يتبع الشعراء هذه النصيحة . وما ذاك الّا لانهـا لا تثبت على مبدأ معقول . فان النقّاد ، عندما يتكرّمون بهـا ، لا يحكّمون سوى عقلهم ، فيجهلون نفسية الشعراء وان الكثيرين منهم يستحيل عليهم التمييز بين الجيّد من شعرهم ، والمقبول ، والتافه . هذا فضلاً عن ان الطريقة ، لو تبعها احد الشعراء فلم يطبع الّا الممتاز من قصائـده ، تحجب عنّا كثيراً من مظاهر شخصيته التي يصعب ان تكون بكلّ ما فيها ممتازة ، تابعة لاصول الفنّ والجمال . وعليه فانني اشكر للعقّاد الشاعر انه لم يهتمّ بما قد ينصح به العقّاد الناقد ، اشكر له انه لم يختر الممتاز من شعره — على فرض ان بامكانه هذا الاختيار — فيطبعه ، بل قدّم لنا ما نظمه في مختلف الظروف والاحوال دون تمييز في قيمته الفنية ، فاطلعنا بكل اخلاص على كلّ شخصيته بجميع ما فيها من شعور عميق وسطحي ، وخيال فسيح وضيّق ، وتصوير دقيق وباهت ، ورأي ثابت ومتردّد ، وذوق سليم ومضطرب . حتى ان من يمرّ على بعض الالفاظ الغريبة ، والكلمات المعقولـة الواردة باسلوب غير شعري ، والابيات الغامضة المرصعة بالتنميقات البديعة ، والقصائد التي تذكرنا بفروض التلامذة ، بعد ان يكون وقف معجبـاً بكثير من الروائع الشعرية « كالشاعر الاعمى » ، و « النوم » ، و « عظة الجمال » . . . ، يأخـذه الاستغراب لاول وهلة . على انـه يعود فيسرّ لمعرفته العقّاد كما هو ، ولاطلاعه على صفات الشعر الانتقالي التي تميّز ديوان العقّاد ، وتوفّر لمؤرخ الادب الامثلة العديدة على حقيقة الحركة الشعرية في عصرنا .

ف . ا . ب

صحة الام والطفل

للدكتور حسين رشيد سري الدين

مطبعة المصباح ، بيروت ١٩٢٨ ، ص: ١١١ ، قطع مثمن

هذا كتاب وضعه خصوصاً للامهات طبيبٌ اختصاصي بأمراض الاطفال . تكلم فيه على الامومة والاستعداد لها وعلى الولادة . وتوسع في الكلام على تربية الطفل وابدى نصائحه في الظروف المشكلة التي تحار فيها الام بامرها اذا لم تكن مدربةً على واجباتها . اننا نوافق الطبيب في قوله بواجب مصارحة الام ابنتها وافهامها معاني دور الحياة عند ما يأتي وقتها ، لكننا نخالفه في نصيحته الى الام بان تطرح بين يدي ابنتها الكتب العلمية (ص: ٢٠) لما يخشى على الناشئة من مثل هذه الكتب من التأثير السيء والافشاء فجأة باسرار قد لا تكون بحاجة اليها . والكتاب مزدان بالصور سائغ العبارة ف . ت .

الجزء الرابع من ترجمة البطريرك مار الياس بطرس الحويك

بقلم الخوري اسقفي بطرس حبيقة

المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ١٩٢٩

هذا الكتاب منشأ باللغتين العربية والافرنسية وعدد صفحاته يجاوز التسعين دُوّنت فيه بعض الآثار الخطية الكتابية التي اصدرها غبطة البطريرك الماروني منها: تقريره عن الحالة الادارية في لبنان سنة ١٨٩١ ، وبعض الرسائل المتبادلة بينه وبين رجالات السياسة والمفكرين الافرنسيين ، والفكر الاول بشأن انشاء راهبات عبرين ودار الوكالة البطريركية في القدس ١٨٩٣ . . . . ولغبطته ثلاثون منشوراً ونيّف . منها منشور عام ١٩٢٠ بيّن فيه ما وفقه الله اليه من خدمة البلاد ، ومنشور عام ١٩٢٣ في « حياة الشعوب » ، و ١٩٢٤ في « السلطة » ، و ١٩٢٥ في « آفة العصر الحاضر » ومنشوره الأخير في « المحبة المسيحية » . اطال الله ايام غبطته ف ت

معجم المطبوعات العربية والمعربة

جمعه ورتبه يوسف اليان سركيس

مطبعة سركيس بمصر

عرّفنا الى القراء ظهور هذا الكتاب الجليل عند وصول اول جزء منه الينا . وها قد توافدت علينا اجزاؤه الثاني والثالث والرابع والخامس وكلها تشهد للمؤلف بالهمة والصبر على العمل والغيرة على حفظ آثارنا وتدوينها . فنسأل الله ان يمدّ بايامه الثمينة فينجز مشروعه بكامله ، ويتسنى لنا من ثم ان نعود عليه بالبحث المطوّل ونفيه حقه من النقد والتقريظ . ف.ت.

* حياة المسيح السعيدة في عبادة قلب يسوع المجيدة * الجزء الثالث – الساعة المقدسة (القسم الثاني) تأليف الاب متى كراولي احد آباء القلبين الاقدسين ١٩٢٧ ، مطبعة الشمس . مصر – هذا الكتاب كله حلاوة روحية وحرارة وقوة وهو مشبع من روح العبادة لقلب يسوع وقد افرغه المعرب بقالب عربي بعيد عن الركاكة مأنوس فصيح فنحث المؤمنين على اقتنائه .

* السوريون في مصر * بقلم الخوري بولس قرألي صاحب المجلة السورية ومحررها – الجزء الاول : عهد المماليك – القسم الاول : علاقات سورية ومصر من اول التاريخ الى محمد علي ، المطبعة السورية . مصر الجديدة – اليك مؤلفاً قيماً ، مفيداً جداً لتاريخ الاسر السورية القاطنة مصر خاصة منذ القرن الثامن عشر . في الصفحة ٩٦ العبارة قنصل افلاندر تدل على قنصل هولاندة لا على قنصل بلجكة .

* عوائد العرب * بقلم الطبيب الاثر المرحوم الخوري بولس سيور البولسي . نشرت تباعاً في مجلة المسرّة . بمطبعة القديس بولس في حريصا (لبنان) (ص: ١٩٦ مثمن) – هذا الكتاب هو تكملة لما نشرته المسرة في سنتها الثانية ، يجد فيه القارئ وصفاً قيماً حياً لعوائد العرب في الطعام والمسكن والزواج والقضاء والحماسة وغير ذلك من التقاليد المساعدة على تفسير ما جاء في الكتاب المقدس من وصفه للحياة الشرقية القديمة .

* تاريخ المؤامرات السياسية وتطوراتها الاجتماعية والقانونية من اقدم العصور الى احدثها * الفه محمد عبدالله عنان المحامي ، عنيت بنشره ادارة الهلال بمصر ١٩٢٨ (ص: ٢٧٨ وسط) – صاحب هذا الكتاب الف الجولان السريع في مشارق التاريخ ومغاربه ، فلا تسأله ان يقف وقفة المتبصر الحكيم وجلّ رغائبه ان يتفرج ويلتهي ويلهي . . . ولا تسأله ان يستشهد بمصادر ثقة ومخيلته المظلمة تبوّد بوجوه صفحات التاريخ فيخبط في ظلماتها ويتورط .

***

اهمّ حوادث الشرق في شهر

١٥ كانون الاول ١٩٢٨ — ١٥ كانون الثاني ١٩٢٩

عاد مسيو پونسو ، وجاء الجنرال بيغوده غرانرو (Bigault de Granrut) القائد العام خلفاً للجنرال غملان . فجرى له عند قدومه بيروت استقبال فخم عرضت فيه القوى العسكرية ، وحبذا المعرض ! عسى ان يلقي الهيبة في النفوس ، ويكسر شوكة لصوص الاتراك على الحدود لان حوادث السلب تعدّدت بين ادلب وحلب واضطرب حبل الامن في المناطق الشمالية فزادها ضربةً على ضربات اصابتها بوقوف الحركة الاقتصادية ومهاجرة الكثيرين من اهلها .

على ان المعلومات الواردة من الداخلية تفيد ان المواسم في جهات حوران وسورية الشمالية جيدة جداً ، وان الحكومة السورية اتخذت التدابير الحسنة لمكافحة الامراض التي تحول دون سلامة المزروعات . واننا نود لو عرفنا تفاصيل تلك التدابير وحقيقة امرها . لاننا سمعنا عن امثالها كثيراً في العام السابق وخاصةً عن اتلاف الجراد وغير ذلك من الحشرات المعادية للنبات ، وما عتمت الخبرة ان نقضت تلك الاخبار .

ما زالت حركة التجدد مواصلة سيرها في تركية ، تعودُ بجميع الامة رجالاً ونساء وشيوخاً وشباناً الى الدرس في المدارس ليتعلموا الحروف الهجائية اللاتينية . وقد امتدت الحركة نفسها الى جمهورية اذربيجان فاصدرت قانوناً يحتم باستعمال الحروف اللاتينية .

ومما يؤيد نفوذ مصطفى كمال فوزه باسترداد خط سكة حديد مرسين وطرسوس وادنه وميناء حيدر باشا - على انه لم يأبَ اقتفاء آثار البلشفيين في التخلي عن كنوز ملوكهم . وقد اتم الخبراء الانكليز تثمين مجوهرات آل عثمان والحكومة تريد بيعها لضمّ ثمنها الى رأس مال بنك الدولة التركية .

اما في الافغان فقد تطورت الاحوال سريعاً الى ان بلغت اقصى ما يخشى على مثل تلك البلاد وعلى ملكها من الويلات اذا ما سادت فيها الفوضى . واهتمت الدول الاوربية بمصالح رعاياها . فنقلت الطيارات من كابل النساء

والاطفال الاجانب وتنازل الملك امان الله عن العرش لاخيه الكبير عناية الله . ومن الاعمال الحربية التي قام بها باشا سقا زعيم الثوار انه حول في ٢٤ كانون الاول ، على بعد ٥٠ ميلاً ، مجرى النهر الذي تتولد منهُ قوة الكهربائية لانارة كابل . فامست المدينة في الظلام وتوقف العمل في مصانع الحكومة الحربية ومعاملها . وان صدى تلك الحوادث المشؤومة يقلق المراجع الدولية الّا حكومة السوفيات فقد جاء من موسكو «ان الحركة الرجعية ستقمع بعد ايام وان الحكومة ستستأنف بهمة عظيمة تطبيق الاصلاحات التي تصيّر افغانستان دولة متمدنة !..» هذا مما يدل على ان الملك امان الله تذوّق سم البلشفية ابان زيارته موسكو في العام الماضي .

ومن اخبار ايران ان الحكومة عدلت عن سياسة اضطهاد العرب والعشائر الثائرة ، واعفتها من تأدية الضرائب وتسليم الاسلحة ، وخصصت لبعض الرؤساء الرواتب وجعلت نبس القبعة اختيارياً الا للموظفين .

اما في العراق فلا تزال الاصلاحات متواصلة رغم المصاعب . وقد سقط الجسر العظيم الذي كانت شركة جاكسن تشيده على الفرات في الفلوجة على طريق السيارات بين العراق وسورية .

اشترك كثيرون من اخواننا الارثوذكس في القطر المصري بعيد الميلاد معنا ، فعمّ الفرح المسيحيين اجمعين خاصةً في الاسكندرية . قرب الله اليوم الذي نتعانق فيه واياهم تحت بركة اب واحد . وعقد المؤتمر الطبي الدولي في القاهرة من ١٥ الى ٢٢ كانون الاول وسنحدث القراء عنهُ في العدد القادم . واكتشفوا بسقارة ، بالقرب من هرم بيبي الثاني ، جملة تماثيل حجرية مكدسة بعضها فوق بعض تمثل آلهة يحتمل كثيراً ان تكون آلهة سورية . غير ان صنعها يدل انها من عمل حفّار مصري من العهد الفارسي او من عهد البطالسة . واكبر تلك التماثيل تمثال امرأة ممتلئة الجسم وهي جالسة يعلو رأسها تاج مرتفع . اما التماثيل الاخرى فانها تمثل رجلاً مرتدياً ثوباً من الثياب الكلدانية وامرأةً كلاهما واقف جامداً وباسطاً ذراعيه الى الامام . ثم رأس رجل ذي لحية طويلة يظهر انه كان رأس ثور ذي اجنحة

ف . ت

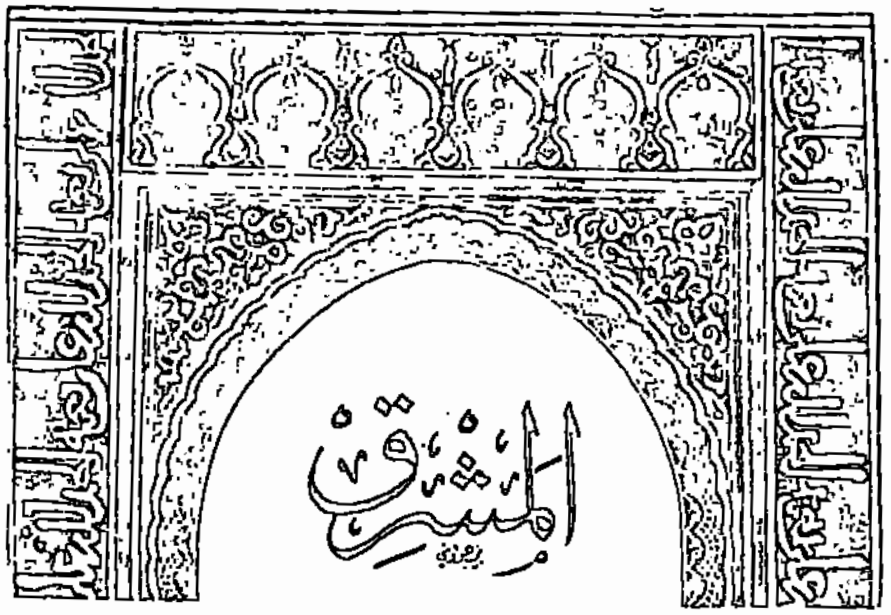

آذار ١٩٢٩

المنطق الحديث

بحث انتقادي فلسفي

للاب شرل ايلا اليسوعي

يزعم البعض ان النهضة العلمية الحاضرة في بلاد الناطقين بالضاد تقتضي ادخال الفاظ غريبة في اللغة ، لانَّ القديمة منها لا تقوى دائماً على التعبير عن الافكار الجديدة والاكتشافات الحديثة.

وقد يصدق الزعم فيما يتعلق بالعلوم الطبيعية . امَّا الفلسفية فنخالها بغنًى عن الاعجمي الدخيل ، اللهمَّ اذا ما ضربنا صفحاً عن بعض فروعها كالعلم النفساني الاختباري والاجتماعي الخ.

وممَّا يؤيّد بنوع حتميّ رأينا هذا كتاب « علم المنطق الحديث »[1] لمؤلفه

١) علم المنطق الحديث – الجزء الاول – مطبعة دار الكتب المصرية ، ومكتبة أمين هندية ، بالقاهرة.

السيّد محمّد حسنين عبد الرازق ، استاذ التربية والمنطق بمدرسة المعلّمين العليا في القاهرة.

طالعنا الجزء الاوّل من هـذا الكتاب فالفيناه يفي بما وعَدَ بهِ الاستاذ الفاضل في العنوان والمقدمة . فانه قد ضمّ فيهِ الى « المنطق الاستدلالي » القديم (Logique déductive) القسم الحـديث المعروف بالمنطق الاستنباطي (Logique inductive) ، الذي لهُ شأنه العظيم في الاكتشافات العصرية . وهناك ايضاً « موضوعات جديدة ذات اتصال بالمنطق القديم ... لم يكتب فيهـا مناطقة العرب » منها مثلاً الجدول الوارد في ص ٨٠ لبيـان اقسام العلوم.

ولم تخلُ جِدّة المواضيع دون عربية القالب. بل من مزايا المؤلّف الوضوح والفصاحة في الالفاظ ، والمتانة في التركيب ، والسهولـة في الاسلوب ، اللهمّ فيما يغلب.

وحبّذا لو ضاهى القالبَ مضمونُه طيبةً بجميع اطرافه.

فانّ المؤلف اعزّه الله ، قد اقتبس كثيراً من الفلاسفة العصريين. ولا لوم عليه بهذا ، لولا ما حدا بهِ تعلّقهُ المفرط ببعض المذاهب العصرية (modernistes) الى اضاليل خطرة ، والى الحطّ من شأن الاقـدمين ولاسيا مفكري القرون الوسطى ، كأنّ روجر باكون ، والمؤلف من المعجبين بهِ ، ليس منها ؛ او كأنها لم تُنجب نوابغ من امثال توما الاكويني ، وبوناونتورا ، وسكوت ، وغيرهم من لا يزال جهابذة الفلاسفة حتى في عصرنا هذا يستنيرون بنورهم ، ولا ينكر فضلهم الّا من اعمى الغرض بصيرته.

فحسب هؤلاء فخراً انهم ، وإنْ لم يُبرّزوا في ميدان العلوم الطبيعية الّا على قدر ما بلغت اليهِ معرفتهم من الاكتشافات في عصرهم ، فقـد احتفظوا « بالحكمة الخالدة » (Philosophia perennis) وحفظوها للخلف ، بـل دعموها بحجج راهنـة جازمة ووسّعوا نطاق نتائجها ولاسيا في علم مـا وراء الطبيعة.

وما الحكمة الخالدة هذه الّا مجموعة حقائق جوهرية اكيدة صريحة ، منها مبدأ التعليل (principe de causalité) وروحانية النفس وخلودها ، ووجود الاله القائم بذاته مميّزًا عن مخلوقاته ، وحقيقة الثواب والعقاب في الآخرة. وهي الفلسفة التي طالما اعتصمت بها العقول السليمة السامية وما حادَ عنها احدٌ الّا شذَّ عن محجّة الصواب ، بل مَرَق من الدين ، اذ لا قوام بدونها لدين أيًّا كان.

بل الطريقة الاستنباطية عينها ، التي هي من اهمّ اسباب اعجاب السيد محمّد حسنين بالمحدثين ، هل كان لها قوام في نظر العقل السليم ، لو لم يتعمّق في درس اصولها الفلسفية الذين اقتفوا آثار أرسطو والاكويني ، فعلّلوها وابانوا انّ مرجعها النهائي الى القياس الاستدلاليّ ؟

فيا ليت صاحب « المنطق الحديث » اقتبس من معلّمي القرون الوسطى قيراطاً من اربعة وعشرين ممّا اخذ عن العصريين . فلو فعل لسلِم كتابه من اضاليل عديدة ، نقتصر ، خشيةً من البحث المُملّ ، على ذكر ما يلي منها :

١ً في ص ١٢ ان حاسّة البصر « مهيّأةٌ لادراك المبصَرات كالنور والظلمة واجسام الاشياء واشكالها واوضاعها وابعادها وحركتها وسكونها »

والصحيح ان امتداد الاجسام والشكل والوضع والبعد والحركة انما هي محسوسات مشتركة بين اللمس والبصر فلا يتسنى لهذا بدون ذاك ان يبلغ اليها الّا بعد ما يدعوه الفلاسفة حتّى العصريّون تربية الحواسّ (éducation des sens) بل بعد هذه التربية ذاتها لا يمكن العقل دائماً ان يبني حكماً شافياً ، في ماهيّة كذا محسوسات ، على مدلولات البصر وحده.

امّا الظلمة فلا نرى كيف يُحصيها جناب الاستاذ بين المبصَرات وهي نقيض النور بل هي لا شيء ، وكيف يؤثّر العدم في الحاسّة ؟

٢ً وقال ايضاً (ص ٢٩) « انّ الانسان من بين سائر الموجودات هو الذي في قدرته وحده ، بفضل قوّته الفكريّة ، ان يعلم كل ما يمكن علمه بهذه الموجودات. »

فجاءت لفظة « وحده » تنفي وجود القوّة الفكريّة الالهية بل تنقض ما

سبقَ المؤلف وصرّح به ملياً في الصفحة ذاتها اذ قال : « كل شيء لا يتعلّق به العلم الانساني او الالهي لا يكون موجوداً » ، ما لم يؤلّه الانسان بان يجعل شيئاً واحداً هوَ والله حسب مذهب الحلول الممقوت.

وهب ان كلمة « الموجودات » في الفقرة الاولى حُصِر معناها ، على غير ما هو ظاهر بالذهن ، في الموجودات المخلوقة ، فبايّ حقّ يُنفى اذ ذاك وجود القوّة الفكرية اللائكية ؟ وان كان الفيلسوف لا يتوفّق ، بعقله المجرّد وبمعزل عن الوحي ، الى معرفة الارواح المحضة ، فهل يُسوّغ له ذلك انكار وجودها بتاتاً ، وان ضمناً.

٣ً قد حدّد المؤلف العلّة المادّية بقوله : هي ما « لا يتحقّق المعلول بدونه » كذا بدون ما قيد. افلا تكون ، بناء على هذا الحدّ ، كل المعلولات ماديّةً على الاطلاق فيتعذّر على الخالق ان يُخرج من العدم روحاً مستقلّةً عن المادّة في كيانها ؟ واذ ذاك افلا يكون صاحب الحدّ المذكور جنح الى مذهب الماديين ؟ أم يزعم ان خلق الكائنات يقتضي علّةً ماديّة سابقة ممّا يؤدّي به الى مذهب القائلين بازلية المادّة ؟

ثمّ علامَ يُهمل تماماً ذكر العلّة الصورية في تقسيم العلل فيحصرها في ثلاث فقط وهي الفاعلية والمادية والغائية . فهل نسيَ انهُ حدّدَ العلّة الفاعلية قائلاً : « هي ما بـه تكون صورة المعلول » وهل تختلف صورة المعلول عن علّته الصورية ؟

٤ً في الصفحة ٤٨ حدّان لاسمَي الذات والمعنى يؤولان الى نتائج فادحة. قال: « اسم الذات (le terme concret) هو كل اسم يمكن ادراك مفهومه باحدى الحواسّ . . . واسم المعنى (le terme abstrait) هو كل اسم يدل على مفهوم لا يمكن ادراكه بأحدى الحواسّ »

تُرى هل الله والنفس البشرية من مدركات الحواسّ ام العقل ؟ فان كان الاول ، فقد افضى بنا الامر الى كفر الماديين . وان كان الثاني ، اضحى الله والنفس اسمَيْ معنًى وبذا غدونا على قاب قوسين من مذهب الحلول ، لانّ الله عندئذٍ يكون بمنزلة صورة حلّت في ما يدلّ عليه اسم معنى كما يحلّ البياض

مثلاً في الابيض والشهامة في الشهم . تعالى الله عن ان يكون صورةً مجرَّدةً . نعم انَّ عقلنا الضعيف لا يستطيع الى ادراكه سبيلاً ، الَّا بتجريد الفكر الذي يمثِّلهُ من القرائن المحسوسة ، التي تصحب صورته في المخيّلة . بيد انهُ عزَّ وجل ، في حدّ ذاته ، جوهر معيَّن قائم بنفسه . وكذا النفس البشرية ، وسائر الارواح .

٥ ومما لا يترك ادنى مجال للشك في انحياز صاحب « المنطق الحديث » الى مزاعم الماديّين أنهُ وضع الفرق الجوهري بين الانسان والحيوان في ميزة ماديّة محضة . قال (ص ١٧٦) سامحه الله : « انَّ قابلية التعلّم مبنيَّة على صفة لازمة لنوع واحد من انواع الحيوان ، وهو الانسان ، بها تتحقَّق ذاتيته . وهذه الصفة هي زيادة نسبة مخّه الى جسمه على نسبة مخّ اي حيوان آخر الى جسمه » واما العقل الروحي وحريّة الاختيار ، زينة الانسان وشرفه وما يُعلي شأنه فوق كل المخلوقات المحسوسة على وجه البسيطة ، فكأني بالسيد محمَّد حسنين عبد الرازق نبذهما نبذ النواة ما بين خرافات القرون الوسطى .

أوَليس من غرائب الخرافات ان يُحصر في زيادة نسبة المخ على الجسم ، قوام القوة البشرية الفكرية ، التي اكتشفت مصل التيفوئيد والجدري ، ومكنت الناس من محادثة بعضهم بعضاً على مسافة اميال كما لو كانوا في مكان واحد ؟ بل حبّذا ما يدعوه المحدثون المتطرّفون خرافات القرون الوسطى ! وحبّذا حكمتها الخالدة التي تقي العقل من الضلال !

مذكرات جوانفيل

بقلم ميشيل سليم كسيد

صفحة من تاريخ الصليبية

كثيرة هي الكتب الجليلة ، المنشورة باللغات الافرنجيـة ، عن تاريخ الصليبية . ومن اهمها المجموعة التي اصدرتها الاكاديمية الافرنسية ، حاوية لكل ما كتبه القدماء عن تلك الحوادث ، سواء كانوا من ابناء الغرب ام من ابناء الشرق ، وهي المرجع الأهم لمن يريد ان يعرف بالتفصيل كلّ شيء ، في ثمانية اجزاء ضخمة عظيمة .

ولكن مما يذكر بالشكر لابناء الغرب في ذلك الزمن ، ان اكثر من حضروا المواقع سجّلوها في مذكراتهم .

ومن بين هذه المذكرات القديمة ، كتاب تدفّقت شهرته ، وذاع صيته ، ونال حظاً عظيماً من الاعتبار ، وعُدّ من طُرَف اللغة الافرنسية ، فغدا الآن مما يسمونه « بالمدرسي » (classiques) وهو فكه الحديث ، طليّ الاخبار ، ثابت الوقائع ، كان مكتوباً باللغة الافرنسية القديمة ، ولكنه تُرجم مراراً الى الحديثة . هذا الكتاب ، هو مذكرات جوانفيل (Joinville) المعروفة تحت اسم « تاريخ القديس لويس » . وقد آثرنا ان نجعلها موضوعنا اليوم ، لما حوت من حسن طلاوة ، وصدق اخبار ، ودقّة ملاحظة ، مما تهمّ كل شرقي معرفته من عادات الشرق ، في ذلك الزمن الغابر .

لا يجب ان ننسى ، ان جوانفيل سجّل في كتابه هذا كل ما حدث له من

الحوادث ، حتى ولو كانت تصوّره في مواقف لا تليق به ، فقد كان اميناً صادقاً في كل حادثة ؛ ولم يفعل ما يفعله سواه من المؤرّخين والكتبة ، فيبدلون ويحذفون ما يشينهم ، او يسقطهم امام جمهور قرائهم . واننا نرى في جوانفيل شبهاً عظيماً بهيرودوت الرحالة اليوناني ، من حيث السذاجة ، والبساطة في كتابه . وهذا مما ينفي عنهُ تهمة التلاعب ، والتحريف في الحوادث . فهو يذكر بكل بساطة ، وبدون خجل ، ما حدث لهُ حين اسره الاعداء . فلما اراد العبور من مركب لآخر ، ووثب ، تقلقل ، وكاد يسقط في النيل ، لثقل لباسه الحديدي . قال : « انني ترجرجت هكذا ، حتى كدت اقع في الماء ، لو لم يتداركني المسلم ، الذي وثب خلفي وسندني ! » . وفي موضع آخر ، وكان في الاسر ، شرب ماء فنزل من انفه ، فعلم ان في حلقه ثقباً ، اذ ان المسلمين كانوا قد حزوا عنقه بسيوفهم ، وجرحوه ، فتخيّل لهُ انهُ مائت ، فحزن كثيراً ، ودعى رجاله اليه . وامثال هذه كثيرة حين كان يحاصره جملة من الاعداء ، وغيرها . . . فبمثل هذه البساطة والصدق ، كتب كتابه الخالد . وقد نقل الينا ، كل ما سمعه ورآه عن النيل ، والبدو ، والامراء ، وشيخ الجبل الخ . ونحن لا نرى شططاً ، اذا عددناه ثقة فيما رواه من اخبار المعارك ، وغيرها ، فهو نعم الرجل الامين المخلص !

بسطنا ان هذا الكتاب كُتب في اللغة الافرنسية المتقدمة ، وانه تُرجم الى الافرنسية الحديثة عدة مرات . وفي السنة الماضية ، ظهرت ترجمة لهُ جديدة ، هي على ما نظن ، احسن ما ظهر له ، وعليها جعلنا جلّ اعتمادنا . وناقله هو اندره ماري (André Mary) . نشره تحت هذا العنوان ، كما كان بالقديم :

Jean de Joinville : *Le Livre des Saintes Paroles et des bons faits de notre saint roi Louis.*

وارتأينا ان نعرّف قرّاء العربية باحد كبار قوّاد الصليبية ، من مثّل دوراً مهماً في الحملة السابعة . وان نأتي على بعض مقتطفات من كتابه . ولكن قبل ان نسرد شيئاً منه ، نأتي بوصف وجيز لحياة المؤلف ، ليكون القارئ على بيّنة .

من هو جوانفيل ؟

هو سير جان دي جوانفيل (Sire Jean de Joinville) سيّد مقاطعة جوانفيل ، ووزير عدلية شامپانية (Sénéchal de Champagne) ورتبة وزارة العدلية وحكم المقاطعة كانتا وراثيتين في عائلته منذ اجيال. وقد ولد حوالي سنة ١٢٢٤م. وفقد اباه في صغره ، فالتزم لذلك ان يقضي قسماً كبيراً من طفولته في بلاط تيبو الرابع ، حيث تمرّن على الفروسية . ولما كان في الثامنة عشرة ، ذهب مع الملك الى معركة تايبور (Taillebourg) ولكنه لم يخض فيها.

وما بلغ التاسعة عشرة ، حتى اراد الملك لويس التاسع ان يقومَ بالزحفة الصليبية السابعة . وجوانفيل كباقي النبلاء ، والاسياد ، التفّ حول لوائه ، وفي سنة ١٢٤٨م جمع كل رجاله ، وارباب الارض الذين تحت امرته ، واعلنهم بعزمه ، واصلح كل ضرر صار لهم من جانبه . ثم سار وفي زمرته تسعة فرسان ، وسبعمائة رجل تقريباً ، وبكل كبر نفس وعزّة ، سار الى الصليبية ، حتى انه لم يرد ان يلفت بصره الى قصره ، حيث ترك طفليه الصغيرين.

وفي ايلول سنة ١٢٤٨ ، امتطى البحر ، طالباً قبرس ، حيث التقى مع الملك لويس . وفي ايار ١٢٤٩ سافر برفقة الملك والجيش ، الى دمياط ، فحاصروها ، واستولوا عليها ، فالمنصورة حيث نشبت المعارك الحامية الوطيس ، وكان النصر في جانبهم ، ولكنهم لم يجنوا فائدة . وما لبث الجوع ان ضرب خيامه عليهم ، وانشب مرض مخيف اظفاره فيهم ، فاصاب الملك ، وجوانفيل وسائر الجيش . وعليه قرروا الانسحاب ، والرجوع الى دمياط . فاسر الملك في تورية وهو في الطريق ، وكذلك جوانفيل ، وكان راجعاً بالنيل. وبعد ثورات عديدة بين المسلمين ، ابرمت المعاهدة ، التي وافق فيها السلطان المقتول ، (ايار ١٢٥٠) . ومن ثم سافر الصليبيون الى عكاء . وهناك اراد البارونات الرجوع الى فرنسة ، ولكن لويس عقد مجمعاً ، وسألهم عن عزمهم ، فاجابوا بالرجوع عدا جوانفيل ، فانه اصرّ على البقاء في الاراضي المقدسة ، ناصحاً الملك

بذلك ، لان مسيحيي البلاد في حاجة اليه . فاستحسن الملك رأيه وبقي . واشتدّت اذ ذاك اواصر الصداقة بينهما ، وحصّن الملك كل المدن في فلسطين ؛ وعاش جوانفيل هناك بعظمة ، وكان يعامل فرسانه اصدق معاملة واطيبها .

لكن الموت لم يلبث ان انشب ظفره في والدة الملك ، وهي في فرنسة ، فاهتمّ الملك بالرجوع للاطلاع على شؤون دولته ، واقلع بصحبته جوانفيل في نيسان ١٢٥٤م . ولكن لما اراد الملك ان يستأنف الصليبية ، رفض هذا ، مجيباً الملك انه يريد البقاء ، كي يكمل واجبه نحو من هم تحت امرته . وعليه بقي في البلاط الملكي معززاً مكرماً محترماً من الجميع .

ولمّا ارادت الكنيسة ان تدرج القديس لويس في سلك القديسين ، سنة ١٢٩٧م ، استُدعي جوانفيل لاداء شهاداته عن مليكه ، الذي خدمه بحبّ واخلاص ، مدة وجوده تحت امرته ... وتوفي جوانفيل عام ١٣١٧ وقد شبع من الايام ، وبعد ان رأى في حياته اهم حوادث التاريخ في الشرق والغرب .

كتاب الخالد

كلمة عنه

ان كتاب جوانفيل لم يؤلف كتاباً واحداً من البدء ، بل كان في الحقيقة مذكراته الشخصية ، فلمّا اوحت الملكة اليه بعمل تاريخ القديس لويس ، كان من الصعب عليه ان يرتبه ويقسمه الى فصول متعادلة منسّقة . لان عمله هذا بمثابة مزيج من كتابين مختلفين قصداً وخطة ، اتمّ التخالف ، فخرج عمله ناقصاً ولكنه ثمين ، اذا اردنا ان ندرس حياة رجال ذلك العهد . فهو يرينا في القديس لويس ، رجلاً فارساً ، مسيحياً حقاً ، وبطلاً عظيماً ، لا يتراجع امام المعارك ، كثير الحلم عند الانتصار ، يحب والدته وزوجته ، وجميع اصدقائه . كما انه يبكي جنوده المصروعين في الصليبية . ولكنه قبل كل شيء ، كان قديساً ، لا يعمل عملاً إلّا ما يرضاه الله . وكذلك يرينا في جوانفيل صورة لرجال عصره ومستواهم الادبي ، وتعبدهم ، وحبهم للفروسية .

ومما يعطي هذا الكتاب صورة طليّة ، جذابة ، ويزيده افتتاناً ، ان جوانفيل قصّاص ماهر ، يعرف كيف يصوّر الحوادث . فهو يخبرنا ، بشكل خلّاب ، مغامراته وشعوره ، ويقص علينا قصصاً مطربة ؛ ويتنقل بقارئه من حادثة الى اخرى . يكتب عن كل شيء ولو كان تافهاً ؛ يجب ان يعرف كل شيء ؛ ويجب ان لا يفوته شيء . واسلوبه رائق ، وبه اسهاب يدل على عدم تمرّس بالكتابة . وكيف له ذلك وهو رجل سيف ، لا رجل قلم ! ولكن هذا الاسهاب ، في بعض الاحايين ، يكسبه حلّة جميلة ، طليّة . فان الاسلوب طبيعي لا تمثّل فيه ، يعطي صورة حيّة لذاك السيد العظيم ، الذي اودعه روحه العظيمة ، واراد ان يخلّد في ذلك ذكر مليكه الذي قضى شطراً طويلاً من حياته في خدمته .... وعلى كل حال ، فهو يمرّ مصوّراً الحوادث ، بريشة « الطفل المصوّر ، الذي تبهر الالوان عينيه ، ويدهشه كل شيء جديد » وهذا مما يزيد كتابه روحاً خفيفة ، تقرّبه الى القلوب وتشفع في نقصه .

ماذا يحويه الكتاب ؟
مقتطفات منهُ

ان كتابه هذا مزيج من عملين مختلفين ، قصداً ، وغاية ، وخطة . فانه بعد الانتهاء من المقدمة ، تحوّل الى ذكر فضائل القديس لويس ، وذكر نتف اخبار عن حوادثه في فرنسة ، وخوفه من الخطايا ، وبالاخص المميتة ، وعدله . ووصف الحفلات التي اقيمت ، قبيل الاهتمام بامر الصليبية ، وبعد ان اكثر من هذه ايّ اكثار ، وصل بنا الى حيث نريد ؛ اذ لا يهمّنا اليوم ، غير حوادث الصليبية . وذكر لنا كيف قام الملك لويس بها ، وكيف خطرت له الفكرة ... وهنا يقول :

« لقد حدث بعد ما ذكرته من الحوادث ، ان اراد الرب ، فاصيب الملك بمرض كان هكذا شديداً ، حتى تخيّل لاحدى النساء الساهرات عليه ، انه توفي ، وارادت ان تغطي وجهه بقماش . ولكن اخرى ، وكانت في الناحية المقابلة

للسرير ، لم تسمح ، مصرّة ان الحياة لا تزال تدبّ في الملك . وبينما هما في اخذ وردّ ، اذا بالملك قد استرد صوابه بعجيبة من الله وتكلم بعد ان كان اخرس ، فطلب ان يُعطَى الصليب . فسرّت الملكة سروراً لا يوصف ، حين علمت بما جرى . ولكن ما كاد يصل لعلمها عزمه على القيام بالصليبية ، حتى تبدل اغتباطها بالحزن العميق ، كأنها رأته ميتاً ، وهذا ما حدثتني به . . .»

هذا ما قرّره الملك سنة ١٢٤٤م ، ولكنه لم يأمر بالصليبية الّا في ١٢٤٨ . وهنا يصف لنا جوانفيل ، كيف قام هو بالسفر ، فانه في عيد الفصح من تلك السنة ، جمع كل رجاله ورؤساء اطيانه ، وقضوا ايام العيد ، في اعياد ورقص ، لان كلّا من اخوته ، وبعض الاسياد اقام يوماً للافراح . وفي يوم الجمعة من ذلك الاسبوع جمعهم ، قائلاً : « ايها السادة ، انني ذاهب عبر البحار ، وقد لا ارجع . فاذا كنت قد اخطأت الى احد ، او يطلب له حقاً مني ، او من احد رجالي ، فليتقدم ، وانا مستعد ، كعادتي ، ان اصلح خطائي ، وارد لكل حقه » ثم عمل ما فيه رضاهم . ومن هنا نستدلّ على تلك العادة الحميدة التي كانت تسري بين الصليبيين . اذ لم يكونوا يتركون بلادهم ، قبل ان ينالوا رضى جميع اهلهم ، ويصفوا حساباتهم مع رجالهم .

والآن فلنرَ كيف ركب الصليبيون البحر : « . . . في شهر آب ، استقلينا من مرسيلية مراكبنا . وفي اليوم الذي دخلناها ، فتح باب المركب ، وادخلوا هناك كلّ الخيل ، التي نريد اخذها معنا ، ثم اقفل الباب ، واحكم ايصاده ، لان الباب ينطس ، تحت الماء ، حين يصير المركب في عرض البحر . ولمّا ادخلت الخيل ، صاح الربّان في رجاله الذين كانوا في مقدمة المركب « أانتهى عملكم ؟ » فاجابوه : « نعم يا سيد ، وليتقدم الكهنة والقسس » ولمّا تقدم هؤلاء قال لهم : « ناشدتكم الله ان ترتّلوا ! » وبصوت واحد رددوا « Veni Creator Spiritus » ، ومن ثمّ صاح في البحّارة « انشروا القلوع ، باذن الله ! » وهكذا كان .

« وبعد مدة وجيزة ضربت الريح القلوع فامتلأت ، وغابت الارض عن نظرنا ، ولم نعد نرى سوى السماء والماء . وكل يوم كنّا نزيد امعاناً في البعد

عن تلك البلاد التي ولدنا فيها . حقاً انه من الجنون والتهوّر ان يركب احد هذا الخطر العظيم ، وهو مختلسٌ اموال الغير ، أو مرتكبٌ خطيئة ميتة ! فان المرء ينام غير عالم ، ايصبح عليه الصبح ، وهو في قعر البحر ! »

ثم يصف قدوم سفراء التتار ، وزيارة ملكة القسطنطينية للقديس لويس ، وهو في قبرس ، طالبة معونته ، ثم يصف لنا كيف كان قيامهم من جزيرة قبرس ، قال :

« ... قبيل عيد العنصرة ، امر الملك بنشر القلوع . ويا لهُ من منظر بديع لمركب الملك والمراكب الاخرى ، يخال المرء ان البحر مملوء بقماش القلوع . اذ كان فيه الف وثمانمائة مركب ما بين صغير وكبير . وقد القى المرساة في طرف اكمة تدعى ليميسو(Limisso)[1] . وفي عيد العنصرة وطىء الملك الارض ، وحين اقامة القداس ، هبّت ريح صرصر هائلة ، قادمة من ناحية مصر ، حتى ان المراكب تفرقت لشدتها ، ولم يبقَ مع الملك سوى سبعمائة فارس ، من الالفين والثمانمائة ، الذين قدموا معه . اذ ساقتهم الريح الى جهة عكاء ، والبلاد الاجنبية ، ولم يلتئم شملهم مع الملك ، إلّا بعد ردح من الزمن . »

ثم يذكر لنا قيامهم ثاني يوم العنصرة ، وقد سكنت الريح ، ووصولهم دمياط ، وهناك وجدوا جيش السلطان ، الملك الصالح ، قد ضرب خيامه على الشاطئ ، وبعد وصف وجيز للجيش ودمياط ، يحدثنا ان المسلمين استعملوا حمام الزاجل ، وذلك بقوله : « ... ان المسلمين ارسلوا رسائل ثلاثاً الى السلطان ، يطلعونه على مجيء الملك ... » ثم يخبرنا عن اخفاقهم في الحصول على ردّ ، وانخداعهم ، ثم دخول الصليبيين دمياط ، اذ يقول : « ... ولكن لمرض السلطان ، لم يرد لهم جواب ، فظنوا انه توفي ، فاخذوا دمياط ، وامر الملك (لويس) بفارس استكشاف . وهذا لدى رجوعه ، اخبر الملك انه دخل مسكن السلطان ، وتحقق هرب العدو . وعليه ارسل الملك ، واحضر

---

١) هي (Limassol) الحالية

رسول البابا والكهنة ، ثم رتلوا بصوت عالٍ « Te Deum laudamus » وبعدها تقدمنا والملك ، ونزلنا امام دمياط.

« وقد ترك « الاتراك » دمياط بغبارة ، اذ لم يهدموا جسور المراكب ، ولو فعلوا ، لسببوا لنا تعباً عظيماً. لكنهم سببوا لنا خسارة كبيرة ، لدى ذهابهم ، وقد احرقوا السوق ، المملوء بالبضائع ، والاشياء القيّمة ، وان هذا يماثل حرق « البتي بونت » (Petit Pont) [1]

ومن الذ المقاطع في هذا الكتاب ، والتي تدلنا على مبلغ بساطة جوانفيل ، وشدة شبهه بهيرودتس ، في نقل ما يسمعه ، ما تحدث به عن النيل انه يأتي من الفردوس الارضي ، قال.

« انه من الضرورة ان نتحدث عن النهر الذي يشق عباب مصر ، قادماً من الفردوس الارضي ، واحب ان ازيدكم علماً ببعض اشياء لما دخل بحديثي . فهذا النهر يختلف عما دونه من الانهار ، اذ ان هذه كلما قاربت المصب ، كلما زادت النهيرات والمجاري الصائبة فيها ؛ ولكن ليس في هذا النهر ، ولا ساعد واحد ، بل هو يخترق مصر في مجرى واحد ، ومن ثم يتفرع الى عدة فروع ، تمعن في قطع البلاد. . . »

ونظنه قد هوى به القلم هنا ، اذ يذكر ، ان فيضان النيل يحصل في اول تشرين الاول بينما يكون اذ ذاك آخذاً بالنقصان ، قال : « . . وحين يذهب « سان رامي » (اي اول تشرين الاول) تفيض السبعة نهيرات (فروع النيل) وتغطي السهول ، وحين تنخفض ، يأخذ المزارعون بحرث اراضيهم بمحراث دون عجلات ، فيزرعون الحنطة ، والشعير ، والكمون ، والارز ، وكلها تنبت جيدة ، حتى انه من الصعب ان يجنى احسن منها . وليس يدري احد علة فيضان النيل ، سوى انها ارادة الله . ولو لم تكن هي الحالة في هذه البلاد ، الخالية من الامطار ، لما نبت شيء فيها ، فحرارة الشمس تحرق كل شيء. . . »

---

١) سوق كانت على ضفة السين في باريس

كاننا بجوانثيل قد اخذ كلمة هيرودوت ، اذ قال « مصر عطية النيل» فأتى كلامه مطابقاً لها . ثم يستطرد:« ... النيل عكر دائماً ، والاهالي كي يحصلوا على ماء للشرب ، يضعون في وعاء اربعة حبات لوز او فول مكسورة ، ويتركونها لليوم التالي ، فيصبح ما في الوعاء بحالة صالحة للشرب . ومن عادة الاهالي ان ينشروا ماء شباكهم ، في عرضه ، وعند الصبح ، يجدون فيها كل الاشياء القيمة التي تخرجها تلك البلاد ، من خشب الزنجبيل ، والراوند ، والند ، والقرفة ، وغيرها. ويشاع انها تأتي من الفردوس الارضي ، والارياح تسقطها من اشجاره كما يحمل في البلاد ذاتها ، اذ تسقط الريح الاخشاب اليابسة فيه ايضاً . وما يجمعه التجار يبيعونه لنا.

«ومن غريب امر ماء النهر ، اننا اذ نضعه في اناء من تراب ابيض[1] ونعلقه بحبال الخيام ، يبرد كماء الينابيع ، حتى في اشد اوقات الحر .

« ويقال ان ملك « بابل » (Babylone)[2] احبّ ان يعلم مصدر النيل ، فارسل رجالاً لاستكشافه .... ولدى رجوعهم ، حدثوا انهم صعدوا النهر الى ان وصلوا امام صخور عظيمة ، عجزوا عن تخطيها ، ومنها ينصب النهر ، وقد تخايل لهم وجود ادغال كثيفة ، في اعلى الجبل . وحدثوا ايضاً ، انهم تلاقوا مع وحوش غريبة متنوعة ، كأسود ، وثعابين ، وافيال ، كانت تراقبهم من الشاطئ ، وهم يصعدون النهر.»

من هنا نستدل ان هؤلاء الناس ، الذين ارسلهم السلطان ، قد وصلوا بالقرب من اصوان ، حيث البلدة المعروفة اليوم بالشلال ، وحيث تكثر الجنادل ؛ وهي كانت في ذلك الزمن ، آهلة بالوحوش المفترسة.

ومن مقاطع الكتاب المفيدة ، واللذيذة ، ما نقرأه عند ما يحدثنا جوانثيل عن النار الاغريقية . هذه النار ، التي تعد من عجائب التاريخ ، والعمران ، والتي يرجع الفضل في اختراعها الى سوري اهتدى اليها . ثم تسلم اليونان

---

١) نظن ان هذا « الاناء من التراب الابيض » هو القلل التي لا تزال تصنع في مصر لهذا هذا.

٢) اي مصر القديمة [المشرق]

قلعة الحصن : منظر عام مأخوذ من طيارة ، والقلعة من بناء الصليبيين

عن صورة فرقة الطيران ٣٩ (39e Aviation)

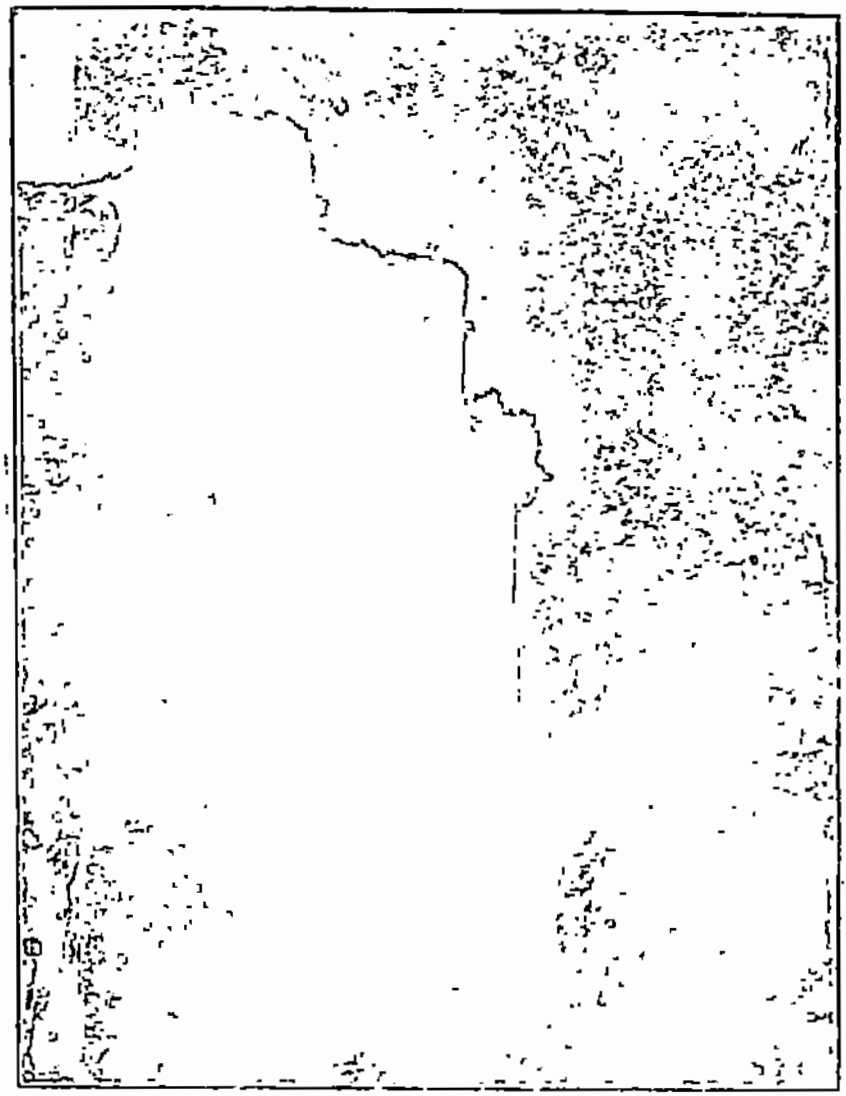

منظر تلة صهيون وهي من بناء الصليبيين ايضاً

عن صورة « هران » (اللاذقية) (Hran (Lattaquié))

اسرارها . ولذا دعيت باسمهم . ثم اهتدى العرب الى اسرارها ، واخذوها عن اليونان ، بعد ان احرقتم بنارها ، في حصارهم للقسطنطينية ، واودت باعظم جيش جنده الاسلام . وقد استعملوها في حروب الصليبية ، الى ان بطل استعمالها ، وضاعت اسرارها المتوارثة . ولم يعد في طاقة احد ان يدلّنا على موادّ تركيبها . فمن واهم انها من البارود ، وهذا خطل ، وبعيد الاحتمال والتصديق ، ومن مخمن انها من زيت النفط ، وهذا اكثر احتمالًا ، وهو ما يقوله بعض علماء الكيمياء في فرنسة اليوم ، وكل يتقوّل بما شاء . فهي من عجائب الزمان واسرار التاريخ الغامضة . وعليه فلذّ ما يقوله عنها وعن منظرها حين قذفها ، قال :

« في احدى الليالي ، اذ كنّا نطوف بالعسس ، بالقرب من القلاع[1] ، احضروا (الاعداء) آلة لم يستعملوها قبلًا ، يدعونها بالمنجنيق ، ووضعوا في مقلاعها النار اليونانية . ولما رآها السيد غوتيه دي كوريل (Messire Gautier du Curiel) الفارس الطيّب ، وكان بصحبتي ، قال لنا : « ايها السادة ، اننا سنجتاز اعظم خطر حصل لنا لليوم ، انهم سيحرقون قلاعنا . فاذا بقينا احترقنا ، واذا تراجعنا وتركنا الدفاع الموكل بنا ، ضاع شرفنا ، ومن المعلوم ، ان ليس ينقذنا من هذا الخطر سوى المولى ، ورأيي ، بل ونصيحتي لكم ، ان نركع على ركبنا ، في كل مرة يقذفوننا فيها بالنيران ، ونضرع الى الله ان يكفينا شر هذا الخطر »

(لها بقية)

---

١) هذه القلاع (Chats-Châteaux) هي عبارة عن ابراج متحركة تجرّ على دواليب . ونظن انما من الخشب الثخين ، لخوفهم من احتراقها ، حين القاء قذائف النار اليونانية عليها .

السفر الى الكواكب السيارة*

بقلم القس عبد المسيح زهر

١

هل التنقل بين الكواكب السيارة ممكن ؟

لا ريب انه متى استطاع الانسان وضع قدمه لاول مرة على احدى السيارات ، استطاع الوصول الى السيارات الاخرى والتنقل بينها . على ان آلة هذا السفر لا يمكن ان تكون منطادًا ، ولا طيارة تقف في الجوّ محمولة على اجنحة الهواء ، وفقًا لمبدأ ارخميدس بالنسبة الى المناطيد ، ولمقاومة الهواء بالنسبة الى الطيّارات ؛ اذ ان تأثير مقاومة الهواء يبطل على مسافة ١٠٠ كيلومتر فوق كرتنا الارضية . وهذه المسافة ما هي الّا شيء قليل لا يُعبأ به ، بالنسبة الى المسافات الشاسعة التي تفصلنا عن اقرب السيارات

فالمنطاد اذن ، او الطيّارة ، لا تمكن راكبها من قطع المسافة المرغوب في قطعها من الارض الى القمر مثلًا . ولذلك لا بد من اختراع آلة ، او واسطة اخرى نيلًا لهذه الغاية التي يسعى العلماء في التوصل اليها ، بالرغم من المصاعب التي تعترض دون نيلها .

ما هي اذن هذه الآلة ، او الواسطة ، وما قوامها ؟

قوامها ارسال جسم متحرك ، بعيدًا عن الارض ، يحتوي الاشخاص المباشرين سفرهم الى احدى السيّارات ، بسرعة كافية مقدّرة حتى يبلغ الجسم

---

* بتصرّف عن كتاب « السماء » لمؤلفه برجي (A. Berget)

المرسل ويتجاوز النقطة ، حيث يتوازن تجاذب الارض والكوكب المقصود ، اذ ان الخط المستقيم الجامع مركز الكرتين ينتهي الى نقطة تجاذب متساو . ومتى تجاوزت القذيفة المرسلة من الارض هذه النقطة ، وفارقت جاذبيّة كرتنا ، تواصل سيرها في الفضاء ، وتتبع خطاً مستقيماً الى ان تفضي وتصل الى وجهتها . وقد توهم جول ڤرن في رواية له قصصية عنوانها « من الارض الى القمر » طريقة مبلّغة هذه الغاية ، فتصوّر جماعة من المدفعيّين اضجرهم طول مدة التيلم ، يريدون ارسال قذيفة من الارض الى القمر وفي وسطها ثلاثة رجال ؛ واسند رأيه ، او بالحري تصوّره ، الى اقوال العلماء ، وما اتفقوا عليه من المبادئ العلمية المسلّم بها . فاذا رُكز المدفع وصُوّب الى فوق عمودياً ، في مكان من الارض ، يمرّ القمر في سمته بالوقت المراد ؛ واذا كان هذا المدفع محشوًا بكمية كافية من الفتيل الملتهب في وسعها ان تؤدّي القذيفة سرعة تفوق السرعة القائمة بين الكرتين ، امكنها ان تتجاوز منطقة جاذبيّة الارض . امّا تقدير هذه السرعة فهي ١١,٢٨٠ متراً في الثانية . ومتى تمت هذه الشروط وأرسلت القذيفة في ساعة معيّنة وفقاً لحركات القمر تمكّنت من الوصول الى وجهتها بكل سهولة . ولكن كيف يكون رجال في مركب معدّ للسفر من الارض الى القمر وكيف يقذف بهم ولا تتطاير اشلاؤهم عند ارساله بتأثير الانفجار ؟

هذا همّ العلماء ، وعلى تذليل هذه الصعوبة تحوم افكارهم . وقد دلّ العلّامة روبر اسنولت پلتري (Robert Esnault-Pelterie) على طريقة نظرية ممكنة في حدّ نفسها هذا ملخصها :

لمّا كان لا ينبغي الاعتماد على مقاومة الهواء نظراً الى قرب المسافة التي يُحتاج الى قطعها في جوّ الارض ، صرف هذا العلّامة فكره ليجد ، بواسطة علم الحيل والآلات ، محرّكاً لا يفتقر الى مسند ثابت ، يستطيع دفع مركب يُبنى لهذه الغاية . فهذا القول يظهر لاول وهلة غريباً كل الغرابة ؛ ولكن العلم يدلّنا على وجود هذا المحرّك القديم الذي هو السهم الناري (fusée)

ان السهم يندفع ولا يحتاج الى الهواء تتميماً لحركة اندفاعه ، بل يكون اندفاعه في الفضاء ، حيث لا هواء ، اسهل واكمل . اذن ارسال مركب في الفضاء

ليس مستحيلاً على اصحاب العلم ؛ لانهم اذا ارادوا اماتته عن مرماه ، فما عليهم الّا ان يميلوا الدافع ؛ واذا كانت حركات انتقال الدافع لا تمكنه من دورة تامة من كل جهة ، فيمكنهم ان يضعوا الى جانب الدافع الاصلي دافعاً آخر او دافعَين ، بهما يتم توجيه المركب وفق المرام.

امّا شروط ايجاد هذا السهم القادر على ارسال قذيفة ، بعيداً عن الارض ، فيجب ان تكون سرعته ١١٢٨٠ متراً في الثانية ؛ ومتى كانت سرعة القذيفة على هذا النحو ، او اكثر ، وبطلت مقاومة الهواء ، تبقى القذيفة سائرة نحو وجهتها . هذا وان تقدير العمل الواجب لإبعاد جسم ثقله كيلو فقط ، بعيداً عن الارض الى ما لا نهاية لهُ ، ينبغي ان يكون ٦,٣٧١,١٣٠ كيلوغرامترات بقوة تساوي العمل والحرارة ، بحيث تكون الحرارة بالغة ١٤,٩٧٠ وقدة . والحال ان كيلوغراماً خليطاً من الهيدروجن والاكسيجن يحتوي عند انفجاره على ٣٨٦٠ وقدة ، وكيلوغراماً من الفتيل الملتهب مخلوطاً بكلورات البوتاس ، لا يحوي سوى ١٤٢٠ وقدة . اذن الخلط المركب من هيدروجن واكسيجن يكاد لا يحوي الّا ربع ما هو ضروري لتخليص ما ثقله كيلو واحد من جاذبية الارض. اما الراديوم فان كيلوغراماً منهُ يبعث في حياته كلها ٢,٩٠٠,٠٠٠,٠٠٠ وقدة ؛ ويحتوي ١٩٤,٠٠٠ مرة على قوة اكثر مما ينبغي. وسوف نرى الشروط اللازمة لارسال هذا الجسم ، وللذين يباشرون السفر.

والآن هاك شرح الطريقة التي لا بد من استعمالها ، عند ارسال مركب قذيفة من الارض الى القمر مثلاً ، وترجيعه الى الارض . ولنفرض ان العمل يتم في ثلاثة اطوار :

١ً : ان الشيء المتحرك تزيد سرعته بالتدريج الى ان يبلغ سرعة التخلص من جاذبية الارض ؛ وهذه لا بد منها لوقاية سكّان المركب المدفوع.

٢ً : متى وقف الدافع ، يواصل المدفوع سيره مستقيماً بقوة الحركة المكتسبة.

٣ً : عند بلوغ النقطة المقصودة ، يُدار المدفوع ، ويصير المحرّك المسيّر بمثابة لجام ، لينقص السرعة ويبطلها بالكليّة حين الافضاء الى سطح القمر.

فاذا كانت القوة عند ابتداء السفر تعادل ١٠/١١ من ثقل المركب ،

يكون معظم المسافة ٢١/١١ من الشعاع الارضي ، اي ما يناسب علو ٥,٧٨٠,٠٠٠ متر فوق سطح الارض ، وتكون السرعة اذ ذاك ٨١٨٠ في الثانية . امّا الوقت اللازم لنيل هذه السرعة فهو نحو ٢٤ دقيقة و ٩ ثوانٍ . وبعد ذلك يواصل المدفوع سيره بقوة السرعة المكتسبة . وعند الوصول الى اعتدال التجاذب بين الارض والقمر ، تكون السرعة اضعف ما يكون ، اعني ٢٠٣٠ مترًا في الثانية ؛ ثم تأخذ في الزيادة بقدر قرب المركب من القمر ، حتى تبلغ حين وصولها الى سطحه ٣٠٦٠ مترًا في الثانية ؛ ان لم يكن لجام يضبطها . فاذن الوقت اللازم لقطع هذه المسافة ٤٨ ساعة و٣٠ دقيقة بالضبط. وقبل وصول المركب الى سطح القمر ، يجب تنقيص سرعة القذيفة ، ولذلك يُجعل مقدّمها مؤخرها ، ومؤخرها مقدّمها ، على بُعد ٢٥٠ كيلومترًا من القمر ؛ وهذا العمل يستغرق ٣ دقائق و ٤٦ ثانية . وعلى هذا النحو تكون مدة السفر من الارض الى القمر ٤٨ ساعة و ٥٨ دقيقة على وجه التقريب ؛ ومدة الرجوع موازية لذلك . غير ان الرجوع له شروط . اذا فرضنا مركباً وزنه ١٠٠٠ كيلوغرام ، منها ٣٠٠ كيلوغرام موادّ مؤونة السفر ، وفرضنا ان المحرك يقدر ان يمشي مدة ٣٠ او ٣٥ دقيقة ليستطيع القيام بعمله ، تكون النتيجة الحسابية : ان سرعة دفع سائل السهم القذيفي حين انفجاره ٦٥,٣٠٠ متر في الثانية ، ويكون معدّل الكيلوغرام الوقودي ٥١٢,٠٠٠ وقدة ؛ لكن خليط الهيدروجن والاكسيجن حين انفجاره يحوي ١٧٣ مرة اقل ؛ بينما ان الموادّ المنفجرة الاشدّ قوة تحوي ٣٦٠ مرة اقل ايضاً . امّا كيلوغرام الراديوم فيحتوي على ٥٧٦٠ اكثر من اللازم. غير ان قوة المحرّك اللازمة لدفع المركب الذي نقله ١٠٠٠ كيلو ، يجب ان تكون قوة ٤١٤٠٠٠ حصان بخاري.

ومتى ارتفع المدفوع وسار في الفضاء ، وواصل المحرّك عمله بعد السرعة العظيمة وبلغ سرعة ١٠ كيلومترات في الثانية ، وحفظ هذه السرعة ؛ تكون مدة الوقت للوصول الى اقرب سيّارة الى الارض حين القِران هكذا : الى الزهرة ٤٦ يوماً و٢٠ ساعة ، والى المريخ ٩٠ يوماً و١٥ ساعة. على ان المركب متى ارتفع وابتعد عن الارض ، وفارق جاذبيتها ، يواصل سيره ولا يؤثّر في

سرعته جاذبيّة الارض . وجملة القول ان الصعوبة كلها متوقفة على غلب جاذبية الارض ؛ فاذا تمكن الناس من تذليل هذه الصعوبة ، تيسر لهم الوصول الى السيّارة التي يريدونها سواء كانت قريبة او بعيدة ؛ ولكن على شرط ان يجعلوا مركبهم صالحاً للسكن ، محكم الاغلاق.

٢

شروط هذا السفر

بينّا في كلامنا السابق شروط آلة هذا السفر ، وامكانه من حيث الآلة الموصلة بطريقة نظرية . غير ان المركب آلة السفر يجب ان يكون قادراً على تضمّن بعض الاشخاص لتتم غاية السفر . فمن اهم الشروط التنفّس اعني تجديد الهواء الملاصق ؛ وتجديده ممكن بوضع مواد كيماوية ، ضمن المركب ، لتلاشي الحامض الكربوني الناتج من النفَس ، وبتوليد الاكسيجن من مركّب آخر . وكما انهم توصلوا الى تجديد الهواء الملاصق في الغوّاصات تحت الماء ، فهم قادرون على ذلك ضمن المركب المسيَّر في الفضاء . وفضلاً عن التنفّس ، هناك ايضاً مسألة الحرارة ، اذ ان القذيفة المركوبة تتعرّض اثناء سيرها بين الكواكب للبرد الشديد ، ٢٧٣ درجة تحت الصفر ، وهذا هو الصفر المطلق. ولكن الاختراعات الحديثة قادرة على سدّ هذا الخلل ؛ فان القناني المدعوة « ترموس وماجيك » الحافظة الحرارة والبرودة ، تدلنا على امكان تجنّب البرد وحفظ الحرارة . وقد ذهب العلّامة اسنولت بلتري الى انه في الامكان صنع مركب ، نصفه الخارجي من معدن صقيل ، منفصل بالحرارة عن الداخل ، ونصفه الآخر من نحاس مأكسد ، مكوّن سطحاً مضاداً اسود . فاذا اتجه الوجه الصقيل الى جهة الشمس نقصت الحرارة ، واذا اتجه الوجه الاسود الى اشعة الشمس زادت الحرارة . اذن تذليل هذه الصعوبات ممكن مبدئياً.

لقد فرضنا انه في الامكان جعل سرعة المركب المتحرّك في ابتداء سيره مساوية ١٠/١١ بالنسبة الى ثقله ، وذلك الى بُعد ٥٧٨٠ كيلومتراً عن الارض. ولكن اثناء السير يشعر المسافرون بان ثقلهم يبلغ الجزء العاشر من احد عشر، وقد يرجى ان هذا الاحساس لا يؤذي الجسم البشري . غير ان الامر الذي

يخشى كثيراً هو ما يصيبهم عند وقوف الحركة الدافعة ؛ لانهم يصبحون حينئذٍ بلا ثقل ، ويشعرون بسقوط فجائي في وسط الفضاء ، ولربما الجسم البشري لا يقوى على احتماله . فتلافياً لذلك يجب اختراع سرعة صناعية دائمة ، ناتجة من المحرك ، لتقوم مقام قوة التجاذب عند زوالها . فاذا كانت هذه السرعة مقدّرة مناسبة لسرعة الثقل ، شعر المسافرون بثقلهم الطبيعي اينما كانوا . غير ان هذه الوسيلة تعترضها صعوبة كبيرة بالنسبة الى كمّية القوة اللازمة ، تزيد في صعوبة تحقيق الشروط التي رأيناها ؛ لاننا اذا قدرنا وجوب ادارة المركب على مسافة من الارض تعادل ٢٩,٥ شعاعاً ارضياً ، وجدنا السرعة تبلغ اذ ذاك ٦١,٧٠٠ متر في الثانية . هذا وان المركب متى أُدير يجب ان يُلجم بقوة تعادل ثقله الارضي . ففي هذه الحالة يكون الوقت اللازم للوصول الى القمر ٣ ساعات و ٥ دقائق . ولكن العمل اللازم للقيام به يبلغ ٦٧,٢٠٠,٠٠٠ وقدة بالنسبة الى كل كيلوغرام من الوقود ، اعني ١٣١ مرة اكثر من الطريقة السابقة . على ان الديناميت يصحّ ان يكون خزّاناً لتلك القوة التي هي ٤٧,٣٠٠ مرة اضعف ؛ بينما الراديوم يحوي ٤٣٣ مرة اكثر . وبالجملة ان القوة الضرورية لذلك يجب ان تكون قوة ٤,٧٦٠,٠٠٠ حصان بخاري .

واذا فرضنا هذه الطريقة ، طريقة الدفع الدائم ، لمباشرة السفر الى السيارات القريبة ، واردنا تقدير مدة الاسفار ، وجدنا معظم السرعة التي تحصل عند مباشرة السفر الى الزهرة ٦٤٣ كيلومتراً في الثانية ، و ٨٨٣ كيلومتراً عند مباشرة السفر الى المرّيخ ، فيستغرق الوصول الى السيّارة الاولى ٣٥ ساعة و ٤ دقائق ، والى الثانية ٤٩ ساعة و ٤٩ دقيقة . وهذه الاعداد مأخوذة عن مقال ممتع نشره العلّامة اسنولت بلتري سنة ١٩١٢ .

لا ريب ان هذه السرعات العظيمة التي رأيناها لمّاً يدهش العقل ؛ غير ان كثيراً من الاجرام السموية خُصّت بسرعة من هذا النوع ، وبعضها خُصّ باعظم منها . وعلى كل حال فان الراديوم ، والاجسام المشابهة له الممكن اختراعها ، تقدر على تحقيق شروط القوة والعمل الكافي لنيل الغاية المراد بلوغها .

اننا اذا فرضنا انه عندنا ، وتحت تصرفنا في المركب الذي يبلغ وزنه

١٠٠٠ كيلو ، ٤٠٠ كيلو من الراديوم ، وقدرنا ان نستخلص منها القوة اللازمة في الوقت المناسب ، كانت هذه الكمية كافية لقطع المسافة القائمة بين الارض والزهرة ، وللرجوع الى الارض. ولكنها لا تكفي للذهاب الى المرّيخ والاياب منهُ ، ومن ثم يُحتاج الى مستودع اكبر متى كان السفر ابعد.

وما عدا هذه الوسيلة ، يمكن ارسال مركب في الفضاء بغير طريقة الدفع ؛ وذلك بوضع دولاب في قاب المركب ، فيدور عند ابتداء السير دوراناً ثقيلاً ، ثم تزداد سرعته بالتدريج ، حتى يفارق جاذبيّة الارض . وقد اتخذ العلماء مثالاً لهذا الدولاب ، دولاب باريس الكبير ، ولكنهم اشترطوا فيه ان يكون اقوى في تركيبه ، ليقوى على مقاومة الجهد الآليّ الذي تكسبه اياه السرعة اللازمة ، اعني ٤٠ دورة في الثانية. فاذا كانت دائرة هذا الدولاب ١٠٠ متر ، استطاع في اربعين دورة ان يولّد سرعة ١٢ كيلومتراً في الثانية ، وهذه السرعة كافية لإبعاد المركب عن جاذبيّة الارض . غير ان هذه الوسيلة صعبة جداً ، وهيهات ان تتحقّق ؛ لانه لا يمكن بواسطتها تسيير المركب في الفضاء ، ولا يُستطاع الجامه قبل البلوغ الى الكوكب المقصود ، ولا وسائل فيه تمكّن ركّابه من الرجوع الى الارض ثانية. ولا ريب في ان ذكر هذه الوسائل النظرية لا يخلو من بعض الفائدة ، اذ انها تدلّ على امكان نظريّ لمفارقة الجاذبية الارضية التي تمسك الانسان على سطح هذه السيارة الصغيرة.

هذه هي آراء العلماء ونظرياتهم في شأن السفر الى الكواكب المتحيّرة ، فهي في حدّ نفسها ممكنة ؛ امّا تحقيقها فلا يمكن الجزم به . اما ان كل تلك الاختراعات ابتدأت بدرس نظري ثم بتجارب ، ثم تحققت وتمّت ؟ فلا يبعد انهم سيبدأون تجاربهم بارسال مركب في الهواء لكي يتحققوا في اول الامر مفارقته جاذبية الارض ، ثم يعمدون الى انشاء مركب جامع الشروط اللازمة لحياة ركّابه ، فيتيسّر لهم الذهاب الى القمر والاياب منه ، والتنقّل من سيّارة الى سيّارة ، ويستطيعون معرفة سكان المريخ ، ومخاطبتهم باللسان ؛ ان كان ثمّ سكان يعرفون احدى لغات الارض ؛ وبهذه الواسطة ينزلون الينا ونصعد اليهم ، ويزوروننا ونزورهم ، ويرسلون الينا من حاصلاتهم وصناعاتهم وكالياتهم !

الابجدية الصائتة والكرشة

بقلم الاب مرمرجي الدومنيكي
من اساتذة المعهد الكتابي والاثري الفرنسي
في القدس الشريف

غير خاف على ذوي الشأن ان موضوع « الألسنية السامية » لغات متعددة ، لكل منها الجدية متميزة ؛ وغير خاف ايضاً ان مقابلة هذه الالسن بعضها ببعض تطلب سرد الفاظ وعبارات مستخرجة منها جميعاً ، ايضاحاً للبحث ، وسنداً للقول . على ان ايراد مثل تلك الشواهد بابجديتها الخاصة لمما يعسر غالباً اجراؤه في المطابع ، وليست بهيّنة قراءته على كل باحث . فتذليلاً لهذه العقبة ، قد اعتاد « علماء الألسنية » في الديار الغربية ، ان يوردوا تلك النصوص المتضاربة الكتابة بابجدية واحدة ، هي ما يمكن تسميته : « بالابجدية الصائتة » (alphabet vocalique) المباينة « للابجدية الصامتة » (consonantique)

الابجدية الصائتة هي التي تقوم على الحروف الصامتة (consonnes) والحروف الصائتة (voyelles) معاً ؛ والكلمات في لغاتها مركبة من هذين الضربين من الحروف ؛ خلافاً للابجدية الصامتة التي لا تتوقف الا على الحروف الصامتة او تكاد ؛ والفاظ ألسنتها لا يدخل في تركيبها حروف صائتة ، بل يقوم مقامها علامات او نقط توضع ، اذا استعملت — واغلب الاحيان لا تستعمل — فوق الحروف الصامتة او تحتها .

الابجدية الصامتة هي الابجدية الفنيقية القديمة التي عمّ استخدامها بين اكثر الساميين ، واستمرت عندهم على حالتها الاولى . اما اليونانيون ، فلمّا اتخذوها ووجدوا فيها حروفاً تربو على ما تقتضيه اصوات لغتهم ، انزلوا هذه الحروف الزائدة منزلة حروف صوتية ، وهكذا اضحت لديهم الابجدية الصامتة ابجدية

صائتة . وعلى يد اليونانيين انتشرت الابجدية الفنيقية ، بهيئتها الجديدة ، بين الامم الغربيـــة ؛ واذ كان اول من تسلمها من اليونانيين الشعوب اللاتينية ، سُمّيت ولا تزال مسماة الى اليوم « الابجدية اللاتينية.»

على ان هذه الابجدية الصائتة ، من حيث عدد حروفها الصامتـــة ، غير كافية لاداء كل الحروف الساميَّة ؛ مما حمل المستشرقين على وضع علامـــات حديثة لها . لكنهم ، وان اتفقوا على شكل اغلبها ، فقد بقي منها شيء لا تؤدّى صُورَتُه ، حتى الآن ، على نمط واحـــد ، في جميع الاقطار الاوربية ، والمعاهد العلمية . ومهما يكن من الامر ، فدونك جدولاً للحروف الجديدة بصورتها الاكثر شيوعاً ، مع ما يقابلها من الحروف في اللغات السامية ؛ الّا الاكدية ، فانها هي التي ، اكثر من غيرها ، تُنقل بالابجدية الصائتة ، المضاف اليها هذه العلامات الحديثة ، لكون كتابتها الاصلية مسمارية مقطعية.

الحروف الاضافيّة في الابجدية الصائتة	عربيّة	سريانيّة	عبريّة	حبشيّة
ʾ	أ	ܐ	א	ሀ
ḫ	ه	ܒ	ב	ገ
ḫ	غ	ܓ	ג	॑
ḏ	ذ	ܕ	ד	॑
ḥ	ح	ܗ	ה	ሐ
w	و	ܘ	ו	ወ
ṭ	ط	ܙ	ז	ጠ
y	ي	ܚ	ח	Ꮏ
ḫ	خ	ܛ	ט	Ꮏ
ʿ	ع	ܝ	י	Ꮏ
s	ص	ܟ	כ	Ꮏ
q	ق	ܠ	ל	Ꮏ
š	ش	ܡ	מ	Ꮏ
ṯ	ث	ܢ	נ	Ꮏ
ḍ	ض	ܣ	ס	Ꮏ
ẓ	ظ	ܥ	ע	Ꮏ
ḡ	ج	ܦ	פ	Ꮏ

واما بقية الحروف فهي متشابهة الصوت في كل من الابجديات السامية والابجدية اللاتينية . وهذه هي التي أقدم الترك مؤخرًا على استخدامها لكتابة لغتهم . ونعمَ ما فعلوا ؛ اذ انهم رأوا الخلل ، فعزموا على سدّه بارادة حديدية ابلغتهم مرامهم . ويا ليتنا حذونا حذوهم في هذا الامر الخطير ، لاصلاح لغتنا ، لان نقص الكتابة العربية بَيّنٌ لا ينكره الّا مكابر ، او متعصّب تعصُّباً اعمى . امّا من جهة تسمية الابجدية الجديدة ، فيمكن ان نبقي لها اسم « اللاتينية » من باب الاطلاق ، لان معظم حروفها او اساسها الابجدية المسفورة ؛ لكن من باب التدقيق ، لا يسوغ ذلك ، لانه قد زيد عليها نحو ١٥ حرفاً لم تكن من عدادها ؛ او ان نطلق عليها اسم « الابجدية المُستشرقيَّة » لان المستشرقين سعوا في ايجاد هذه الحروف الاضافية . بيد ان اوفق تسمية لها هي « الابجدية الصائتة » لما في ذلك من الدلالة على خاصّةٍ فيها جوهرية ، خالية منها ابجديات اللغات السامية ، اي تضمُّنها الحروف الصائتة ؛ فضلًا عن انها بهذا الاسم لا تعزى الى بلدٍ من البلاد ، او شعب من الشعوب ، او طائفة من الطوائف ؛ ممّا من شأن خلافه ان يثير عادةً ، على المجدّدين او المستحدثين في قوم من الاقوام ، ثائر الفئة المتعصبة التي يدفعها دافع العواطف ، ولا يقودها قائد العقل ، فتتوهم ان استعارة بعض الامور من قوم غير قومها ، وان كان مفيداً ، فهو من قبيل المذلة والعار .

هذا واذ كانت كتابة او نقل اللغات السامية بابجدية غير الابجدية المختصة بكل منها أمراً مستحدثاً بين علماء المشرقيات ، فقد وضعوا له فعلًا خاصًّا هو فعل : translittérer او transcrire ؛ والاسم المصوغ منه هو translittération او transcription . فوجب علينا نحن ايضاً ، وقد اخذنا نقتفي اثرهم ، ان نستحدث ، في لغتنا العربية ، فعلًا لهذه الغاية . وعندنا ان احسن لفظ يؤدي هذا المعنى هو فعل « كَرْشَنَ » والاسم منهُ « كَرْشَنَة » واسم المفعول « مُكَرْشَن » ومأخذُ هذا الفعل من كلمة « كَرشوني » المطلقة على الخط السرياني المكتوب بهِ كلام منطوقه عربي ؛ اي كلام لغة ذات ابجدية خاصة ، مُصَوَّرٌ بابجديةٍ غريبة عنها . ومن باب التوسّع يسوغ ان نطلق اللفظة على كل

لغة تكتب بغير ابجديتها ، وهو المطلوب من هذا الوضع الحديث. فنقول:

كَرْشَنَ transcrire, translittérer

كَرْشَنَة transcription, translittération

نَصٌّ مُكَرْشَن . un texte transcrit ou translittéré

امّا اصل لفظة « كَرْشُوني » فقد اختُلف فيهِ غاية الاختلاف . من ذلك قول بعضهم انها آتية من اسم رجل من بين النهرين كان يُدعى « كرشون » ؛ وادعاء غيرهم انها مشتقة من فعل « grnš » السرياني . الّا ان الرأي الصائب في نظرنا هو رأي العلامة المطران دريان الماروني القائل بانه اسم قلم من الاقلام السريانية ، ومشتق من فعل « Kreḥ » الدال على الاستدارة ؛ ومنهُ لفظة « Karḥâ » اي المستدير . وفي العربيــة كلمة « الكرخ » تطلق على جانب بغداد الغربي ، المقابل لجانب الرصافة ، لان المنصور بناها مدينةً مدوَّرة . ولا شك ان هذا الاسم كان مُتداوَلًا بين السريان المشارقة النساطرة ، سكان العراق قبل العرب . وتصغير « Karḥâ » هو « Karḥûnâ » . والقلم المستدير هو ما يدعى بالخط السرياني المغربي المستعمل عند السريان الموارنة ، والسريان الكاثوليك واليعاقبة . وسُمّي بذلك خلافاً للخط الاسطرنجيلي او النسطوري المربع الشكل ، او ذي الزوايا . وقد قُلبت كافهُ الثانية شيناً ، كما قلبت في كلمة «شُرطونيَّة» الدالة على «وضع اليد او الرسامة» للاكليروس. والشرطونية تعريب اللفظة الواردة في السريانية «Kiritûniâ» وهذه عينها لفظة يونانية مُسَرْيَنَة

ودونك ، فضلًا عن كل هذا ، شهادة الدويهي الشهير ، في ذا الشأن ، قال في تاريخ الازمنة : « وضبطنا اسامي النسّاخ الذين وقفنا على كتبهم ، ينوفوا عن ماية وعشرة في الجيل القادم [الصحيح : الجيل الماضي] وحده . فهملوا (كذا) في الخط الاصطرنكالي « المربع » ، وتمسكوا بالسرياني « المدوّر » . والظاهر ان الخط الكرشوني اي المدوّر يرقى استعماله الى القرن الرابع عشر[1]

---

١) راجع المشرق (٧[١٩٠٤] ٧٨٦ ... و ٨٨٠)

رسالة قديمة

من كاتب مطران الروم في اللاذقية
الى البابا الكلمنضوس الحادي عشر

نشرها حضرة الخوري قسطنطين الباشا ب. م.

عندي مجموعة جليلة من مراسلات قديمة ذات شأن في تاريخ الشرق المسيحي، ولاسيما تاريخ طائفتنا الروم الكاثوليك، نقلتها عن سجلّات مجمع انتشار الايمان المقدّس في رومية، اخترت منها هذه الرسالة لتنشر في مجلّة «المشرق» الكاثوليكية لبيان الاسلوب الذي كان يكتب به الشرقيون للاحبار الرومانيين في ذلك العهد

ومرسلها وكاتبها كان كاتباً قانونياً رسمياً في ديوان مطران الروم، في ابرشية ومدينة اللاذقية، كما يظهر من امضائه فيها. وكان ابوه كاهناً جليلاً فيها يحمل لقب ايكونوموس، واسمه موسى من بيت روما. وكذلك كان ابنه كاهناً فاضلاً، وعالماً مشهوراً، من نجباء تلاميذ مدرسة مجمع انتشار الايمان المقدس في رومية، وهو القس سليمان اللادقاني؛ وله مؤلفات لاهوتية ذات شأن. ومن معرّباته من اللاتينية تأمّلات القديس اوغسطينوس اليومية بعبارة واضحة بغاية الجلاء. وقد قضى مدة من حياته عاملاً في مكتبة الواتيكان الشهيرة في رومية.

ومن تاريخ هذه الرسالة سنة ١٧١٧ يظهر انه كان لكاتبها تلاميذ كثيرون من طائفة الروم الكاثوليك حينئذٍ في اللاذقية رحلوا عنها او اتبعوا طائفة اخرى. واذا كان يقال انه يسوغ ان يكون كاتبها غير كاثوليكي في معتقده، فاكرم به من كاتب بارع يعرف منزلة الاحبار الرومانيين والقاسم القانونية، ويستخدمها بكتابته الرسمية لهم، وهي مطابقة لرسالة البطريرك كيرلّس الحلبي التي كتبها الى البابا المذكور في السنة ذاتها، وقد نشرناها في سفرة البطريرك مكاريوس الحلبي في صفحة ١٣٩، وهي تُعتبر منها من افضل واعدل الشهود في هذا الباب.

عن دير المخلص ٢٧ ك ٢ سنة ١٩٣٩

الخوري قسطنطين الباشا ب. م.

الرسالة

تقبيل ايادي سيدنا الحبر الاعظم وخليفة بطرس الرسول اكلمنضوس بابا رومية المسكونة

من بعد تقبيل الاعتاب الابوية والسجود للحضرة المولوية. الفاخرة السنية . الباهرة القوية . صاحب الاسم الذائع. والسيط الشائع . عمدة البطاركة الاخيار. وزين الابا الابار [كذا]. خامس الانجيليين الاطهار. وثالث عشر الرسل الاحبار. ذو الايمان القويم. والراي السديد المستقيم . المهذب النفوس بقوة تعاليمه الروحانية . ومهدي الخراف الى السبل المستقيمة الالهية . وجاذب قلوبهم من الاعوجاج الى الطريق السليم. ومثبتهم في قاعدة الايمان المستقيم . كنز العلوم السامية. ومينا من الخوف حامية . الكوكب الساطع بالبيعة الغربية. والذائع الاسم بسائر الآفاق الشرقية. اب الابا الجليل. ورئيس الروسا النبيل . حضرة من حرر اسمه اعلاه . طال عمره ودام علاه. بحرمة والدة الاله. ونفعنا الرب بصالح دعاه. امين

اما بعد فالذي نبديه للحضرة الشريفة. ونعرضه على المسامع الظريفة . انه يوم تاريخه حضر لعندنا مكتوب من اخينا واقل تلاميذكم نقولا بعث يقول فيه انه اسير اخذه قرصان المسلمين وباعوه في الجزائر فلما سمعنا هذا الخبر صار عندنا غيظ عظيم وطالب النجدة من جميع الناس . وانا طالب النجدة من الله ومن قدسكم . بما اناك الراعي الصالح لتخلصوه من السبي ومن يد الاعدا وما لنا ملجا ومسعف غير الله وحضرتكم لان جميع افكارنا عنده وجميع تلاميذ قدسكم الموجودين عندنا يقبلوا ايديكم مع الاقدام ومني تقبيل الايادي الكرام ثانياً وثالثاً

حرر في ٥ ايار سنة ١٧١٧

من اقل التلاميذ

الخوري انطونيوس

كاتب ابرشية اللاذقية

كتابان في الخيل

بقلم الاب انطون صالحاني اليسوعي

أهدى إلينا استاذ اللغات السامية في جامعة رومة ، العلّامة جرجس لَوي دَلّا ويدا ، كتابين في جلدٍ واحد طُبعا في مطبعة بريل بليدن من اعمال هولندة ، على نفقة الوقفية التذكارية للمستشرق المرحوم دي غوي.

عنوان الكتاب الاول: « كتاب نسب الخيل في الجاهلية والاسلام واخبارها تأليف ابي المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي. » وعنوان الثاني: « كتاب اسماء خيل العرب وفُرسانها . تأليف ابي عبدالله محمد بن زياد الاعرابي. » وهما رواية ابي منصور موهوب بن احمد الجواليقي.

ان هذين الكتابين هما جزءٌ من نسخة خطّية محفوظة في خزانة الاسكوريال في اسبانية ، وهي موسومة بالعدد ١٧٠٥ من اعداد الكتب العربية. وتحتوي هذه النسخة على كتابَي الخيل المذكورين. وعلى نسب عدنان وقحطان للمبرّد. وكتاب الابل للاصمعي . وكتاب الامثال لابي عكرمة بن عمران الضبّي . وما يذكَر ويؤنَث من الانسان واللباس . وغيرها . والنسخة بخط الجواليقي ؛ وهذا مما يُكسبها اهمية. وألفاظها جميعها تقريباً مضبوطة بالشكل الكامل. الّا ان حضرة الاستاذ اكتفى بوضع الحركات والضوابط في ابيات الشعر الواردة في كتابَي الخيل ؛ واذا دعت الضرورة ، في بعض الفاظ المتن النثري ايضاً.

خصّص حضرة الاستاذ عناية لا مزيد عليها لجعل هذه الطبعة مفيدة رغماً عن جفاف الموضوع . فانه عالم بتاريخ قبائل العرب ، وبما كتب عنها الأدباء ؛ فلا يرى دُرّة الّا التقطها ورصّعها في الحواشي . فمن يطالع هذه الحواشي يرى

نوراً ، ولذّة ، وفائدة . الّا انه يحتاج الى مكتبة عامرة ليقف على النصوص التي يشار اليها فيها . وقد أُلحق الكتاب بفهارس واسعة مرتّبة على حروف المعجم : منها فهرس لاسماء الافراس ، وآخر لاسماء الرجال والقبائل والشعراء والرواة وغير هذه من الاعلام ؛ وفهرس ثالث لاسماء المواضع والأيّام . وكنّا نودّ لو وُضع فهرس للقوافي لان الكتاب يحتوي نحواً من ٤٣٠ بيت شعر . حتى انه يمكن القول ان الكتاب مؤلّف من اسماء الفرسان والافراس وابيات شعر تُذكر فيها هذه الافراس .

عدد صفحات الكتاب ١٧٦ ، منها مائة للمتن والحواشي الوافرة المُثبتة في اسفل الصفحات ؛ و ٤١ للفهارس ؛ و ٣٥ للمقدمة التي هي كالحواشي باللغة الفرنسية .

هذا وقد عثرنا على بعض اغلاط يُعزى مُعظمُها لصفّاف الحروف ، منها :
^{2}١٤ تحب = تحت ^{8}١٥ في اللسان ١٨ : ٢٤٦ يُروى عليهم ... يدعوهُمُ (كما في كتاب ابن الاعرابي ^{4}٦٨) ^{1}١٩ كأشلاء = كأشلاء (راجع ^{8}٥٨) ^{1}٢٤ لم اكذّبُ = لم اكذّبِ ^{2}٢٧ لا تردّه = لا تردّه ^{1}٣١ ظَلَلتُ = ظَلِلتُ ^{5}٣٣ ذُبابَي = ذُنابَي (بالنون بعد الذال) ^{10}٤٣ إلّا = لَمّا ^{12}٥٧ إنَّ الرحمنَ = إنِ الرحمنُ ^{2}٦٢ وفارسُ = وفارسِ ^{10}٧٨ أريدَ = أُريدُ ^{11}٨٠ يجدلُ = يجدَلِ . تدأَلْ = تَدأَلُ (إقرأ) ٨١ خرباء (في الحاشية ؛) = حرباء ^{11}٨٢ طُوالةَ = طُوالةُ ^{1}٨٧ بيت الاخطل يروى في ديوانه ^{1}٢١٠

وبهذه المناسبة نورد سبعة ابيات من قصيدة للاخطل[1] وصف بها سباق الخيل فاجاد . وذكر اسماء ثلاثة افراس من ثمانية تتابعت في السباق ، على عهد الخليفة معاوية ، وهي التسريح ، والدهماء ، والصلتان . ولم يَرد ذكر لهذين الفرسين الاخيرين في الكتاب الذي نتكلم عنه . وذكر ايضاً صاحب الفرس السابق ، وهو يزيد بن معاوية ، الممدوح في القصيدة ؛ ومكان السباق شرقيّ مُعتق في اراضي حمص ؛ ومدى السباق تسمون غلوة والغلوة رمية سهم ؛ ومحفل القوم الحاضرين السباق ؛ والرهان ؛ والجريي (Jockey) راكب الدهماء التي

١) ديوان الاخطل ٢٣٢ – ٢٣٧

سبقت. وما احسن وصف الشاعر للافراس المُرسَلة فيرينا اياها في سرعة جريها ، تنسف الحصى بحوافرها الى كل جهة . وخصّ الحصى بانه حصيّ . وشبّه الفرسين السابقين في انحدارهما ، لمّا استحماً اي عرقا ، برجلين عريانين . وصوّر لنا البربري تخفق ثيابهُ كأنّ ريحَ إعصارٍ تُطيرها.

فلَدَى قراءتنا ابيات الاخطل العامرة يُخيَّل الينا اننا نُشاهد سباق الخيل في لونشان بباريس او في أسكوت بالقرب من وينذور بانكلترة ، وذلك الف ومائتي سنة قبل سباق الفرنسيين والانكليز . والارجح عندنا انّ سباق الخيل كان قبل الاسلام بزمان.

أتاني ، وأهلي بالازاغبِ(١ انهُ ... تتابع من آل الصريح ثماني(٢
جُمعنَ ؛ فخصَّ اللهُ بالسبق اهلَهُ ... على جنبه من عخلٍ ورهانِ
فلمّا علَونَ الارضَ ، شرقيَّ مُعتقٍ ، ... ضرَحنَ الحَصَى الجِصْميَّ كلَّ مَكانِ(٣
ولما ذَرعنَ الارضَ(٤ تسعين غلوةً ، ... قطَرتِ(٥ الدهماءُ بالصلَتانِ
كأنهما ، لمّا استحماً واشرقا ، ... سَليبانِ من ثوبَيهما صَردانِ(٦
كأنّ ثيابَ البربريّ تُطيرُها ... أعاصيرُ ريحٍ زَفزَفٍ زَفَيانِ(٧
ولما نأى الغايات جدّاً كِلاهُما ... فلا وِردَ الّا دُونَ ما بَردانِ

وقد ورد ايضاً في ديوان الاخطل ذكرُ الصريحَ (*١٦٢ و ١٠٢١) وذي العُثّال (*١٦٢) وحلّاب (٧١٦٦) وغُراب (١٢١) وخرّوب (٨٢٩٥) « فرس النعمان بن قريع بن الحرث احد بني جُشم بن بكر » (التاج) . والنسب الى اعوج (٦٢٠ و ٤١٨١)

فنشكر حضرة الاستاذ دَلّا ويدا ، ولجنة وقفية دي غوي ، على هذه الهدية راغبين ان يداموا على نشر كتب الآداب العربية بمثل هذه العناية.

---

١) الازاغب: موضع في ديار بني تغلب قوم الاخطل
٢) ثماني افراس جئنَ ولاء سابقات في حلبة كانت ليزيد بن معاوية . والصريح فرس كريم كان ليزيد. قال الشاعر «آل الصريح» كأنّه من قوم اشراف
٣) ضرحنَ الحصى: دفنهُ ورمين به ناحيةً
٤) ذرعن الارض: اسرعنَ فيها كمن يقيسها
٥) قطرت: سبقت . ٦) الصَّرد: الذي يجد البرد
٧) الاعاصير: الرياح الشداد. زفزف: شديدة الهبوب. زفيان: سريعة الطرد للسحاب

جولة في كسروان

لحضرة القس انطونيوس شبلي اللبناني

٤ً دير مار ضومط فيترون

كتب خزانة الخطية (تابع)

٦٨: كتاب « رسالة مختصرة تتضمّن الرد على قول ميخايل مطران دمياط القبطي اي تعليمه ترك الاعتراف على معلم . وهي مرسلة الى اخوتنا الطايفة القبطيّة » تأليف القس لاونديوس سالم الحلبي « الذي لمّا كان في رومية سنة ١٧٥٨ اطّلع على مجلدين خط قبطي باللغة العربية يحويان قوانين كثيرة منها للرسل القديسين والدسقليّة ولاكليمنضوس بابا رومية سبعة كتب وتطلسات الملوك الاربعة وقوانين المجامع الخ . . . وفي أحد هذين المجلدين اعني الثاني قرب اواخره تعاليم مختلفة لمخايل مطران دمياط منها التخفي في البيع وزيجة القرايب وحلق الشعر الخ . . . » كما جاء في مقدمة هذا الكتاب . فاضطرّ القس لاونديوس المذكور ان يفنّد هذه الآراء في هذا الكتاب الذي ينطوي على مقدمتين وثلاثة عشر فصلًا وخاتمة . بخط عربي ، طوله ٢١ ونصف س وعرضهُ ٢٦ س

٦٩: نسخة اخرى من كتاب الايساغوجي اي مدخل المنطق للاب واصاف البسكنتاوي اللبناني . خطّها بالعربي القس اغناطيوس بن أسد الحاقلاني الراهب اللبناني[1] . وكان النجاز منهُ في آخر يوم من شهر تشرين الثاني سنة ١٧٣٦ وذلك برومية العظمى في دير مار بطرس ومرشللينوس في ايام رياسة الاب واصاف المذكور . —٧٠: « مجلّد الاول من اللاهوت الادبي للمؤلف الاب بولس وتفسّر عربياً من الاب يوسف عجلتون . » خط كرشوني مخروم من آخره .

---

١) هو الذي كتب نسخةً من كتاب الالهيات للعلّامة الاب واصاف المذكور ، وذكر اسمهُ في آخرها مجرّدًا عن لقبهِ كما ورد في النسخة الآنفة الذكر تحت عدد ٥٠

٧١: كتاب بعض تعاليم في الدرجات الكنايسيَّة. ألَّفهُ باللاتينية لويس طوسيني فاحص الاكليروس الروماني ، وطُبع لاتينياً سنة ١٨١٩ في رومية . وترجمهُ من اللاتينيَّة الى العربيَّة اغناطيوس بطرس جروه بطريرك السريان

٧٢ : كتاب « السيف القاطع بلا قتال والمهدي الى الحق بلا جدال اي تحديدات المجمع المقدَّس المسكوني الفلورنتيني المترجمة باللغة العربية من البادري فرنسيس مرسل يسوعي في سنة ١٧٤٠ » وفي آخر هذا الكتاب نبذة في البرهان اليقين الصحيح الذي يدلّ على معرفة بيعة يسوع المسيح للبادري المذكور. عدد صفحاته ١٧١ صفحة . طولهُ ١٢ ونصف س ، وعرضهُ ١٠ س.

٧٣: كتاب الرتب الكنايسية بحسب طقس الكنيسة المارونية. مجلَّد كبير كتب بالكرشوني وفيه رتبة رسامة الكاهن في الدرجات الثلاث وغيرها.

٧٤ : الدمع المسجوم على انشقاق الروم . لاحد الرهبان المرسلين اليسوعيين[1] . يقع في ٢١٠ صفحات ، بطول ٢١ س ، وعرض ١٥س.

٧٥ اعمال الرسل خط عربي مجلَّد كبير . ٧٦ كتاب هدي الخطأة . خط كرشوني مجلَّد ضخم لا ذكر فيه لمؤلفه ولا لناسخه . ٧٧ كتاب « المجمع السابع المقدَّس المسكوني الذي هو النيقاوي الثاني وقد اعتنى باستخراجه من اللاتيني الى العربي السيد المطران ماري رافايل طوخي القبطي تلميذ مدرسة انتشار الايمان المقدَّس وذلك بمدينة رومية المحميَّة ١٧٦٨ » مجلَّد ضخم مخروم من آخره. خطُّهُ عربي جميل. طولهُ ٣٠ ونصف س ، وعرضهُ ٢١ س ، وسمكهُ ٤ س

٧٨ : كتاب المجمع المقدَّس الافسوسي وهو المسكوني الثالث . خط عربي . مجلَّد كبير ، منقول عن نسخة بخط المرحوم جرجس شكُّور ؛ وهذا نسخهُ عن نسخةٍ مكتوبة بيد القس سمعان صبَّاغ الراهب المخلصي الباسيلي .

٧٩: نسخة ثانية من « كتاب الدمع المسجوم على انشقاق الروم » مكتوبة بالعربي . تأليف البادري بطرس فرماج اليسوعي اذ كان قاطناً بالشرق ورسولاً منذراً في مدينة حلب سنة ١٧٢٩

١) هو الاب بطرس فرماج

٨٠ : « سفر ينطوي على تفسير القسم الثاني من بشارة القديس متى الانجيلي ابتداؤه من الاصحاح الخامس عشر الى الاصحاح الاخير . ويحوي تفسير بشارة مرقس كلها . تأليف الانبا كرنيلوس الحجري اليسوعي المفسر الاعظم برومية . وقد نقلهُ من اللغة اللاتينيَّة الى اللغة العربيَّة المعلم العلّامة يوسف بن جرجس القس الحلبي الماروني تلميذ المدرسة الرومانيَّة سنة ١٧٢١ للتجسد الالهي قاصدًا بهِ مجد الله الاعظم وخلاص القريب ودعاء المطالعين فيه له بالرحمة والغفران قدّام المسيح الديّان وكان ذلك بمدينة حلب . » مجلّد ضخم خطهُ عربي جميل طوله ٣١ س ، وعرضهُ ٢٠ س ، وسمكه ٦ س . نسخهُ القس يوسف مارون الطرابلسي في ٢٠ أيار سنة ١٧٥٣ .

٨١ : كتاب « تفسير بشارة الرسول متى احد الاربعة الانجيلية لابينا الجليل في القديسين يوحنا فم الذهب رئيس اساقفة مدينة القسطنطينيَّة وهو خمسة واربعون مقالة وخمسة واربعون موعظة » خط عربي كنائسي جميل . مجلّد ضخم طولهُ ٣٣ س ، وعرضهُ ٢٣ ونصف س ، وسمكهُ ٥ س . ٨٢ : كتاب « تفسير الجزء الاخير من انجيل متى للقديس يوحنا فم الذهب . مجلّدٌ ضخم كشقيقه الآنف الذكر . خطهُ عربي حسن كُتب سنة ١٦٩١ م بايام رياسة القس جبرايل الحلبي على الرهبان اللبنانيين الحلبيّة .

٨٣ : كتاب « تفسير انجيل يوحنا البشير الثالوغوس . لابينا الجليل في القديسين يوحنا فم الذهب . اخرجهُ من اللغة اليونانية الى اللغة العربية عبد الله ابن الفضل الانطاكي . وهو ثمانية وثمانون مقالة وثمانية وثمانون عظة ومقدمتهم (ومقدمتها) وفاتحة الكتاب » خط عربي جميل . مجلّد ضخم مخروم من آخره .

٨٤ : كتاب « تفسير الاناجيل الاربعة . تأليف الاب الفاضل والعالم العامل كورنيليوس بن كورنيليوس الحجري اليسوعي . وقد ترجمهُ من اللغة اللاتينية الى اللغة العربية سليل المدرسة المارونية القس يوسف بن جرجس الماروني الحلبي اصلًا وذلك سنة ١٧٢١ م » خط عربي . عدد صفحاته ٤٦٤ صفحة . طولهُ ٣٢ ونصف س ، وعرضهُ ٢٢ س ، وسمكهُ ٣ ونصف س .

٨٥ : مواعظ يوحنا فم الذهب . خط عربي مجلد كبير .

٨٦ : كتاب « المواعظ الشريفة والاقوال المكرَّمة اللطيفة . انشأها ابينا الجليل في القديسين تاودورس الباز رئيس دير الاصطوريون صلاتهُ تحفظنا . وعدَّتها ثمانية وخمسون موعظة . » مجلد كبير نسخهُ بالعربي زاخريا ابن الخوري مرقص الكاتب سنة ١٦٩٤ مسيحية . ٨٧ : كتاب « تفسير الانجيل المقدس للمعلم اسطفانوس مينوكيوس الراهب اليسوعي . » مجلدٌ ضخم ، خط عربي . طولهُ ٣١ ونصف س ، وعرضهُ ٢١ س ، وسمكه ٥ ونصف س

٨٨ : كتاب فصل الخطاب لفرحات . بخط يده بالعربي . وفصولهُ كتبها بالحبر الاحمر . ثم بيضه في ٢٢ كانون الثاني ١٧٢٤

هذه هي معظم مخطوطات خزانة دير مار ضومط فيترون التي قلبناها وفحصناها في يوم واحد . ومرجع الفضل في جمعها واستنساخها والعناية بها يعود الى مؤسسي الرهبانية اللبنانية الحبرين العالمين عبدالله قراعلي وجرمانوس فرحات الحلبيين كما هو ظاهر للعيان .

ولمَّا كان في هذه المكتبة العامرة كُتب خطية نفيسة ككتاب الالهيات والتوحيد والمنطق للمطران واصاف البسكنتاوي ، وكتاب عامود اسرائيل للشماس يوحنَّا وهبه ، وميامر القديس افرام ، وكتاب الحاوي تأليف الراهب نيفن ، وكتب تفاسير الحجري لرسائل القديس بولس التي ترجمها القس يوسف الباني الحلبي وغيرها . وكاد الحبر النسخي المُشبع من الحاز يخرق سطور بعضها ويلاشيها اتادي الزمان ، واوشكت العثُّ ان تجهز عليها بانيابها ، فتذهب هذه الكتب ذات القيمة ضياعاً ويحرم العلم فوائدها ويندرس بدثورها ذكر مؤلفيها العلماء الاعلام الذين بذلوا عرق القربة في سبيل انشائها ، وخلفوها لنا اثرًا كريماً ناطقاً ببسطة فضلهم ووفرة علمهم ورجاحة عقلهم ودالاً على شدَّة حرصهم على الزمان ان يمرَّ عبثاً . فلاجل هذه الاسباب رأينا ان افضل واسطة لحفظها والانتفاع بها ، هي ان تُسلم الى حضرة الاباء اليسوعيين عمدة الدين والعلم في هذه الامصار الشرقية — هبةً او شراء — الذين يستنسخونها او يهتمّون بطبعها فيصونونها من التلف والاندثار .

الموسيقى الشرقية

بقلم
الاستاذ وديع صبرا
مدير مدرسة الموسيقى الوطنية

٣

بقي علينا ان ندرس ديواناً واحداً ، وهو الذي استعملناه في آلتنا الموحدة الوتر . على اننا ، قبل الدخول في الدرس ، نلاحظ ان هذا الديوان اقرب الى ديوان حضرة الاب كولنجيت منهُ الى غيره .

ولكن مع ان ابراج ديوان كولنجيت موافقة تاماً للاصول العلمية ، فانها لا تكفي لتوقيع جميع النغمات الشرقية . وان ما يستنتجه السيد اسكندر شلفون من عدم وجود ديوان منظّم كافٍ لتوقيع جميع النغمات ، ينطبق ايضاً على ديوان كولنجيت .

وإذاً فان ديواني كولنجيت وشلفون صحيحان اجمالياً ، ولكن ينقصهما ، حسب قول صاحبيهما العالمَين ، بعض ابراج ؛ فلا يسعهما والحالة هذه توقيع بعض النغمات الشرقية من التي لم تتحدَّد ماهيتها قبل اليوم . فالى هذه النغمات المجهولة لفتنا نظرنا ، وفي سبيل تحديدها وجهنا ابحاثنا .

لنأخذ مثلاً نغمة « سيكاه » في ديوان كولنجيت ، وتكون بان نحبس من الوتر ١٨,٥٢ جزءاً ، فتراها اكثر انخفاضاً من اللازم للحن الرصد لأنها مستعملة في البعد الثلاثي (tierce) من الاتفاق . وقد تكون هذه « السيكاه » حسنة الوقع في « البيات » اذا استعملت بتحفّظ وخُفض بها الى مقطع غير متحرك . وربَّ قائل يعترض بان « القانون » يوقع هذه النغمة « سيكاه » نفسها ويضرب لحنَي « الرصد » و « البيات » دون تمييز . فنجيب ان هذا النقص تخفيه الآلات الوترية ذات القوس . لان هذه توقع « السيكاه » تارةً معادلةً $\frac{١١}{١٢}$ ، وطوراً $\frac{١٠}{١١}$ ،

وقد توقعها حيناً معادلةً للبعد الثلاثي الطبيعي $\frac{9}{10}$

وفضلاً عما تقدّم فاننا لا نرى في ديوان كولنجيت الفضلات المنخفضة . وعليه فان الالحان من فئة « الحجاز » لا تظهر بطريقة واضحة بليغة.

وقد لاحظت مراراً عديدة ان عوّادينا يرفعون نغمة « جهاركاه » في لحن « نهاوند » بأن يحبسوها بالاصبع الخامس عوض الرابع . فينالون هكذا نغمةً ملائمة وافرة الوقع . والحال ان ليس من اصحاب النظريات بين مؤلفينا من اشار الى هذا الاستعمال في نغمة « جهاركاه ».

* * *

ولنبدأ الآن درس الالحان العربية المختلفة مع الأبعاد بين انصاف ابراجها:

« الرصد » لحن من فئة دو (do) الكبرى . وثالث درجة من هذا السُلّم ، او الديوان ، تقابل البعد الثلاثي الطبيعي عند الأتراك. اما العرب فيخفضون هذا البعد الثلاثي مقدار تسع برج (= كوما) او تِسعَين.

« البيات » لحن من فئة ري (ré) الصغرى دون العلامة الحساسة[1] . ويمكن ، في هذا الديوان استعمال « السيكاه » معادلةً $\frac{11}{12}$ من البرج ، ولكن بكل تحفُّظ ، وبالانخفاض فقط.

« الحجاز » . ان نغمة مي المنخفضة (mi bémol) في البرج الثاني ، تعادل في هذا اللحن ، فضلةً (limma) منخفضةً ، فتظهر اعلى من علامة الديوان المعدَّل. وهو امرٌ يلطِّف كثيراً البعد الثانوي الذي تكاد تشمئزّ منهُ الاذن اذا ما وقع على البيانو.

« العشاق العربي » او « البوسليك » . هو لحن من فئة ري (ré) الصغرى مع العلامة الحسّاسة . وتقع الدرجة الثانية من هذا اللحن على مسافة برج اكبر من قراره . امّا درجته الثالثة فتعادل نغمة فا (fa) بعد ان تخفض قيمة تسع برج (comma) . وعند المقاطع المحرّكة تسترجع فا محلّها الاصلي وتصعد الدرجة الثانية تسعَ برج ، بحيث يحصل بُعدٌ اصغر من الفضلة، وهو اصغر

---

١) اي العلامة السابعة من الديوان التي يكون بُعدها نصف برج عن العلامة الثامنة

بعد يمكن الاذن ان تُقره في الأبعاد النغمية .

« الحجاز كار » مرتبة مؤلفة من « حجازَين » قرارها عند نغمة دو (do) . وفي النظرية البيزنطية ان بعدها الثلاثي يقع تحت البعد الرباعي بربع برج . على اننا نرى في التحقيق ان المستعمل في هذا اللحن ليس ربع البرج ولا الفضلة ، بل البعد الثلاثي الطَبيعي .

«الصبا» لحن ذو ميزة خاصة يقع قراره عند نغمة ري (ré) الطبيعية . ولكن هذه النغمة تُصبح ري منخفضة (ré bémol) في الجواب . امّا الدرجة الرابعة في هذه المرتبة الصغرى فلا تقع فوق الدرجة الثالثة ببرج واحد ، كما هو الحال في جميع المرتبات الصغرى ، بل بنصف برج فقط . فينتج ان هذه الدرجة الرابعة من المرتبة الصغرى المذكورة ليست سوى البُعد الثلاثي الاكبر ، وهو أمر وحيد من نوعه في فنّ الموسيقى .

« الكردي » لحن حقيقٌ بالشرق لما يكثر فيه من الفضلات التي تحلّ محلّ انصاف الأبراج . وهي مرتبة تقع خاتمتها عند نغمة دو (do) ، ودرجتها الثالثة مي منخفضة ، والسابعة ليست علامة حساسة . وقد تقرب هذه المرتبة بنغماتها الاربع المنخفضة من مرتبة من فنة فا الصغرى تبدأ وتنتهي على الدرجة الخامسة .

« السيكاه » . قد يطلق ارباب النظرية الغربية في الموسيقى اسم « الدرجة الرديئة» على الدرجة الثالثة من المرتبة . وهم يحظّرون الاتفاق (accord) من هذه الدرجة في المرتبة الصغرى ، ويأذنون به في المرتبة الكبرى . وليس الامر كذلك في الموسيقى الشرقية . فاننا كثيراً ما نرى نغمة الدرجة الثالثة من المرتبة الصغرى تسيطر على اللحن بجملته ، اما الدرجة الثالثة من المرتبة الكبرى فقد تستعمل نغمة قرارية . وعليه فتظهر هاتان النغمتان من افضل النغمات في بلادنا ، ولكل بلاد زيّ . هذا وقد يكون « السيكاه » اقوى الالحان ميزة في الموسيقى العربية . تقع نغمته القرارية في البُعد الثلاثي من اتفاق « الدو » الكبرى . على انها قد تكون عرضة للتبدّل . فان الاتراك يحلّون محلّ البعد الثلاثي المعتدل البعد الثلاثي الطبيعي ٩/٨ ، والعرب يخفضونها

قيمة تسع برج . وقد يكون الاتراك شعروا بالحاجة الى خفض هذا البعد الثلاثي ، فنتج من ذلك انهم كثيراً ما يجعلون اصابعهم تنحدر على الوتر ، وكذلك عوّادو العرب فانهم لا يقرّون اصبعهم تماماً على هذه النغمة ، بل يدعونه ينتقل كانه يختار بين الأتساع المتجاورة.

اما « العراق » فهو تصوير (transposition) « السيكاه » الى قرار البعد الرباعي.

واما « العجم » فهو ديوان فيثاغورس ، اذا جعلت نغمته القرارية عند سي المنخفضة.

واما « الجهاركاه » فهو الديوان السابق نفسه تجعل نغمته القرارية عند فا ؛ على ان نغمته الحساسة اقرب من النغمة القرارية ، فهي تعادل فضلةً ناقصة.

اما « النهاوند » فهو مرتبة صغرى تقع نغمتها القرارية عند دو الطبيعية وبعدها الثلاثي الاصغر صحيح ، وهو اخفض من البعد الثلاثي المعتدل ، واشدّ تأثيراً . ولنلاحظ هنا ان اكثر اناشيد الحزن الشجيّة مؤلفة بنغمة دو الصغرى . من ذلك أنشودة شوبن (Chopin) المأتمية وانشودة بتهوفن المدعوّة (Symphonie Héroïque de Beethoven) . واننا نسأل نفسنا ماذا يكون من امر هذه الاناشيد ، اذا وقّعناها على طريقة «النهاوند» ؟ وليس من الصعب توقيع انشودة بيتهوفن على هذه الطريقة . واني اخال المؤلف نفسه شعر بهذه الميّزة في انشودته ، فترك النوبة تضرب مقطعاً كاملاً على القرار وحده دون ايقاع حسب الطريقة العربية . على ان العرب يزيدون هذه النغمة شجاً وتأثيراً بضربها على الدرجة الرابعة اي فوق تلك بتسع برج .

وهنا بعد ان ضرب الاستاذ على آلته الموحّدة الوتر ، امثلة على جميع النغمات الشرقية المذكورة ، اردفها بلحن مأخوذ من كتاب حضرة القس بولس الاشقر في انغام الطقس المارونى ضربه اولاً على البيانو الغربي ثم على آلته ، فاظهر الفرق جلياً بين الطريقتين ، وبرهن ان موسيقانا بحاجة ماسّة الى من يهتم بها ، وهي جديرة بالاهتمام .

مقابلة الآداب : ٣

توارد الخواطر

بين بعض ادباء العرب وغيرهم من ادباء الاجانب

بقلم فؤاد افرام البستاني استاذ الآداب العربية في كلية القديس يوسف

نبدأ ، في هذا القسم ، بذكر توارد الخواطر بين بعض ادباء العرب وغيرهم من ادباء الشعوب . وتوارد الخواطر هو اتفاق غير مقصود نتحقّقه بين بعض منتوجات ادمغة الاجانب ومنتوجات ادمغة المفكّرين بلغتنا . حتى اذا انتهينا منهُ عرضنا لذكر الاتفاق المقصود وهو ما نسمّيه بالاقتباس ، فالمجاراة ، فالتأثر .

ونحن أبعد من ان ندّعي الإحاطة بجميع وجوه الشبه بين آدابنا وآداب الاجانب . لان عملاً كهذا ، اذا فرضنا امكانه ، يتطلّب معدّات تجهيزيّة وافرة ، ووقتاً طويلاً ، وجلداً قويًّا . وليس شيء منها في مقدورنا اليوم . اذاً فلا يستغرب المطالع اذا رأى نقصاً في الاستشهادات ، او اهمالاً في الموضوعات ، او سهوًا في ذكر الادباء . فليست غايتنا سرد جدول بالمعاني والصور المتشابهة بين ادبنا وادب الغير . انما قصدُنا عرض بعض امثلة متشابهة من اقوال كُتّاب اختلفوا عصرًا ، وبلداً ، وتنشئةً ، ولغةً ، ودينًا ، نقيمها برهاناً على غايتنا من البحث في مقابلة الآداب ، وهي « ان لبعض الظواهر الحيويّة تأثيرًا واحدًا في البشر على السواء ، يدفعهم الى اصدار حكم واحد مهما تنوّعت نزعاتهم وشخصياتهم . »[1]

لكل امة ميولٌ خاصة الى انواع من الفنون الادبية قد لا تروق لغيرها من الامم ؛ وذوق قومي في مظاهر من الجمال قد يراها غيرها ثانوية ؛ وارتياح شعبي الى اساليب من التعبير وطرق من الاستعارات والتشابيه قد لا يُقرّها جيرانها بل قد لا يشعرون بها . وما هذه الميول ، وهذا الذوق ، وهذا الارتياح

١) راجع ما قلناه بهذا الصدد في مشرق كانون الثاني من هذه السنة ، (ص: ٣٥)

الا صفات التنشئة العقلية الخاصة بكل امة ، والناتجة من تأثير العصر والبيئة وما يجرّانه من عوامل الوراثة ، والعادة ، والزيّ ، والمدنية . فان العربي مثلاً اذا سمع بذكر « الجمل » في قصيدة او مقطوعة ادبيـة ، أنست بهِ مخيّلته ، وراحت تضرب امامه في مفاوز البادية ، راجعةً ثلاثة عشر قرناً الى الوراء ، مثيرةً امام عينيه مدنية ذاك الشعب الجاهلي المستندة الى الإبل باسباب متينة ؛ فيرتاح الى آثاره الادبية الاولى ويتذكر « الحـداء » وما كان « للجمل » من التأثير في تكييف نزعة العرب الى الفنّ الشعري . امـا اذا ذكرنا « الجمل » امام رجل اوربي أنشىء على الثقافة « المدرسية » ، فتراه ينفر ويشمئزّ من فساد الذوق . وربما عدّ اللفظة من نوع الاهانات كما يستعملها الفرنسيون غالباً .

اذاً لكلّ امة نزعة خاصة الى تفهُّم الادب ، وتذوُّق فنونه . على ان هذه المزايا والنزعات الخاصة اذا دقّقنـا فيها النظر ، نراهـا غير متأصلة في نفسيّة الادب . فهي مظاهر خارجية يتلقّح بها موضوع الادب العامّ فتدنيه من البيئة الشعبيّة ، وتكيّف اساليبـه ، وتعابيره ، وصُوَره . وقلّما تصل الى جوهره الذي هو واحد لأنـه ناتج عن الفكر الانساني الواحد . وعليه ، فاذا حلّلنا جميع منتوجات الادمغة البشرية على اختلاف الأعصر والأمصار ، فافرزنا جانباً كلّ ما هو ناشىء عن الازمنة والعادات الخاصة ، نجد جوهراً واحداً تنعكس على اعراضه الخارجية مدنيات الشعوب بميّزاتها المختلفة ؛ بل سلسلةً متينة تجمع فيها حلقـات الآداب القومية المتباينة ؛ ولكنها تظلّ واحدة بوحدة الفكر البشري .

وادقّ برهان على ذلك ذاك الشبه الدقيق ، بل توارد الخواطر ، الـذي تتحقّقه بين جميع الشعوب في التعبير عن الموضوعات البشرية الثابتة التي لا تتغيّر بتغيّر المكان والزمان ، كموضوعات الانسان ، والحياة ، والموت ، والآخرة . . . وما تجرّه من العواطف ، والتأملات ، والخواطر .

الانسان

ونحن قد نرى الصورة ذاتها التي استعملها وليد الحجاز ، علي بن ابي طالب ، في القرن السابع ، للتعبير عن مسكنة الانسان مثلاً ، تقطع عـدّة بلدان ،

وتجتاز عشرة قرون ، فيستعملها الفرنسوي پسكال في القرن السابع عشر للتعبير عن مسكنة الانسان نفسها.

قال علي بن ابي طالب :

« مسكين ابن آدم ! مكتوم الأجل ، مكنون العلل ، محفوظ العمل ؛ تؤلمه البقّة ، وتقتله الشرقة ، وتُنتنه المَرقة ! » (١

وقال پسكال :

«L'homme n'est qu'un roseau, le plus faible de la nature, mais c'est un roseau pensant. Il ne faut pas que l'univers entier s'arme pour l'écraser. Une vapeur, *une goutte d'eau, suffit pour le tuer.*»(٢

وليتنبه المطالع لكلمة علي : « وتقتله الشرقة » ، وكلمة پسكال : « *une goutte d'eau suffit pour le tuer.* » فيرى كأنها ترجمة حرفية للأولى واني احيله ايضاً على ما كتبه پسكال في المادة الاولى من خواطره ، وهي المعروفة باللانهائيين (Les deux infinis) فيرى كل ما ذكره عن الانسان وتناقضاته ، وتقلقله بين المسكنة والعظمة : المسكنة بمادياته ، والعظمة بروحه التي تجعله اعظم مما يقتله لانه عارف بضعفه وتفوّق الكون عليه . اما الكون المادي فلا يعرف شيئاً من ذلك(٣) . وهذه العظمة مظهر خاصّ بانسان پسكال لم ينتبه لهُ علي بن ابي طالب . وعلى كلّ فليقرأ المطالع ذاك الفصل بامعان وليجتهد في تلخيصه ، فلا يرى تلخيصاً اتمّ من هذا القول لعلي :

« لقد عَلق بنياط هذا الانسان بضعة هي اعجب منهُ ، وذلك القلب . ولهُ موادّ من الحكمة ، واضداد من خلافها : فان سنح لهُ الرجاء ، أذلّه الطمع ؛ وان هاج بهِ الطمع اهلكه الحرص ؛ وان ملكه اليأس ، قتله الاسف ؛ وان عرض لهُ الغضب ، اشتدّ بهِ الغيظ ؛ وان اسعده الرضى ، نسي التحفّظ ؛ وان ناله الخوف ، شغله الحذر ؛ وان اتّسع لهُ الأمن ، استلبته الغيرة ؛ وان افادَ مالاً ، اطغاه الغنى ؛ وان اصابته مصيبة ، فضحه الجزع ؛ وان عضّته الفاقة ، شغله

١) علي بن ابي طالب : نهج البلاغة – الروائع (١ : ١٤)

٢) Pascal : *Pensées - Éditions* Margival 7 - *p.* 12

٣) Pascal : *op. c. p.* 1 - 18

البلاء: وان جهده الجوع، قعد به الضعف: وان افرط به الشبع، كظّته البطنة. فكل تقصير به مضرّ، وكل إفراط له مفسد»

هـذا الانسان، هذا المخلوق العجيب، الذي يرفعه الفلاسفة تارةً الى درجات الملائكة، وينحدرون به طوراً الى دركات الحيوانات العُجم. ولكنهم يتفقون جميعاً على حقارة اصله التي دلّ عليها الكتاب في مواضع عديدة[1]، وقال عنها بوصويه:

«De quelque superbe distinction que se flattent les hommes, ils ont tous une même origine, et cette origine est petite»[2]

وانحدر بها ابو العلاء حتى الجماد، فقال:

والذي حارت البريّة فيه حيوانٌ مستحدَثٌ من جمادِ

فجاوبه بسكال ان ليس الانسان حيواناً اعجم ولا ملاكاً، ولكنهُ قد يستطيع ان يكون كليهما

« L'homme n'est ni ange ni bête, et le malheur veut que qui veut faire l'ange fait la bête ».

هذا الانسان الذي نراه عظيماً برغباته، طامحاً الى ما وراء الوجود بتمنياته على الرغم من تعلّقه بالمادّة، حتى ان لامرتين يجعله الهاً هابطاً من السماء فيقول:

Borné dans sa nature, infini dans ses vœux,

L'homme est un dieu tombé qui se souvient des cieux.[3]

هـذا الانسان، الغريب الأطوار، كان ولا يزال موضوعاً مهمّاً للآداب المختلفة، تتفق الشعوب، على تباين نزعاتها، في البحث فيه وابداء آرائها في ماهيّته. فلهُ اذن الدور المهمّ في درس «مقابلة الآداب». ولم تكن حياته القلقة على هذه الأرض، وموته، ومصيره، لتقلّ عن ماهيّته، تأثيراً في ادباء الامم المختلفة، فتناولوها بالبحث ايضاً كما تناولوا الانسان واتفقوا، عن غير قصد، في كثير من افكارهم عنها كما سنرى في العدد القادم.

---

١) سفر التكوين (٢: ٧، ٣: ١٩، ١٨: ٢٧ . . .)

٢) Bossuet : *O. F. Duch. d'Orléans*

٣) Lamartine : *Méditations*, I, 2

المؤتمر الطبي الدولي في مصر

عن الاب دي فرجيل اليسوعي

هذا المقال خلاصة حديث آنسنا به حضرة الاب دي فرجيل اليسوعي ، استاذ البكتريولوجيا ومدير معهد معالجة داء الكلب ، وقد ندب حضرته ، مع الدكتور ريزاشه ، ممثلاً للمعهد الطبي الافرنسي البيروتي في المؤتمر الدولي لامراض البلاد الحارة وعلم الصحة في مصر

صباح يوم السبت الواقع في ١٥ كانون الاول من العام ١٩٢٨ ، افتتح فؤاد الاول ملك مصر المؤتمر الطبي الدولي في دار الاوبرا الملكية في القاهرة ؛ فالقى رئيس المؤتمر خطاباً شكر فيه لجلالة الملك تنازله وتشريفه الحفلة ؛ ورحب بالمدعوين ، وقد بلغ عددهم ٢٣٠٠ ، وبينهم اكابر العلماء من جميع انحاء العالم والممثلون لاربع واربعين دولة ولمعاهد طبية وعلمية كثيرة.

وكانت جمعية طب المناطق الحارة بهولندة قد اعتزمت سابقاً اقامة مؤتمر لامراض المناطق المذكورة ، فاجلت عقده لما بلغها اعتزام الحكومة المصرية عقد هذا المؤتمر في القطر المصري.

وقد عهد بتنظيم المؤتمر الى لجنة رئيسها وزير المعارف ، ونائب رئيسها مساعد سكرتير الدولة للصحة ، واعضاؤها وزير المواصلات والمدير العام لخاصة جلالته وكبار الاختصاصيين في المعاهد الطبية والصحية في مصر . وعددهم ٩ اثنان منهم اوربيان . وتشكلت لجان فرعية اخذت على عاتقها الاهتمام بسائر ما يحتاج اليه المؤتمر لبلوغه كامل النجاح.

والحق يقال ان لجنة تنظيم المؤتمر قد احسنت باعمالها وابدعت ويكفي المرء ان يلقي نظرة على النشرات التي صدرت بمناسبة المؤتمر حتى يحكم لاعضاء تلك اللجنة بسلامة الذوق وحسن التدبير. ويفيدنا ان نقف على بعض الوسائل المستعملة لضيافة المؤتمرين في مصر ، حتى اذا تحدثنا يوماً ما بامر عقد مؤتمر علمي كبير في دمشق او في بيروت ، كنا على بينة من تبعة تلك الدعوة ، ومما تقتضيه من الاستعدادات والتنظيمات الضرورية لراحة المؤتمرين ومسرتهم ؛ فلا يجدوا بين ظهرانينا داعياً يكدر صفاء الايام القلائل التي يقضونها في بلادنا.

اول ما عنيت به لجنة المؤتمر الطبي الدولي المصري كان تسهيل السفر لاعضاء المؤتمر ليس فقط ضمن القاهرة بتخفيض اجور الترامواي ، ولكن بجم نصف او ربع قيمة السفر في سكك حديد فلسطين وسورية ، وفي البواخر ؛ وبمساعدة المسافرين على المرور مع امتعتهم في دائرة المكوس . وقد عرضت لائحة الفنادق الكبرى مع اسعارها المحدودة للمنامة وللطعام ليمكن الجميع ان يقفوا عليها فيكونوا على بصيرة من امر النفقات اللازمة

وخصصت مكتباً للاستعلامات بنادي الطلبة ، بكلية الطب بالقصر العيني ، فظل مفتوحاً من ١٢ الى ٢٤ ك ١ ، اعني من قبل افتتاح المؤتمر بثلاثة ايام الى ما بعد اختتامه بيومين . وفتحت ايضاً مكتباً للاستعلامات بالاسكندرية ، فكان الاعضاء يقيدون اساميهم فيه مع عنواناتهم ، ويحصلون فيه على نسخة البرنامج النهائي للمؤتمر وهو مطبوع بالعربية والافرنسية والالمانية والانكليزية والايطالية . وانشأت اللجنة مكاتب للبريد وللتلغراف وللتلفون ، وفتحت غرفاً للملابس ومقاصف للاكل وجعلت للمؤتمر شارة خاصة عليها رسم المحوتب اله الطب المصري (الرسم ١) . وعملت طوابع بريد خاصة لذكرى العيد المئوي لكلية الطب والمؤتمر وهذه الطوابع من نوعين : احدهما عليه رسم المحوتب ، والثاني عليه رسم محمد علي باشا (الرسم ٢) . وأعطي لكل عضو نسخة من كتاب وضع خصيصاً بمناسبة المؤتمر ، وفيه معلومات عامة عن مصر ، ورسالة تاريخية عن كلية الطب ، واخرى عن مصلحة الصحة العمومية وفيه صور مشاهير الرجال المرتبط اسمهم بتاريخ الكلية.

دارت مباحث المؤتمر حول المواد التالية: ١) الامراض الباطنية ٢) الجذام ٣) الليشمانيا ٤) الملاريا ٥) السل ٦) الدوسنتاريا ٧) امراض الاطفال ٨) الجراحة ٩) امراض النساء والولادة ١٠) الرمد ١١) الصحة والاعمال الصحية ١٢) علم الباثولوجيا ١٣) المواضيع العلمية ١٤) البلارسيا ١٥) تاريخ الطب ١٦) عرض مناظر سينمائية طبية صحية.

امّا الدروس المقدمة للمؤتمر فمنها ما قرئ في الجلسات ، ومنها ما حفظ لينشر بالطبع . وقد يعسر علينا ان نشيد بذكر البعض دون ان نهضم حقوق غيرها. وحسبنا القول ان الامراض الشائعة في البلاد الحارّة ، وفي مصر خاصة ، نالت الحظ الاوفر من البحث ، نخصّ منها حمى الضنك ، والملاريا ، والامراض المعدية.

واستغرقت اعمال المؤتمر خمسة ايام ، من الاثنين ١٧ الى السبت ٢٢ ك ١ ، كانت اللجن تلتئم فيها من الساعة التاسعة صباحاً الى الساعة الواحدة والنصف بعد الظهر . وكانت اغلب الاجتماعات تُعقد في الكلية الطبية ، وغيرها في مستشفى القصر العيني ، وبالجيزة ، وفي نظارة النافعة . وكانوا يخصصون فيها للخطباء زمناً معيّناً يتراوح بين الخمس عشرة والعشرين دقيقة ويخصّصون ثلاث او اربع دقائق للمناقشة.

ويوم السبت ١٥ ك ١ الساعة الثالثة ونصف بعد الظهر تمّ افتتاح معرض الآلات الطبية والادوية ، بحديقة الجمعية الزراعية الملكية بالجزيرة ، بحضور الملك .

فعرضوا المجاهر (الميكروسكوبات) ، واجهزة المعامل ، واجهزة اشعة رونتجن ، والاجهزة الكهربائية ، والآلات الجراحية ، والادوية والمواد الكيمائية ، والاغذية ، والادوات الصحية ، والكتب والمجلات والمطبوعات الطبية . وكانت المعروضات تجارية وعلمية فوضعت لها لائحة خاصة.

وممّا لفت الانظار الساعي المبذولة لشدّ عُرى الولاء بين علم الطب الحديث واللغة العربية. فانهم عرضوا كتباً طبية عربية حديثة ، بعضها من قبل الجمعية الطبية المصرية ، وبعضها من قبل الحكومة المصرية ومن البديهي ان الغرض

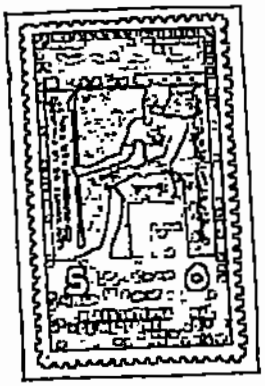

امحوتب اله الطب

محمد علي باشا

الرسم ٢

الطابعان التذكاريان
للمؤتمر الدولي الطبي في مصر
(كانون الاول ١٩٢٨) .

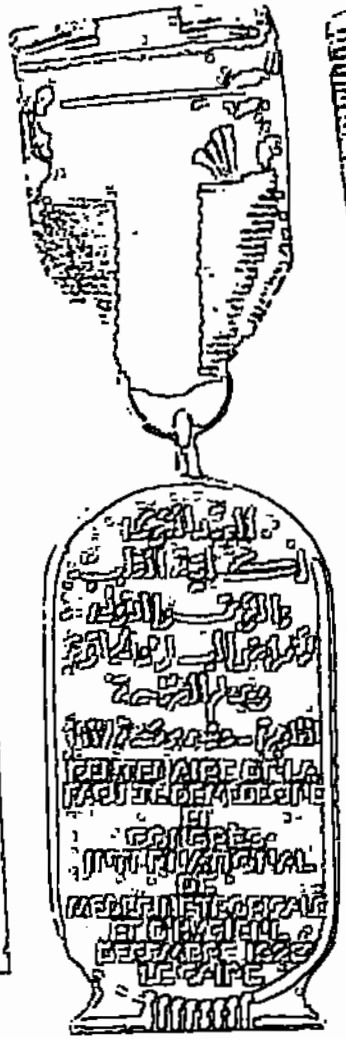

ظهر المدالية

وجه المدالية

الرسم ١

المدالية التذكارية
لمؤتمر الدولي الطبي في مصر (كانون الاول ١٩٢٨)

الاول من عرضها هو ان تكون برهاناً محسوساً على امكان معاطاة فن الطب ، والسعي في درسه وتدريسه باللغة العربية . وقد تحمست لها الصحافة واطنب «المقطم» في ذكرها وتناول بمناسبتها قضية تعليم الطب بالعربية (٢٥ و ٢٧ ك ١) وروى حديثاً للدكتور رضا سعيد بك عميد كلية الطب في دمشق جاء فيه:

« عرضنا في معرض المؤتمر بعض الكتب الطبية المطبوعة التي تدرس في معهدنا وقد لاحظنا آثار الدهشة والاستغراب من بعض الزائرين ، حينما يقع نظرهم عليها . ولعلّ ذلك يرجع لظنهم ان اللغة العربية لا تساعد على تأدية جميع المصطلحات الجديدة وهذا من الاوهام طبعاً . . . . »

« ان لغة التدريس في جميع اقسام معهدنا وفروعه هي باللغة العربية وحدها . ونحن لا نصادف الان اقلّ صعوبة في ذلك ، ولاسيما بعد ما طبعنا كثيراً من الكتب التي تحوي جميع المباحث التي يلقيها الاساتذة كلّ في درسه واختصاصه ، وخشية من تبلبل لغة العلم يذكر كلّ معلّم الاصطلاح الافرنجي مع ما يقابله من المصطلحات العربية التي يستعملها حتى اذا اراد الطالب المطالعة ، او تتبع تحوّل العلوم وتقدّمها في احدى اللغات الاجنبية الحيّة ، امكنه ذلك بسهولة . . . »

وان الموضوع على جانب من الاهمية لحياتنا الفكرية ، ولمستقبل الدروس العليا في بلادنا . وقد راقنا ما سمعناه عن عميد كلية دمشق . ولكن للقضية وجوه ، وفيها مذاهب ، ولا بدّ من ان نسمع صوتاً آخر هو خطاب السيد ريشارد[1] عن مستشفى القصر العيني والمدرسة الطبية ، تطرّق فيه الى العلاقات بين اللغة العربية وعلم الطب فقال :

« ان امر اللغة [العربية] هو من المشاكل العظيمة الصعبة . لا يكون اللغة تحول دوماً دون التعبير المطلوب او يكونها قاصرة عن ان تؤدي الفاظاً مرادفة للالفاظ الانكليزية ، او للالفاظ العلمية العامة الشائعة في جميع اللغات ؛ فهي تصلح للمطلوب . ولكن في الامر الواقع لا يوجد الآن في اللغة العربية جهاز مؤلفات علمية ذات شأن . ان من يحصر نفسه ، من الطلاب ضمن دائرة المؤلفات العربية ، لا يجد فيها الّا بعض المعربات عن المنتخبات الاوربية ، من التي يكون اكثرها قد شاخ وفات اوانه . فاذا نال الطالب الشهادة ، وبادر من ثم الى توسيع معارفه لتكميل ثقافته الشخصية ، فليس لهُ مناص من ان يقف ، ثم يعود القهقرى . لان الكتب الجديدة ، والمجلات ، والمصادر التي ليست من ضمن كتبه المدرسية ، لا تدخل في حقل مباحثه فلن تتجاوز معارفه الحد الذي كانت عليه ايام اخذه الشهادة ، ولا تلبث ان تنقص .

«فلا تسأله حينذاك ان يباشر اعمال تنقيب شخصي ولا ان يلاحق دروسه في اوربة: لانها من المرشحين اليها استعداداً اقوى من استعداده . وهذه الحالة تضطر الادارة الى تعيين الاساتذة

١) راجع *The centenary celebration of the faculty, p. XVIII - XIX*

ضمن ظروف محدودة في سبيل الغرض العلمي المطلوب ، وتغلق من ثم الابواب بوجه اللجنة الزائرة التي يرسلها المعهد الملكي الانكليزي : ولا يبقى سبيل لمراقبة الامتحانات العليا ، فتنقطع الصلة بين مصر وبين الخارج ، وينحط مستوى التهذيب والتعليم ، وتؤدي حالة العزلة في الحياة الفكرية ، الموجودة فيها البلاد المصرية ، الى طمأنينة كاذبة ، لان العلم فيها يُحيى في حالة لا يدرك فيها درجة السقوط التي صار اليها . . .

«هذه الحقائق الراهنة كان كلوت بك قد وقف عليها ، فادّت به الى تكوين مدرسة الطب الافرنسية . وانا الى هذا التكوين في الوقت الحاضر احوج منا اليه في العام ١٨٣٥

«على انه في الوقت نفسه قد يكون بعض الخطر على علم الطب في الشرق من اهمال الدرس العلمي بالعربية اهمالاً باتاً . تصوّر طبيبين مصريّين واقفين على رأس المريض يتبادلان افكارهما بالانكليزية ، وهما غير قادرين على افهام رأيهما بلغة واحدة ! اليس في ذلك لوم على المدرسة التي نشآ فيها ؟ فتحتم من ثم علينا معاطاة التدريس بلغتين »

* * *

ويوم الاحد ١٦ ك ١ اقيمت بحضور الملك ، حفلة وضع الحجر الاساسي لبناء كلية الطب والمستشفى ، بالروضة ، بجوار مستشفى القصر العيني . واعيد في ذكر الحفلة التذكار المئوي لتأسيس مدرسة الطب المصرية على ايام كلوت بك .

وعقد المؤتمر جلسته الختامية في منيل الروضة ، يوم السبت ٢٢ ك ١ ، الساعة العاشرة صباحاً . مُنح فيها بعض الاطباء لقب دكتور فخري في الطب من الجامعة المصرية ، وتليت الاقتراحات الختامية . وكان في مقدمتها اقتراح الوفد الهولندي بان يُعقد المؤتمر الطبي الدولي القادم في مدينة امستردام سنة ١٩٣١ ، واقترح الوفد الاميركي بان يُعقد في احدى بلدان القارة الاميركية ، فتقرّر ان يكون المؤتمر القادم في أمستردام .

وخلاصة الكلام ان المؤتمر نجح باعماله . فقد سهل لاقطاب علماء الطب السبيل الى التحادث والتفاهم ، وزاد النهضة المصرية رونقاً وبهاء ، وجاء برهاناً جديداً ، بعد مؤتمر اوكسفرد للمستشرقين ، على ما تؤدي به الى النتائج الحسنة مجهودات الغرب والشرق اذا ما اتحدت وتآلفت ، تحت لواء الصداقة والعلم والادب .

بقلم الاب يوسف قرنه اليسوعي

في ١٨ ايلول الاخير كان المهندس الاسباني ، حنا دي لا ثيرڤا (de la Cierva) ذاهباً من لندرة الى باريس ، بطريق الهواء ، على جهاز من طرز جديد ؛ وربما كان له غاية خصوصية في اختيار هذا السفر ، الذي يذكرنا به عبوراً آخر للمنش ، وهو العبور الأول الشهير ، الذي قام به الطيّار بلريو (Blériot) في ٢٥ تموز ١٩٠٩ .

لا شك ان مأثرة دي لا ثيرڤا لا تفوق الطيرانات السابقة في شيء من الاشياء ، ولعلها مع ذلك ، حادث خطير في الطيران . لان الجهاز المستخدَم يعدنا ، بحسب الظواهر ، بالامن الكامل ، الذي لم يحصل حتى الآن ، وذلك قوام فائدته العملية الكبرى . وفضلاً عن ذلك انه لذو فائدة نظرية ، بسبب ما تحقّق فيه من التقدّم الفني ، المبتكَر في جوهره .

حتى الآن لم يُدخل على اشكال الطيّارات الشتى سوى تغييرات في الكمية ، مثلاً بزيادة قدرة المحرّكات او عددها ، او بتطويل الاجنحة ، ونحو ذلك . لكن تركيب الطيّارة الجوهري ما زال هو هو ، مبنياً على المبادئ نفسها ، منذ الطيرانات الاولى ، منذ طيّارة بلريو ذات السطح الواحد ، التي سبقت الاشارة اليها .

امّا الاوتوجير ، او الطيارة الجديدة ، ففيه ابتكار في تركيبه وفي مبدئه ؛ فيه تغيير في نوع الجهاز ، لا في الكمية فقط . وهذا الحادث هو الاول من جنسه منذ طارت الاجهزة التي هي اثقل من الهواء طيرانها الاول .

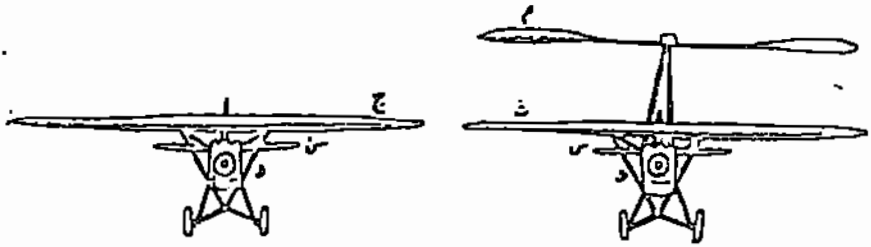

الرسم ١ : مقابلة بين اعضاء الطيران في «الاوتوجير» وفي الطيارة العاديّة :

الاوتوجير	م : جناح متحرّك ث : جناح ثابت س : جناح السكان د : الدوّارة	الطيارة العادية	ج : الجناح س : جناح السكان د : الدوّارة

مبدأ الاوتوجير ووصفه

شكل الاوتوجير العمومي هو شكل طيّارة . على ان لها ، علاوة على اعضاء الطيّارة ، لولباً كبيراً ذا فروع اربعة ، يستطيع الدوران في سطح يعلو الجهاز ، ؛ فهذا اللولب هو الذي جعل الانكليز يُطلقون على الاختراع الجديد اسم الطيارة الحاوية طاحون الهواء . ذلك الطاحون ليس متصلاً بالمحرك ، بل مُطلق الحركة على محوره ، فيدور بتأثير الريح . فتى انتقل الاوتوجير بقوة محرّكه المُدير اللولبَ الامامي ، تطرق الريحُ فروعَ الطاحون ، فيدور ؛ فيسوغ القول ان كل مهارة تركيب الجهاز الجديدة قائمة في ايجاد سطح اضافي متحرّك وبشكل لولب طاحوني .

هل رأيتم احياناً ورقة شاه البلّوط (الكستنا) تنفصل عن عودها وتسقط

الرسم ٢ : ورقة شاه بلّوط

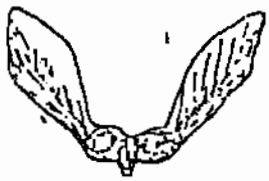

الرسم ٣ : ثمر الجرْمَشق

الى الارض ، او رأيتم ثمر الجرمشق — وهو نوع من الجميز — الذي له حبة دقيقة حاملة شبه جناحين ؟ قبل وقوعهما على الارض يدوران على ذاتهما ، احياناً بغاية السرعة ، مع عدم وجود ريح تدفعهما . فما تفسير هذا اللغز ؟ بسيط جداً ، وهو ان الهواء ، في اثناء تلك السقطة ، طرقَ سطوحَ الورقة او الثمر المختلفة ، وبما ان هذه السطوح منحنية على شبه فروع اللولب ، فلا بدّ من ان تدور وتنفرز في الهواء . فلا يصعب اذاً فهم كون الاوتوجير ، بواسطة طاحونه ، حائزاً في حال هبوطه الى الارض ثلاث مزايا هي : بُطء السقوط ، مع تواصله ، وثبات وجهته العمودية ؛ تلك المزايا التي هيأت ان تتحلى بها الطيّارات المأنوسة .

حركة الاوتوجير وتابعه

حتى نفهم كل الفهم المبادئ التي يستند اليها تركيب الاوتوجير ، فلننظر الى حركته ، وذلك بحسب شهادة احد مختبريه .

١ً الانطلاق من سطح الارض — حين انطلاقه هذا يتحرك الاوتوجير مثل طيّارة معتادة ، اعني ان محرّكه ، وهو بقوة نحو مئتي حصان بخاري ، يشرع في الدوران ، فيزلق الاوتوجير على سطح الارض . ثم تُدير طاحونته الريحُ الناجمة عن ذلك الانتقال ، فيكون دورانه بطيئاً في الاوائل ، ثم تزداد سرعته الى نحو ثمانين دورة في الدقيقة ، فيدرك قوة كافية لرفع الطيارة عن الارض .

٢ً الطيران — متى صعدت هذه الطيارة الجديدة في الجوّ ، طارت فيه بسرعة طيّارة معتادة ذات سطح واحد . بل انها ، في السفر بين لندرة وباريس ، تسبق الطيّارة التجاريّة ذات السطحين المدعمة كوليات والمرافقة لها .

بتأثير الريح المتولدة من حركة الطيارة ، يدور طاحونها نحو مئة وعشرين دورة في الدقيقة ، دوراناً منتظماً للغاية . واذا تباطأ محرّك الطيارة ، حافظ الطاحون على سرعته مدّة طويلة ، بسبب ثقله ، فيترتب على ذلك علاج ناجع سريع لما يحلّ على المحرّك من الطوارئ المزعجة .

٣ً امكان التحليق بدون حركة — اذا أنقصت للغاية سرعة المحرّك ،

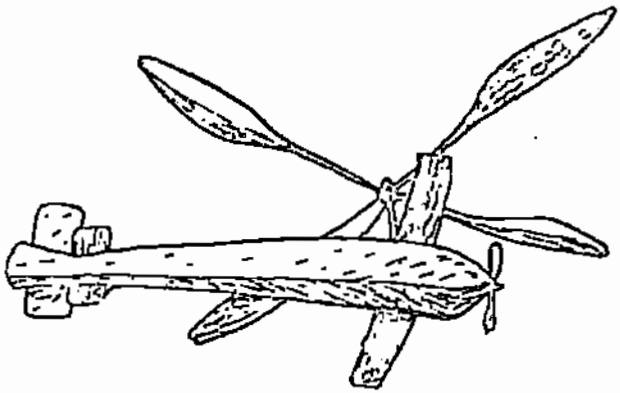

الرسم ٤ : الاوتوجير في الهواء

زالت ضجته ولم يطرق الاذن سوى هدير الطاحون الماخر في الهواء بسرعة ثابتة ، فينتج عن هذه الظروف احساس لذيذ جيّد للطيّار ، اعني انه لا يسمع قعقعة المحرّك الشديدة ، ولا يشعر بالريح اللاطمة وجهه لطماً عنيفاً ، ولا يرى تحت رجليه مناظر الارض تلتهم الفضاء ، في انتقالها الظاهر ، بسرعة هائلة ، الى ما وراء الطيّارة ، بل يشاهد مركبته محلّقة في الجوّ بدون حركة تُذكر ، وذلك بشرط ان تكون السماء صاحية ؛ وما سبب هذا التحليق المدهش سوى دوام دوران الطاحون.

٤ً الانحدار — بمجرّد دوران الطاحون يستطيع الاوتوجير النزول الى الارض عمودياً ، بعكس ما نراه في الطيّارة المألوفة ، فينحدر بسرعة نحو خمسة امتار في الثانية ، وهي سرعة مظلّات السقوط (parachute) ، مع اجتناب محاذير اهتزازاتها المزعجة . وقد لوحظ ، بعد التجارب الرسمية ، ان الاوتوجير ينزل الى الارض على خط تتكوّن منه ومن الحضيض زاوية ٨٧ درجة ، لا تكاد تختلف عن الزاوية القائمة.

٥ً الوصول الى الارض — اذ يدنو الاوتوجير من المكان المقصود لملامسة الارض ، يُدار محرّكه ، فتطير المركبة ، بارتفاع نحو عشرين متراً ، طيراناً « مسطّحاً » (plané) ، ويُقصد بهذا التعبير ان الطيّارة تنحدر على خط شديد الانحناء . فحين يصل الاوتوجير الى مسافة نحو خمسة امتار من الحضيض ،

يتخذ الربّان التدبير اللازم لجعله يلامس الارض بمؤخره اولاً ، ثم بمقدّمه ، وذلك على مهل وبدون صدمة عنيفة . فعلى هذا النسق تقف المركبة في نحو ثلاث دقائق وذلك يفوق ابهر النتائج الحاصلة ، في هذا الميدان ، على يد اجسر الطيّارين .

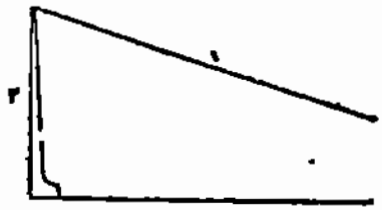

الرسم ٥
١ : نزول اعتيادي للطيارة العاديّة
٢ : نزول الاوتوجير عمودياً تقريباً

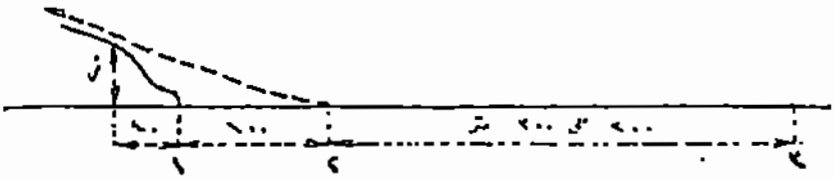

الرسم ٦ مقابلة بين النزولين

١ : وقوف الاوتوجير
٢ : نقطة وصول الطيارة العاديّة الى الأرض وبدء سيرها عليها حتى يمكنها الوقوف
٣ : وقوف الطيارة

مزايا الاوتوجير ومستقبله

بناء على الاختبارات التي أجريت في مطارات انكلترة وفرنسة ، نلاحظ في الاوتوجير بعض مزايا لم توجد في الطيّارات المألوفة ، فنكتفي هنا بذكر ثلاث منها اهمّ من سواها :

الاولى والاكثر خطورة هي امن الطيران ، وذلك لعدم تدهور الاوتوجير نحو الارض ، ولو وقف محركه ، فان دوران طاحونه يُحدث انحدارًا بطيئاً ، ثابت السرعة . فوالحالة هذه يسوغ قولنا ان الطيّارة الجديدة لا تخشى خطرًا من قبل محركها ، مهما طرأ عليه من الطوارئ . ومما يؤيّد هذه المزيّة البديعة انه امكن ، بواسطة الجهاز الجديد ، تغيير وجهة السير فجأة ، وعلى مسافة عشرات الامتار من الارض ، وهو أمر لو حدث في طيّارة معتادة ، لكان افضى ، بدون شك ، الى تدهور المركبة وموت ركّابها .

نجد كذلك شاهداً جلياً على تلك المزية في حادث غير متوقع جرى بمطار بورجه (Bourget) في ضواحي باريس : كان الاوتوجير ، في بدء الطيران ، قد صدم بناء ؛ ففي مثل هذه الظروف كانت الطيّارة المعتادة قد انقلبت ، او على الاقل لم تستطع الانحدار على الارض بدون انقلاب ، وذلك بسبب تحطّم مقدّمتها ؛ امّا الاوتوجير ، فانه نزل الى الارض بتمهل ، ولم يصدمها صدمة عنيفة .

فما ان امن الاوتوجير قائم في دوران طاحونه ، بذل المخترع قصاراه لتسهيل حركته باحسن الطُرُق الميكانيكية ؛ فلا خوف من طارئ يطرأ عليه سوى تلف فروعه الاربعة وفي هذا الطارئ نفسه يبقى جناحا الاوتوجير دافعين للخطر .

مزية الاوتوجير الثانية هي امكان تحليقه في الجو ، بدون حركة تذكر ؛ وفي ذلك ما فيه من الاهمية لكل عمليات التصوير الشمسي ومراقبة ما تحت سطح البحار ، ورسم الخارطات وملاحظة المعالم الاثرية ؛ فبواسطة الاوتوجير ينفسح مجال واسع جديد لكل تلك العمليّات الخطيرة ، التي يصعب جداً اجراؤها بالطيّارة المعتادة ، الدائمة الحركة ، وهي في الجوّ .

اخيراً ان مزية الاوتوجير الثالثة هي سرعة عمليّات الانطلاق والوصول . امّا الانطلاق ، فنعلم ان السيد دي لا ثيرفا دائب على تكميل جهاز جديد يُدير الطاحون ، بدون ان ينتقل الاوتوجير على الارض ، فبهذه الواسطة تستطيع المركبة ان تصعد في الجوّ عمودياً وفجأةً ، وهو منتهى الرشاقة . امّا الوصول الى الحضيض ، بعد الطيران ، فقد سبقت الاشارة الى عجيب رشاقة الاوتوجير وتفوّقه على الطيارة المألوفة في هذا الشأن . وعلى كل حال ، فلا اسهل من ان ينحدر الى الارض على الاسلوب القديم البطيء ، ولاسيما ان في النزول العمودي السريع خطر التلف بسبب صدمة للارض شديدة ؛ فلا يُستحسن ذلك النزول الّا عند مسيس الحاجة ، وحينئذٍ تقدر المركبة الجديدة ان تنحدر ، بدون محذور ، على ارض وعرة ، ضيقة ، بعكس الطيارة المعتادة ، التي يلزمها محل ممهّد واسع ، فوجود خندق صغير فيه يسبّب اعظم الاضرار ، ولو كان الطيّار من المبرزين في مهنته .

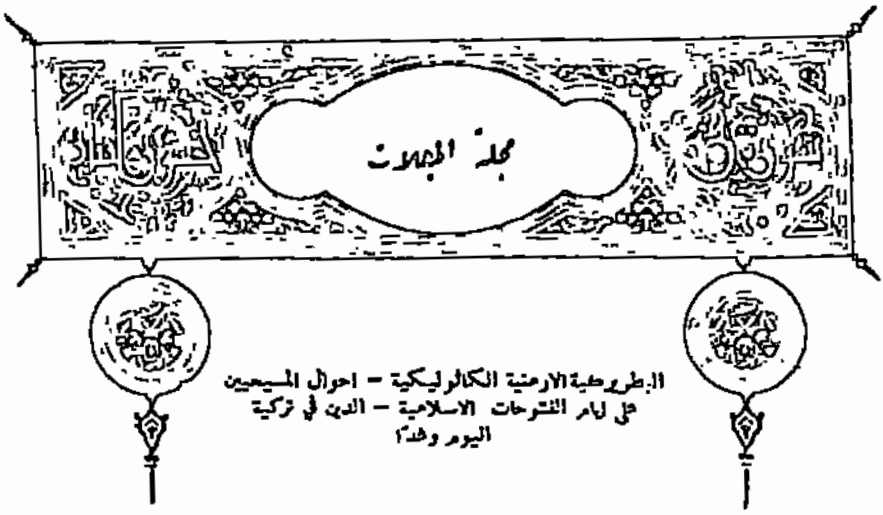

البطريركية الارمنية الكاثوليكية

جاء في مجلة «صدى الشرق» الافرنسية (تشرين الثاني – كانون الاول ١٩٢٨ ، ص: ٤٧٧):

مضى على الكنيسة الارمنية الكاثوليكية عشر سنوات وهي مضعضعة ومنهوكة القوى . فان الاتراك اضطهدوها تعمداً ، وسحقوا ابرشياتها كلها او كادوا . خمسة من اساقفتها قضوا بالموت الاحمر ، وغيرهم ماتوا بالمنفى ، اما بقايا الاحياء من المؤمنين فتشتتوا ايدي سبا ، والبطريرك نفسه منذ سنين طوال لم يكن له مقرٌ الا في رومة ، لان حزباً من العلمانيين نافذ الكلمة منع عنه سكنى القسطنطينية وطمع باخضاعه لطاعته . فكان لا بدّ من جمع الشتات واصلاح الخلل لئلا يتفاقم الامر ويذهب بحياة الكنيسة الارمنية الكاثوليكية ففي ٢٥ شباط من العام ١٩٢٨ دعا الاب الاقدس ، البابا بيوس الحادي عشر ، الاساقفة الاحياء اجمعهم الى مؤتمر ملي يعقدونه في رومة في ٦ ايار التالي وكان امر مقام الكرسي البطريركي من اهم المسائل التي دار عليها محور البحث .

ان السيد ابراهم ارزيقيان ، اول بطريرك للارمن الكاثوليك على قيليقية ، اقرّ مقامه سنة ١٧٥٠ في دير سيدة بزمّار في لبنان . وذلك كان شأن خلفائه الى ان اتخذ البطريرك لقب رئيس اساقفة القسطنطينية سنة ١٨٦٧ . على ان معاداة الاتراك الظاهرة ، والشقاق الذي احدثه في القسطنطينية بعض العلمانيين حالا

دون رجوع السيد ترزيان اليها. فقرّر الاساقفة المؤتمرون ان يكون مقام الكرسي البطريركي منذئذٍ فصاعداً في بيروت ، ويصبح غبطته صاحب الولاية على ابرشية بيروت الارمنية المنشأة حديثاً. ووضعوا ترتيباً جديداً للابرشيات قلب النظام القديم ظهراً لبطن. كان عدد الابرشيات الخاضعة للبطريرك خمس عشرة فصار لا يتجاوز الخمس وهي : القسطنطينية لتركية ؛ وماردين (مقرّ اسقفها بغداد) للعراق ؛ واصفهان العجم والهند وجاوى الخ ... ؛ وحلب لسورية الشمالية ؛ والاسكندرية لمصر. ونظروا الى ما يجب اتخاذه من التدابير لتنظيم الاسعافات الروحية للمؤمنين المشتتين في جميع بلاد اوربة الغربية وخاصة في فرنسة . امّا بلاد اليونان فالسلطة المألوفة منوطة فيها باحد الاباء الكبوشيين : وليس من المرجّح ان يؤسّس في البلاد الكاثوليكية نظام اكليريكي ارمني بحصر المعنى. وفي ٢٣ حزيران ١٩٢٨ وافق البابا على نقل الكرسي البطريركي الارمني الى بيروت بالقرب من بزمّار . ولا يزال المجمع المقدس للكنيسة الشرقية يفحص سائر ما ينتظر اجراؤه من القرارات في سبيل الكنيسة الارمنية . ومن المأمول ان البطريركية الارمنية الكاثوليكية التي قاست الامرّين في هذه السنين الاخيرة ، سوف تنتعش بحياة جديدة . لا شك انها لن تجدد بنيان مشاريعها ، ولن تطمئن الى وفرة عدد المدعوّين الى مصافّ الاكليروس او الى الحياة النسكية ، الّا بعد زمان مديد ؛ ولكنها وضعت منذ الآن اساساً يمهّد لها السبيل الى بلوغ غايتها. وعبثاً طمح الحزب العلماني بنظره الى القبض على السلطة البطريركية في القسطنطينية. كان يتظاهر بتمسكه بالمبدأ الزاعم ان البطريركية هي منشأ ملّي لا حقّ الكنيسة ان تمسّه دون استشارة المؤمنين. لكنه كان على بصيرة ان الشعب والاكليروس لا يناصرانه ، وان كل من خرج عن طاعة الكنيسة خرج من حضن الكثلكة . اما المنشقّون فقد استاؤوا للخبر الذي فاجأهم بانتقال الكرسي البطريركي الى لبنان ، ولعلّهم يحافظون على مقامهم مدةً من الزمان وهم في رعاية حكومة انقرة لكن اعمالهم منحصرة بالمعاطاة المالية ، وبضمّ بعض الانصار المتزلفين اليهم ليتعيّشوا من اموال الوقف ، وهو حرام عليهم.

احوال المسيحيين على ايام الفتوحات الاسلامية

عن مجلة المعهد الافرنسي في رومة المعروفة « بمشكلات اثرية تاريخية » ١٩٢٨ ، ص: ١-٧ من الكراس ١ – ٤

كان العالم المسيحي في القرن السادس والسابع متصلاً بمملكة بيزنطية اتصالاً شديد العرى. فكانت الكوارث اذا حلّت بالمملكة الشرقية أثرت كثيراً في احوال الكنيسة المسيحية العامة . وكانت البطريركيات الثلاث ، في انطاكية واورشليم والاسكندرية ، اعني في الاراضي الاعرق قدماً بالمسيحية ، قد اصبحت هي وسائر الابرشيات المنوطة بها في حكم الاسلام (٦٦٠) وتحت رحمة ملوك الاسلام ، وهم تارة معادون للمسيحيين ، وتارة غير مكترثين لهم . وفي كلا الحالين لم يكن ليتخلّص من نيرهم سوى آسية الصغرى وتراقية ، وهما سند البطريركية البيزنطية الوحيد . وما كانت بيزنطية لتأمن ضربات شعوب الشمال ، وهم يتهدّدونها بالاهوال فان تمتنع منهم فهي تقي شرّهم بقايا العالم المسيحي . فكان من ثمّ عظيماً شأن بطريرك الروم في بيزنطية ، وحوله لفيف من ٣٣ اسقفاً متروبوليتاً و ٣٥٠ اسقف ابرشية ، ما عدا الابرشيات المستقلّة . فما كان اشبههم بالجيش المنظم بينما كان الغرب متمضماً حول الكرسي الرسولي . اذ لم يكن بوسع اساقفة فرنسة واسبانية ان يتصلوا بالبابا إلّا بقدر ما كان ملوكهم يسهلون لهم السبيل الى ذلك . ولم تكن الروح في كنائس افريقية على غاية ما يُرام من الميل الى التفاهم والاتحاد . وكانت بلاد « الالّيريكن » ، اعني البلقان ، بمعظمها وثنيةً . ولم يكن الاب الاقدس ليجد سبيلاً الى الاتصال بالمؤمنين دون ان يحول بينه وبينهم مانع الحكام ، الّا في ايطالية الوسطى وصقلية . ومن الحوادث التاريخية التي لا ريب في حقيقتها ان عدداً غير قليل من سكّان سورية وشواطئ البحر المتوسط الشرقية اخذوا يهاجرون من بلادهم الى الغرب بعد الفتوحات العربية الاولى. فظهر عدد وافر من السوريين واليونان في افريقية ، وفي صقلية ورومة وراقنة . فاثروا في احوال البلاد باختلاطهم بسكانها . وكان هؤلاء الشرقيون من خيرة مناصري الكرسي الرسولي على

بدعة المونوثيلية والمدافعين معهُ عن الايمان الارثوذكسي في المجمع المسكوني السادس المنعقد في قسطنطينية عام ٦٨٠—٦٨١ . وكان البابوات في اواخر القرن السابع اكثرهم يونان او سوريين . وانتشرت الرسالات آنذاك بفضل الشرقيين فأسّس ثيودورس الطرسوسي الشرقي كنائس انكلترة وغدا رئيس اساقفة كنتربري . وفي العام ٦٩٨ سقطت قرطاجنة بيد المسلمين ثم سرقسطة في العام ٧١١ و ٧١٥ واتصل المسلمون بمملكة الافرنج . وعلى الرغم من تلك الكوارث لم تنقطع الكنيسة عن التبشير . فتوغل المرسلون في بعض واحات صحراء افريقية ؛ وكان غيرهم من النساطرة يجتازون من ما بين النهرين الى الهند والى آسية الوسطى حتى حدود الصين يبشرون بالدين المسيحي . . .

الدين في تركية اليوم وغداً

وصفت مجلة العالم الاسلامي الامريكية بمقال مسهب حالة تركية الدينية فلخصنا عنها ما يلي (كانون الثاني ١٩٣٩) :

في ٣ نيسان ١٩٢٨ اشاعت جريدة « ملت » في استانبول ان الحكومة تفكر بتحوير الدستور الجمهوري لتعلن ان الاسلام ليس دين تركية الرسمي . وبعد ذلك بيومين اجتمع حزب الشعب في انقرة وسمع تصريحات عصمت باشا فيما يخصّ فكرة الحكومة ووافق عليها . وفي ٩ منهُ اجتمع المجلس الوطني الاكبر واقرّ ما عرضتهُ الحكومة في هذا السبيل باجماع الآراء . وصار الاتراك يطاردون الاجانب من بلادهم مع تصريحهم بانهم في اشدّ الاحتياج الى التثقف على الاجانب ولكنهم يرسلون شبّانهم الى اوربة ويكتفون في بلادهم بمطالعة الكتب الاوربية . ثم اتخذوا القانون السويسري قانوناً لهم لكي يخلعوا عنهم نير « الشريعة » ، والقضاة لا يفهمون لغة القانون الجديد ؛ فتأمل ! . . . قضى الغرب قروناً قبل ان ينتهي الى وضع شرائع الضرائب ، وهي على ما اقتضته من دروس واختبارات لا تزال ناقصةً من وجوه كثيرة . اما الاتراك فنزلوا بالميدان غير مبالين ، وسنوا شرائع للضرائب كانت نتيجتها ارهاق الشعب وقلة تحصيل المال . ويا ليتهم اقتفوا آثار العجم واستنجدوا بخبير اوربي على تدبير

ماليتهم لكي لا يتزعزع عهد اصلاحهم من اساسه. وقد وقف احد «الخوجات» في الاستانة عقب الصلاة في احد المساجد واشار بيديه الى من حوله كأنه يريد منع الريح عن لهب قنديل ، وقال : « نحاول حماية القنديل من عاصفة الريح القاصفة » . وكان حوله بعض الشبان والشابات من الاتراك المتردّدين على الصلاة « احياء للهب ذاك القنديل » ولكن ما اقلهم ! وما عسى ان يكون باقياً من الديانة في تركية : دخل زائر في ضحوة النهار اربعة من مساجد الاستانة الكبرى فلم يجد فيها كلها اكثر من خمسة مصلين. وصارت حركة الفتور الديني تمتدّ الى القرى وصدر الامر باغلاق المساجد الزائدة . واغلقت المدارس التي كان الاحداث يتعلمون فيها تلاوة القرآن . وتحدث الناس بادخال المقاعد والموسيقى في المساجد ، وبالسماح للرجال بألّا يخلعوا احذيتهم ، وباقامة الصلاة باللغة التركية. على ان تلك الاحاديث لا حاجة الى تطبيقها لان الحركة الدينية آخذة بالجمود. وقد وقفت الحكومة تجاه الديانة وقفة المعاداة وسوء الظن اذ نسبت اليها اسباب الانحطاط . ولم تفرق في معاداتها بين دين الاسلام وغيره فطردت قسطنطين البطريرك المسكوني (كانون الثاني ١٩٢٥) وعاملت بطريرك الارمن الكاثوليك بعنف وشدة حتى الجأت الفاتيكان الى نقل كرسيه من الاستانة الى بيروت (تموز ١٩٢٨) واقفلت اخيراً المدرسة الامريكية في بروسه (نيسان ١٩٢٨) . وانزلت القصاص في بعض معلميها.

تلك هي الحالة في تركية اليوم والى اين المصير في الغد ؟ تتظاهر الحكومة بالميل الى مذهب الماديين ، ويتوهم كثير من الاتراك ان المذهب المادّي يؤدي بهم الى النجاح السريع ، كما لو كان هو روح التمدن الاوربي ، ولكنهم في ضلال . على ان البعض اخذوا يفكرون بالديانة المسيحية ونظروا الى تاريخهم السابق فقالوا ان قسماً من بني عثمان كانوا في اواسط آسيا من الناطرة المسيحيين قبل ان يدخلوا الاسلام ، وقال بعضهم : كنّا مسيحيين في الماضي وسوف نضحي مسيحيين في المستقبل . . .

ف . ت .

على عهد الامير

لماذا ؟

رواية لبنانية تاريخية

بقلم فؤاد افرام البستاني

وقد يكون من الابناء ضحايا في سبيل آبائهم
من حيث لا يعلمون

الفصل السادس

انقلاب مفاجىء (تابع)

ولكن لم تكن كلمات الشيخ تضمّد جرحاً ، حتى ينكأ ظلم الأمير حسين الف جرح . فيفرض السنن الجائرة ، ويرفع الضرائب ويجبيها مرّات ، ويتهم الناس بجرائم وهمية ، ويضطهدهم في اعمالهم واشغالهم ، مستبدّاً بالاموال مستهيناً بالارواح . وما عسى الشيخ بو غانم ان يصنع تجاه هذا الضغط ، وقد تبدّد اعوانه ، وتفرّق رجال حزبه ، واناف عمره على الثمانين ؟ . زد على ذلك ان الأمير حسيناً كان يبثّ جواسيسه ليلَ نهار حول قصر الشربين ، يجوسون اطرافه ، ويتأملون منافذه ، وينفضون مسالكه ، حتى اذا اشتبهوا باحد زائريه القوا القبض عليه ، فغدا يئنّ في سجن الأمير . وكثيراً ما منعوا المظلومين من الوصول الى ربّ القصر ، فظلّ هذا وحده اياماً وليالي يتطلّع من نافذة كشكه ، فلا يرى في السوق الّا رجالاً حافي الرؤوس ، منكّسي الأبصار ، صفر الوجنات ، متثاقلي الخطى ، يرمون بطرف تائه مضطرب برج السراي ، ثم يقرّون البصر بسرعة ورهبة على كشك قصر الشربين ، فيصادفون وجه الشيخ الوقور وقد زاده الشحوب هيبةً وجلالاً ، ويرون لحيته الكثيفة وقد أثّرت فيها الاحزان فكلّلتها بياضاً سابغاً . والشيخ كبير القلب ، شديد الجلد ،

كثير الصبر لدى الرزايا ؛ ولكنه وافر الحسّ ، رقيق العاطفة ، وقد توالت عليه المصائب ، وتراحمت في فكره الهموم ، فزادتـه تعباً على تعب السنين ، وتكاثرت عليه الاثقال فلم يقوَ جسمه المكدود على احتمالها . فكاد يرزح على الرغم من قوّة بنيته . حتى انه كان ، بعـد ان ينهي الحديث مع زوّاره فيشجعهم ويصبّرهم ويبعث في صدورهم ميت الأمل بكلماته الكبيرة ، يشعر بان قوّة عظيمة خرجت منهُ في عهدٍ لم يعد قادراً على اعطائها ، فتنحلّ ركبتاه ، وتتكاسل اعضاؤه ، وتضطرب افكاره ، فتنثني عينيه سحابةٌ دكناء لا تريه من خلالها الّا المصائب والبلايا . عند ذاك كان يستعين بعصاه ، ويتكئ على احد خدمه ، فيدلف رويداً الى كشكه حيث ينطرح على المقعد دون حراك .

وكثيراً ما كان يُطيل تلك الجلسة ، وطرفه شاخصٌ الى الأفق البعيد ، طوراً يفتش عن مقرّ عكا ، فتضرب افكاره هائمةً في تلك المجاهل تبحث عمّا عسى ان يكون المّ بغانم ، وبالأمير ، وباعوانه ؛ وتارةً يتحوّل الى بعذران والمختارة وما جاورهما ، فيستنبئ الافق عن احوال المير جهجاه ، والشيخ حسن جنبلاط ، وسائر رجال الحزب ؛ وحيناً يعود رويداً رويداً فيستقرّ على سراي دير القمر ، سائلاً كم من الايام السوداء سيدوم استبداد هذا الامير الجائر . . .

* * *

اما خارج دير القمر فلم يكن رجال الأمير بشير ليصبروا على ضيم . ولم يكد يبلغ مسامعهم ما يأتيه الأمير حسين من الفظائـع والمنكرات ، حتى اخذوا بالمفاوضات السريّة بعضهم مع بعض . وبدأ القوّاد بالانتقال شيئاً فشيئاً مـع افراد رجالهم الى نواحي المختارة ، وبعذران ، وبعقلين . وكان الأمير جهجاه قد حصّن قصره بالمعدّات والذخائر والرجال حتى اصبح ملجأً اميناً ، ومعقلاً تتراجع عنهُ الجيوش الجرّارة فكيف برجال الامير حسين . وكثيراً مـا كان يردّد على رجاله ، اذ يتفقّد نقاط قلعته : « الامير حسين امير في دير القمر لا في بعذران ! » ثم يقهقه ضاحكاً فيقهقه جميع سامعيه . وكان على اتصال دائم مع الشيخ حسن جنبلاط الذي كان لا يزال في قصر المختارة . وطويلاً مـا كانا يجتمعان فيتبادلان الآراء ، ويضعان الخطط التمهيدية للقيام بثورة شامـلة في

بلاد الشوف . ولكنهما كانا يتردّدان امام خطرين : الاول ان ينسب الجزار تلك الثورة الى دسائس الامير بشير فينزل به سوءاً في عكا . والثاني ان ينسبها الامير حسين الى الشيخ بو غانم فيضيّق عليه في دير القمر . ولم يكن في مقدورهما اذ ذاك خلاص الامير من سجن عكا ، ولا خلاص الشيخ من قصر الشربين .

على ان روح التذمّر العام الذي كان ينتشر يوماً فيوماً في صدور السكان على اختلاف نزعاتهم ، وكثرة الاحتجاجات والتشكي التي كانت ترتفع من كل الأحزاب ، جرأتهما على التقدّم شيئاً في مشروعهما . فاخذا بمفاوضة افراد الحزب فوجداهم على اتم الاستعداد . عند ذاك احبّا جسّ نبض غير رجالات الحزب ، فخابرا مشايخ العمادية بطريقة مبهمة ؛ فاذا بهم ، وقد جمعهم البلاء ، وضمّهم الشقاء ، يلتحقون دون قيد ولا شرط بحزب الامير ، وينتظرون بفروغ صبر ساعة تنفخ على قمم الشوف روح الثورة المخلّصة ، حتى يقوموا « بيوم » امام الامير بشير . . .

عند ذاك اتّفق الجميع . ولم يبقَ الّا دعوة أمير يحملونه على طليعتهم ، ويحاربون تحت لوائه تجاه البلاد ، ويقرّون له موقّتاً بإمارة لبنان حتى يكون لثورتهم صفة وطنية ، وميزة قومية . وإلّا اعتُبرت خروجاً على السلطة ، وعصياناً يستحقّ كل عقاب . فعقدوا اجتماعاً تبادلوا فيه الافكار ، فقرّ رأيهم على اختيار الامير عبّاس اسعد . فاستدعوه ونهضوا به وبرجالهم جميعاً الى بعقلين ليكونوا على مقربة من دير القمر ، فيرموا الذعر في قلب الامير حسين وقلوب اعوانه اذ يرون منهم هذه الجرأة في الاقتراب ، ويولّدوا الرجاء في قلوب المظلومين من أهل الدير اذ يتحقّقون ان الخلاص اصبح قريباً . وكان من رأيهم ان يفاجئوا الدير ليلاً ، فيغتنموا الامير حسيناً في سرايته ، ويبدّدوا حاشيته ، ويحمّوا قصر الشربين ، فيخلّصوا شيخه قبل ان تتصل اليه عقارب الحاكم الغاشم .

* * *

ولكن سرعان ما تحبط المساعي وتتلاشى الآمال ! فان مدبّر الامير حسين ؛ جرجس باز ، ذاك السياسي الخبير والداهية المحنّك ، كان لا يغفل طرفة عين

عن تنقلات رجال الامير بشير . وكان يلاحظ تجنّبهم ، واقترابهم من العمادية ، وسيرهم بين بعذران والمختارة وبعقلين ، كما يُلاحظ الفلكي الخبير تجمّع الغمام وتراكم السحاب على سطح البحر في ايام الشتاء ، حتى اذا اختلفت مهاب الهواء ، وتقلّبت درجة الحرارة انذر بقرب العاصفة . وهكذا فعل جرجس باز . فما بلغه خبر اجتماع القوم في بعقلين مع الامير عبّاس اسعد ، حتى كان يملي على كاتب الامير حسين تحريراً مطوّلاً الى الجزّار يخبره فيه ان الامير بشير آخذ بتحريك الاهالي وإثارة الخواطر على الحاكم الذي اقرّه مولى البلاد ، وان ذاك السجين لا يتراجع امام تلك الجرأة الفظيعة ، وهو ينفث روح الثورة من عكا «ومن تحت ذقن الجزّار.» ثم اشار على الامير حسين ان ينفذ قائد عسكره فيأتي بالشيخ قعدان بو غانم مقيداً ، لأن له ضلعاً في تلك الحركة.

* * *

امّا الجزّار فلمّا وصله التحرير ، بلغ منهُ الغيظ كل مبلغ فزّقه من شدة التأثّر ، وجعل يردّد : « يدسّ الدسائس تحت ذقني . » ثم أمر بالامير بشير ، واخيه الامير حسن ، وغانم ، فقُيّدوا وطرحوا معاً في حجرة مظلمة لا يدخل عليهم فيها احد . وامر بالشيخ بشير جنبلاط ، وفارس ناصيف ، فنُقلا الى محبس ضيّق ايضاً ولكنه في النور . ثم ارسل الى المنلا اسماعيل يأمره بالسير في جيشه عن طريق البقاع لمعاونة الامير حسين في قمع تلك الثورة.

وامّا الامير حسين فانفذ في الحال قائد عسكره ، حسن اغا ، الى قصر الشربين . وكان الشيخ بو غانم لا يدري ما جرى من تقلّبات الاحوال ، ولا يعلم ان الدهر يخبّئ لهُ من المصائب اضعاف ما لاقى . فقرع حسن اغا باب القصر قرعاً عنيفاً . وما هو ان فتح ، حتى كان القائد يسير في الدار على مهل وصدى وطآته الشديدة على البلاط يتردّد في زوايا الدهليز . على انه لم يبدُ امام الشيخ الوقور حتى تهيّب تلك الشيخوخة ، فوقف قليلاً لا يتكلّم . ولكن الشيخ حدجه ببصره مستغرباً دخوله ، فقال :

— يقول لك سيدنا المير انه بحاجة اليك . وقد امرني ان آخذك الى السراي.

فاختلج الشيخ بسرعة ، وتوترت اعصابه التي لم تتعوّد مثل هذه الجرأة في قصره . وكأن الشعور بالخطر القريب ، والأنفة من الاهانة ، وكبر النفس المتأصل في عروقه ، اعادت الى جسمه الفاني قوة الشباب فرفع رأسه ، وحدّق الى عيني القائد ، وقال بصوت يتهدّج غيظاً :

— ارجعْ وقل لسيدك اني لا افارق منزلي . واذا كان عنده ما يقوله لي فقصر الشربين مفتوح لكل انسان . اما اذا كان قصده اخذي الى السراي ، فقصري موصد في وجهه ، لا يفتح بابه الّا مكسوراً ، ولا يدخل مقاصيره الّا مهدومة .

فصُعق حسن اغا امام هذا الردّ ، ولم يشعر الّا وقد حملته رجلاه الى الوراء . فسار يتعثّر باذيال الفشل ، ويتلمّس عن غير انتباه اطراف الدهليز ، حتى خرج وهو لا يصدّق بالنجاة .

امّا الشيخ فكأنّ تلك القوّة كانت آخر ما بقي في نفسه من مظاهرها ، وقد انفق لابرازها كل ما كان في اعصابه من عنف وصلابة . فكان كقوس ضُغط طرفاها ، وشدّ وترها طويلاً ، فلم يزلْ عنها السهم بعيداً حتى ارتخى الوتر ، واعوجّ الطرفان . كذلك كان الشيخ ، فانه لم يكد القائد يخرج ، حتى شعر بانحطاط في جميع جسمه كان نتيجة ذاك التوتّر الشديد السريع ، وأحسّ كأن دُواراً يُلمّ برأسه ، وحمّى قويّة ترجف اطرافه . فاستدعى الخادم وقال :

— افرش لي ! واوصد الباب ، ولا يدخل القصر احد وانت حيّ !

ثم استلقى في بُحران وخيم العاقبة . . .

فغطّاه الخادم ونادى بربارة . ثمّ أسرع الى الدهليز فأوصد الباب ، وحمل سلاحه واقام يحرسه بقية ذاك النهار ، فلم يأتِ احد . وعند المساء رجع الخادم فسأل عن سيده فألفاه لا يزال نائماً . ثم مرّ على المطبخ فحمل عشاءه وعاد الى محرسه ، وقد تجمّعت في دماغه افكار غريبة مبهمة متناقضة كانت تجتمع تارةً حول سيّده ونومه الطويل ، وطوراً حول غانم وسجن عكا ، وحيناً حول الامير حسين وما عساه ان يصنع . وكان يجتهد في طردها فلا يقوى على ذلك . فظلّ على تلك الحال من القلق والالم الى ان كاد ينتصف الليل ، واذا

قداسة الحبر الاعظم

بيوس الحادي عشر

بمناسبة يوبيله الذهبي الكهنوتي

المشرق · نيسان · ١٩٣٩

بوطء اقدام خفيفة تدنو من البوّابة ، فانصت . واذا بيد تنقر نقراً ضعيفاً على الخوخة . فأرهف الخادم أذنيه.وما ان عاد النقر حتى قال بصوت خافت .

— من ؟

— انا فرحات ! افتح !

فتمتمت شفتا الخادم كلمات الدهشة والفرح . ولكنه تابع :

— لا يمكنني ذلك.فقد امرني سيدي الشيخ بعدم فتح الباب وانا حيّ

— افتح بلا بلادة !

— من العبث الكلام ، فلا افتح !

— مجنون والله !وما العمل وانا اريد الدخول ؟ اني قادمٌ من عكا فافتح !

— عليك ان تدور الدورة من تحت الشربين ، فتنزل من وراء المطبخ ؛ وانا افتح لك باب قبو الفحم ، فتدخل.

ولما لم يكن لفرحات مناص من العمل باشارة الخادم ، رجع على اعقابه ، واتجه ناحية الشربين متباعداً ما امكنه عن القصر كي يبعد عنهُ ظنون جواسيس الامير حسين الذين رآهم يرودون حوله.وما هو ان آنس غفلة من الموكل بمراقبة القصر من اعالي الشربين ، حتى انسلّ بين تلك الاشجار الكثيفة انسلال الافعى ، فكان حيناً يزحف على بطنه ، وحيناً يلتصق بالجذوع الضخمة ، وحيناً يتدلّى من غصن الى آخر ، ومن صخر الى وهدة ، الى ان وصل امام قبو الفحم فرأى الخادم بانتظاره وراء النافذة ، فدخل . وبعد ان سلّم على رفيقه ، قال هذا بصوت خافت ، ولهجة متقطّعة ،شأنَ من ينبئ بمصيبة فادحة ويتوقّع الخلاص منها بواسطة مخاطبه.

— سيدنا الشيخ انقله مرضٌ مفاجئ ، وهو لا يزال نائماً وقد شغلت بالي حالته !

— الشيخ مريض ؟ ومن كم يوم ؟

— منذ هذا العصر . وقد ارسل الامير حسين في طلبه الى السراي. فتأثر من ذلك وانتابه دور حمى لا اعرف كيف ينتهي.

ولم يكد يتم كلامه حتى قفز فرحات فكان في غرفة الشيخ. فما راعه الّا

نور ضئيل يتأرجح مضطرباً في انحاء تلك الردهة الفسيحة ، حتى يصل الى وجه الشيخ فيظهر مصفراً جامداً كأنه من الشمع ، لا عرق فيه يشوبه بالاحمرار، ولا قسمة تدلّ على الحياة . والى جنبه ، جلست بربارة ، بعد ان اطفأت انوار المسرجة الّا تلك الذبالة الضئيلة ، جلسة الساهرات على الموتى . وقد جحظت بعينها الى وجه سيّدها ، وارهفت أذنيها الى صوت لهاثه ، بينا كانت اصابعها تدحرج باضطراب حبّات سبحة طويلة ، وشفتاها ترمرمان دون صوت:

« يا قديسة مريم ، يا والدة الله ، صلّي لأجله ، هو الخاطي ، الآن وفي ساعة موته . آمين »

فوجئ فرحات بهذا المشهد ، فجمد هنيهةً في مكانه ، شاخص العينين ، ذاهلاً . ولم يلبث ان تدفّقت عبراته فجأة ، واخذ ينشج نشيج الطفل . فالتفتت اليه بربارة واشارت ان يسكت لئلّا يوقظ الشيخ . فمسح دموعه ، وضبط انفاسه ، واقترب رويداً من فراش المريض مستفهماً عن حالته . فأسرّت اليه انه لم يبدِ حركة منذ العصر وان العرق لا يزال يتصبّب من جسمه ، وان وجهه لا يدلّ على شيء من الصحة والقوة .

وبينا الاثنان يتفاهمان همساً ، فيهزّان رأسيهما بيأس ، ويتبادلان النظرات القلقة ، اذ تحرّك الشيخ ، وفتح عينيه ببطء فأجالهما قليلاً ثم اغمضهما ، وقال لاهثاً :

— نادوا بونا توما !

فأسرع فرحات الى الباب فصدّه عنهُ الخادم قائلاً ان سيده اوصاه بأن لا يفتح لاحد . عند ذاك تذمّر فرحات من تلك الطاعة العمياء ، وبعد اخذ وردّ ، انتزع المفتاح من الخادم وانحدر الى انطوش سيدة التلّة فايقظ الرئيس واتى به الى الشيخ مع الزاد الاخير .

وما كاد يدخل الاب توما غرفة المائت ويصلّي قليلاً ، حتى رفع الشيخ بصره فنظر نظرة العطف والطمأنينة الى القسيس . واشار داعياً جميع خدمه وخادماته ، فاتوا . فعدّهم بنظره ، واذ رأى عددهم كاملاً ، قال :

= يا يونا توما ، مالي وصيّة سوى غانم . وهو وريثي الوحيد ، وهؤلاء شهود ...

وبعد ان استراح قليلًا ، اردف :

— والآن اتركوني مع يونا توما !

فخرج الجميع . واذ انهى الشيخ اعترافه ، دعا القسيس الخدم فعادوا وكلٌّ يمسح دموعه . فركعوا جميعاً حول الفراش وحضروا تناول الشيخ واخذوا يردّون على القسيس في الصلوات الاخيرة ، ويتلون معه طلبة جميع القديسين ؛ والشيخ يرافقهم باشارة رأسه ، واختلاج شفتيه حتى انتهت الصلوات كلها ، فاضطرب الشيخ قليلًا ، وخفق برأسه ، مسلماً الروح .

عند ذاك علا الصياح والعويل . واسرعت بربارة الى النافذة تفتحها وتُطلق في ذاك الجوّ الساكن صوت المصيبة الفادحة فتقلق الخواطر ، وتوجف القلوب لدى الشعور بمرور الموت ؛ فاوقفها القسيس ، واشار على الجميع بالصمت والسكون ، واحياء الليل بالصلاة وهي انجع وافيد للميت من عويل لا يجديه شيئاً ، واليق بقوم تنظر اليهم عيون الاحزاب المعاكسة ، وتحيق بهم شماتة الاعداء المنتصرين .

فسمعوا لكلامه ، وتبعوا نصيحته ، واقاموا معه حتى الصباح ، في صلاة وترنّم . وبعد القدّاس الاخير اتى جميع قُسُس الانطوش فصلّوا على جثمان الفقيد ، ودفنوه بكل اكرام واعتبار في حديقة القصر .

* * *

بعد ثلاثة ايام ، قبض رجال الجزّار في ضاحية عكا ، على رجل لبناني ، فساقوه الى مولاهم . فقلّب هذا طرفه فيه قليلًا ، وقال :

—أني اعرف هذا الوجه ! ولا يبعد ان يكون من رجال الامير بشير . فزجّوه معه لعلّه يسلّيه في وحشته ....

ثم قهقه عالياً بينا كان الرجل يُساق الى سجن الامير المظلم .

ولم يصرّ القفل في باب السجن بعد خروج الحرّاس ، حتى تلمّس الرجل مقعد الامير وانطرح على رجليه يبكي ويقول :

— كيف احوال اسيادي في هذا القبر ؟ تعرَّضتُ لرجال الجزّار لعلمي انهم يطرحونني معكم في السجن ، اذا قبضوا عليّ . فكيف احوالكم ؟

فدهش السجناء الثلاثة لسماعهم صوت فرحات واستغربوا وصوله اليهم ، ثم اقبلوا عليه يهنئونه بالسلامة ويسألونه عن آخر الاخبار . فهزّ رأسه بكآبة ، وقال :

— لي كلام اقوله لسيدي المير بشير . ثم اقبل يُسرُّ في اذنه مصيبة قصر الشربين . وما قاساه الشيخ ، وما يقاسيه الحزب من فظاعة الحاكم الحاضر .

وكأنَّ سلكاً خفياً نبّه موطن الجزع من قلب غانم ، فتمثّلت له المصيبة باشدّ هولها ، فصاح مضطرباً ، راجياً ، آمراً :

— اخبرني بما حدث ! جدي ؟ ما حلَّ بهِ ؟

ولمّا لم يسمع جواباً عن سؤاله ، تراخت مفاصله ، وهبط بكلّه على الارض صائحاً :

— واحسرتاه عليك يا جدي ! اين غانم يغمض عينيك ! واين رجالك يسيرون في مأتمك ! .

فتقدم منهُ الامير بشير ، وبكلام يذوب لطفاً ورقّة ، أخذ يخفّف ما المّ به مشيراً الى ان تلك الخسارة عامّة على الحزب بكامله بل على البلاد جميعها ، راجياً من الله ان يُغدق رحمته على ذاك البطل الذي لم يعرف الّا الرحمة في حياته ، مؤملاً بانقلاب الامور فيخرجون من ذاك البرج المظلم وتنقشع تلك الغيوم الكثيفة . . .

(لها بقية)

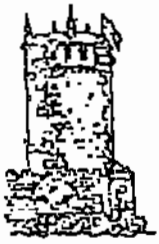

شذرات

الديانات في الولايات المتحدة[1]

ننقل عن «الاوسرفاتوري رومانو» في عدد ١٥ تشرين الثاني احصاء الديانات المختلفة في الولايات المتحدة كما اعلنتهُ وزارة التجارة. وقد تمّ في السنة ١٩٢٦ ، والاحصاء السابق جرى في السنة ١٩١٦ . فينبئنا الاحصاء الحديث ان في الولايات المتحدة ، ما عدا الديانة الكاثوليكية ، ٢١٢ ديانة مختلفة معظمها بدع في الكنيسة البروتستانية فللوترانيين ٢٧ بدعة ، و ١٨ للباتيست ، و ١٩ للميثوديست ، و ٩ للبرسبيتاريان ، و ٧ للشرقيين المنفصلين عن الكنيسة الكاثوليكية.

امّا الديانة التي اعضاؤها اوفر عددًا في الولايات المتحدة فهي الكاثوليكية. فالمنتمون اليها يبلغ عددهم ١٨,٦٠٥,٠٠٣ ؛ وكان في الاحصاء السابق ١٥,٧٢١,٨١٥ ، فزاد في مدة عشر سنوات نحو ثلاثة ملايين . والاوفر عددًا في الديانات البروتستانية هم الباتيست وعددهم ٨,٤٤٠,٩٢٢ ، ويليهم الميثوديست ويبلغون ٨,٠٧٠,٦١٩ ، ثم اللوترانيون وهم ٥,٢٥٨,٦٢٣ ؛ وعدد اليهود ٤,٠٨٧,٣٥٧ ، والكهنوتيون (البرسبيتاريان) ٢,٦٧٥,٢٨٤ ، والشرقيون اكثر بقليل من ٢٥٠,٠٠٠ ، فمجموع المنتمين الى احد الاديان يبلغ بموجب الاحصاء الاخير ٥٤,٦٢٤,٩٧٦ . وهذا العدد لا يبلغ نصف عدد سكان الولايات المتحدة الذي يبلغ نحوًا من ١٢٠,٠٠٠,٠٠٠ . ومن ثم يفيدنا ان نسأل : والنصف الآخر من سكان الولايات المتحدة اليس لهم دين ؟ ام هل الاحصاء لم يكن كاملاً ؟ ان الامر الذي لا ريب فيه هو ان عدم الاكتراث للدين يمتدّ في تلك البلاد. فالمدارس اللادينية هي السبب الاعظم في الفتور في الدين ، ومعلوم ان المدارس الرسمية لا يعلَّم فيها التعليم المسيحي. وهو امر يشكو منه كثيرون من عقلاء البروتستانت . فلا عجب ان تنشأ الشبيبة على عدم الدين.

(١) *La Documentation Catholique, N° 449 — 25 Nov. 1928*

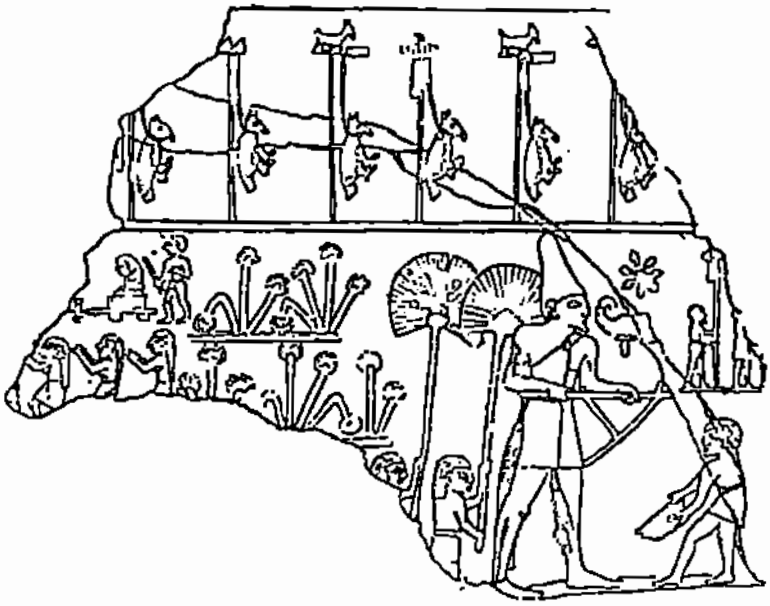

اقدم مشنقة

قام العدل يناقش الاشقياء الحساب عمّا سفكته ايديهم الاثيمة من دماء الابرياء. فعلقت الاجسام على الاعواد حفظاً للنظام وارهاباً للمجرمين. وقد رأينا ان نطلع القراء الكرام على قِدم استعمال المشنقة كآلة تنفيذ لاحكام القضاء.

فاقدم ما نعلمه عنها هو ان فراعنة مصر من نحو ٣٥٠٠ سنة ق.م. اكثروا من نصب المشانق لابادة من وقع بين ايديهم من الخصوم والاعداء. وقد نقلنا الصورة اعلاه عن نقش مصري للفرعون الملقب «بالعقرب» ، وهو يظهر فيها حاملاً بيده معولاً ، وامامه احد الفلاحين يبذر الحبَّ من سلّة قصبية. وفوق الملك ستة اعواد مشانق ، على كل منها علم من اعلام الاقطاع المصرية الخاضعة للفرعون ، وقد عُلّق بكل من هذه الاعواد حيوان يمثل العدوّ الاسير.

وعلى تداول الاعوام والاجيال ، لم تتغيَّر المشنقة في شيء عمّا كانت عليه في عصور التاريخ الاولى . فهي كانت ولا تزال مؤلفة من عود وحبل . واننا لنعجب ان لا تزال بعض الحكومات الراقية ، كحكومة الانكليز وحكومتنا ، تستعمل هذه الآلة على بساطة حالها وما فيها من ضروب العذاب للمحكومين.

مطبوعات شرقية جديدة

Karl Haushofer: Grenzen in ihrer geographischen und politischen Bedeutung mit 32 Skizzen. *Berlin-Grunewald 1927. Kurt Vowinckel Verlag. Bf=* 18

الحدود من حيث الجغرافية والسياسة

يقرن هذا الكتاب الى جمال الظاهر ، ووفرة الاتقان بفهارسه ومآخذه العديدة ، درساً واسعاً تامًّا في مسألة الحدود والتخوم. ولا يخفى ما للحدود من الاهمية في المنازعات السياسية ، فهي تارةً تُعتبر جغرافية وطورًا عنصرية شعبية. ولكن لا تقف تنوّعات الحدود عند هذا القدر فهناك النبات والحيوانات التي لا تعيش الّا ضمن مناطق مقررة ، وهناك البحر الذي يضع حدّه ايضاً ، فينتج انّ للحرّ والبرد ايضاً حدودًا خاصّة . ولكن ما هي قيمة كلّ هذه الحدود؟ سؤال يبحث فيه الكاتب باهتمام ودقّة ، ويزيّن بحثه بصور جميلة. ج.ل.

Clemen (Carl): Religionsgeschichte Europas. I B^d bis zum Untergang der nichtchristlichen Religionen. *Mit* 130 *Text-Abbild., VII-*383 *pp.* 8°, 1926. [*Kulturgeschichtliche Bibliothek. IIe Reihe. I*] *C. Winter, Heidelberg.*

تاريخ الديانات الاوربية حتى ظهور الديانة المسيحية

وصفنا في « مشرق » السنة الماضية (٢٦[١٩٢٨]: ٥٤٥) ثلاثة مؤلفات من مجموعة (*Kulturgeschichtliche Bibliothek*) التي ينشرها السيد ونتر (C. Winter) تحت ادارة الدكتور فوي (Dr W. Foy) . وها نحن اليوم نقدّم الى قرّائنا كتاباً جديدًا من تلك المجموعة يبدأ سلسلة جديدة مخصّصة بدرس الثقافة في اوربة . امّا مؤلف الكتاب فهو السيد كليمن الطائر الشهرة بابحاثه عن تاريخ الديانات ، وهو يلخص لنا لأول مرّة باسلوب تعليمي وجيز مع مآخذ ورسوم ، تاريخ الديانات في اوربة . ولربّ معترض يقول : « ولم يكتفي المؤلف باوربة وحدها ؟ وهل في امكان الجغرافية ان تكون أمًّا

لتقسيم تاريخ الديانات ؟ ثم ، اذا تكلّمنا عن المدنيات القديمة ، فاين تنتهي حدود اوربة واين تبتدئ حدود آسية ؟ » فنجيبه ان المؤلف استدرك كل هذه الاعتراضات واجاب عنها بان اوربة تؤلف وحدةً تامّةً في مقابلة آسية ، حتى ان هيرودوت نفسه ، وهو وليد هاليكرناس في آسية الصغرى ، يعبّر عن هذا الامر بنصّ صريح . وفضلاً عن ذلك ، فان النظريات العصرية تعتبر ان الشعوب الهندية - الاوربية نشأت في شمالي اوربة . وان الديانات السابقة للتاريخ على الرغم من انها لا تزال غامضة ، تظهر معروفة في اوربة اكثر منها في آسية وافريقية . ومهما يكن من الامر ، فان المؤلف يقسم كتابه الى ثلاثة فصول : ١ً الديانات السابقة للتاريخ في عصور الظرّان المصقول ، والنحاس ، والبرونز ، والحديد . — ٢ً ديانات الشعوب السابقة للهندية - الاوربية ، وديانات الشعوب المختلفة عن هذه الفصيلة من امثال الايجيين ، والكريتيين . . . والاتروسكيين ، والليغوريين ، والايبيريين ، وقبائل الفينو - اوغريين . — ٣ً ديانات الشعوب الهندية - الاوربية مبتدئاً من اوّل تفرّعات هذه الفصيلة ، منتقلاً الى اليونان ، والرومان ، والسيتيين ، ومن اليهم من الشعوب ، ثم التراقيين ، والسلتيين ، والجرمان ، والصقالبة . امّا عرض الموضوعات ، واسلوب الانتفاع بالوثائق ففي غاية الوضوح وكذلك الرسوم المفيدة . ويمكن جميع الطلّاب ان يستفيدوا بسهولة فيوسّعوا نطاق معلوماتهم بفضل الاطلاع على المآخذ التامّة التي يجعلها المؤلف في كل قسم . فنحن نقدّم تهانينا الخالصة للمؤلف الكريم ، وننتظر بشوق المجلّد الثاني من تأليفه الذي سيخصّه بالديانات اليهودية ، والمسيحية ، والاسلامية ، والبوذية ايضاً ، وكل ذلك في اوربة .

س . ر .

L. Le Fur et G. Chklaver : Recueil de textes de droit international public. *vol. in-12 de 769 pp. Prix : 25 f — Paris, Librairie Dalloz,* 1928

مجموعة نصوص تتعلق بالحق الدولي العامّ

نتج هذا الكتاب من فكرة حسنة فألّف عملاً مفيداً . فهل يفهم مبلغ ذلك جميع من يودّون سرد النصوص والوثائق الدولية فيضيّعون قسماً صالحاً من

وتهم في التنقيش عنها ؟ اما الآن فـان المؤلف يقدّم لهم ، في حجم مقبول لطيف ، مجموعـة واسعة من نصوص الحق الدولي ، مقسومةً الى قسمين : ١ً النصوص التي لم يبقَ لها سوى قيمة تاريخية ، مع بعض فقر سابقة لنظرية الحق الدولي. — ٢ً النصوص الحالية كشريعة مفرو ، وشريعة الضمانات ، والاتفاقيات المشهورة ، وموادّ الرئيس ويلسون الاربع عشرة ، ومعاهدات الصلح ، ونصّ الانتداب الفلسطيني ، والانتداب السوري الخ... وعلى الجملة فالكتاب مفيد نافع جدير بان يكون في مكاتب جميع المؤلفين. ج.ل

Kornemann (Ernst): Die Stellung der Frau in der vorgriechischen Mittelmeerkultur [*Orient u. Antike* : 4] *Heidelberg, C. Winter*, 59 *pp.* 8°, 1927, *Prix* : 3 *M*[bs]

مركز المرأة في مدنية البحر المتوسط السابقة للعصر اليوناني

يعرض الاستاذ كورنمن ، في هذا الكتاب ، لموضوع غاية في الطرافة في عصرنا ، لاسيا بعد ان كشفت حفريات بوغاز كوي ، عاصمة الحثيين ، الوفاً من اللوحات المسمارية الحافلة بالمعلومات عن حالـة آسية الصغرى في الألف الثاني قبل المسيح. وقد كان المؤلف خاض الموضوع نفسه في محاضرة القاها في مونيخ سنة ١٩٢٤ ، فاعاد النظر فيها ، ووسّعها وزاد عليها ذاكراً مآخذ بحثه . ولمّا لم يكن من المستشرقين ، فقد استعان ببعض اصدقائه من الاختصاصيين بأمور الشرق ، فاعانوه بايضاح بعض المسائل المبهمة . امّا نظرية المؤلف فهذا ملخصها : ان النظام العائلي والاجتماعي عنـد الشعوب الهندية - الاوربية القديمة (ومنها اليونان والرومان...) كان يرتكز على الرجل الذي كان يُعتبر رئيس العائلة ، فلمّا قدمت هذه الشعوب من الشمال ، ودخلت البلاد التي اقامت فيها منذ ذاك الحين ، صادفت شعوباً وطنية تختلف عنها تماماً من حيث العادات والديانات ؛ وهو ما حدث مثلاً لدى وصول طلائع الشعوب الهندية - الاوربية الى بـلاد الحثيين[1] . هذا وان درس الوثائق الجديدة ومقابلتها بما نعرفه من المعلومات عن

١) لا يخفى على قرائنا الكرام ان احدى اللغات السبع المكتشفة في حفريات «بوغاز كوي» هندية - اوربية في تركيبها وقواعد نحوها.

مؤلفي اليونان والرومان ، يظهر ان سكّان آسية الصغرى كانوا يسندون الى المرأة رئاسة المجتمع العائلي والشعبي: هذه نظرية المؤلف ، وهي وان لم تكن دامغة الحجج فلا اقل من انها تظهر حسنة التوسيع . وهي تشرح حكاية الامازونة واساطيرها . على اني اراها لا تزال مضطربة غامضة حتى تثبتها اكتشافات حديثة ، وتجلوها انوار جديدة من بلاد قدماء الشومريين . س . ر .

Robert Stroit O. M. I. : Les Missions Catholiques, statistiques et graphiques. *petit in folio de* 160 *pp. Paris, Desclée, de Brouwer et Cie*, 1928

الارساليات الكاثوليكية

لقد اظهر معرض الارساليات ، الذي اقيم في رومية سنة ١٩٢٥ ، لجميع زوّاره ما هي عليه الرسالات الكاثوليكية من الازدهار ، وذلك بما جُمع فيه من الخرائط ، والرسوم ، والاحصائيات ، والمقابلات . وما كان يظهر اذ ذاك لزوّار رومية ، اصبح في امكان كل شخص ان يطّلع عليه في هذا الكتاب فيرى بلمحة عين يلقيها على الرسوم الملوّنة ، ما بلغت اليه الارساليات من العمل وما يبقى عليها ايضاً . فهو لازم لكل من يهمه الكلام عن الارساليات بدقة ومعرفة .

E. Baudin : Introduction générale à la Philosophie. — I. Qu'est-ce que la Philosophie ? *Paris, J. de Gigord, in-8° de VI + 277 pp.*

توطئة عامّة لدرس الفلسفة

مقصد هذا الكتاب واضح من عنوانه ، فهو توطئة للفلسفة ، يعرّف فيها المؤلف موضوع هذا الدرس ، وغايته ، وميّزاته الخاصّة . وهو يهتم بان يُظهر كيف ان المعرفة الفلسفية تختلف عن المعرفة الاختبارية التي تكوّن مجال الشعور المشترَك ، وعن المعرفة العلمية في المعنى العصري . ويهتم خصوصاً بنقد نظرية الوَضعيين مبيناً ان ليس بامكان العلوم الطبيعية السيطرة على الفلسفة ، وان من يشاء حلّ المسائل الاخلاقية او مسائل ما وراء الطبيعة بالطريقة المتبعة في العلوم الطبيعية يضلّ سواء السبيل ويُضطر الى تحريف هذه المسائل ، فتشوه الحقيقة .

هذا واننا نرى المؤلف اميناً في الدفاع عن المبادئ الاساسية «للحكمة الخالدة» ، مهتدياً خصوصاً بهدي ارسطو والقديس توما . على ان تعلقه بتعاليم الحكمة القديمة لا يمنعه من ان يكون عصرياً في عرض المسائل ، والبحث فيها ، والجواب عنها بتعابيرها العصرية . وعلى الجملة فالكتاب حسن ، واضح ، لذيذ ، رزين ، وافر المعلومات ، يفيد المطالع ويرضيه في درس موضوعات غاية في الدقة ؛ ولا يشوبه الا بعض اسهاب وبعض مراجعات ، ولكنها هنات ثانوية لا تمنع كون المؤلف جديراً بمطالعة كل من شاء التفكير ، والتفكير الصحيح الصائب .

الاب غ . نيرون اليسوعي

Francesco Gabrieli : La Successione di Hârûn ar- Rašîd e la guerra fra al-Amîn e al-Ma'mûn *Roma. Tip. della R. Accademia dei Lincei.* 1928, 8°, 57 *pp.*

النزاع بين المأمون والامين على خلافة الرشيد

قال المؤلف : لبني امية تاريخ سلك فيه المستشرقون اسلوبهم في النقد العلمي ؛ اما بنو العباس فلا يزالون بحاجة الى مثل ذلك الاجتهاد . وقد برهن صاحب الكتاب ، وهو الذي سبق وقدم لنا درساً مثله في الماضي ، انه بتضلعه من معرفة المصادر الاصلية وتدقيقه في تفسيرها والانتفاع بها لجدير بان يباشر هذا المشروع ويختمه بالنجاح . فلا يسعنا الا ان نحثه عليه حثاً . ه . ل .

R. P. Lemonnyer O. P. : Théologie du Nouveau Testament. *Paris, Bloud et Gay, s. d.* (199 *pp.* 1928.)

لاهوت العهد الجديد

في هذا الكتاب الصغير من « المكتبة الكاثوليكية للعلوم الدينية » نرى درساً مختصراً حاوياً لكثير من النصوص اللازمة . على اننا نرى من المفيد ان نشير الى نقصين : الاول هو اننا لا نعرف تماماً لمن وضع المؤلف كتابه . فان الاختصاصيين لا يستعملونه الا اذا ارادوا مراجعة بعض النصوص المجموعة التي تتعلق بنقطة ما من لاهوت العهد الجديد . اما جمهرة المطالعين فليس لهم من الجلد ما يكفي ليطالعوا هذا الملخص بما فيه من المفردات الوضعية الخاصة ، وبما

يُويه من النصوص التي تحوّل بعض صفحاته الى شبه جداول للمآخذ . والنقص الثاني هو ان المؤلف ، على الرغم من اختصار موضوعه الواسع في كتاب صغير ، يُسهب كثيرًا في الرد على كتاب كريتزنستين (Reitzenstein) ووريده (Wrede) ولوازي (Loisy) وغوغويل (Goguel) بينا كان من المنتظر ان يُسرع باعطاء الرأي الصائب. اما من حيث المظهر الخارجي فان الاذن بالطبع أُعطي سريعاً فنتج بعض اغلاط مطبعية. ج. س. ا.

Antoine Slomkowski : L'état primitif de l'homme dans la tradition de l'Eglise avant Saint Augustin. *Paris, Gabalda*, 1928. 158*pp*.

حالة الانسان الاولية في تقليد الكنيسة قبل القديس اوغسطينوس

يؤلف هذا الكتاب الصغير اطروحةً لنيل الدكتوراه عُرضت على معهد اللاهوت في جامعة ستراسبورغ . وموضوعها درس حالة الانسان قبل السقوط ونتائج الخطيئة الاصلية ، كما تظهر في نصوص الكتبة الكنسيين (اي المناضلين عن الايمان ، وسائر المؤلفين الكنسيين ، وآباء الكنيسة) قبل القديس اوغسطينوس. وهو درس تام ينمّ عن اجتهاد ، ومعرفة قيّمة بالتاريخ ، وتعمّق باللاهوت. امّا ما نؤاخذ المؤلف عليه فهو سعة الموضوع : فانه قد يمكن ان يقدم المؤلف نتيجة درس من هذا النوع من ١٥٨ صفحة . ولكن ليس بالامكان ان يقدم الدرس نفسه بطريقة تضطر المطالع ، اذا اراد تحقّق مزاعم الكتاب ، على القيام بعمل قد لا يقلّ عن عمل المؤلف . ثم اننا نرى انه كان من الموافق ان يُعطى الكاتب بعض ارشادات من حيث لغته الفرنسارية وضرورة تسهيلها بحذف بعض التنسيقات التي يظهر فيها التكلّف. ففي الكتاب نقص من هذا القبيل ، ومن حيث تصليح المسوّدات ايضاً. ج. س. ا.

Knut Tallquist : Himmelsgegenden und winde ; Studia Orientalia, *edidit Societas Orientalis Fennica*.

تسمية الجهات الاربع

غاية هذا الكتيب تفسير الاساليب الاربعة المستخدَمة في اللغات الشتى لتسمية الجهات الاربع : الشرق ، والغرب ، والشمال ، والجنوب . امّا نفاسة

هذا المؤلف فهي قائمة في كون صاحبه يورد مئات الامثال على كلّ من الاساليب الاربعة ، وقد اخذ تلك الامثال من مئة واربعين لغة ، منها القديمة والحديثة ، الادبية والعامية ؛ وكل هذه الامثال مكتوبة بابجدية معروفة ، اتّفق عليها كبار اللغويين ، لتأدية كل الاصوات بغاية الدقة العلمية. ف.خ.

G. Vassallo : L'ortografia maltesa ; *Malta*, 1928

الاملاء باللغة المالطية

اللغة المالطية ، المشتقة من العربية ، تُكتب بالابجدية اللاتينية ، على اسلوب قريب من كتابة الايطالية ، لكن الكتّاب لم يتفقوا جميعهم على اتّباع طريقة واحدة لكتابة جميع الالفاظ ، وفي ذلك ما فيه من الخلل والضرر . فلتوحيد اسلوب الكتابة المالطية بين مؤلف الكتاب المذكور الابجديةَ التي يستحسنها ، لمطابقتها التلفظ اتمّ المطابقة ، وشرح بقواعد وامثال عديدة كيفية استخدام حروف تلك الابجدية. ف.خ

Dr Bernhard Poschmann : Die abendländische Kirchenbusse im Ausgang des christlichen Altertums. *Münchener Studien, Heft* 7, *in*-8°, 316 *pp. Prix, broché* : 8 *M*™ 50. *München, Verlag Josef Kösel und Friedrich Pustet*, 1928

سرّ الاعتراف في بلاد الغرب في اواخر العصور المسيحية القديمة

ليست شهرة الدكتور بوشمن ، فيما يخص تاريخ سر التوبة ، بحاجة الى التعريف . وها هو يعززها اليوم بكتاب عن استعمال سر التوبة في الغرب في اواخر العصور المسيحية القديمة . وقد قام بهذا العمل باسلوب غاية في الدقة ، فلم يفته شيء من معرفة النصوص التي فتّش عنها بصبر ، ولا من قراءة ما كُتب في موضوعه . فنهنئه شاكرين له ايضاً ذاك الاهتمام بايراد كل النصوص التي يستفيد منها ، وبذكر مصادره وتمحيصها . وهكذا يرى المطالع تحت نظره كل الوثائق اللازمة للخوض في الموضوع ، فيستطيع من ثمّ مراقبة اتمام العمل ، وتحقّق صحّة النتائج بعرضها على المقدمات . فيشكر المؤلف كما يشكره كل مدرّس لاهوت . على ان هذا لا يمنع كوننا ابعد من ان نقرّ جميع نتائجه بل

اننا نسأل نفسنا بشيء من الاستغراب كيف ان علم المؤلف باللاهوت لم يلهمه الشك في صحة بعض ما يدعوه نتائج تاريخية . فهو يقبل بسهولة ان الاهمية المطلقة على «حلة الكاهن»، او على غفران الكنيسة ، او ايضاً على الاعتراف بالخطايا ، امكنها ان تكون ضئيلة في نظر الاكليروس الغربي . ولنفرض ان قراءة الكتاب بكامله تؤثر في عقل المطالع فيقرّ الزعم الذي يقول به المؤلف ، ويعتقد ان سر التوبة امكنه ان يكون قليل الاهمية في زمن ما ، فترى كم يفتح هذا الزعم مجالاً امام علماء اللاهوتيين للردّ على الدكتور بوشمن. وفضلاً عن ذلك فان النصوص التي يسند اليها الدكتور نتائجه لهي ابعد من ان تثبت زعمه هذا. واننا نأسف ايضاً لكون الدكتور لم يتعمّق في درسه للتائبين ، ولم يميّز تماماً بين من يتوبون تكفيراً عن آثام كبيرة ، والذين يجعلون من التوبة طريقة إماتة دائمة في حياتهم الرهبانية ، او رياضة روحية في آخر ايامهم . ونحن نعتقد ان المؤلف ، لو درس هذا النوع الخاص من التوبة ، لاستفاد كثيراً في اعطاء بعض احكامه الاجمالية على سرّ التوبة. وعلى كل فالعمل حسن ، نفيس ، يمثل تقدماً محسوساً . امّا تلك النتائج التي اشرنا اليها فهي بحاجة الى اعادة نظر ، ولا نستغرب ان يقوم عاجلاً او آجلاً لاهوتيٌّ اوفر تدقيقاً ، او مؤرخ اكثر تبصراً في استخلاص النتائج ، فينتقدها على المؤلف بشدّة.

ج. س. ا.

رسائل شموني

لواضعها حنّا الخوري الفغالي

مطبعة جريدة الدبور – بيروت ١٩٣٨

هي رسائل متبادلة بين الفتاة شموني ، الخادمة لاحدى العائلات في بيروت ووالدتها الباقية في ضيعتها بلبنان . شموني تصف لامها كل ما يتقلب عليها من الاحوال ، ولاسيما انواع الغش وفساد الاخلاق التي شاهدتها في العاصمة. فلذلك لا يمكن تقريظ هذا الكتيب ، لان وصف المفاسد بهذه الدقّة وهذه الحيوية لا يُبعد الناس عنها ، بل يدفعهم اليها ، بسبب الضعف البشري ف. خ.

اصول الحقوق الدستورية

المطبعة العصرية بمصر

هي ترجمة الاستاذ محمد عادل زعيتر لمؤلف الاستاذ إيسمَن ، احد اعضاء المحفل العلمي الفرنسي ، والمدرس في كليَّة الحقوق بباريس . تبويب الكتاب واضح وتعريبه حسن وطبعه مُتقن ، لكنه لا يخلو من اضاليل كبيرة ، مثلاً اعتبار جان جاك روسّو إماماً من ائمة المفكرين الفلاسفة(ص:١٥٥) ، وكذلك نظرية « العقد الاجتماعي » لروسّو (ص:١٦٣). ف.خ.

القاموس المصري العربي الانكليزي

تأليف الياس انطون الياس

مصوَّر – المطبعة العصرية بمصر

نستحسن كل الاستحسان القاعدة التي تمشّى عليها المؤلف لقياس درجة عروبة كل لفظة من الفاظ قاموسه ، وهي درجة شيوعها بين كبار الكتّاب ، وهو لا يستثني منهم المصريين . مع ذلك لم يُهمل المولَّدات الحديثة ولا الفاظ اللغة العامّية المصرية ، لكنه ميَّز كل طائفة منها بعلامة خاصّة . في هذا القاموس نحو ثلاثين الف كلمة ، ونرى ان في هذا القدر كفايـة ، لان المؤلف ترك الالفاظ المهجورة في عصرنا ، متّبعاً تطور اللغة في ايامنا . الطبع متقن والصُوَر عديدة وحسنة. ف.خ.

الكلمات

لمؤلفه السيد عبد الحسين نور الدين

مطبعة العرفان صيدا ١٣٦٢ ؛ قطع ٨ (ص:٢٥٦)

قصد المؤلف ان يبين بان علياً هو « اعجوبة الكون » وانه الاول بعد محمد (ص:١٩١) وملوء كتابه التحرش العنيف بالصحابة وبالبخاري وبمسلم . فعلى السنيين والشيعيين وحدهم القيام بالمناقشة وبت الحكم في القضية . امّا التاريخ فقد اصدر حكمه في شخصية علي.ولا ادري لماذا كتب المؤلف « بنو قريضة » (ض) « بنو قريظة » (ص:١٤٥) ه.ل.

اهمّ حوادث الشرق في شهر

١٥ كانون الثاني — ١٥ شباط

ليحيَ البابا الملك ! هذا الصوت شقّ السماء وقلل به الشعب الروماني في الحادي عشر من شباط ، يوم عيد سيدة لورد ، لما ابرم الاتفاق الواضع الحلّ النهائي للمسألة الرومانية . وهذا الصوت يردّده شرقنا الكاثوليكي سائلاً الله ان يقرب الساعة السعيدة التي يصبح فيها مسيحيو الشرق كلّهم في حظيرة الكنيسة البطرسية ورعاية رئيسها المنظور خليفة المسيح .

في ٢٤ كانون الثاني وصل بيروت صاحب النبطة السيد بولس بطرس الثالث عشر ترزيان بطريرك الارمن الكاثوليك فاستقبل بحفاوة وحلّ في الدار البطريركية مقام كرسيه الجديد .

شتاء مطير ، وبرد قارس ، واضر فيّاضة ، وثلوج متراكمة ، وصخور متدهورة . تلك هي حوادث الشهر في لبنان . وقد بلغ مجموع ما تساقط من الامطار اكثر من ضعف ما كان عليه في العام الماضي . واحدثت الروابع اضراراً في الساحل والجبل والبقاع ، واغرقت بعض المراكب الصغيرة . وكانت الرياح في بعض الجرود تحمل الاطفال والشبان في طريقها الى بضعة امتار ، وقد انقطعت المواصلات البرقية والتلفونية مع بعض الجهات وتعطلت طرق عديدة . اما في الداخلية فالامل حيّ في مستقبل الموسم الزراعي وخاصة في حوران اذ اقبل الاهلون بنشاط على زرع الحنطة والشعير . واقرضت الحكومة فلاحي جبل الدروز ٦٠٠٠ ليرة ذهبية ، واكثر الاراضي زرعت في هذا العام .

ومن اخبار المهاجرة في الشهر الماضي ان عدد الخارجين من سكان سورية ولبنان كان ١٨٠٠ وعدد العائدين اليها ١٤٣٧ .

صدر قرار المفوض السامي بتوقيف اعمال المجلس التأسيسي وتأجيل عقده الى حين غير معين . وجرى الاحصاء الاخير في سورية فكان عدد المسجّلين ١,٢٩١,٨٠٣ ولم يسجل العربان

ومن اخبار تركية ان درجة البرد انحطت الى ٢٧ تحت الصفر في ارضروم والى ١٢ في انقره وان المياه تجلدت في ادنه .

وما زالت حركة التجدُّد متواصلة : وافقت اللجنة الاقتصادية على مشروع اتباع الطريقة المترية في البلاد ، وسيكون استعمال العيارات المبنية على تلك الطريقة اجبارياً من اول حزيران القادم . واخذوا بترجمة معجم لاروس العامّ بمجلدين ؛ وصدرت الصحف بالحرف اللاتيني ولكن كسد سوقها لقلة عدد القراء . ويقال ان هناك حركة رجعية قوية ضدّ الاصلاحات الاخيرة ، ولكن الحكومة تجاهد لتنفي وجودها واخماد حركتها قبل ان يتفاقم امرها .

وقد اكتشفت ، في احد مساجد الاستانة ، صورة للسيدة العذراء من الفسيفساء من اجمل الآثار البيزنطية كانت منشأة بالكلس منذ ٥٠٠ سنة . فامرت الحكومة بحفظها في مكانها والاعتناء بها .

ف . ت .

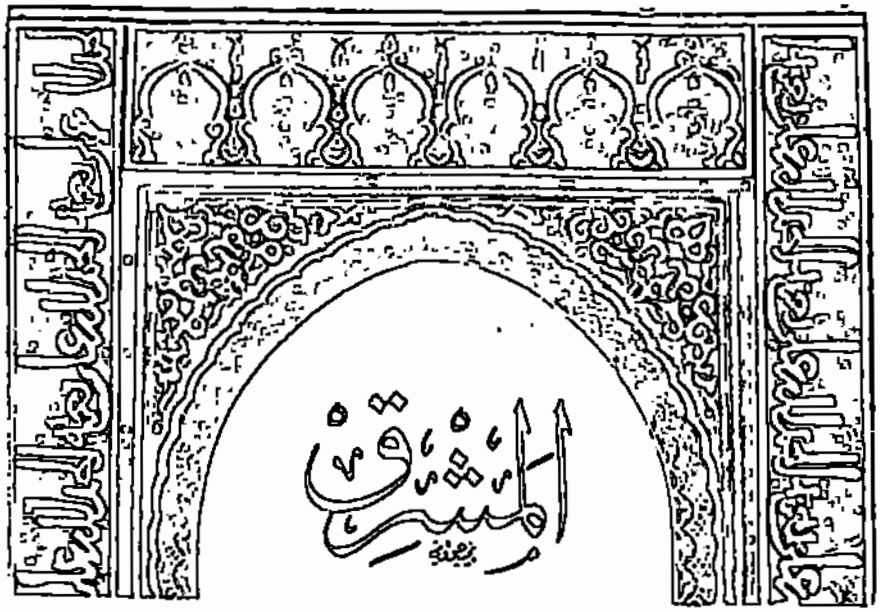

نيسان ١٩٢٩

قداسة الحبر الاعظم
بيوس الحادي عشر
يوبيله الذهبي الكهنوتي

بقلم الخوري بطرس غالب

افتتح الحبر الاعظم ، بيوس الحادي عشر ، يوبياسه الكهنوتي الذهبي بقدّاس اقامه في كنيسة القديس بطرس ، يوم الخميس الواقع في ٢٠ ك ١ ١٩٢٨ ؛ وهو بدء السنة الخمسين لسيامته كاهناً . وقد حضر القداس عدد عديد من الكرادلة ، وهيئة سفراء الدول لدى الفاتيكان ، واشراف رومية ، واحبار كثيرون ، وممثلو المعاهد العلمية الجبرية والرهبانيات ، ووفود المؤمنين ، وفي مقدمتها وفد مديولان يرئسه مطرانها الكردينال توزي . وفي آخر الذبيحة الالهية تقدم من مائدة الخلاص للمرة الاولى مائة فتى وفتاة ارتفعت صلواتهم طالبة العون الالهي لمن ألقيت على عاتقه مسئولية مقدرات الكنيسة جمعاء .

وبمعرض هذا اليوبيل اذاع قداسة البابا منشوراً في العالم الكاثوليكي ،

في السادس من كانون الثاني من السنة الحالية ، بدوه « *Auspicantibus Nobis* » به اعلن افتتاح سنة مقدسة غير اعتيادية افاض فيها من كنوز الكنيسة النعم والغفارين العديدة ، محرّضاً المؤمنين على الاشتراك معه في الصلوات حتى تتوثّق العرى التي تربط ابناء الكنيسة بعضهم ببعض . ويدوم اليوبيل الى نهاية كانون الاول . وقد نشر البشير الاغرّ لائحة الانعامات التي يمكن غنمها ، والشروط التي يجب تتميمها لهذه الغاية ، فاذا الانعامات وافرة ، والشروط سهلة .

واذ كان لا بدّ للمؤمنين ابناء العائلة الكاثوليكية من ان يقفوا على حياة ابيهم وراعي نفوسهم ، ليعلموا ما زانه الله به من الصفات الفريدة ، ووضع في قلبه من الحلف الابوي ، فيزداد تعلّقهم به ، واحترامهم مقامه ، ومحبتهم له ، اتيت في هذه العجالة اوجز لهم ترجمته ، مكتفياً بما يصوّر لهم بيوس الحادي عشر صورةً مطابقة للاصل على قدر المستطاع .

١

حداثة اشيل راتي ، ورعوته ، وكهنوته

ولد امبروز داميان اشيل راتي في بلدة دَزيو ، من اعمال اقليم مديولان ، في اليوم الحادي والثلاثين من شهر ايار سنة ١٨٥٧ ، وهو سادس اخوته السبعة الذين لم يعش منهم سواه ، وشقيقه فرمو ، وشقيقته كاميلا .

وقد عُني والداه بتربيته تربية مسيحية حقة ، ساعدهما فيها خوري الرعية النبيل ، يوسف ڤولونتري . ثم أرسل الى المدرسة الاكليريكية الاعدادية فانكب على العلم اي انكباب .

لحظ رؤساؤه شمائله الغراء ، وتحققوا ميله الى الدرس والحالة الكهنوتية ، فادخلوه الى مدرسة موتزا الاكليريكية ، حيث تخصّص لدرس المعاني والبيان . ولمّا انهاها عيّن ناظراً للتلاميذ في مدرسة القديس كارلوس في مديولان ، ثم جاز امتحان البكالورية فنال . عندئذٍ أحصي في عدد طلبة المدرسة الاكليريكية الكبرى حيث تلقّى الدروس العالية مدة ثلاث سنوات لمع فيها بين اقرانه .

وكان لعمه الخوري داميان راتي تأثير عظيم في نفسه ، وبفضله رسخت في

فؤاد ابن اخيه الفضائل الكهنوتية . فطلب اشيل الانضواء الى اخوية القديس فرنسيس الثالثة ، فقبل فيها سنة ١٨٧٤ .

ولمّا كان اشيل يقضي عطلته في بلدة أَسّو ، كان السيد ده كالابيانا يأتي للاستراحة فيها من عناء الاشغال عند الكونت هرًا . فرأى تقوى الاكليريكي واجتهاده ، ورصانته ، فوكل اليه تدريس اصول اللغة في مدرستَي القديس بطرس الشهيد والقديس مرتينوس . وكان يجلّه ويدعوه « فتاي الشيخ » . ولمّا تثبت من دعوته ارسله الى رومية لينجز دروسه في المعهد الاكليريكي اللومباردي ، وارسل معهُ الطالب لُوَالدي الذي رقّي في ما بعد الى كرسي مطرانية بلرمو في صقلّية ، ثم الى مقام الكرادلة . فواظب كلاهما على حضور الدروس التي كان يلقيها الآباء مازلّا ، وبلريني ، وكلوتفن ، اليسوعيون المشهورون . وكان يتلقى العلوم آنئذٍ في المدرسة ذاتها جياكومو دلّاكيازا الذي انتُخب في ما بعد حبرًا اعظم وعرف باسم بنديكتوس الخامس عشر . نال الطالبان شهادة الملفنة في الفلسفة واللاهوت والحق القانوني وكانا اول من حاز هذه الالقاب في مجمع القديس توما العلمي ، الذي كان قد اسّسه لاون الثالث عشر في ١٣ تشرين الاول ١٨٧٩ .

ومن شدّة اعجاب الاب ليبراتورد اليسوعي معلمهما بهما لفت نظر البابا اليهما ، فاعرب لاون الثالث عشر عن رغبته في مقابلتهما . وفي تلك الحقبة كان قد انتشر مذهب روسيني الفلسفي في مصدر التصورات والنفس ، وهو مذهب نُسجت بردته من الاضاليل ، فاراد الحبر الاعظم ان يفهمهما الخطة الواجب سلوكها لمناهضة المذهب المذكور .

وفي اليوم العشرين من كانون الاول سنة ١٨٧٩ رقّي الملفان الجديد الى الدرجات المقدسة ، وخدم لهُ قداسه الاول رفيقه لوَالدي في كنيسة القديس كارلوس الخاص بالمديولانيين ، وبقي في رومية ثلاث سنوات عاد بعدها الى ابرشيته بصحبة رفيقه المذكور ؛ وعيّن لمساعدة خوري بَرني ؛ لكنه ما عتم ان استُدعي لالقاء دروس اللاهوت الاعتقادي والخطابة الكنسية ، فقام بمهمته خير قيام طيلة خمس سنوات . وفي سنة ١٨٨٨ قُبلَ في جمعية اساتذة المكتبة الامبروسيانية ووكلت اليه خدمة راهبات الطلّية الصهيونية . فانشأ في معبدهنّ

جملة اعمال روحية منها الرياضات والمحاضرات الدينية ، لكنه صرف عناية خاصة الى منظّفي المداخن الفقراء الذين كانوا يغادرون جبالهم الى المدن للاوتراق من مهنتهم هذه في فصل الشتاء.

ولم يفُت الكردينال فرّاري مطران مديولان اجتهاد كاهنه ، فجعله مستشارًا لهُ واسند اليه عدة وظائف هامّة في ديوانه.

ومن يوم باشر الكاهن راتي خدماته الروحية ، انخرط في سلك جمعية كهنة القديس كرلوس التي كان شعارها «التواضع» وتجنّب اي مسعى توصلًا الى المراتب الكنسية . على ان بيوس العاشر اوجب على الكاهن لوّالدي قبول مطرانية بلرمو سنة ١٩٠٤ ، وبنديكتوس الخامس عشر رأى في الكاهن اشيل رّاتي صفات فريدة فاراد ان تستفيد منها الكنيسة.

٢

ادارة المكتبتين الامبروسيانية والفاتيكانية

أُسست المكتبة الامبروسيانية في مديولان سنة ١٩٠٦ ، وقد عُني بها الكردينال فردريك بورومه ، ابن عم القديس كرلوس بورومه ، وتوفق اساقفة المدينة الى جمع شتّى المؤلفات والمخطوطات فيها ، ووكلوا ادارتها الى علماء فطاحل زادوها رونقًا وترتيبًا وثروةً علمية ، واغلب هؤلاء الاساتذة ، مع مديرهم ، من جمعية كهنة القديس كرلوس. طمح اشيل راتي الى منصب استاذ في الامبروسيانية فناله بجدارته ، وما لبث ان عيّن مديرًا لها خلفًا للسيد شرياني سنة ١٩٠٧.

وكان استاذ الامبروسيانية ذا اجتهاد لا يعرف الملل ، الّا انهُ حينما كان يشعر بحاجة الى الراحة في مدة العطلة كان يتسلّق جبال الألب حتى انه نال شهرةً في هذا النوع من الرياضة البدنية . وقد اطلق اسمه مؤخرًا على احدى قمم الالب الايطالية تخليدًا لنشاطه واقدامه.

ولم يمنعه انصبابه على الدروس من الاهتمام بالنفوس ، بل كانت سلواه وتعزيته ان يزور ابناءه ، منظّفي المداخن ، ويخاطبهم بلهجتهم ويدرّسهم

التعليم المسيحي ، ويعدّهم لقبول الاسرار.

وقد نشر عدّة مؤلفات ومقالات لفتت انظار علماء العالم اغلبها في محتويات المكتبة الامبروسيانية. وبعد ان انتخب حبرًا اعظم ، أُطلق اسمه على احدى قاعات المكتبة المذكورة ، ووُضع في صدرها تمثاله النصفي.

وقف بيوس العاشر على اعمال مدير الامبروسيانية ، فدعاه الى رومية وجعله وكيل مدير الفاتيكانية مانحًا اياه حق الخلافة (٢٠ شباط ١٩١٢) وفي واقع الحال ، لمّا تنحّى الاب اهرله اليسوعي عن وظيفته سنة ١٩١٤ لتقدمه في السن ، خلفه السيد راتّي الذي رقّي سلفه ، بعد ان صار حبرًا اعظم ، الى رتبة الكرادلة (١٩٢٢). ولم يكن العبء ثقيلًا على اكتاف المدير الجديد بل قام به افضل قيام. وقد لحظ جميع زائري المكتبة ما كان عليه من دماثة الاخلاق ، والاسراع الى تلبية طلبهم . فانه كان مرشدًا امينًا عليمًا يجود على المبتدئين بنصائحه ، ويدلهم الى افضل الطرق للاستفادة من دروسهم والتقدم فيها كأن العناية الالهية ارادت ان تهيّئ السيد راتي لذلك المقام السامي لتمكّنه من ان يفيد الكنيسة ، فجعلتهُ يقضي شطرًا من حياته بين العلماء والكتب يكشف القناع عن الحقائق التاريخية مستقيًا المعلومات القيّمة من اصدق المصادر، ليتذرع بها للمناضلة عن الحقيقة ويطلع على اسرار السياسة ونيّات الرجال الذين اداروها ، حتى يتدبّر امره في معاطاته مهامّ الكنيسة.

٣

سفارته في بولونية

وكان بنديكتوس الخامس عشر يرتاح الى محادثة مدير المكتبة الفاتيكانية ، فما لبث ان وقف على ما يحويه ذلك الدماغ من المعارف ، فاختاره زائرًا رسوليًا لبولونية وكانت المهمة شاقة في تلك الآونة ، لان بولونية لم تكن بعد نالت استقلالها (٢٥ نيسان ١٩١٨) ووكل اليه ان يتحرّى حالة تلك البلاد الدينية والادبية ويدرس انجع الوسائل لانهاض ذلك الشعب الكاثوليكي المبعوث من لحده ، ويؤسس تنظيم تلك الكنيسة المجدّدة شبابها . واليك بعض ما كتبه بنديكتوس الخامس عشر الى اساقفة بولونية في وصف ممثله :

«هذا ذلك ، لا نكاد نرى لزوماً لتوصيتكم برجلٍ تشفع به تقواه ، وخبرته على الدين وخبرته بالامور ، وعلمه المشهور لدى الجميع . لكن ما نريد ان تعلموه هو ان لنا بهِ ثقةً بليغة تحملنا على ان نكون على يقين من ان مساعيه وجهده ستكون منها للكنيسة فوائد خطيرة في النهاية . »

ذهب السيد راتي الى پولونية واخذ يطوفها ، فاستقبله الشعب بمظاهر الفرح امّا هو فاهتم بتوثيق علاقاته مع الاساقفة والكهنة ، وأهّبهم ليكونوا اهلًا لادارة مقدرات امة كاثوليكية حفظت ايمانها رغم الاضطهادات المستمرة طيلة قرن ونصف قرن . وقد رأى الحاجة الى انشاء اسقفيات جديدة فعرض الامر للحبر الاعظم وطلب ان يُقرَّر ذلك بوقت قريب . ولمّا تحققت آمال بنديكتوس الخامس عشر بالزائر الرسولي ، رقّاه اولًا الى درجة الاسقفية على كرسي لبّانت ، وما أُعلن استقلال پولونية حتى رُفع مقامه الى رتبة سفير بابوي . فحضر سيامته اسقفاً رئيس الجمهورية المارشال بلسودسكي وهيئة الحكومة واعيان العاصمة (٢٨ ت ١ ، ١٩١٩) وارسل اليه البابا صليباً صدرياً تقديراً لخدماته الجليلة . امّا السفير الجديد فكان قد سبق وقدّم اوراق اعتماده في ١٩ تموز من السنة نفسها ، وافتتح عصر العلائق السياسية بين الڤاتيكان وپولونية .

وفي غضون سفارة السيد راتي ، تدفقت الجيوش البلشفية على پولونية ، وكادت تطوّق ڤرسوڤية في شهر آب ١٩٢٠ . رأى ذلك السفير البابوي فقابله برباطة جأش ولم يغادر مركزه ، وقد اعجب به الجميع اعجاباً . لكن الله لم يسمح بان تسقط هذه الامة المجيدة بين مخالب السوڤيات ، فارسل اليها القائد الفرنسي ڤيغان واركان حربه الذين ما كادوا يتسلمون القيادة حتى استقامت الحال واخذت الجنود الروسية تتقهقر امامهم فتمكن ڤيغان من اجلائها عن پولونية ببضعة ايام ، واستطاع ان يغادر الجمهورية الحديثة آمنة شر اعدائها (٢٥ آب) ، يرافقه دعاء البولونيين وهتافهم . وكان السيد راتي من الذين أُعجبوا بمهارة القائد الفرنسي وسرّوا غاية السرور بفوزه وخلاص پولونية .

اصعب ايام السيد راتي في پولونية كانت ايام الاستفتاء في سيليزيا العليا . لكنه بحذقه وحزمه تغلّب على تلك العقبات ، وجعل حدًا لضغط بعض الاساقفة الالماني الاصل على اكليرسهم ، ومكّن الكهنة والرعايا من ان يختاروا الانضمام

الى البلاد التي فضّلوها.

وقد حاز السفير لدى الحكومة البولونية نفوذاً عالياً استعمله فقط لمساعدة الفقراء ، ومواساة المتألمين ، واطلاق المسجونين ظلماً ، وتوزيع القوت على الاحداث الجياع . وقد شاءت جامعة فرسوفية الكاثوليكية ان تعرب عن شكرها اياه واعجابها به فمنحته لقب استاذ شرفي فيها (تشرين الاول ١٩٢١)

٤

مطرانية ، ورقية الى مقام الكرادلة

فُجعت مدينة مديولان بفقد رئيس اساقفتها التقي النشيط الكردينال اندره فراري ، فتوجهت حالاً الى السيد راتي انظار بنديكتوس الخامس عشر بما انهُ كان قد خبر مقدرة سفيره ، وعرف صفاته الادارية ، وفضائله الكهنوتية ، ورأى انهُ كفوء لان يخلف اولئك الاساقفة الذين شرّفوا كرسي مديولان بعلومهم وقداستهم . فنقلهُ من سفارة بولونية الى مطرانية مديولان (١٣ حزيران سنة ١٩٢١) وفي المجمع الكردينالي ذاته رفعهُ الى رتبة الكرادلة .

وقبل ان يستلم ادارة ابرشيته ، قاد الى لورد الزوّار الايطاليين في شهر ايلول ، ثم دخل مدينته الاسقفية باحتفال عظيم اشتركت فيه طبقات الشعب جمعاء في مديولان وفي مقدمتها رجال السلطة والجيش . وحام فوق عربته طيّار نثر عليها الازهار ونشرات الترحيب . وكان بنديكتوس الخامس عشر يوم سماه مطراناً وكردينالاً ، اطراهُ اطراء بليغاً للغاية وهنّأ ابرشية مديولان به .

وما كاد السيد راتي يستلم مهام وظيفته ، حتى علم الجميع ان خطته لن تختلف عن خطة سلفه الكردينال فراري ، فازدادوا تعلقاً به . في ٧ كانون الاول ١٩٢١ ، دشّن جامعة قلب يسوع الكاثوليكية واخذ يهتم بالتعليم والتهذيب ، ويُعنى بامر طبقة الشعب الواطية . لكن المجال لم يتسع لهُ لينفذ خطته اذ دعاه الله الى مقام الحبرية العظمى ، فألقيت اليه مقاليد الكنيسة الرومانية ليستفيد من نبوغه وخبرته وفضيلته لا اهل مديولان فحسب ، بل الكنيسة الكاثوليكية جمعاء .

(للمقال صلة)

وحدة النوع البشري

بقلم حضرة القس عبد المسيح زهر

لا ريب في ان النفس العاقلة ، التي تميّز الانسان عن البهيمة العجماء ، لا يمكنها ان تصدر عن حيوان مهما كان نوعه ومشابهته للانسان في بعض الظواهر ؛ لان لا احد يعطي ما لا يملك . وبالرغم من هذا المبدأ الثابت الصحيح ما زال بعض ادعياء العلم يذهبون الى ان الانسان بالنسبة الى جسده ، اي من حيث انه من ذوات الابدان ، هو الحلقة الاخيرة من سلسلة طويلة متلاحمة الاجزاء تجمعها قرابة شابكة . على ان من الفلاسفة اهل المعاني مَن يسلّم بان النفس البشرية صادرة عن الله سبحانه وتعالى ؛ ولكنهم يتساءلون عمّا اذا كان الجسد ممكناً صدوره عن جسم بعض الحيوان . الّا ان العلم الحديث والاختبارات الطويلة ، ولاسيما اختبارات العلامة باستور ، لم تدع سبيلاً لاعتقاد التناسل الابتدائي ؛ فكان من نتائجها في عصرنا الحاضر نسف وقلع ذلك الصرح الذي تعب وجدّ في تشييده ومعالاته دروين ولامرك زمناً مديداً ، حتى انه لم يبقَ اليوم من يعتقد صحة تلك المبادي الواهية .

ان الكتاب المقدس يشير في صفحته الاولى الى ان جميع البشر المنتشرين في اربعة اقطار البسيطة ، على اختلاف مذاهبهم ومشاربهم والوانهم وقدودهم وتراكيبهم ، متسلسلون من آدم وحواء . وقد جهد كثير من اعداء الدين انفسهم ، وحاولوا نقض قول الكتاب ، واقامة الدليل على ان البشر ليس اصلهم واحداً ، بل هم انواع كثيرة صادرة عن اصول متعددة . ويذهبون الى تصحيح دعواهم بوجود الانسان منذ القديم في بلاد متباعدة الاطراف ؛ فلو كان ، على زعمهم ،

الاصل واحداً لما اتصلت الفروع الى تلك الارجاء القاصية ، واختلفت شعورهم ورؤوسهم والوانهم وقاماتهم كل هذا الاختلاف.

من المعلوم ان السُلالات البشرية المنتشرة اليوم في الارض ترجع الى اربع: البيضاء ، والسوداء ، والحمراء ، والصفراء ، كما رتّبها الجغرافيون . فالبيض يسكنون اوربة ، والسود افريقية ، والحمر اميركة ، والصفر آسية . وينقسم البشر بالنسبة الى الشعور الى قسمين: اصحاب الشعور السبطة ، واصحاب الشعور المفلفلة اي الجعدة . فالشعر الجعد يوجد في كل مكان تقريباً ، في اوسترالية وملازية واميركة والبلاد القطبية[1] . ثم ان اصحاب الشعور السبطة يختلفون ايضاً في ظواهرهم اختلاف اصحاب الشعور الجعدة . فكيف يُؤوَّل هذا الاختلاف مع تشابه الشعر ؟

امّا بالنظر الى الراس وتكوينه فينقسم البشر الى ثلاثة اقسام : قسم منهم مسطّح العارض ، طويل الوجه ، كالانسان القفقاسيّ ؛ وقسم ناتئ اللحيَين كالانسان « الموتنتُو » اعني سكّان رأس الرجاء الصالح ومن جاورهم ؛ وقسم عريض الوجه ، ناتئ الوجنتين كالانسان المغوليّ[2] . فهذه الفروق ، اذا امعنّا النظر جيداً ، وجدناها في كل مكان بين اهلنا واصحابنا ، وفي اوربة وآسية وافريقية . هذا وان الجماجم تختلف ايضاً في الطول والقصر ، وذلك لان البلاد والهواء والعادات والمعيشة تؤثّر جداً في تركيب الانسان الطبيعي وجمجمته ووجهه . واليك شهادة اوردها بريشار قال : « منذ قرنين ازعج الساسة البرابرة عدداً كبيراً من الايرلنديين من كونتيَتي انتريم (Antrim) ودون (Down) ، ونفوهم من بلادهم الى شواطئ البحر فسكنوها واقاموا في شظف العيش . فاليوم يبين في وجوههم ملامح تبذّأها النواظر ، وذلك ان لحيَهم صارت ناتئة ينفتح فيها فم كبير ، وانوفهم اصبحت فطساً ، ووجناتهم بارزة ، وسيقانهم متقوّسة ، وقاماتهم قصيرة . فبهذه العلامات ، وبهذه القضافة والنحافة تعرف الشعوب العائشة في الشظف ، كما يُرى ذلك في البوشيمن — سكان افريقية

(١ Abbé Moreux : *Qui sommes-nous ? p. 13*

(٢ Abbé Moreux: *Op cit. p. 14*

الجنوبية — وسكان ارض النار ، وهولندة الجديدة الاصليين.»

فما هو سبب هذه الفروق ؟ ولمَ الاوربي ابيض ، والاميركي نحاسيّ ، والصيني اصفر ، والزنجي اسود ؟ وهل هذه الظواهر عرضيَّة زائلة ، ام جوهرية ثابتة ملازمة لكل افراد هذه السُلالات الاربع ؟ وهل كلهم متسلسلون من اب واحد وام واحدة ، ام من آباء كثيرين وامهات متعددات ؟

لا بد قبل الجواب من تحديد النوع . فالنوع جماعة اشخاص متشابهين تقريباً ، منسولين على التلاحق من ابوين اولين . فحسب رأي اصحاب مذهب النشوء ، ليست الانواع جماعات ثابتة متباينة ، بل اشكال متباعدة عن اصلها الاول ، لكنها كلها صادرة عن اصل عام . على ان هذا الرأي بيّن الفساد مما قدّمناه في موضع آخر . فلننظرن الآن اذا كان فرق جوهري بين البيض والسود يمنع نسبتهم الى اصل واحد.

اننا اذا نظرنا الى السُلالات البشرية المنتشرة فوق سطح الارض ، رأينا العلامات المختصة بسُلالة موجودة في غيرها ، ولهذا السبب لا ينتج من اختلاف الالوان والملامح ، ونتوء الوجنة ، وكبر الرأس وصغره ، وطول الجمجمة وقصرها ، وسبوطة الشعر وجعودته ، تعدّد في السُلالات ؛ اذ انهُ من الصعب ، بل من المستحيل ، وجود سُلالة متميّزة كل التميّز عن غيرها. والدليل على ذلك انك لو جمعت اتفاقاً مائة الف رجل مثلاً او اكثر ، ثم فرزت البيض من السود والحمر من الصفر ، وجعلت كل فصيلة مع فصيلتها ، وتأملت جيداً تركيب رؤوسهم وعوارضهم ووجوههم ووجناتهم ولحيهم وجماجمهم ، لرأيت فرقاً عظيماً بين افراد السُلالة الواحدة ؛ اذ استدارة الرأس واستطالته تشملان السُلالات الاربع. فهذه الاعراض لم تحدث ولا ريب دفعة واحدة ، بل على التوالي وطول المدة . ولو كان البشر منسولين من آباء وامهات شتى لما صح ذلك فيهم ، ولكانوا ورثوا عن آبائهم بعض العلامات التي من شأنها ان تميّزهم عن غيرهم.

امّا اختلاف الالوان فسببه في الاغلب تأثير الهواء والحرّ والبرد والقوت والارض ؛ فان هذه كلها عوامل في تلوين الجلد وتغييره من بياض الى سواد او حمرة او صفرة وبالعكس . ومصداقاً لقولنا تأمل الاوربيين الذين انتزحوا

عن ديارهم وقطنوا في الاقطار الاميركية ، فانهم بعد مضيّ اربعة قرون حصلت لهم صفات الحمر . وفي هذا دليل على ان اللون تابع لمزاج الهواء . قال ابن سينا في ارجوزته :

بالزنج حرٌّ غيّر الاجسادا حتى كسا جلودها سوادا
والصقلب اكتسبت البياضا حتى غدت جلودها بضاضا

فاذا سكن السودان بلاد البيض ، ابيضت الوان اعقابهم على التدريج وتوالي الايام ، وعلى الضدّ فمن يسكن من البيض بلاد السودان ، تسودّ الوان اعقابه على طول المدى وتوالي الزمان . وما زال العلم عاجزًا عن تعليل هذا التغيُّر . ثم ان النبات العائش في الظلمة لا يتلوَّن الّا عند رؤيته النور . خذ مثلًا خسَّة وغطّها بالحشيش ثم اطمرها في الارض ، ترَ بعد مدة خضرتها ذهبت واكتست عوضاً منها بياضاً . وكذلك الامر يحدث لمواليد السودان ، فانهم ساعة ولادتهم وخروجهم من ظلمة البطن ، يكونون اشبه بمواليد البيض ، لولا صُداة تظهر فيهم اولًا ثم تتغيَّر على التدريج الى حمرة ، فكُهبة ، فسواد . وهذا التغيُّر يتم في بلاد السودان في سنة ، وفي مصر لا يتم الّا بعد ثلاث سنين[1] . وقد جعلت العناية الربانية الانسان قادرًا على سكن كل المناطق ، حارّةً كانت او معتدلة او باردة ، بخلاف الحيوان الذي لا يقوى على البقاء في منطقة غير منطقته . فلا ريب اذن في تأثير الجوّ في الابدان . وهاك مثلًا آخر : ان الكلاب والطيور الداجنة في الغينه سوداء ، والضان في الهند الغربية والغينه ايضاً تستبدل صوفها بشعر ، وحيوان القطبين يبيضّ في الشتاء ، وعند حلول البرد تبيضّ الارانب في كندة ، ولكن اذا حُبست في اقفاصها بقيت الوانها بلا تغيُّر . ثم ان اليهوديّ اشقر في البلاد الشمالية ، واسمر في البرتوغال ، واسود في بعض جهات افريقية وآسيَّة . وكذلك الاسرة المالكة في بلاد الانكليز الالمانية الاصل (١٦٨٨) قد تغيّرت فصارت اليوم شبيهة بالانكليز . والعرب اهل البادية ما زالوا هيف القامة ، صغار الوجوه ، زعر اللحى ، وعلى الضد المتحضّرون فانهم اسمن منهم ، واوسع وجوهاً ، واكثف شعرًا . ولا تنسَ ايضاً ان الظلم

(١ Moreux : *Op. cit. p. 18*

والعبودية يقرّبان الانسان الى البهيمة ، وان آكلي اللحوم اصفى الواناً من آكلي الخضراوات . فلله عجائب في خلقه.

وقد يذهب القائلون بتعدّد اصل البشر ، دعماً لدعواهم ، الى استحالة تمدّن الشعوب المتوحّشة . غير ان دعواهم باطلة بدليل ما يجده مرسلونا الكاثوليك بين المتوحشين من الذكاء وشرف العواطف ، والاستعداد للتمدن . ويبرهنون ايضاً لتصحيح قولهم باختلاف اللغات . على ان تعدّد اللغات لا يدلّ على تعدّد السُلالات ؛ لان اللغات ما هي الا ضرب من الاصطلاح والاتفاق اللذين هما نتيجة نواميس التقدّم والاجتهاد والمجاورة والمخالطة والنجاح المادّي. ولمّا كانت الكتابة مجهولة في قديم الزمان ، فلا عجب اذا اختلفت اللغات ، وتفرّعت بتفرّع القبائل ، وتباعدت بتباعدها . فاذن كل أعراض الامزجة والاخلاق والاحوال الظاهرة ، مثل استطالة الرأس او قصره ، او نتوء اللحيين والوجنات والاسنان ، وسبوطة الشعر وجعودته ، وبياض الجلد وسواده ، لا تأثير لها في وحدة النوع البشري . ولله درّ كاترفاج اذ قال : « مهما درس الانسان ثبت عنده ان كل عظم من هيكل « الانسان الرباعي » كبيراً كان او صغيراً ، يؤدّي شهادة على اصله لا يمكن جحدها ».وقد قال الاب مورو في خاتمة فصله « في وحدة النوع البشري » : « النتيجة ان الانسان في جوهره هو هو في كل الاماكن.وهكذا كان في كل العصور . اذن كل شيء في العلم الحاضر يثبت نصّ التوراة.وقد احسن الرسول اذ قال مخاطباً الاثينيين الذين كانوا يتبجحون بتمدّن يفضلهم في الظاهر على سائر البشر: وقد صنع الله من واحد جميع امم الناس ليسكنوا على وجه الارض كلها. » (١ ع ١٧ : ٢٦)

ويجدر بنا الآن ان نردّ على بعض اعتراضات يرجع مجملها الى مصدرين : سرعة انتشار البشر ، وبعض الصعوبات الجغرافية.

١ً — سرعة انتشار البشر . ان طائفة يدّعون قائلين : يستحيل بلوغ البشر هذا العدد الكبير لو كانوا مولودين من رجل وامرأة فقط . ولسنا نرى سبباً للتعجب من انتشار الناس السريع بعد مضي آلاف من السنين لا يعرف احد مقدارها سوى الله.ولا ريب في ان طول الاعمار القديمة ، وصحة التراكيب ،

وقلّة الامراض ، وبساطة المعيشة ساعدت على النموّ وكثرة التناسل. واي عجب في ذلك اذا كانت ذرّيّة الاصل الواحد تبلغ اكثر من عشرين الفاً في اربعة قرون ؟ خذ مثلاً بني اسرائيل فانهم دخلوا مصر وهم سبعون نفساً ، وعند خروجهم كانوا نحو مليون ونصف مليون ؛ اذ كان فيهم ستمائة الف وثلاثة آلاف وخمسمائة وخمسون مقاتلاً ، فضلاً عن النساء والشيوخ والاطفال والاحداث.

٢ً — الصعوبات الجغرافية . يقول بعضهم من اين اتى سكّان اميركة ، وسكان جزائر البحار الجنوبية ؟ لعلّ الفينيقيين المولعين بخوض البحار قد توصّلوا بسفنهم الى اميركة ، بعد بلوغهم الجزائر الخالدات ، ومادرة ، وجزائر اسور. ومن جملة الشعوب الذين ساعدوا على سكن اميركة الشعوب السكندينافية. فاخبار الاسلنديين تدلّ على انهم اكتشفوا الارض الخضراء اي غرينلندة واللبرادور في الجيل الحادي عشر والثاني عشر ، قبل كولمب بنحو ثلاثة قرون. فضلاً عن اتصال آسية الشمالية باميركة عند مضيق برنغ. فهنالك القارتان متصلتان تقريباً لا يفصلهما سوى مرحلتين فقط. وفي الوسط بالبحر جزيرة ، فعند حلول الشتاء وجمود المياه ينتقل المتوحشون بعيالهم فوق ذلك الجليد في عجلات تجرّها الكلاب ، ويبيتون في الجزيرة ليلتهم ، وفي اليوم الثاني يقطعون الى اميركة.

ثم ان الهنود والصينيين واليابانيين اعطوا اميركة سكاناً منهم ، لان المجرى البارد الخارج من المحيط الجامد بطريق مضيق برنغ يجرّ معه القوارب والزوارق والسفن التائهة في وسط المحيط الهادئ الى اميركة ، وقد روى بنكروفت (Bancroft) انه يوم استوطن البيض كاليفرنية اي من سنة ١٨٥٢ الى ١٨٧٥ قد وصل الى هذه البلاد ٢٨ سفينة اسيوية ، وكان بينها ١٢ فارغة فقط[1] .

ولعلّ هنالك اسباباً اخرى مجهولة. وكما ان البشر قطعوا الى اميركة بالسفن فقد قطعوا الى الجزائر الجنوبية واستوطنوها منذ زمان عريق في القدم . فاذا نظرنا الى تقاليد الشعوب الدينية ، واحوالهم في المعاش ، اضطررنا الى الاقرار بوحدة النوع البشري على كل حال.

---

1) *The Native Races of the Pacific States of North America, New-York, 1875 — 1876, t. V. p. 52.*

كما وصفها كتاب جديد

بقلم الاب لامنس اليسوعي

الف اللواء ابراهيم رفعت باشا كتاب مرآة الحرمين فوصفه المشرق كانون الاول ١٩٢٨) ووعد بالعودة الى الكلام فيه ، ليتسنّى للقرّاء ان يقدروا الكتاب قدره على ما فيه من ابتكار . ان يكن رجل كفوءاً لوضع هذا الكتاب ، فهو بلا مراء اللواء قومندان حرس المحمل المصري في ١٩٠١ ، وامير الحج في ١٩٠٣ و ١٩٠٤ و ١٩٠٨ . فقد استطاع ، بفضل وظيفته والقابه الرسمية ، ان يشاهد ما لا بد من ان يفوت وعي الزوّار والحجّاج من العامّة. ومئات هي الصور التي اتخذها بالآلة الشمسيّة ، وابرزها في كتابه « مرآة الحرمين » ، واضاف اليها رسوماً جغرافية جيدة جدًّا . ذلك ممّا يجعل للكتاب قيمة اثرية غير موجودة غالباً في الكتب العديدة التي سبق فيها اصحابُها مؤلّفنا الى موضوعه.

فخرَ المؤلف[1] بكونه « شريفاً » وباهى بانه مسلم صادق ، فقام غوراً بمشاعر الحجّ الاسلامي ، على كثرتها ومشقّاتها . لكن ايمانه لم يعمِهِ ، فانه من غير ما يجاهر بالمكابرة ومن غير ما يبدي اشارة تجعلك تشكّ في صدق نيّته ، لا يخشى عند سنوح الفرصة من الاحتجاج على التجديدات التي لا تلائم دين الاسلام ، في نظره . ومن احتجاجاته قوله (ص : ٢٢) لمّا نزل من المركب الى جدّة « وفي وسط الجبانة قبر امنا حواء (المكذوب) وطوله نحو ١٥٠

(١) راجع المجلد الثاني ص : ٣٥٥ . وانك لتجد فيها وفي الصفحات بعدها ترجمة لمؤلف باسهاب مع رسوم تصوّره في متنوّع تطورات حياته العامّة

متراً وعرضه اربعة امتار وارتفاعه متر ، عليه ثلاث قباب على الرأس والسرة والرجلين كما يزعمون » . ولهُ في الصفحة ٣١ حاشية مطوّلة لا بد ان تكون قد راقت محرّر المنار. قال : « مما لا ريب فيه في شريعتنا الاسلامية ان اقامة القباب على القبور محرمة » واعلن (ص : ٤٧٥) « قبر فاطمة مزعوماً » وقبح مراراً اكرام القبور (ص : ٤٨١) وقال:(ص : ٤٦٨) « ان تجويف المحراب سنّة نصرانية ».وشرب من ماء زمزم على اثر القدمين في حجته سنة ١٣١٨هـ. ثم استعذر فيما بعد وقال :

« وكان خليقاً بي ان اتجنب التبرك بالآثار والشرب من مواطئ الاقدام وان ادع هذه البدعة جانباً . . . ولكني كنت في هذا الوقت لما تنضج معلوماتي الدينية في المهج ومشاعره ، ولم اكن وقفت تمام الوقوف على تأثير البدع السيء في الدين ، وقد دعاني الانصاف الى ذكر الواقع ، ودعاني البصر بالدين الى انكار ما حصل » (ص : ٢٤٦)

وبعد ان عرض صورة تاريخية لمسابقات الملوك والامراء في تحلية الكعبة وميزابها وابوابها وتعاليقها بحلى الذهب والفضة قال :

« نرى من الواجب علينا ان ننبّهك الى ان انفاق اموال المسلمين العامة في هذه السبل يأباه الدين لانه من الاسراف الممقوت ، وخير لنا ان تنفق هذه الاموال في مصالح المسلمين العامة .

. . . وليس من الدين في شيء ان نعطّل جزءاً من اموال المسلمين عن استثماره وانفاقه فيما يعود بنفع حقيقي على المسلمين . . . فعسى ان يوجه الملوك همهم واموالهم الى المصالح النافع ويأخذوا بانفسهم عما لا يفيد ولا يجدي »

قد يتفكه المؤلفون العرب على حساب البدوي فيجعلونهُ اضحوكةً ، ويشوّهون صورته وقد اقتفى الباشا آثار غيره[1] في ذلك فقال (ص : ٣٥) :

«ولا بأس من ان نذكر لك في هذا الموطن ما يصدر من العربان ونسائهم وقت الطواف فان فيه تفكهة : إحرام العربان عبارة عن كشف اذرعهم ورؤوسهم ، وباقي جسدهم مستور وشعرهم منثور غير منتظم واكثرهم طويل الشعر مضفوره اشبه بشعور النساء عندنا ، اما نساؤهم فمحتجبات لا يكاد يبدو منهن شيء . والرجل يقول في طوافه : يا رب البيت اني جيت لا تقول ما جيت اغفر لي ولوالدي وإلا تغفر لي غصباً تغفر لي تراني جيت . يقول ذلك بصوت جهوري مزعج ويسرع في مشيه في الطواف والسعي ويأخذ الرجل يد زوجه او

١) اما ابن جبير فهو يعجب بالبدو وخاصة باعراب اليمن (راجع رحلته ص : ١٣٣ — ١٣٦)

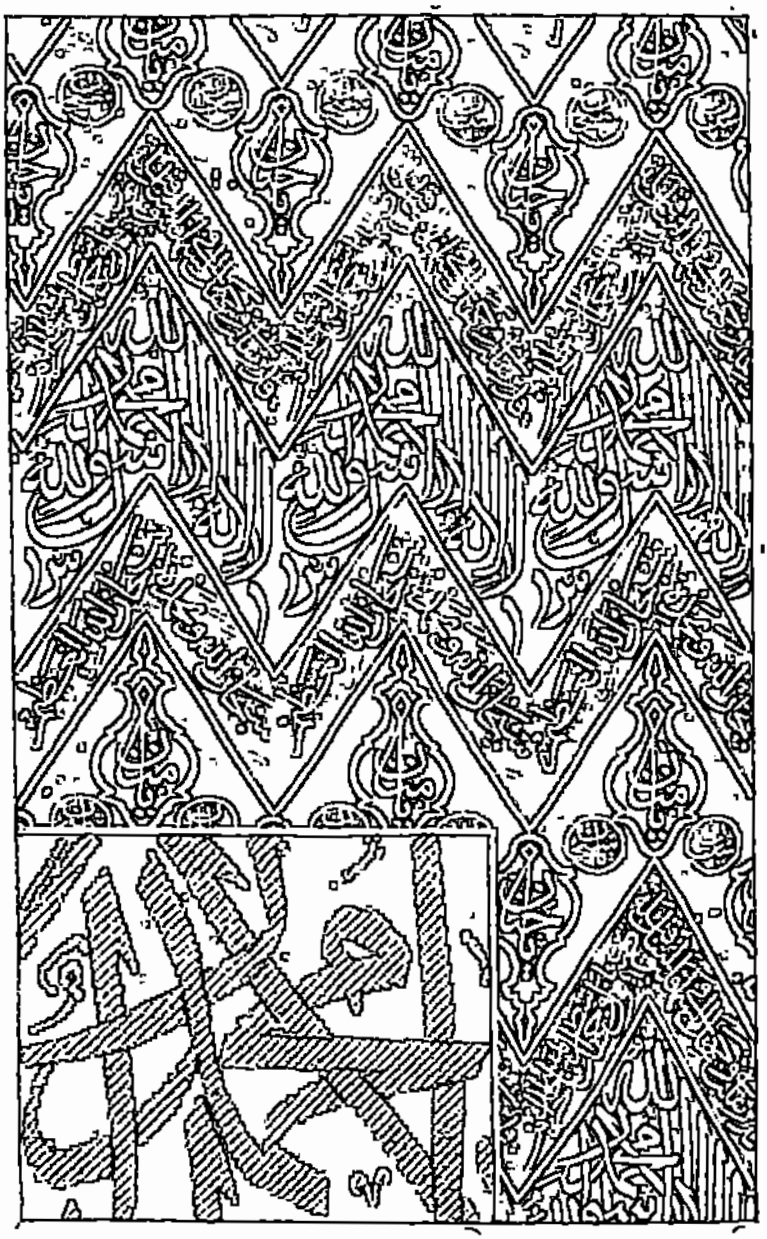

الرسم ١
منظر كسوة الكعبة من الداخل

اخته او امه ويسرع بها في السير وعند ما يصل بها الى الحجر الاسود يرفعها ويضع رأسها في تجويف الحجر ، واذ ذاك تمسح وجهها وشعرها . ويقول لها : « حجي يا مره حجي » وتقبيل الحجر عندهم فريضة لازبة لا يتركونه ولو ماتوا دونه ومن كثرة زحام هؤلاء العربان على الحجر وإدخالهم الرؤوس في تجويفه حصل بيخدش أصلح فيا بعد . ومات احد الحجاج اثناء الطواف من شدة الزحام . ومما سمعتهُ محاورة بين إثنين من نساء العربان قالت إحداهما للكعبة : « يا ست ليلة [لعل تسميتها ليلة لأنها سوداء وكسوتها سوداء] ان كان جاتنا المطر في ديارنا وجانا الخير اجيب لك عكية سمن (قربة صغيرة) تدهني بها شوشتك » — لان العربان يزعمون ان الكعبة امرأة تدهن رأسها — فقالت الثانية : « حقيقة تجيبي لها ؟ » فقالت لها : « اسكتي أنا هالّ أكذب عليها اذا جاتنا المطر ما اجيب » فانظر كيف بلغ أدب العربان في خطاب الرب حدًّا سيئًا وكيف بلغت من نفوسهم الاعتقادات الفاسدة . ما ذلك الا من فرط جهلهم بالدين فهل لاولئك من مرشدين .

وقال (ص : ٤٩) :

« ومن فكاهات الحجاج عند رمي الجمرات ان بعضهم كان يرمي الحصيات السبع دفعة واحدة ويخاطب إبليس بلفظة « يلعن دينك » . وبعضهم كان يرمي حصاة حصاة ويقول العبارة السابقة عقب كل واحدة ، او يقول « في عين دينك » . وبعض الحجاج لا يكتفي بالحصيات الصغيرة بل يأتي بأحجار كبيرة ويرمي بها الجمرة (العمود القائم) بل لا يرتاح له بال الا اذا هدم جزءًا من البناء ، ومنهم من يقف على البناء ويرمي ، ومنهم من يلصق به جسده ويرمي ! وقد كان من الضباط الذين معنا « اليوزباشي » عبد الوهاب حبيب افندي فلما جاء وقت رمي جمرة العقبة اخذ عساكر الحرس ورجموا إبليس (الجمرة) دفعة واحدة بهيئة هجوم على عدو وانتقام منهُ .

ولكن هذه الملح لم تحُلْ دون توسعه في ذكر « حكمة رمي الجمار » (ص : ١٣٦) وسائر شعائر الحج عند المسلمين

وانما اتينا على هذه التفاصيل ليتاح للقرّاء ان يتعرّفوا الى اسلوب المؤلف . وللمسلمين وحدهم بتّ الحكم في ملاحظاته ، وفي النظرات التي اودعها كتابه في القسم الديني (ص : ٥٧ — ١٤٢)

* * *

اليك كيفية روايته لغسل الكعبة وقد اشترك بها في حج ١٩٠١ (ص : ٤٠—٤١) :

« في يوم الاثنين ٥ ذي الحجة دُعيت مع امير الحج وأمين الصرة وبعض الموظفين لغسل الكعبة حسب المعتاد سنويًا فلبينا الدعوة وذهبنا الى المسجد الحرام . وفي الساعة الاولى العربية حضر دولة الوالي وأمين الدفاتر (الدفتردار) واللواء (قومندان) الجند المكي وبعض العظماء من الحجاج ودخلنا الكعبة وصلينا في كل من جهاتها الاربع ركعتين ودعونا الله بما

احبنا ودعوت للخديو كما دعا له الامير والامين . ثم اخذنا جميعاً في غسل أرض الكعبة من الداخل بماء زمزم وكان ذلك بمنشات صغيرة صنعت من خوص النخيل ثم وزعت علينا خرق بيضاء مبلة بماء الورد والروائح العطرية وأخذنا نمسح بها جدر الكعبة ، وقد اشتد الزحام امام بابها لاخذ مياه الغسل للتبرك بها ، والمطوفون يأخذونها في دلاء ويضعونها في قوارير

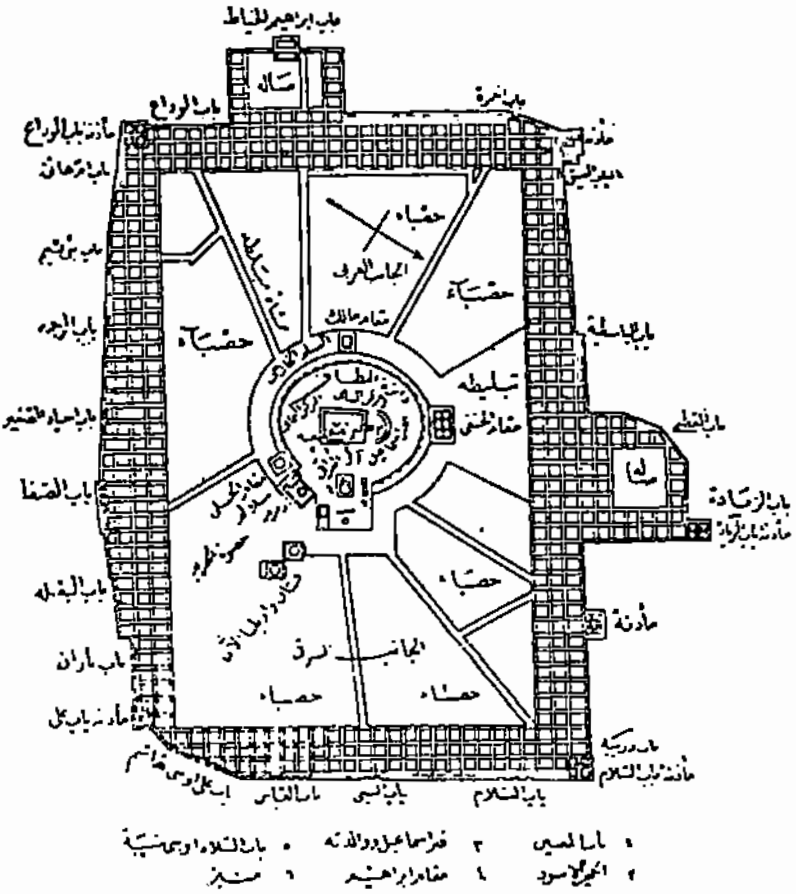

١ باب الصفا ٣ قبر اسماعيل ووالدته ٥ باب السلام او الشبيكة
٢ الحجر الاسود ٤ مقام ابراهيم ٦ مسعى

الرسم ٢
رسم المسجد الحرام في مكة

يغادرون بها اتباعهم من الحجاج وكذلك يتخاطف الناس منشآت الغسل بل يتضاربون عليها وعلى الماء ، ولدى تزولي عن الكعبة وضعت ما معي من المنشات في منشفة كبيرة (بشكير) استحضرتها معي لغسل الكعبة بها ولاحفظها بعد تبركاً ، وقد زاحمني الحجاج وعصر بعضهم المنشفة لعله يجد بها قطرة ماء ، ومنهم من مسح بها وجهه ومنهم من مسها ومسح على عينه وجسمه . »

واليك ايضاً وصفهُ للحجر الاسود نسخناه بحرفه لدقته (ص : ٢٦٤) :

« وفي الركن الجنوبي الشرقي للكعبة من الخارج الحجر الاسود الذي هو مبدأ الطواف ، ويرتفع عن الارض متراً ونصفاً ، والحجر اسود اللون ذو تجويف اشبه بطاس الشرب وقد حدث فيهِ الآن تشقق وعمل لهُ في سنة ١٢٩٠هـ (١٨٧٣) غطاء من الفضة ، في وسطه فتحة مستديرة قطرها ٢٧ سنتيمتراً ، اعني شبراً وثلثاً ، يرى منها الحجر ويُستلم »

كل يعرف مـا لجبل حراء من الاهمية في حياة نبي المسلمين . لانه كان يختلي في جوفه الموحش ، وفيه ، على ما جاء في السيرة ، زاره الملاك جبرائيل لاول مرة . وانك لتجدنَّ في الصفحة ٥٦ من الكتاب رسماً لغار حراء قلما يقف المرء على امثاله . ورغم الذكريات المتعلقة بهِ ، قليلون هم الحجاج الذين يجهدون النفس في زيارته ، لما في هذه الزيارة من المشقات والمتاعب . امَّا المؤلف فوجد في نفسه من البأس ما حمله على زيارة غار حراء . ومن ثم وصفه ، واليك وصفه بحرفه لما فيه من فوائد جديدة (ص : ٥٨) :

« وقد صعدنا هذا الجبل في ٣٥ ق مع ان ارتفاعه حوالي ٣٠٠ متر ولكنه يكاد يكون عمودياً فلذا كان صعب المرتقى واضطررنا الى الاستراحة مرتين اثناء الصعود واغمي على بعض الضباط ولولا ما معنا من الماء الذي رششنا بهِ وجهه لحصل ما لا تحمد عقباه ، ولذا يجمل بمن رام صعوده أن يستصحب بعض المياه خصوصاً في آونة الحرّ ، وقبل ان نصل الى قمة الجبل بثلاث دقائق وجدنا خزاناً نحت بالجبل لحفظ مياه المطر يبلغ طوله ٨ امتار في عرض ٦ وعمق ٤ ولهُ درج للوصول الى قاعه وكان خاوياً من الماء . »

ونصح المؤلف لزائري حراء ان يتقوا شر الاعراب الكامنين لسلب الحجَّاج قال (ص : ٥٩) :

« وقد بلغني ان اعرابياً قتل حاجاً فلم يجد معه غير ريال واحد فقيل لهُ : « تقتله من اجل ريال ؟ » فقال وهو فرح : « الريال احسن منهُ »

واليك الآن وصف مكة (ص : ١٧٨) :

« مكة واقعة على ٢١° و ٢٨ ق عرضاً شمالياً ، وعلى ٣٧° و ٥٤ ق طولاً شرقي باريس ، وترتفع عن سطح البحر الأحمر بنحو ٢٧٩ متراً ، وهي عاصمة بلاد الحجاز ، وطولها من الشمال الى الجنوب ميلان ، وعرضها شرقاً من جبل ابي قبيس الى اسفل جبل قعيقعان من الغرب ميل واحد ، يقطع الماشي طولها في نحو نصف ساعة ، ومع كون عرضها دون طولها يقطع في زمن اكثر مما يقطع فيه الطول ، وذلك لوجود اماكن على تلال في كل من جانبيها . وهي بطن واد يحيط بهِ سور من الجبال الشامخة قد بنيت عليها الحصون المحكمة ، وليس بسورها الجبلي ثغرات إلا حيث مداخلها الاربع ، ففي الشمال الشرقي الطريق الى منىً ، وفي الجنوب

الطريق الى اليمن وفي الشمال الغربي الطريق الى وادي فاطمة ، وفي الشرق الطريق الى جدّة »

واذا كان الشتاء مطيراً — وهذا من النادر في الحجاز — تسارعت المياه على سفوح جبال سراة المشرفة على مكة شرقاً ، الى بطحاء المدينة . فمن ذلك تفهم كيف كانت تلك المدينة منذ القدم معرضةً لخطر السيول في الشتاء[1] . واخبار هـذه الكارثة تملأ التواريخ القديمة من امثال كتب الازرقي والفاسي وغيرهما . وكان رفعت باشا نفسه شاهداً عياناً لها فوصفها وقال (ص: ٢٠٠) :

«وفي يوم السبت ٢١ ذي الحجة من سنة ١٣٢٥ (٢٥ يناير سنة ١٩٠٨) في حجتي الرابعة نزل مطر شديد وجرى السيل من كل جهات مكة بشكل لم يسبق لهُ مثيل منذ ٣٣ سنة على ما بلغني ، وكان السيل اشبه بماء النيل المنحدر وكان عرضه وهو ينحدر من جبال جياد نحو ٥٠ متراً وسمعنا دوي صاعقة بجياد مثلت صوت جملة من المدافع الضخمة اطلقت في لحظة واحدة ، وقد ملأ الشوارع حتى كان عمقه في شارع وادي ابراهيم مترين تقريباً ، ولذلك دخل المسجد الحرام من ابوابه وانقطع المرور من الطرق الّا بالسباحة ، وكنت ترى الشقادف ورحال الابل سابحة في الماء وتسمع دوياً للماء كأنك امام القناطر الخيرية وقد فتحت عيونها وتجمد الناس وقد خرجوا من المسجد الحرام من باب الرحمة يستمدّون لاجتياز هذه المياه وقد كشفوا عن سوقهم ورفعوا ثيابهم الى ركبهم ودون ذلك واكثر .»

وقد نعت القرآن مكة (١٤ : ٤٠) فقال انها « وادٍ غير ذي زرع » وهذه الآية تنوّه بان المملكة النباتية لم تكن ممثلةً فيها الا تمثيلاً سيئاً . ونرى الوثنيين من قريش يعجزون نبي الاسلام بان يغرس لهم بساتين ويفجر لهم ينابيع كينابيع الشام . ومضى قرن على وفاته ولم تتغير الحالة عما كانت عليه . ولعل الحيقطان الشاعر صدق اذ قال في البلدة :

وليس بها مثمّرٌ ولا متصيّفٌ ولا كجُرانا ماؤها يتفجّرُ
ولا مرتعٌ للدين او متقنّصٌ ولكنّ تجرّا والتجارة تقفرُ[2]

على ان الزمان مضى ، واحتفرت قناة سميت عين زبيدة باسم امرأة هارون الرشيد (ص ٢١٢ وما بعدها) ومنها سقيت البساتين . ووصف المؤلف بستان الشريف عون الرفيق فقال (ص : ١٩٦) :

« والمزروع من ارض البستان نحو الربع ، وفيه شجر الجوافة والجوز الهندي والبرتقال والليمون والنخيل والعنب والورد والبرسيم الحجازي والكرنب والكرات والباذنجان

١) راجع كتابنا « مكة قبيل الهجرة » (ص: ١٠٦ وما بعدها) .
٢) الجاحظ : ثلاث رسائل (ص : ٦١)

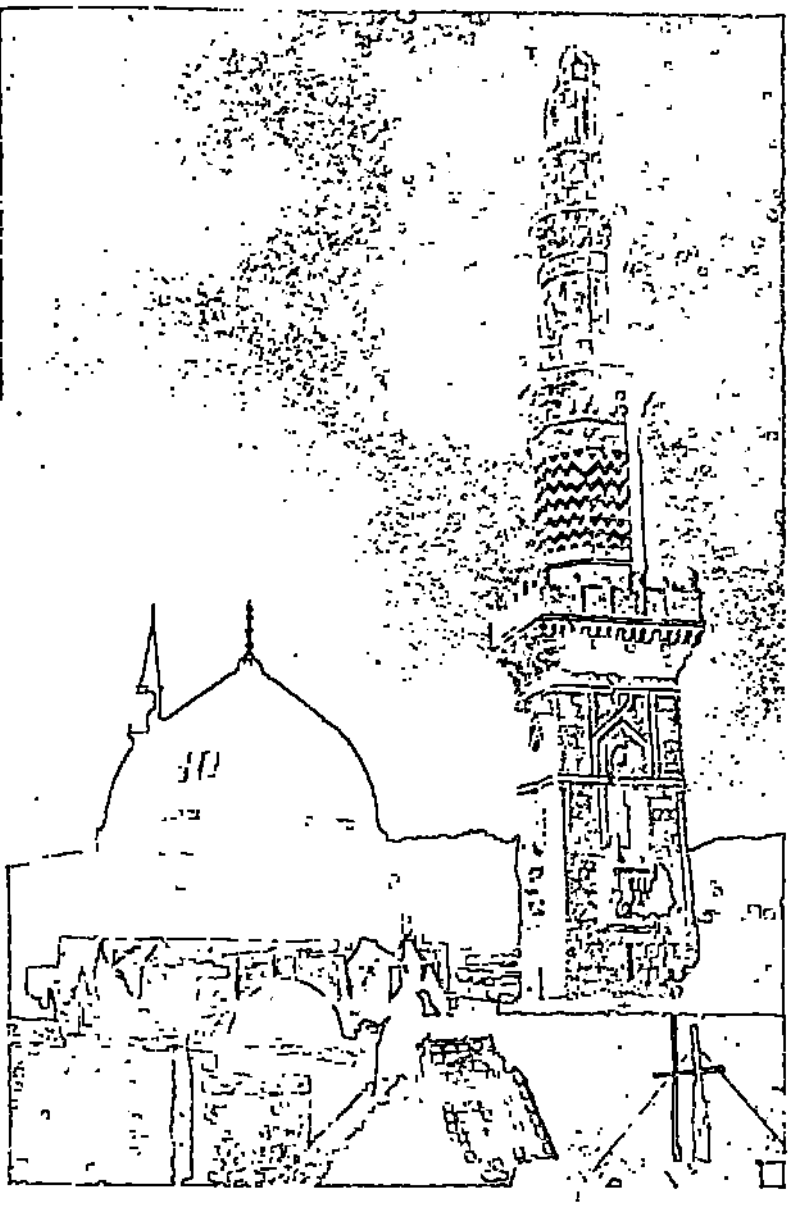

الرسم ٥

قبة النبي محمد ، وابي بكر ، بالمسجد النبوي بالمدينة

وقد اخذنا هذا الرسم ، مع ما تقدمه ، عن « مرآة الحرمين » باذن من المؤلف ، حضرة اللوا
ابراهيم رفعت باشا

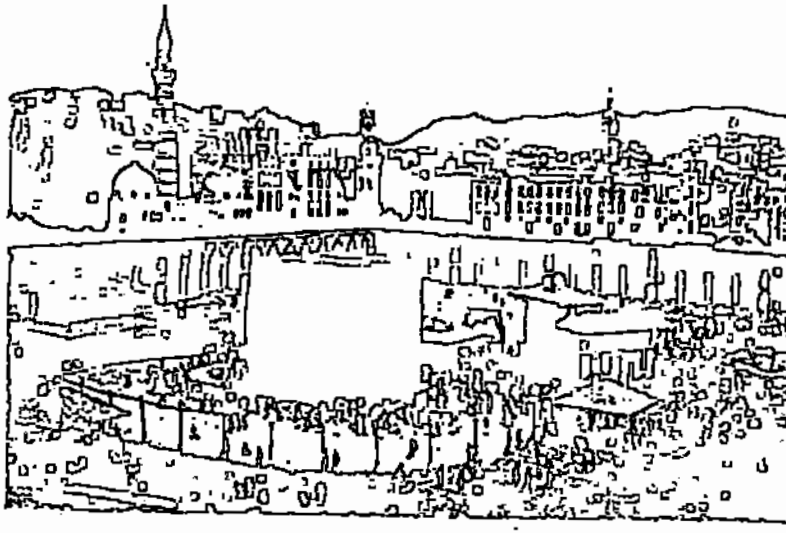

الرسم ٣
منظر الكعبة بالمسجد الحرام في مكة

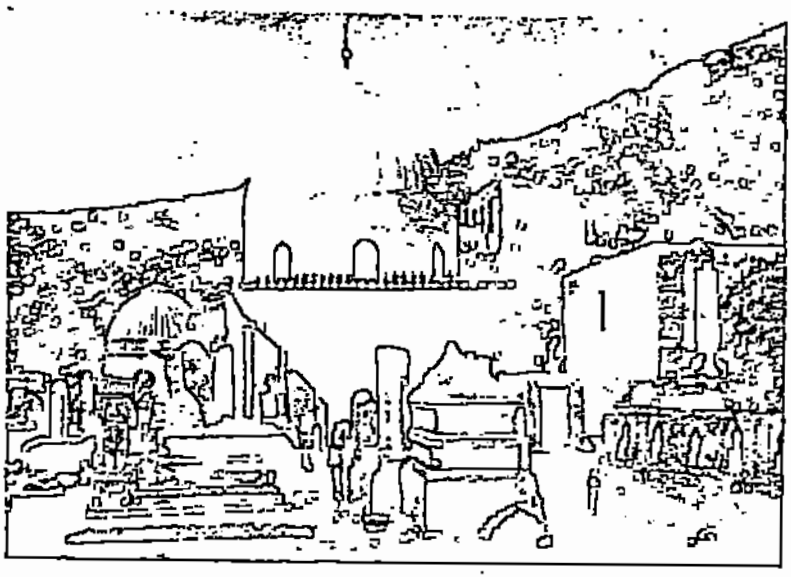

الرسم ٤
قبة السيدة خديجة بالمعلى (مكة)

والطاطم الى غير ذلك ، ولا يفوتنا ذكر ما فيه من شجر الكادي الذي يستخرج منهُ عطر الكادي ذو الرائحة الجميلة ، وشكل الشجرة كالصبارة الّا ان طولها يفوق المترين ولها جذوع كثيرة ضاربة في الارض ، وورقها عريض اشبه بسعف النخل من جانبه العريض ولهُ شوك كثير.»

واذا انتهت فرائض الحج كثيرون من الحجاج الاجانب يستوطنون مكة. ذلك ما يزيد في اختلاط السكان ويبلبل لهجتهم . واليك في ذلك فوائد شائقة (ص : ٢٠٢) قال ناقلاً كلام البتانوني :

« والذي يؤسف لهُ ان هذا الخلط وصل الى لغتهم فتراهم يتكلمون في الاكثر بلغة يكثر فيها الحشو من كلمات عربية مشوّهة او فارسية او تركية وهم يشوّهون المضاف فيقولون في «هذا حقُّ فلان» مثلاً: «هذا حقّ فلان» مع ابدال القاف جيماً مصرية ، ومنهم من يعدّ الحرف المنوّن فيقول: « هذا حقون فلان » او يؤنث لفظه فيقول : « حقة فلان » ولا يحذفون النون من الفعل في صيغة الامر للجمع فيقولون: « هيأ صلون المغرب واركبون » بدل صلوا واركبوا . ويستعملون الترخيم في غير المنادى فيقولون «قم لِمنا » اي قم لمندنا . ويقولون في الإبل : « البِل» بكسر الباء وفي الجبل « البَل » بفتحها ويقولون كبتُّ اي كملنا (خلصنا) ويقولون : « وصابتي » في واصيتي ، و«اللّمز» في اليمن ، وعمّا يكثر سماعه منهم قولهم : « دَحين » في هذا الحين و « ازهَم فلان » في ادم فلاناً ، ويعبرون عن الرجل بلفظ « زلّة » ويجمعون الرجل على « اوادم » ويقولون « زكّنه » اي فكره او نبه ، و«قل كذا» اي اعمل كذا ويقولون «ابيض» للاستحسان و« سنّع»في اصنع او اتقن و«أتمصص» في اجلس و«فصّخ حذاك»اي اخلع سالك ، ويقولون: «بشلح» للباءة ، و«شاية» للقطان ، و« امرح » : أجر ، و« الوَدَن » للفدان من الارض ، و « الصّادة » للكوفية ، و « زكن عليه » اي أكد عليه ، و « زل » بمعنى مر ، و « أندر » بمعنى أخرج ، و « الّا » بمعنى نعم.»

وقدر المؤلف (ص : ٢٠٣) عدد سكان مكة باكثر من ١٢٠,٠٠٠ نفس . وعدد المستخدمين بالمسجد الحرام زهاء ٧٠٠ ، وفيهم ٥٢ آغا (خصي) و ٢٠ مكنساً ، و ١٨١ غسالاً للقناديل الخ (ص : ٢٦٠) واليك وصف الحفلة التي يقيمونها لخطبة الجمعة في المسجد الحرام (ص : ٢٥٤):

« والعادة الآن بل ومن قديم الزمان انهُ اذا اراد الخطيب ان يخطب للجمعة يقبل بين شخصين من الاغوات يتهادى بينهما بيد كل منهما راية ، ثم يعمد الى الحجر الاسود فيقبله ويدعو عنده ، ثم يقصد الى المنبر بين الاغوين وامامه شخص يضرب بالقرقعة – عود به جلد وقيق – في الهواء فيسمع من في داخل المسجد وخارجه صوتها الشديد ، ويقصد بذلك اعلام الناس بخروج الخطيب ، فاذا ما كان على باب المنبر ناوله شخص هنالك سيفاً وثبتت الرايتان بجانب المنبر ، فاذا ما رقي الدرجة الاولى ضربها بسيفه ضربة مسمعة ، وكذلك يفعل في

الدرجة الثانية والثالثة ، فاذا ما وصل الى العليا فعل جا كذلك ثم يدعو بدعاء خفي ويسلم على الناس يميناً وشمالاً فيردّون عليه ، ثم يأخذ المؤذنون على ظهر زمزم في الاذان الثاني وبعد الفراغ منهُ يشرع في الخطبة . »

ولمّا كان هذا الوصف شبيهاً بما تركه لنا احد معاصري صلاح الدين اعني به ابن جبير[1] فقد خالجنا السؤال : الم يقتبس المؤلف المصري شيئاً من المؤلف الاندلسي الذي سبقه ؟

روينا بعض مواضيع المؤلف بحرفها ، واخذنا عن كتابه الرسوم الواردة في هذا المقال شاكرين ، وحسبنا ان نحيل القرّاء على الكتاب فسوف يجدون فيه معدناً من التعليمات عن دولة الحجاز ، وخاصة على عهد بني عثمان ، وقد خبج المؤلف حجّاته الاربع في ذلك العهد[2] وسيجدون فيه ايضاً ان الاعراب لا يزالون من صميم ولد اسماعيل (تكوين ١٦ : ١٢) و « سرّاق الحجيج » كما نعتهم الحديث . فانهم في يومنا لا يزالون كاجدادهم ينظرون الى الحجّاج نظرة الصياد الى الطريدة . هذا ما اختبره المؤلف بنفسه . لانه لمّا لم يكن يرتقي الى ملاينتهم بالاصفر الرنان ، كان يضطر الى اطلاق البندقيات والمدافع ليخترق طريق المحمل ، وعسير علينا ان نغالي اذا ما اطرأنا سياسته وحزمه في مثل تلك الظروف .

١) رحلة ابن جبير ، الطبعة الثانية (ص : ٩٥ – ٩٦)

٢) في الصفحة ١٤٥ السطر ٣ عُربت العبارة (Arabia Petraea) المعروفة من الاقدمين بهذه الكلمات : « بلاد العرب الحجرية » . فالتعريب مخالف للمعنى . نعم ان الكلمة (petraea) معناه الحقيقي حجرية ، لكنه مندوب هنا الى « بيترا » اي وادي موسى الحالية . وهذه عاصمة النبطيين ومنها اخذت شبه جزيرة سيناء اسمها . امّا السموأل الشاعر اليهودي فكانت اقامته في تيماء لا في خيبر (ص : ٤٤٦)

مذكرات جوانفيل

بقلم ميشيل سلم كميد

٢

« وبالفعل ، حين قذفونا باول قذيفة ، ركعنا كما نصحنا ، على ركبنا ، فسقطت هذه الرمية الاولى امامنا ، بين اثنين من قلاعنا ، حيث كان يشتغل الجيش في ردم النهر[1] ، وقد كان هناك رجال خُصّصوا لاخماد النار ، وحيث ان المسلمين لم يكن بامكانهم رميهم بالنار ، لداعي وجود جناص السرادقات ، التي اقامها الملك . فكانوا يرموننا بالقذيفة ، عمودياً نحو السماء ، ولكنها كانت تعود فتنزل عليهم .

« ومن طبيعة هذه النار الاغريقية انها تشبه في مقدمها برميل خمر ، ولها ذنب طويل كأطول الرماح . وحين وصولها ، تحدث جلبة عظيمة ، حتى يخال انها صاعقة انقضّت من السماء ، وتظهر كتنين ملتهب طائر في الجوّ . وما تحتويه من الكمية العظيمة من النار يسطع بنور شديد ، حتى يمكن المرء ان يرى المعسكر ، كأنه في وضح النهار .

« وقد رمونا بهذه النار ثلاث مرّات ، وبالمنجنيق اربع مرات . وفي كل مرة سمع ملكنا القديس لويس قذفنا بالنار ، كان ينهض من سريره ، ويلبس

---

١) كان الصليبيون قد عسكروا بالقرب من النيل ، وارادوا سدّ مجراه الاصلي ، وتحويله الى مجرى آخر ، كي يقطعوا الماء عن جيوش المسلمين ، فيضطروهم الى التسليم . ولكنهم لم ينجحوا . اذ كان هؤلاء لهم بالمرصاد يراقبونهم ، وبدورهم وسّعوا المجرى الاصلي من الجهة الاخرى ، وابطلوا عمل الصليبيين .

ثيابه ، ويرفع يده نحو السيد المسيح ، باكياً: «ايها الرب المولى ، احمِ رجالي» واعتقادي ان صلواته هـذه نفعتنا لدى الحاجة . وقد كان يُرسل الينا ، عند كل اطلاق قذيفة اثنـاء الليل احد حجّابه مستفهماً عنّا ، ليرى هل حصل لنا ضرر بهذه النار .

«وصدف مرة ان سقطت النار بالقرب من احدى القلاع ، فهرع اليّ احد الفرسان ، المـدعو لبيجوه ، من رجال السيّد دي كورتني ، قائلاً : «مولاي ، اذا لم تساعدنا ، هلكنا حرقاً ، اذ ان المسلمين ارسلوا علينا وابلاً من السهام ، بينما النار تتقدم كسورٍ نحو القلعة.» وبوثبة كنّا هنالك ، فوجدنا ما قاله صدقاً وحاولنا اخماد النار ، ولكن قبل ان ننتهي قذفنا المسلمون بوابل من السهام ، من الناحية الاخرى للنهر.»

* * *

ذكر البدو

وجوانفيل يذكر عن البـدو انهم اتباع شيخ الجبل ، وهم بالحقيقة ابعد عن ان يكونوا من مريديه ومحبّذيه ، وهو الذي يطلب من اتباعـه التضحية ، والخضوع الاعمى للموت ولـذا كان من المستبعَد ان يختار شيخ الجبل المرعب خدمه واتباعه من البدو . ولعلّ جوانفيل حين كتابته هـذه المذكرات ، بعد تلك السنوات الطويلة التي مضت على رجوعه من الاراضي المقدسة ، خلط بينهم وبين الاسماعيليين . وعلى كل حال ، علم بنا نرى ما يحدثنا به عنهم :

« .. بما ان هذا يدخل ضمن موضوعي ، فلاحدثنكم عن هؤلاء البدو . انهم لا يؤمنون بمحمد ، بـل بشريعة علي ، عم محمـد (كذا) ؛ كما انهم يؤمنون بشيخ الجبل ، الذي يعول الحشّاشين . وهم يعتقدون ان من يموت لاجل سيّده ، او لاي عمل طيّب ، فروحه تحلّ في جسد احسن واسعد من جسدها السالف ، ولهذا السبب لا يبالي الحشّاشون بالموت ، في تنفيذ اوامر شيخ الجبل اذا قُتلوا ... والبدو لا يسكنون البلاد والمدن ، ولا القلاع ، بل العراء . وعندما يكون الطقس مكدرًا نهارًا ، او في المساء ، يضعون نساءهم واطفالهم تحت نوع من الخيام ، التي يصنعونها من دوائر البراميل ، مضروبة على دكاتر

منصوبة ... وعلى تلك الدوائر يضعون جلود الغنم ، المسأة بالجلود الدمشقية بعد دبغها بحجر الشبّ . والبدو يغطون كل اجسامهم ، وافخاذهم ، وارجلهم بجلباب من الجلد . واذا امطرت السماء ، أو تقلب الطقس ، يلتفون بها ... وفي اليوم التالي يضعونها في الشمس ، ويصلحونها ، حتى تصبح كأنها لم تبلّل اثناء الليل .

« انهم يعتقدون ان الرجل ، لا يموت الّا في يومه . ولذا تراهم لا يحملون اسلحةً للدفاع . واذا ارادوا لمن اولادهم يقولون لهم : « لتكن ملعوناً ، كالافرنج ، الذين يتسلّحون خوفَ الموت!» وفي المواقع سلاحهم عبارة عن الحربة والرمح فقط ، ويلبسون قيصاً كالكهنة (كتونة) ، وعلى رأسهم لفافة من القماش ، وهي تمرّ تحت ذقونهم ، فتزيد منظرهم قبحاً وسماجة ، لسواد شعر رؤوسهم وذقونهم .

« هم يعيشون من البان ماشيتهم ، وكي يحصلوا على طعام مواشيهم ، يتساعون حق الانتجاع من اسياد الاراضي . وعددهم غير معلوم ، لان منهم في مملكتي مصر والقدس . وفي كل اراضي المسلمين والزنادقة ، وهم يدفعون كل عام ضرائب كبيرة . »

* * *

ذكر الوباء

وقد ابتلي جيش الصليبية بمرض مخيف ، وذلك بسبب القحط ، وعدم وجود غذاء نظيف ، فقد اضطرّوا لأكل اصناف من السمك تأكل الجيف . والجيف كما نعلم تسبب الاوبئة . فبأكلهم هذه الاسماك الحقيرة ، انتشر المرض المريع في الجيش ، وأصيب به عدد عظيم . وهذا المرض يتسبب ايضاً من فساد الدم . امّا الغلاء فبلغ حدّاً فاحشاً ، حتى ان ثمن البيضة الواحدة بلغ ، في عيد الفصح ، ما يقرب اليوم من ثلاثة غروش مصرية ، او ثمانية عشر غرشاً سورياً . وهكذا قل عن باقي الاشياء والحاجيات ، وقد أصيب جوانفيل بهذا الداء الوبيل ، في اواسط الصوم . ومما يدلنا على جلَد اولئك الفرسان ، وشدة اعصابهم ، ومتانة اجسامهم ، ما حصل له اثناء مرضه . فانه بينما كان ملقىً على سريره ،

يعاني امرّ الاوصاب ، واشدّ الآلام ، من دائه الشديد ، كان امامه كاهنه ، المصابَ ايضاً بذات الداء ، يُقيم القداس في غرفته ؛ فاذا به قد تمايل وكاد يسقط اوانَ تقديم الذبيحة الالهية . فما كان اسرع جوانفيل بنهوضه من فراشه حافياً ، حتى تناول الكاهن التعيس بين يديه ، وسنده الى ان اتمّ الذبيحة بكل هدوء . على ان هذا القدّاس كان آخر ما قام به الكاهن المسكين . ان ما فعله جوانفيل يستحقّ الاعجاب ، فقد قام بواجبه كمسيحي وكشهم باسل يغار على دينه ، على الرغم من انه كان يتألم اشدّ الآلام المرة ، اولاً من الجروح التي أُصيب بها في المعارك ؛ وثانياً من الحمّى التي كانت تنهش اعصابه ولحمه ؛ وثالثاً من الزكام الهائل الذي كان يشعر به يتمشى في عروقه من رأسه الى انحاء جسمه . ولكن جسمه الحديدي ، جسم فرسان القرون الوسطى ، فرسان الصليبية الابطال ، تغلّب امام الواجب ، فساعد الكاهن المسكين المحتضر على اتمام قداسه الاخير .

* * *

اسر الفرنسيس لويس وجوانفيل

وبسبب هذا المرض ، المتفشي بين الجنود ، قُرّر الانسحاب . فمنهم من امتطى صهوات الخيل كالملك لويس ، قاصداً دمياط ، وقد اسره المسلمون في رجوعه ومنهم من ركب المراكب كجوانفيل الذي أُسر ايضاً بعد انسحابه بيوم ، وقد حاصره المسلمون في وسط النيل ، فالتزم ان يسلّم السلاح بعد ان اشاع احد بحّارته انهُ ابن عم الملك . وهذه الاشاعة ، وان تكن انجته من الموت ، فانها سببت له عذاباً هائلاً ، فان المسلمين اذاقوه كؤوس الآلام . اذ انه ، حين احاطت به مراكبهم ، واعلن بحّارته انهُ ابن عم الملك ، طمعاً في انقاذه ، وثب احدهم الى مركبه ، قائلاً لهُ : « مولاي ! اذا لم تتصرف بحزم ، هلكت . فانه يجب ان تثب من سفينتك ، الى حافة حيزوم هذا المركب . اذا فعلت ذلك ، نجوت واعملوك . فان همهم الاهم ، نهب سفينتك . » فأجاب جوانفيل ووثب . ولكنه تقلقل ، وكاد يسقط ، لو لم يسنده الرجل . وهناك تألّب عليه مَن في السفينة ، فرموه الى الارض ودحرجوه ، وكل منهم يطلب

قتله كي ينال الشرف العظيم بذلك. وكانوا من حواليه ينادون: « ابن عم الملك ! ابن عم الملك ! ». وفي هذه الاونة شعر المسكين بالسكين تحزّ عنقه. ولكن نعمة الله ادركته ، فانقذته مما كان فيه اذ تداخل احد فرسانهم في الامر ، وحمله الى غرفة المدافعة في السفينة حيث رفعوا عن رأسه الخوذة ، والقوا عليه غطاء له . وهناك اخذته قشعريرة المرض ، ثم رعدة الخوف . واتفق ان طلب ماء للشرب ، وما كاد يشربه حتى خرج من انفه. فنادى رجاله ، واخبرهم انه مائت لا محالة ، اذ في حلقومه ثقب . ثم اراهم اياه ، فبكوا تحسرًا . ولمّا رأى الفرسان المسلمون بكاء رجاله ، تحوّلوا اليهم ، واستفهموا عن السبب ، فاخبروهم بذلك . فاشار احدهم على الفارس ، الذي انقذه قبلًا ، ان يعطيه دواء . فنفعه الدواء وشفي بعد يومين.

وقد قتل المسلمون جماعة من فرسان الصليبيين الصغار ، الذين ابوا جحود دينهم . وفي تلك الآونة ، ارسل السلطان رسلًا الى الملك لويس يساومونه ، على قيمة الفدية ، محاولين اولًا ان يحصلوا على مقاطعة في فرنسة ، فردّهم الملك بإباء . ثم سألوه اعطاءهم بعضَ الحصون في فلسطين ، فرفض ذلك ايضاً ، اذ ليس هي ملكه ؛ ولو كانت كذلك لما سمح بها . وبعد اخذ وردّ طويل ، وعدهم الملك ان يدفع لهم خمسمائة الف دينار ذهباً (ما يقارب عشرة ملايين من الفرنكات ذهباً) فدية لرجاله . ولكنه هو شخصيًا لا يثمن. وانما يعطيهم دمياط كفدية عنه . ولمّا اخبر السلطان ذلك ، قال : « بحقّ ديني ، ان هذا الافرنجي عظيم . فهو يرفض المساومة على هذا المبلغ العظيم من الدنانير . اذهبوا خبّروه ، اني سأدفع عنهُ ، من الفدية ، مائة الف دينار ! »

وفي تلك الآونة ، كانت مشادّات بين السلطان والامراء انتهت بثورة هؤلاء ، وشهرهم الحرب عليه ، ثم حصروه في قصره الخشبي البديع ، واشعلوا فيه النار. قال جوانفيل في ذلك : « انني لم انظر نارًا كهذه بهيئة عمودية قط »

وقد قبض الامراء بعيد ذلك على السلطان المنكود ، وضربوا عنقه . ولست اتمالك ان امر على هذه الحادثة ، دون ان ارويها ، ففيها تتجلّى اخلاق القديس لويس تماماً ، وعفته وشرفه ، وعزّة نفسه الطيبة . فان احد فرسان

المسلمين ، اخرج قلب السلطان الصريع من صدره ، وحمله على رأس سيفه ، وتقدم الى الملك بيديه المخضّبتين بدماء مولاه التعس ، قائلاً : « ماذا تعطيني انا الذي قتلت عدوّك ، الذي كان يقصد قتلك ، لو افسح له ؟ » ولكن الملك ادار وجهه ، ولم يجبه . لم يجب ذلك الذي يتهجّم على سيّده ووليّ نعمته ، ويلطخ يده بدمائه ، ثم يسارع اعداءه عليه ؛ كما لم يجب ذلك الرجل الذي طلب اليه ان يرسمه اميراً فارساً ، وهو يكفل انقاذه ، وكما رفض ان يصير ملكاً على مصر وسورية ، لو تحوّل عن دينه . . . رفض كل شيء عرض عليه بإباء ، وعزة نفس !

الخلاص

واراد المسلمون بعد ذلك قتل الاسرى ، ولكنهم عدلوا . وعقدوا مع الملك لويس معاهدةً جديدة . فسلمهم دمياط ، ودفع الفدية النقدية ايضاً . وهنا لا يسعني إلّا ان اذكر عفة الملك القديس ، ونزاهته مع الاعداء ، كما مع الاصدقاء ، فكان اذا وعد ، فوعد نزيه حر شريف . واتفق انهُ حين الدفع ، تمكن السيد فيليب دي نيمور (Messire Philippe de Nemours) ، من غشّ الامراء بعشرة آلاف من الدنانير . ثم تقدّم الى الملك ، وخبره . فتغضب هذا غضباً شديداً . وطلب اليه ارجاع النقود ، قبل الابتعاد في النهر . فانه وعد بدفع المبلغ كله . فاجاب السيد فيليب انهُ يمزح . فقال الملك : « ان هذه المازحة لهي في غير محلها . واني آمرك بما لي عليك من العهد ، وبما انك من رجالي ، ان تدفع العشرة آلاف دينار ، ان كنت لم تدفعها لهم حقيقة . » فاذعن السيد فيليب ودفع المال .

وبعد ان وفى الملك الفدية ، اقلع الى عكاء . وكان جوانفيل لا يزال مريضاً ، وكذلك رجاله . حتى ان عدد الموتى بلغ في يوم واحد نحو العشرين .

ثم ذُعن للملك لويس الرجوع الى فرنسة ، فاشار عليه كل الاسياد بذلك عدا جوانفيل الذي عارضهم . فهاج النبلاء ضدّه وماجوا . ولكن الملك طلب مهلة ثمانية ايام ، ليبحث عن الاوفق لهم . وبعد انقضائها جمعهم واعلمهم برأيه وعزمه على البقاء في الاراضي المقدسة ، حيث وجد انه بذهابه ، سيفقد

الصليبية بملكة القدس الشريف ، وايثاره البقاء لصيانتها ، ومساعدة النصارى هناك . ومنـذ ذاك الوقت غدا جوانفيل ، اكبر صديق للقديس لويس واعزّ رفيق.

***

شيخ الجبل

وقد رمّم الملك كل الحصون ، حينذاك ، وزاد في تحصينها. واوفدت اليه الوفود من جميع الاقطار ، من فردريك الثاني ، وملك مصر ، وملك دمشق ، وشيخ الجبل . وهذا الاخير هو من يهمنا اليوم ، فانه رئيس تلك الطغمة التي كانت في اطراف الجبال المعروفة الآن بجبال النصيرية او العلويين. والتي اسسها حسن بن الصباح في القرن الحادي عشر ، وجعل لها مراتب وانظمة خفية . وجعلت همّها الاوحـد قتل من يعاكسها ، او لا يوافق غاياتها . وكم من امير خطير ، او حاكم كبير ، سقط تحت طعنات خناجر رسلها التعساء ؟ ارسل شيخ الجبل رسله الى الملك لويس يعرض عليه الولاء والصداقة . ولعلّ نفسه كانت تحدّثه بقتله ، ان لم يقبل موالاته ، وان يبعث اليه رسله القتلة كجاري عادته. وانهُ يهمنا طبعاً ان نطلع عليها ، لما حوت من فائدة ولذة في تعرّف عادات هذه الطائفة المرعبـة المخيفة . وجوانفيل يحدثنا عن جميع ما شاهده او سمعه فيقول :

« .. في اثناء وجود الملك في عكاء . قدم رسل شيخ الجبل ، والملك اوانئذٍ يحضر القداس. وحين انتهى ، امر باحضارهم اليه ، وقد اجلسهم الملك ، بشكل انـهُ كان في المقدّم امير مرقدٍ افخر اللبـاس ، ووراء هذا « ممتاز » بلباس حسن ايضاً يحمل بين يديه ثلاث سكاكين ، متداخلة في بعضها ، وهذه تُستعمل اذا ما رُفض طلب الامير ، فتقدم للملك كعلامة قتال . ثم يتلو هذا آخر يحمل قطعة قماش ، ملفوفة على ذراعه ، تُقدم للملك ايضاً ككفنٍ لهُ ، لو رفض عريضة شيخ الجبل. واذن الملك للامير بالكلام ، فقدم لهُ تقريراً ، وقال: « لقد بعثني سيدي لأسألك اذا كنت تعرفه ؟ » فاجاب الملك انهُ لا يعرفهُ قط لانهُ لم يره ، وانما سمع عنهُ . فقال الامير : « انهُ ليدهشني جدًّا انك سمعت

بولاي ، ولم تراسله بالهدايا ، لتوثيق اواصر الصداقة ، كما يفعل امبراطور المانية ، وملك المجر ، وسلطان بابل (مصر) ، وكما يفعل سواهم ، كل عام. فانه لا يخفى عليهم ان حياتهم تتوقف على سرور مولاي. فاذا لم يسرك هذا ، فاعفه من الجزية ، التي يدفعها الى فرسان الهيكل والمستشفيات (الاسبتارية)[1] ، وهو يقنع منك بذلك » وكان شيخ الجبل يدفع الجزية للهيكليين وفرسان المستشفيات. لان هؤلاء لم يكونوا ليخافوا عمّال شيخ الجبل . وهذا يعلم ان لا فائدة تجنى من قتل رؤسائهم ، فانه اذا قتل واحداً ، يخلفه آخر . فهو لا يطوّح بالحشّاشين في حوادث لا تعود عليه بفائدة.

« فقال الملك للامير ان يرجع بعد الظهر ، ولمّا اتى وجد الملك بين رئيسي فرسان الهيكل والمستشفيات . وطلب منهُ هذا ، ان يُعيد ما قاله صباحاً ، فأبى ... وفي ثاني يوم قابل الأمير الرئيسين في مركزهما ، فلاماه ، على تعرّض سيده الوقح للملك ، بمثل هذا الكلام القاسي . ثم قالا لهُ : « اننا نأمرك بالرجوع الى مولاك ، وبان تعود بعد خمسة عشر يوماً ، حاملاً رسائل وهدايا. لحصول رضى الملك عليكم.»

« وبالفعل ، عادا يحملان قميص شيخ الجبل ، علامةً منهُ انهُ يريد ان يصادق ملك فرنسة ، اكثر من اي ملك آخر ، كما ان القميص هو اللباس الذي يتلو الجسد . وارسل اليه خاتمه المصوغ من الذهب ، والمنقوش عليه اسمه ، اشارةً انهُ بذلك « يتزوّج » (اي يتحد) الملك ، وبذلك يصيران واحداً . وارسل جواهر ايضاً ، كان بينها فيل من البلّور جيد الصنع ، وزرافة واصناف فواكه مختلفة ، كلها من البلّور ، والعاب للطاولة ، وشطرنج ، واشياء اخرى ، وكلها كانت مزيّنة بزهور العنبر ، موصولة بها بنقوش جميلة من الذهب الرفيع . وما ان فتح الرسل العلب عنها ، حتى خيل ان الغرفة كلها تعطرت ، لما انتشر من الروائح الطيبة.»

ثم ان الملك ارسل رسلاً الى شيخ الجبل ، يحملون هدايا « ومعهم الاخ ايف لُبريتون ، الذي يجيد العربية . وهذا علم ان شيخ الجبل ، لا يؤمن

(١ Chevaliers du Temple et de l'Hôpital

اناء من القاشاني بزخرف لمّاع من الفنّ الفاطمي في القاهرة (القرن الثاني عشر)

عن مجموعة الدكتور فوكه القديمة (Dr Fouquet)

كوب من القاشاني بزخرف لاع من الفن الفارسي في الري (القرن ١٠ أو ١١)
(متحف اللوفر)

كوب من القاشاني بزخرف متعدد الالوان من الفن الفارسي في الري (القرن ١٣)
(عن مجموعة انجل غرو القديمة Angel - Girros)

صحن من القاشاني من الفن الدمشقي
(القرن السادس عشر)
(عن مجموعة ريمون كتشلين Kœchlin)

صحن آخر من القاشاني الدمشقي
(القرن السادس عشر)
(متحف اللوفر)

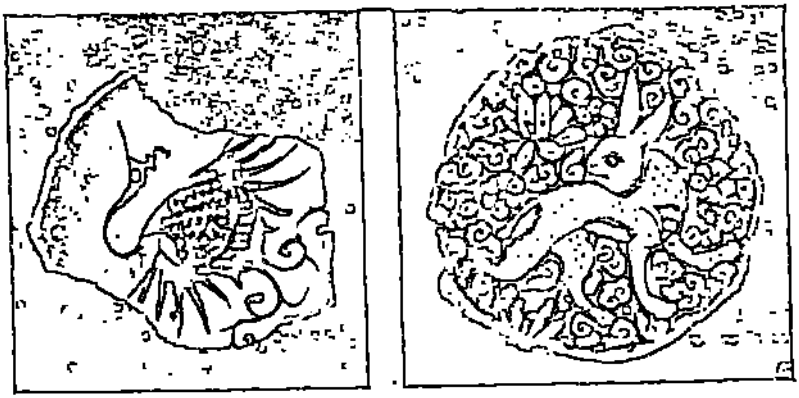

قطعتان من كوبين وجدتا في اسطنبول (بين القرن الثاني عشر والقرن الخامس عشر)
(عن ريمون كتشلين)

بمحمد بل يتبع علياً « عم محمد ! » وان الاخير حين توأس الشعب ، طرد عمه وابعده ، ولمّا رأى علي هذا جمع اليه كلما قدر عليه من الناس ، وعلّمهم غير ما يعلّمه محمد (كذا!) . واليوم هؤلاء يقولون ، عن اتباع محمد زنادقة ، وكذلك يقول الذين يؤمنون بمحمد عنهم (كذا!).

« ومن احدى شرائع علي ، ان المرء الذي يموت في سبيل امر سيده ، فروحه تتقمص في جسد آخر اشدّ حرية من الاول . ولذا فالحشّاشون يقدمون على الموت ، حين يصدر مولاهم الامر اليهم . . .

« وقد وجد الاخ ايف على مخدّة سرير شيخ الجبل كتاباً ، يتضمن جملة من كلمات السيد المسيح حين كان على الارض وجهها للقديس بطرس ، فقال لشيخ الجبل : « آه يا مولاي ، بالله عليك ، اكثر من قراءة هذا الكتاب ، فهو يتضمن كلمات مفيدة جداً » فاجابه شيخ الجبل انه يفعل ذلك ، قائلاً : « اني اعتبر كثيراً سيدي القديس بطرس ، لانه عند ابتداء العالم ، حين قتل قايين هابيل ، انتقلت روحه الى جسد نوح ، ولمّا مات هذا ، انتقلت الى جسد ابراهيم ، ولمّا مات هذا ايضاً ، انتهت بان سكنت جسد القديس بطرس »

« وحين يركب شيخ الجبل ، يتقدمه منادٍ يحمل فأساً ، بسنان طويل ، مغطّى بالفضة ، وفي حزامه عدد من الخناجر ، وهو ينادي : « ابتعدوا عمن يحمل حياة الملوك بين يديه »

هذا ما خطّه لنا جوانفيل عن شيخ الجبل الذي كان يهادي الملوك والامراء وكبار الحكام ، ويعمل على قتل من لا يرضى بمعاهدته .

* * *

ويحدثنا جوانفيل ايضاً عن التتار ، وقذارتهم والرائحة المنتنة ، الناتجة عن اللحم المقدّد الذي يحملونه في اخراج على متون الخيل . ثم يطرفنا بما فعله الملك من تأمين الطرق ، وتحصين البلاد ، وحوادث طريفة مفيدة ، الى ان يحدثنا كيف تلقى الملك نعي الملكة والدته . فقد حزن حزناً شديداً ، ومنع الكل من الدخول عليه مدة يومين كاملين . قال جوانفيل :

« . . وبعد هذا ارسل اليّ خادم غرفته ، وما ان دخلت اليه ، ورآني ،

وكان وحده ، حتى بسط نحوي ذراعيه قائلاً : « اواه ايها الوزير ، لقد فقدت والدتي ! » فاجبته : « مولاي انني لا استغرب ذلك ، حيث انهُ يجب ان تموت ولكن الاستغراب يتملكني حين اراك تحزن هـذا الحزن الشديد ، وانت رجـل حكيم . وانت تعلم ان الحكيم يقول ان ما للمرء من حزن فليحفظه في قلبه ولا يظهره على محيّاه . »

« وبعدئذٍ اتى الملك كثيراً من المحامد هناك ، وبعث رسلاً الى فرنسة ، وزوّدهم برسائل الى الكنائس ، كي يُصلى لاجل روح الملكة المتوفاة »

وفي سنة ١٢٥٤م ، عزم الملك على الرجوع الى فرنسة ، بعد ان شكره البارونات ، حكّام صيدا ، وصور ، وقيصرية ، ويافا ، وعكاء ، على تحصين البلاد . وانـه لم يبقَ لبقائـه في فلـسطين اي ضرورة . وفي نيسان ١٢٥٤م ركب البحر .

* * *

هذا ملخص مذكرات جوانفيل الخالدة . وهذا مجمل صفحة من الصليبية ، التي لعبت اكبر دور في تاريخ بلادنا العزيزة ، وكان لها تأثير يُذكر ، لا تزال آثاره الى اليوم . وهـذه الصفحة المجهولة من اكثر ابناء سورية ولبنان جديرة بالـدرس ، والبحث . فحبذا عنايتنا بها ، ولو قليلاً ، اذ انه من العار ان لا يعرف المرء ما مر ببلاده من الاطوار التاريخية العظيمة .

القاشاني الاسلامي القديم

بقلم الاب فردينان توتل اليسوعي

قال ياقوت : « قاشان بالشين المعجمة وآخره نون مدينة قرب اصبهان منها تجلب الفضائر القاشاني.» واني اتخذت من ثمّ كلمة قاشاني تعريباً للفظة سيراميك (*Céramique*) ومعناها ، في عرف الافرنج ، الفنّ المختصّ بصنع الخزف او الآجرّ او الفخّار بطرائق علمية ، وهو يشمل منتوجات الصناعة في هذا الصنف من الدارسيني والمينا وغيرها. ولم اجد في ما كتب من حديث[1] وقديم في وصف الزخارف البنائية ومنشآتها لفظاً اصطلح عليه العرب للتعبير عن معنى ذلك الفن الجميل ، وقد تعاطوه على مدى الاجيال ، ونبغوا فيه حتى باروا بحذاقتهم اعظم الصنّاع في هذا الفن من سائر الشعوب . قال غاستون ميجون[2] :

« ما من درس يستنوي العلماء استنواء سيراميك الشعوب الاسلامية لطلّاب الزخارف الجميلة المتنوّعة . فانها لآيات تشهد لاصحابها بالمهارة وبسلامة الذوق في صنع القاشاني ، وتحسين المينا ، وتنميق الالوان . ممّا يدلّ على انهم وقفوا على اسرار العظمة في فنّ التوشية ، وفي تصوير الانسان والحيوان والنبات ، وغير ذلك من اشكال هندسية وخطّية ، ونسجوا لها من الجمال حلةً لم يسبقهم اليها فنّ من الفنون.»

واليك ، على صفحات المشرق ، صوراً لبعض المصنوعات القاشانية اخذناها من كتاب ميجون المذكور ومن كتاب آخر ظهر حديثاً لكشلين . وهي مختلفة

١) راجع عكوش : تاريخ ووصف الجامع الطولوني ، مصر ١٩٢٢ ، (ص : ٦٧ وما بعدها)

٢) G. Migeon : *Les Arts musulmans*

المصادر زماناً ومكاناً[1] منها من مصر ، ومنها من الشام او العجم . وان صاحب التاريخ المهتم باكتشاف فضل الشعوب بعضهم على بعض في ترقي الفنون والصناعة ، ينظر الى تلك الآيات الفنية ويسأل من اين هي ؟

ان رحلات علمية متفرقة افرنسية والمانية نقبت على آثار القاشاني في سرس ، وفي الريّ ، وفي سامرا ، وغيرها من الاماكن مثل بغداد ، ودمشق ، والفسطاط ، وفي الاناضول ، فعثرت على قطع عديدة جمعتها وارسلتها الى اصحاب المتاحف في اوربة . فجبروا رميمها ما استطاعوا ، وفحصوها ، واقرّوا في امرها انها عراقية او عجمية الاصل بالاغلب . واستنتجوا من ثمّ ان التواتر لدليل على ان الفضل في صناعة القاشاني الاسلامي القديم يعود اولاً للعراق او للعجم .

ولكن ظهر حديثاً مقال في مجلة « اريتوز »[2] المخصصة لدرس العاديات من نقود ، وخواتم ، وغير ذلك من الفنون الاثرية ، اتى فيه صاحبه السيد «غالو» على تحليل مؤلف وضعه العلّامة بوتلر الاستاذ في اكسفرد وقد تناول فيه البحث في اصل القاشاني الاسلامي القديم ، واستنتج منهُ ان مسقط رأس القاشاني هو ارض الفراعنة ، وهي التي لقنت فنه الشعوب الذين احتلّوا ارضها من رومان وعرب . فلا يرى اذاً ان اصل القاشاني من بغداد ، ولا من الري ، ولا من الفسطاط . واليك بعض براهين على ذلك :

في العام ٧٦٢ بنى المنصور مدينة بغداد فصارت عاصمة الخلافة سحابة خمسة قرون . وشاد فيها قصراً وفي وسطه قبة زرقاء . واستجلب لبناء القصر الصنّاع من فارس وبابل والشام والموصل . ومضت الايام ، واحتل الاتراك العاصمة فاضطرّ المعتصم الى ان يهجر بغداد الى سامرا . وها ان اعمال التنقيب ، بعد نيف عن الف ومئة سنة ، قد كشفت في يومنا عن قطع من القاشاني في غاية ما انتهى الفن اليه من اتقان . هي صحون قبطية مزخرفة اشبه بالاواني المعدنية ، والواح بلاط مغشّاة بالمينا البيضاء الكثيفة اللمّاعة ، أفتكون بغدادية الاصل ؟ كلا ! لانها اتقن فناً ، واجمل صنعاً ، من ان يأتي بها من هم حديثو العهد بالصنعة . نعم لقد وجدت في بغداد ، إنما اتتها من الخارج وان ما يقال عن آثار بغداد

١) R. Koechlin : *La Céramique ; Morausée* ٢) *Arétbuse, 1928, p. 136 sq.*

لصحيح ايضاً . في ما ينسب الى سامرا . وليس اصل ذلك القاشاني من الريّ او من بلاد الفرس . وليس ما ينسبه ياقوت الى الريّ من امثال تلك الآثار الفنية دليلاً قاطعاً على انها نشأت في العجم . جاء في معجم البلدان :

« اما الريّ المشهورة فاني رأيتها وهي مدينة عجيبة الحسن مبنيـة بالأُجر المنتق المحكم الملمع بالزرقة مدهون كما تدهن الفضاير في فضاء من الارض . . . وكانت مدينة عظيمة خرب اكثرها . واتفق انني اجتزت في خرابها سنة ٦١٧ (١٢٢٠م .) وانا منهزم من التتر فرأيت حيطان خرابها قائماً ومنابرها باقية وتراويق الحيطان في حالها لقرب عهدها بالخراب »

ومعروف ان التتر دمّروا مدينة الري مرتين سنة ١١٨٦م . اما الشهيرة من الاواني الخزفية التي اكتشفوها فيها فعهدها يرقى الى ما بعد دمار المدينة ، الى ١١٨٩ ، والى ١٢١٠ ، والى ١٢١٧ ، فليس من المعقول انها صُنعت فيهـا اذ يكون الاهلون في مثل تلك الايام العصيبة مشغولين عن الزخارف الكمالية بالحاجيات .

قال المؤلف : ولم تكن مدينة الفسطاط في مصر القديمة مسقط رأس القاشاني الاسلامي القديم ، لان الفسطاط كانت حصناً رومانياً فاتخذه عمرو بن العاص مقاماً له . وليس في آثار الفسطاط دليل قاطع على وجود معامل للقاشاني الاسلامي القديم فيها ، لان المرء يعثر في انقاضها على انواع من الفخار الشتى منها العربي ومنها الصيني . ولما كان وجود الصيني غير جازم بوجود معمل للفخار الصيني في الفسطاط ، كذلك ليس من المؤكد ان وجود القاشاني العربي لدليل بات على ان منشأ القاشاني الاسلامي هو الفسطاط .

وفي الحالة التي اوصلنا اليها العلم قد يكون من المعقول انه كان في مصر في اواخر العصر البيزنطي ، وفي اوائل الاسلام ، صنّاع عريقو الخبرة في صنع القاشاني ، متعلّمون استعمال المعادن في صنع الفخار منذ القدم . فيكون من ثم اصل القاشاني الاسلامي القديم من وادي النيل . . . هذا ما لم تحدث اكتشافات جديدة في قسطنطينية ، او في انطاكية أُمّ الشرق ، او في الريّ ، فتضطرنا الى النزول عند حكم جديد ، وسبحان من تنزّه عن الضلال .

الحياة العقلية في لبنان

قبل مئة سنة

محاضرة القاها في نادي الشبيبة الكاثوليكية

فؤاد افرام البستاني

١

لكلّ أمة حياتان :

حياةٌ خارجية مادّية ، تُثيرها المطامع والاهواء ، ويقودها حبّ الفتح والاستيلاء الى المجازر والمعارك ، فيُبهر ابصارها لمعان الأسنّة وبريقُ السيوف ، وتُخيّم فوقها غمائم البارود وعصائب الكواسر ، ويَحمِلُ اصداء جلبتها الى اطراف الأفق قرعُ الطبول وقصفُ المدافع . ثم تعود ، بعد ان ملأت الفضاء ضجيجاً ، نشوى بخمرة الانتصار ، فتبني صروح عظمتها شاهقةً ، توطّدها على احقاف الجماجم ، وتشيدُها بدماء الأوردة .

وحياةٌ ثانية ، داخلية روحية ، تُحييها الرغبة في تهذيب النفس ، ويغذّيها الدرس واجهاد الفكر ؛ فتعملُ منفردةً ساكنة ، تحفظها الطمأنينة والسلام ، وتحفّها الهيبة والوقار . تبسط ايديها المحرّرة على خفايا الأدمغة فتنزع حُجبها ، وتمدّ اصابعها المرنة اللطيفة الى حنايا الضلوع فتكتشف كنوزها . ثم تعود ، ولم يشعر بها احد ، فتبني أكواخ تواضعها ضئيلةً حقيرة ، توطّدها على منتوجات العقول ، وتشيدها بعواطف القلوب .

وبعد حين يشعُرُ ارباب الحياة الصخّابة بوجود الحياة الهادئة . فيهزأ بها البعض ، ويحتقرون أكواخها ، ويترفّعون حتى عن تقويضها . ويلهو بها البعض الآخر ، فيستخدم ابناءها في اساليب سروره وطربه ، يُذيبون ادمغتهم في سبيل تفكيهه ، ويمنّ عليهم بان يجعل أكواخهم في ظلّ صرحه الشامخ .

ولكن ما هو أن تهبّ عواصف الزمان ، وتثور اعاصير الدهر ، فتصدم تلك

القصور المتمرّدة ، وتدفع ريحها السموم صافرةً بين الجماجم ، حتى تُزلزلَ تلك القباب ، وتقوّضَ تلك الاركان. والأكواخ باقية في تواضعها مطمئنة في سكونها.

ثم تمرّ القرون ، واذا بهوميروس يدوّخ من البلاد ما لم يحلمْ بهِ الاسكندر الكبير ، واذا بفرجيل ينشر نفوذه على ولايات لم ينتشرْ عليها النسر الروماني ، واذا بالمتنبي يفتح ثغوراً لم يصل اليها سيف الدولة ، واذا بابيات كورنيل تدوّي في آفاق لم تسمع قصف مدافع نابوليون ، واذا بشكسبير يحتلّ من المناطق ما لم يبلُغ اليه اسطولُ ملكة البحار.

واذا بالتاريخ ، ذاك الحاكم العادل ، يردّد ببرودته المعهودة :

مضى ذكرُ الملوك بكل عصر وذكرُ السوقة العلماء باقِ

هذه الحياة العقلية ، الهادئة الساكنة ، هي ما نودّ درسه في لبنان قبل مئة سنة ، اي في الثلث الاول من القرن التاسع عشر.

في عهدٍ كان اللبناني لا يهتمّ بسوى صقل بَطقانه ، وتنظيف بندقيته ، وتنضيد طبنجاته ، منتظراً دعوة اميره ، كي يسير الى حيث لا يعلم ، فيحارب من لا يعرف. في ذاك العهد المضطرب ، الذي ملأه الأمير بشير جلبةً وضوضاء ، هل كان من وجود للحياة العقلية في لبنان ؟

اذا القيتم نظرة على قمم جبالنا ، من الشمال الى الجنوب ، ومن البحر الى البقاع ، ترونها مزدانةً ببنايات بسيطة الظاهر تعلوها قبب الأجراس مرتفعةً ، تبدو في النهار معالم لأبصار المسافرين فتدعوهم الى الاطمئنان والامل بالراحة ، وتقرع في المساء والصباح فتنبه السكان الى رفع الدعاء نحو الكائن الأعلى.

في تلك البنايات التي شيدت بعرق الرهبان حيناً وبدمائهم احياناً ، حُفظ ، قرناً فقرناً ، مصباح الحياة العقلية . عبثت عليه عواصف الهمجية ، واكتنفه ضباب الجهل ، فارتجف طويلاً ، ولكنه لم ينطفئ . هو نورٌ ضئيل لا يُذكر اذا قسناه بانوار علومنا اليوم ، ولكنه كافٍ ليستأنس بهِ مؤرخ الآداب ، ويؤمل انه سوف يسطع ، اذا وجد مجالاً للسطوع . وهكذا كان ! فان تلك الأديرة لم تخلُ عهداً من حملة العلم ، ونشرة المعارف :

جبرائيل القلاعي في اواخر القرن الخامس عشر.

الصهيوني ، والحصروني ، والرزّي في اواخر القرن السادس عشر .
الحاقلاني ، والباني ، والدويهي الكبير في القرن السابع عشر .
والسماعنة ، وفرحات في القرن الثامن عشر .

حملوا علوم الشرق الى بلاد الغرب ، وعادوا ، بانفسهم ، او بتلامذتهم ، او بآثارهم ، الى وطنهم ؛ فمهّدوا السبيل لنفحة الغرب الباعثة فينا روح النهضة في اوائل القرن الماضي .

هذا اهمّ ما يُذكر ، عند الكلام عن سُبّاق نهضتنا الحالية ؛ وهذا ما دفع خيرالله خيرالله في كتابه « *La Syrie* » الى الاقرار عالياً بفضل الاكليروس الماروني ، فقال ما تعريبه :

« نحن اليوم في طور انتقال تسود فيه الفوضى . ولكنّ المستقبل كفيلٌ بان يستخلص الأسباب من النتائج . عند ذلك تعرف سورية العصرية كلّ ما هي مدينةٌ بهِ للبنان ، ويعرفُ لبنان كلّ ما هو مدينٌ بهِ للموارنة ، ويعرف الموارنة كلّ ما هم مدينون بهِ لاكليروسهم . »[1]

* * *

اما في اول القرن التاسع عشر ، فتبدو الحياة العقلية في ثلاثة مظاهر : المدارس ، والمطابع ، ومحافل الادباء .

وها نحن نجول في لبنان ، اذا شئتم ، في العقد الثالث من القرن الماضي ، فنتسلّق قممهُ ، ونزور مدارسه ، ونفتّش مطابعه ، ونتعرّف الى مؤلفيه ؛ ثم ننزل ضيوفاً كراماً على امير لبنان في بيت الدين ، فنشهدُ حفلات من عنده من الشعراء والكتّاب . ونعود الى مقرنا ، بعد ان نسمع شيئاً من اناشيد الشعر العامي . وفّقنا الله في الذهاب والإياب :

اول ما يلفت نظرنا من معاقل العلم مدرسة عين ورقة الشهيرة ، التي انشأها البطريرك يوسف اسطفان على عهد اسقفيّته . وظلّت ديراً بسيطاً يُقيم فيهِ بعض الراهبات ، حتى انتبه البطريرك يوسف التيان ، احد تلامذة مدرسة الموارنة في رومية ، لحاجة البلاد الى معهد علمي كبير ، فأخرج الراهبات ،

1) K. T. Khairallah : *La Syrie*, Paris, 1912 p. 38-39

وحوّل الدير ، سنة ١٧٨٩ ، الى مدرسة كبيرة على مثال مدرسة رومية . وها نحن نراها في زيارتنا ، آهلةً بالتلامذة ، مرتّبة الصفوف ، تدرّس فيها اللغات السريانية ، والايطالية ، واللاتينية ، والعربية بعلومها المختلفة من صرف ونحو وبيان وعروض ، مع الفصاحة والمنطق والفلسفة واللاهوت الادبي والنظري ، والحق القانوني ، والشريعة المدنية . ونرى بين هؤلاء التلامذة المتعدّدين كثيراً ممن سوف يُصبحون اربابَ اللغة بعد قليل ، فيحملون لواء النهضة عالياً ، ويملأون المكاتب بتآليفهم النفيسة ، كأحمد فارس الشدياق ، والكونت رشيد الدحداح ، والمعلّم بطرس البستاني.

وعليه يظهر فضل تلك المدرسة « التي يسوغ لنا ان نقول بحقّ ، مع احد خرّيجيها المعلم بطرس البستاني[1] ، إنها امّ المدارس الوطنية في هذه البلاد . »

ومن عين ورقة نسير الى باقي المدارس المارونية ، فنزور مدرسة كفرحي المنشأة سنة ١٨١٢ ، ومدرسة الرومية المنشأة سنة ١٨١٨ ، ومدرسة صربا المنشأة سنة ١٨٢٨ ، وكثيراً غيرها من المدارس الأبرشية والاناطش المنتشرة في اهدن ، وحوقا ، وبقرقاشه ، وجبيل ، وعجلتون ، ووادي شحرور ، ودير القمر ، وزحله . ولو تأخرت زيارتنا قليلاً لأمكننا ان نزور مدرستين عامرتين هما مدرسة ريفون ، ومدرسة مار عبدا هرهريا ، وقد أُسستا سنة ١٨٣١ .

هذا ولم يحتكر الموارنة انشاء المدارس ، فاننا نرى للروم الكاثوليك مدرسة شهيرة انشأها في عين تراز سنة ١٨١١ ، البطريرك اغابيوس مطر ، وغايته تهذيب ابناء طائفته بالعلوم الاكليريكية.

وكان بطريرك السريان الكاثوليك ، مخائيل جروه ، قد وضع أساس مدرسة الشرفة وجمع بها مكتبة مهمة ، لا يزال المنقبون يكتشفون بعض نفائسها حتى اليوم.

واذا زرنا دير بزمّار للأرمن الكاثوليك ، ورأينا ان لهم فيه مدرسةً تُذكر ، انشأها البطريرك غريغوريوس الأول ، نرجعُ ونحن واثقون بأنّا قد عرفنا اشهر مدارس لبنان في الثلث الاول من القرن التاسع عشر.

---

١) المعلم بطرس البستاني : خطبة في آداب العرب ، (ص : ٣٦)

امّا المطابع فاقدم ما عُرف منها في لبنان مطبعة قزحيا القديمة التي دخلت بلادنا في اوائل القرن السابع عشر . وطُبع فيها كتاب المزامير ، على عمودين احدهما سرياني والثاني عربي بالحرف الكرشوني ، وذلك سنة ١٦١٠. ثم خربت تلك المطبعة ، فتضعضعت حروفها ، وخمدت حركتها نحو مائتي سنة. الى ان اهتم الاخ سيرافيم حوقا فاستحضر من اوربة ادوات جديدة ، وبنى قبواً خاصاً في الدير المذكور ، رتّب فيه جميع الآلات ، وطبع اول كتاب فيها سنة ١٨٠٨. وقد بلغت مطبوعاتها حتى زيارتنا نحو الثمانية كتب كلها في الدينيات.

وهناك مطبعة ثانية تقدّمت زمن تجديد مطبعة قزحيا ، وهي مطبعة دير يوحنّا الصابغ في الشوير التي انشأها عبدالله زاخر في الثلث الاول من القرن الثامن عشر ، وحفر حروفها على مثال الحروف العربية في مطابع رومية ، وسبكها بيده ، وقد ساعده على ذلك انه كان يتعاطى في حداثته فنّ الصياغة ، كما ذكر الرحّالة الفرنسوي ڤولني (Volney). واصدر اول كتاب منها سنة ١٧٣٤ ، وهو كتاب ميزان الزمان للأب نيرنبرج اليسوعي. ولم تأتِ السنة ١٨٢٨ ، حتى كانت مطبوعاتها قد بلغت الاربعة والعشرين كتاباً كلها في الدينيات.

وقد كان امكننا زيارة مطبعة عربية في بيروت ، وهي مطبعة القديس جاورجيوس للروم الارثوذكس التي أنشئت سنة ١٧٥١ ، لو لم تكن قد أهمل امرها فظلّت نحو المئة سنة لا تطبع شيئاً.

* * *

كان يلتئم حول هذه الدوائر الادبية من مطابع ومدارس ، او بالقرب منها في الاديرة او في زوايا الجوامع ، فريقٌ ممن راقت لهم حياة العلم والتعليم ، فخصّصوا القسم الاكبر من وقتهم للتبحّر ، وتدوين ما يعلق بذاكرتهم من الحوادث ، والمذاكرة مع من يجتمع اليهم من الطلّاب والمريدين.

وهكذا فاننا نرى في لبنان بضعة عشر شخصاً من المشتغلين بالحياة العقلية تركوا لنا بعض آثار لها قيمة تُذكر ، لاسيما اذا ذكرنا ان مؤلفيها كتبوها في زمنٍ ساد الجهل فيه على معظم الاقطار العربية.

من هؤلاء المشتغلين بالعلم مؤرخون ثقة نحن مدينون لهم بما نعرفه عن

تاريخ بلادنا ، كالقس حنانيا المنيّر من الرهبانية الحنّاوية الشويرية ، والمعلّم نقولا الترك . للأول تاريخان مشهوران : احدهما مدني اسمه « الدرّ المرصوف في حوادث الشوف » ذكر فيه ما حدث في لبنان من السنة ١٦٩٧ الى السنة ١٨٠٧ ، فغدا مورداً سائغاً استقى منهُ الامير حيدر في تاريخه المعروف ، والشيخ طنّوس الشدياق في « اخبار اعيانه » . والآخر ديني ذكر فيه حوادث رهبانيته من نصف القرن الثامن عشر الى السنة ١٨٠٥ . وفي المكتبة الشرقية نسخة من التاريخين .

اما نقولا الترك فوُلد في دير القمر سنة ١٧٦٣ ، وخدم الامير بشير ، ناظماً في مدحه ومدح اعوانه القصائد العديدة مما سنُشير اليه . وقد اهتمّ بالتاريخ ليس اللبناني فحسب ، بل العامّ ايضاً ، فترك فيه كتابين جليلين اولهما تاريخ نابوليون ، من وفاة لويس السادس عشر الى السنة ١٨٢١ ، وقد درس هذا الكتاب المستشرق ديغرانج (Desgranges) فطبع نصفه الاول في باريس سنة ١٨٣٩ وترجمه الى الفرنساوية ، ولا يزال النصف الثاني مخطوطاً . وثانيهما تاريخ الجزّار ، منهُ نسخة في المكتبة الشرقية . ويمتاز نقولا الترك بجملته السهلة الصحيحة ، القليلة التكلّف . ويرى المرحوم الاب شيخو ان لنقولا المذكور تاريخين آخرين لم يذكر اسم مؤلفهما : الاول طبع في باريس سنة ١٨٠٧ بعنوان « مجموع حوادث الحرب الواقع بين الفرنسوية والنساوية في اواخر سنة ١٨٠٥ الموافقة لها سنة ١٢٢٠ لتاريخ الهجرة . » والثاني لا يزال مخطوطاً منهُ نسخة في مكتبة باريس العمومية اسمه « نزهة الزمان في حوادث لبنان » ينتهي بحوادث سنة ١٧٩٠[1]

اضيفوا الى هؤلاء بعض المشتغلين بالعلوم والآداب من الفقهاء والاساتذة الذين كانوا يجمعون حولهم من طلّابهم حلقات ، يتذاكرون فيها ويتناظرون ، فيخلقون محافل ادبية صغيرة ؛ كالشيخ محمد الحوت الفقيه البيروتي الذي ترك كتاباً اسمه « اسنى المطالب في الحديث » ، والخوري ارسانيوس الفاخوري الذي صار في ما بعد قاضياً للنصارى ، وترك التآليف العديدة .

(لها بقية)

---

١) الاب شيخو : تاريخ الآداب العربية في القرن التاسع عشر ، ج ١ ، ص : ٢٦

المشكلة الرومانية

تاريخ الخلاف

بقلم الاب لامنس اليسوعي

وقّع الكرسي الرسولي وايطاليـة مؤخرًا معاهدة أنهت على شكل حتي ذاك الخلاف الطويل الذي فرّقهما منذ نحو ستين سنة . فرأينا من المفيد ان نلخص تطوّرات تلك المشكلة الرومانية التي سيفتح حلّها عهدًا جديدًا في تاريخ البابوية وتاريخ العالم المسيحي قاطبةً .

اصل الخلاف

في ٢٠ ايلول سنة ١٨٧٠ ، دخلت الجيوش الايطالية رومية . وكان قداسة البابا اذ ذاك ، بيوس التاسع ، امر بانزال العلم البابوي حقنًا للدماء . ولكنه ، في الوقت نفسه ، سلّم سفراء الدول احتجاجًا عنيفًا ايده برسالته العامّة المؤرخة في اول تشرين الثاني من السنة نفسها . امّا الحكومة الايطالية فظنّت انها تتوفّق الى حلّ الخلاف بشريعة اعلنتها في ١٣ ايار سنة ١٨٧١ ، وهي المعروفة « بشريعة الضمانات » . وكان من موادّها الاعتراف لقداسة البابا بجميع مظاهر السلطة الخارجية ، ومنحه تعويضًا سنويًا قدره ٣,٢٥٥,٠٠٠ فرنك . ولكنها كانت تُنكر عليه حقيقة الاستقلال السياسي . وتنزع من ملكيته حتى قصرَي الفاتيكان ولاتران فلا تقرّ له الّا بالتمتع بهما فقط .

فرفض بيوس التاسع قبول هذه الشريعة الفاسدة مبدئيًا لصدورها عن القوّة الجبرية . وكذلك رفض المال ، وقرّر سجن نفسه في الفاتيكان ، وقطع كل علاقة مع السلطات الايطالية . وحذّر على الكاثوليك من الايطاليين الاشتراك

في انتخابات بلادهم سواء كان ذلك تصويتاً او ترشحاً. ثم اعلم الامراء والملوك الكاثوليكيين انهُ لا يمكنه الموافقة على زياراتهم لرومية ، ما دامت الحالة على ذلك الشكل.

من لاون الثالث عشر الى بندبكتوس الخامس عشر

ولمَّا خلف لاون الثالث عشر بيوس التاسع على السدَّة البطرسية ، اعاد جميع الاحتجاجات المذكورة ، وتمسَّك بها مدَّة حبريته الطويلة البالغة ٢٥ سنة محفوفة بالجلال والوقار. على ان التاريخ يذكر بعض ميول للتقرّب من الفاتيكان في سنة ١٨٨٧ . ولكن هذه المخابرات التي بدأها السياسي المشهور كريسبي عثرت بالعقبات الكؤود التي كانت تقيمها المحافل الماسونية الايطالية. وفي تلك المناسبة ، قال كريسبي ، على ما يُروى ، كلمته الشهيرة : « ان من يحلّ المشكلة الرومانية يكون اعظم رجل في ايطالية. »

اما بيوس العاشر فتابع السياسة نفسها من حيث الاعتزال في الفاتيكان . ولكنه ، لما رأى ان الاحزاب الثورية في ايطالية تتقدَّم تقدّماً مقلقاً ، سمح للكاثوليك من الوطنيين ان يشتركوا في الانتخابات وفي ترشيح انفسهم ايضاً . على انهُ ظلَّ متمسكاً بباقي موادّ احتجاجات سلفيه . ومما يُذكر ، تأييداً لهذا القول ، انهُ لما زار المسيو لوبيه ، رئيس جمهورية فرنسة ، قصر الكويرنال سنة ١٩٠٤ ، اصدر قداسة البابا احتجاجاً شديداً كان لهُ اعظم صدى في اوربة.

واذ توفي بيوس العاشر في ٢٠ آب سنة ١٩١٤ انتخب مجمع الكرادلة خلفاً لهُ بنديكتوس الخامس عشر . وكانت اوربة ، اذ ذاك ، في اول حربها الطاحنة . على ان هذه الحرب عملت على تعجيل حلّ المشكلة الرومانية ، لانها اظهرت لجميع الانظار حالة البابا غير المحتملة ، وقد حُرم ابناؤه في العالم المسيحي من صلاتهم به على طريقة منظمة مستقلّة فاجتهدت الحكومة الايطالية على سدّ هذه الثلمة نوعاً ما . فقبل البابا عملها بالشكر ، ولكنه اظهر ما يوجد من الإجحاف وعدم النظام بأن يكون استقلال رئيس الكنيسة متعلقاً بعواطف رجال الحكم وظروف السياسة ، وهي متقلبة بين ليلة وضحاها.

ولم تنته الحرب حتى اخذ بنديكتوس الخامس عشر بالعمل في سبيل تسهيل الاتفاق . فقرّر ، في رسالته العامة الصادرة في ٧ ايار ١٩٢٠ ، السماح للملوك الكثلكة بزيارة رومية . ولكنه قال انهُ لا يجوز تأويل هذا السماح بأن البابا يتنازل عن شيء من حقوقه . وتابع طالباً وضع حدّ لتلك الحالة البعيدة عن العدل ، الوخيمة العاقبة لسلامة الشعوب جميعها .»

وكان الثاتيكان لا يفتأ يشجّع كاثوليك ايطالية على الاشتراك في حياة بلادهم السياسية . فما عتّم هؤلاء ان الّفوا في المجلس النيابي حزباً مهمّاً كان من اوليات موادّ برنامجه «احترام استقلال الحبر الاعظم» . وما زالوا يعملون بخطبهم وكتاباتهم حتى هيّأوا الرأي العام الايطالي للنظر الى حلّ المشكلة الرومانية ، نظراً جديداً . فاخذ رجالات السياسات يفكرون في ذاك الامر ، واقترح بعضهم اعطاء البابا من الارض ما يجعله مطلق الملكية والتصرّف « وما يلزم كي يمكنه القيام بسلطته كرئيس الكثلكة الاعلى .» ولم يكن موسوليني ، اذ ذاك ، الّا رئيس حزب الفاشيستية وهو لا يتجاوز الثلاثين ناباً ، فخاض لاول مرة تلك المناقشة ، التي لم تؤدِّ الى ابعد من الاقتراحات ، لان الوقت لم يكن قد حان بعد . وكان من نصيب خليفة بنديكتوس الخامس عشر ان يشاهد فجره السعيد .

جلوس بيوس الحادي عشر

لم يكد يُنتخب في ٦ شباط ١٩٢٢ ، حتى قام باشارة رمزية كان لها معناها البعيد . وذلك انه منذ وفاة بيوس التاسع ، ترك الاحبار الاعظمون عادة الظهور على الشرفة الخارجية من كاتدرائية القديس بطرس ، وهي الشرفة التي تطلّ على الرحبة الواسعة . كل ذلك احتجاجاً ضمنياً على اجحاف ايطالية بحقّ البابوية . على ان بيوس الحادي عشر ترك تلك العادة وظهر ، حالاً بعد انتخابه ، على الشرفة الخارجية ؛ فبارك الجماهير الغفيرة المحتشدة في الرحبة الفسيحة ، بينا كانت الجيوش الايطالية تؤدي لهُ السلام العسكري .

فتنوقلت الاشاعات اذ ذاك بان تلك المظاهرة حلّت المشكلة الرومانية .

ولكنها كانت سابقة لأوانها ، ولم يتم البابا الجديد ان بدّد تلك الاوهام ، مجدداً « جميع التحفظات اللازمة لصيانة حقوق الكرسي الرسولي التي لن تُمس والتي حلف بالدفاع عنها.» وبعد هذا التصريح الواضح ، الذي بدّد فيه كل تأويل فاسد لظهوره الاول على الشرفة الخارجية ، ظهر للمرّة الثانية على الشرفة نفسها بعد حفلة تتويجه ، وبارك المئة الف مؤمن المزدحمين في رحبة القديس بطرس.

وفي ٢٨ آذار التالي ، وصل الى رومية ، ملك بلجكة وملكتها مع وليّ العهد . فكانوا اول من يزور البابا من ملوك الكثلكة بعد سنة ١٨٧٠ . ولم تمض اشهر حتى تبعتهما الاسرة المالكة في اسبانية.

وقد شاهد شهر تشرين الاول من سنة ١٩٢٢ ، تقدّم الجيش الفاشيستي واحتلاله رومية . فاستلم موسوليني زمام الامور مستعداً لتطبيق ما اتّخذه من المقاصد المقرّرة بأن يعيد الى الكثلكة مركزها السامي في حياة ايطالية . ومن ذاك الحين ، اخذت الحكومة الايطالية ببذل الجهود فوق الجهود للتقرّب من الحبر الاعظم.

امّا البابا الجديد فنشر في ٢٣ كانون الاول سنة ١٩٢٢ ، رسالته العامة الاولى . وفيها يجدّد الاحتجاجات والمطالبات التي قام بها سلفاؤه باسم حقوق الكرسي الرسولي ومقامه السامي . ولكنه زاد في تلك الرسالة نداء شديداً أثّر في الرأي العام الايطالي حتى الأعماق . وهذا نصّه :

« ليس في الكرسي الرسولي ما يخيف ايطالية . فان الحبر الاعظم ، مهما تكن شخصيته ، يتخذ دائماً دستوراً لسلوكه كلمات النبي القائل : « افكاري متجهة نحو السلام لا نحو العذاب.» وان البابا يتابع دائماً عمله في توطيد السلام الحقيقي غيرَ مبتعد في شيء عن العدالة ، حتى يمكنه تحقيق كلام الكتاب المقدّس : « لقد تعانق العدل والسلام ! » وان لله القادر على كل شيء ، الوافر الرحمة ، ان يشاء فيبدو ذاك النهار السعيد ، الكثير الخيرات لاعادة ملك السيد المسيح ، ولتحقيق السلام في ايطالية وفي العالم اجمع . ولكن على جميع ذوي الآراء الصائبة ان يوحّدوا جهودهم حتى لا تدقّ عبثاً تلك الساعة السعيدة

سياسة موسوليني

ولكن ست سنوات مرّت ، قبل ان تدق تلك الساعة السعيدة ، وقبل ان يُسمع ذاك النداء الابوي . على ان ايطالية لم تُحرم من رجل حازم ، هو بنيتو موسوليني ، يحفّه فريق من رجال السياسة ، قادرون جميعهم على سماع ذاك النداء المملوء بالالهامات الشريفة الصادرة من قلب الحبر العظيم . ولا شكّ في ان موسوليني اراد ان يجيب عن ذلك النداء من اول العهد الفاشيستي ، وينال بكل جدارة ، ذاك اللقب الفخم الظاهر في كلمة كريسبي . على ان المشكلة كانت وافرة الصعوبة ، متشعبة العقبات حتى انه يظهر لنا ان الزعيم الفاشيستي ، على الرغم من مقدرته وجرأته ، خاف اولاً ان ينظر اليها وجهاً لوجه ، ويعمل على حلّها مباشرةً . فبدأ بشهر الحرب على الماسونية ، وكانت في عرفه ، اعظم عقبة لتحقيق تلك الامنية الوطنية . وبعد ان سحقها ، وحطّم كل ما كانت تُحدثه من المعارضات في المجلس الايطالي ، اخذ يخلق جوّ موافق في السياسة لما كان في نيّته القيام به من المخابرات . فجعل يزيد تأثير الديانة مساحةً وعمقاً في جميع مظاهر الحياة الايطالية ، وذلك بأن حذف او حوّر كل ما كان معاكساً لاعمال الكنيسة في الشرائع السابقة .

ويخال لنا انه لم يخلُ من الظنّ ان البابوية ، بعد ان يكون اغدق عليها احتراماته المتعددة وعناياته الكثيرة ، قد تترك المطالبة بحقوقها الاصلية ، وهي ان تعترف الحكومة باستقلالها التام ، وتعطيها الضمانات للقيام بهذا الاستقلال . ودامت هذه السياسة الجذّابة ستّ سنوات لا تألو جهداً في تعديد الخدمات للكنيسة من كبيرة وصغيرة ، وغايتها ، في عقول سياسيي الفاشيست ، ان تقرّب الزمن الذي تتحقّق فيه البابوية كل ما تظهره الحكومة من الاخلاص والتفاني ، فتترك المطالبة بحقوقها .

وكان من اهمّ هذه التقرّبات اصلاح التشريعات الدينية التي قام بها الحزب الفاشيستي سنة ١٩٢٥ . وكان هذا الاصلاح موافقاً للكنيسة في نقاط عديدة . على ان نقصه المهمّ كان في انه صدر عن حكومة علمانية اتخذت لها الحقّ في

سنّ نظام للكنيسة دون ان تستشيرها . ولهذا فان قداسة البابا بيوس الحادي عشر ، في كتاب عامّ ارسله الى الكردينال غسباري بتاريخ ١٣ شباط ١٩٢٦ ، انكر على الحكومة الايطالية الحقّ في الانفراد ، دون الكرسي الرسولي ، بوضع نظام رسمي للكنيسة الكاثوليكية . وقال خاتماً : « ان كل تعاون يظل مستحيلاً ما دامت تلك الحالة المجحفة بحقّ الكرسي الرسولي وبحق الحبر الاعظم . » عند ذاك وُجد موسوليني وحزبه وجهاً لوجه أمام المشكلة الرومانية التي كانوا قد ارادوا حلها ، على ما يظهر ، بطريقة غير مباشرة . وعرفوا انه من الضروري ان يحلّوها قبل كل شيء ، فيسهل عليهم البحث في غيرها .

فلم يتردّد موسوليني في القيام بهذا العمل الذي تابعه في سكوت تامّ وطمأنينة لا شيء يقلقهما ، بفضل ما سنه الفاشيست من النظام لصحافة بلادهم . وكان ذلك العمل يتقدّم رويداً رويداً . وكثيراً ما عاقته الصعوبات فاوقفته زمناً ، او قامت بوجهه العقبات فارجعته الى الوراء ، وقطعت المخابرات مدة بين السلطتين . ولكن لم يبدُ من ذلك شيء في الخارج ، حيث كانت الحياة السياسية تسير على اتمّ ما يرام . وقد علمنا بواسطة « الاوسرفاتوري روماني » ان مندوبي الحبر الاعظم اجتمعوا الى مندوبي حكومة ايطالية ، اثناء المخابرات اكثر من مائتي مرّة . وهذا العدد يكفي وحده للدلالة على تطوّرات القضية ، وقد ظنّوا مرّات عديدة انهم وصلوا الى حلّ موافق ، ولكن كان ظنهم سابقاً لاوانه ، وكذلك اعتقدوا ايضاً مرّات عديدة انهم سائرون الى فشل نهائي ، كما حصل عندما الغت السلطة الفاشيستية جمعيات الكشافة الكاثوليكية . وقد شعر الرأي العام بعاطفة الفشل نفسها ، لمّا نشرت الجريدة الرسمية للحزب الفاشيستي انهُ يُنكر قطعياً اعادة شيء من الارض للبابا ولو كان قدر اصبع .

على ان السلطتين كانتا مخلصتين في اعمالها ، ثابتتين في جهودهما ، واثقتين برغباتهما في الوصول . فوصلتا بعد ان مهّدتا الطريق بازالة العقبات الكثيرة . اما كيف امكنهما النجاح فهو ما سنتكلم عنهُ في مقالٍ آتٍ .

الطب في البلاد من مئة سنة

بقلم الحكيم امين الجميّل

١

القى حضرة النطاسي البارع الحكيم امين الجميّل في نادي الشبيبة الكاثوليكية محاضرة نفيسة عن « الطب في بلادنا من مئة سنة » جمعت بين الفوائد التاريخية والصحية والنصائح الثمينة التي يُحكم الدكتور سرّ دمجها في جسم ابحاثه . فرأينا ان نتحف قراءنا الكرام بقسم منها فلا تفوت الفائدة من مشهد البعد عن التمتع بسماع المحاضر.

اهم الامراض وافتكها

الطاعون

كان منذ الأصل شرّ وباء . وقد أُحصيت وفياته ، في القرن الرابع عشر ، بأمر العلّامة البابا اكليمنضوس السادس ، فبلغت ٤٢,٨٣٦,٤٨٦ نسمة منها ٢٥ مليوناً في اوربة ، اي ربع سكانها حينذاك .

وقد عُرف القُطر المصري في كل الاجيال بمثل هذه الأوباء لأسباب ووضعيات سيأتي بيانُها : منها طاعون سنة ٥٤٢ وسنة ١٢٩٤ وقيل إن فيه خرج ٧٠٠ جثة ، في يوم واحد ، من باب واحد بمدينة القاهرة (المقهورة من الوافدة) وأفادنا حضرة الحكيم عزيز بك حلمي ، مفتش قسم الأوبئة بمصر ، أن هذا البلاء زارهم ٢١ مرّة بين السنتين ١٧٨٣ و ١٨٤٨

وإذا تذكّرتم الحكمة : « اذا كان جارُك بخير أو ويل ، فأنت بخير او ويل » ، أدركتم كيف كان المرض يُهاجمنا من الغرب مارًّا بفلسطين الى ان أصبح عندنا وعندهم مُقيماً متوطناً يراوح بين الذيوع والشدّة ، والانكماش

والخفّة، والاختفاء. والوثوب تبعاً للسنين والأمكنة. فصرنا كيفما قلّبنا تاريخنا نعثر على «الواغش»[1] في كل صفحة منهُ وهامش. هاكم الدويهي العظيم الذكر يكتب ما نصّهُ: «وفي سنة ١٦٦٢ حدث الطاعون في بلاد الشام فهلك بهِ خلقٌ كثير» ثم يضيف أنه «في عام ١٦٦٨ بلغ عددُ الوفيات في حلب ١١٠ ألفاً وفي الشام ٧٥ الفاً وفي طرابلس والجبل عدد كبير جداً.»

وأورد صاحب تاريخ المقاطعة الكسروانية أنهُ في عام ١٧٥٨ جاء بالوباء من الاستانة الامير قاسم شهاب فسُمّي باسمهِ وذاع من صيدا الى اللاذقية؛ وأنهُ في عام ١٧٩٣ أمات، في قرية دلبتا، خمسة وتسعين شخصاً. غشا حلب ايضاً سنة ١٧٨٣ فذهب بالالوف، وفي دفاتر الآباء اللعازاريين انهُ مات به سنتئذٍ المرسَل (Merle) بعمر ٢٧ سنة بُعيدَ استلامه الدير من الاب (Signot) اليسوعيّ.

طفت هذه الوافدة في جيش بونابرت بالقُطر المصري، ومزّقته بيافا ١٧٩٩، على ما رسمته بفن رائع ريشة المصوّر غرو (Gros, *Les Pestiférés de Jaffa*) والصورة من تحف اللوفر بباريس. ولم يكن حظ محاصري عكا بأحسن، فضلاً عن صلابة العدو جاء طاعون بونابرت الخاصّ: انكلترة، فتعاون ثنة عليه مع الطاعون الدمّلي؛ حتى بلغت الوفيات الالفين: خمسين يومياً، بحسب تعديل الحكيم العسكري ديجنيت (Desgenettes) فألجئ بونابرت الى ان يعود الى مصر في ٢١ ايار سنة ١٧٩٩. وهنا مثلٌ بين الالوف يوضح ان للحالة الصحية يداً شلّت يد الغزاة الى ان جاء باستور الفتّاح لما هو من الخير والوقاية! وفي وطننا لم يكن الوباء بأرفق ولا أرحم، فانه اهلك الالوف في مدائننا كحمص، وحماة، وزحلة، وبيروت، وكل مكان

روى يوسف خطّار غانم في برنامجه المعروف أن الطاعون أمات هنا من أسرته، في يوم واحد بعام ١٧٩٩، ثلاثين شخصاً؛ فلُقّب بطاعون بيت غانم.

وقد اطّلعنا على «عدّية» تؤيّد ما ذكره المسيو غيز (Guise) المعاصر في كتابه من استمرار الطاعون في بيروت وجوارها طيلة سنة ١٨٢٦ برمّتها، وهي:

١) هذه الكلمة «واغش» التي لا تزال نسمعُها، لم نتوفّق الى معرفة أصلها لا بالسريانية ولا بالتركية ولا بالعربية. فعسى ان يفيدنا عن ذلك احد قرّاء «المشرق» الكرام

إجا الطاعون من بيروت وحطّ في البادية
أخد فرسان، أخد عرسان أخد شباب بيت زبيّه

وفعلاً قد امحى اسمُ هذه العيلة الدرزيّة ، الكبيرة حتى عامئذٍ.

وقد ظلّ سارياً فاشياً الى سنة ١٨٤٥ . والحكيم سوكه الذي كتب على قبره بجونيه: «أحبّنا في حياته حتى اختار الرقاد فيما بيننا بعد مماته» صرّح لي غير مرّةٍ ان الحكومة الفرنسية أوفدتهُ الينا عام ١٨٤٧ ليشرف على الحالة الصحية ، ويُفيدها عن سير الطاعون لتتقيه على حدودها . فلم يُعاينه بتّة ؛ وكان اذا سمع بوجوده ، هرول الى ذلك المكان ، فلا يرى الا مجدورين او مصابين بسوى الطاعون.

وثبتت العصمة والنزاهة بين قومنا الى ان ظهر الطاعون من جديد في اسكندرية باواخر نيسان سنة ١٨٩٩،وميّزه الحكيم ڤالاسوپولو في احد البقالين. ومن ثمّ كان يظهر باصابات افرادية من حين الى آخر ، وما غتم ان عاد الينا في معصرة الحلاوة ، فالخان الصيفي ، فاحدى المطاحن ، ولكن بشكل كأنه غير وبائي ، لا يُشبه أصلاً الطاعون القديم ، مع انه هو هو ولكن كان هذا التغيير لاسباب سننظر فيها بعد قليل.

الهواء الاصفر

اي الكوليرا ، وباء هندي الاصل . واول ظهوره في ربوعنا كان سنة ١٨٢٢ فتخطّى حتى ازمير في ايار ١٨٢٣ . وذلك مُثبت ، على تأكيد وطنينا المرحوم قاسم عز الدين انه لم يطأ مكّة ، اي الحجّاج ، قبل السنة ١٨٣١ . وقد ذهب بعض مؤرخينا الى ان وافدة ١٨١٧ هواء اصفر . على ان ذلك خطأ في التشخيص ؛ فان ليتره (Littré) بين ان الهواء الاصفر لم يخرج من الهند قبل سنة ١٨٢٠.

وأفظع وافدات الكوليرا في سورية ولبنان ما مُنيا به سنة ١٨٤٥ و ١٨٦٥ و ١٨٧٥ ، فبلغت الوفيات في الشام وحمص وحماة وبيروت الألف في بعض الأيام ، وكانت العامة تقول حينئذٍ : « ألف المرض »

واحسرتاه على تلك الضحايا التي قرأنا ذكرها باكتئاب في تذكارات الأمم

جيلاس (Sœur Gélas) مَن تفانت مع رفيقاتها في خدمة المرضى والموبوئين. وقد ذكرت عن اختلاط الامراض بعضها ببعض كالتيفوس والجدري والكوليرا الى حدّ انهن شاهدنَ موبوئين مُهملين تماماً لرعب الاقارب او لانقراض من يعولهم. وذلك مـا يفسر لكم ما اظهره الباشا إذ ذاك والعموم ، واشترك به اخواننا المسلمون الكرام من تظاهرات الاجـلال لمن مات من راهبات المحبة — وما اجدرهنّ بهذا الاسم ! — ضحية الوباء او العناء ، كالفتاة الراهبة سالس (Salze) والاخت دوفن (Dauphin) . ولهذا اجمعنا في لجنة تسمية الشوارع على تزيين احدها ، المارّ بوسط مؤسساتها الزاهرة ، بشارع الأم جيلاس.

اما ونحن في موقف الثناء على من استأهله في ذلك الزمان ، تخليداً لذكره فيلذ لي ان اسطر ما نوهتْ بـه من الاجلال والاعجاب الرئيسة جيلاس نفسها لمرسل خبرتهُ وخبرهُ الجميع رجلَ الغيرة والهمة ، وهو الاب فيروفيش اليسوعي الاختصاصي بالفقراء وكبار الخطأة ومن نسميهم الاشقياء. وفي السنين المتأخرة ، ذَهم الهواء الاصفر غير مرة الشام وطرابلس وحمص والبقاع ، وارتقى حيناً الى اهدن ، ولكنه من ١٨٧٥ لم يغشُ بيروت لاسباب تعليلها لكم قريب

الجدري

داء عريقٌ في القدم والفتك ، وتذكرون أن الرازي اول من كتب فيه وانه اعمى ابا العلاء المعرّي. لا يدخل بلدةً او عيلة حتى يفتك بربع اهلها ، ما خلا من يشوّه ومن يُعمي. اعرف اسرة كبيرة متشتتة الى ذلك اليوم (ولا ريب انها غيرت رأيها بعد نكبتها ...) بعقيدة القضاء والقدر ؛ فلم تعتصم بالتطعيم ، فأمات الجدري ٩ من ١٢ من اعضائها . وسنوقفكم بعـد هنيهة على إيذاء الجدري في لبنان ، وما كان للتخلّص من شره « على عهد الامير »

البرداء

قد لُمح اليها في الكتاب المقدس. والعربُ ، قبل رونالدروس بالف سنة ، فقهوا عمل البعوض في شيوعها. وهاكم ، من عشرات ، مثلاً واحداً لاثبات ما تقدم: شكى قومٌ من اهل حصدة الى عمر بن الخطاب وباء ارضهم . فقال للحارث بن

كلدة ، فقال : « البلاد الوبيلة ذاتُ الادغال والبعوض وهو عُشّ البلاء ؛ ولكن يخرج اهلها الى ما يقاربها من الارض العذيّة[1] . فأمرهم بذلك . » ومن اقوالهم : « بُعض القوم وحُشوا » .

ومالي استشهد بالحجاز او العراق وعلى خطوتين من هنا « نهر الموت » ، و « عين افرُشْله » و « القبّارية » و « زوق الخراب » واسمعُ : « يا طالب العافية من البوشريّة ! » و « جاب له الضيق من عميق » وهلم جرّا . . .

والبُرَداء كانت على هذه السيادة ايضاً من مئة سنة . وخيفةَ الاطالة اقتصر على إيراد موجز بعض فقرات من رسالة كلوت بك الفرنسي ، من عَظَمَ بالأمس العالم كلّه في مؤتمر طبي فخم تأسيسه مدرسة مصر . والفضل في وجود هذه الرسالة لاستاذنا المعلوف ، وفي نشرها لنقابتنا الهمام اسد رستم في مجلة الكلية . وهي متوّجة بهذه العبارة :

« هذه الرسالة من كلوت بك كشاف عموم الخدمة الصحية الى ضباط الصحة اولاد العرب بالاوردي المتصور ببرّ الشام في خصوص الحمى المتقطعة[2] .

« قد بلغنا ان ببرّ الشام حمّى متقطعة مستولية هناك استيلاء وبائياً . وسببُ هذه الحمى القرب من مجاورة البطائح والبرك والمناقع والجداول التي فيها جري الماء قليل ، لان الابخرة الرديئة المتصاعدة (ومن هذا التصوّر كلمة ملاريا : الهواء الرديء) تنتشر وتسبب عنها الحميّات وتستولي استيلاء وبائياً في كل سنة زمن الربيع او الخريف وتزول في الشتاء . » ثم اتى على اعراضها الرئيسية الثلاثة : اي البرد ، فالحمى ، فالعرق ، ثم مدّتها وانتهائها وإنذارها بما هو مثبت الان . ولم يغفل عن النوع الخبيث ولا عن المعالجة ، مشيراً كواق وشافر بالدواء العجيب الذي يخلّد فضل اليسوعيين ، عنيت الكينا ، واليسوعيون اتوا بها من بلاد البيرو في اواخر القرن السابع عشر . اما الرسالة فصادرة عن القاهرة في ١٥ رجب ١٢٤٩ ه . (١٨٣٣م) (للبحث صلة)

---

١) العَذيّة : الارض الخيبة البعيدة من الماء .

٢) ما نسميه ملاريا او fièvres intermittentes

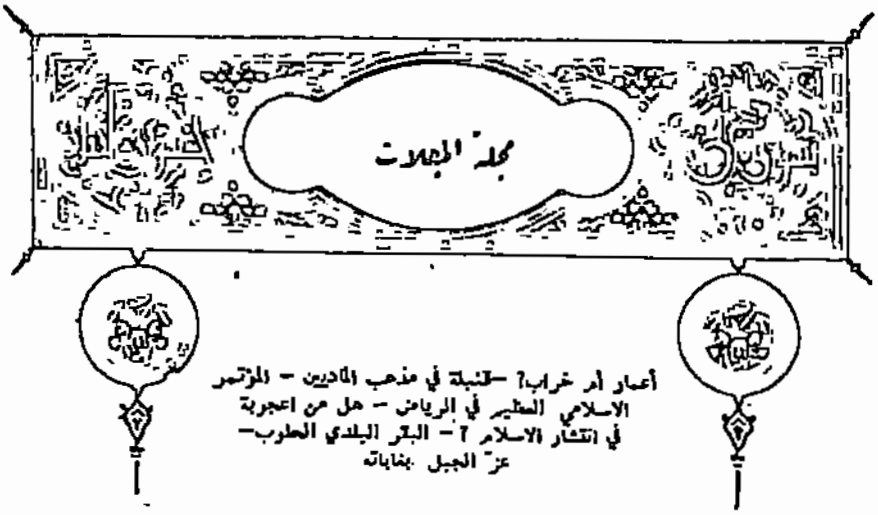

اعمار ام خراب ؟

للدكتور ضودج ، رئيس الكلية الاميركية ، مقال في مجلة « الكلية » (آذار ، ص١٦١) عن « قوة التهذيب للتعمير والتدمير » افتتحه بوصف الحضارة الرومانية اولاً ، ثم الحضارة البغدادية ؛ وكلاهما نشأتا بفضل التهذيب ثم غُلبتا على امرهما بافراطهما بالتمتع بالملاهي . قال ما ملخصه :

لكي نفقه اسباب سقوط رومية وبغداد ، دعونا ننظر في ماهيـة نتائج التهذيب في عصرنا : ١ً يغادر الفلاحون حقولهم ويأتون المدن الكبرى منجذبين اليها بما فيها من جمـال وزخرف . ويهجرون ارض لبنان الى شوارع بيروت ٢ً ان الفئة المتهذبة منهم تأنف من التجارة والصناعة لقلة ارباحها وتهبط المدن لانفاق المال في الملذات والملاهي . ٣ً لا يعودون يصلحون لصناعة او زراعة او للجندية او لعمل شاقّ ايًّا كان . ٤ً ينقلبون من ايمانهم البسيط الى الالحـاد والزندقة والولوع بالماديات . ٥ً تحلّ الملاهي العمومية محل العيشة البيتية البسيطة ٦ً النساء المتهذبات يطالبن بالحرية ، انما هي حرية التهتك والفساد . ٧ً يتحقق في مثل هؤلاء ما قاله احد حكماء القرن الثالث عشر « ان غاية العمران هي الحضارة والترف ، وانه اذا بلغ غايته انقلب الى الفساد واخذ في الهرم كالاعمار الطبيعية للحيوانات » . . .

فما ارهب الموقف وما اشدّ المسؤوليـة على مدارسنا ومعلمينا والمتعلمين فينا ! . ايكون تهذيبنا بركة لنا ام ضربة علينا وعلى البلاد ؟

ان التهذيب سلاح عظيم وقوته هائلة . وهو اما للخير واما للشر . فعلينا ان ننظر في امره وكيفية جعله ذريعة لتأييد الآداب العمومية ، ليكون بركة لا لعنة . يحوم الصبيان والبنات حول نظريات جديدة منشأها الغرب كما يحوم الفراش على السراج . » وفي الغالب لا يأتينا من الغرب الا الاشياء الرديئة ، فتنتشر في مدننا ويقبل عليها الشبان وغيرهم ايما اقبال . اما الاشياء الصالحة فتبقى عبر البحر مخفاة عنا . فزجاجات الوسكي تُشاهد في كل مكان تقريباً واما جمال المنزل الانكليزي والاسرة الساكنة فيه ، فلا يرى . وكذلك نشاهد هنا المراسح الافرنسية والرقص الفرنساوي ولكن نفاسة الموسيقى الفرنساوية والفن الفرنساوي يبقيان في باريس . والسينما الاميركية تبهج انظار الفتى السوري وتهيج فيه كوامن العواطف ولكنها عاجزة عن ان تصور للمتفرجين شرف العمل في اميركا »

فالمطلوب من ابناء الزمان الحاضر ان يتعلموا ان مرامي التهذيب انما هي روحية

قنبلة في مذهب الماديين

هي شذرة او نكتة نشرتها مجلة المقتطف (شباط ، ص : ٢٣٨) في باب الاخبار العلمية . انما هي قنبلة دكت ركناً من اركان مذهب الماديين القائلين بالتطور ، الزاعمين ان الفكر والارادة هما من « مفرزات » المادة ولا حاجة في البحث عن اصلها الى التعويل على مبدأ روحي بسيط لان كل قوة من قوانا العقلية مركزها جزء من اجزاء الدماغ . فالدماغ في زعمهم هو عضو الذكاء والفطنة كما ان المعدة وسائر الامعاء هي اعضاء الهضم : ويتخذون من ذلك حجة على اثبات تسلسل الانسان من القرد لما بين دماغي الاثنين من التشابه . ويقولون ان درجة الذكاء الظاهر في الانسان تكون مناسبة لعظم حجم دماغه : فرماهم « المقتطف » بهذه القنبلة ونسفهم نسفاً ! قال :

« لو صحَّ المذهب القائل ان المقدرة العقلية تتوقف على وزن الدماغ ، لكان حوت واحد يفوق اربعة او خمسة من النوابغ . فقد بحث احد العلماء الالمان في ذلك ووجد ان في دماغ حوت واحد ٢٤٧ اوقية من المادة السنجابية مع ان متوسط وزن الدماغ في الانسان قلما يزيد عن خمسين اوقية . »

المؤتمر الاسلامي العظيم في الرياض

تلخيصاً عن « الاصلاح » المكية الغراء (تشرين الثاني ١٩٢٨)

في ٢٢ جمادى الاولى ١٣٤٧ (٦ تشرين الثاني ١٩٢٨) عقد عبد العزيز بن السعود مؤتمراً في الرياض وكان قد شيع الخبر انهُ يرغب في التنازل عن الإمامة . فأتى الناس الرياض الوفاً « وكان كل وفد يقابل الامام يقصّ لـهُ ما كان للخبر من وقع اليم وكانت دموع الكثيرين تسبق السنتهم اذ ما كانوا يظنون ان سيسموا تحلي امامهم عنهم » . واختير من بين هذه الجموع العلماء والامراء والقادة فبلغ عددهم الثمانمائة واجتمعوا في رواق مكشوف للسماء في بيت كبير من قصر الامير تبلغ مساحته ١٣٨ متراً مربعاً . وفرش الطابق العلوي وبعض الاروقة التي حول الرواق الكبير لجلوس المجتمعين . واديرت القهوة على الحاضرين وخطب الملك ابن السعود مستشهداً بالآيات القرآنية، وذكر الله واليوم الاخير ، وقال:

« جمعتكم هنا في هـذا المكان لامر واحد ولا اجيز لاحد ان يتكلم هنا في غيره ، ذلك هو النظر في امر شخصي وحدي ... اريد منكم ان تنظروا فيمن يتولى امركم غيري وهؤلاء افراد العائلة فاختاروا واحداً منهم .. لم اقل هـذا القول استخباراً او استمداحاً لانني ، ولله الحمد ، لا ارى لاحد منكم منة عليّ في مقامي ... وما يحملني على هذا القول الا امران: ١ً راحة ديني ودنياي. ٢ً اني اعوذ بالله ان اتولّى قوماً وهم لي كارهون...

اصوات : كلنا مصرّون على آرائنا ولا نريد بك بديلاً

وناشد ابن السعود الحضار بالّا يضغطوا عليه بتقدم وقال :

« اياكم وكتمان ما في صدوركم في امر من الامور التي تُسألون عنها ، فمن كتم ما في صدره فالله حسيبه يوم القيامة وعليه من الله اللعنة »

فاجاب النواب عن وفودهم وجاء في خلاصة اقوالهم :

« جزاك الله عنا خير الجزاء لقد علمتنا ما يجب علينا في ديننا ، فاعنتنا على هجرتنا وبنيت لنا المساجد وقدمت لنا العلماء واشركتنا في بيت المال ... واننا نسمع ونطيع ما دمت فينا كذلك ولو ضربت الظهر واخذت المال » .

قال صاحب الاصلاح :

«وان العربي الناظر لهذه الاجتماعات والسامع لتلك المحاورات لتأخذه اريحية

ويخامره سرور لهذا التبدل الذي يراه في التطوّر الفكري في قلب هذه الجزيرة العربية اذ يرى ان اولئك البداة الحفـاة ، الذين لم يكن الرجل منهم يدرك وينظر لأبعد من الوصول الى شهواته البدنية ، اخذت تبدو عليه علائم الاهتمام في امور دينية ، لها علاقة بالعمران والسياسة . وكان مَن يتكلم في الرياض افصح لساناً واقوى بياناً من المتكلمين في حواضر مصر وسورية . يرتجل بعضهم الاسجاع ، وقد يكون ملقيها ممن لم يحسن القراءة والكتابة .

« ولما انتهت البيعة امر بجفان الطعام وكانت مهيئة فجيء بها وجلس الناس حولها حلقاً حلقاً وجلس جلالة الملك في احدى الحلقات يأكل مع رجال المؤتمر من تلك الجفـان المترعات وهو يؤانسهم باحاديثه الى ان فرغوا من طعامهم وانصرفوا »

هل من اعجوبة في انتشار الاسلام ؟

مات محمد في العام ٦٣٢ ، واغار العرب على بلاد فلسطين والشام والعراق وفتحوها . وكانوا في الجاهلية يجاوبون عن بلادهم في سبيل الارتزاق ثم يرجعون اليها . اما في القرن السابع ، وقد وحّد الاسلام كلمتهم ، ففتحوا البلاد واستوطنوها . ولا شك ان قوادهم آنذاك اظهروا من الدهاء والمقدرة في الحكم والسياسة ما لم يكن دونه من بدّ للفوز الذي احرزوه . على ان هناك في بلاد الفتوح نفسها دواعي ساعدت الفاتحين كثيراً ، ولولاها لما رسخت قدم الاعراب في بلاد الشام والعراق : ومنها ترحيب سكان البلاد بالفاتحين رجاء ان ينالوا من عهودهم فرجاً في الازمة المشتدة عليهم . وقد جاء في « النجم » العدد ٢ (ص : ٥٥)

«آثر المسيحيون الكلدان الحكم العربي على الحكم الفارسي واظهروا ميلاً لجنود العرب الفاتحين مدفوعين بعاملين اولهما الجنسية العربية فان القبائل العربية النصرانية ومنها تغلب ونمر واياد والشهارجة ومعظمها ربيعة المنضوية الى الاروام تحـارب تحت رايتهم وكذلك عرب الحيرة المتاذون من سوء معاملة الفرس واعتدائهم على مملكتهم الصغيرة انحازوا باجمعهم الى اخوانهم العرب الفـاتحين بدافع النزعة العربية ولذلك لما اقبلت جيوش الفتح الى الحيرة في قيادة خالد ابن الوليد سنة ٦٣٣ نزلوا في كنائسها واديرتها (الطبري ٤ : ١٨٦ ، وابن الاثير ٢ : ٢٥٧) . ثانيهما النفرة القديمـة الراسخة في القلوب من الدولة الفارسية لسبب الاضطهادات العمومية والخصوصية كما سبق عنهُ الكلام مـا عدا القيود

الشديدة التي قيدوا بها الحرية الدينية والتضييق الذي كانوا يجرونه على رؤساء هذا الدين بحيث انهم منعوا مراراً عديدة اقامة الجاثاليق والمراسيم الدينية كل ذلك ولد هـذه النفرة . فلما ظهرت جيوش الفاتحين استبشر بهم الكلدان واملوا ان ينـالوا منهم تلك الحرية المنشودة . ومالوا اليهم لما رأوهم يعظمون المسيح ويحترمون الكتب المنزلة ويكرمون الرهبـان الى غير ذلك كما وردت الوصايا بحقهم بان يؤثروهم على المجوس الوثنيين الـذين لم يكن عندهم كتب منزلة ولا يعبدون اله الحق وهم يستوجبون القتل لكفرهم . فاطمأن المسيحيون الكلدان على حياتهم وأمنوا من الظلم الوثني والاضطهـادات والاعتداآت ولاحظوا من رجال هذه الدولة الجديدة التفاتاً ومعاملة حسنة فرأوا من مصلحتهم ان يناصروا الفاتحين ويبذلوا لهم ما في وسعهم من الخدمة مؤملين النجاة بهم من خصومهم عبدة الاوثان .»

البقر البلدي الحلوب

اليك ملخص مقال جاء في « الزراعة الحديثة » (شباط ١٩٢٩) :

عرفت غوطة دمشق بابقارها البلدية الشامية المتصفة بوفرة الالبان . كانت مزارع الغوطة تعج عجيجاً «باطايب هذا العرق يتوارثها السكان اباً عن جد ، الى ان حلت ببلادهم كوارث ذهبت بجنس هذا البقر الشهير ، او كادت . تلك الكوارث هي اولاً تهافت الصهيونيين من فلسطين على استجلاب اجود انواع البقر الى بلادهم فادخلوا فيها البقر الهولاندي اولاً ثم فضلوا عليه البقر الشامي وهو اشد احتمالاً لهواء فلسطين من الهولاندي واكثر منه مقاومة للامراض . ونشروا سماسرتهم بين رياض الغوطة وغياضها ونقبوا عن اجمل البقرات ودفعوا بالبقرة قيمة مغرية ، تراوحت بين ٧٠ و ١٢٠ جنيهاً ، فاشتروا اكثر مـا في الغوطة من بقر حلوب وحرموا بلاد الشام كنزها الثمين

« وقد شاهدنا بقرة من هذه الابقار في صيف العام المـاضي في مستعمرة من مستعمراتهم اعطت في سنة واحدة (٧٥٠٠) لتر من الحليب اي ما يقرب من ثلاثين قنطاراً . وعرضت علينـا بقرة اخرى في احدى هذه المستعمرات

درت لوابنها في عام واحد (٥٥٠٠) لتر . ولا يزال سماسرتهم ووسطاؤهم يجوبون مزارع الغوطة فيمشون الى فلسطين بكل ما تقع انظارهم عليه من البقر الطيب الحلوب »

ومن الكوارث التي أثّرت بالبقر البلدي الثورة المشؤومة . ذاق فيها الفلاح الامرين ؛ فتشتت ابقاره وساءت صفاتها وتأذت منتوجاتها . ثم انتشر الطاعون البقري فكافحته مصلحة البيطرة الكفاح السلبي فقط : بعثت برجالها لقتل كل بقرة مصابة او مشبوهة . . .

وانتبه بعض زوار الغوطة الى واجب تلافي الشر قبل فوات الفرصة فاستجلبوا من حمص وحماة بقراً يستعيضون به عما فقدته بلادهم ولكن اختلاط البقر الغوطي بالحمصي والحموي مشين ، والاصل والفصل لها قيمتها بالمواشي .

فمن واجبنا التصريح بالحقيقة ولو كانت مرّة : ان الحكومة ، او بالاحرى مصلحة البيطرة ، ضربت تربية العرق البلدي في الغوطة ضربة مميتة ، باهمالها هذا الكنز الذي كاد ان يفقد من البلاد واذا اضطررنا يوماً الى استعادته من مزارع الصهيونيين ألجئنا الى دفع اضعاف ما دفعوه لنا من الدراهم .

عزّ الجبل بغاباته

اهدى الينا الاستاذ النائب اميل افندي يوسف ثابت صاحب « المجلة الوطنية » الاعداد الثلاثة الاولى من نشرته ، فلفت نظرنا فيها مقال عنوانه « لماذا لا تهتم الحكومة اللبنانية بالاحراج » ، جاء فيه : (شباط ، ص ٢٧) :

« تلك الاحراج التاريخية التي عاثت فيها الايام فساداً ، فاتلفتها او كادت ! ان اهميتها لعظيمة في حياة الصناعة وحفظ المياه وتوليد القوى المحركة وتصفية الهواء وتزيين الجبال بالاشجار الصحية الجذابة للمصطافين . »

ثم سأل صاحب المقال الحكومة تشجيع اصحاب الاملاك على التحريج ، واستثناء الاحراج الجديدة من الرسوم لمدة عشرين سنة . فعسى ان يلقى نداؤه أذناً واعية .

على عهد الامير

لماذا ؟

رواية لبنانية تاريخية

بقلم فؤاد افرام البستاني

وقد يكون من الابناء ضحايا في سبيل آبائهم
من حيث لا يعلمون

الفصل السابع

اقتناع الفيروم

فاز الامير حسين بفوق ما كان يؤمل. فالأمير بشير سجين في قلعة الجزّار، والشيخ بو غانم دفينٌ في لحده، ومعسكر بعقلين مضعضع النظام، متفرق الاعوان، وقد ضرب رجاله المنلا اسماعيل الضربة القاضية في سهول البقاع وسار متقدّماً نحو الشوف. فاوجس الامير جهجاه خوفاً من العاقبة واخذ يعقد مجالس الشورى مع الشيخ حسن جنبلاط ومشايخ العمادية. وبعد أخذ وردّ، قرّ رأيهم على ترك بعقلين موقتاً، والرجوع كلٌّ الى مكانه يترقبون الحوادث، ويترصدون الظروف، حتى اذا امكنتهم فرصة للوثوب وثبوا. ورأوا ايضاً ان يذهب الشيخ حسن الى عبيه، فينزل ضيفاً على الامير قعدان، ويجسّ عن قرب حالة الحزب الحاكم، والامير قعدان من مناصريه. فقام الشيخ منفذاً هذه الخطة؛ ولكن الامير لم يقبله، فعاد خائباً الى وطنه واختبأ في جبل مرستي

اما المشايخ العمادية ففرّوا لاجئين الى بلاد حوران.

وامّا الامير عبّاس اسعد، الذي علّل نفسه مدّة قصيرة بالإمارة، فلم يرَ امامه، وقد تلاشت امانيه، الّا الخضوع لتسيه الامير الحاكم، فقدم دير القمر وجلًا، فطيّب الامير حسين قلبه وأمّنه.

وكان قد وصل المتلا اسماعيل بعسكره الى الشوف بعد ان طهّر البقاع من اولئك الشذّاذ ، فقوي قلب الامير حسين وخلا له الجوّ ، فمضى في طرق الاستبداد بنظام وبرودة حتى ارهق السكّان . وكانت كبرى ظلاماته انه فرض على اهل الشوف مائة الف غرش قصاصاً لما اتاه بعضهم من الحركات الثوروية ؛ بعد ان ارسل الامير حيدر احمد الى جهات المختارة لقصاص ولدَي الشيخ قاسم جنبلاط في ارزاقهم ، ومواليهم . فكان شديد الوطأة عليها.

وكان لاحد افراد الجنبلاطيين ، الشيخ بشير نجم ، ثأر على نسيبه الشيخ حسن جنبلاط. فرأى الفرصة مناسبة للانتقام ، فلم يتراجع امام التزلف للمولى الجائر ، والدخول في خدمته متجسّساً اخبار الحزب الجنبلاطي ، مفتشاً عن مكامن رجاله عامّة ، وغريمه خاصّة . ولكن الواتر كان ابعد من ان يقع في حبائل الموتور ، فانه لم يسمع بالامر حتى ولّى ظهره بلاد الشوف ، وذهب يتنقّل في مناور حاصبيا ، ومعاقلها الطبيعية.

على ان للضغط تخوماً اذا جاوزها حصل الانفجار ، وللظلم حدوداً اذا بلغ اليها في شعب من الشعوب اهاب به روح الثورة ، فنادى بالعصيان مهما كلّفه من التضحيات ، حتى يقلب الظلم على الظالم ، ويردّ البغي على الباغي. وهذا ما بدا في لبنان على اثر ذاك الاستبداد . فان الامير لم يكن يقمع الفتنة في المناصف حتى تهيج في المراقيب ، ولم يكن يخمد الثورة في الشوف حتى تشبّ في المتن . وعبثاً كان يُرسل الامير قعدان وجرجس باز يتنقلان في البلاد ، فيعدان تارة ويتوعّدان أخرى ، ذاهبَين من بعقلين الى حمّانا ، موفدَين الرسل الى حوران وحاصبيا لمخابرة العمادية حيناً والشيخ حسن جنبلاط حيناً آخر.

* * *

ظلّ لبنان على هذه الحالة من الاضطراب حتى رجوع الجزّار من حج سنة ١٧٩٥ ، فلاقته الوفود الكثيرة من بلاد الشوف ، وبلاد جبيل ، وكل افرادها يشكون من ظلم الاميرَين وجرجس باز ، ويرجون من عطفه ان يُعيد اليهم مولاهم السابق ، الامير بشير.

وكان الجزّار قد ابتزّ كل ما يؤمّل ابتزازه من اموال ابناء الامير يوسف،

وطمع في ان الامير بشير يزيد على منافسيه في تقديم « الميري » ، فلم يرَ من بأس في قبول شكاوى اللبنانيين . وان من درس تاريخ الجزّار ، وعرف ما كان عليه من النهم والحرص ، وقلّة الاهتمام بالمواعيد والمواثيق ، وسرعة التقلّب في الاحكام ، وشدّة الملل من مساعديه اذا لم يبقَ لهم ما يشبعون به جشعه ؛ لا يستغرب هذا الانقلاب الذي يعادل انقلابه السابق مفاجأةً وسرعة. وبلمحة طرف ، تحوّل اصدقاء الامس الى مغضوبي اليوم ، وسجين دياس عكاً الى امير لبنان.

فرجع اللبنانيون على اعقابهم فرحين بقرب الخلاص. بينا كان الامير حسين، وقد علم بوعود الجزّار وادرك ما ستؤول اليه الحالة ، يجمع امواله ويترك دير القمر هاربـاً الى بلاد جبيل صحبة مدبّره جرجس باز ، ومن بقي معه من الاعوان وفي مقدّمتهم الامير قعدان ، والامير سلمان سيد احمد ، وبعض المشايخ النكدية.

امّا الجزّار فلمّا وصل الى عكا ، اسرع بطلب الامير بشير ، فأخرج مع رفاقه من دياسهم المظلم الى النور ، وهم حائرون بالغاية من هذا الطلب المستعجل . وما اشدّ ما كانت حيرة الامير اذ رأى الجزّار يخلع عليه خلعة الرضى ، ويرجع له ولرفاقه خيلهم واسلحتهم ، وهو يبشّ لهم ويظهر لهم كل الارتياح.

ولم تكن هذه الفرصة لتفوت الامير ، فشاء الاستفادة منها ، والاستفادة عاجلاً . فتقدّم شاكراً المولى ، طالباً منه الولاية ، متعهداً له بدفع ثمانمائة الف غرش على ست عشرة سنة . واذ رأى الجزّار لا يزال متردّداً في القبول كأنه غير واثق بقبض ذاك المبلغ العظيم ، عمد الامير الى طريقة الرهن ، فوعد الجزّار بان يُرسل اليه عدّة رهائن منها ولداه الاثنان وزوجته . ثم وعد الامير حسن بارسال ولده ، ووعد الشيخ بشير بإرسال زوجته.

وبينا الجزّار يفكر في هذه المواعيد ، ويقابلها بما سينيله للامير ، والجميع منتظرون ما سيصدر من اوامر المولى ، تقدّم غانم ، وبصوت جرحته نبرة الحزن ، والتجرّد ، والتضحية ، قال :

— وانا اقيم منذ اليوم رهينةً بين يدي مولانا « الباشا » يصنع بي ما شاء.

ثم التفت الى الامير بشير وأعوانه ، وقال مجيباً عما ظهر على وجوههم من الاستغراب :

— لم يبقَ لي من رغبة في العودة الى البلاد ، وقد فقدت أملي الوحيد في قصر الشربين !

فتقدَّم منهُ الامير ، وقال هامساً :

— وبدور ؟

فرفع غانم الى السماء عينين شاخصتَين ، جالت بين جفونهما عبرات حارَّة بلَّلت الاهداب وارشكت ان تسقط . فردَّها خجلاً ، وقال :

— يفعل الله ما يشاء !

ثم التفت الى الباشا ، وتابع :

— اصنع ما تريد ، مولاي ، فانا حاضر .

عند ذاك رضي الباشا بغانم رهينةً ، على ان يرسل الامير ما وعد به من الرهائن بعد ثلاثة ايام . ثم خلع على مولى لبنان خلعة الولاية ، وزوَّده بالدعاء ، وامر بجيش يرافقه ، فيمهد امامه العقبات ويطهر طريقه من العصاة ، ويرسّخ اركان ولايته على أساس القوَّة والعدل .

فقبَّل الامير يد الجزَّار ، ورجا من حلمه وعطفه ان يرأف بغانم ، ويشمله دائماً بعنايته ، وهو المولى الساهر على راحة الجميع ، مَن لا يحتاج الى توصية او تذكير .

ثم خرج في اصحابه مع غانم فودَّعوه . والتفت اليه الامير شاكراً ، واعداً اياه ان يذهب عند وصوله فيزور ضريح الشيخ الجليل ويكرّم ذكراه حاملاً اليه احترام غانم . ثم يسير الى قصر بعذران فيسلّم على الامير جهجاه ، وعلى امرأته ، وعلى بدور ، فيطمئنهم الى حالة غانم . وبعد ان اخذ من هذا الوعد الاكيد بمواصلة التحارير ، وبالاجتهاد في التخلّص من الاستسلام للحزن والاسف ، وبالتفكر في المستقبل الذي سيكون حسناً بعون الله ، قبّله بحرارة ووعده ان يبعث اليه اسبوعاً فاسبوعاً بكل ما يجدّ من الاخبار . وسيكون الرسول

بينهما فرحات الامين المخلص.

اما هذا فلم يقوَ على وداع سيّده ، بل سار جانباً محدودب الظهر ، وقد علا نشيجه ، واحمرّت عيناه ، وترمرمت شفتاه ، فلم يقدر الّا على القول : « الى الاسبوع القادم ! »

***

لم يجاوز موكب الامير بشير حدود صيدا ، حتى ظهرت له طلائع حزبه من اللبنانيين المخلصين ، وقد ركبوا خيولهم الاصيلة ، واعتقلوا رماحهم اللدنة وارتدوا افخر ملابسهم ، وتسلّحوا بأجمل اسلحتهم ، وتجمهروا من كل صوب لاستقبال اميرهم المحبوب . شاهد متقدّمو الفرسان رجال الامير ، فنكصوا على اعقابهم ، يحملون الى الامير جهجاه ، قائد الجيش اللبناني ، تلك البشرى المنعشة.

وما هي دقائق حتى تشاهد الموكبان ، فخرقت الجوّ زراغيد الفرح ، وتلاعبت اسنة الرماح في الهواء ، ولمعت السيوف خاطفةً الابصار ، وعلا صهيل الخيول مجيبة نداء فرسانها . فكانت ساعة فرح وسرور قلّما عرفتها العساكر الّا بعد الانتصارات الباهرة . وقد اثّرت مظاهر هذا الاخلاص الصافي في فؤاد الامير ، فكان ينظر بحنوّ الى رجاله ، ويندفع نحوهم بكل جوارحه ، حتى انه ارتمى بين يدي الامير جهجاه يعانقه باسماً ، باكياً ، من شدّة الفرح والتأثر . وكان الامير جهجاه لا يملك عبراته . ولم يترك معانقة الامير ، حتى جالت عيناه بين حاشيته باحثتين سائلتين . ففهم الامير قصده وقال :

— انه لا يزال في عكا ! وقد فضّل البقاء هناك ، اذ لم يبقَ لهُ من امل في قصر الشربين !

ثم مسح عينيه بطرف كوفيته . فحنى الامير جهجاه رأسه ، ولم يتكلّم خوف ان يتفجر حزنه فينغّص على اميره فرح الوصول الى بلاده.

على ان الامير بشير لم يدعه في تلك الحالة ، فاخذ يسأله بالتفصيل عن وفاة الشيخ بو غانم ، وعمّا قاسوه جميعاً من ضروب العذاب . فكان الامير جهجاه يروي تلك المصائب ودموعه تهمي ، وصوته يتهدّج ، فتجاوبه زفرات

الحاضرين . وقد سكتت الزغاريد ، واركزت الرماح ، واغمدت السيوف ، واشترك الكل صامتين في سماع تلك الحوادث كأنهم يحضرون جميعاً مأتم الشيخ بو غانم .

ثم عزّى الامير بشير الحاضرين راجياً من الله ان تكون تلك الرزايا خاتمة احزانهم . وكانت الخيل قد استراحت فأمر بالركوب . فساروا وقد عاد الفرح يحمل الفرسان ، الّا الاميرين وفرحات ، فعادوا الى الاناشيد والاهازيج ، والمسايفة وضرب الجريد .

عند المساء وصل الموكب الى دير القمر ، فترجّل الامير وفرسانه في باحة السراي الفسيحة . وسار توّاً مع رجاله الى كنيسة سيّدة التلّة ، يشكرون لسيدة الديرتين عنايتها بهم ونعمها العديدة عليهم ، ويطلبون معونتها مجدّداً ، ولم تعتد ان ترفضها . وبعد ان تباركوا جميعاً ، دروزاً ونصارى ، بتقبيل هيكلها . ساروا يتمّمون واجباً مقدّساً ايضاً ، فصعدوا الى قصر الشربين مع بعض رهبان الانطوش . وهناك ، امام ذاك القبر الحقير بظاهره ، الكبير بما ضمّ بين صُفّاحه ، ركع الامير وحاشيته ، يقدّمون لشهيدهم واجب الاحترام والاكرام ، ويطلبون لغانم بركة جدّه ، ويصلّون عن نفس الميت بيتاً من المسبحة كان يتلوه الامير فيردّ عليه جميع الحاضرين بصوت ملؤه الايمان والتقوى .

* * *

وفي صباح اليوم الثاني دخل الامير دوائر سرايته يتفقّد شؤون الرعايا . وينظر فيما تجمّع لديه من الشكاوى ، والدعاوى ، والمعاريض . ويستقبل وفود المهنّئين ، ومقدّمي الخضوع من جميع الجهات .

وكان لا يزال عليه فرضٌ آخر وعد غانماً باتمامه ، وهو الذهاب الى بعذران ليحيّي الست سعدى ، وبدور ، ويطمئنهما الى حالة وحيدهما غانم . فعزم على القيام بذلك في القريب العاجل . وبعد ثلاثة أيام كان على الطريق مع مضيفه الامير جهجاه ، ومدبّره الشيخ سلّوم الدحداح ، وقد ترك في دير القمر اخاه الامير حسن ، والشيخ بشير جنبلاط .

(لها بقية)

شذرات

تصدير الاثمار السورية الى مصر

ما ان تلقي نظرة على اللائحة التالية حتى تعرف اهميتها ، وهي مأخوذة عن مجلة الاتحاد الاقتصادي السوري *Bulletin de l'Union économique de Syrie* (كانون الاول ١٩٢٨) :

﴿ الموز ﴾ بلغ الصادر منه ٥٤ بالمئة من وارداته الى مصر ، فنالت به سورية المكانة الاولى وغلبت اسبانية ذات الحظ الاوفر سابقاً في هذا الصنف. وبلغت قيمة الصادرات منذ عام ١٩٢٦، ٨٤٤٢ جنيهاً ، اما عام ١٩٢٧ ، فبلغت ٩٤٠٧ جنيهات.

﴿الليمون وفروعه﴾ غلب به لبنان مؤخراً البلاد الايطالية ، وقد ارسل ، الى مصر عام ١٩٢٧ من البرتقال البلدي والبرتقال الملقب يوسف افندي او المالطي كمية زادت قيمتها عليها في السنين السابقة بمبلغ ١٠٠١ جنيهاً.

﴿ المشمش ﴾ نالت به سورية المكانة الاولى . وكان الوارد منه الى مصر قد بلغ ٣٠ بالمئة عام ١٩٢٦ ، امّا في العام ١٩٢٧ فقد وصل الى ٤٦ بالمئة ، وربح ٢٩٣٦ جنيهاً زيادةً على محصولاته السابقة.

﴿الخرنوب﴾ تبوأتنا اليونان فنازت بالاولية في تصديره وكان لنا السبق في ذلك.

على ان تصدير الاثمار الجافة الى اسواق مصر اخذ يتزايد تزايداً محسوساً ، وخاصةً المشمش والزبيب والجوز . وارتفعت قيمة واردات المشمش الى مصر : كانت ٤٠٢٨١ جنيهاً عام ١٩٢٦ ، فبلغت ٥٧٠٠٠ جنيه . اما الفستق فقد خفّ وزنه وانحطّت ارباحه . ويا ليت السوريين المصدرين الاثمار يزيدونها عناية بالتنقية واللفّ والتحميل ، فتروج اسواقها بلا محالة وتنمو وتزدهر كثيراً بفضل تلك العناية.

الدين في تركية اليوم وغداً

نشرنا في العدد الماضي (ص: ٢١٨) مقالاً عن مجلة العالم الاسلامي الاميركية وصفت فيه الحالة الدينية في تركية . وقد اطلعنا اليوم على مقال للسيد محمد بن يحيى الصقلي صاحب المكتبة الشرقية في الدار البيضاء (مراكش) بعث به من الاستانة الى جريدة السعادة في رباط ، فرأينا ان نقتطف منهُ ما يخصّ الموضوع ، قال ، وهو شاهد عيان :

« اما من جهة التديّن فقد اديت الفريضة بمساجد عدة فلم ارَ من حاضري صلاة الجمعة بها الّا النزر اليسير . ومن العجب انني رأيت النساء يصلّين مع الرجال وهنّ سافرات الوجوه .

« واما الطرق فقد تلاشت وذهبت لحال سبيلها والزوايا والمزارات اغلقت غلقاً نهائياً . . .

« ولقد جمعتني الصدف ليلة كنت مدعوًا بها عند احد الاكابر لتناول طعام العشاء مع ضابط من علية الضباط . فساق الحديث بيننا عن الاضرحة والمزارات التي منع فتحها ، فما كان منهُ الّا ان قال لي : حتى المساجد بعد سنة ستغلق ويمنع الدخول اليها لاجل الصلوة . فقلت لهُ : لاي سبب ؟ هل النهوض والتقدم يكون بغلق المساجد وجحود الدين ؟ واذا كان الامر كذلك فلاي شيء الدول العظام بكافة القارات الارضية مثل انكلترة وفرنسة واليابان وامريكة وهن على ما هن من غزارة العلم وضخامة الملك والتفوق في كل شيء بيادين العمل لم يفعلوا شيئاً من ذلك ؟ فالنهوض لهُ مقتضيات اخرى جوهرية والتقدم اهم شرط من شروطه حرية الاديان والمعتقدات . فلم يجد جواباً ولم ينبث ببنت شفة . »

هل الكلاب في انجاة من التماسيح

بلاد ليهاناكا في شمال تناناريف (مدغسكر) مشهورة بعدد تماسيحها التي تقلق راحة الاهلين بصورة مرعبة حتى اصبح كل من سكن تلك الارض ، ان من البشر وان من الحيوان ، عرضة كل ساعة لخطر الموت . وعليه فقد عقد

افراد كل جنس اتفاقاً يتحدون به على مقاومة العدوّ المشتركة . وهاك ما يفعله الكلاب لدفع هذا الشر :

اذا اراد كلب قطع نهر مأهول بهذه التماسيح لا يخاطر بنفسه وحده مطلقاً ، بل يذهب يدعو رفاقه ، فتأتي الى جانب النهر جماعة كبيرة فيسرّ التمساح الذي يراقب الحركة بهذه الغنيمة الباردة ، ويبدأ يشحذ انيابه سلفاً .

وفي الحال يبدأ الكلاب كلهم بعواء شديد على الشاطئ ، فيحتسون التمساح ، فيتقدّم فاغراً فاه ، بينما يكون الكلب الاول عبر النهر مسرعاً بكل طمأنينة من وراء ظهر العدوّ الجبّار . حينذاك تختبئ الكلاب الباقية ساكتة مظهرة انها تهرب ، فيبدأ الكلب الذي مرّ بالعواء نفسه من تلك الجهة حتى يعتقد التمساح ان كل الكلاب مرّت ، فيلوم نفسه ويرجع مخذولاً

اما الكلاب المختبئة فانها تغتنم هذه الفرصة وتلقي انفسها في النهر سريعاً ، حتى اذا اجتمعت على الشاطئ الآخر ، سارت وملء اشداقها الهزء بالتمساح . ولم يسمع قط ان احد التماسيح فطن الى هذه الحيلة . . .

هيا بنا نعيش في الارياف !

أجروا في بلاد تشكوسلوفاكية احصاءات ادّت نتائجها الى ما يلي : بين الفين من المتوهين المحجور عليهم في المارستانات لا يوجد الا ثلاثة من سكان الارياف . و ٣٫٥٠ بالالف من ذوي المشاريع الصناعية والتجارية الكبرى والمهن الصناعية والاشغال التجارية . اما رجال الدروس والمؤلفون وسائر الذين يتعاطون المهن الحرة فيبلغ عددهم الثانية من كل الف .

من صفات الصديق

قال ابو تمام في صديق :

من لي بإنسانٍ إذا أغضبتهُ ... وجهلت كانَ الحلمُ ردَّ جوابهِ
واذا طربت إلى المُدام شربتُ من ... أخلاقهِ ، وسكرت من آدابه
وتراهُ يصغي للحديث بقلبهِ ... وبسمعهِ ؛ ولعلهُ أدرى بهِ !

موت العصافير

هو عنوان لقطعة صغيرة رائعة من الادب الفرنسي الحديث ، نظمها الشاعر فرنسوا كوبيه وضمنها ما شاءت عاطفته من دقة الحس ، ولطيف التصور . فرأينا ان لا يحرم منها شعرنا العصري ، فنشرناها بأصلها الفرنسي واردفناها بترجمة عربية حرفية ، مقترحين على شعرائنا الكرام تمرين قريحتهم بنظمها ، واعدين بنشر افضل ما يصلنا من اشطارهم في اعدادنا المقبلة .

La Mort des oiseaux

Le soir, au coin du feu, j'ai pensé bien des fois
A la mort d'un oiseau, quelque part, dans les bois.
Pendant les tristes jours de l'hiver monotone,
Les pauvres nids déserts, les nids qu'on abandonne,
Se balancent au vent sous le ciel gris de fer.
Oh ! comme les oiseaux doivent mourir l'hiver !
Pourtant, lorsque viendra le temps des violettes,
Nous ne trouverons pas leurs délicats squelettes
Dans le gazon d'Avril, où nous irons courir.
Est-ce que les oiseaux se cachent pour mourir ?

وهذه ترجمتها العربية الحرفية بيتاً فبيتاً ، يستبين بها من يشكل عليه الاصل الفرنسي من شعرائنا الكرام :

كثيراً ما فكرت ، عند المساء ، وانا الى جانب الموقد ،
بموت عصفور في بعض انحاء الغابات .
في الشتاء الممل ، في ايامه المحزنة ،
تلك الأعشاش المقفرة ، المقفرة ، المهجورة ،
تتمايل مع الريح ، تحت سماء غاكي الحديد اغبراراً .
آه ! ما اشد ما يكون موت العصافير في الشتاء !
بيد اننا ، عندما يأتي زمن البنفسج ،
لا نعثر على هياكلها النحيفة ،
في كلأ نيسان حيث نسير راكضين .
فهل تختبئ العصافير لتموت ؟

مطبوعات شرقية جديدة

G. Forrand: Introduction à l'astronomie nautique arabe. [*Bibliothèque des Géographes arabes, tome I*] *vol. in-8° de 272 pp.* 1928, *Prix* : 100 *f*°. *Paris, P. Geuthner.*

مقدّمة لعلم الفلك واستخدامه في الملاحة عند العرب

ان مجلدات «مكتبة جغرافيّي العرب» المطبوعة في هولاندة كانت لا تزال غير مترجمة الى لغة اوربية ، فكانت معلوماتها النفيسة ، والحالة هذه ، لا تزال مجهولة من جغرافيي اوربة ، ومؤرّخيها ، ومستشرقيها ايضاً الذين يجهلون العربيـة . حتى رغب المستشرق غبريال فرّان ، المعروف بدروسه القيّمة في جغرافية الشرق ، في القيام بهذا المشروع الجليل فيترجم الى اللغـة الافرنسية جميـع مجلدات تلك المكتبة . وها هو اليوم ينشر هذه المقدمة الواسعة وقد قسمها الى قسمين : بحث في الاول عن استخدام العرب لعلم الفلك في الملاحة فاظهر سعة معارفهم في هذا الشأن ، ووصف آلاتهم المستعملة في الرحلات البحرية مزيناً دروسه برسوم عدّة . اما القسم الثاني فقد خصّصه بترجمة حياة ابن ماجد الذي كان دليـلاً للرحالة الشهير ڤاسكو دي غاما ، في رحلته من شواطئ افريقية الى الهند ، واردفها بتحليل مؤلفات ابن ماجد في الملاحة وفيها تلميح (ص ١٨١) الى حيّة البحر التي كثيراً ما سمعنا عنها في السنين المتأخرة دون ان يبرهن وجودها بصورة جازمة.

ه . ل .

J. Mélia : Chez les Chrétiens d'Orient. *in*-16, 1929. *Prix* : 12 *f*°. *Paris, E. Fasquelle.*

عند مسيحيّي الشرق

كان المؤلف سابقاً في مركز من المفوضية العليا مكنه من معرفة الكثيرين من رجالات البلاد. فدوّن في مذكراته معلومات وتأثيرات مثلها اليوم بالطبع ، مستفيداً من حركة ادبية حاضرة تدور في فرنسة حول مسألة الارساليات الدينية

التعليمية في الشرق . وان شهادته في مسيحي الشرق ، وخصوصاً في المرسلين الى الشرق (وهذه الميزة لا تظهر في العنوان) لا تخلو من القيمة ولا من الجرأة. فقد لزمه كثير من التأثيرات العميقة القاطعة لتأييد معتقداته . وقد كان بوسعه ان يحتفظ بها ؛ ولكن لم يشأ الا اظهارها ، فلنرَ بأي اسلوب فعل ذلك: لقد كتب كتابه كله ، من البدء حتى الختام ، على رسم المنفعة الوطنية . فاتخذ منها قياساً وحيداً قاس به جميع اعمال المرسلين من عازريين ، ودومنيكيين ، ويسوعيين ، وآباء بيض . ورأى ، في ما يخص اليسوعيين ، ان هذا القياس لا يكفي تماماً لقياس اعمالهم ، مظهراً من خلال اقواله انه لم يرهم الا من الخارج حتى ان لارومه (Larroumet) وباريس (Barrès) لم يوفرا له الا معونة ثانوية في ذلك ، فهو لا يجد ليحدّد اعمالهم الا الكلمات والعبارات المعروفة من امثال « القوّة » ، « والسيطرة » ، و « ادارة المديرين » . وهكذا فان الدافع السامي يفوته ، فلا يقع تحت حواسه الا مظاهر السياسة الارضية . وعليه فيمكن القول ان قراءة هذا الكتاب لا تحدث التأثير المطلوب حتى في جمهور الشعب الذين يكتب لهم المؤلف . فهم يرون فيه ان المرسلين وخصوصاً اليسوعيين (ولا ندري لماذا يفصل المؤلف بينهم وبين سائر المرسلين ؟ أولا يعلم ان للجميع مثلاً اعلى واحداً يسيرون نحوه في اعمالهم ؟) لا يمكن تحديدهم بالعبارات الرسمية التي تستعملها حكومة علمانية ، وانه مهما اغدق عليهم من النعوت الحسنة فلا يزال يبدو في تلك النعوت علامات الجبل والحذر . هذا اما من حيث التاريخ فان في الكتاب من الغلطات ما لا يُستهان به وما يجعله بعيداً عن الثقة المرغوب فيها في المصادر التاريخية

ج . ل .

S. Bialoblocki : Materialen zum islamischen und jüdischen Eherecht [*Arbeiten aus dem orientalischen Seminar der Univers. Giessen, Heft I*] *in-8° de 54 pp. Giessen, Alfred Töpelmann*, 1928. 3M^ks, 50.

موادّ لدرس الشريعتين الاسلامية واليهودية

من المعروف ، من زمن طويل ، ان الشريعة الاسلامة اخذت كثيراً عن المؤسسات اليهودية . وها ان صاحب هذا الكتاب ، وهو من المتضلعين من

آداب اليهود والاسلام ، يسرد عدة من الامثال على ذلك لاسيما في ما يختص بالحقوق العيلية ، فيظهر انه كثيراً ما كان الشارع الاسلامي او المحدّث يكتفي بنقل الشرائع والاحكام اليهودية . ونحن نشير بمطالعة هـذا الدرس القيم على جميع غُواة الحديث والحق الاسلامي. ه . ل .

Georges Soulié de Morant : L'épopée des Jésuites français en Chine 1534 - 1928. *in-16 de 295 pp.* 1928. *Paris, B. Grasset. Prix : 12 f.*

اليسوعيون الفرنساويون في الصين (١٥٣٤ — ١٩٢٨)

قال المؤلف في مقدمته (ص ٧) : « لقد صرفت نحو خمسين سنة ادرس الشؤون الصينية ، وانت مدة طويلة موظفاً في بلاد الشرق الاقصى ، مكلفاً حماية اعمال الرهبنة اليسوعية وغيرها من الرهبنات ، فراقبتها عن كثب ، وامكنني ان افهم فهماً اوفى قيمة الكلمات والبراهين ، وان استخلص ، من الخطأ ، الاعمال الحقيقية وما يدفع اليها من الدوافع الصحيحة ، فابدد ذاك الضباب السامّ الذي احاق مدة بتلك الحقبة المجيدة والمحزنة معاً من تاريخنا . . . »

ومهما بعدت عنا تلك الحقبة ، فان المطالع بعد ان يقرأ هذا الكتاب المملؤ بالحياة والحماسة ، يتحقق شجاعة المؤلف في سرد جميع ما اكتشفه ووصفه . وقد استند ، في اقواله ، الى وثائق لم يدرسها ويستعملها احد قبله من امثال المراسلات بين المندوبين والبابوات ، ورسائل الامبراطور ، واخبار البعثة الفرنساوية . وكلها مواد ثمينة محفوظة في سجلات وزارة الخارجية الفرنساوية . فانالت الكتاب ثقة وقيمة. ج . ل .

Emile Bayard : Le style japonais. *in-16 de 218 pp. avec 140 gravures.* 1928. *Prix : 12 f. Paris, Garnier Frères.*

الطراز الياباني

ان تكن مزية اليابان في الابتكار الفني مقررة ، فليس القادرون على تحليل ذاك الفن بكثيرين . وعليه فقد قام المؤلف بدرس مفيد اذ وصف فن البناء ، وتزيين البساتين ، والتصوير ، والتماثيل ، وحفر الخشب والشبه ، ثم قطع

الرياش ، والقاشاني ، والسلاح ، والقماش ، والاثواب . وقد قدّم على ذلك معلومات في الفن الياباني على الجملة ، ثم شرح الكلمات اليابانية المستعملة ، وقابل بين حالة ذلك الفن في الامس واليوم ، ملاحظاً ان اوربة اكتشفت اليابان في زمن يلاقي فيه نبوغها الفني مهاجمة عنيفة . وفي الكتاب كثير من الرسوم تزين الجانه فتنيله اعظم ما يؤمل من القيمة والمنفعة ج . ل .

Il Corano, *nuova versione letterale italiana, con prefazione e note critico - illustrative del* Dott. Luigi Bonelli - *Manuali Hœpli, Milano*, 1929.

ترجمة جديدة للقرآن باللغة الايطالية

نشرت مكتبة هوبلي (Hœpli) سنة ١٩١٤ ، ترجمة ايطالية للقرآن قام بها احد مبتدئي الطلاب ، فأتت ملأى بالاغلاط والتحريفات . اما هذه الطبعة الجديدة فهي من قلم عالم بالعربية معروف . تبع فيها طريقة الترجمة الحرفية بقدر ما سمحت له اللغة الايطالية من الدقة حتى اذا خاف ان يشكل المعنى وضع بين معقفين ما يلزم للايضاح من الزيادات . وقد علق حواشي قصيرة تظهر انه من الواقفين على مسائل التفسير القرآني . ه . ل .

A. Leman : L'Eglise dans les temps modernes. [*Biblioth. cathol. des sciences religieuses.*] *vol. in-16 de* 200 *pp.* 1928. *Prix* : 10 *f.* *Paris, Bloud et Gay.*

الكنيسة في العصور الحديثة

لقد جمع المؤلف في مائتي صفحة مظهراً فسيحاً لحياة الكنيسة من عصر النهضة الى زمن الثورة الفرنساوية . فجاء الكتاب كثير الايجاز ولكنه وافر الصحة دقيق ، تامّ ، يذكر النقائص والتقهقرات ، ذكره للفضائل والامجاد . واكثر مادته تدور حول موضوعات ثلاثة مهمة في تلك العصور وهي : النهضة ، وما يدعونه « بالاصلاح الديني » ، ومظاهر عدم الايمان البادية في القرن الثامن عشر . وعلى الجملة فان فائدة الكتاب جزيلة لجميع من لا تمكنهم اعمالهم من صرف الوقت في تصفح المطولات ، سواء كانوا من الاكليروس او العلمانيين .

لاسيما وان تلك العصور التي قد تظهر بعيدة عنا لا تزال اساساً لكثير من الحوادث التي نشاهدها اليوم ، وقد نقوم بها متأثرين بوطأتها ج . ل .

G. Janneau : Les sièges, 2 *vol.* 16 × 23, 90 *illustr. Collection des Arts décoratifs, chaque volume* : 10 *f*, *Librairie d'Art R. Ducher.*

المقاعد

لم يكن بامكان الجميع الوقوف على تاريخ الرياش والاثاث الّا في كتب ضخمة ، ومجاميع غالية ، حتى ظهرت هذه المجموعة موفّرة لقُواة الفنّ واصحابه والنقّابين ، والمعلّمين ، مجلّدات اعتيادية ، موجزة ، واضحة ، ورخيصة الثمن مع وفرة ما فيها من الصور والرسوم . وقد ظهر منها مجلّدان ، يسرد فيهما المؤلف ، وهو استاذ في مدرسة اللوفر الشهيرة ، تاريخ الكراسي والمقاعد من عهد اليونان والرومان حتى ظهور الطراز الامبراطوري . وقد اجتهد في طبع الصور اجتهاداً كبيراً فأتت كلّها موافقة للنصّ موضحة له . وسيتبع هذين المجلدين ثلاثة يتمّ بها تاريخ الرياش .

ج . ل .

Delos O. P., Leman. Prelot (M.) et Danel (J.) : La Société internationale. *Préface de* Mgr. Beaupin. 1 *vol. in*-12, *broché* : 7*f*,50. *Paris, J. de Gigord.*

الجمعية الدولية

وُضع هذا الكتاب الصغير خاصةً للاساتذة ، والمهذّبين ، وسائر من يعنون بالاتصال مع الشبّان والتأثير فيهم . وغايته ان يُطلعهم ، في ما يخصّ آراء الكنيسة في جميع العلاقات الدولية ، واعمالها الماضية والحاضرة في سبيل تقريب السلام ، وجمعية الأمم ، ونظام العمل الدولي ، على معلومات واضحة صحيحة مستندة الى وثائق اكيدة ، تمكّن الجميع من الخوض في هذه الموضوعات الدقيقة بطمأنينة ونجاح دون ان يحطّوا من شأن العواطف الوطنية . وقد قام بهذا العمل اربعة من اساتذة المعاهد الكاثوليكية في ليل ، وكلهم متخصّص بالمادّة التي يكتب فيها .

E. F. Gautier : Le Sahara. *in-8° avec 10 figures et 20 illustr. Prix : 24 f. Paris, Payot.*

الصحراء

مؤلف هـذا الكتاب استاذ في جامعة الجزائر منذ سنة ١٩٠٠ ، وهو من اشهر عارفي الصحراء وقد جال فيها من جميع جهاتها . فنشر سنة ١٩٢٣ مؤلفاً عنها ، وقد اعاد طبعه اليوم بحجم اكبر ، وشرح اوفى ، وتصاوير جمة ، مضيفاً الى معلوماتـه الشخصية اقوال غيره من الرحّالة ، مظهراً لنا الصحراء بجـلاء ووضوح . وان من افيد ما في الكتاب تلك الصور المأخوذة من الطيّارة وهي التي توضح اكثر من غيرها مناظر تلك الفيافي الفسيحة . ج . ل .

L'art japonais, 56 *illustrations* — L'art indien et l'art chinois, 44 *illustr.* — 2 *vol* : *in-8°*, *Collection « La grammaire des styles »*, *Librairie d'art* R. Ducher, *Paris*.

الفنّ الياباني – الفنّ الهندي والفن الصيني

تمت هذه المجموعة المفيدة فنالت من الرواج مـا تستحقه لانها تضع امام الدارسين مجلّدات بحجم مقبول جميلة الظاهر ، واضحة المعاني ، تفيد حتى أبعد الناس عن التخصص بهذه الشؤون بمـا تظهره من خصائص الفنون وتطوّراته بالرسوم المتعدّدة والشروح الموجزة . ولها ايضاً في التعليم فائدة جزيلة بما تبسطه من الدقائق الفنيّة والتحديدات الجامعة المانعة . وهي امور قد لا يراها الدارس في كثير من المجلدات الضخمة .

كتاب اخبار المهدي ابن تومرت وابتداء دولة الموحدين

لابي بكر الصنهاجي المكنى البيذق – اعتنى باخراجه من الخزانة الاسكريالية وتصحيحه وترجمته خديم العلم ومحبه الاستاذ إ. لاتي بروفنسال .

بولس كتر الكتبي بباريز ، ١٩٢٨ ، ثمنه ١٦٠ فرنكاً

عنوان الكتاب دليل على فحواه . هو اخبار نشأة الموحدين الذين ملكوا اكثر من قرن على المغرب ، وبسطوا سلطـانهم ايضاً على تونس والجزائر (١١٤٧ – ١٢٦٩) . واننا لنتعلم منه خاصة اخبار مهدي « الموحدين » وخليفتهم

الاول ، عبد المؤمن ، وكل ذلك أخذاً عن مخطوطات عربيـة غير مطبوعة مأخوذة من مكتبـة الاسكوريال (اسبانية) . نشر صاحب الكتاب المتن العربي بتدقيق جزيل واضاف اليه ترجمـة افرنسية حسنة جداً ومده بكنوز شروحاته الغزيرة في مجاهل تاريخ الغرب . كنّا ذكرنا في المشرق (٢٦ [١٩٢٨] ٩١٣ ...) ان اللغة التي استعملها المسلمون في اسبانية لم تكن العربيـة ، ولكن لغة البـلاد التي كانوا قد استوطنوها . وها ان المؤلف الذي حللناه يمكننا من اعادة القول ذاته في ما يخص المغرب على ايام « الموحدين » فان الكتاب لا ينوه بذكر عشيرة عربية الا مرة واحدة (ص : ١٢٠) امـا في ما بقي فلا ذكر الا البربر ، فالسكان بربر ، ولغتهم بربرية . وانك من مطالعة الآثار المطبوعة اغلاطها ومن المتون البربرية العديدة ، تشمّ رائحة الاصل وتقول: من سطر هذه الاسطر لم يكن قابضاً على ناصية العربية. ه . ل .

تفسير القرآن الحكيم

تأليف السيد محمد رشيد رضا

تفسير سلفي اثري مدني عصري ارشادي اجتماعي سياسي . وهو المشتهر باسم تفسير المنار . الجزء التاسع . مطبعة المنار بمصر ١٩٢٨ — ص ٦٦٨ ، ق ٨ ، ثمن ٢٥ . غ . م .

هذا الكتاب متصل بتفسير ضخم ينشره صاحب المنار في مجلته منذ اعوام اخذ به التفسير من الآية ٨٧ السورة ٧ (الاعراف) ، الى الآية ٤٠ السورة ٨ (الانفال) ، وهو اوسع من ان يناله التحليل . ولكن حسبنا الاشارة الى بعض ما عرض فيه من الآراء فيقف منها القارئ على اسلوب المؤلف . قال (ص ٤٨٢) ان آثار البشر وجدت في الدنيـا « منذ مئات الالوف » من السنين [كذا] وحمل حملة عنيفة (ص ١٠٣) على الحسين بن علي ملك الحجاز السابق ، وطعن بالاتراك الكماليين (ص ٣١٧) وفي مواضع كثيرة . واسهب الكلام وافاض (ص : ٢٩٢) في الانجيل المنسوب زوراً الى برنابا وعظم شأن ذلـك المؤلف التاعس ، واتهم المسيحيين (ص : ٣٠٩) بسقوطهم في عبادة الاوثان والصور [كذا] امـا القديس بولس فليس هو في زعمه (ص ٢٥٠) الا « من المنافقين

للكذابين » وجاء في القرآن عن اليهود : « قلنا لهم كونوا قردة خاسئين ». فهل مسخوا قرودًا ؟ اجاب المؤلف (ص ٣٧٩) : من الممكن ان يفهم ذلك المسخ « مسخ خلق ونفس » اي مجازًا . واحتجّ على الرقص (ص ٥٤٦) والحق معه في ذلك. وحاول (ص ٢٧٧) ان يبرهن ان محمداً هو الفارقليط المذكور في الانجيل . وقال (ص ١٧٥ الخ) ان اول ما خلق في الكون الكهرباء. وقد يجد المطالع في نهاية الكتاب فهرساً للموادحسناً ، ويود لو ان ورقه وصف حروفه وطبعه اقرب منه الى ما يرام. ه . ل .

جان دارك عذراء اورليان

مأساة ذات تمهيد وخمسة فصول تأليف الشاعر شيلر ، تعريب شديد باز الحداد
المطبعة العلمية ليوسف صادر بيروت ، ١٩٧٨ ، قطع ٨ ، ص ٩٠

في هذا العام يعيدون في فرنسة التذكار المئوي الخامس لدخول البطلة والقديسة جان دارك مدينة اورليان منتصرةً على الانكليز . فكان من ثم تعريب هذه الرواية حسن الوقع كالزهرة في ربيعها . ليس المقام لتحليل رواية شيلر الشاعر الالماني الشهير ، وحسبنا القول انها من آيات الفن الروائي وان لم تكن في كل وقائعها مطابقة للتاريخ كما اشار الى ذلك صاحب مجلة المورد الصافي في ذيل الرواية . وهي اعلى غاية واتقن اسلوباً وابرع فناً من عشرات الروايات التي تظهر كل عام . فنهنئ معربها.ونشكر لحضرة الاستاذ جرجس الخوري المقدسي ، صاحب مجلة المورد الصافي ، هديته الجميلة. ف . ت .

منتخبات ادبية: الجزء الثاني

للاب بشير آجيا اليسوعي
المطبعة الكاثوليكية ١٩٢٨ قطع ١٢ ، ١٥٣ ،

ظهر الكتاب منذ اشهر عدة وفاتنا ذكره .ولكن لم يفت المدارس ظهوره فتهافتت على طلبه بالمئات مما يغني عن اطرائه ، وحسبنا القول ان الاب آجيا اودع مؤلفه خيرة ما استغله من مواضيع ادبية ومشروحات وفوائد طيلة سنين عديدة قضاها في ادارة الدروس العربية . وانا نتمنى له ان يختم سلسلة المنتخبات فيفيد الناشئة واساتذتها في الصفوف المدرسية كلها.

كتاب الاغاني: الجزء الثاني

لابي الفرج الاصبهاني

مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٢٨ ، ٥٢٣ صفحة ، قطع كبير

في « مشرق » نيسان من السنة الفائتة (٢٦[١٩٢٨]٢٩٠) بشّر حضرة الاب صالحاني طلّاب الادب العربي بظهور كتاب الاغاني في حلّة تليق به ، وهي الطبعة النفيسة التي اظهرته بها مطبعة دار الكتب المصرية . فاثنى على اريحيّة السيد علي راتب الذي تبرّع بنفقات طبع الفي نسخة منهُ ، وشكر للقسم الادبي في دار الكتب اهتمامه بتنفيذ هذا المشروع الجزيل النفع . ثم درس الجزء الاول مبدياً بعض ملاحظات قبلتها لجنة نشر الكتاب بشكر ، وعملت بها كما اشارت الى ذلك في مقدّمة الجزء الثاني . وهو بين يدينا نراه متّصفاً بجميع صفات الوضوح ، والترتيب ، وجودة الورق ، وجلاء الحرف ، التي ميّزت سابقه . اضف الى ذلك ندور الاغلاط ، والاجتهاد في ضبط الاعلام والغريب ، وفي تحقّق نسبة الابيات الى اصحابها ممّا يوفّر للمطالعين اللذة والفائدة ، ويصرف عنهم عناء البحث والتفتيش.

وقد جمع هذا الجزء اخبار مجنون ليلى ، وعديّ بن زيد ، والحطيئة ، وابن أرطاة ، وابن ميادة ، والحكم بن عبدل من الشعراء ؛ واخبار ابن عائشة ، وحنين الحيري ، والغريض من المغنّين . وانتهى بثلاثة عشر فهرساً واسعاً اتت مع الشروح والتعليقات غاية في المنفعة ، على خلاف ما يعتقده البعض اذ يتصوّرون ان لا فائدة في ذلك الّا للمستشرقين ... فنحن نكرّر شكرنا لمن قام ويقوم بهذا العمل الكبير ، ونستحثّ همهم على مداومة السير في الطريقة التي اختطوها انها المستقيمة المثلى . هذا وقد ورد في الصفحة ٤٢١[١١١٦] بيتان لم يذكر صاحبهما ؛ فنقول ، خدمةً للحقيقة ، انهما للاخطل ذُكرا في ديوانه ، في الصفحة ٤٨ من طبعة حضرة الاب صالحاني.

ف.ا.ب.

ديوان الشهيد عمر حمد

مطبعة وزنكوغراف طباره ، بيروت ١٩٢٩ – ص ٩٦ ، وسط

ان لم يكن لشهدائنا من نصب تخلّد ذكراهم بين الاحفاد ، فلا اقلّ من ان تُنشر آثارهم القلمية ، فيرى المطالعون ما كان يجول في صدورهم من العواطف الحماسية ، وفي ادمغتهم من الافكار الرامية الى تعزيز القومية ورفع منار الوطنية وهذا ما شاء طابعو الديوان اذ جمعوا فيه مختارات من قصائد عمر حمد ، وهو احدى ضحايا جمال السفاح ، واردفوها ببعض ما قيل فيه من قصائد الرثاء . اما المقدمة فهي من قلم الاديب المعروف الاستاذ عمر الفاخوري . ف.ا.ب.

ديوان بدر الدين الحامد

مطبعة الاصلاح ، حماه ، ١٩٢٨ – ص ١٩١ وسط

تحيي هذه الزهرة الادبية النابتة في رياض حماه ، ونؤمل ان تكون باكورة خير تتبعها سلسلة طويلة من الآثار الادبية في مدينة «النواعير» المطربة . فتجاري اخواتها من مدن سورية ولبنان في تلك الحركة المباركة ، حركة التأليف والنشر . اما الشاعر فشابّ تتموج عواطفه بين «ابتسام الصباح» «وليالي الرياض» و «هيئة النواعير» والاودية والاطلال . وقد تهيب بها انغام الوطنية فيوقعها موثرة هائجة . وهو في كل ذلك لا يخلو من سلاسة وعذوبة وان احتاج الى ضبط واتساق وحسن ذوق يظفر بها ان شاء الله . وقد كتب مقدمة الديوان الاستاذ شفيق بك جبري ، عضو المجمع العلمي الدمشقي . ف.ا.ب.

اختلال التوازن العالمي

تأليف الدكتور غوستاف لوبون — تعريب صلاح الدين وصفي

عني بنشره الشيخ يوسف توما البستاني – مطبعة العرب ، مصر ، ١٩٢٧ – ص ٢٦٠ صغير

للدكتور غوستاف لوبون شهرة ثابتة في العلوم النفسية لا تزعزعها اوهامه وآراؤه المضطربة ونظرياته المتقلقلة في الشرق والشرقيين . فكان اذاً افيد ما ينقل الى لغتنا من كتبه تلك الابحاث النفسية التي يدرس فيها تطورات الكون وتوازن الشعوب على طريقة اجمالية . ومنها المؤلف الذي نتكلم عنه اليوم ، وقد قسمه صاحبه الى سبعة كتب بحث فيها في عدم التوازن السياسي ، وعدم

التوازن الاجتماعي ، وعدم التوازن المالي ومنابع الثروة ، واختلال التوازن الاقتصادي في العالم ، والقوى الجماعية الجديدة ، وكيف تتكون عقلية الامة ، والمحالفات والحروب ؛ مفتشاً في كل ذلك عن الاسباب والنتائج . فكان كتابه مثالاً حسناً للنهج في البحث العلمي وان لم يوافقه النجاح في جميع النقاط . فنحن نشكر للمعرب اجتهاده في ابراز الكتاب ، ونشكر لصاحب مكتبة العرب اهتمامه بنشره مضيفاً خدمة جديدة الى خدماته السابقة في سبيل اللغة والادب . وقد وددنا لو كان اسلوب الكتاب امتن مما هو عليه ، ولو جُعل له فهرس واسع ، ولو تروى المعرّب في تعليق بعض شروحه . ف . ا . ب .

* البطريرك مكسيموس الثالث مظلوم * سنوه الاخيرة بقلم ابن اخيه الشماس توما مظلوم ، عني بتعليق حواشيه الاب الياس اندراوس البولسي . مطبعة القديس بولس في حريصا لبنان – هو الجزء الثاني من مجموعة نفيسة اطنب المشرق في ذكرها (٢٥ [١٩٢٧] ٧٧) وفيه تتمة حياة البطريرك الكبير في سفره من دمشق الى بيروت الى الاسكندرية الى مصر ، واعماله في سبيل الطائفة الملكية الكاثوليكية ومرضه الاخير ووفاته . وللكتاب ملحقات وفهرس لاسماء العلم . فنشكر للاب اندراوس عمله وللسرة هديتها .

* هدية الكشاف الثانية لعام ١٩٢٧ : محمد والمرأة – ابن خلدون في المدرسة العادلية – محاكمة وزيرين في امرين خطيرين * محاضرات الشيخ عبد القادر المغربي ، مطابع قزما ، قطع ٨ ص ٨٢ – قال المؤلف (ص : ٦٣) ان ابن خلدون اول من ابتكر طريقة المذكرات (mémoire) [كذا] وحذا حذوه علماء الغرب . ولكن فات حضرة الشيخ ان المؤرخ جوانفيل الذي مات قبل ان يولد ابن خلدون بـ ١٥ سنة كان قد الف مذكرات (mémoires) (راجع هذا العدد والذي سبقه من المشرق) . اما كلامه في مجمع ماكون فراجع الرد عليه في المشرق (٢٦ [١٩٢٨] ٣٨٦) .

* ان الله اوتا * المطبعة الكاثوليكية بيروت ١٩٢٩ – هي رسالة رعوية زفها السيد ثوفيلس يوسف ربّاني مطران حمص وحماة وتوابعها الى ابناء ابرشيته في الوطن والمهجر مناسبة لاول تذكار سوي لسيامته للاسقفية قرأناها فاستطبناها وهي مدبجة بالآيات الكتابية حيّة بروح النعرة الرسولية مضطرمة بمحبة الله مزدهرة بالعواطف المشوعية الصادرة عن ايمان عظيم فيا ليت نشيدها يبلغ آذان اخواننا المنفصلين من السريان فيستأنسوا بصوت الراعي ويتبعوه الى حظيرة المسيح الواحدة .

* جمعية شبان القديس لويس غونزاغا في كلية القديس يوسف * نبذة تاريخية نشرت بمناسبة يوبيل الجمعية المفضي ١٩٠٣–١٩٢٨ .

* حب يوسف الصديق وقبره الشريف * تحقيقات واستنتاجات بقلم عبدالله مخلص . المطبعة السلفية . مصر ١٣٤٨ .

اهمّ حوادث الشرق في شهر

١٥ شباط — ١٥ آذار

في ٢٣ شباط ، ارسل مجمع الكنيسة الشرقية المقدس الى السيّد فريديانو جيانيني ، القاصد الرسولي ، يطلب باتصال فلسطين وشرقي الاردن وجزيرة قبرس عن قصادة سورية والحاقها بقصادة مصر ، كما الحقت بها الحبشة. وجدير بالذكر ان قصادة سورية انشئت رسمياً (١ في ٢٧ حزيران سنة ١٧٦٣ وهي اقدم قصادة للكرسي الرسولي في العالم . وكانت تشمل سورية وفلسطين ، والاناضول ، وقبرس ، وجزيرة العرب ، ومصر اولاً . ثم فُصل عنها الاناضول سنة ١٨١٨ ، وجزيرة العرب ومصر سنة ١٨٢٨

تصدّت الصحافة الافرنسية الى خبر تأجيل الجمعية التأسيسية فاسمعتنا صوتاً لا بد من ان نعيره آذاناً صاغية : وهو انه اذا تركت فرنسة السوريين وشأنهم فقد يؤدي بهم الامر الى الفوضى والحروب الاهلية .

حدثت بعض المناوشات على الحدود بين رجال الحكومة والعربان المخيّمين بالقرب من الحسجة ، بسبب مقاومة العشيرة لأمور الريجي ومأموري الكمرك .

واغلقت مدينة حمص ومنع التجول فيها ليلاً ، لان بعض السكان ساعدوا اللصوص على الحكومة وفرضت عليهم غرامة مالية .

كان قد اذيع بين الناس (٥ شباط) بلاغ الحكومة اللبنانية عن نتيجة المفاوضات في شأن الديون العثمانية . وفي اواخر شباط كانت حكومات سورية وجبل الدروز وبلاد العلويين قد وافقت على ما أُعلن من الاتفاق بشأن الديون لما عرضت على مجلس النواب اللبناني للموافقة عليها . فثار ثائره لان البلاد اللبنانية لم تستفد من دين تركية لتأخذ على عاتقها وفاءه . ولكن اغلق باب المناقشة بوجه المعارضين وأُقرّ الاتفاق بالاكثرية (٢٧ شباط)

ما برح حبل الامن مضطرباً على الحدود العراقية—النجدية : وقد ساحت بريطانية دباباتها على الوهابيين . وجاء من البصرة (٦ اذار) ان معركة دارت بين قوة الطيران الملكية وست مئة من الوهابيين ، شوهدوا عائدين باسلاب القبائل العراقية والكويتية . لكن البلاد في داخليتها آمنة . ولم ينفكّ المنقبون عن اعمالهم ، فاكتشفوا في اور الكلدانيين وفي خرائب تركلان ، على مقربة من كركوك ، آثار مدنية عظيمة يرقى عهدها الى ثلاثة الاف سنة قبل المسيح . وحُفر في بلاد الموصل آبار للبترول جديدة .

وقد جاء من شرقي الاردن ان الحكومة اصدرت قانوناً منعت به تجارة الرقيق ومنحت المحاكم سلطة اعتاق الرقيق .

ف . ت .

---

١) راجع المشرق (١٢[١٩٠٩]٢٠٠)

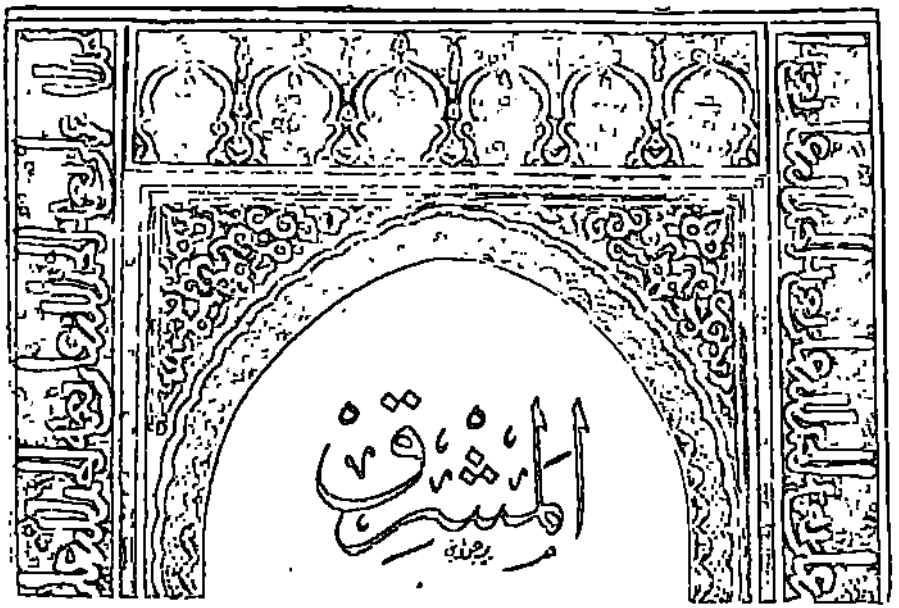

ايار ١٩٣٩

قداسة الحبر الاعظم

البابا بيوس الحادي عشر

بريله الذهبي الكهنوتي

بقلم المتوري جرجس غالب

٥

ارتقاؤه الى السدة البطريركية

في اليوم الثاني والعشرين من شهر كانون الثاني سنة ١٩٢٢ ، انتقل الى مقرّ الابرار السعيد الذكر البابا بنديكتوس الخامس عشر ، بعد ان قضى في الحبرية سبع سنوات بنيف كانت سنوات استشهاد له ، لكنها ملأى بالاعمال العظيمة التي استدعت اعجاب العالم وامتنانه لما بذله فقيد الكثلكة من المساعي والجهود في تخفيف ويلات الشرية مدة الحرب العالمية المريعة. وقد اعترف الجميع بفضله واقاموا الآثار تخليدًا لذكره حتى في عاصمة تركية نفسها.

وفي اليوم الخامس عشر لوفاته ، وهو اليوم السادس من شهر شباط ، وقع انتخاب الكرادلة المجتمعين في رومية على السيّد اشيل راتي ، مطران مديولان ، فاطلّ الكردينال بيسلاتي عميد الكرادلة الشمامسة ، وبشّر الجمع المتألب في ساحة القديس بطرس ان قد اختار امراء الكنيسة السيد اشيل راتي المذكور ، وانه قد اتخذ اسم بيوس الحادي عشر . فعلا الهتاف ، وشمل الفرح الكنيسة المترملة ، وصاحت الجماهير : فليحيَ البابا الملك .

وبعد هنيهة ظهر البابا على شرفة كنيسة القديس بطرس الخارجية فبارك ذلك الحشد ثلاثاً . وكانت تلك المرة الاولى بعد سنة ١٨٧٠ ، يطلّ فيها الحبر الاعظم على ساحة القديس بطرس . فتناولت الصحف هذا الخبر ، وعلّقت عليه الفصول الضافية . لكن بلاغاً صدر من البلاط البابوي اوضح القصد من هذا العمل ، وهو ان البابا انما اراد ذلك ليبين انه لا يريد ان تنحصر بركته الاولى في الشعب الحاضر امامه ، ولا في رومية وايطالية ، بل ينبغي ان تمتد الى العالم باسره حاملة بشرى ورجاء المصالحة بين الشعوب ، تلك المصالحة التي هي الضالة المنشودة . ولا يقصد سوى ذلك ، لان الحبر الاعظم يحرص تمام الحرص على اليمين التي اقسمها بالمحافظة التامة على حقوق الكنيسة والكرسي الرسولي .

وبعد ان قدّم الكرادلة الخضوع للبابا ، مرّ امامهم وخاطب كلاً منهم بلغة وطنه . ثم في مساء ذلك اليوم اقرّ الكردينال غسباري في وظيفته ، اي وزارة الدولة البابوية . وتمت حفلة التتويج بابهى مظاهرها يوم الاحد ١٢ شباط بحضور هيئة السفراء والاشراف ، وعائلة الحبر الاعظم ، وعدد غفير من الكرادلة والاساقفة والمؤمنين . وبعد الانتهاء منها اطلّ البابا ايضاً على شرفة الكنيسة الخارجية مرتدياً اثوابه الحبرية وبارك الشعب الحاضر ثلاثاً ، ثم تقبل تهانئ الكرادلة .

وفي ١٨ منه قدم سفراء الدول اوراق اعتمادهم واعرب عميدهم ، سفير اسبانية ، عن تهانئ الحكومات التي يمثلونها ودعا للبابا الجديد بالعمر المديد ليواصل عمل المصالحة الذي كان قد باشره سلفه المطوّب الذكر بنديكتوس الخامس عشر . فاجابه بيوس الحادي عشر شاكراً ، واعلن انه لن يحيد عن خطة

سلفه ، وهو يغتبط ان تلتف حوله هيئة سفراء ممتازة لا يجهل ما يكون لها من التأثير في عالم السياسة.

ما فرغ صاحب القداسة من المقابلات الرسمية حتى انصرف الى الوقوف على احوال الكرسي الرسولي والكنيسة. فتعرّف الى كلّ من موظفي الدوائر الرومانية ، واستوضحهم مجرى الامور. ثم اثبت ما كان قد سبق فاتخذه سلفه من القرارات والتدابير ، واهمها المؤتمر القرباني الاممي السادس والعشرون المنوي التئامه في رومية ، والاحتفال بمرور ثلاثة قرون على تأسيس مجمع نشر الايمان ، ثم نقل ادارة عمل نشر الايمان الى رومية لاسباب وجيهة . وقد تمت كل هذه الحفلات بكل ابهة ، واخصها المؤتمر القرباني الذي افتتحه البابا بنفسه (٢٤—٢٩ ايار) وختمه بقداس حبري اقامه يوم عيد الصعود ، بعد ان كان ترأس قبلاً السجود الليلي ، ووزع المناولة على المؤمنين مدة ساعة وربع ساعة. اما التطواف الذي جرى فحدث عنه ولا حرج . ويمكن القول ان رومية باجمعها اشتركت فيه ، وقد تولى تأمين النظام وحسن السير جنود الحامية وعددهم عشرة الاف.

اما التذكار المئوي الثالث لتأسيس مجمع نشر الايمان فسبق الاحتفالَ به مؤتمرٌ للارساليات ، وختم بقداس حبري اقامه البابا نفسه وخطب فيه عن واجب الكرازة والتعليم. ثم عُقد اجتماع تليت فيه الخطب بسبع وعشرين لغة ، امام الحبر الاعظم الذي قال كلمة الختام معلناً ان نفسه لن تذوق الراحة ما دام يعلم انه يوجد نفوس تتسكع في دياجير الضلال ، فهو يرغب في تنشيط الدعوات للارساليات ، ولا يأنف من ان يمد يده مستنديا سخاء المؤمنين الحقيقيين ، الذين يعلمون ان اشتراكهم في مساعدة المرسلين هو عمل عظيم له عند الله اجر جزيل

وكانت احوال اوربة المضطربة تشغل بال البابا ، وكان يخشى ان تطير شرارة فتشعل نار فتن جديدة يرهب النفوسَ لها ما ابقته الحرب العالمية في القلوب من الضغائن واورثته من الخراب المادي والادبي ، فأخذ برسائله المفعمة حكمةً وحناناً يناشد الشعوب وولاة امورها ان يقلعوا عن سياسة العنف ويلجأوا الى طرق مصالحة القلوب وجلاء النفوس من الدخائل الوبيلة ، لان اساس السلم ودعامته هو التسامح والمحبة ، ولا سبيل للوصول الى تلك

الغاية الّا باعادة السكينة الى القلوب وتعزيز مبدأ السلطة ، وهذا ما لا يستطيعه غير الكنيسة التي ترسخ في الافراد والجماعات فكرة المغفرة بتأييدها ملك المسيح على العيال والشعوب. فالمسيح ملك السلام ، ولا خلاص لجماعة تنكر الله وتنبذ مبادئ المسيح وملكه . ولذا ما انفك ينشط كل عمل يُقصد منه تمليك المسيح في الهيئة الاجتماعية ، وتخليصها من التعاليم اللادينية مصدر الفوضى العقلية والاباحية ، وتطاحن طبقات الشعوب في سبيل الربح المادي وملذات الحواس . وقد اوضح صاحب القداسة هذه الامور في رسالته الاولى العامة « *Ubi Arcano* » (٢٣ ك ١ ١٩٢٢) وفي سنة ١٩٢٥ رسم ان يحتفل كل سنة بعيد المسيح الملك تذكيراً بان الملك الواجب ان يتسلط على الجميع هو المسيح الفادي. ثم ما لبث ان اعاد الى اذهان المسيحيين ان لهم قدوة يحسن التمثل بها في حياتهم الدنيا ليتمتعوا بسعادة الآخرة ، فذكرهم ، في منشورات قيمة ، ما تحلى به القديسون العظام من الفضائل الراسخة . فانهم جمعوا بين العلم والفضيلة السامية لانهم ملكوا المسيح في عقولهم وقلوبهم وخضعوا لشرائعه خضوعاً تاماً . وما حادوا قط عن الخطة التي رسمها الانجيل الطاهر فحقّ ان يُجعلوا منارة يهتدي بنورها جميع الذين يهمهم خلاص نفوسهم وخدمة الكنيسة . ومتى طالعت رسائله في القديسين فرنسيس سالس ، واغناطيوس ده لويولا ، وفرنسيس كسافاريوس ، وترازية العظيمة ، وفيليبوس نري ، ولويس غونزاغا ، وتوما الاكويني ، ويوشافاط شفيع الصقالبة ، وفرنسيس الاسيزي ، تجلى لك فيها سموّ افكار الحبر الاعظم وطموحه الى ان يحمل ابناءه على السعي وراء السعادة الحقيقية مبيناً لهم ان الحياة الدنيا ليست سوى سلّم ترتقيه لتبلغ الى السماء.

ولم تنحصر مطامح بيوس الحادي عشر في ارشاد ابناء الكنيسة الكاثوليكية ، بل انه شمل النفوس كلها بحنانه وغيرته . فسواء احتفل بتذكار تأسيس مجمع نشر الايمان او مدرسته ، او بتدشين متحف الارساليات الذي امر بانشائه ، او استقبل المرسلين ، او علم بالاحتفالات المقامة احياء لفضل منشئي جمعيات الرسالات كالكردينال لافيجري ، ما كان يدع فرصة تفوته ، بل كان يستفيد من الاحوال كلها فيطرئ المرسلين واعمالهم ويشجعهم ويستحث المؤمنين

لينشروا الدعاية ، حتى ينشط الشبان الاتقياء للانخراط في سلك تلك الجمعيات المتخصصة للارساليات ، ويجودوا بمالهم مساعدة لعمل التبشير العظيم. وقد نشر في هذا الموضوع رسالة شائقة في الارساليات اثنى فيها على العملة المشتغلين بالحصاد ومشاريعهم ، ونفحهم بالنصائح الابوية ، واشار عليهم بان يهتموا باعداد اكليروس وطني في كل بلاد يفتحونها للمسيح الملك حتى يُعرف ان التبشير ليس دعاية وطنية بل خلاصية روحية. واوصى الجميع بان لا يحتقروا الوطنيين او يعدّوهم احط منهم منزلة وعقلاً واهلية للتهذيب ، لان الاختبار اثبت عكس ما يزعمون. ثم أيد الحبر الاعظم خطته بسيامته بذاته ستة اساقفة صينيين واسقفاً يابانياً.

ولم يكن اهتمام بيوس الحادي عشر بتهذيب الاكليريكيين والرهبان اقلّ منه بتنشيط عمل التبشير ، لان نجاح الدعاية الانجيلية يتوقف على ما يتحلى به الكاهن العالمي والقانوني من الفضائل الراسخة والعلم الثابت. فاذاع في الموضوع رسالتين هامتين احداهما للرهبان ، والثانية لعموم اساقفة العالم ، في تهذيب الاكليريكيين ، وتثقيفهم ، وتنظيم المدارس الاكليريكية بمقتضى الحاجات العصرية . ثم الحّ في وجوب تضلعهم من الدروس الكتابية.

ومما لفت انظار الحبر الاعظم مساعي رؤساء المذاهب المسيحية المنفصلة عن الكنيسة لضمّ شملها ، وتوحيد كلمتها . فخاف ان يُخدَع اصحاب النيات السليمة بهذه التظاهرات الخلّابة ، ويميلوا الى تحقيق فكرة توحيد الكلمة بتضحية الحقائق التي استودعها السيد المسيح كنيسته ، فاسرع الى نشر رسالته المشهورة في «وحدة الكنيسة الحقيقية» كشف بها القناع عمّا يرمي اليه اصحاب هذه الدعاية ، وحذّر المؤمنين من الانخداع بها ، اذ لا يمكن ان تكون وحدة ايمان حقيقية في غير كنيسة المسيح التي سُلّمت السلطة فيها لخليفة القديس بطرس هامة الرسل. فان وديعة الايمان لا يمكن التساهل بانقاصها ارضاء للخواطر وتسهيلاً لتفاهم واهن معرّض لتقلبات الاهواء واختلاف الاغراض. (٦ ك ٢ ١٩٢٨)

واخيراً استحلف العالم الكاثوليكي في رسالته « *Miserentissimus* » (٨ ايار ١٩٢٨) ان يقوم بواجب التعويض لقلب يسوع الاقدس ، لانه ما من مسيحي يمكنه ان يعتبر نفسه مسيحياً حقيقياً ان لم يشترك مع المسيح في التعويض

عن الخطايا ، ولا يمكنه ان يتمتع بمجد المسيح ان كان يأبى ان يشاطره التكفير عن المآثم. وهذا ما يريده قلب يسوع الاقدس وقد اوضحه للقديسة مارغريتا الاكوك . ثم فرض صاحب القداسة على المؤمنين ان يتلوا فعل التعويض الذي وضعه هو في عيد قلب يسوع في كل سنة.

ولا يسعنا اغفال ذكر السنة المقدسة ١٩٢٥ التي فتح البابا فيها كنوز الرحمة والغفران لزائري رومية ، ثم اذاعها في العالم كله لسنة ١٩٢٦ . وقد تجلت فيها تقوى المؤمنين باقبالهم على غنم هذه النعم والاستفادة بخيرات الكنيسة الروحية. وفي اثنائها جرت احتفالات عظيمة منها اعلان قداسة ترازية الطفل يسوع ، وبطرس كانيزيوس ، والراهبتين ماري مادلين بوستل ، وصوفيا بارا ، والكاهنين يوحنا المعمدان ڤياناي ، ويوحنا أود. اما المطوبون فعديدون منهم شهداء كندة اليسوعيون ، وبرنادت سوبيرو التي ظهرت لها سيدتنا مريم العذراء في لورد. وجرت تطويبات غيرها في مدار حبرية بيوس الحادي عشر اكتفينا بالاشارة اليها.

٦

بيوس الحادي عشر والشرقيون

لما كان السيد راتي سفيراً بابوياً في پولونية ، درس عن كثب حالة روسية بعد الثورة التي قلبت نظام الحكم فيها وعمت الخراب في ارجائها ، فاشفق قلبه عليها واخذ يفكر في الطرق التي تمكنه من مد يد المساعدة الى ذلك الشعب التعس الذي عضه الجوع بانيابه ، وكادت الاضطهادات المتواصلة تقضي عليه .

وما تبوأ السدة الرسولية حتى اخذ يسعى لتخفيف ويلات روسية ، طامحاً الى استجلابها الى الكنيسة الرومانية عمود الحق ومنارة ، فحاول في مؤتمر جنيف ان ينال شيئاً من مفوضي السوڤيات . ثم استأذن مداولة مندوبيهم في رومية. واخيراً أذِنَ لبعثة حبرية ان تذهب الى روسية لتوزيع الاعانات على تلك الجماعات التي كان يفتك بها الجوع فتكاً ذريعاً ، واذاع في العالم رسالة استدعى بها اكفّ المحسنين ، فاجابوه الى ندائه اذ قد اكتتب هو نفسه بمليوني فرنك ايطالي ، فوردت عليه التبرعات حتى بلغت العشرين مليوناً أعطيت كلها للروس بواسطة البعثة ، وبقيت هذه مثابرة على عملها الى ان منعها السوڤيات.

وكذلك توسط لخلاص البطريرك الروسي تيخون ، وطلب من السوفيات ان يبيعوه الاواني الكنسية التي كانوا ضبطوها ليبقيها للكنيسة الروسية ، وبذل كل ما يوسعه لينجي الاساقفة الكاثوليكيين والاكليروس من مخالب اولئك المضطهدين ، فوفق الله اكثر مساعيه ، وهو لا يزال من وقت الى آخر يرسل من يتفقد ابناءه المتبددين . وقد كلف مرة السيد دربيني رئيس المعهد الشرقي القيام بهذه البعثة فخاطر بنفسه واتم مهمته الشاقة بكل نجاح . كما انه انتدبه الى حضور مؤتمر فلهراد المنعقد البحث في وسائل استجلاب الاخوة المنفصلين الى وحدة الايمان ، واوعز اليه ان يطوف الشرق ليقف على احوال الكنائس فيه . ومن دلائل عنايته انشاؤه لجنة خاصة لشؤون الروس ، وتأسيسه مدرسة اكليريكية تعتني بتهذيب المرشحين للكهنوت . وقد اهتم قداسته اهتماماً خاصاً بالمعهد الشرقي ، وبالمدارس الاكليريكية الحبرية المقامة لتربية الاكليريكيين الشرقيين ، وحضّ اساقفة العالم على ترويج الدروس الشرقية ، وطلب منهم ان يرسلوا الى رومية طلبة يتضلعون من هذه الدروس حتى يقفوا على حقيقة تاريخ الكنائس الشرقية ويتشربوا الطرق التي تؤدي الى الغاية المقصودة . ولم يدع سانحة الا اغتنمها لينشط كل ما يسهل للشرقيين اطلاعهم على الحقائق ، واطرأ المعاهد التي تهتم بهذه الدروس وخصّ بالذكر منها كلية القديس يوسف في بيروت التي يديرها المرسلون اليسوعيون .

وارسل كتابات تهنئة لصاحبي الغبطة البطريرك الماروني ، وبطريرك السريان الكاثوليكيين بمناسبة يوبيلهما الفضي البطريركي . فاثنى على اعمال الاول ولاسيما مناهضته الشيعة الماسونية ، وتأسيسه راهبات العائلة المقدسة المارونيات ، وسعيه في تجديد المدرسة المارونية الرومانية ، وفضائله الممتازة ، وخصّ الثاني بتقدير عمله واجتهاده ، وسهره على شؤون طائفته الروحية .

ولما ذهب الى رومية صاحب الغبطة بطريرك الروم الكاثوليك امر صاحب القداسة بان يجري له استقبال فخم دلالة على ما لهذه الطائفة من المحبة في قلبه . ولم ينفكّ عن تنشيط الاكليريكيين الشرقيين في رومية ، ليبذلوا جهدهم في تشرّب روح الفضيلة والعلم والتعلق بالكرسي الرسولي . وقد اقام مدارس

اكليريكية للطوائف التي خلت منها كالاقباط والروس.

اما الارمن فقد ابدى نحوهم من العطف ما لا يحيق به وصف ، فانه مدهم بالمساعدات المادية ، وآوى يتيماتهم في قصره كاستل غاندولفو ، وجمع بطريركهم واساقفتهم في رومية لعقد مجمع طائفي (١٩٢٨) تحت اشرافه ، يعيدون فيه النظر في تنظيم شؤونهم الروحية. فنقل كرسيهم البطريركي الى لبنان ، وجعلت القسطنطينية مركزاً لرئيس اساقفة. ولم يبخل عليهم صاحب القداسة بما يساعدهم في ضيقاتهم . فحق عليهم ، كما على سائر الشرقيين ، ان يسجلوا هذه الحسنات بماء التبر في تواريخهم.

اما الموارنة فلن ينسوا ابد الدهر عطف صاحب القداسة الذي رفع على المذابح ثلاثة من ابناء طائفتهم ، وهم الاخوة المسابكيون الذين سفكت دماؤهم في دمشق بغضاً بالدين سنة ١٨٦٠ ، فقد طوبهم الحبر الاعظم في العاشر من تشرين الاول سنة ١٩٢٦ ، مع ثمانية رهبان من ابناء القديس فرنسيس.

وتذكر الطائفة المارونية بالشكر تنازل الاب الاقدس وامره باجراء التحقيق البداني عن عبيد الله ، الابوين نعمة الله الحرديني وشربل بقاعكفرا ، والراهبة رفقا الريس ، وعطفه على هذه الدعوى ووعده بالتعجيل فيها ايده الله وزاد مجده وفخره.

ولن ننسى اشفاقه على منكوبي الثورة في لبنان ، واهتمامه بهم ، خصوصاً اهل راشيا ، لدى الحكومة الفرنسية. ومساعيه في سبيل تأمين حقوق المسيحيين في فلسطين ، ومطالبته بحفظها وحفظ حقوق الجميع من كل تعد ، مما دعا الصهيونيين الى التخفيف من حدتهم ، والبريطانيين الى التؤدة والتأني.

٧

البابا والدول

ان علاقات الكرسي الرسولي مع الدول قد بلغت من الولاء مبلغاً عظيماً ، فاعترف مسيو جونار سفير فرنسة الاسبق لدى الفاتيكان بان البابا هو اعظم قوة ادبية في العالم . ووردت على قداسته منذ تبوئه السدة البطرسية دلائل

الاحترام من كل صقع ، وتسابق الى زيارته ملوك بلجيكة ، وانكلترة ، واسوج واسبانية ، وولي عهد رومانية ، ورؤساء الحكومات الاخرى . وعقدت في عهده معاهدات مع لتونية ، وليتوانية ، وبافارية ، وبولونية ، والبرتوغال ، واتفاق مع تشيكوسلوفاكية . ورخص بتأليف مجالس ابرشيّة في فرنسة بعد الاتفاق مع حكومتها على تأمين سير هذه المجالس بموجب القوانين الكنسية ، وحرم اعمال وتعاليم «الاكسيون فرانسيز» وجريدتها الوبيلة .

الا ان حالة المكسيك كانت تشغل باله ، فسعى جد السعي لتخفيف وطأة الاضطهاد عن الكاثوليكيين . فلم يقتنع مستلمو زمام الامور ولم يرعووا ، فاذاع رسالة عامة ابان فيها حالة المكسيك وجلا اسباب الاضطهاد ، ودعا الجميع الى التوسل اليه تعالى لقصر ايام الشقاء والاضطراب .

اما الحادث التاريخي الهام الذي سيكون منه التأثير العظيم في الحالة الدولية ، وحالة الكنيسة الكاثوليكية ، ومملكة ايطالية خصوصاً ، فهو الاتفاق الخطير الذي وقعه ، في ١١ شباط الماضي ، في قصر مار يوحنا لاتران ، الكردينال غسباري وزير الدولة البابوية ، والسنيور موسوليني رئيس حكومة ايطالية . وفيه تعترف ايطالية بسيادة الحبر الاعظم السامية على «حاضرة الفاتيكان» وتقرّ باستقلاله المطلق الحقيقي ، وتلغي شريعة الضمانات ، وتتصرف ازاء الحبر الاعظم تصرفها مع الدول المستقلة الحاكمة ذاتها بذاتها . واضيف الى ذلك اتفاق يقرّ حالة الكنيسة في ايطالية على اسس راهنة ، ويثبت حقوقها الجوهرية في تدبير شؤونها وشؤون الكاثوليكيين من حيث الروحيات ، ويعترف للكنيسة بحقها الاسمى على عقد الزواج ، ويسهل لها تلقين الشبيبة المبادئ المسيحية ، الى غير ذلك مما لا يسعنا تعداده في هذه العجالة ، وقد افرد «المشرق» مقالة خاصة بهذا الموضوع . ولا ريب ان هذا الاتفاق هو اعظم الحوادث التاريخية في هذا العصر ، وزينة يوبيل صاحب القداسة الكهنوتي الذهبي . متعنا الله باطالة حياته السعيدة ! وكلل مساعيه باكلة النجاح لمجده تعالى ، وفخر الكنيسة ، وخير النفوس ، وتعزيز الكثلكة !

امالي السنة : ٣

الحجّ والرقص

بقلم الاب مرمرجي الدومنيكي
من اساتذة المعهد الكتابي والاثري الفرنسي في القدس الشريف

١

المشهور بين علماء « الألسُنيَّة الساميَّة » ان العربيـة محافظة على القديم ؛ ممّا جعلها اشبه اخواتها باللغة الساميَّة الامّ . وهذا عين الواقع في غالب الاحوال ، ولاسيما من حيث الاصول الصرفية النحوية . اما من حيث قدم معاني الالفاظ ، فالعربية قد تقصر ، بعض الاحيان ، عن مقابلة ، بل قل عن مجاراة شقيقاتها ؛ وذلك لانها دوّنت آخر جميعها . فبفعل التطوّر الملازم طبيعة اللغات ايّة كانت ، قد استحدث للكلمات فيها معانٍ ، وهُجرت فبادت معانٍ ؛ فلم يكن لها وجود عصرَ تدوين المعاجم ؛ او ان المدوّنين لم يدرجوها في اسفارهم ، امّا سهوًا ، وامّا لغاية في النفس . ودونك مثالًا على هذا القول لفظة « الحج » التي قصدنا البحث عن اصلها ، طبقًا لاصول الألسُنيَّة .

اذا كشفت عن كلمة « حجّ » في كتب اللغة العربية ، فلا تقف لها سوى على معنى القصد او الاتجـاه او الزيارة او التردّد ، من باب الاطلاق ؛ ومعنى الذهاب الى مكة قصد النسك ، من باب الحصر[1] . والحال اننا لنجد بونًا شاسعاً بين هذه الدلالة المتأخرة ودلالتها الاولية العريقة في القدم ، حين درسنا اياها في بقية اللغات السامية . ولكي نطلعك على السبيل الطبيعيّ الذي سارت فيـه هذه اللفظة ، في تطوّر معانيها ، على مـدى الاجيال ، يجدر بنا ان نرقى الى اصلها فنقول :

١) راجع لسان العرب ج ٣ ، ص ٤٨ وما بعدها ؛ وتاج العروس ج ٢ ، ص ١٦ و ١٧

الذي لاح لنا ، شخصياً ، بعد التقصي المنطقي اللغوي ، ان مادة (ح ج) الثنائية[1] «اسم صوت طبيعي» ، اذ معلومك ان الانسان يعيش بالهواء الداخل الى رئتيه والخارج منهما. فاذا برز هذا الهواء بدافع الطبيعة سُمّي «نَفَساً» ؛ واذا صدر بالارادة ، او بقوة عارض خارجي يوجّه ، كتصادم جسمين ، دُعي «صوتاً» ؛ واذا تكيّف الصوت بكيفيات خاصة ، أُطلق عليه اسم «حرف». هذا وان جرى التنفس ، لمؤثر من المؤثرات ، صدر الصوت «كحرف الهاء» ؛ واذا كان الجهد شديداً عنيفاً ، جاء الصوت «كحرف الحاء» ؛ وهو الذي نلاحظه عند تضايق النفس ، او لدى الركض ، او حين مزاولة مهنة تضطرّ صاحبها الى المبالغة في صرف القوة ، كمهنة كسّاري الخشب ، او دقّاقي الارزّ ، او الحدّادين وغيرهم. فانهم عند كل ضربة او دقة او طرقة ينزلونها في مادة صنعتهم تسمعهم يخرجون من فيهم صوتاً هو صوت «الحاء» ، وان سألتهم عن ذلك اجابوك انهم يجدون فيه تخفيفاً لعناء الجهد المُجبَرين على بذله في عملهم . ومما يزيد في تعليل النصَب هو سدّ الفم وطبق الاسنان ، بعد اصدار الصوت ، مما يلزم له الوقوف على حرف صحيح قوي مثل القاف او الكاف او الكّاف . وهذا ما جعل ان يكون اسم الصوت المذكور ، عند تلك الفئة من العمّال ، مركّباً من حرفي الحاء والكّيم[2]

فاذا علمت هذا ، نوقفك على امر آخر ضرورية معرفته لبحثنا ، فنقول :

١) او بالاحرى (حآ.كّيم) كما هي في جميع اللغات السامية الاخرى ، وفي العربية الجنوبية ، اي السبئية او الحميرية ، وفي المصرية السامية الحالية.

٢) في العراق ضرب من السفن الشراعية تدعى الواحدة منها «مَهَيلة جمعها مَهَايِيل» تُستخدم للنقل. ونذكر اننا حين كنا نخيّم ، او نسكن الدور ، على ضفاف دجلة في ضواحي بغداد كما هي عادة الاهلين فيها ايام فصل الخريف ، كنا نرى طائفة من ملاّحي هذه «المهايِيل» عند عودتهم من سفرتهم الى الجنوب ، مشططين النهر صعوداً ، ساحبين «المهيلة» بالقلس ؛ وكثيراً ما كنا نسمعهم يكرّرون بعد زعيمهم بعض الكلم ، منها هذا الصوت الذي نحن في صدده وهو «حكّ حكّ» : ولم يكن ذلك منهم ، دون ريب ، الّا تخفيفاً لما يكابدونه من العنآء في عملهم الشاقّ الذي يدوم ساعات بل اياماً . اجل ان الكلمة المذكورة هي «حق» من الاسماء الحسنى ، يبدونها طلباً لمعونة الباري ، ويلفظون قافها كافاً حسب اللهجة العراقية ، الّا ان الصوت فيها والغاية المتوخاة منها هي عين ما قلناه في شأن «الحكّ» اي الحج.

من الغرائز الطبيعية في ابن آدم ، في جميع اطواره البشرية ، ولاسيما الفطرية والبدوية ، هي غريزة الرقص الذي يتمّ بحركات وصياحات وضجيج وتصفيق بالايدي وضرب بالارجل . وقد تولّد الزفن عند الشعوب القديمة من حاجة الانسان الى التعبير ، في الخارج ، عن حاساته الداخلية . لان العواطف ، اذا بلغت مبلغاً زائداً من الشدّة ، أثّرت في البدن فحرّكته ؛ واذا تمّت هذه الحركات بنظام وتنسيق نتج عنها الرقص[1] . ومما يضارع الرقص منشأً هو اعراب المرء عن شعائره بالالفاظ والاصوات التي ، اذا ضُبطت بقواعد واوزان، صدر عنها الشعر والموسيقى . ولاجل ذلك نرى هذه الفروع الثلاثة من الفنون الجميلة اي الشعر ، والموسيقى ، والرقص ، غير منفكّة بعضها عن بعض في جميع العصور ؛ وقد استعملها الناس في عامة احوالهم المدنية والدينية[2]

ففي الظروف المدنية ، نلفي الرقص جارياً بعد الحصاد وجني الاثمار ؛ وعقيب النصر في الغزوات والحروب ؛ وفي زمن السلم ، ايام الافراح ، كالولائم والاعراس ، والمواسم والاعياد . وهذه التوراة تخبرنا عن فرص عديدة حدث فيها الرقص ، فقد رقصت مريم اخت موسى ورفيقاتها بالدفوف ، بعد عبور البحر الاحمر[3] ؛ وبنت يفتاح ، بعد كسر ابيها للعمونيين[4] ؛ ونساء اسرائيل عقيب صرع داود لجلياد[5] ؛ وجاء الفلسطينيون بشمشون فارقصوه عند ختام وليمتهم[6] . وينبئنا الانجيل عن وقوع الزفن والغناء في مأدبة ابي الابن الشاطر بعد عودته تائباً[7] ؛ وعن رقص ابنة هيرودية ، يوم ولادة هيرودس[8] . وهذا امر جارٍ اليوم عند كل الامم ، كما كان جارياً عند القدماء .

على ان الرقص كان ايضاً من رتب الدين ؛ إمّا لمرافقة الغناء والموسيقى[9]

---

١) اطلب كتاب: *La religion primitive, par* Mgr le Roy, *p. 301*

٢) *Dictionary of the Bible, T. I, by* Hastings. *pp. 549, 550*

٣) خروج ١٥ : ٢٠

٤) قضاة ١١ : ٣٤

٥) ١ ملوك ١٨ : ٦ و٧

٦) قضاة ١٦ : ٢٥

٧) لوقا ١٥ : ٢٥

٨) متى ١٤ : ٦

٩) ملوك ١٨ : ٧

واما كواسطة لاشتراك الجسد مع النفس[1] في آداء العبادة لله ، وقد كان مألوفاً في الاديان الباطلة ، كما في الدين الصحيح . في الاديان الوثنية كان الرقص من اهم الامور : فالمصريون كان عندهم لخدمة الآلهة جماعات من المغنيات والراقصات ، وكان الكنعانيون يرقصون في تعبدهم لعشتروت ؛ واليونانيون في تكريمهم أدونيس ؛ والرومانيون كانوا يدعون الكهنة (Salii) وهو اسم مشتق من الفعل اللاتيني (Salire) ومعناه « الرقص » . امّا العبريون فقد فعلوا كبقية الشعوب ، سواء في خدمتهم الاله الحق ، او عند حيادهم عن سبيل عبادته . فقد رقص الشعب كله حول العجل الذهبي ، حين استبطأوا نزول موسى من الجبل[2] ؛ وفي زمن ايليا رقص كهنة البعل حول مذبحه[3] ؛ وبنات شيلو رقصن في عيد من اعياد يَهوَه[4] ؛ وداود امام تابوت العهد ؛ وكان الرقص رتبة من رتب الهيكل ، وعملاً من الاعمال المهمة في اعياد اليهود جمعاء .

اما كيفية الرقص عند القدما فلا تعرف تفاصيلها بالتدقيق ؛ الّا انه من السهل تصوّرها . فانه ، ولا ريب ، كان الرقص عند الساميين عامة ، وعند اليهود خاصة ، كما هو جارٍ اليوم في بلادنا بين اهل البادية والقرى وطبقة العامة في المدن . ولنا مثال على بعض انواع في الرقص المدعوّ « الدَّبكة » فانه يتم على نغمات المزمار (الشبّابة او المُطبِج ، في عرف البدو ؛ وهو المزمار المركب من قصبتين ملتصقتين وفي كل منهما عدة ثقوب) ؛ فيرقص واحد وحده ؛ او

١) ترى اليهود ، حتى في ايامنا ، يكادون يرقصون وقت العبادة ، بنوع يحمل الناظر على الضحك دون عمد منه : فانهم يحركون ، بخفة وتكارير ، جميع اعضائهم : رؤوسهم ، اكتافهم ، ايديهم ، ارجلهم ، بحيث يقفون على رؤوس اصابعها ؛ كل ذلك ، على راجم ، اشراكاً للجسد مع النفس . يشاهد هذا كل مساء ، ولاسيما ليلة السبت ، من يحضر صلاتهم ، في القدس عند « مَيكاهم » . (اي حائط هيكل هيرودس ، المدعو عند المسلمين « البُرَاق » حيث رُبط جبريل مرافقُ محمد ، على رواية الحديث ، دابة المعراج ، المسماة « البُرَاق » (وهذا الاسم كنّي عن الحائط .) ليلة الاسراء : كما جاء في القرآن : (سورة الاسراء : ١) « سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا ، انه هو السميع البصير . » وغير خافٍ ان المسجد الحرام هو جامع كعبة مكة : والمسجد الاقصى هو الحرم الشريف في القدس

٢) خروج ٣٢ : ٦ ، ١٩

٣) ١ ملوك ١٨ : ١٦

٤) قضاة ٢١ : ٢١

اثنان متقابلَين ؛ او جملة اشخاص متكاتفين واقفين صفّين متآزيين ؛ والنوع الاكثر شيوعاً هو الرقص بهيئة حلقة ، ينتصب المزمّر في وسطها . ويكون ذلك بنوع من الايقاع ، بحيث ان الجميع يرفعون مقدّمين او مؤخرين معاً ، تارةً الرجل اليمنى ، وتارةً الرجل اليسرى ، فيضربون بها الارض ضرباً شديداً . وهو امر يستدعي الجهد المتواصل ، ومن ثم التنفّس العنيف ؛ فيسمع ، اذ ذاك ، من افواه الراقصين قاطبةً ، ما يسمع من افواه الحدّادين ودقّاقي الأرُزّ ، وكسّاري الخشب ، اي اسم الصوت الذي ذكرناه ، وهو «حكْ حكْ» ؛ وذلك لان عمل الراقصين ، وعمل اهل تلك المهن ، متشابهان من حيث العناء المطلوب وهذه الطريقة ، طريقة الرقص ، هي التي نشاهدها في الاعراس والولائم والاعياد المدنية والدينية ، عند بعض الطوائف . مثال ذلك ما نراه كل سنة ، في القدس الشريف ، ايام « موسم النبي موسى » عند المسلمين ؛ حيث يتقاطر جماهير مجمهرة من جميع نواحي فلسطين . فان هذا الموسم بما يجري فيه من الغناء والموسيقى والرقص ، لصورةٌ حية ، بل قل مواصلة غير منقطعة لما كان يصنعه اجدادنا الساميون ، من عرب ويهود وارميين وكنعانيين وفنيقيين ، ولاسيما في عصر بداوتهم . ومما يشبه ذلك هو ما يأتيه حتى الآن عوامّ الروم الارثدوكس وغيرهم من الطوائف الشرقية المنفصلة عن الكنيسة الكاثوليكية ، كلَّ عام ، يومَ سبت النور ، حين ينتهكون — ويا للاسف — حرمة كنيسة القيامة ، بما يستبيحونه فيها من الاعمال التي لا تختلف عن الاعمال الوثنية .

١ً فانت ترى ان الرقص ، ولاسيما الرقص الساميّ الشرقيّ ، يطلب كثرة عناء ، واجهاد نفس ، يسمع معه ، بضرورة الطبيعة ، اسم صوتٍ مثل « حَكْ » . وهذا اول طور لمعاني كلمة « الحجّ او الحكّ » .

٢ً واذا كان الامر كذلك ، فلا غرابة اذا وجدنا الزفنَ مُطلقاً عليه اسمُ الصوت الصادر وقت إدائه . كما ان غير افعالٍ ، في جميع اللغات ، تصاغ من اسماء الاصوات ؛ مثال ذلك في العربية ، « أفّ » كلمة تكرّه وتضجّر ، صدرَ عنها فعلُ « أفّ » : قال أفٍّ من كربٍ او ضجرٍ او ألمٍ . وكذلك : « آهْ » صوت توجّع ، جاء منهُ فعل « أهّ » : توجع الكئيبُ فقال آه . فعلى

هذا المنوال انتقل معنى اسم الصوت « حكُ » الخارج وقت الرقص ، الى معنى الرقص عينه ، فصيغ منهُ حجّ او حَكُ . واول لغةٍ ساميةٍ نجد فيها كلمة « حكُ » بمعنى رقصَ هي العبرية ؛ فقد ورد في سفر سموئيل ما يأتي : « فنزل بهِ ، فاذا بهم منتشرون على وجه الارض ، يأكلون ويشربون « ويرقصون » ، لما نالوه من الغنيمة الوافرة » ولفظة «يرقصون» العربية هي ترجمة «Hogegion» التي في الاصل العبري . ولم يستعمل المترجم العربي فعل « حجّ » لتأدية معنى الرقص ، لان « حجّ » لا تدلّ على الرقص في العربية المدوّنة في المعاجم.

امّا الارمية ، او السريانية ، من باب التقييد ، فقد حفظت للفظة هذه ، المدلول المذكور في العبرية ؛ اذ نجد في معجم بربهلول ما هذا تعريبه : « Haggâ » رقصُ الرجال والنساء وهم ماسكون بعضهم بايدي بعض اعلانية »

٣ وبما ان الرقص غالباً ما يكون على شكل حلقة ، دلّت لفظة «حكُ» على حلقة الراقصين ، ثم الدائرة او الدوران ، وذلك بالحرف الثاني ، في العبرية والارمية[1] ؛ واتفقت على تعبيرها عن الادارة والاحاطة كل اللغات السامية ، بصيغتها الثلاثية التي زيد فيها على الثاني « ح ج ، hag » حرف الراء او اللام الشفهيين . من ذلك في العربية من مادة (ح ج ر) : حجَر القمرُ صار حوله دائرة في الغيم ؟ والحجورة لعبة للصبيان يخطّون « خطاً مدوراً » ويقف فيه صبيّ ويحيطون به ليأخذوهُ . ومن مادة (ح ج ل) الحجل : الخلخال ، القيد ، بياض يحيط برجل الفرس[2] . وفي الارمية ، من الثاني : Hgâ دار ، طاف ؛ و Haggi دار في البيعة بزياح ؛ و Hugta دائرة ، هالة القمر . ومن الثلاثي Hgal ادار ، سوّر ، قيّد ، و Huglâ حجل ، خلخال[3] . وفي الحبشية ، من الثلاثي Hagar احاط ، شدّ . و Hagal احاط ، حاصر[4] . وفي الاكدية

---

١) *Nouveau dictionnaire complet hébreu-français par* Elmaleh, *Col. 439*
ومعجم دليل الراغبين في لغة الاراميين ، للمطران متّا الكلداني ، ص ٢١٨

٢) لسان العرب ج ٥ ، ص ٢٦١ وما بعدها : و ج ١٣ ، ص ١٥٣

٣) دليل الراغبين ، ص ٢١٨ و٢١٩ : ثم *Thesaurus syriacus, auctore* P. Smith

٤) *Lexicon linguæ æthiopicæ, auctore* Auguste Dillmann, *Col. 130*

(الاشورية البابلية) agâru (اصله Hagâru) سوّر ، احاط[1] . وفي العبرية Hâgar حوّط ، شدّ[2] .

٤ ولما كان الزفن ، الناشيء عن الفرح والاغتباط ، يجري ايام المواسم والاعياد ، اتخذ لفظ «حاگ» بمعنى الاجتماع والاحتشاد ، والموسم والعيد . وقد استعمل ذلك كثيراً في الاسفار المقدسة ، سوآء في الاصل العبري ام في الترجمة السريانية البسيطة[3] . اما العربية ، فلم يأتِ فيها لفظ «الحج» بمعنى العيد ، اللهم الّا عند بعض المصنفين او المترجمين ، كالمقريزي في خططه ، وسعديا بن يوسف الفيومي اليهودي في تعريبه اسفار موسى الخمسة . بيد اننا نتصور ان ذلك من تأثيرات اللغة العبرية ، كما استعمل السريان وغيرهم في كتبهم العربية الفاظاً اصولها سامية لكنها ليست عربية بل سريانية كقولك : السَّحَر (الرسل) ، والصَّفْر (صلاة الصباح) ، والرَّمْش (صلاة العصر) ، والسَّتَّار (صلاة العشآء) . فقد جآت اللفظة المسفورة في كلام المقريزي منسوبةً الى اليهود (خطط ج ٢ ، ص ١٧٤) « وفيه عيد الموقف وهو « حجُّ » الاسابيع » وترجم سعديا نص الخروج (٣٤ : ٢٢) و « حجُّ » الاسبوع تصنعه لك بكور حصاد الحنطة ؛ « وحجُّ » الجمع في نهاية السنة »[4] . وانت ترى انه عبّر عن معنى العيد ، في العربية ، بكلمة « hag » العبرية . واما الحبشية ، فالمحتمل ان حرف « hag » جآء فيها بمعنى العيد[5] . في حين ان الاكدية لم يرد فيها قط «hag» الثاني ؛ ولا يظهر من المستندات المسمارية ان الرقص كان كثير الشيوع في اعياد ومواسم الاشوريين البابليين . (للبحث صلة)

---

١) *Babylonisch. Assyrisches Glossar, von* Carl Bezold. *p.16*

٢) *Hebraisches & Aramaisches Handwarterbuch von* Gesenius

٣) راجع الآيات الآتية في النص العبري ، وفي الترجمة السريانية البسيطة : قضاة ٢١ : ١٩ و٢١ – اشعيآء ٣٠ : ٢٩ – خروج ٣٤ : ٢٢

٤) *Œuvres complètes de* l'en Saadia ben Yosef Al-fayyoumi *publiées sous la direction de* J. Derenbourg. *Paris, 1893. Vol I. Version arabe du Pentateuque, p. 182*

٥) معجم دلّن الحبشي اللاتيني في الموضع المذكور آنفاً .

الاسكندر الكبير في صيدا

بقلم الامير موريس شهاب
امين دار الآثار اللبنانية

الاسكندر والفرس

دوّخ ملوك الفرس جميع اقطار العالم المعمور ، فدانت لهم العباد . وكان الفينيقيون في طليعة انصارهم ، فما قاموا بحملة بحرية ، ولا اشتبك القتال بينهم وبين اليونان على سطح المياه ، الا كان للمراكب الفينيقية القسم الاوفر في اسباب الغلبة والنصر .

على ان المدنية تعمل ما لا يعمل السيف . فان الفينيقيين ، على انتصارهم لملوك الفرس ، كانوا على اتصال دائم بالشعوب اليونانية ، يتلقنون عنها طرق التمدّن ، واساليب الفنّ . ومنذ القرن الخامس قبل المسيح ، يرى المرء تأثير الفن اليوناني في الصناعة الفينيقية ، وكفانا ادلة على ذلك ما نراه في اكثر نواويس ذاك العهد . فسواء كان في صيدا ، او في جبيل ، او في غيرهما من المدن الساحلية فاننا نرى الناووس الرخامي منحوتاً على شكل المومياء المصرية الّا رأس الميت فهو ظاهر على الطرق اليونانية . ومن هذه النواويس العدد الكبير في متحف بيروت ، ومتاحف اللوفر ، والقسطنطينية ، ومجموعة فورد وغيرها .

ومن مظاهر التأثير اليوناني ايضاً ان شتراتون ملك صيدا في القرن الخامس قبل المسيح ، كان يلقب بفيلهيلين اي محب اليونان وكفانا بهذا اللقب دليلاً على ما كان لليونان من النفوذ على اهل فينيقية في ذلك العهد .

فلو اردنا بالاختصار وصف حالة فينيقية في القرنين الخامس والرابع قبل

المسيح ، لقلنا فيها انها نصيرة الفرس في الحرب ، وتلميذة اليونان في الفن والفكر .

ولقد طال ملك الفرس وتعددت انتصاراتهم ، وقويت شوكتهم ، حتى ظنّ الناس ان لا نهاية لسلطانهم ، ولا قوة في الارض تسطو على قواهم . ولكن

هي الدنيا تقول بملْ فيها حذارِ حذارِ من بطشي وفتكي

وقد ظهر بطشها وفتكها بقيام الاسكندر المكدوني ، وطموحه الى عرش فارس . ولكن من كان المكدوني هذا ؟ وما كان مقامه ازاء اولئك الملوك ، وفي قصورهم من الامراء من كانوا اعظم شأناً من امير مكدونية وارفع قدراً ، وكانوا يتسابقون للتشرف بخدمة داريوس ، والتذلل امام جبروته . على ان النصر بيد الله يؤتيه من يشاء . فلم يطأ الاسكندر ارض آسية الا تقدّمه الحظ ؛ فقاده من ظفر الى ظفر . وما هي الا اقل من السنتين حتى احله في كبادوكية . وكأن نجمَ الاسكندر اراد مداعبته والدلال عليه . فبعد حمام في النهر ، اصابت الاسكندر حمى خبيثة كادت تكون القاضية . فطارت البشرى لعدوّه داريوس . فظن هذا ان فيها نصراً مبيناً . فقام بجحافله وفرسانه ينتهز الفرصة ليقضي على المكدوني . ولكن مرض الاسكندر كان اشبه براحة الاسد وتحفّزه قبل الوثوب . فما اخبرته الجواسيس أنّ داريوس قام اليه بجيش عرمرم حتى حمد الالهة ، وقام يسابقه الى مضايق سورية . وقد رأى في اسوس (وموقعها على خليج الاسكندورنة) خير ميدان للنزال : البحر من جانب ، والجبل من آخر ، وبين الاثنين مجال يضيق على جيش داريوس وفرسانه فيستحيل عليهم التقلّب فيه .

غلب الفرس على امرهم فتبدد شملهم وانهزم ملكهم داريوس يسابق الرياح على اكرم الجياد ، وقد ترك في ايدي العدو أمه ، وزوجته ، واولاده ، ودعيت هذه المعركة بوقعة اسوس ، وحدثت في تشرين الاول من سنة ٣٣٣ قبل المسيح .

هذا ما كان من امر داريوس . واما الاسكندر فبدلاً من ان يلحق بالعدو امر جيوشه بالزحف على فينيقية ، كي يمتلك ملاجئ الاساطيل الفينيقية ، ويأمن شر عدوٍّ يغدر به من الوراء .

وصول الاسكندر الى صيدا

وما زالت المدن الفينيقية الكبيرة كارواد ، وعمريت ، وجبيل ، تخضع له الواحدة تلو الاخرى ، حتى اطل جيشه على صيدون.

وكانت صيدا وقتئذٍ في اوج مجدها. وقد جعلها حاكم سورية الفارسي قاعدة لحكمه. وبنى فيها قصراً على النسق الفارسي ؛ خطّاه غبار الزمن الى ان وجد العالم الاثري دينان (Dunand) بعض اعمدته تكلّل رؤوسها الثيران الراكعة ، فاتى بها دار الآثار في بيروت . وكان الاميركان قد وجدوا ما شابهها ، ولا تزال هذه الرؤوس في مجموعة فورد في صيدا.

ولما وصل الاسكندر الى صيدا ، كانت المدينة تخضع لملك يقال له شتراتون، وربما لخص هذا الاسم عن «عبد عشتروت». وشتراتون هذا حليف لملك الفرس ، أمين له ، فابى ان يخون مولاه داريوس ويسلم المدينة . ولكن الشعب الصيداوي ، وكان يكره الفرس ويفضل اليونان عليهم ، اجبر الملك على ان يسلم المملكة للاسكندر الفاتح ، ويتنازل عن الملك ، ففعل مكرهاً. وكان للاسكندر اخ بالرضاعة يدعى افستيون ، فطلب منه ان ينتخب ملكاً على صيدا من يراه جديراً بذلك . وكان افستيون قد نزل ضيفاً على اخوين من اعيان البلد ، فعرض عليهما ان يقبلا التاج. ولكنّ نفسها الابية هابت ان تتحلى بما لا حقّ لها به ، فشكرا لطف افستيون ، واجاباه انّ العادة جرت في بلادهم ان لا تعطى السلطة الّا لمن كان من العائلة الملكية. فدهش افستيون لما رأى بها من الشهامة ، وقال لهما: «ايها الرجلان الابيّان يا من فهمتما انه اشرف للمرء رفض تاج الملك من قبوله ، اليس لديكما رجل اعطيه السلطان ، فيذكر انكما توجتما رأسه ؟» فافتكر الشابان حيناً وقد فقها خطورة الحال ، لاسيما وقد نظرا جمهور المتزلفين لافستيون يزداد يوماً فيوماً طمعاً بالعرش . فقالا لضيفهما : لا نرى اجدر بالعرش من رجل يقال له «عبدولونيم» ، وهو من افراد الاسرة الملكية. وقد اخنى الدهر عليه ، فبات يشتغل في بساتين صيدا كعامل مأجور . فامرهما

افسيون باحضاره. فجدّ الاخوان في طلب عبدولونيم حتى وجداه في احد البساتين وهو بحالة يرثى لها، فقال له احدهما: «دَعْ عنك هذه الثياب القذرة، وليكن لك قلب الملوك». فظن عبدولونيم انها يهزءان به وأنبهما على ذلك. ولكنهما طيّبا خاطره وخلعا عليه الوشاح الملكي.

وما طار الخبر في صيدا حتى التفّ جمهور الحسّاد حول الاسكندر وجعلوا ينتون على عبدولونيم. فارسل الاسكندر في طلبه، وحين امتثل بين يديه قال له الاسكندر: «ارى ان ملامحك تدلّ على اصلك الرفيع، فهل لك ان تشرح لي كيف تسنى لك الصبر على بؤسك؟» فاجابه عبدولونيم: «ليت الالهة ترزقني الصبر ذاته لأتحمّل مشاقّ المجد الذي رفعتني اليه!» فاعجب الاسكندر بجوابه، وامر باعطائه جميع كنوز الملك المخلوع شتراتون. وانعم عليه بقسم مما غنمه من الفرس، ووسّع نطاق مملكته، فكان له خير الصديق.

وقد نقل الينا الكاتب الروماني كوانتوس كورسيوس خبر فتح الاسكندر للبلاد الفينيقية، وروى بتفصيل حادثة احتلاله صيدا وجعله عبدولونيم ملكاً عليها.

ناووس الاسكندر

مضى على ذاك الحادث اكثر من عشرين قرناً. واذا بحسن الحظ يفتح منارة في بساتين صيدا، فيأتيها الاثري التركي حمدي بك، ويستخرج منها عدداً من النواويس الرخامية وغيرها ينقلها باجمعها الى الاستانة حيث بُني لها متحف خاصّ.

وصفه

وبين هذه النواويس ناووسٌ من الرخام الابيض يعدُّ اليوم من اجمل تحف الفن اليوناني لِما عليه من بديع النقش عُرف «بناووس الاسكندر». وهو مستطيل الشكل، له غطاء ذو جهتين مثلّثتي الزوايا، حفّته على جميع جوانبه رؤوس الحيوانات والاشخاص، وربضت على اطرافه الاربعة اسود فاغرة افواهها. وقد احاط بهذا الغطاء افريز من ورق العنب يدهش العقول لقربه من

صورة الورق الطبيعية حتى كانه رسم لها. ويرى المطالع ذلك في الرسوم الاول، والثاني، والثالث.

وعلى احد جوانب الناووس الكبرى نقوش تمثل وقعة انسوس في غاية احتدامها: فيرى المرء الاسكندر متقبطاً رأس الاسد الدالّ على ان المكدوني سليل الاله هرقل (الرسم ٤). وقد وثب جواد الاسكندر فوق جثة قتيل فارسي، فهجم على خيّال من الفرس خرّ به حصانه صريعاً. وامام هذا الفارس ستة عشر مقاتلاً بين فرسان ومشاة يقتتلون جموعاً او افراداً.

وعلى الجانب الثاني الكبير مشهد صيد الحيوانات الضارية، وفي منتصف المشهد اسد يهاجم حصان خيّال فارسي (الرسم ٥) وقد لكز الاسكندر جواده مسرعاً لاغاثته، ووراءه الحشد من فرس ويونان. وكلاب الصيد تتراكض للهجوم على الاسد. وعلى شمال الناظر يوناني وفارسي يهاجمان ذكراً من الايل يشهق جزعاً. وقد اندفع يركض.

وعلى جهات الناووس الصغيرة مشهد صيد الفهد، ومشهد قتال بين الفرس واليونان.

وقد طلي هذا الناووس باجمل الالوان، فعلاوة على ما في النقش من الحياة والحركة، ترى في نظر الاشخاص ما يزيدهم حياةً ويدفع الى العجب.

وقد تساءل العلماء في اصل هذا الناووس أهو من صنع الفينيقيين ام اليونان؟ ففيه من الفنّ اليوناني ما لم يأتِ به احسن ارباب فنهم مما لا يسمح لنا بالقول انه من صنع الفينيقيين، وهم لم يتفوّقوا على اليونان بأمر الفنّ. ولكن كيف يكون هذا الناووس من صنع بلاد اليونان وقد نقل منها الى صيدا، ولم يتحطّم منه اقل نقش مع كثرة الاشخاص النافرة؟ فالراي الراجح هو إما انه كان في صيدا من العمال من تتلمذ لليونان، واخذ عنهم، فعادلهم بفنه. واما — ولعله الارجح — ان يكون ملك صيدا اتى مدينته بارباب الفن اليوناني. ومن العجب ايضاً ان هذا الناووس ليس وحيداً في بابه، بل هناك مما حمل الى الاستانة من النواويس ما اتقن صنعه ووفاق جماله، وان لم يعادل ناووس الاسكندر جمالاً.

ما يرمز اليه

بقي علينا ان نذكر ان هذا الناووس نُسب للاسكندر ، لا لأن المكدوني دُفن فيه ، بل لان في مشاهده رسوماً عديدة للاسكندر . وقد اجمع العلماء على ان هذا الناووس جعل مدفناً لعبدولونيم الذي توّجهُ الاسكندر ملكاً على صيدا . وذلك لان احد المشاهد يمثل حرباً بين اليونان والفرس ، والمشهد الآخر يمثل الفرس واليونان متآخين في صيد الوحوش . فالراجح ان عبدولونيم ملك صيدا اراد ان يذكر بذلك ما كان بين الفينيقيين واليونان من العداوة ، وانهم اشتركوا مع الفرس في معركة اسوس ؛ او انه اراد ان يذكر انتصار الاسكندر الباهر في معركة اسوس . وعلى الجهة الثانية مثّل ما اولاه الاسكندر من الصداقة معبراً عن ذلك بمشهد صيد اشترك فيه عبدولونيم مع الاسكندر وحاشيتها في مطاردة الوحوش الضارية كالاسد ، والفهد ، والايل .

وقد اسعدني الحظ برأى هذه التحفة لا بل التحف البديعة ، نظراً لما في كل شخص من الشكل المختلف عن الشخص الآخر . ومع شكر الاقدار التي سمحت لي بدرس هذه البدائع عن قرب في متحف القسطنطينية ، لم يسعني ان انظر اليها الا وفي القلب غصة حين افتكر ان تحفنا ، كخيرة شباننا ، قد هجرتنا الى بلاد الغير .

(المشرق) يشاطر حضرة الكاتب اسفه لفقد تلك الروائع الفنّية ، ويرجو من حكومتنا العزيزة ، وقد برهنت مرّات عديدة عن رغبتها في تعزيز الفنّ ، ان تتفضل وتطلب من حكومة انقره ان تعطينا ، هبةً او بيعاً ، قالباً عن تلك النواويس اللبنانية المصدر ؛ فتزيّن بها المتحف اللبناني ذاكرين معتبرين . . .

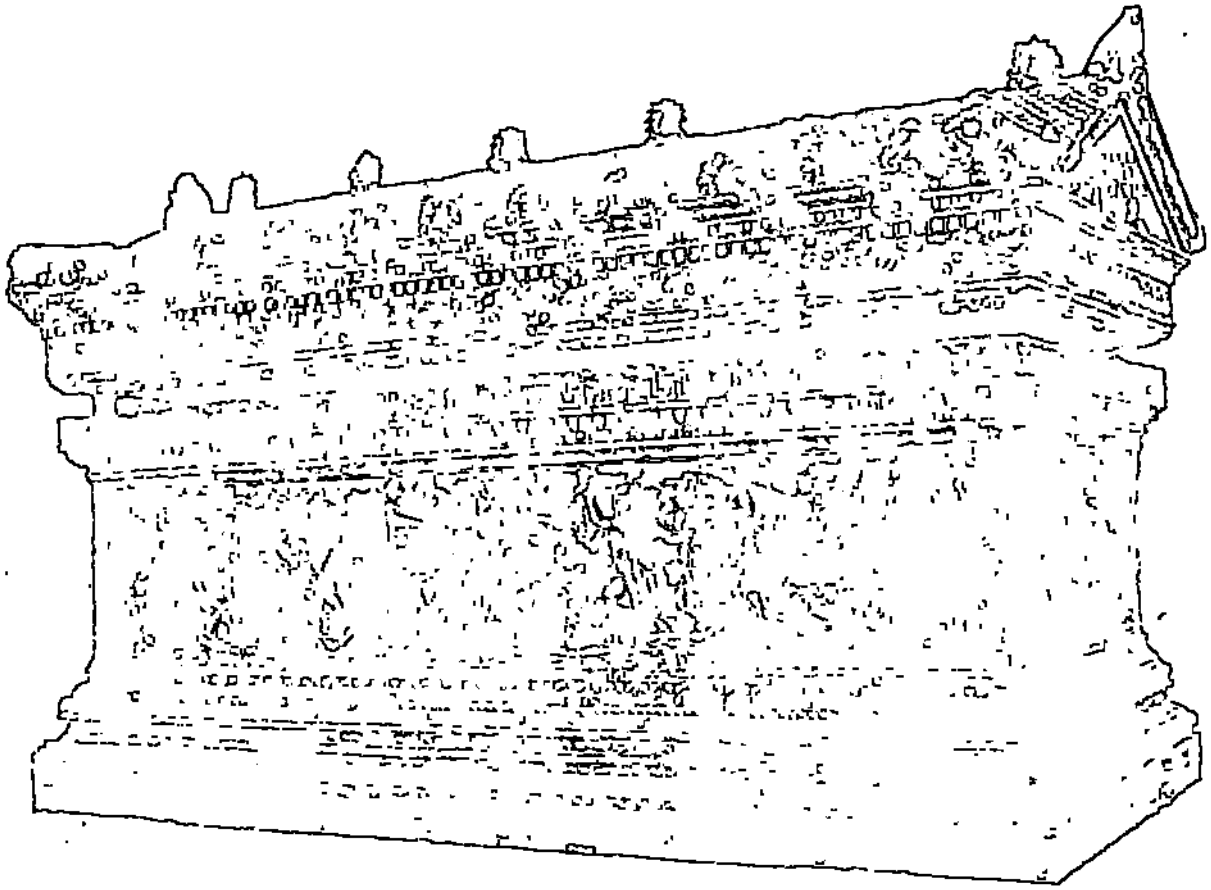

الرسم ١ : منظر عام لناووس الاسكندر الكبير كما وجد في صيدا

الرسم ٢ : منظر قمة الغطاء من الجهة الجنوبية

الرسم ٣ : منظر احدى زوايا الغطاء وعليها شخص أسد ، وهي من الجهة الجنوبية الغربية

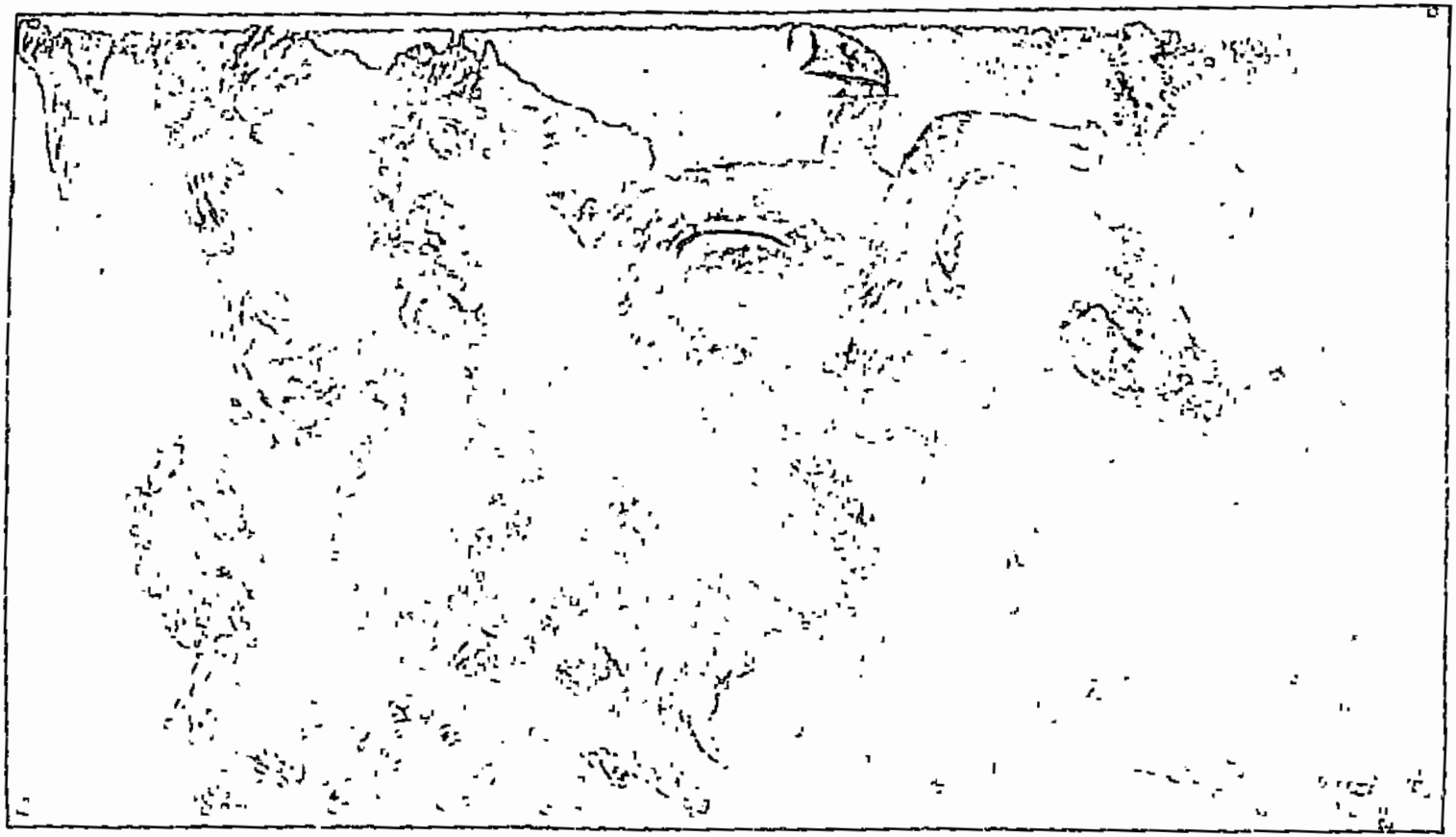

الرسم ٤ : مشهد من الجانب الشرقي للتاووس يمثل الاسكندر في معركة اسوس وقد وثب جواده على فارس من الاعداء ، وداس فارساً آخر

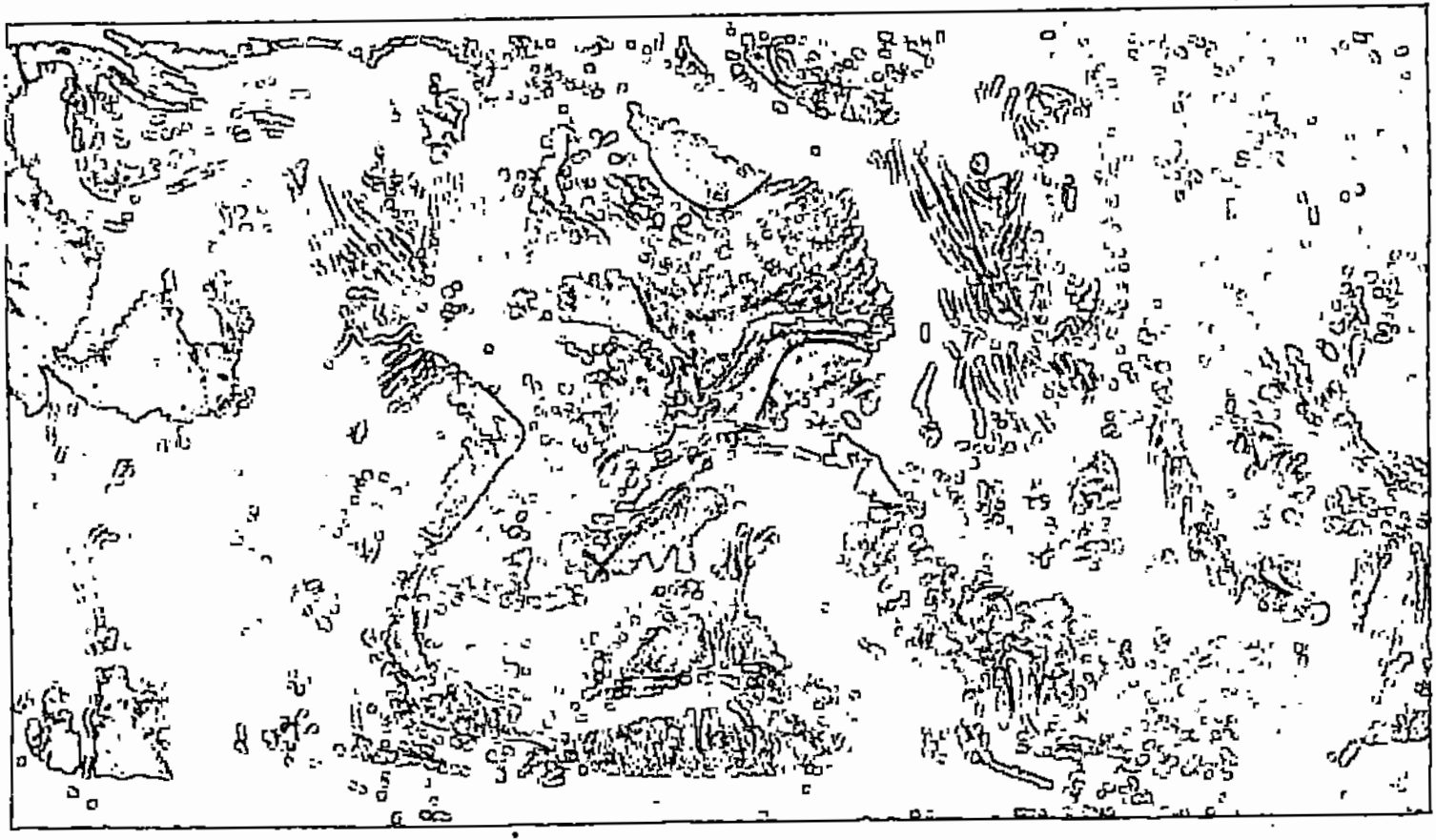

الرسم ٥ : مشهد من الجانب الغربي للناووس يمثل الاسكندر في صيد الوحوش الضارية وقد هجم ليخلّص رفيقه من الاسد

رسل المسيح الاثنا عشر

بقلم الاب انطون صالحاني اليسوعي

معنى الكلمة «رسول»

الرسول من يُرسَل لاتمام مهمّة. قال السيد المسيح في صلاته الى الآب لاجل تلاميذه: «كما ارسلتني الى العالم ارسلتهم انا الى العالم»[1] وقال ايضاً: «ليس رسولٌ اعظم من مُرسله»[2] «دعا (يسوع) الاثني عشر وجعل يُرسلهم اثنين اثنين»[3]

قد خُصّت هذه اللفظة «رسول» بالاثني عشر الذين انتخبهم المسيح بين تلاميذه لمهمّة خصوصية: «دعا تلاميذه واختار منهم اثني عشر وسمّاهم رُسُلاً»[4] فمن هذه الآية، ومما قالهُ متى: «هذه اسماء الاثني عشر رسولاً»[5] ومما ورد في انجيل يوحنا: «قال يسوع للاثني عشر ... ألم اكن انا اخترتكم انتم الاثني عشر وواحد منكم هو شيطان»[6] يتّضح ان عدد الرُسل، في ايام السيد المسيح على الارض، كان اثني عشر.

لماذا هذا العدد: اثنا عشر؟

انه لمعلومٌ ان شعب الله المختار، قبل المسيح، كان الشعب الاسرائيلي. ويُعبَّر عن هذا الشعب، في العهد القديم، بالاسباط الاثني عشر. وآباء هذه الاسباط هم اولاد يعقوب الاثنا عشر. فالى عدد الاسباط يشير الكتاب المقدّس

---

١) يوحنا ١٧: ١٨ ٢) يوحنا ١٣: ١٦ ٣) مرقس ٦: ٧
٤) لوقا ٦: ١٣ ٥) متى ١٠: ٢ ٦) يوحنا ٦: ٦٨ و ٧١

في امور عديدة وحوادث مختلفة يرويها ، نكتفي بذكر بعضها :

اولاً : لما بنى موسى مذبحاً في اسفل طور سيناء ليُصعِد مُحرقاتٍ ويذبح ذبائحَ سلامة ، نصبَ اثني عشر نُصُباً لأسباط اسرائيل الاثني عشر[1]

ثانياً : امر الربُّ موسى ان يصنع لاخيه هارون الكاهن أفوداً ، ويضع على كتفي الأفود حجري جَزْع ، وينقش عليهما اسماء بني اسرائيل ستة منها على الحجر الواحد والستة الاسماء الباقية على الحجر الآخر . وان يصنع لهُ صدرة تركَّب فيها حجارة كريمة مرصَّعة محاطة بالذهب ، وتكون بحسب اسماء بني اسرائيل اثني عشرَ نظيرَ اسمائهم كل حجر عليه اسمه بحسب الاثني عشر سبطاً[2]

ثالثاً : امر الرب موسى ان يوضع على المائدة الطاهرة اثنتا عشرة جردقة من سميذ وان تُجعَل صفَّين ، كلَّ صفٍّ ستٌّ ، منضَّدة على المائدة الطاهرة بين يدي الرب[3]

رابعاً : امر الرب موسى ان يختار اثنتي عشرة عصاً لكل بيت أبٍ عصاً ، ويكتب اسم كل واحد على عصاه وان يكتب اسم هارون على عصا لاوي . فالرجل الذي يختاره الرب تُفرخ عصاه . فافرخت عصا هارون وكان هو المختار ليكون كاهن الرب[4]

خامساً : اختار موسى اثني عشرَ رجلاً من كل سبطٍ رجلاً ليجتسُّوا ارض كنعان[5]

سادساً : لمَّا انفلقت مياه نهر الاردنّ ، وعبر الاسرائيليون النهر انتخب يشوع اثني عشر رجلاً ، من كل سبط رجلاً . وامر ان يرفعوا من وسط الأردنّ اثني عشر حجراً ، كل رجل منهم حجراً واحداً على كتفهِ ، بعدد اسباط بني اسرائيل ويضعوا هذه الحجارة في المبيت الذي يبيتون فيه تلك الليلة ، فتكون هذه الحجارة تذكرةً لبني اسرائيل الى الابد[6]

---

١) الخروج ٢٤:٤ ٢) الخروج ٢٨:٩-٢١ ٣) احبار ٢٤:٥و٦
٤) العدد ١٧:٢-٨ ٥) تثنية الاشتراع ١:٢٣ ٦) يشوع ٤:٢-٧

سابعاً : البحر المسبوك من النحاس الذي صنعه سليمان لبيت الرب كان قائماً على اثني عشر ثوراً ، ثلاثة منها اوجهها نحو الشمال ، وثلاثة نحو الغرب ، وثلاثة نحو الجنوب ، وثلاثة نحو الشرق[1]

ثامناً : لمّا غضب الربّ على سليمان حيث مال قلبه عن الربّ وتوعّده بان يشقّ المُلك من يد ابنه ، اوحى الربّ الى النبي احيا الشيلوني فقبض احيا على الرداء الجديد الذي عليه فشقّهُ اثنتي عشرة قطعة ، وقال ليربعام خُذ لك عشر قطع لأنّه هكذا قال الربّ إله اسرائيل : هاءنذا اشقّ المُلك من يد سليمان واعطيك عشرة اسباط[2]

تاسعاً : لمّا رمّم ايليا النبي هيكل الرب الذي كان تهدّم ليقدّم محرقةً للربّ ، اخذ اثني عشر حجراً على عدد اسباط بني يعقوب وبنى تلك الحجارة مذبحاً على اسم الرب[3]

ونضرب صفحاً عن آيات اخرى من الكتاب الكريم ورد فيها العدد اثنا عشر للدلالة على الاسباط الاثني عشر ، او بالحري على الشعب الاسرائيلي بكامله .

ان الشعب المسيحي خلف الشعب الاسرائيلي كشعب الله ، ولم يكن العهد القديم الّا تهيئة للعهد الجديد ورمزاً اليه . فكما ان اولاد يعقوب ، الاثني عشر ، كانوا اصل الاسباط والشعب الاسرائيلي ؛ وكما انه في الكهنوت اليهودي كان رئيس كهنة اعظم ، ورؤساء كهنة ، وكهنة ولاويون ، تحت امرته ؛ وكما ان موسى اختار بامر الرب سبعين رجلاً من شيوخ اسرائيل ليعاونوه ويحملوا معه اثقال الشعب الثقيل[4]؛ كذلك اراد السيد المسيح ان يكون باكورة شعبه اثني عشر رسولاً يعاونهم في البشارة بالانجيل سبعون تلميذاً[5] ؛ وان يكون في رعيته ، اي كنيسته ، راعٍ اعظم ، اي حبر اعظم ، يرعى الغنم والخراف . قال بولس الرسول[6] يكلم جمهور المؤمنين: « قد بُنيتم على اساس

---

١) ٣ ملوك ٧ : ٢٥ ٢) ٣ ملوك ١١ : ٣٠ ٣) ٣ ملوك ١٨ : ٣١

٤) العدد ١١ : ١٦ ٥) لوقا ١٠ : ١ يروى في بعض النسخ من الانجيل «سبعون» لا «اثنان وسبعون» ٦) افس ٢ : ٢٠

الرسل » . وقال السيّد المسيح يخاطب الرسُل : « الحقّ اقول لكم انكم انتم الذين تبعتموني في جيل التجديد متى جلس ابن البشر على كرسي مجده تجلسون انتم ايضاً على اثني عشر كرسياً وتدينون اسباط اسرائيل الاثني عشر »[1] ويذكر في سفر الرؤيا ان المدينة المقدسة التي رآها يوحنا هي اورشليم الجديدة اي كنيسة المسيح. قال : « ذهب بي (الملاك) في الروح الى جبل عظيم عالٍ واراني المدينة المقدسة اورشليم نازلة من السماء من عند الله ... ولها سور عظيم عالٍ واثنا عشر باباً ، وعلى الابواب اثنا عشر ملاكاً ، وعليها اسماء مكتوبة وهي اسباط بني اسرائيل الاثنا عشر : الى الشرق ثلاثة ابواب ، والى الشمال ثلاثة ابواب ، والى الجنوب ثلاثة ابواب ، والى الغرب ثلاثة ابواب . ولسور المدينة اثنا عشر اساساً فيها اسماء رسُل الحمل الاثني عشر »[2]

غاية الرسل

ان السيد المسيح اختار من بين تلاميذه اثني عشر رسولاً لغاية ذكرها الانجيل في مواضع شتّى ووضّحها. قال مرقس: « عيّن منهم اثني عشر ليكونوا معه وليرسلهم للكرازة »[3] وقال متى : « ودعا تلاميذه الاثني عشر واعطاهم سلطاناً على الارواح النجسة لكي يخرجوها ويشفوا كلّ مرض وكلّ ضعف »[4] وقال لوقا: « وبعد ذلك جال في المدُن والقُرى يكرز ويبشّر بملكوت الله ومعه الاثنا عشر »[5]. فاراد السيد المسيح ان يقترب منه الرسُل اكثر من سائر التلاميذ ويرافقوه اينما يذهب ، ويعيشوا بصحبته لكي يسمعوا تعاليمه والمواعظ التي كان يُلقيها على الشعب ، ويشاهدوا المعجزات التي كان يصنعها . وقد اوضح ذلك بطرس الرسول ، اذ خطب في جمهور المجتمعين في العلّيّة مبيناً لهم الصفات المطلوبة في مَن يختارونه ليأخذ موضع يهوذا الخائن. قال : « ينبغي اذاً ان يعيّن واحد من الرجال الذين اجتمعوا معنا في كل الزمان الذي فيه دخل وخرج الرب

---

١) متى ١٩ : ٢٨ ٢) رؤيا ٢١ : ١٠ – ١٤ ٣) مرقس ٣ : ١٤
٤) متى ١٠ : ١ ولوقا ٩ : ١ و٢ ٥) لوقا ٨ : ١

يسوع بيننا منذ معمودية يوحنا الى اليوم الذي فيه ارتفع عنا»[1]

وكان يسوع يخصّ الرسل بالشروح ويفسّر لهم الامثال. وكان يحتمل نقائصهم بصبر، وينبههم عليها، ويعاملهم بلطف ومحبة معاملة الاب لأولاده. وكان يُعنى بهم عناية اوفر لكي يحسن تربيتهم لانهم كانوا مزمعين ان ينوبوا منابه بعد صعوده الى السماء. كما اوصاهم قائلاً: «اذهبوا الى العالم اجمع واكرزوا بالانجيل للخليقة كلها»[2] «علموهم ان يحفظوا جميع ما اوصيتكم به»[3] «تكونون لي شهوداً في اورشليم وجميع اليهودية وفي السامرة والى اقصى الارض»[4] ولا ريب في ان همّ المسيح كان منصرفاً خاصة الى تثقيف الرسل وتهذيبهم وتعليمهم، ليعدّهم للرسالة ولخلاص النفوس لانه جعلهم اساس الكنيسة.

امّا سائر التلاميذ فكانوا معاونين لشخصه المقدّس؛ فلم يكونوا يلازمونه كالرسُل، بل كانوا يسبقونه الى المدُن والقُرى ليُعدّوا الناس الى قبوله وقبول تعاليمه، كما ذكر ذلك لوقا «وبعد ذلك عيّن الربّ اثنين وسبعين آخرين وارسلهم اثنين اثنين امام وجهه الى كل مدينة وموضع ازمع ان يأتي اليه»[5] وبعد صعود المسيح الى السماء كانوا معاونين للرسُل في الكرازة بالانجيل.

وقد اختار المسيح رسُله من طبقاتٍ مختلفة من الشعب، بل متناقضة. فان متى العشار كان من متوظفي الحكام الرومانيين. اما سمعان القانوي فانه كان من مُبغضي نير الرومان الاجانب ومن الغُيُر على مملكة اليهود، ولهذا لُقّب سمعان الغيور. وكلهم، ما عدا متى، كانوا اميين واربعة منهم على الاقلّ كانوا صيادي سمك. وكلّهم، مع غلاظة طباعهم، كانوا بسيطين طيّبي القلوب كما قال المسيح عن نتنائيل «هذا هو في الحقيقة اسرائيلي لا غشّ عنده»[6] ما عدا يهوذا الاسخريوطي. ولا يمكن الظنّ ان هذا الرجل كان شريراً اذ اختاره السيد المسيح. لكنه مال عن الصلاح شيئاً فشيئاً بسبب بخله وتعلّقه بحطام الدنيا زعماً عمّا شاهده في معلّمه من الكمال.

---

١) اعمال ١: ٢١-٢٢ ٢) مرقس ١٦: ١٥ ٣) متى ٢٨: ٢٠
٤) اعمال ١: ٨ ٥) لوقا ١٠: ١ ٦) يوحنا ١: ٤٧

النظام في قائمة اسامي الرسل

نجد قائمة اسامي الرسل في اربعة مواضع من العهد الجديد : في متى ١٠ : ٢—٤ ، ومرقس ٣ : ١٦—١٩ ، ولوقا ٦ : ١٤—١٦ ، وفي اعمال الرسل ١ : ١٣ ومن مقابلة هذه الاسامي نتحقق انها هي هي في الاربع القوائم . ما عدا اسم يهوذا اخي يعقوب الصغير . فقد ورد اسمه في انجيل لوقا وفي اعمال الرسل « يهوذا اخو يعقوب » . ويسمّى لبّاوس في بعض نسخ يونانية من انجيل متى . واما مرقس فيسمّيه تدّاوس . فالفرق بين هذين اللقبين هو يسير . فلبّاوس مشتقّ من لبّ بمعنى القلب . وتداوس مشتقّ من ثدي بمعنى الصدر ، ويراد باللقبين الشجاع . وانما عدل متى ومرقس عن الاسم « يهوذا » لئلّا يختلط مع يهوذا الاسخريوطي . فنرى يوحنا اذ يذكر اسم يهوذا يُتبعه بكلام يميّزه : « يهوذا بن سمعان الاسخريوطي » (يوحنا ١٣ : ٢و٢٦) يهوذا الذي اسلمهُ (١٨ : ٢و٥) « يهوذا وهو غير الاسخريوطي » (يوحنا ١٤ : ٢٢) « يهوذا اخو يعقوب » (لوقا ٦ : ١٦ واعمال ١ : ١٣) وكذلك اذا ذكر الانجيليون اسم سمعان اتبعوه باللقب الخاصّ به تمييزاً له : « سمعان المدعو بطرس » (متى ١٠ : ٢) « سمعان القانوي » (متى ١٠ : ٤ ومرقس ٣ : ١٨) « سمعان المدعو الغيور » (لوقا ٦ : ١٥ واعمال ١ : ١٣) وكذلك في اسم يعقوب : « يعقوب بن زبدى » . « يعقوب بن حلفى » . وكذلك عدل جميع الكتبة عن اسم توما الاصلي واكتفوا باللقب « توما » اي التوأم ، وقيل كان اسمه يهوذا وليس بثبت.

واسامي الرسُل في القوائم الاربع مرتّبة ترتيباً غريباً لا بُدّ له من سبب . فتبتدئ القوائم كلُّها باسم بطرس وتنتهي باسم يهوذا الاسخريوطي . الّا ان هذا الاسم الاخير غير موجود في قائمة اعمال الرسُل لانه كان قد مات . غيرَ في جداول اسامي الرسل ثلاثة اقسام يحتوي كل منها على اربعة اسامي . وفي جميع القوائم يبتدئ كل قسم بالاسم ذاته . فالقسم الاول يبتدئ باسم بطرس . والقسم الثاني باسم فيلبس . والقسم الثالث باسم يعقوب بن حلفى او يعقوب الصغير . تمييزاً له عن يعقوب بن زبدى . اما سائر الاسامي في كل قسم فيختلف ترتيبها في القسم ذاته ، لكن دون ان تُنقل من قسم الى قسم آخر.

واليك جداول اسامي الرسل كما هي مرتبة في الاناجيل وفي اعمال الرسل :

متى	مرقس	لوقا	اعمال
بطرس	سمعان بطرس	سمعان بطرس	بطرس
اندراوس	يعقوب بن زبدى	اندراوس	يعقوب
يعقوب بن زبدى	يوحنا	يعقوب	يوحنا
يوحنا	اندراوس	يوحنا	اندراوس
فيلبس	فيلبس	فيلبس	فيلبس
برتلماوس	برتلماوس	برتلماوس	توما
توما	متى	متى	برتلماوس
متى	توما	توما	متى
يعقوب بن حلفى	يعقوب بن حلفى	يعقوب بن حلفى	يعقوب بن حلفي
لباوس	تداوس	سمعان الغيور	سمعان الغيور
سمعان القانوي	سمعان القانوي	يهوذا اخو يعقوب	يهوذا اخو يعقوب
يهوذا الاسخريوطي	يهوذا الاسخريوطي	يهوذا الاسخريوطي	. . . . .

اذا نظرنا الى هذه الجداول نجد في القسم الاول اربعة صيادي سمك ، دعاهم السيد المسيح قبل كل الرسل والتلاميذ ، وهم بطرس ، واخوه انداوس ، ويعقوب بن زبدى ، واخوه يوحنا . والمقدّم هو بطرس لان السيد المسيح اختاره هامسة لجمع الرسل . وبما انهم صيادو سمك لا بُدّ من انهم من قريتين مجاورتين على شاطئ بحر طبرية . يؤكد ذلك ما قاله متى (٤ : ١٨ — ٢٢) : « فيما كان يسوع ماشياً على شاطئ بحر الجليل رأى اخوين وهما سمعان المدعو بطرس واندراوس اخوه يلقيان شبكة في البحر لانهما كانا صيادين فقال لهما اتبعاني فاجعلكما صيادي الناس . فللوقت تركا الشباك وتبعاه . وجاز من هناك فرأى اخوين آخرين وهما يعقوب بن زبدى ، ويوحنا اخوه ، في سفينة مع ابيهما زبدى يُصلحان شباكهما فدعاهما . وللوقت تركا السفينة واباهما وتبعاه » فكلّ هذه الظروف كانت داعياً ليُجمع الاربعة معاً .

في القسم الثاني نجد فيلبس الذي دعاه يسوع مذ ابتداء حياته العمومية (يوحنا ١ : ٤٣) وكذلك برتلماوس او نتنائيل ، وقد بيّنا ذلك في تعاليقنا على الاناجيل (ص ٤٤٥) فان فيلبس وجد نتنائيل فأتى به الى يسوع . وكذلك متى وهو لاوي بن حلفى الذي دعاه الرب (متى ٩ : ٩ ومرقس ٢ : ١٤ ولوقا ٥ : ٢٧)

فحيث ذكرت الاناجيل دعوة يسوع لهؤلاء الثلاثة استحسن الانجيليون ان يذكروهم معاً في القسم الثاني . واضافوا اليهم توما . فيكون توما من جملة الذين دعاهم الرب في زمن قريب من زمن دعوة السابقين. ووُضع اسم فيلبس في مقدمة هذا القسم لانه دُعي بعد الاربعة الاولين ، وقبل برتلماوس ومتى وتومـا ، وكان من قرية بطرس واندراوس « كان فيلبس من بيت صيدا من مدينة اندراوس وبطرس » (يوحنا ١ : ٤٤) . ومما يستحق الذكر ان متى في انجيله يضع في هذا القسم اسمه بعد اسم توما تواضعاً منه ، وان كان دُعي قبله وذكرت دعوة يسوع له ، ولم تذكر الاناجيل دعوة يسوع لتوما .

في القسم الثالث نرى في رأس القائمة يعقوب بن حلفى ، او يعقوب الصغير اخا الربّ ، ويهوذا اخاه ، وسمعان القانوي او الغيور ، ويهوذا الاسخريوطي . ومن المحتمل ان تكون أُدرجت اسامي هؤلاء الاربعة في القسم الثالث والاخير لتأخر قدومهم وتتلمذهم ليسوع . ووضع اسم يعقوب في بدء هذا القسم لانه اشهرهم ؛ وقد اختير ، بعد صعود المسيح الى السماء ، ليكون اسقفاً اول على اورشليم . وقد اضيف اليه في هذا القسم اخوه يهوذا بن حلفى. وبكل صواب وضع اسم يهوذا الاسخريوطي في آخر الكل ، لانه خان ورُذل .

التوسع في اعطاء اسم رسول

ينتج من كل ما سبق ان عدد الرُسل ، في مدّة وجود السيد المسيح على الارض ، كان محدّدًا وثابتاً فكانوا اثني عشر . لكن بعد صعود المسيح الى السماء أُحصي ايضاً مع الرسل الاحد عشر متيّا الذي اختاره الروح القدس ليأخذ موضع يهوذا الاسخريوطي كما ورد في سفر اعمال الرُسل (١ : ٢٣ — ٢٦) : « قدّموا اثنين يوسف المسمّى برسابا الملقّب البارّ ومتيّا. وصلّوا وقالوا : ايها الربّ العارف قلوب الجميع أظهِر ايَّ هذين اخترت لكي يُستخلَف في هذه الخدمة والرسالة التي سقط عنهـا يهوذا ليذهب الى موضعه . ثم ألقوا القرعة بينهما فوقعت القُرعة على متيّا فأُحصي مع الرُسل الاحد عشر »

ثم توسّع المسيحيون في اعطاء اسم رسول لرجال لم يكونوا من مصفّ الاثني عشر . فسمّوا رسولًا من كان يشترك بغيرة الرُسل ، ويعمل الاعمال التي

لاجلها كان اختار السيد المسيح الرسل . وسُمّي قبل الكل رسولًا ذاك الذي تراءى لـهُ يسوع قرب دمشق ، وانتدبه وقال عنه « ان هذا لي إناء مختار ليحمل اسمي امام الامم والملوك وبني اسرائيل . وانّي سأريه كم ينبغي ان يتألم من اجل اسمي» (اعمال ٩:١٥و١٦) نعني شاول الذي يُعرَف ببولس الرسول. فصارت الكلمة « رسول » جزءًا من اسمهِ فاذا قلنا او كتبنا « قال الرسول » يتجه فكرنا الى بولس الرسول . وقد قال في رسالته الى اهل غلاطية: « من بولس الذي هو رسول لا من قبل الناس ولا بانسان بل بيسوع المسيح والله الآب » (غلاطية ١:١)

وأُعطي ايضاً اسم رسول لبرنابا لانه تعب كثيرًا في تبشير اليهود والامم ، بالاشتراك مع بولس الرسول . يؤيّد قولنا ما ورد في اعمال الرسل (١٤:٤) «انقسم اهل المدينة فكان بعضهم مع اليهود وبعضهم مع الرسولين » والكلام عن بولس وبرنابا-وهذا بولس الرسول في رسالته الى اهل رومية (١٦:٧)يقول: « سلّموا على اندرونيكس ويونياس نسيبيَّ المأسورَين معي المشهورَين بين الرُسل الكائنين في المسيح قبلي » . وفي رسالتهِ الاولى الى اهل تسالونيكي (١ : ١ و ٢:٧) يسمّي تيموتاوس وساوانس رسولَين « من بولس وسلوانس وتيموتاوس . . . مع كوننا نقدر ان نثقّل عليكم كرُسل المسيح »

وأُطلقت ايضاً الكلمة « رسول » على مَن أُرسلوا الى بعض الكنائس لمهمّة روحية كما يتّضح من رسالة بولس الثانية الى اهل كورنتس (٨:٢٣) . « اما اخواننا فهما رُسُلا الكنائس ومجد المسيح» . ومن رسالتهِ الى اهل فيلبي (٢:٢٥) : « أبَفرودِيتُس الاخ معاوني وصاحبي في التجند ورسولكم والذي خدمني في حوائجي ».

ومن ثم فبكلّ حقّ وعدلٍ يُسمّى رسلًا اولئك الكهنة والرهبان الثُبّر والراهبات الباسلات ، الذين يتركون وطنهم وعيالهم ، ويرحلون الى الامم التي لا تعرف السيد المسيح ليبشروهم بالانجيل وبملكوت الله ، متمّمين ما اوصى به يسوع الرُسل : « اذهبوا الى العالم اجمع واكرزوا بالانجيل للخليقة كلّها . فمن آمن واعتمد يخلص ومن لم يؤمن يُدان » (مرقس ١٦:١٥ و ١٦)

المطعم الطيّار

تناول الغداء في الجوّ بين باريس ولندرة

لعدة سنوات خلت ، كان من الغريب ان يدعو الانسان صديقه الى تناول الغداء اثناء سفرة في قطار بين مدينة واخرى. اما اليوم فقد زال سبب تلك الغرابة تماماً بانشاء المطاعم في القُطُر السريعة ، مع غرف النوم ، وجميع انواع المرافق الحضرية . على ان الانسان لا يقف امام صعوبة في سبيل تعزيز رفاهيته المدنية ، وتوفير وقته الثمين . فهو بعد انشاء المطاعم البحرية في المراكب الكبيرة ، والمطاعم البرية في القطر والسيارات ، اخذ يهتم بامر المطاعم الهوائية حتى لا يضيع وقت المسافر بانتظار الوصول الى مطعم ارضي ، اذا حان زمن الغداء وهو في طبقات الجوّ. اهتم بهذا الامر ، وسرعان ما ولي التنفيذ الاهتمام، فانشأت شركة «الاتحاد الهوائي» (Air-Union) طيّارة ضخمة بنتها معامل «ليوري اوليفيه» (Lioré-Ollivier) وخصتها بالطيران على خط باريس - لندرة . فكانت الاولى من نوعها جامعة لاقصى ما يتطلبه المسافر من امور الراحة والترف.

يسع بطن هذا الطائر الضخم اثني عشر مسافرًا ، عدا السائق والطاهي ، يقيمون في غرفة فاخرة الرياش ، على مقاعد مخملية. وقد جعل بين كل مقعدين طاولة خفيفة من الالومينيوم معدّة لحمل الطعام ، اذ تحوّل غرفة المسافرين هذه الى مائدة في اوقات الغداء. اما الاطعمة فانها تُنقل مطبوخةً من باريس او من لندرة، لقرب المسافة بين المدينتين !... ولكنها تُحفظ على المسخنات الكهربائية في المطبخ الكائن في مقدّم الطيارة ، حتى اذا حان الوقت اخذها الطاهي ووزعها على الحاضرين. ولا خوف هناك ، كما في المراكب البحرية او في بعض القُطُر ، من الاضطراب الذي يولّد الدُوار، لان المطعم الطيار غاية في الاستقامة والسكون حتى ان المسافر قد لا يشعر بسرعة السير ، ان لم يلتفت من النافذة المشبّكة فيرى «الاباطح تسيل لا باعناق المطيّ» كما قال الشاعر ، بل باجنحة ذاك الطائر.

وفي المطبخ جميع المعدّات لتلبية مطاليب المسافرين من المسخنات او

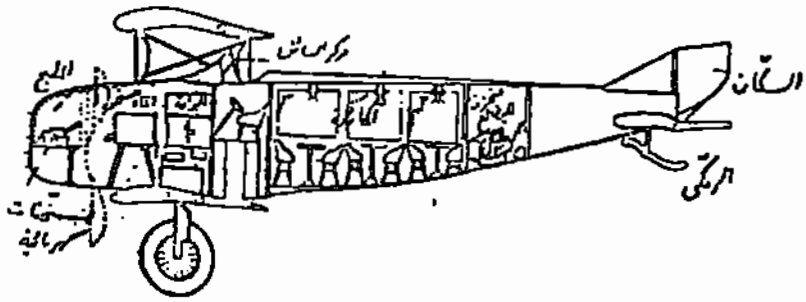

المرطبات ، فهناك الماء الغالي دائماً ، والى جنبه برّادة تحفظ فيها اللحوم والفواكه وسائر الاطعمة الباردة. ووراء البرّادة مركز السائق ، وهو بين المطبخ والمائدة يصل بها ممشى ضيق . ويتصل بالمائدة ، من الوراء ، محل خاص لوضع الامتعة وحقائب المسافرين. وقد اوضحنا كل ذلك في الرسم اعلاه

اما منظر المطعم الخارجي فلا يختلف في شيء عن منظر الطيارات العادية سوى انه صُرف في بنائه عناية خاصة ، لينال المسافر كل ما يتمنى من الراحة والسكون ، فاجتُهد في اختيار موادّ البناء قوية خفيفة ، واستعمل في بناية المؤخر ، وهو مقام الزمكى من الطائر ، طريقة غاية في الدقة الهندسية والمتانة كي لا يصبح المسافرون عرضة للانزعاج حالَ النزول . فبُني من مقطعين ركبا ، لا على اقواس معدنية كما هي الحال في بناء السيارات او بعض الطيارات ، بل على انابيب منفوخة بالهواء المضغوط وافرة المرونة والمتانة.

اما جسم الطائر فلا تقلّ العناية فيه عنها في الزمكى . وقد جُعل الرواق الاعلى واسعاً ، عالياً ، وبوعد بين الأضلاع المتعدّدة في النوافذ كي يتخللها الهواء النقي بسهولة ، ولا يفوت المسافر شيء من المناظر المختلفة التي يراها على الارض اثناء رحلته.

وكذلك روعيت راحة المسافرين في مدخل الطيارة ، فلا حاجة بهم من ثمّ الى الصعود والانزعاج ، بل تراهم يدخلون ويخرجون من مركبهم الهوائي بسهولة فائقة.

هذا ما توصل اليه الفنّ العصري من الغرائب ! . ولعل المستقبل ينسينا اياه بانشاء الحمامات او المسارح الطيّارة ، وكل آتٍ قريب ! ! ف.ا.ب.

المشكلة الرومانية

حل الخلاف

بقلم الاب لامنس اليسوعي

لخّصنا في العدد الفائت ما حصل من التطوّرات التاريخية لهذه المشكلة المهمّة ، وأبنّا كيف انه بفضل حكمة الحبر الاعظم السامية وحسن سياسة الوزراء الايطاليين ، توصل الفريقان شيئاً فشيئاً الى حلّ الخلاف على طريقة ودية . وقد امكن القرّاء الكرام ان يقفوا في الجرائد اليومية على مظاهر الابهة والجلال التي حفّت قصر لاتران في ١١ شباط ، حيث وُقّع ذاك العهد المهم ، الذي سيكون له منزلة خاصة في حوليات القرن العشرين السياسية . وقد امكنهم ايضاً ان يطلعوا على التأثير العميق والمظاهرات الباهرة ، التي احدثها الاتفاق في العالم اجمع .

اما في هذه العجالة فاننا نودّ ان نحلّل باختصار ما يمكن اهم موادّ ذاك العهد . وهو ينقسم الى قسمين : الاول « معاهدة » سياسية تقرّر حالة الحبر الاعظم كرئيس الكنيسة الجامعة . والثاني « اتفاق » ديني يُحدّد حقوق الكنيسة وامتيازاتها في داخل المملكة الايطالية .

المعاهدة

نالت الكنيسة من مؤسسها الالهي المهمة السامية بان تعلّم وتعمّد كل الامم (متى ٢٨ : ١٩ ؛ مرقس ١٦ : ١٥) فاصبحت ، بفضل هذه البعثة ، كاثوليكية « جامعة » تضمّ جميع الامم ، وجميع الشعوب ، وجميع الألسُن في طاعة البابا ، خليفة القديس بطرس ، ونائب السيد المسيح . فليست اذاً شرقية ولا

غربية ، ولا لاتينية ولا يونانية ، وليس لها صفة شعبية خاصة ؛ بل هي فوق الدول والامم . ولم تكن الحدود الطبيعية لتوقفها في قسم من الارض ، بل انها تكون في كل مكان ، وتتكلم كل اللغات ، وتضمّ في احضانها جميع الذين « يسجدون لله بالروح والحق » (يوحنا ٤ : ٢٤) دون ان تميّز بين انواعهم والوانهم .

فنتج ان لاعضاء الكنيسة فائدة جليلة في أن يروا رئيسهم الاسمى الذي يطيعون ، متمتعاً بكامل الحرية ؛ وفي ان يتأكدوا ان تلك الحرية بمعزل عن ايّ تأثير تُحدثه اية سلطة ارضية . اذ لم يكن بالامكان ان يتصوّروا ان سلطة روحية عليها ان تدير النفوس في مختلف انحاء العالم ، تخضع لميول وطنية او تتأثر بمنافع سياسية . وهذا ما لم تنتبه له «شريعة الضمانات» سنة ١٨٧١ ، فلم تكترث للاعتبارات المذكورة اعلاه ، بل ضربت صفحاً عن حقّ الكنيسة في الاشتراك بسنّ شريعة تتحمل وحدها اعباء احكامها . ولهذا ظلّت تلك الشريعة دون ثمرة ، لأنها صدرت عن ارادة فريق واحد من المتعاقدين ، فكانت ايطالية بحتة ، وبالتالي وطنية مفتقرة الى تعزيز دُوَلي ، وعرضة لمشيئة البرلمان الايطالي يُدخل عليها ما يريد من التحوير والتبديل . فاحتجّ الحبر الاعظم على سنّها ، ورفضها لما كان فيها من الحطّ بشأن الدين ومن محاولة جعل الكنيسة الكاثوليكية بمثابة الكنيسة الانكليكانية ، ومعروف ان هذه في حالة مجحفة بحقّ السلطة الروحية ؛ وما حادث كتاب الصلاة (Prayer Book) في البرلمان الانكليزي الا الشاهد الكافي على هذا الإجحاف .

اما معاهدة لاتران فبعيدة عن مثل هذه الحالة . ففيها يتعاقد الطرفان على مستوى واحد ، كما هي الحال في معاهدات الدول المستقلة تمام الاستقلال . وبالتالي فان المعاهدة تتصف بصفة دُوَلية تخرجها عن النفوذ الايطالي ، وتضعها تحت حماية الحق الدولي العامّ الذي تقرّ به جميع السلطات المستقلة في الكون . كانت «شريعة الضمانات» لا تقرّ للحبر الاعظم الا بمظاهر السلطة الخارجية ، منكرةً عليه حقيقة الاستقلال . اما معاهدة لاتران فتعترف له بمنطقة من الارض ، يعيش عليها اناس لا يتبعون الا البابا . فتجري عليهم وعليها احكامه المطلقة دون

رقيب ولا مناظر.

وعليه فان المعاهدة اوجدت دولة جديدة اسمها « حاضرة الفاتيكان » تبلغ مساحتها ١٤ هكتاراً ، وهي مستقلة تماماً ومعزل عن المنازعات ، فلا تُمس . وقد ذكرت المعاهدة كل المصالح العامة التي تقوم الحكومة الايطالية بانشائها في حاضرة الفاتيكان ، ولاسيما بناء محطة للسكة الحديدية وربط الحاضرة الفاتيكانية ربطاً مباشراً مع سائر الدول بالخطوط التلغرافية والتليفونية والراديوتلغرافية والراديوتلفونية والدوائر البريدية. وتتضمن المعاهدة اتفاقاً يمكن كل وسائط النقل والمواصلة التي تخص حاضرة الفاتيكان من السير على اراضي الدولة الايطالية.

وتبين مواد اخرى من المعاهدة طبقات الاشخاص الخاضعين لسلطة الكرسي الرسولي ، اعني الاشخاص الذين يقيمون اقامة ثابتة في حاضرة الفاتيكان.

وعدا ذلك فان المعاهدة تحدد الاعفاء من الضرائب والرسوم ، الذي سيتمتع به اصحاب الرتب الكنسية والاشخاص المتعلقون بالبلاط البابوي ، وان كانوا غير مقيمين في حاضرة الفاتيكان ، ولاسيما المنتظمون في سلك من اسلاك المناصب الذين يعلن الكرسي الرسولي ان لا غنى عنهم للقيام بما يقتضيه العمل في دوائره المختلفة.

وتقرر المعاهدة ايضاً المناعة العقارية للكنائس ، وبعض المباني الموجودة خارج حاضرة الفاتيكان ، التي اقام الكرسي الرسولي ، او سيقيم فيها مجامعه الخاصة ، وكذلك المكاتب او الدوائر اللازمة لاعماله الادارية.

وتعترف ايطالية للكرسي الرسولي بحقه في انفاذ سفرائه الى الدول ، وقبول سفرائهم لديه ، طبقاً لمقتضيات الحق الدولي.

وقد تعهد الفريقان الساميان المتعاقدان ان ينشئا بينهما العلاقات السياسية القانونية ، بواسطة سفير ايطالي لدى الفاتيكان ، وسفير رسولي لدى الدولة الايطالية.

وقد ذكر في مادة اخرى انه في ايام الآحاد والاعياد الموصى بحفظها ، يجب في جميع الكنائس التي تقام فيها الحفلات الدينية ، ان يرتل المحتفل بالقداس الكبير ،

طبقاً لقواعد طقسه ، صلاةً لاجل سعادة ملك ايطاليـة ونجاح الدولة الايطالية.

وهناك مادة ذات اهمية خاصة ، وهي المتعلقـة بالزواج . فانها تصرّح بان الحكومة الايطـالية تعترف بالمفاعيل المدنية لسرّ الزواج المعقود بموجب قوانين الكنيسة ، وان الكاهن بعـد حفلة الزواج الكنسي يشرح حالاً للعروسين المفاعيل المدنية الناجمة عن حالتها الجديدة بأن يتلو عليهما موادّ القـانون المتعلقة بحقوق الزوجين وواجباتهما. ثم يكتب عقد الزواج ويبعث عنه ، في مدة خمسة ايام ، نسخة طبق الاصل الى السلطة المحلية حتى يجري قيده في سجلّ النفوس.

اما فحص الاسباب التي تتعلق ببطلان الزواج ، والتفسيح من الموانـع ، والزواج المعقود الغير النافذ ، فالصلاحية فيه محفوظة للمحاكم والدوائر الكنسية. وان القرارات والاحكام المتعلقة بالمسائل الزيجية ، عندما تصبح مبرمة ، تُرفع الى محكمة عليا للامضاء . وهذه تدقّق النظر في مـا اذا كانت قد روعيت قواعد الحق الكنسي المتعلقة بصلاحية القاضي ، والاستحضار ، وقانونية المثول او غياب المتداعين.

وهذه القرارات والاحكام النهائية المبرمة ، مع التدابير التي تتخذها بشأنها محكمة الامضاء العليـا ، يبعث بها الى محكمة الاستئناف ذات الصلاحية المكانية . وهذه في قرار تصدره في غرفة المشاورة تجعلها نافذة من حيث مفاعيلها المدنية ، وتأمر بان تقيّد في سجل النفوس في هامش عقد الزواج.

اما دعاوى الافتراق الاختياري فالكرسي الرسولي يقبل ان يكون الحكم فيها للسلطة المدنية.

وتلي بنود اخرى تنصّ على ان الحكومة الايطالية ترضى ان يكون التعليم الديني ، الذي يعلّم الآن في المدارس المتوسّطة ، مطابقاً للبرامج التي سيشترك في وضعها الكرسي الرسولي والدولة الايطالية.

وهناك مادة خطير هي التي تعترف فيها الدولة الايطالية بالتنظيمات الكائنة ضمن نطاق العمل الكاثوليكي الايطالي باعتبار ان هذه التنظيمات ، طبقاً لتدريب الكرسي الرسولي ، تقوم باعمالها بمعزل عن كل حزب سياسي.

الاتفاق

في المقدمة تصريح يعلن انه ، بسبب الصفة المقدسة التي لمدينة رومية مقرّ الحبر الاعظم ومركز العالم الكاثوليكي ، ستتكفل الحكومة الايطالية بان تمنع ان يقع في رومية ما يخالف تلك الصفة.

ويتبع ذلك موادّ تبحث في حرية الاكليروس ، على اختلاف طبقاته ، في مزاولة وظيفته الرعائية ، في ايام الاعياد التي انشأتها الكنيسة واعترفت بها الدولة. وفي القيام بالخدمة الروحية لدى قوات الدولة العسكرية.

وتقرر بعد ذلك الحطة الواجب اتباعها في تعيين روساء الاساقفة والاساقفة طبقاً لاحدث معاهدة عُقدت ما بين الكرسي الرسولي والدول الاخرى ، وعُيّن نصّ القَسَم الذي يتلوه الاساقفة لرئيس الدولة الايطالية.

* * *

ماذا ينبغي لنا ان نقول في معاهدة لاتران ؟ ولماذا رأينا الفريقين الساميين يعقدان ، مع المعاهدة السياسية ، اتفاقاً دينياً ؟

هو ما يجيب عنه قداسة البابا نفسه بالكلمات التالية التي فاه بها في ١٣ شباط الفائت ، اذ تشرّف بالمثول بين يديه وفد كاثوليك ميلانو. قال:

«لو لم يكن للمعاهدة من غاية سوى تقرير الحدود اللازمة كلّ اللزوم ، والكافية ، لتنظيم الحالة النهائية والجوهرية للكرسي الرسولي وللحبر الروماني ، يعني لهذا الرجل الذي ، بسبب المسؤولية الالهية المطروحة على عاتقه ، مهما كان اسمه ، ومهما كان العصر الذي يعيش فيه ، لا يمكنه ان يخضع لأي تأثير ؛ لو لم يكن الّا هذه الغاية ، لكانت نيلت بنيل الصفات والنعوت الضرورية للسلطة المطلقة ، وهي تكون في ظروف ايطالية الحاضرة ، بالحصول على قسم متوسّع من الارض.» .

ولكن لكي تؤكّد مفاعيل المعاهدة السياسية بكاملها ، كان من الضروري ان تنظّم حالة الكثلكة في داخل المملكة الايطالية ، وبكلمة اخرى كان من الضروري ان يحصل الاتفاق الديني ، وان يُعقد الاتفاقان معاً.

وهكذا اصبح من الممكن «ان نراجع ونحوّر ، على قدر الامكان ، كثيراً من الشرائع التي كانت كلها ترمي ، مباشرةً او غير مباشرة ، الى معاكسة الكنيسة في حقوقها وامتيازاتها.» وقد امتدح قداسة البابا «الرجل الذي شاءت العناية الالهية ان يصادفه» في شخص موسوليني ، مَن توصّل بعقله المنير الى ابعاد جميع العقبات التي كان ابعادها معتبراً حتى اليوم من باب المستحيل . ثم اطنب قداسته في ذكر المسؤوليات المهمّة التي تجرّها السلطة البابوية ، ولكنه لا يتمالك عن ان يهنئ نفسه بالامتيازات الكثيرة الناتجة من الاتفاق. وقد اردف قائلاً:

«عندما يُعترف للكنيسة بالشخصية القضائية مع كل حقوقها ، عندما نرى سرّ الزيجة يحتلّ مركزه في التشريعات المدنية ، عندما يُعاد للتعليم الكاثوليكي محلّه واعتباره الواجبان ، عند ما يُعطى العمل الكاثوليكي نفسه نصيبهُ الشرعي ، عند ذلك نفهم ان من الواجب علينا ان نشكر الله من صميم الفؤاد... ومن السهل تأكُّد ذلك يوم يُنشر نصّ المعاهدة بكامله... وليس هناك سبب للشكّ في ان تنفيذ الاحكام المتفق عليها من الطرفين يكون محفوفاً بمظاهر الاستقامة والشرف نفسها التي كانت الدافعة اليها.»

وما يمكننا ان نزيد على هذا الحكم السامي ؟ فليس لنا الا ان نسأل الله ان يُطيل ايام الحبر الجليل ، وان يمنّ عليه بان يرى تحقق امانيه الشريفة لخير الكنيسة المقدسة ، وسعادة البشرية جمعاء.

الطب في البلاد من مئة سنة

بقلم الحكيم امين الجُمَيّل

٢

ومع طمعي بلطفكم واصغائكم ، لا اجيز استيعاب درس اوبئة أخر كالخناق ، والتيفية ، والسلّ ، والتيفوس . فكلها كانت في قديم الايام . وفي أثناء درسي « الطب في الكتاب المقدس » ، عثرت على ذكر التيفوس وحده نحو عشر مرات : منها في دانيال وحزقيال والملوك الاول : نقرأ ثمة ان الباري تعالى ضربهم وتهدّدهم بالمجاعة والسيف والوبا . . وما التيفوس الا ربيب المجاعات الدائم ورفيق الحروب الثابت ، على ما جرى لشعبنا القليل الحظ في الحرب الاخيرة .

اما كيف زالت تلك الاوبئة او كادت فرجع الفضل فيه للعلم ورجاله ؛ وابوهم وشيخهم ومثالهم پاستور «من زوّج العلم العمل» حسب عبارةٍ رثاهُ بها ، يوم وفاته ، وزير المعارف آنذاك ، ريمون بوانكاره نفسه .

پاستور كشف لنا العدوَّ المستتر — وليس أهول من عدوٍ مستتر ! — مزّق الحُجُب التي تخفّي وراءها الميكروب المتناهي صغرًا وأذى وذيوعاً ، فشاهدناه وعرفنا كيف وأين نجتنبه .

لم يكن للبشرية وسيلةٌ قبل پاستور الا ما قاله بعضهم : إذا حلّ الوباء بأرضٍ ، فاهرب سريعاً ، وأقم بعيدًا ، وعُد بطيئاً .

هي القاعدة التي تمشّى عليها الشهابيُّ نفسهُ مع جرجس باز لمّا فرَّ عام ١٨٠٠ الى عين تراز ، وبشير اللمعي اذ اعتزل في رأس الجبل في قمة دير مار شعيا . وغالباً لم يكن ينفع الهرب ، ولا وضع سن توم في الأنف ولا سدُّه ، ولا خرافة او « طُومة » من الالوف المألوفة عندنا .

وهذه الشدّةُ في الأوبئة ، وذلك الفتك الهائل ، لم يزالا في الامكنة التي لم يسطع فيها نور العلم ، فلم تعمل بما علّمناهُ الصحيون المعاصرون. فهولاء قد أوضحوا لنا أنَّ الطاعون لا ينتقل الّا بالجرذان ، وبالأحرى ببراغيث الجرذان. ففهمنا لماذا كان هذا الوباء يسرح ويمرح في بلاد الحبوب والقطاني ، ولماذا اختار هنا معصرة الحلاوة ، والخان الصيفي ، ومطحنة انطلياس.

وقد جلوا لنا أنَّ الكوليرا ليست هواء أصفر او ازرق ، بل ماء أصفر اي ملطخاً بجراثيم المرض ؛ وكذلك الزُّحار والتيفية. فصرنا اذا عملت الحكومة وعملنا على صيانة المياه وطهارتها سَلمنا من ذلك . وأوكدُ برهان مناعة بيروت على الكوليرا من عام ١٨٧٥ الذي جاءت فيه مياه نهر الكلب ، مرشحة في الضبيّة ، واردةً ضمن قنواتٍ مُحكمةٍ مُقفلة ؛ وكيف تابع انتيابه طرابلس والشام وحمص الخ.

وفضلًا على ما سبق ، جاء التقدم الطبي او الصحي مُطرِدًا في العلاج والمأكل والملبس والمسكن ، وفي رسوخ عادات النظافة : والنظافة امُّ الصحة وابوها. أتصدّقون أنَّ من اكبر العوامل على زوال الطاعون او نقصه كان نقص الزحام والملازة في البيوت ، وتوسيع الشوارع وفتحها للشمس المحيية ، ونظافة البيوت والملابس. كما ان البناء الجديد بالملاط والكلس والبيتون لم يبقِ نقرًا او فراغات يعشّش فيها الجرذان.

ورأسُ الوقاية العصريّة انما هو بدون جدال : التطعيم ، سواء كان للهواء الأصفر ، او التيفية ، او أخواتها ، او الطاعون ، ولاسيما للجدري . وفي كل الموادّ التاريخية التي اتيتكم بها عن القرن الماضي لم اجد اثرًا أجدر بسماعكم من دخول المطعوم الجدري اي البقري. . كما ذكر الامير حيدر في تاريخه ، قال ما ملخصه :

في سنة ١٨١٠ تكاثر الجدريّ في جميع البلدان والمدن حتى لم يكن مكانٌ يخلو منه. وقد جيء بالمطعوم الافرنجي على يد قنصل النمسا : بطرس لورلّا . فاستعمله الامير بشير لبعض أتباعه. وكان يومئذٍ في قرية برجا اناسٌ بهم هذا المرض فأرسلهم الى هناك ، وكانوا ممن يعتقدون بالقضاء والقدر ، ودخلوا

بين اولئك المجدورين وخالطوهم بجرأة وعادوا سالمين . فوثق الامير بذلك واستعمله لنفسه ولأهل بيته ، وشاع ذلك في البلاد فاستعمله كثيرون. ولما حدث هذا المرض بتلك السنة وَجدوا أنَّ الذين قد تطعموا سلموا ، فصحت عزيمة الناس واستعملوه كبارًا وصغارًا . . . وعلينا ان نجهر أنها ثقة لم يزدها السنون الّا رسوخاً وشيوعاً .

أوَما هذه حسنةٌ من حسنات الامير قضى علينا التاريخ والوطن بتسطيرها لهُ بمداد الذهب ؟.

الجراحة

ليس لنا فيها كلامٌ طويل ، لانه قبل ليستر الانكليزي ، اي قبل التطهير ، طبقاً للتعاليم البستورية ، على ما جهر به ليستر نفسه ، لم يكن جراحة حقيقية . ولم تخطر الجراحة ببال الا في بعض الامور البسيطة ، ولطوارئ اضطرارية عادية . فأدنى جرحٍ سابقاً كان يُمسي مرارًا مجلبةً للتعفنات والحمّى والتقيّح ؛ وقد يؤدي الى الموت . وان توفّق الطبيب للشفاء فقد لا يبلغه الا بعد اهوال ومدة من الزمان . واما الآن ، فباغلاء الآلات ومواد الغيار وبتطهير اليدين ومحل العمل بصبغة اليود ، يخيط جرّاحنا القلب ، ويبر الدماغ ، ويشق البطن ، ويستأصل الطحال ، وينقل الغدد والاعضاء . ويتم الشفاء بسبعة ايام او عشرة ، بدون ألم بقوة التخدير (البنج) ، وبدون خطر بفضل التطهير .

اذا اشكل على معاصرينا أمرٌ في الجسم ، فتح جرّاحهم المكان وعرَفَ وعمل عن هدًى وصواب . وهاكم مثل الزائدة الدودية : كثيرون نعرفهم ماتوا بريح السدد او القولنج او « التهاب البريتون » ، ولو كانوا اليوم لعرف امرهم في أصله اي التهاب الزائدة الدودية ، ولعولجوا وشفوا باستئصال تلك التي « اسمها عليها » : الزائدة .

ولا حاجة ان اذكركم بالكورنتينات التي كان يُحجر فيها على المسافرين حتى الى اربعين يوماً كما يدلُّ الاسم . ويغلب انها لم تمنع داء ولا أوقفت وباء ، وكيف استبدلت الان بعزلةٍ فردية وطرقٍ تطهيرية .

الادوية والصيدلة

كان الطب اوانئذٍ قاصراً على امور بسيطة ؛ أو انَّ معرفته كانت تبقى عقيمة الفائدة. فبعد ان يجسّ الحكيم النبض ، ويكشف على اللسان ، ويسمع بعض التفاصيل ، وينظر الى السحنة ، يصف العلاج . وما تلك المعالجة إلا ما شخّصه بظرفه ولطفه موليار الشهير استاذ المضحكين والهازلين ، قال في : *Le Malade imaginaire* :

Clysterium donare,

Postea seignare,

Ensuitta purgare.

حقنة ، ففصد ، فمسهل . وعندنا قد كان زائداً على ذلك : الكيّ ، وهو آخر الطب. اما اشهر المساهل فكانت: الراوند ، والسنكة ، والخيار شمبر ، والهندي شعيري ، وزيت الخروع. ومن الوصفات: ماء الشعير ، وملح البارود ، والقنطاريون او ورق الزيتون ، قبل انتشار الكينين. وفائدة هذه المعالجة تقوم على الثقة : والثقة في التطبيب كلها فائدة . الايمان في الطب ، كما في الدين ، ينقل الجبال . والمعالج كان هو نفسه يأتي بالدواء إن لم يأخذه من عند العطار . واول من زاول الصيدلة في عاصمتنا: السنيور كرولّا ، فأنشأ اجزائية قرب المينا سنة ١٨٢٦ ، لان البلدة القديمة لم تكن تتجاوز الابواب والاسوار المعروفة الى اليوم ، ولا تعدُّ اكثر من ١٥ الف نسمة .

والسيد كرولّا طلياني الاصل ، على افتخار بلدتي بكفيا بأسرته اليوم ، وذلك ما يفسر لكم لفظنا على الطريقة الطليانية: فرمشيا ، وشترات الحديد ، وكربونات السود ، والمانيزيا.

من كانوا اطباء ذلك الزمان

الجواب: فريقٌ من الرهبان ، والشعراء ، والخبراء ، والدجّالين والمغاربة ؛ ولم يكن اصحاب شهادات . وقد بلغ بعضهم شهرةً بعيدة المدى كجبور الطبيب بالزوق ، وعبدالله اليازجي (ابو نصيف) ، وميخائيل سليمان الجلخ من بكفيا

(فبتدين) ، وبني الخوري باهج ، وابي يعقوب تابت ؛ والد جد الوجهاء الخواجات تابت ، وهو اول وآخر من أثرى في الطب. اما وقد ذكرت لكم السنيور كرولّا والسيد ابا يعقوب ، فاسمحوا لي ان افكهكم بقصة صغيرة حصلت لهما ، لعلّي اتوفق الى اظهار الطب دقيقةً بمظهر غير دائم العبوسة او الألم مع مرارة الدواء :

قرأ ابو يعقوب يوماً في بعض المخطوطات او الكتب ، او سمع عن طبيب ما — وهكذا كانوا يتعلمون الطب او يتوارثونه — وصفة راقته ؛ ومن جملة ما ورد فيها من الاجزاء «كلورور السوديوم» ؛ ولم يكن في جواريره او خزانته كلورور السوديوم . فأرسل يطلب ذلك من كرولّا ، فقبض كرولّا ثمن الثمانية الدراهم ريالاً . وتصادف ان العلاج جاء ناجعاً فكرره ابو يعقوب ثم اعاده . وبكل مرة كان يتكلف ريالاً . وفي ساعة ، اذ كان يقرأ ، عثر على ان كلورور السوديوم ليس الا ملح الطعام العادي . فهرول الى كرولّا وعاتبه ، ثم وبخه كيف يبيعه الملح بهذا الثمن ، ووصل به الحنق الى ان شتمهُ بقوله : « انت حرامي !» . فأجاب كرولّا : « انا حرامي وانت حمار ! لانك لا تعرف أن كلورور السوديوم ملحٌ . وما دفعتَه من المال كان حقّ علم ! »

ولا ينخدعنّ احد بوصفات او مخطوطات ، او علومات ذلك الزمان ! فهي مقروءة معروفة موجودة بين يدينا ، واختبرت مضامينها فما فيها سوى ما أخذناه منها . والطب والجراحة وعجائبها وقانون الصحة الفعّال كل ذلك من مواليد اواخر القرن الماضي وما مضى من الحالي القرن العشرين .

اما اول طبيب لبناني ذو شهادة قانونية ، بعد دروس أصولية ، فينتسب الى اسرة باز الديرانية التي تذبُ فيها ابداً ، والحمد لله ، روح الاجداد . وهو الشيخ درويش عبد الاحد باز ، ارسله خاله البطريرك يوسف الخازن الى المدرسة الطبية الحديثة ، بزعبل ، اذ ذاك ، ثم انتقلت الى القصر العيني . ولم يولد الطب العلمي المدرسي الا من يوم ايفاد امير الامراء بشير بعثة من التلاميذ اللبنانيين ليتعلموا الطب بمصر . واليك كيف كان ذلك :

ضاف ابراهيم باشا ، الفاتح المصري ، صديقه وحليفه الامير ؛ واصيب بشير بقولنج شديد الإيلام (وربما كان مغصاً كلوياً وهو مرض كبراء المفرطين في اللحوم

والحياة الجلوسية) فحاروا في الامر ، ولم يكن ساعتئذٍ طبيب جدير بالثقة يتولى مداواته . فشقَّ ذلك على ابرهيم باشا وأشار على الامير بان ينتخب من يدرس الطب بالقصر العيني على حساب والده محمد علي . فأرسلت البعثة الاولى من نخبة شباننا مؤلفة من ابرهيم النجار ، ويوسف الجلخ ، وغالب البعقليني ، ويوسف مرهج لطيف ، وسليم الملوك ؛ وعادت فائزة بالديبلومات عام ١٨٤٢

اما ابرهيم النجار فبعد زيارة للامير في منفاه بالاستانة ، حضر الى بيروت كرئيس اطباء الجيوش. وفتح مدرسة طبية في البيت المحاذي لهذا النادي ومن خريجيه يوسف الزغزغي ، الشهير بإصلاحاته ومآتيه الخالدة في لبنان ، والمرحوم والدي الذي روى لي أنَّ ابراهيم كان اول من عمل هنا عملية الحصاة ؛ واذ لم يكن ذاع استعمال البنج ، كان يربط من يجري له العملية على زوايا طاولة العمل . وترك لنا ابراهيم النجار تآليف قيمة ، ومات في بكفيا بين يدي تلميذه ميتة صالحة على ضد ما أشيع ، أهبه اليها الخوري جرجس فرج الاول ، مرشد دار الامير حيدر اللمعي. وكان ضريحه في وسط مقبرة مار عبدا . واذكر ، ولدًا ، الشطر الاخير من تاريخ وفاته وهو:

« في حضن ابراهيم بات سميّهُ »

واما يوسف الجلخ فقد عرف ببراعته وكبر فضائله ، ومن ثماره المرحوم الحكيم سليم الجلخ بكره وربيبه .

اما الحكيم ڤان ديك مؤسس مدرسة الطب في الكلية الاميركية عام ١٨٦٥ ، فقد جاء سنة ١٨٤٠ واشتغل اولًا في عبيه خاصة للرسالة والتبشير ، اكثر من اشتغاله في الطبابة.

وبالاختصار ان علم الطب كان ، كعلم الحقوق الى امس ، يتعلم في الكتب وعلى بعض رجال الفن. ولم يكن دبلومات ، ولا مدارس قانونية ، كما كان في اوربة الى العصور الحديثة.

الحياة العقلية في لبنان

قبل مئة سنة

محاضرة القاها في نادي الشبيبة الكاثوليكية

فؤاد افرام البستاني

٢

على ان المحفل الادبي الأكبر ، قبل مئة سنة ، كان في بسلاط الامير بشير في بيت الدين . وها نحن نحضر بعض جلساته :

نرى الأمير ، وقد انهى اشغاله الادارية ، يُقبل على حلقة الادباء ، وبنفسه دافعٌ شديد الى سماع الشعر الجيّد ، وميلٌ قوي الى معرفة المجلّي بين شعرائه العديدين . فيجلس في الشوّر الخارجي للطابق الأعلى من قصره ، امام الدار الداخلية الفسيحة ، يمتّع نظره بتلاعب فوّارات الماء في بركتها ، ويشنّف آذانه باناشيد مجالسيه ، وقد اجتمعوا وشحذوا قرائحهم للمباراة .

نرى بينهم اذ ذاك شيخاً يناهز الرابعة والستين يحترمه الجميع ويهابونه ، فلا يجرأون على مجابهته ، وإثارة قريحته التي لم تزل وقّادة ، على كرور السنين . هو المعلّم نقولا الترك الذي كانت تلك الجلسة آخر جلساته .

والى جنبه شاعر في نحو الخمسين من عمره ، يهيم بيانه الممتاز في ذاك العصر ، بين الموضوعات المختلفة ، فيعود بالصور ، والتشابيه ، والتعابير المؤثرة من معقول ومنقول ، وبكثير من النكات والتلميحات الى حالة الزمان والمكان . هو المعلّم بطرس كرامه الحمصي الاصل ، الذي علّم ابني الأمير ثم اصبح امين سره .

يليه شابٌ ، ادعج العينين ، بعيد النظر ، تدلّ قوافيه المتينة ، وسبكه القويّ على ان سيكون لهُ مستقبَل في عالم الشعر ، ومستقبلٌ باهر . هو الشيخ

ناصيف اليازجي.

ومعهم شاعر غريب نراه صدفةً في مجلس الأمير بشير . ذاك الشيخ امين الجندي الشاعر الحمصي.

دخل الأمير بشير ، وفي يده باقة من الزهور الملوّنة ، التي تكثر في بساتين القصر ، فأهداها الى بطرس كرامه . فقال هذا على الفور :

وباقةِ زهرٍ من مليكٍ مُنحتها معطّرة الارواحِ مثل ثنائه
فابيضُّها يحكي جميلَ خصاله واصفرُّها يحكي نُضارَ عطائه
وازرقُّها عينٌ تُشاهد فضله واحمرُّها يحكي دِماء عِدائه

ولم يكد ينتهي حتى صفّق الجميع استحساناً ، بينما كان نقولا الترك يحرّك رماد قريحته عن جذوتها التي لا تزال مشتعلة ، فيعارض زميله قائلاً :

وباقةِ زهرٍ من أقاحٍ مُنحتها من البطل المشهور في عظم فعله
مُنوّعةُ الألوان ما بينَ ابيضٍ بلالٍ نوراً مثلَ إشراق فضلهِ
وتزهو بالوانٍ عجيب وقوعُها حكت حالةَ الأعداء في يوم حملهِ
فصفرُ وجوهٍ ثم زرقٌ كخطبهم وحمرٌ كدمٍ فاض من حدّ نصلهِ !

ثم وليَ المعارضةَ التشطيرُ فالتخميس . فشطّر كل شاعر ابياتَ مناظره ، وخمّسها . وانتهت مناظرة الباقة على احسن حال.

وليس هذا الموقف بالوحيد من نوعه ! فكم هناك من جولة في المديح والوصف اشترك فيها جميع الشعراء فتنافسوا ، واتوا بقصائد قد نراها تافهة في عصرنا ، على انها لا تخلو من فائدة لقياس قيمة المستوى الشعري في ذلك الوقت. وقد شهد لامرتين بعض هذه الحفلات ، فوصفها وصفاً مستفيضاً في « رحلته الى الشرق » وانتقد بعض الأبيات التي تُرجمت له ، فقال ما تعريبه :

« انها تشوبها الزخرفة والتكلّف ، ويشينها التلاعب اللفظي. وتلك صفات اللغات والمدنيات الشائخة. ولكنّ فيها ، على الرغم من ذلك ، مقدرةً في الفنّ وتناسقاً في الافكار ، ارفع بكثير ممّا نتصوّره عنها في اوربة.»[1]

وكم هناك من حاجة ارادها المعلّم نقولا من الامير فطلبها بالشعر ، او

(1) Lamartine : *Voyage en Orient*, 1811, p. 231

بالنثر المسجع ، كما حدث له بالمقامة الديرية التي انالته منزلاً جميلاً في دير القمر ، تحت قبة الشربين[1] .

وقد اشتدّ عليه البرد في احد ايام الشتاء ، فرأى ان يطلب جبّة سميكة من الامير ، فكتب اليه :

لي جبّةٌ خلتها طيرًا لخفتها مع ان لا ريشَ يعلوها ولا صوفُ
افلنْ ذاني ، اذا ما كنت داخلها ، كأنني في بساط الريح ملفوفُ .

وعلى هذا النحو قصيدته في طلب الشروال والعمامة ؛ وهي لا تخلو من فكاهة ، ولا بأس بايراد بعض ابياتها :

وشروالٍ شكا عتقاً ، وأمسى يراودني البناقَ ، فما عتقتُ
وكم قد قال لي : « بالله قلني ، وهبْني كنتُ عبدًا وانطلقتُ
اما تدري باني صرتُ هَرْمًا وزاد عليَّ أنني قد فُتقتُ
فدعني حيث قلَّ النفعُ مني وعاد من المُحال ، ولو رُتقتُ
ولا تعبأ بتقليبي ، لاني بعمر ايسك نوحٍ قد لحقتُ ! »
ولم يبرحْ يجدد كلَّ يومٍ عليَّ النَّحْيَ حتى قد قُلبتُ
وقلت لهُ : « عُتقتَ اليومَ مني لاني في سراكَ قد اعتقتُ ! »
وأشعرتِ العمامة في منامي له ، فاستحسنت ما قد نطقتُ
فراحت وهي تشدو دون رأسي : « لي البشرى اذًا وانا عتقتُ ! »

هذه القصيدة ، على ركاكتها ، انالت صاحبها شروالاً جديدًا وعمامة جديدة . فهل يمكنكم ان تهدوني اليوم على قصيدة متينة تنيل صاحبها شروالاً او عمامة ؟

ولم يكن المعلم نقولا ليرى بطيبة خاطر كثرة الشعراء حوله ، فكان كثيرًا ما يقرعهم ، ويهجوهم ، ويصدّهم عن ورود حوض الشعر ، وهذه فيما يلي قصيدة ذمّ بها بعض الشويعرين من السَّرَقة . قال :

اصبح الشعرُ كالشعير مقامًا لا بل الشعرُ منهُ ارخصُ قيمهْ
غرَّ من قد غدا بذا الدهر يغني حقَّ ما فيه من لآلي نظيمهْ

---

(١) اطلب الحادثة والمقامة في كتابنا « على عهد الامير » ، ص ٥٨

حيثما قد غدت بنو المَلَط تنشا فيه بئس المؤلفات الذميمه
ويهم كيف جوّزوا وأباحوا هتكما فيه من عروض سليمه
يا لهم من قواجر بنيام والمطا غوّروا البحور العظيمة
نقضوا كل كامل موزون ذي احتكام وعوّجوا مستقيمة
افسدوا جوهر البسيط ونبي ركّبوا اقبح الصفات الذميمه
قلّ ان ينفذ المنيف فرار منهم او تفي السريع هزيمه
ضعضعوا الوافر المديد وأمست بينهم حالة الطويل مشومه
كلهم كالذئاب قوم لصوص يستحلون سرقة محرومه
قاتل الله مثلهم من يسطو بافتراء على البيوت القديمه
كم جم ابكم يقلد قسا فيه قد كانت الفصاحة شيمة
بل وكم بينهم ترى مهذارا فاغما شدقه كشدق جميمه
حرمة الشعر يا عباد توفت فاسكبوا فوقها الدموع الحميمه
عظمها في التراب ما زال يشكو: «يعلم الله اني مظلومة!»

واحتاج يوماً المعلم بطرس كرامه الى فم ماسورة، او بزّ، وكان قد ترك النارجيلة في سبيل الماسورة، فقال على مسمع من الامير:

قامت تعاتبني على هجراها تركيلة منها فؤادي يأم
وانت تقول: بدلت نطق فصاحتي في نمرة خرساء ليس لها فم

فاهدى الامير اليه بزّا من الكهرباء، فقال:

ورب خرساء اضحت بعد لكنتها فصحاء ذات فم للضد ردّاد
قامت بعبسها الراهي ترد على تركيلة فجرت في قولها البادي:
تندّدين بأني غير ناطقة الم تري منطقي يروي ظما الصادي
الم تري ماجدا نعم الأمير ومن أحيي وجود الندى في كفه النادي
فهو الذي قد غدا لي منجدا ومه ثغري يغرّد في مدح وإنشاد

الى غير ذلك من المداعبات، والمفاكهات، والمغايرات، والمناظرات، التي كانوا يتلهون بها كمناظرة الزيت واللحم لنقولا الترك، ومناظرة النارجيلة والغليون لبطرس كرامه، التي نقرأها اليوم فنبتسم لما فيها من تكلف وركاكة وضعف ذوق.

على ان هناك في قصائد المدح والموشّحات المتعدّدة بعض مقاطع تاريخية تنفضا ، لا من حيث قيمتها الشعرية ، بل من حيث رقم السنين التي تؤرّخ بها الحوادث . مثال ذلك كل ما نظمه بطرس كرامه من التواريخ لآتي الامير بشير المختلفة . فان الامير المذكور لم يبنِ قصرًا ولا مقاماً بسيطاً ، ولا باباً ، ولا سبيلًا للماء ، ولم يغرس بستاناً ، ولم يحضر موقعة ، ولم يخرج ليوم نزهة ، ولم يمت له بازٍ مشهور ، الّا ونرى تاريخاً لكل ذلك . حتى انه يمكن مؤرّخ ذاك العصر المضطرب ان يستند الى ديوان بطرس كرامه ، واربعة اخماسه فيما يتعلق بآتي الامير بشير ، لتقرير كثير من المعارك والحوادث والاعمال ، سنةً فسنة .

وانه ليطول بنا الكلام ، اذا شئنا عرض جميع الموضوعات التي خاض فيها كرامه وخرج منها مجلياً حيناً ، ومصلياً احياناً . على اني لا اتمالك عن ان اذكر ثلاثة ابيات قالها يصف رشحاً المّ به ولعلها تنطبق على حالة الكثيرين منا في هذه الايام الباردة (ألقيت المحاضرة في ٢٧ كانون الثاني) ، قال :

وليلةٍ بتُّ اشكو الرشحَ من ضررٍ حتى فنيتُ وحال الحالُ وانـابا
قالوا : «أترشحُ يا هذا؟» فقلت لهم . «لا بل ولكنَّ انفي صار ميزابا
كأن عينيَّ عينُ الماء في هطلٍ فصار انفيَ دلوَ الماء صبَّابا ! »

واذا اضفنا الى مجموع هؤلاء الشعراء شاعرًا آخر ، بيروتي الاصل ، هو السيد احمد البربير ، كان لنا صورةٌ تامّة للحياة العقلية في لبنان في ذاك العصر من حيث الشعر . اما مؤلفات السيد احمد البربير فاشهرها مقاماته ، وهي تشبه مقامات نقولا الترك ، وكلا الاديبين ينسج على منوال الحريري . وله بديعية ؛ وكتاب سمّاه « الشرح الجليّ على بيتي الموصلي » طبع في بيروت ١٨٨٥ ، وهو تأليف واسع فيه كثير من فنون العرب وآدابها ، اوردها الكاتب بمناسبة شرح بيتين من الشعر الصوفي . وله كثير من المنظومات المتفرقة والمراسلات الشعرية ، وهي بالاجمال امتن واضبط من منظومات شعراء الامير ، ولكنها تقصر عنها ابتكارًا وتفننًا .

* * *

اما النثر فكان بحالةٍ تستحقّ الشفقة . ان ارسله الكتّاب جاوروا اللهجات العاميّة ، وان سجّعوه فهناك سوء الاختيار وفساد الذوق . وها انا اورد لكم مثالاً واحداً على النثر البليغ في ذاك العصر ، وهي قطعة اقتطفتها من رسالة بعث بها المعلم بطرس كرامه الى الاديب نصرالله فتح‌الله الطرابلسي في حلب ، وفيها من التلميح الى مصطلحات الصرف والنحو والعروض والبيان والمنطق وامثال العرب وتاريخهم ما لا يحصى . قال ، بعد ان بدأ التحرير بنحو الخمسين بيتاً ، ولمّح الى كثير من احوال العرب :

«غير انه لما عاندني الدهرُ برؤياكم . وانتحل مذهب عرقوب بلقياكم . ونأت افعال المقاربة . وتدانت المعمولات بعوامل عطف الفؤاد عليه . عطفَ نسقٍ المحتاج اليه . وتنزّه عن البدل والاشتقاق من مصدرٍ عاملهِ . ولا غروَ اذا كان المفعول نائباً عن فاعلهِ . فاستعوضنا بالسبيكة عن القمر . وعن المبتدا بالخبر . وتحققنا باتصالِ القلوب كل ضميرٍ مستتر . وتأكدنا بالصلة والموصول أن المضمر كالظاهر . واستدللنا بالصفة على الموصوف . وعاد كلُّ منكرٍ معروف . وانتصب القلب بالاختصاص لحبكم . وجزَم ان لا يحله غيركم . وتحقق أن طويل البعاد بالسريع متقارب . ولم يزل يعُرى الاسباب مقتضباً متدارك . ففؤادي الأجوف بلفيف حبكم مقرون . وشوقي المتضاعف مزيدٌ غيرُ مهموز ولا معلول . وما القلبان منا الّا وتدٌ مجموع على الألفة . لا يقطعها فاصلة صُغرى ولا كبرى . ولا يحلّها الخبنُ والانتقال . وشتان ما بينها وبين التنازع والاشتغال . فاماً التنازع بجملة العتاب . المصدَّرة باول الكتاب . فاقتضى بعمولها العاملان . وحقَّ لكلٍّ منا وآن . غير ان العامل الثاني اولى بذلك . كما تقرَّر عند الاستاذ ابن مالك . واما ما اعربتم من مُضمرات الهيام . وصرَّحتم به من عوامل الغرام . فما ذلك الّا جزء من تقسيم الكلّ الى جزئياته . لما عندنا من محمولات الغرام ومقولاته . فحبّنا بالفؤاد مؤلف مجرَّد عن الكمية والماهية . غير منقسم حدّه ولا يُقاس بالقياسات الوضعية . فقلبي المعتصم المتوكل الواثق بكم . والامين المنصور القائم بأمر حبكم . . . »[1]

---

١) ديوان بطرس كرامه ص : ٩٢ – ٩٤

الى آخر ما هنالك من المضحكات. وهو يختم كتابه بالسلام على المرسل اليه بعد ان يمرّ على امرئ القيس ، وزهير بن ابي سُلمى ، وصحاح الجوهري ، وأياس ، والاسطرلاب ، والميدي ، وحسّان ، وابن زيدون ، وابن هاني ، والشعبي ، والصابي ، والبستي ، والتلمساني ، والبهاء زهير ، والسروجي ، وابن زريق ، وابن سهل ، وخفي حنين...

* * *

ويجب ان لا ننسى مظهراً آخر للحياة العقلية قلّما اكترث له مؤرّخو الآداب ، الا وهو الشعر العامي او الأزجال. وقد حفظ لنا التاريخ شيئاً كثيراً من تلك المنظومات المتعدّدة الموضوعات ، المتناسقة الاقسام ، الجميلة الاوصاف حتى الابتكار ، التي قد يكون فيها من الخيال والحسّ والبلاغة ، اكثر مما في دواوين برمّتها من قصائد التقليد والاحتذاء.

ولا يسعني الوقت لذكر الامثال المتعددة عليها ، فاكتفي بالاشارة الى زجلية مشهورة للقس حنانيا المنيّر المذكور آنفاً ، وهي المعروفة «بقصة البرغوت» التي لا تزال تتناشدها عامتنا الى اليوم. واورد بعض مقاطع من مطلع للشيخ ناصيف اليازجي ، قيل انه نظمه وهو في العاشرة من سنّه ، قال :

شاعت بدر التورْ بالمِلفَهْ لِمَنْ لبست الجبّة الزرقا
انت القمرْ والبدرْ يا غندورْ لكن من اين للبدر هل المشقهْ !

انت القمرْ والبدرْ يا غندورْ بالطالع المُسعد وفيض النورْ
برجك بقلبي لم يزل مسورْ
خيّمت في شرقيهْ حتى اتشغل قلبيهْ وانت المخبّا فيهْ
هذا السبب غرفان ها الغَرْقَهْ !

هذا السبب محجوب عن عيني والحجب ما بينك وما بيني
بالله لا تُنكرْ وَفا ديني
دَين المحبة عليكْ تنظرْ عيوني ليكْ واش كان يصير يا بَيك
لتّك بشرق صوبنا مَرْقَه

لتّك بشرق صوبنا مرّهْ وانظرْ على صبح الجبين غرّه
حلوه على صروف البكا مُرّه

سبحان من سوّاكْ يا بدر في الأفلاك حيًّا الذي سمّاك
اسمك طلع له في البلد شهْ

اسمك حسن وانت الحسن ياسيدْ والكل من شانك خدم وهيدْ
سلّمت لك الروح إيد بايدْ

. . . .

قال: يا حكيم الرومْ انت النبي المعلومْ متى القيامة تقومْ؟
قلت: القيامة ساعة الفرقهْ

اما اوزان فنّ الزجل فبعضها خاصّ به ، وبعضها يشترك مع العروض ، وعلى كلّ فهي قليلة قلّما تتنوع. وقد بحث فيها الشيخ ابراهيم الحوراني ، وكان من نظّام الزجل في عصره ، وتحرّى جمع ما امكنه من الاوزان. فلم يجد من البحر العَروض عند العامة سوى ثلاثة اولها الرجز ، ومثاله :

خبّيتْ مالك في المزاين شو نفعْ ؟ الّا الشهادة بحقّ ارباب الطمعْ
قالوا كتير الشدّ بيرخي الحبالْ ركّبْ شدّك حبلْ تدبيرك قطعْ

والوافر ، ومثاله :

صار القبرْ اقرب من حبالي وصار الصبرْ ابعد من منالك !

والسريع ، ومثاله :

ريح الصبا بحياةْ غصن البانْ والوردْ ، والنسرينْ ، والريحانْ
منّين جيتي المسك بجيوبكْ ؟ تحسين مرّيتي على المقلانْ!(١)

اما القرّاديات فقسم منها على المتدارك المجزوء ، والباقي على اوزان خاصة به.

* * *

هذا مجمل ما يبدو لنا من مظاهر الحياة العقلية في لبنان قبل مئة سنة . اما حالة هذه الحياة اليوم فها هي ماثلة امامنا في المدارس والمكاتب ، والاندية والمجلّات والجرائد . فاذا قابلناها بما كانت عليه في اوائل القرن الماضي ، واذا تحقّقنا هذا الشوط البعيد الذي قطعناه ، فرأينا لغتنا تتحرّر ، واسلوبنا يرتكز ، وتعبيرنا يتهذّب ، وذوقنا السليم يتوطد شيئاً فشيئاً ، امكننا ان نفتخر بما وصلنا اليه ، وان نعلّق على المستقبل اشهى الاماني ، واوسع الآمال.

١) راجع جرجي زيدان: تاريخ الآداب العربية ، الجزء الرابع ، ص ٣٢٧ — ٣٢٩

في الانثاليد

نابوليون – تورين – فوش

للاب توتل اليسوعي

الانثاليد (invalide) في عرف الافرنسيين « العاجز او القاصر » . وقد خصّوه بالبناية الكبرى التي شادوها في باريس ، على ايام الملك لويس الرابع عشر (١٦٧٠) ، مقاماً للجنود المتقدّمين بالسن ، او غير القادرين على كسب معيشتهم ، لما اصابهم من الجروحات وهم يجاهدون في سبيل الوطن .

تشمل دائرة الانثاليد متحف المدفعية ، ومتحف الجيش ، ومقام حاكم باريس العسكري ، منذ ١٨٩٨ ، وهو في يومنا الجنرال غورو .

وفي الانثاليد كنيسة عليها قبة فخمة ، وعلى جدرانها نصب الافرنسيون الاعلام التي غنموها من اعدائهم في الحروب ، فهي كالشاهد العيان الناطق ببسالة الجدود ، وقوة مراسهم ، وشجاعتهم ؛ وهي كذخيرة ومجموع امجادهم . وفي العام ١٨٤٠ وضعوا في الانثاليد رماد نابوليون . فاطلق على البناية مجازاً اسم ضريح الامبراطور «Le tombeau de l'Empereur» وهو تحت القبة في متسطح من الارض ، مدوّر ، يشرف عليه الزوّار من اعالي رواق محدق به . وبالقرب من رماد نابوليون اقاموا اضرحة لغيره من رجالات فرنسة العظام : هناك قبر للقائد تورين ، وهناك وضعوا فوش .

نابوليون ، تورين ، فوش !

ناموا نومهم الاخير جنباً لجنب ، تحت اجنحة الصليب وفي ظل الاعلام السجينة . فرّقت الحياة بينهم في شتى الازمنة والامكنة ؛ فضمّتهم المنية

اليها في حمى تربة واحدة. نثرت المجلات على ارملهم زهور الاعجاب والكرامة والخشوع ، فلا اقلّ من ان نتناول زهرات من زهور الخلود تلك ونحتفظها في طيّات «المشرق» عبير عظمة ، وذكرى بطولة.

وصية نابوليون

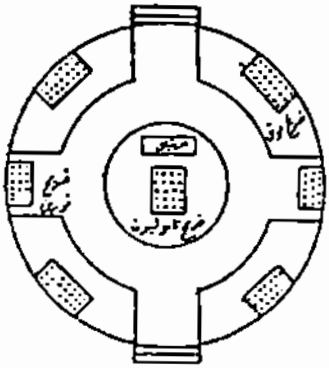

رسم معبد الانفاليد

يعلم الجميع مقاومة نابوليون للمبادي الكاثوليكية في ما يخص وحدة الزواج وعدم انحلال عقده. ذلك ما ادى به الى الالحاح على الاب الاقدس ، في طلبه منه بالوعد تارة وبالوعيد اخرى ، لعلّه ينال ، بالخداع او بالقوة ، فسخ زواجه الشرعي من الامبراطورة جوزفين ؛ وبركة الاكليل ثانية على ماري لويسا ، الاميرة النمساوية ، ابنة فرنسوا الثاني امبراطور المانية. فامتنع البابا وقاسى الاضطهاد . على ان بونابرت كان مسيحياً كاثوليكياً بالرغم من جماحاته ، ايام عزّه . فهو الذي اعاد النظام الديني الى فرنسة بعد ان ذهبت به الثورة الافرنسية . ولما زالت دولة نابوليون ، ونفي ، وتضاءل نور حياته كتب وصيته واودعها بنداً شاهداً على صدق ايمانه ، قال:[1]

«انه يعلن بانه يموت في الديانة الكاثوليكية التي وُلد فيها . وانه يرغب الى الكاهن فينيالي ان يناوله القربان المقدس قبل موته ويمسحه ويزوّده سائر ما يزوّد به المؤمنون في مثل تلك الظروف.»

تورين يعتنق الكثلكة

من تأليف للجنرال فيان

امّا تورين (١٦١١ — ١٦٧٥) ، القائد المظفّر ، الذي ضفر بيديه اكليل النصر على رأس ملكه لويس الرابع عشر ، وقتل في ساحة الوغى ، فكان بروتستنتياً مولداً ومنشأً ، ثم اعتنق الديانة الكاثوليكية . كيف حدثت تلك

١) راجع مجلة العالمين ، ١٥ كانون الاول ١٩٢٨ ، ص ٨٥١

الثورة الفكرية في حياته ؟ هل كان الداعي لنبذه معتقد لوتر وكلفين طموحه الى الوظائف العليا التي وعده بها لويس الرابع عشر ، اذا اذعن لاوامر ملكه واعتنق مذهب الاكثرية الساحقة في فرنسة ؟ او هل انضم الى الكثلكة ، نقمةً منه على حزب « الهوجنو » لعدم تقديرهم شخصيته حق قدرها ؟ ما هي الدواعي الباطنية التي حركت قلب رجل شديد المراس غير هياب سطوة الالوف من الجنود ؟ كيف اهتدى تورين الى الايمان الكاثوليكي ، اكان ذلك لغاية بشرية ، او طمعاً بخلاص نفسه فقط ؟ .

ذلك المبحث جال فيه العسكري المتدين ، والقائد الكبير ، صديق سورية ولبنان ، ومندوب حكومة فرنسة السامي فيها سابقاً ، الجنرال ڤيغان . فوضع مؤلفاً في حياة تورين ، ونشر على اهتداء تورين في مجلة العالمين (١٥ شباط الأخير) مقالاً درس فيه القضية من جميع وجوهها . فبيّن ان نفس تورين كانت منتعشة بالحياة الدينية البروتستنتية ، لكنها لم تطمئن الى ايمانها لما بين البروتستانت من التذبذب في تحديد قواعد الايمان وشرحها . ولم يكن في قلب تورين بغض فطري للكثلكة ، رغم تعصب والدته عليها وقد روي عنها « لأن ارى ابني تحت شفرة المقصلة احبّ الي من ان اراه كاثوليكياً . » فان اباه ولد وتعمد في الكنيسة الكاثوليكية . وكانت نية تورين مستقيمة في طلبه وجه الله وخلاص نفسه ، وظلّ مدةً يعيش طبقاً للمبدأ الذي اعلنه لاحد اصدقائه : « لو صح لي ان كل الديانات سيان لاخترت الكثلكة دون غيرها ، اذ هي الآمن مسلكاً الى الخلاص» . ولكنه كان مرتاباً بصحتها ، فلم يعتنقها

فصار يسعى ويبحث ويلتمس النور لعقله والراحة لقلبه ، فلا يألو جهداً في مذاكرة رجال الدين وسائر من يمكنهم تنويره في التعليم المسيحي . وحدثت اعجوبة سببت انقلاباً عظيماً في نفس تورين : نشبت النيران في اللوڤر ، واخذت تنتشر ، الى ان تقدم كاهن حاملاً القربان المقدس فاوقف سيرها . ففطن تورين من ثمّ الى تعليم الكنيسة الكاثوليكية في وجود المسيح الحقيقي في الافخارستيا .

اما الذين مهّدوا له الطريق الى ايجاد النور فنهم نيقول من پور رويال ، وبوسويه الخطيب الشهير . ولعلّ بوسويه وضع مؤلفه «شرح الايمان الكاثوليكي»

لتورين خصيصاً. وكانت عقيدة الايمان في حضور المسيح الحقيقي في الافخارستيا، وضرورة وجود سلطة واحدة لا مرد لحكمها في بيعة الله، هي الحجة التي ظفرت من نفس ذلك القائد الباسل. وسمع عن احد البروتستانت انه قبض عليه اسيراً في اسية الصغرى ووقع تحت نير الاتراك ثم اختلط بمسيحيي الشرق، ورأى ايمانهم في الافخارستيا، وعاد من بعد الى فرنسة، فخبر ذويه بما اختبره بنفسه عن اعتقاد الشعوب العريقة القدم في الدين المسيحي. فنبذ تورين الديانة البروتستانية واعتنق الكثلكة سنة ١٦٦٨. قال الجنرال ڤيغان:

« فلا حرج اذن علينا في البحث عن دواعي اهتداء تورين الى الايمان الروماني. اننا لن نعثر في درسنا على فكر او فعل يضطرنا الى الحط من كرامة الرجل. تشرب تورين الحياة الدينية منذ نعومة اظفاره فلم تفارقه، ولا في معسكراته، امام العدو، بل كان دوماً يعالج مشاكلها. ولما خامره الشك بصحة الديانة البروتستانية اخذ بالتفتيش عن الحقيقة. ولم يألُ جهداً حتى اكتشفها فاعتنقها. واعتنقها لا عن غرض عالمي ولكن حباً وشغفاً بها، لانها الحقيقة. »

فوش

«لا بدَّ للشبيبة من ان تعدّ قواها!»

سابق فردينان فوش في هذا الموضوع، وهو فتى، ليحظى بدخول المعهد الحربي « پوليتكنيك » سنة ١٨٧٠. وفي اليوم التالي بلغه خبر انكسار الافرنسيين واندحارهم امام الالمان، فعقد النية على ان يكون جندياً وقيد اسمه في الفيلق الرابع من المشاة؛ لكن المدنية فاجأته وحالت دون خوضه نيران القتال. ودخل پوليتكنيك سنة ١٨٧١. ومعهد الممارسة (Ecole d'application) سنة ١٨٧٣ في فونتنبلو، واتقن الفروسية في تارب، ولازم الدروس في سومور، وفي المدرسة الحربية الكبرى سنة ١٨٨٥، حتى نال شهاداته. ثم عاون على التدريس في التاريخ، وفي الفنون العسكرية، الى ان قُلد رسمياً وظيفة معلم في المدرسة الحربية الكبرى سنة ١٨٨٦، فألف كتابين شهيرين اودعهما خلاصة معارفه. كتاب القيادة في الحرب (La conduite

de la guerre) وكتاب اصول الحرب (Les principes de la guerre) . ثم دبت عقارب الماسونية في مصاف الجيش ، فنحي عن وظيفته سنة ١٩٠١ ، الى ان عهد اليه كليمنصو سنة ١٩٠٧ ، بادارة مدرسة الحرب الكبرى .

ثم تولى فوش قيادة فرقة الجيش الثالثة عشرة سنة ١٩١١ ، ثم الفيلق الخامس سنة ١٩١٢ ، والفيلق العشرين سنة ١٩١٣ . ومن ثمّ نشبت الحرب فخاضها فوش وقد استعدّ عليها بخمسين عاماً قضاها درساً واجتهاداً .

وحطّت الحرب اوزارها ، وخرج فوش منها ظافراً . فلم ينسَ ان ينسب النصر اولاً الى رب الجنود ، ولم يخامره قط حياء بشري في اظهار ايمانه واتكاله على الله .

وقد اضافه الانكليز في لوندرة فكانوا يجدون على منضدة في غرفته كتاب المسيحي ، والاناجيل ، وكتاب القداس ، وكتاب الاقتداء بالمسيح . وكان ايام الحرب يقضي في الكنائس ساعات طوالاً . فبلغ الخبر كليمنصو ، فقال : «ما لكم وله ؟ دعوه وشأنه فانه لم يحصد من صلاته الا النجاح .»

وكان فوش يقول : «لسنا الا الآلة العمياء في يد العناية الالهية ! »

ولما احتضر تقدم اليه الاب لاند معزياً ومشجعاً قبل ان يمسحه بالزيت المقدس ، وذكّره بركب الابرار من عساكره الذين سبقوه . فاشار فوش بيده الى فوق وقال : «السماء ! »[1]

الجنازة (٢٦ آذار ١٩٢٩)

اودعوه النعش ، وحملوه على مدفع ، وغطّوه بالعلم المثلث الالوان ، ووضعوا على العلم القبعة المطرّزة باوراق الذهب ، ووشاح القائد ، وسيفه . وساروا الوفاً مؤلفة ، وفي مقدمتهم رئيس جمهورية فرنسة ، والبرنس اوف ولس ، وسفراء الدول المتحالفة ، ومندوبو المتحاربين القدماء ! ساروا متأثرين ساكتين بين الجماهير الخاشعة ! شيّعوا الى مقامه الاخير من كانت له الايادي البيضاء على بلاده باجلاء العدو عن اراضيها ؛ وعلى المتحالفين بقيادتهم الى النصر ، وعلى العالم بتحريره من نير العبودية .

١) عن مقالة في مجلة الابحاث ، للاب دونكور (Etudes, 5 Avril 1929)

لقد اطرأوا فوش ، وأشادوا بذكر عقله الكبير وعزمه الصارم ، ودعته وسذاجته الآخذة بمجامع القلوب ، ولا سبيل الى التوسع في الموضوع.

ولكن حسبنا اليوم ان نقول انه لم يرضَ لنفسه باكليل نصر دام ، فاوقف رحى الحرب ، وقد اخذت دائرتها تدور على اعدائه وتطحنهم طحناً . والمتعطشون الى الانتقام ممن حوله يغرونه بالاجهاز على عدوّ اذاقهم الامرّين بالامس ، ووقع في قبضتهم اليوم . فلم يسمع فوش لنصائح الناقمين ، وفضل النصر بعقد الهدنة وحقن الدماء ، على النصر بالارهاق والتشفّي ، فنال اعجاب اعدائه ، وحاز لقب «مرشال السلام» ! —

الجنرال الاعمى [1]

وقف في الانثاليد متأبطاً ذراع امرأته جوليت ، وصار يسألها ان تصف له مناظر الجنازة ، وكنت انا بالقرب منهما اسمع لحديثهما .

قال الاعمى : جوليت لا تتركيني . ماذا ترين ؟

جوليت : لا شيء ؛ المناصب للرجال فاضية . . . اليك ! اليك ! هوذا الجنرال غورو .

واشر الجندي الضرير بحضوري ، فقال :

سيدي صف لي المشاهد ! ان امرأتي لا تحسن الوصف .

قلت : الانثاليد في نور اشهب ؛ الضباط حول المدافع يتألبون ببزاتهم الرسمية ؛ مساحة لسير الجنود ، وفي وسطها منبر للخطابة . هناك يقف بوانكاره للتأبين . القناديل منوّرة ، والسواد يغطيها حداداً .

ثم سمعنا صوتاً هائلاً . فليس هو بصوت البشر ، انما هو صوت الرعد القاصف ، صوت المدافع ، ثار من خلال الاغصان ، وتساقط من السحاب ، ومضى على وجهه في الهواء هائماً .

الاعمى : لقد وصلوا ! اني اسمع الابواق تشقّ اديم السماء .

ومرّ امامنا رجال الشحنة ، ونادوا : يا للموكب !

الاعمى : سيدي ، قل ماذا ترى ؟

قلت : سيارتين ، ورجال الشحنة على دراجات . التفوا حول المنبر ، وفسحوا المجال حوله . هوذا الجنود قد اقبلوا

---

١) عن مجلة اوربة الجديدة ، ٣٠ اذار ١٩٢٩

الاعمى : الافرنسيون ؟

قلت : نعم الافرنسيون ! وقد بدت ثيابهم بلونها الازرق السماوي ، وخوذاتهم ، وطبولهم الموشحة بالسواد ، اتسمعهم ؟

الاعمى : نعم ! دقتهم دقة الحزن ، ولكن ما اجملها ! وماذا بعد ؟

قلت : العلم المطوّق بشارات الحداد ، ضرب له رجال الشحنة السلام، وكشفت امامه الرؤوس ... اليك المشاة ، واليك الرماة البحارون.

وسمعنا ابواق الجيش ، وابواق الصيد ، وصوت المسكر الجرّار المسرع بالسير. فاشرق وجه الضرير فرحاً وقال :

هؤلاء لست بحاجة الى السؤال عنهم. فانهم القناصة واني لاعرفهم من وقع خطواتهم وتقاطيع سيرهم ... اني كنت منهم سابقاً . ولكن ما هذا ! يا له من سير بطيء ، هؤلاء ليسوا بافرنسيين !

قلت : الحق معك ، بل هو الحرس الانكليزي.

الاعمى : وكيف تراهم ؟

قلت : اراهم معممين بالقبعات ذات الشعر الطويل الاسود ، مرتدين الثياب الحمر ، متأبطين بندقياتهم ، مصوّبين شفراتها الى الحضيض ، ماشين الهوينا وركبهم تتحرك كأنها قطعت من جسم واحد.

واليك البلجكيين لابسي الكاكي العسكري كعسكر مستعمراتنا ، والايطاليين ببزاتهم الخضراء الشهباء ، وقبعاتهم المراشة ، والسربيين...

الاعمى : سمعت صوت جرّ المدافع ، هل هو المارشال ؟

قلت : هو هو. جالوا به حول المنبر واوقفوه امام شبكة الباب الحديدية ، وقد اغلقت.

الاعمى : ثم ماذا ؟

قلت النعش .. وهناك وسادات شكّوا عليها نياشين المارشال بجملتها.

الاعمى : اني لاسمع صوت محرّك الطيارات . اتراها ؟

قلت : لا اكاد اراها وقد حجبها الغيم عن نظري

وصارت امرأة الجندي تستطيل الوقوف ، فتنحى بها زوجها الضرير الى مقام تلتمس لها فيه راحة ، فانقطعت الصلة بيني وبينها.

على عهد الامير

لماذا ؟

رواية لبنانية تاريخية

بقلم فؤاد افرام البستاني

وقد يكون من الابناء ضحايا في سبيل آبائهم
من حيث لا يعلمون

الفصل الثامن

في بعذران

— هل ترى اولئك الخيالة في قعر الوادي ، ياديب ؟

— نعم ! وانا منذ دقائق اراقب هذه الاشباح . ولكن نظرك انفذ من نظري . فحدّق ، يا غر ، حدّق الى جهة الشمال ، واجتهد في ان تضبط عددهم .

— واحد . . . اثنان . . . ثلاثة فرسان ، وراجل .

— هذا ما خيّل اليّ ولكن ما رأيك في وجهتهم ؟

— اراهم تركوا طريق الوادي . . . هاهم متجهون نحونا . . . سلاحك ! وكن مستعداً .

— لا تخف ! فالطبنجات محشوّة ، والذخيرة وافرة . واني لأرميّنهم امامك واحداً واحداً من هذا «المجال» !

ثم اخرج ديب طبنجته من زنّاره ، وبعد ان اجالها بين يديه مأخوذاً بلمعان حديدها ، جلس القرفصاء ووضعها على ركبته ، وعيناه لا تزالان عالقتين بالخيّالة والراجل .

ففعل غر فعله ، وقال :

– ولكن لا تطلق الرصاص قبل ان تتحقق مَن القادمون !
– لا تخف !

* * *

كان غر وديب من رجال الامير جهجاه الامناء وكلهما على القصر واهله ، وعهد اليهما في حمايته من الطوارئ ، مدّة غيابه. فكانا يقضيان النهار طائفين حول السور يتفقدان المنافذ ، ويرميان بطرفيهما الى الاودية القريبة ، فيبصران كلَّ صاعد في المسالك المختلفة التي تؤدّي الى القصر . حتى اذا غابت الشمس عيَّنا الحرس لكل مركزه ، وتناوبا السهر ؛ فكان غر يفتش النقاط من المغرب الى انتصاف الليل ، وديب من تلك الساعة حتى الصباح.

وكانا في ذاك المساء قد رتبا الحرس ، واقبلا يجولان حول القصر. فلفتت نظرهما تلك الاشباح في الوادي ، فوقفا يتبادلان الآراء ، ويستعدان للدفاع...

وما هي هنيهة حتى قال غر ، وهو لا يرفع بصره عن الخيَّالة:

– انظر الى الجواد الأيسر. كأني به الدهماء فرس سيدنا. فالحركة حركتها، والسرج سرجها ، والرشمة رشمتها.

– اذًا فيكون سيدنا قد رجع من الدير ؟ ولكن ذانك الفارسان من يكونان ؟

– لا أعلم !

– والرجل ؟

فحدّق قليلًا ثم قال باشًا:

– لقد صدق ظنّي ! هو سيدنا المير . انظر الى الدهماء تختال وتصهل ، اذ ابصرت اعالي بعذران . وانظر الى الفرس الوسطى فكأنها نعامة ، فرس الشيخ قعدان رحمة الله عليه . اما الراجل المتنقل على الحصى تنقل الغزلان فمن يكون سوى ذاك العفريت فرحات . لقد اشتقنا اليه والى احاديثه . لعنك الله يا ديب ! كدتَ ، والله ، تطلق النار على سيدنا...

فقهقه ديب وردّ طبنجاته الى زناره ، وقال:

— بل لعنك الله انت ! فانت قلت لي احمل سلاحك واستعدّ .

وبعد ان استكفّ نمر ثانيةً ، قال باهتمام :

— اظنّ ان الفارس الاوسط هو الامير بشير بعينه . فاتركني هنا يا ديب ، واسرع الى القصر ، فنبه الخدم كي يكونوا على استعداد تام لاستقبالهم . وادخل فبلّغ الست وصول الامير مع ضيفين لم نعرفهما بعد .

***

وما هي دقائق حتى وصل الخيالة الى امام القصر فترجلوا . واسرع نمر فقبّل يد الامير بشير ، فيد الشيخ سلوم ، فيد سيده الامير جهجاه . فسأله هذا :

— كيف صحة الست ؟

— احسن يا سيدي ! فقد قامت بالامس ، وتمشّت قليلًا في الدار !

فالتفت الامير بشير مستفهماً . فقال الامير جهجاه :

— سعدى مريضة من ثلاثة اشهر . وقد اقلقني مرضها كل القلق . فهي لا تسعل ، ولا تأرق ، ولا تشكو الماً موضعياً . ولكنها دوماً متكسرة العضلات ، مرتخية الاعصاب ، فاقدة الشهيّة للطعام . وقد تنتابها نوبات تذهب بحواسها مدّة . ولم نقدر على وجود علاج لحالتها . بل لم يعرف احد ان يشخّص مرضها . وقد أثر فيها نبأ وفاة الشيخ قعدان ، وجزعت لبعد غانم . فهي طريحة الفراش منذ شهر . وبدور لا تفارقها ليل نهار . وقد صرت قلقاً على حالة الصبية ايضاً ، لأن العناء بلغ من صحتها النحيفة مبلغاً بعيداً . فاحاط السهر عينيها بدوائر الأسى ، ونزع الهزال اللون من وجنتيها ، وخدّد الهمّ وجهها ، حتى انك تنكرها لأول مشاهدة . هذا وقد بذلنا فوق الجهد في ردعها عن السهر ، ومنعها من ملازمة امها دون جدوى . . . فما لي غير الصبر ، وليس لي رجاء الّا بالله سبحانه يفعل ما يشاء وكما يشاء !

فاجاب الامير بشير وقد هدّجت صوته نبرات الأسى :

— تكون النتيجة على سلامة ان شاء الله . فتعود الست الى صحتها ، وتعود النضارة الى وجه بدور . . .

ثم اطرق صامتاً مفكراً بجانب الامير جهجاه ، مكبراً عزمه تجاه الرزايا ،

معجباً بصبره عن افشاء ما يجيش في ذاك الصدر الواسع.

وكانوا قد وصلوا الى رتاج القصر. فأسرع بعض الخدم لاستقبالهم ، ينفضون عنهم الغبار ، بينا كان غيرهم يتعرّفون بالخيول الى الاصطبل . فساروا توًا الى ردهة الست سعدى يعودونها ويسألون عن صحتها.

فراع الامير بشير ذاك الوجه الشاحب ، وذاك الجسم البادي هزاله بدقة اليدين ، المتسلل تحت اللحاف ، على فراش وثير في زاوية الردهة الكبيرة . وكان الى جنب المريضة طرّاحتان ، قعدت بدور على واحدة منها وامامها طبليّة صغيرة عليها كأس كانت تذيب فيها بعض الدواء. وجلس على الطراحة الثانية الخوري يوسف ، راعي الضيعة ، يسلّي المريضة تارة بسرد نوادره العديدة وحوادث حياته الطويلة الملأى بالعبر والحكم ، وطورًا بعظاته ونصائحه بالاستسلام الى مشيئة الله ، والاتكال على عنايته الالهية . وكانت عينا بدور تتنقلان من وجه امها النحيل ، الى لحية الخوري الطويلة البيضاء ، وشاربيه الكثيفين الصادرة من خلالها تلك النبرات المطمئنة التي كانت تقع على ما ثار من دوافع اليأس في اعماق نفسها فتسكنها ، وتلك الكلمات العذبة والحكم السامية التي كانت تضع بلسماً لطيفاً على جروحها الدامية فتضمدها. فتردّد دائماً، عن قصد وعن غير قصد ، ما كان يعلق بذهنها من كلام الخوري : « اللهم ! لتكن مشيئتك لا مشيئتنا ! »

اما المريضة فاستقبلت الزائرين بوجه طلق ، وبشاشة ظاهرة. ووقف الخوري وبدور . فاسرع الأميران والشيخ فقبّلوا يد الخوري الجليل ، فقبل هذا الامير جهجاه في رقبته ، وبارك الجميع . ثم سلّموا على الست سعدى ، وعلى بدور . وجلسوا يسألون عن صحة الجميع ، ويسلّون المريضة باحاديث كلها دافعة الى الامل بالشفاء القريب.

وهم على تلك الحال ، واذا بفرحات يدخل ببطء ، وقد قصم الحزن ظهره ، فيقبّل يد الخوري ، ثم يكبّ على فراش الست سعدى فيقبل يدها صامتاً ذارفاً دمعتين احسّت بحرارتهما على ظهر كفها النحيلة ، ثم يسلّم على بدور ، ويتراجع فيجلس جاثياً في زاوية الردهة.

وكان الامير بشير قد استراح من دهشته فاستعاد رباطة جأشه ، واقبل يروي عما جرى له ولاصحابه في عكا . ويكثر من الكلام عن غانم واحواله الحسنة وصحته الجيدة ، وانه كلفه ايصال القناطير المقنطرة من السلام والاشواق ، وانه عما قريب يأتي قصر بعذران فيقضي فيه حياته . وكان الامير يلاحظ ان حديثه عن غانم يبعث الجميع على الارتياح ، فاخذ يعدد موضوعاته ، ويتوسع في اقسامه ، ويراجع بعض الاشياء ، والكل مسرورون بذلك . حتى تكاثف الليل . فنبه الامير جهجاه الى ضرورة تناول العشاء ، ودعا الحاضرين الى القبو المجاور

فرّت سحابة دكناء امام عيني الست سعدى لشعورها بأنهم سيتركونها وحدها ، وهي لم تكتفِ بعد من اخبار غانم . واحسّ الامير بشير بما بدا عليها من القلق فقال :

— وما ضرّنا لو اكلنا هنا عند الست سعدى !

فوافق الجميع على هذا الاقتراح . وامرت بدور الخدم ، فهيأوا معدّات العشاء . وتربّع الجميع حول المائدة ، الا الخوري يوسف ، فاعتذر بانه تعشّى في « القلّاية » قبل مجيئه .

* * *

وبعد ان اكتفوا من الطعام وغسلوا ايديهم ، تحوّلوا كل الى مركزه ، فاخذوا بمتابعة الحديث عن غانم واحواله في عكا ، ومظاهر الجزّار وما في بلاطه من الخدم والعساكر والكتّاب . وعن الحالة الحاضرة في الجبل ، وموقف الامير من حزب المعارضة ، وما يتوقعه من المعارك التي قد تحدث قريباً في المتن حيث يجمع الامراء اللمعيون رجالهم ، وفي جبيل حيث لجأ ابناء الامير يوسف .

وكأنّ الأمير اراد ان يطمئن الخواطر ، فقال :

— على ان كل هذه المعارك التي نقدّر انها ستحدث ، تبدو لي احقر من ان تؤثر في مجرى اعمالنا في المستقبل . فما علينا الّا ان نستميل اللمعيين ، ونضرب النكديين الضربة القاضية ، ونسرع بايقاع الارهاب في حزب ابناء الامير يوسف ، فتكفل لنا الظفر بهمة ابطالنا المغاوير كالأمير جهجاه ، ورأي مدبّرينا الحكماء كالشيخ سلوم .

فتبسم الجميع ، وأمّنوا على كلامه.

وكان الامير لا يكاد يرفع نظره ، طول تلك الليلة ، عن بدور ، فيروعه منها ذاك اللون الترابي الذي أبدل بنضارة خدّيها ، وذاك التكاسل في اعضائها الذي كاد ينسي همّتها السابقة وحياتها الظاهرة في جميع حركاتها . وكان يثقل اجفانها ذبول غير معهود يُرخي الاهداب فيكاد يطبقها ، لولا ما تقوم به من الجهد لفتحها ، فتبدو عيناها ، وقد احاطت بهما هالتان صفراوان ، وجمدت مقلتاهما فجفّ ماؤهما ؛ فاذا نظرتا ، التفتا دفعةً واحدة وشخصتا الى هدفٍ غير معروف . يظهر على كل ذلك شيء من الطمأنينة الصامتة ؛ والاستسلام الكلي الذي قد يدفع الناظر الى القلق وتوقع اليأس الوخيم ، لولا ما كان يُرى في قسمات الوجه من توتّر اعصاب ، وفي الشفتين من انطباق عنيف يدلّ على حزن شديد مكتوم بقوة ارادة تضبط العاطفة ان تشرد ، وتمنع الصدر ان ينفجر بالانّات.

وكانت الفتاة ، اذا أُعرض عنها اثناء الحديث ، تتيه عيناها في فضاء المنزل ، كأنها تفتّشان في الافق البعيد عن شيء غير منظور مجذوبتين بلمعان غير معروف ؛ واذا خُوطبت تنتفض بسرعة ، وتلتفت جملة ملقيةً على مكلّمها بصرًا لا يستقر الّا جامدًا ؛ واذا تكلمت ، تتدافع كلماتها بنبرة متقطعة . لا تجيب الا قلقة ؛ ولا تلقي سؤالًا الا حذرة ، كأنها توجس خيفةً من سماع جوابه.

فايقن الامير ان في نفسها الفتية من الاضطراب ما قد يكون دونه اضطراب حالة الجبل ، وان في شعورها الرقيق من الايجاس ما قد يفوق الايجاس من تلك المعارك المقبلة . فشغلت حالتها باله كل الشغل ، حتى انه لم يفكر بعد ذاك الا بما عسى ان يكون السبب المؤثر في ذاك القلب الحسّاس ، وبما عسى ان يعيد الطمأنينة والسلام الى تلك العاطفة المضطربة . . .

(لها بقيّة)

شذرات

المحصولات الداخلية في مناطق الانتداب سنة ١٩٢٧

لبنك سورية ولبنان الكبير نشرة دورية تحمل الفوائد الكثيرة من مالية، واقتصادية، وتجارية، وقد ظهر مؤخراً عددها الرابع لسنة ١٩٢٧، فرأينا ان نقتطف منه بعض المعلومات عن محصولاتنا الوطنية، فنذكر شيئاً منها في هذا العدد من المشرق وشيئاً في العدد القادم:

الزراعة

الحالة الزراعية العامة

هطلت الامطار بكثرة في الزمن الموافق للحراثة موزعة بطريقة موافقة ايضاً في جميع مناطق الانتداب فنتج ان الحالة الزراعية سنة ١٩٢٧ كانت تبشر بخير النتائج. وقد وافقت هذه النتائج التقديرات في اكثر المناطق فكانت الغلات كافية مرضية. على ان بعض التقلبات الجوية الخاصة ببعض المواقع كزيادة الرطوبة في السهول، وزيادة الجفاف على الشواطئ في الربيع مع ظهور بعض الحشرات الطفيلية الضارة بالزرع والثمر كالسونة في شمالي سورية، احدثت اضراراً جمة. اما مساحة الاراضي المحروثة فزادت قليلاً عنها في سنة ١٩٢٦، لا سيما في منطقة جبل الدروز حيث كان التقدم محسوساً بسبب اخماد الحركة الثورية التي نشبت سنة ١٩٢٥.

الحبوب

بلغت زراعة الحبوب السنوية اي القمح والشعير في سنة ١٩٢٧، حسب احدث التقديرات مساحة ٧٦٠,٧٠٠ هكتار وقد كانت تبلغ في السنة الفائتة ١٩٢٦ مساحة ٧١٦,٥٣٥ هكتاراً. وهي تقسم كما يلي: ٤٩٥,٥٠٠ هكتار للقمح تقابل ٤٦٣,٨٩٥ هكتاراً في سنة ١٩٢٦، و ٢٦٥,٢٠٠ هكتار للشعير تقابل ٢٥٢,٦٤٠ هكتاراً في سنة ١٩٢٦.

وبفضل هذه الزيادة في البذار، ثم بفضل ما اتخذ من الاحكام لابادة

الحشرات الطفيلية وحفظ الزرع من اضرارها ، فاقت محصولات الحبوب هذه السنة محصولات السنة الفائتة . فبلغت محصولات القمح ٣٩٦,٩٠٠ طن ، يقابلها ٣٧٢,٧٨٠ طناً في سنة ١٩٢٦ ؛ وبلغت محصولات الشعير ٣٣٣,٦٥٠ طناً يقابلها ٢٣٥,٤٢٢ طناً في سنة ١٩٢٦ . ولا بد هنا من الملاحظة ان الزارع السوري في شمالي سوريا يميل شيئاً فشيئاً الى ابدال زراعة القمح بزراعة الشعير ، وهو بذار ينجو من شر السونة بفضل سرعة نموه وبلوغه . وفضلاً عن ذلك فان الشعير له بين الصادرات مركز حسن ، ومنفذ فسيح وافر الربح في الخارج. وقد بلغ ما فاق الحاجة من الشعير في السنة الفائتة ٣٣,٤٤٠ طناً فصدّرت الى الخارج وبلغ ثمنها على التقريب ٣٢,٥٠٠,٠٠٠ فرنك.

اما زراعة الحبوب الصيفية كالذرة البيضاء والصفراء فكان تقدمها بطيئاً جدًّا بخلاف ما تقدم ذكره من الحبوب . فبينا كانت مساحة الارض المزروعة بهذه الحبوب ٧٩,٢٨٠ هكتارًا في السنة الفائتة لم تبلغ هذه السنة الّا ٦٣,٩٨٠ هكتارًا. وقد لوحظ التأخر ذاته في المحصولات فقد بلغت هذه السنة ٨٠,٦٥٠ طناً وقد كانت السنة الفائتة ٩٨,٨٠٠ طن . على ان محصول هذه السنة ١٩٢٧ يزيد عن محصول سنة ١٩٢٥ الذي لم يبلغ الّا ٥٩,٧٠٠ طن.

هذا ولما كانت الحكومة لا تتراجع امام شيء في سبيل تعزيز الزراعة ، وهي اهم مورد لثروة مناطق الانتداب ، رأت ضعف اجناس الحبوب الوطنية فاهتمت باستبدالها بغيرها من الاجناس القوية. ولهذا عرضت على الزارعين اصنافاً من القمح كانت استوردته من تونس والجزائر.

القطن

ان مساحة الارض التي خُصصت لزرع القطن في سنة ١٩٢٧ لم تتجاوز ٢٥,٠٠٠ هكتار يقابلها في سنة ١٩٢٦ ، ٣٢,٠٠٠ . اما سبب هذا النقص فناتج عن الظروف الاستثنائية التي جعلت المزارعين ينصرفون عن القطن الى زرع الحبوب ، ومن ذلك ظهور الجراد وهبوط اسعار القطن في السوق العالمية. على ان الذين ظلوا واثقين وثابروا على زرعه نالوا نتائج غاية في الحسن . فقد بلغت محصولات هذه السنة ١٩,٠٠٠ قنطار يقابلها ١٧,٠٠٠ في سنة ١٩٢٦

شارع الاب شيخو

في الجلسة الاخيرة التي عقدها المجلس البلدي البيروتي اقترح احد الاعضاء ، الوجيه رزق‌الله بك ارقش ، اطلاق اسم الاب شيخو على احد الشوارع الهامة في العاصمة ، اقراراً بما له من الفضل الخالد على البلاد . وقد استطرد رزق الله بك قائلاً: « ان الاب شيخو هو خالد بما خلّفه من الآثار العلمية ! فلا حاجة به الى ما اقترحت لتخليد ذكره وكل ما ابتغي ان أخلّد اقرارنا بجميل الرجل ومعرفتنا لفضله ». فقبل هذا الاقتراح بالاجماع وسينفذ في اول فرصة.

فنحن نشكر للمجلس وللعضو المفضال رزق الله بك هذه العاطفة الشريفة.

تمثال للمطران يوسف الدبس

وردتنا نشرة مفادها ان قد تأسست في بيروت ، برعاية صاحب الغبطة السيد الياس الحويك البطريرك الانطاكي ، لجنة غايتها اقامة تمثال للطيب الذكر المطران يوسف الدبس اعجاباً بآثاره ، واكباراً لمآثره الخالدة . وقد سرّنا ان يشترك وجهاء البلاد ومفكّروها ، على اختلاف نزعاتهم ، في تحقيق هذه الفكرة الحسنة . اخذ الله بأيديهم ، وقدّرهم على تعزيز الفضل في كل زمان ومكان.

لا جديد تحت الشمس !

اكثرت جرائدنا في الشتاء الماضي من ذكر الامطار والزوابع . وكان الكثيرون يردّدون ان شتاء السنة فريد في برده وعواصفه . على ان شتاء سنة ١٧٥٦ كان اهول زوابع واشدّ برداً حتى ان نهر العاصي تجمّد « وقد تعطّلت الآلات الصناعية . » وفي كانون الثاني من سنة ١٧٧١ زحلت الصخور من الجبال فوق كفرنبرخ (الشوف) فهدمت عدة بيوت في مزرعة مجاورة ، وقتلت جملة اشخاص . وفي ١٦ نيسان من سنة ١٧٧٦ ، تساقطت الثلوج بكثرة حتى غطت لبنان بكامله من اعلى الامم الى شاطئ البحر . وبعكس ذلك فان صيف سنة ١٧٨٥ كان كثير الجفاف حتى ان « نبع العاصي نشف منه اكثر من النصف ».

هذا ويمكن المطالع ان يرى كثيراً من هذه المعلومات اللاذة والمفيدة في كتاب قيّم نشر مؤخراً بعناية سيادة المطران قطّان ، وسنعود الى ذكره.

مطبوعات شرقية جديدة

Eldon Ruttor : The holy cities of Arabia. 2 *vol.* in - 8° *illustrés. Prix : 2 guinées. G. P. Putnam and Sons, Ltd. London.*

وصف الحرمين

مؤلف هذا الكتاب انكليزي دان بالاسلام دون ان يشرح كيف ولماذا. فلا يذكر في هذين المجلدين الا ما شاهده وعرفه اثناء حجّه الى امكنة الحرام حيث اقام اكثر من سنة (١٩٢٥—١٩٢٦) وهو لا يهتمّ الّا بالامور الدينية فيدع السياسة جانباً. يصف لنا الحجاز كما شاهده بعد احتلال الوهابيين او المُدَيْنة كما يسمّون. وقد قُدّم الى ابن سعود (١ : ١٧٥) فوصفه بطريقة جذّابة. على انه لا يخفي فظائع الوهابيين، ومجازرهم في الطائف، وهدمهم للمعابد الاسلامية في مكة والمدينة، حتى كادت الطائف والمدينة ان تُقفرا بعد وصولهم اليهما. وقد شاهد اثناء اقامته في مكة وصول وفود الثوّار السوريين من دمشق وحوران، طالبين مساعدة ابن سعود (١ : ٢٣٦) وحضر الحفلة حيث نادى ابن سعود بنفسه ملكاً على الحجاز (١ : ٢٩٩) وهو يخصّص القسم الاوفر من مجلديه بذكر مكة التي يقول عنها انها «مدينة خالية من الهوام» (٢ : ٧٦) ولا يفوته وصف رياض الطائف النضرة (٢ : ٢٦). وعلى الجملة فان الكتاب حسن بما فيه من دقة الملاحظات وذكر كل ما تهم معرفته، مع الترفّع عن التحزّب والتطرّف. وقد ذكر المؤلف قبيل وصوله الى الطائف (٢ : ١٧) بعض الرُّمَ والنقوش على الصخور قرب الطريق، وهي نصوص يجدر بالاختصاصيين ان يدرسوها. ه.ل.

Philby (H. St. J. B.) : Arabia of the Wahhabis *vol. in* - S° *with* 28 *half-tone illustrations, a coloured map,* 14 *illustr. in the text and a plan. Prix :* 31/6. *London. Constable and C°, Ltd.*

جزيرة العرب في عهد الوهابيين

اقام مؤلف هذا الكتاب النفيس اكثر من سنة (١٩١٧—١٩١٨) ممثلاً لانكلترة لدى ابن سعود الذي كان اذ ذاك اميرَ نجد. فشاء ان ينشر ما كان يحرّره في دفتره من اليوميّات في الاربعة الاشهر الأخيرة من اقامته في

بلاد الوهـابيّين (٢٤ حزيران — ١٥ تشرين الاول ١٩١٨). كان ضيفاً خاصاً لابن سعود ، فامكنه ان يتحدّث اليه يومياً في موضوعات مختلفة من سياسة ، ودين ، واخلاق... فكانت تظهر شخصية المضيف بكل طبيعتها ، وقد صوّرها لنا الكاتب محبوبة جذّابة . على انـه لا يمكن القول نفسه عن رجال ابن سعود وقد اعماهم التعصّب حتى كاد المؤلف يذهب ضحيّتهم لولا حماية اميرهم . ويظهر لنـا المستر فيلبي ايضاً دهاء السياسة الانكليزية وتقلّبها بين الحزبين المتعاكسين: حزب ابن سعود ، وحزب عدوّه الالدّ الحسين بن علي شريف مكة. واذا قرنّا الى هذه المعلومات تصوير البلاد العربية الوسطى قبل استقبالها للسيّارات التي اصبحت تغيّر نظام الحياة البدويّة ، عرفنا قيمة هـذا الكتاب الذي يحتلّ مركزاً سامياً جنب كتاب دوتي (Dougthy) عن بلاد العرب ، وهو مزدان بعـدّة رسوم غاية في الاتقان ، مع خارطـة مهمة لبلاد العرب الوسطى ه. ل.

Abel Fabre : Manuel d'art chrétien. 470 *pp.* 508 *gravures. Prix* : 30 *f. Paris, Bloud et Gay.*

كتاب تعليمي في الفنّ المسيحي

كثرت الكتب التعليمية في الفنون الدنيوية بعـد ظهور مؤلف سالومون ريناخ (Reinach). اما الفنّ الديني فكان لا يزال بحاجة الى تأليف من هذا النوع ، حتى ظهر الكتاب الذي نصفه اليوم بقلم احد الرهبان ، الصموديين ، وهو مشهور «بصفحاته عن الفنّ المسيحي» التي ظهرت طبعتها الثالثة سنة ١٩٢٧: فكان من ثمّ اجدر من يؤلف هذا الكتاب الذي كان لسوء الحظ آخر كتبه اذ دعاه ربه في اوائل السنة الحالية. كان الفنّ المسيحي في كل عصر مظهراً من مظاهر الفنّ العام. فهو يبتدئ في الدياميس فيؤلف حتى عصر شارلمان ما يسمّى «بالعاديات المسيحية» . ثم يمتدّ في القرون الوسطى فيؤلف مـا يُدعى « بالفنّ المجموع » . امـا بعد القرن الخـامس عشر ، فليس فنّ مسيحي بل متفنّنون مسيحيّون. وقد قسم المؤلف هذه المعلومات الواسعة الى ٢٤ فصلاً بحث فيها مؤرّخاً ومتفنّناً ، فجمع الاصول الفنية الى الحقائق التاريخية ، وقرن النقد الفنّي الى علم

العاديّات ، دارساً في كل عصر مظاهر الهندسة البنائية ، والنحت ، والتصوير ، وسائر فنون الزخرفة . ويزيد قيمة الكتاب رسوم عديدة وموافقة ، الّا اننا وددنا لو كان حجم الكتاب اوفر سعة ، لان الحجم الحاضر يضيق عن بعض الصور الكبيرة التي تكثر فيها الاشخاص فتفقد من دقائقها الفنية كما نرى مثلاً في رسم « الدينونة الاخيرة » لكوزَن (J. Cousin) (ص ٢٨٨) والفردوس لتنتوري (Tintoret) (ص ٣٠٧) ج . ل .

Legendre (Mgr A.) : Le pays biblique. [*Biblioth. Catholique des sciences religieuses.*] 1 *vol. in* - 16, 240 *pp. Prix* : 10 *f*^r. *Paris, Bloud et Gay.*

بلاد التوراة

كانت فلسطين ولا تزال ، بصفتها بلاد التوراة ، موضوعاً عاماً لكثير من الدروس المسيحية ، ولم يكن بامكان « المكتبة الكاثوليكية » ان تحرم قراءها من كتاب في جغرافية تلك البلاد . فطلبت من عميد معهد اللاهوت في انجه القيام بهذا التأليف ، وهو اجدر من يقوم بذلك لوفرة معارفه وتضلّعه من الموضوع ، فقام به ولكنه لم يرَه مطبوعاً لانه لبّى دعوة ربّه في آذار ١٩٢٨ . يُقسم الكتاب الى اربعة اقسام : فلسطين الواقعة غربي الاردن ، فلسطين المتوسطة ، فلسطين الواقعة شرقي الاردن ، فلسطين بجملها مع ذكر ميزاتها . ويظهر المؤلف مطلعاً على آخر الدروس في موضوعه وهو يستغلّها بطريقة حسنة ، ويختم الكتاب بجدول جغرافي واسع ج . ل .

J. Guiraud : L'inquisition médiévale. [*Collection « La vie chrétienne » n*° 6]. *Prix* : 12 *f*^r. *Paris, B. Grasset.*

ديوان التفتيش في القرون الوسطى

ان مسألة ديوان التفتيش من الأمور التاريخية التي كثرت حولها الاقوال والآراء المخالفة للحقيقة ، سواء كانت تلك الآراء ناتجة عن عامة الشعب او عن الخاصة . وذلك لانها من المسائل التي استغلّها اعداء الدين ليشوّهوا سمعة الكنيسة في ماضيها . فاذا كان لا بدّ للمؤرخ الذي يرغب في درس التاريخ

درساً علمياً ان يضع جانباً كل ما يمكن ان يعلق بذهنه من الاحكام السابقة ويبحث في المسألة بحثاً وضعياً خالياً عن النظريات والفرضيات الشخصية . وهو ما اجتهد في الوصول اليه مؤلف الكتاب ، فترك الكلام للنصوص التاريخية التي جمعها وقام بعمل تاريخي حقاً . درس اولاً البدعة الكتارية في القرن الثاني عشر وكيف احتاطت السلطات المدنية والدينية للتخلص منها ، ثم انتقل الى ذكر تأسيس ديوان التفتيش ، وطريقة احكامه ، متتبعاً تطوره من القرن الثاني عشر الى القرن الخامس عشر ، وكيف انه تحول من مؤسسة بابوية الى مجلس حكومي بحت ج. ل.

P. Gemaehling : Statistiques choisies et annotées. Supplément 1928. *in* - 8°, 24 *pp. Prix* : 5 *f*. *Paris, Librairie du Recueil Sirey.* 1929

احصائيات مختارة ومشروحة

كل من عرف كتاب المؤلف السابق بالعنوان نفسه ، وقدره حق قدره ، يسر كل السرور بهذا الملحق ، وينتظر طبعة جديدة للكتاب بكامله . اما الملحق فيحتوي على احصائيات مفيدة عن حركة السكان ، والمحصولات الصناعية والزراعية ، وحركة الاسعار والاجور ... مدة السنتين ١٩٢٦ و ١٩٢٧ ونصف السنة ١٩٢٨ . وقد ذكر المؤلف خصوصاً الاحصائيات التي ظهر فيها بعض التحول منذ السنة ١٩٢٦ فزاد قيمة عمله . ج. ل.

R. A. Rye: Students Guide to the Libraries of London. 3rd *edit. revised and enlarged. in* - 8°, 581 *pp.* 61 *planches. Prix* : 10 *sh. University of London Press.* 1927

دليل الطلاب الى مكاتب لندرة

في مدينة تحتوي على نحو ٧٠٠ مكتبة ، يقدر الانسان قيمة هذا الدليل الذي يظهر اليوم في طبعته الثالثة . اما مواده فتقسم الى خمسة فصول : في الاول مقدمة تاريخية عن المكاتب من اقدم العصور . الفصل الثاني مختص بالمتحف البريطاني بما فيه من الكتب المطبوعة ، والكتب والمخطوطات الشرقية ، وسائر المخطوطات ، والعاديات المصرية والاشورية ، ذاكراً قوانين المكتبة ،

والساعات التي تكون بها مفتوحة ، والجداول التي تمكن الاستفادة منها . . . ويختص الفصل الثالث بالسجلات الوطنية المحفوظة في ادارة « *Public Record office* » وفي الفصل الرابع ذكر المكاتب ذات الصفة العمومية . اما الفصل الخامس فيذكر المكاتب الخاصة على حروف الابجدية حسب الاختصاص . وقد اضيف الى الكتاب جدول واسع (ص ٤٥٣ — ٥٨٠) لتسهيل الابحاث ، فيبدو الكتاب وافر النفع ، جزيل الفائدة ج. ل.

Boris Codorholm : Au pays du Nep et de la Tchéka, dans les prisons de l' U. R. S. S. *vol. in* - 16, 413 *pp. Prix* : 14 *f*. *Editions Jules Tallandier. Paris*

في سجون السوفيت

هي حكاية محزنة مؤثرة لحادثة مهندس فنلاندي قدم روسية موفداً من قبل شركة تجارية من اميركة الجنوبية . ولم يلبث ان قُبض عليه بتهمة التجسس . والحادثة تظهر كيف يعيش الناس في تلك البلاد ، وكم من الخطر يحيق بالاجانب الذين يقصدون الدخول في تلك الجحيم .

Gladys Peto : Malta and Cyprus. [*The Outward Bound Library*] *London, J. M. Dent and Sons. XIV* + 256 *pp. Prix* : 5 *sh.*

مالطة وقبرص

يهتم هذا الكتاب الصغير خصوصاً بما يشاهده الانسان في جزيرتي مالطة وقبرص من المناظر الخلابة . على انه لا يخلو من بعض افادات عن الاقليم ، والمحصولات ، وفيه ايضاً عدة رسوم بديعة ظاهرة في غاية الجلاء . وفي داخل الغلاف خارطة لمالطة واخرى لقبرص .

Brian-Chaninov : L'Eglise russe. [*Collection « La vie chrétienne » n° 4*] *Prix* : 12 *f*. *Paris, B. Grasset.*

الكنيسة الروسية

لما كان موضوع الكتاب واسعاً جداً لم يكن بامكان المؤلف ان يجمع فيه كل شيء . فاكتفى بذكر بعض الحوادث الحاسمة التي يظهر فيها بعض الاشخاص المهتمين . فذكر المركز الذي تحتله الكنيسة الروسية في تاريخ الشعوب

الديني مع ما يميّز هذا الشعب عن غيره . مفصلاً ذلك في ٨ اقسام : البشارة بالانجيل ، بيزنطية والانشقاق الشرقي ، العالم الكاثوليكي حتى سقوط بيزنطية ، الحركة في سبيل الاتحاد ، موسكو ، الطريقة الرهبنية ، زمن القياصرة ، الليتورجية والموسيقى الكنسية.

ج. ل.

الصحة والجمال

للدكتور حبيب تابت

مطبعة مكتبة صادر ، بيروت ١٩٢٩ ، قطع مربّع ص ١٢٠ ، الثمن ليرة سورية

جميل الظاهر ، جيّد الورق ، متقن الطبع ، واضح التنسيق . هذا ما يبدو لاول وهلة لمتصفّح «الصحة والجمال» الذي جمع فيه الدكتور حبيب تابت بين دقة النطاسي ، وظرف الاديب . فقرّب الفوائد الصحية من مفهوم الجميع اذ سبكها بتلك الجملة السهلة وذاك الاسلوب الرشيق . قاسماً مواده الى اربعة ابواب متكلماً في الاول عن المرأة اليوم ، والصحة ، والجمال عند العرب والافرنج ، وامراض الجلد ونظافته ومراهم الجمال . وفي الثاني عن آراء ابن سينا وسابورو في سقوط الشعر ، واسبابه ، وادويته . وفي الثالث عن الالعاب الرياضية ، وفي الرابع عن تيّار الامراض الزهرية وكيفية الوقاية منها . هذا وقد ذكر في الباب الاول رأياً في المرأة نسبه لاهل القرون الوسطى زاعماً انهم كانوا يعتقدون «أنها حيوان حتى عقدوا مجمعاً وبحثوا به في هل للمرأة روحٌ ام لا ؟» (ص ٧) وهو زعم لا اصل له كما بيّن «المشرق» (٢٦ [١٩٢٨] ٣٨٦)

ف. ا. ب.

مصادر تاريخية لحوادث لبنان وسورية

من سنة ١٧٤٥ الى سنة ١٨٠٠

عني بنشرها وتعليق حواشيها ووضع فهارسها المطران باسيليوس قطان ميتروبوليت بيروت وجبيل وتوابعها – المطبعة الكاثوليكية بيروت ١٩٢٩ ؛ ق ٨ ، ص ١٧٦

هذا كتاب قيم اظهرنا في الشذرات منافعه في ذكر حوادث الطقس . وليست تلك المنافع باقل منها في تاريخ سورية ولبنان الديني والسياسي . فان لبنان ، مقام المؤلف ، كان مركزاً موافقاً جداً لمراقبة الحوادث في تلك الايام . وكان

هم الكاتب الاهم امر الطائفة الرومية الكاثوليكية ، والرهبانية الباسيلية المنتمي اليها ، والاسر الرومية الكاثوليكية . لكن عينه اليقظة لم تفقد من نظرها سائر ما جرى في سورية ولبنان في السنين المضطربة التي عاش فيهـا . ومن حسنات الناشر العلّامة انه لم يعمل القلم في لغة المؤلف العامية .

في ص ٤٥ ، السطر ٥ ، اقرأ اكليمنضس الرابع عشر عوض بندكتس . وجاء في ص ٤٦ ان مجموع عدد عساكر ابو ذهب ٢٠٠,٠٠٠ وهذا العدد باهظ ولا بد من تخفيضه . ووددنا لو تكلم المؤلف ببعض الاسهاب والتدقيق على آلهة الذهب والفضة التي وجدت عند الدروز . قال ص ٦٧ في السنة ١٧٨١ :

« وفي هذه السنة حضر الامير يوسف من صيدا الى دير القمر مصحوباً بعسكر الدولة فصادمته عساكر الدروز وعقالها فانتصر عليهم وقتـل منهم عدداً وافراً ونهب محلاتهم واخذ من خلواتهم آلهتهم الفضية والذهبية وارسلها لاحمد باشا الجزار وارسل شيء منها الى الاستانة العلية . » ه . ل .

معجم المطبوعات العربية والمعرّبة

وهو شامل لاسماء الكتب المطبوعة في الاقطار الشرقيّة والغربية مع ذكر اسماء مؤلفيها ولمحة من ترجمتهم وذلك من يوم ظهور الطباعة الى غاية السنة ١٩١٩ م

جمعه ورتبه يوسف اليان سركيس

مطبعة سركيس بمصر ١٣٤٧ — ١٩٢٩

وصل الى المكتبة الشرقية الجزء السادس والسابع من هذا المؤلف الجليل وعنوانه يكاد يغني عن وصفه ، فعرفناه تحفة للنظار ومرجعاً للمطالعين ونحن نشتاق الى اليوم الذي نراه فيه ناجزاً على يد جامعه المفضال وقد وصل في اخر الجزء السابع الى اسم العطار « حسن » . ف . ت .

المؤتمر النسائي في بيروت

قد اختارت لجنة المؤتمر مطبعة صادر العامرة لنشر بيانها فظهر بقطع مثمن وحرف كبير جميل في ١٢٨ صفحة . وفيه خلاصة الاعمال مع بعض المحاضرات القيمة التي تليت في المجالس ، ومواضيعها في غاية الاهمية لحياة البلاد الاجتماعية ومستقبلها . وفي الحقيقة ان المجهودات التي بذلها السيدات والسادة في سبيل نجاح هذا المؤتمر لدليل واضح على الروح الجديدة التي اخذت تسري في شرايين الامة .

وراقنا خاصةً ما قالته السيدة نور حمادة على حقوق الامرأة في الزواج ، ومن اهم ما طلبته في سبيل تحرير المرأة البنود الآتية:

لا يعقد الزواج للرجل قبل سن ٢٠ وللمرأة ١٧ – يجب التعارف بين العروسين قبل الزواج – ان يكون للمرأة ما للرجل في انتخاب الزوج – اطلاق يد المرأة في تدبير منزلها – انفراد العائلة الجديدة عن مسكن العائلة القديمة–عدم تعدد الزوجات – منع الطلاق والهجر : (ص ٤٦ – ٤٩)

حيا الله الهمم الشماء واطال عمر امهاتنا واخواتنا فيرشدننا الى ما فيه سعادة الدارين. ف. ت.

اللمحة البدرية في الدولة النصرية

تأليف لسان الدين بن الخطيب. صححهُ ووضع فهارسه ناشره محب الدين الخطيب

المطبعة السلفية. القاهرة ١٣٤٧ ق ٨، ص ١٥٢

هذا كتاب في تاريخ بني النصر وهم آخر دولة عربية ملكت على اسبانية وهي التي بنت القصر الشهير المعروف بالحمراء (Alhambra). ومؤلف الكتاب هو الوزير والكاتب الشهير ، ابن الخطيب ، صاحب كتاب « الاحاطة في اخبار غرناطة » . وقد تم نشر هذه الطبعة طبقاً لقوانين النشر العلمي ، واخذاً عن مخطوطين وصفها الناشر ، واشار الى الروايات المختلفة ، وعالج امرها في الحواشي وشرح نوادرها ومبهماتها. واشفع الكتاب بخارطة جيدة للبلاد الاسبانية ، وفتحه بمقدمة خصها بابن الخطيب ومؤلفاته وحياته الادارية وذيله بفهارس قيّمة ولو زاد المؤلف على الاعلام الجغرافية العديدة التي ذكرها ، اسماءها باللغة الاسبانيولية لبلغ غاية المرام. ه. ل.

الحق والعدالة

رواية منظومة للدكتور سليمان غزاله

دار الطباعة الحديثة ، بغداد ، ١٩٢٩ – ص ٦٤ ، وسط

للدكتور سليمان غزاله ، نائب البصرة في المجلس النيابي سابقاً ، ولع شديد في تقريب المعاني الفلسفية السامية من مفهوم المتأدبين. فهو لا يفتأ يؤلف في تلك الموضوعات نظماً ونثراً . وهذا اثره الأخير في « الحقّ والعدالة » نظمه على شكل رواية مختصرة ، « مفترضاً بان الحقّ قد همّ بتشكيل اتحاد بينه وبين

العدالة ، ولكنه لم يتوفق.» وقد قدّم المؤلف روايتـه هذه الى شاعر العراق السيد معروف الرصافي . فنحن نشكر لحضرة المهدي هذه الهديّة الجديدة التي نضيفهـا بسرور الى هداياه السابقة ، ونتمنى لها كلّ ما تستحقّه من اقبال المتأدّبين. ف.ا.ب.

التحفة العامية في قصة فنيانوس

تأليف الكاتب البارع شكري الخوري مدير جريدة ابي الهول في سان باولو (برازيل)

طبعة ثانية – المطبعة الكاثوليكية بيروت ١٩٢٩

اهلًا وسهلًا بالرفيق الخفيف الدم ، الحلو الحديث، اللذيذ المنطق خاصةً في ساعات التنزه والراحة . وهو فكه مفيد خاصةً للاوربيين مريدي اللغة العربية العاميـة . وفي نهاية الكتاب اربع صحائف دوّنت فيهـا الالفاظ الصعبة على الافرنج ، وتجاهها معانيها بالافرنسية. ف. ت.

اللمعة الوضية في ديانة الانسان الطبيعية

صفوة علم اليقين في حقيقة مذهب دروين

مطبعة دير سيدة المعونات، جبيل ١٩٢٩ . كراسان

الخوراسقف خيرالله اسطفان ناظر عام على مدرسة عين ورقة ومعروف بمؤلفاته، سافر الى اميركة واختلط باهل العـالم الجديد ووقف على احتياجاتنا الادبية والدينية ، فوضع كتباً سدّاً لها طبع بعضها في اميركة. ثم عاد الى الوطن . وها انه اتانا بكتيبين جديدين . فاضاف حسنةً الى حسناته واستحق الثناء.

ف. ت.

* رومة والكنائس الشرقية * او حفلة الشكر الدينية التي اقامها صاحب السيادة المطران باسيليوس قطان متروبوليت طائفة الروم الكاثوليك في ١٠ اذار ١٩٢٩ بداعي الاتفـاق البابوي الايطالي – بيروت المطبعة الكاثوليكية ١٩٢٩ – تفاخر بما تجده امنا الكنيسة من روح النيرة والاتحاد في قلوب احبارها ومؤمنيها المتجلية مظاهرها في هذه الحفلة.

* برنامج جمعية طوبيا البار المارونية عن سنة ١٩٢٨* بيروت المطبعة الكاثوليكية١٩٢٩ نتيجة الميزانية : الداخل ٦٣٢٤٥ غ س . الخـارج ٤١٢٩١ ؛ الرصيد ٢١٩٥٤ – كافأ الله

المحسنين اضاف اضاف.

* فهرس المطبوعات والكتب الموجودة في « مكتبة العرب » * لصاحبها الشيخ يوسف توما البستاني بشارع النجالة ٤٩ مصر. عدد الكتب الادبية ١٠٣٣ – التاريخية والرحلات ٣١٨ – الدواوين الشعرية وغيرها ٢٣٥ – الروايات القصصية ٤٩١ – التمثيلية ٣٥ – اللغة ٦٠ – الانشاء ٩٧ – الدينيات الاسلامية ٢٩٠ – الدينيات المسيحية ١٢٩ ... الخ

اهمّ حوادث الشرق في شهر

١٥ آذار — ١٥ نيسان

يوم الخميس ٢٧ آذار جدَّد مجلس النواب رئاسة الجمهورية اللبنانية للاستاذ شارل دباس عن ثلاث سنين اخرى تبتدئ من ٢٧ ايار من هذه السنة ١٩٢٩. وفي ذلك دليل على حسن قيام الرئيس بوظيفته في المدة المنقضية ورضى ممثلي الامة على النظام الحالي ، وارادتهم بتجنب التغييرات السياسية العقيمة ما استطاعوا الى الامر سبيلاً .

شاطرت بلادنا الدولة الفرنسية الاسى بفقد المرشال فوش ونحن له مدينون باستقلالنا كما ان العالم اجمع مدين له بحريته .

ونعي الجنرال سارايل من باريس (٢٣ آذار) وقد كان مفوضاً سامياً للجمهورية الفرنسية في لبنان وسورية وقائداً للجيوش الفرنسية في الشرق (٣٠ ت٢ ١٩٢٤) وفي عهده وقعت الثورة السورية فكبحها بشدة ثم استدعته الحكومة الى فرنسة ولم يقم في سورية الا ١١ شهراً.

وفي ٥ نيسان توفي في الموصل السيد دومينيك فرنسوا بره الدومنيكي ممثل الفاتيكان والقاصد الرسولي في العراق. ولد في ابرشية رين (Rennes) فرنسة في ١٥ ايلول ١٨٥٧ ، وسيم كاهناً في ٢٠ آب ١٨٨٢ . وعهد اليه برئاسة رسالة الموصل ثم رفع الى المقام الاسقفي في ١٩ اذار ١٩٢٢ ، وعُين قاصداً رسولياً لما بين النهرين وكردستان وارمينية الصغرى في ١٩ ايلول ١٩٢٣ .

وفي الثلاثة الشهور الاخيرة اشتغلت مصلحة النافعة باعادة المواصلات في الطرق التي هدمتها الامطار والسيول ؛ وبتحصيب طرقات عديدة اهمها الطرقات الرابطة بين المدن كبيروت وطرابلس وبعلبك ونواحي الاصطياف المهمة ، وبتوسيع غيرها .

واقر مجلس الوزراء تنزيل البدلات العشرية عن عدد عديد من القرى المصابة بالقحط عام ١٩٢٨ بنسبة ٥٠ ، و٣٣ ، و١٥ بالمئة .

وتألفت في لبنان اللجنة الفاحصة لامتحان بكالوريا التعليم الثانوي للدورة الاولى

المحسنين اضاف اضاف.

* فهرس المطبوعات والكتب الموجودة في « مكتبة العرب » * لصاحبها الشيخ يوسف توما البستاني بشارع النجالة ٤٩ مصر. عدد الكتب الادبية ١٠٣٣ – التاريخية والرحلات ٣١٨ – الدواوين الشعرية وغيرها ٢٣٥ – الروايات القصصية ٤٩١ – التمثيلية ٣٥ – اللغة ٦٠ – الانشاء ٩٧ – الدينيات الاسلامية ٢٩٠ – الدينيات المسيحية ١٢٩ ... الخ

اهمّ حوادث الشرق في شهر

١٥ آذار — ١٥ نيسان

يوم الخميس ٢٧ آذار جدَّد مجلس النواب رئاسة الجمهورية اللبنانية للاستاذ شارل دباس عن ثلاث سنين اخرى تبتدئ من ٢٧ ايار من هذه السنة ١٩٢٩. وفي ذلك دليل على حسن قيام الرئيس بوظيفته في المدة المنقضية ورضى ممثلي الامة على النظام الحالي ، وارادتهم بتجنب التغييرات السياسية العقيمة ما استطاعوا الى الامر سبيلاً .

شاطرت بلادنا الدولة الفرنسية الاسى بفقد المرشال فوش ونحن له مدينون باستقلالنا كما ان العالم اجمع مدين له بحريته .

ونعي الجنرال سارايل من باريس (٢٣ آذار) وقد كان مفوضاً سامياً للجمهورية الفرنسية في لبنان وسورية وقائداً للجيوش الفرنسية في الشرق (٣٠ ت٢ ١٩٢٤) وفي عهده وقعت الثورة السورية فكبحها بشدة ثم استدعته الحكومة الى فرنسة ولم يقم في سورية الا ١١ شهراً.

وفي ٥ نيسان توفي في الموصل السيد دومينيك فرنسوا بره الدومنيكي ممثل الفاتيكان والقاصد الرسولي في العراق. ولد في ابرشية رين (Rennes) فرنسة في ١٥ ايلول ١٨٥٧ ، وسيم كاهناً في ٢٠ آب ١٨٨٢ . وعهد اليه برئاسة رسالة الموصل ثم رفع الى المقام الاسقفي في ١٩ اذار ١٩٢٢ ، وعُين قاصداً رسولياً لما بين النهرين وكردستان وارمينية الصغرى في ١٩ ايلول ١٩٢٣ .

وفي الثلاثة الشهور الاخيرة اشتغلت مصلحة النافعة باعادة المواصلات في الطرق التي هدمتها الامطار والسيول ؛ وبتحصيب طرقات عديدة اهمها الطرقات الرابطة بين المدن كبيروت وطرابلس وبعلبك ونواحي الاصطياف المهمة ، وبتوسيع غيرها .

واقر مجلس الوزراء تنزيل البدلات العشرية عن عدد عديد من القرى المصابة بالقحط عام ١٩٢٨ بنسبة ٥٠ ، و٣٣ ، و١٥ بالمئة .

وتألفت في لبنان اللجنة الفاحصة لامتحان بكالوريا التعليم الثانوي للدورة الاولى

واعضاؤها فريق من اساتذة معاهد العلم الكبرى في بيروت.

ومن اخبار حمص ان السلطة تعقبت المجرمين وانزلت القصاصات في من يعدم بالمساعدة وفرضت الضرائب معاقبةً لاحياء المدينة المشتبه بامرها . ونظر العقلاء بين الاطمئنان الى شدة الحكومة ، وعزمها بالرغم من ثقل وطأتها على البلدة لما يرجى منها من تأديب الاشرار واستئصال شأفة الفتن.

ووصل المصرف اللبناني السوري ورق نقدي جديد بدلاً من الورق الحالي وقدره مليون و٢٦٠ الف ليرة

وجرت احصاءات في الداخلية اسفرت عن هذه اللائحة:

سكان	لواء	حلب	٤٦٨,٨٨١
«	«	حماه	٨١,٠٨٤
«	«	حمص	١٢٨,٤٤٦
«	«	دير الزور	٢٥,٣٥١
«	«	دمشق	٣٧٢,٤٧٦
سكان		حوران	٦٦,٥٧٦
سكان		جبل الدروز	٥١,٤٣١
الجموع			١,١٩٤,٢٤٥

اما مساحة جبل الدروز فبلغت عشرة الاف كيلو متر مربع.

واضرب طلاب الجامعة السورية في الشام من فتيان وفتيات احتجاجاً على اقتراح وزير المعارف بحذف مبلغ قدره ٧٥ الف ليرة من مجموع موازنة الجامعة . ولا يزال جبل الامن مضطرباً ما وراء الحدود الشرقية لان الزوبعة التي نشبت نارها في الجزيرة وآل امرها الى جلوس ابن السعود على عرش الحجاز لا تزال ثائرة في مفاوز الصحراء فتهيج الاعراب بعضهم على بعض ، فحمل ابن السعود على آل الدرويش ، وتقاتلت عشائر الحويطات والصخور . ولطمت موجاتهم بلاد الانتداب الانكليزي ، عمان والعراق .

وبلغنا من العراق ان حاصلات الحبوب فيها قليلة ، وان صادراتها من قمح وشعير سوف لا تزيد هذا العام عن ستين الف طن ، بينما كان معدلها ١٥٠ طن سنوياً . على ان الحكومة العراقية اخذت بتشجيع زراعة الشاي فاستقدمت لها خبراء من الصين. ولا تزال زراعة القطن فيها بتقدم وقد زاد المحصول من ٦٠ بالة سنة ١٩٢٠ الى ٥٤٠٠ بالة في السنة الماضية.

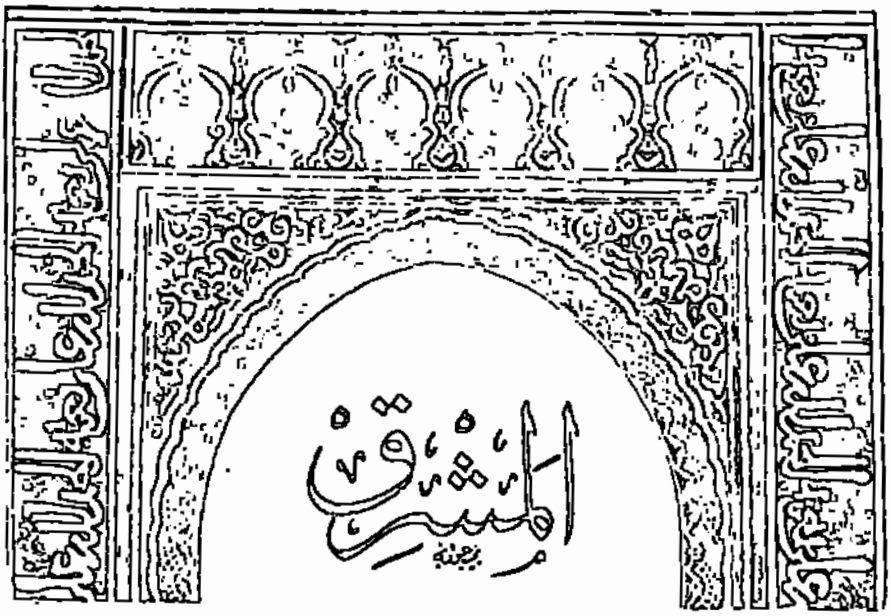

حزيران ١٩٣٩

الغرائب النفسية

بازاء الروحانية الزائفة والروحانية الحقة

بحث انتقادي فلسفي

للاب شرل ايلا اليسوعي

١

للمرحوم الدكتور يعقوب صرّوف ، في المقتطف الاغرّ ، عدّة مقالات موضوعها الغرائب النفسية مثل مظاهر ما تحت الضمير (*la subconscience*) وتأثير العقول بعضها في بعض بدون ما تعبير ظاهر وحتى عن بعد ، والتنويم ، والاستهواء ، وتعدّد الشخصية ، وما يُعزى الى « الوسطاء » من اصعاد ارواح الاموات ومناجاتها ، الى غير ذلك ممّا وصف الكاتب المذكور كيفية حدوثه الظاهر ، فحاول تعليله علمياً .

وقد طُبعت مؤخرًا هذه المقالات على حدة ، مجموعةً في كتاب « رسائل الارواح » وأهديت منه نسخة الى مجلّتنا . فسُئلتُ ان الخّص لقرّاء « المشرق »

اهمّ ما يستدعي الاستغراب من الحوادث النفسية ، وان ابسط كيفية تعليلها ليس في نظر العلم الطبيعي والفلسفة النفسية الاختبارية (*Psychologie expérimentale*) فحسب ، بل في نظر العقلية منها (*Psychologie rationnelle*) بما تستمده من علم ما وراء الطبيعة العام (*Ontologie, Métaphysique générale*) وان كان صاحب « رسائل الارواح » متن ، على ما يظهر ، لا يجهلون كثيراً بهذا الفرع من الفلسفة .

ولمّا كان القسم الاوفر والاهمّ من مقالات المنشىء المرحوم[1] يدور حول مناجاة الارواح ، فاني اقصر القول على الموضوع ذاته ولا اعالج غيره الّا بالعرض .

وقد سبق في المشرق للمرحوم الاب لويس رنوفال اليسوعي مقال[2] في الموضوع ذاته ، وللابوين يوسف مونجان ويوسف منسى اليسوعيين مقال آخر[3] فلا نعيد اقوالهم الا ملخّصةً وعند الاقتضاء .

ايضاحات ومرويات عن مناجاة الارواح[4]

مناجاة الارواح ، ويُقال لها ايضاً السبريتسم ، هي اتصال بعض الاحياء ، اتصالاً واقعياً او مزعوماً ، بارواح الموتى ومحادثتها بطرق مختلفة للاستدلال على مكنونات الامور ، ولاسيما اسرار العالم الآخر .

وفي زعم المناجين والذين يتولّون امر تنويمهم ، والذاهبين مذهبهم ان الارواح لا تناجي كل الاحياء بل اشخاصاً عددهم قليل بالنسبة الى سائر البشر . هؤلاء وحدهم يُمكنهم مزاجهم وحالتهم النفسية ، ولاسيما الغيبوبة الناشئة عن التنويم ، من الاتصال بعالم ما وراء القبر . فيُدعون « وسطاء » (*médiums*) لتوسّطهم بين دنيانا والاخرى .

١) رسائل الارواح – مطبعة المقتطف والمقطم بمصر – سنة ١٩٢٨ – وفي الكتاب مقالة واحدة (ص ١٨٣) لغير المؤلّف ، وهي رسالة بقلم السيّد فيليب حتي ، من كليفلند باميركا . هذا خلا ما جاء في الكتاب معرّباً عن بعض المجلّات الاجنبية .

٢) المشرق (٧ [١٩٠٤] : ١١٢١ – ١١٢٨)

٣) المشرق (١٩ [١٩٢١] : ٢٧٨ – ٢٩٠ و ٢٥٢ – ٢٥٨)

٤) في تاريخ مناجاة الارواح ومزاوليها راجع مقالة الابوين مونجان ومنسى (ص ٢٧٩) و (L. Roure : *Le Merveilleux spirite, Paris, Beauchesne, 3e éd., 1919, p. 1-91*)

وقد ذكر الابوان موتجـان ومنسي (ص ٢٨١) اهمّ الغرائب التي تُروى من هذا القبيل . ولم نعثر في كتاب « رسائل الارواح » على مـا يختلف عن نوعها اختلافاً جديراً بالذكر . قال الابوان المذكوران :

١ – فن ذلك وهو اكثر شيوعاً تدوير طاولة او اسكملة ، او قبعة افرنجية او سلّة ، وما اشبه ذلك ، باجتماع عدة اشخاص متسلسلين او بعمل احد الوسطاء منفرداً .

٢ – ومثلها انتشاراً طرقات تضربها الطاولة على الارض اصطلاحاً ، دلالةً على اجوبة مقصودة ، عند وجود حلقة من الاشخاص حولها او وسيط من الوسطاء .

٣ – واقل شيوعاً مما سبق كتابة الطاولة بقلم يعلّق في قائمتها على ورق يوضع تحت القلم ، بشرط وجود الاشخاص او الوسيط السابق ذكرهم .

٤ – او يحملون ايضاً قلماً في يد الوسيط في يقظته او نومه فيجري القلم كاتباً على الورق ما يوحي اليه من قوة اجنبية دون معرفته ومشيئته الشخصية .

٥ – ومثلها ندرةً ان يتكلف الوسيط النائم او اليقظان الجواب شفاهاً او بالاشارة على ما يُلقى اليه من الاسئلة باسم الروح الساكن فيه .

٦ – واغرب من ذلك واندر وضع ورقة او لوح ، بعيدين قليلاً عن الوسيط وعليهما قلم . وبعد قليل اذا كُشف عنهما يظهران وعليهما سطور مكتوبة .

٧ – ومثلها غرابة وندرة ان ينتقل الاثاث من تلقاء نفسه من مكان الى آخر .

٨ – ان يُسمَع صوت طرقات على جدران المحل حيثما توجد طاولة او بعض الاثاث .

٩ – واغرب من كل ما سبق ظواهر من النور واشباح يُريها الوسيط او يرسم صورها بالفوتوغراف او يأخذ بعض آثارها .

رأي منسي ، « رسائل الارواح » في واقعية المرويات عن مناجاة الارواح

تُرى هل وقعت فعلاً حوادث غريبة كهذه أم يمكن ان تقع ؟ تلك مسألة لا بدّ من البتّ فيها قبل الانتقال الى مرحلة التعليل . والا فعبثاً نحاول ايجاد سبب ما لا وجود له . ولم يكن المرحوم الدكتور صروف ليغرب عن باله ما لهذا البحث الانتقادي التمهيدي من المكانة والخطورة . والحق يقال انه بذل جهده في ايفائـه حقه ، بالرغم من شغفه بعلماء الطبيعة من انصار مناجي الارواح ، ولاسيما الانكليز والاميركان ، فيكاد لا يأخـذ شيئاً الا عنهم . واما رأيه في الامر فهو ، على ما ظهر لنا ، النفي اما لواقعية مناجاة الارواح ، واما لخروج ما دُعي باسمها عن نطاق القوى الطبيعية . اجل اننا نراه يصرّح[1] (ص٢٥) قائلاً :

١) راجع ايضاً مقدمة الكتاب ، ص ٦ .

« قد يظن البعض اننا ننفي مناجاة الارواح وقراءة الافكار نفياً باتاً . وهذا غير صحيح . والصحيح اننا نرتاب فيها لاننا لم نقف حتى الآن على ما يثبتها اثباتاً ينفي كل ريب . »

على انَّ هذه العبارة يردف لها حالاً القول التالي :

« وكل ما اطلعنا عليه من هذا القبيل وكل ما امتحناه باقتنا لم نجد فيه ما يخرج عن التخيل والخداع (١) أو ما لا يُفسَّر بالاستهواء الذاتي او ببعض النواميس الطبيعية المعروفة او ما لا يمكن ردّه الى غيره مما لا يتعذر تفسيره او ما فيه شبهة قوية »

وعندي ان الموقف الموصوف بهذا الكلام لا يختلف عمّا يدعوه المناطقة تأكيداً ادبياً وهو ما ليس فقط يُدعَم بحجج عديدة قوية ، بل لا يقوم في وجهه سوى الشكّ السلبي الذي لا لوم على العقل الرزين الفطني في ان يرذله ، لعدم استناده الى ادلةٍ جدّيّة . ولا نخال اهل النقد التاريخي يطمعون بتأكيد فوق الادبيّ هذا .

وعليه فالمفهوم من التصريح السابق ذكره ان صاحبه ينفي صحة مناجاة الارواح ، او قلّما يكون ، ما رُويَ عنها الى الآن . وهذا ما يُستدلّ عليه ايضاً من مواضع كثيرة من الكتاب الموصوف .

ولسنا ممّن يلوم المنشئ الفاضل على موقفه هذا ، اللهمّ اذا ما قصرنا الاعتبار على الغالب الاغلب بكثير من حوادث « مناجاة الارواح » . فان ثمّة من ضروب الخداع والانخداع والشعوذة والاوهام ما لا يخفى على ذي بصيرة .

ولا حاجة ان نعود الى ذكر الادلّة الواقعية على هذه الحقيقة ، وقد جاءت عديدة واضحة في كتاب « رسائل الارواح » كما في مقالة « المشرق » المذكورة آنفاً . وحسبنا هنا الاشارة الى الامتحانات العشر التي أجرتها بباريس ، من ٦ ت ٢ الى ٨ ك ١ سنة ١٩٢٣ ، لجنة مؤلّفة من خمسة علماء من السوربون . وكانت النتيجة ، على ما اثبتته جريدة الاوبينيون في ٢١ ك ١ من العام ذاته ، اجماع اعضاء اللجنة على اثبات غش الوسيط الشهير غوزيك (Guzik) .

ولا ينكر خداع الوسطاء ، وانخداعهم ، اشدُّ العلماء ميلاً الى تصديق ترّهاتهم بل طالما اقوَ بذلك الوسطاء انفسهم ، بعد ان يئسوا من التملّص من الفضيحة .

---

(١) ويزيد صاحب المقدمة (ص ٦) : « والانخداع »

وزد على ذلك شغف الوسطاء ومنوميهم بالظلام . فلا يُصعدون الارواح الا فيه ، مُدّعين انها تتأذى من النور . وناهيك من ترّهات وخرافات صبيانية يزعمون ان الارواح تتلهّى بها وتلهي بها وسطاءها .

ومن ثمّ لا نستغربُ ما اورده مراسل المقتطف ، السيد فيليب حتي (وتراه في ص ١٨٣ من كتاب رسائل الارواح) ، من اعمال المشعوذ هوديني في سبيل اظهار مكر الوسطاء ولاسيما رنّر (Renner) الاميركي . بل قد نستغرب الضجة التي يقيمها الاديب المذكور حول نجاح هوديني . فيتخيل للقارئ ان هذا المشعوذ قد اتى البشرية برأس قاتل كليب وخلصها من اعظم البلايا ، او ان الكاتب قد هبط عليه وحي من السماء اذ كتب ما يلي (ص ١٨٦) :

« عافاك الله يا هوديني ملاك النقمة السالّ سيفه فوق رؤوس الدجالين ! انك قمت بخدمة للعلم والحقيقة عجز عنها اساتذة السيكولوجيا في جامعات اوربة واميركة . انت ساحر وسحرك حلال . اما هؤلاء المناجون فسحرهم يقضي عليهم وما فلّ الحديد الّا الحديد . . . . قانت ظافر ومناجو الارواح خاسرون ونحن الاحياء نتمتع براحة الفكر الناتجة عن الايقان بان ارواح موتانا لا ترعجها واسطة الوسطاء ولا يسها تدجيلهم . »

فيا لسوء طالع البشرية التي قُضي عليها ان تظلّ ، حتى مجيء هوديني في اواخر الربع الأول لقرننا هذا ، تتكّع في غياهب الانخداع ، لا يرتاح لها بال من قبيل ارواح امواتها !

امّا نحن فلا ندري اذا كان آباء مجمع بلتيمور الثاني ، كلهم او بعضهم ، قد درّسوا في جامعات اوربة او اميركة . لكننا نعلم ان هذا المجمع ، المنعقد عام ١٨٦٦ ، اي قبل هوديني بستين سنة ، قد حذّر المؤمنين[1] من خداع والخداع المناجين .

ومن الغريب ايضاً ان يذكر ، في هذا الصدد ، السيد فؤاد صرّوف ، صاحبُ المقدمة (ص ٦) ما عاناه غليليو وفرنسيس باكون وما نالته الطريقة التجريبية من المقاومة « من قبل الفلاسفة الأرسطيين ومن ذهب مذهبهم من الادباء والكتّاب والوعّاظ » كأنّ هذه نغمةٌ لا غنى عنها ، كلما جرى الحديث

١) راجع مقررات هذا المجمع (الباب الاول ، الفصل ٧ ، البند ٦) في المجلد ٣ من (*Collectio Lacensis*) العمود ١٠٦ .

على ما لهُ بعض العلاقة بالعقائد الدينيـة . وعلى كلّ حال فلينعم الآن بالًا الكاتب الفاضل فها انّ « رجال الكنيسة » ، مهما قاوم بعضهم ، على مـا يزعم (ص ٧) « حقـائق الجيولوجيا والبيولوجيا حتى في هذا العصر » ، قـد اتفقوا مع المقتطف على انكار اكثر مزاعم ذوي الروحانيـة الزائفة ، ايّة كانت مقدرتهم في العلوم .

تعليل ما يروى عن مناجاة الارواح

الاسباب الطبيعية

قال الابوان مونجان ومنسّي (ص ٢٨٨) :

« لا يمكن تعليل كل ظواهر السبيريتيم بالشعوذة والخداع وانما يمكن نسبة بعضها الى علل طبيعية . » .

وصاحب « رسائل الارواح » على الرأي ذاته .

ومن هذا القبيل ما طالما تحققـه العلماء من « انّ بعض الامراض كالهستريا والجولان في النوم (*somnambulisme*) ، والتنويم ، تشبه اعراضها حالـة الوسطاء في السبيريتيم . ويلوح لمن درسها ان في الانسان بعض القوى الخفيّة التي لا يدركها بالشعور وانما هي نتيجة تصرّفه وعاداته السابقة . فهذه القوى تُبرز اعمالها في بعض الظروف ، وبفعل بعض التأثيرات[1] » ولاسيما عندما يقع الوسيط في حالة الغيبوبة بفعل الاستهواء والتنويم .

وهذا مـا يدعوه النفسانيون الاختباريون اعراض مـا تحت الضمير (*phénomènes de la subconscience*)[2] . ولا تنحصر هذه الاعراض في حالة تشوّش الدماغ ، وتخدير الاعصاب ، بالانواع المختلفة . فانهـا تظهر حتى في اصحّاء الجسم والعقل .

وقد ورد في « رسائل الارواح » (ص ٨—١٢ وغيرها) اكثر من مثل على ظواهر كهذه .

ومن مظاهر هذا الضمير الخفي ما رواه الدكتور صرّوف عن الفتاة ماري مايو (ص ١٨٩) التي كان ينوّمها الكولونل دي روشا . فاذا ما وقعت في الغيبوبة ،

١) مونجان ومنسي ص ٢٨٩ ٢) ويسمّيه الدكتور صروف : العقـل الباطن او (*subliminal*) اي ما « تحت عتبة الوجدان » .

كانت تزعم انها عاشت سابقاً على الارض مرتين قبل ان تقمصت يوم ولادتها الاخيرة بشخصيتها الحاضرة. قال الدكتور صروف (ص ٢٠٥):

«واذا تقرّر . . . ان عقلنا الباطن (اي الوجدان الخفي) يحفظ محفوظات كثيرة قد لا نكون شاعرين بها ، وان المؤثرات الخارجية (ومنها التنويم) تؤثر في الذهن الباطن وتولّد فيه صوراً منطبعة على تلك المؤثرات ، فان تفسير ما بدا من الفتاة ماري مايو . . . وذلك ان عقلها الباطن حفظ كثيراً مما سمعته او قرأته في حياتها ، فتذكرت بعضه وهي في حالة الاستهواء. ثمّ ان مسائل الكولونل ده روشا ولّدت في ذهنها صوراً جديدة جرّدتها من محفوظاتها. فلما قال لها من كنتِ قبلاولدتِ اخيراً؟ قالت كنتُ امرأةً وقصّت قصة امرأة تعرفها او سمعت او قرأت عنها . . . . »

وغنيٌّ عن البيان انه لا حاجة ، لتفسير اعراض كهذه ، الى الالتجاء الى التقمّص ، كما يذهب بعض انصار مناجاة الارواح ، ولا الى تعدّد الشخصيات وتواليها بعضاً لبعض في الانسان الواحد ، ولا تعدّد القوّة العقلية او الوجدانية في المرء الفرد . فيشهد الاختبار انّ ما يُعبّر عنه انه على سطح الضمير ، وما يُقال انه تحته ، لا يحلّان في العقل منطقتين منفصلتين مستقلتين الواحدة عن الاخرى ؛ بل نراهما غالباً متّصلين لا يفتآن يؤثران الواحد في الآخر ويتعاونان. فقد جرى لك اكثر من مرّة انك تحدّث شخصاً . وفي اثناء مخاطبتك له يفوتك امرٌ ما او لفظة فلا تعود تتذكرهما . فتقول : تأنّ عليّ ريثما تعود اليّ الذكرى . وتواصل الحديث. فغالباً لا تمضي بضع دقائق الّا ويرجع اليك الفكر او اللفظة ، فتفوه بها في الحال . ترى هل عادت اللفظة من ذاتها ؟ ام ليس عقلك هو الذي كان يفتش عنها ، بينما كان يواصل الحديث في امر آخر.

كذلك لا حاجة ، لكشف غوامض العقل الباطن ، الى ابتداع «جوهر عام يشترك فيه جميع الناس» مما يعود بنا الى الصور الافلاطونية ، او الى احلام اصحاب مذهب الحلول. وكأني بالدكتور صروف قد انصرف الى المزح والهزال اذ قال (ص ١٢) ، بعد ان استغرب الرأي شديداً : «ولكن تُفسَّر به امور كثيرة مما يفسر تفسيره بغيره. واذا اثبتته المباحث التالية اثباتاً ينفي الريب ثبت ان الناس عائلة واحدة او اعضاء جسم واحد مشتركون في نفس واحدة.» !!!

ولا نكرر هنا ما جاء في «رسائل الارواح» ومقال الايرن موخجان ومنى من تفنيد مزاعم اهل السپيريتيزم ولاسيما ، على ما بيّن الايران الفاضلان ،

محاولتهم انشاء ديانة جديدة عقيمة سخيفة ، مبنية على وحي الارواح الموهوم[1].

لكن ، قبل ان نختم هذا القسم من بحثنا لابد من كلمة وجيزة في «المائع الحيوي» (*fluide vital*) . قال الابوان مونجان ومنسي (ص ٢٨٤) :

« وان سألت هؤلاء المنتمين الى المذهب الروحاني : وكيف تستطيع ارواح مجرّدة من المادة ان تتصل بعالمنا هذا الحيوي وبالبشر المتجسدين ؟ يجيبونك بقولهم : ان للجسم البشري مائعاً يدعونه بالعنصر الكوكبي (corps astral) او العنصر المحدق بالروح (périsprit) (٢) يستطيع الانسان ان يبعثه من جسمه اذا شاء ويمكن الوسطاء تهييجه بنفوذ الارواح . فهذا المائع هو الذي يدير الطاولات ويرفع بها عن الحضيض . . . . فالوسطاء على زعمهم يجعلون هذا المائع في صورة الارواح التي تستمده لغاياتها . . . . »

ولا حاجة الى الاسهاب في تفنيد هذه المزاعم . فليس لمروّجيها الّا واحدة من اثنتين : فاما يكون هذا المائع مادياً واذ ذاك كيف تتصل به الارواح ؟ واما يكون روحياً وعندئذٍ كيف تبعثه الاجسام ؟ بل كيف يصل بها الارواح وكيف لا تستغني عنه وهو لا يختلف عنها عنصراً ؟ .

على انه قد يكون في الخطأ بعض الصواب . فقد جرت في السنين الاخيرة اختبارات علمية عديدة أُعدّت لها آلات خصوصية . وقد وصفها الاب رور[3] . وقد يستنتج منها ان في الانسان ، ولاسيما في يديه ، قوّة طبيعية مادية ، تؤثر عن بعد ، حتى في غرّ النبات .

ولا بأس من تسمية هذه القوّة ، قلما يكون على سبيل الاستعارة ، « مائعاً حيوياً او بشرياً » . ولكن تُرى ماذا يكون كنه هذا المائع وما هو قوامه ؟ وهل وجوده اكيدٌ ؟ وهل يجوز ان يُنسب اليه ما يُروى من الغرائب عن تدوير الطاولات كما وعن قراءة الافكار (*télépathie*) كأن دماغ زيد يبعث مائعه الحيوي الى دماغ عمرو ، فيتموّج المائع كما تتموّج كهرباء اللاسلكي ، فتنطبع صور مخيلة زيد في مخيلة عمرو او تهيجُ فيها مثلها ؟ كل هذا لم يبح الينا العلم بعد بسرّه . (للبحث صلة)

١) راجع Route ص ٢٥٨ – ٣٢٨

٢) ويسمّيه الدكتور صرّوف (ص ١٣) اكتوبلازم .

٣) ص ٩٢ – ١٥٧

أمالي السنة : ٣

الحجّ والرقص

بقلم الاب مرمرجي الدومنيكي
من اساتذة المعهد الكتابي والاثري الفرنسي في القدس الشريف

٢

ه على ان الساميين ، وخصوصاً عصرَ كانوا من اهل البادية ، كانت الاعياد تتم عندهم في الاسواق ، وبعض المزارات او المقادس اي البيوت المقدسة او الهياكل . واذ كانت الزيارة تستلزم الانتقال الى المحل الذي يزار ، جاءت كلمة «حجّ» بمعنى القصد او التوجه الى المكان المقدس الذي فيه يقام الاحتفال او العيد بمناسكه ، واهمها الطواف او الرقص حول الصنم او مذبحه او هيكله . والشريعة الموسوية كانت تأمر اليهود بالحضور امام الرب لزيارة هيكله ثلاث مرات في السنة[1]

وبهذا المعنى الاخير قد وردت كلمة «الحج» في العبرية ، والسريانية ، ولاسيما في العربية ، كما نوهنا به في صدر المقال ، وفضلاً عن العرب الوثنيين ، قد سمعت في كلام العرب النصارى ؛ فانهم اطلقوها على الحفلات الدينية ، وزيارة

١) اعياد اليهود المهمة ثلاثة ، الاول : عيد الفطير ؛ ويدعى بالعبرية : (Ḥag ha maṣṣot) الثاني : عيد الاسابيع او عيد الحصاد ؛ وبالعبرية : (Ḥag ha qaṣir او Ḥag ha šabu'ôt) الثالث : عيد المظال او جني الاثمار ، وبالعبرية : (Ḥag ha sukkôt او Ḥag ha asif) راجع ، في ذا الشأن ، سفر الخروج ٢٣ : ١٦ ؛ وسفر التثنية ١٦ : ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ولاسيما عدد ١٦ وهو : «ثلاث مرات في السنة يحضر جميع ذكرانك امام الرب الهك في الموضع الذي يختاره ، في عيد (ḥag) الفطير ، وعيد (ḥag) الاسابيع ، وعيد (ḥag) المظال ؛ ولا يحضروا امام الرب فارغين . » ومما يجدر بالذكر ان كل واحد من هذه الاعياد المختلفة تسبقه كلمة (ḥag) في النص العبري ؛ وما ذلك الّا للدلالة على ما كان مهماً في العيد ، اي الرقص الديني ، وهو المسمى في الاصل (ḥag) ، فاطلق على الاحتفال والاجتماع ذاته .

الاماكن المقدسة ، كبيعة او كعبة نجران. قال ياقوت عن دير نجران (معجم البلدان ٢:٧٠٣) ان بني عبد المدان بنوه مربعاً ... فكانوا «يحجّونه» هم وطوائف من العرب ممن يُحِل الاشهر الحرم ، ولا يحجّ الكعبة. ويحجه خثعم قاطبة» وقد استعملها ابن القلانسي في كتابه ذيل تاريخ دمشق (ص ٦٩) لزيارة بيعة القيامة «هذه بيعة... تعظمها النصارى افضل تعظيم «وتحجّ» اليها عند فصحهم.»[1]

فاذا عرفت هذا ، اعلم ان العرب لم يختلفوا في مناسكهم عن اخوانهم الساميين كاليهود والارميين . فقد كان من عادتهم الرقص الديني ؛ الّا انهم لم يسمّوه حجاً [2] ، بل دعوه دواراً او طوافاً. دونك شهادة ابن الكلبي في صدد ما ذكرناه ، قال : «وكان الذي سلخ بهم (اي العرب) الى عبادة الاوثان والحجارة انه كان لا يظعن من مكة ظاعن الّا احتمل معه حجراً من حجارة الحرم تعظيماً للحرم وصبابةً بمكة . فحيثما حلوا وضعوه «وطافوا به كطوافهم بالكعبة»[3] وقال ايضاً «واستهترت العرب في عبادة الاصنام ؛ فمنهم من اتخذ بيتاً ، ومنهم من اتخذ صنماً ؛ ومن لم يقدر عليه ولا على بناء بيت ، نصب حجراً امام الحرم وامام غيره مما استحسن ؛ ثم «طاف به كطوافه بالبيت» وسمّوها الانصاب»[4] ثم زاد في موطن آخر ، مسمّياً الطواف «دواراً» :

---

١) نقلاً عن كتاب النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية ، لشيخو ، ص١٧٩ .

٢) بل قل سمّوه «حجاً» بما ان العمل الدالّ الحرفُ عليه كان معروفاً ومتداولاً بينهم؛ وله اسمان آخران وهما «الدوار والطواف». ولكن اهل المعاجم لم يدوّنوه ، اما لتقلّب المعنى الاسلامي ، واما تعمّداً ، لاستنكافهم ، وهم محمّديون ، من ذكر الرقص الوثني في جملة مناسك احد اركان دينهم ؛ كما ترى من المنقول ، في متن المقال ، عن تاج العروس بان الزمخشري وغيره كرهوا ان يستعملوا لفظة «الدوار» للطواف بالبيت . وكأني بهم قد نسوا او تناسوا ان الحج عينه ، بجميع مناسكه ، اي رقصه وغيره ، كان «وثنياً» فجعله محمد «اسلامياً.»

٣) كتاب الاصنام لابن الكلبي ، طبعة مصر الاولى ، بتحقيق الاستاذ احمد زكي باشا ص٦

٤) كتاب الاصنام ص ٣٣ . – وحتى اليوم ، في الرقص الجاري ابان «موسم النبي موسى» عند المسلمين ، في القدس ، قد بقي اثر لهذه الانصاب او الاصنام التي كان العرب القدماء يدورون او يطوفون (او قل يحجّون) حولها اي يرقصون ؛ وهذا الاثر «نُصُبٌ حي» الا وهو المزمّر بالشبّابة او المطبج ، القائم في الوسط وحوله تقوم حلقة الراقصين.

« وكانت للعرب حجارة غُبْر منصوبة ، يطوفون بها ويعتّرون عندها ، يسمّونها الانصاب ، ويسمّون الطواف بها « الدوَار » . وفي ذلك يقول عامر بن الطفيل : (وقد اتى غنياً بن اعصر وهم « يطوفون بنصب لهم » ، فرأى في قياتهم جمالاً ، ومنّ يطفن به . فقال) :

« الا يا ليت اخوالي غنياً عليهم ، كما امسوا ، دوارُ » (١

وقد ذكر صاحب التاج من شعر امرئ القيس هذا البيت ، المدعو فيه «دواراً» نفسُ الصنم الذي كانوا يطوفون حوله :

«فمنّ لنا سربٌ كأن نعاجه عذارى « دوارٍ » في ملاء مذيّل

اراد بالسرب البقر ، ونعاجه اناثه . شبّهها في مشيها وطول اذنابها « بجوار يَدُرنَ» حول صنم ، وعليهن الملاء المذيّل ، اي الطويل المهدّب . قال شيخنا : قيل انهم كانوا يدورون حوله «اسابيع»(٢ كما يطاف بالكعبة . ونقل الخفاجي عن ابن الانباري : حجارة كانوا يدورون حولها تشبيهاً بالطائفين بالكعبة . ولذا كرِه الزمخشري وغيره ان يقال «دار بالبيت» بل «طاف بالبيت»(٣

فالظاهر اذن ان الطواف او الدوار مرادف لكلمة « الحج او الحكّ » في اول معانيه واعرقها قِدماً ، اي معنى الرقص الديني حول الحجارة والنصب او الذبيحة (٤ او الصنم او البيت او الكعبة . وهذا الذي كان جارياً في الجاهلية

---

١) كتاب الاصنام ، ص ٤٢

٢) الاسابيع جمع اسبوع ؛ وهو مأخوذ من الحرف السرياني «شابوع» الدال على السبعة من الايام او غيرها . ومعناه هنا ان كل مرة كانوا يطوفون حوله . وكذا القول عن الكعبة . كانوا يدورون سبع دورات .

٣) تاج العروس ج ٣ ، ص ٢١٥ و٢١٦ .

٤) وَصَفَ القديس نيلس (من اهل القرن الرابع) (راجع مجموعة الآباء اليونانيين لمين ، المجلد ٧٩ العامود ٦١٢) كيف كان عرب شبه جزيرة سيناء يجرون الطواف (اي الرقص) حول الضحية . ويستدلّ من كلامه ان هؤلاء القوم لم يكونوا يعبدون الهاً ولا يكرمون صورة او صنم اله ، بل كانوا يعتّرون او يضحّون لنجم الصبح عند طلوعه . فكانوا يأتون بجمل ابيض يُذبحونه ويشرعون بالدوران حوله (اي يحكّون) على نغمات المثنين والمزمرين . وعند الدورة الثالثة ، يضرب زعيم «الحاجّ» بسيفه احدى عضلات الجمل ، فيرتشف من دمه ، ويتبعه الحاضرون ، فيأخذ كل منهم قطعةً من الجزور ، حتى لا يدعوا منه شيئاً باقياً ، لا لحماً ولا عظماً ولا جلداً ، قبل شروق الشمس .

قد ابقاه النبي في الاسلام. وحتى اليوم ، على ما ذكر البتنوني ، من عادة البدو ، ولاسيما اهل الشروق ، من عتيبة ومطير ، عند وفودهم الى مكة ، في الخُمس الاول من ذي الحجة ، ان يدخلوا المسجد الحرام جماعات جماعات ، فيطوفوا طواف القدوم ، ماسكين بعضهم ايدي بعض ، لا يوقفهم زحام المطاف بغيرهم بل ياخذون في طريقهم كل من صادفهم فيه ، وهم يقولون «الله ، محمد . لبيك ، لبيك ؛ حجّيت تَقبَلْ أو لَا تقبلْ ، حجّيتْ ، الا تقبل . » واذا كان معهم نسوة ، تراهنّ في مؤخرتهم ماسكات باكتافهم . زد على هذا ان الحُمس (اي المتشدّدين من قريش ، ايام الوثنية) كانوا يجبرون الحجاج على ان لا يطوفوا الّا بثيابهم ؛ (اي ثياب الحُمس) فان لم يجدوا ، طافوا عراة بالبيت. وكانت المرأة في طوافها تضع عنها ثيابها ، الا درعها ، او رَهطَها.[1] وهذا كله من قبيل الرقص الديني عند الساميين.

اما الحج بمعنى القصد الى مكة للنسك فكان عادة في الجاهلية انزلها محمد منزلة احد اركان الدين الاسلامي . وهاك ما جاء به في قرآنه ، في ذا الشأن:

« واذ بوّأنا لابراهيم مكان البيت ان لا تشرك بي شيئاً ، وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود . وأذّن في الناس بالحج ، ياتوك رجالًا وعلى كل ضامر يأتين من كل فجّ عميق . . . ثم ليقضوا تفثهم ، وليوفوا نذورهم ، وليطوّفوا بالبيت العتيق .[2]

«واتموا الحج والعُمرة لله ؛ فان احصرتم ، فما استيسر من الهدى ؛ ولا تحلقوا رؤوسكم ، حتى يبلغ الهَدْي محلّه . . . الحج اشهر معلومات ؛ فمن فرض فيهن الحج ، فلا رفث ولا فسوق ولا جدال . . .[3]

« واول بيت وضع للناس للذي ببكة ، مباركاً وهدًى للعالمين . فيه ايات بينات ، مقام ابراهيم ؛ ومن دخله كان آمناً ؛ ولله على الناس حج البيت من

١) الرحلة الحجازية ، لمحمد لبيب البتنوني ، ص ١٥٨ ، ١٥٩ . ولسان العرب ج ٩ ، ص ٧٧ .

٢) سورة الحج : ٢٧ ، ٢٨ ، ٣٠ .

٣) سورة البقرة : ١٩٦ ، ١٩٧ .

استطاع اليـه سبيلاً ؛ ومن كفر ، فان الله غني عن العالمين.»[1]

وادعاماً لهذا جآء في الحديث: « بُني الاسلام على خمس: شهادة لا اله الّا الله وان محمد رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت من استطاع اليه سبيلاً»[2]

وحدّ الحج شرعاً: القصد الى بيت الله الحرام ، باعمال مخصوصة ، واوقات مخصوصة ، والحج نوعان: الحجّ الاكبر ، وهو حجّ الاسلام ؛ والحجّ الاصغر ، وهو العُمرة. وافعال العُمرة شرعاً اربعة: الاحرام ، الطواف ، السعي بين الصفا والمروة ، الحلق ؛ ويمكن للمرء اتمامها وحده ، وفي ايّ وقت كان من السنة. اما الحجّ الاكبر ، فلا يجري الّا في اوائل ذي الحجة ، مع الحجّاج ؛ وافعاله هي عين افعال العُمرة ، يزاد عليها الوقوف في عَرَفة ، ورمي الجَمَرات ، ونحر الهَدْي.

* * *

زبدة المقال : « الحج او الحكّ» كلمة ثنائية الاصل (وان كانت في عرف النحاة ثلاثية ، اي ح ج ج) وهي اسم صوت يدلّ على اجهاد النفس ؛ انتقل معناه الى معنى الرقص ، ثم الدوار ، (اي حلقة الراقصين او عملهم) فالاحتشاد ، فالموسم ، فالعيد ، فالقصد ، فالزيارة لاحد المقادس ، فالزيارة لكنيسة نجران عند نصارى العرب ، فلكنيسة القيامة عند عامة المسيحيين ، فزيارة الكعبة المكية ، اولاً عند اهل الجاهلية ، ثم عند المسلمين. وعليه نظن ان من قال بقول صاحب « لغة العرب » بان لفظة « الحجّ » تدلّ من اصلها على «الاجتماع لغاية دينية»[3] قد استند الى المعاجم العربية التي لا تحوي من معاني هذه الكلمة الا بعضها والحديثة منها.

فقد رأينا ان هذا الحرف يراد به في اللغات السامية الرقص وانه مأخوذ من اسم الصوت الخارج من فم العامل المجهد نفسه كالحدّاد ، ومثله الراقص .

---

١) سورة آل عمران : ٩٠-٩٣ .

٢) صحيح البخاري : ج ١ ، ص ٦ .

٣) «لغة العرب» ، سنة ٦ ، جزء ١ ص ٤٤٦ .

اجل ان بعض الرقص يتطلب الانضمام ، الا ان هـذه الكيفية ليست من ضرورة قوامه ، لانه لا يمكن للمرء ان يرقص وحده ، كما ظهر من مثل بنت يفتاح ، وبنت هيرودية . فضلاً عن هـذا فان الرقص ليس بمقصور على الحفلات الدينية ، بل يقع غالباً في الاحوال المدنية[1] . زد على ذلك ان ليس هناك من دليل على ان الحجّ الجـاهلي او الحجّ الاسلامي يستلزم الاجتماع «من باب الحصر» فقد عرفنا ان الحج الاصغر او العُمرة يسوغ للرجل اتمامها منفرداً ، وفي اي فصل من فصول السنة ، فالالتئـام اذن ، بذات حده ، ليس من جوهر معنى كلمة «الحجّ» ؛ انما هو صفة خاصة تضاف اليه ، فتكيفه بكيفية لم تكن فيه ، فتنوعه . ومثله كمثل الصلاة والدرس واللعب ؛ فان كلًّا منها لا يتضمن معنى الانضمام ، اذ يمكن اجراؤه على حدة . ولا يزاد عليه هذا المدلول الّا اذا اكمل باشتراك اشخاص كثيرين فيه ، كما لو صلّى النـاس صلاة الجماعة في الكنيسة او الجامع ، او درس التلاميذ معاً في حلقة احد الاساتذة ، او لعبوا لعبة كرة القدم او غيرها . فكذا الحج يتصف بصفة الاجتماع فيدلّ على معناه اذا ادّاه كثيرون معاً ، واذا كان احد المعاني المتفرعة عن اصله يتطلب وجود الجمهور . مهما يكن من الامر ، فلا تكون ، اذ ذاك ، دلالة «الحج» على الاجتماع الا دلالةً ثانوية ، مجازية .

هذه هي «نظريتنا» في اصل لفظة «الحجّ» ؛ بسطناها بطريقـة تحليلية منطقية ، ألسُنية . وهي ، وان كانت غير مألوفة عند علماء اللغة العربية ، الّا ان املنا وطيد انها تسترعي انظار اهل الدقة والاختصاص . وعسى هذه الدروس الالسنية تنشئ رغبةً في نفوس نخبة من شبّان بلادنا المتعشقين العلم ، فيقبلوا على دراسة «الالسنية السامية» التي هم اقدر عليها ، واحرى بهم مزاولتها من ابناء الغرب المبرّزين فيها ، وان كانوا غرباء عنها ؛ لان موضوعها يفرض معرفة

١) عند بدو جزيرة سيناء ضروب من الرقص يشترك فيها الكثيرون ، ويمكن ايضاً ان ترقص فيها غادة وحدها بحضور الرجال والنساء ، وهي تدعى «الحاشية» . وهـذه اسماء انواع الرقص عندهم : الدَحيّة ، السامر ، الموجار ، الرَزَفة ، المَسرقية ، وكلها تجري في احوال اجتماعية لا مرجع لها للدين ، ولا للدين دخل فيها . (راجع تاريخ سيناء ، لنعوم بك شقير . ص ٣٨٤ وما يليها) .

اللغات السامية ، اي لغاتنا ولغات اجدادنا الساميين. وبذلك يتحقق متمنى العلّامة الاستاذ المغربي[1] الموقن والشاعر بان مقابلة الالسن السامية او «الالسنية السامية» من انفع العلوم لحلّ شيء كثير من غوامض القرآن ، وللاطلاع على اصول الالفاظ العربية ، والفاظ باقي اللغات السامية . ونظن ان هذا المقال ، بما نتج عنه من النتائج ، جاء مصداقاً لرأي حضرة الاستاذ ورأينا .

تذييل

قرأ السيد فردينان ايلا اول قسم من مقالنا هذا ، فتفضل بان ارسل الينا ، في القدس ، بالشواهد التالية ، تأييداً لقولنا . فحالاً بعثنا بها الى ادارة مجلة «المشرق» الغراء طالبين اثباتها في الحاشية . ونؤدي الشكر لحضرة مفيدنا الكريم . ودونك كلامه بحرفه :

«الحج والرقص»

« لم يزل الشعب المصري ، حتى اليوم ، يقول « فلان يحجّ» ان هو هزّ جسمه «يمنةً ام يسرة» او من الامام الى الوراء وبالعكس . كنت يوماً اطالع كتاباً لذت لي مطالعته ، فكنت اترنّح بتلاوته ، واهزّ رأسي ، بصورة غير منقطعة ؛ فدخلت عليّ فجأةً حماتي وقالت لي : «مالك تحجّ »

«ورأيت امرأة مصرية ترقّص ولدها بين يديها ، وهي تقول له ، لاستدراجه : «حج ! حجيج ! (Heg , Hgeg) .

« في حلقة «الذكر » اذا تعب الدراويش ، في روحاتهم واهتزازهم ، صاروا يرددون ، بدلاً من الدعاء ، او الغناء ، او ترديد الاسماء الحسنى ، «الله حي ! الله حي ! » وهم ينطقون بكلمة «الله» بصوت خافت ؛ ويتنفسون بملء صدورهم تنشيطاً لانفسهم في رقصهم المتعب . وكل هذا جاء مصداقاً لملحوظاتكم» اه .

فردينان ايلا

بمصر

---

١) مجلة المجمع العلمي العربي (١٩٢٣) مجلد ٣ ، جزء ٣ ، ص ١٧ .

فوائد الدمع

بقلم انطوان باز

المهندس من المكتب الافرنسي في بيروت ،
ومن مدرسة الكهرباء العليا في باريس

١

لبنان لألفي سنة خلت : شجرٌ منبثق في اعالي وفي سفوح الجبال حتى وفي الاودية ؛ ارزٌ شاهق وغابات كثيفة ممتدة من الجبل الى البحر كأنها رداء نضر التفّ به لبنانُ من اقصاه الى اقصاه ! شجرٌ يتغنّى بجماله الانبياء فلا يقترب منهُ المحتطبُ الّا بخشوع ، ولا تمسّ اقدامه الفأس الّا لتتزيّن به قصور الملوك والعظماء ! تُنقل جذوعه فتُبنى بها الهياكل وتعمر المراكب والسفن التجارية شجرٌ تتفجّر في ظلهِ الينابيع العذبة ، وتنساب بين غرسه الجداول خرّارة.

هذا هو لبنان كما وصفه المؤرخون وهل يعرفه اليوم من زار ربوعه فتسلّق جباله ، وهبط اوديته ، فرأى قمماً جرداء بات معظمها منبت الاشواك ؟ . ايهِ لبنان اين ارزك الخالد ولم يبقَ منه سوى بعض شجرات في الشمال حفظها القدر فجاءت شاهدة بسالف عزك ؟ اين غاباتك مسرح الاسود وملجأ المضطهدين ومسكن النساك ؟ إن ما لم تعمله السنون وعوامل الطبيعة عملته يدُ الانسان الجانية ، فقطعت شجراتك واحدةً فواحدة لاحتياجاتٍ تافهة . قطعتها ولو درى بذلك الشاعر « رونسار » لصاح لهول المصاب كما جاء في قصيدته المشهورة التي مطلعها : « قاطع الاشجار سمعاً . . . »

إنّ للأشجار عند الشعراء روحاً وحياةً ، فعُصاراها دماء حرامٌ سفكها . كيف لا وهي لهم باعثُ الخيال ومهبط الوحي . . ذلك مذهب الشعراء ! غير ان العاقل من جمع بين ذلك الشعور والمنفعة المادّية فاستفاد بما جعله الله له من الخيرات ، واستخدمه ، ليس فقط لحاجاته اليوم ، بل لحاجاته في الغد ايضاً . .

اننا لا ننكر على ساكني البلاد حقوقهم في استثمار الغابات وقطع اشجارها ، انما ننكر عليهم طريقتهم ؛ فهم اذا قطعوا كسروا ، وان قطعوا لا يجددون. وعليه فلا عجب اذا قام لبنان وقعد لما الم باحراجه ، وسعت الحكومة في تجديدها ؛ فللاحراج منافع صحية ومادية نكتفي بذكر بعضها.

الاشجار والينابيع

إن الينابيع العذبة التي تتفجر من الصخور في سفوح الجبال وعلى اكتاف الاودية ، والمياه التي تترقرق في الجداول والانهر من الجبل الى السهل ومن السهل الى البحر فتسقي في سيرها الاشجار والبقول والاعشاب ، والشلالات التي تسكب مياهها كاللجين السائل ، كلُّ ذلك مورده الشمس مصدر الحياة. إن حرارة ذلك الكوكب تبخّر قسماً من مياه المعمور ، واهمها مياه البحار ، فتصعد في الجوّ ممتزجةً بالهواء الناشف فتصيّره رطباً . واذا كثر البخار كانت الغيوم يسوقها الهواء من جهةٍ الى جهة ، حتى اذا ما صادفت برودةً انحلّت فتساقطت في سحاب من الامطار.

ولو تبعنا تلك المياه المتساقطة لوجدنا انَّ قسماً منها يقع فوق الصخور والارض اليابسة فيكوّن بحيرات راكدة ، او ينحدر حتى مجاري الانهر فيتبعها لا مقرَّ له الّا البحر ، وقسماً آخر يقع فوق ارض نشّاشة فيخرقها ، ثم يتسرّب في داخلها من طبقة الى طبقة حتى يلاقي طبقة دلغانية (argileuse) يركد على سطحها ريثما يتفجر ينبوعاً عذباً . . . والآبار الارتوازية ما هي الّا مياه نزلت بين طبقتين دلغانيتين بشكل الطسّة فاذا شُقّت الطبقة الاولى نشبت المياه بقوة الضغط ، الى علوٍّ لا يتجاوز علوَّ اطراف الطسّة. والآبار الارتوازية كثيرة في الجزائر ، ومنطقة باريس. اما في بلادنا فنظنّ ان المياه المتدفقة من برك مدينة صور والتي يرجع عهدها الى الرومان ما هي الّا نوع منها.

والآبار الارتوازية غير آبار البترول التي ينشب السائل الشاعل منها احياناً الى علوٍّ يبلغ الثمانين متراً . سببُ ذلك هو ان البترول محصور في الارض فوق طبقةٍ دلغانية ، تعلوه غازات ضاغطة . فاذا فتح البئر فوق سطح البترول خرج الغاز وبقي البترول ، واذا جاء الفتح في الاسفل نشب البترول بقوة الغاز

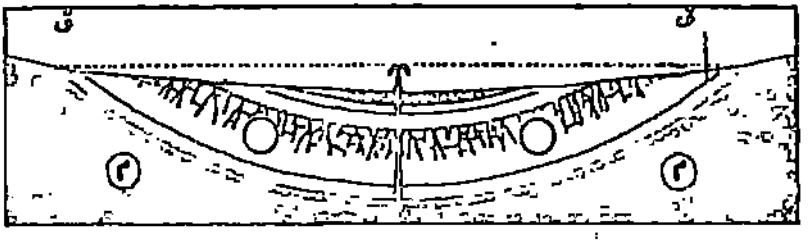

الرسم ١ : مقطع لبئر ارتوازي يرى فيه طبقات الارض والمياه المحصورة في الرمال م بين طبقتين دانانتين ترى الطبقة الاولى منها

الضاغطة فوفرت بذلك اموال طائلة لاستخراجه بطرق حيّاية . كيف لا ومن ينابيع البترول في روسية ما يقذف بادئ بدء خمسمائة طنّ من البترول في الساعة.

هذه مقابلة فقط بين الآبار الارتوازية وآبار البترول جرّنا اليها سياق الكلام . والمقصود ان الينابيع تتغذى بما يتساقط من الامطار ، فلا يسيل على سطح الارض بل يتعدّى القشرة الخارجية من التراب الى الداخل . وكما على سطح الارض هكذا في بطنها . فعوضاً من ان ترشح المياه ثم تركد ، فهي تسيل احياناً انهرًا داخلية ، حتى تجد مصرفاً لها تخرج منه ينبوعاً غزيرًا . ولنا مثل حيّ على ذلك في ينبوع مغارة جعيتا فوق نهر الكلب.

الرسم ٢ : شكل هندسي لبئر البترول ب : البترول غ : الغاز الضاغط

فمن دخل تلك المغارة الواسعة رأى نهرًا جارفاً في بطن الارض تمكّن الاميركان من صعوده ، بدء الاحتلال ، الى مسافة اربعمائة متر . واصل مياه ذلك النهر نبع اللبن كما بيّنه التحليل الكيماوي.

فغزارة المياه متوقفة اولًا على كثرة الامطار ، فلا غروَ اذا فاضت الينابيع في سنة كسنة ١٩٢٩ جرّت الامطار فيها سيلًا ، وثانياً على نوع القشرة الخارجية من الارض . فاذا كانت هذه صخرية او صلبة منحدرة لما علقت على سطحها المياه بل سالت ، حال سقوطها ، نحو المضيق او الوادي ، عائدة الى البحر ،

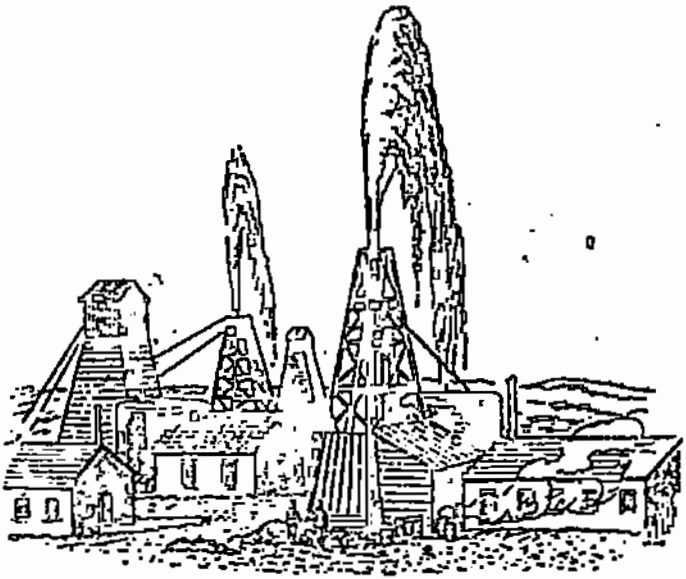

الرسم ٣ : منظر خارجي لينابيع البترول

فجفت الينابيع . ومن المعلوم ان المياه لا ترشح في الارض ، يابسةً كانت ام رطبةً ، الّا اذا مكثت على سطحها زمناً ؛ وهذا ما تسهله الاحراج المنتشرة في سفوح الجبال وقممها . فجذوع الاشجار ، وجذورها المتشعبة الممتدة احياناً فوق التراب ، تعترض المياه في سيرها نحو الوادي فتوقفها او تخفف من سرعتها فيتمكن التراب من شربها .

هذا اذا ضربنا صفحاً عن ان البلاد الخضراء تكثر فيها الامطار حيث ان الغيوم اذا لاقت جوّاً رطباً ، كما فوق الغابات ، لا تلبث ان تنحلّ بالمطر . وقد يعبّر العامة عن ذلك بقولهم : « الشجر يسحب الشتا من الغيم »

واذا تعدينا مسألة الينابيع ، وجدنا ان الاشجار باوراقها وغصونها وجذوعها وجذورها تخفف من قوة وقع المطر عند نزوله وتمنعه من جرف الرمال والاحجار كما يحدث ذلك في البلاد الجرداء .

وللغابات قوة هائلة في ايقاف تيّار الرمال الجارف ، طامس المدن والبلدان . فلولا اغراس الصنوبر غربي بيروت لغطّت رمال البحر نصف المدينة .

وان كان للأحراج منافع صحية فمنافعها المادية اكثر من ان تحصى . فهنالك

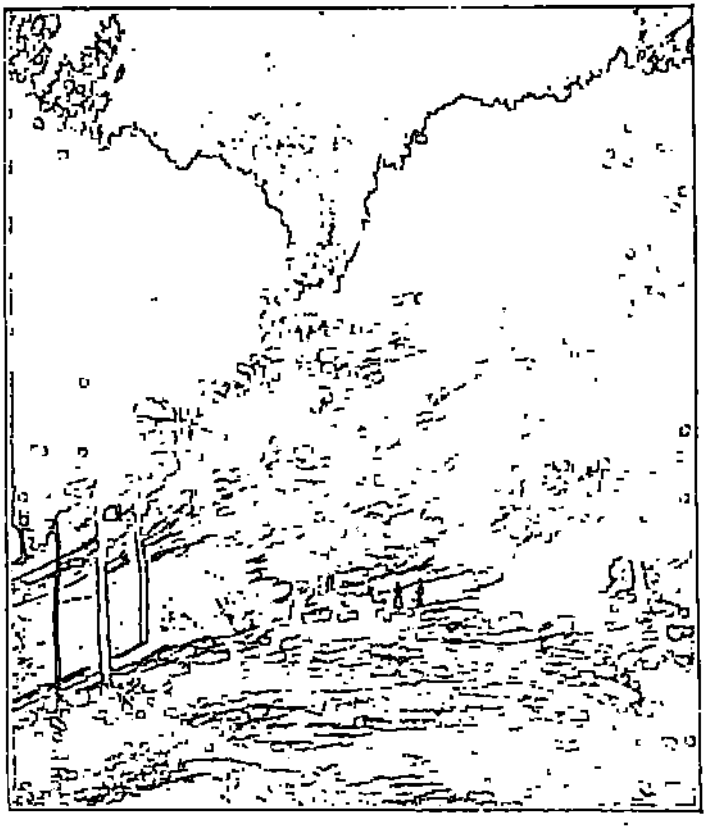

الرسم ٤ : اشجار الصنوبر توقف تيار الرمال

صناعات شتى اساسها الاشجار والاخشاب ، منها صناعة المواد الصمغية (résine) والمواد الشاعلة ، والكرتون والفحم . ولا نأتي على ذكر فن النجارة المعروف « بالموبيليا » وهو يستعمل من الخشب ما يصعب خروجه في بلادنا كالاكاجو وغيره فيأتينا من غابات اميركة .

والمواد الصمغية تُستخرج من شجر الصنوبر والشربين ، وهذا ينبت في ارضنا فما يمنعنا من استيراده . واستخراج الصمغ منه يكون على الطريقة الآتية : تُجرح الشجرة عمودياً او تقشر قليلاً في مواضع مختلفة ، ثم يعلّق تحت كلّ شقّ انا. يسيل فيه الصمغ فيجمعه مستثمرو الغابة حيناً بعد حين وقد شاهدت ذلك في غابات اللاند (Landes) غربي فرنسة ، لمّا مرّ بنا

القطار الكهربائي سائراً من باريس الى بوردو ، فرأيت الوثاً من الآنية معلقة على جذوع واغصان الاشجار تستقي ما يسيل من الصموغ

اما صناعة المواد الشاطة فتابعة لصناعة الفحم نذكرها في حينها .

صناعة الورق والكرتون

يصنع الورق والكرتون من معجون الخشب يُضاف اليه بعضُ مواد كيماوية وصمغية لتعطيه قوة وصلابة ، على ان الجيد من الورق يُصنع من عتيق الاقمشة يُجمع في الطرقات وعلى المزابل

ومعامل الورق والكرتون تُجعل على مقربة من الغاب ، كي يسهل قطع الاشجار ونقلها . وما احسن لو صادف موقعها نهراً او ساقية تستخرج منه القوة الحيلية مجاناً بواسطة دوّامات مائية

ولا يؤخذ من الشجرة في عمل الورق الّا الجذع والاغصان دون الاوراق والقضبان ، تقطع بطول متر واحد على شرط ان لا يتجاوز قطرها العشرين سنتيمتراً والّا وجب شقها . لذلك فلا يقطع غالباً من الشجرة الّا اغصانها ويبقى الجذع مجدداً فيها الحياة . ثم تقطف الاوراق وتقص العقد وتُنزع القشور ، اما بواسطة الفأس واما بآلات تخفف من اليد العاملة . وفي صناعة الكرتون يُعرض الخشب لفعل البخار السخن ضمن افران مقفلة ، فتلين قشرته فيسهل نزعها ، وتعطيه حرارة البخار لوناً غامقاً فيجيء الكرتون ملوناً دون صباغ

وبعد ذلك تبرش تلك الزنود بالاحتكاك على دواليب من الحجر الرملي فتعطي دقيقاً . فالناعم من الدقيق هو ما جاء بالجيد من الورق او الكرتون ، والخشن يؤخذ فيطحن كالبر بين حجرين الاول ساكن والثاني متحرك كما في الطواحين العادية . وعملية البرش تستلزم ماء غزيراً يصب فوق الخشب لئلا يلتهب من حرارة الاحتكاك . ثم يجمع دقيق الخشب الرطب ويضاف اليه بعض مواد كيماوية ، فيجيء معجوناً يمد صفحات بواسطة المكابس ، ثم ينشف بواسطة البخار السخن فيصقل فيقطع فباع .

(للبحث صلة)

قدم الانسان

بقلم حضرة الفي عبد المسيح زمر

من الثابت الاكيد ان الانسان ظهر على وجه الارض آخرَ الخلائق الحيّة . ولكن متى يا ترى كان ظهوره ، وفي اي عصر برز الى عالم الوجود ؟ ان الجواب على هذا السؤال لم يفضِ اليه الى الآن كاشف ، ولم يُمط عنه الحجاب احد من العلماء ، بالرغم من الجد والجهد الذي بذلوه ؛ ولعله يبقى مكنوناً الى منتهى العالم. اذ ان العلم ما استطاع ، ولربما لن يستطيع ابداً ان يفكّ مشكلاً كهذا اعقد من ذنب الضب . فاذن هذه المعضلة ما زالت في ليل من الشك مدلهم ، لم يسطع عليها بعد اشعة الظهور . ومع ذلك احببنا تلخيص اقوال العلماء ، في هذا المقال ، لما ينجم للقارئ عنها من الفوائد .

ان العلماء ولاسيما المتجرّدون لدرس احوال الحياة ، يعتقدون ظهور الحياة اولاً في المياه ، ثم في البرّ ، وبعد ذلك في سماء الارض . غير ان اصحاب المذهب القائل بتوحيد اصل الاشياء (monisme) يزعمون ان ظهور الحياة حدث في اول الامر اتفاقاً في قلب المياه ، بصفة خلية لا هيئة ولا شكل لها . ثم ان ذلك الحيّ الاول اخذ يتكمّل شيئاً فشيئاً حتى استطاع ، بعد كرور الدهور الطويلة ، الانتقال من سلسلة النبات الى سلسلة الحيوان . ولكن هولاء الموحّدون لم يثبتوا قولهم من طريق البرهان ، ولا ايدوه بالادلة المقنعة ، بل اعرضوا عن العلم الاختباري الذي شهدت بصحته التجارب ، واعتمدوا على نتائج لا يتمثل فيها شبه الحق ، ولا تثبت على النظر ، اذ انه قبل اختبارات العلامة باستور كان يظن ان الحياة تتولد في بعض الاحوال بشروط معينة ،

كتولـد جراثيم الامراض من تلقاء نفسها ، في الدم مثلاً او في البول او في غيرهما . الّا ان هذا الرجل ، فريد زمانه ، قد ابكم خصومه بتجاربه العديدة ، وبيّن ان « كل حي يولد من حي مثله »

فاذن المأفون والسرف العقل وحده يقول بان انواع الحيوان المتنوعة الموجودة في وقتنا الحاضر ، البالغة مئات الملايين — اذ ان انواع الحشرات تزيد على ٣٠٠،٠٠٠ — فضلاً عن الانواع التي عاشت في الاعصر الغابرة وهلكت ، ثم دُفنت تجاليدها في تراب الارض وتحجّرت بين ساتات الصخور ، كلها توالدت وتكاثرت من تلك الخلية الاولى ؛ بل من يصدق ان تلك الخلية ولدت بطريقة النشوء النبات والحشرات والحيوانات العظام والماموث والفيل واصناف القردة حتى اعضاء جسمنا ؟

على ان سلسلة ذوات الاثداء الشاملة الانسان والقردة تمتدّ الى زمان عريق في القدم ، وقد ظهرت آثارها لاول مرّة في اوائل العصر الثالث بين سافات صخور طبقات الارض المتكوّنة من رسوب المواد ، وفوقها قامت ارض العصر الثالث . ونمت هذه السلسلة وتكاثرت ، وتشعبت ، وتعدّدت ، وانقرض بعض انواعها قبل ابتداء العصر الرابع ، ولكن بالرغم من كرور الدهور قد طال بقاء بعض هذه الانواع الى ايامنا ، وان كانت الآن آخذة في التلاشي والانقراض . امّا الانواع التي ظهرت قبل الانسان ، وعاشت في السلسلة الاولى ، وما زالت تعيش معنا ، كالقردة على اختلاف انواعها ، ولاسيا الخالية من الاذناب ، القريبة من هيئتها وشكلها الى الآدميين ، مثل الشمبنزي والاورانغ اوتانغ والغرلى ، فان بعضها وُجد في العصر الثالث ، ولربما سبقها نوع او انواع اصغر تسلسلت هذه منها .

فاذن الراجح في الرأي ان ظهور الانسان كان في اوائل العصر الرابع ، لان العلماء بالرغم من المساعي التي بذلوها لم يستطيعوا اقامة الدليل على وجوده في العصر الثالث ، اذ ان آثار الصناعة البشرية في اوربا لم تظهر الّا في اواسط العصر الرابع . اما ما اكتُشف في البلاد الاخرى فلم تتفق الاراء على صحة

نسبته الى زمان سابق ، لان البراهين التي دعم بها طائفة اقوالهم لم تثبت عند المحنة والتمحيص.

فوالحالة هذه ، ماذا يبين لنا على وجه التقريب زمان ظهور الانسان ؟ والا يمكن التوصل الى معرفته بطريقة الرجم والتخمين ؟

كثير يظنون ان الكتاب يصرّح بهذه المسئلة ، ولكنهم مخطئون . لان ايدي النسّاخ اوقعت فيه اختلافات وخصوصاً في عدد السنين واعمار الاباء . فحسب النسخة العبرانية قد مرَّ اربعة الاف سنة بين آدم والمسيح ، وحسب السبعينية ٥٤٠٠ ، وحسب كتاب تراجم الشهداء الروماني نحو ٥٢٠٠ . فمن الوجهة العلمية لا يمكن الاعتماد على الكتاب في هذه النقطة ، لان الكاتب المقدّس اقتصر على سرد الحوادث بصور وتشابيه ، وكتب بلغة بشرية لاناس قليلي العلم قصدَ ان يطبع في عقولهم بعض الحقائق الجوهرية ، مثل وجود اله قدير كامل خالق السماء والارض ، ممتن بخلائقه ، مثيب الابرار ومعاقب الاشرار ، ويبين لهم شرف الانسان من حيث مشابهته لله ، وحرّيته التي هي اساس المسؤولية ، ودخول الموت الى العالم بانسان واحد ، والوعد بمخلص . ولما اراد الدلالة على تلك الاعصر الطويلة العهد ، ما رأى كلمة ادلَّ على كل طور من اطوارها من كلمة « يوم ».

فاذا قال العلماء بمضيّ زمان طويل اي ١٠ الاف سنة ، او ٢٠ ، او ٣٠ الف على ظهور الانسان فليس في قولهم ما يضادّ الكتاب وتعليم الكنيسة ، لانها ما قطعت قط بهذه المسئلة ولا يهمها امرها كثيراً.

ثمَّ ان التاريخ عاجز ايضاً عن حلّ هذه المشكلة ، اذ انه يذكر شعوباً وجدت قبلنا بنحو اربعة او خمسة الاف سنة ، وبلغت اقصى غاية من التمدن والحضارة كالكلدانيين والمصريين مثلاً . فتاريخ المصريين يرقى الى الملك مِنس الاول الذي عاش في الالف الثالث ، او على الكثير في الالف الخامس قبل المسيح ، والتاريخ الاشوري يقف عند الالف الخامس ايضاً . فاذن ما من وسيلة ادلَّ على تبيين اصل الانسان من علم طبقات الارض حيث ترك الانسان ، قبل ابتداء التاريخ ، آثاراً ناطقة بوجوده.

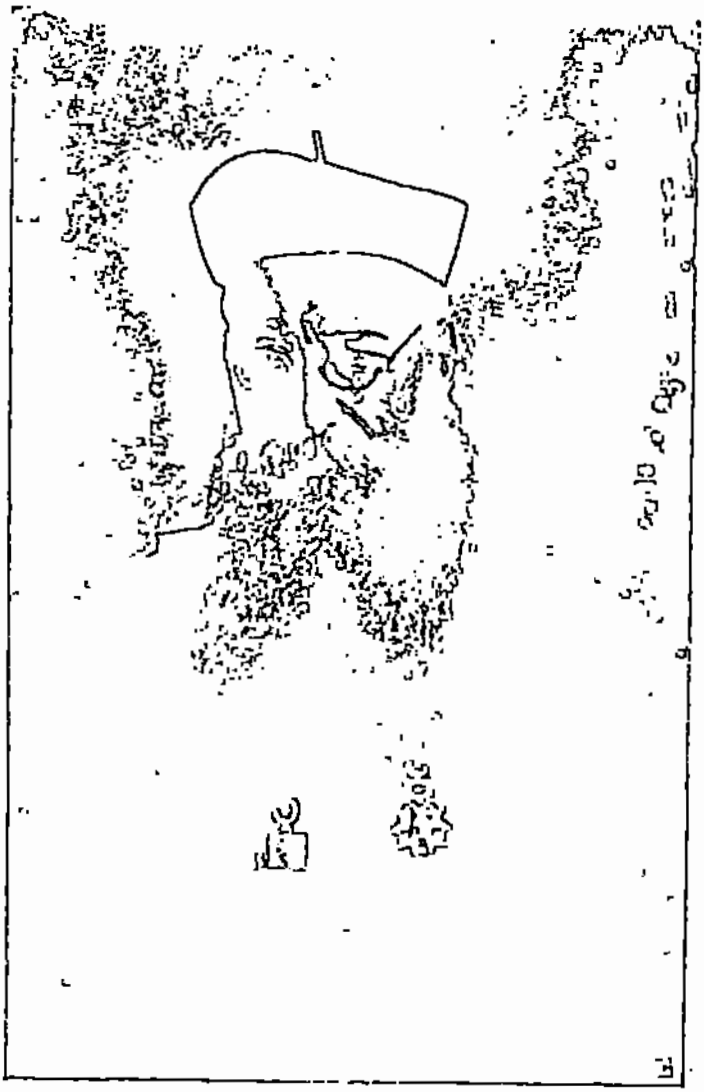

فقيد الدين والعلم والوطن

الاب لوسيان كاتن اليسوعي

١٨٥١ – ١٩٢٩

ماذا يقول علم طبقات الارض

ان العلماء الناظرين في طبقات الارض يذهبون الى وجود الانسان في العصر الرابع الممتدّ الى وقتنا الحاضر . على ان الارضين كانت اذ ذاك مختلفة كل الاختلاف عنها في الاعصر السابقة ، لتأثير العوامل الخارجية فيها ، اعني العوامل الجويّة . فضلاً عن ان سقوط الامطار الغزيرة اثّر في هبوط الحرارة ، وذلك لخلوّ الهواء عن الحامض الكربوني . فاذن سقوط تلك الامطار سبّب تساقط الثلوج ، فنشأ عنها جليد انتشر وعمّ في اول العصر الرابع ، فحمل حيوان المنطقة الشمالية الى الجلاء والرحيل الى المناطق المعتدلة . وكان ايضاً من نتائج تلك الامطار وجريان المياه جرفُ التقن الى السهول والاماكن المنخفضة ، وهكذا تكوّنت الاراضي الصالحة للحراثة والزراعة .

وفي آخر العصر الثالث هبّت جبال النار في اوفرني (Auvergne) من سباتها الطويل ، كما يشهد سلسلة جبال بويس (Puys) . وعلى اثر الانفجارات زاد الحامض الكربوني فارتفعت الحرارة وذاب الجليد ، وصارت حالة الجو شبيهة بالحالة الحاضرة . وفي الوقت عينه انقرضت انواع كثيرة من ذوات الاثداء ، كالماموت ودباب المغاور والايائل العظام والمغاتريوم والدنورنيس ، وظهرت خليقة جديدة لتتسلط على الارض ، وهذه الخليقة هي الانسان . فاذن وجود الانسان كان غالباً في العصر الرابع ، ويدلّ عليه العظام البشرية التي اكتشفت في الاراضي الرابعة ، والادوات المصنوعة من ظرّان او حجارة مصقولة او من المعادن ، وهذا العصر يعرف بعصر النحاس والحديد وعنده يقف علم طبقات الارض ويبتدئ التاريخ . فالراجح انه قبل العصر الرابع ما كان للانسان وجود على وجه البسيطة[1] .

آثار الانسان

ان اهم الآثار الدالة على وجود الانسان الظرّان والعظام التي كان يصنع منها القلائد والنبال ، والاقراط والمشاقب ؛ وصور بعض الحيوان التي كان

١) عن كتاب «السماء» بتصرّف كثير .

ينقشها على عظام الخيل والوعل والرنة ؛ وبقايا صيده واطعمته التي خلفها في المغاور والكهوف التي اوى اليها في اول امره ؛ واثار النيران في حجارة الصوان ؛ والتماثيل التي صورها بالمغرة على جدران تلك المغاور . وبعد عصر الحجر ، اتى عصر النحاس ، ثم عصر الحديد . وقد قسم العلماء عصر الحجر الى ثلاثة اقسام : عصر الحجر المشظّى ، وعصر الحجر المنحوت ، وعصر الحجر المصقول .

على ان العظام البشرية لا وجود لها في العصر الثالث ؛ واقدم ما وُجد منها يرجع الى العصر الرابع ، وهو لحي اسفل وُجد في مَورِ (Mauer) قرب هدلبرغ (Heidelberg) سنة ١٩٠٧ ، على عمق ٢٤ مترًا ؛ وجمجمة عُثر عليها في (Piltdown) من اعمال سوسكس (Sussex) في انكلترة . وقد فحص الاستاذ سيفر (Siffre) احد اساتذة مدرسة جراحة الاسنان لحي مَورِ فقال : «ان الفرق بين اسنان لحي مَورِ واسنان القرد الاقرب (الى الانسان) كالفرق بين ضرس آكل العشب وناب الجوارح . » غير ان صاحب هذا اللحي بعيد عن الانسانية واقرب الى البهائم من الانسان النياندرتالي [1] (Néandertal) ، فهو منسوب على ما يظهر الى الانسان الشلّي [2] . اما الجمجمة فهي قريبة من احوال الانسي . فيستدل انه كان في العصر الشلي العريق في القِدَم باوربة سلالتان من البشر مختلفتان . وقد وُجد في طبقات ارض (Piltdown) ، ما عدا الجمجمة ، فك اسفل وبعض الاسنان نسبها مرسلان بُول (Boule) الى الشمبنزى ؛ فيستدل من ذلك على ان الانسان والشمبنزى عاشا في وقت واحد . وظن آخرون غير ذلك ، وما زال الجدال قائمًا بين العلماء في هذا الشأن . والمعروف انه بعد الانسان الشلّي اتى النياندرتالي ، ولا يُعرف اكثر من هذا . حتى ان العلماء لم يتوصلوا الى معرفة استعمال الانسان الشلّي للنار ودفن الموتى . وبعد الانسان النياندرتالي اتى سلالتان اخريان ، وهما السلالة الغريمالدية (Grimaldi) التي اتت الى اوربا من افريقية وكانت من الزنوج ، وسلالة اخرى تدعى (Cro-Magnon) وهي سلالة

١) نسبة الى قسم من وادي ديسل في بروسية الرنانية .

٢) نسبة الى شِلّ (Chelles) ، دسكرة من اعمال مرن على المارن حيث وجد آثار بشرية عريقة في القِدَم .

بيضاء جميلة الخلق تشبه سكان اوربة الحاليين. ولكن هاتين السلالتين لم تتفرعا من السلالة النايندرتالية التي انقرضت من عن آخرها ، بل اتتا من بلاد اخرى. وقد نسب العلماء انقراضها الى تغلب سلالات ارقى منها عليها. وهم متفقون على ان السلالتين الاخيرتين من نوع الانسان العاقل.

على ان سلالة الكرومانيون قد سكنت ايضاً الكهوف ، واستعملت الظرّان ، وعاجَ الماموت ، وقرون الرنّة ، وعظام حيوانات اخرى ، وتقدّمت في الصناعة ، وتركت صوراً كثيرة وتماثيل على جدران المغاور وسقوفها ، ونقوشاً في الحجارة وقرون الرنّة ، وتماثيل من الصلصال او الغضار للبيزون[1] وغيره من الحيوان . وكانت هذه السلالة ارقى عقلياً وادبياً من كثير من المتوحشين في عصرنا . وقد اكتشفوا في المدة الاخيرة في (Broken Hill) برودزية جمجمة قريبة الشبه الى جماجم السلالة النايندرتالية ، وجدوها بين عظام حيوانات تلك الارض ، وبانَ انها احدث من عظام السلالة التي عاشت في اوربة ، وانها مختلفة عن جماجم زنوج افريقية ، فاستنتج مرسلان بُول ان السلالة النايندرتالية بقيت في افريقية الجنوبية بعد انقراض اختها من اوربة.

عمر الانسان

لقد ذهب بعضهم الى قِدَم الانسان وايّدوا رايهم بما يوجد من الظرّان الشبيهة بالظرّان المشظّاة . غير ان زعمهم هذا لم يثبت عند المحنة والتمحيص ؛ اذ انه قد عُرف بالخبرة ان حجارة الصوان تتشظّى من تلقاء نفسها ، بتأثير حرارة الشمس وبرودة الليل . وقد تحقق المسيو ارسلان (Arcelin) ذلك في قفار ليبية الحارّة وسهول برغونية المعتدلة ؛ والدكتور وترسين (Wetzsein) ، والمركيز دي ناديلاك(Nadaillac) حوالي دمشق. قال ابسيوس: «متى جلس المرء صباحاً صامتاً في مكان قفر ، او مساء بعد غياب الشمس ، سمع حولة صلّة ناتجة

١) نوع من البقر قلّ وجوده وهو نوعان : الاوركس (*Bos bonasus*) ما زال في ليتوانية والقوقاس عائشاً بالاجام ، والبيزون (*Bos americanus*) باقٍ ايضاً في كندة والولايات المتحدة تحميه الحكومة.

من تشظي حجارة الصوان المدلّصة . » ثم ان المسيو دلفو (Delvaux) رأى مثل ذلك في محل كان على مقربة من رنيه (Renaix) في بلجيكة ، واليك شهادته : « لقد تعجبت من سماعي حساً ثم صلة تتزايد ، رايت بعدها شظايا الصوان تتطاير حولي من كل جهة ؛ ولما كنت وحدي حرت في امري واطبقت الدُفيتر الذي كان في يدي ؛ وعلى الاثر لاحظت ان اشعة الشمس ، عند مجاوزتها القمة المقابلة ، تسامتُ الحجارة البارزة على حافات الحفرة ، ومها سخنت تشظت وقذفت القطع الى مسافة مترين واكثر . فاقت اتمل هذا الحادث مدة نحو عشرين دقيقة . »

فاذن حجارة الصوان المتشظية لا تبرهن دائماً على ان الايدي البشرية هي التي شظتها ؛ ولا يصح الاعتماد عليها لتعيين عمر الانسان الذي ما زال من وراء العلم .

ان البعض ، استناداً على آراء فريق من علماء الالمان ، وما توصل اليه من الاكتشافات الحديثة ، بالغوا جداً في تعيين السنين التي مضت فجعلها جماعة مائة الف سنة ، وطائفة مئتي الف بل اربعمائة الف سنة ، ولكن اقوالهم خالية من الادلة .

غير ان الاب مورو (L'abbé Th. Moreux) بعد ان افاض في درس هذه المسئلة ، وتعمق في البحث عنها ، وعرض على قرائه اراء العلماء ، وقف ولم يقطع فيها ؛ بل اقتصر على هذه النتائج فقال : « انه بالنظر الى ظهور الانسان على الارض تتفق الحوادث كلها في حالة العلم الحاضرة على الدلالة :

اولاً : ان لا اثر حتى الآن للانسان وصناعته في العصر الثالث

ثانياً : ان العظام البشرية الاولية الحقيقية التي عُثر عليها في بلادنا ولاسيما في جنوبي فرنسة ، يرتقي عهدها الى الطور الجليدي الاخير والطور الذي سبقه . فلا ريب اذن ان الانسان صبر على امتداد مدة الجليد الاخيرة التي هي على الارجح اقصر مدّاته .

ثالثاً : يصعب تحديد تاريخ ظهور الانسان وعمر الارض الحاوية آثاره . اما اعداد السنين التي ذكرها العلماء الكذبة فليست سوى مزاعم لا يثبتها برهان

قيّم ، ولا تؤيدها حجة قاطعة ، اذ ان كل شيء يدل على ان الاطوار الجليدية والاطوار السابقة لها لا تتجاوز بعض الوف السنين . اذن ان محاولة تحديد عدد معيّن ضرب من مجاوزة حدود العلم في الوقت الحاضر .»[1]

قال پول بروكا (Broca) : « ان الانسان الثلاثي ما زال في عتبة العلم .» فاذن اقوال العلماء تدل على ان ظهور الانسان كان في العصر الرابع ، وما من برهان يثبت وجوده قبل هذا العصر . وقد ذكر الاب مورو في كلامه عن عصر الزنة ان السنين التي مضت منذ تكوّن احدث اراضي العصر الثالث العليا (*Pliocène*) الى العصر الرابع الحالي تنحصر في بضع عشرات الوف من السنين[2] .

من المحقق ان سكان اوربة الشليين قد هاجروا من بلاد اخرى ، اي من آسية مهد البشرية . ولكن متى يا ترى وقعت هذه الهجرة ، وكم من الزمان بقوا في بلادهم قبل هجرتهم ، وكم من الزمان مرّ منذ وجودهم الى هجرتهم ؟ كل هذه الامور اسرار يقف امامها العلم صامتاً لا يحير جواباً ، ولا يدري ماذا يقول .

الّا ان العالم بيير ترميه (Pierre Termier) العضو في مجمع العلوم ذهب الى ان عمر النوع البشري ٣٥ الف سنة ، او ٤٠ ، او ٥٠ ، او ربما اكثر[3] .

ثم ان ابوين يسوعيين افرنسيين (PP. Teilhard de Chardin et Licent) اكتشفا ، سنة ١٩٢٣ في بلاد الصين بالاوردُس (Ordos) حيث ملتوى عظيم لنهر الهوانغ هو ، آثاراً يتصل عهدها الى عصر الظران القديم ؛ ولكنها لم يتوفقا الى وجود شيء من العظام البشرية . فلعدم وجود اثار دالة على امتداد عصر الجليد صعب على العلماء التفريق بين العصر الصيني الرابع والعصر الاوربي الرابع .

* * *

(١ *D'où venons-nous ? p. 106*

(٢ *Qui sommes-nous ? p. 82*

(٣ *La joie de connaître, p. 298*

آراء العلماء في شأن الانسان وظهوره

ان اراء ثلاثةً يتمسك بها العلماء بالنظر الى الانسان وظهوره:

الرأي الاول وهو رأي اصحاب مذهب النشوء يزعم ان الانسان متسلسل من الخلائق الاولية القديمة ، وانه الاكمل فيها . اما تلك الخلائق فقد انقرضت ودثرت قبل ظهور الانسان العاقل ، وجهلها التقدم لم تستطع تعريف الانسان الذي تسلسل منها. ثم جاء بعدها غيرها ولكن الانسان تعقبها وابادها . على ان الانسان وُلد من اكمل تلك الخلائق ، وحصل على نفس شبيهة بنفس الولد قادرة بالتدريج على فهم الكلي والدائم وغير المتناهي واشتهائها ، بل قادرة بعد النموّ على الشعور بانها حرّة مسؤولة عن افعالها . ويذهب الى ان اولئك البشر كانت اجسامهم شبيهة باجسامنا ، ولكن انفسهم كانت شبيهة بانفس الاولاد ، محتاجة الى اماطة الحجاب عنها ، والى معرفة نفسها ، والى النموّ ، قادرة بالتدريج على الكمال ؛ وقد ترقّوا وتقدّموا وتقسّموا وتشعّبوا الى سُلالات فمنها من توجه نحو النور فحصل فيهم شبه بالله ، ومنها من لزمتهم الامراض والفاقة لاجل سوء نصيبهم من الارض والهواء ، فتوقفوا عن التقدم ، وبقوا مقيمين بالظلام. فهذا الرأي يرفضه التقليد المسيحي لانه يعدّ هذا النشوء الى ما قبل ظهور الانسان العاقل ، وينسب النفس الى التقدم التدريجي ، ويجعل ابن آدم غير حر في اصله ، ولا مسؤول عن افعاله.

الرأي الثاني يقول بان الانسان الاول الذي ظهر على الارض مثل الانسان الحاضر ذو نفس نيرة صافية حرّة مسؤولة عن افعالها ، مخلوقة على صورة الله كمثاله. ولكن يذهب الى ان وجود هذا الانسان سبقه وجود خلائق اخرى شبيهة به الا انها اقل منه كمالًا ؛ فكأنهم انصاف بشر ، لهم بعض الادراك ، غير انهم ما كانوا احرارًا مسؤولين عن افعالهم . ومنهم اصحاب عصر الظران الذين لم يتسلسلوا من آدم ولا هم اخوتنا ، بل لا يصح ان ندعوهم بشرًا ، ووجودهم في الكون سر غامض. وحسب زعم اصحاب هذا الراي يرجع ظهور الانسان الى ٢٠ الف سنة فقط. ولكن يُعترض على قولهم بانه اذا كان اصحاب

عصر الظران ليسوا بشراً ، فكيف توصلوا الى قطع الحجارة وتشظيتها ، واستعمال النار ودفن الموتى ؟

الرأي الثالث يقول بان البشر كلهم منسولون من اب وام ادخلا بمعصيتها الموت الى العالم ، وان اصحاب عصر الظران متسلسلون من هذين الابوين كالسلالات المتمدنة في عهدنا ، وان القول بوجود اناس قبل آدم غير ثابت ، وان قِدَم الانسان يرجع الى ٣٥ او ٥٠ الف سنة او اكثر[1] ، وان اصل البشر واحد ثم تشعبوا شعوباً كثيرة ، وان الشليين والنياندرتاليين هم من هذه الشعوب لم يسبق وجودهم وجودَ الانسان العاقل . ولكنهم انحطّوا الى افق المتوحّشين الحاليين ، فمن اجل تسفلهم ظهر فيهم بعض المشابهة للقردة ، مع انهم بشر مثلنا ، قد عرفوا النار ودفنوا موتاهم ، وانتشروا في المعمور ، ثم تباعدوا من وجه اخوانهم الذين لم يتسفلوا ، ولجأوا الى البلاد الباردة والبحار الغربية والجزائر غير الثابتة فساخت بهم وبادوا .

* * *

فالرأي الاول لا يسلم به المسيحي المتمسك بدينه المعتقد تنزيل الكتاب ؛ اما الرأيان الآخران فسيان في الصحة اذ ليس برهان فلسفي يرجّح احدهما على الآخر ؛ والاقرب الى الحق الرأي الثالث . النتيجة ان طول المدة التي انقضت منذ ظهور الانسان وسقطته الى الفداء سرّ غامض لا يدرك ، كما ان الباقي من الزمان الى انقضاء العالم سر اغمض واغمض .

(١ Pierre Termier : *La joie de connaître, p. 298*

حسن البيان

في زخرف القول تزيينٌ لباطله ، والحقُّ قد يعتريه سوء تعبيرِ !
تقول : « هذا مُجاجُ النحل » تمدحه ، وان ذممتَ تقُلْ : « قيء الزنابيرِ ! »
مدحٌ وذمٌّ وما غيَّرتَ من صفةٍ حسنُ البيان يُري الظلماء كالنورِ !

قِدَم اسميهما

بقلم الاب لامنس اليسوعي

في ٢٠ شباط الفائت ، القينا في ردهة كلية القديس يوسف ، محاضرة عددنا فيها افضال لبنان على سورية من حيث المياه والري ، والمناخ ، وعنصر السكّان. ثم لخصنا تاريخ اسم «لبنان» وبينا انه يظهر مرات عديدة في الرقوم الحثية ، والبابلية ، والاشورية ، والمصرية ، سواء كانت تلك الرقوم محفورة في الآجر او منقوشة على الصخور وكلها مستندات رسمية صادرة عن اقدم حكومات العالم المتمدن قلنا عنها وقتئذٍ انها شهادة عريقة في القدم بل وثيقة ترتقي الى الفي سنة قبل المسيح. واشرنا بعد ذلك الى اتساع لبنان الجغرافي في تلك العصور . ثم ختمنا قائلين : لم يُخترع «لبنان» اعتباطاً ، وهو ليس بدعي يتطلب نسباً وتاريخاً قديماً . . .

فتلقت الصحافة تلك المحاضرة ، وخاضت في الموضوع كما شاءت. وكان ان بعض الصحافيين ، من غير ان ينكروا قِدَم لبنان ، رأوا من اللازم الملاحظة ان سورية تعادله قِدَماً . . . وهي ملاحظة من نوع ما يُسمّى «بدفع الباب المفتوح» . . . لاننا لم نتكلم قط عن قِدَم لبنان الجغرافي او الجيولوجي — وهو موضوع صبياني — بل عن قِدَم لبنان اللغوي اي قدم اسم «لبنان».

واسم «لبنان» كان معروفاً وجارياً في جميع بلدان الشرق الادنى ، قبل ان يُخلق اسم «سورية» بعشرة قرون على اقل تعديل. ومما قد يجهله من انتقدنا من الصحافيين ان اسم «لبنان» اسم وطني. اما «سورية» فاسم اجنبي من صادرات بلاد اليونان ، وهم اشهر من اصدر الاعلام الجغرافية. وكذلك نحن مدينون لهم

باسم «انتي - لبنان» الذي نعتوا به سلسلة لبنان الشرقية.

***

بقي الكلام في اصل كلمة «سورية»، فنقول انها ليست سوى نقل اللفظة اليونانية Συρία بالحروف العربية، واللفظة اليونانية نفسها اختصار للكلمة Ἀσσυρία. اما هذا الاسم الاخير فيذكرنا بالعصور التي كانت فيها سورية جزءاً من مملكة الاشوريين. وهكذا فان بحارة اليونان الاقدمين لما وصلوا الى شواطئ بلادنا ورأوها خاضعة لسلطة ملوك اشور، سمّوها «اسوريّة» ثم اختصروا فقالوا «سورية».

فنرى اذاً ان هذا الاسم غير عريق في القدم. فان التوراة لا تذكره قطعاً بل هي تسمي سورية بلاد آرام. واننا نفتش عبثاً عن اسم اسورية في ما تقدم احتلال الاسكندر الكبير من الاسفار المقدّسة. وكذلك هوميروس وهيزيودس (القرن العاشر والتاسع ق.م.) فانهما يجهلان هذا الاسم، مع ان هوميروس ذكر الفينيقيين واثنى عليهم. اما اول مؤلف ذكر اسم سورية فهو الشاعر اشيل (القرن الخامس ق. م.) على ان هذا الاسم لم يكن مضمونه مميّزاً عن مضمون اسم «اسورية» فكان كلاهما يدلان على المملكة الاشورية ثم على بلادنا التي كانت جزءاً منها. وبعد الاسكندر الكبير اخذ اسم «سورية» المختصر بالتفوّق على الاول فاستعمله الكتاب اللاتين وانتشر.

ولكن لم يتقرر مضمونه تماماً الّا منذ السنة ٦٤ ق.م. وهي السنة التي احتلّ فيها الرومانيون بلادنا فالحقوها بامبراطوريتهم، فغدا اسم «سورية» يدل على المناطق الواقعة ضمن حدود البحر المتوسط، وجبل طورس، ونهر الفرات، ما عدا بلاد فلسطين وفينيقية اي سلسلتي لبنان. وظلّ هذا الاسم مستعملاً حتى اليوم.

فينتج مما تقدّم ان اسم «سورية» اصغر عمراً من اسم «لبنان» بالفي سنة على الاقل.

حول الادب الجاهلي

كتاب جديد في الموضوع*

بقلم فؤاد افرام البستاني
استاذ الآداب العربية في كلية القديس يوسف

لا اعرف كتاباً عصرياً في الادب العربي احدث الضجّة التي احدثها كتاب الدكتور طـه حسين[1] . ولا اعرف موضوعاً عربياً لعهدنا اسال من الحبر ، وسوّد من الورق ، مـا أساله وما سوّده موضوع الشعر الجاهلي . ولم يكن السبب في كل هذا فضيلة خاصّة بالموضوع ، او ميّزة جوهرية في الكتاب . انما تضافرت على ذلك اسباب متعدّدة منها داخلية في المؤلّف ، وان تكن خارجة عن موضوعه ؛ ومنها خارجية عن الكتاب وعن الموضوع . امّا الاولى فمثالها تلك الآراء التي طرحها الدكتور يريد ان ينال بها من الادب القديم ورواته ، فنال من الدين وكتبه . وامّا الثانية فهي ان الكتاب ثمرة من ثمار الجامعة المصرية ، وان صاحبه استاذ من اساتذتها — بل هو «ابنها البكر» على نحو ما جاء في خطبة لمديرها — وان الجامعة المصرية مؤسسة اميريّة تعيش بمال الأمّة وتلتحق بوزارة المعارف ، فاستاذها اذاً موظّف من موظّفي الحكومة عليه ما على سائر الموظّفين من الواجبات . واذا عرفنـا ان من هذه الواجبات احترام

---

* النقد التحليلي لكتاب « في الادب الجاهلي » بقلم محمد احمد الغمراوي ، وله مقدمة بقلم الامير شكيب ارسلان — القاهرة ، المطبعة السلفية ، ١٩٢٩ — ص ٦٠ + ٣٢٥ ، وسط — الثمن ١٥ غرشاً .

١) الدكتور طه حسين : في الشعر الجاهلي — القاهرة ، مطبعة دار الكتب المصرية ، ١٩٢٦ — ص ١٨٣ صغير — ثم « في الادب الجاهلي » — مطبعة الاعتماد ١٩٢٧ — ص ٢٧٦ وسط

دستور البلاد بجميع ما فيه ، واذا عرفنا ان هذا الدستور يقرّر الاسلام ديناً رسمياً للحكومة المصريّة ، واذا رجعنا الى رأي علماء المسلمين القائل : « ان الكتاب كله مملوء بروح الإلحاد والزندقة » وانه « دعامة من دعائم الكفر ، ومعول لهدم الاديان »[1] ، ادركنا السبب المهمّ في تلك الثورة الفكرية. وهناك سبب آخر خارجي ايضاً ، وهو ان صاحب الكتاب ركن من اركان «المجدّدين» في الادب ، او مَن يدعون انفسهم بالمجدّدين ، وينتمون الى معقل التجديد الماثل بالجامعة القائمة تجاه الازهر ، معقل العلم « القديم » في مذهبهم. فاذا كان الكتاب قنبلة يُلقيها «المُجددون» ديناً وادباً ، في صفوف « القدماء » المحافظين ديناً وادباً ... فتطايرت شظاياها واصابت رجال الفريقين ، فقاموا يتناظرون في الجرائد والمجلّات والكتب ، بنغمات تتراوح بين القديم والحديث ، ولهجات تتباين بين الشدّة والاندفاع ، ووجهات نظر تختلف بين الدين والادب . فمن مصطفى صادق الرافعي يناضل « تحت راية القرآن »[2] بكل ما في قلبه من جرأة وحماسة ، وبكل ما في لسانه من بلاغة وسلاطة ، يرمي الكتاب وقصده المؤلف ، ويرمي المؤلّف وقصده الجامعة ، ويرمي الجامعة وقصده الفكرة التي تديرها ؛ الى محمد فريد وجدي[3] يجتهد ان يوفّق بين القديم والحديث ، وان يجمع بين الاثبات والانكار ، يثني على منهج الدكتور ويعدّه « من اكمل المناهج بل هو المنهج الوحيد الذي ينطبق على اصول الفلسفة العصرية المنتجة»[4] ولكنه يأسف ان يكون المؤلف أخذ هذا المنهج عن ديكارت ويودّ لو اخذه عن القرآن[5] ، يرى اختلاق اكثر الشعر الجاهلي ناسباً كتب المحاضرات الى الكذب والتزوير ، ولكنه يرى ايضاً انه « لا يمكن الاستغناء عن هذا الشعر

---

١) راجع قرار لجنة العلماء المرفوع لشيخ الجامع الازهر في ٢٦ شوال ١٣٤٤

٢) مصطفى صادق الرافعي : تحت راية القرآن ، المعركة بين القديم والجديد ، القاهرة ١٩٢٦

٣) محمد فريد وجدي : نقد كتاب الشعر الجاهلي ، القاهرة ، ٥ اكتوبر ١٩٢٦

٤) الكتاب المذكور ، ص ١٥

٥) الكتاب المذكور ، ص ١١

في بناء تاريخ العرب الجاهليين.»[1] ؛ الى محمد لطفي جمعه[2] يجتهد في السير على اسلوب علمي محض حتى اذا رأى الفرصة سانحة افسح المجال لعاطفته وحماسته ؛ الى محمد الخضر حسين التونسي[3] يحلل الكتاب المنقود فقرةً فقرة وفصلًا فصلًا فيزيّفها ويتوسّع في ذكر سبق المستشرق مرغوليوث الى آراء الدكتور في الشكّ والانكار ؛ الى غيرهم من كتاب المقالات المتعدّدة ممن لا يسعنا سرد اسمائهم.

اما موقف الدكتور طه حسين تجاه هذه الحملة فكان ، على ما ظهر ، اقرب الى السكينة منه الى الحركة والضجة . وكأنه لم يكترث الا لنتيجة ما نُسب اليه من الكُفر ، فصرّح على صفحات الجرائد بانه مسلم مؤمن بالله وبانبيائه ؛ وبانه لم يقصد الطعن في دين من الاديان . على ان هذا التصريح لم يكفِ . فرأت الحكومة ، على اثر هياج المجلس النيابي ، ان تمنع انتشار الكتاب ، فضبطت جميع نسخه.

ثم أُجيز للمؤلف ان يستفيد ممّا كان في كتابه لا يمسّ الدين ولا يحطّ من كرامة الانبياء. فحذف منهُ ذلك الفصل وتوسّع في غيره ، ونشره سنة ١٩٢٧ ، قائلًا في مقدّمته : « هذا كتاب السنة الماضية حُذف منه فصل واثبت مكانه فصل وأُضيفت اليه فصول. . . »اما عنوانه فاستبدل به عنواناً جديداً ، وبعد ان كان « في الشعر الجاهلي » اصبح « في الادب الجاهلي »

وهذا الكتاب هو الذي يحلله الاستاذ محمد احمد الغمراوي وينتقده في كتاب جديد أهدي الينا مؤخرًا . فنرى ان الانتقاد على الدكتور طه حسين لم يختصّ بذلك الفصل المحذوف ، بل هو يتناول كل نظريته وتطبيقاتها المتعدّدة ، بل هو يتناول منهج البحث نفسه ويمحّص علمية تلك الطريقة في الشكّ والتردّد التي نسبها المؤلف الى ديكارت.

وهو ما انتبه له الاستاذ الغمراوي ، فبذل الجهد في الاطلاع على مظانّ

---

١) ك. م. ص ٣١ – ٣٢

٢) محمد لطفي جمعه : الشهاب الراصد : بحث تحليلي انتقادي وردّ علمي تاريخي على كتاب « في الشعر الجاهلي » – القاهرة ١٩٢٦ .

٣) محمد الخضر حسين التونسي : نقض كتاب في الشعر الجاهلي – القاهرة ١٣٤٥ .

على قول الدكتور ان نسيان القومية والدين شرط اساسي من شروط البحث العلمي . وهي هذه بنصها (ص ١٢٢–١٢٣) :

«انه ذهب الى ان نسيان القومية والدين شرط اساسي من شروط البحث العلمي. ان كان اراد بذلك أن على الباحث ألا يخفي بعض الحق او يتراخى في استيفاء الدليل العلمي محاباةً لقوميته او ارضاء لعاطفته الدينية فقد اصاب . اما اذا كان اراد ان الانسان لا يستطيع ان يكون ذا عاطفة قومية او دينية قوية من غير ان يحابي او يداجي في العلم فقد اخطأ ولم يصب . ان الانسان يستطيع ان يراعي الدقة العلمية التامة في البحث وهو متذكر دينه كل التذكر ، ومعتقد صحته كل الاعتقاد ، غير مجوّز على قرآنه خطأ او على توراته . بل ان التدين الصحيح يزيد الباحث المخلص ان امكن حرصاً على الحق واستمساكاً به اذا وصل اليه . ان الباحث المتدين بين محبين في الحق : دينه وعلمه ، ومبغضين في الباطل : دينه وعلمه كذلك . فهو يحب الحق مرتين مرة لدينه ومرة لعلمه . ويبغض الباطل مرتين كذلك . ولا خوف عليه مطلقاً ان يُخفي بعض الحق او يدلس في البحث محاباة لدينه ، اذ ليس الحقّ يخاف على دينه ولكن الباطل . هو يعلم ان دينه حق ، يعلم ذلك علم مستيقن . ويعلم ان العلم قائم على قاعدة استحالة التنافي بين اجزاء الحقّ ، يعلم ذلك علم مستيقن ايضاً . فهو لا يخشى ابداً ان يكشف البحث الصحيح عن حقيقة تنافي دينه ولذلك يمضي في ابحاثه آمناً مطمئناً متبعاً أقوم الطرق في البحث والتفكير ، لا لان هذا هو الطريق الوحيد للوصول الى نتائج صحيحة فحسب ، ولكن لان هذا في اعتقاده هو ايضاً الطريق الوحيد الذي لا يؤدي الى تخالف بين العلم الذي يبحث فيه والدين الذي يؤمن به. فالتدين الصحيح والتفكير العلمي الصحيح يمكن اجتماعهما اذن ، وكثيراً ما اجتمعا ، كما ان العاطفة العلمية القوية والعاطفة الدينية القوية لا تتعارضان بل تتضافران على خدمة العلم وتبعثان على الاخلاص في البحث.»

ومن نتائج المصدر الاول ايضاً سبق مرغوليوث للدكتور في نظرية وضع الشعر الجاهلي الذي اشار اليه اكثر من انتقدوا الكتاب كمحمد الخضر حسين التونسي[1] ومجلة الزهراء التي لخصت مقال المستشرق المذكور[2] . ومنها مسألة تلك النقوش الحيرية التي تكلّم عنها الدكتور طه حسين في كتابه الاول كلامه عن برهان يثبت الفرق بين اللغتين العدنانية والقحطانية. فطلب منه عزة دروزة «ان يأتيه بامثلة من تلك النصوص والنقوش التي تثبت المغايرة الواسعة بين العدنانية

---

١) محمد الخضر حسين التونسي : الكتاب المذكور ، ص ١٧ ، ٤٧ ، ٥٣ . . .
٢) الزهراء (٤ : ٦١٨ – ٦٣٠)

والقحطانية في اللفظ والقواعد والتصريف ... وان يبين اقرب تاريخ امتدت اليه هذه المغايرة.»[1] وكأن الدكتور انتبه للقسم الاول من هذا الطلب فاورد ثلاثة امثلة من تلك النصوص في كتابه الثاني (ص ٨٨ — ٩١) . ولكنه تغافل عن القسم الثاني فلم يبيّن «اقرب تاريخ امتدت اليه هذه المغايرة» وانّى له ان يبيّن ذلك ! فاستغلّ الاستاذ الغمراوي هذا الإغفال وتوسّع فيه وبنى عليه فصوله في الصفحات (١٦١ — ١٨٩) ثم اردفها بالشعر الجاهلي واللهجات ، ثم بالعربية ولغة قريش (١٨٩ — ٢١٢) . ومن ذلك مسألة نقل الدكتور الكثير من معلوماته وآرائه عن ابن سلّام. وكان قد ذكرها ، مصطفى صادق الرافعي[2] وذكر غيره شيئاً متفرّقاً في الأمر . فجمع المؤلف كل ذلك وتوسّع فيه ، شأنه في سائر ابحاثه ، واخرج منه ذاك الفصل الشائق الذي سمّاه «دَين القدماء على صاحب الكتاب» (ص ٢٦٧ — ٢٧٦) . ومن ذلك مآخذ عديدة في تطبيق النظرية على الشعراء مما اشار اليه الكثيرون من النقدة ، واشرنا الى بعضه في «الروائع» (في الاجزاء: الثاني ، والثالث ، والسابع)

واما ما انتجه المصدر الثاني فالقسم الاول من النقد (ص ١ — ١٠٠) بما فيه من الملاحظات الدقيقة في المحذوف من الكتاب واغفال اسباب حذفه (١ — ٤) وذكر اقوال الدكتور في معاصريه (٨ — ١٧) وبسط آرائه في الاصلاح والتجديد (٣٩ ...)

واما المبتكر فهو تلك الآراء الطريفة ، والنظرات الدقيقة التي بثها المؤلف في فصوله عامّةً وخصّ بها بعض موضوعات ، كالادب ومنشأ اسمه وتاريخه ومقاييسه ، واللاتينية واليونانية وعلاقتهما بالادبين الغربي والعربي ، والتقليد وتأثيره ، وحرية الادب ، والنقد الادبي والتاريخي . ولعلّ ادق ما في تلك الابحاث — وكلها دقيقة نفيسة — تحديد المؤلف للذوق الشخصي والذوق المكتسب وتأثيرهما في الادب ، وايضاحه للكثير من القضايا المشكلة في الادب العربي العصري ، كقضية التقليد ، وقضية القديم والجديد . اما البحث في الذوق فيراه

١) في الزهراء (٣ : ٣٤٧)

٢) مصطفى صادق الرافعي : الكتاب المذكور ، ص ١٩٥

الذوق الشخصي والمكتب

وتأثيرهما في الادب وتاريخه

بقلم الاستاذ محمد احمد الغمراوي

عمل الذوق في تاريخ الادب

على ان هذا[1] ليس معناه ان الذوق لا عمل له قط في تاريخ الادب من حيث هو تاريخ. فان له فيه عملاً اختص تاريخ الادب به أغفله صاحب الكتاب[2] ونريد الآن أن نتناوله بتبيين.

ذلك ان لكل كاتب او شاعر روحاً خاصاً يتمشى في اكثر كتاباته من نثر او شعر بحيث لو اكثر مكثر من قراءة كاتب او شاعر وتذوّق أدبه تربى لديه ذوق خاص بذلك الكاتب أو الشاعر يدركه به كلما رآه . فاذا اكثر المشتغل بالادب من قراءة المتنبي وأبي العلاء مثلاً ، او حافظ وشوقي ، او ماكولي ورسكن ، استطاع أن يدرك بما عرف أنه لهم ما لم يعرف بمجرد قراءته او سماعه كائنا صار لكل منهم عنده مذاق خاص ، أو كأنما انتقل اليه جزء من الذوق الذي كان لكل منهم وامتازت هذه الاجزاء عنده فصار كل منها يدل على الاصل الذي انشق عنه وانتمى اليه.

ولا شك ان ذوقاً كهذا كان مما أعان الرواة والشعراء والنقاد الاقدمين على ادراك الدخيل في شعر شاعر بعينه أو كتابة كاتب بعينه ، ولعله هو الذي دلّ الاصمعي على البيت:

---

١) يشير الى فصل سابق في « مكانة الذوق في تاريخ الادب »

٢) اي الدكتور طه حسين

انبضوا مجس القسي وأبرقنا كما ترعد الفحول الفحولا

من بين أبيات قصيدة المهلهل[1]:

بتُّ ليلي بالانعمين طويلا أرقب النجم ساهرًا أن يزولا
كيف اهدأ ولا يزال قتيل من بني وائل يُغشّى قتيلا

فاختاره من بينها وقال انه موضوع[2]. وذوق كهذا هو من غير شك الذي جعل بشارًا ينكر البيت:

وانكرتني وما كان الذي نكرتْ من الحوادث الا الشيب والصلعا

حين عرض عليه منسوباً الى الاعشى فقال: انه لا يشبه كلام الاعشى.[3] فهذا عمل للذوق في تاريخ الادب لا يستهان بقيمته اذا احسن استعماله

هذا الذوق المكتسب غير الذوق الشخصي

لكن علينا أن نحذر هنا زلة كالتي زلها صاحب الكتاب حين استعمل كلمة الاديب بمعنيين مختلفين في مقام واحد فلا ندع كلمة الذوق في عبارتنا الماضية تمرّ مطلقة من غير تقييد فانها اذا اطلقت دلت على الذوق الشخصي الناشيء عن شخصية الفرد نفسه، والذي يتجلى عند كل فرد فيما يلذ وما يكره وما يفضل، والذي عنه يصدر فيما يقرأ وما يكتب فتكتسب كتاباته ذلك الروح الخاص الذي يلازم كتابة كل أديب له ذات أدبية مستقلة. ولكن الذوق بهذا المعنى غير الذوق المكتسب أو قل غير الملكة المكتسبة من اكثار قراءة كاتب بعينه أو شاعر بعينه والتي تدل مكتسبها على ذلك الشاعر أو الكاتب ان قابله في كتاب.

الفرق بين الذوق المكتسب والذوق الشخصي او الذاتي

ولعلنا نقرب للقارئ أمر التفرقة بين الذوقين اذا قلنا ان المراد بالذوق الشخصي للمؤرخ أو الناقد هو ما يقابل الذوق الشخصي في المؤرخ له أو المنقود.

١) عقد: الثالث، حرب البسوس
٢) الكامل: ثان ص١٨٨
٣) ابن سلام

ففي مثـل بشار والاعشى كان لبشار ذوق شخصي أو طبيعي يتجلى في شعر بشار وكان للاعشى ذوق يقابله يتجلى في شعر الاعشى . لكن بشاراً اكتسب مما حفظ ودرس للاعشى خبرة بشعر الاعشى أو قـل جزءاً من ذوق الاعشى أمكنه أن يدرك به ان بيتاً مخصوصاً نسب الى الاعشى لا يشبه كلام الاعشى. فهذان الذوقان ممتازان في بشار أحدهمـا يلازمه فيما يقول من شعر والثاني قلما يستعمله الا عند الكلام على الاعشى خصوصاً عند تمييز شعره من شعر غيره.

ولسنا نجهل أن ذوق بشار الخاص قد تأثر بما أحب أو كره مما قرئ عليه للاعشى ولغيره .. لكن ما استفاده من ذلك قد فقد شخصيته وتحول الى جزء من ذوق بشار كما يفقد الغذاء شخصيته ويتحول الى جزء من الحيوان أو النبات الذي يطعمه ، في حين أن ذوقه المكتسب من مطالعة شعر الاعشى ظل عنده مستقلاً مكنوناً يشعر به بشار حين يستعين به على نقـد شعر أهو للاعشى أم ليس له ، كما فعل في المثل الذي ذكرناه عن ابن سلام.

هذا فرق. وهناك فرق آخر بين الذوقين يحسن أن نذكره زيادة في الايضاح هو ان الذوق الذاتي لشخص ما واحد لا يتعدد وان جاز أن يتطوّر كما يتطوّر الكائن الحي ، في حين أن الذوق المكتسب يمكن ان يتعـدد ، اذ يستطيع الاديب أن يدرس اكثر من كاتب أو شاعر ويكثر من قراءة كل كاتب أو شاعر يدرسه فيفيد من كل منهم ذوقاً يعرفه به

وفرق بين الذاتي والمكتسب اهم من هـذا هو أن الذوق المكتسب من شاعر أو كاتب ما يستطيع أن يكتسبه أكثر من أديب واحد اذا أكثر كل منهم قراءة ذلك الكاتب أو الشاعر. فهذا تعدد في الذوق المكتسب ولكن عكس التعدد الاول ، ففي الاول كان المكتسب واحداً وتعدد المكتسب منهم وهنا توحد المكتسَب منه وتعدد المكتسبون.

هذا النوع الاخير من التعدد أهم كثيراً في تاريخ الادب وأنفع من النوع الاول لان فيه ضماناً حسناً لصحة الحكم المبني على هذا الذوق المكتسب فان التحقيق الادبي يقتضي أن يكون هناك طريق يعرف به جودة الذوق المكتسب من كاتب أو شاعر ما عند ناقد ما ، ويعرف به صحة ما يصدره ذلك الذوق

حكم . والتحقيق يجد مثل هـذا الضمان فيما يكون هناك بين أهل الذوق المكتسب الواحد من الاختلاف أو الاتفاق في حكمهم بذوقهم على صحة نسبة قول ما الى الكاتب او الشاعر الذي اكتسبوا منه ذلك الذوق.

فذلك الذوق المكتسب له إذن عمله وقيمته في النقد الادبي التاريخي. اما الذوق الشخصي فان موقف المؤرخ الادبي منه كموقف العالم يجب ان يتحلل منه ما استطاع.

موقف صاحب الكتاب من الذوقين

لكن صاحب الكتاب لم يُعنَ بالتفرقة بين هذين الذوقين وعكس الامر فحكّم الذوق الشخصي الى حدّ كبير في التاريخ الادبي واغفل الذوق المكتسب اغفالاً . صحيح انه أشار فيما بعد (ص ٤٧) الى استخلاص ما في شعر الشاعر المدروس «من خصائص لغوية أو نحوية أو بيانية» وهـذا طبعاً طريق مهم لامتحان صحـة نسبة قول الى أديب معروف ولكنه طريق آخر غير طريق الذوق المكتسب: هذا يتعرف روح الشاعر التي تذاق ، وذاك يتعرف الخصائص التي ترى . هذا سريع لا يكاد يحتاج من الزمن الا الى ما يسع مجرد القراءة أو السماع ، وذلك بطيء يحتـاج الى تعمل والى زمن يتسع لان يعرض القول فيه على تلـك الخصائص واحدة بعد أخرى . وبشار حين أنكر بيت الاعشى انكره بذوقه ، ولعله لو كان سئل لماذا لمـا استطاع أن يجيب ولو أراد أن يعرض ذلك البيت على ما كان يعرفه من خصائص كلام الاعشى لاحتـاج الى زمن وتفكير ، ثم لعله لم يكن يظفر بعدهما بشيء يمكن الاعتداد به ، لان خصائص الشاعر اللغوية أو النحوية أو البيانية لا تظهر في كل بيت من أبياته.

فصاحب الكتاب قد أهمل الذوق المكتسب ومكانته في التاريخ الادبي اهمـالاً واستبدل به الذوق الشخصي وجعله أساساً لشيء سماه المقياس الادبي لتاريخ الادب.

حريصا

بقلم يوسف غصوب

لا تزال الشمس وراء صنين ، ولا تزال الطبيعة في رقدة الفجر . هدوء وسكينة الا بعض اصوات تدوي بغتةً ، ترسلها الديوك متجاوبة ، متداعية في الصباح. واذا أصاخ الساري سمع دبيب الامواج في فُرضة «جونية» ، وأحس وقع خطو المُكارين الغادين ، وجرس جلاجل دوابهم .

نحن عُصبة من الشبّان في سفح جبل «حريصا» ، نتغلغل في الطريق الصاعد الى تمثال العذراء ، بين الصنوبر الغضّ وأريج الصعتر الفوّاح ، طريق مُنعرج بين الاشجار والصخور ذي طيّات وليّات لا يمرّ فيه اثنان معاً ، وان لم يعتمد الصاعد الاغصان زلّت به القدم على ريش الصنوبر المتراكم.

كنّا نرتفع في هذه العَقَبة ، وفي يد بعضنا السُبحة يهمس صلوات تقطّعها زفرات التعب. وكان النور يرفع ستار الليل رويداً رويداً ، فنلتفت من حين الى حين لنشهد ما تركنا وراءنا من بدائع الطبيعة عند نهوضها من سُباتها . فكان البحر يتسع ويتموّج بالألوان الشاحبة ؛ وكانت البيوت تبرُز من مخبآتها بيضاء معمّمة بالقرميد الاحمر ، بين الجنان الخضر والطرقات الغبر. ثم اخذت الطير في تشابيب تغاريدها مضطربة خائفة . وأمامنا الجبل منتصب عالياً اسود تحت ردائه الصنوبريّ ، وفي أعلى قنته سهام من النور تنفُذ لامعة كأنها قشة دقيقة ملوّنة.

ونحن نتوغّل في الجبـل ، نسقط تارةً ونعلق طوراً في اغصان العوسج ؛ وأفكارنا متجهة الى العذراء الباسطة يديها فوق قمة حريصا ، تبارك لبنـان وتتوّج مناظره الرائعة ؛ والصبح ينشر مُلاءته اللؤلؤية في فضاء واسع ، وآفاق متباعدة .

وما زلنا نرتقي حتى بلغنا القمة . فغمرتنا الشمس ببهائها ، فلم نأبه لها ، بل طرنا سراعاً حتى صرنا عند قدمي العذراء ، فوقفنـا عندئذٍ خاشعين واجمين تتنازعنا عوامل التُّقى ومشاهد الطبيعة الساحرة .

انّى نمد اللحظ نرَ جمالاً ورونقاً : صنين تحت ردائه الابيض الناصع يُشرف علينا من علاه ، والروابي تترالى متدانيـة من سفحه كالدرج العظيم ؛ والبحر منبسط تحت انوار الضحى كالمرآة المكسرة تبرق وتلمع ؛ وفي الافق بيروت الحمراء جاثمة على الشاطئ بين زُرقـة البحر وخُضرة الصنوبر ؛ وتحت مَهوى أقدامنا جونية منزوية في جُونها نكاد على علوّنا عنها نمد يدنا فنتناولها .

وهناك قمم عديدة تحف برابية حريصـا على معظمها اديرة وكنائس تضجّ قُبيها بأصوات الاجراس المتهادية فوق الاودية والقرى .

نرى كلّ منا عند العذراء ، ورفع قلبه الى السماء ، ومجّد الخالق ، وأرسل لتأملاته العنان . فكأنّ الارض قد اضمحلّت ، وكأن العالم المحسوس قد تلاشى ، فلم يبق من مجـال الا للارواح فوق تلك الاعالي ؛ وكأن العذراء قد سكبت من طُهرها في صدورنا ، فكنّا نحسّ بخفّة وسكينة علوية وراحة نفسانية يخفى معها كل ألم وعذاب . . .

* * *

ولما آن وقت النزول بُنتنا كمن افاق من حلم جميل .

يوبيل الآباء البولسيين

صدرت مجلة « المسرة » الغراء عددها عن شهر ايار بكلمة على يوبيل اخواننا الآباء البولسيين لخمس وعشرين سنة مضت منذ تأسيس جمعيتهم ، ونشرت من ثم رسالة جميلة وردت من الكرسي الروماني عن لسان الكردينال ستيرر كاتم اسرار المجمع الشرقي الى حضرة الاب رئيس الجمعية الجزيل الاحترام ، جاء فيها :

« ان الاب الاقدس قد ارتاح مزيد الارتياح الى ما عرض له عن الخمس والعشرين سنة التي قضاها المرسلون البولسيون في الخدمة وعمل الرسالة وان قداسته يهنئ المرسلين بالعمل العظيم الذي قاموا به لمجد الله وخير النفوس وبالرياضات الروحية والرسالات الغزيرة الثمر التي باشروها في تلك الغضون واخيراً بالخير العظيم الذي حققوه بواسطة مطبعتهم . . . »

واننا نفرح لفرح اخواننا البولسيين الاعزاء في يوبيلهم الفضي ونسأل الله ان يزيدهم بركات وينمي مشاريعهم ، فيعيدوا بيوبيلهم الذهبي متأبطين حزمات الحصاد بالمسرة مرشدين المتراف الضالة الى حظيرة المسيح الواحدة .

صفار الموارنة عند البابا لاون الثالث عشر

في ١٣ اكتوبر ١٨٩٣ ، رست في برنديزي باخرة نمسارية عليها من جملة ركابها اثنا عشر تلميذاً موارنة ورئيسهم الخوري جبرايل مبارك الريفوني . وركبوا القطار الى رومية ونزلوا دير الرهبان الخليين ريثما ينجز اعداد مدرستهم الجديدة .

ووصف احدهم (وهو حضرة الخوري بولس قرألي في المجلة السورية ، مارس ، ص١٧٥) دخولهم رومة ، وزيارتهم الفاتيكان ، فقال :

« وارتأى رؤساؤنا ان يلبسونا الطربوش التركي الاحمر لنمتاز بـه عن بقية

المدارس الاكليريكية في رومة ... ولم نكن جميعنا في زيّ واحد بل كان كل منا يلبس الثوب الاكليريكي حسب هواه او بالاحرى حسب ذوق والدته فكان منظرنا غريباً وزاده غرابةً ذلك الطربوش الاحمر وشرابته السوداء...

ورغب الحبر الاعظم في رؤيتنا وحدد لنا جلسة خاصة في ٣ نوفمبر.

ولما لم تكن البرانيط والزي المدرسي قد تم صنعها ، ذهبنا الى الفاتيكان بزينا الغريب . وشعرنا ان جميع سكانه حتى تماثيله وصوره يحملقون فينا مدهوشين . وزاد استغرابهم سماعهم للغتنا ومشاهدتهم لحركاتنا الصبيانية . اما نحن فقد فتحنا عيوننا الصغيرة كبيرةً لنمتع الطرف بكل ما نصادفه . فاعجبنا بفخامة القصر وملابس حراسه الجميلة وقاماتهم الطويلة وقد تمنطقوا بالدروع المصفحة والخوذ اللامعة ذات الشعور المتدلاة وحملوا الحراب الطويلة. ولكننا لم نتهيبهم لانهم كانوا يبسمون من منظرنا...ولا همّ لنا سوى اشباع الطرف من الغرائب التي نشاهدها . واذا بنا ندخل قاعة كبيرة مفروشة بافخر الرياش وفي صدرها عرش ذهبي كبير اختفى فيه شيخ نحيل برز رأسه الدقيق من طيات ثيابه البيضاء الواسعة . ولم يكن فيه علامة للحياة سوى عينين حادتين براقتين شاخصتين الينا وشفتين كبيرتين رقيقتين تشفان عن ابتسامة جدّ حنون يشاهد أحفاده لاول مرة . فقيل لنا هذا لاون الثالث عشر !

فوقفنا مبهوتين واذا بذلك الشيخ يومئ الينا بالاقتراب منه . فتقدمنا اليه واخذنا نجثو واحداً واحداً نقبل قدمه ثم يده النحيلة وقد برزت عظام أصابعه مكسوة بجلدة رقيقة انتفخت فيها العروق الزرقاء. وكان يقابل كلامنا بابتسامة خاصة ويسألنا عن اسمائنا. فكان المطران الياس يجيبه عنا بكلام لا نفهمه. ولما جاء دور ساسين الحصري ، وكان اصغرنا سناً ، سأله بالفرنسوية : ما هي بلدك يا بني ؟ فحملق فيه ساسين وصاح في وجهه بحدة قائلاً: غُبالة ! كأنه يقول باريس او برلين . فانتفض الشيخ لهذا الصياح غير المنتظر . ثم لم يلبث ان تمالك نفسه وضحك مردداً: غبالة ، غبالة(Gobalé، Gobalé) وهكذا تشرفت هذه القرية المنزوية في فتوح كسروان بأن مرت على شفتي هذا الحبر العظيم الذي تهتز

الفلاييني ومحمد الخضر حسين ، على ما يظهر.

٧ً الكلمات العامية مثل بدى وجيب وتحركش.

— الجواب: كلا ، ما لم تردّ الى اللغة الفصحى.

روينا خلاصة المقال بغاية التحفظ لان بعض اعضاء المجمع استنتجوا من الاقتراح فرصة للتوسع والاسهاب ، فاظهروا تضلعهم من علم اللغة وشغفهم بها ، ولم تأتِ اجوبتهم كلها بنتيجة حاسمة واضحة فعاتبتهم على ذلك مجلة المجمع (وجه ٩٠٩) واننا نعجب بهذه الحركة المباركة ونشكر لاعضاء المجمع غيرتهم على تجديد اللغة من غير ان يترعوا عنها سحنتها الاصلية . ومما لفت نظرنا من اقوال علمائنا ما قاله السيد احمد امين: (وجه ٣٦)

« ان تنويع الكلمات وتصنيفها ليس فيه كبير فائدة... ان ما يجب ان يعني به كل العناية المسائل الاتية:

١ً هل المجمع له سلطة وحرية في وضع كلمات غير قاموسية او لا.

٢ً ما هي القواعد التي يتبعها...

٣ً كيف تتصل الهيئات العلمية في الامم العربية حتى تضع بالاشتراك كلمات تستعمل بالاتحاد...

٤ً ما هي السلطة التي يتخذها المجمع المشترك وكيف ينالها...

هذه هي المسائل التي يجب بحثها والبت فيها حتى يتم امر القواميس.

واعرب غيره من المكاتبين عن مثل هذه السؤالات مما يدل على اهميتها للوصول الى نتيجة عملية.

هذا وان يتفضل علماؤنا الكرام ويراجعوا ما كتبه الاب شيخو في المشرق فانهم ليجدون فيه اجوبة سديدة على مقترحات السيد المغربي.

راجع المشرق سنة ١٩٢٢ : الوسائل لترقية اللغة العربية (١٠٤٣-١٠٥٢)-وسنة ١٩٢٥ : حقوق اللغة العامية بازاء اللغة الفصيحة (١٦١ - ١٧١)

ماذا في حضرموت

حضرموت بلاد موقعها شرقي اليمن بين الدرجتين ٤٧و٥٣ في الطول شرقاً ، والدرجتين ١٥و١٩ في العرض شمالاً . واسمها نسبة الى حضرموت بن حِمْير الاصغر. وعدد سكانها غير معروف بالتدقيق وقيل انه لا يزيد على ١٥٠,٠٠٠. وصف شليفر في الموسوعة الاسلامية اخلاق سكانها ، فقال فيهم : لهم مزايا صالحة وفيهم الولع بالعمل والحماسة القومية . قد يهاجرون الى

مرافئ جزيرة العرب ، والى مصر ، والى الهند الانكليزية والهولندية . ويعودون الى بلادهم بعد جمع الاموال ومدة غياب طالت عشرين او ثلاثين سنة . وهم على المذهب الشافعي ، وعلى جانب عظيم من التعصب الديني المخلوط بالمعتقدات التافهة . على ان حالة الامرأة عندهم احسن منها في سائر انحاء الجزيرة . فلا يطلقون ولا يعددون الزوجات . وحضرموت بلاد مجهولة ، وقليلون هم الذين زاروها من الزوّار . فكل ما يفيدنا عن احوالها جدير بان يذكر ويحفظ .

جاء في العرفان بتوقيع «حضرمي» (كانون الثاني : ٤٦) ما ملخصه :

«اني منذ بلغت سن الرجولية الى ان دخلت في دور الشيخوخة لم ازل ساعياً في ترقية اخواني الحضارم . ومن اجل ذلك اتيت على ذكر ما يلي عسى ان ننتبه الى الدواء من النظر الى الداء .

« يسافر الحضرمي الى احدى الجزائر الهندية (جاوه وغيرها) فيتعاطى اهون المهن ويتجرع الغصص ، فمن اخفق مسعاه بقي في حالة لا حاجة لبيانها . ومن نال مراده « يخرب الديار ويهلك الاشجار ويقتل الرجال ويرمل النساء ويتم الاطفال ويقطع السبل ويأكل اموال اليتامى واوقاف المساجد والاربطة فتعطل بذلك المزارع وتغار الاسعار وتتنافر القلوب . . . »

« وتنقسم الامة الحضرمية الى اربعة اقسام :

الاول العلويون وهم حملة الشريعة والساعون في نشر العلم ولكن ليس لهم قوة تنفيذية فأمورهم متوقفة على من رغب اليهم .

الثاني الفلاح او الضعيف بالإصطلاح الحضرمي . ووظيفته الزراعة وبناء المساكن والمراصد وحفر الآبار وما اشبه ذلك .

الثالث القروي أو الحضري ووظيفته التجارة والصياغة والحدادة والحياكة والنجارة الى غير ذلك .

وهؤلاء الثلاثة الأقسام عزل عن السلاح فهم المظلومون في اموالهم وارواحهم فإذا قتل احد من هؤلاء الثلاثة يعد دمه فرثاً اي لا يجوز اخذ ثأره ابداً فترمى تلك الروح الطاهرة كرمي الفرث لا يقبل سؤال سائل في ذلك .

الرابع القبلي وهم حملة السلاح المتغلبين على الجهة الحضرمية المستبدة بارتكاب انواع المظالم وابشع واقبح الأعمال واكثرهم لا يفقهون من الدين شيئاً

رؤوسكم جميعه مُحصى. فلا تخافوا فانكم افضل من عصافير كثيرة...»

ثم ردّ الكتاب الى مكانه مفتوحاً ، ووقف هنيهةً ، حائرًا ، جامد النظر ، مفكرًا بمعاني تلك الآية ، وبما دفع بدور الى التأمل فيها ، وقد تجمهرت في رأسه افكار ، وجالت في صدره عواطف ، وسارت في مخيلته اشباح لم يبددها سوى صوت بدور تصبّح اباها. فسألها اين كانت ؟ فقالت:

— اغتنمت فرصة نوم والدتي ، فذهبت لحضور قدّاس الخوري يوسف.

ثم اقبلت على الامير ورفيقه تصبّحها فردّا عليها الصباح ، وقد بهت الامير لتلك الطمأنينة تجول في مقلتيها بعد ان فارقهما الجمود ، وعاد شيء من الحياة الى خديها . فتعجب وسرّ بهذا الانقلاب.

* * *

رجع الخوري يوسف بعد الظهر لعيادة الست سعدى ، فرآها مطمئنة الظاهر ، ساكنة الألم ، تتحادث مع الضيفين ببشاشة وارتياح . فجسّ نبضها ، ثم رشّها بشيء من الماء المقدّس كان يحمله في قنينة صغيرة لا تفارق عُبّه. وبعد ان استراح قليلًا ، نهض كأنه تذكّر شيئاً ، واجال يده بسرعة في جيوبه جميعها ثم اخرج قطعةً من قماش بني عليها صورة السيدة العذراء ، فناطها برقبة الامير بشير داعياً له بالتوفيق في كل مآتيه ، سائلًا السيدةَ ان تحرسه في جميع المخاطر والمعارك . فقبّل الامير يده شاكرًا ، واجاب بانه يتكل على الله وعلى دعاء الخوري في كلّ اعماله.

وبينا الجميع يتبادلون ارق العبارات ، واخلص العواطف ، دخل فرحات فجأةً فقال :

— يا سيدي ، رأيت فارساً يصعد الوادي بسرعة ، ووجهته القصر . وكأنه من رجالنا في دير القمر . فانتبه الجميع صامتين ، وقال الامير :

— لا اراه الّا رسولًا من اخي حسن يعلمنا بزحف العدوّ ويطلب حضورنا. انتظره حتى يصل وادخل به عاجلًا.

وما هي دقائق حتى دخل الفارس . فقبل يدَ مولاه ، وسلّم على الحاضرين وقال :

— يقول لـك سيدي الامير حسن ان الامراء اللمعيين استدعوا الى المتن الامير حسيناً واخاه الامير سعد الدين ، فقدما عليهم برجالهما . وتجمهر الجميع في سهل البقاع ، وهم اليوم نازلون بارض جديتا ولا يبعد ان يزحفوا علينا قريباً . فما العمل ؟ وما هي ارادة سعادتكم ؟

ولم يكن اتحاد الامراء اللمعيين بابناء الامير يوسف منتظراً بهذه السرعة ، فبهت الجميع للخبر . وعاود الست سعدى الاصفرار ، وبدت ظواهر الايجاس على بدور . اما الامير فاطرق قليلاً ثم قال :

— قل لحسن ان يرسل حالاً الى حمّانا الامير حيدر ملحم مع المعلّم نقولا ليستميلا المتنيين بالوعد او بالوعيد . ثم يجهز مائتي رجل فيسيّرهم بقيادة الامير حيدر احمد على قلعة قبّ الياس . ثم يسير هو بباقي رجالنا الى البقاع . فاوافيهم انا برجال الامير جهجاه غداً صباحاً الى نبع الباروك .

فحنى الرسول رأسه ، وقبل يد مولاه ، وعاد مسرعاً من حيث أتى .

امّا الامير جهجاه فاستدعى ديباً وغرّاً وامرهما بالمناداة في رجاله ، ووجوب الاستعداد للسفر قبل الصباح . بينما كان الامير بشير يطمئن الست سعدى وبدوراً الى نتيجة ذلك الخبر ، مؤملاً ان المعركة تسفر عن ظفر مبين لما يعهده في رجاله من الشجاعة والصبر ، ولما يؤمله من وصول نجدة الجزّار في القريب العاجل وهي لا تقلّ عن الف رجل .

غير ان للقلب شعوراً لا تقوى القياسات العقلية على اقناعه . فلم تطمئن الست سعدى الى شيء من ذلك ، ولكنها اظهرت رباطة جأش وتكلّفت الابتسام ، فجارتها بدور في تلك المظاهر .

وعند سحر اليوم الثاني غصّت كنيسة الضيعة الصغيرة بالاميرين ورجالهما . وقد اقبلوا مدجّجين بالسلاح ، معدّين العُدد ، ليتزوّدوا معونة السيدة قبل السفر . فدخلوا دروزاً ونصارى يسمعون قدّاس الخوري يوسف ، ويقبلون بركته ودعاءه . وكانت بدور وراء الجميع مضطربة غرقى في تأملاتها ، ترفع نظرها الى ابيها بين الفينة والفينة وتودّ لو كان بامكانه عدم الذهاب الى تلك المعركة . ثم تعود فتجتهد عبثاً باثارة عواطف الطمأنينة . ولما انتهت الذبيحة الالهية

خرجوا الى الساحة وكلهم يدهن جبينه بالماء المقدس، ثم يحتفر بين اظافره قليلاً من كلس الكنيسة فيضعه في عمامته.

وقبل الرحيل عرّج الاميران والشيخ سلوم وفرحات مع الخوري يوسف على قصر بعذران فودّعوا الست سعدى التي لم تكن تتمالك جفونها ان تطرف، ولا لونها ان يصفر. ولكنها تجلّدت اذ رأت ابنتها تتجلّد امامها. حتى اذا خرج الراحلون استسلمت الاثنتان للحزن واجهشتا في البكاء.

* * *

كانت منخفضات البساروك ومرتفعاته تموج بالرجال، وتتجاوب اصداؤها حاملة صهيل الخيول، وضجيج اهازيج الحرب، حين اطلّ الامير بشير. فعلا الهتاف، ولمعت السيوف، وأشرعت الرماح، وتلاعبت الحراب فألّفت نصالها دوائر برّاقة تحت اشعة الشمس الصافية. ولم يكد يصل حتى سكنت الحركات، وخفتت الاصوات، واصطفّ الجميع حوله حلقات حلقات، وعيونهم شاخصة الى وجهه، وآذانهم مرهفة لسماع صوته. فحيّاهم متمنياً لهم خير صباح، وخير نجاح في تلك المعركة. ثم كلّمهم ببطء وقوة وصوّر امامهم الظفر، فأثار في صدورهم الحماسة والجرأة. واذ عرف ان الهوس بلغ منهم اقصى الدرجات، شاء ان يدفعهم الى الهجوم، فانشد على مسامعهم بلفظ فخم، ونبرة حادّة، قصيدةً الف انشادها في معاركه المتعددة، والفوا سماعها من فيه حتى حفظوها، واستقرّت ابياتها في مخيلاتهم فاسكرتهم وكانت لهم بمثابة التعاويذ الدافعة الى الفوز والانتصار. قال، وهم يردّدون بعده كل بيت بمفرده:

هذا الرشاق، امام السادة النجبِ، احبُّ لي من عناق الغيد في الحُجبِ!
وشرب كأس المنايا، في عجاج وغىً، الـذُّ لي من كؤوس العيش بالهربِ!
مـا همتي بجفون الغيـد ذابلةً، بل همتي بشؤون الذبـل اليلبِ
وليس للمرء عزٌّ في مراتبـه، ان لم يروّ ظما الهنـدية القُضُبِ
عاهدت بيض الظبى أني اجرّعهـا مناهـلاً من دم الاعنـاق واللبَبِ
اني امرؤٌ لستمن قومٍ، اذا اقتتلوا، رأوا الهزيمة منجـاةً من العطبِ
قومي ذوو الشرف السامي، قريش، وقد نسبت من آل مخزوم؛ فيا نسبي!

سموت «بالحارث» المقدام ، نعمَ فتىً ! و«مالك» ، ثم «سعد» ، خير منتسبِ
و«قاسمٍ» و«شهاب» طاب مجدهم . فسائلِ العُرب عن جدّي النبي ، وابي !
قومٌ حلا لهم المعروف في ، سلمٍ ، والصدق في كَلِم ، والفتك في حرب
نعم الصدور ، اذا حلّوا الصدور ، وهم أُسد العجاج ، واهـل المنزل الرحب
ما حـلّ عزمَهم المشدودَ موتُهم تحت الرمـاح العوالي عن علا الرتبِ
سلي الرماح ، اذا لاعبتها بيـدي ، كم قسورٍ غفرت خدّيه في الـترب !
وسائلي البيض في كفي ، وكم هتكت فروج ليثٍ بخـدر الدلص محتجبِ !
بني شهاب لكم مني فتى أسدٌ يرى رشاق القنـا بُرءاً من العطبِ
بني شهاب لكم مني فتى اسدٌ يرى صليل الظبى ضرباً من الطرب
بني شهاب لكم مني فتى اسدٌ يرى قراع العدى نوعـاً من اللعبِ
بني شهاب لكم مني فتى اسدٌ يرى ضرام الوغى برداً لذي لهبِ
بني شهاب لكم مني فتى اسدٌ يرى شراب الدما اشهى من الحببِ
بني شهاب لكم مني فتى اسدٌ يغني الكتائب بين الكرّ والطلبِ
وان لي منكم أُسداً ، اذا حملوا ، خلت الجبال انثنت كرّاً على الهضبِ
من كل اروع تحت الـدرع تحسبه بدراً تقمّص في ثوب من السحبِ
ان هزّ في مفرق الاعداء اسمره تفرّقوا ، وغدوا بالـذلّ والرعبِ
ويل لاعدائنـا ، ان قال قائلنـا هذي العداة ! فجدّوا يا ذوي الحسب !
تلقى الخوارج من آل الشهاب كما تلقى العفاريتُ رجماً من لظى الشهبِ
فجاهدوا يا بني الاعمام ، ان لكم عزّاً تسامى على الاعجام والعرب
تمسكوا بحبـال الله ، واعتصموا ، ومن يكن واثقاً بالله لم يخبِ ! [1]

* * *

١) هذه القصيدة للامير عامر ابن الامير قيس الشهابي الاذرعي حاكم حوران بعد ابيه (٨٦٧ – ٨٩٣م) انشدها اذ كان يحارب القرامطة ، فهيّج بها الحماسة في صدور رجاله وكانوا خمسة عشر الفاً فقاتلوا خمسين الفاً من الاعداء . وقد روى التاريخ ان الامير بشير كان ينشدها في حروبه .

الفصل التاسع

مصاب جديد

« حضرة العزيز غانم حرسه السيدة

« لا تخافوا ممن يقتل الجسد ولا يستطيع ان يقتل النفس بل خافوا ممن يقدر ان يُهلك النفس والجسد في جهنم . أليس عصفوران يُباعان بفلس ومع ذلك فواحد منهما لا يسقط على الارض بدون ابيكم . وانتم فان شعر رؤوسكم جميعه محصىً . فلا تخافوا فانكم افضل من عصافير كثيرة »

« نعم ، ايها العزيز ، لا يسقط عصفور على الارض بدون ارادة ابينا السماوي ! ولولا هذا الايمان ، ولولا هذه الثقة بالعناية الالهية ، لما قرأتَ لي هذه السطور ، بل لما سمعت عني سوى خبر انتحاري . لأني احتملت ما ليس للانسان الفرد طاقة باحتماله ، وصبرت على مكاره تعجز القوة البشرية وحدها عن الصبر عليها .

« ابي قتيل ، يا غانم ، وامي مريضة ، وانت شريد ، ورجالنا مبدّدون ، واموالنا مهملة . ويُطلب مني الصبر على ذلك . عجيبة حكمتك يا ربّ ! ولكن ليس لي اعتراض عليها ! ولست اخاف ممن قتل الجسد ، بعد ان شاءت رأفتك ان يتروّد القتيل بالاسرار الالهية ، فيخلص نفسه !

« لم اكتب هذه السطور شاكيةً ولا متذمّرة ، بل ضاق صدري عن عظم حزني في ساعة ضعف ، فاحببت ان تشاطرني اياه ، فتخفف بذلك عذابي . وجفّت عيناي حرقةً وتلهّفاً ، فأحببت ان استعين بدموعك ، فتعوّض عن تقصيري . ثم شعرت بعذوبة التعزية الالهية ، فاحببت ان تجعلها لي وافرة بصلواتك .

«فاغفر لي هذه الثورة ، ودم سنداً لمن لم يبقَ لها سندٌ سواك .

بدور الحرقوش

عن قصر بعذران في ٢٧ اذار ١٧٩٦»

* * *

لم ينهِ غانم قراءة المكتوب حتى دِيرَ به فتلمس ديوانه فانطرح عليه ، وانحلت اصابعه عن الورقة فسقطت في ارض الغرفة . وبعد فترة جحظت فيها عيناه ، وانضبطت انفاسه ، حنى رأسه وتفجرت دموعه فجأة ، فاخذ ينشج نشيج الطفل . ودموع فرحات تجيب دموعه فتعزيه ، وتزيد حزنه في وقت واحد .

ثم تجلد والتفت الى فرحات ، فكفكف هذا عبراته ، واخذ يقصّ عليه بتهدُّج واسىً تفاصيل مقتل الامير جهجاه . وغانم يحدّق اليه وفي عينيه اماثر اللوعة ، وعلى وجهه اقصى مظاهر الحزن .

اخبره فرحات كيف صاروا من قصر بعذران الى مفاجأة العدو ، وكيف استقبلهم رجال الحزب في نبع الباروك . وكيف نشب القتال شديداً في قلعة قبّ الياس ، وكان قد قدم اليها الامير حسين بالف نفر فطالت المعركة واسفرت عن عدة قتلى منهم الشيخ نمر النكدي . وانه لولا رجال الامير حيدر احمد لدارت الدوائر على جيش الامير .

فقاطعه غانم متأثراً :

— وهذا اللعين الجزّار ، الم يُرسل رجاله لنجدة الامير ؟

— بلى ولكن عسكره وصل متأخراً فحلّ في نبع الباروك . وفي اليوم الثاني نهض بهم اميرنا الى ارض المغيثة فنزل في بوارج . وارسل رجاله تنقل اخبار وصول العسكر من قرية الى قرية . فالقوا الرعب في قلوب السكان ، حتى اخذوا يتباعدون عن ابناء الامير يوسف . وضعف حزب هؤلاء فلم يروا من نجاة سوى الفرار ، ففروا الى نواحي طرابلس .

اما اميرنا فلم يكن ليرضى بهذا النصر البسيط بعد ان اعدّ تلك المعدات . فما كان منه الّا ان قام في طلبهم جاداً حتى هبط وطا الجرز في بلاد كسروان ، ومعه المرحوم الامير جهجاه ، والشيخ بشير جنبلاط ، والمشايخ العمادية . ولكنه لم يرَ للاعداء من أثر ، ولم يشاهد من رجال حزبهم الّا بعض المشايخ الدحادحة وكانوا قد انفصلوا عنهم والتجأوا الى الامير طالبين عفوه . فعفا عنهم ، واكرمهم واقامهم كتبة عنده وعند اخيه الامير حسن . واحيي تلك الليلة مع الامير

جهجاه والشيخ بشير يتباحثون في كيفية العمل لإدراك جيش العدوّ. وكانوا قد استبقوني قريباً منها لأمرٍ يحصل فيحتاج الامير الى خدمتي . فسمعتهم يقررون المسير الى جسر المعاملتين والوقوف عنده ، ثم اذاعة الخبر بان الجزار لم يأذن للامير بتجاوز تلك النقطة الى ايالة طرابلس . وكان القصد من ذلك ان يغترّ ابنا الامير يوسف بهذا الخبر ، فيظلّا مع رجالهما مطمئنين في البترون ، فيدهمهم العسكر ليلاً .

وهكذا كان ! فأرسل الامير من المعاملتين ، في اول الليل ، اخاه الامير حسن مع الامير حيدر احمد والشيخ بشير في عدد من العسكر . الّا ان الاقدار عاكستنا ففشلنا ، وكان في عمر الاميرين فسحة ، فهربا ملتجئين الى فاضل آغا رعد متسلم طرابلس . فانتقم الامير حسن ورجاله من هذه المعاكسة بنهب البترون . اما السبب في ذلك الفشل فكان الشيخ اسعد النكدي الذي عرف بقيام عسكرنا ، فسبقه الى البترون ونبه الاميرين فهربا برجالهما .

فنظر غانم نظرة أسف وتحسر . اما فرحات فتابع بصوت مطمئن :

— ولكن الامير لم يتراجع امام هذا الفشل بل اصدر امره الى اخيه ان يعاود السير وراء الفارين حتى يدركهم . فسار الامير حسن في عسكر الجزار الى زغرتا ليحاصر طرابلس . وصعد الامير في عسكره الخاصّ الى اهدن . وظلّت الحال مدة على هذا الشكل حتى لم يرَ الامير حلّاً للامر ، واستبطأ الجزّار نتيجة تلك المطاردات . فتراجع العسكر وعاد اميرنا مع المرحوم الامير جهجاه الى دير القمر ، بعد ان ابقى اخاه في جبيل مستعداً لكل ما يحدث من الطوارئ .

— وابنا الامير يوسف ؟

— سارا من طرابلس الى الزاوية مع من بقي معهما من الرجال ، ونزلا في راس كيفا . وهناك حصل انشقاق جديد في عسكرهما ، فخذلهما الامير قعدان والامير سلمان والشيخ حسن جنبلاط مع رجال حزبهم ، ورجعوا جميعاً الى البلاد تائبين ، واقاموا في بسكنتا ريثما يرضى عنهم الامير . فتوسط امرهم الشيخ بشير فعفا اميرنا عنهم .

وبعد حملة جديدة قام بها الامير حسن على بلاد الشمال ، هرب الاميران من راس كيفا الى بلاد عكار فعاد الامير الى جبيل. وقد غاظت تلك الاعمال الامير بشير فضبط ارزاق الاعداء جميعها ، وهدم مساكن رجالهم ، وجمع اموالهم ، فارسل منها قسماً وافراً الى الجزار ، وتصرّف بالباقي.

ولكن حدث بعد ذلك امر لم يكن في الحسبان. وهو ان خليل باشا والي طرابلس اراد ان يتشبه بالجزار . فانعم على احد عدوّينا ، الامير سليم ، بولاية بلاد جبيل. ولما احتج هـذا مظهراً قوة الامير حسن ، ارسل معه الوالي عدداً من عسكره . وكذلك قدم لنجدته من عكار محمد المرعب برجاله ، ومن الضنيّة الشيخ عباس الرعد. فبلغ عسكره نحو الستة آلاف.

فلما بلغ الخبر اميرنا اصدر امراً بالنفير العام. فلم يمضِ القليل حتى اجتمعت رجالنا ، فسار بهم الأمير حسن والامير جهجاه الى ارض الفرطوش ، فالتقيا برجال الامير سليم . وانتشبت معركة هائلة قُتل فيها ستون نفراً من الاعداء. ولم يسلم الباقون الّا بالهرب الى طرابلس . فارسل حينذاك الامير بشير كتاباً الى خليل باشا يعرض له واقعة الحال ، شارحاً ان الجزّار غضبان على ابني الامير يوسف ، وانهما لا قدرة لهما على مقاومة الجزّار ، ملتمساً منه ان لا يقبلهما عنده . ثم اوقف العسكر منتظراً الجواب.

— وماذا كان جواب خليل باشا ؟

— لم يجاوب. بل جيّش عسكراً جديداً وارسله مع الاميرين للانتقام من الامير حسن. ولكن نتيجة هذه المعركة لم تكن بافضل من نتائج المعارك السابقة. فانهزم الاعداء هزيمة معيبة. وعلى اثر ذلك بلغ الغيظ من خليل باشا اشدّه فارسل يطلب معاونة والده عبدالله باشا والي دمشق . فاجابه الى طلبه ، وكان المنلا اسمعيل في خدمته اذ ذاك . فارسله في عسكر جرار الى البقاع حيث التقى برجال الاميرين فالّفوا جيشاً عظيماً.

وكانت اخبار هذا الجيش تصل مطّردة الى معسكرنا ، ويبالغ فيها الراوون . فمنهم من يقول خمسة آلاف ، ومنهم من يقول سبعة ، ومنهم من يصل بالعدد الى عشرة آلاف . حتى كادت الخشية تتملك قلوب رجالنا ، وكاد

القوّاد يهابون السير الى ملتقى هذا الجيش ، لو لم يتدارك الامر المرحوم الامير جهجاه — واحسرتي عليه ! — فيخطب في الجمع منشطاً ومشجعاً ؛ حتى دبت الحماسة في القلوب ، والقى الجميع زمام القيادة بين يديه ، فنهض بنفسه ، وركب متقدماً العسكر الى البقاع مقرّ العدو . وهناك كانت « حركة » مندرة المشؤومة .

وهنا توقّف المحدّث قليلاً ليمسح عينيه ، ويسكن صدره الجاش ، ويريح صوته المتهدّج . وكأنه اشفق على غانم من طول الانتظار ، فتابع :

لا شك انك سمعت بمندرة . هي ارض عند قب الياس زحف اليها عسكر المنلا اسماعيل من المرج حيث كان مخيّماً . فالتقاه فيها عسكر الامير جهجاه الذي كان سائراً من ارض المغيثة . وقد شاء القدر ان تسقى تلك الارض باغلى دمائنا . فشبت فيها تلك المعركة الهائلة . وكان الامير جهجاه ، رحمه الله ، اراد ان يشجع الرجال باعماله كما شجعهم باقواله ، فجعل يحمل على الصفوف الحملات الصادقة ، وسيفه يتنقّل على الجماجم فتتساقط ، ويهوي على الاكتاف فتتزايل ، ويضرب الآباط فيلمع من حنايا الضلوع . حتى خاف عليه الجميع من عاقبة تلك الجرأة ، وعبثاً حاول من كانوا يحمون ظهره ، وانا في جملتهم ، ان يردّوه عن تلك المغامرات . فلم يكن ليرعوي ، ولا ليرتد ، بل كان يصيح باعلى صوته كلمات حفظها الجميع وطبقوها بالحرف وهي : « يجب ان نهزمهم قبل مغيب الشمس ! »

وهكذا كان فهزمناهم ! ولكن ليتنا لم نفعل ! فلربما كنا حفظنا حياة قائدنا !

ثم التفت الى غانم فرآه ضابطاً انفاسه ، تحوم الدمعة حول جفونه فيردّها مرغمة ، وتعلو الزفرة في صدره فيعيدها آنة ، وهو يحدّق الى مخاطبه منتظراً تفاصيل المصيبة ، فتابع :

(لها بقية)

شذرات

المحصولات الداخلية في مناطق الانتداب سنة ١٩٢٧

الزراعة (تابع)

الحرير

بلغت المحصولات الحريرية في سنة ١٩٢٧ مجموعاً عاماً قدره ٣,١٨٥,٠٠٠ كيلوغرام من الشرانق الفريضة (غير المخنقة) تُقسم بين المناطق كما يلي:

لبنان	٢٠٠٠٠٠٠	كيلوغرام
دولة العلويين	٥٣٨٠٠٠	«
الاسكندرونة	٦٤٧٠٠٠	«
	٣١٨٥٠٠٠	كيلوغرام(١)

وان هذه الارقام تزيد عن ارقام محصولات السنة الفائتة ١٩٢٦ التي بلغت ٢,٩٦٠,٠٠٠ كيلوغرام . وهي تدل على تحسين محسوس في المحصول العام . وذلك بالرغم من التقلبات الجوية التي الحقت اضراراً جمة في محلات تربية الدود الموجودة في السهول . فاذا ما انتبهنا الى هذا الامر ادركنا ان المحصولات تقدمت كثيراً سنة ١٩٢٧ .

اما اعادة تشجير سهول التوت فقد تتابعت على تقدم ايضاً ، ويمكننا تعديل النصبات الجديدة المغروسة في المناطق الحريرية بعدد ٥٥٠,٠٠٠ نصبة .

الدخان

بلغت محصولات الدخان في لبنان ٦٥٠,٠٠٠ كيلوغرام من الورق ، وفي بلاد العلويين ٥٠٠,٠٠٠ كيلوغرام . وبلغت محصولات التمباك ٤٠٠,٠٠٠ كيلوغرام في بلاد العلويين

الصوف

فاقت محصولات الصوف في السنة ١٩٢٧ محصولات السنين السابقة . وها كها مرتبة في الجدول التالي:

(١) من المفيد هنا ان نذكر اننا وقفنا على احصائية قديمة لمحصول الشرانق في العالم سنة ١٨٨٠ فرأينا ان نصيب سورية ولبنان في ذلك العهد كان ٢,٧٠٠,٠٠٠ كيلوغرام [المشرق]

سنة ١٩٢٤	٣٠٠٠٠	بالة
« ١٩٢٥	٢٦٠٠٠	«
« ١٩٢٦	٢٥٠٠٠	«
« ١٩٢٧	٣٠٠٠٠	«

الجلود

اتت سنة ١٩٢٧ بنتائج حسنة فيما خص محصولات الجلود . وهاك جدولاً بمحصولات ولاية حلب في السنوات الثلاث الاخيرة :

	حملان	كباش	ماعز
سنة ١٩٢٥	١٣٠٠٠٠ جلد	٨٠٠٠٠ جلد	١٦٥٠٠٠ جلد
« ١٩٢٦	٣٢٠٠٠٠ «	١١٠٠٠٠ «	٢٠٠٠٠٠ «
« ١٩٢٧	٣٥٠٠٠٠ «	١٢٥٠٠٠ «	٢٢٠٠٠٠ «

الزيتون

على الرغم من ازدياد مساحة الارض المغروسة زيتوناً التي بلغت ٧١,٠٣٨ هكتاراً سنة ١٩٢٧ بعد ان كانت في السنة السابقة ٦٧,٠٦٨ هكتاراً ، فان محصولات الزيتون لم تأت بنتائج مرضية فانها بعد ان بلغت في سنة ١٩٢٦ ٨٥٠,٠٠٠ قنطار لم تبلغ هذه السنة سوى ٥٠٩,٦٣٦ قنطاراً . على انه من الموافق ان نذكر ان هذه المحصولات في سنة ١٩٢٥ لم تتجاوز ٤٠٠,٠٠٠ قنطار . اما نقص محصولات السنة الحالية فسبب عن الاحوال الجوية السيئة التي اضرت كثيراً بمناطق الزيتون في شمالي سورية كإدلب والحريم ، وعن انتشار الحشرات المؤذية للزيتون . وعلى كل فان الاهتمام بزيادة غرس الزيتون لا يزال مصروفاً ، ولاسيما في مناطق دولة العلويين .

الفواكه

اما الفواكه فقد اتت بنتائج حسنة في سورية حيث بلغت محصولات العنب ٤٤٨,٥٠٠ قنطار يقابلها ٣٨٦,٠٠٠ قنطار في السنة ١٩٢٦ ، ومحصولات المشمش ٢٥٣,٦٦٢ قنطاراً يقابلها ١٨٢,٦١٢ قنطاراً في السنة الفائتة . وقد أقيمت في دمشق في شهر حزيران ١٩٢٨ مباراة عرضت فيها جميع الاصناف الحاصلة في سورية ، فنالت نجاحاً باهراً .

بيد ان هذا التقدم في محصولات الفواكه لم يشمل لبنان حيث نقصت

نقصاً محسوساً فانحط مجمل محصولات الليمون من ١٤٠,٠٠٠ قنطار في السنة الفائتة الى ٣٥٠,٠٠٠ قنطار هذه السنة . وكذلك العنب فلم تبلغ محصولاته هذه السنة سوى ٢٥٠,٠٠٠ قنطار وقد كانت في السنة الفائتة ٤٥٠,٠٠٠ قنطار . ولكن التقدم جارٍ في غرس اغراس الموز وفسائل النخل في جميع السواحل . ومما يجدر بالذكر تشجيع الحكومة لتنمية هذه الحركة بالمشاتل التي تؤسسها، وبالاغراس والفسائل التي توزعها مجاناً ، والاعفاءات من رسوم الدخولية التي تمنحها للمزارعين الذين يستوردون هذه الاغراس من الخارج .

فتاوى قانونية لاهوتية

نشر «البشير» هذه الفتاوى الصادرة من مجمع الكنيسة الشرقية في رومة للموارنة المقيمين في الولايات المتحدة من امريكة الشمالية ، فرأينا نشرها في « المشرق » تعميماً للفائدة :

١ — هل يلتزم الموارنة الذين لهم مسكن او شبه مسكن في الولايات المتحدة من امريكة الشمالية بشرائع دستور الحق القانوني الجديد ؟

٢ — أيستطيع مارونيان لهما مسكن او شبه مسكن في الولايات المتحدة من امريكة الشمالية ان يعقدا زواجاً صحيحاً وهما مرتبطان بموانع ملغاة في الحق القانوني الجديد ولكنها لا تزال لدى الموارنة من الموانع المبطلة للزواج والمعمول بها ؟

٣ — ايستطيع مارونيان لهما مسكن او شبه مسكن في الولايات المتحدة من امريكة الشمالية ان يعقدوا زواجاً صحيحاً قبل ان يكمل الخطيب السنة السادسة عشرة وقبل ان تكمل الخطيبة سنتها الرابعة عشرة اذا ما ثبت ان البلوغ ناب مناب السن ؟

٤ — هل يلتزم الموارنة الذين لهم مسكن او شبه مسكن في الولايات المتحدة من امريكة الشمالية بالصوم والقطاعة بموجب شرائع الحق القانوني الجديد وبموجب مراسيم الاساقفة المكانيين وفقاً للفقرة الثانية من القانون ١٢٤٤؟

٥ — هل يستطيع الموارنة الذين لهم مسكن او شبه مسكن في الولايات المتحدة من امريكة الشمالية ان يتمتعوا بانعام اقامة ثلاثة قداسات في يوم تذكار جميع الموتى المؤمنين ؟

٦ — هل يكون عقد الزواج صحيحاً بين بطرس الماروني ووردة الروم الارثوذكس اللذين لهما مسكن او شبه مسكن في ابرشية بوفالو اذا ما حضر العقد وباركه كاهن ارثوذكسي شرقي امام شاهدين ؟

٧ — هل يكون عقد الزواج صحيحاً بين يعقوب الماروني وهيلانة الروم الارثوذكس اللذين لهما مسكن او شبه مسكن في ابرشية بوفالو اذا ما تمّ امام كاهن روم كاثوليك غير خادم رعية وامام شاهدين ؟

الجواب

على الاول : بالنفي وفقاً للقانون الاول من الحق القانوني الجديد نفسه ، ولكن ما خلا مراسيم الكرسي الرسولي الخاصة المتعلقة بهم مع بقاء التدبير المتخذ في العدد التاسع من البراءة البابوية المصدرة بهذه العبارة : « عظمة الشرقيين » Orientalium dignitas وهو « مَن كان من الشرقيين مقيماً في خارج حدود اراضي بطريركيته فليكن خاضعاً لادارة الاكليروس اللاتيني ولكن يظل متقيداً بطقسه ».

وعلى الثاني : بالنفي

وعلى الثالث: بالايجاب

وعلى الرابع : سبق الجواب عليه ضمناً في الجواب على الاول . ولكن الاب الاقدس تنازل وعمم للموارنة وسائر الشرقيين الذين لهم مسكن او شبه مسكن في الولايات المتحدة بامريكة الشمالية الانعام الذي منحه للروثان المقيمين في الولايات المتحدة من امريكة الشمالية وفي كندة اعني به ان يتمتعوا بالخضوع للشرائع المحلية في الصوم والقطاعة.

وعلى الخامس : بالنفي على ما طلب وفقاً للحل الذي اعطاه مجمع انتشار الايمان المقدس في ١٣ اذار سنة ١٩١٦

وعلى السادس: بالايجاب

وعلى السابع : بالايجاب

أعطي في رومة في ١٩ ك ١ سنة ١٩٢٨

الامضاء: امين الاسرار : الكردينال سينشارو

المعاون : ا. ج. شيكونياني

مطبوعات شرقية جديدة

Dr J. Karst : Grundsteine zu einer Mittelländisch—Asianischen Urgeschichte *in*-8° ,247 *pp.* 1928. *Leipzig. Otto Harrassowitz. Prix* : 20 *M.*

مستندات لتاريخ قديم لبلاد البحر المتوسط الاسيوية

يعتقد الدكتور كارست انه برهن في تآليفه السابقة ان البلدان الواقعة على شواطئ البحر المتوسط كانت آهلة ، قبل ان تصل اليها الشعوب السامية والحامية ، بسكان من عنصر واحد . وان هؤلاء السكان كانوا اصل جدود الفريجيين ، والارمن ، والحثيين ، واصل جدود البشكنش (*Basques*) والايبريين . وهو يبحث ، في مجلده هذا ، في صفة الاسماء المستعملة عند هؤلاء الشعوب وفي آلهتهم واساطيرها ويقابل بينها مستنداً خصوصاً الى الاشتقاق اللغوي . وها نحن نذكر مثلاً واحداً من ابحاثه كافياً للدلالة على غرابة نتائجه : فهو يزعم ان « هللويا » التي يستعملها العبرانيون ، وشهادة المسلمين « لا اله الا الله » تشتقان من انشودة كانت الشعوب المتقدمة على سكان البشكنش تمجد بها الاله « ليلو-لينوس » كذا (ص ١٠٠ وما بعدها) ر . م .

Ath. G. Politis : L'hellénisme et l'Egypte moderne. t. I Histoire de l'hellénisme égyptien de 1798 à 1927. *in*-8° *de* 530 *pp. Prix* : 50 *fr. Paris, Alcan*, 1929.

التأثير اليوناني في مصر العصرية

يهتم مؤلف هذا الكتاب القيم بتاريخ اليونان في مصر وتطور تأثيرهم في القرن التاسع عشر وسيخص المجلد الثاني بذكر مبلغ هذا التأثير في مصر العصرية . ومن المعلوم ان الجالية اليونانية في مصر اكثر الجاليات الاجنبية عدداً . اما كيفية تنظيمها ، والروح الذي يهيب بها ، ومواردها واعمالها فيعرفها من يطالع الكتاب . وفيه الوثائق العديدة مرتبة وواضحة بفضل ما للمؤلف من المركز العالي بين ابناء جلدته في القطر المصري . اما اقسام الكتاب فثلاثة في

سبعة فصول تبدأ بمقدمة عن اليونان في مصر القديمة ، ثم تاريخ اليونان في زمن الاحتلال الفرنساوي ، ثم على عهد محمد علي فعلى عهد نظام الجاليات اليونانية الذي يبتدئ بنظام جالية الاسكندرية سنة ١٨٤٣ ج. ل.

Dr J. R. Mucke : Die Urbevolkerung Griechenlands und ihre allmähliche Entwickelung zu Volksstämmen, *IIer Halbband.* in - 8°, 319 *pp. Leipzig*, *Weigel*, 1929.

سكان اليونان الاقدمون وتحولهم الى شعوب مختلفة

كان ساكنو بلاد اليونان ، في العصر السابق للتاريخ ، ينتسبون لشعبين اصليين يدعى الاول منهما « وليد الشجر » والثاني « وليد الحجر » يعيش الاول في السهول والمستنقعات في مساكن مستطيلة الشكل ترتكز على اوتاد مغروزة في المياه ، والثاني يسكن مغاور الجبال فالأكواخ المستديرة . فحدث ان احد سكان الجبال تزوّج احدى بنات السهول فحصلت اللحمة بين الشعبين الاصليين وكان ذاك « الزواج المقدس » الذي تنسبه الاسطورة الى زفس . وهكذا تنكر هذه النظرية كل رأي خالفها في حالة اليونان قبل التاريخ ، وخصوصاً ذاك الوهم القائل انه كان في الاصل شعب هندي - جرماني تحدّر عنه اليونان واللاتين. هذا وان ما قام به المرحوم الاستاذ دي دوريا من نقد كلّ ما تقدّمه من النظريات والآراء لجدير بالاهتمام . على ان نظريته تظهر خيالية اكثر منها علمية . ر. م.

Itinerario di Ludovico di Varthemia a cura di Paolo Giudici, con prefazione, note, bibliografia e incisioni fuori testo [*Viaggi e scoperte di navigatori ed esploratori italiani, n° 2*] *Prix : L.* 18. *Edizioni « Alpes », Milano.*

رحلة فرنيا

لقد باشرت مؤخرًا شركة النشر الميلانية المدعوّة « الپس » مجموعة سمتها « رحلات واكتشافات البحّارة والروّاد الايطاليين » وقد اهدت الينا هذا الكتاب وهو الثاني من مجموعتها . ونحن اذا اعتبرناه مثالًا لجميع منشوراتها فلا يسعنا الّا الثناء على المجموعة وعلى الفكرة التي اوجدتها . حجم الكتاب موافق ،

وطبعه جيّد ، وفيه عدّة خرائط ورسوم قديمة ، وله مقدّمة طويلة ، وعليه حواشٍ مفيدة ، مما يسمه بصفات المنشورات العلمية النفيسة . اما النصّ المطبوع ففي غاية الاهمية ، وكاتبه ثرنيا من اشهر قدماء الرحّالة المغامرين يقرن الى ذلك دقة في الملاحظة وفكاهة واخلاصاً في الاخبار . وقد مرّ في رحلته على الاسكندرية والقاهرة ، وبيروت ، وحلب ثم قام من دمشق سنة ١٥٠٣ قاصداً بلاد العرب ، فالحبش ، فبلاد فارس ، فالهند ، فبحار ماليزيا ، فكان اول اوربي يجول فيها .

A. Delacour de Brisay : L'Université d'Oxford et la vie universitaire en Angleterre. *petit in-8°, orné de photogr. Prix* : 18 *f*°. *Paris, Librairie Fischbacher.*

جامعة أكسفرد والحياة الجامعية في انكلترة

المؤلف استاذ اللغات العصرية في كلية بدفورد ، وقد كتب كتابه هذا لجمهور المتكلمين بالفرنسية فحقّ له عليهم كل شكر . لانه ليس من السهل ان يعرف هذا الجمهور تاريخ الجامعات الاجنبية ، ولا ان يقف على مجرى حياتها . ولاسيما ما كان منها جامعة بابوية قديمة كاكسفرد ذات تاريخ طويل مجيد . اما اكسفرد العصرية بما فيها من حياة دراسة ، وامتحانات ، وبرامج ، فغاية في العجب والغرابة وقد قال عنها المؤلف في مقدمته : « ليس في عالمنا الحاضر الذي يشوّهه العصر بزخارفه اجمل ولا اروع من اكسفرد المحافظة على القديم »

ج . ل .

Dr Louis Perrier : La préhistoire de la Palestine et la Bible. *broch. 8° de 40 pp.* 1928. *Prix : 2 f*,50. *Paris, Librairie Fischbacher*

فلسطين السابقة للتاريخ

رأى المؤلف ان يزيل ستار الغموض عن عهد فلسطين السابق للتاريخ فاستعمل في ذلك ما وصلت اليه اكتشافات الآثار القديمة ، وما ورد في التوراة ، وفي الاقاصيص الوطنية ، فنجح نجاحاً لا بأس به ، مستخرجاً من كل ما عرضه بعض الاعتبارات في الفلسفة والاخلاق . وقد زيّن كتابه بخارطة وسبعة رسوم .

R. Plus s. j. : La Sainteté catholique. [*Biblioth. cathol. des Sciences religieuses*] *Prix* : 10 *f*. *Paris, Bloud et Gay.*

القداسة الكاثوليكية

كثيراً ما نسمع البعض يدّعون انه لم يبقَ قديسون في عصرنا . على ان الواقع يكذّب ادعاءهم فان الكنيسة الكاثوليكية تهيئ اليوم، كما هيأت بالامس، لجميع ابنائها مثلاً اعلى ومبادئ متناسقة تتحد بنظام دقيق ومعونات نافعة فتقود من شاء منهم الى القداسة . وهو ما يتوسع فيه المؤلف في هذا الكتاب، وينظر ايضاً الى الوجهة التاريخية من البحث فيوفي الموضوع حقه من جميع وجوهه . ج . ل .

Les colonies italiennes. *n° spécial de la revue « La Vie technique et industrielle », Paris. Prix* : 15 *f*.

المستعمرات الايطالية

هي فكرة حسنة تحققها هذه المجلة بتخصيص اعداد مستقلة بدرس المستعمرات . اما هذا العدد المخصص بالمستعمرات الايطالية فيمتاز بان المعلومات فيه واردة عن اوثق المصادر الا وهي مصادر السلطات الحاكمة في تلك البلاد ومصادر المنشورات الوطنية . وقد اردف بالكتاب فصل مهم عن المهاجرة الايطالية، مما يسهّل على المطالع معرفة اتساع النفوذ الايطالي على اختلاف مظاهره

Edmond Renard : Renan, les étapes de sa pensée. 1 *vol. de* 228 *pp. Prix* : 14 *f*. *Paris, Bloud et Gay.*

رينان وتطوّرات فكره

عُرف مؤلف هذا الكتاب بترجمة حياة الكردينال ماتيو . وها هو اليوم ينشر كتاباً عن رينان لا ليترجم حياته التي تُرجمت مرّات عديدة بل ليدرس تطوّرات افكاره، والمحطّات التي توقّفت عندها فكرته المضطربة المتنقّلة، بعد الحاده، بين عبادة الثورة، وعبادة مسيح جديد، وعبادة ميزفا . ولكن رينان لم يكن يتوقف طويلاً عند هذه المحطات لانه كان احياناً يطيع عقليته المغرمة بالانكار فتهدم كل ما كان يهيب بقلبه من عواطف الهوس والاعجاب،

واحياناً كان يترك نظرياته وينصرف عنها الى الحياة العملية. هذا وان الكتاب جدير بالاهتمام لما سار عليه المؤلف من فحص النصوص والرسائل ودرسها ، فحال بعمله هذا دون اتساع تلك الاسطورة الرينانية التي قال عنها باريس : « اني اتوقع ان يتدافع الناس اسطورة رينان حتى تصبح تافهة ! »

Mme Cay, L. Cousin, marianiste et le Dr E. Besson : Comment j'élève mon enfant. *V^elle édition destiné aux mères et aux jeunes filles. in - 12 de 700 pp. et de 230 gravures. Prix : 20 f. Paris, Blond et Gay.*

كيف اربي ولدي

ظهر هذا الكتاب سنة ١٩٢٧ وقد وصفناه في المشرق (٢٦[١٩٢٨]٣١٣) وها هو في طبعته الجديدة بعد ان حوّرت فيه بعض الامور فاصبح صالحاً للآنسات اللاتي تجاوزن السنة السادسة عشرة يطالعنه ويستفدن منه بعد ان عرف الجميع ما فيه من الفوائد الجمّة . فنتمنى لهُ مزيد الانتشار فيزداد عدد الأمهات العاقلات فيربين اولادهن على المبادئ القويمة

Dr Mohammad Sharaf : An english-arabic Dictionary of Medicine, Biology and allied Sciences. *in 4° Government Press, 1929. Prix : P. T. 150.*

معجم شرف انكليزي - عربي

ليس تأليف قاموس انكليزي عربي عصري ، يضم نحو خمسين الف كلمة وتعبير ، من علم الطبيعة والكيمياء وعلم الحيوان والنبات والطب والجراحة والصيدلة ، ليس ذلك من الهنات الهيّنات ، لعدم وجود قاموس سابق ، من هذا النوع ، يمهد الطرق امام المؤلف ويخفف عليه عناء التنقيب في مئات المؤلفات ، من قواميس معتادة وكتب ومجلات علمية ، عربية وفرنجية . ذلك الجهد الجهيد قد بذله الدكتور محمد شرف ، مدة سنين متواصلة ، في اوقات فراغه المحدودة باقدام ونشاط وثبات ومهارة يستحق عليها اوفر الثناء . هذا القاموس الفريد في بابه ، الغني للغاية بالاوضاع العلمية الشتى ، ولاسيما الطبية ، واقع بطبعته الثانية هذه ، في ٩٧١ صفحة كبيرة ذات عمودين ، وقد ضُبط

كثير من الالفاظ العربية بالحركات اللازمة لسهولة القراءة وصحتها.

اكّد لنا المؤلف في مقدمته انه لم يُدرج من الالفاظ العلمية العربية الّا ما ثبت لديه عروبته المحضة ، فان لم يهتدِ الى الكلمة العربية ، صاغ من جذور اللغة ما رآه الاوفق لتأدية المعنى المقصود ، او استخدم اللفظة الفرنجية ، الشائعة في اكثر لغات اوربة. لا ادري هل اصاب دائماً في تفضيل احدى هاتين الطريقتين على الاخرى ، بحسب الظروف ؛ ومن جهة اخرى يضيق المقام عن ابداء رأيي فيها. ومن محسّنات هذا القاموس الجميل اضافة تحديد موجز لكثير من الالفاظ العلمية العربية ، واتباع عدة اسماء فصيحة للحيوانات والنباتات بما يقابلها في اللهجة العامية المصرية ، واخيراً الاشارة الى كون كثير من الاوضاع العلمية العربية موجودة في مؤلفات ابن البيطار وابن سينا. وفضلاً عن هذه المزايا ، قد صحّح الدكتور محمد شرف ، في هذه الطبعة الثانية ، ما اهتدى اليه من الاغلاط في تحديد الكلمات وفي اسلوب كتابتها. زد على كل ذلك اتقان الطبع بحروف واضحة جداً ، وعلى ورق صقيل الغاية ، ترَ ان هذا القاموس ، الذي هو اول قاموس علمي عربي عصري وافر المواد ، هو مأثرة من اكبر مآثر النهضة المصرية الحديثة.

ر. ن.

بدر التمام في شرح ديوان ابي تمام

للدكتور ملحم ابراهيم الاسود

الجزء الاول ، ص ٤٧٢ كبير – الناشر الياس قوزما ، مطابع قوزما ، بيروت ١٩٢٨

لم يطبع ديوان ابي تمام طبعة علمية بعد. ولم نكن نعرف له سوى طبعتين: طبعة مصطفى وهبي سنة ١٢٩٢ هـ. (١٨٧٥) وطبعة محمد جمال مع تفسير بعض الالفاظ اللغوية بقلم الشيخ محيي الدين الخياط. اما الاولى فسقيمة الطبع غفل من الشكل فضلاً عن انها اصبحت نادرة الوجود. واما الثانية فغير وافية الشرح. ولهذا رأى حضرة الدكتور ملحم ابراهيم الاسود ان يقوم بطبعة جديدة تليق بالديوان. فاختار له حرفاً جلياً وورقاً صقيلاً ومثل الابيات بالشكل الكامل ، والحواشي بحرف صغير واضح ، وقدّم على الكتاب مقدّمة في الشعر ثم اورد ترجمة ابي تمام مستنداً الى ما كتبه محمد سعيد بك في آخر الطبعة الاولى

للديوان المذكورة اعلاه ، وما ورد في دائرة المعارف ، وفي الاغاني . وقد اسهب في الشرح معتمداً على شرّاح الديوان الاقدمين « كالصولي والمعري والتبريزي والخارزنجي والمرزوقي والامدي والمبارك بن احمد وغيرهم» كما ذكر جارياً على نسق اليازجي في شرحه لديوان المتنبي . على اننا وددنا لو وصف هذه النسخ المعتمد عليها وذكر اماكن طبعها ، او محلّ وجودها ان كانت لا تزال مخطوطة . هذا وقد وقع في الكتاب بعض الاغلاط اكثرها تنسب للطبع فانتبه لها الشارح واشار الى انه سيستدركها في آخر الجزء الثاني. اما هذا الجزء فكله في المدح يحتوي على ١٠٧ قصائد ومقطوعات مرتبة على الحروف الابجدية منتهية بحرف الفاء.وهو أثر نافع يشكر عليه حضرة الشارح الفاضل ويحسن بجميع طلاب الادب اقتناؤه ف . ا . ب .

ديوان النابغة الذبياني

صححه وحلّ غريب الفاظه الشيخ عبد الرحمن سلام

١١٧ ص،وسط ،عني بنشره محمد جمال صاحب المكتبة الاهلية ،مطبعة المصباح ،بيروت، ١٩٢٩

اما ديوان النابغة فله طبعة علمية نفيسة قديمة عني بها المستشرق هرتويغ ديرنبورغ (Derenbourg) في باريس سنة ١٨٥٩ ، فنشر النصّ بالشكل الكامل ، وترجمه الى الفرنسوية وقدم عليه بحثاً تاريخياً ضافياً ، واردفه بحواش وشروح واسعة . وكانت المكتبة الاهلية نفسها قد نشرت الديوان ، قبل الحرب ، وعليه شرح للبطليوسي . فاعاد فيه النظر حضرة الشيخ عبد الرحمن سلام وذكر (ص ٥) انه اصلح نسخة مخطوطة للديوان ، ولكنه لم يصفها ، فاعاد ما فيها من «خطأ صريح الى صواب صحيح». ف . ا . ب .

الروائع

دروس ومنتخبات بقلم فؤاد افرام البستاني استاذ الاداب العربية في كلية القديس يوسف

المطبعة الكاثوليكية – بيروت – سلسلتان في ١٢٨٠ ص ، صغير

لم يذكر المشرق الا بعض حلقات من الروائع: الشعر الجاهلي – الشنفرى – المهلهل – ابن بطوطة . اما الان وقد انتهت السلسلتان الاولى والثانية من هذه

المجموعة الشائقة ، فقد حان الوقت للنظر الى ما لم يذكر منها بعد.

١ — علي بن ابي طالب: نهج البلاغة — «لم تكن المجادلات بين السنيين والشيعيين الا لتزيد الرجل سموًا...» وعلى آثار علي ستر كثيف من الشك اما انشاء علي فكامل بالمعنى البياني ؛ وقوى الشعور والمخيلة والعقل فيه متناسبة. وقد انتُخب لـه فصول في الحكم والآراء والاجوبة والرسائل والوصايا والادعية والخطب.

٧ — امرؤ القيس — قد تكون اسطورة حلته المسمومة اختراعاً شعريا اساسه مرض الجدري الذي اصيب بـه في انقره وسمي من اجله «ذا القروح» لـه منتخبات منها المعلقة واشعار في الرثاء والتهديد والمديح والهجاء والوصف...

٨ و ٩ — ابن عبد ربه — وهو في مقدمة العاملين لتأسيس المدنية الاسبانية الفنية . وكتابه «العقد الفريد» اقدم المصادر للفوائد الادبية واخبار الشعراء وحوادثهم ؛ ومن روائعه كتاب اللؤلؤة في السلطان ، والفريدة في الحروب ومدار امرها ، والزبرجدة في الاجواد والاصفاد ، والجمانة في الوفود ، والمرجانة في مخاطبة الملوك ، والياقوتة في العلم والادب ، والجوهرة في الامثال ، والزمردة في المواعظ الخ...

١٠ — مجموعة من شعر ابي العتاهية مع مقدمة في ترجمته وشعره استلّها الاب شيخو من طبعته لديوان ابي العتاهية سنة ١٩١٤ ، وهي مشكلة بالحركات وفيها فصول في المديح والتهاني وحسن التوصل والعتاب والهجو والرثاء والتعازي والاوصاف والامثال.

١١ و ١٢ — ابو الطيب المتنبي: المدائح والاهاجي ، والمراثي والمفاخر والحكم ، درسه الاستاذ البستاني ونشر نتيجة مباحثه في الروائع ، وفي مقالين شائقين ظهرا في المشرق. وعالج مثله ابا فراس الحمداني (١٦) والجاحظ (١٨، ١٩، ٢٠).

وخص الحلقات ١٣، ١٤، ١٥ بابن خلدون «الرجل السياسي الحازم ، والفيلسوف الاجتماعي ، والكاتب الشخصي» والحلقة (١٧) بابي العلاء وحياته وفلسفته ومؤلفه الشهير «رسالة الغفران».

وان كتب الروائع لاغزر مادة من ان يسوغها المطالع لقراءة واحدة ، واوسع نطاقاً من ان تتقصى ارجاءها جولة مستعجلة ، وعليها نزعة الكتب المدرسية لما بذيلوا من الشروح والفوائد ، وصبغة المؤلفات العلمية لما فيها من ذكر المصادر ، مع النظرات البعيدة المرامي في المقابلات الادبية ، والتفتيش عن المبادي والعلل المنتجة للمؤلفات المفيدة نشأتها وازدهارها ، المؤدية بها الى حسن الوقوع في نفوس القراء او سيئه ، وتلك هي الطريقة العلمية المثلى .

وقد راقني خاصةً ما كتبه البستاني في درسه على المتنبي وعلى ابي العلاء ، وقد جهد النفس في التماس السبيل الى معرفة نفوس المؤلفين ووصفها ، فتوفق كثيراً الى بلوغ مأربه ؛ وحدثنا عن افكاره بدقة وتعبير جدير بالثناء على ما في التحليل الادبي من العقبات التي لم يذللها لنا الاقدمون . فوصف الحالات النفسية وتطوراتها ، وتأثيراتها وشعورها ، واتانا بالجديد . واذا اضفت الى تلك المحاسن ما نعرفه عن ثمن الروائع الزهيد ، وجدتها قرينة المنال من الكبير والصغير ، من الغني والفقير ؛ وقيمة الكتيب منها الغرش الذهبي الواحد ، ولمستَ الاسباب التي ادّت بها الى النجاح حتى تهافت مريدوها من الشرق والغرب على المطبعة الكاثوليكية لاقتنائها حلقات وسلاسل .

ف . ت .

* يوسف ابراهيم يزبك : مأساة المواشي البشرية في طريقها الى بلاد الله * مطبعة المصباح ، بيروت – هي مقالة مسهبة فيها وصف اعادة المهاجرين السوريين واللبنانيين من مرسيليا الى بيروت فهي لسان حال شكواهم وشكوى البلاد من تلك المعاملات الجائرة التي عوملوا بها .

* توفيق عواد : الادب العربي وما ينقصه لمجاراة الآداب الراقية * مطبعة الاقتصاد ، بيروت – محاضرة فيها آراء جديرة بالاهتمام وقد اردفها صاحبها بقصيدة في حب اللغة العربية .

* اعمال الجمعية الخيرية لطائفة السريان الكاثوليك بحلب من سنتي ١٩٢٧ – ١٩٢٨ * كراس جميل الطبع مزين بالصور مفصح عن حسنات المحسنين كاثابهم الله .

* مكتبة يوسف اليان سركيس واولاده شارع الفجالة مصر * كتب قديمة وحديثة في جميع الفنون .

* الدنيا المصورة * ارسلت الينا دار الهلال العدد الاول من هذه المجلة وقد برزت لي شكل اقرب الى شكل «الالوستراسيون» الافرنسية وثمن العدد منها ١٠ مليمات .

اهمّ حوادث الشرق في شهر

١٥ نيسان — ١٥ ايار

في ٧ ايار ، انتقل الى رحمته تعالى ، في القاهرة ، الملك الرحمات السيد اغناطيوس افرام الثاني رحماني ، بطريرك السريان الانطاكي . خسرت به الطائفة السريانية والشرق المسيحي اجمع ، ابًا ومعلمًا وراعيًا ، سطع كوكبه في سمائنا سحابة نصف قرن فلم تحجبه ظلمات الشدائد والمحن وظل الى ساعة افوله نورًا مرشدًا للمؤمنين في سبيل الخلاص.

ولد في الموصل في ٧ تشرين الثاني ١٨٤٨ ، وسيم كاهنًا في ١٢ نيسان ١٨٧٣ ، فانصرف الى خدمة النفوس ، في بلدته . وفي ٢ تشرين الاول ١٨٨٧ رفع الى درجة رئيس اساقفة الرها ، وفي اول ايار ١٨٩٦ نقل الى حلب ، وفي ٩ تشرين الاول ١٨٩٨ انتخب بطريركًا ونال تثبيته من رومة في ٢٨ تشرين الثاني ودُعي اغناطيوس افرام الثاني .

وان الله تعالى منّ عليه بمواهب غزيرة ، اهمها ذلك العمر الطويل الذي فسح له مجالا للقيام بمشاريع خطيرة . تفقد شؤون ملته نيفًا وعشرين مرة في جميع الاطراف ، ورسم عشرة احبار ونيفًا وخمسين كاهنًا ومئات من الشمامسة ، وكرس الميرون ثلاثين مرة ، وشاد كنائس ومعابد تفوق العشرين عددًا اخصها في ديار بكر والقدس وبيت لحم وحمص وحماه وخربوط وطور عبدين ، ورمم دير مار بهنام بجوار الموصل ووقف له العقارات ، وبنى دارًا فخمة للبطريركية في ماردين ، واستحصل جنسه كنيسة للطائفة في رومة وغيرها في باريس . واسس المطابع في الشرفة وفي بيروت ، ونشر الكتب التاريخية والطقسية ، وانشأ مجلة «الآثار الشرقية» وحاز مقامًا رفيعًا لدى الاحبار الرومانيين فصار معاونًا للاب الاقدس على العرش ومستشارًا في المجمع الشرقي (٢٩ تشرين الثاني ١٩١٧) وكان له القدح المعلى في نواله من الاب الاقدس اذاعة مار افرام السرياني ملفانًا للكنيسة الكاثوليكية جمعاء . وامتاز رحمه الله بعبادته لسيدتنا مريم العذراء فكان يتلو سبحتها كاملة كل يوم ويستغيث بها في المصائب وخاصة في الحرب العظمى . وان المقام لاضيق من ان نتوسع في تأبين الفقيد وحسبنا ان نروي شذرة من التحرير البابوي الذي خصه به بيوس الحادي عشر في ٢٠ ايلول ١٩٢٣ لخمس وعشرين سنة قضاها على السدة البطريركية فبلغ بها يوبيله الفضي .

« ان عواطف محبتنا نحو اخوتنا بالاسقفية تزداد طبعًا مع ازدياد اتصالهم بالكرسي الرسولي ؛ وانك لم تنفك ، في زمن من الازمنة ، تظهر ولاءك الوثيق المرى بشخص الذين سبقونا وبشخصنا ؛ ذلك الولاء الذي رضعته في حضن الام اي في المدينة التي ربيت في مدرستها فتىً منكبًا على العلوم ومحطة آمال الكنيسة الشرقية . لقد جاهدت كثيرًا بين ذويك في سبيل الكثلكة

ايام ادارتك المديدة ، وبذلت من الاتعاب اصلاحاً لما افسدته الحرب الاخيرة ، ما لا سبيل الى ذكره الآن بل حسبي التنويه بالاعمال التي اخذت على عاتقك القيام بها متعهداً بحكمة وصواب نشر الآثار السريانية القديمة واذاعة المؤلفات الطقسية والتاريخية مع التعليق عليها ؛ ومما زادها رونقاً في اعيننا اننا صرفنا همتنا الى اعمال مثلها قبل انصرافنا عنها الى ما هو فوقها سمواً.»

وقد اقيم للفقيد الجليل مأتم عظيم في القاهرة اولاً (١٣ ايار) ثم في بيروت (١٨ - ١٩) مشى فيه ممثلو السلطة الروحية والزمنية . وصدرت يوم وفاة البطريرك ٨ ايار برقية من رومة تعزي الطائفة السريانية . وتعين لها نائباً رسولياً مدة فراغ الكرسي السيد ديونيسيوس جبرائيل تبوني رئيس اساقفة حلب السرياني .

ومن اخبار رومة انه في ٢١ نيسان اقيمت حفلة الفاتيكان بحضور الحبر الاعظم تليت فيها المراسيم الخاصة باعلان دير غرميداس الخوري الارمني الشهيد طوباوياً .

انفكت قيود مدينة حمص بعد ازمة طالت اسابيع وتعهد رئيس البلدية بتسليم اللصوص السلطة اذا ما عادوا ودخلوا المدينة .

ومن اخبار البادية ان الامير نوري الشعلان تصالح مع زعماء القبائل .

في اواخر نيسان طغى نهر الفرات طغياناً لم يسبق له مثيل منذ ٦١ سنة . فانقطعت المواصلات بين العراق وسورية ولبنان وغمرت المياه اراضي الجزيرة بالقرب من دير الزور وجرفت بناياتها ، وخربت الطرق ، وارتفعت عن المعدل المعتاد ستة امتار وعشرين سنتيمتراً ، وبلغ عرض النهر في بعض الاماكن ٩ كيلومترات .

وهطلت الامطار في سائر الانحاء الشرقية من الفرات الى الاردن فانتعشت آمال الفلاحين وخاصة في البقاع حيث اقيمت اجتماعات رقص فيها الاهلون فرحاً في مناسبة خمس الدعة .

وان لم ينتك الجراد بالمزروعات فسوف تعوض هذه السنة كثيراً من خسارات البلاد الزراعية في السنين الاخيرة .

مما يجدر ذكره عن حركة التجارة والمهاجرة ان باخرة واحدة انكليزية نقلت ٢٦٠ سيارة وغيرها اميركية ٧٧ سيارة الى بيروت مع صناديق عديدة تحتوي قطعاً وآلات ومواد صناعية ويبلغ ثمن الجميع زهاء ٢٠٠ الف ليرة ذهبية . وعاد الى البلاد اللبنانية والسورية في خلال الاشهر الثلاثة الاولى من هذا العام ٩٨٦ شخصاً وسافر منها ١٤٤٥ ، ودخلها من الاجانب ٢٠٠٨ وغادرها ١٦٥٥ .

ما زالت علاقاتنا متوترة مع جيراننا الشماليين ولا تمضي اسابيع الا ويبلغنا خبر تلصص على الحدود السورية – التركية .

اخذت آمال الفلسطينيين تزداد يوماً عن يوم في بناء مرفأ حيفا وهم يشاهدون الاستعدادات المادية في ذلك السبيل .

ف . ت .

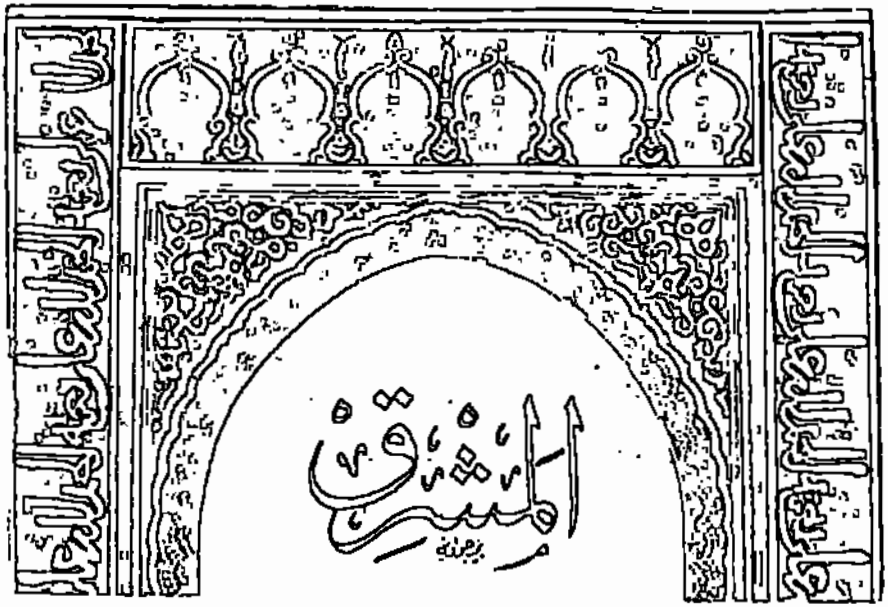

تموز ١٩٢٩

نفوذ السيد المسيح

في حياتنا الادبية

بقلم الاب مرمرجي الدومنيكي
من اساتذة المعهد الكتابي والاثري الفرنسي في القدس الشريف

قبل طرق باب هذا البحث ، نرى من اللائق ، لا بل من اللازم ان نحدّد الحياة الادبية . فما ادراك ما هي ؟ لكلمة الأدب او الآداب في اللغة العربية جملة معانٍ ، منها معنى حسن المعاملة والكياسة مع الناس ؛ ومنها دلالتها على مجموع نتاج القرائح في امة من الامم ، سوآء كان ذلك في باب النثر او النظم ؛ ومنها اطلاقها على الاخلاق . وهذا هو المعنى المراد من لفظ الادب او الآداب في ما نحن في صدده . فما الاخلاق ؟ الاخلاق عادات ، والعادات مَلَكات حاصلة فينا بتكرار الافعال ؛ والافعال نتاج القوى الانسانية . وطبقاً لهذه القوى ، تقسم الافعال الى انواع : منها الافعال البدنية ، ومنها الافعال

العقلية ؛ ومنها الافعال الارادية. ولهذه الافعال الارادية ميزة خاصة في الانسان ، دون بقية الخلائق ، وهي ميزة الحرية.

على ان لكل حياة غاية ونظاماً. واذ كانت حياتنا ، على اختلاف انواعها مفعولاً من مفاعيل قدرة الله الخالق الذي ، لحكمته السامية ، لا يصنع شيئاً عبثاً ، فقد عين سبحانه لحياتنا غاية ونظاماً. فغاية هذه الحياة هي الحياة الاخرى ؛ ونظام هـذه الحياة هو الشرائع والسنن المختلفة التي وضعها عزّ وجلّ لنبلغ ، باتباعنا اياها ، الى غايتنا المقصودة. واذا كان الامر كذلك ، وجب على المرء ان يطابق اعماله ، ومن ثمّ اخلاقه ، لاوامر الله ونواهيه. بيد انه اذ كان ، كما قلنا ، متصفاً بالحرية ، كان في امكانه ان يسير الى غايته عاملاً بهذه الشرائع الالهية او ان يحيد عن السبيل المؤدية اليها ، بمخالفته السنن المذكورة ؛ مما نجم عنه وجود الخير اي الائتمار باوامر الله ؛ ووجود الشرّ اي معاكسة ارادته القدوسة . ونجم ايضاً وجود حياة ادبية صالحة ، وحياة ادبية طالحة ؛ مما يمكننا معه ان نحدد الحياة الادبية بعبارة واحدة وهي انها حياة الاخلاق الفاضلة الدافعة صاحبها الى اتيان الاعمال الصالحة واجتناب الاعمال الشريرة ، بلوغاً الى الغاية المتوخاة من خلقه ووجوده في هذه الدنيا ، اي بالآخرة الخيّرة ، والتمتع بالسعادة الخالدة.

فاذا تقرر هذا كان في وسعنا الان ان نبحث عن نفوذ السيد المسيح في هذه الحياة الادبية اي الاخلاقية. ولكي يكون البحث مفيداً ، لننظر اولاً في ماهية هذا النفوذ ، ثم في نتائجه.

* * *

نفوذ السيد المسيح في حياتنا الادبية نفوذان : نفوذ خارجي ، وهو نفوذ المثال ؛ ونفوذ داخلي ، وهو نفوذ فاعلية النعمة.

اما في شان النفوذ الخارجي فنقول:

ان من اراد السير في سبيل الرقي والبلوغ الى الكمال ، في اي ميدان كان ، تحتم عليه ، بادئ بدء ، ان يتخذ له مثالاً ، هو الصورة العالية ، او

المثلى لحقيقة الكمال الراغب فيه . وطبقاً لهذه القاعدة ، نرى ان للفنّان مُثلى ، وللشاعر مُثلى ، وللخطيب مُثلى ، اي ان لكل امرئ ، عامل بعقل وحكمة ، مثلى . فمن ثمّ وجب ان يكون للمسيحي ايضاً مُثلى ، يسعى وراء تحقيقها في حياته الادبية . فما هي هذه الصورة المثلى ؟ هي صورة كل فضيلة وكمال ؛ هي صورة القداسة السامية ؛ هي صورة الاله المتأنس ؛ هي صورة ربنا يسوع المسيح . ان صورة المسيح لصُورةٌ طالما جدّ الاساتذة النوابغ في ان يرسموها على قماشهم ، او ان ينقشوها على رخامهم ، او ان يصفُّوها بفصاحتهم ، دون ان يتوصلوا الى ادراك مرغوبهم . على ان ما لم يستطع المصوّر تحقيقه على قماشه ، ولا النقاش على رخامه ، ولا الشاعر في قصائده ، ولا الخطيب في خطبه ، فمن دعوة المسيحي ان يسعى في ابرازه في شخصه ؛

اجل ! اننا نسمع المخلّص عينه يحرّضنا بقوله : « كونوا كاملين كما ان اباكم السماوي هو كامل » فكأنّنا به يقول : ايها المؤمنون ، عليكم ان تعتقدوا بكمال الله ؛ لكن ، ان اردتم ان تعرفوا ما هو كمال الله ، فايقنوا انه انا هو بذاتي . نعم انا صورة الآب وجوهره ؛ انا ضياء مجده ؛ انا الكمال الالهي الآتي اليكم بهيئة بشرية . فانا اذن الواجب عليكم ان تقتفوا آثاري ، ان رغبتم في الحصول على الكمال . هذا هو المثال الذي ينبغي لنا ان نحققه في حياتنا الادبية . فمن شاء الاقتداء بغيره ، يمكنه ان يصبح فيلسوفاً ، او شاعراً او فنّاناً ، او خطيباً ، حتى عبقرياً ؛ واما ان يكون مسيحياً ، فلا ، ثم لا . ان المسيحي اللائق به هذا الاسم هو الذي يطبع في نفسه رسم السيد المسيح ؛ هو الذي ينشئ من ذاته صورة المسيح ؛ فيضحي مسيحاً آخر . ان الكلمة صار جسداً وحلّ فينا . وقد عرض نفسه بشكل بشري ، ليكون مثالاً الهياً لنا . فانه متصل باللاهوت من جهة ، لانه اله حقّ ؛ وهو متعلق بالبشرية من جهة اخرى ، لانه انسان حقّ . فما اعظم صورة الاله المتأنس ، ما اجلّها ، ما اجملها ، ما اسطع بهاءها ! ولذا فقد شغفت بها الشعوب ، فاحبّتها ، واقتدت بها .

اجل ! ان وجه المسيح لهو كالشمس للناظر اليه ؛ لانه يهبه النور

والحرارة والحياة . وفضائل المسيح قد اذهلت العالم ، فجذبت اليه النفوس ، فاخضعتها طوعاً لسلطانه . لانه لاسمه السجود ، قد علّم الجهّال ، وقاد التائهين ، وارشد المتغافلين ، وعزّى الحزانى ، واشبع الجياع ، واروى العطاش ، وشفى المرضى ، واقام الموتى .

قد احبّ الصبيان وباركهم ؛ واشفق على الفقراء ، فدعاهم اليه ، فقبلهم في معشره ، فجالسهم ، فآنسهم ، فتواضع امامهم ، بل قل خدمهم .

التجأ اليه الخطأة ، فكان لهم كالملجأ الحصين ؛ اذ غفر لهم جرائمهم ، وحرّضهم على التوبة ، وعدم الرجوع الى سيّئ حياتهم السالفة .

اتخذ النفوس رعيةً له ؛ فسار بها ، كالراعي الصالح ، الى المناجع الخصبة ، والمناهل العذبة ؛ ووقاها من هجمات الذئاب الخاطفة . قد اضحى أباً واصبح الورى اسرته الكبرى ؛ فاقام أود اولاده الامناء ؛ متوقعاً ، بطول اناة ، عودة الشُطّر نادمين ، ليضمّهم الى صدره ، ويرجعهم الى بيته . زاد حنوّه على حنوّ الامّ الرؤوم ، الحاضنة اجالها كحضن الدجاجة فراخها تحت جناحيها .

عامل اصحابه معاملة الخلّ الممحض الوداد ، الغاضّ الطرف عن السيئات ، غير المقابل الخيانة الّا بانبساط الجنان وعذوبة اللسان . ولم يكن ليمسّ الّا بتوقّ القصبة المرضوضة ، خشية ان تنكسر ، والفتيلة المدخّنة ، لئلّا تنطفئ . وقد قضى سحابة عمره صانعاً المعروف ، مشرقاً شمسه على الاخيار والاشرار ، وممطراً على الابرار والظالمين . مما حمل ، ولا يزال يحمل الناظرين اليه والمشغوفين بحبّه ، على الهتاف قائلين :

هذا هو المثال الذي يخلق بنا ، بل يجب علينا الاقتداء به . وان لم يكن لنا مندوحة الى تحقيقه بكماله ، فلا اقلّ من ان نحقّق شيئاً منه . فمنهم من يتأثره في تواضعه ، ومنهم في محبته ؛ ومنهم في طاعته ؛ ومنهم في وداعته ، ومنهم في نقاوته ، ومنهم في تجرّده ، ومنهم في تفانيه ، ومنهم في تضحيته . الخلاصة ، يجهد كل منهم في طبع رسمه في نفسه ، بطريقة من الطرائق . وكلما اشتدّ انطباع صورة المسيح في قلوب المؤمنين ، ازدادت مسيحيّتهم ؛ وبازدياد مسيحيّتهم ، تنمو فضيلتهم وقداستهم وهكذا يظهر ان

الحياة الادبية هي حياة الفضيلة ؛ وان اوج الفضيلة هو القداسة ؛ وان كليهما لا يتمّ الّا بتقفّي آثار المخلّص الالهي . وهـذا هو نفوذ المسيح الخارجي في حياتنا الاخلاقية.

* * *

على ان نفوذ الرب لا يقف عند هذا الحدّ ، بل انه يؤثّر في حياتنا تأثيراً له فاعلية داخلية. لان المسيح ليس مثال حياتنا فقط ، بل حياة حياتنا الادبية. وهي ليست بمتوقفة على حياتنا الطبيعية البشرية ، بل هي قائمة في ما يضاف الى تلك من حياة اسمى ، تفوقها تفوّقاً عظيماً . وهذا ما يجعل المسيحي متميزاً عن غيره . لانه ، فضلاً عن الحياة البشرية ، يحيا حياةً فائقـة الطبيعة ، هي حياة المسيح فينا ؛ فالمسيح مركزها وروحها ومحرّكها . ممـا ينشأ عنه ان المسيحي يعيش في المسيح ، والمسيح يعيش فيه ، طبقاً لقول الرسول المصطفى: « ان الحياة لي هي المسيح.» وقوله الآخر: « انا حيّ ؛ لا انا ، بل انما المسيح حيّ فيّ». وان كنا جميعاً عائشين بحياة المسيح، فنحن اذن اخوة. وان كنا كثيرين ، فمع ذلك نحن واحد بالمسيح ؛ لانه هو الرابط الذي يربطنا ، فيوحّدنا.

ونتيجة حياة المسيح فينا هي انها تولّد في نفوسنا حساً يجدر بنا ان ندعوه الحسّ الخاصّ بالمسيحيين . لما هو مقرّر من ان كل حياة تنشئ في صاحبها حساً يطابق طبيعتها . وهذا الحسّ هو حسّ روحاني الهي ، هو حسّ الربّ الذي نوّه به الرسول المصطفى بقوله : « ليكن فيكم من الافكار والاخلاق ما هو للمسيح يسوع » وهو شعور يساعدنا على ادراك شرفنا الذي لا مثيل له ؛ ذاك الشرف الذي يلزمنا بالسعي وراء كل ما هو طاهر وسامٍ واهل بمقامنا ؛ ويثبت لنا اننا من أرومة وسلالة الهية ، هي سلالة القديسين ؛ ويوحي الينا واجبنـا العظيم ، واجب بذل الجهد في تحقيق الكمالات الالهيـة في شخصنا واعمالنا . ويولّد فينا الكراهية لكل شر ، والميل الى كل خير . ومن ذلك ينشأ في قلب المسيحي التوقان الى كل ما هو روحاني ، سماوي ، اي الى القداسة. اجل ان التوقان الى القداسة هو رغبة كل من يشعر في نفسه بنفوذ قدّوس القديسين؛ التوقان الى القداسة هو هيام الجنان ؛ هو اشتياق النفس ؛ هو اندفـاع كل

الحياة ؛ هو هتاف الانسان القائل : اني مسيحي ؛ وبهذه الصفة احوي في داخلي حياة المسيح . اني مسيحي ؛ ولذا فلا يمكنني ان انفصل عن المسيح . ولذا فهما كلّفني الأمر ، اني عازم ان أضحيَ فاضلًا صالحًا قديسًا . وكما ان النبات مفتقر الى الندى ، والزهر الى الشمس ، والصدر الى الهواء ، فالمسيحي مفتقر الى حياة المسيح فيه . وهذا ما يفهمنا ان الثمرة الناشئة عن هذه الحياة هي ثمرة الفضيلة ، هي ثمرة القداسة . واينما القي بذرها ، سواء اكان في فرد ، ام عائلة ، ام أمّة ، فهناك تنمو وتزهر وتزهو وتثمر . وهذا نموّ المسيحية الحقّة . لانه كلما ازداد المرء مسيحيةً ، ازداد فضيلةً وقداسة . ولذا فالانسان المدّعي امكان فصل حياته الاخلاقية عن حياته المسيحية يغشّ نفسه ويغشّ غيره . فمن اراد انماء مسيحيته ، فعليه بانماء الفضائل في اخلاقه . وهذا لا يحصل الّا بنفوذ المسيح الذي هو مثال حياتنا الادبية ، وحياتها ، ومحرّك قواها واعمالها .

* * *

ها قد وقفنا على حقيقة نفوذ المسيح في حياتنا الادبية ؛ فلنرَ الآن هل تحقق هذا النفوذ بالواقع . ويمكننا معرفة ذلك باطلاعنا على نتائجه في خلال تاريخ الدين المسيحي . فاننا اذا استنبأنا هذا التاريخ ، وجدنا فيه شاهدًا جليًا ان ديننا القويم انشأ بين البشر ، في كل زمان ، وكل مكان ، وبفعل قوته الذاتية ، جماعات فجماعات من الافاضل والقديسين . وما تأريخ النصرانية الحقة سوى تاريخ السيد المسيح ناميًا ، زاهرًا على كرور الاحقاب ، مظهرًا قوته ونفوذه ، ببواهر القداسة المتلألئة انوارها في جنوده المسيحيين ، وابطال الحياة الادبية . مما يسوغ لنا القول معه ان القداسة ، التي هي الفضيلة بالغةً حدّ البطولة ، مزيّة خاصة بالدين المسيحي دون غيره .

اجل ان العالم القديم قد امتاز بعظائم ومفاخر ليس من شأننا انكارها . فقد نبغ فيه شعراء فحول ، وادباء فضلاء ، وخطباء فصحاء ، وكتّاب بلغاء ، وفنّانون فنّانون ، وفلاسفة جهابذة ، ومشترعون محنكون ، وقوّاد عظام ، وابطال مشاهير ، لا يزال نور عبقريتهم ساطعًا في فلك تأريخ البشرية . الّا

ان طبقةً من الانام ، فريدةً في جنسها ، قد خلا منها المجتمع القديم ، الا وهي طبقة القدّيسين . اننا لا نجهل ان الوثنية قد اصمدت على الهياكل رجالًا كلّلتهم امام الجمهور باكاليل سماوية . لكن هؤلاء الرجال لم يتسنموا ذروة هذه الامجاد الا بفضل القوة والبطش ، لا بل بفضل الجرائم والقبائح ، اي بكل داعٍ ما خلا داعي القداسة . ولم يكن هؤلاء انصاف الآلهة المتبوّؤون العروش في الهياكل الوثنيّة يشخّصون الانسان مرتفعاً نحو الألوهية ، بفضل كمالاته ؛ بل كانوا يمثّلون الألوهية هابطة الى درجة الانسان ، بفضل الانحطاط والمذلّة . وغني عن التبيان ان ذلك لم يكن مجلبةَ مجدٍ وفخر للبشرية ، بل مدعاة خزي وعار للالوهية .

هذه كانت حالة العالم القديم المحتاط بشعرائه وخطبائه ومشترعيه وابطاله وسائر كبار رجاله . وبينما هو على تلك الحال ، اذ ظهر فجأةً حادث اذهل ، منذ نشأته ، ذاك العالم الذي ، مع كل ما افتخر به من المجد والسؤدد ، لم يكن الا نازلًا في دركات الفساد . فما يا ترى قد جرى ؟ الذي جرى هو ان الدين المسيحي قد ظهر وانتشر . وقد تجلت فيه منذ فجره خاصّته الفارقة ، اي تجلت فيه حياة مؤسّسه الالهي في شخص اتباعه ؛ فاثبتت الوهيته بالفضائل الفائقة الطبيعة ، اي بالقداسة . وبالحق ان رسل المسيح وتلاميذهم لم يمتازوا بما أوتوه من صُنع العجائب وحسب ، بل قد كانت مزيتهم الفضيلة السامية . هذا السموّ حتى ان جميع المؤمنين ، في تلك الحقبة ، كانوا يُدعَون قديسين . وبعد الرسل ومعاصريهم ، قام في الكنيسة ، مدة القرون الاولى ، زمرٌ في زمرٍ من الاولياء وابطال الفضيلة ؛ فضلًا عن الوف في الوف من الشهداء الذين بلغت منهم القداسة الى اقصى حدّها ، اي الى سفك دمهم من اجل ايمانهم . وفي هذه الحقبة القديمة ، قد سطعت في سماء البيعة الشرقية والغربية شمس آبائنا القديسين الذين اضحوا جهابذة في العلوم ، وفرساناً يواسل في مضمار الذبّ عن حياض الدين ، وابطالًا في الفضيلة . نجتزئ بذكر اشهرهم :

اغناطيوس النوراني ، اكليمنضس الروماني ، پليكربس ، ايريناوس ، اثناسيوس ، باسيليوس ، غريغوريوس ، قورلس ، ايرونيموس ، امبروسيوس ،

اوغسطينوس ، يوحنا فم الذهب ، افرام السرياني .

ولا تظن ان القداسة كانت مقتصرة على زمن نشأة الدين والقرون الاولى بل ان مجراها لم ينقطع قط في طبقات المؤمنين ، على مرور السنين ، وتوالي العصور لاننا اذ انتقلنا من الاجيال القديمة الى القرون الوسطى ، رأينا القداسة في خلالها سائرة باطراد ، ونامية بازدهار عجيب . اجل قد تلألأت القداسة في تلك العصور التي لا يزال ينعتها بعض المتشدقين من اهل عصرنا بالعصور المظلمة ، اي عصور التقهقر والبربرة . اذ اننا نرى فوق تلك القمم العالية التي يطيب فه ان يرفع اليها القديسين ليرسلوا منها انوارهم الى اقاصي المعمورة ؛ اجل هناك نرى ، متشحين بجلباب القداسة ، اشخاصاً ذوي عظمة مذهلة ، منهم برنردوس ، انسلموس ، دومنكس ، فرنسيس الاسيسي ، توما الاكويني الملفان الملاكي ، بونونتورا الملفان السرافي ، البرتس الكبير ، لويس ملك فرنسة ، منصور الفراري ، كترينة السيانية .

وبينما نشاهد هؤلاء الجبابرة ، جبابرة الفضائل وامثالهم كثيرين يشرقون على العالم شمس الفضيلة والقداسة ، نرى الوفاً والوفاً من الرجال والنساء يحققون هذه القداسة في اشخاصهم وان كان بدرجة اوطأ . كل ذلك لان روح الفضيلة المسيحية كان يرفرف فوق تلك العصور المضطربة بشعوبها المشتبكة ، كما كان روح الله يرفرف على المياه في بدء الخليقة .

واذا خامرك الشك بعد هذا ، في فاعلية نفوذ المسيح في الحياة الاخلاقية ، فالق معنا نظرة على الاعصر الاخيرة . لاحظ ذاك القرن الذي جرى فيه الاضطراب الهائل ، قرن الاحتجاج الذي قلب العالم الديني ، وهيأ الانقلاب السياسي ؛ ذاك القرن السادس عشر الذي لقب فيه اولاد الكنيسة المردة اسم بلقب بابل الثانية . ففي هذا العصر وما يليه قد سطعت ، كما في القرون الخوالي ، انوار القداسة . اذ فيه اشتهر قديسون وقديسات ، من مثل تريزية الكبيرة ، يوحنا الصليبي ، اغناطيوس لويولا ، فرنسيس كسافاريوس ، فرنسيس السالي ، منصور دي پول ، فيلبس نيري ، وغيرهم كثيرون .

فالتاريخ اذن شاهد ان الكنيسة لم تخلُ من القداسة على تعاقب القرون ،

واختلاف الازمان ، وتقلّب الاحوال. وعصرنا هذا الحاضر ، هذا العصر الذي قد اعترته امراض ادبية متنوّعة ، او تتصور انه معدم من القداسة ؟ كلا ، اذ في عصرنا هذا قد ظهر قديسون عديدون نرى في مقدمتهم خوري آرس قدوة الكهنة وشفيعهم ، وبُنوّا لأبر صاحب القداسة المذهلة ؛ وغير بعيد عنا ، لا بل في ايامنا الحاضرة ، قد عاشت تلك الزهرة النقية ، زهرة الكرمل ، تريزية الصغيرة ، التي لا تزال من علو السماء تمطر العجائب والبواهر على الارض. وهل تمر سنة دون ان يرفع فيها الحبر الاعظم عدة افاضل على هياكل الكنيسة ليمجدهم المؤمنون ، ويقتدوا بفضائلهم . وهذا شرقنا العزيز ، بعد ان كان مبعث القداسة ، لأن فيه ظهر الرب القدوس ؛ وبعد ان اشتهر فيه مئات والوف من النساك والمتوحدين القديسين ، ومن الشهداء والملافنة المعترفين ، لم يخلُ حتى في ايامنا هذه ، مع قلة المسيحيين فيه ، من رجال ونساء ، نالوا نعمة الاستشهاد ، او بلغوا ذروة القداسة.

* * *

على ان هناك من الناس ، حتى بين المسيحيين ، من يقولون: اين هم القديسون؟ ألا ارونا القدّيسين ، فاننا لم نصادفهم! فلمثل هؤلاء يحقّ لنا ان نجيب قائلين: اجل ! يا قوم ، انكم لم تلاقوا القديسين ، وهذا لربما كان لتعس حظكم. ان لم تلتقوا بالقديسين ، فهل يا ترى بحثتم عنهم ؟ وفي اي طريق ؟ انكم سائرون في طريق الامجاد الباطلة ، والاطماع الممقوتة ، والغنى والثروة والارباح المحرمة ، والافراح والملذات الذميمة ، ولعلكم سائرون في سبيل الخلاعة. فلا عجب ان كنتم لا تصادفون القديسين ؛ لانه شتان بين طريقكم وطريق القديسين . لكن ولّوا وجهكم شطر الفضيلة : من مثل التفاني والكفران بالذات ، والتقشف والاماتة والصبر والوداعة . الخلاصة اتجهوا الى طريق الصليب والجلجلة ، فهناك ترون ما يعجب ويدهش ، هناك ترون القداسة زاهرة بين جميع الصفوف والحالات ، بين الافراد والجماعات ، في العائلات والجمعيات ، بين العلمانيين والكهنة والرهبان والراهبات. هناك تشاهدون اناساً يزهدون في المال والعيال ، ليخصصوا ذاتهم لخدمة الله وعبادته . منهم من ينسون ارومتهم وكرم محتدهم ،

فيتصاغرون متنازلين الى مداراة الضعفاء والسقماء . منهم شبان وشابات ، من مصافّ الرهبان والراهبات ، يضحّون بحب الاوطان ، والاهل والخلان ، فيظعنون الى الاصقاع النائيـة ليتزلوا ميدان حرب هي حرب الفضيلة ، هي حرب المحبة والرحمة ، هي حرب القداسة . هناك تلاحظون اناساً ، قاضين سحابة عمرهم ، في تربية الصغار ، وايواء الايتـام ، وتعليم الجهال ، واصلاح المغرورين ، وهداية الضالين . هناك ترون عيوناً تدمع ذارفة العبرات السخينة على كل نوع من انواع الآلام . هناك تجدون ايدياً ذات نقاء من جهة تهزّ الاطفال في المهود ، ومن جهة اخرى تعين الشيوخ والعجائز ؛ ثم تغسل الجروح النتنة ، وتضمد الكلوم المؤلمة . هناك ترون صدوراً نحيفة تستنشق الروائح الفاسدة في المستشفيات والمـلاجئ والدور الحقيرة . ومـا هو افضل من كل هذا ، وما هو روح كل هذه ايات الفضيلة ، انكم تجدون هنـاك نزاهة وتجرداً بالغاً اقصى حده ، واهتماماً برقة دونها رقة الأم الرأوم ؛ ممـا لا يتمالك المرء بازائه ان يقف حائراً ، ويهتف صارخاً : ان هذا الحادث غريب ؛ ان هـذا المشهد عجيب ، لم تألفه البشرية في القديم .

اجل ان هذا الحادث لغريب ! وهذا المشهد لعجيب ! لانها حادث ومشهد الدين المسيحي الذي كان في نشأته ولم يزل ، على كرور الايام ، وتعاقب الاعوام والعصور ، دين الاعمـال المذهلة ، دين الفضيلة المثلى ، دين القداسة السامية ، دين الرجال العظام ، دين الابطال البواسل ، اي دين الاولياء القديسين . وما ذلك الا من تأثير ونفوذ مؤسسه الالهي ربنا يسوع الذي هو مثال القداسة ، مؤتي القداسة ، مركز القداسة ، رب القداسة ؛ وهو باكورة القديسين ، زعيم القديسين ، رب القديسين ، قدوس القديسين . له المجد والحمد في كل آن والى دهر الدهور ، آمين !

العائلة اللبنانية

محاضرة القاها في نادي الشبيبة الكاثوليكية

حضرة الشيخ سليم الدحداح

١

يلذُّ لكل خطيب كاتب ان يبحث في هذا الموضوع ؛ لانه ، اذا كان من خدَمَة الدين او ديناً ممارساً ، يجد في العائلة مهد الكنيسة الذي يتربّى فيه اعضاؤها ؛ فهي بنموّ العائلة تنمو ، ولها على العائلة حنوّ وبها عناية لا يذكر بجانبها حنوّ الامهات على بنيهنّ ولا عنايتهنّ بهم . ففي العائلة آمالها ومستقبلها .

وسواء كان الخطيب كاتباً اجتماعياً ، او سياسياً ، او شاعراً ، فانه يجد في العائلة نواة المجتمع الانساني وقوّته الاساسية التي يتوقف نموّ المجتمع الادبي ، وازدهاره الاجتماعي والاقتصادي ، على مبلغ تهذيبها ، ومقدار ازدهارها في الآداب والاقتصاديات . في العائلة الحجر الاساسي الاول لسياسة الخطيب ؛ فهو يعتقد — واعتقاده في محله — ان المبادي السياسية لا ترسخ في البلاد ، والحياة القومية لا يقوم لها كيان ، الّا اذا تربّى الناس منذ الصغر على مبادئ قومية راهنة ترتبط بوحدة وطنية . ويجد الشاعر في العائلة مجالاً واسعاً للعواطف والتخيلات : ففيها يجد الطفل الذين يسترق القلوب ، والفتاة العذراء التي تعلّم السحر الحلال ، والوالد الذي تتمثل به السلطة في مهدها ، والام التي تتكوّن العواطف على صدرها ، والشيخ الذي يلقي بشيخوخته امثولة الاختبار والوقار والمهابة .

فالعائلة اذاً مجموعة الدين والادب والعواطف والآمال . فما اشهى التحدث عن العائلة اللبنانية الى شبّان لبنان اليوم ، ورجاله في الغد ، الذين سيكونون آباء عائلات البلاد !

ما اشهى التحدث عن العائلة اللبنانية اليكم يا شبان لبنان ، وآمال حياته الدينية والادبية والاجتماعية والسياسية.

انما يصعب عليّ ، وعلى غيري ، وعلى من كان اشدّ مهارة واختبارًا ، ان يوفي هذا الموضوع حقه. لان الحياة العائلية في لبنان — والذي اقصده بكلمة لبنان انما هو القسم الجبلي منه — لا ترتبط برابطة الوحدة الوطنية في حياتها الداخلية ، بل هي مرتبطة برابطة الدين . فالقومية عندنا للدين ، وبتعدّد الاديان والمذاهب تتعدّد العائلة في لبنان . وقد كانت الشعوب القديمة تقوم بدينها فكان تاريخ الفرد ، وتاريخ المجموع ، لا ينفصل عن تاريخ الدين . ثم اخذت تتقلّب الايام ، وتتطوّر مدنية الامم ، الى ان استقلّ تاريخ الفرد وتاريخ المجموع عن تاريخ المعتقد الديني ؛ واصبح للسياسة تاريخها ، وللاقتصاد والاجتماع والآداب تاريخها . نعم لم يخلُ الامر من بعض العلاقة الدينية ، انما هذه العلاقة لم تعد تؤثر في الحياة السياسية والاجتماعية تأثيرًا جوهريًا . فهذا الانفصال سبقتنا اليه الامم الغربية من اوربية واميركية ، وهو ظاهر في تاريخها ، خصوصًا في الازمنة الحديثة.

اما شعوبنا الشرقية فقد كانت الى عهد قريب شعوب تقاليد لا تتحوّل عنها بالهيّن . ومن هذه التقاليد العادات التي كانت ولم تزل تحجب العائلة ، في الطبقة العالية من الشعوب الغير المسيحية ، عن الاختلاط بسائر الشعب . فهي مقيّدة بعوائد وتقاليد ليس من شأني سوى احترامها . انما لا شكّ بان الايام ستتكفل بتعديلها وتغييرها ، شأنها في كافة العوائد والاقطار والاقوام.

قلت ان الحجاب منع عائلات الطبقة العالية من ابناء تلك الطوائف عن الاختلاط . اما ابناء الشعب ، اي عامة سكان القرى والفلاحين ، فلا يختلفون ولا تختلف عائلاتهم بعوائدها عن عائلات المسيحيين.

لهذا فان كلامي سيتناول العائلة المسيحية في جبل لبنان (وفيه كثير مما ينطبق تمام الانطباق على العائلة السنية او الدرزية من عامة الشعب) فابيّن باسهاب كيف كانت قبل النصف الاول من القرن السابق ، واوجز فيما صارت اليه بعد ذلك.

قلت ان الدين في الشرق يمتزج مع القومية ، فالذي يدافع عن قوميته يدافع عن دينه ، وكذلك العكس . الرجل مفطور على الدين والدفاع عن الدين ، والدفاع عن القومية ، والدفاع عن الحياة ؛ وعلى حب الحياة فُطر ، وفطرته هذه اعرق من فطرته على حب الدين ، حتى لقد نجد من لا يدين ، او من يرفض أن يجاري عاطفة الدين الكامنة في قلبه ؛ انما لا نجد من لا يحب الحياة ولا يستميت في سبيل المحافظة عليها . ولا غرو فالحياة تفتدى بالحياة ! لذلك لمّا اشتدّ الاضطهاد على المسيحي في السهول الخصيبة ، ترك الارض التي تدرُّ لبناً وعسلاً ، وفرّ بتقاليده يحملها في اخلاقه وعاداته الى حيث لا يزاحمه الّا النسر والاسد ، الى مغاور الجبل وكهوفه ، الى صخور لبنان المتينة ، الى غاباته الكثيفة . فاعتصم بها يذود عما ورثه عن الآباء والجدود من تقاليد دينية هي عقائد موحاة واوضاع كنسية تتعلّق بها ولا تنفصم عنها . وقد كان لها عنده ، وهو يرتع في بحبوحة الارض المخصبة من حلب الى دمشق ، منزلة عالية وقيمة غالية . فكيف به ، وقد خسر لاجل المحافظة عليها الحياة الغنية وبسطة العيش وسعة الرزق وسكينة الحياة بين الناس ! لقد صار لها في عينيه قيمة مضاعفة ، وما كان يفديه في مدى العمر بحياته ، اصبح يفديه كل ساعة بحياته . فصار عيشه استشهاداً دائماً ، وموتاً متواصلاً ، وصار لديه حلواً وشهياً لذيذاً .

وكأني باللبناني ، جدّنا الاول ، وقد هُوجم في ماله ودينه ، في عاداته وتقاليده ، في اعزّ ما لديه في الحياة . فترك العزيز من حطام الدنيا ، وتمسك بالاعز مما لا يفنى في هذه الفانية ، بل يبقى خالداً لكونه على صلة بالسماء . ونجا بنفسه الى كهوف لبنان واوديته ، فعقد مع صخور هذه الجبال الشمّ عهداً على ان يكون في تقاليده الادبية والدينية ثابتاً راسخاً مثلها ، يردّد عليها كلمة لها صداها في عالم الحكمة والبطولة : « الارض المخصبة التي تركتها كانت تتقلب بين القحط والخصب ، فلا تثبت على حال ولا هي كانت مطابقة لثباتي في معتقدي وفي تقاليدي المقدسة . لذلك لم ارَ بدّاً من الاعتصام بك ، ايتها الصخور ، لاني اجد وجهاً للشبه بين رسوخك في هذه الاطواد الثابتة وبين الحقائق الابدية التي اتمسك بها واعيش لها ، واموت في سبيلها . »

وتعاقبت الايام وتوالت الاعوام ، فاذا باولئك اللاجئين الى صخور لبنان محافظةً على دينهم واستقلالهم ، وقد صاروا عائلات على روابيه وفي اوديته وعند سفوحه . ثم صاروا مزارع وقرى وقصبات . ثم صاروا مدناً . ثم صاروا امةً لها تاريخها ومجدها . فاضافوا الى تقاليدهم الماضية تقليداً جديداً وهو انهم ارتضوا بشظف العيش ، وعيشة المشقة ، وموت الحياة الدنيا ، لاجل سلامة تقاليدهم المسيحية . فكان كل واحد منهم بالتجائه الى لبنان يعيش على اطواده وفي بطون اوديته ، يكتفي بمناعته ويفاخر بوعورة مسالكه ، كالجندي اللاجئ الى حصن حصين يفرح به لانه حماه وحمى ولده من عوادي الايام .

فمن تكلفه تقاليده الدينية ما كلّفت اللبناني المسيحي ، لا يُستغرب منه شدة حرصه عليها وعنايته بها ، بل يُستغرب منه ان لا يكون كذلك !

* * *

كان الرجل رأس المرأة في العائلة ، ومن ثمّ رأس العائلة كلها ، وفقاً لما نصّت التعاليم الدينية . وكان الرجل يعتبر المرأة عضواً من اعضائه ويكرّمها كما يكرّم ذاته ، ولا يستطيع ان يفرقها عن ذاته ؛ لانه كان راسخاً عنده راهناً لديه انها منه ، وانها كلها له ، كما هو كله لها .

هذا كان شأن الرجل في العائلة القروية الوضيعة ، وفي العائلة الحاكمة ، وفي العائلة الوجيهة ، لا فرق في ذلك بين الشيخ والوجيه والفلاح . وتلك السلطة في العائلة كان لها صداها في المجتمع المدني ؛ فكانت سلطة الشيخ حاكم القرية او المقاطعة سلطة الوالد في عائلته ، فكان الجميع يهابونه ويحترمونه ويأتمرون بامره . وكانت هذه السلطة اكبر واعمّ في الكنيسة وخدمتها اذ كان الكاهن في الرعية الحكم المطلق اليه يرجع الشعب في الامور كلها ، وسلطته لا اعتراض عليها ولا مردّ لها . وكان اعتقاد القوم في صدق الكاهن عظيماً ، حتى ان غاية التأكيد كان القول بان « ذلك الخبر سمعته من فم كاهن . »

وكذلك كانت حالة المنطقة او المقاطعة تجاه الامير حاكم البلاد . فقد كانت

البلاد عائلةً كبيرة تأتمر بامر الامير ، وتلتف حواليه ، وتقدّس اشارته ، ولا تنتقض عليه من ذاتها مطلقاً.

وكان لالتفاف العائلة حول رأسها صورة في اجتماع العائلات حول حاكمها في القرية الواحدة. فانك ترى القرى القديمة مبنية رصفاً، البيت لصق البيت ، وجميع البيوت ملتفة حول دار الشيخ او دار الحاكم او دار الوجيه.

ولم تكن العائلة ، بمجموعها ولا بافرادها ، ترى في وجوب الخضوع للحاكم او في اعتبار وجيه القرية الاعتبار العميق الحقيقي والانقياد له ، امراً غريباً ؛ لانها الفت تلك المعيشة في حضن العائلة منذ تنفتح عين الواحد منها على النور.

هذه ميّزة من ميزات العائلة الجبلية في الماضي. وكان لها ميزات اخرى عديدة تشترك فيها عائلات سائر طبقات الامة . ومن تلك الميزات العمومية المشتركة قناعة كل عائلة ، وكل فرد منها ، بالمركز الاجتماعي الذي يشغله فلا تطمح نفسه الى غيره ، بل الى تحسينه. كانت هذه القناعة في الزواج ، وفي المعاملات، وفي انواع الاكل واللباس الى حدّ انه لم يكن يخطر في بال القروي ، لو وجد كنزاً وصار غنياً ، ان يغير نوع معيشته في داخل بيته ، ولا ان يطمح بانظاره الى العائلات الكريمة العريقة في القدم ، ليصاهرها ، او يقتدي بها في انواع المعيشة العائلية والاجتماعية ، الّا في النادر الشاذّ الذي لا يقاس عليه.

وكان من عادات العائلات وتقاليدها الاجتماعية ، عريقة كانت ام قروية وضيعة ، ان الشاب لا يسعى بنفسه بالزواج ، ولا الفتاة لذاتها. بل كان قياد امور الشاب والفتاة بامر الزواج في يد الوالدين وكبار العائلة . فكانوا يعقدون مجلساً ويتشاورون في امر زواج ابنهم عند بلوغه السن المرافق.

واذا حدث ان احد الشبان «الاجانب» عن العائلة ، اي الذين لم تسبق العادة بمصاهرة عائلتهم ، طلب يد فتاة منها. فكان «الاختيارية» يستشيرون اباء شبّان العائلة فيما اذا كانوا يمتنعون عن خطب تلك الفتاة لاحد ابنائهم ، حتى لا تتغرّب الابنة. ومتى امتنعت العائلة زُوّجت الفتاة الى الخارج.

فكان الشاب يتكل في زواجه على عقل والديه وكبار عائلته المحافظين على التقاليد والعادات ، اكثر من اتكاله على عواطف الشباب التي قد يكون

مصدرها الحسن الخارجي والمعرفة السطحية . نعم انه كان في هـذه الطريقة للزواج نواقص . ولكن الزواج كان سعيداً ، لان رأس العائلة وكبارها كانوا يحكمون في اختيارهم العقل والاختبار ، وينظرون الى امكان اتفاق اخلاق الشاب مع اخلاق الفتاة ، وغير ذلك من الامور التي يكونون خبروها ، ولا قبل للشاب والشابـة ان يعرفاها قبل ان يجوز بها العمر الطويل . فكان اذا طلب شاب الى والده ان يخطب له فتاة «استروقها» ولم تحسن في عيني الوالد ، اجابه هذا: «طبّ الجرّة عاتمها تطلع البنت متل امها» يشير بذلك الى عدم موافقة هذه الفتاة ، وانه عرف في امها اخلاقاً لا تتفق مع اخلاق العائلة.

لذلك كان الزواج مقدساً محترماً قلّ مـا يقع فيه اختلاف ، او يحدث خصام ودعاوى. وكانت تظلّ عائلات البنين عائشة مع عائلة الاب دون نزاع ، لانه لم يكن يخطر على بال الوالدين وكبار العـائلة ان يزوّجوا ابنة بشاب يختلفان تمام الاختلاف في العمر والعوائد والاخلاق والتربية ، ولا ان يزوّجوا ربية البيوت الكريمة بحديث النعمة.

فكانت ترف ابنة الشيخ الى ابن الشيخ ، وابنة الفلّاح الى ابن الفلّاح . وعندما تنتقل الابنة من بيت ابيها الى بيت زوجها لا تحسب في ذلك فرقاً بيناً بين معيشتها في البيتين ، فتظلّ الالفة ممتلكة على القلوب والعقول.

ومن ميزات عائلة الجيل ان الشاب ما كان يُترك بدون زواج بعد بلوغه سن العشرين ، وكذلك الفتاة. ولهذا لم تكن تفسد اخلاق الشاب ، ولا يمس في دينه وآدابه. وقلما كان يتعلق زواجه على المال ، فكان الشاب يتزوّج بين العشرين والخامسة والعشرين ممن هي تقاربه سناً . ويقيم معها في بيت واحد ، مع والديه واخوته واخواته ، الى ان يرزقه الله بنين وبنـات ، والوئام يظلّ سائداً على تلك العائلة اية سيادة.

نحن لا نتمنى ان يعود الماضي جميعه الينا ، ولا ان نعود الى جميع ما كان فيه. فاننا مسرورون برقيّنا العصري . وانمـا لسنا لنرضى عن جميع ما في هذا العصر ، ولسنا لننسى ما كان يزين عائلتنا اللبنانية من المحاسن والمفـاخر التي فقدت كثيراً منها دون ان تستعيض عنها بالافضل. (للبحث صلة)

الغرائب النفسية

بازاء الروحانية الزائفة والروحانية الحقة

بحث انتقادي فلسفي

للاب شرل ايلا اليسوعي

٢

تعليل ما يروى عن مناجاة الارواح

الاسباب الخارجة عن الطبيعة

واذا كان في اعمال السبيريتسم ما لا يستطاع تعليله طبيعياً فلا بدّ ، كما بيّن الابوان مونجسان ومنسى [1] ، من نسبته الى الارواح ولكن ليس الى ارواح الاموات ، على ما يزعم اهل الروحانية الزائفة ، بل الى الارواح الشريرة ، اي الابالسة والشياطين.

اجل لا نكير انّ في استطاعة الارواح ان يناجوا الاحياء بسماح من الله. وفي تاريخ الكنيسة ، وسير القديسين ، ادلة واقعية راهنة تثبت هذه الحقيقة. ولكن شتّان ما بين الثريا والثرى ، وشتّان ما بين الوقائع هذه وتلك التي ينسبها اهل السبيريتسم الى ارواحهم الموهومة . ولا يقبل العقل ان يترك الله ارواح الموتى ، بارّةً كانت ام هالكة ، العوبةً في ايدي البشر ، يُصعدونها أنّى شاؤوا ، بطرق صبيانية بل بعض الاحيان خلاعية ، ويلقون عليها اسئلة باطلة فضولية ، فتجيبهم غالباً بما يخجل اسخفَ العقول من الاحياء ان يبطنه او يفوه به . فقد زعم الوسطاء انهم استحضروا اغوسطينوس ، وجان دارك ، وغليليو وغيرهم ممن امسوا ، بالخرافات التي يعزوها اليهم مناجو ارواحهم ، بلهاً حقاً ، بعد ان كانوا طيلة حياتهم على الارض زينة البشرية وفخرها برزانتهم وحكمتهم وعبقريّتهم . ولقد صدق الدكتور ستانلي هول ، رئيس جامعة

---

١) ص ٢٩٠ و ٣٥٥ — ٣٥٨

كلارك اذ قال[1] : « ان تبشير السر اوليفر لودج بمذهب مناجاة الارواح احتقار للعلم (*affront to science*) » وان حياة الارواح حسبما ادعاه « تشبه حياة ضعاف العقول في البيمارستان. »

كذلك لا ينبغي ان ندخل الابالسة في كل امر. بل لا مشاحة ان تدخلهم فيما بين البشر ، على سبيل خارج عن النواميس الطبيعية ، قد خفّ وندر منذ مجيء الربّ المخلّص. ولكن اي صعوبة في ان يسمح الله لاسباب له ان يعرفها ويستصوبها ، بان يأتوا اعمالًا تعجز عنها الطبيعة المنظورة ؟

هذا ما تُثبته ، فضلًا عن الايمان ، « الطريقة التجريبية » عينها التي لها الشأن الخطير لدى « المقتطف » حتى تكاد تكون قاعدة معتقد اصحابه الوحيدة[2]. فان كان الانجيل الطاهر سفرًا منزلًا ، يجب علينا ان نؤمن بمضمونه لانه وحيٌ من الحقّ سبحانه وتعالى ، فهو ايضاً ، حتى في نظر العقل المجرَّد ، تاريخ صادق ، قلّما شهد النقد التاريخي النزيه لغيره بما شهد له[3] . فان ثبت ما جاء فيه ثبت ايضاً وجود الشياطين ومزاولتهم اعمالًا تخرج عن نواميس الطبيعة المنظورة . ولا سبيل الى انكار ذلك الّا على وجه من اثنين . فإما تُنفى تاريخية الانجيل واذ ذاك قل السلام على « الطريقة التجريبية » التي ليس النقد التاريخي سوى فرع منها . واما تُقرّ تاريخية الانجيل وتُنكر صحة ما جاء فيه من الحوادث الخارقة الطبيعة لأنها خارقة الطبيعة ، فهي اذًا محالة . فلا يبقى عندئذٍ مجالٌ للشكّ انّ « النظر المحض المبني على الحدس » ، الذي يُعبّر به الدكتور صرّوف (ص ١١٥) ذوي الروحانية الحقة وذوي الايمان ، يتغلّب ايضاً على ذوي « الطريقة التجريبية » فيهدم ما بناه الاختبار والامتحان.

ومن الغريب ان الدكتور صروف لم ينتقِ (ص ٢١٠) في الكتاب المقدس سوى مثل عرّافة عين دور[4] ، الذي فيه من الغموض ما لا يخفى. ولو

١) ذُكر في «رسائل الارواح» ص ١٥٧ ٢) راجع مقدمة رسائل الارواح ص ٦
٣) راجع ابحاث المرحوم الاب انطون رباط اليسوعي في الانجيل الشريف — المشرق (١٤ [١٩١١] ٢٤١، ٢٢٢، ٤١٢، ٥٩٤، ٢٦٣، ٨٢٩، ٩١٠)
٤) سفر الملوك الاول : ٢٨

طالع ، لا اقول في الاصل ، ولكن لدى احد الثقات من المفسرين الحديثين ، ازاء الآباء والشارحين واللاهوتيين في هذا الموضع الكتابي[1] ، لما ارسل جزافاً قوله (ص ٢١١): « ان اقلّ المفسرين ميلاً الى التأويل قالوا ان ظهور صموئيل كان باعجوبة خصوصية » بل تحقق ان فريقاً منهم ينسب ظهوره الى خدعة او انخداع من العرّافة.

الفرضية الاختبارية النفسية — الروحانية الحقة

يلوم الدكتور صرّوف (ص ٨٤) انصار السبريتيم على ادعائهم ان ظهور الارواح ومناجاتها من الادلّة القاطعة على خلود النفس ووجود عالم الارواح، وعلى اتهامهم من يخالفهم بانه منكر لوجود النفس جاحد للحقائق الدينية.

ولقد اصاب في اللوم. فسيان للروحانيّة الحقة ، صحّت مناجاة الارواح ام كذبت . فان صحّت جاءت تؤيد نتائج الفلسفة الحقة ، وتصريحات الايمان الكاثوليكي وكل الاديان في وجود روح الانسان وخلودها . وان كذبت فالروحانية بغنىً عنها بما يدعمها ، ليس من شواهد الوحي فحسب ، بل من الادلّة العقلية الراهنة القاطعة . فان كان هذا فعلامَ يشكّ صاحب « رسائل الارواح »بروحانية النفس وبخلودها ، على قدر ما يشكّ بترهات اهل السبريتيم ، إلّم نقل اكثر ؟ يُقرّ ، رحمه الله بخطورة الموضوع اذ يقول (ص ١٥٥) :

« انه من ام المواضيع . وهل من موضوع ام من موضوع نفس الانسان وما يحلّ بها بعد الموت ؟ ».

وايضاً (ص ١٨٠):

لمّا اعلنت البنتنك امبركان اعطا تعطي ٢٥٠٠ ريال للوسيط الذي يُثبت ثبوتاً ينفي كل ريب انه يستحضر روحاً من ارواح الموتى . . . . تلقّينا ذلك بالمسرّة لانه اذا استطاع احد ان يُثبتَ ذلك انجلت مسألة من اغمض المسائل.»

وكأني بالكاتب المرحوم ، بازاء هذه المسألة لايقف وقفة الناظر غير المكترث بل يردّد صدى قول الربّ في الانجيل(متى ١٦: ٢٦) : « ماذا ينفع الانسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه ام ماذا يُعطي الانسان فداء عن نفسه ؟ » فيضطرب

١) راجع (Hummelauer, *Commentarius in Libros Samuelis, Parisiis,* *Lethielleux, p. 242 - 253*)

ويتوجس خوفاً ، ولاسيما عند شعوره بدنوّ الاجل المحتوم ويبحث بلهفة شديدة عما عسى يكون مآله النهائي ، اذ يقول (ص ١١٩) :

« اين تذهب بعد ما تموت ؟ او ليس لنا نفوس وكل ما فينا اجسام تتولد وتنمو ثم تموت وتنحلّ وترجع عناصرها الى الارض ؟ . . . هذه مسألة المسائل ومعضلة الفلاسفة . فما من احد بلغ الخمسين او الستين الّا وقف واستوقف وقال : الى اين نحن مسوقون ؟ . . . وما معنى هذا التعب وهذا الجهاد ؟ »

وايضاً (ص ٢١٠) :

« ان البحث عمّا وراء الحياة الدنيا ممّا تميل اليه النفس ولا سيما اذا لاح بياض الشيب في اللمم وقاربت شمس الحياة الى المغيب . »

ومن هذا كله ومن اغلب ما ورد في « رسائل الارواح » يتضح ان المنشئ المرحوم ، ان كان له بعض الامل في الحياة بعد الموت ، فهو يعلّقه على نتيجة البحث في مناجاة الارواح . وذلك بالرغم من انكاره لصحتها ، قلّما يكون نوعاً ، وبالرغم من لومه اتباعها على نسبة الكفر الى اعدائها ، كما مرّ بك .

اما تأكيدات الفلسفة الصادقة عن روحانية نفس الانسان فكأنه لا يحفل بها البتة . قال نقلاً عن مجلة السينتفك اميركان (ص ٢٢٦) :

ان في العالم نحو ١٥٠٠ مليون نسمة سيدركهم الموت عاجلاً او آجلاً لكنهم يهملون كل الجهل (!) مصيرهم بعده . . . فالحياة والموت لا يزالان سرّاً من الاسرار ولغزاً من الالغاز التي لم يفتح بها على مخلوق . » !!!

وقال من ذاته (ص ١٨٠) :

« مسألة (الروحانية والخلود) يُسلّم بها كثيرون بطريق الايمان والثقة بما جاء عنها في كتب الاديان ولا ينكرها غيرهم ولكنهم يرتابون في صحتها او يقولون لا ندري وهؤلاء المرتابون والملا ادريون قد يكونون من اعقل الناس وافضلهم (١ . والمنكرون قد يكونون ايضاً من العلماء الذين لا شبهة في انّ انكارهم لم يقع لأنهم اباحيون (٢ بل لانّ عقولهم لا تستطيع ان تتصوّر وجود غير المادة وخواصّها ، ومن هذه الخواص الحياة والشعور والتعقل (٣ بين انّ كثيرين من الذين يعترفون بوجود ارواح الموتى والثواب والعقاب هم من افسد الناس سيرةً (٤ وسريرة (٥ . »

---

١) وهل فضلهم يقوم بارتيابهم ولا أدريتهم ؟ ٢) وهل عدم اباحيتهم عائد الى انكارهم ؟

٣) قابل هذا النصّ بما يليه في المتن منقولاً عن « رسائل الارواح » (ص ٩٨) . فيتجلى لك ان موضوع العلم في نظر الدكتور صروف هو ما يدرك بالحواسّ ليس الّا . تُرى اي انسان رأى او سمع او لمس او شمّ او ذاق او تصوّر يوماً بمخيلته « الحياة والشعور

ترى ما عسى يكون سبب ارتياب الدكتور صرّوف في الروحانيـة من حيث هي نتيجة الفلسفة النفسية العقلية ؟ فهل يكون موافقـة الدين الموصى عليها ؟ والحقّ يقال ان الدين والفلسفة المذكورة يمزجهما الكاتب الفاضل الى حد ان يتوهّم انهما شيء واحد لا يتميز احدهما عن الآخر. من ذلك قوله (ص٩٨):

« اذا كان ذلك من الحقائق المقرّرة (اي اذا صحّت مناجاة الارواح) فهو من اهم الامور لانه يُخرج اعتقادنا ببقاء النفوس من حيز الايمان بما لا يُدرَك بالحواسّ الى حيز العلم بما يُدرك بها. »

وعلى كل حال فهل فاته انّ فريقاً لا يُستهان به من اهل السپيريتم قـد حوّلوا فلسفتهم الروحانية الى دين موحىً به من الارواح. او لعله يُؤثر ترّهاتها على وحيِ الله عزّ وجلّ ؟

أم يرتابُ في الروحانية الصادقة لانه يتوهّم ان انصارها ليسوا من العلماء الاحقاء ؟ على اننا نجله عن ان يحتقر ، لا نقول علم ارسطو والاكويني وغليليو وباكون، بل علم پاسكال وديكرت ولايبنيتز ويوصويت وپاستور ونيومَن الخ. فانهم ، والكثيرين من امثالهم وعلى معتقـدهم ، يجارون اشهر « مشاهير العلماء » الذين شُحنت « رسائل الارواح » باقاويلهم.

وعندي ان اهم الاسباب لارتياب الدكتور صرّوف هو كرهه لمـا وراء الطبيعة فالظاهر انه من اللاأدريين الوضعيين (*Positivistes agnostiques*) الذين لا يعتقدون الّا بما يقع تحت الحواسّ او المجهر . وقد ذكرنا له فيما سبق ما يؤيد زعمنا هذا حيث قال : اذا ثبت السپيريتم بالبرهان « خرج اعتقادنا ببقاء والتعقل » ؟ لعمري اننا ندرك مفاعيلها فينا بضميرنا ، وفي غيرنا بحواسّنا . امّا ذات الحياة والشعور والتعقـل وكنهها فـلا يدركها الّا عقلنا الروحي مستعيناً بمدركات الضمير المباشر والحواس . وكذا قـل عن ادراك كل مـا هو مجرّد عن المادة ، ان بذاته كالله عزّ وجلّ والروح ، وان بفعل العقل كالبياض والحرارة . فـاني بحواسي ادرك الابيض والحارّ ، وبعقلي المجرّد البياض والحرارة.

٤) ليس فساد سيرتهم نتيجة اعترافهم بالروحانية والخلود. — غريب كيف فات المثنى الحذق ان الانسان ، بما انه حرّ ، قد لا ينطبق سيره على علمه وانّ حرّية الاختيـار ، وهي من ارضح الادلة على روحانية النفس ، لا تُقيَّد بقواعد المنطق.

٥) وهل السريرة هي من مدركات الحواس ايضاً ؟ فكيف يُحكم في امرها ، بدون تعليل العقل الروحي لظواهرها ؟

النفوس من حيز الايمان بما لا يُدرك بالحواسّ الى حيز العلم بما يدرك بها وجُعل حقيقة علمية.» ولا عجب فقد قال (ص ١١٥) :

«لقد كان البحث في النفس وما وراء الطبيعة نظرياً محضاً مبنياً على الحدس او على ما قال به اصحاب الاديان ومعلّموها. امّا الآن (والحمدُ لله على هذه المنة الجديدة!) فاخذت طائفة من العلماء والفلاسفة تبحث في الامور النفسية بحثاً علمياً محضاً مبنياً على التجربة والامتحان».

وايضاً (ص ٢١٠) :

«اهمل علماء الطبيعة البحث عمّا وراء الطبيعة لانهم لم يجدوا فيما عرفوه من نواميس المادة ما يدلّ عليه. ولا يُلامون كما لا يلام الباحث في العلوم اللغوية اذا لم يجد فيها شيئاً يدلّ على خلود النفس ولا الباحث في العلوم القضائية اذا لم يجد فيها شيئاً يدل على وظائف الكبد والطحال.»

ترى هل امعن الدكتور صروف النظر قليلاً في علم ما وراء الطبيعة ومضمونه قبلما سطر قلمه كل ما ذكرنا له ؟ اجل ليس للغوي ان يبحث مثلاً في المنطق ولكن ليس له ايضاً ان يجهل قواعده فلا يطبقها على ما يكتشفه. وليس للقاضي ولا للطبيعي ولا للاختباري النفساني ان يبحثوا في مجملات ما وراء الطبيعة، ولا من شأنهم ان يحدّدوا ويقسّموا العلل ويبسطوا ماهيتها وخواصّها العامة وما يُبنى على معرفتها من المبادئ. ولكن هل لهم ان يجهلوا هذه العلل او ان ينكروا مثلاً مبدأ السبب الكافي (*le principe de raison suffisante*) او مبدأ العلة (*le principe de causalité*). وهل من قوام لعلم، ايّاً كان، بدون هذين المبدأين وغيرهما كثير مما يبحث عنه علم ما وراء الطبيعة الذي هو علم الكائن بالاجمال (*Ontologie*) ؟ وهل يمكن القاضي ان يحكم في دعوى دون ان يطبق على وقائعها ما يمده به هذا العلم من المبادئ المتعلقة بالعلل ؟ ام كان يستطيع منشئ المقتطف، بمعزل عن هذه المبادئ، ان يُعلّل المرويات عن مناجاة الارواح ؟ وان كان يطبق مبادئ كهذه فكيف يستطيع الى ذلك سبيلاً دون ان يميز علّة المعلول من الحادث الذي انما يسبقه لا يسبّبهُ ؟ وكيف يميزها اذا كان لا يدرك تأثيرها في المعلول ؟ وهل التأثير هذا مما يرى بالعين او يسمع بالاذن او يقع تحت الحواس اية كانت ؟ فلا يبقى الا واحدة من اثنتين : اما ان العلم، ايّاً كان، يضحي محالاً ما لم يستمد قواعده الاولى من علم ما وراء الطبيعة كما ومن المنطق، واما ان العلم لا يقوم بمدركات الحواس وحدها.

ثم اين رأى الدكتور صروف انّ المعتقدين بروحانية النفس وخلودها قد اقتصروا في ابحاثهم على النظر المحض والحدس ولم يلتفتوا الى الامتحان والتجربة ؟ لا حاجة ان نعيد هنا الحجج الراهنة التي تستند اليها هاتان الحقيقتان. وكلّها يُطبَّق بها مبدأ السبب الكافي على ما يتناوله العقل من مدركات الحواس والضمير . من ذلك ان رأيت ذاتك مندفعاً شديداً الى التمتع بخيرٍ حسي ، وقمعتَ النفسَ وابعدتها عنه وحرمتها منه ، افليس هذا مما يدل صريحاً ان فيك قوةً هي ارفع ماهيةً من القابلية المادية الحيوانية ، وبمعزلٍ عنها ؟ فان القابلية المذكورة ليس فقط لا تكفي لردعك عن الخير الحسي ، بل بالعكس تدفعك اليه بكل ما فيها من القوة ، لما تجد فيه من الملاءمة لطبعها.

وكذا ايضاً ليس من علةٍ كافية لادراكنا المجرّدات والكليات والروحيات سوى وجود قوّة ، مستقلة عن المادة وارفع منها ، في كل منّا ، وهي النفس الروحية المزدانة بالعقل الروحي.

وقصارى القول ان اعتقاد الروحانية الصادقة ليس على الحدس او النظر وحده بل على النظر وعلى الاختبار معاً. وطريقتها هذه تدعى الطريقة الاختبارية العقلية ، وفرع الفلسفة الذي يسير عليها يُدعى الفلسفة النفسية العقلية (*Psychologie rationnelle*) .

وعلى الطريقة عينها مبني حديث الدكتور فُزْدِكْ « فيما بعد الموت » الذي خُتم به (ص ٢٣١ — ٢٣٦) كتاب « رسائل الارواح » وفيه من البراهين اللامعة ما لا يُبقي ، حتى في نظر العقل المجرّد وبمعزل عن الايمان ، ادنى ريب في وجود الاله ، خالق الاكوان ومنظمها ، وروحانية النفس وخلودها . وعندي ان المقال هذا هو امتن ما ورد في المؤلّف الذي وصفناه.

على ان الدكتور فُزْدِكْ هو ، على ما ذكر المنشئ المرحوم ، « واعظ مشهور.» فهو اذن من رجال الدين وذوي الايمان . وقد لا تترك مزيته هذه ، في نظر « العلم المحض المبنيّ على التجربة والامتحان » ، مسوّغاً لبراهينه ، مهما كانت متينة ... افلا ترى ان استعداداً كهذا ، عند البعض من ذوي العلم المذكور ، ضربٌ جديد من الغرائب النفسية ؟

دير سيدة طاميش

لحضرة القس انطونيوس شبلي اللبناني

١

تأسيسه

هو من الاديار القديمة الشهيرة في رهبانيتنا اللبنانية المارونية . أسسه سنة ١٦٧٠ ، رئيس اساقفة حلب ، المطران جبرائيل ابن المطران يوسف البلوزاني ، في عهد البطريرك اسطفانوس الدويهي ، وبعناية الشيخ ابو نوفل الخازن واولاده ، والقس عطا الله وتلميذه من غزير ، على ما ورد في كتابة وُضعت فوق إحدى نوافذ الكنيسة ، وجعلهُ المطران جبرائيل كرسيًا لهُ ، وأسكن فيه رهبانًا وراهبات من العبّاد . ولمّا ثقلت عليه عوارض الشيخوخة ، ونزلت به الامراض ، وعجز عن القيام بمهامّ الاسقفية ، تنازل عنها عن ارتياح ورضىً . فاجمعت آراء السادة الاساقفة على القس جبرائيل فرحات الحلبي ، فرفعهُ الى الدرجة الاسقفية البطريرك يعقوب عوّاد ودعاهُ باسم جرمانوس في ٢٩ تموز سنة ١٧٢٥ .

ولمّا رأى السيد فرحات دير طاميش قد أشرف على الخراب لسوء تدبير سكّانه ، وبلغت ديونه ستة آلاف غرش ، نقل الراهبات المقيمات فيه الى دير مار يوحنا ذكريت ، وسلّمه لرهبانيته اللبنانية في عهد رئاسة الاب مخائيل اسكندر الاهدني العامّة ، سنة ١٧٢٧ لتفي ديونه ، وتُعنى في عماره ، وتحتضنه من الخراب . وصدّق على صك التسليم البطريرك يعقوب عوّاد ، والامير حيدر شهاب حاكم البلاد ، وعبد اللطيف افندي قاضي الشرع الاسلامي ، ومشايخ بيت ابي ناصيف الخازن حكّام المقاطعة . والسيد فرحات عيّن كرسيّه مدينة

حلب . وكانت تبلغ قيمة املاك الدير التي تسلّمتها الرهبانية في ذلك العصر اربعمائة غرش ، فانفقت على عماره وايفاء ديونه ٢١,٥٥٢ غرشاً[1]

وفي سنة ١٧٠٠ ، عُيّن هذا الدير مركزاً للرئاسة العامة ؛ وظلّ الرؤساء العامون يقيمون فيه الى سنة ١٩١٣ ، فانتقل منه قدس الاب المفضال اغناطيوس داغر التنّوري ، الرئيس العام الحالي ، الى دير سيدة المعونات — جبيل — مركز الرئاسة العامة الجديد .

وفي سنة ١٨٠٧ ، بنى كنيسته على هندستها وهيئتها الحاضرة الرئيس العام الاب سمعان الخازن وقد حُفرت فوق عتبة بابها هذه الابيات :

زهـا طاميش لمّا فيـه جدّت كنيسةُ مريم ذات الهدايه
أعاد بناءهـا سمعانُ أبٌ نبيلٌ ناشرٌ للفضل رايـه
رئيسٌ عـام شهمٌ خـازنيٌّ همامٌ سـاد في حسن الرعايه
تأمّل في جمـال سنا بناهـا ترى التجديد فاق على البدايه
أتى تاريخهـا في عـام سبعٍ والفٍ قُدّرت بثمان سايه

١٨٠٧

وفي سنة ١٨٩١ ، سقط المشى الشمالي من هذا الدير ، فجُدّد بناؤه من ثمن مبيع بعض املاكه برئاسة الاب مبارك المتيني العامة .

وقد حلّت به نكبة العساكر المصرية سنة ١٨٤٠ ، فالحقت فيـه ضرراً عظيماً ، فخُرق ونُهب وبلغت خسارته ٦١,٣٤٠ غرشاً ، بموجب لائحة صدّق عليها قنصل فرنسة في بيروت بذلك العهد[2]

آثاره

ومن الآثار القديمة المصونة فيه :

١ صورة شرقية جميلة خاشعة للسيدة العذراء تحمل على ذراعيهـا الطفل يسوع ، رُسمت باليد على الخشب وكُتبت في اسفلها هـذه الكلمة باحرف كرشونية وهي :

« وقف الخنير بخايل مطران دمشق سنة ١٦٠٢ »

١) طالع تاريخ الرهبانية ، المجلّد الاول صفحة ١٣٠ — ١٣٩

٢) طالع كتاب حروب ابراهيم باشا المصري في سوريا لحضرة الخوري بولس قرألي صاحب المجلة السورية الغرّاء .

٢ً حلّة من نحاس كبيرة نُقش عليها بالحرف السرياني الكرشوني ما نصّهُ: « ذكرًا مؤبدًا ووقفًا مخلّدًا من الفقير في روساء الكهنة المطران جبرايل لديره المشيّد على اسم ستّنا مريم على راس طاميش سنة ١٦٧٥ بمدينة حلب في شهر ايار ».

رؤساؤه والمتدرّجون فيه

وقد تعاقب على رئاسة دير طاميش خمسة واربعون رئيساً : اولهم الاب عبدالله حبقوق ، رأسه سنة ١٧٣٣ ؛ والاب لوقا اليسّوني سنة ١٧٣٦ ، والاب شربل مدلج من قيتوله سنة ١٧٦٣ الذي رُقّي الى الرئاسة العامة سنة ١٧٨٤[1] ؛ والاب مرقس الكفاعي الرئيس العام سنة ١٧٥٩ . وقد ابتدأ ولبس الاسكيم الرهباني فيه نحو من مائتين وثمانية وثمانين راهباً : اولهم الاخ الياس الرشماوي، ابتدأ في ٨ ايلول سنة ١٧٣٩ ، والاخ عبد الاحد صليبا من زوق مكايل . وقد اشتهر بعضهم بالتقوى والفضيلة والعلم ، ورقوا الى الدرجات العالية ، وخدموا الطائفة والرهبانية خدمات جلّى نذكرها لهم بالفخر والاعجاب كالبطريرك طوبيا الخازن[2] ، والمطران طوبيا عون رئيس اساقفة بيروت[3] . واليك ما جاء عنهُ في رزنامة دير طاميش :

« دخل التجربة الاخ اغاثون والاخ طوبيا من مطلّقة الدامور في ٦ نيسان سنة ١٨١٨ . ان هذين الاخوين احدهما اغاثون قد خرج من الرهبنة بعد ان صار راهباً بل كاهناً غير انه بقي كاهناً علمانياً . أمّا طوبيا بعد ان صار راهباً وسيم كاهناً فلبث في الرهبنة مدّة طويلة متسلماً بعض تدابير يقتضي لها فطنة . ثمّ استخدمهُ البطريرك يوسف حبيش مدة ثم سامهُ اسقفاً . ثمّ لما توفي المرحوم المطران بطرس كرم مطران بيروت قد تولى الرعية المرقومة كما هو الآن وهو ممن يليق لهُ المدح كرمه ذا غيرة كلية وقد اغنى كرسيّ اسقفيته لا بل هو الذي عمّر الكرسي ورتّب حلة ترتيبات جميلة وهو من طبعه ذو نباهة ومعرفة جيّدة وشجاعة وفصاحة بليغة ».

ومن الرهبان : الاب انطونيوس الفغالي[4] مؤلف كتاب « ينبوع السلوان

١) لبس الاسكيم الملائكي في دير طاميش من يد رئيسه الاب روفايل موسى في ٣١ اذار سنة ١٧٦٨ ، وتوفي مدبرًا فيه في ٢٩ شباط سنة ١٨٠٧

٢) هو طليع ابن الشيخ قيس الخازن ابتدأ في دير طاميش في ٨ نيسان سنة ١٧٤٦ .

٣) راجع ترجمة حياته في برنامج اخوية القديس مارون ليوسف خطّار خانم.

٤) هو الياس يوسف الياس من فغال ابتدأ في ٩ كانون الاول سنة ١٨٦٥ ، ولبس الاسكيم الملائكي في ١١ تشرين الثاني في سنة ١٨٦٧ ، وتوفي بدير كفيفان.

في زيارة القربان » وارجوزة مطوّلة في البيان وكتاب في الصرف ، والاب عمنوئيل الرشماوي الرئيس العام ، وغير هؤلاء ممّا لا يسعنا التبسّط في ذكرهم

مقبرته

وفي مقبرة دير طاميش دُفن جملةٌ من الرهبان الافاضل المتوفين برائحة التقوى والقداسة ، نكتفي بذكر واحدٍ منهم ، هو الاب عمنوئيل الجميّل الذي تولّى الرئاسة العامّة ، واستمرّ يدير شؤون الرهبانية بروح الحكمة والفضيلة، مدة خمسة مجامع ابتداؤها سنة ١٧٧٨ . توفي هذا الاب البار في دير مار الياس الكحلونيّة ، في ٣٠ تشرين الاول سنة ١٨١٠ ، متزوّداً الاسرار الالهية ، ودُفن في مقبرته ، وظلّ جسدهُ سليماً من البلى والفساد . وبسبب حدوث حركات الدروز في تلك الجهات ، خاف الرهبان على سرقة جثمانه الطاهر ، او على التفظيع فيه ، فحملوه ليلاً الى دير سيدة طاميش ودفنوه فيه . ولا يزال ضريحه الى الآن مجهولاً . ولم يشرْ احد اليه في رزنامة طاميش ، بل اكتفى الرئيس بكتابة كلمة فيها عنه وهي :

« درج بالوفاة قدس الاب عمنوئيل جميّل رئيساً عامّاً وكان انتقالهُ في دير الكحلونية ودفن هناك في غاية تشرين اول سنة ١٨١٠ ثم نقل لدير طاميش هذا . وهذا الاب كان ذا اماية طيبية وفضائل عدّة منها التواضع . وقد انتخب عوضهُ بجمع المدبرين قدس الاب اغناطيوس بليبل نائباً عامّاً ونعم الانتخاب كونه فاز على كثيرين من سواه ».

ولكنّ الرئيس العام الاب اغناطيوس بليبل كتب نبذةً موجزة عن وفاته في رزنامة دير الكحلونية ، وقعها بامضائه وختمه ، واليك نصّها بحرفه :

« انه قد درج بالوفاة الى رحمة الله تعالى ابانا رئيس عام رهبنتنا الاب عمنوئيل الجميّل في ٣٠ تشرين الاول سنة ١٨١٠ بموتة صالحة مسلّح بكافة الاسرار المقدّسة بحضور كافة الجمهور وكان ذلك قبل المغرب بساعتين وحين مرضه استقام يوم واحد بلا قداس وقد دُفن في المشخاشة بين الرهبان المتنيحين وبعد وفاته توفي الاخ زكا بسكنتاوي(١ بمدة اشهر عد ٩ فوجدوا جسدهُ غير بالي (اي الأب الجميّل) ولا ثوبه وبعد ذلك بسنة قد توفي الاخ جبرايل (٢ بمدّة سنة عن الاخ زكا توفي المذكور فوجدوا الاخ زكا بالي كالاموات والسيد الذكر ابانا وريسنا لم بالي شيء من جسمه ولا اثوابه . فقط الشعر لم لهُ وجود إلّا براسه فلما تبلّغنا ذلك من ريس الدير(٣ لزم حضرنا الى زيارة الدير وصحبتنا حضرة الاب ماتيا المدبر

١) في آخر تموز سنة ١٨١١ ٢) من بسكنتا توفي في ٢٥ تموز سنة ١٨١٢

٣) رئيس دير الكحلونية الاب سمعان عرصاف.

ويوم تاريخه في ٢٧ شهر ايلول سنة ١٨١٣ بعد صلاة نصف الليل توجهنا الى المشخاشة بشموع مضيئة والمبخرة وصحبتنا الاب المدبر المذكور وريس الدير الاب سمعان يومئذٍ وكافة جمهور الدير بوقته فتح المشخاشة فدخلنا فوجدنا جسد المتنيّح سالم ولم يالي من جسده شيء وعينيه واذنيه كما هم باقيين وشواربه واكليله باقي واثوابه باقية نضيفة حتى قميصه والثواب الداخلة كأنها قرب لبسها لجسده وقد عملنا لهُ تابوت من خشب واوضعناه فيه تحت التسمير ورجّعناه الى المشخاشة والاخوة الذين توفوا قبلهِ والأخَين الذين توفوا بعده بالمدّات المذكورات وهم الاخ زكا والاخ جبرايل فلم عاد لهم آثار من اثواجم ومن اجسادهم إلّا العظام كما حال الاموات وتحرَّر ذلك لاجل الاستذكار صح صح ».

الحقير

اغناطيوس بليبل (الختم)

اب عام لبناني

مطبعته

وقد كان في دير طاميش مطبعة عربية وسريانية خدمت الدين والعلم في اقطارنا الشرقية حقبةً من الزمن بمنشوراتها العديدة المفيدة ، ادار شؤونها مدةً طويلة الاب مرقس الاهجي. ومن مطبوعاتها : كتاب اللاهوت الادبي للقديس ليكوري . ودحض الارطقات للمطران يوسف الدبس . وفصل الخطاب للسيد فرحات. والمثلثات الدريّة له ايضاً . والدر المنظوم للبطريرك بولس مسعد . وحوادث الاعتراف لخريستوفورس ويغما اليسوعي ، تعريب ابراهيم جلوان السمراني تلميذ المدرسة المارونية في رومية ، والشحيمة . والخدمة السريانية[1] الخ .

وقد عُلق هذان البيتان في ادارة هذه المطبعة من نظم المرحوم الاب انطونيوس الفغالي وهما :

يا داخلاً هذا المكانَ المُشتَهَرْ قصْدًا لافراجِ الصدور من الكَدَرْ
اضبطْ يديك وكنْ عليها في حَذَرْ اذ لا يُباحُ لداخلٍ إلّا النَظَرْ

محبسه

وفي القرب من الدير رمّة محبسة قديمة كان يسكنها الحبساء المتوحدون ، وهي مجهولة الأثر ولم يُعرف من تاريخها شيء[2] . ولمّا كان حضرة رئيس دير

١) راجع تاريخ هذه المطبعة ولائحة منشوراتها في مجلة المشرق (٤ [١٩٠١] ٤٧٢)
٢) طالع كتاب كشف الغطاء عن محابس لبنان والحبساء للمرحوم الاب ليباوس داغر

سيدة طاميش الحالي ، الاب المفضال يوسف سعاده التوسطاوي ، ميالًا الى الوحدة والانفراد ، ومحبًا للعزلة والصمت ، وهو من آباء الرهبانية المشهود لهم بالتقوى والفضيلة والمتصفين بالحكمة والفطنة ، دفعتْ به همّته الناهضة ورغبة قلبه الصالحة الى انشاء محبسةٍ جديدة في قرب الدير ، يُعيد فيها بساطة وجمال الحياة الانفراديّة الى رونقها وبهائها ، في تلك البقعة المنفردة المتعطّرة برائحة فضائل الرهبان الطيبة وصلواتهم الدائمة ، فاستأذن في بنائها غبطة السيد الجليل البطريرك مار الياس بطرس الحويك الكلّي الطوبى وقدس الآباتي المفضال اغناطيوس داغر التنّوري ، رئيس رهبانيتنا العام ، فأذنا لهُ عن مسرّة ورضىً بمرسومٍ من غبطته مؤرخ في ١٠ نيسان سنة ١٩٢٦ ، ومن الاب العام بتاريخ ١٨ أيار من السنة المذكورة . فباشر للحال بناءها في محلٍ يسمّى «عين قطين» شرقي زوق الخراب ، غربي الدير ، وتبعد عنه نحو ربع ساعة ، وأذن الاب العام لراهبٍ فاضل ان يسكنها مزاولًا فيها ضروب التقشّف والإماتة التي يمارسها الحبساء ، هو الاب يعقوب ابي مارون من مزرعة الشوف . وبفضل عناية حضرة رئيس الدير ، فُرشت الاراضي حولها بغراس الكرمة والاشجار المتنوّعة الاصناف التي تحوطها من كل جانب ، وقد جعل شفيعها القديس انطونيوس الكبير اب الرهبان وكوكب البريّة . والحبيس يحيا فيها حياةً هادئة بسيطة ، منقطعاً في تلك العزلة المؤنسة ومتفرّغاً عن شواغل الدنيا وهمومها وافراحها واكدارها ، عاكفاً على العبادة والصلاة والتأمل ومناجاة السيد المسيح في سرّ القربان الاقدس في الليل والنهار ، راضياً مسرورًا بحياته هذه الجديدة ، شاكرًا الله تعالى في السرّاء والضرّاء .

وهنا لا بدَّ لنا من ان نسوق كلمة شكر وثناء على همّة حضرة رئيس دير طاميش الناهضة الذي صرف عنايتهُ الى تحسين املاك الدير ، فاصبحت تدرّ ريعاً وافرًا استطاع ان ينفق منهُ على بناء دير مار روكس مزاح المير ، واقامة بعض بنايات لدير مار يوسف البرج أخذ الله بيده ووفّقه في جميع اعماله الخيرية

(للبحث صلة)

قس بن ساعدة

ماذا نعرف عنه ؟

بقلم ميشيل سليم كميد

وافصح من قس ، واجرى من الذي
يذي القيل ، من غسان اصبح غادرا
(اعشى قيس)

اسقف نجران ، وفيلسوف العرب ، وشاعرها ، وخطيبها ، وحليمها ، وحكيمها ، وحكمها ، تُضرب بحكمته الامثال ، وتكشف به الاهوال !

صفات والقاب ضخمة نفحه بها الرواة ، واحاطوها باسمه هالة ! ولم يذكروه الا مجللاً بالتبجيل ، مزداناً بالتكريم ، محاطاً بالتعظيم !!

الرجل

نسبه – شيء عن عمره

هو قس بن ساعدة ، بن عمرو ، بن عدي ، بن مالك ، بن ايدعان ، بن اياد ، اسقف نجران ، لا يعرف وقت مولده ، وقد زعموا انه ولد في زمن الرسل ، وانه عمر الستمائة او السبعمائة عام . وفي هذا من الخلط شيء كثير ، تنبو عنه الاسماع ، ويلفظه الصدق ، ويأباه العقل .

وقد زعم عنه الرواة اشياء على هذا النحو ، ومع ان فيها الكثير من المبالغات ، فهي ترشدنا على الاقل ، الى تلك الحرمة التي كانت له في نفوس الاعراب ، حتى دعتهم الى تكريمه ، باختلاق الروايات عنه ، والتحدث بامثال هذه المبالغات والترّهات .

والآن ، قبل ان نتبسط في مدارج الحديث عن شاعرنا ، وسرد لطائف اخباره ، ومحاسن اشعاره ، يجدر بنا ان نقف هنيهة ، ونبحث قليلاً فيما اورد له من شعر ، وما نفح به من خطب ، لعل في ذلك فائدة تجنى .

يد الانتحال في خطبه وشعره

دعنا نتساءل ، أقس قائل هذه الخطب التي ذكرها الرواة وتناشدها الركبان ؟ ام ان ايدي التحريف والانتحال ، امتدت اليها بسوء فعبثت بمحاسنها ، وافسدتها في بعض نواحيها ؟ امام هذا السؤال نقف ونردّد ان ليس كل ما هو موجود لدينا لقس ، ولو بعث الآن من مرقده ، لرفض الكثير منه . وظننا ان ما قاله حقيقة قد اغتالت يد العبث اكثره ، وحوّرت الباقي ، فان بعض المختلقين من الرواة ، الذين ضرب الله على عقولهم ستاراً كثيفاً مظلماً ، تلاعبوا في اشعاره وخطبه ، وزادوا وحرفوا كعادتهم . وقد بلغهم ما لقس من السمعة الطيبة الذكية ، التي كانت له في بطون بلاد العرب وافخاذها ، فاستغلوها كنزاً ثميناً ، وابتغوا الاستفادة منها ، فاختلقوا بعض خطب ، اوسعوها ذكر الله والفناء ، والنعيم والجحيم ، ونسبوها اليه ، وظلّلوها باسمه . فنحن لا نؤمن ببعض من خطب قس بل باكثر ما نعرف له ، لما نراه فيها من التكلّف ، وارتجاج الرواية ، ومحاولة التقريب بينها وبين القرآن والاصول الاسلامية ؛ ولكننا لا نجد بأساً ، اذا تعرضنا لما لدينا منها ، منسوبة له ، وسرنا بينها في حدائق الورود والاشواك ! واقتطفنا بعض ما يصادفنا في طريقنا :

قس والآخرة

تعب كلها وباطلة هي ! والموت هو الحياة !

كثير هم الشعراء الذين اتخذوا فكرة الموت خدناً ، وذكرى الآخرة رفيقاً وسميراً يؤنسهم وقت الوحدة ، ويبعث في تلك النفوس الحساسة زهداً وتقشفاً وزهداً لحياة كلها آلام وشقاء ! كيف لا ! والموت رفيق الوجود ، ومصير الاجسام ! والآخرة مأمن النفوس ، ومصير الارواح !

الموت غاية ، والحياة اسقام ! علم هذا قس وايقن بصيرورته الى الفناء ،

فتزهد ، ونعم ما صار اليه ! وغلب عليه النسك ولزمه فتقفر وسكن البادية. ونتج عن ذلك ان تغلبت على شعره الكآبة ، ووسمت خطبه بالحضّ على ترك الدنيا ، والحثّ على اقتناء الآخرة والتزهد ، ولم يكن في اقواله باعث الى الشك ولا داعي اليه ، ولم يسلك مسلك المعري في ذلك ، بل وقف بعيداً عن الشك في الحياة والآخرة ، الذي كثيراً ما يذهب باصحابه الى التطرف ، فالكفر غالباً ، وهو شرّ الامور. ولكن دعواه كانت دائماً على وتيرة واحدة اي طلب الخالد ، واحتقار العالم . فمن خطبة تنسب اليه عن لسان ابي بكر ، قوله :

« ايها الناس ، اسمعوا وعوا ، واذا وعيتم فانتفعوا ، انه من عاش مات ، ومن مات فات ، وكل ما هو آت آت ، مطر ونبات ، وارزاق واقوات ، واباء وامهات ، واحياء واموات ، وجمع وشتات ، وآيات بعد آيات ..... ألا ان ابلغ العظات السير في الفلوات ، والنظر الى محل الاموات ، ان في السماء لعبرا ، وان في الارض لعبرا ! »

ثم يختتمها بان الله من يجب عبادته « وانه هو المعبود ».

فقس يعتمد على العقل في بحثه عمّا وراء الموت ، متيقناً ان « الموت باب وكل الناس تدخله » لذا يحضّ على الاكتناز للآخرة . من خطبة له يحذر فيها الناس سوء المنقلب ، ويرشدهم سواء السبيل ، قال :

« ايها الناس ! شارفوا بابصاركم في كرّ الجديدين ، ثم ارجعوها كليلة عن بلوغ الامل ، فان الماضي عظة للباقي. ولا تجملوا الغرور سبيل الفخر ، فتنقطع حجتكم في موقف الله سائلكم فيه ، ومحاسبكم على ما اسلفتم . ايها الناس ! امس شاهد فاحذروه ، واليوم مؤدب فاعرفوه ، وغداً رسول فاكرموه ، وكونوا على حذر من هجوم القدر ، فان اعمالكم تطلق ابدانكم ، والصراط ميدان يكثر فيه العثار ، فالسالم ناج والغابر في النار.....» (١) !

حقاً « ان الماضي عظة للباقي » ! فان صدق صاحب التذكرة الحمدونية ، وكانت هذه لقس ، فهي دون شك احسن ما تفوه به فاه . بيد اننا في شكّ منها اذ نرى عليها مسحة غير جاهلية ، تدفعنا الى الشك ، لاسيما ونحن في زمن نرى فيه مخبآت « جاهلية » تظهر للوجود من بين طيّات اكفانها من

(١) راجع هذه الخطبة في « النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية » للمأسوف عليه الاب لويس شيخو اليسوعي ، صفحة ٣٢٨ ، وجدها الاب في التذكرة الحمدونية (نسخة باريس المخطية من ٣٠ 84)

المخطوطات . . . وكم لا يزال من مخطوط مخبوء ، قد يقذفنا يوماً ما ، باشتات «جاهلية» ؟!

لم يتوسع قس في وصف ما بعد الفناء ، ولعلّ بين ما فقد من آثاره ما رمز الى هذا . فان ما بيدنا لا يشير إلى ذلك قط ، فالخطبة التي اوردناها منذ هنيهة ، بها تلميح في اقتضاب ليس به ارواء للغليل او شفاء للعليل ، في حين ان امية بن ابي الصلت ، الايادي ايضاً ، ومن معاصريه ، قد انتهج نهجه في ذكرى الآخرة ، لكنه تبسط اكثر منه في وصف ما وراء الموت ، في الابدية اذ يقول:

فكل معمّر لا بد يوماً وذي دنيا ، يصير الى زوالِ !
ويفنى بعد جدّته ، ويبلى سوى الباقي المقدس ، ذي الجلالِ
وسيق المجرمون ، وهم عراة الى ذات المقامع ، والنكالِ
فنادوا : ويلنا ، ويلاً عظيماً ! وعجّوا في سلاسلها الطوالِ
فليسوا ميتين ، فيستريحوا وكلهم بحرّ النار ، صالِ
وحلّ المتقون ، بدار صدق وعيش ناعم ، تحت الظلالِ
لهم ما يشتهون ، وما تمنوا من الافراح فيها ، والكمالِ ؟!

هنا اتى امية على ذكر الموت فوصف عقاب الخطاة وزجّهم في جهنم النار ، وثواب التقاة واثابتهم النعيم ، وما هنالك من عذاب وتعذيب وشقاء وافراح وكمال ونعيم ! كل هذا فات قساً ، او قل لم يصلنا منه اي شيء . لان من المستغرب ان امرءاً كقس بلغ من التزهد اسماه ومن التقشف اعلاه ، لا يحفل بكلمة عن الثواب والعقاب في الآخرة . ويترك كلامه على وتيرة واحدة تدعو الى الاملال ، بل الى الضجر ، مهما بلغ صاحبها من متانة اسلوب وبلاغة ؛ وأوتي من فصاحة لسان ، وقوة عارضة ، ولباقة . ولا نقدر ان نعلل هذا السكوت ، سوى بان نذهب الى ان العرب ، لم يدونوا هذه او ان ما دوّن عفّ واندثر كما اندثرت آلاف سواه !

ومما يؤثر عن قس هذه الابيات ، وهي ذات روعة وخشوع :

في الذاهبين الاولين م من القرون ، لنا بصائر
لما رأيت مواردًا للموت ، ليس لها مصادر
ورأيت قومي نحوها يمضي الاصاغر والاكابر

لا يرجع الماضي ، ولا يبقى من الباقين ، غابر
ايقنت ، اني لا محا لة ، حيث صار القوم صائر!

صدق قس ، فالعاقل من اتعظ بغيره ، وكان قس كما نراه اول ابناء يعرب ، من نظر الى الآخرة بعين الجد ، واتخذ العقل مرشده ، والحق معقله.

الحكم في شعره

غريب هو شعر العرب ! قلّ ان تجد شاعراً بالعربية لم يأتك ببعض الحكم والامثال ! سبل عقيمة تبعث الضجر والسآمة ، ومع ذلك فكل ناظم في العربية ، يزجّ نفسه في هذا المعترك ، ويحاول ان يأتي فيه بالمعجزات ، فكيف بقس ، وهو الحاضّ على الزهد والتماس الخلود ، فاذاً ليس من العجب ان نرى بين خطبه واشعاره بعض امثال بل كثيراً منها.

مما يؤثر عنه قوله:

«من فاته حسب نفسه ، لم ينفعه حسب».

«البينة على المدّعي ، واليمين على من انكر».

وابياته الحكمية التي اولها « في الذاهبين الاولين » . ويغني عن الايضاح ان نبي الاسلام سمعه في سوق عكاظ ، وكان يخطب في العرب ، على جمل له اورق ، وكان يؤثر عنه كلاماً كثيراً. وقد قال يوماً عنه: « رحم الله قساً ، اني لارجو ان يبعث يوم القيامة ، امة واحدة » وذلك لما كان له من الاثر في نفسه. وممن ذكره ومدحه ايضاً ، الاعشى ، وقد قال فيه:

وافصح من قس ، واجرى من الذي بذي النيل ، من خفّان اصبح خادرا

ومن خطب قس المأثورة:

« ايها الاشهاد ، اين ثمود وعاد ، ابن الآباء والاجداد . اين ذهب ابرهة ذو المنار ، وعمرو ذو الاذعار . هل تدرون الى ما صار اليه عبادة الفتّاح . واذينة السفّاح . وجذيمة الوضّاح. عزوا فقهروا. ونموا واسروا. وجدّدوا المصانع والآثار. وجدولوا الانهار . وغرسوا الاشجار . واستخدموا الليل والنهار . نهجت الآجال. دون الامال . الا وان كل شيء الى الزوال: ثم انشد:

قد كنت اسمع بالزمان ، ولا ارى ان الزمان ، يطيق نتف جناحي
فاراه اسرع فيّ ، حتى اصبحت بيضاً ، متون عوارضي ، وصفاحي
وانا الكبير ، لنبة في قومه هيهات ! كم ناسمت من ارواح
صافحت ذا جدن ، وادرك مولدي شمر بن عمرو ، يتقى بالراح !

والفيل ذو يزن ، رأيت محله بالفهر ، بين جنادل ، ومناح ؟
فتك الزمان بملك حمير فتكة تسمى بكل عشية ، ومباح
اودى ابو كرب ، وعمرو قبله واباد ملك اذينة الوضاح

. . .

وغدا بابرهة المنار فاصبحت ايامه ، سلوبة الاصباح

. . .

لا تغرن في شك المنون ، اما ترى ايامه ، مشهورة الايضاح ؟
لا تأمنن مكر الزمان ، فانه اردى الزمان بشمر الوضاح
برك الزمان ، على ابن هانك عرشه وعلى اذينة ، سالب الانواح
انبعد املاك مضوا ، من حمير يرجى الفلاح ، ولات حين فلاح !
من ذا تمانق كفه كف الردى يثري التقى ، عن يمنة الارواح !

ومما يلصق بقس ، بعض كلمات حكمية ، زعموا انه قالها لقيصر حين وفد عليه مرة ، فقال له قيصر: «ما افضل العلم؟» قال: «معرفة الرجل بنفسه». قال: «فما افضل العقل ؟» قال: «وقوف المرء عند علمه». قال: «فما افضل الادب ؟» قال: «استبقاء الرجل ماء وجهه.» قال: «فما افضل المروءة؟» قال: «قلة رغبة المرء في اخلاف وعده.» قال: «فما افضل المال؟» قال: «ما قضى به الحق !...»

كلمات على جانب عظيم من الحكمة والعقل ، كلمات حوت اثمن النصائح!... لا نظن ان قسا قائلها ، ولا شك ان العرب اتهموه بها ، لما اطلعوا على آداب الاغريق ، فارادوا الزعم بوجود حكيم عندهم ، يماثل ديوجينس ، في اجابة الرد الحكيم . ولم يجدوا مرتعاً اخصب من قس ، فالقوا هذه ، وكفنوه بها !

نصرانيته

اثنان من اياد ، احدهما عظمته العرب ، والآخر رذلته إلا قليلها ، هما قس بن ساعدة ، وامية بن ابي الصلت . كلاهما ذكره نبي الاسلام ، قال عن الاول : « يرحم الله قساً ، اني لارجو ان يبعث يوم القيامة امة واحدة » . وقال عن الثاني ، حين سمعه: « كاد امية ان يسلم » . ومال لسماع اقوالهما ، وعن كليهما اقتبس واكتسب شيئاً . ولكنه اجاز شعر الاول ، ونهى عن الثاني . فالاول لم يكن رجل حرب ، وابتلعه الموت قبل ان يستنفر لمناجزة

النبي . ولذا أجيزت اقواله . . . . والثاني كان فارساً مغواراً ، فشاكس النبي ، وقاومه . فنُهي عن مذاكرة اشعاره .

كلاهما كان مسيحياً . امية بن ابي الصلت تؤيده شواهد عدّة[1] . وشاعرنا اليوم ابن ساعدة ، له ايضاً منها نأتي على بعضها : اولاً : كونه من اياد ، وكون « مؤرخي الاسلام مع قلة ما كتبوا عن عرب الجزيرة في الجاهلية . . . صرحوا ، كما بيناً سابقاً ، بنصرانية بني اياد بن نزار[2] » . ثانياً : كونه اسقفاً لنجران ، وهذه بلدة مسيحية ذات دير شهير في ذلك الزمن ، وقد طمع في قبتها ذو نوّاس ، وهو تبع يهودي ، واستولى عليها ، وحوّلها الى كعبة لليهود ، كما يحدثنا بذلك الاغاني وابن الاثير . . وهي التي يقول فيها الاعشى :

وكعبة نجران ، حتم عليك م حتى تناخي بابوابها
تزور يزيداً ، وعبد المسيح وقيساً ، وهم خير اربابها

ثالثاً : وصف الجارود له حين قدم على محمد للاسلام . قال : « يلبس (قس) المسوح ويتبع السياح ، على منهاج المسيح ، لا يغير الرهبانية ، مقراً بالوحدانية . » ويكفي ان نقول ان ممن ذكروا شيئاً عن نصرانية قبيلة اياد ، كان الفارابي ، والبكري ، وابن دريد ، وياقوت ، وغيرهم من الكتّاب ، وبهم خير شاهد واحسن تأكيد .

وفاته

قيل انه توفي حوالي سنة ٦٠٠ للسيد المسيح ، في روحين ، وهي قرب حلب ، في لحف جبل ، حيث كان له مشهد مليح ، يقصد للزيارة ، وتُنذر له النذور ، وله وقف . وممن رثاه ابو جعيل الاليري الذي زار قبره . فقال :

هذه منازل ذي العلا قس بن ساعدة الايادي
كم عاش في الدنيا ، وكم اسدى الينا من ايادٍ !
قد نالها ، بحل البلا غة ، مفصحاً في كل نادٍ
قد قرّ في بطن الثرى متفرداً بين العبادِ !

وقد صار الى « حيث صار القوم » فرحم الله تلك النفس التقية !

---

١) اطلب مثالنا : امية بن ابي الصلت : المشرق (٢٦[١٩٢٧]٤٩٢) .
٢) الاب لويس شيخو : النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية — صفحة ٦٩ .

فوائد التحريج

بقلم انطوان باز

المهندس من المكتب الافرنسي في بيروت ،
ومن مدرسة الكهرباء العليا في باريس

٢

لقد بحثنا فيما مضى عن فوائد التحريج من حيث الجمال الطبيعي والمنفعة المادية ، فهنالك ظلُّ الاشجار ، وخضارُها ، وثمارها ، والينابيع العذبة . وهنالك الرمال الجارفة اوقفتها الغابات ، وصناعات شتى اخذت من الخشب موادّها .

وهل يحسن بنا ان نختم ذلك الموضوع ، ولا نطرق بندًا هو في غاية من الاهمية اليوم ، بتقدّم الصناعات وازدياد عدد المحركات النارية ، ألا وهو بندُ الموادّ الشاعلة !

الموادّ الشاعلة كثيرة انواعها . فمنها ما جاء غازًا يُنيرُ ويدفئ ، ومنها ما كان سائلًا كالبترول والكحول وما شابه ، او جامدًا صلبًا كالفحم وانواعه . وما من احد يجهل منافع تلك الموادّ واهميتها اليوم في عالم الصناعة :

الغاز

فالغاز ، ومصدره الفحم ، لا يزال يستعمل ، رغم انتشار الكهرباء ، للطبخ والتدفئة في البيوت والفنادق ، كما كان ذلك في بيروت قبل الحرب . وتغلّبه على الكهرباء في توليد الحرارة — رغم كونه سامًّا — هو ثمنه البخس . فنفقاته جزء من نفقات الكهرباء حتى في بلد رخصت فيه القوة الكهربائية . وقد جاء مؤخرًا في التصريحات الرسمية ، ان الفنادق التي استخدمت المطبخ الكهربائي ، في باريس ، الى اليوم ، لا يتجاوز عددها العشرين . هذا طبعًا فيما يختصّ بالحرارة . اما في التنوير فللكهرباء افضلية لا تنكر ، ناهيك عن أن

مصروفها في توليد النور احط بدرجات منه في توليد الحرارة. فنفقات القنديل الواحد قوة المائة شمعة لا تبلغ جزءاً من سبعة من نفقات اصغر بايور للتدفئة وكلاهما على الكهرباء.

ولا نطيل الشرح في كيفية استخراج الغاز من الفحم ، بل يكفي ان نقول انه يُعمل بتقطير الفحم الحجري ضمن حلة مسدودة ، بمعزل عن الهواء ، وعملية التقطير تعطي ، خلا الغاز الشاعل ، قسماً من الزفت واملاح النشادر تفرز بمرور الشاعل في الماء . ويبقى في الحلّة نوع من الفحم يعرف بالكوك (coke) ، يُستخدم في صناعة الحديد وغيرها.

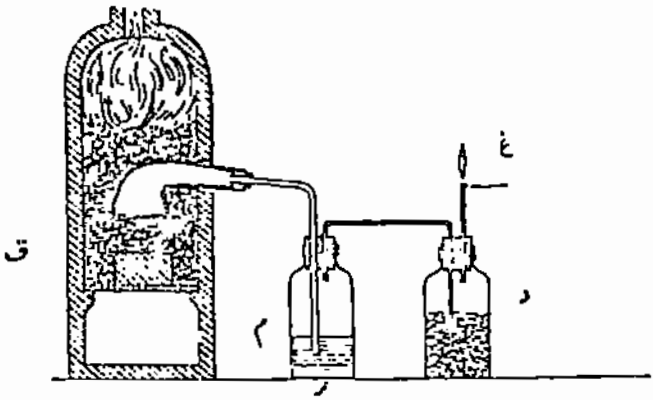

الرسم ١ : طريقة تحضير الغاز بكمية صغيرة في المختبر

ف : الفحم م : ماء لترسيب الزفت وتذويب املاح النشادر

د : مواد كيماوية لتطهير الغاز غ : الغاز الشاعل

البترول

قلنا كلمة ، في العدد الماضي ، عن هذا السائل المعدني وينابيعه وهو الآن لا يكاد يُستغنى عنه ، لا للإنارة لأن قناديل « الكاز » مالت الى الزوال ، بل لتسيير ملايين من المحركات ثابتة او نقّالة ، كما في السيارات . وكلمة البترول عندنا تعني ليس فقط السائل المعروف « بالكاز » بل البنزين ، والزيت الوسخ (المازوت) ايضاً ، وكلاهما يستخرجان من الاول بواسطة التقطير ،

فاوّل ما يُستقطر البنزين لخفته ، ثم يُستخرج البترول العادي ويبقى في الانبيق الزيت الوسخ . ومما زاد في اهمية البنزين ، صلاحيته لإدارة محركات بسيطة الصنع ، عظيمة القوة ، صغيرة الحجم ، خلافاً للمحركات على الزيت الوسخ . وقد توصلوا في الطيران الى عمل محركات على البنزين بقوة خمسمائة حصان لا يتجاوز وزنها المائة كيلو او ما يقارب ذلك . وهذا من الاسباب التي جعلت مسألة البترول ، في العالم ، مسألة سياسية ، وفي الشرق عندنا مؤخراً مثلٌ على ذلك.

الفحم

لا نغالي اذا قلنا ان الفحم هو اهم المواد الشاغلة ، رغم انتشار البترول .. كيف لا وينابيع البترول على غزارتها لا بُدَّ من ان تجفّ يوماً . غير ان مناجم الفحم كثيرة والاشجار والغابات موردٌ مستديم للفحم الخشبي . ثم اذا كان للبترول وما يستخرج منه افضلية في توليد القوّات الصغيرة ، فالفحم مصدر القوات العظيمة ، تشهد بذلك تلك الآلات الضخمة التي يديرها البخار مولّداً بتسخين الماء . وقد رأيت في وسط جنفيليير ، قرب باريس ، آلتين كهذه قوة كلٍّ منها ستون الف حصان . واذا صحَّ ما جاء في بعض المجلات ، فالاميركان اتوا مؤخراً بآلة بخارية تربو قوتها على المئتي الف حصان .

كلُّ ذلك يبين انه لا يزال للفحم ، اليوم ، المقام الاول في توليد القوة . فبه سارت وستسير قطاراتنا ، بخاريةً كانت ام كهربائية ، الّا اذا استخرجت كهربائيتنا من شلالات الماء كما بدأوا به الآن في زحله والقاديشا . وبه سارت وستسير بواخرنا رغمَ ما رموا اليه من استبدال الماكنة البخارية بمحرك ضخم على المازوت ، كما في الباخرة «شامبوليون» وبعض البواخر الجديدة الصنع ... الفحم اكم ضبٌّ من المعادن كالحديد والنحاس وغيرها ! .. وهو اذا استغني عنه في توليد القوة ، لا يُستغنى عنه في كثير من الصناعات المعدنية كصناعة الحديد مثلاً . فقائدته هنا لا تتوقف على توليد الحرارة اللازمة لتذويب المعدن بل على تحويله ايضاً من نوع الى نوع نظراً لما فيه من الكربون . وهكذا

يحول المعدن الاولي (minerai) الى حديد صب (fonte) ثم الى حديد بسيط (fer) او حديد فولاذي (acier).

ومهما كانت اهمية الفحم فعلينا ان نميز بين الفحم الحجري او المعدني والفحم الخشبي.

الفحم الحجري

يتكوّن طبقات في الارض يبلغ علوها احياناً عشرة امتار ونيف بطول بضعة كيلومترات. انواعه كثيرة منها التورب (tourbe) ومصدره بعض اعشاب المستنقعات تختمر تحت الماء فتتحول فحماً يزداد علوه — على حساب البعض — ثلاثة امتار في القرن. وفي جهات قب الياس في البقاع آثار منه. ومن الفحم الليغنيت (lignite) والانتراسيت (anthracite) واصلها جذوع واغصان واعشاب جرّتها المياه، فطمرها التراب فتحولت فحماً على مرور الاجيال. وهذه النظرية لا سبيل الى اثباتها بعدَ ما عثروا في كثير من المناجم، على اوراق واغصان حتى وجذوع قائمة ترى في شكلها الطبيعي محولةً الى مادة فحمية، كما في الرسم ٢. ولا فرق بين الليغنيت والانتراسيت سوى ان الاول هو الفحم في اول دورته والثاني هو الفحم الناضج.

الرسم ٢
جزع من الاشجار حولته الاجيال فحماً

الفحم الخشبي

وعلى اتساع مناجم الفحم، فهي نافدة يوماً. وهذا مما يقلق افكار الحكومات كنفاد البترول. وان كان علماء الكيمياء قد شرعوا في البحث والتنقيب عن

طرق لتركيب البترول ، فعمل الفحم اقدم من الكيمياء والكيمائيين . كيف لا وقد توصل الانسان الى عمله ، منذ اجيال ، باحراق الحطب ضمن مشاحر اولية ، منها كثير في جرود لبنان . يقطع الحطب زنوداً ويستف بشكل دائرة قبلية السطح ، ترك وسطها فارغاً كمدخنة . ثم تغطى تلك الزنود بالاوراق وبعده بقشرة من التراب كي لا يدخلها من الهواء الّا القليل . ثم توقد النار ضمن المدخنة وتترك المشحرة هكذا اياماً ريثما يتحول الحطب من الوسط الى اطراف الدائرة ، ومن القعر الى السقف فحماً كاملاً (انظر الرسم ٣) . ورغم بساطة تلك الطريقة فاستعمالها ليس بالسهل ، ولا ينجح بها من القرويين الّا من اعتادها بمرور الزمن . ومن شروط نجاحها اتقان القشرة الخارجية . فاذا كانت هذه خاوية دخل الهواء بكثرة فاشتعل الحطب ولم يُبقِ الّا رماداً ، واذا كانت محكمة السد لم يتم الاحتراق ، فكان ما يُعرف عند العامة « بالعرّاط » وهي زنود لم تزل حطباً اذا أُشعلت تصاعد منها دخانٌ مزعج ورائحة كريهة . ومن الغريب أنّ العرّاط لا يُعرف الّا متى وقد ، لاسوداد ظاهره ، غير ان من ربّات المنازل من تعرفه احياناً لثقله ، فتنبذه خارجاً .

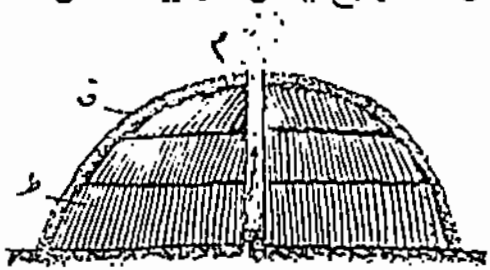

الرسم ٣ : شكل هندسي لمشحرة عادية
ط : زنود الحطب
ق : قشرة من التراب واغصان الاشجار
م : مدخنة

والمشاحر السابق ذكرها صعبة الاستخدام في بلاد تكثر فيها العواصف والزوابع حتى في ايام الصيف . فالعاصفة تهدم المشحرة او تكشف عنها التراب فيدخل الهواء بكثرة ، فيلتهب الحطب . والامطار توقف الاحتراق وتبلل الزنود . واجتيازاً لتلك العقبات فقد عمل احدُ الفرنساويين ، لثلاث سنوات خلت ، مشحرة نقالة ، بشكل حلّة مستديرة ذات غطاء ، من عن جانبها آلات لوزن الحرارة الداخلية تنبئ عن حالة الاحتراق ضمن الحلّة . ومعرفة هذه الحرارة مما يسهل تعديل الهواء بواسطة طاقات صغيرة تتح وتسد عند اللزوم . ويظهر ان

تلك المشحرة جاءت بنتائج حسنة لسهولتها بحيث ان شخصاً فرداً يتمكن ، دفعةً واحدة ، من مناظرة اربعة منها . .

هل فوائد الاشجار ، في المواد الشاعلة ، متوقفة على الحطب والفحم

اول ما استخدمت جذوع الاشجار واغصانها ، حطباً كانت ام فحماً ، للوقود دون ما نظر الى ما في الخشب من المواد النافعة التي تذهب ضياعاً باحتراقه . وما تقدّم فنُّ الكيمياء في القرن الماضي ، حتى عرف ان في الخشب موادّ غاية في الاهمية تستخرج بتقطير الحطب ، ومن هذه المواد الحامض الخليك والكحول الخشبي وكلاهما محورا الكيمياء العضوية . اما التقطير فيجري بواسطة الأنبيق بان يوضع الحطب ضمن حلّة مغطّاة ، كما في الرسم ٤ ، توقد تحتها النار . وهذه الحلّة موصولة بانبوب لولبي ، تبرّده المياه ، يؤدي بالمواد المتقطرة الى وعاء تركدُ فيه طبقات حسب ثقلها النوعي : الزفت ، فالاستون ، فالكحول الخشبي ، فالحامض الخليك . وقد يخرج ، مع البخار ، غازات شاعلة لا تقطر فتؤخذ من آخر الانبوب لتستعمل كوقود تحت الحلّة عوضاً عن الحطب او الفحم . فكأن عملية التقطير لا تستلزم من الوقود الّا يسيراً في البدء ، قبل خروج الغاز الشاعل . واذا ما انتهى التقطير وفتحنا الحلة ، وجدنا فحماً هو الفحم الخشبي ، يستخدم او يباع .

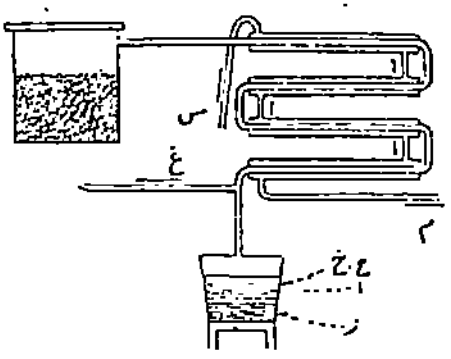

الرسم ٤ : شكل هندسي لطريقة تقطير الخشب

ح : الحطب في الحلة — م : الماء البارد
غ : الغاز الشاعل — ز : الزفت
ا : الكحول — ح.خ : الحامض الخليك
س : الماء السخن عند خروجه

وفكرة تقطير الخشب لاستخراج مواده قلبت صناعة الفحم الخشبي ظهراً لبطن . فبينما كان يُعمد الى الحطب للوصول الى الفحم فقط فقد اصبح الفحم ، في تقطير الخشب ، مادةً ثانوية . وعلى هذا فقد قامت في اوربة معامل ترمي

الى تقطير الخشب لاستيراد الاستون والكحول والحامض الخليك. وفي الرسم ٥ منظر لواحد منها. اما من الوجهة الاقتصادية فعلى تلك المعامل ان تكون في وسط غاب او على مقربة من موارد الحطب، توفيراً لنفقات النقل. وكم فكّر الاختصاصيون

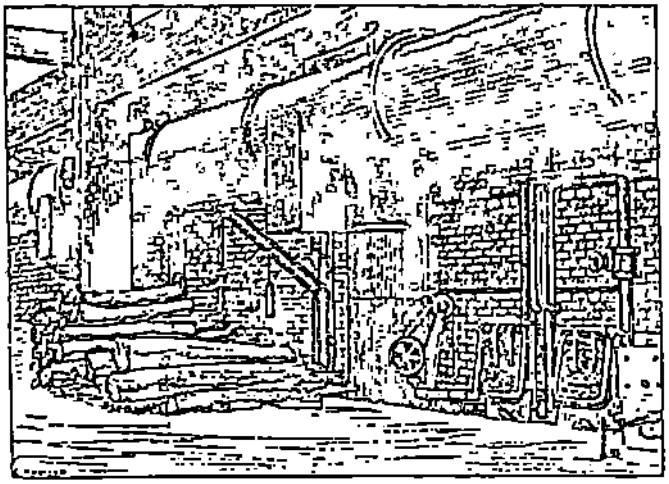

الرسم ٥ : منظر لمعطرة صناعية تستخرج المواد الكيماوية من الخشب.

بطريقة سهلة لاستخراج المواد المار ذكرها في المشاحر العادية حيث لا ينظر القروي الّا الى الفحم، بيد ان هنالك اجساماً اهم واغلى تذهبُ ضياعاً في الجو.

الفحم الخشبي : استعماله في السيارات

وسواء استحضر بالطريقة الاولية او بطريقة التقطير، فللفحم الخشبي اهمية تكبر يوماً فيوماً بازدياد الصناعات واتساع الاحتياج الى الوقود. وللفحم العادي ميزة عمّا يستحضر بالتقطير، لحصوله على قسم من الغازات الشاعلة. فاذا قطّر بواسطة الغازوجن جاء بنوع من الغاز (gaz pauvre) يستخدم، كالبترول، لادارة محركات مخصوصة، فتبيت القوة الحيلية بتلك الطريقة، رخيصة جداً. وقد كان يرى من تلك المحركات في شركة الجرّ والتنوير في بيروت، حتى استُبدلت اخيراً بمحركات على الزيت الوسخ.

واستخراج القوة الحيلية من الفحم الخشبي، بطريقة الغازوجن، وتطبيقها على تسيير السيّارات، مسألة اشغلت عقول الفنيين والاداريين معاً في السنين الاخيرة.

وتلك النهضة فرنساوية محضة لافتقار هذه الدولة الى البترول. فكأنها ارادت ان تتخذ لها بذلك للمستقبل درعاً ، فيما لو كانت حرب جديدة وقطعت عنها موارد البترول. لذا همت سنة ١٩٢٥ معامل عديدة ، منها معامل رينو الشهيرة بدروس واختبارات ثم وضعت نموذجات لسيارات ، منها النقل ومنها للركاب ، جاءت لدى التجربة بنتائج كلها آمال . وقد اثبت الجرائد ، اذ ذاك ، الفحم الخشبي «بالوقود الوطني» لكثرة الاحراج في الشرق والجنوب. اما ، وان كانت المسألة هذه قد حلت فنياً ، فلا يجوز تطبيقها الا على سيارات النقل حيث التوفير ظاهر بين ثمن البنزين وثمن الغاز. اما في السيارات العادية فالاقتصاد الناتج عن الوقود لا يوازي نقمة الغازوجن وما يستلزمه من الاعتناء في تنظيفه ، وتعبئته من الفحم.

تلك نظرة في منافع الاشجار من حيث استخدامها للوقود وبعض المواد الشاعلة ، نضمها الى ما سبق من المنافع التي اوردناها من حيث الجمال الطبيعي وزيادة الينابيع ، وحفظ التراب من عوامل الهواء . . . ولا يسعنا ان ننهي ذلك الموضوع قبل ان نبدي كلمةً في منافع الاشجار والغابات الصحية. فمن المعروف ان الحرارة الدموية ، في الانسان او الحيوان ، اساسها احتراق المواد الغذائية بواسطة الاوكسيجن الذي يتنشقه المرء بالهواء. ومتى تم الاحتراق ، كان الغاز الكربونيك ، وهو لا يصلح للحياة ، فيفرزه الانسان . والتنشق والفرز يتمان بواسطة الانف واحياناً بالفم. فلو عدّلنا ما يصرفه الانسان الواحد من الاوكسيجن وما يفرزه من الغاز الكربونيك في الساعة او في اليوم ، لوجدنا ان الهواء لا يلبث ان يفسد — خصوصاً في المدن الكثيرة السكان — ان لم يكن هنالك طريقة طبيعية لتجديده . وهذه الطريقة تجري بواسطة اوراق الاشجار . ففي تلك الاوراق الخضراء مادة تعرف بالخضوب (كلوروفيل) تحوّل ، بتأثير الحرارة الشمسية ، الغاز الكربونيك الى اوكسيجن وكربون فتستبقي بالثاني لحياتها وتفرز الاول ، مجددةً هكذا الهواء الفاسد . . .

فلدى تلك المنافع يجدر بحكومتنا ان تنشط الى تحريج البلاد . فإن لم يكن ، من وراء ذلك ، منافع مادية تذكر ، كانت على الاقل منافع صحية ، وجمال طبيعي ، فعادَ الى لبنان رونقه ونضارته . . .

الاب لوسيان كاتن

١٨٥١ – ١٩٢٩

بقلم

الخوري بطرس غالب

يوم الاحد الواقع في ٢٦ ايار الماضي ، ساعة توارت الشمس بين الجبال العالية المشرفة على البقاع ، انطفأ في تعنايل الحديقة الغناء ، نورٌ لمع في افق لبنان وسورية ومصر خمساً واربعين سنة ، ارسل في خلالها اشعته على العقول فاضاءها بتعليمه ، وعلى القلوب فاضرمها بحب الله وحبه ، ودفعها في سبل الخير دفعةً لا يزال تأثيرها ظاهراً حتى الساعة.

الاب لوسيان كاتن ، السويسري المولد ، الفرنسي العواطف ، اللبناني القلب ، هجر قبيلته ووطنه وجاء بلادنا التي ما كان عرفها الّا بما رواه عنها رفقاؤه في الابتداء ، وتخصّص لخدمة شبيبة تعشقها مذ توسّم بها من الاهلية ما يجعلها جديرة بان تحلّ في المستوى البشري محلّا معتبراً يعدّها اليه ما زيّنها بها الخالق من المواهب الفطريّة.

الاب لوسيان كاتن ذو منزلة سامية في القلوب ، وفضل جزيل على الشبيبة . خبرتُ عن كثب ما تحلّى به من المزايا الطبيعية والفضائل الفريدة التي جذبت الى طرق الصلاح عدداً عديداً من ناشئة الوطن ، فوجب عليّ ان انفح تلاميذه واحباءه ومعارفه ، وهم السواد الاعظم في هذه البلاد ، بنبذة توقفهم على حياة هذا الراهب المتواضع المطيع المتجرّد عن كل حطام الدنيا ، الذي اتى اعمالاً يعجز عنها اصحاب الحول والطول بسعيه المبارك المستند الى قوّة الله والى عنايته ، جاهد جهاداً طويلاً وحسناً ففاز بالاكليل المعدّ للمجاهدين.

* * *

ولد لوسيان فيكتور كاتن في اول شهر آذار ، المكرّس لعبادة القديس

يوسف ، سنة ١٨٥١ في بلدة بَرَّيِر الواقعة قرب نوارمون من اعمال سويسرة ، وقبل سرّ العماد في اليوم ذاته . فربّاه والداه التقيّان على سنن الفضيلة والتقوى ثم سلّما امره الى خادم الرعية فلقنه مبادئ العلوم وأهّبه للمناولة الاولى فتقدم من المائدة المقدسة سنة ١٨٦٢. وما طال به الامر حتى سمع صوت الله يدعوه الى الحياة الرهبانية ، فطلب ان يسلك في طريق الكمال في جمعية يسوع ، فاستجيب طلبه ودخل دير الابتداء في مدينة كلرمون في فرنسة في اليوم السادس عشر من شهر آذار ١٨٦٨ . وكان بين الذين قضوا سنتي الامتحان معه الاب انطون صالحاني اليسوعي . فعكف المبتدئ الجديد على التمرّن على اساليب المعيشة الرهبانية وكمالها ، واذ رأى رؤساؤه حسن استعداده لاقتباس العلوم ، وللتقدم الى الدرجات المقدسة ، اوعزوا اليه ان يدرس اللغة اللاتينية ، ففعل وبرع فيها. ثم انتقل من دير الابتداء الى دير الدارسين من ابناء رهبانيته في مدينة لون له سونيه ، حيث التقى ببعض الدارسين اليسوعيين اللبنانيين كالابوين جبرائيل اده وسليمان غانم ، فاخبراه عن لبنان واحواله وارسالياته . وفي يوم عيد القديس يوسف ١٨٧٠ ابرز نذوره الاولى ثم انصرف الى اتقان المعاني والبيان طبقاً لما يفرضه القانون. وفي ٢١ آب من السنة نفسها رقي الدرجة الاولى من السلك الاكليريكي اي رتبة قص الشعر رمزاً الى تجرّده عن العالم وتخصصه لله تعالى.

في سنة ١٨٧١ نُقل الى مدرسة القديس ميخائيل في مدينة سانت اتيان فدرّس فيها اربع سنوات ، ثم تولّى رعاية فئة المتوسطين مدة سنتين.

وفي تلك الفترة رقي الى الدرجات الصغار (١٨ ك ١ ١٨٧١) ثم الى الشماسية الرسائلية (٢٦ ايار ١٨٧٧) بوضع يد الكردينال كاثرو رئيس اساقفة ليون . وما لبث ان جاء معهد برسبورغ في المجر حيث درس الفلسفة فلمع بين اقرانه . ولما انجزها ، ارسله رؤساؤه (١٨٨٠) الى جامعة انسبروك ، في بلاد التيرول النمساوي ، فتلقى علم اللاهوت على اساتذة شهيرين مدة اربع سنوات سيم في خلالها (٢٥ تموز ١٨٨٢) شماساً انجيلياً ، وبعد سنتين (٢٦ تموز ١٨٨٤) رقي الى الكهنوت . ثم في اوائل السنة المدرسية أرسل الى

بيروت ليستلم فيهـا ادارة الدروس والنظام المدرسي فقام سنتين بمهمته هذه افضل قيام.

سافر الى سلوغ في انكلترة (١٨٨٦) ليقضي سنة الامتحان الثالثة طبقاً لما يفرضه القانون واستعداداً لابراز النذور الاحتفالية. ثم عيّن رئيساً لمدرسة القديس فرنسيس كسفاريوس في الاسكندرية (١٨٨٨) وفيها نذر النذور الاخيرة وتقيّد بخدمة الرب في الرهبانية اليسوعية الى الابد.

روى الذين قضوا، باشرافه وادارته تلك السنوات الثاني، انها كانت المع سنوات تلك المدرسة الشهيرة واغزرها فائدة لطلّاب العلم الذين كانوا يرتادونها عديدين. فان الصفات التي تحلّى بها الاب كاتن جذبت اليه قلوب الاهلين والتلاميذ الذي ادركوا ان بين لوحي ذلك الصدر الرحب يخفق قلب يتدفق حناناً على الشبيبة، مملوء تفانياً واخلاصاً لها، يبذل كل ما عزّ وهان في سبيل خدمة نفوسها وعقولها، ولا يأنف من مدّ يد المساعدة المادية والادبية متى دعت الحاجة الى ذلك.

كان الاب كاتن يسهر على دروس الطلبة بعين يقظى يتتبع خطواتهم في سنيهم المدرسية وبعدها، لا ينتظر ان يأتي ابناؤه اليه بل يتطلّبهم بنفسه ويستفهم عن احوالهم ويجود عليهم بما يستطيعه. وهذه المزايا التي امتاز بها في الاسكندرية بلغت حدّ الكمال بتوالي الايام، ولم تكن معرفته الشبيبة وخيبة آماله بعض الاحيان الّا لتزيده تعلقاً بها، معتقداً ان الاب لا يجب ان يثنيه عن العناية بابنائه هفوات او خطيئات تصدر منهم، بل عليه ان يضاعف السهر والمحبة ليحفظهم في جادّة الدين والآداب. وكان كل من يهتمّ به الاب كاتن يظن ان الاب كاتن لا شغل يشغله عنه. ولما قرر الرؤساء الغاء مدرسة الاسكندرية بعد الحرب الكبرى، تأثر الاب كاتن لانه كان قد تعب فيها كثيراً، لكنه لم يتذمّر ولم ينتقد، بل حبّذ العمل الذي قضى على اتعابه مدة ثماني سنوات.

واذ ظهرت مقدرة الاب كاتن الادارية وسلطته على القلوب، دعاه الرؤساء الى بيروت ليسلّموه شؤون المكتب الطبي، وارشاد جمهور الكلية الروحي.

وكانت بناية المكتب الطبي في ذلك الحين هي بناية مكتب الحقوق اليوم . فذ استلامه وظيفته نفخ في الطلبة والاساتذة روحاً جديداً ، فتقدم المكتب تقدماً عظيماً على توالي الايام ، فاخذت فكرة نقله الى محلّ اوفر مناسبة تشغل عقل الاب كاتن لان البناء ضاق بساكنيه ، واصبحت معدّاته غير كافية لتمرين الطلبة على الاعمال الطبيّة والاختبارات .

ولم تلهه مشاغله الادارية عن القيام بوظيفته الروحية فخصص لنفوس الشبان كل ما اتصف به من حكمة ومحبة وعزم ما جعلهم يعتقدون ان في قلب الاب كاتن مستودع حب سام لا ينضب ، فصارحوه بكل ما كان يؤلم نفوسهم ويقلقها ، وكان يصعب على الاب كاتن ان ينسب الى الغير سوء النية او تعمد الشر .

وما اكتفى الرؤساء بما القوه على عاتقه من الاثقال ، بل كلفوه ادارة كلية القديس يوسف ، فتولاها مدة ثلاث سنوات بعد الاب جبرائيل اده الذي كان انالها من حسن السمعة والشهرة ما اوجب على الرئيس الجديد ان يبذل قصارى جهده في حفظ مقامها بل في اعلاء شأنه وقد وفقه الله الى ذلك . وفي اثناء رئاسته هذه أسست جمعية الطلبة القدماء وكان له اليد الطولى في تأسيسها ، غايته منها حفظ الشبيبة بعد خروجها من المدرسة وتوطيد علائقها مع مرشديها واساتذتها ، وضم كلمتها ليكون لها مقدرة على ادارة حركة الافكار وتطوّراتها لانها نخبة شبان البلاد ومحط آمالها .

اما الاب كاتن رئيساً فلم يختلف عنه مرشداً . فكان يستدعي التلاميذ فرداً فرداً ويستوضحهم عن احوالهم النفسية والصحية والمدرسية موبخاً بتؤدة ، مشجعاً ناصحاً ، نافخاً روح التقوى والاجتهاد ، واثقاً بمواعيدهم الى ان يخيبوا اماله فيصرفهم وكان هذا الامر نادراً . كان التلاميذ يحبونه ويتهيبونه . وكثيرون كانوا يخشون قربه ، لان هيئة الوقار تجلله . لكن اوهامهم كانت تتلاشى حين يعرفونه عن كثب ، وهو الصديق الحميم يُعنى بمن يلجأ اليه كانه اخوه او ابنه ، ينفتح له قلبك فيلجه ويستملكه ، فتشعر ان محبته تسري فيك وتكتنفك فتبادله اياها وتتعلّق به .

اما سرّ هذه السلطة في الاب كاتن فهو تفوقه في فضائله وسمو اخلاقه

المبني على اخلاصه للسيد المسيح في خدمة النفوس . وقد حقّ لاحد الذين عاشروه وخبروا اعماله وهو من علية رجال الاكليرس ان يقول : « اعتقد ان الاب كاتن لم يأتِ عملاً لم تدفعه اليه غاية فائقة الطبيعة . »

ولما انتهت مدة رئاسته على الكلية ألقيت اليه مقاليد الرسالة كلها ، مع تبعة ادارة مدرسة الطب (١٩٠٢ — ١٩٠٧) فلم يعبأ بالحمل بل توكل على الله وسار في سبيله ، وهو الرجل الذي لا تريعه مسئولية مهما عظمت . لان استناده ليس الى نفسه بل الى الله تعالى . زار اديار المرسلين اليسوعيين والمدارس التي يديرونها ففرح قلبه بما رآه من الخير . ولذا كان يحرّض دارسي الرهبانية على ان يتعلموا اللغة العربية لتصبح بين ايديهم صلة تفاهم ووسيلة لنشر المبادئ الصحيحة ليربحوا النفوس للمسيح .

ومما عُرف عنه انه كان يدفع الطلبة الى تعلّم اللغة اللاتينية اعتقاداً منه ان لآدابها تأثيراً صالحاً في التهذيب والتثقيف ، لانها توجب على العقل التمرّن على كشف ما استتر من المعاني في قوالب التعبير المختلفة الاشكال بل كان يرمي الى افضل من ذلك وهو ترويج الدعوات الكهنوتية لان تعليم الشبيبة ما هو كافٍ لكسب المعاش والاستخدام يبقي العقل على حالته ويقف عقبة في طريق النفوس ، ويمنعها من ان تصبو الى ما هو اسمى من الامور الدنيوية ، اي الى التقيّد بخدمة الله والتخصص بها .

قلت ان ترقي المكتب الطبي والسمعة التي حازها في الشرق والغرب استوجبا تشييد مكتب جديد فسيح الارجاء مجهّز بكامل المعدات التي يقتضيها الطب الحديث من آلات ومختبرات وحدائق وقاعات تشريح وتدريس ومتحف ، فاخذ الاب كاتن يمحص فكرة تحقيق هذه التمنيات بعد ان اعرب عنها رؤساء اللجان الفاحصة التي كانت ترسلها الحكومة الفرنسية لامتحان الطلبة . فانهم كانوا يرون بام عينهم تقدّم التلاميذ وحسن استعدادهم ، ويقابلون بينها وبين الوسائط الموضوعة بين ايديهم فيظهر الفرق عظيماً ولاسيما حينما كانوا يشاهدون ما هي عليه الجامعة الاميركية من السعة في ماليتها ودورها ومستشفياتها .

وكان اول ما سعى اليه وناله تعيين لجنة طبية تركية تشترك في امتحان

الطلبة لتعطيهم الشهادة المؤذنة لهم بممارسة فنهم (١٨٩٨) ولا بد من التنويه بفضل مسيو بول كامبون سفير فرنسة في الاستانة وهو الرجل الذي خدم بلاده خدمات جلى بسوء مداركه وحكمة مسلكه.

عرض الاب كاتن فكرته على رؤسائه فاستصوبوها وتقرر ان تبني الرهبانية اليسوعية المكتب الطبي على الطراز الجديد ، بشرط ان تأخذ الحكومة الفرنسية على نفسها بناء المستشفى الذي يبقى ملكها ، لكن ادارته تسلم الى ادارة المكتب الطبي. وللوقت ابتاع الاب كاتن الارض الفسيحة التي يقوم فيها الان المكتب الحديث ، وسافر الى فرنسة يسعى للحصول اولاً على زيادة المال المخصص من الحكومة راتباً للاساتذة لان عددهم اصبح غير كاف ، ثمَّ وصولاً الى المال اللازم لبناء المستشفى سواء كان بطريقة رسمية او باكتتاب وطني يشترك فيه جميع الفرنسيين ، لان العمل عمل افرنسي يتوقف على ثباته ونجاحه نفوذ فرنسة وسمعتها.

طالعت في مذكرات الاب كاتن تفاصيل جهاده ، فادهشني ثباته ورباطة جأشه تارةً يبرق له الامل وتارة يمثل امامه شبح الفشل . لكنهُ لم يقنط قط وقد وضع اتكاله على القديس يوسف شفيعه المشفع ومحامي الكلية بكل اجزائها. وقد رأيت في سيرة حياته ان اغلب اعماله قد تكللت بالنجاح في شهر القديس يوسف . والحق يقال ان القديس يوسف سهّل طرقه في ايام كانت الحكومة الفرنسية في ايدي رجال عُرفوا بمناهضتهم الاكليروس ، لكنَّ الله الذي سخّر غامبتا لان يتفق مع الاب نورمان على بناء المكتب الطبي ، حمل رجال ذلك العهد على تشجيع الاب كاتن ومدّ يد المساعدة الى مشروعه .

سافر الى باريس مراتٍ لينجز عمله فنال زيادة المرتبات وتوفق الى ادماجها في موازنة الحكومة ، ثم تعرَّف الى وهط من القوم الكرام لم يبخلوا عليه بمساعدتهم الادبية والمادية ، وها اني ذاكر اخصّ من ذكرهم : اولهم مسيو سيناد رئيس لجنة جمعية اسية الفرنسية ؛ مسيو روبر ده كه امين سرها ومحرر مجلتها ؛ مسيو اندره تارديو رئيس تحرير جريدة «الطان» اذ ذاك الذي تحمّس لمشروع الاب كاتن تحمساً شديداً ، فكان اول من كتب مقالة ممتعة في «الطان» بهذا الشأن

فنقلها اغلب الصحف الكبرى في باريس والولايات ؛ الاستاذ بلانشار وعموم الاطباء اعضاء اللجان الفاحصة ؛ مسيو ڤيكتور برار الذي القى عدة محاضرات بليغة كان لها الوقع الحسن. ثم جمعيات غير هذه اتفقت معاً على فتح الاكتتاب الوطني الذي جمع مبلغاً من المال لا يستهان به غير انه لم يكن كافياً ، فسعى الاب كاتن لدى اللجان المختلفة المكلفة توزيع بعض الاموال في الحكومة فنال منها قسطاً وافراً ايضاً.

عند ذاك رجع الى بيروت واهتم باعداد حفلة وضع الحجر الاول من البناية الجديدة وتبريكه ، فتمّ ذلك في ١١ ت ٢ ١٩١١ برئاسة مسيو كوجه ، ممثل الحكومة الفرنسية وضباط الطراد غاڤيتا ، والرؤساء الروحيين يتقدمهم نيافة القاصد الرسولي السيد فريديانو جيانيني . وقد وضع تصميم البناية الاب يوسف مَتِرن المهندس المشهور بالاتفاق مع الاب كاتن الذي كان يبدي آراء صائبة في مواضيع مختلفة منها تشييد كل من معاهد المكتب مستقلاً عن الآخر.

وفي ١٩ ت٢ ١٩١٢ ، اي سنة بعد الشروع بالعمل ، دُشّن المكتب الجديد في حفلة حافلة اشترك فيها مع ممثل فرنسة والاميرال دارتيج دي نورنه، القاصد الرسولي وبطريرك السريان ومطارنة الطوائف الكاثوليكية ، والاب شانتور رئيس اقليم ليون آنذ ، ورهط من رجال الدين والدنيا وتلاميذ الكلية.

وفي حفلتي وضع الحجر الاول والتدشين ألقيت الخطب المتعة ، اقتطف ما قيل فيها عن الاب كاتن : قال مسيو كوجه في ١١ ت٢ ١٩١١ ذاكراً ان الحكومة الفرنسية قلدت الاب كاتن وسام جوقة الشرف من رتبة فارس: « ان صليب جوقة الشرف لم يوضع قط في غير محله. لكني لا اخشى ان اقول انه لم يعلق على صدر اكثر استحقاقاً من صدر الاب كاتن . اذا ابلت كتيبة البلاء الحسن في القتال زُيّنت رايتها بالوسام ، فالاب كاتن هو راية المكتب الطبي الفرنسي المجيدة.»

وفي حفلة ١٩ ت٢ ١٩١٢ قال نيافة القاصد الرسولي : «ان هذا المكتب ظهر للوجود كامل التجهيزات كما برزت ميرفة إلهة الحكمة كاملة العدة من

رأس المشتري.» وزاد الاستاذ دهلاپرسونّ رئيس اللجنة الفاحصة : «ان الاب كاتن يشبه موسى الكليم ضرب صخرة بيروت بعصاه السحرية فاخرج منها ينبوع العلم التي يرمز اليها هذا المكتب الذي تمّ بناؤه في برهة احد عشر شهرًا» وحيّا الدكتور الفرد خوري «الرجل الذي كان روح المكتب القديم ونبراسه» وقال: «اننا مدينون لك بما انك كنت لنا لا استاذًا يفيض من كنوز معارفه العلوم ويكشف لنا انواع الفنون ويشربنا دقائقه، بل كنت المعلم الذي لم يفرض علينا ان نعتقد اعتقاده بل احترم اعتقادنا وتوصّل بدون احتكاك او صرامة ان يلقّنا علم القلب واركان المحبة والشفقة والتجرد وجميع الخلال التي تؤلف قوّة الطبيب الادبية وتجعل الطب نوعًا من الكهنوت، المعلم هو الذي يسمو بنفوسنا الى مستوى نفسه فيوحي اليها ان تشاركه في ايمانه وامانيه بل يوجب عليها ذلك بقوة نفوذه فيها وسلطته عليها.»

وكانت المجلات الفرنسية كما قلنا تناولت هذا الموضوع وذكرت الاب كاتن في معرض تلك المقالات، واطرأت مناقبه، من ذلك قول مسيو ڤيكتور بزار: «ان المكتب الطبي يديره رجل متفوّق هو الاب كاتن فانه ليس رجل علم فحسب، بل سياسي بارع متوقد الذهن كيّس المعشر والمعاطاة يسحر الالباب بلطفه وظرفه. هو سبب تقدم المكتب الطبي ونجاحه وهما انه شرع بنشاطه المشهور في ادخال ما يقتضيه الفن من التغييرات والتكميلات في المكتب الذي تكرس لانجاحه.»

وكتبت مجلة «الصحافة الطبية»: «ان روح هذا المكتب هو الاب كاتن مديره منذ سنة ١٨٩٥، وهو الرجل الممتاز باقدامه ومقدرته الادارية ومضاء عزمه وجلده وثباته على العمل وتواصل سعيه. هو الذي رقّى المكتب في معارج الفلاح فجعله ما نراه الآن.»

وبعد ان تمّ للاب كاتن ما سعى اليه، رأى الرؤساء انه لا بد من ان ينصرف مدة الى الراحة فسلّموه خدمة جمهور الكلية الروحية والعناية بفئة الكبار الداخليين واخوية المتوسطين (١٩١٣ — ١٩١٤) وفي آب سنة ١٩١٤ اشتعلت نار الحرب الكونية فاضطر الاب دهرتبري رئيس المكتب الطبي ان

يغادره الى فرنسة فأعيد الاب كاتن الى عمله الاول بالوكالة ، وعُهد اليه بتدريس صف الفلسفة . لكن في ١٢ ت٢ تفرّق الاباء والتجأ الاب كاتن الى القصادة الرسولية وبقي فيها الى ان اتيح له ان يسافر الى ليون ، فوكلت اليه العناية بخدمة طلّاب الطب الروحية بمستشفى الصحة . وبعد عيد الفصح قصد الى باريس لترويج فكرة المطالبة بسورية وفلسطين . ثم عين رفيقاً للاب شانتور رئيس اقليم ليون (١٩١٥ — ١٩١٨) حتى عقدت الهدنة بين فرنسة والمانية. عندئذٍ بادر الى الرجوع الى ميدان جهاده فوصل بيروت يوم عيد الميلاد ١٩١٨ . وفي اول كانون الثاني استلم ادارة الكلية من جديد.

يعلم الله فرح الاب كاتن لدى مشاهدته ارض لبنان العزيزة ، فانه لم يكن ليصدق ان هذه البلاد تتحرر وان امانيه تتحقق. ولكن منظر الخراب الذي حلّ بلبنان المخلص لفرنسة قد احزنه شديد الحزن فسعى جهده لتتميم اماني اللبنانيين باستقلالهم الذاتي ، ولا يجهل احد ما كان سعيه لدى المقامات جميعها لتعطف على لبنان وتخلصه من الجوع اولاً ، ثم من الحالة المريعة التي كانت الحرب قد اوصلته اليها . ويوم سافر البطريرك اللبناني الجليل الى باريس ليطالب باماني اللبنانيين ، كان الاب كاتن وتلاميذه القدماء في مقدمة المودعين فحملوا البطريرك على الاكتاف مظهرين تعلقهم به واحترامهم اياه وتمتهم بمساعيه.

وسنة ١٩٢٠ بلغ الاب كاتن السنة الخمسين من حياته الرهبانية فاحتفل بها احتفالاً عائلياً . ثم لمّا هدئت الاحوال واجتمع شمل التلاميذ القدماء قرّروا تأسيس كراسي مجانية لتهذيب ابناء رفاقهم الذين اصبحوا عاجزين عن القيام بهذا الواجب . فجاء عملهم مطابقاً لاحبّ رغائب الاب كاتن واشهاها . ثم ان الحكومة اللبنانية اقراراً بفضل الاب كاتن على هذه البلاد علقت على صدره الجليل مدالية الاستحقاق واليك ما جاء في الاسباب الداعية الى ذلك : « تكرّس الاب كاتن مدة تفوق الاربعين عاماً لتعليم الشبيبة اللبنانية وتهذيبها واستلم رئاسة الكلية والرسالة والمكتب الطبي . فكان اينما حلّ مثال التفاني وخدم البلاد خدمات جلى .. في اثناء الحرب الكبرى واصل خدماته لبلادنا لدى السلطات الفرنسية ، والرأي العام الفرنسي. »

ولما استلم الاب كاتن رئاسة المكتب الطبي بعد الحرب عاد يعالج فكرة انشاء المستشفى وكانت قد عمدت . فسعى كعادته متوسلاً الى القديس يوسف فتوفق ، واراد الله ان يعزي قلبه فجرت حفلة تدشينه في عهده . ثم حين رأى الرؤساء ان قواه الجسدية آخذة بالانحطاط بسرعة ، مع بقاء سلامة عقله المتوقد وقلبه الذي لم تؤثر فيه الشيخوخة ، احالوه الى الراحة . واليك بعض ما جاء في كتاب الجنرال ڤيفان الحاوي اجازة الاب كاتن بصفته رئيس المكتب الطبي (٣٠ ت ١ ١٩٢٣) : « ان الاب كاتن بصفته رئيس الكلية والرسالة والمكتب الطبي قد اظهر في الوظائف العالية التي شغلها مقدار صفاته العالية وعنايته بالتلاميذ والطلبة الذين أثّر فيهم تأثيراً شديداً ، واسمه سيبقى مقروناً بنوع خاص باسم هذا المكتب الذي يبرحه اليوم مثقلاً اياه بدَين تفانيه المتواصل وغيره العظيم المتمم بالمستشفى الفرنسي المنشأ حديثاً . واني لاغتبط ان يرى الاب كاتن رقي هذه المؤسسة اكليل مساعيه الثمينة . »

على ان الاجازة التي نالها الاب كاتن لم تعد اليه قواه ، فوكل اليه الرؤساء امر الاهتمام بشؤون الاخوة المبتدئين في كلية القديس يوسف وبعد سنة عيّنوه رئيساً لدير تعنايل ليستريح فيه ، محوّلاً افكاره عن الاشغال العقلية مكتفياً بملاحظة اعمال الحراثة معتنياً بالاشجار والثمار والبقول وبمناظرة مدرسة المعلّمين .

وفي سنته الاخيرة اتى بيروت فقابلته وسألته عن صحته فقال : « ان القلب قويّ لكن الاعضاء لم تعد صالحة لخدمته . » ثم اشار الى السماء وقال : « هناك الراحة . » والحق يقال ان حالته لم تكن خافية عليه ، ولا حاول ان يخدع نفسه ، بل ازداد استعداداً لملاقاة ربّه وتجرّداً عن العالم وعن كل ما كان يمكن ان يبعده عن الله تعالى .

شاءت العناية ان تعزّي قلب الخادم الامين في يومه الاخير فقيّضت له ان يلتفّ حوله قبل مغادرته ميدان جهاده المجيد ممثلو تلك الشبيبة التي افنى انضر سنيه بحبّها وخدمتها وتهيئتها للنهوض بالوطن عن اقوم الطرق واسدّها ، مهذّباً اخلاقها ، منيراً عقولها ، مالئاً قلوبها من العواطف النبيلة لتعطي ثمارها الشهية في

حينها . وممثلو تلك الشبيبة هم اعضاء النادي الكاثوليكي ، ابناء العذراء مريم ، الذين اتوا معبد سيدة التعزية يطلبون شفاعتها . فابتهج قلبه بهم وسرّ لرؤيته حوله بعض اصدقائه القدماء كالفيكونت دوبرده كه وابن الكونت ده سرسي وغيرهما . ففاض قلب الاب وتدفقت عواطفه كالسيل فتقطعت الربط اللطيفة الدقيقة التي كانت تربط نفسه بجسده الفاني المنهوك القوى ، فطارت الى السماء في جوّ صافٍ هادئ دون ما عذاب ، كما كان يشتهي ويطلب من الله لئلا يكون سبب انزعاج لاخوته . وكان قبل وفاته ببضع ساعات استحلف تلك الشبيبة ان لا يتخلف احد منها عن الموعد الذي ضربه لهم في السماء لبعد العمر الطويل المملوء اعمالاً طيّبة مفيدة لهم ولبلادهم . عسى ان يسمعوا نداءه الاخير ويوفقوا بين حياتهم وارشاداته ، فيلتفوا حوله في المجد الابدي كما احاطوا به على الارض في حياته وعند مماته .

وما انتشر نعي الاب كاتن حتى عمّ الحزن جميع البلاد ، ووردت التعازي من كل فج وصوب واوقف المجلس النيابي اللبناني جلسته حداداً .

نقل جثمان الاب كاتن الى بيروت حتى لا يعاني اصدقاؤه الكثيرو العدد

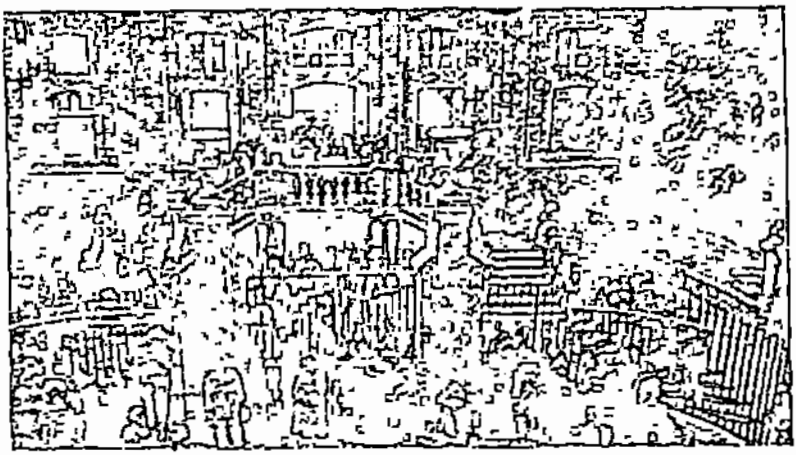

صورة نعش الاب كاتن محمولاً على الاكف ، بعد حفلة الجنّاز

مشقة السفر الى تمنايل . وبعد الصلوة عليه في معبد الكلية في محفل حافل اشترك فيه سبعة اساقفة ، وممثلو الرهبانيات ، ورئيس الجمهورية اللبنانية ، وممثل

المفوض السامي ، ومجلس الوزراء ، وعدد عديد من النواب ودور العلم والجمعيات على اختلافها ، دفن باكرام في لحد الكلية الخاص بين العبرات. ورغم الحاح الآباء بان لا تُرسل اكلة وازاهر جي. بعدد منها من قبل الوزارات وجمعيات الاطباء والصيادلة والمحامين.

وقد أبنه الاب شانتور رئيس الرسالة بكلام بليغ مؤثر وفّاه به حقه من الوصف كراهب ، ورئيس ، ورجل ادارة ، وقائد نفوس.

ونختم بفقرات وجيزة من كتابي صاحبي الغبطة بطريرك الموارنة وبطريرك الروم الكاثوليك. قال الاول: « تلقيت بمل. الاسف وشديد التأثر نعي الصديق الحميم والرسول العظيم ... ان الخسارة التي اصابت الرهبانية اليسوعية قد اصابتني فانها فقدت به افضل ابنائها ، اما انا ففقدتُ اشدّ اصدقائي اخلاصاً ووفاء ... خسارة البلاد به عظيمة جداً لان الاب كاتن كان ذا قلب كبير خبرتْ البلاد حسناته وغيرته الرسولية وعقل متسام ارسل عليها انواره ... اننا مدينون له بنخبة قومنا ... لم ينقطع حتى آخر نسمة من حياته عن التعليم مبشّراً بالحقائق ونافخاً حبّ الوطن والمبادئ السامية ... فباسمي وباسم هيئة المطارين الموارنة اعرب لكم ولسائر جمهور الآباء عن تعازينا القلبية سائلاً المولى ان يجزل ثواب الفقيد العزيز ويلهمكم جميل الصبر على فقده ويجعل الرهبانية اليسوعية ابداً منبت رسل الكنيسة وجنودها »

وقال الثاني : « ان الاب كاتن المأسوف عليه كان رجل العلم والجد الذي وصفه السيد المسيح قائلاً انه يخرج من ذخائره جدداً وقدماً ... كم من الرجال العظام هيّأ لبلادنا بتأثير مثله وقوة عارضته وكبير نفوذه في النفوس ... ان خسارة الاب كاتن خسارة وطنيّة حقاً اصابت لبنان وسورية. »

واخيراً اقول مع الاب شانتور انه حيثما كان يمرّ الاب كاتن كان يخيّل ان كليّة القديس يوسف ، ان لبنان ، ان سورية تمرّ متجسّمة فيه. » سقط على وجهه في الميدان بعد ان « ملأ كل الشرق الادنى بمآتيه المدهشة وشخصيته البارزة. ويحقّ للبنان ان يقول مع امين جمعية التلاميذ القدماء الاسبق السيد اميل خاشو: ان محيا الاب وحياته وعمله اصبحت من تراث الاجداد المجيد. جزاه الله عداد مبراته.

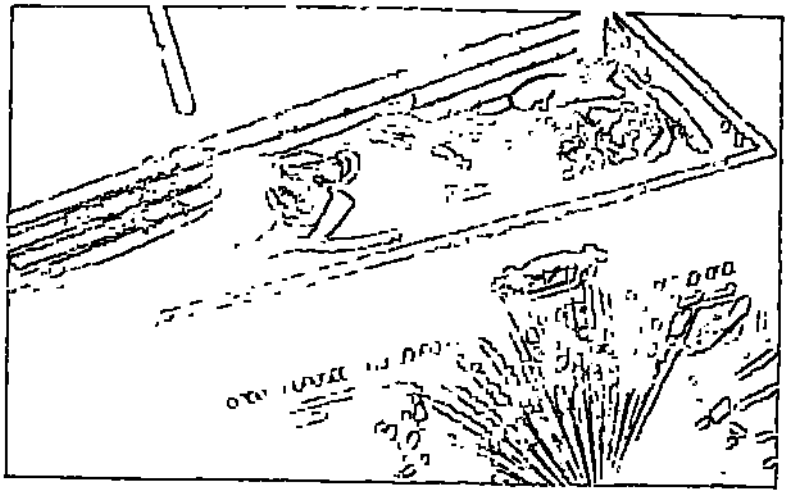

قلب الاب كامنه

«... ولكن اريد ان تعرفوا ان في هذا
الجسم الهرم عضوًا لم يهرم، ولا يقدر بل لا يعرف
ان يهرم، الا وهو قلب الاب كامنه...»
(من كلمات التقيد الاخيرة)

اجل! لقد شاهدناه لآخر مرة في تعنايل، قبل ان يترك هذا العالم ببضع ساعات!...

شاهدناه بخطاه المتثاقلة، بلحيته المواجة البيضاء، بجفونه المثقلة، بمنظره المهيب الجليل. شاهدنا ذاك «الجسم الهرم»!

ولكننا شاهدناه ايضاً بابتساماته العذبة الدافعة الى الاخلاص والاطمئنان. شاهدناه بعينيه، اللتين لجأت اليها الحياة فلمعتا بنور الحياة، تفتشان في عيوننا عن آثار حياتنا المدرسية الماضية، وقد حفها الزمان بحوادثه وجلّلها التذكار بوقاره. شاهدناه بصوته المتهدج، ونبراته المتقطعة، وكلماته التي كانت تزحمها العواطف فتدفعها متأثرة، مؤثرة. شاهدنا ذاك القلب الذي «لم يهرم، ولا يقدر بل لا يعرف ان يهرم!»

شعرنا بقلب كبير ينبض قوةً في صدر ضغطت عليه السنون فاثقلته، ويتحرك حياة في جسد اتعبته الاماني فقادته الى الفناء، ويذوب غيرةً وتضحية في سبيل من احبهم واحبوه...

احبّ الاب كاتن تلاميذه العديدين صغارًا وكبارًا ، فتياناً وكهولًا . فجعل لهم جميعاً ، ولكل واحد منهم ، مركزًا خاصاً في قلبه لم تكن كرور السنين وتقلبات الاحوال الا لتزيده تأصلًا وخلوصاً . فكان لهم ، انى اتجهوا ومهما علوا ، صديقاً صدوقاً ، ومرشدًا حكيماً ، يتنسّم اخبارهم باهتمام الاب الشفيق ، ويرعاهم بعين الام الحنون .

كم من قلب صغير هالته الواجبات المدرسية ، فجمدت جبينه النضر هموم الدرس ، وقرّح جفونه اللطيفة خوفُ القصاص ، دعاه الى قلبه الرقيق فنشف دموعه ، وازال همومه ، وهوّن عليه صعوباته ، وردّه فرحاً جزلًا الى واجباته !

كم من قلب فتيّ زاغ عن جادّة الصواب ، فتاه بين زوابع العصر وعواصف العالم ، حتى تذكر ان له قلباً لا يزال يحبه وينتظره ، فرجع تائباً يحتسي من ذاك الينبوع الصافي المغفرة ، والطمأنينة ، والسلام !

كم من قلب كهل صدمه الدهر بكل ما في صروفه من صلابة وقساوة ، فانحنه ؛ ثم تابع عليه مصائبه فزلزل اركانه ، وضعضع آماله ، وسدّ في وجهه ابواب الخلاص . حتى لم يجد المسكين ملجأً الا قرب ذاك الاب الذي احبه صغيرًا ، وارشده فتى ، واستقبله كهلًا ، فانعش فيه ميت الامل ، وردّ اليه قوة الحياة ، فرجع الى الميدان مسلحاً ، وعارك ظافرًا !

كم من قلب شيخ خصمه القضاء برزاياه ، وحاقته الحياة ببلاياها ، فنغصت عليه ما تبقى له من الايام . فنظر الى قبره ، وقد اظلمه الاسى ، فارتاع ؛ وكاد يستسلم الى اليأس . لولا ان تداركه ذاك القلب النيّر فبدّد مخاوفه ، واحكم تعزيته ، ونوّر امامه طريق القبر ، فسار اليه مطمئنًا ، واستقبل الموت صابرًا !

هؤلاء الصغار ، والفتيان ، والكهول ، والشيوخ ، كانوا ماثلين على مائدة تمثايل باشخاص الستين بعضوًا من نادي الشبيبة الكاثوليكية الذين شاؤوا ان يحيّوا اباهم في مقرّ راحته ، فساروا اليه يوم الاحد ٢٦ ايار ؛ وشاءت العناية الالهية ان تكون تحيتهم وداعاً لذاك الشيخ الجليل . . .

رأى الاب هذا الجمع من اعزّائه يحفّونه بالعناية فتأثر ، ورأى وراء هؤلاء الستين ، المئات بل الالوف من ابنائه المتفرّقين في جميع انحاء الشرق العربي ،

فاحسّ بعواطفهم جميعاً تتلمس السبيل الى قلبه الكبير الطافح ، فلم يتمالك ذرف دموع الفرح. وكأنه علم « ان ساعته قد اتت لينتقل من هذا العالم الى الآخر . وكان قد احبّ خاصته ... احبهم الى الغاية » فلم يتمالك التعبير عن شعوره. فلفظ ، بين التصفيق الحادّ والهتاف المتواصل ، كلمات نبوية كانت آخر ما لفظه ذاك اللسان ، وآخر ما عبّر عن ذاك القلب . وهي تظهر لنا الآن بكل ما فيها من رقة وحنوّ تخفها روعة الموقف ، وعظمة الموت . فهي خطبة وداع على باب القبر ، وكلمة موعد قريب في ديار الخلود:

«لقد اوليتموني بمجيئكم الى هذا المنزل سروراً عميقاً طبيعياً ، لانه ليس من شيء الذّ به اكثر من ان استقبلكم في نهاية حياتي. لقد عرفتكم جميعاً ؛ بل رأيت ، عندما نظرت اليكم ، جميع رفقائكم وسابقيكم ، جميع تلاميذي القدماء الاعزاء الذين توالوا اعواماً متتابعة ولم انس احداً منهم ... على ان اجتماعنا هذا قد يكون آخر اجتماع ... فها انا قد صرت شيخاً هرماً ضعيفاً ، ولم يبق لي الا القليل ... ولكن اريد ان تعرفوا ان في هذا الجسم الهرم ، عضواً لم يهرم ، ولا يقدر بل لا يعرف ان يهرم ، الا وهو قلب الاب كاتن . انا اشعر باني سافارقكم عما قليل .. ولكن لي الامل الوطيد باننا سنجتمع بعد اليوم في عالم خير من هذا ، في عالم لا نعرف فيه النقصان ... واني انتظركم هناك واثقاً ، اميناً في حبكم. فالى الملتقى ، يا ابنائي الاعزاء ! الى الملتقى ، واحذروا ان يتخلف احد منكم عن الموعد ! »

ثم خرج في عاصفة من الهتاف تتدافعه التأثرات العميقة ، وتتصادمه العواطف الشديدة ، حتى لم يقوَ عليها ، فانفجر القلب ، وتهافت الجسم !

وهذا مصير القلوب الكبيرة . تحبّ ، وتعمل ، وتتأثر ، فتتغذّى وتغذي غيرها بالعواطف السامية الى ان تذوب في سبيل الغير ، فتسكن !

اما تلك النفس النيّرة فعادت الى مصدرها من منبع النور السماوي !

واما ذاك الجسم التعب فرجع يستريح في مقرّه من التراب !

واما ذاك القلب ، الذي نبض طول حياته في سبيل انعاش القلوب ، فهو حيّ بحياة القلوب !

فؤاد افرام البستاني

مجلة المجلات

احوال سورية الحاضرة
الكنيسة القبطية الارثوذكسية

للاب توتل اليسوعي

احوال سورية الحاضرة

نشرت جامعة كونيغسبرغ الالمانية في كراسها الرابع (١٩٢٩ وجه ٥٦) المخصص لمسائل الشرق الادنى مقالاً بتوقيع ماكس لوهر عنوانه: «سورية وفلسطين في الزمان الغابر والحاضر» عرفت فيه قراءها الالمان بموقع بلادنا الجغرافي، واهميتها الدولية منذ العصور القديمة. وتناولت العصور الحديثة، فتكلمت عن الصهيونية في فلسطين وعن سياسة فرنسة في بلادنا. ثم قالت:

الحرير والقطن هما من اهم محصولات سورية. والحرير باكثره يُرسل الى ليون وقد بلغت ارباح الصادرات السورية سنة ١٩٢٧، ٥٤٩ مليون فرنك ذلك اخذاً عن الاحصاءات الرسمية، ومن غير ما يحسب الداخل من وجوه التهريب

واجتهدت فرنسة في انتاج القطن السوري بكثرة لتسدّ به حاجاتها الصناعية. فلم تبخل، حتى الان، بتقدمة الاسعافات المادية لتشجيع وانماء محاصيل الحرير والقطن. ومما يلفت النظر في يومنا كما كان ذلك في القدم هو ان حركة المواصلات تسير سيراً حثيثاً يوماً فيوماً. ان البضاعة الاوربية تحطّ في اسكندرونة او في بيروت ومن ثمّ تحمل على السيارات الى شرقي الاردن او الى العراق، ومصادر تلك البضاعة هي خاصةً انكلترة وفرنسة وايطالية. كانت سوق المانية رائجة، ولكنها جمدت ووقفت في ايام الحرب، مثل ذلك ان الجرابات سابقاً كانت تصدر كلها تقريباً من مدينة شمنيز، فاصبح اليوم معظمها يفد الى سورية من ايطالية. على ان دخول المانية جمعية الامم يمكنها من مجاراة سائر الامم في البيع والشراء في السوق السورية. ولكن منزلتها الى اليوم لا تزال هناك

في الدرجة السادسة . والعلاقات القنصلية والحركة البحرية هي بالنسبة الى ما كانت عليه قبل الحرب اقلّ من ان نطالب بزيادة حركة التصدير من المانية . وقد شاع اخيراً امكان تخلي فرنسة عن سورية لايطالية ، فكان كلام برانكاره في هذا السبيل مما لا مرد عليه. وقد بلغت الصادرات من فرنسة الى سورية عام ١٩٢٧ ، ١٩٦ مليون فرنك . وعلق الاتراك على موقف برانكاره اهمية كبيرة لان الحدود بينهم وبين سورية الشمالية باب مفتوح ولا يرضى الاتراك ان يروا هناك الايطاليان على ما يعهد فيهم من رغائب الفتح والانتشار.

اما الحياة الفكرية فلا تذكرها الا ويتوارد على شفاهنا اسم بيروت مدينة المدارس . هناك المعاهد الاميركية والافرنسية. وبين الافرنسية الكلية اليسوعية مع معهدها الطبي واللاهوتي والشرقي ، فهي بازدهار فائق ، ونفوذ يشعّ ما وراء دائرتها على من هم بعيدون عنها.

الكنيسة القبطية الارثوذكسية

عن مجلة صدى الشرق الافرنسية باختصار (١٩٢٩ ، وجه ٢٢٢)

حول الانتخاب البطريركي — في ٢٤ كانون الثاني ١٩٢٨ اجتمعت اللجنة لقانون الانتخاب تحت رئاسة الانبا يوانس . ثم عين مجلس الاساقفة لجنة لوضع لائحة اسماء المترشحين للبطريركية. وما عتم ان وضع المجلس الملي من جهة قانوناً يرفعه الى الحكومة آملاً ان ينال رضاها عليه في ان ينتخب البطريرك من جمهور المؤمنين ، ان لم يوجد في مصافّ الاكليروس من له الكفاءة لهذه الوظيفة . فاحتجّ الاساقفة على المجلس الملي لدى الحكومة. واحتج المجلس الملي من جهته ايضاً لدى الحكومة طالباً عزل النائب البطريركي الذي عيّنه الاساقفة ، لانه : ١ً لم يساعد المجلس الملي على الاصلاح. ٢ً رقّى الى مصاف الاكليروس رجالاً معروفين بحبهم للمال. ٣ً ضعضع احوال الكنيسة. ٤ً حال دون ارسال شبان يتعلمون اللاهوت في انكلترة. ٥ً وضع يده على الاوقاف. ٦ً سعى في سبيل ارتقاء الكرسي البطريركي من غير رضى المجلس الملي.

اما الحكومة فماطلت واطالت مدة وظيفة النائب اربعة اشهر . على ان

الاقباط اتفقوا اخيراً . وفي ١٠ تشرين الثاني صالح رجال الاكليروس المجلس الملي على مراعاة مطالبه في امور الوقف وانصرفت الهمم من ثمَّ الى انتخاب البطريرك.

في ٢ كانون الاول ، ظهر القرار الملوكي وفيه لائحة الناخبين. ١ً الاساقفة ورؤساء الاديرة. ٢ً اعضاء المجلس الملي الاربعة والعشرون. ٣ً الاعيان وقد عينهم الملك وعددهم ١٨ . فلم يحضر جلسة الانتخاب الا ٨٥ من مجموع الناخبين ، وحاول بعض الشبان عبثاً التظاهر حول المجلس ، فان رئيس دائرة البوليس كان واقفاً هناك باربعة وستين من رجاله.

فكانت نتيجة الانتخاب ان الانبا يوانس نال ٧٠ صوتاً ، فوافق الملك على انتخابه ورقي العرش البطريركي في ١٦ كانون الاول.

ولد البطريرك الجديد بالقرب من اسيوط سنة ١٨٥٧. ودخل دير البرموس في البحيرة ، في السنة الثالثة عشرة من عمره ، وسيم كاهناً في السنة التاسعة عشرة واقيم رئيساً على الدير وهو ابن عشرين سنة. وفي العام ١٨٨٧ رسمه البطريرك كيرلس الخامس اسقفاً على البحيرة والمنوفية ، وكان مقامه الاسكندرية. واعرب البطريرك الجديد عن ارادته بالعناية الخاصة في تهذيب شبان الاكليروس ، وبتوقية خطر البروتستانت وميله الى الكثلكة والشاهد على صدق قولنا ما رواه البشير (٣٩٥٠) عن البطريرك. قال غبطته لاحد زواره :

بين عقائدنا وعقائد البروتستنط بون شاسع. وقد اتاني منذ ايام بعض هؤلاء من الاميركيين والانكليز وكلموني بشأن ايجاد سبيل للاتحاد بيننا وبينهم فقلت لهم : «انكم معشر البروتستنط تعدون مائتين وتسعين شيعة . فابدأوا اولاً وحققوا الاتحاد فيما بينكم وبعدئذٍ تأتون الينا فنتكلم عن الاتحاد».

ثم اردف غبطته بقوله : «لقد سررنا غاية السرور لاعتراف ايطالية باستقلال الحبر الاعظم . وان هذا الانتصار له مجلبة للفرح لعموم المسيحيين في الدنيا كلها».

على عهد الامير

لماذا ؟

رواية لبنانية تاريخية

بقلم فؤاد افرام البستاني

وقد يكون من الابناء ضحايا في سبيل آبائهم
من حيث لا يعلمون

الفصل التاسع

مصاب جديد (تابع)

— وبعد ان القى الامير ذاك النداء ، ركض جواده هاجماً على صاحب العلم فارداه بضربة واحدة. فتراجع عند ذاك حماة العلم اذ رأوه يهوي الى الحضيض. فحاول المنلا اسماعيل ارجاعهم عبثاً ، واذ رأى موج عسكرنا الزاحف لا يرده حاجز ولا توقفه عقبة ، اختار الحياة على العز فاوى عنان جواد ، واطلقه في ذاك المرج الفسيح. اما الامير فكان فؤاده يغلي حنقاً على المنلا اسماعيل لما ظهر من خيانته في تركه نصرة رجال الجزار وانصرافه الى خدمة عبد الله باشا ، ولم يشأ له النجاة فاسرع على اثره ونحن وراءه . ولكننا في سرعتنا تلك لم ننتبه الى رجل من العدو كان مختبئاً وراء صخرة مصوباً بندقيته الى رأس الامير جهجاه ، حتى اذا قرب منه اطلقها وهرب.

فاخترقت الرصاصة الكوفية ، واذا بذاك الرأس المحبوب ينقلب الى الوراء. فتلقيناه على صدورنا وارجعناه الى المعسكر ، فغسلنا الجرح البليغ وضمدناه على قدر الامكان ، وحملنا الامير الى بعذران . فعاش يوماً واحداً استعاد صوابه بضع ساعات في اثنائه . فاوصى الست سعدى ببدور وبك ، وترك لكما كل اموالة بعد ان برأ ذمة الامير بشير مما له عليه من المال . واوصى لكنيسة

الضيعة وللفقراء بعشرة اكياس. ثم ودّعنا واوصانا جميعاً بالصبر ، والانصراف الى ما به خير البلاد. وتوفي وفاة القديسين بين يدي الخوري يوسف.

وفي اليوم الثاني اقيمت له مناحة لم اشهد مثلها في حياتي . ولا اقوى على ان اصفها لك...

وكانت العبرات قد استبقت الى عيني فرحات فمنعته عن متابعة الحديث. واجابتها عبرات غانم ، فصرفا عدة دقائق لا يسمع بينهما الا اصوات التشيج. حتى تجلد غانم فقال :

— والقاتل ؟

— قبض عليه في الليلة نفسها في وادي المجدل ، وكان رجلاً من النكدية. فقُتل حالاً مع كل من وقع في ايدي رجالنا من العسكر. ولمّا لم يشفوا غليلهم من الاعداء ، مرّوا على قرية البترونة ، في الزبداني ، فأحرقوها بكاملها ، وعادوا الى قب الياس ، فالى بعذران وكلّهم يترحم على الامير جهجاه.

واذ عرف الامير بشير ان قاتل الامير جهجاه احد رجال النكدية ، وكان صدره يتدفق حقداً عليهم لما اظهروه من اساليب الخداع ، وانواع العداوة له ، اقسم ، في مناحة الامير جهجاه ، بالله العظيم وبتربة الفقيد الكبير ، انه يقتل خمسة عشر شيخاً من النكدية.

فحنى غانم رأسه متأسفاً ، وقلب شفتيه يائساً ، وقال بصوت يكاد يكون لهاثاً :

— وما نفعُ الانتقام ؟ ...

وبعد فترة سكون لم يجسر فرحات على قطعها ، تحوّل غانم الى احدى زوايا غرفته ، فاخرج من صندوق قديم ربعَ ورق ، وقلماً ، ودواةً مستطيلة. وشرع يخطّ كتاب تعزية الى بدور. فلم يقوَ الّا على كتابة ثلاثة اسطر ضمّنها ، بكل بساطة ، بعض ما يشعر به من الأسى الضارب الى اليأس ، ومن الحزن الذي لا يخفّفه سلوان. فكانت كلماته اشبه بلوعة النعي منها بيلسم التعزية. ثم ناول المكتوب فرحات وتمتم :

— الى الاسبوع القادم !

فودّعه هذا قائلاً :

— ان شاء الله !

* * *

مرّت ساعات طويلة على غانم وهو في جلسته لا يتقلقل ، حيناً يهوي برأسه على مسند الديوان ، وحيناً يحمله بين يديه . وافكاره ثائرة مضطربة كالامواج المتلاطمة تحت اسوار القلعة تُسمع زفيرها الهائج من خلال النوافذ ؛ وخواطره متشعبة متكسرة كالبروق في الليلة العاصفة تنشب من الافق الى الافق فلا تلبث ان تتقطع وتتلاشى في طيّات الغيوم . تارة يفزع الى ما تركته المصائب في قلبه من تشبثٍ بالحياة ورغبةٍ في مغالبة الدهر ، فيسكن الى الامل بفرج قريب ؛ وطوراً يحدّق الى الخطب فتتجلى له الرزيئة بكل ما فيها من هول وروعة ، فتضمحلّ آماله ويستسلم الى اليأس . يذكر حيناً تلك الأويقات التي كان يصرفها في حمى جدّه العزيز ، او يقضيها في صحبة عمه الامير جهجاه ، او في محادثة بدور المملوءة غبطة وسروراً ، فينبسط جبينه المتجعد قبل الاوان ، ويفترّ ثغره الذي ختمته الاحزان بمرارة الاسى ، ويلمع في عينيه الجامدتين قبس الحياة . ولكن سرعان ما كانت تظهر الحقيقة فتبدّد اوهام ذاك الخيال ، كما تتبدّد قطع الغمام اذ تنفخ فيها هوج الرياح فتذرّها هباء منثوراً . فينتبه واذا بجدّه المحبوب مضطجع في ضريحه ، واذا بعمه العزيز مضرّج بدمه ، واذا ببدور سابحة بدموعها ، واذا بتلك الايام السعيدة تمرّ سراعاً وتبدل بها ايام التعاسة والشقاء .

ساعات طويلة مرّت عليه وهو في تلك الحال . فلم يشعر بالظلام يحتلّ غرفته ، وبالليل يجلب كلّ شيء امام عينيه ، وبالنعاس يغلّف جفونه فيخفق برأسه على المسند . وكانت تلك الصدمات المتعدّدة قد انهكت منه ذاك الجسم الناحل ، واتعبت ذاك القلب الحسّاس ، فنام نوماً عميقاً تقطعه الاحلام السوداء ، حتى نفذت اشعة الشمس خلال النوافذ ، فافاق يستعيد تذكارات اليوم السابق ويا لها تذكارات مؤلمة !

* * *

على ان في القلوب الكبيرة مستودعات من الصبر لا تفتح الّا في اشد المصائب ، وكنوزًا من التجلد لا تظهر قيمتها الغالية الّا في اهول الخطوب . وان في النفوس الكريمة عواطف تهيب بها آن الرزيئة فترفعها من حضيض الاستكانة الى اوج الأنفة ، فتبدو شامخة متمرّدة ، منصرفة عن اثارة الشفقة في قلوب الناس ، تفضّل ضبط الحزن القاتل في حنايا الضلوع على الظهور بمظهر الضعف وطلب التعزية .

هذا ما اهاب بغانم اذ انتبه لحالته في صباح اليوم الثاني . وزاده رغبة عن الشفقة انه غريب في ديار لا يهتمّ سكانها بـه ولا بما يصيبه . فانف من الذلّ للدهر ، وشمخ على الرزيئة ، فدفع الحزن الى اقصى قلبه ، وردّ الدمع الى ما وراء جفونه . وخرج يجول في سراي الباشا ، وعلى شفتيه ابتسامة ضئيلة ، وعلى محيّاه مظاهر عدم الاهتمام .

ولكنه لم يكن يخلو في المساء الى غرفته ، حتى تهيج به تلك التذكارات المؤلمة ، وقد ضبطها طول النهار ، فينفجر صدره بالأنّات المتواصلة ، وتتدفق اجفانه بالدموع المسترسلة . فيستسلم للحزن ، ويتحوّل ، بسريعة ردّ الفعل ، ذاك التجلد الجبّاري الى ضعف صبياني لا يقوى معه على تهدئة عواطفه ، فيقضي الليل في البكاء والنحيب . . .

وكان ، في تلك الساعات المؤلمة ، يرقب رجوع فرحات عسى يحمل اليه ما يبرّد شيئاً من لوعاته ، فيلتهي مقدّرًا سير رسوله ساعةً فساعة ، حاسباً انه قد يكون ترك بعذران في ساعة كذا ، فوصل الى جزين في كذا ، فتركها في كذا وهبط مرج بسري . . . الى آخر ما هنالك من التقديرات التي لم تكن تصحّ غالباً ، فكان يراجعها مجدّدًا سائرًا مع فرحات بالفكر من اضيعة الى ضيعة ، ومن جبل الى واد ، حتى كانت تبلغ منه التخيلات مبلغاً عظيماً ، فيتصوّر احياناً ان فرحات قد وصل ، فيهمّ بان يفتح له الباب ، فلا يسمع سوى صوت الريح تصفر من خلال الاقفال ، وهدير الموج يتصاعد من وراء الجدران . فيعود يائساً الى مضجعه ، مراجعاً تقديراته السابقة .

* * *

ولبث غانم يعدّ الأيام حتى كان فجر اليوم السابع ، وهو يوم الموعد ، فقام باكرًا . ولم يجسر على الخروج مخافة ان يأتي فرحات فلا يراه ، فيتأخر عن سماع ما يعزّيه وينشطه . فظلّ في غرفته يحسب الساعات الطويلة دون جدوى، حتى كان الاصيل فصار يعدّ الدقائق ، وقلبه ينبض لكل حركة يسمعها ، وعيناه ترنّان لكل شبح يتراءى لهما عن بعد ... ولكن كأن الاقدار شاءت معاكسة المسكين حتى في ابسط امانيه ، فانقضى ذاك النهار ، وانقضى ذاك الليل ، ولم يسمع حسًا لفرحات.

وكذلك مرّ اليوم الثاني ، واليوم الثالث ، فالرابع ، فالخامس. وغانم يجدّد آماله كلّ صباح فيلاشيها المساء. الى ان مرّ اسبوعان ، واذا به يسمع جلبة ، قبيل الفجر الاول . وكان طول الانتظار قد ارهف سمعه ، وحدّد بصره ، فاطلّ من نافذته ، فرأى جيشًا من العساكر يدخل المدينة . فحدّق اليه فما لبث ان عرف ، من هيئة بعض جنوده وشاراتهم ، انه جيش الجزّار الذي ارسله لنصرة الامير بشير . فاستبشر اذ لم يعد يشكّ في قدوم فرحات .

ولم يخطئ ظنّه ، هذه المرّة ، فما مرّت دقائق حتى كان فرحات بين يديه. فصاح به ، والفرح يدافع الأسى في فؤاده :

— وكيف قوي قلبك على ان تتأخر اسبوعين ، وتتركني في هذه الحالة دون شفقة ولا رحمة ! لقد قنطت من قدومك حتى صممت على ان ارجعك عندما تصل ، لانه لم يبقَ لي حاجة اليكم !...

فتبسّم فرحات ابتسامة العطف ، وارخى جفونه ، ثم تناول يد ابن مولاه فقبّلها معتذرًا ، وقال :

— العفو يا سيدي ! لم يكن هذا التأخر بارادتي ، وانت اخبر بقلب فرحات. ولكنني أُجبرت على السير مع عسكر الجزّار...

— واي معنى لقدوم هذا العسكر ؟

— معناه ان سيدنا الامير بشير قد انتصر نهائيًا فطهّر البلاد من المناوئين. وردّ الجيش الى الجزّار شاكرًا.

— واين مقرّ الامير الآن ؟

– في دير القمر. وقد دخلها بعد ان خضعت له البلاد جميعها. وارجع والي طرابلس عسكره مخذولاً من اميون.

– الحمد لله !

ثم التفت الى فرحات وقال بصوت خافت :

– اجلس وخبّرني بالتفصيل عن كل ما حدث. وقبل كل شيء، كيف حال الست سعدى ؟ وبدور ؟

فامتثل فرحات . واخذ يفصّل حوادث قصر بعذران مُثنياً كل الثناء على همة بدور ، وعلى تجلدها الذي ادهش الجميع . فانها ظهرت بمظاهر الرجال تجاه تلك المصيبة الفادحة.

ثم اخرج كتاباً منها الى غانم. ففضّه هذا ، واذا فيه كثير من التشجيع على حمل المصيبة ، والتعزية عن مصاعب الاغتراب بالاتكال على الله والثقة بعنايته.

ولما انتهى من تلاوته التفت الى فرحات وقال :

– اخبرني بكل صراحة عن حالة الست سعدى . وان بدور لا تقول شيئاً صريحاً عنها.

– لا تزال الست سعدى طريحة الفراش . وقد أثّر فيها كثيراً مقتل الامير جهجاه ، ولم تظهر شيئاً من هذا التأثير شفقةً على ابنتها ، بل تجلدت . وطال عليها العذاب فلم يقوَ جسمها الضعيف على حمل هذا المصاب العظيم ، فانحلت قواها ، وبقيت نحو الاسبوع في حال غير مرضية . على انها تحسنت قليلاً في هذه المدة الاخيرة . ولكنني لا ارى هذا التحسن لمدّة طويلة . فلونها الترابي ، وحركاتها المضطربة ، ونظراتها الجامدة التي كثيراً ما تنبيه عن محدّثها لا تطمئنني الى الصحة. وعلى كل فالأمل بالله يصنع ما يشاء !

فحنى غانم رأسه ، وقد هاله تراكم الرزايا. واطرق مفكراً بما عسى تكون مشيئة الله. ثم اجال عينيه حائراً ، ولم يجب.

(لها بقية)

شذرات

حاضرة الفاتيكان

وصفنا في عدد سبق (مشرق ايار ص ٣٥٦) الحالة السياسية في الدولة الجديدة المسمّاة «حاضرة الفاتيكان» التي اوجدتها معاهدة لاتران. ونفيد قرّاءنا الآن ان البرلمان الايطالي تناقش في المعاهدة وأقرّها، ثم وقّع عليها ملك ايطالية. وبهذه المناسبة ننشر، في الصفحة التالية، منظر الحاضرة المذكورة، بحدودها الجديدة، مذكرين ان مساحتها تبلغ ٤٤ هكتاراً.

كنوز البحر الميت

قد يعلق بذهن من يؤخذون بضخامة الارقام المُلقاة جزافاً، ان في مياه البحر الميت املاحاً كنوزها لا تغنى وقيمتها لا تُقدَّر. وقد يجرّ الهوس بعضهم الى ايراد مئات الملايين بل الوفها كما يتضح ممّا يلي، فقد ذكروا ان في البحر المذكور من كلورور البوتاسيوم ٢,٠٠٠ مليون طنّ؛ ومن كلورور السوديوم ١٩,٩٠٠ مليون طنّ؛ ومن كلورور المنيزيوم ٢٢,٠٠٠ مليون طنّ. امّا قيمة هذه الملايين المؤلفة فلا تقل عن ١,٢٠٠ مليار دولار.

على ان الصعوبة ليست في تقدير هذه الكنوز بل في استخراجها. فهناك عقبة اولية وهي استخدام اليد العاملة. فان مناخ البحر الميّت الحارّ، حيث لا يندر ان تبلغ الحرارة في الظلّ الخمسين درجة من ميزان سنتيغراد، لا يقوى على احتماله حتى الزنوج. ثم نرى صعوبة ثانية في كيفية نقل تلك الاملاح، اذا فرضنا امكان استخراجها. وقد توالت الاقتراحات في هذا الشأن وكلّها تكلّف نفقات باهظة تزيد في اسعار الموادّ المستخرجة. ومن هذه الاقتراحات ان تُنقل الاملاح الى القدس بواسطة سيّارات الشحن. ومنها ان تُعبَّد لاجل ذلك، طريق تجارية خاصة تمرّ بعرَبة، ثم تتّصل بسكة حديد الحجاز. ومنها ان تنشأ سكة حديد خاصة على ضفاف الاردنّ تنتهي في بيسان. ونحن ننتظر النتائج راجين ان يتحقّق شيء من هذه الآمال الكبيرة.

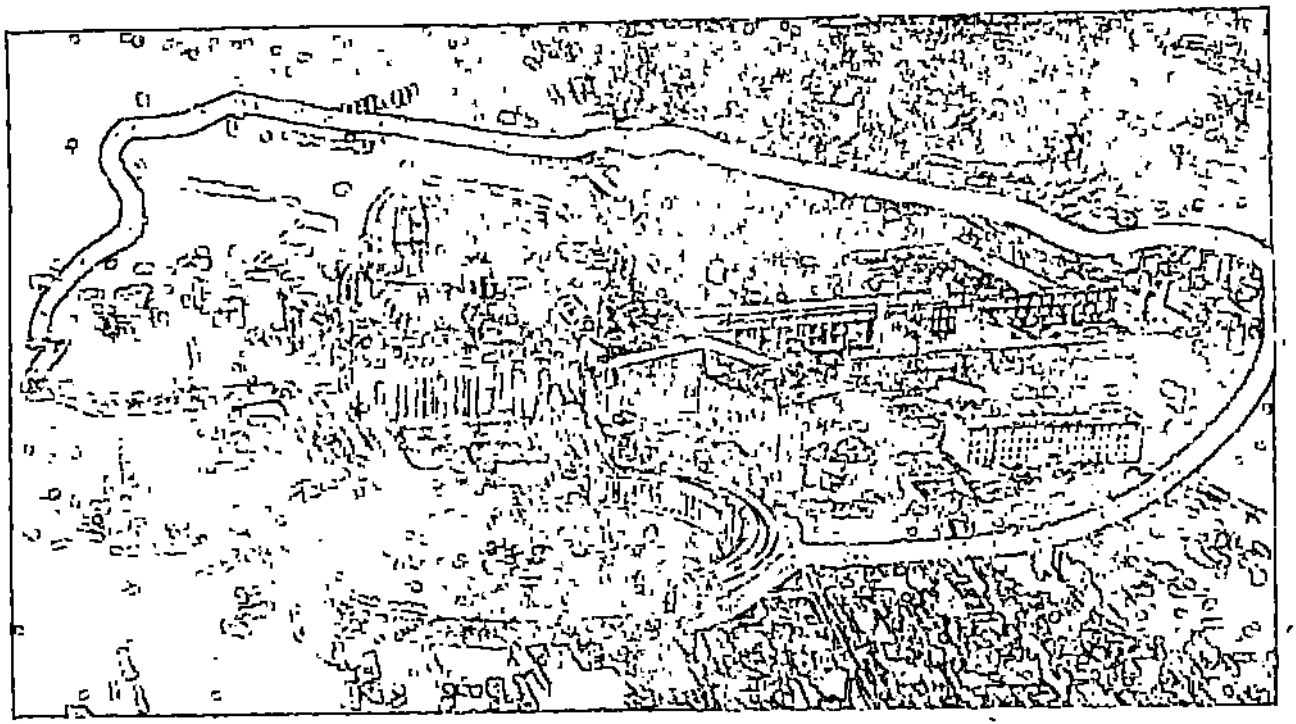

رسم « حاضرة الفاتيكان » حدودها الجديدة

مطبوعات شرقية جديدة

Karl Baedeker : Italie centrale. Rome. *Manuel du voyageur. 15e édition refondue et mise à jour*, 1929, *avec* 28 *cartes*, 62 *plans et* 1 *planche reproduisant les armoiries des papes. Leipzig, K. Baedeker.*

رومية وايطالية الوسطى

ظهر هذا الدليل النفيس ، لاول مرة ، سنة ١٨٦٦ وقد كانت سلطة البابا الزمنية على وشك الاضمحلال . اما هذه الطبعة الجديدة ، وهي الخامسة عشرة ، فقد سبقت ببضعة اسابيع ، ارجاع تلك السلطة . وهو حادث سيذكر دون شك في الطبعة الآتية . فيصير التحوير اللازم في النص وفي الخرائط . وما عدا ذلك ، فالكتاب غاية في الاتقان من حيث المعلومات وترتيبها ، وهو يبدأ بمدينة بيزة . ويخص القسم الثاني كله برومية ، والثالث بضواحيها . وهناك امر ذو اهمية وهو ان لايطالية في الخارج مكاتب استخبارات رسمية توافي حكومتها بكل ما يهمها . ويرى المطالع في الصفحة ١٢ عناوين هذه المكاتب في فرنسة وبلجيكة ، وسويسرة ، واسبانية ؛ وفي الصفحة ١٥ يرى كل المعلومات الخاصة بالنقليات سواء كان بواسطة السيارات او بواسطة الطيارات . وعلى الجملة فالكتاب اوضح دليل على تقدم ايطالية في كل شيء . ج. ل.

ΒΑΣΙΛΕΙΑ ΤΟΥ ΘΕΟΥ Eine religionsgeschichtliche Studie zur Vorkirchlichen Eschatologie von August Freiherrn von Gall [*Religionswissenschaftliche Bibliothek n° 7*] *vol.* 8°, 491 *pp. Prix :* M. 27, 50. *Heidelberg, Carl Winter*, 1926.

بحث عن نظرية اليهود في ما وراء الحياة

يجمع هذا الكتاب نتائج احدث الابحاث عن نظرية اليهود في ما وراء الحياة ولاسيما ابحاث ريزنستين (Reizenstein) وليدزبرسكي (Lidzbarski) في المندائية (*Mandéisme*) . اما المؤلف فينتمي الى المذهب النقدي ويزعم انه

من اللازم ان نعتبر ، في الاسفار النبوية والعهد الجديد ، كثيراً من التغيرات والتصرّفات . وهكذا فان جميع الاقسام التي تنسب الى يهود العصر السابق للجلاء ، آمالاً في الخلاص تكون غير اصلية بل ملحقة في عصر متأخر . اما نظرية اليهود في ما وراء الحياة (*Eschatologie*) فهي مأخوذة ، لا عن مصر ولا عن بابل ، بل عن مذهب الفرس (*parsisme*) ولا صلة بينها وبين نظرية «المخلّص» التي لم تكن تحتوي الّا على آمال في سلطة زمنية . ولنا في مذاهب المندائية والرؤى اليهودية - المسيحية دليل على الموقف الذي اتخذه يسوع . فان هذه المذاهب تمجّد «ابن البشر» . وكذلك كان يسوع يدعو نفسه ، وهو « ابن البشر » الكائن منذ الازل ، ومن ثمّ «ابن الله» ؛ ولكنه كان يبعد عن نفسه صفة « المسيح » الى ان كان المسيحيون الاوّلون فجمعوا اليه الصفتين . هذا ملخّص رأيه والكتاب دقيق المباحث واضح . اما نظريته فلا تنجو من الانتقادات المصيبة الموجّهة الى المذهب النقدي الصرف . ونحن اذا حللنا الاسفار النبوية والعهد الجديد على هذه الطريقة ، الا تكون احكامنا ظلاماً في ظلام ؟ ر . م .

Mgr Michel Féghali : Syntaxe des parlers arabes actuels du Liban. [*Biblioth. de l'Ecole des langues orientales vivantes*] *in* -8° *écu de* 535 *pp.*, 1928. *Paris, Geuthner.*

قواعد اللهجات العربية الحاضرة في لبنان

هذا كتاب يستحق المدح كل المدح . فان المؤلف ، فضلاً عن كونه اول من بحث بحثاً مهماً في غراماطيق اللهجة اللبنانية ، قام بذلك بكل دقة مظهراً قواعدها العامة . من ذلك دروسه عن تصريف الفعل ، ومعاني الحروف ، واصل «شي» الاستفهامية ، ودقائق الحرف «كيف» . على انه حصر ملاحظاته في لهجة اهل كسروان فلم يتجاوزها الى غيرها كما كنا نودّ . ولم يميّز بين السابق الفعلي «عم» او «عن» المستعمل في كسروان خاصة والحرف «عن» . والمعروف ان هذا السابق الذي يتقدم الفعل المضارع مقطوع من اسم الفاعل المجرّد « عامل » او من اسم المبالغة «عمّال» وهذا الاسم الاخير كثير الاستعمال في مثل قولنا «عمّال اكتب» .

وعدا ذلك يمكننا مشاحنة المؤلف في استعمال عنوان كتابه الافرنسي اذ يدعوه «نحو اللهجات العربية» وهو بالحري غراماطيق جامع ، اما استعماله لكلمة «اللهجات» بصيغة الجمع فهو ينافي ما اقرّه في المقدمة (ص١٠) اذ قال بوحدة اللهجة . ولكن كل هذه تفاصيل لا تضير شيئاً مجموع الكتاب النفيس الذي يظهر مقدرة السوريين واللبنانيين ، وهم اذا شاؤوا عرّفوا الناس بجمال لهجاتهم العامية .

ر . ن .

Georges Hug et Guirguis Habachi : Pour apprendre l'arabe. *Manuel du dialecte vulgaire d'Egypte : grammaire, vocabulaire, dialogues. in-12 de 135 pp.* 1928. *Paris, Geuthner. Prix* : 20 *f*.

غراماطيق العربية العامية في مصر

كلما كثر الاوربيون في الشرق شعروا بحاجتهم الشديدة الى التفاهم مباشرة مع الوطنيين ، ومن ثمّ الى درس اللغة العربية . وهو امر اهتم به مؤلفا هذا الكتيب فخصّاه بأوربيي مصر . فلخصا لهم القواعد المهمة المستعملة في لهجة مصر الدارجة ، واردفاها بجدول الالفاظ الاكثر استعمالاً ، وببعض العبارات الجارية في التخاطب . ومثلا كل ذلك بالحرف اللاتيني مع مواقع النبر ، تابعين لهجة القاهرة . على اننا وددنا لو ذكر المؤلفان المبادئ التي سارا عليها في تمثيل الالفاظ العربية .

James Donnadieu : Les consuls de France. *in-8° de* 215 *pp.* 1928. *Prix*, 30 *f*. *Paris, Librairie du recueil Sirey.*

قناصل فرنسة

يتحقق مطالع هذا التأليف ان المسألة القنصلية من اوعر المسائل واغزرها مادّة للمناظرات ، لما في نشأتها من الآراء المختلفة ، وما في صلاحية القنصل من الامور المتنوّعة ، وما في موقفه من الاهمية او عدمها بحسب البلدان التي يقيم فيها . على ان المؤلف دليل امين عارف بكل هذه الامور . وهو يبسط في القسم الاول كل ما يتعلق بالوظيفة القنصلية ، وصفاتها ، وسعة صلاحيتها . ويخصّ القسم الثاني بالحياة القنصلية ، وكيف ينتخب القناصل ، وكيف يوزّعون . هذا وان

الشرقيين الذين عرفوا قبل الحرب ، عزّ القناصل في بلاد الشرق ليلتذون كل اللذة بمطالعة هذا الكتاب ويستفيدون منه معلومات عديدة في موضوع لا يزال من الاهمية بمكان. ج. ل.

Harry Middleton Hyatt : The Church of Abyssinia. *in-8° de 302 pp. Prix : 6 s. 6 d. London, Luzac,* 1928.

كنيسة الحبشة

لا يخفى ان الحبشة هي البلاد الوحيدة في افريقية (اذا استثنينا ليبرية) التي حفظت استقلالها الداخلي. ومن ثمّ فيكون لدرس دخول المسيحية فيها وكيفية استقرارها ، اهمية كبيرة . وهذه الاهمية هي التي دفعت المؤلف الى تصنيف كتابه هذا . فخاض موضوعه محيطاً بجميع مظاهر الكنيسة الحبشية ومؤسساتها وحياتها الرهبانية ، الّا ان بروتستانيته حالت احياناً بينه وبين اعمال مرسلي الكاثوليكيين فلم يقدرها حقّ قدرها . وهو يختم كتابه بملحقات فيها لائحة توقيتية للامبراطرة ، ولائحة للآباء ، وشهادة ايمان الامبراطور كلوديوس (القرن السادس عشر)

Jean Longnon : Les Français d'outre-mer au Moyen-Age. *Essai sur l'expansion française dans le bassin de la Méditerranée. in-12.* 1929. *Paris, Perrin et Cie. Prix : 15 f.*

الفرنساويون ما وراء البحر المتوسط في القرون الوسطى

كتاب يسرّ به الفرنسويون الذين يقولون لابنائهم ان جدودهم كانوا رجال عزم واقدام ، وانه يجمل بهم اتباع ذاك السلف الصالح . يبيّن فيه المؤلف انه منذ القرن الحادي عشر الى الخامس عشر لم تفتأ المدنية الفرنساوية ، بلغتها ومؤسساتها ، تنتشر في جميع شواطئ البحر المتوسط ، دارساً اسباب هذا الانتشار ونشأته ، واضمحلاله ، وما تركه من التذكارات والنتائج . وهو يبدأ بالنفوذ الادبي والاخلاقي ، فبأسباب التبسط ، ثم يذكر مملكة الفرنج في صقلّية ، واقامة الفرنسويين في اسبانية وبلاد البرتقال ، وممالك الفرنج في سورية ، ومملكة قبرس ، والامبراطورية اللاتينية في القسطنطينية ، وإمارة بلاد مودي ،

فملكة نابولي . ومما يصف به فرنسويي تلك الاعصر انهم كانوا يتطبعون بطبيعة البلاد ، فيعتادون مناخها ، وعادات اهلها المختلفة برغبة شديدة كان من نتائجها قوتهم وضعفهم ايضاً ؟ مظهرين استعدادات طيبة للتخلق باخلاق الشعب الغريب ، والتساهل معه ، وحسر المخالفة مما يدهشنا في هذا العصر . فنستفيد الفوائد الجمة من هذا الكتاب مؤملين انه يدفع بالبعض الى الرغبة في الاسفار ، والى الاجتهاد في تفهم بلاد جيراننا حق الفهم ج.ل

Les Missions catholiques et l'œuvre de la civilisation. *Conférences données à l'Institut catholique de Paris* 1927-28. *in*-12° *de* 256 *pp. Prix* : 14 *f*. *Paris, Bloud et Gay*, 1929.

الارساليات الكاثوليكية وعمل المدنية

تؤلف المحاضرات التي تُلقى كلّ سنة عن الارساليات الكاثوليكية عدة مجلدات ، والناس لا يشبعون منها بل يُقبلون جماعات لسماع المرسلين الافريقيين ، ومرسلي باريس الاجانب ، وآباء الروح القدس ، والآباء البيض ، والمريميين ، واليسوعيين ، يتكلمون كلّ فئة عن الامور التي تختصّ بارسالياتها . ونحن نتمنى ان يجتمع الى من يسمع هذه المحاضرات ، كثيرٌ من القرّاء ، فيتعزّز النفوذ الروحي ، وتشتدّ الرغبة في الاطلاع على اعمال هؤلاء المرسلين.

ج. ل.

H. G. Farmer : A history of arabian Music to the XIIIth century. *XV*-264 *pp*. 8°, *pl*. *London, Luzac et C*°, 1929.

تاريخ الموسيقى العربية حتى القرن الثالث عشر

مؤلف هذا الكتاب مستشرق ومستعرب مشهور بما نشره سابقاً من الابحاث المتعددة في الموسيقى العربية . وها هو يتحفنا اليوم بتاريخ مفصّل لهذه الموسيقى من عهد الجاهلية الى سقوط الدولة العباسية . وقد قسمه بترتيب واضح الى سبعة فصول : ١ — عصر الجاهلية . ٢ — عصر النبي . ٣ — عصر الخلفاء الراشدين . ٤ — عصر الامويين . ٥ — ٧ عصر العباسيين . وهو يبدأ كل فصل بذكر الحوادث السياسية والاجتماعية التي اثّرت في التنشئة الموسيقية ، ثم

يصف الحيـاة الموسيقية في العصر المـذكور ، وينهي بتراجم المشهورين من اربابها . وقد تعهد بنشر مجلد ثانٍ يدرس فيه النظريات الموسيقية المختلفة من حيث الفن .

ونحن ، اذا اعتبرنا المآخذ التي ينهي بها المؤلف كتابه ، نرى انه لم يُهمل شيئاً من المصادر القديمة ولا الحديثة في درس موضوع غاية في اللذة . فاظهر لابنـاء شرقنا العزيز مثلاً صالحاً عليهم ان يتبعوه ، لاسيما في عصرنا وقد اصبح موسيقيونا ، كالاستاذ صبرا وزملائه ، يهتمون بانهـاض الموسيقى العربية ، فنتحول قريباً عن القول ان الغريب ادرى بما في البيت من اهله . ونختم بحض جميع عارفي اللغة الانكليزية على مطالعة الكتاب . س . ز .

تفسير التوراة

פירוש על התורה

تأليف مراد فرج بك

الجزء الاول ص ٣٣٠ وسط – المطبعة الرحمانية بمصر ١٩٢٨ – ثمنه ١٥ غ . م .

اخذ مراد فرج بك على عاتقه شرح التوراة باللغة العربية . فاتحفنا اليوم ، بالجزء الاول من مؤلفـه يشمل الفصول الخمسة الاولى من سفر التكوين . عرض المؤلف اولاً النصّ العبراني بالابجدية العبرانية ثم فسره آيةً فآيةً وشرح الفاظـه كلمةً فكلمةً بالترتيب ، مبيناً النطق العبري مع التحليـل الصرفي والنحوي ، ومشيراً الى الجذر العبري والى ما يقابله من جذر عربي او يقاربه ، ومنتهيـاً بالتفسير الشرعي . ان يكن في الكتاب نقص فهو ناتج عن كثرة اغراضه ، وقد قصد فيه المؤلف تعليم القراءة العبرانية وتلقين مبادي صرفها ونحوها ، والتعمق في البحث عن اصولها ، والتدقيق في تحديد معانيها ، والتوسع في شرحها شرحاً شرعياً . واننا وددنا لو افتتح كتابه بجدول المقابلة بين الحروف العربية والعبرانية . اما درسه الاصوات العبرانية فانه في غاية الايجاز ، فلم يفسر مدّ الحركات في بعض المواضع ، وضرب صفحاً عن النبرة الصوتية (*accent tonique*) وتأثيرها فلم يفكّ لغز قواعد الاصوات العبرانية . احب المقابلة بين الجـذور

العبرانية والجذور العربية وربما سند شرحه الى رأيه الشخصي فحسب ، مثلاً : ص ٤٣ قال في סחר انه عربي اي « سعى » بمعنى عمل وكان الاولى بـه ان يبين كيف انقلب ترتيب الاحرف من ع س ي الى س ع ي فضلاً عن ان حرف ת الصافر العبراني يناسبه بالعربية «ش» لا س. وكذلك قال في ص ١٦١ على חפץ (الفصل الثاني ، الآية ٢٣) «وهذا الفعل يقابله عربياً انفحم» وهذه المقابلة لا تجدي نفعاً . نعم من الممكن الحصول على الفاظ مشتركة بين اللغتين في فصول التوراة الاولى ، لما فيها من المعاني البسيطة ولما لتلك الفصول من التأثير في الشعوب السامية ، ولكن من بعد تلك الفصول تستقلّ كل امة من اللغتين بالفاظها . وقد اعتمد المؤلف في الشرح الشرعي خاصة على العلامة هارون الثاني المسمى « تاج الشريعة » . على اننا لا نوافق على الشروح في ص ١٧٤ وما بعدها ، وفي ص ٢١١ فيما يخصّ التجربة ودور الحية وعواقب التجربة ، فانها مناقضة للتفسير المقبول في الكنيسة الكاثوليكية . فلا يجوز من ثمّ للمسيحيين اعتماد هذا الكتاب . على اننا نثني على انشاء المؤلف لما فيه من وضوح وطلاوة . ولولا اغراقه في البحث عن دقائق اللفظ العبراني وتوغّله في التنقيب على قواعد التصريف ، لكان اتى القرّاء من بني دينه بشرح رائق لذيذ .

ل . ريتوله

كتاب المساكين

بقلم مصطفى صادق الرافعي

الطبعة الثانية ، دار المصور بمصر ، ١٩٣٩ — ص ٢٨٧ ، وسط — الثمن : ١٠ غ . م .

هو أثر للكاتب المصري المتأنق السيد مصطفى صادق الرافعي وضعه من احدى عشرة سنة ، واعاد طبعه اليوم منقحاً ومزيداً عليه ما يبلغ ربع الكتاب في طبعته الاولى ، ورفعه الى صاحب الجلالة ملك مصر . اما غاية الكاتب فهي « بيان شيء من حكمة الله في شيء من اغلاط الناس ! » نعم الغاية ! وحبّذا السبيل اليها سبيل المساكين ! كيف لا «ومن عجيب الحكمة انه ما من نبي او حكيم او شاعر يترجم الى لسان الحياة ما هو اسمى من الحياة

الا استمد ذلك من مساكين الحياة خاصة» (ص : ٤) اضف الى هذه الغاية النبيلة جدة في منهج التوسيع ، وجرأة في عرض الآراء ، وشخصية في توليد الاستعارات ، تجاور الابتكار احياناً ، ولكنها قد لا تخلو من التكلف لفرط شغف صاحبها بالتأنق والتحسين حتى يكاد المطالع يضيع في الاهتمام بالظاهر عن حقيقة التقسيم . ومهما يكن من الامر فالكتاب في نوعه ذو قيمة لا يستهان بها .

ف . ا . ب .

الشعر النسائي المصري

عنيت بجمعه مكتبة الوفد لصاحبها محمد محمود

مطبعة الترقي بمصر ، ١٩٢٩ — ص ٥٦ ، صغير — الثمن : ٣٠ مليماً

كتيب مفيد جمع امثلة من الشعر النسائي في عصرنا مع تراجم اربع من شهيرات نجومه هن وردة اليازجي (١٨٣٨ — ١٩٢٤) وعائشة عصمت تيمور (١٨٤٠ — ١٩٠٢) وامينة نجيب (١٨٧٣ — ١٩١٧) وملك حفني ناصف (١٨٨٦ — ١٩١٨) المشهورة « بباحثة البادية » . وقد الحق به جامعه فصلاً في نقد الشعر واقسامه اقتطفه من كتاب « الشعر والشعراء » لابن قتيبة . فافاد بمعلوماته ومنتخباته ، وتزيد الافادة اذا وُضع الكتاب في جميع مدارس البنات الابتدائية .

هذا وقد اهدت الينا مكتبة الوفد المذكورة قائمة مطبوعاتها وما تحتويه من الكتب لسنة ١٩٢٨ — ١٩٢٩ ، فالفيناها جامعة لانواع الدين والادب والتاريخ والرواية ، فنتمنى لها مزيد الازدهار .

ف . ا . ب .

منتخبات ادبية

للاب بشير آجيا اليسوعي

الجزء الثالث ، للصف الرابع من التعليم الثانوي — المطبعة الكاثوليكية ١٩٢٩ — ص ٢١٠ ، وسط

ذكرنا في « المشرق » (٢٦ [١٩٢٨] ٣٩٢) و (٢٧ [١٩٢٩] ٣١٦) ما امتازت به هذه المجموعة المدرسية الجديدة من حسن اختيار النصوص ، وتنوعها في الموضوعات والعصور ، وتذييلها بالحواشي المفيدة ، واستقلالها بالاسئلة

المتعدّدة على المعنى والمبنى . وان جميع هـذه الصفات الحسنة التي تحققناها في الجزءين الأوّلين نراها في هذا الجزء ، وقد تعدّدت فيه الموضوعـات ، وارتقت المنتخبات، ودقّ الفنّ في التصاوير ، وتشعبت الاسئلة والتمارين من لغوية ونحوية، وبيانية ، وانشائية ، على طريقة تفيد الطالب وتستهويه ، فتسير به شيئاً فشيئاً من الحفظ الى التفكير ، الى النقد ، الى التذوّق . كلّ هذا تدرّج طبيعي راعاه واضع السلسلة الجديدة على اثر اختبار اعوام عديدة قضاهـا في ادارة الدروس العربية ، فشاء ان يصرف همّته الى بثّ روح العصر الحية المنتجة في اساليب تدريس لغتنا ، وقد كاد يقضي عليها التقليد العقيم. اخذ الله بيـده الى ما فيه خير اللغة ، وحقّق غايته النبيلة. ف. ا. ب.

الفصول الغرر في ترجمة البابا بيوس الحادي عشر

بقلم الخوري الاسقفي بطرس حبيقه

المطبعة الكاثوليكية ١٩٢٩ ، بيروت. قطع ١٢ ، ص ١٤٤

يحتفل العالم الكاثوليكي في هذا العـام بيوبيل الاب الاقدس الكهنوتي الذهبي ، ويتبارى المؤمنون باظهار ولائهم ومحبتهم للحبر الاعظم بما يقدمون له مما تصل اليه ايديهم البنوية . واننا عهدنا بصاحب هذا الكتاب فارساً طويل الباع في التأليف ، ويراعته مخصبة بما اتحفنـا به في السنين السابقة باللغتين العربية والافرنسية في ترجمة غبطة البطريرك الماروني ، وها ان قلمه يزدهر اليوم بترجمة البابا بيوس الحادي عشر ، نشرها بمناسبة يوبيله «ليعلم الكاثوليكيون اولاً ثم اخوانهم المنفصلون ما هو متحلّ بـه شخص نائب السيد المسيح على الارض وبقدر معرفتهم اياه يزداد حبهم له.» ف. ت.

* برنامج جمعية مار جرجس المعرية لارمن ماردين الكاثوليك بحلب * شباط ١٩٢٧ – ٣١ كانون الاول ١٩٢٨ – الداخل ٦٠٢٧٠ غرش ذهب الخارج ٢٥٦٣٩ الرصيد ٣٦٨٣١

* برنامج شركة القديس منصور دي بول في حلب * وخلاصة وارداتها ونفقاتها عن سنة ١٩٢٨ : مجموع الداخل ١٢٣٦٦٦ غرش ذهب ، مجموع الخارج ٨٠٦٢٣ الرصيد ٢٤٣٠٢٠ .

اهمّ حوادث الشرق في شهر

١٥ ايار — ١٥ حزيران

سورية ولبنان تم الاتفاق بين فرنسة وتركية على مسألة الحدود السورية (٤ حزيران).

عقدت المعاهدة الجمركية بين سورية وفلسطين وشرق الاردن (٢٨ ايار).

فكر البنك اللبناني السوري بانشاء فنادق في ام المدن السورية اللبنانية وبتأليف شركة معامل سيمنتو لبنانية.

ان اثار تدمر الشهيرة اصبحت في حالة خراب تنذر باندثارها التام في اجل غير بعيد، فلفت العلماء نظر الدولة السورية الى الامر وهي مستعدة ان تبذل مجهوداتها لاصلاح تلك الآثار ورقابتها.

اكتشفت بعثة شافر وثنه الاثرية في مدافن راس شمرا، شمالي اللاذقية، على بقايا نعاقل اقيمت في الالف الثاني قبل المسيح، وعلى قطع تماثيل مصرية، وصفائح مكتوبة بالحروف الهيروغليفية؛ وعلى خمس صفائح عليها كتابة بالخطوط المسمارية.

تركية والعجم جاء من طهران ان حركة المناقلات التجارية نشطت بين ايران وتركية نشاطاً عظيماً خلال ربيع هذا العام بالنظر الى التسهيلات التي قدمتها تركية.

حدث زلزال في سوشيري بالقرب من سيواس فهدم ٩٥٠ بيتاً وقتل من السكان ٣٩.

ومن اخبار افغانستان ان امان الله سافر الى قندهار، ومنها الى تشامان، على اثر انكسار آخر قوة من جنوده الحامية لقلعة ايلراي بعد قتال شديد دار بينها وبين قوات حبيب الله.

العراق تمت المفاوضات لعقد اتفاق ثان بين العراق والولايات المتحدة وبريطانية فيما يتعلق بمسائل البترول. وقالوا ان الحكومة العراقية وافقت مبدئياً على منح المسيو محمد سام احد المتمولين العراقيين امتيازاً بالتنقيب عن المعادن في المنطقة الواقعة على بعد مئة كيلومتر تقريباً من «الرطبة» في الصحراء بين الحدود السورية والعراقية.

فاض الرافدان دجلة والفرات في العراق، فغمرت المياه سكة حديد بغداد والبصرة، واضطرت ادارتها الى الاستغناء عن نحو ٨٠٠ عامل لتوقف المواصلات بين البصرة وبغداد.

جزيرة العرب افادت اخبار الرياض ان الملك ابن سعود بعد ان قمع الفتنة الداخلية اخذ بانشاء جيش نظامي تحت ادارة فريق من السوريين المستخدمين في الجيش الوهابي، والعلماء النجديون لا يعارضون هذه الحركة.

فلسطين تم التوقيع على عقد امتياز البحر الميت في لندره (٢٣ ايار) بين وكلاء التاج بالنيابة عن حكومتي فلسطين وشرق الاردن، وتولوك ونوفرمسكي بالنيابة عن اصحاب الامتياز

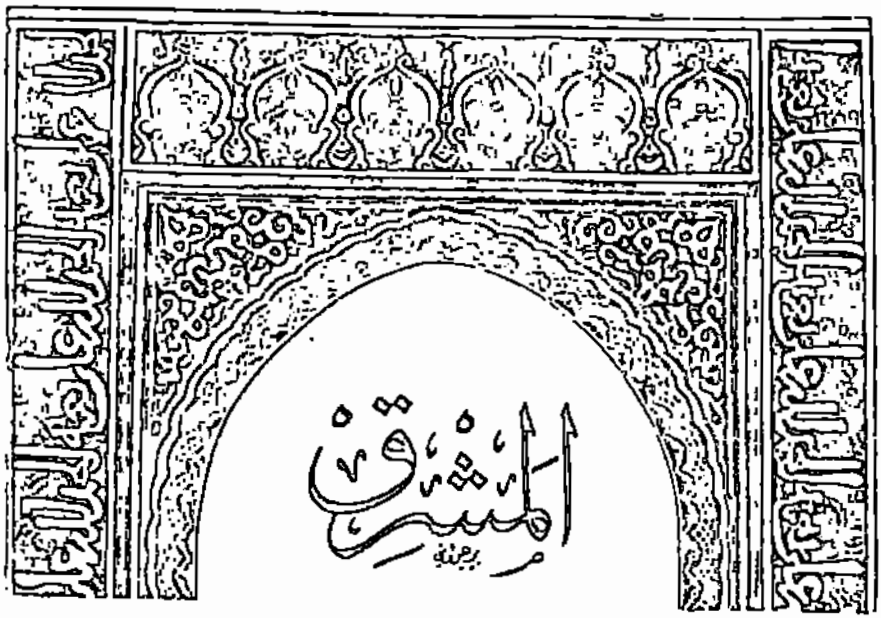

آب وايلول ١٩٢٩

مرقس صاحب الانجيل الثاني

بقلم الاب انطون صالحاني اليسوعي

يُروى في انجيل مرقس (١٤: ٥٠—٥٢) انه لما هرب التلاميذ وتركوا يسوع في بستان الزيتون بعد أن قبض عليه اعداؤهُ «كان يتبعهُ شابٌ عليه ازار على عُريه فأمسكوه فترك الازار وهرب منهم عرياناً». فارتأى كثيرون من مفسري الكتاب المقدس ان الشابَ كان مرقس الانجيلي نفسه. وهذا الرأي لا نرتاب في صحته، لانَّ مرقس وحده ذكر هذا الحادث اذ كان هو موضوعه وكان يصعب جدًّا على غيره ان يطّلع عليه في تلك الظروف وفي ذلك الاضطراب الذي وقع حينئذٍ في البستان، خاصةً لان التلاميذ كانوا هربوا كلهم. فنقدّر ان مرقس كان نائماً في منزلٍ قريب من بستان الزيتون. فعندما سمع الصراخ والضجة هبَّ من النوم مسرعاً والتحف بازاره وبادر الى محلّ الحادث ليعرف ما السبب. فظنَّ اعداء يسوع ان الشاب من تلاميذه فهمّوا ان يقبضوا عليه، فهرب منهم تاركاً ازاره بين ايديهم. ومن هذه الآية نستنتج ان

مرقس كان اذ ذاك شاباً وانه هو الكاتب للانجيل الذي يُعرف باسمه

من هو مرقس ؟

يكفينا ان نفتح سفر اعمال الرسل الذي ألّفه لوقا الانجيلي لنعرف من هو مرقس . فان هذا السفر يذكر رجلًا مسيحياً في اورشليم يسمّيه تارة « يوحنا » (اعمال ١٣ : ٥ — ١٣) . واخرى « يوحنا الملقب مرقس » (اعمال ١٢ : ١٢و٢٥) او «يوحنا المسمّى مرقس» (اعمال ١٥ : ٣٧) . وفي موضع آخر يسمّيه « مرقس » بدون لقب (اعمال ١٥ : ٣٩) . ويتضح من الآيات التي اشرنا اليها من اعمال الرُسل ان المسمّى « يوحنا » او « يوحنا الملقَّب مرقس » هو الشخص ذاته . لا يخفى على احد ان اليهود بعد ان اختلطوا باليونان والرومانيين كثيراً ما كانوا يتخذون لهم اسمين الواحد عبراني والآخر يوناني او روماني . وقد بيَّنّا ذلك في المشرق[1] في مقالتنا على نسب السيد المسيح . فشاول مثلًا اتخذ اسم بولس (Paulus)[2] . فالاسم يوحنا اسم عبراني . ومرقس اسم روماني . فيوحنا هذا الملقب مرقس هو الانجيلي مرقس صاحب الانجيل الثاني . اذ انه من المقرَّر ان انجيل متى سبق . وتلاه انجيل مرقس ثم انجيل لوقا . وآخر الكل كتب يوحنا انجيله .

يُستنتج ايضاً من سفر اعمال الرُسل ان عائلة مرقس كانت من البيَع المسيحية المشار اليها في اورشليم . وكان يجتمع في منزلها الرحب قوم كثيرون من المسيحيين . وكانت هذه العائلة في يسر من العيشة تخدمها جارية اسمها رودة . وكانت توثّقت الصداقة بين هذه العائلة وبطرس الرسول . ولعل سبب ذلك انها آمنت بالمسيح على يده . يخبرنا سفر اعمال الرسل (ف ١٢) ان

---

١) (المشرق ٢٦ : [١٩٢٨] ٤٨٨)

٢) ان لوقا في سفر اعمال الرسل لم يعطِ لبولس في الفصول الاولى من كتابه الا الاسم «شاول» . اما من الآية ٩ من الفصل ١٣ فلم يعُد يسميه الّا «بولس» . اما شاول وهو بولس» . وقد اتخذ بولس هذا الاسم لسببين : الاول اكراماً لوالي بافُس من جزيرة قبرس سرجيوس بولس الذي آمن بالمسيح على يده ، والثاني لان هذا الاسم بولس كان يجعل الرسول مقبولًا اكثر عند الوثنيين عندما يجتاز في مدنهم ويبشّرهم بالمسيح

هيرودس كان ألقى الايدي على قوم من الكنيسة ليُسيء اليهم وقتل بالسيف الرسول يعقوب بن زبدى . واذ رأى ان ذلك يُرضي اليهود ، عاد فقبض على بطرس وجعله في السجن وفي عزمه ان يقدّمه الى الشعب بعد عيد الفصح . الّا ان ملاك الرب وقف ببطرس في ليلة اليوم الذي فيه كان ازمع هيرودس ان يقتله ، ففكّ قيوده وفتح امامه ابواب السجن واخرجه سالماً . فلمّا نجا بطرس من السجن «توجّه الى بيت مريم امّ يوحنا الملقب مرقس حيث كان قوم كثيرون مجتمعين يصلّون» لاجل نجاته. فمن ذكر مريم ام يوحنا دون ذكر ابيه نستنتج بكل صواب ان ابا يوحنا كان قد توفي . الامر الذي جعل يوحنا عزيزاً على برنابا كما سنرى . حتى ان برنابا في ما بعد فضّل الافتراق عن بولس الرسول لكي يُبقي معه يوحنا المسمّى مرقس

ونعرف ايضاً من رسالة بولس الرسول الى اهل كولسّي (٤ : ١٠) انه كانت قرابة بين مرقس وبرنابا : «يسلّم عليكم ... مرقس نسيب برنابا» يقال ان مرقس كان ابن اخت برنابا . وبما ان برنابا كان قبرسي الاصل ومن اللاويين كما يؤكد ذلك سفر الاعمال (٤ : ٣٦) : «يوسف الذي لقّبه الرسل برنابا الذي تأويله ابن العزاء اللاوي القبرسي الاصل ...» فمن المحتمل ان مرقس ايضاً نسيبه كان قبرسيّ الاصل ومن اللاويين.

كان برنابا في اول امره ذا نفوذ ومُقدّماً على بولس . يُخبرنا سفر اعمال الرُسل (١١ : ٢٠ — ٢٤) انه لمّا ثار الاضطهاد ، وتبدد الاخوة من اجل الضيق الذي حصل بسبب اسطفانوس ، ذهب بعضهم الى انطاكية وبشروا اليونانيين بالرب يسوع «فآمن عدد كثير ورجعوا الى الرب . فبلغ خبر ذلك الى مَسامع الكنيسة التي باورشليم فارسلوا برنابا الى انطاكية فلما اقبل ورأى نعمة الله فرح ووعظهم كلهم بان يثبتوا في الرب بعزيمة القلب. لانه كان رجلاً صالحاً وممتلئاً من الروح القدس ومن الايمان فانضمّ الى الرب جمع كثير». فهو برنابا الذي اوصى ببولس وقدّمه للتلاميذ الذين لم يكونوا يثقون به بل كانوا يخافونه . «ولمّا اقبل [بولس] الى اورشليم التمس ان يتصل بالتلاميذ لكنّهم كانوا يخافون منه ولم يصدّقوا انه تلميذ فأخذه برنابا ودخل به على الرُسل وبيّن لهم كيف رأى

الربّ في الطريق وانه كلّمه وكيف بشّر باسم يسوع في دمشق بجرأة » (اعمال ٩: ٢٦و٢٧) . وهو برنابا الذي بعد ان أُرسل الى انطاكية للاعتناء بمن آمن من اليونانيين ، وتحقّق الخير العظيم المأمول ، توجه الى طرسوس واتى بشاول ليعاونه في العمل . « ثم خرج برنابا الى طرسوس في طلب شاول ولمّا وجده اتى به الى انطاكية وتردّدا معاً سنة كاملة في هذه الكنيسة وعلّما جمعاً كثيرًا حتى ان التلاميذ دُعوا مسيحيين بانطاكية اولًا » (اعمال ١١: ٢٥و٢٦) . وكان مرقس اذ ذاك مُقيماً في اورشليم يتردّد على بطرس يسمع مواعظه .

وحدث بعد ذلك ان وقعت مجاعة عظيمة . فعزم المسيحيون في انطاكية على اسعاف اخوتهم في اليهودية فارسلوا صدقاتهم الى الشيوخ على ايدي برنابا وشاول . فلمّا اتمّا خدمتهما وعادا الى انطاكية رغبا في ان يأخذا معهما مرقس ليساعدهما في التبشير : « ورجع برنابا وشاول من اورشليم بعد ان قضيا خدمتهما واخذا معهما يوحنا الملقب مرقس » (اعمال ١٢: ٢٥) . وكان في الكنيسة التي بانطاكية انبياء ومعلمون . . . وبينما هم يخدمون للرّب ويصومون قال لهم الروح القدس أفرزوا لي شاول وبرنابا للعمل الذي دعوتهما اليه . فصاموا حينئذٍ وصلّوا ووضعوا ايديهم عليهما وصرفوهما . . . فانحدرا الى سلوكية . ومن هناك اقلعا الى قبرس . ولمّا انتهيا الى سلامينا بشّرا بكلمة الربّ في مجامع اليهود . وكان معهما يوحنا [المسمّى مرقس] يخدمهما . واجتازا في الجزيرة كلها الى بافس . ولما اقلع بولس ومن معه من بافس اتوا الى برجة بمفيلية ففارقهما يوحنا وعاد الى اورشليم (اعمال ١٣: ١ — ٤) . فشقّ هذا الافتراق على بولس . وكان ذلك في السنة ٤٨

وبعد ثلاث سنوات في السنة ٥٠—٥١ بعد المجمع الذي عُقد في اورشليم ، عزم بولس ان يفتقد مع برنابا الاخوة في كل مدينة بشّرا فيها سابقاً بكلمة الرب . فارتأى برنابا ان يأخذا معهما يوحنا المسمّى مرقس . الّا ان بولس كان يستحسن ان لا يُؤخذ معهما من كان فارقهما من بمفيلية ولم يذهب معهما للعمل . فوقعت بينهما مشاجرة حتى فارق احدهما الآخر . فاخذ برنابا مرقس واقلع الى قبرس . واختار بولس سيلا وطاف سورية وكيليكية يثبّت الكنائس ويسلم اليهم وصايا الرسل (اعمال ١٥: ٣٥—٤١) . الّا ان الفتور الذي حدث

بين بولس ومرقس لم يُدم زمناً طويلاً . لاننا نشاهد مرقس رفيقاً لبولس في رومية في السنة ٦٠—٦١ حيث كان بولس في اسره الاول ينتظر حكم قيصر في الدعوى التي كان رفعها اليه. ففي الرسالة التي انفذها بولس من رومية الى فيلمون نقرأ ما يلي : « يسلم عليك ابفراس الاسير معي في المسيح يسوع ومرقس وارستركس وديماس ولوقا معاونيَّ» (فيلمون ١ :٢٣و٢٤). وفي رسالته الى اهل كولسّي (٤ :١٠و١١) كتب بولس: « يسلّم عليكم ارستركس الاسير معي ومرقس نسيب برنابا الذي اخذتم في حقه وصايات . فاذا قدم اليكم فاقبلوه . ويسوع المسمّى يُستُس الذين هم من اهل الختان . هؤلاء وحدهم عاونوني في امر ملكوت الله وهم كانوا لي تعزية ». فكان اذاً مرقس معاوناً لبولس في رومية وتعزية له في اسره الاول . وكان عزم ان يفتقد كنيسة كولسّي واخذ وصايات لذلك من بولس.

ولنا برهان آخر على اعتبار بولس لمرقس واحتياجه اليه . فان بولس في اسره الثاني في رومية الذي سبق استشهاده وُجد تقريباً وحده لان معاونيه كانوا افترقوا عنه للتبشير . وكان مرقس ايضاً بعيداً عنه في الشرق . فكتب الرسول الى تيموثاوس الذي كان وقتئذٍ في افسُس (٢ تيموثاوس ٤ :١١) يستدعيه واوصاه قائلاً : « معي لوقا وحدهُ فاستصحب مرقس واقدم به فانه ينفعني في الخدمة » هذه آخر شهادة أداها بولس لمرقس وفيها احسن مديح لهذا الخادم الامين والعامل النشيط المتواضع.

ولنا شهادة اخرى من بطرس الرسول تبين المودّة التي كانت تملأ قلبه نحو مرقس الذي يسميه ابنه . ففي رسالته الاولى التي وجهها من رومية الى كنائس بنطس وغلاطية وكبادوكية واسية وبيثينية يبلغهم سلام مرقس : « تسلم عليكم الكنيسة المختارة التي في بابل[1] ومرقس ابني » (١ بطرس

١) المراد ببابل في هذه الآية مدينة رومية . سماها بطرس بهذا الاسم لانها كانت اذ ذاك مركز عبادة الاوثان والفواحش كما كانت قديماً مدينة بابل. وهكذا سمّى ايضاً يوحنا رومية في سفر الرؤيا (١٨ : ٢ و١٠) : « سقطت سقطت بابل العظيمة » . « الويل الويل ايتها المدينة العظيمة بابل المدينة القوية فان دينونتك قد تزلت في ساعة واحدة. »

١٣:٥) . فلا ريب في ان مرقس كان معروفاً في تلك الكنائس لانه كان افتقدها وخدمها. كان وقتئذٍ مرقس مع بطرس في رومية قبيل الاضطهاد الذي اثاره نيرون على المسيحيين سنة ٦٤ وفيه استشهد هامة الرسل.

انجيل مرقس

ان التقليد في الكنيسة الاولى ينسب الانجيل الثاني الى القديس مرقس . واصحاب النقد في عصرنا حتى العقليّون منهم اضطروا ان يعترفوا بهذه الحقيقة. والتقليد ذاته يقول بانه يوجد ارتباط بين انجيل مرقس وتعليم بطرس هامة الرسل . فقد حفظ لنا مرقس في انجيله ما كان يُلقيه بطرس الرسول من المواعظ والارشادات على المسيحيين الاولين. وقد شهد بذلك اقدم آباء الكنيسة اولهم بابياس اسقف هيراپوليس في فريجية . فهذا دوّن بالكتابة في نواحي السنة ١٢٣ للمسيح تقاليد العصر الرسولي . فنقل لنا ما قاله الكاهن يوحنا تلميذ المسيح ومعاصر الرسل . واليك كلام بابياس ، كما اورده اوسابيوس[1] :

« هذا ما قاله الكاهن : كان مرقس ترجماناً لبطرس فكتب بتدقيق ولكن بدون نظام ما حفظه من اقوال الرب واعماله . لم يكن مرقس عرف الرب ولم يتتلمذ له . لكنه في ما بعد رافق بطرس كما سبق القول . كان بطرس يُلقي مواعظه كما كانت تقتضيه الاحوال والظروف دون ان يؤلف بترتيب اقوال الربّ . فدوّنها مرقس كما سمعها وحفظها . ولم يكن له من الهمّ سوى ان لا يُهمل شيئاً ولا يغيّر شيئاً مما سمعه. »

فيُستنتج من هذا النصّ ان مرقس بعد ان عاون بطرس في التعليم ، وكان له ترجماناً لدى الشعب بنقل مواعظه من الآرامية الى اليونانية وكان عارفاً باللغتين ، دوّنها في ما بعد بالكتابة كما سمعها دون نقص ولا زيادة.

ولدينا شهادات أُخر . فالكتبة الكنائسيون الذين عاشوا في العصر التالي قد اثبتوا الحقيقة ذاتها ، اي الارتباط الوثيق الموجود بين مواعظ بطرس وانجيل

---

١) تاريخ اوسابيوس ك ٣ ف ٣٩ ، راجع مين الآباء اليونان المجلد ٢٠ العمود ٣٠٠

مرقس . فالقديس الشهيد يوستينوس الذي كتب في السنة ١٠٥ للمسيح[1] في محاورته مع تريفون العدد ١٠٦ عندما يذكر آية مرقس (٣ : ١٦ و١٧) وفيها الكلام عن تبديل اسم سمعان باسم بطرس واعطاء اللقب بوانرجس اي ابنا الرعد لابني زبدى يعقوب ويوحنا يعبّر عن انجيل مرقس بهذه العبارة الفريدة « مذكّرات بطرس ». وقد برهن المؤلف الانكليزي البروتستاني ستانتون[2] ان يوستينوس يشير الى انجيل مرقس لا الى انجيل الزور المنسوب لبطرس.

والقديس ايريناوس اسقف ليون من اعمال فرنسة في نواحي السنة ١٨٠ قال: « بعد موتهما (اي موت بطرس وبولس) مرقس تلميذ بطرس وترجمانه نقل لنا بالكتابة ما كان وعظه بطرس »[3]

وترتليانوس في افريقية في كتابه ضدّ مركيانوس[4] قال : « ان ما كتبه مرقس يُنسب لبطرس وكان مرقس ترجمانه. »

. واكلمنضوس الاسكندري ، كما اورد ذلك اوسابيوس المؤرخ[5] قال: ان الذين سمعوا مواعظ بطرس لم يكتفوا بان يسمعوا تعليم الكلمة الالهية الشفاهي فترجّوا مرقس ان يدوّن لهم بالكتابة ما كانوا سمعوه وكانوا السبب بالحاحهم ليكتب مرقس الانجيل المنسوب اليه.

واورجين يضع في الرتبة الثانية « الانجيل الذي كتبه مرقس حسبما علّمه بطرس »[6]

ولنا من انجيل مرقس ذاته دليل على انه نتيجة مواعظ بطرس ، فشخصية هذا الرسول تتجلّى فيه لان الواعظ المتواضع يسكت عما يجلب له المديح ويذكر ما يكون نقصاً فيه. وهكذا يظهر بطرس في انجيل مرقس. فلم يذكر مرقس كما ذكر متى (١٦ : ١٦ — ١٩) وعد يسوع المسيح لبطرس بانه يجعله

١) مين الآباء اليونان المجلد ٦ العمود ٧٣٦

٢) Vincent Henry Stanton. *The Gospels as Historical documents Part. I, pp 93 sq. Cambridge 1923*

٣) ضدّ الهرطقات ك ٣ ف ١ العدد ١ ، راجع مين الآباء اليونان المجلد ٧ العمود ٨٤٦

٤) ك ٤ ف ٥ ، راجع مين الآباء اللاتين المجلد ٢ العمود ٣٩٦

٥) تاريخ اوسابيوس ك ٦ ف ١٤ ، راجع مين الآباء اليونان المجلد ٢٠ العمود ٥٥٢

٦) تاريخ اوسابيوس ك٦ ف ٢٥ العدد ٥ ، راجع مين الآباء اليونان المجلد ٢٠ العمود ٥٨١

اساس الكنيسة ويسلمه مفاتيح ملكوت السماوات. مع انه ذكر مجاهرة بطرس بان يسوع هو المسيح (مرقس ٨: ٢٩). ولم يتكلم مرقس عن مشي بطرس على المياه كما ذكر ذلك متى (١٤: ٢٨ — ٣١). ولا عن صيد السمكة التي وجد في فمها استاراً فدفع الجزية عن يسوع وعنه (متى ١٧: ٢٤و٢٥). ولا عن صلاة يسوع لاجل بطرس بنوع خاص لئلا ينقص ايمانه (لوقا٢٢: ٣٢). ولا عن تخصيص يسوع لبطرس ليحضر كل ما يلزم لاكل الفصح (لوقا ٢٢: ٨). فلم يذكر مرقس كل هذه الامور لان بطرس من تواضعه لم يكن يتكلم عنها في مواعظه.

وبالعكس نرى مرقس يتكلم باسهاب اكثر من غيره من الانجيليين عن جحد بطرس ليسوع في دار رئيس الكهنة (مرقس ١٤: ٦٦ — ٧٢) ويصرح بتوبيخ يسوع له (مرقس ١٤: ٣٧). فمن كل ذلك نستنتج بكل صواب ان انجيل مرقس هو صدى مواعظ بطرس.

لمن كتب مرقس انجيله ؟

لم يكتب مرقس لاجل اليهود المتنصرين كما فعل متى، ولا لاجل سكان اورشليم واليهودية. بل لاجل المسيحيين المرتدين من الوثنية في رومية. لان اليهود وسكان اليهودية لم يكونوا يحتاجون الى تفسير الالفاظ الآرامية التي وردت في انجيل مرقس مثل «بوانرجس» (٣: ١٧) اي ابنا الرعد. و«طاليتا قومي» (٥: ٤١) اي يا صبية قومي و «قربان» (٧: ١١) اي هدية. و «اتفتح» اي انفتح (٧: ٣٤). و «برتيماوس» (١٠: ٤٦) اى ابن تيماوس. و« ابا» (١٤: ٣٦) اي ايها الأب. و «ألوهي ألوهي لما شبقتني» (١٥: ٣٤) اي الهي الهي لماذا تركتني. ولم يكن اليهود محتاجين الى شرح العبارة «اليوم الاول من الفطير» (١٤: ١٢) بقوله « اذ كانوا يذبحون الفصح». و«التهيئة» (١٥: ٤٢) بقوله «التي هي قبل السبت»

ويذكر مرقس عادات لليهود لم يكن هؤلاء ليجهلوها كقوله: «ان الفريسيين وسائر اليهود لا يأكلون ما لم يغسلوا ايديهم مراراً تمسكاً بسنة الشيوخ. واذا جاؤوا من السوق لا يأكلون ما لم يغتسلوا واشياء اخرى كثيرة قلدوها ليتمسكوا بها من غسل كؤوس وجرار وآنية نحاس وأسرة» (مرقس ٧: ٣و٤). ويبين موقع

جبل الزيتون بالنسبة الى هيكل اورشليم : « بينما هو جالس في جبل الزيتون قبالة الهيكل» (مرقس ١٣ : ٣)

ثم ان مرقس يستعمل الفاظاً لاتينية مثل «دينار» (٦ : ٣٧) . « قنطوريون » (١٥ : ٣٩ و٤٤ و٤٥) اي قائد مائة . «ليجيون» (٥ : ٩) اي جوقة . « پريتوريوم» (١٥ : ١٦) المحكمة . «فلاجيلوم» (١٥ : ١٥) مجلدة . «سيكولاتور» (٦ : ٢٧) سيّاف . ويفسر « الفلسين » (١٢ : ٤٢) بعملة رومانية : « كوارتس » اي ربع .

وعرّف سمعان القيريني بابنيه الاسكندر وروفُس (١٥ : ٢١) المعروفين عند سكان رومية . ولعلّ روفس هو الذي ذكره بولس في رسالته الى اهل رومية (١٦ : ١٣) «سلّموا على روفُس المختار في الربّ وعلى امه التي هي امّي» .

وقد ذكر مرقس (١٠ : ١٢) في مسألة الطلاق امراً لم يذكره متى لانه كان مستعملاً عند الرومانيين أن تطلق المرأة زوجها . فقال : «وإن طلّقت امرأة بعلَها وتزوّجت آخر فقد زنت» . ولم يذكر مرقس العهد القديم الّا مرّةً جامعاً في موضع واحد (١ : ١ — ٣) ما جاء في ملاخي (٣ : ١) واشعيا (٤٠ : ٣) . اما الآية (١٥ : ٢٨) وهي من اشعيا (٥٣ : ١٢) «واحصي مع الاثمة» فقد ارتأى بعضهم انها ليست اصلية في انجيل مرقس بل اضافها بعض النسّاخ وهي ناقصة في بعض النسخ من انجيل مرقس . وعدم ذكر مرقس للعهد القديم هو لان الوثنيين لا معرفة لهم به

فكل هذه الامور هي برهان جلي على ان مرقس كتب لاجل المسيحيين الذين اتوا من الوثنية في رومية .

الزمن الذي كتب فيه مرقس انجيله

لم يتفق شارحو الكتاب المقدس في تعيين الزمان الذي كتبَ فيه مرقس انجيله . ومنطوق الانجيل لا يبيّن ذلك . الا انه يمكننا من بعض الآيات والظروف ان نعرف تقريباً زمان كتابة هذا الانجيل .

ان الآية الاخيرة منه تُنبئ بانه انقضت سنوات عديدة قبل كتابته . قال مرقس (١٦ : ٢٠) : «فخرج اولئك وكرزوا في كل مكان والرب يعمل معهم ويثبت الكلام بالآيات التي كانت تقارنه» . فالكرازة في كل مكان ، ليس في اورشليم واليهودية فقط لكن ايضاً في بلاد ومدن الوثنيين ، تطلب زمناً غير قليل قبل ان

يكتب مرقس انجيله ويختمهُ بهذه الآية . فاننا نعلم ان بولس وهو من انشط الرسل لم يباشر الا في السنة ٤٣ للمسيح سفره الاول ورسالته الاولى مع برنابا، اذ انتدبها الروح القدس في انطاكية فتوجها الى قبرس فانطاكية بسيدية فايقونية فلسترة وغيرها من المدن. فالذين عينوا السنة ٤٢ او ٤٣ لكتابة انجيل مرقس هم بعيدون عن الحقيقة.

ومن جهة اخرى توجد براهين على ان مرقس نشر انجيله قبل السنة ٧٠ للمسيح. لانه لو كان مرقس نشره بعد تلك السنة، وفيها تمّت نبوّة السيد المسيح عن خراب اورشليم والهيكل، لكنّا وجدنا في انجيل مرقس اشارة، وإن خفيّة، الى هذا الحادث العظيم الذي كان يهمّ جدًّا الشعب اليهودي والمسيحي. فمرقس يتكلم عن نبوة المسيح كأمرٍ لم يتم بعد . ولدينا برهان آخر على ان هذا الانجيل كُتب قبل السنة ٧٠، فانها لحقيقة ثابتة ان مرقس كتب انجيله قبل ان يكتب لوقا انجيله. ونعرف من سفر اعمال الرسل (١:١) . ان لوقا كتب هذا السفر بعد ان كتب الانجيل : « قد انشأتُ الكلام الاول يا تاوفيلس في جميع الامور التي عملها يسوع وعلّم بها » . وسفر الاعمال خُتم بآية تدلّ على ان بولس كان بعد في قيد الحياة في اسره الاول برومية : «واقام [بولس] سنتين كاملتين في بيت استأجره وكان يقبل جميع الذين يقصدونه . ويبشر بملكوت الله ويعلّم بما يختصّ بالرب يسوع بكلّ جرأة ولا يمنعه احد» (اعمال ٢٨ : ٣٠ و ٣١) . ونعرف ان بولس استشهد في السنة ٦٥ او ٦٧ . فتكون النتيجة اللازمة ان مرقس كتب انجيله قبل السنة ٧٠ . فالرأي الارجح اليوم والاكثر قبولًا عند شارحي انجيل مرقس هو انه كتبه قبل السنة ٦٤ .

ومن المقرر انه كتبهُ باليونانية وكانت هذه اللغة شائعة عند الرومانيين . والارجح انه كتبهُ في رومية.

ان التقليد الذي حفظهُ لنا اوسابيوس في تاريخه[1] يقول ان مرقس توجّه الى الاسكندرية واسس هناك كنيسة المسيح ونشر الانجيل الذي كان كتبهُ.

---

١) ك ٢ ف ١٦ ، راجع مين الآباء اليونان المجلد ٢٠ العمود ١٧٣

النساء الفرنجيات

في انطاكية وعزاز في عهد الصليبيين

بقلم الاديب حبيب زيات

من احقّ ما يؤخذ على مدوّني اخبار الصليبيين عندنا انهم لم يستقصوا منها الا الوقائع والانباء التي كانت تذهب بالاموال والدماء . فالناظر اليوم في تواريخهم لا يكاد يدري ، في ما عدا الحروب والملاحم ، شيئاً يُذكر من اخبار جوار الفرنج لاهل البلاد ، وتأثير فريق منهم في الآخر في المعايش والمجتمعات ، والابنية والمساكن ، والمآكل والمشارب ، والازياء والعادات ، واللهجات واللغات ، والصناعة والزراعة ، الا بعض اشارات يسيرة وردت عَرَضاً في روايات بعض المعاصرين ، نظير ابن جبير في رحلته ، والامير اسامة بن منقذ في كتاب الاعتبار . ولا شكّ انه لو كانت سلمت لنا دواوين الشعراء الذين ساكنوا الصليبيين وخالطوهم في كل هذه الحقبة الطويلة ، وقرُب منا متناولها ، لوجدنا في بعض قصائدها ومقطعاتها نتفاً من اوصاف ذلك العصر تشفّ عما كان فيه من حضارة وفنّ ومُصطلح وزيّ .

وممن وقع الينا بعض شعره ، وانفرد فيه بذكر النساء الصليبيات ، ابو عبدالله محمد بن نصر القيسراني المكاوي . عرضت له حاجة في انطاكية سنة اربعين وخمسمائة للهجرة ، فدخلها وطاف سككها واحياءها ، وغشي بيوت لهوها ومتنزهاتها ، وشاهد نساءها وقيانها ؛ وشبّب بالفرنجيات منهنّ ونظم فيهنّ مقطعات رواها لهُ عماد الدين الكاتب ، في القسم الثالث من كتابه « خريدة القصر » ، رقم ٣٣٢٩ من خزانة باريس . واول ما وصفهنّ به زرقة العين وطيب الرائحة وطول الشعر . قال:

لقد فتنتني فرنجيةٌ نسيم العبير بها يعبقُ
ففي ثوبها غصن ناعمٌ وفي تاجها قمرٌ مشرقُ
وان تكُ في عينها زرقة فان سنان القنا ازرقُ[1]

يريد بالتاج ما كانت تصفّفه من غدائرها فوق رأسها . وهو ما صرّح به في ابيات لهُ يصف بها بعض نساء عزاز[2] في عهد الفرنج فيها :

وسبتني لها ذوائب شعر عقدتها تاجاً على ابراز
مَن معيني على بنات بني الاصفر غزواً ، فانني اليوم غاز[3]

وكان لهنّ تحت هذا التاج ، طُرر يصفّفنها فوق الجبين ، واصداغ يسدلنها من جانبي الخدّين ، وهو قوله في الملاح المشرفات من نوافذ البيوت :

فيا عذولي فيهنّ دعْ كلفي وانظر الى الشمس هل لها طرر
وكن معيني على ذوي خُدع ان سالم القلبُ حارب النظرُ[1]

وفي قينة حسناء سمعها تغني :

فيا لك من وجهٍ كقنديل هيكل عليه من الصدغين محراب مسجدِ[1]

واكثر ما رآهنّ في عزاز حين اجتيازه بها

بعيون كالمرهفات المواضي وقدود مثل القنا المزهاز
ونحور تقلدت بثغور ريقها ذوب سكر الاهواز

وامتازت بينهن المرأة الخُصانة الضامرة الكشح

ذات خصر يكاد يخفى على الفا رس منه مواقع المهاز[2]

وفي هذا الخصر الزنار المعقود تحت قلب اقسى من الجلمود :

وفي ذلك الزنار تمثال فضّةٍ تنقط خديه العيون بعسجدِ[1]

وكان حين دخل انطاكية وجاس خلالها ، أُعجب بقصورها الفخمة الشاهقة وابنيتها الحسنة ومنازلها المزخرفة ، وشاهد في كل شباك منها مليحة سافرة تطلّ بوجه برقعه الحياء ، فانشد فيهنّ :

وا حربا في الثغور من بلد يضحك حسناً كانه ثغرُ

---

١) خريدة القصر ، ف ٨ ٢) ويسمّيها الصليبيون «Hazart» [المشرق]
٣) خريدة القصر ، ف ٢٦

ترى قصورًا كأنها بِيَع ناطقة في خلالها الصورُ
هالات طاقاتهنّ آهلة يبسم في كل هالة قمرُ
سوافر كلما شمرنَ بنا برقهن الحياء والخفرُ
من كل وجه كأن صورته بدر ، ولكن ليله شعرُ
فهو اذا ما الـلوُّ حاربهُ كان لتلك الضفائر الظفر[1]

ولم يقتصر على تصفح الغواني في النوافذ والطرقات ، بل ألمّ من اجلهنّ بالبيع والكنائس كعادة اضرابهِ في ديار الاسلام من طروق الاديار والمعابد في ايام الآحاد والاعياد لاجتلاء ما فيها من الوجوه الحسان . ولم يذكر من كنائس انطاكية سوى كنيسة السيدة . قال وهي قبة شاهقة للنصارى وانشد فيها :

متى عُجتَ يا صاحِ بالسيّده فسلْ عن فؤاديَ في الافتده
وقلبك حذره عن ان يُصا دَ ، فان بها للهوى مصيده
وجوه تباهي قناديلها ببهجة نيراتها الموقده
ترى كلَّ مستضعف خصره اذا ما دعا طرفه الجيده[1]

وشاهد في كنيسة اخرى لم يسمّها ، ولعلها كنيسة القسيان المشهورة ، راهبة رومية حسناء قصيرة الزنار طويلة حبل العاتق متشحة بالسواد تحكي ثيابها غدائرها باللون فقال :

كم بالكنائس من مبتّلة مثل المهاة يزينها الخفرُ
من كل ساجدة لصورتها لو انصفت سجدت لها الصورُ
قديسة ، في حبل عاتقها طول ، وفي زنارها قصرُ
غرس الحياء بصحن وجنتها وردًا سقى اغصانه النظر
وتكلمت عنه الجفون فلو حاورتها لاجابك الحوَر
وحكت مدارعُها غدائرَها فاراك ضعفي ليله قمر[2]

وكانت انطاكية قديماً موصوفة بالنزاهة والحسن وطيب الهواء وعذوبة الماء وكثرة الفواكه وسعة الخير[3] . ولما استولى الروم والفرنج عليها ، انضمّ الى هذا الطيب جودة الخمر والشراب . فكان كل من تعذّر عليه الشرب والقصف في ما جاور من مواطن الاسلام ، يقصد انطاكية للتمتع بلذاتها . ولذلك قال

١) خريدة القصر ، ق ٨ ٢) خريدة القصر ، ف ١٤ ٣) معجم البلدان لياقوت ج ١ ص ٣٨٢

ابو العلاء المعري فيها من لزومياته :

لا يتزلنَّ بانطاكيَّة ورعٌ كم حلَّل الدين عقداً للزنانير
جا مدام كذوب الثبر غزجه للشاربين وجوه كالدنانير

فلا غرو ان كان القيسراني انتهز فرصة وجوده فيها لارتياد اماكن الطرب والشراب. وكان فيها وقتئذٍ ، من جملة القيان المشهورات بالحسن والاحسان ، جارية تروي الشعر العربي اسمها ماريا تغني بالدفّ خفيفة الروح في نهاية اللطف. ومن اصواتها التي تغايظ بها النصارى وتستميل قلوب المسلمين[1]

علقت بحبل من حبال محمد امنت به من طارق الحدثان

ولا يخفى ما في هذا البيت من التعريض والاشارة ، وهو من قصيدة للحسن ابن هانئ يمدح بها الامين بن الرشيد اولها .

لمن طال لم اشجه وشجاني وهاج الصبا لو هاجه لأوان

وبعد ان قضى القيسراني اطيب وقت في هذه البلدة الجامعة بين طيب الهوائين ، خرج منها وهو يتمنى لو بقي فها اسيراً بين يدي الفرنج ليتملى من لذاتها ونعيمها وانشد :

سرت وخلفت في ديارهم قلباً تمنيت انه بصرُ .
ولم ازل اغبط المقيم بها للقرب ، حتى غبطت من أسروا[1]

وتذكر حين انكفأ راجعاً ساعات مرّت له مع ماريا ، فقال فيها :

الا يا غزال الثغر هل انت منشدي : « علقتُ بحبل من حبال محمد ! »
ويا هل لذاك اليوم في الدهر ليلة تعود ولو عادت عقيماً بلا غد !
فالقاك فيها هادي الكاس حادياً وحبك من ساع بها ومغرّد
الا حبذا عاري المحاسن عاطل محلى باثواب الملاحة مرتدي . . .
وعهدي بماريا ، سقى الله عهدها ، بما عندها من حاجة الهائم الصدي
وفي ذلك الزنار تمثال فضة تنقط خديه العيون بعسجد
وقد غلب المصباح فيه على الدجى سنا قمر في جنح ليل مجعد . . .
فيا لي من وجه كقنديل هيكل عليه من الصدغين محراب مسجد
لقد اسرتني حيث لا ابتغي الفدا فقلْ في اسير لا يُسرّ بفتدي[1]

١) خريدة القصر ؛ ف ٨

امالي السنة : ٤

اصل كلمة «الحواريين»

بقلم الاب مرمرجي الدومنيكي
من اساتذة المعهد الكتابي والاثري الفرنسي في القدس الشريف

مظانّ ورودها

هذه اللفظة مشتهرة بين الجمهور بانها « قرآنية » ؛ لكن الباحث يجدها واردة ، فضلًا عن المصحف ، في ما دعوه « الشعر الجاهلي » ، وفي الحديث ، والاناجيل المعرّبة ، والكتب النصرانية الكنسية . ولذا ، يجدر بنا ، توفية للبحث ، ان نتقصّى اثرها في جميع هذه المواطن ، لنرى ماذا يراد بها.

في الشعر الجاهلي

جاءت «الحواريون» مفردةً مذكّرةً ، في القصائد المعروفة بالاصمعيات ، على لسان الضابئ بن الحارث ، قال:

« وكرّ كما يكرّ « الحواري » يبتغي الى الله زلفى ان يكرّ فيقتلا »

ووردت بهذه الصيغة ايضاً في البيت الآتي المنسوب الى السموأل:

« وسليمان « والحواري » يحيى ومتى يوسف كاني وليت »

الظاهر من البيت الاول ان كلمة «الحواري» مطلقة على تلاميذ المسيح ، وقد سُمّي الجميع باسم الواحد . ويؤيد ذلك البيت الثاني الذي يدعو باسم «الحواري» اثنين من الرسل وهما يحيى (يوحنا الحبيب) ومتى الانجيلي . الّا ان ذلك لا يأتي بادنى دلالة على معنى الحواريّ واصلها.

في القرآن

ذكرت اللفظة ، بصيغة الجمع المذكر ، في ثلاث سور من الفرقان ، كما يلي :

« فلما احسّ عيسى منهم الكفر ، قال : من انصاري الى الله ؟ قال « الحواريون » : نحن انصار الله ؛ آمنا بالله ؛ واشهد باننا مسلمون.» (عمران ٥٢)

«واذ اوحيت الى «الحواريين» ان آمنو بي وبرسولي ، قالوا: آمنا ؛ واشهد باننا مسلمون. اذ قال «الحواريون» : يا عيسى ابن مريم ، هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء ؟ قال: اتقوا الله ان كنتم مؤمنين» (مائدة ١١٤،١١٥)

«ايها الذين آمنوا ، كونوا انصار الله ؛ كما قال عيسى ابن مريم «للحواريين» مَن انصاري الى الله ؟ قال «الحواريون»: نحن انصار الله» (الصف ١٤).

لا يظهر من هذه الآيات الا علاقة تلك الفئة من القوم بالمسيح ، الذي يدعوه المصحف «عيسى ابن مريم» اما معنى الحرف واصله فليس هناك ما يهتدى به اليها.

فاذا كان الشعر الجاهلي والقرآن خلواً من دلالة ، صريحة ام ضمنية ، على اصل اسم «الحواريين» ، فلنعمد الى المفسرين ، واهل المعاجم ، لعلنا نقتبس شعاعاً من نورهم . قال الطبري (طبعة مصر ، مجلد ٣ ، وجه ٢٠١) : «واشبه الاقوال التي ذكرنا في معنى الحواريين ، قول من قال: سموا بذلك لبياض ثيابهم ولانهم كانوا غسالين . وذلك ان الحَوَر ، عند العرب ، شدة البياض ؛ ولذلك سمي الرجل الشديد بياض مقلة العين احوَر ؛ والمرأة حوراء . وقد يجوز ان يكون حواريو عيسى كانوا سموا بالذي ذكر ، من تبييضهم الثياب ، وانهم كانوا قصارين . فعرفوا بصحبة عيسى ، واختياره اياهم لنفسه اصحاباً وانصاراً. فجرى ذلك الاسم لهم واستعمل ، حتى صار كل خاصة للرجل من اصحابه وانصاره « حواريه » ولذلك قال النبي (ص): لكل نبيّ حواريّه ؛ وحواريّ الزبير. يعني خاصته ».

قال النيسابوري (في حاشية الطبري ، مجلد ٣ ، وجه ٢٠٤): «حواريّ الرجل صفيّه ، وخالصته . . . وحوّرت الثياب بيّضتها . والحواريّ واحد ؛ ونظيره الحوالي وهو كثير الحيلة ؛ والجالي الرجل الضخم الاعضاء . عن الضحاك : الذي يغسل الثياب يسمّى بلغة النبط «حواري» فعُرّب. واما الحواريون من هم ؟ فقيل : هم الذين كانوا يصطادون السمك ، فاتبعوا عيسى وآمنوا به . . . قالوا : من افضل منّا ؟ اذا شئنا ، اطعمتنا ؛ واذا شئنا ، اسقيتنا ؛ وقد آمنّا بك. فقال : افضل منكم من يعمل بيده ، ويأكل من كسبه . قال : فصاروا يغسلون الثياب

فسمّوا حواريين.»وقال البيضاوي (ص ٦٩) : « حواري الرجل خالصته ؛ من الحوّر...سمي به اصحاب عيسى، عليه الصلاة والسلام، لخلوص نيتهم ، ونقاء سريرتهم.وقيل كانوا ملوكاً يلبسون البيض ، استنصرهم عيسى ، عليه السلام، من اليهود.وقيل: قصّارين ، يحوّرون الثياب.»

وفي وسعنا ان نورد اقوال غير هؤلاء الائمة ، وشواهد اهل المعاجم ؛ الا اننا نعدل عن ذلك لتشابه آرائهم جميعاً ، ولنقلهم الواحد عن الآخر . وقد قال بقول الاقدمين المفسّرون العصريون ؛ منهم مولوي محمد علي الهندي ، الذي نشر القرآن بنصّه العربي ، وبازائه ترجمته ، وبذيله تفاسير ضافية بالانكليزية[1]

وانت ترى انه من العسر استخلاص نتيجة ثابتة من هذه التفاسير والاقاويل المضطربة المتضاربة ، لاستنادها ، لا الى مصادر تاريخية ، بل الى السند العزيز على القدماء ، الملخص بهذه العبارة الشهيرة «قيل ، ويقال» والسبب في ذلك ان هؤلاء الشرّاح لم يطلعوا ، هم بذاتهم ، على المستندات ذات الشأن ، بل كانوا يسائلون ، في ذلك ، النصارى الذين دانوا بالاسلام . واغلب هؤلاء كانوا من الطبقة الجاهلة الانجيل ، واصول الدين . فنقلوا اليهم هذه الاخبار وغيرها مشوّهة ، ممسوخة.اما ما عرفناه من الانجيل والتاريخ الكنسي والمدني ، فهو ان اكثر تلاميذ المسيح كانوا صيّادين . ولم يرد في احد هذه المظانّ انهم كانوا قصّارين ، او ملوكاً ، او غير ذلك.

هذا من جهة التاريخ ؛ اما من جهة الاشتقاق اللغوي ، فالقول بان «الحواري» آتٍ من فعل «حَوِر» الدالّ على البياض ، ليظهر هو ايضاً غير قوي الحجة ؛ ومنشأه ان اهل المعاجم والائمة العربية لم يكونوا في الغالب يعرفون غير لغة الضاد؛ ولاعتقادهم ان ليس في هذه اللسان ، ولاسيما في القرآن ، الفاظ دخيلة ، قد اتبعوا قاعدة مطردة وهي ان يحاولوا ردّ كل لفظة الى اصل عربي . ولهذا قد خلّفوا لنا في مصنّفاتهم تأويل وتخاريج تضحك الثكلى.

على اننا اذا فرضنا ان «الحواري» كلمة عربية ، فنظنّ ان اشتقاقها من

1) *the holy Qor'an (p. 159)* by Moulwi Muhammad Ali, *Lahore, Penjab, India, 1920*

«حَوِر» من الامور غير الهينة. ودونك اولاً معنى هذا الفعل كما ورد في المعاجم: «حَوِر الغلام والجارية «حَوَرًا» اشتدّ بياض عينه وسوادها ، واتسعت حدقتها ، ورقّت جفونها ، وابيضّ حواليها ، مثل الظباء والبقر.» ولا ريب انك لحظت ان مصدر «حَوِر» هو «الحَوَر» ؛ فاذا نسب اليه قيل «الحَوَري». واما «الحَوَار» المنسوب اليه «الحواري» فليس مصدرًا او اسماً من «حَوِر» ولا معناه البياض ، بل «المحاورة والحديث». اجل اننا لا نجحد ان قد ورد في اللغة وزن «فُعَالي» بيد انه ، فضلًا عن ندوره ، لا تستعمل صيغته في الغالب ، الّا لاعضاء البدن، فتدل على ضخامة فيها ، نحو : رُؤاسي ، كبير الراس ؛ انافي ، كبير الانف ؛ اذاني ، كبير الاذنين ؛ عَضادي ، ضخم العضدين. وهـذا الذي اضطر بعض المحققين ، كالتفتازاني ، الى التخريج بقولهم ان اصل « الحواري » هو «الحَوَري» زيدت فيه ألف عند نسبته ، للمبالغة . ونحن نعلم ، من كتب النحو ، ان العرب ، اذا ارادوا المبالغة في وصف شي ، ادخلوا عليه ياء النسبة في آخره ، فيقولون في الاحمر «الاحمري» ، وفي الابيض «الابيضي» ، وفي الاحور «الاحوري». وعلى كلٍ ، سوف ترى ادناه هل لهذه التوجيهات من صحّة.

كلمة «الحواريين» عند النصارى

لمادة «حَوِر» بمعنى البياض ، وجود ليس في العربية فقط ، بل في الارمية، والعبرية ؛ ولفظتا هذين اللسانين هما : (Ḥwar) و (Ḥawar)

اما كلمة الحواريين (بدلالتها على رسل المسيح) فلا دخل لهـا في العبرية ولا عند العبريين. على ان الارميين ، الذين تسنّوا سريانًا بعد تنصّرهم — ولذا دعيت لهجتهم الارمية سريانية — قد استعملوا «الحواريين» في كتبهم التي ألفوها بالعربية ؛ وفي اناجيلهم المنقولة من لغتهم الى هذه اللغة ؛ ولديهم كلمة وردت كثيرًا في اسفارهم الكنسية وهي: (Hêwārē) ومعناها « البيض » وقد نسبها بعضهم الى الرسل ، وقالوا انها مقابل « الحواريين » القرآنية ؛ لا بل ان لفظة «الحواريين» عينها معرّبة عنها ، فما علينا ، والحالة هذه ، سوى مواصلة التنقيب ، لنستطلع كنه الحقيقة.

نظن ان اقدم كتاب ، عند النصارى ، وجدت فيه كلمة «الحواريين» بعد

عشر القرآن ، هو كتاب الترجمة العربية « للدياطسرون » او الانجيل المربع ، الراقي اصله السرياني المفقود الى القرن الثاني ؛ ومعرّبه الى القرن العاشر . ثم في كتاب « التراجم السنية في الاعياد المارانية » لايليا ابي حليم بطريرك النساطرة ، من اهل القرن الثاني عشر . وكذلك في اغلب الترجمات الانجيلية ، المتوالية قرناً بعد قرن ، كالاناجيل الخطية الموجودة في خزانة القبر المقدس ، للروم الارثذكس في القدس ، والمتراوح عهدها بين القرن ١٢ والقرن ١٧ للميلاد . فهذه الاسفار باسرها — كما تحققنا ذلك بمراجعتنا كل المظانّ فيها بذاتنا — تطلق كلمة « الحواريين » على الرسل الاثني عشر . الّا انها ، خلافاً للقرآن ، تسميهم غالباً باسم الرسل او التلاميذ ، ونادراً باسم «الحواريين» ، وفي بعضها اي في كتب الكلدان مثلاً ، تجد كلمة «السليحين» التي هي تعريب (šliḥē) السريانية ومعناها الرسل .

هل «HEWARE» السريانية تأتي بمعنى الرسل ؟

قلنا ان السريان استعملوا ، بعض الاحيان ، في اناجيلهم العربية كلمة «الحواريين» لتسمية الرسل . بيد ان الاظهر لنا انهم اخذوها عن القرآن ؛ وانها ليست بترجمة عن (Ḥéwārē) اما الحرف الذي عرّبوه فهو كما رأيت اعلاه (šliḥē) ؛ غالباً «الرسل» ومرةً «السليحين» واخرى «الحواريين» . فلنرَ الآن هل اطلق اسم (Ḥéwārē) على الرسل ، خارج الانجيل .

بين يدينا سبعة معاجم من اشهر كتب اللغة السريانية : اولها واقدمها ، معجم بربهلول ؛ واوسعها واتقنها معجم سيث الانكليزي (*Thesaurus syriacus*) ؛ ثم معاجم بروكلمن المستشرق الالماني ؛ والمطرانين الكلدانيين : اودو ومنّا ؛ والاب بُرُن اليسوعي ، والاب القرداحي الماروني .

ودونك زيادة في الايضاح ، مختلف معاني (Ḥéwārē) الآتية من فعل : (Ḥwar) ومدلوله «حَوِر ، ابيضّ» .

(Ḥewārē) : البيض (الثياب) . — الدراهم — الفضة — البيض (الرجال ذوو اللون الابيض) — الامويون والفاطميون ، للبسهم الابيض — ثياب الشمامسة الانجيليين — لبس اساقفة الفرس — لبس الملائكة .

هذه اغلب المعاني المطلقة على لفظتنا . وما عدا معجمي المطران منّا والاب

القرداحي ، لم نجدها مترجمة بكلمة «الحواريين» في كل المعاجم المذكورة ولاسيما في معجم سميث ذاك الكنز الكبير الحاوي من اللغة السريانية كل آبدة وشاردة. وكنا قد سألنا المطران منّا ان يوقفنا على المصدر الذي استمدّ منه ذلك ، فاجابنا انه اعتمد على الاب القرداحي فنقلها عنه. واما صاحب «اللباب» فلا ندري اين وجدها ؛ ولاسيما انه ، خلافاً لعادته المألوفة لم يأتِ بنصّ من الكتبة السريان ، السابقين او اللاحقين الاسلام ، ادعاماً لرأيه.

SABTA D'HEWARE

على انه ان كانت هذه الكلمة السريانية لا تدلّ على «الحواريين» وهي منفردة ، فلربما دلّت عليها وهي مركبة مع لفظة اخرى. وبالحقيقة هناك عبارة اخرى من هذا القبيل ، وهي (šabta d'Héwārē) وقد أُختلف ايضاً في مدلولها وترجمتها . دونك ما جاء عنها في المعاجم : القرداحي عبّر عنها بسبة (اسبوع) الحواريين او الرسل ؛ والمطران منّا بالسبة التابعة للقيامة والعنصرة ؛ وسميث وبرْكلمن وبرْن أدّوها بهذا التعبير اللاتيني: (*Hebdomada albarum*) اي اسبوع البيض . اما برپلول فلا يذكر سوى العبارة الآتية: (šabat šabē) اي اسبوع الاسابيع ، وتابعه فيه المطران اودو.

وروودها في الناقوس

لا ذكر لكلمة «الحواريين» في انجيل الملكيين ، وليس عندهم طقس او اسبوع يسمّى بها — وكذا الامر عند الارمن — بل يدعى هذا الاسبوع ، في كلتا الكنيستين «اسبوع الفصح» . اما السريان الكاثوليك — وكذا القول عن اليعاقبة — فيطلقون على هذا الاسبوع اسمين: ففي كتاب الاناجيل والحسابات ، نقرأ : «trēn bšabbā, tlāṯā bšabbā d'aqyamtā etc.» اي: «اثنين ، ثلاثاء القيامة . » وفي الفنقيت (اي كتاب الفرض على مدار السنة) نجد «šabta d'Héwārē, trēn b'abba, tlāṯā bšabbā d'Héwārē.» وفي كتاب النافورة للموارنة نرى في قسم الاناجيل بالكرشوني: «اثنين الحواريين ، ثلاثاء الحواريين الخ» على ان الكلدان — وكذا النساطرة — لا يدعى هذا الاسبوع في طقسهم (šabta d'Héwārē) بل (šābat šābē)

فالناجم من هذا كله ان الطقوس الشرقية ليست بمتفقة في تسمية هـذا الاسبوع ؛ او بالاحرى انها جميعها مجمعة على الاطلاق عليه اسم « اسبوع القيامة او الفصح » وانما تختلف في وسمه باسم «sabta d'Héwarē». فالسريان الغربيون وحدهم ، اي الكاثوليك ، واليعاقبة ، والموارنة قد ابقوا هذا الاسم مع الاسم الاول. وقد ترجمه بعضهم باسبوع الحواريين. اما الكنيسة الغربية ، فقد دعته ، فضلاً عن اسمه العام وهو: «*Hebdomada Paschae*» (اي اسبوع الفصح) باسم آخر وهو «*Hebdomada albarum*» (اعني اسبوع البيض) ؛ الا انها لم تطلق عليه قط «*Hebdomada apostolorum*» (اسبوع الرسل).

على ان من الشرقيين النصارى من يزعم ان الرسل دعوا (Héwarē) اي البيض. ومن ثم فاسمهم الحواريون ، لانهم كانوا يلبسون الثياب البيضاء ؛ ولذا وجب ترجمة (sabta d'Héwarē) «باسبوع الحواريين» لان تلك الايام مختصة بهم.

اما من جهة اللبس فنقول: نعم ان اوسابيوس القيصري قد ذكر ، نقلاً عن هيجيسيوس ، ان القديس يعقوب ، اخا الرب ، كان يتشح برداء من كتان ؛ نعم ان اساقفة الفرس كانوا يرتدون بالاردية البيضاء . لكن هذا لا يدل على ان الرسل ، من بدء تبشيرهم ، قد اتخذوا لهم ثياباً خصوصية ، تميزهم عن بقية الناس ؛ وانهـا كانت بيضاء لا غير ؛ مما حمل القوم على تلقيبهم بالبيض . وان كان ذلك حقيقياً ، فلمَ لا نرى اثرًا لهـذه التسمية في بقية الكنائس الشرقية ، فضلاً عن الغربية ؟

اما المؤكد فهو ان الرسل كانوا يلبسون الثيـاب التي كانت مستعملة في زمانهم ، وقد بقي اثرها في اردية الاكليروس الـذي ، حتى القرن السادس ، كانت ملابسه كملابس العلمانيين ذوي المقامات . حتى ان البابا سلستينوس قد ذمّ في منشوره استعمال ثياب خاصة كنسية. واليك ما جاء في كتاب الليترجيات لصاحب الغبطة ، السيد رحماني ، بطريركنا السرياني ، المثلث الرحمات ؛ قـال رحمه الله (ص ١١٦) « ان القسوس والاساقفة بطبقاتهم ، لم يكونوا يتميزون عن العلمانيين في زيّهم الظاهر للعيان ، الّا باللحية ؛ اذ لم يكونوا يحلقونها ، دلالة على زهدهم في الدنيا . وكانت اردية القسوس والاساقفة ، في الغالب ،

كاردية الاشخاص الوقورين من العلمانيين . فيلبسون الطيلسان غير المبهرج ، باللون الاسود ؛ وفوق الطيلسان ، يتدرعون بالجبة . وقد ورد في مجموعة التواريخ ، لميخائيل الكبير ، بطريرك السريان اليعاقبة ، عن سينوس الذي كان اسقف شيعة النوباطيين في القسطنطينية ، على عهد يوحنا الذهبي الفم ، انه كان يلبس الطيلسان باللون الابيض ، فلاموه . فكان من جوابه لهم : « وفي اي كتاب ورد ان نلبس الاسود ؟ »

فمن هنا نستدلّ على ان الاكليروس كان في القديم يلبس كالعلمانيين ، الثياب البيضاء او ذات الالوان الفاتحة — كما الامر جارٍ حتى اليوم ، عند الروم الارثذوكس وغيرهم — وقد درجت العادة ، بتوالي القرون ، ان يتشحوا بالسواد ، علامة على التجرد والزهد . فان كان الاكليروس ، بعد عدة قرون من تأسيس الكنيسة ، لم يكن لهم ما يميزهم عن العلمانيين ، بزي ثيابهم ؛ فباولى حجة لم يكن للرسل ثياب خاصة تفرقهم عن غيرهم . زد على ذلك انه لو كان هذا الاسم قد اطلق حقيقة على الرسل ، فلم يكن لهم سوى لقب عرضي ولا اسمهم الخاصّ المذكور في الانجيل ، والذي دعاهم به معلّمهم ، كما تشهد عليه نصوص كثيرة منها الآتي : « ودعا يسوع تلاميذه الاثني عشر ، واعطاهم السلطان على الارواح النجسة ليخرجوها ، ويشفوا كل مرض وكل ضعف وهذه اسماء الاثني عشر « رسولا » الاول سمعان . . . هؤلاء الاثنا عشر ارسلهم يسوع وامرهم قائلًا : الى طريق الامم لا تتجهوا . »

معنى « HEWARE et SABTA D'HEWARE » الحقيقي

فاذا كان الأمر كذلك ، فما مدلول هاتين العبارتين ، وعلى من اطلقتا ، ان كان اطلاقهما على الرسل غير صحيح ؟ للجواب على هذا جواباً شافياً ، يتحتم علينا بادئ بدء ، ان نعلمك ماهية الاشتراك في الدين المسيحي فنقول : الدخول في حظيرة المسيح كان يتطلب ثلاثة امور : العماد ، والتثبيت ، والتناول . على ان الكنيسة ، لكثرة المقبلين اليها ، اخذت ، منذ الاوائل ، بوضع قوانين لتهيئة الطالبين وامتحانهم في ذا الشأن . فنشأ من هذا ما سمي في العرف الكنسي « بالموعظية » . وكان هذا التعليم الاستعدادي يجري منذ بدء

الصيام الكبير ، لكي يتمكن الموعوظون من قبول سرّ العماد « ليلة عيد الفصح » على ان بعض الاحيان ، إمّا لقصر الوقت ، او لداعٍ آخر ، كان عماد المنتخبين من الموعوظين يؤجل الى آخر المدة الفصحية ؛ الى ان جاء زمان عُيّن لذلك ليلة العنصرة. اما الكنيسة الشرقية فزادت يوم عيد الدنح او الغطاس ؛ وبتوالي الايام ، جرت العادة ان يمنح هذا السر في عيد الميلاد وغيره ؛ حتى جاز اخيراً ان يعمّد في اي عيدٍ او احدٍ او يومٍ من السنة.

هذا ، وكان هناك عادة قديمة وهي ان يلبس المعتمدون ، بعد عمادهم « ثياباً بيضاً » دلالة على تطهر قلوبهم بنعمة هذا السرّ . وكانوا يبقون لابسينها منذ ليلة القيامة الى الاحد التابع . وطيلة الاسبوع ، فضلاً عن طقس القيامة العام للمؤمنين قاطبة ، كان يجري طقس آخر مختصّ بهم . فكان يقام لهم صباحاً قداس حافل ؛ ومساء دورة ، يتقدمهم فيها الاكليروس سائرين الى جرن العماد ، حيث يذكر عمادهم . وكان هذا الاسبوع يسمّى « اسبوع البيض »من اجل ثيابهم ، كما صرّح بذلك كثيرون من الآباء والكتبة الكنسيين ؛ نجتزئ ، ادعاماً لقولنا ، بشهادة الربان مورس القائل : « اننا ندعو هذه السبعة الايام « بيضاً » لان الذين تعمدوا في الليلة المقدسة (ليلة القيامة) يتوشحون باردية بيضاء في كل هذا الاسبوع » وكانت هذه المدة تنتهي بحفلة ختامية « حفلة نزع الثياب البيض » تقام يوم الاحد الجديد ؛ وكانت عادةً قديمةً في جميع الكنائس الشرقية والغربية . ولتأخر العماد ، احياناً ، الى العنصرة ، واجرائه آنئذٍ كما في ايام القيامة ، دعي اسبوع العنصرة ايضاً « اسبوع البيض » وفي السريانية «Yawmaṭa hewārē d'Pentequṣṭē» لكن ، لما انتشرت عادة التعميد ، منذ الطفولة ، وفي اي يوم من السنة ، زال هذا الطقس «طقس البيض » ولم يبق منه ، فعلاً ، سوى القميص الصغير الابيض الذي يوضع على رأس المعمّد ، بعد عماده ، دون ان يلبسه . واستمرّ اثره في الاسماء ايضاً ؛ ففي الكنيسة اللاتينية في هذه العبارات وغيرها : «*Hebdomada in albis*, *sabbatum in albis, dominica in albis*» . اما الكنائس الشرقية فقد بطل عندها الطقس ومسماه ؛ الّا الكنائس السريانية الغربية ، فقد ابقت الاسماء

فقط ، مثل «'abta d'Héwārē, etc.»

على انه مهما يكن من الامر ، فلا نرى في هذا الاسم او في هذا الطقس ادنى اشارة الى الرسل ، صراحة او تلميحاً . فاذن الظاهر ان لا صحة للرأي القائل بان (Héwārē) تدل على تلاميذ المسيح ؛ وبانه من الواجب ترجمة (śabta d'Héwārē) «باسبوع الحواريين» بل الاظهر هو ان تترجم (Héwārē) « بالبيض » و (śabta d'Héwārē) « باسبوع البيض » كما اثبتناه . واذا كان الامر كذلك ، نجم ان « الحواريين » غير آتية من لفظة (Héwārē) ومن ثمّ فلم يصب المرمى لا المسلمون ولا النصارى في تعليلهم « اصل الحواريين القرآنية » ، وسببه ظنهم ان الكلمة عربية او سريانية ؛ فحاولوا اشتقاقها من « حَوِر » (Hwar) واولوها تلك التآويل التي لم ينزل بها الله من سلطان[1]

اصل كلمة «الحواريين» الحقيقي

اما اليوم ، فبفضل « المقابلة الالسنية السامية » المتطلبة الوقوف على هذه اللغات الاخوات ، قد عرفنا ان « الحواريين » لا عربية ولا سريانية ، بل « حبشية » . وقبل ان نبين لك ذلك من الجهة الألسنية ، نمهد لك السبيل باظهار طريقة دخول هذه اللفظة من الحبشية الى العربية . غير خاف على من عرف تاريخ جزيرة العرب ان الحبشة — وهم في الاصل عرب يمنيون ، نزحوا تدريجاً ، الى افريقية ، جملة قرون قبل الميلاد — كانوا قد تنصّروا منذ العصور المسيحية القديمة . وقد استولوا على اليمن عدة مرات . وكان تملكهم الاخير عليه في اوائل القرن السادس ، على يد ارياط وابرهة الاشرم . فكان للحبشة النفوذ العظيم والايد الطولى في نشر النصرانية هناك ، قبل الاسلام ، وناهيك بشهرة صنعاء والقليس كنيستها ، ونجران واسقفها قسّ بن ساعدة ، خطيب العرب وشاعرها . ولا حاجة الى اثبات ما كان ، في زمن محمد بن عبدالله ،

١) زيادة في الافادة ، نحيل القارئ ، في ذا الشأن ، الى الكتب الآتي ذكرها :

1) *Dictionnaire d'archéologie chrétienne et de liturgie, t. I, P. II, pp. 3118 ss.*

2) *Origine du culte chrétien, par* Duchesne, *chap. IX, pp. 299 ss.*

3) *Thesaurus syriacus, auctore* P. Smith, *t. I, p. 1231*

من الاتصال بين الحجاز وبلاد الحبشة ؛ وبين الحجاز واليمن . فان اول المهاجرين ارسلهم زعيمهم الى ديار الاحباش ، عند النجاشي. ويذكر المفسّرون ، ومنهم الطبري (مجلد ٣ ، ص ٢٠٨) انه « لما بعث رسول الله (ص) وسمع به اهل نجران ، اتاه منهم اربعة نفر من خيارهم ، منهم العاقب والسيد وماسرجس وماريحنس . وكان اهل نجران اعظم قوم في النصارى في عيسى قولاً .» فاذن عرف محمد الحبشة ؛ وقد خالط نصارى اليمن ، ولاسيما اهل نجران ، باساقفتهم وكهنتهم ؛ وقد جادلوه ، فدعاهم الى المباهلة . فلا ريب انه وقف على تسميتهم تلاميذ المسيح « بالحواريين » اذ كانت هذه الكلمة ، مع غيرها من المصطلحات الدينية ، كالمصحف والمنبر ، قد دخلت في كتبهم ودرجت على السنتهم ، من اللغة الحبشية ؛ كما نقل ايضاً الى لسانهم ، غير الفاظ من اللغات الارمية والعبرية والاغريقية ، كالكاهن والاسقف والقسيس والانجيل . فلا غرابة اذن في اطلاق النبي في قرآنه اسم « الحواريين » على رسل المسيح

فاذا عرفت هذا ، هاك تعزيزه لغوياً ، اعلم ان كلمة « الحواريين » صادرة من الفعل الحبشي (Hāra) ومدلوله : سار ، سافر . واسم الفاعل منه (Hawāreyā) وجمعه (Hawāreyāt) وياتي بمعنى السائر والمسافر والسابق ويطلق على المرسل والمبعوث والسفير . وفي الانشاء الديني والكنسي يدل بنوع خاص على رسل المسيح ، كلما اتى ذكرهم في العهد الجديد . مثال ذلك : قصص الرسل (Gebera Hawāreyāt) وجملة (Mashafa Hawāreyā) تعني : مصاحف او رسائل الرسول (بولس) . واما النسبة فتكون بزيادة واو وياء ؛ مثلاً : (Hawāreyāwī) الرسولي و (Manbar hawāreyāwī) تعريبه : الكرسي الرسولي.

الخلاصة

الظاهر ، مما تقدم ، ان لفظة « الحواريين » ، قرآنية كانت ام غير قرآنية ، ليست بمشتقة من فعل « حَور » وانها لا تطلق على قوم كانوا قصّارين او ملوكاً او انقياء القلوب او انصاراً او صحابة ؛ ولا هي آتية من كلمة (Hewārē) السريانية ؛ لان هذه وصف استُغني به عن الموصوف ، وهو (Lbūšē = لبسة) ، فقام مقامه ، دالاً على الثياب البيض التي كان يلبسها

المعندون الجدد . ومن ثم ، فلا مسوغ لترجمتها بكلمة الحواريين . امـا « الحواريون » هذه فهي حبشية ، معناها الرسل ؛ دخلت العربية بدخول الحبشة الى اليمن ؛ وعن اهل نجران تلقاهـا عرب الحجاز ، ومنهم نبي الاسلام ، صاحب القرآن. فانت ترى ان الفرقان قد جاء ، في ذا الشأن ، في غاية الاتفاق مع الانجيل ، بتسميته تلاميذ المسيح ، لا باسم خيالي او مستعار ، بل باسمهم الحقيقي الذي دعاهم به ربهم ، والدالّ على دعوتهم وهي ارساله كلًّا منهم الى الورى شاهدًا ومبشرًا ونذيرًا ؛ وهذا الاسم هو ، كما سبق القول ، لفظ « الحواريين » المرادف كل المرادفة لاسم « الرسل ، جمع رسول » وهـذا ما لم يشعر به اهل المصحف ابان وضعه وانتشاره ؛ ولا اطلع عليه العلماء الاقدمون ، من مسلمين ونصارى ، لخلل ملازم طريقـة تقصيهم في اثر الالفاظ ؛ وهو ما قد ظهر جليًا في هذا العصر ، عصر التنقيب والتمحيص ، بفضل « الالسنية السامية » الكثيرة الفوائد للساميين ولغاتهم .

على اننا ان وقفنا ، بنور العلم العصري ، على حقائق خفيت عن السلف ، فهذا ليس مما يدفعنا — معاذ الله — الى الحطّ من قدرهم ، وبخسهم حقهم . كلّا ! لانهم ان فاتهم شيء فقد عرفوا اشياء . ولذا ، فقبل ان نختم البحث ، نريك شيئاً من الصحة في قول من الاقوال التي ابداها ارباب التفسير ، في شأن كلمة الحواريين . فقد جاء في النصّ الذي نقلناه عن النيسابوري ما يأتي « عن الضحاك : الذي يغسل الثياب يسمّى بلغة النبط حواري » فلاحظ ، بعد الذي علمته ، كيف ان هذا الكلام ، مع ما شابه من النقص ، لا يخلو من بعض الصواب . اجل ! انه قد طاش سهم صاحبه بقوله ان لفظة « الحواريين » تطلق على من يغسلون الثياب ؛ لكنه قد اصاب المرمى بارتيانه انها « ليست بعربية ، بل معرّبة » وإن بَعُدَ عن الحقيقة في خصوص اللغة المأخوذة عنها ؛ اذ « قيلَ » له انها النبطية ، على حين انها « الحبشية »

على كلّ ، انت ترى ان هذا الرأي ، وهو من آراء القدماء ، قـد جاء من جهة صوابه ، شاهدًا بعض الشهادة على ما بسطناه ، في هذا المقال ، من مختلف الحجج في « اصل كلمة الحواريين . »

العائلة اللبنانية

محاضرة القاها في نادي الشبيبة الكاثوليكية

حضرة الشيخ سليم الدحداح

٢

بعد ان ذكرنا ميزات العائلة اللبنانية اجمالاً ، يحسن بنا ان نصف ميزات العائلة اللبنانية بطبقة مخصوصة من طبقاتها فنتخذ مثالاً عائلة القروي الفلاح.

فلنذهب الى قرية من قرى هذا الجبل العزيز ، سواء كانت على قمة في سفح جبل عالٍ او في بطن وادٍ ، ولنقف امام بيت من بيوت الجبل من الهندسة القديمة ، فنرى حائطين طويلين الواحد من الشمال مثلاً والاخر تجاهه من الجنوب ، وحائطين اقصر منهما الواحد من الشرق والاخر من الغرب ، ولا يتجاوز علو هذه الحيطان اربعة اذرع . وهي مبنية بالحجارة اليابسة مرصوفة مداميكها بدون «مونة» واكثر الاحيان بدون تقصيب ايضاً . سقف هذا البيت بالجذوع والاخشاب وفوقها التراب المرصوص لمنع وكف الماء في الشتاء . وقد استند السقف الى عمودين او اربعة او ستة . وجعل مدخل هذا البيت جهة الشرق لتلجه الشمس قبل كل شيء ، وامامه رواقة مبنية بالشكل ذاته او قبو سقفه معقود بالحجارة فقط وذلك لاجل الماشية : البقرة او الثور او الحمار مع علفها وحاجات البيت كالحطب للوقود في الشتاء وما شاكل ذلك من ادوات القز وغيرها .

دخلنا هذا البيت في الشتاء فاذا بوسطه قرب احد العواميد مسطبة في جهة منها موقدة فيها نار الحطب تتأجج ، وقد اجتمع حول الموقدة اهل البيت للاستدفاء في البرد القارص ، اذ امتنع عليهم الخروج وربما استحال . وهم جلوس على جلود الغنم والمعزى حول الموقدة وقد اسودت الجذوع والاخشاب في سقف البيت من شدة دخان الوقود . فكان لها منه لون دهان او صباغ خاص !

في الصدر بالقرب من العمود ، ترى رجلًا في السبعين من سنيه والى جانبه عجوز لا تقلّ عنه كثيرًا في السن ، ومن حولهما رجلًا في الاربعين وبجانبه ستة ابناء اصغرهم في العاشرة واكبرهم في العشرين من العمر ، وبقربهم امرأة في الاربعين تقريباً . هم الجد والجدة والوالدان والاحفاد : عائلة تقرأ في عيون افرادها النباهة وطيب القلب وسلامة الضمير ، وترى على وجوههم لوناً لا تلقاه في سكان المدن وقد اكسبتها النار المشتدة في الموقدة اشتداد الاحمرار .

هذه العائلة تجتمع في المساء عائدةً من شغل الحقل وفلاحة الرزق ، فتعنى بالنظافة ، ثم تصلي ، ثم تأكل طعام المساء ، ثم تجلس حول النار للاصطلاء : للجد مركزه ، وللوالد محله ، ولكل واحد موضعه ، يتحدثون عن اشغال النهار وعمّا ينوون فعله من الشغل في اليوم التالي . ثم يرقدون ، الواحد بعد الاخر ، بدون هم الى الفجر . فيستيقظون على صوت « الاختيار » ، نهض باكرًا يصلي بصوتٍ عالٍ فيشاركونه في الصلاة ، ويباكر كل واحد الى عمله . فلا تشرق الشمس الّا ويكون الفلّاح في عمله ، كأنه يشتغل في ارضه . فلا يهدأ طول النهار حتى غياب الشمس يظلّ كادًا ، وانت لا تعرف ان تميز هذا العامل مشتغلًا في ارضه منه مشتغلًا بالاجرة عند القريب ؛ يغار على ارض صاحب الشغل ، كما يغار على ملكه ؛ فالواجب يدعوه الى حسن العمل اينما اشتغل ، ويعتقد انه ، ان لم يعرق في عمله ويتعب ، لا يستحق اجرةً . فهو يتذكر دائمًا قول الرب «بعرق جبينك تأكل خبزك» ، فلا يعرف شريعة الثماني ساعات ، ولا يحسب نفسه مستحقاً للاجرة اذا تقاعد عن العمل نهارًا ، او اذا بدأ العمل بعد شروق الشمس او انتهى قبل مغيبها .

لم يكن حينئذ من خلاف بين طبقات الشعب : بين الفلاحين والفعلة ، واصحاب الارض والاغنياء . بل كانت طبقات الناس كلها متفاهمة متراضية سعيدة ، كلّ منها تنوع بحالته . وكانت اعظم مطامع الفلّاح ان يبقى اولاده واحفاده مزارعين مشاركين عند صاحب الملك ذاته ، وعند اولاده وورثته من بعده . واني اعرف عائلات من الفلاحين توارثوا مشاركة المساقاة ، مدة جيل وجيلين في نفس «العودة» ، كما توارثها ملّاكوها عن الاباء والاجداد . وهذا ما

اوجد المثل المشهور : « فلّاح مكفي سلطان مخفي».

فكان كل فرد من العائلة يذهب في الصباح الى عمله ! تنهض الام الى الاهتمام بامر بيتها معتنية بتدبيره مهيئة كل ما يعود الى راحة عائلتها من غسل، وترتيب ، واخذ زوّادات الى العملة ، وعناية بالحيوانات.

والولد يذهب الى المدرسة حيث كان كاهن الرعية ، او راهب من الدير المجاور ، يدرّس اولاد الرعية : الفقراء والاغنياء ، اصول القراءة والكتابة في اللغتين السريانية والعربية مع الصلوات وخدمة القداس والالحان البيعية. وكثيراً ما كانت هذه المدرسة تحت ظلّ سنديانة القرية او شجرة كبيرة فيها.

كان يُرى المعلم في مدرسته رباً مهاباً ، يحترمه الاولاد احتراماً عميقاً خصوصاً اذا كان كاهناً ، لا يجسر احد على ان يرفع نظره من كتابه او كرّاسه . يرون فيه الكاهن والمدبر ، والمهذّب ، والقاضي ، والحاكم العادل المستبد الذي قُلّد السلطة المطلقة عليهم ، لا من قبل وظيفته فحسب ، بل من قبل والديهم. فان الوالد عندما جاء بولده للمرة الاولى الى المعلّم سلّمه اياه قائلاً : « خذ ! هذا ابني قد عهدت به اليك لي الجلد والعَظم ولك اللحم . فلا اعرفه الّا منك.»

فكان الولد اذا عاقبه المعلّم لا يفزع الى ابيه ولا الى اهله من العقاب . بل كان اذا لاذ بابيه يناله بعقوبة اشدّ قساوة من تلك . لذلك كان ينصرف الى الدرس ويحترم اوامر معلّمه . وكان كتابه الكرّاسة السريانية ، وكتاب المزامير الداودية ، او كتاب صلوات يدرسه من الجلد للجلد ؛ ويدرس الخطّ ، وبعض مبادئ الحساب.

فيخرج من مدرسة الضيعة رجلَ دين وتقوى ، يتقن قراءة صلوات عديدة وقد تربّى على خلق لا يحيد عنه : تعلّم احترام والده في بيته ، وتعلّم احترام معلّمه في مدرسته . فاذا خرج الى العالم وصار رب عائلة تعوّد ان يحترم السلطة المدنية ، ولا يرى في ذلك غضاضة لانه يكمل ما كان اقتبسه طفلاً وولداً وشاباً ، معتبراً « ان كل سلطة من الله »

ولم تكن تختلف حالة اولاد الاغنياء والمشايخ في مدرسة الضيعة عن حالة

اولاد الفلاحين . فالتربية عند المعلّم كانت واحدة من حيث الدين والآداب والعمل .

* * *

ولنجلس في سهرة من سهرات الشتاء في احدى تلك العيال لنسمع حديث تلك العائلة :

يتكلم الاب فيصمت جميع من في البيت . فيأخذ يروي لاولاده احاديث عن شبوبيته ، وينقل لهم ما رواه له والده وجدّه من تاريخ العائلة والقرية وتاريخ الحكّام من اصحاب المقاطعة ، ويحدّثهم احياناً عن اشغاله في النهار وهو يتحاشى ان يروي لهم ما يمسّ بالآداب ويضرّ بالاخلاق . واذا روى روايةً من هذا النوع يجعلها امثولةً يتحاشى بنوه وساموه الاقتداء بصاحبها .

ولم تكن المرأة تتكلم بحضرة زوجها ، ولا الولد بحضرة امه وابيه . وكان اذا زار العائلة زائر غريب تحتجب الفتاة ولا تظهر الّا عند داعي الواجب للعمل او لقضاء حاجات العائلة في خدمة الزائر والضيف . واشد ما يكون احتجابها اذا كان الزائر شاباً جاء يطلب يدها . بل كانت الفتاة اذا ما حملت جرّتها ذاهبة للعين للاستقاء ورأت طالبها على الطريق ، تعود ادراجها الى البيت او تسارع خطاها لئلّا يراها وحدها . ولم يكن ذلك مقتصراً على عائلة الفلّاح الفقيرة بل كان يتناول جميع طبقات سكان لبنان .

وكانت العائلات القروية تغار على بعضها ويحافظ افرادها البعض على الآخر ، فاذا مرض احد اعضاء عائلة في قرية ، تقولون ان عائلات القرية كلها مريضة معه . واذا مات واحد كان الحزن شاملاً كأنّ الميت ميت الجميع .

واذا حدث فرح كأن تزوج احد سكان القرية يشاركه جميع من في القرية بمظاهر المسرّة وبالمال ايضاً ، فكان يأتي ربّ كل عائلة بما يسمونه نقوطاً فيقدّمه للعروس فيكون بمثابة مساعدة على القيام بواجبات العرس ، ولا يضطر المهدى اليه ان يعيد هذا النقوط من مال نقدي او غيره الّا عند تزوّج المنقّط .

ولم يكن اهتمام عائلات الوجوه والمشايخ بالعائلات القروية اقلّ من اهتمامها

بعضها ببعض. او بالحري ان اهتمام العائلات الكبيرة كالمشايخ واصحاب الاقطاع كان عظيماً بابنـاء العائلات القروية، خصوصاً وقت الفرح والحزن، فكثيراً ما كان صاحب المقاطعة او صاحب الملك الذي تشتغل فيه عائلـة القروي الفلّاح يقوم هو بجميع نفقات عرس فلّاحه او مصاريف دفن الميت من افراد عائلته. فكانت القرية بهذه الصورة عائلة واحدة.

ومما كان يحفظ العائلات ويصونها من الفساد هو — كما سبق لنا القول — زواج البنين والبنات في سن العشرين او ما فوقه قليلاً، زواجاً متناسباً لا دخل فيه لتجارة البنات ومطامع الراغبين ولا لتفاوت درجات العمر.

وخلة العائلة اللبنانية وحليتها كانت الصدق لاسيما في المعاملات. فقد كان الرجل يستدين مبلغاً من المال دون سند ولا قيد ولا شرط، ويدفعه في استحقاقه دون مطالبة. ولم تكن هناك فوائد تثقل كاهل المستدين.

حياة جميلة نتخيلها حياةً شعرية لكنهـا حقيقة ملموسة كان يشعر بهـا النصارى. وقد امتاز جبل لبنان بهذه الحياة، حياة السكينة والوفاق والسلام حتى ضُرب المثل المشهور «هنيئاً لمن له مرقد عنزة في لبنان!»

وقد اشتهرت هـذه الصفات في القروي المسيحي حتى اصبحت القرى التي يسكنها ملجأ لكل خائف او مضطهد، فلم يتردّد الامير التنوخي الدرزي في تحبئة ابني اخته المعنيّين المسلمين عند ابرهيم الخازن في احدى قرى كسروان في وسط كله من المسيحيين. والى هؤلاء القرويين المسيحيين كان يسلّم الامراء والمشايخ الدروز املاكهم واموالهم، وكانوا يشيدون لهم الكنائس ليقنعوهم بالسكنى في قرى الشوف وجزين. كل ذلك يدلكم على مبلغ مـا كانوا يعتقدون فيهم من الصدق والاخلاص والنزاهة.

* * *

هذه كانت حالة العائلة اللبنانية، وعلى الاخص عائلة الفلّاح. وقلّما ترى الغريب آتياً للقرية، وقلّما يذهب ابناؤها الى الخارج. وظلت هـذه الحياة التقليدية على حالها الى اواسط القرن المنقضي.

لكن لمّا كثرت المداخلة الاجنبية ، ودخل قرى الجبل الغرباء ، وتغيّرت ضروريات المعيشة ، وضاق نطاق الجبل على سكّانه فاخذوا يغادرون قُراهم سعياً وراء اكتساب الرزق في المدن والسهول المجاورة اولاً، ثم في القطر المصري ، واخيراً في اطراف اميركة وافريقية واوستراليا ؛ لمّا رأى هؤلاء الفلاحون ما شاهدوه من الامور والمشاهد التي لم يكن يدور في خلدهم وجودها ، وهم على الغالب من الطبقة غير المتعلّمة ، سكروا بما رأوه وسمعوه ، فتغيّرت احوالهم ومعيشتهم :

فعدم التعليم الكافي ، والمهاجرة وكثرة الاختلاط بمن هم على غير اخلاقهم وعوائدهم ، وزيادة المطامع وعدم التدريج في التطوّر ، والذهول عن مداومة التمسُّك بالتقاليد الدينية الموروثة ، والميل الى التشبه بما نراه من الاخلاق الفاسدة ، وتشتت الوف من اللبنانيين في كافة الاقطار ، كل ذلك افقد العائلة اللبنانية هيئتها وحياتها القديمة . فلم يعد لها صبغةٌ تعرف بها . ولم تعد ممتازةً بتلك الصفات والمبادي التي كانت تميّزها . زد على ذلك ان قرى الجبل لم تعد منفردة كما في الماضي عن سائر العالم فالتي — وهي نادرة جداً — لم يهاجر احد من اهلها وسكانها اتاها الغرباء والسياح من كل الطبقات ومن جميع اصحاب الاخلاق والمبادي الحسنة والفاسدة .

فاذا اردنا الكلام عن الحياة اللبنانية في الوقت الحاضر ، وما تأتى عليها من المحاسن والعيوب ، لنقابل بينها الآن وبينها في الماضي ، يطول بنا المجال كثيراً . وانني اقترح هذا الموضوع على غيري ممن يكون اطول باعاً واقدر مني على ايفائه حقه .

مقابلة الآداب : ٤

توارد الخواطر

بين بعض ادباء العرب وغيرهم من ادباء الاجانب

بقلم فؤاد افرام البستاني استاذ الآداب العربية في كلية القديس يوسف

من مدة طالت اكثر مما كنا نؤمل ، تكلمنا عن مقابلة الآداب : ماهيتها [1] ، وضرورة درسها في هذا العصر [2] ، وقد شرعت آداب الامم المختلفة تتجاور اكثر من ذي قبل ، ويؤثر بعضها في بعض على شكل يدفع الى الاطمئنان حيناً ، والى القلق احياناً . اذ نخشى على شخصية ادبنا القومي من الانحلال في ذاك المزيج الغريب الذي يأخذ من ادب كل امة بطرف ، فيحوّر ويبدّل ، حتى ينتج ادباً جديداً يكون كلًّا للكلّ ، يستأنس ببعضه الجميع ، ولا يستأنس بجميعه احد . وهو ما يسميه النابهون من نقّاد فرنسة اليوم «بالادب العالمي» ويعنون به دارسين تأثيره في ادبهم الشخصي . ولدرس مقابلة الآداب عمل مفيد في تعيين حدود هذا الادب العالمي ، وتمييزه عن الادب القومي الخاصّ بامة من الامم ، مع الاشارة الى كل موضوع مشترك بين المفكرين .

الى هذه الغاية رمينا في المقدمات السابقة . وقد اوردنا بعض الامثلة على توارد الخواطر بين بعض ادباء العرب وغيرهم من ادباء الاجانب ، حاصرين ذاك التوارد في موضوع «الانسان» وصفاته وخصوصاً عظمته ومسكنته . [3]

الحياة والموت

ولم تكن حياة هذا المخلوق العجيب ، وعذاباته ، وموته ، لتقلّ عن ماهيته تأثيراً في ادباء الامم المختلفة ، فتناولوها بالبحث ايضاً ، كما تناولوا الانسان ،

١) راجع المشرق (٢٧ [١٩٢٩] ٢١-٢٦)
٢) راجع المشرق (٢٧ [١٩٢٩] ١٠٩-١١٥)
٣) راجع المشرق (٢٧ [١٩٢٩] ٢٠٠-٢٠٤)

واتفقوا ، عن غير قصد ، في كثير من آرائهم .

وهم لا يشعرون بالحياة الّا اذا كانت مرّة ، ثقيلة الوطأة عليهم ، فيئنون تحت عبئها ، ويتظلّمون ، ويتشكّون . والشعراء يحبّون التشكّي والتذمّر لكل سبب ، ولغير سبب . لأن التشكّي يضرب على وترٍ حسّاس يلاقي صداه في جميع الافئدة ؛ اذ قلّ من الناس من لم يعاكسه دهره في بعض امانيه . والدهر كلمة مطّاطة المعنى ، غامضة التحديد ، تمثّل كل ما في حياتنا من عذاب وشقاء ، يهرب منه الانسان فلا يُفلته ، ويخفض له الجانب فلا يرقّ له ، ويهاجمه بشتائمه ولعناته فيضحك منه مقهقهاً ويمضي في صروفه . حتى يحار المرء في حياته ، ويئن من عذابها قائلاً مع من ذكرهم سفر الحكمة :

«إنّ حياتنا شتيّة قصيرة . . . إنما حياتنا ظلٌّ يمضي . . .»(١

على ان هذا القصر كان مدعاةً الى العزاء عند بعض البائسين كما كتبت مدام دي سيفينيه الى ابن عمها :

« *La vie est courte, mon cher cousin : c'est la consolation des misérables* »(٢

وقال ايوب البارّ :

« ان حياة الانسان على الارض تجنّدٌ وكأيّامِ أجيرٍ أيّامه . مثلَ العبد المشتاق الى الظلّ ، والاجير المنتظر أجرتَه . . . . لا ألبثُ ان أضجعَ في التراب ، فتُبكّر في طلبي فلا اكون . » (٣

اما هذا الظلّ الذي يصبو اليه ويشتاقه ، فما هو سوى ظلّ الموت المريح من متاعب الحياة . وقد ترددت هذه الصورة في الشعر العالمي من عربي واجنبي ، تارةً يرافقها بعض التلميح الى اساطير الاقدمين كما في قول رونسار :

Par les ombres myrteux, je prendray mon repos (٤

---

١) سفر الحكمة ٢ : ١ ، ٥

٢) Mme de Sévigné, *à de Bussy, le 15 Décembre 1685*

٣) سفر ايوب ٧ : ١ ، ٢ ، ٢١

٤) Ronsard, *Sonnets pour Hélène, II, 42*

وطوراً تتجسّم فتُصبح جناحاً ، كما جاء في الاوپرا الشهيرة فوست :

O mort ! quand viendras - tu m'abriter sous ton aile ?

وقد جمع الشاعر العربي الظلّ والجناح فقال :

ورنّقت المنيةُ فهي ظلٌّ على الابطالِ دانيةُ الجناحِ

ذكره الزمخشري في أساس البلاغة معجباً ، وشرحه قائلاً : « فيه بيان جلي ان ترنيق المنية مستعار من ترنيق الطائر (اذا رفرف وخفق بجناحيه) حيث جعل المنية كبعض الطير المرنّقة بان وصفها بوصفه من التظليل ودنوّ الجناح.»

واكثر ما يكون استعمال هذه الاستعارات للموت في الحرب ، حيث يخيّم النقع على المتحاربين ، فيُصبح للحِمام استار وحجب. قال هوميروس واصفاً موت بطل في النشيد السادس عشر من الالياذة :

ومن ثمَّ اغمدَ اغماسه واغمض عينيه سترُ المنونْ (١

ومن صور الموت ايضاً تلك الكأس الدائرة على جميع الناس . وقد رسمها الشعراء والمؤلفون في كل عصر ومكان. واقوالهم اكثر من ان يمكننا ايرادها كلّها ، فنكتفي بقول المهلهل :

ما ارجّي في العيش بعد نُداما ي ، أرام سُقوا بكأس حِلاقِ (٢

وقول المعرّي:

كأس المنيّة اولى بي ، واروح لي من ان اكابدَ إثراءً وإحواجا !

وقول المتنبي رائياً جدّته :

احنّ الى الكأس التي شربت بها ، واهوى لمثواها التراب وما ضمّا (٣

وقد توسّعوا في الصورة احياناً فجعلوا كأساً لكل ما يصادف الانسان من الخير والشر ، فذكر صاحب المزامير كأساً بيد الله سبحانه . وجعل هوميروس لدى زُفس ، اكبر آلهة اليونان ، قارورتين يسقي منهما العباد واحدة مملوءة

١) سليمان البستاني: الالياذة ، ص ٨٣٩
٢) اطلب الروائع (٣ [المهلهل] ٢٠)
٣) اطلب الروائع (١٢ [المتنبي] ٢)

شرًّا والاخرى خيرًا[1] ، الى غير ذلك مما ورد في الشعر الاجنبي عن كأس الحياة ، وكأس الملذات ، وانه ليتبادر الى الذهن ، عند ذكر الكأس ، بيت عنترة :

لا تسقني كأس الحياة بذلة بل فاسقني بالعز كأسَ الحنظلِ

* * *

اما كون الموت يريح الناس فمستفاد من ان الحياة كلها تعب وشقاء . وهو موضوع آخر يمكننا تسميته بعالمي . وقد رأيناه في التوراة ، وكذلك ورد في الانجيل ، وتردَّد في القرآن ، واشار اليه هوميروس في النشيد العاشر من الالياذة[2] ولا يتسع المجال لتعداد الشواهد ، فنكتفي بذكر قول ابي العلاء :

تعبٌ كلنا الحياةُ ! فما اعـ ـجبُ إلّا من طامعٍ في ازديادِ!

فلا غرو اذًا ان فتش من رأوها ثقيلة الوطأة ، عن التخلص منها . وقد يبلغ بهم اليأس الى تمني عدم الوجود ، كما فعل ايوب الصديق اذ قال :

« لا كان نهار ولدت فيه ، ولا ليل قيل فيه قد حُبل برجل . ليكن ذلك النهارُ ظلامًا ولا رعاه الله من فوق ولا اشرق عليه نور . . . »

وهو يتوسع في المعنى توسعًا رائعًا حتى يصل الى قوله :

« هلا فاضت روحي عند خروجي من البطن ! لماذا صادفت رُكبتين تقبلانني او ثديين يرضعانني ؟ اذًا لكنت الآن أضجع فأسكن ، ولكنت أنام فاستريح . » (٣

وقد جعل هوميروس تمنيات من هذا النوع على لسان هيلانة ، مسببة حرب طروادة ، وذلك في النشيد الثالث من الالياذة[4] ، فقالت :

« . . . كلُّ الشرورْ والرزايا الدمُ من اجلي تثورْ
آه لو كانت رحى الريح تدورْ
يوم ميلادي ، وتثارُ الأوارْ للجبالِ الشمِّ بي كالطيرِ طارْ
او رمى بي فوق امواج البحارْ »

---

١) الالياذة : النشيد الرابع والعشرون ، ص : ١١٣١
٢) الالياذة ، ص ٥٩٦
٣) سفر ايوب ٣ : ٣-١٤
٤) ص ٤٦٧

وكذلك ما جاء في القرآن عن لسان مريم :

« ليتني متُّ قبل هذا ، وكنت نسياً منسياً . » (١

وقال احد شعراء الفرس ما ترجمته :

ليت امي لم تضعني ، او اذا وضعتني ليتني لم أُرْضَع . (٢

على انه لمّا لم تكن فائدة من هذه التمنيات ، حوّل مبغضو الحياة وجههم شطر حلٍّ آخر وهو الموت ، فطلبوه بكل ما في عواطفهم من قوة تأثير ، وبكل ما في لغاتهم من جمال وفنّ .

قال ابو العلاء :

رقدة الموت ضجعة يستريح الـ جسم فيها ، والعيشُ مثل السُهادِ !

وقد عبّر عن المعنى نفسه تيوفيل غوتيه بصورة رائعة قال :

Dieu, pour nous reposer dans les déserts du temps,
Comme des oasis, a mis des cimetières;
Couchez-vous et dormez, voyageurs haletants ! (٣

وفي المعنى نفسه ما كتبه سكارون واراد ان يحفر على قبره :

Passant, ne fais icy de bruict !
Garde que ton pas ne l'éveille,
Car voicy la première nuict
Que le pauvre Scarron sommeille ! (٤

وقال برناردن دي سان پيير :

« *Elle (la mort) est la nuit de ce jour inquiet qu'on appelle la vie.* » (٥

---

١) القرآن (١٩ [مريم] ٢٣)
٢) تعريب سليمان البستاني : الالياذة ، ص ٤٦٨
٣) Th. Gautier, *La Caravane.*
٤) Scarron, *son épitaphe par lui - même.*
٥) Bernardin de S' Pierre, *Paul et Virginie*

وظهر الموت لليكونت دي ليل فاستقبله قائلًا ، وما اشبهه ببيت المعرّي المذكور اعلاه :

Affranchis - nous du temps, du nombre et de l'espace,
Et rends-nous le repos que la vie a troublé.[1]

وحيّاه لامرتين كما يحيي اعزّ المخلصين فصاح :

Je te salue, ô mort, libérateur céleste,
Tu ne m'apparais point sous cet aspect funeste
Que l'a prêté longtemps l'épouvante ou l'erreur.[2]

وكذلك هتف اندري شينيه :

Vienne, vienne la mort ! que la mort me délivre ![3]

وما ذاك الّا لان الموت يُفقد الانسان اوجاعه وآلامه الطويلة ما طالت الحياة ، كما يقول ابو العلاء :

لعل موتًا يريح الجسمَ من نَصَبٍ ! إن العناء بهذا العيش مقترنُ !

وكذلك قوله :

متى غدوت ببطنِ الارض مضطجعًا ، فثمَّ افقد اوصابي واسراني !

وهو يشبه قول جوزف سورن :

Mourir est un instant, vivre est un long supplice.[4]

وعلى نحو ما تقدّم قول غريته :

La douleur est un siècle et la mort un moment.[5]

وهنا يجدر بنا القول ان ابا العلاء رأى من فوائد الموت ما لم يرَه غيره ،

(١ Lecoute de Lisle, *A la mort.*

(٢ Lamartine, *1ᵉʳ méditations poétiques, V. L'Immortalité.*

(٣ André Chénier, *Dernières poésies, VII.*

(٤ Joseph Saurin, *Beverlei, Acte V, Sc. 5.*

(٥ Gresset, *Épître à ma sœur sur ma convalescence, v.92.*

اذ قال انه يخلّصنا حتى من الاهتمام بشؤوننا المادية فنصبح غير محتاجين الى شيء ولا الى احد . وهذا كلامه :

اصبح في لحدي على وحدتي لست الى الدنيا بمحتاج

. . .

العيش افقر منا كلَّ ذاتِ غنى والموت اغنى بحقٍّ كلَّ محتاجِ

. . .

لكونُ خلكَ في رسمٍ اعزَّ له من ان يكونَ مليكاً عاقدَ التاجِ
الملك يحتاج آلافاً تناصره والميت ليس الى خلقٍ بمحتاجِ

وهو ما عبَّر عنه ابو العتاهية بقوله:

ما اكثرَ القوتَ لمن يموتُ !

* * *

ومما يَلفت النظر ان اكثر من يتمنّون الموت ، او يستخفّون بقدره ، يعبرون عنه بلفظ «النوم» و«الرقاد» وعن الحياة «بالسهاد» ، كما وردت عند ابي العلاء ، وبرناردن دي سان بيير ، وتيوفيل غوتيه.

وهذا الفرد دي ڤيني اذ يطلب الموت على لسان «موسى» يستعمل التعبير نفسه فيقول مخاطباً الله :

O Seigneur ! j'ai vécu puissant et solitaire.

Laissez - moi m'endormir du sommeil de la terre ![1]

حتى ان ابا العلاء جعل بين الموت والنوم قرابةً ، فقال :

وبين الردى والنوم قربى ونسبةٌ وشأنٍ برى للنفوسِ وإعلالُ

ولم تخفَ هذه القرابة على الاقدمين ، فقال سقراط ان الموت اخو الرقاد ، وقال مثله قرجيل ، ومثله قول العرب: «الموت اخو النوم» . ومن امثالهم في الرجل اذا مات: «نام نومةً بلا حُلم»

اما هوميروس فقد جعل النوم والموت اخوين في النشيد الرابع عشر من الياذته فقال عن هيرا:

فبها قرَّت بعلزِ البشرِ اذ لقيت فيها اخا الموت الرقاد

(١) A. de Vigny, *Livre mystique, Moïse.*

ولم يكتفِ حتى جعلها توأمين ، بعد ذلك بنشيدين ، فقال:

لأسرعِ قادةِ كلّ العباد الى التوأمين : الردى والرُقاد

ولما كان لكل شيء ضدّ ، رأينا غير من تقدّم ذكرهم من الادباء والشعراء يعكسون الاعتبار ، فيجعلون الحياة نوماً والموت يقظةً . قال ابو الحسن التهامي:

العيش نومٌ ، والمنية يقظةٌ والمرء بينهما خيالٌ سارِ

وما اشبهه بقول لابرويير ! وها هو بحرفه:

« *La vie est un sommeil ; les vieillards sont ceux dont le sommeil a été plus long ; ils ne commencent à se réveiller que quand il faut mourir.* »[1]

ولكل اعتبار وجهه من الصواب كما يتضح للمتأمل . ولكننا نلاحظ ان تصوير الموت باليقظة يكثر خصوصاً في القصائد الرثائية او العاطفية ، التي يطمح فيها الانسان الى التشوّف الى ما وراء هذا الحجاب المسدل على حياتنا الضيّقة ، فيتمتع بالانوار الازلية .

* * *

غير ان الموت ما كان ليُجيب من يدعوه ، او يترك من يُعرض عنه ، اذا لم يشأ ذلك مقدّر الآجال . فهو غاية كلّ حيّ يسير اليها الانسان من نفسه ، وتدفعه نحوها خطواته على الرغم منه ، فكل مولود رهن الفناء ، كما قال ابن سيراخ :

« كل جسد يبلى مثل الثوب لان العهد من البدء انه يموت موتاً » (٢

وكما قال ابو العتاهية :

لدوا للموت ، وابنوا للخراب !

وكما قال غوتيه :

Naître, c'est seulement commencer à mourir.[3]

(١ La Bruyère, *Les Caractères, XI.*

(٢ ابن سيراخ (١٤ : ١٨)

(٣ Th. Gautier, *Poésies, Espana, L'Horloge.*

وكل لحظة من الحياة تقرّبه الى تلك الغاية على نحو قول كورنيل:

Chaque instant de la vie est un pas vers la mort.[1]

فالموت هدف يجري اليه الجميع ، لا فرق بين طويل العمر وقصيره . قال الابيرد الرياحي:

وكل امرئ يوماً سيلقى حِمامه وان نأت الدعوى وطال به العمر

ومثله كثير في اقوال طرفة ، وكعب بن زهير ، والمتنبي ، وابي العتاهية. وليس مناصٌ من ذلك. قال هوميروس في النشيد الخامس عشر:

وهل من سبيلٍ دافعٍ غُصص الردى عن الخلق ، ما امتدّت حياةُ الخلائقِ!

وقال في النشيد الثاني عشر:

لكنما الموت منه لا مناصَ ، وقد يأتي بأيّ سبيلٍ كان او سببِ

وهو من المعاني المطروقة كثيراً في الشعر العربي. ولعلّ اقرب ما قيل فيه الى بيت هوميروس قولهم:

ومن لم يمت بالسيف مات بغيره تعدّدت الاسباب والموتُ واحدُ

اذاً فالموت محتّمٌ على جميع الاحياء دون استثناء ! فهم لدى هيأته كاوراق الشجر لدى الريح الهوجاء تعصف فتدهورها في الهواء ، وتلقيها جافّة بالية. وذلك قول عديّ بن زيد:

ثم اضحوا كأنهم ورق جَـ ـفّ فألوت به الصَّبا والدَّبورُ

وقول ربيعة بن مقروم:

واضحت بتيماء اجسادُهم يشبّها من رآها الشبا

وقول يزيد بن الحكيم:

ما عذرُ من هو للمنون وريبها غرضٌ رجيمْ
ويرى القرونَ أمامه هدرا كما هدّ الشميم!

(١ Corneille, *Tite et Bérénice*, V. 1.

وقد قال ابن سيراخ في ذلك ، ذاكراً من يولد ايضاً ، متخذاً التشبيه نفسه :

« فكما ان اوراق شجرة كثيفة بعضها يسقط ، وبعضها ينبت ، كذلك جيل اللحم والدم بعضهم يموت وبعضهم يولد . » (١

وهو يكاد يكون اختصاراً لقول هوميروس في النشيد السادس من الالياذة :

فقال : « علامَ اقتصصتَ الخَبَرْ ونحن كأوراق هذي الشَجَرْ
فبعضاً يبيدُ الهواء ، وبعضُ على منبت باندِ النبتِ غضُّ
ففي كل عامٍ نباتٌ أبيدا به الغاب تُنمي ربيعاً جديدا
وكلٌّ على إثرِ كلِّ مضى فجيلٌ تلاشى وجيلٌ نشا ! »

اما ذلك الوقت وتلك الساعة فلا يعلمها احد . وليس في مقدور الانسان ان يؤخر او يقدم اجله ثانيةً واحدة : « فاذا جاء أجلهم لا يستقدمون ساعةً ولا يستأخرون »(٢ لانه كما يقول ابو العلاء :

لكل نفسٍ من الردى سببٌ لا يومها بعده ولا غدها !

ولا ينجيها من ذلك هرب لان « الموت ، على قول علي بن ابي طالب ، طالبٌ حثيث لا يفوته المقيم ولا يعجزه الهارب »

وما اروع قول ابي الطمحان في تصوير ان الموت يدرك الانسان حيث كان لا تمنعه حصون ولا تدفع عنه حراس ، قال ذاكراً قصر ريان المشهور بمناعته في اليمن :

ولو كنت في رَيْمانَ يحرس بابَه أراجيلُ أحبوشٍ وأغضفُ آلفُ
اذا لأتتني حيث كنت منيتي يخبُّ بها هادٍ الى الموت قائفُ !

ونحن لا نُعدم وجود هذه الصورة في الادب الفرنسي بعد ان نقطع عشرة قرون ، فنستبدل بقصر ريان قصر اللوفر ، وحرسه برجال الحبش ، فنسمع مالرب يقول ما يترجم تماماً صورة ابي الطمحان :

Le pauvre en sa cabane, où le chaume le couvre,

Est sujet à ses lois ;

---

١) (ابن سيراخ : ١٤ : ١٩)
٢) القرآن (٧ [الاعراف] ٣٢)

Et la garde qui veille aux barrières du Louvre
N'en défend point nos rois.[1]

* * *

اما ما يحدث لدى ذكر الاموات ، بين بني قومهم ، فهو ما تدلنا عليه ايضاً وحدة الطبيعة البشرية المتماثلة في جميع العصور والامصار . فان بعض اهلهم من رقيقي القلوب يبكونهم بكاء الخنساء اخويها ، وام هكتور ولدها . اما سائر الاصحاب والمعارف فسرعان ما ينسون موتاهم ، وسرعان ما تجف مآقيهم لطول الغيبة وما ذلك الا للسبب الذي دفع الفرنسويين الى قول المثل المعروف (*Loin des yeux, loin du cœur*) وكأنه ترجمة حرفية لبيت ابي نواس .

ومن غاب عن العين فقد غاب عن القلب

قال فيكتور هوغو في هذا النسيان :

Les morts durent bien peu, laissons - les sous la pierre !
Hélas ! dans le cercueil, ils tombent en poussière
Moins vite qu'en nos cœurs ![2]

وقال جيلبر :

Au banquet de la vie, infortuné convive,
J'apparus un jour, et je meurs.
Je meurs, et sur la tombe, où lentement j'arrive,
Nul ne viendra verser un pleur.[3]

وما اشبه القولين بقول ابي العتاهية :

اذا ما انقضت عني من الدهر ليلةٌ فان عزاء الباكيات قليلُ
سيُعرَض عن ذكري ، وتنسى مودتي ويحدثُ بعدي للخليلِ خليلُ !

(١ Malherbe, *Stances à du Perrier.*
(٢ V. Hugo, *Feuilles d'Automne*, 6.
(٣ Gilbert, *Adieux à la vie. Ode IX.*

دير سيدة طاميش

لحضرة القس انطونيوس شبلي اللبناني

٢

كتب خزانته الخطية

كانت خزانته حافلة بمئات الكتب الخطية الثمينة النادرة ، فامتدّت اليها الايدي فبعثرتها وشتتها بعد بيع مطبعته . ولم يبقَ منها إلّا بعضها فاتلفت قسماً منها العفونة والرطوبة والعثُّ التي أعملت فيها انيابها ، فثقبتها واكلت حروفها ، وقد صانها الرئيس في خزانة مقفلة . واليك وصف ما بقي منها :

١ كتاب « تسهيل صعوبات الكتاب المقدّس تأليف الاب الفاضل النبيل والمعلم الجليل المطران سمعان الحصروني[1] تلميذ مدرسة رومية العظمى ومطران دمشق الشام صنفه سنة ١٧٣٠ مسيحية » . مجلد ضخم بخطّ كرشوني ، يقع في ٤٦٠ صفحة ، بطول ٣٢٧ سنتمترًا ، وعرض ٢٣ س ، وورقه من العبادي الصقيل . ويقول مؤلفه المطران سمعان بن يوسف عوّاد الحصروني في مقدّمته انه جمع تفاسير هذه الصعوبات من كتب الآباء القديسين والعلماء ، وعدل عن ذكر اسمائهم حبًّا بالاختصار ، إلّا انه أثبت اسماء ذوي الآراء والاقوال المتضاربة في الشروح وبعد ان استوفى المؤلف الشرح وحلّ ما عُسُر وصعب من اقوال وامثال وروايا (روايات) التوراة والانبياء بتفسير ما تحتوي عليه من الاشارات

---

١) انتخب بطريركًا في ١٦ اذار سنة ١٧٤٣ ، وتوفي في دير سيدة مشموشة في ١٢ شباط سنة ١٧٥٦ ، راجع سلسلة البطاركة للشرتوني ص ٥٠ ، ولائحة مؤلفات هذا البطريرك في كتاب المخطوطات العربية للعلامة الاب شيخو ، ص ١٤٩ وما يليها .

والدلايل واختصرها اختصاراً شاملاً معاني مناقضاتها باجوبة ومسائل ، ورفع الشك عن قلوب المشكين ببعضها وتتم ذلك بالتصحيح الاوفى والتصريح الأشفى ، آثر ان يمدّ يد القريحة بتفسير معاني الانجيل المقدّس وما يحتويه من الاشياء التي تحمل عقل القاري والسامع الى المحذور وأوضح ما تنطوي عليه بعض الامثال وتشير اليه الالفاظ والاقوال ... وتخطّى ايضاً الى حلّ صعوبات رسائل القديس بولس ومار يعقوب ومار بطرس ومار يوحنا ... الخ الى ان قال : « ان هذا الكتاب يغني القارئ عن تقلّب كتب الآباء القدماء وتفتيش مصاحف المترجمين والعلماء » (باختصار عن المقدمة)

وجاء في آخر هذا الكتاب ما حرفيته :

« طلّقه بيده الفانية الحقير في الكهنة القس بواقيم الحدثي الراهب اللبناني وكان النجاز من هذا الكتاب المبارك في خمسة ايام خلت من شهر شباط المبارك سنة الف وسبعمائة وثمانين للتجسد الالهي وكان ذلك في زمان رياسة الاب مرقوس الكفاعيّ الرئيس العام الكلي الاحترام في دير سيدة طاميش في زمان رياسة الاب زكريا العجلتوني الرئيس الاكرم على الدير المذكور اللبنانيين . . . »

« وقد اوقف هذا الكتاب لمدرسة دير برسنين لاجل افادة الاخوة الدارسين الاب مبارك (حليحل) البسكنتاوي الرئيس العام اللبناني سنة ١٨٧٩ في ١٢ شباط » .

وقد عُلّقت على هذا الكتاب هذه الافادة وهي :

« في سنة ١٧٧٩ في اول تشرين الثاني صار مطر عظيم كمثل الطوفان ومن شدّة المطر حمل نهر الكلب حملة عظيمة واخذ الجسر صح » .

٢ كتاب العلم الطبيعيّ

« هو ما يتبصّر بذوات الاشياء الطبيعية ولواحقها وموضوعهُ الخاصّ هي الاجسام الموجودة بما هي واقعة في التغيير وبما هي موصوفة بانحاء الحركات والسكنات ، والشيء إمّا انهُ ممتنع او غير ممتنع ، والغير الممتنع إمّا ممكن او موجود ، والموجود إمّا جوهر او عَرَض ، والجوهر إمّا خالق او مخلوق ، والجوهر المخلوق إمّا بسيط او مؤلّف » .

وهذا الكتاب تأليف القس يوسف السمعانيّ الحصروني تلميذ مدرسة الموارنة برومية . عدد صفحاته ٥٢٢ صفحة ، طوله ٢١٧ س وعرضه ١٥ س ، خطّهُ بالحرف الكرشوني القس اسطفانوس (البحليداني) الراهب اللبنانيّ في دير مار بطرس ومرجلين برومية سنة ١٧٣٣ مسيحية

٣ كتاب تذكارات روحانية مفيدة مقتطفة من سيرة القديس كرلوس

يوروماوس مطران مدينة ميلانو . جاء في آخره :
« قد استخرج هذا الكتيّب الصغير الجرم الكثير النفع من اللغة الافرنجية الى اللغة العربيّة القس يعقوب الماروني الحلبي لاجل منفعة القريب»(١).

وقد أُضيف اليه بعض فوائد روحية مفيدة لمن يقرأ ويسمع . ثمّ تأملات مختصرة على عدد ايام الشهر نقلها من اللغة الافرنجية الى اللغة العربية الشدياق يوسف سليل مدرسة الموارنة برومية العظمى . ثمّ مرآة الراهب كاملة للسيد فرحات ، وهي التي طبعناها ناقصة في كتاب المحاورات الرهبانية. وهذا الكتاب نسخه بالكرشوني القس جرجس قشّوع (الفسطاوي) الراهب اللبناني في ٥ كانون الاول سنة ١٧٣٠

٤ التحفة السريّة للمطران جرمانوس فرحات خط يوسف سابا صقر سنة ١٨٢٧ في ٢٨ نيسان

٥ كتاب في الصلاة العقلية اي تفسير الفضائل الالهية ، مخروم من آخره ، تأليف القس بطرس بن عبدالله بن اسحق البتروني التولاني واعظ مدينة حلب

٦ كتاب تأملات واخبار روحية ، كُتب سنة ١٧٧٨

٧ شهادات وامثلة مقتطفة من كتاب اباطيل العالم لاجل مساعدة الواعظين. خط الشدياق يوسف مارون تلميذ اسطفانوس مطران البترون سنة ١٧٤٠

٨ فصل الخطاب للمطران فرحات ؛ خط يوسف مارون الطرابلسي الانجيلي تلميذ اسطفانوس مطران البترون ، في ٢٩ ايلول سنة ١٧٤٦ . وجاءت في آخره هذه العبارة : « بلغ مقابلةً على المسودّة بخطّ مؤلفه صحّ »

٩ ديوان المطران فرحات

١٠ كتاب يحتوي حياة بعض القدّيسين كالقديس مارون الناسك ، والقديس افرام ، والقديس ريشا ، وترجمة مريم المصريّة ... الخ كتبه بالكرشوني القس جرجس قشّوع ، في ٦ آذار سنة ١٧٦٨ بدير طاميش.

١١ مختصر السبع رذايل وما يقابلها اعني السبع فضايل ، ويُتمّ هذا الشرح الى ستة عشر فصلاً.

١) طُبع هذا الكتاب في مطبعة برنابا برومية سنة ١٧٣٩

١٢ مختصر بعض العلوم التي وضعها يعقوب الرهاوي المبيّن فيها عن خلقة الملائكة والعالم والافلاك والنيرات والمكوّنات جميعها . خط عبدالله يزبك المكرزل ، سنة ١٨٢٦ .

١٣ رسالة مختصرة في عبادة الورديّة للعبد الحقير القس اسطفانوس بن ورد[1] الماروني تلميذ مدرسة الموارنة برومية جاء في آخرها : تمّت سنة ١٧٨٠

١٤ تفسير الانجيل لكرنيلوس الحجري اليسوعيّ . مجلّد ضخم ، ترجمهُ الى العربية القس يوسف الباني الحلبي الماروني سنة ١٧٢١ . خط الخوري مارون الاشقر بيت شباب ، سنة ١٨٤١ ، كتبهُ بامر الاب العام اللبناني عمنوئيل الشبابيّ .

١٥ الدرُّ المنثور في تفسير الزبور لاحد الرهبان اليسوعيين . مجلد كبير ، خطُّهُ عربي كنائسي جميل . جاء في آخرهِ : « علّقه بيدهِ الفانية جبرايل القس الراهب اللبناني في ايار سنة ١٧٨٦ . » (لها بقية)

١) راجع مؤلفاته في كتاب المخطوطات العربيّة ، ص ٢١٠

وصف الرهبان

كان من عادة ابن المعتزّ (٨٦١ – ٩٠٨) ان يبكر للصبوح بالقرب من دير عبدون بالمَطيرة ، وهي قرية في ضواحي سامرّاء . فقال في ذلك ، وفيه وصف للرهبان لا يزال صادقاً منذ اكثر من الف سنة :

سقى المَطيرةَ ذاتَ الظلِّ والشجرِ ودِيرَ عبدونَ ، هطّالٌ من المطرِ !
فطالما نبّهتني للصبوح بها ، في غرّة الفجرِ ، والعصفور لم يطرِ ،
اصواتُ رهبانِ دير ، في صلاتهم سود المدارع ، نعّارين في السحرِ ،
مزنّرين على الاوساط ، قد جعلوا على الرؤوس اكاليلاً من الشعرِ .

التذكار المئوي

للمرسلين العازريين في دمشق

بقلم الاب مبارك ثابت اللبناني

١

في شهر ايار من هذه السنة ، عيّد المرسلون العازريون في دمشق عيد المئة السنة الاولى لاستيطانهم هذه المدينة ، وقيامهم مع راهبات المحبة العازريات بخدمة الدين والعلم ، والمرضى والمساكين والايتام ، ومصالح الدمشقيين العائدة الى الرقي الروحي والادبي. مما بسط الالسن في الثناء عليهم ، وجعل لهم منزلة عالية في النفوس.

كانت حفلات العيد في اكمل مجالي الابهة ، والطف مظاهر الرونق ، بالغة اقصى غايات الترتيب والنظام ، جامعة لدواعي الفرح والابتهاج . ودامت ثلاثة ايام تلوّنت فيها الاعمال والمظاهر والافراح مما يوقظ التقوى في النفوس ، ويدخل السرور الى القلوب. فمن تمثيل معجب ، الى انشاد مغرب ، الى سماع مطرب ، الى مآدب سخية ، الى زينة شائقة ، وخطب خيالية ، ومحاضرات مليحة. فكنت ترى العيد بارزًا في حلة ابتهاج فاخرة مطوّق العنق بقلادة ظرف لامعة.

واقبل الناس من كل الطوائف الى دار الرسالة يهنئون المرسلين والراهبات بالعيد ، معربين لهم عما في صدورهم من عواطف الشكر لابناء القديس منصور الذين ما فتئوا مسافة قرن مواظبين على خدمة الارواح والابدان ، تبديدًا لظلمة الجهل ونشرًا لانوار العلم ، وتخفيفاً من اعباء النوائب واوجاع الفقر والاعتلال ، وتلافياً لبؤس غوائل اليتم والاهمال. وممن شهدوا الحفلات ، او بعضها ، مع اعيان المدينة واهل التلاميذ والتلميذات ، الرؤساء الروحيون ، وحضرة الوزير المفوض ، ورئيس المجلس النيابي وغيرهما من ارباب الحكومتين المنتدبة والوطنية.

ولما كان لابناء القديس منصور ولاسيما راهبات المحبة فضلٌ لا يقوم عليه

نكيرٌ ، لما يكبدون انفسهم من ضروب التضحيات في سبيل المساكين والمتألمين اخوة المسيح لوجه الله الكريم ، لا نرى اننا نطيش سهماً اذا اعتقدنا كون قراء «المشرق» الكرام يرتاحون الى قراءة نبذة نكتبها في تاريخ الرسالة الازرية في دمشق ، يتسنّى لهم بها الوقوف على تاريخ ابنية الرسالة ومنشآتها الخيرية ، مسافة مئة عام ونيف ، في قاعدة الامويين القديمة . فنقول :

العهد الاول

١٧٨٣ — ١٨٢٧

تولّى المازريون الرسالة في دمشق سنة ١٧٨٣ ، وكانت من قبلهم للآباء اليسوعيين . واول من قدم الشام منهم الابوان بطرس اتيان ڤيروت وجوزف ماري غندولفي . فاقاما في دمشق يزاولان اعمال الرسالة المقدسة طول ايامها . وتوفاهما الله الواحد بعد الآخر ، فكانت وفاة الاخير منهما عام ١٨٠٥ . وكان المرسلون الازريون حدثي الحلول في البلاد ، فشتت الثورات شملهم ولم تستقرّ لهم قدمٌ في سورية . فاقفلت اديارهم التي هي في الشام ، وصيدا ، وطرابلس ، وعين طوره . ولم يبقَ مفتوحاً الا ديرهم في حلب . وقد ذاقوا فيه من ضروب الاعنات والتضييق والوان المخاوف والمتاعب ما تهلع لهوله القلوب وتقشعر لذكره الابدان . لكنهم اعتصموا بالله وتدرّعوا الصبر ، فثبتوا عند الواجب غير متزعزعين ولا هيّابين ، تقفياً للرسل القديسين الذين اقتحموا اشدّ المخاطر وازدروا العذاب والشدائد والموت وكل قوات الارض والجحيم في سبيل نشر انوار الحقّ وتوسيع ملك المسيح يسوع .

وظلّ دير الشام مقفلاً خالياً والرسالة معلقة الى سنة ١٨٢٧ . وفي تلك الحقبة سمى المجمع المقدس الاب لويس غندولفي المازري زائراً رسولياً في سورية ، وكان مشمولاً بالحماية الافرنسة ، ثم رُقّي الى درجة الاسقفية وجعل قاصداً رسولياً عام ١٨١٧ او ١٨١٦ . فكان يتعهد دير الشام مرّة كل سنة او كل ثلاث سنين ، فيرمم المتهدم منه حفظاً لكيانه ويؤمّل الشعب الكاثوليكي بقرب رجوع المرسلين اليه . وله رسالة كتبها في الشام بتاريخ ٢٦ تموز سنة ١٨٢٠

واودعها شكواه واسفه من اقفار دار الرسالة واهمال شؤون الكاثوليك في المدينة ونواحيها ، ووصف دمشق باجمل النعوت . ومما جاء في رسالته قوله: «اذا جاءني الاجل المحتوم ، وانا الآن على قيد خطوة منهُ ، ولم اخلّف في الدير مرسلًا يتولى حراسته في الاقل ، فقد ضاع الدير وكل ممتلكاتهِ ومشتملاتهِ ، وهيهات ان يستردّ ! ».

على ان القاصد الرسولي لم يظفر بمنيته في ما رزقه من العمر بعد تلك الكتابة ، فوافتهُ المنيّة خامس وعشرين آب سنة ١٨٢٥ ودفن في عين طوره . وهو القاصد الرسولي الثاني من المرسلين العازريين في البلاد السورية . امّا القاصد الاول منهم ، وهو اول قاصد رسولي في سورية ولبنان ، فكان الاب أرنولد بوسّو فرنساوي من ابرشية اراس ، دخل جمعية المرسلين العازريين سنة ١٧٣٣ ، وصار قاصدًا رسوليًا سنة ١٧٦٣ . وكان في الجزائر فقدم منها الى لبنان ومعه اثنان من ابناء القديس منصور وهما الاب فكتور جليان والاخ لويس بيّورت ، فجعل كرسي قصادته في صيدا في دير الاباء اليسوعيين حيث اقام مدة عشر سنين . وكان في كنيسة الروم الكاثوليك خلافٌ ادّى الى انتخاب بطريركين في وقت يتنازعان السلطة ويدعي كلٌّ منهما شرعية انتخابه . فازال بحكمته ذلك الخلاف واقرّ الحق لاحدهما دون الآخر . فانحسم الجدال واستتبّ السلام . ثم انه رجع الى باريس وفيها لبى دعوة الله بموت صالح عام ١٧٧٤ .

اما رسالة الشام فاشرفت على التلف لما نالها من الاهمال التام ، بعد وفاة لويس غندولفي القاصد الرسولي ؛ اذ لم يعد يفتقدها احد من المرسلين . وظلت على هذه الحال من الاقفار مستهدفة للخراب مدة سنتين ، الى ان قيضت لها العناية الالهية التجدّد على يد مرسلين من ذوي الغيرة والفطنة والتقوى والنشاط هما الايوان بوسّو ولروا . ارسلتهما اليها الجمعية فبلغا دمشق عام ١٨٢٧ . فاقبلا يرمّان ما تهدم من بنائها ويصلحان ما فسد من حالها ، ولم يعد المرسلون يخلونها منذ ذلك العهد .

وهذا العيد المئوي الذي احتفلت له الرسالة السورية في هذه السنة على ما رأيت في ما سبق ، انما هو عيد تجديدها منذ مئة سنة ونيف على ايدي ذينك

المرسلين . وكان حقّه ان يصير سنة ١٩٢٧ لانها تمام القرن ، فأرجئ الى سنة ١٩٢٩ لحلولة وفاة المرحوم الاب ڤيكتور غرو رئيس المدرسة السابق دون اقامة هذا العيد في ميقاته .

العهد الثاني

١٨٢٧ — ١٨٦٠

كان الاب بوسو اول من ترأس الرسالة في دمشق عهد تجدّدها عام ١٨٢٧ . احلته الشام في شهر تشرين الاول من ذلك العام . فاستقبله تعبٌ وهمٌ عظيمان . اما من جهة الدير فلأنه كان قد انتهى الى احطّ دركات الرثاثة . كيف لا يصير الى هذه الحال منزلٌ هجرهُ سكانه مدة خمس وعشرين سنة متتالية ، فلا مأوى يصلح للسكن ، ولا ماعون ، ولا اثاث . واما من جهة الشعب الكاثوليكي فلأنه كان في الشام ، في ذلك العصر ، زهاء الف اسرة من الروم الكاثوليك ، ومئة اسرة من السريان والارمن . وليس لطائفة من هذه الطوائف كنيسة . الا الموارنة لهم كنيستهم ، وعددهم لا يتجاوز مئة وخمسين نسمة . غير انها اضيق من ان تسع سائر الطوائف الكاثوليكية الشرقية ، وان كانت مفتوحة للجميع . ولا يغرب ما هنالك من تغاير الطقوس .

فرأى الاب بوسو ضرورة التشمير في ترميم معبد الرسالة ، وكان في ذلك عوائق كثيرة وصعوبات متنوعة . فانبرى يذلّلها بعزيمة لا يتعاظمها امرٌ ، وهمةٍ لا يفوقها مطلب . فما زال دائب السعي على قدم النشاط ، حتى فتح ذلك المعبد للمؤمنين في اقصر ما استطاع من الحين . وعكف على الوعظ والارشاد وشرح التعليم المسيحي ، وسائر اعمال الرسالة الروحية لا يأخذه في مهمته ونىً ولا يستوطئ راحة . ولا يقصر في العمل لاستقدام مرسلين يعاونونه على الحصاد الكثير ، ويتولون ادارة مدرسة في الرسالة حتى اظفره الله بمبتغاه .

ففي عام ١٨٣١ قدم المدينة الايوان تِستِه وتِست ، فعرضَ عليها الحاجة الى المدرسة ، وحزّهما لهذا الامر فنشطا لهُ وصرفا من همهما اليه وما ابطآ ان ادركا بغيتهما ، وتجدّدت في الدير المدرسة التي كان الدهر قد اخنى عليها . ثم وجد الاب تِسته امرأةً لبنانيةً تحسن القراءة والكتابة ، ففتح مدرسة للاناث

واقام المرأة لتدريسهنّ . ثمّ ضمّ اليها امرأة تحسن اشغال الابرة فكانت تعلّم الخياطة والتطريز.

وخلا فكر الاب بوتو من شؤون الكنيسة والمدرسة في دمشق ، فراح ينشر كلام الحياة وفوائد الرسالة بين سكان راشيا وحاصبيا . ولم يكن ثمّ مدارس ولا اهتمام بالتعليم الابتدائي ، فحسنت له غيرته الرسولية ان يسدّ هذا الخلل فما زال يسعى ويجهد حتى جهز لاسقف الجهة كل ما يحتاج اليه في تأسيس مدرسة لكل من البلدين. وهذه المساعي الرسولية اقتضت ان يسافر الى فرنسة ويقيم فيها برهة من الزمان. ثم جاء رومية واطلع قداسة الحبر الروماني والمجمع المقدس على احوال المسيحيين في دمشق ونواحيها وعرض بعض حاجاتهم الماسّة ، فلقي عطفاً وآذاناً واعية. ورجع الى دمشق حاملاً لقب زائر في سورية عام ١٨٣٩ فاستأنف اعماله الرسولية قائماً بمهمته الجديدة احسن قيام . وكان من افاضل المرسلين متهالكاً في مصالح الدين متجملاً بخلال الخير كثير الرأفة بالمساكين . استقدم في السنة التالية الى فرنسة وطنه فألقيت اليه النيابة العامة في الجمعية ، ثم المديرية الاولى عهدَ كانت الرئاسة العامة على عاتق الاب اتيان.

امّا الابوان تِستِه وباروزي فخلفهما في الرئاسة على دير دمشق الاب غويلو (Guillot) ، وكان لكرم اخلاقه وكمال مروءته وازدهار فضائله محبوباً جداً وذا منزلة عالية في عيون الجميع . وبلغ من شهرة الفضل والصلاح والنزاهة والصدق حدّ مضرب المثل فكان المسيحيون حتى المسلمون من اهل البلاد يحلفون بحياة « ابونا بطرس » وهو الاسم الذي يعرفونه به . نفع الدين والآداب بمحبوبيته ورقة شمائله وبراعة فضيلته وظرف معاشرته ، كما افادهما بوعظه وتعليمه وغيرته.

وفي سنة ١٨٣٧ ، انتهى الى دمشق الابوان أمايا وبايه ، فاكبّ الاول على درس اللغة العربية ولاقى في ابتداء الامر صعوبات شاقة لكنها لم تثبط عزمه لمضاء همته . فلم يستكمل ستة اشهر حتى صار قادراً على شرح التعليم المسيحي بهذه اللغة في مدرسة البنات . وكان الاب بوتو قد تقدمه في تعلم العربية ، وبلغ مثله ما توخّاه من استطاعة شرح التعليم المسيحي ، لكنه ما

بلغ الغاية الا بشقّ النفس.

ثم ان الاب أمايا غادر دمشق بعد مدة يسيرة متوجهاً في اعمال الرسالة الى لبنان الشمالي. فجعل مقامه في زغرتا واهدن ، وتقرّب من اسرة كرم ، والقيت اليه مهمة تثقيف يوسف بك كرم الشهير ، وكان في سن السادسة عشرة عام ١٨٤٨ . فأحسن تأديبه بالمعارف وعزّز قلبه في مبادئ التقوى ومحبة الوطن وانمى في نفسه الفضائل المسيحية الراهنة.

وكانت مدرسة دمشق قد بلغت شأواً من النجاح والشهرة على قدر ما يُستطاع في ذلك الزمان مع كثرة العوائق والحوائل من قلّة المدرّسين والمدرّسات ، وقلة اكتراث الناس للعلم مع تتالي الاحداث وتقلبات الازمان . فمما كتبه الاب كوزه عن هذه المدرسة قوله : « في ذلك العهد كانت مدرسة الشام التي يديرها المرسلون العازريون سائرةً في سبيل التقدم مرضية السير والانتظام تعلّم الافرنسية بشيء من النجاح بدليل ان تراجمة القنصليات في مدينتنا كلهم من متخرجيها على التقريب.»

وكان ان القنصل الفرنساوي رغب الى المرسلين في استقدام راهبات المحبة الى الشام ، لانفساح مجال العمل لهنّ في ذلك البلد الكبير الشديد الحاجة الى امثالهنّ . وحضّ المسيحيين على طلبهن ، فالحفوا في الطلب ، وسُيرت رسائل في ذلك الى الرئيس العام . فاستقدم الاب لروا الى باريس وفاوضه في انشاء دير للراهبات في دمشق اجابة لطلب القنصل والمسيحيين. فزيّن له الاب لروا المشروع واطنب في التشويق والترغيب وبالغ في بسط الحاجة وتهوين الامر وتسهيل السبيل. فقرّ الرأي على ما أحبّ ، فرجع الى بيروت مكللاً سعيه بالظفر . وفي ٢٣ تشرين اول من عام ١٨٥٤ ، توجه الى الشام يصحبه الاخ نيقولا والجالية الاولى من راهبات المحبة وهنّ ستٌّ برئاسة الاخت بيكوت(Bicot)، وقدمت معهنّ الاخت جلاس ذات الشهرة البعيدة بمنشآتها الخيرية العظيمة في هذه البلاد، ولاسيما بجودة رأيها وتوقد فهمها وغزارة فضلها وتهالكها في محبة الله والقريب.

في ذلك الزمان ، الذي بيننا وبينه مسافة ٧٥ سنة ، لم تكن طريق المركبات تصل الشام ببيروت . اما الطريق الذي تسلكه السيارات اليوم ،

وكان معروفاً بطريق الداليجانس ، فقد فتحته شركة افرنسية عام ١٨٥٩ ، اي بعد سفر الراهبات الى دمشق بخمس سنين . فلزم القافلة ان تقطع تلك الشقة الشاسعة بين البلدين على ظهور الخيل والبغال ، مجتازةً جبال لبنان ، وسهل البقاع ، ومضيق ميسلون (وادي القرن) ، واعالي انتيلبنان ، في مسالك وعرة كثيرة العقبات والمنحدرات والمزالق والحفر . ولمّا انتهت القافلة الى شطوره ، اذا الاب غريلو رئيس الرسالة قد جاء للقائها في ثلاثة عشر شاباً من نخبة أسر المدينة . فاستراحوا وباتوا . ثمّ استأنفوا المسير تحرسهم ملائكة الامن في سلامة من كل خطر ومكروه ، الّا ما اصاب الراهبات من تعب الطريق ، حتى انتهوا الى دمشق في ٢٦ تشرين اول سنة ١٨٥٤ .

فكان لقدوم ملائك الرحمة فرح واغتباط عظيمان في المدينة . وجرى لهنّ استقبالٌ شائق قام به قنصل فرنسة واسرته ، ورجال القنصلية ، وجمعٌ غفير ، من المسيحيين ، وواكبوهنّ الى ديرهنّ بابهى مجالي المودّة والحماس .

وبعد اسبوع واحد لوصولهنّ باشرنَ اعمال المحبة المسيحية على دأبهنّ في كل بلد احللنَ . فجعلنَ باكورة اعمالهنّ فتح مستوصف عام في منزلهنّ . فلم يكد خبره يُذاع في المدينة حتى احتشد على بابه زهاء سبع مئة نفس التماس المعالجة والدواء ، لما كان للناس من صحة الركن الى بنات المحبة والى جودة ادويتهنّ . فلما رأين كل هذا الازدحام استقدمنَ قوّاماً من القنصلية الافرنسية يحجز الحشد ، ويميز الفقراء من المدّعين الافتقار .

وزادت بنات المحبة على توزيع الادوية ان جعلنَ يتعهدنَ بيوت المساكين ، حاملات لهم اصناف التعزيات والمعونات .

وكان المرسلون العازريون قد انشأوا مدرسةً ومشغلاً للبنات ، وقلدوا التعليم فيهما امرأتين من نساء البلد على ما رأيت في ما مضى . فتولّت الراهبات ادارة المعهدين ، وما هي الّا مدة يسيرة حتى فتحنَ ثلاث مدارس وثلاثة مشاغل تضم ٣٠٠ متعلمة .

وبضعة اشهر تلت استقرار راهبات المحبة في الشام ، جيءَ اليهنّ ببنتٍ في احط درجات الإدقاع ، فقبلنها عندهنّ بمثابة يتيمة ، فما عتم ان جاء بعدها

تسع عشرة بنتاً اخريات ، ومن ثمَّ تأسس ميتم البنات.

وفي اواسط ايلول عام ١٨٥٩ ، كان دير الراهبات قد بلغ غاية قاصية من النجاح وانتظام الشؤون ، بغيرة الاب لروا وحسن تدبيره واستقامة ادارته . وبسعيه لدى الرؤساء أُسندت رئاسة الرسالة الى الاب ناجان ، فاوسع نطاقها واصعدها درجات في سلّم الرقيّ واحسن سياستها غاية الاحسان . وصارت مدارس العازريين تدرّ لهم الارباح بما يجعلهم في سعةٍ من العيش ويصرفون فاضله الى المساكين والمشاريع الخيرية.

غير ان هذا النجاح الباهر كان اسرع زوالاً من الظل واقصر عمراً من كواكب الصباح . فانه لم تمضِ ثمانية ايام لفراغ الاخ نيقولا من صنع منجورٍ لما تمّ من البناء ، الّا اشتعلت فتنة السنة الستين التي اكتسحت بعض نواحي سوريّة ، ودمّرت اقليمين من اقاليم جبل لبنان . وكان شبوبها في الشام الساعة الثالثة من مساء تاسع تموز عام ١٨٦٠ ، فسحبت ذيل الخراب على حيّ المسيحيين باسره ، وقوّضت كل ما بناهُ بجهد النفس وكدّ اليدين المرسلون الافرنسيون من مباني المحبة الى المدارس الى بيت السكن . ولولا شهامة الامير عبد القادر الجزائري ، لما نجا بارواحهم المرسلون ، ولا الراهبات ، ولا من في ديرهنّ من يتامى ودارسات . فانه لساعةٍ قبل اطلاق النار والحديد في حي المسيحيين ، دخل على الامير كاتب اسراره وقال له: « لقد اكتنفت المسيحيين المخاطر وامسى الموت منهم على قاب قوسين ، فهل فكّر سيدي في المرسلين والراهبات ؟ انك ان لم تسرع لانقاذهم فانهم لا محالة هالكون.» فقام الامير لساعته ونادى بضع عشرات من رجاله ، وامرهم ان يجيئوا الى داره بالعازريين والراهبات واليتامى وكل من في منازلهم . فمضوا في ذلك وكانت الساعة الثانية بعد الظهر . وهابهم الثوار لبسالتهم ، فلم يجرأوا على مسّ مخفوريهم باذى ؛ الّا رجلٌ من المسلمين تصدّى لراهبة في الطريق ، فهوى عليه احد رجال الامير بضربة سيفٍ فلقت رأسه فخرّ صريعاً وصار عبرة ، ووقع خوف الجزائريين على الجميع.

(للبحث صلة)

اسقف مُرهب

المطران بطرس شبلي

١٨٧١-١٩١٧

بقلم الاب لامنس اليسوعي

في ٧ شباط سنة ١٩٠٨ ، خلف الكاهن الشاب بطرس شبلي المطران يوسف الدبس على ابرشية بيروت المارونية. وكانت اسقفية الدبس طويلة مخصبة بفضائله السامية ، وعلمه الغزير ، واعماله المتعددة التي اكتسبت له اعتبار الجميع ؛ وكفى بتأسيس مدرسة الحكمة الزاهرة ، وكاتدرائية مار جرجس الفخمة لتخليد ذكراه.

اما الكاهن الذي خلف هذا الحبر الجليل المكلل بالسنين والامجاد فلم يكن يتجاوز السابعة والثلاثين. وكان متحدرًا من احدى تلك العيال اللبنانية التي تحفظ تقاليد الاستقامة والدين خلفاً عن سلف. وُلد في ١٩ كانون الاول سنة ١٨٧١ ، في قرية صغيرة جميلة اسمها دفون من بلاد الشوف . وتلقى مبادئ القراءة والكتابة في مدرسة الضيعة الوضيعة ، حتى اذا ترعرع قدم بيروت ، فدخل مدرسة الحكمة تحت رعاية سلفه الصالح . على انه لم يطل اقامته فيها . لان الرؤساء بعد ان تحققوا مواهب الطالب الصغير ، ارساره الى باريس سنة ١٨٨٥ . فدرس هناك اللغتين اليونانية واللاتينية. ثم دخل مدرسة سان سولبيس الاكليريكية الشهيرة ، فاتقن فيها الفلسفة واللاهوت.

وبعد ذلك انتقل الى جامعة باريس الكاثوليكية ليدرس التاريخ واللغات الشرقية كالعبرية ، والسريانية ، بينقية وغيرها . واذ رأى نفسه قد اغتنى بكنوز الثقافة الغربية ، فكّر بالعودة الى وطنه ، على الرغم مما كان يُعرض عليه ، في باريس ، من المراكز المهمة . من ذلك ان الكاهن العالم المشهور

الرسم ٤ : ارزة لامرتين

الرسم ٥ : مع صغار المتاولة

الرسم ٦ : في بحيرة اليسونة

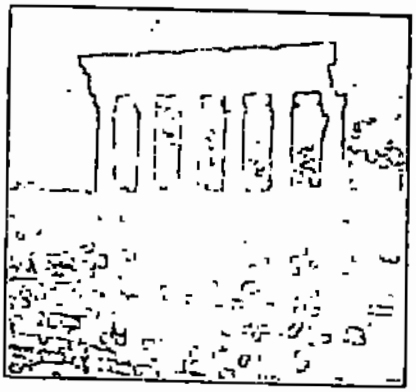

الرسم ٦: اعمدة بعلبك

الرسم ٧: في ظلال الارز

الملك الرحمات

المطران بطرس شبلي (١٨٠٠-١٩١٧)

رئيس اساقفة بيروت

ڤيگورو (Vigouroux) اقترح عليه ان يبقى معه في فرنسة ليساعده في كتابة «معجم التوراة» . فرأى الكاهن الشابّ ان وطنه بحاجة اليه ، فشكر العالم المذكور ، ورجع الى بلاده حيث رسمه سيادة المطران الدبس كاهناً في ١٤ تموز سنة ١٨٩٧ .

فبدأ اعماله في لبنان ، بالقاء الدروس في مدرسة الحكمة اولاً ، ثم في مدرسة قرنة شهوان . ولم تلبث ان سارت شهرته بعيداً حاملةً ما اتصف به من العلم والفضائل حتى الى المهاجرين ، وما اشدّ ما كانت حاجتهم الى امثاله من الكهنة ، فكتب اليه امين الريحاني ، رسالة من نيويورك مؤرخة في ٢٦ ايلول سنة ١٨٩٩ . وهذا قسم منها ينمّ عن شخص مختلف عن مؤلف «النكبات» :

«ايها الاب العزيز المحترم . . . وقد لقبتك ايها الاب المحترم «بعزيز» ولا ارى ما يغني عن ذلك سوى العوائد لان لفظة عزيز لم يدرج استعمالها بين العوام والاكليروس . اما انا فقد تركت هذه العادة وخرقت حدود الدارج وما دفعني الى هذا العمل الا فرط المحبة لشخصكم اللطيف . ولا امكن من اظهار احترامي واخفاء محبتي التي يضطرم بها الفؤاد لان المدة التي قضيتها مع حضرتكم والاوقات التي صرفتها بمجالستكم حفرت في فؤادي اثراً عميقاً لا تمحيه الايام ما زلت حياً . وكل مرة اردد ذكركم في فكري وافتكر في حديثكم الجميل وتواضعكم الزائد وحريتكم المتدلة يتحرك في فؤادي ذلك التأثير الممزوج بالاحترام البنوي الواجب عليّ تقديمه والمحبة الاخوية التي اشعر بها رغماً عن تفاوت المقام

« . . . كم من المرات اجلس في غرفتي متحسراً متلهفاً ممزياً نفسي بالآمال الفرية فاقول آه لو كان الخوري بطرس راعينا في نيويرك . فكم نحن بحاجة اليه هنا . والطائفة المارونية في نيويرك يلزمها راعي نبيل وعالم جليل يستطيع الارشاد والوعظ وتكون كل اعماله صغيرة ام كبيرة مثلاً يقتبس منهُ النير ويقتدي به . نحن بنيويرك بحاجة كلية لاب غيور عالم فاضل قوي العارضة كبير العقل واسع الذهن ، فانت انت تجمع بشخصك الكريم كل هذه الاشياء . ونحن بحاجة كلية لكم هنا فهل يمكن اقام ما يخالج ضمير صديقكم المخلص . افتكروا بذلك وتكرّموا عليّ بالجواب » .

وفي ذاك العهد ، دعي الى البطريركية في بكركي ، لينظم سجلاتها ويرتبها ويضع لها الفهارس . وكانت العناية الالهية تقرّبه من الوظيفة التي كان عليه ان يُظهر فيها كلّ مقدرته ، فكان غبطة البطريرك يكلفه القيام بارساليات مهمّة . فزار سنة ١٩٠٠ قُرى بلاد البترون ليطلع على حالة الاكليروس فيها . ثم تفقّد الاديار في لبنان ، وفي جزيرة قبرس ، ليدرس احوالها ، ويثبت موارنة الجزيرة ،

واقفاً على احتياجاتهم جميعها. وفي غضون ذلك ، ألف في بكركي ، كتابه عن البطريرك الدويهي وهو أثر جليل ينمّ عن اطّلاع واسع.

* * *

كان هذا الكاهن المتواضع لا يفكر بسوى متابعة اعماله الروحية بسكون ، اذ وقع عليه اختيار البطريرك والاساقفة ليكون خلفاً للمطران يوسف الدبس. فاحتفل بسيامته في بكركي ، ودخل بيروت ، مركز ابرشيته ، في ٢٢ شباط سنة ١٩٠٨ محاطاً بهتاف ابنائه جميعهم. اما في ما يخصّ صفات الاسقف الشاب فاننا نترك الكلام لشاهد عيان عاشره مدة فعرفه حق المعرفة ، وهو الخوري اغناطيوس مبارك الذي خلفه ، فيما بعد ، على كرسي الابرشية نفسها. قال بعد ان اثنى على تقوى الاسقف وطهارته:

«تجرّده كان عجيباً فيما يختص بمدخوله الشخصي. وبقدر ما كان حريصاً حتى ان حرصه كان يقارب البخل في ما يتعلق بمال الابرشية بقدر ما كان كريماً بماله الشخصي. واني اذكر عندما مشى امام جنازة المرحوم فيليب ثابت في بيروت ورافق الجثة الى عين سعاده دفع له اهل الفقيد مائة ليرة لقاء خدمته الشخصية فبالحال دعاني اذ اني كنت مستلماً حسابات الكرسي وناولني من المائة ليرة خمسين لقاء نفقات الكرسي في المأتم. وبينما كنت عائداً في تلك الساعة الى غرفتي مع الدراهم التقيت بالدار بوفد من اهالي قرية مجدليا (الشوف) اتوا ليطلبوا من سيادته مساعدة لبناء كنيستهم فكلفوني بعرض المسألة لسيادته فدخلت للحال وعرضت عليه التماسهم وكانت الخمسون ليرة الباقية لم تزل على طاولته. فاخذها وقال هذا المبلغ جاء بوقته اعطهم هذه الكمية الآن والله يدبر فيما بعد. وهكذا لم يبق لذاته بارة واحدة مما اعطي له شخصياً.

«ومما يدل على هذا التجرد عن المال الشخصي هو قلة ما تركه بعد وفاته لحسابه الخاص فانه بقي اسقفاً تسع سنين فلم يترك سوى سبعة آلاف غرش عملة قديمة شرك وكل الباقي من مداخيله كان يذهب اما لاعمال خيرية او لمساعدات خصوصية كلها مقيدة في دفاتره الخاصة.»

اما شجاعته في قول الحق ، ولاستقامة ضميره فقد اورد عليها الشاهد نفسه

مثلاً تزيد قيمته اذا علمنا انه صدر في زمن كان الجميع فيه يخافون على حياتهم قال:

«كان المطران بطرس شبلي رحمه الله ذا ضمير معروف فتى عرف الحق لا يعود يحيد عنه. عندما ابتدأت الحرب ودخل بعض ذوي المآرب بدعوى زواج في ديوانه واستعانوا برضا باشا قومندان الجبل ومالأهم اعضاء الديوان ذاته بسبب مداخلة رضا باشا في المسألة وخوفهم من الديوان العرفي، بقي سيادته مصراً على الحكم بعكس ما يريده رضا باشا لان ضميره لم يكن يطاوعه. فدعاه رضا باشا اليه واخذ يلح عليه بالحكم ويسمعه بعض التهديدات ان خالف. فكان جوابه. طالما المسألة هكذا فلماذا ترفعون الدعوى الى ديواني انتم اقدر مني بالسيف فاحكموا انتم ونفذوا بسيفكم اما انا فلا احكم الا بموجب ضميري. فاسكت رضا باشا بهذا الكلام ولم يحكم الا بما نصه له الضمير والوجدان.»

وقد كان بودّنا ان نتوقف طويلاً فندرس عاطفة الوطنية في صدر ذاك الاسقف الجريء. وقد برهن عنها مرّات عديدة في موقفه تجاه رجال تركية الفتاة، وفي دفاعه عن استقلال لبنان، اذ كان الاتحاديون قد اتفقوا على خرق امتيازاته ووجدوا من اللبنانيين انفسهم بعض المساعدين على ذلك. ولكنهم اصطدموا بمقاومة المطران شبلي وتدابيره السياسية الحكيمة. وقد ساعده في ذاك العراك لحفظ امتيازات لبنان ممثلو فرنسة في سورية بعد ان قدروا كلهم صفات الاسقف الجليل. فظلّ في الميدان يناضل عن وطنه العزيز بلسانه وقلمه، وبنفوذه الشخصي لدى الحكومة الفرنسوية. قد كان بودّنا ان نتبسّط في كل ذلك لولا ضيق المقام، فاكتفينا بالاشارة بحيلين من يرغب في التفاصيل الى ترجمة حياته المتقنة التي نشرها ابن اخيه المحامي ميشال شبلي[1] والتي استندنا اليها في كتابة هذه الاسطر.

---

١) المطران بطرس شبلي، بقلم المحامي ميشال شبلي – المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٣٩، ٢٦٢ صفحة.

في شهر ايار من سنة ١٩١٤ ، ركب المطران البحر الى فرنسة ، ليحضر المؤتمر القرباني المقام في مدينة لورد . وبينا كان في باريس اغتنم الفرصة ، فقابل وزراء الدولة الفرنسوية ورغب اليهم في مواصلة الاهتمام بامور لبنانه العزيز . وفي تلك المناسبة وصفته جريدة « الطان » وصفاً دقيقاً فقالت :

« ... ان المطران بطرس شبلي هو في ابّان العمر قويّ البنية رقيق المعشر ذو لحية سوداء تكتنف وجهه المتدفق لطفاً ورصانة . وهو يتكلّم الافرنسية بفصاحة ، وبلهجة ساكنة ، وبدقة تعبير نادرة ، فيكلّمك بعبارات رشيقة طليّة بليغة . وهذا الاتقان بتكلّم اللغة الافرنسية يدلّ على تملكه ناصية تلك اللغة وادمانه على التحدّث بها ، حتى انك لا تخال انه اجنبي يتكلّم لغتنا ، فلا يضطرّ مثلاً للتردّد قبل التلفّظ بحديثه كأنه يفكر بلغة اخرى ثم يترجم افكاره وشعوره . بل انه يتكلّم بدون اجهاد . وما هذا سوى دليل ظاهر على ذكائه وتربيته العلمية الممتازة . »

وفي فرنسة فاجأته زوبعة الحرب العالمية . فكان اول ما فكّر به ان يعود الى ابنائه البيروتيين . وكان عارفاً بحقد الاتراك عليه لما كان اظهر من اجتهاد في سبيل لبنان ، ومن تعلّق بفرنسة ؛ فنصح له كثيرون من اصدقائه ان يبقى في اوربة ولكنه كان متأكداً ان من واجبات الراعي ان يكون بين خرافه في ساعة الخطر . فرجع الى وطنه بعد ان مرّ برومية فحضر فيها دفن البابا بيوس العاشر ؛ وحيّى خلفه بناديكتوس الخامس عشر مقدّماً له احترام البطريرك الماروني وجمهور طائفته .

وفي ٢٤ ايلول ١٩١٤ ، وصل الى بيروت . ولم يلبث ان بدأ حياة العذاب والاستشهاد التي وصفها بالتفصيل الوافي في « مفكّرته » . وقد نُشر منها في ترجمته اقسام طويلة شيقة . وما كان اسرع جمال باشا ، سفّاح سورية ، في طلب المطران ومشاحنته في مسألة الفرمان السلطاني الذي كان الباب العالي يريد منحه للبطريرك الماروني واساقفته ، على الرغم منهم . فبذل المطران كل ما في استطاعته في سبيل حفظ استقلال الاكليروس الماروني . ولكن لم يكن مناص من الخضوع امام القوة . على ان هذا التسليم لم يخفّف من غلواء الاتراك ، فاجبروا

المطران على الاستقالة ، ثم حكموا عليه بان يُقيم بعيداً عن ابرشيته . فقبل كل هذه المصائب بصبر مسيحي وخضوع تام للمشيئة الالهية . وان من يطالع مفكرته ، في هذا الشأن ، يتحقق ان ذاك الصبر وذاك الخضوع لم يفارقاه قط .

وفي ٧ نيسان ١٩١٦ سافر المطران شبلي منفياً الى اطنه . فاقام فيها نحو السنة عرضةً لجميع اصناف العذابات في جسده وقد أثرت فيه المتاعب ، واتحدت عليه الامراض ، وخصوصاً في نفسه الحساسة وقد تراكمت عليه الاخبار المشؤومة عن لبنان من جوع ، واوبئة ، واعدام ، ونفي . على انه تعزّى قليلاً بوصول الخوري اغناطيوس مبارك الذي نال الاذن بمشاطرة مطرانه آلام النفي . فلم يفارقه حتى قضى الاسقف الشهيد ما قُدّر له من الحياة في هذه الفانية ، فلبى دعوة ربّه في ١٩ آذار سنة ١٩١٧ .

لم تقارب سنة ١٩١٨ الانتهاء حتى تقلّص ظلّ الاتراك فاحتلّ الفرنسويّون قيليقية واقاموا فيها مدة ؛ وكان سيادة المطران اغناطيوس مبارك لا يفتأ يذكر سالفه الشهيد ويسعى بنقل رفاته الى بيروت ، لتجمع الى رفات اساقفتها ، فيستريح مع سلفائه الصالحين . فنال ما تمنّاه ، واهتم الفرنسويون باقامة هذا الواجب . فظُلل النعش بالعلم الفرنسوي ، ونُقل الى مرسين ، حيث انزل الى دارعة افرنسية ، فحفّته فيها ثلة من الجند بالتحية العسكرية ، وسارت به الى بيروت . فوصلتها في ٢٧ تشرين الاول سنة ١٩٢١ . وكان ذاك اليوم اشبه بيوم مهرجان اذ اشترك الشعب على اختلاف طبقاته مع الحكومة الفرنساوية والحكومة اللبنانية ، بتأدية واجب الاحترام والاجلال للشهيد الكبير . واذ عُرض النعش في كاتدرائية مار جرجس ، وقد ظلّلته الرايتان اللبنانية والفرنسارية ، وقف تجاهه سيادة المطران مبارك ، وأبن ذاك الذي كان بفضائله وعلمه فخراً لشعبه ، ومحامياً عن وطنه ، وشهيداً في سبيل حريّته .

قبر راحيل

بقلم القس عبد المسيح زهر

لقد جاء في الكتاب الكريم ان: «ماتت راحيل ودُفنت في طريق افراتة، وهي بيت لحم. ونصب يعقوب نصباً على قبرها، وهو نصب قبر راحيل الى اليوم.» (تك ٣٥: ١٩—٢٠) وورد في سفر الملوك الاول ايضاً ان صموئيل قال لشاول بن قيس، بعد مسحه اياه قائداً على ميراث الرب: «فاذا فارقتني اليوم يستقبلك رجلان عند قبر راحيل، في تخم بنيامين في صلصح، فيقولان لك قد وُجدت الاتن التي خرجت في طلبها.» (١ ملوك ١٠: ٢) ثم ان ارميا النبي قال: «هكذا قال الرب: صوت سُمع بالرامة، ندب وبكاء مر؛ راحيل تبكي على بنيها وقد ابت ان تتعزى عن بنيها، لانهم ليسوا في الوجود.» (ار ٣١: ١٥)

على ان الاعتقاد بين اليهود والمسيحيين ما زال شائعاً على توالي الاجيال ان راحيل مدفونة على مقربة من بيت لحم، في الموضع المعروف «بقبر راحيل» على سبعة كيلومترات الى جنوبي اورشليم، وكيلومترين الى شمالي بيت لحم، من عن يمين الطريق الذاهب الى الخليل، قبل مفرق طريق بيت لحم ببضع مئات من الامتار. غير ان بعض ارباب النقد ذهبوا في السنين الاخيرة، اي منذ نحو عشرة اعوام فقط، استناداً الى قول صموئيل، الى ان مدفن راحيل في الرامة المعروفة اليوم «بالرام» وهي قرية صغيرة حقيرة واقعة على ثمانية كيلومترات الى شمالي اورشليم، يسكنها اليوم نحو مئة نفس من المسلمين، وفي جوارها

قبور منقورة في الصخر تنطق بقدمها[1].

فهلمَّ الان ايها القارئ نتتبع آراء العلماء الذين عُنوا بدرس هذه المسئلة ، ونستخلص زبدة اقوالهم ، ونورد براهين المتعصبين لبيت لحم والرامة ، وبعد ذلك نمحص بيّنات الفريقين قدر الامكان ، ونرى حجة ايّها تكون العليا.

براهين المتعصبين لبيت لحم

ان الكتاب يصرّح بان : « راحيل ماتت ودُفنت في طريق افراتة ، التي هي بيت لحم.» (تك ٣٥ : ١٩) وان يعقوب لما دنا اجله قال لابنه يوسف وقد اتى يعوده في مرض موته: «واما انا ففي مجيئي من فدان ماتت عني راحيل في ارض كنعان ، في الطريق ، على نحو ميل من افراتة ... وهي بيت لحم . » (تك ٤٨ : ٧) ومما لا ريب فيه ان بيت لحم كانت في القديم تسمَّى افراتة ؛ كما ورد في سفر راعوت: «وهم افراتيون من بيت لحم يهوذا.» (راعوت ١ : ٢) وجاء ايضاً في سفر الملوك الاول : « وكان داود ابن ذلك الرجل الافراتي من بيت لحم يهوذا الذي اسمه يسّى.» (١ ملوك ١٧ : ١٢) وبهذا الاسم عينه سمّاها ميخا النبي ، حين انبأ بولادة المخلص فيها : « وانت يا بيت لحم افراتة انك صغيرة في الوف يهوذا . » (ميخا ٥ : ٢) فاذن افراتة هي بيت لحم بعينها . ولكن هل هي افراتة ، التي على مقربة منها دفنت راحيل ، ام يوسف وبنيامين ام غيرها ؟ هذا ما نريد ان نبيّنه بالايجاز في هذا المقال..

اعلم ايها القارئ ان التقليد اليهودي والمسيحي ما زالا متفقين على هذا الامر ، بل ان التقليد اليهودي حسب راي الاب لاگرانج لا يعرف افراتة اخرى غير افراتة بيت لحم[2]. ولكن القائلين بالراي المعارض يدّعون ان هذه العبارة « التي هي بيت لحم » الواردة في سفر التكوين حشو اضافه النسّاخ فيما بعد. بيد ان القديس متى في كلامه عن المذبحة التي سببها في بيت لحم طمع هيرودس وحرصه على عرش الملك قال: « حينئذٍ تمَّ المقول بارمياء النبي القائل صوت سمع بالرامة ، بكاء وعويل كثير . راحيل تبكي على بنيها وقد ابت ان تتعزّى

١) راجع معجم التوراة لفيكورو: المجلد الخامس صفحة ٩٤١

٢) طالع كتابه في انجيل متى ٢ : ١٧ المطبوع في باريس سنة ١٩٢٣ ، صفحة ٣٥

لانهم ليسوا في الوجود.» (مت ٢: ١٧–١٨) فلماذا يا ترى استشهد الانجيلي بآية ارميا؟ لا ريب ان استشهاده بها لا يخلو من علاقة بين قتل الاطفال الشهداء وبكاء راحيل.

على ان شرّاح الكتاب من الكاثوليك كانوا على اتفاق على موضع مدفن راحيل، المعروف الى يومنا بهذا الاسم. ولكن لمّا شاع، منذ عشر سنين، راي يعارض الرأي الاول تمسك به بعضهم وعدلوا عن الاول. ومن جملة الاقوال التي تثبت زعم المتعصبين لبيت لحم ما رواه القديس ايرونيموس في رسالته الى استكيوم البتول: «ثم ان يولا قصدت الى بيت لحم، ووقفت، الى يمين الطريق، عند قبر راحيل[1].» وقوله الاخر: «ان كلمة افراتة وبيت لحم تطلق على مدينة واحدة، اذ انها تترجم بالخصبة وبيت الخبز[2].» وشرحه لآية متى: «ان بنيامين ولدته راحيل، وليس في هذا السبط قرية تسمّى بيت لحم وهنا لا بد من السؤال: كيف تبكي راحيل اولاد يهوذا، اعني اولاد بيت لحم كما تبكي اولادها؟ اننا نجيب باختصار: لانها مدفونة قرب بيت لحم في افراتة.»[3] او لانّ سبط يهوذا وسبط بنيامين بقيا متحدَين مؤلّفين مملكة واحدة، بينما ان الاسباط الاخرى انفصلت وانشأت لها محكمة مستقلة. وزد على هذا ان الملك هيرودس لم يأمر بقتل اطفال بيت لحم وحدها، بل حكّم هذا الجبّار القاسي القلب سيفه في اطفال التخوم: «فقتل كل صبيان بيت لحم وجميع تخومها.» (مت ٢: ١٦) فلا ريب اذن ان سيف الظالم اهلك جماعة من اولاد البنيامينيين ايضاً؛ وذلك لما كان بينهم وبين اخوانهم نسل يهوذا من تعاقب الدار وقرب الجوار.

ثم ان حاجّ بوردو قال: «لمّا ذهبنا من اورشليم الى بيت لحم (وجدنا) على مسافة اربعة اميال من جانب الطريق الايمن البناء حيث دُفنت راحيل امرأة يعقوب؛ وعلى مسافة ميلين من الجانب الايسر واقعة بيت لحم.»[4]

---

١) P. L. *Migne, T. XXII, 884.*

٢) P. L. *Migne, T. XXII, 893.*

٣) P. L. *T. XXVI,* 27-28

٤) *Itinera Hierosolymitana saeculi IV-VIII.* P. Geyer, *p* 25

ويوافقه الراهب ادمنانس في كتابته التي وجهها الى الاسقف اركولف . والى هذا ذهب ايضاً القديس بيدا في الفصل السابع من كتابه المعنون « الاماكن المقدسة » . وفي القرن الثاني عشر كتب الادريسي : « واما بيت لحم وهو الموضع الذي وُلد فيه السيد المسيح ، فبينه وبين المقدس ستة اميال . وفي وسط الطريق قبر راحيل ام يوسف وام ابن يامين ولدي يعقوب ، وهو قبر عليه اثنا عشر حجراً ، وفوقه قبة معقودة بالصخر .»

اما القبة القائمة فوق القبر فقد ابتناها ، سنة ١٨٧٩ ، موسى مونتفيوره (Sir M. Montefiore) . وما عدا ما ذكرنا من الشواهد فان التقليد اليهودي والمسيحي والاسلامي ، كل هذه التقاليد لا تعرف غير هذا الموضع قبراً لراحيل واصحاب هذه التقاليد على اختلاف مذاهبهم ونحلهم يكرمون في هذا المكان عينه قبر زوجة يعقوب .[1]

براهين المنكرين للرامة

ان البرهان الذي يستند اليه اصحاب هذا الرأي هو ما ورد في سفر الملوك الاول من قول صموئيل لشاول : « ويستقبلك رجلان عند قبر راحيل في تخم بنيامين ...» (١ ملوك ١٠ : ٢) ويدعون برهانهم بقول ارميا النبي الذي جعله في فم راحيل لتبكي به بني افرائيم الذين سُبوا من اوطانهم : « صوت سُمع بالرامة ، ندب وبكاء مر . راحيل تبكي على بنيها وقد ابت ان تتعزى عن بنيها لانهم ليسوا في الوجود .» (ارميا ٣١ : ١٥) على ان النبي ما اكتفى بما قال ، بل قفّى على قوله مخاطباً راحيل عينها : « كفي صوتك عن البكاء ، وعينيك عن الدمع ، فان لعملك اجراً يقول الرب ؛ وانهم سيرجعون من ارض العدو .» (ارميا ٣١ : ١٦) ثم ان الكتاب يذكر ان يعقوب بعد دفنه راحيل زوجته واقامته النصب على قبرها : « رحل وضرب خباءه وراء برج القطيع .» (تك ٣٥ : ٢١) فاذا قابلنا بهذه الآية ما جاء في نبوءة ميخا علمنا ان برج القطيع كان على مقربة من اورشليم . قال النبي : « وانت يا برج القطيع ، يا عوفل بنت صهيون ، اليك يأتي ويعود الحكم الاول ملك بنت اورشليم .»

١) راجع معجم التوراة لفيكورو ، المجلد الخامس ، صفحة ٩١٦–٩٢٧

(ميخا ٤ : ٨) فمن هذا الكلام يستنتج ان يعقوب خلّف وراءه قبر زوجته وهو آتٍ من الشمال ، ومتجه الى الجنوب . فاذن راحيل ماتت قبل الوصول الى برج القطيع ، الذي كان في جوار اورشليم . ولهذا السبب استنتج الاب دورم (Dhorme) ان قبر راحيل شمالي اورشليم ، في ارض بنيامين ، وان التقليد الذي يجعله في ارض يهوذا على مقربة من بيت لحم ليس على شيء من الصحة. وقد شايعه على رأيه الاب لاگرانج والاب دوران (Durand) والاب كندامان (Condamin) و (H. A. Poels) والاب ارباخ البندكتي

فحص براهين اصحاب الراي الاول

رأينا في اثناء كلامنا ان اصحاب الراي الاول يدعمون برهانهم بما ورد في الكتاب (تك ٣٥ : ١٩ — ٢٠ و ٤٨ : ٧) . غير ان خصومهم يردون عليهم حجتهم بقولهم ان العبارة المذكورة في سفر التكوين بعد كلمة افراتة « التي هي بيت لحم » حشو وقد زيدت فيما بعد . ولكن من يا ترى يستطيع اقامة الدليل على انها حشو ، ولاسيما انها موجودة في كتب السامريين ، والنسخة السبعينية ، وترجوم اونكلس ، والنسخة السريانية البسيطة ܦܫܝܛܬܐ ، والنسخة العامية (*Vulgata*) ، فكيف دخلت هذه الزيادة ، على غير تواطؤ ، في هذه النسخ ؟ جواب اصحاب الرأي المناقض انها دخلت قبل الترجمة السبعينية. ولكن كيف دخلت في هذه النسخ ولم يدلّ عليها دليل في الاصل ، بل ماذا اراد الناسخ من زيادتها عمداً مع علمه بما ورد في سفر الملوك وسفر ارميا ؟ ولماذا زادها في سفر التكوين فقط ، وكيف قبل اليهود في ذلك الزمان هذه الزيادة ، مع شدّة محافظتهم على سلامة الكتاب ولم يسقطوها فيما بعد ؟ أما ان اليهود والمسيحيين يعتقدون سلامة الكتاب من التحريف والتصحيف ؟

امّا قول متى الرسول انه بعد ذبح اولاد بيت لحم ، تمّت نبوّة ارميا ، فدليل على وجود علاقة بين تلك المذبحة وبكاء راحيل . فهذه العلاقة على ما يظهر هي شيئان : اما وجود قبر راحيل على مقربة من بيت لحم ، واما كون الاطفال المذبوحين اولادها . الّا ان اصحاب الرأي المناقض لا يرون علاقة بين كلام الانجيلي ومذبحة بيت لحم ، ويعرضون عن تفسير الآية وشرحها . ثم

ان الاب كندامان ذهب الى ان السبب الذي حمل القديس متى على تطبيق هذه الآية ما هو الا شيوع التقليد المبني على آية سفر التكوين (٣٥:١٩) واعتقاد عامة اليهود في ذلك الزمان وجود قبر راحيل على مقربة من بيت لحم. فمن هذا القول ينتج ان ذلك التقليد كان غير صحيح. وفي هذا مجس لقدر الكتاب الشريف.

غير ان الاب لاگرانج، تجنباً لهذه النتيجة، اكتفى بتعليل ما ورد في متى بنسبته الى «تشابه الحزن» وقفى على قوله بان لا حاجة الى القول، مع كندامان، ان الداعي لذكر الآية التقليد الذي كان يجعل قبر راحيل قرب بيت لحم[1]. فهل «تشابه الحزن» يا ترى سبب كاف لحمل الرسول على ذكر الآية: «حينئذٍ تمَّ المقول بارميا النبي ...» اما كان في وسعه ان يقول: وحينئذٍ تمت النبوات التي فيها ذكر البكاء والحزن؟ فاذن قول الخصوم يدلّ على ان كلام الانجيلي مبني على تقليد موهوم لا اساس له، ولا علاقة بينه وبين قتل الاطفال الشهداء.

ثم انه فضلاً عن ذلك ليس حول الرامة اي «الرام» من اثر دالّ على قبر راحيل، ولم يكتشف الى يومنا ما يزيل الغموض عن هذه المسئلة؛ بل ليس للخصوم سند سوى الآية الواردة في سفر الملوك، وتعيين موقع «برج القطيع». فطالما اعتقد شراح الكتاب دائماً وجود قبر راحيل عند بيت لحم، فاية حاجة الى ترك التقليد الشائع، والتمسك براي لا يعضده برهان متين، وتؤيده بيّنات ناهضة؟ على اننا اذا رجعنا الى تقاليد اليهود، رأينا انهم لم يعرفوا افراتة سوى افراتة بيت لحم كما قال الاب لاگرانج نفسه، وانهم اعتقدوا دائماً قبر راحيل على مقربة من بيت لحم، في الموضع المعروف بهذا الاسم الى يومنا الحاضر. بقي ان اصحاب الراي الثاني، الذين عدلوا عن هذا الراي الى الراي الجديد، مضطرون لتصحيح دعواهم ان يبينوا غلط اليهود في هذا الامر، ويثبتوا زعمهم بان «التي هي بيت لحم» حشو، بل هم مضطرون الى اثبات رأيهم بالادلة الواضحة قبل زمان الترجمة السبعينية. على انهم يدعون ان التقليد

١) طالع كتابه «في متى» ٢:١٧ المطبوع في باريس سنة ١٩٢٣، صفحة ٣٥

على عهد ارميـاء. كان شائعاً بان الرامة مدفن راحيل ؛ ولكن كيف انقرض وتلاشى وانمحى هذا التقليد ، ومتى حلَّ محله التقليد غير الصحيح ؟ يجيبون ان النبي هو الذي امات الاول واحيا الثاني. وهنا يقوم اعتراض آخر على هذا القول وهو: لو كان تقليد الرامة صحيحاً لما نسيه اليهود في مدة جيلين ، لان في الرامة عينها اجتمع اليهود ، ومن الرامة سيقوا الى الجلاء ، كما جاء في سفر ارمياء : «الكلمة التي كانت الى ارمياء من لدن الرب بعد ان اطلقه نبوزرادان رئيس الشرطة من الرامة ، اذ كان اخذه مكبلاً بالقيود ، بين جميـع جلاء اورشليم ويهوذا الذين أُجلوا الى بابل» (ارميـاء ٤٠ : ١) فلو كان لبكاء راحيل على اولادها الذين أُجلوا علاقة مع قبرها ، لما نسي اليهود قبر امهم بعد رجوعهم من بابل. فاذا احتجوا بان الرامة اصبحت بعد الجلاء مجهولة ، اجبنا: ان قرب هذه البلدة من اورشليم ، ووقوعها على مسافة ثمانية كيلومترات من المدينة المقدسة ، وقيامها على طريق بيت ايل وشيلو والسامرة لما يقف في وجه نسيانها . فاذن بكاء راحيل على بنيها لا يدلّ على ان قبرها في الرامة.

تمحيص براهين اصحاب الراي الثاني

برهان المتمسكين بهذا الراي ما ورد في سفر الملوك الاول (١٠ : ٢) من ان قبر راحيل في تخم بنيامين. فاذا امعن القاري نظره في قول صموئيل لشاول وتدبّره ملياً ، رأى وفهم ان النبي لا يقول ان قبر راحيل في ارض بنيامين بل في تخم بنيامين. فلو كان قبرها في الرامة لما جاز لصموئيل ان يقول انه في تخم بنيامين ، بل كان يجب عليـه ان يقول انه في ارض بنيامين ؛ لان حدود بنيامين كانت تمتدّ الى جنوبي اورشليم ، كما جاء في سفر يشوع: «ويصعد التخم الى وادي ابن هنوم[1] ، الى جانب يبوس جنوباً وهي اورشليم ، ويصعد الى راس الجبل الذي هو تجاه وادي ابن هنوم غرباً في طرف وادي الجبابرة شمالاً.»

١) وادي ابن هنوم كان مطمه حدًّا بين سبط يهوذا وبنيامين. وهو يبتدئ عند بركة ماملا ، ويهبط الى بركة السلطان ، وينحدر جنوباً في شرق ، ويمدق بجبل صهيون حتى يتصل بوادي قدرون. ولا يعرف من هو ابن هنوم الذى تسمَّى باسمه هذا الوادي . لعله كنعاني اذ ان اسم الوادي ورد في سفر يشوع . وكان اليهود يقرّبون فيه القرابين البشرية اكراماً لمولك. (راجع ٢ اخبار الايام ٢٨ : ٣ وارمياء ٣ : ٢ و٧ : ٣١ و٣٢ : ٣٥ و١٩ : ٢ و٦)

(يشوع ١٥: ٨) هذا حدّ يهوذا من الشمال. امّا حدّ بنيامين الجنوبي فهو: «ثم يهبط الى طرف الجبـــل الذي تجاه وادي ابن هنوم الذي في وادي الجبابرة شمالاً وينحدر في وادي هنوم الى جانب يبوس جنوباً ، ثم يهبط الى عين روجل.»[1] (يشوع ١٨: ١٦) فاذن اورشليم كانت في سبط بنيامين وبيت لحم في يهوذا ، ومدفن راحيـــل بين المدينتين ؛ وكذلك جاز لصموئيل ان يقول انه في تخم بنيامين فهذا القول يعضد الرأي الاول.

ثم ان كلام ارميا. (٣١: ١٥) لا يجدي اصحاب هذا الراي نفعاً ، لانه لا يصرّح بوجود قبر راحيل في الرامة بل يقول : « صوتٌ سُمع بالرامـــة ، ندب وبكاء مرّ ؛ راحيل تبكي على بنيها.» فاذا تدبّرنا هذا القول ظهر لنا ان قبر راحيل ليس في بيت لحم ، ولا في الرامة ، بل في موضع بين المكانين . اذ النبي يقول : « صوتٌ سمع في الرامة » فكأن صوت ذلك البكاء والندب الصاعدين من قبر راحيل قد بلغ الرامة ، موضع اجتماع اليهود قبل جلائهم . فهذا التعبير ضرب بديع من تصوّر الخيال ، ولاسيما ان مدفن راحيل ، وموضع ذلك الاجتماع ، متلاصقان لا يفصل بينهما سوى خمسة عشر كيلومترًا . اما ان الخيال يقرب البعيد ويبعد القريب ؟

ولكن ما السبب الذي حدا بارميا. الى الجمع بين الرامة وبكاء راحيل؟ السبب على الارجح اجتماع اليهود في ذلك المكان من حيث سيقوا الى الجلاء ، فنـــارقوا اوطانهم وبرحوا بلادهم ؛ فكأنّ هذا العمل اثار عواطف راحيل واستذرف دمع عينيها رأفة بعصاب بنيها . فقول النبي لا يدلّ على انها مدفونة هنالك. على انه قد كان ايضاً بين المجلوين اولاد بنيـــامين « ابناء الالم » الذي ولدتهم راحيل بالالم وسميوا هلاكها. فلما رأت ان هولاء الاولاد ، اولاد الالم ، مسوقون الى الجلاء كقطعان الغنم ، علا نحيبها واشتدّ بكاؤها ، فرنّ صداه في الرامة. فاذن سبب بكاء راحيل سبي اولادها لا وجود قبرها ، اذ لا علاقة

١) كان القدماء يظنون عين روجل بير ايوب ، ولكن المتأخرين يذهبون الى انها عين ام الدرج الواقعة في اسفل جبل صهيون من الشرق ، ويسمي الافرنج هذه العين عين العذراء . (راجع معجم التوراة لفيكورو المجلد الخامس ، صفحة ١١٠٨)

بين البكاء والقبر.

اما ما ورد في ميخا من ذكر برج القطيع فنقول : ان برج القطيع ورد لاول مرّة في سفر التكوين (٣٥ : ٢١) ويُراد به على الرأي الارجح برج صغير كان في جوار بيت لحم ، يأوي اليه الرعاة ويراقبون من فوقه قطعانهم في مسارحها . ومن اسمه تعرف غايته . وقد كانت عادة الرعاة في ذلك العصر ان يتخذوا لهم ابراجاً في البرية ، كما يشهد بذلك سفر اخبار الايام الثاني ؛ اذ ان عزيّا الملك : «بنى ابراجاً في البرية ، وحفر ابارًا كثيرة ، اذ كانت له ماشية كثيرة في الساحل والسهل...» (٢٦ : ١٠) هذا وان القديس ايرونيموس يجعل برج القطيع على مسافة الف خطوة الى مشارق بيت لحم: «بيت لحم حيث يرى قبر يسّى وداود ، وعلى مسافة الف خطوة برج عادر الذي تاويله برج القطيع[1].» ومن الصعب تعيين موقعه بالضبط. ثم ان برج القطيع الوارد ذكره في نبوّة ميخا يُراد به اورشليم من باب المجاز[2] ، فضلًا عن ان الآية مستغلقة حتى ان الاب لاگرانج وكندامان لا يستندان اليها ولا يتخذانها برهاناً لدعم قولهما . « فبرج القطيع» هذا اما اسم علم ، واما اسم جنس مجازي . على ان الآية تدل صريحاً ان برج القطيع هو عين اورشليم وهو علم ، ولكن اسم الجنس لا يعيّن موقعه. فهل يحسن والحالة هذه اتخاذ هذه الآية كبرهان على صحة راي المتعصبين للرامة ؟ وما زال في حقل الرعاة شرقي بيت لحم آثار برج قديم ، فلعله مجدل عادر او برج القطيع ، طبقاً لما جاء في كلام القديس ايرونيموس اذ قال : « وعلى مقربة من هناك نزلت (بولا) الى برج عادر اعني برج القطيع حيث رعى يعقوب قطعانه ، واستحق الرعاة الساهرون في الليل ان يسمعوا: المجد لله.»[3]

فمن هذا كله يستدلّ على ان البراهين المؤيدة وجود قبر راحيل الى جانب بيت لحم اقوى. والمرء مخيّر في اتباع الراي الذي يرى رجحان براهينه . ولعلّ اعمال الحفر والاكتشافات تجلو غامض هذا السرّ وتحسر عنه اللثام ، وكل آتٍ قريب.

(١ P. L. *T. XXIII, p. 879* (٢ *Cf.* S. Jerôme, *Quaest. in Gen. loc cit.*

(٣ P. L. *T. XXII, 885-886.*

القضاء الماروني وعلاقته بالشرع الروماني

مع ذيل عن الاحوال الشخصية

بقلم المحامي الكنسي المتوري لويس الخازن

عنوان كتاب تأليف الله حضرة الاب العالم يوسف زياده ، كاتب اسرار البطريركية المارونية ، يقع في مائة وعشر صفحات ، بقطع ثمانية . ثمنه نصف ليرة سورية

قلنا على صفحات بعض الجرائد اليومية[1] انه رغم كثرة طبع الكتب والتآليف ، فالمفيد منها لم يزل نزراً ؛ ويدور في خلدنا ان تأليف حضرة الاب زياده هو من الكتب المفيدة :

اولاً من الوجهة التاريخية لاسيما وان تاريخ التطورات الشرعية في بلادنا ، واصل نشأتها ، لم يزل في عقل الله . وحقاً فقد توخى حضرته اثبات وجود شرائع قانونية مدنية لدى الموارنة منذ قديم الايام.

ثانياً : من الوجهة العلمية العملية ، لانه من الثابت ان جزءاً من تلك الشرائع قد انتسخ وتبدّل مع تبدّل الظروف والايام . ولكن قسماً كبيراً لم يزل مرعياً في المحاكم الكنائسية المارونية وخلافها ، خصوصاً فيما يتعلق بالاحوال الشخصية ، والاوقاف ، وبعض امور لها مساس بالاحوال الدينية ، كمحاكمة رجال الاكليروس وما شاكلها . وحتى يوم تاريخه ليس لدينا مؤلف يُرجع اليه في ضبط القوانين والشرائع التي يتحتم على الدوائر السير بموجبها لدى الاحكام بين المتداعين.

نعم يوجد شيء من ذلك في دستور طائفتنا المعروف بالمجمع اللبناني . ولكن ما هنالك لا يفي بالمرام ، لأن مدار المجمع اللبناني على الاسس الدينية ، وما يناط بها رأساً من الامور المدنية . وما خلا ذلك ، يجب الرجوع به الى الحقّ العام ، والى اوامر الكرسي الرسولي ، والى العرف القديم ، وهذا تجده مسطّراً في كتاب الاب زياده.

فانت ترى من هنا الفائدة الكبرى من تأليف يسرد لنا بايضاح ما كانت عليه الاحكام منذ قديم الايام . وغير خافٍ على احد ان طائفتنا في مهدها

١) البرق الغراء ، عدد ٣٢١٥

كانت تُساس بموجب الشرائع الرومانية البيزنطية ، وعليه اخذ حضرته يقابل بين شرائعنا والشرائع الرومانية ، موردًا بايجاز نقاط الاتفاق والتنافر بينهما .

وكتابه يقسم الى اربعة ابواب : فيشتمل الاول على توطئة (ص ١ — ١٠) المع فيها المؤلف الى نشأة الشرع بين ظهرانينا ، وكيف انه قد أخذ في معظمه عن الشرع الروماني ، ما خلا ما كان منه مناطاً بالاحوال الدينية وما يتفرع عنها رأساً . وذهب الى ان الشرائع المارونية تنطوي كلها في كتاب يدعى « مختصر الشريعة » لواضعه المطران عبدالله قرألي ، وقد اخذ معظمه عن كتاب « الناموس » ، وهذا مأخوذ بدوره عن كتاب الشرع الروماني المعروف بالكتاب « السوري الروماني » . ثم اخذ في الباب الثاني يبيّن ما اشتمل عليه كتاب المختصر ، فيورد جلّ موادّه مادة مادة ، ثم يقابلها بالشرع الروماني والشرع الاسلامي ، ولا يغفل ان يذكر احياناً ما جاء في صدد ذلك في المجمع اللبناني . وهو يدعوه القسم الاول (ص ١٠ — ٤٣) . ثم يعمد في الباب الثالث (ص ٤٣ — ٧١) وهو يدعوه القسم الثاني ، الى اثبات كون الشرائع التي نوّه عنها قد وضعت في موضع العمل . اخيرًا الباب الرابع (ص ٧١ — ١٠٦) وهو يدعوه : « ذيل في الموادّ المذهبية والاحوال الشخصية » ينطوي على سبع واربعين حجّة او بيّنة تثبت تسليم ولاة الامور الى الموارنة ، والى سائر الطوائف ، بالحق في الاحكام فيما يتعلّق بالاحوال الشخصية وخلافها .

هذا هو كتاب الاب زياده . وانت ترى مما تقدّم كم عانى حضرته من المشقّات في جمع شتات موادّه وشوارده لاثباتها بقالب شيّق ، وعبارة وجيزة ، الامر الذي يستحقّ عليه اعظم الشكر من ذوي العلم ، ولا غرو فالفضل يعرفه ذووه .

ولا يغبر نضارة التأليف ما جاء فيه من الشوائب . فالنقص لا ينفكّ عن الاعمال البشرية مهما بالغ المجتهدون في اتقان اعمالهم . وحضرة صاحب التأليف تراه مثل كل عالم يقول في مقدّمة كتابه ما نصّه « نقابل بخالص الشكر ما يتحفنا به القرّاء من التنبيه الى ما قد يقع فيه من الهفوات . »

والذي اراه انه يلزم في عدة ابواب زيادة اسهاب ، مع زيادة ايضاح ،

وتمحيص لزوال ما فيها من غموض وابهام ، او لزيادة الفوائد. وفي مواضع كثيرة يجب تنوير القارئ ، ولو بحاشية صغيرة ، لمعرفة امور لا يلزم ان تفترض معرفتها لدى جميع القراء. من ذلك مثلاً قوله ص ١٨ : «مجمع ضيعة موسى المنعقد سنة ١٥٩٨» فما هي هذه ضيعة موسى ، واين يوجد هذا المجمع ، ومن عقده؟... الى آخر ما هنالك. وكذلك ايضاً يجب شرح الكلمات والتعابير القديمة الواردة في المختصر كقوله ص ٢٠ : «وان امتنع قابض الاربون وفرك الموافقة ردّ ما قبضه مضاعفاً» فما معنى «فرك الموافقة» ؟ وما معنى «اربون» ؟ ثم مما يلزم الانتباه اليه تعريب بعض الكلمات من ذلك قول المؤلف ص ٦ «واللغة الفريغورية» ولا ريب في انه يقصد اللغة الكرجية (*Géorgienne*) لانه لا علم لنا بوجود لغة في الكون تدعى «غريغورية». كذلك ايضاً فقد جاء ص ٥ ما نصه : «اما الفتاوي فمنها ما هو مقتبس من الفقه الاسلامي ومنها ما هو مقتبس من القوانين التي اعتمدنا البحث فيها الآن والمثبتة في الكتاب المعروف «بكتاب مختصر الشريعة» وكان قد سبق وقال ، ص ٤ ، ان صاحب المختصر والفتاوي هو المطران عبدالله قرألي.

فلدي في مكتبتي الخاصة نسختان عن كتاب المختصر[1] ونسختان عن الفتاوي. وقد قابلت هذه مع الفتاوي المعروفة تحت اسم «الفتاوي الخيرية» التي جمعها ابرهيم بن سليمان بن محمد بن عبد العزيز عن الشيخ محي الدين ، وهذا يقول بدوره انه اخذها عن والده خير الدين الرملي — نسبة الى الرملة البيضاء — فوجدتها مأخوذة عنها حرفاً بحرف. اخيراً كان على المؤلف في مواضع كثيرة ان يلمح ، ولو بالاشارة ، الى ما هي عليه الامور حالياً ولا يكتفي بسرد ما كانت عليه قديماً ، دون ادنى اشارة الى الحاضر. ولكن كل هذا لا يحطّ من قدر الكتاب الثمين كما ذكرت آنفاً ، وربك ولي الصواب والهدى.

١) يوجد لاحدى هاتين النسختين الموجودتين عندي ملحق يقع في مائة وخمس وسبعين صفحة — خطت بالكرشوني في ٣١ كانون الاول سنة ١٧٦٨ مسيحية بمدرسة عينطورا . — يتضمن عدة مسائل لاهوتية قانونية كمعرفة واجبات القاضي ، وما يطلب منه ، وما هي التأديبات الكنائسية ، وما شاكل ذلك قد أخذت عن كتاب الاب اليسوعي الشهير بوسبادوم.

بحث في الفلسفة اللغوية

لحضرة الخوري بطرس البستاني

لحضرة اللغوي المعروف الخوري بطرس البستاني بحث جديد في الفلسفة اللغوية يؤيد فيه نظرية خاصة به مفادها ان يُستنتج معنى الكلمة بواسطة الحروف التي تتركب منها. وقد بدأ بحثه بحرف الثين مبيناً انه يدلّ على الخفاء اذا وقع في اول الكلمة. فرأينا ان ننشر توطئة هذا المؤلف النفيس ونردفها بمثال من موضوعاته ، رغبةً الى علماء اللغة من قرائنا الكرام ولا سيما المستشرقين منهم ، ان يبدوا آراءهم في هذه النظرية الجديدة.

يراد بالفلسفة اللغوية النظر في اوضاع اللغة وردّ فروعها الى اصولها ، وتمييز المعنى الحقيقي من المعنى المجازي ، واماطة النقاب عن سر الوضع ، واستجلاء مقاصد الواضع والاسلوب الذي جرى عليه في ابداع الالفاظ والتفنن في معانيها. فاذا احكم المرء هذه الصناعة وضع يده على اعنة اللغة ، فكانت له اسلس مقادةً من الفرس الذلول ، ولم يفته شيء من الأوابد والشوارد ، ويصيب الهدف في جميع مباحثه وتحقيقاته وتخريجاته اللغوية بحيث يصبح وكأنه ممن عاصروا واضعي اللغة وشهد حلقاتهم ، وسمع مباحثاتهم ، او كأنه قد تلقن منهم سرّ الوضع ، ووجوه التصرّف في الكلمات وطرق اشتقاقها واحسان استعمالها. ولا يغرب عن البصائر النيرة ما في هذه الصناعة من الغوامض والدقائق، وما تستلزمه من اطالة الرويّة وجودة النظر ، والتدقيق في البحث ، والتوغل في مجاهل الاستقراء والاستقصاء ، وما تستدعيه من الجهد الجاهد والعزيمة الصارمة، وادمان المطالعة ، وتصفّح امّات اللغة والغوص في اسفار اللغويين الأعلام الذين خاضوا عباب اللغة واخرجوا من غورها كثيراً من اللآلئ اليتيمة ، وأودعوها كتبهم منثورة بين اضعافها.

وانه ليتعذر على كل باحث أن يستشفّ كنه اللغة ، ويستبطن مسائلها

ويحيط علماً باوضاعها ، ويحسن التصرّف في الفاظها ، اذا لم يكن راسخ القدم في فنّ البيان ، متبحرًا في علم المجاز الذي هو مصباح اللغوي الوقاد ودليله الرشيد في مفاوز المعضلات. فاذا كان كليل النظر فيه ضلّ الطريق السويّ ، وكبا في جميع ابحاثه اللغوية الكبوة اثر الكبوة كأنه يخبط الليل الدامس، ولم يقوَ على كشف شيء من اسرار اللغة وضوابطها ، ولم يفقه معاني الكلمات على ما وضعها الواضع ، حتى لقد يحار في وجوه استعمالها ويعتاص عليه ان يضع كل كلمة في موضعها وينظمها في سمطها . ونحن اليوم في امسّ الحاجة الى اتقان هذه الصناعة من كل وجه ، حتى يتسنى لنا البحث عن تلك الكنوز المطمورة في دفائنها ، المذخورة في خزائنها من عهد بعيد ، وحتى يتاح لنا ان نفهم الالفاظ على وجهها ونحكم صياغتها.

وأعضاء المجامع العلمية هم ولا ريب من احوج الناس الى معرفة دقائق اللغة والتعمق في فلسفتها ، لانهم هم الامناء على هذه الوديعة الثمينة وعليهم المعوّل في وضع كلمات جديدة للمستحدثات العصرية. فاذا لم يكونوا من المطلعين على غوامض اللسان العربي والواقفين على اسراره ، لم يهتدوا الى الطريقة التي انتهجها السلف الصالح في وضع الالفاظ ، وركبوا متن الشطط واختاروا لتلك المستحدثات اوضاعاً نافرة عن مواضعها غريبة في بابها ، ينكرها العرب الخلصاء ايّ انكار ، اذا نُشروا من رموسهم وتغلغلت في اسماعهم.

ولا مشاحة ان اللغة بعد الفتوح الاسلامية قد اعتور الفاظها شيء من الفساد ودبّت الى طائفة منها عقارب العجمة لاختلاط الغزاة بالأعاجم. ولم يكن لذلك العهد الا القليل منها مذخوراً في خزائن الكتب ، فلم تمتد اليه ايدي التصحيف والتحريف والمسخ والافساد. فكان ان اثارت الحمية العربية فريقاً من اقطابها البلغاء فأوغلوا في الصحراء حيث يقطن العرب الصُرحاء ، وانشأوا يخالطونهم ويحادثونهم ويشافهونهم وينقلون عنهم كل ما يسمعونه منهم من الكلم والروايات والاشعار والمطارحات الى غير ذلك ، مما كان يحفظه سكان المدَر عن ظهر قلوبهم متناقلينه خلفاً عن سلف . فجمعوا منهم ما جمعوا مما نراه اليوم في المعجمات ، ودواوين الشعر ، واسفار البلاغة . ولا ريب ان الذي جمعوه هو

اقلّ مما كانت تتداوله القبائل العربية المشتتة في تلك الصحاري الشاسعة الاطراف. فضلاً عن ان كثيراً من الالفاظ قد ضاع على تراخي الايام مما كان معروفاً عند العرب العرباء الذين تواطأوا على وضع اللغة ، لان الحافظة مهما قويت هي اعجز من ان تقوى على ضبط لغة بلغت من الاتساع ابعد مدى . وبديهيٌ ان اللغة التي تدور على اسلات الالسنة في التخاطب والتفاهم لا يمكن ان تشمل جميع الالفاظ اللغوية ، على ما نراه اليوم في اللغات الحية ، مع انها لا تحوي من الكلم ربع ما يحويه لساننا العربي ، فكيف اذا ضممت الى الفاظ اللغة ما كان يرويه الرواة من المنظومات والاشعار مما يتعذر ضبطه على الراوية أيًّا كان ومهما بلغت حافظته. ولهذا بقي شيء كثير من الالفاظ التي لم تكتب والقياس يقضي بان تكون. فكان اهمالها ثلمة في جدران هذه اللغة ومدعاة الى الارتباك.

ومهما يكن من الامر فان عرب البادية الذين التقط منهم اولئك اللغويون ما التقطوه من الفرائد ، لم يكن للسواد الاعظم منهم المام بالفلسفة اللغوية ، ولا معرفة بسرّ الوضع لتقادم العهد بينهم وبين آبائهم واضعي اللغة. فلم يكن من ثمّ بدٌّ لاصحاب المعاجم في صدر الاسلام ، ومن عقبهم من اللغويين في خلال القرون الاربعة للهجرة ، من ان يسدّوا تلك الخلّة. فاخذوا يشرحون الالفاظ ، ويضعون اسفاراً للترادفات والفروق مستندين في ذلك الى معرفتهم اللغوية الراسخة ، والى ما انتهى اليهم من الشعر الجاهلي والمخضرمي والاسلامي ، والى القرآن والحديث ، حتى قُيّض لهم ان يصلوا باللغة الى الحدّ الذي هي عليه اليوم. ولولا هذا المسعى المبارك لباتت اللغة العربية ضرباً من المعميات والاحاجي ، وادرجت في الاكفان مع اللغات الميتة. فالحمد لله اولاً ، ثم لاولئك الأئمة على ما اذخروه لنا من نفائس الجواهر مما نسطره بمداد الشكر على صفحات الصدر ، ونخلد لهم الفضل الى يوم النشر.

على انهم مهما بذلوه من المجهود في هذه السبيل ، لا يزال كثير من الالفاظ تحت غمامة الغموض ولا يبرح في حاجة الى الشرح والتخريج حتى اصبح كتّاب هذا العصر في قبضة الحيرة لا يعرفون كيف يضعونها في مواضعها. وكأن اولئك اللغويين قد وضعوا معاجمهم لنفوسهم ، حتى ابقوا ذلك النقاب الصفيق على محيّاً

اللغة الوسيع وتركوا للاعقاب من بعدهم مركباً خشناً وطريقاً مستوعراً . ولا يخامرنا ادنى مرية في انهم لو شقوا حجاب الغيب وعرفوا ما يطرأ على اللسان من الطوارئ وعلى بنيه من الوهن والقصور ، ثم لو ادركوا ما سوف تنتجه القرائح من العلوم والفنون والاختراعات والاكتشافات، لذللوا تلك العقبات وكفونا اليوم مؤونة التنقير والتنقيب والتمحيص والتدقيق ، وردّوا عنا السهام التي يرشقنا بها الاغيار من ان لغتنا قد امست بعد تلك الاستنباطات الطريفة ، والمبتدعات الحديثة ، عقيمة قاصرة لا تفي بحاجات المتكلمين بها . وحسبنا بهذا التعبير مهمازاً لشحذ غرار العزائم ، واستثارة الهمم والاندفاع بكل قوانا لسدّ هذا الخلل ، والّا ازداد النشء العربي في هذا العصر نفوراً من اهم الرؤوم وعقوقاً لها .

او ليس من العار على المتضلعين من هذه اللغة الشريفة ، ولاسيما في هذا القطر الغاصّ بالجهابذة المحققين والعلماء المدققين ، ان يسترسلوا الى الدعة مؤثرين الوناء على العناء ، في حين ان اخوانهم ، في اكثر الاصقاع العربية ، قد نهضوا تلك النهضة المباركة ودبّت في صدورهم الحمية فتنافسوا في انشاء المجامع اللغوية والحلقات العلمية ، سدّاً للثلم الواسعة التي فغرها في بناء اللغة ما يشذّ عن الاحصاء من المخترعات في العلوم والفنون على تنوعها ، ممّا يكاد يؤلف لغةً مستقلّة بنفسها ، وممّا لم يكن له ادنى أثر على عهد اجدادنا الألبّاء الذين اورثونا هذا التراث الثمين الذي هو من اقدس الذخائر وانفس الاعلاق .

هذا وما من شيء أندى على كبدنا ، واشهى الى نفسنا ، من ان نرى نخبة علمائنا يتبارون في الباس اللغة برداً حضرياً قشيباً ليس فيه شيء من خيوط العجمة ، وأن يؤلفوا مشيخات علمية ينخرط في سلكها كبار الائمة الراسخون في المعارف اللسانية والبيانية ، المتبسطون في تاريخ العرب ، وقد حذقوا بعض اللغات الاجنبية الراقية ، واطلعوا على آداب كتّابها والمفكرين فيها حتى يتعاونوا ومن ينضم اليهم من الفقهاء والاطباء والفلكيين والرياضيين والمهندسين على إحداث كلمات جديدة لجميع الاستنباطات العصرية والمبتدعات الفكرية ، فيلحقوا لغتهم باللغات الحية ويجلسوها على العرش الجدير ببلاغتها الحريّ بجلالها .

ولقد غرس الله في فؤادنا منذ طراءة سننا اشد الميل الى لغتنا الشريفة حتى

همنا بها هياماً كاد يشغلنا عن عدة لغات اقتبسناها في ايام الدراسة فتفرغنا لتصفح طائفة كبيرة من كتب علمائها البلغاء منذ عصر الجاهلية الى عصرنا هذا. وأتيح لنا ان ندرك شيئاً من اسرار هذه اللغة فرأينا ان ننشره في سفر نجمع فيه الى ما استقيناه من تلك العيون الفيّاضة ، شيئاً من المعلومات التي اهتدينا اليها بالاستقراءات والاستقصاءات من زهاء ربع قرن ، لعلنا نؤدي لابناء الوطن المحبوب خدمةً يحلو لنا الاضطلاع بها.

وقصارى ما نرجوه من مكارم اللغويين السمحاء ، ان يطيلوا أناتهم لأن البحث جديد مبتكر . وكل جديد مستغرب ولاسيما عند ابناء الشرق الذين يميلون الى التقليد والجمود . فاذا عثروا في ابحاثنا وتخريجاتنا على شيء لا يقرّ رأيهم عليه ، فليدلوا الينا بحججهم ، ونحن لهم من الشاكرين . وهنا لا بدّ لنا من كلمة تمهيدية توقف المطالع على الطريقة التي تمشينا عليها فنقول :

ان العرب العرباء قد وضعوا لغتهم شيئاً فشيئاً ، وكان اول ما تواطأوا على وضعه الكلمات التي كانوا يشعرون بحاجتهم اليها اثناء التحادث ، وهو امر طبيعي . ثم كانوا كلما تقدموا في ميدان المعرفة ، يحدثون الفاظاً جديدة حتى نمت لغتهم ذلك النموّ المدهش.

وكل من يستقرئ الفاظ اللغة منعماً النظر في مدلولاتها ، يرى اكثرها يرجع الى اصلين كبيرين يتفرع عنهما ما لا يقع تحت حصر من الكلمات ، اولهما ما دلّ على معنى الخفاء او على شيء منه ، ويُدرج فيه كل الالفاظ الدالة على الاستتار والانحراف والاسراع وما يقرب من ذلك . واما الثاني فهو ما دل على الظهور ، ويندمج فيه كل ما دلّ على الوضوح والتفرّق والانفصال والاتساع والانتشار وما شاكل ذلك . وقد وضع العرب للمعنى الاول اي معنى الخفاء ، لفظة غاب من غابت الشمس اذا غربت ، وهي ادلّ الالفاظ على الخفاء وفرعوا عنها الوفاً من الالفاظ بطريق القلب والابدال كما يتضح لك ذلك في خلال بحثنا هذا. واما المعنى الثاني وهو الظهور فسنبسط الكلام عليه بعد فراغنا من البحث الاول.

ولا مندوحة لنا قبل الشروع في هذا البحث الخطير ، من ان نوقف القراء

على ان العرب عندما وضعوا موادّ اللغة قدموا في الوضع الاشياء المحسوسة على المعقولة . فاصبحت المحسوسات في كل مادة بمنزلة اصل للمعقولات. وكثيراً ما تكون المحسوسات في مادة واحدة متفرعة من محسوس آخر هو اصل لها. ثم راعوا العلاقة بين الاصول والفروع في جميع الالفاظ اللغوية كما راعاها البيانيون في المجاز ، فكل كلمة لا ترجع الى اصلها لا يكون للواضع فيها يدٌ . ولكنها دخلت الى متن اللغة من غير ابواب ، او انها وضعت بعد ان احتجب عن البصائر سرّ الوضع ، فخرجت عن القياس عاطلة من ذات الحلي النفيس الذي لولاه لما كان للغة هذه المكانة في الصدور. ونحن انما نعتمد في بحثنا هذا على المقيس لا على الشاذ. واننا نعتبر اللغة قياسية في الاصل وما شذّ من كلماتها عن القياس انما شذوذه إما لكونه من الدخيل ، او لفساد في نقله ، او لوضعه بعد ضياع سر الوضع او لسماعه من اناس لا يوثق بفصاحتهم ونقاء عروبتهم ، او غير ذلك مما لا يدخل في دائرة بحثنا . فاعلم من الآن هـذا فتكفي نفسك مؤونة تخطئتنا وتكفينا مؤونة الردّ عليك.

وهذه العلاقة بين الاصول والفروع ، يكفي ان تكون شبه علاقة حتى يرجع كل فرع الى اصله . وسينجلي لك ذلك أبين جلاء في غضون تفريعنا للالفاظ وتخريجنا لها ، وما معوّلنا الا على الله ملهم الرشد والصواب.

السلسلة الاولى

ومن ثمّ يبدأ السلسلة الاولى وفيها يدرس الالفاظ المبدوءة بالغين والمتفرّعة عن «غاب» بعد قلب لامه ، فيبيّن وجه الفناء في جميعها ، ويستدرك الكثير من المتروكات على اصحاب المعاجم من قدماء ومُحدثين. وها نحن ننشر ما يقول في «غاب» ومتفرعاتها.

غاب

ولقد فرّعوا عن فعل غاب ، من قولهم غابت الشمس ، معاني كثيرة تدلّ جميعها على الخفاء أبين دلالة حتى لا تفتقر الى الايضاح فقالوا: غاب الرجل ضد حضر. وغاب عن بلاده اذا سافر او بان عنها. وغاب الشيء في الشيء اذا اختفى فيه. وغاب الشي عن فلان اذا بعد وتوارى عنه.

ثم قالوا : غاب فلان فلاناً اذا ذكره اثناء غيابه بما فيه من السوء ، فاذا لم يكن فيه قيل: بهته بهتاً وبهتاناً اي قذفه بالباطل وقال عليه ما لم يفعله . او يقال : وقع فيه وقيعة ، اي تناوله بما ليس فيه او ذكر فيه ما ليس حقاً.

مزيدات

أغاب

أغاب القوم: دخلوا في المغيب . واغابت المرأة اذا غاب عنها بعلها او احد من اهلها فهي مُغيب او مُغيبة.وضده المرأة المُشهد وهي التي حضر زوجها

اغتاب

وقالوا اغتاب فلان فلاناً ، اذا عابه اثناء غيابه وذكره بما يكره من العيوب وهو حقّ اي صادق.واسم المصدر منه الغِيبة بكسر الغين ، واما الغَيبة بفتحها فهي مصدر غاب الذي هو في معناه.

غيّب

وقالوا غيّب الرجل الشيء عن فلان ، أبعده وواراه . وغيّبه في الارض وغيرها اخفاه . ومنه قولهم غيّب الميتَ غيابُه اي واراه ، والغياب القبر . وهو مجاز عقلي اسند فيه الفعل الى المكان وهو الغياب . واما في الحقيقة فهو مسند الى من دفنوه في غيابه اي قبره . فيكون الاصل : غيب القوم الميت في غيابه اي دفنوه فيه . وقد وردت هذه العبارة في المعاجم على هذا الشكل : غيب فلاناً غيابُهُ : دُفن في قبره . ولا يخلو هذا التفسير من بعض الالتباس ولاسيما على الناشئين الذين يصعب عليهم ان يفرقوا بين المجاز العقلي والاسناد الحقيقي.

تغيّب

وقالوا : تغيب الرجل عن بلده اذا بان عنه وسافر ، وتغيّب عني فلان اي غاب.وتغيب عني الامر بطن وخفي

غايب

وقالوا: غايب فلان فلاناً ضد خاطبه.ولم يرد هذا الفعل في «لسان العرب» بل ورد مصدره حيث قال: المغايبة خلاف المخاطبة.ولم يزد عليه حتى ترك عقدة مستحكمة.والذي نراه ان «غايب» هذا بمعنى غاب . فاذا قلت. لصديقك: علامَ

غايبتي في محنتي يكون المعنى علام غبتَ عني. وقد جاء في «الاساس» ما نصه: « وتقول انا معكم لا اغايبكم » فانه يريد بذلك انه لا يغيب عنهم ولا يفارقهم. وليس لهذه العبارة غير وجه من التأويل.

ومما يزيد المسألة جلاء ان الضمير انما سمي ضمير خطاب لان صاحبه يكون حاضراً عندما يوجه اليه المتكلم الحديث ، او في حكم الحاضر اي كأنه حاضر ، وذلك كأن يخاطب المتكلم شخصاً غائباً عنه ولكنه يتصوره في حضرته امام . واما ضمير الغيبة فانما سُمي كذلك لان صاحبه يكون في الغالب غائباً عن المتخاطبين وقت المحادثة ، او في حكم الغائب لانه لا يوجه اليه الخطاب. فاذا عرفت هذا يتبين لك المراد من قولهم « المغايبة خلاف المخاطبة ، وغايبه ضد خاطبه. » لان المخاطبة تفيد الحضور والمغايبة تفيد الغياب ، وكلاهما متضادان. وما كان اغنانا عن هذا التخريج لو فسر اصحاب المعاجم غايب بغاب والمغايبة بمصدره وهو الغياب. على انه ليس تحت هذا الامر كبير طائل لان غايب نادر الاستعمال ولنا في غاب مرادفه غنى عنه فهو اشيع منه استعمالاً وافصح لغة واسلس لفظاً. ونحن لم نتبسط في هذه المسألة الا لنثبت ما في المعاجم من الغموض ونلفت انظار اعضاء الندوة اللغوية الى جلاء كل ابهام.

الاسماء المتفرعة عن الغيب مصدر غاب

الغيب(١)

الغيب : كل ما غاب عنك . ومنه قولهم : يؤمنون بالغيب . وسمعت صوتاً من وراء الغيب اي من موضع لا اراه.

والغيب : السرّ لأنه مكنون في الصدور . ويأتي في معنى الشك ايضاً. ووجهُ الخفاء فيه ان المرء لا يرتاب في شيء ما لم يكن غامضاً عليه غموضاً يولد في فؤاده الريبة . فاذا كان جلياً فلا مجال للشك.

والغيب من الارض : ما اطمأنّ منها اي سهل وانخفض فتيّك.

(١) اثبتنا هنا الاسم الذي هو اصل المادة ثم الحقنا به الالفاظ المتفرعة عنه ليسهل رد الفرع الى اصله. وكذا فعلنا عند ذكر فعله. وسنجري على هذا النمط في جميع الالفاظ ، وان خالفنا فيه نسق المعجمات الحديثة.

والغيب من الجُبّ: قعره. والقعر من كل شيء خفيٌّ مستور لا يظهر ما فيه.

الغَيبة

الغيبة: الوهدة من الارض اي المكان المنخفض والهوّة. ووجهُ الخفاء فيها ظاهر.

الغابة

الغابة: الوهدة من الارض. والأجمة ذات الشجر المتكاثف. ووجه الخفاء فيها كونها تغيّب من يكون تحت اشجارها او يتوغل فيها اي يذهب ويبعد.

والغابة: الجمع من الناس. وهذا المعنى متفرّع عن المعنى السابق على سبيل المجاز لان الجمع الكثير يشبه اشجار الغابة من حيث الكثرة والازدحام. امّا وجهُ الخفاء فيه فهو ان الذي يكون في هذا الجمع يضيع بين افراده ويختفي فيهم بحيث لا يُهتدى اليه الّا بشقّ النفس، كما يضيع المتغلغل في الغابة بين ادواحها المتلاصقة وتحت اغصانها المتشاجرة المتكاثفة. وايّ شيء ادلّ من هذه الكلمة على معنى الخفاء، بل اية علاقة اقوى من هذه العلاقة بين الفرع والاصل اي بين الجمع من الناس والغابة.

وجمع الغابة الغاب والغابات: غير ان الاول ليس بجمع حقيقي كالثاني، بل هو اسم جنس يُفرق بينه وبين مفرده بالتاء التي يسمونها تاء الوحدة. ويقال له شبه الجمع او اسم الجنس الجمعيّ. فاذا دلّ على حيوان كان بعضه مذكّرًا نحو طار الحمام وبعضه مؤنثًا نحو رعت الغنم. واذا دلّ على غيره اطّرد فيه التذكير فتقول اثمر النخل، وطاب التمر، وغاب كثيف، وروض اريض، وثمر يانع، ونجم وقّاد، وسحاب مكفهرّ.

واصل الغابة غَيَبة قُلبت ياؤها الفًا لتحرّكها وانفتاح ما قبلها. وجمع فَعَلة على فعل كثير في اللغة ومنه عجلة عجل، ونسمة نسَم، ونعمة نعم، واجمة اجم، واكمة اكم، واسلة اسل، وعلقة علق، وصدفة صدف، ورَحبة رَحب.

وقد جاء من الأجوف على هذه الصيغة من الجمع كثير من الالفاظ مثل ساحة ساح، وحاجة حاج، وساعة ساع، وراحة راح (وهي باطن الكف)، كما جاء من الناقص على الصيغة نفسها كثير من الكلمات قد جمعت هذا الجمع مثل نواة نوى وحصاة حصى ودواة دوى ومهاة مَها، الى غير ذلك ممّا يكاد لا

يُحصر . فعلامَ يقول الصرفيون في باب جمع المؤنث المكسَّر ان كل كلمة على فَعَلة (بفتح الفاء والعين) تجمع غالباً على فعال مثل ساعة سياع ورقبة رقاب . ولم يرد ذكر في كتبهم لفَعَل جمع فَعَلة (بفتح الفاء والعين فيهما) . أفما كان الاجدر بهم ألّا يحصروا جمعها في فِعال او يقولوا على الاقل انها تجمع غالباً على فعال واحياناً على فَعَل . على ان ما ذكرناه من الكلمات على وزن فعلة وجمعها فَعَل هو جزء مما يحضرنا اقتصرنا عليه تفادياً من الاطالة .

الغَيبان (بفتح الغين)

الغيبان من الشجرة : عروقها التي تغيَّب في الارض . ومن النبات : ما غاب عن الشمس فلم تُصبه . ويصحّ ان تطلق هذه اللفظة على النبات الذي يُرَبّى او يعيش في الظلّ . وذلك كالنبتة التي يسمّيها العامّة « حشيشة الغيّ » وان يسمّى المكان الذي يُوارى فيه أي يُغيَّب عن اشعة الشمس « المغيَّب » او « المنبَّت » من نبَّت الزارع النبات اذا ربّاه واعتنى به . ولا نرى بأساً من ان يُدعى الظلّي نسبة الى الظلّ وان تُسمَّى جميع النبتات من هذا النوع « الظلّيات ». واسم المكان منه « المُظَلّ »

الغَيّاب

الغَياب من الشجر : عروقه التي تغيب في الارض . والغياب ايضاً القبر وقد مرّ . ووجه الخفاء فيه أبين من ان يُصرّح به لانه يغيّب الميت متى دفن فيه . ولم يرد في المعاجم جمع له . وكونه في الاصل مصدراً لا ينافي ذلك . فقد جمعوا الرمس على رموس وأرماس والقبر على قبور وكلاهما مصدر في الاصل وكان حقّه ان يجمع على افعلة . وهو الجمع الغالب في كل موصوف مفتوح الفاء ممدود الالف مثل زمان ازمنة . ولعله لم ينتهِ الينا جمعه لتقصير في النقل اولكون العرب استغنوا عن جمعه بجموع مترادفاته وهي اكثر دوراناً على السنتهم واقلامهم .

وهنا مجال للنظر في جمع رمس على ارماس ، فقد جاء في كتب الصرف ان ما كان على فَعْل لا يجمع على افعال ما لم يكن معتلّ العين مثل ثوب اثواب وسيف اسياف . او معتلّ الفاء مثل وقت اوقات ، او مهموزها مثل ألف آلاف ، او مضاعفاً مثل عمّ اعمام . ولمّا كان الرمس وما جاء على وزنه من

الاسماء قد جُمع على افعال وليس فيه شيء مما ذكر ، رأينا ان نستفتي شيخنا العلامة عبدالله البستاني سراج اللغة الوهّاج ، فحججنا ذات يوم كعبة ادبه في رهط من عشّاق اللسان العربي فاذا به مكبٌّ على تعهُّد « بستانه » الخصيب الفيّاح . فبعد ان حيّيناه بالامامة اللغوية وردّها علينا بما عهد به من طلاقة المحيّا وابتسامة الثغر ورحابة الصدر ، دار الحديث في تلك الحلقة الادبية على افعال جمع فعل فقلنا : ما رأيك يا شيخ في انهار وازهار وما شاكلها من الجموع مما جاء مفردها على فَعْل . قال : لا بأس في ذلك ولا نكير . وذلك ان بعض القبائل العربية كانت تحرّك عين فَعْل في بعض الاسماء للتخفيف فتجمعه على افعال وهو جمعه المطّرد . وبعضها كان يبقيها على اصلها فيجمعها اما على فعول مثل دهر دهور او على افعُل مثل نهر أنهُر . واكثر ما كان التحريك يقع فيما كانت عينه من حروف الحلق . غير انه ليس بمطّرد فلم يقولوا مثلاً في بحر بَحَر فيجمعوه على ابحار ولا في شهر شهَر فيجمعوه على اشهار .

قلنا : وما قولك فيما كان على شاكلة ارماس وأشكال وأضراب وأنجال ، مما ورد مفرده في اللغة على فَعْل بتسكين العين لا بتحريكها وعينه ليست حلقية . قال : انما راعوا في هذه الاسماء واشباهها المشاكلة بين المترادفات . فقد حملوا الرمس على الجدَث فقالوا ارماس كما قالوا اجداث . وحملوا الشكل على الشَبَه (بفتح الباء) فقالوا الاشكال كما قالوا الاشباه وحملوا الضرب على المَثَل (بفتح الثاء) ومعناه الشبه والمثل فقالوا الاضراب كما قالوا الامثال . وحملوا النجل على الولد فقالوا انجال كما قالوا اولاد . ومثله النسل وهو مرادف للولد فقد قالوا فيه انسال . وحملُ النظير على النظير شائع مستفيض في اللغة . اهـ .

قلنا : او ما كان الاجدر بالصرفيين ان يذللوا هذه العقبة في اصول اللغة فيقولوا في فَعْل انه يجمع غالباً على افعُل مثل نفس انفُس ، وعلى فعول مثل قلب قلوب ، واحياناً على افعال مثل لحن الحان وفرخ افراخ وزند ازناد ، ونادراً على فعال مثل بحر بحار .

وعمرك الله كيف لا يحق لصيغة افعال ان تضم الى جموع فَعْل (بتسكين العين) وفي اللغة ما ينيف على ثلاثمائة لفظة تجمع على هذه الصيغة ومفردها فَعْل

هذا وقد ورد في متن اللغة كثير من الالفاظ في معنى القبر منها ما هو مألوف كالرمس والمدفن والضريح والتربة والحجرة والجدث . ومنها ما هو غير مألوف ولكن لا بأس من استعماله كالحفير والحفرة والغياب والجفن والرَجمة (بفتح الراء) . ومنها ما هو مهجور والاكفان أليق به ، كالجثوة والجدف والوتيرة . وقد جاءت الرُجمة (بضم الراء) للحجارة او للعلامة التي تنصب على القبر . واما الجبّانة فهي المقبرة اي موضع القبور .

على ان بعضهم يعتبر الحفرة من مترادفات القبر وهي ليست كذلك . لان الحفرة في الاصل ما حُفر في الارض وهو عام يشمل القبر وغيره . فاذا سُمي بها القبر كان ذلك من تسمية العام بالخاص وهو مجاز مرسل . والعلاقة بين العام والخاص علاقة شمول اي ان العام يشمل الخاص ويجعله في دائرته .

ومنهم من يظن اللحد مرادفاً للقبر وهو في الحقيقة الشقّ المائل يكون في جانبه اي جانب القبر . واطلاقه على القبر مجاز مرسل ايضاً من باب اطلاق الجزء على الكل . والعلاقة بين الاجزاء ومجموعها أبين من ان تُذكر .

* * *

وعلى هذه الطريقة من الوضوح ودقة الملاحظة يتتبع سائر الالفاظ المبدوءة بالنون مثل : غاث الراوي واليائي ، ومشتقات غاد ، وغار الراوي واليائي ، وما يشتق من غاس ، وغاص ، وغاض ، وغاط ، وغاظ ، وغاغ ، وغاف ، وغال الراوي واليائي ، وغام ، وغان ، وغوي ، وغيًّا .

ثم يبدأ السلسلة الثانية واولها غبّ ، فنبث ، وغير الى آخر ما هنالك ، متتبّعاً حروف المعجم في ترتيبه ، ذاكرًا جميع ما ورد في المعاجم من المشتقات ، مستدركاً عليها ما لم يورد وامكن وجوده ، مما يزيد نظريته فائدة في عيون دارسي اللغة .

شقاء الاولاد الصغار

في روسية

بقلم الاب توتل اليسوعي

هو الله مبدع الانسان ، ومؤسس العائلة ، قال لأبوينا الاولين ولذريتهما : « اثمروا وتكاثروا » وربطهما بعقدة الزواج العديمة الانفصام ، حفظاً لحياة البنين وتربيتهم ؛ واعلن في الوصية الرابعة الواجبات المتبادلة بين الابوين والبنين صيانةً لبقاء الجنس البشري. وجاء المسيح ، فلم يغيّر الناموس القديم ، بل تممه فجعل الزواج سرّاً من اسرار البيعة السبعة وحرّم الطلاق وقال : « ما جمعه الله لن يفرقه انسان » (متى ١٩ : ٦ ؛ مر ١١ : ٩) ورمق البنين خاصة بعين حنان الهي ورأفة لا حد لها ، فتهدّد باشدّ العقوبات من يجرأ على اذاهم وقال : « من شكك احد هؤلاء الصغار المؤمنين بي فاجدر له لو عُلّق في عنقه حجر الرحى وزجّ في لجة البحر » (متى ١٨ : ٦) فلا عجب من ثم ان نرى الكنيسة الكاثوليكية تتمسك بالمبدأ الالهي ، فتعلن وحدة الزواج وقداسته ، وتراعي حقوق الابوين وتعظمهما كما عظمهما الخالق بالوصية الرابعة ، وتبذل قصارى جهدها في العناية بالاولاد منذ دخولهم العالم : فتحتضنهم بالمعمودية ، وتثبتهم بنعمة الله بالميرون ، وتسنّ في سبيل صالحهم الروحي والمادي سائر الشرائع ، التي من شأنها ان تحفظ لله جيلاً مختاراً وامةً مقدسة. » (١ بطر ٢ : ٩)

اما البلاشفة الشيوعيون فمن جملة ما اقترفوه على الحياة الاجتماعية من الجنايات انهم سحقوا نظام العائلة ، وجرّدوا الابوين من سلطتهما ، واتخذوا الناشئة آلة اختبارية لتطبيق مباديهم الجنونية ، واستعبدوها في سبيل الدعاية الى الشيوعية

والمكافحة عن الثورة العامة التي يبغون اثارتها في العالم . واليك ملخصات اقوالهم :

« ان العائلة انما هي اختراع من مخترعات الكنيسة ، ونظام غرضه مجاراة الفئة الغنية على امبالها بالتمتع برغد العيش ورفاهيته . فمن واجب الشيوعيين اتلاف العائلة ... ولا بد لهم لبلوغ غرضهم من ان يقبضوا على زمام الامرأة ... فيجب اذن عليهم ان ينتزعوها من بيتها ، ويميتوا فيها عاطفة الانانية وغريزة الحب الامومي.» وقالوا : « لا بأس من كيان الزواج لكنه لا يربط الزوجين بواجب حقيقي متبادل ولا يضطرهم الى السكنى معاً او الى حفظ العهود . ويكفي ان يعرب احدهما عن ارادته بالطلاق لكي يتم الطلاق شرعاً ... »

وبلغ من البلاشفة الكبرياء وعماء البصيرة الى الاشادة بباديهم على رؤوس الملا ، والدعاية الى اعتناقها ، زاعمين انها الدواء الشافي لادوائنا الاجتماعية وانها قديرة ان تُعيد للجنس البشري عصره الذهبي بل ترجع به الى سعادة الفردوس واليك حادث مصداقاً لكلامنا :

في ١٤ نيسان من العام ١٩١٨ ، قام تروتسكي احد زعماء بلشفية موسكو وخطب في جمهور من العمال ، فقال :

« اننا سننشيء دولة الاخاء . وهذه الدولة هي الارض التي اورثتناها الطبيعة . فنأتي على استنباط خيرات الارض طبقاً لمبادي التضامن ، فنقلب وجهها ونجعلها جنة وحية غناء ، ومرتعاً يمرح فيها اولادنا كانها الفردوس ! كانت ايام آمن فيها البشر بحقيقة الاساطير الفردوسية . لكن ايمانهم لم يكن الا اضغاث احلام وعنواناً لتلهف نفس الانسان الاسيرة شغفاً بحياة حسنى ... اما نحن فنقول ان تلك الجنة سنخلقها على الارض بايدي العمال وسوف تكون مفتوحة للجميع لاولادكم واولاد اولادكم على مدى الدهور »[1]

ومما يؤسف له كثيراً ان بعض المجلات والصحف العربية تعلق بكل

1) Rézanof, *la 3e Internationale communiste. Le Komintern. Bossard, 1922. p 17*

حديث مستظرف وتشيد به ، وغايتها القصوى ان تلهي القراء بكل ما امكنها من حسن او قبيح فتقصّ عليهم من اخبار البلشفية ، ومن حركات التجدد في البلاد المسكوبية ، وترقية الامة وتعليمها ، ما يوهم السذج ان هناك نهضةً ورقياً . اما الحقيقة فان بلاد المسكوب التاعسة اخذت تبيد عن بكرة ابيها لان دودة الخراب تنخر عظامها بشخص بنيها التاعسين ، كأن لعنة المسيح حلّت عليها . كيف لا وقد زعزعت اركان العائلة ، وشككت الاولادَ الصغار فاصبحوا اولاد افاعٍ ، وانقلبوا على امهم الرؤوم شرّ منقلب : نشأوا قطيعاً هائلاً يهيم على وجهه في مشارق البلاد ومغاربها ، يجرّ الاوبئة والدمار ويقف شاهداً حياً على انحطاط الاداب ، فيسم جبهة البلاد الروسية بسمة الذلّ والعار . وسوف نرى ان حكومة السوفيات نفسها صارت تنظر الى امر الاولاد المتروكين بحيرة وخشية وان الصحافة والمجلّات لا تأتي على حديث في بلاد المسكوب الا وتذكر فيه الاولاد المتروكين عبرة وانذاراً

* * *

في العام ١٩٢٨ ظهر كتاب عنوانه « موسكو على المكشوف » الفه رجل قضى خمساً وثلاثين سنة في روسية ، فكان في الماضي قنصل بلجكة فيها ، ثم ندب ممثلاً لجمعيات الاسعاف التي تألفت لاغاثة المنكوبين في روسية . هذا الرجل هو مسيو جوزف دويه[1] وصف حالة الانحطاط الادبي الذي صارت اليه بلاد السوفيات فقال . (وجه ١٠٣) :

قد يكون تأثير العائلة ونفوذ الابوين حائلاً دون بلوغ المدرسة البلشفية غايتها من نفث سمّها في الناشئة واسقاطها في دركات العار ؛ ولكن اين العائلة؟ واين هما الابوان للاولاد الايتام او المتروكين؟

سلبت البلشفية الافراد حقوق الملك ، فسنيت الفقر المدقع ، وطرحت سكان قرى برمتها فريسة للجوع . اما الذين نجوا من مخالبه فتاهوا في البراري والمدن ، ملتمسين لقمة يسدّون بها رمقهم . هلك الكبار في التيار الهائل ، وعاش الصغار . فتكوّنت منهم نواة ما عتمت ان نمت وتفاقم شرها بسبب

(١) Joseph Douillet : *Moscou sans voiles*. Paris, 1928

البلشفية . لان حكومة السوفيات ، باعلانها سقوط العائلة وحلها عقدة الزواج ، فكّت اواصر القرابة ، واخرجت البنين عن طاعة الابوين وارسلتهم على وجوههم فمضوا وانضموا الى الهاربين من براثن الجوع وصاروا آفةً من آفات البلاد اذ اصبحوا جيشاً جرارًا دأبه الخراب.

احصت مجلة العالمين عددهم فقالت : لقد اختلفوا في احصائهم . فقالوا انهم كانوا ملايين بين ١٩٢٢ و ١٩٢٤ وقالوا بضع مئات الوف ، او عشرات الوف، في العام ١٩٢٥ .

ونشرت الموسوعة السوفياتية ، للعام ١٩٢٨ ، احصاء الاولاد المتروكين فقالت انهم ٣٣٤٠٠٠ . ان البون لشاسع بين احصاء واحصاء. فما هي الحقيقة ؟ هي ان الحكومة قلّلت عدد الاولاد المتروكين خشية من إثارة الرأي العام في البلاد عليها.

والاعداد الضخمة اقرب الى الحقيقة . جاء في اعمال مؤتمر السوفيات الثالث عشر (١٩٢٧) : « نقصنا الاولاد المتروكين في المراكز العظمى ، فتوهم الناس انهم قلّوا عددًا في البلاد كافةً . ولكن اخبار الولايات تبدّد الاوهام . » وفي العام ١٩٢٨ ، اعترفت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي بان الاولاد المتروكين في شوارع المدن فقط يحصون بالالوف. وقالت جريدة البرافدا: « لا مغالاة بالقول ان عدد المتروكين من الاولاد الى اليوم لا يزال يحصى بالملايين. »

كيف يعيش هؤلاء البائسون . ليس منهم في ملاجئ الحكومة الا فئة صغيرة. اما السواد الاعظم منهم فيسيحون في البلاد : يقصدون الى اماكن الاصطياف ، شمالًا في فصل الحر ، ثم يرجعون على اعقابهم ويرحلون الى الجنوب ايام الشتاء . وقد يفضلون الاقامة في المدن وخاصة في موسكو على امل ان يجدوا فيها معيشتهم بطرائق سهلة ؛ وقد يدفعهم اليها احيانًا رغبتهم بالعلم ورجاؤهم بدخول مدرسة. فيجولون الشوارع ويستعطون ويسرقون ويحتالون على ايجاد مأواهم في الليل. الى اين الذهاب ؟ الى البيوت الخراب ، الى المحطات في حافلات القطار الحديدية ، الى اينما حصلوا على مسقوف او محل دافئ ولو جوف قدر الاسفلت الواسعة المخصصة لطبخ اسفلت الطرقات ، وعلى هذا المنهج

يسلكون في موسكو وفي غيرها من المدن الكبرى كلينتغراد وقازان وسامرى ورستوف واودسا.

ويلاه ! الى اي عمق هبط البلشفيون بالناشئة الروسية . وما اشد قساوتهم على الاولاد الصغار ! ان هؤلاء المساكين المتروكين اغلبهم من عائلات العمال والفلاحين وهم بازدياد يوماً على يوم. جرى احصاء سنة ١٩٢٧ ، جاء فيه ان ١٥ بالمئة من المتروكين عمرهم يتراوح بين الثلاث والسبع سنوات ؛ و٥٧ بين الثامنة والثالثة عشرة. وهذا دليل واضح على انهم جاؤوا الى الوجود على عهد البلاشفة فلا حبذا عهد التوحش والذل !

وان من كان البلاشفة اوصياءهم صاروا مرتعاً للمفاسد والرذائل . فانتشرت في مصاف الاولاد المتروكين جراثيم الامراض الجسدية والروحية: السكر ، والقمار ، وشرب المخدرات كالكوكايين ، وتسربت في عروقهم سموم الامراض الزهرية . وزادتهم حالتهم الرثة وفقرهم المدقع وقاحة ونشاطاً على ارتكاب الجنايات . فابتدأوا بسرقة الخبز واستحلوا مال الحرام . وصاروا يتواطئون على السيدات في الطرق يعدو احدهم بسرعة الباشق فينتزع الكيس الذي في يدها ، واذا قاومته عضها بنابه ويا ويلها من عضة المتعصب الصغير المصاب بالامراض المعدية.

ورب صغير بينهم لم يردعه رادع عن ارتكاب القتل . فيا لها من ناشئة تعساء. يا لها من أمة بائرة !

وضعوا لائحة الجرائم في الجمهورية الاشتراكية المتحدة السوفيتية المسكوبية فكان عدد الجنايات التي ارتكبها الاولاد المتروكون خارجاً عن موسكو ٢٩,٥٢٧ منها ١٣,٦٤١ سرقات خيل . ٨٨ سرقات بالسلاح ، ومنها ٢٦٥ اضرامات النار تعمداً ، و ١١٨ قتل و ٣٢٤ تقطيع اعضاء وجروحات . و ٢٣٦ جريمة ضد الاداب.

وكان بين ١١٨ قاتل ، عشرون يتراوح عمرهم بين عشرة واثنتي عشرة سنة ، واثنان وعشرون دون السنة العاشرة من عمرهم. وكانت نكبات الحريق تقريباً كلها من صنيع اولاد لم يتجاوز عمرهم الحادية عشرة.

اما في موسكو فقد احضروا عام ١٩٢٥ امام لجنة القضاء للغير بالغين رشدهم ٢٤٤٥ ولداً كان منهم ٤٠٠ مريض و ١١٤ معتلاً من تأثير المخدرات و ١٦ مريضاً بالسيفيلس و ٥٥ معتوهاً.

وفي العام ١٩٢٦ بين ١٠٢ ولداً من المتروكين المعروضين للفحص كان اثنان فقط لا يستعملان المخدرات . ومن ١٩٢١ الى ١٩٢٤ وقف خمسون الفاً امام لجنة القضاء للاحداث وكان منهم خمسة بالمئة مصابين بالامراض المعدية.

نعم ان حكومة السوفيات فتحت ملاجئ للاولاد المتروكين ولكن عددها وتجهيزها دون المطلوب بما لا يقدر. ان اثنين واربعين بالمئة من الملاجئ ليس فيها اسرة كافية لعدد الاولاد فينام هؤلاء اثنين او ثلاثة في سرير واحد. وقد عششت فيها الحشرات كالقمل والبق والبراغيث، وهي ناقصة من الحاجيات الضرورية لصحة الاولاد وتعليمهم . والشاهد على الحالة التعيسة المخيمة على ملاجئ الحكومة هي الصحافة البلشفية نفسها : وصفت الملجأ السابع عشر في مدينة قازان فقالت : «هي غرفة صغيرة ملؤها فرشات لا الحفة عليها . هناك خرق بالية عوض الكتان . وفي كل سرير ولدان . والفرشات محشوة حشيشاً يابساً منتناً كريه الرائحة . وبالقرب من الشبابيك برك مياه تجمعت من ذوبان الثلج . ساقوا الاولاد الى الحمام في الربيع مرة واحدة فقط ، وانقطعوا من ثم عن تغسيلهم . وليس في الملجأ حنفية. وكل يوم في الساعة السابعة صباحاً ، وفي البرد القارس ، يتراكض الاولاد عارين في الطريق ليغتسلوا بالحنفيات العمومية.»

ومن هم المعلمون في تلك المعاهد ؟ منهم المعلم هكيسوف وقد طُرد من وظيفته لما اثبت عليه من الجنايات المخالفة للآداب ... وادت الحالة التعيسة ببعض البنات الى الانتحار للتخلص من الحمل والولادة ! ومنهم استاذ آخر ! هو سيدر الشيوعي الذي لا ينفك عن الضرب وهو يكتسي ويكسي عائلته بالاقمشة التي ارسلها المحسنون للاولاد . اما هؤلاء المساكين فليس عليهم الا لباس الكتان في قلب الشتاء ، ولا بدلة لهم ، ولا احذية ، وهم في حاجة الى من يعلمهم النظافة ويعتني بهم . وقد اصبحت دور المنامة والاقامة في الملاجئ اشبه بالمراحيض.

وهذه الحالة على تعاستها تتفاقم يوماً فيوماً ، لان السوفيات عاجزون عن مواصلة اسعاف الاولاد المتروكين. كان عدد اللاجئين منهم الى دور الحكومة ٥٤٠,٠٠٠ سنة ١٩٢١. ثم صار ٢٥٢,٣١٧ عام ١٩٢٣ ، الى ان بلغ ٢٠٠,٠٠٠ عام ١٩٢٧ ، فتقلص ظلهم في الملاجئ ، لا عن قلة عددهم في البلاد وهم فيها ملايين كما بينّا سابقاً ، ولكن لانهم لم يستطيعوا الصبر على مصاعب ملاجئ الحكومة . فمن هذه الادلة كفاية للشهادة على النظام السوفياتي الحالي بانه عاجز عن مداواة الداء ، وايواء الاولاد المتروكين وتزويدهم بما يحتاجون اليه من العناية في سبيل تربيتهم نفساً وجسداً.

وفي كلامنا حجة دامغة على ان الذين نقضوا نظام العائلة ، وهدّدوا سلطة الابوين وشككوا الصغار ، استمطروا على نفوسهم لعنة المسيح ومقت البشر.

ولعلك تهزّ رأسك ، ايها القارئ اللبيب ، وتقول : لقد خلت في بلادنا الشرقية كوارث عدة ، امّا البلشفية فنحن آمنون شرّها والحمد لله !

ولكن هل خطر على بالك أن للبلشفية يداً عاملة في الشرق ، وان لها فيه جيشاً لا يستهان بعدده . في العام ١٩٢١ احصوا عدد الجيش الشيوعي الدولي فكان في مصافّه ١٥٠٥ من سكان مصر ، و ٥٠٠ من سكان فلسطين ، و ٢٠٠٠ من اهل العجم ، و ٥٠٠٠ من غيرهم.

ونشرت الصحف في حينها[1] اخبار علاقات الثوّار السوريين مع الشيوعيين الافرنسيين المتفقين مع موسكو على احداث الثورة البشرية العامة . وأكّد لنا الخبراء[2] ان البلشفية هي المناصرة لكل عناصر الاضطراب في الشرق ، والمعادية لروح الانتدابات كافةً ، لا طمعاً بان تكتسب للبلاد الشرقية استقلالها ولكن لتسقطها في وهدة الفوضى كما نشاهد الامر في افغانستان. فيصير الشرقيون بين يديها آلة هائلة تنفخ نيران الحروب على العالم . فليس اذن خطر البلشفية بعيداً عنا ، كما انه ليس بعيداً عن سائر العالم . ولذلك دعانا الاب الاقدس في رسالة الصلاة ، في شهر آذار ، الى الابتهال طالبين من الله عز وجل ان يكسر شوكة الشيوعيين الملحدين ويعطي العالم الامن والسلام.

١) المشرق ١٩٢٩ ص : ٦٦ ٢) P. Gautherot, *le monde communiste. Paris, 1925*

الحياة النسكية في لبنان

محاضرة القاها

في نادي الشبيبة الكاثوليكية

الخوري بطرس غالب

ان من اعجب مظاهر الحياة الكاثوليكية في هذه البلاد الحياة النسكية. ولكن لا سبيل الى ان ندرك بعض الادراك ما كان عليه من البطولة الزهاد الذين انتحلوها فجنوا بمحبة الصليب ، وساروا شوطاً بعيداً في طريق الكمال الانجيلي الّا بتفرسنا بمحياهم الوضّاح الساطع بنور التضحيات اليومية ، والتجرّد التام ، والانقطاع الكامل عن العالم ، وحرمان الذات ما جاز التمتع به من خيرات هذه الدنيا. لذا قد انتقيت ثلاثة حبساء عاشوا في ثلاثة اعصر مختلفة ، كانوا فيها مثالاً حيًّا للحياة النسكية ، يرمون الى اماني واحدة وغاية واحدة ، وان تنوّعت الطرق التي سلكوها بلوغاً اليها.

كانت حياتهم الباطنة تنيرها نعمة خاصة تشفّ عنها اعمالهم اليومية ؛ ورغم عراكهم الشديد المتواصل ضد عدوّ خلاصهم ، كنت ترى الفرح مشرقاً على وجوههم. فكان اولئك الناصبون الشديدو المراس الذين توخوا فتح ملكوت السماوات من اودع الناس ، والطفهم معشراً ؛ وكان لجنونهم من الجاذبية ما جمع حولهم مئات التلاميذ.

١

احد اولئك الثلاثة مارون الناسك الذي تُمجّد له الكنيسة المارونية في ٩ شباط : فانه قد بلغ في حياته مبلغاً من البسالة اهّله لان يكون اباً للحياة النسكية في بلاد قورش ، ثم في لبنان الكبير ، بواسطة تلاميذه ؛ ومؤسساً لطائفة ما انفكت امينة لصليب يسوع ، ومخصبة بالنسّاك والحبساء.

عاش مارون خارج الحدود اللبنانية ، لكن مثله وشهرته جلبا الزائرين من البلدان المجاورة ، فرجع عـدد غفير منهم مطهرًا بأريج قداسته ، ومعمرًا بما رآه من اعمال الزهد ، وصرف بعضهم شطرًا من حياتهم بجـانبه ، ثم انحازوا الى الجوار فاعتزلوا في رؤوس الجبال او في المغاور ، ناسجين على منواله في التقشف وشظف العيش.

الى هؤلاء التلاميذ اشار تودوريطس ، اسقف قورش ، حين ذكر ، في تاريخ الجبناء الذي ألفه ، بستان القداسة الشهي بثماره اللذيذة الذي غرسه مارون في نواحي قورش. اختار هذا الجبيس العظيم معتزلًا على قمة جبل في هيكل كان في القديم مكرسًا لعبادة الشياطين ، وربما كان مؤسسوه من اجداد اليزيدية . فبنى له كوخًا كان يأوي اليه احيانًا من العواصف والامطار. وانقطع الى التأمل وممارسة الاماتات المدهشة . فقص اولًا شعره — لان الجبناء يبتـدئون بقص الشعر ثم يرسلونه ولا يقصونه فيما بعد — ولبس المسح مكتفيًا من الغـذاء بالعشب ، ممتنعًا عن الثمار لا يشرب سوى الماء القراح . وكان يصرف وقته في الصـلاة ويعاقب جسده اشدّ العقاب ساهرًا ليله لا يخصص للنوم من وقته الا مـا كان ضروريًا للراحـة . فلا تجده الّا غائصًا في لجة الصلاة العقلية ، او عاكفًا بلذة سماوية على تلاوة السواعي في مواقيتها ، او مكبًّا على قراءة الاسفار الالهية.

على انه وان نفر على قمة الجبل ارادةً ان يقطع كل علاقة تصله بالعالم ، ما لبث ان رأى محبسته اصبحت محطًا لرحال الزائرين . فـان شهرة فضائله ، وعرف قداسته ، ذاعتا حتى في الاماكن القاصية ، فتقاطر اليه الناس من كل بلاد قورش وما جاورها : سقاء وخطاة ، وتعساء ، وراغبون في الكمال الانجيلي. فاخذ يتزايد عدد تلاميذه ، وقد ذكر تاودوريطس اشهرهم فضيلةً وتقشفًا ، فانهم ما اكتفوا بالتشبه بمعلمهم ، بل تفننوا في الاماتة مستنبطين طرق جديدة يذلون بها الطبيعة. فعلى انقاض المادة واجسادهم اقاموا بنـاء حياتهم الروحية في معزل عن ضوضاء العالم وبعيدًا عن جرائيمه القتالة.

ولا يخطر على قلب بشر ما اخترعوه ، لرغبتهم في التضحية ، من وسائل اماتة الشهوات . فانهم كانوا يصرفون حياتهم في الفضـاء لا يرضون ان يحجب عن

ابصارهم السماء التي يتوقون اليها ستارٌ ولو سقفاً يقيهم البرد والحرّ.

وها انا ذاكرٌ لكم اسماء البعض من اولئك النساك القديسين تلاميذ القديس مارون.

فان منهم ، على ما شهد لهم القديس مارون نفسه ، من فاقوه زهداً في الدنيا ، وصرامة على النفس ، وتمكناً في القداسة ، من مثل زابينا الذي التمس مارون بركته لفرط اجلاله اياه.

ولم يكن اقل منه بطولةً يعقوب الذي وصفه تلودوريطس بانه جدير بكل مديح. تقفى اثر معلمه وازدان بجميع الفضائل. حبس نفسه في شقّ ضيّق واكبّ على الاماتة والصلاة ، فلما كثر زائروه وخشي ان يشوشوا عليه نظام رياضاته الروحية اليومية ، غادر مغارته واوغل في الجبل ، فاقام في موضع بعيد يعيش فيه في الخلاء معرّضاً جسده الليل والنهار للتقلبات الجوية. وعلى بدنه مسح من شعر غليظ ، وفي ساقيه قيود من حديد ، يقتات بيسير من عدس مبلول. نيفاً وثماني وثلاثين سنة استمرّ على هذا العيش الذي يرعبنا مجرد ذكره ، ويملأ انفسنا تعجباً.

امّا زميله ليناوس فحبس نفسه ايضاً في شقّ صخر لا يزيد على ان يسعه واقفاً على قدميه. ولا سقف من فوقه ، ولا جُنّةٌ تقيه الرياح والمطر وحرّ النهار. وكان الزوّار يأتونه من كل صوب وهو لا يملك صدّهم عنه. فصنع كوّةً صغيرة في حائط سجنه يحدّث منها طالبي نصحه وارشاده ومعونته. نزلت به علة بدنية فابى ان يُقف المها بعلاج. ولسعته افعى في جسمه ، فصبر على شدة الاوجاع. واولد عنده ازدياد الالم والضنك ازدياد السرور.

وجعل عدد الاعلّاء اللاجئين اليه يتزيّد ، فانشأ مأوى للعميان وذوي العاهات والمعوزين والغرباء ممن يأتون الجبل اجتناء اثمار عنايته. وكان يهيّ نفقات المأوى مما تجود به رحمة المؤمنين ، ويغتنمها فرصةً لبعث اولئك المساكين على تسبيح الله وتمجيد اسمه القدوس.

ان هؤلاء النساك الذين نتمثلهم كاناس نفروا من معاشرة بني جلدتهم ، او كجنود انهزموا من ساحة معركة الحياة ، ما كانوا قط يضيعون وقتهم او

يلتمسون الراحة بعيداً عن المعارك اليومية بل يعيشون عيشة الابطال المشفقين على الغريب . يهتمون بالابدان توسلاً الى نفع الارواح. ان القداسة تطمح بفتح القلوب ، ولها الجرأة والاقدام لتوكلها على الله . فقبل ان توجد «مؤسسات الاسعاف العام» جعل النساك المنفردون على قمم الجبال وفي بطون الاودية يجلبون الاعانات الى الاعلاء والغرباء ، مذكرين المسيحيين بما يجب عليهم من التعاون على الحياة.

اما يوحنا السائح فحبس نفسه في كهفٍ مدة خمسة وتسعين يوماً. ثم خرج الى جبلٍ اقام على ذروته خمساً وعشرين سنة ، هدفاً لتقلبات الفصول ، قوته الخبز والملح ، وكسوته مسح من شعر الماعز تجمعها معاً صفائح ثقيلة من حديد. تحنن عليه صديقٌ فغرس لوزةً بالقرب من موضع كان الحبيس يأخذ فيه يسيراً من الراحة ، فلما كبرت الشجرة قطعها الحبيس ليبعد عن خاطره كل تجربة قد تطرأ عليه للتمتع بالظلّ او بثمر اللوز.

اما الناسكان انطيوخوس وانطونيوس فليست سيرتها اقل غرابة . فان الاول بنى حائطاً في وسط صخر . والآخر انفرد على ذروة جبل عالٍ . وكان كلٌّ منها يصرف نهاره منتصباً على قدميه ، يتأمل ، ويميت شهواته ، ويكبد جسده عذاب الجوع والعطش . ولم يكن وقر السنين ، ولا وهن ابدانها بصرامة النسك الهائل ، ليفتّا من عزمها الذي تعضده نعمة الله.

وكان اكثر اولئك النساك يدفعون الناس بمثل الوسيلة الآتية وهي انهم كانوا يحملون على اكتافهم خشبة ثقيلة فاذا اثقل الناس اجفانهم لشدة التعب وطول السهر تسقط الخشبة الى الارض فيهرب الناس من صوت وقعها.

ومتى اصبحت اجسامهم المنهكة غير قادرة على اطفاء ما بهم من ظماء الى التضحية كان المسيح المصلوب الذي اوحى اليهم ذلك العيش الغريب يدعوهم الى ملكوته ليكللهم بمجد القديسين.

وماذا نقول في النساك العموديين الذين اختاروا ان يعيشوا عيشة غريبة الصرامة ، فصرف بعضهم العمر على رأس عمودٍ ، والبعض الآخر في تجويف شجرة او على افنانها ؟ انعدّهم من ذوي الحماقة والتطرّف ، كما عدّهم من قبل

بعض اساقفة انطاكية وروسا. كهنتها ؟ ما ابله الحكمة البشرية التي تقيس على قامتها اولئك النساك جبابرة الحياة الروحية ! ان الله ما لبث ان صنع العجائب على ايدي هؤلاء العموديين وسكان الشجر ، واعلن فضائلهم السامية كي يراها اشد الناس عناداً ويعلموا ان تلك السيرة تروقه عزّ وجل . وانه اذا لم يكن الجميع مدعوّين اليها ، فعليهم ان ينظروا اليها بعين التعجب والاستحسان ويعرفوا ان الروح القدس قد اوحى بها .

وقد يخطر ببال بعض المتشدقين ان يتهموا اولئك النساك بشدة النزوع الى الاستقلال . غير ان التجربة كانت تريهم انهم كانوا من اشدّ ابناء الكنيسة طاعةً وخضوعاً . فانهم لدى اول اشارة تبدو من رئيسهم الشرعي ، كانوا يتركون منسكهم وعمودهم وشجرتهم ، ويقبلون بطيب نفس الى ما يصرفهم اليه الاساقفة من وعظ او مجادلة لاهوتية او صنع اعجوبة تأمرهم الطاعة باجتراحها

ولا يقم في وهمكم ان اولئك الجبا. كانوا جهالاً ، بل انهم كانوا مولعين بالدرس مستمرّين على طلب العلم . فالتأمل مقروناً بالصلاة وبنعمة الله كان يكشف لهم عن اسرار الاسفار المقدسة .

وكانوا مرسلين يهبط عدد كبير منهم الى ابواب لبنان وينسلّ في هذا البلد عن طريق عكار ولبنان الشمالي ، ومنهم القديس سمعان العامودي الذي يُروى عنه انه زار الجبّة .

وقد اوردت[1] القصّة التي جا. فيها ان هذا العمودي العظيم قد انتهى حتى الى بشراي بدعوة من سكان ذلك الاقليم وكانوا لا يزالون على عبادة الاوثان . وذلك ان وحوشاً ضارية كانت تعيث فساداً في بلدهم ففزعوا الى الناسك القديس ، فامرهم ان ينصبوا على تخوم ارضهم حجارة ينقشون فيها صلباناً . فلما فعلوا ذلك توارت الضواري والزحافات المؤذية .

ونما عدد النساك في لبنان لان كل ما في لبنان ، ولاسيما الوادي المقدس (قديشا) ، يدعو الى التأمل وتسبيح الخالق القدير : جمال الوادي ، زمجرة المياه تجري متدافعة الى البحر ، صفير الرياح يتغلغل في المنعطفات ، الصخور الشاهقة التي

١) المشرق (٢٦ [١٩٢٨] ٣٦٣)

تتألف منها اسوار ذلك المعقل معقل الحياة النسكية وقد فرّقت يد الطبيعة الاشجار في اخاديدها ، اريج الارز المحيي تحمله نسمات السحر والاصيل وتعطّر به ارجاء النهر المقدس ، السماء تارة صافية تتوقد فيها مصابيح النجوم وتارة مكفهرة متلبدة بالغيوم الحبالى بالصواعق والعواصف ، زقزقة العصافير ما بين الورق والرتم والازهار الحقلية . تلك قدرة الخالق تتجلى في كتاب الطبيعة الكبير . والحبساء يدرسون ذلك الكتاب وينعمون النظر فيه . كل شيء يتعرّى في نظرهم من ثوب المادة الثقيل لانهم اذ آثروا الفلسفة الالهية ، هدموا بكل سرعة ودون تردد الحاجز الكثيف الذي اقامته الهيولى بينهم وبين الروح . فهؤلاء الناس عليهم مسحة المسكنة والذل لكنهم من اعظم الحكماء ومن اكابر ابطال الروح .

وهذا سرّ الجاذب الذي كان يُميلُ اليهم الناس حتى اشدهم تعلقاً بالمادة ، ويذكرهم ان لهم نفساً كما للناس وان تلك النفس مخلوقة لغاية سامية .

تغلّب فيهم الروح على المادة فجعلهم رسلاً تجلى عملهم الرسولي في اربعة اقطار المسكونة ، وفي كل الازمنة .

٢

اما المثال الثاني السيرة النسكية في لبنان فيقدمه لنا القرن السادس عشر . ان هذا الحبيس هو ايضاً من تلاميذ القديس مارون . ويدعى يونان المتريتي نسبة الى متريت مسقط رأسه وهي قرية في لبنان الشمالي .

حارب اللحم والدم مدة خمسين سنة ، فاحرزت نفسه بابلائها في قتال الجسد اكليل المجاهدين الابطال .

لم يكن يأكل الا مرّة في اليومين . وكان طعامه شيئاً من الحبوب المسلوقة بالماء . امّا في الصوم الاربعيني فما كان يذوق غذاء الّا يومي السبت والاحد ، ويمتدّ صومهُ من العنصرة الى الميلاد ومن عيد الدنح الى الفصح . وكان تصرفه مطابقاً لروح الكنيسة حتى في اماتاته وتقشفاته . ولم يكن يشرب الماء الا يوم السبت ولا يشربه الا صرفاً ، وان كانت المحابس لا تخلو من جيّد الخمر . وكان في سبة الآلام يسجد اربعاً وعشرين الف سجدة ، وفي سائر ايام الصوم يركع حتى يجري عرقه . ولا تجهلون ان العرق لا يجري بسهولة من

جسم هزله السهر والصوم واشغال الحقل الشاقة . وكان في تلك الركعات ، المعروفة عند النساك والرهبان بالمطانيات ، يرتّل المزمور المئة والثامن والاربعين وما يليه ، وتسبحة الفتيان الثلاثة في الاتون.

يا له تفسيراً بديعاً لهذه التسابيح المرتّلة تكريماً للخالق تنطق به بلسان حالها طبيعة تلك الاودية والجبال المقفرة وتلك السماء المشرقة ثم القاتمة :

« سبحوا الرب من السماوات ! سبحوهُ في الاعالي ! سبحيه يا سماء السماوات ، ويا ايتها المياه التي فوق السماوات ! سبحي الرب من الارض ايتها التنانين وجميع الغمار ! النار والبرد ، الثلج والضباب ، الريح العاصفة الممضية كلمته . الجبال وجميع التلال . الشجر المثمر وجميع الارز . الوحوش وجميع البهائم . الدبابات والطيور ذات الاجنحة ، فان اسمه وحده عالٍ ، وجلاله فوق الارض والسماوات !

« باركي الرب يا جميع اعمال الرب ، ايتها السماوات والمياه وكل ما فوق السماوات ! باركي الرب يا قوات الرب ! ايها الشمس والقمر ، يا نجومَ السماء وجميع الامطار والاندا. ، ايتها الارواح التي يقيّدها الرب ، ايتها النار والحرُّ ، ايها البردُ والجليد ، ايها الصقيع والثلج ، ايها الليل والنهار ، ايها النور والظلمة ، ايتها البروق والسُحب ، ايتها الجبال والتلال انبتة الارض ، ايتها الينابيع والبحار والانهار ، الحيتان وطيور السماء ، الوحوش والبهائم ، القطعان وبني البشر ، كهنة الرب وعبيده ، ارواح ونفوس الصديقين ، ايها القديسون والمتواضعو القلوب ، سبحوا الرب وباركوه ومجدوه ! »

ينشد الحبيس هذه الآيات وفي ختام كلٍ منها يركع مطانية ، وهو يقول: ولك يليق المجد يا الله !

وكان يونان على سيرته الصارمة وقسوته على نفسه محلّى برحمة وحنوّ لا نظير لها وقد عالج ان يكتب سيرته تلميذه جبرايل الاهدني . لكنه ما شرع يخطّ حياة معلمه حتى ثبت عجزه فطرح القلم من يده ، مكتفياً بكتابة ما يلي معتذراً قال : « ها اني انا الحقير ارمي القلم من يدي الخاطئة لئلا يقول القارئ كيف ان هذه الشجرة المثمرة اخرجت هذه الثمرة الغضة المرة . » عنى

بالشجرة المثمرة يونان وبالثمرة المرة تلميذه.

وعزّز الرب قداسة يونان بموهبة صنع الآيات ، فكان مرةً ان نفد الزيت من المحبسة فصلّى الحبيس فامتلأت الخابية وطفحت ، فاستولت الدهشة على تلميذه وصار لا يدري ما يفتكر. فالتفت اليه معلمهُ وقال: مجّد ربنا يسوع المسيح ، وانظر الى عجائبه على يد احقر عبيده. واوصاهُ ألّا يخبر احدًا بذلك قبل ان يتوفاهُ الله.

ولما احسّ رجل الله بدنوّ اجله وانعتاقه من قيود هذه الحياة الفانية ، ارسل الى بطريركهِ يطلب بركته ، فجاء البطريرك نفسهُ وشهد ساعة وفاته . فلما خرجت نفسه طائرة الى السماء ، بدرت الجموع الى المحبسة يلتمسون بركة من كانوا يكرمونه كوليّ ويطلبون شفاعته.

وللحبيس يونان تلاميذ كثيرون . منهم يوحنا اللحفدي الذي خدم ، وهو مريض وناحل البدن ، معلمه القديس مدّة اربع عشرة سنة . وكان في اسبوع الآلام يركع ستًا وعشرين الف ركعة. وقد ظهر له معلمه المتوفى وعزّاهُ ودعاهُ الى وليمة الحمَل.

ومنهم جبرايل الاهدني . وهذا تراءى له معلمه يونان وامرهُ ان ينشر صخرةً كانت تعوقه عن توسيع كنيسة دير قزحيا . فنفّذ جبرايل امر معلمه وبحسب رغبته اليه بنى في الكنيسة ثلاثة مذابح احدها على اسم السيدة العذراء ، والثاني على اسم القديس انطونيوس ، والثالث على اسم القديس مكاريوس . وجاء في التاريخ: «ان الحبيس العظيم جبرائيل كان رجلًا متقشفاً جدًا يركع الف ركعة في اليوم ولا يذوق الماء مطلقاً من ابتداء الصوم الى خميس الاسرار. ومع كل هذه الاتعاب والتقشفات والصلوات العقلية المستطيلة لم ينقطع عن نسخ الكتب اليمية حتى ملأ جبل لبنان كتباً من خطه الجميل.»

لم يكن هذا النسخ بالعمل الهيّن . فان الناسخ مع ما كان يكابده من القعود القرفصاء ساعات عديدة ، ومن ضبط العقل الضروري لنسخ الكتب الطقسية من وجه الدقة المطلوبة . كان يلذه ان يتلو مراراً في اليوم المزامير ومياصر آباء الكنيسة تكريماً للجلال الالهي ، وللعذراء القديسة ، والشهداء القديسين

ويظهر ان شهرة قداسة هؤلاء الجبناء قد بلغت الى الغرب بدليل ان فرنسوا دي شمطويل وافى لبنان واقام في تلك المحابس اثنتي عشرة سنة مكباً على درس الكتاب المقدس بلغته الافرنسية . وعاكفاً على الصلاة العقلية وانواع الامساتات الجسمية المختلفة ، وكان صديقاً للبطريرك العلامة جرجس عميره الذي استاهل بتقواه وعلمه ان يلقبه البابا بلقب « نور في كنيسة المشرق ».

ومغارة حوقا القائمة كوكر النسر تجاه تزحيا لا يزال يفوح منها عطر فضائل ذلك الرجل الذي جاءت مشوراته الحكيمة باعظم فائدة للطائفة المارونية في ايامها العصيبة . كما ان محبستي القديسين يعقوب وسركيس في اهدن ما برحتا تحفظان الى اليوم ذكرى ذلك الحبيس الافرنسي ، الذي تقفى سيرته النسكية اربعة آخرون من بني جلدته انقطعوا الى الله في مناسك لبنان.

وبين جبناء قديشا كان يُنتخب بطاركة الطائفة المارونية واساقفتها . ولم يزل البطاركة والاساقفة الى ايامنا هذه يغطّون رؤوسهم بالاسكيم (غطاء رأس الراهب) تذكيراً للاساقفة انهم حين يقبلون كمال الكهنوت ، يلتزمون سيرة النسك والاماتة على مثال الجبناء الذين اوجدوا الطائفة المارونية.

وكان عدد الجبناء يزداد مع السنين وتكثر المحابس بازديادهم فاقتضى ذلك انشاء زيارة وادارة عامة ، لما يترتب عليها من توفر المنافع وحسن النظام وكان الجبناء اول من شعر بتلك الحاجة . فاقاموا منهم واحداً سموه رئيس المحابس وعهدوا اليه بالسهر على القانون والتهذيب. وكانوا يقلدون هذه الرئاسة رجالاً امتازوا بالقداسة ، او جمعوا بين القداسة والعلم كرئيس اساقفة دمشق سركيس الرزي تلميذ مدرسة رومية المارونية الذي أُخذ من المحبسة وأُكره على قبول مطرانية دمشق . وهذا امر يندر حدوثه ، ثم استدعي الى رومية لترؤس اللجنة التي الفها الحبر الاعظم لاعادة النظر في ترجمة الكتاب المقدس.

(للبحث صلة)

دولة العلويين

بقلم الاب لامنس اليسوعي

لا نخال احداً ينسبنا الى المبالغة اذا قلنا ان كثيراً من اللبنانيين والسوريين يعرفون بلاد اميركة واوستراليا اكثر مما يعرفون بعض مقاطعات من بلادهم . وكم من اللبنانيين لا يلمّون ، او يلمّون بطريقة سطحية ، بتاريخ الدولة التي تحدّ لبنانهم من الشمال ! وكم منهم يعرفون حالتها الحاضرة بالتفصيل ! ليس من الصعب ان نعدّ على الاصابع الذين زاروا تلك البلاد ، وشاهدوا كل ما امتازت به من كنوز الآثار الرائعة ، ومظاهر التقدّم الاقتصادي السريع . حتى اصبحت تلك الدولة ، بفضل الحكم الفرنساوي ، ارض اختبار تستفيد منه بلدان الشرق الادنى عامة ، ولبناننا خاصّة . أوَليس من الغريب ان يأتي الاجانب من البلاد القاصية فيزوروا آثار العلويين بينا نحن ، على مقربة من تلك الآثار ، نقلّد بعض سكان القاهرة الذين يحيون ويموتون ولا يرون الاهرام الّا من سطوح دورهم !

ان عدم المبالاة بما حولنا من الآثار قد كان له ما يجيزه قبل الحرب . اذ لم يكن من السهل ان يسافر الانسان في بلاد العلويين ، وقد تركها الحكم التركي في مؤخرة مقاطعات سورية مدنيّةً وعمراناً ، حتى كان الجائل فيها يرى انها لم تتقدم قيد شبر عمّا كانت عليه في القرون الوسطى ، ويلمس من ثمّ ما كان يُفسد حكم الاتراك من المبادئ المقرّرة لدى الباب العالي وهي ان الشعوب الجاهلة اسلس قياداً ، واسرع خضوعاً لحاكميهم . هذا فضلاً عن رغبة حكام الامس في تذليل العلويين وعقابهم على انهم لم يتحمّسوا للنظام التركي . فلم

يكن من طرق في بلادهم سوى بعض المجازات ، اذا استثنينا طريق المركبات الواصلة بين طرطوس واللاذقية ، على شاطئ البحر. اما الامن فكان أبعد من ان يبلغ المبتغى . ولهذا فلم يكن يجسر على المجازفة بدخول تلك البلاد الا بعض اصحاب الجرأة من علماء الآثار القديمة ، على الرغم مما كان يبذله الاهلون من حسن الضيافة التي تحققناها مراراً اثناء رحلاتنا من ١٨٩٩ الى ١٩٠٤

اما في ايامنا فقد انقلبت تماماً هيئة تلك البلاد . اصبحت الطرقات تخطط نواحيها فتجري عليها السيارات اي ساعة شئت ، وفي اي فصل من السنة اردت . وعلى الكثير من الطرق المعالم الدالة على الجهة والبعد . اما اشهرها فطريق اللاذقية - حلب وهي تجتاز النهر الكبير على جسر من البتون المقوى يشتمل على قنطرتين سعة كل منها اربعون متراً . وغدت الكهرباء تنير عاصمة البلاد ، مدينة اللاذقية ، وغيرها من المدن المهمة كجبلة وصافيتا . وكذلك توزعت مراكز البريد والبرق وشعبها في جميع اطراف الدولة . وأنشئ للتلفون ايضاً مراكز في المحال المهمة. وقد لا يكون في شرقنا بلدٌ اسرع فيه التقدم إسراعه في بلاد العلويين. فان جميع الذين زاروا مؤخراً هذه الدولة الفتية ، رجعوا مأخوذين بتلك الخطوة في سبيل النجاح التي خطتها في بضع سنوات. وان النتائج الحسنة الحاصلة في زراعة القطن التي بلغت قيمتها خمسة اضعاف في مدة سنة ، واتساع دائرة الاعتماد الزراعي ، واعمال الري التي يخصص لها كل فائضات الموازنة ، وتوسيع مرفأ اللاذقية ، وسائر مشاريع تنظيم المقاطعات والتحسين البلدي ، الخ . كل ذلك يبشر بخير مستقبل لتلك الدولة ، ويشهد بفضل الحكومة التي تديرها ، فتخلصها من العقبات المتعددة التي يوفرها في غيرها من البلاد تدخل الاهلين بالسياسة ، وتسير بها في سبيل العمل الجدي المنتج الى محجة الرفاهية والهناء . فيا لسعادة العلويين اذ لا مجلس لهم ولا نواب. يعرقلون الامور ! ويا لسعادة دولة تخصص نصف موازنتها للشؤون الاقتصادية ، وللاشغال العامة ، اذ ليس عليها ان تعول جيشاً من عتماء الموظفين !

كثيراً ما سمعنا الذين زاروا اللاذقية قبيل الحرب يقولون انها مدينة قذرة حقيرة . وهكذا رأيناها سنة ١٩٠٤ . اما اليوم فقد اصبح فيها حيٌ اوربي

تخترقه وتحيط به الشوارع المنتظمة بين الميناء والمدينة القديمة . وهي مُنارة بالاضواء الكهربائية ، وقد وُزّعت في بيوتها المياه الصالحة للشرب ، وجُعلت لها المجاري على طريقة عصرية ، وفُتحت فيها الشوارع الواسعة تتصل بالبحر ، واعتني بحديقتها العمومية . حتى اصبحت تظهر بمظهر المدينة اللطيفة الجميلة ، فتحسدها على اشياء عديدة عاصمة جمهوريتنا . واننا نتحقق هذا الجمال اذا قابلنا لاذقية اليوم بما كانت عليه قبل خمس وعشرين سنة ، حين زرناها فاذا بها خالية من الحياة والحركة ، واذا بمرفأها الصغير مقفر الّا من بعض القوارب . وقد سرّنا اليوم ان حكومتها تفكر بتوسيع المرفأ وببناء صقالة تبلغ المائتي متر طولاً .

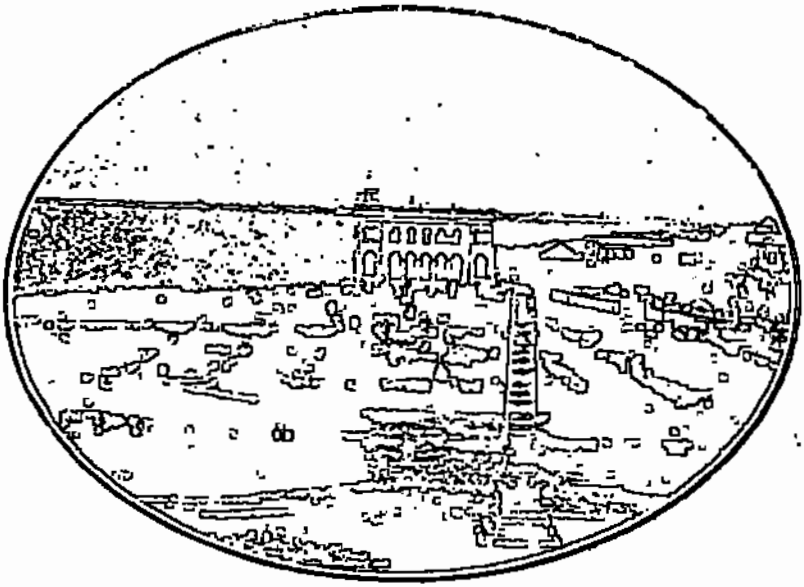

اللاذقية : الحديقة العمومية ، ومركز السياحة
(تصوير جاكر)

لا يخفى ان مستقبل بلاد العلويين يستند الى الزراعة ويزدهر بازدهارها . ولهذا صرفت حكومتها كلّ اهتمامها في هذا السبيل فتقدّمت زراعتها تقدّماً محسوساً . فزاد عدد مغروسات التوت ١٠٠,٠٠٠ نصبة ، ومغروسات الزيتون ٦٠,٠٠٠ في سنة واحدة . ولم يكن يُزرع ، في سنة ١٩٢٠ ، سوى نوع واحد من القطن من الصنف الدون ذي الالياف القصيرة ، ولم تكن تتجاوز

مساحة الارض المزروعة الـ ١٠٠ هكتار . اما اليوم فقد استبدل بذاك الصنف انواع جيدة من القطن الاميركي والمصري وزادت مساحة ارضه حتى بلغت ٣٠٠٠ هكتار ، وهو يُزرع خاصة في سهول جبلة واللاذقية . وفي كل من هاتين المدينتين معامل للحلج . ولا تفتأ الحكومة تنشط الزراعة ، فتعفي بعض المزروعات من الضرائب ، وتشتري البذار الصالح فتعين به المزارعين . وتعمل على تحريج الارض الجرداء ، بينا نحن نكتفي بالكلام في الموضوع ، وقد عيّنت ١٧ موظفاً للسهر على اعمال التحريج والمحافظة على الغابات التي مساحتها ٧٠,٠٠٠ هكتار . اما كنوز البلاد المعدنية فاهمها معادن الاسفلت الموجودة قرب طريق اللاذقية - حلب ، على نحو اربعين كيلومتراً من اللاذقية . وقد نالت احدى الشركات حق الامتياز باستخراج هذا المعدن

هذا ومن شاء من قرائنا الكرام زيادة ايضاح عن دولة العلويين ، عليه بكتاب جميل قيّم خصّه بتلك البلاد حضرة الليوتنان الكولونيل پول جاكو[1] ، قائد عساكر تلك الدولة سابقاً . فجمع فيه عدداً مهماً من المستندات عن هذه البلاد المجهولة ، واخرج منها تاليفاً شيقاً فيه كل ما يُعرف عنها من حيث الجغرافية ، والتاريخ ، والآثار . واضاف اليه نتائج ملاحظاته واختباراته ، مزيّنة بسلسلة من بيانات الرحلات غاية في الدقة والضبط . فوفّر بذلك اللذة للسائح الغريب ، والفائدة لرجل العمل . وبينا كنا نقرأ هذه الصفحات الملأى بالاعجاب ، كنّا نراجع في فكرتنا منظر المشاهد الخلّابة التي متعنا العين بها منذ ربع قرن يومَ لم تكن الارض تعرف اساليب النقل العصرية . اما اليوم فان السيارة تتكفل بايصال المسافر الى جميع ما يهته منظره من الآثار . وقد شاقتنا تلك الذكريات بواسطة هذا الدليل الامين ، فاستقينا من كتابه اهم موادّ هذا المقال ، وقد تفضّل واتحفنا برسومه الخمسة

ذكرنا ان اهم ما يستجلب الزوّار الى تلك البلاد ، ما فيها من آثار قديمة يجلّلها الزمان بغباره . واطرف ما في تلك الآثار جزيرة رواد العجيبة التي

1) Lieutenant Colonel Paul Jacquot, *l'État des Alaouites, terre d'art, de souvenirs et de mystère; guide touristique. Beyrouth, Imprimerie catholique, 1929, XVII-291.*

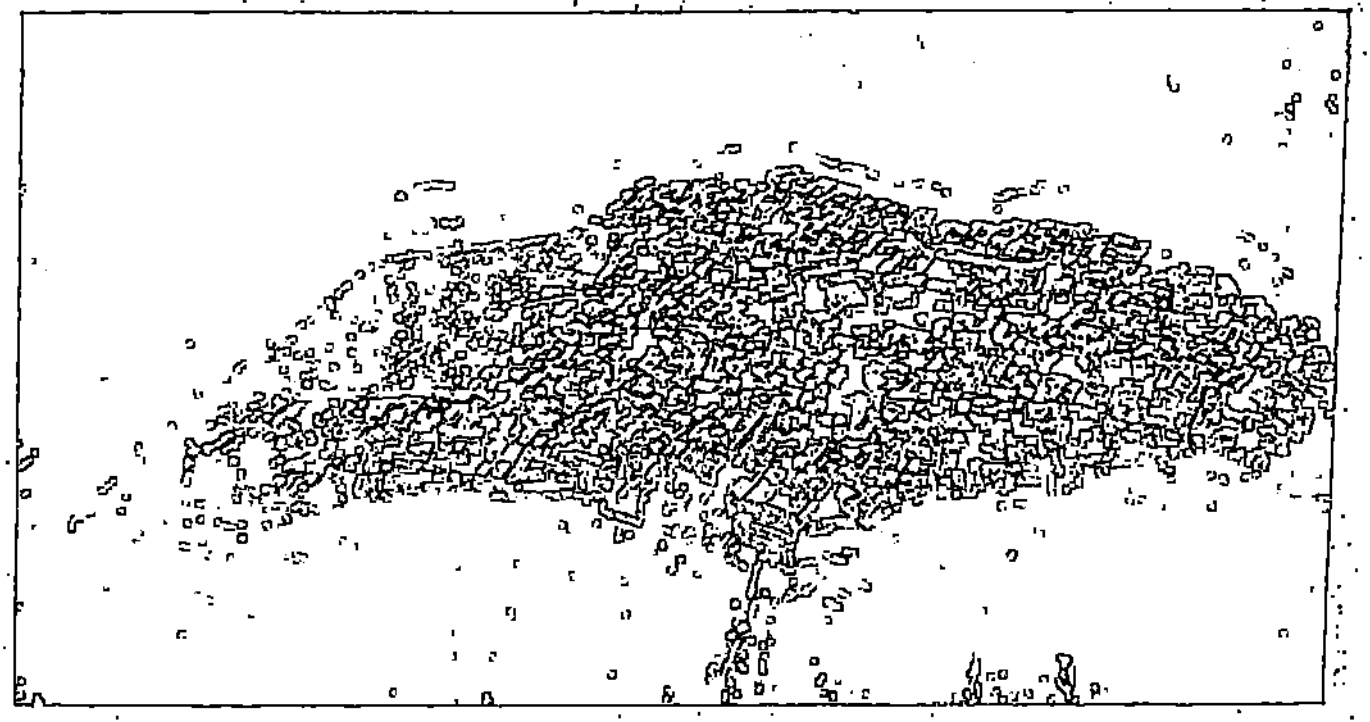

جزيرة زواد

منظر مأخوذ من طيارة (Photo. 39° Aviation)

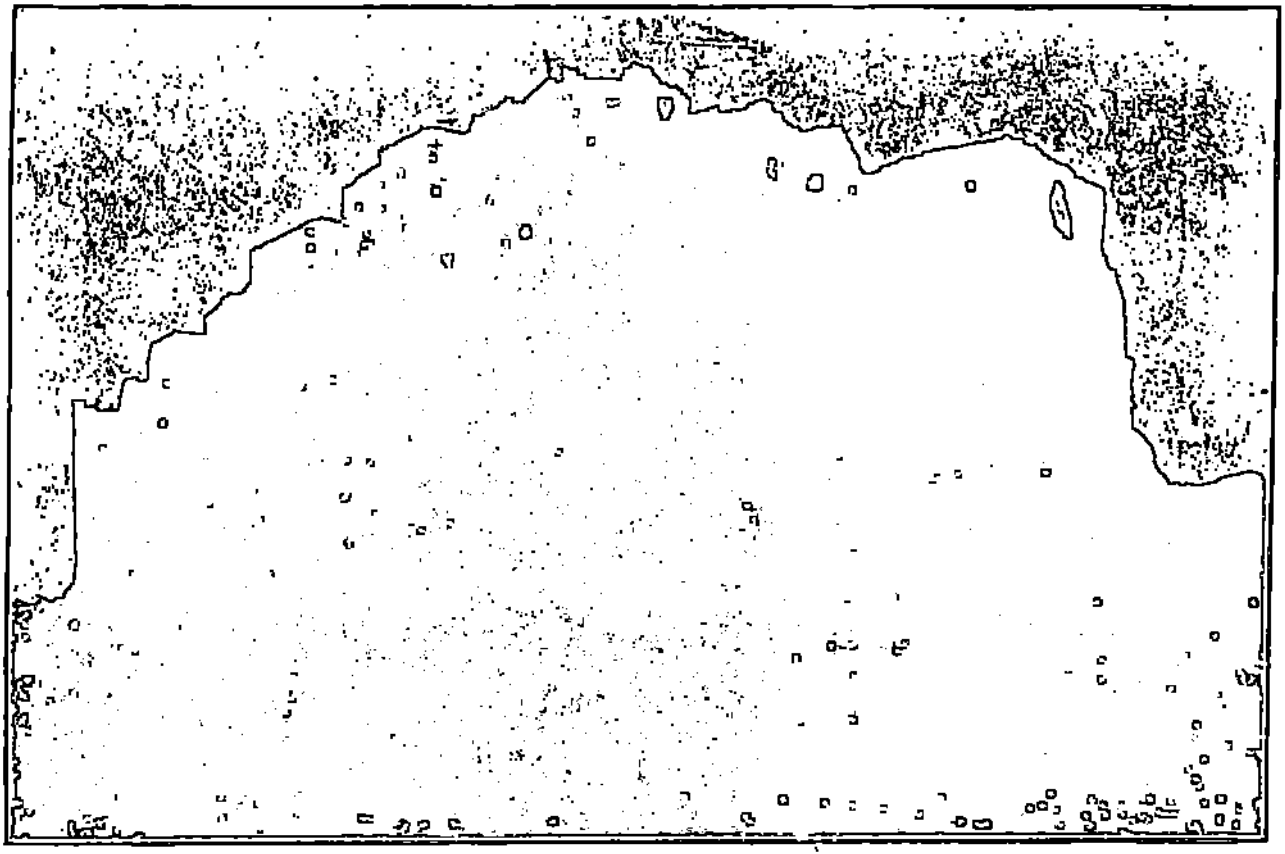

(photo. 39° Aviation.) حصن مصياف

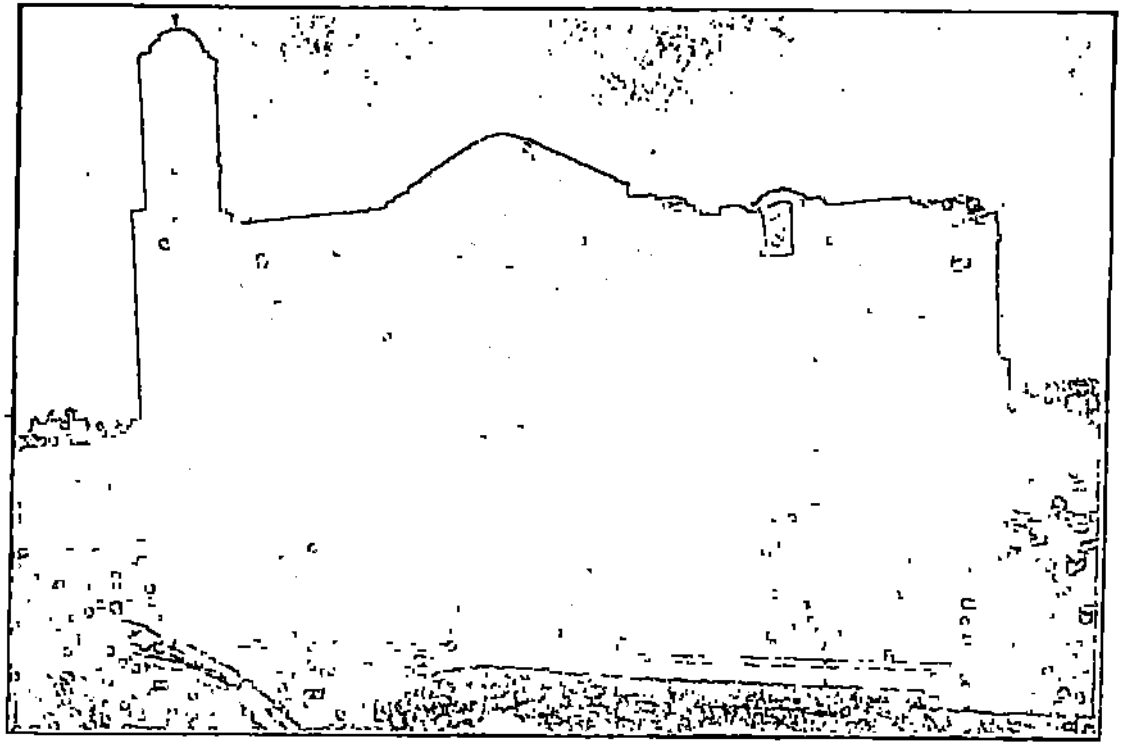

كنيسة طرطوس (القرن الثاني عشر والثالث عشر)
(تصوير هوان : اللاذقية)

يمكننا اعتبارها بجملتها اثرًا عاديًا ، يتغلغل تاريخها في اقدم الازمنة ، ويظهر اسمها في اوليات فصول سفر التكوين (١٠ : ١٨) . وهي اشبه بصخرة كبيرة في البحر منها بجزيرة ، فلا تزيد مساحتها عن ٨٠٠ متر طولًا بـ ٥٠٠ عرضاً ؛ ولا يتجاوز عدد سكانها ٢٧٣٠ وكلهم من المسلمين السنيين . على ان تلك الصخرة ظلّت ، قروناً عديدة ، مركز امبراطورية عريقة في القدم ازدهرت في الالف الثالث قبل المسيح ، فوطّدت سلطانها على جميع فنيقية الشمالية ، وانشأت مدن الشاطئ من طرابلس الى مصبّ العاصي ، وبسطت نفوذها حتى سورية الداخلية ووادي الفرات ، وحاربت اعظم الامبراطوريات القديمة كبابل ، واشور ، وفارس ، فكانت كثيرًا ما تنتصر عليها بفضل مركزها في وسط البحر . فكان تاريخها ، مع تاريخ صور وصيدا ، من امجد تواريخ المدن السورية ، واوفرها حوادث . وفي ايام الحرب ، احتلّها القومندان ترابو ، فجعلها مركز اعاشة للبنان ؛ فحفظ بمساعدة البحارة الفرنسويين حياة الالوف من ابناء الوطن . فخلّد في لبنان ذكرًا يحفّه الشكر وعرفان الجميل .

واذا قطع المسافر المضيق الصغير الذي يفصل جزيرة رواد عن الشاطئ ، يصل الى مدينة طَرطرس ، وفيها كنيسة تُعدّ من اجمل البيع الصليبية يبلغ طولها ٤٠ مترًا بعرض ٢٧ . وهي مبنية على اسم السيدة . زارها جوانفيل وذكرها في مذكراته التي نشر «المشرق» مؤخرًا شيئاً منها[1] .

وفي داخلية البلاد ، على منتصف الطريق بين صافيتا ومَصْيَاف ، في وسط جبل يكاد يكون مقفرًا ، قام هيكل بايتوسه الذي تسميه العامة « حصن سليمان » .[2] وهو اعظم هيكل في سورية بعد بعلبك . ولو لم تكن أثرت فينا ضخامة هذه الآثار الاخيرة فحرمتنا الاعجاب بكل ما هو دونها ، لكان لحصن سليمان تأثير شديد علينا . وهو يشتمل على حرم مقدّس طوله ١٤٤ مترًا بعرض ٩٠ مترًا . بُني بحجارة يتراوح طول الواحد منها بين الستة والتسعة الامتار بعلوّ ثلاثة امتار . وقد زرناه سنة ١٨٩٩ . وهو ، في الحالة

١) راجع المشرق (٢٧ [١٩٢٩] : ١٦٦ و ٢٦٢) ٢) وقد جعلنا فيه احدى مشاهد روايتنا التاريخية « حبيس بحيرة قَدَس » (ص ٢٣ من الطبعة الثانية)

التي يظهر بها اليوم ،لا يرقى الى ابعد من القرن الاول بعد المسيح ، لكنه بُني على آثار هيكل قديم جداً كان يحجّ اليه اهل رواد فيعبدون فيه احد آلهة الجبل .

ولا يتصوّرنّ القارئ الكريم ان ليس في بلاد العلويين سوى العاديات الوثنية القديمة ، فان هناك ايضاً مجموعة بديعة من الحصون المبنية في القرون الوسطى ، كحصون صافيتا ، والمرقب ، وصهيون [1] ، وقدموس ، ومصياف . على ان اشهرها هو ، دون شك ،حصن الاكراد الذي دُعي بحق حلية الهندسة الحربية في القرون الوسطى . وهو على نحو عشرين كيلومتراً من تل كَلَخ ، يُشرف على طريق طرابلس - حمص في وادي النهر الكبير الفاصل بين دولة العلويين والجمهورية اللبنانية . كانت تلك الطريق في العصور القديمة مجازاً لجيوش الغزاة ؛ فلزمها ان تراقب ، ولزم تلك النقطة ان تحصّن دائماً . اما الحصن المذكور بهيئته الحاضرة فيرقى الى عهد الصليبيين . وقد كان اوفر حظاً من سائر حصونهم ، فقوي على عمل الدهر حتى اصبح اليوم اظهر جدّة من جميعها ، كما انه اشهرها بتعدد طرق الدفاع التي جُمعت فيه ، وبانتخاب موادّ بنائه ، وبطرق هندسته وتزيينه . وقد نشر «مشرق» هذه السنة (ص ١٧٢) صورة اجمالية له مأخوذة من الطيّارة

كان هذا الحصن ، قبل سنة ١٨٦٠ ، لا يزال محفوظاً كما تركته آخر شرذمة من فرسان الصليبيين في ٨ نيسان ١٢٧١ ، وكما يظهر تقريباً في الرسم التركيبي الذي ننشره في الصفحة المقابلة . ولكن لم تمض سنة ١٨٦٠ حتى اخذ الاهالي يسكنون فيه ، فأنشأوا ضمن اسواره قرية صغيرة كانت تتسع شيئاً فشيئاً فتعمر بيوتها بتخريب بناء الحصن . على ان الحكومة اهتمت بالامر ونشرت بياناً يعتبر الحصن اثراً تاريخياً ، واخذت من ثمّ تبحث عن طريقة تخلصه من تلك البنايات المتأخرة . فابتدأت اعمال الاصلاح في السنة الفائتة ، ورُفع الكثير من التراب المتراكم فظهرت تحته اقبية فسيحة ، طول اكبرها ١٢٠ متراً بعرض ٨ امتار ، وعلوّ ١٠ ؛ وقد اخرج منه نحو ٥٠،٠٠٠ متر مكعب من السماد . وعندما تنتهي اعمال التنظيف والاصلاح ، يمكن لبلاد شرقنا ان تفتخر

١) نُشرت صورته في مشرق هذه السنة ص : ١٧٣

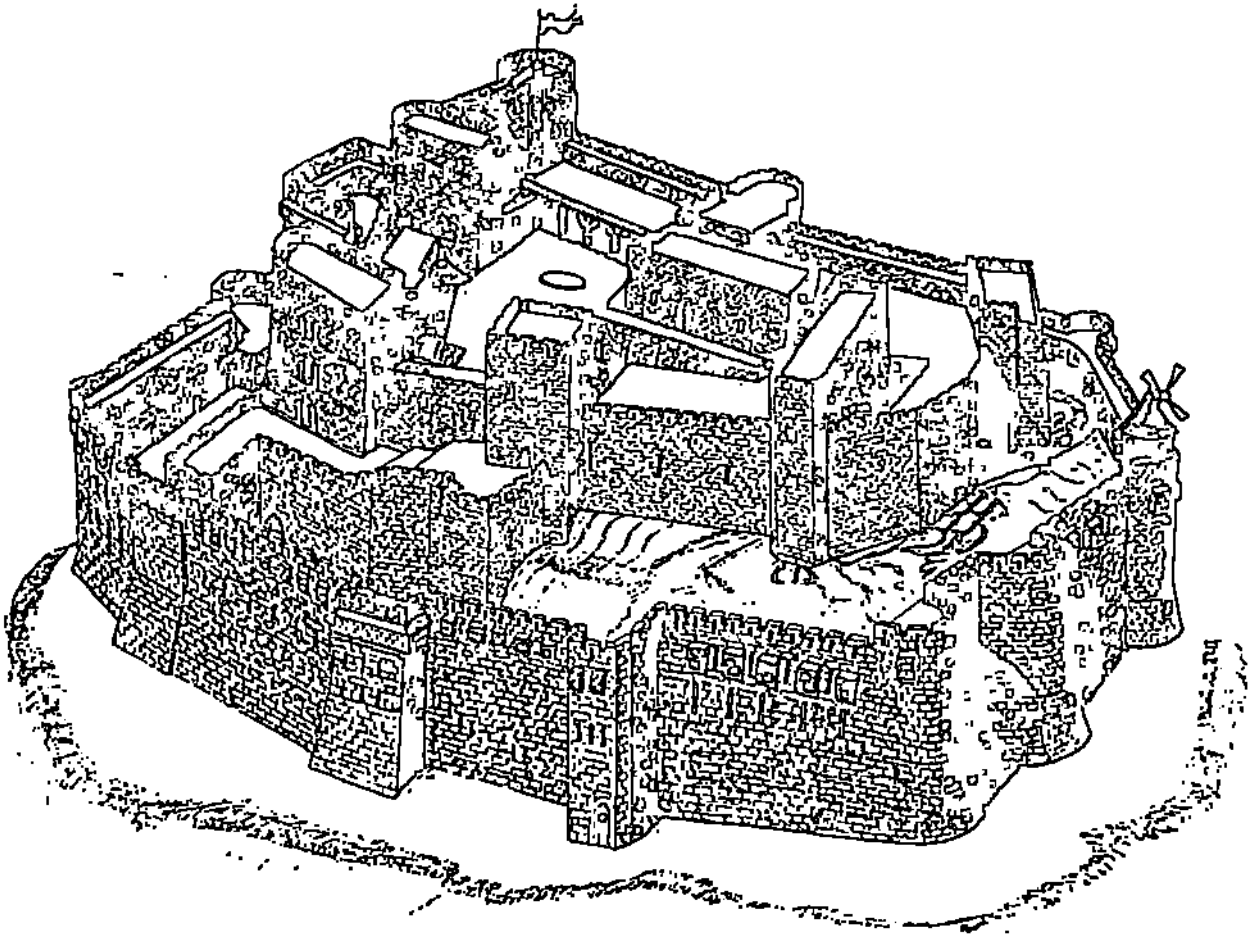

حصن الاكراد كما رسمه ري (Rey) وفيوله اودوك (Viollet le Duc)

بان لها ، في بعلبك ، اضخم هيكل وثني ؛ وفي حصن الاكراد ، اجمل مثال للقلاع القديمة . وفي عهد السلطان صلاح الدين الايوبي ، زار الرحالة ابن جبير مدينة حمص ، فرآها في اقصى دركات الانحطاط ، فقال مبيناً سبب ذلك (ص: ٢٥٨) : « وما ظنك ببلدٍ حصنُ الاكراد منه على اميال يسيرة ، وهو معقل العدوّ ، وهو منه تتراءى ناره ، ويُحرق اذا يطير شراره . » وهذا يدلنا على مبلغ التأثير الذي كانت تلقيه في القلوب معاقل الصليبيين ، فنفهم كيف امكن اولئك الفرسان ان يقيموا في سورية نحو القرنين على الرغم من قلة عددهم .

وهناك مركز احصن من مركز حصن الاكراد ، واشدّ تأثيرًا في العدوّ ، وهو مركز قلعة المرقب بالقرب من بانياس[1] . ولكنه لسوء الحظ ادركته يد الخراب فعملت فيه عملها . ولا يمكننا وصفه اليوم الّا بالتذكير بانه كان يجمع ضمن اسواره ٢٠٠٠ عائلة و ١٠٠٠ فرس . وهناك ضافيتا وبرجها الشاهق الذي يرقب الناحية كلها من علوّ ٢٨ مترًا ، فيهتدي به المسافرون . امّا قدموس ومصياف فهما قلعتان من بناء الاسماعيليين . ولم يكن باقيًا من الاولى الا آساسها لما زرناها سنة ١٩٠٤ . اما الثانية فكانت مركز سيد «الحشّاشين» — وهو الاسم الذي كان يدعو به الصليبيون رجال الاسماعيليين — وهي جميلة المركز اوفر جدة من قدموس ، ولكنها تظهر ضئيلة اذا قابلناها بالقلاع الفخمة التي نشرها الصليبيون في جبل العلويين

هذا وليس بالامكان تعداد تلك الكنوز الاثرية فنكتفي بما تقدّم محيلين القرّاء ، مرةً اخيرة ، على كتاب الليوتنان كولونيل جاكو النفيس : فيرون فيه ، فضلًا عن الوصف الدقيق ، صورًا عديدة غاية في الابداع ، ورسوماً وخرائط جغرافية واضحة ، مما يجعل للكتاب قيمة فنية ثمينة ، فيكسب شكر المطالعين للمؤلف على حسن ذوقه ، وللمطبعة الكاثوليكية على مزيد عنايتها . ونحن نشترك مع المطالعين بهذه العواطف ، متمنين ان يقوم في لبنان من يقتدي بهذا المثال الفائق !

١) يلزم التمييز بين بانياس هذه ، وبانياس الكائنة عند ينابيع الاردن ، في اسفل جبل حرمون .

شخصية بارزة

ولي الدين يكن

١٨٧٣ – ١٩٢١

بقلم فؤاد افرام البستاني استاذ الآداب العربية في كلية القديس يوسف

« ان اعرض عن مقالي اهل زماني ، فقدًا يتهافت عليه ابناؤهم ! »
(ولي الدين يكن)

ان في البشرية نفوساً مُترعة لا تفيض الّا اذا تألمت ، وقلوبـاً طافحة لا تسيل الّا اذا جُرحت . من هذه النفوس الشاعرة كانت نفس ولي الدين ، ومن هذه القلوب الحسّاسة كان قلب ولي الدين ! جرّعته الحياة كأس الآلام حتى الثمالة ، وهبت به عواصف الطغيان حتى مهاوي الظلم . فشعر بالشقاء على جميع وجوهه ، وشعر بالحاجة الى الحرية في جميع مواطن الاستبداد . وكان له من مخيّلته الواسعة ، وبيانه الجذّاب ، ما رفع ذاك الشعور الى قمّة الفن الرائع ، فبدا متجنّحاً باسلوب شخصي ، ومذهب طريف . فكان شاعرًا في كل مآتي حياته ، شاعرًا في شخصيته البارزة من خلال آثاره جميعها .

حياته

شبابه (١٨٧٣ – ١٨٩٦)

اسرته – مولده

هو محمد ولي الدين بك ابن حسن سري باشا ، ابن ابراهيم باشا يكن . كان جدّه ابن اخت محمد علي باشا الكبير ، مؤسس الدولة المالكة في مصر ، فحمل لقب « يَكن » ، وهو كلمة تركية معناها « ابن الاخت » ، واورثها وُلده من بعده . والعائلة من اشرف البيوتات التركية عامة والمصرية خاصة ، اشتهرت سابقاً بابراهيم باشا المذكور ، واخيه محمد باشا ؛ وكان الاول سر

عسكر اليمن ، والثاني سر عسكر الحجاز في عهد محمد علي ؛ واشتهرت بعد ذاك بعدد غير قليل من كبار الساسة المصريين.

اما ولي الدين فوُلد بناحية السليمانية من الاستانة سنة ١٨٧٣ . وكانت امه من عائلة شريفة ايضاً ، وهي بنت احد امراء الجراكسة . فاكتنفه نبل الاصل من الطرفين.

في مصر : وفاة ابيه (١٨٧٩) – دروسه

ولم يلبث والد وليّ الدين ان قدم الى مصر مع عائلته . وعهد في تعليم ولده الى معلم خاصّ اخذ يلقّنه مبادئ العربية. على ان الاب لم يتمتّع طويلاً بنجابة ابنه ، فتوفي والولد لا يتجاوز الست سنوات. فكفله ، واخوته ، عمهم علي حيدر باشا يكن ، ناظر المالية المصرية اذ ذاك. وكان الخديوي محمد توفيق باشا قد أسس في عابدين مدرسة خاصة لتعليم ابنيه وبعض ابناء امراء مصر ووجهائها ، وعيّن بها الاساتذة من رجال العلم والادب المشهورين ، وسمّاها « مدرسة الانجال » . فدخلها ولي الدين واقام فيها مدة يتلقّى ، مع العربية والتركية ، مبادئ الانكليزية والعلوم . وشاء درس اللغة الفرنسوية فطلبها في مدرسة مارسيل العالم الفرنسوي ، ثم دخل المدارس الاميرية . وما زال يتابع دروسه ، بعد خروجه من دور التعليم ، حتى اتقن العربية والتركية ، واحكم الفرنسوية ، والمّ بالانجليزية واليونانية.

كتاباته الاولى – اولى وظائفه

وكان له ولع فطري بالكتابة ، فانشأ ، وهو في دون العشرين ، يحبّر المقالات القصيرة في الجرائد المصرية ، تارة يخوض في الأدب ، وطوراً في السياسة ، وحيناً في الاجتماع . اما الجرائد التي خصها بمقالاته الاولى فهي « القاهرة » لمحمد بك عارف المارديني ، « والنيل » لحسن حسني باشا الطويراني الذي اخذ عنه ولي الدين علم المنطق ؛ ثم اتفق مع يوسف بك فتحي واصدرا جريدة « المقياس »[1] . وكان بعض انسبائه ، ومنهم شفيق بك منصور يكن ،

(١) المقتطف : ابريل ١٩٣١ ، ص ٣٧٥ – ٣٧٦

يريدون ان يصرفوه الى وظائف الحكومة ، عن طريق الصحافة التي قد تهوّره ، وهو فتى بعد . فشغلوه في خلال ذلك ، اولاً بوظيفة في نيابة مصر الاهلية ، ثم بالقسم الاجنبي في المعيّة السنية سنة ١٨٩٣

بين الاستانة ومصر (١٨٩٦—١٩٠٢)

في الاستانة

كانت الاستانة مسقط رأس ولي الدين فاحبها كثيراً وحنّ اليها طويلاً . وكانت اولى زياراته لها ، بعد غربته ، في سنة ١٨٩٦ ، وقد انعم عليه السلطان عبد الحميد بالرتبة الثانية . وكان فيها عمه محمد فائق بك يكن ، احد اعضاء مجلس الشورى ، فاقام عنده نحو السنة ، اغنى مخيلته ، في اثنائها ، بمناظر فروق الفتانة التي سوف يتذكّرها في جميع مواقفه ، سعيداً كان فيهنيها او تعيساً فيبكيها .

في مصر : جريدة « الاستقامة »

وفي سنة ١٨٩٧ ، عاد الى مصر ، وقلبه يلتهب غيرة على اصلاح بلاده ، وتقويم ما رآه من الاعوجاج في سياسة العاصمة ، فانشأ فيها جريدة ودعاها « الاستقامة » واندفع يبسط فيها بجرأة واخلاص ، كلّ ما كان يراه صائباً من الآراء ، ونافعاً من الاقتراحات . ولكن تلك المقالات كانت اخلص من ان لا تثير حفائظ الباب العالي ، فمنعتها الحكومة في ولاياتها . فاوقفها مرغماً ، وودّعها بقصيدة رائعة نشرها في جريدة « المشير » سنة ١٨٩٧ ، منها :

فمن مبلغٌ عني الغضابَ الألى جنوا ... باني امرؤ ما ان اخاف غضابا
اذمّ فلا اخشى عتاباً يُصيبني ... وامدح لا ارجو بذاك ثوابا !
على مَ أحابي معشراً انا خبرُهم ... ومثلي ، اذا حابى الرجال ، يُحابى ؟

. . . .

ولما غدا قولُ الصواب مذمّماً ، ... عزمتُ على ان لا اقول صوابا
فجافيتُ اقلامي ، وضمت «استقامتي» ، ... ورحت ارجّي للسلامة بابا ! (١

على ان احتجاب جريدته لم يمنعه الخوض في السياسة العثمانية ، فتابع الكتابة في جريدة « المشير » المذكورة ، وجريدة « المقطم » ، وجريدة « القانون الاساسي » لمحمد قدري افندي ، وكان يصدرها بالعربية والتركية

١) ديوانه ، ص : ٤١

في الاستانة ايضاً

وفي السنة التالية ، سافر الى الاستانة مرّةً اخرى ، فوُظف فيها عضواً في الجمعية الرسومية الجمركية . ولم يلبث ان انتقل منها الى عضوية مجلس المعارف الاعلى . على ان ماضيه كان اشدّ سواداً في نظر رجال عبد الحميد من ان يعتقدوا فيه الاخلاص لذاك العرش القائم على أسس الاستبداد . فلم يزالوا يبثون عليه العيون حتى ظنوا انه على صلة بالاحرار القائمين خارج السلطنة ، وان عنده كتباً واوراقاً من شأنها النيل من شخص عبد الحميد او من حكومته

في المنفى (١٩٠٢–١٩٠٨)

في سجن الاستانة

فارسل شفيق باشا ، ناظر الضابطة ، من يفتش منزله في ٢ كانون الثاني ١٩٠٢ . فروّعوا امرأته النفساء ، وامه ، واولاده الصغار ، واخذوا كل ما راق لهم من الاوراق والمستندات ، وتركوه حليف اليأس والاضطراب [1]

ولم تمرّ اربعة ايام حتى قُبض عليه في احد شوارع الاستانة ، وكان ذاهباً في طلب دواء لامرأته . فألقي ، دون محاكمة ، في سجن ، ثم في سجن آخر اشدّ ضيقاً من الاول .

في سيواس

وبعد ان قاسى عذاب الظلم ، وعذاب البعد عن اهل بيته ، في هذا السجن الجديد ، نُقل الى باخرة ظنها ستلقيه في البوسفور ، ولكنها سارت به الى حيث لم يعرف الّا بعد مدّة . فأُخبر ان الارادة السنية صدرت بنفيه الى سيواس ، احدى ولايات الاناضول . فوصل اليها يوم الجمعة في ١٤ شباط سنة ١٩٠٢ ، بعد سير حثيث في الاودية والجبال ، وسط العواصف وتحت الثلوج .

كل هذا واهله لا يعلمون عن مصيره شيئاً ، حتى هدأ روعه اثر وصوله الى منفاه ، فأبرق يخبرهم ويستقدمهم اليه .

وكان من غرائب الحكومة الحميدية انها تستخدم المنفيين في وظائفها كما

١) تفصيل ذلك في المعلوم والمجهول ٢ : ١١–١٧

تشاء ، وتنفي متوظفيها كما تحب. وهكذا كان فان ولي الدين المغضوب عليه ، المنفي بعيداً عن بلاد ، ما برح من ارباب الحكومة التي نفته ، فانه حالَ وصوله استلم امراً بتعيينه معاون مكتوبجي الولاية بمرتب شهري قدره ١٥ ليرة ذهبية كان يقبضه في حينه اذا صدرت الارادة السنية بذلك ، والا فينتظر الشهر والشهرين والثلاثة.

اقام في سيواس نحو السبع السنوات ، قاسى في خلالها ، ولاسيما في اولها ، انواعاً من العذاب العقلي تحطّ من همم الجبابرة. وكأن القدر اراد زيادة تجاربه ، فجمع الى ذلك ألم أضرسه ، ومرض كبير ابنائه بالحمى التيفوئيدية ، وانقطاع المواصلة مع اصحابه المتخلفين . الا انه كان له بعض العزاء بوجود امه وامرأته واولاده معه ، وبما لاقاه من اسباب التسلية والمؤاساة في اهل سيواس عامّة ، وفي الاجانب المقيمين فيها خاصة مما احدث في نفسه ذكرى طيبة فخلّدها في كتابه « المعلوم والمجهول »

واذ أعلن الدستور ، سنة ١٩٠٨ ، خرج من ذاك المقرّ . فرجع الى الاستانة ، يتفقد شؤونها ، ويرى ما آلت اليه مدينة الجمال التي كان لها في قلبه مركز خاصّ . ولكن لم يطل الاقامة فيها بل فارقها الى مصر.

في مصر (١٩٠٨—١٩٢١)

العود الى دولة القلم

خلص ولي الدين من دولة الظلم ، فعاد الى دولة القلم ، وقد ظنّ ان الحظ بسم لبلاده على اثر اعلان الدستور ، فلم ينرّه هذا الامل طويلاً. وكان ينتظره في مصر اصحاب ومعجبون ، فاحتفوا به ، واقاموا له حفلةً ادبية تهنئة له برجوعه سالماً . اما هو فتابع نشر مقالاته في كبريات الجرائد « كالمقطم » ، و«الاهرام» ، و«المؤيد» ، و«الرائد المصري» ، ومجلة «الزهور». وقد تولى مدةً رئاسة تحرير جريدة «الاقدام» لصاحبتها الاميرة الكسندره اثرينوه دي ڤيزنيوسكا .

وكان له متسع من الوقت ، في تلك الاثناء ، فجمع تذكارات ما قاساه

في السنين الغابرة ، ونشرها في مجلديه المشهورين باسم « المعلوم والمجهول » وانتخب قسماً من مقالاته في المقطم نشرها بعنوان « الصحائف السود » ، ثم نشر مجموعة اخرى بعنوان « التجاريب » ، وكان قد عرّب « خواطر نيازي » فنشرها ايضاً في هذه المدة.

في الوظائف : « بسمة الزمان »

وبعد اعوام قليلة عُيّن في وزارة الحقّانية . فارتاح الى عمله . وظلّ في ذاك المنصب حتى اواخر سنة ١٩١٤ . فعيّنه السلطان حسين كامل سكرتيراً عربياً لديوان كبير الامناء ، واحبه كثيراً ، وانعم عليه بوسام النيل . فشعر وليّ الدين بالسعادة ، ولعلّ ذلك كان لاول مرة في حياته ! واعتبر تلك الحياة الجديدة « بسمة بسمها الزمان بعد طول عبسه » كما كتب الى صديقه الشيخ انطون الجميل بعيد تعيينه . ولكنه ، لكثرة ما تعوّد الشقاء ، خاف ان تحول الحوادث بينه وبين التمتع بهذه البسمة[1] .

مرضه

وكان خوفه في محله . فان المرض اخذ يدبّ الى صدره ، وجعل الربو يقطع عليه انفاسه ، فينغّص ساعات نهاره ، ويقضّ مضجعه اذا شاء الاستكانة في الليل . وقد كتب الى صديقه المذكور في ١٢ شباط ١٩١٨ يصف داءه وصفاً يشفّ عما كان يقاسي جسمه من الالم ، وخصوصاً عمّا كان يُلمّ بنفسه من الجزع واليأس . قال :

« اني في يأس شديد من زوال هذا المرض . . . الذي عجز الطب عن دفعه ، وهو المسمى emphyzème (الربو) . اذا دجا الليل تكاثرت مخاوفي ، فلا يغمض جفناي فرقاً ، لاني لا اغفي اغفاءةً الا وانتبه صارخاً مذعوراً ، اذ تنقطع انفاسي ، ويشتدّ اضطراب قلبي ، وتبرد يداي ورجلاي . فاختلج مكاني ، واتلوّى تلوّيَ الافعى أُلقيت في النار . اريد تنفساً استعيد به ما يوشك ان يذهب عني من الحياة فلا اجده . حتى اذا بلّلني العرق ، وافكني التعب ، عاودتني انفاسي شيئاً فشيئاً ، وذهبت النوبة على ان تعود بعد ساعة او ساعتين . ومصير هذا المرض معلوم ، وهو مذكور في كتب الطب لم يختلف فيه طبيبان .

« لا ادري أمن الموت ، وما انتظر من اهواله ، يزداد جزعي ؟ وما تطلع عليّ شمس يوم

١) مقدّمة ديوانه ، بقلم الشيخ انطون الجميل ، ص : ٨

الا وزادتني قرباً من قبري. وا لهفي على آمالٍ تحوّلت آلاماً! ووا حسرتي على ايام مر ما ضحكت لي مرة الا جعلت دموعي لها ثمناً! أهذه عاقبة الصبر التي أطلت انتظارها؟ ما اكثر ضلال الحكماء! وما أكبر غش القدماء!... » (١)

واذا اضفنا الى هذه الآلام الجسدية المبرّحة، آلاماً نفسية ايسرها ناتج عن المرض، وغيرها ناتج عن مصائب عائلية تراكمت عليه في سنيه الاخيرة منها موت ثاني اولاده فجأة بلمس سلك كهربائي، وهو في السادسة عشرة من العمر؛ ووفاة والدته وشقيقته وكان يحبهما حباً شديداً (٢)؛ امكننا القول ان حياة وليّ الدين كانت مأساةً تامة، وايامه حلقات فواجع «ما ضحكت له مرة الا جعلت دموعه لها ثمناً»!

وفاته (٦ اذار ١٩٢١)

وما زال يشتدّ عليه المرض حتى أُجبر على ترك القصر السلطاني سنة ١٩١٩، فانزوى في بيته، ثم قصد حلوان مستشفياً حيث ختمت سلسلة احزانه ليلة الاحد في ٦ اذار سنة ١٩٢١، بعد ان ترك قطعاً من فؤاده متناثرة على الاوراق، منها هذان البيتان وُجدا الى جانب سريره:

يا جسدًا قد ذاب حتى أنمى ... الّا قليلًا عالقًا بالشفاه
اعانك الله بصبرٍ على ... ما ستماني من قليل البقاء!

دفنه – وتأبينه

طالما تاق ولي الدين، في مصائبه المتعدّدة، الى رقدة يستريح الجسم فيها في «قرافة الامام» بمصر، وفيها مدفن العائلة اليكنية. فحقق الله مشناه، فدُفن في «القرافة» المذكورة بين اهله الكرام.

وبعد اربعين يوماً، اجتمع لتكريم ذكراه فريق من اصدقائه الادباء. فاقاموا حول قبره حفلة تأبينية. وكان امل الاصدقاء كبيراً بان جمهور حملة الاقلام في مصر يلبّون دعوة هذا الواجب فيكفرون باحيائهم ذكرى وليّ الدين عما لحق به من الاجحاف حال حياته. ولكن خاب الامل، فلم يؤبنه

١) الكتاب المذكور، ص ٨–٩
٢) ميّ: الصحائف، ص ٨٩

الا نفر قليل منهم ابراهيم رمزي ، وخليل مطران ، والشيخ انطون الجميل ، وجورج طنوس.

أوَ لم يكن وليّ الدين يتوقع مثل هذا الاعراض حين وصف موت الادباء في الشرق ذاك الوصف البليغ ، فقال :

« يموت ادباؤنا ، وتطفأ انوار المعاني في عقولهم ، وتبقى بيوتهم خالية ، واجداثهم دائرة . . . »[1]

على انه ، وان قصّر ادباء مصر في ايفاء الفقيد حقه ، فلقد كان له من جرائد العالم العربي قاطبةً مراث وتآبين. وسيكون له من ادبائنا جميعاً محبون ومريدون.

شخصيته

نشأ وليّ الدين في بيت شرف وإباء ، فكان شريفاً ابيّاً طول حياته . وكان له من لطف الحسّ ، ودقة الملاحظة ، وسرعة التأثر ما جعله شاعراً في كل ما خطّه ، سواء في ذلك النظم ، وهو شعره الموقّع ، والنثر ، وهو شعره المُرسل.

وقد خصّه الباري بقوّة بدنية ، في عنفوان شبابه ، وجرأة على العظائم لا يقف في وجهها حاجز ، كما قد يشهد ذاك الشرطي الذي اعترضه في سيره ، فعاجله ولي الدين « بضربات كندف القطن ، فالقاه[2] » وكما قد يشهد ايضاً ذاك المتحرّف وقد « اكفأه على مكتبته واهوى بين كتفيه بلكمات »[3] .

الا ان مقاساة الاتعاب ، وتراكم الرزايا ، وتباريح المرض اضنكت جسمه ، فافقدته قواه ولكنها لم تفقده جُرأته ؛ وطبع الاسى على وجهه آثاره فذهب بنضارته ، ولكنه لم يذهب بظرفه وطلاقته . بل ظلّ ولي الدين ، على رغم الواجع ، لطيف المحضر ، حلو الحديث ، ظاهر التجلّد . واننا لنخطئ اذا حسبنا هذا التجلد نتيجة الاستكانة للذلّ ، او التسليم المطلق لمشيئة الله . لم

١) التجاريب ص ٥٥ ٢) المعلم والمجهول ٢ : ٢٤
٣) الكتاب المذكور ٢ : ٢٧

يكن شيء من ذلك ، لأن شاعرنا كان اوفر عصبيّة ، واسرع تلبية لدواعي ثورات النفس ، واكثر تضجرًا من ان يدرك احدى هاتين الحالتين. انما كان تجلده نتيجة قوّة خاصة به تؤهله للشعور بادقّ العواطف ، ولكنها ، في الوقت نفسه ، تضبط قلبه ان يظهر متأثرًا بتلك العواطف ؛ تبسط لديه سبل الخلاص من مأزق حرج ، ولكنها تربأ به عن طرق ابواب التذلل والاستعطاف للوصول الى تلك السبل ؛ تصوّر امامه بطريقة شفّافة هول الخطب المقبل ، ولكنها تمنحه من رباطة الجأش ما يوقفه ثابتاً تجاه ذاك الهول ، شامخاً على تراكم الرزايا ، مجابهاً صروف الدهر مجابهة القرن لقرنه . الا وهي الانفة ، ذاك السلطان الجبار الذي يسخر لارادته النفوس الكبيرة فيرفع مآتيها عن مآتي العامة ، ويسمو بعواطفها على عواطف السوقة. من هذه « النفوس الساكنة الى الاحساب الزكية» كانت نفس وليّ الدين ، فوُجدت بحكم الطبع مسخرة لسلطان الانفة يسيّرها حيث يشاء ، على نحو ما صوّره الكاتب نفسه في مقال «الانفة» [1] .

وكان من نتيجة انفته صفة قد يستغربها الناس لاول وهلة ، وهي بغضه الشديد للكبرياء . ولا عجب ! فالكبرياء أنفة زائفة او ادعاء يقوم به ارباب النفوس المنحطة لتقليد اشهر صفات النفوس السامية . وما فتئ اصحاب الصفات الحقيقية يكرهون من يقلدهم في صفاتهم فيظهرون بمظاهرهم ، وهم في الحقيقة خلو من ذلك . فالمخلص الحقيقي يكره الممالق ، والمتدين الحقيقي يكره المرائي الخبيث ، والانوف الزكي الحسب يكره المتكبر عن عجب وحداثة نعمة

اما اذا كانت الاهواء مما لا يضير الانفة ، ومما لا يساوي بين صاحبها ومن لا يفهمون الانفة ، فلا بأس بها ، ولا لزوم للتحفظ في اظهارها . وعليه كان وليّ الدين ، في ما خلا ما قد يمسّ أنفته ، شديد الميول مندفع الاهواء ، سواء في ذلك حبه وبغضه ، وتقرّبه ونفوره . فهو لا يتحرّج في حبّ ما يكرهه الجمهور ، ولا يتكلف في التصريح ببغض ما قد تجبره آداب المجالسة على اعتباره . فهو صادق في كل ما يقول ، مخلص في كل ما يشعر به.

وقد وافقت هذه الصراحة عنده نزوعاً طبيعياً الى الحرية والاستقلال ،

---

[1] اطلبه في الروائع ٢٣ : ١٦ .

قاده في جميع ظروف حياته الى الخروج عن المألوف فلم يجازَ بالخير في ذلك . خرج ، في ما خصّ الدين ، على عادات قومه فتزوّج سيدة مسيحية يونانيـة ، فآب بغضب اهله ؛ وخرج ، في ما خصّ السياسة ، على سلطانه محبّرًا المقالات ضدّ ظلمه واستبداده ، فربح السجن والنفي سبع سنوات. وخرج ، في ما خص المجتمع ، على تقاليد لم تتفق معها صراحته فنبذهـا وجاهر بنبذهـا ، فكثر اعداؤه . وخرج ، في ما خصّ الادب ، على قواعد النظم المقررة ، وقوالب النثر القديمة الى محيط الابتكار والطرافة فجمع عليه سخط المحافظين. ولكنه لم يكن ليبالي بكل ذلك ، وهو القائل رادًا على من شاء تضييق حريته :

« يريدون ان اكتب ما يريدون ، وأريد ان اكتب ما اريد. »

وهكذا كان ! فقد كتب ما أراد لا ما ارادوا ، وهو في كل ذلك :

« يذمّ فلا يخشى عقابًا يصيبه ويمدح لا يرجو بذاك ثوابا »

« لا يبالي الثناء ، ولا يبالي الهجاء. وانما يبالي ان يصدق فيه احدهما. »

وما همّه من كل ذلك ؟ اليس له من نفسه الكبيرة جيشٌ يتقاصر عنه جيش عبد الحميد ! أوَ ليس له من ادبه غنى لا يحسب غنى الارض شيئًا الى جنبه ! أوَ ليس له من حرّيته وأنفته صرح تصغر امامه صروح المعالي جميعها ! كيف لا ، وهو القائل بعد ان جاز الاربعين من العمر :

ترفّعت في وصل المعالي جميعها ومن يطلبها كالطلابي يزهدِ
وبتّ ، تساوت في فؤادي مناهجٌ تؤدّي لغنى ، او تؤدّي لسؤددِ
واني في بيت صغيرٍ مهدّمٍ كاني في قصرٍ كبيرٍ مشيّدِ
عفا الله عن قومٍ اتاني غدرهم فربّ مسيءٍ لم يسئ عن تعمّدِ
تركت الغنى ، لا عاجزًا عن طلابه ، واترلت نفسي من منازل محتدي
وهذي بحمد الله مني براءةٌ فيا افق سجّلها ، ويا انجم اشهدي !

وان من يصل الى هذه الدرجة من الاعراض عن ترّهات العالم فتتساوى في فؤاده المناهج المتباينة السبل حتى المعاكسة ، لحقيقٌ بان يكون شاهدَ الحياة من قمة انفته العالية التي الانت التجاريب من حدّتها وخففت من نشزاتها الفتية ، فاصبحت تشفق على الناس ، بعد ان كانت تزدريهم . ولكن لا تزال شفقتها ممزوجة بشيء من الترفع يدفعها الى التجرّد عمّا يلتهون به من الحطام كالمال

والوظائف ، والى الاعراض عن عوادفهم وخصوصاً عن مبادلتهم الشفقة بالشفقة . فاذا حنت الى شيء لا يكون حنينهـا الى تعزية بشرية ، بل الى « دارات القرافة » فتقول :

« أحنّ الى تلك المراقـد في الثرى ولو استطيع اليوم ، لاخترتُ مرقدي !
« فانزلت جسمي منزلاً لا يمله يكون بعيداً عن أعـادٍ وحُـسّدِ
« وما يتمنى المرء في ظلّ عيشةٍ غرّ لاحرارٍ وتحلو لاعبـدِ ! » (١)

هذا وليّ الدين بعد ان نالت منه الخطوب والسنون ، فأثرت في اندفاعه . وأثر فيه خصوصاً انكسار كبار اعدائه ، وفي مقدّمتهم السلطان عبد الحميد ، فلم يبقَ امامه ذاك النمر المتعطش الى شرب الدماء ، فيحاربه الليل والنهار ويشحذ قلمه في سبيل الذود عن مظلوميه . اسقط عبد الحميـد ، وتنفس العثمانيون الصعداء ظانين ان قد انقضى حكم السوط

وابو السياط « يلديز » ذهبا

فالقى شاعرنا سلاحه مدّة حتى تعالاه الصدأ ، وكاد يضعف همتـه خلوّ ساحة النزال من المبارزين .

اما عصرٌ كان « لليث شباة وظفر » ، فقد كان لولي الدين « شباة وظفر » ايضاً ، يدافع بهما عن فروق ،

وفي العيون ازورارٌ وفي الجوانح ذعرُ !

حتى تقهقر الليث :

فـاضطرّ لـاصلح رغماً ومن متى يضطرُّ
(واغتاله) بعـدُ غدراً وشيمة النذل غدرُ ! » (٢)

هذا المظهر هو احقّ مظاهر وليّ الدين بالدرس ، واشفها عن شخصيتـه العجيبة . كيف لا وقـد تجمّعت في كتاباته هذه السياسية كل ما في عقليته من حرية في الميل ، واستقلال في الفكر ، وصدق في العاطفة ، تُقرن الى عصبية في المزاج ، وتحمّس في الاندفاع ، ظهرت آثارها حتى في الجمل والتعابير فغدت متقطعة الاقسام ، هائجة النبرات ، متصادمة الالفاظ ، ينبض بها القلب ألماً فيبرزها دفعات دفعات كنبضاته السريعة . اضف الى ذلك قوة في الحجة وبلاغة

١) الديوان ، ص : ٨٤-٨٥ ٢) الديوان ، ص : ٣٥-٣٦

في المنطق ، واذا بك كدت تستوفي تحديد شخصية ولي الدين الادبية . فلا يبقى عليك الا معرفة مفعول مخيّلته .

وهذه القوّة لا تقلّ تأثيرًا عن عقله وشعوره . فهي التي ترفع امام عينيه حجب الاسرار فيرى مواقف المظلومين ، ومصارع الابرياء . ويصوّرها بتلك البلاغة الفائقة ، وذاك الايجاز الفني . وكأن الطبيعة نفسها تساعده على النيل من النفوس الحسّاسة فتمنحه اروع ما في كنوزها من مشاهد يجعل فيها حوادث ابطاله : تمنحه الليل البهيم بما يُثيره من الفواجع البكماء ، وتمنحه الشتاء القاسي بما يحمله من الوحشة والسكون ، وتمنحه الخضمّ المضطرب بما يهيجه من الرهبة والاسى . فتجتمع له انواع الدياجي من ظلمات الليالي الى ظلمات البحور الى ظلمات القبور ، فيقضي البريء غرقاً في « خليج البوسفور في احدى ليالي الشتاء ،

في ليلة ليس بها كوكبٌ كأنما مشرقها مغربُ
يعي سوادًا كل ما بينها فتحتها وفوقها غيهبُ »[1]

ويموت « مظلوم » شهيدًا في « ليلة تضيع في معاقد ظلماتها انفاس المكربين كأنها ذوب الحزن او نسج الاسى . » وقد جاش البحر ، وطارت عاصفة « اخذت قطرات الغيث تسحّ على اجنحتها »[2] ويخمد السمّ انفاس الفتاة البريئة « تحت ليلة من ليالي الشتاء ، متغوّرة النجوم ، حالكة الجوانب »[3] . ويُساق وليّ الدين نفسه الى النفي « تحت ليل كأنه ظلّ الشقاء . »[4]

ولا غرابة في هذه المقاربة فالظلمات تدعو بعضها بعضاً ، والشاعر يختار منها ما يوافق عقليّته حتى اذا برزت له الصورة تركها ، مصقولةً او غير مصقولة ، الى غيرها من الصور المبتكرة يضعها الواحدة جنب الاخرى حتى يتكامل له المشهد ، وهو يتنقل بينها قفزًا لا يكاد يهتمّ باحكام الصلة بين الاقسام لشدّ ما يؤثر من الالوان والتصاوير ، وقد ذكرت عنه الآنسة ميّ انه قد يبرز معانيه صورًا كما في « غرّد الطير » مثلًا فانه يكتب « غرّد » كتابةً ويرسم « الطير » رسماً .[5]

---

١) الصحائف السود ، ص : ٧٢
٢) فضل كتب بالدموع
٣) الصحائف السود ص ، ١٥
٤) المظلوم والمجهول ٢ : ٥٢–الروائع ٢٣ : ٦
٥) ميّ : الصحائف ، ص ٩٢

وكثيراً ما كانت تتوسّع المخيلة بفاعيل سحر الالوان والتصاوير في نفس الشاعر فتوجد منها مقارنات وتشابيه مبتكرة حتى الغرابة ، وغريبة احياناً حتى الاضحاك. فهو لا يتراجع امام تشبيه طريف ، وان خرج عن الذوق او الاحتمال ، سواء في ذلك أكان الموقف موقف هزل ولهو ، او موقف جدّ وروعة . فبينا تراه يصوّر حالته برهبة وقد قُبض عليه وسيق امام المتصرّف ، اذا به يصف هذا المتصرّف بما يستضحك فيقول :

« اعوذ بالله !!! وجهٌ كاللبنة ، وعينان كالبصقتين ، ولحية كالطحلب ، وانف كالسواك . كل هذا يحمله عنق كخصر الهيفاء ، وجسد كزجاجة ماؤها صبغة اليود . . . »[1]

وبينا هو يبدي بكل جدّ ملاحظاته في اخلاق اهل سيواس ، اذا بـه يذكر نساءهم فيقول انهنّ « يمشين محجبات ساحبات فضول مآزرهنّ كجماعات الاوز ، او كاقطاع الغنم . . . » ويتابع ذاكراً سبب بعض عاداتهنّ : « هذا جهل لو انقلب علماً لأصبحت غربان سيواس فلاسفة . . . »[2]

الى غير ذلك من تعابير وتشابيه خاصّة به شاء السير بها على اسلوب طريف حرّ مستقلّ ، مطلقاً حريته في ميدان الادب ؛ مما جعل خليل مطران يقول عنه :

نمجزه شعراً ونثراً شواردٌ ابت كلّ سبر في طريق سبَّدِ

على ان هـذه الشوارد ، على ما فيها من غرابة ، هي التي تميّز تلك الشخصية المحبوبة في ولي الدين ، فتجعله قريباً للقلوب على تبـاين نزعاتها ، جذّاباً للمطالعين على اختلاف رغباتهم ، وعلى الجملة هي التي تكوّن الكاتب الشخصي . اما مَن لا يرون فيها سوى آثار الخروج على التقليد الجاري ، فهؤلاء يصعب عليهم فهم وليّ الدين ، وقد صعب على وليّ الـدين نفسه ان يُنير عقولهم ؛ فلم يكتب لهم . بل كأنه نظر اليهم بترفـع حين اصدر ذاك الحكم الذي صدّرنا به درسنا هذا ، والذي نؤمل ان يتحقّق ، وهو :

« ان اعرض عن مقالي اهل زماني ، فغداً يتهافت عليه ابناؤهم ! »

---

١) المعلوم والمجهول ٢ : ٢٦ ٢) الكتاب المذكور ٢ : ١٥٦

مجلة المجلات

المنفلوطي والانشاء الجديد — الانتقال من طقس الى آخر — الطب البيطري — الكنيسة الكاثوليكية والكنائس البروتستانتية

للاب توفل اليسوعي

المنفلوطي والانشاء الجديد

تعريباً عن نشرة المدرسة الشرقية في مؤسس لندن (١٩٣٩، ٢١٦) للمستشرق جيب، باختصار :

مصطفى المنفلوطي (١٨٧٦ — ١٩٢٤) هو غصن نبت على جذع نصفه تركي ونصفه عربي. تخرّج في الازهر، ونظم الشعر، وحرر «المؤيد» تحت ادارة الشيخ علي يوسف واظهر في مستهلّ حياته الادبية رحابة صدر وسعة افكار نادر وجودها عند المشايخ. اثر فيه المؤلفون السوريون واقرّ بفضلهم على مصر، ودبت في عروقه حركة الاصلاح الديني، وهي مزيج روح الوطنية الحديثة والغيرة على نشر الاسلام في العالم. جمع في شخصيته طرفي نقيض فصار ملتقى حركتين متقاومتين: حركة التشبث بالقديم وحركة الاندفاع الى الجديد. لسان حاله كتاب «النظرات». اظهره سنة ١٩١٠ لاول مرة، وجدد من بعد طبعاته وزاد مواده. وامتنع فيه وصبر على هجمات المهاجمين من حزب المحافظين وحزب المحدثين معاً. وما زال كتابه الى يومنا المؤلف الادبي الاكثر استغواء لقراء الآداب العربية.

عسير علينا تفسير جاذبية النظرات للقراء المصريين. لم يكن لها قبلها شبيه ولا مثيل، وفيها ما فيها من نبذات معطرات بعطر الهواء المصري، منجليات بلمعان ضيائه. لقد نال المنفلوطي من سويداء قلوب مواطنيه بانتخاب مواضيعه وانتهاج اساليبه، وهذه الميزات تحلى بها لا عن نظرات عميقة مبتكرة ولا عن

ممارسة التمرن على الكتابة ، ولكن بتصفحه كتاب جنانه فانه امعن النظر في نفسه ثم استودع القرطاس ودائع قلبه المصري ، بلغة وانشاء انما هما لغة وانشاء الدارس الذي اتقن دروسه . ولم يكترث لما يقع في منتوجات قريحته من تقاطع وتناقض بل استسلم الى فطرته بروح صافية وقلب سليم ، ووصف هذا الكون الصغير كما كان في مصر قبل الحرب ، وقد حواه ضمن جوانحه اعني به افكاره الشخصية.

وقف وقفة المصلح الديني وهاجم حزب المحافظين ومقامه المقدس ، الجامع الازهر ؛ وذم اكرام الاولياء وطعن بالدراويش وجمعياتهم الخ . . . وجاوز الحد حتى اخترق حرمة استاذه محمد عبده وعاتبه على تفسيره القرآن تفسيراً محدثاً ، مع ان المنفلوطي وقع في النقص ذاته . وقد يظهر تحمسه للاسلام تارة فيحكم على المدنية الغربية بالاعدام ، ويحتج على المسلمين تارة اخرى بتفظيعه مذابح الارمن . وانك لتستشف من كل صحيفة من صحائفه آثار المدنية الغربية.

ولعمري ان حكايته عنوان للهزة التي تمشت في اعطاف العالم العربي بتسرب الروح الاوربية فيه ، وذلك ان رجلاً نشأ بمعزل عن الحياة الاوربية ناله ما نال المنفلوطي من تأثير روسو وفيكتور هوغو . وهو مع ذلك لم يتصل بآداب الافرنج مباشرةً وقد جهل لغاتهم ؛ ولكنه عرفهم بواسطة المؤلفين السوريين ، فاستقى من فرح انطون افكاراً اختمرت في فؤاده ودفعته الى الكتابة باسلوب حذا فيه حذو الافرنسيين في القرن الثامن عشر وفي نهضتهم الادبية المعروفة بالرومانتيسم التي ازدهرت اوائل القرن التاسع عشر ، فاخذ المنفلوطي عن تلك الحركة الفكرية محاسنها وسيئاتها :

حاول وضع قانون لسعادة الشعوب «في مدينة السعادة» ، ودافع عن المسكين والضعيف في مقاله على «الاحسان» واسترسل الى عاطفة التشاؤم في مستقبل البشرية ، وانكر على المجتمع قلة انصافه حتى شك بكل عاطفة شريفة وكل سريرة صالحة.

على ان نبوغ المنفلوطي هو بانشائه اكثر منه بمعانيه.

شعر بحاجة الآداب العربية الى تجديد اساليب الانشاء والاسلوب الانشائي

الحسن لا يتم في نظره الا بحسن تشخيص عواطف الكاتب لقرائه . ولا غنى له في ذلك عن درس نوابغ الفصحاء من العرب لان افتقار الكاتب الى الالفاظ انما علته فقره لمطالعة المؤلفين العرب.

فاطلق المنفلوطي العنان لرائد الفكر ، وذهب على وجهه ينشد المعاني ويشنف الآذان عن غير قيد ولا اسر ، فكانت ثمرة منتوجاته معطرة بروح القديم ونشوة الحديث.

انشاء المنفلوطي حديث بطلاوته وخاصة في القصص ، وحديث في اوضاعه ورسوم مؤلفاتـه الطويلة . ربما استهل الكلام بمثل سائر او حكاية عامية واتخذهـا من ثم منوالاً نسج عليه مقالاً . وكثيراً ما توسع بها فجعلها فصلاً مطولاً.

على انه لم يتق شائبة التكلف فوقع في زلل عاب عليه غيره من الكتاب. فانتقد السجع وهو لم يخشه . نعم ان في السجع لزينةً ان وقـع في مكانه ولعل المحدثين من الكتاب قد افرطوا باهماله ، ولكن اذا حل السجع في غير موضعه اصبح مذمـةً ، وهذه المذمة لم يتبرأ منها المنفلوطي تبرأ تاماً . وسقط في حبائل العادة المألوفة عند كتبة العرب كلهم تقريباً ، فالتهى برنة الالفاظ وصفها دون العناية باستنباط الافكار وتسلسل المعاني.

الانتقال من طقس الى آخر

فسح الحق القانوني (بند ٩٨) في سبيل الانتقال من طقس الى طقس في شروط معهودة واصدر المجمع المقدس في ٦ كانون الاول ١٩٢٨ قراراً يدقق في تحديد الشروط المذكورة. ذلك ما اوحى الى مجلة ابوليناريس (١ الرومانية المخصصة لتفسير الحق القانوني الكنائسي مقالاً صدرته بالقرار المذكور ، وعلقت عليه من الفوائد ما اقتطفنا زبدته للقراء ، قالت:

ان سواد المسيحيين الاعظم تابع للطقس اللاتيني الروماني المنشأ ، والمنتشر في المسكونة. ولكن هناك شعوباً يؤمنون بالمسيح وهم على طقس غير اللاتيني ، وطقسهم دُعي ويُدعى شرقياً اصلاً وموطناً . وهو ، على تنوع اشكالـه ،

١) *Apollinaris, Mart.-Apr. 1929, p. 119*

منتشر في العالم اذ لا جهة من الجهات تخلو من تباع طقس من الطقوس الشرقية ، والطقوس الشرقية جذوع ومنها تشتق فروع.

فالجذع اليوناني البيزنطي يشتق منه الفرع البلغاري ، والروماني ، والملكي والكرجي ، والمسكوبي ، والروثاني.

والجذع الانطاكي يتفرع منه السريان والموارنة ، والكلدان ، والملابار.

وهناك الجذع القبطي والحبشي . ثم الجذع الارمني . وهذه الجذوع ، كالجذع اللاتيني ، نبتت على اصل شجرة واحدة وهي كنيسة المسيح ، الواحدة بايمانها وتعليمها ، المتشكلة بمظاهرها ومحاسنها.

ولكل طقس من هذه الطقوس لغته . فيستعملون في الطقوس الشرقية اللغات اليونانية ، والسريانية ، والقبطية ، والعربية ، والارمنية ، والحبشية ، والكرجية ، والسلافية القديمة ، والروثانية . وليس النظام الكنائسي بكامل في كل طقس من هذه الطقوس ، لان بعضها عدد مؤمنيها قليل جداً . واقل الطقوس عدداً هم الكاثوليكيون اللاحقون باديار الكرج ؛ واكثر الطقوس عدداً هم الروثان الكاثوليك ومجموعهم يزاهي الاربعة ملايين . وهؤلاء كلهم ابناء كنيسة المسيح ، على شرط ان يعبروا بطقوسهم عن الايمان والتعليم الذي اوحى به المسيح . ولا يحول تنوع الطقوس واختلافها دون ان يشمل الاحبار الرومانيون هؤلاء البنين اجمعين بمحبتهم الرعوية الساهرة.

وذكرت مجلة ابولبناريس مجهودات الاحبار الاعظمين في مناشدتهم المؤمنين الشرقيين الا يصموا الى دواعي الانقسام الآتية من الغايات البشرية ، ومن قلة التمييز بين الشؤون المدنية والروحية : لان كنيسة المسيح ليست بلاتينية ولا يونانية ولا سلافية ولكن كاثوليكية . وان اللاتين واليونان والسلافيين ومؤمني سائر الامم جمعاء لهم المكانة ذاتها في الكرسي الرسولي . وتوسعت المجلة المذكورة في تأدية الشواهد الدالة على هذه الحقيقة ، وتخطت من ثم الى الكلام في الاسباب القانونية الصوابية الكافية للترخيص بتغيير الطقس فقالت :

يجب ان تكون الدواعي عادلة وذات اهمية قاهرة . لئلا ينشأ عن التغيير ضرر للطقوس ، ومن ثم للنفوس ، ولئلا تنشب القلاقل والاضطرابات ، وتتهيج العاطفة القومية ، وينفتح الباب الى الاغراض المادية والمصالح العالمية . وانه دفعاً لهذه المخاطر قد تقرر ان الانتقال من طقس الى طقس لا يتم الا

عن رضى السلطتين المألوفتين في كلا الطقسين اعني بهما المنتقل منه والمنتقل اليه. وان لم يتم التفاهم والاتفاق على الامر، فيكون ممثل الكرسي الرسولي حكماً بين الفريقين. ومن ثم لم يأتِ القرار المذكور آنفاً بشيء جديد. انما هو مؤيد للبند ٩٨ من الحق القانوني اذ خطّ طريقاً اكثر مناسبة للظروف الحالية وآمن مسلكاً في البلوغ الى خير النفوس، وشدّ عرى الاتفاق والوحدة بين الشرقيين واللاتين.

الطب البيطري

ظهر في مجلة الزراعة الحديثة (٤[١٩٣٩]: ٢٢١) بتوقيع الطبيب البيطري رشاد ريفي مقال على الوسائل الواجب القيام بها للقضاء على امراض الحيوانات السارية ومنها تشجيع الاختصاصيين في طب الحيوان، والاتصال بعلم الطب البيطري الغربي بواسطة بعثات علمية. ذلك انما لا غنى عنه، وليس في بلادنا مدرسة لتخريج الاطباء البيطريين. قال الكاتب:

« من المعلوم والثابت معاً ان امراض الحيوانات السارية لا يمكن مداواتها بالعلاجات، ولهذا فقد سعى العلماء الى ايجاد اللقاحات الواقية والامصال الشافية وقد وفقوا الى هذه المكتشفات النافعة بعد تجارب واختبارات كثيرة قاموا بها في دور الاختبارات والبكتريولوجيا. ودب التنافس بين مختلف الحكومات للسبق في هذا المضمار الشريف فاخذت كل حكومة تنشئ في بلادها معامل للبكتريولوجيا البيطرية لصنع ما عددناه من الامصال واللقاحات ولم تقصر الحكومة العثمانية قبل الحرب العالمية في هذا السبيل، فأسست في الاستانة مختبرات للبكتريولوجيا البيطرية. ودرست قضية فتح فروع لهذه المختبرات في الولايات العثمانية، وكان من المقرّر فتح هذه المختبرات في دمشق وحلب فاعلنت الحرب وماتت الفكرة في مهدها.

اما وان الاشاعات تعلن عن رغبات الحكومات باصلاحات اقتصادية واسعة، اما وان بلادنا بلاد زراعية تعنى بتربية الحيوانات عناية مثلى وتستدر منها ارباحاً غير قليلة، فقد اصبح من واجب هذه الحكومات التفكير في فتح هذه المختبرات ما دامت الامراض السارية تزور بلادنا بين فترة واخرى كما كانت تزورها في السنين السالفة ان لم نقل اكثر

ان اكثر اعمال الاطباء البيطريين في حالة انتشار هذه الامراض اعمال سلبية ، فتراهم يكتفون باتلاف الحيوان المصاب الذي لا يرجون شفاء له او ابعاده من الحيوانات الصحيحة . يضطرون الى هذه المكافحة السلبية اذ لا يوجد لديهم امصال او لقاحات لمصارعة هذه الادواء مصارعة شديدة قاضية ، فيسلقهم الناس بسبب ذلك بالانتقاد المرّ ويقال عن مصلحة البيطرة انها ادارة عقيمة لا عمل لموظفيها الا القيام بما يقوم به الجزارون . واعذارهم ما سردنا وفيها من الوضوح والمنطق ما يقبله كل صاحب نصفة ووجدان ، والله يعلم اني لا اقول ذلك انتصاراً لابناء مسلكي ورغبة بالتماس العذر لهم وانما هي الحقيقة الواقعة التي نرضخ لحكمها القاسي في غالب الاحيان.

واعود فاذكر القرّاء بما كتبته سابقاً عن الطاعون البقري الذي انتشر العام الماضي في سهل البقاع واباد اكثر من سبعة آلاف رأس ذهبت ضحية هذا النقص في المعدات واللقاحات ، ولولا استجلاب المصل من مصر بما امكن من السرعة ومسارعة الحكومة الى اجراء التطعيم ، لقضي على بقر ذلك السهل الزراعي الزاهر قضاء مبرماً ، ولو قدرنا الخسارة بان ضمنا ثمن كل بقرة من البقر البالغ عشر ليرات ذهبية فتكون الخسارة سبعين الف ليرة ذهباً . واذا اضفنا الى هذه الخسارة ما خسره فلاحو الغوطة بسبب انتشار هذا الداء لكان المجموع كبيراً لدرجة نستصغر معها ما سيكلفنا مشروع فتح المختبرات البيطرية في البلاد . فالله نسئل ان يلهمنا جميعاً طريق الصواب.»

« فالضعف اصاب الكنائس البروتستانية ...

اما الكنيسة الكاثوليكية فقد اتقنت ...»

نشرت مجلة الهلال (يوليو) مقالاً في تضاؤل الايمان بعد الحرب قابلت فيه بين التأثير الذي احدثته الحرب الكونية في الكنائس البروتستانية وذلك التأثير في الكنيسة الكاثوليكية. واليك بعض اقوالها :

«من الظواهر السيئة التي اعقبت الحرب شيوع المجانة أو عدم الاكتراث نحو الدين . وهذه الظاهرة تكاد تكون عامة في الاقطار الغربية وخصوصاً

تلك الاقطار التي يشيع فيها المذهب البروتستانتي وهي قليلة في الاقطار الكاثوليكية.

فالضعف الذي اصاب الكنائس البروتستانتية في انجلترة واميركة والمانية انما أصابها لتحزبها ، أي لانها انضمّت كل منها الى الدولة التي تنتمي اليها . اما الكنيسة الكاثوليكية فقد انتفعت بحيادها سواء أكان هذا في فرنسة أم في ايطالية ام في سائر الدول الكاثوليكية المحايدة . فان حياد هذه الكنائس اوقفها موقفاً نزيهاً زاد كرامتها كما زاد كرامة البابا الذي اتخذ لنفسه خطة صارمة من الحيدة وكانت دعوته الى السلام خالصة لا تشوبها تهمة التحيّز

ان تضاؤل الايمان ظاهر جداً في انجلترة . ففي مدة الحرب عند ما تجند كثير من طلبة الجامعات اقفلت بعض الكليات الدينية بنية فتحها عقب الحرب. ولكن لمّا انتهت الحرب بقيت هذه الكليات مقفلة لأن الطلبة لم يقبلوا عليها ، وهي ما تزال كذلك الى الآن . والذي يلاحظ ان عدد المصلين بالكنائس يوم الاحد آخذ في الهبوط الى درجة تقلق جميع رجال الدين في انجلترة

فمن جهة نجد ان عدد طلبة الكليات الخاصة بتخريج القسوس قد نزل من ٢١٠٠٠ طالب تقريباً في اوائل هذا القرن الى نحو ١٦٠٠٠ طالب في سنة ١٩٢٨ . ومن جهة اخرى نجد ان متوسط الحاضرين للصلاة يوم الاحد في سنة ١٨٨٧ كان ١٢٩٩٦ للكنيسة الواحدة في العام ، بينما هو في سنة ١٩٢٧ لا يزيد عن ٣٩٦٠.

والكنائس البروتستانتية وخصوصاً الكنائس الانجليكانية تقفل في بعض انحاء انجلترة لقلة المصلين او لعدمهم ، بينما الكنائس الكاثوليكية تزداد قوة . فقد كان متوسط الحاضرين للكنيسة الكاثوليكية يوم الاحد ٦٥١١ في سنة ١٩١٤ فصار ١٢٦٠٤ في سنة ١٩٢٧.

ويعزو القسوس الانجليز هذا الانحطاط الديني الى ثلاثة اسباب :

اولاً — هجرة الاهلين من الريف الى المدن او « التمدّن » بمعناه اللغوي.

ثانياً — كثرة الملاهي يوم الاحد وهي بمثابة البدل من الصلاة

ثالثاً — روح العصر اي نزوع الناس الى المادية.

ولكن هذه العوامل الثلاثة لا تؤثر كما رأينا في الكنيسة الكاثوليكية تأثيراً سيئاً . فلماذا ؟

واتخذ الكاتب مثالاً من الحياة السياسية الاوروبية الحاضرة ومن سياسة الاحزاب وغيرهم الى التطرّف بين محافظين واشتراكيين ليفسر السبب المؤدي بالبعض الى المجانة او عدم الاكتراث نحو الدين، وبالبعض الى اعتناق الكثلكة ، وقال :

« هذا ما زاد الكنيسة الكاثوليكية قوة واشياعاً فانها تمثل الايمان البحت والتسليم بكل ما جاء في الكتب المقدسة . فهي من هذه الوجهة تشبه احزاب المحافظين في السياسة . »

واننا نثني على ما ابداه الكاتب من الانصاف نحو الكثلكة ، ونقول كلمة نذيل بها مقاله تكملة :

ان الاسباب الثلاثة التي نوه بها المؤلف من التسوس الانكليز وتأثيرها السيئ في الدين لم تشمل وطأتها على الكنائس البروتستانية فحسب بل ضربت اطنابها على الكثلكة ايضاً . ولكن تأثيرها في الكثلكة غير تأثيرها في سائر المذاهب لان الكاثوليك لهم في نظامهم الالهي اعني في وحدة الرئاسة ، ووحدة التعليم ، ووحدة الايمان ، ووحدة الاسرار ، ما يلحمهم ويقوّمهم على مقاومة روح التمدن بمعناه السيئ ، وكثرة الملاهي يوم الاحد ، والنزوع الى المادية .

فان الحبر الاعظم ورؤساء الابرشيات يسهرون كل السهر على تعيين رجال أكفاء للقيام بخدمة النفوس في المدن ، وهؤلاء يسعون جهدهم بالاختلاط في الشعب ولم شعث الواردين الى المدن من الارياف ، ومقاومة ملاهي الاحد بالاجتماعات الدينية والاخويات وخاصةً بالاحتفال بالقداس الالهي ، وقد ترى ان لا قرية من القرى في البلاد الكاثوليكية ، فضلاً عن المدن ، تمضي عليها الستة من غير ان يزورها واعظ او مرشد ، فتلقى فيها ارشادات الرياضة ويقبل المؤمنون على الاعتراف بخطاياهم وفيه ما فيه من اماتة النفس وقرع الصدور والندامة وراحة الضمير وسلامة القلب . ثم يلي الاعتراف مناولة جسد الرب والتردد على المعابد والبيعات . انما هي الحياة الدينية الحقيقية مع ما تقتضيه من التضحية بالذات والكفران بالنفس ، تستمدها الكنيسة من رئيسها المسيح المنظور بشخص بطرس وخلفائه وتمي بها اعضاءها فتفهم شرور تفاؤل الايمان وتسير بهم الى السعادة الابدية

على عهد الامير

لماذا ؟

رواية لبنانية تاريخية

بقلم فؤاد افرام البستاني

وقد يكون من الابناء ضحايا في سبيل آبائهم
من حيث لا يعلمون

الفصل التاسع

مصاب جديد (تابع)

امّا فرحات فكان اشدّ حيرة تجاه موقف ابن مولاه ، يفتش عن تعبير يقطع به ذاك السكوت فلا يجد ، ويبحث عن كلمة يخفّف بها تلك اللوعة فلا يتوفق . يهمّ بان يحدّثه عن الانتصارات الباهرة في المعارك الاخيرة فيتراجع قائلاً وما نفع تلك الانتصارات بعد ان قُتل الامير جهجاه ؟ ويجرّب ان يتكلّم عن بدور وتجلّدها فينتبه الى ان ذاك الموضوع يجرّ الى التفكر بحالة الست سعدى ومرضها المقلق ؟ ويوشك ان يتبسّط في اخبار دير القمر وما صارت اليه بعد رجوع الامير ثم يهاب ان يفتح جرحاً بليغاً في قلب غانم اذا ما قرب الموضوع من قصر الشربين.

وما زال الاثنان في تلك الحالة من الجمود والصمت ، يهاب فرحات ان يقول ما يحزن ابن مولاه ، ويهاب هذا ان يسأل فرحات فيسمع ما يضاعف آلامه ؟ حتى طرق الباب فجأة ، فاختلج غانم وقام لفتحه ، واذا به يرى احد اغوات السراي . فسلّم عليه بكل لطف وقال :

— مولانا الباشا بحاجة اليك !

— سمعاً وطاعة ! انتظرني ريثما البس عباءتي واسير معك !

ثم اشار الى مقعد فجلس عليه الآغا . وتحوّل نحو صندوقه فاخرج عباءة بيضاء مزركشة ، وكوفية حريرية ، وعقالا مذهباً . ثم تناول خيزرانة رفيعة ، واقبل نحو الباب بعد ان قال لفرحات بلهجة مطمئنة .

— لا شكّ ان سعادة الباشا يطلبني ليكلمني عن الامير ، ويهنئني بانتصاره . فالبث هنا حتى اعود ، فتحمل الى الامير تهانئ الباشا واوامره الاخيرة .

ثم التفت الى الاغا ، وقال :

— هلمّ بنا كي لا نطيل انتظار سعادة الباشا .

فخرجا ووجه غانم يطفح بشراً ، وخطواته تحمله سروراً ، حتى كان من ينظره لا يشكّ في انه اسعد اهل الارض ، وابعدهم عن الهموم !

فذهل فرحات لهذا الانقلاب السريع ، وكبر ابن مولاه في عينيه ، فاخذ يعجب بسعة صدره ، ورباطة جأشه ، وصبره على احتمال الرزايا ، ويقدّر له مستقبلاً باهراً في عالم السياسة والادارة ، راجياً ان يخلف جدّه في رئاسة الحزب ، ويكون من ادنى مقرّبي الامير بشير .

* * *

اذن الجزّار لغانم بالدخول فتخطى صفوف العساكر بقدم ثابتة ، ونظر شامخ ، حتى بلغ المجلس ، فاستقبله الباشا باشّاً ، واشار اليه متلطفاً فجلس . ثم اقبل عليه مبتسماً وقال :

— لقد سُرّنا كلّ السرور بفوز ولدنا الامير بشير ! وهذا ما كنّا نقدّره له لما نعرفه من حسن ادارته ، وحزمه وتعوّده تذليل العقبات ، والانتصار على الصعوبات . واننا نكلّفك بان تبلغه تهانينا .

فحنى غانم رأسه . ثم تقدّم من الجزّار ، فقبّل يده ، وقال :

— الشكر لكم يا مولاي على كل حال . وما الامير بشير الا فرد من جنودكم المظفّرة . نال النصر بمساعدتكم ، وفتح بلاد العدوّ باسمكم الكريم . وكيف لا ينتصر ، وخاطركم مشروح عليه ، وكيف لا ينخذل الاعداء وغضبكم حالّ عليهم .

فعلت شفتي الجزّار ابتسامة الغبطة والهناء ، واشار على غانم بالعودة الى

مركزه ، وتابع :

— ومما سرّني ايضاً انه عرف حق الجيش الذي ارسلته لمساعدته. فلم يماطل بتقديم «العلاين» المقرّرة للقواد والجنود ، واعطاهم فوق اللازم فكانوا مسرورين منه غاية السرور . وقد ارسل يعدني بتقديم قسم من الميري في اقرب وقت.

— كلّ هذا يدلّكم يا مولاي على مبلغ امانة الامير بشير لكم ، وتعلّقه بشخصكم الكريم !

— لم يكن عندنا ادنى شكّ بهذا الامر. واما انت فنعيدك ان شاء الله ، الى بلدك قريباً ، محفوفاً بعنايتنا ، كما كنت دائماً في هذا السراي . أليس كذلك ؟ قل: هل تضجّرت من امر ما ؟ هل نالك احد باذىً ؟ هل عاكس احد ارادتك ؟ لا علم لي بشيء من ذلك ! قل ! وان يكن نالك مكروه اثناء اقامتك في قصري ، فلا يمكنك ان تلومني لانك لم ترفع اليّ شكواك !

— لا يا مولاي ! فليس ما اشكو منه. بل بالعكس فاني كنت ولا ازال مشمولاً بعنايتكم السامية ، محفوفاً بنظركم العالي . وليس لي ما اتمناه سوى ان اقضي العمر مرموقاً بعطفكم سائراً في طاعتكم ، مقيماً حيث شاءت ارادتكم المطاعة.

فهزّ الجزّار رأسه موافقاً ، ولها بلحيته قليلاً ، وقال :

— اننا سنذكر دائماً هذه الطاعة ، ولا نضيع فرصة لاسعادك . فنسمح لك منذ اليوم ان تقيم خارج القلعة . في الجانح الايمن من سراي مصطفى آغا الذي سيوكل بخدمتك ثلاثة من خصيانه يقومون بكل ما تريده من المرافق والحوائج.

ثم التفت الى مصطفى آغا فحنى هذا رأسه علامة الخضوع وقال :

— الامر لمولاي !

وادار الجزّار رأسه الى ناحية كاتبه عبدالله آغا وتابع ، موجهاً الكلام الى غانم :

— وسيكتب لك عبدالله آغا وثيقة بامضائنا تخوّلك الحق المطلق في الذهاب حيث شئت ضمن حدود المدينة . فتدخل المحلّات التي يمنّ على بالك ان

تدخلها ، وتجول في الاسواق التي ترغب الجولان فيها ، وتطوف الخانات التي تحبّ الطواف بها ، فتحادث من تشاء من تجّار الافرنج والعرب ، ولا مانع يمنعك ، ولا رقيب عليك . ثم انت حرٌّ في منزلك ، لا احد يسألك عمّا تصنع فيه ، ولا احد يدخل عليك الّا باذنك.

فكتب عبدالله اغا الوثيقة بكل ما تقدّم . فوقّع عليها الجزّار ، ثم ناولها لغانم . فاخذها هذا واقفاً ، وانحنى فقبّل يد الجزّار شاكراً. ثم استأذنه بالذهاب ، فاذن له ، وارسل معه مصطفى آغا الخدم الثلاثة ينقلون متاعه من غرفته الصغيرة في القلعة الى منزله الجديد.

* * *

كان فرحات يتطلّع من نافذة غرفة غانم على الطريق المؤدّي الى مجلس الجزّار ، متوقعاً عودة مولاه بين الآونة والاخرى . فبصر به راجعاً ووراءه رجال ثلاثة ، فظنّ شرّاً واخذ يفكر فيما عسى تكون عاقبة الامر ، مستعيداً في مخيّلته ما قد يكون هيّج غضب الجزّار على غانم ، مستنتجاً اسوأ النتائج. حتى وصل غانم ، فحيّاه فرحات مضطرباً واشار بطرفه مستفهماً عن مقصد هؤلاء الرجال . فابتسم وقال:

— هؤلاء رجالي ! اتوا ينقلون امتعتي الى المنزل الجديد . فهلمّ بنا نتفقّده.

وبعد ان اشار الى اثنين من الخصيان بنقل الامتعة شيئاً فشيئاً . سار وراء الثالث الى سراي مصطفى آغا ، وفرحات يرافقه ولم تنجلِ له الحقيقة بعد . فاخذ غانم يشرح له ما كان من سرور الجزّار بانتصار الامير بشير ، وخصوصاً بتوقّع قبض اموال الميري في القريب العاجل ، ويصف له كيف استقبله بالترحاب ، وكيف انعم عليه بالمنزل الجديد وبالحرّية المطلقة بان يصنع كل ما يريد ويذهب حيث يشاء ضمن حدود المدينة.

فسُرّ فرحات لسرور مولاه ، ورجا ان تكون هذه الحرية دافعة به الى التأسي والسلوان.

وبعد ان تمّ نقل الامتعة ، ورتّبت . جلس الاثنان فتناولا الطعام معاً . ثم قام غانم فانشأ تحريراً للامير بشير يخبره بكل ما حدث . وتحريراً لبدور

يطمئنها الى حالته ، ويخبرها بما ناله من الحرّية ، داعياً اياها الى الصبر ، والتسليم في كل شيء ، لمشيئته تعالى.

وناول التحريرين فرحات ، فحفظهما في عبّه ، الى ان كان السحر فهبّ من نومه ، وشدّ طماقاته ، ولفّ زوّادته بمنديل وربطه الى ظهره ، ثم تناول عصاه الضخمة ، وودّع مولاه على ان يعود في الاسبوع القادم ، ان شاء الله.

الفصل العاشر

على غير ميعاد

تغيّر منزل غانم ، فتغيّر مقامه في نظر موظفي بلاط عكا . فمن رجل غريب أُخذ رهينة ، لا تأثير له ولا قيمة ، يعيش منفرداً في غرفة حقيرة من مؤخّر القلعة ، انتقل بسرعة غريبة الى صديق محالف يُقيم في جانح مهمّ من سراي كبير ، يحبّه الجزّار ويدعوه الى مجلسه ، فيقرّبه منه ، ويتفقد احواله. هذا ما كان يفكّر به رجال البلاط اذ كان يمرّ غانم امامهم ، فينحنون لمديه مسلّمين ، بعد ان كانوا لا يأبهون له اذا حيّاهم . هو الدهر يدور فيرفع من يشاء ويضع من يشاء ، وقد لا يكون لهؤلاء ولا لأولئك ارادة في ما يُغدقه عليهم من النعم او في ما ينزله بهم من النوائب. ولم يكن سبب دورة الدهر هذه التي رفعت غانم الى تلك الدرجة سوى حرص الجزّار ونهمه الى المال ، وما ارسله اليه الامير بشير من الوعود الخلّابة.

امّا غانم نفسه فلم يكن ليشعر بتغيّر حالته ، ولا لينتبه لجماهير المسلّمين عليه حال مروره في ساحات القلعة . ليس عن صلف او استخفاف ، بل لفرط ما كان يشغل فكره من احوال الوطن ومن فيه.

لقد سُرّ دون شكّ بتغيير مقرّه ، اذ استبدل بتلك الغرفة الحقيرة ، منزلاً فخماً ، واصبح له من يقضي حاجاته ويقوم بخدمته ، وصار يمكنه الذهاب حيث شاء ، دون رقيب يحدجه ببصره ، ولا حارس يمنعه الدخول الى المحل

الفلاني . لقد سرّ ايضاً بما رافق هذا التغيير من اغترار الموظفين بقدره ، فكان يعجب بصغر عقولهم ، ويتفكه بما يبدونه امامه من مظاهر الاحترام والاجلال . كل ذلك لأنهم سمعوا الجزّار يخاطبه برقة ولطف ، وهم لم يتعوّدوا منه الّا الجفاء والغلظة ؛ ورأوه يهتم به ، وهم لم يعرفوا منهُ الّا الاستخفاف وعدم المبالاة .

على ان هذا السرور لم يكن ليملك على غانم شعوره ، بل لم يكن ليعزّيه عن مصائبه الماضية ولا عمّا يخشاه من المستقبل الغامض . فكان في منزله الجديد ، هو في غرفته القديمة ، لا يرخي الليل سدوله حتى يرخي العنان لعبراته فيجمع بين ظلمة الدجى ، وظلمة الدموع ، وظلمة الافكار السوداء تنتاب مخيّلته . كان يبكي على امّه التي لم يعرفها ، وعلى ابيه غانم الذي لا يتخيّله ، وعلى جدّه الشيخ قعدان الذي لم يمكنه ان يغمض عينيه ، وعلى عمه المير جهجاه الذي لم يودّعه . ويبكي ايضاً على الست سعدى في حياتها ليأسه من رؤيتها . ويبكي على بدور التي طالما انعشت آماله الميتة ، ونفخت في مستقبله الاسود روح حياة ورجاء ... ثم يبكي على نفسه وحيداً في بلاد غريبة .

كثيراً ما كان يقضي ساعات طويلة من الليل على نافذة غرفته يسرّح ابصاره في السماء الصافية الى البحر الواسع ، فيرى النجوم تترجرج في قبتها مرقصة خيالاتها فوق الموج المتمايل ، فيناجي ارواح اعزّائه ، حتى يخالها هائمة في الفضاء الفسيح ، مشمشمة بالانوار العلوية ترقبه من فروق الكواكب ، فتسدّد خطاه في حياته وتبسم له في مآتيه ، فيتشجع ، ويسكن ، ريثما تهوي النجوم واحدةً واحدةً وراء الافق البعيد ، فتغور معها آماله واحداً واحداً في بحر اليأس المضطرب .

وكان ، اذا اصبح ، وخاف ان يكتشف الغرباء نجواه الليلية في عينيه الذابلتين ، ووجهه الذاوي ، ونظره التائه ، تجلّد وغسل وجهه ، وخرج متكلّفاً الطمأنينة جائلاً في انحاء المدينة ، علّه يروّح النفس من بعض ما يُلمّ بها . فكان يهيم من قيساريّات الحرير الى اسواق المواسم ، الى خانات الافرنج ،

يتوقف عند كل ما يلفت نظره ، ويحدث كل من يراه غريباً مثله حتى اصبح له معارف عديدون بين الافرنج ينتظرون مروره كل يوم ، فيكرمون وفادته ، ويحادثونه بعربيتهم الضعيفة ، ولفظهم المفكك . فاطمأن الى صداقتهم ، وعرفوا انه مسيحيّ لبناني ، فكانوا كثيراً ما يكلّمونه عن دينه الذي هو دينهم ، وعن وطنه الذي يحبونه . فيفعل كلامهم في قلبه ، ويضع بلسماً لطيفاً على جراحه المتعدّدة ، فيُعيد الكرة ويعيدون البلسم ، حتى تمكنت الصداقة بين الفريقين واصبحت زيارته لخان الافرنج من الواجبات اليومية .

وكان الجزّار ، اثناء ذلك ، لا يفتأ يدعوه الى ديوانه ، فيكثر له من ادلّة الاكرام ، ويُعيد على مسامعه كلمات عذبة تدلّ على رضاه عن اعمال الامير بشير ، وعلى عطفه على بلاده واهتمامه بتقدّمها وفلاحها . فكان غانم يشكره ويدعو له بطول البقاء ودوام العزّ ، ثم يعجب بنفسه من تأثير المال في هذا الطاغية وهو لم يقبضه بعد ، فكيف به اذا قبضه !

امّا مصطفى آغا صاحب السراي ، فكان غانم ينفر منه في اول الامر لغير ما سبب ، سوى انه راعه ظاهره ، فهابه . وفعلاً كان ظاهره ممّا لا يدفع الى الطمأنينة . قامةٌ فوق الربعة قليلاً ، وجسمٌ مضطرب الحدود لا يكاد يميز الناظر طوله من عرضه ، بدا منه بطنٌ كبير مترهّل يعلوه صدر ضخم ، وكتفان غارقتان ، يتدلّى منهما ذراعان مفرطا الطول ، ينتهيان براحتين مبسوطتين واصابع مربّعة الاطراف لا تدلّ على شيء من دقّة الحسّ او لطف الذوق . امّا الراس فكان مربّعاً ضخماً ، ضاق جبينه ، وتفلطح مؤخره ، وتباعدت عيناه السوداوان الصغيرتان ، يفصل بينهما انف ضخم طويل الارنبة ، ويخيّم عليهما حاجبان كثيفان ، يكادان يتصلان بالشاربين وقد استطالا وتشعّث طرفاهما فعلقا باطراف لحية كثّة تُركت للطبيعة تأخذ منها ما تشاء وتدع ما تشاء . وقد انفرجت عن فم كبير وشفتين سميكتين تدلّت سفلاهما مقلوبةً قليلاً ، وتقلّصت العليا عن اسنان كبيرة .

كل ذلك لم يكن يدفع الى الطمأنينة ، فهابه غانم حتى الحذر . ولكن ما هو ان حادثه قليلاً حتى عرف ان وراء ذاك القناع الشنيع ، قلباً طيباً ، ولطفاً

فطرياً ، وظرفاً جميلاً ، وحسن معاشرة جديرة بالاعتبار . وهكذا كثيراً ما يكذّب الباطن تأثير الظاهر ، وكثيراً ما لا يكون الوجه مرآة النفس.

ولم يمض القليل حتى اصبح مصطفى آغا من اخلص اصدقاء غانم يجتمعان المرّات في النهار ، ويقضيان الليالي معاً. فيأخذ الاغا يسرد النكات الظريفة ، والنوادر المفكهة ، والحكايات اللطيفة مما حدث له او لاصدقائه او للجزّار ، وغايته ان يسلي غانماً وينسيه بعض همومه . فغدا غانم يأنس الى معاشرة صديقه الجديد ويتفكه باحاديثه اذ كان يمثل القصّة التي يرويها بصوته ورأسه وعينيه ، ويديه ، وبطنه ، وكل جسمه . فيتركها اثراً حياً لا ينساها من يسمعها المرّة الواحدة ، ولا يملّ من سماعها مرّات.

واحب مصطفى اغا غانماً حباً ابوياً ، خصوصاً بعد ان عرف ما المّ به من الرزايا ، فلم يكن يتركه وحده الّا في الليل ، وبعد ان يتأكد بانه نام دون ان يترسل للهواجس المؤلمة . وكان يسهر على كل احتياجاته ، فلا يشعر غانم بالحاجة الى امر ما حتى يراه في غرفته.وكان كثيراً ما يدعوه الى تناول الطعام على مائدته فيدخله بيته ، ويستقبله بكل بساطة وارتياح.

* * *

مرّ زمن على غانم وهو في تلك الحال من دعة العيش واساليب الراحة التامّة ، لا يقلق خاطره سوى انتظار فرحات وما يحمله من الاخبار ، ولا يكدّر صفاء حياته سوى تلك الهواجس التي لم تكن تفارقه على الرغم من مظاهر السكون والطمأنينة ، هواجس سوداء مزعجة كانت تحوم به حول قصر بعذران فتمثّل له الرزايا المختلفة على مختلف انواعها حتى كان يخشى من متابعتها ، فيطردها... ولكن الى حين.

وكانت تلك الهواجس ، كلما طال غياب فرحات ، تجسّمت وتجمهرت واكفهرّت فازعجت المسكين في نهاره ، واقضّت مضجعه في ليله. فلبث حائراً تائهاً ينتظر تارةً رجوع خادمه الامين بايّ خبر كان ... علّه يتخلص من تلك الحالة القلقة التي لا تستقرّ على شيء ، وهي اشدّ تأثيراً من وقع المصيبة يعرفها الانسان ، فيضطرب لها مدّةً ثم يسكن الى الحقيقة الواقعية ؛ وطوراً يخشى

من رجوعه مفضّلاً ذاك الموقف القلق ، على تحقق مصيبة جديدة . على ان الاقدار بيد الله يديرها كيف شاء .

بينا كان غانم ذات مساء مستنداً الى نافذته وقد فارقه مصطفى اغا ، فاستسلم الى قنوطه ، حتى تاه بصره على تلك البيداء المتماوجة ، واصبح لا يفكر في شيء محدود ، دخل عليه احد خدمه ببطء وقال بصوت خافت :

— على الباب فارسان يودّان محادثتك يا سيدي !

فانتبه غانم من ذهوله ، وفرك عينيه ، وقال :

— أزِ المسرجة ، وادخلهما .

ظهر فرحات على عتبة الباب يقود بيده الفارس الآخر . وكان غانم ينتظرهما واقفاً وقد ضغط بيده اليسرى على قلبه ليخفّف نبضاته . وما هو ان لمع نور المسرجة على وجهيهما ، حتى ادرك المسكين هول المصيبة الجديدة ، فتراخت اعصابه وهوى على الديوان . فاسرع فرحات ونضح على جبينه الماء من ابريق كان في النافذة ، بينا كانت بدور تفرك يديه . فافاق مذعوراً ، واجال نظراً تائهاً في الوجهين ، ثم اغمض جفنيه واجهش الثلاثة بالبكاء .

وكان احد الخدم ، لما رأى ذاك المشهد المحزن ، اسرع الى مصطفى آغا وهو يعرفه صديق غانم الصدوق ، فاخبره بالامر . فقام هذا عن العشاء وهرول الى منزل غانم مستفهماً عما جرى . فتلقاه بجفن دامع ، ونَفَس لاهث ، وقال :

— مصيبة جديدة يا مصطفى آغا ! هذه خطيبتي تحمل اليّ نعي انها امرأة عمي .

فحزن الآغا لهذا المشهد المؤثر ، وبعد ان رفع عينيه الى السماء قال :

— خفّف عنك يا بنيّ وكفكف دموعك ، فلا مردّ لحكمه تعالى ، والمصائب محكّ الرجال ، فكن رجلاً . واعلم ان الرزايا متى توالت تولّت ، والله يجرّب خائفيه فعسى تكون هذه المصيبة آخر تجاريبه . ولا تنسَ أنا لله وانّا اليه راجعون .

وبعد فترة سكوت تقدّم مصطفى آغا من غانم وقال :

— لا شكّ بان السيدة تعبة ، وكذلك رفيقها ، وانت لم تتناول عشاءك بعد .

فارجو منك ان تتلطّف وتكون معهما في ضيافتي هذه الليلة.

ثم تناول يده فلم يمانع . وسار الجميع الى بيت مصطفى آغا فتناولوا ما سدّ جوعهم وتحوّلوا الى ردهة السهرة ، فقال الآغا :

— اذا اذن الشيخ غانم ، فان النساء في الحرم ينتظرنَ السيدة فتقيم معهنّ قليلًا ، فيتعرّفنَ اليها ويسلّينها.

فشكره غانم واشار الى بدور فسارت الى ردهة النساء فاستقبلنها بكل لطف ، واقبلنَ يعزّينها بكل ما في قلوبهنّ من عواطف.

وعند الساعة الثالثة ، استأذن غانم من مضيفه بالانصراف فوقف هذا ورافق ضيوفه حتى المنزل . ثم حيّاهم وكرّر التعزية والوصية ، وانقلب آسفاً لما جرى.

* * *

من الصعب وصف مشهد الثلاثة ذاك الليل ، اذ كانت بدور تخبر غانماً تفاصيل وفاة امها بصوت تقطّعه الزفرات فيجاوبها هو بالنشيج ، ويبكي فرحات صامتاً . الى ان بلغ الجهد من الثلاثة ، فدخل كلّ الى غرفته ونام نوماً ثقيلًا حتى الفجر.

عرف الجزّار ، في اليوم الثاني ، بمصيبة غانم وبقدوم خطيبته . فارسل للحال كاتبه عبدالله آغا لتعزيته ، واوفد احدى نساء حرمه مع جاريتها لتعزية بدور . فشكر له غانم هذ التنازل.

وما لبث الخبر ان انتشر في البلاط وفي المدينة . وكان لغانم اصدقاء كثيرون ، فاقبلوا يعزّونه ويحلّونه بجميع اساليب السلوان . وكثيرًا ما كان يأتي نساء الموظفين ايضاً فتستقبلهنّ بدور في حرم مصطفى آغا.

وكان ممن اقبلوا التعزية بعض تجار الافرنج ، يتقدّمهم راهب فرنسيسكاني عرفه غانم في احدى قيساريات الحرير ، اسمه الاب توما . فقدّم لغانم اخلص عواطفه ، وعرض عليه ان يحتفل بقدّاس وجنّاز عن نفس الفقيدة يحضرهما جميع المسيحيين ، فشكر له غانم هذا الفضل . وعيّنا لذلك يوم خميس الصعود سنة ١٧٩٦.

غصّت الكنيسة في اليوم المذكور باصحاب غانم من الافرنج والوطنيين ، وكان في مقدّمتهم عبدالله آغا نائباً عن الجزّار ومصطفى آغا . وكان غانم جاثياً في الوسط على مركع خشبي ، والى جانبه عن اليمين بدور وقد لبست حبرة سوداء ، وغطّت وجهها بيديها مفكرة بما صارت اليه من اليُتم ، والتغرّب . امّا هو فلم يكن بامكانه جمع افكاره اثناء الذبيحة الالهية ، بل كان يحوم بمخيلته حول دير القمر وبعذران يراجع في نفسه ما احاق به من البلايا في هذه المدّة الاخيرة من حبسه في عكا ، الى وفاة جدّه مقهوراً ، الى مقتل المير جهجاه ، الى وفاة الست سعدى حزناً على زوجها ، الى تبدّد ارزاقه وارزاق بدور ، الى تضعضع الحزب السياسي الذي طالما رجح الاحزاب اللبنانية جميعها .

كل تلك الخواطر كانت تنشب في ذهنه وتضطرب متشابكة . ثم يلتفت فيرى الكاهن غارقاً في صلاته فيسلّم لمشيئة الله . ولكن لا يلبث ان يحوّل وجهه الى جهة بدور ، فيراها وقد جلّلها السواد ، آية الحزن وعنوان الاسى ، فيعود بافكاره المضطربة الى حالتها وما سيخبئ لها وله القدر المشؤوم .

وما زال على تلك الحالة من الاضطراب يبدأ بالصلاة فيشرد فكره بعيداً ، ويهمّ بالتأمل في الذبيحة الالهية فلا تطاوعه هواجسه ، حتى انتصف القداس ، ودار الكاهن ليقرأ الانجيل بالعربية ، فوقف الجميع ، وارهفوا آذانهم ، واذا به يقرأ :

« الحقّ الحقّ اقول لكم إن من يسمع كلامي ويؤمن بمن أرسلني له الحياة الابدية ، ولا يصير الى دينونة . لكنه قد انتقل من الموت الى الحياة . الحقّ الحقّ اقول لكم إنها تأتي ساعة ، وهي الآن حاضرة ، يسمع فيها الاموات صوت ابن الله والذين يسمعون يحيَون . لأنه كما ان الآب له الحياة في ذاته ، كذلك أعطى الابن ان تكون له الحياة في ذاته . وأعطاه سلطاناً ان يُجري الحكم بما انه ابن البشر . ولا تتعجبوا من هذا لانها تأتي ساعةٌ يُسمع فيها جميع من في القبور صوت ابن الله . فيخرج الذين عملوا الصالحات الى قيامة الحياة ، والذين عملوا السيئات الى قيامة الدينونة . »

وبعد الانجيل لفظ الاب توما عظة صغيرة ملؤها عواطف التعزية والاتكال

على الله ، حفظ منها غانم قول المسيح : « مَن آمن بي ، وان مات ، فسيحيا » فتعزّى بذلك عن حزنه الشديد اذ كان له ملء الثقة بقول السيد له المجد ، وكان يعلم ان كل موتاه كانوا من اخلص المؤمنين ، واوفرهم غيرة على دينهم . . . ثم التفت الى بدور فرأى على وجهها دلائل الطمأنينة والصبر ، فزادت تعزيته ، وبارك اسم الله شاكرًا له النعم التي يهبها على قدر المصائب .

الفصل الحادي عشر

عرس غريبين

كالمهر الاصيل العتيّ يروضه الفارس الجبّار راكضاً اياه في الفلوات المقفرة ، تحت اشعة الشمس المحرقة ، بين الغبار المتكاثف ، فيذلل جموحه ، ويخفف من غلوائه ؛ فيرجع منهوكاً لغباً يجرّر حوافره على الارض اللينة ، ويستقبل نسيم المساء الرطب بمنخرين أدمتهما السموم ، ولكنه لا يزال يلمع في عينيه نور الخيلاء ، وفي رفعة رأسه آثار الاصل الكريم .

كالنخلة الباسقة السحوق على حدود القفر المحرق ، تحمل عليها العواصف فتلويها ، وتنقضّ عليها الامطار فتبللها ، ويتصاعد حولها الغبار فيحجبها عن ابصار الناظرين ؛ على انها لا تلبث ان تتخلص من تلك النوائب ، واذا بها مهشمة الاطراف ، مشقّقة الاوراق ، ولكنها لا تزال شامخة الرأس على توالي الخطوب .

هكذا ظهرت لغانم ابنة الامراء ، وقد تراكمت عليها المصائب فأدمت قلبها الحسّاس ولكنها لم تكدّر عقلها المنير ، وقصمت ظهرها ولكنها لم تحنِ رأسها ، وذهبت بما كان في حركاتها من ظرف لطيف ، ودلال جذّاب ، ولكنها ابدلتها به خبرةً ورزانة وهيبة . فكان غانم كلما فكّر بها ظهرت له الفضيلة المرزأة ، والايمان الصابر المستسلم ، والجمال الذي زاده الحزن وقارًا ، والذكاء الذي اكسبه الاختبار تعقّلًا واصالة رأي . (لها بقية)

شذرات

اول شخص من رعية دولة الفاتيكان

رزق احد الموظفين في دائرة رئيس حجاب قداسة البابا ، غلاماً ذكراً ولد في ١٦ حزيران الماضي ، في احد احياء حاضرة الفاتيكان ، فكان اول شخص من رعية الدولة الفاتيكانية . وقد دعي بالاسماء الآتية : بيوس ، ڤيكتور ، بطرس ، بنيتو . وكلها رمزية تشير الى الحادث السياسي العظيم في هذه السنة .

مجموع سكان العالم

تقول المؤسسة الدولية للاحصائيات في لاهاي ان عدد سكان العالم زاد كثيراً عما كان عليه سنة ١٩١٠ ، وقد كان تلك السنة ١,٦٠٠ مليون . اما اليوم فهاك تقسيم السكان بحسب القارات على التقريب :

اوربة	٥٠٠	مليون
آسية	٩٠٠	«
افريقية	١٥٠	«
اميركة	٢٢٠	«
اوقيانية	٠٠٧	ملايين

ويظهر ان اكثر البلاد سكاناً بالنسبة الى مساحتها هي جزيرة جاوى التي تفوق بلجكة وهذه اكثر بلدان اوربة سكاناً في الكيلومتر المربع .

ويرى بعض العلماء الاحصائيين ان الارض يمكنها احتمال عدد اوفر من الناس ، وان منطقة خط الاستواء يمكنها اعالة عدد من السكان بمعدل ٤٠٠ شخص في الكيلومتر المربع ، وهي نسبة ترفع الى خمسة اضعاف بل الى عشرة عدد سكان الارض . على انه اذا صح هذا التقدير كانت الفائدة منه للجنس

الاسود ليس غير . لانه ان كان بامكان البيضان ان يعيشوا قليلًا حوالي خط الاستواء ، فلا يظهر انه بامكانهم النموّ والتكاثر هناك حتى يحققوا هذه الارقام المجازف فيها .

احصائيات فلسطينية

بلغ عدد سكان فلسطين وشرقي الاردن ، في اواخر سنة ١٩٢٧ ، اكثر من ثمانمائة الف نفس منهم ٥٩١،٠٠٠ مسلم ، و ١٤٧،٧٠٠ يهودي ، و ٧٦،٠٠٠ مسيحي . وقد ظهر ان شيوخ القرى الاسلامية كانوا ، اثناء الاحصاء السابق ، يزيدون عدد سكان قراهم في سبيل غاية انتخابية . وقد اعطت البطريركية اللاتينية في القدس لائحة بابناء رعيتها فكان عددهم ٣٨،٠٠٠ منهم ٧،٠٠٠ في شرقي الاردن .

اما النقد المتداول في آب ١٩٢٧ فكان منه : ١٦٥،٠٠٠ ليرة من العملة الفضية و ٢٧،٠٠٠ من العملة النيكلية ، و ٢،٤٤٨ ليرة من البرونز و ١،٦٩٢،٥٠٠ ليرة من ورق النقد . ويظهر ان حالة السكة الحديدية على تخاذل متواصل امام تقدم النقل بالسيارات ، فالمنافسة هناك كما هي في بلادنا . وقد تُرك البحث في مدّ خط حيفا — بيروت لانه لا يقوم بنفقاته ، وصُرفت العناية الى كهربة الخطوط الحديدية الموجودة حاليًا والى تخفيض اجور السفر ، وايجاد اوراق ذهاب واياب معاً .

اما مصلحة الامن العام فتعززها الشرطة الوطنية وفيها ١١٥ ضابطاً و ١٢٥٠ نفرًا ، والى جنبها الشرطة الانكليزية ويبلغ افرادها بعد التخفيض ٤ ضباط و ٢٠٠ نفر . وقد لوحظ انه في سنة ١٩٢٨ ، زادت الجرائم حتى تضاعفت . واخذت الحكومة تستعمل الجلد عقاباً لمخالفي الآداب العمومية .

وفي سنة ١٩٢١ كان مركز الاعتماد الوطني اليهودي يملك ٧١،٠٠٠ دونم من الارض ، فبلغ ٢٢١،٠٠٠ دونم سنة ١٩٢٨ ، يُضاف اليها ٢٥،٠٠٠ قرب جون حيفا ؛ وقد اهتمّ افراد الجالية اليهودية بان يغرسوا ، اكراماً لذكرى لورد بلفور ، غابة قرب الناصرة تبلغ مساحتها ١،١٠٠ دونم ، فحققوا قسماً من

مشروعهم بان غرسوا حتى آخر السنة الفائتة ٢٠٠ دونم . فما اجدرنا بالاقتداء بهم في مضاء العزيمة والثبات !

ومما يجدر بالذكر في فلسطين ان تقدم الصناعة متواصل . من مظاهر ذلك ان وزن السكاير كان ٣١٫٠٠٠ كيلو سنة ١٩٢٧ فبلغ ٨٠٫٠٠٠ كيلو سنة ١٩٢٨ . وكذلك القول عن الشوكولاته والحلويات الوطنية التي اخذت تحتل شيئاً فشيئاً اسواق فلسطين . وقريباً يمكننا القول نفسه عن صناعة البسكوت الوطني . اما مسألة العمال العاطلين التي كانت غاية في التعقيد سنة ١٩٢٧ فقد خفت قليلاً بعد ان رحل القسم الكبير من هؤلاء العمال . ولكن على الرغم من جميع الاحتياطات ، لا يزال في كل من المدن الكبيرة كالقدس ، وحيفا ، ويافا ، نحو ١٥٠٠ عامل بلا عمل . وهي نسبة غير طبيعية دون شك .

المسلمون الجدد في تركية الكمالية

اصدرت حكومة انقرة احكاماً جديدة فيما يخص من يعتنقون الدين الاسلامي ، ملخصها ان الراغب في الديانة بالاسلام عليه ان يلتجئ الى مفتي منطقته فيعطيه هذا « وثيقة » بدينه الجديد . ومن ثم ينتخب الراغب اسماً اسلامياً يضيفه الى اسم عائلته القديم ، ويُسجل الاسمان في سجلات دائرة النفوس ، مع اسماء الاب والام . فيظهر ان الحكومة الكمالية تريد ان تفرق بين قدماء المسلمين وجددهم . وقد خالفت ما كان واجباً في الماضي من ان المسلم الجديد لا يحمل الا اسماً اسلامياً .

ازمة الصحافة التركية

كان من نتائج ادخال الابجدية اللاتينية في تركية أزمة ضيقت شديداً على الصحافة . فان المطابع الجامعة لجميع الحروف الجديدة قليلة جداً في الاستانة . وذكرت جريدة « مليت » عدة مجلات في الاستانة كانت تطبع من ٢٥ الى ٣٠ الف نسخة ، اصبحت ولا يمكنها تصريف اكثر من ٢٠٠٠ او ١٠٠٠ نسخة بالحرف اللاتيني . وقد تعالى نداء الجرائد جميعها الى الحكومة طالبة

مساعدتها لئلا يفشل الاصلاح الجديد ، ملاحظين ان ميل الشعب التركي للقراءة قد ضعف كثيراً من زمن قليل ، حتى ان الجرائد والمجلات أجبرت على انقاص خمسين بالمئة من عدد نسخها .

التقدم الاقتصادي في الكونغو البلجيكي

قليلة هي البلاد التي تقدّمت في اقتصادياتها تقدّم الكونغو البلجيكي في العشر السنوات الاخيرة . وهذه الارقام التالية تدلّ على ذلك . كان طول الخطوط الحديدية ٢٠٠٠ كيلومتر سنة ١٩١٩ ، فبلغ ٣٫٣٢٥ كيلومتراً سنة ١٩٢٨ . اما النقل فزاد وزنه خمسة اضعاف في المدة نفسها . هذا فضلاً عن النقل بواسطة نهر الكونغو وروافده الذي يبلغ وزنه اكثر من ٥٠٫٠٠٠ طنّ . اما طرق المركبات التي كانت في اول عهدها سنة ١٩١٩ فقد بلغت اليوم ١٠٫٠٠٠ كيلومتر طولاً . وهذه ادناه ارقام تدلّ على كمية المعادن المستخرجة سنة ١٩١٩ وسنة ١٩٢٨ :

	١٩١٩	١٩٢٨
نحاس	٢٣٫٠٠٠ طن	١١٥٫٠٠٠ طنّ
ذهب	٣٫٤٠٠ كيلو	٤٫٢٠٠ كيلو
الماس	٢٠٠٫٠٠٠ قيراط	١٫٠٠٠٫٠٠٠ قيراط

والكونغو من اشهر البلاد في تصدير النحاس ، والراديوم ، والزرنيخ ، وقد اخرجت في سنة ١٩٢٨ ، ٤٠ غراماً من الراديوم و٤٠٠ طنّ من الزرنيخ . وهي ايضاً في اولية بلاد العالم في تصدير العاج

ولا يخفى ان هذه النتائج الحسنة لم تأتِ عفواً بل هناك همم البلجيكيين الذين يبذلون عنايتهم واموالهم — وقد بلغ ما خصصوه من رؤوس الاموال ٥ مليارات — في سبيل ترقية مستعمرتهم العزيزة

مطبوعات شرقية جديدة

M. Rava : Nel cuore dell'Arabia Felice, con Jacopo Gasparini nello Yemen, 75 *pp. gr.* 8° ; 40 *pl. phototyp.*, *Sindacato ital. arti grafiche. Roma*, 1927.

في قلب بلاد العرب السعيدة . في اليمن مع يعقوب غاسباريني

رافق مؤلف هذا الكتاب يعقوبَ غاسباريني حاكم مقاطعة الاريتري الى بلاد اليمن سنة ١٩٢٦ (وهي السنة التي عُقدت فيها معاهدة السلام والتجارة بين الامام يحيى وايطالية) فاراد ان يعرّف مواطنيه بحالة اليمن الحاضرة وبآمالها في المستقبل . وذلك بان يعرض امامهم عدداً من الصور المختلفة تمثل تلك البلاد . وقد نال المؤلف غايته فسرد في ٣٥ صفحة ، تفاصيل الرحلة ومرماها ، وميزات حكومة اليمن ، وتاريخه ، وجغرافيته . ثم نشر عدة صور فنية غاية في حسن الاختيار ، زيّنت صفحة جديدة من تاريخ بلد اشتهر قديماً في جزيرة العرب ، ولا يزال مستقلاً لا يتنازل إمامه عن لقب « امير المؤمنين » س . ر .

Dom M. Prümmer O. P. : Manuale theologiae moralis, secundum principia S. Thomae Aquinatis. *t. III, editio* 4ª *et* 5ª. *Friburgi Brisgoviae, Herder*, 1928 ; *XII* + 698 *pp. M.* 13, *relié* : 14, 60.

كتاب تعليمي في اللاهوت الادبي : الجزء الثالث

يختم حضرة الاب برومر كتابه في اللاهوت الادبي بهذا المجلّد الكبير الذي يحتوي على الأسرار السبعة . فيتكلّم في البحث الاول عن الاسرار على الجملة ، ثم يشرحها سرّاً سرّاً فيما يتبع من الابحاث ، حتى ينتهي بسرّ الزيجة فيخصّ به اكثر من مائتي صفحة كبيرة . ومما يستحقّ الذكر ان المؤلف ، في بحثه عن سرّ الكهنوت ، يتكلّم عن مخالفة نظامه ؛ وفي بحثه عن سرّ الزيجة يتكلّم عن الموانع ، وكذلك بعد ان يبحث في سرّ الاعتراف يخصص فصلاً بالعقوبات الكنائسية وفصلاً بالغفرانات . اما صفات هذا المجلّد فهي التي ذكرناها لسابقيه (المشرق ٢٦ [١٩٢٨] ٧٠٤ و ٢٧ [١٩٢٩] ١٤٩) وهما لا يفوقانه دقّة

ووضوحاً . ونرى ان المؤلف يتبع بكل امانة الطريق الممهد في الفلسفة اللاهوتية ، دون ان يصرف نظره عن علم الفقه ، فهو يبدأ ببسط المبادئ بكل وضوح ثم يدعمها بالبراهين اللاهوتية ، ويستخرج منها ما يمكن استخراجه من التطبيقات العملية . فيظهر بجدارة تلميذاً لأمير اللاهوت القديس توما ، عاملاً على ابداء نظرية استاذه ، سائراً بالمطالع من نتيجة الى نتيجة حتى يعرضها جميعاً ، منتبهاً في كل اقواله لآخر احكام الكرسي الرسولي ولأحدث التغييرات التي جرت في التشريعات الكنسية. ي. م.

F. Fergusson, *ingénieur* : Les richesses naturelles de la Palestine et la chute d'eau de la Mer Morte [*La Houille blanche, mars-avril* 1928] *Grenoble, éditions Rey-Arthaud.*

ثروة فلسطين الطبيعية وشلال البحر الميت

هو مقال جزيل الفائدة يُظهر ان احد مهندسي الفرنساويين ، السيد سيمون ، فكر منذ سنة ١٩٠٣ بالانتفاع من الفرق بين مستوى البحر المتوسط ومستوى البحر الميّت ، ولخص نتائج درسه بمقال نشره في العددين ٥١ و ٥٢ من جريدة « الكهربائي » لسنة ١٩٠٣ تحت عنوان « شلال وحيد في نوعه . ما تراه اليوم من الخزعبلات يصبح غداً في حيّز الحقائق . » اما اليوم فقد اتفق المهندس سيمون نفسه مع احد زملائه من الفرنساويين وعادا الى درس المشروع فكانت نتيجة اقوالهما : بين البحر المتوسط والبحر الميت مسافة لا تقلّ عن ٧٠ كيلومتراً . اما الفرق بين مستواهما فهو ٣٩٦ متراً . فلو فتحنا مجرى لماء المتوسط ، واخذناه في نفق تحت جبال الجليل حتى احد الاودية القريبة من البحر الميت . ولو انشأنا هنا مستودعاً ضخماً للمياه ، لكان لنا شلّال عظيم نستخدم قوته في معمل كهربائي يُقام في قعر الوادي . ولربّ معترض يقول : ان مستوى البحر الميت لا يلبث ان يتصاعد اذا اطلنا صبّ الماء فيه ، فيجيب المهندسان انه اذا صُبّ من ٢٠ الى ٢٥ متراً مكعباً في الثانية لا يبلغ ارتفاع هذا المستوى درجة تُذكر . وعلى كلّ فمن السهل ازالة هذا الارتفاع بتنظيم الريّ في وادي الاردنّ وباستعمال مياه النهر في سبيل ذلك . يبقى ان الـ ٢٥ متراً مكعباً في

الثانية الهابطة من علو ٣٥٠ مترا تولد قوة عظيمة تُعادل ٦٥,٠٠٠ كيلووات فيكون ذاك الشلال من اعظم الشلالات بما يؤديه من المنافع وذلك بايجاده مصدر قوة في مكان خالٍ منها، دون ان تضيع مياه الاردن في هذا السيل، ودون ان يحدث اقل اجحاف باراضي الجوار، لأننا، حتى لو قدرنا زيادة ارتفاع البحر الميت، فلا نرى لهذا الارتفاع ضررًا لأن المياه تنبسط اذ ذاك في مناطق قاحلة لا انتفاع منها. ج. ل

El justo medio en la creencia, compendio de teologia dogmatica de Algazel, traducción espanola por Miguel Asin Palacios [*Instituto de Valencia de Don Juan*] *Madrid*, 1929, 8°. *de* 555 *pp.*

الاقتصاد في الاعتقاد للغزالي

ننصح لجميع قرائنا، لاسيما من يعيش منهم في بلاد اللغة الاسبانية، قراءة هذه الترجمة الحسنة لكتاب « الاقتصاد في الاعتقاد » الامام الغزالي الشهير، وهو تأليف في اللاهوت النظري الاسلامي. وقد اردفه المترجم بعدّة آثار للمؤلف نفسه « كإلجام العوام عن علم الكلام »، و« محك النظر في المنطق » و« معيار العلم في المنطق » و« المقصد الاسنى في شرح اسماء الله الحسنى » واخيرًا « المستظهري » وهو رسالة ضد الشيعة الباطنية. وان مقدرة السيد اسين بلاسيوس ضامنة دقة الترجمة فضلًا عمّا ذيلها به من الحواشي المفيدة التي يقابل بها بين افكار المؤلف وبعض نقاط اللاهوت المسيحي. ه. ل.

Bowen (Harold): The Life and times of 'Ali ibn 'Isa « the good Vizier » *in* - 8° *de* 420 *pp.* 25 *sh. London, Cambridge University Press.*

حياة الوزير علي بن عيسى وزمانه

كتاب نفيس ألفه المستشرق بوون باستناده الى مصادر اولية اكثرها لا يزال مخطوطاً، فبسط امامنا نصف قرن (٧٩٢—٩٤٦) من تاريخ الدولة العباسية. امّا محور التأليف فهو الوزير علي بن عيسى الذي قضى حياته في بلاط خلفاء بغداد تارةً سجيناً وطورًا وزيرًا، تبعاً لأهواء السياسة واساليب الدس

التي كان يقوم بها النساء والخصيان فيتلاعبون بالخلفاء ويتحكمون في مصيرهم . كان الوزير اديباً فاضلاً متّصلاً باشهر علماء عصره كالطبري المؤرخ ، والحلّاج الصوفي ، والنسائي صاحب كتاب السنن . واشتهر بالاستقامة والعدل حتى شُبّه بعُمر بن عبد العزيز . فخصه المؤلف بهذا الكتاب الشيّق الذي يقرأه الانسان بلذة كما يقرأ احدى الروايات على ما فيه من كثرة المعلومات ونتائج الاطلاع. هذا ومما نلاحظه هو ان عاصمة القرامطة في البحرين اسمها «هَجَر» لا «حَجر» كما كُتبت . وكذلك في الصفحة ٣٨١ عوض «جاثليق» اورشليم ، يلزم «بطريرك» اورشليم. ه. ل.

Liefmann-Angelberger : Mineralölwirtschaft, *mit* 5 *Karten u.* 26 *Bildern*, 1927, 128 *pp.* [*aus Jedermanns Bücherei*] *cartonné*, *M.* 3, 50.

الزيوت المعدنية

كتيب قيّم في اهم موضوعات العالم الاقتصادي الا وهو البترول خاصّة ، والزيوت المعدنية عامة . وقد اردفه المؤلف برسوم حسنة ، وخرائط وافية ، فجمع في كتابه الصغير جميع ما تهمّ المطالع معرفته في موضوع هذه الزيوت من حيث كيمياتها ، وفنّ تحضيرها ، وجغرافيتها ، والحاجة اليها ، وطرق استعمالها ، وميزات المحصولات السنوية ، مع ذكر الميل الى الاستئثار بها ، وما يسمّى «بسياسة البترول.»

Le voyage d'Egypte. Alexandrie. Le Caire. [*Les guides bleus illustrés*] *Paris, Hachette*, 1929.

السفر الى مصر : الاسكندرية والقاهرة

يبدو هذا الدليل الصغير رشيقاً جميلاً بما يزيّنه من الصور البديعة ، كتبه القبطان المتقاعد السيد شاردون (J. Chardon) فاودع فيه كل ما تلزم معرفته السائح الافرنسي الذي يودّ القيام برحلة الى مصر لا تتجاوز مدتها الاربعة او الخمسة الاسابيع . بل هو يعتبر السائح لا يعرف مرسيلية بعد . فاذا اعتبرنا هذه الغاية نرى ان المؤلف نالها حقاً بكتابه الحاوي المعلومات اللازمة دون

ادّعاء علمي . فنحن نتمنى له الانتشار الواسع الذي يستحقّه ونرجو ان يفيد بعض السياح الرغبة في الرجوع ، فيعيدوا الكرة ، ويتعمّقوا بدرس تلك البلاد مستندين الى دليل اوسع س. ر.

Die Union mit den Ostkirchen. Bericht über die Wiener Unionstagung Pfingten 1926, herausgegeben von DDr Johannes Hollsteiner. [*Beitraege zur Erforschung der Orthodoxen Kirchen. n° 2*] 1928, *Graz-Verlag von Ulr. Moser, Prix : M.* 3, 80.

الاتحاد مع الكنائس الشرقية

اتّحدت جمعيتان كاثوليكيتان واقدمتا على عقد مجلس في ڤينا من ٢٤ الى ٢٧ ايار سنة ١٩٢٦ ترأسه الكردينال رئيس اساقفة المدينة ، وتباحث فيه الاعضاء في مسألة اتحاد الكنائس . ثم نُشر هذا الكتاب وفيه وصف ذلك المجلس مع نشر بعض البيانات والمحاضرات التي أُلقيت فيه ، وكلّها باقلام الكاثوليكيين ما عدا ثلاث منها كتبها ثلاثة روس وقد نُشرت مختصرة وهذه بعض العناوين : مسألة الاتحاد مع الشرق المسيحي بقلم لوبك (K. Lübeck) ما يفصل وما يوحّد بين الكنيسة الكاثوليكية والكنيسة الشرقية بقلم الدكتور بومستَرك (Dr A. Baumstark) ، الكنيسة الروسية والاتحاد بقلم الدكتور هازي (Dr F. Haase) الخ . .

G. Capus, F. Leulliot, E. Foëx : Le tabac. *t. I*, 418 *pp. in*-8° 1929. *Paris, Société d'édit. géogr. maritimes et coloniales.*

التبغ

لا شكّ بان سيكون لهذا الكتاب ، الذي ظهر منه المجلّد الاول ، شأن عظيم لدى جميع المشتغلين بالتبغ ، فانهم يرون فيه اصل التبغ ، وتاريخه ، وترتيب انواعه ، ومجمل العمليات لتهيئته وفرز الانواع المختلفة بعضها عن بعض ، وزراعته ، وجمعه ، وتهيئة بذاره ، ويتحققون ضرورةَ التخصّص بكل نوع من انواع التبغ . كل هذا يضمن للكتاب الانتشار الذي يستحقه . ونلاحظ انه ورد في الصفحة ١٣٠ في ترتيب انواع التبغ ذكر تبغ اللاذقية في سورية وتركية معاً ، ولعلّ في ذلك خطأً !

Annuaire pontifical catholique, 1929. *Paris, Bonne Presse.* 944 *pp. et* 237 *illustrations. Prix* : 35 *f°.*

الدليل البابوي الكاثوليكي لسنة ١٩٢٩

هي السنة الثانيــة والثلاثون لهذا الدليل المفيد الذي يظهر حاوياً لجميع اللوائح المعروفة سابقاً ، فضلًا عن ابحاث قيّمة في كرادلة القرن الثالث عشر ، وكنيسة رومانيــة ، والارساليات الكاثوليكية في الهند الصينية ، واتفاق الكرسي الرسولي مع ليتوانية ، وتشيكوسلوفاكية ، والبرتقال . وعلى الجملة فالدليل المذكور اوسع مصدر للمعلومات عن الكنيسة الكاثوليكية .

D. Nielsen : The site of the biblical mount Sinaï. A claim for Petra. 24 *pp gr* 8°, 3 *pl.* 1 *carte. Leipzig, Harrassovitz*, 1928.

مركز جبل سيناء المذكور في التوراة

اصل هذا الكرّاس مقال ظهر اولًا في مجلة الجمعية الشرقيــة الفلسطينية سنة ١٩٢٧ ؛ ثم زيدت عليه بعض الاصلاحات ، وطُبع على حدة . اما غاية المؤلف فهي ان يضع جبل سينا في وادي موسى . واما براهينه فتستند الى اربعة اصول يكفي ان نعدّدها لنظهر ما فيها من الجرأة والسخافة : ١ً — يلزم ان لا يبعد الجبل المقدّس كثيرًا عن حدود فلسطين وواحة عين قدس . ٢ً — من المرجّح ان هــذا الجبل كان هيكلًا ساميًا ، لأن قدمــاء الساميين كانوا يعبدون آلهتهم على رؤوس الجبــال . ٣ً — في هذا الهيكل القديم ، كانوا يعبدون الاله - القمر ، وهذا الاله يظهر انه ذات يهويل الاله - القمر المعروف عند الاسرائيليين . ٤ً — يلزم ان نرى في تلك البقعة تقاليــد توافق اساطير التوراة ، والواقع اننا نرى وادي موسى ، وعين موسى ، وجبل هرون . فتكون النتيجة ما يزعمه الكاتب ... وقد سافر بنفسه الى تلك البقعة وشاهــد اثر التقاليد الموافقة (؟) قلنا : وما كان احراه بان يُسافر الى كِرك نوح فيشاهــد هناك قبر نوح (وطوله ثلاثون مترًا) وهو في بقعة محاطة بالكروم ، فيستدل منها على سكرة نوح ايضاً ...

س. ر.

G. Furlani: La Religione babilonese-assira. [*Storia delle religioni, VI* | *vol I. Le divinita. LXXI*-362 *pp.* 12°, 1 *carte. Bologna, N. Zanichelli.* 1928.

الديانة البابلية ـ الاشورية

ان هذا الكتاب للمستشرق الاستاذ فورلاني حلقة من مجموعة يديرها الاستاذ بتّاتسوني وصلت اليوم الى عددها الثامن . لقد دخلت ايطالية متأخرة في ميدان مؤرخي الديانات ولكنها لم تلبث ان قطعت شوطاً واسعاً ناشرةً سلسلة من الآثار القيّمة لفتت انظار العلماء المدقّقين ، وكان في الطليعة مدير المجموعة المذكور سابقاً. امّا روح هذه الحركة فهو معاكس كل المعاكسة للوحي ويجتهد المؤلفون في حذف تأثير الوحي حيناً واحياناً في مناوءته . واما ما خلا هذه التحفظات ، فلا يسعنا الّا الثناء على العناية والطريقة البارزتين في هذا الكتاب. فان الاستاذ فورلاني ، على الرغم من كونه في اول ابحاثه الاشورية ، عرف اشهر المؤلفات والابحاث في الموضوع ، فغدا كتابه يهمّل ، حتى لغير المستشرقين ، الرجوع الى المصادر الاصلية . واننا نذكر كمثل على طريقته ، ما قاله في الصفحة ٢٣٥ ، اذ تبع وَرد (Ward) فقابل بين الاله هَدَد واله اسرائيل . هذا وللكتاب جزء ثانٍ يهتم المؤلف باعداده وسيبحث فيه عن الاشخاص الخرافية والاساطير س . ر .

Sir Denison Ross: An arabic history of Gujarat. Zafar ul Walih by Muzaffar wa Alih, by 'Abdallah Muhammad bin 'Omar al-Makki al-Asfi Ulughkhâni, *vol. III*, 1928. *London, J. Murray* [*Indian Texts Series*]

تاريخ كُجَرات : القسم الثالث

وصف المرحوم الاب شيخو في المشرق (١٣ [١٩١٠] ٥٤٩ و ١٩ [١٩٢١] ٧١٠) القسمين الاول والثاني من هذا التاريخ المهمّ . واننا ، في ما خصّ القسم الثالث ، نعيد ما قاله فقيدنا عن القسمين السابقين من الثناء على همة الناشر لاقدامه على هذا العمل ، الذي كان يتطلّب مستشرقاً عالماً بالفارسية والعربية ليتمكن من الاستفادة من تلك المخطوطة الوحيدة على ما فيها من

صعوبة في النصّ واشارات الى حوادث غير مشهورة ، حتى وجده بشخص الناشر الفاضل . امـا محتويات هذا القسم فلخص السلطنة الاسلامية في الهند من سنة ٧٢١ الى سنة ٩٦٥ للهجرة ، منتهياً بملك السلطان الأكبر المشهور . ومما يزيد هذا القسم قيمة الفهارس التامة والملحقات التي شرحت فيها الكلمات الغريبة من عربية وفارسية وهي كثيرة في النصوص. فنكرّر تهانئنا للناشر على نجاحه بانهاء هذا العمل الشاقّ . ه . ل .

Obermeyer (Jakob) : Die Landschaft Babylonien im Zeitalter des Talmuds und des Gaonats. *Geographie und Geschichte nach Talmudischen, arabischen und anderen Quellen.* | *Schriften der Gesellsch. z. Förderung der Wissenschaft des Judentums.* n° 30 | 1929. *I. Kaufmann, Frankf. a. M. VIII-361 pp. q°. 8°, 2 cartes.*

بابل في عهد التلمود والجاؤن (١) جغرافيتها وتاريخها وفقاً للمصادر التلمودية والعربية وغيرها

هوذا كتاب يجدر بقرائنا مطالعته ، لاسيا العراقيين منهم . اقام مؤلفه الشيخ — سيبلغ قريباً الخامسة والثمانين من عمره — مدة طويلة في بلاد بابل ، وجال فيها على الحصان ، وجمع كل ما وقف عليه من الامور المتعلقة بموضوعه . وكان من اللازم معرفة التلمود معرفة تامة ، والاطلاع على اقوال كتاب اليونان والرومان في ما خصّ العصور القديمة ، وكذلك في ما خصّ عصر العرب ، الاطلاع على ما تركه هؤلاء من الآثار في الجغرافية والتاريخ . فقام بذلك واصلح كثيراً من الاغلاط التي درج عليها سابقوه في التحقيق ، وجعل كتابه سهل المأخذ على الجميع بما الحق به من الفهارس . فنتمنى لـه الرواج الذي يستحقه حتى بين الشرقيين الـذين يقرأون اللغة الالمانية . وهـذا من النوادر ! س . ر .

---

(١) لا يخفى على قرائنا الشرقيين ان الجاؤن (גאון) هو العصر الذي ازدهر فيه منذ القرن الثامن التعليم اليهودي في مدرستين شهيرتين في بلاد بابل . وقد تساهل العباسيون مدة طويلة مع مروّجي هذه التعاليم . وكانت لفظة الجاؤن تطلق على رئيس الجالية اليهودية في بابل ، وكان يجمع السلطتين الدينية والمدنية

سفر التكوين

مطابع توزما ، بيروت ، ١٩٢٩ – ٦٤ صفحة ، وسط

اهدى إلينا حضرة الاستاذ جبر ضومط من اساتذة الجامعة الاميركانية كتاباً عنوانه «سفر التكوين» حاول ان يبيّن فيه من هو كاتب هذا السفر وما هي غاية الكاتب . قال حضرته ان درسه لاسفار العهد القديم ، ولاسيما الاسفار الخمسة وسفري يشوع والقضاة ، مدة تُنيف عن عشرين سنة ادّى به الى الاقتناع بان كاتب سفر التكوين «هو يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابرهيم وانّ غايته من كتابته ان يعلم مناظروه ومنافسوه في المنزلة التي حازها عند فرعون انه ابن بيت ليس هو دون بيت من بيوتهم ووارث رئاسة كهنوت ليست في منزلتها دون رئاسة كهنوت فوطي فارع كاهن اون حميه.»

قرأتُ الكتاب بكاملهِ وحمدتُ الغاية التي توخّاها حضرة الاستاذ لانه باتباعه هذه الطريقة بيّنَ اقلّه انه من المحافظين على صحة الاسفار الالهية . الّا اني لم اقتنع بالبراهين التي اتى بها ومرجعها كلّها الى ان كاتب سفر التكوين يذكر من الحوادث والظروف ما كان يتعذّر على غير يوسف ان يعرفها ويذكرها لما مرّ من الزمن المديد بين وفاة يوسف وكاتبٍ عاش في ايام اخاب ملك اسرائيل او في ما بعد ايامه بقليل . فلو صحّ هذا البرهان ، لتعذّر على يوسف ذاته ان يُخبر عمّا تقدّمه من الحوادث من زمن خلق آدم الى ايامه وهو يفوق كثيراً الزمن الذي انقضى بين يوسف وموسى كليم الله الذي تُنسب له كتابة سفر التكوين لا لكاتبٍ عاش في ايام اخاب.

وقد فات حضرة الاستاذ ان الغاية من كتابة سفر التكوين ليست كما ذكر ، بل تبيان ان الله اختار له شعباً مخصصاً لعبادته يحفظ وديعة الوحي ومنه يكون المسيح مخلّص العالم . فاقتضت هذه الغاية ان يخبر الكاتب عن خلق العالم والانسان ، ويسرع الى الاخبار عن ابرهيم ابي الشعب المختار ، شعب الله ، فيوجز الكلام عن خلق العالم المادي فالانسان وخطيئته ، وعن وعد الله بان نسل المرأة اي المسيح سيسحق رأس الحية ابليس ، ويأتي على قصة هابيل وقابين

ونسل قاين وشيث ، وينتقل الى حادث الطوفان ، ويتكلم باختصار عن ولدي نوح حام ويافث ونسلهما ، ويسرع الى الاخبار عن سام فيعدّد نسله الى تارح فابرهيم الذي له الموعد بالبركة للامم . ويخبر عن اسحق ويعقوب واولاده الذين هم اصل الاسباط الاثني عشر اي الشعب اليهودي شعب الله المختار .

اما قول حضرة الاستاذ ان يوسف كانت له رئاسة الكهنوت فلا نرى دليلًا على ذلك ولم يذكر له تقدمة ذبيحة للرب . فضلًا عن انه لم تكن في ايامه رئاسة كهنوت . بل كل من كان متعبدًا للربّ كان يقدّم له ذبائح كما فعل هابيل وقاين ونوح وايوب وابرهيم واسحق ويعقوب ومنوح وغيرهم كثيرون

وليس من غرضنا الآن ان نبيّن الحقيقة الثابتة ان الكتب الخمسة هي لموسى ولا ان نشرح باي معنى هي له . يكفي القول ان المسيح قال لليهود: « لو كنتم تؤمنون بموسى لكنتم تؤمنون بي لانهُ كتب عني فان كنتم لا تؤمنون بكتبه فكيف تؤمنون باقوالي » (يوحنا ٥ : ٤٦ و ٤٧) ا . ص .

كتاب مجالة البيان في الاشارة الى ممالك الطبيعة والانسان

تأليف الخوراسقف خيرالله اسطفان

مطبعة دير سيدة المونات ، جبيل ١٩١٨ ، قطع ١٦ ، ص ٢٧٥

ذكر المشرق (٢٧ [١٩٢٩] ٣٩٨) فضل المؤلف على الشبيبة بانتخابه مواضيع كتبه من دائرة العلوم والفلسفة تنويرًا للبصائر ودفاعًا عن المبادئ القويمة ضد السفاسف والاضاليل العصرية . وان هذا الكتاب ، على صغر حجمه غزير المادة جم الفوائد يشمل دروسًا في الكوسمولوجية والبسيكولوجية فيتناول البحث اولًا في الاجسام وجرمها وخصائصها وتكوينها ، ثم في الحي والحساس وفي الانسان وشرفه ومباني بنيته واحساسه وحواسه ، ثم ينتقل الى علم النفس وموضوعه فينظر في الفرق بين عمل النفس والجسد ، وفي سائر المشاكل المولدة من اقتران النفس بالمادة ، كأصل التصورات وعلل الاحلام والجنون وتفاعل النفس والجسد ، ويخصّ قسم كتابه الاخير بدحض مذهب التطوّر . فنتمنى لهذا الكتاب الانتشار بين الشبيبة ، ونرجو له عند طبعته الثانية زيادة اتقان بالطبع وايضاح بالاسلوب . ف . ت .

علم الاخلاق

تأليف محمود البشبيشي وعبد الغفار طنطاوي

مطبعة التاج المصري ، طنطا ، ١٩٢٩ – ص ١٢٠ ، صغير

هو كتاب تعليمي في الاخلاق ألف وفقاً للمنهاج الحديث الذي وضعته وزارة المعارف المصرية ، وغايته ان يُدرَّس في المدارس الثانوية الاسلامية . نقول الاسلامية لانه يضرب صفحاً عن آثار الاخلاقيين النصارى من الذين تقدَّموا الاسلام فهو لا يرى من الذين اشتغلوا بالاخلاق سوى سقراط ، وافلاطون ، وارسطو ، والقرآن . ثم ينتقل الى فلاسفة العرب فالاوربيين . . . وما عدا هذا النقص ، فالكتاب كافٍ للاولاد الذين وُضع لهم يحدّد لهم حقوقهم ويدلهم على واجباتهم تجاه خالقهم ، وانفسهم ، واهلهم ، ووطنهم ، والانسانية جمعاء . . ف . ا . ب .

بعض روايات شكسبير

ملخصة بقلم امين الغريّب

مطبعة « مكتبة صادر » بيروت ، ١٩٢٩ – ص ٢٩ ، وسط

هي هدية ارسلها حضرة الزميل الفاضل صاحب « الحارس » الى مشتركيه الذين سدَّدوا حسابهم حتى تموز ١٩٢٩ . وقد جمع فيها ملخص ٧ روايات للشاعر الانكليزي الاكبر وليم شكسبير هي : الزوبعة ، حلم ليلة ، مكبث ، حكاية الشتاء ، هملت امير الدانمرك ، روميو وجولييت ، باريكلاس امير صور . وانه وان يكن الزميل « لم يحاول تعريب روايات شكسبير كما هي ، ولا وضع شيئاً من آثار الفلسفة العملية التي وضعها الشاعر على السنة جميع الاشخاص في رواياته » فقد افاد من يحبون الاطلاع على مواضيع تلك الروايات دون الاهتمام بدرس شخصية المؤلف الروائي . ف . ا . ب .

* الشيخ ناصيف اليازجي * بقلم حضرة المؤرخ نقولا ابي هنا ب . م . استاذ الخطابة والبيان في مدرسة دير المخلّص . نشر تباعاً في مجلة « المرآة » – مطبعة القديس بولس في حريصا (لبنان) – ٤٩ صفحة متوسّطة .

اهمّ حوادث الشرق في شهر

١٥ حزيران — ١٥ تموز

روما : اعرب قداسة الحبر الاعظم عن رغبته في ان تبنى في القاهرة كنيسة باسم قلب يسوع الاقدس ووافق على بثّ دعوة للتبرع لهذا المشروع ، وارسل الى من سيقام راعياً على تلك الكنيسة تبرعاً بمئة الف و ١٢ الف فرنك. وجاء من الفاتيكان ان الاب الاقدس امر في بناء محطة لاسلكية في اراضيه ، تكون ذات قوة لا تضاهيها قوة اية محطة غيرها في العالم . وسيقام فيها تلغراف وتلفون معاً فترسل بهما الخطب البابوية والاخبار الفاتيكانية الى اقاصي المعمور . ويسمع بواسطتها ما يجري في الكنيسة البطرسية من حفلات ، ويرتل من انغام . وسوف يقوم الاميريكان الكاثوليك بنفقات تلك المحطة التي تقدر بثلاثين مليون لير ايطالي

سورية ولبنان : من اجلّ حوادث شرقنا العزيز انتخاب السيد ديونيسيوس جبرائيل تبوني رئيس اساقفة حلب بطريركاً انطاكياً على السريان الكاثوليك باتحاد الاصوات واتفاق القلوب ، في صباح ٢٤ حزيران في كنيسة سيدة النجاة بالشرفة

صاحب الغبطة اغناطيوس جبرائيل تبوني ولد في الموصل ٣ ت ٢ ١٨٧٩ ، وابوه داود بطرس تبوني وامه امينة سليمان زيوني

تلقن مبادئ العلوم في المدرسة الطائفية في الموصل ، ثم دخل مدرسة الاباء الدومنيكيين الاكليريكية ، وسيم كاهناً سنة ١٩٠٢ فتولى تدريس الاكليريكيين ستة اعوام ، ثم ادارة المدرسة الطائفية وتعليمها

وفي السنة ١٩٠٨ عُيّن كاتب اسرار القصادة الرسولية وكان يحدث نفسه بالزهد والحياة النسكية في دير مار بهنام ، لما رقي في ١٩ ك ٢ ١٩١٣ الى الاسقفية مع السيد فليبانس ميخائيل ملكي الذي قتل شهيداً في حزيران سنة ١٩١٥ .

تولى النيابة البطريركية في ماردين ، فاحبّ رعيته وجذب اليه قلوبها خاصةً في ايام الحرب اذ صارت دار البطريركية اشبه بالمستشفى والميتم وبمأوى الغرباء والمعوزين . وحلّ الاضطهاد بالنائب البطريركي فحبس اولاً في ماردين ثم في حلب ومن بعدها في مغارة ضيقة في جبل سمعان ، وتجرع كأس المرائر مع سيده الفادي ومرض مرضاً مؤلماً .

في ايار ١٩١٩ عين مطراناً في حلب وايده الحبر الروماني في ٢١ ت٢ ١٩٢١ ، فصرف همه الى انجاح المدارس والاوقاف واعتنى بالمهاجرين وشاد لهم كنيسة وميتماً . والسيد تبوني معروف بسداد الرأي والرزانة ، وحبّ السلام والاتفاق وبتمسكه الشديد بالسدة البطرسية . فاحدث خبر انتخابه الى المقام البطريركي فرحاً وهللت له الكثلكة في الشرق ، وتمت حفلة جلوسه على الكرسي البطريركي في عاصمة لبنان في كاتدرائية مار جرجس السريانية صباح الاحد ٣٠ حزيران في لفيف الاساقفة وبحضور المفوض السامي ورئيس الجمهورية اللبنانية

* * *

يوم السبت ٢٩ حزيران وصل الى بيروت من مصر صاحب الغبطة السيد كيرلس التاسع بطريرك الروم الكاثوليك

عقد في بيروت مؤتمر الروم الارثوذكس من غير ما تنتج عنه نتائج واضحة ، ولعلّ تدخل العلمانيين في شؤون الكنيسة هو الداعي الاساسي لعدم التوفق الى بلوغ الارب في انتخاب البطريرك . والقوم يتحدثون في وضع قانون للانتخاب ، قبل الانتخاب ، ومن البديهي ان وضع ذلك القانون عسير القيام به من غير ان يكون على المؤتمرين رأس له سلطة الحل والعقد

في ١٩ و٢٢ حزيران تم في انقرة الاتفاق بين فرنسة وتركية على مسألة الحدود السورية - التركية . ومن نتائجها ١ : تعيين الحدود الشمالية بصورة نهائية واسترداد نحو ٨٠٠ كيلومتر مربع من الاراضي التي كان الاتراك محتلينها وفيها منفذ على دجلة عرضه ٣٠ كيلومترا تقريباً . ٢ ضمانة الامن على الحدود . ٣ تمتع سورية بوجود محطات لسكة حديد بغداد ضمن ارضها . ٤ وضع خطط موافقة لحل المشاكل الناتجة من ممتلكات السوريين والبنانيين في تركية والاتراك في سورية ولبنان . ورضيت فرنسة بتسليم الاتراك الخط الحديدي بين مرسين وادنة

وفي ١٦ حزيران صار انتخاب ٣٠ من النواب اللبنانيين وعُين ١٥ بمرسوم من رئيس الجمهورية . وعقد المجلس الجديد جلسته الاولى في ١٣ تموز فانتخب له رئيساً الشيخ محمد الجسر . وحمل بعض النواب على الحكومة املاً باسقاط الوزارة . لكن رئيس الوزراء ، الشيخ بشاره الخوري ، ردّ عليهم بمباوات سديدة ، وخرجت الوزارة ظافرةً من المعمعة ف.ت

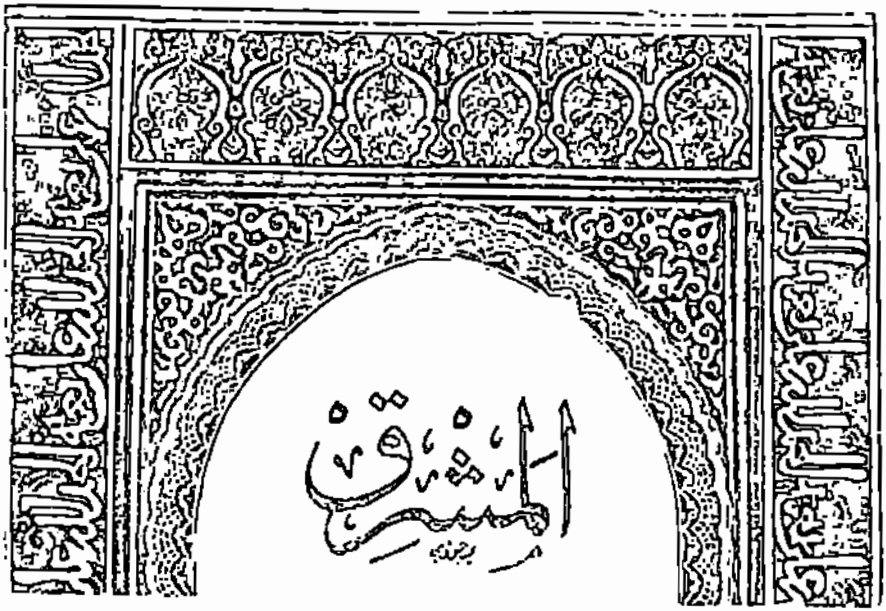

تشرين الاول ١٩٢٩

هل من نزاع

بين علمي الطبيعة وما وراءها ؟

للاب شرل ايلا اليسوعي

« هل قوّض العلم اركان الفلسفة ؟ » هذا عنوان مقال « رنان » أنشأهُ « خاصّةً للمقتطف » الاغرّ السر اوليفر لدج . فقسحت له المجلة المذكورة ثلاث صفحات من جزء حزيران ، ونفحت منشئه بلقب « شيخ العلماء المعاصرين . »

ولعمري لو كان الغموض من مقتضيات « العلم الحديث » ، لأصابت الرصيفة المرمى ، وجاء اللقب طبقاً للملقَّب . فقد طالعنا المقال اربع مرّات وخمساً ، فلم نستخلص منه سوى عدّة اسئلة ، يطرحها الكاتب فيكاد لا يأتي على واحد منها بجواب شافٍ . ولكن حدّث ولا حرج عمّا في طيّات الاسئلة من الاضاليل المقدَّرة ، التي يجتاز بها ذهن القارئ فيخالها عقائد علمية راهنة لا يسوغ الارتياب حيناً في صحتها ، وان كانت مما لا يقوم عليه برهان ، بل مما يرذله العقل السليم فضلاً عن الفلسفة الحقّة .

من ذلك زعم المتشيّ ان « الكلّ » يسير في سبيل التقدّم الى الكمال النهائي . ومعنى « الكلّ » هنا انما هو الله. فقد حطّوا من قدره ، عزّ وجلّ ، الى حدّ أن جعلوه هو والعالم المخلوق شيئاً واحداً ، يتكيّف بتكيّفاته ولا يتميّز منه البتة ، كأنه تعالى ليس الكمال الثابت الذي لا ينقصه شيء ولا يحتاج ان يكتمل . ومن ذلك ايضاً نسبة التصوّف العقيم الى الحكمة الخالدة ، اي مجموع الحقائق الراهنة الاوّلية التي ما كفر بها احدٌ الّا زاغ عن محجة البصيرة النيّرة . وان سألتَ ما السبيل الى التخلّص من هذا التصوّف الموهوم ، اجابك السر اوليفر لدج : عليك « بالايمان في ازدياد قيمة الوجود (؟) وفي مقدرة العقل البشري على تفهم الحقّ المجرّد.» فتعساً للبشرية التي شاءت « الفلسفة الحديثة » ان تجعلها تتردّد بين مزلقتي الايمان المزيّف والتصوّف !

كل هذا وغيره من نوعه تقرأه في « الصفحات الثلاث » ، او في خلال اسطرها ، يجزم به الكاتب او يقدّره أكيداً بدون ما دليل ولا حجة ، كأنه الحقّ الخالص الذي لا شبهة به . وقد استرعت نظري في عجالة السر اوليفر لدج مشكلة هي في نظره عقدة تكاد لا تحلّ ، وهي مسألة التوفيق بين الفلسفة والعلم الحديث . فهو يزعم ان بينهما نزاع عنيف . ففي رأيه ان الفلسفة — والمراد بها هنا علم ما وراء الطبيعة (*La métaphysique*) — تُقرّ وجود العلل وتأثيرها في كيان المعلولات ، والعلم يرى أنّ « زمن العلّة والمعلول قد انقضى » وأنّ جلّ ما يدلنا عليه الاختبار هو « تتابع الظواهر الطبيعية » (*La succession des phénomènes*) بعضها لبعض ليس الّا.

ترى هل النزاع الموصوف واقعيّ ام موهوم ؟ هذا ما نريدُ الافصاح عنه موجزاً فيما يلي.

ايضاحات في ماهيّة العلّة وانواعها

أمامك تمثال لنابوليون . أمعن النظر فيه تجد كيانه ، بالهيئة التي يبرز بها لعينيك ، منوطاً بامور اربعة وهي :

١) شكل الامبراطور الذي نُحتَ الرخام على مثاله فصار تمثالاً له . فالشكل المذكور له تأثيره في كيان التمثال ، ولذلك يُدعى « علّة صوريّة.»

٢) مادّة التمثال ، وهي الرخام ، لولاها ولو لم تُحوَّل صورةً لنابوليون ، لمَا وُجد تمثاله . فوجودُه منوطٌ بوجودها ، لذلك سُمّيت « علّة ماديّة »

٣) النحّات الذي صنع التمثال اذ نظر الى المثال ، قائماً امام عينيه او مطبوعاً في ذهنه ، فصوّره نقراً في الرخام ، فأثّر في وجود التمثال بفعله ، فسمّيَ « علّة فاعلية »

٤) ولا ريب ان النحّات انما نشط للعمل لغايةٍ دفعته اليه ، فتوخّى ، امّا ربح المال ، وامّا احراز المجد ، وامّا التفنّن ، وامّا كلّها معاً . فالغرض الذي استفزّه للعمل يُدعى « علّة غائية »

ومن ثم يبدو لك التمثال متوقفاً كيانه الحاضر وصيرورته على هذه الاشياء الاربعة وهي المادة ، والصورة ، والعلّة الفاعلية ، والغاية . ولكل منها في التمثال تأثير خاص يختلف به عن غيره ويقوم به وحده دون سواه .

فالعلة اذن اجمالاً هي كل ما له تأثير حقيقي في كيان غيره ، او كلُّ ما بفضل تأثيره يأتي شيء على ما هو .

ومن ثمَّ ترى ايضاً بما تختلف العلّة عن الامر السابق (*antécédent*) وهو ما يحدثُ او يُدرَك قبل آخر يُدعى تابعاً (*conséquent*) . وقد لا يكون للأول ادنى تأثير في كيان الثاني . فالليل مثلاً يسبق النهار ويتبعه ، ومع ذلك فلا يُدعى احدهما علّةً الآخر . فانهما يتتابعان بدون ما تأثير للسابق في تابعه . وكذا يولد زيد بعد اخيه عمرو ، فلا يُقال ان الاكبر علّة وجود الاصغر .

وتتميّز ايضاً العلّة الحقيقية من الشرط ، وهو ما لا بدّ منه كما تاتي العلّة الفاعلية عملها . الّا انه لا يؤثّر في كيان المعلول . فان علّة النور في غرفتك هي الشمس الساطعة . وامّا كون النافذة مفتوحة فهو شرط ضروري ، ولكن ليس الّا .

اخيراً لا بدّ من تمييز العلة من الفرصة التي تُسهّل فعل العلّة الفاعلية ، ولا شركة لها معها في ايجاد المعلول . فاذا مرَّ زيدٌ على مدخل مقهىً يغتنم الفرصة عمرٌو ، وهو هناك ، فيدعوه الى شرب الخمرة . فان رضي وسكر ، كان

لسكره علتان : احداهما طبيعية وهي شراهته وانحراف ارادته الحرّة ، والاخرى ادبية وهي اغراء زيد له . أمّا مروره بالمقهى فيجوز ان يُسمّى سبباً على سبيل التوسع في المعنى ، لكنه ليس في الحقيقة سوى فرصة سانحة.

وممّا سبق يتبيّن انه لا حاجة الى التصوّف ، ولا الى الايمان بوحي ما ، لفهم معنى العلّة . بل هو العقل السليم المجرّد من الاوهام يفهم ما يراد بها ويميزها ليس من معلولها فحسب ، بل منه ومن غيره ممّا لا تأثير له في وجوده.

وجود العلّة الفاعلية خصوصاً

ولكن ترى هل للعلّة اجمالاً ، وللعلّة الفاعلية خصوصاً ، وجودٌ واقعي بمعزل عن الذهن البشري ، ام هي من مختلقات « التصوّف العقيم » ؟

قال تان (Taine)[1] :

اذا ما قلنا انّ السابق يُحدث التابع فلسنا نعني الصلة الخفية التي يربط بها العلّةَ بالمعلول علماء ما وراء الطبيعة ، ولا القوّة الباطنية وغير المادّية التي يُدعيها بعض الفلاسفة بين المُحدث والحادث . . . فاننا لا نرى ثمّة شيئاً من ذلك . . . وانما نلاحظ تتابعاً ثابتاً . . . فيكفي وجود السابق لكيما يخلفه التابع . . . . »

وعلى الرأي عينه يكاد يكون ستيوارت ميل (Stuart - Mill)[2] وهيوم (Hume)[3] والوضعيون عموماً.

ومرجع مستنداتهم الى انّ تأثير العلّة بالمعلول ، اي فاعليتها ، امرٌ لا تتناوله الحواسّ في الظواهر الخارجية ، ولا يدركه ضمير الانسان فيما يحدث ضمن داخليته . وانما يدلّ الضمير والحواسّ على تتابع الوقائع فلا سبيل للذهن ان يتناول من القوى المذكورة معرفة ما به قوام العلّة الجوهري ، وهو صلة التأثير التي تربطها بالمعلول.

ولا نكير ان كيفية تأثير العلّة بالمعلول سرٌّ غامض ، فاننا لا نُدرك « كيف » يتحوّل ما لا وجود له ، من العدم الى الوجود ، ولا كيف يؤتيه فاعله

---

١) *L'Intelligence, liv. 3, chap 2 – t. II, p. 304*

٢) *Logique, Liv. 3, chap. 5.*

٣) *Essai sur l'Entendement humain, Essai VII, partie 2*

الكيان . ولكن متى كان جهلُ كيفية الشيء دليلًا على عدم وجوده ؟ افتنكر انَّ نموّ جسم الانسان ينشأ عن الاكل لاننا لا ندري كيف يتحوّل الخبز دماً ولحماً وعظماً.

كذلك قد يتقيَّد وجود معلول بامور عديدة يعسر ، بل غالباً يستحيل عليك ، ان تقول ايّها هو علّته الحقيقية . بل قد يرشدك الاختبار والامتحان المتواصل ، ولاسيما اذا تذرعتَ بقواعد العلم الحديث ، الى اكتشاف نواميس طبيعية جزيلة الفائدة . ومع ذلك لا تتوفّق الى ايجاد العلّة الحقيقية للظواهر التي اختبرتها . ترى مثلاً ان الجزر والمدّ يتعاقبان مع توالي ايام القمر على قاعدةٍ محدودة تمكّنك من تنظيم جدول مدقّق ينبئ سابقاً بحدوث كليهما في يوم وساعة ودقيقة معيّنة . ولكن هل القمر نفسه ، ام عامل آخر ، هو علّة الجزر والمدّ الحقيقية ؟ هذا ما لم ينجلِ تماماً للباحثين وقد لا ينجلي ابداً.

على انَّ العجز عن تعيين العلّة لا يترتب عليه عدم وجودها . فان عثرت على قتيل مخضب بدمائه في الشارع ، افتنكر وجود القاتل لانك لا تعلم من هو ؟

وكذا العلم الصحيح لا ينفي وجود العلل وان كان يتعذّر عليه غالباً تعيينها لكل من معلولاتها . بل كثيراً ما لا يهمّه هذا التعيين ، اذ حسبه الوقوف على السوابق التي يليها حادثٌ حسيّ بنوع متواصل لازم ، والظروف التي يتمّ فيها ، فيتمكن من تحديد الناموس الذي يجري عليه هذا الحادث.

ولو انكر العلم وجود العلم لنقض بنفس الفعل ركناً من اركانه . ذلك لانه يستند في مقرّراته الى الاختبار . والاختبار من اكبر الادلة على حقيقة العلل . فهل يكون الاختبار مرشداً اميناً للعالم في استنباط النواميس الطبيعية ، وفي الوقت نفسه خائناً للفيلسوف في هدايته الى واقعية العلل ؟

افلا يشهد لك اختبارك الباطني بلسان ضميرك انك انت عينك علّةٌ حقيقية لامور كثيرة . او لا تشعر ان الحركة في رجليك ويديك عند المشي والشغل ، وفي عينيك عند النظر ، وفي اذنيك عند السمع ، هي ناشئة عن فعل منك ؟ بل القصد وحده ، حتى ان كنت لا تنجزه بعمل خارجي ، لا يمكنك

ان تأتيه دون ان تدرك في الوقت نفسه انك فاعلٌ ومُؤثِّر . اجل ان الضمير المباشر وحده لا يطلعك على التأثير في كنهه ، لكنه يُريك نفسك مؤثرًا الكيان في كل عمل تأتيه . ثم يأتي الذهن بقوّته المجرِّدة فيدرك التأثير في حدّ ذاته.

وما يدلُّنا عليه الضمير فينا تُنبئنا الحواسّ الخارجية عن حدوثه في غيرنا وهنا ايضاً ليس للحواسّ ان تدرك تأثير العلل الخارجة في معلولاتها ، بل للحواسّ ان ترى البشر والحيوان والنبات والجماد تُحدث بعضها في بعض ما قد اختبرناه في ذاتنا . ولا يلبث الذهن ان يُدرك بقوّته المجرِّدة تأثيرها في كيان معلولاتها المختلفة . فمن يشكّ انّ علّة وجود الجرو اسد ولبوة ، وان العنب تنتجه الكرمة ، وان الماء في القدر تسخنه النار المتقدة تحته.

وما ضرّ هذه الحقائق كونها بسيطة بديهية أجمع عليها العموم . فان من مقتضيات العلم الصحيح ان يزيد على كذا حقائق اولية وان ينشرها طلباً الى غيرها اسمى منها ، لا ان ينقضها ويرذلها بحجّة أنها امتعة مشاعة . فالحقيقة علمية كانت ام عاميّة ، هي حقيقة لا تكذّبها حقيقة . ومما يؤيّد قولنا هذا أن الذين ، بين الفلاسفة والعلماء ، حاولوا نقض الحقائق الاولى ، تراهم إمّا يوحّدون الكائن وعدمه ، كما فعل هيغل (Hegel) مثلاً ، وإما لا يعدلون عنها الّا للاعتصام بايمانٍ جديد ، لو طبقنا عليه مزاعمهم في الايمان الحقيقي ، لكان هذا كحلاً وكان ايمانهم عمىً .

او ليس السر اوليفر لدج يقول : « لكي نتقدّم ، ونخلص من التصوّف العقيم ، لا بدّ لنا .... شيء من الايمان.»

فليس اذاً العقل السليم ، بل الايمان العقيم هذا ، الذي يرى ، في قضيّة العلّة والمعلول ، نزاعاً بين العلم الصحيح والفلسفة الحقة.

الاتلنتيد وكاتبها (*)

بقلم حضرة القس عبد المسيح زهر

ان الجغرافيين والمؤرخين طالما حاولوا كشف القناع عن حقيقة الأتلنتيد ، وبحثوا عن موقع هذه الجزيرة التي ابتلعها البحر ، في بضع ساعات ، ولم يترك منها اثرًا يدلّ عليها ، واكثروا من التفتيش عنها في جوفه. ولمّا لم يقفوا لها على رسم او اثر ، عدّوا رواية افلاطون حديث خرافة ، ونزّلوها منزلة الخبر المصنوع ، واتّهموه بانه ابتدعها لأمر ما . من منهم من ذهب الى انه اراد بجزيرته الخيالية قسماً من موريتانية او من بلاد السنغال ؛ ومنهم من جعلها شماليّ اوربة ؛ وغيرهم عنوا بها اميركة . ولكن الشعراء وحدهم حفظوا في قصائدهم ذكرها ، وما زالوا يعتقدون ان الجاني عليها هو هذا البحر ، بحر الظلمات الذي كان يخافه الملّاحون في القديم ، قبل ان يذلّله كولمب ، ويمرّ بسفنه فوق اثباجه هازئاً ساخرًا ، وان افلاطون الالهي ما خدعهم ولا كان بالمخدوع. ولعلهم صادقون.

لقد هبّ العلماء في السنين الاخيرة للبحث عن موقع الاتلنتيد ، وجهدوا انفسهم للتوصّل الى معرفة حقيقة امرها ، ولم تتّفق الى الآن آرازهم . وقد تراءى لهم ان بقعة من الارض ، او بعض الجزائر الكبرى كانت في قديم الزمان قائمة غربيّ مضيق جبل طارق ، ثم ساخت في جوف البحر ، وذلك على اثر نكبة هائلة حلّت بها ومحتها من صفحة عالم الوجود ، وأودت بكل ما

(*) اقتضبنا هذا المقال عن كتاب عنوانه « لمجد الارض » لمؤلفه بيير ترميه .

كان فوقها من سكّان وحيوان ومباني . ولعلّ العلم لن يتوصل الى حلّ هذا المشكل اسوة بمشاكل كثيرة من نوعه ، ومن غير نوعه .

أصل الرواية

ان رواية الأتلنتيد وردت في محاورة من تصانيف افلاطون عنوانها «تيمه» ، حيث كريستياس يخبر عن سفر سولون احد حكماء اليونان السبعة الى سايس بمصر ، واجتماع هذا الحكيم مع كاهن مصري ، وتذكير هذا الكاهن له بتاريخ اصل الاثينيين الذي اصبح نسياً منسياً عند اهل اثينا . قال الكاهن :

« لست اكتمك يا سولون هذا السرّ ؛ بل ان نفسي تطيب باجابتك الى رغبتك ، واطلاعك على ما تحوم عليه نفسك حبًّا لك ولوطنك ، وعلى وجه الخصوص اكراماً لربّة اثينا المحامية عنّا وعنكم ، التي بنت وانشأت مدينتك اثينا ، هذه الربّة التي تسلسلت من الارض ومن ڤولكان[1] ، وبنت بعد ذلك بالف سنة مدينتنا سايس . وقد مضى منذ انشاء هذه المدينة ، كما تخبر كتبنا المقدسة ، ثمانية آلاف سنة . والآن اريد ان احدّثك ، على سبيل الايجاز ، بشرائع الأثينيين ومآثرهم ومفاخرهم التي اتوها في مدة تسعة آلاف سنة مضت منذ قيام اثينا فمن جملة افعال ابناء وطنك العظيمة فعل يفوق الكل ؛ اذ ان كتبنا تخبرنا عن اهلاك اثينا لجيش قوي جداً كان قد خرج من بحر الاتلنتيك ، واغار بأسه على اوربة وآسية ؛ لان هذا البحر كان في ذلك العهد ذلولًا تجري فيه السفن ، وكان فيه ، وراء المضيق الذي تسمّونه انتم اعمدة هركول ، جزيرة اكبر من ليبية وآسية . وكان اذ ذاك الاجتياز من تلك الجزيرة الى ما يليها من الجزائر سهلًا ، والاجتياز من هذه الجزائر الى القارة المحيطة بالبحر الداخلي ممكناً . امّا ما يلينا من المضيق الذي كلامنا فيه فهو عبارة عن ميناء

---

١) في قصص اديان الوثنيين ڤولكان اله النار ، وابن المشتري وجونون ؛ فلقبح منظره قذفت به امّه من اعالي الاولمب ، فسقط على جزيرة لمنس ، وبقي على اثر سقطته اعرج ثم اخذ له اكياراً تحت الإتنا وصار يشتغل بها مع الجبابرة الذين هم بعين واحدة في رأسهم ، المدعوين (Cyclopes)

ضيق المدخل ، ولكنه في الحقيقة بحر ، والارض المحدقة بـه على التحقيق ارض.

« وكان في جزيرة الاتلنتيد ملوك مقتدرون متسلطون على الجزيرة كلها ، وعلى جزائر كثيرة غيرها ، بل وعلى اقسام من القارة . وكانت سلطتهم تمتد الى ليبية مما يلينا والى مصر والى اوربة حتى تيرّني[1] . وقد تألبت ذات يوم هذه القوة وزحفت لتستعبد بلادنا وبلادكم ، وتبطش بها بطشة واحدة ، وتخضع لسلطانها الشعوب المقيمة مما يلي المضيق من هذه الجهة . فحينئذٍ ابلى اهل اثينا البلاء الحسن ، واشتهرت قوتهم وبطولتهم ، لانها كانت المتفوّقة على كل اليونانيين بشجاعة جنودها وفضلهم في فن الحرب . الّا انهم اضطروا الى خذلها ، فخاضت وحدها الاخطار ، وردّت تلك الغارة واحرزت نصراً بعد نصر ، فانقذت من الرقّ والعبودية الشعوب الحرّة ، وضمنت الاستقلال لجميع الساكنين مثلنا في هذا الجانب من اعمدة هركول. وعلى اثر ذلك حدثت زلازل هائلة ، وفيضانات شديدة ، اغرقت في يوم واحد وليلة مشؤومة المقاتلين الذين كانوا عندكم ، وتوارت جزيرة الاتلنتيد في بطن البحر . ومذ ذاك الحين اصبح البحر في تلك الجهات صعب المراس ، لا تستطيع السفن ان تسلكه ، ولا ان تجتاز به لما فيه من الرمال الممتدة في موقع الجزيرة الغائرة[2] . »

فاذا تأمل القارئ هذه الرواية ، ونظر الى مجملها وتفصيلها ، جزم صحتها اذ ان كل ما فيها من الوصف يطابق العقل ويقرب من الصواب . انما يُنكر على الراوي مبالغته في وصف الأتلنتيد بالكبر اكثر من آسية ، فلعلـه كان يجهل مساحة القارة الاسيوية ، او انه اراد نعت جزيرتـه بالاتساع لا غير . امّا بقيّة وصفه فكله شبيه بالصواب . فلا عجب اذن من وجود جزيرة كانت قائمة في وسط بحر الظلمات ، كثيرة السكان ، باسطة سلطتها على جزائر اخرى منتشرة حولها ، كانت بمثابة طريق يؤدي الى ساحل افريقية ، ومن هنـاك تمكنت من مدّ فتوحها من الجهة الجنوبية الى ليبية فمصر ، ومن الجهة الشمالية

١) (Tyrrheme) هي اتروروية المعروفة اليوم بتوسكانا.

٢) تصانيف افلاطون ، ترجمة كوزّن (V. Cousin) ، المجلد ١٢ ، ص ١٠٦-١١٣

الى ايطالية فبلاد اليونان . وكذلك يستدل من هذه الرواية ان اثينة وحدها قامت في وجه اعدائها الاتلنتيديين وغلبتهم ، وان الطبيعة ساعدتها على تدمير بلادهم ، فنجت ونجت من غائلتهم . ولا بد من ان سكان سواحل البحر المتوسط شعروا بالهزات المسببة عن الزلازل ، ورأوا بام العين طغيان مياه البحر على اثر تلك الجائحة التي أودت بحياة الاتلنتيديين في ساعات قلائل. ولمّا جاوز الملاحون بعد ذلك المضيق رأوا امام سفنهم رتباً اي صخوراً متقاربة وآثار اراض مخسوفة ، فعادوا ادراجهم مذعورين مستوحشين من تلك الجهات التي صارت مظهراً للعقاب الالهي.

ثم ان افلاطون وصف في محاورة اخرى عنوانها « كريتياس » تلك الجزيرة الشهيرة ، قال : « نشبت حرب عامة ، وفقاً للتقليد المصري منذ تسعة آلاف سنة ، بين الشعوب المقيمين من جهة هذا الجانب من اعمدة هركول وبين الشعوب الآتين من ورائها . وكان من جانب اثينا ومن الجانب الآخر ملوك الاتلنتيد. قلنا سابقاً ان هذه الجزيرة كانت اكبر من آسية وافريقية ، ولكن البحر اقلد عليها على اثر زلزلة ، فلم يبقَ في موضعها سوى رمال تعوق الملاحة ، وتجعل السفر في البحر من وراء الامكان.»

على ان كريتياس زاد التقليد المصري ايضاحاً في شأن اصل الاتلنتيد التي وقعت حصة الاله نبتون فاسكن فيها اولاده العشرة الذين ولدتهم له امرأة من نسل البشر . ثم وصف مهد السلالة الاتلنتيدية قال : « انه سهل قريب من البحر ينبسط في وسط الجزيرة ، وهو اخصب السهول ؛ ودارة تمتد الى البحر ، ولكنها منفتحة من الجانب الجنوبي فتقي ذلك السهل نفحات القر الشمالية. وفي وسط تلك الجبال الجميلة كانت قرى حسنة خصبة حافلة بالسكان؛ وفي السهل كانت مدينة جميلة قصورها وهياكلها مبنية بالحجارة البيضاء والسوداء والحمراء ، التي كانت تستخرج من جوانب الجزيرة . وكان فيها معادن من كل نوع نافعة للانسان ؛ وكانت اطراف الجزيرة واقفة عمودياً مشرفة على البحر العجّاج[1] .»

١) تصانيف افلاطون المجلد ١٢ ، ص ٢٤٧ وما يليها.

وهذا الوصف يطابق ايضاً كل المطابقة المنكشف في وقتنا الحاضر من الارض في جزائر أسور حيث الربيع الدائم ، والحجارة البيضاء الجنية والسوداء والحمراء المتكونة من الحمم التي قذفتها جبالها النارية في الاعصر الخالية .

هذه هي الاتلنتيد كما وصفها افلاطون ، وهذا هو تاريخها وما حلّ بها من البلاء . وقد بقي ذكرها محفوظاً في عقول سكان سواحل البحر المتوسط ، وذكر نكبتها تيوبومب (Théopompe) ملك سبرطة ، ومرساوس الروماني ولكن رواية افلاطون امتع واتمّ .

رأي الجغرافية وعلم طبقات الارض

ماذا يقول العلم في هذا الانخساف ، اهو ممكن مع قرب العهد به ، وما حكمه في وقوعه فجأة واتساعه وامعان هذه الجزيرة في قلب البحر ؟

فلننظر اولاً في مستندات الجغرافية بشأن المحيط الاتلنتيكي حيث وقعت هذه النكبة .

اننا اذا فرضنا ان سفينة تخرج من مضيق جبل طارق ، وتتجه الى الغرب ولا تزال تسير سيراً مستقيماً ، فانها بعد طيّ شقة ٦٫٤٠٠ كيلومتر ، تبلغ شواطئ اميركة الشمالية عند رأس هتراس بالولايات المتحدة ، ولا تعرّج في طريقها على ارض منكشفة ، بل تنسلّ بين مادرة واسور ولا تراها ، وتتنكب عن جزائر البرمود وتتركها بعيداً الى الجنوب ، وفي اثناء المسير لا يرى ركابها لا قعر اليمّ ولا نتوآته . ولكن اذا مالت الى الجنوب الغربي ، ثم انحرفت الى الشمال الغربي ، وبعد ذلك رجعت الى الجنوب الغربي ، وعرّجت على مادرة واسور والبرمود ، وكان مع اهلها مرجاس نسبر غور البحر ، تحققوا ان الاعماق فيه متفاوتة متباينة ؛ اذ ان عمقه عند جبل طارق ٤٠٠٠ متر ، ثم يعلو عند مادرة ، ثم ينخفض فيكون عمقه ٥٠٠٠ متر وذلك بين مادرة واسور من جهة الجنوب ، ثم يعلو الى ١٠٠٠ متر على مقربة من هذه الجزائر ويظل عمقه بين ١٠٠٠ متر و ٤٠٠٠ متر ؛ ولكنها في الجنوب والجنوب الغربي من اسور ، تصادف نتوآت بعضها قريب من سطح البحر . ولا يلبث ان ينخفض الى

٥٠٠٠ او ٦٠٠٠ متر ، الّا انه يعلو بغتة ازاء البرمود ولا يزال عمقه ٤٠٠٠ متر الى قرب السواحل الاميركية ، ثم يعلو الى الشاطئ .

فلو تمكن الآدمي من نزح هذا البحر الاتلنتيكي ، او من تجفيفه ، لتراءى لعينيه وطاءان او غوران متقابلان محاذيان الشاطئين ، ممتدّان من الشمال الى الجنوب بين نشز قائم في وسطهما ؛ غير ان الوطاء المحاذي شاطئ العالم الجديد اعرض واعمق يتخلّله ارض ذات كسور واودية ووهاد اعمق من السواحل بستة الاف متر ؛ بل قد لا يخلو قاعه ايضاً من اوتاد ونشوز ، منها نشز يباري بعلوّه جزائر البرمود . امّا الوطاء الشرقي المحاذي شواطئ اوربة وافريقية فهو اضيق من الاول واقل عمقاً منه ؛ ولكن تضاريسه ونشوزه اكثر ، فمنها ما هو قوي متين كنشوز الجزائر الخالدات والراس الاخضر ، ومنها ما هو دقيق خوّار كنشوز مادرة . هذا وان النشز القائم بين الوطاءين اشبه براس مرتفع عرضه نحو ١٥٠٠ كيلومتر ، وهو كثير التضاريس والمغامض ولاسيما في جوار أسور ، بل ان هذه الجزائر ما هي الّا عبارة عن شعاف متفرّعة من هذا الرأس .

ثم اننا اذا وجهنا النظر الى علم طبقات الارض واستخلصنا زبدة اقواله وآرائه ، ظهر لنا ان جهة المحيط الاتلنتيكي الشرقية على طولها عبارة عن منطقة بركانية عظيمة متسعة ؛ وذلك من اجل كثرة البراكين في الوطاء المحاذي للساحل الافريقي والاوربي ، وفي القسم الشرقي من النشز القائم في الوسط ؛ اذ ان اكثر النشوز المنكشفة في شكل جزائر بركانية او انها براكين .

فهذه جزيرة غوغ[1] ، وتريستان اكونية[2] ، والقديسة هيلانة ، والصعود[3] ، وجزائر الرأس الاخضر ، والخالدات ، ومادرة الكبرى والجزيرات التي حولها

---

١) جزيرة صغيرة واقعة الى الجنوب الغربي من راس الرجاء الصالح .

٢) ثلاث جزائر صغيرة واقعة الى الشمال الغربي من جزيرة غوغ ، وقد سميت باسم تريستان اكونية البرتوغالي الذي عثر عليها وهو ذاهب الى الهند سنة ١٥٠٦ .

٣) جزيرة صغيرة واقعة الى الشمال الغربي من جزيرة القديسة هيلانة ، والى جنوب خط الاستواء

وجزائر اسور ، وايسلندة ، وجزيرة يوحنا ماين[1] ، فكل هذه الجزائر او اكثرها تكوّنت من الحمم التي نفثتها البراكين في قديم الزمان ؛ اذ ان آثار الحمم وُجد على عمق ثلاثة الاف متر في خط يمتد من اسور الى اسلندة على مسافة ٨٥٠ كيلومترًا الى شمالي اسور . وقد اثبت احد الملاحين سنة ١٨٣٨ وجود بركان تحت البحر عند خط الاستواء ، على مقربة من الدرجة الثانية والعشرين من درجات الطول الغربي ، اي على الخط الواصل جزيرة الصعود بجزائر الراس الاخضر ؛ ورأى بخارًا حارًا ينبعث من الماء ؛ ثم ظهر نتوء في عمق البحر غير النتوءآت المعروفة . على انه لم يزل في هذه الجزائر التي تقدم ذكرها جبال نار في حدّة نشاطها ، والمنطفئ منها يبين كانه بالامس انطفأ ؛ فضلًا عن ان الزلازل فيها كثيرة متواترة . فكم من مدة ظهرت في هذا البحر جزائر جديدة وتوارت اخرى قديمة ؛ ولذلك تشبه منطقة الاتلنتيك الشرقية ، في طولها وعرضها وتواتر انفجاراتها وكثرة زلازلها ، المنطقة التي منها يتكوّن الشاطئ الاميركي الغربي ، وتوافق في جنوبيها الكورديلير ، بل هي شبيهة كل الشبه بوجه الارض.

ولمّا كان جبل النار مصحوبًا دائمًا بانخسافات او انهيار بعض اجزاء القشرة الارضية ، ما زال قاع الاتلنتيك في المنطقة الشرقية ، على عرض ثلاثة آلاف كيلومتر تقريبًا ، عُرضة لافدح البلايا واشد الكوارث . ومصداقًا لهذا القول نروي هذا الحادث: في صيف سنة ١٨٩٨ ، بينما كانت احدى السفن تمدّ السلك البرقي البحري الواصل برست براس كود بالولايات المتحدة ، انقطع السلك على بعد ٨٠٠ كيلومتر الى شمالي اسور . فاخذ البحريون يفتشون عنه بواسطة الكلاليب في عمق ٣١٠٠ متر ، وقد عانوا الشدائد وبقوا اياماً طويلة يجيلون الكلاليب حتى عثروا على السلك . واستدلوا بذلك على ان تلك الجهة من البحر حافلة بالقمم العالية والاودية العميقة ، وثبت عندهم كون القمم صخرية لا حمأة عليها ؛ انما الحمأة راسبة في اسافل الاودية فقط . وقد نشبت الكلاليب مرارًا بالصخور

١) جزيرة صغيرة واقعة الى الشمال الشرقي من اسلندة ، وبين هذه الجزيرة ، وغرينلندة وسبتزبرغ ، اكتشفها الملّاح الهولندي يوحنا ماين سنة ١٦١١ .

وانكسرت او تعوّجت ، واخرجت مراراً بين اسنانها شظايا معدنية كانها تشظّت من عهد قريب ؛ واسفرت الدلائل عن ان تلك الشظايا انفصمت من صخر عار محدّد الاطراف كثير الزوايا يشبه الصخور البركانية ؛ وما زال بعض هذه القطع او الشظايا محفوظاً في متحف مدرسة المعادن بباريس.

على ان العلماء لم يتنبهوا في ذلك الحين لاهميـة تلك الشظايا الشبيهة بحجارة جزائر سندويش . وفي الحقيقة ان تلك الحمم مـا تحجّرت وصارت شبيهة بالزجاج الّا بتأثير الضغط الجوي فلو انها كانت دائماً تحت ثلاثة آلاف متر من الماء ولم تصادف الضغط الجوي ويؤثر فيها ، لتبلورت وظهر عليها آثاره. وقد لاحظ المسيو لاكروا ان حمم جبل بيلِه متى جمدت في الهواء تكتسب رونقاً زجاجياً ومتى بردت تبلورت . فيستنتج من هذا ان قاع الاتلنتيك ، على بُعد ٩٠٠ كيلومتر من شمالي اسور ، قد كان مغموراً بالحمم حين كان منكشفاً ، وانه لمّا انخسف غاص بكل ما عليه الى عمق ثلاثة آلاف متر في الماء. النتيجة ان هذا الانخسـاف حدث فجأة بعد تدفّق سيل الحمم بوقت قصير ، ولو لم يكن الامر كذلك لكانت الحوادث الجوية والبحرية اكلت وسحلت وسفنت وجه تلك الارض ؛ وان الخط الواصل اسلندة بجزائر اسور طرأ عليه تغيّرات من اجل البراكين ؛ وان جزائر اسور ما هي الّا بقايا اراض ساخت منذ عهد قريب يدعوه علماء طبقات الارض « العهد الحالي.»

فيظهر اذن ان البحر الاتلنتيكي قريب العهد. ولربما حدث سيخانات اخرى قبل حدوث هذا السيخان الذي دمّر ما حول اسور . على انه على اثر النتائج العلمية التي توصّل اليهـا ادوار سوس (Eduard Suess) ، ومرسل بوتران ، تعلمنا درس سيّارتنا وحل رموز الاستحالات البطيئة والسريعة التي جرت على وجهها ، بعد مرور اجيال لا تحصى ، وتنبهنا لوجود موصل كان يصل شمالي اوربة بشمالي اميركة ، وموصل آخر بين افريقية واميركة ؛ وذلك انه كان في شمالي الاتلنتيك قارّة تشتمل على روسية وشبه الجزيرة السكندينافية وبريطانية العظمى وغرينلندة وكندة ؛ وفي جنوبيه قارة اخرى قائمة بين افريقية والبرازيل ، تمتد شمالاً الى جبال الاطلس ، وشرقاً الى الخليج الفارسي والى قناة الموزمبيق ،

وغرباً الى جبال الاند وجبال كولومبية وفنزولة . وكان في تلك القارة الاتلنتيكية شمالاً سلسلة جبال اعرض من الالب ؛ وربما كانت تضاهي في علوها جبال حملايا ؛ وكانت تشتمل على الفرج وبقاع فرنسة الوسطى وبرتانية وجنوبي انكلترة وايرلندة والارض الجديدة وسكوسية الجديدة - او اكادية - وسلسلة الابلاش في الولايات المتحدة. واذا نظرنا الى الساحلين المتقابلين ، ساحل برتانية وساحل كورنوايل (Cornouailles) ، وجنوبي ايرلندة وساحل الارض الجديدة وسكوسية الجديدة رأينا فيها فُرَضاً متناظرة من احسن فُرَض العالم؛ فضلاً عن ان آثار الانفصال هنالك ظاهرة. اذن اطراف البحر الاتلنتيك الشمالية نشأت عن قارة كان يحدق بها قبل خرابها سلسلة جبال ؛ ولكن لا يُعرف متى حلّ بها الدمار ؛ فلعل دمارها كان قبل دمار الاراضي البركانية التي يشهد عليها الآن جزائر اسور . وكان ايضاً في جنوبي الاتلنتيك قارة كبيرة ثبتت الوفاً من السنين ثم غارت في اعماق البحر . ولربما وقعت سيخانات متوالية ، اذ ان محاط البحر المتوسط اصابه تغيّرات على توالي الاجيال ؛ لان هذا البحر كان في اواخر العصر الثاني متصلاً بالجزائر الخالدات ، وشاطئه الجنوبي ممتدّاً اليها كما قال المسيو بيتار (Pitard) . امّا جزائر الراس الاخضر فكانت في الوقت عينه جزءاً من القارّة القائمة بين افريقية والبرازيل.

وبينما كان البحر المتوسط في ذلك الموضع يكبر ويتسع من اجل السيخان التدريجي على شواطئه ، كان يحدث في قعره انقباضات وتقلصات في ارجح الظن . فاجتمعت المواد الراسبة من القارتين الشمالية والجنوبية ونشأ من تجمعها في العصر الثالث باوربة سلسلة جبال الالب . ولكن الى اين امتدت هذه السلسلة في الاتلنتيك ، وكم من الزمان بقيت قائمة فوق المياه ، ومتى غارت في قعر الدأماء بعض اقسامها ، وهل امتدت غضون الالب والاطلس الى مجر الانتيل ، وهل يجوز التسليم بصلة كانت قديماً بين الالب والكورديلير ؟ فهذه الاسئلة لا جواب لها في الوقت الحاضر

على ان المسيو لويس جنتيل (Gentil) قد تتبع في الاطلس الغربي الغضون الثلاثية الى ساحل المحيط الاتلنتيكي ، وتأكد انخفاضها شيئاً فشيئاً حتى

تتصل بالبحر وتغور فيه . وكذلك الحال في شأن الغضون الحاصلة في ساحل اغادير وراس غير (Ghir) فاذا تتبعها المرء بفكره ، وجدهـا ايضاً تتصل بالجزائر الخالدات . ولكن لا بد ، قبل القول بان الجزائر الخالدات هي بقايا من الاطلس الذي ابتلعه البحر ، من النظر في الغضون الحاصلة في اراضي اواخر العصر الثاني . فالاطلس كما هو معلوم فرع من سلسلة العصر الثالث ، وما هو الّا مدّ الابنين في شمال افريقية . امـا الالب الذي هو فرع هذه السلسلة الرئيسي فيسهل على المرء تتبعها الى سيرّاناڤدا ومضيق جبل طارق ؛ ومن تحت هذا المضيق تتصل بالريف . وجملة القول ان اسباباً قويّة تحملنـا على الظن ان مدّ الغضون الثلاثية الاتلنتيكية ، وغضون الاطلس ، الى نحو الجزائر الخالدات ، وغضون الالب الى نحو جزائر اسور الجنوبية فقط ، ولكن لا يجوز مدّها اكثر من ذلك ؛ لان اراضي سنتا ماريا احدى جزائر اسور الاميل الى الجنوب تدل على انه في اواسط العصر الثالث كان يمتـد شاطئ البحر المتوسط الى قرب اسور من جهة ، ومن جهة اخرى في العصر عينه الى قرب الجزائر الخالـدت . فعلى كل حال قد حدث تغيّرات بالاتلنتيك في الازمان الاخيرة ؛ والدليل على ذلك كثرة البراكين والحمم العريقة في القدم . وقـد وسعت السيخانات في الاعصر الثانية حـدود البحر المتوسط ، وجرفت السلسلة الهرزولدية ، ونشأت غضون في النصف الاول من العصر الثالث كان من نتائجها تغيير قعر هذا البحر ، وقيام جزائر جبلية على مقربة من ساحله الشماليّ . ثم في اواسط العصر الثالث حدثت سيخانات اخرى في البر والبحر فدرست آثار تينك القارتين وشواطئهما وظهر نتوء جديد يمتد من الشمال الى الجنوب عقبه تدفق سيول الحمم . هذا موجز تاريخ المحيط الاتلنتيكي منذ بضعة ملايين من السنين . ويظن لويس جنتيل ان مضيق جبل طارق انفتح في ابتداء العصر الثالث ، وفي اواسطه كان البحر يغمر شاطئ اغادير ، وكانت مادرة والخالـدات في ذلك العصر منفصلة عن القارة ؛ وفي الاعصر الرابعة انخفض الزقاق الفاصل مـادرة والخالدات عن الارض الافريقية .

فينتج من ذلك كله ان قعر الاتلنتيك اصابه تغيرات على اثر انخفاض قعر

البحر المتوسط في المنطقة البركانية المتسعة البالغ عرضها ثلاثة آلاف متر والممتدة من الجنوب الى الشمال في النصف الشرقي من المحيط الحالي . وهذا كله يدلّ على سيخانات اودت بجزائر بل بقارّات ؛ وعلى حدوثها فجأة وبسرعة في العصر الرابع بعد خلقة الانسان. فاذن علم طبقات الارض لا يرى في نكبة الاتلنتيد شيئاً مستحيلاً.

رأي علماء الحيوان

بقي علينا استطلاع رأي علماء الحيوان في هذه المشكلة. فاليك ايها القارئ محصّل ما توصّل اليه المسيو لويس جرمان في حلّ هذه المسئلة . فان هذا العلامة بعد ان تفرّغ لدرس الحيوان العائش في جزائر أسور ومادرة والخالدات والرأس الاخضر ، ثبت عنده ان اصل هذا الحيوان كله واحد ، وذهب الى مرجعه الى قارة واحدة في الاصل . ولمّا قابل بين انواعه العائشة في هذه الجزائر والانواع عينها العائشة في البرّ ، تحقق :

اولاً : ان الحيوان الخالي من الفقار العائش في البر حول البحر المتوسط يتصل الى الحيوان العائش في هذه الجزائر ، ولكنه مع شدة شبهه له يختلف عن الحيوان العائش في خط الاستواء الافريقي ؛ ووجد بعض الشبه بين الحيوان الرباعي الخالي من الفقار وبين انواعه العائشة حول البحر المتوسط .

ثانياً : ان تكوّن اراضي الجزائر الخالدات في العصر الرباعي شبيه باراضي موريتانية ، وانها تشمل انواع الحيوان الخالي من الفقار عينها . فاستنتج ان هذه الجزر كانت متصلة بالقارة الافريقية في اواخر العصر الثالث ، على الكثير

ثالثاً : ان الحيوان الخالي من الفقار الموجود الآن في هذه الجزائر عين الانواع المتحجرة في اراضي العصر الثالث الاوربي ؛ وكذلك امر النبات لان الخنشار المسمّى (*Adiantum reniforme*) الذي لم يبقَ له اثر اليوم في اوربة وكان معروفاً في العصر الثالث البرتوغالي ، ما زال حيّاً في أسور والخالدات . فاستدلّ بذلك على اتصال شبه الجزيرة الايبرية بقارّة هذه الجزائر حتى العصر الثالث ، وعلى انفصالها عنها في العصر عينه.

رابعاً : ان الحيوان الخالي من الفقار المسمى (*Oleacinidae*) لا يعيش الا في اميركة الوسطى والانتيل وحول البحر المتوسط والخالدات ومادرة وأسور ، وقد بقي في اميركة بقدّه وحجمه الذي كان عليه في اوربة باواسط العصر الثالث . امّا في ما يلي البحر المتوسط وجزائر الاتلنتيك فقد صغرت جثته ودقّت . ومن هذا يستدلّ على انه في ابتداء اواسط العصر الثالث ، كانت القارّة الشاملة اسور والخالدات ومادرة تمتد الى الانتيل ، وعلى ان الانفصال حدث في ذلك الزمان او بعده بحين.

وقد استنتج المسيو جرمان من كل ما مرّ وجود قارّة او ارض اتلنتيكية كانت متصلة بشبه الجزيرة الايبرية وموريتانية وممتدة الى الجنوب ، وواصلة الى الانتيل ، وقد ساخت شيئاً فشيئاً ولم يبقَ منها الّا الاتلنتيد التي ساخت ايضاً ، وتركت لنا الجزائر الباقية الى يومنا . على ان هذه النتائج التي استنتجها هذا العلّامة من دروسه توافق نتائج علم طبقات الارض.

فبعد هذه البراهين لا يسعنا الّا التسليم بوجود اراض منكشفة كانت قائمة الى غربي اعمدة هركول ، من جملتها جزيرة جميلة يفصل بينها وبين ساحل افريقية عدّة جزر صغيرة . ولكن هل كانت هذه الجزيرة مأهولة ؟ هذه هي المسئلة العويصة التي لم يتوفق بعد علم طبقات الارض الى اماطة حجابها ، ولا درس الحيوان الى ابداء سرّها ؛ فتاريخ الانسان والشعوب ودرس البحار احق بالجواب عنها.

النتيجة : ان كل انسان حر ان يعتقد صحة رواية افلاطون الفيلسوف لان العلم لا ينقضها ، بل على الضد يثبتها.

خزائن الكتب العربية وخرابها

بقلم الاب لامنس اليسوعي

ما اوهى حياة الكتب ! فانها وديعة الورق ؛ وما اقرب مادة الورق من التلف ! ان المحافظة على الكتب تقتضي مراقبة لا تعرف الملل لتحميها من العثة والنار . ومن ذلك نفهم حكمة البابليين واليونان والرومان في نقشهم على الآجر ، او الحجر ، او النحاس ، الكتابات التي كانوا يقصدون حفظها على مدى الدهر .

ذكرنا اعداء الكتب ولم نذكر الدهم اعني الانسان . هذا ما يشهد عليه التاريخ ، ويا لـه من تاريخ مفجع ليس فقط في العصور الخوالي ، ولكن في عصرنا ايضاً عصر النور . حسبنا الاشارة الى احراق مكتبة لوفان في شهر آب ١٩١٤ اذ اتلف فيها اكثر من ٢٠٠,٠٠٠ كتاب مطبوع او مخطوط . وقد حدث ذلك الحريق لا قضاء وقدراً كما قد يحدث في الحروب ، ولكن تعمداً . وقد حكمت معاهدة ڤرسايل على من وقعت عليهم تبعة هذه الجريمة بالتعويض عنها ، ان يكن من ثم سبيل الى التعويض عن امثال هذه الاضرار !

نشرنا في المشرق (٢٠ [١٩٢٢] ١٠٧) مقالاً على اتلاف مكتبة طرابلس عندما فتحها الصليبيون ؛ واظهرنا ، في حقيقته التاريخية ، ذلك الحادث ، وكانوا قد ضخموه ومسخوا وجهه حتى اضحكونا . وما هو الّا قصة بضعة آلاف المجلدات كان آل بني عامر الشيعيّون قد جمعوها ليذيعوا بها مذهب البدعة الامامية . فاذا بذلك العدد قد بلغ الثلاثة ملايين يا للجهل ! . ايدري الذين اذاعوا تلك الحكاية ان ثلاثة ملايين من الكتب عزيز وجودها حتى في مكاتب العواصم

الغربية المؤسسة منذ الاجيال . بيد ان مجموعة طرابلس الشيعية لم تكد تبلغ الخمسين سنة من عمرها !

ان قراءنا وقفوا على المناقشات اللاذعة التي دار محورها على مشكل تاريخي آخر وهو نسبة احراق مكتبة الاسكندرية الى الخليفة عمر بن الخطاب . في نظرنا ان البرهان القاطع على ذلك الاتلاف لم يثبت بعد . على ان الخبر ، وان كان اسطورة من الاساطير ، فلا بد من تفسير السبب الذي دعا عبد اللطيف، وابن القفطي ، والمقريزي ، وغيرهم من قدماء المؤرخين الاسلام الى اشاعته . لعلهم ظنوا نسبة احراق مكتبة الاسكندرية الى عمر مرقاةً لكرامته ، ولا وسيلة ابلغ منها الى غرضهم وهو الاشادة بغيرة عمر على الاسلام . ولعلّ ابن خلدون رأى رأيهم فنحا منحاهم ؟ جاء في المقدمة[1] « فاين علوم الفرس الذي [كذا] امر عمر رضي الله عنه بمحوها عند الفتح » وكأن ابن خلدون قد دهش من قلة الكتب الفارسية القديمة فلم يتردّد بنسبة فقدانها الى الخليفة عمر . لا نعرف اين استقى المؤرخ الشهير مصادره ولا نعرف هل اخذ عنه هذا الخبر غيره من المؤلفين . على ان تاريخ البلاد الاسلامية طافح بحوادث النكبات التي ذهبت فيها مكاتب برمتها ضحية اغراض البشر الردية .

* * *

من اشهر تلك النكبات ما حل في بغداد ، الشهيرة ليس فقط بمكاتبها ولكن بمخاصماتها الدينية ايضاً ، اذ احتكّ في ميدانها منذ القرن الحادي عشر السنّيون بالشيعيّين اولاً ، ومن بعدهم الحنبليون بسائر المذاهب . وربما عمدوا الى السلاح لفضّ المشاكل ولم يكن من النادر ان يهاجم احد الفريقين كتب الفريق الآخر .

وقد حفظ كتاب الف ليلة وليلة صدى تلك الحوادث اذ روى ان ابواب بغداد كانت مغلقةً ليلاً لتمنع اصحاب البدع من اتلاف الكتب وطرحها في دجلة ، مما يدل على ان الحادث لم يكن من الامور التي لم يُسمع بها قط !

١) طبعة باريس ١ : ٧٨

وفي سنة ١٠٥٩ عاث عسكر السلطان السلجوقي طُغرول بك[1] فساداً في عدة مكاتب بغدادية واحرقوها . واتلف التتر غيرهـا من المكاتب على ايام هولاغو ، وابادوها فلم يبقَ لها اثر .

وان ما يُروى عن مكتبة غزنة[2] (افغانستان) يؤيد كلامنا بمثل آخر . فانها أُحرقت على يد جنود الامير حسين سنة ١١٥٥ عند تدميرهم المدينة.

وسنتين قبل ذلك العهد حول الاتراك[3] الى رماد مكتبة نيسابور . وسواء أكان الفاتحون في النضال سنيين ام شيعيين فانهم قلما قعوا النفس الأمـارة بالسوء.ومنعوها عن احراق كتب خصومهم . وجرت احكام هذه السنة القاسية بمكتبة حلب على ايام ابي العلاء المعري ، يوم عاشوراء . وعلى هـذا المنوال دُمرت مكتبة الري في بلاد فارس.

وقبل ذلك العهد بسنتين امر السلطان محمود الغزنوي باحراق « كل ما كان في علم الكلام»[4] . فضلاً عن الكتب التي اعلنت الريبة في صحة تعليمها.اعني بها كتب « الروافض واهل البدع ».

وكان للاتراك والتتر النصيب الاوفر في تلك الفظائع . فهيا بنا نرى الآن هل كان المسلمون في سائر البلاد ارحب صدراً واكثر اكراماً للمنتوجات العقلية ؟

* * *

لقد كتبوا ما كتبوا في هذه الآونة الاخيرة تعظيماً لما بلغته الاندلس من علوّ منزلة العمران .حتى ان البشرية لم ترتقِ في زعمهم الى مثل ذلك النجاح الفكري والمادي . يا لها من بيئة سعيدة لا خطر فيها على الكتب من فساد المفسدين. ولكن لا بد من القول ان الواقع كان خلاف الاوهام . ليس بلد من البلاد حفظت له تواريخ العرب من احراق المكاتب ما حفظته للاندلس.وها ان الاستاذ

١) ابن الاثير ، التاريخ الكامل ، ٩ ، ٢٤٦ ؛ ١٠ ، ٥
٢) ابن الاثير ، التاريخ الكامل ، ٩ ، ٢١٧
٣) ابن الاثير ١١ ، ١٢٠
٤) ياقوت : ارشاد الاريب ، ٢ ، ٢١٥

ريبيرا[1] خصّ مكاتب الاندلس الاسلامية واصحابها بدرس مسهب وبيّن ما كان للكتب من المحل في شغف الناس وولعهم ثم قال : « في الاندلس ، سحابة قرون عدة ، كان الوقوف على حريق المخطوطات العربية من الذمّا تتشفّع به العامة في اعيادها وافراحها[2] . »

ولما رسخت قدم المذهب المالكي في الاندلس وطرد المذهب الاوزاعي ، الذي كان قد دخل البلاد مع العرب السوريين ، استشم العلماء المالكيون رائحة البدع في كل مكان ؛ فحركوا الشعب فصار يناوئ كل مجدد حقيقي او مزعوم ويحرق كتبه . ومن الذين ذهبوا ضحية تلك الحركة ابن مسرة الفيلسوف وبعده ابن كليب[3] المتهم بتعليم « القدر » ، احرقت كتبه بعد موته في ساحة البلد . وكانت الحكومة تتبع تلك الفظائع ولا تجرؤ على مقاومتها . احبّ الوزير المنصور المؤلفات الفلسفية وحرص كل الحرص على اخفائها . وكان للسلطان في عزّه مكتبة بلغ عدد مجلداتها على ما يقال ٤٠٠,٠٠٠ فلم ينجها من شر هذه الاعمال البربرية . لان المفتشين دخلوها ، واحرقوا منها عدداً وافراً في محضر من الوزير المنصور ، وقد اضطرّوه الى مساعدتهم على اتلافها . ولم يبقوا الّا على ما لم يجدوا فيه شبهةً من كتب الطب والحساب والشريعة وغيرها .

ولما استولت دولة المرابطين على الاندلس ، كثرت حركة التدمير ، فاحرقت مؤلفات الفلاسفة وفيها كتب الغزالي الذائع الصيت . وكذلك جرى في مكاتب عديدة[4] . ثم غلب الموحدون المرابطين فاخذوا باحراق كتبهم ، ودارت الدائرة على كتب المذهب المالكي : حملوها احمالًا على الرواحل ، ووجهوها الى فاس في مراكش واحرقوها في مجتمعات الناس .

في السنة ١٥٤٢ حلّ فاس رجل بلجيكي اسمه نقولا كلينار ، وكان يحسن العربية وهو مشغف بها ، وممّا لفت نظره في المدينة عدم وجود المكاتب وندورة المخطوطات ، وعددها اقل من القليل ، فان المؤلّف الشامل بضع

١) Disertaciones y opusculos, I. 181. etc.

٢) I, 220.

٣) راجع الفرضي : تاريخ علماء الاندلس (Ed. Codera. I, p. 120, n° 417)

٤) ابن الابار : كتاب التكملة لكتاب الصلة (Ed. Codera) II ، ٥٦٧ ، ٣

مجلدات كان وجوده بكماله مستحيلاً.

وكانت دولة الموحدين قد رضيت على ابن رشد ، فانقلب الشعب الاندلسي عليه وعلى مؤلفاته . وهذا الانقلاب يدلنا على سبب قلّة ما حفظ من مخطوطات ابن رشد. واتلفوا ما اتلفوا من الكتب حتى نفدت خزائنها. ولذلك لما اراد سلاطين بني مرين تأسيس مكتبة في فاس قصدوا الى الملك سانشو[1] الرابع، فارسل اليهم الامير المسيحي من بلاده ثلاثة احمال من المخطوطات العربية.

ذكرنا المؤرخ ابن الآبار وفاتنا القول ان كتبه قد أُحرقت في ساحة تونس الغرب . فهل من سبيل بعد الى السؤال عن مؤلفات مسلمي الاندلس ؟ او ليس الاحرى بنا ان ندهش لبقاء جزء منها بعد تدمير المدمرين !

فاذاً ، شاء البعض او أبوا ، لا بدّ من الاقرار ان البيئة الاندلسية لم تكن ارحب صدراً من غيرها بالمنتوجات العقلية . ومما يأسف له العلم كثيراً ان الكتب كانت تذهب ضحية تلك الايام . وسواء أكان المالكيون غالبين او مغلوبين ، فعلى الكتب كانت تحلّ نقمة الناقمين.

وفيما نحن في هذا الصدد ، لا بد من ذكر القاهرة حيث انشأ الخلفاء الفاطميون مكتبة نفيسة . لقد نالها ضرر عظيم في الثورات العسكرية التي اضطرمت نيرانها في اواخر الدولة الفاطمية . فأُتلف جزء من الكتب ، وجزء آخر ظلّ محفوظاً الى ان ملك مصر صلاح الدين . فقُيض للسلطان الكردي الاجهاز على تلك المكتبة الشهيرة : اعطى قسماً منها كاتبه القاضي الفاضل ، وامر بعرض الباقي في السوق بالمزاد . وطال بيعها سنين . . .

فتأمل واعظم بالكارثة !. واعلم ان صلاح الدين عامل مكاتب سورية المعاملة ذاتها . حتى قال بعضهم ان عبد اللطيف المعجب بصلاح الدين كثيراً اختلق خبر احراق المكتبة على يد عمر ، عذراً لسلطانه ، وذهب مذهبهم المرحوم كازانوفا[2] . ولكن ، صح الخبر او كذب ، فليس فيه ما يعود بالفخر على صلاح الدين ولا على عبد اللطيف.

١) راجع روض القرطاس (*éd. Tornberg*) ص ١٨

٢) *Académ. Inscriptions et belles-lettres, 1923, p. 163-71*

الحياة النسكية في لبنان

محاضرة القاها

في نادي الشبيبة الكاثوليكية

الخوري بطرس غالب

٣

لننتقلنّ الآن الى عصرنا ، ونتفرّس في وجه الحبيس الذي يخيّل الينا انه من بقايا القرن السادس عشر ، وكأنما هو قرنٌ لملكا البقوفاوي الذي بلغ من الزهد والتقشف مبلغاً نكاد لا نصدّقه لغرابته .

هذا الحبيس العصري هو شربل مخلوف المتوفى برائحة القداسة في ٢٤ كانون الاول سنة ١٨٩٨ ، بعد ان سار سيرة عجيبة . وكأني به قد جُعل في قربنا ليشهد لنا بان اسلافه من الحبساء قد سلكوا حقًّا هذه الطريق الكاملة ومارسوا كل ما فيها من ضروب الزهادة والنسك .

وقد رأى الاب دديو نفيل ، رئيس كلية القديس يوسف ، جسد هذا الحبيس في دير القديس مارون بعنايا في اعالي جبيل . ذلك الجسد لم يفسد وهو شبيه بالمومياء ، لكنه منذ ثلاثين سنة اي من سنة وفاته الى اليوم ، يبعث رائحة قوية غير متعفنة لا تلبث ان تصير لذيذة . وعند قبره وبشفاعته يصنع الله كرامات غير اعتيادية .

وُلد شربل في بقاع كفره وهي في لبنان الشمالي ، بالقرب من الديمان على ارتفاع ١٤٥٠ متراً من البحر ، فهي اعلى قرية في لبنان . وسُمي يوسف .

وكان ابوه يرسله لحراسة البقر والمعزى في المرعى . فيتوسّل يوسف الى احد رفاقه ان يسهر على قطيعه الصغير . اما هو فكان ينفرد بعد رمية حجر ويجثو على الارض مصلياً . وكان بالقرب من المرعى مغارة فاختارها ليمارس

فيها رياضاته الروحية . امّا رفاقه فكانوا يهزأون به لاجل تطرفه في العبادة ويعدّونه ابله لانه كان يأبى ان يلعب معهم . وهذه حال الناس في كل عصر . هي الحكمة البشرية اوحت الى هؤلاء الرعاة ان يحكموا حكماً فصلاً في طرق الرب .

ذلك الكهف الصغير دعي اولاً مغارة الابله ثم ما لبث ان صار معروفاً بمغارة القديس . امّا يوسف فلم يبالِ بما يقال عنه بل ظل سالكاً في سبيل عبادته . فلمّا بلغ سن الثامنة عشرة سمع صوت الرب يدعوه الى سيرة الكمال والتضحية . وكان على تمام التأهب فلبى الدعوة غير متردّد ، ولم يثبط عزمه ممانعة ابويه ولا توسلات اصدقائه . ذلك الابله اعرب عن سخاء نفس عظيم ، وكان انه وضع يده على المحراث فلم يلتفت الى الوراء . هجر اهله ولم يشأ ان يراهم فيما بعد .

ثم لمّا انتشر طيب فضائله وبعدت شهرة قداسته ، اتت اخته من بقاع كفره الى دير مار مارون عنايا لتراه مجتازة مسافة ١٢ ساعة في الاقل ، فابى ان يواجهها حتى امره رفيقه الحبيس مكاريوس بان يقابلها ويعزّيها بيسير من الكلام . فعند ذلك وقف شربل في آخر ممشى المحبسة واسمعها بعض كلمات من وراء ستار كثيف .

وفي مدة ابتدائه كان مثالاً في التقوى لكل من يراه ، واستبدل اسم يوسف باسم شربل حتى لا يبقى على شيء من تذكارات العالم الذي مات عنه موتاً كاملاً . وجعل يبالغ في رعاية القانون الرهباني يحفظه بكل دقة . وقيّض له الله معلماً يدرسه اللاهوت الادبي ، راهباً قديساً يعرف اليوم باسم « قديس كفيفان » وهو نعمة الله الجرديني رجل الله الشهير . وقد صار التحقيق الاولي القانوني عن سيرة هذين الراهبين عبدي الله ورفعت اوراق تطويبهما الى رومية . فكان ان مثل ذلك المعلم القديس أكمل تهذيب شربل الروحي وتثقيفه فأجمع الرأي على انه اهل للكهنوت .

سيم كاهناً فاراه تواضعه انه غير اهل لتلك النعمة المفاضة عليه ولا للقيام بمهام الكهنوت الكثيرة ، فسأل رؤساءه ان يرخصوا له بالانقطاع الى الصلاة

والتقشف في احدى المحابس ليعاون بممارستهما الكهنة المنصرفين الى خدمة النفوس. ومكث زماناً طويلاً لا يُؤذن له بما يشتهيه من الانفراد . كأن الله سبحانه شاء ان يمتحن طاعته ريثما يستكمل الفضائل التي تقتضيها الحياة الرهبانية العمومية . فلمّا رأى تمام نضجه اعلن رضاه عن مطلبه وعضده بعلامة عجيبة.

كان شربل مع اخوته وبعض العملة في حقل للدير يعزقونه فأُمِر ان يجمع الحصى وينضدها على الحيطان ، ويركش الارض ، ويساعد الحصّادين بربط الحزم ، ويقتلع الشوك ، وينقل التراب في سلّ ، ويحمل ماء الشرب الى العملة. فكان يتم دون تمرمر جميع ما يسومه عمله الاخ المولّى ادارة اشغال الحقل (رئيس الحقلة) . وحين يجلس العملة لاخذ الراحة كان شربل يبتعد عنهم قليلاً ويأخذ في الصلاة . امّا الاخوة والعملة فكانوا احياناً يفتحون له سبيلاً واسعاً الى ممارسة الصبر. من ذلك انه حدث انهم ذات يوم حملوه كل ادوات العمل من معاول ومجارف ورفوش ومناجل وجرار ليحملها الى الدير . فلمّا صارت على ظهره قال لهم مبتسماً: شغلتم ظهري ولم تشغلوا يديّ فهاهما لا تزالان فارغتين ، افلا ترون ان هذا الحمار (عنى جسده) يستطيع ان يحمل اكثر من ذلك !

وفي ذلك اليوم وصل الى الدير متأخرًا ، لان جسده الذي اضناه التقشف والشغل والسهر لم يأذن له بالاسراع كاخوته . فلم يبلغ الى الدير الا في ساعة العشاء . وكان الرهبان يتناولون طعام العشاء بعد صلاة المساء اي زهاء الساعة الرابعة ونصف بعد الظهر.

ولم يكن بعد قد وفى فرض الصلاة فاقبل على الاخ الكلارجي يطلب زيتاً لسراجه ، فلقيه الكلارجي بدمدمة وتذمر وحول له ظهره.

غير ان الخادم اراد ان يمازحه فاخذ منه السراج وملأه ماء ، وشربل لا يراه ، وقال : خذ سراجك يا ابانا شربل فقد صببت فيه زيتاً...

صدّقه شربل ، وذهب بسراجه الى قلّايته ليصلي فرضه . أشعل السراج فاشتعل . الا ان الخادم أخذ بحيلته . وذلك ان رئيس الدير بينا كان يطوف الملهي على عادته متفقدًا القلالي بعد اطفاء المصابيح وكان الخادم وراءه ابصر نورًا في قلاية شربل . فبكّت الخادم ضميره وخاف ان يلوم الرئيس شربل

فاوقف الرئيس على ما فعل . ومع ذلك دخل الرئيس غرفة شربل واخذ السراج وصبّ ما فيه على الارض ليعلم ما اذا كان فيه ماء واذا كانت رواية الخادم صادقة ، فاذا هي كذلك. وفي الغد استدعى الرئيس شربل وقال له : ان الربّ يشاء ان تكون حبيساً. فلا املك مقاومة مشيئته بعد ما أُعلنت على هذا الوجه الصريح . فوقعت هذه البشرى من قلب شربل وقع الماء الزلال على صدر ظمآن . فتوجه لساعته الى المحبسة وسجد امام الرب ، الذي هو ايضاً حبيس في معبد المحبسة ، وادّى الشكر من صميم الفؤاد . لانه فاز بما كان يشتهيه ، اي العيش بالقرب من السجين الالهي وحرية تقريب نفسه ذبيحة يومية طول ايام حياته لذلك الذي جعل نفسه ضحية لافتدائنا.

للحبساء قانون يجب عليهم ان يتقيدوا به . سنهُ لهم التقي الورع عبدالله قرالي مطران بيروت ، احد مؤسسي الرهبانية اللبنانية المنسوبة الى القديس انطونيوس الكبير. واهم مواد ذلك القانون ان الحبيس منذ يؤذن له بدخول المحبسة يجب عليه الطاعة لرئيس الدير المختصة به المحبسة ، يكون له رفيقٌ او رفيقان يقومان معه بالخدم الضرورية . ولا يحقّ للحبيس ان يلبس سوى الثوب الرهباني وهو من صوف غليظ تحته ثياب من خام خشن جداً قاتم اللون.

ساعات نهاره مقسمة على الصلاة والدرس والعمل اليدوي ، والصمت فريضة عليه لا تنقض الا في احوال الضرورة ولداعي المحبة والرحمة . ولا يجوز له الاكل الا مرة في كل اربع وعشرين ساعة ، وهذه الاكلة الواحدة تؤخذ من فضلات مائدة الدير مخلوطة بعضها ببعض ومزيداً عليها قليلٌ من الخل والملح . واحياناً يقتصر الحبساء على (سلطة) مصنوعة من حبوب مسلوقة ومن ورق وسوق النبات. وكان لشربل رغبة خاصة في السلطة المصنوعة من الفرفحين بدون زيت.

ومن قوانينهم ان لا يقبلوا الزائرين الا خارج القلاية وليس لهم ان يحدثوا النساء الا عند الحاجة من وراء شبرية عليها ستار كثيف . وبعد تحية الزائر بما يقتضيه ادب الزيارة يجب ان يدور حديثهم على ما يفيد السامع روحياً.

(للبحث صلة)

دير البلمند

بقلم الاب توتل اليسوعي

في جنوب طرابلس الشرقي ، بين قريتي أنفة وقلمون ، وعلى مشارف صخور تعلو سطح البحر بنحو مئتي متر ، موقع البلمند.

هذا الدير الجليل بآثاره هو خاصة الروم الارثوذكس ، لا يخالفهم عليه مخالف ؛ وان نذره اليومَ بالفكر ونتخذه موضوعاً لمقالنا ، فلا غاية لنا من ذلك الّا تعريف القرّاء باحد معاهدنا التاريخية . وممّا يشوقنا الى الكلام عليه ان اساقفة الروم لفتوا النظر اليه في هذا العام ، لمّا اجتمعوا بين جدرانه للتداول في شؤون ملّتهم وتمهيد السبيل الى انتخاب خلف للمثلّث الرحمات البطريرك غريغوريوس. واستهوانا في البحث على آثاره مؤلفٌ حديث نشره مسيو انلار احد العلماء الافرنسيين وعنوانه[1] : « بنايات الصليبيين الدينية والمدنية في الشرق ». خصّ فيه البلمند بفصل مطوّل عرض فيه ، مع تاريخ الدير ، عدداً غير قليل من صوره ورسومه. فلا اقلّ من التنويه به في هذه العجالة والاقتباس منه ما يفيدنا الوقوف عليه من تاريخ الدير . ولا اخالني متطفلاً اذا اشرت به على الروّاد والمصطافين ، طلّاب آثارنا المجيدة لانّ الضيف فيه مكرّم ولنا فيما كتبه انلار في مؤلفه المذكور (ص ٤٧) شاهد على ذلك. قال : « ان ضيافة الدير لا يضاهي كرمها الا روحها المسيحية اني قضيت اسبوعين في البلمند فحفظت لرهبانه الافاضل ، وللسيد الكسندرس رئيسه الوقور ، عواطف شكر لا مزيد عليها لمستزيد.»

(١ Enlart : *Les Monuments des Croisés* ; 4 Vol. Geuthner, Paris, 1925-1928

يتناول اولاً مقالنا تاريخ البلمند في القرون الوسطى فيبحث في اصله ونسبه وآثاره ، مخطوطةً ومنقوشةً . وثانياً تاريخه الحديث منذ دخله الارثوذكس الملكيون فاصبح « من اعظم واشرف اديرتهم في بر الشام »[1]

اصل البلمند

في كتاب « تسريح الابصار في ما يحتوي لبنان من الآثار » (المجلّد الاول ص ١٥٤ -- ١٥٦) ، خصّ حضرة الاب لامنس دير البلمند بدرس وجيز ، فقال ان هذا الدير يرقى الى الصليبيين ، وانه لولاهم لما رأى عالم الوجود . واثبت قوله بالادلّة التاريخية المأخوذة من اسم البلمند ، وآثاره المخطوطة والمنقوشة ، وانتهى الى هذه النتيجة : ان دير البلمند أنشئ في ٣٠ ايار من سنة ١١٥٧ ، وان رهبان القديس برنردس المعروفين بالسترسيين تولوا بناءه وجعلوه تحت حماية البتول الطاهرة سيدة بلمنت (Abbatia Belmontis) . وكان ذلك الكلام ردًّا على مقال ظهر في المنار ، في ٢٩ ك ١ سنة ١٩٠١ ، نسب فيه صاحبه خراب البلمند الى الصليبيين . على ان بعضهم لم يرضَ عن هذا الرأي . فنشرت مجلة الكلمة (١٩٠٧ ص ٢٩٥ الخ) « للاهوتي البارع الياس افندي اسطفان الحلبي » لمحة تاريخية عن دير البلمند اعاد فيه قول المنار بنسبة خراب البلمند الى الصليبيين وحاول تأييد حجته بالبراهين فقال :

« ان الصليبيين منذ تسلطوا على طرابلس الشام وجعلوها كونتية ، كما قالوا في ذلك العصر ، كانت الحرب بينهم وبين الاسلام قائمة على قدم وساق واين منهم ان يشيدوا اديرة لاجل الرهبان الذين كانوا يقاتلون في سبيل تأييد سطوتهم والمحافظة على المدينة وخصوصاً فقد اشتدّ عليهم القلق من سنة ١١١٢ الى سنة ١١٨٧ ولم تكن الحرب وحدها التي اقلقتهم فقد حدثت سنة ١١٥٧ المزعوم فيها بناء الدير المذكور زلازل شديدة خربت القسم الاعظم من طرابلس وجوارها . . .

« فكيف نقبل انه في تلك السنة ، سنة حروب طبيعية وبشرية ، خرج فيها الفرسان ليبتنوا الحجارة التي لم يكونوا في مأمن من شرّها ، وكانوا في مأزق من الحسرات لخروج العرب الاسلام عليهم ، ومما جاءهم ضِغثاً على إبالة التحاسد

[1] راجع مجلة الكلمة سنة ١٩٠٧

والتضاغن الذي وقع في ما بينهم »

وخلاصة كلامه ان الزلزال والحرب والفتن حالت دون بناية الصليبيين لدير البلمند . وان سألته عن تاريخه الاصيل قال :

« ان مائدة الكنيسة مرفوع فوقها قبة من الخشب مدهون داخلها وعليها آيات من المزامير وتاريخ ١١١٣»

وكاني به قد رأى ذلك العهد قريباً من عهد الفتوحات الصليبية (لان بيروت فتحت سنة ١١١٠)فلم يقف عنده وحذف من ١١١٣ رقماً ، وقال:«انه عثر في زوايا الدير على صحن من نحاس قد اكل عليه الدهر وشرب وعلى دائرته كتابة كتبها الاتقياء الذين اوقفوه على دير البلمند مؤرخة لسنة ١١٣ فان حسبنا هذه السنة هجرية يكون زمن وقفيته سنة ٧٣٥ . . .»

راننا لنشكر للكاتب رزانته فلم ينسب الصحن المذكور الى ١١٣ ميلادية. ولكن في روايته من المستغربات ما يضطرنا الى نبذها . باي لغة كتب « الاتقياء» في السنة ٧٣٥م و ١١٣ ه؟ أبالعربية ؟ ولغة القوم في لبنان كانت السريانية ! فمن اين للعامة ان تنقش نذوراتها باللغة العربية الاسلامية ؟ — وان كانت الكتابة المذكورة منقوشة بالسريانية او باليونانية فليس من المعقول ان يؤرخها اصحابها بالتاريخ الهجري على صحن يقدمونه هدية الى دير مسيحي. — اما المائدة المذكورة المؤرخة من سنة ١١١٣ فلم يذكرها الاب لامنس ، ولا العلامة انلار في مؤلفه المنوه به سابقاً . فاذاً ليس من الحكمة بان نسند الى التاريخين ١١٣ او ١١١٣ رأياً علمياً . مع كون الثاني يحكم باصل البلمند الصليبي. امّا قول الكلمة بعدم امكان الصليبيين بناية البلمند من جراء زلزال ١١٥٧ فليس فيه برهان البتة . واليك ما جاء في كتاب تاريخ الزلازل[1] :

سنة ١١٥٥ — حدث زلزال في انطاكية ودمشق وطرابلس قتل فيه اكثر من ٢٠٠٠ نفس.

سنة ١١٥٩ — حدث في سورية زلزال هائل لم تشاهد بلادنا مثله خربت فيه

(١ *Mémoire sur les Tremblements de terre ressentis dans la Péninsule Turco-Hellénique et en Syrie, par* A. Perrey, *Bruxelles, 1856.*

دمشق وحلب وحماة وحمص وانطاكية وطرابلس ومات اكثر من ٢٠٠٠٠ نفس.

على ان المؤرخين لم يتفقوا على تاريخ تلك النكبة الكبرى فمنهم من وضعها في سنة ١١٥٧ ، ومنهم في سنة ١١٥٨ ، ومنهم في سنة ١١٦٠. وليس الّا واحد روى تاريخ ١١٥٧. وهب ان الزلزال حدث سنة ١١٥٧ فلم يكن ليمنع وضع الحجرة الاساسية في البلمند لانهم لم ينجزوا عملهم فيه الّا ١٢ سنة بعد ذلك اي في السنة ١١٦٩ التي فتح فيها الصليبيون مدينة بانياس[1]

وفضلًا عن ذلك اننا لو قبلنا حجة الزلازل والفتن والحروب ، لنفينا بناء الصليبيين لاي معهد كان في مملكة اورشليم ، وقلنا بان عهدهم كان اشبه بعهد تيمورلنك والتتر . ولكن الواقع جاء خلاف الوهم :

وصف انلار حالة الصليبيين في القرن الثاني عشر فلم يوارِ المصاعب والمشقات التي حلّت بهم : من عدم توحيد الادارة بينهم ، وفقر الاراضي التي استولوا عليها ، وقلة عدد رجالهم بالنسبة لعدد الوطنيين ، وكثرة المخاطر والمخاوف التي كانت تتهددهم من فارس ومصر والشام ، وعدم وجود بحرية منظمة تخدمهم وتربط بينهم وبين بلادهم. ومع ذلك فلم يتمالك عن القول ان مملكة اورشليم بلغت درجة من النجاح جديرة بالذكر ، من العام ١١٣١ الى العام ١١٧٤ اذ غنم لها الملك اموري من حملاته على مصر غنائم كثيرة . فلا عجب ان يتمكن الصليبيون من بناء الكنائس والاديرة ومنها البلمند . فضلًا عن ان ايامهم لم تكن كلها حروباً وفتناً بل كان يتخللها سنو سلم وأمن ينصرف فيها الناس الى اشغالهم[2] . فيستبدل العسكر سلاحه بآلات البناء والصناعة ، ويعكف على الاعمال الفنية والعمرانية . والشاهد في ذلك ما رواه مؤلفو العرب فضلاً عن الافرنج. لان المسلمين لما استردّوا اورشليم دهشوا مما رأوه فيها من زخارف البناء وبدائع الفنون ، وابوا الّا ان يظهروا اعجابهم بما بهر عيونهم «من الرخام الذي لا يطرد ماؤه ولا يتطرد لالأوه ، والحديد الملطف في تجزيعه والمتفنن في توسيعه» فلم تكن الحروب مانعاً دون انجاز الافرنج اعمالًا عمرانية رائعة

١) راجع انلار ٣ : ٤٥

٢) راجع المختار من ترجمة صلاح الدين لابن خلكان. *Hist. Crois. III, 421, 425.*

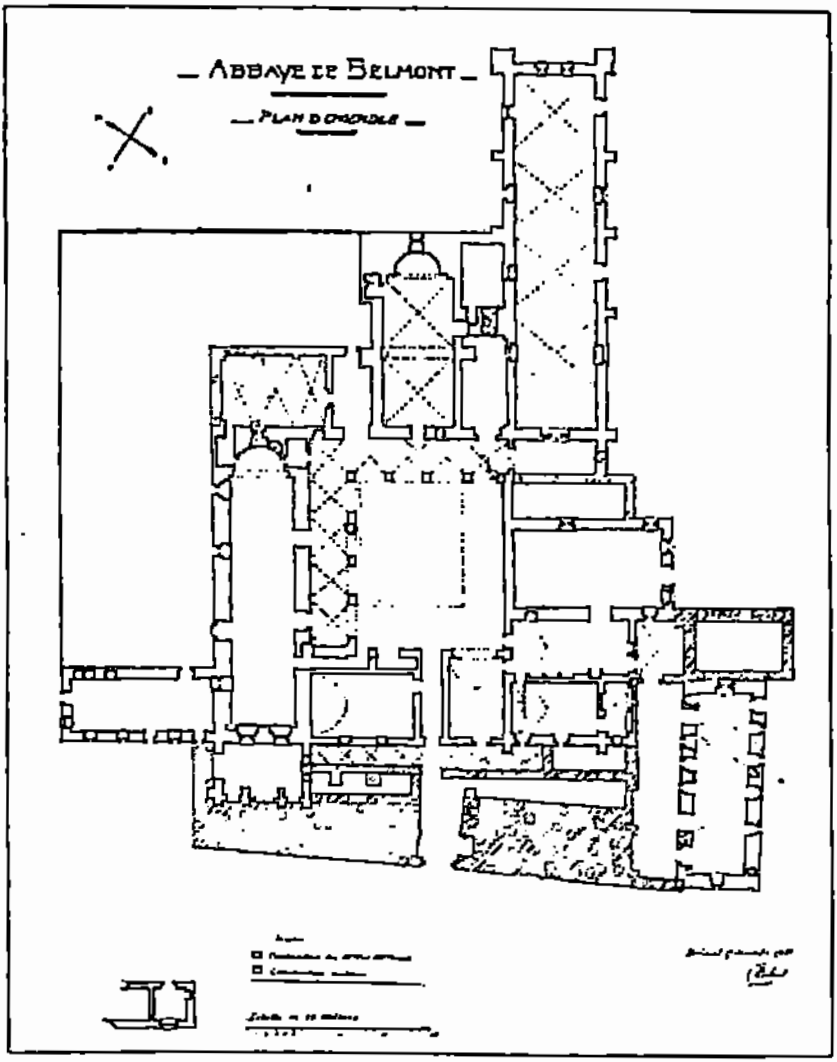

الرسم ١ : رسم عام لدير البلمند ، رسمه انلار في الدير نفسه سنة ١٩٣١

الاسود : يدل على البناء الراقي الى القرن الثاني عشر والثالث عشر

المخطط : يدل على بناء احدث من الاول

مما « لم تقوَ عدور الخراب على هدمه » (رنان) ومنها دير البلمند. وان افصح شاهد لفضلهم عليه هي آثارهم الثابتة الى يومنا وقد برزت الى النور باجلى مظاهرها ، على يد العلامة انلار.

آثار الصليبيين في البلمند

منها اولاً الآثار الخطيّة المحفوظة في سجلّ وقائع الرهبان السترسيين السنوية ، جاء فيها ما يلي:

في السنة ١٢٣٨ عهد البابا غريغوريوس التاسع الى رئيس البلمند بامر الفحص عن قانونية انتخاب اسقف بيت لحم . وفي السنة ١٢٤١ ظهر في احدى الوثائق اسم الاخ توما والاخ لانتير « الكلارجي » كشاهدَي حال . ونال دير البلمند براءات من البابا اينوشنسيوس الرابع سنة ١٢٥٠ واوربانوس سنة ١٢٦٠ وجاء ذكر رئيسه في بعض الآثار الخطيّة سنة ١٢٠٨ فلقبوه « بريور » (Prieur) ، وذكر في غيرها من الآثار المؤرخة في سنة ١٢٣٨ و ١٢٥١ و ١٢٥٣ فلقب « انبا » (Abbé) . والفرق بين اللقبين ، في الارجح ، دليل على ان الدير الذي يرأسه الانبا هو اعظم شأناً من الدير المنوط امره بالبريور ، فيبدو من ثم شأن دير البلمند في تلك الايام وما بلغ اليه من الاهمية في عهد الصليبيين . فلا يصح القول انه خرب على يدهم . وفي السجل المذكور آنفاً ظهر سنة ١٢٦٠ اسم « اسطفان » احد اخوة دير البلمند ، وذكر فيه سنة ١٢٨٢ اسم الانبا بطرس الالماني ورفيقه سمعان الطرابلسي . وفي السنة ١٢٢٢ ارسل انبا البلمند تحريراً الى رئيس اساقفة قبرس طالباً منه ان يعترف برئاسة رئيسة الراهبات السترسيات على نيكوزي في قبرس ، وذلك ايضاً مما يدل على اهمية الدير وعمرانه في عهد الصليبيين ، فليسوا اذاً هم الذين خربوه .

وبموجب براءة اينوشنسيوس الرابع وضع البلمند تحت سلطان اسقف بيروت . وفي خريف ١٢٧١ كان في طرابلس انبا الرهبان السترسيين وهو رئيس البلمند فكتب: « لقد تأخرنا في مدينة طرابلس ولا نجسر ان نعود الى الدير » . وان آخر ما ذكر عن البلمند في ذلك العهد كان في السنة ١٢٨٧ ، ولا بد من ان رهبان اللاتين اجلوا عن الدير سنتين بعد ذلك . هذا ما لم يكونوا قد قُتلوا عند دخول قلاوون طرابلس سنة ١٢٨٩ . وان اسم البلمند في تلك الآثار القديمة التي بصورة بلمونت او فلمون او بوليو ، ومعناه الجبل الجميل ، او المقام

لجميل ، وهذا الاسم هو لاتيني الصيغة ، ومؤيد لقولنا ان اصل البلمند لاتيني.

ومما يزيل كل داعٍ للشك في صحة قولنا هي الآثار المنقوشة بزخارف البناء وفنونه الراقية الى القرن الثالث عشر ، الدالة على ان البلمند كان في ذلك العهد بحالة ازدهار ونجاح . تلك الآثار يجدها زوّار البلمند في يومنا بعضها مرصوصة بالبناية القديمة ، وبعضها نقلت من مكانها فاستخدموها في بنايات الدير الجديدة التي احدثت فيه منذ مستهل القرن السابع عشر وقد يتاح للقارئ ان يرى رسومها في هذا المقال . وتحقق انلار ان احجار رواق الدير مأخوذة من البناية الغوطية الاصلية.

وقال في تاريخ البناية : ان عمار البلمند تمّ في القرن الثاني والثالث عشر ، وآثاره الاعرق بالقدم معاصرة لسني بنائه اي من ١١٥٧ الى ١١٦٩ ، والاحدث عهداً منها كانت قد تمت او كادت لما نُكب الصليبيون سنة١٢٨٩ في موقعة حطين.ولم ينفِ انلار نفياً باتاً امكان وجود كنيسة بيزنطية في العصور الخوالي شيّدت من ثم على آثارها كنيسة البلمند السترسية.ولكن فن بناء الكنيسة الحالية لا يدع مجالاً للريب باصلها اللاتيني.

وقال في الكنيسة (ص ٥٠) : انها مثالٌ رائع للتقشف السترسي لانه ليس فيها الّا رواق واحد وصدر واحد . امّا سمك جدرانها فنحو المترين . والقبو علوّه عشرة امتار ونصف متر وواجهة الكنيسة عرضها ١١ متراً ونصف المتر . وليس فيها مرتكز لا في الخارج ولا في الداخل . وليس تحت سقفها من قناطر تلهي النظر عن عراها الوسيع . وشبابيكها الثلاثة القديمة ، وبابها المسدود الواقع شمالاً مجرّدة من الزخارف.

وليس الشباك الكبير الاوحد في صدر الكنيسة هو دونها بساطةً . امّا بناؤه فقد ترمم وشيد مجدداً في القرن الثالث عشر . ومن امثاله شبابيك موجودة في طرطوس وبيروت.

ومن آثار البلمند الشهيرة قبة الجرس وشأنها عظيم في نظر العلماء لانها نادرة من نوادر ما بقي من البروج الصليبية ، التي صبرت على حروب المسلمين

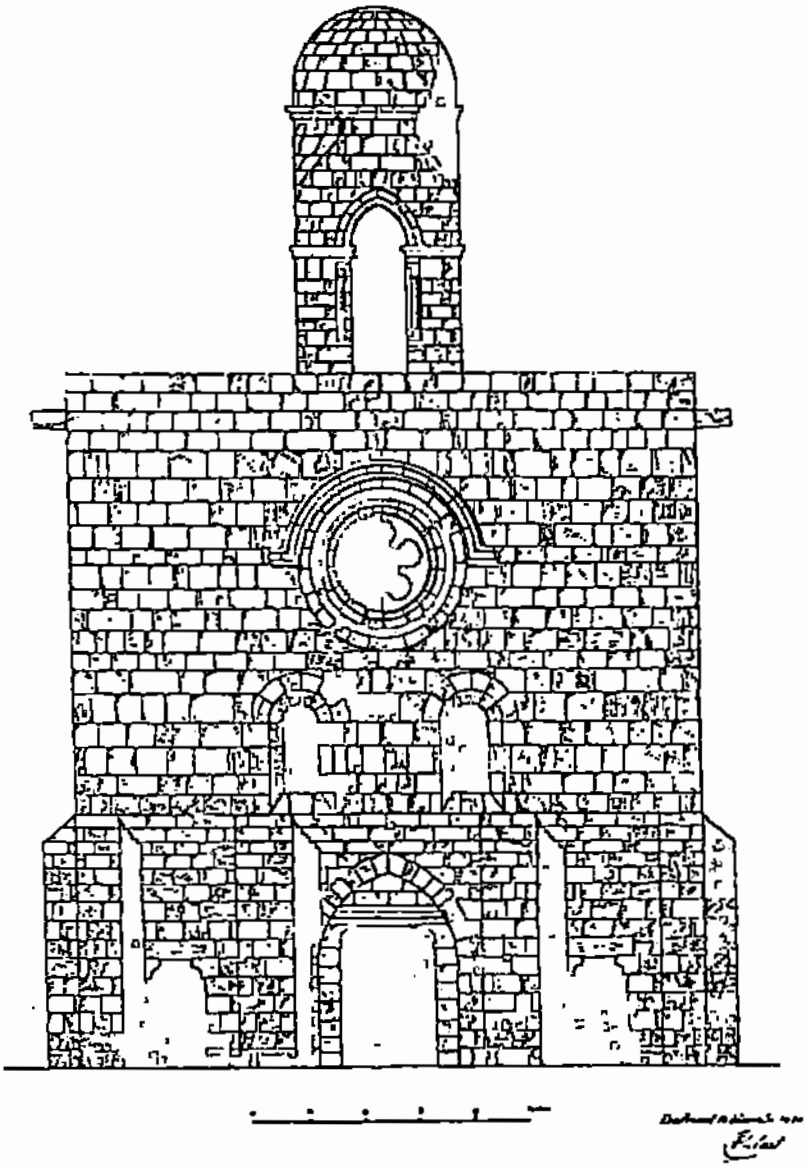

الرسم ٢ : واجهة كنيسة البلمند

كما رسمها الآثار في الدير نفسه ٢٠ في ٦ كانون الاول ١٩٣١

وعلى الزلازل . والقبة الباقية الى يومنا من بناء القرن الثالث عشر ، اعني نحو مئة سنة بعد نهاية كنيسة الدير ، وهي على الطرف الشرقي من قبو الكنيسة (انظر الرسم ٥)

واطلق العلامة انلار قلمه في وصف الدير والكنيسة وملحقاتهما وصفاً علمياً مدققاً ، فرسم كل قطعة من البناء وكل عضو من اعضاء المعهد باسمه الفني ، وقد لا يهتدي الى فهم كتابه بكماله الّا المتضلّعون من فنّ البناء النظري المتذرّعون عليه بمعجم خاص.

واننا نعجب بغناء اللغة الافرنسية على ما يجد العلماء الاختصاصيون فيها من الالفاظ لكل فرع من فنونهم،ونتمنى للغة العربية ان يألف الناطقون بها تسمية تفاصيل الاشياء باسماء عربية ، على مثال اخواننا الافرنج ، اذا دقّقوا وتعمّقوا في مباحثهم.

وحسبنا ان نحيل القارئ الى مؤلّف انلار فيتثبت بنفسه بانه لا سبيل بعد قراءته الى الشك بان البلمند من بناية الصليبيين . ونأتي الآن على البحث في تاريخه الحديث .

تاريخ البلمند الحديث

قال مؤرخ البلمند في مجلة الكلمة (ص ٣٧٩) : « فتشت اغلب المخطوطات المحفوظة في مكتبة الدير وعثرت على اسماء الرؤساء جميعهم فاني رأيت في كل كتاب عدة اخبار عن الرؤساء والزوّار الذين كانوا يزورون الدير ويطالعون المخطوطات فاقتطفت ما يناسب غايتي من تعريف اسماء الرؤساء من زمن تشييده سنة ١٦٠٣ الى اليوم.»

تتبع المؤلف وقائع الدير على توالي السنين ، فحصر همه في تأدية اسماء الرؤساء ، وذكر اعمالهم في سبيل انماء واردات الدير وتحسين احواله المادية . تلك كانت غايته.ولم يذكر شيئاً عن الحياة الروحية في الدير ، ولا عن الرجال الذين اشتهروا فيه بتقواهم ، ولا عمّا كان له من المكانة في تاريخ الشرق المسيحي . بيد انه من المعلوم ان في القسم الاول من القرن الثامن عشر ،

الرسم ٤ : شمسية تعلو باب الردهة الكبرى (من القرن الثالث عشر)

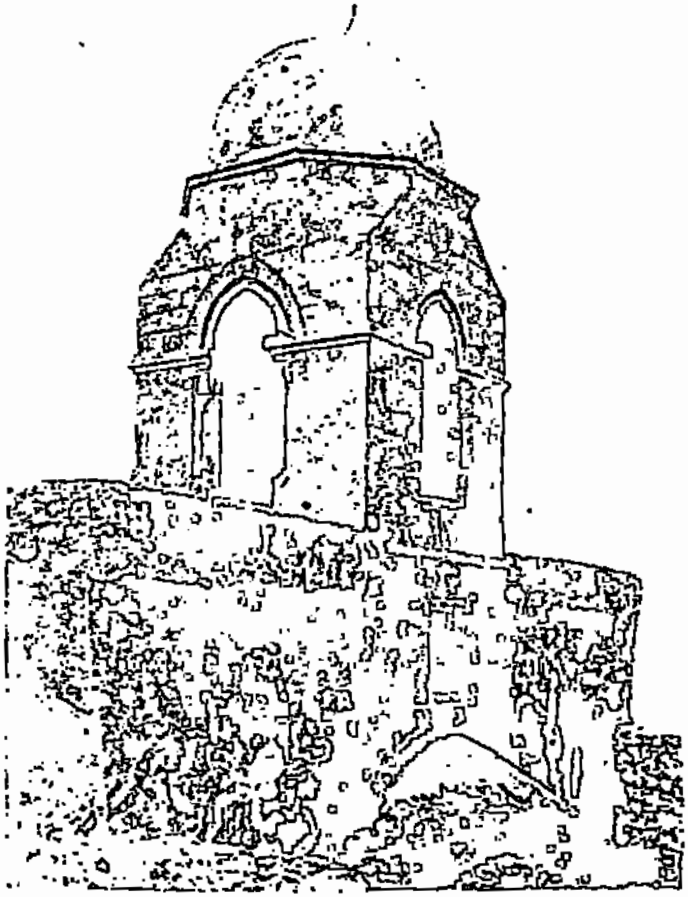

الرسم ٥ : قبة الحرم الشريفة (من القرن الثالث عشر)

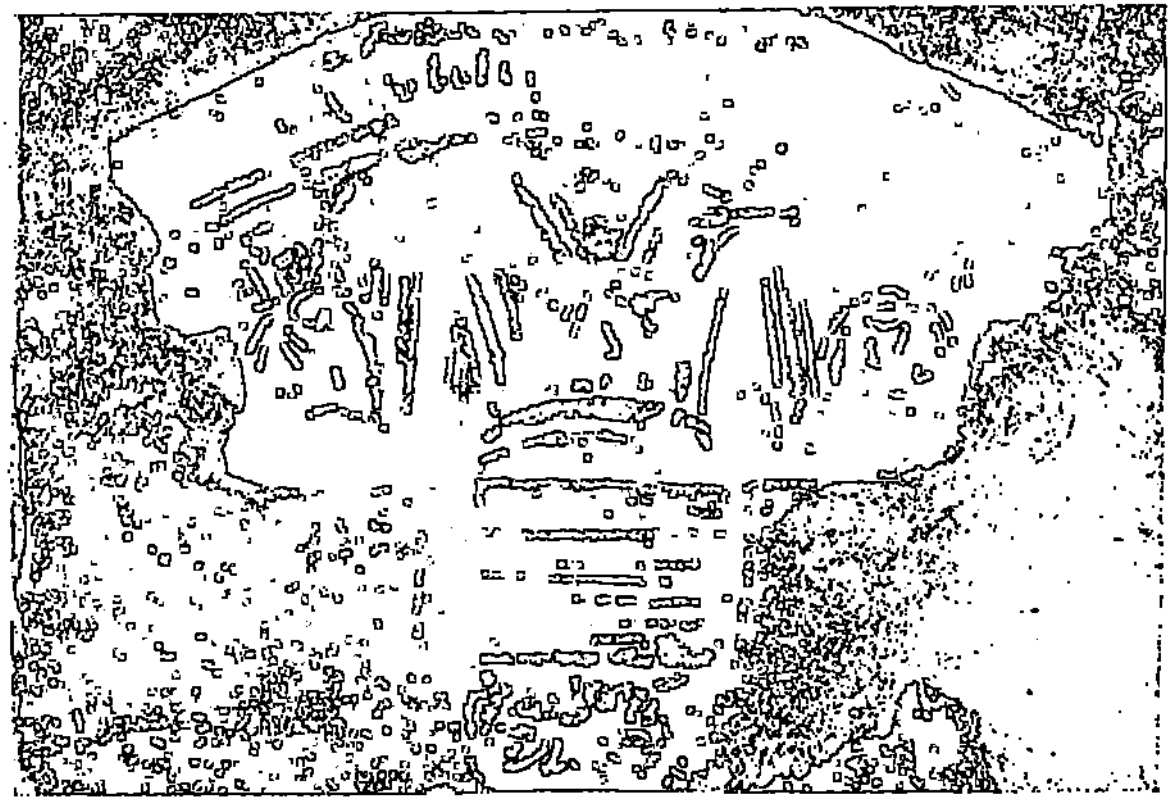

الرسم ٣ : قمة عمود مزخرفة موجودة في الجهة الشرقية من الدير (من القرن الثالث عشر)

حدثت في بلادنا وقائع لعب فيها دير البلمند دوراً مهمًّا . فضرب مؤرخه في مجلة الكلمة صفحاً عن ذلك ، وفيما هو يسرد حلقات السنين منذ اوائل القرن السابع عشر الى يومنا ، لما وصل الى السنة ١٧١٣ ، قطع السلسلة فاسقط منها حلقات ، ثم عاد وربطها عند السنة ١٧٤٩ . فلماذا اهمل تاريخ تلك الايام ؟

ان تاريخ الرهبانية الحنّاوية الكاثوليكية المنشأة في البلمند ، وغير ذلك من الوثائق تنبئنا بان وقائع خطيرة جرت في البلمند على تلك الايام . فنقبنا عليها ، ورويناها سدًّا للخلل الواقع في التاريخ الذي نشرته الكلمة .

حركة الكثلكة في البلمند

في اوائل القرن الثامن عشر كان في البلمند كاهنان ، اسمهما جراسيموس وسليمان ، درسا في معهد الآباء اليسوعيين في طرابلس ودخلا من ثم في دير البلمند . وكانا قبل دخولهما الدير قد تدربا في مسالك الحياة الروحية بارشاد الاب فرسو اليسوعي . فلمّا لبسا الاسكيم ظهرا قدوةً صالحة بين الرهبان ، فسُمح لهما الاتصال بالمكاتبة مع الاب فرسو . وما عتم ان جاء الاب بذاته الى الدير وصار يرشد الراهبَين ، ومن كان يحذو حذوهما في الغيرة على الحياة الكاملة . وما مضت ايام الّا اصبح معظم الرهبان على الايمان الكاثوليكي . ولا عجب ، والسواد الاعظم من الروم الارثوذكس لا يكاد يرى فرقاً بين اعتقاده والاعتقاد الروماني .

وكانت في تلك الايام قد قويت حركة اتحاد الروم الملكيين برومة ، حتى ادّت الى اقامة بطريرك لهم مستقلّ بشأنه ، ممّا اثار زوبعة الاضطهاد عليهم من بطاركة اليونان فحرم البطريرك سلفستروس دير البلمند ليضطره الى العدول عن الكثلكة . وانقسم رهبان البلمند حزبين ، وما لبث ان قوي الحزب المتمسك بالانفصال عن رومة ، فالجأ الرهبان الكاثوليك الى الرحيل . فرحل هؤلاء بعدد تسعة ومن جملتهم جراسيموس وسليمان واسسوا الرهبانية الحناوية في الشوير[1] .

---

١) صدى الشرق ٥ : ٢٠

وقد شهد على صدق الحادثة بجوهرها القنصل الفرنساوي في حلب ، فكتب الى وزارة حكومته تحريراً في تاريخ ٢٠ كانون الاول سنة ١٧٢٥ قال فيه[1] .

« في ٩ تشرين الثاني من هذا العام وصل الى حلب البطريرك سلفستروس اليوناني الانطاكي . وفي اليوم التالي ، وكان يوم الاحد ، اصدر ٤٠ او ٥٠ حرماً ضد اربع كهنة كاثوليك من اهل طائفته في حلب ، وضد دير الرهبان الروم المعروف بالبلمند بالقرب من طرابلس ، وضد كل الذين يلبسون ثوب السيدة ويتمنطقون بزنار القديس فرنسيس او يشتركون باخوية الوردية عند الموارنة . »

هذه الحوادث سكتت عنها مجلة الكلمة ثم قالت :

« وفي السنة ١٧٩٢ سرق الرهبان الحلبيون مطبعة البلمند ومضوا بها الى مار يوحنا الصابغ في الشوير . »

ولكن لا اساس لشكواها ، لان المطبعة خاصة عبدالله زاخر الشماس الحلبي ، فانه صنعها بيده وكانت مقتناه الشخصي . وقد اتيح لنا ان نشاهد بقاياها ابان زيارتنا لدير مار يوحنا الصابغ في الشوير في العام الماضي . وفيما رأيناه من جملة آثار تلك الايام صورتان احداهما تمثل قلب يسوع والاخرى سيدة الكرمل ، وكلتاهما اتى بهما الرهبان الشويريون عند نزوحهم من البلمند ، ووضعوهما في ديرهم اساساً لرهبانيتهم .

سكتت مجلة الكلمة عن هذه الاخبار . على انها في مجلدها العاشر في ص ٦٠٨ ، اسهبت في الكلام على بعض ما جرى من التجدد الرهباني في اوائل هذا القرن . وقد يفيدنا النظر فيه لنقف على اصل الحركة الاصلاحية العصرية في طائفة الروم الارثوذكس .

حركة الاصلاح

في السنة ١٩١٣ حاول بعض سكان الدير انشاء جمعية اصلاحية ، فتحالفوا

---

١) مجموعة رباط *Documents inédits* ، ص : ٥٨٦

عليها وكتموا امرها حتى اصطبغت بصبغة الجمعيات السرية. واليك اسماء اعضائها كما ذكرتهم مجلة الكلمة (١٠: ٦٠٨) : القس رفائيل نمر (ومن ثم مطران حلب) والشماس غرائيل كردوس (ومن ثم مطران طرابلس) والشماس ايصائيا عبود (ومن ثم ارشيمندريت ورئيس دير مار جرجس الحميراء) والشماس رزق‌الله ابو حطب . وقد اسسوا هذه الاخوية في دير البلمند ، واقسموا على انهم يضحون كل نفيس وغالٍ في سبيلها ، وقرروا ان تبقى سرية خوفاً عليها من سطوة الرؤساء وبطش الكبار . فاستنكر البطريرك تأسيس الاخوية معتقداً ان الماسونية هي التي وضعت اساسها ورسمت خططها ، فامر بوجوب الغائها «متذرعاً بالضغط على اعضائها. فخافوا وتظاهروا بالخضوع لكنهم تعاهدوا سراً على الثبات في مبدأهم حتى الممات» (الكلمة ٩: ٦١٠) واختلف الاساقفة على امر الاخوية ، اما الشعب فاستحسن مبدأها.

فعاد رجال الاخوية يسعون في سبيل تحقيق امانيهم وقالوا : لقد نشأنا في معهد واحد ونحن اخوان . فهلمَّ نبنِ بناية جميلة على اساس المحبة الصادقة والتعاون الاخوي حتى اذا ما كبرنا وصارت الينا مقاليد الامور كنا اعواناً على الدهر واصلحنا الحال. وان دعا مركز ما واحداً منا لاشغاله ساعده الاخرون للحصول عليه . وفكروا بالطريقة المؤدية الى الاصلاح الطائفي وهو ضالتهم المنشودة فرأوا انهم لا يبلغونها الّا بتأسيس مدرسة مجانية داخلية عليا ، والسعي في سبيل توحيد الاديرة وتأسيس رهبنة ارثوذكسية. ولكن هيهات ان يتم اصلاح في كنيسة الله من غير ان ينشأ فيها بقوة مؤسسها الالهية ، وبالطرق الاصولية القاضية على الجسم بان ينال حياته ونوره من رأسه . فلم تنجح مساعي الجمعية الاصلاحية لا باحياء مدرسة مجانية داخلية ، ولا بتأسيس رهبانية ارثوذكسية . وجلّ ما صدر عنها ، على ما يبدو للعين من احوال الطائفة حالًا ، انها هيأت الافكار الى التساهل الديني الى درجة اصبح فيها الرجل الماسوني المعروف موشحاً لمراتب الكنيسة العليا وله بين اصدقائه واوليائه مناصرون على امره.

وما اشد احتياج المسيحيين الى رجال مخلصين للمسيح في هذه الايام

العصبية الطاغية فيها امواج الفتور الديني المؤدية بالنفوس الى نبذ الايمان والى الكفر . وما اعظم افتقار المسيحيين الى رجـال فضل وتقى متأهبين بالصلاة والحياة النسكية لان يكونوا قدوةً للشعب ، ورعاة لخراف المسيح .

اننا من صميم القلب نسأل الله ان يقيم من امثال هؤلاء الرجال في مصاف اخواننا الروم ، ويؤيدهم بحكمته ونوره ، ويزينهم بالفضائل الانجيلية التي تزدهر بها الحياة المسيحية وتنمو ، حتى اذا اضطرمنا اجمعين بمحبة واحدة للرب يسوع تقربنا الى وحدة الايمان تحت رعاية الراعي الواحد . ومما يزيـدنا املاً بتحقيق هذه الاماني ما كتبه العلامة انلار على دير البلمند من كلمات عسجدية نقلد بها ختام مقالنا ، وهذه هي: « ما زال دير البلمند مقاماً للاعتزال عن العالم هادئاً ، صالحاً للحياة النسكية فان الاكباب على الدرس والمطالعة ، وممارسة الفضائل يجعلانه بستاناً مزدهراً على الدوام . »

الرسم ٦ : مسند لاحدى القناطر
(من اوائل القرن الثالث عشر)

دور البطيخ ببغداد ودمشق

في عهد العباسيين

بقلم الاديب حبيب زيات

كان لبيع البقل في غالب المدن والبلاد اسواق او عَرَصات خاصة تسمى «دور البقل» ، وعليها ناظر لاستيفاء الحقوق السلطانية. ويظهر ان بيع الفواكه لم يكن داخلاً فيها ، بل له دور منفردة تدعى «دور البطيخ» ؛ إمّا لان البطيخ كان اول ما بيع فيها ، وإمّا لانه كان يشغل اكثر هذه الاسواق لوفرته وكبر حجمه ، فغلبت التسمية به على سائر الفواكه. ولذلك لمّا مدح ابن الرومي ابا الصقر اسماعيل بن بلبل ، وزير المعتمد ، بقصيدة نونية طويلة اولها :

أجنت لك الرمحَ اغصان وكثبانُ فيهنّ نوعان تفاح ورمانُ
غصون بانٍ عليها الدهرُ فاكهة وما الفواكه مما يحمل البانُ

سمى الناس هذه القصيدة «دار البطيخ» لكثرة ما فيها من ذكر الفواكه. قال ابن الطقطقي : وكان الموضع الذي تباع فيه الفواكه يسمى دار البطيخ[1]. وفي ياقوت : دار البطيخ محلة كانت ببغداد تباع فيها الفواكه[2].

وكانت سوق البطيخ في بغداد تقام اولاً في درب الاساكفة ، ودرب الزيت ، ودرب العاج . ثم نقلت في ايام المهدي الى الكرخ ، كما جاء في ياقوت ايضاً ، وفي تاريخ بغداد للخطيب البغدادي[3].

على ان هذا الاسم لم يكن خاصاً ببغداد وحدها بل كان شائعاً في كثير

---

١) الفخري ، ص ٢٢٦

٢) معجم البلدان ، ج ٢ ص ٥١٧ ، طبعة ليبيك

٣) G. Salmon, *Introduction topographique p. 100 et 153*

من البلدان . وكانت العامة تقول فيه « دار بطيخ » باسقاط لام التعريف تخفيفاً على سبيل التركيب المزجي . قال الثوري في كلامه عن الاهواز: « نهر البط نهر كانت عنده مراع للبط فقالت العامة نهر بط كما قالوا دار بطيخ»[1] وقد جمع ابن لنكك بين اللفظين المركب المزجي الغير المنصرف للعلمية ، والمضاف ، حيث قال يهجو ابا الهيذام كلاب بن حمزة.

انت ابن كل البرايا لكن اقتصروا على اسم حمزة وصفاً غير تشميخ
كدارَ بطيخَ تحوي كل فاكهة وما اسمها الدهر الا دارُ بطيخ[2]

وكان بدمشق دار للبطيخ معروفة ببيع كل الفواكه ، ورد ذكرها عَرَضاً في عدة مواضع من كتب الاخبار والسير . وفيها اكتسب الرأوآء الدمشقي شهرته الذائعة. قال الثعالبي: «من اعجب شأنه ما اخبرني به ابو بكر الخوارزمي قال : كان الرأوآء منادياً في دار البطيخ بدمشق ينادي على الفواكه وما زال يشعر حتى جاد شعره وساز كلامه . »[3] وكانت وظيفة استيفاء الرسوم فيها مختصة في آخر عهدها بارباب السيوف ، يُولّى بها اجناد بتواقيع عن النائب بدمشق. وتسمّى هذه الوظيفة « شدّ دار البطيخ والفاكهة»[4] ولها ديوان خاص ورد ذكره في حوادث سنة ٦٩٧ من تاريخ الجزري . قال بلهجته العامية : « فيها انتقم الامير سيف الدين جاغان من نائبه بدمشق نائب الشد ... ومن ديوان دار البطيخ وانتقم منهم غاية الانتقام وصادرهم واخذ جميع ما يملكوه[5] .»

على اننا لا ندري ما كان مقدار هذا المكس الذي كان يؤخذ على الثمار والبقول ، لعدم احتفال الكتبة والمؤرخين بالتنبيه عليه ، وعلى بقية المكوس الديوانية . ولعله كان ثقيلاً كسائر الضرائب والمغارم . ولذلك لمّا دخل السلطان نور الدين دمشق ، في العاشر من صفر سنة ٥٤٩ ، رأى ان يتقرّب

١) فتوح البلدان للبلاذري ، ص ٣٨٤ ، طبعة ليدن
٢) يتيمة الدهر للثعالبي ، ج ٢ ص ١٢٢
٣) يتيمة الدهر ، ج ١ ص ٣٠٥
٤) صبح الاعشى للقلقشندي ، ج ٤ ص ١٨٨
٥) تاريخ حوادث الدهر وانبائه ، باريس ٦٧٣٩ ، ص ٢٤١

من اهلها باسقاطه في جملة حقوق اخرى سلطانية . قال ابن القلانسي: «ثم احضر بعد غد ذلك اليوم اماثل الرعية من الفقهاء والتجار وخوطبوا بما زاد في ايناسهم ... ثم تلا ذلك ابطال حقوق دار البطيخ وسوق البقل والانهار . وانشأ بذلك المنشور وقرئ على المنبر بعد صلاة الجمعة»[1] وزاد الصفدي: «ابطال مكوس الكيالة وسوق الغنم وغير ذلك.»[2]

ومن الغريب ان ابطال هذه الحقوق لم يتجاوز اربع سنوات ، اواخر رجب سنة ٥٥٣ ، حتى قام قوم من سفهاء العوام وحسّنوا للسلطان نور الدين اعادة ما كان سامح به اهل دمشق من مكوس دار البطيخ وعرصة البقل والانهار ، وضمنوا له القيام بعشرة آلاف دينار عنها ، والحوا بذلك حتى أجيبوا . فلمّا شرعوا بفرضها على ارباب الاملاك والاعيان والرعايا ضجّ الناس واستغاثوا بالسلطان ، فامر باسقاطها ثانية وتعفية اثرها . واضاف الى ذلك ، فيما رواه ابن القلانسي ، ابطال ضمان الهريسة والجبن واللبن تبرعاً من نفسه[3].

والارجح ان المسامحة بهذه الرسوم لم تدم طويلاً ، لكثرة طمع الولاة في اموال الرعية وشدة حرصهم على جبايتها ، حتى من المحرمات والمنكرات كضمان الفجور والخمور والقيان[4]. فكان يجتمع منها على الرعية ما كانت ترزح تحت ثقله . فكانت الملوك من مدة لاخرى لا ترى بدّاً من التخلي عن البواقي منها ، او ابطال هذه المظالم باسرها . ولعل رسوم دار البطيخ كانت في ما اسقطه الملك العادل سيف الدين منها فيما نقله ابو المظفر سبط ابن الجوزي[5] . وجاء ابطالها ايضاً سنة ٨٠٦ ، على اختلاف في تاريخ الشهر ، ذكر المقريزي انه في تاسع عشر من جمادى الاولى نودي فيه في دمشق بابطال مكس الفاكهة والخضراوات[6] . ونقل ابن قاضي شهبه انه في ربيع الاول قال : «نودي فيه بابطال مكس الفاكهة والخضراوات بامر النائب . وكان يؤخذ على المقاثي

١) ذيل تاريخ دمشق ، ص ٣٣٧-٣٣٩ ٢) نخبة ذوي الالباب ، باريس ٥٨٢٧ ، ص ١٤٠
٣) ذيل تاريخ دمشق ، ص ٣٥٢-٣٥٣ ٤) ذيل الروضتين لابي شامة ، باريس ٥٨٥٢ ، ص ١٢٠ والبداية والنهاية لابن كثير رواية الطبراني ، باريس ١٥١٦ ، ص ١٢١
٥) الوافي للصفدي ، ج ١ ص ٤١ ، باريس ٥٨٦٠
٦) السلوك لمعرفة دول الملوك ، ج ٢ ص ٤١ ، باريس ١٧٢٧

وغيرها. وكتب في ذلك الى مصر ليجيء مرسوم السلطان بذلك . وذلك بعد ما احتال واشهد على المُقطَعين من الاجناد وغيرهم انهم راضون بذلك فجاء المرسوم على حسب مكاتبة النائب في ذلك وبطل واستمر[1].

واما موقع دار البطيخ بدمشق فلا شك انه تغير بتغير الدول وكثرة ما توالى على المدينة من الحريق والخراب والهدم والبناء . واقدم ذكر ورد لها ما رواه ياقوت من الاخبار القديمة عن شيوخ دمشق الاوائل زعموا فيها « ان دار شداد بن عاد في سوق التين يفتح بابها شاماً الى الطريق وانه كان يُزرع لـه الريحان والورد وغير ذلك فوق الاعمدة بين القنطرتين قنطرة دار البطيخ وقنطرة سوق التين.»[2] ولكن لم يعين احد فيما نعلم موضع سوق التين او التبن . ثم جاء القرن السابع للهجرة فذكر ابو شامة في كلامه عن وفاة معين الدين أنز سنة ٥٤٤ « ان قبره في قبته بمقابر العونية شمالي دار البطيخ الآن»[3] وليس بيدنا كذلك ما يعين على تحقيق مكان هذه المقابر التي كانت دار البطيخ عن يمينها ، فلا ندري هل كانت قريبة ام بعيدة عن عمارة بهادر التي نص ابن قاضي شهبه على انها كانت سنة ٧٩٣ خلف دار البطيخ . وغاية ما نعرفه ان بيت بهادر هذا كان وقتئذٍ في سوق الغنم[4].

واخر ما ورد ذكر دار البطيخ بدمشق مع بعض تعيين لموقعها في قول البدري من المتأخرين«ومن محاسن الشام تحت قلعتها...وهي ساحة سماوية... تحفّها الدور وتعلوها القصور...فيها دار البطيخ الذي (كذا) يباع فيه جميع فواكه البلد. وبه العين المشهورة المُجتمع[5] على برودة مائها وعذوبته وخفته.»[6] ومن ثم يترجح ان دار البطيخ كانت قريبة من سوق خان الباشا المشهورة اليوم ببيع الفواكه ، ان لم تكن هي هي بعينها.

١) الذيل ، ج ٢ ص ٢١٣-٢١٤ : باريس ١٥٩٩ ٢) معجم البلدان ، ج ٢ ص ٥٨٩
٣) كتاب الروضتين ، ج ١ ص ٦٤ ، طبعة مصر ١٢٨٧
٤) الذيل ، ج ٢ ص ٦٥-٦٦ [وداره موضع فندق الخشب قبلي دار البطيخ (ترجمة سلم بن عُتبة في ابن عساكر نسخة مكتبة الملك الظاهر المجلد السادس عشر) ه.ل]
٥) في المتن المطبوع « وبه العين المشهورة بالمجمع » وهو غلط
٦) نزهة الانام في محاسن الشام ، ص ٦٣

التذكار المئوي

للمرسلين العازريين في دمشق

بقلم الخوري مبارك ثابت اللبناني

٢

العهد الثالث

١٨٦٠ - ١٨٦٥

صار ابتداء الهجوم على حي المسيحيين في منتصف الشطر الثاني من نهار ٩ تموز سنة ١٨٦٠ . هوجمت اولاً دار قنصلية روسية ، ثم انتشر الثائرون في الحي يحرقون ويذبحون ، واحمد باشا في القلعة يتفرّج لا يأمر ولا ينهي . الّا ان صالح زكي بك امير الآلاي استقلّ بالامر ، فصبَّ الجندُ مطرة رصاص على المدمرين واطلقوا عليهم قذيفة مدفع فتراجعوا. وقبل ان يفرقوهم نُفخ في البوق ، فارتدّ العسكر الى الثكنة ، والسفاحون الى المذبحة . ورجال عبد القادر يخطفون الفرائس من ايدي الفاتكين ، وقد وقعت مهابتهم عليهم ، فكان الواحد يخفر ٢٠ مسيحياً ولا يجرؤ احد على التصدّي له . ولما ضاقت دار الامير باللاجئين ، فاوض المشير احمد باشا فآواهم في القلعة وقد ناهز عددهم العشرين الفاً من مسيحيي الشام والفازعين اليها من اهل حاصبيا وراشيا والقرى المجاورة.

وكان الناس حتى الصبيان يعدون في الشوارع ذهاباً واياباً صائحين: اقتلوا ، انهبوا ، اسلبوا ، لا تهابوا الحكومة ولا العسكر فانه لن يتصدّى لكم احد. فاسرفوا في ذلك واحرقت الكنائس والاديار وكل مباني العازريين والعازريات، ودور القناصل ، ما خلا داري قنصلي روسية وانكلترة.

ولمّا اضطر قائد القلعة لفتح ابوابها للفاتكين ، وكان جندياً باسلاً عادلاً ونزيهاً . وكان المرسلون العازريون ممن نُقلوا الى القلعة ، وقع الخوف على جميع

من فيها ولاسيما اهل حاصبيا الذين ذُبح اخوانهم في سراي الحكومة كأهل دير القمر ، فخلا الاب ناجان بالقائد ونبّهه الى الخطر وقال : « ان هؤلاء المروَّعين كلهم في ذمتك ». فانتصب القائد ورفع رأسه شهامة ونزاهة وقال : « انا جنديٌّ وعلى الجندي الطاعة فافتح الابواب . غير اني اكبر شيمةً من ان أريق دم جماعة عُزَّل لا يقاتلون. »

ثمَّ انه فتح الابواب ونصب فيها مدافع محشوةً رصاصاً وحديداً ، تحدّث وهي صامتة ، عمّا يصنعه القائد بالمحاصرين اذا حرّكوا ساكناً . فلمّا رأى المحاصرون منه ذلك وقع عليهم الرعب ورجعوا يتعثرون باذيال الفشل . ومكث الخائفون في القلعة يصارعهم الجوع اكثر من شهر . وكان في دار الحكومة كاتب يُدعى محمود شريف افندي سأله الاب ناجان ان يعمل لاعاشتهم فوعده ان يهتم بجميع المنكوبين حتى يوم مسيرهم الى بيروت . والحَّ القناصل على الوالي فأمر بتوزيع القوت . وممَّا كتبه الاب ناجان في ذلك قوله: « قامت الحكومة التركية بتوزيع القوت يومياً على اولئك الجياع التعساء . وجاءتهم الصدقات من كل انحاء اوربة وبلغ ما تصدّقت به فرنسة وحدها من نقد وميرة خمسة ملايين فرنك. »

استمرت المذبحة ثلاثة ايام وثلاث ليالٍ فقدّر عدد القتلى بثلاثة آلاف نسمة وقدره بعضهم بخمسة آلاف نسمة من الدمشقيين واللاجئين الى دمشق . وقدرت البيوت المحرقة بالف وثلاثمئة بيت ، والخسائر بمليون ونصف مليون ليرة .

وخلع فؤاد باشا احمد باشا والي دمشق ، وارسل عوضه والياً جديداً اصحبه بالف وسبعمائة جندي بقيادة خالد باشا فبلغوا الشام في ١٦ تموز . وفي ٢٩ منه قدم المدينة فؤاد باشا ، فارسل أحمد باشا الى الاستانة مخفوراً ثم ارسل خورشيد باشا لا بصفة سجين . واخذ يسترد المسلوبات ويقبض على بعض المجرمين ؛ الّا انه لم يقبض الا على ٧٥٠ مجرماً والف مجلساً لمحاكمتهم فحكم عليهم احكاماً مختلفة . ولمَّا أنفذ حكم الموت باحدهم قتل المسلمون مسيحياً بدمه ، واذاعوا انهم سيقتلون مسيحياً كلما قتلت السلطة مسلماً . ولم

يكن مسلم يشهد على مسلم بقتل مسيحي. وفي ٢٣ آب بدأت السلطة بانفاذ الاحكام في المجرمين فلم يُقتل منهم سوى ٥٧ مجرماً ، امـا الباقون فنفي بعضهم وسجن البعض الآخر.

امّا المنكوبون فارتحلوا الى بيروت بخفارة رجال عبد القادر وبقي في الشام ٨٠٠٠ مسيحي اوّاهم فؤاد باشا في حيّ من احياء المسلمين ، وكانوا ينتقلون اليه من القلعة فوجاً فوجاً ، ولم تفرغ منهم القلعة حتى اواسط ايلول.

وفي اواسط آب اخذت البعثة العسكرية الفرنساوية تفد تباعاً الى بيروت وبلغ عدد الذين وصلوا منها خمسة الاف جندي منهم مائتـا فارس ، ولديهم مدافع جبلية وكل معدات القتال . واعيد احمد باشا الى دمشق ليحاكم مع المتهمين فانتهى اليها في ١٥ اب . ثم انفذ فيه حكم الموت خفيةً ، وكذلك في بعض الضبّاط.

ولمّا علم اهل البـلاد بقدوم العساكر الفرنساوية افرخ روع المسيحيين وابتهجوا في جميع الانحاء ، وجعل الدروز يهاجرون الى حوران ، وتوارى بعض الزعماء ، وبعض مسلمي بيروت ممن كانت لهم يد في المذابح . واتفق الجنرال بوفور قائد البعثة الافرنسية مع فؤاد باشا على الاشتراك في ما يجب اعتماده من التدابير لمعاقبة المجرمين ، ورد المسلوبات ، والتعويض على المنكوبين ، واقرار الامن في البلاد واصلاح الحال . فتمكنا من بعض الغرض وكشفت المخاوف عن الناس ، وانتهت الاحداث باعطاء لبنان نظامه الجديـد المعروف بفضل مساعي دول اوربة.

امّا البعثة الافرنسية فمكثت في الاراضي السورية الى شهر حزيران عـام ١٨٦١ ، وارتحلت في اليوم الخامس منه . وكان الاب ناجان العازري قد نُصب مرشداً روحياً لجنود البعثة فسافر معهم الى فرنسة . ثم عاد الى دمشق وقُلّد الرئاسة . فاستأنف عمل الرسالة وشرع يرمّم دير المرسلين ودير الراهبات . وتمكن من فتح مدرسة البنات عام ١٨٦٤ ، واستأجر لهـا ثلاث مطلّات . وكان نجازهُ من ترميم الديرين في كانون الثاني سنة ١٨٦٥.

* * *

العهد الرابع

١٨٦٥–١٩٢٩

في عاشر شهر آب من هذه السنة ظهر الهواء الاصفر في دمشق منقولاً من مصر والاسكندرية ، حيث تفشى ومات به خلقٌ كثيرٌ ، فبطش بالدمشقيين وفتك . فبعثت الحكومة الافرنسية ثلاثة اطباء وصيدليًا اجابة لالتماس قنصلها المسيو جرود ، فنزلوا على اللازاريين وتفاوضوا في وسائل مقاتلة الوباء . وسهلت لهم الحكومة السبيل الى استعمالها . امـا الادوية فكانت توزّع مجاناً بنفقة القنصلية الافرنسية . وما زالوا على ذلك حتى خفت وطأة الوباء وسُدَّ بوجهه مذاهب الانتشار . وما هي ستة اشهر حتى تقلّص ظلّه الثقيل .

وفي ثامن شباط من السنة التالية فتحت مدارس المرسلين للذكور بثلاثة صفوف تولى تدريسها الاخوان كات وقنسان . وعهد بتدريس العربية الى الاب نخّاس ، كاهن سوري يُعرف « بابونا ميكال » ، وولي مراقبة الدروس الاب زيّات . وفي نهاية السنة المدرسية ترأس حفلة الجوائز القنصل الفرنساوي ومن حوله حاكم المدينة والقائمقام والقاضي . وكان هذا الدأب في ما تلا من السنين .

وفي ٢٥ اب من تلك السنة قدم الاب دومون والاخ برقه ، فقاما بمهمة التعليم عاكفين عليها بنشاط من العزم وارتياح من الطبع . وفي خامس تشرين الاول احتفل بتدشين الكنيسة السيد ڤالِركا وكان بطريركاً اورشليميًا وقاصداً رسولياً في سورية ، بحضور المطران مكاريوس . وفي مذكرات الاب ناجان كلام عن حفلة طواف بالقربان الاقدس في ١٤ نيسان سنة ١٨٦٧ قال : «مشى الموكب الى كنيسة الروم الكاثوليك فكنيسة السريان واجتاز بحي مصباح وبالقديس حنانيا . فلم تشهد دمشق مثل ذلك الطواف بما فيه من كثرة الحشد ومجالي العبادة والتمكن في الايمان منذ قرون .»

وكان ان الاب ناجان اضطر للرجوع الى فرنسة سنة ١٨٦٨ انتجاعاً للعافية ، اذ كان قد نزل بجسمه الوهن لمواظبته ما شقّ من الاعمال . فلمّا ظفر بضالته عاد الى دمشق ، ومعه ثماني راهبات من بنات المحبة برئاسة الاخت

بيكو ، وهي التي كانت رئيسة الدير زمن حوادث سنة ١٨٦٠ . فلمّا بلغن ابواب الشام ارسل الامير عبد القادر لهنّ مركباته ، ولم يكن في دمشق من مركبات غيرها في ذلك الزمان. فاقلّتهنّ من محطة الداليجانس الى حارة النصارى واستقبلهن الدمشقيون بفرح واحتفاء عظيمين ، ولم تمضِ سنتان لمجيئهنّ الّا انتظمت احوال الاخويات والراهبات وعادت المياه الى مجاريها.

ثمّ ان المطران مكاريوس اتى الى الاخت بيكو ببنتٍ يتيمة مهملة فقبلتها فجيء بكثيرات من امثالها ففتح اليتيم للبنات وعاد الى احسن حال . ومضى الراهبات يصنعن ضروب الاحسان الى الشعب غير ناظراتٍ الى اختلاف الاديان فكان اليهود والمسلمون والروم الارثوذكس والكاثوليك من كل طقس يصيبون من احسانهنّ ، واجدين عندهن دواء لعللهم وتخفيفاً من الكروب . فقالت الاخت بيكو في بعض مكتوباتها : «كان المسلمون يروننا اناساً لا كسائر الناس ويفوتهم فهم ما يرونه عندنا من طريقة الحياة ، غير انهم يعدونها طريقة فريدة وسامية.»

ومن نكد الطالع ان هذه الرئيسة الحكيمة الفاضلة لم يطل عمرها فوافتها المنية في سن الخامسة والخمسين . فأقيم لها مأتم حافل شهده الجيران يعقوب مطران السريان ومكاريوس مطران الروم الكاثوليك ، وبعض رجال الحكومة وقناصل فرنسة وانكلترة والنمسة ، واعيان البلد ، وخلقٌ كثير . فدُفنت مكفنة بالاكرام والرحمات والدموع.

ثم زحف الهواء الاصفر على المدينة بجيش من الهول يضرب بصارم الفناء. فامتلأت قلوب الناس ذعراً وفرّ من وجهه اسرٌ كثيرة ، ولعبت ايدي التشتيت بالدارسات فاقفلت الراهبات المدارس وتقاسمن احياء المدينة متهالكات في خدمة الموبوئين وعلاجهم ، وسدّ حاجات الفقراء منهم والمهملين . وخلوّ المدينة من مستشفى كثرت ضحايا الوباء ، ولاسيما في الاسر الفقيرة وبلغ الراهبات التعب من خدمة المرضى في البيوت.

وفي ثاني كانون الاول سنة ١٨٨١ أُنشئ مستوصف في محلة الميدان على يد الاخت مينار (Minart) توزع منه الادوية في ثلاثة ايام من الاسبوع على

مئتين وخمسين مريضاً من الفقراء . وكان الناس يذكرون الراهبات بخير في كل مجلس وينثرون عليهن لآلئ الثناء . وقد قالت لهن سيدة مسلمة من ذوات النباهة والمحتد الكريم في حديث لها معهن: ما بنات المحبة الّا ملائكة الرحمة ارسلهن الله الى الناس معزّيات في الحزن ، ومقوّيات في الاوهان ، وعاضدات للبائس ووصيّات على اليتيم . لقد ملأتنّ القلوب فرحاً بما تعملنه من جميل المعروف والعناية الى الجميع.

بعد حوادث ١٨٦٠ وجّه الاب ناجان عزيمته الى تجديد ابنية الرسالة وجدّ في ذلك كل الجدّ دائب السعي لا يطمئن جنبه الى مضجع. فبنى الجانح الوسط الذي بازاء الكنيسة واشترى عدة بيوت تجاه واجهة الدير على طولها ونقضها ، ورفع في مواضعها البناء الذي يشتمل اليوم على قاعات الدرس الثلاث المدشنة عام ١٨٨١.

ثمّ سافر الى فرنسة التماساً للراحة ، واستحصالاً لمال يتمّ به ما بدأه من الاعمال . فحال دون رجوعه حائل المنون . اصابه سرطان في المعدة استنزف حياته فادركته الوفاة عام ١٨٨٣ ، وهو في دير المرسلين الامّ في باريس . فلمّا انتهى نعيه الى دمشق قامة فيها قيامة الحزن واستولى الاسف على جميع عارفيه، واكبروا الرزء به لما كان له من كثرة الحسنات وما فقدوا به من ناصر قويّ لكل مشروع خيري. وهاك ما كتبه عن ذلك السيد كروزه في بعض رسائله: « فاجأنا هذا الخبر الفاجع ففتّت اكبادنا جزعاً واغرقنا في لجة الحزن . وامست الشام كلها في اسف على الفقيد . لقد فقدنا به صديقاً حميماً واباً حافل الفؤاد بالعطف والحنان . فيا للفجيعة ! ويا للخسارة البالغة ! »

وفي رسالة اخرى بتاريخ ١٢ تشرين الثاني سنة ١٨٨٥ اطنب في رثائه معدّداً فضائله الزاهرة وخلاله الباهرة ومآثره السائرة . ولاسيما علوّ همته وثابت عقده وماضي صريمته . وذكر في جملة الادلة على غيرته الرسولية ومحبته للقريب حادثاً وقع له في حلب . قال : « استيقظ الاب ناجان صبيحة يوم على قصف المدفع. وزمزمة الرصاص ، فاذا المدينة في قبضة الخوف والناس يفزعون الى دار الرسالة . ففتح لهم الابواب . وفي اقلّ من ساعتين بلغ عدد اللاجئين اليها

٦٠٠ نفس. فلما نفد ما عنده من القوت وامتنع الخروج لامتيار الطعام لاشتداد الخطر ، فكّر في وجوه الحيلة فلم يهتدِ الى شيء يكون معه في امن من الخطر . فاخذ كتاب صلاته وخرج وحده يتخطى بين الاخطار في الشارع حتى انتهى الى دار القنصل الفرنساوي ، فلمّا رآه القنصل ومن عنده من الجالية الافرنسية استغربوا قدومه على هذه الحال وعدّوه اسرافاً في الجرأة وحماقة وصاحوا ووقعوا عليه باللوم قائلين : ما نحمد اقتحامك الخطر وان سلمت . قد خرجت عن سنن الفطنة والحذر. قال: ما لكم والعذل ! انّ في دار الرسالة ٦٠٠ نسمة بلا طعام ارسلوا اليهم ما يأكلون ثم قولوا ما شئتم . قال القنصل: طب نفساً فانا الساعة نحمل اليهم ما يأكلون . فشكر له وهمّ بالانصراف . فمنعه بعض من حضر خوفاً عليه من الخطر فلم يملكوا ازالته عن عزمه. فاكرهوه على خلع ملابسه الاكليريكية وجعلوا عليه اللباس القنصلي وارسلوه بخفارة قواسين من رجال القنصل مسلحين . فلما انتهى الى دار الرسالة ، وعليه تلك الملابس، تعجب الناس واقبلوا يهنئونه بالسلامة ويحيّونه بتحية الشكر ويلقبونه بجير الملهوفين ومطعم الجياع . وبعد ساعة جاءتهم الميرة فحصلت لهم النجاة من الجوع.»

خلف الاب ناجان الاب كروزه ، فأسس المدرسة الداخلية وبنى المساكن المشرفة على باب الدير وابراج الكنيسة الثلاثة . وجوّد نظام المدرسة وجعل التلامذة ثلاث طبقات: داخليين ، ونصف داخليين ، وخارجيين اتوها من المدرسة المجانة باجرة يسيرة فمكافأة لاتعابه الطويلة الشاقة اهدت اليه وزارة المعارف الافرنسية وسام المعارف . ثم سيم اسقفاً واسندت اليه القصادة الرسولية في الحبشة . فغادر دمشق في تشرين الاول عام ١٨٨٨ ، مخلّفاً اجل ذكر واعمّ اسف . وهو اليوم في مداغسكر الجنوبية قائماً بالاعمال الرسولية متمتعاً بعلو العافية . وقد انعمت عليه الحكومة الافرنسية برتبة فارس من جوقة الشرف اعترافاً بفضله واثابة لخدماته الجليلة في سبيل التمدن. واهل مداغسكر يلقبونه «بالذي لا يموت» . اليك ما قاله عنه حضرة الاب المحترم رئيس الجمعية المازرية العام : «ان السيد كروزه بلحيته البيضاء المرسلة الى اسفل صدره ،

وبقامته الطويلة المتناسبة الاعضاء ، ومنطقه الواضح الرزين ، يتصور لاهل تلك البلاد كنسخة من صورة الآب الازلي فيلقبونه لذلك : « بالرجل الذي لا يموت . »

وخلفه في رئاسة دير الشام الاب كليانت الى عام ١٨٩٨ فبنى غرفتين واسعتين للمنام ، لما رأى من تزيد الطلبة الداخليين . وفي عهد رئاسته استقدم الاب رول (Roulx) وهو استاذ واسع العلم متلهب الذكاء حسن التدريس عطافاً عليه . انصرف بهمته الى توسيع الدروس وترقيتها وقد تناول نظامها البيان والخطابة .

ثم صارت الرئاسة الى الاب برنردوس من عام ١٨٩٨ — ١٩٠١ فعزز الدروس ورقى العلوم البيانية وضبط النظام اكمل ضبط .

وخلفه الاب لوران وكان طلق المحيا بشوشاً ظريف المعاشرة شاباً بهمته ونشاطه على اوهان بدنه وتقدمه في السن . اكبَّ على العمل متجرداً فيه لا ينزع الى راحة ولا يقعده خوف من تعب . رأى عدد التلاميذ يزداد على زيادة البناء فهيأ معداته وبنى نصف الطبقة السفلى من الجناح الجديد .

وفي سنة ١٩٠٣ احتفل يوم عيد العنصرة لوضع الحجر الاول من المستشفى الفرنساوي « سان لويس » الذي اسسته الاخت مركوت رئيسة دير الرحمة في دمشق . وتوفي الاب لوران في فرنسة عاشر حزيران سنة ١٩٠٥ فخلفه في الرئاسة الاب رومون . وكان قد مارس التعليم سنين عديدة وحصلت له المهارة في اساليبه فايقظ في المدرسة نهضة جديدة ، وبالغ في تنظيم حركاتها وضبط قوانينها وقرب موارد العلم وسهل الى مطالبه . واتمَّ بناء الطابق الاسفل من الجناح الذي بدأ به الاب لوران . وعند تمام سنتين لرئاسته سمي زائراً لاقليم سورية .

وولي الرئاسة بعده الاب لاكيز (Laquieze) من عام ١٩٠٧ — ١٩٠٩ ، فاسس نادي الشباب الكاثوليكي المتمتع اليوم بملء النضارة والنجح . وفي مدة رئاسته صارت الى العازريين ادارة مدرسة القديس جرجس في محلة الميدان ، تولاها الاب عون فساسها احسن سياسة وبلغ بها مرتبةً من الرقي استوجب عليها شكر الجميع .

وفي سنة ١٩٠٩ صارت الرئاسة الى الاب البيسون وكان من قبل منقطعاً الى الدرس ، واشتغل مدة بتعليم الصف الرابع ثم بتدريس العلوم . فلم يجل في خاطر احد انه سيبلغ الغاية التي بلغها من جودة الادارة والتدبير. فلمّا شرع في العمل اذا هو الرجل الجامع بين العلم والادارة ، فاتمّ بناء الجناح الجديد ، وانشأ فيه قاعة الاعياد والحفلات ، ونصب فيها مسرح التمثيل. واعتباراً لفضلة وحصافته وجميع مناقبه القيت اليه مهمة زائر اقليمي ، فظلّ ناهضاً باعبائها الى آخر ايامه . توفاه الله في تشرين الثاني سنة ١٩٢٠.

وخلفه الاب غرو من ١٩١٩ — ١٩٢٧ . هذا الاب الفاضل انصرف مدة ٢٤ سنة الى تعليم الشباب الدمشقي وتهذيبه لا يشفق على طرفه من سهر ، ولا على عقله من كدّ وتعب . وهو الذى نقّح نظام الدروس ضامناً تهيّ التلاميذ للبكالورية الافرنسية . فصار فوز التلاميذ بها مطرداً الى اليوم. واسطع دليل على ذلك ان المدرسة قدمت لامتحان البكالورية ٢٨ مرشحاً فلم يحبط منهم سوى ثلاثة مرشحين . وهكذا قل في البكالورية السورية التي أوجدت منذ سنتين ، فان المدرسة قدّمت لامتحانها سبعة مرشحين عام ١٩٢٧ فظفر بالشهادة خمسة منهم وحبط اثنان . ثم قدّمت سبعة عام ١٩٢٨ فرجع السبعة فائزين.

واتمّ الاب غرو مشروع سلفه فاقام في جناح الدار بناية مربعة تحوي غرفة الطبيعيات ومختبر الكيمياء . وبنى في الطبقة العليا قاعة الاجتماع والمحاضرات واكمل الاروقة وزانها بصفوف من اشكال الرسوم الانسانية من تدمرية وحورانية . وكلّل الصرح المدرسي الجميل بدرابزين بديع التخريم . فاصبح صرحاً فخماً حسن الهندسة متقن البناء لطيف الزينة مستوفياً لكل شروط المدرسة العصرية من كثرة القاعات واختلافها وترتيبها الى حسن الزينة وانفساح الساحات وغزارة الماء وصحة الهواء.

ولراهبات المحبة في الشام مدرسة كبيرة في ديرهنّ يثقفن فيها ما يُربي على ٥٠٠ طالبة داخلية وخارجية ، وهي تهيّ الدارسات للشهادتين الابتدائية والعالية يفوز بها كل سنة اكثر المرشحات . ولهنّ ايضاً مدرسة لورد القائمة في حيّ قصّاع ، في قلب بقعة خضراء تسرق بحسنها الطرف يدرّس فيها الدروس

الابتدائية لاكثر من مئتي طالبة. وهي من هندسة الاب غرو ومشاريعه الخيرية، ولم تجهل الحكومة السورية قدر خدماته الجليلة فاناطت بصدره وسام الاستحقاق السوري.

وايضاً لهنَّ مدرسة ابتدائية مجّانة انشأتها منذ عدة سنين، معروفة بمدرسة القديس انطونيوس، يتخلّف اليها ١٢٠ ولداً لتلقي مبادئ العربية والافرنسية. اضف الى هذه المؤسسات الخيرية، مأوى الاولاد اللقطاء يقوم فيه بنات المحبة باعباء التربية الجسدية والروحية بمحبة لا تستوفى بوصف وحنان ما بعده حنان.

هذا بعضٌ من عِدَّ من حسنات ابناء وبنات القديس منصور في العاصمة السورية. حسبهم فضلاً انهم يوزعون خبز التعليم والتهذيب على اكثر من ١٥٠٠ ولد ويقومون بتربية عدد كبير من اليتامى واللقطاء.

فاذا رأينا الدمشقيين يستقبلون هذا العيد المئوي بثغور بارقة ووجوه اشرق فيها صباح البشر فلا بدعَ، لان الخير الذي تدفق عليهم مدة قرن من الرسالة العازرية والمنافع الجليلة التي اثمرتها لهم غيرة راهبات المحبة لجديرة بان تملأ قلوبهم بهجةً وغبطة وتوقظ في صدورهم عواطف الشكر، وتبسط السنتهم بالمدح والثناء. انه ليس في العطايا اعظم من العلم، ولا في الخدمة اجلُّ من خدمة الروح، ولا في المهن اشقّ من مهنة التعليم. وهؤلاء المرسلون والمرسلات دائبون منذ عشرات السنين على نشر انوار العلم في البلدان السورية، ومتقيدون بخدمة الارواح، وحابسون انفسهم على التعليم، وعاكفون على مؤاساة الحزان ومداواة الاعلّاء والاهتمام بشؤون الفقراء، وهم يفتحون قلوبهم قبل منازلهم لايواء الايتام، واحضانهم قبل ملاجئهم لاحتضان اللقطاء.

كم في الشام اليوم وكم كان فيها في الامس من سيد وسيدة، اناط العازريون والعازريات باجيادهم قلائد العلم وزانوا عقولهم وقلوبهم بزينة التثقيف والتأديب، فحقّ لهم ان يفاخروا باولئك العملة الناشطين الذين منذ قرن يعملون لعظم سورية ومجد فرنسة بلا خلل ولا فتور. وان يشيدوا بفضلهم ويقابلوا جميل صنعهم بجميل الثناء.

موت العصافير !

حليم دموس – ادوار البستاني – يوسف غصوب

يذكر قرّاؤنا الكرام اننا اقترحنا في عدد مضى (ص ٣٠٨) على شعرائنا الافاضل تعريب مقطوعة لفرنسوا كوبه غاية في الرقة واللطف . وقد تواردت علينا قصائد متعدّدة في الموضوع ، فاخترنا ثلاثاً منها ننشرها في ما يلي ، حسب تاريخ وصولها:

طالما فكّرتُ بالعصفور يَقضي في الشتاء ،
وأنا – والنارُ حولي – أصطلي عند المساء.

هُوَ في الغابةِ ميتٌ ، لستَ تدري مَدفِنهْ ،
يَسقطُ الغيثُ عليه في الليالي المحزنهْ .

خلَت الأعشاشُ من أطيارها ، ليلَ نهارا ،
ولوتْها الريحُ ؛ والأفقُ قد ازدادَ اغبرارا.

آهِ ما أصعبَ موتَ الطيرِ إبّانَ الشتاء !
في سماء تتراءى كحديدٍ في المساء.

بيدَ أنّا... عندما تأتي الأزاهيرُ اللطيفهْ ؛
لا نرى في العشبِ شيئاً مِنْ بقاياها النحيفهْ ؛

نهبط الغابَ ، وفي أنحائهِ نَلقى السكوتا....
أترى تختبئُ الأطيارُ فيهِ لتموتا ؟!....

حليم دموس

طالما هيّج بي صمتُ المساء ، جانبَ الموقد مشبوبَ الصلاء ،
ذكرَ عصفور شريد ينطفي بظلام الغاب ، منسيًّا وناءي .
تلكم الأعشاشُ أقوَت،وارتدت، في الشتا المحزون ، جلباب الفناء ،
تتهادى تحت جوّ كدر نسفته الريح في وجه السماء ،
آه ! ما اقسى ، وما اوحش مو ت العصافير بأيام الشتاء !!
فاذا ما مزجت روح الربيـ ـع شذا الورد بانفاس الفضاء ،
انت لا تلمح ، في العشب ، هيا كلّها منثورةً رهن الفناء .
هل عصافير الحقول اختبأت لتلاقي الموت في ظلّ الخفاء ؟

ادوار البستاني

في اكتئاب الشتاء عند المساء ، قرب نار كبسمةٍ من ضياء ،
كم تصوّرت من عصافير تلقى غصص الموت في ليالي الشتاء !
اوحش الغابُ ، غير ما وكنات فارغات ، تحت اغبرار السماء ؛
خافقات ، اذا الرياح توالت ، كقلوب تعلقت في الفضاء .
يا لهول الشتاء يفترس الطـ ـير ، ويودي بزهوها والغناء !
اين تمضي ؟ فانّنا يوم تكسى ارضنا من مطارف خضراء ،
لا نرى من هياكل الطير شيئاً بين زهر الخمائل الغنّاء .
اترى تختبي العصافير حتى تلتقي الموت في سكون الفناء .

يوسف غصوب

مجلة المجلات

بطريركية الرومان وعيد الفصح — الانكليز
في مصر والسودان

بقلم الاب توتل اليسوعي

بطريركية الرومان وعيد الفصح

عن مجلة الشرق المسيحي (تموز – ايلول سنة ١٩٢٩ ، ص ٢٦٤)

ان قضية تعيين عيد الفصح السنوي ، على قلة اهميتها بالنسبة الى عقائد الايمان ، لم تلبث ان القت الاضطراب الشديد في كنيسة الرومان الارثوذكسية في اوائل هذا العام . فالتأم في ٢١ كانون الثاني مجمع الرومان لاعادة النظر في تعيين اليوم الذي يعيد فيه المسيحيون في رومانية قيامة السيد المسيح له المجد. وبينا كانت الكنائس الارثوذكسية التي استبدلت تقويمها السنوي التاريخي بالحساب الجديد لا تزال على ابقاء القديم على قدمه فيما يخصّ عيد الفصح ، كان مجمع الرومان قد قرّر ، منذ شهر تشرين الثاني سنة ١٩٢٨ ، ان عيد الفصح لسنة ١٩٢٩ يقع في ٣١ مارس ، لا في ٥ ايار . ذلك لانه رأى ان وقوع الفصح في ٥ ايار يعيّن فصح المسيحيين في شهر نيسان القمري لا في شهر اذار القمري ، مما يناقض روح التقاليد والتقارير الموروثة عن المجامع المقدسة.

ولكن لم ترق نظرات مجمع الرومان باعين بعضهم وخاصة في بسارابية ، حيث ظلّ تقرير اصلاح الحساب اليوناني واستبداله بالحساب المصحح حبراً على ورق. فطلب السيد غوريه (Gourié) متروبوليت كيتشينيف (Kitchinev) ان يعين عيد الفصح في ٥ ايار . واستحسن طلبه رجال الاكليروس وبعض العلمانيين في منطقته . امّا العلماء فانحازوا الى نظرية المجمع وقراراته . ودخلت

الصحافة بين الفريقين فانكر الصحافيون على الاكليروس تصرّفهم المؤذي ، في زعمهم ، الى خراب الارثوذكسية . فقامت القيامة . واضطربت الخواطر حتى خشي المجمع العواقب وقرّر انه لا حرج في تعييد الفصح في ٥ ايار على من اراد من المؤمنين ان يعيّده في ٥ ايار .

فكانت تلك اول خطوة الى الوراء ، ثم عقبها خطوة ثانية لما عُين نهائياً عيد الفصح في ٥ ايار . اما الحكومة فوقفت على المحايدة وتركت الكنيسة الارثوذكسية وشأنها في حلّ المشكل .

ولم تكن البطريركية لتخرج من المعمعة بما يليق بها من العزّ ونفوذ الكلمة ، فحمل بعضهم عليها واتهمها بالفوضى . وقال انها يتيمة من اساقفة حقيقيين فلا قوام لسلطة فيها ، بل هي اشبه بكنيسة سوفيتية تشربت الروح البروتستانية وقد قطع رأسها وتنازلت عن سلطتها الى رجال الحكومة والسياسة فجمد الدم في عروقها ولم يبقَ لها الّا مظاهر طقوس تشخيصية خالية من الروح المسيحية الضرورية للامة كي تنهض نهضتها الادبية .

وهذا التحامل العنيف يسخط عليه كل مسيحي ويأباه . وليس فيه دواء لداء ، ولا ما يعود بالكرامة على الكنيسة ورجالها . وربما افرط هؤلاء بمراعاة خواطر الناس في امور وتقريرات ليس للعامة فيها شأن ، وليست المجادلات الدينية تتصدى لها الجرائد الثرثارة مما يزيد الاكليروس عزاً وهيبة .

الانكليز في مصر والسودان

عن اي نتيجة وضاحة سوف تسفر المفاوضات في شأن المعاهدة البريطانية المصرية الحديثة ؟ لا يمكن البتّ بالامر حكماً بنصّ بنود المعاهدة ، كما روتها الجرائد ، لما في الفاظها من المكنونات الممكن تأويلها في سبيل مصلحة المصريين او عليهم . على انه من البديهي ان انكلترة تحتفظ بحقوقها على السودان ، وقدمها لا تزال راسخة في ارض مصر . واذ نحن نتقلب المجلات لنختار منها ما يصلح لمجلتنا في هذا الشهر ، لفت نظرنا مقال مسهب للكاتب الالماني فرنستينكي وموضوعه « مصر والسودان » طبعته جامعة كونيغسبرغ في نشرتها الرابعة من هذا العام . عرض فيه صاحبه لذكر احوال مصر والسودان الجغرافية والتاريخية على العموم ولعلاقات القطرين الاقتصادية ، ثم تطرّق الى تاريخ دخول الانكليز بلاد السودان وتوطيد اركان توقهم فيها فقال : (ص : ٤٥)

ما من سلاح تسلحت به انكلترة على مصر في المسألة السودانية اقوى من

السلاح الذي اتخذته من يد المصري الوطني قاتل السردار ، حاكم السودان العام ، في السنة ١٩٢١ . فانها تذرعت به لتعلن سيادتها على السودان من غير ان يبقى لمصر نصيب فيه.

كان محمد علي ونوابه قد افرطوا بتجارة الرقيق حتى كادت بلاد السودان تخلو من سكانها . مما الجأ الخديوي سعيد باشا في السنة ١٨٥٠ الى ارسال حاكم اوربي عليها ، وهو صموئيل باكر الانكليزي . وليس من شأننا ان نحقق هل تقدم باكر الى الوظيفة من تلقاء نفسه او عن اتفاق مع وزارة انكلترة الخارجية. على انه حلّ البلاد واخذ يضع العوائق دون التجارة بالعبيد ويسعى في سبيل العمران والاقتصاد . ثم خلفه غوردون ، وكان اشد بأساً منه فقاقه نجاحاً في عمله من السنة ١٨٧٤ الى ١٨٧٦ ، شمالي البحيرات الكبرى في الاقليم الاستوائي وعاصمته لادو . واشترك باكر وغوردون في وضع نظام ذلك الاقليم.

ثم ثارت بلاد السودان تحت زعامة المهدي ، واغار عسكره على الجيش المصري ، وهو تحت قيادة ضباط انكليز ، وكسره واضطره الى التقهقر وقتل غوردون في كانون الثاني ١٨٨٥ . وكانت انكلترة مشغولة بامور عاقتها عن الخوض في الحرب السودانية . فصبرت وتحفزت مستنحة الفرص . وكان اولياء الامر في مصر يلحون على الانكليز بالخروج من وادي النيل الحاحاً اعظم من ذي قبل . والدواعي الى ذلك هي ان مصر دخلت في حياة سلم وأمن ، وانها اخذت تنمو وتزدهر ، وتدفع ما عليها من الديون تقسيطاً من غير مماطلة ولا مقاومة . فلا حاجة من ثمّ الى ملازمة الاشراف على احوالها.

ولكن انكلترة لا تستطيع ان تجلو عن مصر من غير ان تضع موضع المخاطر سيادتها على ترعة السويس . ولا بد لها من البقاء في البلاد ، حفظاً للصلة بين اطراف الامبراطورية البريطانية الحيوية . فكانت تلتمس لها حجة للبقاء في مصر من غير ما تجاهر باختراق حرمة حقوق الامم ، فجاءت الحجة من السودان : هناك حدود مضطربة تحتاج الى التأمين ، وهناك بلاد يجب ان يعود امرها الى مصر ، وهي مفتاح المياه ومصدر الحياة الزراعية والاقتصادية فيها.

وفيما كانوا يتأهبون للحملة على السودان حدث حادثان دفعا انكلترة الى

التدخل في الامر بعزم وشدة كان امين باشا الالماني الاصل قد حفظ نفوذه في الاقليم الاستوائي السوداني بالرغم من الثورة. وكان في وظيفته الرسمية سنة ١٨٨٦، لما انسحبت مصر من السودان، فكان لا بد من ان يستنتج من الحالة ما يعود على مصالحه بالنجاح، فخافوا في لندن ان يسلم اقليمه لالمانية، وهذه الدولة كانت قد بسطت سلطتها على البلاد في داخل الزنجبار وطمحت الى التوغل في قلب افريقية. فسارت حملة ستانلي الشهيرة المعروفة بحملة النجاة وغايتها ان تنجي امين باشا من الحصار. ولكن في الحقيقة سارت بامر وزارة بريطانية الخارجية لتمنع عن بلاد النيل الاعلى ذلك المزاحم العتيد، فكسرت «قيوده» بالرغم منه، واخرجته من اقليمه.

ثم قوت حملتها وسيرتها على عبدالله خليفة المهدي، وقطعت رأس النفوذ الالماني. وانتهت القضية بمعاهدة هلجولاند سنة ١٨٩٠، وقد أعطيت فيها انكلترة البلاد الساحلية.

اما الحادث الثاني فكان اندحار الايطاليين وانسحاقهم في ادو امام الجيش الحبشي، مما ادّى الى اختلال سياسي عظيم الشأن في اعالي النيل. على ان معاهدة كاسلا في سنة ١٨٩٧ ضمنت لانكلترة البلاد اللاحقة بهذه المدينة، وابعدت الايطاليين عن عطبرة وعن بلاد النيل.

وانتهت حملة كيتشنر على المهدي سنة ١٨٩٨ بانقراض دولة المهدي في قراري، وبموت عبدالله سنة بعد ذلك.

وبعد ان فتح كيتشنر مدينة الخرطوم، عجل سيره الى اعالي النيل الابيض لكي يلجئ الى التقهقر الماجور مارشان الفرنساوي الذي كان قد رفع علم دولته على فاشودا. فكان سقوط فاشودا اعلاناً للاجتهاد في التوغل بفتح افريقية، لان غاية انكلترة كانت انشاء مملكة استعمارية في شرقي افريقية، على خط ممتد من الشمال الى الجنوب، تكون في جسم السكة الحديدية من رأس الرجاء الصالح الى القاهرة كسلسلة الفقرات في جسم الانسان...

وفي السنة ١٨٩٩ بعد ان عادت الجنود المصرية الى السودان واحتلتها تحت قيادة الانكليز، وبفضل الذهب الانكليزي، عقدت المعاهدة الانكليزية المصرية

التي جعلت زمام الامر في يد انكلترة ومصر ، وسلطتهما معاً على البلاد الواقعة بين وادي حلفا والبلاد الواقعة في الدرجة الخامسة شمالي الخط الاستوائي

ولم تمض ايام طويلة على كيتشنر وعلى خلفه واينجات حتى توطدت اركان السلم في السودان ، ورفعا فيها لواء النجاح الاقتصادي . وكان كيتشنر القائد الكبير عارفاً تماماً بحالة الشعوب السودانية النفسية ، فعاملها بفطنة ودراية ، ولم يترك مجالاً لاعمال التبشير فيها بين المسلمين . وسعى كثيراً في انماء الزراعة وفي مساعدة الحركة التجارية . على ان النفوذ الانكليزي ما كان ليمتد ظله على السودان ، ولم تكن حقوق الانكليز على مصر راسخة على اساس وطيد . ففطنوا الى ضرورة جعل قضية السودان مستقلة عن قضية مصر ، حتى اذا اضطرت انكلترة يوماً ما الى التخلي عن مصر ، بقيت لها بلاد السودان كجزء من مستعمراتها . ولهذا السبب بنوا الخط الحديدي بين سواكين وبور سودان ، وجعلوا بور سودان مرفأ عصرياً كاملاً ، ومدوا طريقاً الى كاسلا ففتحوا البلاد السودانية الشرقية ، وخاصة الخط الحديدي الاكبر من وادي حلفا الى الجنوب حتى اتصاله بخط الرجاء الصالح الصاعد من جنوبي افريقية . ولم يصلوا هذا بالفرع الممدود بين اصوان ومصر والاسكندرية لئلا تتوجه محصولات الارض الى المرافئ الغير الانكليزية . فحالوا من ثم دون نجاح الحركة الاقتصادية المصرية نجاحاً تاماً ، ولا يتسنى للاجانب الغير المرغوب فيهم ان يزوروا هذه البلاد . وسوف يؤجل ربط طرفي سلسلة الخط الحديدي من القاهرة الى الرأس ما دامت انكلترة متربعة في مصر .

اما انماء بلاد السودان ونجاحها فهي مسألة حلها يأتي حتماً مع الزمان . ان حالة مصر الاقتصادية والسياسية راكزة على محصولات القطن ، والقطن فيها منوط امره بقضية النيل . وكلا الامرين واقعان في حكم السودان ، والسودان يتصرف بهما طبقاً لارادة الدولة صاحبة النفوذ ، وهذه الحالة يعبر عنها بكلمة واحدة اصبحت عنواناً للحياة الاقتصادية في وادي النيل ، اعني بها « القطن » .

على عهد الامير

لماذا ؟

رواية لبنانية تاريخية

بقلم فؤاد افرام البستاني

وقد يكون من الابناء ضحايا في سبيل آبائهم
من حيث لا يعلمون

الفصل الحادي عشر

عرس غريبين (تابع)

اما بدور فكانت ترى غانماً بعد ان تجرّع مرارة الأسى فتألم ، واجبر على معاشرة الغرباء فتحنّك ، وعاش في بلاط عكّا فاعتاد التبصر . فغدا وقد استبدل بصلف ابناء المشايخ تواضع الحكماء ، وبجرأة الاغرار المندفعة تؤدة ذوي الاختبار ، وبصراحة الشباب الفجّة مرونة ارباب السياسة المحنكين . فكانت تعجب به كما كان يحترمها ، وكانت تحترمه كما كان يعجب بها .

واما فرحات فكان يجاهد في تجلّد بدور وغانم حتى لا يفهم تلك القوّة الخفيّة ؛ لانه لم يكن يشعر بما يشابهها في نفسه المضطربة لدى الرزايا ، وفي قلبه الخفّاق لدى الخطوب ، على الرغم من تقدّمه بالعمر وكثرة اختباره وتنوّع تجاريبه . بل كان كلّه عاطفة لا يتمالك ذرف الدموع اذا خلا بنفسه ، فيتذكر تارة الشيخ قعدان يوصيه بالسهر على غانم ، وطوراً الامير جهجاه يتردّد صدى اوامره في آذان الجنود ، وحيناً الست سعدى تتململ ببنيتها النحيلة على الفراش الوثير . فيبكي الى ان تتقرّح جفونه ، وتحمرّ عيناه . حتى اذا رأى غانماً قادماً ، اظهر من الضعف قوة وتجلّد ، فيحيّيه هذا بوجه طلق ونبرة قوية على رغم الاسى . فيكبر فرحات صبر مولاه ورباطة جأشه ويودّ لو تخلّص من براثن

الجزّار ، فيتولى رئاسة الحزب في دير القمر ، وقيادة رجاله . وما احوجهم الى جبّار مثله !

وكثيراً ما كان يفاتح غانماً بهذا الشأن . فيسهل له سبل الرجوع ، ويصف امامه حال رجال الحزب وما هم عليه من التضعضع والتخاذل ، وحاجة الامير بشير اليه في تلك الايام العصيبة . فيحني غانم رأسه ويقول :

— لا يمكنني ترك عكا في الوقت الحاضر ، والجزّار لم يستلم بعد شيئاً يُذكر من اموال الميري . فوجودي هنا لازم لخدمة البلاد .

— ولكنك تخدم البلاد بوجودك فيها اكثر من خدمتك اياها باقامتك في بلاط الجزّار !

— هـذا رأيك ! وعلى فرض انه صحيح ، فهل ترى الجزّار يسمح لي بالرجوع ، وهو لم ينل من الامير سوى المواعيد ؟

وعند الوصول الى هذه النقطة كان فرحات يحني رأسه ، ويتابع في خاطره فكرةً لم يكن يجسر على ابدائها . وهي العمل على الرجوع خفيةً عن الجزّار . . .

وكانت بدور تحضر احياناً هذه المحادثات ، فتتابع في عيني فرحات نهاية الفكرة ، وتودّ لو يتابعها غانم ايضاً ، فيهرب الثلاثة الى الوطن العزيز ، حيث يتوفّر لهم قليل من الراحة ، بين الاهل والاصدقا . . .

* * *

مرّ اربعون يومـاً ، ومنزل غانم لا يكاد يخلو من الزائرين ؛ وكلهم يظهرون عواطفهم الخالصة ، ويعرضون مساعداتهم وخدماتهم . حتى كادوا ، بلطفهم ومؤاساتهم ، يمحون آثار الحزن ، ويخففون لوعة الغربة .

وكان الاب توما ومصطفى آغا لا يتخلّفان يوماً عن زيارة صديقهما العزيز . حتى اصبحت تلك الزيارات سبب علاقة بينهما فاتفقـا في كثير من الافكار والميول ، على اختلافهما في المعتقد ، اذ رأى الاب توما في مصطفى آغا رزانة يحلّيها الظرف وتمثّلا يؤيّده الاختبار فاعتبره ، وخبر الثـاني في الاول فضيلةً تزينها المحبة ، وتقوّى تقويها التضحية ، فاحترمه . وكانا كثيراً مـا يتبادلان

الآراء في مستقبل بدور وغانم ، وغايتهما اسعاد الفتى والفتاة ، وكثيراً ما كانا يتفقان .

وبينا هما مع غانم مساء احد الاعياد ، وقد خلا المنزل من الزوار ، وخرجت بدور مع فرحات لزيارة الكنيسة ، التفت الاب توما الى الشاب وقال:

– ها قد مرّ زمنٌ على تلك المصائب المؤلمة ، يا بنيّ . فرحم الله من رحل عنا الى ديار الخلود ، وعزّاكم وايانا عن فقدهم . وقد تكلمت طويلاً مع مصطفى آغا بشأنك وشأن بدور ، فرأينا ان حالتكما الحاضرة غير طبيعية : انت شابٌ وهي فتاة . وكلاكما غريبان في بلاد بعيدة ، تعيشان في منزل واحد . فاصبح من الواجب ان تتحدا برباط الزواج المقدس . . .

فتنهد غانم مقاطعاً ، وقال حزيناً :

– لا تزال العبرات تجول في العيون ، يا بونا توما ! ولم ننسَ بعد موتانا الاعزاء !

– لا انكر ذلك يا بُنيّ . ولكني لا ازال اذكر كلمةً لاحد حكماء بلادنا الفرنجية معناها ان افضل ما نقدّمه لموتانا من واجبات الاحترام هو ان نصنع ما كانوا يأمروننا به لو ظلوا في قيد الحياة . فلو ظلّ المرحوم جدك قعدان ، والمرحوم عمك المير جهجاه ؛ والمرحومة سعدى في قيد الحياة ، فما كانوا يأمرونك به ، وانت مع بدور في هذه الحالة ؟ أليس بأن تعجل بعقد القران ، فتعيش وبدور نفساً واحدة في جسدين ، تحملان معاً ثقل الرزايا فتجدانها خفيفة ، وتتشاطران متاعب الحياة فتلفيانها قليلة ؟

وبعد دقيقة سكوت راقب في خلالها وقع كلامه على غانم ، تابع :

– هذا ما رأيته موافقاً مع مصطفى آغا

فأمن الآغا على كلامه واردف الكاهن .

– وعليه ، اذا لم يكن لديك مانع مهمّ لم ننتبه له ، ارى من الموافق ان نقيم العرس ، بكل ما يمكن من البساطة ، نهار الاحد القادم . أليس كذلك ؟

فرفع غانم رأسه الثقيل بالهموم ، واجال نظراً ساكناً ؛ ثم اشار بيديه

اشارة الاستسلام ، وقال :

— كما تريد يا بونا توما ! ولكن ارجو منك ان تهتمّ انت بمخاطبة بدور في هذا الشأن.

وكان موعد رجوعها مع فرحات قد حان ، فخرج الثلاثة الى صحن الدار حيث رأوها قادمة ، فاشار اليها الاب توما بواجهته ، وتحوّل مصطفى آغا وغانم يشاهدان اسواق المدينة من احدى النوافذ.

وما هي دقائق حتى دعاهما فرحات ، فدخلا الردهة ودخل معهما . فقال الكاهن :

— لقد اتفقنا على ان تزف ابنتنا بدور الى ابننا غانم نهار الأحد القادم ، في البيت ، بحضور مصطفى آغا والسيدة امرأته ، ان لم يكن مانع في ذلك.

ثم التفت الى الآغا فهزّ هذا رأسه علامة النفي . فتابع :

— وانت يا فرحات تقوم مقام الاشبين.

* * *

في صحن الدار ، على طاولة بسيطة ، نصب فرحات شمعتين عليتين عقد عليهما باقتين من الزهور بشريطة لم ترضها بدور الّا سوداء . ثم سار يدعو الاب توما ، فجاء مع خادم الكنيسة . فاستقبله العروسان ومصطفى آغا وامرأته.

ولم يلبث ان باشر حفلة الاكليل بصوت منخفض ، فجمع بين يدَي العروسين ، تالياً الصلاة المعتادة ، متبعها بالنصائح والوصايا الصالحة . ثم هنأهما وتمنى لهما الحياة الطويلة يصرفانها بالسعادة والهناء.

وبعد ذلك تقدم مصطفى آغا فاعاد التمنيات ذاتها بلسانه ولسان امرأته ، ودعا الجميع الى بيته . فاعتذر غانم اولاً ، ولكن الاب توما قال :

— لا بأس في ذلك !

ثم شكر للآغا عاطفته اللطيفة ، وسار فتبعه الباقون.

كانت الوليمة غايةً في البساطة وحسن الذوق . وقد خرق الآغا عادة الحرم

وسمح لامرأته بالجلوس ، فجلست الى جنب العروس تؤاكلها ، وتؤانسها بلطفها المعهود .

* * *

قضى غانم السنة الاولى من زواجه في طمأنينة وغبطة يحسده عليهما كل من كان في حالته بعيداً عن بلاده ، مجرّداً من اهله ، غريباً بين قوم لا يفهمهم ولا يفهمونه . على انه لم يكن ليبالي بسوى عائلته الجديدة ، منصرفاً جهده عن التدخلات السياسية ، مُعرضاً ما استطاع عن ديوان الجزّار ، جاهلاً جميع الاخبار الّا ما كان يأتيه به فرحات مرةً كل خمسة عشر يوماً ، من حوادث الجبل ، وحالة الامير بشير وموقفه من الاحزاب اللبنانية عامّة ومن الجزّار خاصّة . وكلها كانت اخباراً سارّة بالاجمال تبعث في غانم الأمل بالرجوع لمشاهدة اميره ، والانخراط في جيشه .

وكان ممّا اخبره به فرحات ، في اوائل سنة ١٧٩٧ ، ان الامير بشير برّ بقسمه في ما خصّ الانتقام للأمير جهجاه من النكدية . فانه اتفق مع المشايخ الجنبلاطية والعمادية على التخلّص من آل ابي نكد . وما لبث ان استدعى الى دير القمر اولاد الشيخ كليب الخمسة وهم بشير ، وواكد ، وسيد احمد ، وقاسم ، ومراد . فدخلوا مجلسه وفيه جمهور من الجنبلاطيين والعماديين ، فاجلس كل شيخ نكدي بين اثنين من اعوانه . وبدأ يوبّخهم على سوء صنيعهم حتى اذا احتدم غيظه ، قام غاضباً وخرج من القاعة مغلقاً الباب . فما كان من مشايخه الّا ان انقضوا كل واحد على جاره مغمداً خنجره في بطنه . ثم جرّوهم فرموهم في بئر هناك دُعيت من ثمّ « بير النكدية » . ولكن الامير لم يكتفِ بتلك المجزرة ، فارسل بعض رجاله الى اعبيه ليقبضوا فيها على اولاد الشيخ بشير ابي نكد ، وهم اربعة : علي ، وجهجاه ، وسعد الدين ، وكليب . ففرّوا منها الى وادي التاعمة واختبأوا هناك مدة ، حتى اكتشف مقرّهم اعوان الامير فساقوهم اليه . وبعد ان عذّبهم زمناً في سجنه ، ارسل اليهم المشايخ العمادية فقتلوهم جميعاً . وكان البعض من ابنائهم الصغار هربوا الى دمشق برفقة الشيخ سلمان ، فامر الامير بضبط املاكهم كلّها ، فأخذ له منها جزءاً واعطى الباقي لمن

ساعده على قتلهم من المشايخ.

لم يكن هذا الخبر ليسر غانماً لما كان في خُلقه من الرأفة الطبيعية والترفع عن القسوة والشراسة . ولكنه لم يكن ليسوءه كثيراً لما كان في قلبه من حرقة على الامير جهجاه ، ولما كان في عقليته من تأثير عادات زمنه بوجوب المعاقبة الصارمة وقمع الشرّ بالشرّ ، حتى انه كان على الرغم من اشمئزازه الظاهر لتلك الفظائع ، يشعر بما لم يكن يجسر على اظهاره من الارتياح للأخذ بثأر الامير جهجاه ، ولتطهير البلاد من بعض الخونة المفسدين.

امّا علاقات الامير بالجزّار فكانت على غاية ما يُرام . اذ كان الامير لا يترك فرصةً الّا اغتنمها لاظهار تملّقه بولي عكا ، وامانته في تنفيذ ارادته ، وخصوصاً لاظهار استعداده لدفع اموال « الميري » المتراكمة . الّا ان هذا الاستعداد الطيّب لم يكن يتجاوز محيط الكلام الّا نادراً ، حتى كان الجزّار كثيراً ما يغتاظ من تلك المماطلة ، فيستدعي غانماً ويخاطبه بلهجة تنمّ عن استيائه من تلك الحالة ورغبته في تقصير زمن المماطلة والتسويف. فيجتهد غانم في تخفيف غضبه تارة بتصوير حالة الجبل في اشنع مظاهرها من حيث المحل او تشويش الامن ، وطوراً باغداق المواعيد الخلّابة المتعلّق وفاؤها بانتهاء زمن المواسم المختلفة . ثمّ يكتب الى الامير بشير ملحّاً عليه بارسال شيء من المال ، ويرجع الى بيته مسروراً من جهاده في سبيل اميره ، فيتناسى كل شيء اذ يدخل حجرته فيحيي امرأته ، ويداعب صغيريه . وكانا توأمين ذكراً وانثى منّ الله بهما على تلك العائلة الغريبة ، فخلّصاها من الوحشة والضجر اذ اصبحا عالماً كاملاً في نظر والديهما اللذين كانا يصرفان الساعات ، مع فرحات او مصطفى آغا او امرأته ، بالتأمل في قسمات وجه قعدان — وهو اسم الطفل — او بتعديد محاسن سعدى — وهو اسم الطفلة. وكثيراً ما كان ينتصر الاب للطفلة فيفضلها على اخيها ، فتغتاظ بدور وتبدأ بسرد محاسن قعدان . ويمضي غانم في تفضيله مؤيّداً رأيه بشهادة امرأة مصطفى آغا ، فتقابله بدور مستعينة برأي فرحات. حتى اذا احتدم الجدال التجئا الى الحكم يفصل بينهما ، ولم يكن سوى مصطفى آغا ، فقدّما اليه الصغيرين وادلى كل فريق بحججه. فكان الآغا

يقهقه عالياً ويحكم بالمساواة. ثم يقبّل الطفلين الصغيرين ؛ ويقهقه ثانيةً ضاحكاً من الطفلين الكبيرين .

* * *

على مثل هذه الحال كان يقضي غانم قسماً وافراً من ايامه ، حتى اذا كان المساء ونام الصغيران ، جلس الى مصطفى آغا يلاعبه بالنرد ، او يسأله عن آخر اخبار الديوان ، بينا كانت بدور تحادث امرأة الآغا منصرفة في الوقت نفسه الى فتل مغزلها ، او ترقيع بعض الثياب . امّا ليلة وصول فرحات فكان يجلس الجميع صامتين مستعدّين لسماع ما جمعه من الاخبار اللبنانية ، وما سمعه من الاشاعات عن ابنَي الامير يوسف ورجال الحزب المعاكس ، وما صادفه في الجبال والاودية التي تفصل عكا عن دير القمر . فيروي فرحات إمامهم ما توافق روايته من الاحاديث المختلفة ، ويحتفظ بالاخبار المهمة يسرّها الى غانم على حين خلوة منه .

وفي ليلة من خريف سنة ١٧٩٧ ، مكفهرة الافق ، ثقيلة الهواء ، هبت فيها عاصفة شديدة جيّشت الغيوم السوداء من البحر الى الجبال المقابلة ، ولم تلبث ان لفحتها الريح الباردة فتساقطت برداً كبيراً تحوّل الى مطر مدرار دام نحو الساعة ، فجرت السيول جارفةً كل آثار الصيف المتجمعة في الازقّة والاسواق ؛ وفزع الناس الى بيوتهم يتقون الفيضان متسترين من تلك البروق المتكسرة الخاطفة الابصار التي كانت تعقبها الرعود المتتالية القاصفة بسرعة غريبة تدلّ على اشتداد العاصفة وعلى قرب موقع الصواعق ؛ في تلك الليلة التي برد فيها الهواء فجأة بعد حرّ الصيف ، خاف مصطفى آغا ان يهيج العصبي في مفاصله ، فأوى باكراً الى فراشه ، تاركاً غانماً وامرأته نحو الساعة الثانية بعد الغروب . امّا هذان فسهرا الى الثالثة . ثم قامت بدور ، ترضع ولدها فركعت الى جنب السرير المزدوج . وقام غانم ليرى هل سكنت العاصفة . فما كاد يفتح النافذة المطلّة على البحر حتى نشب بارق ساطع تلته قصفة هائلة بدأت مفردة ثم جعلت تتقطّع وتضعف شيئاً فشيئاً الى ان تلاشى صداها في طيّات الغمام . فانتفض الطفلان لشدّة الصوت ، ورسمت بدور على وجهها اشارة الصليب ، وتمتمت :

ـــ الله يساعد المسافرين في هذه الليلة ! يا ربّي خلّص فرحات !

فقال غانم :

ـــ ليس الليلة موعد وصوله ، فلا تخافي ! وفضلاً عن ذلك فان العاصفة اشدّ وقعها في البحر ، اما في البرّ فلا تكاد تتجاوز حدود المدينة.

ثم اقفل النافذة ، واتجه الى الباب فاحكم قفله . وانتظر ريثما انتهت بدور من ارضاع الطفلين ، فاطفأ النور وتحوّل الى فراشه.

وما كاد يلمّ النوم بعينيه حتى قرع الباب قرعاً شديداً متتالياً. فاذا ببدور تفيق صائحة.

ـــ فرحات ! فرحات !

وتسرع الى المسرجة فتنيرها ، بينا كان غانم يفتح الباب ويستقبل من ذكرته ، وعلى وجهه علائم الاستغراب ، لتلك السرعة ، وفي ذهنه افكار سوداء تنذر بوقوع خطر مفاجئ.

وما كادت انوار المسرجة تنعكس على وجه فرحات حتى ذُعرت بدور لشحوبه ، واوجس غانم خوفاً فصوّب اليه نظراً مستفهماً . فانطرح فرحات على الارض بعد ان اقفل الباب ، وقال :

ـــ لا تخافا ! ان بعد المشقّة ، وشدّة العاصفة ، وسرعة السير اتعبتني ، وليس في ما احمله شيء من الشرّ.

ثم فكّ ازرار صدرته وناول غانماً تحريراً ، وانصرف ناحية بدور تضرم له النار وتعطيه ثياباً كي يستبدلها بثيابه المبلّلة.

اما غانم ففك الخاتم الاميري عن الكتاب وقرأ :

« حضرة عزيزنا الشيخ غانم بو غانم حفظك الله.

« معلومنا انك وارث لكل صفات الرجولية والاخلاص للحزب التي امتاز بها اهلك الكرام لاسيما شيخنا ومدبّرنا الكبير المرحوم الشيخ قعدان ، وعزيزنا الفقيد الغالي المرحوم الامير جهجاه . فلهذا السبب نخبرك ان الحزب بحاجة الى فطنتك ودرايتك في هذا الوقت . وذلك كون اعدائنا المعروفين ابني الامير يوسف وكاخيتهم برجس باز وبعض رجالهم بعد ان هربوا ملتجئين الى دمشق

حيث انعم عليهم الوالي عبدالله باشا واقامهم في حماه وعيّن لهم الميرة سمعنا انه جرى مخابرات بينهم وبين الجزّار وانه كتب لهم ان يحضروا اليه الى عكا آمنين . وفي علمك كفاية عمّا يمكن ان تكون نتيجة هذه المخابرات. فالمطلوب منك يا عزيزنا ان تختبر الحالة في عكّا وتعرف نوايا الجزّار وتعده عن لسانها اذا لزم الأمر بالمواعيد الكثيرة وواصلك صحبة فرحات حمل من المال امكننا جمعه في هذه المدة فسلمه اياه وقل له يأتي الباقي في اقرب وقت . دبّر الامور كما ترى الموافق وجاوبنا حالاً مع الرسول ذاته وفي فهمك كفاية من وجوب كتم السرّ ووفقك الله .

عن دير القمر في ١٢ ايلول سنة ١٧٩٧

الامير بشير قاسم عمر
الشهابي »

ولم يطو الكتاب حتى رجع فرحات فبلّغه سلام كاتب الكتاب ، وهو معلمه القديم نقولا الترك . ثم جلس يتناول عشاءه ، وكانت بدور اسرعت باعداده من حواضر البيت ، ويروي لهم ، بين اللقمة واللقمة ، كل ما سمعه من الاخبار والاشاعات في طريقه . وكان غانم قد اعطى التحرير الى بدور فقرأته بسرعة كي لا يفوتها شيء من اخبار فرحات ، وردّته خائفة من ان يكون ما فيه صحيحاً ، ومن تغيّر مفاجئ قد يكون طرأ على عقل الجزّار .

* * *

ما ارتفعت شمس اليوم التالي حتى كان غانم يستأذن على الجزّار ووراءه فرحات يحمل كيسين ثقيلين . وكان المولى منفرداً في كشكه الخاص يدخن ماسورته ، وحاييم اليهودي ، امين صندوقه ، يسرد عليه مبالغ النفقات وما يقابلها من الواردات . والجزّار يقول له :

(لها بقية)

مطبوعات شرقية جديدة

Levy (Roubon): A Baghdad Chronicle. *in*-8°, 279 *pp. Cambridge, University Press. Prix* : 15/-

تاريخ بغداد

شاء مؤلف هذا الكتاب ، وهو استاذ اللغة الفارسية في جامعة كمبريدج ، ان يدرس المصادر الاصلية لتأليف تاريخ مدني واجتماعي لمدينة بغداد منذ تأسيسها على يد الخليفة المنصور ، حتى خرابها على يد المغول سنة ١٢٥٨ . فنجح كل النجاح في عمله هذا . فرأينا ان اقامة الخليفة في تلك المدينة لم تكن لخيرها ، بل بالعكس فان بغداد لم تربح سوى ثورات متتابعة في البلاط الملكي ، وحصارات متعدّدة ، وحروب اهلية . فضلاً عن الحروب الدينية التي كثيراً ما كانت تتحوّل الى معارك منظمة ليس فقط بين السنيين والشيعيين ، بل بين المذاهب السنية نفسها ، وكان اشدّ هذه المذاهب تعصباً وابعدها عن التساهل المذهب الحنبلي الذي كان شديد الوطأة في بغداد . حتى انه لما توفي الطبري المؤرخ المشهور خاف مريدوه على رفاته من انتقام الحنابلة ، فاجبروا على دفنه ليلاً . كل مظاهر هذه الحياة المضطربة ، وغيرها من الحوادث الداخلية والخارجية كفيضانات دجلة ، وتشييد القصور ، وتأسيس المدارس ، كل ذلك يسرده المؤلف ، سردَ رجل واثق بما يعرفه ، وعارف بالطريقة المثلى لتبيانه ه.ل.

R. C. Thompson *and* **R. W. Hutchinson**: A Century of Exploration at Niniveh. 146 *pp.* 8°, 6 *planches*, 9 *plans.* 1929. *London, Luzac. Prix* : 7/6

مائة سنة في التنقيب عن آثار نينوى

هو ملخص حسن عن التنقيبات والحفريات التي أُجريت في نينوى (شمالي الموصل) وهي احدى عواصم الشرق اللامعة بمدنيتها في الالف الاول قبل المسيح . وقد ذكر المؤلفان ، وهما من علماء الاشوريات ، ولاسيما الاول ، ابتداء اعمال البحث

في ما بين النهرين منذ القرن الثامن عشر ساردين كيف حصلت اولى التنقيبات العلمية على يد بوتا (*Botta*) قنصل فرنسة ، وقد كانت هذه الاعمال مع تنقيبات لايارد (*Layard*) آساساً لعلم الاشوريات. اما اسلوب الكتاب فغاية في الخفة والظرف ، وقصد المؤلفين خصوصاً اثارة الشعب الانكليزي واطلاعه على ما سلف من امجاد المنقبين الوطنيين ، فاستمالة معزّزي المعارف الاغنياء الى الاهتمام بتنقيبات مستقبلة . فنحن ننصح بمطالعة هذا المجلّد ، بنصه ، وصوره ، ورسومه ، لجميع قرائنا الشرقيين عامة ، ولاهل الموصل والعراقيين خاصة.

س. ر.

A. Yusuf Ali : The personality of Muhammad the prophet. *A speech delivered in London at the festival of Id-ul-Azha,* 20 th *May* 1929. *Progressive Islam Pamphlet n° 4, june* 1929. *London. Luzac and C°. Price* : 1 /-

شخصية النبي محمد

شاء احد مسلمي الهند من طلّاب الجامعات الانكليزية ان يؤلف في شخصية محمد ، ولكنه لم يستند في درسه الّا الى المعلومات التقليدية التي يراها المطالع في « سيرة » ابن هشام وما تبعها من تآليف المسلمين ، فلم يأتِ بشيء جديد.

ه. ل.

André Baudrillart : Mœurs païennes et mœurs chrétiennes. I. La famille dans l'antiquité et aux premiers siècles. *in*-12°,240*pp. Prix* : 12 *fs. Paris, Blond et Gay,* 1929.

اخلاق وثنية واخلاق مسيحية

ليس من السهل ان يدرس الانسان عادات عصر لم يعش فيه بينا هو يكاد يجهل عادات عصره ومحيطه . هذا ما دفع حضرة المؤلف الى التعمق في ابحاثه والتوسع في دروسه حتى تضلع من موضوعه غاية التضلع فالقى سنة ١٩٢٨، في المعهد الكاثوليكي في باريس ثماني محاضرات، اجتهد فيها في تحديد الانقلابات التي احدثتها النصرانية في عادات الوثنيين لاسيما، من حيث العلاقات

الاجتماعية . وقد بدأ بجمعها مخصصاً هذا المجلد بنواة الهيئة الاجتماعية الا وهي العائلة . فكان كتابه من افيد ما يُنشر من الكتب في عصرنا ج.ل.

Legrain (Gaston) : Les cahiers de l'échiquier français, 1er *vol.* 1925-28, *in-8° de* 512 *pp. Prix* : 60 *fs. Paris, Editions Bossard.*

ابحاث في لعبة الشطرنج

هو مجلّد كبير يجمع اعداد نشرة « الشطرنج الفرنساوي» للسنين ١٩٢٥ــ ١٩٢٨،وفيه كثير من المسائل مع حلّها مما يغتبط به غواة هذا اللعب اللذيذ . وتسهيلًا للاستفادة من محتويات المجلد الكثيرة جعل له ثلاثة فهارس ، فجمع هكذا بين اللذة والفائدة. ج. ل.

Gino Loria : Histoire des Sciences mathématiques dans l'antiquité hellénique. *in-8° de* 215 *pp. Prix* : 30 *fs. Paris, Gauthier-Villars et Cie.*

تاريخ العلوم الرياضية في العصور اليونانية القديمة

هذا المجلّد حلقة من سلسلة العلم والمدنيــة ، خصّه المؤلف ، وهو استاذ الرياضيّات العالية في جامعة جنوى ، بتاريخ هذه العلوم منذ طاليس (٦٤٠ــ٥٤٨ ق.م.) الى هارون الاسكندري (القرن الثاني للمسيح) وقد ادخل فيه بعض المناظرات الرياضية وبسط بعض المسائل المهمّة وحلّها.

Gabriel Hanotaux : Regards sur l'Egypte et la Palestine. *in-12°*, 282 *pp.* 1929. *Paris, Plon.*.

نظرات في مصر وفلسطين

دعا ملك مصر المؤلف الى زيارة بلاده قائلًا : « تعالَ الى مصري ، يامسيو هانوتو ، فنحن بحاجة الى تاريخ للأمة المصرية يكون على مثال تاريخك الكبير الذي خصصته بالامة الفرنساوية ! » فلبّى المؤلف الدعوة الملكية وقام برحلة الى مصر ، فالى فلسطين. وهو يصف تفاصيل هاتين الرحلتين بكل ما في قلمه من رشاقة وما في ذهنه من استعداد للاعجاب . وان له كلمة جميلة (ص ٢٤) في وصف البرية المصرية حول الدلتا وما اثارته في نفسه من تأثير نهضة المصريين

للعمل ، بينا كان القطار ينقله الى القاهرة . اما هنا فشاهد كل الابواب مفتوحة امامه ، ونال ما لم ينله غيره من وسائل وتسهيلات اطلعته على كل ما شاء من الآثار ، وزوّدته بكل ما اراد من المعلومات . وان من الحسن ان ينشر رجل محظوظ ، كالمسيو هانوتو ، كل ما عرفه فيطلع على ذلك من ليس لهم حظه . وهذه التسهيلات ، مع شخصية المؤلف ، تسمو بالكتاب المذكور عن محيط كتب الرحلات الاعتيادية . ج. ل.

Les Manuscrits arabes de l'Escurial, *d'après les notes de* H. Derenbourg, *par* Lévi-Provençal. *Paris, Geuthner*, 1928, *gd in* 4°, 329 *pp.*

مخطوطات الاسكوريال العربية

اول من وضع قائمة علمية لمخطوطات الاسكوريال العربية هو الكاهن الماروني مخائيل الغزيري ، في مؤلفه المعنون المكتبة العربية الاسبانية في الاسكوريال : *Bibliotheca arabico-Hispana Escurialensis* المطبوع في مدريد بمجلدين كبيرين (١٧٦٠ — ١٧٧٠) وفيه وصف ١٨٥٢ مخطوطاً عربياً . وكان كتابه في زمانه ، على ما وقع فيه من الاغلاط ، آيةً بحسن الطبع وبما حواه من تعليقات تاريخية وادبية ، وقد حاز به فضل السابق المتوغل في دغل الغاب ليمهد الطريق لغيره . فتقفى آثاره وجاوزها العلامة هارتويغ درينبورغ استاذ اللغة العربية في مدرسة اللغات الحية في باريس ، وطبع في السنة ١٨٨٤ المجلد الاول من كتاب عنوانه « مخطوطات الاسكوريال العربية » . عاد فيه الى اعمال الغزيري واستفاد منها ، فجاء كتابه قائمةً جديدة للمخطوطات العربية في المكتبة الملكية الاسبانية ، خصّه بكتب الصرف والبلاغة والشعر واللغة والادب وفقه اللغة والفلسفة . وفي السنة ١٩٠٣ نشر جزءاً من المجلّد الثاني وصف فيه كتب الاخلاق والسياسة

وانتقل درنبورغ الى رحمته تعالى ، فخلفه المستشرق لفي بروفنسال مدير معهد الدروس العليا المغربية والاستاذ في معهد الادب في كلية الجزائر ، وناشر كتاب اخبار المهدي حديثاً ، (راجع المشرق ٢٧ [١٩٢٩] ٣١٤) توغل في

اوراق درينبورغ ، واجهد في استخراج الكتاب الذي اشرنا اليه في عنوان هذه الكلمة ، وخصّه بالكتب الدينية والجغرافية والتاريخية ، من النمرة ١٧٥٦ الى ١٨٥٢ ، ووعد بتكملة نشر المجلد الثاني المخصوصة بالطب والتاريخ الطبيعي والرياضيات والفقه ، وباتباعه بالمجلد الرابع والاخير الحاوي مع الفهارس وصف ما اهمل ذكره من المجموعة في المجلدات الثلاثة الاولى . ومن فوائد المجلد الثالث انه يهدينا الى معرفة اصل الكتب الموجودة حالًا في الاسكوريال . وفي صدره رسما صحيفتين من قرآن مولاي زيدان سليل الدولة السعدية المراكشية . غُلِب هذا الامير على امره في السنة ١٦١٢ وأبحر وكنوزه وكتبه ، فوقع في قبضة القرصان الاسبان فاستولوا على كتبه واودعوها مكتبة الاسكوريال واكثرها مختوم بختم سلاطين بني سعد . فاغتنت دار الكتب الملكية الاسبانية بما لم يكن يحلم به اصحابها ، فضلًا عمّا كان فيها سابقاً من الكتب العربية . ولكن في ٧ حزيران ١٦٧١ اضطرمت النار في الاسكوريال والتهمت جزءاً من المخطوطات العربية وابقت على نحو الفين منها ، هي التي وصفها الغزيري ثم درنبورغ ثم اخيراً لقي بروفنسال خمس كل مخطوط باسمه ، واسم مؤلفه ، وتاريخ وفاته (الصليب المرسوم بعد اسم المؤلف دليل على تاريخ الوفاة لا على الولادة كما توهم بعضهم) ، وبذكر عبارة منه وتاريخ كتابته ، ووصف نوع خطه وعدد صفحاته وطولها وعرضها وعدد سطورها . واحال القارئ غالباً الى تاريخ بروكلمان للآداب العربية والى الموسوعة الاسلامية . وقد لفت نظرنا في ذيل قائمة المخطوطات الدينية وصف عشرة كتب مسيحية بلغات شتى . فنشكر للعلامة لفي بروفنسال عنايته بالمخطوطات العربية ، ونتمنى له انجاز مشروعه سريعاً فيؤازر حركة النشر العربية المجهزة بسائر المعدات العلمية . ف . ت .

كتاب اللؤلؤ المنضود في دفع نقود

بقلم الشيخ امين ظاهر خيرالله

مطبعة الاجتهاد بيروت ، ١٩٣٩ — ص ١٥١ ، وسط

ليس المراد «بدفع النقود» تأدية المال ، بل ردّ انتقادات خطأ بها احد ادباء المهاجرين بعض آراء لوالد المؤلف ، المرحوم الشيخ ظاهر خيرالله ، ظهرت

في كتابه « المنهاج السوي في التخريج اللغوي » (اطلب وصفه في « المشرق » ٢٦ [١٩٢٧] : ٧١٦) فردّ عليه الشيخ امين ، بعد ان اورد كلامه بحرفه ، مستنداً الى المعاجم الكبيرة ، والقياس ، والعرف المشهور . فدافع عن ابيه شأن الابناء البرّرة ، وافاد محبي الابحاث اللغوية افادةً قد تخلو من اللذة لان ما في الاسلوب من تكلّف ظاهر حتى في العنوان ، يفقد المطالع صبره احياناً ، فيترك الكتاب ف ١٠ ب

الدليل الامين في الصحة والمرض

تأليف وترجمة الدكتور شكري بوتاجي

المطبعة العصرية بمصر ، ص ٦٢٦ – مصوّر

ان الغاية الاولى من علم الطب هي اطالة الحياة بالتوقي من كل علةٍ مولدة لمرض . فاذا قويت جراثيم الاوبئة على البنية البدنية او اذا اعترى الانسان مرضٌ ، فعلى تلميذ اسكولاب ان يكتشف الادلة على حقيقة الداء ، ويشخص حالته ، ليصف له الدواء الناجع ، إمّا للشفاء من المرض او لتخفيف وطأته ، او للوقاية من تفشيه من انسان الى انسان . هذا هو برنامج علم الوقاية او علم الصحة . وقد اتخذه الدكتور بوتاجي رسماً له في انشاء كتابه « الدليل الامين في الصحة والمرض » ولم يهتم بعلم الوقاية والصحة فحسب ، بل جمع ايضاً في كتابه فصول علم الطب ورتبها طبقاً للنظام المعهود في التدريس . فانعم النظر في الانسان وبنيته ووظائفها الطبيعية ، وتكلم على العناصر الناقلة لجراثيم المرض كالراجيات ، وعلى تشخيص الامراض وعلاجها ، ووضع لها جداول متوخياً في كل ذلك تقريب فهمها من العوامّ ليكونوا على بصيرة من شأنها ويستعينوا عليها بالطب في حينه . فليس اذن الكتاب موضوعاً للاختصاصيين من الاطباء . ومع ذلك فلم يحجم صاحبه عن وضع فصل خاص بالاقرباذين ، اي وصف العقاقير الطبية وتركيبها . امّا الجزء الثالث من الكتاب فيبحث في امراض النساء والاطفال وفي الحبل والولادة . وللمؤلف في هذا الصدد نصائح غزيرة دقيقة قيّمة مفيدة كثيراً لوقاية الاطفال وحفظ صحتهم منذ دخولهم في العالم . والجزء الرابع يشمل بابين : اولهما في فن التمريض ، والثاني في فنّ الاسعاف ،

مع ما يقتضيه من القواعد الاولية وطرق الاسعاف المستعجلة وتضميد الجروح ولغة الكتاب ، على بساطتها وقرب منالها من عامة القرّاء ، انيقة فصحى والفضل لصاحبها عظيم في تسمية الاعضاء والاشياء باسمها العربي الصرف ، مما يعود بالخدمات الجليلة على اطباء الشرق عموماً اذ يمكنهم من التعبير عن افكارهم بلغة البلاد. امّا منافع الكتاب لامهات العائلات فاكثر من ان نصفها في هذه العجالة ، وهي التي تجعله جديراً بان يحتفظ به الاب والام بمكتبتها لهما وحدهما.

جورج بدر

المساعد في « اوتيل دير دي فرانس » بيروت

غرامطيق اللغة الارامية السريانية (صرف ونحو)

تأليف القس بولس الكفرنيبي الراهب اللبناني الماروني

قطع ١٢ × ١٨ في ٤٦٨ صفحة – يباع في المطبعة الكاثوليكية .

الثمن ١٢٥ غ.ل.س وللخارج ٦ شلينات

اننا نحثّ جميع الكهنة والاكليريكيين في الطائفة المارونية والسريانية على اقتناء هذا الكتاب ان ارادوا معرفة لغتهم الطقسية معرفة جيدة. فهو غرامطيق جامع لقواعد الصرف والنحو، مكتوب بطريقة تعليمية، واضح في سرد القواعد، متبسّط في الامثلة المترجمة كلها الى العربية ، متوسّع في التمارين . مما يدل على ان حضرة المؤلف زاول تعليم كتابه مدة طويلة قبل ان يطبعه . على اننا لا نعلم هل تكون فائدة هذا الغرامطيق جزيلة للاوربيين ؟ وذلك لانه مكتوب باللغة العربية ؛ وقد احتفظ المؤلف بالطريقة والتعابير الخاصّة بالغرامطيق العربي. ومما يؤسف له ان حضرته لم يستفد من اعمال الاوربيين في مقابلة غرامطيقات اللغات السامية ومنها مؤلفات نولدكه (*Noeldeke*) ودوفال (*Duval*) في الغرامطيق السرياني . ومما لفت نظرنا ان المؤلف يذكر (ص ٥) ان السريانيين لا يميزون بين الكسرة الخفيفة والكسرة الثقيلة وكذلك بين الضمتين الخفيفة والثقيلة بسبب اخذهم الحروف الصوتية عن اليونانية ، والصواب انهم حين اخذهم الحروف لم يكونوا يميّزون بين الكسرتين والضمتين ، والّا لما تعذّر عليهم ان يأخذوا اكثر مما اخذوا من الحروف الصوتية عن اليونان، وعند هؤلاء

اكثر من خمسة. ثم عند ذكره احدى قواعد الألف (ص ١٦) يسرد ٩ امثلة يقول فيها ان الالف اصلية ، ولا اراها كذلك الّا في اللفظتين حُلاوا و مُالاا فلا ارى من ثمّ لزوماً لتلك القاعدة . وهو يقول في المقدمة ان اللغة الفينيقية من اللغات الاراميـــة . اما البراهين التي يوردها على ذلك فاكثرها خارج عن اللغـــة ، وان من يتعمّق في الدرس اللغوي نفسه يرى ان الفينيقية اقرب الى العبرانية منها الى الارامية . وعلى كل فان في الكتاب من وفرة المواد وحسن التنسيق ووضوح التأليف ما يستحق كل رواج.

ل. ريغوله

رحلة تاريخية الى اميركة الجنوبية

بقلم الخوري بطرس العنداري

مطبعة (ابو الهول) ، سان باولو ١٩٢٩

هذا كتاب اشبه بجريدة السفر ، وبترجمة المؤلف لنفسه ، اوقفنا فيه صاحبه على سيرة حياته وعلى احوال اسرته واقربائه وذويه ، وجال وايانا بين البترون واميريكة الجنوبية عن طريق الديمان ، والاسكندرية ، ورومة ، وجبل طارق والسنيكال ، والبرازيل ، والارجنتين ، ووقف وقفة المدهش المتحمس لكل منظر رآه لاول مرة ، فسحره جمال الاسكندرية ، واخـذت حركة مرفأ مرسيلية من لبه كل مأخذ ، وقال في الشعب البرازيلي انـه اعظم شعوب الارض احساناً ، على ان سياحته الطويلة لم تلاق في كل زمان ومكان مـا يروق فحسب . فاعلمنا انه بعد ان اقام ذبيحة القـداس على ظهر المركب ، اضطر الى اقامتها في احدى الغرف توقياً من تهكم المتهكمين. وقـد يترنح صدره لكل منظر جميل ويحرك يراعته فيطلقها في ميدان الوصف والتاريخ ، فيخبرنا الاخبار ويوقفنا على بعض احوال البلاد حين يحط فيها رحاله فحديثـه مفيد لذيذ انيس خاصة اذا ما وصف البرازيل وعاداتها . ولهذا الكتاب ميزة نادرة وهو انـه يكلمنا ببعض الاسهاب عن المهاجرين المتشتين في البرازيل والارجنتين ، وفيه صور عديدة وهو انيق الطبع بسيط العبارة سائغ القراءة.

ف. ت.

اهمّ حوادث الشرق في شهر

١٥ تموز ــ ١٥ ايلول

روسية — امتاز كاثوليك شرقنا العزيز باعرابهم عن محبتهم وولائهم لاب المؤمنين اجمعين ، وخليفة المسيح على الارض ، بمناسبة يوبيله الكهنوتي. فسارت اليه الركبان من رجالات الاكليروس العظام . واستقبلهم الحبر الاعظم بحنو ومسرّة ؛ ومن آيات محبته لشرقنا في الشهرين الماضيين الكلام المسجدي الذي اجاب به عن خطاب غبطة البطريرك السرياني ابان توشيحه الباليوم (٦ آب) والرسالة التي وجهها خصيصاً الى غبطة بطريرك الروم الكاثوليك (١٩ تموز)

سورية ولبنان — وكانت اخبار بلادنا السورية اللبنانية مسرة على الاجمال بالرغم من بعض حوادث التلصص بالبقاع وعلى الحدود الشمالية ، ولم تكن المظاهرات التي جرت في المدن مناسبة لحوادث فلسطين المفجعة مما اثر ضبابه في جوّ البلاد الصافي. ولعل حركة ارتياد المصريين وغيرهم من الاجانب ربوع لبنان في موسم هذا العام لم تكد تفرق عما كانت عليه في السنين الماضية . ولعل شكوى بعضهم قلة ارباح المصايف اجمالاً انما علتها الحقيقية ، لا قلة عدد المصطافين ، ولكن كثرة المصايف ، وقد تسابقت القرى في اسقاط اسعار الايجار لئلا تبقى الدور خالية. ولا بد ان تكون قد اثرت هذه المزاحمة في اقتصاديات الفنادق الكبرى.

وقدمت بلادنا البعثة الفنية لدرس مسألة مصب بترول الموصل وغايتها اعادة النظر في درس الشاطئ البحري من حيفا الى الاسكندرونة لتعيين النقط التي تصلح منافذ للانابيب . وقدمت ايضاً بعثة من المهندسين الافرنسيين لتبحث في مد الخط الحديدي بين حمص وتدمر.

وراقنا ما كتبته الجرائد عن المعرض الصناعي الدمشقي . فتح يوم الجمعة ٦ ايلول ، وعرضت فيه انواع الانسجة والرياش والاواني النحاسية والزجاجية والمزركشات الشهيرة والمأكولات الشرقية اللذيذة.

حوادث فلسطين – انعقد المؤتمر الصهيوني السادس في زوريخ واسفر عن اقتراحات شتى ، منها اسكان الف عائلة كل سنة في فلسطين ، واشغال الفي عائلة كل سنة بالصناعة والمساعدة على مهاجرة عشرين الف اسرائيلي في السنة. وتحدثوا بوضع برنامج لعشر سنين بميزانية مليون جنيه لكل سنة وابتياع الاراضي جهد ما تصل اليه الطاقة.

ولم تكن وقائع السنين الاخيرة لتساعد على الشك بامكان ازدياد عدد المهاجرين ، والاحصاء الذي نشرته الحكومة في فلسطين شاهد على تزايد اليهود السنوي ، كما ترى :

في تموز سنة ١٩٢٩		في تموز سنة ١٩٢٨	
المسلمون	٥٧٢'٤٤٣	المسلمون	٥٧٧'٦٤٩
اليهود	١٥٤'٣٣٠	اليهود	١٤٩'٥٥٤
المسيحيون	٠٨٠'٢٢٥	المسيحيون	٠٨٠'٢٢٥
طوائف اخرى	٠٠٩'٠٦٦	طوائف اخرى	٠٠٨'٨٠٠
المجموع	٨١٦'٠٦٤	المجموع	٨١٦'٢٢٨

ونشرت الصحف في شهر آب نداء المؤتمر الصهيوني في القدس في سبيل المبكى ، وقراره بتخصيص مليون جنيه لمشترى الاراضي في فلسطين.

وكان الوطنيون الفلسطينيون من طرفهم يشكون امرهم الى اولياء الامر. وكل من الفريقين اخذ يتأهب للاقاة خصمه الى ان وقع اخيراً حادث المبكى ، وليس هو الاول في نوعه انما صار في هذه المرة (٢٣ آب) شرارة اضرمت نار الحرب الاهلية. وان الوقائع لاقرب منًا زماناً ومكاناً من ان نقف على تفاصيلها والحكم العرفي لجم الصحافة وبتر الوسائل.

وقد اهتم المسلمون لامر البُراق لما يعهدون لهم فيه من حقوق . على ان الاراضي المقدسة على ما تناله من احترام الشعوب المؤمنة بالله الاوحد هي عند المسيحيين بمنزلة لا مزيد عليها من الكرامة . فلذلك قد يكون مرجع امرها طبعاً ، الى اعظم ممثل للمسيحية على الارض ، الى الاب الاقدس. وهذا ما اقره مسلمو بيروت لما زار اعيانهم الديمان (١٣ ايلول) ورغبوا الى البطريرك الماروني ان يرفع شكواهم الى البابا ليحفظ فيها لكل ذي حق حقه. ف.ت

المشرق

تشرين الثاني ١٩٣٩

نفوذ السيد المسيح

في حياتنا الاجتماعية

بقلم الاب مرمرجي الدومنيكي

من اساتذة المعهد الكتابي والاثري الفرنسي في القدس الشريف

يليق بنا ، قبل الخوض في هذا البحث ، ان نصنع ما صنعناه ، توطئةً للمقال السابق[1] ؛ اي ان نحدّد الحياة الاجتماعية ، كما حدّدنا الحياة الادبية . الحياة الاجتماعية هي عيشة الفرد بصحبة اقرانه في البشرية . وهي حالة واقعية غير مفتقرة الى دليل . على انها ، ان كانت اليوم شائعة بين ابناء آدم ، فهل يا ترى كانت منذ نشأة الانسانية ، وهل هي حال طبيعية ؟

قد ذهب بعض الفلاسفة العصريين ، وفي مقدمتهم روسّو ، الى ان العيشة

١) راجع عدد تموز الفائت (ص ٤٨١ – ٤٩١) وفيه المقال عن « نفوذ السيد المسيح في حياتنا الادبية »

باجتماع ليست من مطلبات الطبيعة ، بل ان البشر ، بعد ان كانوا منفردين ، التأموا يوماً ، وتعاهدوا بميثاق مجمعين على العيش عيشة الجمعية . غير ان جمهور الفلاسفة ينفون هـذا القول متفقين على ان حياة الاجتماع ناشئة عن طبيعة الانسان ، لما فيه من الحاجة الماسة اليها ؛ ولما هو مزدانٌ بـه من الخواصّ الملائمة لها ، من مثل العقل ، وابراز الخواطر ، والتكلم ، وما اشبه ذلك . فالانسان اذن أليفٌ ، اجتماعيٌ من طبيعته ، ومن اول نشأته .

على اننا قلنا ، في المقال السالف ، ان لكلّ حياة لا بدّ من غاية ونظام . فغايةُ الالفة الاجتماعية القريبة هي الخير العام ، بالسعي في ايجاد السعادة الزمنية لمجموع الافراد ؛ وغايتها البعيـدة هي ان تكون وسيلة للبلوغ الى الغاية القصوى ، المتوخّاة من الحياة البشرية الادبية . امّا نظام الحياة الاجتماعية فقد اختلف فيه الفلاسفة المشترعون ، باختلاف الازمان . اما في عصرنا الحاضر ، فالمشترعون المدّعون الاصلاح يفتخرون بانهم وضعوا للالفة نظاماً كاملاً اختصره بهذه الكلمات الرنّانة الفتّانـة وهي : الحريّة ، الاخوّة ، المساواة . لكنهم نسوا او تناسوا امراً جوهرياً هو بمنزلة الروح لهـذه المبادئ ، الا وهو أمر السلطة القائمة عليها كل حياة اجتماعية ، وبدونها تتقوّض اركانها ؛ ولولاها ، فليس من سبيل الى الحريّة والاخوّة والمساواة الحقيقية . لان من قوام المجتمع الداخل فيه افراد شتى ان يكون له نظام ، والّا لسادت الفوضى والتنازع ، ومن ثمّ التباغض والتطاحن ، الناجم عنهما الخراب والاضمحلال . فمن قـال بوجوب النظام ، قال حتماً بوجوب وجود منظّم . وليُدعَ هذا المنظّم باي اسم كان ، فلا بأس ؛ ما دام لا تُنزَع منه خاصيّته الجوهرية اي التنظيم او الادارة او الحكم . فليسمَّ اذن رئيساً ، او زعيـماً ، او اميراً ، او ملكاً ، او امبراطوراً ، او دكتاتوراً ؛ فليطلق عليه اسم حكومة مطلقـة ، او مقيّدة ، او جمهورية . لان الامر الضروري فيه هو انه المبدأ الاساسي للألفة الاجتماعية الذي ينظمها ويدبّرها ، قصدَ الخير العام ، بموجب الشرائع الطبيعية والالهيـة والمدنية .

وعليه ، فاذ كان المسيح قد جاء لانقاذ البشرية من وهدة الحالة المضطربة

الساقطة فيها ، فقد وجّه نظره ، فضلاً عمّا اعاده الى الافراد من افضال الحرية والاخوّة والمساواة الحقّة ، اجل قد وجّه نظره ، بنوع خاصّ ، الى وضع اساس مكين للالفة باصلاحه السلطة . فكان نفوذه فيها نفوذاً فعّالاً اتى بالخير والبركات على المجتمعات . واذ اتضح لنا هذا ، فما علينا الآن الّا ان نرى كيف جرى هذا النفوذ في السلطة ، ومن ثمّ في الحياة الاجتماعية .

* * *

لكي نوقفك حقّ الوقوف على كيفية هذا النفوذ ، يجدر بنا ان نسرد لك اولاً الكلام الذي انشأ في العالم السلطة المسيحية . يخبرنا الانجيل المقدس ان الرسل كانوا ذات يوم مجتمعين حول معلّمهم الالهي ، فسألهم قائلاً : « من تقول الناس ان ابن البشر هو ؟ فقالوا : قوم يقولون : انه يوحنا المعمدان ، وآخرون انه ايليا ، وآخرون انه ارميا ، او واحد من الانبياء . قال لهم يسوع : وانتم من تقولون اني هو ؟ اجاب سمعان بطرس قائلاً : انت المسيح ابن الله الحي . فاجاب يسوع وقال له : طوبى لك يا سمعان بن يونا ؛ فانه ليس لحم ولا دم كشف لك هذا . لكن ابي الذي في السماوات . وانا اقول لك : انت الصخرة ، وعلى هذه الصخرة ابني كنيستي ، وابواب الجحيم لن تقوى عليها . وساعطيك مفاتيح ملكوت السموات ، وكل ما ربطته على الارض يكون مربوطاً في السموات ، وكل ما حللته على الارض يكون محلولاً في السموات . » ويوماً آخر ، قبل ان يصعد الى السماء ، ظهر لرسله وقال لهم : « أعطيت كل سلطان في السماء والارض . اذهبوا الآن وتلمذوا الامم معمدين اياهم باسم الآب والابن والروح القدس ، وعلّموهم ان يحفظوا جميع ما اوصيتكم به . وها انا معكم كل الايام والى منتهى الدهور . » هذا هو الكلام الذي ، مهما حاول المكابرون ، فلا مجال لهم لانكار حقيقته ، او بالاحرى لانكار فاعليته التي غيّرت الاحوال . اما نحن الذين يطيب لنا ان نكرّر مع بطرس قائلين ليسوع : انت المسيح ابن الله الحي ؛ فلا يمكننا ان نتصور شيئاً اكثر جلالاً واشدّ حتماً من هذا الامر بالنظر الى الرقي الاجتماعي . فان

هذه الكلمات وغيرها كثيرة قد انشأت في البشرية سلطة الهية هي سلطة المسيح القائل لرسله: أعطيت كل سلطان في السماء وعلى الارض. وهذا سلطاني الشخصي اريد ان اجعله سلطانكم ؛ لانه كما ارسلني الآب ، ارسلكم انا ؛ وكما ان سلطتي هي سلطة ابي ، فسلطتكم هي سلطتي . ومن يسمع منكم فقد سمع مني ؛ ومن يحتقركم فقد احتقرني.

اننا غير جاحدين ان هذه الكلمات تتضمن سلطة متميّزة عن سلطة حكّام الممالك . لان الذي يهمنا هو ان يسوع المسيح قد اسّس ، بهذه الاقوال ، جماعةً جديدة في العالم ؛ وفي هذه الجماعة اقام رياسة ، ليست هي الّا رياسته ذاتها . ومن سلطته هذه قد ارسل شعاعاً انار جميع السلطات المختلفة . وبذلك احدث انقلاباً تاماً في اصل السلطة وموضوعها وغايتها ، وبذلك كمّل النظام الاجتماعي برمّته. وتظهر فاعليّة هذا التأثير من مقارنة حالة السلطة قبل المسيح ، بما صارت اليه على يده.

* * *

كانت السلطة القديمة معيبة في اصلها ومصدرها ، وذلك لخلوّها من الصفة الالهية. انظر مثلاً الى السلطة الوثنيّة ؛ فانها كانت مستندة الى الانسان ، والى حقوق الانسان لا غير . امّا السلطة المسيحية فتعتمد على سلطة الله ، وحقوقه الالهية وحدها . وهذا هو التباين العظيم بينها وبين السلطة الوثنيّة القديمة ، او السلطة العصرية غير المسيحية التي تحاول انكار سلطة المسيح . ففي كلا هاتين السلطتين ، لا تجد سوى حق الانسان في شخص المتقلّد زمام الامور ، والخضوع في شخص من يطيع . ترى الانسان حاكماً على الانسان ، والانسان خاضعاً للانسان . وهي العلّة الخفية التي تفسد السلطات في عصرنا ، كما افسدتها في الازمان السالفة . ومن ذلك قد حصل في هذا العصر ميلٌ عامّ بين البشر ، الى تذليل السلطات ؛ وبتذليلها تذليل الجماعات التي تحكم عليها . وهذا الميل هو ميل الاعتراض على السلطة ، ورفضها ، وتحقيرها . ودونك ما يتشبّثون به من التعلّلات : الانسان مساوٍ للانسان ؛ والبشرية مساوية للبشرية . فلماذا يا ترى

يحكم عليّ انسان. ولذا فاني انكر عليه هذا السلطان ، سلطان الأمر عليّ ؛ وانكر واجب الطاعة له. اذن فليسقط الطغاة المحاولون ان يلقوا عليّ نيرهم ؛ ليسقط الملوك ، ليسقط الامبراطرة ، لتسقط كل حكومة ، لتسقط كل سلطة. « الا فلنحطّمنّ قيودهم ، ولنلقينّ عنا نيرهم.» هذا صراخ البشرية في كل هيئة او ألفة لا تعود ترى في السلطة سوى شخص الانسان . ولهذا فمتى زالت كل صبغة الهية من السلطة ، ومتى محيت وسمة الله من جباه اولياء الامور ، فحينئذ قولوا : الويل ثم الويل للامم والممالك ، وللالفة الاجتماعية كلها . لان الرياسات التي لا تستمدّ قوّتها الّا من الانسانية ، لا ترى الّا وقد رُفعت عليها الوية العصيان من كل جهة ، ولان جحود الله في المجتمعات لا بد من ان يؤدّي ، عاجلًا ام آجلًا ، الى الفوضى في الالفة البشرية.

دونك الآن ما صنع السيد المسيح ليشفي السلطة من هذا الداء الاجتماعي الوبيل . انه اقام ذاته سيد البشرية التي جاء ليخلّصها . وبذلك انشأ وقدّس في الانسان سلطة الله عينه. لان رياسة الكنيسة ، كما هي في العرف المسيحي ، ليست سوى سلطة الله في وسط العالم . وهذا ما تخلو منه كل رياسة زمنية ، مهما كان اصلها الشرعي ، وباي اسم سُمّيت. وبين سلطة الله وسلطة الكنيسة ليس من وساطة الّا وساطة الوسيط الالهي يسوع المسيح ، اذ انه ليس بمنفصل عن الله ، ولا بمنفصل عن الكنيسة ، لكونه الاله المتأنس الحيّ دائمًا في بيعته. والحال ان في ذلك لمغزى لكل لبيب ؛ وهذا المغزى قد تضمن تطورًا في السلطة نجم عنه للتقدم الاجتماعي نتائج غير خافية . لان المسيح انبت في النفوس تلك الفكرة العمرانية الاجتماعية وهي فكرة السلطة الصادرة عن الله والمحتومة باسمه . واظهر للعالم مثالاً للطاعة السامية ، وهو مثال المسيحي الخاضع للمسيح الذي يأمره في شخص الانسان . وهذا ما رقّى الانسانية. فان المسيحي يمكنه ان يقول: اني منذ جلس المسيح بين البشر على عرش الملوكية ، يحقّ لي ان اعتبر ذاتي اعظم من ان اخضع لبشر . وقد نشأ لطاعتي واحترامي قيمة جزيلة . حتى اني اذا حنيت راسي للطاعة والانقياد . فقد حنيته لصولجان الله ذاته. فلا يجسرنّ الانسان بعد على ان يأمرني بطاعته ، فاني ارفض طاعته .

لكنه اذا اتاني باسم هذه العظمة الالهية الخاضع لها كلّ ما في السماء والارض ، فعند ذلك يراني وديعاً طائعاً محترماً . لان الامر الذي ينزل عليّ من العلاء لا يمكنه ان يحطّ من قدري. وانا موقن اني كلّما اطعت ، ازددت شرفاً بطاعتي ، وارتفع مقامي . والعبوديّة ذاتها لا تعود حقارةً لي ، بل لا يعود لها وجود في نظري . لاني ان وقعت في اسر اعداء الدين ، فكُبّلت بالقيود ، فانا شاعر بحريّتي ، لانه ان أُخضِع جسدي قسرًا لسلطان الطغاة ، فاني احسّ بداخلي اني لست بخاضع الّا لله . لان الاسر في سبيل الله حريّة ، والعبودية حبًّا بالله ملوكية .

* * *

العيب الثاني ، اي الملازم موضوع السلطة الدنيوية ، هو استعباد الضمائر البشرية بسيطرة الانسان . لان اولياء الامور كانوا قد طمعوا في الاستيلاء على الارواح . ولكي يتمكن الملوك والسلاطين من مدّ سلطانهم على الضمائر ، حاولوا صبغ اغتصابهم هذا بصبغة الهية ، فاعلنوا ذواتهم احبارًا . ولكي يُخفوا على الجمهور هذا الاهتضام للحقوق البشرية ، اغتصبوا حقوق الالوهية . فاضحى الملوك والامبراطرة احبارًا ؛ وباستغلالهم غباوة العامة ، بلغت منهم الخيلاء والعتوّ ، لا بل الجنون ، الى ان اجبروا بكونهم آلهة . وهكذا ارتفع هؤلاء الطغاة ، بثلاث درجات ، من مقام البشريّة الى الملوكية ؛ ومن الملوكية الى الحبريّة ؛ ومن الحبريّة الى الالوهية . وبهذا اوقعوا البشر في وهدة العبودية التي فيها أُستُرِقّت ضمائرهم لهؤلاء المسوخ المقامين مقام الآلهة .

امّا المسيح ، له المجد ، فلكي ينقذ ابناء المجتمع من هذه المذلّة ، ولكي يعيد اليهم ، مع الاستقلال المشروع ، عظمتهم الطبيعية ، ماذا يا ترى عمل ؟ انه انشأ في العالم سلطةً ميدان نفوذها ميدان النفوس ، كما ان مصدرها من الله . وهذا ما دلّ عليه قوله لرسله : « أُعطيت كل سلطان في السماء وعلى الارض ؛ اذهبوا وتلمذوا الامم معمدين اياهم باسم الاب والابن والروح القدس . وكل ما ربطتموه على الارض يكون مربوطاً في السماء ؛ وكل ما حللتموه على

الارض يكون محلولاً في السماء . فانت ترى ان يسوع يمنح تلاميذه سلطة وقدرة . لكن ما هي هذه السلطة وهذه القدرة ؟ انه لم يقل لهم كما قال بعض مؤسسي الاديان الباطلة : «هذا سيف اقلدكم اياه ، فاذهبوا وقاتلوا الكفار اينما وجدتموهم. فان ديني على السيف قائم ؛ والجنة تحت ظلال السيوف» ؛ بل قال لهم : هذه كلمتي ، اضعها على شفاهكم ؛ فاذهبوا وتكلموا بها ، معلمين الامم ما اوصيتكم به ، وادخلوا النفوس في مملكة الحق . فمن آمن بكلامكم فقد خلص ؛ ومن لا يؤمن ، فلا حاجة الى سيف يضرب عنقه ؛ لانه ينال من ابي السماوي العقاب الذي يستأهله . وبهذه الطريقة اسس يسوع ملكوت النفوس ؛ وهو عينه ملك هذه المملكة . فكأننا به واقف في وسط المسكونة ، على مدى الاجيال ، فيقول : هذه مملكتي : النفوس التي في المشرق ؛ النفوس التي في المغرب ؛ النفوس التي في الشمال ؛ النفوس التي في الجنوب . اجل ! انا الاله المتأنس ؛ انا ملك النفوس ؛ وليس للنفوس ملك غيري .

على ان هذه الملوكية المتجلية في شخص ابن الله قد اودعها الربّ واثبتها في كنيسته ، لكي تسوس بها النفوس ، من اقاصي الارض الى اقاصيها ؛ والى منتهى العالم. هذا موضوع ايماننا . ومنذ ان اسس يسوع هذه السلطة في العالم ، هناك نوع من الظلم والجور لم يعدْ بعد في الامكان اتيانه ، دون ان يثير من اعماق النفوس سخطاً واحتجاجاً عنيفاً . اجل ! عند ابواب الضمائر المسيحية ، قد وضع المسيح حداً لا مندوحة بعد للملوك والسلطين وباقي اركان هذه الدنيا ان يتعدّوه. ولذا فمنذ استولى المسيح على ضمائر البشر ، نسمع خارجةً من افواه تلاميذه تلك الكلمة التي تفوق قوة على قوة الملوك ؛ الا وهي الكلمة التي اجاب بها ، لاول مرة ، رسل المسيح رؤساء اليهود الذين حاولوا ، بسبيل التهديد والتعذيب ، ان يصدّوهم عن التبشير باسمه ، وهي «لا نقدر» ؛ وقد اعادها بعدهم جميع المسيحيين الاحرار على سماع مغريهم ومضطهديهم ومعذبيهم قائلين . انكم تريدون ان نخضع ضمائرنا لسيطرة بشرية ؛ لا نقدر . تريدون ان نضحي لمشيئة الانسان فكراً ، ولو واحداً ؛ او مبدأً ، ولو صغيراً ، من

مبادئ المسيح ؛ الا فاعلموا ان هذا غير ممكن ، لاننا لا نقدر . تطلبون الينا ان نشرك معه في هذه المملكة الواجب ان يسود فيها وحده ؛ لا نقدر ، لا نقدر . الا ايها الملوك ، ايها الطغاة ، اعدلوا عن هذا الفكر ؛ فاننا لا نقدر ، لا نقدر . اي نعم ! ان في استطاعتنا ان نزهد في كل شيء عائد الينا . فدونكم اموالنا وثروتنا فاغتصبوها ؛ دونكم شرفنا وصيتنا ومقاماتنا ، فامتهنوهـا ؛ دونكم اجسادنا فعذبوها ، فزقوها ؛ دونكم ارواحنا ، فانزعوهـا . لكن العدول عمّا يخصّ المسيح ؛ فهذا مستحيل علينا ؛ لا نقدر ، لا نقدر .

* * *

العيب الثالث ، اي المفسد غاية السلطة البعيدة عن سلطة المسيح ، هو الانانية المؤثرة في اجرائها . فان السلطة الوثنية كانت الغاية المتوخاة منها شخصية صرفاً ، اي لمنافع المتقلدين اياها . ولذا فقد اتى المسيح ، في ذا الشأن ، باصلاح اعدّ المستقبل نظاماً اجتماعياً جديداً للغاية . فانه حوّل غاية السلطة او قل ارجعها الى ما كانت عليه . فبعد ان كانت غاية الرياسة عند الوثنيين في شخص الآمر ، وضعها المسيح في شخص الطائع . فاضحى ذلك العلامة الجوهرية الفارقة في كل سيادة مسيحية حقيقية خلاصتها : المقصود من الحكم الخدمة ، وغاية التملّك التفاني . وبعد ان كانت نيات الحكام الوثنيين التسلّط على الغير ، لمصلحتهم الذاتية ، جاء المطلوب في السيادة المسيحية خدمة الغير ببذل النفس والنفيس . وهاك ما ورد في الانجيل الكريم في ذا الشأن : كان الرسل يوماً مع معلمهم الالهي ؛ فسمعهم يتخاصمون بينهم في خصوص التقدّم والسلطة . فدعاهم وقال لهم : « قد علمتم ان اراكنة الامم يسودونهم وعظماءهم مسلّطون عليهم . واما انتم ، فلا يكون فيكم هكذا . لكن من اراد ان يكون فيكم اولاً ، فليكن للكل عبداً . فان ابن البشر لم يأتِ ليُخدَم بل ليخدُم . ويبذل نفسه فدًى عن كثيرين . » بهذه الكلمات الصادرة من فم ذاك الذي اقام نفسه سيداً وملكاً على البشرية ، قد تغيّرت حالة السلطة تغيراً الهياً ، فرجعت الى غايتها الاولى ؛ ممّا نجم عنه ان كل سلطة آتية من يسوع المسيح يجب ان يُعتَل

بها كما عمل هو . وبما انه جاء ليخدُم ، تحتّم على المسلطين باسمه ان يخدموا. وكل رياسة تحيد عن هذه الغاية لا تعود تسمّى رياسة مسيحية . وكما ان كل طاعة تقف عند حد الانسان ، دون الارتقاء الى الله ، ليست بطاعة مسيحية ؛ فالسلطة ايضاً تبطل ان تكون مسيحية ، متى بطلت ان تكون لخدمة البشر. وعليه ترى ان هذه هي الشريعة السائدة في طبقات رؤساء الكنيسة المقدّسة ؛ وانه كلما سمت الدرجة فيها ، ازداد واجب الخدمة . وما مُنتق السلطة الكاثوليكية الّا نظام الخدم المتدرّجة . فهناك كل كاهن هو خادم ؛ وكل اسقف هو خادم ؛ وكل رئيس اساقفة هو خادم ؛ وكل كردينال هو خادم ، حتى ان ذلك الرجل الذي يرفعه الله الى قمة الرياسة ، لكي يأمر على المسكونة جمعاء ، ذاك الرجل الذي هو نائب المسيح ، ورأس الكنيسة المنظور ، والحائز ملء السلطة ، اي سيدنا البابا ؛ اجل ان هذا الرجل الذي هذا علوّ درجته ، وامتداد سلطته ، يلقب نفسه بلقب يدلّ دلالةً واضحة على وظيفته وعظمته معاً ، اي انه يسمي نفسه «عبد عبيد الله» او «خادم خدام الله» خادم الجميع لانه رئيس الجميع . ولم تكن هذه السلطة التي هذه صفاتها وهذه غايتها الّا لتؤثر في السلطات المدنية المسيحية . وبالحقيقة انها قد غيّرت النظام الاجتماعي وقدّمته . وبفضل هذا التقدّم ، زال من السلطة ذاك العتوّ والطغيان الذي كان سائداً في العالم الوثني ، ولا يزال سائداً خارجاً عن الدين المسيحي وكنيسته المقدسة .

* * *

هذه هي السلطة التي انشأها المسيح لاصلاح وتقدّم الألفة الاجتماعية. وهي سلطة الهية في مبدئها ؛ سلطة روحية في ميدان عملها ؛ سلطة متفانية في غايتها. فبكونها الهية ، اصدرت الطاعة التي لا تؤدّى الّا لله ؛ وبكونها روحية ولّدت الاحترام الذي يرفض المرء اداءه لما هو مادّي زمني صرفاً ؛ وبكونها متفانية قد أتت بالمحبة التي لا يجود بها الانسان لصاحب الانانية . وبهذا قد اسّس المسيح للبشرية اعلى مدرسة للطاعة ؛ واعلى مدرسة للاحترام ؛ واعلى

مدرسة للمحبة ؛ ومن هذه المدارس الثلاث قد انشأ معهداً كاملاً يصدر منه الرقي في الحياة الاجتماعية . وقد عظمت هذه السلطة المسيحية ، بفعل رقيها الطبيعي ، عظمةً عجيبة . فقد عرفتها جميع الشعوب ، واحبتها واحترمتها واطاعتها . وقد اتصلت بها كل السلطات الزمنية ، فاحتكت بها ، لا بل نازعتها ، فاضطهدتها . الّا ان هذه السلطات تغيّرت ، فانحطّت ، فزالت ، فاضمحلت ؛ على حين ان سلطة المسيح في كنيسته ثابتة راسخة ، لان اساسها مكين ، راكز على الصخرة البطرسية . وهي اليوم ، كما كانت في القديم ، زاهية ، محترمة ، مطاعة ، محبوبة ، في العالم كله ، بينما نرى عروشاً مدنية قد ثلّت ؛ وامبراطوريات قد تزعزعت وزالت ؛ ورياسات دينية عظيمة تضعضعت ، لا بل تلاشت ، فاضمحلّت .

فالمسيح لم يؤثر نفوذه الفعّال في حياتنا الادبية فحسب ، او في الافراد وحدهم ، بل في الحياة الاجتماعية عينها . فاضحت رياسته الالهية بمنزلة الروح لهذا الجسم الجسيم ؛ وبمثابة الدولاب المحرّك لجميع دواليب المجتمع الانساني . فحريٌّ بنا ان نفتخر بكنيسة المسيح التي غيرت الالفة واصلحتها ورقّتها في معارج الفلاح . لنحبنّ الكنيسة ، ولنتمسكنّ بتعاليمها الالهية . لنحترمنّ الكنيسة ورياستها الروحية في حياتنا الاجتماعية . لنطيعنّ الكنيسة ولنخضعنّ لاوامرها وتهذيباتها . ومن كان خير عضو في الكنيسة المسيحية كان من احسن الافراد في الألفة الاجتماعية .

كتاب التميز في المحاضرات

مخطوط للأمير حسين
ابن الامير فخر الدين المعني

بقلم عيسى اسكندر المعلوف مؤلف تاريخ الاسر الشرقية ، وصاحب مجلة الآثار

تمهيد

كنت اول من نشر صورة الامير فخر الدين الثاني المعني ، وسيرة حياته المطولة ، معتمداً على ما كتبه مؤرخو الافرنج والترك والعرب ، ولاسيما تاريخ الشيخ احمد الخالدي الصفدي المخطوط في خزانتي ؛ وذلك في مجلتي «الآثار» ، بالمجلدات الاول والثاني والثالث ثم في الخامس ؛ وعثرت على صورة زوجته ، وفارس من فرسانه ، ومعسكره ، ونحو ذلك .

فلما رأيتُ المادّة وافية في تاريخه ، اردت توسيع ذلك البحث المفيد ونشره في كتاب على حدة ، تعريفاً لشؤون حكم الامير المعني في اثناء القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاد . وعرفت ، من الكتب المتعلقة به ، « مجموعَ الاحزان » في مراثي والده الامير قرقماز المعني الذي مات متأثراً مما حدث له باتهامه المعلوم ؛ و « كتاب التميز في المحاضرات » لولده الامير حسين الذي استبقي حياً في الاستانة بعد قتل والده واخوته ؛ فضلاً عن الكتب المؤلفة فيه « كتاريخ اللبناني » الذي يظنه بعضهم انه معتمده الشيخ ابو نوفل الخازن ؛ و « هندسة البناء » باقتراحه تأليف البطريرك جرجس عميره الاهدني ؛ و « مدائحه » التي ذكرها المحبي في خلاصة الاثر . فارجو ممن يعرف شيئاً من هذه الكتب ان يفيدني عنها فاكون له من الشاكرين .

لسعيتُ للحصول على هذه الكتب فوفقتُ الى احدها ، وهو « منتخبات

من كتاب التميز » لولده المذكور ، الذي سماه الاتراك « حسين بك ». فتكرّم عليّ بنسخة مصوّرة بالشمس من « الخزانة الملكية » في القاهرة ، حافظ القسم الافرنجي ، صديقي الاستاذ توفيق بك اسكاروس القبطي ، المعروف بادبه واطلاعه ، تزيل لبنان في هذا الصيف ؛ وحملها اليّ معه. ثم استنسخ لي نسخة ثانية بالقلم نسيبي القائمقام العسكري اسعد بك المعلوف ، تزيل لبنان ايضاً ، وحملها اليّ معه. فاشكر لهما غيرتهما العلمية. واقول كلمتي في هذه النسخة.

كتاب التمييز في المحاضرات

يظهر من مباحث النسخة التي وقفتُ عليها انها جزء صغير من كتاب مطوّل في الآداب والاخلاق ، فنبهتُ حضرة مدير « الخزانة الملكية » في القاهرة الى الحصول على المطوّلة الموجودة في « خزائن الاستانة » ، فكتب اليّ انه ارسل يستنسخها ولعله يتوفق الى ذلك.

ان « منتخبات التميز » المذكورة الآن هي عبارة عن ثماني وعشرين صفحة بقطع الثمن ، في مجموعة ٨١ من صفحة ٢٢٩ — ٢٤٠ ، ذكرها برنامج الخزانة في طبعته القديمة الاولى (٧ : ١١٦) واليك وصفها :

رتبها المؤلف ابواباً هكذا : في مدح العقل . والعلم والحلم . والحياء . والصبر . والمشورة . والشجاعة . والادب . والصمت . والفقر . والغنى . والقناعة . والاصدقاء . والعزلة . والوحدة . والعقاب . والزيارة . والهدية . والجود والسخاء . وصيانة المال . والبخل . والتجارة . والنساء والعيال . والتزويج . والسفر والغربة . والشباب . والشيب . والمرض والاسقام . والموت . وهو ختام الكتاب كما انه ختام الحياة في هذا العالم.

والنسخة بخط نسخي عليه مسحة من الطلاوة وضبط بالحركات المهمّة ، في كل صفحة ٢٥ سطراً.

مؤلف التمييز

هو الامير حسين ابن الامير فخر الدين الثاني المعني الشهير ، وُلد سنة ١٠٣٠ هجرية (١٦٢٠ مسيحية) ؛ ووالدته ابنة الامير علي سيفا شقيق يوسف

باشا سيفا حاكم طرابلس الشام وضواحيها . فلما قدم الوزير خليل باشا بيروت باسطوله العثماني سنة ١٠٣١هـ (١٦٢١م.) ارسل اليه الامير فخر الدين ولده حسيناً وهو ابن سنة ، وبمعيته الميرة والاقامات . فسرَّ الوزير به لذكائه ، وهو في المهد ، واحبَّه كثيراً لجمال صورته . وبقي يذكر هذا الطفل ويحنُّ الى لقياه كبيراً.

فلمَّا جاء جعفر باشا امير الاسطول العثماني سنة ١٦٣٤ مسيحية ، محاصراً قلعة المرقب (قرب اللاذقية) ، اسرهُ منها مع مدبّره الشيخ ابي نوفل الخازن ، وارسلهما الى الصدر الاعظم خليل باشا المذكور في حلب ، ففرّ الخازني الى بلده متنكراً ، والامير حسين صار في قبضة الصدر . فسرَّ به وحافظ عليه ، فادخله في خدمته ، ونقله معه الى الاستانة . فتلقى العلوم في مكتب غلطه ، ونقل الى قصر السلطان الكبير ، ثم الى « خاص اوطه » ، مترقياً في الرتب السلطانية في داخل القصر العثماني ، حتى صار كتخدا الخزينة السلطانية . وعرضت عليه رتبة الوزارة فرفضها . ثم صار برتبة كتابة الدولة «الخواجكانية» فتولّى مناصب كثيرة حسب عادة اصحاب هذه الرتبة ، والّف كتابه « التمييز في المحاضرات والادبيات .» وارسله السلطان محمّد خان ، ابن السلطان ابرهيم خان ، سفيراً (ايلجياً) الى سلطان الهند . فمرَّ بصيدا في ساحل البحر ، ولاقاه نسيبه الامير احمد المعني خاتمة هذه الاسرة المعنية ، والامراء الشهابيون حكام وادي التيم ، واجتمعوا به في حاصبية . وعرضوا عليه حكم البلاد فلم يقبل . وسار الى الهند فاتمّ سفارته ، وعاد مكرّماً ناجحاً الى الاستانة مشهوراً بحنكته.

ولما توفي الامير احمد المعني ، وارادوا نقل الحكم الى انسبائه الشهابيين ، اعترض الامير حسين على تعيين الامير بشير ابن الامير حسين الشهابي امير راشية لأنه ابن شقيقة الامير احمد المعني ؛ وقرَّر ان حقّ وراثة الحكم هو للامير حيدر ابن بنت الامير احمد المعني ؛ فعملت الحكومة برأيه الصوابي . وعندي اوراق من العلّامة السمعاني تثبت هذا الرأي ، ارسلها الى لبنان في تلك الايام.

وكان المؤرخ العثماني نعيما الحلبي قد اتصل بالامير حسين هذا ، وعرف منه

اشياء كثيرة عن اسرته ووالده ، وحوادث لبنان ، فكتبها في تاريخه وترجم له مثنياً على آدابه ، وذاكراً من مؤلفاته « التمييز » هذا ، و « تاريخ في تراجم علماء عصره » ، وهذا لم نعرف عنه شيئاً بل نرجح وجوده في خزائن الاستانة الغنية بمؤلفاتها ونوادرها .

وكان هذا الامير متضلعاً من اللغتين العربية والتركية ، عارفاً بشؤون البلاد ، يغلب عليه التقى والصلاح وله منظومات وقفت على بيتين منها وهما :

رأيتُ العقل ينفع وهو قصدٌ ويرمي في المهالك اذ يزيدُ
كمثل الماء يروي منه قدرٌ ويُهلك منه بالغرق المزيدُ

وتوفي في الاستانة سنة ١١٠٩هـ (١٦٩٧م) رحمه الله .

مختارات من منتخبات التمييز

فمما اورده المؤلف الامير حسين في باب العقل قوله : العقل هو قوة وغريزة اودعها الله في الانسان ليتميز عن الحيوان بادراك الامور النظرية . وقيل : انه نورٌ يقذف في القلب ليستعدَّ به[1] لادراك الامور والعلوم العقلية . واشتقاقه من العقل بمعنى المنع ، ومنه العقال لمنعه الانسان عما لا يليق . وهذه القوة تتفاوت بالشدة والضعف ، وتزيد بامور مكتسبة بالتجربة ومخالطة العقلاء .

وقيل : ان العقل نور الروح ، وان العقل لسان الروح ، وترجمان البصيرة ؛ والبصيرة للروح بمثابة القلب ، والعقل بمثابة اللسان ؛ ولكل شيء جوهر ، وجوهر الانسان العقل .

والحق ان العقل روحاني به تدرك النفس العلوم الضرورية والنظرية ، وبه يمتاز الانسان من سائر الحيوان . غير ان للعقل آفات منها الهوى ، وهو اغمض مسلكاً في الحيوان من الروح في الجثمان واهلك للنفس من النفس . روي ان الحسن البصري كان يقول : لو كان للناس كلهم عقول لخربت الدنيا .

وفي باب الحلم — هو ملكة الطمأنينة عند محركات الغضب ، وعدم

١) في الاصل ليستعذبه والأولى ما ذكرناه هنا

هيجانه الّا بسبب قوي وقعه عنده بلا تعب ، ويثمر اللين والرفق. وهو افضل من كظم الغيظ ، لان من يحلم بعد هيجان الغضب محتاج الى مجاهدة كثيرة ، والحلم عند الهيجان ؛ وهو دالّ على كمال العقل وانكسار قوّة الغضب وخضوعه للعقل ، وقد امر الله عباده بالحلم بقوله تعالى: وقولوا للناس حسناً : كمال العلم بالحلم وكمال الحلم بالعلم.

وقال صاحب النوادر والاصول: الحلم سَمَة الاخلاق ، فاذا توسّع المرء في اخلاقه ولم يكن له علم ، افتقد الهدى ، فيحتاج الى علم يقف به على الحدود ؛ واذا كان له علم ولم يكن هناك حلم ساء خلقه وتكبّر بعلمه ، لان العلم له حلاوة ولكل حلاوة شَرَهٌ ؛ فاذا ضاقت اخلاقه لم ينتفع بعلمه لان ضيقه يرمي به الى شره النفس وحدّتها ، فيكون صاحب عنف وخرق في الامور فعندها ضاع علمه فالواسع في اخلاقه حرٌّ عن رقّ النفس (شعر).

العلم والحلم حلّتا كرمٍ للمرء زين اذا هما اجتمعا

وفي باب صيانة المال — وكان يقال الممسك اعذر من الظالم بالفعال . لا عتب على من استبقى ماله ليصون به وجهه وعرضه عن مسألة الناس والاحتياج اليهم . قال حكيم : الحاجة الى الناس عذاب عاجل وبلاء نازل.

وفي باب السفر والغربة — وجاء في الحديث : العباد عباد الله ، والبلاد بلاد الله ، فاين ما وجدت الخير فأقم واتقِ الله. وكان الحسن البصري يقول: من كان مع الله فليس عليه غربة . لو يعلم الناس رحمة الله للمسافر لاصبح الناس على ظهر سفر ، ان الله بالمسافر رحيم. وقال جالينوس: السفر يشدّ الابدان ، ويشهي الطعام ، ويطارد الاسقام.

* * *

هذه لمعة من كتاب لابن حاكم لبنان في ذلك العهد ، تدلّ على آدابه ، وكرم محتدِه ، وجودة اخلاقه . وهي صفحات من كتاب تاريخ والده « الامير فخر الدين المعني الثاني» الذي سيظهر باول فرصة مدبجاً بصور رائعة ، ومباحث مفيدة ، والله الموفق !

زحله (لبنان) في ٢٠ آب سنة ١٩٢٩

الاحصاء في تركية الكمالية

كيف تمّ في يوم واحد ؟

بقلم الاب لامنس اليسوعي

شاءت تركية الجديدة ان تقوم لأول مرة باحصاء عدد سكانها ، فاتخذت كثيراً من التدابير العجيبة في سبيل ذلك. وانه لمن المفيد اللاذّ ان نرى كيف جرت هذه العملية الدقيقة في بلاد لم تتعوّد الاحصاء منذ وُجد الاتراك . بدأت الحكومة بان عيّنت لادارة الاحصاء اختصاصياً بلجيكياً اسمه كميل جاكار (C. Jacquart) فصرف ثلاث سنوات في تنظيم دوائر الاحصاء في الجمهورية الجديدة ، وكانت كلّها بحكم العدم قبل ذلك.

اما الاحصاء نفسه فقد تمّ في نهار واحد ، بعد ان دامت الاستعدادات له عدة شهور . وكانت اول الاعمال وضع اسماء للشوارع وارقام للبيوت . وهو امر تمّ بسهولة في المدن الكبيرة ، ولكنه لاقى الصعوبات الجمّة في النواحي البعيدة ، ولاسيما الولايات الشرقية ، حيث يمرّ الانسان بالقرى العديدة دون ان يصادف من يقرأ او يكتب . على ان المسيو جاكار يؤكد انه انتصر على هذه الصعوبات جميعها ، وليس لنا الّا ان نصدّق قوله.

بقي على الحكومة ان تجد مأمورين يكلفون احصاء السكّان ، وقد قُدّر العدد اللازم من هؤلاء المُحصين بستين الف مأمور ، وهو عدد لا يُستهان به . امّا كيف توصّلت الحكومة الى الحصول عليه فأمر غاية في البساطة : اصدرت قراراً يجبر كل شخص يعرف القراءة والكتابة ان يخدم المصلحة مجاناً فيقوم باعمال الاحصاء . وهكذا نرى ان الكماليين لا يُغالون في اعتبار الحريّة الشخصيّة ! ورغبة في زيادة الاسراع ايضاً ، صدر قرار آخر يحرّم على جميع

سكان الجمهورية ترك منازلهم في النهار المعيّن للاحصاء . وبفضل هذه التدابير الرشيدة تمّت جميع عمليات الاحصاء في كل المناطق في نهار واحد ، وانتهت قبل غروب الشمس ، الّا في الاستانة حيث ظلّت حتى الساعة التاسعة مساء . وقد برهن البوليس في ذاك النهار عن تمسك دقيق بالشريعة ، فلم يتراجع عن معاقبة المخالف ايّاً كان . حتى ان خادم المسيو جاكار نفسه الذي خرج لقضاء بعض الامور دون انتباه للشريعة الجديدة ، القي في السجن دون فحص ولا تحقيق ؛ ولم يخرج الّا بعد انقضاء النهار ، وبعد ان دفع خمس ليرات جزاء نقدياً .

ولكننا لا نعلم هل كان تمسك مأموري الاحصاء بواجباتهم يضاهي تمسك افراد البوليس . وكم كان عدد المستعدّين لاجراء مهمتهم الدقيقة في هذا الجيش البالغ ستين الف مأمور ! وكم كان عدد الذين تخلّصوا من اعمالهم تخلّصهم من سُخرة مزعجة ! وعلى كلّ فان المسيو جاكار اظهر تفاؤلًا كبيرًا معتبرًا ان في جميع مأموريه كل الصفات الضرورية لاجراء هذه الاعمال .

ولم تمضِ اربعة ايام على ذلك حتى انتهى فحص الوف البرقيات الواردة من جميع الولايات معلنة خلاصة الاحصاء ، فكانت النتيجة ان في تركية ١٣,٥٠٠,٠٠٠ نفس . فسُرت حكومة انقرة غاية السرور لانها لم تكن لتنتظر مثل هذا العدد . ثم ان الكثيرين من افراد القبائل الرّحل تمكنوا ، على الرغم من المراقبة الشديدة ، ان يتخلّصوا من الاحصاء خوفاً من ان يدعوا للخدمة العسكرية او ان يجبروا على دفع الضرائب . ولكن اذا انتبهنا لعدم وجود الترتيب الدقيق خارج المدن الكبيرة ، واذا انتبهنا ايضاً لرغبة اكثر المأمورين في ارضاء حكومة انقره ، امكننا الظنّ ان كثيرًا من الارقام الثانوية تضخّمت ، وان الثلاثة عشر مليوناً ونصف المليون ارقامٌ اميل الى الزيادة منها الى النقص بالنسبة لعدد السكّان الحقيقي بما فيه القبائل الرّحل في برّ الاناضول .

هذا وان المسيو جاكار يسعى اليوم في ايجاد دائرة للنفوس . وسيكون اهتمامه الاولي باجبار جميع الاتراك على اتخاذ اسم اسرة يمكنهم من تقييد اسمائهم في السجلّ دون التعرّض للالتباس والغموض .

المستطاب من اخبار القبقاب

في دمشق ومصر

بقلم الاديب حبيب زيات

اشتهر القبقاب في دمشق خصوصاً ومصر. واكثر ما كان يُصنع في دمشق، ويُجلب منها الى مصر، ولذلك عدَّه البدري في جملة القافلات التي تُحمل من دمشق للديار المصرية[1]، وذكر «تفصيل القبقاب» من الصناعات التي عُرفت في زمانه في عاصمة الامويين ولم يستقص في تعدادها. ولا تزال الى اليوم احدى اسواقها مشهورة «بالقباقبية»، وراء الجامع الاموي، لاجتماع صنّاع القباقيب فيها. وهم يتخذونها في الغالب من خشب مدهون من شجر الجوز والمشمش والتوت والصفصاف والزان، مطعّم بالاصداف والاسلاك من القصدير او الرصاص. وربما كان التطعيم احياناً قليلة بالعظم. واختُص قوم بالتفصيل، وآخرون بالتطعيم. وفي سنة ١٩١٣ كان عدد المشتغلين بالقبقاب مائتين وخمسين رجلًا، كان يجهّز كل منهم في يومه عشرة ازواج تقريباً، بلغ ثمن الزوج عامئذٍ من ثلاثة الى ثمانية واربعين غرشاً دمشقياً، حسب جنسه وتطعيمه وسَيْره. والسيور اما ساذجة واماً مزركشة، على اختلاف في الرخص والغلاء.

وغاية ما كان ارتفاع القبقاب شبرًا، او نحوًا من ثُلث ذراع، وهو المعروف «بالشبراوي». ودونه «العكاوي»، ولعله سُمّي كذلك لانه كان يصنع قبلًا في عكّا. ثم «الكُندرة» ثم «الزحّافي» وقيل له احياناً «الجركسي» او «المهاجر» لاتخاذ الجراكسة له المهاجرين في الصالحية. وهو اقلّه ارتفاعاً، ولذلك عُرف قديماً في مصر «بالزحاف» لقربه من الارض. وقد ورد ذكر له في ترجمة قاضي القضاة زين الدين التفهني الحنفي من اهل القرن الثامن للهجرة. قال تقيّ الدين المقريزي: «وواقعته مع الميموني مشهورة من حكمه بسفك دمه. وعُقد بسبب ذلك مجالس والميموني يحاججه عن نفسه ويقول له اتّق الله يا عبد الرحمن. أنسيت قبقابك الزحّاف وعُميّتك القطن.»[2] وكان هذا النوع

١) تحفة الانام، ص ٢٦٤ ٢) المنهل الصافي: باريس ٢٠٧١، ج ٤، ص ٤٥

في الغالب نعل المُعسرين والفقراء ، وحذاء من خانهم الدهر من الاغنياء والعظماء . واشهر من احتذاه في الشرق الخليفة الفاطمي المستنصر بعد ان خرج من جميع ما يملكه في القصر . حكى ابن ميسّر انه « لمّا كان في شعبان (سنة ٤٦٤) قدم ناصر الدولة (ابن حمدان) الى مصر وحكم فيها وسيّر الى المستنصر يطلب منه المال . فقدم اليه الرسول فاذا هو جالس على حصير وفي رجله قبقاب من خشب ابيض من غير دهان ولا سير . وحوله ثلاثة من الخدم . »[1]

واكثر ما كان يُلبس هذا القبقاب في السدور المفروشة بالرخام والحجر ، وفي الاسواق في ايام الشتاء خصوصاً . ولذلك قال ابو الحسين الجزّار :

لئن قطع النيثُ الطريقَ ، فبغلتي ، وحاشاك ، قبقابي ؛ وجوخي الدار[2]

ولا شك انه كان بالاجمال يُصنع على صورة ملائمة تمكن الرجل من الجري به . فقد حكى ابو شامة في ترجمة الشيخ ابي عمر ، شيخ الصالحية والمقادسة المتوفى سنة ٦٠٧ ، انه « كان يصعد يوم الاثنين والخميس الى مغارة الدم (في جبل قاسيون بدمشق) ماشياً بالقبقاب فيصلي فيها ما بين الظهر والعصر . »[3] وروى ايضاً في ترجمة الشيخ الشهاب محمد بن خلف بن راجح المقدسي ، احد شيوخ الصالحيين المتوفى سنة ٦١٨ بسفح جبل قاسيون قال : « قال ابو المظفر كان سليم الصدر من الأبدال ما خالف احداً قط . رايته يوماً وقد خرج من جامع الجبل فقال له انسان : ما تروح الى بعلبك ؟ فقال له : بلى . فمشى من ساعته الى بعلبك بالقبقاب[4] . »

وقد جرّ السخف بعض متعلي القبقاب الى المبالغة في اعلائه حباً بالظهور والعظمة . ونُقل عن رمضان فتح الدين المنوفي ، نزيل حلب من اهل القرن العاشر ، انه « كان مشهوراً بالميل الى العظيم من كل شيء . وكانت عمامته عظمى . واكمامه في غاية الاتساع . وجبّته المصقولة في غاية الصقالة . وقبقابه في غاية الارتفاع . »[5] وكذلك كان بعض القصار يَصِلون قامتهم بطول قبقابهم .

١) تاريخه ، ص ٢١ ٢) فوات الوفيات ، ج ٢ ، ص ٢٩٨
٣) ذيل الروضتين ؛ باريس ٥٨٥٢ ، ص ٧٦–٧٧ ٤) ذيل الروضتين ، ص ١٤٣
٥) در الحبب في تاريخ اعيان حلب لرفي الدين ابن الحنبلي ؛ باريس ٢١٤٠ ، ص ٦٠–٦١

حكى الصفاعي عن الحسام اقوش المؤذن ، من صلحاء القرن السابع ، انه « كان قصيراً وعُمل له قبقاب عالٍ جداً ليرفعه عن الارض كان يطلع به جرياً في سلالم كل مأذنة . واعتاد ذلك.»[1]

وقد تقدم القول ان القبقاب اغلب ما كان يكون من الخشب . ومن اظرف ما كان يُنقش عليه من الشعر بيتان لاقوش البيسري :

كنت غصناً بين الرياض رطيباً ماثل القدّ من غناء الحمام
صرتُ احكي عداك في الذل اذ صرْ ت مهاناً أداس بالاقدام[2]

ويظهر انه اصطُنع بعض الاحيان من الرخام لثقله ، ليلبسه المتسابقون في العوم والسباحة[3] . واتخذه اهل الثروة والبذخ من الذهب المرصع بالجواهر. قال المقريزي في كلامه عن الملك الناصر محمد بن قلاوون : «استجدّ النساء في ايامه ... القباقيب الذهب المرصعة بالجوهر»[4] ولما ماتت ابنة الناصر خوند زوجة الامير طاز « تركت مالاً عظيماً ... من جملته قبقاب مرصّع باربعين الف درهم . عنهما الفا دينار مصرية »[5] وفي سنة ٧٧٤ قدم الامير منجك نائب الشام الى مصر ، وكان في جملة هديته للسلطان « ثلاثة قباقيب نسائية من ذهب فيها اثنان مرصعان بالجوهر قيمتها مائة وخمسون الف درهم عنهما نحو ثمانية آلاف مثقال من الذهب»[6] . وهو غاية ما يكون من الإتلاف والترف.

ومن اغرب ما استعمل فيه القبقاب تسيير اللصوص عليه ، وقتل القتلة به تشفياً في العقاب ، « ففي خامس عشر ربيع الاول سنة ٧٨٨ سُمّر من رجال المنسر ثمانية عشر على جمال . وثلاثة سُمّرت ايديهم في الخشب وألبسوا في ارجلهم قباقيب خشب ثم سمرت ارجلهم فيها . وأُركبوا حتى مشوا وهم مسمّرون كذلك وشُهّروا جميعاً بالقاهرة»[7] قال ابن قاضي شهبه : ولم يسمع

١) تابع كتاب وفيات الاعيان ، باريس ٢٠٦١ ، ص ٨٥

٢) نسب البدري هذين البيتين لابن هانئ الاندلسي (نزهة الانام ، ص ٣٦٣) والصحيح انهما لاقوش البيسري كما ذكره ابن تغري بردي ، وابن حجر في الدرر

٣) الروض الباسم لعبد الباسط ابن خليل الحنفي ، الفاتيكان ٧٢٨ ، ص ٤٧

٤) السلوك ، باريس ١٧٢٦ ، ص ٤٩٧

٥) السلوك ، ص ٦٠٣

٦) السلوك ، باريس ١٧٢٧ ، ص ٧٤ ٧) الكتاب المذكور ، ص ١٥٤

بمثل ذلك[1] . وفي سنة ٦٥٥ توفي السلطان المعزّ ايبك التركماني وكان قد تزوج بشجر الدر حظيّة استاذه الملك الصالح ، ثم ارسل خطب ابنة صاحب الموصل. فلمّا تحققت شجر الدر ذلك أغرت بـه الخدام في الحمام ، وجعلت الجواري ترفسه ، وشجر الدر تضربه بالقبقاب الى ان مات[2] ثم أقيم من بعده ابنه الملك المنصور نور الدين علي ، فحُملت شجر الدر الى أمه ، فضربها الجواري بالقباقيب حذوَ النعل بالنعل الى ان ماتت[3] . وما عتمت هذه العادة الفظيعة ان اصبحت سُنةً للنساء وورثاماً . ولما فتك نصر بن عباس بالخليفة الظافر ، ووقـع بعد هربه بين ايدي الفرنج ، بعث الملك الصالح طلائع بن رزّيك بطلبـه منهم وبذل لهم اموالاً . « ولما وصل سلّمه الى نساء الظافر فاقمن يضربنه بالقباقيب والزرابيل اياماً وقطعن لحمه واطعمنه اياه الى ان مات . ثم صُلب.»[4] وكذلك فعل الملك الظاهر بالملك المغيث ابن الملك العادل لما وصل اليـه في مخيّمه في بيسان ، « امسكه وجهّزه الى مصر وكان آخر العهد به . وقيل انـه جهّزه الى امرأته فضربته جواريها بالقباقيب الى ان مات.»[5]

وآخر ما خُتم به تاريخ القبقاب انه دخل في ادوات التعزير ، فكان يُعلّق في عنق المُشهّرين . ففي سنة ٨٥٣ « عُزّر شخص اسشاطي وطيف به على حمار وفي عنقه قبقاب.»[6] وفي هذا المعنى وضع امين الدين الدمشقي الصالحي الهلالي المتوفى سنة ١٠٠٤ جزءاً في هجاء بني الخطاب الـذين كانوا قضاة مالكية في دمشق سمّاه « قرع القبقاب في قرعـة بني الخطاب » وفيه كل عجيبة وكل مسبّة غريبة[7] .

بنيك (فرنسة) ٢٤ آب سنة ١٩٣٩

---

١) الذيل ، باريس ١٥٩٩ ، ص ١٤
٢) عيون التواريخ للكتبي ؛ الخزانة التيمورية ، ج ٢٠ ، ص ٨٦ – ٨٧
٣) السلوك ، ١٧٢٧ ، ص ١٢٥
٤) النجوم الزاهرة لابن تغري بردي ، ج ٣ ، ص ٦٤
٥) روضة المناظر لابن الشحنة ، على هامش الكامل لابن الاثير ، ج ١٢ ، ص ١٥٣
٦) التبر المسبوك للسخاوي ، ص ٢٦٧
٧) خلاصة الاثر للمحبي ، ج ٤ ، ص ٢٥

حياة الشمس ومونها*

بقلم حضرة القس عبد المسيح زهر

قال الاب مورو في وصف الشمس: «اذا نظر الفلكيّ الى وجه الشمس ، وتأمل هذا الاتون من خلال عدسيات مرتبه ، رأى الوفاً في ألوف من الفوهات متأججة تنفث أوارها وتبعث الجمرة محرقة ؛ وبحراً نارياً يلفظ اطناناً شتى من القذائف بين وميض البروق الخاطفة ؛ وعاصفةً مُصِمَّة تزمجر في وسطها قوى الطبيعة الثائرة ؛ واختلاطاً مدهشاً يخطف البصر قوامه اجتماع العناصر الكيماوية؛ وحريق مليارات من اطنان الموادّ المنفجرة مستمراً متواصلاً يقذف على الدوام شواظ السعير الى صدى بعيد يبذّ المسافة التي بيننا وبين القمر ؛ ورأى كل ما تتصوّره اقوى مخيلة في النظام الجهنمي . فهذا الحريق الذي يلتهم في كل دقيقة مليوناً ونصف مليون ارض مثل ارضنا ، ويبعث حرارة مثل الحرارة التي يبعثها احراق سبعمائة مليون مليار من اطنان الفحم ، ما زال على هذه الحالة منذ ملايين من السنين . هذه هي القوّة العجيبة الموهوبة لهذا الموقد المتلظي الذي يفيض ، من اجل انواره المنعشة ، على السيارات والارض انواع الصنائع والهبات ، ويسوق اليها اصناف الآلاء والمبرّات.»

فاذا تأمل المتأمل في هذه القوّة العجيبة ، وتدبّر بفكرته ما ينفق كل يوم هذا الكوكب من النور والحرارة ، وقف حائراً مدهوشاً ؛ بل ان حيرته ودهشته تزيد اضعافاً متى عرف ان الوقدات المنبعثة منه ، كل سنة ، تبلغ ٣٨ قدامها ٣٢ صفراً اي ٣,٨٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠

* مقتطف من مقال ممتع للاب مورو في كتابه الموسوم : « بألغاز العلم »

امّا الوقدة فهي كمّية الحرارة الضرورية لنقل غرام واحد من الماء من درجة الصفر الى درجة الواحد . وبعبارة اخرى هي ما يزيد حرارة الغرام الواحد من الماء درجةً واحدة . على ان ما يُرسل هذا النيّر الى الارض المواجهة له ، من مسافة تبعد عنها ١٥٠ مليون كيلومتر ، وقدة واحدة بالنسبة الى كل سنتيمتر مربّع . ولعلّ القارئ لاول وهلة يستهين بهذه الكمّية من الحرارة ويستقلّها ؛ ولكنه متى فطن الى الكيلومترات المربّعة الكثيرة العدد الواقعة عليها اشعّة الشمس زاد عجبه من شدة وهجها وابلس في امره . فمتى توصّل الانسان الى خزن حرارة الشمس واستطاع الانتفاع بها ، استغنى عن الوقود والفحم المعدني والكهرباء ؛ اذ هذه الحرارة الموهوبة له مجّاناً تقوم له في مصالحه الاقتصادية، ومرافقه البيتيّة ، مقام انواع سائر الوقود ، فيستخدمها لتحريك الآلات البخارية ، وتسيير السفن والقطارات ، وتدوير محرّكات المعامل والمصانع ، ويستغني بها عن قوّة ٣٠٠,٠٠٠ مليار حصان بخاريّ .

فمن اين يا ترى يستمدّ هذا النيّر قوّته ، وكم اتى عليه من السنين وهو يتقد ويضي ، وكم بقي له من العمر ؟

ولعلّ القارئ يعجب من هذا السؤال «كم بقي له من العمر» ، فيقول بينه وبين نفسه : يا للعجب ، الشمس تموت ! اهذا الكوكب الذي حجمه ١,٣٠٠,٠٠٠ مليون مرة اكبر من حجم الارض يفنى ويبيد ! اهذا المصباح الوقاد الوهّاج ينطفئ وتحرم الارض من جرّاء ذلك الحرارة عامل الحياة !

نعم . كل كائن يولد ويشب ويهرم ويموت ويدركه التغيّر او الفناء . سنة الله : ولادة ، فشباب ، فهرم ، فموت !

ولكن كيف عرف الفلكيون ذلك ، وفي اي طور شمسنا الآن ، افي طور الشباب هي ، ام انها طوت مراحله واشرفت على الهرم ؟

اعلم ان نصيب الارض من حرارة الشمس ما هو الّا شيء يسير في جنب جملة الحرارة التي يبعثها هذا النيّر الى ما يحفّ به من السيّارات ؛ وهذا النصيب هو نصف جزء من المليار من جملة حرارته ، وذلك من اجل قرب الارض منه؛ اذ ليس بين السيّارات ما عدا عطارد والزهرة اقرب اليه كما ترى امامك .

جدول مقابلة السيارات بالنسبة الى الشمس [1]

	مدة دورتها حول الشمس			بعدها عن الشمس			بعدها عن الارض		كثافتها بالنسبة الى الماء	اقمارها	مدة دورتها على نفسها	
	ساعة	يوم	سنة	الاقرب	الاوسط	الابعد	الاقرب	الابعد			ساعة	يوم / دقيقة
عطارد		٨٧		٤٥,٨	٥٧,٩	٧٠	٩١	٢٠٧	٤,٧			٨٨
الزهرة	٧	٢٢٤		١٠٧,٤	١٠٨,١	١٠٨,٩	٤٢	٢٥٦	٤,٩			٢٢٥
الارض	٢	٣٦٥		١٤٧,٧	١٤٩,٥	١٥٢			٥,٥	١	٥٦	٢٣
المريخ	٧	٣٢١	١	٢٠٦	٢٢٧,٧	٢٤٨	٥٦	٣٧٧	٣,٩	٢	٣٧	٢٤
المشتري	٨	٣١٤	١١	٧٤٣,٤	٧٧٧,٢	٨١١	٥٩٣,٧	٩٦٠	١,٣	٩	٥٥	٩
زحل	٩	١٦٦	٢٩	١,٣٤٥,٧	١,٤٢٥,٨	١,٥٠٦,٢	١١٩٧	١٦٥,٤	٠,٧	١٠	١٤	١٠
أورانس	٤	٧-	٨٤	٢,٧٦٦,٥	٢,٩٠٠	٣,٠٣٣,٥	٢,٦١٤,٥	٣,١٨٥	١,٢	٤		
نبتون	٤	٢٨٠	١٦٤	٤,٤٢٥,٩	٤,٥٠٦,٤	٤,٥٨٠,٨	٤,٣٧٤	٤,٧٣٨,٨	١,١	١		

١ً مقابلة السيارات بعضها ببعض

٢ً الابعاد محسوبة بمليون الكيلومتر

١) هذا الجدول منقول عن كتاب عنوانه: *Tout en un*, Paris, 1921.

فاذا كان تأثير هذا الجزء الصغير من حرارة الشمس في ارضنا ، فما هي شدّتها على وجهها ؟ فتقريباً لذلك من الافهام نقول: اذا فرضنا كون ارضنا من عند بكرة ابيها قطعة جليد ، وفرضنا ان عدسيّة عظيمة قادرة على حصر حرارة الشمس كلها وتصويبها اليها ؛ فالحرارة تذوّب قطعة هذا الجليد في ربع ساعة فقط ؛ بل في ساعتين واقل من ساعتين يستحيل الجليد الذائب الى بخار. واذا كانت السيّارات الثمان البالغ وزنها ٤٤٥ ارضاً كارضنا كلها كتلة جليد ، وطُرحت في اتون الشمس المتلظّي ، فانها في خمسة اشهر تذوب كلها وتتصعّد. واذا أُلقي فيه ايضاً قطعة ماء جامد توازن جرم الشمس عينها ، فانها في مدّة ثلاثمائة سنة تستحيل بخاراً. هذه تشابيه تشرح شدة حرارة الشمس بعض الشرح.

غير ان الهدوء والسكون يسودان على هذا الكوكب كل احدى عشرة سنة تقريباً ، فتنخفض ألسنة لهيبه وتتناقص حرارته ؛ ولكن هذا السكون والهدوء لا يطولان ، فيعقبهما عواصف هائلة يهيّجها البخار الثقيل الساقط عليه من جوّه ، ويضغط على الغازات المحصورة في جوفه ، فينبثق لتزايد الحرارة غشاؤه ، وتنشأ فيه الكُلَف السوداء ؛ ولا تبرح هذه الكلف تكبر وتتسع حتى تبلغ معظم الكبر والاتساع ، ثم تضمحل وينشأ غيرها على اثرها . الّا ان هذه العواصف لشدّتها يمكنها في بضع ثوان ان تغرّق سيّارات نظامنا ، والف ارض مثل ارضنا . وما اشبه هذا الاتون ببوتقة عظيمة بلا قعر تتطاير فيها المعادن وتتصعّد حال سقوطها ! ولكن بالرغم من هذه الحرارة العظيمة التي تنفثها الشمس كل يوم ، ما زالت حرارتها ثابتة غير متغيّرة وذلك منذ الازمان التاريخية ؛ اذ ان كل نوع من النبات بقي محصوراً في منطقته كما كان في القديم . فهذا الزيتون ما فتىء يعيش اليوم في فرنسة ، في البلاد عينها التي كان عائشاً فيها على عهد يوليوس قيصر ؛ وكذلك ما برح النخيل يؤتي اكلاً طيباً في مصر وفلسطين ؛ فلو ان حرارة الشمس تناقصت قليلاً لبقي بسراً وما حلا وهذا شأن الكرمة ايضاً فلو زادت الحرارة والحت عليها لاهلكتها . فاذن ما كان في ايام الفراعنة كائن اليوم ؛ فيستدلّ من هذا كله ان حرارة الشمس لم تتغيّر منذ الازمان التاريخية العريقة في القدم.

فكيف اذن مع كل هذا الانفاق لا تزال حرارة الشمس على حالها ، وقد مضى عليها الوف من السنين ؟ فما هو السر في ذلك ؛ وانى يجدّد هذا الكوكب قواه ويعتاض من الخسارة التي تحلّ به ؟

ان العلّامة فاي قد علّل ذلك هكذا اذ قال : اننا اذا فرضنا شمساً مركبة مما تتركب منه النيران الارضية ، اي من وقود شبيه بالفحم المعدني المدعوّ (*anthracite*) مثلاً ، فهذا الاتون ، وان كبيراً جدّ كبير ، لا يدوم سوى ٥٦٠٠ سنة . ولكن لمّا كانت الموادّ الموجودة في جوف الشمس لا تقدر على البقاء لافراط الحرارة عليها الّا في الحالة الغازيّة ؛ لان الحرارة تصيّرها ارواحاً كما كانت اول خلقها ، وان تلك الارواح اللطيفة اذا اصابتها النار ، وصهرتها الحرارة أبقت ولم تقدر على البقاء ، وانحلّت المركبات واستحالت الى عناصرها الاصليّة التي تركبت منها ابتداء ؛ حصل ان هذه العناصر من اجل خفّتها تطير ، وتنتقل الى الطبقات البرّانية حيث الحرارة اضعف . ولكن كل هباء من اهباء الاكسيجن يستطيع ، عند الوصول الى سطح الشمس ، الازدواج بالاهباء المعدنيّة التي انحلّت بسبب الحرارة ؛ وهذا الازدواج الكيماوي يولّد حرارة ونوراً ؛ ومهما حصل التراوح هبط الجسم المركب لثقله ، وهوى في جوف جرم الشمس الداخلي . وعلى هذا النحو يتكرّر الامر على التلاحق .

على ان هذا الراي الشبيه بالصواب هيهات ان يجلو غامض هذا المشكل ويحلّ رموزه ، لان هذا الحادث ، وان اطال حياة الشمس حيناً ، فلا يستطيع ان يطيلها الى ما شاء الله ؛ اذن ان قوّتها لا بد ان تنحلّ وتهن شيئاً فشيئاً ؛ ومهما علت تلك الاهباء وسفلت ، وعامت وغاصت ، فانها في آخر الامر تنزف نبع الحرارة وان عظيماً جداً .

* * *

متى يا ترى بدأت الشمس تبرد ، والى متى تُحيي الارض ؟

من المعلوم ان كل صكّة تولّد شيئاً من الحرارة ؛ فالطرق مثلاً يحمي الحديد ، وحكّ الخشب يولّد ناراً . ولمّا كان جوّ الارض عرضة لسقوط المطر والثلج والبرَد ، كانت الشمس ايضاً مهبطاً « لتيار العوالم » من رجوم ونيازك

وشهب. على ان اجزاء كثيرة تنفصل من النجوم وتبقى منبثة في الفضاء ، ولا تزال فيه سابحة الى ان يجذبها احد الكواكب اليه . فهذه الاجزاء او هذه الاجسام تكون سرعتها ، عند بلوغها الشمس ، ٦١٣ كيلومتراً في الثانية ؛ وسقوطها يزيد حرارة الشمس. ولكن الشمس تحتاج الى توالي هذه الامداد لئلا تفقد كل سنة درجتين من حرارتها. فاذا فرضنا ان حرارتها تساوي حرارة الماء ، احتاجت الى سقوط كيلو من هذه المواد في كل ساعة بالنسبة الى كل متر مربع ، فيكون جملة ما يسقط يومياً ١٤٧,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠ او ١٤٧ تريليوناً من الاطنان ؛ ولكن اذا انقطع عنها يوماً هذا المدد فكيف تحيا ؟

ان هذا الرأي لماير (Mayer) الالماني ، فاذا سلمنا به نتج عنه زيادة متواصلة في جرم الشمس ، ونقصان نحو ثلاث ثوان من سنتنا. ولكن الفلكيين بعد الدرس الطويل لارصاد الاقدمين لم يروا ويتحققوا شيئاً من ذلك . ثم ان هلمهولتز (Helmholtz) ادخل على رأي ماير شيئاً من التغيير ، وافترض ان الشمس قد تكونت مثل السيارات من سديم مستدير كبير جداً كبير ، كان يمتد عشر مرات ابعد من نبتون ، آخر سيارة معروفة من نظامنا ، اي على مسافة ٤٥ مليار كيلومتر.

فاذا كانت مادة الشمس على زعمه منتشرة في وسط هذا الفلك طبقاً لهذه النسب الخيالية ، حصل بسبب ذلك جوٌ يفوق في تخلخله الفضاء الحاصل في وسط حناجير الراديوم بمئة واربعين الف مرة ؛ وفي وسط هذا التخلخل العظيم يجري كل عشرة آلاف متر مكعب ٥٢١٧ غراماً من المادة . امّا هذه المواد فقد هبطت على قوله الى مركزها ، بتأثير الجاذبية ، فنشأ عن هبوطها مخزن عظيم للحرارة . وعلى هذا النحو بيّن هلمهولتز ان قوة الحرارة المتولدة على هذا النوع تكوّن عشرين مليون مرة مادة انفاق الشمس وغذائها السنوي ؛ واستنتج ان ينبوع الحرارة العامل في جرم الشمس قد اتى عليه عشرون مليون سنة وهو في العمل.

ان هلمهولتز قد استند في حسابه الى تقبض الشمس ، اذ ان الحرارة تزيد بتكرير الصكّات ، والغاز يسخن بالضغط . وبناء عليه اذا كان قطر الشمس

ينقص كل سنة ٧٦ متراً ، كان هذا النقصان كافياً التعويض عن الخسارة اللاحقة بنيّرنا ؛ والحال ان النقص الحاصل نظراً الى المسافة الفاصلة بيننا وبينه ليست سوى عشر ثانية قوس وذلك في كل الف سنة. فلو كان رأي هلمهولتز صحيحاً لتنبه الفلكيون على هذا الامر منذ شرعوا يرصدون الشمس بالمرقب ، ولكنهم الى الآن لم يشعروا بهذا النقص الذي توهمه هذا الفلكي ؛ فاذن حجته واهية.

ثم ان نيوكمب (Newcomb) ، استناداً الى هذه المزاعم ، ذهب الى ان قطر الشمس يصير الى نصفه بعد سبعة ملايين من السنين . ولكن ما انتشرت هذه الآراء واطلع عليها اصحاب علم الهيئة ، حتى تناولتها الاقلام بالانتقاد من كل جانب.

من المعلوم ان انتشار ضوء الشمس وحرارتها مرتبطان ، من الوجهة التاريخية ، بظهور الحياة على الارض ؛ فلم يقنع الطبيعيون بتعيين عشرين مليوناً من السنين لابتداء الحياة وظهورها فوق سطح الكرة الارضية ، بل استقلّوا هذه المدة فاوصلوها الى مئة مليون سنة واكثر . غير اننا اذا امعنا في تاريخ الارض الماضي ، وتأملنا سلاسل الجبال العالية التي كانت في كالدونية وهرزوَلد (Herzwald) ، وعرفنا ان تلك السلاسل بالرغم من مضاهاتها جبال الالب علوّاً قد عفت آثارها ، ودرست بتأثير العوامل الجويّة[1] ، ثبت عندنا ان القوى المخرّبة كانت ، في عهد الامطار العرمرمية ، تزيد عشرة اضعاف على ما هي عليه في وقتنا الحاضر . فبناء عليه فقد لا يمضي ٢٧ مليوناً من السنين ، حتى تدخل سلسلة جبال الالب في خبر كان ولا يبقى لها اثر.

اذن رأي ماير وهلمهولتز ضعيف . ولكن كثيراً من الفلكيين زادوا عدد السنين ، وذهبوا مذاهب شتى في شأن مادة الشمس الداخلية وكثافة قلبها وحرارتها والضغط الحادث على سطحها . فاللورد كلفين (Kelvin) جعل عمر الشمس ٥٠ مليون سنة ، وغيره قال بل انقص من ٥٠ مليوناً . امّا العلم فلا جواب عنده في هذا المعنى ؛ ولذلك ما زالت افراس القرائح تجري في هذا

١) راجع المشرق (٢٦ [١٩٢٨]: ٨٦٦)

الميدان مطلقة العنان.

ولعلّ حلّ هذا المشكل في مكان غير المكان الذي نطلبه فيه . ان اكتشاف الراديوم يدلنا على ما لهذه المادة العجيبة من الخواصّ الغريبة ، فانها تتغيّر على الدوام وينبعث منها حرارة دائمة . فلمّا كانت الشمس تحتوي على موادّ باعثة النور مُشعّة ، امكنها ان تعتاض ، لاجل ذلك ، عمّا تفقده من النور والحرارة ، وذلك لان كل كيلو من جرمها يحوي ميليغرامين من الراديوم.

ولكن يُعترض على هذا بان الراديوم لا تدوم حرارته اكثر من الفي سنة. الجواب : من الممكن انه يتجدّد في قلب الشمس عوضاً ممّا ينفد ، ولاسيما انه معلوم الآن ان الراديوم ما هو الّا نتيجة استحالة الاورانيوم[1].

غير ان هذه الاقوال او المزاعم كلها ظنّية مصدرها الحدس والتخمين ، وغايتها تقصير عمر الشمس . ان الاقدمين كانوا يعتقدون الذرّة عنصراً لا يتجزّأ ، ولكن الاختبارات الحديثة تدلّ على انها مركبة من اجزاء عديدة ؛ فاذا كانت هذه الاجزاء الصغيرة كل الصغر المشبهة الاجزاء الصغيرة المتركبة منها حلقة زحل ، الدائرة حول كرة مركزية بسرعة لا توصف تبلغ في الثانية مليارات من الدورات ، كما وصفنا ؛ كانت هذه المركبات الذرية عند انحلالها ينابيع قوة عظيمة ، ليست المواد المنفجرة عندنا الّا لعبة اولاد ، بالنسبة الى تلك المركبات الكيماوية المتكوّنة في بوتقة الشمس العظيمة . وبالرغم من المسافة البعيدة التي تفصلنا عن الشمس ، فان الفلكيين بواسطة النظارات ، قدروا ان يشاهدوا العواصف الهائلة الناشئة من جرّاء تولد هذه الموادّ . فعندما تكون سماء الشمس مظلمة مغطّاة بالكُلَف ، فالغازات المستجنة في جوف الشمس المنحصرة ضمن ذلك الغشاء ، لا تلبث ان تبثق الغشاء الحاصر لها ، فيحدث على اثر ذلك انفجار عظيم ينشأ عنه ما يسميه الفلكيون « نتوءآت شمسية » يعقبها طيران المعادن الى علوّ عظيم جدًّا . وعند حدوث هذه العاصفة

(١) هو معدن نادر جدًّا شعّ في ظاهره كالحديد موجود في بوهيمية ، اكتشف سنة ١٨٤٣.

فوق الشمس ، تحدث بروق خاطفة ، فتذوب اجزاؤها وتجمع في وسط ذلك الحريق على علو ٥٠٠ او ٦٠٠ الف كيلومتر.

فهذه العواصف الهائلة التي تمتزج بها الطبائع الشبيهة بالطبائع المتركبة عندنا بالابخرة المزدوجة بالهيدروجن ، تنبهنا الى ان الشمس الآن في منتصف عمرها بين الشباب والهرم . ومع هذا كله فالعلم في حالته الحاضرة لا يضنّ على هذا الكوكب المتوقفة عليه حياة الارض ببضعة عشرات من ملايين السنين . فاذا ادركت ارضنا الهرم ، وماتت موتاً طبيعياً فيكون موتها مسيّاً ولا ريب عن البرد ؛ ولكن هذا الموت ليس قريباً بل هو بعيد جدًّا . الّا ان الاخطار التي تهدّد حياة البشر العائشين فوق سطح هذه السيّارة كثيرة ؛ لاننا نعلم ان الشمس في الفضاء محفوفة بموكب من السيّارات ، واننا نطير الى جهة برج النسر الواقع (Lyre) بسرعة تفوق ٣٠ مرة سرعة القنابل لدى خروجها من فوهة المدفع . فلربما في اثناء هذا السير الوحيّ الذي ابتدأ منذ نحو مئة مليون من السنين ، تصطدم شمسنا بنجمة سوداء او ملتهبة ، اي ميتة او حيّة ، فيحدث حريق هائل يلتهم ارضنا . على ان امثال هذا الحادث قد جرى اكثر من عشرين مرة منذ ابتداء رصد الكواكب. الّا ان هذا الحادث قد لا يقع ؛ ولكن اذا وقع فحينئذٍ تشتد حرارة الشمس فتستحيل الارض الى اتون مستعر كما كانت في عصر شبابها.

النتيجة : ان العلم في حالته الحاضرة عاجز عن تعيين نهاية الشمس . فكل ما يدلّ عليه هو ان الارض لا تكون في المستقبل ، لا هي ولا سكانها ، كما انها لم تكن في الماضي ؛ اذ كل كائن يفسد لا محالة . فما اشهى جميع اعمال الرب ، والذي يُرى منها مثل شرارة !

الحياة النسكية في لبنان

محاضرة لحضرة المتوري بطرس غالب

٣ (تابع)

ما اجمل ان يصرف احدنا ربع ساعة في محادثة هؤلاء الحبساء عبيد الله ! على وجوههم انعكاس سذاجة قلوبهم وطهارة نفوسهم . وفي صحيفة نظرهم الرائق رسم الجهد الباطني الذي يعانونه كل يوم تغلباً على انفسهم ، وقمعاً لتمرّد الجسد ليُرَدَّ عن شهواته الزائغة بصرامة التأديب ويُخضع لمشيئة الروح.

ولا ينبغي ان يستغرق العمل اليدوي سوى بضع ساعات من النهار. واكثر ما يشتغلون به تربية الكرمة وغيرها من الشجر المثمر ، غير انهم لا يذوقون العنب ولا التين ولا الخوخ ولا التفّاح ولا اللوز ، وان كان ذلك من حاصلات بستانهم وبعرق جبينهم.

وهم يوزّعون ساعات يومهم على الصورة التالية : يقوم الحبيس من نومه نصف الليل ليكون اسبقَ الخلائق الى تسبيح الخالق في الصباح . ثم يمضي الى المعبد ليزور القربان الاقدس ، ويصلّي فرض الليل . ثم يغوص في لجة الصلاة العقلية ، ويغلب ان يكون راكعاً ، واحياناً منتصباً على قدميه . وفي كلا الحالين صالباً ذراعيه . ثم يتلو صلاة الصباح . ثم يقرّب ذبيحة القدّاس نحو الساعة الخامسة . ولا يملك اللسان تعبيراً عن حرارة عبادة شربل في شكره بعد القدّاس . وبعد ان يتلو اول سبحة وردية ، ويتبعها بقراءة روحية ، يشتغل مدة في الارض . ثم يعود الى قلايته ، فيراجع فصولاً من اللاهوت النظري والادبي ؛ حتى اذا استوفى ما يكون قد رسمه لنفسه ، يستأنف العمل اليدوي . وفي ساعة الظهر يتلو السواعي القانونية. ثم يعود الى الشغل المتعب ، الذي يوقظ شهوة الاكل ريثما يجيئه الطعام من الدير. غير انه يقهر تلك الشهوة ، فلا يأكل الّا قدراً يسيراً من طعام تافهٍ قليل التغذية . امّا ساعات المساء فيصرفها بتلاوة صلاة المساء ، ثم الوردية ، فالقراءة الروحية ، مع قليل من الشغل في البستان. وبعد ذلك صلاة الستار ، فالصلاة العقلية ، فتفتيش الضمير ؛

فالنوم ، ولا يتجاوز اربع ساعات او خمساً في الكثير . وفي هذه المدة القصيرة يضطجع ، والمسح عليه ، إمّا على خشبة او على شوك ؛ مسنداً رأسه الى جذع شجرة ذي عُقد ما لم يستعض عنها بحزمة جرزون يابس او بحزمة شوك .

وليس مأذوناً لكل احد بالدخول الى قلاية الحبيس . حزتُ هذا الاذن مرةً ، فرأيتُ اربعة جدران سوّدها دخان الحطب الذي يحرق للتدفئة في ايام البرد القارس ؛ وارض القلاية عارية حتى من الحصير . في احدى الزوايا خابية فيها تينٌ يابس ولوزٌ . وفي زاوية اخرى دنّ خمر تحسبه كوثرًا لجودته . والى جانب الدن جرّة فيها عسل شهيّ . ولا يسبق الى ذهنكم ان الحبيس يذوق شيئاً من تلك المأكولات ، بل هي عنده للزائرين . وهو يكتفي ان يزيد في اجره بحرمان نفسه ثمار براعته وتعبه .

وكان شربل يرعى هذه القوانين بكل تدقيق ولا يكتفي بها . ينام في ساعة متأخرة ، وينهض في منتصف الليل ، فينطلق الى المعبد ليحيي الربّ يسوع الساكن في هيكل زينته الفقر كقلاية الحبيس . فيصرف في حضرته ساعات يذوق فيها من سعادة التأمل ما يعجز عن وصفه القلم . فاذا انتقل الى المذبح لاقامة القداس الالهي انبعث نورٌ من وجهه الهزيل ، وتجلّت على هيئته وحركاته الرصانة والوقار ، وتوشح جلالاً وعظمة لا يدركها العالم ، واخذت طهارته الملائكية تنعكس في عينيه النقيتين . فليس قدّاسه الّا اختطاف ونجوى . وحين كان السيد المسيح بقوة كلام التقديس يهبط على ذلك المذبح الحقير الرطب ، كان شربل يذهل عن الوقت . امّا الزوّار الذين يسعدهم الحظ بسماع قداسه ، فكانوا يظنون ان الحبيس القديس قد أنعم عليه برؤية الربّ يسوع ، لكثرة ما كان يتألق على وجهه من البهجة والحبور .

ولا ريب ان شربل ارتقى في سلّم الفضائل الى مستوى آباء البرّية العظام ، وقد كان للطاعة في عينه منزلة عالية ، فمن كلامه المأثور : يجب على الحبيس ان يكون كالعصا في يد الاعمى ؛ فانها تطاوع يد صاحبها حيثما وجّه بها بلا ممانعة ولا حجاج . عرف ان فضيلة الطاعة تخوّل افعالنا استحقاقاً جديداً ، فلم يكن ليأتي عملاً ما لم يؤمَر به ؛ ومتى امر بشيء بدر لاتمامه بدون تردّد ولا

ابطاء ، واذا اخذ في عمل لا ينفكّ عنه حتى يؤمر بتركه او بمباشرة غيره.

وقد وقع مرات لرفيقه ان يتركه وعمله ، ولا يدعوه لتناول الطعام في حينه فكان شربل يستمرّ على الصلوة ، او على عزق الارض ، او ينقّي الكرمة ويجمع الحصى ويقتلع الحجارة الغليظة ، حتى يمرّ بخاطر رفيقه ان شربل المسكين لم يبرح صائماً.

على ان الطاعة العمياء وحفظ السكوت والحياة الشاقة لم تقدر ان تنتزع من شربل ما تحلّى به من دماثة الاخلاق وبشاشة الوجه ؛ ولا ان تثلم حدّ عقله المرهف وذهنه المتوقد . ان القداسة لا تكسب صاحبها شراسة ولا عبوسة وجه ، بل تقرّبه من الله المانح سرور القلب ، والموحي الحنان والمحبة.

وها انا ذاكر لكم بعض اخبار تريكم ان ذلك الناسك لم تكن تنقصه النكتة ، وانما لم يكن يظهرها الّا في ما قلّ وندر :

عهد اليه رئيس الدير بان يقدس للشركاء المزارعين ، فنسي في احد الآحاد ان ينبههم الى ان عيد القربان يقع في الخميس التالي ، فاتى الرئيس يذكره وانصرف . فلمّا اتمّ شربل القداس التفت الى الحاضرين وقال لهم : « يا اخوتي المباركين ، يوم الخميس القادم عيد القربان الاقدس بطالة في مقامه. » فدهش السامعون لعلمهم ان عيد القربان الاقدس بطالة عند جميع الموارنة . وابلغ بعضهم صورة هذا التنبيه الغريبة الى الرئيس ، فاستدعى شربل ووبّخه . فركع شربل امام رئيسه وقال له : اغفر لي يا ابي من اجل المسيح . اني ظننت ان عيد القربان ليس بطالة هنا . فدهش الرئيس من قوله وقال : لماذا يا ابانا شربل ! قال : بما ان ابرّتك تشغل الشركاء الاحد والعيد مساعدة للدير (عونات) فحسبت انك فاعل ذلك في عيد القربان الاقدس ايضاً . ففهم الرئيس مراد شربل ولم ينبس بكلمة.

وكان مرةً يقدّس ، فسمع اناساً يحلفون ويسبّون في ساحة الكنيسة . فلمّا انتهى القداس خرج الى الساحة فاذا الذي كان يسبّ ويضجّ رجل من شركاء الدير ، قد اخذ منه الغضب مأخذه فاصبح لا يعي ما يقول . فقال له بهدوء : ماذا جرى لك يا ابني ؟ قال : أيكون الرهبان سرّاقة ؟ قد وضعتُ

عصاي في زاوية الكنيسة ثم اتيت اطلبها فاذا هي مسروقة . قال الجبيس :لا تدنْ قريبك دينونة باطلة. واشار الى جرن من حجرٍ في ساحة الكنيسة يوازي وزنه قنطاراً وقال : انظر الى هذا الجرن انه في هـذا الموضع من اكثر من مئة سنة ولم يسرقـه احدٌ . وقد سنحت للرهبان فرصة سرقتـه مراراً ولم يسرقوه . فضحك الرجل حتى استغرب وانطلق في سبيله وفُضَّ المشكل.

ومن لطائف الاب شربل ان كاهناً من رتبة خوري اسقفي كان مولعـاً بالملابس الحسنة والزينة الظاهرة مما يدلّ على انه نازعٌ الى الترَف ، وقد قيل انه لم يكن طيّب السمعة لتغطرسه وزهوه ، بـل كان معجباً بنفسه وببعض وظائف قُلدها اكسبته خشونة اللفظ ، وارتفاع الصوت عندما يحدّث الآخرين . اتى يوماً الدير متبرجاً مصفف الشعر متزيناً بكل حليه من خاتم ذهبيّ في اصبعه ، وصليب بسلسلة من ذهب على صدره ، وفروة ناعمة غالية الثمن شاملة جسمه من الكتفين الى الركبتين ، وفي الجملة في بزّة امير متصلّف لا في ثياب اكليريكي متواضع . وفي اثناء تحدّثه الى الرئيس ، علم ان الرهبان الحدثين يصنعون خبزاً في الفرن وشربل معهم . فاحبّ ان يراهم على هذه الحال فاخذه الرئيس الى الفرن ، ولم يخلع عنه فروته الثمينة مع ان الطقس كان حاراً والنار شديدة في الفرن . واذ كان لا بد من كلام يقوله للرهبان الشبان لئلا يقال انه ابكم ، فتح فاه وقال: ما اسعدكم ايها الرهبان! فانكم في اديارکم بمعتصم من الخطيئة حصين . فاجابه شربل على الفور : « ليس حضرتك باقـل سعادة منّا من هذا الوجه . أو هل يمكن للخطيئة ان تجد منفذاً الى قلبك من خلال هذه الفروة النفيسة السميكة ! » فمضى الخوري الاسقفي ، ولم يذكر التاريخ ان وخزة شربل نفذت الى قلبه من خلال الفروة السميكة !!!

لا تتوهموا مما قلته ان شربل كان على شيء من سوء النية والنزوع الى المزح لاجل المزح . فالحقيقة ان حياته كانت موجزاً لحياة حبساء كل العصور ، فبعد ان هجر عائلته بنية ان لا يعود يراها الّا في السماء ، وترك لاخوته حصته من الارث ، حبس نفسه اولاً في دير حصين ، ثم في محبسة معرّضة لجميع التقلبات الجوية على ذروة جبل يقع النظر من فوقـه على مشاهد بديعة تأخذ بمجامـع

القلب. غير ان شربل لم يكن ليمتع بها ناظريه ، بل تقفى في ذلك إثر سلفه زابينا الذي عاقب نفسه بان لا يرسل نظره ، على سبيل الفضول ، الى شيء من المنظورات ، فصرف حياته لا يرفع نظره الى سقف قلايته.

يا للسيرة الملائكية العجيبة! لقد انصرف شربل الى الصلاة العقلية واللفظية. لا يخرج عنهما الّا الى الاشغال المفروضة من القانون . ولشدّ ما اجهد النفس في قهر جسده بالصوم ، والسهر الطويل ، وخشونة المسح ، والسلاسل الحديدية ذات الاشواك التي وجدت في قلايته بعد موته. وقيّد جميع اعماله باوامر الطاعة يأتيها على وفاق ما تشتهيه ؛ قانعاً من اكلته اليومية ببعض الحبوب ، مبالغاً في رعاية قانون الصمت ، يربط شعر رأسه الطويل بخيط من حديد ويجمعه محجوباً بقلنسوته ، ولم يأذن لنفسه البتة ان تذوق شيئاً من العنب وثمر البستان مما كان يُعنى بغرسه وتربيته . عاش ١٨ سنة معتزلاً الناس متحداً بالله . وما زال على هذه الحال حتى عشية عيد الميلاد سنة ١٨٩٨. وقد شرف الله قبرهُ بآيات كثيرة فذاع صيت ذلك الذي كان مدة حياته يطلب التواري وراء حجاب العزلة.

لقد كان حبيساً قلّ نظراؤه في الحبساء . الّا انه يوم ينادي بسه الحبر الاعظم طوباوياً سيشتهي الناس ان يعرفوا حقيقة السيرة النسكية ، ويزداد اعتبارهم لها لعلها تستعيد غناءها القديم في لبنان ، وما هي اليوم بالقريبة من الزوال. والمسيحيون الذين يكونون قد بنوا حكمهم في الحبساء الذين لا تنطبق حياتهم على مبادئ العالم الخادعة ، سوف يقدرون سيرتهم العجيبة قدرها ، يوم يرون الجالس على عرش بطرس يأمر بان يُكرّم على المذابح ذلك الحبيس المسكين الذي كان يعدّه اقرانه أبله.

وسيذكر اللبنانيون ان القديسين والحبساء هم الأولى بنوا في لبنان حصن الايمان والاستقلال ، وهم الذين سيحرسونه بقوّة صلاتهم وتضحياتهم . لقد كان لهؤلاء الرجال القديسين غاية سُميا منها يستمدّون القوة والثبات في معترك الحياة وروح التضحية ، وهم ادركوا معنى الحرية الحقيقية الصحيح ، اعني حرية ابناء الله. ولئن صحّ القول ان الاساقفة اوجدوا فرنسة ، فليصحّ كذلك القطعُ بان للحبساء والرهبان الحظ الاكبر في تكوين لبنان الكاثوليكي المستقلّ !

خمسة ايام على الاقدام

باخس — قرطبا — الخيري — مجدل العاقورة — العاقورة — الطارق — بلعة — بيت الشاعر — شاتين — حوب — ارز تنورين — الحدث — الديمان — حصرون — بقرقاشا — بشري — الارز — ضهر القطيب — عيناتا — اليشوعة — شليفه — بعلبك

بقلم فؤاد افرام البستاني

١

في عصر السيارة تقطع بك المئة الكيلومتر في الساعة، مستريحةً ومستريحاً، فتنقلك، على الطرق المعبّدة، من مجازر الامواج الى مساقط الثلوج بسرعة تنسى معها ماهية الوقت، وكمية المسافات؛ في عصر الفنادق الانيقة، القائمة قصوراً فخمةً على قمم لبنان، المزدانة بجميع مرافق الرخاء ومظاهر الترف، تستقبلك موائدها الفاخرة باطعمتها المزجّاة، وانبذتها المعتّقة، وتنتظرك أسرّتها الوثيرة لتغرق في حشاياها بين الآمال والاحلام؛ في هذا العصر يستغرب «المصريون» ان يسير الناس مسافة خمسة ايام على اقدامهم، في وعوثة الرمال، ووعورة الجبال، حتى اذا برّح بهم التعب حطّوا عصيّهم — وليس في التعبير شيء من المجاز — الى جانب عين يستسيغون ماءها الزلال، وبسطوا سُفرتهم يأكلون ما تيسر لهم من المقدّدات وما رُفقوا الى شرائه من الفواكه والخضراوات؛ واذا ادركهم الظلام، خيّموا — وهذا التعبير ايضاً غاية في الحقيقة — ضاربين اطنابهم، فافترشوا الارض، وتوسّدوا الحجارة. هذه الطريقة في السير قليلاً ما نفهمها في عصرنا، بل قليلاً ما نفهم معنى «السفر» الحقيقي. وانّ لهذه اللفظة عند العرب جوّاً خاصاً من الاتعاب والملذات يهوّل بتعداد العقبات والمصاعب، ويملّق بالرغبة في المغامرات واكتشاف الجديد من المناظر، حتى قال البعض: «السفر قطعة من العذاب!» فاستدرك عليهم غيرهم مستعينين بالله على ما يولده من

المشاقّ قائلين : « لو يعلم الناس رحمة الله للمسافر لاصبحوا على ظهر سفر ! » كل هذا مع ما يجرّه من فائدة للابدان من حيث انه رياضة نافعة ، ومن ترويض للاخلاق بجعله الارادة تقوى شيئاً فشيئاً على الصعبات ، ومن فائدة للعقل بما يبسطه امامه من المناظر الجديدة ، والآثار المختلفة ، والبلدان المتنوّعة ، والبيئات المتباينة لهجةً وعادةً وتقاليد ، كل هذا يكاد يُنسى اليوم اذ يتحوّل « السفر » ، في بلادنا خصوصاً ، الى مرور سريع على اجنحة السيارات.

ولكننا شئنا ان « نسافر » في جهات لبنان الشمالية والشرقية ، فقطعناها على الاقدام من جرود قرطبا الى سهول بعلبك ، في مدة خمسة ايام جمعنا في خلالها بعض التأثيرات والمعلومات . فرأينا بسطها لقرّائنا الكرام فيشاركوننا بما تعلّمناه ، ان كانوا يجهلونه ، ويتحقّقون معنا فوائد السفر على الاقدام ، فيباشرونه اذا سنحت لهم الفرصة.

* * *

اجتمعنا في كلية القديس يوسف ، ثلاثة عشر « مسافرًا » ، مساء الجمعة في الثلاثين من آب الفائت . ثلاثة عشر ! ونهار الجمعة ! دافعان الى التشاؤم قويّان ، يكفي الواحد منهما ليثبط الهمم الماضية اذا كان اصحابها ممن يتراجعون امام المصادفات . غير انه لم يكن للتشاؤم مكان في عقليّاتنا اذ ذاك ، وكلها مندفعة حماساً الى السفر ، تائقة لاختبار ذاك النوع من الرياضة ، حتى اننا لم نكن لنشعر بثقل هواء بيروت الرطب ، لولا ميازيب العرق المتصبّة الى اطرافنا . وكان معنا اثنان من الآباء اليسوعيين اعتادا امثال هذه الرحلات ، فاعدّا برنامج رحلتنا على غاية ما يُرام من الدقة والترتيب.

اليوم الاول

بيروت — بلحس — قرطبا — المنيري — المجدل — زحلة الماقورة — اللقلوق

دقّت الساعة الرابعة صباحاً ، واذا بنا نبادر الى الرتاج الخارجي منتظرين السيّارات التي ستقلنا الى منتهى طريق بيروت — جبيل — قرطبا ، لاننا لم نرَ من الضروري ان ننهك قوانا مشياً على طريق البحر ، في ذاك الحرّ المذيب...

ولكن ما اصاب اولئك السواقين؟ها قد مرّ ربع ساعة على الميعاد، وربع آخر، وربع ثالث، والسكوت لا يزال مخيماً في الشارع، والتضجر يأخذ منّا شيئاً فشيئاً. فكانت تلك اولى المعاكسات، واولى نتائج العدد المشؤوم. على ان الانتظار لم يطل الى ما وراء ذلك، فدوّت اصوات الزمّارات، واذا بالسيارات تقف بعجب وخيلاء متأهبة لتعويض ما فُقد من الوقت، فركبنا، وسارت تنهب بنا الشوارع وتوقظ النوّام. حتى اذا خرجنا من المدينة على طريق الاسفلت، اهاب شيطان المسابقة بالسوّاقين فلبّوا دعوته، دون انتباه لنا. فكنّا نرى عقرب مقياس السرعة يتنقّل بين التسعين والمئة والعشرة، فنذهل ونحوّل ابصارنا فنلمح اشجار الطريق تنشب في شبكات اعيننا كالحراب المتلاحقة، والبيوت تتراجع بسرعة حتى تغور في الابعاد. فاستسلمنا لمشيئة الله ومشيئة السوّاقين، ولم نشعر الّا ونحن على مقربة من جونية.

وبعد ان قطعنا برجا، او طبرجا، فاعجبنا، وما كدنا، بجونها الطبيعي الصغير الذي كان آمن مرسى للسفن الفينيقية عند اشتداد الأنواء؛ ومررنا على نهر ابراهيم ذي المصبّ الملتوي الجميل، المذكّر بدم ادونيس المسفوك، وبرغبة الفينيقيين في الخرافات الدينية؛ اشرفنا على جبيل، فبدت ببرجها العالي، وآثار حفرياتها الجديدة، واعمدة هياكلها، تحدّث عن عظمتها الدينية الماضية اذ كانت مركز العبادة الفينيقية ومزاراً يحجّ اليه جميع الفينيقيين. بيد اننا لم نحجّ اليها هذه المرّة، بل تركنا طريقها قبل الوصول، ذاهبين صُعداً في الطريق المؤدّية الى طرزيا مارّين من جهة دير البنات، منحرفين نحو اليمين، سائرين اكثر من ساعة في جرود لا شيء فيها يستحقّ الذكر سوى وعورة الطريق، وهي في بعض الاوقات اشبه بطريق الحافر منها بطريق السيارات، وكثرة الحجال التي كانت «تتكلّم» في تلك القمم، حتى اذا سمعت هدير محرّكاتنا، تطايرت، فتنقل بعضها ببطء من زاوية الى اخرى، وهبط غيرها متريّثاً الى الاودية القريبة.

ولم يكن نبع طرزيا الفوّار ليوقفنا طويلاً، اذ كان قد ارتفع النهار، وتعالت الشمس منذرة بحرّ شديد، فتركناه الى منتهى طريق قرطبا، بعد

صعوبات جمة ، ومحاورات مع السوّاقين الذين امتنعوا مرّتين عن مواصلة السير بحجة ان الطريق لا تُسلك . على انها سلكت اخيراً فوصلنا الى منتهاها ، في اعالي قرية تُدعى بلحس على مسيرة ساعة من قرطبا ، فترجّلنا[1] . وكنّا قد كتبنا طالبين بغلًا لحمل امتعتنا ، فرأينا بانتظارنا ، بغلين وحمارين ، مع مكاريين اسم الاول يوسف والثاني عازار (انظر الرسم ١) فقلنا : زيادة الخير خير . وسرنا نضرب في رمال بيضاء تلتهب تحت ارجلنا حتى اطللنا على قرطبا فقصدنا عينها . وكانت اول عين شربنا منها في رحلتنا . ومن ثمّ لم ندع نبعاً الّا ذقنا ماءه .

هناك ، امام العين ، تحت التوتات ، على مسمع من بعض شبّان الضيعة ، اسمعنا عازار خطاباً بليغاً في مشقّات حياة المكارين ، وكثرة نفقات الدواب عامّة ، وبغلته خاصّة ، لاسيا في هذا العصر الذي كثرت فيه السيّارات فزاحمت الدوابّ وكادت تقطع رزقها . ولم يكن سبب ذلك سوى اننا اعطيناه اجرته من بلحس الى قرطبا ، وشكرناه قائلين اننا نستغني عنه في ما بقي من الطريق ، لاننا لم نكن بحاجة لغير بغل واحد ... فكانت تلك خاتمة خير ليوسف الذي فرك يديه فرحاً ، وحمّل الامتعة كلها على بغله بسرعة كلية ، وسار امامنا على طريق مجدل العاقورة .

ومن تلك النقطة بدأنا نشعر بحسنات السفر على الاقدام ، وبأتعابه ايضاً . امّا الاتعاب فندع وصفها لفرصة اخرى . وامّا الحسنات فمنها ما تقدّم ذكره ، ومنها ان السفر ينشط في عقلية المسافر ذاك الفضول العلمي ، وهو اول شرط لاكتساب المعارف كما يقول الفلاسفة ، فيُصبح ولا غاية له الّا ان يسأل عن كل ما يُصادف . وهكذا اصبحنا سؤالًا حيًّا جائلًا ، بل ثلاثة عشر سؤالًا ، لا نلتقي بشخص الّا ونسأله ، بعد السلام :

— ما اسم هذه القرية ؟ — واسم تلك الظاهرة امامنا ؟ — وكم عدد

١) امّا اليوم فقد وصلت طريق السيّارات الى قرطبا ، ودُشّنت بعد مرورنا بنحو اسبوعين . فكان اول ما دخلها من السيارات سيّارتا بشاره منصور سالم واخيه طانيوس القرطباويين ، في ١٦ ايلول الفائت . وقد نظم حضرة الاب اغوسطين سالم القرطباوي قصيدة بعنوان « الرغائب » يذكر فيها من كان لهم اليد البيضاء في شقّ تلك الطريق واتمامها

سكانها ؟ — اي شيء عندكم يستحق الذكر ؟ — الا يوجد عين ماء في هذه الجهات ؟ — ماذا تحمل يا عم ؟ — الى اين تقصدين يا خالة ؟ — الى غير ذلك من الاسئلة المتنوعة قالباً وغاية ، وكان اكثر ما يُطرح السؤال الآتي :

— كم بقي امامنا من المسافة الى القرية الفلانية ؟

فكان غير المنشطين — وهم قليلون لسوء الحظ ! — يذكرون المسافة الحقيقية على التقريب . وكان المنشطون المحبون ، جازاهم الله خيراً ، يجيبون بلطف ذاكرين خُمس المسافة الحقيقية ، او ربعها ، او ثلثها . فيسيئون الى المسافرين من حيث لا يقصدون ، اذ يدفعونهم الى اليأس والتخاذل ، اذا انتهى الوقت الذي عيّنوه ولم يبلغوا الى القرية المطلوبة .

هذا ما حدث لنا طول تلك الايام الخمسة . وكان اول اسئلتنا عن مجدل العاقورة ، فكنا نسمع الناس يقولون من قرطبا : هي على مسيرة ساعة ، او ساعة ونصف ، او ساعة الا ربع . فكانت النتيجة اننا سرنا اكثر من ثلاث ساعات . . .

على الطريق بين قرطبا والمجدل مزرعة صغيرة تدعى المغيري ، فيها عين ماء لا بأس بها . وعلى مسافة منها طلل روماني لم يبقَ منه قائماً سوى الباب . (الرسم ٢) وهو من الحجر المصفر بحجم كبير ، على الطراز الروماني المعروف ، يعلو نحو الثلاثة الامتار ؛ وقد نبتت الى جانبه جوزة كبيرة خيّمت عليه بظلّها الوارف فكان له منظر جميل ضمن ذاك الإطار الاخضر . اما الطلل نفسه فيُستنتج من بعض حجارته التي لا تزال لاصقة بالاساس انه كان مستطيل الشكل ، متوسّط السعة . ولا نخاله كان هيكلاً لانه اصغر من ان يصلح للعبادة ، بل نظنه كان محطة لزائري هياكل افقا من نهر ابراهيم ، وهو على الطريق . ومهما يكن من الامر فاننا نلفت اليه نظر مصلحة الآثار في جمهوريتنا ، قبل ان ينقل اهل الجوار ما بقي فيه من الحجارة الصالحة للبناء .

نحو الساعة الواحدة بعد الظهر ، كنا نرتقي مرتفعات المجدل بين الاراضي المزروعة بطاطا ولوبياء وسائر انواع الخضراوات ، وهوارب الماء الخرّارة في السواقي . فلم نكن نمالك الاعجاب بخصب تلك الارض وجمال تلك القمم التي

تكثر فيها اشجار الجوز ، لكننا لم نكن نتمالك ايضاً شدّ بطوننا من الجوع ، والاستناد الى عصينا من التعب ، مفتّشين عن مكان يجمع بين الماء والظلّ فنحتلّه بضع ساعات. ونحن كذلك ، اذا بحضرة الشيخ روفائيل جرمانوس يهرول نحونا ، وكان قد علم بمرورنا من هناك ، بواسطة ولديه وهما من طلبة كلية القديس يوسف . فقادنا الى منزله العامر ، وارانا مظهراً جلياً للضيافة اللبنانية بكل ما يحيق بها من البساطة والبشاشة (انظر الرسم ٣) . ولشدة رغبته في اطالة اقامتنا عنده ، اقبل يهوّن علينا مشقّات الطريق بين المجدل واللقلوق ، حتى لم يبقَ بينهما الّا مسيرة ساعة ونصف « بالكثير ». فشكرنا له ضيافته وسرنا نحو الساعة الثالثة ، برفقة ولده فيليب ، فقطعنا العاقورة حيث دهشنا حتى الذعر لدى مشهد تلك الرحلة الهائلة التي تمتدّ على مسافة ساعتين طولاً ونحو نصف ساعة عرضاً . وقد علمنا انها خربت ثلاثين بيتاً ، وجرفت جميع الارزاق في تلك الجهة من قمة الجبل حتى النهر في اسفل الوادي . وكان يتراءى للناس، زمن الانهيار ، كثير من الاشجار الضخمة تظهر في القعر ، ولكنها لا تلبث ان تغور . اما اليوم فلا يُرى سوى الارض المقلوبة سافلها عاليها على هيئة تلقي الرعب في قلوب المتأملين . واما اسباب ذلك فترجع ، على ما نرى ، الى ان تلك الارض من طبقات مختلفة تكويناً جيولوجياً حتى لم يمكنها ان تتماسك بل بقيت منفصلة ، الى ان تخلّلت المياه فوارقها ، فزلزلت اساس الاقسام العليا ، وهبطت بها ذاك الهبوط العظيم.

وما زلنا نضرب في تلك الجبال مستغربين كيف لا نرى اللقلوق ، مع اننا مشينا اكثر من ثلاث ساعات ، حتى تأكدنا اخيراً ان ساعة الشيخ جرمانوس اكثر من ستين دقيقة ، وانها موافقة لساعات جميع من كنا نسألهم عن المسافات في رحلتنا. على ان ذاك النهار لم يكن جدّ متعب لولا عاصفة هوجاء فاجأتنا في العاقورة ، فذرّت في عيوننا تراباً كثيفاً ، وأصمّت آذاننا بصفير مزعج ، حتى خلنا ان الارض ستزحل بنا ثانية. وقد اضرّت بنا تلك العاصفة حتى في اللقلوق ، قبل وصولنا ، وذلك ان حضرة اسعد بك يونس ، مدير الدوائر العقارية ، كان قد اعدّ لنا مائدة انيقة في مضرب مزخرف ، في مصيفه باللقلوق ؛ فرمت العاصفة

المضرب وكسرت معظم الآنية . لكن ذلك لم يمنعه ان يستقبلنا مع حضرة عقيلته الفاضلة استقبالًا جمع بين اللطف والذوق ، وكان خير ما نتوق اليه بعد اتعاب ذاك النهار . فقضينا تلك الليلة في مضربه الكبير .

اليوم الثاني

اللقلوق — مرج البساط — رأي في مضار الاصطياف — بلده — بيت الشاعر — شاتين — دير حوب — أرز تنورين — الحدث — الديمان

صباح الاحد في اول ايلول ، قمنا باكرًا لا نكاد نشعر بتعب ، فاحتفل الاب مارغو ، احد رفيقينا اليسوعيين ، في المضرب بقدّاس حضره معنا اسعد بك وعائلته ورجاله المزارعون في تلك الجهات (انظر الرسم ٤) . ثم زرنا ارزاقه وما جاورها ، وكلها مزروعة بطاطا معتنى بها كل الاعتناء ؛ وشربنا من « النبع البارد » ، ثم أشرفنا على محل يُدعى « مرج البساط » ، وهو مرعى خصب كان الامير بشير يُرسل اليه خيوله في فصل الصيف ، ثم يأتي فيتفقدها حيناً بعد حين . وبعد ان اطلعنا على خزّان متوسّط يبنيه اسعد بك لجمع مياه الشتاء من تلك السواقي المتعدّدة ، فيمكنه ريّ الكثير من الاراضي الصالحة لزرع البطاطا في شهري تموز وآب ، صعدنا الى قمة خلبتنا بما تُشرف عليه من المناظر الطبيعية من صخور شاهقة ، واودية لا يُرى قعرها ، وقمم متتابعة متضائلة حتى تتلاشى بعيدًا على ستار من غيوم الافق الشاحب متصل بصفحة البحر الاغبر . فقال اسعد بك انه عازم على بناء بيت في ذاك المحل ، فتمنى احدنا لو وصلت طريق السيارات الى تلك النقطة وبُنيت فيها الفنادق يؤمّها المصطافون . فاجابه البك : انا لا اتمنى ذلك ! واذ دهشنا لهذا الجواب ، قال ما ملخّصه :

اجل ! ان الاصطياف مضرٌّ باهل هذه النواحي . واليكم البرهان : هذه الارض غاية في الخصب ، وهي مشغولة كلّها ، واهلها قانعون بمعيشتهم ، لان ما يربحه اقفر فلّاح سنويًّا من محصول البطاطا يكفيه لعيشة لا بأس بها . امّا اذا وصلت اليها طريق السيارات ، واقبل عليها المصطافون ، فازدادت الحركة ، فانكم ترون اذ ذاك جميع الفلاحين يبيعون ارزاقهم ويشترون باثمانها سيّارات يقلّون بها المصطافين . فيكثر المال بين ايديهم ، وهم يظنّونه كلّه ربحًا ،

اذ لا يتنبهون لاستهلاك ثمن السيارة ، وتعطيل الدواليب ، وما شاكل . حتى اذا انفقوا كل ذلك وتعطلت ماكنتهم ، لم يجدوا سبيلاً للرزق الا طريق المهاجرة ، فيكون الاصطياف ضرّهم من حيث اردنا لهم النفع !

بعد ذلك زرنا لقلوق العرب فدخلنا مضرب شيخ الوعيان النازلين هناك ، فاستقبلنا ببشاشة ، وبسط لنا «المعتقة» وهي سجادة يشتغلونها من الصوف ، وارانا جرن البنّ المشهور . ثم انحدرنا قاصدين دير حوب ، واسعد بك يؤكد لنا انه لا يبعد اكثر من ساعة الى ساعة ونصف «بالكثير» . على اننا تأكدنا ، بعد ان سرنا نحو الثلاث ساعات ، ان ساعة اسعد بك من «ماركة» ساعة الشيخ جرمانوس ! مررنا في طريقنا على بلعه واسمها مشتق من «البواليع» الكثيرة في تلك الجهات ، وعلى بيت الشاعر التي لم نجد فيها ما يهيج الشعر ، وعلى شاتين ، حتى وصلنا الى دير حوب ، وهو من اديرة الرهبانية البلدية اللبنانية . وكان رهبانه بانتظارنا ، فحيّينا رئيسهم حضرة الاب الفاضل جبرائيل يونس ، وقبلنا ضيافته الكريمة التي بالغ فيها حتى تجاوز حدود شكرنا .

ونحو الساعة الثالثة بعد الظهر ودّعناه ، فاصحبنا باثنين من رهبانه يدلّاننا على طريق الحدث ، وسرنا صعداً في تلك الجبال الشاهقة الى ان كدنا نبلغ القمة القائمة بين الدير وأرز تنورين . في ذاك الجبل الشاهق الاصلع ، حيث لا بيت نلجأ اليه ، ولا كهف ندخل فيه ، ولا شجرة نستظلّ باغصانها ، فاجأتنا عاصفة ولا عاصفة الامس ، واذا بالشمس تحتجب ، وبالسماء تربّد آفاقها بالغيوم الدكناء المتثاقلة اطرافها بالمياه الغزيرة تهدّد من بعيد بهزيمها المرعب . وما هي هنيهة حتى شقّ البارق سواد الافق ، وتتابعت طلقات الرعد ، وانفغرت افواه السماء عن بردٍ متتابع كالبندق الكبير ، تلته ميازيب من المطر كالجبال المتصلة . حتى غدت ثيابنا كالمغسولة جديداً ، وخالط ماء المطر ماء العرق على اجسامنا . ونحن مع ذلك نتابع السير خوفاً من مفبّة ذاك الحادث ، اذا ما وقفنا وتعرّضنا للهواء . الى ان ادركنا الليل في غابات أرز تنورين ، وكان الراهبان قد فارقانا راجعَين الى ديرهم ، فظللنا نخبط وحدنا في تلك المجاهل متكلين على معرفة يوسف بالطريق ، ويوسف يسلكها لاول مرة في حياته . على اننا وقعنا ، لحسن

الحظ ، على طريق مشقوقة من الحدث الى بعلبك. فتبعناها فرحين ، ولا دليل لنا سوى انها تنتهي بالحدث ... ومن هناك انتقلنا الى الديمان.

في زاوية الديوان الاسفل ، على طرّاحة وثيرة ، كان شيخ لبنان جاثماً يمثل المهابة الدينية ، والعظمة المدنية . فدخلنا عرينه بخشوع ورهبة ، وقدّمنا اليه سيادة الحبر المفضال المطران عبدالله خوري . فكان البطريرك الكبير ، وقد اثقلته السنون والامجاد ، واتعبته خاصّة رسميّات ذاك النهار الواقع فيه عيد لبنان الكبير ، يجيل فينا عينين ملؤهما الحياة والعذوبة ، كأنه يبارك رحلتنا ويخفف من اتعابنا . وبعد ان شجّعنا ببعض كلمات ، اشار الى حضرة الخوري بولس طعمه الذي استقبلنا بكل حفاوة ، فقادنا الى المائدة ومنها الى غرف النوم ، وكم كنّا بحاجة الى ذلك...

اليوم الثالث

الديمان — حصرون — بقرقاشا — قاديشا — بشرّي — الارز

ظهرت سماء اليوم التالي صافية الاديم بعد تلك العاصفة ، فبدت لنا مشاهد ساحرة من سطح الديمان : هناك في منحدر الجبل ، فوق ضفة نهر قاديشا ، في معقل تزلق عنه النسور ، دير قنوبين حصن البطاركة القديم ، الذي انتقلوا اليه سنة ١٤٤٠ من دير سيدة ميفوق ، وظلّوا فيه الى عهد البطريرك يوسف الخازن، سنة ١٨٤٨ ، وهو الذي جعل سكناه في بكركي شتاء والديمان صيفاً . ولم يكن الديمان اذ ذاك الّا داراً بسيطة . امّا هذا القصر الفخم اللائق حقاً بمقام شيخ لبنان ، فهو من آثار غبطة البطريرك الحالي . وهناك على يمين الناظر الى قمة الجبل ، تظهر حصرون ، وبزعون ، وبقرقاشا ، وعلى يساره بشرّي ، وحدشيت ، وبلوزه ، تبدو جميعها بمبانيها الجميلة ذات القرميد الاحمر ، تتدرّج بعضها فوق بعض ، غارقة بين الاشجار الخضراء الباسقة كالسرو والحور والعرعر.

قطعنا القرى الثلاث الاولى ، مجارين وادي قاديشا ، وشربنا من عين مالك في بقرقاشا وهي من الذ ينابيع لبنان الشمالي ، حتى اذا وصلنا الى منعطف الطريق ، عند مبتدأ الوادي ، دهشنا لمنظر من الصعب على الانسان ان يجد له ثانياً . كيف لا وقد اجتمعت فيه جميع منبّهات التعجب : من قمة

ضهر القضيب الاجرد تعلو شامخة في اديم السماء الازرق الصافي ، الى غابة الارز تنبسط مرجاً فسيحاً اخضر مسوداً في سفح جبل المكمل الاغبر ، الى قسم من النهر يتدفق مزبداً فينثر كلله البيضاء المرنسة في مجرى تكتنفه الارض الصلصالية الحمراء ؛ الى تلك القرى المنتشرة عن الجانبين كانها آثار زخرفتها يد الطبيعة بالالوان اللطيفة ؛ الى وادٍ لا يكاد يدرك الطرف اعماقه الرهيبة ، اهلت حناياه بكهوف ومغاور كثيرة لا تزال تتصاعد منها رائحة القداسة ، اذ كانت مأوى لقديسي الرهبان والنساك الذين تركوا للبنان ثمار فضائلهم الشهيرة ، ولذلك الوادي اسمهم المقدس فدُعي « وادي قاديشا »

وعلى تلك الطريق الجميلة ، في فم الوادي ، شاهدنا اجلى مظهر لتعاون الطبيعة والصناعة العصرية الا وهو المعمل الجديد لتوليد الكهرباء من نهر قاديشا ، وقد قامت به شركة قاديشا الوطنية ، على ما وقف في وجهها من الصعوبات ، فذللتها ونجحت . وها ان انوارها الكهربائية تضيء اليوم مدينة طرابلس ، بعد ان انارت القرى المجاورة في لبنان الشمالي. اما المياه فتصل من النهر الى المعمل اولاً بواسطة نفق يبلغ طوله الكيلومتر يصبها في خزان طوله مائة متر بعرض معدله نحو الاربعة الامتار ، وعمق معدله نحو الثلاثة الامتار. ومن هناك تنحدر في قناة طولها ستمائة متر ، وقطرها سبعون سنتيمتراً ، فتدير آلتين تولد كل منهما قوة ١٢٠٠ حصان.

لم تدهش اذ شاهدنا قرب المعمل ، حضرة الشيخ يوسف عيسى الخوري ، وقد اقبل لملاقاتنا من بشري ، فاتى ببرهان جديد على ما نعهده فيه من الحمية والمروءة والاخلاص . وقادنا الى منزله العامر حيث عرفنا الى اهله الكرام ، الذين اهتموا كلهم باستقبالنا وإضافتنا.

ومن هناك سرنا صُعداً الى غابة الارز ، والشوق لمرأى تلك الشجرات الجبّارة ، الشاهدة على البشرية منذ الوف السنين ، يحملنا فنطير مسرعين على الرغم من شدّة الحرّ ، ووعورة الطريق . لاننا لم نشأ ان نتّبع طريق السيارات الجديدة ، حتى لا نتأخر زمناً ، ولو قليلاً ، عن مشاهدة أرز الربّ .

(لها بقية)

مجلة المجلات

حول المبكى — الحجاج الى مكة — نظرات
في الموسيقى الشرقية

للاب توتل اليسوعي

حول المبكى

عن نشرة جامعة كونيغسبرغ الرابعة لهذا العام بتوقيع ماكس لوهر (ص ٦٧ – ٦٨)

ما هي حالة الوطن القومي اليهودي في الوقت الحاضر ؟ ان نظرنا اليه من وجهته السياسية ، تحققنا انه ليس بوطن يهودي محض ، ومن المستحيل ان يكون يهودياً محضاً . وهذا ما يعترف به الصهيونيون انفسهم . ان المصلحة الوطنية في فلسطين لا تستطيع ان تتوحد الّا بادماج العنصرين اليهودي والعربي بقومية واحدة . على ان القضية تمسّ مشكلاً عسيراً حلّه . قال الدكتور وايزمن : « امامنا مثلث متصلة زواياه ببغداد والشام والقاهرة » وان الحرب العظمى والسياسة الانكليزية قد ايقظت قضية اتحاد البلاد العربية المترامية الارجاء من العراق الى مراكش ، وموقع سورية وفلسطين من هذا الجسم الكبير كموقع العضو الحيوي من الانسان . ولذلك لم يحجم الصهيونيون انفسهم عن القول ان مستقبل الصهيونية الفلسطينية بمعظمه ، ان لم نقل بكله ، انما هو منوط بحسن التفاهم مع العرب .

على ان المسألة لم تتعقد ، وبريطانية بانتدابها قابضة على زمام الامر في الوطن اليهودي . وهذا الوطن ، تجاه الحقّ العام ، ليس هو في الحاضر الّا مقاطعة صغيرة متفرّقة العناصر موقعها في فلسطين ، وفلسطين هي مستعمرة التاج البريطاني ، ومفوّضها السامي هو موظف من قبل التاج ، والحكم والادارة والحل والعقد

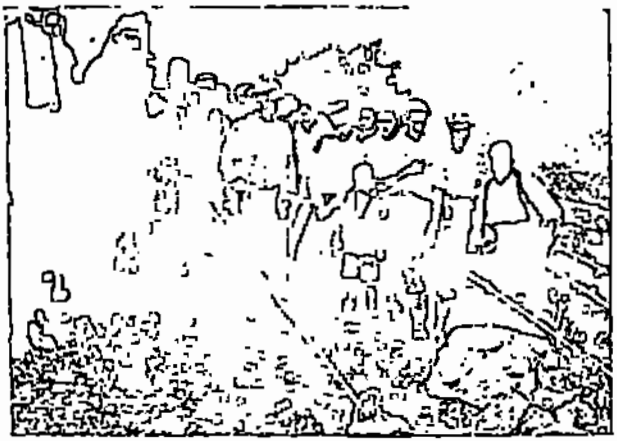

الرسم ٤: امام المغرب في اللقلوق

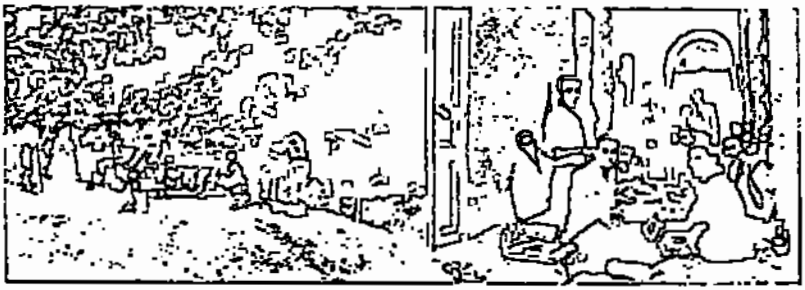

الرسم ٣: على الغداء في المجدل

الرسم ١: في اعالي بلحس

الرسم ٥ : امام بركة الارز

الرسم ٣ : امام الباب الروماني بين قرطباوبجدل العاقوره

الرسم ٦ : على جذع احد جبابرة الارز

في الوطن اليهودي مرجعه نهائياً الى الانكليز . هذا ، ومعدل رجال الشحنة الغير الانكليز ، من يهود وعرب هو كمعدّل ١٢ يهودياً بمئة عربي . وهذا المعدّل يسقط على الحدود في شرقي الاردن الى ٥ بالمئة ، وللدولة المنتدبة الحق باستخدام الطرق العامة ، ومسالك السيارات ، والخط الحديدي ، والمرافئ ، في سبيل المصلحة العسكرية . وقد وضعوا يدهم في بناء مرفأ حيفا ليجعلوه في الغد من اعظم مرافئ الساحل السوري والفلسطيني ، والظواهر تشير بنيات الانكليز في ان يجرّوا بترول العراق الى البحر عن طريق حيفا.

وليس بخافٍ على الصهيونيين ما لمصالح انكلترة من الفوائد الجمة بالبقاء في بلادهم ، وهي في جوار ترعة السويس . لكنهم ادركوا ايضاً ان بريطانية العظمى لن تتردد في الاحجام عن حمايتهم اذا ما الجأتها الظروف الى ذلك .

وقضية الوطن اليهودي هيّنة تجاه ما يخشى الوقوع فيه من العراقيل اذا ما فتحت القضية العربية الكبرى على مصراعيها . وليس ما سنمناه من الحوادث التي جرت حول المبكى ، سنة ١٩٢٨ ، في عيد الغفران عند اليهود ، وما عرفناه عن نتائجها في داخل البلاد ، لينقض ما قلناه عن امكان اعراض الانكليز يوماً عن حماية الوطن اليهودي.

الحجاج الى مكة

جاء في المجلة الجغرافية الانكليزية (ايلول ١٩٢٩) مقال عن الحج الاسلامي موقّع باسم «الدون روتر» قال فيه صاحبه :

ان عدد الحجّاج المسلمين من سائر الامم يزيد بحسب ما يلاقونه من التسهيلات ، او من المصاعب ، في توجههم الى مكة . وان مصر هي في مقدمة البلاد الاسلامية عدداً بارسال مسلميها الى الحج ، وقد يبلغ عددهم سنوياً زهاء ١٥,٠٠٠ ، ولا عجب لان المصري المسلم من اي نقطة رحل قاصداً الى جزيرة العرب ، وجد ميقاتاً للسفر معيناً ووسائل للنقل تحمله الى مكة ، والى المدينة بسرعة تمكنه من القيام بفرائض الحج باقلّ من شهر واحد.

الى ان يقول :

ان عدد الحجاج الافغان القاصدين الى مكة وافر . وهم رجال خشان الطبع اقرب الى البدو خَلقاً وخُلقاً . وقد دخلتُ احدى مكاتب مكة فوجدت فيها

افغانياً يجادل صاحب المكتبة جدالاً محتدماً باللغة الفارسية ، وفهمت منه انه جاء عن طريق العجم ماشياً من غير ما يتزود لسفره بزاد. ولمّا بلغ الى الرياض توفق الى ركوب جمل في قافلة الامير فيصل نجل ابن السعود . واكثر الحجاج الافغان يأتون مكة عن طريق البحر من قراشي.

امّا الحجاج العجم فعددهم قليل . وقد يراقبهم اهل مكة عن كثب لما يعلمون من ترفضهم وبغضهم للسنّيين . وحدث ان بعضهم نجس الكعبة.

وعدد الحجاج من مراكش والجزائر وليبية قد يبلغ ١٠,٠٠٠ اجمالاً ، وكذلك عدد الوافدين من الشام وتركية والبلقان . وعدد الحجاج من الاكراد واهل بخارى ، ومن التركمان ، يبلغ الخمسة آلاف ، ومن الهند الصينية الفاً . ولا ينفكّ الحجاج يضربون في اواسط افريقية قاصدين الى بلاد العرب من السنغال ، والغينه ، وسيراليونه ، وليبارية ، عن طريق السودان الافرنسي ، ونهر النيجر ، والساحل الذهبي ، شرقي بلاد العبيد . فيتحركون على مهلهم ويرتزقون امّا بالتجارة او بالخدمة او بالتسوّل . وقد يمرّ الالوف منهم بسوق مدينة كانو الاكبر . وعددهم يزيد مع توغلهم في البلاد الاسلامية الهمجية الواقعة جنوبي بحيرة تشاد . فتموج موجتهم ترا الى الشرق . واغلبهم مشاة ، وبعضهم يركبون الابل ، فيسيرون ببطء ويكدّون سحابة اشهر الى ان يبلغوا نهر النيل او احد سواعده ، بين جوندوكورو ودنقلة . ويهلك منهم كثير على الطريق ، واكثرهم يصطحبون نساءهم في اسفارهم ، فتلد الامهات على الطريق ، ويحملن اطفالهنّ ، ويواصلن والرجال الرحيل مدة سنة او سنتين او ثلاثاً . فاذا شرب الحجاج من ماء النيل وترطبوا ، قطعوا النهر ، ثم واصلوا سيرهم عن طريق بلاد السودان الانكليزية المصرية ، فالايريتره الايطالية ، او عن طريق الحبش والصومال حتى البحر الاحمر . فيركبونه ويسيرون والشاطئ العربي الى الحجاز ، او العير ، او اليمن حسبما تدفعهم الرياح ، والموج البشري من افريقية لا ينقطع اياباً ذهاباً ولا يزال يزداد في البلاد المجاورة للبحر الاحمر في موسم الحج . ومن المحال تحديد عدد الحجاج الزنوج سنوياً الى مكة . والوف منهم يموتون على الطريق قبل دخولهم الجزيرة ، والوف يموتون في الجزيرة قبيل

بلوغهم عطة الآمال . امّا الذين يمرّون بجدّه او بينبُع فعددهم قليل بالنسبة الى المجموع . اينما دفعت الرياح المركب الشراعي على سواحل البحر الاحمر ، هناك ينزل البحّارون ركّابهم ، وباشارة ايديهم يدلّونهم على وجهة مكة ويتركونهم . في حي مكة المسمى المسفلة اكواخ حقيرة مركبة من جلود الحيوانات ، وتنك البترول ، وبعض الاخشاب ، هناك مقام الزنوج غالباً ، وقد لا يقلّ عددهم سنوياً عن الاربعين الفاً .

نظرات في الموسيقى الشرقية

عرفت الشهباء في اواخر القرن الماضي ، وفي مستهلّ هذا القرن اجواقاً من الملحنين ، ابناء الفن ، كان الاجانب يأتون عن بعد لسماعهم . وبلغنا عن حضرة الاب كولنجت صاحب المقالات العلمية في الموسيقى الشرقية انه لم يطرب لسماعه آلات الطرب والنساء الشرقي في مدينة من مدن الشرق طربه لسماع اجواق المغنين في حلب . وبين المغنّين الحلبيين سمعنا الشوّا صاحب الكمنجة . والشوّا رزق ابناً سمّاه سامي ، فنشأ وتعلم على ابيه ، وسافر الى نيويورك فاطرب الناس فيها من شرقيين واجانب ، وتحدث الى بعضهم في اثر الموسيقى الشرقية ، فروت حديثه مجلة السيدات والرجال (١٩٢٩ : ص ٢٤٧-٢٥١) ورويناه عنها مناسبة لمرور الاستاذ الشوّا حالياً في بيروت .

سأله المحدّث عن تأثير الموسيقى الشرقية في الافرنج فأجاب :

« لكل امرىء من دهره ما تعوّدا » . فكما اننا لا نستلذّ الموسيقى الافرنجية كذلك الافرنج لا يستلذون موسيقانا . واذا تعودنا سماع موسيقاهم طربنا لها . وهم كذلك . لما كنت في نيويرك اجتمع بي بعض مشاهير الموسيقيين هناك لكي يسمعوا موسيقى الشرق . وقد جاءني احد مشاهيرهم خصيصاً لكي يتفهم دخائل موسيقانا . فبعد ان اسمعته بعض قطع سألته رأيه . فقال للمترجم بيننا : ليس لهذه الموسيقى « عيش » عندنا اذ لا يمكن ان يحتملها الشعب الاميركي . فقلت . قل له : هل يسمح لي ان اسمعه هذه القطعة الاخيرة كل يوم مرة واحدة فقط مدة اسبوع ؟

فقال : لقد غلبني بالحجة . اخاف اني اذا سمعتها سبع مرات اعشقها . لا بأس ان نمتحن الامر من قبيل التحقيق الفني .

قال الاستاذ سامي : وبالفعل كنت اجتمع بذلك الاستاذ الموسيقي الفنّان

كل يوم واسمعه القطعة نفسها مرة . وما انتهى الاسبوع حتى صار الرجل يهتز لها طرباً واعترف بان في الموسيقى الشرقية ما يهز الجوانح اذا اعتيد سماعه . ولقد كان الاميركان ينفرون من الموسيقى الروسية كثيراً . ولكن أتيح لها ان تعزف كثيراً في اميركة فاصبحت اخيراً عشيقة الشعب الاميركي اكثر من كل موسيقى . حتى انها عاشت في اوربة ايضاً .

ثم سأله المحدث عن رأيه في استعمال العلامات الموسيقية لتقييد الالحان الشرقية ، فاجاب :

لا انكر فضل العلامات على الموسيقى عموماً . واذا لم يكن لها من فضل سوى ضبط الالحان وحفظها من الضياع واسترشاد الموسيقيين بها عند النسيان ، اذا لم يكن لها من فضل سوى هذا فكفى . وهي من الوسائل التي تخفف العناء على طلبة الفن .

قلت : ولكني لا اعتقد ان نقل اللحن من استاذ الى تلميذ او من عقل الى عقل عن طريق النظر يكفل نقل الروح الموسيقية معه ، لانه لا يخفى عليك ان آلة الالحان هي العصب السمعي لا العصب النظري ، والمطبعة التي تطبع بها الالحان في الدماغ هي المركز السمعي لا المركز البصري . فاقتباس اللحن من المعلم الى المتعلم عن طريق البصر انما هو طريق طويل غير مباشر فيضيع قسماً كبيراً منه في النسخ ويشوهه . ولذلك اعتقد ان اقتباس الالحان بالسمع اضمن لاقتباس روحها من الاقتباس بالبصر بواسطة العلامات . هاك بشرفك الذي سمعناه الآن . هل يمكن اي عازف مهما كان بارعاً ان يأخذه عن العلامات ويعزفه كما عزفته انت من غير أن يسمعه على اصله منك او ممن تعلمه منك او من الفونوغرافات كما امليته انت ؟

فابتسم الاستاذ ابتسامته اللطيفة المعهودة وقال : اني معك في هذه . واليك برهاناً دامغاً عليه : أخذ قطعة من رواية تاييس اربعة اساتذة عظام وهم هيفس وكبرينغ وكليزر وميشهلسن ، اخذوها جميعاً عن كتاب مطبوع . كل على حدة . وملأها كل منهم للفونوغراف . فاذا سمعتها شعرت بالفروق بين جميعها . لا تجد واحداً منها مطابقاً لآخر بالروح مهما طابقه في الوقع . وهذا مما يؤيد قولك ان العلامات تضبط اللحن ولكن لا تضبط الروح الموسيقية . لان هذه

تأتي عن يد العصب السمعي.

قلت : اذا كان الامر كذلك في ناحية واحدة فما قولك اذا كان افرنجي مثلاً يعزف بَشرَفك بحسب العلامات ؟ لا ريب انك لا تستطيع ان تسمعه . الا تذكر اننا كنا منذ عامين في منزل احد الاصحاب في سهرة ساهرة جمعت جمهوراً من الكرام . وكانت هناك سيدة سورية جميلة الصوت وقد درست فن الغناء درساً متقناً في اميركة وعزمت ان تتمّ علمها في ايطالية . وكان مما استمعناه حينئذٍ بعض طقاطيق سورية ومصرية . فكان هيكل اللحن شرقياً، ولكن الروح افرنجية . فكم كان مستهجناً ان نسمعه . أليس مستهجناً أن تسمع طقطوقة « حوّد من هنا » مثلاً تغنى على المقامات التي وضعت لها ولكن بلهجة افرنجية بحتة ؟

فقال : لا اخالفك في ذلك.

قلت : اذاً ارجو منك ان لا تنصح طلبة الفن ان يعتمدوا كثيراً على العلامات في الاقتباس بل ان يعوّلوا بالاكثر على السمع لكي تتحرك فيهم الروح . ومن حسن الحظ ان الفونوغراف الآن يقضي هذه الحاجة بعض القضاء للبعيدين الذين لا يتسنى لهم ان يسمعوا جوقات الغناء هنا.

قال : حقاً فليحيَ اديسون.

قلت : ولكن حاذر ان تعطي الفونوغراف اكثر من حقه . لانه يستحيل ان يسمع البعيدون كنجة الشرّا كما نسمعها نحن ولا غناء ام كلثوم كما نسمعه ، فنصف الطلاوة والروح تبتلعها طبلة الفونوغراف كاتاوة لاديسون او جزية له . وهو جدير بهذه الجزية لو كانت تنفعه . ولكن الناقص خير من العدم.

وسأله : هل الموسيقى الشرقية ارقى مما كانت عليه منذ ٥٠ او ١٠٠ سنة مثلاً. فاجاب:

لا. لا انكر ما ادخل عليها من التفنن. ولكن ليس كل تفنن كان ارتقاء. بل كثير منه ردّ الموسيقى الشرقية الى الوراء . لقد اهمل اساتذة الآلات والغناء والتلحين باب التوشيح وهو اعظم وافخم باب في الالحان الشرقية وبكل اسف استعاضوا منه بباب الطقاطيق وما هي الّا حثالة الفن . اين اعظم طقطوقة من احقر توشيح.

قلت : والله اصدقك القول يا سامي . اني اطرب بالتواشيح التي تغنيها الجوقة قبل صعود المغني او المغنية الى المنصّة اكثر من جميع الطقاطيق.

قال: لم تسمع الّا ابسط التواشيح ، واكثرها قد تشوه... بالك لو سمعت التوشيح الملقب « حيّ »

قلت : ما هذا ؟

قال : مطلعه :

اسق العطاش تكرما فالعقل طار من الظما

يستغرق ضربه وغناؤه نحو ٤ ساعات، ويستلزم جوقة مؤلفة من عدة آلات وعدة مغنين مختلفي الاصوات . فاذا سمعته على اصوله استغربت لانك ترى فيه الطلث ، اي الارمونيا (Harmony) ، اعظم وافخم جداً مما تسمعها عند الافرنج . وحينئذٍ تعلم ان الارمونيا كانت موجودة في الشرق قبل ان توجد في الغرب.

ثم قال : قبيل الحرب كان اثنان من سراة المصريين الولوعين بالغناء في سورية فبلغ اليهم ان المرحوم والدي سيحيي حفلة طرب نادرة في حلب. فاسرعا الى حلب وحضرا تلك الليلة . ولما عادا الى مصر زارني احدهما وجعل يصف لي تلك الحفلة التي حوت على قوله جمهوراً عظيماً كان اعجوبة في هدوئه. قال: « ثم ابتدأت الآلات (وعددها بضع عشرة) بغتة بمدخل ملائكي اخذ لبّنا فكنا انا وصاحبي كأننا في سكر . ثم طلع المغنون بالاصوات المختلفة بتوشيح « حيّ » . فشعرنا كأننا قد انتقلنا الى عالم الغيب. اذا كانت موسيقى الملائكة حول العرش الرباني هكذا فأحرِ بجميع الناس أن يتقوا الله لكي يؤذن لهم في الآخر ان يسمعوا هذه الموسيقى . فكفى بها ثواباً في الآخرة. قال: انقضت اربع ساعات في ذلك الموشّح ونحن لا نظنها اكثر من نصف ساعة . كانت السحر ، الذي لعب بالالباب ، لما تقلب فيها من الانغام ، وتجاوبت بها الآلات وتناجت الاصوات باساليب يستحيل وصفها.»

قلت : لماذا يا سامي لا تؤلف جوقة وتخصها باسماع الجمهور توشيح«حي» وامثاله ؟ فهذا ضرب من الموسيقى لا يعرفه الجمهور ، والحق على اساتذة الفن

لانهم اغضوا عنـه . فلو سمع الجمهور هذا الغناء الساحر لعدلوا عن الطقاطيق السخيفة.

فابتسم واغضى نظره ثم قال : ان جمع جوقة كهـذه وضبطها وتعليمها توشيحاً كهذا يحتاج الى استاذ له سلطان دولة وصولة سلطان . وداعيك كما تعلم . . .

قلت: والله لقد اهجت بلابلي بتوشيح « حيّ ». فما العمل لكي نسمعه؟

قال : بكل اسف لا يمكن سماعـه الّا من جوقة متعـددة الآلات والاصوات لان فيه طقطقاً (ارموني) كما قلت . فلا استطيع ان اسمعك منه الّا تاريخه فهو مطرب ايضاً .

شذرات

الى اين المسير يا سيارات ؟

لا يأتينا التقدّم العصري بالبركات مجّاناً ، لانه يساوم البشرية ويتقاضى على رقيها تضحيات ثمينة ، من جملتها تلك النفوس التي تذهب ضحايا السيارات ، فان عددها ، في الولايات المتحدة الاميركية وحدها ، يقارب الاثني عشر الفاً في السنة . وهذا المعدّل يساوي عدد ما يحصونه من القتلى بعد المواقع الكبرى ، او على اثر انتشار الاوبئة الفتاكة . نعم ان الاشياء في الولايات المتحدة تتضخم حتى تبلغ اقصاها في مختلف انواعها ، ومنها النكبات . ولكن هوذا بلجيكة فانها على عدد سكانها الثمانية ملايين ، ورزانة اخلاقهم ، تعدّ يومياً زهاء ٢٠٠ حادثة كبيرة او صغيرة تحدثها السيارات . وفي جمهوريتنا الصغيرة لا نكاد نفتح جريدة الّا ونرى حوادث الرهس والصدم والانقلاب تزداد شيئاً فشيئاً . حتى ضاقت علينا مذاهبنا في البلاد التي ننعتها بالمتمدنة وفي المدن الكبيرة خاصة . وعمّا قريب سوف لا يجرؤ المرء على الخروج من بيته قبل ان يكتب وصيته الاخيرة . فالى اين المهرب ! كان النساك المسيحيون في سالف الزمان يقصدون

الى البراري فراراً من العالم وضوضائه . وها ان البراري والمغاور تغصّ اليوم ، على سعتها ، بالسيارات . وقد بلغنا عن ابن سعود انه لما عاد الى الرياض عاصمته منذ بضعة اشهر ، وجد بوجهه مئة سيارة كانت قطعت مسافة ١٦٠ ميلاً لملاقاته. نشرت هذا الخبر جريدة مكة الرسمية لكنها لم تعلق عليه خواطر الجمّالين وآراءهم في هذا الشأن. هذا وان الاعداد التالية تمكننا من الوقوف على حركة زيادة السيارات في ٦٢ قطراً من الاقطار التي حصلنا على احصاءاتها الرسمية. فان مجموع السيارات فيها يبلغ ٣١ مليوناً ، وهي تسير على مسافة تسعة ملايين ونصف مليون كيلومتر من الطرق المعبّدة لها . وقد بلغت نفقات شقّ تلك الطرق وتصليحها وتمديدها مليونين ونصف مليون دولار . امّا ما يدخل الخزينة من الضرائب على السيارات فيبلغ ١١٣٥ مليوناً في نصف تلك الاقطار . على اننا نفتش عبثاً بين هذه الاحصاءات عن عدد الضحايا المقدّمة لشيطان السرعة. واغلبها اولاد صغار ونساء وشيوخ . فلو عرفنا عددهم بالتأكيد ، لاخذتنا الرعشة لعلمنا ما بلغت اليه الاستهانة بقيمة الحياة البشرية. ولعل الحرب الكبرى لم تفتك بالناس اكثر من فتك السيارات بهم. لقد الفنا في طلبة جميع القديسين ان نسأل الله النجاة من الطاعون والحرب. وعمّا قليل سوف نقول : « من خطر السيارات ، نجّنا يا رب!»

من حديث السيارات ايضاً !

لا يخفى ان عدداً لا يُستهان به من حوادث السيارات مسبَّب عن ثقب الدواليب في حال السرعة . وكثيراً ما تكون هذه الاثقاب ناتجة عن وجود مسامير في الطرق تنشب في كاوتشوك الدولاب الخارجي ، فتخرقه الى دولاب الهواء المضغوط فتعطل السيارة . وهذه طريقة يستعملها من شاء الانتقام من احد السوّاقين مثلاً ، فيبذر في الطريق التي سيمرّ عليها عدداً من مسامير البيطرة المحدّدة الرؤوس . وقد لجأ اليها بعض سوّاقينا ، لما اضربوا عن السير احتجاجاً على قساوة رجال الدرك والشرطة في معاملتهم اياهم ، في اواخر حزيران الماضي. فاخذوا يلقون المسامير على الطرقات العمومية انتقاماً ممن لم يشاركهم في ذلك الاضراب العامّ . امّا بعد اليوم فقد يصبح من الصعب عليهم استعمال هذه

الطريقة ، فقد بلغنا مؤخرًا ان مصلحة الطرق المكسيكية وجدت واقياً من خطر المسامير ، فاخذت تستعمل ماكنة ممغنطة لالتقاطها من الشوارع والطرق. ولم ينقض الشهر الاول على استعمالها حتى التقطت نحو ٧٦٠,٠٠٠ مسمار ، مبطلةً بذلك نحو ٣٥,٧٠٠ حادثة في كل ميل استعملت فيه الماكنة الجديدة.

من شروط الزواج في تركية الجديدة

ذكرت جريدة « ام القرى » ان الحكومة التركية اصدرت مرسوماً يقضي بان لا تتم موافقة الحكومة على ايّ عقد من عقود الزواج بين شخصين ، ما لم يحمل الشخصان شهادة مفتش حكومي خاصّ يشهد فيها بانه قد اختبرهما فوجد أنهما يعرفان الحروف الابجدية اللاتينية وانهما يجيدانها قراءة وكتابة . وهذه احدى وسائل تركية لنشر الحروف اللاتينية بين رعاياها.

المطبوعات في فرنسة وانكلترة واميركة في عشر سنوات

نشرت «المجلة الفرنساوية» لائحة بعدد الكتب الجديدة التي طُبعت في مدن فرنسة وانكلترة والولايات المتحدة في العشر السنوات الاخيرة ، فاذا هي كما يلي :

سنة	فرنسة	انكلترة	الولايات المتحدة
١٩١٨	٤ ٤٨٤	٧ ٧١٦	٩ ٢٣٧
١٩١٩	٥ ٣٦١	٨ ٦٢٢	٨ ٥٩٤
١٩٢٠	٦ ٣١٥	١١ ٠٠٤	٨ ٤٢٢
١٩٢١	٧ ٦٢٦	١١ ٠٢٦	٨ ٣٢٩
١٩٢٢	٨ ٥١٥	١٠ ٨٢٤	٨ ٦٣٨
١٩٢٣	٨ ٧٨٤	١٢ ٢٧٤	٨ ٨٧٣
١٩٢٤	٨ ٤٦٤	١٢ ٧٠٦	٩ ٠١٢
١٩٢٥	١٥ ٠٥٤	١٣ ٢٠٢	٩ ٥٧٤
١٩٢٦	١١ ٠٩٥	١٢ ٧٩٩	٩ ٩٢٥
١٩٢٧	١١ ٩٢٢	١٣ ٨١٠	١٠ ١٥٣
١٩٢٨ على التقريب	١٤ ٠٠٠	١٥ ٠٠٠	١٢ ٠٠٠

فنرى ان حركة المطبوعات تقدمت في فرنسة اكثر من غيرهـا فكانت فيهـا الزيادة تعادل ٣١٢,٢٢ ٪ ، وفي انكلترة ١٩٩,٤٠ ٪ ، وفي الولايات المتحدة ١٢٩,٩١ ٪ . واذا قسنا هذه المطبوعـات على ايام السنة كان لنا في فرنسة ٣٨ كتاباً في اليوم الواحـد ، وفي انكلترة ٤١ ، وفي الولايات المتحدة ٣٢.

وقد نشرت المجلة ذاتها احصائية لتقسيم الكتب المطبوعـة في فرنسة من حيث مواضيعها ، فكان فيها لسنة ١٩٢٨ ، نحو ٧٠٠٠ رواية قصصية ، و١٠٠٠ مجموعة شعرية ، و١٥٠٠ مجلد من مطبوعات الترف والزخرف ، و٤٠٠٠ مجلد في موضوعات شتى في العلم والتاريخ ونحو ١٥٠ ترجمة حياة.

هذا وقد يتساءل القرّاء ، امام هذه الارقام الضخمة ، هل يمكن لاصحاب المطابع وارباب النشر ان يبيعوا كل هذه الكتب ؟؟؟ امّا الجواب فظاهر من ازدياد عدد المطابع ، واتساع محلّات النشر سنة فسنة . على انّ هناك فريقاً من القرّاء لا يسرّهم اتساع هذه الحركة ، الا وهم النقّاد الذين يُجبرون على اكثر قراءة هذه المنشورات ، اذا ارادوا القيام بمهمتهم حق القيام . فلنترك لحالهم ، ولنأمل اننا نرى قريباً اشباه هذه اللوائح في ما يخصّ المنشورات العربية.

بيروت مدينة الطلبة

اطلعنا على احصاء عدد الطلبة للسنة المدرسية الفائتـة في جامعتي بيروت الكبيرتين ، وهما كلية القديس يوسف والجامعة الاميركية ، فرأينا ان ننشره ليطّلع قرّاؤنا الكرام على ان بيروت لا تزال ، كما كانت منذ القدم ، مدينة العلم ومقصد طلّابه . وقد خصصنا الجدول الاول بترتيب الطلّاب حسب اديانهم ، والجدول الثاني بترتيبهم حسب اوطانهم.

كلية القديس يوسف		الجامعة الاميركية
حسب الاديان ٩٢٠	كاثوليك	٦٣
٢٠٥	مسيحيون من باقي الطوائف	٥٢٣
١٦٦	غير مسيحيين	٥٢٣
١٢٩١	المجموع	١١٠٩

كلية القديس يوسف		الجامعة الاميركية
حسب الاوطان ٩٩٧	من لبنان وبلدان الانتداب الفرنساوي	٣٩٦
٩٨	من بلاد آسية الغربية	٥٥٥
٦٣	« « افريقية الشرقية	٥٦
٣٧	« « اوربة الشرقية	٤٦
٦٧	من فرنسة	١٠
١٢	من سائر بلاد اوربة	٢٠
١٧	من اميركة	٢٦
١٢٩١	المجموع	١١٠٩

فنرى ان في الجامعتين وحدهما ٢٤٠٠ طالب فضلاً عما في المدارس الثانوية والابتدائية.

اما عدد الطلبة الشرقيين من غير مناطق الانتداب الفرنساوي فهو على ازدياد متواصل . وهذا جدول نقابل فيه بين عددهم سنة ١٩٢٨ ، وعددهم في هذه السنة ، وذلك في جميع مدارس بيروت من ابتدائية وثانوية وعالية :

	١٩٢٨	١٩٢٩
من العراق	١٥٠	٢٦٠
من فلسطين	٢١٠	٣٩٠
من شرقي الاردن	٧	٢٢
من مصر	٣٦٠	٤٥٠
المجموع	٧٢٧	١١٢٢

على عهد الامير

لماذا ؟

رواية لبنانية تاريخية

بقلم فؤاد افرام البستاني

وقد يكون من الابناء ضحايا في سبيل آبائهم
من حيث لا يعلمون

الفصل الحادي عشر

عرس غريبين (تابع)

— ضع عشرة اكياس في الخزينة الداخلية ! وهيئ خمسين كيساً نرسلها للسلطان سليم في الشهر المقبل . وخبئ خمسين كيساً في القبو الأسفل . واترك عشرين كيساً للنفقات .

— ولكن الواردات لا تكفي يا مولاي . فهي لا تبلغ ، بعد طرح النفقات ، سوى الثمانين كيساً .

ففكر الجزّار قليلاً ثم قال بصوت بدأ التهدّج يظهر فيه :

— وكم ارسل ابنا الامير يوسف ؟

— لم يرسلا شيئاً الى الآن ، بل وعدا بدفع خمسين كيساً .

فاحتدم الجزّار والقى ماسورته صائحاً :

— وعدا ! وعدا ! مواعيد ، مواعيد . ذاك يعدني كثيراً ! وهذان يعدانني اكثر والنتيجة ؟ لا شيء ! أولا ازال العربة في يد اللبنانيين يهزأون بي كيف شاؤوا ، ومتى شاؤوا ؟ . . . عندي ثلاث مقاطعات لا تنفك ترسل اليّ محتوياتها : فقاطعة صفد تمدّني فضةً وذهباً ، وجبل نابلس يمدّني رصاصاً وبارودًا ، وجبل لبنان يمدّني كذباً ونفاقاً ! . . .

ثم سكت ، فاحترم حاييم سكوته .

عند ذاك دخل اكبر حجابه ، سليم آغا ، وقال:

– الشيخ غانم بالباب يستأذن بمواجهة مولاي !

فاطرق الجزّار مدة ثم قال :

– كذبة جديدة ايضاً . ادخله لنرى ما يحمل

ثم مسح لحيته ، ونفض ماسورته ، والقى نظره على الباب . فتقدّم غانم بكل لطف ، وقبّل يده ، وقال:

– ليعذرني مولاي على ازعاجي خاطره في مثل هـذه الساعة . ولكني جئت اؤدّي رسالة من ولده الامير بشير ، ولم اشأ ان اتأخر في ذلك .

فهزّ المولى رأسه وقال ببرودة :

– وما هي تلك الرسالة المهمة ؟

فاومأ غـانم الى فرحات الذي كان لا يزال امام الباب ، فتقدم حامـلاً الكيـين . فتناولهما غانم وقدّمهما الى الجزّار قائلاً :

– هي هذا المبلغ الزهيد ... خمسون كيساً لا غير ارسلها الامير خدمة بسيطة ، راجياً من الطافكم ان لا تعتبروها على الحساب ، بل على سبيل هدية صغيرة على قدره لا على قدر سعادتكم . اما ما بقي لسعادتكم في ذمّتـه من المال ، فيتشرّف بارساله ، ان شاء الله ، في القريب العاجل .

كانت العاصفة الليلية قد انتهت قبيل الفجر بسرعة عجيبة وعقبهـا هدوء تامّ فبدا البحر صافياً كالزيت ، كما يقول البحّارة ، والهواء ساكناً لا يحرّك شجراً ولا يثير غباراً . وقد يكون في الطبيعة مثل هذا الانتقال المفاجئ ... امّا عاصفة الجزّار فكانت اقصر مدة ايضاً ، وتبعها هدوء وسكون غريبان . فمن الحنق والازباد انقلب الى الدعـة والتسكون ، ومن بُركتي دم تفوران غضباً وحقداً تحوّلت عيناه الى مرآتين تلمعان صفاء ولطفاً . كل ذلك مفعول الخمسين كيساً ... فتناولها جذلاً ، وقذف بها حاييم الذي كان لا يزال مطرقاً يرتجف ، منتظراً بين لحظة واخرى امراً بقطع يده او رجله ، بعـد ان صام الجزّار اذنه ، وجدع أنفه ؛ ثم قهقه قائلاً:

— هذا مطلوبك ! فقم الى لعنة الله !

فتشدَّد حاييم وقبّل يد مولاه . ثم حمل المال وخرج ، وعلى شفتيه ابتسامة من شاهد ملك الموت على خطوة منه ، وافلت من براثنه .

امّا الجزّار فاشار الى غانم بالجلوس ، فجلس وهو يفكر في اسلوب يكلّم به المولى عن ابنَي الامير يوسف . ثم امر له بالقهوة ، والماسورة يدخّنها في كشكه الخاصّ . والتفت اليه بعطف فقال :

— هدية ولدنا الامير بشير مقبولة دائماً . فبلّغه دعاءنا بنجاحه الدائم ، وبلّغه ايضاً ان لا صحة لما سمعه عن اني طلبت ابنَي الامير يوسف . . .

فبهت غانم من هذه المفاجأة غير المنتظرة ، واراد ان يظهر الاحتجاج . فرفع الجزّار يده مشيراً بالصمت ، وتابع :

— اذاً بلّغه ان لا صحة لما سمعه من اني طلبت ابني الامير يوسف . لاني لا اريد حاكماً على الجبل الّا الأمير بشير . امّا خروج الاميرين مع كاخيتهما من دمشق فكان المقصود منه ملاقاة عبدالله باشا القادم من الحجّ . فاشرح له كل هذا وطمّنه . ثم قلْ له ان لا يتأخر بتقديم ما لنا عليه من المال .

فوقف غانم شاكراً للجزّار نعمه العديدة ، ومكرّراً مواعيد الأمير . ثم رأى من الموافق عدم اطالة تلك المقابلة . فقبل يد المولى واستأذنه بالانصراف .

وعند وصوله الى البيت ، اجاب الاميرَ حالاً بتفصيل كل ما جرى ، وهو ذاهل لما تحققه من قوة فراسة الجزّار ومقدرته على ضبط الامور ومعرفة خفايا الضمائر ، مع شدّة حرصه على المال .

الفصل الثاني عشر

تحت اسوار عكا

انقضت سنة جديدة من حياة غانم في عكا ، والامير بشير لا يزال يماطل في دفع الميري ، والجزّار لا يزال يماطل من جهته في اطلاق سراح الرهينة ، وابنا الامير يوسف ومدبّرهما لا يزالون في نواحي عكا يترقّبون الفرص لاستمالة الباشا والحصول على الامر بعزل الامير بشير . امّا غانم فكانت الغربة قد عزّزت فيه حبّ العزلة والانفراد ، وكان له في داخل عائلته ما يصرفه عن طلب التسليات الخارجية ، فغدا لا يهتمّ الّا بولديه يصرف في ملاعبتهما معظم نهاره ، ويقضي الباقي في محادثة مصطفى آغا . فيطلعه هذا على المهمّ من الحوادث والاخبار ، ويوفّر عليه مؤونة الجولان في القلعة ، والاستهداف لنظر الجزّار ، والتعرّض للالتقاء ببعض اللبنانيين من الحزب المعاكس ، وقد اصبحوا كثيرًا في اروقة السراي يذهبون ويجيئون منتظرين قرار المولى بفوزهم على الامير . كل ذلك كان يطّلع عليه غانم وهو في منزله ، فيبعث به الى اميره طالبًا اليه التعجيل في ارسال اموال « الميري » تلافيًا لما قد يفاجئ من بوادر الجزّار ، واملًا بان هذا يطلق سبيله ، اذا ما تأكد وفاء الامير بوعوده . فيطير بامرأته وولديه الى مسقط رأسه ، ويخدم اميره في بلاد اجداده .

على ان هذا الأمل كان يتضاءل شيئًا فشيئًا لما كان يخشاه من قرب انقلاب الجزّار على الامير ، فييأس من الخلاص ، ويتعزّى بالانزواء في البيت يداعب ولديه ويفرّج الهموم عن صدر بدور ، فلا يخرج الّا لأمر مهمّ .

وبينا هو صباح احد الايام ذاهبًا لشراء بعض الحوائج من خان الافرنج ، رأى جمعًا غفيرًا يتجمهرون حول السراي ، فتطاول اعناق البعض نحو الحائط قرب الرتاج ، ويلفظ البعض الآخر صاخبين ، ويرجع غيرهم منكسي الرؤوس شاحبي الالوان . فاستغرب هذا المظهر غير المألوف ، وظنّ اولًا ان الجزّار اصدر امرًا جديدًا بتكثير الضرائب او بحجز الاموال ، او بعقاب بعض مناوئيه . لكنه لم يقترب من الرتاج حتى تحوّل استغرابه الى ذهول ملك عليه طرق

تفكيره ، اذ رأى منشوراً كُتب بحرف ديواني كبير ، وصُدّر برسم الطغراء السلطانية ؛ فقرأ فيه ما يلي :

فرمان
الى سائر البلدان
من السلطان سليم خان

« بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله ربّ العالمين . والصلاة والسلام على سيد المرسلين . وعلى آله وصحبه اجمعين . امّا بعد يا جماعة الموحّدين . وملّة المسلمين . اعلموا ان الطايفة الفرنساوية جعل الله تعالى ديارهم دارسة . واعلامهم ناكسة . وهم الكفرة الطغاة . والفجرة البغاة . لا يؤمنون بوحدانية ربّ السماء والارض ولا برسالة الشفيع يوم العرض . قد هجموا على اخذ الاسكندرية ومصر القاهرة وما يليها . ومرادهم الاستغلاس على يافا وغزة والرملة وتوابعهم . وعلى عزمهم الفاسد الخايب الغير صايب ولا مصيب تدمير امة المسلمين الموحدين . بوحدانية ربّ العالمين مقرّين . وبرسالة رسوله معترفين . فهذا قصد الفرنساوية من الحادهم ومكرهم . وشرّهم وكفرهم . فكيف لا يكون فرضاً لازماً على كل واحد من المسلمين . فيا غزاة الموحّدين . ويا ابطال الحرب والضرب . ويا رجال الغزو والنهب . ويا اراكن الشريعة المحمدية . وقواعد الملة الحنفيّة . بل يا كل المسلمين المؤمنين بالله تعالى وبرسوله مقرين . القوا الهنة المحمدية لحرب هذه الملة الفرنساوية لان في زعمهم ان زمرة الموحّدين كالكفرة الذين حاربوهم وحوّلوهم الى اعتقادهم . ولم يعلموا الملاعين ان الاسلام مغروس بقلبنا . والايمان ممزوج بدمنا . اكفراً بعد ايمان . وضلالاً بعد هديان . كلا ورب السماء والارض . فكونوا متفقين على تقوية الدين المبين . وعلى حذر من الكافرين . ولتكن سيوفكم بارقة . وسهامكم راشقة . واسنتكم متلاحقة . ونبالكم في ابدانهم متسابقة . والفرسان تجول بحومة الميدان . وتلقي الكفرة في النيران . ونحن من طرف السلطنة السنيّة . اشهرنا الامور العلية . في جميع العساكر والاجناد . وعلى ساير البلاد . بحول الله وقوّته .

وعظيم قدرته . عن قريب تجتمع كل العساكر وافره . وجنود متكاثره . وسفن كالجبال تمشي بقدرة الملك المتعال ذو الجلال . ومدافع كالرعد القاصف . والبرق الخاطف . وشجعان لا يبالون بالموت حباً في دين الله . واقتضى حيث وجود صداقة صدوقة محبة معروف سيادة المحب الصادق الصدوق . والخل الموافق الوثوق . اجلّ الاحباب . وسمهري الانساب . سعادة اخينا المحترم . سلطان الانكليز المفخم . المعتمد معنا بالارتباط سوية . على تدمير الملة الفرنساوية . ولعزيز مكارمه . ووفور مراحمه . اقتضى وجاد . بجوده في الوداد . وسيّر من فيض مكارمه سارى عسكر ثم ومن لدننا سارى عسكر لعمارة العثمانية . وكافة المراكب البحرية . افتخار الامراء الكرام في الطايفة المسيحية . وعظيم الكبرا الفخام في الملة العيسوية . مصلح مصالح جماهير الامة النصرانية . جناب محبنا السينيور بلمام سند سميت المكرّم بالتفويض الخاقاني . مشير مطلق . مشيّد موفق . ناظم ومنظم . قطب تلك الديار . بوجه المناظرة والاعتبار . فليعلم كل منكم تفويض محبته بالالتفات من لدننا من سائر الجهات . فمهما مرّ عليكم من مراكبه ومن اتباعه فيّروا له الاكرام الزائد . والانعام الوافر . وليعلم الخاص والعام . زود صداقته مع الاسلام . والاعانة لنا منه على الدوام . على تدمير الفرنساوية اللئام . تعلموا ذلك وتعتمدوه والسلام .»

حرر في صفر ١٢١٣

قرأ غانم الفرمان ذاهلاً لتلك المفاجأة ، مراجعاً مقاطع المنشور كي يتحقق صحة ما يبدو امام عينيه ، حتى اذا ثاب اليه رشده ، تناوبته الخواطر المختلفة وكلها تراوح بين الامل والايجاس . كان يؤمل خيراً بقدوم الفرنساويين ، الذين كثيراً ما سمع عن صفاتهم الطيّبة ومحبتهم للبنان واهله ، فيرجو ان يخلّصوه ، ووطنه ، من ظلم الجزّار . ولكنه كان يوجس خيفةً من انتقام هذا الظالم اذا شعر بوصول الفرنساويين ، ولا شيء يمنعه ان يقتل المسيحيين جميعهم تشفياً من الافرنج . ثم انتقلت به الافكار فجأة الى بلاط دير القمر ، فجعل يفكر بما عسى يكون موقف الامير بشير من هذا الأمر ، وهو يميل الى الافرنج كل الميل ، ولكن لا يمكنه ان يعصي اوامر وليّه ، ولهذا عليه

المال الوافر ، وبين يديه الرهائن الثمينة. وهنا ضاق صدر غانم ، فادار طرفه الى الجبال البعيدة يبحث في ما وراءها عن مقرّ بلده ، نادماً على معاكسته آراء فرحات في الحرب ، متأسفاً على انه لم يتخلّص مع بدور من مخالب الجزّار.

ثم اشتدّت تصوّراته ، فتجسّمت اوهامه ، حتى خيل اليه انه يرى الفرنساويين ، وقد حلّوا ارض عكا ، يضربون النطاق حول القلعة ، فيحصرون من فيها ، ويرمون اسوارها بكلل مدافعهم الضخمة ، ورصاصهم المتتابع ، فتفتح لهم الابواب ويدخلون ظافرين ... وبلغ الفرح من غانم مبلغاً استفزّه فجعل يهنئ نفسه بانتصار الافرنج ، بانياً من الآمال صروحاً شامخة ، طامحاً الى اقصى درجات السعادة والهناء ، مسرّحاً نظرًا مغتبطاً في اطراف تلك القلعة وقد صارت ، في وهمه ، ملك الفرنساويين فطهّروها من آثار الظلم والفساد...

ولكن لم يقع بصره على ضخامة تلك الجدران ، حتى عادت به الذكرى الى اربع سنوات خلت ، فرأى ذاته مع بعض اللبنانيين يقودهم علي آغا تحت تلك الاسوار ، فيطلعهم على منعتها ، ويشرح لهم ما بذله الجزّار في سبيل اعادة بنائها ، ويسأله غانم عن القصد من كل ذلك ، فيجيب بكلمات ظهرت في ذاكرة غانم بحرفيّتها كنبوّة قد قرب زمن تحقيقها :

— « من يدري ما يقوده الينا الزمان ممّا لعلّه يُظهر منفعة هذه الاسوار . وما ادراك ما سيكون لمنعتها من التأثير في مستقبل الاحوال . قد تنفع المولى في اشدّ أزماته ، وقد تغيّر مجرى كثير من المقاصد والمطامح... »

نعم لقد تُغيّر مجرى كثير من المقاصد والمطامح ... وقد بدأت النبوّة تتحقق من تلك الدقيقة ، فغيّرت هذه الذكرى مجرى افكار غانم من أمل استفزّه فرحاً غير معقول الى يأس مظلم تجلبب بخوف ، فكاد يدفعه الى الاشمئزاز من الحياة ، لولا ذكره لامرأته وولديه . على انه شاء التخلّص من تلك الاوهام ، فابتعد عن القلعة تاركاً للزمن ان يبتّ في حقيقة النبوّة ، وقصد خان الافرنج ليشتري ما طلبته بدور من الحرائج.

وكان ، في الطريق ، يرهف اذنيه عن غير قصد ليتسقّط ما يُقال عن مجيء الافرنج . فكان يسمع البعض يردّدون تعابير الفرمان ، خائفين من

اعلان الجهاد وما يجرّه من البلايا على التجار والمزارعين وسائر ارباب المصالح . فيجاريهم البعض الآخر هازئين بقوّة الجيش العثماني ، متأكدين انتصار الفرنساويين ودخولهم عكا . فيستدرك غيرهم زاعمين ان الانكليز مع السلطان ، ومتى قدم الانكليز الى عكا فانهم يحمونها من الانس والجان ، لان قوّادهم لا يُقاوَمون ، ومراكبهم لا تُغلب . . .

بين هذه الاقاويل المتناقضة ، قطع غانم معظم السوق حتى وصل الى خان الافرنج ، فالتقى بالاب توما ، وعلى هيئته إمارات العجلة والاهتمام ، فاستوقفه مسلماً . فقال الاب :

— كنت ذاهباً لاودّعكم في البيت . . . الحالة في منتهى الحراجة ، وقد اصدر الجزّار امراً بطرد جميع المسيحيين من عكا . . . والظاهر انه شديد الخوف من الفرنساويين ، ويخشى ان يثور عليه النصارى ، اذا ما قرب ابناء دينهم من المدينة .

— يطردكم هكذا ! واين تذهبون ؟

— نذهب الآن الى الجبل او الى صيدا . على ان الجبل آمن لنا اذ لا يبعد ان يصدر امره بعد ايام بطردنا من صيدا ايضاً ، بل ومن سائر المدن البحرية . . .

— أوَلا تظنّ انه يأمر بطردي انا ايضاً ؟ فاسرعْ معكم الى بلادي ونقيم في لبنان اعزّاء مكرّمين ???

فهزّ الاب توما رأسه ، وقال :

— لا اخال ذلك ممكناً . فليس الجزّار من الغباوة بان يتركك تفلت من يده ، وهو لم يستوفِ بعد اموال الميري من الامير . وعلى فرض انه استوفى ذلك ، فلا إخاله يتركك في هذه الظروف ، وهو غير امين من اميرك الى ايّ جهة يميل في هذه الحرب المقبلة ، وجيش ايّ فريق يساعد . . . أوَ لم تعلم شيئاً بهذا الخصوص ؟

— قطعاً ! بل انني لم اعرف بقدوم الفرنساوية الّا هذا الصباح !

— عجيب ! فقد شاع الخبر منذ ايام . وعلّق « فرمان الجهاد » صباح البارح ولا بدّ ان يكون عند الامير بشير معلومات ثمينة عن هذه الحركة قد يبعث

بها اليك فتفيدك في موقفك الجديد.

— هلمّ اذاً الى منزلي ، فتودّع بدور وتبارك الصغيرين ! ونرى هل جاءنا فرحات بشيء جديد...

بعد نصف ساعة ، كان فرحات يمسح عرقه ، ويقصّ على غانم وبدور والاب توما ان الامير بشيراً عرف بعزم الفرنساوية على مهاجمة مدن الساحل ، وانه ارسل الى مصر المعلم نقولا الترك ليطّلع على قوى الجيش ويعلمه بتاريخ زحفه على عكا. واخبرهم ان نصارى لبنان جميعهم ينتظرون بفروغ صبر وصول بونابرتي ، وقد اخذوا يستعدّون لملاقاته بالمؤن والذخائر ، وللانخراط في عسكره اذا سمح لهم الامير . امّا الدروز فقد ملك الرعب قلوبهم ، وبعد المخابرات العديدة ، اجتمعوا في اعبيه ، وتحالفوا في مقام الامير السيد علي على مقاومة الفرنساوية ، والخروج على الامير اذا انحاز اليهم. ولكن الشيخ عبدالله القاضي البيصوري اعترض المشايخ في قرارهم هذا ، وافهمهم انه لا سبيل الى مقاومة الامير . فسرّ الامير باعتراضه ، ورضي عنه ، واطلق له التصرّف بعقاراته.

فقاطعه الاب توما سائلاً ؟

— أوَ يقبلنا الامير في بلاده ؟

فقال غانم :

— بكل طيبة خاطر ! على اني ارجو منكم ان تؤخروا سفركم الى صباح الغد . ربما اكون جمعت بعض المعلومات عن عزم الجزّار ، فاكلف حضرتكم ايصالها الى الامير ، وتسيرون مع فرحات فيكون لكم دليلاً اميناً.

وقبل الفجر الاول كان فريق من مسيحيي عكا يقطعون حدود المدينة الى الجبل ، يتقدّمهم فرحات والاب توما ، وقد حمله غانم كتاب توصية للامير اخبره فيه بحالتهم ، واطلعه خصوصاً على ان الموقف في عكا حرجٌ للغاية ، وان الجميع يخافون من وصول الافرنج ، وان الجزّار يزداد إعراضاً عن الامير وميلاً الى الحزب المعاكس الذي يتكاثر عدد اعضائه في بلاطه يوماً فيوماً. وانه ، اذا ولّى ابني الامير يوسف ، فلا يمكنه تعزيزهما بالعسكر لما هو فيه من الاستعداد لمقاومة بونابرتي . فوالحالة هذه ، تؤول تولية الاميرَين لخير الامير بشير وحده ،

لانهما لا يمكنهما دخول لبنان لعدم مساعدة عسكر الجزّار ، ثم ينفسح المجال للامير بشير لرفض مطالب الجزّار ، اذا طلب منه المساعدة على الافرنج ، بحجة ان اهل الجبل لا يطيعونه بعد ان بلغهم تولية ابني الامير يوسف. فكان هذا الرأي دالاً على دهاء غانم ، واضطلاعه ، على صغر سنه ، بفنون الملحكات وملاوي السياسة.

ولم يتعالَ النهار حتى رجع فرحات وعلى وجهه امارات الذعر ، فبغت غانم والتفت اليه مستفهماً ، فقال :

— التقينا على ساعة من عكا بشرذمة من عساكر الجزّار ، فارقفونا واخذوا يفتشوننا واحداً واحداً.

فاضطرب غانم وقال : والمكتوب ؟

— لم يطّلعوا عليه لان بونا توما كان قد خبّأه في بطانة جبّته...

— الحمد لله ! وانت ؟

— لقد ارجعوني الى هنا بحجة اني لبناني ، والجزّار لم يسمح للبنانيين بالخروج ، بل طرد المسيحيين من سكان عكا.

فاطرق غانم قليلاً ثم قال :

— لنا نصيب بك ، فادخل ولا تكره شراً لعله خير...

* ٥ *

مرّ شهر على تلك الحال ، وغانم حائر في ما سيكون من اوامر والي عكا بشأنه وشأن اميره ، والاشاعات عن الجيش الفرنساوي تصل متقطعة متناقضة ، فمن قائل ان الافرنج مكسورون في بلاد مصر ، ومن زاعم انهم قادمون بالعسكر الى فلسطين ، والجزّار لا يزداد الّا اندفاعاً في التحصين والتسليح ، فأعلى الاسوار ، وزاد عدد الحامية ، وارسل فاحتلّ العريش على حدود مصر ، وحصّن يافا والرملة وحيفا ، وطرد المسيحيين من جميع المدن الساحلية.

وكان آخر مساويه ، في نظر غانم ، انه اتّهم الامير بشير بالاتحاد مع الفرنساوية ، بعد ان اخبره الشيخ جرجس باز بذهاب المعلّم نقولا الترك الى مصر ، فغضب واصدر امراً بعزل الأمير وبتعيين ابني الامير يوسف مكانه . ولكنه

اوقف تسييرهما الى الجبل لعدم توفر المساكر لديه في تلك الظروف الحرجة . فتمّ ما تنبأ به غانم ، واصبح ينتظر حلول غضب الجزّار عليه وعلى عائلته.

ولم يطل به الانتظار ؛ فاتاه ، في اوائل سنة ١٧٩٩ ، عبدالله آغا موفداً ، من قبل الجزّار ، يبلغه قرار مولاه باسترجاع امر الحريّة والاذن بالجولان الذي منحه اياه سابقاً ، وبوجوب نقله الى القلعة.

فلم يسع غانم الّا الامتثال ، فودّع مصطفى آغا ، وانتقل بامرأته ووالديه وفرحات الى غرفتين حقيرتين في الجانح الايسر من القلعة ، لا منفذ لهما الّا الباب يفتح على دهليز مظلم ، ونافذة تطلّ على البحر من علوّ شاهق.

وفي ليل السابع عشر من آذار ١٧٩٩ ، افاق اهل عكا مذعورين لدويّ المدافع المتتابعة ، فجعلوا يهجرون اطراف المدينة ملتفّين جميعهم حول السراي ، غير مبالين بما يتركون من أرض او منازل او مال ؛ ولا صوت يسمع في ذاك الليل سوى : وصل الافرنج !!!

امّا الجزّار فكأنّ قرب الخطر عزّز فيه عاطفة المقاومة ، فأحيا ما بقي من الليل يتفقّد الاسوار ، ويلقي الاوامر المشدّدة باحكام الاقفال ، والدفاع حتى النهاية ، مهدّئاً الخواطر ، مكرّراً ان المؤونة لن تفرغ لأن الانكليز يتكلّفون اعاشة المحاصرين من البحر ، وان الأسوار منيعة لن تؤثّر فيها مدافع الافرنج الجبليّة ، فضلاً عن ان في ابراجها مدافع قويّة ايضاً كان غنمها الانكليز من احد المراكب الفرنسوية.

وقد ازداد موقف الجزّار منعة بعد الثامن والعشرين من آذار ، اذ قام الفرنسويون باول هجوم على القلعة فارتدّوا خائبين بعد عراك شديد. فاراد الجزّار ان يثأر منهم ، فطلب جميع من كان في سجنه من المسيحيين واصدر الاوامر بشنقهم. فنفّذت حالاً على مرأى من فرحات الذي كان مختبئاً في احد الابراج. فأسرع يعلم مولاه غانماً ، وكان قد حُظّر عليه الخروج منذ وصول الفرنساويين. فخافت بدور كل خوف ، وجعل غانم ينتظر وصول الدور اليه بين ليلة وضحاها. على انه كان يدفع الاسى بتقبيل صغيريه ، فكانت كل بسمة من ثغريهما اللطيفين بارق أمل في ذاك الجوّ المدلهمّ بالخطوب والرزايا . . . (لها بقية)

مطبوعات شرقية جديدة

Grousset (René) : Histoire de l'Extrême-Orient. *t. I. 4 cartes, 26 pl., 1 frontisp. color. — t. II. 3 cartes, 6 pl. — gr. 8° XVIII - 771 p. Paris, Geuthner*, 1928.

تاريخ الشرق الاقصى

كان مؤلف هذا الكتاب ، وهو مساعد لأمين متحف غيمه (Guimet) ، نشر سنة ١٩٢٢ « تاريخاً لآسية » ، فاردفه اليوم « بتاريخ الشرق الاقصى » الذي يغني عن الاول ويمتاز عنه بحصر موضوعه ، باحثاً في الهند ، والصين ، وبلاد المغول ، والهند الصينية ، وانام . امّا تاريخ اليابان فآجله المؤلف لفرصة اخرى كي لا يضخم هذا المجلد . وانه لمن المفيد ان يكون لنا في ما خصّ تلك البلاد ، التي لا يكاد معظم قرّائنا يعرفون عنها شيئاً ، معلومات شتى عن ماضيها وحوادث تاريخها ، ومدنيتها ، وفنونها ، وجغرافيتها ، تظهر بطريقة مرتّبة مع الخرائط المفصّلة ، واللوحات التصويرية ، والمآخذ الواسعة للمصادر . وهو ما قام به صاحب الكتاب فاستفاد من التآليف الالمانية وخصوصاً الانكليزية في الموضوع ، فضلاً عن الفرنسويّة التي مهّدت السبيل لغيرها في درس بعض المناطق وبعض عصور التاريخ . وقد اورد المؤلف في بعض حواشيه نصوصاً باللغة الصينية .

س . ر .

Emilio Garcia Gómez : Un texto arabe occidental de la Leyenda de Alejandro. *Vol. in-8° de CLXIV + 108 + ٧٤ pp. Instituto de Valencia de Don Juan, Madrid*, 1929.

حديث ذي القرنين في مخطوطة مغربية

هي مخطوطة مغربية تتضمّن اسطورة الاسكندر الكبير نشرها المؤلف وترجمها الى اللغة الاسبانية ، بعد ان قدّم عليها درساً طويلاً علمياً في تلك الاسطورة التي انتقلت من اليونانية الى ادبيات اللغات المهمّة فظهرت في اللغة البهلوية ، وفي التلمود ، وفي اللغتين السريانية والحبشية الى غير ذلك .

ومن المحتمل انها انتقلت من السريانية الى القرآن والحديث ، فحار بشرحها المفسرون حتى كان منهم من ارتأى ان هناك اثنين باسم الاسكندر : احدهما ذو القرنين المذكور في السورة الثامنة عشرة ، والثاني الاسكندر الكبير المعروف في التاريخ . وان من الغريب ان تعدّ احدى مجلات سورية تافهاً هذا التأليف العلمي الدقيق ، فتبرهن بحكمها هذا على ان ناقد الكتاب لم يقرأه ، او انه لم يفهمه لسوء الحظّ . ه . ل .

P. Marx : L'évolution du régime représentatif vers le régime parlementaire de 1814 à 1816. *gr. in-8°, 224 pp. Prix : 30 fs. Paris, Librairie A. Rousseau*, 1929.

تطوّر الحكم التمثيلي نحو الحكم البرلماني من سنة ١٨١٤ الى ١٨١٦

يظهر هذا الكتاب ، لاول وهلة ، بعيداً عن عصرنا ؛ على ان من يدرسه عن قرب يرى انه نشأ من ظروف العصر من حيث تأخر الحكم البرلماني . وهذا هو الحادث الذي دفع المؤلف الى البحث في اصل هذا الحكم ، ونشأته عن الحكم التمثيلي في فرنسة ، من مدة لا تكاد تتجاوز المئة سنة . فاذا عرفنا هذا رأينا ان الحكم البرلماني المذكور دخل سريعاً في طور الشيخوخة . وذلك ان الثورة الفرنساوية التي ظهرت وافرة الحماسة والبراعة في الهدم والتدمير قلّما برعت في البناء والتشييد . وعلى عكس ذلك فان الرجوع الى الملكية عزّز ، على قدر الامكان في تلك الفترة القصيرة المضطربة ، جميع الحريّات العامّة . وقد حصر المؤلف موضوعه بين سنتي ١٨١٤ و ١٨١٦ ، فاظهر كيف ان الحكم التمثيلي تطوّر شيئاً فشيئاً متحوّلاً الى نظام برلماني ، وكان من اهم الغُيَر على حقوق البرلمان اولئك المندفعون الذين كانوا يدعونهم المغالين في الملكية ، والذين نرى من الاحقّ ان يدعوا « المغالين في البرلمانية » . لانهم كانوا ، على ملكيتهم ، من اقوى المدافعين عن حقوق الامة جميعها . هذا وان المؤلف يستند في الكثير من احكامه الى المؤرخ ديفرجيه دي هوران (Duvergier de Hauranne) ، وما ضرّه لو استند الى تاريخ نيتمن (A. Nettement) المشهور بعدالته وحبّه للانصاف ؟ ج . ل

Prinz Mohmed Sa'id Halim pascha's « Islamlaschmaq » *nach dem Sonderabdruck Dar-ul-Hilafe, Huquq Matba'sy,* 1337, *türkisch neu veroffentlicht von* A. Fischer. *Leipzig, Verlag der Asia Major,* 1928.

احياء الاسلام لمحمد سعيد حليم باشا

ينشر المؤلف في هذا الكتاب النصّ التركي الذي كان ترجمه ، مقدّماً عليه بالالمانية بحثاً مستفيضاً في قيمة النصّ المذكور وفائدته . وجميع ذلك ظهر اولاً في المجلد الثالث من مجلة « اسلاميكا »

Sir Aurel Stein : On Alexander's Track to the Indus. *Personal narrative of Explorations on the north - west frontier of India. XVI - 173 pp. q°. 8°; 2 cartes, 97 reprod. photolithogr., etc.* 1929. *London, Macmillan. Prix* : 21 / -

على آثار الاسكندر ، الى ناحية نهر الهندوس

ان مؤلف هذا الكتاب ، السير اورل ستين ، من اشهر روّاد آسية الوسطى في عصرنا ؛ وقد زار مؤخرًا كليتنا وخصوصاً زميله الرائد الاب پوادبار . وهو يُطلعنا ، في كتابه الجديد ، على تفاصيل رحلة قام بها في الشمال الغربي من نهر الهندوس ، خارجاً عن الحدود الادارية للهند الانكليزية . وكانت غايته التفتيش عن آثار مرور الاسكندر الكبير في تلك المنطقة التي كانت لا تزال مجهولة من روّاد الاوربيين . وقد قيّد في رحلته كلّ ما صادفه من الآثار العادية ، وما لاحظه من الشؤون الجغرافية والتخطيطية والجنسية . ويمكن القول ان هذا المجلّد ، الثمين بما حواه من المستندات والصور والخرائط هو تمثيل حيّ لبعثة الملك المكدوني في تلك الجهات ، واقرار لاقوال مؤرخي اليونان في الموضوع ، تلك الاقوال التي قد عيل بعض مؤرخي عصرنا الى جعلها في مصافّ الاساطير والخرافات . وبعد اظهار صحة اقوال مؤرخي اليونان ، لا يمكننا الّا الاعجاب ، مع المؤلف ، بتلك العزيمة التي تكاد تفوق قوى البشر ، والتي دفعت اولئك المكدونيين من ضفاف بحر ايجه الى قلب آسية الوسطى والهند ، في بلاد جبلية يلاقي فيها الجيش عقبات عديدة عند كل

حركة من حركاته . امّا كلام السير اورل ستين عن هذه البعثة فهو لذيذ للغاية حتى كأنه من روايات الف ليلة وليلة ، ولكنها رواية علمية مستندة الى التاريخ والآثار . فضلًا عن ان الواحها التصويرية غاية في الاتقان على كثرتها وهي تكاد تبلغ المائة ، مما يستدعي الثناء على الناشر مكميلان لما بذله من العناية في طبع هذا المؤلف النفيس. س. ر

Feinberg (Nathan) : La question des minorités à la conférence de la paix de 1919 - 20 et l'action juive en faveur de la protection internationale des minorités. *gr. in-8° de 167 pp. Paris, Libr. Arthur Rousseau.* 1929. *Prix* : 30 *fs.*

مسألة الاقليات في مؤتمر الصلح في سنة ١٩١٩ – ١٩٢٠ ، والعمل اليهودي في سبيل الحماية الدولية لهذه الاقليات

يلقي هذا الكتاب على مسألة الاقليات نورًا جديدًا . وان مؤلفه ، وهو محام لدى المحاكم الحقوقية في فلسطين ، لا يجهل استحالة كتابة تاريخ عامّ لهذه المسألة ، ولكنه بذل جهده في جمع المعلومات الممكنة لذلك. وقد جمع في تأليفه موضوعين مهمّين عرض في الاول وجهات النظر الى الاقليات من لدن الجمعيات المختلفة لتعزيز السلام ، والديموقراطية الاشتراكية ، والدول المتحاربة ، واليهود ، وجمعية الامم . ثم تبسط في العمل الذي قام به اليهود في مؤتمر الصلح سعياً في بسط الحماية الدولية على الاقليّات . وتدخل اليهود هذا يظهر فعّالًا ليس فقط في تعزيز مصلحة بني قومهم ، بل في تحسين حالة الاقليّات على الجملة . وهذه هي المسألة الدقيقة التي يجلوها المؤلف فيستحقّ الشكر ج. ل

J. Rosinthal : Pendentifs, trompes et stalactites dans l'architecture orientale. *petit 4°, 106 pp. nombr. fig., 10 pl. Paris, Geuthner,* 1928.

بحث عن اقتال العقود ، وزوايا القبب البارزة ، والتماليق ، في هندسة البناء الشرقية

يدرس هذا الكتاب نقطة خاصة من هندسة البناء الشرقية ، ولكنه جدير باثارة اهتمام قرّائنا من سوريين ومصريين وعراقيين ، لانه يحلّ مسألة طالما حام حولها علماء الآثار وهي اصل تلك التماليق والزخارف في الهندسة

الشرقية وطريقة بنائها . ولم تكن درست الدرس الكافي حتى الآن مسألة اقفال العقود الفارسية ، ولا المثلثات التركية ، فأتى المؤلف وسدّ هذه الثغرة بشروحه وبما اتبعها به من الرسوم الفنية المتقنة التي تنير القارئ الشرقي وتقرّب اليه فهم نظرية الكاتب. س. ر.

M. Vanderheyden : La Berbérie orientale sous la dynastie des Benoû-l-Arlab (800 - 909) *gr. in-8°, 344 pp.* **1927, *Paris, Libr. P. Geuthner. Prix* : 75 *fs.***

بلاد البَربر الشرقية في زمن دولة بني الاغلب

حكم امراء بني الاغلب اكثر من مائة سنة بلاد افريقية اي المقاطعات الممتدة من بجاية الى برقة شرقي طرابلس ، او ما يمثل على التقريب بلاد تونس وطرابلس الغرب ، فخلّصوها من الفوضى السائدة في تلك الجهات منذ الفتح العربي . فاستحقّوا لذلك بعض الاهتمام ، وان لم يكن حكمهم من الاهمية بمكان في التاريخ العام لذاك العصر . على انه من الواجب شكر المؤلف على ما بذله من الجهود في الوصول الى نتيجة لم يصل اليها دائماً ، ولا غرابة ، لاننا لا نعرف شيئاً مهمّاً عن افريقية الشمالية في القرون الوسطى . وعلى كلّ فاننا نسرّ اليوم اذ نرى لدينا كتاباً دُرست فيه درساً نقدياً حقبة من تاريخها في تلك الاعصر. ج. ل.

Entretiens de Juilly. I. Le problème international. *in - 12 227 pp.* ***Paris, de Gigord.***

محادثات جويلي : ١ – المسألة الدولية

هذا الكتاب حلقة اولى من سلسلة ابحاث يقوم بها عدّة مفكّرين اتفقوا على حفظ ما يتداولون به في اجتماعاتهم التي لها صفة الرياضيات العقلية ، وذلك في مجموعة شاملة لأهم النظريات العامّة . وقد بدأوا « بالمسألة الدولية » وقد شرحوها في سبعة اقسام : هل تنبسط شريعة المحبة حتى تشمل العلاقات الدولية ؟ — التضامن الدولي . — بين الكاثوليك والفاشيست والبلشفيين . — النزوع الى الامبراطورية — المسألة الاستعمارية — ماذا ينتظر الكاثوليك الاجانب

من كاثوليك فرنسة ، وعلامَ يلومونهم ؟ — القواعد العملية لتعاون دولي بين الكاثوليك.

E. Devoghel : La question romaine sous Pie XI et Mussolini. *in-12, 339 pp. Paris, Bloud et Gay.*

المسألة الرومانية في عهد بيوس الحادي عشر وموسوليني

من حسنات هذا الكتاب ان مؤلفه من سكان رومية فامكنه ان يقيّد يوماً فيوماً ما كانت تثيره في الصحافة الايطالية تطوّرات المسألة الرومانية. وقد بدأ تأليفه بذكر «شريعة الضمانات» فانتهى في ٢٥ فصلًا ، الى اتفاقية لاتران. ومن السهل على مطالع الكتاب ان يتحقق وجود مجريين منذ منشأ المسألة الرومانية : الاول ظاهر تبدو فيه ارباب الخلاف من التباين في النظرات والصعوبات: والثاني خفي يتضمن المساعي للتقرّب والمفاوضات والاتفاق. وقد ظل هذان المجريان حتى آخر دقيقة . هذا وقد جمع المؤلف في الملحق الوثائق الثاني المهمة . فألف مجموعاً تامًّا لا يستغني عنه كل من يرغب في درس التاريخ العصري. ج. ل.

Islamica, vol. III, fasc. 4

الجزء الرابع من المجلد الثالث لمجلة «اسلاميكا»

مما تجب الاشارة اليه ، في هذا الجزء ، رمضانيات الشاعر التركي ثابت المنشورة بنصّها ، وترجمتها الى الالمانية ، وشروحها . ثم مقال قصير خُصص بدرس ثلاثة ابيات تُنسب للشاعر المخضرم عمرو بن معدي كرب. ه.ل.

G. Mongrédien : Le bourreau du Cardinal de Richelieu, Isaac de Laffemas (1584 - 1657) *in-8° de* 178 *pp. Prix :* 30 *fs. Paris Editions Bossard.*

سياف الكردينال دي ريشيليو

هو تاريخ رجل اناله ريشيليو ثروةً هائلة لانه رأى فيه شخصاً مخلصاً له كل الاخلاص ، مستعدًّا لاجراء كل ما يأمر به . فنقله من وظيفة الى اعلى ومن مدينة الى اخرى ، فكان في جميعها من خير رجال الخفية ، يتجسس

ويطلع الكردينال على دخائل الامور مستيناً بذلك محاكمة الكثيرين واعدامهم اما هل كان يعتبر ، في كل ذلك ، انه يخدم حكومة بلاده ؟ فهو ما يجيب عنه المؤلف بالايجاب دون برهان كافٍ ، وعلى كل فان ذكرى ذلك الرجل القاسي لا تزال ملطخة بشيء من دماء ضحاياه .

An Arab-Syrian Gentleman and Warrior in the period of the Crusades. Memoirs of Usamah ibn-Munqidh. Translated in full by Philip K. Hitti. *Columbia University Press, Prix: sh.* 4.50

كتاب الاعتبار لأسامة بن منقذ

الا يسعدنا الحظ ، يوماً ، باكتشاف نسخة لهذا الكتاب ، غير نسخة الاسكوريال الوحيدة ، التي نشرها بالطبع العلّامة دورينبورغ (١٨٨٦ — ١٨٩٣) والحقها بمؤلفاته على اسامة ؟ اذا توفقت الآداب العربية الى ذلك الاكتشاف فسوف يتاح للناشرين ان يقابلوا بين نسخة ونسخة ، ويزيلوا بفضل تلك المقابلة مبهمات كتاب الاعتبار العديدة . على ان الدكتور حتي لم يحصل الّا على النسخة الوحيدة المذكورة وقد صورتها له السفارة الاميركية في مدريد ، فلم ينشرها بالعربية بل نقلها الى الانكليزية ، مستعيناً بما كتبه دورنبورغ سابقاً في هذا الموضوع ، وبما اوحت اليه معارفه العامة وخبرته في التأليف ، ليعرف الى قرّاء الانكليزية كتاب الاعتبار مضبوطاً بترجمة دقيقة لا بالتصرف والتوسع الذي اختاره دورنبورغ لحياة اسامة .

صدر المعرب كتابه بسيرة ابن منقذ ثم نشر صورتين لمخطوط الاسكوريال قابلنا بينهما وبين طبعة دورنبورغ وبين ترجمة الدكتور حتي .

جاء في دورنبورغ (ص ٤٥ : سطر ١٥) « انتظر وصولهم الى العلى انال منهم فرصة » امّا الاصل فهو : « انتظر وصولهم لعلي انال منهم فرصة » . والفرق ظاهر بين العلى مصدر علا يعلو ، ولعلّ حرف ترجي فاصلح المعرب هذا الغلط . لكنه لم يوفّق في حلّ لغز الكلمة الواقعة (ص ٣٧ ، ٨) اخر السطر ولعلها « فجأة » (؟) واغفل مع دورنبورغ كلمتي « على ظهره » (سطر ٩) وزاد معه لفظة « توسطهم » . تلك هنات لا تكاد تستحق الذكر

لولا وقوعها في اسطر وجيزة مما يؤدي الى توقع غيرها في مادة اوسع ولا سبيل الى المدقق في التنقيب عليها. من البديهي ان الدكتور حتي قد احب اسامة فغض النظر عن نقائصه فان ترجم له وذكر له عيباً ، فقد يستره بذكر محاسن كثيرة. وان هذا التحسين لشبهة في المؤرخين. على ان تبويب الكتاب وفهارسه تسهل مطالعته وتساعد على مراجعته وارتياد مناهله ف. ت.

الكتاب المقدس : العهد الجديد لربنا يسوع المسيح

طبع بمطبعة المرسلين اليسوعيين ، بيروت ، ١٩٢٩

ثمن الكتاب مجلّداً خمسون غرشاً سورياً

كتاب الله ، انجيلنا ، بشارة الربّ يسوع ! اساس المسيحية ومصدر كل علم ونور . اليكه ايها القارئ العزيز . ان كنت مسيحياً فاتخذه لك ذخراً ، وان كنت غير مسيحي وتأبى ان تجهل ما هو اشهر من نار على علم ، فاقرأه ايضاً ! لا يحتاج الانجيل الشريف الى من يشيد بذكره ويطرئ لغته العربية البديعة ، بل حسبنا لفت الانظار الى سهولة اقتنائه بطبعته الجديدة ، فانها غاية ما انتهت اليه مجهودات المطبعة الكاثوليكية من الكمال . هذا المجلد يحوي العهد الجديد . وفي ختامه ملحق في آيات من العهد العتيق التي اوردها السيد المسيح ورسله في العهد الجديد ، وحواش على المجلد كله ، وجداول الاناجيل التي تقرأ في القداس الالهي عند جميع الطوائف الكاثوليكية في سورية ، منسقة على ترتيب حروف الهجاء. ويطلب الكتاب من المرسلين اليسوعيين في الشرق.

ف. ت.

تأملات لاجل الاكليروس والعلمانيين

تأليف هامون ، تعريب السيد المطران غريغوريوس هبرا

المجلد الثالث من الاحد الثامن بعد العنصرة الى المجيء

مطبعة القديس بولس في حريصا (لبنان)

« ذوقوا وانظروا ما اطيب الرب » (مز ٣٣ : ٩) طيب هذا الكتاب لذيذ ، مغذٍّ بطعام الحياة الابدية ، بذكر الحقائق العظمى وبالتأمل بالله وكمالاته .

اقرأه ايها العزيز وتمهل بقراءته فتشعر قلبك ينتعش بعجة الفادي ، وضميرك ينتبه الى واجباتك اليومية ، ويرشدك الى اصلاح نقائصك والى ممارسة الفضائل. هذا الكتاب هو المجلّد الثالث من المؤلف الذي ذكره واطرأه المشرق (٢٤ : [١٩٢٦] ص ٣٩٥) فاهلًا به وسهلًا ، ويا ليت الكهنة يقتنونه لمكاتبهم والمسيحيين اجمعين بل كل نفس غيورة على خلاصها تقرأه وتطالعه يومياً فتجني اثار الصلوة العقلية الشهية. ف. ت

جمهورية افلاطون

نقلها الى العربية عن الترجمات الانكليزية حنّا خبّاز

مطبعة المقتطف والمقطم ١٩٢٩ ، في نحو ٣٠٠ ص من القطع الثمن ، ثمنه ٥٠ ق . م

« المترجم خائن ! » هذا القول ، على قساوته ، صوابي لانه يكاد يستحيل على الناقل كتاباً من لغة الى لغة ان لا يغير فكرة المؤلف الاصلية وهي في القالب لا تُدرَك تماماً الّا بالقالب التي صُبّت فيه ، فاذا تقول عنها ان خرجت من قالب الى قالب الى قالب ؟ فلذلك لا يستطيع تعريب الاستاذ حنّا خباز ان يأتينا بجمهورية افلاطون كما خرجت من دماغ صاحبها باليونانية ، انما هو اتانا بشيء يقرب منها اخذاً عن مصدر انكليزي . ويا ليت ذلك المصدر كان موحداً فتعود تبعته على صاحبه ، لكن الاستاذ خباز اختار ما بين ثلاثة مصادر ، فزاد فكرة افلاطون التباساً ، وضيع قيمة الكتاب في نظر الخاصة . على اننا نثني على جهد المعرّب ، ونهنئ المقتطف في اختيار هذا السفر الجليل هدية سنوية لقرائه من العامة . ان المعرّب سبق وقال « انه لا يوافق افلاطون في كل نظرياته » فاشار الى ما يجب التحفّظ به من المبادئ المناقضة الدستور الاجتماعي والحقّ الطبيعي في ما يخصّ الزواج وقداسته وغير ذلك . فبعد هذا التحفظ ، لا يسعنا الا الثناء على الكتاب ، اننا نرى فيه فائدتين لهما وقعهما الحالي : اولًا ان قراءة « الجمهورية » تعلم التضحية الحقيقية في سبيل الوطن ، اذ تعلّم تفضيل المصالح العمومية على المصالح الفردية مما يؤول امره الى سعادة الافراد . وثانياً ان اسلوب افلاطون المنطقي جدير بتهذيب الفكر

وتدريبه على الخصب والتوليد ، فيجر النتائج من المقدمات بسلسلة روحانية تعقل القوى النفسانية وتعلم التعمق بالتفكير والتدقيق في البحث.

امّا مقدمة مدير المقتطف فقد نحا فيها نحو المقدّمات المتعدّدة لكتاب جمهورية افلاطون والمطبوعة باللغات الاوربية . ولعلّ فيها بعض المغالاة في اطراء افلاطون . ومن المعلوم ان كثيرين من العلماء يفضلون عليه تلميذه ارسطاطاليس . اما مبادئ الاشتراكية التي نوّه بها السيد صرّوف (ص:ب ، سطر ١٥) فلم يفكر بها افلاطون بالمعنى العصري قط ، والفرق عظيم جوهري بين جمهوريته والجمهورية التي يحلم بها الاشتراكيون . لان هؤلاء يعدون الناس كلهم ، حتى الصعاليك منهم ، بالسعادة في هذه الدنيا . امّا افلاطون فليس في مدينة السعادة عنده مقام للطبقات السفلى من البشر . كان العبيد في ايامه سوادًا عظيماً في العالم اليوناني ولم يخطر ذكرهم على بال افلاطون فلم يكن اذًا افلاطون اشتراكياً ، كما زعم بعضهم ، والاستاذ صرّوف معهم. ف.ت

العظماء

تأليف بلوطرخوس — نقله الى العربية ميخائيل بشاره داود

دار المصور ، مصر ، ١٩٢٨ — ٣١٤ ص . متوسّطة — الثمن ١٥ غرشاً مصرياً

ان كتاب بلوطرخوس في عظماء اليونان والرومان والموازنة بينهم لأشهر من ان يُعرَّف ، وكثيراً ما نُقل الى اللغات المختلفة في ترجمات تتفاوت دقّة وتصرُّفاً ، على ان من اشهرها ترجمته الى الفرنسوية بقلم الاديب الكبير جاك أميو . وها ان بين ايدينا ترجمةً عربية حديثة ، ولكن صاحبها ، حضرة السيد ميخائيل بشاره داود ، لم يرَ من الضروري ان يعرفنا عن ايّ اصل نقل ترجمته هذه ؛ هل عن الاصل اليوناني ام عن احدى الترجمات باللغات الاوربية الحديثة ؛ وهو امرٌ غاية في الاهمية . ومهما يكن من ذلك ، فاننا ننصح بقراءة كتابه لما فيه من الدرس النفسي الدقيق ، والتصوير الاخلاقي المفيد ، والموازنة بين عظماء الرجال . وكلّ ذلك يدفع الطلّاب الى حبّ الملاحظة والمقابلة واعطاء الاحكام . هذا وان الكتاب الحاضر مجلّد اول من التأليف كلّه ، يحتوي

على مقدمة في بلوطرخوس بقلم ڤيلمان ، وتراجم تسعة من عظماء اليونان والرومان. فعسى ان يتحفنا المعرّب قريباً بما يلي ذلك محسناً فيه الاسلوب العربي ، ومعدّداً الحواشي اللازمة . ف. ا. ب.

جزيرة رودس

تأليف حبيب غزاله بك

مطبعة الاعتماد ، مصر ، ١٩٢٩ — ٩١ ص . متوسّطة — الثمن ١٠ غروش

هذا اول تاريخ لجزيرة رودس باللغة العربية. وقد اصاب المؤلف باهتمامه خصوصاً بعصرَي تلك الجزيرة المهمين : عصر الجاهلية ، وعصر الفرسان الذين انتسبوا اليها فدعوا « فرسان رودس » . والكتاب مزيّن بتصاوير عديدة وخرائط ، ويليه خلاصة تاريخية عن اشهر جزائر بحرايجه. في حاشية الصفحة ١٠ يلزم اصلاح ١٨٣٢ بـ ١٨٦٩ وهي سنة وفاة الشاعر الفرنساوي لامرتين.

ه. ل.

* ترجمة الفيلسوف السرياني مار يعقوب الرهاوي ٦٣٣ — ٧٠٨ * نشرت اولاً في مجلة الحكمة ، بقلم مراد فرّاد جني — القدس ١٩٢٩ — سررنا لقراءة هذا الكرّاس المفعم تعليمات وفوائد ، ووددنا لو وسع المؤلف مجالاً للتبسط في عرض موادّه زيادةً للايضاح.

* مصحّ القديس منصور دي پول بادارة راهبات المحبة — بحنس (قرب بيروت) (كراسة مصورة) * سنحت لنا الفرصة ان نزور هذا المصحّ ونقابل بينه وبين غيره . فلا مغالاة بالقول ان ما يلاقيه المريض من نظافة وعناية في الدرجة الثالثة في بحنس ليس هو دون ما يناله في غير ذلك من المستشفيات في درجتها الثانية على ما نتقاضاه من زيادة في الرواتب.

* برنامج جمعية القديس منصور دي پول الخيرية في دمشق عن سنة ١٩٢٨ * الداخل ٢٨٨٥٣٫٦٠ فرنك ذهب . الخارج ٢٢٥٨٠٫٦٠ فرنك ذهب.

* خلاصة اعمال شركة القديس منصور دي پول في بيروت عن سنة ١٩٢٨ * الداخل ٦٧٢٨٢٢ غرش سوري . الخارج ٦٢٠٨١٨ غرش سوري.

* صدى الاحسان * وهي مجموعة ما أُلقي من الخطب في بكتنا اكراماً لمن احسن الى مدرستها الشرقية.

* لذة المسيح في اميركا * هي نشرة مصوّرة وضعها باللغة الانكليزية حضرة الاب بطرس صفير في بوفالو اشادةً بامجاد الموارنة.

اهمّ حوادث الشرق في شهر

١٥ ايلول — ١٥ تشرين الاول

رفعت جمعية اتحاد الشبيبة الاسلامية في بيروت (٢٥ ايلول) ، الى مقام الحبر الاعظم ، بيوس الحادي عشر ، رسالة التمست فيها توسط قداسته في المسألة الفلسطينية.

اهدت حكومة لبنان وسام الاستحقاق اللبناني من الدرجة الاولى الى صاحب النيافة السيد القاصد الرسولي ، اقراراً بما كان له من الفضل في بلادنا مدة ٢٥ سنة.

التقى بالديوان البطريركان المتبوطان السيد كيرلس التاسع ومار الياس الحويك.

جاء كلام غبطة البطريرك تبوني في باريس على حالة سورية ولبنان خلاصة مفيدة لما عملته فرنسة في بلادنا ولما تلاقيه من اعتراف الاهلين بفضلها. قال غبطته : ان عمل فرنسة كثير الفوائد في سورية ولبنان وجبل الدروز حيث نفذت مشروعات كبيرة للصحة وللاشغال العمومية والمعارف والامن ، وان الاهلين يودّون ان تهتمّ فرنسة على الخصوص بتجارة البلاد . وقال : ان المندوب السامي الافرنسي جاءنا بالسلام والصداقة للسير بالبلاد في سبيل الرقي واليسر وقد ترك المسائل السياسية المسببة الانقسام ، فاحدث ارتياحاً عظيماً.

– في ٢٩ ايلول انتقل الى رحمته تعالى في الاستانة السيد باسيليوس البطريرك الارثوذكسي ولم يمض على وفاته ايام الّا نودي بالسيد فوتيوس خلفاً له . امّا اخواننا الاورثوذكس في سورية ولبنان فعقدوا مجمعهم في دمشق ولا يزالون يتداولون في امر انتخاب بطريرك جديد.

من اخبار المفوضية العليا ان معدل السكان في الكيلومتر الواحد هو في لبنان ٧٥ ، وفي بلاد العلويين ٤٣ ، وفي جبل الدروز ١٢ ، وفي سورية ١٠ . ومن الاخبار العلمية ان المسيو فيرولو ابدى في اكاديمية الآثار بياناً عن الكتابات الاثرية التي اكتشفت في جهة رأس الشمرا، في جوار اللاذقية واهمها كتاب من نوع الكتابات الاثرية التي اكتشفت في تلّ العارنة وهي تدلّ على انه كان يوجد على ساحل سورية في عهد الاسرة الثامنة عشرة المصرية حروف هجاء تختلف كل الاختلاف عن حروف الهجاء الفينيقية ويرجع اصلها الى ما بين النهرين.

– خلف الاستاذ اميل اده الشيخ بشاره الخوري في رئاسة الوزارة اللبنانية ، وعدلي يكن باشا محمد محمود باشا في الوزارة المصرية.

امّا فلسطين فما زالت اخبارها مقلقة . على اننا نستحسن جهود من يسعى في بثّ روح السلام والتفاهم بين الفريقين.

جاء من باريس (١٨) اقيمت في « قاعة وغرام » حفلة كبرى جمعت خمسة آلاف شخص وخطب فيهم كثيرون من الخطباء اليهود والمسيحيين ، فنادوا بالتقرّب بين اليهود والعرب . ثم وافق المجتمعون على قرار يناشدون فيه اليهود والعرب في فلسطين ان يطرحوا السلاح جانباً وان يعترف كل فريق بحقوق الفريق الآخر وان يتحدوا في ظل السلام والوفاق الذي يحفظ كرامة كل فريق ومصالحه الجوهرية ويجب ان لا يكون بين الفريقين نزاع وحقد وان يتبعوا في اتحادهم منهجاً واحداً لصيانة حقوقهم المشتركة. ف . ت .

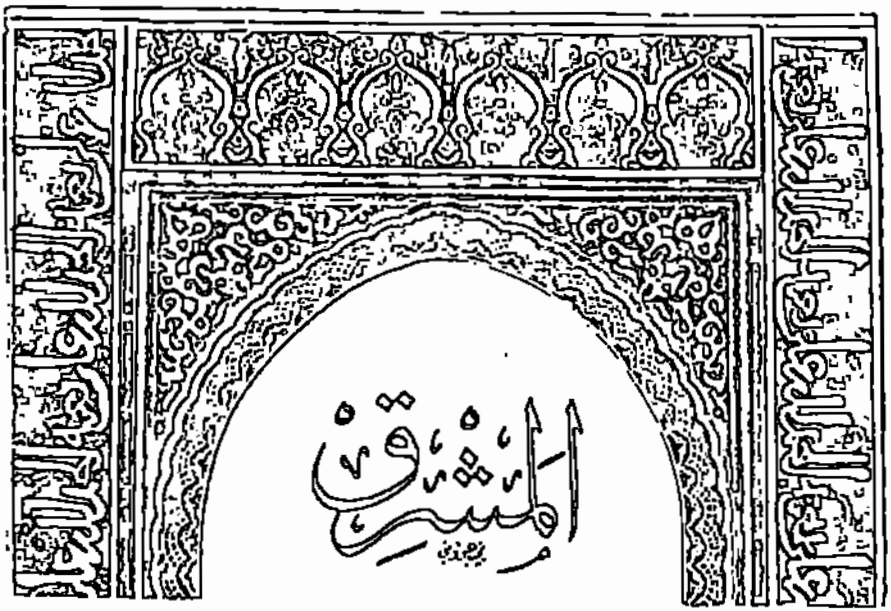

كانون الاول ١٩٢٩

السيد فريديانو جيانيني

بقلم الخوري بطرس غالب

يغتنم «المشرق» هذه الفرصة السعيدة بمرور ربع قرن على ترقية صاحب النيافة السيد فريديانو جيانيني الى المقام الاسقفي، وعلى توليه شؤون القصادة الرسولية في سورية، فيقدّم لنيافته تهانئه البنوية الخالصة متمنياً له حياة عديدة يقضيها في خدمة الدين والوطن؛ وينشر مع الشكر النبذة التالية التي وضعها بهذه المناسبة حضرة الخوري بطرس غالب.

تحتفل الطوائف باسرها في هذه السنة بمرور خمس وعشرين سنة على ترقية السيد فريديانو جيانيني الى المقام الاسقفي، وتعيينه نائباً رسولياً على حلب، وقاصداً رسولياً في سورية. ولا بدع ان التفّ حول شخصه الاثيل عظماء رجال الدين والدنيا تحيط بهم جماهير المعجبين بصفاته السامية وفضائله وفضله وحنكته وحكمته، وقد برهن عنها كلها في مدار قصادته، فانالته ثقة الاحبار الاعاظم الذين توالوا على كرسي بطرس، على اختلاف خططهم، وتباين الطرق التي سلكوها الى غاية الكنيسة الابدية. والحق يقال انه لحادث نادر الوقوع ان يبقى متولياً مدة ربع قرن مهمةً خطيرة كالقصادة الرسولية رجلٌ فرد اجتازت في

ايامه البلاد المشرقية ازمنة عصيبة ، تتالى فيها الانقلاب العثماني ، ثم الحرب الكبرى ، ثم الانتداب الفرنسي ؛ واختلف فيها مستلمو زمام الامور الدينية والمدنية ؛ فعرف ان يحافظ كل المحافظة على ما اوتمن عليه ، ويوافق بين ضرورات وظيفته ومقتضيات الاحوال ؛ لا يرمي الى تنفيذ فكرته الخاصة بل الى خدمة الكنيسة والدين مضحياً بكل شيء ، حتى بعواطفه ، تنفيذاً لما يتلقاه من الاوامر ، ويستدعيه قضاء المصلحة الموكولة اليه من المرونة والعزم والمحبة المقرونة بالشدّة.

دعتني هذه الاعتبارات الى وضع هذه النبذة ليقف الجميع على حياة صاحب اليوبيل . الّا اني ما استطعت الّا بالجهد والعناء ، ان استرق منه ، ومن بعض المقرّبين اليه ، بعض التفاصيل التي أوردها كما علمتها من مصادر موثوق بها ، وقد استعنت كثيراً برسائله الرعائية التي اصبح يضرب المثل ببلاغتها وصدق لهجتها.

١

منشأ فريديانو جيانيني ودخوله الرهبانية الفرنسيسية

ابصر النور اسكانيو جيانيني في بلدة بوزّانو ، من اعمال ابرشية لوكا في ايطالية ، في ١٦ حزيران ١٨٦١ . فعني ابواه الفاضلان بتربيته تربية مسيحية حقّة ، وبذلا جهدهما لتعليمه وتهذيبه . ولمّا ترعرع سلّماه الى معلّم مدرسة البلدة ليلقنه مبادئ اللغة . تقدّم في دروسه الابتدائية فلحظ فيه كاهن من اقاربه ميلاً الى الحياة الاكليريكية ، لما بدا منه من التقوى والرغبة في خدمة الهيكل ومن توقّد الذهن ، فدرّسه مبادئ اللغة اللاتينية ؛ وما عتم ان دخل مدرسة الرهبان الفرنسيسيين الرسولية في بلدة جياكرّنيو ، من اعمال توسكانا . شعر هناك بصوت الله يدعوه الى الكمال ، فاعتنق الحالة الرهبانية تحت لواء القديس فرنسيس الاسيزي . وبعد انقضاء سنة التجربة لفظ نذوره الاولى في شهر آب سنة ١٨٧٧ واتخذ اسم فريديانو.

وصف هو نفسه حالته الروحية يوم ترهّب ، في رسالة شائقة اذاعها سنة

صاحب النيافة

السيد فريديانو جيانيني

بجانبه يوبيله الفضي

١٩٢١ قال :

« اننا منذ دعينا في حداثتنا الى الحياة الرهبانية تحت لواء القديس فرنسيس الاسيزي كنّا نكره التدخل في امور السياسة البشرية المحضة التي لا ترمي الّا الى غنم الخيرات الزمنية ، وما زال هذا الكره يشتد فينا لاسيما فيما يختص بالدسائس الدنيئة التي ان هي سوى عراك متواصل بين المنافع الذاتية المختلفة ، البعيدة عن المصلحة العامة.»

تلك خطة السيد جيانيني لا يزال مثابراً عليها ، وهي التي جعلته يترفع عن السياسات البشرية ويتمسك بالحقّ اينما وجده ، ويجوز المسالك الصعبة بمهارة اكسبته اعتبار رؤسائه ، وعزّزت ثقتهم به . لانه كان ولا يزال ينظر الى مصلحة الكنيسة غير عابئ بما سوى ذلك من الشؤون.

نذر نذوره فأرسل الى دير بُوسكوأيفراتي ، من اقليم فلورنسة ، وهو الدير الذي قبل فيه القديس بوناونتورا قبعة الكرادلة في سالف الاوان.وهناك اكبّ على درس الفلسفة فنبغ فيها . ثم عكف على علم اللاهوت ، فنال المدحة من اساتذته ، وشهادة المأذونية سنة ١٨٨٣ . ثم سيم كاهناً في ٢١ ك ١ من السنة نفسها ، وعيّن مدرّساً للفلسفة فقام بهذه الخدمة حتى سنة ١٨٩٤ . ثم كُلف تعليم اللاهوت الادبي والحق القانوني ، مدة سنتين ، فنال لقب استاذ عام للفلسفة واللاهوت ، وهو لقب يوازي رتبة الملفنة.

٢

الوظائف التي نيطت به

ولمّا تحقّق رؤساؤه ما هي مقدرته وحنكته وتعمقه في القوانين ودقته في حفظها انتدبوه في سنة ١٨٩٥ لوظيفة معاون رئيس الاقليم ، ثم عيّنوه في سنة ١٨٩٦ رئيساً لدير سيانّة المعدّ للدارسين فأثقل عاتقه بوظيفتين هامتين: الرئاسة، وتعليم اللاهوت الادبي . لكن الرؤساء ما لبثوا ان اراحوه من التعليم.

وفي سنة ١٨٩٨ سُمي رئيساً اقليمياً فوفى الوظيفة حقها من العناية، وزار الاديار مرشداً مصلحاً معزياً منشطاً . وبعد سنتين استدعي برقياً الى رومية العظمى ،

حيث ألقيت على منكبيه وظيفة حارس الاراضي المقدسة. فانقاد لأوامر رؤسائه رغم مياه الى البقاء في وطنه ، حيث كان قد نال منزلة عالية في القلوب ونفوذاً عظيماً في النفوس يجلبها الى الخير بوعظه ودقة ارشاده. ومشهور عنه انه خطيب مصقع يجمع بين سموّ المعاني وبلاغة الاسلوب ، يجيد الايطالية واللاتينية ، وقد درس على نفسه اللغة الفرنسية فاصبح يكتبها دون مساعد كما تشهد رسالتاه الاخيرتان.

وكان كهنة الرعايا يتنازعونه ليعظ في كنائسهم ، وقد دعاه مطارنة ايطالية انفسهم في مدن عديدة لالقاء الخطب الدينية في حفلات حافلة ، وله التآبين القيّمة التي نشرت على حدة مع بعض عظاته.

سافر الاب فريديانو جيانيني الى فلسطين ، متوكلاً على الله تعالى . وحال وصوله باشر بنشاط لا يعرف الملل ترميم الكنائس والاديرة او بناءها : منها كنيسة عمواس الجميلة ، التي بنيت حيث تجلّى السيد المسيح للرسولين فعرفاه لدن كسره الخبز . وقد كرّس تلك الكنيسة الكردينال فرّاري رئيس اساقفة ميلانو ، صاحب المشاريع الكاثوليكية العظيمة ، المتحلّي باسمى الفضائل الكهنوتية. وكان للاب جيانيني منزلة ممتازة في قلبه لانه خبر فضيلته وعلمه ومقدرته. ومنها كنيسة «جلد يسوع» في دار القضاء الروماني في القدس ، وكنائس اخرى واديرة عديدة غيرما ذكرنا.

وكان اهتمامه بالروحيّات والادبيات اشدّ منه بالماديّات ، فبذل عناية كلّية بالرعايا المسلّمة الى آباء الاراضي المقدّسة وسعى في ترقيتها ، ودافع عن حقوق الكثلكة في القدس . ومشهور عنه انه بحنكته وقوّة حجته فاز في منازعات اثارها المتعدّون على حقوق محافظة الاراضي المقدسة في سنة ١٩٠٢ ، واستدعت تقاريره تدخّل الحكومة الفرنسية.

ولم تكن اشغاله العديدة لتقعده عن المطالعة والتأليف ، ودليلنا انه نشر درساً انتقادياً في تعليم المدرسة الفرنسية التي تباهي بانتمائها الى القديس بوناونتورا ودونس سكوت ، وصنّف غير ذلك من الكتب التي نالت شهرة بعيدة في عالم الادب.

٣

قصادة

ان اعمال الاب جيانيني الدالة على مزاياه الفريدة وجهت اليه انظار السيد الذكر البابا بيوس العاشر فاختاره خلفاً للمثلث الرحمات السيد كارلوس دوقال الدومينيكاني ، القاصد الرسولي في سورية ، الذي كان قد رقد بالرب مخلفاً ذكراً طيباً واثراً ممدوحاً . وفي ١٥ ك ٢ من السنة ١٩٠٥ عينه الحبر الاعظم رئيس اساقفة سرس شرفاً ، ونائباً رسولياً لحلب ، وقاصداً رسولياً في سورية . وكانت قصادة سورية تمتد آنذاك حتى عرش مصر .

وقبل الرسامة الاسقفية في اليوم الخامس من شهر آذار ، واستلم مهام وظيفته في اليوم الاول من نيسان للسنة نفسها واخذ حالاً يدرس احوال البلاد ، ويتعرف الى رؤساء الطوائف الكاثوليكية ، ويهتم بانجاز ما كان باشره سلفه من الاعمال ، ومنها الاثر الفريد المقام باتفاق البطريركية المارونية والقصادة الرسولية اكراماً للسيدة العذراء على مرتفع حريصا ، بين بكركي وحريصا ، يقوم حوله اديار لسائر الطوائف الكاثوليكية ، قدامه فرضة جونية البديعة وامامه ينبسط البحر سهلاً فسيحاً ازرق .

وقد أطلق على السيدة العذراء لقب « سيدة لبنان » اشارة الى تمليكها هذا الجبل المبارك المعروف بتعبده لها منذ القدم ، واصبح هذا المزار محج كل من نال نعمة من جود العذراء ، والتمس منها شفاعة ، سواء كان من المؤمنين او من غيرهم . ولا ريب في ان العذراء المجيدة قد باركت مساعي القاصد الجديد والهمته تلك الافكار الرائعة التي افرغها طيلة خمس وعشرين سنة في قالب رسائله البديع .

واذ كان من واجبات الاسقف ان يعلم ويبشر قبل اي عمل سواه استهل السيد جيانيني رسائله بحض ابنائه على اتقان درس التعليم المسيحي ، كما كان قد سبق وأمر البابا بيوس العاشر في منشوره البليغ الى الكنيسة جمعاء ؛

واردفه في السنة التالية برسالة الحّ فيها على المؤمنين ان يتقدّموا بتواتر من المناولة التي فيها حياة النفوس وقوتها . ثم توالت رسائله على مدار السنين في المواضيع الخلاصية المختلفة ، وسنقول كلمة عنها في آخر هذا المقال.

اما خطة السيد جيانيني قاصداً فلم تختلف عنها حين كان راهباً ورئيساً قال : « لو لم يكن للسياسة اختلاط بمصالح الدين وآداب الشعب المسلّم الينا لاعتزلناها تماماً بكل طيبة خاطر . لكن الامر ليس كذلك لان المصالح المشتركة عديدة . . . لذا نحن هنا لخدمة الجميع من ايّ طقس او طائفة كانوا ، ولاسيما ان مصلحة النفوس مرتبطة بالمصلحة العامة ارتباطاً.»

فتتميماً لهذه الخطة جعل مصلحة الكنيسة والكرسي الرسولي اساساً ، وسائر الشؤون وسائط لتعزيزها . فدافع عن حقوق الاكليروس ، وبسط حقيقة تعليم الكنيسة بهذا الصدد قال : « ولا يعني كلامنا (عن التدخل بالسياسة) انه يجب علينا ان نخضع لاوامر بعض السياسيين الذين يريدون ان يحصروا الاكليروس ، ولاسيما رؤساءه الاعلين ، ضمن جدران الكنائس والمواقف محظرين عليهم الاهتمام بالمصلحة العامة ؛ بل نهتم بالسياسة بالقدر اللازم للمحافظة على حقوق الكنيسة والضمائر وصونها من كل تعدٍ واستبداد.»

وقد اعرب عن افكاره هذه في رسالته عن الانقلاب الذي حدث في تركية سنة ١٩٠٨ ، فاعاد نشر تعاليم السيد الذكر البابا لاون الثالث عشر في شكل الحكومات وهو ان حظّ الكنيسة ليس مرتبطاً بايّ نظام حكومي كان وهي لا تشجب الّا كل حكومة تعبث بالدين والآداب ، ثمّ تمنى ان يكون العهد الجديد عهد حرية حقيقية ورقي صحيح . غير ان نشاط الماسونية للقبض على ناصية الحكم حمله على تحذير ابنائه ، بل البلاد جمعاء ، من مغبة تسلّط تلك الشيعة التي تسعى في الظلام الى دكّ أس الاديان والسلطات . وفي كلتا الرسالتين قواعد اماتها الحكمة رغب صاحب النيافة الى رجال الاكليروس ان يتقيدوا بها ليحتفظوا بمنزلتهم وبنفوذهم للخير العام الاسمى.

جرت مذابح الارمن في ولاية اطنة فذهب القاصد الرسولي الى تلك الولاية وبذل جهده ليخفّف ويلات الارمن المنكودي الحظ ؛ فلم يتوفّق ، كما اعترف

هو نفسه ، بل اضطرّ ان يكتفي بتعزية المصابين ، وتوزيع التبرعات التي جادت بها النفوس المحسنة ولاسيما الكرسي الرسولي . وكان في تلك الايام والياً على اطنه جمال باشا السفّاح الذي نال في ما بعد شهرة مفجعة بجوره وتوحشه ، في اثناء الحرب الكبرى . فبدت منه في ذلك الوقت اعمال دلّت على ما تسلّط على نفسه الغاشمة من الاهواء والميل الى سفك الدماء.

وفي سنة ١٩١٣ زار صاحب النيافة الاساكل البحرية ، على الشواطىء السورية ، حيث توجد كنائس لاتينية. فاقلّته من ثغر الى آخر الدارعة الفرنسية « هنري الرابع » ، واحتفل باستقباله في كل مكان ايّ احتفال . وحيث لم يكن معبد كان اللاتين وسواهم يصعدون الى متن الدارعة ، فيحضرون القداس الذي يقيمه السيد جيانيني ثم يمنح الاحداث التثبيت . وكان رُبان الدارعة وضباطها يتبارون في توفير اسباب الراحة لضيفهم العالي الشأن.

اشتعلت نيران الحرب الكبرى بعد سنة فبدأ ولاة الامور يتحاملون على ممثل الكرسي الرسولي . لكنهم لم يظهروا تماماً ما كانت تكنه افئدتهم اللئيمة ، الّا بعد ان دخلت ايطالية في الحرب الى جانب دول الائتلاف.

اصدر قائد الفيلق الرابع ، جمال باشا المذكور آنفاً اوامره بان يُكره القاصد الرسولي على ترك مقرّه في حريصا ، ويغادر البلاد . على انه عدل عن ذلك بناء على تدخلات فعّالة اظهرت للاتراك سوء مغبة اعمالهم . اما جمال باشا وعزمي بك فعاملا السيد جيانيني بكل جفاء ، وكانوا ، اذا قدّم لهما عريضة ، ضربا بها عرض الحائط . ثم بثّا حوله الارصاد فكان رجال التحرّي يرقبون حركاته وسكناته ويكيدون له المكايد ليوقعوه فيها لانه كان يوزّع المساعدات التي ترده من الكرسي الرسولي ، ويوصل الاموال التي كان يبعث بها المهاجرون الى ذويهم.

جاوز الاتراك كل حدّ في تصرّفهم ، فاتوا الى مقرّ القصادة الرسولية في بيروت ، ونزعوا الشعار البابوي من على باب دار القصادة ، وباشروا وضع الاختام على الغرف . ولولا تدخل من لا يُردّ قضاؤه لكان التحامل بلغ اقصى الشدة . عندئذٍ سعى السيد جيانيني ان يسافر الى الاستانة . فنال

الرخصة بذلك . وفي سنة ١٩١٥ ركب القطار الى عاصمة السلطنة العثمانية ، وهناك عرض واقع الحال لأولي الامر ، فامرت بتوقيف كل عمل مجحف بمنزلة القاصد وحقوقه . وقد تسنى له بعد ذلك ان يرفع تقاريره وشكاويه الى المراجع العليا ، وبناء على تدخل الكرسي الرسولي ، اخذت الوزارة تتعاطى مع صاحب النيافة معاطاتها مع اترابه . الّا ان جمالًا كان يتمعض من التجاء القاصد الى الاستانة فينتقم لنفسه بتوقيف تنفيذ الاوامر الصادرة اليه امّا الرسائل المختومة والبرقيات المقفلة ، التي كان ينفذها السيد جيانيني الى الكرسي الروماني المقدس ، فكانت تسير عن طريق قنصلية ايطالية قبل دخولها في الحرب ، ثم عن طريق قنصلية النمسة . وكانت كل من هاتين القنصليتين ترسلها الى سفارتها في الاستانة ، وهذه تسلّمها بدورها للسيد دولتشي النائب الرسولي فيها .

وبهذه الطريقة أتيح للقاصد الرسولي ان يوقف الكرسي الرسولي على احوال هذه البلاد ، وما الم بها من نكبات ، ويلتمس مساعدته وتوسّطه لتخفيفها عن عاتق الاهلين . وبهذه الطريقة ايضاً تمكن من ان يُعلم الحبر الاعظم بواسطة السيد دولتشي عمّا كان يضمره جمال باشا من العداء لصاحب الغبطة السيد البطريرك الماروني . فانه ما درى بعزم السفّاح على ابعاد البطريرك الماروني وحاشيته ، في ٢٠ تموز سنة ١٩١٧ ، حتى ابرق الى السيد دولتشي يرجو منه ان يخبر رومية بذلك . وكانت تقاريره تتوالى في هذا الشأن . وامّا السيد دولتشي فكانت مخابراته متواصلة مع الصدر الاعظم في مسألة ابعاد السيد البطريرك . ونظراً للخطر المداهم لم ينتظر تعليمات رومية ، بل ذهب توّاً الى الباب العالي وخاطب الوزير باسم الحبر الاعظم ثم عرض الامر للكرسي الرسولي فاجابه موافقاً على عمله . وقد نال السيد دولتشي التأكيدات اللازمة بان البطريرك لن يُبعَد . ولمّا علم صاحب النيافة بزوال هذا الخطر ذهب الى صوفر ورغب الى صاحب الغبطة الّا ينقاد الّا للقوّة والعنف . ثم تجدّدت المساعي ، بعد ايام ، لاقناع البطريرك بالذهاب الى زحلة فلم يرضَ ، فسمح له جمال باشا اذ ذاك بالمجيء الى قرنة شهوان . وفي ٢٢ تشرين الاول رخص له بالرجوع الى

بكركي . وبعد مدة ذهب السيد جيانيني لتهنئة غبطته بنجاته . فاعرب غبطته عن شكره الجسيم للحبر الاعظم الذي اعتنى به تلك العناية . ومما نذكره لصاحب النيافة في ذلك الوقت العصيب اتخاذه على عاتقه الاباحة لرئيس الرهبانية اللبنانية العام ان يرهن املاك الرهبانية ، لقاء مليون فرنك ذهباً ترسل اليه من فرنسة ، لمساعدة اللبنانيين .

استسلمت اخيراً تركية للحلفاء ، ودخلت جيوشهم سورية ولبنان . فاخذت تُدسّ الدسائس ضد الانتداب الفرنسي ، واتت لجنة اميركية تستطلع رأي الاهلين في امر الدولة التي يرغبون في انتدابها . فكان لصاحب النيافة موقف لا يسع اللبنانيين الّا تقديره لانه اعرب عن افكارهم ، وأيدها ببراهين لا مردّ عليها . وكان قبلاً قد نشط صاحب الغبطة السيد البطريرك الماروني لتجشم مشاقّ السفر الى باريس ، ليدافع ، بحجته القوية وبما له من الخدم تجاه فرنسة والبلاد وبقوّة تفويض اللبنانيين عموماً له ، عن حقوق لبنان بالاستقلال بحدوده الجغرافية الطبيعية والتاريخية ؛ والتمس من صاحب القداسة البابا بنديكتوس الخامس عشر ان يمدّ يده القديرة لتحقيق رغائب اللبنانيين . فلم ينسَ اللبنانيون ذلك ، وقد اغتنمت حكومتهم فرصة يوبيله ، فقرّرت اهداءه وسام الاستحقاق اللبناني من الدرجة الاولى « لانه في احوال حرجة ودقيقة تمكن من حفظ الصلات بين رومية والطوائف المختلفة على اتم ما يرام وخدمها جميعها في اثناء الحرب خدمات جلّى . » وكان يمكن ان يزاد انه سعى في سبيل لبنان سعياً مشكوراً .

امّا الدولة الفرنسية وممثلوها فاعربوا عن تقديرهم مزايا القاصد الرسولي . فأهدوا اليه وسام جوقة الشرف من رتبة كومندور ، وكتب اليه مسيو هريو نفسه ، لما كان رئيساً للوزارة الفرنسية ، كتاباً ملؤه الثناء والشكر .

ويزين صدر ذي النيافة ايضاً وسام القديسين موريس ولازار الايطالي ، ووسام ايزابل الاسباني ، وكلاهما من رتبة كومندور .

وما تقلّص ظلّ الاتراك ورسخت قدم الدولة الفرنسية حتى استأنف صاحب النيافة تعليمه الخلاصي في رسائله الممتازة ، فبيّن منافع العهد الجديد الذي

افتتح في ظلّ فرنسة ، ذات التقاليد الشريفة العريقة في القدم . على انه لم يغفل تحذير ابنائه مما قد يمكن حدوثه من الاضرار للنفوس ، اذا هم تهاملوا في صيانتها من هجمات التعاليم والمطبوعات الكفرية والخلاعية . ثم قال انه لا يطلب حقّ الافضلية للكثلكة في بلاد تعدّدت فيها الاديان والمذاهب ، ولا يريد ان يحتقر الكاثوليك من لا يشاطرونهم عقائدهم ، لكنه يطالب بحرية الكنيسة التامة ، ويتمنى ان تستمر علاقاتها حسنة مع السلطة المدنية . ثم حثّ الكاثوليكيين ، بل ذوي الارادة الصالحة من كل طائفة ، ان يؤلفوا عصبات اجتماعية تجعل رائدها الخير العام .

اما البابا السعيد الذكر بنديكتوس الخامس عشر فكان يعطف على ممثله كل العطف ، لانه رأى فيه غيرةً على خدمة الكرسي الرسولي لا تعرف الملل وقد جاءت تقاريره التي كان يرسلها الى المجمع المقدس ذي الاختصاص مستوفية شروط البلاغة والدقة شاملةً ممحصةً ، وكانت ولا تزال انموذجاً لما يماثلها . وقد تنازل قداسته واظهر بعلامة حسية انه يقدر جهود ممثله حقّ قدرها فاهدى اليه رسمه الكريم ، وخط عليه بيده الطاهرة هذه العبارة : « اننا نمنح من صميم الفؤاد البركة الرسولية للاخ المحترم فريديانو رئيس اساقفة سرّس ، دلالةً على عطفنا وعربوناً لتلك النعم التي نرغبها له مكافأةً للخدمات التي ادّاها للكنيسة . »

وكان بيوس العاشر من قبله انعم على السيد جيانيني بصليب صدري ثمين تقديراً لاعماله .

وفي سنة ١٩٢١ زار الاعتاب الرسولية فشمله الحبر الاعظم بالتفاته الخاص ، ثم اتى لورد بعية الزوّار الايطاليين الذين كان يقودهم صاحب النيافة الكردينال اشيل راتّي ، الذي رفعته ثقة امراء الكنيسة بمزاياه الفريدة الى مقام الحبرية العظمى ، وذلك بعد خمسة اشهر لزيارة سيدة لورد .

ولمّا عاد الى مقام قصادته راعه ما شاهد من هجمات الماسونية على الدين بحجة اصلاح البلاد وتسويد التفاهم بين عناصرها . وكان قد بدأ ابناء الارملة حملتهم بالطعن برجال الدين كعادتهم ليحطوا من كرامتهم في اعين الشعب ، ويفقدوهم

تأثيرهم . وكان صاحب الغبطة السيد البطريرك الماروني قد شجب تلك الحملات المنكرة ، فاخذ مدبّروها يتحاملون عليه ، ويصوّرونه غير ما هو حقيقة . فحبطت مساعيهم ، ولم ينالوا من كرامته ، فحذا حذوه صاحب النيافة حالاً واصدر رسالة جاءت آية في بابها من صحة التعليم وحكمة النصائح ، وابان ما هو التساهل الحقيقي الذي يقوم بالتسامح مع الاشخاص بل باحترامهم متى كانوا ذوي نية حسنة سليمة ، لكنه لا يسلم بنقض حرف واحد من تعليم الكنيسة ، اكراماً للغير واسترضاء له . وفي تلك الرسالة مديح موجه الى السيد البطريرك نقتطف منه ما يلي : «لذا نحني الرأس اجلالاً لك يا زعيم الطائفة المارونية الكريمة الاعلى ، ايها البطريرك المعظم الياس بطرس الحويك الرفيع المقام ، لانك بعين حكمتك ابصرت الخطر المحدق بابنائك ، وبذراع قوية وثابتة ازحت عنه الحجاب . فالى حسناتك العديدة التي اكسبتك قلوب بنيك ، وحببتك الى اهالي لبنان الكبير على اختلاف نزعاتهم الذين طالبت بحقوقهم وناضلت عنها امام مجلس جمعية الامم الملتئم لعقد الصلح ، والذين لا تزال بكل حقّ ممثلهم والمدافع عنهم ، الى حسناتك نستطيع ان نضيف حسنة اخرى عظيمة القدر الا وهي كشفك النقاب دون خوف ولا وجل بجرأة كلية عن مكايد الماسونية ومطامعها الوبيئة في رسالة اتت في وقتها . ونحن واثقون ان التاريخ سيقرّ قول حقارتنا . . . فليتزل الله بركاته ونعمه عليك ، يا صاحب الغبطة ، ويوفقنّ مساعيك سنين عديدة ، وليتم لك ابناء يليقون بك يتمسكون بتقاليدهم تمسكاً غير منفصم ، يطيعونك ويحبونك ويفدونك بارواحهم .»

وهنا مجال للقول ان العلاقات بين صاحب الغبطة والسيد القاصد الرسولي كانت ، ولا تزال ، وثيقة العرى . وقد اعرب السيد البطريرك عن عواطفه نحو ممثل الحبر الاعظم مرات عديدة ، اذ ردد على مسامع الكثيرين ان وجود السيد جيانيني في هذه الاحوال العصيبة هو نعمة من الله تعالى وانه لم يأتِ البلاد قاصد مثله . وقد ارتاح غبطته الى ان يجعل عمل لجنة اليوبيل تحت رعايته كسائر البطاركة الاجلاء .

ومعلوم موقف صاحب النيافة بجانب البطريركية المارونية يوم اعرب ذوو الشأن عن فكرتهم بتوحيد التعليم والمدرسة وجعلها لادينيين في جميع انحاء لبنان ، وفي احوال غيرها خطيرة لا مجال لذكرها الآن.

ولم تكن الصداقة بين السيد القاصد الرسولي وسائر اصحاب الغبطة مقتصرة على المجاملات ، بل كانت عبارة عن احترام متبادل وتعاون اكيد لمصلحة الكنيسة . ومما لا ريب فيه ان السيد جيانيني يرغب اشد الرغبة في ان تسود الثقة المتبادلة العلاقات التي بينه وبين الجميع وخصوصاً السادة الاساقفة ورجال الاكليروس ، ساعياً اصدق السعي لتحقيق نيات الكرسي الرسولي في سبيل تعزيز المصالح الدينية والآداب الكنسية ورفع منار الطوائف الكاثوليكية.

ولم ينحصر اعتبار القاصد الرسولي بابناء الكنيسة الكاثوليكية ، بل جاوزهم الى غيرهم من سائر الطوائف حتى غير المؤمنين . فان فريقاً كبيراً من اعيانهم ووجوههم يفاخرون بصداقة القاصد الرسولي ، وقد اظهروا ذلك بانواع مختلفة ؛ وبرهن الدروز خاصةً عن احترامهم صاحب النيافة ، فانهم في الجولتين اللتين جالها في الشوف ، قد اشتركوا مع النصارى في المهرجانات التي أقيمت تكريماً للزائر الكريم ، وامتازت دار اسرة جنبلاط في المختارة بما اجرته من الاحتفالات يوم زارها السيد جيانيني.

واما اهالي راشيا وجنوبي لبنان فقد اعربوا للقاصد عن شكرهم الحميم لاهتمامه بشؤونهم ، ولفته انظار الحبر الاعظم الى حالتهم.

ولا يجهل احد ان الحكومة اللبنانية استشارت القصادة الرسولية في شكل الحكومة الذي يوافق لبنان.

هذا كله يدلّ على ان اللبنانيين اعتبروه حقيقةً من المخلصين لوطنهم الذي اصبح له وطناً ثانياً ، مذ ارسل اليه ، وقد صرّح بذلك اكثر من مرة. ولنا برهان آخر على صدق قوله عنايته بتطويب الاخوة المسابكيين ، والحاحه على الحبر الاعظم باستجابة طلب البطريرك الماروني واساقفته . ثم الجهود التي صرفها وما زال يصرفها في قضية عبيد الله ، ابناء الرهبانية البلدية

المارونية ، الابوين نعمةالله الحرديني وشربل مخلوف بقاع كفرا ، والراهبة رفقا الريس ، من حملايا.

نعم انه بصفته رئيساً للزيارة الرسولية على الرهبانيات المارونية كان ملتزماً نوعاً بان يُعنى بامر عبيد الله هؤلاء ، لكن ما ابداه من الاندفاع في هذا السبيل لجدير بكل ثناء وشكر.

قلت ان مجمع شؤون الكنائس الشرقية قد عيَّنه رئيساً للزيارة المؤلفة من السيدين الجليلين اغوسطين البستاني ، مطران صيدا ، وبطرس الغفالي ، النائب البطريركي ، المارونيين . وقد كان عهد بها اليه والى السيد البطريرك الماروني ، لكن وفرة اشغال البطريركية حالت دون مواصلة البطريرك اعمال الزيارة مع القاصد الرسولي . فاخذ صاحب النيافة يدرس احوال الرهبانية مع الزائرين الرسوليين عن كثب ، ويتحرّاها ليتمكن من ان يعرض للمجمع المقدس طرق اصلاح ناجعة للخلل الذي قد يكون تسرّب الى الرهبانيّات . ثم عهد الى بعض ابناء الرهبانية انفسهم ان يبدوا آراءهم في هذا الشأن ، مع بيان الاسباب التي يستندونها اليها . وبعد ان تدبّرها الزائرون ارسلوها الى رومية ، ثم ما لبثوا ان الحوا بطلب اعادة المجامع العامة مع بعض تعديل في طرق الانتخاب ، ففحصها المجمع المقدس وقرّر مؤخراً ان يستأنف عقد المجامع ، واطلقت للرهبان حريّتهم بان يختاروا على مسؤليتهم الرجال الاكفاء لادارة شؤونهم . ويشهد جميعهم بترفع رئيس الزيارة واعضائها عن المآرب الشخصية ، وبملاحظتهم خير الرهبانية العام.

غير ان الرجل على قدر ما تتوافر حسناته وتتجلى صفاته تكاثر المساعي للحطّ من قدره . وفي ذلك عناية ربانية ترمي الى اظهار فضل صاحب الفضل ، والى حمله على ان ينسب الى الله لا اليه ما ميّزه به تعالى من الصفات الفريدة.

ففي اثناء الزيارة الاولى حملت جريدة « المناظر » عليها حملات شعواء ، ثم ما لبث صاحبها ان عرف خطأه وغيّر اعتقاده ، وفي اوقات مختلفة قامت قيامة بعض الجرائد الفرنسية والعربية ، وحاولت ان تنال من كرامة القاصد الرسولي تاسية اليه اعمالاً لم تدر في خلده . فتوالت الاحتجاجات على هذه

الاختلافات ، واخيراً كمّ السيد البطريرك الماروني افواه المتشدّقين برسالة انفذها الى صاحب النيافة اعرب فيها عن استقباحه هذه الحملات والدافعين اليها ، ونادى بفضل السيد جيانيني وخدماته له وللاساقفة وللطائفة المارونية ، وخصوصاً في اثناء الحرب الكونية ، وشكره على ذلك راجياً ان لا يعبأ بكل هذه الاقاويل . فكان لكتاب صاحب الغبطة اثر جميل في النفوس قضى به على الحملة المدبّرة ضد القاصد الرسولي والزيارة الرسولية.

ولما وقف المجمع المقدس على هذه الاحوال كتب الى السيد جيانيني كتاباً مؤرخاً في ٢٢ ايار سنة ١٩٢٨ جاء فيه ما تعريبه : « ان الكرسي الرسولي يعلم حق العلم ما هي الخدمات الجلى التي ادّيتها لسورية ، والمعاونة الحكيمة التي قمت بها للاب الاقدس ، ولاسيما لهذا المجمع المقدس وهي معاونة كان يجب ان تضرم عاطفة الشكر الحميم في قلوب جميع رجال الاكليروس والعلمانيين الكاثوليكيين في ذلك القطر . . .ولا يجب بل لا يمكن ان تكون هذه المحن داعياً لقلق فكرك من ايّ وجه كان.»

وقد تلقى القاصد الرسولي من المقامات العالية عبارات الاحترام والتعلّق بشخصه الكريم واستهجان العمل الذي يرمي الى الحط من كرامته . فتعزّى قلبه وتجلّت منزلته في الصدور.

ورغم انهماكه بالاعمال الموكولة اليه ، نظر في ترميم دار القصادة في حريصا ، فبنى الطابق العلوي فيها ، والرواق المطلّ على البحر ، وغرس امامها اشجار الارز فنمت وبسقت اغصانها حتى صارت جنة فيحاء. واحاط الحديقة بسور ، وهو لا يزال يواصل الاصلاح والترميم حتى يجعل الدار لائقة بساكنيها.

وقد انشأ مدرسة للفتيات في حريصا ، وسلّم ادارتها الى راهبات قلبي يسوع ومريم الاقدسين ، ما دامت جمعيتهم قائمة. فاصبحت زاهرة زاهية تتلقى الفتيات فيها مبادئ الدين والآداب والعلم.

ولا مجال لذكر الحفلات التي ترأسها صاحب النيافة في مدار ربع قرن كالمحاضرات المدرسية ، وتدشين معهد الطب الفرنسي ، والمستشفى الفرنسي ، ومصحّ بجنس ، ومباركة معبد سيدة لبنان ، حيث اقام السيد البطريرك

المارونيّ للقداس الاول واشتراكه في كنائسي في فلسطين ، وفي القاهرة حيث كرّس كنيسة . . . الآباء الفرنسيسيين . والاجتماع الفخم الذي عقد في كنيسة بسوعيين لاجل مساعدة جياع روسية ، الى غير ذلك مما لا يمكن ذكره في عجالة .

ولما تراكمت الاشغال عليه اقترح ان تُفصل فلسطين عن قصادة سورية وتلحق بقصادة مصر المنشأة حديثاً ، ولاسيما ان فلسطين اصبحت تحت انتداب الانكليز المتسيطرين على مصر . فاستحسن المجمع المقدس هذا الاقتراح ، وفي السنة الماضية جرى هذا الفصل عن قصادة سورية ، والالحاق بقصادة مصر .

٤

رسائله الرعائية

بقي علينا ان نقول كلمة في المواضيع التي تناولتها رسائل السيد جيانيني الرعائية . اذا قرأتها بامعان رأيتها متناسقة مترابطة ، يتدفق منها التعليم تدفق المياه العذبة من ينابيعها ، وهو تعليم سديد حكيم أُفرغ في قالب بليغ يقنع العقل ويستميل القلب الى الموافقة بين التعليم والسلوك .

في رسالته الاولى اسهب في ضرورة التقيّد باوامر الحبر الاعظم ، والانكباب على درس اصول الديانة المسيحية ، طبقاً لما فرضه السيد المسيح ، واوضحه بيوس العاشر في رسالته العامة موجباً على خدمة النفوس ان يهتموا الاهتمام الجدّي بكسر خبز التعليم المسيحي للناشئة المسيحية . التعليم اساس ، لكنه لا يكفي وحده ليجعل المؤمن قوياً في محاربة اعداء خلاصه وفي السير سيراً مرضياً لله ، بل يتحتم عليه ان يحيا بحياة المسيح ؛ وهذا لا يتمّ الّا بتغذية النفس بجسد يسوع ودمه . فلهذا خصّص صاحب النيافة رسالته الثانية بالمناولة المتواترة ، التي دعا اليها الحبر الاعظم عموم المؤمنين مبيناً شروطها ومنافعها كيلا يخدع السذج بسفسطات البعض المخالفة لتعليم الكنيسة ورغبة السيد المسيح .

وفي سنة ١٩٠٨ حدث الانقلاب العظيم في تركية ونادى المصلحون بالحرية

والاخاء والمساواة . فبادر الراعي الساهر على رعيته الى انارة سبلها ، حتى لا تستغويهم مظاهر خلابة قد تحدث اضرارًا جسيمة ، ان جهل المؤمنون ما هي القواعد التي رسمتها الكنيسة في مثل هذه الاحوال . وهو لم ينكر ان في الانقلاب الذي حصل تقدمًا وبارق امل بالاصلاح ، ولكنه ذكر الجميع بتعاليم لاون الثالث عشر في شكل الحكومات وموقف الكنيسة تجاهها ، وقال ان ما يهمه هو ان يتيسر له السعي لخير النفوس كما هو مصمم النية ، وانه لا يلتفت للامور الزمنية الّا على قدر ما يكون لها من تأثير في الشؤون الروحية . ثم اختط للاكليروس خطة رغب اليهم ان يسلكوها ، وهي ان يجعلوا خير النفوس فوق كل منفعة وحزب ومأرب شخصي .

ثم اردف هذه الرسالة برسالة اخرى عن الحبر الاعظم ومنزلته في الكنيسة وواجبات الكاثوليكي نحوه وضرورة الانقياد لما يرسمه . ولما كان مستقبل الكنيسة متوقفًا على تربية الاحداث تربية مسيحية حقة ، تناول الموضوع في رسالته الخامسة ، فدلّ على الطرق الثلاثة التي يجب على الوالدين سلوكها توصلًا الى الغاية المنشودة : اولها المثل الصالح ، وثانيها التعليم ، وثالثها الاصلاح والتأديب . وتلك واجبات يلتزم بها الوالدون شخصيًا قبل كل احد ، فليتعاطوها بعزم وحكمة ؛ وليحذروا من تسليم اولادهم الى الخدم ليعتنوا بهم او للمدارس اللادينية التي تقتل فيهم العواطف الدينية .

ولم يفت الراعي الصالح ان ادواء عديدة تتهدد الهيئة الاجتماعية بعد ان اصبح الفساد حرًا ، فلفت انظار ابنائه بل جميع المؤمنين الى الدعاية الموجهة ضد النصرانية ، دعاية دبّرها ابناء الارملة زاعمين انه في بلاد تعددت فيها الاديان لا سبيل للمساواة والعدل الّا بنبذ كل ديانة ونكران وجود الله تعالى ، ليتساوى الجميع في الالحاد ، فيبنى عليه اساس جماعة بشرية جديدة قابلة للرقي والتقدم . بيّن السيد جيانيني سخف هذه التعاليم ، وقوض اركانها ، ثم ما لبث ان اعاد الكرة في رسالته التالية في الدين والعلمانية ، فابان للملأ ، ما في كلمة « العلمانية » من الرياء ، لان العلمانية كما يفهمها ذووها ليست سوى الكفر المستتر ، ترمي الى اغفال ذكر الله تعالى ، وتناهض الدين زاعمة انه

مناقض للعلم . فزيّف اقوال هؤلاء المتشدّقين ، واوضح في رسالة اخرى واجبات الكاثوليكي الصادق المفروض عليه ان يخدم الله تماماً ، وليس له ان يكون تارةً لله وتارة للعالم ومبادئه.

ثم تناول في رسالة اخرى موضوعاً اوحت به اليه المهاجرة اللبنانية ، وهو محبة المال المفرطة ، التي تحمل هذا العدد العديد من اللبنانيين الى ترك الاوطان سعياً وراء ربح يكلّف طالبه مشقّاتٍ جسدية ومخالفات للشرائع الالهية والوضعية ؛ فناشد المؤمنين ان يكتفوا بما هو لائق لمعيشتهم لئلا يندفعوا الى ارتكاب المعاصي في سبيل الكسب الخسيس ، وذكّرهم انه من المستحيل ان يعبد الانسان ربّين : الله والمال.

ولما كانت الصحف لا تزال تطنطن بحرية الفكر ، رأى من المفيد بسط تعليم الكنيسة والفلسفة في الموضوع حتى يقنع المنخدعين بتلك الدعاية الكاذبة. وابان انه لامر مستحيل تحقيق حرية الفكر كما يرتأون ، لان هناك حواجز وحدوداً لا يمكن الحرية ان تتخطاها. ففي النظام الادبي شرائع زاجرة رادعة ، وللنظام الطبيعي قوانين ، لا سبيل الى مخالفتها ، فهي قاهرة لا يستطيع احد ان يغيّرها وفي النظام العقلي حقائق لا يمكن ان تدركها العقول . تلك الرسالة كانت الاخيرة قبل الحرب التي اوجبت على السيد جيانيني ان يكسر قلمه الى ان تنتهي تلك المأساة المفجعة . وما وضعت الحرب اوزارها حتى استأنف عمل التبشير بالكلمة ، فعاد يدعو المؤمنين الى اطاعة الكنيسة ويعلمهم ان قد وضعت مجلّة للحق القانوني العام أدخل فيها تحويرات ملائمة للظروف ، وقد اذاعها واوجب العمل بموجبها البابا بنديكتوس الخامس عشر ، بعد ان وقف على تنظيمها وتبويبها نخبة من ائمة القانون رئسها الكردينال بطرس غباري المشهود له بطول الباع في العلوم القانونية ، عدا مقدرته في ادارة شؤون الكنيسة الكاثوليكية باشراف الحبر الاعظم.

ولا عجب ان استرعى العهد الجديد ، الذي تألّق نوره بدخول الحلفاء ارض سورية ولبنان ، خاطرَ القاصد الرسولي وحمله على تكرير ارشاداته السابقة حتى يستدرك الاخطار المحتمل وقوعها . بيّن حسنات الدولة الفرنسية ،

التي لا تزال تحلف على اصدقائها القدماء ، وان اوجب عليها تغير الاحوال الوقوف موقف الحكَم بين المشارب المختلفة ، ثم حذر المؤمنين من الوقوع في حبائل الذين يستفيدون من الحرية لترويج الاضاليل والفساد . وتأييداً لقوله خصّص رسالة بكاملها لحسنات الكثلكة في النظامين المدني والاجتماعي ليقنع المتعنتين بان الكنيسة الكاثوليكية بتنظيمها الحرية قد ادّت للبشرية خدمات جليلة لا يستطيع غيرها ان يؤديها . وذلك لانها جعلت للحياة معنى وشريعة بتوجيهها الافكار الى وطن يسمو الاوطان الارضية ، وسنّت قانوناً ما هو الّا شريعة الحياة الدنيا الموصلة الى الحياة الاخرى . تلك حقائق اوضحها وبرهن عن ثبوتها في رسالة بليغة . وقد ادعى كثيرون انهم القابضون على سرّ السعادة والسلام في الكون الذين هم مفتاحه ، فما كان من القاصد الرسولي الّا ان بيّن ضلال هؤلاء المنخدعين ، مثبتاً ان في وحدة الكنيسة السلام الحقيقي ، تلك موهبة لم يُنفح بها غير الكنيسة الكاثوليكية وحدها . شعر الخارجون عنها بقوتها المتأتية من وحدة السلطة فيها فارادوا ان يتشبهوا بها وان يوحدوا الكنائس المسيحية الاخرى فلم يتوفقوا الى ذلك بل ذهبت مساعيهم ادراج الرياح ، لان الصلح والاتفاق لا يتأتيان بتضحية الحقيقة على مذابح الاغراض ، وان حسنة ، وكل ما هنالك من جهود لا يؤدي الى الغاية المنشودة لان الحقيقة واحدة ، وهي وديعة في ذمة الكنيسة التي اقامها السيد المسيح محافظةً على التعليم الصحيح وكلفها الدعاية للسلام الحقيقي الذي بشر به الملائكة ساعة ولد ابن الله حسب الجسد . فعبثاً يحاول الناس ان يحققوا فكرة السلام ما داموا بعيدين عن السيد المسيح ومملكته . ولا يعني ذلك انه ينبغي للكنيسة ان تكره الناس بالقوة على الانقياد لتعليم الانجيل ، بل ان تقنعهم باعمالها وتبشيرها وحسناتها وافضالها لينضموا اليها ، فينالوا السلام والخلاص . وهي مع تمسكها التمسك الكليّ بالوديعة المسلمة اليها ، لا تفتأ تسعى لولوج القلوب قبل العقول بمحبتها وتساهلها مع الاشخاص مراعية ضعف الطبيعة البشرية وما يؤثر فيها من الظروف . ان الكنيسة نور لكنها محبة ايضاً ؛ ترسل اشعتها لتضيء مسالك البشر بعد ان تكون محبتها اضرمت القلوب واجتذبتها . تلك

حقيقة لسهب في ايضاحها صاحب النيافة في رسالته السابعة عشرة التي عنوانها : «نور ومحبة» وهو شعار القاصد الاسقفي. تجلت هذه الحقائق في القديسين الذين لمعوا في سماء الكنيسة المقدسة ، وكانوا ابناءها لانها ارضعتهم محبة الحق مع الحليب فصاروا اولئك الابطال الذين تفاخر بهم امهم وبلادهم . ولذا فان الكنيسة امّ القديسين ، ولنا في هذا الوطن العزيز مثال قريب في شهداء دمشق الفرنسيسيين والمابكيين . وما هؤلاء الابطال سوى جنود مملكة المسيح يدافعون عن شرف ملكهم ، ويسعون لبسط ملكه على المسكونة. وقد تبسط في شرح هذه الحقائق السيد جيانيني في رسالتين لم ينقصا عمّا تقدمهما بلاغةً ، وسمو عاطفة ، ورسوخ علم. وآخر ما اتحفنا به صاحب النيافة رسالته في الحبر الاعظم ويوبيله الكهنوتي الذهبي ، وواجب الرسالة الملتزم بها كل مؤمن وطرق الرسالة المتنوّعة ، فعلى ابناء الكنيسة الصلاة والاعمال الصالحة وتنشيط الدعوات وتسهيل سبلها والتبرع لمساعدة المرسلين ، وعلى المدعوين الى هذا العمل العظيم التضحية لنشر ملك المسيح والتبشير بانجيله خلاصاً للامم . تلك امنية الحبر الاعظم ، والسعي الى تحقيقها خير ما نكرم به ابا المؤمنين في سنة يوبيله.

احدى وعشرون رسالة جمعت شتى الفوائد تؤلف كتاباً جزيل القدر يطالعه بلذة ومنفعة الكاثوليكي وغير الكاثوليكي . هذا عدا الخطب التي كان يُلقيها هذا الحبر العلّامة في فرص مختلفة فيجمع فيها بين رشاقة التعبير ودقة المعاني ومناسبتها للمقام ، حتى انه كان يلقي بلطف وكياسة الامثولات المفيدة على سامعيه فيدعوهم الى التفكر والاصلاح.

توفقت الى جمع هذه النتف من حياة صاحب اليوبيل الجليل فنشرتها تعريفاً لقدره ، ليعلم الجميع ما هي منزلة الرجل الحائز على ثقة الكرسي الرسولي واعتباره ، الذي استحق ان يسمع هذه الكلمة من فم رؤسائه : « نشكرك لانك شئت ان تواصل خدمتك للكنيسة في ظروف حرجة ومحن عديدة.»

امدّ الله في اجله ومتعنا طويلاً بانوار تعليمه ، وحفظ للكنيسة هذا الخادم الامين الحكيم ، الذي قلّده سيده تدبير هذا القسم العزيز من بيته ليرشد ويصلح ويعزّي وينشط ، بعلمه وحزمه ومثله ومحبته.

النزاع على قادش

بين المصريين والحثيين

بقلم الامير موريس شهاب امين دار الآثار اللبنانية

توطئة

كانت البلاد السورية مطمحاً لآمال فراعنة مصر ، وكانوا ينازعونها الحثيين. امّا اهل البلاد فكان الشماليون منهم يميلون لملوك الحثيين ويساعدونهم على المصريين ؛ واهل الجنوب والشطوط البحرية تحت سيطرة المصريين.

فاذا قام في مصر فرعون كبير ، اكتسح البلاد السورية ، وطرد الحثيين وحلفاءهم منها ؛ ولكن اذا ضعفت سيطرة ملك مصر ، انتهز ملوك سورية الفرصة للحصول على استقلالهم ، وساعدهم على ذلك ملك الحثيين طمعاً بالاستيلاء على البلاد ، متى نُزعت عنها سلطة ملوك مصر.

ولذلك اصبحت سورية الوسطى ميدان قتال الجيشين ، يحتلها من انتصر من العدوّين. وكانت المعارك تدور عادة حول بلدين : مجدّو جنوباً ، وقادش شمالاً.

امّا مجدّو[1] فتقع جنوبي الكرمل ، عند مضيق لا بدّ للجيوش المصرية من عبوره ، اذا قصدت سورية الوسطى برًّا . وامّا قادش فهي مدينة تقوم في سهول البقاع ، بين مجدّو وحماه ، وهي على مفرق طرق يمرّ بـه الفاتحون من ايّ جهة اتوا. وقد جهل الأثريون مدة طويلة المكان الذي قامت فيه قادش ، ولم يتمكنوا من تأكد موضعه الّا من زمن قريب.

---

1) اسمها اليوم «تلّ المتسلّم»

معركة مجدّو

وقادش بلد قديم نجهل كثيراً من تاريخه . وجلّ ما نعلم عنه هو م
اخبرتنا به حوليات فراعنة مصر التي تعدّد انتصاراتهم في البلاد السورية .

وقد اكتسح الفرعونان توتمس الاول ، وتوتمس الثاني ، البلاد السورية
يـأتيا على قادش بذكر . ولكن لم يمض على فتحهما نحو النصف قرن
اصطدم بجيوش ملك قادش ، اكبر الفـاتحين المصريين ، توتمس الثالث ،
حصاره لمجدّو .

وفحوى الخبر ان توتمس الثالث ، عند وصوله الى شمالي البلاد التي تد
الآن فلسطين ، سمع ان قوى عديـدة تألبت حول ملك مجدّو للوقوف
وجه المصريين ومنعهم عن دخول سورية الوسطى . وعلم ايضاً ان اكثر
القوى تحت امرة ملك قادش ، وقد كان ملك مجدّو استفزّ حميّته ، فج
كل ما جاوره من الملوك واسرع الى نجدته .

وما علم توتمس الثالث بالامر الّا جمع قوّاده في مجلس ، وعرض عل
خطورة الحال ، وطلب منهم المشورة . فاشار عليه القوّاد ان يتبع سبيلاً وا
اعتاد الفاتحون طرقه ، وان يهاجم معسكر الاعداء الذين ينتظرونـه بالق
من مخرج السبيل . ولكنّ توتمس كان على غير هـذا الرأي . وقد فض
ان يطرق مضيقاً حرجاً لا يمكن الجيش عبوره بانتظام ، وان يهاجم الاعداء
حيث لا ينتظرونه . فعارضه القوّاد في الرأي معارضة شديدة نظراً لضيق الم
وخطورته ، لو احسّ الاعداء بان الجيش المصري يمرّ فيه . ولكنّ الفرعون تش
برأيه وامر القوّاد بالاذعان لامره ، ففعلوا مكرهين .

ومن تشبّث الفرعون برأي كهذا لنـا الدليل على ما كان لتدخّل مل
قادش من التأثير في قلب فاتح كبير يتألب حوله جيش عرمرم . فلو لم يحـ
فرعون مصر لجيش الاعداء حساباً كبيراً ، لما خاطر بحياة رجاله ومرّ بهم
ذاك المضيق .

وقد نجحت حيلة الفرعون كلّ النجاح . ولم يرَ الاعداء طلائع جيشه

ولّوا الادبار، تاركين ما في معسكرهم من الذخائر النفيسة . وقد جزع اهل مجدّو كل الجزع، واقفلوا في وجه الفارّين ابواب مدينتهم وتحصنوا فيها . ولم يسع ملك مجدّو وملك قادش دخول المدينة الّا بتسلّقهم حبالًا ادلى بها اهل البلد من اعالي السور . وقد صاح الفرعون بجنده يحرّضهم على ملاحقة العدوّ قبل دخوله المدينة. ولكن انّى له ان ينصتوا الى اوامره، بعد ان ترك العدوّ امامهم مـا لا يحصى من الغنائم . واذ فاتت المصريين الفرصة، لم يتمكن الفرعون من الاستيلاء على البلد الّا بعد حصار طال بضعة اشهر . وقد وصف الفرعون وصفاً طويلًا خيام ملك قادش وما طرزت به من الفضة، وعمد الخيام المطلية بالفضة والذهب. وعند استيلائه على المدينة استسلم له ملكها، وملك قـادش، فوصف الفرعون وصفاً دقيقاً مـا اتشح به الملكان من الملابس الفاخرة، وما حملاه من الاسلحة الثمينة المطلية بالمعادن النفيسة، وما رصّت به عجلاتهما من الذهب الخالص.

فارس في بر المصريين

وعاد الفرعون الى بلاده بعد ان استولى على مدن عديدة تدين لملك قادش. ولم ينتهِ الفرعون من حملته هذه حتى شنّ الغارة مرّة ثانية على سورية الوسطى، وقد اتخذ من الاحتياط ما جعل النصرة في جانبه . فكانت موانئ البـلاد الفينيقية حليفة له، فاستخدمها لجلب الذخائر والرجال من مصر . وكانت حملته هذه نحو سنة ١٤٦٦ ق. م. وقد عاود الكرّة مرارًا على قادش، فاستولى عليها، واعمل الذبح والنهب في اهاليها واراضيها فدمّر ما لها من جاه وسطوة، وانزل الرعب في قلوب حلفائها واتباعها فدانوا لـه . وكانت الغلبة على قادش قاضية على استقلال البلاد، فعاشت سورية الوسطى اكثر من قرن تخضع لسلطة المصريين، وقد ساد فيها السكون وعاد اليها السعد. وحفظاً للسيطرة المصرية، شيّد توتمس وخلفاؤه قلاعاً يسطو منهـا الجند المصري على قادش ومجدّو، اذا اتتا باقل حراك ضدّ الفرعون.

ونحو سنة ١٣١٠ قام الفرعون ستي الاول يجتاح ما تقلّص من البلاد عن

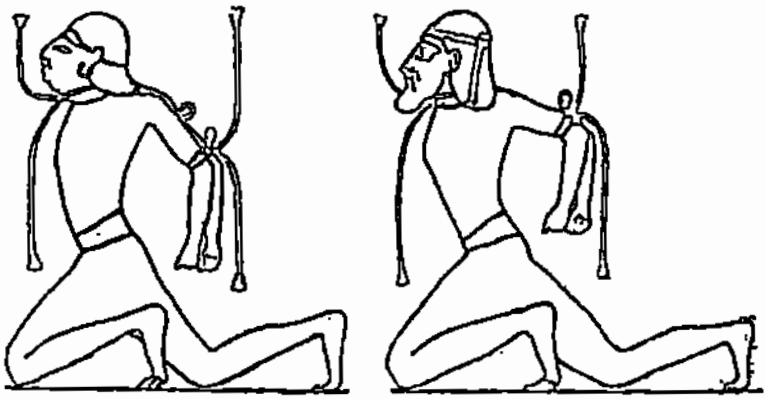

الرسم ١ : اسير حثي واسير سوري في قبضة سيتي الاول

سيطرة المصريين ، فاحتلّ قادش واقام فيها نصباً باسمه . ويمثل هـذا النصب الفرعون سيتي ، وهو يستلم صولجان النصر من اله مصر امون ، مع خلف الاله امون ، الاله مونتو ، وهو اله عاصمة المصريين ، وبعض الالهة الاسيوية . وقد وجد قسماً من هذا النصب العالم الاثري بيزار (Pézard) ، فأرسل الى متحف دمشق ، وعندنا ، في متحفنا ، قالب من الجفصين اخذ عنه .

فارس في بر الحثيين

ولم تبقَ المدينة زمناً طويـلاً في حوزة المصريين بعد سيتي ، لان الحثيين عادوا فاحتلوا البلاد وطاردوا منها جيوش مصر .

وكان الحثيون قد وصلوا الى اوج سلطانهم واصبحت منازعتهم البـلاد السورية شاقة للغاية ، وقد جعلوا لهم فيهـا حلفاء امناء كملك حلب ، وغيره من ملوك سورية الشمالية .

وقد يتساءل البعض عن حدود المملكة الحثية وعن اصل الحثيين . امـا الحثيون فهم شعب غير سامي ، مجهول الاصل ، ، اقـام من زمن بعيد في آسيـة الصغرى . وكانت اهمّ عواصمه على النهر الـذي يدعى الآن كيزيل ارمـك ، وعاصمته خاطوسية شمالي القيصرية . وكانت للحثيين عاصمة اخرى

كبيرة على ضفاف الفرات ، تدعى كركميش ، وهي جرابلس الحالية . وفي منتصف القرن العشرين ق. م. هاجم الحثيون البلاد الكلدانية واحتلوا بابل ، واعملوا في بعض احيائها الخراب ، لكنهم لم يقيموا فيها زماناً بل نزحوا عنها وعادوا الى جهات كركميش . وحين هاجر ابراهيم الخليل من اوركشديم ، تبع مع قافلته مجرى نهر الفرات ، حتى وصل الى البلاد الحثية وبقي في حران مدة ، وقد دفن فيها اباه .

وما زال الحثيون يوسعون نطاق حكمهم حتى احتلوا معظم آسية الصغرى ، واصبح سلطانهم وطيد الاركان فيها . فاتجهت مطامعهم الى سورية وهي مطمع كلّ فاتح ، فنازعوها المصريين القرون الطوال . وحين ملك في مصر الفرعون امنحوتب الرابع ، وألهي عن سياسة مصر الاستعمارية مكافحاً في سبيل ديانة الاله « الشمس » ، انتهز الحثيون فرصة الاضطرابات الدينية للقضاء على نفوذ المصريين في سورية ، فصاروا تارة يحتلّون البلاد بالعنف ، وتارة يتحالفون مع بعض ملوكها ، ويمدّونهم بالاسعاف ضد انصار الفراعنة . وقد دمّروا قطنا-المشرفة واحرقوا معبدها في ذاك العهد .

وما عادت المياه الى مجاريها في مصر بعودة الفرعون توت عنخ امون الى عبادة الاله امون ، حتى قام بعده الفرعون سيتي وطرد الحثيين من بعض ما احتلوا من البلاد ، وفي طليعتها قادش حيث اقام نصب النصر الذي مرّ ذكره .

ولكن أنّى للفرعون المصري ان يثبت سلطانه في بلاد مقيمة له على عداء صميم ، بعد ان انزل فيها الخراب . فلم يعد سيتي الى مصر حتى قامت البلاد ثائرة على جنده ، وعادت اليها جيوش الحثيين موالية او فاتحة .

رعمسيس الثاني والحثيون

معركة قادش

على ان الفرعون رعمسيس الثاني صمّم النيّة على بتّ الامر بينه وبين الحثيين ، وطردهم من البلاد طرداً نهائياً . فجنّد جيشاً عديداً مدرّباً ، وحمل به على

سورية الوسطى. وقد تبع رعمسيس في زحفه طريق السواحل ونصب له معسكراً على القرب من بيروت. ثم نقش نصباً على صخور نهر الكلب، واكتسب صداقة ملك جبيل اخيرام، بعد ان اهداه اناء من حجر الشطوط (albâtre)، ورمّم او بنى معبداً لآلهة جبيل. وقد حفظت الايام هديّته، وباب معبده، وهما الآن في متحفنا الوطني في بيروت[1].

ويظن بعض العلماء ان رعمسيس تبع في زحفه على قادش وادي نهر الكلب. ولكن ذلك يقارب المحال، والارجح انه اتى قادش من وادي النهر الكبير شمالي طرابلس.

ولم يكن رعمسيس عالماً ان الحثيين وصلوا الى قادش، بل كان يظنهم في سورية الشمالية، لان اسيرَين منهم اكدا له ذلك. وجازت عليه الحيلة، فترك معظم الجيش في مكان يدعى شبطونا، وتقدم مع ازكان حربه الى سهول البقاع، حتى وصل على مقربة من مدينة قادش. واذا بجنوده يأخذون اسيرين اخرين. فخامره الشك بالامر، واستخبرهما، وبعد ان نكّل بهما اقرّا انهما اتيا ليستطلعا طلع جيشه، وان ملك الحثيين، موتالو، وملك كردي، في كيليكية، وملك حلب، قد استتروا مع جيوشهم وراء تلّ قادش.

وقد وصف رعمسيس قادش وصفاً مسهباً، فقال عنها انها على تلّ تحيط به المياه من كل جانب، فهي اشبه بالجزيرة.

ولم يعلم رعمسيس الحقيقة، حتى صاح بقواده موبّخاً لتهاملهم في استطلاع حالة العدو، وقد علت في السهل غبار عجلاته. لان العدو في ذاك الحين هاجمه ليغدر به. وكان رعمسيس في اشد بأسه فارتدى بسرعة ملابسه الحربية، وامتطى عجلته، وهجم على الاعداء هجوم الليث ممطراً عليهم وابلاً من السهام. وحين رأى الجند مليكهم آتياً لنجدتهم زال جزعهم، وقاموا

---

١) الاناء معروض في خزائن المتحف. اما الباب فستجعل له عن قريب مكاناً في الغرف المفتوحة للزوّار، وقد نقشت على حجارته رسوم تمثل الفرعون، واسمه مكتوب بالاحرف الهيروغليفية، وهو من اكتشافات هذه السنة.

ينصرونه ، بعد ان كانوا اخلوا قسماً من المعسكر ، وارشكوا ان يلوذوا بالفرار .

وكان رعمسيس ارسل ساعياً لباقي جنوده يستعجلهم اليه . فلم يطل الامر حتى وافته ، في طليعة الجيش ، فرق من شباب الاموريين ، اي اللبنانيين ، الذين تجندوا في جيشه . فتمكن عند ذاك من التملص من ايدي الاعداء ، والكرّ عليهم ، ودارت رحى المعركة اكثر من نهار ، وكانت من اعظم المعارك المعروفة في التاريخ القديم . (الرسم ٢)

الرسم ٢ : رعمسيس الثاني في المعركة

وفاز الجيش المصري على جيش الحثيين ، فاكرههم على الهزيمة . واغرق منهم عدداً عديداً في مياه النهر . ويمثل احد النقوش المصرية التي نقشها رعمسيس على جدران معابده في مصر ، ملكَ حلب ، وقد قلبه جنده رأساً على عقب ، ليفرغ ما ابتلعه من المياه ، بعد ان انتشلوه من النهر (الرسم ٣) . ومع شدّة المعركة ، لم يتمكن رعمسيس من الغلبة على الحثيين بصورة نهائية . فعاد اليهم مراراً في السنين التالية وقد يئس الفريقان من احراز النصر .

وما مضت بضع سنين حتى جرت بين المليكين مخابرات صلحية ، فتقرر ان تكون سورية حتى جنوبي قادش للحثيين ، وان تبقى فينيقية مع ما بقي من سورية تحت سيطرة المصريين . وختم الملكان عقد التحالف ، ونقشا شروط

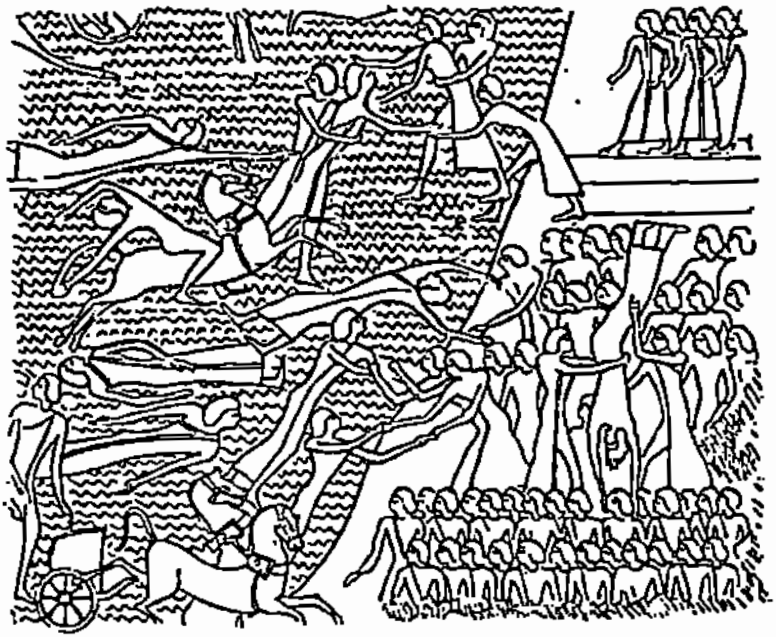

الرسم ٣ : جيش الرديف الحثي يخلّص الهاربين من المعركة على شاطئ العاصي ومعهم ملك حلب ، مقلوباً رأساً على عقب ، ليفرغ ما ابتلعه من الماء

الصلح على صفائح فضية وضعاها كلٌّ في معبد الهته . وانقلبت عداوتهما الى صداقة متينة ومحالفة ضد كل خصم . ثم طلب رعمسيس الثاني يد ابنة ملك الحثيين ، فاتاه بها والدها حتى بلاد مصر ، فاقام له الفرعون مهرجاناً عظيماً واستقبله بحفاوة نادرة ، فعدّ الشعب المصري مجيء ملك الحثيين الى ديارهم كخضوع لفرعونهم .

موقع قادش

وقد تساءل علماء الآثار مراراً عن موقع ذلك البلد العظيم ، الذي بقي مدة ثلاثة قرون ملتقى الجيوش ، فظنوه اولاً في جزيرة التين القائمة وسط بحيرة حمص . ولكن بعد التنقيب لم يظهر لهم فيها سوى آلات ظرّانية تدلّ على انها كانت مسكناً للبشر قبل التاريخ . ولكن لم يظهر لهم فيها شيء مهم من العهد التاريخي . فاتجهت انظار بعضهم الى اكبر تلّ في ضواحي البحيرة

وهو جنوبيها ، يمرّ نهر العاصي شرقيه وتنسل منه ساقية عريضة تمر غربي التل ، فيصبح كجزيرة . ويدعى هذا التل تل النبي مند . وقد زرته من عهد قريب برفقة الاثري الشهير الاب رونزفال ، الذي كان من اكبر مؤيدي الفكرة القائلة بانّ قادش قامت على هذا التل . وموقعه على جانب مهم من الوجهة الحربية ، اذ انه عند مفرق طرق : فهو شمالي مدخل البقاع ، وشرقي مدخل الوادي الذي يؤدي الى النهر الكبير والساحل ، وجنوبي اراضي حماه وحمص ، وغربي الطرق المؤدية الى تدمر والبادية .

ويستطيل التلّ من الشمال الى الجنوب ، وقد علا عن سطح السهل نحو الثلاثين متراً . وطوله نحو الكيلومتر .

وقد ارسل مؤخراً معهد الآثار الفرنسوي بعثة علمية لحفره والتنقيب فيه . وكانت هذه البعثة تحت ادارة اثري شاب يدعى پيزار . فاعمل الحفر في الجهة الشمالية - الشرقية من التلّ ، وعثر على القسم الاعلى من النصب الذي اقامه الفرعون سيتي في اواخر القرن الرابع عشر ق . م . وعثر ايضاً على آثار البلد في عهد الرومان واليونان ، ويمتدّ عمقها نحو العشرة امتار تحت سطح الارض . ثم وجد تحت هذه الآثار بعض بقايا لسور المدينة من القرن التاسع ق . م . تقريباً . ولكن مرضاً عضالاً اصابه وقت الحفريات ، اودى به بعد سنتين من الحفر ، ولم يدع له الوقت لنشر معلوماته ومتابعة حفرياته . ولا يزال تلّ النبي مند يطوي في جوفه آثار قادش ، وقد محى الزمان حتى ذكراها في تلك الاماكن . وكان العرب يعلمون في الاجيال المتوسطة ان قادش لم تقم بعيداً عن هناك ، اذ دعوا بحيرة حمص بحيرة قدس ؛ وكأنّ طاحوناً صغيراً على جنوبي التلّ ابى الّا حفظ ذكرى البلد القديم فما زال حتى الآن يُعرف بطاحون قدس .

الاستقلال المدني

في الكنائس الشرقية الكاثوليكية

محاضرة القاها في نادي الشبيبة الكاثوليكية ،
باللغة الفرنسية

الخوري بطرس روفائيل

١

في سنة ١٤٥٣ افتتح الغازي ، محمد الثاني ، مدينة القسطنطينية ، فسقطت بدخوله اليها الامبراطورية البيزنطيـة . ولمّا انقضت ايام النهب ، امر محمد المسيحيـين ان ينتخبوا لهم بطريركاً ، فوقع اختيـارهم على جيورجيوس سكولاريوس ، الذي اتخذ له اسماً جديداً ودُعي جناديوس ، واعترف بـه الفاتح رئيساً دينياً ، واقامه حاكماً مدنياً على المسيحيين البيزنطيين .

ولم تمضِ سنوات قلائل حتى دفعت تلك الفكرة محمداً الى ان يستدعي اليه ، الى القسطنطينية ، يواكيم اسقف بروسّه الارمني فقلّده من السلطة على المتمذهبين بمذهبه ما قلّد جناديوس على رعيته ، وكان ذلك سنة ١٤٦١ .

وهكذا وُلّي بالتتابع سائر البطاركة الارثوذكس القاطنين ولايات المملكة كبطريركي اليعاقبة والنساطرة . الّا ان هؤلاء كانوا متعلقين بارادة الحكّام المحليين واهوائهم اكثر من تعلّقهم بارادة السلطان نفسه . بيد انـه لم يكن لاحـد من هؤلاء البطاركة من سلطة او ولاية ، حتى بعد انتخابه ، ان لم يمنحه السلطان براءة التثبيت التي كانت تُقرّه رسمياً رئيساً وحاكماً على كنيسته . وفي هذه البراءات كانت تُعيّن حدود السلطة والانعامات الممنوحة لكلّ بطريرك .

وكانت براءة التثبيت تولي البطاركـة حقّ الحكم بالامور التي تتعلق برعاياهم . وللبطاركة ، دون غيرهم ، كان يرجـع الحقّ باحكام الوراثة ، وفرض الضرائب ، والحقوق المدنية ، واحوال الزواج الدينية والمدنيّة ، وكل

علاقات مرؤوسيهم وصلاتهم مع الحكومة . وكان البطاركة يجلسون في مجلس شورى موظفي الباب العالي ، اي الولاة او القائمقامين ، ويدافعون امامهم عن مصالح رعاياهم . والامور القضائية التي تتناول المسيحيين وحدهم كانت تُرفع الى محاكم البطاركة الخاصة . وكان البطاركة يديرون ، بحرية تامة ، اوقاف طوائفهم وكنائسها ومدارسها ومستشفياتها . وكان لهم ملء الحق بان يقوموا بالاحتفالات الدينية كما يرتأون ، ويُنزلوا قصاصات يستصوبونها بالمذنبين من رعاياهم ، ان كهنة او علمانيين . وقد يطول بنا الشرح اذا جئنا على ذكر كل الانعامات والتفويضات التي كانت براءات التثبيت تخوّلهم اياها . فترى مما تقدّم ان البطاركة كانوا حكّاماً حقيقيين ذوي سلطان داخل المملكة العثمانية .

ولسائل ان يسأل: لماذا عامل محمد الثاني المسيحيين معاملة الرفق والمساهلة ، ومنحهم هذا الاستقلال والحكم الذاتي ، وهو الذي سكر من فتح مدينة القسطنطينية ، ودكّ عرش الامبراطورية البيزنطية ؟

نجيب : ان اسباباً بعضها سياسية ، وبعضها دينية دفعته الى ذلك:

امّا السياسية فهي ان الفاتحين ما دخلوا مدينة القسطنطينية حتى استسلموا لاعمال النهب والسلب . فذُعر المسيحيون وركنوا الى الفرار والمهاجرة . فخاف الغازي ، اذا طالت المدّة وظلّت الحال على ما هي ، ان يحرم العلم رجاله ، والتجارة أربابها ، والصناعات محترفيها . زد على ذلك ان المسيحيين كان عددُهم لا يُستهان به وكان باستطاعتهم ، لو ارادوا ، ان يعكروا صفاء الامن في السلطنة ! فاستدرك محمد الثاني هذه الامور ، واوعز الى جنوده ان يُخلدوا الى السكينة والراحة ، ووهب المسيحيين ما وهب من السلطة والإنعامات ، فسهلت عليه ادارة الاحكام ونجا من متاعب شتى . وهناك امرٌ آخر وهو ان الفاتحين ما كانوا يفهمون لغة سكّان البلاد التي دخلوها ، ولا يعرفون اخلاقهم ، ومن جهة اخرى كانوا يزدرونهم . فأسهل الطرق لادارتهم واوفقها كانت اذن تركهم وشأنهم يعالجون امورهم بموجب عوائدهم وتقاليدهم .

واما الاسباب الدينية التي حملت الغازي على معاملة المسيحيين معاملة الرفق فهي ان تصوُّر الساسة للدولة في ذلك العصر لا ينطبق على تصوُّرنا لها اليوم .

قال السيد دي روزاس ، وهو فقيه مشهور : « نحن نستصوب اليوم ان تسن الدولة ، التي هي رب مطلق في ارضها ، شرائع تلزم كلّ من يقطن داخل تخومها وترتب انظمة تعم الكلّ ، وطنيين كانوا ام غرباء ، ايّة كانت عقائدهم الدينية . بيدَ ان القوانين المدنية كانت في العصور الغابرة خاضعة لشرائع الدين ومتعلقة بها ، وكانت السلطة المدنية على ارتباك ، غير شاعرة بمركزها وموقفها ومسؤوليتها ، ولذلك كان الغريب غريباً عن قوانينها لا يشترك في حياتها الشرعية ولم يكن باستطاعة الشريعة ان تعترف بـه ولا ان تذود عنه . »

هذا ولمّا كان يصعب ، ان لم نقل يستحيل ، على الحكّام ان يسنوا للغريب شريعة خاصّة به ، كانوا يضطرّون ان يقضوا لـه بموجب شريعته . فالغريب كان يستمرّ اذن خاضعاً للشريعة الغريبة . ذلك ما حدث في المملكة العثمانية حيث كان الشرع اسلامياً ، اعني دينياً . ولمّا كان الغريب اعني المسيحي لا يستطيع ان يستفيد من القانون المدني الذي كان ايضاً دينياً ، ولما كان في نظر الترك غير مؤمن ، اقتضى ان تحميه شريعتـه الخاصّة ويُحاكم ويُقاصر بموجبها . وقد كان لهذا الامر اهميته في استقلال البطاركة ، وحمل فرنسة اولاً ثم سائر الدول الاوربيّة على عقد تلك الاتفاقات المعروفة بالامتيازات الاجنبية (*Capitulations*) مع الدولة العثمانية .

على ان هذه الانعامات الممنوحة للنصارى كثيراً ما اعطت سبيلاً للسلاطين الى ان يتدخلوا في امور المسيحيين الدينية ، فأحدث عملهم هذا خرقاً في النظام وفضائح عديدة . لان السلطان كان حفظ لنفسه حقّ رفض من لم يعجبه في انتخابات البطاركة ، وحقّ تثبيت من أراده منهم . وقد نقل لنا التاريخ ما جرى سنة ١٦٧٢ في انتخاب كيرلوس الخامس ، خليفة البطريرك مكاريوس الثالث ، أذ ان باشا الشام اجبر الرعيّة على انتخابه بطريركاً ولم يكن له من العمر ، آنذاك ، الّا ١٥ سنة .

وفي اثناء سنة ١٩١٣ عيّد الارمن ، في كل اقطار العالم ، التذكار المئوي الخامس عشر لاختراع مسروب لحروفهم الابجدية . فاقاموا ، في القسطنطينية ، في كنيسة كوم كابو ، حفلة دينية شائقة تقاطرت اليها الجماهير الغفيرة ، ومُثلت

الحكومة تمثيلاً ندر مثاله ، فانتصب ، في صحن الكنيسة ، طلعت بك ، وزير الداخلية حينئذٍ ، ولفظ خطاباً ممتعاً عدّد فيه حسنات الدستور العثماني ، وبيّن مادحاً وفاق الترك والارمن . ولم يمضِ على خطابه بعض الشهور حتى دخلت سنة ١٩١٤ ، سنة الحرب الكونية ، فبرهن طلعت بك بافعاله على تمكن محبة الترك القلبية للشعب الارمني !!!

وبالاختصار ان الحكومة العثمانية كانت تعتبر البطاركة موظفين تأمرهم ، بعض الاحيان ، بامور لم تكن من حقوقها وصلاحيتها ، واذا رأتهم يتردّدون بانجاز ما امرت ، بعثت اليهم «بتذكرة» تضطرهم بها الى الامتثال لارادتها .

وكان من نتائج تولية البطاركة الرئاسة المدنية وما يليها من الانعامات انها صارت عقبة كؤوداً في سبيل رجوع المسيحيين المنشقّين الى وحدة الكنيسة الرومانية ، وقيام كنائس شرقية كاثوليكية . فان السلطات الكنسية الارثوذكسية كانت الوحيدة التي كان الباب العالي يعترف بها . وبها وحدها كانت تتعلق كلّ الامور المدنية التي وكلَ الفاتح قضاءها الى الاحبار المسيحيين . حتى انه على فرض ان قد اتّفق قوم من المسيحيين الشرقيين على ان يعودوا الى حضن الكنيسة الكاثوليكية ، فما كانوا يُعفون لذلك من التعلّق برعاتهم القدماء الارثوذكسيين ، والرجوع اليهم في امور المعاد والزواج والوصية والدفن وغير ذلك من الاحوال الشخصية . وكثيراً ما كان عودهم الى الاتحاد مع رومة سبباً لأعدائهم للسعاية بهم ، وفرصةً لإعنائهم وجبرهم على دفع الاموال الطائلة نجاةً من الظلم والاستبداد ، فضلاً عن ان رؤساء الدين الذين أقرّهم الباب العالي كانوا يتقاضون ظلماً الكاهن الكاثوليكي ضرائب فادحة ، لقاء الاجازة له بتوزيع الاسرار ، وتروس الصلاة على ميت!

ان الكنائس الشرقية الكاثوليكية ، اذا استثنينا الكنيسة المارونية ، لم يكن لها من وجود في عهد محمّد الثاني . أجل ان بعض البطاركة الارثوذكسيين التجأوا الى رومة وطلبوا الانضمام اليها ، ولكن ما عتم خلفاؤهم ان نكثوا عهودهم ؛ ومن ثمّ أخفقت كلّ المساعي في سبيل الوحدة الكاملة . ولكنه قد بقي مع ذلك اساقفة ومؤمنون من كل الطوائف متمسكين بالوحدة

الرومانية ، بفضل واجتهاد المرسلين اللاتين ، وخصوصاً الآباء اليسوعيين الذين لهم النصيب الاوفر في رسالات الكنيسة حتى قال عنهم احد المؤرخين في ذلك العصر : « انه لم تتحد كنيسة شرقية مع رومة الّا وكان الآباء اليسوعيون العاملين الاولين على اتحادها.»

ولمّا انشأت رومة الكنائس الشرقية الكاثوليكية في القرنين السابع عشر والثامن عشر ، عيّنت لكلّ واحدة بطريركاً . غير ان السلطان لم يعترف بهم رسمياً كرؤساء لطوائفهم ، بل ظلوا دائماً متعلقين بالمقامات الارثوذكسية في كل امورهم المدنية ، وكانوا عرضةً لخسارات عظيمة واضطهادات فظيعة ، اذا ابدت السلطات الارثوذكسية استياءها منهم.

وفي الواقع لقد سبّب اتحادهم مع رومة اضطهادات عديدة . وكانت اقساها وافظعها اضطهادات سنتي ١٨١٨ و ١٨٢٤ خصوصاً في مدينتي حلب ودمشق . وهي التي اهابت بالكاثوليكيين للجهاد في سبيل تحريرهم المدني. وكان بطل المجاهدين الاسقف الملكي مكسيموس مظلوم الذي صار فيما بعد بطريركاً على طائفته.

كان المغبوط في مدينة ترياسته لما علم باضطهاد ابناء ملته سنة ١٨١٨ ، فذهب توّاً الى ڤينة ، واوقف جلالة امبراطور النمسة على حالة الكاثوليكيين الشرقيين ، واكثر من المساعي لينال تحرير ابناء طائفته المدني . فاهتمّت له الدوائر النمساوية وراحت تعمل بالاتفاق مع فرنسة وانكلترة على اجابة ملتمسه ، وهاك بعض التدابير التي اتخذتها :

اولاً : على الباب العالي ان يعتبر الملكيين المضطهدين ابرياء من كل ما يُنسب اليهم.

ثانياً : تستقلّ الطائفة الملكية عن الفنار وعن سائر البطاركة الخاضعين له.

ثالثاً : يخضع اساقفة الطائفة الملكية ورعاياهم للباب العالي خضوع اساقفة الفنار ومرؤوسيهم له . وبالنتيجة يستطيعون ، لو أرادوا ، ان يعطوا المدن المسقفين عليها.

رابعاً : ان للملكيين حقاً ، حيث لا يملكون كنيسة ، ان يحوّلوا البيت الذي يريدونه الى مكان عبادة يقيمون فيه الصلوة والفروض الدينية.

الّا ان تدخل النمسة وممثلي فرنسة وانكلترة لم ينل نجاحه المرغوب الّا سنة ١٨٢٨ ، لمّا اضطُهد الارمن الكاثوليك القاطنون القسطنطينية. (له صلة)

كتاب البرهان

للاب توتل اليسوعي

ان القس منسى يوحنا ، راعي الكنيسة القبطية بملوى ، وصاحب مجلة « الفردوس » ، زار فلسطين سنة ١٩٢٧ ، وبحث فيها عن الكتب القديمة ؛ فعثر على نسخة مخطوطة لكتاب لاهوتي جليل موقّع باسم القديس اثناسيوس الرسولي (٢٩٨—٣٧٣) ، احد مصابيح الكنيسة الجامعة ، ومجد الشرق عموماً وفخر الكنيسة المصرية خصوصاً . فدفعته الغيرة الى نشر ذلك الكتاب اولًا في مجلته ، ثم على حدة في طبعة ثانية ، « لئلّا يقال عن الكنيسة القبطية ، صاحبة الشأن ، انها واقفة مكتوفة الايدي لا تبدي حراكاً ، تترك لغيرها من الافرنج او السوريين العناية بنشر وترجمة كتب اثناسيوس وغيره من الآباء..» وان القس يوحنا من تُبَّع المونوفيسيين القائلين بوحدة الطبيعة بالمسيح . فلمّا اخذ ينشر كتاب البرهان وجد فيه عبارات واقوالًا لا تترك مجالًا للريب بان قائلها معتقد ان في المسيح طبيعتين . فعزّ على حضرة الناشر ان ينسب هذه العبارات والاقوال الى القديس اثناسيوس ، لان تلك النسبة حجةٌ واضحة تشهد عليه وعلى من ذهب مذهبه بانهم ، عند قولهم بوحدة الطبيعة ، انفصلوا عن تعليم الكنيسة العامّ وعن ايمان الآباء الرسوليين الصحيح . فلم يراعِ حقوق المخطوط المرم ، بل عمل فيه المقصّ ، وحذف منه ما لم يره موافقاً لتعليم المنوفيسية وقال(ص٤٣) ان معرّب الكتاب وناسخه هو احد الاروام الارثوذكس ، وهو الذي دسّ فيه هذه العبارة عن الرب يسوع انه « مسيح واحد بقوام ازلي وطبيعتين » وقال ايضاً : « لا ريب ان اثناسيوس لم يكتب ذلك ، فرأينا من المناسب ان نحذف تلك الجملة ... والدليل على ان تلك الكلمة من تلاعب النسّاخ انه مكتوب بعد تلك الزيادة في تلك النسخة حاشية مطوّلة لاحد النسّاخ في اثبات الطبيعتين فحذفناها ايضاً » وقال : في موضع ظهر فيه الايمان بالطبيعتين باجلى تبيانه لا من بعض الالفاظ فقط ولكن من الفصل كله :

« ادخل الناسخ جملة تثبت طبيعتين ومشيئتين للسيد المسيح موهماً انها من

كلام اثناسيوس ومن يقرنها يتصوّر ان القديس اثناسيوس كان احد اعضاء مجمع خلكدون الذين حضروا مناقشاته ونابوا عن بابا رومية في الدفاع عن الطبيعتين . على ان اثناسيوس كان قبل ذلك بمدة ، لذلك حذفنا تلك الجملة لتأكدنا انها محشورة في كلام القديس بلا مناسبة » (ص ٤١) وجاء مثل هذه الاقوال في الصفحات ٥٩ ، ٦٣ ، ٧٥ ، ٨٧ ، وكلها تضرب على وتر واحد ، وغايتها الاثبات ان ما استشهد به كتاب البرهان على الايمان بالطبيعتين غير ممكن ان يكون من القديس اثناسيوس .

واننا لنأسف لبتر المؤلف الجليل على يد حضرة الاب الناشر ، ونؤاخذه على ركوبه متن الشطط في ميدان النشر العلمي . لانّ مهمة الناشر انما هي رواية المخطوط باصله وفصله ، وتعريف القرّاء بصورته المادية بوصف حجمه وطوله وعرضه ، وعدد صحائفه واسطره ، ونوع خطه وتجليده ، مع التنويه بمحل الاكتشاف عليه ، وذكر اسم اصحابه ، ليتسنى من ثمّ للمدققين ان يراجعوه عند الحاجة . وقد يضيف الناشر فضلًا على افضاله اذا توفّق الى معرفة نسخ غير نسخ المخطوط الذي بين يديه ، وقابل بينها ، واشار الى مواضع الاختلاف في المتن المؤدي الى التغيير في المعنى ، وشرح غوامض الكتاب مع التلويح الى ما هو اصلي من المؤلف وما هو تعليق وزيادة من الناشر .

اما حضرة الاب منسى يوحنا فلم يذكر اصل المخطوط الذي نشره ولم يتكلف مراجعة كتاب «المخطوطات العربية لكتبة النصرانية» للاب شيخو ، ولو فعل لاكتشف نسخاً غير النسخة التي حصل عليها وتسنى له المقابلة بينها . فلم يدقّق ولم يفحص بل قطع وحذف من كتاب البرهان ما لم يجده موافقاً لتعليم المونوفيسية وقال : اليكم تعليم اثناسيوس الرسولي .

وان لكتاب البرهان نسخاً معروفة كنسخة رومية ، ونسخة الاب سباط (عدد ٤٩) وهي مؤرخة في السنة ١٦٨٦ ، ونسخة الآباء البيض في مدرسة القديسة حنة الاورشليمية ، ونسخة مكتبتنا الشرقية المؤرخة في ١٦٨١ . وقد قابل الدكتور غراف بين هاتين النسختين فوجدهما كالتوأمين من اصل واحد او كأن احداهما قد نسخت عن الاخرى لما بينهما من التشابه . وفي هذا الكتاب

اربع مقالات واليك عناوينها كما صدرت في نسخة مكتبتنا(رقم ٤٦٨).

١) كتاب البرهان في تحقيق الايمان مما وضعه ابينا الجليل في القديسين الاب الكبير اثناسيوس الرسولي بطريرك الاسكندرية الذي وضعه على ان للخلق اله واحد لا اله الا هو وثلثة اقانيم وعلى تجسد الكلمة ومواهبه الشريفة للمؤمنين.

٢) مقالة وضعها الاب اثناسيوس بطريرك الاسكندرية على القياسات والشهادات في تجسد ابن الله المحيي.

٣) مقالة . . . في الرد على اليهود من كتب الانبياء وتكذيب لهم وخزياً.

٤) مقالة في الشهادات على ان المسيح هو ابن الله الازلي من كتب جميع الانبياء القديسين ومن اسفار العتيقة وعلى صحة تجسده وعجبه مما وضعه ابانا اثناسيوس.

واذا صحّ وتبيّن لك ايها القارئ اللبيب ان كتاب البرهان ، بالرغم من عنوانه الموسوم ليس هو من القديس اثناسيوس ، وغير ممكن ان يكون منه ، بل هو من مؤلف عاش عدة قرون بعد اثناسيوس ، وان هذا المؤلف هو كاثوليكي ، ازداد اسفك على مشقات حضرة الاب منى يوحنا وقد ذهبت سدىً وهو يحاول « تبرير » القديس اثناسيوس من التعاليم الكاثوليكية ، ووددت لو صرف الناشر همته الشتاء الى غير ذلك من الاعمال المؤدية الى التقريب بين الكنيسة القبطية الارثوذكسية والكنيسة الكاثوليكية الرومانية

ان كتاب البرهان ليس هو للقديس اثناسيوس

قال الاب شيخو (المشرق ٧[١٩٠٤]:٤٨٨) : « كتاب البرهان سفر جليل واسع عن التوحيد والتثليث بيدَ اننا لم نجده في اعمال القديس اثناسيوس وقد اطلع ابراهيم الحاقلاني الشهير على نسخة منه في رومية نُسب فيها للقديس بطرس اخي القديسين باسيليوس وغريغوريوس نيصص. ولكن ليس هو للقديس اثناسيوس ولا للقديس بطرس المذكور وانما هو احدث عهداً.» وجاء في مقال للخوري يوحنا مرتا (المشرق ٥[١٩٠٢] : ص ٤٨١) على الشهادات العربية في المزارات الفلسطينية : ان كتاب البرهان يطلعنا على وجود كنائس في بعض المزارات الفلسطينية لم يقم الى الآن دليل قاطع على وجودها في القرن الرابع ككنيسة زكريا ، والرعاة ، ونهر الاردن ، والمجدل ، وجناسر ، والكرسي، ونائين ، وطور ثابور ، وموضع الغنم ، اي بركة بيت حسدا في اورشليم .

فذكرها اذًا يدلّ على ان صاحبها عاش بعد عصر القديس أثناسيوس. فاذًا ليس كتاب البرهان للقديس اثناسيوس.

وروى كتاب البرهان (ص ٢٤٠ من مخطوط المكتبة الشرقية) « ان ملوك النصارى من بعد زمان طويل بنوا كنيسة لمريم القديسة في مدينة القسطنطينية عظيمة جدًّا ، رفيعة شريفة وارسلوا يحملون اليها تابوت السيدة بما فيه من الاكفان » ومن البديهي ان القديس اثناسيوس لم يكن قد وقف على هذه الحوادث ولم يستطع ان يذكرها . فاذًا ليس كتاب البرهان لاثناسيوس .

وقد عالج هذا المشكل الدكتور غراف الكاهن الكاثوليكي في مجلة « الشرق المسيحي » الالمانية ، وتخطّى الى ابعد مما بلغنا اليه بقولنا ان مؤلف كتاب البرهان ليس هو القديس اثناسيوس ، واهتدى بادلّة متنوعة الى التقرير ان المؤلف المذكور كان متضلّعاً من اللغتين العربية واليونانية ، وانه كتب كتابه بالعربية ، ونحا فيه نحو المؤلفين اليونان في الاستشهاد بالآيات الكتابية والليتورجية وفسرها بالمعنى الكاثوليكي . مما يدلّ على انه كان عربيّ اللغة يوناني الطقس كاثوليكي الايمان.

انه كتاب البرهان عربي الاصل

ومن الادلّة التي لا مردّ عليها الشاهدة بان كتاب البرهان عربي الاصل ما جاء في نهاية الفصل الثاني منه المخصوص بالشهادات المبينة حقيقة تجسد الكلمة في الطبيعة البشرية من العذراء عليها السلام ، وهي بشر ، ولها في العهد القديم رسوم وآيات تتنبأ عليها بالفاظ مؤنثة وهذا التأنيث لا معنى له الا لقرّاء العربية. فاذا من استشهد به كان عربيّ اللغة . واليك المتن بحرفه :

« ورسم آخر ايضاً عجيب جدًّا ، في مريم العذراء ، وهو ان الله امر موسى ان يعمل اشيا خواص معجبة ، وجعلها كلها مؤنثة ، وهي بجمرة ذهب مؤنثة ، والبلاطتين [كذا] التي كتبها الله باصبعه مؤنثة ، وتابوت الكنيسة مؤنثة ، والمايدة التي يوضع عليها خبز القربان مؤنثة فاي شيء اعجب من هذا المثل لمريم العذراء على وجه التأنيث ؟ »

وفي انشاء الكتاب غير ذلك من العبارات الدالة على اصله العربي تستلفت النظر وقد انتبه اليها حضرة الاب منسى لكنه لم يؤوّلها بالتأويل الصحيح. جاء في كتابه (ص ٦٣) «دبر كلمة الله خلطته بالناسوت باتم العدل مع تمام الرحمة والقدرة فمكر بابليس كما مكر بآدم وكان خير الماكرين» فصدق اذ قال ان العبارة «خير الماكرين» هي مقتبسة من القرآن. (٣، ٤٧؛ ٨، ٣٠) لكنه ضلّ اذ قال انها تدل على تصرّف النسّاخ. وما عسى ان يستفيد النسّاخ من دسّ العبارات القرآنية بالمتن؟ فاذًا انها وردت عن المؤلف عفوًا وابتكارًا وهو وضع كتابه بالعربية. فليس اذن كتاب البرهان من تأليف القديس اثناسيوس. وقد تنجلي هذه الحقيقة باجلى مظاهرها اذا ما انتقلنا في البحث من تعابير الكتاب ولغته الى النظر في فحواه. فكأنه وضع خصيصاً للردّ على البدعة المنوفيسية، وهذه لم تكن ظهرت على ايام القديس اثناسيوس.

اذن فالكتاب ظهر من بعد القرن الرابع ولغته العربية تدعونا الى الارتقاء به الى ما بعد الفتح الاسلامي وانتشار اللغة العربية في الشرق، وتاريخه في نظر الاب شيخو يكون في القرن التاسع او العاشر. وقال الدكتور غراف انه لسعيد ابن البطريق الذي توفي في ١١ ايار سنة ٩٠٤ باسم افتيخيوس البطريرك الملكي الاسكندري.

ان كتاب البرهان هو كاثوليكي التعليم

من اوضح البراهين التي جاء بها الدكتور غراف لاثبات قوله ان مؤلف كتاب البرهان هو افتيخيوس المعروف بسعيد ابن البطريق ان كتابه المعنون «التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق» الذي نشره الاب شيخو سنة ١٩٠٥ يتخلله مستطردات تعليمية لاهوتية خرجت من قلم افتيخيوس، اذا قُوبل بينها وبين بعض مقاطع كتاب البرهان وجدت كأنها منسوخة عن اصل واحد، او بالاحرى ادّت بنا الى الاعتقاد ان ابن البطريق مؤلف كتاب البرهان وكتاب التاريخ المجموع، استعمل بعض ما كتبه في كلا الكتابين المذكورين. وما لنا الّا ان نروي النصين الواحد تجاه الثاني لنكون على بينة من امرهما:

من التاريخ المجموع لابن البطريق

ان عظيم تدبير الله وكمال عدله وجلال رحمته بعث كلمته الخالقة التي بها خلق كل شيء وكونه التي هي من جوهر ليس بمخلوق ولكن مولودة من الله قبل الادهار كلها . لم يكن الله بلا كلمة وبلا روح قط ولا كانت الكلمة بريئة منه قط ولا من روحه الخالقة ومن جوهره الثابت الذي لم يزل ولا يزول وتجسدت من مريم العذراء جارية طاهرة مختارة من الاصل المبارك من ذرية ابرهيم وولد اسرائيل وسبط يهوذا وفخذ داود واصطفاها الله لهذا التدبير من نساء العالمين وطهرها بروح القدس روحه الجوهرية حتى جعلها اهلاً لحلول كلمة الله الجوهرية . . . (ص ١٦١)

من كتاب البرهان (ص٩٩)

فكان من عظيم تمام التدبير وجليل الرحمة وكمال العدل ورفيع الحكمة ان الله بعث كلمته الخالقة التي بها خلق كل شيء التي هي من جوهره وليست مخلوقة بل مولودة منه من قبل الادهار كلها ولم يكن الله بلا كلمته وروحه قط ولا من روحه ولا روح القدس لم تكن في غير الله وكلمته لانها روحه الخالقة وهي من جوهره فهبطت كلمة الله الخالقة بنوامها القائم الثابت الذي لم يزل ولا يزول والتحمت من مريم العذراء جارية طاهرة مختارة عن الاصل المبارك من ذرية ابرهيم وولد اسرائيل وسبط يهوذا وفخذ داود اصطفاها الله لهذا التدبير من نساء العالمين وطهرها بالروح القدس التي جعلتها اهلاً بحلول كلمة الله الجوهرية بها .

فترى من المقابلة ان الفرق بين متن ومتن زهيدٌ جدًّا ، وامثال ذلك الاتصال بين الكتابين كثيرة ، والنتيجة ان للكتابين مؤلفاً واحداً هو ابن البطريق . وهو قبل ان يسرد كلامه المذكور وطأ له في التاريخ المجموع بقوله (ص ١٦١) « ان ائمة الضلالة اعني نسطوريوس وافتيخيوس وديسقورس وسويرس ويعقوب البراذعي واشياعهم . . . يهزون جهلاً منهم باتحاد لاهوت سيدنا يسوع المسيح بناسوته وسقط كل واحد منهم في وجه من وجوه الخلطة فتمسك به وقد رأيت ان افصح وجوه الخلطة وابين ذلك لتقف على فساد قولهم . . . »

فهذا الكلام شاهد على ان المؤلف كتب ضدّ الهراطقة المذكورين ومن جملتهم اوتيخا . فاذا هو من القائلين بالطبيعتين وهو على الايمان الكاثوليكي . ولما كان كتاب البرهان تأليفه . فلا عجب ان نجد فيه التعليم الكاثوليكي ولا عذر لمن يتجرأ على حذف ما يجده فيه مخالفاً لاقوال المونوفيسية .

هذا ما رمنا تبيانه في هذا المقال ، والله نسأل ان ينوّر القلوب بضياء روحه القدوس ، فنتقدم اجمعين على مطالعة الآباء ملافنة البيعة ونهتدي باقوالهم .

ابراهيم باشا في سورية

بقلم الاب لامنس اليسوعي

بهذا العنوان نشر مؤخراً السيد سليمان ابو عزّ الدين كتاباً[1] يستحقّ اكثر من وصف اعتيادي . فهو اوّل درس دقيق خُصّ بهذا الموضوع في اللغة العربية ، كما انه اول تأليف تاريخي يمتاز عن كل ما ظهر في السنوات الاخيرة من كتب التاريخ ، سواء في ذلك بلادنا اللبنانية والسورية والقطر المصري . وانه ليسرّنا القول ان المؤلف نال من الروح الانتقادي ما حمله على نبذ الاساليب القديمة التي علق بها سلفاؤه من مؤرّخي الشرق ، فتركوا لنا تلك المجلدات الضخمة بظاهرها ، الفقيرة بمضامينها .

عرف السيد ابو عزّ الدين ان « اهل الدار ادرى بما فيها » ، ولكنه لم ينهَ باله عن ان من لا يصغي الا لجرس واحد ، لا يسمع سوى صوت مفرد . فاستخلص نتيجة هذين المثلين ، وراح يوسّع نطاق ابحاثه الاولية ، ويستنطق معاصري تلك الحوادث من وطنيين واجانب ايضاً ، وكثيراً ما كانت مراكز هؤلاء الرسمية تمكنهم من معرفة امور سرّية لم يقف عليها ابناء البلاد . فابتدأ من حيث يجب ان يبتدئ ، كما يُقال ، ودرس اهمّ ما كُتب في الموضوع ليس فقط بلغته العربية بل باللغتين الانكليزية والفرنسوية ايضاً ، وزاد على ذلك اطلاعه على بعض المجاميع المخطوطة .

---

١) المطبعة العلمية ليوسف صادر ، بيروت ، ١٩٢٩ – ٢٤٤ صفحة متوسطة ، مع بعض خرائط ورسوم .

وقد اثبت لائحة هذه المصادر ، من مطبوعة ومخطوطة ، في اول كتابه ؛ واشار الى مآخذه منها بدقّة في اسفل صفحاتـه ، حتى ان من قرأ ذلك يشعر بان المؤلف لم يكتفِ بسرد جدول بعناوين الكتب ليموّه على مطالعيه ، بل انه درس حقًّا تلك المؤلفات . وهي عـادة علمية ضرورية لاسيما في الشرق ، لكي يثق المطالع باقوال الكاتب ، ويمكنه ، اذا اراد ، ان ينتقد نتائجـه بعرضها على الاسباب التي استُخلصت منها . وقد طالما دعا « المشرق » مؤلفينا الكرام الى احترام هذه العادة ، لاسيما في القسم المخصص فيه لوصف الكتب الجديدة . وانه لمن اسباب السرور ان نلاقي كاتباً احترم هذه العادة الاحترام الواجب ، فنهنئه ، ونتمنى ان يقوم كثيرون ويتبعوه في خطّته الحميدة .

وبعد ان اعدّ المؤلف هذه الموادّ المختلفة ، بدأ عمله بطريقة عرّفتنا كم هو عليه من دقّـة البحث ، وحسن الاختيار ، وكيف يقرن صفات المؤرخ العالم الى ميّزات الكاتب البليـغ . واننا نكتفي هنا بمثل واحد هو وصف موقعة حمص التي نشبت في ٨ تموز ١٨٣٢ بين الاتراك وابراهيم باشا ، نذكره مثـالًا للوصف التاريخي الادبي . قال (ص ٩٥ وفيها يذكر النبي مندو والصواب مند او مندة) :

ان القائد العثماني رتب جيشه كله في صفين اثنين جاعلًا جناحـه الايمن في مكان منفصل عن سائر الجيش في جزيرة واقعة ما بين مجرى نهر العاصي وقناة مـاء (١ حاسباً ان في مثل هذا الموقع المنعزل يصعب على جيش العدو اقتحامـه لكن جهل ان العقبات التي تعيق جيش العدو عن الوصول اليه تعيق ايضاً ذلك الجناح من جيشه عن المبادرة الى انجاد سائر الجيش العثماني عند الحاجة . واضاف الى خطائه هذا خطاء آخر اذ وزع مدافعه بنسبة مدفع واحـد لكل كتيبة فافقدها هذا التوزيع التأثير المنتظر من نيران المدافع المجتمعة . (٢ اما ابراهيم باشا فرتب جيشه في ثلاثة صفوف جعل جناحها الايسر متكئًا على نهر العاصي والجناح الايمن الى جهة البادية ووضع الصفوف المشاة في الوسط والخيالة على الجانبين امـا المدافع فقسمها الى قسمين فقط فوضع ثلاث بطاريات في الصف الاول واحدة منها على كل جانب وواحـدة في الوسط . ووضع الاربع البطاريات الباقية مع مدفعي هوبيتزر وراء صف المشاة الثاني (٣ وبعد ان اتم ترتيب جنوده وادرك فقط الضعف في عدوه اطلق خيالة البدو لمناوشة العثمانيين

١) Cadalvene et Barault, *The Present State of The Turkish Empire*, p. 277

٢) *The present State of The Turkish Empire*, pp. 275-276

٣) المؤلف نفسه ص ٢٧٥

ثم سلط النيران الحامية على ميسرتهم وقلبهم فضعضعها (١) ولم تستطع الميمنة المبادرة الى نجدتها (٢) لما اوضحناه قبلاً من صعوبة الموقع الذي خصها به قائدها العام وعبثاً حاول العثمانيون اعادة تنظيم صفوفهم لان المصريين هاجموهم هجوماً عنيفاً وسلطوا نيرانهم الآكلة على جموع اعدائهم المختلة النظام فلم يتركوا لهم فرصة لاستجماع قوتهم او الثبات في مواقفهم فلجأوا الى الفرار.

* * *

على ان خطراً شديداً كان يترقب المؤلف في موضوع تكثر فيه المعارك، وهذا الخطر هو ان يؤخذ الكاتب بشخصية ذاك القائد الظافر فينصرف عما سواه الى ذكر مواقعه ومآتيه الحربية. وبكلمة اخرى كان يُخشى ان يحجب مثار النقع عن عيني المؤرخ ما قام به ابراهيم باشا من الاعمال الادارية، وما رمى اليه من الاصلاحات في سورية. ولكن، لحسن الحظ، تخلص المؤلف من هذا الخطر، فلم يجحف، في وصفه الرجل العسكري، باعمال الاداري المُصلح بل انتبه لعنوان كتابه الثاني، وهو «تاريخ بدء النهضة الحديثة في الشرق الادنى... وصفحة من تاريخ المسألة الشرقية» ولما قاله في المقدمة من ان حكومة محمد علي في سورية «كانت فاتحة عصر جديد... نُثرت في اثنائه بذور النهضتين الادبية والسياسية في الديار السورية». فاخذ بهذا البرنامج، وذكر في بحثه الانشاءات والاصلاحات التي اجراها ابراهيم في سورية. حتى اذا قارب الانتهاء خصَّ فصله الاخير (ص ٣١١ ...) بدرس «تأثير حكومة محمد علي» حتى في ما بعد اضمحلالها من سورية.

فبدأ بذكر التأثير الاجتماعي، ومن ذلك انه «قبل دخول ابراهيم باشا الى سورية لم يكن مباحاً للمسيحيين ان يتعمموا بالعمائم البيضاء او الخضراء او الحمراء، وكانت محظورة عليهم بعض امور غير هذه. وكانت تولية المسيحيين مناصب الحكومة قليلة الوقوع. فحكومة محمد علي ازالت كل هذه الفوارق، واباحت للمسيحيين ما هو مباح للمسلمين من لباس وركوب خيل وحقوق اجتماعية ووطنية، وقلدت كثيرين من المسيحيين الوطنيين والافرنج الوظائف في الجيش والحكومة الملكية، ومنحتهم الرتب والالقاب.»[٣] حتى ان

(١) Soliman Pacha, p. 212

(٢) المؤلف نفسه ص ٢٧٧

(٣) ص ٣١٢

الامير بشير نفسه كان ينتظر وصول المصريين ليتظاهر بنصرانيته.

ثم ان هناك تأثيراً علمياً وادبياً لا يُستهان به ، لا من حيث ان الحكومة المصرية انشأت المدارس ، وهي لم يمكنها الوقت من ذلك لما كانت مشغولة به من محاربة الاعداء الخارجيين ، وقمع الثورات الداخلية ، ولكن « لان تنظيماتها استوجبت اختيار المتنورين لادارة الاحكام والقيام بالاعمال القضائية والمالية والكتابية. وسهلت قدوم الافرنج من مُرسلين دينيين وتجار وغيرهم ، فأنشئت بواسطتهم المدارس.»[1]

اما التأثيرات الادارية والسياسية فكان منها التمييز بين السلطة التنفيذية ، والسلطة التشريعية ، وتأليف مجالس المشورة في المدن فتعوّد فيها السوريون ادارة شؤونهم شيئاً فشيئاً ، واقرار الامن على الطرق العامة ، بعد ان كان الاشقياء يعيثون فساداً حتى على ابواب المدن ، وكان السفر ، من بيروت الى دمشق مثلاً ، يكاد يستحيل على الرجل الفرد . وبهذه المناسبة يذكر المؤلف مقطعاً جميلاً من اغنية لبنانية قديمة ، وهو :

جوزك يا المليحه راح عالشام وحده
جوزك يا المليحه بو زيد الهلالي

* * *

بيد اننا عبثاً فتشنا ، بين هذه التأثيرات ، عن تأثير اجتماعي نتج من حكومة محمد علي في سورية ، وهو نقضها الاتفاق الذي كان سائداً حتى ذاك الوقت ، بين الدروز والمسيحيين . وهنا تدفعنا الحقيقة الى اعادة ما قلناه في تاريخنا لسورية (المجلد الثاني ، ص ٧٠) من ان ذاك الاتفاق الظاهر لم يكن يستند الى أسٍ ثابت ، لان المساواة لم يكن لها من أثر بين الفريقين فكان الدروز يعتبرون انفسهم من عنصر اسمى من مواطنيهم ، اما المسيحيون فكانوا يحسبون لبنانيين من درجة ثانية او ثالثة . ولم يكن ترفع الدروز هذا نتيجة تعصب ديني ، ولكن مفعول عصبية عنصرية كانت تهيب بهم فتدفعهم الى الكبرياء الجنسية والزهو ؛ وهي من نوع تلك العصبية الجنسية التي كان

١) ص ٢١٥-٢١٦

ينتقدها الدروز انفسهم على الاتراك . على انه بدخول المصريين الى سورية ، دار دولاب الحظ ، فانقلبت تلك الاعتبارات جميعها .

وكان الدروز قبل ذلك ينظرون بعين الحذر والغضب الى اعمال الامير بشير ، فما ان رأوا الفرصة سانحة حتى ثاروا على ابراهيم باشا وعلى حليفه . فما كان من السلطة الّا ان نفت البعض من رؤسائهم ، واجبرت البعض الآخر على الهرب ؛ فصار كثير من املاكهم في ايدي المسيحيين الذين حاربوا في جيوش المصريين ، فاستند اليهم ابراهيم اذ رآهم ارقى من مواطنيهم الدروز تعليماً وتهذيباً بفضل مساعي المرسلين . ولم تنقض سنة ١٨١٠ ، حتى رجع مشايخ الدروز الى بلادهم ، دون ان يستفيدوا شيئاً من ذاك الاختبار المؤلم ، فلم يفكروا الا بحقهم في استرجاع ما كان لهم من الميزات والخصائص القديمة ، ظانين انه لا يزال بامكانهم ان يعيدوا المسيحيين الى حالتهم القديمة من الانحطاط والخضوع . امّا هؤلاء فكانت نفحات تلك الحرّية الهابّة من جهة المصريين عوّدتهم الاستقلال فلم يشاؤوا التخلي عنها ، وكانوا يشعرون ان وراءهم دولة اوربية ، هي فرنسة ، تعينهم في الشدائد وتساعدهم على المضي في جهودهم الاستقلالية .

ولهذا لما عاد الاتراك وأسسوا مجلساً مشتركاً للمشورة ، رفض الدروز الاشتراك فيه ، لان ترفعهم العنصري كان يُريهم أن من الحطة ان يُعدّوا مساوين للمسيحيين . ولعلّهم كانوا يتوهّمون ان تلك المساواة ، اذا قُبلت ، ستقودهم يوماً الى تحقق انحطاطهم عن مستوى المسيحيين ، وهؤلاء امضى سلاحاً في العراك السلمي الذي يقوم به افراد هيئة اجتماعية منظمة ... وظلّ الخلاف يتفاقم الى ان ادّى الى تلك الثورات والمعارك الاهلية التي دامت حتى سنة ١٨٦٠ ، وهي سنة مشؤومة كم نودّ لو كان بامكاننا حذفها من تاريخ لبنان !

خمسة ايام على الاقدام

باعس — قرطبا — المزيري — مجدل العاقورة —
العاقورة — اللقلوق — بلمة — بيت الشاعر —
شاتين — حوب — ارز تنورين — الحدث —
الديمان — حصرون — بترقاشا — بشري —
الارز — ظهر القضيب — عيناتا — اليمونة —
شليفه — بعلبك

بقلم فؤاد افرام البستاني

٢

أرز الرب

«... اشجارُ الربِّ أرزُ لبنانَ التي غرسها ».
(المزمور ١٠٣: ١٦)

يقطع المسافر مناطق لبنان الشمالي ، غير عابئ بالمشقّات ، ولا مبالٍ بالمعاكسات ، تائقاً الى مشاهدة تلك الشجرات الخالدة ، التي طالما زيّنتها في مخيلته اقوال الكتاب والشعراء من صاحب المزامير الى احدث مؤلف ، فاصبح يراها من خلال اوصاف تقليدية اكتنفتها بإطارٍ من الروعة والاعجاب ، واحاطتها بهالة من العظمة والقداسة . حتى اذا رقي هضبة بشراي لاهثاً ، وبدت له غابة الارز بقعةً خضراء مسودّة في سفح الجبل الاغبر ، شعر بشيء من الكآبة خالطه ناتجاً عن عدم التناسب بين تلك الاوصاف التقليدية وحقيقة الأرز ... على انه لا يكاد يدخل ذاك الحمى المطمئنّ ، فتلقي عليه اغصان الأرز ظلها الكثيف ، حتى يحسّ بروعة العظمة والجمال وقد هبطت عليه فامتلكت فؤاده ، وتسلطت على جوارحه ، فحنى الرأس ، وخفض الصوت ، واستسلم لنوع من الرهبة الدينية اذ شعر انه حقيقة بين « اشجار الربّ أرز لبنان التي غرسها ... » .

في مثل هذه العواطف ، دخلنا الحمى المقدَّس . فجلنا بين ارزاته بكل سكون لا نكاد نطأ الثرى الّا برفق ، ولا نكاد نتكلم الّا همساً ، مشاركين في ذلك ، دون انتباه ، تلك الطبيعة الهادئة التي لا تحرّك اغصانها اغصان الأرز الّا بتؤدة ، ولا يحمل نسيمها ريح الأرز الّا بهبات خفيفة تكتنف الانسان من حيث لا يشعر ، فتحيطه بجوّ لطيف من الرائحة الزكية . هذا فضلاً عن ان ما على الارض من مسلّات الأرز المتراكمة يكوّن طبقةً لينة يمشي عليها الزائر فلا يُسمع صوت لخطواته.

في تلك العُزلة الهادئة ، ينطرح الانسان مغبوطاً كأنه وصل الى قمة امانيه ومطامحه ، فيغفل عن حاجاته المتعدّدة ، ويسلو احزانه المؤلمة ، ويرتفع من محيط البشرية الضيّق بما فيه من المنافسات والمشاحنات التافهة ، فينسى انه انسان ، ويودّ لو اتيح له الحياة والموت في تلك الظلال الوارفة ، فيردّد:

يا بني امي ، اذا حضرت ساعتي ، والطبّ اسلمني
فاحفروا في الارز مقبرتي ! وخذوا من ثلجه كفني !

* * *

بيدَ اننا لم نلبث ان استيقظنا من تلك الغفلة السعيدة على عياط المكاريين وقد وصلا الى باب السور ، فلاقاهما ناطور الأرز يريد منعهما عن الدخول ، فارتفعت الاصوات ، وعدنا فجأةً الى المشاحنات التافهة في محيط البشرية الضيّق.

للأرز سور من الحجر يرقى الى عهد رستم باشا ، احد متصرّفي لبنان السابقين (١٨٧٣ - ١٨٨٣) أمر ببنائه على اثر ما كان من اقتطاع الاهلين حطب الارز دون شفقة ، وابتذالهم ارضه المقدّسة دون اعتبار . وعين له ثلاثة نواطير ليحرسوا الغابة من المعتدين ، فيمنعوا قطع الاغصان ، واشعال النار ، وادخال المواشي . وكان ان البطريرك الماروني اصدر امراً يقضي بمنع الزوّار عن اقتطاع الاغصان . كل ذلك حفظاً لتلك الشجرات الباقية من الاندثار.

ثم رأت بلدية بشري ، وهي المكلّفة السهر على الغابة ان تضاعف في طرق وقايتها ، فحظّرت على الناطور ان يسمح لأحد بنصب صيوان ضمن

السور ، وضربت جُعالة قدرها عشرة قروش على كل زائر . اما سبب الخلاف بين الناطور والمكاريين فكان انهما ارادا ادخال معدّات صيواننا الى الارز فأبى عليهما ذلك ، ولو لم يكن يعرفهما من بشرتي ، لقدت الطاقية وخيمة . . . هذا على قول الناطور .

وعبثاً كان يعقوب ، وهو كبير المكاريين ، يشرح له أن معنا امراً من رئيس الحكومة يبيح لنا نصب الصيوان داخل الارز . فلم يكن الناطور يفهم ذلك ، بل لم يكن ليقرّ بوجود رئيس الحكومة . فلم نرَ بدّاً من الانتقال الى محلّ الخلاف ، فخففنا من حدّة الناطور ، واوقفنا المكاريين اكراماً له . ثم اخرجنا الامر فأريناه اياه ، وقرأناه له ، وبذيله امضاء الشيخ بشاره الخوري رئيس الوزارة اذ ذاك . فلم يظهر مقتنعاً بذلك ، لأنه لا يعرف من سلطة عليه الّا سلطة المونسنيور . . .

— وايّ مونسنيور ؟

— المونسنيور كيروز فاذهبوا وقابلوه . فاذا سمح لكم بنصب الشادر نصبتموه . والا فلا معنى لكل هذه الاوامر . . .

— واين يكون حضرة المونسنيور الان ؟

— انه مدعوّ اليوم الى الغداء في محلّ لا يبعد اكثر من نصف ساعة . على انه قد يعود بعد الظهر الى اللوكندة ، قرب الارز .

وهكذا بقيت معدّاتنا ، وراء السور مع المكاريين ، نحو الساعتين . ولم نكد نستلّ منها الا بالجهد ما اكلناه عند الظهر . ونحو الساعة الثالثة ، اقبل الناطور قائلاً :

— قد يكون رجع المونسنيور . . .

فخففنا معه نفتش عن المونسنيور ، وكانت السماء تبغش فخفنا ان تعاودنا عاصفة الأمس . . . على اننا حظينا بحضرته واقفاً يناظر الفعلة المشتغلين بلوكندته الفخمة على مدخل الأرز . فاستقبلنا ببشاشة . وافهم الناطور اولاً : ان الشيخ بشاره خليل الخوري هو رئيس الوزارة اللبنانية . وثانياً : ان له الحقّ باصدار امر يقضي بنصب شادر داخل الارز . وثالثاً : انه ، اي الناطور ، اذا سمح

لنا بذلك لا يكون عليه ادنى مسؤولية ، بل بالعكس فانه يكون قام بواجبه. فسرّ الناطور ، وسُررنا ايضاً اذ رأيناه انقلب الى رجل لطيف يتفانى في خدمتنا وتوفير اساليب راحتنا...

وبعد ان نصبنا الصيوان تحت اغصان احد جبابرة الارز ، انتقلنا الى حول البركة ، وهي حديثة البناء. جُرّت اليها المياه من نبع على ثلاثة ارباع الساعة من الارز. فجلسنا نتجاذب الاحاديث مع بعض الزوّار من اهل بشرّي . وبمَ عسى ان يتحادث زائر الارز مع اهل بشرّي الّا ببشرّي والأرز !

وهكذا جلنا في بلاد بشرّاي ، مهد الطائفة المارونية ، على قول رينان ، من البلدة نفسها الى نبع قاديشا ، الى واديه المقدّس ، الى الحبساء والنسّاك والرهبان ، الى الارز الخالد . وفي كل ذلك تتوافر لدينا المعلومات التقليديّة ، يختلط تاريخها بالاساطير فتسمو به الى درجة عالية من التأثير والجمال...

– ألا تعرفون لماذا دُعي هذا النبع « قاديشا » ؟... فاسمعوا اذاً : كان في سالف الزمان نبعٌ صغير ، لا ماء سواه في كل هذه الجهات . وكان النبع لحاكم جبّار يبيع منه الماء للسكان بثمن فاحش . وكان هذا الحاكم ظالماً شديد الوطأة على الاهالي ، يمنع ماءه عمّن يشاء ، اذا خطر له ذلك . فكان الناس يجتنبون اذاه خوفاً من سطوته ، ومنعه ماءه عنهم . فحدث يوماً ان امرأة ارملةً فقيرة كانت مارّةً من امام النبع ، ومعها ولدٌ صغير لم يكن لها غيره. فصاح الولد من العطش اذ رأى الماء يتسلسل . ولم يكن مع الارملة ما تدفع ثمن شربة وحيدها . فأبى الظالم ان يسقيه . وتابع الولد الصراخ ، والظالم لا يرحم ... فما كان من الارملة الا ان عمدت الى منديلها فاوقعته في الماء ثم انتشلته بسرعة ، ومرادها ان تعصره في فم وحيدها الظمآن. الا ان الظالم تناوله منها ، وعصره امامها تشفياً وانتقاماً. عند ذلك فتحت صدرها الى السماء ، وصاحت من قلب جريح : « جازاك الله على ظلمك ... » ولم تتم كلامها حتى دفق الماء نهراً عظيماً من تلك الصخور ، وغدا مورداً سائغاً للجميع فازال كربتهم ، وسمّوه « قاديشا » اي المقدّس...

– والارز ؟ اتعلمون من غرسه ؟... هو الربّ نفسه كما تشهد المزامير...

ولهذا فهو مقدّس لا يدنسه احد الا أصيب بنازلة . ولا يزال اهل بشرّي وسكّان الجوار يكرّمونه في السادس من آب في كل سنة ، وهو عيد تجلي الرب . فيأتون اليه ، كبارًا وصغارًا ، ويقيمون فيه قداساً احتفالياً . وينصرفون بعد القدّاس الى اساليب اللهو والانبساط ، ولكن دون ان يخرجوا عن دائرة الادب احتراماً لهيبة المكان . وكانوا في ما سلف من الايام ، وتلك ايام الحشمة والحياء ، ينقسمون فرقتين فيقيم الرجال وحدهم ، والنساء وحدهنّ . وكان الكثيرون يصعدون ، بعد الغداء ، الى اشجار الارز فيجلسون على الاغصان ، الرجال وحدهم ، والنساء وحدهنّ ايضاً . حتى اذا قدم رجل فجلس على غصن النساء ، او تجرّأت امرأة فاتت الى غصن الرجال ، انقصف ذاك الغصن حالاً وهبط بمن عليه الى الحضيض . وهو غضب الرب كان يظهر سريعاً امام عيون الجميع . . .

ثم انتقلنا الى الجولان في الغابة ، وفيها نحو الاربعمائة جبار تراوح اعمارهم بين الثلاثة آلاف والمائتي سنة . امّا شيوخ الجبابرة فاثنتا عشرة شجرة لا غير تحمل في جذوعها الضخمة تاريخ بلادنا منذ عهد الفينيقيين ، وتبقى على كرّ الايام مثال العظمة ورمز الخلود . وهناك اسماء بعض الزوّار من قدماء وحديثين خلّدتها هذه الجذوع . وهناك ايضاً في مرتفع صغير ارزة تُعرف « بأرزة لامرتين » حُفر عليها اسمه واسم ابنته جوليا ، ولكن نقد التاريخ الحديث اظهر ان الشاعر لم يصل الى الارز بل كلّف احد اصدقائه حفر اسمه . على ان بلدية بشرّي احترمت التقليد ، وكأنها شاءت مكافأة لامرتين على توقه الى رؤية الارز ، فعلّقت على تلك الارزة صفيحة تحيي ذكرى الشاعر الكبير (الرسم ١٠) وكذلك وضعت في داخل الكنيسة الصغيرة صفيحتين رخاميتين لذكرى مرور الجنرال غورو ، والجنرال ڤيغان في تلك الغابة .

اليوم الرابع

القداس في كنيسة الارز – ضهر القضيب – الانحدار السريع – عيناتا – اليمّونة

قبل الساعة الثانية بعد منتصف الليل ، قمنا على صوت يعقوب يدعونا ، وكنا قد طلبنا منه ايقاظنا في مثل ذاك الوقت . فاقفنا مسرعين ، وهرولنا الى حضور القدّاس الذي اقامه الاب مارغر في كنيسة الارز ، على مذبح كله

من خشب الارز ، تحيط به شاهد من اغصان الارز . ثم جمعنا امتعتنا على نور الاسيتلين ، وخرجنا من ذاك الحمى المقدّس تاركين فيه شيئاً من افئدتنا ، وفي افئدتنا اشياء من ذكره ، وسرنا في مراقي ضهر القضيب ، مسرعين كي ندرك القمّة قبل طلوع الشمس فنشاهد منظراً خلّاباً . ولم نزل نطوي هضبة بعد هضبة ، ونتسلّق قمة بعد اخرى ، وصوتا يعقوب ومزوّق يشقّان ذاك السكون بالحان الميجانا والتابا ، الى ان كاد الفجر يبيّض القمم ، ونحن على علوّ نحو الثلاثة آلاف متر ، فشعرنا بنسيم لطيف بارد خرق اجسامنا حتى العظام ، على الرغم من حرارة السير ، ففزع كل منّا الى سترته يتقي بها تلك القوارس . وما هو الّا القليل حتى وصلنا الى القمّة ، وهناك في بعض المطاوي لا يزال الثلج يقاوم حرارة الشمس ، وفي الاعالي ، حيطان من الحجر مبنية على شكل دوائر يتستر بها المكارون من لفحات الهواء ، فحللناها . وبعد ان داوينا البرد بالكونياك ، والجوع بطعام الصباح ، اقبلنا نمتّع الطرف ببزوغ الغزالة على تلك السهول المتتابعة شرقي ضهر القضيب ، وتلك الهضبات المتراجعة شيئاً فشيئاً في الابعاد التي كانت تحجبها عنا بعض الركام من الضباب المتثاقل . فترسل الشمس اولى أشعتها الكسلانة فتخترقها بضعف ، وتحوّل نتفها البيضاء الى قطرات لامعة كانت تتخايل لنا ، امام النور البعيد ، بالوان قوس قُزح الزاهية .

وبعد ان استرحنا قليلًا اتجهنا نحو الجانب الثاني فبدت لنا مهاو هائلة تتتابع من ضهر القضيب الى سهول عيناتا في انحدار يكاد يكون عمودياً . فاندفعنا فيها لا نلوي على شيء ، ولا ارادة لنا في العجلة او التؤدة ؛ لان قوة الثقل ، وحركة الهبوط المتواصل كانتا تدفعان بنا الى النزول ، ولا عون لنا سوى عصيّنا الضخمة نركزها في الارض ونستند اليها ، اذا ما اردنا الوقوف هنيهة . ولحسن الحظ لم يكن في تلك المنحدرات صخور ، ولا اشجار تعيقنا ، بل كلها حصىً بحجم البيضة كان يتدافع تحت اقدامنا فنندفع في اثره غير عابئين . الى ان قطعنا في ثلاثة ارباع الساعة جبلًا يلزم لصعوده اكثر من ثلاث ساعات . واذا بنا على نبع عيناتا البارد العذب .

وكان ذاك السقوط السريع قد أثّر في احذية البعض منّا ، فانصرفوا

يفتّشون في عيناتا عن اسكاف ، فوقعوا ، بعد العناء ، على رجل في طاحون القرية ، يطحن ، ويسكّف ، ويبيع المأكولات ، فوجدوا عنده ما يحتاجون اليه . وفي عيناتا ثمينا مفرزةٌ من الجند الافرنسي ، ترابط لمطاردة اشقياء الدنادشة ، وكانت قد علمت مؤخرًا انهم اقتربوا من تلك الجهات .

وبعد سير طويل متعب في سهول تكاد تلتهب حرارة ، بعضها يسقيه نهر عيناتا فيزرع بانواع البطاطا والذُرة الصفراء ، وبعضها لا يصل اليه الماء فيبقى اجرد قاحلاً ، اشرفنا على بحيرة اليمونة (الرسم ٣) . وكانت اكثر ينابيعها قد جفّت ، وانحسر الماء عن اطرافها ، متجمعاً في بقعة متوسّطة يبلغ عمقها ، في اوائل ايلول ، نحو الاثني عشر مترًا ؛ على انه لا تزال جوانبها ترشح الماء طول ايام السنة ، وقد سرنا نحو الكيلومتر على ضفتها الغربية والمياه تنبجس من تلك الحصى المتراكمة فتنساب ضعيفة تحت اقدامنا . وكلها صالحة للشرب تنصبّ في احواض صغيرة ، فيجتمع حولها دون ترتيب ولا نظام ، الرجال والنساء ، والجواميس ، والابقار ، والاغنام ، والماعز ، والبط ؛ يؤمّها كل ذاك الخلق للشرب ، ونقل الماء ، والاغتسال ، والتمرغ ، والسباحة ، لا فرق في ذلك بين الانسان والحيوان . . .

زرنا عند وصولنا حضرة المختار الحاج محمد علي شريف ، وكان يراقب فعلةً قائمين ببناء حاجز للمياه ، فاستقبلنا ببشاشة ، وحدّثنا عن نبع اليمونة الشهير ، الذي ينفجر كل سنة في عيد الاربعين شهيدًا فيُسمع له طلق شديد يتدفق على اثره الماء غزيرًا . ثم اخبرنا عن المشروع الجديد الرامي الى نقل مياه البحيرة في نفق تحت الجبل لريّ سهول بعلبك ، وما في تحقيقه من الصعوبات الناجمة عن الخوف من ان جرّ تلك المياه قد يضرّ بمياه نهر ابراهيم ، بعد ان ثبت عند الكثيرين ان نبعه من بركة اليمونه .

ثم تركنا الحاج محمد الى منبسط وارف الظلّ قريب من احد الينابيع ، فجلسنا فيه نعدّ الغداء . وما هي هنيهة حتى امتلأ المكان بالرجال يتأملوننا باعجاب ، وبالنساء يتغامزن باستغراب ، وبالحيوانات من بط ودجاج وغنم وكلاب ، ترقب ما تأكل من فضلات الطعام ، حتى ظننا ان لم يبقَ مخلوق في الضيعة

الّا قدم لاستقبالنا.

وعند العصر جرّب بعضنا الاستحمام في البحيرة فلم يقووا على احتمال ذاك الماء البارد. فخرجوا يرعدون، بينا كانت الشمس تدفع آخر اشعتها على اعالي القمم، فتبسط على البحيرة القائمة وسط هضبات تكتنفها فتحصرها من كل الجهات، ظلّاً خفيفاً يرافقه نسيم عليل يداعب سطح الماء فيموّجه بلطف وتؤدة.

ونحو المساء حدث حادث كان في غاية الغرابة. وهو انّ سيارة وصلت حتى وقفت في تلك الساحة، وكانت من اولى السيّارات التي مرّت على الطريق المشقوقة حديثاً من بعلبك الى اليمونة. فتهافت عليها جميع من اجتمع حولنا، اذ كانت لهم سبباً جديداً للاستغراب، فتركونا منصرفين اليها. على ان هذا الاستغراب لم ينحصر باهل اليمونة بل تجاوزهم الينا، اذ علمنا ان في السيارة محافظ بعلبك، وضابط قلم الاستخبارات، وقد اتيا يطلبان من متاولة الضيعة اثني عشر شاباً يسيرون في مقدّمة العسكر فيدلونهم على مخابئ الدنادشة، وقد وردت الاخبار بانهم في جبال اليمونة. تلك ظروف زادت رحلتنا لذّة اذ وفّرت لها من اسباب المغامرات ما لم نكن نحلم به. وكانت النتيجة ان ذهب الاثنا عشر شاباً في الحال، ولم نلبث ان سمعنا طلقات الرصاص متقطعة ... وحوالي الساعة العاشرة في الليل رجع رجال اليمونة فأخبرنا احدهم، واسمه محمد، انهم ساروا في مقدّمة العساكر يفتّشون الجبال، حتى اشرفوا على موضع مجاور اسمه بيت مشيك. وكان الاشقياء الدنادشة قد احتلّوا مغاوره، فانتشبت المعركة بينهم وبين الجنود ... عند ذاك لم يعد من لزوم لرجال اليمونة، وهم عزل، فتركوا الموقعة وعادوا، قبل ان يعرفوا النتيجة.

اما نحن فصممنا النية على متابعة رحلتنا دون انتباه للاخطار. وما ذاك الا لاننا نعرف المبدأ القائل: ليس من امان اكيد في نقطة موبوءة الا بعد نشوب معركة فيها...

اليوم الخامس

اليمونة – شليفا – ايات – بعلبك – بيروت

وعلى هذا قمنا في الليل، فحضرنا القداس في الصيوان، وسرنا على ضوء

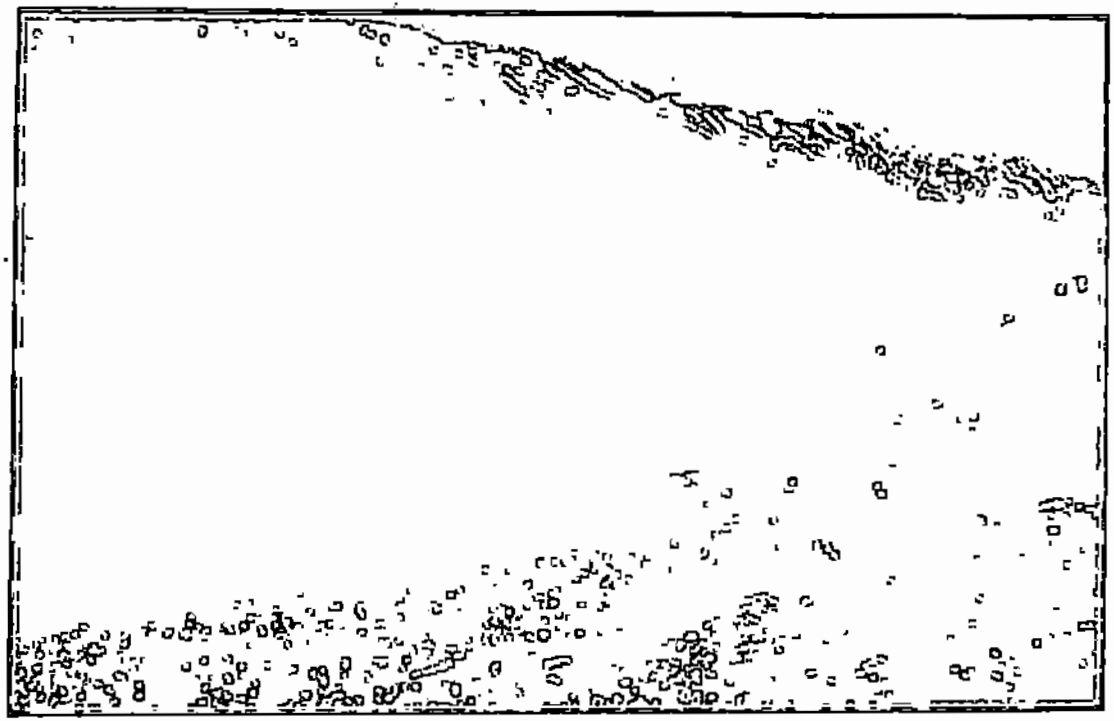

الرسم ٣: بحيرة البرنة

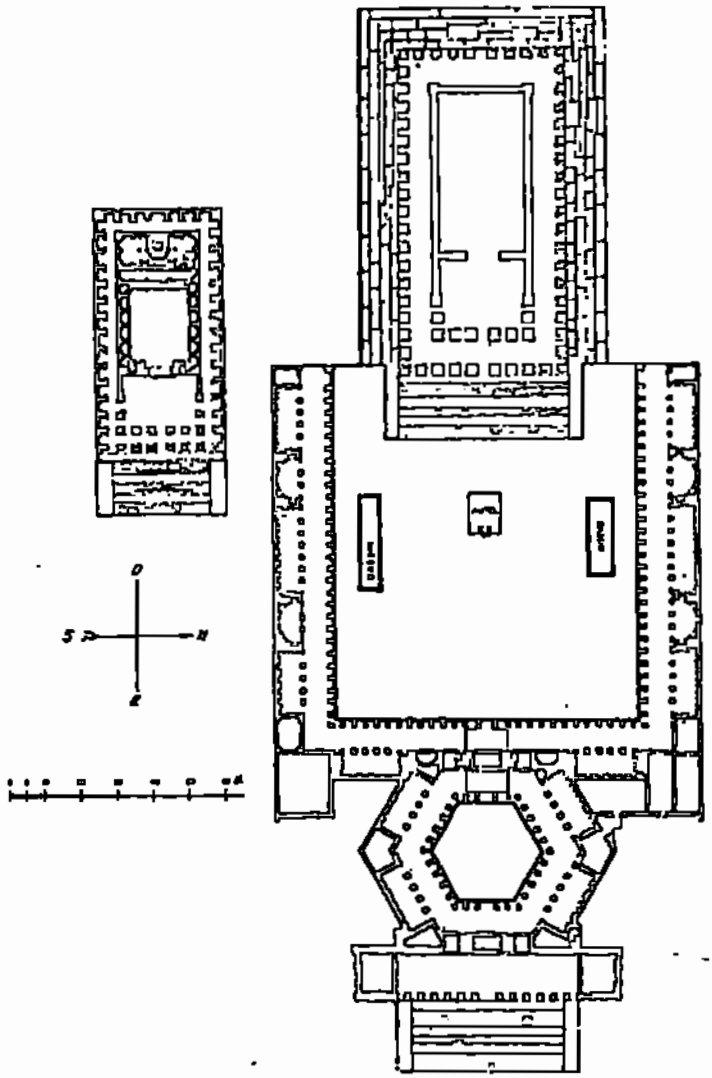

١ : الدرج الخارجي
٢ : الرواق
٣ : البهو المسدّس
٤ : البهو الكبير وفيه اقيمت الكنيسة البيزنطية
٥ : الهيكل الكبير او هيكل جوبيتر
٦ : الهيكل الصغير او هيكل باخوس

الرسم ٧ : رسم لهياكل بعلبك الرومانية (لم ترسم البناء البيزنطي ولا العربي)

الاستيلين نحو الساعة الثالثة ، فأشرقت علينا الشمس في مرتفعات الجبال المطلّة على سهل بعلبك . وكانت في الافق البعيد اعمدة الهيكل الضخمة تضارب الضباب ، فتصل صورتها الينا غامضة ملتبسة.

وكان من المقدّر علينا ان لا نذوق الماء العذب بعد بركة اليمونة ، ونحن لم نتعوّد ذلك ، فأثّر فينا العطش الى ان وصلنا الى شليفا وهي اول قرية في سهل بعلبك مما يلي جبال اليمونة . ولما لم نرَ فيها ما يُشرب من الماء استعضنا بالعنب . ثم جمعنا ما بقي لنا من العزم الذي اوهنته تلك الرحلة ، فعزّزناه بامل الوصول القريب الى بعلبك ، آخر مرحلة في سفرتنا ، وقنا نجدّ السير في ذاك السهل الفسيح حتى ضجرنا من وحدة المناظر المتتابعة على سياق واحد ، وكدنا نهلك من شدّة الحرّ الثقيل الوطأة . وكان امامنا ستة عشر كيلومترًا الى بعلبك فقطعناها في ثلاث ساعات لم نسترح الا قليلًا في ايمات ، وهي قرية صغيرة أمّلنا ان نجد فيها ما يروي ظمأنا من الماء العذب ، فخاب املنا.

وما وصلنا الى بعلبك ، حتى انطرحنا في مدرسة حضرات الآباء البندكتيين ، على البلاط ، نرطّب جسومنا من ذاك الحرّ الشديد...

وقد وافق وصولنا الى بعلبك وصول شرذمة العسكر التي اشتبكت مع الدنادشة ، ومعها جاويش جريح وجنديان قتيلان ، كانوا ضحايا معركة الامس التي سمعنا رصاصها في اليمونة.

وبعد الغداء قادنا احد الآباء البندكتيين الكرام الى القلعة فصرفنا نحو الساعتين في تفقّد آثارها الخالدة ، ولا اطيل الوصف في ذلك بعد ان تقدّمني الكثيرون ، فلم يتركوا فيها جُلًّا ولا قلًّا الا عيّنوا عهد بنائه ، والغاية من اقامته[1] ، فاكتفي بنشر رسم ابنيتها القديمة ، قبل ان دخلها العرب ، فخربوا الكثير من زخارف داخلها ليزيدوا خارجها قوةً وامتناعاً . (الرسم ٧)

وعند العصر ، ركبنا قطار بيروت التي استقبلتنا كما ودّعتنا بحرّها المذيب ، ورطوبتها الثقيلة...

١) ظهر في المشرق (٧ [١٩٠٤] ١٩٧ و ١٠٠) مقال طويل في وصف آثار بعلبك ، فليراجعه من شاء.

مجلة المعلومات

ارضاً القرد والانسان — الاولاد المتشردون
في روسية — النهضة الدينية في اوربة

بقلم الاب توتل اليسوعي

ارضأ القرد والانسان

عزز على اصحاب المقتطف مذهب النشوء والتطوّر ، وامره ثابت عندهم فلا يشكون بصحته البتة ، وهم يفاخرون بالدفاع عنه ويباهون به ، مباهاة العلماء المخترعين عندما يعرضون منتوجات اختراعاتهم للناس ، وعينهم تبرق فخراً ، ودماغهم يوقر رأسهم تفكيراً . قال المقتطف (تموز ، ص ٣٩٤) :

« ان الحيوانات والنباتات تتحول وتتطور فينشأ من تحولها وتطورها انواع جديدة من الحيوان والنبات . . . فاذا كان في امكانك ان تعيش زمناً طويلاً اتيح لك ان ترى الاحياء تبدأ حياتها بسيطة التركيب قليلة الانواع فتتغير اشكالها وتتحوّل صفاتها على مر الزمن حتى تصير معقدة التركيب كثيرة الانواع — اي انك تستطيع ان تشاهد الاميبا وهي ابسط الحيوانات وادناها في سلم النشوء تتحول الى احياء اخرى اثبت شكلاً واعقد تركيباً . وان تشاهد الهباريون يصبح فرساً ، وحيواناً شبيهاً بالقرد يصير انساناً . »

وقال ايضاً (ص ١٣١) : «من الاقوال التي تتناقلها عامة المتعلمين ان الاميبا هي الحيوان الاصلي الذي تسلسلت منه كل الحيوانات . »

وقال : « ان امامنا مذهبين متناقضين الاول يقول ان بناء الاجسام ثابت لا يتغير وان الأحياء ولدت كما هي ، لم تتغير ولن تتغير ؛ واصحاب المذهب الاخر — مذهب النشوء والتطور — يقولون ان بنية الاحياء تتغير تغيراً وراثياً على مر الاجيال والعصور . وان من نوع واحد تنشأ انواع عديدة مختلفة بفعل التحول الوراثي في الافراد . وقد ايدت المباحث الدقيقة ، التي قام بها العلماء في الحيوانات التي في اسفل سلم النشوء ، هذا المذهب ، اذ قد ثبت

لهم ان هذه الحيوانات تتغير فعلاً وتنشأ منها انواع جديدة مختلف احدهما عن الآخر . فالحقائق التي اثبتها الباحثون تؤيد مذهب النشوء والتطور وتدحض المذهب المناقض له.»

وانا اقل ما نؤاخذ به صاحب المقال هو وضعه موضع اليقين ما هو رأي من الآراء ، ومذهب من المذاهب التي تحتمل الجدال والمناقضة . قد طالما سمعناه يطبل ويزمر ، وينادي بالفرس حفيد الهاريون والانسان سليل القرد ، ولكن ، سيدي ، هل انت على يقين مما تدعيه ؟ أيفوتك أن الاسلوب العلمي الصحيح لا يوسع المجال لاثبات اليقين الا بحسب ما تكون الحقائق راهنة ثابتة بذاتها . لا يمكنك ان تثبت وجود الحلقات الرابطة أكيداً الانسان بالقرد . انا بالك تتطرف في اعتناق مذهب النشوء في اقصى ما بلغ اليه الماديون الناكرون روحانية النفس . اليس بوسعك ان تحذو حذو جيش العلماء القائلين ببعض النشوء والتطور من غير ان يزيلوا الفرق الجوهري بين القرد والانسان في نشأتهما ؟ عزيزة على صاحب المقتطف فكرة نشوء الحيوانات من الاميبا «الحيوان الاصلي الذي تسلسلت منه كل الحيوانات» ، وما برهانه على ذلك الا بعض التغييرات التي حدثت في الاميبا وهي « في اسفل درجات الحياة» مما لا يجدي نفعاً ليوقفنا على تطورات الحياة في طبقاتها العليا . فليس اذن برهانه مما يرتاح اليه الفكر ليبني عليه اعتقاداً يقيناً

وليعلم قرّاء المقتطف ان ما يردّده على مسامعهم دعاة مذهب التطور فيما يقولونه عن التغييرات الطارئة على النبات والحيوان انه لاقل من ان يذكر ويبدو لعالم الوضوح . ان الفروقات الثابتة بين المملكتين النباتية والحيوانية غير مدونة تدويناً مطلقاً عند العلماء . وليس بين يدينا قطعة واحدة من الحيوانات التي عاشت في الزمن السابق للتاريخ تمكننا من التأكيد ، من غير خطر الضلال ، ان جنساً من الحيوانات تطوّر واجتاز الى جنس آخر بالمعنى الذي يعنيه المقتطف . ولا نستطيع في حالة العلم الحاضرة ان نبيّن علاقةً ما اصلية ، بين ما هو لدينا من الانواع المتجانسة . ان « الاوخيوبتاريكس » اعني الحيوان الذي قال فيه بعضهم ان منه خرج البصفور والزحافة معاً ، اسى في نظر بعض العلماء ، اخيراً ، طائراً محضاً . وليس بين يدينا برهان شاهد على تطوّر الحيوانات البسيطة الى حيوانات اعلى منها . والتطوّر يُسبب في الغالب ، لا ترقي الجنس ، ولكن مسخه . وان يكن هناك بعض التغييرات ، فلا تكاد تستحق اسم التطوّر بالمعنى الذي ابتدعه تباع المذهب المتطرفين . قال العلامة فيتالون : « ان تطوّر الحيوانات ذوات الفقرات مما يقع تحت اختبار التاريخ ، وان كل ما نعرفه عنها يؤيد ما قيل سابقاً ان التطور لم يبتدئ من البسيط الاسفل ليرقى من ثم الى المركب الاعلى . والشاهد على ذلك الحيوانات ذوات الفقرات المكشوف عليها في الطبقات الجيولوجية . فان قابلنا بينها وبين امثالها من عصرها الحالي لم نجد بينهما فرقاً جوهرياً . والتطور الجيولوجي الحقيقي بين حيوان من تلك الحيوانات وبين آخر مما عاش من جنسها في يومنا انما هو تغيير لا يكاد يذكر.»

هذا والباب مفتوح للمناقشات في امر الاجناس والانواع مما يدعو العلماء الحقيقيين الى التحفظ بابداء آرائهم ، لئلا يكذبوا في الغد ما يكونوا قد اثبتوه اليوم. ومذهب النشوء ليس واحداً كما توهم صاحب المقال المذكور آنفاً ، بل هو مذاهب والبعض منها يتفق مع التعليم الكاثوليكي . اما مذهب النشوء المتطرف المؤدي الى انكار الفرق الجوهري بين الروح والمادة وبين الانسان والبهيمة فهو مناقض للعقل وللدين.

الاولاد المتشردون في روسية

لم نتمالك عن ابتسامة عند قراءتنا ما كتبه الهلال اخيراً عن حالة الاولاد السيئة في بلاد المسكوب ، وما كتبه منذ اشهر مطرئاً عناية الامة الروسية بالطفل قبل المدرسة. قال (ايار ١٩٢٨ ، ص ٨٥٠)

«جعلوا في روسية العناية بصحة الطفل قبل دخوله المدرسة اساساً للتعليم في جميع انحاء روسية . . . فاخذت حكومة الشيوعيين في انشاء «معاهد الاطفال» وتمكنت بهذه المعاهد من انزال عدد الوفيات . و «معهد الاطفال» مكان يمكن الام ان تترك فيه طفلها في عناية رجال وسيدات يشرفون على غذائه وراحته وقت غيابها حين تكون في المصنع او في اي عمل آخر . وقد بلغت معاهد الاطفال في روسية ٤١٠١ معهد في سنة ١٩٢٦ في المدن وهي آخذة في ازدياد.»

وكأني بالهلال قد عاد وانعم النظر فيما كان قد قاله عن محاسن الشيوعية وفضائل البلشفيك ، فاصلح ما كتبه جزافاً عن قلة تمحيص وتدقيق فقال (نوفمبر الاخير ، ص ١١٠)

«ولعل شر مشاكل روسية طراً ، ما عدا فقد الحريات العامة ، حالة الاولاد المتشردين الذين لا مأوى لهم ولا عائل يعولهم . فان الحرب والمجاعة تركتا روسية تغص بملايين اليتامى او الذين افترقوا عن عائلاتهم فباتوا لا يعرفونها ولا يعرفون شيئاً عنها . وكان عددهم منذ خمس سنوات سبعة ملايين.

نعم ان مشكلة الاولاد اليتامى او المتشردين صعبة في كل مكان ولكنها اصعب ما يكون في روسية حيث عددهم هائل. وقد ظهر للحكومة البلشفية ان البيوت «الاميرية» التي دبرتها لايوائهم لا تفي بالمرام وما يزال الالوف المؤلفة منهم يعيشون بالسؤال وينامون في العراء ويهاجرون من مكان الى مكان تبعاً للهواء كما تصنع الطيور وبعض الحيوانات»

النهضة الدينية في اوربة

وضعت مجلة المنار (تشرين الاول ص ٣١٧) مقالاً على ما كتبه صاحب السمو الامير محمد علي في حركة الاصلاح في الازهر . وكان الكاتب قد صدر مقاله بنظرات قيّمة في النهضة الدينية الحالية في اوربة فقالت :

« بدأ الامير مقاله بما رآه في ممالك اوربة « من الجنوب الى الشمال » من الهمم المبذولة والعزم الصادق في اصلاح ما افسدته الحرب العالميـة من تجارة وصناعة وعلم وعمل ولاسيما الاستعداد للحرب ... وانتقل من ذلك الى مـا هو اهم منه واخفى على جماهير المسلمين في هذه البلاد وغيرها وهو ما رآه في بلاد اوربة من التيار الديني الجديد الذي « يرمي الى ما كان للدين من شوكة وسلطان ، وناهيك بما يبذله رجال الكنيسة وطوائف المبشرين العديـدة ومن تبعهم من ارباب الملل والعلم والقلم لاستعادة نفوذ الدين وسيطرتـه على ولاة الحكم ومعاهد التعليم ، بل على الأسر والناشئة الجديدة.» الخ

نعم ذكر سموه ان هذه الحالة النفسية الجديدة التي رآها في بـلاد الغرب هذه المرة حملته الى إنباء اخوانه في الشرق « بما يجري ويدور هنا من فاتحـة القرن العشرين ليكونوا على بينة من الامر فيعتبروا ويتقوا الله في دينهم ولا يصغوا لضلالات فرقة ظهرت بينهم تريد ان تضلهم عن سبيل الله باسم العلم العصري والمدنية العلمية.»

شذرات

الصليبيون ومؤرخو السريان

في مكاتب عصرنا مجموعـات كثيرة من الآثار والمستندات عن ملاحم الصليبيين ، من لاتينية ويونانية وعربية وارمنية . وها ان حضرة القس اسحق ارملة يضيف اليها مجموعة جديدة من شهادات مؤرخي السريان[1] . وكلهم من

(١) الحروب الصليبيـة في الآثار السريانية ، للقس اسحق ارملة السريـاني – المطبعة السريانية ، بيروت ، ١٩٢٩ – ٢٥٧ صفحة متوسطة.

اهل الثقة والعلم كالبطريرك ميخائيل الكبير ، وابي الفرج ابن العبري ، وغيرهما ممن عاشوا بين الصليبيين ، وعاصروا حروبهم . فتطلعنا شهاداتهم على كثير من الامور التي كنّا نجهلها تماماً ، او نعرفها معرفة سطحية ، منها معلومات عن قتل تيودورس الرهاوي (ص ١٩) ، وان بني منقذ ، امراء شيزر ، كانوا يدفعون الجزية للصليبيين (ص ٢٣) وكذلك مدن حمص وحماه وحلب ودمشق . وفي كثير المواضع تؤيد الآثار السريانية ما كنّا نعرفه من خيانة البيزنطيين للصليبيين ؛ وتبيّن امانة نصارى السريان ، ولاسيا الرهاويين منهم ، لامراء الفرنجة ؛ وتعلمنا ان الصليبيين كانوا يبسطون حمايتهم على مسيحيي سورية المقيمين في بلاد الاسلام وذلك قوله : « واوفد ولاة الفرنج الى دمشق فاحصوا جميع النصارى المستعبدين عند المسلمين واعتقوهم من ربق العبودية وخيّروهم في السكنى ما بين المسلمين او الارتحال الى ايّ بلد احبّوا.» (ص٨٣) . ومؤرخو السريان يذكرون (ص١٢٩) حرق المسلمين للمخطوطات ، وهو حادث طالما تكرّر لهم على اثر ظفرهم بالصليبيين ، كما حدث لهؤلاء بعد دخولهم طرابلس. وفي الصفحة ١٥٨ نرى الصليبيين يوفدون الى صلاح الدين وفداً يلومونه على انكاره جميل السلطان نور الدين وآله ، ويهدّدونه بالقتال اذا لم يرجع عن حلب ، فيرجع عنها . ثم نطّلع على ان بطل حطّين ، اصابه من الانكسارات في محاربته الفرنجة ، اكثر مما يقرّ به مؤرخو العرب. هذا وفي الصفحة ١٦٤ (وفيها يجب اصلاح « أيلة بساحل النيل » بأيلة بساحل البحر الاحمر) معلومات عن حملة الفرنجة في البحر الاحمر ؛ وفي الصفحة ١٧٠ رواية جديدة عن مقتل ارناط (Renaud de Châtillon) يظهر فيها ان صلاح الدين كان يودّ ابقاءه . فترى من هذه الامثال ، التي كان بالامكان تعديدها ، كم من الفضل لمؤلف حضرة القس اسحق ارملة ، الذي نتمنى له انتشاراً زائداً.

ماذا يخبئ لنا الشتاء ؟

طالما يتردّد هذا السؤال في خريف هذه السنة الدانئ حتى اننا لم نكد نشعر بعد في اوائل كانون الاول بشيء من البرد . فهل تطول هذه الحالة ؟

وهل يكون شتاؤنا المقبل كالشتاء السابق برداً وصقيعاً ؟ هو ما يتنبأ عليه الروّاد بعد ان عادوا من القطب الشمالي ورأوا الكثير من ركام الثلج الضخمة تزايل اماكنها المعتادة . وقد اظهر الاختبار ان مثل هذا الانتقال ينذر بالبرد.

ولنا دليل ثانٍ على شدة برد هذه السنة نأخذه من عالم النحل. فان المهتمين بتربيتها لاحظوا مؤخراً انها تبني لخلاياها حافات مزدوجة ، وهي لا تقوم بهذا العمل الّا عندما تدفعها غريزتها الى الشعور بان الشتاء المقبل عليها سيكون قارساً

يوم التعطيل في تركية الكمالية

من آخر اخبار الاستانة ان الحكومة التركية قرّرت ان تستبدل بيوم الجمعة يوم الاحد ليكون يوم العطلة الاسبوعية في دوائرها وسائر دوائر الاعمال. وذلك لأن اسواق الاوراق المالية والمصارف في اوربة تفتح في ايام الجمعة ، وتقفل في ايام الاحد ؛ فكان يضيع يومان كاملان في الاسبوع على اصحاب الاعمال في تركية . فرأت الحكومة ازالة هذا الضرر بجعل يوم العطلة نهار الاحد لا الجمعة.

تقدم الطيارات المائية في السرعة

قامت الطيارات المائية الفرنساوية هذه السنة بمباراة لاحراز جام شنيدر (*Schneider*) في السُرعة ، فقطعت المجلّية منها مسافة ٥٧٥,٥٧٩ متراً في الساعة . فقاقت سرعتها ، بثمانية اضعاف ، سرعة الطيارات المذكورة في السنة ١٩١٣ ، وهي اول سنة اجريت فيها المباراة لنيل الجام نفسه. وهذا في ما يلي جدول يبيّن تقدّم هذه الطيارات المائية في تقريب الأبعاد :

السنة	السرعة في الساعة
١٩١٣	٧١,٩٠٠ متر
١٩٢٠	١٦٤,٦٠٠ «
١٩٢٣	٢٨٥,٤٠٠ «
١٩٢٥	٣٧٤,٢٠٠ «
١٩٢٧	٤٥٢,٩٠٠ «
١٩٢٩	٥٧٥,٥٣٩ متراً

على عهد الامير

لماذا ؟

رواية لبنانية تاريخية

بقلم فؤاد افرام البستاني

وقد يكون من الابناء ضحايا في سبيل آبائهم
من حيث لا يعلمون

الفصل الثالث عشر

لماذا ؟

طال الحصار الى ابعد مما كان يعتقد الجزّار ، فكاد يقلق لمصير قلعته ، وهو يرى الافرنج يضيقون نطاق جيشهم شيئاً فشيئاً ، ويسهرون على سدّ المسالك كلها ، فلا يرون رجلاً الّا أسروه ، ولا قافلة الا وضعوا يدهم عليها ؛ والجزّار ينتظر عبثاً ما آمله من الامداد من جهة الشام ، ومن جهة الامير بشير . حتى كان السادس عشر من نيسان فوصلته الاخبار المشؤومة بان الفرنساويين انتصروا انتصارهم الباهر حول جبل الطور ، فبدّدوا جيش الشام بكامله ، واستولوا على معدّاته وذخائره . فهاج مولى عكا ، وأمر بقتل من اوصل اليه الخبر . ولمّا لم يكن استلم شيئاً من الامير بشير ، حوّل غضبه وجهة غانم ، فأمر بالتضييق عليه .

ولم يكن بحاجة الى هذا التضييق الشديد ليدفع غانماً الى اليأس . فان اما كان وصل اليه هذا مع عائلته من ضنك المعيشة كان كافياً لتهدئة اشدّ الاعداء غضباً ، واقسى الخصوم انتقاماً . فان تلك الجراية الصغيرة التي كان يُعطاها يومياً من الخبز الاسود ، لم تكن لتنيله شبعاً ، فضلاً عن فرحات ، وعن بدور التي كان عليها ايضاً ان ترضع الصغيرين ؛ وان ذاك الكوز من الماء

الأجاج لم يكن لينقع غليلاً. هذا الى اوساخ متراكمة في الميناء تحت الشباك ، وروائح كريهة منبعثة من اطراف القلعة ، ورطوبة ثقيلة ترشح من سقف ذاك الكهف واطرافه ، فتؤذي الاعين ، وترشح الادمغة ، وتضني الاجسام . كل ذلك الى الهواء الفاسد الهابّ من معسكر الفرنساويين ، وقد اخذت اوبئة الطاعون والحميات تفشو في جيوشهم ، كان شديد الوطأة على عائلة غانم عامة، وعلى صغيريه خاصة ؛ فلم يلبثا ان ظهر عليهما الذبول ، فتكسرت اجفانهما ، وهزلت اعضاؤهما ، واضطربت حركاتهما ، وتملك عليهما سُعال جافّ مقرون بدور من الحمّى ينضحهما عرقاً قبل ان يرعد فرائصهما ببرده القارس ، فيطرحهما زهرتين قصفتهما عاصفة هوجاء وهما في نضارة الربيع .

وكانت بدور تلقيهما على فراش حقير ، وتركع امامهما حيرى في ما تفعل ، تائهة عمّا تفكر ، تصلّي ساعة وتبكي ساعات ، وتومئ حيناً بعد حين الى فرحات ، فيناولها كوز الماء وهو العلاج الوحيد الذي حصلوا عليه . بينا كان غانم يتجمع على نفسه في زاوية الغرفة ، فيشخص ببصره تارةً الى صغيريه ، وطوراً الى السماء يتلمسها من خلال شقوق النافذة ، فيراها غبراء من وراء دموعه المتناثرة ، فيضبط انفاسه الجائشة ، ويكبح عواطفه الثائرة ، متأسفاً حيناً على ذهاب الاب توما طيب النفس والجسد ، وفراق مصطفى آغا ، مستسلماً حيناً آخر الى مشيئة الله . حتى اذا سمع السعال يمتلك صدري وحيديه العزيزين ، وهو لا يقوى على معالجته ؛ ورأى الداء يخفت انفاسهما اللطيفة ، وهو لا يتمكن من مقاومته ؛ وشعر بشبح الموت ينسلّ اليهما بقدم ثابتة وعزم اكيد ، وهو لا يقدر على ردّه ولو بتضحية روحه ؛ تدافعت عوامل الحزن في جوانحه ، وضغطت عواطف اليأس على نفسه ، فشرق بدموعه ، وانفجر صدره بالآنات ، فالتفت الى العلاء ، وتأوّه :

— اللهمّ ! لماذا ؟ . . . لماذا ابعدت عنّا الاب توما ؟ لماذا جعلت الجزّار يحظّر على مصطفى آغا المجيء الينا ؟ لماذا رميتنا بهذا الكهف دون معين ؟ لا اعتراض على مشيئتك يا ربّ . . . ولكن . . . ايّ ذنب جناه هذان الصغيران فلزم ان يكفّرا عنه ؟ ايّ جرم اقترفه هذان الملكان فوجب ان يقاسيا العذابات

من اجله ؟ لماذا صرفت غضبك اليهما دوني ؟ لماذا ثقلت يدك على جسميهما النحيفين ؟ لماذا ؟... لماذا ؟...

حتى اذا انقضت تلك الازمة سكن سكوناً موقتاً بين عاصفتين لا تلبث الثانية ان تهبّ عليه اقوى من الاولى ، فيردّد : لماذا ؟

اما الامّ فكانت تمثال حزن واسى ، اذابها السهر وسوء الغذاء ، وصبغ الحزن محجريها بصفرة شابها سواد ، وخدّدت الدموع وجنتيها ، وهدّ الاسى قواها ، فهبطت تتلاشى شيئاً فشيئاً ، لا يحيا فيها الّا العينان ، ولا يتنبه الّا موضع الالم.

* * *

لم يقوَ الصغيران على احتمال تلك العذابات طويلاً ، فاخذ التزاع يتملك جسميهما شيئاً فشيئاً ، الى ان كان اليوم العاشر من ذاك المرض المميت ، فخمدت حياة سعدى في صباحه . ولم تلبث ان استدعت اخاها عند المساء فلبّاها ، متخلّصين من اعباء حياة لم تخلق لامثالهما فثقلت عليهما وطأتها ، ولم يقطعا منها بعد الّا مرحلة قصيرة ، ولم يفتحا اعينهما الا على ظلام كثيف. فانتقلا الى مقرّ اشباههما...

من الاوتار الحسّاسة ما يردّ لأخفى ما يمسه من النفحات صدًى بعيداً ، حتى اذا فاجأته النقرة القويّة انقطع وسكت . وكذلك بعض النفوس البشرية ، ومنها نفس غانم . فان ذاك الشابّ الدقيق الحسّ ، الذي لم يكن يزعج عائلته امرٌ مهما كان بسيطاً ، حتى تتفجّر دموعه ؛ والذي كان ، لدقائق خلت ، يكاد يستسلم لليأس القاتل لدى مشاهدته عذاب وحيديه ؛ هذا الرجل الوافر الشعور لم يتحقّق ان الموت جدّد اطراف عزيزَيه ، حتى جفّت دموعه ، وسكنت أناته ، ووقف ساكتاً كأنه بعيد عن تلك المأساة . ذاك ان النقرة كانت اقوى من ان تتحمّلها اوتار نفسه الدقيقة فتقطعت ، والمصيبة كانت اشدّ من ان يصبر عليها قلبه الرقيق فانخلع ؛ وما لبث ان هبط بكلّه في ذاك الظلام الثقيل ، وليس فيه من دلائل الحياة سوى نظر جامد وهيئة بلهاء تدلّ بمجمعها على سؤال بعيد الجواب : لماذا ؟...

الفصل الرابع عشر

جواب السؤال

ان لم تكن بدور رمت بنفسها من النافذة على البحر ، فذلك لانه كان لا يزال في قلبها المضطرب بقية ايمان عزيز ، ولانه كان الى جانبها رجل بحاجة شديدة الى من يعزيه . وهي ، لولا ذلك ، لما اشرقت عليها شمس الصباح التالي . . .

على ان للنساء ازاء الفواجع الفادحة صبرًا قد يفوق صبر الرجال ؛ لا لكونهنّ اوفر رزانة ، واصحّ بصرًا بمواقع الامور ، بل لما في طبيعتهنّ من البداهة في العواطف والسرعة في التأثر . فكما انهنّ اسرع اندفاعاً في اثارة الحزن ، كذلك تراهنّ اسرع تلبيةً لداعي الصبر والسلوان . فضلًا عن ان عليهنّ من الواجبات البيتية العديدة ما لا يسمح لهنّ طويلًا بالاستسلام لمثيرات الاسى . فكانت بدور ، اذا طلع الفجر ، تقود زوجها الى قبر الصغيرين في حوض قريب من الغرفة ، فيصليان هنيهة ، ثم يرجعان الى البيت فتنصرف هي الى بعض اشغالها ، ولا همّ لها الّا التفكير بالبعد عن تلك الديار المشؤومة ؛ ويجثم هو على ذاك الفراش الحقير يناجي آلامه واحزانه .

امّا فرحات فكان كالصنم وسط هذه المأساة ، توالت عليه الخطوب في ما مضى من السنين ؛ حتى اذا امّل بقليل من الراحة في آخر ايامه ، اصابه القدر بتلك النازلة فذهبت بكل ما كان باقياً في نفسه من تجلّد ورباطة جأش . فغدا يروح ويجيء ذاهلًا ، فيقضي حاجات الاسيفين صامتاً ، لا يفكر الّا بطريقة يخلّص بها غانمًا وبدور من قرب الجزّار ، فيسلّيهما نوعاً عن ذاك الحزن المذيب .

* * *

وبينما هو مارّ في صباح من اوائل ايار ، امام باب السراي ، يلتمس لسيديه ما يأكلان ، اذ استوقفه شيخ رثّ الثياب معتمّ بعمامة بيضاء ،

فذعر فرحات خائفاً من مصيبة جديدة . فهدّأ الرجل روعه ، وانفرد بـه في زاوية ثم قال :

— ألم تعرفني يا فرحات ؟...

واذ حملق هذا استغراباً ، قال الغريب:

— دلّني على مقرّ غانم ، فنتابع الحديث في مأمن.

فقاده فرحات ذاهلاً الى غرفة سيّده . وما وصل حتى القى تلك العمامة الكبيرة وقال :

— انا حنا بيدر ، يا سيدي ، من كاثوليك دير القمر . كنت في خدمة المشايخ النكديّة من زمن طويل .وقد اشتهرت بالحيلة والدهاء حتى اني توصلت ، منذ عشرين سنة ، الى تخليص ابني الشيخ ابي فاعور النكدي من سجن الجزّار في صيدا ، وكان لا يزال فيها : فخلصتهما من تحت ذقنه ، وحضرت بهما الى دير القمر.

فتركت بدور شغلها واقبلت على الغريب تتلقف باقي حديثه ، وقد لمعت عيناها بنور غريب . اما غانم فظلّ مطرق الرأس حائراً.

فتابع الرجل :

— وقد دعاني الامير بشير من مدة ، وقال ان مجيء الفرنساوية قد احدث تضعضعاً في الاحزاب اللبنانيـة فكاد ينفصل حزب بو غانم عن حزب المير جهجاه ، وان لا رأب لهذا الشقاق الّا بوجود غانم عندنا . ثم كلّفني خلاصك وبذل لي مالاً كثيراً فتعهدت بذلك . واتيت مع قافلة من وجهاء الموارنـة ارسلهم البطريرك يوسف التيـان ليلاقوا الفرنساوية ، ويهدوا اليهم شيئاً من المؤن والذخائر . فلمّا افترقوا هم قاصدين معسكر بونابرتي ، سعيت انا نحـو عكا ، فلم يلبث حرّاسهـا ان قبضوا عليّ . فقلت لهم اني درزي هربت من جور الامير بشير ، فتركوني حرّاً وسط المدينة . فسرت افتش عن مقرك ، يا سيدي ، لعلّي لا اعدم وسيلة لخلاصك.

فقلب غانم شفتيه وتمتم :

— لا سبيل الى ذلك فالاسوار عالية ، والابواب محروسة !

ثم هزّ رأسه يائساً ، فنظرت اليه بدور مليًا بكل ما في قلبها من شفقة ، وبكل ما في جوارحها من توق الى الخلاص . ثم حوّلت وجهها الى فرحات فتبادلت واياه نظرات ملؤها الامل بالخلاص القريب . امّا الغريب فقال بسكون :

— هذا ما سنبحث فيه . . .

عند ذلك عقد الاربعة مجلساً قرّروا فيه ، بعد اخذ وردّ ، ان غانماً يختبيء في احد المخادع ، بعد ان يترك لبّادته ورداءه قرب الشبّاك ، مع ورقة صغيرة باسم بدور يقول فيها انه فضل الانتحار على تلك الحياة الذليلة والتعيسة بعد موت وحيديه . فتبكي بدور وتعول حتى يعلم الجزّار بالامر . ثم بعد يومين ، تسير لمقابلته في حدادها ، فتتوسّل اليه ان يأذن لها بالخروج من عكا مع رفات صغيريها . فاذا اذن ، يشتري فرحات تابوتاً يضع فيه بدل الرفات ، غانماً نفسه ، ثم يستأجر مكارياً يكون حنّا بيدر المذكور . وهكذا يقطعون نطاق الحصار بسلامة .

وقد تردّد الابوان مدة في قبول هذا الرأي لانه كان يعزّ عليهما ان يشركا ذينك الملكين الطاهرين في غشّ وخداع . ولكن غانماً رأى ان في المسألة خلاصه وخلاص بدور ، وخصوصاً خلاص وطنه من الاشقاق ، فقنع مرغماً ، وجارته امرأته .

* * *

بعد يومين من انتحار غانم المزعوم ، مثلت الحزينة مع خادمها امام الجزّار فعرضت له الامر ، والتمست منه باكيةً ان يسمح لها بان تأخذ رفات وحيديها الى ارض آبائها ، فتقيم ما بقي لها من الايام بالحزن والاسى .

فنظر اليها الجزّار نظرة الاستطلاع ، فاضطربت قليلاً ثم تجلّدت . فقال :

— طيّب ! اذهبي ! ولكن . . . لا أرى من لزوم لنقل الرفات . . .

فاجهشت بالبكاء وارادت معاودة الالتماس . فاشار عليها بالسكوت ، ثم هزّ رأسه وتابع :

— ما لي ولهذه الامور . فاذهبي وخذي ولديك . وخذي خادمك ايضاً فلا نفع لنا منه . . . ولكن بلّغي الامير بشيراً ان سيرجع الفرنساوية خائبين عن

قريب ، فننصرف لمحاسبته . . .

فانحنت بـدور وقبلت طرف عباءته . ثم خرجت مع فرحات الى حيث كان كل شيء حاضراً .

وعند الفلس سافر الثلاثة بعد ان حمّلوا التابوت على البغل ، ووراءه بدور تبكي . وعن الجانبين خيّالان كان ارسلهما الجزّار ليرافقا الراحلين الى نقطة الحصار فيفتحا لهم الابواب .

* * *

لما وصل غانم الى دير القمر ، فتخلص من ضغط الجزّار ، ودخل قصره المهجور ، واجتمع باميره العزيز ، وادرك حالة الجبـل وكم كان من الضروري مجيئه ليوحّد بين تلك النزعات المتباينة ، ولا يقدر على الجمع بينهـا الّا اياه ؛ ادرك جواب سؤاله . . . وفهم « لماذا » شاءت العناية الالهيـة الاستئثار بذينك الملكين الطاهرين ، فخرّ ساجداً لحكمة الله . . .

ثم اهتمّ منـذ اليوم الثاني ، فاقـام في وسط بستانه اثراً تذكارياً فخماً لوحيديـه وضع فيه تابوت الخـلاص ، ونقش على رخامـه الناصع اسمي قمرانه وسعدى ، وتحتهما هذه الآية :

« وقد بكوه من الوبذاء ضحايا في سبيل آبائهم من حيث لا يعلمونه ! »

دير القمر ، نيسان ١٩٢٨ — بيروت ، تشرين الثاني ١٩٢٩

مطبوعات شرقية جديدة

Dr Josephi Niglutsch : Brevis Commentarius in S. Pauli Apostoli Epistolam ad Galatas usui studiosorum S. Theologiae accomodatus. *Ed. 3ª Tridenti ex schola typ. pr. episc. Filiorum Mariae Imm.* 1929. *VIII* - 78 *p.*

شرح رسالة القديس بولس الى اهل غلطية

لم يرَ المؤلف في كتابه هذا الّا ظاهر الكلام ، فلم يتعمق في الشرح لانه لم يرد سوى المبنى ، ومن الفضول ان نطالبه بغير ذلك. فكتابه من نوع المحاضرات المدرسية طبعه لإفادة طلّاب اللاهوت ، فنال غايته. على ان هؤلاء الطلاب انفسهم قد يشعرون بضعف لغة الكتاب ، وبكثرة ما فيه من الاغلاط المطبعية التي كثيراً ما تتراكم في بعض الصفحات ، وتظهر كأنها من اغلاط الاملاء.

ج. س. ا.

Dr Joseph Freundorfer : Die Apokalypse des Apostels Johannes und die Hellenistische Kosmologie und Astrologie... *Freiburg im Br. Herder et Cº*, 1929 [*XXIII. Band*, 1. *Heft der Biblische Studien*] *XV* - 148 *p.*

رؤيا يوحنا والعالم اليوناني

للكاتب بول (Boll) نظريّات غريبة في رؤى سفر القديس يوحنا فهو يعتبرها توسيعات انشائية لبعض آثار فنّ التنجيم اليوناني . وهي مخرقات لا تستحق الاهتمام . على ان الدكتور جوزف فروندرفر ابى الّا ان يرفع من قدره فردّ عليه بهذا الردّ المحكم باحثاً في ما يمسّ الموضوع من آيات وفصول رؤيا يوحنا كالفصلين الثامن والخامس عشر وفيهما رؤيا الجامات والابواق ، والآيات ١—١٢ من الفصل التاسع وفيها ذكر الجراد ، والآيات ١—٨ من الفصل الخامس المختصة برؤيا الافراس ، واخيراً الآيات ١—١٧ من الفصل الثاني عشر وفيها ذكر المرأة والتنين ، مظهراً في كل ذلك مثالًا رائعاً للبحث العلمي

الدقيق المترفع عن الاندفاع ، فنقض نهائياً آراء بول ، واتى بخدمة جليلة للعلم عامةً ، وللابحاث الكاثوليكية خاصةً ، مزيّفاً لخرافات بعض الادعياء التي كثيراً ما يموّهونها بالطلاء العلمي ويعرضونها كآثار علمية لا غبار عليها . اما الطبع فحسن مُتقن الّا بعض مقاطع إفرنسية او انكليزية ظهرت فيها بعض اغلاط مطبعية. ج. س. ا.

Francesco Gabrieli : Al-Ma'mûn e gli 'Alidi, *Leipzig*, 1929, *in*-8°, 62*pp*.

المأمون والعلويّون

عُرف المؤلف دارساً لخلافة المأمون ، وها هو اليوم يبحث في مسألة لم تدرك بعد حلها النهائي وهي : كيف ان هذا الخليفة امر بالبيعة للعلويّ ، واتخذ اللون الاخضر شعاراً له بدلاً من الاسود وهو لون العبّاسيين الخاصّ . هذا ، وان لم يمكن المؤلف ان يقول آخر كلمة في الموضوع ، فله الفضل بان جمع وثائقه ومستنداته ، وبحث فيها بمقدرة علمية وفهم للتاريخ اوصلاه الى ردّ كل ما ذكر حتى الآن من الشروح لهذه المسألة. ه. ل.

Dr Theodor Gottlob : Der abendlaendische Chorepiskopat. *Kurt Schroeder Verlag, Bonn* [*Band* 1 *des Kanonistische Studien und Texte, herausgegeben von Dr Albert M. Koeniger.*] ,*XVI* - 150 *p*.

رتبة الخوري اسقفي في بلاد الغرب

هو تاريخ تام لرتبة الخوري الاسقفي في بلاد الغرب من اول ظهورها الى اضمحلالها ، درس فيه المؤلف خصائص الخوري الاسقفي في بلاد الرسالات ، ثم دوره في ادارة الابرشيات ، وكيلاً عن الاسقف في حياته ، وبعد وفاته . وانتهى بذكر الحملة على هذه الرتبة التي توصّلت الى الغائها في نحو القرن الثالث عشر . والدرس علمي دقيق محيط بجميع الوثائق والمستندات ، ويجدر بنا ان نعتبره حكماً نهائياً في الموضوع ، فضلاً عمّا يبسط من الوضوح على بعض الموضوعات المجاورة ، كاتساع الصلاحية الاسقفية ، والقيام باسرار الكنيسة ،

وادارة الاديار . وعلى الجملة فان هذا الكتاب من مفاخر العلم الالماني ، وانه على كل معلم او عالم يهتمّ بدرس المؤسسات الكنسية في القرون الوسطى ان يحتفظ في مكتبته بهذا الاثر النفيس الذي يزيده حسن الطبع رونقاً وجمالاً .

س . ج . ا .

Charles Benoist : Les maladies de la démocratie. L'art de capter le suffrage et le pouvoir. *in-16, 276 pp. Prix suivant papier, 12, 25 ou 60 fs. Paris, Editions Prométhée.*

ادواء الديموقراطية . فن اختلاس التصويت والسلطة

عنوان الكتاب يكفي للدلالة على اقسامه الثلاثة ومضامينها ، وعلى اختيار المؤلف ، وتطوّر آرائه السياسية الذي يظهر جليًا لمن قرأوا كتابه السابق عن « شرائع السياسة الفرنساوية » . اما ما يلزم التنويه به في ما خصّ الكتابين فهو ان احكام المؤلف مبنية على الاختبار المباشر فانه داخل الرجال وعرف المؤسسات الديموقراطية ، وقابل بينها وبين المؤسسات الاجنبية . وعبّر عن كل ذلك باسلوب رشيق متسار في الكتابين اللذين يكملان احدهما الآخر .

ج . ل .

G. Sergi : Il posto dell'uomo nella natura. [*Piccola bibl. di scienz. moderne : N° 359*] *XVI-239 pp. in-16°. Torino, Bocca,* 1929

مركز الانسان في الطبيعة

مؤلف الكتاب احد مشاهير اساتذة ايطالية في ما خصّ اصل الانسان ، وغايته في هذا المجلد الجديد ، الذي يأتي بعد سلسلة من الابحاث الاعدادية ، ان يضع مسألة اصل الانسان في منطقة جديدة الا وهي التطوّر الحيوي ، ويريد به تطوّر وترقي الكائن الحيّ على الجملة . وهو يعتبر ان عدم انتباه العلماء الى هذا الامر هو ما منعهم من الاتفاق حتى اليوم . على ان امله ضعيف في نشر نظريّته حتى انه يخشى ان يموت قبل ان يتوصّل الى اقناع زملائه بصحة هذه النظريّة . امّا قوامها وتفرّعاتها في الكتاب فمن المستحيل اختصارها ، لان ليس للغة العربية من المفردات الوضعية لهذا العلم ما يمكننا من شرح ذلك ،

وليس لقرائنا بالاجمال من المعلومات في الموضوع ما يمكنهم من الاهتمام به . فلنكتفِ بالقول ان الاستاذ سرجي ، وان كان يضع الانسان مع السعادين في طبقة من يسميهم الابتدائيين (Primates) فهو يميزه صريحاً عن هؤلاء . وهو تقدم في ذاك العلم نرجو ان يكون له تأثير في جماهير التطوريين الذين ، حتى المعتدلين منهم ، يتأخرون كثيراً في طريق العلم بسبب نظرياتهم نفسها . س.ر

René Dussaud : Glozel à l'Institut [«*La controverse de Glozel*», N° 2]. *Paris, P. Catin*, 1928

غلوزل في المجمع العلمي

لم نكن منتظرين ان يصلنا من حضرة الناشر كأسة ذهبت جدتها في موضوع يظل مضحكاً ، لو لم يكن غير لائق ببعض العلماء والمدققين الفرنساويين. ومَن من المتأدبين حتى في بلادنا لم يسمع باسم غلوزل ؟ اما في المجمع العلمي الفرنساوي ، اي في محفل الرقم والآثار الادبية ، فقد حُرِّم البحث في هذا الموضوع . فكان ان لجأ المسيو ديسو ، وهو عضو في ذاك المحفل ، الى نشر كأس على حدة ليبيّن لسلومون ريناخ (Reinach) واصحابه ان ما يدعونه الجدية من العهد الظرّاني ان هو الّا مزوّرات لا قيمة لها . على انه لم يتوصل الى اقناعهم ، وسوف تظلّ هذه المشاحنة مدةً طويلة س.ر

Navarre (Octave) : Les représentations dramatiques en Grèce. [*Collect. « Le Monde hellénique »*], *in*-16, 54 *pp.*, 12 *pl. phototyp. Paris, « Les Belles-Lettres »*, 1929.

التمثيل في بلاد اليونان

ان هذا الدرس الذي قام به احد علماء الآثار في جامعة طولوز لجدير بان يكون في مكتبة كل اديب ، وخصوصاً في مكتبة اساتذة التعليم المدرسي الثانوي . وفيه يصف المؤلف اولاً الاوضاع المادية (كهندسة البناء والترتيب) والفنية التي كانت لازمة لتمثيل الروايات اليونانية في القرنين الخامس والرابع قبل المسيح . ثم يجتهد في تطبيق اوصافه على رواية «الملك اوديب» لسوفوكل ، فيمثلها على المسرح . ويرون الكتاب بلوحات غاية في الاتقان تقرّ بمنظرها

العيون . وعلى الجملة فان المؤلف دليل امين لانه من المتخصصين في موضوعه ، وقد برهن عن ذلك عندما نشر سنة ١٩٢٥ ، في مكتبة پايو (Payot) « المسرح اليوناني » كتاب جليل مستوفي شروط الدقة العلمية .

Pierre Lasserre : Trente années de vie littéraire, pages choisies, *in-12° de XX - 300 pp. Prix suivant papier*, 15, 30 *ou* 60 *fs. Editions Prométhée, Paris.*

ثلاثون سنة في الحياة الادبية

لم يكتب لاسيرّ شيئاً في حياته لجمهرة القرّاء . على ان هذه الصفحات المختارة من آثاره قد تسهّل لحلقة واسعة من الناس الاطلاع على شخصية المؤلف الطريفة التي دفعت المجمع الادبي الفرنساوي سنة ١٩٢٢ ، الى منحه جائزته الادبية لجميع مؤلفاته . على اننا نأسف مع الناقد بلسور (A. Bellessort) ان لا نرى في هذه المجموعة شيئاً من كتاب المؤلف الشهير « عقيدة الجامعة الرسمية » وفيه يظهر جدلياً قويّ الحجة شديد اللهجة . ولكن قد يدفع هذا الاغفال المعجبين بالمؤلف الى طلب كتابه كله . هذا وان مقدّمة هذه المجموعة وحدها غذاء ادبي غاية في اللذة والفائدة لانه يطلعنا بكل دقة على نواحي تلك الشخصية المبتكرة .

A. de Paniagua : La civilisation néolithique. 2e *éd, XLII* - 215 *pp. in-12°, nombr. grav., Paris, P. Catin*, 1925.

المدنية الظرّانية

حقاً لقد تأخرنا بوصف هذا الكتاب الذي ظهر منذ اربع سنوات . على اننا سنختصر مكتفين بالقول اننا لا نقرّ بنظرية او بنظريات مؤلفه . وما ذلك الّا لانه من المستحيل علينا ان نتبعه في الادعاء ان جميع لغات العالم متعلّقة ، قليلاً او كثيراً ، باللغة الهندية . اما ما خصّ هجرة الشعوب فلا نظنّ ان كثيراً من العلماء يُقرّون مبادئ المؤلف ونتائجه . على ان الرسوم موضحة نافعة

س . ر .

Fridtjof Nansen : L'Arménie et le proche Orient. *traduit du texte norvégien par* **Arne Omtvedt.** *in*-8°, 364 *pp.*, 1928. *Prix :* 30 *fs. Paris, Geuthner.*

ارمينية والشرق الادنى

سافر المؤلف الى ارمينية على رأس بعثة خاصة قصدها درس البلاد لترى هل يمكن ايواء ٥٠,٠٠٠ من لاجئي الارمن . فشاهد قفراً قد يمكن جعله ارضاً صالحة بتحقيق مشروع للري يكلف مليون ليرة انكليزية ، فطلب تحقيق ذلك من جمعية الامم ونشر في هذا الكتاب تفاصيل رحلته (في ٥ فصول من ١١ فصلاً) واردفها بتاريخ لبلاد الارمن ، وتاريخ لبلاد الكرج.

J. Filhol et Ch. Bihoreau : Le Pétrole, son industrie, son commerce, son rôle dans la politique des peuples. *in*-8°, *illustré de* 39 *pl. hors texte, de gravures et de cartes. Prix :* 30 *fs. Paris, Les Editions pittoresques, rue du Faubourg St Denis,* 101.

البترول : صناعته ، وتجارته ، ودوره في سياسة الشعوب

لا ريب اليوم في ان البترول قوة هائلة في خدمة من يملكه . على ان هناك كثيراً من المسائل والصعوبات تكتنف هذا الأمر ، فعرضها المؤلفان بدقة ووضوح ولا غرابة ، وهما من اختصاصيي المعهد الوطني الفرنساوي لدرس الوقود السائل . ولم يفتهما درس مسألة نقل البترول التي تهم بلادنا اكثر من غيرها ، فخصصا لها ولمسألة مد القساطل بحثاً دقيقاً (ص ١٢٥) . وفي الكتاب خرائط حسنة لمناطق البترول.

Rouët de Journel S. J. : Enchiridion Patristicum. *Edit* 6^a *et* 7^a, 1929. *Freiburg i. Br. Herder et Cie. Prix, broché :* 8 *M*, 50, *relié :* 10 *M.*

مجموعة من تآليف آباء الكنيسة

لا نرى لزوماً لتعريف هذا الكتاب الشهير الذي تتوالى طباعته ، وتعتبره حق الاعتبار جميع الاوساط العلمية والكنسية . وقد اردفه المؤلف في طباعته الجديدة بجدول للاصلاحات والزيادات المهمة.

فلسفة اللغة العربية وتطورها

تأليف جبر ضومط

مطبعة المقتطف والمقطم ، بمصر ، ١٩٣٩

عند اللاتين مثل سائر «اني اهاب رجلًا ذا كتاب واحد» وهم يعنون بذلك ان من سعى جهده متوغّلًا في بحث ما ، وصرف همّه عن غيره ، نبغ فيه وفاز بقصبة السبق . وان الاستاذ ضومط نال هيبة مما كتبه عن تضلع واقتدار في سبيل اللغة . وسوف يحفظ له تاريخ الآداب العربيـة ذكر « الخواطر » على انواعها . امّا هذه المجموعة التي نُشرت مقالاتها سابقاً في المقتطف والهـلال ، فهي على تنوّع مواضيعها مفيدة في المسائل اللغوية . ومن اخص ما راقنا فيها الفصل « في ترتيب الفعل ومعلقاتـه » والملاحظات في الموادّ الكلية في النحو واللغة . ولعلّ شغف الاستاذ باستقصاء آثار اللغة يؤدي به الى التعمق في مباحث عويصة ؛ ورب غواص في البحر لم يجد من اللؤلؤ الوضّاح ، في الاعماق ، ما وجده غيره في مواطن اللآلي . من امثال ذلك المقالات في النسبة والفرق بين اميركي واميركاني واسكندري واسكندراني ... والمقال في اصل لفظة « قرطاجنة » — اليس من البديهي الاقرب منالًا الى الفهم والصواب ان تلك اللفظة انما هي الكلمة اللاتينية في الحالة الظرفية (Carthagine) سمعها العرب فرنّت في اذنهم فحفظوها وتصدوا لها كما سمعوها وقالوا قرطاجنة !

وفي « فلسفة اللغة » النظرات الاجتماعية والمقابلات بيننـا وبين الافرنج ، وفي الحديث فكاهة . سُئل الاستاذ هل يبلغ الرجل الشرقي المستوى الـذي بلغ اليه نوابغ الغرب . فقال (ص ١٨٤) :

« لنفرض ان شاعرنا العربي المصري او السوري عاش في وسط راق كالوسط الانكليزي وغيبنا عنه فكر السائد والمسود والغالب والمغلوب ايجوز لنا ان نتصوّر ان تكون البيدعية التي فيه من حيث الشدة والاتساع كالبيدعية التي في الانكليزي من هذه الحيثية ؟ كلا لا يجوز ثم كلا وكلا فـان خمساً واربعين مليوناً بل مئة وخمسين مليونـاً (انكلترة واميركة) لا يكون انبغ نابغ فيهم في الشعر والادب او في الاقتصاد والسياسة او في الالهيات والفلسفة مساوياً لانبغ نابغ في اثني عشر مليوناً او قل خمسة عشر مليوناً (اهـل مصر والشام) . نعم يتشابهان في ان كلا منهما انبغ نابغ في امته ولكنهما لا ينبغي ان يتساويـا في شدة النبوغ واتساعه ولنضرب مثلًا على ذلك

ان مشتلة تبيع فيها خمسة واربعون مليون شتلة لا تكون الشتلة او الشتلتان المنتاة منها في علوها وثمنها وعدد اوراقها وسائر الصفات المؤذنة بميزة فرد من آخر وتفوقه عليه كالشتلة او الشتلتين اللتين تختفيان من مشتلة ليس فيها الّا اثني عشر مليون شتلة وهكذا قل في مشتلة (او دندالة) من التوت او التين او الزيتون او التفاح او او الخ بل المشتلة التي هي اكثر افرادًا يظهر فيها النبوغ الاعظم في شدته واتساعه.

والارجح ان يكون الحال في القوميات الانسانية كالحال في المشاتل اذا تساوت القوميات بحسب الظاهر في سائر المحيطات الحسية والمعنوية ما عدا كثرة العدد فان القومية التي هي اكثر عددًا يكون عدد الافراد النوابغ فيها اكثر وفي الوقت نفسه يكون التفوّق في شدة النبوغ او البدعية حيث يكون التفوّق العددي.»

ولكن عفوًا يا سيدي الاستاذ ! قد يصح حكمك فينا لو كان البشر كالنبات والنبوغ ثمرة العدد والكثرة . ولكن هوذا الصينيون وهوذا العبيد وهم امم يعدون بالملايين فلو صح كلامك لكان نابغة البشرية منهم . اما الامر الواقع فعلى خلاف ذلك !

فاذن ليس جوهر النبوغ مقيدًا بالكم والعدد ، وان تكن العناصر المادية وظروف الزمان والمكان مؤثرةً فيه بعض التأثير ؛ بل هو في اصله روحاني مجرد عن الهيولى ؛ وربما ظهر في بلاد الشرق على قلة عدد سكانها وفاق بها سواه في غيرها من البلاد ... ان شاء الله ف.ت.

مواعظ يوحنا بن المعدني وقصائده

مطبعة دير القديس مرقس ، القدس ، ص ٥٠ متوسطة

هي ستون قطعة شعرية سريانية قصيرة من قلم يوحنا بن المعدني ، بطريرك انطاكية على اليعاقبة(١٢٥٢ — ١٢٦٣) ، اكثرها في موضوعات اخلاقية ، ومنها واحدة قيل انها كتبت بمناسبة احتلال الرها (١٢٣٥) على انها لا تلمح الى هذا الاحتلال. اما قيمة الكتاب فناتجة من شخصية مؤلفه الذي كان احد رجالات الكنيسة اليعقوبية في عصره ، وما عدا ذلك فلا نرى شيئاً مبتكرًا في المواضيع ، ولا في الاسلوب الانشائي. ويذكر الناشر في المقدّمة ثلاث مخطوطات يرقى اثنتان منها الى القرن السابع عشر ، ولكنه لم يذكر ايها تبع في نشر الكتاب ، ومن ايها اتخذ رواياته المختلفة. الاب بولس موترد

كتاب الالبان

تأليف عمر الترمانيني

المطبعة الحديثة ، دمشق ، ١٩٢٩ – نحو ٢٧٠ صفحة متوسطة

دونك ايها القارئ الكريم هذا الكتاب النافع لأصحاب الابقار والماعز والاغنام وسائر المواشي ، فهو يبحث في البانها جميعاً دارساً الشروط المادية لحفظ الحليب ، ووسائط التبريد ، والبَسْترة ، والتعقيم ، ونزع القشدة ؛ وعمل السمن ، والاجبان المختلفة ، واللبن ، الى غير ذلك من منافع الحليب المتعدّدة في بلادنا الشرقية . والكتاب مطبوع بحرف جلي مع رسوم وتصاوير تزيد النصّ وضوحاً . فنحثّ اصحاب المزارع على اقتنائه فيجدون فيه معلومات وافرة من شأنها تحسين البان مواشيهم . وان كان ما يتطلبه انشاء الآلات العصرية من النفقات ينوء بكاهل المزارع الفقير ، فانه يرى في الكتاب على كل حال ، مبادئ نافعة وسهلة التطبيق في نظافة المحصولات اللبنية ، وحفظها ، واتقان مظهرها التجاري . فنشكر للمؤلف هذه العناية . ا. ط.

تاريخ حوادث الزمان وانبائه ، ووفيات الاعيان من ابنائه

جزء موجود من كتاب مفقود في خزانة باريس ، بقلم حبيب الزيات

نقلاً عن مجلة الآثار – مطبعة المحامي ، زحله ، ١٩٢٨ – ٤٣ صفحة متوسّطة

نلفت انظار قرّائنا الكرام لهذا الدرس الدقيق ، فيظهر لهم كم من الابحاث الطويلة ، والاستنتاجات الدقيقة ، كلف المؤلف الوصولُ الى عنوان كتاب فُقدت اجزاؤه كلها مع اسم كاتبه ، الّا جزءاً واحداً حُفظ في خزانة باريس . فيقدرون هذه الجهود التي اوصلت المؤلف الى ما لم يصل اليه غيره ، ويطّلعون ايضاً على معلومات لم تُنشر بعد عن الحياة الاجتماعية في مصر وسورية ، وخصوصاً في دمشق ، في آخر القرن السابع للهجرة . كلّ هذا معروض بتلك الدقة في المآخذ التي تعوّدها قرّاء « المشرق » في منشورات الكاتب الاديب.

ه. ل

سفينة البلغاء

تأليف لفيف من الاساتذة

المطبعة الرحمانية ، مصر – ١٣٠ ص صغيرة

هي الطبعة الثانية لكتاب تعليمي في اصول البلاغة من منشورات اخوة المدارس المسيحية. توسعوا في بعض ابوابه ، واضافوا الى بعضها حواشي مفيدة ، مع ترجمة بعض الاصطلاحات البيانية الى ما يقابلها في اللغة الفرنساوية . والكتاب يُقسم الى ثلاثة اقسام : علم المعاني ، وعلم البيان ، وعلم البديع. وما كان اغناهم عن التوسع في هذا القسم الاخير واجهاد التلميذ في حفظ مصطلحاته ، واهميته تتلاشى شيئاً فشيئاً في نظر المفكرين من ادباء عصرنا ، فضلًا عن ان اكثره خارج عن مقرّرات المدارس الثانوية المصرية ، وقد وضع الكتاب لفائدة طلبتها. ف. ا. ب.

كتاب الوقاية من الامراض المعدية

بقلم الدكتور عبد الغني شهبندر

المطبعة الوطنية – بيروت ١٩٢٨–١٩٢٩

اغراض هذا الكتاب متنوعة : طبي محض بعنوانه لكنه يحوي اقوالًا وحكماً واخبارًا وملاحظات ادبية تاريخية اجتماعية شتى (راجع المقدمات) . ان فضل العرب على المدنية بالطب كفضلهم عليها بسائر العلوم التي تناولوها من اليونان والفرس على ايدي المعربين السريان ، واستثمروها في سبيل العمران . لكني لا اخالني اجحفهم حقهم في القول ان البون الشاسع الذي يفرق بيننا وبين العصر العباسي يفرق ايضاً بين حالتنا من الطب اليوم وبين ما كان عليه العرب في القرون الوسطى . فان كنا بحاجة الى الوقاية من الامراض المعدية فقلما يفيدنا ان نعرف اقوال الاطباء الاقدمين في كل نوع من انواعها ، ولا يهمنا في سبيل المعالجة والوقاية الّا آخر ما انتهى اليه علم الطب من المقررات . اما نصائح المؤلف (ص ٨٢) فهي مناقضة لحقوق الخليقة ، وموسومة بلعنة الخالق. هذا واننا نأخذ على الدكتور شهبندر تشاؤمه وتشنيعه سمعة بلاده «المتأخرة

في حلبة المدنية » ، وطعنه باعيان وطنه واحتقاره اياهم طرًّا اذ قال في اهداء كتابه انه « لم يجد بين ارباب الوجاهة والثراء من رجال هذه الامة ، شخصيةً تسمو بها اعمالها الانسانية عن المستوى العادي ولم يجد بين ابناء هذه الطبقة رجلًا يحمل بين جنبيه قلباً يذخر بالعواطف الشريفة » ليهدي اليه كتابه ! ويا للبعد الشاسع بين قوله وقول الشاعر :

بلادي وان جارت عليَّ عزيزةٌ وأهلي وان ضنوا علي كرام ؟

ف . ت

المنضّدة العربية (لينوتيب)

كاتلوك عام

شركة مرغنتالر ، نيويرك ، ١٩٢٩ — ٢٢ صفحة كبيرة على ورق مصقول

هو فهرس عام يحتوي امثلة كثيرة من حروف المنضدة العربية ونقوشها . وقد تقدّم ذلك نبذة تاريخية عن اصل المنضّدة وما كان من اقتراح السيد سلوم المكرزل على شركة مرغنتالر تطبيق مبادئ اللينوتيب على اللغة العربية وقبول الشركة ، واستمرارها على تحسين تلك الآلة ، حتى اصبحت اليوم صالحة للقيام بجميع انواع الصفّ العربي من حروف ونقوش وزخارف ، فاعتمدتها الجرائد العربية في اميركة لسهولة العمل عليها . ثم اورد اصحاب الكاتلوك شرحاً في طريقة الشغل على المنضدة مع تصوير بعض آلاتها زيادةً في الوضوح . فنثني على تلك الهمة ، ونرغب لهذا التجديد مزيد الانتشار .

تقويم البشير ١٩٣٠

تأليف الاب لويس معلوف اليسوعي

المطبعة الكاثوليكية بيروت

هذه حلقة اضافتها جريدة البشير الى طوق تقاويمها الذهبي ، على يد حضرة مديرها الاب لويس معلوف . ان فضله في هذا الكتاب هو انتخاب اهم والذ ما لا بد منه لمثل هذا التأليف . وغرض التقويم الاول هو افادة القرّاء عن حياة البلاد من سائر وجوهها الدينية والتاريخية والادبية والاقتصادية على نسق رابط بين المواد الحديثة والقديمة فيتحاشى الاعادة العقيمة ويضم في سلسلة التقاويم ما

يزيد قيمتها على مدى الاحقاب ويجعلها كالموسوعة الصغيرة . وهذا الفضل قد اقر به لحضرة الاب لويس معلوف تهافت الناس على اقتناء تقاويمه وثمن النسخة منها ٢٥ غ. س. ف. ت.

هدايا

زار المكتبة الشرقية في خلال هذا العام صاحب المؤلفات العديدة السيد جرجس فيلوثاؤس عوض ، فتفضل من ثم واهدى الينا سلسلة من الكتب التي الفها واليك لائحتها ، وهي تبحث في الامور القبطية الارثوذكسية :

آثار المتنيح الابنوماتس – اساس التقاويم . بحث في يوم شم النسيم والفصح – الاقباط . تعريب خطبة ماسبرو – الله واحد . قانون الايمان – املاك القبط في القدس الشريف – تاريخ الابنوماتس فيلوثاوس – الجدول الدهري لاستخراج الاعياد المتنقلة – حالة الامة القبطية اليوم – حيوة بعد موت – بوارق الاصلاح – المجلس الملي للاقباط الارثوذكسيين – القول اليقين في وجوب اتخاذ الاساقفة من المتزوجين – اصلاح قوانين الاحوال الشخصية – طريق الاصلاح المنشود – اللغة القبطية – الكتاب الاول لتعليم قراءة اللغة القبطية – فكاهة الفكر – القضاء الشخصي عند الاقباط – النيروز .

واهدى الينا من الكتب التي نشرها :

تهذيب الاخلاق لابن عدي – الخلاصة القانونية في الاحوال الشخصية للابنوماتس فيلوثاوس – سيمر الشهيدة دميانة للابا يوأنس . فنشكر للمهديّ الكريم هديته باسم ادارة المكتبة الشرقية ومريديها .

اهمّ حوادث الشرق في شهر

١٥ تشرين الاول — ١٥ تشرين الثاني

نشرت مجلة « اعمال الكرسي الرسولي » في تشرين الاول نصّ المرسوم البابوي المؤذن بافتتاح المدرسة الروسية الاكليريكية في رومية . ان الاب الاقدس رغب ان تبدأ الدروس في هذه المدرسة قبل اختتام سنة يوبيله ، فجعلها تحت حماية القديسة ترزية الطفل يسوع ، وخصّها بالشبّان الروسيين جنساً ، والصقليين البيزنطيين طقساً ، وبغيرهم من الشبّان ، بشرط ان يقبلوا بالارتقاء

الى الكهنوت ، واعتناق الطقس الصقلبي البيزنطي ، والسعي في هداية شعوب الجمهورية الروسية الى حضن الكنيسة الكاثوليكية . وعهد الاب الاقدس بادارة المدرسة الى الآباء اليسوعيين . واعلنت المجلة ذاتها النظام الجديد الذي اجراه اب المؤمنين العام في سبيل راحة ونجاح البطريركية الارمنية ، بعد ان استشار الرجال المخصصين لدرس المشاكل الشرقية والاهتمام بحلها . انشأ البابا في سورية نظام ابرشية ارمنية قانونية : مركز كرسيها في بيروت ، واسقفها بطريرك قيليقية للارمن وخلفاؤه . وهذه الابرشية الجديدة تدعى باسم بيروت وحدودها تكون شمالاً ابرشية حلب ، وشرقاً لبنان الشرقي وسورية الداخلية ، وجنوباً فلسطين ، وغرباً البحر المتوسط . ورفعت كنيسة مار الياس للارمن في بيروت الى درجة كنيسة كاتدرائية.

وارسلت ادارة مجمع الكنيسة الشرقية باسم الحبر الاعظم تهانيها وتمنياتها الى السيد القاصد الرسولي فريديانو جيانيني بمناسبة يوبيله الفضي — وصدر من رومة جواب على سؤال بعض الاساقفة في امر امتيازات الكهنة تلامذة المدرسة المارونية في رومية فقال انهم لم يستثنوا تماماً من سلطة الاسقف المحلي عند رجوعهم الى الوطن وتسلمهم التفويض من السيد البطريرك ليقوموا بخدمة النفوس — وجاء من رومية ان قداسة البابا انتدب الاسقف سلفاجيني امين السر في مجمع نشر الايمان للسفر الى الحبشة وحمله كتاباً الى الامبراطورة وآخر الى الراس تفري يشكر فيه لملك الحبشة زيارته للفاتيكان.

تمّ انتخاب الرؤساء في الرهبانيات المارونية بكل هدوء ونظام بحضور الزيارة الرسولية . فانتخب الاب مرتينوس طربيه رئيساً على الرهبانية اللبنانية والاب جبرائيل العشقوتي على الرهبانية الحلبية ، والاب يوسف العرموني على الرهبانية الانطونية.

وتابع الروم الارثوذكس ، اجتماعاتهم في دمشق وبيروت والشوير ، ولم يوفقوا الى جمع كلمتهم على رجل يرأسهم . ولا تزال ابواب كنيستهم مفتوحة للطائفية وانصارها ، وليس من يغلقها بوجههم .

وضعت دائرة الاقتصاد تقريراً عن حالة لبنان خلال تموز وآب وايلول الماضي : كانت

السوق في جمود فتحسنت في ايلول ، وتحسنت الحالة المالية بالنسبة الى العام الماضي في مثل هذا الموسم ، ولم يسجل عجز في الدفع في محكمة التجارة وكثيرون وفوا ديونهم . وكان الحرير والحنطة والزيتون بحالة حسنة جداً . اثرت اضطرابات فلسطين في العلاقات بيننا وبين تلك البلاد . اما العلاقات مع العراق فقد اتت اثمارها اضعاف ما كانت عليه سابقاً . وزار بلادنا من السياح خلال هذا الفصل ١٠٩٦ . وهاجرنا من اللبنانيين والسوريين ٣٠٢٦ ومن الاجانب ٤٣٦٨ وقدم الينا من السوريين واللبنانيين ٢٣٣٨ ومن الاجانب ٤٦٩٦ .

شرعت ادارة البريد والبرق السورية باستعمال البرق اللاسلكي بين حلب ودير الزور وبالعكس ، وهي تقبل البرقيات المحررة بالاحرف العربية .

ومن انباء طهران ان قد اكتشفت في جوارستان اراض بترولية تشتمل في عمق ٤٠٠ متر على طبقات بترولية لا عهد بمثلها في الآبار المكتشفة الى هذا اليوم .

جاء من شرقي الاردن ان قوة وهابية اشتبكت بقتال مع قبائل بني صخر على حدود شرقي الاردن فاسفر عن ٢٨ قتيلا منهم عشرة من الاخوان .

ومن انباء عمان ان الاضراب كان شديداً عاماً في شرقي الاردن بمناسبة الازمة الفلسطينية وانه ادى الى مظاهرات عنيفة اضطرت الامير عبدالله الى طلب قوات عسكرية من فلسطين للمحافظة على الامن .

ولم تزل سماء فلسطين مليدة بالغيوم وجوها مكفهراً والعالم الاسلامي يكاد يتخذ وعد بلفور علة لتوليد مشاكل واضطرابات يرجو منها تعزيز الوحدة الاسلامية العربية . ذلك ما ترمي اليه اغراض المتظاهرين في سورية والعراق ومصر ، ولا يتكفون عن الاستنجاد بالمسيحيين في سبيل دعايتهم . جاء في الصحف : ارسلت اللجنة التنفيذية العربية الى صاحب السيادة المطران حجار اذ كان في باريس ، برقية طلبت منه فيها باسم العرب الفلسطينيين من مسلمين ومسيحيين ان يقابل قداسة البابا وان يبلغه عزم اليهود على ان يجعلوا مهد المسيح بلداً يهودياً ، وان يلتمس من قداسته السعي الى انقاذ الارض المقدسة . ومن طرف آخر ارسلت الجمعية الاسلامية المسيحية في بيروت الى قنصل المملكة المصرية في القدس البرقية التالية :

ذكرت جرائد مصر خبر قدوم وفد من المحفل الاكبر الى فلسطين . ولما كنا على يقين من ان غاية هذا الوفد غير انسانية كما يدعي بل سياسية تعارض الاماني الوطنية لذلك نرجو ان تتوسطوا في اقناعه بعدم المجيء .

وللحديث شجون واطراف تتجاذبها الدوائر السياسية الكبرى ، ولها فيه اغراضها ومصالحها بين نيويرك والكويرينال وباريس ولندن . وجمعية الامم تتحفز للتدخل في الامر ، رأف الله بالعباد وردّ الامن والسلم للبلاد الفلسطينية .

ومن اخبار مصر : ارسلت الحكومة المصرية الدعوة الى جميع ممالك العالم تقريباً لايفاد مندوبين من لدنها لحضور مؤتمر علمي ادبي يجتمع في القاهرة يوم ٢٣ كانون الاول للبحث في التشريع الذي وضعته مصر بخصوص حماية التأليف والابتكار سواء كان علمياً او ادبياً وينتظر ان يضم هذا المؤتمر عدداً كبيراً من رجال العلم والادب والقانون والكتّاب والصحفيين . ومن الدول المدعوة الى المؤتمر سورية ولبنان .

ف . ت .

فهارس المشرق

للسنة السابعة والعشرين

١٩٢٩

فهرس اوّل

لموادّ اعداد السنة السابعة والعشرين من مجلة المشرق

(الرقم الاسود يدلّ على اعداد المجلة ، والرفيع على الصفحات)

العدد ١ (كانون الثاني) على قبر الاب لويس شيخو ، بقلم التحرير (١–٧) = نور الفؤاد : قصيدة ، بقلم يوسف غصوب = الدين والروح المصري ، بقلم الاب ا. س. مرمجي الدومنيكي (٧–١٧) = الموسيقى الشرقية ، بقلم وديع صبرا (١ : ١٧–٢٢ ؛ ٢ : ٩٦–١٠١ ؛ ٣ : ١٩٦–٢٠٠) = كُلف الشمس وتأثيرها ، بقلم الاب انطون صالحاني اليسوعي (٢٢–٣١) = مقابلة الآداب ، بقلم فؤاد افرام البستاني : (توطئة ١ : ٣١–٣٦ ؛ ضرورة هذا الدرس في عصرنا ٢ : ١٠٩–١١٥ ؛ توارد الخواطر بين بعض ادباء العرب وغيرهم من ادباء الاجانب ٣ : ٢٠٠–٢٠٤ ؛ ٨و٩ : ٥٩٣–٦٠٤) = رئيس الولايات المتحدة الجديد ، بقلم الاب لامنس اليسوعي (٣٦–٤٠) = الهواء مصدر القوّة ، بقلم انطوان بساز (١ : ٤٠–٤٨ ؛ ٢ : ١١٩–١٢٦) — نشرة الارض والانفجارات ، بقلم القس عبد المسيح زهر (٤٨–٥٢) = مجلة المجلات للاب توتل اليسوعي : احوال الحبشة . اصلاح الأزهر . البُراق . اللغة العربية والحروف اللاتينية . بين السنة والشيعة (٥٢–٥٨) = لماذا ؟ رواية لبنانية تاريخية ، بقلم فؤاد افرام البستاني (تابع) : (١ : ٥٨–٦٤ ؛ ٢ : ١٤١–١٤٧ ؛ ٣ : ٢٢٠–٢٢٦ ؛ ٤ : ٢٩٩–٣٠٥ ؛ ٥ : ٢٨١–٢٨٧ ؛ ٦ : ٤٥٦–٤٦٦ ؛ ٧ : ٥٤٢–٥٤١ ؛ ٨و٩ : ٦٩٣–٧٠٤ ؛ ١٠ : ٧٨٣–٧٩١ ؛ ١١ : ٨٥٧–٨٦٦ ؛ ١٢ : ٩٤٠–٩٤٧) = شذرات : عند الانكليكان . تأثير الاشعة المجهولة

في تنمية النبات (٦٤-٦٦) = مطبوعات شرقية جديدة (٦٦-٧١) = اهم حوادث الشرق في شهر (ف.ت) (٧٩-٨١)

العدد ٢ (شباط) امالي السُنية : ١ البارية ليست بفارسية ، بقلم الاب مرمجي الدومنيكي (٨١-٩١) = أسمان القيرواني ام الكيريني ، بقلم الاب صالحاني اليسوعي (٩١-٩٦) = تبكي بك الضحى رفيعَ عمادها ! : قصيدة ، بقلم عبدالله رزق الله خير (١٠١-١٠٤) = البترول في سورية ولبنان ، بقلم الاب توتل اليسوعي (١٠٤-١٠٩) = جيراننا في الشرق الادنى ، بقلم الاب لامنس اليسوعي (١١٥-١١٩) = القلق عدًا وراء الطبيعة : خطاب للوسيان كوينو ، بقلم فؤاد افرام البستاني (١٢٩-١٣٥) = مجلة المجلات للاب توتل اليسوعي : سقراط . في سبيل الاتفاق . الابنة اللنيطة . حملة الشهادات من الشأن . المجلس الاسلامي الاعلى . صوت من مكة (١٣٥-١٤١) = شذرات : المجمع العلمي اللبناني . السرطان والملاريا . احدى نواطح السحاب . سال العتيق ! (١٤٧-١٤٩) = مطبوعات شرقية جديدة (١٤٩-١٥٩) = اهم حوادث الشرق في شهر (١٥٩-١٦١)

العدد ٣ (اذار) المنطق الحديث ، للاب شرل ايسلا اليسوعي (١٦١-١٦٦) = مذكرات جوانتيل ، بقلم ميشيل سليم كميد (٣: ١٦٦-١٧٦ ؛ ٤: ٢٦٣-٢٧٣) = السفر الى الكواكب السيارة ، بقلم الفس عبد المسيح زهر (١٧٦-١٨٣) = امالي السُنية : ٢ الابجدية الصائتة والكرشنة ، بقلم الاب مرمجي الدومنيكي (١٨٣-١٨٧) = رسالة قديمة من كاتب مطران الروم في اللاذقية الى البابا اكليمنضوس الحادي عشر ، نشرها المتوري قسطنطين الباشا ب.م. (١٨٧-١٨٩) = كتابان في الخيل ، بقلم الاب صالحاني اليسوعي (١٨٩-١٩٢) = جولة في كروان ، للفس انطونيوس شبلي اللبناني (تابع) : دير مار ضومط فيترون (تتمة) (١٩٣-١٩٦) = المؤتمر الطبي الدولي في مصر ، للاب دي فرجيل اليسوعي (٢٠٤-٢٠٩) = الأتوجبر ، بقلم الاب يوسف قرنه اليسوعي (٢٠٩-٢١٥) = مجلة المجلات للاب توتل اليسوعي : البطريركية الارمنية الكاثوليكية . احوال المسيحيين على ايام الفتوحات الاسلامية . الدين في تركية اليوم وغدًا (٢١٥-٢٢٠) = شذرات : الديانات في الولايات المتحدة . اقدم مشنقة (٢٢٩-٢٣١) = مطبوعات شرقية جديدة (٢٣١-٢٤٠) = اهم حوادث الشرق في شهر (٢٤)

العدد ٤ (نيسان) قداسة الحبر الاعظم بيوس الحادي عشر : يوبيله الذهبي الكهنوتي ، بقلم المتوري بطرس غالب (٤ : ٢٤١-٢٤٨ ؛ ٥ : ٢٢١-٢٣٠) = وحدة النوع البشري ، بقلم الفس عبد المسيح زهر (٢٤٨-٢٥٤) = مكة الحديثة كما وصفها كتاب جديد ، بقلم الاب لامنس اليسوعي (٢٥٤-٢٦٣) = القاشاني الاسلامي القديم ، بقلم الاب توتل اليسوعي (٢٦٣-٢٧٦) = الحياة العقلية في لبنان قبل مئة سنة ، بقلم فؤاد افرام البستاني (٤: ٢٧٦-

٢٨٢ ؛ ٥ : ٢٦٦-٢٧٤) = المشكلة الرومانية : تاريخ الخلاف وحلّه ، بقلم الاب لا
اليسوعي (٦ : ٢٨٢-٢٨٨ ؛ ٥ : ٢٥٤-٢٦٠) = الطب في البلاد من مئة سنة ، بقلم الخ
امين الجميّل (٦ : ٢٨٨-٢٩٢ ؛ ٥ : ٢٦٠-٢٦٦) = مجلة المجلات ، للاب توتل اليسوع
أعمار ام خراب ؟ . قبلة في مذهب الماذيين . المؤتمر الاسلامي العظيم في الرياض . هل
اعجوبة في انتشار الاسلام ؟ . البقر البلدي المحلوب . عزّ الجبل بغاباته (٢٩٣-٢٩٩)
شذرات : تصدير الاثمار السورية الى مصر . الدين في تركية اليوم وغدًا . حيل الكلاب
النجاة من التماسيح . هيًا بنا الى الارياف . من صفات الصديق . موت العصافير (اقتراح
الشعراء) (٣٠٥-٣٠٩) = مطبوعات شرقية جديدة (٣٠٩-٣٢٠) = اهم حوادث الش
في شهر (٣٢٠)

العدد ٥ (ايار) أماني السنة : ٣ الحج والرقص ، بقلم الاب مرمرجي الدومنيك
(٥ : ٣٢٠-٣٢٧ ؛ ٦ : ٤٠٩-٤١٦) = الاسكندر الكبير في صيدا ، بقلم الامير مور
شهاب (٣٢٧-٣٤٣) = رسل المسيح الاثنا عشر ، بقلم الاب انطون صالحاني اليسوعي (٣٤٣
٣٥٣) = المطعم الطيّار ، بقلم فؤاد افرام البستاني (٣٥٣-٣٥٤) = مجلة المجلات للا
توتل اليسوعي : في الاتاليد : نابوليون - تورين - فوش (٣٧٤-٣٨١) = شذرات
المحصولات الداخلية في مناطق الانتداب سنة ١٩٢٧ : الحبوب . القطن . شارع الاب شيخو
تمثال للطران يوسف الدبس . لا جديد تحت الشمس (٣٨٧-٣٩٠) = مطبوعات شرقية
جديدة (٣٩٠-٣٩٩) = اهم حوادث الشرق في شهر (٣٩٩-٤٠١)

العدد ٦ (حزيران) الغرائب النفسية بازاء الروحانية الزائفة والروحانية الحقّ
للاب شرل ابيلا اليسوعي (٦ : ٤٠١-٤٠٩ ؛ ٧ : ٤٩٧-٥٠٤) = فوائد التحريج ، ب
انطوان باز (٦ : ٤١٦-٤٢٣ ؛ ٧ : ٥١٧-٥٢٥) = قدم الانسان ، بقلم القس عبد المسيح ز
(٤٢٣-٤٣٣) = سورية ولبنان : قدم اسمهما ، للاب لامنس اليسوعي (٤٣٣-٤٣٤)
حول الادب الجاهلي : كتاب جديد في الموضوع ، بقلم فؤاد افرام البستاني (٤٣٤-٤٤٣
الذوقان الشخصي والمكتسب وتأثيرهما في الادب وتاريخه ، لمحمد احمد الغمراوي (٤٤٣
٤٤٧) = حريصا ! ، بقلم يوسف غصوب (٤٤٧-٤٤٩) = مجلة المجلات للاب توتل اليسوع
يوبيل الآباء البولسيين . صنار الموارنة عند البابا لاون الثالث عشر . مجمع الروم الارثذكس
الكلمات غير القاموسية . ماذا في حضرموت ؟ . زيادة مواسم الغزّ (٤٤٩-٤٥٦) = شذرات
المحصولات الداخلية في مناطق الانتداب سنة ١٩٢٧ : الحرير ، الدخان ، الصوف ، الجلو
الزيتون ، الفواكه . فتاوى قانونية لاهوتية (٤٦٦-٤٧٠) = مطبوعات شرقية جديدة (٤٧٠
٤٧٩) = اهم حوادث الشرق في شهر (٤٧٩-٤٨١)

العدد ٧ (تموز) تموذ السيد المسيح في حياتنا الادبية بقلم الاب مرمرجي الدومنيك

(٤٨١-٤٩١) = العائلة اللبنانية ' بقلم الشيخ سليم الدحداح (٧: ٤٩١-٤٩٧ ؛ ٨و٩: ٥٨٧-٥٩٢) = دير سيدة طاميش ' بقلم القس انطونيوس شبلي اللبناني (٧: ٥٠٤-٥١٠ ؛ ٨و٩: ٦٠٤-٦٠٨) = قسّ بن ساعدة: ماذا نعرف عنه ؟ ' بقلم ميشيل سليم كميد (٥١٠-٥١٧) = الاب لوميان كاتن (١٨٥١-١٩٢٩) ' بقلم الخوري بطرس غالب (٥٢٥-٥٢٧) = قلب الاب كاتن ' بقلم فؤاد افرام البستاني (٥٢٧-٥٤٠) = مجلة المجلات للاب توتل اليسوعي: احوال سورية الحاضرة . الكنيسة القبطية الارثوذكسية (٥٤٠-٥٤٢) = شذرات : حاضرة الفاتيكان . كنوز البحر الميت (٥٤٩-٥٥١) = مطبوعات شرقية جديدة (٥٥١-٥٦٠) = اهم حوادث الشرق في شهر (٥٦٠)

العدد ٨و٩ (آب وايلول) مرقس صاحب الانجيل الثاني ' بقلم الاب انطون صالحاني اليسوعي (٥٦١-٥٧١) = النساء الفرنجيات في انطاكية وعزاز ' في عهد الصليبيين ' بقلم حبيب زيّات (٥٧١-٥٧٥) = امالي السُنية : ٤ اصل كلمة الحواريّين ' بقلم الاب مرمرجي الدومنيكي (٥٧٥-٥٨٧) — وصف الرهبان لابن المقرّ (٦٠٧) = التذكار المئوي للمرسلين الازريين في دمشق ' بقلم الاب مبارك ثابت اللبناني (٨و٩: ٦٠٨-٦١٦ ؛ ١٠: ٧٦٥-٧٧٥) = المطران بطرس شبلي (١٨٧١-١٩١٧) بقلم الاب لامنس اليسوعي (٦١٦-٦٢٢) = قبر راحيل ' بقلم القس عبد المسيح زهر (٦٢٢-٦٢١) = القضاء الماروني وعلاقته بالشرع الروماني ' بقلم الخوري لويس الخازن (٦٢١-٦٢٤) = بحث في الفلسفة اللغوية ' بقلم الخوري بطرس البستاني (٦٢٤-٦٤٦) = شفاء الاولاد الصغار في روسية ' بقلم الاب توتل اليسوعي (٦٤٦-٦٥٢) = الحياة النسكية في لبنان ' بقلم الخوري بطرس غالب (٨و٩: ٦٥٢-٦٦٢ ؛ ١٠: ٧٤٤-٧٤٨ ؛ ١١: ٨٢١-٨٢٥) = دولة العلويّين ' بقلم الاب لامنس اليسوعي (٦٦٢-٦٧١) = شخصية بارزة : وليّ الدين يكن (١٨٧٣-١٩٢١) ' بقلم فؤاد افرام البستاني (٦٧١-٦٨٤) = مجلة المجلات ' للاب توتل اليسوعي : المتفلرطي والانشاء الجديد . الانتقال من طقس الى آخر . الطب البيطري . الكنيسة الكاثوليكية والكنائس البروتستانية (٦٨٤-٦٩٢) = شذرات : اول شخص من رعية الفاتيكان . مجموع سكان العالم . احصائيات فلسطينية . المسلمون الجدد في تركية الكمالية . ازمة الصحافة التركية . التقدم الاقتصادي في الكونغو البلجيكي (٧٠٤-٧٠٨) = مطبوعات شرقية جديدة (٧٠٨-٧١٦) = اهم حوادث الشرق في شهر (٧١٦-٧٢١)

العدد ١٠ (تشرين الاول) هل من نزاع بين علمَي الطبيعة وما وراءها ! ' بقلم الاب شرل ايلا اليسوعي (٧٢١-٧٢٧) = الانلتيد ونكبتها ' بقلم القس عبد المسيح زهر (٧٢٧-٧٣٩) = خزائن الكتب العربية وخراجها ' بقلم الاب لامنس اليسوعي (٧٣٩-٧٤٤) = دير البلمند ' بقلم الاب توتل اليسوعي (٧٤٨-٧٦١) = دور البطيخ ببغداد ودمشق في عهد العباسيين ' بقلم حبيب زيّات (٧٦١-٧٦٥) = موت الصافير ! ثلاث

قصائد: حليم دموس ، وادوار البستاني ، ويوسف غصوب (٧٧٥-٧٧٧) = مجلة المجلات ، للاب توتل اليسوعي : بطريركية الرومان وعيد الفصح . الانكليز في مصر والسودان (٧٧٧-٧٨٢) = مطبوعات شرقية جديدة (٧٩١-٧٩٨) = اهم حوادث الشرق في شهرين (٧٩٨-٨٠١)

العدد ١١ (تشرين الثاني) قوة السيدا لمسيح في حياتنا الاجتماعية ، بقلم الاب مرمرجي الدومنيكي (٨٠١-٨١١) = كتاب التمييز في المحاضرات ، مخطوطة للامير حسين ابن الامير فخر الدين المعني ، بقلم عيسى اسكندر المعلوف (٨١١-٨١٦) = الاحصاء في تركية الكمالية وكيف تم في يوم واحد ؟ بقلم الاب لامنس اليسوعي (٨١٦-٨١٨) = المستطاب من اخبار القبقاب في دمشق ومصر ، بقلم حبيب زيات (٨١٨-٨٢٢) = حياة الشمس وموتها ، بقلم القس عبد المسيح زهر (٨٢٢-٨٢١) = خمسة ايام على الاقدام ، بقلم فؤاد افرام البستاني (١١ : ٨٢٦-٨٤٦ ؛ ١٢ : ٩٢٥-٩٣٤) = مجلة المجلات ، للاب توتل اليسوعي : حول المبكى. الحجاج الى مكة. نظرات في الموسيقى الشرقية (٨٤٦-٨٥٣) = شذرات : الى اين المسير يا سيارات ؟ من حديث السيارات ايضاً . من شروط الزواج في تركية الجديدة. المطبوعات في فرنسة وانكلترة واميركة في عشر سنوات. بيروت مدينة الطلبة (٨٥٣-٨٥٨) = مطبوعات شرقية جديدة (٨٦٩-٨٨٠) = اهم حوادث الشرق في شهر (٨٨٠)

العدد ١٢ (كانون الاول) السيّد فريديانو جيانيني ، بقلم المتوري بطرس غالب (٨٨١-٩٠٠) = النزاع على قادش بين المصريين والحثيين ، بقلم الامير موريس شهاب (٩٠٠-٩٠٩) = الاستقلال المدني في الكنائس الشرقية الكاثوليكية : ١ ، بقلم المتوري بطرس روفائيل (٩٠٩-٩١٤) = كتاب البرهان ، بقلم الاب توتل اليسوعي (٩١٤-٩٢٠) = ابراهيم باشا في سورية ، بقلم الاب لامنس اليسوعي (٩٢٠-٩٢٥) = مجلة المجلات ، للاب توتل اليسوعي : ايضاً الفرد والانسان. الاولاد المشرّدون في روسية . النهضة الدينية في اوربة (٩٢٤-٩٣٧) = شذرات : الصليبيون ومؤرخو السريان . ماذا يجيء لنا الشتاء ؟. يوم التعطيل في تركية الكمالية . تقدّم الطيارات المائية في السرعة (٩٣٧-٩٤٠) = مطبوعات شرقية جديدة (٩٤٧-٩٥٨) = اهم حوادث الشرق في شهر (٩٥٨-٩٦١) = فهارس المشرق (٩٦١)

فهرس ثانٍ

يحتوي اسماء كتبة المشرق ومقالاتهم

ابن المترّ: وصف الرهبان ٦٠٧

ابو غام: من صفات الصديق ٢٠٧

ايلا (الاب شرل اليسوعي): المنطق الحديث ١٦١-١٦٦ – الغرائب النفسية بازاء الروحانية الزائفة والروحانية الحقّة ٤٠١-٤٠٩؛ ٤٩٧-٥٠٤ – هل من نزاع بين علمَي الطبيعة وما وراءها ؟ ٧٢١-٧٢٧ – وله وصف مطبوعة ٧٨

ايلا (فردينان): فائدة عن «الحج والرقص» ٤١٥

اندري (الاب ج. س. اليسوعي): له وصف مطبوعات ٢٣٥؛ ٢٣٦؛ ٢٣٧؛ ٩٤٧؛ ٩٤٨

باز (انطوان): الهواء مصدر القوّة ٤٠-٤٨؛ ١١٩-١٢٩ – فوائد التحريج ٤١٦-٤٢٢؛ ٥١٧-٥٢٥

الباشا (الخوري قسطنطين ب. م.): رسالة قديمة من كاتب مطران الروم في اللاذقية الى البابا اكليمنضوس الحادي عشر ١٨٧-١٨٩

بدر (جورج): له وصف مطبوعة ٧٩٦

البستاني (ادوار): موت العصافير ! (قصيدة) ٧٧٦

البستاني (الخوري بطرس): بحث في الفلسفة اللغوية ٦٢٤-٦٤٦

البستاني (فؤاد افرام): مقابلة الآداب: توطئة ٣١-٣٦؛ ضرورة مقابلة الآداب في عصرنا ١٠٩-١١٥؛ توارد الخواطر بين بعض ادباء العرب وغيرهم من ادباء الاجانب ٢٠٠-٢٠٤؛ ٥٩٣-٦٠٤ – القلق عمّا وراء الطبيعة: خطاب للوسيان كوينو ١٢٩-١٣٤ – الحياة العقلية في لبنان قبل مائة سنة ٢٧٦-٢٨٢؛ ٢٦٦-٢٧٤ – المطعم الطيّار ٢٥٢-٢٥٤ – حول الادب الجاهلي: كتاب جديد في الموضوع ٤٣٤-٤٤٣ – قلب الاب كائن ٥٢٧-٥٤٠ – وليّ الدين يكن ٦٧١-٦٨٤ – خمسة ايام على الاقدام ٨٣٦-٨٤٦؛ ٩٢٥-٩٣٤ – لماذا ؟ رواية لبنانية تاريخية ٥٨-٦٤؛ ١٤١-١٤٧؛ ٢٢٠-٢٢٩؛ ٢٩٩-٣٠٥؛ ٢٨١-٢٨٧؛ ٤٥٦-٤٦٦؛ ٥٤٢-٥٤٩؛ ٦٩٢-٧٠٤؛ ٧٨٢-٧٩١؛ ٨٥٧-٨٦٩؛ ٩٤٠-٩٤٧ – وله وصف مطبوعات ١٥١؛ ١٥٤؛ ١٥٦؛ ٢١٧-٢١٩؛ ٢٩٥؛ ٢٩٧؛ ٤٧٥؛ ٤٧٦؛ ٥٥٧-٥٥٩؛ ٧١٨؛ ٧٩٥؛ ٨٧٨؛ ٩٥٦؛ – وله شذرات وتعريبات شتى

توتل (الاب فردينان اليسوعي): البترول في سورية ولبنان ١٠٤-١٠٩ – الفاشاني الاسلامي القديم ٢٧٣-٢٧٦ – شفاء الاولاد الصغار في روسية ٦٤٦-٦٥٢ – دير البلمند ٧٤٨-٧٦١ – كتاب البرهان ٩١٤-٩٢٠ – له مجلة المجلات في جميع اعداد السنة ٥٣-٥٨؛ ١٢٥-١٤١؛ ٢١٥-٢٢٠؛ ٢٩٣-٢٩٦؛ ٢٧٤-٢٨١؛ ٤٤٩-٤٥٦؛ ٥٤٠-٥٤٣؛ ٦٨٤-٦٩٢؛ ٧٧٧-٧٨٣؛ ٨٤٦-٨٥٢؛

٩٢٤-٩٢٧ – وله وصف مطبوعات ٧٢-٧٤ ؛ ٧٧ ؛ ١٥٥ ؛ ١٥٧ – ١٥٨ ؛ ٢١٦ ؛ ٢٩٦ ؛ ٣٠٨ ؛ ٤٧٦-٤٧٨ ؛ ٥٥٩ ؛ ٧١٧ ؛ ٧٩٤ ؛ ٧٩٨ ؛ ٨٧٥-٨٧٨ ؛ ٩٥٦ ؛ ٩٥٧ ؛ وله تلخيص اهم حوادث الشرق في آخر كل عدد – وتعريبات وشذرات متفرّقة

تيان (اميل) : له وصف مطبوعة ٦٨

ثابت (الاب مبارك اللبناني) : التذكار المنوي للمرسلين المازريين في دمشق ٦٠٨-٦١٦ ؛ ٧٦٥-٧٧٥

الجميّل (الحكيم امين) : الطب في البلاد من مئة سنة ٢٨٨-٢٩٢ ؛ ٣٦٠-٣٦٦

الخازن (الخوري لويس) : القضاء الماروني وعلاقته بالشرع الروماني ٦٣١-٦٣٤

خير (عبدالله رزق الله) : تبكي بك الفُصحى رفيع عمادها ! (قصيدة) ١٠١-١٠٤

الدحداح (الشيخ سليم) : العائلة اللبنانية ٤٩١-٤٩٧ ؛ ٥٨٧-٥٩٣

دموس (حليم) : موت العصافير ! (قصيدة) : ٧٧٥

روفائيل (الخوري بطرس) : الاستقلال المدني في الكنائس الشرقية الكاثوليكية ٩٠٩-٩١٤

روترفال (الاب سبستيان اليسوعي) : له وصف مطبوعات ٦٦-٦٨ ؛ ٢٢١ ؛ ٣٢٢ ؛ ٥٥٥ ؛ ٧٠٨ ؛ ٧١١ ؛ ٧١٣ ؛ ٧١٤ ؛ ٧١٥ ؛ ٧٩١ ؛ ٨٦٩ ؛ ٨٧١ ؛ ٨٧٣ ؛ ٩٤٩ ؛ ٩٥١ ؛

ريتوله (الاب ل. اليسوعي) : له وصف مطبوعات ٥٥٦ : ٧٩٧

زّهر (القس عبد المسيح) : قشرة الارض والانفجارات ٤٨-٥٢ – السفر الى الكواكب السيارة ١٧٦-١٨٣ – وحدة النوع البشري ٢٤٨-٢٥٤ – قدم الانسان ٤٢٢-٤٢٣ – قبر راحيل ٦٢٢-٦٢١ – الاناشيد وتكبتها ٧٢٧-٧٣٩ – حياة الشمس وموتها ٨٢٢-٨٢١

زيّات (حبيب) : النساء الفرنجيات في انطاكية وعزاز في عهد الصليبيين ٥٧١-٥٧٥ – دور البطيخ ببغداد ودمشق في عهد العباسيين ٧٦١-٧٦٥ – المستطاب من اخبار القبقاب في دمشق ومصر ٨١٨ ؛ ٨٢٣

شبلي (القس انطونيوس اللبناني) : جولة في كسروان (تابع) : دير مار ضومط فيترون : كتب خزانته المخطية ١٩٣-١٩٦ – دير سيدة طاميش ٥٠٤-٥١٠ ؛ ٦٠٤-٦٠٨

شهاب (الامير موريس) : الاسكندر الكبير في صيدا ٢٣٧-٢٤٣ – النزاع على قادش بين المصريين والحثيين ٩٠٠-٩٠٩

صبرا (وديع) : الموسيقى الشرقية ١٧-٢٢ ؛ ٩٦-١٠١ ؛ ١٩٦-٢٠٠

صالحاني (الاب انطون اليسوعي) : كاف الشمس وتأثيرها ٢٢-٣١ أسمان الفيروانى ام الكيرواني ؟ ٩١-٩٦ – كتابان في الخيل ١٨١-١٩٢ – رسل المسيح الاثنا عشر ٢٤٣-٢٥٢ – مرقس صاحب الانجيل الثاني ٥٦١-٧١ – وله وصف مطبوعات ٧٤ ؛ ٧١٦

طوران (الاب اسكندر اليسوعي) : له وصف مطبوعة ٩٥٥

غالب (الخوري بطرس) : قداسة الحبر الاعظم بيوس الحادي عشر : يوبيله الذهبي

الكهنوتي ٢٤١-٢٤٨ : ٢٢١-٢٣٠ – الاب لوميان كاتن ٥٢٥-٥٢٧ – الحياة النسكية في لبنان ٦٥٢-٦٦٢ ؛ ٧٤٤-٧٤٨ : ٨٢١-٨٢٦ – السيد فريديانو جيانيني ٨٨١-٩٠٠

غصوب (يوسف) : نور الفؤاد (قصيدة) : ٧ – حريصا ! ٤٤٧-٤٤٩–موت الصافير (قصيدة) ٧٧٦

الغمراوي (محمد احمد) : الذوقان الشخصي والمكتسب وتأثيرهما في الادب وتاريخه ٤٤٣-٤٤٧

ف . خ : له وصف مطبوعات ٢٢٦ ؛ ٢٢٧ ؛ ٢٢٨ ؛ ٢٢٩

فرجيل (الاب بطرس دي اليسوعي) : المؤتمر الطبي الدولي في مصر ٢٠٤-٢٠٩

فرنه (الاب يوسف اليسوعي) : الأوتوجير ٢٠٦-٢١٥

كميد (ميشيل سليم) : مذكرات جوائيل ١٦٦-١٧٦ ؛ ٢٦٣-٢٧٣–قس بن ساعدة : ماذا نعرف عنه ؟ ٥١٠-٥١٧

كوبيه (فرنسوا) : موت الصافير ٢٠٨

لامنس (الاب هنري اليسوعي) : رئيس الولايات المتحدة الجديد ٣٦-٤١–جيرانا في الشرق الادنى ١١٥-١١٩ – مكة الحديثة كما وصفها كتاب جديد ٢٥٤-٢٦٣ – المشكلة الرومانية ٢٨٢-٢٨٨ ؛ ٢٥٤-٣٦ – سورية ولبنان : قدم اسميهما ٤٢٢-٤٢٤ – المطران بطرس شبلي ٦١٦-٦٢٢ – دولة الملويين ٦٦٢-٦٧١ – خزائن الكتب العربية وخراجها ٧٣٩-٧٤٤–الاحصاء في تركية الكمالية ، وكيف تمّ في يوم واحد ؟ ٨١٦-٨١٨ – ابراهيم باشا في سورية ٩٢٠-٩٢٥ وله وصف مطبوعات ٧٠ ؛ ١٥٠ : ١٥٢ ؛ ٢٢٥ ؛ ٢٢٩ ؛ ٢٠٩ ؛ ٢١٠ ؛ ٢١٢ ؛ ٢١٤-٢١٦ ؛ ٢٩٠ ؛ ٢٩٥ ؛ ٢٩٧ ؛ ٧١٠ ؛ ٧١٤ ؛ ٧٩١ ؛ ٧٩٢ ؛ ٨٦٩ ؛ ٨٧٤ ؛ ٨٧٩ ؛ ٩٤٨ ؛ ٩٥٥

لوثنك (الاب جبرائيل اليسوعي) : له وصف مطبوعات ٧١ ؛ ١٤٩ ؛ ١٥٢ ؛ ٢٢١ ؛ ٢٢٢ ؛ ٢٠٩ ؛ ٢١١ ؛ ٢١٢ - ٢١٤ ؛ ٢٦١-٢٩٥ ؛ ٤٧٠ ؛ ٤٧١ - ٤٧٤ ؛ ٥٥١ ؛ ٥٥٢-٥٥٥ ؛ ٧٠٩ ؛ ٧١٢ ؛ ٧٩٢-٧٩٤ ؛ ٨٧٠ ؛ ٨٧٢ ؛ ٨٧٣ ؛ ٨٧٤ ؛ ٩٤٩ ؛ ٩٥١ ؛ ٩٥٢

مَرْمرجي (الاب ا. س. الدومنيكي) : الدين والروح العصري ٧-١٧ – امالي السُنية : البارية ليست بنارية ٨١-٩١ ؛ الايجدية الصائتة والكَرْشَنة ١٨٢-١٨٧ ؛ المجّ والرقص ٣٣٠-٣٣٧ ؛ ٤٠٩-٤١٦ ؛ اصل كلمة الحواريين ٥٧٥-٥٨٧ –نفوذ السيد المسيح في حياتنا الادبية ٤٨١-٤٩١ – نفوذ السيد المسيح في حياتنا الاجتماعية ٨٠١-٨١١

الملوف (عيسى اسكندر) : كتاب التمييز في المحاضرات : مخطوط للامير حسين ابن الامير فخر الدين المعني ٨١١-٨١٦

موترد (الاب بولس اليسوعي) : له وصف مطبوعة ٩٥٤

موترد (الاب رينه اليسوعي) : له وصف مطبوعات ٦٩ ؛ ٤٧٠ ؛ ٤٧١ ؛ ٥٥١

مونجان (الاب يوسف اليسوعي) : له وصف مطبوعات ١٤٩ ؛ ٧٠٨

نخله (الاب روفائيل اليسوعي) : له وصف مطبوعات ٤٧٤ ؛ ٥٥٢

نيرون (الاب غوستاف اليسوعي) : له وصف مطبوعة ٢٢٤

فهرس ثالث

للمطبوعات التي ورد وصفها في السنة السادسة والعشرين للمشرق

على ترتيب اسماء مؤلفيها

١ — المطبوعات العربية والسريانية الخ

ا

آجيا (الاب بشير اليسوعي) : منتخبات ادبية : الجزء الثاني (٢١٦) — الجزء الثالث (٥٥٨)

ابن الاعرابي : اطلب دلّاويدا

ابن الكلبي : اطلب دلّاويدا

ابو تمام : اطلب الاسود

ابو عزّ الدين (سليمان) : ابراهيم باشا في سورية (٩٣٠-٩٣٥)

ابو هنا (المتوري نقولا) : الشيخ ناصيف اليازجي (٧١٨)

ارملة (القس اسحق) : الحروب الصليبية في الآثار السريانية (٩٣٧)

اسطفان (المتوري اسقف خيرالله) : اللمعة الوضية في ديانة الانسان الطبيعية — صفوة علم اليقين في حقيقة مذهب دروين (٣٩٨) — عجالة البيان في الاشارة الى الملك الطبيعية والانسان (٧١٧)

الاسود (الدكتور ملحم ابراهيم) : بدر التمام في شرح ديوان ابي تمام : الجزء الاول (٤٧٥)

الاصبهاني (ابو الفرج) : كتاب الاغاني : الجزء الثاني (٣١٧)

الياس (الياس انطون) : القاموس العصري العربي-الانكليزي (٣٣٩)

ب

البستاني (فؤاد افرام) : الروائع : السلسلتان الاولى والثانية (٤٧٦)

البستاني (الشيخ يوسف توما) : فهرس المطبوعات والكتب الموجودة في «مكتبة العرب» (٣٩٩)

البشبيشي (محمود) والطنطاوي (عبد الغفار) : علم الاخلاق (٧١٨)

بشير (الارشيمندريت انطونيوس) : الحياة البسيطة (معرّب عن واغنار) (٧٧)

بوتاجي (الدكتور شكري) : الدليل الامين في الصحة والمرض (٧٩٦)

ت

ثابت (الدكتور حبيب) : الصحة والجمال (٣١٥)

الترمانيني (عمر) : كتاب الالبان (٩٥٥)

ج

الجمعية الخيرية لطائفة السريان الكاثوليك بحلب : اعمالها عن سنتي ١٩٢٧-١٩٢٨ (٤٧٨)

جمعية شبان القديس لويس غونزاغا : نبذة تاريخية (٣١٩)

جمعية طوبيا البار : برنامجها لسنة ١٩٢٨ (٣٩٨)

جمعية مار جرجس الخيرية لارمن ماردين

الكاثوليك بحلب : برنامجها لسنتي ١٩٢٧-١٩٢٨ (٥٥٩)
جونس (ستانلي) : المسيح في الهند (٧٤)
چفي (مراد فؤاد) : ترجمة الفيلسوف الرباني مار يعقوب الرهاوي (٨٧٩)

ح

الحامد (بدر الدين) : ديوانه (٣١٨)
حبيقه (الخوري اسقفي بطرس) : الجزء الرابع من ترجمة البطريرك مار الياس بطرس الحويك (١٥٧) - الفصول الغرر في ترجمة البابا يوس الحادي عشر (٥٥٩)
حتي (الدكتور فيليب) : نظم العقيان في اعيان الاعيان للسيوطي (١٥٤)
الحداد (شديد باز) : جان دارك عذراء اورليان (معرّب عن شيلر) (٣١٦)
حسين (محمد الخضر حسين) : نقض الكتاب في الشعر الجاهلي (٧٣)
حمد (عمر) : ديوانه (٣١٨)

خ

خبّاز (حنا) : جمهورية افلاطون (٨٧٧)
الخطيب (لسان الدين ابن) : اطلب الخطيب (محب الدين)
الخطيب (محب الدين) : اللمحة البدرية في الدولة النصرية للسان الدين بن الخطيب (٣٩٧)
الخوري (شكري) : التحفة العامية في قصة فنيانوس (٣٩٨)
خيرالله (امين ظاهر) : كتاب اللؤلؤ المنضود في دفع نقود (٧٩٥)

د

داود (ميخائيل بشاره) : العظاء (معرّب عن بلوطرخوس) : الجزء الاول (٨٧٨)
داي (الفرد) وقربان (داود) : ممالك الطبيعة : الكتاب الثاني في مملكة النبات (١٧٨)
دلاويدا (جرجس لوي) : كتابان في الخيل لهشام بن الكلبي ، ومحمد بن الاعرابي (١٨٩-١٩٣)

ر

الرافعي (مصطفى صادق) : كتاب المساكين (٥٥٧)
رباني (المطران ثاوفيلس يوسف) : ان الله ابونا (٣١٩)
رحمة (الخوري يوحنا بركات) : نظام العالم (٧٨)
رضا (محمد رشيد) : تفسير القرآن الحكيم : الجزء التاسع (٣١٥)
رومة والكنائس الشرقية (٣٩٨)

ز

زعيتر (محمد عادل) : اصول الحقوق الدستورية (معرّب عن إيسمن) (٣٣٩)
زياده (الخوري يوسف) : القضاء الماروني وعلاقته بالشرع الروماني (٦٣١-٦٣٤)
الزيات (حبيب) : تاريخ حوادث الزمان وانبائه ووفيات الاعيان من ابنائه (٩٥٥)

س

سركيس (يوسف اليان) : معجم المطبوعات العربية والمعرّبة : الاجزاء ٢ ، و ٣ ، و ٤ ، و ٥ (١٥٨) - الجزءان ٦ ، و ٧ (٣٩٦) - فهرس مكتبته (٤٧٨)
سري الدين (الدكتور حسين رشيد) : صحة الام والطفل (١٥٧)
سلام (الشيخ عبد الرحمن) : ديوان النابغة الذبياني (٤٧٦)
سيور (الخوري بولس) : عوائد العرب (١٥٨)
السيوطي : راجع حتي .

ش

شبلي (ميشال) : المطران بطرس شبلي (٦١٦-٦٢٢)

شركة القديس منصور دي بول في بيروت : برنامجها لسنة ١٩٢٨ (٨٧٩)

شركة القديس منصور دي بول في حلب : برنامجها لسنة ١٩٢٨ (٥٥٩)

شركة القديس منصور دي بول في دمشق : برنامجها لسنة ١٩٢٨ (٨٧٩)

شهبندر (الدكتور عبد الغني) : كتاب الوقاية من الامراض المعدية (٩٥٦)

ص

صدى الاحسان (٨٧٩)

صرّوف (الدكتور يعقوب) : رسائل الارواح (٤٠١-٤٠٩) و(٤٩٧-٥٠٤)

صغير (الاب بطرس) : لمة المسيح في اميركة (٨٧٩)

الصنهاجي (ابو بكر) : اطلب لاني-بروفنسال

ض

ضومط (جبر) : سفر التكوين (٧١٦) - فلسفة اللغة العربية وتطورها (٩٥٣)

ط

طنطاوي (عبد الغفار) : راجع البشيشي

طوسون (الامير عمر) : كلمات في سبيل مصر (١٥٥)

ع

عبد الرازق (محمد حسنين) : علم المنطق الحديث : الجزء الاول (١٦١-١٦٦)

العقّاد (عباس محمود) : ديوان العقّاد (٥٦)

عنّان (محمد عبدالله) : تاريخ المؤامرات السياسية وتطوراتها الاجتماعية والقانونية من اقدم العصور الى أحدثها (١٥٨)

العندازي (الخوري بطرس) : رحلة تاريخية الى اميركة الجنوبية (٧٩٨)

عوّاد (توفيق) : الادب العربي وما ينقصه لمجاراة الآداب الراقية (٤٧٨)

عوض (جرجس فيلوثاؤس) : مجموعة من تآليفه ومنشوراته (٩٥٨)

عوم (عطا) : التقرير الرسمي المرفوع الى عصبة الامم عن احوال الادارة العراقية في سنة ١٩٢٦ (٧٦)

غ

الغريّب (امين) : تلخيص بعض روايات شكسبير (٧١٨)

غزاله (حبيب بك) : جزيرة رودس (٨٧٦)

غزاله (الدكتور سليمان) : الحقّ والعدالة (٣٩٧)

غصن (الدكتور فؤاد) : جدول الامراض (٧٦)

الغلوبري (القس عبد المسيح) : الآيات الالهية في الاقوال المسيحية (٧٧)

الغمراوي (محمد احمد) : النقد التحليلي لكتاب «في الادب الجاهلي» (٤٣٤-٤٤٣)

ف

فرج (مراد بك) : تفسير التوراة : الجزء الاول (٥٥٦)

الفغالي (حنا الخوري) : رسائل شموني (٣٢٨)

ق

قرألي (الخوري بولس) : السوريون في مصر : الجزء الاول : عهد المماليك (١٥٨)

قطّان (المطران باسيليوس) : مصادر تاريخية لحوادث لبنان وسورية (١٧٦٥-١٨٠٠) (٣٩٥)

ك

الكتاب المقدّس : العهد الجديد (٨٧٦)

كراولي (الاب متى) : حياة المسيحي السيدة في عبادة قلب يسوع المجيدة : الجزء

الثالث : الساعة المقدسة (١٥٨)
الكفرنيي (القس بولس) : غرامطيق اللغة الارامية السريانية (صرف ونحو) (٧٩٧)

ل

لافي بيروفنال : كتاب اخبار المهدي ابن تومرت ، وابتداء دولة الموحدين ، لابي بكر الصنهاجي المكنى البيذق (٣١٤)
لفيف من الاساتذة : روضة الانشاء (٧٦) — سفينة البلغاء (٩٥٦)

م

محمود (محمد) : الشعر النسائي المصري (٥٥٨)
مخلص (عبدالله) : المسلمون والنصارى (٧٨) — حب يوسف الصديق وقبره الشريف (٣١٩)
مرغنتال (شركة) : المنضدة العربية (لينوتيب) (٩٥٧)
مصح القديس منصور دي بول في بحنس (٨٧٩)
مظلوم (الشماس توما) : البطريرك مكسيموس الثالث مظلوم (٣١٩)
المعدني (يوحنا بن) : مواعظه وقصائده (٩٥٤)
المعلوف (الاب لويس اليسوعي) : تقويم البشير ١٩٣٠ (٩٥٧)
المغربي (الشيخ عبد القادر) : محمد والمرأة — ابن خلدون في المدرسة العادلية — محاكمة وزيرين في امرين خطيرين (٣١٩)
المؤتمر الثاني في بيروت : اعماله (٣٢٦)

ن

النابغة : راجع (سلام)
نادر (القس جبرائيل) : غادة الترعة (٧٨)
نور الدين (عبد الحسين) : الكلمات (٣٣٩)

هـ

هبرا (المطران غريغوريوس) : تأملات لاجل الاكليروس والطانيين (معرب عن هامون) : الجزء الثالث (٨٧٦)
الهلالي (مبارك بن محمد الميلي) : تاريخ الجزائر في القديم والحديث : الجزء الاول (١٥٣)

و

وصفي (صلاح الدين) : اختلال التوازن العالمي (معرب عن غوستاف لوبون) (٣١٨)

ي

يزبك (يوسف ابراهيم) : مأساة المواشي البشرية في طريقها الى بلاد الله (٤٧٨)

٢ — مطبوعات اوربية

Abdel Gawad (Mohammed) : L'exécution testamentaire en droit musulman. (68)
Algazel cf. Asin Palacios
Ali (A. Yusuf) : The personality of Muhammad the prophet. (792)
Almanach catholique français pour 1929. (72)
Annuaire pontifical catholique, 1929. (713)
Asin Palacios (Miguel): El justo medio en la creencia, compendio de teologia dogmatica de Algazel, traduccion espanola. (710)
Baedeker (Karl) : Italie centrale. Rome. (551)
Baudin (E) : Introduction générale à la Philosophie. — I. Qu'est-ce que la Philosophie ? (234)
Baudrillart (André) : Mœurs païennes et mœurs chrétiennes. I. La famille dans l'antiquité et aux premiers siècles. (792)
Bayard (Emile) : Le style japonais. (311)

Beaupin (Mgr) cf. Delos
Benoist (Charles) : Les maladies de la démocratie. L'art de capter le suffrage et le pouvoir. (949)
Besson (D' E.) cf. Gay
Bialoblocki (S.) : Materialen zum islamischen und judischen Ehereecht. (310)
Biberean (Ch.) cf. Filhol.
Bjorkmann (W.) : Beiträge zur Geschichte der Staatskanzlei im islamischen Aegypten (150)
Bonelli (D. Luigi) : Il Corano. (812)
Bonsirven (Joseph) : Sur les ruines du Temple. (152)
Bowen (Harold) : The Life and times of 'Ali ibn 'Isa « the good Vizier ». (710)
Brian - Chaninov : L'Eglise russe. (394)

Capus (G.), F. Loulliot, E. Foëx. Le tabac (712)
Cederholm (Boris) : Au pays du Nep et de la Tchéka, dans les prisons de l'U. R. S. S. (394)
Chirlaver (G.) cf. Le Fur (L.)
Clemen (Carl) : Religionsgeschichte Europas. I Bd bis zum Untergang der nichtchristlichen Religionen. (231)
Cousin (Louis) cf. Gay

Danel (J.) cf. Delos
Delacour de Brisay (A.) : L'Université d'Oxford et la Vie universitaire en Angleterre. (472)
Delos o. p., Leman, Prelot (M.) et Danel (J.) : La société internationale. Préface de Mgr Beaupin. (313)
Devoghel (E.) : La question romaine sous Pie XI et Mussolini. (874)
Donnadieu (James) : Les consuls de France. (553)
Ducher (R.) : L'art japonais — L'art indien et l'art chinois. (314)
Dussaud (René) : Glozel à l'Institut. (950)

Ebeling (E) u. Meissner (B.) : Reallexikon der Assyriologie. (67)
Egypte (Le voyage d'). Alexandrie. Le Caire. (711)
Entretiens de Juilly. I. Le problème international. (873)

Fabre (Abel) : Manuel d'art chrétien. (391)
Farmer (H. G.) : A history of arabian Music to the XIIIth. century (555)
Féghali (Mgr Michel) : Syntaxe des parlers arabes actuels du Liban. (552)
Feinberg (Nathan) : La question des minorités à la conférence de la paix de 1919 - 20 et l'action juive en faveur de la protection internationale des minorités. (872)
Ferguson (F.) : Les richesses naturelles de la Palestine et la chute d'eau de la Mer Morte. (709)
Ferrand (G.) : Introduction à l'astronomie nautique arabe. (809)
Filhol (J.) et Ch. Biberean : Le Pétrole, son industrie, son commerce, son rôle dans la politique des peuples. (952)
Fischer (A.) : Prinz Mehmed Sa'id Halim pacha's « Islamlaschmaq ». (871)
Foëx (E.) cf. Capus (G.)
Freundorfer (Dr Joseph) : Die Apokalypse des Apostels Johannes und die Hellenistische Kosmologie und Astrologie. (247)
Furlani (G.) : La religione babilonese-assira. (714)

Gabrieli (Francesco) : La Successione di Hârûn ar-Rasîd e la guerra fra al-Amin e al-Ma'mûn (235)
— Al-Ma'mûn e gli 'Alidi. (948)
Gall (August Freiherr von) : Ein religionsgeschichtliche Studie zur Vorkirchlichen Eschatologie. (551)
Garcia Gómez (Emilio) : Un texto arabe occidental de la Leyenda de Alejandro. (869)
Gautier (E. F.) : Le Sahara. (314)
Gay (Mme). Cousin (Louis) et Besson (D' E.) : Comment j'élève mon enfant. (474)
Gemschling (P.) : Statistiques choisies et annotées. Supplément 1928. (393)
Giudici (Paolo) cf. Vorthema.
Goettsberger (Dr Johann) : Einleitung in das alte Testament. (153)
Gottlob (Dr Theodor) : Der abendlandische Chorepiskopat. (948)
Grabar (André) : Recherches sur les influences orientales dans l'art balkanique. (66)
Grousset (René) : Histoire de l'Extrême Orient. t. I. (869)
Guirand (J.) : L'inquisition médiévale. (392)

Habachi (Gurgus) cf. Hug
Hanotaux (Gabriel) : Regards sur l'Egypte et la Palestine. (793)
Haushofer (Karl) : Grenzen in ihrer geographischen und politischen Bedeutung mit 32 Skizzen.(231)
Hitti (Philip K.) : An Arab - Syrian Gentleman and Warrior in the period of the Crusades. Memoirs of Usâmah ibn - Munqidh. (875)
Hollsteiner (Dr Johannes) : Die Union mit den Ostkirchen. (712)
Hug (Georges) et Habachi (Gurgus): Pour apprendre l'arabe. (553)
Hutchinson (R. W.) cf Thompson (R. C.)
Hyatt (Harry Middleton): The Church of Abyssinia. (554)

Islamica, vol. III, fasc. 3. (72)
vol. III, fasc. 4. (874)
Italiennes (Les colonies). (473)

Jannesu (G.) : Les siècles. (313)
Journel (Bonet de) s. j. : Enchiridion Patristicum. (952)
Journet (Ch.) : L'Union des Eglises. (152)

Karst (Dr J.) : Grundsteine zu einer Mittelländisch — Asianischen Urgeschichte (470)
Kohn (Hans) : Geschichte der nationalen Bewegung in Orient. (70)
Kornemann (Ernst) : Die Stellung der Frau in der vorgriechischen Mittelmeerkultur. (233)

Lassorre (Pierre) : Trente années de vie littéraire, pages choisies. (851)
Le Fur (L.) et Chklaver (G.) : Recueil de textes de droit international public. (232)
Legendre (Mgr A.) : Le pays biblique. (392)
Legrain (Gaston) : Les cahiers de l'échiquier français. 1er vol. (793)
Leman (A.) : L'Eglise dans les temps modernes. (312)
Leman cf Delos.
Lemonnyer (H. P.) o. p. : Théologie du Nouveau Testament. (235)
Leuliot (P.) cf. Capus (G.)
Lévi - Provençal : Les Manuscrits arabes de l'Escorial, d'après les notes de H. Derenbourg. (794)
Levy (Reuben) : A Baghdad Chronicle. (791)
Liefmann - Angelberger : Mineralölwirtschaft. (711)
Longnon (Jean): Les Français d'outre-mer au Moyen-Age. (554)
Loria (Gino) : Histoire des sciences mathématiques dans l'antiquité hellénique. (793)

Marx (P.) : L'évolution du régime représentatif vers le régime parlementaire de 1814 à 1816. (870)
Meissner (B.) cf Ebeling (E.)
Mélia (J.): Chez les Chrétiens d'Orient. (309)
Missions catholiques (Les) et l'œuvre de la Civilisation. (355)
Mongrédien (G.) : Le bourreau du Cardinal de Richelieu. Isaac de Laffemas (1584 - 1657). (871)
Morant (Georges Soulié de) : L'épopée des Jésuites Français en Chine 1534 — 1928 (311)
Morgan (J. de) : La préhistoire orientale. (71)
Mucke (Dr J. B.) : Die Urbevölkerung Griechenlands nach ihre allmähliche Entwickelung zu Volksstämmen (471)

Nansen (Fridtjof) : L'Arménie et le proche Orient, trad. de Arne Omtvedt. (952)
Navarro (Octavio) : Les représentations dramatiques en Grèce. (950)
Nielsen (D.) : The site of the biblical Mount Sinai. (713)
Nigiatsch (Dr Joseph) : Brevis Commentarius in S. Pauli Apostoli Epistolam ad Galatas (947)

Obermeyer (Jakob) : Die Landschaft Babylonien im Zeitalter des Talmuds und des Gaonats. (715)
Omtvedt (Arne) cf. Nansen

Palencia (Angel Gonzalez) : Historia de la Literatura Arabigo - Española. (151)
Penlaguz (A. de) : La civilisation néolithique. (951)
Perrier (Dr Louis) : La préhistoire de la Palestine et la Bible. (472)
Pete (Gladys) : Malta and Cyprus. (394)
Philby (H. St. J. B.) : Arabia of the Wahhabis. (300)
Plus (R.) s. j. : La Sainteté catholique. (473)

Politis (Ath. G.) : L'hellénisme et l'Egypte moderne. t. I. (470)
Poschmann (Dr Bernhard): Die abendländische Kirchenbusse im Ausgang des christlichen Altertums. (237)
Prolot (M.) cf. Dolos
Prümmer (Dom M.) o p. : Manuale theologiae moralis secundum principia S. Thomae Aquinatis t. II. (149) — t. III. (718)
Psellos (M.) : Chronographie ou histoire d'un siècle de Byzance. t. II. trad. de E. Renauld. (71)
Puech (Aimé) : Histoire de la Littérature grecque chrétienne. (149)

Rava (M.) : Nel cuore dell'Arabia Felice, con Jacopo Gasparini nella Yemen. (708)
Renard (Edmond) : Renan, les étapes de sa pensée. (473)
Renauld (E.) cf. Psellos (M.)
Rosinthal (J.) : Pendentifs, trompes et stalactites dans l'architecture orientale. (872)
Ross (Sir Denison) : An arabic history of Gujarat. vol. III. (714)
Rutter (Eldon) : The holy cities of Arabia. (390)
Ryo (H. A.) : Students Guide to the Librairies of London. (393)

Sorgi (G.) : Il posto dell'uomo nella natura. (949)
Sharaf (Dr Mohammad) : An english-arabic Dictionary of Medecine, Biology and allied sciences. (474)
Slomkowski (Antoine) : L'état primitif de l'homme dans la tradition de l'Eglise avant Saint Augustin. (286)
Stein (Sir Aurel) : On Alexander's Track to the Indus (871)
Stein (E.) : Geschichte des spätrömischen Reiches. I. Vom Römischen Zum Byzantinischen Staate (284 — 476 n. Chr.) (69)
Streit (Robert) O. M. I. : Les Missions Catholiques, statistiques et graphiques. (234)

Tallquist (Knut) : Himmelsgegenden und Winde; Studia Orientalia. (239)
Thompson (R. C.) and Hutchinson (R. W.) : A Century of Exploration at Niniveh. (791)

Usâmah ibn-Munqidh cf. Hitti

Varthema (Ludovico di) : Itinerario (471)
Vassalo (G.) · L'ortografia maltese. (237)
Vandorheyden (M.) : La Berbérie Orientale sous la dynastie des Beneû-l-Arlab (800 — 909). (873)

فهرس رابع

للمجلات التي ورد ذكرها في باب «مجلة المجلات»

الابحاث (فرنساوية: باريس) : فوش (الاب دونكور) ٢٧٧
أبوليناريس (رومية) : الانتقال من طقس الى آخر ٦٨٦
الإصلاح (مكة) : نصائح للزوجين (محمد حامد الفقي) ١٤٠ — المؤتمر الاسلامي العظيم في الرياض ٢٩٥
الاوبة الجديدة (فرنساوية: باريس) : الجندي الاعمى في جنازة فوش ٢٧٩
الخالدات (نيويرك) : في سبيل الانفاق (الارشيمندريت انطونيوس بشير) ١٢٦
الرابطة الشرقية (مصر) : المجلس الاسلامي الاعلى ١٢٨
الزراعة الحديثة (دمشق) : البقر البلدي المطلوب ٢٩٧ — الطب البيطري (رشاد ريفي) ٦٨٨

الشهاب (الجزائر) : حملة الشهادات من الشبان ١٣٨
صدى الشرق (فرنسية : باريس) : البطريركية الارمنية الكاثوليكية ٢١٥ – الكنيسة القبطية الارثوذكسية ٥٤١
العرفان (صيدا) : ماذا في حضرموت ؟ ٤٥٣
الكلية (بيروت) : أعمار ام خراب (الدكتور ضودج) ٢٩٣
المجلة الجغرافية الانكليزية : الحجاج الى مكة (الدون روتر) ٨٤٧
المجلة السورية (مصر) : صغار الموارنة عند البابا لاون الثالث عشر (الخوري بولس قرألي) ٤٤٩
مجلة السيدات والرجال (مصر) : نظرات في الموسيقى الشرقية ٨٤٩
مجلة الشرق المسيحي (فرنساوية) : بطريركية الرومان وعيد الفصح ٧٧٧
مجلة العالم الاسلامي (اميركية) : الدين في تركية اليوم وغداً ٢١٨
مجلة العالمين (فرنساوية : باريس) : وصية نابوليون ٢٧٥
مجلة المجمع العلمي (دمشق) : اللغة العربية والحروف اللاتينية (عبد القادر حمزة) ٥٥ – الكلمات غير القاموسية ٤٥٢
مجلة المعهد الفرنساوي (فرنساوية : رومية) : احوال المسيحيين على ايام الفتوحات الاسلامية ٢١٧
المجلة الوطنية (بيروت) : عزّ الجبل بنابانه ٢٩٨ – زيادة مواسم الفز ٤٥٥
المرأة (حريصا) : يوبيل الآباء البولسيين ٤٤٩
المعارف (بيروت) : مجمع الروم الارثوذكس ٤٥١
المقتطف (مصر) : احوال الحبشة (توفيق حبيب) ٥٣ – قنبلة في مذهب الماديين ٢٩٤ – الفرد والانسان ٩٣٤
المنار (مصر) : اصلاح الازهر ٥٣ – البُراق ٥٤ – بين السنة والشيعة (محمد رشيد رضا ، السيد عبدالله محمود شكري الآلوسي ، الشيخ محسن الامين العاملي) ٥٦ – النهضة الدينية في اوربة (الامير محمد علي) ٩٣٧
النجم (الموصل) : سقراط (القس سليمان صائغ) ١٣٥ – هل من اعجوبة في انتشار الاسلام ؟ ٢٩٦
نشرة جامعة كونيغسبرغ (المانية) : احوال سورية الحاضرة (ماكس لوهر) ٥٤٠ – الانكليز في مصر والسودان (فرنستينكي) ٧٧٨ – حول الميكى (ماكس لوهر) ٨٤٦
نشرة المدرسة الشرقية في مؤسس لندن (انكليزية) : المغلوطي والانشاء الجديد (جيب) ٦٨٤
النفير (حيفا) : الابنة اللقيطة ١٣٧
الهلال (مصر) : الكنيسة الكاثوليكية والكنائس البروتستانية ٦٨٩ – الاولاد المتشردون في روسية ٩٣٦

فهرس خامس

لجميع موادّ السنة السابعة والعشرين من المشرق

على طريقة حروف المعجم

ا

الابجدية الصائتة والكرشنة ١٨٣–١٨٧
ابراهيم باشا في سورية ٩٣٠–٩٣٥
الابنة اللقيطة ١٣٧
الاتلنتيد ونكبتها ٧٢٧–٧٣٩
الاثار السورية : تصديرها الى مصر ٢٠٥
الادب : تحديده ، وتاريخه وفوائده ٢١–٢٦؛ ضرورة مقابلة الآداب ١٠٦–١١٥؛ توارد الخواطر ٢٠٠–٢٠٤ ؛ ٥٩٣–٦٠٤—حول الادب الجاهلي ٤٣٤–٤٤٣–تأثير الذوق فيه وفي تاريخه ٤٤٣–٤٤٧
الارض : قشرها والانفجارات ٤٨–٥١
الارمنية (البطريركية) الكاثوليكية ٢١٥
الازهر : اصلاحه ٥٣
الاستقلال المدني في الكنائس الشرقية الكاثوليكية ٦٠٩–٦١٤
الاسكندر الكبير في صيدا ٢٣٧–٢٤٣
الاسلام : مجلسهم الاعلى ١٢٨ ؛ مؤتمرهم العظيم في الرياض ٢٩٥ ؛ هل من اعجوبة في انتشاره ؟ ٢٩٦
الاشعة المجهولة : تأثيرها في تنمية النبات ٦٥
افغانستان ١١٩
امالي ألسنية : البارية ليست بفارسية ٨١–٩١ ؛ الابجدية الصائتة والكرشنة ١٨٣–١٨٧ ؛ الحج والرقص ٢٣٠–٢٣٧ ، ٤٠٩–٤١٦؛ اصل كلمة الحواريين ٥٧٥–٥٨٧
الانسان : وحدة نوعه ٣٤٨–٣٥٤؛ قدمه ٤٢٣ ؛ هو والقرد ٩٣٤–٩٣٦
انكلترة : مطبوعاتها في عشر سنوات ٨٥٥
الانكليز في مصر والسودان ٧٧٨
الانكليكان : ايضاحات عنهم ٦٤
الاوتوجير ٢٠٩–٢١٥
اوربة : النهضة الدينية فيها ٩٣٧

ب

البارية ليست بفارسية ٨١–٩١
البترول في سورية ولبنان ١٠٤–١٠٩
البحر الميت : كنوزه ٥٤٩
البُراق ٥٤ ؛ ٨٤٦
البرهان : بحث في صحة نسبة هذا الكتاب ٩١٤–٩٣٠
البروتستانية (الكنائس) والكنيسة الكاثوليكية ٦٨٩
البشر : وحدة نوعهم ٣٤٨–٣٥٤
البطيخ : دُوره في بغداد ودمشق في عهد العباسيين ٧٦١–٧٦٥
البقر البلدي الحلوب ٢٩٧
البلمند (دير) : وصفه وتاريخه ٧٤٨–٧٦١
البوليون (الآباء) : يوبيلهم ٤٤٩
بيروت مدينة الطلبة ٨٥٦
بيوس الحادي عشر : يوبيله الذهبي الكهنوتي

٢٤١-٢٤٨ ؛ ٢٢١-٢٢٠

ت

تبكي بك الفصحى رفيع عمادها (قصيدة) ١٠١-١٠٤
التحريج وفوائده ٤١٦-٤٢٢ ؛ ٥١٧-٥٢٥ ؛ ٢٩٨
تركية الكمالية: احوالها ١١٥ ؛ الدين فيها اليوم وغداً ٢١٨، ٢٠٦ ؛ المسلمون الجدد فيها ٧٠٦ ؛ أزمة صحافتها ٧٠٦ ؛ كيف تمّ الاحصاء فيها في يوم واحد ؟ ٨١٦-٨١٨ ؛ من شروط الزواج فيها ٨٥٥ ؛ يوم التعطيل فيها ٩٣٩
التمييز في المحاضرات: مخطوطة لابن الامير فخر الدين ٨١١-٨١٦
التهذيب وقوته في المار والخراب ٢٩٣
توارد الخواطر بين بعض ادباء العرب وغيرهم من ادباء الاجانب ٢٠٠-٢٠٤ ؛ ٥٩٣-٦٠٤
تورين: كلمته ٢٧٥

ج

جوانئيل: مذكراته ١٦٦-١٧٦ ؛ ٢٦٣-٢٧٣
جيانيني (السيد فريديانو) القاصد الرسولي: يوبيله الفضي ٨٨١-٩٠٠
جيراننا في الشرق الادني ١١٥-١١٩

ح

الحبشة: احوالها ٥٢
الحثيون: منازعتهم المصريين على قادش ٩٠٠-٩٠٩
الحج والرقص ٢٢٠-٢٢٧ ؛ ٤٠٩-٤١٦
الحجّاج الى مكة ٨٤٧
حريصا ! ٤٤٧-٤٤٩
حضرموت: احوالها ٤٥٣
الحواريّون: اصل الكلمة ٥٧٥-٥٨٧
الحياة العقلية في لبنان قبل مئة سنة ٢٧٦-٢٨٣ ، ٢٧٦-٢٨٤
الحياة النسكية في لبنان ٦٥٣-٦٦٣ ؛ ٧٤٤-٧٤٨ ؛ ٨٢١-٨٣٦

خ

خزائن الكتب العربية وخرابها ؟ ٧٣٣-٧٤٤
خمسة ايام على الاقدام ٨٣٦-٨٤٦ ، ٩٣٥-٩٣٤
الخيل: كتابان فيها ١٨٩-١٩٣

د

الدبس (المطران يوسف) تمثاله ٢٨٩
دير مار ضومط ١٩٣-١٩٦
الدين والروح العصري ٧-١٧ ؛ الدين في تركية اليوم وغداً ٢١٨ ، ٢٠٦ ؛ في الولايات المتحدة ٢٢٩ ؛ نهضته في اوربة ٩٣٧

ذ

الذوقان الشخصي والمكتب وتأثيرهما في الادب وتاريخه ٤٤٣-٤٤٧

ر

راحيل: قبرها ٦٢٢-٦٣١
رسالة قديمة من كاتب مطران الروم في اللاذقية الى البابا أكليمنضوس الحادي عشر ١٨٧-١٨٩
رسل المسيح الاثنا عشر ٢٤٣-٢٥٣
الرهبان: وصفهم قبل الف سنة ٦٠٧
روسية: شفاء الاولاد الصغار فيها ٦٤٦-٦٥٣ ؛ ٩٣٦
الروم الارثوذكس: وفاة بطريركهم ٧٩ ؛ مجمعهم ٤٥١
الرومان: بطريركيتهم وعيد الفصح ٧٧٧
الروماني (الشرع) والقضاء الماروني ٦٣١-٦٣٤
الرومانية (المشكلة): تاريخ الخلاف ٢٨٣-٢٨٨ ؛ حلّ الخلاف ٢٥٤-٢٦٠

س
السرطان والملاريا ١٤٧
سرعة الطيارات المائية ٩٣٩
السريان: مؤرخوهم والصليبيون ٩٣٧
السفر الى الكواكب السيارة ١٧٦–١٨٣
سقراط ١٣٥
السنّة والشيعة: المناظرة بينهما ٥٦
السودان: الانكليز فيه وفي مصر ٧٧٨
سورية: احوالها الحاضرة ٥٤٠ — ابراهيم باشا فيها ٩٣٠–٩٣٥ — سورية ولبنان: قدم اسميهما ٤٣٣–٤٣٤
ش
شبلي (المطران بطرس) ٦١٦–٦٣٣
الشتاء: ماذا يخبىء لنا؟ ٩٣٨
شرقي الاردن: احواله ١١٧
الشمس: كُلفها وتأثيرها ٢٢–٣١؛ حياقا وموضا ٨٢٢–٨٣١
الشهادات والشبان ١٣٨
شيخو (المرحوم الاب لويس اليسوعي): على قبره — تعازي المستشرقين ١–٧؛ رثاؤه ١٠١–١٠٤؛ شارع باسمه ٣٨٩
الشيعة والسنة: المناظرة بينهما ٥٦
ص
الصديق: من صفاته ٣٠٧
الصليبيون: النساء الفرنجيات في انطاكية وعزاز في عهدهم ٥٧١–٥٧٥؛ هم ومؤرخو السريان ٩٣٧
صيدا: الاسكندر الكبير فيها ٢٣٧–٢٤٣
ض
ضومط (دير مار) ١٩٢–١٩٦
ط
طاميش (دير سيدة) ٥٠٤–٥١٠؛ ٦٠٤–٦٠٨
الطب في لبنان من مئة سنة ٢٨٨–٢٩٣؛ ٢٦٠–٢٦٦؛ مؤتمره الدولي في مصر ٢٠٤–٢٠٩ — الطب البيطري ٦٨٨
الطقوس الدينية: الانتقال من واحد الى آخر ٦٨٦
الطيارات المائية: تقدمها في السرعة ٩٣٩
ع
العازريّون: تذكارهم المئوي في دمشق ٦٠٨–٦١٦؛ ٧٦٥–٧٧٥
العالم: مجموع سكانه ٧٠٤
العائلة اللبنانية ٤٩١–٤٩٧؛ ٥٨٧–٥٩٣
العراق: احواله ١١٧
العصر والدين ٧–١٧
العقيق: سيلانه ١٤٨
العلويّون: دولتهم واحوالها الحاضرة ٦٦٣–٦٧١
العيش في الارياف ٣٠٧
غ
الغرائب النفسية بازاء الروحانية الزائفة والروحانية الحقة ٤٠١–٤٠٩؛ ٤٩٧–٥٠٤
ف
فرنسة: مطبوعاتها في عشر سنوات ٨٥٥
الفصح وبطريركية الرومان ٧٧٧
فلسطين: احوالها ١١٦؛ احصائيات فيها ٧٠٥
الفلسفة اللغوية: بحث فيها ٦٣٤–٦٤٦
فوش: وفاته وجنازته ٣٧٧–٣٨١
الفاتيكان: حاضرته ٥٤٩؛ اول شخص من رعيته ٧٠٤
ق
قادش: النزاع عليها بين المصريين والحثيين ٩٠٠–٩٠٩
القاشاني الاسلامي القديم ٢٧٣–٢٧٦
القبط الارثوذكس: احوال كنيستهم ٥٤١
القبقاب: اخباره في دمشق ومصر ٨١٨–٨٢٢
القرد والانسان ٩٣٤–٩٣٦

الفز : زيادة مواسمها ٤٥٥
قس بن ساعدة : ماذا نعرف عنه ؟ ٥١٠–٥١٧
القضاء المماروني وعلاقته بالشرع الروماني ٦٢١–٦٢٤
القيرواني (سمعان) ام الكبريني ٩١–٩٦

ك

كاتن (المرحوم الاب لوسيان اليسوعي) : ترجمة حياته ٥٢٥–٥٢٧ ؛ قلبه ٥٢٧–٥٤٠
الكتب العربية وخراب خزائنها ٧٣٩–٧٤٤
الكلاب : حيلها في النجاة من التماسيح ٣٠٦
كُلف الشمس وتأثيرها ٢٢–٣١
الكلمات غير القاموسية ٤٥٢
الكنائس : في سبيل اتفاقها ١٢٦
الكنائس الشرقية الكاثوليكية : استقلالها المدني ٩٠٩–٩١٤
الكنيسة الكاثوليكية والكنائس البروتستانية ٦٨٩
الكواكب السيارة والسفر اليها ١٧٦–١٨٣
الكونغو البلجيكي : التقدم الاقتصادي فيه ٧٠٧
كوينو (لوسيان) : خطابه في القلق عدًا وراء الطبيعة ١٢٩–١٣٥

ل

لا جديد تحت الشمس ٢٨٩
لبنان : الحياة العقلية فيه قبل مئة سنة ٢٧٦–٢٨٢ ؛ ٢٧٦–٢٨٤ — الطب فيه من مئة سنة ٢٨٨–٢٩٣ ؛ ٢٦٠–٢٦٦ ؛ العائلة اللبنانية ٤٩١–٤٩٧ ؛ ٥٨٧–٥٩٣ ؛ الحياة الفكية فيه ٦٥٣–٦٦٣ ؛ ٧٤٤–٧٤٨ ؛ ٨٣١–٨٣٦ ؛ رحلة في جهاته الشمالية والشرقية ٨٣٦–٨٤٦ ؛ ٩٣٥–٩٣٤ — لبنان وسورية : قدم اسميهما ٤٣٣–٤٣٤
اللغة العربية : والحروف اللاتينية ٥٥ ؛ الكلمات غير القاموسية فيها ٤٥٢ ؛ بحث في فلسفتها ٦٣٤–٦٤٦
لماذا ؟ : رواية لبنانية تاريخية ٥٨–٦٤ ؛ ١٤١–١٤٧ ؛ ٢٢٠–٢٢٩ ؛ ٢٩٩–٣٠٥ ؛ ٣٨١–٣٨٧ ؛ ٤٥٦–٤٦٦ ؛ ٥٤٣–٥٤٩ ؛ ٦٩٣–٧٠٤ ؛ ٧٨٣–٧٩١ ؛ ٨٥٧–٨٦٩ ؛ ٩٤٠–٩٤٧

م

الماديون : قبلة في مذهبهم ٣٩٤
ما وراء الطبيعة : القلق عنه ١٢٩–١٣٥ ؛ والطبيعة وهل من نزاع بينهما ٧٣١–٧٣٧
المبكى ٥٤ ؛ ٨٤٦
المجمع العلمي اللبناني ١٤٧
المحظورات الداخلية في مناطق الانتداب سنة ١٩٢٧ ٢٨٧–٢٨٩ ؛ ٤٦٦–٤٦٨
مخطوطة لابن الامير فخر الدين ٨١١–٨١٦
مرقس صاحب الانجيل الثاني ٥٦١–٥٧١
المسيح : رسله الاثنا عشر ٢٤٢–٢٥٣ ؛ نفوذه في حياتنا الادبية ٤٨١–٤٩١ ؛ نفوذه في حياتنا الاجتماعية ٨٠١–٨١١
المسيحيون : احوالهم على ايام الفتوحات الاسلامية ٢١٧
مشنقة (اقدم) ٢٣٠
مصر : احوالها ١١٧ ؛ المؤتمر الطبي الدولي فيها ٢٠٤–٢٠٩ ؛ تصدير الاثمار السورية اليها ٣٠٥ ؛ الانكليز فيها وفي السودان ٧٧٨
المصريون : منازعتهم المثنيين على قادش ٩٠٠–٩٠٩
المطبوعات في فرنسة وانكلترة والولايات المتحدة في عشر سنوات ٨٥٥
المطعم الطيار ٢٥٣–٢٥٤
مكة : صوت منها ١٤٠ ؛ وصف حديث لها ٢٥٤–٢٦٣ ؛ الحجاج اليها ٨٤٧
الملاريا والسرطان ١٤٧

المنطق الحديث ١٦١–١٦٦
المنفلوطي والانشاء الجديد ٦٨٤
الموارنة : صنارهم عند البابا لاون الثالث عشر ٤٤٩
موت العصافير : اقتراح على الشعراء ٢٠٨ ؛ جوابه ٧٧٥
الموسيقى الشرقية ١٧–٢٢ ؛ ٩٦–١٠١ ؛ ١٩٦–٢٠٠ ؛ نظرات فيها ٨٤٩–٨٥٣

ن

نابوليون : ضريحه ووصيته ٣٧٤
ناطحة سحاب ١٤٨
النساء الفرنجيات في انطاكية وعزاز في عهد الصليبيين ٥٧١–٥٧٥
النهضة الدينية في اوربة ٩٣٧
نور الفؤاد (قصيدة) ٧

هـ

هل من نزاع بين علمَي الطبيعة وما وراءها ؟ ٧٢٧–٧٣١
الهواء مصدر القوّة ٤٠–٤٨ ؛ ١١٩–١٢٩

و

وحدة النوع البشري ٢٤٨–٢٥٤
الولايات المتحدة : رئيسها الجديد ٣٦–٤٠ ؛ الديانات فيها ٢٢٩ ؛ مطبوعاتها في عشر سنوات ٨٥٥

ي

يكن (ولي الدين) درس شخصيته ٦٧١–٦٨٤

AL - MACHRIQ

Revue Catholique Orientale Mensuelle

SCIENCES—LETTRES—ARTS

Sous la direction des Pères de la Cie de Jésus

UNIVERSITÉ St JOSEPH

Vingt septième année

1929

BEYROUTH

Imprimerie Catholique

1929

TABLES DES SOMMAIRES
XXVIIe ANNÉE 1929

JANVIER

Sur la tombe du Père Cheikho (p. 1): *La rédaction.*
La lumière du Cœur, *poésie* (*illustré*): *Mr Joseph Ghossoub.*
La religion et l'esprit contemporain (p. 7): *P. Murmurdji O.P.*
La musique orientale: I (p. 17) *Mr Wadia Sabra.*
Les taches solaires et les phénomènes atmosphériques (*illustré*) (p. 22): *P. Salhani S. J.*
Notes de Littérature comparée : I (p. 31) : *Mr F.-E. Boustany.*
Le nouveau président des Etats-Unis (p. 36): *P. Lammens S. J.*
Le vent, source d'énergie. (*illustré*) : I (p. 40): *Mr Antoine Baz.*
La croûte terrestre et les éruptions volcaniques (p. 48): *Abbé A.-Zahr.*
Revue des Revues : En Abyssinie — La réforme d'Al-Azhar — Le mur des Lamentations — La Langue arabe et l'alphabet latin — Entre Sonnites et Chi'ites (p. 52): P. F. Taoutel S. J.
Pourquoi ? , roman historique libanais : V (p. 58) : *Mr F.-E. Boustany.*
Varia : Chez les Anglicans — L'influence des Rayons X sur la croissance des végétaux. (p. 64)
Bibliographie (p. 66)
Ephémérides du mois (p. 79)

FÉVRIER

Notes de philologie comparative: I (p. 81) : *P. Murmurdji O. P.*
A propos de Simon le Cyrénéen (p. 91) : *P. Salhani S. J.*
La musique orientale : II (p. 96) : *Mr Wadia Sabra.*
In Memoriam (*élégie*) (p. 101) : *Mr Abdallah R. Kheir.*
Le pétrole en Syrie et au Liban (p. 104) : *P. F. Taoutel S. J.*
Notes de Litérature comparée : II (p. 109) : *Mr F.-E. Boustany.*

Chez nos voisins du Proche-Orient (p. 115) : *P. Lammens S. J.*

Le vent, source d'energie. (*illustré*) : II (p. 119) : *Mr Antoine Baz.*

Les idées de Mr Lucien Cuénot sur l'inquiétude métaphysique. (p. 129) : *F. E. B.*

Revue des Revues : Socrate — A propos de l'union — L'enfant trouvé — Les jeunes diplômés — Le conseil islamique supérieur — Une voix de la Mecque (p. 138) : F. T.

Pourquoi ?, roman historique libanais : VI (p. 141) : *Mr F. E. Boustany.*

Varia : Une initiative de l'Academie libanaise — La malaria, remède du cancer. — Un gratte-ciel — La pluie au Hedjaz. (p. 147)

Bibliographie (p. 149)

Ephémérides du mois (p. 159)

MARS

La Logique moderne (p. 161) : *P. Ch. Abéla S. J.*

Les Mémoires de Joinville (*illustré*) : I (p. 166) : *Mr Michel Kemeïd.*

Communication avec les planètes (p. 176) : *Abbé A.-M. Zahr*

Notes de philologie comparative : II, Alphabet vocalique et translittération (p. 183) : *P. Marmardji O. P.*

Lettre au Pape Clément XI (p. 187) : *P. C. Bacha B. S.*

Les chevaux chez les anciens Arabes (p. 189) : *P. Salhani S. J.*

Une excursion dans le Kisrawan : Le Couvent Mar Doumit, Faïtroun (fin) (p. 192) : *P. Ant. Chibli O. S. A.*

La musique orientale : III (p. 196) *Mr Wadia Sabra*

Notes de Littérature comparée : III Coïncidence d'inspiration (p. 200) *Mr F.-E. Boustany.*

Le congrès international de médecine au Caire (illustré). (p. 204) : *P. de Vregille S. J.*

L'autogyre (illustré) (p. 209) : *P. J. Vernet S. J.*

Revue des Revues : Le Patriarcat arménien catholique — Le Christianisme à l'époque des conquêtes musulmanes — La Religion en Turquie, aujourd'hui et demain. (p. 215) F. T.

Pourquoi ? , roman historique libanais : VII (p. 220) *Mr F.-E. stany.*

Varia : Statistique religieuse des Etats-Unis — La plus ancienne potonco (illustré) , (p. 229)

Bibliographie (p. 231)

Ephémerides du mois (p. 240) ·

AVRIL

Le Jubilé sacerdotal de Pie XI (illustré) : I (p. 241) : *Abbée P. aleb.*

L'unité de la race humaine (p. 248): *Abbé A.-M. Zahr.*

La Mecque contemporaine (illustré) (p. 354): *P. Lammens S. J.*

Les Mémoires de Joinville : II (p. 263): *Mr Michel Kemeïd.*

L'Ancienne céramique musulmane (illustré) (p. 273) : *P. F. utel S. J.*

La vie intellectuelle au Liban, il y a cent ans : I (p. 276) : *Mr E. Boustany.*

La Question romaine : I, historique du conflit (p. 282) : *P. mens S. J.*

Notre médecine, il y a cent ans : I (p. 288) : *Dr A. Gemayel.*

Revue des Revues : L'enseignement et le progrès. — Coup droit aux matérialistes. — Le congrès musulman de Ryâd. — L'expansion musulmane et ses causes. — La vache laitière de Syrie. — Le relèvement du Liban. (p. 293) : F. T.

Pourquoi ? roman historique libanais : VIII (p. 299) : *Mr F.-E. stany.*

Varia : L'importation en Egypte des fruits syriens. — La religion en Turquie, aujourd'hui et demain. — Ruses de chien. — Vivons à la campagne ! — Le véritable ami. — La mort des Oiseaux (p. 305)

Bibliographie (p. 309)

Ephémérides du mois (p. 320)

MAI

Le Jubilé sacerdotal de Pie XI : II (p. 321) : *Abbé P. Ghaleb.*

Notes de philologie comparative: III, Le pèlerinage et la danse :

I (p. 330) *P. Marmardji O. P.*

Alexandre le Grand à Sidon (illustré), (p. 337) : *Emir M. Chéhab.*

Les XII Apôtres (p. 343): *P. A. Salhani S. J.*

L'avion-restaurant (illustré) (p. 352) : *F. E. B.*

La Question romaine : II; solution du conflit (p. 354) : *P. Lammens S. J.*

Notre médecine, il y a cent ans : II (p. 360) : *Dr A. Gemayel.*

La vie intellectuelle au Liban, il y a cent ans : II (p. 366) : *Mr F.-E. Boustany.*

Revue des Revues : Aux Invalides : Napoléon — Turenne — Foch. (illustré) (p. 374) : P. F. Taoutel S. J.

Pourquoi ?, roman historique libanais : IX (p. 381) : *Mr F.-E. Boustany.*

Varia : Les productions des pays sous mandat en 1927 : Céréales, Coton — La rue Père Choikho — Un monument à Mgr. Doba — Rien de nouveau sous le soleil (p. 387).

Bibliographie : (p. 390).

Ephémérides du mois (p. 399).

JUIN

Problèmes psychologiques: spiritisme et spiritualisme: I (p. 401) *P. Ch. Abela S. J.*

Notes de philologie comparative: III, Le pèlerinage et la danse : II (p. 409) *P. Marmardji O. P.*

Le reboisement : I (illustré) (p. 416) : *Mr A. Baz*

Antiquité de la race humaine (p. 422) : *Abbé A.-M. Zahr*

Syrie et Liban, ancienneté de leur nom (p. 432) : *P. Lammens S. J.*

A propos de Littérature préislamique (p. 434) : *Mr F.-E. Boustany.*

Goût personnel et goût acquis (p. 443) : *Mr M. A. Ghamrawi*

Harissa I (p. 447) : *Mr J. Ghossoub.*

Revue des Revues : le Jubilé des Pères Paulistes — Une audience au Vatican sous Léon XIII. — Le synode des Grecs Orthodoxes. — mots arabes inconnus aux diction-

neires. — Dans le Hadramaut. — pour favoriser la sériciculture (p. 44 ') : P. F. Taoutel S. J.
ourquoi ?, roman historique libanais : X (p. 456) : *Mr F.-E. any.*
'aria : Les productions des pays sous mandat en 1927 : Soie, Tabac, Laine, Peaux, Olives, Fruits. — Solutions de droit canonique (p. 466).
ibliographie (p. 470).
phémérides du mois (p. 479).

JUILLET

'influence du Christ sur notre vie morale (p. 481) : *P. Mar-ji O. P.*
a famille libanaise : I (p. 491) : *Cheikh Salim Dahdah.*
'roblèmes psychologiques : spiritisme et spiritualisme : II (p. *P. Ch. Abela S. J.*
e couvent de N. D. de Tâmich : I (p. 504) : *P. Ant. Chibli O.*
e que nous savons sur Qoss ibn Sâ'ida . (p. 510) : *Mr Michel S. id.*
e reboisement : II (illustré) (p. 517) : *Mr A. Baz.*
e Père Lucien Cattin (1851-1929) (illustré) (p. 525) : *Abbé P. b.*
e Cœur du Père Cattin. (illustré. p. 537) : *Mr F.-E. Boustany*
Revue des Revues : La Syrie actuelle.—l'Eglise copte orthodoxe. (p. 540) : P. F. Taoutel S. J.
ourquoi ?, roman historique libanais : XI (p. 543) : *Mr F.-E. any.*
'aria : La cité du Vatican, (illustré) — Les trésors de la Mer morte. (p. 549)
iblipgraphie : (p. 551)
phémérides du mois. (p. 560)

AOUT - SEPTEMBRE

t Marc, auteur du second Évangile. (p. 561) : *P. Salhani S. J.*

La Société féminine à Antioche sous les Croisés (p. 571) : *Mr Habib Zayat.*

Notes de philologie comparée : IV, Origine du mot « Ḥawâryyoun ». (p. 575) : *P. Marmardji O. P.*

La famille libanaise : II (p. 587) : *Cheikh S. Dahdah.*

Notes de Littérature comparée: IV, Coïncidence d'inspiration. (p. 593) : *Mr F.-E. Boustany*

Le couvent de N. D. de Tamich: II (p. 604) : *P. A. Chibli O.S.A.*

Le centenaire des Lazaristes à Damas : I (p. 608) : *P. M. Tabet O. S.A.*

Une belle figure épiscopale : Mgr. Pierre Chibli (1871-1917), (illustré). (p. 616) : *P. Lammens S. J.*

Le tombeau de Rachel (p. 622) : *Abbé A-M. Zahr.*

Droit maronite et droit romain. (p. 631) : *Abbé L. Khazen.*

Notes de linguistique arabe (p. 634) : *Abbé P. Boustany.*

L'Enfer des enfants dans la Russie Soviétique. (p. 646) : *P. F. Taoutel S. J.*

La vie érémitique au Liban : I (p. 653) : *Abbé P. Ghaleb.*

L'Etat des Alaouites, (illustré). (p. 662) : *P. Lammens S. J.*

Une personnalité marquante : Waly ed-Din Yeghen (1873 - 1921). (p. 671) : *Mr F.-E. Boustany.*

Revue des Revues : Al-Manfalouṭi et le style moderne — Le changement de rite. — l'art vétérinaire en Syrie. — L'Eglise catholique et les Eglises protestantes. (p. 684) : P. F. Taoutel S.J.

Pourquoi ?. roman historique libanais: XII. (p. 692) : *Mr F.-E. Boustany.*

Varia : Le premier citoyen de l'Etat du Vatican. — La population totale de l'univers. — Statistiques palestiniennes. — Les nouveaux Musulmans en Turquie Kémaliste. — Crise dans la presse turque. — Progrès économiques au Congo belge. (p. 704).

Bibliographie (p. 708).

Ephémérides du mois (p. 719).

OCTOBRE

Le prétendu Conflit entre la Science et la Métaphysique. (p.

721) : *P. Ch. Abela S. J.*

Le problème de l'Atlantide. (p. 727) : *Abbé A.-M. Zahr.*

La destruction des Bibliothèques arabes. (p. 739) : *P. Lammens S. J.*

La vie érémitique au Liban : II (p. 744) : *Abbé P. Ghaleb.*

L'abbaye de Belmont, (illustré). (p. 748) : *P. F. Taoutel S. J.*

Les palais de la Pastèque à Damas et à Baghdad sous les Abbassides. (p. 761) : *Mr Habib Zayat.*

Le centenaire des Lazaristes à Damas : II (p. 765) : *P. M. Tabet O. S. A.*

La mort des Oiseaux, poésies (p. 775) : *MM. Halim Dammous, Edouard Boustany, Joseph Ghossoub.*

Revue des Revues : La date pascale chez les Romains — Les Anglais en Egypte et au Soudan (p. 777) : F. T.

Pourquoi ? , roman historique libanais : XIII (p. 782) : *Mr F.-E. Boustany.*

Bibliographie (p. 791).

Ephémérides du mois (p. 799).

— NOVEMBRE —

L'influence du Christ sur notre vie sociale. (p. 801) : *P. Marmardji O. P.*

Un manuscrit du fils de Fakhreddine. (p. 811) : *Mr Issa I. Maouf.*

Comment a été fait le recensement dans la Turquie kémaliste ? (p. 816) : *P. Lammens S. J.*

Anthologie littéraire sur l'industrie des « Qabqâbs ». (p. 818) : *Mr Habib Zayat.*

La vie et la mort du soleil.(illustré)(p 822) : *Abbé A.-M. Zahr.*

La vie érémitique au Liban : III (p. 831) : *Abbé P. Ghaleb.*

Cinq jours à pied à travers le Liban : I (p. 836) : *Mr F.-E. Boustany.*

Revue des Revues : Autour du mur des Lamentations. — Les pèlerins à la Mecque. — A propos de musique orientale (p. 845) : P. F. Taoutel S. J,

Varia : Invasions des automobiles ! — Encore les Automobiles ! — Com-

mont on se marie dans la Turquie kémaliste ! — Le mouvement de la Librairie en France, en Angleterre et aux Etats-Unis, dans les 10 dernières années. — Beyrouth, ville universitaire. (p. 853)

Pourquoi ?, roman historique libanais : XIV (p. 857) : *Mr F.-E. Boustany.*

Bibliographie : (p. 869),

Ephémérides du mois (p. 880).

DÉCEMBRE

Le Jubilé de S. E. Mgr Giannini (p. 881) : *Abbé P. Ghaleb.*

La bataille de Qâdich (illustré) (p. 900) : *Emir M. Chéhab.*

L'émancipation civile des Eglises Orientales Catholiques : I (p. 909) : *Abbé P. Raphaël.*

Le Kitâb al-Burhân n'est pas de St Athanase. (p. 914) : *P. F. Taoutel S.J.*

Ibrahim Pacha en Syrie (p. 920) : *P. Lammens S. J.*

Cinq jours à pied à travers le Liban (illustré) : II (p. 925) : *Mr F.-E. Boustany.*

Revue des Revues: Encore l'homme et le singe. — Les enfants délaissés en Russie. — La renaissance religieuse en Europe (p. 934) : P. F. Taoutel S. J.

Varia : Les Croisés et les historiens syriaques. — que nous réserve l'hiver ? — Le jour de chômage dans la Turquie kémaliste. — Le record de vitesse atteint par les hydravions. (p. 937)

Pourquoi ?, roman historique libanais : XV (fin) (p. 940) : *Mr F.-E. Boustany.*

Bibliographie : (p. 947)

Ephémérides du mois : (p. 958)

المشرق

مجلة كاثوليكية شرقية

تبحث في العلم والادب والفن

تصدر مرة في الشهر في ثمانين صفحة كبيرة، بتصاوير ورسوم عند اللزوم

بادارة آباء كلية القديس يوسف

السنة الثامنة والعشرون

١٩٣٠

AL-MACHRIQ

REVUE CATHOLIQUE ORIENTALE MENSUELLE

Sciences — Lettres — Arts.

SOUS LA DIRECTION DES PÈRES DE L'UNIVERSITÉ ST.-JOSEPH

VINGT-HUITIÈME ANNÉE

1930

IMPRIMERIE CATHOLIQUE

BEYROUTH

1930

المشرق

كانون الثاني ١٩٣٠

نفسيّة السلطة الشخصيّة

لمعٌ انتقاديّة في كتابين حديثين[1]

بقلم الاب شرل ايلا اليسوعي

يقول القديس بولس الرسول (رومية ١٣) : «لا سلطان الّا من الله . والسلاطين الكائنة انما رتبها الله . فمن يقاوم السلطان فانما يعاند ترتيب الله والمعاندون يجلبون دينونةً على انفسهم ... لذلك يلزمكم الخضوع للسلطان لا من اجل الغضب فقط بل من اجل الضمير ايضاً .»

وقول الرسول هذا يؤيد ما اقرّته الفلسفة الادبية الصادقة من انّ الله ذاته ، الذي خلق ونظّم المجتمع البشري ورتّبَ فيه الجماعات الروحية

(١ **L'Abbé Jean Toulemonde**, *Licencié ès-Sciences, Docteur ès-Lettres, Professeur de Psychologie appliquée à l'Université Catholique de Lille*,

1° L'Art de commander, Psychologie de l'Autorité personnelle; *in*-8°; *VIII* — 321*pp.* ;

2° Pour avoir de l'autorité; *in*-8°, 129*pp. Blond et Gay, Paris.*

والزمنية ، الجزئية منها والكاملة ، هو ايضاً مصدر كل سلطة شرعية في الكنيسة والعائلة والحكومة . فهو ، عزّ وجلّ ، يخوّل الرئيس سلطته ويُلزم ضمير المرؤوس بطاعته.

على انّ واقع الحال هو غالباً بخلاف الترتيب الموصوف . ومن ثمّ تلك الفوضى التي تضرب اطنابها من حين الى آخر في العيال وفي الدول ، بل في معاهد التعليم والتربية ذاتها . والسبب ليس فقط ميل الانسان الغريزي الى الاستقلال ، وانتشار روح الحريّة الزائفة ، ولاسيما في عصرنا هذا ، بل هو غالباً نقصٌ جسيم في الرئيس عينه . فلكم من ابرٍ اضحى العوبةً بين ايدي ابنائه فهو المطيع الراضخ ، وهم الآمرون والناهون المستبدّون . وكم من عروش دكّت الثوراتُ اركانها ، فذهبت بصولة الملوك ، وادّت بالشعوب الى دركات الخراب . وكم من تلميذٍ يضيع على مقاعد المدارس ايام صباه ودراهم اهله ، لانه لم يجد يداً قويةً تلجم اهواءه وترشده الى العلم والادب.

وقُصارى القول ليس كلُّ من قُلّد السلطة ، وان شرعيّةً ، يصلُحُ لها . بل قد تتوفّر في المرء المواهب الطبيعيّة اللازمة للعمل بها ، وبالرغم من هذا تراه لا يتمكّن منها ولا يتوفّق الى الحصول على الخضوع لاوامره ، امّا لاهماله ، وامّا لقلّة ما يتروّى في كيفية سيره وسياسته ، وامّا لغير اسباب.

ترى ما السرّ في هذا ؟ ما السرّ في كون نابوليون مثلاً يبدي اشارة فتندفع الالوف من جنوده الى ساحات الموت ، ولا يتردّدون ، بل لا يسألونه سبب امره ؛ ولويس السادس عشر تنتقض عليه بلاده فتخلعه عن العرش وتحكم عليه بالاعدام كانه مجرم لا ملك ؟ وما السرّ في السطوة التي لزيد على تلاميذه تراهم جميعاً يجلّونه ويستفيدون من تعليمه وتثقيفه . فيكاد يقضي العام بتمامه استاذاً عليهم ولا يفرض على واحدٍ منهم قصاصاً . بينا تراهم هم اعينهم ، في السنة المدرسية ذاتها وفي المعهد نفسه ، اذا انتقلوا الى الردهة التي يُلقي فيها عليهم عمرٌو درساً آخر ، فهم فيها كأنهم في « حمّام انقطع ماؤه » . فثمّة الضجة والجلبة والهرج والمرج . وما من سامع ولا من رادع ، وما من مفيد ولا مستفيد . وكأنّ عمراً « ناطور صحراء » ليس الّا ؟ وبعبارة اخرى من اين

لواحد الحمول والوهن وللآخر السطوة والقدرة ؟ وان كان ترتيب الخالق يخوّل حامل السلطة الحقّ ان يُلزم مرؤوسه بالطاعة ، فايّ المزايا فيه تُحقّق هـذا الترتيب فعلًا ؟ وايّها تُكسبهُ الهيبة ؟ وايّ السبل تؤدي به الى تنفيذ رغائبه ؟

تلك مشكلة لا يخفى ما لحلها من الخطورة لما يترتب عليه من الفوائد ، ليس النظرية فحسب بل العملية ايضاً ، للافراد والعيال وارباب التربية والتعليم، وبوجه العموم لكل من وكل الله اليهم ارشاد غيرهم على نوع من الانواع.

وقد عالج هذا الموضوع الاب يوحنا تولموند في مجلّدين نفيسين اهدى الى مجلتنا نسخةً من كليهما . فرأينا ان نلخصهما للقرّاء الكرام.ولحضرته شهرة وخبرة في النفسيّات.وقد سبق له ، في الامراض العصبية ، من حيث علاقاتها بالعوامل المعنوية ، مؤلّفان كان الاقبال عليهما عظيماً.ولم يعمد الى تدوين الذي نحن في صدده الا بعد الاختبار الطويل والمطالعات العديدة . فانه قضى عشرين سنة في التدريس ، وكان ضابطـاً في الحرب الكبرى ، واستطلع آراء نحو خمسين مؤلّفاً كتبوا في موضوعه ، بل قُلْ في ما له صلةٌ به . لانه قلّ من طرق باب هذا البحث غيره من قبله.

ولذلك تراه لا يُقرّ مبدأ او يبسط قاعدة للعمل الّا بنى مزاعمه على وقائع تثبتها بذاته او اثبتها غيره من الثقات.وبالرغم من كثرة موادّ المؤلّف لا يعتريه الغموض ، اللهمّ فيما غلب ، وقـد جاء الكتاب منظّماً منسّقاً تلذ قراءتـه ، لوضوح معانيه ورشاقة عبارته وما حوى من مُلَح اشهر الكتّاب.

امّا المجلّد الاول فعنوانه «فنّ الإمارة»(L'art de commander) واقسامه ثلاثة : ١) ضروب السطوة الجزئية — ٢) ماهية السطوة الكاملة ، كما قبآن خصوصاً من وقعها في المرؤوس — ٣) نفسية المرء ذي السطوة ، اي ماهيـة السطوة الكاملة من حيث يُستدلّ عليها من صاحبها.

وعنوان المجلّد الآخر هو « السبيل الى اكتساب السطوة » (Pour avoir de l'autorité) فالموضوع في الاثنين واحد. غير انّ الثاني هو شرح اوسع واوفى للاصول التي وردت ملخصةً في القسم الثاني من «فن الامارة». فلا حاجة اذاً الى وصف كل مجلدٍ على حدة بل حسبنا الكلام عن كليهما معاً.

١

ضروب السطوة الجزئية

من دأب الاب تولموند ان يستطلع اولاً الجزئيات توصلاً الى معرفة الكليات شأنَ كلٌّ من بحث في العلوم الاختبارية . « فكما ان درس الجنين وما آل من الكائنات الحية الى التلف ، يرشد الى معرفتها في اطوارها القانونية ، كذلك النظر الى السطوة في احوالها الجزئية من شأنه ان ينير الباحث فيراها في حالتها الكاملة بمظهر جديد.» (١ : ٧)

والمراد هنا بالسطوة الجزئية تلك التي لا يملك صاحبها الّا بعضاً من المقدرات التي تمكّنهُ من ارادة مرؤوسيه وتُنيلـه خضوعهم . وتتنوع ضروب السطوة الجزئية على حسب اختلاف المقدرات المذكورة . ومن اثبات هذه :

١ً الوظيفة — لا ريب انها ، من ذاتها ، تخوّل متقلدها على مَن ولّتهُ امرهم ، ليس حقّ الامارة الشرعي فقط ، بل تفوقاً فعلياً ، له تأثيره فيهم فيميل بهم الى الخضوع ، ما لم يفقد المتخنف ، عاجلاً ام آجلاً ، تفوّقه هذا بقلّة دربته ، كما سبق لنا القول . والسطوة الجزئية من هذا القبيل تُدعى سطوة الوظيفة (Autorité-fonction)

٢ً الاستمالة بالافتتان — « من البشر من لهم بين بني جنسهم نفوذٌ يبلغ حدّ الإفتتان ، فقد يُعجَب الناس بهم بدون ان يروهم ، وينهمون في التقاط اقوالهم . بل قد يشتدّ في الجموع الولع بهم حتى تتهافت مزدحمةً عليهم كيما تشدو بمديحهم وتتمتع برؤياهم . فكأني بهم قد جاوزوا حدودَ محيطهم فارتفعوا فوق المجتمع البشري ، بين الله والناس ، ممّا حمل الاقدمين على تسميتهم انصاف آلهة.» (١ : ٥٥)

وامثال هؤلاء في التاريخ القديم والحديث قليلون بالنسبة الى من لم يبلغوا شأوهم . غير ان عددهم في حدّ ذاته لا يستهان به . فمنهم العالم المكتشف كپاستور ، والفيلسوف المفكر كافلاطون وتوما اللاهوتي ، والزعيم السياسي كرغلول ، والقائد النابغة الفاتح كنابوليون ، والقديس ذو الفضيلة الشاء كفرنسيس

الاسيقي ، والمرسل النجابة مثل كسفاريوس رسول المقدس . هؤلاء ومن نحوا نحوهم انما فازوا بحظوتهم ، وسحروا العقول بعبقريتهم . والقلوب بسياستهم او فضيلتهم اكثر منهم بما تقلدوا من السلطة . بل منهم من رفضها كلما ابتدرت اليه . ومع ذلك ابى بنو جنسهم الا ان يعملوا برأيهم وينقادوا الى نصائحهم ، حتى بعد موتهم ، بل قل لاسيما بعد موتهم . والسطوة الجزئية من هذا القبيل تدعى « السطوة بالافتتان » (Autorité-fascination)

٣ـ روح التسلط — « امامك جمهور من الصبيان . هم اقران متساوون في العمر والمنزلة الاجتماعية والملبوس كما وبالجهل ايضاً . منهم واحد هو زعيمهم ، لم يسلطه احد وانما هو سلّط نفسه من نفسه ، اذ استلم الإمارة ولا معارض . فهو يخطب وكل يصغي ، وان ناقضه احد انتهره وسدّ فاه . فهو ينظّم الالعاب ويحلّ ويربط في الرفقة ولا يقبل حكمه استئنافاً . يأمر فيطاع . » (١ : ٦٨)

ومصدر السطوة هنا انما هو « روح التسلط » ، وسيأتيك الكلام عنه في القسم الثالث . والسطوة الجزئية من قبيله تدعى « السطوة بين الاقران » (L'autorité entre égaux).

ولا حاجة الى التنبيه انّ التسلط من النوع المذكور لا ينطبق دائماً على المبادئ الادبية الصحيحة . ولا بد له كيما يكون حلالاً ، من قيود وشروط ، منها ان يكون المتسلّط مزداناً ، فعلاً لا وهماً ، بصفات سامية في نوعها ، وأن لا يتعدّى حقوق ذوي السلطة الشرعية .

على ان روح التسلّط هذا ، وان جاوز حدودَ الحلال ، فلا بأس على المفكر من تحليله علمياً ، علّه يستنتج من البحث فيه قواعد عملية ، يسير عليها الرئيس الشرعيّ ، اللهمّ فيما لا يحبّه الضمير المستقيم . وهذا ما اتاه الاب تولموند اذ وضع في هذا الباب اصولاً اليك اهمها :

« من كان دأبه الحزم في استعمال سلطته فهوَ يُعزّزها . وعليه فان اهمل او خشي الرئيس ، ذو الحقّ الاكيد بالإمارة ، ان يعمل بسلطته . فلا يلبث حقّه هذا ان يتلاشى فعلاً . » (١ : ٩٤)

(للبحث صلة)

بدائع التلفون

بقلم انطوان باز
المهندس من المكتب الافرنسي في بيروت ،
ومن مدرسة الكهرباء العليا في باريس .

توطئة

لقد اخترع الآلة المعروفة « بالتلفون » الاميركي گراهام بل ، سنة ١٨٧٦ ، ولم يزل هذا الفن في تقدّم حتى صار الى ما هو عليه اليوم . وهل نبالغ اذا قلنا ان التلفون اصبح من ضروريات الحضارة ؟ فقد كاد لا يُستغنى عنه في التجارة والمعاملات الادارية حتى وفي البيوت ! كيف لا وهو صلةٌ حيّة بين البعيد والقريب تقضي به حاجاتك دون ما تعب ولا عناء .

ولا يقدّر منافع التلفون الّا مَن جال في مدن الغرب ، فراعه ازدحام الناس وما يجده المرء فيها من الصعوبة — رغم وسائط الجرّ — في التنقّل من مكان الى مكان . فكم من مهام يمكنه قضاءها بواسطة التلفون بأن يدخل احدى دوائر البرق والبريد ويطلب مخابرة من يشاء ، لقاء ثلاثة او اربعة غروش يدفعها الى المستخدمة . واذا كان بعيداً عن كل مركز بريدي فما له الّا ان يدخل احدى القهاوي او الحوانيت وقد وضعت فيها آلة تلفونية فيقضي بها حاجته .

وقد جاؤوا اليوم بالغرف التلفونية العمومية وهي كناية عن اكواخ صغيرة ، خالية من كل موظّف ، اقيمت في بعض انحاء البلدة ، خصوصاً قرب اوساط الازدحام كمحطات القطار والمترو بوليتان ، والمراسح والملاهي . تدخل تلك البناية الصغيرة ، وقد كُتب على بابها من الخارج ، باحرف من نور ، « غرفة

تلفونية » فتأخذ بالآلة وتطلب من الوسط التلفوني اي « السنترال » من تريد ، بعد ان تكون قد جعلت في الآلة الرسم المعلوم . فكأن سقوط النقد المعدني هو الذي يصلك « بالوسط » فتخاطبه . ويشعر بمنافع التلفون كثيرو الاشغال ، اذا اضطرهم الحال الى زيارة احد . فبدلاً من ان يقصدوه رأساً ، غير واثقين بوجوده في مركزه ، سألوا عنه وطلبوا منه موعداً للمقابلة فوفروا من وقتهم الثمين.

. . .

وانّ ما جرّنا الى تسطير هذه المقالة على صفحات المشرق الاغر هو تطوّر التلفون ، في هذه السنين الاخيرة ، باختراع « الاوتوماتيك » وما كتبت عن استخدامه جرائد الغرب ، وما لهجت بذكره جرائدنا ، لاشهر خلت ، بمناسبة ادخال هذه الآلة الجديدة ارض لبنان بفضل معهدين شريفين : معهد كلية الآباء اليسوعيين في الثغر ، ومعهد المرسلين العازاريين في عينطوره . . .

واننا نقسم هذا البحث الى قسمين : التلفون العادي او اليدوي والتلفون « الاوتوماتيكي » فنقول :

١

التلفون اليدوي

جاءت آلة گراهام بل في غاية من البساطة ، فاعجب بها علماء العصر . فهي — يمثلها الرسم ١ — كناية عن مغنطيس عمودي (م) تحيط قطبه الشمالي بكرة كهربائية (ب) ، وعلى مقربة من القطب ، صفيحة من الحديد في غاية من الرقة (ص) ، مستديرة الشكل ، مثبّتة الاطراف ، يعلوها بوق (ق) لجمع الصوت.

ولفهم نظرية التلفون ، فليتصوّر القارئ آلتين كهذه وصلت بكراتهما بعضها ببعض بواسطة سلك خارجي كما في الشكل الهندسي (الرسم ٢) . فلو تكلّم احد امام احدى الآلتين ، دخلت تموّجات الصوت على البوق ، فارتجفت الصفيحة لقدومها ، فينتج عن ذلك الارتجاف تغيرٌ في حالة المغنطيس ضمن

البكرة ، فتيار كهربائي يسيرُ منها ، في السلك الخارجي ، الى الآلة الثانية . فاذا مرَّ هذا التيار في البكرة غيَّر فيها حالة المغنطيس ، كما غيَّرته نبرات الصوت في

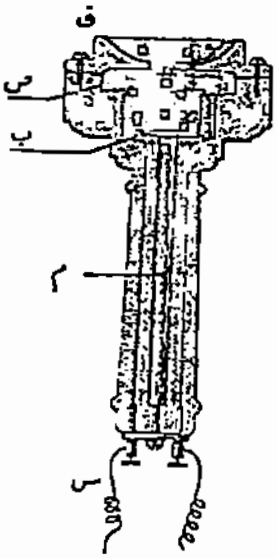

الرسم ١ : منظر داخلي لتلفون بل
م : العمود المغنطيسي
ب : البكرة الكهربائية
ص : الصفيحة المعدنية
ق : البوق الجامع
س : السلك الخارجي

البكرة الاولى ، فاحدث ارتجافاً في الصفيحة ، فكلاماً هو نقل الكلام الاول . ولا عجب فما الصوت الّا ارتجافٌ في الاجسام ، يسير في الهواء ، من الآلة السمعية الى اذني السامع[1] .

ورغم جمال النظرية هذه فلم يكن تلفون بل ليعطي الّا صوتاً ضئيلاً يزيد ضعفه بازدياد البعد بين الآلتين ، والسبب ضعفُ التيار الكهربائي المولَّد في البكرة بواسطة

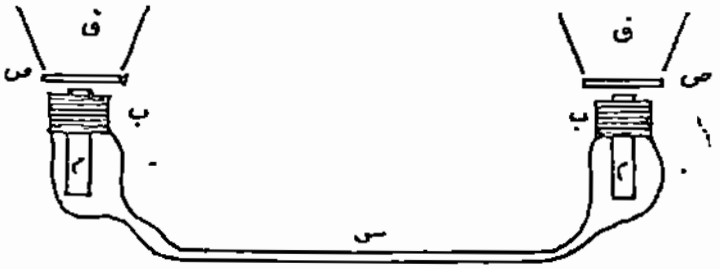

الرسم ٢ : شكل هندسي لمجموع آلتين تلفونيتين

المغنطيس . لذلك عمدَ العلماء الى تقويته فجعلوا في طريق السلك بطاريتين كهربائيتين ، فزادت قوة السمع ، رغم طول المسافة .

. . .

١) انظر مقالتنا في المشرق (٣٦ [١٩٣٨] ٧٤٠) ، والرسم ٤ في الصفحة التالية

الميكروفون

وجاء العالم هوك (Hughes) «بالميكروفون» او الآلة الباعثة وهي ادقّ من التلفون في ارسال الصوت. والميكروفون قلم من الفحم، مبريّ الطرفين، مرتكز على قاعدتين من الفحم ايضاً، موصولتين، الاولى بالبطارية، والثانية بالتلفون او الآلة القابلة (انظر الرسم ٥).

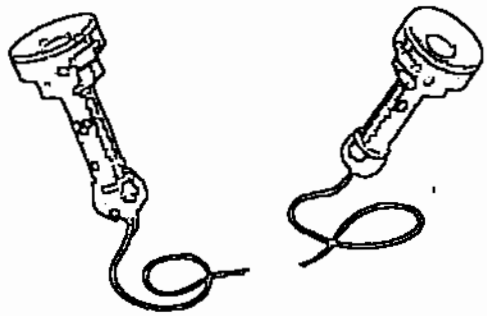

الرسم ٣ : منظر خارجي لمجموع آلتين تلفونيتين

فاذا ارتج القلم لسبب ما، كما لو تكلّم احد امامه، تغيّر التيار الكهربائي في السلك، فاهتزّت صفيحة التلفون (ت)، مردّدة الصوت الاول. وحسيّة الميكروفون غريبة جداً بحيث انه لو مشى على الخشبة المرتكز عليها، حشرة صغيرة، لردّد التلفون وقعها...

وتزيد حسية الميكروفون بازدياد عدد الاقلام. فمن الآلات ما حوت اثني عشر منها. وتفننوا في وضع تلك الاقلام، فجعلوها ضمن صندوق بشكل الطاولة يكفي ان يتكلم المرء امامه.

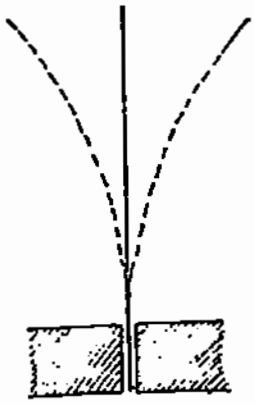

الرسم ٤
الصوت هو اهتزاز في الاجسام

ورغم محاسن الميكروفون، فلم يشع استعماله على هذا الشكل، لضخامته، وصعوبة نقله، حتى برزت فكرة جميلة قلبت صناعة التلفون، الا وهي استبدال الاقلام بحبيبات مستديرة من الفحم، تجعل ضمن علبة صغيرة. فكان الميكرفون بشكله الحالي.

فالمجموع التلفوني اذاً يحتوي على آلتين آلة باعثة سمّيناها بالميكروفون، وآلة قابلة ما هي الا تلفون بل الاولى... ولما كان المرء يحتاج، في مخابراته،

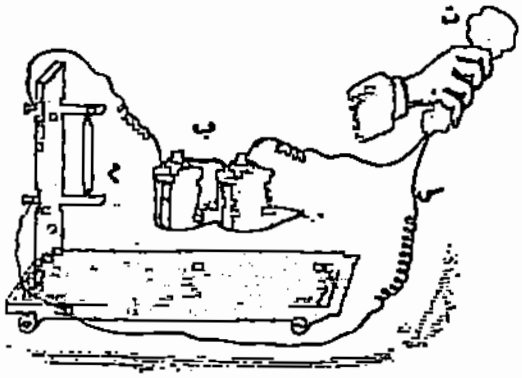

الرسم ٥
مجموع لميكروفون هوك وتلفون بل
م : الميكروفون الاولي او الباعث
ب : البطارية
ت : التلفون او القابل
س : السلك

الى الكلام والسمع معاً ، فقد تحتم وجود هاتين الآلتين عند كلٍّ من المتخاطبين. وقد جمعوا المخترعون ضمن آلة واحدة تعرف بالمجموع الميكروفوني - التلفوني وبطريقة الايجاز « بالمجموع » (*combiné*).

المركز الوسطي او « السنترال »

وقضت الحاجة ان يُستعمل التلفون ليس لمخاطبة فرد فقط بل للوصول الى عدد معلوم من الناس ، تباعاً ، حسب ما تقتضيه الحال . فهل يضطر المرء ، والحالة هذه ، الى اقتناء جملة آلات ومن سرب من الاسلاك ؟ كلّا فذلك من الصعب المضحك لانّ منزل ذلك الرجل يصير اشبه باحدى دوائر التلفون العمومية منه بدار سكن !... فآلةٌ واحدة وسلكٌ واحد يحلّان السؤال حلّاً جميلاً ، على ان تجمع اسلاك المشتركين الى لوحةٍ مخصوصة تعرف « بالسنترال » ، كل منها في ثقب يوافق نمرته . فلو اراد احد المشتركين مخاطبة الآخر اخذ آلته ودقّ بالجرس الى مستخدم « السنترال » طالباً اليه ان يصله بنمرة المطلوب . ففعل هذا بان ادخل في ثقب كل من الطالب والمطلوب طرف سلك مزدوج يُعرف بالكوردون ، حتى اذا ما انتهت المخابرة بين الفريقين سحب السلك فانقطعت الاتصالية. والرسم ٦ يمثل لوحة صغيرة لعشرة مشتركين تستخدم في الجهازات الخصوصية.

ولكل مشترك ، على تلك اللوحة ، بكرة مغنطيسية ، اذا مرّ بها

تيّار الطالب ، اماطت علاماً معدنياً يُرى في الرسم ، فبانت نمرته وعرفها من في المركز فسهل عليهم الوصل ، بيد ان عليهم الا ينسوا ارجاع العلام الى مركزه عند انتهاء المخابرة.

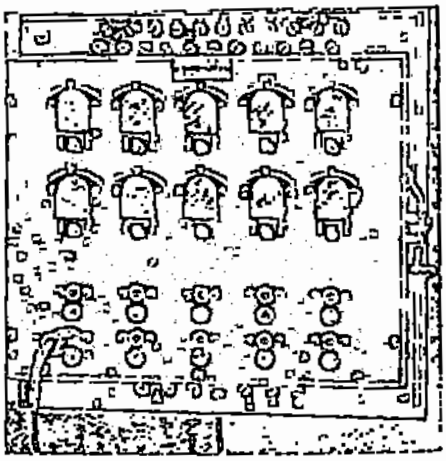

الرسم ٦
: منظر لسنترال خصوصي ذي عشر نمر

امّا التنبيه او دق الجرس ، فيجري امّا بالطريقة الكهربائية بان تضغط باصبعك على زرّ ، يُرسل في السلك تيّار بطارية مخصوصة ، واما بالطريقة المغنطيسية بأن تولّد كهربائيتك بتفتك بيرم ماكنة صغيرة ، ضمن الآلة ، تُعرف عند العامة بالمانيتو (*magneto*) . وهذه الطريقة هي المعوّل عليها اليوم للتخلص من نقمة البطارية ، غير ان ذلك لا يغنيك عن البطارية الميكروفونية لتوسيع الصوت ، كما بيّناه.

ومن شركات التلفون من اراحت المشترك من المانيتو والبطارية معاً فجعلت في السنترال عدداً من البطاريات تسير كهربائيتها في آلات الزبائن سواء كان للتنبيه او لتوسيع الصوت . فما على المشترك ، والحالة هذه ، الّا ان يرفع مجموعه من عن نصابه فيدق الجرس في المركز الوسطي ، فيطلب من يشاء مخاطبته

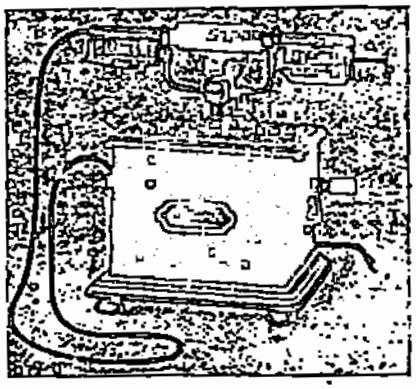

الرسم ٧ : آلة تلفونية كالتي تستعملها شركة التلفون في بيروت . يُرى فوق الطبلة المجموع الميكروفوني التلفوني ومن عن يمينها مسكة المانيتو .

مشاق التلفون اليدوي

ورغم ما أدّاه وما سيؤديه التلفون العادي او اليدوي من المنافع في خدمة مصالح الناس ، فاننا نراه اليوم ذا مشاقّ شتى خصوصاً اذا قابلناه بالتلفون الجديد المعروف بالاوتوماتيكي اي الذي بدون وسيط . كيف لا وقد صعبت المواصلات احياناً بواسطة التلفون العادي الى حدّ ان زهقت منه النفوس . تطلب المركز الوسطي فلا يجيبك احد ، لانهماك مستخدمات «السنترال» ، وعددهنّ ينيف على المئة في احد المراكز الكبيرة. واذا تكرّمت احداهنّ بمخاطبتك ، فطلبتَ منها مشتركاً ، استفسرت منك تكراراً عن نمرته ثمّ تركتك وشأنك بعد وعدها اياك بتلبية طلبك: «اليك يا سيدي» وانت لا تزال واقفاً على آلتك ، تسمع بعض كلمات لا تفهمها ، حتى تمنّ عليك بالمخابرة . ولكم من مرة انتظرت دقائق ودقائق فأُجبت بصوت امتزجت فيه نبرات الضحك والاستهزاء : « الخط مشغول يا سيدي ! » وكم من مرة غيرها انتظرت فلا جواب ولا مجيب ، فاعدت الطلب اولاً وثانياً وثالثاً ، ثم اخذك الغضب فتركت الآلة وعمدت الى قضاء حاجتك بطريقة اخرى !. وان اسعدك الحظ مرة بالوصول الى من تطلبه فكم من اصوات دخيلة تعكر حديثكما فلا يعود سبيل الى السمع ولا الى الكلام . هذا اذا لم يكن الصوت صوت المستخدمة يهددك بقطع خطك إن لم تُنجز .

ومن مساوئ التلفون اليدوي أن ليس فيه للسر مكان . فقد يستطيع من في المركز الوسطي من الوقوف على حديثك ، وقد لا يتأخر عن ذلك المستخدمات ، اذا سنحت الفرصة ، للضحك والتسلية . .

واننا نضرب صفحاً عن مساوئ اخرى كثيرة كضرورة الاعتناء بالبطارية الميكروفونية عندما تجعل هذه عند الزبون ، وصعوبة استخدام التلفون ليلاً ، في المدن الصغيرة ، لذهاب المستخدمين ، وعدم قبول شركة التلفون ابدالهم بغيرهم ، قصد التوفير والاقتصاد ! . . .

(للبحث صلة)

أمالي السنة : ٥

اصل كلمة الفصح وابن بشكوال

بقلم الاب مرمرجي الدومنيكي
من اساتذة المعهد الكتابي والاثري الفرنسي في القدس الشريف

القسم الاول : كلمة الفصح

١

اشتقاقها، وتطور معانيها في اللغات السامية

لا ريب ان من قرأ من اهل الاختصاص مقالاتنا السابقة في الألسنية السامية لاح له اننا من رأي القائلين ، خلافاً للنحويين ، « بثنائية مادة الالفاظ الاصلية » ولذا رغبة منا في زيادة هذه النظرية جلاء ، نبسط هنا مثالاً حسياً على قولنا ، ببحثنا عن اصل كلمة الفصح.

ان مادة (ف ص ح) وان كانت ثلاثية المبنى ، فهي ترجع بالحقيقة الى حرفين في اكثر اللغات السامية . اي الى حرف شفهي وهو اماً الفاء او الباء ، وحرف صفير ، يلفظ تارةً رخيماً ، وتارة مفخماً ، وهو السين او الشين او الصاد . ومهما يكن من لفظ هذين الحرفين ، فدلالتها الاصلية صادرة عن حكاية صوت الخروج ، فالامتداد ، فالانتشار ، ومن ثمّ فالانفصال والانقطاع . وللمبالغة في هذا المعنى ، يُزاد على هذين الحرفين حرف ثالث ، طبقاً للمبدأ القائل : « الزيادة في المبنى زيادة في المعنى »

ايضاحاً لهذا ، نسرد لك جدولاً في اللغات السامية الثلاث : العربية والارمية والعبرية ، مهملين الاكدية والحبشية ، لان امثلة هذا الاصل قليلة ، لا بل نادرة فيها.

١ — في العربية

الاصل الاول (فَ سَ)

هذه المادة الدالة على الخروج فالانتشار جرت فيها الزيادة اولاً باشباع حركة الحرف الثاني ، فصدر عنها الفعل الناقص فسا ، المعروف المعنى واما ما يعقبه من الافعال الثلاثية المبنى ، فقد ألحق به حرف صحيح ، للمبالغة في مدلول الثاني .

الاصل الثاني المزيد فيه حرف	الحرف الزائد	معنى الفعل الثلاثي
فسأ	همزة	الثوبَ : مدّه حتى تفزّر (الامتداد)
فسَّج	جيم	(من فسج غير المدوّن) فرج بين رجليه
فسح	حاء	وسّع وفرج له وباعد خطوه
فسخ	خاء	فرق الشيء ، فنث مفصل اليد
فسد	دال	تغيّر اي امتدت اجزاؤه وتفاصلت
فسَر	راء	بيّن واوضح ، اي نشر وبسط
فسق	قاف	جار عن قصد السبيل ، اي انفصل وابتعد
فسل	لام	فطم ، اي فصل وقطع

الاصل الثاني (فَ شَ)
(اي المادة بعينها بقلب السين شيناً)

فشّ	مضاعفة الحرف الثاني	افرغ ما في الوطب (الخروج والانتشار)
فشا	مدّ الحركة بالالف	نشر
فشج	جيم	فرج ما بين رجليه
فشخ	خاء	ارخى الرَّجلُ مفاصله
فشغ	غين	فشغه النوم : غلبه وكسله اي ارخاه ومدّه
فشق	قاف	انتشرت نفسه من الحرص
فشل	لام	ضعف وتراخى

الاصل الثالث (فَ صْ)
(اي المادة بينها بقلب السين صادًا)

فصَّ	مضاعفة الصاد	رشح الماء اي امتدّ وانتشر
فصى	مدّ الحركة بالالف	فصل ، اي مدّ وقطع
فصح	حاء	بانت فصاحته اي امتدت[1]
فصخ	خاء	تنابى اي انفصل
فصد	دال	شقّ ، اي فصل فابعد
فصل	لام	ابعد الشيء عن غيره
فصم	ميم	كسر ، قطع ، اي فصل[2]

ب — في الارمية

وكذا الامر في اللغة الارمية ؛ فان المادة فيها ثنائية ، بلفظ الحرف الاول باء او فاء حسب اللهجة ؛ ويخرج الحرف الثاني تارة سيناً ، واخرى شيناً ، وغيرها صادًا .

الاصل الاول (p. s.)

معنى الفعل الثلاثي	الحرف الزائد	الاصل الثاني المزيد فيه حرف
فصى ، عرق ، اي معنى الانتشار	.	Pas[3]

١) احفظ بان هذا الفعل الثلاثي العربي ، سواء كانت عينه سيناً ام صادًا ، لا يدل ، من حيث الأصل والاشتقاق ، لا على الاجتياز والعبور ، ولا على الاحتفال بعيدٍ مطلقاً ، او عيد الفصح خاصة .

٢) راجع الشرتوني : اقرب الموارد ، في المواد : فس ، فش ، فص ، وتوابعها الثلاثية .

٣) معلومك ان اللغات السامية ولهجاتها ، ما عدا الاكدية والعربية الفصحى ، خالية من حركات الآخر ، في الافعال كما في الاسماء والصفات . ولذا ترى مذهب « ثنائية المبنى » اظهر في الارمية والعبرية منه في العربية القرآنية . اذ ان المادة باقية على حرفين اولها متحرك والآخر ساكن ؛ وهو احد شرطي الاصوات ذات اللفظ ، او الكلمات . ولك مثال على ذلك هذا الفعل Pas . فلا يقال ، كما في العربية ، Passa اصله Pas . واما Pasas السريانية Fasasa العربية ، فهما من مخترعات النحاة .

فسل	لام	Psal
جاز ، عبر	عين	Psa'
فصل	قاف	Psaq
فسخ الشهادة	راء	Psar

الاصل الثاني (p. ś.)

فشّ ، ارخى	.	Paś
فسا	الف	Pśâ
فسج ، فرج بين رجليه	كيم	Pśag
فسخ ، فصل	حاء	Pśaḥ
نشر	طاء	Pśaṭ
فشج	كاف	Pśak
فتل ، اطال	لام	Pśal
انخم ، اي امتد	ميم	Pśam
فتر ، امتدّ	عين	Pśa'
انبسط ، سهل	قاف	Pśaq
فتر ، شرح	راء	Pśar

الاصل الثالث (p. ṣ.)

فصل ، خلّص ، قصى	الف	Pṣâ
فضد	دال	Ṗṣad
فصح ، ضاء ، فرح ، انشرح	حاء	Pṣaḥ
جاز ، عبر ، عيّد الفصح	"	Apṣaḥ
فصلَ ، عزل	لام	Pṣal
اقترع ، قطع[1] ،	نون	Pṣan

١) راجع Smith: *Thesaurus syriacus* ، في المواد Pas و Paś و Pṣa وما يليها من الافعال الثلاثية .

ت — في العبرية

والعبرية كاختيها ، العربية والارميـة ، جارية على النحو ، وحاوية الاصول الثلاثة اي الباء مع كل من السين والشين والصاد -

الاصل الاول (p. s.)

معنى الفعل الثلاثي	الحرف الزائد	الاصل الثاني المزيد فيه حرف
بطل ، زال ، (اي انفصل)	.	Pas[1]
نشر	تكرار السين	Pâsas
قسم ، وزّع	كيم	Pâsag
جاز ، عبر على شيء ، اشفق على ، عيّد الفصح	حاء	Pâsaḥ[2]
فصل ، شقّ	لام	Pâsal

الاصل الثاني (p. ś.)

وفرة ، جمّ	.	Paś
انتشر ، فاض	هاء	Pâśâh
فلق ، شق	حاء	Pâśaḥ
بسط ، امتدّ	طاء	Pâśaṭ
القى الى الوراء	لام	Pâśal
مشى ، ساد ، مدّ	عين	Pâśa'
فصل ، فتح	قاف	Pâśaq
فسر ، حل	راء	Pâśar

الاصل الثالث (p. ṣ.)

فضّ	تكرار الصاد	Pâṣaṣ

١) انظر ما سبق من القول في شان *Pas* الارمية ، ص ١ ، الحاشية ٣

٢) احفظ هذه اللفظة ومعناها الخاص ، فان مدار البحث عليها .

فتح ، شقّ ، خلص	مدّ الحرف الثاني	Pâṣâ
ابتهج ، انشرح	حاء	Pâṣaḥ
انشقّ	لام	Pâṣal
شق ، كسر ، فتح	ميم	Pâṣam
جرح ، شق	عين	Pâṣa'
شق ، حزّ[1]	راء	Pâṣar

فانت ترى من هذه الامثلة ، كيف تنتقل الالفاظ من ابسط حال يمكنها الوجود فيه ، احتذاء على مثال الطبيعة واصواتها — اي الحال الثنائي — الى

---

(١) اطلب Brown: *Heb. and English Lexicon* ، في المواد: Paṣ و Paṣaṣ و Paṣ وما يعقبها من الافعال الثلاثية و Elmaleh: *Nouveau dict. Heb.-Français*, في المواد المذكورة

تقول ، بمناسبة وضعنا هذا الجدول لاظهار اشتقاق الثلاثي من الثنائي ، اننا قرأنا مقالة حضرة الخوري بطرس البستاني ، المعنونة « بحث في الفلسفة اللغوية » والمنشورة في عدد آب وايلول من مشرق السنة الحالية ؛ وقد صدرتها ادارة هذه المجلة الزاهرة باقتراح القته على ذوي الاختصاص من وطنيين ومستشرقين : فطاب لـ ، والحق يقال ، هذا المقال النفيس ، واعجبنا الاقتراح المفيد . ولكننا انشأنا ، اجابةً الى الاقتراح ، مقالاً برأسه ، ابداء لرأينا في هذا الموضوع ؛ الا اننا آثرنا التريث لظننا عدم كفاية ما في المقال من مادة البحث ، لدرس الاسلوب من جميع اطرافه ، فعسى يتيسّر ذلك حين يُنشر المؤلف برمته . على اننا منذ الآن ، مع قبولنا مبدئيا بما للحروف من تأثير في مبنى الالفاظ وتطور معانيها — مما لم يخفَ على القدماء ، ولاسيما ابن جنّي — نكتفي باعراب نكرين ؛ الاول : انه لم يعُدْ اليوم وافياً بالمرام « البحث باعتزال ، في فلسفة اللغة العربية » ، بل يتحتم على من تفرّغ لهذا العلم الجليل ان يكون عارفاً معرفةً كافيةً بنية اللغات السامية ، مما نشأ عنه علم المقابلة بالالسنية السامية ، او « الالسنية السامية » وهو الاسلوب المتّبع بين المستشرقين والالسنيّين في الغرب ؛ وهو ما نحن ساعون في تحقيقه وتطبيقه في مقالاتنا الالسنية — النكر الثاني : هو ان حضرة المؤلف تابع النحويين القدماء بجعله « ثلاثية المبنى » بدأً لتطوّر المعاني ، كما فعل في فعل « غاب » (الصادر بالحقيقة عن « غبَّ » او بكلام ادقّ ، عن « غبْ ») والحال ان المذهب الحديث بين ارباب الالسنية السامية هو القول « بثنائية المبنى » اي ان كل ثلاثي يمكن ردّه الى ثنائي ، كما ظهر من الامثلة المعروضة اعلاه في اللغات السامية الثلاث . ونحن لا نزال مواصلين التنقيب في هذا الشأن . وقد اجتمع لدينا من هذه النماذج ، في مختلف الالسن السامية ، ما يملأ زهاء خمسة صفحة .

الحال الثلاثي والرباعي وما فوق ، بزيادة حرف فاكثر من حروف الابجدية كلها، ولاسيما الخفيفة منها اي حروف العلة والحروف الشفهية او اللسانية . وبهذه الزيادة يزيد المعنى او يتطوّر.

٢

معنى الفصح ، من باب التقييد

فكلمة «فصح» اذن مادتها الاصلية الثنائية تدلّ على الخروج ، فالانتشار ، فالانفصال ، فالابتعاد ؛ ومادتها الثلاثية ، اي بزيادة الحاء على الفاء والصاد ، او بالاحرى على الباء والسين ، كما سترى ، تدل خاصة على الاجتياز والعبور.

فالمعاني الاولى توجد في اغلب اللغات السامية . واما المعنى الاخير المقيَّد ، فلا وجود له الّا في العبرية ، ثم في الارمية . بيد انه دخيل في الثانية من الاولى ، لنفوذ اصل التوراة العبري على الترجمة السريانية « البسيطة » . فان Pṣaḥ الثلاثي لا يدل على هذا المعنى ؛ ولكن المزيد Afṣaḥ قد استعمل فيها عوض bar، اي عبر وجاز ، كما نوّه بذلك بعض المعاجم الارمية[1]

الفصح ، بمعناه المتعارف ، يطلق على عيد من اكبر الاعياد عند اليهود ؛ ثم عند النصارى . ففي نظر الاسرائيليين ، يدل على حادث تاريخي ، اي نجاتهم من الضربة العاشرة التي وقعت على اهل مصر ، وهي قتل ابكارهم من ابن فرعون حتى ابن الامة . ثم بعد ذلك اضيف اليه ذكرى خروج بني اسرائيل من ديار الفراعنة ، وعبورهم البحر الاحمر.

اما النصارى ، فيقام عندهم ذكرًا لقيامة السيد المسيح الذي اضحى بآلامه الخروف الفصحي ، وبدمه نجى البشر من الهلاك الابدي.

اول مرة وردت كلمة الفصح في العبرية ، بمعنى العبور والاجتياز ، كانت في الآية الآتية من سفر الخروج وهي :

لانه فصحٌ ليهوه Pêsaḥ-hu la-Yahweh

---

١) راجع الترجمة السريانية « البسيطة » خر ١٢ : ١١-١٢ - ومعجم المطران اودو الكلداني جزء ٢ ، ص ٣١٣ - ومعجم Smith, *Thes. syriacus* ، في مادة Pṣaḥ

ثم في الفصل عينه استعمل منها الفعل بهذا المعنى :

U pasaḥtè 'alèkèm u lâ yehyè bekêm nêgêf.(١ واعبر عنكم ولا تحل بكم ضربة هلاك

فاللفظة في العبريّة هي اذن Pèsaḥ ، مشتقة من فعل Pâsaḥ الذي معناه عبر وجاز . وقد اطلقت عند اليهود على العيد المذكور آنفاً . ولما عاد بنو اسرائيل من الجلاء البابلي الى فلسطين ، وقد نسي اكثرهم العبرية ، وتعلموا الارمية ، اخذوا يلفظون كلمة Pèsaḥ على طريقة هذا اللسان ، اي بالف الاطلاق ، فقالوا Pasḥâ .

ومن لفظة Pèsaḥ نشأ عند العبريين مثل العبارات التالية المختصة بعيد الفصح : 'âsâ pèsaḥ = عيّد الفصح ؛ śâḥaṭ pèsaḥ = ذبح خروف الفصح ؛ zâbaḥ pèsaḥ = قدّم او قرّب ذبيحة الفصح(٢

٣

انتقال Pèsaḥ من العبريّة الى غيرها من اللغات

هذا ولا يعزب عن ذهن خبير ان اول ترجمة للتوراة كانت الترجمة السبعينية التي بها نُقل الاصل العبري الى اليونانية ، بامر بطلميوس فلادلفوس ، حاكم مصر ، على يد سبعين من علماء اليهود ، في القرن الثالث ق. م. فاهل هذه الترجمة لم ينقلوا كلمة Pèsaḥ بمعناها ، بل ادخلوها في اليونانية على لفظها العبري ، فقالوا Paskha ولم يعبّروا عنها بكلمة Diabasis (٣

والترجمة الثانية للكتاب العزيز هي الترجمة اللاتينية المدعوة الثلثاتة (اي الدارجة) القديمة ، او الايطالية ، الراقية الى اواخر القرن الثاني ب.م. ثم عقبتها الترجمة الثلثاتة الشهيرة التي قام بعملها القديس هيرونمس ، في القرن الرابع . فهاتان الترجمتان اللاتينيّتان تابعتا اهل السبعينية في نقل كلمة الفصح . فذكرتها

١) التوراة العبرية خر ١٢ : ١١-١٣ و Vigouroux: *Dic. de la Bible, T.IV, C.* 2094. Hastings: *Dic. of the Bible, T.III p.* 688.

٢) التوراة العبرية : خر ١٢ : ٤٨ ؛ ١٢ : ٢١ ؛ تثنية ١٦ : ٢

٣) الترجمة اليونانية السبعينية خر ١٢ : ١١

الثلثاثة الهيروغية كما يلي : Est enim Phase (id est transitus) Domini وتعريبه : فانه فصح (اي عبور) الرب[1]

وهذه الثلثاثة تستعمل تارة Phase ، كما هو الامر في كتب موسى الخمسة؛ واخرى Pascha ، كما في حزقيال والعهد الجديد[2]

والى Paskha نسب اليونانيون ، فقالوا Paskhalios ؛ وصاغوا منه فعلاً وهو Paskhazô[3]

اما الكنيسة اللاتينية ، فقد استعملت كلمة Pascha في طقوسها ، كما تلقّتها من الترجمة القديمة والثلثاثة الهيروغية ، فصاغت من Pascha النسبة ، فقالت Paschalis . ولذا تجد في كتاب القداس ، مثل هذه العبارات :

حين تضحية المسيح فصحنا	*Cum Pascha nostrum immolatus est Christus*
الاعياد الفصحية	*Festa Paschalia*
في هذه الافراح الفصحية	*In his gaudiis paschalibus*
المدة الفصحية	*Tempus paschale*
الخروف الفصحي	*Agnus paschalis*
التناول الفصحي (٤	*Communio paschalis*

وبتمادي الزمان ، اضحت هذه الصيغة النسبية اسم علم للاشخاص . واقدم أثر تاريخي لذلك ، تمكننا الوقوف عليه ، يرقى الى اواسط القرن السابع . فان التأريخ الكنسي يفيدنا ان رجلاً اسمه Paschalis قاوم سرجيوس البابا الشرعي، مدعياً لنفسه الحبرية العظمى ؛ وقد توفي هذا الرجل سنة ٦٩٤ م . ثم ، فضلاً عن هذا ، فان كثيرين من كبار الرجال قد دعوا بهذا الاسم ، في كل القرون ، في الديار الغربية . منهم البابا بسكاليس الاول ، المتوفى سنة ٨٢٤ ؛ وبسكال الفرنسي الفيلسوف والرياضي الشهير ، في القرن السابع عشر[5]

---

١) الترجمة اللاتينية الثلثاثة ، خر ١٢ : ١١

٢) الترجمة المذكورة ، متى ١٦ : ٢

٣) Pillon : *Dic. grec-français*, p. 984

٤) اطلب في كتاب القداس اللاتيني ، رتبة تبريك الشمعة الفصحية ، والمقدمة الفصحية .

٥) Guerin : *Dic. des dictionnaires*, *T. V*, p. 666, et 667

وقد لُفظت كلمة Paschalis في اللغات الرومانية المتولدة من اللاتينية ، اي الايطالية والاسبانية والفرنسية ، وغيرها ، بطرق مختلفة . ودونك ما جاء في معجم ليتره الفرنسي ، في شأن اصل Pascal الفرنسية قال :

« Pascal. *Etymologie : Provençal* : Paschal ; *Catalan* : Pasqual ; *Espagnol* : Pascual ; *Italien* : Pasquale, *du Latin* : Pascualis ; *de* Pascha, *pâque.* » (١

فكلمة Pascha ادخلها القديس هيرونموس ، واهل اللغات القديمة من العبرية الى اللاتينية بطريق الترجمة السيمينية . وبسبيل اللاتينية ، دخلت اللغات الفرنجية الحالية . وهذا ما يشهد به معجم المعاجم لصاحبه Guerin المذكور في الحاشية ، في اصل Pâque بقوله :

« Pâque : *du latin ecclésiastique:* Pascha, *grec* : πασχα, *qui vient de l'hébreu* : pèsach, *passage* » (٢

اما لفظة «فصح» العربية فهي ، ولا شك ، آتية من لفظة Pèsah العبرية ، لكن يكثر الاحتمال انها لم ترد اليها راساً بل بواسطة السريانية ، كما نرجح ذلك مع العلامة الاب شيخو اليسوعي ، والسبب هو انها تكتب بالصاد كما في السريانية ، ولا بالسين كما في العبرية . وهذه الصورة هي الاكثر شيوعاً في الترجمات الكتابية ، وفي الاسفار القديمة والحديثة . وقد وردت بهذا اللفظ ، لا بغيره ، في الشعر الجاهلي ، وداماً في شأن فصح النصارى ، ولا فصح اليهود . قال الاعشى يمدح هوذة بن علي النصراني ، الذي اطلق اسرى بني تميم ، يوم عيد الفصح ، تقرّباً لله :

ففكّ عن مئة منهم إسارهم واصبحوا كلهم من غُلّهِ خُلُعَا
جم تقرّب يوم الفصح ضاحيةً يرجو الاله بما اسدى وما صنعا (٣

(١ Littré : *Dic. de la langue française*, *T. III*, *p.* 984.

(٢ Guerin: *o. c. T. V. p.* 618

(٣ شيخو : النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية ، ص ٢١٦

على انها قد وردت في طائفة من كتب اللغة وبعض الترجمات العربية للتوراة والانجيل على لفظها العبري اي « الفسح او الفاسخ » الا ان هذه الصورة نادرة الاستعمال[1]. اما سعديا الفيومي ، فقد نقلها بالسين ؛ ولا غرابة في ذلك ، فانه كان يهودياً.[2]

فالناجم اذن ان نقلها بالصاد كان من الترجمة السريانية « البسيطة » اذ غير خاف ان النصرانية تغلغلت في بلاد العرب ، ولاسيما الشمالية منها ، على يد السريان من سكان فلسطين وسورية والعراق . وهولاء كلهم كانوا يستعملون الترجمة البسيطة ، وفيها Peshâ بالصاد لا بالسين.

اما الحبشية ، وان كان لمادة الكلمة وجود فيها ، فهي قد نقلت اليها بالسين او بالشين ، ولا بالصاد ؛ اي كما هي في اليونانية ؛ لان الكتاب المقدس ترجم الى الحبشية من اليونانية. ولذا نقرأ اسم الفصح فيه Pâska او Pâsika او Feseh.[3]

(للبحث صلة)

(١ Biblia sacra polyglotta, *Exodus XII*, 11
Lane, *Arabic-English Lexicon*, *T. VI*, *p.* 2404
(٢ Saadia Fayyoumy: *Version arabe du Pentateuque*, *pp.* 97 *et* 98
(٣ Dillmann: *Lexicon Linguaee thiopicae* C. C. 1252, 1351, 1357, 1392

غرائب الارقام الهندية

بقلم الاب انطون صالحاني اليسوعي

طالعنا في المجلة الفرنسية « La Nature » في العدد ٢٨١٨ ، نقلاً عن المجلة « Le Crapouillot » نبذة عن الارقام الهندية أحببنا ان نقتطف منها ما يلذّ قرّاء المشرق مع اضافة بعض الشروح للايضاح

١ً الغريبة الاولى

ان الاعداد الحسابية تتضمن غرائب . خذ مثلاً العدد ١٤٢,٨٥٧ فان ضربتهُ بالرقم ٢ كان الحاصل ٢٨٥,٧١٤ ؛ وان ضربتهُ بالرقم ٣ كان الحاصل ٤٢٨,٥٧١ ، بنقل الرقم ٤ الى ما وراء الرقم ٢ ؛ وان ضربته بالرقم ٤ حصل ٥٧١,٤٢٨ ، بنقل الارقام ٥٧١ الى ما وراء الرقم ٤ في الحاصل الذي سبق . وان ضربته بالرقم ٥ حصل ٧١٤,٢٨٥ ، بنقل الرقم ٥ الى ما قبل الرقم ٨ في الحاصل الذي قبله . وان ضربته بالرقم ٦ كان الحاصل ٨٥٧,١٤٢ ، بنقل الرقمين ٨٥ الى ما وراء الرقم ٧ في الحاصل الذي تقدّمه

فترى ان الارقام المؤلف منها العدد المضروب ١٤٢,٨٥٧ لا تتبدّل اذا ضربته بالارقام ٢,٣,٤,٥,٦ بل توجد هي ذاتها في كل الحواصل وتوجد بالترتيب ذاته اذا تلوت الارقام مبتدئاً بأيٍّ كان منها وسائراً الى اليمين حتى تبلغ منزلة الآحاد ، ثم تالياً بقية الارقام من الشمال الى اليمين . مثلاً ضربنا العدد ١٤٢,٨٥٧

بالرقم ٢ فاذا بدأت الترتيب بالرقم ٢ كان ترتيب الحاصل ٢٨٥,٧١٤ فهي الارقام ذاتها تلي بعضها بعضاً مع تقديم او تأخير في الحواصل الخمسة

لكن اذا ضربت العدد المذكور ١٤٢,٨٥٧ بالرقم ٧ تبدّلت الارقام في الحاصل ، كانها لم تعد ترغب بالائتلاف بل بالتماثل فكان الحاصل ٩٩٩,٩٩٩

٢ً الغريبُ الثانيُ

ان ضربت كلًّا من الارقام التسعة الاولى بالرقم ٩ ، فبسهولة يمكنك ان تعرف الحاصل لانه مركب من رقمين: فالرقم الذي على الشمال هو رقم المضروب فيه مع تنقيص ١ منه ، والرقم الذي على اليمين هو الرقم الذي يساوي ٩ اذا أُضيف الى رقم الشمال. مثلًا ٩ × ٧ ضع في شمال الحاصل ٦ (اي ٧ إلّا واحداً) وفي اليمين ٣ لان ٣ مع ٦ تساوي ٩ فيكون الحاصل ٦٣ وهكذا :

٢ × ٩ = ١٨	٣ × ٩ = ٢٧	٤ × ٩ = ٣٦	٥ × ٩ = ٤٥
٦ × ٩ = ٥٤	٧ × ٩ = ٦٣	٨ × ٩ = ٧٢	٩ × ٩ = ٨١

وجدير بالاعتبار اولًا: ان الارقام في المثلين الاول والاخير هي ذاتها لكن مقلوبة ١٨ و ٨١ . وكذلك في الثاني والذي قبل الاخير ٢٧ و ٧٢ . وفي الثالث والسادس ٣٦ و ٦٣ . وفي الرابع والخامس ٤٥ و ٥٤

ثانياً : اذا جمعتَ رقمي الحاصل كان المجموع في كل حاصل يساوي ٩

٨ + ١ = ٩	٧ + ٢ = ٩	٦ + ٣ = ٩	٥ + ٤ = ٩
٤ + ٥ = ٩	٣ + ٦ = ٩	٢ + ٧ = ٩	١ + ٨ = ٩

٣ً الغريبُ الثالثُ

اذا اخذنا عدداً يكرَّر فيه الرقم ٩ مثلًا ٩٩ و٩٩٩ و٩٩٩٩ الخ. وضربنا بهذا العدد عدداً آخر ، فالحاصل يكون فيه تسعات بقدر ما في الضارب الا واحدة . وتكون هذه التسعات بين رقمين احدهما ، وهو الذي على الشمال ، يكون عامل الضرب الآخر الّا واحداً. والرقم الذي على اليمين يكون الرقم الذي مع رقم الشمال يساوي ٩ . مثلًا ٩٩ × ٤ فيلزم ان يكون في الحاصل

رقم ٩ واحد وعلى شماله ٣ (اي ٤ الّا واحد) وعلى يمينه الرقم الذي اذا ضُمَّ الى رقم الشمال ساوى ٩ اي (٦ + ٣ = ٩) فيكون الحاصل ٣٩٦

٩٩٩ × ٦ = ٥٩٩٤ ٩٩٩٩ × ٧ = ٦٩٩٩٣

٩٩٩٩٩٩ × ٨ = ٧٩٩٩٩٢ ٩٩٩٩٩٩٩ × ٩ = ٨٩٩٩٩٩١

٤ً الفريد الرابع

اذا ضربت الاعداد التسعة الاولى ١٢٣٤٥٦٧٨٩ بمكرَّر الرقم ٩ اي بالاعداد ١٨ ٢٧ ٣٦ ٤٥ ٥٤ ٦٣ ٧٢ ٨١ : كان الحاصل مؤلفاً من عشرة ارقام ، وكان الرقم الذي في مرتبة العشرات صفراً . اما سائر الارقام في الحاصل فتكون كلها متجانسة ومساوية للرقم الذي اذا أُضيف الى رقم الآحاد بالمضروب فيه ساوى العدد ١٠ مثلاً اضرب ١٢٣٤٥٦٧٨٩ بالعدد ١٨ فيكون الحاصل ٢,٢٢٢,٢٢٢,٢٠٢ تضع في مرتبة العشرات صفراً . وبما انه في مرتبة الآحاد بالمضروب فيه يوجد الرقم ٨ فلكي يساوي ١٠ يلزم ان يضاف اليه الرقم ٢ ، ومن ثم سائر ارقام الحاصل تكون من الرقم ٢

					مجموع ارقام الحاصل
١٢٣,٤٥٦,٧٨٩	×	١٨	=	٢,٢٢٢,٢٢٢,٢٠٢	١٨
١٢٣,٤٥٦,٧٨٩	×	٢٧	=	٣,٣٣٣,٣٣٣,٣٠٣	٢٧
١٢٣,٤٥٦,٧٨٩	×	٣٦	=	٤,٤٤٤,٤٤٤,٤٠٤	٣٦
١٢٣,٤٥٦,٧٨٩	×	٤٥	=	٥,٥٥٥,٥٥٥,٥٠٥	٤٥
١٢٣,٤٥٦,٧٨٩	×	٥٤	=	٦,٦٦٦,٦٦٦,٦٠٦	٥٤
١٢٣,٤٥٦,٧٨٩	×	٦٣	=	٧,٧٧٧,٧٧٧,٧٠٧	٦٣
١٢٣,٤٥٦,٧٨٩	×	٧٢	=	٨,٨٨٨,٨٨٨,٨٠٨	٧٢
١٢٣,٤٥٦,٧٨٩	×	٨١	=	٩,٩٩٩,٩٩٩,٩٠٩	٨١

واذا راقبت الارقام في عواميد الحواصل نزولاً رأيتها تتدرَّج من ٢ الى ٩

٥ً الفريد الخامس

ان الارقام التسعة الاولى اذا قلبنا ترتيبها هكذا: ٩٨٧٦٥٤٣٢١ ، وضربنا

هذا العدد بمكرَّر الرقم ٩ ، كان الحاصل مؤلفاً من احد عشر رقماً تسعة منها متماثلة هي الرقم الذي في مرتبة الآحاد من المضروب فيه ينقصه العدد واحد. مثلاً اذا كان المضروب فيه ١٨ فالرقم ٨ هو في مرتبة الآحاد فاذا اسقطنا منه واحداً كان ٧ فالتسعة الارقام في الحاصل تكون الرقم ٧ وتكون بين رقمي الضارب ١٨ اي بين ١ على الشمال و٨ على اليمين هكذا : ١٧,٧٧٧,٧٧٧,٧٧٨

١٨٧,٦٥٤,٢٢١	×	١٨	=	١٧,٧٧٧,٧٧٧,٧٧٨	٨−١ = ٧
١٨٧,٦٥٤,٢٢١	×	٢٧	=	٢٦,٦٦٦,٦٦٦,٦٦٧	٧−١ = ٦
١٨٧,٦٥٤,٢٢١	×	٣٦	=	٣٥,٥٥٥,٥٥٥,٥٥٦	٦−١ = ٥
١٨٧,٦٥٤,٢٢١	×	٤٥	=	٤٤,٤٤٤,٤٤٤,٤٥	٥−١ = ٤
١٨٧,٦٥٤,٢٢١	×	٥٤	=	٥٣,٣٣٣,٣٣٣,٣٣٤	٤−١ = ٣
١٨٧,٦٥٤,٢٢١	×	٦٣	=	٦٢,٢٢٢,٢٢٢,٢٢٣	٣−١ = ٢
١٨٧,٦٥٤,٢٢١	×	٧٢	=	٧١,١١١,١١١,١١٢	٢−١ = ١
١٨٧,٦٥٤,٢٢١	×	٨١	=	٨٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠١	١−١ = ٠

في هذه الامثلة ترى ان ارقام أعلى منزلة في الحواصل تتدرّج عمودياً نزولاً من ١ الى ٨ ، وان ارقام منزلة الآحاد تتدرّج من ٨ الى ١ ؛ وفي العواميد في الوسط تتدرّج من ٧ الى الصفر

٦ الغريبة السادسة

اذا حذفنا الرقم ٨ من الارقام التسعة الاولى ١٢٣٤٥٦٧٨٩ وضربنا هذا العدد بالرقم ٩ اوبمكرّر الرقم ٩ كان الحاصل تسعة ارقام متماثلة. وكان مجموع ارقام الحاصل مساوياً للعدد المضروب فيه

١٢,٣٤٥,٦٧٩	×	٠٩	=	١١١,١١١,١١١	مجموع ارقام الحاصل ٠٩
١٢,٣٤٥,٦٧٩	×	١٨	=	٢٢٢,٢٢٢,٢٢٢	〃 〃 〃 ١٨
١٢,٣٤٥,٦٧٩	×	٢٧	=	٣٣٣,٣٣٣,٣٣٣	〃 〃 〃 ٢٧
١٢,٣٤٥,٦٧٩	×	٣٦	=	٤٤٤,٤٤٤,٤٤٤	〃 〃 〃 ٣٦
١٢,٣٤٥,٦٧٩	×	٤٥	=	٥٥٥,٥٥٥,٥٥٥	〃 〃 〃 ٤٥
١٢,٣٤٥,٦٧٩	×	٥٤	=	٦٦٦,٦٦٦,٦٦٦	〃 〃 〃 ٥٤
١٢,٣٤٥,٦٧٩	×	٦٣	=	٧٧٧,٧٧٧,٧٧٧	〃 〃 〃 ٦٣
١٢,٣٤٥,٦٧٩	×	٧٢	=	٨٨٨,٨٨٨,٨٨٨	〃 〃 〃 ١٢
١٢,٣٤٥,٦٧٩	×	٨١	=	٩٩٩,٩٩٩,٩٩٩	〃 〃 〃 ٨١

٧ الغريبة السابعة

اذا ضربت العدد ٣٧ باحد اعداد التدريج الحسابي ٣,٦,٩,١٢,١٥,١٨,٢١, ٢٤,٢٧ ، كان الحاصل ثلاثة ارقام متماثلة تتدرج من ١ الى ٩ وكان مجموع ارقام الحاصل مساوياً للعدد المضروب فيه :

٣٧	٣٧	٣٧	٣٧	٣٧	٣٧	٣٧	٣٧	٣٧
٣	٦	٩	١٢	١٥	١٨	٢١	٢٤	٢٧
١١١	٢٢٢	٣٣٣	٤٤٤	٥٥٥	٦٦٦	٧٧٧	٨٨٨	٩٩٩

ويمكن ان يُعرف الحاصل بسرعة فيكفي لذلك ان يُقسم المضروب فيه على ٣ ، فالخارج اذا قرنتهُ بمثليهِ كان الحاصل . مثلاً المضروب ٣٧ والمضروب فيه ١٥ اقسم ١٥ على ٣ يكن الخارج ٥ اضف اليهِ مثليه ٥٥ يكن الحاصل ٥٥٥ . وكذلك ٣٧ × ٢٧ فبقسمة ٢٧ على ٣ يكون الخارج ٩ فالحاصل ٩٩٩ فسبحان الربّ الغير متناهية حكمته الذي ضمّن العلوم نظاماً يرفع عقولنا الى معرفة كمالاته

ان المجلّة الفرنسية التي اخذنا عنها هذه الغرائب لم تُعنَ بتعليلها تعليلاً مستنداً الى الجبر . فنقترح على القرّاء الذين تضلّعوا من هذا العلم ان يفسّروا لنا سرّ تلك الغرائب بتعليلها العلمي ؛ ونمهلهم شهرين لإرسال الجواب ، فان وجدناه مصيباً نشرناه باسم صاحبه.

اصلاح الابجدية العربية

بقلم يوسف غصوب

رئيس قلم الترجمة في المفوضية العليا

نشرت في مجلة الهلال ، في عدد ابريل سنة ١٩٢٩ ، مقالاً بهذا الموضوع اظهرتُ فيه الفائدة الجلى من تغيير الاحرف المطبعية العربية ، وجعلها اقلّ عددًا واسهل تناولاً بتفكيكها بعضها عن بعض ورسم كل حرف لها على حدة شأن الاحرف في معظم لغات العالم . وقلت ان هذه الطريقة تساعد كثيرًا على كتابة اللغة مستوفيةً جميع حركاتها الاعرابية واللغوية ، فتصحّ قراءتها وتهون لدى الجميع ؛ وتتمكن الفصحى على ترددها وتمارنتها من اكتساح العامية وابادتها .

وكنت آمل ان تلاقي مقالتي حظوة لدى ادباء العرب واهتماماً ، وان تبعثهم على معالجة هذا الموضوع الجلل . ولكن لسوء الحظ لم ارَ من درس المسألة درساً جدياً يؤمل منه الحصول على الفائدة المرجوّة .

وجلّ ما كان ان جلالة ملك مصر ، فؤاد الاول ، المشهور بغيرته على العربية قد وضع جوائز لسباقات في ابتكار احرف أوّلية تبدأ بها الكلمات الاولى من الجمل ، كما هي الحال في اللغات اللاتينية .

ان هذا التحسين في الكتابة صالح في نفسه . غير انه يصعب تطبيقه في الحالة الحاضرة من الابجدية العربية لاتصال الاحرف بعضها ببعض ، ولاختلاف اجسامها واقدارها . على ان هذه الاحرف الكبرى عند اللاتينيين غير ثابتة الصور ، فكلٌ يصورها على ذوقه ويأتي بها على قياسات واشكال مختلفة كل

الاختلاف حتى انه اتُصنع حروف خاصة بكل مقالة او كتاب يطبع طبعاً متقناً . فالاصلاح المرغوب ليس هو في هذه الحروف، بل يجب ان يكون في مجمل الابجدية العربية.

انا لنعجب ان يكون الارمن والعبرانيون قد عمدوا الى ابجديتهم ، وفككوها في مطبوعاتهم ، فاصبحت كالابجديات اللاتينية ؛ واصبح من السهل معها التفنن في جميع اشكالها ، وإقحام احرف غريبة فيها لاداء الاصوات التي ليست في اصلها . ونبقى نحن مقيدين بهذا الشيء العارض على اللغة الذي لا يتناول جوهرها ولا يغيرها تبديله ، بل ان التبديل يزيد في اتقانها واعدادها لقبول مختلف المزايا التي تتمتع بها الابجديات الاجنبية.

ومن هذه المزايا :

اولاً : تنقيص عدد الاحرف . فقد ذكر لي احد المطلعين على شؤون المطابع ان اشكال الاحرف العربية لا تنقص عن ١٥٠٠ شكل بين احرف اولية ، واوساط ، واواخر ، وحركات ، وضوابط الخ .. مما يصدع الرأس ويزيغ النظر.على انه يمكن ارجاع كل هذا الى ما لا يزيد عن السبعين شكلاً. فترى انه اذا بلغنا الى هذا الحدّ من التنقيص ، نكون قطعنا شوطاً بعيداً في سبيل تقدّم الطباعة العربية ، والاقتصاد في نفقات سكب الاحرف ، واوقات التنضيد.

ثانياً : التمكن من كتابة العربية تامةً بجميع الحركات والعلامات ، حتى انه يصبح من السهل تلاوتها على المبتدئين والاحداث والاجانب ايضاً . اذ ان القراءة الصحيحة في العربية لا يحول دونها الّا اضطرار القارئ الى وضع حركات الاعراب واللغة في اماكنها . وهذا مما يتعذر على علماء اللغة ، فكيف على الاجانب والاولاد ؟

ثالثاً : اذا فككت الاحرف ، واصبح كل حرف مستقلاً بنفسه عن غيره ، بات من السهل تحقيق اقتراح جلالة ملك مصر في ايجاد احرف كبرى اولية واتسع مجال الاستنباط والتفنن في هذا الباب.

رابعاً : لا يخفى ان في اللغات الاجنبية اصوات ومخارج لا يمكن اداؤها

بالاحرف العربية الحالية لنقصها من هـذا القبيـل . ولكن اذا تفككت الاحرف فليس اسهل عندئذٍ من ادخال الحروف الاجنبية التي ليس لها مقابـل في العربية بين الاحرف العربية الجديدة . وهذا مما يساعدنا جـداً على قراءة الالفاظ الاجنبية قراءة صحيحة تامة .

خامساً : ان في العربية حركات لا صورة لها في الكتابة ، انما حوفظ عليها في بعض قراءات القرآن وهـذه الحركات الفرعية بالنسبـة الى الحركات الاصلية هي : « التفخيم » وهي حركة الضمة والفتحة يقابلها في الفرنسية حرف o ؛ ثم « الامالة » وهي حركة بين الفتحة والكسرة ويقابلها بالفرنسية è ؛ ثم « الاشمام» وهي حركة بين الكسرة والسكون ويقابلها في الفرنسية e خرساء ؛ واخيراً « اشمام الضم » وهي حركة تقابل حرف u الفرنسوي وتدعى عند العرب «الرَّوْم» . فهذه الحركات تشابه كما ترى اكثر الحروف الصائتة ، في الفرنسية ؛ فلا يبقى من بأس بعد تفكيك الابجدية من استعمال هذه الحروف عند الحاجة اليها .

فاذا وضعنا امامنا هذه الاسس المبـدئية ، وفكرنا ملياً في كيفيـة رسم احرف الابجدية الجديدة ، لظهر لنا انه من الواجب ان تكون هـذه الاحرف بسيطة جداً جلية وعلى الاخص كثيرة الشبه بالاحرف الحـاضرة حتى لا تلبس على القارئ تلاوتها . ومن الموافق ايضاً ان تكون بقياسات واحدة واجسام واحدة ليكون منظرها الهندسي رائقاً في العين ؛ فان الاحرف المطبعية الحالية لا تشتمل على شيء من الرونق والجمال ، مع ان الخط العربي هو اروع الخطوط وآخذها بالالباب .

وقد عالجت هذا الموضوع فتوفقت الى استنباط الابجدية التي تطلع عليهـا فيما يلي ، وراعيت فيها المبادئ التي عرضتها في هذا المقال . وقد ينقصها شيء كثير من التحسين في الرسم والشكل ، ولكنها اساس يصلح ان يبنى عليـه ولربما كانت السبب في استنهاض همـة الرسامين والخطاطين فيضعوا لنا ابجدية اجمل وانسب وليس القصد من كل هذا الا خدمة اللغة والادب والمشتغلين بهما .

اما حركات اللغة والاعراب فقد رأيت من المناسب ان تكتب جميعها فوق

الأحرف ، مقحمةً فيما بينها ، وان تبقى على صورتها الحاضرة غير ان الكسرة تخطّ مائلة من الشمال الى اليمين بعكس الفتحة حتى يفرق بينهما ، وتبقى الهمزة على حالها انما تُعرّى من كرسيها ، وتكتب كحرف من الحروف ، فنخلص بهذه الطريقة من قواعد كتابة الهمزة. وعندي فيما يتعلق بالشدّة حذف هذه العلامة والاستعاضة عنها بفكّ الادغام كما هي الحال في الابجديات اللاتينية. ويصنع ذلك في المدّة ايضاً.

هذه آراء شخصية قد تتمحّص بالمناقشة والمجادلة ، فيرجع بعد ذلك الى الرأي الاصوب.

وها اننا نثبت فيما يلي الابجدية العربية مصحوبة بالابجدية المحوّرة :

ا ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز س ش ص ض
ا ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز س ش ص ض

ط ظ ع غ ف ق ك ل م ن ه و لا ى G
ط ظ ع غ ف ق ك ل م ن ه و لا ى

P V E O U ء ص ض ر ز ث ذ ه

يرى القارئ من مقارنة الاحرف بعضها مع بعض ان القديمة والجديدة منها متشابهة جد المشابهة فلا تصعب معرفتها لاول وهلة . غير ان الاحرف المحوّرة ليس فيها زوائد وهي على قدر الامكان باقدار واجسام واحدة ، واضيف اليها بعض احرف لاتينية للتمكن من الاعراب عن حركات الاشمام والتفخيم والامالة والرّوم المذكورة اعلاه ، ولتأدية الالفاظ الاجنبية بصورة تقرب من اصلها .

ونحن نعرض ادناه على القارئ قطعتين مكتوبتين بالابجديتين القديمة والجديدة خاليتين من الحركات:

« وصلت الباخرة شامبوليون من مرسيليا وعليها خمسون راكباً من باريس وعشرة ركاب انكلوسكون قادمين من ليفربول لبيع بضائعهم في بيروت.»

وصلت الباخرة شاطئ [illegible] في [illegible]
خمسون ولدا من [illegible] وعشرة صحاب [illegible]
[illegible] من [illegible] لبيع بضائعه
في بيروت

قد تمكنا، بواسطة الاحرف الجديدة، من كتابة اربع كلمات اجنبية بلفظها الاصلي ولا سبيل للالتباس عند تلاوتها.

ثم يرى القارئ فيما يلي قطعة محركة :

«حَدَّثَنا عِيسَى بْنُ هِشامٍ قالَ : لَمَّا بَلَغَتْ بِيَ الْغُرْبَةُ بابَ الْأَبْوابِ . وَرَضِيتُ مِنَ الْغَنِيمَةِ بِالْإِيابِ . وَدُونَهُ مِنَ الْبَحْرِ وَثابٌ بِغارِبِهِ . وَمِنَ السُّفُنِ عَسّافٌ بِراكِبِهِ . اسْتَخَرْتُ اللهَ فِي الْقُفُولِ وَقَعَدْتُ مِنَ الْفُلْكِ . بِمَثابَةِ الْهُلْكِ .»

حدثنا عيسى بن هشام قال : لما بلغت بي
الغربة باب الابواب ورضيت من الغنيمة
بالاياب ودونه من البحر وثاب بغاربه
ومن السفن عساف براكبه استخرت الله
في القفول وقعدت من الفلك بمثابة الهلك

لو عددنا اشكال الاحرف التي استعملت في صف القطعة المذكورة اعلاه بالابجدية القديمة لوجدناها تفوق الثمانية شكل، اذ ان لكل حرف شكلاً بالنسبة لموقعه من الكلمة : فالجيم الاولى مثلاً ليست هي الوسطى، وليست هي الاخيرة؛ وكذلك سائر الحروف. ثم اذا وضعت الحركة على حرف وجب سكب الحرف الواحد مع كل حركة او ضابطة، فينجم عن ذلك عدد عظيم. ولا بأس من اجراء عملية حساب بسيطة :

ان حروف الابجدية هي ٢٨ حرفاً، ولكل حرف منها على اقل تعديل

ثلاثة اشكال ، فيكون عددها ٨٤ شكلاً ، بدون حركات . ثم لو سكبنا كل واحد من هذه الـ ٨٤ حرفاً مع كل حركة وكل ضابطة ، لوجب سكبه مع الفتحة والكسرة والضمة ، والفتحتين والكسرتين والضمتين ، ثم مع السكون ، ثم مع الشدّة ، ثم هناك المدة والهمزة وهمزة الوصل . فلو ضربنا كل حرف بعشرة لحصل لنا ٨٤٠ شكلاً . اما في الابجدية المحوّرة فالحرف واحد سواء أوقع في الابتداء او في الوسط او في الاخير . اما الحركات فهي قائمة بذاتها تضاف بعد الاحرف . فعلى هذه الطريقة لا تبلغ اشكال الابجدية السبعين شكلاً . فترى كم يسهل الصفّ على العامل وكم هناك من الاقتصاد في الوقت والمصروف.

ثم اذا تمعنا في جمال الكتابة لرأينا ان الاحرف الجديدة ، على نقص اتقانها وقلة تناسبها ، اروع في النظر واسهل قراءة

واخيراً اقول ان هذا الاصلاح يجب ان لا يتناول الّا الحروف المطبعية ، اذ ان الخط العربي هو في الحقيقة خطّ جميل اقرب الى التصوير منه الى الكتابة ، زد الى ذلك انه اسرع واوجز من جميع الخطوط . فلا ينظر الىّ الخطاطون شزراً ، بل عليهم ان يساعدونا لايجاد احرف جديدة متفككة جميلة ، اذا كانت هذه الاحرف التي تصورتها لا تروق في نظرهم

« المشرق » يشكر للاستاذ غصوب بحثه ، وينبّه الى هذا الاصلاح افكار من جسّهم امر ابجديتنا من ادباء العربية وخطّاطيها ، آملاً ان يوافوه بملاحظاتهم وآرائهم ، سواء كانت في ما يخصّ النظرية نفسها او في ما يتعلق بتطبيقها العملي ، فينشر ، شاكراً ، ما يراه موافقاً من ذلك .

في سبيل ثقافتنا العامة : ١

البكالوريا اللبنانية والتعليم العصري

بقلم فؤاد افرام البستاني
أستاذ الآداب العربية في كلية القديس يوسف

١

توحيد النزعات بتوحيد التعليم

ما من مفكر عصري اهتمّ بتثقيف الناشئة في بلادنا الّا شعر بضرورة الاصلاح في طرق التعليم واساليب التهذيب ، وبالاعتماد في ذلك على قواعد جديدة تتفق مع عقليتنا القومية من جهة ، وتوافق روح العصر الذي نعيش فيه من جهة اخرى.

تتفق مع عقليّتنا القومية بان تسعى في توحيد النزعات والميول المختلفة في شعبنا باختلاف عاداته الفكرية ، المتباينة بتباين مؤسساته العلمية ، المتماكسة احياناً بتماكس طرق التثقيف التي شبّ عليها . والتي لا دواء لها الّا تقريب اساليب التفكير بعضها من بعض ، وتدريب الافكار العامّة شيئاً فشيئاً على السير في طريق واحد ، هو طريق الوطنيّة الحقّة تخطّه الحكومة الرشيدة وتعهده لارباب المدارس ، فيسيّرون عليه من عهد اليهم بتنشئتهم من ابناء اليوم ورجال الغد.

وتوافق روح العصر الذي نعيش فيه بان تصرف الطالب عن اضاعة الوقت في استظهار ما لا فائدة منه اليوم الى مجال الحياة العصرية يراقب مظاهرها ، ويطبّق عليها ما درسه من المبادئ العامّة ، فيستقري ويستنتج ما لا بدّ له من معرفته في هذا العصر . وهكذا تعدل به عن حشو دماغه بالقوالب الفارغة ،

والتعابير المبتذلة، والمعارف السطحية التي، ان تنفعه، ففي القريب العاجل، الى الاهتمام بالتفكير الشخصي المنتج الذي يهذب الذهن ويمدّه، بتؤدة وتسديد، الى صواب النظر ودقة الاحكام؛ وبكلمة واحدة تنتقل به من شغل الذاكرة الى إعمال العقل.

واذا تضافرت هذه المبادئ، وسارت متنافسة، على طرق مختلفة ان شاءت، ولكن الى غاية واحدة، وصلت الى مثال اعلى لطرق التثقيف كثيراً ما تُقنا اليه، ففزنا بتلك الضالّة التي طالما نشدناها وننشدها ايضاً الا وهي وحدة التفكير.

وحدة التفكير سابقة في كل شعب وحدة الميول والنزعات. وما وحدة الميول والنزعات الا قاعدة العاطفة الوطنية وأساس النشأة القومية. اما هذه فالوقت كفيل باعدادها وانضاجها على مهل، اذا ما حُقّقت الاولى. واما الاولى فلا تُنال الّا بتوحيد التعليم.

ونحن اذا ما ذكرنا التعليم في هذا المقال، لا نريد به الّا التعليم الثنوي الذي يتناول افضل ما في الامة من العقول، فيعدّها على اسلوب هو موضوع بحثنا، ويوصلها إمّا الى معاهد التعليم العالي من هندسة وحقوق وطبّ وصيدلة، او الى المراكز العالية في الحياة من ادارة، وسياسة، واجتماع. اما التعليم الابتدائي فلا يدخل في بحثنا. لان اربابه لا يرمون، في تنشئة طلّابهم، الى ابعد من ان يوفّروا لهم ما يلزم من المعدّات حتى يعيشوا حياةً قد تكون وافرة الرخاء، ولكنها لا تكاد تؤثر في حياة غيرهم من الافراد من حيث الثقافة العامة. فيكون اهتمام ارباب المدارس الابتدائية، والحالة هذه، منصرفاً اكثره الى ان يجمعوا في دماغ التلميذ كمّية وافرة من المعلومات دون ان يكترثوا لكيفية اساغته هذه المعلومات، الّا فيما ندر. وفضلاً عن هذا الفرق الجوهري بين التعليم الابتدائي والتعليم الذي نرمي اليه في مقالنا، فرق عملي حدّدته الحكومة فكفتنا مؤونة البحث فيه، اذ قرّرت منذ السنة ١٩٢٥ انشاء شهادات، خاصّة بالتعليم الابتدائي من بسيط وعالٍ، وهي المعروفة بالشهادات الاعدادية (Certificats) والتكميلية (Brevets).

فوضى التعليم في بلادنا

على ان هذا الفرق الجوهري بين التعليم الابتدائي ، بسيطاً كان او عالياً ، والتعليم الثنوي المحدَّد اعلاه ، قلّما اكترثنا له في بلادنا. فما زلنا حتى السنوات الاخيرة نخلط في اساليب التعليم ، وفي موادّه ، وفي نعوت المعاهد ايضاً . فكثرت عندنا «الجامعات» ، وتعدّدت «الكليات» ، واصبح اقل المعاهد خطراً «مدرسة عالية» ؛ فضاعت الميزات الفارقة بين الالقاب الضخمة .

ووافق ذلك اقبال غريب على العلم ، ايّاً كان اسلوبه وايّة كانت صفته ، فغدا الطلّاب يسيرون على غير هدى في اقتباسهم المعارف ، فيجدّون ويجتهدون في حشو ذاكرتهم بسرعة عجيبة ، معتقدين انهم سوف لا يخرجون من المدرسة حتى تفتح لهم ابواب الحياة على مصاريعها فيدخلون منها الى حيث يشاؤون . واضحى آباؤهم يجارونهم في هذا الامل ، فيضحّون بالرخيص والغالي في سبيل تعليم ابنائهم ، معلّلين النفس بالتعويض الكبير اذ يخرج اولادهم من المدارس حاملين الشهادات الفضفاضة ، طامحين بابصارهم الى اعلى مناصب الاجتماع . حتى اذا طرق هؤلاء الطلاب بشهاداتهم ابواب المعاهد العليا ، فأُقفلت في وجوههم ؛ فتحوّلوا الى الفحص السنوي ، فسقطوا فيه لنقص في استعدادهم وسوء هضم في معلوماتهم ؛ فالمسل الاهل والاولاد في نشوة كثيراً ما كانت غرّارة وكثيراً ما آلت بغرورها ، ولكن قليلاً ما استفاد منها حتى المتألمون . . .

كل ذلك مصدره فوضى التعليم في بلادنا ، الناتجة عن افتقارنا الى مقياس مشترك تُعرض عليه برامج المعاهد المختلفة . فيُقرّ منها ما كان ثنوياً حقّاً ، ويُترك غيره ليطبق في محيطه الخاص لا يتجاوزه الى غيره من انواع التعليم . وتُقاس به معارف الطلّاب فينال الناجح منهم الشهادة الرسمية المؤذنة بانتهاء دروسه الثنوية .

ولربّ معترض يقول : أوَ نحن بحاجة الى شهادة جديدة فوق ما عندنا من الشهادات ؟ وهذه معاهدنا العديدة فايّ منها لا يُعطي الشهادات الكافية ؟

فنُجيب : وما قيمة هذه الشهادات الخاصة التي تُعطى احياناً دون فحص ، وعادةً بعد فحص بسيط يقوم به معلّمو المدرسة ؟

ما قيمة شهادة خاصة تكاد تكون مشاعاً لجميع الطلّاب ؟ وهل تعرفون معهداً واحداً يرفض شهادته ، الّا في النادر ، لطالب قضى بين جدرانه عدّة سنين ؟

ما قيمة شهادة لا تسجلها هيئة رسمية تتبع برنامجاً معروفاً يُقيّد الجميع بالسير عليه ؟

امّا نحن فلا نرى لهذه الاسئلة سوى جواب مؤلم يُظهر تلك الشهادات – المكتوبة بعضها بابلغ ما يُعرف من اوزان التفضيل وامثلة المبالغة – بقيمتها الحقيقية ، اذ يتقدم بها الطالب فخوراً الى الادارات العمومية ، فلا يؤبه لها . فيتأثر ويغتاظ ، ثم يلين ويرجو ؛ فيشير عليه المدير بان يقدّم الفحص كما لو لم يكن معه شهادة ، فيقدّم ، ويسقط على الغالب . فيحنق ويقنط ، ثم يبدأ بدوراته على ابواب المصالح واثقاً ، واهله واثقون معه ، ان من واجب الهيئة الاجتماعية ان تعوله لانه « متعلم » ومعه « شهادة » .

وهكذا يزداد في بلادنا عدد من اضرّهم العلم ، بل الغرور بالعلم ، فاخرجهم عن طبقاتهم ، وتركهم ، بين ما يستحقون من المراكز وما يطمحون اليه ، ابداً متقلقين . وقد يكون بينهم من يستطيع التعبير عن افكاره ، فيكتب ، ويكتب ، ولا يملّ ، مالئاً الصحف باحتجاجاته على المحاباة في الفحوص ، وعلى المراعاة في التعيين ، وعلى النظام الاجتماعي كله ، لا اكثر ولا اقل . . . وهو لو انصف – وانّى له ان يرى الانصاف ! – لخفّف من حقده على المجتمع ، ولخصّ باللوم اولاً نفسه التي لم تشأ الافاقة من غرورها ؛ وثانياً تلك الشهادات الطنّانة التي لا يمكنها ان تنيله ما يشاء ، لانها لا تُمثّل ما يُطلب منه من المعارف . وما ذاك الّا لكونها لم تعطَ على اثر امتحان رسمي تُعرض فيه معلوماته على قياس معروف في برنامج مقرّر . . .

* * *

العناية باللغة العربية ، وبتاريخ البلاد وجغرافيتها

وسببٌ ثالث كان من الدوافع الى تأسيس البكالوريا اللبنانية هو العناية باللغة العربية . نقول هذا ونعني باللغة العربية ، لا تلك المجموعة العادية لمختلف « اللغات » والشواذ ، ولا ذاك المتحف الغريب لانواع السجع والجناسات ، ولا ذاك الكشكول المضحك للجوازات النظمية وما يلحقها من علل وزحافات؛ بل نعني باللغة العربية مجموعة نفيسة لآثار شعوب مختلفة نشأت وتطوّرت في مدة اربعة عشر قرناً ، فكوّنت ادباً من اغنى آداب الشعوب تنوّعاً وابتكاراً ؛ نعني بها أداة مرنة للتعبير عن المعاني العصرية التي لا تألو تطوّراً وتشعباً كلما تعددت حاجاتنا ، ودقّت اساليب تفكيرنا.

هذه اللغة التي نفهم ، والتي نريد ان نفهمها الغير ، لم تكن تدرَّس في بلادنا بالنوع الذي يقتضيه العصر ، على الرغم من بذل الاساتذة والطلّاب جهودهم في استظهار الفية ابن مالك ، وحفظ مقصورة ابن دريد ، وشرح رسائل الصابي والخوارزمي وتفسير معجزات الحريري ، وخوض جميع البحور النظمية . . .

كانوا يشرّحون جثثاً قد يفيد درس اعضائها لفهم وظائفها ، ولكنه ليس بالغاية المتوخاة ؛ فاراد العصر ان ندرس هياكل حية يترقرق فيها الجمال ، فنعجب بالفنّ ونقترب منه في آثارنا.

هذا ما نفهمه بالعناية باللغة العربية ، وهذا ما فهمته لجنة البكالوريا اللبنانية ، لاسيما بعد ان تقرّر الغاء برنامج البكالوريا الفرنسوية القديم ، والسير على برنامج جديد ، اعتباراً من دورة حزيران سنة ١٩٢٩ . والسرّ في تأثير هذا البرنامج الجديد في تأسيس البكالوريا اللبنانية ، هو ان البرنامج الفرنسوي القديم كان يعتبر اللغة العربية بمثابة لُغتين فرعيّتين ، فيبقي مركزها عالياً في بلادنا ، لان العلامات المعطاة لها في الامتحان كانت تعادل العلامات المعطاة للغة الفرنسوية المعتبرة لغة واحدة ولكن أصلية . اما البرنامج الجديد فانه لا يعتبر لغتنا الّا لغة فرعية واحدة ، اي ان الطالب من بلادنا المرشح لنيل البكالوريا

الفرنسوية يلزمه ، اعتباراً من دورة حزيران ١٩٢٩ — وللطالبات اعتباراً من دورة حزيران ١٩٣٠ — ان يُتقن فضلاً عن اللغة الفرنسوية الاصلية ، لغة اخرى فرعية مع اللغة العربية . فتكون النتيجة ان هذه اللغة المنكودة الحظ اصبحت على نصف ما كانت عليه في البرنامج القديم . فترى ، والحالة هذه ، كم كان موافقاً تأسيس البكالوريا اللبنانية . . .

هذا فضلاً عن الحاجات العديدة التي كان يشعر بها كل متعلم من بني قومنا في ما خصّ تاريخ البلاد وجغرافيتها ، والتي لم تكن تقوم بها البكالوريا الفرنسوية . فكم من الحائرين عليها يسردون لك عن ظهر قلبهم سلسلة ملوك فرنسة ، وجميع مواقع حروبهم حتى البسيطة منها ، وهم لا يكادون يعرفون شيئاً عن صلاح الدين او بشير الكبير ، ولا عن مواقعهما الشهيرة ؛ يتلون عليك ، دون تردّد ، اسماء جميع انهر فرنسة وسواعدها الصغيرة ، ويشيرون الى كل محطات القطار ومواقفه من ليون الى باريس ، وهم لا يكادون يعرفون اسماء انهر بلادهم ، ولا المحطات المهمة بين بيروت ودمشق ؛ يحدّدون امامك بكل دقة ووضوح المقاطعة والمديرية التي تقع فيها قرية « غلوزل » الصغيرة ، حتى اذا سألتهم عن موقع « العاقورة » مثلاً ، تفرّسوا فيك حائرين وتساءلوا متردّدين هل هي في كسروان ، ام في الكورة ، ام في الشوف ؟ هذا على فرض انهم سمعوا باسماء الشوف والكورة وكسروان ! . . .

. . .

في سبيل توحيد الميول والنزعات ، وفي سبيل حسم فوضى التعليم الحاضرة ، وفي سبيل العناية باللغة العربية وبتاريخ البلاد وجغرافيتها ، عملت جمهوريتنا فاسست البكالوريا اللبنانية !

فهل كان برنامجها موافقاً ؟ وهل تنجح في الوصول الى هذه الغاية المثلثة ؟ هذا ما سندرسه في مقالٍ آخر .

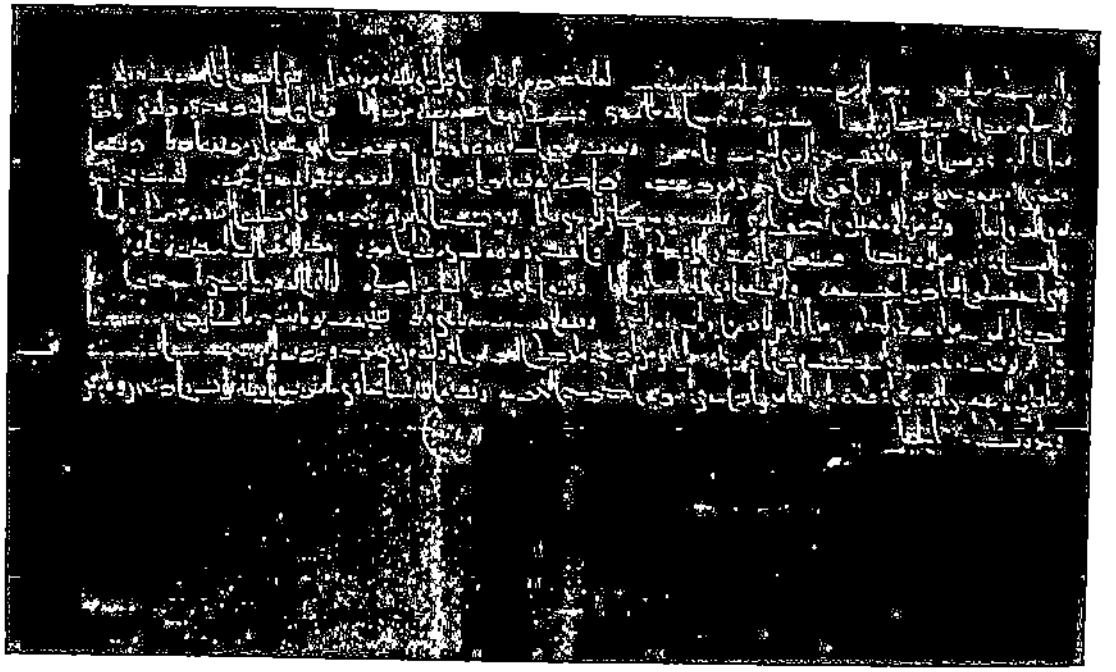

صورة الرقّ الاخير من مخطوطة باريس ٦٧٢٣

نصرانية الحارث بن كعب

ومخطوطة خزانة باريس ٦٧٢٣

بقلم الاديب حبيب زيات

ذكر الجاحظ في رسالته « الردّ على النصارى » ان النصرانية كانت غالبة « على ملوك العرب وقبائلها ، على لخم وغسان والحارث بن كعب بنجران وقضاعة وطيّ في قبائل كثيرة واحياء معروفة » (ص ١٥) . وجاء في التذكرة الحمدونية ان الحارث بن كعب ، جدّ القبيلة المشهورة ، قال لبنيه في جملة وصية له : « يا بنيّ ... لا بقي على دين عيسى ابن مريم احد غيري وغير تميم بن مرّ واسد بن خزيمة . فموتوا على شريعتي [1] ... »

وقد نقل الاب لويس شيخو ، المأسوف عليه ، هذه الوصية في كلامه عن الحارث ؛ ومع ذلك لم يرَ ، خلافاً لعادته ، ان يجزم بنصرانيته بل رجّحها وقال : « يظهر انه مات نصرانياً . » [2]

وقد كنت قديماً وُفّقت للوقوف على ثبت نصرانية الحارث في خاتمة مصحف ثمين من ذخائر باريس لا يدع بعده مساغاً للشكّ والتردد . ولا بد قبل الاستشهاد به من التوطئة بوصف الكتاب الوارد فيه . وهو المخطوط رقم ٦٧٢٣ الموسوم في صفحته الاخيرة بكتاب « تاريخ ملوك العرب الاولية من بني هود وغيرهم لابي سعيد عبد الملك بن (قريب) الباهلي الاصمعي » من انفس موقوفات المرحوم بونيون قنصل فرنسة في حلب ، بل من اجلّ الاسفار القيمة والفرائد اليتيمة التي عزّت بها خزانة الامة في العاصمة . وهو لا يتجاوز سبعاً وعشرين صحيفة من الرقوق النادرة المعروفة برقّ الغزال . يكاد يكون عرضها ضعفي طولها (١٢ × ٢٧ سنتمتراً) وفي كل صفحة منها ١٧ سطراً مرقومة بخط قديم بديع في بابه ، عزيز المثال هو الى الكوفي اقرب . وكلها نقية من كل شائبة ، طاهرة الجيب والذيل من كل سواد تعليق او توقيع ، كانها حجبت عن كل نظر ، وصينت من كلّ مسّ بشر ، منذ نيف والف ومائة سنة ، اي منذ فرغ

١) نسخة برلين ٨٣٥٩–٨٣٦٠ ورقة ١٧ ٢) النصرانية في جزيرة العرب ص١٢٨

الامام المشهور ابو يوسف يعقوب بن السكيت من استنساخها في عاشر شوال سنة ثلاث واربعين ومائتين الى اليوم الحاضر.

ومما يزيد في قدر هذا المصحف ان جامعه الاصمعي الطائر الصيت وضعه امتثالاً لامر الخليفة المأمون . فالمؤلف والمؤلف له والراوي والمروي فيه كل منهم مَلِك في بابه . فالكتاب اذن ملكي بكل معنى . وان كان ليس وراء هذا المعنى كبير غناء للناقد والمؤرخ لانه مجموع اساطير واخبار ، بعضها اقرب الى التخرصات والاسمار من حكاية صحيح الآثار وهذا نص المقدمة:

« بسم الله الرحمن الرحيم احمد الله دائماً ابداً وأصلي واسلم على نبي الهدى وعلى آله وصحبه واعلقهم بالخلافة يداً اما بعد فقد امرت ابد الله دولتك وايد صولتك واطال في ظل افياء السلامة بقاك وحجب عن عين نوائب الدهر نعماك وجعلك لمتوخي سبوغ النعمة معتلاً ولآمال مؤمل الافضال موئلاً بان اجمع ما بلغني من اخبار ملوك العرب البائدة الاولية وبعضاً من سياستهم ونصائحهم واشعارهم وخطبهم ومسراهم في تدبير ما خولهم الله تعالى ووقائعهم فرأيت استفراغ المجهود في قلة ما وصل اليّ من ذلك عذراً ووجدان ما به الكفاية عسراً لانقطاع اخبارهم ومحو آثارهم فاتعبت ركبي بجوب القبائل مستقصياً بها رواة الاخبار وحفظة تواريخ ما مضى من الاعصار فاستقصيت كل من رافقته من النسابين وتلقيت ما روته لي الشيوخ المعمرة من الاجداد السالفين الى ان جمعت منه هذا القدر القليل امتثالاً للامر العالي الجليل . والذي وقع عليه اجماعهم يا امير المؤمنين ان اول ملك تتوج من العرب هو قحطان بن هود النبي عليه السلام . وهود هو اول نبي مرسل بعد نوح عليه السلام . . . »

وغنيّ عن البيان ما في نشر هذا الكتاب من الغرائب والفوائد . ولعل بعض المجلات عندنا تعنى بهذه الخدمة الجلى ، ولاسيما ان صفحاته معدودة لا تربي على ٥٢ فقط فالخطب فيها هيّن . ويظهر ان الاصل كان مُردفاً بكتاب الخيل للاصمعي ، وهو غير موجود في نسخة ابن السكيت . وهذا نصّ ما جاء في الخاتمة :

« قال ابو يوسف يعقوب بن السكيت هذا آخر ما وصل اليّ من تاريخ ملوك العرب الاولية من بني هود وغيرهم لابي سعيد عبد الملك بن (قريب) الباهلي

الاصمعي الـذي اقطعه عليه المأمون اراضي اميرية الكرخ الغربية . وقد تم استنساخاً في عاشر شوال سنة ثلاث واربعين ومائتين . ويتلوه كتابه في الخيل . »

وقد توهم خازن دار الكتب العربية ، في البرنامج الفرنسي المطبوع سنة ١٩٢٥ ، ان الاراضي التي اقطعها المأمون هي بمعنى الاراضي الاميرية اليوم وترجمها كذلك (ص٣٤٧) : «concéda en fiefs les terres émiriennes d'alkarkh» وهو سوء فهم واشتباه . وانما الاميرية المذكورة قرية من قرى النيل من ارض بابل ببغداد . واليها يُنسب الشاعر الضرير ابو النجم بدر بن جعفر بن عثمان الاميري المتوفى سنة ٦١١[1] . وفي الصفحة المقابلة صورة الرق الاخير من رقوق الكتاب حرصنا على تمثيلها هنا نموذجاً لقلمها النادر وشاهداً بيناً بموت الحارث ابن كعب على دين النصرانية . قال الاصمعي فيها : « وبلغني يا امير المؤمنين ان الحارث بن كعب لما حضرته الوفاة اقبل على بنيه وهو يقول :

« بنيَّ اهتدوا (في) ما اهتديت سبيلهُ ... فاكرم هذا الناس من كان هاديا
غبيتُ زماناً لست اعلم ما الهدى ... وقد كان ذاكم ضلّةً من ضلاليا
فلما اراد الله رشدي وذلتي ... اضاء سبيل الحق لي وهدانيا
فالفيت عني الغيَّ للرشد والهدى ... ويممت نوراً للحنيفة باديا
وصرت الى عيسى ابن مريم هادياً ... رشيداً فماني المسيح حواريا
بنيَّ اتقوا الله الذي هو ربكم ... براكم لهُ فيما برا وبرانيا
لتعبدهُ سبحانهُ دون غيره ... لتشدَّ في البلوى به والدواهيا
وتؤمن بالانجيل والصحف التي ... جا بهتدي من كان للوحي تاليا
بنيَّ صحبت الناس ثم خبرتهم ... فافضلهم الفيت من كان راعيا
والفيت اشباه محلاً ومنصباً ... رشيداً عن الفحشاء والافك ناهيا
والفيت ادهاهم لدى كل امرة ... مضلاً لضُلّال المشيرة غاويا
بنيَّ احفظوا للجار واجب حقه ... ولا تاسوا النائبات الموالية
وشيّوا على فرع اليفاعة نارَكم ... ليأتيها الضيف الذي بات ساريا
ولا تبدأوا بالحرب من لم يكن لكم ... من الناس للعدوان والظلم باديا
ومهما ازدرعتم يا بنيَّ فانه ... سيُحصد يوماً بذر ما كان ذاكيا »

ومهما يكن من نسبة هذه الابيات للحارث بن كعب ففيها على كل حال حكاية نصرانيته ، وصحّة موته عليها ، وهو ما توخينا اثباته هنا .

---

١) ياقوت معجم البلدان ج ١ ص ٣٦٥ ، ونكت الهميان للصفدي ص ١٢٤

الاستقلال المدني

في الكنائس الشرقية الكاثوليكية

محاضرة القاها في نادي الشبيبة الكاثوليكية
باللغة الفرنسية

الخوري بطرس روفائيل

٢

في اثناء سنة ١٨٢٧ ، وقعت انكلترة وروسية وفرنسة معاهدة لوندرة التاريخية . وكان من جملة قراراتها الاعتراف باستقلال الدولة اليونانية . وفي السنة نفسها غرق الاسطول التركي في « ناڤارن » ، فاحدث تخريبه ضجة عظيمة في العاصمة التركية ، وطفق الارمن الغريغوريون القاطنون المدينة يشون بالارمن الكاثوليك امام السلطان محمود الثاني : « انهم دائماً على تحفز لاشعال الثورة وانهم جاحدون يدينون بالديانة الفرنجية . » لان الديانة « الفرنجية » او الفرنسية تعني الديانة الكاثوليكية ، وما دار في خلد الشرقيين يوماً ان فرنسة والكثلكة كلمتان يمكن فصلهما . ولما كان السلطان قلقاً وخائفاً اعار الواشين اذناً مصغية ، وأوعز الى الارمن الكاثوليك بالانضمام الى الغريغوريين ، ونفى كثيراً من المرسلين اللاتين بحجة انهم جواسيس ، وطرد من العاصمة كل الكاثوليكيين ، وكان عددهم ثلاثين الفاً ، ولم يعترف بغير الكنيسة الغريغورية ، معذباً بدون شفقة من ابى ان ينضم اليها من الارمن .

لقد طفح الكيل هذه المرة . فقام الجنرال جيللمنو سفير فرنسة في القسطنطينية ، وابدى من العزم والحزم ما ابدى ، لانه كان خبيراً باخلاق الترك ونفسيتهم وهدد الحكومة التركية . فسكنت شدة الباب العالي وبان

ان مخافة فرنسة كانت دائماً عنده رأس الحكمة . فبفضل حزم السفير الفرنسي وتدخل البابا لاون الثاني عشر ، همدت ثورة الاضطهاد وصدر في السادس من كانون الثاني من سنة ١٨٣٠ فرمان يدعو كل المنفيين . والحت فرنسة بطلب تحرير الارمن وسائر الطوائف المسيحية المتحدة مع رومة : ذلك لئلا تعود فتتجدد تلك الفظائع والمظالم . فرضخ السلطان واقام على الارمن الكاثوليك رئيساً عالمياً ، ولقبه بالناظر او « المرخص »

نحن نعتقد ان كلمة « كاثوليك » تتناول كل مسيحي متحد مع الكنيسة الرومانيـــة . الّا ان اللهجة العامّـــة في القسطنطينية كانت ، في اوائل القرن التاسع عشر ، تُقيّد معناها وتُطلقه فقط على الارمن المتحدين مع رومة وتسمّي سائر الكاثوليك ، وان شرقيين ، لاتينيين . ان لهذه التسمية المشتركة ظواهر اللاشيء ، ولكن الارمن الكاثوليك استفادوا كثيراً منها .

فما هو الّا القليل حتى خلف الناظر في وظيفته المدنيـــة كاهن اسمه آغوب تشوكوريان انتخبه الارمن الكاثوليك سنة ١٨٣١ وبعث اليه البـــاب العالي بفرمان جاء فيه : « انه لما لحظ جلالة السلطان ان ليس للكاثوليك الرومانيين والارمن المقيمين في مملكتـــه من رأس خاصّ بهم ، منح الكاهن آغوب تشوكوريان لقب اسقف « الديانة الكاثوليكية » في كل انحاء مملكته . » ومن هنا بدت بوادر التلاعب بمعنى كلمة « كاثوليك » لانه ، مع ان نصّ الفرمان وبعض تعابيره تشير الى انه لا يتناول الّا الارمن الكاثوليك ، كانت مع ذلك بعض كلماته تدلّ ان ولاية تشوكوريان تمتدّ الى سائر كاثوليك المملكة العثمانيـــة من اية طائفة كانوا .

مات تشوكوريان سنة ١٨٣٤ فانتخب عوضه مجلس الامة الارمنية كاهنـــاً اسمه ارتين تشوخيجيان ، واستلم براءة التثبيت او الفرمـــان في ثالث حزيران من سنة ١٨٣٤ . ولم يختلف نصها عن نصّ براءة سالفه سوى انه قـــد جاء في اولها شيء جديد مهمّ وهو : « بما ان الراهب آغوب ، اسقف كل الكاثوليك الساكنين في مملكتي ، قد مات ، وبما ان الطائفة المذكورة طلبت اليّ ان اتنازل واعيّن لها بطريركاً الراهب ارتين ، وكيل انقره الذي انتخبته مكان المتوفى ،

فقد رضيت بانتخاب ارتين وولّيته على البطريركية وعليه يجب على الاساقفة والكهنة والرهبان والعلمين القاطنين مملكتي من الطائفة الكاثوليكية ومن الطوائف الكلدانية والسريانية والملكية والمارونية ان يعترفوا بـه بطريركاً ويرجعوا اليه في كل امورهم.»

وهكذا فقد لعب الدهاء دوره ، واسترجعت كلمة «كاثوليك» معناها الشامل المعتاد ، واصبح رئيس الطائفة الارمنية الكاثوليكية رئيساً مدنياً على سائر الطوائف الشرقية الكاثوليكية ، ومنحه الفرمان الشاهاني كل الانعامات الممنوحة لبطريرك الفنار وبطريرك الارمن الغريغوريين : ومع ان «المرخص» تشوخيجيان لم يكن الا كاهناً بسيطاً فقد سمّاه السلطان بطريركاً فجاءت هذه التسمية مخالفة للحق القانوني. لان لقب بطريرك لقب ديني بحت تتطلب الديانة الكاثوليكية من حامله ولاية قانونية حقيقية لا يستطيع ان يهبها احد غير رأس الكنيسة الاعلى . وبما ان البابا لاسباب يطول علينا شرحها لم يكن قد اعترف بهذا البطريرك ، اتفقوا ان يلقبوا الرئيس المدني او المرخص الارمني على الكاثوليك «بالكاهن البطريرك» وقد حمل خلفاء ارتين هذا اللقب.

وفي تلك الاثناء ، انتُخب الاسقف الملكي مكسيموس مظلوم بطريركاً على طائفته ، فهبّ غريغوريوس السادس بطريرك الفنار لمطاردته ، واستصدر السلطان فرماناً يحرّم على الاكليروس الملكي ، تحت عقوبات قاسية ان يقبل الارثوذكس في شركته ويأمره ان يغيّر زيه المشترك بينه وبين الاكليروس الارثوذكسي . فاحدث هذا المطلب مجادلات طويلة سمّوها: «دعوى الطرابيش». ثم ارسل الفرمان الى الكاهن البطريرك كرابد لينفّذه الى مظلوم . فانفذه هذا ونصحه ان يستعين «بالبخشيش» ، لانه وسيلة ابـداً فعّالة في القسطنطينية ، ليحول دون تنفيذه . وفضلاً عن ذلك ، فقد كان من الممكن الفاؤه بفرمان آخر على شريطة ان يتدارك الامر سريعاً في القسطنطينية

لذلك لم يتمّ مظلوم . بل تذرّع بكل الوسائل ليذود عن حقوقـه حتى انه في اواخر سنة ١٨٣٧ حمل اليه بريد القسطنطينية بشرى بهيجة . وهي ان الكاهن - البطريرك الارمني ارسل يخبره انه عمل ليس فقط للحصول على فرمان

يناقض فرمان بطريرك الفنار بل ان الباب العالي اصدر براءة باسمه تجعله « مرخصاً » او رئيساً مدنياً على الملكيين . ذلك لان الباب العالي لم يكن اعترف بعد بمظلوم ، وما كان يعرف شرعاً الّا الكاهن-البطريرك الارمني . اما الآن فقد اضحى مظلوم شخصاً رسمياً ، ورئيساً على طائفة مستقلة . الّا انه بقي متعلقاً بالكاهن-البطريرك الارمني وما كان يعتبر الّا وكيله في قضاء امور الملكيين فكان لهذا الفرمان شأن عظيم لانه الخطوة الاولى في سبيل تحرير الملكيين النهائي . امّا تاريخ الفرمان فهو ٣١ من ت ١ سنة ١٨٣٧ ، وقد حوى ٣٧ بنداً عُدّدت فيها التفويضات والانظامات المختلفة ، الممنوحة لمظلوم ولخلفائه ايضاً ولا فرق بينها وبين النعم المعطاة للبطاركة الارثوذكسيين.

واتفق ان اجتمع سنة ١٨٤٣ في القسطنطينية بطاركة الملكيين والسريان والكلدان ، وقرّ رأيهم ان يستميحوا من الباب العالي فرمانات يعترف بهم فيها بطاركة على طوائفهم. ولكن قد تضاربت الآراء في عاصمة بني عثمان فارتأى رأي البطاركة النائب الرسولي وسفير النمسة ؛ ولم يُوفقهما ان تتعلّق الطوائف الكاثوليكية الشرقية كلها في امورها المدنية بالكاهن-البطريرك . امّا الباب العالي وسفير فرنسة فلم يوافقا على فكرتهم بل رأيا ان ادارة الطوائف الكاثوليكية المدنية بتوسط واحد هي اسهل واعجل من ان يولى عليها عدة رؤساء مدنيين . ولاجل هذه الغاية عُقد في ١٢ آب سنة ١٨٤٤ اجتماع في دار البطريركية الارمنية حضره ، ما عدا الثلاثة البطاركة الآنفي الذكر ، الكاهن-البطريرك ، ورئيس اساقفة ارمن القسطنطينية ، وسبعة من وجهاء الارمن ؛ فحمي وطيس الجدال ودامت الجلسة اربع ساعات ، ثم اجمعوا كلمتهم على النقط الآتية :

اولاً على الباب العالي ان يعترف رسمياً « من الآن فصاعداً » بالثلاثة البطاركة الكاثوليكيين المذكورين ويسلم كلاً منهم جذا فرماناً خاصاً به. وعلى الكاهن البطريرك ان يسعى لينالهم بالطرق التي يستخدمها بطريرك الفنار ليستحصل على فرمانات لاخوته بطاركة الاسكندرية وانطاكية واورشليم.

ثانياً يمنح كل من الثلاثة البطاركة وساماً لا يختلف رتبةً عن اوسمة البطاركة المنفصلين اليونانيين والارمن المقيمين في مدينة القسطنطينية.

ثالثاً اذا ما طلب اسقف كاثوليكي فرماناً له شخصياً يجب ان يُذكر فيه انه أُعطي له اجابةً لرغبة بطريركه وعملاً بتوسط الكاهن - البطريرك الارمني. ولا ينسب بعدُ التدخل الى الكاهن البطريرك وحده كما كانت العادة حتى الآن.

رابعاً على كل بطريرك من الثلاثة ان يقيم له ممثلاً عند الكاهن - البطريرك، ويكون له ما لسائر اعضاء مجلسه من الانعامات.

خامساً على كل بطريرك ان يدفع كل ما يلحق ممثله من النفقات.

سادساً اذا ما حدث مشكل يهمّ كل الكاثوليكيين فلا يدفع الممثل الا ما يلحق طائفته من النفقات.

ثم سجّلوا هذه البنود في القنصلية الفرنسية في ١٥ آب سنة ١٨٤٤. ومنها يبدو جلياً ما عسى ان يفضي اليه هذا الترتيب.

اجل انه لم تمنح كل طائفة حقها من الاستقلال النهائي غير ان الباب العالي لم يعد يعتبر الكاهن-البطريرك رئيساً وحيداً على كل الطوائف الكاثوليكية الشرقية، وان استمر يعالج حتماً كل امورها. هذا ولم تستقرّ الحال على ما كانت عليه بل ان مظالماً توصّل قبل الجميع الى ان يسمى رئيساً مدنياً مستقلاً تمام الاستقلال عن الكاهن-البطريرك. وقد ساعدته الظروف على ذلك لان الدول الاوربية، وخصوصاً روسية، كانت تقبل بسهولة كل من يطلب اعتناق جنسيتها، فكثر الطلّاب والمتجنسون بالجنسيّات الغربية حتى اضطرّ الباب العالي في حوادث لبنان سنة ١٨٤٠ و سنة ١٨٤٥ ان يوقف هذا التيار فأمر ان يُحصى عدد المتجنسين؛ ثم جزم، لاشهر قليلة خلت، ان لا يقرّ بعد بتلك الجنسيّات ولا يعتبرها. فاستغنم الفرصة البطريرك مظلوم واقنع الحكومة التركية بضرورة تعلّق الكاثوليك الوطنيين بها تراً، وقضاء امورهم رأساً، فنجح بعد جهود كثيرة ونال فرماناً خصيصاً به يخوّله تمام الاستقلال عن الكاهن-البطريرك الارمني. واستلم الفرمان في ٧ كانون الثاني من سنة ١٨٤٨، وكان نصه يحاكي براءة سنة ١٨٣٧ الّا انه يعترف باستقلال الملكيين المدني النهائي وفي الوقت نفسه صدرت براءتان للبطريركين الآخرين: بطريرك السريان، وبطريرك الكلدان، تقرّانهما رئيسين مدنيّين على طائفتيهما المتميّزتين، وتشترطان عليهما دوام تعلقهما بالكاهن البطريرك وتمثيله لهما في قضاء امور ملتيهما.

وبعد ذلك بقليل ، وقبل ان يصدر الخط الهمايوني لسنة ١٨٥٦ تمتع السريان والكلدان الكاثوليكيون بالرعاية التي منحت اولاً لمظلوم ، وفازوا مثله بتحريرهم المدني التام.

اما الموارنة فكانوا على خلاف ما تقدّم . اجل ان السلطان كان يذكر الموارنة في بعض فرماناته التي اصدرها كأنهم يتعلقون او يجب عليهم ان يتعلقوا بالكاهن-البطريرك الارمني في امورهم المدنية ، ويرغب اشدّ الرغبة في ان يقبل بطريركهم اسوة بسائر البطاركة براءة التولية ، وقد شاء ان يجبره على ذلك. ولكنه لم يفلح لان بطاركة الموارنة الساكنين جبل لبنان المتمتع بالاستقلال الداخلي كانوا يرفضون دائماً هذه المنح التركية . وكان اساقفة الموارنة حتى في المدن التابعة للولايات التركية : كبيروت وطرابلس وحلب والشام يعالجون امور رعاياهم دون ان يكون معهم فرمانات تخوّلهم ذلك.

ان العمل المقضي كثيراً ما كان يقوم مقام الشريعة في تركية . وكان موقف بطاركة الموارنة الاستثنائي حجة تقليدية يتذرّع بهم خصومهم في القرون السادس عشر والسابع عشر والثامن عشر للايقاع بهم ، فيوشون بهم ان ليس لهم فرمانات ، وان لهم علاقات متصلة بالدولة الفرنسية والبابا ، وكان الباب العالي يستثمر الفرص لاختلاس الدراهم ، فيتظاهر بالجهل ، ، ويعجب للامر ، ويأمر بالتفتيش ثم يجبر الموارنة وبطريركهم المجرّم بدفع النفقات الباهظة.

الخلاصة

ان الكنائس الشرقية قد تحرّرت بتدخل باباوات رومة ومطالبة فرنسة وحزمها فوجب اذن ان نستفيد من حريتنا لنبعد عنّا كل مشادّة وسوء تفاهم فنتحد . وباتحادنا نحقق رغائب مخلصنا وهي ان يرى كل المسيحيين مجتمعين في حظيرة واحدة وتحت سلطة راعٍ واحد.

ان كلمة « كاثوليك » قد ساعدت كثيراً على تحرير الكنائس الشرقية المدنيّ كما قدّمنا ؛ وهي لكم ، يا سادتي اعضاء النادي الكاثوليكي ، كمأم

تحالفتم ان تجتمعوا تحته كلكم ، من اية طائفة او ملة كنتم ، وبانضمامكم هذا يسهل عليكم ان تجدّوا وراء غايتكم وهي ان تحبّوا الله وتدافعوا عن كنيسته.

ليس في الكنيسة الكاثوليكية ، سادتي ، من احزاب . قال بولس الرسول في رسالته الاولى الى اهل كورنتس : «قد أُخبرت عنكم ايها الاخوة ان بينكم خصومات اعني ان كل واحد منكم يقول انا لبولس او انا لأبلوس او انا للصفا .. فلا يفتخرن احد بالناس فان الكل هم لكم بولس وأبلوس والصفا وانتم للمسيح والمسيح لله.»

ثم ان في الكنيسة الكاثوليكية تساوياً لجميع الشعوب . قال القديس بولس : «انكم كلكم قد لبستم المسيح بالمعمودية وليس يهوديٌ بعد ولا يوناني ، لا عبدٌ ولا حرٌ ، لانكم كلكم واحد في المسيح يسوع» وشرح البابا بنديكتوس الخامس عشر قول الرسول هذا قال : «ان كنيسة يسوع المسيح لما لم تكن لا لاتينية ولا يونانية ولاصقلبية بل كاثوليكية ، كان انها لا تفرق بين ابنائها وكان ابناؤها من يونان ولاتين وصقالبة او ممن ينتمون الى طوائف اخرى ، متساوين رتبةً ومقاماً امام الكرسي الرسولي.»

وبما اننا كاثوليك ، يجب ان يكون لنا روح واحد ونفس واحدة ، وذلك طبيعي لا بل ضروري لنا لان لنا مخلّصاً واحداً وهو سيّدنا يسوع ، وتعليماً واحداً وهو الانجيل المقدس ، وغاية واحدة وهي السماء.

الفينيقيون وجيرانهم

بقلم الامير موريس شهاب
امين دار الآثار اللبنانية

١

في متحفنا اللبناني مجموعة نفيسة من كل ما اكتشف من الآثار بعد الحرب، في بيبلوس وصيدون وغيرهما من مناطق الجمهورية اللبنانية . واهم هذه المناطق سهل البقاع وقسم من فنيقية القديمة . اقول : قسم من فنيقية ، لان التقاسيم السياسية حرمتنا من منطقة عكا في الجنوب ؛ وفي الشمال ، من مملكة أراد او رواد الفنيقية التي دفعت حدودها ، في بعض العصور ، الى داخلية البلاد حتى انتهت في الالف الاول قبل المسيح الى حدود مملكة حماه.

واني احصر بحثي اليوم عن الفنيقيين في ما قبل القرن العاشر ق . م . وبعد ان اقدّم مقدّمة في نشأة هذا الشعب والخدمات التي ادّاها للمدنية العامّة ، ابحث خصوصاً في بيبلوس ، وهي المدينة الفينيقية الوحيدة التي جرت فيها الحفريات على طريقة منظمة.

فنيقية السابقة للتاريخ

كانت فينيقية التاريخية تتألف من اربع ممالك تستقلّ كل منها استقلالاً ادارياً ، ولكنها تتحد جميعها في خدمة المصالح المشتركة بعلاقات متينة ، فضلاً عن ان ساكنيها كانوا كلهم من عنصر واحد يتكلمون لغةً واحدة . وكانت هذه الممالك من الجنوب الى الشمال : صور ، فصيدون ، فبيبلوس ، فأراد . اما مملكتا صور وصيدون ، فلا نكاد نعرف عنهما شيئاً مهماً في العصور

العريقة في القدم ، اللهمّ ما عرّفتنا به الرُقم المصرية والاشورية واليونانية . وما ذلك الا لان الحفريات لم تجرِ فيهما ، حتى اليوم ، على طريقة منظمة . وعلى كل فلا يظهر انه كان لهاتين المملكتين تأثير مهمّ قبل القرن العشرين ق.م. ولكننا ، اذا وثقنا بشهادة هيرودوطس ، رأينا ان الفنيقيين مصّروا مدينة صور نحو القرن الثامن والعشرين ق. م.

على ان هذا الشعب كان ابعد من ان يُدعى بالاسم الذي شهره به في ما بعد مؤلفو اليونان. فان « الفنيقيين » سُمّوا كذلك نحو القرن السابع ق.م.، في حين انهم لم يكونوا يدعون انفسهم بهذا الاسم. ولنا مثال على ذلك في تسميتنا « بالافرنج » كثيراً من الشعوب الاوربية لا نميز فيهم بين السكوني والجرماني والصقلبي .

اما ما كان يسمّي الفينيقيون انفسهم به فهو اسم « الكنعانيين ». وكذلك تدعوهم التوراة فتقول « كنعان يسكن الجبل (اي لبنان) وشواطئ الاردن». وفعلاً فان الكنعانيين ، الذين ازدهرت مدنيتهم في ارض الميعاد قبل وصول العبرانيين ، كانوا من انسباء جدودنا الفنيقيين .

ثم نحن نعرف تطوّراً حصل في عادات الكنعانيين بين القرن الخامس والثلاثين والقرن الثلاثين ق. م. وذلك في طقوس احراق الموتى . فان الكنعانيين تركوا عادة احراق موتاهم ، في هذا العهد ، واخذوا بدفنهم . فيمكننا القول ان هذا التطور نتج عن تغيّر حصل في دينهم وفي عناصر شعبهم . ومن ثمّ يمكننا طرح فرضية ، هي ان الفنيقيين بدأوا بتمصير فنيقية في منتصف الالف الرابع ق. م.

ومما يدل على انه كانت في فنيقية شعوب قبل الفنيقيين ، آثار ظرّانية متعدّدة محفوظة في مستودعات متحفنا ، كان شعب الطور الظرّاني يستعملها للمدافعة عن نفسه او لصيد الحيوانات .

ولكن استعمال الظرّان سلاحاً لم يتجاوز الالف الرابع ق.م. فتحوّلت بعده تلك الحجارة ، من اسلحة للدفاع والمهاجمة ، الى ادوات لازمة للقيام ببعض واجبات العبادة . ونحن نعرف ان العبرانيين بعد ان قطعوا البحر الاحمر ،

وقبل ان يدخلوا ارض الميعاد ، اختتنوا بواسطة هذه الادوات الظرانية . كما انه لا شك في ان الشفرات من الاوبسيديين المكتشفة في بيلوس ، والمحفوظة في متحفنا ، كانت تُستعمل للختان ايضاً .

فنيقية التاريخية

اختلط دم العنصر الجديد الطارئ على فنيقيـة بدم سكّانها الاصليين ، فنفخ فيهم روحاً جديدةً اضافت الى رغبتهم الاصلية في قنص الوحوش وصيد الاسماك ، رغبـةً ثانية دفعتهم الى المغـامرات في سبيـل التفتيش عن مورد جديد للارتزاق قد يكون أنفع واغزر مما كانت تدرّه عليهم جبالهم الحرشاء الملأى بالضواري . فلفتوا انظارهم الى ما وراء الافق ، واخذوا يخـاطرون بارواحهم على سطح البحر المضطرب .

وكان اول بلد حطّوا فيه مرساتهم ، وباشروا معه علاقاتهم ، وادي النيل الوافر الخصب . وكأن جاذبية خاصة قوية كانت تدفع كلًّا من البلدين الى الآخر فتربطهما بانواع العلاقات المختلفة . كانت مصر خصبة غنية يحكمهـا فراعنة وامراء محبّو البذخ ، كثيرو الرغبة في الترف . ولكنّ الطبيعـة التي انعمت على ذاك الوادي بكثير من مرافق الخصب والرخاء ، حرمتـه الخشب اللازم لجميع مظاهر الترف من قصور شاهقة ، وهياكل ضخمة .

اما فنيقية فكانت ، على الرغم من ضيق مساحتها ، غنيـة بالغابات من ارز ، وسرو ، وصنوبر . فكان بامكانها والحالة هذه ان تقتطع مـا يحتاج اليه فراعنة مصر لاظهار عظمتهم ، وتمجيد الهتهم . ولمـا كان الفنيقيون من احذق الشعوب في استخدام الغريزة التجارية ، لم يدعوا هذه المناسبة تفوتهم ، فاستفادوا منها . وبدأت علاقاتهم مع المصريين تتسع وتتمكن منـذ العصور العريقة في القدم ، حتى ان فراعنة مصر ، الفي سنة قبل سليمان الحكيم ، كان يمكنهم القول لرؤساء الفنيقيين : « مروا رجالكم ان يقطعوا لنـا من أرز لبنان ! »

وهكذا تحوّل الفنيقيون من قنصة وحوش ، وصيادي اسماك ، الى ارباب

تجارات واسعة ، ورحلات شاسعة في البحار . كانوا ينقلون الى مصر الخشب والصمغ والقطران ، ويعودون بالمعادن والانسجة والحجارة الكريمة مما كانت تنتجه الصناعة المصرية المزدهرة في تلك العصور . فيحملون قسماً منها الى بلادهم ، ويطوفون بالباقي ، على شواطئ المتوسط ، وبين جزره ، يتبادلون به مع سكانها المختلفي الصناعات .

ولما كانوا بحاجة الى محالّ يعرضون فيها بضاعاتهم ، او يسيرون منها الى داخلية البلدان ، اخذوا بانشاء تلك المحطات التجارية وعدّدوها حتى اختطّوا لهم نوعاً من « طريق الهند » الى داخلية اسبانية ، والمحيط الاطلنتيكي ، وجهات البحر الاسود . اما في المواضع التي لم يكن لهم فيها من تلك المحطات ، فانهم كانوا يعرضون سلعهم على الشاطئ او يحملونها طائفين من بيت الى بيت شأن الباعة المتنقّلين في عصرنا .

ولكن الويل للرجل ، وخصوصاً للمرأة ، اذا انفرد او انفردت على الشاطئ . فان هؤلاء الباعة اللطفاء سرعان ما كانوا يأسرون الرجال ويسبون النساء ، فيقلعون بهم ويبيعونهم في اسواق الرقيق . وقد كثر ذلك منهم ، حتى ان هوميروس ، على اعجابه بالفنيقيين ، يدعوهم « بنشالين » اذ يذكر هذا الامر . وكان مؤلفو الفرس يقولون في ذلك قولاً نقله هيرودوطس وأقرّه وهو : « ان خطف النساء من اعمال الظلمة ، ولكن السعي في الانتقام من الخاطفين رأيٌ فاشل ، لاننا لا نعرف امرأة تُخطف دون ارادتها . » (١ : ٤) ولنا في تقاليد اليونان شهادات يُستدلّ منها ان بعض الآباء كانوا يبيعون بناتهم او يعطونهنّ للتجارة الاجانب .

ولكن ، على الرغم من هذه الاعمال ، توصّل الفنيقيون الى عقد اتفاقات عديدة مع زبائنهم ، فكانوا اداة الوصل بين الشعوب المختلفة ، فعرّفوا بعضهم بالبعض الآخر ، وعملوا في ذلك على تعزيز المدنية ونشرها .

* * *

اول من بدأ العلاقات مع مصر من الفنيقيين كان تجار جبيل التي دعاها المصريون أوّلاً « كبن » ، ثم « كبن » ، ثم بيبلوس . ولهذا كان يتمتع المصريون

مراكبهم الكبيرة «بالكبنة» اولاً ثم «بالكبلية» . ولم تفتأ الاسطورة ان علقت باصل هذه العلاقات المتينة ، فارتقت بها الى عصر عريق في القدم ، ونسبتها الى أصل الهي ، حفظه لنا بلوطرخوس ، فقال ما ملخصه :

حصل في مصر نزاعٌ بين اله الشر سيت واله الخير أوزيريس ، فتغلب الاول على الثاني . واذ ظفر به قطعه إرباً إرباً ورماه في البحر . فحملت الامواج اشلاءه الى شاطئ بيبلوس . ولم تلبث هذه الاعضاء الالهية ان تحولت الى نبات ، فظهرت بشكل شجرة غاية في الجمال والارتفاع ، حتى اعجب بها ملك بيبلوس ؟ فأمر بقطعها ، وجعلها احد اركان قصره .

ثم علمت الالهة إيزيس ، امرأة اوزيريس ، ما حلّ بزوجها وما صار اليه . فاعدّت عدتها للحاق به ، وسافرت الى جبيل - بيبلوس . ولما كانت خبيرة بطبائع بنات جنسها وبنفوذهنّ على ازواجهنّ ، اتصلت بملكة المدينة زاعمة انها تبيع ادوات الزينة وانواع الاطياب . والله اعلم كم كان يهمّ المصريات ، وعلى مثالهنّ الفنيقيات ، بدور الزينة والتطييب ! وان نساء اليوم ، مع كل ما في حجرهنّ من اصابع حمر ، واقلام سود ، وحناجر وعلب مختلفة ، لابعد من ان يدانينّ نساء القدماء في هذا الامر . فلتعزّ ! ولتصبر !

وبعد ان اطلعت ايزيس ملكة بيبلوس على أسرار الزينة المصرية ، ففازت بلذ الثقة عندها ، اظهرت حقيقتها وغاية سفرتها ، فنالت من الملك السماح بنقل الشجرة المحتوية على رفات زوجها اوزيريس الذي سوف يبعث حياً بفضل عنايتها وبرّها به .

وان هذه الاسطورة لرمز واضح لتلك العلاقات ، وهي تتفق والحقيقة التاريخية في ما خصّ قسمة مصر الى مصر عليا او وادي النيل ، ومصر سُفلى او دلتا . واننا نرى في الصور القديمة ان الاله سيت كان يُعبد في مصر العليا ، واوزيريس في الدلتا . ثم بعد منازعات عديدة تغلّبت الدلتا ، واجبرت وادي النيل على السجود لالهها . اما رحلة ايزيس الى بيبلوس وعودتها فهي رمز للعلاقات بين البلدين وما تقدّمه الواحدة للاخرى من المرافق . فبيبلوس تعطي الخشب وما اليه ، ومصر الصناعة والفنّ .

(للبحث صلة)

على عهد الامير

امانة لبناني

لو سبدي طيب ما شفتي بفهرك !

حكاية لبنانية تاريخية

بقلم فؤاد افرام البستاني

اذا ذُكر الشيخ بشير جنبلاط ، ذكر خصم اليزبكيين الالدّ ، وزعيم الجنبلاطيين الاكبر ، واعظم ركن لمناوئي الامير في الشوف . كان يغضب على احكام مولى البلاد فيغضب معه الالوف من الشوفيين ولا يعرفون سبب غضبه ؛ حتى اذا رأى ان قوة الامير اشدّ من ان تقاوم ، اظهر الرضى عن الحالة ، فرضي حزبه معه . وهكذا كانت حياته مع سيّد لبنان : يظهر السخط فيقابله الامير بالعنف ، ويبدي الطاعة فيكافئه بالانعام ، حتى قتل سنة ١٨٢٥ ، فاستراح الجميع من دهائه .

وكان للشيخ بشير ابن عم يدعى عليًا شاطره شرف المولد ، فاراد ان يعادله خطرًا وتأثيرًا في البلاد ، فألف حزباً خاصًا جمعه من شذّاذ اليزبكيين ، ومغتاظي الجنبلاطيين ، وبعض دعاة ابي نكد ؛ وراح ينافس ابن عمه في مآتيه ، فيناظره في آرائه ، فيناوئه في مواقفه تجاه الامير . حتى اصبح المولى نقطة الخلاف بين الشيخين ، اذا نفر عنه بشير تقرّب منه علي ، واذا ابتعد عنه علي تألّف اليه بشير .

وحدث ، في تلك الاثناء ، ان استحكمت عُرى الولاء بين الامير والشيخ بشير ، فتعاظم الخلاف بينه وبين علي ، حتى تعدّت المسألة طور الوعيد الى العمل والتأديب . فامر الامير نفرًا من رجاله ان يهاجموا رجال الشيخ علي في الشوف ، فساروا . وكان هذا قد عمل فيه الحقد على الامير وبغضه لابن عمه ، وطمع في احداث حركة في البلاد تكون سبب شهرته ، وغرّته امانة رجاله المخلصين ،

فقسمهم فرقاً تعيث في تلك الجهات ، كلٌّ بمنطقتها . حتى وجّه اليه الامير تلك الشرذمة ، ففتّ في عضده . فجمع رجاله في اعالي السمقانية ، وبعد ان قوّى عزائمهم الخائرة ، تحالف وإياهم على الموت معاً او الانتصار معاً . وكان في كلامه نبرة خاصة برهنت عمّا نفسه من رباطة جأش ، وقوة عزم ، واستخفاف بالامور ؛ فنفخ في قومه عاطفة شديدة ، واضرمهم بتلك الحماسة الوخيمة ، فثاروا يفتلون البنادق بالهواء ، ويخرقون الجوّ باهازيجهم الحادّة

والتقى الفريقان في سهول بقعاتا . فتحاجز الرجال بالمتاريس مدّةً لا ينال احد من خصمه مراماً ؛ ولا يسمع الا طلقات متناوبة ، فردية ، لا تهيج غضباً ، ولا تثير شجاعة ؛ حتى ترك الشيخ علي متراسه وصاح برجاله فحملوا حملة الاستقتال . فصدّهم رجال الامير السيف بالسيف والرصاص بالرصاص . وكان الشيخ ينتقل بسرعة البارق من نقطة الى اخرى ، يختطف الابصار بعقاله المذهّب وباساور بندقيته الفضية الساطعة تحت اشعة الشمس . فكان كمن نصب نفسه غرضاً لسيوف العدو ، وهدفاً لرصاصهم ، فطمحاً لمفاخرهم ، تحوم حوله ابصار الجميع ، وكلٌّ راغبٌ في اردائه .

وكان الامير خليل ، ابن الامير بشير ، وقائد رجاله في تلك الموقعة ، يجتهد في ان لا يمسّ الشيخ علياً أحدٌ قبله . فنحّى مَن امامه من الرجال وصوّب الى خصمه فوهة بندقيته . وما ان دوّى الرصاص حتى تطايرت ذوائب كوفية الشيخ علي . . . ورأى العصاة قائدهم يتمايل قليلاً في سرجه ، فينحني معانقاً رقبة جواده ، مرخياً له اللجام ، فيطير به هذا الى ما وراء تلك السهول . عند ذاك تخاذلت قواهم ؛ ففرّ بعضهم وراء الشيخ والرصاص يتناثر على رؤوسهم ، واستسلم الباقون ؛ فاقتيدوا صاغرين الى سجون القصر المظلمة . وعاد الامير خليل تلاقيه زغاريد الفرح ، ويستقبله دخان البارود .

* * *

على ان الامير الكبير لم يطمئن باله لهذا النصر ، وظلّ موجساً من وجود الشيخ علي . فأخذ في بثّ العيون للتفتيش عنه ، فلم ينل نتيجة . وكان هذا قد لجأ ، بعد ان تخلّى عنه الجميع ، الى مغارة نيحا المشهورة بعمقها ، ومناعتها .

فانتهى اليها منهوك القوى ، خائر العزيمة ، وقد سال اكثر دمه من جرحه البليغ ؛ فانطرح يئنّ موجعاً ، فتجاوبه اصداء الكهف ؛ ويتمنى مؤانساً فلا يراه الّا في كواسر تلك الشواهق. وكأن حتى الجرح آثرت في دماغه ، فاخذ يهذي ، متخيلاً رجاله يدافعون عنه ، ثم ينهزمون ، ثم يعودون الى الحرب فينهزمون ثانيةً ، تاركينه غارقاً في دمه المتدفق . . . وهكذا قضى نهاره ، فلم يتنبه في المساء ، الّا لخيالٍ يرتقي ببطء مرتفعات الجبل ، وينسلّ بين طيّات الصخور ، ويقطع اخاديد الكهف الى قرب الشيخ ، فيغسل جرحه ، ويضمّده بلفافات من القماش الغليظ ؛ ثم يجلس صامتاً ، ساهراً على باب المغارة. كان هذا غنطوس القهوجي ، البعذراني الاصل ، خادم الشيخ عليّ الخاصّ ، وكان قد شهد مصير سيّده بعد ان خرقت جبينه رصاصة الامير خليل ، وعرف وجهة هربه ؛ فاسرع الى قريته وتزوّد ما يلزم من الماء واللفافات ، وانتظر الليل حتى غلّف الجفون ، فصعد بخفة الماعز الى ذاك الملجأ الامين.

وظلّ في خدمة سيده الجريح خمسة عشر يوماً يسير في النهار بين القرى المجاورة ، فيستصحب الادوية والزاد ، حتى اذا جنّ الليل عاد الى مقرّه ، فاعاد ضماد جرح الشيخ ، وسهر عليه بعين يقظى. بينا كان الامير بشير ، وقد يئس من الوقوف على عدوّه ، يُرسل عمّاله فينادون في القرى والمدن ان من يأتي برأس الشيخ علي جنبلاط ، او يدلّ على مقرّه ، يُعطى عشرة اكياس ، ويُعيّن في «خيالة الامير» .

وكان غنطوس يسمع ذلك في سيره بين القرى ، فيهزّ رأسه لاحكام مولى لن يتمكن من فصل خادمٍ عن سيّده . . .

* * *

مرّ على معركة بقعاتا اسبوعان ، والامير بشير لا يزال مهتمّاً بتلافي نتائج ذاك العصيان . واذا باحد حجّابه يدخل عليه « قاعة العمود » ويقول:

— يا مولاي على الباب شيخ يطلب مواجهة سعادتك !

— دعه يدخل .

وما لبث الحاضرون ان رأوا شيخاً ربع القامة ، عبث الشيب بلحيته ،

وخرق الفقر عباءته ، يتقدّم مرتجف الاعضاء ، كليل البصر .

فنظر اليه الامير طويلاً وقال :

— وما تطلب يا عم ؟

فحنى الشيخ رأسه ببطء ، وجمع اطراف عباءته الى الامام ، وقال بصوت ضعيف :

— يعيش راسك ! سيدي يفداك .

— ومن سيدك ؟

فاطرق الشيخ ايضاً ، وقال بصوت يخنقه الاسف :

— انا غنطوس القهوجي من بعدران . وسيدي الشيخ علي جنبلاط . وقد مات ودفنته هذا الليل في مغارة نيحا !

وكانت تلك الكلمات المتقطعة تقع بسكون على السامعين ، فبهتوا جميعهم .

اما الامير فتفرّس طويلاً في الشيخ ، ثم هزّ رأسه ، وقال :

— انك لكاذب ! وتريد ربح العشرة الاكياس . . . والّا فاين رأس سيدك المزعوم !!!

فارتجف غنطوس لذكر رأس سيده ، وتراجع مذعوراً لتصوّره نسبة الخيانة اليه ، واجاب بكل بطء .

— لو سيدي طيّب ، ما شنتني بقصرك !

ثم ادار ظهره الى الامير ، واتجه بسكون نحو الباب .

***

عند ذاك تحقق الامير امانته ، فاكرمه ، واتخذه بين رجاله ، فاعطاه فرساً ، واجرى عليه « خرجاً » ، وفتح له غرفة في قصره .

مجلة المجلات

للاب توفل البسوعي

الانتحار

قضى الرجل نحبه ، مأسوفاً عليه ! لكنه لم يمت حتف انفه ، بل انتحاراً . هل طوّح به الغرور واستهواه شبح رئيس بلدية كورك الارلندي الذي اضرب عن الطعام فمات جوعاً فداء حرية بلاده ؟ وما كان احرى سعدون بان يصبر على الشدائد صبر زغلول فينال ما ناله زغلول من الظفر لبلاده ! لو شرب زغلول السم زعافاً في جزائر سيشيل ، هل كان بلغ صوته عنان السماء ، حتى ماجت له الجماهير المصرية ، ودوّت له الافاق ، فزعزع الشاد البريطاني واضطره الى التداول مع مصر مداولة الزميل مع الزميل تغريباً .

قال الحارس (١٩٢٩ ، ص ١٤٦) :

عندما انتحر الوزير العراقي كتب الى مجلة الدارس في انكلترا رسالة يشرح بها الاسباب . وكلها سياسية . فقال ان بلاده تطلب استقلالها . لكنها ضعيفة عن نيله . والانكليز يعرفون ضعفها فلا يلبون طلبها . وهو ان ينصح شعبه بالتروي يتهمه الشعب الجاهل بمالأة الانكليز . فرأى ان يريح نفسه من هذا الطريق الشاق

هذا التعليل من الرجل الكبير الراحل يدل على حراجة مركزه وعلو نفسه . لكنه لا يعلل النقطة الجوهرية التي نبحث عنها في الانتحار . فهو لو افتكر مثلاً كما نحن الآن نفتكر لرأى ان التنحي المجرد عن الوظيفة وعن السياسة برمتها كاف لتخليصه من ذلك المركز الحرج

لان كثيرين غيره وجدوا في مثل مركزه فحلوا المشكل بمحض التنحي عنه . لا بالتنحي عن الوجود . لاسيما انه رب عائلة وقد رجا من ولده ان يعتني بها بدلاً منه

وعلى كل منتحر في العالم يمكننا تطبيق هذا الرأي . فالانسان ياتي الى الدنيا بغير مشورته . ولهذا كان اعتقاده انه حر في مغادرتها ايان شاء اعتقاداً فاسداً . فهو لم يجيء مختاراً حتى يذهب مختاراً . وكما لا يجوز له ان ياخذ حياة سواه هكذا لا يجوز له ان يأخذ حياته

فضلاً عن الديون التي تقع عليه يوم تبصر عيناه النور . فالحياة التي تمتع بها . والعيش الذي عاشه بالاكل واللبس وسائر وسائل الراحة والتنزه من كل ما يرى وما لا يرى . هذه ديون عليه يجب ان يقوم بوفائها مع الفائدة القانونية . يجب ان يفعل للكون اكثر مما فعل الكون له وليس التقصير بعد السعي عيباً . لان الدنيا تطلب السعي فقط . وقد قال الشاعر :

على المرء ان يسعى الى الخير جهده وليس عليه ان تتم المقاصد »

الوهابيون والخلافة

بلغتنا اخبار بلاد العرب ، متقطعة ، متناقضة . نموا الينا يوماً فيصل الدويش ؛ وتحدثوا ، بعد ذلك ، بزحفه في نجد على قوات ابن سعود . اما هذا فلا يزال مواظباً دعايته الى المذهب الوهابي ، فينسب الى الخروج عنه وبلاد المسلمين ، ويتذرع بمبادىء ليسالج مشكل الخلافة ، ولا يخفي ميله الى الانكليز ؛ وهو لا يطالب بالخلافة لنفسه صريحاً ، ولكن القارىء يفهم من خلال الحديث ، ان الامير الوهابي الاعظم «بطل الاسلام» كما تدعوه « الاصلاح » لن يمانع في قبول الخلافة اذا عرضت عليه . جاء في الاصلاح (١٩٢٩ ، ص ١٢٤) من محاضرة للشيخ حافظ وهبه في الجمعية الاسيوية بلندن :

لئن كانت نجد الى ما قبل الحرب العظمى تعتبر سياسياً ودولياً تابعة للحكومة العثمانية ، فان النجديين لم يكونوا في الواقع يعترفون بسلطة الاتراك الدينية ولا بخلافتهم ، وان لم يجاهروا بذلك . فلم يكن العثمانيون في نظر النجديين حاملي لواء الدين الحقيقي ، ولا قائمين باحكام الشريعة الاسلامية كما كان يطلب منهم كزعماء الخلافة الاسلامية التي هي نيابة عن الرسول (صلعم) في المحافظة على شعائر الاسلام ومصالح المسلمين . فقد الغوا الحدود الشرعية كلها تقريباً ، ولم يتمسكوا من الاسلام الا بالقشور . وقد كانوا حماة لكثيرين من دعاة البدع كالبقطاشية والمولوية ، وغيرهم ممن كانوا وصمة عار في جبين الاسلام

ولقد رددت الصحف ولاكت الالسن ان امام الوهابية الملك عبد العزيز ابن السعود من الطامعين في الخلافة أو الراغبين فيها . ولكن الواقفين على طبيعة هذه الجماعة وعلى اخلاق امامهم يستبعدون هذا بل وينكرونه ، ذلك لان المسلمين الآن ليسوا بالحالة التي كانوا عليها في عصر الخلافة الاولى . فقد كانوا في الماضي حكومة واحدة مركزية ، ولذا كانت الخلافة تمثل رئيس هذه

الحكومة الذي يستطيع ان يحميها ويدافع عنها في كل قطر من الاقطار . وكانت البيعة في ذلك العصر تماثل — من كافة الوجوه — ما يسمونه الآن باجماع الشعب على اختيار رئيسه . وهو اجماع اهل الحل والعقد على اختيار الخليفة.

اما الامم الاسلامية الآن فيتقاسمها نفوذ كثير من الدول . ولا سلطة للخليفة ، لا فعلية ولا صورية . فالخليفة في الوقت الحاضر لا يكون الا مجرد زعيم صوري لعهد لا وجود له . ولذا فالملك ابن السعود يأبى ان يكون هذا الزعيم . ويرى ان الخلافة عبء ثقيل قد تجر عليه مشاكل هو في غنى عنها»

دفع الاذى بالعار

جاء في مجلة «الانسان» Man (اوكتوبر ١٩٢٩ ، ص ١٦٩) بتوقيع والتركلين

كنت في الربيع الماضي على ساحل بلاد العرب الجنوبي انتقل بين عدن ومكلّا والشحر ، فاخبرني احد العرب عن عوائد اجتماعية ألفوها في تلك البلاد ولا اظنّ احداً سبقني الى الكتابة عليها. ومن تلك العوائد ما يسمونه «العزل» وهي وسيلة يتذرّعون بها لدفع الاذى بالعار اذا وقع احدهم بضيقة ، وحرج ، وخاف على نفسه من نقمة عدوّ او خصم مريد قتله ، اخذ بارودته وخنجره وساق شاةً لذبيحة دينية ، واصطحب بابنته او بامرأته ، ومضى الى بيت الزعيم المرجوة منه حمايته . فينحر البهيمة على الباب ويطلق بارودته في الفضاء ، حتى اذا اجتمع القوم حوله يلقي ابنته او امرأته على الحضيض ورأسها مستند الى الجثة الدامية ويعلن على رؤوس الملا انه اصبح عبداً ذليلاً لصاحب البيت ، ويقدم له المرأة حليلةً . فيأتي صاحب البيت ويرفع المرأة حتى اذا نهضت يقول: «وهبت حمايتي» فيدخل حينئذ اعيان القرية وسكانها بيت الزعيم فيولم لهم وليمة . اما الشاة المذبوحة فلا يأكلها الا الخدم.

ومن البديهي ان مثل هذه العهود لا تعقد ما لم يختلسها المستجير اختلاساً ، ليذبح الشاة على باب صاحبه قبل ان يتاح للرجل رفض الحماية . وقد يتذرع فقاتل بتلك الحيلة ليحصل على مصالحة اهل القتيل . ولكن الصلح لا يدوم

الا اشهراً معدودة ريثما يتسنى للقاتل الجلاء عن البلاد ، او لـذويه التدخل في الامر طالبين العفو. ومن البديهي ايضاً ان هذه العادة تجر معها فضيحة المستجير، وقد ادخل احدى نسائه في ضيافة رجل آخر ، فيوسم بسمة العيب والعـار . ولذلك لا يلجأون الى مثل هذه الوسائل الا مضطرين.

على ان العار كل العار يلبس الرجل الذي ، اذا قصد في مثل هذه الظروف ، يرفض اجارة المستجير او يقطع عهوده معه بعد ان يكون قد قبله في حماه

هذه طريقة من الطرائق التي يسلكونها في بلاد العرب وفي شمالي افريقية «توقياً من الاذى بالعار» انما هي تتميز بثلاثة اشياء: بالذبيحة الدموية ، وبتصرف الرجل بالمرأة كما وصفناه ، وبواجب الضيافة من قبل الزعيم...

الالعاب الرياضية ومضراتها

في « المراسل » الافرنسي (Le Correspondant) (١٠ ايلول ١٩٣٩، ٧٢٨) مقال ممتع في الالعاب الرياضية الى فيه صاحبه بنظرات ثاقبة على مجرى تلك الالعاب في اوروبا ، وخاصة بين الانكلوساكسون والافرنسيين ، فاعرب عن استحسانه للالعاب وهو ممن مارسوهـا وتفوقوا بها ثم تطرق الى وصف مزاياها وما تؤدي اليه من النتائج النير المحمودة ان حلت في غير مكانها من الاهمية. فضحك ممن اهتموا بمبارزة كربتر ودمبسي اهتمامهم بمبارزة نابوليون ووالينكتون في واترلو ، وسخر بالمعاهد العلمية المفاخرة بظفر اساتذتها بالمسابقات على الزوارق في البحر قبل مفاخرتها بعلمهم ، وبالاهات المتباريات بتغذية اطفالهن طعماً بان يغلب ولدهن غيره بلونه الوردي واعضائه المسنة ، وهجا على الاجمال افراط المتنين بدنهم عناية اشبه منها بالعبادة ، المضحين في سبيل طوله وعرضه وشكله المواهب الغريزية المعدة فيهم اولاً لاعمال النفس. على ان الجسد انما هو خادم النفس فلا بد له من الصحة والعافية للقيام بخدمتها. وقد تساعد الالعاب الرياضية على الصحة البدنية كثيراً بدفع الانسان الى العيش في الهواء المنعش ، المحرك الدم ، المقوي مزاوج الصدر ، الدافع النشاط في الاعضاء . ولكن تلك الالعاب لا تبلغ المرام الكامل ما لم تروض النفس مع الجسد. ان ميادين لعب كرة القدم على سعتها تفسح مجالاً في العالم الادبي افسح واوسع من الحدائق الغنيرة تدعو فيها اللاعبين الى ممارسة الفضائل والفوائد الحميدة من صبر وثبات على التعب ، وحذاقة في الرمي ، وفطنة في استنتاج الفرص ، ولباقة في البروز ، وكرم بالطباع ، وحلم مع الخصم وقمع النفس في سورة الغضب ، وغير ذلك مما تقدم الى رؤساء المعاهد العلمية بادخال تلك الالعاب برامج تعليمهم.

ذلك هو وجه الالعاب الوضاح البهيج ولكن لها وجه آخر عبوس قاتم مشؤوم لفت اليه الكاتب نظر القراء ليتقيهم شره. قال :

«حلة الالعاب جميلة في رونقها وبهجتها ودعتها . فاذا بدلت تلك الحلة

بثوب الجدّ ، والبست اللاعبين درع المشاحنة والبغضاء ، قسمتهم حزبين متناوئين.

نعم ، لا بد من الرغبة في الظفر عن حماسة ونشاط ؛ والّا ، لهمدت الهمم : ولكن ، اذا جاوزت تلك الرغبة الحدّ المعقول ، حطّت من سمو العواطف . فتى وفتاة يلتقيان من طرفي شبكة كرة الراحة[1] ؛ لعبت الفتاة وهي اخف من الفتى ، فاضنكها التعب قبله ، وها هي تبطئ في الحراك وتخطئ المرمى . اما الشاب ، وهو ابن عمها ، فلم تخطر على باله عاطفة شفقة ولا كرم ، بل عاجلها بضربة قاضية ، مستتحاً الفرصة ، مفاخراً بقول القائل : حكم سيوفك في رقاب العذّل . . . فبئست المساجلة وساءت البطولة المشينة الدافعة الى البطش بالضعيف .

اما لعب كرة القدم فلا يدور دوره حتى تبرز فيه مظاهر الخشونة والتوحش : من ساقط مكسور الرجل ، الى مصاب بلطمة على رأسه ، الى منطوح بصدره ، الى مصروع في التراب ، مدوس ومغشّى عليه . لعمري ! هل ينقص تلك المعمعة سوى الخنجر او المسدس لتنقلب الى معركة دموية ؟

ومن المدهش ان الناظرين يتحمسون للاعبين . وقد تضرب حمية اللعب على بصيرتهم غشاوة ، فيفقدون صوابهم ، حتى انك لترى الشاب الاديب او الفتاة المهذبة واقفين على قدميهما مشرأبين الى المتساجلين ، مندفعين الى الهتاف والصخب والسبّ ، كما لو كانا قد تركا على باب الملعب آداب المعاشرة . وربما طارت شرارة من معمعة اللعب فانتقلت الى مصافّ الناظرين واضرمت بينهم نار منافسة عنيفة ادت الى المضاربة والملاكمة ونالت من بعضهم جراحاً بليغة

فمن الواجب اذن المحافظة على اصول اللعب الادبية ، لئلا يخطي غايته العظمى وهي ترويض النفس ، ويفقد رونقه وبهاءه

---

(١) عربنا jeu de tennis بكرة الراحة كما اضم عربوا foot ball بكرة القدم . ومن المعلوم اضم في اللعب الاول يستعملون آلة يسمونها raquette فان نحن سمينا تلك الآلة « راحةً » رددناها الى اصلها .

جاء في ملحق قاموس ليتره في مادة raquette دخلت اللغة الافرنسية من اسبانية وايطالية والبرتغال : raqueta او rachetta ، وهي في اصطلاحهم الكف او اليد من وجهة انقباضها ، وكانوا يلعبون بالكرة باليد او بالراحة . »

شذرات

يوبيل نيافة القاصد الرسولي

طالع قراؤنا الكرام في الجرائد اليومية تفاصيل الاعياد البهية التي اشترك فيها لبنان وسورية احتفالاً باليوبيل الفضي لنيافة السيد فريديانو جيانيني القاصد الرسولي ، واطلعوا كذلك على وصف الهدايا الثمينة التي قُدّمت الى نيافته عربون شكر ومحبة بنويّة . وقد رأى حضرة الخوري منصور عوّاد ان يحيي ذكرى هذه الاحتفالات الشائقة باثر دائم ، فجمع الرسائل الرعائية التي وجهها صاحب النيافة في الخمس والعشرين سنة من قصادته ، وطبعها في مجلّد كبير بلغ ٨٣٠ صفحة . ولا لزوم لتبيّن قيمة هذه « الرعائيات » الثمينة من حيث الدين والفلسفة والاجتماع ، فقد نال في الموضوع حضرة الخوري بطرس غالب في العدد الفائت من « المشرق » . فلم يبقَ علينا الّا ان نشكر لحضرة الخوري منصور عوّاد غيرته المحمودة ، ونهنئ مطبعة الآباء البولسيين في حريصا على اتقانها طبع هذا الاثر النفيس .

يوبيل مجلة الشرق والغرب

في هذا الشهر ، كانون الثاني ١٩٣٠ ، تحتفل ادارة مجلة «الشرق والغرب» الغراء بيوبيلها الفضي وتدعو اصدقاءها للاشتراك معها بالافراح . واننا نستنتج الفرصة لنشكر لاصحاب المجلة غيرتهم على تعريف الغير المسيحيين بالديانة المسيحية ولاهوت السيد المسيح ، ونسأل الله ، بمناسبة عرسهم الفضي ، ان يطبع في قلوبنا اجمعين الاسم الذي تسجد له كل ركبة في السماء وعلى الارض وتحت الارض هو اسم الاله الانسان المتوارد في مجلة الشرق والغرب ، فنفهمه بالمعنى الذي تعلمناه من المسيح ذاته عن لسان الكنيسة الرومانية الجامعة ، ونبذل حياتنا في سبيله وحده .

شهادة غير مجروحة

ذكرت جريدة (Le Messin) في عددها الصادر في ١٠ تموز الفائت ان احد الاميركيين ارسل مبلغ ١٠٠,٠٠٠ فرنك الى اسقف ڤردون تبرّعاً في سبيل ترميم الكاتدرائية المشهورة ، وكتب اليه ما يأتي : « اني ، وان كنت بروتستانياً ، اعترف ان الكنيسة الكاثوليكية هي ام النصرانية الحقة ؛ ولولاها لما كنّا سوى متوحشين في وسط عالم وثني ! »

لنحافظ على العصافير الصغيرة

تعالت مؤخراً ، في الكثير من انحاء اوربة ، اصوات الاحتجاج المنكر على عمل الصيّادين في ابادة العصافير الصغيرة . ولم يكن الدافع الى هذه الاحتجاجات جمال تلك العصافير ، ولا حسن اصواتها ، بل ما تقوم به من الخدمات الجمّة في سبيل الصحة العامّة ، وتحسين الزراعة ، باهلاكها العدد العديد من الجراثيم المنبثة في الهواء ، ومن الحشرات الغارزة في جذوع الاشجار ، وسوق النبات . فاذا انقرضت هذه العصافير النافعة ، لا نلبث ان نرى الحشرات تحتلّ بساتيننا فتقرض الازهار في براعيمها ، وتهلك الاثمار ولما تنضج . فيكون ذلك ضربة سنوية على محصولاتنا اشبه بضربة الجراد على مزارع مصر في العصر الحالي . أوَ لم نسمع ، لعدة اشهر خلت ، ان بعض المقاطعات الفرنساوية مهدّدة بحشرة تهلك مزروعات البطاطا فيها ؟ وما كان سبب ذلك الا انقراض عصفور « بو الحنّ » من جهاتها . أوَ لم يُجبر السكان ، في مقاطعة ثانية ، على احراق غابة بكاملها لينجوا من حشرة قاتلة كانت تمتصّ الحياة من اصول الصنوبر ؟ وما كان سبب ذلك سوى خلوّ المقاطعة من انواع الضرّب . هذا وان كثيراً من تلك الحشرات الدقيقة حتى لا تكاد تُرى الا بالمجهر تظهر في فتكها الذريع اشدّ صولةً ، واكثر مضاراً من الحيوانات الكبيرة ، حتى ان الانسان مع كل ما لديه من وسائل الدفاع والمقاومة لتظهر اعجز من ان يتغلّب عليها . فانها لصغرها ، وكثرة عددها ، واختفائها في خلال القشور ، او في مطاوي الاوراق ، تختفي على اشدّ الناس مراقبة ، فتفوز ببغيتها وتنال الظفر في تلك المعارك دون شك ، اذا ظلّ الانسان ماضياً في صيد تلك العصافير الصغيرة دون ان يشعر انها

الواسطة الوحيدة التي تعاونه على التخلص من هذا الخطر ، وتنيله الظفر النهائي على الحشرات .

كاهن كاثوليكي من حفدة لوتير

مات في تشرين الثاني الماضي ، في بلتيمور ، رجل كاثوليكي من حفدة لوتير الهرطوقي المشهور . وقد احتفل بالصلاة عن نفسه ابنه ، وهو راهب كاثوليكي من رهبان البندكتيين في بلمورال . وبتلك المناسبة تُليت صلوات كثيرة للتعويض عمّا الحقه جدّ العائلة بالكنيسة من الشرور ، وقد ذكرت « المجلة الكاثوليكية في بلتيمور » ان في الولايات المتحدة عشرين عائلة كلها من نسل لوتير ، وكلها كاثوليكية .

فوائد الملاريا

فكّر احد اطبّاء ڤينّة (النمسة) ، منذ سبع سنوات ، باستخدام الملاريا بطريقة غريبة ، وهي انه لقّح بها بعض المصابين بداء يكاد يكون لا دواء له وهو الفالج . فاجرى اختباراته بثبات ودقّة حتى توصل مؤخرًا الى نتائج حسنة . فظهر اولًا ان موت المفلوجين نقص بفضل هذا العلاج الطريف بمعدّل ثُلثين في المئة . ثم ان ربع من عولجوا بالملاريا نالوا الشفاء من الفالج . فدفع هذا النجاح كثيرًا من الاطبّاء الى الاقبال على العلاج ، فكانوا على حدّ قول الشاعر : وداوني بالتي كانت هي الداء !

المليار : وزنه وحجمه

لا يكاد يتكلم ارباب المصالح اليوم الّا بالملايين والمليارات . على ان الكثيرين منّا لا يتصوّرون ما يمثّل المليار من وزن وحجم . فالمليار من العملة الفضية يزن ٥,٠٠٠,٠٠٠ كيلوغرام . واذا حُوّل الى ليرات ذهبية ، كانت زنته ٣٢٢,٥٨٠ كيلوغراماً . واذا حوّلناه الى اوراق مالية من ذوات الخمسين ليرة ، كان لنا منها ما يزن ١,٧٨٠ كيلوغراماً ، واذا كانت الاوراق من ذوات الخمس ليرات ، وزنت ١١,٥٠٠ كيلو غرام . فاذا اردنا ان ننقل هذا المليار على ظهور الرجال ، وفرضنا ان محمول الرجل الواحد خمسون كيلوغراماً ،

لزمنا ٣٦ رجلاً لنقله اذا كان اوراقاً من ذوات الخمسين ليرة ، اما اذا كانت اوراقه من ذوات الخمس ليرات فيلزمنا ٢٣٠ رجلاً . واذا كان عملةً ذهبية لزم لنقله ٦,٤٥٠ رجلاً ، اما اذا حُوّل الى عملة فضيّة فيلزم لحمله عدد من الرجال لا يقلّ عن ١٠٠,٠٠٠ (مائة الف) رجل . واخيراً اذا اخذنا مجموع الاوراق النقدية الممثّلة المليار ، والتي هي من ذوات الخمسين ليرة ، واردنا عرضها وتجليدها على شكل الكتب ، كان لنا منها الفا مجلّد يبلغ كل منها خمسمائة صفحة . فيا لها من مكتبة !

دعوى على شاعر

كان فخر الملك من كرام السراة في دولة بني بويه ، يغدق نعمه على الادباء والشعراء فيجتمعون حوله ويمدحونه . وكان ان اتاه يوماً رجل وسأله حاجةً . فلامر ما ، لم يعطه فخر الملك شيئاً . فمضى الرجل الى القاضي ، واقام دعوى على ابن نباتة السعدي الشاعر المعروف (+ ١٠١٥) . فوجّه القاضي في طلبه . فجاء مستغرباً وقال :

— لا والله ما لاحد عليّ دين ! ولا بيني وبين احد مخاصمة ! فمن خصمي حتى ارضيه ؟

فقال : هوذا !

فقال له ابن نباتة : ما حقك يا هذا حتى اوفيك ؟

قال : انت قلت في شعرك اذ مدحت فخر الملك :

لكل فتى قرين حين يسمو وفخر الملك ليس له قرينُ !

انخ بجنابه ، وانزل عليه على حكم الوفا ، وانا الضمين !

فانت قد ضمنت ، وانا نزلت عليه فلم يعطني شيئاً ، والضمين غارم !

قال : امهلني حتى اصل اليه

فلما دخل عليه ، واخبره بالقصة ، طلب الرجل وقال له : كم املت ؟

فقال : مئة دينار

فامر بدفعها اليه . وقال لابن نباتة :

— اذا مدحتني فلا تضمن عني شيئاً !

مطبوعات شرقية جديدة

Grimme (H.) : Texte und Untersuchungen zur safatenisch-arabischen Religion. Mit einer Einführung in die safatenische Epigraphik. (*Studien z. Gesch. u. Kultur des Altert. XVI*, 1.) 190 *pp. gr.* 8°, 15 *pl. Paderborn, Schöningh.* 1929. *Prix* : 16 *M.*

نصوص وابحاث عن الديانة الصفوية - العربية . مع مقدّمة في الرقم المكتشفة في الصفا

اهتمّ المستشرق غريمي الاستاذ في مونستر ، برُقم سيناء القديمة فكتب عنها سلسلة مؤلفات لم تنتهِ بعد . وجرّه ذلك الى المقابلة بين حروف هذه الرُقم وحروف الابجدية الثمودية وهي قريبة الشبه بها ؛ ومن ثمّ الى المقابلة بينها وبين الرقم الحجرية المكتشفة في الصفا . وهذه قريبة من الاولى ايضاً على كونها احدث عهداً ، وقد كتبت بلغة لا تفرق كثيراً عن لهجة الحجاز ، وتقرأ بسهولة . يبدأ الاستاذ غريمي بذكر كيفية قراءة الرُقم التي قام بها هالفي (J. Halévy) وبروتوريوس (Prœtorius) وليتمان (Litmann) ، ثم يذكر ما عُلّق عليها من التفاسير . وقد وقف على مخطوطة وتزستين (Wetzstein) ، قنصل المانية سابقاً ، الذي كثيراً ما جال في بلاد حوران المتاخمة للصفا ، فاستفاد منها واصلح بعض قراءات سابقيه ، ثم نشر رسوم جميع الرقم التي نقلها القنصل المذكور . على ان الاستاذ غريمي لم يكن اطلع بعد على المائتي نصّ من الرُقم الصفوية التي نقلها الكابتين الانكليزي ريس (Rees) بين عمّان ورُطبه ، على طريق بغداد ، والتي نشرها مؤخراً السيد دوسو (Dussaud) في مجلة « سيريا » (١٩٢٩ : ١٤٤ وما بعدها) . وهو لا يذكر كذلك شيئاً عن النصوص التي نقلها ، منذ سنة ، السيد (Dunand) في جنوبي الموقع المذكور الى وجهة نجد ، والتي يتجاوز عددها الالف نصّ ، وهي لم تنشر بعد .

كلّ هذه النصوص ، المكتوبة بلهجة عربية لا تختلف عن الفصحى الّا ببعض نقاط منها استعمال اداة التعريف (ه) بدل (ال) ، قصيرة في الغالب تفيدنا كثيراً من الاسماء العلمية التي تدلّ على شيء من ديانة سكّان الصفا في

القرون الاولى للمسيح. على انه لا يمكننا ، في هذا الوصف القصير ، ان نتقد آراء الاستاذ غريتي في ما خصّ هذا الامر. فلسنا نقصد الا ان نظهر تقدم الاوربيين على الشرقيين في الموضوعات الاوفر شرقيّة ! وكم من قرّاء «المشرق» سمعوا او قرأوا نصاً من نصوص الصفا !... س. ر.

Müller (Valentin) : Frühe Plastik in Griechenland und Vorderasien. *X-247 pp. 4° et 452 fig. en 40 pl. - Dr B. Filser Verlag. Augsburg. 1929. Prix : 50 M.*

صناعة التماثيل القديمة في بلاد اليونان وفي آسية الغربية

يسرّنا ان نقدّم الى قرّائنا الكرام كتاباً حديثاً يهم آسية الغربية عامة وبلادنا السورية خاصة . وهو من قلم الاستاذ مولر الذي يتخصص ، من مدة طويلة ، بدرس علاقات بلاد اليونان القديمة بالفنّ الشرقي ؛ فجمع معلوماته في هذا المجلد على طريقة منظمة ، دارساً الامثلة ، من نحو السنة ٣٠٠٠ الى السنة ٦٠٠ ق. م. اما الامثلة الاولى فغير مشهورة ، وقد وُجد اكثرها في بلاد ايجه وفي آسية الغربية ، ويظهر فيها الفنّ سطحيّاً بسيطاً . على انه يتطور ويرتقي في جزيرة كريت وميقينية . ولا نلبث ان نشاهد منشأ وتقدّم فن ارقى في الجزر والارض اليونانية . واذا وجهنا النظر نحو الشرق نرى فنّاً آخر ينشأ موازياً لهذا الفنّ ، على كونه اعرق منه في القدم ، فيبدو في ما بين النهرين (الفنّ السومري، والبابلي والعيلامي او الفارسي القديم) . وبعد ذلك يظهر الى جنبه فنّ آسية الصغرى (كالحثي وما شاكله) وفنّ سورية القديمة كالفنيقي والفلسطيني. ثم يظهر فن التماثيل القبرصي الطريف الميزات على الرغم من علاقاته البدئية بالفن الايجي اوّلاً ، وبالفنّ الشرقي ثانياً . ويُختم الكتاب بفصل في درس التأثير الذي احدثه الفن الشرقي في العالم الغربي ومظاهر ذلك حتى في الامور الدقيقة.

هذا واننا نرجو ان يقيّض لنا خوض الموضوع نفسه في مجموعة كلية القديس يوسف (Mélanges de l'U. S. J.) فنقوم بدرس سلسلة من تماثيل البرونز التي جمعناها من سنين عديدة ، ومصدرها كلها سورية وفنيقية ، واكثرها لم يُنشر بعد . فنُظهر ، اذ ذاك ، كم من الخطل في الادعاء ان السوريين - الفنيقيين

كانوا متأخرين في ما خصّ صناعة التماثيل . وهل أجريت في سورية وفينيقية حفريات كالتي أجريت في بلاد اليونان ؟ لا لعمري ! وان المدينة الوحيدة التي حُفرت على طريقة منظمة ، وهي بيبلوس ، برهنت وحدها ان فنيقية كانت تهتمّ بحركة الفنّ العامة منذ الالف الثاني ق. م. س. ر.

Sir Arthur Evans : The Shaft Graves and Bee-Hive Tombs of Mycenae and their interrelation. *Petit 4°, XI - 93 pp. 68 pl. et fig., London, Macmillan,* 1929. *Prix :* 15 *sh.*

القبور التي على شكل الآبار والتي على شكل خلايا النحل في ميقينة ، وعلاقاتها بعضها ببعض

في هذا الكتاب ، يخوض الرائد المشهور ومؤسس علم العاديات الكريتية ، في امر تضاربت فيه آراء العلماء ، وموضوعه انه وجد في ميقينة ، في المحلات ذاتها ، قبور ملكية على شكلين : بعضها على شكل الآبار ، وبعضها الآخر على شكل خلايا النحل . وكان في النوع الثاني منها هياكل عظمية ، اما في النوع الاول فلم يوجد شيء . فكان ان بعض العلماء نسب بناءها الى دولتين مختلفتين قد تكونان تداولتا الحكم في القرن الخامس عشر ق. م. اما الاستاذ ايفنس فيقول بنسبة بناء النوعين الى دولة واحدة مرتئياً ان القبور المحتوية على الهياكل العظمية بنيت بعد الاولى ليحافَظ فيها على البقايا التي كانت قد وُضعت في تلك التي بُنيت على عجلة . هذا وان طريقة الاثبات المسندة الى اسلوب علمي لا غُبار عليه ، والموضحة بكثير من الرسوم ، تقنع دون شك اقل العلماء ميلًا الى هذه النظرية ، وتلقي نوراً جديداً غاية في الافادة على التأثير الكريتي العريق في القدم في المدنية الميقينية س. ر.

Prof. O. J. Tallgren : Zu den Prachtinschiften der Alhambra. [*Ephemerides orientales, N° 40 Oktober* 1929] *Leipzig, Otto Harrassovitz*

رقم قلعة الحمراء .

يخصّ المؤلف هذا المجلد الصغير ليبرهن انه من الضروري اعادة نشر الكتابات العربية الموجودة في القلعة الحمراء في غرناطة . ويؤيد قوله بامثلة كثيرة ورد فيها عدد كبير من اغلاط القراءة . ه. ل.

Henri Bremond : Introduction à la Philosophie de la Prière. (*Textes choisis*). 1 *v. in*-8°, 360 *pp. Blond et Gay, Paris*, 1929. *Prix* : 33 *fs*

مقدّمة لفلسفة الصلاة

يقوم حضرة الاب هنري بريمون ، العضو في المحفل الادبي الفرنسوي ، بنشر سلسلة مجلّدات تحت عنوان شامل هو : « ابحاث ومستندات لتاريخ العاطفة الدينية الادبي » . فيخصّ المجلد الاول « بمقدمة لفلسفة الصلاة » يبدأها بتحديدات ، وتمييزات ، ومجادلات . ثم ينشر نصوصاً مختارة ، مسهبة لعدّة من مشهوري الكتبة الدينيين تُظهر كلها « جوهر » الصلاة . والكتاب نفيس يكفي ذكر مؤلفه ليلفت اليه الانظار .

Islamica, *vol. IV*, *fasc.* 1, 1929, *Verlag der Asia major. Prix* : 16 *M.* ; *pour les souscripteurs*, 12, 8

النشرة الاولى من المجلّد الرابع لمجلة « اسلاميكا »

نشير ، في هذه النشرة ، الى بحث مهمّ عن مهدي ظهر في العراق ، في القرن الخامس عشر ؛ فأسس اسرة صغيرة وشيعة تؤله عليًا . ثمّ الى مقالة تظهر ان اشهر الكتاب يكتبون لفظة « ابن » تارةً بالف وطورًا دون الف ، اذا وُجدت بين علمين او بين كنيتين . ا . ه . ل .

M. J. Pinet : La vie ardente de Jehan Gerson. *Ars et Fides* N° 17, *in*-12, 270 *pp. Prix* : 12 *fs*. *Paris, Blond et Gay*

حياة يوحنا جرسون المضطرمة

ان مرور خمسمائة سنة على وفاة الكنشليار جرسون لفت اليه الانظار . فاهتم المؤلف بدرس حياته باحثًا في مؤلفاته الفرنسية ، فاخرج مجلّدًا وافر اللذة والفائدة ، واضعاً الرجل في محيطه ، ذاكرًا كل ما تدخل فيه من الحوادث المهمة لاسيما الانشقاق الغربي الكبير ، مضيفاً الى كل هذا وصف نفسية الرجل ، مجتهدًا في ان يبعد ما استطاع عن ذاك النوع من التراجم الذي تمتزج فيه الاسطورة بالتاريخ . ج . ل .

Markwart (Jos.) : Skizzen zur historischen Topographie und Geschichte von Kaukasien. *in-12, 66 pp. 3 cartes. Prix : 2 fs. Wien, 1928, Mechitaristen-Buchdruckerei.*

البحث في تاريخ بلاد القوقاس وتخطيطها

يبحث المؤلف في تحديد الطريق التي كانت توصل من مدينة ارتاكاتا الارمنية الى الشاطئ الجنوبي لبحر قزبين ، مستنداً في ذلك الى الخرائط الرومانية . وهو عمل مفيد لتاريخ وتخطيط هذه الناحية من بلاد القوقاس

L. Bordes : Œuvres choisies des grands artistes. *La Renaissance, cl. de 3° ; XVIIe et XVIIIe siècles, cl. de seconde. 2 vol. in-8° cartonnés avec de nombreuses gravures.*

آثار منتخبة لاشهر ارباب الفن في عصر النهضة ، والقرنين السابع عشر والثامن عشر

هذه الآثار المنتخبة التي قسمها المؤلف الى ثلاثة مجلدات (لم يصلنا الا اثنان منها) تظهر جليلة الفائدة فتمّ كتاب المؤلف الذي وصفناه سابقاً في «المشرق» وعنوانه « عشرون درساً في تاريخ الفن » . وقد اهتم المؤلف كل الاهتمام بشرحه للآثار الفنية ، فبرهن عن ذوق سليم ، وعن احترام تامّ لاخلاق قرّائه . وعليه فاننا ننصح جميع المدارس الكاثوليكية بالاقبال على هذا الكتاب . ج.ل.

H. Sée : Esquisse d'une histoire économique et sociale de la France depuis les origines jusqu'à la guerre mondiale. *in-8°, 560 pp., 1929, Prix : 50 fs. Paris, Libr. F. Alcan.*

تجربة في تأليف تاريخ اقتصادي واجتماعي لفرنسة منذ اول عصورها حتى الحرب العالمية

تلفت انظار جميع من يهتمّ ان يدرسوا ظواهر النظام الاقتصادي والاجتماعي في التاريخ العام ، الى هذا الدرس القيّم الذي قام به احد مشهوري الاختصاصيين . وفائدة هذه الظواهر ، اذا وُضعت في محيط التاريخ ، انها تبين كل اهميتها وتطوّرها البطيء المستمرّ . على انه يلزم المؤرّخ كثير من الوقت ليمكنه الحكم عليها حكماً صائباً ، وهو امر لم يفت المؤلف فعلم كل ما في مثل هذا العمل من احكام وقتية ، واراد ان يترك للدارسين مجالاً

لابحاثهم ، فقدّم لهم هذه الاداة الصالحة للدرس ، ودلّهم على الطريق القويم للوصول الى الغاية. وهو جلّ ما يُطلب من كتاب في هذا الموضوع. ج. ل.

R. Gillouin : Le destin de l'Occident, suivi de divers essais critiques. *in*-12, 264 *pp. Prix suivant papier :* 50, 25 *ou* 15 *fs. Editions Prométhée, rue Dupuytren*, 9; *Paris, VI.*

مصير الغرب مع شتى ابحاث نقدية

في هذا المجلد مجموعة تبلغ نحو العشرين بحثاً في موضوعات مختلفة الظاهر، على انها تدور كلها حول العنوان اعلاه . وانه لمن المفيد ان نطّلع على آراء المؤلف فيها ، وان كنّا لا نجاريه في جميع استنتاجاته. لان له في ما خصّ جوهر المدنية الغربية ، وقيمتها ، ومستقبلها نظريات قيّمة ، ولكن لم يقرّها بعد جمهور المفكرين. ج. ل.

K. Baedeker : Spanien und Portugal. *Handbuch für Reisende.* 5te *Auflage*, 1929. *Mit* 22 *Kart.* 45 *Plänen u.* 15 *grundrissen, Leipzig, K. Baedeker.*

دليل بيدكر لاسبانية والبرتغال

ظهر هذا الدليل لاول مرة سنة ١٨٩٧ . ثم حُور فيه ، وزيد عليه اشياء كثيرة ، دالّا في كل ذلك على اهتمام الادارة التي نشرته ، فكلفت جماعة من الاختصاصيين درس تاريخ اسبانية ، والفنّ الاسباني ، وغير ذلك من الموضوعات.

Les Liturgies Orientales et Occidentales *par* **Ephrem II Rahmani,** *Patriarche Syrien d'Antioche, Beyrouth, Imp. Patriarcale Syrienne*, 1929.

كتاب الطقوس الشرقية والغربية

هذا الكتاب هو ثمرة مجهودات حياة البطريرك الرحماني منذ نشأته في البروبغندا الى آخر ايامه . جمع فيه نتائج دروسه في الطقوس الشرقية والغربية ومباحثه في مكاتب اوروبا ومتاحفها ووصفها باللغة الافرنسية . تكلم فيه على اصل الكنائس وعلى الطقوس ومقاماتها وآلاتها وازمنتها وتقاسيمها وخص بالدرس ليتورجية مار يعقوب وقابل بينها وبين سائر الليتورجيات . وزين آخر

كتابه بالتصاوير الاثرية المفيدة . وان علم المؤلف الغزير . ومطالعاته الواسعة تظهر في كل صفحة من صفحات هذا الكتاب الجليل . وهو اثر يحق للطائفة السريانية ان تفاخر به كما يحق لها ان تفاخر بذكر الرحماني ابناً واباً وجداً عظيماً .

ف . ت

Vade Mecum tecnico in quattro lingue P. Francesco Bresse, *O. F. M. Tipografia di S. Paolo, Harissa Liban*, 1929

ترجمان في اربع لغات

هو كتيب غرضه اسعاف المسافرين في الشرق على التفاهم مع سكان البلاد . يجد فيه المطالع الالفاظ الاكثر استعمالاً باللغات العربية والانكليزية والايطالية والافرنسية مرتبةً طبقاً للترتيب الابجدي الافرنجي .

ف . ت

Almanach catholique français pour 1930. 400 *pp.*, 500 *illustr. Prix* 6 *fs. Paris, Blond et Gay.*

التقويم الكاثوليكي الفرنساوي لسنة ١٩٣٠

هي السنة الحادية عشرة لهذا التقويم الجامع العادم المثال في ما خصّ موضوعات الحياة الدينية على مدار السنة ، والمعلومات التي تتعلق بها .

حجة المبشرين بحقائق الدين

جزءان . قطع وسط ، مطبعة القديس بولس ، حريصا ، ١٩٢٩

اهدى الينا هذا الكتاب حضرة الاب فرنسيس بريس (P. Fr. Bresse) الفرنسيسكاني المرسل الرسولي ، ورئيس دير الاراضي المقدسة في صور ، وغرضه من مؤلفه مساعدة الكهنة على القيام بمهام الوعظ . قسم كتابه الى اربعة اقسام : القسم الاول يحتوي ثلاث وخمسين عظةً تتلى في آحاد السنة طبقاً للطقس اللاتيني ، والثاني والثالث والرابع تشتمل على مواعظ في مواضيع شتى خاصةً لايام الاعياد والرياضات . تصفحنا الكتاب فاذا فيه كل جديد وقديم ، وكل ما تحتاج اليه النفس المسيحية للتأمل في حقائق الديانة ودرس الفضائل الانجيلية ، وهو بارز بلغة عربية واضحة ترتشفها الاذن ويستطيبها القلب .

فاننا نشكر لحضرة الاب المؤلف غيرته الرسولية ، ولمطبعة الاباء البولسيين عنايتها بنشر هذا الكتاب الجدير بان يثمر اثاراً شهية للحياة الابدية.

ف.ت

مباحث فلسفية دينية لبعض القدماء من علماء النصرانية — مختصر في علم النفس الانسانية لغريغوريوس ابي الفرج المعروف بابن العبري

طبعها الفرد بولس سباط ، ١٩٢٨-١٩٢٩ ، المطبعة السورية ، ق مثمن

للاب بولس سباط غيرة لا تعرف الملل في التنقيب على الآثار المخطوطة وجمعها وحفظها من ايدي الضياع. اهدى الينا كتابين جليلين الاول يحوي عشرين مقالة اربع منها لابي علي عيسى بن اسحق بن زرعة المنطقي ، ويتلوها مقالات لايليا مطران نصيبين ، وسمعان بن كليل القبطي ، وعبدالله بن الفضل الانطاكي ، ودانيال الخطاب ، وايشوعاب مطران نصيبين ، وابي زكريا يحيى بن عدي وابي الخير ابن الطيب المتطبب ، وابي الفرج عبد الله بن الطيب — ونشر حضرته مقالة ابن العبري في كراس خاص لما لها من الاهمية وقابل فيها بين نسختين احداهما خطت سنة ١٧٧٣ والثانية سنة ١٣١٢ ، وقال في سائر المقالات التي نشرها ان عهد نسخها يرقى بعضه الى ما بين القرنين الحادي عشر والثامن عشر . وقد ذيّلها ببعض التعليقات التي تساعد القارئ على معرفة متن الخطوط الاصلي ، فخدم العلم والادب العربي المسيحي خاصةً واستحق الثناء. ف . ت

تبديد الظلام او اصل الماسونية

تعريب عوض الخوري

مطبعة الاجتهاد ، بيروت ، ١٩٢٩

هل بلغك خبر القرد العارض الصور المخيّلة على الدريئة امام جمهور المدعوين ؟ ذكر تاريخ الكون منذ البدء ، منذ خلقة الشمس والقمر ، وقال انظروا سادتي . . . وحملق الحاضرون فلم يروا شيئاً لان القرد لم يُنر الفانوس السحري . . وها ان واضع هذا الكتاب قد حام حول موضوعه في ٢٨٨ صفحة وارانا من

تاريخ الماسونية اشكالاً والواناً وانصرف وتركنا في ظلام مدلهم. القسم الاول من الكتاب كان قد ظهر في طبعة اولى سنة ١٩٢٦ فقال فيه المرحوم الاب شيخو :

« القوة الخفية هي الشيعة الماسونية كما هو معروف ، اما تاريخها الذي يدعى معرب هذا الكتاب وناشره عوض افندي الخوري انه وقف عليه وانه يرتقي الى عهد المسيح بعد قيامته بسنين قليلة فاراد نشره وكشف اسراره العظيمة فاننا لا نوافق على صحته . ولعل نشره احدى الخدع التي يلوذ بها الفرمسون لتضليل الناس . وعلى كل حال لم نجد في هذه المقدمات ما يدفعنا الى تغيير حكمنا ريثما نطلع على قسمه الثاني »

وها ان القسم الثاني هو بين يدينا وكله ظلام . فيا ليت المؤلف اضاء مصباح قانونه السحري. ف . ت

كتاب الاغاني : الجزء الثالث

لابي الفرج الاصبهاني

مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٢٩ ، ٢٤٦ صفحة ، قطع كبير.

اهدت الينا مؤخراً ، دار الكتب المصرية بالقاهرة الجزء الثالث من كتاب الاغاني لابي الفرج الاصبهاني . فطالعناه بلذة وبهجة . فاذا هو زاخر بالفوائد من روايات وشروح ، وضبط كثير من الفاظه بالشكل الكامل كلما دعت الحاجة الى ذلك ، وايضاح اعلام الناس والاماكن ، وتفسير ما اغلق من معاني الالفاظ بتأييد بعضها بما ورد من ذلك في مواضع اخرى من الاغاني ، وتصحيح اغلاط . ويلي هذا الجزء فهارس عديدة تبلغ ٨٨ صفحة منها في ثلاثة أنهر ومنها في نهرين تسهل الوقوف بسرعة عما تُرغب معرفته من ابيات شعر ، او اسماء اعلام ، او الفاظ لغوية الى غير ذلك من الفوائد . ويسرنا ان نجاهر بان العلماء المشتغلين في اكمال هذه الطبعة النفيسة قد خصصوا لها من العناية ما استحقوا به شكر جميع مريدي العربية

وقلما عثرنا على غلط الّا ما كان سببه كسر حرف او سبق قلم فتزيله لحظة عين مثل محراق [11]٧ صوابه: مخراق كما ورد في الحاشية وفي الصفحات التالية. أُدَيْمِج [12]١٠ صوابه: أُدَيْمِج تصغير أدعج . سَرِفَ [6]٢١ الصواب سَرِفُ ، موضع على بضعة اميال من مكّة . لَتُسْلِمُنَّ [2]٢٦ صوابه : لَتُسْلِمُنَّ . رَهَنَ [14]١٧٦ الصواب: رَهْنٌ. لأسماء كثيرة [2]٢٨٤ الصواب: لأسماً كثيراً (او كبيراً). في طبعة بولاق « لاسما كثيرا » = لأسماً كثيراً. راجع الاغاني ١ : [2]٥٩ « نحلف بالله ان لك لصيتاً واسماً وذكراً وان لك فيما ههنا لسهماً عظيماً ». فالرواية « لاسماء كثيرة » لا معنى لها وهي خطأ . ثم اننا نرى في الاسم سيبويه كما ورد في الصفحة [4]٢١٠ « سِيبَوَيه » ، ان الصواب سِيبُوَيه يؤيّد رأينا أسماء الاعلام الفارسية الواردة في هذا الجزء والمماثلة للاسم سيبويه : مَهْرُوَيه [1]٢١١ حَمْدُوَيه [2]٢٥٠ عَلْوَيه [16]٢٦٨ و [10]٣١٥ بَابُوَيه [1]٣٢٥. قال في «معلمة الاسلام» في الكلام عن الاسم سيبويه ما تعريبه «من المشابهة في كثير من اسماء الاعلام الفارسية القديمة المنتهية بالحرفين « يه » يمكن القول بكل ترجيح ان لفظ الاسم كان « سِيبُوَيه » . . .

« ... *par son analogie avec un grand nombre d'anciens noms persans contenant la syllabe finale « ee », on peut affirmer selon toute probabilité, que le mot se prononçait Sēbōē, et était un terme d'affection signifiant « petite pomme »* (*Encyclopédie de l'Islam. Livraison G, p* 412) ا. ص.

يوبيل لسان الحال الذهبي ١٨٧٧—١٩٢٧

المطبعة الادبية – بيروت ، ص ٢٤٧

مجلد ضخم جميل الطبع مزين بالرسوم ، طالعناه فاذا هو سلسلة تقاريظ كلها تدلّ على منزلة جريدة لسان الحال الرفيعة في اعين الناس وفي عالم الادب ونحن نضم صوتنا الى اصوات زملائنا من محرري المجلّات لنشيد بذكر اللسان ومؤسسيه ومحرريه ونتمنى له حياة طويلة سعيدة في خدمة العلم والادب

ف. ت.

اهمّ حوادث الشرق في شهر

١٥ تشرين الثاني — ١٥ كانون الاول

رومة والشرق

تمايدت اجراس رومة وترنمت ، فخفقت لخفقاتهـا البروج واضطربت جوانح الكنائس في اربع جهات المسكونة ، وعلى الخصوص في شرقنا ، منادية بالعيد اليوبيلي البابوي. وتخللت الانغام المشيدة بذكر الحبر الاعظم تهاليل افراح شرقية لوقوع الاحتفال الرسمي بيوبيل القاصد الرسولي فرديانو جيانيني. وقد وجه الاب الاقدس (٢٧ ت٢) الى نيافته رقيماً اعرب فيه عن رضاه ، ومنحه امتيازات الاساقفة الجلساء لدى العرش الحبري والكرامات المفروضة لهم ، وجعله من احبار بلاطه ، ولقبه كونتاً ، وفوّض اليه انعام المعبد الخاص.

ومن اخبار رومة ان الحبر الاعظم انفذ بعثة الى بلاد الحبشة لتهنئة ملكها الراس تفري حاملة اليه الهدايا. وجاء من لندن ان الحكومة الحبشية تنوي انشاء وكالة لها لدى الكرسي الرسولي بواسطة البعثة المذكورة.

لبنان

بعد ان اجتمع المطارنة الروم الأرثوذكس في دير مار الياس شويا ، ودرسوا الحالة من جميع وجوهها ، قرروا اعطاء الفرصة لسيادة القائمقام البطريركي حتى يعالج قضية الترشيح بروح الوئام وصولاً الى الغاية المطلوبة.

* بمناسبة وفاة كليمنصو ، فقيد فرنسة العظيم ، ارسل غبطة البطريرك الماروني رسائل التعازي ، ذاكراً الوثيقة التاريخية التي كتبها الفقيد اليه عن ضمان فرنسة لاستقلال لبنان

* مما يزيدنا ثقةً في حسن مستقبل البلاد موقف الوزارة اللبنانية بالعزم والفطنة والتبصر . ولا يسع كل رجل غيور على مصلحة البلاد الا استحسان البرنامج الوزاري القاضي بالاقتصاد والاصلاحات الادارية وزيادة اعتمادات النافعة والزراعة . حقق الله الامال !

* قررت الحكومة الفرنسية نهائياً الاهتمام بتكبير مرفأ بيروت ، على ان تبدأ الاعمال في هذا الشهر وتنتهي بعد خمسة اعوام. وستقدم سلفة لقيام الاشغال قدرها مئة وخمسون مليوناً من الفرنكات ويمدد حاجز المرفأ الحالي الى محلة الكرنتينا ، مارًا بمحلة المدوَّر ، مبنيًا بالترابة الفرنجية فيستعمل الجزء الغربي منه كميناء يقسم اربعة اقسام ، وتقسم الارض المردومة اقساماً مستقلة يعنى ببيعها تسديداً للنفقات المسلفة او لتسديد جزء منها.

* وضعت مديرية النفوس في لبنان جدولًا جديداً بعدد النفوس بعد التصحيحات التي أُجريت فبلغ ٨٥٠ الف نسمة اي بزيادة زهاء ٢٠٠ الف نسمة عن احصاء عام سنة ١٩٢٢ ، بعضهم كان مكتوماً ، والبعض الآخر يتألف من اللاجئين كالارمن وسواهم.

فلسطين

* مرَّ بفلسطين القاصد الرسولي الذي ارسله قداسة البابا اجابةً للشعب الفلسطيني من مسلمين ومسيحيين ، ليبحث في سبيل الوصول الى حلّ المشاكل التي ولدتها الصهيونية . وفقه الله الى ما فيه الخير!

* سنّ المندوب السامي لفلسطين بعد اخذ رأي المجلس الاستشاري قانوناً جديداً اسمه « قانون التجديف » ينصّ على أعقاب كل من تلفظ بسباب الدين في مكان عمومي وعلى مسمع من شخص آخر ، يقصد منه اهانة عواطف او عقيدة الغير الدينية ، بالسجن حتى سنة واحدة ، فنعم القانون.

بلاد العرب

من اخبارها ان الملك ابن سعود ارفد مائة من العلماء الى القبائل الضاربة في جميع الانحاء الخاضعة لحكمه ليستفزها الى الجهاد ضد الثوار ، وقد جهزهم بالهدايا والتحف الى زعماء القبائل ، واعدت حكومة الاحساء قوة مسلحة من مائة رشاش تحملها الابل ، ويقال ان الملك ابن سعود تلقى سلاحاً من البحر.

ف. ت.

المشرق

شباط ١٩٣٠

سرّ الحياة

بقلم حضرة القس عبد المسيح زهر

ما زال العلماء منذ القديم يجهدون النفس للتوصّل الى معرفة امر الحياة ، والوقوف على سرّها . فكم من مرّة تساءلوا عن مبدأ الحياة ، وعن ماهيّة هذا المبدأ ؛ وحاولوا كشف النقاب عنه ، وصرفوا وكدهم الى تحقّق امر اي: هل ان هذا المبدأ مستقلّ ومتميّز عن المادّة والنفس ام لا ؟ بيدَ ان آراءهم تشتّتت ومذاهبهم تباينت في الجواب . فنسب ابقراط وجالينوس تألّف الحوادث الحيوية واتفاقها الى مبدأ الهيّ ؛ وعزاها ارسطو الى النفس التي سمّاها *entéléchie* : ἐντελέχεια ، وقال: انها القوّة التي بها ينتقل الشيء من حالة الى حالة ، من عدم الى وجود ، بالنظر الى الغاية التي يقصدها . فالنفس على رأي الفيلسوف هي الانتليكيا الاولى نظراً الى الجسم الطبيعي المزدان بالاعضاء ، والحاصل على الحياة بالقوة . وزعم علماء القرون الوسطى ان النفس ثلاث : نباتيّة ، وحسيّة ، وعاقلة ؛ فكانهم قالوا

بثلاثة مبادئ تعليلاً للحياة . ثم قام باريلز ونسب الولادة والنموّ والبقاء في الاحياء الى سانس يسوس ويدبّر الحياة المادّية ، واستعمل لفظة *archée*[1] دلالة على هذا المعنى ، وجعل مركز هذا السانس في المعدة ، وزعم انه يدفع عن الانسان عوامل الهلاك الآتية من الخارج. واما ثانهلمونت (J.B.van Helmont) فذهب الى ان هذا السانس *archée* هو المبدأ المتسلّط على وظائف الحياة والمشكّل الاجسام بالاشكال التي لها ، وسمّاه الصورة المنوّية (*imago seminalis*). ونسب آخرون الحوادث الحيويّة كلها الى الافعال الآليّة ، وحصرها غيرهم في علم الكيمياء الذي كان شائعاً في ذلك الزمان.

غير ان شتال (Stahl) الالماني صاحب المذهب النفساني (*animisme*) جعل النفس وحدها مقام ذلك السانس الذي نسب اليه باريلز وثانهلمونت مبدأ الحياة. وما عتم ان حلّ المذهب الحيوي (*vitalisme*) محل المذهب النفساني وذلك في مدرسة منبيليه ، وظنّ رئيس هذه المدرسة بول برته (Barthez) ان المبدأ الحيويّ متميّز جوهرياً عن المادّة المؤلّفة من اعضاء ، وناشئ على نوع ما من النفس . وفي الجملة ما بقي فيلسوف ولا فيسيولوجي الّا طرق باب هذه المسئلة . فما هي اذن الحياة ؟ الى يومنا الحاضر لم يتوصّل العلماء ، مع كثرة ابحاثهم ودرسهم الى تحديد الحياة ، وقد وصفوها بانها عبارة عن جملة الحوادث المتنوّعة التي تظهر في كل مخلوق متصوّر نامٍ معرّض للهرم والموت . وهي متوقّفة على قوة واحدة ، او قوى كثيرة تسبّب هذه الحوادث . فالجماد لا يولد بل يتكوّن بالتجمع ، ويكبر بانضمام الاجزاء بعضها الى بعض ، ولا يموت . وأمّا الاجسام الحيّة ، فعلى الضدّ ، فانها تولد من حيّ ، وتنمو ، ويدركها الهرم ، فتموت.

على ان الحياة البشرية تشمل الوظائف العضوية الضرورية لنموّ الشخص وبقائه ، كالتنفس ، والتغذية ، والهضم ، ودوران الدم. وقد صرف العلماء عنايتهم

١) هو مبدأ غير هيولي يمتاز عن النفس العاقلة ، متسلط على حوادث الحياة المادية . وقد اخترع الكلمة باسيل والانتن (Valentin) واستعملها باريلز وثانهلمونت وهي مشتقة من ἀρχεῖον : أمر ، وساس.

الى معرفة مركز الحياة كما جزفوا وكدهم ايضاً الى معرفة مركز النفس . فارسطو جعله في القلب الذي هو ، على زعمه ، مبدأ الحياة والفهم . وجعله آخرون في الصدر او في الرأس . ولمّا اعمل الفيسيولوجيون المتأخرون قرائحهم للوقوف على معرفة الاعضاء التي توصل تأثير الجسد الى النفس ، فيتأثر بالتأثير المختصّ به ، نسبوه الى اعصاب النخاع الشوكي . فقال فلوران (Flourens) ان مركز الحياة في النخاع الطويل المسمى العقدة الحيوية (*nœud vital*) ، الى غير ذلك من الاقوال التي يطول بنا الشرح اذا حاولنا ذكرها .

بل قد سمّى الاقدمون نفس العالم المبدأ الذي يحيي الكائنات ، وهي ، بالنسبة الى المادّة ، كالمبدأ المحرّك القادر على تكوين وتشكيل انسجة الحيوان والنبات . وجعل الفلاسفة فيثاغورس وافلاطون والاسكندريون نفس العالم وسطاً بين الاله الاعظم والكون . وذهب الرواقيون منهم الى انها عين الله ؛ فانتشر ، من اجل هذا الزعم ، مذهب الحلول . وبعد ان تلاشى هذا التعليم في الاجيال الوسطى ، عاد ارباب الكفر والالحاد ، ايام النهضة فبعثوه من رمسه . وكانت الغاية من نشر هذا التعليم والقول بنفس العالم ذريعةً استعملها بعضهم لتعليل النظام السائد في الكون والدالّ على عقل غير متناهٍ .

لا ريب في ان العلم قد خطا الى الامام خطوة كبيرة ، غير انه لم يتوصل بالرغم من تقدّمه الى تحديد الحياة . ولمّا كان من المستحيل تحديد الحياة ، فلا بأس من بسط الكلام في الجماد والحيّ والتمييز بينهما .

ما من احد ينكر ان علم الكيمياء قد تقدّم في هذا العصر تقدماً كبيراً ، حتى انه توصل الى تحليل المادّة الحية ، وتبيان الاجزاء التي تتركب منها ، اعني الخليّة وذلك في الحيوان والنبات . الّا ان الصعوبة كلها متوقفة على ادراك كنه هذه الخليّة ؛ اذ ان اكثر المواد التي تتركب منها الخليّة ثابتة غير متغيرة . فالآح مثلاً الذي هو مثال المادّة الحيّة يتركب من الهيدروجن ، والاكسيجن ، والازوت ، والكربون . ففي القرن الماضي قام مرسلان برتلو واخترع له مذهباً ، استعمل فيه موادّ عضوية وكحولية وتوصل الى تركيب خليّة ، فصفّق له حينئذٍ اصحاب مذهب توحيد الاشياء (*monisme*) استحساناً ، وزعموا انه

اصطنع واخترع مادّة حيّة ؛ وادعى عين المدّعي ستيفان لدوك (Leduc) . ولكن تبيّن بعد الفحص ان المادّة التي حصل عليها برتلو مادة ميتة ، اومركّب كيمي لا غير ؛ وشتان ما بين تصوير وتشبيح خليّة عادمة الحياة وخلق خليّة حيّة مثلها . فاذن المعضلة اليوم هي كما كانت في ايام ارسطو . ولا غرو اذا قلنا ان العلم ، على تقدّمه ، لم يتوفّق بعد الى كشف القناع عن سرّ الحياة . وقد خابت ظنون الذين أعظموا فكرة برتلو ، وادعوا انه ، بما اخترع من التراكيب ، قد توصّل الى ابداء سرّ الحياة . اذ ان هذا الرجل لم يحصل الّا على مركّب جامد عادم الحياة لا ينمو ولا يكبر ، بينما الحيّ يتنفّس ويأكل ويحيا ويختار قوتهُ ويحيله الى جوهره . والى الآن لم يهتدِ الفيسيولوجيون الى معرفة هذه الآلة السريّة التي تأتي هذه الافعال . امّا ان هذه الآلة الخلية ؟ اما ان الحي ينتقي من الارض قوته قوامَ حياته فيأكله ويهضمه ، ويستخلص النافع ويرمي بالضارّ ، وهو يباشر افعاله الحيويّة ؟ فالخلية تعمل عن اضطرار ولا تعرف الغاية التي تتجه اليها ، لانها مسوقة الى العمل بطريق الالهام لا غير كما يجري للحيوان . ومهما جهد العلماء انفسهم وكدّوا قرائحهم فليس في طوقهم ان يخلقوا قطرة دم ، او عظماً صغيراً ، او مخّ بيضة .

قلنا ان المادّة الحيّة تنمو ، ولكنها بنموّها لا تبقى على حالها ، بل يعرض لها تطوّرات متشابهة ؛ ومتى بلغت حدّها الذي في طاقتها ان تبلغه وقفت عند ذلك الحدّ ، وصارت قسمين ، وولدت اولاداً احياء مثلها على التوالي ، اذ انها أوتيت قوة الولادة والبقاء في نسلها . هذا وانه قبل اختبارات العلامة باستور العلمية ، كان سبيل او منتدح الى اعتقاد او بالاحرى ظنّ الولادة الابتدائية . ولكن ذلك الاعتقاد او الظنّ قد نسخ العلمُ اليقينُ آثاره ، وبرهن جليّاً ان لا حيّ الّا من حيّ ؛ وان جراثيم الامراض تتولد من جراثيم سابقة . ولو كان الامر على خلاف قولنا ، لهلك اكثر البشر والحيوان . والحال ان المرء لا يصاب بالسل ، او التيفئة ، او الطاعون ان لم يصادف جراثيم هذه الاوبئة ؛ بل كان بذل الهمّة في اجتناب الامراض ضرباً من الباطل ، مع ان الامر ثابت لا شكّ فيه . فكم من الامراض التي كانت تفتك بالآدميين في

الماضي تلاشت تقريباً كالبرص ، او خفّت وطأتها كثيراً ؟ فاذا يقول اصحاب مذهب التوالد الابتدائي ، وكيف يستطيعون الى انكار هذه الحقائق سبيلاً ؟

فاذن لا حيّ الّا من حيّ ، ولا خليّة الّا من خليّة ، ولا دجاجة الّا من بيضة . وقد زعم بعض العلماء ان الصعوبة كلها تتوقف على تركيب مادّة الخليّة ، اي ما يسمونه *protoplasma* . ولكن كل حي يشتمل على شيء من هذه المادّة ، حتى ان هِكِل ادعى ان هذه المادّة قوام الخليّة واصل الانسان ، ولم يتوفّق بعد احد الى رؤيتها لانها اليوم على زعمهم غير موجودة . غير ان الفيسيولوجيين مع طول نظرهم في هذه المادّة ، ودرسهم لها ، ورقبهم اياها بالمراقب والمجاهر لم يثبتوا الى اليوم خليّة واحدة فقط مركبة من مادّة البروتوبلسما لا غير ؛ بل ان المتعمقين في درسها لا يرون انها بسيطة البساطة التي ينسبها اليها بعضهم . اذ ان الاختبارات العلمية اثبتت العكس ، اي ان هذه المادّة مركبة من موادّ كثيرة تحار في سرها ارجح الاحلام . وزد على ذلك ان كل خليّة تتضمّن نواة ، وهذه النواة تشتمل على حُبيبات حيّة ذات خواصّ مختصة بها .

فاذا فرضنا ان الانسان توصّل ذات يوم الى رؤية هذه المادّة ، او الذرّة العضوية التي يزعم بعضهم انها مبدأ الحياة ، فهل يستطيع يا ترى الوقوف على سرّ الحياة ، ولاسيما عند ما يرى ويوقن ان هذه الذرّة ، على صغر حجمها ، وخفّة جسمها ، تحتوي على الوف بل ملايين من الذرّات التي لا تبصرها العين المجرّدة ؟ أما اثبت الطبيعيون ان ذرّة واحدة من الهيدروجن مكوّنة من الفي جزء متمايزة بعضها عن بعض كل التمايز ، وان الذرّة الواحدة من « الزلال » *albumine* تحتوي ١١٣٠ جزءاً من الهيدروجن ؛ وان هذه الذرة الصغيرة تحتوي على نحو ثلاثة ملايين ذرة اصغر منها فضلاً عما فيها من الاجسام الاخرى ؟ [1]

. . .

وليس الامر كما وصفنا في الخلايا الوالدة بل هو كذلك في الخلايا المولودة ايضاً . وماذا نقول اذا عرفنا ان بيضة الارنكة الصغيرة كل الصغر تنقف عن

١) راجع الاب مورو: *D'où venons - nous ?, p.110*

سمكة ، لا عن طائر ، ولا عن زحافة ؟ على ان الارنكة تبيض ٣٥ الف بيضة ، والزّجر *esturgeon* الوسط يبيض ١,٤٠٠,٠٠٠ وكلها تنقف عن سمك يشبه الام الوالدة كل الشبه . فكيف يصح ان هذه القُطيرة البروتوبلسمية ، مع دقّتها ، تلد ، بعد التطوُّرات المديدة ، حيواناً حيّاً ، والحيوان يلد انواعاً كثيرة ، بل سلالات متباينة . لعمري ان في هذا لعجباً ! ولو قدر الانسان على خلق جزء صغير حي لقدر ايضاً على خلق الجمل والفيل ، واصبح كما قال احد الفيسيولوجيين « اقوى من الطبيعة ، واقدر على الخلق من الخالق ، بل قديراً كغير المتناهي .»

فاذن العلم في حالته الحاضرة ما توصّل الى الآن ، ولعله لن يتوصّل ابداً ، الى شرح اصل الحياة وتبيين آلتها ، لعجزه عن تعليل انتشارها على الارض . فمتى يا ترى بدأت الحياة وظهرت ، وكيف كان بدوءها وظهورها وانتشارها ، ولا سيما هذه الحياة الحيوانية التي يتمتع بها الآدميون ؟ هذا سرّ لا يدركه عقل بشر . انك ايها العلم عاجز قاصر ؛ ولكنك لا تقرّ بعجزك ولا تجاهر بقصورك بل تريد ان تدّعي لنفسك اكثر مما لك ، فتنكر احياناً الحقائق الموحاة ، ولا تسلّم بالاسرار الفائقة المدارك مُحتجّاً بحجج واهية . افي وسعك الآن ان تبيّن ما هي الحياة ؟ فاخجل من قصورك واسمع مني كلمة تعلّمك ما لا تعلم وتركنك ما لم تركن : « في البدء خلق الله السماوات والارض .» افهمت الآن اصل الحياة ، وعرفت مبدعها ومُنشئها ! حسبك زواغ ! نعم ان الحياة بدأت في الماء اولاً ، ثم في البر والهواء ؛ فالذي اوجد الخلية الاولى اوجد الباقي .

غير ان اصحاب مذهب النشوء حاولوا ان يفسّروا هذه التطوُّرات ، اعني انتقال الحياة التي كانت في اول امرها حياة واحدة بسيطة ، ثم تكاثرت وتعدّدت وتركبت ، فقالوا : ان ذوات الفقار الاولية قد تسلسلت من حيوانات بحريّة شبيهة بانقاف الحيوانات الرخوة العادمة الفقار ، التي لا رأس لها يمتاز عن جسمها ؛ وان هذا الصنف تولّدت منه الاسماك ، ثم بعد حين تسلسل منه الحيوان الذي يعيش في الماء والبرّ ، وبعد ذلك نشأت وانتشرت الدبّابات والحشرات . امّا ذوات الاثداء فتتصل على زعمهم الى الطيور المائتة بقرابة الى

الحشرات الطيّارة ، وقد تطوّرت واستحالت من حال الى حال حتى ظهر القرد جدّ الانسان . ولكن هذا التطوّر الذي يدّعونه ليس له من وجود البتة ؛ بل ان علم طبقات الارض والتاريخ ينكران ويردّان هذا الزعم .

اولاً علم طبقات الارض: لقد ذهب الاستاذ لويس اغاسيز[1] الى ان طرف شاطئ فلوريدة الجنوبي قد تكوّن على توالي الدهور من تجمع اخطبوط البحر المناطق الحارّة ، وحسب — ان صحّ حسابه — ان ذلك اقتضى نحو مئتي الف سنة . والحال انا اذا قابلنا هذا الحيوان القديم بالحديث لم نجد بينهما فرقاً . ثم اننا اذا قابلنا نبات العصر الرابع ، عصر الجليد ، بنباتنا الحاضر حصلنا على نفس النتيجة . هذا وانهم قد اكتشفوا مؤخرًا على مقربة من هوهنهوزن (Hohenhausen) من اعمال زوريخ في سويسرة ، انواعاً شتى من النبات القديم العهد ، كالإيف (*if*) والصنوبر البري ، ونوع آخر من العرعر (*mélèze*) ، والسندر (*bouleau*) والسنديان ، والبندق ، فقوبلت بالاشجار الحاضرة من نوعها فلم يوجد فرق بين القديم والحديث ، والغابر والحاضر[2] . قال صموئيل پوزي : « اننا اذا نسبنا عدم التغيّر الى الانواع لا نعني عدم تنوّعها ، بل نريد انها غير متحوّلة ، اي ان النوع لا يستحيل الى نوع آخر[3] . »

ثانياً التاريخ : لقد اكتشف ايضاً الاثريون ، في الجيل الماضي والحاضر ، في مدافن المصريين بذرًا ومومياء بعض الحيوان منذ الدولة الرابعة التي ملكت في اوائل الالف الرابع قبل المسيح ، وكل ما اكتشف هنالك يشبه ما عندنا اليوم . وكذلك وصف ارسطو منذ الفين وثلاثمائة سنة حيواناً ونباتاً ، ووصفه موافق للحيوان والنبات نفسهما الموجودين الآن . وزد على ذلك كله ايضاً ما وُجد في مدينتي هركولانوم وبومبي اللتين اغرقهما الوزوف بجمه من الثمار والاصداف التي هي اليوم في متحف نابولي ، وهي كلها شبيهة كل الشبه بانواعها الحاضرة .

على ان اصحاب مذهب النشوء تخلّصاً من هذا المأزق يدّعون ان هذا

١) راجع كتابه : *De l'espèce et de la classification en zoologie, p. 80*

٢) راجع *Pozzy, la terre et le récit biblique de la création, p. 357*

٣) راجع كتابه المذكور : *op. cit. p. 354*

التطور والاستحالة قد حدثا بغتة واتفاقاً . ولكن دعواهم هذه باطلة بدليل ان قوام النوع شيئان : التشابه والبنوّة . فالنوع عبارة عن افراد قادرة على المحافظة على صفاتها الجوهرية معرّضة لتطوّرات ثنوية . والحال ان النوع لا يتغيّر تغيراً اتفاقياً الّا تدريجاً ، وما زال الانسان والطبيعة عينها عاجزين عن الاتيان بمثال هذا التغير او الاستحالة ؛ وما فتئت بيضة السمكة تنفق عن سمكة مثل الامّ ، وبيضة العصفور عن عصفور . اذن الزعم لا يكفي ، وكل كلام بلا برهان مقنع وحجة واضحة مردود . فاصحاب مذهب النشوء يستندون في اقوالهم الى مزاعم لا يقوم عليها دليل ؛ لاننا اذا قلنا لهم : أرونا حيواناً استحال من نوعه وانتقل الى نوع آخر ، وقفوا حائرين بائرين لا يدرون ماذا يقولون ؛ بل تحكّموا في الجدال واظهروا انفسهم معاندين او مكابرين ، او بالاحرى مغالطين ومشاغبين . فكم من الانواع ما زالت على الحالة التي خُلقت فيها لاول مرّة ، ولم يجرِ عليها شيء من الاستحالة والتغيّر ! فبين الانواع التي يسميها العلماء (*Trilobites*) البالغة ٣٥٠ نوعاً لا يُرى شيء من التغيّر الّا في بضعة انواع لا تزيد على العشرة ، وهذا التغيّر يكاد لا يُفرق . وكم من الانواع بادت وانقرضت لان نسلها ما قوي على الصبر على الهواء الذي عاش في وسطه ، وما بقي منها اقل كمالاً الان منه في الاعصر السالفة ! وقد نسبوا اشياء كثيرة الى اثر الهواء الذي من شأنه ان يكوّن ويشكّل الاعضاء ، والى تنازع البقاء الذي يخضع الضعيف للقوي ، والى غريزة طبيعية ، او جبلة فطرية تدفع الحيوان او النبات الى تكميل انواعه ، غير ان هذه ترّهات قد اكل عليها الدهر وشرب ، ونقض اصحاب مذهب النشوء يدهم منها لما ظهر من فسادها وبطلانها .

النتيجة : ان العلم مهما حاول شرح الحياة ونسبتها الى تطوُّرات او استحالات عاد مخذولاً . ولو نظر الناظر في الصفحة الاولى من الكتاب الكريم لرأى فيه ما يغنيه عن المشاغبة والمغالطة ، وايقن ان الحيّ لا يولد الّا من حيّ مثله ، وفهم ان الحيّ الاول القديم الازلي السرمدي خلق كل حيّ ، اذ الحياة ملكه وقد اشرك فيها خلائقه كرماً منه وتفضّلاً .

قيمة السلطة الشخصية

لمحة انتقادية في كتابين حديثين[1]

بقلم الاب شرل ايلا اليسوعي

٢

ماهية السطوة الكاملة

من حيث تأثيرها في المرؤوس

ارتأى بعضهم ان السطوة تقتضي مائعاً خصوصياً ينقل هيبة الرئيس الى المرؤوس . فيكون هذا المائع شبيهاً « بالمائع الحيوي » الذي من شأنه ان ينقل افكار فرد الى آخر ، فيستطيع هذا ان يقرأها من بعيد . وقد سبق لنا الكلام عن هذا المائع في جزء حزيران الماضي (ص ٤٠٨).

على انَّ الاب تولموند ، وان كان لا ينفي بتاتاً احتمال مائع كهذا ، فلا يسلّم بضرورته بل يُصرّح ، مستنداً الى الاختبار ، انَّ السطوة التامة هي بغنى عن العامل المذكور.

كذلك يُقيم الادلّة الراهنة على انَّ السطوة لا تعود الى الاستهواء والتنويم المغناطيسي.

وبعد تفنيد النظريتين المومأ اليهما يشرع الاب تولموند في التنقيب عن ماهية السطوة الكاملة فيستطلعها اولاً من تأثيراتها في المرؤوس . ولا غرو فان

(1 **L'Abbé Jean Toulemonde,** *Licencié ès-Sciences, Docteur ès-Lettres, Professeur de Psychologie appliquée à l'Université Catholique de Lille,*

1° L'Art de commander, Psychologie de l'Autorité personnelle; *in-8°; VIII – 321pp.* ;

2° Pour avoir de l'autorité: *in-8°, 129pp. Bloud et Gay, Paris.*

مفاعيل الشيء تُنبئ بما فيه . واليك ما تُحدث السطوة في المرؤوس :

١) الخوف — لا بدَّ منه للحصول على الطاعة ، قلّما يكون ، بادئ بدء . هذا ما تؤيده اصطلاحات الحكّام والمربّين القدماء والحدثاء . اجل انّ ارباب السلطة في عصرنا الحاضر قد لطّفوا كثيرًا من عوامل الخوف ، ليس فقط في اغلب الشرائع المدنية بل في المعاهد العلمية . على انّ الخوف لا يزال عاملًا اساسيًا جوهريًا في سياسة الحكومات ، حتى الديموقراطية ، وفي اساليب تربية الاحداث . والحقّ يُقال انك اذا امعنت النظر في الطبيعة البشرية ، ليس مجرّدةً ولا كما يجب ان تكون ، ولكن معيّنةً كما هي فعلًا ، خصوصاً في السذّج ، وهم الاكثرية ، والفتيان ، ولم يُثقّفوا بعد ، وجدتَ انّ هذه الطبيعة هي اشدّ ميلًا الى الانفعال منها الى الفعل . فهي « تُنيخ العنق لشهواتها اكثر ممّا تسوسها . تدفعها قوّة عنيفة الى ما تتوقّع منه لذّة قريبة شديدة ، ويُقعدها الخمول عن القيام بالواجب المزعج . واذا ما كان هذا الواجب مُلزِمًا به من قبل شخص آخر فانه يبدو للطبيعة بمظهر ممقوت ، مقرونًا بانزعاج لا طاقة لها عليه . فاذ ذاك إمّا المقاومة جهرًا وإمّا الانسحاب من امام الواجب تنكُّرًا ، ممّا يجعل الخوف ضروريًا ، حتى ، اذا ما وقع على المرؤوس ، فكأنه يحدّث ذاته قائلًا : إلّم اتمّ العمل المفروض فما عسى يتأتّى عليّ من هذا السيد الهائل ، وايّ عقاب ينقضّ على رأسي . فيكبّ على العمل ، وان مُرغمًا في بادئ الامر ، ولكنه لا يلبث ان تستهويه ادبية الاجتهاد .» (٢ : ٣٥)

هذا اذا قصرنا النظر على الافراد فكيف بنا اذا اعتبرنا الجماهير « فان المتجمهرين يتوهمون انه لا يمكن ان يلحقهم اذًى البتة . . . فيظنون انه لا خطر عليهم من ان يستبيحوا كلّ مُنكر . فان وقعت فتنة رأيت ، حتى من كان السكون دأبهم من قبل ، يُقيمون المتاريس في الشوارع ويقلبون العربات ويحرقون المنازل وينكّلون بمواطنيهم بل يقتلونهم بعض الاحيان . يقولون : كلّنا اذنبنا . اذن ليس بيننا من مجرم (*Tout le monde est coupable, personne n'est coupable*) (٢ : ص ٣٧) فايّ رادع عندئذٍ يوقف الفتنة غير الارهاب .

على انه فيما يغلب ، وعلى كل حال مع توالي الزمن ، لا بدّ من تعديل الخوف في قلب المرؤوس فلا يرتعش من رئيسه كالمملوك من مقتنيه بل يجله اجلال الابن لابيه . ومما يلين الخوف الاعجابُ .

٢) الاعجاب — ومن مظاهره والادلة على ضرورته ، دأب المرؤوس في الاقتداء برئيسه ، على ما يغلب . وقد يبلغ بالمرء هذا الميل الى حدّ انه يأخذ من وليّ امره حتى نقائصه . فقد عرفتُ رجلًا نال بعض الشهرة في فنّ الخطابة وكان قد درسه على احد الاساتذة فالتقط منه ما يدعوه ارباب الالقاء « نغمة الوعاظ » (*le ton prédicateur*) فلم يتحرّر منها طيلة حياته .

وعلى كل حال فلا يجدّ الانسان في اقتباس مزايا غيره ما لم يوقن انه عار منها وما لم يستحسنها ويُعجب بها . وسيان كونه مصيباً في استحسانه او مخطئاً

ومما يُستغرَب لاوّل نظرة أن شاعرة الاعجاب هذه تتفق في القلب الواحد مع الأنانية والكبرياء بل تشتدّ بهما . على ان الواقع بخلاف ما يظهر لاوّل وهلة . فانّ الانسان ميالٌ من طبعه الى الافتخار ، فاذا لم يجد مدعاةً له في نفسه ، فانه يعمد الى محامد ذويه ليبتهي بها . أفما سمعتَ الفتى يلهج بعلم ابيه او كرمه ، والخادم بثروة مخدومه . وعلامَ كان الضبّاط في الحرب الكبرى يخاطرون بحياتهم الى حدّ التهوّر والجنون في الظاهر ، وبدون ما داعٍ سوى رغبتهم في ان يرجوا اعجابَ جنودهم فخضوعهم لاوامرهم ؟ اوَ ليس اعجاب الطلّاب بقوّة عقل استاذهم وسعة معارفه او حزم ارادته من اكبر عوامل سلطته ؟ كان تلاميذ افلاطون يقولون : « هوَ قال » فحسبُ .

٣) الفنّ — وهي بنت الاعجاب . فانه يلد في الانفس الاعتقاد بحكمة المعجَب به وعلمه وحنكته . ومن جهة اخرى قلّما يُشغف البشر بما يشغل البال مما تقتضيه الاحوال من النظر السابق الى الحوادث واستدراكها فيرتاحون الى تسليم امرهم ، وبالتالي حرّيتهم ، الى من ايقنوا انه يدرأ عنهم المساوئ وينيلهم الراحة والغبطة .

٤) الحبّ — ومن معترض يقول انها لا تساكن الخوف في قلب المرؤوس

وانَّ هذا إمَّا يخاف وليه وإمَّا يحبه فلا اخاء بين العاطفتين.

على انَّ الواقع بالخلاف ولاسيما اذا امعنَّا النظر في الحوادث وفي كنه الحبّ الواجب لتوطيد السلطة . « فاذا تلاقى رجلان كانا قد خاضا معاً ساحة الوغى فانهما لا يملّان من المحادثة بما عانيا من الاهوال في المعامع ... فلا شك ان ذكرى هذه الاهوال مما يبهج فؤاديهما . ذلك لأنّ ما مضى من العذاب قد زال عنه تماماً شبح الالم . وانما خلد منه المجد والبطولة والتفاني في سبيل فكرة شريفة سامية . وكأنَّ كل هذه الاهوال المشتّتة قد اجتمعت وتمثّلت في شخص الرئيس الحربي ، لانه هو ايضاً قد ذاقها او — قلّما يكون — أمر بها .... فيحبه الرفيقان القديمان كما يُحبّان ذكرى مراراتهما القديمة . » (٢ : ٧٥)

وعلى كل حال فليس من ينكر ان الاسكندر وتورين ونابوليون كان جنودهم مشغفين بهم الى حدّ الهوس.

امّا اجتماع الخوف والحب طبعاً في قلب الابن لابيه فلا حاجة الى اقامة الحجة عليه:

وقد تحقّق الخبراء من المربّين ان الاولاد يحبّون مَن كان ذا حزم من اساتذتهم ويحفظون له الذكر الحسن . وانَّ المعلّمين ايضاً يسعون في اجتذاب قلوب الطلّاب ، لعلمهم ان الحبّ يسهّل الطاعة ويُدعم في قلب الطالب اليقين انَّ ما يلقنه الاستاذ من المعارف هوَ الحقيقة بعينها ، وما يأمره به من العمل هوَ الخير بذاته. قال القديس اغوسطينوس : « حيث استتبّ الحبّ فليس من عناء او ، ان كان ثمة عناء ، فالعناء محبوب.»

على أنَّ حب المرؤوس لرئيسه ليس من نوع الحنان فانَّ الحنان ينحدر من القويّ الى الضعيف ، لا يصعد . ولا هوَ من نوع الصداقة التي تقتضي او تُحدث المساواة . وانما هوَ اقرب الى الاهتياب والاحترام . فهو مزيج من الخوف والاكرام ومن ثمَّ لا بدّ لتوطيد السلطة من ان يسبقَ الخوفُ المحبةَ في قلب المرؤوس . وإلّا فلا يلبث الحبّ ان ينقلب ويُمي فيه انانيةً وتمرّداً.

* * *

٣

نفسية صاحب السطوة الكاملة

الى الآن لم ننظر الى ماهية السطوة الا من الخارج . فان مفاعيلها التي سبق البحث عنها هي في المرؤوس دون الرئيس . فبقي علينا ان نكشف النقاب عن داخلية الرئيس الحقيقي كيما نطلع على المزايا التي تمكنه ممّن هم تحت امارته . وانما تنحصر انواع هذه المزايا في القوّة.

والمراد بالقوة هنا ليس المادّية منها . فان هذه ، وان كان لها بعض الشأن فليست ممّا لا يُستغنى عنه . وعلى كل حال لا تجدي السطوة نفعاً ما لم تكن مقرونةً بالقوّة الروحية . وهذه تقوم خصوصاً بحزم الارادة الذي لا غنى عنه للرئيس.

وينشأ الحزم هذا خصوصاً عن «روح التسلّط» الذي سبقت الاشارة اليه في القسم الاول . وقوامه بان يوقن الرئيس تفوّقه على مرؤوسيه.

ولا مشاحة ان «روح التسلّط» الموصوف قد يصدر عن حب العظمة والكبرياء . على انه يأتلف ايضاً في القلب الواحد مع التواضع الصادق الصميم . فاربّ قديس يحسب ذاته احقر البشر بل اشقى الخطأة ؛ غير انه اذا ما وُلّي على جمهور اعتقد انه يرجح عليهم ، ليس بالفضل الشخصي والعلم والتقى ، ولكن بما قُلّد من السلطة الشرعية . فانها في عين ايمانه الوطيد تُعليه فوقهم اذ ترفعه ، بالرغم ممّا يوقن من حقارته وعدم اهليته ، الى مقام نائب الله عزّ وجل . فليس الزهو اصل روح التسلط فيه ، بل الايمان بعظمة الله وربوبيته . واي قوّةٍ اشدّ من قوّة الايمان الحيّ ؟ بل ان صولة الوليّ تزداد شدّةً وتشتدّ وقعاً في الافئدة ، بمقدار ما يتناسى ذاتيّته وينقطع فكره الى سموّ وظيفته والخير الذي يتوخّاه لذويه.

ومن النتائج الاولى لليقين الموصوف ان يملك صاحب السطوة ذاته وذلك ليس باستسلامه الى الخمول والاهمال وحب الراحة والسلام ، بل بان تتسلّط ارادته تسلّطاً مطلقاً على قواه العقلية والحسية بل حتى على جسده ، مما ينفي

عنه الاضطراب ويوطد فيه السكينة قلباً وقالباً . فكيف يتمكن من غيره من لا يتمكن من نفسه ؟ وان كان لغضب الرئيس واضطرابه بعض التأثير الحسن في نفس مرؤوسه فما ذاك الّا فيما ندر . أما رأيت كيف يتلهى احياناً بعض الصبيان بتحريش رفيقهم وتنكيده ، حتى اذا ما ثارت فيه سورة الغضب وفار فائره ، اخرجوه عن حدّ الصواب واتسع لهم المجال ليمرحوا ويمرحوا على ما يشاؤون .

ومن ملك نفسه احتفظ بوقاره . فتراه رزيناً ، بدون ما تصنع ، في هيئته وسيره وحركته وسكونه وحديثه ولفته وآدابه . يتحاشى الهذر والشتم والكلام البذيء السافل ، كما وكل ما من شأنه ان يحمل المرؤوس على الوهم انّ المسافة ، التي يجب ان تفصله عن وليّه ، قد قربت او زالت تماماً .

وملك الذات هذا ينبغي ان يمتدّ حتى الى الذهن والمخيّلة ، فلا يطلق المتمكن من نفسه العنان لمخيلته ، كيلا تلد لذهنه اشباحاً تضعضع قوّته الادبية . فلا يرتاع من الاعتراضات ولا الانتقادات . ومن قبض على ناصية مخيّلته كفى ذاته ايضاً شرّ لسانه . فبئست الثرثرة ولاسيما في ذوي المقام ! فالصمتُ زينٌ والسكوتُ سلامة ، بل قوّةٌ وسؤدد !

اخيراً لا يملك ذاته من لا يجمع بين صلابة الرأي وسرعة التنفيذ . اجل على الرئيس ان يتروّى مليًا ، ولاسيما في الامور الخطيرة ، قبل ان يبتّ فيها . امّا وقد حان وقت المضيّ والاجراء فلا يبقى مجالٌ للتردّد والاحجام . فكيف يقتضي الطاعة السريعة من لا يقرّ له قرار ، فيقول في القضية الواحدة تارةً نعم وتارةً لا .

هذا قليل من كثير . واني لعالم اني لم استوف الموضوع باجمعه . ولعلي ظفرتُ بلفت نظر القرّاء الكرام الى ما فيه من المسائل الهامّة فشوّقت اليهم التعمق في درسها ، فحسبي !

بدائع التلفون

بقلم انطوان باز
المهندس من المكتب الافرنسي في بيروت
ومن مدرسة الكهرباء العليا في باريس

٢

التلفون الاوتوماتيكي

هيأ التلفون «الاوتوماتيكي»، وهو حديث العهد، فحيي بظهوره مساوئ التلفون اليدوي، ووقف سيداً يمتد ملكه يوماً فيوماً من اميركة الى اوربة فآسية... امتحنه الافراد والعموم فوجدوا لديه من المحاسن والسهولة والاقتصاد ما جعله تحفة العصر. وادركت الحكومات منافعه، فصرفت لتعميمه اموالاً طائلة.

دخل الاوتوماتيكي بلاد الشرق الادنى، فكان اول ظهوره في الاسكندرية. وقد قرّر مؤخراً البرلمان المصري استخدامه في الدوائر الرسمية في القاهرة، ريثما تُمدّ اسلاكه في جميع احياء البلدة، خدمةً للمصالح العمومية.

امّا في سورية ولبنان فيرجع الفضل، في ادخال هذا الفنّ الجديد، الى كلية الآباء اليسوعيين في بيروت، ومعهد عينطورة في لبنان للمرسلين المازاريين. ففي شهر شباط من السنة الماضية كلفني حضرة الاب ده بونشيل بوضع تلفون جديد، سدّاً لحاجات الكلية. وكانت فكرته يومئذٍ التخلص من التلفون اليدوي القديم منبت كل شقاء. فجئته بالدرس الوافي، وبعد ان قابلت واياه بين اجهزة شتى، آثرنا الاوتوماتيكي، فطلبت آلاته من الشركة العمومية للتلغراف والتلفون (*Cie Générale de Télégraphie et de Téléphonie*) في باريس، فجاءت في غاية الاتقان. وكان ذلك في الصيف فباشرت وضعها

وعدّ اسلاكها . وقد جرت حفلة التدشين في العاشر من تشرين الاول بحضور رئيس الكلية وبعض آبائها الافاضل ، كما ذكرت ذلك جريدة البشير في عددها ٤٠٠٥ فكان لمقالها هذا صدى رددته بعض الجرائد الوطنية كالاوريان ، وزحلة الفتاة ، ودير القمر .

وما كاد يصل تلفون الكلية حتى فاتحني حضرة الاب سارلوت ، رئيس معهد عينطورة ، بمسألة التلفون عندهم . فاخبرته بعجائب الاوتوماتيكي ، فطلب اليّ استحضار ما يلزم دفعات . وها ان آلاتهم تسير بكل دقة منذ شهرين ونيف وهي محط اعجاب الجميع من اساتذة وتلامذة وزوّار . . .

ماهية الاوتوماتيكي

• امّا الآن وقد ابدينا اهمية الاوتوماتيكي وما يعوّل عليه من المنافع في مستقبل البلاد ، فاننا نقول كلمةً فنيّة فيه تبيّن للقارئ ما في هذا الاختراع من الدقة والدهاء .

انّ في المجموع الاوتوماتيكي ثلاثة اشياء : الآلة الفردية ، والمركز الوسطي او السنترال ، والوسط الكهربائي .

١ً – الآلة الفردية

تجعل عند المشترك ، منها ثابتة في الحائط ومنها نقّالة . والرسم ١ يمثل آلة نقّالة تظهر اكبر ممّا هي اذ ان حجمها الحقيقي لا يتجاوز الخمسة عشر سنتيمترًا طولًا وعرضًا وعلوًا . وقد جمعت هذه الآلة الصغيرة اشياء كثيرة منها المجموع الميكروفوني - التلفوني بقبضته ملقياً فوق الآلة ، والجرس المنبه مخفيًا ضمن العلبة ، ودائرة الارقام لطلب اي مشترك رأساً بدون وسيط . وخارج هذه الآلة وداخلها غاية في الاتقان . تظهر بلونها الاسود اللمّاع كانها من خشب الابنوس .

٢ً – السنترال

السنترال او المركز الوسطي (انظر الرسم ٢) موصول بكل آلة فردية

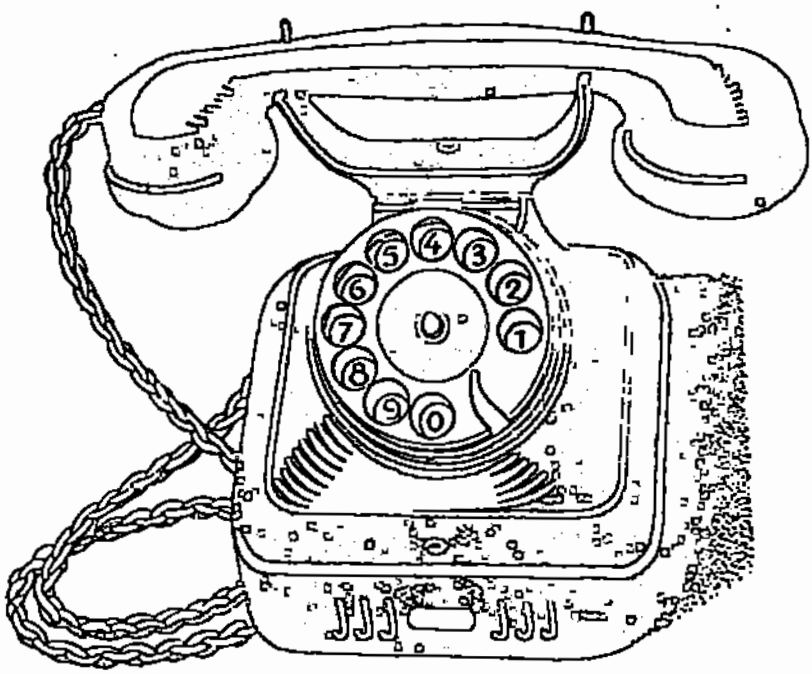

الرسم ١ : منظر لآلة تلفونية فردية نقالة

بواسطة سلكين كهربائيين مجموعين ضمن غلاف من الرصاص ، حفظاً من الكسر وعوامل الرطوبة . ووظيفة المركز هذا اولاً وصل خط الطالب بخط المطلوب ، ودقّ جرس الثاني متى حرّك الاوّل آلته ، وثانياً ابطال الدقّ متى جاوب المطلوب ، وتحقيق المخابرة بينهما . فاذا ما انتهى المتحادثان من الكلام وارجع كلٌّ منهما مجموعه الى مركزه ، عادَ كلٌّ عضو في السنترال الى مكانه . فكأن بالمركز الوسطي الاوتوماتيكي يعمل ما كان يعمله الانسان في التلفون العادي من وصل خطّ الطالب بخطّ المطلوب ، وقطعه متى انتهت المخابرة .

ومن شاهد السنترال الاوتوماتيكي راعه دقة صنعه لما فيه من الآلات الكهربائية والاسلاك الدقيقة مرتبةً كلها بمنتهى الذوق . ويزيد دهشاً لرؤية تلك الآلات موضوعة كلها ضمن صندوق صغير لا يزيد طوله عن الثمانين سنتيمتراً لمركز يقبل

٢٣ مشتركاً ... ومن تلك الآلات : البكرات المغنطيسية التي هي محور العمل والتي توافق كل واحدة منها آلة فردية ، وآلات دوّارة تعرف بالباحث (*chercheur*) والواصل (*connecteur*) ، تحركها البكرات المغنطيسية فتدور على محورها ريثما تصل خطّ الطالب بخطّ المطلوب. ومن البكرات ما وضعت لاحتياجات اخرى كتنظيم التيّار المحرّك للأجراس ، وارساله متقطعاً بحيث لا يُزعج المطلوب بدقّ طويل مستمر : فيدقّ جرسه ثم يسكت ثم يدق وهكذا حتى يجاوب عليه ، او حتى يشعر الطالب بغيابه فيعيد مجموعه الميكروفوني الى نصابه. وعدد الآلات الباحثة والواصلة من الاثنين فصاعداً حسب اهمية السنترال بحيث يجوز تحقيق مخابرتين او اكثر في وقت واحد.

ويُصنع المركز الوسطي بسمات مختلفة . فمنه ما يُعمل لعشرة مشتركين كالذي جُعل في مدرسة عينطورة وهو اصغر شيء في الاوتوماتيكي ، ومنه ما يقبل خمسة عشر مشتركاً او ثلاثة وعشرين كمركز كلية القديس يوسف في بيروت ، ومنه ما جاوز الخمسين عدداً ، او المئة ، او الالف .. والمراكز الصغيرة تستخدم للمصالح الخصوصية كالمدارس والمصارف والدوائر الادارية او التجارية ذات الاهمية . اما المراكز الكبيرة فهي لشركات التلفون ، تستخدم في المدن وضواحيها ، لمصلحة العموم.

٣ – الوسط الكهربائي

قلنا ان من مساوئ التلفون اليدوي ، كما هو موزّع في بعض المدن ومنها بيروت ، احتياجه الى بطاريات تجعل قرب كل آلة فردية ، وهذه البطاريات هي غير التي يستلزمها المركز الوسطي . فهل يحتاج اليها الاوتوماتيكي ايضاً ؟ لا ، ففي الاوتوماتيكي بعض خزّانات تجعل قرب السنترال ، وهي كافية لتحريك جميع آلاته ، ويُعمد الى الخزّانات لأنها أسهل واقوى من البطّاريات العادية ، تملأ بالكهرباء متى فرغت ويزاد ماؤها من حين الى حين. ولا يجوز ، لتعبيتها ، استعمال الكهرباء الموزّعة في البيوت للنور ، لان توترها عالٍ : ١١٠ فولت بينما ان السنترال معمول لتوتر خفيف : ٢٤ فولت. ثم ان

كهرباء النور اكثرها من النوع المعروف بالمتناوب كما في بيروت ، ومجرى الخزّانات المستعمل في التلفون هو المجرى المستمرّ.

لذلك فالوسط الكهربائي يستدعي آلة لملء الخزّانات ، تحوّل المجرى المتناوب الى مجرًى مستمر . وهذه الآلة تعرف بالمقوّم (*redresseur*) يعرفها المولعون بالتلفون اللاسلكي ، لاحتياجهم اليها . وفي المركز ايضاً لوحة من الرخام عليها آلة لوزن توتّر المجرى ومفاتيح كهربائية لارسال التيار الكهربائي في الخزّانات عند ملئها ، او ارسال كهربائيتها في السنترال الاوتوماتيكي.

اما الخزّانات فغالباً ما تكون مزدوجة اي مقسومة الى قسمين ، يستخدم قسمٌ بينما يُملأ القسم الآخر ، فبهذه الطريقة لا تقطع المخابرات التلفونية ليلاً ولا نهاراً . وملء الخزّانات يصير كل خمسة عشر يوماً او كل شهر مرة ، حسب استخدامها ، وذلك بان تقفل مفتاحين على اللوحة ، الاول لارسال المجرى المتناوب في «المقوّم» والثاني لارسال المجرى المستمر الذي يولده هذا في الخزانات.

. . .

كيفية استعمال الآلة الاوتوماتيكية

قلنا ان كل آلة فردية موصولة «بالسنترال» الى رقم مخصوص. فاذا شاء احد المشتركين مخاطبة احد عليه اولاً ان يعرف رقم المطلوب . فان لم يكن يعرفه او يتذكره ، فانه يجده في الدليل التلفوني وهو كتيب ، تنشره شركات التلفون ، فيه اسماء المشتركين مع رقم كل منهم . وحينئذٍ يرفع المجموع الميكروفوني عن كرسيه ، بان يمسكه في قبضته ، فيسمع خريراً لا يلبث ان يضمحل . وهذا الخرير هو صدى صوت البكرة المغنطيسية في المركز الوسطي وحركة الباحث مفتشاً عن خطّ الطالب ، فاذا صادفه وقف عليه فسكت . . . هذا دورٌ استعدادي اذا لم يتجاوزه الطالب بقيت آلته مفرزة لا تصل الى احد ولا يصل اليها احد ، لذلك عليه اما ان يعيد المجموع الميكروفوني الى مركزه فيحرّر خطه ، واما ان يطلب من يريد مخاطبته . وهذه العملية تجرى بان يدخل سبّابته في رقم المطلوب ، ضمن الدائرة ، ويديره الى اليمين ، حتى الموقف ،

ثم يتركه . فاذ ذاك يتحرك « الزاصل » في المركز الوسطي فيدور حتى يقف على خط صاحب الرقم المطلوب واصلاً اياه بخط الطالب. وللحال يرسل المركز تياراً كهربائياً في جرس المطلوب فيدقه متقطعاً الى ان يأتي هذا فيرفع مجموعه مجاوباً . . . تبتدئ حينئذٍ المحادثة لا يعكرها حس ولا يقاطعها صوت دخيل . حتى انه لو شاء احد المشتركين عندئذٍ من مخاطبة احد المتكلمين لما استطاع الى ذلك سبيلاً بل اجابه صدى صوت كهربائي من المركز الوسطي كانه يقول: « الخط مشغول ، انتظر قليلاً.»

الاوتوماتيكي المختلط

ان الرسم ١ يمثل آلة فردية خصوصية اي لا تصلح الّا لمخابرات داخلية كالتي تجري بين مأموري دائرة واحدة مثلاً. ولكن اذا شاء احد من هؤلاء الوصول الى مشترك في البلدة لما امكنه الامر واضطرّ ، والحالة هذه ، الى اقتناء آلة غيرها تضعها له شركة التلفون فتصله بالمركز العمومي. وقد يتساءل الناس في هذا من سبيل الى وضع آلة واحدة تقوم بالوظيفتين معاً ؟ فالجواب بلى ، وقد حلّ ذلك السؤال شركات منها الشركة النرنساوية السابق ذكرها ، فوضعت آلة يتسنى لمقتنيها مخابرة اي كان ، داخلياً ام خارجياً ، بواسطة مفتاح صغير في الآلة الفردية يديره يميناً او شمالاً . وقد مثلنا في الرسم ٥ هيئة اجمالية للجهاز الاوتوماتيكي المختلط ، يرى فيه القارئ المركز الوسطي (رقم ١) وجملة آلات منها خصوصية كالآلة ٨ ، اي لا وصول لها الّا الى مشترك داخلي ، ومنها مختلطة كالآلة ٥ و٦ و٧ ، اي موصولة بالمركز العمومي والمركز الاوتوماتيكي معاً . امّا الآلة ٤ فهي فريدة في بابها اذ يتيسر لصاحبها ليس فقط الحصول على المخابرات الداخلية والخارجية معاً بل ابلاغ هذه الى اي من الآلات المختلطة ، والتلصص على ما يجري من الحديث بين تلك الآلات والخارج ، وقطع ذلك الحديث ان شاء . وهذا ضروري فيما لو كان صاحب الآلة ٤ رئيس دائرة او شركة تجارية يُجب الاطلاع على مخابرات مأموريه . امّا ما يُرى فوق الرقم ٢ و٣ من الرسم نفسه فهي اجراس كهربائية تدق ، اذا

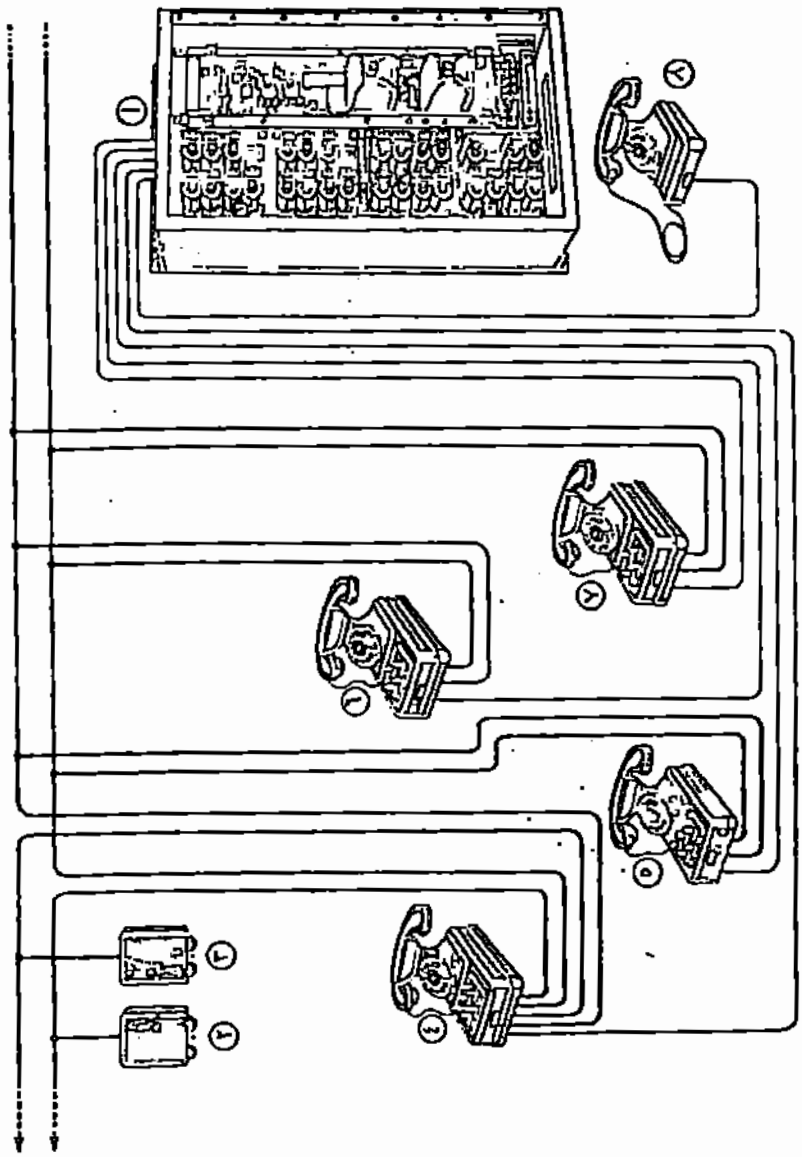

الرسم ٥ : منظر اجمالي لجهاز اوتوماتيكي مختلط

وردت من الخارج مخابرة تلفونية الى احدى الآلات المختلطة.

يُستنتج مما سبق منتهى ما توصّل اليه الانسان في فن التلفون. وسيكون للاوتوماتيكي المختلط المقام الاول سواء كان في اوربة او في بلادنا . كيف لا واي ادارة ، تجارية كانت او رسمية ، تستغني عن مخابرات خارجية ؟ وقد باحثنا مؤخراً شركة الجرّ والتنوير في بيروت في وضع جهاز من هذا النوع في دوائرها ، نؤمل ان تبرزه الى حيز الوجود.

بعض ما يحتاجه الجهاز الاوتوماتيكي

لا يخفى ان الصاعقة اذا نزلت في مكان عطلت فيه ، وقد يخشى وقوعها خصوصاً فوق الاسلاك الكهربائية لأنها تسير حينئذٍ في السلك الى ان تدخل على الآلة الكهربائية فتحرقها او تعطلها . والخسارة عظيمة اذا كانت الآلة مولدة كهربائية قوتها مئات من الاحصنة . لذلك سعى الفنيون في اتقاء شرّ الصواعق بآلة حارسة تجعل بين السلك الخارجي والآلة الكهربائية وتُعرف « بالشاري » *(parafoudre)*.

ونظراً لثمن المركز الاوتوماتيكي ودقته فمن المستحسن ، ان لم يكن من الضروري ، حفظه من الكهربائية الدخيلة ككهربائية الصاعقة ، بواسطة مجموع يفرق كثيراً عن الذي يستعمل في الجهازات الصناعية . وهذا المجموع هو الذي يُرى في الرسم ٦ فوق السنترال. فعوضاً من ان تدخل الاسلاك القادمة من الآلات الفردية رأساً في المركز فانها تمرّ في طريقها بسلكٍ دقيق ، طوله سنتمتران او ثلاثة ، موضوع ضمن علبة من البورسلان تعرف بقاطع الخطّ *(coupe-circuit)* فاذا مرّ بهذا السلك تيارٌ اقوى من تيار الخزانات العادي ذاب وامتنع دخول ذلك التيار في السنترال. واذا كانت كهربائية ذلك التيار من الصاعقة فانها تسير في الارض — عندما يقطع عليها خط المركز — بواسطة سلك ثخين مدّ خصيصاً لتلك الغاية.

نفقات الجهاز الاوتوماتيكي

ولا يحسب القارئ ان نفقات الجهاز الاوتوماتيكي واهية لا يقوم بها سوى

الاغنياء او الشركات . فهي ايضاً في استطاعة كثير من الافراد ، وقد راجت تجارتهم وكثرت اشغالهم ، وها اننا نعطي ادناه نفقات جهاز ذي عشر آلات.

مركز وسطي اوتوماتيكي لعشرة خطوط	٥٢٥٠ فرنكاً
عشر آلات خصوصية ثابتة او نقالة	٣٩٠٠
مجموع واقٍ من الكهربائية الداخلية (الشاري)	١١٠٠
عدد كافٍ من المزرّاتات	١٥٠٠
مقوّم للمجرى	١٦٠٠
لوحة رخام لوزن كهربائية المزرّاتات	١٠٠٠
المجموع	١٤٣٥٠

هذا خلا نفقات الشحن والجمرك وثمن الاسلاك ، وهذه يساوي مترها ١,٤٥ فرنكاً اذا كانت لخط واحد ، واكثر قليلاً اذا كانت لخطين فما فوق.

مستقبل الاوتوماتيكي

لا مشاحة في ان مستقبل التلفون في الاوتوماتيكي . كيف لا وانظار العلماء اليوم متجهة نحو الاستغناء عن اليد العاملة مهما امكن ، والتخفيف من مشاقّ العامل المسكين باختراع الالات اللازمة لكل نوع من العمل . فبتعميم الاوتوماتيكي يستغنى عن مئات من المستخدمات فتوفر بذلك مبالغ طائلة . وقد يرى البعض في ذلك ضرراً لا فائدة لان تلك الموظفة المسكينة قد لا تجد لها بعد ذلك عملاً ، فتصبح مع رفيقاتها من البائسات . انّ هذا لصحيح ! انما فوائد الاوتوماتيكي ، في خدمة مصالح العموم ، كثيرة لا تقدر ، والمصلحة العمومية تفضل المصالح الشخصية ! فما احلاه من زمن يوم نرى الاوتوماتيكي ممتداً في بلادنا ، يحادث كل فرد من يشاء بآلة صغيرة وحركة بسيطة فلا يقاطع حديثه غريب ! ان ذلك الزمن لقريب ان شاء الله...

أمالي ألسنية : ٥

اصل كلمة الفصح وابن بشكوال

بقلم الاب مرمرجي الدومنيكي
من اساتذة المعهد الكتابي والاثري الفرنسي في القدس الشريف

القسم الثاني : ابن بشكوال والفصح

١

رأي بغدادي

اما الآن ، بعد ان اشبعنا الكلام في المسألة الاصلية ، فلنأت الى المسألة الثانوية ، وهي مسألة اسم بشكوال وعلاقته بكلمة الفصح . وان اردت ان تعرف من هو ، وما غايتنا من البحث عن اصل اسمه ، فما لك الّا ان تقرأ ما يأتي . ننقله لك مقتضباً من مقالة نُشرت في احدى المجلّات البغدادية عنوانها «فضل العربية على سائر اللغات» تجل صاحبها الاثبات بان اصل كثير من الكلم الآرية عربي . فدونك ما يهمنا بحرفه ، وان طال :

« ومن غريب الأمر ان مثل هذا التغيير وقع بعد الاسلام وفي ابان ازدهار الآداب العربية . فاخذ السلف من الاندلسيين الاجانب الفاظاً بصورتها الاعجمية ، في حين كانوا في غنى عنها ، « لان ما اقتبسوه من اولائك الاقوام من المفردات هو « عربي النجار » « ونحن نضرب لك مثلاً واحداً تقيس عليه ما جاء من هذا القبيل »

« وبين ادباء المائة السادسة للهجرة رجل عربي محض الدم . هو ابو القاسم ابن بشكوال . . . كان من علماء الاندلس الكبار ، وله التآليف الجليلة المفيدة . . . ولم اجد من بحث عن اصل هذه الكلمة . والذي عندي ان اللفظة بهذه الصورة اسبانية ، اندلسية ، اعجمية . « وهي تصحيف الفصحي » (احفظ هذا ايضا القارئ) وبين الاسمين فرق في اللفظ لا يمكن ان ينكر . اما كيف انه صار « الفصحي بشكوال » فنقول : ان الافرنج نقلوا الكلمة الى لسانهم بعدة صور ، منها Pascua و Pascha . فنقلت الفاء العربية الى حرف p ، والصاد

الى x ، والخاء الى c او ch . ولما نسبوا الى الفصح الفرنجية قالوا Paschalis ، والاسبانيون قالوا Pascua . ولمّا كان الاسبانيون والعرب الاندلسيون في العصور الوسطى يلفظون بعض الاحيان السين شيناً . صارت « الفصحي بشكوال » وهو امر في منتهى الغرابة ، لعدم وجود ادنى مجانسة بين الكلمتين . ومع ذلك لا يمكن لاي كان ان ينكر هذه الحقيقة لوضوحها . هذا ولم نرَ احداً صرّح بهذا الاصل ، سواء كان من ابناء لغتنا او من ابناء الغرب .

« والنصارى يسمّون « بشكوال » او ان شئت فقل « فصحي » من يولد من ابنائهم في زمن الفصح . وهكذا اشتهر عندنا كثير من الائمة باسم « بشكوال » اي « الفصحي » منهم القديس بشكوال الاول البابا المتوفى في سنة ٨٢٤م (١١٠٩هـ) (كذا) والقديس بشكوال يلون المولود سنة ١٥٤٠م (٩٤٧هـ) والمتوفى ١٥٩٢م (١٠٠١هـ) فبشكوال اسم نصراني بحت ، وابن بشكوال مسلم عربي بحت . فكيف تسمّى مسلم باسم مسيحي صرف ؟ نظن ان الاسم شاع في الاندلس شيوعاً عظيماً ، فسمه المسلمون وسمّوا به اولادهم من غير ان ينظروا الى معناه . ومثل هذه التسمية كثير . واذا علمت ان نظائر هذه التغييرات جمة لا تحصى ورد مثلها قبل الاسلام وبعده تحققت ان اسرار اللغات من ادقّ الامور بحثاً واستقصاء . » (انتهى) (١

٢

دحض واثبات

ان المجلة البغدادية لاشهر من نار على علم باسلوبٍ خاص بها في ميدان الجدال . ونحن نقرّ بعجزنا ، من حيث الطبع والذوق والمقام ، عن منازلتها في مثل هذا المضمار . ولذا ، فبدون تأثر بفعل الهوى ، لا بل ببرودة انكليزية ، نجترئ بنقد القول ودحضه ، غاضين النظر عن القائل ؛ لان الحقيقة العلمية ضالتنا ليس الّا ، فنقول :

ان ما وقفت عليه ، ايها القارئ اللبيب ، من الحقائق المتعددة ، في القسم الاول من هذا المقال ، لكافٍ لان يعلمك ان اغلب ما تضمنته هذه الفقرة المقتضبة من المجلة المذكورة لقائم على جرف هارٍ . وها نحن اولاء نزيدك اثباتاً :

١ً — نسلّم بمحتملية تسمية رجل مسلم باسم نصراني ، او رجل عربي باسم اعجمي ، والعكس بالعكس . فهذا جارٍ في عصرنا كما قد جرى في كل

---

١) « مجلة لغة العرب » جزء ٨ سنة ٧ ص ٦٠١ و ٦٠٢

العصور ، وعند كل الامم . « فقد سمّى بعض النصارى ، في جزيرة العرب باسماء وثنية ، ونسي معناها الاصلي ، كعبد المدان ، ومنهم بنو عبد المدان النصارى في نجران . وعبد القيس ، ومنهم بنو عبد القيس النصارى . والسريان والرومانيون واليونانيون النصارى جروا على هذا المجرى ، فسموا : مركوريوس ، وباخوس ، وديونوسيوس . ولكن هذه الاسماء كانت قد فقدت بالاستعمال معانيها الوثنية . وقد استعمل بعض الاسماء مترجمةً عن لغاتها الاصلية ، منها بحيرة وصخر ، من السريانية Bhira و Kêpa ، وبعيث من اليونانية Anastas . وتُرجم من اللاتينية : ثابت : Constans ؛ خالدة : Perpetua ؛ سعد : Felix ؛ صالح : Pius . »[1]

ولم يقل احد بان هذه الاسماء ، وان اخذها العرب عن الاجانب ، فهي « عربية النجار » كما ادّعى الرأي البغدادي بان بشكوال ، وان أُخذ عن الاسبانية ، فهو « عربي النجار » ، وان من ذلك امثالاً كثيرة .

٢ً — على فرض ان « بشكوال » مصحّفة عن « فصحي » فمتى جرى ذلك وكيف ؟ يجب ان يكون الاسبانيون المسيحيون قد تلقوها عن العرب . والحال ان العرب لم يدخلوا الاندلس الّا بعد العقد الاول من القرن الثامن ؛ ولم يتوغلوا في البلاد الى فرنسة ، الا نحو سنة ٧٣٢ ، حين كسرهم وشتت شملهم شارل مارتل ؛ ولم يزهُ لهم الملك الّا بعد تسلُّط الامويّين وانشائهم هناك الخلافة التي زالت من يدهم في الشرق ، اي منذ حكم عبد الرحمان الاول ، في غضون القسم الثاني من القرن الثامن[2] . على اننا نجد اسم « بشكوال » او بالاحرى Paschalis شائعاً في الغرب منذ اواسط القرن السابع ؛ لان اسم مدّعي البابوية Paschalis مات سنة ٦٩٤م كما علمت مما سبق في القسم الاول . فلا بد انه ولد قبل نصف القرن المذكور ؛ ولا ريب ايضاً انه لم يكن اول

---

١) شيخو : النصرانية وآدابها الخ ، ص ٢٢٨

٢) Huart : *Hist. des Arabes, T. II, chap. XXIII*

من تسمّى بهذا الاسم. فاذن لم يدخل « اسم بشكوال — محرّفاً عن « فصحي » ام غير محرف — الى الاندلس او غيرها من البلاد الاوربية ، على «يد العرب». بل كان مستعملاً فيها قبل حلولهم بزمن طويل . هذا فضلاً عمّا هناك من الغرابة ؛ اذ ان اسم بشكوال ، او اصله المزعوم ، « فصحي » نصراني ، والعرب الذين فتحوا الاندلس كانوا مسلمين ، وفي عصر تعصبهم وكرههم للنصرانية . فمن اين شاع بينهم هذا الاسم الممقوت في نظرهم ؟

٣ً — ان الاسماء تنقل من لغة الى لغة ، او من قوم الى قوم ، امّا بلفظها الاصلي ، مع مراعاة التحريف اذا اقتضى الحال ، واما مترجمةً . وينبغي ان تكون مستعملة في اللغة المنقولة عنها كاسماء علم . فاننا اليوم نسمي كثيراً باسماء اجنبية ، لكننا لا نتخذها بين اسماء الجنس في اللغة العربية ، بل بين اسماء العَلَم ، فلا نسمي مثلاً boiteux او long او petit ، كانها اسماء فرنسية عَلَمية ؛ لانها لا تعدّ في اللغة المذكورة بين الاعلام الشخصية . لكن تدعو : شارل وفرديناند والبير ، لانها اسماء اعلام في لسانها الأصلي . القصارى ، اننا ننقل ، عادةً ، اعلاماً ، فنستعملها اعلاماً . فهل يا ترى كلمة « فصحي » التي يدعي الرأي البغدادي ان «بشكوال » محرّف عنها هي «اسم عربي النجار » وهل هي اسم علم ؟

ان السيد الذكر الاب شيخو العلّامة لحريّ ، دون مراء ، ان يعدّ حجة بين ارباب العلم الشرقيين في هذا العصر ، في ما يخص تاريخ العرب قبل الاسلام ، ولاسيما النصارى منهم . ومن جملة الادلة على ذلك كتابه النفيس الموسوم « النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية » وقد عقد فيه فصلاً ضافياً « في الاعلام النصرانية » فطالعناه بامعان ، فلم نجد فيه احداً قد تسمى « فصحاً او فصحياً .»[1] وحضرة العلّامة الاب لامنس ، مدير هذه المجلة الغراء هو من المبرّزين في ميدان الاستشراق والاستعراب ، لتحقيقه ووقوفه حقّ الوقوف على

---

٨) شيخو : المؤلف السابق ، القسم الثاني ، الفصل الثالث ، ص ٢٢٧ الى ٢٥٤

احوال العرب قبل الاسلام وبعده ؛ فنرجو منه ان يتفضل فيقول لنا هل وقع ، في الاسفار الجمة المطبوعة والمخطوطة التي طالعها ونقّب فيها ، طيلة حياته المباركة ، على احد من العرب تسمى «فصحاً او فصحياً» ؟ ونسأل المطلعين على آداب السريان وتاريخهم واحوال اليهود وآثارهم ، هل يا ترى وجدوا احداً بينهم ، قديماً ام حديثاً ، قد دعي « Peshi او Peshâyâ او Pesah او Peshi » ؟

٤ ــ يزعم الرأي الزوراني « ان الافرنج نقلوا الكلمة « اي الفصحي » العربية الى لسانهم بعدّة صور ، منها Pascha و Pascua . فنقلت الفاء العربية الى p ، والصاد الى s ، والحاء الى c او ch . ولما نسبوا الى الفصح قالوا Paschalis ، والاسبانيون Pascual الخ » فنقول : ان هذا الرأي لا يدقق في تسمية الامم ولغاتهم . فان الغربيين لم يسمهم « فرنجاً » الا العرب ؛ ولم يجرِ ذلك الا منذ الحروب الصليبية ، ومن باب اطلاق اسم الجزء ، اي الفرنسيين ، على الكلّ . واما قبل ذلك فكانوا معروفين بالرومانيين او اللاتين ثم ان كلمة Pascha لاتينية و Pascua اسبانية . و Pascha هذه قد شرع في استعمالها قروناً عديدة قبل الاسبانية ، اي منذ القرن الثاني ، كما علمت مما تقدم ؛ والاسبانية لم تُدوّن الّا نحو اواسط القرن الثاني عشر .

٥ ــ يقول راي دار السلام ان « النصارى يسمون « بشكوال » وان شئت فقل « فصحي » . فنجيب ان كلمة « النصارى » اسم شامل مسيحيّي العالم قاطبةً . لكن النصارى ، من جهة البلاد ، يقسمون الى قسمين كبيرين ، اي شرقيين وغربيين . فنحن نسلم ، كما ثبت ، ان النصارى الغربيين كانوا ولا يزالون يسمون بسكاليس او بسكال او « بشكوال » لكن النصارى الشرقيين لم يستعملوا « فصحي » ، لا اليوم ولا في القديم ، كاسم علم . واما « بسكال » فلم يدرج بينهم الّا في هذا العصر ، اي منذ انتشار المرسلين اللاتين في الشرق . واما في العصور الخالية ، فلا ذكر له بينهم ، على ما نظنّ .

٦ ــ يتساءل راي دار الخلافة « فمن كان يظن اسم ابن بشكوال «معناه» « ابن الفصحي » . فنقول : احسن هذا الرأي بقوله «معناه» اي ترجمته في العربية ؛

فهذا مفهوم . واما ان « بشكوال » تصحيف « فصحي » فهو غير مفهوم ولا معقول ولا مقبول . اذ الحقيقة المفرزة بالادلة الالسنية والتاريخية ، هي ان «بشكوال» اسم علم اسباني ، بموجب لفظه هذا ، وهو في الفرنسية Pascal ، وفي الايطالية Pascuale . وهذه الصورة اقرب الى الاصل اللاتيني Paschalis ، واللاتيني مضارع للصيغة اليونانية Paskhalios . فكل هذه الالفاظ نسبة الى Pascha . واما Pascha اللاتينية — وكذا القول عن πασχα اليونانية — فهي عين اللفظة العبرية Pesah المنقولة الى اليونانية واللاتينية . ولم يقتض لذلك سوى قلب الحاء او الخاء الى كاف ؛ اذ ليس هناك فاء لتقلب p ولا صاد لتقلب s ، لعدم وجود لهما في الكلمة العبرية خلافاً للعربية التي استمدت لفظها من السريانية ، او لخلوها من حرف الباء ، استعاضت عنها بالفاء .

فانت ترى من هذا كله ان « العربية ليست بصاحبة الفضل على بقية اللغات » « اقل ما يكون في هذه المادة » ، وان الفضل كل الفضل « للعبرية » التي منها نقلت كلمة Pesah الى سائر هذه الالسن .

فالعرب اذن اخذوا ، في العصور الوسطى ، اسم بشكوال ، عن الاندلسيين الاجانب ؛ الا انهم ، بعملهم هذا ، لم يستردوا بضاعة خاصة بهم » لان Pascha ، ذات الصورة اللاتينية التي اضحت Pascua في الاسبانية ، وصيغت منها النسبة Pascual او بشكوال ، ليست « بعربية النجار » بل « عبرية محضاً » وقد تَيَوْنَنت ، فتحبّشت ، وتسرّيَنت ، ثم تعرّبت في المشرق . واما في المغرب ؛ فَتَلَيْتنت ، فتأيطلت ، فتأسبنت ، فتفرنست ، فتأنكلزت ، الى آخر ما تشاء .

« وعلى هذا المثل قس كل ما جاء من هذا القبيل » في مقالة « فضل العربية على سائر اللغات » من مثل اصل : ايليوس من « هَيْل وحَيْل وعَيْل وأيل » ، والسنار من « سين وماه » ، والحاسن من « حي سين » وغيرها . ومن هنا تستدل على قيمة مثل هذه الآراء التي تظهر ، الحين بعد الحين ، في بغدادنا ؛ وتتحقق ان من شأن « الالسنية » الاستناد الى براهين حسية منطقية ، تأريخية ، ولا الى ما تولده المخيلات المخصبات .

واما فضل العربية — لا على سائر اللغات او بعضها ، بل على ذاتها — فهو شيء ، ليس من ادّعاء بعض الغلاة جزافاً بان كثيراً من الكلم الآرية « عربي النجار » وخلطهم بين الالسن السامية والعربية لان كل ما يقال عن العربية فهو سامي ، ولا كل ما ينسب الى بعض اللغات السامية هو عربي — بل ان هذا الفضل ناجم عن خصائص اللغة العدنانية عينها ، وهي كثيرة . منها طريقة الاشتقاق التي تعادلها اي مزيّة من مزايا غيرها من اللغات ؛ وكذا القول في اوزانها القياسيّة المنطقية ، ووفرة التراكيب المختلفة والمجاز ، وما شاكل ذلك . مما جعلها آلة مرنة بيد اصحابها في جميع اطوارها ؛ وهو ما يضمن لها اليوم الانتعاش والنهوض ، بعد عصور الخمول والقعود . وهو الذي نؤمله بهمة كبار العلماء الباذلين جهدهم في هذا السبيل ، بروح عصري ، وفكر عصري ، واسلوب عصري ؛ ولا من جمود المحافظين المتعصبين المتلهين بعدُ في هذا العصر ، عصر التقدّم والرقي في كل شيء ، بخزعبلات طائفة من النحويين القدماء وتفاهاتهم ، من مثل القول ، حتى في ايامنا هذه ، بانه يجوز في العربية : « قام زيدٌ ، قام زيداً ، قام زيدٍ . »

اجل ! كل شيء جائز عند من لا ذوق لهم ؛ ولا عجب ! لا عجب ! فان الذوق هبة من الباري لا ينعم بها الا على من يشاء !!!

دير سيدة طاميش[1]

لحضرة القس انطونيوس شبلي اللبناني

٣

كتب خزانة الخطية (تابع)

١٦ باب الإعراب عن لغة الأعراب. قاموس للمطران جرمانوس فرحات. كتبه بخطٍ عربيٍ جميل القس ارسانيوس التيجاوي اللبناني، سنة ١٨٢٣.

١٧ نسختان من كتاب الدرّ المنتخب للقديس يوحنا فم الذهب. ترجمه عن اليونانية السيّد البطريرك اثاناسيوس «الدبّاس» الملكي الانطاكي، وهذّب عبارته القس جبرائيل فرحات الحلبي الماروني وصدّره بمقدمة بليغة العبارة. النسخة الاولى مكتوبة سنة ١٧١٧ بالخط الكرشوني. والثانية تقع في ٣٨٧ صفحة كبيرة، خطّها بحرفٍ عربيٍ مشرق الخوري بطرس الدويهي، في ٥ شباط ١٧٨٣.

١٨ خاص علم النيّة «ألّفه الاب العالم العامل هرمان بوزنبون اليسوعي. يشتمل على سبع مقالات تتجزأ الى ابواب وفصول واجزاء وفروع. تحتوي على مقاصد مختلفة ومسايل متنوعة لارشاد الطالبين وانارة الباب المهدين والمهتدين...» مجلّد ضخم يقع في ٦١٤ صفحة. جاء في آخره ما يلي:

«انتهى على يد كاتبه الحقير القس عبد المسيح بن بطرس الماروني بايام سيدنا المطران جرمانوس (فرحات) مطران حلب المكرّم في ٧ من تشرين الثاني سنة ١٧٢٦ مسيحية في حلب المحمية» – «وقف مؤبد برسم الرهبان اللبنانيين».

وعُلّقت في آخر هذا الكتاب القضايا التي حرمتها الاحبار الرومانيون

---

١) راجع القسمين الاول والثاني من هذا المقال في «مشرق» السنة الماضية (٢٧[١٩٢٩] ٥٠٤و٦٠٤)

الكسندروس السابع ، واينوشنسيوس الحادي عشر ، والكسندروس الثامن ، بحضرة المجمع العام المقدّس الملتئم ضد الكفر والبدع الاراتيقية.

١٩ المجمع اللبناني أبان في مقدمته ناسخه الأبوديأكون يوسف مارون الطرابلسي ان مطارنة الطائفة المارونية أمروه بنسخه.

٢٠ كتاب الكمال المسيحي - جاء في آخره :

« تم الكتاب بعناية قدس سيدنا ماري جرمانوس صفر الحلبي . . . مطران دير قلب يسوع (بكركي) . . . تحريرًا في ١١ شباط سنة ١٧٥٨»

٢١ كتاب مقطوف الاسرار النصرانية للمطران يوحنا الحصروني الدومنيكاني الماروني[1] — ٢٢ مقتطفات المجامع الرومانية — ٢٣ البرهان اليقين على فساد المشاقين . تمّ نسخه سنة ١٧٨٤.

٢٤ نسختان من كتاب مدخل ترجمة المجامع المقدسة للراهب حنّا الكرملتاني طريقةً ، والفرنساوي مولدًا . جاء في احداهما :

« هذا الكتاب من مال المرحوم المتواجا جرجس بن سركيس المكنّى بابن البليط وقد صار وقفًا مؤبدًا برسم الرهبان اللبنانيين بتاريخ سنة ١٧٦٢ »

٢٥ « سلّم الفضائل العالية الشريفة ودرج المصاعد السامية المنيفة تأليف ابينا الجليل في القديسين انبا يوحنا رئيس طور سينا . نسخه بالحرف العربي في دير طاميش القس ماتيًا فضول الزوقيّ الراهب اللبناني سنة ١٧٥١.» مجلّد ضخم.

٢٦ ديوان المطران جرمانوس فرحات . خط عربي قديم ، وقفه على الرهبانية اللبنانية مخايل الحلبي الارمنيّ في عهد الرئيس العام القس ترما اللبودي . وقد كتب المؤلف القس جبرائيل فرحات بعض صفحات منه في اوله.

٢٧ رتبة لبس المبتدئ في الرهبانية اللبنانية.

٢٨ حياة بعض الشهداء والقديسين معيّنة قراءة ترجمة كلّ منهم لكل يوم من شهور تموز وآب وايلول . بخط عربي كنائسي بديع . ليس من ذكر فيه لاسم مؤلفه او جامعه وقد اتلف العثّ بعض ورقه . جاء في آخره :

« كان الفراغ من نساخة هذا الكتاب يوم ٢٥ ايلول سنة ١٧٠٩ مسيحية قبال سنة

---

١) منه نسخة عند الخوري يوسف عمانوئيل قرطبا (المشرق ٢٦[١٩٢٦] : ٧٤٣) والمخطوطات العربية ، ص ٩١

١١٣١ هجرية على يد العبد الحقير القس اغناطيوس سلهب في دير المبارك سيدة لويزة وهو من الرهبان الملية اللبنانية. . . »

٢٩ منطق القس واكيم الراهب الباسيلي.

٣٠ كتاب «الكلام في السندروس[1] المركب المقول له عموما سندروس كينازي . قد كُتب جواباً من البادري فيلبوس يوناني من رفقة يسوع[2] الى الاباتي سيستيانوس كوالتياري الكلي الضيا، كولّر مار يعقوب والمفتاح الذهبي المختص بجلالة فيلبوس الخامس سلطان اسبانية[3] الكاثوليكية . وتقدّم في الطبع من البادري المذكور للكلي الشرف والنبالة المركيز دي ابرنتس الموجود في رومية الجي[4] من قبل جلالة يوحنا الخامس سلطان البرتوغال[5]»

واننا نثبت هنا تقدمة الكتاب للمركيز دي ابرنتس المذكور بنصها الواحد:

« ايها السيد الكلي الشرف والنبالة

« بعد ان خضعت ممالك كثيرة من الهند الغربي والشرقي لاكليل سلطان البرتوغال من قبل اعماله الشريفة المنتصرة . فاي ثمر كان الذي يجمع منها ولو انه جزئياً قد اعتاد ان يصير شكراً لمن اعتني في تلك الممالك . اذ انه يتجدّد بذلك ذكر تلك الانتصارات التي ضُفرت اكاليل لشهامته . ولاجل هذا السبب انا مقتنع ان كتابي . . . . (هنا كلمات غير مقروءة) بما ان المادّة المعروضة فيه كان ابتداها من تلك الارض التي بعد ان سخا سيدكم الملوكي ادخل بها الايمان الكاثوليكي . ولا يزال يرسل فعلة ويفيّشهم لاجل فلاحته وتعاهده . ثمّ ولكي يقدر هذا الكتاب ان يبقظ (يوقظ) ذكر الانتصارات التي حصلت في جهات مثل هذه يد الاوائل من عيلتكم الكلية الشرف الذين اعتباراتهم محفوظة في اقتومكم الشريف مع حالية فضيلتكم المخصوصية التامة التي بها عرفتم ان تصونوا بل ان تُنموا ايضاً لاولئك بما شرفهم وان تربحوا لذاتكم حباً معتبراً وتنالوا لدى الجميع الاعتبار اللازم بسبب اخلاقكم الحسنة التي تظهروها. فهوذا اذاً بايدي حضرتكم عملي وكتابي هذا الصغير الذي اذا تنازل شرفكم ان يُظهر له الرضى كما هو امر خاص بالنفوس ذات السيادة حتى

---

١) جاء في اقرب الموارد : السندروس صمغ شجر او معدن شبيه بالكهرباء يجلب من نواحي ارمينية وهو من الادوية الجليلة . . . دخيلة

٢) من الرهبانية اليسوعية

٣) هو حفيد الملك لويس الرابع عشر . تبوأ عرش اسبانية (١٧٠٠ – ١٧٤٦)

٤) كلمة تركيّة معناها: سفير او قنصل ٥) ملك على البرتوغال (١٧٠٦–١٧٥٠)

في الامور القليلة الاعتبار فيجعل لي تعزية عظيمة ليست باقلّ من تعزية بستاني يتناسى اعراقه واتعابه التي حاناها في فلاحة . . . . (هنا كلمات غير مقروءة) واثمارها لسيد امير ويرى انه تناولها برضا وبشاشة باكثر من ذلك لكون رضا شرفكم حماية للعمل الذي يزيد اعتباره عند النظر انه مزيناً في جبهته باسم حضرتكم الموقّر الذي اسرُّ به باحترام مختضع مقرًا.

انني خادم كلي الاتضاع والالتزام

فيلبوس بونانني من رفقة

يسوع

بعد هذه المقدمة يأتي فهرس الكتاب ويحتوي ٢٢ فصلًا ثم جواب البادري فيلبُّوس بونانني المؤلف للاباتي سبستيانوس كوالتياي وهذا نص الجواب:

« ايها السيد الكلي الشرف

« على مطلوب سيادتكم الكلية الشرف نظرًا الى السندروس المدعو كينازي انا اجيب طاعة لسيادتكم : ان هذه المادة قد اجتهدتُ من زمانٍ مديد ان ارضي واكفي شوقي وفحصي وفتشت لاعرف كيفية وجرم السندروس الذي يُستعمل في مملكة الكينا والجيونه ونوع استعماله بالعمل لكي استعمله انا . اذ اني قد مارست جملة مركبات مشروحة وموضحة من معلّمين مختلفين في كتبهم المطبوعة وما قدرت ولا بواحدٍ منها ان انال تلك الملاحظة والكيفية التي تبان في السندروس الكينازي ولان سيادتكم الكلية الشرف اردتم ان تشرحوا عنه ايضًا بين اقوالكم الشريفة الفاضلة وما قدرتم ان تنالوا كمال معرفته فتقدروا ان تفتحوا دلايله من الاعلام التي ارسلها لسيادتكم التي ما قيلت لي من محبي المقيمين في تلك المملكة المقدسة فقط بل وتلقيتها من الاعمال ايضًا وكلما قدرت ان اجمعه في سنين كثيرة نظرًا لهذه المادة ولكي تخدم سيادتكم احسن خدمة قد جزّأتها الى فصول لاجل تجنب اختلاط كل ما هو لازم لشرحها . الفصول التي اذا تأملتها سيادتكم تأملًا حاذقًا تقدر ان تنتج وتعرف ما يجب ان تستعمله في الآتي من غير ان تضيع الزمان الذي هو الشيء الاثمن الذي عُطي لتاجر الله . »

وقد ابان مستخرج هذا الكتاب من اللغة الايطالية الى اللغة العربية ان فيه عدّة اسماء صموغ وادهان وغيرها يقتضي لها شرح وايضاح . لذلك قد خصص المعرّب مكانًا لشرحها في آخر هذا الكتاب ، ورتبها تبعًا لحروف الابجدية . ثم ان بعض هذه الاسماء موضوع بالثلثانية باحرف عربية لعدم معرفة اسمه الحقيقي بالعربي ، ومن شرحه ربما تقرب معرفته .

وقد رأينا ان ننقل مثالًا عن هذا الكتاب :

الفصل الخامس

في سندروسات لون الذهب

« اننا قد وضعنا سندروسات مختلفة مركبة جميعها من صموغات مذابة بالعرق . فلا يبعد عن القصد ان نتكلم الآن عن البعض المفهومة بالنوع ذاته التي بدهن الاواني المفضضة بها تصير الاواني بلون شبيه لون الذهب . وهذا السندروس يتركب بانواع كثيرة وكل واحد يقدر ان يختار النوع الذي يرضيه اكثر اذ ان لون هذه الانواع يمتاز قليلاً عن بعضه . كما ان الذهب المدقوق ورق ام المسحوق كالغبار يوجد فيه مرات عديدة امتياز اللون الذي يوجد ايضاً في المعاملات . فعمل هذا السندروس اذاً هو نوعٌ واحد وهو التابع .

يؤخذ ربع من الجاوري وربع مستكي والنصف صمغ الدفران ويُسحق كل جزء بحاله ناعماً . فتوضع اولاً المستكي على النار مع عرق مكرَّر خالص ولما يذوب يوضع صمغ الدفران وبعده الجاوري فاذا ذابت المواد المذكورة يُضاف لها الثمن (اي نصف الربع) دهن الابته وصبر سقطري مسحوق ناعماً مقدار ما تسع قشرة جوزة . وحين يبان انه انصبغ هذا المركَّب يُرفع حينئذٍ عن النار وتُصبغ فيه الاشغال المفضَّضة . والبعض يستعملون في هذا التركيب الجاوري والصبر السقطري مسحوقين ناعماً وقليلاً من الزعفران ينحلّ الجميع ويذوب في العرق . وبهذا السندروس الاول ام الثاني يدهنون على مرات عديدة الاشغال الفضية فيترك الوجه الاول حتى ينشف قبل ان يندهن الوجه الثاني وهكذا الثالث والرابع الى ان يأتي اللون شبيهاً بالذهب .

٢ً قد علّمني شخص نمساوي كيماوي مخبّ لي تركيباً آخر جرّبه بذاته وطلع حسن جداً وعمله بالنوع الذي اصفه الآن . اي تؤخذ الكهربا الصفرا درهم ١٨ وتتحمص جيداً على النار في مقلاية نحاس وبعده توضع في روح الترمنتينا وتُترك يومين ام ثلاثة ايام في قنينة قزاز على رمل سخن تحته نار خفيفة وتنخض القنينة على كم مرة فينصبغ روح الترمنتينا بلون ذهب حسن جداً وبدهنه على الفضة ينشف بزمن وجيز .

٣ً والتركيب التابع هو حسن ايضاً وهو صمغ لكّ درهم ٩ صبر سقطري

مسحوق درهم ٢ زيت الترمنتينا درهم ٧٢. سكر قالب مسحوق اوقيتين شامي. اي درهم ١٠٠ يتدوبون ويلتحمون معاً ثمَّ يتصفون في منخل رفيع ويحفظون للاستعمال.

٤ً اما انا فاني اعتبر التركيب الآتي اكثر من كل التراكيب الذي استعملته مرات عديدة بذاتي وكان يطلع حسناً دائماً وان كنتُ في تركيبه ما لاحظت قطّ ولا مسكتُ عيار الاجزاء التي تركبه . عارف في كل التراكيب ان الاختبار والممارسة هي المعلّمة العامة . وتعلم حسناً زيادة ونقص تلك الاشياء المطلوبة للتركيب الحسن . فاذن بعد ان ذوَّبت صمغ اللك في العرق وضعت في الوعاء وَرْساً مسحوقاً ناعماً (وهو شلش يصبغ بلون اصفر) واضفت اليه قليلاً من زعفران يابس مسحوق ودم التنين منسحوق (وهو صمغ حسبما يُخبر المعلم اورمُيا في كتابه عن الاشياء النادرة في الفصل ٣٤ في ورقة ٢٢٩ وقد دُعي ايضاً زنجفر ديوسقوريدس الطبيب وهو مادّة سائلة تقطر من شجر تُدعى تنين تنبت في حقول مدينة قرطاجنة في بلاد البرو كما يخبر المعلم ميناردا في الفصل ٣٤. فيخرج من شجرة كبيرة جدًا لمَّا يشرحوا قشرها اللطيف. فالحقيقي منه الذي يُجلب الى بلاد اوربا تلتصق به قشور الشجر وله لون الدم الجامد. وقد تكلم عنه المعلم كلوسيا في تاريخ اخبار الكتابات النادر في الكتاب الاول والفصل الاول) فهذا التركيب اذًا المذوَّب جيدًا والمختلط الى بعضه حسناً على سخونة معتدلة يُترك زماناً ما ليرقد العَكِر اسفل ويُستعمل السندروس الرايق الذي يطوف على العَكِر ام انه يتصفّى في ورقة شكل قرن ان اردته يكون اوفر صفاوة ويُستعمل الدهن فيه في حرارة الشمس وهو فاتر . وتُدهن فيه الفضة سَجاً بالقلم بخفّة ورشاقة من غير رجوع بالقلم ويُترك اول وجه في الشمس حتى ينشف. فاذا نشف بعد كم ساعة يُدهن الوجه الثاني ويُترك لينشف كاول وجه. وهكذا يصير على كم مرة الى ان يأتي اللون شبيه لون الذهب . وان كان لون السندروس لم يأتِ حسناً يمكن ان يُزاد عليه إما زعفران ام دم التنين الى ان يحصل على اللون المقصود.

في بلاد الانكليز وبلاد فرنسا وفي اماكن أُخر يُستعمل سندروس خاصةً

لساعات الدواليب اذا غُطي على الفضة يجعلها ان تُبيان ذهباً واذا غُطي على النحاس الاصفر يجعل لونه شريفاً جداً . وتركيبه على النوع التابع اي : خذ من اللكّ درهم ١٨ ومن الكهربا الصفرا درهم ١٨ ومن الفوماغوما درهم ١٨ ومن دم التنين ثقل اربعين حبة.قمح . زعفران نصف درهم . عرق مكرّر حادق درهم ١١٨ تُسحق الاجزاء جميعها سحقاً ناعماً وتوضع مع العرق في وعاء قزاز ويسدّ فمه . وعلى حرارة النار ام الشمس ينخضّ ويتحرّك الوعاء متواتراً وبعد ان تذوب الاجزاء يتصفّى في قماش حرير فتيح . ولما تريد تستعمله يجب ان تُسخّن الشيء ان كان نحاس اصفر ام فضة وتدهنه فيبان ذهباً.

ان كافة هذه السندروسات التي ذكرتها الى الآن تُستعمل من صناع كثيرين ومصورين وكولليريه حسب ميل كلّ منهم وكلها تمرّ تحت اسم السندروس الكينازي . واما كم يكون [كلمة غير مقروءة] كل واحد منهم فيُعرف وينتج من تحبير البادري مرتيني الذي هو في الفصل الاول من هذا الكتاب المختصر . ولاجل ذلك انا اتبع الكلام عن السندروس الكينازي الحقيقي.

ولكن قبل الكلام فيه لم يبعد عن المقصود التحذير هنا . انه اذا كان لازماً استعمال العرق المكرر في السندروسات السابق ذكرها فيجب ان يكون هذا العرق خالصاً اي من غير اجزاء رطبة باردة لذلك هو جيد ان يتنقّى بعد الاستقطار وذلك يصير بوضع شقفة ملح طرطير داخل العرق بنوع انه لا يصل الملح ويدقر اسفل الوعاء . فهذا الملح يجذب اليه كل الرطوبة المائية ويفصلها من العرق الذي يلبث شايفاً على الوجه. وبعد صيرورة هذا الانفصال يتصفّى العرق في قمع قزاز في وعاء آخر وحين بيان الملح قارب الخروج مع الرطوبة يسدّ القمع في عود يكون في رأسه قطنة حتى لا ينزل الملح مع العرق والملح اذا تنشف ينفع لغير مرّات.»

ونقف عند هذا الحدّ في الكلام عن هذا الكتاب الكيماوي الخطي الذي قرض العثّ معظم ورقه ، وكادت مادّة الحاز في الحبر ان تتلف سطوره فلا تُقرأ إلّا بصعوبة . وهذه هي النسخة الاصلية المكتوبة بقلم المترجم نفسه وقد سقط من اواخرها بعض ورقات

(لها بقية)

الزهرة التركية

في

الحديقة الرهبانية

ترجمة حياة بهيّة خالد المحتدية امس ، والاخت ماري هيلانة اليوم ، احدى راهبات دير الزيارة ، في ذوق مكايل . تنقلا عن لسانها ، وهي في الدور الاول من حياتها العالمية ، وعن لسان اهل الدير وهي في الدور الثاني من حياتها الرهبانية.

بقلم حضرة الخوري يوسف العشيّ المرسل البطريركي

١

دير سيدة البشارة

ساعدني الحظّ ان زرتُ دير سيّدة البشارة في ذوق مكايل الخاص بالاسرة الخازنية . فرأيتُ في هذا الدير ما يطيب للسمع ذكره وما يجلو في الافواه شكره ، من حسنات حسان ، ومآثر جليلة ، لم اشأ أن اغمض عنها دون أن انوّه بها اقراراً بجميل مَن احسن ، وثناء على الأُلى خلفوا لنا اسماً يخبر بمديحهم[1] .

ان هذا الدير كان سابقاً دار الطيّب الذكر والاثر المرحوم الشيخ بشاره جقال الخازن الذي عهد اليه الامير بشير الكبير الولاية على قسم من مقاطعة كسروان . تُوفّي في ذوق مكايل سنة ١٨٢٦ ، دون عقب ، بالعقد السادس من عمره ، ودُفن هناك.

كان بشارة المذكور جميل الخَلق ، طيّب الخُلق ، كريماً سخيّاً وقوراً صاحب رفعة وجاه ، تفرّع من دوحة سناء ، وتحدّر من سلالة كرام ، ولما علم الامير بشير الموما اليه بوفاته ارسل وفداً من قبله وحجز تركته لذاته ورقم كل ما

---

١) ابن سيراخ ١٤

حوته داره من كلي وجزئي بلاغة ودركوا بها ارملته السيدة زيادة وشقيقته الآنسة بادوانية . وابقى الامير لهما ولاية الذوق وعينطورة.

اما ارملته وشقيقته فقد استدعتا من فورهما ابن عمهما الخوري يوسف شاس[1] واقامتاه وكيلاً عنهما ، وشرعتا واياه يلجأون الى الوسائط لاسترضاء الامير بترك دعواه ، مبينين له بطلان ما بلغه من امر الورثة . الى ان اقنعوه اخيراً بان يأخذ من التراث ١٧٠ الف قرش نقوداً ويترك الباقي للورثة . وبعد استرضاء الامير بالمبلغ المشار اليه ، وحصول كل من الوراث على نصيبه ، اتفقت زيادة ارملة الشيخ بشارة وشقيقته بادوانية على وقف ما اصابهما من تركة فقيدهما ، وعليه التمستا من غبطة البطريرك يوسف حبيش ليكرس دارهما ديراً على اسم سيدة البشارة ، ويثبت صك وقفيتهما بكامل ما ورثاه من مورثهما من ثابت ومنتقل وبكل ما يختص بهما . فسر البطريرك بصنيعهما هذا واثبت بسلطانه صك وقفيتهما في ١٦ تموز سنة ١٨٣٣ مفوضاً ولاية هذا الدير وتدبير شؤونه الى ابن عمهما المطران يوسف الخازن مطران دمشق الذي اتفق واياهما على جعله ديراً محصناً تقيم فيه راهبات يسرن بموجب قانون رهبانية زيارة السيدة العذراء التي انشأها القديس فرنسيس دي سال[2] واستدعوا لهذه الغاية راهبتين من راهبات دير عينطورة الذوق لتأسيس فرع من جمعيتهما في الدير المشار اليه ، وهما مريم انطون الاشقر ، ومريم صابات البكرجية ، في

١) هو الشيخ شاس بن راجي بن بولس الخازن من عجلتون ، ارتقى الى درجة الكهنوت في مدرسة عين ورقة . وفي ٦ نيسان سنة ١٨٣٠ رقاه البطريرك يوسف حبيش الى اسقفية دمشق ، فساس الابرشية بالدعة والحلم والمثل الصالح . ولما توفي البطريرك المذكور في ٢٣ ايار سنة ١٨٤٥ ، في كرسي الديمان ، اجتمع الاساقفة في دير سيدة سيفوق ، وانتخبوه بطريركاً في ١٨ آب سنة ١٨٤٥ . أدار شؤون الطائفة بروح الرب والدعة . وغادر الحياة الدنيا الى لقاء ربه في ٣ تشرين الثاني سنة ١٨٥٤ في الديمان ، ودفن في ضريح سالفيه البطريرك يوحنا الحلو ، والبطريرك يوسف حبيش.

٢) قد أولت هذه الجمعية الرهبانية الكنسية شرفاً اثيلاً بفضائل القديسة فرنسواز دي شنتال ، التي شاركت القديس فرنسيس دي سال في انشائها سنة ١٦١٠ ، وبفضائل عدد لا يحصى من العذارى اللواتي انتظمن في سلك هذه الجمعية المقدسة ، وخصوصاً القديسة مرغريت ماري الاكرك تلميذة القلب الالهي وناشرة عبادته.

١٥ تموز سنة ١٨٣٦[1].

ولما كثر عدد الراهبات ، وتنظمت احوالهن ، وزالت كل الموانع التي كانت تحول دون القيام بما توجبه القوانين والرسوم الرهبانية بتدقيق ، باشرن بعقد المجامع لانتخاب رئيسة تدبّر امرهنّ.

فاول مجمع عقدنه كان في سنة ١٨٦٠ انتُخبت فيه الاخت حنة فرنسيسكا الخازن . وهكذا بالتتابع الى عقد انتخاب الرئيسة الحاضرة مرغريت شبل الخازن التي جُدّد انتخابها مرارًا باجماع الكلمة لما عُرفت به من الصفات الحسان ، والاخلاق الممدوحة ، والغيرة ، وحسن الادارة والتدبير. فلم تكن الثمانية والسبعون عاماً التي قضت معظمها في داخل جدران ديرها لتفتّ من عضدها في اتمام واجبات الحالة بما ليس بعدها من الدقة والغيرة والنشاط وقيامها بتدبير جمعيتها بحكمةٍ ودرايةٍ فائقتين.

وليس عجيباً اذا اضحت هذه الابنة الفاضلة موضوع اعجاب اخواتها الراهبات يحفظها قوانين الجمعية بتدقيق وبممارستها الامور الروحية بشوق ونشاط ، وهنّ

---

١) انشأ دير الزيارة بمنظورة الذوق الاب انطون ، رئيس رسالة الآباء اليسوعيين في سورية . فقد شرى محل الدير من الشيخ ابي شروان موسى بن طربيه الخازن بثمن قدره ١٩٠٠ قرش . دفع ثلثي المبلغ مما جمعه من الاحسان ومن الطالبات الدخول في الدير . والثلث الباقي من الثمن وهبه الشيخ المذكور للدير مراعاةً لابنته وشقيقته اللتين انضمّتا لعدد الطالبات ، كما في سجلّ الدير وصكّ الشراء المؤرخ في ٧ حزيران سنة ١٧٦٦ .

وبعد ان التأم عدد الطالبات كتب لهنّ الاب الموما اليه قانون راهبات الزيارة الذي ألّفهُ القديس فرنسيس سالس ، ليسرْنَ بموجبه واستحاح الاذن من السيد البطريرك والاساقفة بان يكون مرشدهنّ احد الآباء اليسوعيين . فاجاز ذو النبطة واصحاب السيادة ذلك على شرط ان تبقى الراهبات على طقسهنّ المارونيّ . وهذه صورة صكّ الاجازة نقلًا عن سجل الدير المذكور :

« تقبل وتثبت جميع ما في باطن هذه الوثيقة اي بان يكون دير العابدات المذكورات تحت حكمنا وحكم خلفائنا دون سائر المطارنة والاساقفة وليكن مرشدوهن حضرة اولادنا الآباء اليسوعيين . وقد ارتضينا بان تكون العابدات تحت قانون مار فرنسيس دي سال حيث تحفظ عوائد وطقوس رتب كنيستنا المارونية صح . . البطريرك سمعان عواد . المطران جبرائيل عواد . المطران طوبيا الخازن . المطران جرمانوس . المطران عبدالله حبيقوق . »

يرونها امامهنّ عند الشروع في كل عمل روحي او خدمي رغماً عن ثقل الشيخوخة.

امّا الفرض الذي يتوجّب على الراهبة تلاوته فهو عينه الذي تتلوه راهبات الزيارة مترجماً عن اصله الفرنسي الى اللغة العربية.

اخصّ قوانين هذه الجمعية ان تقضي الطالبة سنة ابتداء. ثم تجدّد نذورها الثلاث : العفة والفقر والطاعة لمدة ثلاث سنوات . ثم تنذر مؤبداً . وان يكون عمرها من ١٥ سنة وصاعداً . ويمكن قبول الارملة بعمر ٤٠ او ٤٥ سنة اذا كانت ذات سمعة حسنة ومشهوداً لها بحسن سلوكها وتقواها . اما البنات اللواتي يرغبن اعتناق الحياة الرهبانية من الاسرة الخازنية في هذا الدير فيقبلن مجاناً . ومن اخص قوانينها ايضاً واهمها التحصن داخل الدير والخضوع لسلطة البطريرك دون غيره من الاساقفة.

امّا من يتولّى الآن إدارة هذا الدير ويتدبر شؤونه الروحية والزمنية فهو سيادة الحبر النبيل المطران يوسف الخازن ، مطران عكّا ، الذي جدّد بناءه وجعله من عداد المباني الفخمة ، وانشأ بالقرب اليه معهداً للتعليم جميل البناء بحكم الهندسة . انفق في تأسيسه المبالغ الكثيرة من ماله الخاصّ . وتلك خلة عرفناها بآل خازن الكرام[1] .

١) ومن عداد الاديرة التي انشأها آل خازن الكرام :

١) دير سيدة البزاز . أنشأهُ عاد بن صخر الخازن سنة ١٧٤٩ للعابدات . ودير مار الياس بلوني انشأه غر ابن ابي نصيف نوفل الخازن سنة ١٧٦٦ . وفي هذه السنة عينها انشأ الشيخ عبد السلام بن عبد الملك الخازن دير مار موسى بلوني ايضاً . ودير مار انطونيوس بفاتا .انشأه المطران طوبيا الخازن ١٧٦٦ . ودير سيدة بقلوش انشأه الشيخ ميلان ابن البطريرك يوسف ضرغام الخازن سنة ١٧٨١ . فهذه الاديرة يتولى ادارتها اقارب الواقفين.

اما الاملاك والاديرة الموقوفة للاجانب فهي : دير مار انطونيوس حريصا للرهبان الفرنسيين وقف عله الشيخ سنتو الخازن . ودير مار انطونيوس خشبو . ودير مار يوسف عينطورة الذوق . ومحل دير سيدة بزمار . ومحل دير الكريم . ومحل دير سيدة الشياح . ومحل دير مار مخايل . ومحل سيدة البشارة في ذوق مكايل للروم الكاثوليك . ودير طاميش . ومحل دير عوكر . ومحل دير مار الياس انطلياس . وما عدا ما ذكرنا لهم اوقاف مدرسة عجلتون ، ومدرسة غزير في مزرعة كفرديان . ومدرسة غسطا . وانطش الروم الكاثوليك في ذوق مكايل . وكان لهذه الاسرة الكريمة على عهد ابي نوفل الخازن عدة اوقاف ومشاريع خيرية في جهات كسروان والبوشرية كان ينفق ريعها السنوي على

تحت سقف هذا الدير ، الشاهد الامين على فضائل هذه الزنابق الجميلة التي نقلتها يد العناية الالهية من حقل هذا العالم الشائك الى حديقة الحياة الرهبانية الشائقة ، تتضوع الروائح العطرة فتتناقلها ملائكة السماء كهدايا القلوب ، كعرفان الجميل ، لرب الجنود ولباري الوجود . . .

ومما لفت نظري في هذا الدير على الخصوص امر ابنة تركية الجنس ، مولودة الاستانة ، محمدية المذهب ، تركت في هذا الدير ، من طيب الاحدوثة وجمال السمعة ، وحسن الاثر ، ما تردده الالسنة بالاعجاب ويملأ المسامع بالذكر الجميل فلم اكن املك على نفسي السكوت عن اعلان هذه البنفسجة العطرة التي نمت الينا بعرفها ودلت عليها بعطرها . وعن نشر ترجمتها بعالم المطبوعات لما في ترجمة حياتها من القدوة الحسنة والمثل الصالح والتعليم والتهذيب . وبيان فضل هذه الجمعية الرهبانية التي ما فتئت تقدم للدين وللانسانية من كنوزها ما تحمد في النقل انباؤه ، ويحسن في السماع خبره ، ويحلو في عالم الطبع نشره .

٢

بهيه خانم المحمدية امس والاخت ماري هيلانة اليوم

١

سئلت هذه الابنة عن اسمها ونسبتها ، ومولدها ووطنها ، وظروف اهتدائها الى الدين المسيحي ، وترهبها في دير الزيارة في اوائل تشرين الثاني سنة ١٩١٧ ، بحضرة مرشدها ورئيستها ولفيف الراهبات ، فاجابت بما يأتي :

اسمي بهيه ابنة علي بك كجك مختار باشا . اسم والدتي اسما خانم ، كلاهما من الاستانة .

ولدت في حي اشقودره سنة ١٨٦٧ . ورضعت الحليب من امرأة مسيحية . كان لي اربعة اخوة توفوا كلهم بداء الجدري في الاستانة . فاصبحت

بمذهبي الشام ، ما خلا ما بنته واسسته من الكنائس وبذلته في سبيل الانشاآت الخيرية كالمياتم والملاجئ والمدارس . . .

وحيدة لوالدي الذي كان يأنف المضارّة[1] ، وهي خلّة تمشت عليها اسرتنا من زمن مديد.

ولما توفيت والدتي كان عمري عشر سنوات تقريباً ، فلم يتزوّج والدي بعد وفاتها ، مع انه كان في منتصف عمره. ولهذا كنت موضوع آماله ومحبته.

اما ظروف اهتدائي الى الايمان المسيحي فمتعدّدة اقتصر على القليل منها :

تجلّت لي رؤيا وانا في السابعة من عمري اقصها على علّاتها بكل سذاجة: رأيتُ ، وانا في بستاننا ، في ليلة مقمرة ، طفلاً جميلاً متشحاً بلباس ابيض في الجوّ ، وبالقرب منه مصباح متقدٌ . وكأني باشجار البستان انحنت للارض اكراماً له . فتقدمت من شجرة وقطفت من ثمرها ووضعته في حضني فانتفضت الشجرة انتفاضاً ، فخفتُ وصرخت . وللوقت سمعت صوتاً من السماء يقول لي تعالي اليَّ . ولما تراكض اهلي حواليَّ اخبرتهم بامر الشجرة ، ولم اقل لهم ما سمعته ، فقالوا لي : لا تخافي ! هذه ليلة القدر.

من صغر سني كنت اميل الى معاشرة البنات المسيحيات من جيراننا . واتفق ان سعى احد الكهنة المرسلين ببناء كنيسة بالقرب من حيّنا ، فقدّمت له ما تيسر لي توفيره ، دون معرفة والدي.

ولما بلغت العاشرة من عمري ، اتيت مع والدي الى بيروت ، اذ تعيّن مديراً للجمرك من قبل حكومة الاستانة. وبعد مدة عدنا الى الاستانة فمرضت والدتي ، وتوفيت في ريعان الصبا. فقفلت راجعة الى بيروت مع والدي وجدّتي ، وسكنّا في حي السراسقة . وعني والدي بتدريسي اللغة العربية ، فكان يرسلني كل يوم مع خادمة بيتنا الى مدرسة راهبات الناصرة . وكان يقوى في فكري اعتناق الدين المسيحي. ولما كاشفت الراهبات بذلك ، خفنَ واضطربنَ واعتذرنَ بان ليس بوسعهنَّ قبولي عندهنَّ . فضاقت بي الحيلة لعلمي بان اهلي يكرهون الدين المسيحي ، فانهم سخروني يوماً اردّد في حجرتي على انفراد الصلوة الربية ، فانتهروني ولطموني على خدي وفمي ، وحذّروني من ترديد هذه الصلوة.

(١) تكثير النساء.

احتجنا الى كوّاية في بيتنا . فهدانا الجيران الى كواية من بنات راهبات المحبة تكوي امتعة كنيسة القصادة الرسولية فاستقدمناها . وتعلقت انا بها وكشفت لها امري ؛ فوعدتني بانها توصلني الى سيادة القاصد الرسولي لودوفيكوس بياقي المقيم في بيروت . فاتفقت معها على الذهاب لديه.

واستأذنت جدّتي طالبةً اليها بان تسمح لي بالذهاب مع الكواية للنزهة . فاذنتني ، وكان والدي في ذلك الوقت متغيباً عن البيت. فخرجت في ٢٥ من شهر كانون الاول سنة ١٨٨١ ، فلم نتمكن من مقابلة سيادة القاصد بسبب توارد المهنئين له بعيد الميلاد . ولم اردّ العودة الى البيت ، فاختبأت في دار الكواية . ولما استبطأني اهلي بثّوا المنادين في المدينة يفتشون عني . وسمعت باذني صوت المنادي ، وانا في بيت الكواية الذي كان قريباً من دار القصادة.

ثم اختبأت والكواية في محل آخر الى ان تيسر لي فاتيت الى هنا ، الى دير سيدة البشارة . فاهتمت اذ ذاك الرئيسة بامري كل الاهتمام . فتثقفت في الحقائق الدينيّة ، من اوائل سنة ١٨٨٢ الى الثامن من ايلول سنة ١٨٨٤ ، حيث نلت نعمة العماد المقدس من يد مرشد الراهبات المرحوم الخوري يعقوب حجيلي ، وكان عمري ١٥ سنة.

وفي العاشر من شهر حزيران سنة ١٨٩٠ لبست ثوب الابتداء ودعيت باسم الاخت ماري هيلانة.

اني اشكر الهي من صميم فؤادي على نعمة اهتدائي الى الدين المسيحي الكاثوليكي المقدس ، وعلى الخصوص بانسلاخي عن العالم وتدثري بالثوب الرهباني المقدس. . اه.

هذا ما قالته هذه الابنة الفاضلة عن نفسها . واما ما تتناقله السن اخواتها ومدبّريها ومرشديها عن فضائلها ، وقداسة سيرتها فهو كما يلي . فلم اشأ ان يبقى ذلك ضمن نطاق ديرها يردّده الخلف عن السلف بل ان يُذاع ويُشاع عبرةً وذكرى.

(للبحث صلة)

الفينيقيون وجبرانهم

بقلم الامير موريس شهاب
امين دار الآثار اللبنانية

٢

فينيقيا ومصر

ان اقدم ما وصل الينا من الآثار الدالّة على قدم العلاقات بين مصر وبيبلوس قطعة اناء نُقش عليها اسم الفرعون خاسخموي . وقد كان مالكاً على مصر نحو السنة ٣٢٠٠ ق. م.

ولنا من العصر نفسه اسطوانة وجدت في بيبلوس ، كان يستعملها خاتماً رجلٌ كتب عليها ، بالحروف الهيروغليفية ، انه محبوب الاله - الشمس را ، والالهة ايزيس - حاطور ، والاله حاي - طو . وقد برهن السيد مونته ان حاي - طو هذا إن هو الّا الاله الذي دُعي في ما بعد باسم أدونيس.

كان ادونيس الهاً شاباً وجيلاً ، وصيّاداً ماهراً . فعلقت به ربة بيبلوس. وكان ان توغّل يوماً في احدى الغابات فطارد خنزيراً برياً حتى جرحه ، فارتدّ هذا على عقبه وانقضّ على ادونيس فقتله . فسال دم الاله على ارض الغابة ، وفي الغد شاهد الناس شقائق النعمان نمت بكثرة حتى غطّت ذاك المكان . على ان قسماً من هذا الدم سال حتى وصل الى نهر ابراهيم فاصطبغت مياهه بلونه . وما زالت حتى يومنا هذا ، تسيل حمراء في ايام الربيع ، فتصبغ قسماً من مياه البحر حول مصبّها . وكان الاقدمون يجتمعون حول النهر ، في مثل ذاك الوقت ، فيبكون الاله القتيل ؛ حتى اذا استعادت المياه لونها الطبيعي ، واكتست الارض كساءها الاخضر ، عادت الى الطبيعة نضرتها

السابقة ، ورجع ادونيس الى الحياة . عند ذاك كان يبتدئ موسم الطواف من بيبلوس الى افقا ، فتسير الجماهير ونهرَ ابراهيم ، وقد اهاب بهـا داعي الفرح فاندفعت تُصعد اهازيج السرور منصرفة الى ما حطَّ من الملاهي وما شانَ من الملذّات التي استحكمت مدة طويلة في ذاك الشعب حتى ان النصرانية لم تقوَ على ازالتها الّا بصعوبة .

على ان هذه العبادة للاله ادونيس لا تظهر قوية الازدهـار الّا في عصر متأخر . اما في ما سبق من الاعصر فيظهر ان العبـادة الاكثر انتشاراً كانت منصرفة الى حبيبته الالهة عشترت ، الهة الولادة ، التي كان يدعوها الفنيقيون بَعلة جبيَل ، اي ربة جبيل .

وقـد بلغ تأثر الجبيليين بالفنّ المصري مبلغاً بعيداً حتى انهم كانوا يمثلون ربّتهم على هيئة الالهـة ايزيس المصرية جالسةً على عرش ، حاملةً باحدى يديها صولجان الملك ، وعلى رأسها دائرة الشمس بين قرني حاطور . وهي تظهر بهذه الصورة ليس فقط على الاسطوانة التي ذكرتها ، بل في صورة محفورة منذ السنة الالفين ق . م . تمثل ملك بيبلوس راكعاً امام الالهة .

هـذا وان في اعلى رقيم يرملك الراقي الى العصر الفـارسي صورة الملك مكتسياً على الزي الفارسي ، وامامه بعلة بيبلوس ولم تفارق زيّها المصري . فيظهر من هذا الدوام في تصويرها على الهيئة المصرية ، برغم انتقال السلطة العليا من ايدي المصريين ، كم كان بعيداً تأثير هذا الشعب الـذي بسط نفوذه على العالم بمدنيته لا بسيفه .

. . .

اقتـدى جميع كبار الفراعنة في الالف الثالث ق . م . بالفرعون القـديم خاسخموي ، فملأوا هيكل بيبلوس بالآنية المأخوذة من حجـار الشطوط (albâtre) التي كانوا يملأونها ، على ما نظنّ ، ببعض الهدايا الثمينة . ويمكن زائر متحفنا ان يشاهد في خزائنه قطعاً عديدة من هذه الآنيـة ، حافظةً اسماء مشاهير الفراعنـة ككفرين وميسيرينوس (منكاوري) بانيّ اهرام الجيزة ، وتيتي ، وغيره ، ولاسيما الفاتح الاعظم بيبي الثاني الذي قدّم للهيكل عـدة

آنية ، مع خوان للتقدمة ، وكثير من التماثيل الصغيرة من الخزف منها ما يمثل انثى قرد وقد ضمت صغيرها الى صدرها بحنوّ . وهو تمثال يظهر آية في الفنّ دقةً وحقيقة تمثيل . حتى ان احذق فنّاني العصر قد لا يفوق في ذلك فنّان القرن الخامس والعشرين ق. م.

ولكنّ هناك امراً في غاية الغرابة ، لا ندري هل سببه عدم التوفق في اجراء الحفريات ام الانقلابات السياسية في ذاك العصر ، وهو اننا لا نرى في الالف الثالث ق. م. ذكر ملك واحد من الوطنيين ، بل نرى كل الهدايا مقدّمة رأساً الى الآلهة. فهل يجيز لنا هذا الاغفال ان نستنتج فنقول ان بيبلوس كانت في الالف الثالث ق. م. تحت حكم مصر المباشر ؟ هو ما لا يمكن ان نرجّحه حتى اليوم على رغم المظاهر المتعدّدة.

ومهما يكن من الامر فان النصوص ، حتى الفنيقية منها ، ظلّت الى ما وراء ذاك الزمن تكتب بالحروف الهيروغليفية . بيد أنه قد يكون بامكاننا ان نعتبر راقيةً الى هذا العصر تلك الكتابة الغريبة التي اكتشفت السنة الماضية في بيبلوس . وهي تحتوي على احد عشر سطراً بابجدية مؤلفة من صور مختصرة تشابه الهيروغليف ولكن من نوع غريب لم يُعرف قبل اليوم ، ولم يتمكن احد حتى الآن من قراءة كتابتها. فهل تكون أثراً من ذاك العصر ، ومظهراً لطور الانتقال من الخط الهيروغليفي الى الابجدية الفنيقية ؟ اننا لا نرى الفرضية مستحيلة . . .

الثورة المصرية وتأثيرها في بيبلوس

في اواخر الالف الثالث ق. م. شبّت في مصر ثورة هائلة قام بها الخدم والمماليك ، فاسقطوا اسيادهم من امراء وفراعنة ، واستبدّوا مكانهم بالملك . فكان من جراء ذلك مذابح وبلايا دامت نحو قرنين ساد فيهما الخراب والفوضى في جميع انحاء مصر ، حتى طمع الاجانب في وادي النيل واستولوا على قسم منه.

وكان من طبع المصريين الرغبة في التحبب والرثاء ، فوجد ادباؤهم في تلك

الحوادث موضوعات عديدة لبكائهم فانصرفوا اليها نادبين معدّدين . وقد حفظت لنا الآثار قول احد كتبتهم في وصف ما ابداه المماليك الحديثو النعمة من الصلف والاستبداد فقال : «ان الاقرع الذي كان يُنفر منه لما كان عليه من القراد ، اصبح بدلك صلعته بالزيوت والطيب ويفرض على العقائل الشريفات احتمال مداعباته المزعجة.»

وقال كاتب آخر من العصر نفسه : «لم تعد المراكب تبحر الى بيلوس فتستورد الخشب لبناياتنا وانواع الصمغ والقطران لتحنيط موتانا.» فكان انقطاع هذه العلاقات ثقيل الوطأة على مصر.

اما في بيلوس فقد كشفت الحفريّات عن جدران الهيكل الراقية الى الالف الثالث ق. م. فاذا بها متكلسة ، وفي اهراء الهيكل كثير من القمح المحروق. واذًا فان ثورة مصر اضعفت نفوذ الفراعنة في بيلوس ، فقام سكانها ثائرين على المصريين.

الّا ان هذه الثورة المحلية لم تلحق ضرراً بالمدينة ، بل كان الامر على عكس ذلك . فاننا نرى بيلوس بعد هذا العصر المضطرب على غاية ما يمكن الازدهار.

والى هذا العصر ، او الى ما قبله قليلًا ، يرقى السور الفخم الظاهر تحت سور الصليبيين . وهو مبني بحجارة دون ملاط يبلغ عرضه من ثلاثة الى اربعة امتار ، وتسنده من الداخل ركائز مربّعة يبلغ ضلعها المترين . اما من الخارج فتعلوه طبقة من الطين لا ريب في انها كانت مبلّطة الظاهر حتى يصعب تسلّقها. وهذا السور من افخم ما يُعرف من نوعه في سورية وفلسطين . ولا عجب فقد خلّدت التوراة حذق الجبليين في نحت الحجارة.

وبعد ان اتمّ الفنيقيون بناء السور ضحّوا ، حسب عادتهم ، ببعض اطفالهم ، ووضعوا هياكلهم في جوار كبيرة مكنوها في اسفل السور وقد كانت هذه العادة الوحشية عزيزة على الفنيقيين على الرغم من ذم الاقدمين لها ، ولاسيما التوراة . وذلك ان الفنيقيين كانوا ، كسائر البحريين ، كثيري العبادة ، راسخي العقيدة ، شديدي التمسك بالتقاليد ، حتى انهم لم يتخلّصوا من تلك

العادة الذميمة الّا في عصر متأخر ، يساعدنا التاريخ على تقديره اذ يروي لنا انه لما حاصر الاسكندر الكبير مدينة صور ، كان فيها كثير من اهالي قرطاجة فنصحوا لسكانها ان يقوموا ببعض الضحايا البشرية ترضيةً للالهة كما جرت عادة سلفائهم ، فأبى هؤلاء وذموا عبادة جدودهم الوحشية. وعليه يمكننا الاستنتاج ان تلك العادة استؤصلت بين القرن التاسع وهو تاريخ بناء قرطاجة والقرن الرابع وهو تاريخ خراب صور.

معبد أمار بيبلوس

وكانت بيبلوس المتجدّدة بحاجة الى هيكل فبُني بعد ان وُضع تحت بلاطه ثلاث جرار كبيرة مُلئت بالهدايا والنذور . وقد شاء القدر ان يحصل متحف بيروت على هذه الجرار ، فاذا فيها نحو ١٥٠ تمثالًا صغيراً من البرونز المموّه بالذهب . على ان تلك الصبغة الذهبية اضمحلّت لرقّتها ولم يبقَ الّا آثار منها علقت في مطاوي بعض التماثيل . واكثر ما تمثّله الآلهةَ ، والنساء ، والابطال مسلّحين بالخناجر ، او بالرماح ، او بالقسيّ . ويمكن ان نقسم هذه التماثيل المصنوعة كلها في فنيقية الى فرعين مميّزين صادرين عن طريقتين للفنّ مختلفتين : امّا الاولى فتمتّ الى الفنّ المصري بصلة قوية ، وامّا الثانية فتتبع الطريقة الاسيوية لاسيما في ما خصّ لبس اللبّادة المعروفة . ومهما يكن من خاصّة فنيّة في ذلك ، فاننا نرى جميع الرجال مرسلي اللحى ، بارزي الانوف ، ظاهرين ، في قسمات وجوههم ، بمظهر المثال الوطني الاسيوي الذي يقترب كثيراً من المثال السوري الشمالي ، او من مثال بلاد الحثيين . وان واحداً من تلك الشخوص الصغيرة يمثل عجلًا مغشى بالذهب في غاية ما يكون من اتقان الصناعة.

وبعد ذلك وُضع برّة رابعة تحت بلاط الهيكل فاكتشفها السيد مونته واخرج منها ومن حولها كثيراً من التماثيل الصغيرة ايضاً وفيها شخوص القردة ، والارانب ، والاسود ، او الاسطوانات التي كانت تُستعمل اختاماً كما جرت العادة في سورية الشمالية . وكان بين هذه الآثار حَلي من الذهب مستدير الشكل نقشت فيه الاهلة وحُفرت النجوم رمزاً الى الالهة عشترت (انظر الرسم ١). وقد وُجد في هيكل شوشنك قطعتان شبيهتان بهذا الحلي ،

الا انهما اقلّ منه قيمة فنيـة . مما يدلّ على انه كان لبيلوس علاقات مـع بلدان آسية الوسطى منذ القرن السابع عشر ق. م. فكانت تمثـل في ذاك العصر العريق الدور الذي تمثله بيروت اليوم ، اي انها كانت مرفأ الشرق.

ومما وُجد في هيكل بيلوس ايضاً سلسلة شخوص من البرونز تمثل عـدة حيوانات كالاسود والثيران وما اليها ، وتدلّ بالاجمال على ملاحظة دقيقة وفنّ رشيق.

ويظهر ان هيئة بعض الآلهة الممثلة مصرية محضة الّا ان هـذه التماثيل مصنوعة في فنيقيـة دون شك . ولقـد كان الفنيقيون كالمصريين ينبغون في التعبير عن صفة مُمثلهم باشارة بسيطة تُلخص اخلاقه كلها . ومن هذا القبيل تمثال الاله فتاح ، وهو ولد صغير مُمثل بمصّ احدى اصابعه.

على انه ما وُجد من الآثار في هيكل بيلوس لا يكاد يُذكر الى جنب ما اكتشف في القبور الملكية من الكنوز الفنية الراقية الى العصر نفسه.

كان ملوك بيلوس ، في هذا العصر ، اي في القرنين الثامن عشر والسابع عشر ق. م. يُدفنون بين السور والبحر . فكان القـادمون من البحّارة الى بيلوس يرون الآثار المقامة على قبورهم قبل ان يصلوا الى المدينة.

وقـد شاءت الصدف ان يكتشف مقرّ هذه المقبرة الملكية على الصورة التالية :

ان امواج ذاك الخليج الصغير تهيج في فصل الشتاء فتضرب آساس الشاطئ حتى تخلخلها . فكان انها احتفرت قسماً كبيراً من ترابه سنة ١٩٢٠ ، فانهار احد المرتفعات ، وظهر تحته غرفة مربّعة . وعلى اثر ذلك مرّت احدى نساء جبيل امام ذاك الانهيار ، فدفعها الفضول الى معرفة ما في الغرفة . ولشدّ ما كان انذهالها اذ رأت فوق الغرفة ناووساً عظيماً من حجر واحد ، وعلى الجدران بعض رقائق من الذهب تلمع تحت وقع شعاع من الشمس داخل من احد الخروق. ولقد كان انذهالها اعظم اذ شاهدت في زوايا الغرفة عدة جرار موقفة ومسندة بترتيب . فلم يكن من شك في انها ملأى بالكنوز ، حتى لم يعد للمسكينة من صبر على فحصها ، فاسرعت وحملت احداها على كتفها وخرجت كالمجنونة

الرسم ١
حلي من الذهب وُجد في بيبلوس اثناء
حفريات المسيو مونته
(متحف بيروت)

الرسم ٢
نسر من الذهب باسط جناحيه ،
من آثار بيبلوس
(متحف بيروت)

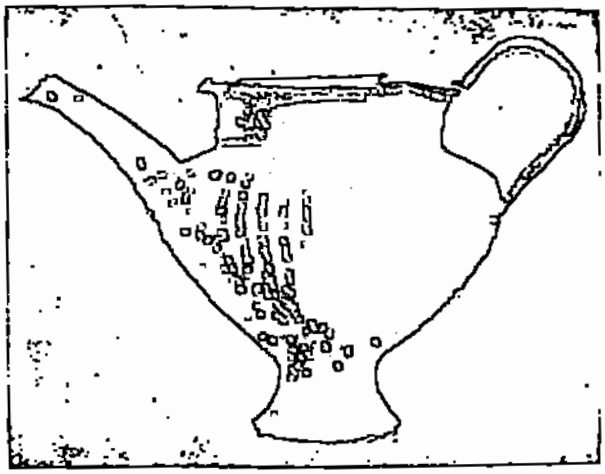

الرسم ٣ : اناء من فضّة وُجد في بيبلوس (متحف بيروت)

راكضة في اسواق البلدة الصامتة منادية باعلى صوتها : كتر ا كتر ا على انها سرعان ما افاقت من نشوتها ، اذ اوقفها افراد الجندرمة فاخذوا منها الجرّة ، وحرسوا باب الغرفة ، وابرقوا الى بيروت.

فاجريت الحفريات بكل دقة ، واذا بالقبر مبني على الطريقة المصرية ، وهو يحتوي على طابق سفلي مؤلف من بئر مربعة المدخل يبلغ عمقها نحو التسعة الامتار ويبلغ ضلع مدخلها نحو الاربعة ، منقورة في الحجر الصلد . وفي اسفلها ممشى واسع يوصل الى الضريح. وفيه كانوا يضعون الميت في تابوته ، ومعه كل ما كان يحب من الآنية والحلي. اما التابوت الذي يهمنا امره فكان خالياً من هيكل صاحبه ، فلم يُرَ فيه الّا ما دفن مع الميت من الحلي والاشياء الثمينة . من ذلك قطعة من الذهب تمثل نسراً باسطاً جناحيه (الرسم ٢) وُجدت محل عنق الميت في التابوت ، وحذاء من الفضة كان محلّ القدمين . والى جانب اليد ، وُجد صولجان من البرونز ، على هيئة المنجل ، وفيه نقش على هيئة رؤوس الافاعي . ثم اناء من الفضة لا يكاد يختلف في شيء عمّا نستعمله في عصرنا لسكب الشاي وما شاكل (الرسم ٣) . هذا ومن بعض آنية اخرى وُجدت في هذا القبر يظهر من شكلها وطريقة شغلها انها من عمل جزر بحر ايجه ، يمكن ان نستنتج انه كان بين بيبلوس وهذه الجزر المزدهرة بالعمران اذ ذاك ، علاقات وثيقة ، ولا غرو فالشعبان من مشهوري البحّارة في الكون.

(للبحث صلة)

نهاية الارب للنويري

بقلم الاب توتل اليسوعي

تعريف الكتاب

جاء في كشف الظنون للحاج خليفة ، طبعة فلوغل ، عدد ١٤٠٦٩ :

« نهاية الارب في فنون الادب تأريخ كبير في ثلاثين مجلدًا ، لشهاب الدين احمد بن عبد الوهّاب النويري الكندي ، المتوفّى سنة ٧٣٣ . الّفه في زمن الملك ناصر الدين محمّد بن قلاون . اوله : « الحمد لله رافع السماء وفاتق رتقها ومنشىء السحاب ومؤلف ودقها الخ » قال : وما اوردت فيه الّا ما غلب على ظني ان النفوس تميل اليه . ورتّبه على خمسة فنون : ١) في السماء والآثار العلوية والارض والمعالم السفليّة ويشتمل على خمسة اقسام — ٢) في الانسان وما يتعلّق به ويشتمل على خمسة اقسام — ٣) في الحيوان الصامت ويشتمل على خمسة اقسام — ٤) في النبات ويشتمل على اربعة اقسام وذيّله بقسم خامس في انواع الطب — ٥) في التأريخ ويشتمل على خمسة اقسام . »

ومرتبة الكتاب في فهارس الكتب العربية بين الموسوعات ، لان صاحبه توسع فيه لذكر كلّ ما خطر على باله من المعارف العامة في القرون الوسطى . وان يكن للنويري انداد يزاحمونه في هذا المضمار كالعمري († ١٣٤٨م ٧٤٨هـ) واضع مسالك الابصار في ممالك الامصار ، والقلقشندي († ١٤١٨م ٨٢١هـ) مؤلف كتاب صبح الاعشى في صناعة الانشاء ، فله عليهم فضل السابق في الزمان ، فاستفادوا من مؤلفاته واغترفوا من موارده .

قد ازدهرت الموسوعات في العصر المغولي ولم يحجم ادباؤه عن اخذ مواد كتبهم اينما وجدوها صالحة لاغراضهم ، ولم يتكلّفوا في التأليف مؤونة لابتكار بل اجهدوا العين بالمطالعة واليراعة بالتحبير ، ونسخوا ما شاء الله ان

ينسخوه ، ودوّنوه في كتبهم.. ولا حرج عليهم من استعارة موادّ كتبهم على شرط ان يدلّوا الى مراجعها ، فلا يبخسوا حقوق من كان قبلهم من المؤلفين وعلى هـذه الخطة المحمودة سلك النويري ، فأدّى بنا الى نتيجتين رائعتين : احداهما ادبية والاخرى تاريخية وسوف يأتي الكلام عليهما بعد النظر في طبعة الكتاب ونسخه.

طبعة الكتاب

في السنة ١٩٢٣م (١٣٤٢هـ) طبعت دار الكتب المصرية السفر الاول من هذا الكتاب الجليل ، ومن ثم نشرت ستةً من اسفاره ، وها ان السفر السابع قد ظهر اخيراً وأُهدي الينا ، وقد صححه السيد احمد الزين ، بمساعدة الاستاذ محمد اسعد بك برادة ، مدير دار الكتب المصرية ، والاستاذ محمد البلاوي. فضُبطت اعلامه ، وفُسّر غريبه ، وكُشف عن غوامض مخطوطه ومعانيه بشروحات فكّت مشاكله ، وزادت فوائده . والكتاب مطبوع على ورق صقيل بغاية الاتقان الفني ، الّا بعض الاغلاط المطبعية التي لا يسهو عنها القارئ اللبيب فيصلحها بلمحة بصر . وان عملاً كهذا لا تقوم به الا الدوائر الواسعة والشركات الكبيرة مَن لها ما لدار الكتب المصرية مِن رجال ومال . وهذه الطبعة تحفة العين وملاذ الذاكرة يهتدي فيها القارئ الى غرضه لاول وهلة ، ويقتبس منها مراده من غير عناء ، فيتيسر من ثم الاشارة الى المآخذ بالصفحة والسطر ؛ واعدادُ الاسطر مرقومةٌ خمسةً خمسةً في الهامش ، ورتب صحائف المخطوط موضوعةٌ في حلقة ، واحرف المتن مشكلة بين كبير وصغير ومعتدل ، وعلاماتُ الوقوف تتخلل الاسطر ، والالفاظُ مضبوطةٌ بالاشكال الكافية لازالة مبهمات المعاني . واننا وددنا لو أُشير في آيات القرآن الى مآخذها ، ونودّ كثيراً ان يوضع في نهاية كتاب النويري كله فهرس عام ليس فقط لاعلامه ، ولكن لموادّه ايضاً ؛ وليس الامر بعيد المنال لان الفهارس الموجودة في صدر كل سفر من الاسفار سوف تساعد كثيراً على القيام السريع بذلك العمل الضروري . فانه يزيد قيمة الكتاب اضعافاً بتسهيل مراجعته.

نسخ الكتاب

لكتاب نهاية الارب نسخ شتى دلّ عليها بروكلمان في تاريخ الاداب العربية (٢: ١٤٠) . منها في برلين ، وفينا ، وباريس ، ولندن ، ومصر ، والاستانة. وليست نسخة واحدة منها موجودةً بكاملها على ما يظهر من مطالعة وصف مخطوطات النويري في فهارس مكاتب المدن المذكورة.

قال السيد احمد الزين في مقدمة السفر السابع :

« وقد بذلنا وسعنا ، وغاية جهدنا ، في سبيل اظهاره للقراء سليماً من التحريف والتصحيف ، اللذين ملئت بهما اصوله التي بين ايدينا ، وهي نسخة واحدة ، مأخوذة بالتصوير الشمسي محفوظة بدار الكتب المصرية رقم ٢٥٧٠ — « تاريخ ».»

وتمنينا لو افادنا حضرة الناشر عن الاصل الذي اخذت عنه النسخة الوحيدة بالتصوير ، ولو عهد الى احد الادباء في النظر في اجزاء الكتاب المحفوظة في اوربة لعلّ بينها جزءاً تخالف نسخته الجزء الذي اخذ الناشر بطبعه. فان خزانة المكتبة الوطنية في باريس تحوي ، رقم ١٥٧٧[14] ، اجزاء مخطوط للنويري فيه وثائق عدة ، منها رسالة ذي الوزارتين ابي الوليد بن زيدون على لسان ولّادة بنت محمد بن عبد الرحمن الناصري ، والرسالة المنسوبة الى ابي بكر ، منه الى علي بن ابي طالب وغير ذلك ممّا لا تقصر ذراع دار الكتب المصرية عن استنساخه او تصويره ، وممّا كان بوسعها ان تستفيد منه عند طبع السفر السابع. على ان الناشر عمد الى المؤانات المشتركة موادّها بينها وبين النويري ، لتصحيح هذا السفر ، وصدر الكتاب بلائحتها . وقد توفق الى بلوغ المرام ، لكنه على ما بذله من غيرة محمودة في التصليح لم ينج من نقد الناقدين وهو ذا الاستاذ المقربي في دمشق قد حرر ١٤ صحيفةً من مجلة المجمع العلمي العربي (تموز ١٩٢٩) مبتغياً تصحيح الجزء السابع من نهاية الارب.

تحليل الكتاب

هو مطوّل في المعاني والبيان والخطابة ، له قيمته الاثرية في تاريخ التدريس ، لكنه قليل النفع للمدارس.

ليس المقام مقام ذمّ طرائق التعليم البيانية الجافة العقيمة المكثرة من نصّ القواعد ، القاصرة على تدريس اللغة بمفرداتها ومرادفاتها وعلى تهذيب الذاكرة دون تنبيه البصيرة الى التمعّن والانتاج بالكشف على الاشياء في عللها وتفسيرها مع مراعاة اتصالها بالاشخاص والامكنة وسائر الظروف . وربما اخذ ابناء عصرنا على النويري اسرافه في تمديد اساليب البيان واكثاره من تشعيبها حتى اتافت على العشرات . فان العقل يتيه والذهن يشرد بين ما وضعه من الفصول : في الحقيقة ، والمجاز ، والاستعارة واقسامها ، والكناية ، والتعريض ؛ الى غير ذلك من فصول التجنيس : كالمستوفى التام ، والمختلف ، والمذيّل ، والمركب وانواعه ، والمزدوج ، واجناس التجنيس العديدة ، الى غيرها من فصول الطباق ، والمقابلة ، والسجع ، والترصيع ، والمتوازي ، والمطرّف ، والمتوازن وغير ذلك مما توزعت مادة فهارسه على اربع صحائف من الكتاب ونيف . اما اسلوب التأليف فيكاد لا يتغير على اختلاف مواضيع المقال ، لان النويري اذا تناول البحث في شيء ما جمع كل ما ورد على خاطره مما يناسب ذلك الشيء واستشهد بـه مبتدئاً بالآيات القرآنية ، ثم بنصوص الحديث ، ثم بالامثال والاشعار والاقوال الرائعة . وربما نظم هذه المواد في سلك واهٍ عاجز عن الربط بينها رباطاً منطقياً .

فيقرأ المطالع الصحائف ثم يعود الى نفسه ويحاسبها عما قرأت ، فيرى انه لم ينتفع من القراءة كثيراً لان المؤلف لم يأتِ فيها بالكلام على العلل .

قال النويري في القلم : (ص ٢٠)

قال الحكماء : القلم احد اللسانين ، وهو المخاطب للعيون بسرّ القلوب . وقالوا : عقول الرجال تحت أسنة اقلامها . بنوء الاقلام يصوب غيث الحكمة . القلم صائغ الكلام ، يُفرغ ما يجمعه القلب ، ويصوغ ما يسبكه اللُّب .

وقال جعفر بن يحيى : لم أرَ باكياً أحسن تبسماً من القلم .

وقال المامون : لله درّ القلم كيف يحوك وشي المملكة !

وقال ثُمامة بن أشرس : ما أثّرته الاقلامُ ، لم تطمع في درسه الايام .

بالاقلام تُدبَّرُ الاقاليمُ . كتاب المرء عُنوان عقله ، ولسان فضله . عقل الكاتب في قلمه

وقال ابن المعتزّ : القلم مُجهِّزٌ لجيوش الكلام ، يخدم الارادة كانه يقبّل بساط سلطان ، او يفتح نُوّار بستان. وقال...

وعلى هذا النمط يسير بنا النويري سحابة ١٢ صفحة . وهو كالنحلة تحوم حول الخلايا ولا تدخلها . فانه يعني بالقلم تارة اليراعة للتسطير ، وطوراً الريشة التي تُصوّر بها الصور على الاقمشة ، وتارة خُلق الكاتب ، وطوراً ارادته ... وقد يتاح للقارئ ان يكشف على هذه المعاني في النصّ الذي ذكرناه ومثلها غيرها عديد فيما لم نذكره . وكنا نكتفي من ذلك بالقليل لو اظهره النويري على علاته وعلمنا : كيف ومتى وباي وسائل ، وعلى اي مثال « يحرك القلم وشي الممالك » ولم يكن قاصراً عن الاخذ بموضوعه عن طول باع هو الذي عهد اليه المماليك بنظارة الجيش في طرابلس في ايام حروب كان فيها نظام الجيش مقتضياً من الحكام غاية الذكاء والفطنة.

ولكن كم من طرفة ظريفة تروق قراءتها في هذه الموسوعة الكبيرة . قد انزل في يومنا « القلم المدّاد » اليراعة عن عزها ، وخلع الدواة عن عرشها ، واستهوت الالة « الكتابة » انامل الكتاب وصرفت همّ الكثيرين عن شأن الخط ، ومع ذلك فلا بأس من ان نراجع مع قراءة النويري ذكر عهد غير بعيد عنا كان فيه الاستاذ يلف ساقاً على ساق ويُحكم جلوسه ليحسن الكتابة طبقاً لاصولها وآدابها.

قال النويري : (ص ١٢)

«من صفة الكاتب اعتدال القامة ، وصغر الهامة وخفة اللهازم ، وكثافة اللحية ، وصدق الحسّ ، ولطف المذهب ، وحلاوة الشمائل وخطف الاشارة ، وملاحة الزي . وقال : من كمال آلة الكاتب أن يكون بهيّ الملبس ، نظيف المجلس ، ظاهر المروءة ، عطر الرائحة ، دقيق الذهن ، صادق الحسّ حسن البيان ، رقيق حواشي اللسان ، حلو الاشارة ، مليح الاستعارة ، لطيف المسلك مستقره المركب ، ولا يكون مع ذلك فضفاض الجثة ، متفاوت الاجزاء ،

طويل اللحيـة عظيم الهامة ؛ فانهم زعموا ان هذه الصورة لا يليق بصاحبهـا الذكاء والفطنة.»

هـذا والهدة على الراوي فعفواً اذاً ممن كان قصير القامة ، من كتّابنا ، كبير الهامة ، او قضت عليه ساعات التأليف والتحرير بان تتفضفض جثته من كثرة الجلوس وقلة الحركة...

على ان الكلام في القلم يبحث ليس فقط عن صفات الكاتب الماديـة ولكن عما يحتاج اليه من المعارف العمومية . وهذا الفصل مفيد للوقوف على حركة الافكار ايام كتب النويري وللمقـابلة بين برامج التعليم الموضوعـة في المعاهد الاسلامية العلمية ، وبرامج التعليم العصري . لم يهتم العرب لدرس لغة من لغات البلاد التي فتحوها كالسريانية ولهجاتها والفارسية او القبطية وغيرها ، وتركوا لاهل هذه البلاد على العموم العناية ببعض العلوم والفنون ولم يكترثوا لشرع غير الشرع الاسلامي ، ولم يعنوا في تدوين تواريخ البلاد وجغرافيتهـا في الغالب الا بما يساعد على حشد الاموال والعساكر ، وحصروا جلّ مجهوداتهم بدرس اللغة العربية والاخذ بها من اطرافها المتصلة بعلم القرآن والحديث والفقه وهذه العلوم هي الدستور المؤسسة عليه الجامعة العربية.. جاء في نهاية الارب على ما يحتاج الكاتب الى معرفته من الامور الكلية (٢٧) :

اول ما يبدا بـه من ذلك حفظ القرآن ، ومداومة قراءته ، وملازمـة درسه ، وتدبر معانيه حتى لا يزال مصوراً في فكر الكاتب دائراً على لسانه ممثلاً في قلبه ، ذاكراً له في كل مـا يرد عليه من الوقائع التي يحتـاج الى الاستشهاد به فيها ويفتقر الى اقامة الادلة القاطعة به عليها ؛ وكفى بذلك معيناً له في قصده ، ومغنياً له من غيره.

واثبت النويري قضيته هـذه محتجاً بالآية : «ما فرطنا في الكتاب من شيء» وبغيرها وباقوال الصحابة واخبار الخلفاء وغيرهم من كبار المسلمين . ثم قال (ص ٣٠) :

«يتلو ذلك الاستكثار من حفـظ الاحاديث النبوية وخصوصاً في السير والمغازي والاحكام والنظر في معانيها وغريبها وفصيحها وفقه ما لا بـد من

معرفته من احكامها ليحتج بها في مكان الحجة ، ويستدل بموضع الدليل . . .

ويتلو ذلك قراءة ما يتفق من كتب النحو التي يحصل بها المقصود من معرفة العربية . . . ويتعلق بذلك قراءة ما يتهيأ من مختصرات اللغة . . . وحفظ خطب البلغاء من الصحابة وغيرهم ومخاطباتهم ومحاوراتهم ومراجعاتهم ومكاتباتهم وما ادعاه كل منهم لنفسه او لقومه وما نقضه عليه خصمه . . . ثم النظر في ايام العرب ووقائعهم وحروبهم ، وتسمية الايام التي كانت بينهم ، ومعرفة يوم كل قبيلة على الاخرى ، وما جرى بينهم في ذلك من الاشعار والمنافسات . . . ثم النظر في التواريخ ومعرفة اخبار الدول . . . فان الكاتب قد يُضطر الى السؤال عن احوال من السلف او يرد عليه في كتاب ذكر واقعة بعينها او يحتج عليه بصورة قديمة فلا يعرف حقيقتها عن مجازها . . . ثم حفظ اشعار العرب ومطالعة شروحها واستكشاف غوامضها والتوفر على ما اختاره العلماء بها منها ، كالحماسة ، والمفضليات ، والاصمعيات ، وديوان الهذليين ، وما اشبه ذلك .

وكذلك حفظ جانب جيد من شعر المحدثين كابي تمام ، ومسلم بن الوليد ، والبحتري ، وابن الرومي ، والمتنبي . . . وكذلك النظر في رسائل المتقدمين ، وكتب الامثال الواردة عن العرب ، كامثال الميداني ، والمفضل بن سلمة الضبي ، وحمزة الاصبهاني ، وغيرهم وامثال المحدثين الواردة في اشعارهم كابي العتاهية ، وابي تمام ، والمتنبي ، وامثال المولدين . . . والنظر في الاحكام السلطانية .

قال : « فهذه امور كلية لا بد للمترشح لهذه الصناعة من التصدي للاطلاع عليها والاكباب على مطالعتها والاستكثار منها لينفق من تلك المواد ويسلك في الوصول الى صناعته تلك الجواد ، والا فليعلم انه في واد والكتابة في واد . »

هذه نبذ استخرجناها مثالاً يرشد القارئ الى اسلوب الكتاب ومحتوياته وليست فوائده التاريخية دون محاسنه الادبية رونقاً . ان الجزء الاخير من هذا السفر حاوٍ نماذج من الخطب والرسائل المعوّل عليها في معرفة التاريخ وربما روى النويري اثراً من تلك الآثار الرائعة ، وهو غير متيقن صحة نسبته الى

اصحابه ، فلم يغضّ النظر عن شكوك بعضهم بصحته فيه بل نبــه القارئ اليها . قال (ص ٢١٢) في الرسالة المنسوبة الى ابي بكر منه الى علي ومــا يتصل بها من كلام عمر بن الخطاب وجواب عليّ :

« هذه الرسالة قد اعتنى الناس بها واوردوها في المجاميــع ، ومنهم من افردها في جزء ، وقطع بانها من كلامهم رضى الله عنهم ، ومنهم من انكرها ونفاها عنهم ، وقال : انها موضوعة واختلف القائلون بوضعها فمنهم من زعم ان فضلاء الشيعة وضعوها ، وارادوا بذلك الاستناد الى ان عليًّا بن ابي طالب رضى الله عنه انما بايع ابا بكر الصديق بسبب ما تضمنته ؛ وهذا الاستناد ضعيف وحجة واهية والصحيح ان عليًّا بن ابي طالب رضي الله عنه بايع بيعــةً رضى باطنه فيها كظاهره والدليل على ذلك انه وطئ من السبي الذي سبي في خلافة ابي بكر واستولد منه محمد بن الحنفية ولا جواب لهم على هذا ؛ ومنهم من زعم ان فضلاء السنة وضعوها والله اعلم . »

وان تكن قيمة الرسالة الادبية التاريخيــة عظيمة فان ملاحظة النويري ليست دونها منزلةً لانها تفتح الباب للتنقيب وتؤدي الى الكشف عن غوامض التاريخ بالاسلوب العلمي ، فلا يرضى العاقل ان يصدق الّا ما كان مستندًا الى اساس متين . وان وقوع تلك الرسالة الشهيرة موقــع الشك في نظر النويري وامثال ذلك من اخبار تنازع في صحتها الاحزاب هي التي دفعت المحدثين ، في مصر خاصةً ، الى شكوك كثيرة وصارت حجةً لصاحب الكتاب « في الشعر الجاهلي » و « في الادب الجاهلي . »

مجلة المجلات

للاب توتل اليسوعي

المسيحيون على عهد السلاطين (١٥٥٣ - ١٥٩٢)

هذا المقال وضعه السيد لوران في مجلة « صدى الشرق » الافرنسية (١٩٢٩ ص ٢٩٨) وصفاً لكتاب ظهر باللغتين التركية والافرنسية ايام الحرب الكونية ، تحت العنوان : « اوتونجي عصري مجريده استانبول حياتي » (حياة القسطنطينية في القرن العاشر الهجري) حُفظت فيه ٢٦٣ وثيقة لتاريخ بلدية استانبول في القرن السادس عشر م. من جملتها البنود المختصة بالحياة الدينية ، وكلها ، الا النذر القليل ، مسونة بحق الاوقاف الغير المسلمة . وغرضها الاجهاز على بواقي الحرية التي كان المسيحيون يتمتعون بها منذ ايام محمد الفاتح . واننا عند قراءتنا تلك البنود وتفكّرنا بانقراض دولة بني عثمان نرى في سوء معاملة الاتراك لرعاياهم احد الاسباب الجوهرية التي نفرت منهم القلوب، وافقدهم ما اكتسبه لهم سلاطينهم :

١) مفروض على المسيحيين الا يبنوا دورهم في جوار الجوامع

٢) يجب احصاء الاسرى والغلمان الموجودين في دور غير المسلمين

٣) يجب القبض على هؤلاء الاسرى وتسليمهم الى المسلمين

٤) يجب هدم بعض الكنائس والدير المبني بالقرب من سولوموناستير

٥) يجب على المسيحيين ان يحفظوا ما فرض عليهم في امر الملبوس

٦) يجب نفي مطروفانوس الثالث البطريرك السابق الى جبل اتوس

٧) مفروض على المسيحيين الا ينقلوا الخمر بالقرب

٨) على المسيحيين واليهود ان يحفظوا القوانين فيما يخص لبس البرنيطة

ومثالاً لتلك الوثائق اليك تعريب الامر الشاهاني الموجّه في ٨ ربيع الاول ٩٧٣ (٣ تشرين الثاني ١٥٦٥) الى قاضي استانبول :

« ان الكفار الائمة فزعوا الى امري الشاهاني قائلين ان كنيستهم المبنية ما وراء بلاط قبو قد قفلت ابوابها ومُنع عن دخولها طبقاً لاوامري المقدسة .

واني لما علمت أن الكنيسة المذكورة لم تكن سابقاً سوى بيت وان الكفار حوّلوها الى كنيسة اذ بنوا طابقاً عليها ، امرت بهدمها وسخرت علياً بذلك . فعليك اذن ان تسرع وترافقه الى المكان المذكور وتأمر بهدم ما ارتفع من البنايات على غيرها ، ولا تسمح لاحد بمخالفة اوامري . وبلّغ الغير

المؤمنين انـــه مفروض عليهم الّا يلتشوا في ذلك البيت احتفـالًا بطقوسهم واوص المسلمين المجاورين بان يخبروكم عنـد اجتماع الكفار في البيت المذكور او عند تصميمهم بناية غيره . ليكن اذن هذا معلومـاً ولا تسمح ابداً بعمل مخالف للشريعة ولامري.»

تحرير المرأة الافغانية

عن مجلة الدروس الاسلامية الافرنسية (١٩٢٨ : ١٩١)

رغب امـان الله في نشر التعليم بين النساء ، وساعدته على ذلك امرأته الملكة ثريا بنت وزير الخارجية ، والسيدة قرينة الوزير . ففتح ثلاث مدارس للاناث . وعهد بادارتها الى قرينة الوزير ، وهي في الوقت ذاته كانت محررة جريدة اسبوعية عنوانها « ارشادى نسوان »

واخذت الملكة على عاتقهـا زيارة المدارس بنفسها . ثم أنشئت مدرسة المعلمات ، ومدارس اخرى للاناث تولّت حمايتها ام الملك وساعد عليها الاميرات نسيبات الملك . وكنّ يختلفن عليها لتعليم البنات.

تلك كانت اوائل الحركة النسائية الافغانية ، لكنها اصطدمت بمقاومـة الاعيان ، ونجم عنها اغلاق بعض مدارس البنات وقتياً.وتلا ذلك سفر ملكي الافغان الى اوربة ، فهبّت ريح التجدّد منشطة الناس على تحرير المرأة.

وفي ١ تموز ١٩٢٨ مرّ الموكب الملوكي في مصاف الجماهير ، وهو عائـد من اوربة فاذ بحمية الملك الملكة واخت الملك ولا يحجب وجههـا عن عيون الناس الا غطاء شفاف تبدو منه ملامحها . فتعجب الناس لذلك ومما زادهم دهشة الخبر الذي شاع بينهم ان الملك لما دخل قصر دلقوشه خطب في النساء الملتئمات فيه لاستقباله وكلمهن بضرورة تحريرهن . وقال انـه زار تركية فوجد نساءها « حرّات سافرات ».ثم قال اما في العجم فالامر على خلاف ذلك «لان النساء لا يزلن في حكم الرجال المستبدّين ولا حرّية لهن البتة فبئست الحالة.»

ثم قال ، والسيدات يقطعن كلامه بتصفيق الاستحسان ، «يجب ان تكون النساء مساويات للرجال. فلا بد لهنّ من طرح الحجاب ولو امتعض الرجال واغتاظوا.»

وفي ٣ تشرين الاول ١٩٢٨ ، تكلم الملك في كابل معرباً عن نظره في

امر الحجاب والسفور ، وانه غير مناقض لشريعة الاسلام . قال:

« كلٌّ حرّ بامره . فالقبائل حلت المشكل ، كل قبيلة طبقاً لعوائدها ، والسفور شائع عند البعض والحجاب عند غيرهم . وهكذا سوف يكون فانتم وشأنكم بالامر اما انا فارفع الحجاب عن وجه امرأتي.»

هذا ، وامر الملك امرأته بالسفور . فنزعت عن وجهها حجاباً خفيفاً شفافاً كان مضروباً عليه فقال الملك للحاضرين :

« وهل فيكم من يحتج على ما فعلت ! » . فسكتوا . . . فقال : « اذن اقتفوا آثاري ، وانزعوا الحجاب عن وجوه نسائكم ! » وفي مجتمع آخر في نادي « سينماتي » ، وقف الملك محاضراً وتكلم عن رحلته الى اوربة في خلال معرض الصور . ولم ينتهِ فصل من الفصول الا ظهرت على المسرح امرأة محجوبة وخاطبت الجمهور قائلة :

« لقد شاهدنا في الصور معامل البلاد الاجنبية وتحققنا بام العين ما يقوم به اخواتنا من الاعمال . وقد انكر الملك علينا ، نحن الافغانيات ، عدم مساعدتنا رجالنا وانصرافنا عن الاشتراك بعمران البلاد . ولكن هل كان من سبيل الى ذلك ورجالنا يحولون بيننا وبين العمل ؟ فاذاً الى العمل . . . » وطرحت الحجاب .

ثقفوا بناتكم

في ٢ تشرين الثاني ١٩٢٨ القى السيد محمد كرد علي ، رئيس المجمع العلمي العربي في دمشق على مسامع السيدات محاضرة موضوعها « الفرق بين تربيتنا وتربية اهل الغرب » . زار المحاضر بلاد الغرب مرات وكتب عليها فصولاً ومقالات نشرها في سنة ١٩٢٣ في كتاب عنونه « غرائب الغرب » وقال في تلك المقالات « انما لا تحمل في مطاويها من مدنية الغرب الساحرة الا بقدر ما تصل اليه يد عابر سبيل ويتفطن له فكر التزيل والدخيل » وها انه زار الغرب مرة اخرى فقال في تعليم البنات :

« حقيقة ان المرأة مقصرة في هذه البلاد عن بلوغ شأو النساء في الامم الراقية ، اليوم ، قصوراً مخجلاً كان علة العلل في وصمنا بكل نقص ورمينا بكل كبيرة ولكن الذنب ذنب الرجال لا ذنبها . هي ضعيفة واغتصبها القوي حقها ونظر اليها غير نظر الغربي للنساء . . . .

الحياة ميدان جهاد بين الناس لا يختلف فيه ذكر عن انثى ولا اسود عن

ابيض ولذلك رأينا الغرب لما تمت ادوات ترقيه قامت المرأة تغالب الرجل فتغلبه او تكاد. لانها نافسته في المعامل وفي المخازن وفي الحقول وفي الاستخدام فمظم الفنادق والمطاعم والمقاهي والاندية والمصارف وبيوت التجارة هي بايدي النساء نافسهن فيها الرجل فغلبنه وجدلنه بل اخذن ينافسن الرجل في المستشفيات في تمريض وتطبيب وفي المعامل الكيماوية بل وفي التأليف والصحافة والكتابة والمحاماة والحساب فتآليف النساء في الغرب كثيرة جداً وكلامهن في النظم والنثر مقبول اكثر من كلام الرجال والمحاميات عن قضايا الناس موفقات ببلاغتهن وجربذتهن [كذا] اكثر من الرجال والصحافيات نافذات الكلم مؤثرات في الاحزاب والنواب ، وبلغ بهن الترقي هناك ان كان منهن النساء الطيارات والغواصات وما ادري اي صنعة من الصنائع في الغرب لم تشارك فيها المرأة الرجل ولم تسر معه جنباً الى جنب سير المثيل للمثيل....

نحن الآن نحتاج الى ان نأخذ من اوربة في تربية نسائنا ان يكنَّ على شيء من الصبر والثبات اولاً وان يتعلم ما امكن جميع النساء التعليم الابتدائي وقليل منهن يتعلمن بحكم الطبيعة والحاجة التعليم الاوسط او العالي وان تعمل كل امرأة واجبها نحو ابيها وأمها وزوجها واولادها . ولكن الوصول الى هذه الدرجة نحتاج الى ان تعمل له ثلاثين سنة أخرى على الاقل وان تقوم الطبقة المثلى منكن تجتمع وتفكر وتقدر وتقرر وتنفذ فما حك جسمك مثل ظفرك. نعم يجب اعتماد النساء في نهوضهن على عملهن الخاص واجتهاد افراد منهن فقد تركن الحبل على الغارب واتكلن على الرجل في كل شيء. فاصبح الاتكال لمن خلقاً انسن به ولم يعدن ينكرنه فضاعت مع الزمن بعض مزايا كانت مغروسة في بنات حواء. واصبحت وظائفهن محصورة في دائرة ضيقة وتزيد ضيقاً كلما كان الرجال يجورون عليها وينحط المجتمع حتى بلغ ضعف العقول في الرجال ان اسقطوا انفسهم واسقطوا معهم شركاء حياتهم بتحكمهم البارد وآرائهم التي لا مبرر لها من شرع وعقل.»

اليسوعيون والماسونية

هي نبذة من مقال كتبه «المنار» في ثورة فلسطين . لم يأتِ على موضوعه باستعداد

واقتدار : ذكر العصبة البابوية ولم يفقه معناها ، واتهم اليهود باتهم « ثلوا عرش الكنيسة» وهم براء من ذلك ، لان عرش الكنيسة لا يزال منتصباً حالياً ، وقال ان ملايين النصارى تشيعوا للماسونية ولم يأتِ بشاهد ثقة على ذلك . وتكلم عن سرّ الاعتراف ولم يدرك ما هو . على اني اخاله تكلم من اخلاص وغايته كشف القناع عن مكايد اليهود الماسون فقال: (٣٨٧ : ١٣٦٨)

« من الحقائق الثابتة التاريخية ايضاً انه لم يوجد جماعة من جماعات البشر الدينية والسياسية عرفت كنه كيد اليهود ومكرهم في الامم ومقاصد الماسونية واهلها وتصدت لمقاومتهم واسقاط نفوذهم الا جمعية الجزويت الكاثوليكية ، وذلك ان الكاثوليك يدينون بوجوب الخضوع الديني والسياسي لاحبار رومية رؤساء الكنيسة المعصومين عندهم ، ويعلمون ان اليهود هم الذين ثلوا عرشها بنفوذ الجمعية الماسونية التي انتظم في سلكها الملايين من النصارى ومن غيرهم واكثرهم لا يشعرون ، لذلك بذلوا جهدهم في السعي لكشف الاستار عن أسرارها ، وجاهدوا بأموالهم وانفسهم لصد تيارها ، بتتبع عوارها ، وتقلم أظفارها ، وتحريم الدخول فيها على من يدينون دينهم الكاثوليكي ، ويقلدونهم في فهمهم وعملهم به ، وقد توسلوا الى معرفة أسرارها بعقيدة الاعتراف الديني الذي استباح به كثير من الكاثوليك الحنث بالايمان المغلظة ، ونقض العهود الموثقة ، بترجيح العقيدة الدينية ، على ما عاهدوا عليه الجمعية ، ولاسيما وقت الاحتضار ، حيث يغلب خوف النار على ذل العار.

من خفي عليه نفوذ اليهود في أحرار أوربة الغربية والوسطى وملاحدتهم وما كان من حربهم للكنيسة الكاثوليكية في القرون الوسطى فلا اراه يخفى عليه ما كان من نفوذهم في ملاحدة الروس الذين أضعفوا سلطة الكنيسة الارثوذكسية بمجلس الدوما ، ثم اسقطوها بثل عرش القياصرة دعاتها وحماتها ، وتأسيس حكم البلشفية في تلك الممالك الواسعة ، وما كان من نفوذهم في ملاحدة الترك باسقاط نفوذ الخلافة التركية العثمانية ، ثم بهدم الشريعة الاسلامية من المملكة التركية ، وجعل حكومتها إلحادية تسعى لمحو الاسلام من الشعب التركي ومن الشعوب الاعجمية الاسلامية التي كانت تابعة لها كالالبان والبوشناق وغيرها كالايرانيين والافغانيين.

اما البابوية !...

الوف والوف من البشر زاروا رومة في العام الماضي ، وشاهدوا الحفلات التي جرت فيها بمناسبة المعاهدة اللاترانية واليوبيل البابوي وتحدثت الصحافة آنذاك الى قرائها بروائع ما جرى في المدينة الخالدة ، وما زال صدى ذلك الحديث يتردد في الآفاق الى ان بلغنا منه صوت عن لسان المقتطف ، ١٩٣٠ : ٢٢) وصف السيد سامي الجريديني امجاد رومة القديمة وقد تقلص ظلها ثم قال :

« اما مجد البابوية فابقى !

وليست روما بعد زوال الرومان الّا عاصمة البابوات توارثوا كرسيها كابراً عن كابر قائمين باعباء الدين والدنيا حتى اواخر القرن التاسع عشر اذ آثروا السلطان الروحي على كل ما في العالم من سلطان . فكل قصر تراه في روما كان قصراً للبابا حتى الكريدال مقام ملك ايطالية الآن . وكل كنيسة قائمة فيها كانت من بناء بابا حتى الينابيع المائية في طرق روما والتماثيل المنصوبة في معظم انحائها كلها بابوية الاصل والنسب وانه وان انكمش المجد البابوي وانحسر عن السلطة الزمنية فهو لا يزال مجداً روحياً ساطعاً ان تحول عن روما زالت ولم يبق لها اثر . وعظمة الكنيسة البابوية سرٌّ من اسرار الدهر .

حاربتها السلطات الزمنية دهوراً طوالاً فاخذت ما كان لها من قوة عالمية وظنّ اعداؤها ان قد حان اجلها فاذا هي مجردة عن السيف اقوى واثبت منها وسيف الدنيا مصلت على رقاب الملوك والشعوب . وانشقت عنها الكنيسة البروتستانية ومن قبلها الارثوذكسية فاذا هذه تلبس لباس الشرق وما عليه من خيال وسفسطة وبلاء واذا تلك — وقوامها البحث والجدل تنقسم على نفسها كنائس لا تعد ولا تحصى . واما البابوية فراسخة تمتد فروعها الى كل الانحاء واصولها الى السماء . وذلك انها تكيفت مع الزمن وهذا هو سرُّ العظمة في نظامها العجيب .

تلقت حملات لوثيروس ونادت تحتها حتى خيل الى الرائي انها قد اشرفت على الاضمحلال ثم عادت وقد اصلحت بيتها وطهرته بجيوش من الرهبنات لموا شعثها وانقلبوا بعد ذلك مهاجمين فصارت البابوية تسير الى الامام والكنائس الاخرى اما واقفة او سايرة الى الوراء . »

شذرات

حول السفور والحجاب

بحث المشرق (٢٦ [١٩٢٨] : ٣٦٦ ...) طويلاً في كتاب « السفور والحجاب » وابان فضل الآنسة نظيره وفضل والدها سعيد بك زين الدين في الموضوع . وكانت صحافة البلاد العربية قد رحبت اجمالاً بذاك الكتاب النفيس . بيد ان هذا الرواج استنزل على الوالد والفتاة نقمات المعاكسين ومنهم فريق من الشيوخ امتاز بينهم الشيخ مصطفى الغلاييني . فرأى المؤلفان ان يردّا على هذه الحملات في كتاب جديد سمياه «الفتاة والشيوخ»[1] . وها نحن نورد بعض مقاطع تظهر ما لاكثر هذه المناظرات من قلة الاهمية :

كانت الآنسة نظيره قد ذكرت في كتابها الاول مساواة المرأة والرجل في التكاليف الشرعية الا في ما خصّ الجهاد . فردّ عليها الشيخ الغلاييني بهذا القول :

« اما زعمك ان الرجل لا يخصّه الله الا بالجهاد فقط ، وما عداه من التكاليف فقد ساوى الرجل والمرأة فيه ، فهذه مغالطة واضحة . فكما خصّ الرجل بالجهاد فقد خصّه بالنبوة والخلافة ، والزيادة على واحدة ، وجعل الطلاق بيده الخ » (ص ٩٤ من القسم الاخير)

هذا عجيب من الشيخ ! ولكنّ الاعجب ان حضرته يذهب مذهب الدروينية واي دروينية ! قال :

« ان الرجل والمرأة في اصل الفطرة سواء . وقد كانا في اقدم الازمان شيئاً واحداً كما يقول المهرة الباحثون من العلماء[2] . وقد قضت حكمة الخالق ان يتدرّج هذا المخلوق في سنن الترقي والتطور حتى تميز الذكر والانثى . ثم ما زال يترقى حتى استبانت فيه الانسانية بعض الاستبانة . فاخذ الذكر والانثى يعملان متساويين في كثير من الاعمال حتى ارضاع الاولاد . ثم شاءت حكمة الله سبحانه ان يسير كل نوع منفرداً في طريق غير طريق الآخر . » (ص ٩٥)

ثم ان للشيخ حظاً من التهكم ايضاً ، اذ يصوّر الحجاب نعمة مباركة للنساء المحرومات من الجمال ، فيقول :

« مسكينات انتنّ يا من لم ينعم الله عليكنّ بنعمة الجمال ، انتنّ صفر على الشمال عند

---

١) الفتاة والشيوخ : نظرات ومناظرات في السفور والحجاب ، بقلم الآنسة نظيره زين الدين . وقف على طبعه والدها سعيد بك زين الدين — ٤٣٠ صفحة كبيرة ، المطبعة الاميركية ، بيروت — ١٩٢٩ .

٢) يعني الشيخ علماء الطبيعيين لا علماء الاسلام

الرجال . فاشكرنَ الله على حَظَر النظر ، ووجوب الغضّ من البصر . فان ذلك منه سبحانه عناية بكنّ ، ولا تنقمن على الآنسة نظيره زين الدين لاهالها شأنكنّ ، فانها منكنّ» (ص١٤٩)

وله كثير على هذا الطراز من البراهين التي اذا طالعها قرّاؤنا رأوا ، كما رأينا ، انّ الآنسة ووالدها اضاعا وقتهما الثمين في تخصيص مجلّد ضخم بالردّ على مثل هذه الاعتراضات الصبيانية ! ! !

ردّ على انتقاد

اتانا من حضرة الدكتور فيليب حتي في برنستون (اميركة) الكتاب الآتي نورده بحرفه :

«ردًّا على انتقاد كتاب «An Arab-Syrian Gentleman and Warrior in th Period of the Crusades : Memoirs of Usâmah ibn-Munqidh» المنشور بامضاء «ف.ت.» في عدد مجلتكم الصادر بتاريخ ت ٢ سنة ٢٩ والمبني على مراجعة صورة الصفحتين العربيتين المنشورة في الكتاب اسمحوا لي ان أجيب :

١ً الكلمة الواردة في آخر السطر الاول من الصفحة A٣٧ والتي « لم يوفّق [المعرّب] في حلّ لغزها ... ولعلها فجأةً » هي فجاء . امّا كلمة « فجاءني » التالية لها في صدر السطر الثاني فهي مُهمَلة في الاصل ، لان ناسخ المخطوط بعد ان اثبتها ادرك انه كرّر اللفظة بعينها فشطبها بخطين صغيرين أنقيين لا يخفيان على مَن أمعن النظر .

٢ً كذلك كلمتا « على ظهره » (سطر ٤) التي اغفلهما المعرّب — على قول المنتقد — فان الناسخ نفسه هو الذي أغفلهما وشطبهما بخط أفقي طويل ظاهر . والسبب واضح . فالناسخ بعد ان كتب « على ظهره » (اي ظهر الحصان) واردفها بقوله « في سرجه » أدرك ان المعنى تكرّر ، وقضى بوجوب الاستغناء عن التعبير الاول . وفي الصفحة نفسها كلمتان أخريان مشطوبتان بقلم ناسخ المخطوط وهي الرابعة من السطر الثاني والسابعة من العاشر . فلتقابَل .

٣ً اما لفظة « توسطهم » في آخر السطر ٤ فنحن لم نردها — كما حسب المنتقد — وهو معذور فيما حسب لأن اللفظة لا أثر لها في الصورة المنقولة في الكتاب بل هي واردة واضحة في الاصل مضافة الى آخر السطر بقلم ناسخ المخطوط نفسه . وما كنت لأحفل بهذه الهنات [التي] « لا تكاد تستحق الذكر » لولا ان حضرة المنتقد بنى عليها حكمه بوجوب توقع غيرها .»

فوائد الملاريا

اتانا من حضرة الدكتور ابن الجميل الشذرة التالية تعليقاً على ما كتبناه في شأن الملاريا ومنافعها :

قرأتُ في عدد المشرق الاخير ، صفحة ٦٧ ، فقرة في « فوائد الملاريا » فرغبتُ في زيادتها ايضاحاً ، وفي تعريف ما هو الداء المعالج بالبرداء.

إن من نتائج مرض الزهري ، ابن الزنى البكر ، علّة تفتك بالعقل واعصاب الجسم . وهي في عصرنا ، عصر العزوبة المستطيلة وانتشار البغاء ، من شرّ الآفات . والى امس كانت مجهولةً تماماً في بلادنا اي الى ايام المهاجرة ونقص الزواج او بُعده وفشو البغاء ، فصارت الآن المسبّب للجنون في ربع المحجور عليهم في المآوي كالعصفورية . والداء معروف باسم « الشلل العام » (*Paralysie générale*) وتعيينه بالنعت « عامّ » ضروري لان هذا النوع خاصّ بالزهري بضدّ الفالج ، او الشلل بدون قيد . وهو يختلف كثيراً جداً عما نسميه «الفالج» بدون زيادة (ولفظة فالج في العبرية والعربية تفيد شطر الشيء لا ما هو عامّ شامل) ، لانه يبدأ عادةً بالهذيان المشهور باسم «هذيان العظمة» اي الكبرياء ، او غير ضروب من الجنون كاولئك « المضطهَدين » الذين لا يلبثون ان يصيروا مضطهِدين منتقمين خطرين . وكم من حوادث القتل واضمحلال الثروات نتجت عن هذه العاهة !

ثم ان الداء يؤثر في النطق واللفظ والبصر ، وينتهي بالشلل اي بذهاب القوى عامّةً وبالاخرى خلل انتظامها حتى المشي . واما الفالج الذي يُصيب الشيوخ فيغلب ، ان لم يكن قتّالاً في الحال ، ان يشلّ نصفَ الجسم فقط دون الشطر الثاني . وظلّ الداء بدون علاج بتة ، ولم يُفد فيه دواء حتى المشهور في معالجة الزهري الى ان باشروا المعالجة باخذ دم مصاب بنوع من البرداء غير الخبيثة ، يُحقن المُبتلى بهذا الدم فتظهر الحمّى . ومتى فعلت فعلها أُعطي الكينين الشافي العجيب من الملاريا .

والاختبار اظهر فائدة هذه المعالجة في بعض المصابين فقط . على ان مستقبلهم لم يزل مُهدَّداً بالاخطار . فيا ليتهم بكل حال لم يزنوا ولم يُداووا !

مطبوعات شرقية جديدة

Grousset (René) : Les Civilisations de l'Orient. t. Ier. L'Orient. *II - 362 pp. gr. 8°, 292 reproduct.photo. Paris, Les Éditions Crès.* 1929

مدنيات الشرق

تكلمنا في مشرق السنة الماضية (٢٧ [١٩٢٩] : ٨٦٩) عن آخر مؤلف للكاتب وهو تاريخ الشرق الاقصى . وها هو يذيع اليوم كتاباً جديداً اجابةً لرغبة الناشرين كريس (Crès) وشركاه وقد كلفوه ان يكتب لجمهرة المتأدبين مقدمة عامة لدرس فنون آسية . وستحتوي هذه المقدمة على اربعة مجلدات ، يخصّ الاول منها ، وهو ما نصفه اليوم ، بالشرق بحصر المعنى ؛ والثاني بالهند ؛ والثالث بالصين وآسية الوسطى ؛ والرابع باليابان . امّا المجلّد الحاضر فيبتدئ بالعصر الظرّاني ، ويتوسع متدرّجاً بالمدنيات : المصرية ، فالكلدانية الاشورية ، فالفارسية (القديمة والحديثة اي الساسانية) فالعربية (الاموية والعباسية والحمدانية والفاطمية والايوبية ومدنية المماليك) فالفارسية الاسلامية

هذا ولم نرَ في الكتاب قسماً مخصصاً للمدنية الفينيقية ولا الفلسطينية ، كما ان المؤلف لم يشر الى المدنية السورية ، مع انه تكلم عن مدنية الحثيين في كلامه عن المدنية الكلدانية - الاشورية . وهي ثُلمة مهمة لا يظهر لها مبرّر ، ولاسيما اذا اعتبرنا القسم الضخم الذي خُصّ بالمدنية الفارسية (من الصفحة ٢١٢ الى آخر المجلد) . فنؤمل ان المؤلف يعمد الى سدّ هذه الثلمة في طبعة جديدة ، فيزيد قيمة كتابه المفيد الدالّ على انه عمل رجل مدقق وزين الاحكام .

اما التصاوير فحسنة بالاجمال وهي كثيرة جداً في ما خصّ القسم الفارسي فتؤدي الخدم الجزيلة لمن تخلو مكاتبهم من المخطوطات والرسوم في هذا النوع .

س . ر

Furlani (G.): 1°, La civiltà babilonese e assira. *VII* - 219 *pp.* in-16°,

2°, Leggi dell 'Asia anteriore antica. *XII* - 113 *pp.* 8° 1929. [*Publicazioni dell'Istituto per l'Oriente.*]

١ – المدنية البابلية والاشورية
٢ – شرائع آسية الغربية القديمة

بدأت ايطالية قبل الحرب تهتمّ بالتأليف في موضوعات الاستشراق وما زالت تتقدّم في ذلك يوماً فيوماً ، فانشأت بعد الحرب معهداً للدروس الشرقية الحقت به مجلة « الشرق العصري » (Oriente Moderno) الوافرة المعلومات الدقيقة الابحاث . ومن منشورات هذا المعهد كتابا السيد فورلاني ، الاستاذ في جامعة فلورنسة اللذان أهديا الينا مؤخّراً .

ان الاستاذ فورلاني من علماء الحقوق ولكنه انصرف الى علوم الاستشراق حتى وصل اليوم الى مركز سامٍ في علوم الاشوريّات في بلاده . وهو يخصّ الاول من المجلدين المذكورين بمدنيّة سكان ما بين النهرين ، جامعاً الكثير من المعلومات في القليل من الصفحات ، ذاكراً في آخر كل فصل المآخذ المفيدة . فبعد ان يلخّص تاريخ الاشوريات ، يعمد الى درس جغرافية ذاك الشعب ، فعنصره ، فتاريخه ، فلغاته وخطّه ، فديانته ، فآدابه وفنونه ، فعلومه الطبيعية ، والاجتماعية والحقوقية ، فجيشه وحروبه . يبحث في كل ذلك بايجاز ووضوح ومقدرة ، على الغالب . ويمكننا القول انه لا ينقص الكتاب الا الصور والرسوم ، وهو نقص نرجو من المؤلف ان يتلافاه في الطبعة القادمة فيزيّن كتابه بجدول من اللوحات التصويرية يظهر ضروريًّا . هذا واني لا اتردّد في القول انه اذا تُرجم هذا الكتاب الى اللغة العربية كان له رواج عظيم في بلاد الشرق عموماً ، وفي العراق وسورية خصوصاً ، فاين من يباشر هذا العمل ويطلب من المؤلف اذناً يناله دون ريب على ما نظنّ !

اما الكتاب الثاني فيحتوي ، بعد سلسلة من المآخذ الكافية ، على نصوص الشرائع السومرية والبابلية (وفيها قانون حمورابي الشهير) والبابلية الحديثة ، والحثية ، والاشورية في قبادوكية ، والاشورية المتوسطة ، مع بعض الشروح .

فتظهر كل هذه الشرائع مجموعة للمرّة الاولى في مجلد واحد . ومما يزيد قيمتها كون المؤلف من علماء الحقوق . وعليه فنحن ننصح لجميع وطنيينا من المحامين وطلاب الحقوق باقتناء هذا المجلد. س . ر

René Aigrain : La Musique religieuse. *Bibliothèque Catholique des Sciences Religieuses.* 1 *vol.* 236 *p.* (12 × 19). *Bloud et Gay. Paris,* 1929. 12 *f*s

الموسيقى الدينية

هو كتاب جاء في حينه يخوض في تاريخ نوع من الموسيقى غاية في الغنى . ولم يكن لنا ، قبل اليوم ، في هذا الموضوع سوى فصول متفرّقة في التواريخ العامّة . لان كتاب فليكس كليان (Clément) القديم وكذلك كتاب الدكتور وينمن (Dr Weinmann) لا يفيان اليوم بحاجة موسيقيي العصر . فكان ان حضرة الاب ايگرن ، دون ان يُهمل الاشارة الى العلاقات المتينة والكثيرة بين الموسيقى الدينية ، سواء كانت كنسية او عالمية ، وتطوّر الفن الموسيقي العام ، اراد ان يظهر ترقّي الفنّ الديني وعظمته الجليلة ، فنجح بان قرن في مؤلفه الوضوح التامّ الى الكثير من المعلومات المختلفة.

F. Ammoun : La Syrie criminelle. *Essai sur la criminalité en Syrie, au Liban, dans l'Etat des Alaouites et en Palestine anglaise. Paris, M. Giard,* 1929, *in*-8°, 550 *pp.* 70 *f*rs.

الجرائم في سورية

ان هذا الكتاب الذي يبدأ سلسلة جديدة من الابحاث عن الجرائم ومقابلة الحقوق الجزائية في معهد مقابلة الحقوق في ليون ، لجديرٌ بان يلفت اليه الانظار ليس فقط لكونه اول كتاب في الموضوع بل لان شخصية المؤلف عظيمة فيه ، وهي شخصية مبتكرة ، وافرة المعلومات . والكتاب يقوم ببحث دقيق في ما يخصّ الجرائم في العمران ، وحالتها في شعوب مختلفة الدرجات رقياً وتطوّرًا ، من قبائل البدو والجرائم عندهم ، الى اضطراب الامن على الحدود ، الى الجرائم المذهبية ، الى الشقاوة واسبابها الاجتماعية ، الى ذكر بعض طرق الارهاب

ادوية حافظة ... كلها صفحات يود كل اوربي ان يقرأها ، ويزيد قيمتها انها مكتوبة بقلم لبناني متضلع مما يكتب مدرب على الطرق الصوابية في النقد التاريخي . وعليه فان الباب الثاني في انواع الجرائم السورية وذكر طريقة الاحتياط لها ، والباب الثالث في العقوبة ، هما من افضل اقسام الكتاب ، واوفرها طرافة ، واكثرها شخصية . على اننا لا يمكننا القول نفسه عن الباب الاول في المقدمة التي يتوسع فيها المؤلف في اصول العقوبة واساس حق المعاقبة ، ثم في شرع سورية القديم . فان المسئلة الاولى من موضوعات الفلسفة والمؤلف يبحث فيها على طريقة المذهب الاجتماعي (*sociologique*) دون ان ينتبه للمبادئ الكاثوليكية ، والثانية ، وفيها يلقي المؤلف نظراً شاملاً على عدة قرون متتابعة ، تظهر بحاجة الى مزيد تعمق . فينتج انه لو رُفع من الكتاب نحو الخمسين صفحة لبدا بمظهر تام للبحث الدقيق الوضعي الصحيح . ج.ل.

Martin Plessner : *Der* OIKONOMIKOC *des Neupythagoreers «Bryson» und sein Einfluss auf die islamische Wissenschaft. Carl Winter, Heidelberg*, 1928, *in-8° pp. XII-208. Prix*: 20 *M.*

كتاب تدبير المنزل « لبريسون » وتأثيره في العلم الاسلامي

نرى في هذا الكتاب ، وهو اولى منشورات السيد بليسنر ، طبعة جديدة لكتاب تدبير المنزل الذي نشره المأسوف عليه الاب شيخو في مشرق السنة ١٩٢١ (١٩[١٩٢١] ١٦١–١٨١) مع عدة روايات ، ثم ترجمة عبرانية واخرى لاتينية وكلتاهما عن الاصل العربي (١٤٤–٢١٣) وقد اتبعها المؤلف بترجمة المانية . على ان الاصل العربي نفسه منقول عن اليونانية ، وقد فقدنا لسوء الحظ هذا الاثر اليوناني الا بعض شذرات . هذا وان المؤلف يوافق برگستاسر والاب بويج (ص ٣) في نسبة الكتاب الى فيلسوف من المذهب الفيثاغوري الحديث يدعى بريسون ، ثم يبرهن ، بدرسه لاهم آثار اقتصاديي العرب (ص ٢٩–١٤٣) ان هذا الكتاب لم يفتأ يؤثر مباشرة او بواسطة في جميع مؤلفي المسلمين في هذا الموضوع حتى ايامنا .

الاب بولس موترد

L. A. Constans : Guide illustré des campagnes de César en Gaule. *Paris, Belles-Lettres,*1929. 132 *pp. VIII planches et* 1 *carte hors texte, Prix* : 15 *f*

دليل مصوّر لفتوحات يوليوس قيصر في بلاد غالية

عرفنا شركة غليوم بودي (*Budé*) لا يعروها الملل في سبيل المنشورات الادبية ، وها هي تبدأ اليوم سلسلة جديدة عنوانها « العالم الروماني » وغايتها ان توفّر لقُراة هذه الابحاث نصوصاً لاتينية كافية . من ذلك هذا المجلد الذي جعله المؤلف دليلًا لغزوات يوليوس قيصر لبلاد غالية ، فجمع فيه كل ما تثيره نصوص القيصر من المسائل في ما خصّ تاريخ البلاد وتخطيطها ، والخطط الحربية التي سار عليها الغازي . فكان خير معاون لمعلّمي الآداب المدرسية وطلّابها .

A. Kaufmann: Ewiges Stromland.Land und Mensch in Aegypten. 8° *XXVIII* - 250 *pp.* 132 *illustr. et* 8 *cartes,* 2° *édit. Prix :* 11 *M. Stuttgard Strecker u. Schröder.*

الارض والانسان في مصر

ظهر هذا الكتاب لاول مرة سنة ١٩٢٦ ، فنال من الرواج ما جعله جديرًا بطبعة ثانية . ومن اسباب ذلك ان المؤلف اقام مدة طويلة في الاسكندرية مديرًا للمدرسة الالمانية فيها ، فعرف البلاد حقّ المعرفة ، وقد رتّب كتابه على نظام واضح مفهوم فدرس البلاد : تاريخها وجغرافيتها وفنها وكل ما يتعلق بساكنيها . وقد اصلحت اشياء في هذه الطبعة فزيدت فصول ، وأُعيد انشاء غيرها ، وحُسّنت الصور حتى غدت موافقة للوقت الذي تظهر فيه ج . ل

Mgr E. Beaupin : Les Missions catholiques. *Biblioth. cathol. illustrée,* 56 *pp., une centaine d'illustrations* 4°, 75. *Paris, Bloud et Gay.*

الارساليات الكاثوليكية

يبيّن هذا الكتاب الجميل المظهر ترقي الكثلكة الحاضر في البلاد الوثنية والاسلامية . وهو بما فيه من المناظر والصور الجميلة المديدة يلذ المطالع فيعينه

على ان يدور ، دون تعب ، حول العالم فيرى انه في القرن العشرين لا يزال يجهل اشياء كثيرة ، ولا يزال عليه واجبات مهمة من حيث القيام بواجبه الكاثوليكي

Le colonie italiano. *Notiziario geografico economico. Ministerio delle colonie. ufficio Studi e Propaganda, Anno 1920, VII. - Sindacato italiano Arti grafiche, Roma. Prix* : 10 *Lire.*

المستعمرات الايطالية

لا يمكن الانسان ان يتمنى افضل من هذا الدليل ليعرف ما يهمه عن احوال المستعمرات الايطالية في طرابلس الغرب ، وبرقة ، وبلاد الصومال ، وجزر بحر ايجه . فالخرائط في غاية الدقة ، والصور في ما يلزم من الاتقان ، والمعلومات مستقاة من مصادر رسمية ، والورق المصقول يزيد كل هذا مظهراً شائقاً .

N. Bertini : Pie XI et la médecine au service des missions . 154 *pp. in*-12. *Paris, Blond et Gay*, 1929, *Prix* : 6 *f*

بيوس الحادي عشر والطب في خدمة الارساليات

هي محاضرة كان بدأ بها المؤلف سلسلة ابحاثه في معهد باريس الكاثوليكي سنة ١٩٢٨—١٩٢٩ ، فزاد عليها ونشرها كتاباً صغيراً ، وموضوعها الطب في الارساليات . وهي على قسمين : الاول في درس المسألة الطبية في بلاد الارساليات ، والثاني في ذكر ما قام به الكاثوليك من المشاريع الطبية في البلدان المختلفة فشجعهم قداسة البابا . ويُختم الكتاب بجدول يحتوي على الوثائق في الموضوع . -

الكنوز الملكية في الزراعة المصرية : الجزء الاول

بقلم ملكه عبده الهوري

مطبعة كرارة بالحسين بمصر : ١٩٢٨ ، ص ٢٧٤ وسط ، ثمنه ١٠ غ . م .

الزراعة المصرية لها وجوه . بعضها يشابه زراعة سائر البلدان وبعضها يخالفها لان لمصر نيلها ، وهذا عامل لا يوجد في غيرها من البلاد ، فهو يحمل في مياهه

ليس فقط الرطوبة الضرورية للاراضي ، ولكن التربة ايضاً فانها ترسب كل عام على سطح الاراضي الزراعية. والنيل بوفرة مياهه يحلّل الاملاح المضرّة المتصاعدة من باطن الارض ويذهب بها . ومن اراد ان يتمتع بخيرات النيل عليه ان يبذل عناية خصوصية ، ويستعمل ماكنات وآلات مجهولة في سائر البلاد . هذه تعليات تبسط صاحب الكتاب بعرضها فاستحق الثناء.

ومن اقواله ان السماد المدني المستعمل في غير مصر قد يأتي بنتائج حسنة حتى في البلاد المصرية ، وان خصب وادي النيل الشهير انما هو حاصل من حسن استعمال ذينك العنصرين: ماء النيل ، والسماد الاصطناعي. ا. ط.

الكنوز الملكية في تربية الارانب المصرية

بقلم ملكه عبده الهوري

المطبعة المرقسية . مصر ، ١٩٢٩ ص ١٢٨ ، وسط ثمنه ٨ غ. م.

قال المؤلف : « وجدت تربية الارانب والاعتناء بها في غاية البساطة وفي غاية الربح مع قلة المصاريف وعدم التعب في خدمتها.» (ص ٧) وقال ايضاً : ان قدماء المصريين عبدوا الارانب ، ثم اخذوا بصيدها ، ثم بتربيتها وتعلّموا من ثمّ ان الارانب هي مورد من موارد الرزق لما في تربيتها من السهولة . اقرأ هذا المؤلف وتعلّم كيف احتلّت الارانب بلاد اوربة فبلاد اميركة فبلاد اوستراليا ، وكيف يصنع الطعام اللذيذ من لحم الارانب ؟ وكيف يربي الفلّاح الارانب في مصر ، ويستنتج منها الارباح الجيدة ا. ط.

مصرع كليوباترا

تأليف احمد شوقي بك

مطبعة المعارف ، مصر — ١٠١ ص ، قطع ١٦ صغير

رواية تمثيلية ذات اربعة فصول تمتُّ بشيء الى التاريخ القديم ، فتدور حول وقعة « اكتيوم » البحرية وانتحار كليوباترا ، التي جعل منها المؤلف ملكةً مصرية صميمة لا همّ لها الا رفعة وطنها ، ولا شغل الّا في سبيله . بيد ان ليس هذا ما يلفت النظر في الرواية ، فللمؤلف الحقّ ان يتصرّف ببعض وقائع التاريخ ، على ان لا يعاكسه . ولكن ما هو جدير بالذكر تجربة المؤلف

بجعل روايته كلها شعراً ، وبتنويع اوزان الشعر وقوافيه . لم نعدم الروايات التمثيلية الشعرية الصرفة قبل رواية احمد شوقي بك ، ولكننا عدمنا فيها هذا التنويع وما يجره من سهولة في التعبير عن العواطف ، وراحة للاذن بتعديد اساليب الايقاع الشعري ، فالرواية من هذا القبيل حقيقة بكل ثناء . اما هل توفق الشاعر في تنسيق حوادث الرواية ، وفي ايجاد اللحمة المتينة بينها جميعاً ، وترتيبها كلها الى الخاتمة دون انحراف ولا تطويل ، وبكلمة واحدة هل نجح في « تأليف » هذه القطعة المسرحية ؟ فهو ما لا يمكننا اقراره دون بعض تحفظ ، اذا ما انتبهنا لما في بعض الشخصيات الثنوية من التردد والاضطراب كشخصية أنشو مضحك الملكة ، وشخصية اولبوس الطبيب الروماني ، وشخصيتي الوصيفتين شرميون وهيلانة ، في بعض مواقفهم ؛ ولما في بعض المشاهد من التنافر كمشهد حابي وأنوبيس اذ ينصرفان عن الملكة المتحرة الى الاهتمام ببعث وصيفتها هيلانة من الموت ، وما دافعها سوى حب حابي لهيلانة ، فيضعفان تأثير انتحار الملكة ، ثم يشوه العاشقان والكاهن ذلك المشهد الفخم بمحاورة اقل ما فيها انها خارجة عن الموضوع . واما الشعر ففيه الضعيف المتكلف يرك في المحاورة عادة ، وفيه الرائع العالي يسمو عادة في الخبر والخطاب . وقد تعودنا النوعين كليهما في شعر شوقي بك .

هذا ومما امتازت به الرواية انها أردفت بدرس نقدي نظر فيه الى تاريخية الحادث وحظ المؤلف من التصرف به ، ثم حللت اهم شخصيات المأساة فاتى بعضها اجلى منه في الرواية . ومهما يكن من الامر فان هذه التجربة حادث ادبي نرجو ان يكون فاتحة عصر جديد في آدابنا المسرحية. ف.ا.ب

ابو نواس : حياته وشعره

بقلم عباس مصطفى عمار

مطبعة وادي الملوك ، مصر ، ١٩٢٩–١٩٣٠ – ١٢٤ ص ، وسط

هذا الكتاب غرسة من غرسات الدكتور طه حسين مبنى ومعنى . يسير على طريقته في البحث والتحليل فيصيب حيناً ، ويخطئ احياناً بسبب انصرافه الى استعمال الحوادث التاريخية للبرهان عن نظرية تسبق في ذهن المؤلف نتائج

اتجاهه ؛ والوجه في الدرس التاريخي على عكس ذلك ، اذ يكون باستنتاج النظرية من الحوادث ، لا بتسخير هذه لاثبات الاولى . وهذا النوع من التفكير مقتبس عن الدكتور . امّا ما يمتاز به الكتاب ، وهو ايضاً مما يمكننا ان نجد اصله في «حديث الاربعاء» ، فهو ما يشينه من التطرّف في ذكر امور وحوادث يخجل من تداولها من حرص على صيانة آدابه . من ذلك تلك الابيات التي استعاض عنها المؤلف بنقاط ، ولكنه عاد فشرحها على طريقة قد تكون اوضح من الاصل نفسه واوخم عاقبة مما لو اورده بنصه . والغريب في الامر ان الكاتب القى اتجاهه هذه ، بكل ما فيها ، على شكل محاضرات عمومية ، وفي مدرسة المعلمين العليا ! ولعلّ اغرب من كل هذا سذاجة المؤلف - ولا ادري كيف انعتها ! - اذ يدّعي ، مدافعاً عن اختياره لابي نواس: «ان الناس كثيراً ما تجد في المجون المعنوي عاصماً لها عن المجون العملي لان من الشهوة ما يكتفي فيه الجانب الخيالي والذي قد يفسد ان صددناها عنه . . .» ثم هو يدرس هذا المجون لانه « يقصد جانب الفن » ليس غير . . .

تلك ترّهات علقت مدة بالادب الغربي ، فلما نبذها متحرّراً ، تهافتنا عليها متوهمين فيها التجديد !

ف . ا . ب .

تراجم علماء طرابلس وادبائها

تأليف عبدالله حبيب نوفل

مطبعة الحضارة . طرابلس ، ١٩٢٩ ، ص ٢٠٢ ، ثمن كبير

تاريخ طرابلس كتواريخ امهات مدننا يكاد يلخّص تاريخ سورية ولبنان ، وفيه ذكر الدول التي تناوبت الحكم فينا منذ القدم الى يومنا . على ان طرابلس احتكّت بالشعوب الآتية اليها من البحر المتوسط اكثر من غيرها ، نسبةً لموقعها الجغرافي ؛ ولحوادثها ، ولرجالها علاقات جمة بالمدنيتين الشرقية والغربية . ذلك ما اخصب فيها تربة العلوم والآداب ، ولفت نظر المؤلف الى وضع تاريخها ، فاحيا رميمها ورفع اعلامها . وذكر اسم كلّ مترجم له ، واهم تواريخ حياته ، حيث تسنى له الوقوف عليها ، مع عناوين كتبه ومختارات اقواله . وممن كان يحق ان تذكر تراجمهم في هذا الكتاب: شهاب الدين النويري (ت ١٣٣٢م -

٧٣٢هـ) صاحب الموسوعة: «نهاية الارب في فنون العرب». فانه تولى في طرابلس نظارة الجيش على ايام الملك الناصر ؛ ولاجين بن عبدالله الذهبي حسام الدين الطرابلسي († ١٣٣٧م—٧٣٨هـ) ؛ ومحمد بن لاجين الحامي الطرابلسي († ١٣٧٩م—٧٨٠هـ) ، وعلي بن خليل الطرابلسي (١٤٤٠م—٨٤٤هـ) (راجع بروكلمان : تاريخ الاداب العربية) . على اننا نشكر للمؤلف همته وعنايته في التنقيب على آثار الادباء وحفظها ونرحب بكتابه. ف. ت.

الثقافة والتهذيب

لابي زهير الاندلسي

المطبعة الوطنية ، بيروت ، ص ٤٧ ، وسط ، ثمنه ١٥ غ. س.

صاحب هذه الرسالة تعاطى مهنة التعليم واحبها وهو يأبى الّا ان يراها شريفة معظمة ، ليس فقط في اعين الناس ولكن خاصةً باعتبار المعلمين انفسهم. فلذلك ان وصف ما رآه في بعض الاساتذة ، وفي بعض المدارس ، من التواني والنقائص التي قلبت الحكمة الى قساوة فليس لوصفه سوى غرض واحد: لزوم تثقيف المعلّمين بالآداب والعلوم قبل ان يُعهد اليهم بتربية الناشئة.

ف. ت

التعليم الطقسي لطائفة الروم الملكيين الكاثوليكيين

للاب جبرائيل مصوبع الراهب المخلصي

يحتوي هذا الكتيّب على معلومات مفيدة للاحداث به يسترشدون الى معرفة الطقوس اليونانية الشرقية الجميلة ، وقد نسّقه المؤلف تنسيقاً مدرسياً بطريقة السؤال والجواب واسلوب بسيط سهل الحفظ لطلّاب وطالبات معاهد الطائفة الملكية الكاثوليكية : فمن بحثٍ في الطقوس اجمالًا ، الى ذبيحة القداس والليتورجيات الالهية الثلاث ، الى شرح وجيز في الاسرار ، الى باب الصوم والقطاعات والاعياد ، مع ملحقين في معنى الاعياد السنوية ورتب طقسية تقع في خلال السنة . هذا هو ملخص الكتاب . فنشكر للمؤلف هديته ، ونحثّ المعاهد اليونانية الشرقية على اقتنائه لفوائده الجمة. م. م.

اهمّ حوادث الشرق في شهر

١٥ كانون الاول ١٩٢٩ — ١٥ كانون الثاني ١٩٣٠

روما والشرق

* في ٢٠ و ٢١ و ٢٢ كانون الاول اقيمت في الكاتدرائية اللاتينية في بيروت حفلات ختام اليوبيل البابوي . وفي رأس السنة بلغتنا الرسالة العامة التي اذاعها الحبر الاعظم مبيناً فيها ما جنته الكنيسة من ثمار العام اليوبيلي في العالم كله ، وخاصة في الشرق حيث اظهرت الكنائس ولاءها نحو الكرسي الرسولي . ودخلت في حيز العمل فكرة تدوين الحقّ القانوني للكنيسة الشرقية ، فعين لها الاب الاقدس لجنة من الاختصاصيين الغربيين وغيرهم ممن انتدبهم البطاركة الشرقيون لينوبوا عنهم في القيام بهذا المشروع الخطير . ومن بواعث السرور ان قسماً كبيراً من طائفة الروم الارثوذكس في مصر عيّدوا رأس السنة الجديدة طبقاً للتقويم الغربي

لبنان وسورية

* أصدر رئيس الجمهورية مرسوماً مستنداً الى قرار مجلس الوزراء الذي بتوجيه جميع المستشفيات المرتبطة بوزارة الصحة ابتداء من ١٥ الجاري على ان يبعث بمن فيها من المرضى الى سواها من المستشفيات الخاصة على نفقة الحكومة

* ومن اخبار دمشق ان الحاكم الاداري امر بان تباع الحاجيات الضرورية بالعملة السورية واصدر لائحة باسعار بعضها بهذه العملة . وعلى اثر ذلك ارتفعت اسعار القطع الفضية ، وهبط سعر الليرة الذهبية ، فبيعت الليرة الواحدة فيها بثلاثمائة وسبعة وعشرين قرشاً فضياً ونصف القرش ، بعد ان كانت بثلاثمائة واربعين قرشاً . وهي لا تزال مستمرة في الهبوط . وقد صرح مدير المالية ان الحكومة لا تعتبر القطع الفضية عملة رسمية ، بل العملة الرسمية هي الورقة السورية .

* انشأت المفوضية دائرة جديدة اسمتها مصلحة المياه وعهدت اليها في درس

المصالح المائية وما يتعلق بها من الشؤون الزراعية والصناعية والصحية في عامة المناطق او الدول الخاضعة للانتداب الفرنساوي ، والنظر في استثمار الانهر التي تمرّ باكثر من دولة مثل : العاصي والنهر الكبير والفرات والخابور واليرموق ، من رفع مستوى مائها على سدود لتنظيم الري وتوسيع مساحته ، واحداث اقنية منظمة له ، ومن ايجاد خزانات لمياه الامطار والفيضانات واخراج ما تحت الارض من مياه للانتفاع بها ، ومن تجفيف المستنقعات لتحسين الصحة وتوليد القوى الكهربائية وغير ذلك من المشاريع الاقتصادية . واشارت المفوضية بتأليف دائرة خاصة في الحكومة السورية تنظر في ما اشبه هذه المصالح مما يقع ضمن الحدود السورية ولا علاقة له بالدول الاخرى المجاورة . وقد ربطت هذه الدائرة السورية بوزارة الزراعة وقسمتها ثلاث مناطق : الاولى المنطقة الجنوبية وتتألف من دمشق وما يجاورها ، والثانية المنطقة الشمالية وتمتد من حلب الى دير الزور والى حماة وعامة سورية الشمالية ، والثالثة المنطقة الغربية وقوامها اسكندرونة وما اليها حتى انطاكية . وقد جعلت دمشق مركزاً لهذه الدائرة.

مصر

* تألفت الوزارة المصرية تحت رئاسة النحاس باشا زعيم الوفد ، وعين اليوم ١١ ك ٢ لافتتاح البرلمان

شرقي الاردن

* اتهمت حكومة شرقي الاردن بقايا الدروز المقيمين في منطقتها بحوادث تلصص ، واضطرتهم جميعاً الى مغادرة المنطقة او البقاء في عمان تحت مناظرة السلطة . وقد فضل اكثر الدروز مغادرة المنطقة والعود الى اوطانهم ، ووصل منهم كثيرون مع عيالهم الى الجبل ، وقدموا خضوعهم للسلطة في السويداء . اما سلطان باشا الاطرش فهو في حيرة من امره . والظاهر انه اصبح ضيفاً غير مرغوب فيه في البلاد النجدية

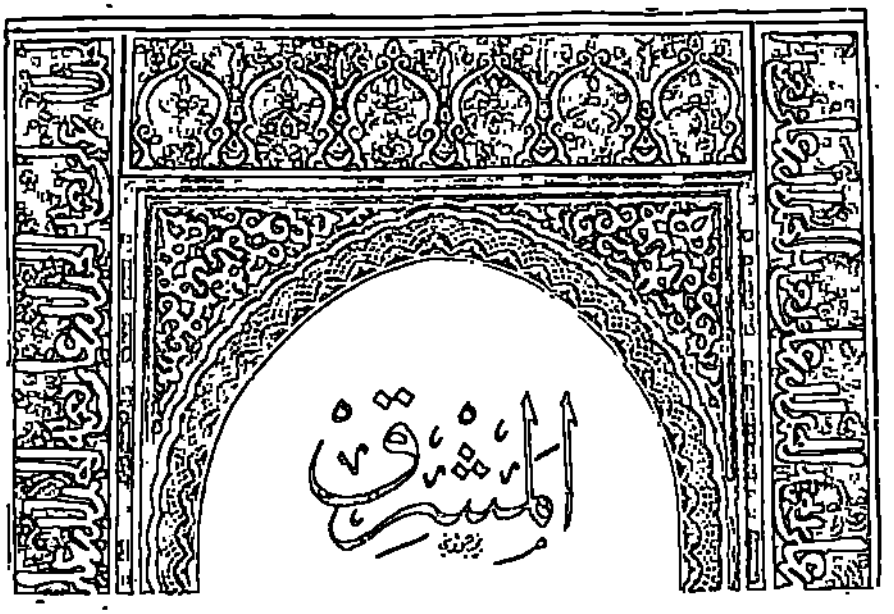

آذار ١٩٣٠

صفيّ القلب الاقدس ورسوله

نبذة في سيرة

الاب كلود دي لا كولومبيار اليسوعي

المطوَّب حديثاً

بقلم الاب شرل ايلا اليسوعيّ

لا مشاحة انَّ الآية الرسولية القائلة : « حيث كثرت الخطيئة هناك طفحت النعمة » (رومية ٥ : ٢٠) ، يجوز تطبيقها نوعاً ما على وصف عصرنا هذا ايضاً . ففيه بينا يتفاقم فساد البشر ، كذلك ينمي هبيب الروح القدس ، بين الرجال والنساء ، عدد المؤمنين الذين حيسوا فدأبوا في التعويض عن الاهانات اللاحقة بالقلب الالهي ، بل لم يتردّدوا في تقدمة ذواتهم ذبيحةً للمسيح .»

هذا ما سطّره الحبر الاعظم المالك سعيدًا في رسالته العامة« *Miserentissi-*

mus Redemptor»[1] . والمعنى انه اذا كان الشرّ في ايامنا عظيماً فالخير اعظم . والفضل فيه راجع الى انتشار العبادة لقلب يسوع الاقدس . ذلك لان العناية الالهية ، على ما جاء في الرسالة المذكورة[2] « تبلغ من غاية الى غاية بالقوة وتدبّر كل شيء برفق » (حكمة ٨ : ١) فتأتي بالمعونة على قدر احتياجات الكنيسة واوفر .

ولم يكن شرقنا العزيز ليخرج عن هذه القاعدة . فان كانت الاضاليل العصرية والاوبئة الادبية قد تسرّبت اليه وانتشرت بين بنيه ، فلا شكّ ايضاً أنّ فيهم من طلائع الفضل والتقى والتفاني في سبيل الخير ما يسرّ كل قلب يغار على شرف الله . ولا حاجة الى وصف ما قام ولا يزال يقوم به من النهضات ابناء الكثلكة في هذه الامصار ، ولاسيما الشبيبة بينهم . فثمة من المشاريع التقوية والرسولية من كل نوع ، ومن الجهاد والتضافر طلباً الى اعلاء المبادئ القويمة ودفاعاً عنها ، ما يعتزّ به الدين ، ولم يشهده آباؤنا مع ما اتصفوا به من بساطة الايمان وطهر السير . واكثره يعزوه الواقفون على داخلية الانفس الى ازدهار العبادة للقلب الاقدس فيها . وناهيك بما اصلحت وعمّرت في القرى اللبنانية جمعيات قلب يسوع للشبيبة .

فيهمّ اذن المسيحيين الشرقيين ، بل يلذّ لهم ، كشف النقاب عن اصل العبادة للقلب الالهي : كيف ، واين ، وعن يد مَن نشأت وانتشرت ؟

وفي مقدّمة الذين وكل اليهم المسيح الربّ بثها في الافئدة ، القديسة مرغريتا مريم الاكوك ، ومرشدها الطوباوي كلود دي لا كولومبيار اليسوعي ، الذي لقّبهُ ، عزّ وجلّ ، باسم « عبده الامين وصديقه الكامل . » ورفعه على المذابح يوس الحادي عشر في ١٦ حزيران من العام المنصرم . وقد أحيت كليتنا في اواسط شباط الماضي احتفالات شائقة تذكاراً لتطويبه . فننتهز الفرصة لتلخيص سيرته ومساعيه في سبيل نشر العبادة المنشودة

---

١) *Acta ap. Sedis (1928, 1 Junii) p. 176*

٢) *Loc. cit. pp. 165-166*

١

اساس العبادة للقلب الاقدس

في الاسفار المنزلة والتقليد

هذا وليس المراد بما سبق ان قلب يسوع كان، قبل مرغريتا مريم ودي لاكولومبيار، مجهولاً غير مكرّم بتاتاً من المسيحيين. معاذ الله! فان اصول العبادة له مثبتة في الاسفار الالهية، ولها في التقليد الكاثوليكي، العريق في القدم، آثار جليلة.

فمن الانجيل نعلم ان المسيح، لاسمه السجود، هو اقنوم الهي واحد، له طبيعتان: الهية وانسانية، كاملتان غير منفصلتين وان غير ممتزجتين. فلناسوته اذاً، حيث يخصّ شخصاً الهياً، وبالتالي لقلبه، يحقّ الاكرام والتعبد الواجبان للّاهوت.. واما كون قلبه خليقاً، ما بين سائر اجزاء ناسوته، باكرام خاصّ، فسببه انّ القلب، في عرف البشر من ايّ لسانٍ وصقع، يرمز الى داخلية المرء ولاسيما الى حبّه. وقد قالت الحكمة الازلية (امثال ٢٣ : ٢٦): «يا بنيّ اعطني قلبك» وقال الربّ يسوع (مت ١١ : ٢٦): «تعلّموا مني اني وديع ومتواضع القلب.» ومن الاسفار المنزلة ايضاً نعلم انّ المسيح الاله، ليس فقط في جسده، بل في روحه البشرية وقلبه، تألم من آثامنا وفتورنا. فيتوق الى ان نعوّض له عن المرارات التي ذاقها، بمشاطرتنا لها. ففي البستان (مت ٢٦ : ٣٧-٤٠) «طفق يحزن ويكتئب» وقال لبطرس وابنَي زبدى: «نفسي حزينة حتى الموت فامكثوا ههنا واسهروا معي» ولبطرس ايضاً: «أهكذا لم تقدروا ان تسهروا معي ساعة واحدة.» وقد سبق داود وجعل على لسانه هذه الآية (مز ٦٨ : ٢١): «قد كسر قلبي العار (عار مآثمنا) والشقاء. وانتظرتُ من يرثي فلم يكن، ومن يعزّي فلم اجد.»

ولك في الآيات المذكورة اساس العبادة للقلب الاقدس. وقد وصفها ارباب اللاهوت ومعلّمو السيرة الروحية بقولهم: انّ الغرض منها تكريم قلب يسوع من حيث هو رمزٌ حتي الى حبه لله والبشر، حبّاً قد طالما قابله الناس

بالفتور والسيئات والاهانات . فيقتضي حباً يستفزّهم للتعويض والكفارة بنوع خاصّ .

وان سألت : من اين للربّ يسوع ان يتألم الآن ويطلب التعزية ، وهو جالس في النعيم عن يمين الآب ؟ اجاب بيوس الحادي عشر ، في رسالته المذكورة[1] ، ما ملخصه : ان الفادي كان في اثناء آلامه يرى المستقبل ليس بذهنه الالهي فحسب بل بذهنه البشري ، الذي به كان يعاين مواجهة الذات الالهية ، وفيها ؟ إلّم نقل كلّ حقيقة على الاطلاق ، فقلّما يكون كلما تهيّئهُ معرفته من الحقائق والوقائع . فكما انّ اهانات الاشرار وتقصيرات الفاترين ، في كل زمان ومكان ، كانت وقتئذٍ حاضرة مكشوفة امام عينيه ، تؤلم قلبه الاقدس ، كذلك تعويضات الانفس الحارّة كانت ، وان مستقبلةً ، ظاهرة لديه تعزّيه وتخفف نوعاً وطأة الكآبة عنه .

وهذا ما حدا بعض القديسين ، حتى في اوائل النصرانية ، الى التعبد لقلبه الاقدس . وهل من نكير ان امّهُ العذراء الكلية البرارة كانت ، مع الملائكة ، في مقدّمة الذين سجدوا له اذ صُوّر في احشائها الطاهرة ؟ وذاك رسوله يوحنا الحبيب ، الذي اسند رأسه الى صدره مساء العشاء السرّي ، فاستقى من قلبه حكمة المحبة الالهية ، أفيكون ارسل الكلام جزافاً اذ وصف لنا في انجيله (يو ١٩ : ٣٣–٣٧) ما « عاين » هو عند الصليب « لمّا انتهى الجند الى يسوع ورأوه قد مات فلم يكسروا ساقيه . لكنّ واحداً من الجند فتح جنبه بحربة فخرج للوقت دمٌ وماء . » ولم يخفَ على بشير المحبة معنى هذا الجرح وقد رأى فيه تمام نبوّة زكريا (١٢ : ١٠) القائل : « سينظرون اليّ انا الذي طعنوه . » والآية في سفر النبي محكيّةٌ عن لسان الله فجعلها الانجيلي كلاماً عن يسوع قائلاً : « سينظرون الى الذي طعنوا » فيكون معناها ، على ما فهم يوحنا ، ان اليهود نظروا الى قلب يسوع الاله الذي طعنوا .

وقد طالما تنافس الآباء والقديسون ، من ترتليانوس الى برنردوس

---

1) *Loc. cit pp.173-174*

ويوناونتورا وجرترودا وكاترين السينية وغيرهم ، فتغزلوا بذكر هذا الجرح. فرأوا فيه « باب الحياة من حيث تدفّقت لنا الاسرار وكل النعم »[1] المشار اليها بالدم والماء ، وانما تدفّقت من حبه لنا وباستحقاقات آلامه . ومنهم من وجد في الجرح المذكور « مقرًّا للانفس تسكنه متمتّعةً بالحرية والسلام »[2]. وما احسن ما قال القديس بوناونتورا في هذا الصدد[3] : « انما جُرح كيا نرى من وراء الجرح المنظور جرح حبه غير المنظور . وكيف يمكن هذا الحب المتقد ان يبرز لنا بنوع اجلى من ان يسمح ان يُطعَن بالحربة ليس الجسد فحسب بل القلب بذاته . فالجرح الجسدي يُظهر الروحي. ومن لا يُشغف بهذا القلب المجروح ؟ ومن لا يبادل كذا محبّ حبّه ؟ . . . »

على انّه قلّ من تكلّم عن القلب الالهي بمثل صراحة الذين ذكرناهم ودقّتهم . فلم تكن بعدُ العبادة له قد عمّت الكنيسة كلها . وعلى كل حالٍ لم تكن بعد قد عُيّنت الاعمال التقوية والتكفيرية التي شاء المخلص فأمر ان يُكرَمهُ بها عُبّادُه . وعلى ما صرّح الرسول يوحنا ، في رؤيا للقديسة جرترودا ، قد كان من تدابير العناية الربانية « ان تُحفظ هذه العبادة للازمنة الاخيرة ، حتى اذا ما مال العالم الى الزوال وبردت محبته لله ، فسمع القلبَ الاقدسَ يحدّثه بنبضاته العذبة البليغة ، يضطرم بلهيبه الحيّ . »[4]

زمن اعدّوا الطرق ، قُبيل القديسة مرغريتا مريم والطوباوي كلود دي لا كولومبيار ، لاذاعة رغائب القلب الالهي ونشر العبادة له ، القديسون فرنسيس سالس ، وحنّة دي شانتال ، ويوحنا اوديس (Eudes) وغيرهم . بل يُروى انّ القديس اغناطيوس دي لويولا ، الذي عاش في القرن السادس عشر ، كان يحمل صورةً للعذراء ، كُتبت عليها الصلاة الآتية ، وقد نسبها البعض

(١ Augustinus, *Tract.* 120 in *Joann.*

(٢ Bernardus, *Tract. de Passione, cap.* 3.

(٣ Bonaventura, *de Vita mystica, cap.* 3.

(٤ *Insinuations de la divine Piété ou la Vie et les Révélations de Ste Gertrude, Paris, Lecoffre, tome II, p.* 27.

اليه : « يا أمّ يسوع ، امّ القلب الصالح ، امنحيني قلباً على حسب قلبك وقلب ابنك الاعزّ سيدنا يسوع المسيح . »[1]

وانما ارتفعت العبادة للقلب الالهي ، كالشمس في الظهيرة ، وشرعت تضيء باشعتها العالم اجمع ، في عهد القديسة مرغريتا مريم والطوباوي كلود دي لاكولومبيار وبسعيها .

٢

منشأ الطوباوي وفنونه

وُلد كلود في ٢ شباط ١٦٤١ في سان سانفوريان دوزون (Saint-Symphorien d'Ozon) . وهي بلدة افرنسية صغيرة تابعة لمقاطعة الايزير (Isère)

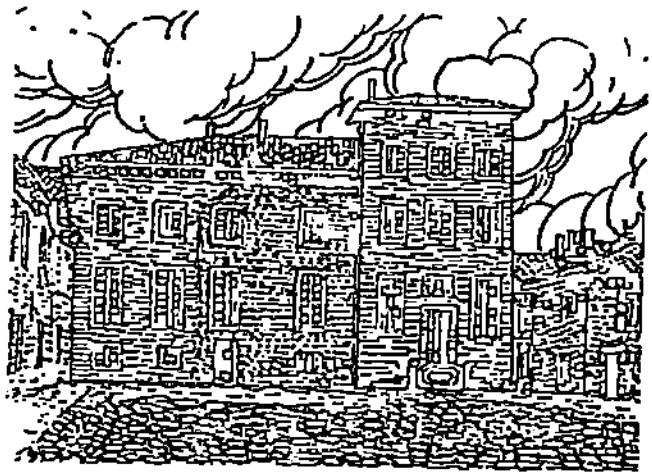

البيت الذي وُلد فيه الطوباوي

الحالية ، وكان فيها ابوه ، برتران دي لاكولومبيار ، كاتباً للعدل . وكان كلود ثالث الاولاد السبعة الذين ولدتهم لابيه امّه ، مرغريت كويندا . منهم اثنان توفاهما الله صغيرين ، وواحد بقي في العالم . واما الاربعة الآخرون فوقفوا حياتهم

(١) راجع Joseph Zelle, *Prêtre, Claude de la Colombière, premier apôtre du Sacré-Cœur. Paray-le-Monial, Hitron ou Musée Eucharistique, pp. 3-5.*

للربّ في السلك الكهنوتي او الرهباني ، مما ينطق بفضل تربية ابويهم المسيحية الصميمة ، وبعناية القلب الالهي برسوله العتيد ، منذ نعومة اظفاره ، كيما يؤهبه لمهمته المستقبلة . فالخبز الطيّب من الخميرة الصالحة .

ولما بلغ التاسعة من عمره ، انتقلت عائلته الى ليون . فتلقّن فيها اصول العلوم اولاً بمدرسة سيدة النجدة الصالحة للآباء اليسوعيين ، الى ان ترعرع فلزم معهدهم الاكبر ، اي مدرسة الثالوث الاقدس ، حيث ختم دروسه الثانوية .

٣

مراحله الرهبانية الاولى

وفي ٢٥ تشرين الاول ١٦٥٨ ، دخل الرهبانية اليسوعية في دير الابتداء بأفينيون . ومما اتصف به منذ إذ ، على ما يشهد مترجمه الاول في مقدّمة كتاب مواعظه ، دماثة الاخلاق ، ولين العريكة ، وتمالك الطبع ، والرزانة ، ودقّة النظر ، وسداد الرأي ، وروح الصلاة .

بقي كلود في افينيون ثمانية اعوام . فنذر النذور الاولى في ٢٦ تشرين الاول ١٦٦٠ . وكان قد شرع منذ بضعة ايام يدرس الفلسفة . ولما فرغ منها أُقيم استاذاً للصف الخامس . فتابع تلاميذه اربع سنوات ، يرتقي معهم من صف الى آخر اعلى ، حتى ختموا تحت اشرافه اصول البيان . وفي هذا برهانٌ واضح على توقّد ذهنه ، وطول باعه في الآداب وفن التعليم .

وهي مقدرته هذه التي حملت الرؤساء على تعيينه عام ١٦٦٦ في مدرسة كليرمون الشهيرة بباريس ، معلّماً خاصاً لابني كولبير ، وزير الملك لويس الرابع عشر . وكان في الوقت ذاته يدرس اللاهوت . وظلّ مدّة طويلة يواصل الاعتناء بالفتيَين . وكان ابوهما يجلّه ويعزّه ويثق به ، الى ان انقلب وغضب عليه لسبب طفيف . فاضطرّ الرؤساء الى ابعاده عن باريس . وانما دبّرت الامر العناية الربانية ، التي شاءت ان تجرّد قلبه من كل مجد عالميّ فيكون بتمامه للمسيح .

وكان قد سيم كاهناً في ٦ نيسان ١٦٦٩ . فعاد في السنة التالية الى معهد الثالوث الاقدس بليون ، حيث كان تلميذاً قبل انخراطه في سلك الرهبانية .

ثمّة درّس الخطابة ثلاثة اعوام (١٦٧٠-١٦٧٣) وكان في الوقت ذاته مرشد اخوية العذراء لتلاميذه.

وفي السنة الرابعة عُيّن واعظاً في كنيسة المدرسة، حيث كان، في ايام الآحاد والاعياد، يتهافت جمهورٌ من نخبة القوم واذكاهم على استماع ارشاداته البليغة، وقد بدا بها ليس خطيباً مصقعاً فحسب، بل رسولاً مضطرماً بحب الله والانفس، حتى ذاع صيته في المدينة فكثيراً ما كانوا يطلبونه لالقاء الوعظ في سائر الكنائس. ومن اقواله في عظةٍ قرّظ بها القديس بوناونتورا، عبارة أثرها عن القديس فرنسيس سالس قال: «احبّ اليّ ان اكون ساروفياً من ان اكون ملاكاً: ان يكون علمي اخفّ وحبي لله اشدّ.»

وكأني به اذ ذاك تنبأ عن المهمة الساروفيمية التي لا ينقضي زمن طويل الّا وتُلقى عليه، وعلى القديسة مرغريتا مريم. فكلاهما ملاكا المحبة الالهية، وعن قليل سيكل الربّ يسوع اليها ان ينثرا في العالم درر قلبه الاقدس. فتلبث هي مثويةً في الهيكل خارةً عند ركبتي المخلّص لتلتقطها من فمه، وينبري، هو الكاهن الرسول، لينشرها بين البشر ويضرمَ بلهيب العبادة المقدّسة شفاه غيره من المبشرين. فلم يبقَ عليه، قبل ان يستلم المهمة التي اصطفاه لها الله، الّا ان يجتاز مرحلة الاستعداد القريب لها، وهي مرحلة «الامتحان الرهباني الثالث»، وفيه خصوصاً «الرياضة الروحية الكبرى»

٤

الامتحان الرهباني الثالث والرياضة الكبرى

مما يفرضه القديس اغناطيوس على بنيه، بعد الدروس والكهنوت وقبل النذور الاخيرة الكبرى، «الامتحان الثالث» (3° *probation*). وقد دُعي ثالثاً لانه يسبقه امتحانان هما: الطالبية (*La postulance*)، والابتداء (*Le noviciat*).

والغرض من الامتحان الثالث هو تكملة اختبار الراهب وتثقيفه على حسب روح دعوته. وقد وصفه القديس اغناطيوس، في كتاب تأسيساته، بكلمة وجيزة عميقة المعنى قال: هو «مدرسة عاطفية» «*Scola affectus*».

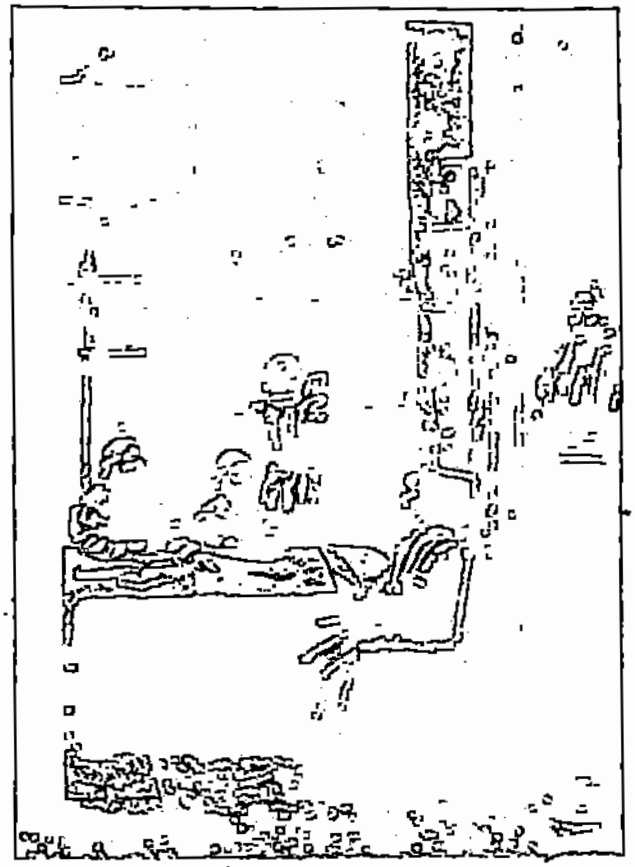

الطوباوي يعلّم ولدي كوليير

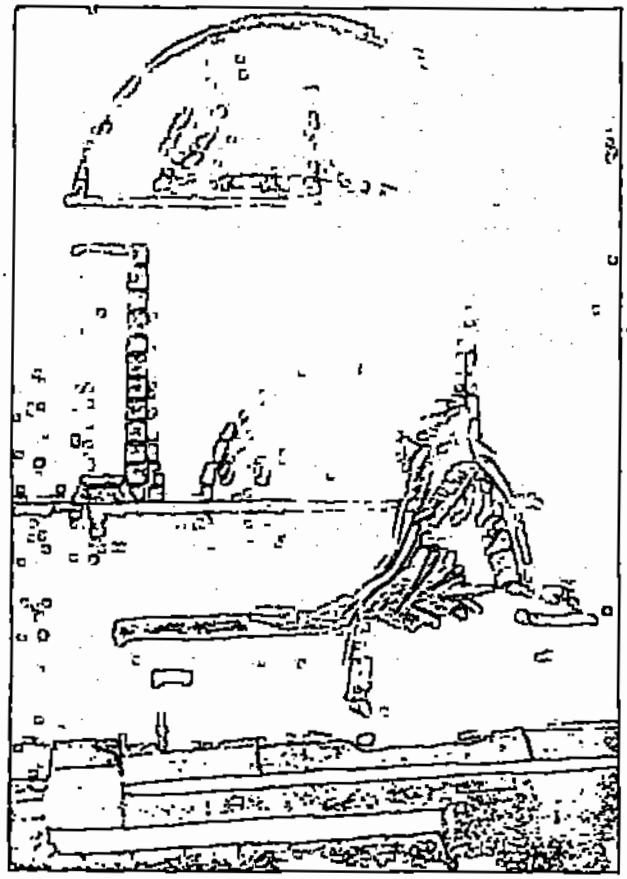

الطوباوي يُرشد القديسة مرغريتا مريم الاكوك

ولا جرم فان الدروس ، التي تستغرق في الرهبانية سنين طويلة ، قد ينشأ عنها بعض اليبوسة في الروح . فيعود الراهب بعدها ، تحت اشراف استاذ ذي خبرة طويلة في الروحيات ، الى التمارين التي مارسها في سنتي الابتداء ، مما يولّد في نفسه عاطفة الحبّ الصادق لله .

ففي تموز ١٦٧٤ ، انتقل الاب كلود من معهد الثالوث الاقدس بليون الى دير القديس يوسف ، الذي كان في المدينة عينها مخصّصاً للامتحان الثالث .

ومن اهم ما ينصرف اليه الراهب في اثناء الاختبار المذكور « الرياضة الكبرى » التي تدوم ثلاثين يوماً كاملاً ، يتفرّغ فيها للاختلاء التام بالله تعالى ، ولاسيما للتأمل والصلوة العقلية خمس ساعات كل يوم ، حسب طريقة القديس اغناطيوس في كتاب رياضاته الروحية . وقد طالما امتدح الطريقة المذكورة الاحبار الرومانيون ، منهم بيوس الحادي عشر المالك سعيدًا ، كما ترى في رسالته العامة الحديثة « *Mens nostra* » المؤرّخة في ٢٠ كانون الاول ١٩٢٩ .

وقد دوّن الاب كلود في دفتر خاص ما جال في ذهنه من الخواطر ، وما الهمه الله تعالى من المقاصد في تأملاته . وقد طُبع مخطوطه لاول مرّة في ليون سنة ١٦٨٤ ، اي نحو عامين بعد وفاته . وهو يتضمّن ، علاوةً على رياضة الاب الكبرى ، بعض تأملات عقبتها ، كما ورياضة اخرى له ايضاً في لنبدرة سنة ١٦٧٧ . ولدينا نسخة منه طبعت في غرنوبل سنة ١٩٠٢[1] فالى صفحاتها نحيل القارئ عند الاقتضاء .

ولا يخفى ما لهذا الاثر من الشأن في تعريف طوباوينا ، اذ به نستطيع استطلاع داخليته ، وما المرء الّا بما في قلبه ، وبه ايضاً تتجلى الخطة التي نهجها له الروح القدس كيما يُعدّه للعمل الرسولي الخطير الذي اصطفاه له .

(١ *Retraites spirituelles du* V. Père Claude de la Colombière, *Grenoble, Imprimerie Notre-Dame, Rue des Dauphins*, 5.— XXVII, 117 pp. وقد اعيد طبعه حديثاً بسعي ادارة رسالة الصلاة في تولوز *Bureaux de l'Apostolat de la Prière, Toulouse, 9, rue Montplaisir. c/c 593.*

واول مـا يلفت نظر قارئ الكتيب نشاط المرتاض وشهـامته . قال (ص ١) :

« ابتدأت ، على ما يظهر لي ، برغبة صحيحة ، بنعمة الله ، ان انقاد لكل الهامـات الروح القدس . فاقلع عن كل علاقة تجعلني اتردّد في ان أكون تامّاً له عزّ وجلّ . فقـد عزمتُ ان احتمل من اجله جميع ضروب البيوسة الروحية والكآبة الباطنية . »

والاستعداد الموصوف هو اول ما يطلبه من المرتاض معلّمو السيرة الروحية ولاسيما القديس اغناطيوس[1] . فلا عجب اذا كان الطوباوي استفاد كثيراً من رياضته الكبرى .

وفعلاً انّ من يقابل ما جاء في الكتيب المذكور ، بمـا رواه الثقات من معاصري الطوباوي عن فضائله ، لا يشك لحظة ان رياضته الكبرى ، في دير القديس يوسف بليون ، كانت من اقوى عوامل النعمة الالهية لتقديسه .

القداسة ، ويقال لها ايضاً الكمال المسيحي ، هي حب الله الذي يصلنا به تعالى ويجعلنا ثابتين فيه ، نحيا بحياته ونتحدّها نوعاً ما من لبابه ، عملاً بقوله عزّ وجلّ (يو ١٥ : ١-٩) : « انا الكرمة وانتم الاغصـان ... أثبتوا فيّ وانا فيكم ... اثبتوا في محبتي . »

على انّ حياة المحبة هذه ، ما دمنـا على الارض ، لا تنحصر في الشعور والعاطفة ، مهما احتدمت في الجنان . فالقداسة هي حالة ثابتة او ، قلّما يكون ، تميل بالمرء الى الثبات . فلا بدّ لرائدها من الدوام . والعاطفة لا يدوم الشعور بها الّا في السماء . واما في هذه الدنيا فرائد الحياة الالهية بالمحبـة هو العمل بمشيئة الرب ، وقبل كل شيء الموت الدائم عن اميال الطبيعة السافـلة ، اي اماتة الانانية .

هذا هو تعليم القديس بولس الرسول حيث يقول (كول ٣ : ١-١٤) : « ان كنتم قد قمتم مع المسيح (لحياة انفسكم بالله) فابتغوا ما هو فوق حيث المسيح جالس عن يمين الله . افطنوا لما هو فوق لا لما هو على الارض . فانكم قـد مُتم وحياتكم مستترة مع المسيح في الله . ومتى ظهر المسيح الذي هو حياتنا

١) راجع التنبيه الخامس في رياضاته الروحية .

فانتم ايضاً تظهرون معه في المجد . فأميتوا اعضاءكم التي على الارض . . . اخلعوا الانسان العتيق مع اعماله والبسوا الانسان الجديد . . . البسوا كمختاري الله القديسين المحبوبين احشاء الرحمة واللطف والتواضع . . . وفوق جميع هذه البسوا المحبة التي هي رباط الكمال . »

وهذه هي القاعدة التي وضعها الاب كاود لذاته في رياضته الكبرى ، وقد جرى عليها حتى آخر نسمة من حياته .

ومن ثمّ الحرب العوان التي اصلاها لميله الى المجد الباطل . قال (ص٢٨) :

« طوبى للمساكين بالروح وللودعاء ولانقياء القلوب . . . وقد فهمتُ حسناً ان السعداء هم الذين تجرّدوا من كل شيء واقتلعوا من قلبهم حتى الاميال الفاسدة . على اني تأكدتُ اني بعيد للغاية عن هذه الحالة فقد شعرتُ . . . انّ الميل الى المجد الباطل يكاد لا يزال في قلبي بنفس الشدّة التي كانت له فيّ من ذي قبلُ ، وان بغير مفاعيله اذ ذاك ، بل وان كنتُ اردّ كرّاته عليّ . »

وايضاً (ص ٣١) :

« تحققتُ ان النقيصة السائدة فيّ هي المجد الباطل . فعقدتُ نية ثابتة ألّا أهمل واحدةً من الاهانات التي يمكنني تحمّلها بدون مخالفة القانون ، وان اقتبل كل التي تعرض لي من ذاتها »

ومن آفات الغيرة الرسولية في الراهب الكاهن التعلّق بالخلائق الى حدّ الافراط . فمن صديق تخشى لومه او استهزاءه فتهمل الواجب ، وان خفيفاً ، بداعي الحياء البشري ، ومن خليل تودّه مودّةً ، قد تكون في حدّ ذاتها خاليةً من الغش ، الّا انها طبيعية ليست لمجرّد حب الله ومجده ، فتشغل في قلبك محلّاً كان الاجدر ان يكون بتمامه له وحده تعالى . وقد صدقت عزيمة رجل الله على محاربة هذه النزعات . قال (ص ٢٢) يتأمل في قول الصبي يسوع (لو ٢ : ٤٠) « ينبغي لي ان اكون فيما هو لأبي » :

« هب المسكونة كلها تنقض عليّ ، تهزأ بي او تشكّني او تلومني ، فلا بدّ لي ان اعمل كل ما يأمرني الله ، كلّ ما يلهمني لمجده الاعظم . فقد وعدتُ هذا ، واني آمل ان اني بالوعد بنعمته تعالى . والامر يقتضي سهراً عظيماً . والّا فينفسح المجال سهلاً للحياء البشري الى مباغتة المرء ، ولاسيما اذا كان ضعيفاً مثلي »

ومما قال في حبّ الاصدقاء (ص ١٢١—١٢٢) :

« اراني ميالاً الى الاقتداء ببساطة الله ، وذلك اولاً بعواطفي ، بان لا احبّ الّا الله وحده . . . والامر سهلٌ لاني اجد فيه تعالى كل ما يمكنني ان احبَّ في غيره . . . واما اصدقائي فهم يعزّونني وانا أعزّهم . وانك ترى هذا وانا اشعر به يا الهي ، انت وحدك الصالح ، انت وحدك الخليق ان يُحبّ . فهل يجب ان اضحّي بم لانك تغنيني بكليتي لك ؟ واني لاضحّينّ لك هذه الضحية وهي تعزّ عليّ اكثر من تلك التي قدّمتها لك يوم تركتُ ابي وامي . فها إني ارفع اليك هذه الذبيحة ، وارفعها عن طيبة خاطر ، حيث حرّمت عليّ ان اجعل لايّ خليقة حصّة من صداقتي لك . . . »

« ومن انجع الوسائط لتحرير القلب من كل شيء ، تغيير المسكن والوظيفة غالباً . فان الانسان يتعلّق ، بدون ما يشعر ، بمكانٍ قد تأصّل فيه ، كما بان من الالم الذي يعانيه عند الفراق . فكأنه يموتُ نوعاً اذا ما انتزح عن ديارٍ كان قد اضحى فيها معروفاً وله فيها بعض الملّان . ومما يُمكّنني دائماً ان احتمل الفراق هذا بدون ما اضطراب ، الاعتبار أنّ الله يرافقني في كل موضع ، وانني ، حيثما اتوجّه ، اجد الرب عينه . »

ولم يكن الطوباوي ليجهل حَرَج الطريق الذي خطّه لذاته . فهو عالم بضعفه يُقرّ انه احياناً « بينا يخال نفسه في مأمن من خيل الانانية فاذا به يراها تباغته وتهزأ به » (ص ١١١) . واذا استثنينا العذراء مريم فايّ قديس سلِم من مباغتات الطبيعة الضعيفة الى حد ألّا تفاتته ، عن غير تحرّ تامّ منه ، هفوة بل هفوات[1] .

ومن انجع الوسائط التي تذرّع بها رجل الله ، ابتغاء للثبات في مقاصده ، نذرٌ خاص وعد الله به ان يحفظ كل قوانين رهبانيته . ومعلوم انها في حدّ ذاتها ، وبقطع النظر عمّا لبعضها من الصلة الجوهرية بالنذور الرهبانية او بالشرائع الالهية والكنسية ، لا تُلزم تحت طائلة الخطيئة .

ولدينا صورة عهده هذا مثبتةً في كتب « الرياضة الكبرى » (ص ٣٤—٤٦) . وناهيك بما ثمة من الاساليب المنظّمة لقمع الاميال المنحرفة فتكاد لا يبقى لها منفذ ، ومن طرق تجريد النفس وصلبها عن العالم كيما تتفرّغ لحبّ خالقها وخدمته ، مما يذكّر بقول احد معلّمي السيرة الروحية ومعناه : انّ الشهيد لا يلبث ان ينتهي عذابه بالموت . وامّا الراهب الحقيقي فاستشهاده متواصل يدوم طيلة حياته .

---

١) راجع المجمع المسكوني الفريدنتيني ، الجلسة السادسة ، الفانون ٢٣

وقال المؤلف الاول لترجمة الاب كلود في مقدّمة مجموعة مواعظه : « لم يشعر عبدالله بعد نذره انه في ضيق اشدّ من ذي قبل[1]. لم يعتره قطّ وسواس في شأن السنن الشديدة التي كان قد وضعها لنفسه . ويشهد ايضاً الذين عاشوا معه وعلموا بعد وفاته ما كان قد نذر ، انهم لم يروه ابداً يُخلف بوعده حتى في الصغائر . »

٥

مرشد الضيعة مرغريتا مريم

ان من يعتبر مناقب الاب كلود وفضائله ، وما تقلّد الى الآن من المهامّ وما احرز فيها من النجاح ، قد يخال انه لا يلبث ان يُعيَّن لمركز رفيع في رهبانيته ، فيُرسل مثلاً الى احدى العواصم ، حيث يكون كالسراج على المنارة ، ليستضيء به وجوه القوم ونخبتهم .

على انّ « افكار العناية الالهية ليست افكارنا وطرقها ليست طرقنا وكما علت السماوات عن الارض كذلك طرق الربّ علت عن طرقنا وافكاره عن افكارنا » (اشعيا ٥٥ : ٨-٩) . فما فرغ الطوباوي من امتحانه الثالث ولفظ في ٢ شباط ١٦٧٥ ، النذور الرهبانية الاخيرة الاحتفالية ، إلّا بُعث الى باراي لي مونيال (*Paray-le-Monial*) ، وهي من اصغر مدن فرنسة . فأقيم رئيساً فيها على احقر دير من اقليمه . ولا غرو فثمة كانت تنتظره العناية الربّانية ، وفي نظرها الالهي لم يكن امتحانه الثالث ورياضته الكبرى الّا استعداداً قريباً للمهامّ التي كان عتيداً ان يقوم بها من قِبَلها في تلك الديار . ثمة كان ينتظره قلب يسوع ، ثمة كانت القديسة مرغريتا مريم تنتظره من قبل ان تعرفه فلا يعثم كلاهما ان يكونا « شاهدَي الربّ » لاذاعة آيات حبه « والمنارتين القائمتين امامه » ليُضيئا المسكونة (رؤيا ١١ : ٤) .

ولما وصلَ الطوباوي الى باراي كانت فيها القديسة مرغريتا مريم ، بدير زيارة العذراء الذي دخلته منذ اربع سنوات ، تجتاز ازمة روحية شديدة . فمن

١) راجع رياضته المذكورة ، ص ١٣٧

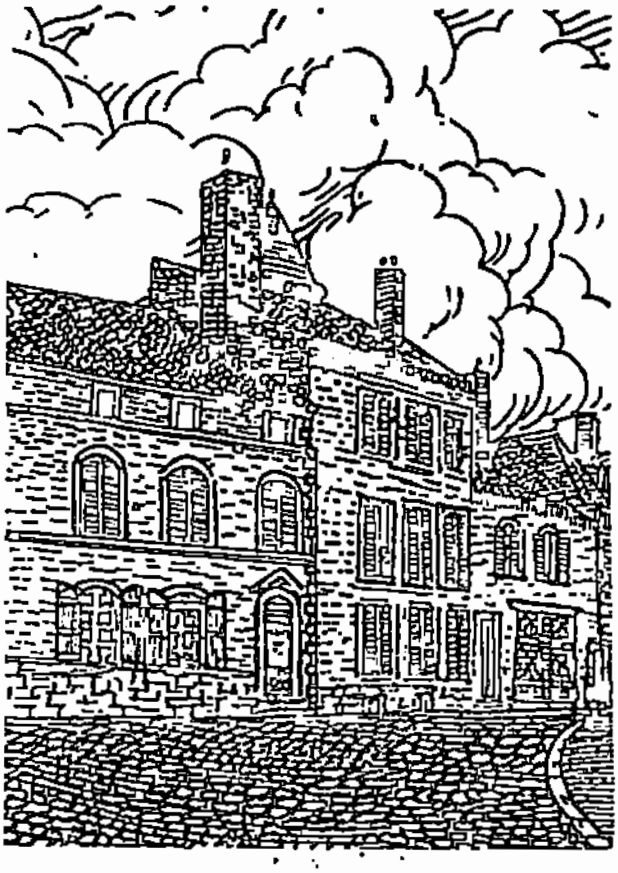

دير الآباء اليسوعيين في باراي في عهد رئاسة الطوباوي

جهةٍ كان يسوع قد ظهر لها مرارًا بل ما زال يواصل محادثاته لها عن قلبه الاقدس . ومن جهة أخرى كانت اخواتها الراهبات يهزأن بتعبدها ويعدُدْنه ضرباً من البدع ، ومرشد اعترافها ورئيستها يرتابان في امرها ويتردّدان فيه ، أيعزوانه الى الروح الصالح ام الشرّير . ومن ثمَّ ما كانت تعانيه من الغصص والحصر تلك الراهبة الورعة الخاضعة ، حيث تشعر بنفسها ، كأنها اضحت تتنازعها الطاعة المقدسة من ناحية ، وربُّ الطاعة يسوعُ من ناحية اخرى.

قالت هي في كتاب سيرتها ، الذي دوّنته بامر رؤسائها :

« بينا انا في الاكدار والمخاوف . . . أمرتُ ان احدّث بعض اشخاص من ذوي العلم . على انهم لم يسكتوا روعي في شأن خطتي بل زادوا ايضاً في أكداري . الى ان أرسل هنا سيدنا يسوع المسيح الاب دي لاكولومبيار . . . وكان ربي وسيدي ، بعد تكريسي له بشطر من الزمن ، قد وعدني ان يبعث اليّ عبداً له ، يرغب عزّ وجل ان أكشف له ، على حسب الفهم الذي يعطيني ، كلّ ما سلمني من كنوز قلبه واسراره ، لانه يبعثه اليّ كيا يُثبّتني في منهجه ، ويمنّ عليه بنعم عظيمة من قلبه الاقدس ، الذي يعطلها علينا مدراراً في محادثاتنا .

« ولما جاء هنا هذا الرجل البار ، بينا كان يخطب في جماعة الدير ، سمعتُ باطناً هذه الكلمات : « هوذا الذي ارسله اليك . » وقد تحققت الامر في اعترافي الاول له بالازمنة الاربعة (١ . فانه ، والمْ تكن من قبل تراثنا ولا محادثنا ، تبقّاني طويلاً وكلّمني كأنه فهم كلّ ما كان يجري فيّ . على اني لم اشأ هذه المرّة ان ابوح له بشيء . واذ رآني همت بالانصراف سألني هل استنسب ان يعود يواجهني . . . فاجبته اني . . فاعلة ما تأمرني به الطاعة . . . »

« وبعد زمن يسير رجع وبالرغم من تيقّني ان الله يريد ان أكلّمه ، شعرتُ بكره هائل حين آن وقت المواجهة . واول ما بينتُ له هذا الكره . فاجابني معرباً عن سروره لكونه جعل لي فرصةً ان اقدّم ذبيحة لله . واذ ذاك بدون ما مشقّة ولا كلف فتحت له قلبي وكشفت له عن سرائر نفسي خيرها وشرّها . فعزّاني كثيراً مؤكداً لي انه لا بأس عليّ من ان انقاد لذاك الروح ، ولاسيا لانه لا يخرجني عن الطاعة . . . واذ ذكرتُ له شيئاً من ضروب التودد التي يبديها لي الربُّ حبيب نفسي ، قال : انّ لك في هذا كلّه ، ما يدفعك شديداً الى احتقار ذاتك ، ولي ما يحملني على الاعجاب بمراحم الله العظيمة نحوك .

« على انّ الجودة الالهية أبت ان احظى بتعزية واحدة ، ما لم اتكلّف من اجلها اهانات عديدة . وقد جلبت عليّ منها كثيراً المواجهة الموصوفة ، بل اقتضى الامر ان يتحمّل الاب عبئه عناء كبيراً من اجلي ، حيث كانوا يقولون اني اريدُ ان اضلّله بغروري كما اغويتُ غيره . . . على انه لم يمتنع من مواصلتي بعونه طيلة اقامته القصيرة في هذه المدينة كما ودائماً . . . ومع ذلك لم يألُ جهداً في الوضع من قدري وتذليلي . . . » (٢

(للبحث صلة)

---

١) من مراسيم الحق القانوني ان يُعيّن للراهبات في صوم الازمنة الاربعة مرشد للاعتراف ، غير الاعتيادي . فيدعى مرشداً خارق العادة . وبهذه الصفة اتى الطوباوي الى دير الزيارة .

٢) *Vie et Œuvres de la* Bienheureuse Marguerite-Marie Alacoque, *Paris, Poussielgue, tome II. pp.* 345-347.

غرائب الارقام الهندية

بقلم الاب انطون صالحاني اليسوعي

اثبتنا في «المشرق» ، في عدد كانون الثاني من هذه السنة ، مقالة عن غرائب الارقام الهندية راقت في نظر القراء. وقد اطلعنا في المجلة الفرنسية « الطبيعة » La Nature في العدد ٢٨٢٣ على تعليل للغريبة الاولى احببنا ان نزفه الى قرائنا مع اضافة بعض الشروح.

قالت المجلة الفرنسية ، بامضاء المسيو تيبو E. Thibout :

لا نجد في العدد ١٤٢٨٥٧ وفي ثبات ارقامه وترتيبها شيئاً من الغرابة اذا ضربناه بالارقام ٢ او ٣ او ٤ او ٥ او ٦ ، ولا غرابة ان يكون الحاصل ست تسمات اذا ضربناه بالرقم ٧

اذا قسمنا هذا العدد ١٤٢٨٥٧ الى شطرين متساويين: الواحد ١٤٢ والآخر ٨٥٧ وجدنا ان مجموع الرقم الذي هو في اعلى مرتبة في الشطر الواحد مع رقم اعلى مرتبة في الشطر الآخر يساوي ٩ ، وكذلك في ارقام المرتبتين الاخريين :

١ + ٨ = ٩ ٤ + ٥ = ٩ ٢ + ٧ = ٩

فالعدد ١٤٢٨٥٧ هو دور الكسر العشري المساوي للكسر الدارج $\frac{١٤٢٨٥٧}{٩٩٩٩٩٩}$ ومعلوم ان هذا الكسر الدارج يساوي $\frac{١}{٧}$ لانَّ $\frac{١٤٢٨٥٧}{٧}$ | ٩٩٩٩٩٩

فاذا ضربنا ١٤٢٨٥٧ بالرقم ٧ كان الحاصل ٩٩٩٩٩٩ ، وهكذا يُعلَّل الجزء الثاني من الغريبة الاولى .

ثم اذا حولنا الكسر الدارج $\frac{١}{٧}$ الى كسر عشري ، وجدنا ان كلًّا من البواقي الجزئية هو انقص من الرقم ٧ ، واليك العملية :

١	٧
٠,١٤٢٨٥٧	١٤٢٨٥٧ ٠٠٠
١٠	
٣٠	
٢٠	
٦٠	
٤٠	
٥٠	
١٠	
٣٠	
٢٠	
....	

فالباقي الجزئي الاول هو ٣ والثاني ٢ والثالث ٦ والرابع ٤ والخامس ٥ ثم يعود الدور اذا تابعنا القسمة الى ما لا نهاية له. فترى ان كلًّا من البواقي الجزئية هو انقص من ٧ . فاذا حوّلنا الكسور الدارجة $\frac{٢}{٧}$ ؛ $\frac{٣}{٧}$ ؛ $\frac{٤}{٧}$ ؛ $\frac{٥}{٧}$ ؛ $\frac{٦}{٧}$ الى كسور عشرية كان كلٌّ من الاعداد المقسومة ٣٠ ٢٠ ٦٠ ٤٠ ٥٠ مساوياً لاحد المقسومين الجزئيين في القسمة السابقة . ومن ثم لا بد من ان يكون في ارقام الخارج الارقام ذاتها ١٤٢٨٥٢ لكن مختلفة الترتيب :

٢ | ٧	٣ | ٧	٤ | ٧	٥ | ٧	٦ | ٧
٠,٢٨٥٧١٤ ٣٠	٠,٤٢٨٥٧١ ٣٠	٠,٥٧١٤٢٨ ٤٠	٠,٧١٤٢٨٥ ٥٠	٠,٨٥٧١٤٢ ٦٠
٦٠	٣٠	٥٠	١٠	٤٠
٤٠	٦٠	١٠	٣٠	٥٠
٥٠	٤٠	٣٠	٣٠	١٠
١٠	٥٠	٣٠	٦٠	٣٠
٣٠	١٠	٦٠	٤٠	٣٠
٢٠	٣٠	٤٠	٥٠	٦٠
.....	.....	.....	.....	.....

فاذا ضربنا العدد ١٤٢٨٥٧ بالرقم ٢ كان الحاصل ٢٨٥٧١٤ ؛ وان بالرقم ٣ كان الحاصل ٤٢٨٥٧١ ، وان بالرقم ٤ كان الحاصل ٥٧١٤٢٨ ؛ وان بالرقم

٥ كان الحاصل ٧١٤٢٨٥ ؛ وان بالرقم ٦ كان الحاصل ٨٥٧١٤٣ . فارقام الحواصل هي ذاتها لكن مختلفة الترتيب . وهكذا يعلل الجزء الاول من الغرابة الاولى . وليس ثمَّ غرابة بل عملية حسابية بسيطة

وهذا ليس خاصًا بالكسر $\frac{١}{٧}$ ، لكن يجري على كل كسر تتم فيه الشروط ذاتها . مثلًا $\frac{١}{١٧}$ فانّ دور الكسر العشري المساوي لهذا الكسر الدارج هو :

٠,٠٥٨٨٢٣٥٢٩٤١١٧٦٤٧

فاذا قسمنا هذا العدد الى شطرين متساويين احدهما ٠٥٨٨٢٣٥٢ ، والآخر ٩٤١١٧٦٤٧ فان الرقم في اعلى مرتبة في الشطر الواحد مع رقم اعلى مرتبة في الشطر الآخر يجمعان على ٩ ، وهلمّ جرًّا في سائر الارقام بالتتابع كما يلي :

٠ + ٩ = ٩ ٥ + ٤ = ٩ ٨ + ١ = ٩ ٨ + ١ = ٩

٧ + ٢ = ٩ ٦ + ٣ = ٩ ٤ + ٥ = ٩ ٧ + ٢ = ٩

فاذا ضربنا هذا الكسر العشري ٠٥٨٨٢٣٥٢٩٤١١٧٦٤٧ بأحد الارقام من ٢ الى ١٦ كانت ارقام الحواصل هي ذاتها كما في العدد المضروب ، لكنها مختلفة الترتيب . واذا قسمنا كلًّا من هذه الحواصل الى شطرين متساويين كان مجموع كل رقمين متوازيين في المرتبة يساوي ٩ . واذا ضربنا الكسر العشري بالعدد ١٧ كانت ارقام الحاصل كلها تسعات اي ست عشرة تسعة

والكسر الدارج $\frac{١}{١٩}$ يساوي الكسر العشري ٠,٠٥٢٦٣١٥٧٨٩٤٧٣٦٨٤٢١

فاذا قسمنا هذا الكسر العشري شطرين ٠٥٢٦٣١٥٧٨ ثم ٩٤٧٣٦٨٤٢١ ، فان الرقم في اعلى مرتبة في الشطر الواحد مع الرقم في اعلى مرتبة في الشطر الآخر يساوي ٩ ، وكذلك سائر الارقام بالتتابع في كلا الشطرين . فاذا ضربنا هذا الكسر العشري باحد الارقام من ٢ الى ١٨ كانت ارقام الحواصل هي ذاتها كما في العدد المضروب لكن مختلفة الترتيب . واذا قسمنا كلًّا من هذه الحواصل الى شطرين متساويين كان مجموع كل رقمين متوازيين في المرتبة يساوي ٩ ، وان ضربنا الكسر العشري بالعدد ١٩ كان الحاصل مؤلفًا من ١٨ تسعة .

والكسر الدارج $\frac{١}{٢٣}$ يساوي العشري : ٠,٠٤٣٤٧٨٢٦٠٨٦٩٥٦٥٢١٧٣٩١٣

فاذا قسمناهُ شطرين متساويين ٠٤٣٤٧٨٢٦٠٨٦ ثم ٩٥٦٥٢١٧٣٩١٣ نجد فيه ما وجدناه في الامثلة السابقة . فاذا ضربناه باحد الارقام من ٢ الى ٢٢ كانت الارقام في جميع الحواصل هي ذاتها كما في العدد المضروب ، لكن مختلفة الترتيب. واذا قسمنا كلًّا من هذه الحواصل الى شطرين متساويين كان مجموع كل رقمين متوازيين في المرتبة يساوي ٩ واذا ضربنا هذا الكسر العشري بالعدد ٢٣ كانت ارقام الحاصل اثنتين وعشرين تسعة. مثلاً:

٠٤٣٤٧٨٢٦٠٨٦٩٥٦٥٢١٧٣٩١٢
٢
٠٨٦٩٥٦٥٢١٧٣٩١٢٠٤٣٤٧٨٢٦

وايضاً :

٠٤٣٤٧٨٢٦٠٨٦٩٥٦٥٢١٧٣٩١٢
٢
١٢٠٤٣٤٧٨٢٦٠٨٦٩٥٦٥٢١٧٣٩

وهلمَّ جرًّا في ضرب العدد المذكور بالارقام ٤ او ٥ او ٦ الخ الى العدد ٢٢ واذا ضربته بالعدد ٢٣ كانت الارقام في الحاصل اثنتين وعشرين ٩

٠٤٣٤٧٨٢٦٠٨٦٩٥٦٥٢١٧٣٩١٢
٢٣
١٢٠٤٣٤٧٨٢٦٠٨٦٩٥٦٥٢١٧٣٩
٠٨٦٩٥٦٥٢١٧٣٩١٢٠٤٣٤٧٨٢٦
٠٩٩٩٩٩٩٩٩٩٩٩٩٩٩٩٩٩٩٩٩٩

ويمكننا ان نبين هذه الحقيقة ايضاً في الكسر الدارج $\frac{١}{٢٩}$ وفي ما يساويه من الكسر العشري الذي هو ٠,٠٣٤٤٨٢٧٥٨٦٢٠٦٨٩٦٥٥١٧٢٤١٣٧٩٣١

النتيجة هي انه ليس هنا الا عملية حسابية.

واليك الآن بعض عمليات تظهر لك غريبة في نظام الارقام :

١٢٢٤٠٠٠٠٠١٢٢٤ = ١٦٠٤٣ × ٧٦٩٣٣٠٧٧
١٢٢٤٠٠٠٠٠١٢٢٤ = ٥٧٨٣٦٩ × ٢١٢٣٥٨٦
١٢٢٤٠٠٠٠٠١٢٢٤ = ١٦٤١٢٢ × ٧٥١٨٧٩٧
١٢٢٤٠٠٠٠٠١٢٢٤ = ١٧٦٤٦٢ × ٦٩٩٣٠٠٧

واليك عمليات ليست اقلّ غرابةً :

تصحيح غلط : الصفحة ١٨٠ سطر ١ و ٣ ضع ٢٢١ بدل ٢٢١٠ و ٢٥٢ بدل ٢٥٢٠

٥٢٢٠٠٠٥٢٢ × ٢٢١٠ = ١٢٢ ١٢٢ ١٢٢ ١٢٢

١٦٩٠٠٠١٦٩ × ١٢٨٦ = ٢٢٤ ٢٢٤ ٢٢٤ ٢٢٤

٤٨١٠٠٠٤٨١ × ٢٥٢٠ = ٢١٢ ١٢١ ٢١٢ ١٢١

فكيف نعلل هذه الغرائب ؟

خذ عاملين احدهما غريب مثلاً ١٠٠٠٠٠٠٠٠١ وعاملاً آخر مثلاً ١٢٣٤ فمن الواضح اننا اذا ضربنا هذين العاملين كان الحاصل ١٢٣٤٠٠٠٠٠١٢٣٤ فاذا حللنا كلًّا من عاملي هذا الضرب الى عوامل اصغر وجدنا :

١٠٠٠٠٠٠٠٠١ = ٧ × ١١ × ١٣ × ١٩ × ٥٢٥٧٩ ، وان حللنا العامل الثاني ١٢٣٤ الى عوامل اصغر وجدنا ١٢٣٤ = ٢ × ٦١٧ فلدينا سبعة عوامل جزئية يمكننا ان نؤلف منها ٦٣ عملية ضرب يختلف في كل منها عدد العوامل او نوعها لا ترتيبها فقط ، فتعطينا كلها الحاصل ذاته ١٢٣٤٠٠٠٠٠١٢٣٤ مثلاً ٧ × ١١ = ٧٧ فهذا الحاصل هو عامل اول. ثم:

١٣ × ١٩ × ٥٢٥٧٩ × ٢ × ٦١٧ = ١٦٠٢٥٩٧٤٠٤٢

فهذا الحاصل ١٦٠٢٥٩٧٤٠٤٢ هو عامل ثانٍ . فاذا ضربنا هذا العامل الاخير بالعامل ٧٧ كان الحاصل ١٢٣٤٠٠٠٠٠١٢٣٤

واليك مثلاً آخر ١٩ × ١٣ = ٢٤٧ هذا عامل اول لعملية ضرب . اما العامل الثاني فهو ٧ × ١١ × ٥٢٥٧٩ × ٢ × ٦١٧ = ٤٩٩٥٩٥١٤٢٢ فقد ألفنا من سبعة عوامل جزئية عاملين. فاذا ضربنا الواحد بالآخر كان الحاصل

٢٤٧ × ٤٩٩٥٩٥١٤٢٢ = ١٢٣٤٠٠٠٠٠١٢٣٤

ويمكننا ان نركب من العوامل الجزئية المذكورة ثلاثاً وستين عملية ضرب مختلفة العوامل يكون الحاصل فيها كلها هذا العدد ١٢٣٤٠٠٠٠٠١٢٣٤

فلو افترضنا شخصاً غير مطلع على الطريقة التي شرحناها ، ورأى ثلاثاً وستين عملية ضرب مختلفة العوامل تعطي الحاصل ذاته ، استغرب ذلك ؛ وليس ثمَّ ما يُستغرب

الاوائل في اللغة

بقلم سالم خليل رزق

١

الاول ضدّ الآخر . قال في « اقرب الموارد » : « اصلُهُ أوْأَل ، مهموز الاوسط ، قُلبت الهمزة واوًا وأُدغم ؛ يدلّ على ذلك قولهم : هذا اوّل منك . ج. الاوائل والاوالي . وهو اذا جعلته صفة لم تصرفه ، تقول : لقيتـه عامًا اول ، واذا لم تجعله صفة صرفته كقوله : ما رأيت له اولًا ولا آخرًا ، وجاز عام الاول بالتعريف والاضافة ، وتقول : ما رأيته مذ عامٌ اولُ ، ومذ عامٌ اوّلَ . فمن رفع الاول جعلـه صفة لعام ، ومن نَصبه جعلـه كالظرف . واذا قلت : ابدأ بهـذا اوّلُ ، ضممته على الغاية . وتقول : هذا اوّلُ اي بين الاوّلية . وتقول في المؤنث : هي الاولى ج. الأُوَل والأُوَل ، وكذلك لجماعة الرجال من حيث التأنيث . »

وكذلك الأُلُ . وليس هذا من لفظه كقوله :

ينادي الآخر الأُلُ الا حُلّوا الا حُلّوا

والسُرْحة . تقول : هذا سُرْحة الامر (اللسان في مادة سحر)

والواهلة ، والوَهْلة ، والوَهَلَة . يقال : لقيته لاول واهلة .

والقُرْح . قيل لاعرابيّ : كم اتى عليك ؟ قال : انا في قرح الثلاثين . والقُرح ايضًا اول ما يستنبط من البئر حين تحفر .

والحَوْمل ، والسُلافة ، والسُنْبُك . ومنـه : اصابنا سنبك السماء ، اي اوّل غيثها .

والعُنْفوت ، والشباب . تقول : جئتك في شباب النهار . ولقيته في شباب

الشهرة . قال الشاعر :

هذا شباب الثائبات وليته قد كان آخرها لاتم برحة

والشرَط ، والصَدْر . كصدر النهار ، وصدر الصيف ، وصدر النصرانية .

والبُلب . ومنه : انا عباب شرفكم ولُباب سلفكم .

والمِرتين . قال امرؤ القيس :

كأنَّ ثبيرًا في عرانين وبله كبير اناس في بجاد مزمَّل

والعُتق . يقال : مات فلان في عُتق الصيف ، وقد اخذ بعتق الستين .

والقريحة . يقال : اخذت قريحته ، اي اوله وباكورته . وهي ايضاً اول ما يستنبط من البئر . وقيل البئر اول ما تحفر ، ولا تسمى قريحة حتى يظهر ماؤها . والنصاب ، والسكِفة . تقول : جئته في كفة الليل .

والفَوْر ، والفَيْع ، والفَيْعة ، والمقدَّمة ، والحدثان ، والانف . يقال : هذا انف الشدّ ، اي اول العدو . وهذا انف البرد ، اي اوله واشده ، قال امرؤ القيس :

قد غدا يحملني في انفٍ لاحق الاطلين محبوك مُمر

وقال قيس بن الخطيم في امراة :

لا ينثّ الحديث ما نطقت وهو بغيها ذو لذة طرفُ
تحزنه وهو مشتهى حسن وهو اذا ما تكلمت أنُفُ

والأُنُفُ كالانف

والبَدْء والبدي . ومنه قولهم : افعله بادئ بدء ، وبادي بديء ، اي اول كل شيء . والباكورة ، والبِكر . يقال : هذا بكر والديه ، اي اول ولد وُلد لهما . وكذلك الجارية بغير هاء ، وجمعها ابكار . والجذْمور .

وقالوا : القَبَلُ : اول ما يقبل من الشيء . يقال حيَّا الله قبله .

والرَّيق من كل شيء : اوله واصلُهُ : واول الزمان ، ورونق الشباب ، واول الشباب . قال ابو الطيب :

وغضبى من الادلال سكرى من الصبا شفعت اليها من شبابي بريق

وقال عباس محمود العقاد :

لا تلهينكم الجدود ولا المنى ابدًا ولا عيش الزمان الرَّيق

وقال امرؤ القيس :

وترى الشجراء في ريّقها كرؤوس قطّعت فيها المُسُر

والخَيْدَبة : الرأي ، والامر الاول . يقال : اقبل على خيدبتك اي على امرك الاول.

والسَّفْرة : اول الامر ، وجدته . يقال فعلَهُ في سفرة شبابه.

والبِكر: كل فعلة لم يتقدمها مثلها. — ومن النار: التي لم تقتبس من نار.

والرَّيع : اول كل شيء. والرُّيوق افضل كل شيء واوله. ومثله الرَّيق. قال لبيد العامري :

مدحنا لها رَيّق الشباب فعارضتْ جناب الصبى في كاتم السر اعجما

والشَّرْخ : اول الشباب ؛ واول الامر. قال يزيد بن معاوية :

ايا دهر هل شرخ الشبيبة راجع مع الحفرات البيض، ام غير راجع ؟

والنُّلْوان والنُّلُوان: اول الشباب، ونشاطه ، وسرعته. قال معروف الرصافي:

ومن الفخامة هنَّ في غلوانها ومن الشبيبة هنَّ في رَيَعان

وعُنفُوُّ الشباب ، وعُنفوانُه: اوله ، او اول بهجته . قيل العنفوان فنعلان من العفو وهو الصفو ، او فعلوان من العنف ، لان اول الشباب حلة خُرْق وجري على غير رفق ، وكذلك العِنطيان . قال احمد شوقي :

غضة من فتى الشيوخ وروح سرَيا كالشباب في عُنفُوانه

وكذلك غَيْسان الشباب ، وغَيْسانُهُ اي اوله وحدّته وغَمْسُه ، وغِهْبَاه ، وغِهْبَاوُهُ ، وعِهْبَاهُ ، وأُفْتُونه ، وغَيدانُهُ ، وفَوْعَتُهُ ، ومَوْجته ، ومعجته . يقال : فعل ذلك في معجة شبابه ، ومَوْعته ، وعُفاهمه ، وكُشْخره ، وطُمْرَته. ورَوْقُهُ قال المتنبي :

ما دمت من ارب النساء فانما روق الشباب عليك ظل ظائل

وأَطْرُوانُهُ ، وجِنُّهُ ، اي اوله وحدثانه . وقيل جدّته ونشاطه ، يقال : كان ذلك في جنّ شبابه ، وجنّته ، وريعانه ، والريعان من كل شيء اوله وافضله ، يقال : ذهب ريعان السراب وجاء ريعان المطر. وحدثانه ، وعناجيجُهُ ، تقول : ذهب عناجيج الشباب اي اولهُ ، وعنظيانُهُ ، ومَيعهُ ، وذَبْلُهُ ، وحُمَيّاه ، اي سورته ونشاطه ، وبَعْمَهُ ، وعَبْعَبه .

وقالوا : هذا رأس السنة ، اي اول يوم فيها . ومثله رأس الشهر.

وغُراب الشيء وغَرْبُهُ : اوله وحدّته ، وغُرّتُهُ : اوله ومعظمه. وحداثة الامر : اوله وابتداؤه . يقال: اخذ الامر بحداثته . ومثله الحدثان ، وبداوة الامر : اول ما يبدو منه.

وطالعة الابل : اولها . وكذا است الدهر . ويقال ايضاً : كان ذلك على است الدهر اي على قدم الدهر.

وريّق الزمان. وصدر الشيء. ومنه : صدر الكتاب ، اي اوله وعنوانه .

وفُوّهة الابل. تقول : طلعت علينا فُوّهة ابلك.

وعارضات الورْد . ومقدمة الشيء. ومن الابل: اول ما تُنتج وتُلقح .

وقُرْحة الربيع والشتاء . وقراضة الامر : اي طراءته واوله.

وتَرَغَ الامر . يقال : ادرك الامر بتَرَغِهِ.

وفاتحة الشيء : اي اوله الذي يفتح به ما بعده . ومنه فاتحة الكتاب ، سميت بذلك لانه يُفتتح بها القراءة في الصلاة ، ج. فواتح ؛ وسورة الفتح هي الاولى من سوَر القرآن.

وجوْلان الهموم . وقَرن الشمس ، وهو اول ما يبدو منها عند طلوعها . وقيل اول شعاعها.

وعُثنون الريح والمطر وغيرهما. يقال: اصابتنا عثانين المطر ، وعثانين الريح.

وانف المطر وهو اول ما انبت . وتقول : هذا انف عمل فلان ، اي اول ما اخذ فيه . وأنفة الصلاة اي التكبيرة الاولى ، اي ابتداؤها واولها.

ومغارم الليل ، وفُوّهة الشيء ، ومنابك المرتاد : اي اوائل امره . قال الاسود بن يعفر :

ولقد ارجّل لمّتي بشبيهةٍ للشرب قبل منابك المرتاد

وهَوْدَة الامر يقال : خُذِ الامر بَهُودته. وسُلاف الليل.

وجُفاء الناس ، اي سرعانهم واوائلهم ، شبّهوا بجفاء السيل.

وجَنادع الشيء ، ومشاريطُهُ ، وقوابله ، واقاحيه ، ونادياتُهُ ، وتباشيرُهُ ، كتباشير النخل في اول ما يرطب.

وقالوا: خرجوا برياح من الشيّ ، اي باول منها. وفعلهُ بآنفةٍ وآنفاً. وأنِفاً ، اي في اول وقت يقرب منـا . واتيت فلاناً أُنفاً ، كما تقول : آتيه من ذي قُبل . وانمـا الامر أُنفٌ ، اي يُستأنفُ استئنافاً من غير ان يسبق به سابق قضاء وتقدير ، وانما هو على اختيارك ودخولك فيه.

وفلان في هذا الامر جذع ، اذا كان فيه حديثـاً . واذا طفئت حرب بين قوم قال بعضهم : « ان شئتم اعدناها جَذَعة » ، اي اول ما يُبتدأ فيها.

وصوموا الشهر وسيَّره : اي اوله وآخره.

واتيتُهُ غارضاً : اي اول النهار.

ولقيته في رُبى شبابه : اي في اوله.

وهم يخرجون عَنفاً عَنفاً ، وهم يدخلون عُنفواناً : اي اولاً فاولاً.

وهو بِدع بهذا الامر : اي اول ما اتاه لم يسبقه احد اليه . والبدع الامر الذي يكون اولاً.

وعليك بالامر عند سُخنتهِ : اي في اوله قبل ان يبرد.

وخذ الامر بربَّانه وهواديه.

وانا قَرطكم على الحوض : اي اول من ورد الى الماء ليستقي.

واعد عليَّ كلامك من رأس : اي من اول.

واخذه بربَّنه : اي بحدثانه وربّانه قبل ان يفوت.

وجاء في اولية الناس : اي في اولهم.

واعمل كذا اول ذات يدين : اي اول كل شيء تعمله.

ولهذا السحاب نشء حسنٌ وهو اول ظهوره.

ودخلوا في افواه البلد وخرجوا من ارجله : اي في اوائله ومن اواخره.

وجاء سرعان الناس والخيل : اي اوائلهم.

وهذا امر مُستأنَفٌ : اي لم يُسبق اليه ، ومثله الامر الأنف.

وقد دشّن الثوب : اي لبسه لاول مرة. — والمعبد : صلى فيه ، وباركه قبل ان يصلي فيه احد.

والتبأ زيد لبأ عمرو : اي كان اول من ابتكر خبر عمرو. (للبحث صلة)

نوابغ المدرسة المارونية الاولى : ٤

ابراهيم الحاقلي او الحاقلاني (١٥٩٤؟ـ١٦٦٤)

بقلم الخوري بطرس غالب

١

مسقط رأسه — عائلته

حاقل قرية من قرى بلاد جبيل ، موقعها في وادٍ يحيط بها من جهاتها الثلاث ؛ اما من الشرق فهي مستندة الى جبل عالٍ تنبت فيه الاشجار الباسقة اعمدة خضراء تشبه اعمدة حنيّة معبد تقوم حاقل في وسطها كانها الهيكل.

تعلو هذه القرية سطح البحر نحوًا من ٧٥٠ مترًا . واقرب القرى اليها بجة وبينهما مسير ساعة الى الشمال الغربي ، ثم ميفوق حيث الدير التاريخي الذي سكنه ردحاً من الزمان بعض بطاركة الطائفة المارونية ، وهو على مسير ساعة ونصف الساعة منها الى الشمال الشرقي . اما لحفد ، موطن الاسقف المؤرخ واللاهوتي الشهير جبرائيل ابن القلاعي ، فلا يبلغها القاصد اليها من حاقل الّا بعد مسير ساعة وثلاثة ارباع الساعة الى الشرق . وعلى مسافة ساعة ونصف الساعة قرية عبادات الواقعة في غربي حاقل.

تربة حاقل جيدة غير ان المساحة الصالحة للزراعة ضيقة.معظم حاصلاتها من الحرير ، والزيتون ، والحنطة ، والخضروات المتوفرة فيها بسبب المياه الغزيرة التي تجري من ينبوعها.

مناخ حاقل جيدٌ ايضاً ، وهواؤها بليل قلّ ان يفشو فيها مرض وبائي ، ولذا يعتمر اهلها طويلًا . وعدد نسمات اليوم لا يقلّ عن الخمسمائة ؛ والمقصود السكان المقيمون في بلدتهم ، اما المهاجرون فعددهم وافر.

الى هذه القرية تنتسب عائلة علّامتنا الحاقلي — ويدعوه بعضهم الحاقلاني—

الشهير ، الممتاز بين انسبائه الذين خلّفوا ذكراً طيباً في تاريخ لبنان والطائفة المارونية

وقد جاء في اوراق قديمة ان عائلة الحاقلانيين او الحواقلة فرع من عائلة بيت ابي حبيب التي اختلف البحاثون في اصلها ، فمنهم من قال انها من العاقورة ومنهم من زعم انها اتت من غلبون . وعلى كلٍّ فان فرعاً من هذه العائلة توطّن بيت شباب حيث احتفظ باسم الاصل الجامع ابي حبيب ، وقطن فرع آخر زوق مصبح في ايام الامير منصور العساف ، فنال افرادهم شهرة واسعة في العلم والنفوذ لدى حكّام لبنان ، فجعلوهم مشايخ لحسن خدمتهم .

وقد كثر عددهم في الزوق فاصبح فوارسهم اربعين من الرماحة . ووقف بعضهم اوقافاً على الرهبان العبّاد اولاً ، ثم سلّموها الى الرهبانية اللبنانية المارونية ، بعد ان انتظمت امورها ونالت تثبيت الطيب الذكر والاثر ، البطريرك اسطفانوس الدويهي الذائع الصيت . منها وقفهم دير سيدة اللويزة المُنشأ سنة ١٦٨٢ الذي ما عتموا ان سلّموه الى الرهبانية البلدية في سنة ١٧٠٧ ، ووقفهم دير مار يوسف البرج الذي سلّمه الشدياق شاهين الحاقلاني الى الرهبانية نفسها في سنة ١٧٤٦ ، ووقف غيرهما ممتلكاتهم باسرها للرهبانية المذكورة واعتنوا بعمار كنيسة الوردية في زوق مصبح .

نزح قسم منهم الى أرده قرب طرابلس وهم الشيخ لويس ابن غالب واخواه ، وعُرفوا فيها ببيت الحاقلاني . وتوفي الشيخ نوفل الحاقلاني سنة ١٨١٩ عن ولد جاءت به امه الى غزير ، فتزوج فيها ومات بدون عقب . فانقرضت به العائلة الحاقلية في كسروان

وقد حفظ التاريخ اسماء بعض المعروفين من هذه العائلة الكريمة وهم :

القس يعقوب ابن حويص الحاقلاني ، سامه المطران داود ، وكيل دير قنوبين ، اسقفاً سنة ١٥٧٧ ، دون ان يسبق فيلم البطريرك مخائيل الرزي ، وكان المطران داود قد انتقض على رئيسه . فكتب المطران يعقوب المذكور سيرة القديس شليطا سنة ١٥٦٣ في وادي حدشيت .

يوسف الحاقلي ، نسخ كتاب « ايضاح الامانة » في قرية بان التابعة جبة بشري

القس يمين ابن سالم الحاقلاني ، كتب في قبرس مصحفاً يحتوي ٣١ نافورة لقداس الموارنة

سنة ١٥٣٥ .

الشماس يوسف الغريب الحاقلاني ، نسخ المقالات العشر لتوما الكنفرطاني سنة ١٦٠٣

الشماس عيسى واخوه ، ولدا الخوري يوسف الحاقلي ، نسخا هذه المقالات نفسها في ايام الدويهي

الخوري جرجس بن عبدالله الحاقلاني ، تلميذ المدرسة الرومانية ، سنة ١٦٣٦ ومعلم اللاهوت الادبي فيها ، درس عليه هذا العلم عبد الغال اخيجيان الذي صار فيما بعد بطريركاً على السريان الكاثوليك . ثم عاد الى بلاده فرسمه البطريرك يوسف العاقوري قسيساً وارسله الى رومية لقضاء مصالح الطائفة ، وبعد رجوعه سلمت اليه خدمة موارنة القدس فجرى له خصومات مع الفرنسيسكان ، وقضى اجله سنة ١٦٦٩ . وقد ذكره القس الياس عويضه في زجليته عن تلاميذ المدرسة المارونية

الشدياق سليمان الحاقلاني تلميذ مدرسة رومية ، لم نعرف عنه شيئاً

الشيخ شاهين الحاقلاني الذي عاش بتولاً ، وسلّم دير مار يوسف البرج الى الرهبانية اللبنانية في سنة ١٧٤٦

الخوري رزق الله الحاقلاني ، خادم زوق مصبح في عهد البطريرك يوسف ضرغام الخازن ، ترى توقيعه على اعمال المجمع اللبناني المنعقد سنة ١٧٣٦

الشيخ سلهب الحاقلاني ، انشأ دير سيدة اللويزة سنة ١٦٨٢ ، وخصصه اولاً بالرهبان العباد ، وترهّب فيه ودعي باسم اغناطيوس ، ثم سلّمه سنة ١٧٠٧ الى الرهبان اللبنانيين وانضم اليهم . مات سنة ١٧١٤ وله من العمر ثمانون سنة

جرجس حبيب الحاقلاني ، مسجّل بطريركي ورد ذكره في اعمال المجمع اللبناني

الخوري ابراهيم الحاقلاني ، ورد ذكره سنة ١٨٣٥

الحبيس الاخ هارون الحاقلاني ، توفي سنة ١٧٥٦ في محبسة قزحيا براعة القداسة

الاب يواكيم الحاقلاني ، الذي انتخب رئيساً عاماً على الرهبان اللبنانيين سنة ١٧٤٤

واخيراً المطران رافائيل الحاقلاني ، مطران دمشق ، ولد سنة ١٧١٦ في زوق مصبح ولبس الاسكيم الرهباني في دير مار الياس شويا في ١٤ تموز سنة ١٧٤٠ ، ورقي الى اسقفية دمشق سنة ١٧٥٥ ، وعهد اليه امر تدبير راهبات بكتا اللبنانيات بعد وفاة المطران يواخاف الدبي البكتاوي سنة ١٧٦٩ . وانتقل الى رحمته تعالى سنة ١٧٨٠

واشهر الجميع ابراهيم الحاقلي الذائع الصيت ، الذي ولد في قرية حاقل واليها انتسب . والمرجّح انه ابصر النور في اواخر القرن السادس عشر . على انني رغم البحث الجدّي المتواصل ، لم اتمكن من معرفة سنة ميلاده بالحصر بل استنتجت من قول البطريرك العلامة الدويهي الذي روى ان الحاقلي مات سنة ١٦٦٤ طاعناً في السن ، ان علامتنا فات السبعين سنة والّا لما صحت عنه عبارة الدويهي

٢

دروسه ومؤلفاته الاولى

وما طال امر الشاب ابراهيم حتى بانت عليه ملامح الذكاء والاجتهاد ، فارسله رؤساؤه الى المدرسة المارونية في رومية المنشأة حديثاً ، التي ما كان يُرسَل اليها الّا من تُوسم فيهم الخير والفائدة للطائفة . وأرجح انه سافر الى المدينة الابدية سنة ١٦٠٩ مع القس جرجس مارون الذي سيم اسقفاً على قبرس سنة ١٦١٤ ، ويوسف الكرمداني ، والقس الياس الدويهي ، الذي سيم اسقفاً على حلب سنة ١٦٣٨ . فانصبّ على العلم وعكف على التقوى وامتاز بعقله الثاقب ؛ ونال لقب استاذ في الفلسفة واللاهوت . فلحظ رؤساؤه صفاته هذه ، فنشطوه بطرق شتى ليزين نفسه بالفضيلة والجد . ولشدّة ثقتهم به شهدوا فيه الشهادات الحسنة ، وخصوصاً رئيس المدرسة الاب فابيوس برونو ، رفيق الاب ايروتيموس دنديني في قصادته الى الموارنة . وقد عهد اليه فحص الشحيم قبل طبعه في روميه سنة ١٦٢٢ ، تحت مناظرة الطرباوي الكردينال بلرمينوس اليسوعي . وألحّ عليه السيد فرنسيس إنغولي ، امين سر مجمع نشر الايمان مع رئيس المدرسة المارّ ذكره ، بان يضع مختصراً للقراماطيق السرياني سهل المنال موجز العبارة ، ففعل . والقصد من ذلك كان منفعة الدارسين لان التأليف الذي كان قد صنفه البطريرك العلامة جرجس عميرة انحصرت فائدته بالمشرقيين ، لانه وضع باللاتينية مطوّلاً مُبرهناً . والكتاب مقدّم للكردينال أكتافيوس بانديني ، محامي الطائفة المارونية ، إقراراً بجميله عليها وعلى المدرسة . وقد ذكر المؤلف في تمهيده انه استنجد بقراماطيق البطريرك عميره ، على انه لانهماكه بدرس الفلسفة اضطر الى الايجاز اكثر مما يلزم وكان اذ ذاك شاباً ، وسترى انه لم يتعدّ هذه الدرجة لاسباب نجهلها

ولمّا انجز تأليفه سلّمه الى الرؤساء ليأذنوا بطبعه ، فكان من جملة المراقبين المطران سركيس الرزي ، مطران دمشق ، رئيس لجنة تصحيح ترجمة الكتاب المقدس في رومية ؛ فاجازه الفاحصون وقرظه المطران الرزّي قال: «وجدت ان «هذا الكتاب» كثير المنفعة لاولاد طائفتنا وغيرهم الطالبين الدخول في علم

الغراماطيق واللغة السريانية . ولذلك نرغب من سائر طائفتنا وشعبنا الموارنة المباركين وسائر اخوتنا المسيحيين الذين عندهم يصل هذا الكتاب انهم يقتبلونه في حرص ويجتهدون على انتفاع بنيهم واولادهم العزاز من هذا الكتاب الذي صار لاجل منفعتهم وارشادهم في طريق العلم وافتهام كتب البيعة المقدسة ... وتم ذلك في تاريخ سنة ١٦٢٧.» واما ابراهيم الحاقلي فانه أودع مقدمته بعض ابيات سريانية فيها نصائح مفيدة لدارسي هذه اللغة.

ويبين لك قدر الحاقلي في ذلك الوقت ما قاله فيه المطران يوحنا الحصروني الدومنيكاني في شعر نظمه مدحاً لملّامتنا وهاك ترجمته من السريانية :

« اشكر الله الذي عزّانا نحن الموارنة وقوّانا بالتعاليم المسيحية ، واللغات المختلفة والغراماطيق ، والمنطق ، والرياضيات والفلسفة ، واللاهوت ، التي زينك بها يا ابني ابراهيم الحاقلي . فليرفع الله شأنك في أمتنا وطائفتنا المارونيتين كما رفع شأن ابن القلاعي ابن طائفتك ، فتصير ينبوع ماء الحياة ، بواسطة عملك ، للعقول وللنفوس المفتداة بدم ابن الله سيدنا يسوع المسيح في هذا العالم.»

ثم جدّد بالطبع ، في السنة ذاتها ، وفي مطبعة نشر الايمان المقدس ، التعليم المسيحي الذي كان قد ألفه الطوباوي بلرمينوس وترجمه المطران يوحنا الحصروني مطران طرابلس . وما لبث ان نشر ايضاً في المطبعة ذاتها خلاصة مبادئ اللغة العربية موضوعة في اللاتينية (١٦٢٨)

٣

الامير فخر الدين المعني وتلاميذ المدرسة المارونية الرومانية

وبينا كان ابراهيم الحاقلاني يهتم بتأليف الكتب وترجمتها ، كان الحبر الاعظم يسعى لتتميم الخطط التي كان اسلافه قد استحسنوها وهي ان يجعلوا الامير فخر الدين حليفاً للدول النصرانية الاوربية ، ولاسيما اسبانية وايطالية ، ليجتذبوه الى الدين المسيحي ويؤيدوه في حكمه وامارته على لبنان ، ويستعينوا به على تخليص الاراضي المقدسة ، وتأمين زوّارها من الظلم والحبس والبلص.

واصل هذه المساعي يرتقي الى عهد كان الامير فخر الدين في فلورنسة ، منهزماً من امام السلطنة العثمانية ، فقضى فيها وفي جوارها خمس سنوات مجتهداً

في اكتساب صداقة الحبر الاعظم ، ذي السلطة الادبية العالية في الدول المسيحية ، وغراندوق توسكانا صاحب السفن الحربية التجارية المديدة. ثم ان عائلة بربريني الفلورنسية الاصل كانت تطمع في تأسيس امارة في فلسطين يولى عليها احد افرادها . وغراندوق توسكانا يبغي ان يحالف اميراً بلاده غنية بالحبوب والحرير لا يكاد يكون لمركزها التجاري مثيل.

اما تلاميذ المدرسة المارونية ، والخازنيون مستشارو الامير ، فكانوا ينظرون بعين الارتياح الى تحسُّن العلائق بين الامير والباباوية والممالك المسيحية ، ويتمنون توطيدها معلّلين النفس باعتناق الامير الدين المسيحي ، وتأسيس حكومة لبنانية وطنية مستقلة يتخلصون بفضلها من مظالم الاتراك.

وقد كتب البابا بولس الخامس الى البطريرك يوحنا مخلوف (١٦١٠) يوصيه بان يعنى بكسب صداقة فخر الدين ، حتى يكون اوفر امناً في حمايته ، عساه يرتد الى النصرانية قال : « بما اننا سمعنا ان الامير فخر الدين امير الدروز في فلسطين ، رجل متفوّق بجيوشه وبأسه ، وانه عدو لدود للاتراك وانه يظهر ميلاً الى النصارى ويشملهم بعطفه الممتاز ، ويقرّ انه سليل الامراء قادة الحملة الصليبية على اورشليم فاننا فرحنا بذلك كثيراً . ولذا نرغب ان تحافظوا على صداقته حتى تكونوا اوفر أمناً في حمايته لكم لعلّ كره الاتراك له وصداقتكم له يحملانه على الكفر بمذهبه والاهتداء الى الايمان »

ويخيل اليّ ان كتابة المطران يوحنا بن قرياقوس الحصروني الى الامير فخر الدين تدلّ على هذه الآمال التي كان الامير يحييها بما كان يبدو منه من حسن الاستعداد نحو النصارى الذين نجوه من ايدي اعدائه واليك نصّ هذه الكتابة :

« سلام الله الحيّ القدوس محيي الاجساد والنفوس وسيدها الى قراءتها باحسن الطقوس نخص به حضرة سيدنا واميرنا وفرح قلوبنا وسرور طائفتنا المارونية الجليل القدر الامير فخر الدين المكرم والذي يعرضه على شريف علمكم عبدكم المعروف بخدمتكم المطران حنا الحصروني كاتب هذه العبودية فهو ان قريب جايبيكم بمكاتيب كاتبتكم مصطفى بن حسن شلي مع اخبار عدة وان شاء الله تكونوا منصورين على اعدائكم والعاقبة للخير بمونة ينبوع المونة الالهية سيدنا ومهدينا وصانع خلاصنا يسوع المسيح وشفاعة والدته العذراء مريم الدائمة بتوليتها التي لا صار قبلها ولا بعدها اية تشابهها باهمال الله الواحد . هذا الذي نسأله متضرعين الى مراحمه الجزيلة يجعلكم باصل ويصيركم (اميراً مسيحياً) بطاعة البابا مؤيّداً بالعزّ والنصر

الالهي بالمذهب المسيحي الـذي هو وحده مذهب الحق والنجـاة المنزل من السماء بواسطة الكلمة الازلية سيدنا يسوع المسيح لخلاص الراغبين الخلاص بالايمان المذكور.....» اه

وكان الامير فخرالدين يؤمل غراندوق توسكانا بما يطمع اليه ، ويتحبب الى تلاميذ المدرسة المارونية الذين خدموه اصدق خدمة . ولذلك طلب ، يوم كان في ايطالية ، من الحبر الاعظم ان يرسل بعضاً من هؤلاء التلاميذ الموجودين في رومية مع بعض اخصائه ليشدّدوا عزم مريديه في لبنان ويقفوا عن كثب على احوالـه . واستعان الامير بالغراندوق ليكتب للبابا طالباً منه ان يوصي الموارنة بان ينقادوا لفخر الدين ويؤيدوه ، ففعل الغراندوق بطيبة خاطر.

وقد توفق فخرالدين باقناع الغراندوق بملاءمة مقاصده ، واستمال البلاط الروماني . وراق الفكر لفرنشيسكو بربريني ، كردينال الكنيسة الرومانية المستشرق المعروف الطامـح بابصاره الى الاراضي المقدسة الساعي جدّ السعي للتوفيق بين الـدول النصرانية في اوربـة وتوحيد كلمة الامراء الايطاليين واستمالتهم الى الانقياد للحبر الاعظم ، ليجعلوه الحكَم الاعلى فيما بينهم.

اما المطران جرجس مارون الاهدني مطران قبرس ، فقد نجح في وضع مشروع معاهدة بين غراندوق توسكانا والامير فخر الدين ، غايتهـا امتلاك سورية ، وتوطيد ولاية فخر الدين على البلاد اللبنانية باسرها ، واعطاء قبرس للغراندوق وتسليم امارة القدس المنوي انشاؤها الى احد افراد عائلة بربريني. وكان لمشروع المعاهدة نسخة بين الوثائق التي كان قد جمعها شهيد الوطن الشيخ فيليب الخازن وأيناها عنده ولم نتوفق حتى اليوم الى ايجادها.

وقبل ذلك بمدة ، كان قـد أرسل المطران جرجس المذكور ، والمعلم منصور شلق العـاقوري مؤسس مدرسة راوتا يصحبهما المهندس العسكري نيكولتي من ترني ، لتفقد احوال لبنـان ودرس موارده بالرجال والغلات ، والتحقق مما كان يرويه فخر الدين الطالب ارسال حملة قوية تتجده للتغلب نهائياً على الدولة العثمانية. ولم يفوّض اليهم الّا بحث شؤون البـلاد ومقدرتها المعنوية والمادية ، وما يُرجى الحصول عليه فيها ، وما هي القوّات التي يمكن الاعتماد عليها . وقد أوصوا بان يقنعوا فخر الدين بارسال معتمد الى رومية للمفاوضة.

امـا احوال ايطالية فكانت قلقة لاختلاف امرائهـا ، وخصوصاً عائلتي الغراندوق وبربيني . وقد أوعز الى الموفدين ان يحافظوا على حسن العلاقات مع الامير ، ويسعوا لتحسين التجارة بين البلدين . واما مشروع المعاهدة فلم تتم الموافقة عليه ، لان غراندوق توسكانا لم يرضَ بان يناصر عائلة بربيني ، كما انه استصعب الحملة على سورية البعيـدة عن امارته . اما فخر الدين فكان يلح بذلك ليغتنم فرصة انهماك الدولة العثمانية بحربها مع العجم ، على انه لم يتوفق .

ولما رأى الكردينال بربيني انه لن ينجح باقناع فردينان الثاني ، اخـذ يسعى وحده لجعل علاقات تجارية مع الامير فخر الدين . فحمل البـابا على ان يوجه الى الامير (١٦٢٨) كتاباً يثني فيه عليه ويسأله ان يشمل النصارى بعطفه كسابق عادته .

ولم تكن الدولـة الفرنسية لتنظر بعين الرضى الى جميـع هذه المخابرات والمساعي الرامية الى تقليل نفوذها في الشرق ، بل اخـذ وزراء الخارجية فيها يعاكسون تلك السياسة ليحتفظوا بسيطرة حكومتهم ، فعزّزوا الارساليـات الفرنسية ما امكن ، وعمدوا هم ايضاً الى تلاميذ المدرسة المارونيـة لترويج افكارهم ، فدعوا البارعين فيهم الى تدريس اللغات الشرقية في جامعة فرنسة (*Collège de France*) واجروا عليهم المرتبات ، وكلّفوهم ترجمة الكتب الى غير ذلك .

ومن المعلوم ان الدولة العثمانيـة كانت منعت تجـارة الحبوب بين سورية والبلاد النصرانية ، وكان الايطاليون يرغبون خاصةً في استيراد القمح الحوراني الصالح لاصطناع المعجون الايطالي المعروف بالمكروني ، فاتفقوا مع الامير فخر الدين على استيراد الحبوب من سورية . ولم يكن الامير ليحفل بمنع الدولة بل كان يرسل من الحبوب ما يتيسر له بيعه في ايطالية . وهكذا كانت المصلحة المشتركة العامل الاكبر على التجارة ، وقد أرسل البارون ده لاغرا ، نديم كفيلة الدوقية ، لاجل هذه الغاية وسُمي الفارس ده ڤرازّانو قنصلاً ليسهر على المصالح التجارية ، وكان عالماً باللغة العربية وله المام بعادات البلاد .

(للمقال صلة)

التنقيب وعجائبهم

بقلم الامير موريس شهاب
امين دار الآثار اللبنانية

٣٠

من آثار بيبلوس (تابع)

كان الفرعون امنحيت الثالث معاصراً لملك بيبلوس ابي شيمو ، فاهدى اليه إناء ثميناً من الاوبسيديين[1] مرصعاً بالذهب ، أنيق المظهر ، حُفر عليه خاتم الفرعون (الرسم ٦) . وهذا الاناء ادقّ شغلاً واكبر من سائر الآنية من نوعه التي وجدت في قبور اميرات دهشور ، وحُفظت في متحف القاهرة . اما مصدر مادّة الاوبسيديين المصنوعة منها هذه الآنية فهو دون شك بلاد النوبة التي اكتسحها فراعنة الدولة الثانية عشرة ، قُبيل ذاك الزمن .

بقي علينا ان نعرف اسم المالك المدفون في هذا الضريح الفخم . فاندخل في رواق قديم حُفر في الجلمود ليصل القبر المذكور بقبر آخر على شكله . ولننقب فلا نشاهد اثراً لناووس حجري ، بل جلّ ما نقف عليه بعض رقائق من المينا سقطت عن اطراف تابوت من الخشب فعل به الزمان فتهافت ، ثم نجد عقداً من الذهب نقش عليه ، كما نقش على العقد الموجود في القبر الاول ، باز باسط الجناحين ، نجد ايضاً حليين من الذهب صوّرت عليهما تماثيل مختلفة بالحجارة الكريمة والمينا ، فشهدت بما لصانعها من حذق وبراعة في فنه ، اذ آلف بين الاحجار المتعدّدة الالوان من جَمشت ، وياقوت ، وجَمّادي ، ولازَوَرْد (الرسم ٢) . ونرى

---

١) الاوبسيديين : مادّة معدنية بركانية الاصل تظهر كانها زجاج طبيعي ، وهي نادرة الوجود

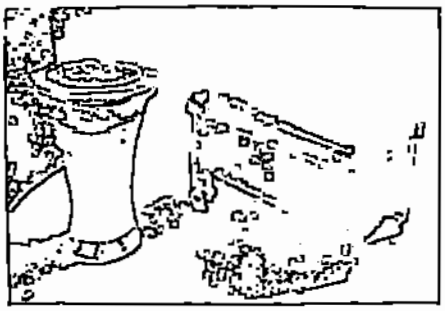

الرسم ٣ — الرسم ١

علبة الاوبيديين — اناء الاوبيديين

من آثار بيبلوس (متحف بيروت)

الرسم ٢

حلي من الذهب مرصع بالجواهر الكريمة

(من آثار بيبلوس – متحف بيروت)

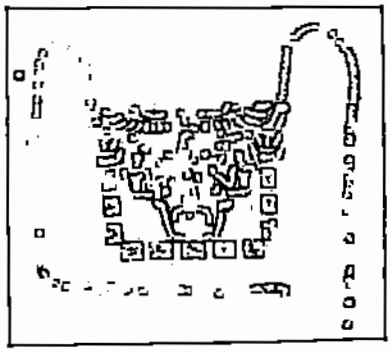

الرسم ٤

عقد من ذهب

من آثار بيبلوس (متحف بيروت)

على احد هذين الحليين اسم الملك إيب شيمو أبي مقرّلاً بالصور الهيروغليفية المذهبة داخل خاتم مذهب ايضاً.

وفي الضريح نفسه ظهر الى جانب مقرّ الجثة الملكية صولجان من البرونز بقبضة من الذهب ، صوّر عليه من الجهتين افعى من الذهب ، وقد حُفر في جسم الافعى من جهة اسم الملك المذكور إيب شيمو أبي ، ومن الجهة الثانية اسم والده ابي شيمو ، كل ذلك بالحروف الهيروغليفية .

فاين قبر هذا الوالد ؟ وهل يجب علينا ان نفتش عن ضريحه بعيداً عن ذاك المكان ؟ أوَليس الرواق الواصل بين القبرين معناه ان الابن البارّ لما بنى ضريحه اراد ان يشرك والده ابي شيمو بما سيقدّم لروحه من التقدمات ومظاهر الاحترام ؛ فجعل مقرّه الاخير قريباً من مقرّ ابيه ؟ هذا ما نراه . . . ويؤيده اكتشاف علبة صغيرة من الاوبسيديين المرصّع بالذهب على طريقة الاناء المذكور اعلاه ، حُفر عليها اسم الفرعون امنحيت الرابع ، خليفة امنحيت الثالث الذي اهدى ذاك الاناء المذكور . اما هذه العلبة فهيئتها معروفة في مصر لكثرة ما صُورت في النقوش والرسوم . على انها اكتشفت في بيبلوس قطعة مستقلة ، وهو الاكتشاف الاول من نوعه . وعليه فان هذه العلبة في هيئتها ومادتها تكوّن احدى مفاخر متحفنا الوطني (الرسم ٣) .

اما القبر الثالث فظهر فيه صولجان من البرونز ، وعقد من الذهب عليه اليازي المعروف باسطاً جناحيه ؛ على انه ادقّ صنعاً منه في القبرين السابقين (الرسم ٤) ، واسطوانة صغيرة مموّهة بالذهب ، وبعض قطع خزفية ثم عدة ادوات صغيرة من البرونز تشبه ما اخرج من الضريحين الآخرين .

استقلال بيبلوس

ان ظهور اسماء ملوك بيبلوس على الآثار المختلفة من السنة ٢٠٠٠ ق.م. ، مع ذكر تقدمة الهدايا الفرعونية لهؤلاء الملوك ولا للهيكل ، يدلّ على انه ، بعد النازلة الكبرى التي ذهبت بالامبراطورية المصرية القديمة ، توصلت مملكة بيبلوس الى ان تستقلّ نوعاً عن السلطة المصرية ، وظهر فيها أسرة مالكة وطنية .

وفضلاً عن ذلك فـان العلاقات الودية التي ربطت القطر المصري ببيلوس في هذا العهد تظهر كلها موافقة للطريقة السياسية التي عرف بها فراعنة الدولة الثانيـة عشرة من انصرافهم عن الاكتساحات الخارجية الى الاهتمام ، كل الاهتمام ، بالسياسة الداخلية لتقرير الامن وقمع الثورات الوطنية . على ان هذا لم يمنعهم ان يحفظوا مع الشعوب الاسيوية علاقات ودية لم تكن لتقل متانة عن علاقات التابع بمتبوعه ، بل بالعكس .

ومما عزز هذه العلاقات الودية تأثير المدنية المصرية في شعوب الشرق كافة ، وكانت تلك المدنية قـد وصلت في هذا العصر الى ارقى درجات ازدهارها ، فبلغت اقصى مناطق انتشارها ، حتى ان احد امراء مصر اللاجئين الى فينيقية ، يذكر انه كثيراً ما كان يسمع اهالي هذه البلاد يتكلمون لغته المصرية . ومهما يكن من صحة هذا القول فان لدينا البراهين القاطعة على ان الخط الهيروغليفي ، على الاقل ، كان يستعمل كثيراً في بلاط بيبلوس .

عصور الاضطراب في مصر ، ومصير بيبلوس

على ان عصر الازدهار هذا لم يكن في بيبلوس اطول منه في مصر . فلم يتجاوز في البلدين الثلاثة الى الاربعة قرون .

وفعلاً فانه في اواخر القرن السابع عشر ق . م . هجمت على مصر الشعوب الاسيوية المعروفة باسم الرعاة او الهيكسوس فاكتسحتها . وفي هذا العصر ، صار يوسف بن يعقوب وزيراً لاحد الفراعنة من هؤلاء الهيكسوس . وكانت سياسة هؤلاء الملوك ان يسهلوا انتقال الاسيويين لوادي النيل واقامتهم في تلك الاراضي الخصبة ، ليضعفوا العنصر المصري القح الـذي لم يكونوا ليميتوا بسهولة وطنيته الحية . ولم يكن وصول اخوة يوسف الى مصر سوى مظهر من مظاهر هذه السياسة .

اما اصل هؤلاء الملوك الجدد فكان مشتركاً بين مشهوري الشعوب الاسيوية ، فكان منهم الكنعانيون والآراميون وحتى الحثيون .

على ان ما يهمنا خصوصاً هو مصير بيبلوس في هذه العصور المضطربة . فهل

اصبح اهلها من حلفاء الاسيويين المكتسحين ؟ ام ظلوا على الامانة للمصريين المضطهَدين ؟ ليس لدينا من الآثار ما يدلّ على شيء من ذلك.

ومهما يكن من الامر فاننا نعلم انه عندما انتصر فراعنة الدولتين السابعة عشرة والثامنة عشرة على ملوك الهيكسوس ، وطردوا الاسيويين من وادي النيل ، واكتسحوا البلاد السورية حتى نواحي الفرات ، كانت بيبلوس تحارب الى جنبهم ، فاعارتهم مراكبها ، واعدت لهم مرفأها يترل فيه المصريون الذخائر والاسلحة المعدّة لجيوشهم الغازية .

ومن ثم عادت العلاقات الودية بين بيبلوس ومصر الى وثوقها في العصور السالفة . حتى انه بينا كانت جميع بلاد سورية الشمالية ، واكثر مدن فنيقية تتحد ظاهرًا او خفيةً مع الحثيين ، كان ملك بيبلوس ريب عدّي يكتب الى فرعون مصر :

« على اقدام مولاي انطرح سبع مرات وسبع مرات ... ليسرع مولاي بارسال الجيوش .. وان لم يسرع مولاي الملك بارسال الجيوش اصبحنا من الاموات وسقطت مدينة جِبَل في ايدي الاعداء ... وان الاعداء يقولون ان اخذنا مدينة جِبَل اصبحنا اقوياء ..»

اما الفرعون امينوفيس الرابع ، حو توت عنخ امون ، فقد اصمّ اذنيه عن نداء ريب عدّي المملوء بعواطف الرعب من الحثيين ، والاخلاص الاعمى للمصريين. وما ذاك الّا لان امينوفيس كان منهمكاً بتأسيس عبادة الاله - الشمس ، اله العالم الوحيد ، انهماكاً ولّد الاضطراب في داخل مملكته ، واضاع من يده جميع المستعمرات المصرية في الخارج ، فاستولى الحثيّون على جميع المدن السورية والفنيقية.

وما رقي توت عنخ أمون العرش حتى اعاد الى مصر عبادتها القديمة ووطّد الامان في انحاء مملكته . وقد تبعه في سياسته هذه سيتي الاول ثم رعمسيس الثاني الذي ولي الملك من سنة ١٣٠٠ الى ١٢٣٤ ق. م. ، ثم تجاوزاه ، ولاسيما هذا الاخير ، الى اعادة المستعمرات المصرية القديمة. فابحر رعمسيس الثاني دائرًا حول الشطوط ، ونزل في نهر الكلب حيث ترك على صخوره الاثر المعروف محفورًا باسمه . وهذا الاثر اقدم الآثار الموجودة من نوعه في نهر الكلب.

اما في بيبلوس فاهتم رعمسيس الثاني باعادة بناء الهيكل . وقد كشفت الحفريات ، السنة الماضية ، عن باب هذا الهيكل . ولنا الرجاء ان نعرضه قريباً في متحفنا الوطني ، حيث نُقلت اقسامه . ويظهر على جهته رعمسيس الثاني ممثلاً تحت خاتمه .

اقدم كتابة بالحروف الابجدية

والى هذا العصر يرقى أثر ذو اهمية كونية . وذلك ان السيد مونتيه ، بينا كان يتابع حفرياته ، كشف بئراً تتصل بضريح خامس وقد حُفر على احدى جهاتها : « اعلم أن هلاكك تحت هذا المكان ! » ولكن على الرغم من هذا التهديد ، فُتشت البئر ، فوجد في قعرها بعض قطع لاناء من حجر الشطوط نُقش عليها اسم رعمسيس الثاني . ووجد ايضاً قطعة عاج صُوّر فيها ثور يعارك اسداً وتنيناً .

فتبادر الى الذهن انه قد يكون هذا الضريح لملك يعاصر الفرعون المذكور . وما هو ان فتح القبر حتى ظهر فيه ثلاثة تواويس غطت احدها النقوش والرسوم المختلفة .

اما هذه النقوش فتمثل اهيا الملك أخيرام وقد جلس على عرش تحفّ به تماثيل ابي الهول ، وبسطت امامه مائدة عليها انواع الطعام المختلفة . ووقف بين يديه بأتضاع ابنه رافعاً بيده المذبة . ووراءه سلسلة من كبار الامراء يرفعون ايديهم عربوناً لخضوعهم ويقدّمون ما اتوا به من الهدايا . ومُثل على جهتي التاووس الصُغريين ثماني نوادب شققن الجيوب واخذن بنوع من الرقص المأتمي .

مُثل الملك بحجمه الطبيعي يحيط به اسدان جعل رأساهما الكبيران ممسكين لغطاء التاووس . واستند التاووس نفسه الى اربعة من الاسود ايضاً .

وهنا لا يسعنا الّا السؤال : ما هي ميزة هذا الفنّ ؟ انه تقليد للفن المصري دون شك ! ولكن ما ابعدنا عن فنّ ما رأيناه قبلاً من العقود والحلي والذي لم يكن سوى نسخ لفنّ المصريين ! نرى هنا الفن الفنيقي ، وقد تخلّص من التأثير المصري ، فاتجه الى شخصية ستزايد شيئاً فشيئاً حتى تجعله فناً قائماً بنفسه ،

مستقلاً عن غيره كل الاستقلال . وما هو الفنّ ان لم يكن التعبير عن مدنية الشعب وعن عقليته بما يحيط بها من الظروف العديدة الخاصة بعصر ما ؟ فيمكننا القول اذاً ان بيلوس ، اثناء العصور التي تخلصت فيها من تأثير مصر تحققت فيها نشوء فنّ خاص استمدّ روحه من عقلية الشعب ووطنيته .

ومظهر آخر من مظاهر العصر المذكور تلك الكتابة المتسلسلة على الناووس وعلى غطائه . فبينا نرى صولجان ملك بيلوس في القرن الثامن عشر يحمل اسم صاحبه بالحروف الهيروغليفية المصرية ، نرى كتابة هذا الناووس محفورة بالخط الوطني ، بالحروف الفنيقية .

ومهما بالغنا في الوصف فلا ندرك مبلغ ما يستفزّ علماء العاديات من الفرح امام اكتشاف من هذا النوع . ان اقدم اثر بالحروف الابجدية الفنيقية كنا نعرفه ، قبل هذا الاكتشاف ، لا يرقى الى ما وراء القرن التاسع او العاشر ق . م . اما اليوم فها ان لدينا كتابة من القرن الثالث عشر ق . م . واذاً فهذا أثر ذو اهمية كونية من جهات عديدة ، بل هو اول أثر مكتوب بالحروف الابجدية .

ولم يخطئ الاقدمون اذ نسبوا اكتشاف الابجدية الى الفنيقيين ، فكان ذلك في حكم المقرر عندهم .

كان الفنيقيون يحملون اذ ذاك مفاخر عديدة لما أدوه للانسانية من الخدمات الجلى . فهم الذين قاموا بادوات الوصل بين الشعوب المختلفة ؛ هم الذين كانوا ، اذ ينشرون في انحاء العالم بضائعهم وسلعهم المختلفة ، ينشرون معها اصول المدنية ؛ هم الذين ساروا في قواربهم على البيداء المتاوجة لا يعبأون بعواصف البحر المتوسط ، ولا بمجاهل الاوقيانوس البعيد . وها هم الآن يضيفون الى تلك الخدمات افضل ما يمكن للعلم ان يتمناه من المرافق ، واسمى ما يمكن للمدنية ان ترجوه من اسباب الانتشار ، الا وهي الابجدية !

الابجدية ! وما ادراكم ما تعدّ الابجدية من الحاجات في ذاك العصر القديم ! كيف يتمكن كبار المفكرين من تبادل افكارهم وايصالها الى الجمهور لولا الابجدية ؟ وما عسى ان تكون طرق التعبير عن الفكر لولا الحروف ؟

أو تكفي لذلك تلك الصور الهيروغليفية التي كانت قراءتها وحدها علماً قائماً برأسه؟ وكثيراً ما رقمت الرجل من رعاع القوم فاحلّته مكان الوزراء العظام في العصور القديمة. وان معلمي المصريين انفسهم كانوا يجدون صعوبة عظيمة في حلّ الغاز تلك الرسوم الهيروغليفية وتفسير احاجيها. ولم يكن اسهل من ذلك فهم الصور المسمارية التي لا تزال قراءتها في عصرنا، على ما فيه من التسهيلات، علماً خاصاً بنفسه.

فما صنع الفنيقيون ليحلوا هذه الصعوبات ويسهلوا تداول الافكار بين الناس؟ اخذوا بتقسيم الصوت الى مبادئه الاصلية السهلة. فاستبدلوا بالحروف تلك الصور التي كانت تمثل مقاطع تامة او كلمات برمّتها. وهكذا اكتفوا بستة وعشرين حرفاً للتعبير عن جميع المقاطع الصوتية. وهي حروف سهلة الحفظ والتصوير حتى ان الصبي ليصورها عن ظهر قلبه بعد ان يتلقى درسه الاول. وقد نجحوا بتقسيمهم الاصوات نجاحاً باهراً حتى اننا لم نكد نزيد شيئاً على الطريقة التي اورثوها البشرية منذ اكثر من ثلاثة آلاف سنة، كما تشهد بذلك الآثار المتتابعة من عهد الكتابة الظاهرة على ناووس أخيرام، الذي يبقى مفخرة الفنيقيين كما انه مفخرة متحفنا الوطني.

ولا ينسبنّ القارئ هذا القول الى ما قد يثيره في اللبناني التعصب لاجداده الفنيقيين. فها انا اردفه بقول عالم كبير ابعد من ان يرمى بالتعصب، لانه لم يكن لبنانياً ولم يعرف فنيقية. قال جورج بيرو، مدير مدرسة المعلمين العليا في باريس، في كتابه تاريخ الفنّ:

«انه لزمن مهم في تاريخ جنسنا البشري زمن اختراع المطبعة. على ان زمن اختراع الابجدية، لو امكننا معرفته، لكان اوفر اهمية. ان تحليل اللفظة، والسير في هذا التحليل الى عناصرها الاولية كان دون شك عملاً عقلياً ادقّ، واجتهاداً ذهنياً اشدّ مما كلفه سبك الحروف مستقلة وطرحها على الآلة الطابعة.

«على اننا نرى غاتيل غوتنبرغ في كل مكان. من الحق ان الرجل يستحق هذا الاكرام. ولكن كم تكون آثار الرخام والبرونز اكثر استحقاقاً باكرام ذاك السوري الذي اخترع لشعبه آلة عجيبة لم تعرفها المدنيات العظيمة القديمة! وهل

بين جدودنا الاقدمين ، الذين عملوا وجدّوا حتى اوصلونا الى ما نحن عليه اليوم ، من يكون اوفر جدارة من ذاك الذي يحتجب عنا وراء ظلمات التاريخ ، بان نجعل اسمه في رأس لائحة المحسنين للبشرية وابطالها العظام .»

هذا ما كانت عليه حالة فنيقية في عصر رعمسيس الثاني ، اي في القرن الثالث عشر ق. م. فلنرَ ما صارت اليه بعد ذاك:

لنقطع قرناً فنشاهد رعمسيس الحادي عشر يُرسل صفيّه اون-امون الى بيبلوس ليأتيه منها بالخشب .

وكان ان الفلسطينيين وشعوب الشواطئ البحرية الذين كان رعمسيس الثالث قد اقامهم في نواحي غزّة ، انتشروا في تلك الجهات وتوسّعوا في فتوحاتهم نحو الشمال حتى انهم اخربوا صيدون قبيل هذا العصر ، وكانوا اذ ذاك يحتلون الشاطئ حتى الكرمل ويقطعون الطريق على المارّة فينهبون ويسلبون ويلتجئون الى بلدة دور ، واسمها اليوم طنطوره . ولم يوفّروا في نهبهم موفد الفرعون نفسه بل سلبوه جميع ما معه اثناء مروره قرب دور.

على ان أون-أمون تابع مسيره الى بيبلوس ودخل على ملكها زكربعل ، فطلب منه ، بصفة كونه رسول الفرعون ، ان يجهّزه بالاخشاب الى مصر. فسأله الملك عمّا يحمل اليه بدل ذلك . فاخذ أون-أمون بالاكثار من الوعود . ولما لم ينجح قال للملك ان بيبلوس ونواحيها من املاك الاله أمون . فاجاب زكربعل قائلاً: بل انها من املاك الملك اي زكربعل نفسه . ثم اشار بيده فدلّ موفد الفرعون على قبور اسلافه من الموفدين المقبورين في بيبلوس . ففهم أون-أمون اذ ذاك آن سلطة سيّده على فنيقية اصبحت أثرًا بعد عين...

وفعلاً فان مملكة المصريين كانت في ذاك الوقت في معظم انحطاطها . وكانت مملكة كلدو وممالك الحثيين قد سبقتها في الانحطاط. وكذلك طروادة والمدنية الايجية كانتا قد اضمحلّتا جملة . وكانت بلاد اليونان في يد البرابرة من الاخائيين . اما مملكة اشور فلم تكن بلغت ازدهارها بعد . وعلى الجملة لم يكن في مجال العمران اذ ذاك سوى فنيقية تسعى السعي الحثيث ، بعد ان تحرّرت واستقلت ، الى احتلال المركز الأسمى بين الممالك الكبيرة.

ولم تلبث ان كثرت نقودها في المسكونة ، وزادت عدد مستعمراتها من بعيدة وقريبة ، وملأت موانيها بالخيرات والكنوز. فاتجهت الى الفنيقيين انظار العالم.

وكان العبرانيون قد دخلوا ارض كنعان ، واراد سليمان الحكيم بناء الهيكل العظيم ، فطلب معونة حيرام ملك صور ، عارضاً عليه ، لقاء ما يُرسله من خشب الارز ، عشرين قرية من بلاد الجليل. على ان حيرام لم يربح في تلك الصفقة لانه عندما زار العشرين القرية تحقق فقرها وقلة خيرها فكتب الى سليمان : « يا اخي ان هذه البلاد كَبُول ! » اي كلا شيء . وتقول لنا التوراة ان هذا اللقب ظلّ عالقاً بتلك البلاد منذ ذاك الحين.

ولم يمض نحو القرن على ذلك حتى أسس الفنيقيون اوتيكة وقرطاجة . واخذت سفنهم بالرحلات البعيدة ، فداروا حول رأس الرجاء الصالح ، عشرين قرناً قبل ڤاسكو دي غاما . وسوف لا يحدث من ثمّ معركة بحرية خطيرة الّا ونرى الفنيقيين في مقدّمة الظافرين بها ، حتى اخضعوا الامواج ونالوا سيادة البحار في العصر القديم.

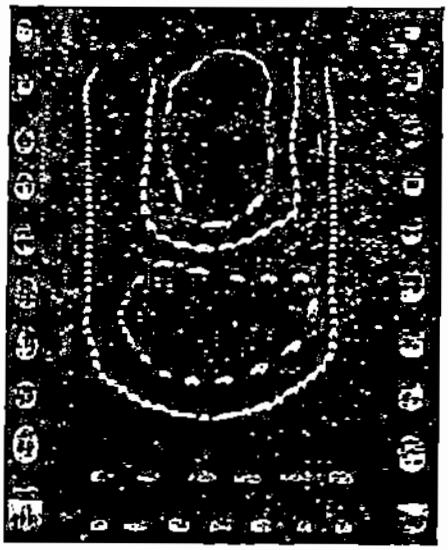

عقود وجواهر استخرجت اثناء حفريات بيبلوس (متحف بيروت)

الزهرة التركيّة

في

الحديقة الرهبانية

ترجمة حياة بهيّة خالد المحمّدية أمس ، والاخت ماري هيلانة اليوم ، احدى راهبات دير الزيارة في زوق مكايل . تكلّما عن لسانها ، وهي في الدور الاول من حياتها العالمية ، وعن لسان أهل الدير وهي في الدور الثاني من حياتها الرهبانية.

بقلم حضرة الخوري يوسف العشّي المرسل البطريركي

٢

ان من يقرأ ترجمة الاخت ماري هيلانة ، مولودة الأستانة ، المحمدية المذهب في الاصل ، لا يتمالك من الاندهاش بمفاعيل النعمة الالهية التي لا تقف بسبيلها اعظم قوة بشرية.

وُلدت هذه الغرسة الصالحة من ابوين لا يُدركان ، او لا يُريدان ان يُدركا ، عظمة وسموّ الدين المسيحي ، وجمال وكمال الحياة الرهبانية ، وقداسة السيرة التي هي مجموع كل الفضائل بدرجة سامية تفوق القوى البشرية.

اقبلت هذه الابنة بكل مسرّة وشوق وارتياح الى اعتناق الحياة الرهبانية وايثارها ، بعد تنصيرها . ولعمري مَن انبأها أو اوحى اليها ، وهي في صدر ايّامها ، في حداثة سنها ، لتترك اباها وامها ، ولم يكن قد طرق مسامعها بعدُ قول من اختارته لنفسها عروساً : « من لم يترك اباً واماً . . . » ، وتدين بدين لا يتفق ودين اجدادها . وتعتنق حالةً يحظّرها عليها كتابها : لا رهبانية في الاسلام. هي نعمة خاصة استدركت هذه الغرسة الجميلة ، وجعلت لها بين بنات جنسها شأناً بجميع اطوار حياتها.

ان ترازية الطفل يسوع الفرنسية كان لولادتها مسيحيةً ، ولتربية والديها ،

وللمحيط الذي وُجدت فيه ، تأثيرٌ وعملٌ في تثقيفها وتهذيبها ، كما قالت هي نفسها عن ذاتها:

« لم اكن آمن قط على نفسي فيما لو كنتُ تربّيتُ على ايدي والدَين غير فاضلين. انما امثال والديّ الصالحة قد انطبعت في قلبي فاضطررت ان اتمثل بها.»

اما بيئة «الطفل يسوع» التركية فلا امثال والديها ، ولا المحيط الذي وُجدت فيه في اول نشأتها ، امكنهما ان يؤثرا فيها. نشأت بعيدة عن الحياة المسيحية ، وأتت من الاعمال الخطيرة والتضحيات السامية ما تفاخر به بنات جنسها ، ويدلّ على عظمة نفسها . نذرت باحر التقوى نذورها ، وكرّست ذاتها ليسوع عروسها الذي احبّته حبًّا فائقاً وتخلّت عن كل شيء للتفرغ لخدمته . فكانت مثالًا بطاعتها ، قدوةً بطهارتها ، نموذجاً بوداعتها وصبرها.

ان اجماع الكلمة على امر هو شهادة عدل على حقيقته . وان جميع من عرفوا الاخت ماري هيلانة ، وعاشروها ، يشهدون بسموّ فضائلها وقداسة سيرتها.

اولًا بطاعتها العمياء لرؤسائها بتسليم وانقياد ليس بعدهما زيادة . فكانت تعتقد اتمّ الاعتقاد بان اطاعتها لرؤسائها هي اطاعة يسوع عينه.

ثانياً بمحبتها الفقر . منذ دخلت هذه الابنة الى الدير لم تطلب لذاتها شيئاً ولو زهيدًا . بل كانت تكتفي بما يُقدّم لها . وكثيرًا ما كانت تلتمس من الرئيسة ابدال ما خُصّت به من ثوب جديد بثوب عتيق.

ثالثاً بطهارتها وحبها لهذه الفضيلة . فقد كانت مثالًا بحشمتها ، بآدابها ، بحركاتها ، بمحادثتها ، بكلامها ، فلم ترفع نظرها الى احد قط. ومن ينظر الى هذه الابنة الفاضلة والى ما امتازت به من صفات واخلاق لا يسعه الا القول عنها : ليس هذه بشرًا ان هي الّا ملاكٌ سماويّ.

على ان جمال هذه الزنبقة وعرفها العطر لم ينحصرا ضمن جدران ديرها ، بل ما لبثا أن اشتهرا وتضوّعا خارجاً واصبحا حديث القوم . فكان الكثيرون من مرضى واعلاء يأتون الدير طالبين مشاهدة الراهبة ماري هيلانة للتبرك منها وطلب صلاتها. اما هي فكانت تنقبض حياء ، وتنزوي خجلًا. ومن صفاتها الخاصة

الوداعة والصبر، مما حفظ لها بين اخواتها ممن عاشرنها اعظم تذكار، بل افضل مثل على حسن معاملتها واحتمالها . فلم يكن يُسمع منها قط كلمة تذمّر ؛ ولم يكن يظهر على وجهها سمات حزن او امارات كآبة منذ ما دخلت الدير . وكثيراً ما كانت تعتذر لرفيقاتها فيما اذا كانت سببت لهنّ ما يكدرهنّ .

ومما امتازت به دون سائر اخواتها هو حفظها قوانين الرهبانية بتدقيق . فمنذ دخلت الدير لم تتخلف قط عن الاوقات المخصصة للصلوة والعبادة ، وعن ممارسة النوافل وسنن الكمالات الرهبانية ومجمل القول انها كانت تحفظ قوانين رهبانيتها بكل تدقيق ، حتى في اشتداد المرض عليها الذي لم يكن يقعدها عن ان تتقدم جميع اخواتها في الذهاب الى الكنيسة للمناولة اليومية والى محلات الشغل . اما في الاوقات الحرّة فكانت تلازم الكنيسة ساجدة امام القربان المقدس. اما السبحة الوردية فكانت تنهض نصف الليل وتتلوها بخشوع وعبادة ، جاثية بالقرب من سريرها . . .

لم تكن الطبيعة لتحرم بهيّة الطفل يسوع من جمال خَلق كان ، ولا مشاحة في القول ، دليلاً على كرامة خُلقها . فكانت تبدو على محيّاها صورة سماويّة تنبيء عمّا حواه هذا الهيكل الجميل من الكنوز الادبية السامية .

. . .

صفاتٌ ثلاث تحلّت بها ابنة السماء ماري هيلانة : صفة جسدية ، وقد مرّ الكلام عنها . وصفة عقلية ، وهي إدراكها سعادة الحياة الآتية وشقاء هذه الحياة . وإيثارها اسلم الطرق وآمنها للبلوغ الى غايتها . وما هي هذه الطرق الّا الطرائق الرهبانية ، الملجأ الامين ، ميناء الخلاص . وصفة قلبية ، وهي الاخلاص بكل اعمالها . لم تكن تنكفّ عن الشغل في اوقاته . ولم تكن تتسامح قط او تتساهل بخرق حرمة القانون ، ولو في اصغر مادّة . فكانت محبة الصمت والسكوت والتستّر والتخفي عن العيون تحجب نظرها عن كلّ موضوع ، ولو مجرّداً . وجسدها عن الراحة ، ولو ضرورية وجائزة . فكانت تجد في كل امر موضوعاً لاماتة الذات الباطنة والظاهرة . وعلى الخصوص في إبان مرضها الذي تعتر بروءُه واحتملته بضع سنين بصبر وتسليم دون تذمّر او شكوى

بل بالعكس فقد كانت تعدّ مرضها كافتقاد العناية الالهية لتقصر ايام غربتها على الارض وتجزل اجرها في السماء.

وما كانت متصفة به هذه الراهبة الفاضلة من السذاجة المسيحية ، وسلامة القلب والنية ، أهلها لان تتنعم برؤية العذراء مريم وطفلها يسوع مراراً. فقبل وفاتها بشهرين ، اتت الام الرئيسة فقالت لها ببساطتها المعهودة: «ان امي العذراء ظهرت لي وانا اتململ من شدة الالم ، وقالت لي انها تنقلني اليها بعد شهرين.» وبالواقع قبل وفاتها بثلاثة ايام ، نهضت من فرشتها ، واخذت تودع اخواتها الراهبات طالبة اليهنّ ان يتوسّلن الى الله لاجلها وان يسامحنها ، ودموعها تتساقط كاللؤلؤ المنثور.

وفي ذات ليلة بينا كانت الراهبات غارقات في نومهن استفقنَ على صوتها وهي تتكلم بلهفة فقلنَ لها : « ما شأنك يا اختنا في هذه الليلة ؟ مع من تتكلمين ؟ » فاجابتهنّ فوراً : «سيدة جميلة تكلمني ! هي لا شكّ امّ يسوع الطفل ، امي ! »

وكثيراً ما كانت تُشاهَد هذه الابنة الفاضلة مختطفةً بالروح وهي تردّد هذه النافذة :

« يا قلب يسوع الحلو ارحمني ! »

ولما كان يشتدّ المرض عليها ويضايقها كانت تلجأ الى عروسها الالهي صارخة اليه من عمق فؤادها : « انقذني يا يسوع من جسد الخطيئة هذا ! »

ولم تكن تنزع صورة قلب يسوع من صدريتها وايقونته من عنقها . ففي احد الايام فقدت هذه الصورة ، وهي في بستان الدير ، ولم تشعر حينئذٍ بفقدها. ففي الليلة عينها سمعت صوتاً ، وهي مستغرقة في نومها ، يقول لها على ثلاث مرات: « انهضي وفتشي عن صورتي التي فقدتها.» فاسرع من لمح البصر استفاقت من نومها ، واذ لم تجد الصورة ضمن صدريتها ، اسرعت الى البستان الذي قضت فيه فترةً من الزمن للتأمل بجمال المخلوقات وحكمة الخالق ، وفتشت عن الصورة فوجدتها بين اغصان وردة زاهرة فتناولتها وقبّلتها ، وقفلت راجعة لفرشتها

٣

اما عبادتها للقربان فمما يقصر عن وصفه القلم. كانت تقضي اوقاتها الحرّة في الكنيسة ، جاثية على ركبتيها امام السجين الالهي شاخصة ببصرها اليه ، تاركة لقلبها وعواطفها الكلام لمن احبته من صغرها لدن رأته في حلمها يدعوها اليه ، لتترك اباها وامها وتلحق به . ومما لحظته اخواتها من بنات جمعيتها هو ما كان يبدو على وجهها من الامارات الغريبة عند الاحتفال باعطاء البركة بالقربان الاقدس ، بادمان نظرها بالقربان ، بسيل دموعها ، بتأوه صدرها ، بهتملة كلامها ، مختطفة بالروح مدة عرض القربان للعبادة والاكرام . وقد سُئلت مرة عن هذا الامر فاجابت بسذاجتها المعروفة : « اني اشاهد الطفل يسوع بجماله السماوي ، باسم الثغر ، يدعوني اليه . وهو هو عينه الذي رأيته في الحلم في بستاننا في الاستانة.»

وفي احد الايام حلمت في نومها ان يسوع القى على ذراعها اليمنى صليباً ثقيلاً ، ولم تطل المدة على حلمها هذا حتى ظهر على ذراعها في المحلّ عينه داء الجمرة. فاحتملت هذا الداء الجديد بسرور وارتياح لاعتقادها بان الطفل يسوع ، عروسها الالهي ، اراد ان تشاركه في آلامه على الارض ، لتشاركه في سعادة السماء عن طريق الصليب والجلجلة . وهكذا قضت ما بقي من ايام حياتها القليلة على الارض مستسلمة بكل خضوع وانقياد لعروس نفسها . الى ان طارت روحها الطاهرة الى خالقها وهي تردّد قولها: « يا يسوع حبيبي ، في يديك استودع روحي! » ، بعد ان مُسحت بالزيت المقدس وتزوّدت زاد الراحلين ، وحصلت على جميع المساعدات الروحية ، ووجهها يتدفق بشراً وسلاماً ، في اليوم التاسع من شباط الواقع فيه عيد القديس مارون سنة ١٩٢٧ . ودفنت بمدفن الدير الخاص بالراهبات بكل احترام.

وبعد وفاتها بمدة قليلة ، ظهرت لاحدى الراهبات في حلمها واشارت اليها بان تُصرف الابنة ... من الدير ، اذ لم تكن مدعوّة للحالة الرهبانية . وبالواقع لم تُطل الابنة المذكورة اقامتها في الدير حتى أعارته ظهرها ، بعد ان قضت

فيه ١٢ سنة دون فائدة.

وبعد مرور سنتين وشهرين على وفاتها ، فُتح المدفن الذي دفنت فيه لايداع راهبة اخرى توفيت برائحة القداسة ، فوجد وجهها باقياً على بشرته ، وجسدها سليماً على حالته.

* * *

هذا ملخص حياة الراهبة ماري هيلانة[1] ، احدى ازاهير رهبانية الزيارة ، وقد اسميتها «بهية الطفل» لبيان سبب اهتدائها ، وهي في بيت ابيها في الاستانة ، كما رأيت.

وينتج مما قلناه لحد الآن بترجمة بهية الطفل يسوع ، او الاخت ماري هيلانة ، ان في وسع الجميع ان يصعدوا الى ذرى القداسة اذا قصدوا ، دون حاجة الى صنع المعجزات والاعمال الخارقة ، كما ارتقت المترجمة لدرجة القداسة بطريق المحبة الكاملة والثقة التامة بيسوع . ومما اجاهر به وافاخر ان امثال هذه الزهرة في حدائقنا الرهبانية ، لكلا الجنسين ، كثيرٌ يتناقل الخلف ذكر فضائلهم جيلًا بعد جيل.

---

١) تيمّناً باسم والدة الطفل يسوع ، وباسم الفدية هيلانة والدة قسطنطين الملك الذي تسمّت المدينة بيزنطية باسمه «القسطنطينية» ، ثم الاستانة لما تملكها الاتراك.

في سبيل ثقافتنا العامة : ١

البكالوريا اللبنانية والتعليم العصري

بقلم فؤاد افرام البستاني
استاذ الآداب العربية في كلية القديس يوسف

٢

تقدم لنا ، في «مشرق» كانون الثاني ، كلام عن اسباب انشاء البكالوريا اللبنانية ، وعما رمت اليه حكومتنا من الغايات الحميدة في خلق مقياس رسمي تُعرض عليه معارف من يتخرجون في المدارس المختلفة ، فاذا وُجدت مطابقة لما يتطلبه البرنامج الموحّد ، أقرّتها اللجنة الفاحصة وانالت صاحبها الشهادة الرسمية باتمام تنشئته الثنوية . وقد اطلعنا مؤخرًا على تقارير اللجان الفاحصة في الدورة الاولى من امتحانات البكالوريا الجديدة منشورة في «نشرة المعارف العمومية» للمفوضية العليا (*Bulletin de l'Enseignement*) ، فراينا ان ندرس ما تدلّ عليه هذه التقارير ، ونستخلص ، من نتائج الامتحان ، استعداد المدارس لتطبيق البرنامج الجديد ، واستعداد الطلّاب لاساغته ، قبل ان نخوض في نقد اقسامه قسماً قسماً .

نتائج الامتحان الاول

أنشئت البكالوريا اللبنانية بمرسوم صدر عن رئيس الجمهورية بتاريخ ٢٨ كانون الثاني ١٩٢٩ . على انه لم يُنشر بالطبع الا في شهر اذار ، فلم يتمكن ارباب المدارس من الوقوف عليه وتطبيقه الا وقد مرّ من السنة المدرسية اكثر من خمسة اشهر ، ولم يبقَ بينهم وبين الفحص ، الذي عُيّن له يوم ١٧ حزيران ، سوى ما يقلّ عن الثلاثة الاشهر . وان ساغ لنا ان نبدي ملاحظة لوزارة المعارف ،

بهذه المناسبة ، فاننا نأخذ عليها اسراعها في تعيين الدورة الاولى لامتحان البكالوريا اللبنانية ، ولم يمرّ على نشر برنامجها الوقت الكافي لكي يدرسه مديرو المعاهد ، ويمدّوا طلّابهم لتفهم موادّه بتؤدة وترتيب .

بيد ان هذا الاسراع في تطبيق البرنامج ، ومن ثمّ عدم استعداد الطلّاب ، لم يثبط همم هؤلاء عن اقتحام الامتحانات . فلم يظهر المرسوم المعيّن تاريخ الامتحان حتى تهافتوا بالعشرات على ادارة المعارف يقيدون اسماءهم ، ويلتمسون الشروح اللازمة عن اجراء الفحص ، فلم يُقفل دفتر القيد الا وقد ضمّ ثلاثة وخمسين اسماً من طلّاب الشهادة الجديدة .

اما نتيجة الفحص فكانت ابعد من ان تكافئ نشاط هؤلاء الطلّاب اذ لم ينجح على ٥١ طالباً تقدموا للامتحان الّا اربعة عشر[1] منهم ١٣ على ٣٦ في الفرع الادبي او ما يوازي ٣٧ بالمئة ، و ١ على ١٦ في الفرع العلمي او ما يوازي ٦ بالمئة ، بينما كانت نتائج امتحانات البكالوريا الفرنساوية تفوق ذلك بكثير . فنجح في الفرع الادبي B من البرنامج القديم ١٥ على ٢٠ او ٧٥ بالمئة وفي الفرع العلمي D ٢ على ٦ او ٣٣ بالمئة . ونجح في الفلسفة من البرنامج ذاته ٢٢ على ٣٩ او ٥٦ بالمئة وفي الرياضيات ١٤ على ٢٢ او ٦٣ بالمئة . اما طلّاب البرنامج الفرنساوي الجديد المطبّق لاول مرة ، فنجح منهم في فرع A' ١١ على ٢٠ او ٥٥ بالمئة ، وفي فرع B ٣٧ على ٩١ او ٤١ بالمئة[2]

فترى في جميع الفروع ان معدل الناجحين في البكالوريا الفرنساوية يفوق بكثير معدل الناجحين في البكالوريا اللبنانية . فلِمَ هذا التفاوت ؟ قد يقول البعض ان النجاح الذي حازه ارباب البرنامج الفرنساوي القديم ناتج عن سهولة الفحص وشفقة الفاحصين ، اذ كانت هذه الدورة الاخيرة من نوعها بعد ان حُوّر البرنامج واوجدت الاقسام الجديدة ، A' و B للبكالوريا الفرنسوية . قد

---

١) كان من الناجحين ٥ من كلية القديس يوسف ، و ٣ من مدرسة الحكمة المارونية ، واثنان من المدرسة الطانية ، واثنان من مدرسة الاخوة المريميين في جونيه ، واثنان تقدما من تلفاء نفسيهما .

٢) راجع تفصيل ذلك في *Bulletin de l'Enseignement, VII, 5 et 6*

يكون شيء من ذلك ! على ان الفرق يظل كبيراً بين نتائج الشهادة اللبنانية ونتائج الشهادة الفرنساوية ذات البرنامج الجديد.

ولا يسعنا نسبته الى ان البرنامج الفرنسوي الجديد احكم وضعاً وانسب لعقول الطلاب من برنامجنا ، لان هذا الزعم مردود بالمقابلة بين البرنامجين وبالاستناد الى شهادة ارباب التعليم من الفرنساويين انفسهم الذين قاموا على برنامجهم الجديد وبينوا اخطاءه في مقالات عدة ، كما سنبين عند نقدنا لبرنامجنا . ثم لا يمكننا نسبة الفشل الى قساوة اللجنة الفاحصة ، وتحاملها على الطلاب المساكين. فهذه القساوة البريئة وهذا التحامل العدائي لا وجود لها الا في مخيلة الطلاب الراسبين يتعزون بهما عن سقوطهم ، او في مخيلة بعض الناجحين يستخلصون منهما اسباباً جديدة لفخرهم وتبجحهم بالنجاح على الرغم من صعوبة الفحص ، وظلم الفاحص . والا فيشهد الله ان اللجنة كانت تفتش برجاء كبير عن مسابقة تستحق لصاحبها علامة ١٠٠ فتضمها فرحةً بان توفر لهذا الشاب ولأهله ومعارفه اسباب الفرح والسرور. الا انها لم تكن لتوفق في غالب الاحيان . وما ذاك — وهذا هو السبب الحقيقي للفشل في الامتحان الاول — الا لعدم استعداد الطلاب لتقديم الامتحان الثنوي ، ولانصراف اكثرهم الى الاخذ برصف القوالب الفارغة عن التفكير في الموضوع المطروح عليهم. وقد اشرنا الى ذلك في التقرير الذي رفعناه الى وزارة المعارف ، على اثر تصليح المسابقات الخطية في آداب اللغة العربية ، وهذا هو بنصه :

الفرع الادبي

القي على الطلاب ثلاثة موضوعات في آداب اللغة العربية هذا نصها :

١ — كيف نشأت الاسواق في الجاهلية ؟

٢ — ما هي مزايا الشعر الجاهلي ؟

٣ — اي اثر احدثته الحضارة العباسية في اللغة من حيث اغراضها ومعانيها والفاظها واساليبها ؟ اوضح ذلك بالامثلة.

فكان ان الموضوع الثاني ظهر اسهل من الباقيين فنال الافضلية واختاره ثلثا المتسابقين فوضعوا امامنا ٢٤ مسابقة في الشعر الجاهلي . على ان اكثر هذه

المسابقات كانت خارجة عن الموضوع . فبدلاً من ان يحدّد الطلاب تقسيم موضوعهم بدقّة ، ويسيروا عليه بترتيب ، معدّدين صفات الشعر الجاهلي صفة صفة ، رأيناهم يُسهبون دون فائدة في ماهية الشعر واصله ، ويملأون الصفحات الكبيرة باعادة ما علق بذاكرتهم من الاساطير والحوادث حول نشأة الشعر العربي ، وتاريخ العرب ، وجغرافية جزيرتهم ايضاً . وكلها امور لا دخل لها في الموضوع المطلوب . مما دلّ على فساد تنشئتهم الادبية وعلى انهماك اساتذتهم بتقوية ذاكرة التلاميذ دون الاكتراث لتوسيع عقلهم ، او الاهتمام بتدريبهم على التأليف المنسّق المعقول . بيد ان منهم خمسة او ستة ادركوا الطريق المستقيم في التأليف ، فجمعوا اطراف موضوعهم بتقسيم وافر وجالوا فيه عارفين فنالوا علامات جيدة مثل ١٤و١٥ على ٢٠ ، بينما كان زملاؤهم من الذين كتبوا بلغة اصح واسلوب امتن لا ينالون الستة او السبعة على عشرين الا بالجهد ، لخروجهم عن الموضوع .

واختار سبعة طلّاب الموضوع الاول ففهمه ثلاثة منهم فهماً كافياً . ولكن لم يكن في مسابقاتهم ما يستحق ذكراً خاصاً .

اما الخمسة الباقون فاختاروا الموضوع الثالث . وهو يُقسم الى قسمين : الاول تاريخي ، والثاني ادبي يوضح بالامثلة ما كان يجب ان يُذكر من الاحكام في القسم التاريخي . فكان ان اربعة على خمسة لم يهتموا بهذا القسم الثاني .

الخلاصة انه بين ٣٦ مسابقة في الفرع الادبي ، رأت اللجنة الفاحصة ١٠ مسابقات فقط تستحق العلامة المتوسطة او علامة اعلى .

فعلى الاساتذة ان يهتموا بفهم روح التعليم الثنوي الذي ينصرف الى تغذية عقل الطالب وتدريبه على التأليف الصحيح ، قبل انصرافه الى حشو ذاكرته بالنكات الادبية وتعويده رصف القوالب الفارغة وصقل العبارات الرنانة .

الفرع العلمي

اما في الفرع العلمي فكانت النتيجة شرّاً منها في الفرع الادبي . وهذه

الموضوعات الثلاثة التي طرحت على الطلّاب :

١ – من هم الشعراء الثلاثة المقدمون في العصر الاموي ؟ قابل بينهم وقل من تفضل ، ولماذا ؟

٢ – صف الحركة الفكرية في عصر المأمون .

٣ – ماذا تعرف عن دور اللبنانيين في نهضة الآداب العربية في القرن التاسع عشر ؟

ولما كان اكثرهم من اللبنانيين رأوا من الطبيعي ان يختاروا الموضوع الثالث . على ان الصفة اللبنانية وحدها لا تكفي للنجاح ، ولهذا لم تر بين المسابقات التسع في الموضوع الا مسابقة واحدة تستحق علامة حسنة . وهنا ايضاً ينبغي لنا ان نعيد ما لاحظناه من انصراف الطلّاب اجمالاً الى رصف الجمل الفارغة دون الاهتمام بالمعاني .

اما السبعة الباقون فاختاروا الموضوع الاول ، وهو يظهر اسهل الثلاثة لانه واضح التقسيم . ولكن لم ينجح فيه الّا طالبان اجتهدا في التخلّص من النقص العام الذي لاحظناه مرّات في اكثر المسابقات .

واما الموضوع الثاني فكان اصعب من ان يخوض فيه طلّاب لم يستفدوا الاستعداد الكافي لمثل هذه الامتحانات[1] .

ويستنتج الحكم نفسه من تقرير السيد باريزو ، مقرّر لجنة اصلاح المسابقات في آداب اللغة الفرنساوية . فانه اشار الى اتكال الطلّاب على ذاكرتهم وما وعته من التواريخ واسماء الكتب والاشخاص دون الاهتمام باعمال عقلهم في درس الموضوع وتحديد اقسامه[2] . وكلها امور تنافي مبادئ التعليم الثنوي كما قدّمنا .

وكذلك كان رأي الاخ مارك ، مقرّر لجنة اصلاح مسابقات النصّ العربي ، او النقد الادبي[3] ، فقال :

« والذي برهن على ضعفهم (الطلّاب) وعدم فهمهم ما يُقترح عليهم هو

١) راجع النشرة المذكورة ... *Loc. cit. p. 107*

٢) .. *Loc. cit. p. 97*

٣) قد نعود فنفرد درساً خاصاً في قواعد النقد الادبي وكيف يجب على الطلاب ان يسيروا كي يتمكنوا من فهم القطعة الادبية ولمس ما فيها من الجمال اولاً ، ومن اظهار ما فهموه وما لمسوه ثانياً .

انه قد طُلب منهم ان يشرحوا القطعة التي أُعطيت لهم شرحاً يتناولها من الوجهتين النحوية والبيانية . فكان ان اكتفى العدد الاكبر منهم باعراب مفرداتها اعراباً نحوياً ، وبتحليل بعض عباراتها تحليلاً بيانياً . وانشأ غيرهم مقالات في النحو والبيان او في سيرة احد رجال العرب المذكور في القطعة ، مع انه لم يطلب منهم شيء من ذلك.»[1]

ولم تكن تقارير امتحانات الرياضيات والفيزياء والكيمياء لتخفف مرارة هذا النقد، بل بالعكس فقد ذكر المقرّرون ما لاحظوه من انحطاط مستوى الطلّاب العلمي سواء كان ذلك في المعلومات او في التنشئة الرياضية والطبيعية. وقد ظهر تأثير ذلك في النتيجة النهائية اذ لم ينجح الّا واحد على ١٦ في الفرع العلمي.

. . .

فنرى من ثمّ ان المسؤولية في هذا الفشل تكاد تنحصر اولاً بالوزارة لاسراعها في ابتداء الامتحانات قبل ان تترك لارباب المعاهد المدّة الكافية لتطبيق البرنامج الجديد ؛ وثانياً بالمعلّمين الذين لم يعوّدوا طلابهم طرق التفكير الصحيحة ، فجنحوا بهم عن اساليب التنشئة الثنوية الحقة ؛ وثالثاً بالطلاب انفسهم الذين تهافتوا على تقديم الامتحان ولا عدّة لاكثرهم الّا الغرور بسهولة نيل البكالوريا لأنها جديدة ، والامل برحمة الفاحصين:

اما نصيب البرنامج من كل ذلك فسندرسه في مقال آخر.

(١ Loc. cit. p. 110.

رسالة قديمة

من رهبان دير البلمند الى رومية

نشرها حضرة الخوري قسطنطين الباشا ب. م.

بمناسبة ما كتبتموه عن هذا الدير ورهبانه في المشرق (٢٧[١٩٢٩] ٦٢٤) رأيت ان ارسل اليكم هذه الرسالة لتتفضلوا بنشرها في مجلتكم الكاثوليكية تقريرًا لما ذكرتم هناك عن الرهبان الكاثوليك في الدير المذكور. وهذه الرسالة منقولة عن سجلات مجمع انتشار الايمان المقدس في رومية، نقلتها مع ما نقلت من هذه السجلات وقد تقدم لي كلمة عنها في المشرق (٢٧: [١٩٢٩] ١٨٨)

وهي واضحة كل الوضوح في معناها ومبناها لا تحتاج الى شيء من الشرح والايضاح. ولكن ينبغي ان نستلفت نظر القرّاء النجباء الى الذين امضوا هذه الرسالة، فانهم كانوا من افاضل الرهبان المشهورين في ذلك العصر بالعلم والتقوى وكل فضل. وهم الذين عمّروا فيما بعدُ دير مار يوحنا الصايغ المشهور بجوار الشوير. والبعض منهم انتخبوا عن اهلية واستحقاق اساقفة ومطارنة، ورسمهم البطريرك اثناسيوس الدباس الذي توفاه الله تعالى في ٢٤ تموز سنة ١٧٢٤.

فان الخوري نعمالله منهم ارتسم اسقفًا على صيدنايا فيما نعلم سنة ١٧٢٢، وهو مشهور باسم ثاوفيلوس نصري؛ ومات في رومية في ٢٤ شباط سنة ١٧٣١ براءة القداسة.

والخوري مكاريوس المذكور رسمه البطريرك ذاته مطرانًا على بعلبك باسمه مكاريوس والشماس جرجس رسمه مطرانًا على حلب باسم جراسيموس، وقد قاسى اضطهادًا شديدًا ونفي مرتين بسعي سلفسترس القبرصي. ومات سنة ١٧٥٤ ودفن في دير مار مخائيل بقرب الزرق من لبنان.

ثم ينبغي ان نعلم ان بلاد الكورة كانت تابعة لحكومة طرابلس في ذلك الحين ولم تكن النصرانية تتمتع فيها بالحرية والراحة كما في كسروان وبلاد الشوف، بفضل حكم الامراء بني شهاب، والمشايخ اصحاب الاقطاع من بني جنبلاط والخازن، وسواهم من النصارى والدروز.

وهذا نص الرسالة ننقله وننشره كما هو بالاصل بكل ضبط وتدقيق:

الى حضرة جلالة الكرادلة اصحاب مجمع انتشار الايمان المقدس .

... تعرض لجلالتكم البهية اننا نحن عبيدكم مقدار خمسة انفار من ملة الروم العرب رهبان من طريقة القديس باسيليوس الكبير قد تربينا منذ صبانا في الديانة الكاثوليكية وخاضعين دائماً للحبر الاعظم الكلي قدسه . الا اننا لم نجد في هذه الديرة اطلاق وعتق لتكميل السيرة لاجل خلاص النفس في مذهب الرهبانية لعدم تركين البلاد وتسلط الامم عليها وعدم نظام احوال الاديرة والرهبان . فأعرضنا حالنا على جلالتكم السنية حتى ان رسمتم تمنوا علينا وتأمرونا بان نحضر لعندكم لذلك الطرف ونستسن فضلكم بان تمنوا علينا من احسان الكنيسة المقدسة بمكان صغير نتآوى فيه وحدنا داخل رومية او خارجها وتصدقوا علينا هناك بالقوت الضروري وثوب الزهد لكفاف الجسد حتى نخدم الله تعالى بمكنتنا على (قدر) الامكان وندعي لجلالتكم السامية البهية .

سطر في دير البالمند من اعمال الكورة طرابلس الشام في اول تشرين الثاني سنة ١٧٠٤

عبدكم الحقير	عبدكم الحقير	عبدكم الحقير	عبدكم الحقير	عبدكم الحقير
حنانيا	نصرالله	مكاريوس	جرمانوس	جرجس
الكاهن	الكاهن	الكاهن	الكاهن	الشماس
في الرهبان	في الرهبان	في الرهبان	في الرهبان	في الرهبان

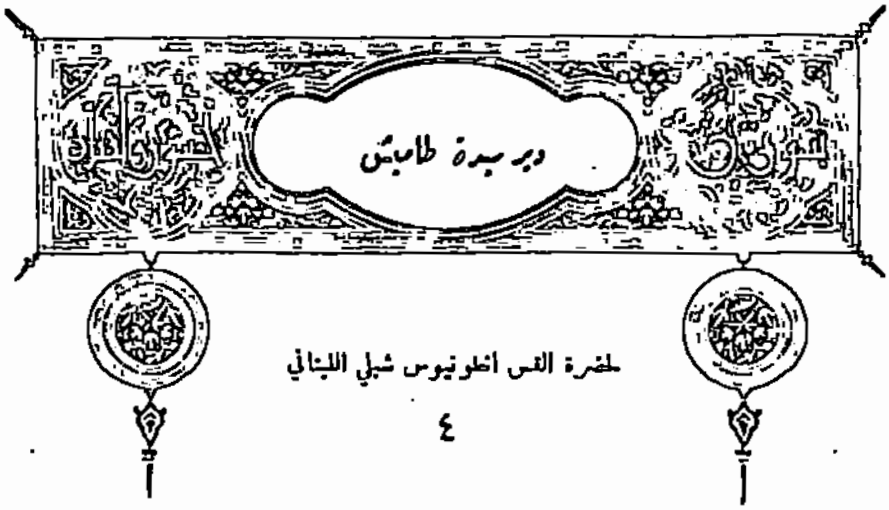

لحضرة القس انطونيوس شبلي اللبناني

٤

كتب خزائن الخطية (تابع)

٣١ كتاب انجيل (متى ومرقس ولوقا ويوحنا) مجلّد ضخم، ملبسة اطراف جلده بقطع نحاسية. وهو حقلان: سرياني وكرشوني، طوله ٣١س، وعرضه ٢١ س. وصفحاته ٦٨٣ صفحة. وقد علّق الناسخ على كل بشارة منه صورة صاحبها، مصوّرة بقلمه بالوان زاهية، وتاريخ وضعها، واللغة التي كتبت فيها البشارة. وقد كتبه الناسخ بحلب في سنين متقطعة على ما ورد في آخر كل بشارة. واليك ما جاء في اخره بالحرف الواحد:

« تمّ ونجز ما بشرت به الحواريون المختارين من تدابير السيد المخلّص لكل العالمين وهم متى ومرقس ولوقا ويوحنا المبشرين بعناية الأب الازلي الذي لم تحدّه الاعوام والسنين مع الابن السرمدي خالق البرايا والعالمين والروح الحي القدوس العالي عن ادراك المتفهمين اله واحد له العزّة والجبروت قادر قاهر حيّاً لا يموت . . . .

« فقد كان النجاز من هذا الانجيل المقدس خار الثلاثا تاسع يوم من شهر ايار المبارك من شهور سنة الف وستماية وثلاثة وسبعين ١٦٧٣ لتجسّد سيدنا يسوع المسيح له المجد امين. وكان ذلك في ايام سيدنا ومدبّرنا البطريرك مار اسطفانوس (الدويهي) من قرية اهدن الجالس على الكرسي الانطاكي وفي ايام ساداتنا المطارين المطران جرجس حبلوق البشلاني ومطران يعقوب الرامي ومطران بولس الحدناني ومطران جبرايل البلوزاني مطران مدينة حلب. ومطران يوحنا التولاتي ادامهم الله على رؤسنا زمان طويل وبرحمنا في بركة صلواتهم المقدسة امين.

« وتسطّر ذلك بمدينة حلب على يد احقر الناس وارذلهم انسان خاطي مسكين فقير

باس ذليل غريب المساوي الشرور والخطايا .... ورق(١ باسم شماس لا بالفصل ابن بطرس من حيلة بيت مرقس تلميذ المطران جبرايل المذكور وكتبت له هذا الانجيل المقدس واوقفته الى ديره الذي على اسم العذرا في معاملة كروان (دير سيدة طاميش) بارض فوق الخراب الله يحطه مبارك ويصل الدير صار الى انقضاء الدهر ... وكتبته وقفاً مؤبداً الى الدير المعمور وكان بدوه في بيت المنوري حنا المصروني وخلوصه (خاتمه) في حوش مار الياس الوقف من زامريا جلي بحروسة حلب . انا كنت في خدمة معلمي المطران جبرايل صاحب الانجيل . وهو كان يجمع البطركية في تلك السنة من جماعتنا الموارنة بحلب ... وهو الذي علمني وتب علي وربّاني الله يجازيه الخير....»

وعلى الورقة الثالثة البيضاء في اول هذا الكتاب عُلقت هاتان الكتابتان بحرف كرشوني ونرجح انهما بخط احد المطرانين جبرايل ومخايل البلوزيين وهما:

الاولى — «وجه تحرير الاحرف هو ان حضروا لعندنا يونس واخيه منصور واخيهم سعد اولاد ابو يونس سعد وارقفوا جميع ما يملكوا في الكسارة من كرم وتوت وعرايش وسليخ في الموضع المذكور اوقفوهم الى سيدة طامش (طاميش) وقفاً ثابتاً لم يتغير وذلك صدقة عنهم وعن ارواح امواتهم كي يتذكروا دائماً في الصلوات والقداديس الذي تتقدم في هذا الدير المبارك . حرر ذلك سنة ١٦٩٤ ربانية»

الثانية — «وجه تحرير الاحرف هو ان اوقف القس جبرايل مرمون(٢ واخته علقتهم الذي في راس طاميش من توت وعريش وتين سيدة طاميش عن روحه وروح والديهم وقفاً ثابتاً لكي يتذكروا في القداديس والصلوات الذي يصيروا في الموضع المبارك»

وهناك بعض صكوك لا نرى من حاجة الى اثباتها.

٣٢ مختصر الكمال المسيحي للسيد فرحات، خطّ الشماس لطف الله مدولب من دلبتا، سنة ١٧٩١. وقد أضيف اليه «بعض امثال نافعة جداً تأليف الشماس ابرهيم جلوان السمراني (تولا الضنّية) تلميذ مدرسة الموارنة برومية سنة ١٧١٤ في ايام الحبر الاعظم البابا اكليمنضوس الحادي عشر وفي

١) سيم كاهناً وتوفي سنة ١٧٠٢، راجع مقالة حضرة العلامة المدقق المونسنيور جرجس مَنَش في كهنة حلب الموارنة (المشرق ١٧ [١٩١٤]: ٦٥). وما يليها

٢) هو من عائلة او انسباء يوحنا مرمون الذي حارت في هويته العلماء . راجع ما جاء عنه في الجامع المفصل ص ٢٣٩ و ٢٤٨. وما كتبه حضرة المؤرخين القس يوسف حبيقه وعيسى اسكندر المعلوف في مجلة «رسالة السلام» في السنة الماضية، وفي جريدة «العلم» بعددي ٣٦٣ و ٣٦٥ من سنة ١٩٢٩، وما كتباه عن هذا الرجل لم يكشف حقيقة امره بتاتاً.

ايام رئاسة سيدنا مار يعقوب بطرس بن عوّاد الحصروني البطريرك الانطاكي على ملتنا المارونية...» وهذه الامثال عبارة عن ١٩٣ خبرًا روحيًا . وهو مخروم من آخره.

٣٣ كتاب رتبة القداس الذي يتلوه الكاهن الماروني . يحتوي نحو ٢٧ ناقورًا للرسل والشهداء والمعترفين والقديسين والاحبار والملافنة ، ولاحاد الصوم والصعود والعنصرة...الخ . جاء في آخره:

«كمل نسخ كتاب القدّاس المبارك في رومية العظمى على يد احقر عبيد الله القس يواكيم التزيري الراهب اللبناني في ٢١ آب سنة ١٧٦٠ في ايام حبروية قدس سيدنا البابا اقليموس الرابع عشر وايام قدس سيدنا البطرك طوبيا المازن . قد كتبته عن مسودّة المتنيور السماني الفريد عصره»

وقد صدّق على هذا الكتاب البطريرك يوسف التيان ووقّع عبارة التصديق عليه بامضائه وختمه وهذا نصها :

«صح . قد فحصنا هذا الكتاب بكل تدقيق ورأيناه مطابقًا طقسنا الماروني ومن ثمّ سجّلناه واذنّا لمن يريد يقدّس فيه لا مانع عليه . صح . تحريرًا في ١١ شباط سنة ١٨٠١»

الحقير
يوسف بطرس تيان
بطريرك انطاكية وسائر المشرق

الختم

٣٤ كتاب الدرر المنظومة من الاصداف في علم النية وطريقة الاعتراف. قد استخرجه من اللغة اللاتينية الى اللغة العربية البادري اغناطيوس كليسون اليسوعي بمدينة حلب سنة ١٧٦٠ . خطه بالكرشوني القس جرمانوس الاشقر في دير مار انطونيوس التبع ، بيت شباب ، سنة ١٧٧٥. ومنه نسخة اخرى بخط عربي كتبت سنة ١٧٨٣ ، تقع في ٣٢٦ صفحة بقطع كبير.

٣٥ كتاب «دلايل الايمان الحقيقي المستخرج من كتب اللاهوت والفلسفة ومن الكتب الالهية والاباء القديسين . قد جناه واعتنى بجمعه وتأليفه الحقير في رهبان اليسوعية اغناطيوس كليسون اليسوعي» كتبه بالعربي القس جرمانوس الديراني اللبناني بدير قزحيا في ٧ حزيران سنة ١٧٦٧.

٣٦ كتاب الانجيل الذي رتبه ونظّمه المطران جرمانوس فرحات.

٣٧ تفسير انجيل مار يوحنا الرسول لكورنيلوس الحجري اليسوعي. مجلد ضخم. نسخهُ بخطٍ عربي كناشي جميل فرنسيس سكّر الحكيم الدمشقي بمصر القاهرة سنة ١٧٧٨. وهذ الكتاب كان للقس توما صيداوي[1] لبناني.

٣٨ كتاب الاول في اللاهوت «تأليف الاب الفاضل والمعلم الماهر السيد الكلي الاحترام المنسينور يوسف السمعاني تلميذ مدرسة الموارنة في رومية.» مخطوط بالكرشوني، وقد احرق الحبر ورقه. جاء في اخره:

«كمل وتمّ الجزء الاول من اللاهوت على يد احقر الناس باسم قس اسطفان البحليداني الراهب اللبناني وكان ذلك في ايام رئاسة ابينا القس يواصاف (البسكنتاوي) رئيس على دير مار بطرس ومرجلّينوس في رومية العظمى وهو منسوخ على النسخة الاصليّة المصنّفة من الخوري يوسف شمعون المعلّم الماهر المارونى ونجز تسطيره في ١٥ شهر آب سنة ١٧٣٥»

ولهذا الكتاب نسخة اخرى مخطوطة بيد القس افرام دير الاحمر اللبناني سنة ١٧٣٧.

٣٩ كتاب الالهيات: الجزء الاول، تأليف القس واصاف البسكنتاوي خطّه بالكرشوني القس افرام من دير الاحمر من بيت ابو شواح الراهب اللبناني في عهد رئاسة عام الاب توما اللبودي على الرهبانيـة، ورئاسة مؤلفه القس واصاف على دير مار بطرس ومرجلينوس في رومية، سنة ١٧٣٧ في ٢١ آب.

٤٠ كتاب العلل لدفع الملل او التلاوات العقليّة تأليف المفريان اسحق جبير[2] المرتدّ من اليعقوبية الى الكثلكة. يقع في ٥٤١ صفحة بقطع كبير. اشتراه احد الرهبان اللبنانيين من المطران باسيليوس البجاني سنة ١٧٢٢. وهو بخطٍ كرشوني.

---

١) لقد خدم هذا الاب الموارنة في مصر بناء على امر البطريرك يوحنا الحلو، على ما جاء في كتاب «تاريخ الرسالة المارونية في القطر المصري» للقس بطرس خوري الراهب الحلبي اللبناني ص ١٠٠، ولا نعرف احداً غير القس توما من ابناء رهبانيتنا اللبنانيـة خدم الرسالة المارونية في مصر، وكان وكيلاً بطريركياً

٢) اطاب ترجمته في المشرق سنة (١١ [١٩٠٨] ٢٨٦-٢٩١) وقد اهدى الينا حديثاً نسخة من هذا الكتاب حضرة الاب يوسف حبيقه رئيس معاملة المتن، مكتوبة بقلم الشدياق حنا مرتينوس شهوان من غوسطا، معلّم الاولاد في زوق مكايل، سنة ١٨١٦، في ٧ تشرين الاول. وقد أُضيف اليها كتاب الزهرية الشهريّة للمفريان المذكور

٤١ كتاب في الاسرار (لاهوت) «ألفه القس يواصاف البسكنتاوي الراهب اللبناني لافادة اخوته الرهبان اللبنانيين» خطه بالكرشوني الاب مبارك، وذلك في رومية العظمى سنة ١٧٤٢

٤٢ كتاب في اسرار الكنيسة، يشتمل على سبع مقالات وكل مقالة تقسم الى فصول. جاء في آخره: «تم هذا الكتاب المبارك على يد انسان خاطي باسم اندراوس بن سمعان القبرسي في مدرسة الموارنة سنة ١٧٠٧ برومية الكبرى...»

٤٣ كتاب منطق يسمى «دالول منطيقي مهدي في السبيل الحقيقي» يحتوي القسم الاول من المنطق الذي يُدعى الايساغوجي وهو المنطق العلمي. بخطّ عربي قديم، ثقب الحبر والعثّ سطوره. لا ذكر فيه لمؤلفه وربما كان للتولوي.

٤٤ المعلّم الاديب للمسيحي المستفيد. «او تعليم المسيحي او طريق الحياة المسيحية المنتخب من الكتب المقدسة واقوال الآباء القديسين وقد ثبت واتضح بالحقايق والامثال وعجايب القصص ويشتمل على فصول عديدة.» وهو بخطّ عربي قديم ايضاً، وغفل من اسم المؤلف والناسخ، وعلى عبارته مسحة من العربية الفصحى.

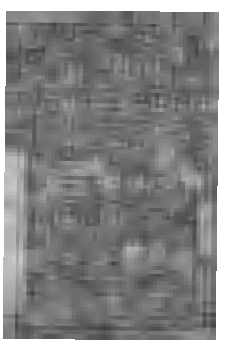

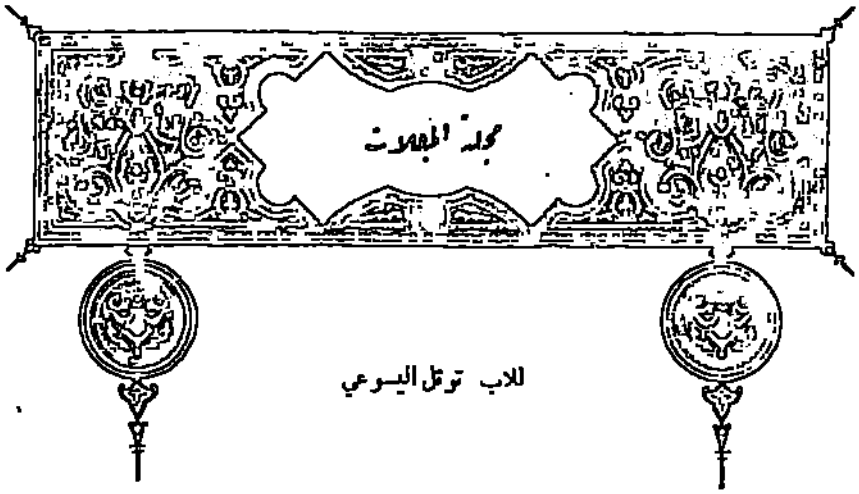

للاب توفل اليسوعي

البابا والارثوذكسية

يروقنا ان نلخص ما كتبه السيد المطران دريني في رسالة قلب يسوع الافرنسية (١٩٣٠ : ٢) عن الاتحاد الكنائسي الذي اتخذته رسالة الصلاة موضوعاً « لنية » شهر كانون الثاني. والسيد دريني ، رئيس المعهد الشرقي البابوي ، زار الكنائس الشرقية في العام ١٩٢٨ ، وتحدّث الى الطيب الذكر البطريرك غريغوريوس حدّاد ، مقترحاً عليه ارسال شبان او كهنة من الطائفة الارثوذكسية الكريمة ، يطلعون على محتويات المكتبة الفاتيكانية العلمية ، ويقفون على الحركة الفكرية في المعهد الشرقي البابوي . وكان غبطة البطريرك المتوفّى قد وعد بتلبية دعوة الاسقف اللاتيني عند ما تسنح الظروف لذلك (راجع المدية ٧ ايلول ١٩٢٨)

قال السيد دريني :

لو ان كاتباً دوّن عناوين ما عمله البابا بيوس الحادي عشر في سبيل اتحاد الكنائس الشرقية بالكنيسة الرومانية ، لاتى بمجلد تزيد صحائفه على صحائف عدد من اعداد مجلة رسالة قلب يسوع الافرنسية .

ان الانفصالات والمرطقات والانشقاقات متأصلة في روح القومية والانفراد الشخصي. وقد تضرب تلك الروح غشاء على العيون ، وتعذر بعض العذر القوّاد الثانويين من سمعوا الى اصوات التمليق وفقدوا نفوذهم الفكري وانقادوا الى هوى رعاياهم .

لامثال هؤلاء المرشدين الثانيين ذكر محفوظ في تاريخ كنائس افريقية الشمالية ، هو ذكر آلامهم ونتائجها . وانهم ، عن غير علم منهم ، فتحوا

السبيل الى الحملات البربرية الوندالية ، ثم الى الفتوحات الاسلامية مما نتج عنه خراب المسيحية في افريقية الشمالية لقرون اتافت على العشرة. من اجل هؤلاء وامثالهم صلى المسيح قائلاً: « ليكونوا جميعهم واحداً »

ان الكنيسة الرومانية لم تنفك قط عن السعي في سبيل تلك الوحدة. واذ يدور محور كلامنا اليوم على قداسة البابا بيوس الحادي عشر ، فحسبنا التنويه ببعض مآتيه في ذلك الشأن لنكون على بصيرة من صدق ما قدمناه .

من نظر الى مجهودات البابا نظرة سطحية توهم انها اخفقت في مساعيها ، وحكم بانها اثارت حركة مقاومة اعنف منها اليوم مما كانت سابقاً . لكنما هي الاعمال الاساسية ، الشاقة ، الصعبة ، فان تركز على الصخر فلن تتزعزع .

لا ينقضي العام الا وصوت الاب الاقدس يحث الكثلكة جمعاء على الاغراق في الصلاة طلباً من المسيح ان يرد الوحدة لكنيسته . وها ان جنود البابوية يستميتون بالمئات في سبيل الوحدة: الصعوديون بالجهاد الرسولي والعلمي ، والشاهد عليهم في ذلك نشرتهم « اصداء الشرق » . الدومينيكان في ارمينية والموصل ، وقد فتحوا حديثاً مدرسة اكليريكية في فرنسة وادخلوا بعض رهبانهم في الطقس السلافي ليسعوا في سبيل رد السلافيين الى الوحدة . وهؤلاء اجمعون لهم مراكز في روسية يعملون فيها على بث روح الوحدة . الاباء البندكتيون ومدرستهم الاكليريكية السريانية في اورشليم واليونانية في رومة . الآباء المخلصيون للقديس ليغوري ، ورسالاتهم في بلاد الاوكران الروسية . الآباء الكرمليون ، واللعازاريون ، والفرنسيسكان ، والكبوشيون ، والكونفانتوال ، والآباء البيض ، والآلاميون : هؤلاء اجمعون يبذلون جهدهم في خدمة الكنائس الشرقية . الرهبانية اليسوعية العاملة منذ نشأتها في الهند ، وتركية ، وارمينية ، وسورية ، وفلسطين ، ومصر ، وبلاد الحبشة في سبيل الاتحاد ، والمعهود اليها اخيراً بتدبير المدرسة الروسية والمعهد البابوي الشرقي .

واخيراً الباسيليون وغيرهم من رهبان وكهنة شرقيين مع اساقفتهم وبطاركتهم المجاهدين في مجامعهم ومشاريعهم تلبية لنداء الاب الاقدس في سبيل الوحدة . فان اصواتهم تبلغ الى آذان الاخوة المنفصلين مأنوسة بوحدة

اللغة والتقاليد .

وفي كل عام يؤمّ رومة رهط من الكهنة الغربيين او الشرقيين المتوقدين غيرةً على الاتحاد ، درساً لوسائل الوصول اليه وها ان المعهد البابوي الشرقي لهؤلاء وغيرهم من الوف المسيحيين الغُيُر على ردّ وحدة الكنيسة الجامعة الى ما كانت عليه سابقاً ، قد انشأ مجلة خصوصية اسمها : الشرقيات المسيحية *Orientalia Christiana* . وهناك جمهور من المؤمنين خاصة في الولايات المتحدة في اسبانية يجودون عن كرم واريحية ، ليس فقط بصلواتهم ، ولكن بالمبالغ المالية الكبيرة ليوفروا بين يدي اب المؤمنين العام وسائل السعي والنجاح في سبيل الاتحاد .

نكبة ازمير الكبرى ونتائجها

عن مجلة العالم الاسلامي الانكليزية بتوقيع فلفريد بوست باختصار (١٩٣٩ : ٣٦٩)

أُحرقت ازمير في ايلول ١٩٢٢ ، وما زال اوارها مضطرماً في مخيّلة الذين شاهدوا ذلك الحريق الهائل . النار والسيف والسبي ساقت بقايا اليونان والارمن الى رؤوس السواحل ومنسمات الشواطئ . ولولا رحمة الباري لامتدت ألسنة اللهيب والتهمت الهاربين قبل صعودهم الى متون المراكب . ولكن هبت ريح من البحر فطيرت عنهم شرارات النار ، وحالت بينها وبين المسيحيين . ثم همدت النيران ، وانطفأ الحريق ، ونُقل جمهور من نجا من نكبة ازمير ، بعضهم الى بلاد اليونان ، وبعضهم الى جزر بحر ايجه . وبات الوف غيرهم في داخلية البلاد فريسة للجوع والامراض ، ولم يخلص اخيراً من هؤلاء الا ارهاطٌ تمكنوا من البلوغ الى بلاد اليونان بعد تيه عظيم في بلاد الاناضول .

عقب حريق ازمير مذاكرة « مودانية » وهي البلدة الواقعة على شاطئ بحر مرمرة . وبتلك المرة ايضاً كان التحاسد وقلة الثقة المتبادلة اقوى مساعد للاتراك على الاوربيين . حفظت تركية القسطنطينية وملحقاتها ، وفيها تراقية الشرقية ، وفُتح لها باب لمطاردة المسيحيين اجمعين من حدودها . مليون من البشر اجلوا عن البلاد مسقط رأسهم . فمات منهم من مات ، ونجا من نجا ، وحلّ محلهم الاتراك المحمديون بعد ان أُرغموا على الاجلاء عن البلاد والجزائر اليونانية ،

وقد هاجروها آسفين .

شهدنا المأساة فتطايرت لها البابنا لوعةً وشفقة . لقد بطشت تركية برعاياها الغير المسلمين بطشاً لم تعهد له سابقاً ومثيلاً . ولم تكن وحدها الظالمة في تلك المأساة لان تبعة احراق ازمير عائدة على اوربة ايضاً وعلى اميركة نفسها . وما كان ايسر حماية ازمير دون نكبات السيف والنار !

دخل الاتراك ازمير ، وفي مرفأها ١٥ او ٢٠ سفينة حربية بين اميريكية وانكليزية وافرنسية وايطالية . لو ان ذلك الاسطول الضخم رفع علم المدنية في وجه الجيش الكمالي ، واعلن نصرته للعمران على البربرية ، لكان قد اتّقى مؤونة شرور كثيرة . لو ان قائد المتحالفين العام لفظ كلمة واحدة ، لردّ سيف الاتراك الى غمده ، واطفأ اللهيب في اول شعلته . لو ان المتحالفين اتفقوا على المبدأ الانساني القائل بصيانة الاعراض ونصر الضعيف واسكتوا في صدورهم صوت المجاشع ، لبلغت الى قلوبهم اصوات اللاهفين رقاموا يردّون الاتراك على اعقابهم ملجئينهم الى الخلود الى الامن والسلم في بلادهم الاسيوية . وما كان بالعسير عليهم آنذاك ان يقيموا القسطنطينية قاعدة لحكومة مستقلة اشبه بحكومة سويسرة ، فيجعلوها محطة سلم وراحة يتلاشى فيها التصادم بين الشرق والغرب ، ويخفق عليها لواء السلم فيمتد ظله الى اقاصي الشرق الادنى ويكتنف بحمايته ارضاً يلم فيها الارمن شتات امتهم ويعيشون آمنين ، متصلين بالبحر المتوسط والعالم الغربي .

لقد حدث سابقاً ان تحركت الامم المتمدنة بعاطفة الانسانية الفطرية واجمعت آراءها ومجهوداتها ، فارغمت الاتراك ، في الشرق الادنى ، على تخويل بعض الحرية جزءاً من البلاد السورية ، اعني به لبنان . تحرر لبنان عام ١٨٦٠ من الحكم التركي المباشر ، وصار مقاطعةً امينةً غنية ، ونصيراً للمسيحيين المضطهدين . اما اليوم فروح الانانية اصبحت اقوى من ان تضحّي بالمصالح الخاصة في سبيل العمران العامّ ، ففرقت بين المتحالفين وادّى امرها الى نجاح الاتراك وفوزهم .

على ان عناية الله الجواد لتستنتج من الشر خيراً . لقد أنت بلاد اليونان ،

تحت وطأة المهاجرين وعددهم مليون . ولكن ما لبثت ان اقتسمتهم وتوزعتهم ووظفتهم في الصناعة والاقتصاديات . حلّت جماهير الارمن سورية فما عتموا ان خاضوا ميدان الجهاد بعزمهم المعهود وثباتهم على المشقات ، فحفظوا حياتهم القومية وايمانهم المسيحي ووضعوا في كفة الميزان ثقلاً قلّل من تباين المناسبة بين العناصر الدينية ، وادى الى التوازن الاجتماعي اذا ما ضُرب تعادل الحقوق بالنسبة الى عدد النفوس في الاديان.

وانتجت تلك الحوادث بعض الخير لتركية نفسها : حُرّم تعداد الزوجات وفُكّت قيود المرأة من تظلم الرجل الصارم في الطلاق ، وكسرت شوكة العلماء المتعصبين ، وأُسفر عن وجوه النساء فاستبشرنَ بنور الحرية ؛ وخلع الطربوش عن عرشه فتساوى التركي والاوربي زيّاً ، عسى ان يتساويا ثقافة وعلماً ، ونبذت الابجدية القديمة الصعبة وابدلت بالابجدية اللاتينية سدّاً للحوائج العصرية.

تحرير المرأة في تركية

عن مجلة الدروس الاسلامية الافرنسية (١٩٣٩ : ١٦٣)

لم تبتدئ حركة تحرير المرأة في تركية الا بعد تنظيم حزب الاتحاد والترقي في السنة ١٩٠٨ ، وكانت غاية التنظيمات الاولى التي ادّت اليها تلك الحركة ان تنال بعض الحريات للمرأة : التعليم على درجاته المتوسطة او العليا ، المساواة في البيت والاسرة ، الحرية في السفور وفي انتخاب العمل . واخذت تتألف في القسطنطينية اندية ادبية وجمعيات خيرية ، وظهر في العالم التركي نساء نلن بعض الشهرة في التأليف وفي المشاريع الاجتماعية .

ولكن لم تبلغ تلك الحركة اقصى درجات رواجها الا في الحرب الكبرى ، اذ تألفت جمعيات لمساعدة العسكر في جبهة القتال ؛ وعند احتلال اليونان ازمير ، لما تآمرت النساء التركيات على رفع الاصوات بالاحتجاج .

ومما ساعد كثيراً على استئصال شأفة العادة القديمة الحائلة دون نجاح الحركة النسائية ، هو اشتغال النساء في الوظائف اللاحقة بخدمة الجيش ما وراء المعسكرات ، وفي الدوائر والمصارف والمخازن . في تلك الحالة الاجتماعية

الجديدة التي ولدتها الحرب العظمى ، لم تلبث المرأة التركية ان نالت مقاماً قديراً، ومثلت دوراً لم تتعلمه من صباها . فانها ناضلت نضالاً غرضه حرية البلاد وحقوق المرأة. ولما قررت حكومة انقرة فتح مدارس ابتدائية مختلطة للجنسين فُتح في الوقت عينه باب التعليم العالي للنساء . وتألفت الجمعيات النسائية حتى اصبح عددها ١٥ في السنة ١٩٢٠ ، وغرضها مساعدة المرأة على الرقي وتهيئتها لدخول المعاهد العليا او الجامعات.

وفي اوائل سنة ١٩٢٣ انشئ حزب جديد اسمه « مدافعة حقوق نسوان » استه نزيهة محيي الدين هانم المعلمة ، وابنة رئيس محكمة التمييز في الموصل. ولم تكن تلك الحركة لتنمو وتبلغ غايتها من غير مساعدة الحكومة . وهذه المساعدة اتتها بفضل التجدد الذي احدثه مصطفى كمال الغازي في تركية. اول ما اهتم به هو تغيير الازياء. ففرض على الرجال لبس القبعة ، وعلى النساء السفور (ايلول ١٩٢٥) واقرّ القانون الجديد الذي وضعه المجلس الوطني الاكبر في انقره في النظام الشخصي النسائي الجديد. فابدلت مراسيم الطلاق القديم بمراسيم جديدة منها ان عقد الزواج المدني يجب ان يسبق عقد الزواج الديني في الاديان جميعها. وان زواج الوصي والقاصر محدود ضمن ١٨ سنة للرجال و ١٧ للنساء ، وانه لا حرج البتة في فسخ الخطبة.

ولم تكتفِ جمعية اتحاد النساء التركية بتلك البنود بل طالبت ايضاً بالمساواة الكاملة بين الجنسين وحقوق المرأة السياسية . فاحتجّ من ثم والي القسطنطينية ، قائلاً ان المرأة خُلقت لولادة البنين وتربيتهم ، لا للسياسة والوظائف. فلم ينل على قوله رضى الحكومة ، وصار هدفاً لغيظ نادي الفتيات . على ان تطلب المرأة التركية الحقوق السياسية لم ينل غايته بعد ، ولا تزال الصحافة تناقش بامره.

شذرات

جوازات السفر

سورية ولبنان بلاد الاتصال والسفر والنقل بين الشرق والغرب ، ولذلك يهمنا كل ما يتحدث به الناس من الامور المسهلة الاسفار. وقد جاء في النشرة «جورنال دي ديبا» الافرنسية ما يلي :

« تشكلت في باريس لجنة دأبها النظر في المعاطاة مع الاجانب ، وهي تبحث في الوسائل الواجب استعمالها لشدّ عرى الاتفاق بين الشعوب ، تسهيلاً للسفر ، ولنقل رؤوس المال والبضائع. وقد ذكرنا السفر اولاً اعني تنقل الانسان من مكان الى مكان ، والانسان ملك الخليقة الارضية ولكن ، بالحقيقة ، صرفت اللجنة همها الى العناية بالاشياء اكثر منها بالانسان . فان اهل الصناعة والتجارة اكترثوا للصناديق والحزم والطرود اكتراثاً لا يتخلله فكرة عطف على المسافرين المساكين ، كأن ريح مباغضة الاجانب هبّت على البلاد ، ولفحت كل رجل تأبط متاعه للسفر ، حتى في بلاد الانكليز الشهيرة بحسن تصرفها مع الغريب.

«هل من يعرض هذه الاسطر على اللجنة الساعية في شد عرى المواصلات بين الشعوب ، فتخفف عبء الضرائب الموقرة كاهل المسافرين ، وتشمل الانسان بالعناية التي تشمل بها السلع في حركة النقل. منذ ٧٠ او ٨٠ سنة كانوا قد الغوا جوازات السفر في البلاد الراقية . وكان موظف واحد في لندن يقوم بمهمة التأشير على اوراق المسافرين فلا يوقع الا ٢٥ او ٣٠ تذكرة يومياً : انما هي المسافرين الى روسية ، او الى امثالها من البلاد الغير المقصودة كثيراً. ولكن اليوم نرى جيشاً من المرتزقين من مهنة التأشير مقيماً على ابواب الثغور . وليست تبعة الامر مما يلقى على الحكومة البريطانية ، ويوجد منذ العام ١٩١١ ، في انكلترة بين اعيان موظفي الوزارة ، من يحتج على القساوة الجارية في معاملة الاجانب المسافرين. »

عرّبنا المقال مختصراً ونحن نتمنى ان تخفف حكوماتنا من الرسوم المتقاضاة على تأشير جوازات المسافرين ، فلا تعوق حركة السفر ، خاصة ما بيننا وبين فلسطين . ولعل التنويه بالامر اتى في محله ، اليوم ، والازمة العربية الصهيونية دفعت جمعية الامم الى معالجة شؤون الاراضي المقدسة ؛ وان تسهيل السفر اليها لزيارتها ليس من اقل مشاكلها اهمية .

من معارك العرب

جاء في الاغاني (٣ : ٧) من الطبعة الجديدة :

جلس رسول الله (صلعم) في مجلس ليس فيه الا خزرجي . ثم استنشدهم قصيدة قيس بن الخطيم ، يعني قوله :

أتعرف رسماً كاطراد المذاهبِ لِمَيّةَ وحشاً غيرَ موقف راكبِ

فانشده بعضهم إياها ، فلما بلغ الى قوله :

اجالدهم يوم الحديقة حاسراً كان يدي بالسيف مخراق لاعبِ

التفت اليهم رسول الله (صلعم) فقال : « هل كان كما ذكر ؟ » فشهد له ثابت بن قيس بن شماس ، وقال له : « والذي بعثك بالحق ، يا رسول الله ، لقد خرج الينا يوم سابع عُرسه عليه غلالة وملحفة مُورَّسة ، فجالدنا كما ذكر » .

هكذا في هذه الرواية . وقد اخبرني الحسن بن علي قال : حدثنا الزبير بن بكّار قال : حدّثني عمي مُصعب قال :

لم تكن بينهم في هذه الايام حروب الا في يوم بُعاث ، فانه كان عظيماً ، وانما كانوا يخرجون فيترامون بالحجارة ويتضاربون بالخشب . قال الزبير : وانشدت محمد بن فضالة قول قيس بن الخطيم :

اجالدهم يوم الحديقة حاسراً كان يدي بالسيف مخراق لاعبِ

فضحك وقال : « ما اقتتلوا يومئذٍ الا بالرطائب والسَّعَف . »

مطبوعات شرقية جديدة

Jedermanns Bücherei. *Breslau, F. Hirt.*

1. **Unger (E.)**: Assyrische u. Babylonische Kunst. 140 *pp.*, 103 *fig. phot.* 1926.
2. **Wellesz (E.)**: Byzantinische Musik. 96 *pp.*, 18 *reprod. phot.* 1927. *Chaque volume relié* : 3 *M.* 50

١ – الفن الاشوري والبابلي
٢ – الموسيقى البيزنطية

سبق لنا ان قدّمنا الى قرائنا الكرام بعض مجلدات من هذه المجموعة . وها اننا نذكر اليوم مجلدين يهمان بنوع خاص شرقنا العزيز :

يلحق الاول بمجلد سابق نشره المؤلف نفسه عن الفن السومري والاكدي (البابلي القديم) فاردفه بهذا باحثاً عن الفن الاشوري الذي لم يكن معروفاً حتى اليوم بظاهره القديمة ، ثم عن الفن البابلي الحديث منذ عهد بختنصر الشهير . هذا وان العهد الاشوري العريق في القدم لم يُعرف الّا مؤخرًا بفضل ما أجري من الحفريات الالمانية الجزيلة المنفعة في اشور ، فاظهرت ان هذا الفن في بدء امره في الالف الثالث ق.م.، كان مديناً للفن السومري . وانه تأثر بعد ذلك بمؤثرات الفن الحثي . ولكنه تخلص منها شيئاً فشيئاً حتى وصل الى نضوجه في اوائل الالف الاول ق. م. والى هذا العصر ترتقي روائع الفن الاشوري بما فيها من الدقة في التصوير والنجاح بتمثيل آية السلطة والقوّة التي ميزت الامبراطورية الاشورية في مجال السياسة . يدرس السيد أنغر كل ذلك ملخصاً هذه العصور المختلفة عن علم واسع ودقة وابتكار ، مردفاً اقواله بمنتخبات موافقة من آثار ذلك الفن . وقد لفت نظرنا في كتابه فصل طريف وجزيل الفائدة تكلّم فيه عن «المتاحف القديمة» اي عن المجموعات التي كان يحتفظ بها بعض الملوك مما كان يقع تحت ايديهم من الآثار الفنية اثناء الحروب كالتماثيل والرُّقم وما شاكل . وله فصل آخر يزيد على ذلك غرابة دعاه «كتاب تسلسل الشرق» درس فيه الآثار المصرية والاشورية المحفورة في نهر الكلب . على اننا نعتقد ان المؤلف

يبالغ في حكمه اذ يرى في النقوش ذات التتويج المستطيل اثر الملوك الأشوريين حوالي سنة ٢٠٠٠ ق. م.

اما المجلد الذي خصّه السيد ولز ، الاستاذ في جامعة ڤينّة ، بدرس الموسيقى البيزنطية فانه يهمّ دون شك موسيقيينا الشرقيين وخصوصاً الاكليريكيين من الروم الملكيين . وقد توصّل المؤلف ، بعد غيره ، الى نتائج مقرّرة في ما خصّ قراءة العلامات الموسيقية التي ضُبطت بها المخطوطات البيزنطية من عهد قديم (القرن العاشر) وتتابع استعمالها حتى عصرنا . وقد اختار المؤلف سلسلة من التراتيل الكنسية اوردها بالعلامات الموسيقية العصرية ، واردفها بعدة لوحات صوّر فيها عصراً فعصراً ، بعض الصفحات من المخطوطات المُعلّمة . وختم الكتاب بسلسلة مفيدة من المآخذ. فكانت هذه اول مرة يدرس فيه الموضوع بطريقة شاملة تستحق التهاني. س. ر.

Pace (Biagio): Camarina. Topografia, storia, archeologia. *XI*- 165 *pp. gr* 8°, 69 *illustr. et* 2 *cartes topogr. Catania, Tirelli*, 1927.

كارينة : تخطيطها وتاريخها وعادياتها

ظهر هذا الكتاب سنة ١٩٢٧ في مجموعة علمية اسمها « صقلية القديمة » ؛ وهو يستحق ان نلفت اليه نظر القرّاء الكرام كالى مثال عالٍ للتأليف في التاريخ الموضعي وما اليه من علم التخطيط والعاديات . اما كارينة التي هي موضوع الكتاب فتقع في الجانب الجنوبي الغربي من جزيرة صقلية . وقد بحث في آثارها اولاً شوبرنغ (Schübring) ثم الاثري الصقلي الكبير بارلو اورسي (Orsi) . وكان السيد باتشي ، وليد المنطقة نفسها ، اجدر من يقوم ، بعد ان اجرى الحفريات في تلك الناحية ، بتلخيص اعمال سلفائه وتكملتها. فقام بذلك خير قيام ودرس ، في صفحات ملأى بالمعلومات ، تخطيط المنطقة التي يعرفها جدّ المعرفة ؛ ثم تطوّرها في العصور السابقة للتاريخ حتى تأسيس المدينة المعروفة باسمها على يد سيراكوز سنة ٥٩٨ ، ثم الدور التاريخي الذي مثلته في ما ولي من العصور ، وما قامت به من الحروب ضد قرطاجة خاصّة ، وخرابها على يد

رومة في القرن الثالث ق. م. ، ثم ذكر الحوادث المحلية التي تتعلق بها من ذاك التاريخ حتى ايامنا تقريباً. اضاف الى ذلك ذكر الآثار والمقابر الباقية منها ، ودرس العملة التي كانت تتداول فيها ؛ واردف المجلد بخارطتين لتخطيط الناحية واحدة منهما بقياس كبير ، فزاد قيمة تأليفه النفيس . فللمؤلف وللناشر تهانينا. س. ر.

P. Gentizon : Mustapha Kemal ou l'Orient en marche. *in-8°*, 350 *pp. Prix* : 30 *fs. Paris, Editions Bossard.*

مصطفى كمال او الشرق السائر

غاية المؤلف ان يمدح كل ما حصل من التغير في تركية في السنين الاخيرة، فدلّ بذلك على نوع من العقلية الغربية يدفع الاوربيين الى الاعتقاد انه يكتفي لبلد ان يتخذ ما يدعونه « بمدنيتنا » فيحوّل حكمه الى جمهورية ويعلن علمانيته حتى يستاهل المدح دون تحفظ . وان عدم التحفظ هذا شائبة في الكتاب لانه يحمل صاحبه على عدم التحقيق في احكامه ، وعلى الانصراف عن الاتمام في استقراءاته. ولا يكفي ان «يقلب الشعب جلده» كما يقول المؤلف في المقدمة ، بل يجب ان ايضاً ان تنتبه لما تجرّه هذه العملية من المخاطر . اقام المؤلف خمس سنوات في تركية ، فكان يُرسل يوماً فيوماً الى جريدة « الطان » بما يحدث من الانقلابات والتغيرات في ذاك « الشرق السائر » . ولهذا فان معلوماته مفيدة من حيث تاريخيتها ويمكن الاحتفاظ بكتابه كواحدة من مستندات المسألة الكمالية التي لم يُعرف بعد مبلغ تأثيرها في المستقبل. ج. ل.

Morichini (Ugo) : La civiltà mediterranea. *in-16*, 288 *pp.*, 1928. *Prix* : *L.* 20

مدنية البحر المتوسط

يدرس المؤلف في هذا المجلد الجميل المظهر ، سرّ مدنية البحر المتوسط ، ويظهر لوطنيّه الاسباب التي دفعت ايطالية الى ان توحّدها مرتين . فيلخص في فصول موجزة تاريخ الشعوب القديمة التي نشأت على شواطئ المتوسط ، وما دفع ببعضها من المطامع الى التوسع والسيطرة على الجيران ، حتى نهضت رومة

فكسفت الجميع بسيطرتها وبما نشرته من النفوذ الروماني. اما النتيجة من كل هذه التذكارات المعروضة بعناوين رنانة فتظهر للمطالع بسرعة ، فيدرك غاية المؤلف ، وهي ان التاريخ يعيد نفسه وذاك قوله ص: ٢٩٧ «ان ايطالية سوف تحلّ تلك المسألة القديمة بتوحيد الموازنة من جديد.» ج. ل.

Bendinelli (G.): Torino romana. [*Bibliotheca magistrale*] 63 *pp. in* - 12°, 1 *plan et* 55 *reprod. phot. Torino, Paravia.* 1929.

تورينو الرومانية

يلخص هذا الكتاب ، بحجم لطيف سهل الحمل ، سلسلة من الابحاث عن تورينو الاوغسطية القديمة ، مع خريطة بالآثار الرومانية ، ومجموعة جميلة من الصور الشمسية من مناظر ، وخرائط ، وعاديات . فيظهر مثالاً حسناً للبحث العلمي المعروض لجمهرة القراء. ذكر فيه المؤلف المآخذ الكافية للموضوع ، ثم لخص تاريخ الناحية القديم ، فوصف تأسيس المدنية على يد الرومانيين ، فتقلبات تاريخها في عصر الامبراطورية والعصر البيزنطي ، حتى ايامنا هذه . وانه لمن السهل على من زار تورينو ان يرى كيف ان الماضي يعدّ المستقبل في تاريخها. ومما يجدر بالذكر ان هذه الحقبة الاخيرة دفعت الكثيرين من العلماء الشبان في ايطالية عموماً الى احياء معالم مجدهم الغابر . فقام السيد بنديللي بمهمته قياماً يفتخر به مواطنوه ويستفيد منه الاجانب. س. ر.

P. de Sury d'Aspremont: La Presse à travers les âges, France, Allemagne, Angleterre, Etats-Unis. *in* - 12, 268 *pp. Paris, Desclée, de Brouwer et C*°, 1920.

الصحافة في عصورها المختلفة في فرنسة والمانية وانكلترة والولايات المتحدة

مارس مؤلف هذا الكتاب تدريس صفّ خاصّ بالصحافة في جامعة فريبورغ في سويسرة ، فجمع معلوماته النفيسة ، متتبعاً سير الصحافة منذ نشأتها ، اذ كانت بذرة صغيرة حتى نموها الحالي ، وهي شجرة عظيمة تشدو فيها بلابل الدنيا وبيناواتها ايضاً ، كما يقول المؤلف . على انه حصر ابحاثه في صحافة فرنسة والمانية وانكلترة والولايات المتحدة ، وهو موضوع فسيح خاض فيه عن علم

وجدارة فذكر كل ما تهمّ معرفته من المعلومات الدقيقة والميزات الفارقة لصحافة كل من البلاد المذكورة. وهو يعتبر ان للصحافة بعثة خاصة في تهذيب المجتمع وللصحافيين واجبات كثيراً ما لم ينتبهوا لها لسوء الحظ . وعلى الجملة ان الكتاب ضروري لكل من طمح بانظاره الى الانخراط في سلك الصحافيين. ج. ل.

J. Rivière : Monseigneur Batiffol 1861 - 1929. *in* - 12, 95 *pp. Paris, J. Gabalda et Fils*, 1929.

ترجمة المونسنيور باتيفول

هي ترجمة حسنة تُظهر المحطات المهمة في حياة المنسنيور باتيفول واعماله وآثاره. كان المؤلف قد نشرها في المجلة الجدلية (نيسان وايار ١٩٢٩) ، فاعاد فيها النظر ، وزاد عليها ذيلاً ببعض المستندات وباقوال المجلات الشهيرة في بعض مظاهر حياة الفقيد. يطالع القارئ كل هذا ، فيخرج منه وقد شعر بان المترجم من اولئك الكهنة الذين يحقّ لكنيسة فرنسة ان تفتخر بهم. ج. ل.

Theddaeus Soiron O. F. M. : Das Evangelium und die heiligen Stätten in Palästina. *in*-16, 212 *pp. Paderborn, Verlag Ferdinand Schoening*, 1929. *Prix* : 5 *M.*

الانجيل والاماكن المقدسة في فلسطين

هو المجلد الاول من مجموعة ذات اربعة مجلدات يقوم بنشرها المؤلف بعنوان « الانجيل في فلسطين » يدرس فيها كل ما احاط بالحوادث المذكورة في الانجيل من المناظر الفلسطينية ، واخلاق السكان وعاداتهم ، وما اختصت به تلك البلاد من الحيوان والنبات . فاذا كانت الثلاثة المجلدات الآتية بحجم الاول ووضوحه ، تكون المجموعة دون شكّ من افضل الموسوعات الصغيرة في الموضوع واسهلها استعمالاً . وقد زيّن المجلد باحدى وخمسين صورة متوسطة الطبع يمثل بعضها حالة بعض الهياكل في وقتنا الحاضر كمعابد جبل الطور وجتسماني . والكتاب ، على الرغم مما فيه من الميل الكثير للاعتقاد بكل التقاليد الموضعية ، يظهر جزيل المنفعة لزوّار الارض المقدّسة ، ولمعلّمي الكتاب المقدس وطلابهم ، ولجميع الوعّاظ ب موترد

J. Charbonneaux : L'art égéen. [*Bibliothèque d'histoire de l'art.*] 60 *pp. petit* 4°, 72 *planches phototyp. Les éditions G. van Oest.* 1929

الفن الايجي

لأول مرة يظهر هـذا العمل الشامل باللغـة الفرنسوية في موضوع الفنّ الايجي اي فنّ جزر بحر ايجه وشواطئه في العصر السابق لعصر الفنّ اليوناني (من سنة ٣٤٠٠ الى ١٢٠٠ ق. م.) وهو عصر الملك مينوس المشهور في الاساطير — وقد ظهر قصره على اثر الحفريات المهمة التي اجراها السير ارثور ايفانس Evans منذ السنة ١٩٠٠ — وعصر اغاممنون وزملائه من ابطال الاغريق الاقـدمين . اما مؤلف الكتاب السيد شربونو فقد قام بحفريات مهمة في مالية واقريطش ، وكان عضواً في مدرسة اثينة ، وهو اليوم معاون امين متحف اللوفر . وقد بحث في قصور تلك الجزر وآثارهـا المكتشفة ، ومـا عليها من النقوش والتصاوير الدقيقة الصنع كتماثيل « الالهات والحيّات » ، ونقش « الامير وزهور الزنبق » وتصاوير « حامل الاناء » و « السعدان الازرق » و « الاسماك الطيارة » وغير ذلك ، التي زيّنت قصور كنوسوس ، وهاجيا - تريادا ، وفيلاكوبي . ثم درس آثار الصياغة كاكواب ڤافيو الشهيرة ، والاسلحة المختلفـة واغربها الفأس التي اكتشفها المؤلف نفسه وعليها صورة الفهد ، وما شاكل من تلك الآنية المزخرفة بصور الاخطبوط وغيره من الحيوانات البحرية . وقد زيّن المجلّد واتم فائدتـه الجزيلة بعدد من اللوحات صوّر فيها اكثر من ١٤٠ اثراً فنياً كان بعضها لم ينشر بعد .

Frank. L. Schoell : U. S. A. Du côté des Blancs et du côté des Noirs. *in*-12, 242 *pp. Prix* : 18 *fs. Paris, Champion,* 1929

من جهة البيض ومن جهة السود في الولايات المتحدة

من النـادر ان نرى في الولايات المتحدة افرنسياً لا يكون مسافراً او استاذاً موقتاً ، او محاضراً مارّاً . على ان شهادة ذاك الرجل قـد لا تكون اقلّ قيمة من شهادات هؤلاء ، خصوصاً اذا مـا عرفنا انه اقـام في الولايات

المتحدة عشر سنوات جال اثناءها في انحاء البلاد وراقب كثيراً من الامور. مراقبة المقيم العارف بالبيئة الاجتماعية لا مراقبة المسافر المارّ المأخوذ بالظواهر. وترك في هذا الكتاب صفحات عديدة غاية في اللذة والفائدة عن الزنوج وانتشارهم ونهضتهم ، وعن عادات القوم الانتخابية ، وعن الجوالي الاژاسية ، والجالية الفرنساوية في لوزيانا. فظهر كتابه افضل تابع لكتاب اندري سيغفريد عن « الولايات المتحدة في عصرنا. » ج.ل.

A son Excellenco Monseigneur F. Giannini *Impr. de St Paul* (*Harissa*) 1929

هي نشرة مصورة اصدرها باللغة الافرنسية حضرة الاب الياس اندراوس البولسي عنواناً لافضال نيافة القاصد الرسولي فرديناند جيانيني . وفيها مع رقيم للاب الاقدس لمحة في حياة صاحب اليوبيل ، وذكرى رسائله الرعائية.

خمسة اعوام في شرقي الاردن

بقلم الارشمندريت بولس سلمان

٢٧٦ ص متوسطة – مطبعة القديس بولس ، حريصا ، ١٩٢٩ –

اقام حضرة الارشمندريت بولس سلمان خمسة اعوام في شرقي الاردن ، تسنى له ان يجوب في خلالها نواحي ذاك القطر فيدرس عن كثب احوال قبائله وعاداتها ، في الاخلاق والادب والقضاء والدين ، ويقابل بينها وبين العادات القديمة عند الجاهليين والعبرانيين وغيرهم من الامم القديمة مما دلّ على المام واسع في تاريخ الشعوب الشرقية . فكتب في ذلك كله مقالات قيمة نشرتها مجلة « المشرق » ، فاقبل عليها القراء من شرقيين ومستشرقين اقبالاً دفع حضرة المؤلف الى اعادة النظر فيها وجمعها في هذا السفر النفيس الذي يحتلّ مركزاً خاصاً في الابحاث الاجتماعية عن جيل العرب في عصرنا هذا ف. ا.ب.

المثالث والمثاني : الجزء الثاني

ديوان حليم دمّوس

٣٦٤ ص . متوسطة – ٢٠٥ صور – مطبعة العرفان ، صيدا ، ١٩٣٠

هو الجزء الثاني من ديوان حضرة الشاعر المعروف حليم دمّوس جمع فيه

عدة قصائد ومقطعات نظمها في ظروف مختلفة في السنوات العشر الاخيرة . وقد زيّنها بمائتي رسم وخمسة رسوم لمن اشتهر من الادباء والكتاب والشعراء والصحفيين واصحاب الفضل ، وباربعين رسماً لخطوط البعض منهم . كل ذلك على ورق صقيل وبترتيب حسن . فاتى المجلد تحفة ثمينة ، ومستنداً قيماً للحركة الادبية والقائمين بها في القرن العشرين. ف.ا.ب.

همس الشاعر

من نظم الدكتور جورج صوايا

١٧٩ ص ، قطع مربع صغير – بوانس ايرس ، ١٩٢٩

قال الناظم عن ديوانه:

« لم تنظم القصائد التي يتألف منها هذا الكتيب لتكون ديوان شعر خالد ، فلا غرو اذا وجد فيها الاديب مباحث غير متماسكة ومواضيع كان يجب انتقاء غيرها ومعالجة ما هو افسح منها مجالاً لجولة الخاطر وتحليق الخيال.»

قلنا: «وصاحب البيت ادرى بالذي فيه ! » ف.ا.ب.

التحفة : الجزء الاول

مزدان بتسع واربعين صورة – المطبعة الكاثوليكية – بيروت ١٩٣٠ ، ص ١٢٧ وسط ؛ غ. س. ١٥

هي حلقة اولى من سلسلة اخبار وتعليمات وفوائد اهدتها الينا ادارة رسالة قلب يسوع. تصفح هذه التحفة ، ايها القارئ العزيز ، واحفظها فتضمّ اليها غيرها من الحلقات عند ظهورها. ف. ت.

المسيح لي حياة والموت ربح

خطاب على اسم القديسة تريزية الطفل يسوع

المطبعة الكاثوليكية ، ١٩٣٠

طبع حضرة الخوري يوسف العشيتي هذا الخطاب بمناسبة الاحتفال بتدشين المعبد الذي كرّسه على اسم القديسة ، وهو يحوي خلاصة حياتها وذكر بعض عجائبها مع الصلاة المخصصة بتساعيتها.

الحولية الحادية والثلاثون : قصيدة وخطاب

المطبعة الكاثوليكية ، بيروت

اهدى الينا حضرة الخوري الاسقفي بطرس حبيقه زهرة جديدة من زهور ادبه ، وهي تعبق بمديح البطريرك الماروني وتنم عن منزلته الرفيعة في القلوب . اطال الله حياة غبطته وحفظه ركناً للدين وللوطن .

* مكتبة يوسفاليان سركيس واولاده ، شارع الفجالة ٥٣ ، مصر * هو عنوان كراس اصدره صاحب المكتبة المذكورة وفيه لائحة كتب عديدة اخصها في التاريخ والجغرافية ، والتراجم ، واللغة ، والادب ، والشعر والفلسفة ، والاخلاق ، وغير ذلك من الفنون المتنوعة .

* حياة المسيح لابيني * ترجمة الارشمندريت انطونيوس بشير . مطبعة العرب البستاني ، مصر — الجزء الاول . — سوف نعود الى وصف هذا الكتاب بعد قراءة الجزء الثاني منه ، ان شاء الله .

اهمّ حوادث الشرق في شهر

١٥ كانون الثاني — ١٥ شباط

روما والشرق

صدر عن البابا بيوس الحادي عشر رقيم سام الى نيافة القاصد الرسولي ، فريديانو جيانيني ، يعرب عن رضى قداسته وعطفه على ابناء الكنيسة في الشرق عموماً ، وعلى المرسلات والمرسلين خصوصاً ، لما اظهروه من المحبة والولاء لشخص نائب المسيح بارسالهم التقدمات الروحية والمادية باسمهم واسم المؤمنين المعهود اليهم امرهم في المدارس والمستشفيات والرسالات وسائر المشاريع الصالحة . وذلك الاثر الجليل هو من اواخر ما اتحفنا به الكردينال غباري من الاعمال الرسمية ، لان الجريدة التي نشرت المرسوم المذكور بلغتنا ايضاً خبر قبول الاب الاقدس استقالة الكردينال غباري ، واسناد الوزارة البابوية ، او امانة السر ، محله الى الكردينال باشلي المعتمد البابوي سابقاً في برلين . وُلد الوزير الجديد

سنة ١٨٧٦ ، فهو في عنفوان عمره وعز قواه ، وسوف يكون خير مساعد للبابوية على القيام بمهمتها الالهية في العالم ، وخاصة في شرقنا العزيز . ونحن في حاجة الى سلطة ابدية توحد مجهوداتنا وتجمع كلمتنا في مقاومة اعداء الدين ، والنكبات قد حلت بالكنائس : في الاستانة ، حيث سلب بطريرك الفنار لقبه التاريخي فلقب « باش باباس » ، وحرم السينودس حق الاتصال مع الخارج الا بواسطة الوزارة التركية ؛ في بلاد اليونان ، حيث حجزت الحكومة قسماً كبيراً من املاك بعض اديرة جبل آتوس ؛ في بلادنا ، حيث فئة من المسيحيين يحققون بين الشام ولبنان طالبين لهم رئيساً ، كانهم لا يدركون ان كلمة واحدة من رئيس المسيحية الاكبر لأصوب مرمى واجزل منفعة واشرف وسيلة لهم للبلوغ الى مآربهم من تدخل الحكومة ، او رجال العلمانية في شؤون الكنيسة ؛ في بلاد المسكوب حيث بلغت الاضطهادات اقصاها واعلنت الحرب على الله عز وجل . ذلك ما ادى بالاب الاقدس الى مناشدة العالم المسيحي الصلاة من اجل روسية ، وسوف يقيم في ١٩ آذار على تلك النية ذبيحة القداس في كنيسة القديس بطرس في رومية .

ولما كانت تربية الناشئة الدينية اساساً لكل اصلاح ونهضة قومية ، ارسل الحبر الاعظم رسالة في ذلك الموضوع الى العالم كله ، وارسل رسالة اخرى مطرئاً فيها اساليب الرياضة الروحية كما اختطها القديس اغناطيوس دي لويولا ، وداعياً بها المسيحيين اجمعين الى ممارسة تلك الرياضات .

لبنان وسورية

اغلقت بعض المدارس ، وحصرت وسائل الاسعاف في مراكزها الكبرى ، وصرف عدد وافر من الموظفين الغير الضروريين للمصلحة العامة ، فتوفرت بين يدي الحكومة اموال اخذت تستعملها في احياء الزراعة من غرس اشجار وتجديد نسل حيوانات ، والحث على اخصاب موارد الرزق من الصنائع ، ريثما يتسنى تحقيق مشروع الخط الحديدي ومرفأ بيروت وطرابلس . ومن اخبار وزارة النافعة عن الربع الاخير من عام ١٩٢٩ ان برنامج اعمال الشتاء الحالي يحتوي على اصلاح

٩٤ كيلومتراً من الطرق الكبرى ، و ١٠١ من الطرق المتفرعة . وقد خصص لها في الميزانية ٤٨٦٠٠٠ ل.س. وعُقد مؤتمر الحرير فاتى مشجعاً على العناية بهذا الصنف الجدير بان يعود على البلاد بالخير النافع . ومما لا تخفى اهميته من التجديدات المرسوم الاشتراعي في تنظيمات الاحوال الشخصية في لبنان ، وتأسيس وظيفة قاضي القضاة للمسلمين من سنيين وشيعيين تكون بيده سلطة الحل والعقد ضمن منطقة لبنان . ونالت الوزارة رضى اللبنانيين في البلاد وفي المهجر على تدابيرها . لكنها لا تزال تجد بوجهها عقبة عليها ان تتوق مكايدها انما هي فئة بعض المعزولين عن وظائفهم المستعدين ان يضموا اصواتهم الى اصوات الشعب القلق المصطبغ بالوان التدين المراءي اثارةً للفتن . ولكن الدولة المنتدبة ساهرة على حفظ الامن والنظام . وان تظهر سحابة في الجو فلا مضرة منها بعون الله . وربما انقلب اعداء الوزارة في لبنان وفي سورية مناصرين لها ، اذا ما ذاقوا اثمار اصلاحاتها . فتلك من ثم الحكومة السورية مناهج الحزم والعزم والحكمة اقتفاء آثار حكومة لبنان . وهي في مسيس الحاجة الى النظام ، على الخصوص اذا عادت بلاد حلب وكررت طلبها باستقلالها عن الشام .

اما الحالة مع جيراننا الاتراك فقد تبعث الى الاطمئنان بعد المعاهدة الجديدة بين فرنسة وتركية خاصةً فيما يهم الحدود السورية الشمالية . وافتتح خط طوروس السريع الذي يصل خط سنبلون السريع بالقاهرة والبصرة .

مصر

عالجت جمعية الامم في جنيف في لجنة الافيون امر مكافحة المخدرات . ومعلوم ان مدمني المخدرات في مصر يزيدون كثيراً على نصف مليون شخص ، وفي جملتهم اطفال عمرهم ٦ سنوات ورجال عمرهم ٩٠ سنة . وقد تقع تبعة تلك المضرات على الدول المرخصة بصنع المخدرات والتجارة بها . على ان اتلاف محصول الحشيش كله في البلاد السورية قد نال ثناء جمعية الامم على معاونة الدولة الفرنسية في استئصال شأفة ذلك الداء الفتاك ف . ت .

المشرق

نيسان ١٩٣٠

الحياة في الاجرام السماوية (*)

بقلم حضرة القس عبد المسيح زهر

اذا سرّح المرء رائد الطرف في اجواز الفضاء ، وتبصر في الاجرام السماوية التي لا يكاد يقع عليها عدّ او احصاء ، وتأمل بفكره ما اولاها المبدع العظيم من الخصائص الغريبة العجيبة ، حضره سؤال مهمّ جدًا اي : هل لهذه الاجرام ، مع كثرة عددها ، وكبر اجسمها ، واختلاف الوانها ، نصيب من الحياة ؟ ام بالاحرى هي ميتة لا حياة فيها ؟ وهل الحياة مقصورة على سيّارتنا الصغيرة وحدها ، لا يشاركها فيها بقية السيارات والكواكب التي لا يحصى عددها ، ولمّا يصل بعد الينا نورها ؟ ام الحياة سهم يضرب به الارض والسيارات والكواكب ؟

ولما كانت المسئلة صعبة جدًا وشديدة الغموض لقصر باع العلم عنها ،

(*) راجع *Le « Ciel »*, *« La vie dans les mondes. » par* A. Berget. *Apologie scientifique de la foi chrétienne, par* M l'Abbé J. B.Senderens.

رأينا ان نعرض على القراء الكرام صفوة ما عوّل عليه العلماء ، لما في ذلك من تنوير الاذهان وتفكيه الخواطر ؛ اذ ان العلم بالرغم من الخطوة الكبرى التي خطاها الى الامام لم يزل مقصراً في حلّ رموز مسائل شتى. حتى ان المعلوم اذا قوبل بالمجهول كانت نسبته نسبة قطرة الى مياه المحيط العظيم.

اذن لا باس من درس هذه المسئلة والبحث عنها بحثاً قصياً ، وتتبع آراء العلماء ، وعرض النتائج التي توصلوا اليها في هذا الشأن ، وذكر اقوال امامهم العلامة ارنيوس (Arrhenius) الاسوجي الذي بفضل ابحاثه الطويلة ابدى سر هذا المشكل وسبر غوره.

ولكن قبل الخوض في الكلام وايراد اقوال العلماء ، يجدر بنا ، بل يجب علينا انكار التولد الذاتي ؛ لان الحياة لا يمكن نشوؤها الا من جرثوم او اصل حيّ ، طبقاً لاختبارات نبراس العلم الساطع باستور الذي قتل الامور خبراً ونفى عنها معتلج الريب ، واوضح مسائل كثيرة كان العلم الى ذلك العهد عاجزاً عن شرح اسبابها ، وبيّن بالبرهان والاختبار «ان الحي لا يولد الّا من حيّ».

على ان مذهب توحيد الاشياء (*Monisme*) ينسب اصل الحياة الى عمل القوى الآلية الاتفاقية المقترنة بالمادة ، فيزعم اربابه ان الذرة الحية تأتي من التولّد الذاتي ، او بالحري من النشوء اللازم بواسطة الذرة الازلية . فهم بقولهم هذا ينكرون كل عمل فائق الطبيعة ، سواء كان هذا العمل قريباً او بعيداً.

ان مذهب التولد الذاتي قد تمسك به في القديم فلاسفة وشعراء ، وكثير من آباء الكنيسة ، واتباع مار توما اللاهوتي ، ولاهوتيون وعلماء كثيرون . غير ان القديس توما حصر التولّد في النبات والحيوان الناقص ، وكاد يحلّ عقدة هذا المشكل ، ويصيب شاكلة الحقيقة حين قال : «ما يتولد طبيعياً من زرع لا يمكن ان يولد طبيعياً بلا زرع .» وفي القرون الثلاثة الاخيرة دار رحى الجدال على هذا التولّد ، وعني بحلّ هذه المسئلة وليم هرفه (Harvey) وسبلنزاني (Spallanzani) ولاسيما باستور . وبالرغم من ذلك بقي الاعتقاد سائداً ان النحل والضفادع والفئران والعقارب وبعض الطيور تنشأ بطريق التولد الذاتي. وفي اواسط القرن التاسع عشر حمي وطيس الجدال ، واشتهر ثلاثة من

العلماء: بوشه (P. Pouchet) من روان ، وجولي (Joly) وموسه (Musset) من تولوز ، في الدفاع والنضال عن هذا الاعتقاد المتزعزع الاركان . وفي الآخر رفعوا الامر الى مجمع العلوم وايدوا آراءهم باختبارات مخالفة لاختبارات باستور . ولكن هذا العلامة كان يحتج على خصومه بحجج دامغة ، ويبين المطاعن والمغامز والنقائص التي كان يجدها في اختباراتهم وتجاربهم . ولما فلج عليهم وافحمهم ، اصدر المسيو بلار (Balard) حكمه باسم المجمع مصوباً آراء باستور ، فانحلت حينئذٍ العقدة وحصحص الحق . ولكن تيندال (Tyndall) بالرغم من ذلك بقي متعصباً للرأي القديم ، بيد انه بعد اختبارات جديدة مدقق فيها ، ما لبث ان عدل عن رأيه ، ونزل على حكم باستور ، واقر بان : «ما من نتيجة في العلم الاختباري التجريبي اصح من تلك النتيجة»[1] . ثمَّ ان مرسلان برتلو ادعى تولد الخلايا الحية في الهلام بتأثير اشعة الراديوم ؛ غير ان الفحص المدقق فيه اظهر جلياً ان خلايا برتلو ميتة عادمة الحياة ، وان ما بينها وبين الخلايا الحية من التشابه كالذي بين الانسان وصورته او تمثاله .

والآن بعد هذا الشرح حان ان ندخل في موضوعنا فنقول :

ان اول من قال بامكان انتقال الجراثيم الحية من كوكب الى كوكب هو اللورد كلفين (Kelvin) اعني وليم تومسون . فهذا العالم الارلندي شرح آراءه في خطاب لفظه سنة ١٨٧١ في مدينة ادنبرغ قال : «كلما تلاقى جرمان ، ذاب قسم كبير منهما . ولكن من الاكيد الثابت انه في الغالب يتطاير كثير من شظاياهما في الفضاء الى كل جهة . على ان اكثر هذه الشظايا لا ينالها اذى اسوة بالصخور الساقطة من قمم الجبال ، او المتطايرة عند انفجار «الالغام» ، فاذا اصطدمت الارض في حالتها الحاضرة مع ما على وجهها من النبات وجرماً كبيراً من اجرام السماء ، تطاير منها قطع ، كبيرة او صغيرة ، في الفضاء ببذرها وجراثيم نباتها وحيوانها . ولا ريب انه كان في الاعصر الخالية البعيدة عوالم عليها كائنات حية ؛ بل ينبغي ان نسلم بوجود احجار سابحة في يم الفضاء ، وهي حاملة جراثيم حية . فلو لم يكن على الارض حياة ، لكان بعض هذه الاحجار ، بسقوطها على

(١ *Les microbes organisés.*

وجهها عاملاً على بعث الحياة فيها...»

هذا وان رأي ترمسون لا يخالف رأي كيل فلامريون الذي استدلّ على وجود الحياة بآثار الفحم في الرجوم التي تشبه ، في حركتها وتنقلها ، حركة المذنبات وتنقلها ، وقال بان هذا الفحم ما هو الا بقايا نباتية. فاذن الراي القائل بانتقال الجراثيم الحية من كوكب حاصل على الحياة الى كوكب آخر خلو منها قد برز الى حيز الوجود منذ اكثر من ربع قرن. الّا ان هذا الراي لا يخلو من الضعف والفساد ؛ وذلك لان الكائنات الحية لا تستطيع الاحتفاظ بحياتها عند تصادم جرمين ، فضلاً عن ان الرجوم حين بلوغها جوّ الارض تاخذ حالاً في الالتهاب ، من اجل احتكاكها بذرات الهواء الغازية . فشدة الحرارة اذن تعدم تلك الجراثيم او الاجسام الحياة وقوة النماء.

بيد ان ارنيوس سبك هذا التعليم في قالب آخر ، وابرزه في هيئة جديدة وذلك بما ادخل عليه واضاف اليه من تأثير ضغط الاشعاع. واول من فكر في هذا الضغط كان كلرك مكسول (J. Clerck-Maxwell) سنة ١٨٧٣. ثم قام بعده لبدف (Lebedeff) وبرهن باختبارات طويلة استعمل فيها الدقة والضبط على صحة راي مكسول وصدق حجته.

اجل ان ضغط الاشعاع مؤثر في كل جسم أو سطح معرّض للحرارة ؛ وهذه الحرارة تبلغ فوق سطح الشمس ميليغرامين في السنتيمتر المربع . ومهما صغر جرم الشيء قلّت اهمية السطح بالنسبة الى الجرم. ولما كان قوام التجاذب بين الاجرام متوقف على الحجم نتج ان قوام ضغط الاشعاع متوقف على كبر السطح . فينتج ان الكريات الصغيرة يؤثر فيها ضغط الاشعاع ويقوى على قوة التجاذب. خذ مثلاً على ذلك الكريات غير الشفافة البالغة ميكروناً ونصفاً ، اي الجزء الالف من الميليمتر ، فالتوازن يبقى بين القوتين متساوقاً . ولكن متى كانت الكريّة اخفّ اثر فيها ضغط الاشعاع وقوي على التجاذب ، فيدفعها الجرم صاحب الاشعاع . فاذا كان ثقل الكرية ٠٫٠٠٠١٦ بالنسبة الى الميليمتر كان ضغط الاشعاع عشر مرات اشد من قوة التجاذب ؛ بل ان امثال هذه الجراثيم اذا هفت في وسط هواء لطيف ، منعها ثقل الهواء من السقوط ،

فتظل سابحة في اجواز الفضاء ، ولا تسفل في سنة كاملة الا زهاء الف متر لا غير . فمتى علمت هذا ايها القارئ الكريم ادركت بكل سهولة ان الطف نسيم يهب على سطح كرتنا الارضية ، يستطيع ان يحمل شيئاً كثيراً من امثال هذه الجراثيم الخفيفة كل الخفة ، فيرفعها الى فوق متن الغشاء الغازيّ المحدق بارضنا ، حيث ضغط الهواء يبلغ معظم الخفة ، وذلك عند علوّ مائة كيلومتر فوق سطح الارض . ولا عجب اذ ان النباتيين اثبتوا جراثيم بالغاً جرمها ٠٫٠٠٠٢ او ٠٫٠٠٠٣ من الميليمتر ؛ بل قد عرفوا اصغر من هذه مما لا يزيد جرمه على عُشر الميكرون كما ترى في الآلات المكبرة . فهذه الجراثيم التي على ما وصفنا من الصغر والخفة ، متى بلغت مئة كيلومتر من العلوّ ، اثرت فيها القوى الكهربائية فتتكهرب بملامستها احدى هبوات الغبار المكهربة ، وترتفع بقوة الكهرباء السلبية ، وتهفو في قلب الفضاء الافيح بين الكواكب ، وتباشر سيرها .

واذا سأل سائل وقال : من اين تأتي الكهرباء فوق الهواء المحيط بارضنا ؟ اجبناه : ان الشمس يحدث فيها انفجارات عظيمة يتفاوت ارتفاعها بين ٣٠ و٣٠٠ الف كيلومتر . فضلاً عن ان الفلكيين اكتشفوا غازاً في اكليل الشمس ستوه (*coronium*) من خاصياته منع «الغبار» المتطاير من السقوط على سطح الشمس وحمله على البقاء سابحاً في وسط الجوّ ؛ فلا يزال بعض هذه الهبوات طائراً حتى يبلغ الارض . ولما كانت هذه الهبوات او «الغبار» حاملة كهرباء سلبية لزم انها ، متى صادفت اجساماً حاملة كهرباء ايجابية واقترنت بها ، تحدث ضياء في الجوّ ينجم منه نور الفجر الشمالي . وقد ثبت عند العلماء ان الكرية البالغ حجمها ٠٫٠٠٠١٦ من الميليمتر اذا وجدت في المتر ٢٠٠ دُفعة (*volt*) استطاعت هذه القوة دفعها وتسييرها بين الكواكب الى ابعد بُعد . وقد يحدث اثناء السير ان هذه الجرثومة الطائرة تتشبث بجرم اكبر منها مثلاً هبوة من «غبار العوالم» (*poussière cosmique*) ، فتلتصق بها التصاقاً شديداً يسهل عليها ، لما فيها من الكهرباء ، الطيران بسهولة في اجواز الفضاء ؛ فلا تزال طائرة الى ان تبلغ وتنتهي الى جوّ احد الكواكب المتحيرة . فاذا كانت كثافة الجرثومة الطائرة

شبيهة بكثافة الماء ، وصلت الى جوّ المريخ في عشرين يوماً ، والى جوّ المشتري في ثمانين ، والى جوّ نبتون في خمسة عشر شهراً ؛ ولكنها تحتاج الى تسعة آلاف سنة لتصل الى الكوكب الاول من برج قنطورس .

ولكن هذه الجرثومة لا تفتأ في اثناء سيرها ان تكون عرضة لآفات مهلكة وخصوصاً آفة البرد الشديد ، اي الصفر المطلق ، اعني ٢٧٣ درجة تحت الصفر المعتاد وهو ذوبان الجليد ، كما شرح ذلك العلامة اماغات (Amagat) . فماذا يا ترى يصيب هذه الجرثومة الطيّارة ، اثناء سيرها المتواصل الذي يدوم عدة اسابيع ، او اشهر ، او سنين ، او قرون ؟ هل تبقى حية صالحة للنماء ، او تموت وتفقد ، بفعل البرد الشديد ، موادّ الحياة ؟

الجواب : العلماء جرّبوا في لندرة بمعهد جنر تجاريب عديدة اسفرت عن بقاء جراثيم النبات حية ، اكثر من عشرين ساعة ، في وسط الاكسيجن المائع في درجة ٢٥٠° تحت الصفر . والعلامة ماك فيدر (Mac-Fayder) توصل الى حفظ بعض الجراثيم سالمة ، مدة ستة اشهر ، في درجة ٢٠٠° تحت الصفر ايضاً . اما ارنيوس فقد ذهب الى ان قوة النماء تبقى سالمة في الجراثيم بالرغم من هبوط درجة البرد ؛ لان هذه القوة لا تعدم الّا بتأثير فعل كيمي . والحال ان هذه الافعال الكيمية يقل تأثيرها بهبوط درجة الحرارة ، حتى ان الافعال الكيمية المؤثرة في الحياة ينقص فعلها في الفضاء بين الكواكب مليار مرة اقلّ من تأثير عشر درجات فوق الصفر . فدرجة ٢٢٠° تحت الصفر لا تضرّ بقوة نماء الجراثيم في مدة ثلاثة ملايين سنة ، كما يضرها عشر درجات فوق الصفر في يوم واحد .

فمهما اشتدت اذن وطأة البرد لا تستطيع ان تضر بالجراثيم . ولكن ما عدا آفة البرد ، عندنا آفة اخرى لا تأمن الجراثيم بطشها ، وهذه الآفة الشديدة هي الزمان .

لسنا نحاول هنا تحديد الزمان الذي وصفه افلاطون : بانه «صورة متحركة للابديّة الثابتة» ، بل اننا نعطي الكلام من المدى بمقدار ما ينجلي به وجه الصواب ، اذ الزمان نزل من جوّ مظلم فلا يمكن تحديده وتعريفه . فالزمان

اذن مقياس بقاء المتغير ، ومن خاصياته الدلالة على التغير ؛ وقياسه بالنظر الينا حركة الكواكب ؛ الا انه يبقى بعد اضمحلال الكواكب ، وبقاؤه يتوقف على بقاء كائن لا يتغير . اذن الزمان اكبر عامل في التغيير ، اذ انه يغير هذه الجبال العالية الذاهبة في الهواء ويدكها ويجعلها في المستقبل البعيد قاعاً صفصفاً وسهلاً افيح . والان هلم ايها القارئ ننظر في هل الزمان ، او بالحري طوله ، يستطيع ان يعدو على الجراثيم ويعدمها قوة نمائها ؟

لقد دلنا الاختبار ان بعض الجراثيم المكتشفة في مدافن الرومانيين والمصريين بقيت حية اكثر من الفي سنة ، بل ان الاستاذ غاليب (Calippe) قد تحقق بقاء القوة الحيوية سالمة من كل فساد في جراثيم التقطها من البردي المصري .

بقي آفة اليبوسة . على ان العلامة شرودر (Schroeder) بيّن ان جراثيم النبات المسمى (*Pleurococcus*) تستطيع ان تحافظ على قوة النماء في وسط مبيس بالحامض الكبريتي . والاستاذ ماكن (Maquenne) بيّن ان البذور لا تفقد قوة النماء وان بقيت سنين في فراغ يابس كانبوب كروكس . وقد اجرى بول بكرل (Becquerel) اختبارات عديدة على جراثيم كثيرة ، وسلط عليها البرد والفراغ والجفاف عدة اسابيع ، فلم تفقد حياتها وقوة نمائها . اذن لا البرد ولا الزمان ، ولا الفراغ ، ولا الجفاف ؛ هذه كلها لا تؤثر في الجراثيم ولا تفقدها حياتها .

ولكن نظرية ارنيوس يُعترض عليها بان النور الذي يُرى بعد اللون البنفسجي في الطيف[1] ، يقتل الجراثيم . والحال ان هذه الانوار المنبثة في جو الارض ، تجد فيه ما يمتصها . غير ان الامر على الضد في وسط الفضاء ، فهنالك تنتشر بكثرة ولا تجد ما يمتصها . فهذه الانوار آفة تعدو على الجراثيم

---

١) هي اشعة مظلمة اكثر انحرافاً في الطيف من اللون البنفسجي تكاد لا تُرى ، ولكنها ذات فعل وتأثير في الفضاء على الانسجة الحية وقوة على قتل الجراثيم . فمن اجل هذا استعملت في تعقيم المياه ، بواسطة قنديل من البلور مادته ابخرة الزئبق . على ان هذه الانوار تنفذ هذا الجوهر ولا يستطيع ان يمتصها .

فتقضي عليها وتعدمها قوة الماء . واكبر دليل على صحة هذا القول التجارب التي اجراها پول بكرل . ومحصلها انه جعل بعض الجراثيم اليابسة في انبوب فارغ ، وسده بشقة بلور (Quartz)[1] بحيث تنفذها الاشعة السابق ذكرها ولا تمتصها ، وصوبها مجتمعة الى الجراثيم ، فماتت للحال بعد ست ساعات على اثر هذه التجربة . فينتج من ذلك ان الجراثيم اثناء سيرها بين الكواكب لا تزال هدفاً وعرضة لآفات مهلكة من جراء انتشار هذه الاشعة . ولكن لا بد هنا من التنبه لامر مهم ، وهو ان موت الجراثيم لم يحدث فجأة بل بعد ست ساعات ، وان هذا الموت وقع بارسال الاشعة مجتمعة خارجة من القنديل الموضوع الى جانب الانبوب الحاوي الجراثيم . بيد ان قوة الاشعاع تختلف باختلاف الابعاد ؛ اذ ان تأثير قوة اشعة الشمس في فلك نبتون اضعف الف مرة منه في الارض . هذا واننا اذا اخذنا نصف المسافة التي بين الشمس واول نجم من برج قنطورس ، وجدنا تأثير النور اضعف عشرين مليار مرة ايضاً . فضلاً عن ان الفضاء ليس بفارغ مطلقاً ، بل هو يشتمل على سُدم من شأنها منع نفوذ الاشعة التي وراء البنفسجي ، ووقاية الجراثيم من الموت والهلاك حين انتقالها .

ثم ان الدكتور رُو (Roux) حفظ جراثيم حية في فراغ ، وعرضها لانوار الشمس فبقيت حية ، ولو بقيت في الهواء لماتت . اذن لا يستحيل على الجرثومة الحية الطيران والانتقال من كوكب فيه حياة ، وتتوفق الى النجاة من جميع آفات الهلاك المحدقة بها اثناء سيرها ، والوصول الى كوكب خلو من الحياة حاصل على الشروط الموافقة لها ، فتصبح هذه الجرثومة اصل حياة جديدة في ذلك الكوكب . فاي عجب اذن في انتقال بعض الجراثيم السابحة في يمّ الفضاء ووصولها الى سيارة او كوكب خلاء من الحياة ؟ ولما كانت الجراثيم المنتقلة

١) حجر اسم شفّاف مركب من السيليس الخالص . فاذا أُمي وذُوّب في فرن كهربائي صارت مادته اشبه بالزجاج ، وصار يقوى على احتمال تعاقب الحرارة والبرودة الفجائي . والمذوّب منه يستعمل لصنع موازين الحرارة ، وقناديل البخار الزئبقي ، والخيطان الدقيقة المستعملة في مقياس توتر المجرى الكهربائي ، والبواتق . ولعلّ كلمة «بلور» توافق المعنى .

صغيرة كل الصغر ، باتت في مأمن من الاحتراق لدى ملامستها ذرات جو السيارة ، او الكوكب الذي تسقط عليه . فاذن ، طبقاً لراي ارنيوس ، الامر ممكن . ومن هنا ينتج ان الخلائق العائشة فوق سطح السيارات التابعة لنظام الشمس لا بدّ لها من ان تكون مشابهة كل المشابهة الخلائق العائشة فوق الارض . ومما تقدم من الشرح تظهر حماقة الذين تمثلوا سكان المريخ مختلفين في هيئتهم وتركيب اجسامهم عن سكان الارض . وتأتي ايضاً عفواً هذه النتيجة الاخرى ، اي اذا كانت الحياة هي عود على بدء دائم ، نتج من ذلك انه ممكن تولّد عوالم جديدة من التقاء كوكبين ميتين . فاذن لا شيء يمنع وجود خلائق في الكواكب ، وما من سبب لتكون الارض وحدها مسكونة وغيرها لا . بل كون الارض مسكونة يحمل على اعتقاد سكن السيارات والكواكب .

هذا وان ما قلناه من امكان انتقال الجرثومة من كوكب الى كوكب ، او من سيارة الى سيارة ، لا يحلّ مشكل اصل الجرثومة .

فمن اين اتت الخلية الاولى ؟ وما هي العلة الاولى العظمى القديرة الفائقة طور عقلنا التي اعطتها الحياة ؟ هذا هو سرّ الحياة ؛ ولطالما حاول المعطلة ان يشرحوه من دون الله ، فلم يفلحوا .

نوابغ المدرسة المارونية الاولى : ٤

ابراهيم الحاقلي او الحاقلاني (١٥٩٤؟ـ١٦٦٤)

بقلم الخوري بطرس غالب

٣

الامير فخر الدين المعني وتلاميذ المدرسة المارونية الرومانية (تابع)

يظهر مما اطلعنا عليه من الوثائق ، ان الحاقلاني استدعي الى باريس سنة ١٦٣١ ، ليشترك في تصحيح ترجمة الكتاب المقدس الى اللغات المختلفة ، وفي طبعه تحت اشراف الاب لجاي. وهو الكتاب الذي نشر في سبعة مجلدات ، بوشر في السنة ١٦٢٨ وانجز في السنة ١٦٤٢ . ولكن علامتنا لم يُطل الاقامة في عاصمة الفرنسيس ، في تلك المرة الاولى ، بل عاد الى لبنان ، او أُرسل اليه ، وهذا مما لا يمكننا الجزم به . على اننا نعلم ان الامير فخر الدين كلفه ان يهتم بامر ابنائه الثلاثة حسين وحيدر وحسن ، بنوع ان يؤمن لهم مستقبلهم ، وارسل معه اربع واربعين بالة حرير ليرهنها في المصرف الرسمي في فلورنسة ويجعل ثمنها راس مال يخصص لمعيشة اولاد الامير المذكورين وتربيتهم . لانه كان يخاف ان ينقلب عليهم اخوتهم ويحرموهم كلّ ميراث ، وقد اوجب على الحاقلاني ان لا يأتي عملاً قبل ان يستشير كفيلة الغراندوقية الاميرة كريستين . وكان سفر علامتنا ، الذي يدعوه فخر الدين « امين سره وخادمه الامين » على الباخرة الخاصة بلاونسيني في شهر تشرين الثاني من السنة ١٦٣١

ومما لا ريب فيه ان ما حمل الحاقلاني والذين تقدّموه من تلاميذ المدرسة الرومانية المارونية[1] على اجابة الامير فخر الدين الى رغائبه هو عطف الاحبار الاعاظم عليه وعلى مشاريعه ، ومنهم اوربانوس الثامن واقاربه عائلة بربريني فانه

(١) ومنهم الحاج كيوان ، كاتبة الامير ، على ما روى الاب قسطنطين الباشا

كان قد كتب ، مثل سلفه بولس الخامس ، الى بطريرك الموارنة واساقفتهم بتاريخ ٢٥ تشرين الثاني سنة ١٦٢٨ ، يعرب عن اسفه لعدم تمكنه من ارسال عمارة مسيحية الى ثغور فنيقية وفلسطين . وقد ورد في الكتاب المذكور ما ترجمته :

«ان التعزية التي شعرنا بها عند افتكارنا بمساعدة النصارى لدن تحققنا استعداد امير صيدا الحسن ، قد زادت كدرنا لاننا لم نستطع ان نتمم اماني المسيحيين المجيدة وافتخارهم بالعمارة المسيحية . ولذا ترانا مضطرين الى ان نكتفي بان نطلب منه تعالى ان يوفق مساعي الامير ويحقق متمنيات ذلك القائد العظيم . لانه ان صح ما ترغب فيه ايطالية فان آسية ستعظم ذكر ذلك الذي يكون قد تمكن من قهر الاتراك وحماية الانجيل . . . »

ثم اثنى صاحب القداسة على اهتمام مطران قبرس ، جرجس مارون الاهدني ، والخازنيين قواد جيش الامير ، والجبيشيين امناء المال لديه . ورغب الى البطريرك ان يقلدهم بالنيابة عنه اسلحة يكون قد سبق وباركها بيده . وبناء على هذا العطف ، وتوصية الحبر الاعظم ، عني تلاميذ المدرسة المارونية بان يؤيدوا الامير فخر الدين .

ترك ابرهيم الحاقلاني باريس ، بعد ان نشر سفر واعوت ؛ ثم الكتاب الثالث من سفر المكابيين ، باللغتين العربية والسريانية ، وتقيد بخدمة فخر الدين الى مدة ، فقام في توسكانا بالمهمة التي ندبه اليها كما تقدمنا وقلنا . . وعاد الى سورية في شهر نيسان من سنة ١٦٣٢ ، بناء على ايعاز كفيلة الدوقية الاميرة كريستين ، حاملاً الكتب والهدايا من رومة ومن فلورنسة . وكانت هدية الاميرة كوبة شطرنج جميلة للغاية مع لوازمها مصنوعة من العنبر المحبوك بالذهب وكانت رقعة الشطرنج من العنبر الخالص المقطع بخيوط ذهبية تختلف الوانها باختلاف لمعان العنبر . اما الغراندوق فارسل مخدعاً مخصوصاً من المخمل القرمزي الموشى مع سريره وما يلزمه من جهاز يناسب عظمة المهدي .

وارسل البابا والكردينال بربيني كتاب انجيل عربي مذهب ، وستة شماعد مباركة ، ذكرها البطريرك يوحنا مخلوف في رسالته الى السيد فوستوبولي ، مهردار البلاط البابوي (٢٤ك١ ١٦٣٣) ومما جاء فيها : « ان مطران قبرس جرجس

مارون سيعرض لسيادتكم شفاهاً اشياء كثيرة مفيدة للنصرانية في قبرس وانه سيصف لكم عاطفة الشكر التي تلقى بها السيد الامير الاشياء التي تنازل قداسة سيدنا وابينا البابا وصاحب النيافة الكردينال بربيني وارسلاها اليه.»

وما لبث الحاقلاني ان عاد الى توسكانا ، ثم منها الى سورية ايضاً ، فبلغ صيدا في اليوم العاشر من ايلول من السنة ١٦٣٢ . وكانت الغاية من رجوعه الى لبنان تبرير نفسه لدى الامير مما اتهمه به خصومه وهو انه بذّر اموال فخر الدين واهمل مصالحه . ولم يصعب على الحاقلاني ان يقنع الامير ببراءته ، لانه خدم باخلاص وتجرّد حباً بخير بلده.

وبعد مدة عاد الى توسكانا معزّزاً ، اذ سمّاه فخر الدين ممثلاً له لدى الغراندوق . فقام بما وُكل اليه احسن قيام . ورجع الى لبنان ليقدّم حساباً عن اعماله ، فبلغ صيدا في اواخر كانون الاول من السنة نفسها وبيده الحوالات بثمن الحرير . ولم يلبث ان ركب البحر ثانية الى ايطالية ، حاملاً استقالة السيد ده فرازّانو قنصل توسكانا في صيدا الى الغراندوق «لان نفسه كانت سئمت المماحكات والمتاعب التي كان يسبّبها له الفرنسيّون.»

واما المهمات التي كلّف الحاقلاني القيام بها فهي تلك التي كان قد وكل امرها الى سواه ، من عقد معاهدات سياسية او تجارية ، والتي واصلها غيره من تلاميذ المدرسة المارونية الحبرية ، وخصوصاً المطران جرجس مارون الاهدني.

ويظهر ان مهمة الحاقلاني السياسية انقضت بهذا السفر الاخير.

. . .

وقد تبين لنا مما طالعناه من الوثائق التاريخية ، ومما ذكره المتقربون من فخر الدين ، ان الامير كان ذا مقدرة سياسية لا تُنكر ودهاء في الاساليب جعلت احد مؤرخيه ماريتي ان ينعته «بمكيافل الشرق» . على ان كل ما استخدمه الامير من الوسائل دفعه الى اتخاذها حبه وطنه ، وسعيه الاكيد لتوطيد اركان لبنان في حدوده الطبيعية الجغرافية وطموحه الى الاستقلال بالحكم فيه ، وقد توفق الى تنفيذ بعض خطته في بادئ الامر ، لكنه فشل اخيراً لانه لم يجد من يعضده في تحقيق مقاصده. وقد آخذوه بعدم الاخلاص في

ومرده الكثيرة ، واستحلاله جميع الوسائط التي كان يرجو ان تنيله غايته ، وعدم اهتمامه بدين اكثر من الآخر ؛ بل انه كان يرى الطريقة المثلى لغنم عطف الذين كان يؤمل مساعدتهم ويتبعها توصلاً الى مراميه . بعد المرسلين بالارتداد الى الكثلكة ، فيبلغون ذلك الى الحبر الاعظم . ويحمي النصارى ويعززهم ويكفل لهم راحتهم وامرالهم ويعاملهم بالعدل ، وكل هذه تصل الى مسامع اوربانوس الثامن كما وصلت من قبل الى بولس الخامس ، فيتعزّى ويعلل النفس بتنصر فخر الدين . لكن الامير لم يرتبط بوعد ثابت بل كان يعتذر اذا سُئل عن نيته بهذا الشأن ، كما فعل يوم اجتمع في نابولي بممثل اسبانية لعقد معاهدة مع دولته وغراندوق توسكانا . فالحّ عليه الممثل بان يعتنق الدين المسيحي فلم يجب صريحاً ، بل تعلل بحجج واهية ؛ لكنه وعد بانه سيفعل ذلك في فرصة اوفر ملاءمة .

اما تعزيزه النصارى في لبنان فدفعه اليه عرفان الجميل نحو الخازنيين الذين خلّصوه وسهروا على تربيته . وللعامل السياسي ايضاً تأثير بليغ في هذا ، لان الامير ، اذ كان يطمح الى كسر القيود التي كانت تربطه بالاستانة ، رأى ان النصارى اخلص من يمكنه الاعتماد عليهم . لانهم كانوا يبغون هم ايضاً التخلص باي طريقة كانت من الاتراك ومن استبدادهم . وقد علم حق العلم ان جبل لبنان ، اذا تعزز شأنه اصبح المعقل الحصين الذي يصعب على الاتراك فتحه . فضلاً عن ان النصارى كانوا يستطيعون ان يحملوا الغرب على العطف على فخر الدين فيمده بالمساعدات .

وكان فخر الدين ، ككل رجل سياسي محنك ، لا يفوته ان المنفعة المادية لها تأثيرها الشديد في مجلس الملوك ، وان خير الدولة المادي كثيراً ما يميل كفة الميزان . فاخذ يسهّل طرق التجارة لغراندوقية توسكانا ، ويعزز المبادلات الاقتصادية ، ويعد الغراندوق باعطائه بعض الفرض البحرية ليجعلها مرافئ تجارية وحربية اذا قضت الحاجة لترويج التجارة وارسال الذخيرة الى لبنان .

هذه الوعود وما شاكلها كانت تجعل البابا والغراندوق يطلان النفس باستمالة فخر الدين ، والتحالف معه على استرجاع الاراضي المقدسة ، وصيانة حدودها

باقامة دولة قوية الشوكة يرئسها الامير فخر الدين المتنصر. ولا نستطيع الجزم في امر اعتناق الامير الدين المسيحي، لعدم وجود مستندات تاريخية راهنة تثبت هذا الموضوع، لكننا نرجح ذلك.

٤

المؤلف والاستاذ

عاد الحاقلاني الى باريس، واستأنف فيها عمله الاول، اي التأليف والترجمة والتعليم والدفاع عن ترجمته كتاب راعوت؛ لان الذين انتقدوه كانوا ممن اشتركوا في ترجمة البوليغلوتا وطبعها وهم جبرائيل الصهيوني، وفالريان، وفلاڤيني. وبقي في باريس حتى سنة ١٦٤٢، على انه كان يأتي الى رومية مرات. وفي سنة ١٦٣٥ سمي ترجماناً لمجمع نشر الايمان، وخلفاً للمطران سركيس الرزي في لجنة تصحيح ترجمة الكتاب المقدس وطبعها (١٦٤٢).

اما هذه الترجمة فقد اورد حكايتها الاب ڤاكاري اليسوعي في كتيب نشر في المطبعة الكاثوليكية سنة ١٩٢٥ واليك ملخصها:

كان توما اربنيوس قرر ان يطبع الكتاب المقدس في ليدن من اعمال هولاندة. عرف بذلك سفير البابا في بلاد الفلمنك، فاخبر مجمع نشر الايمان، المنشأ جديداً، بواقع الحال في ١٨ ايار سنة ١٦٢٢ فخشي المجمع ان تأتي الطبعة فاسدة مغلوطة.. على ان اربنيوس اعرب عن استعداده لنشر نسخة الكتاب المقدس الموجودة في المكتبة الڤاتيكانية. فكُلف اربعة من العلماء ان يعيدوا النظر فيها، واصلاح ما قد يكون تسرّب اليها من الاغلاط، لاسيما تلك التي قد يشتم منها الهرطقة واوعز اليهم ان يتداولوا في امكان طبعها. وكان الاعضاء الاربعة المطران سركيس الرزي، مطران دمشق الماروني المعين رئيساً للجنة وهو احد تلاميذ المدرسة المارونية الاولين، ثم منصور شلق العاقوري، والاب هيلاريون رانكاتي، وتوما من نوڤارا. على ان صعوبات جمة اعترضت تنفيذ هذا المشروع. فأمر المجمع المقدس بان تترجم النسخة الدارجة (*La Vulgate*). وقد جرى ذلك سنة ١٦٢٤.

وبعد ان عقدت الاجتماعات في دار مطران دمشق في رومية ، في ٣و١٣ ك ١ من تلك السنة ، قُرّر طلب النسخ العربيـة الموجودة في مكاتب الفاتيكان ومديسيس والتمبيا ، وبتسليمها للمصححين او الترخيص لهم بمطالعتهـا . وفي ٦ ك٢ ١٦٢٥ وصل الى المطران سركيس الرزي ستة مجلدات عربية ، فابتدأ في اصلاح ما رأى اصلاحه وقدّمها للطبع ، ولا تزال هذه النسخ المصححة بخطه موجودة في مكتبة كازاناتو.

وكانت الخطة المرسومة ان تتبع بقدر الامكان النسخة العبرانية . بُدئ بالطبع تحت اشراف الرزي في ك ٢ سنة ١٦٣٢ ، وفي ٢٦ حزيران قدّم سفر التكوين للحبر الاعظم . الّا ان الموت عاجل الرزي في ٢٩ آب سنة ١٦٣٨ ، فاستدعي الحاقلاني من باريس ليقوم مقامه فبرحها في سنة ١٦٤٢

مذ تخصّص الحاقلاني للعلم ، علت منزلته في اعين اصحابه ورؤسائه. ففي ١٥ ك ٢ سنة ١٦٣١ ، عقـد اجتماع في قصر الكردينال اوبالدينوس ، اشترك فيه الحاقلاني ، للبحث في ما اذا كان يجب حذف اسماء فيلوكسينوس وانتيمون وفاطيراس من السنكسار الماروني ، فتقرر ذلك. كمـا تقرر ان كتاب قداس الموارنة ليس فيه بدعة ، وان مارون الرئيس هو قديس.

وكان الحاقلاني عند شخوصه الى باريس اتاهـا بمخطوطين من المكتبة الفاتيكانية فيها مقالات ليعقوب الرهاوي ، ولغريغوريوس ابن العبري ، ولابن سينا ، ولاثناسيوس البلدي.

ولاهتمامه بالكتب الطقسية المارونيـة ، اهدى الى مورينوس نسخة من الشرطونية المارونية ليطبعهـا مع رسائل ضافية شرح فيها طقوس الكنائس الشرقية ، فجمعها العـالم ريشار سيمون وطبعها في باريس سنة ١٦٨٢ . اما الشرطونية فطبعت في انفرس ، من اعمال بلجيكة ، ١٦٩٥ بعناية العالم يوحنا مورينوس المذكور الذي قال في مقدمتها

«ان النسخة التي اعتمدناها قديمة متقنة الخط اهداها الينا سنة ١٦٣٩ ، اذ كنا في رومية ، ابراهيم الحاقلاني الماروني ، استاذ اللغتين السريانية والعربية الشهير ، واستخرجناها وقتئذ في رومية الى اللاتينية. ولما رجعنا الى باريس اخذنا تلك النسخة منتظرين فرصة مناسبة لنشرها.

وبعد ذلك قدم الى فرنسة ابرهيم الحاقلاني ، وتبعه اليها بعد سنوات احد اساقفة الملة المارونية لتدبير بعض شؤون طائفته ، ولمحاولة طبع الشرطونية المذكورة ، لافادة ابناء ملته . ثم رجع الى رومية . وذهب اليها بعده الحاقلاني حين انتدبه الكردينال بليوني لخدمة مجمع نشر الايمان . واخذ بين امتعته النسخة المذكورة . لكنه لما انتبه الى ذلك ارسلها اليّ .»

ونظن ان الاسقف المحكي عنه هو اسحق الشدراوي ، الذي اتى الى فرنسة نحو سنة ١٦٤٩ ، وكان قد سعى لطبع الكتب الطقسية المارونية ، لكننا لم نرَ ما يفيد توفقه الى ذلك تمام التوفق . ومما تقدم يظهر ان الحاقلاني ، في اثناء اقامته في باريس ، كان يتردد الى رومية ، حيث كان قد عين معلماً للغة العربية في الجامعة الكبرى . ولم يكن تجواله للتنزهة والاستراحة ، بل للعمل ولتنفيذ بعض مقاصده العلمية الآئلة لمنفعة طائفته .

فانه في سنة ١٦٤٠ ، نشر عشرين رسالة للقديس انطونيوس الكبير ، مأخوذة عن مخطوط يرتقي عهده الى السنة ٨٠٠ . وفي العام التالي نشر في باريس كتاب مختصر الفلسفة العربية ، فاشتهر في باريس بعلمه وصفاته الممتازة ، فبلغ خبره الى الكردينال ريشليو ، الذي بادر الى تعيينه استاذاً في جامعة فرنسة (*Collège de France*) ليدرّس فيها اللغات الشرقية ، بعد جبرائيل الصهيوني . واجرى عليه راتباً مكنه من ان يعيش مطمئن البال ليتخصص للتعليم والتأليف . وكلفه ان يترجم له بعض الكتب العربية ، وسماه ترجمان بلاط فرنسة ، وقد نُقش اسمه في الجامعة الفرنسية بين اسماء الاساتذة الذين امتازوا بتعليمهم في ذلك المعهد الطائر الشهرة . ومما نعرفه من تآليفه وترجماته في ذلك العهد معجم عربي لاتيني لا يزال مخطوطاً في مكتبة باريس ، وترجمته لكتاب مناهج الحكمة لبرهان الدين ، نشرها في باريس سنة ١٦٤٦ . وقد طُبع النصّ مع الترجمة في اوترخت سنة ١٧٠٩ . وترجم ايضاً قوانين القديس انطونيوس الكبير وعظاته ، وتنبيهات واجوبة صادرة منه ، وقدّمها بحياة ابي الرهبان موضوعة باللاتينية .[1]

---

١) وقرأنا في احدى المقالات ان الحاقلاني درس اللغات الشرقية في بيزا ، ولم نتمكن من ان نتثبت ذلك ، فذكرناه . وكان للحاقلاني مذاهب في العلوم اللغوية وتاريخها ، وهو

وقد استحصل على كتاب ايضاح القداس لمار يوحنا مارون ، البطريرك الاول على الطائفة المارونية ، نسخ في قرية غبيلي من قرى جزيرة قبرس سنة ١٥٣٥ ، بيد الخوري يمين ، خادم تلك القرية. وهذه النسخة معروفة حتى اليوم بكوديكس الحاقلاني ، ولدينا نسخة منها.

ويذكر بين الكتابات التي نسخها زجلية ابن القلاعي في البطريرك جبرائيل من حجولا الذي استشهد في مدينة طرابلس سنة ١٣٦٣ ، ويكرّم الموارنة ذكره حتى اليوم ، وبشجاعته المسيحية يضرب المثل. ويروى عن هذا البطريرك انه نشر جبّته على اشعة الشمس . ونسخ الحاقلاني زجليات اخرى للاسقف نفسه جاء فيها عن يعقوب السروجي انه لم ينقد لبدعة ساويرا والبرادعي.

اما قدوم الحاقلاني الى فرنسة الذي ذكره موبينوس فكان في السنة ١٦٤٥ ، وفيها كان قد حصل خلاف بين بطريرك الموارنة يوسف حليب العاقوري وبعض المرسلين يتعلق بالتفويض بالاعتراف . وكان الآباء الكبوشيون يدّعون انه لا يلزمهم تفويض البطريرك لاستماع اعتراف الموارنة ، وكان البطريرك يقول بالخلاف . وفي اثناء ذلك زار المرسل اليسوعي الاب فرنسيس ريغوردي البطريرك المذكور ، في دير حراش ، ليخاطبه بهذه المسئلة . فاستقبله البطريرك بكل ترحاب وعانقه ، وافضى اليه انه اطلق الحرم على الرهبان الفرنج الذين يسمون اعترافات الموارنة بدون تفويض بطريركهم ، ذلك اسوة بما يعمله الحبر الاعظم ، واحبار الكنيسة ، في ايطالية وفرنسة ، وان نيته ليست معاكسة المرسلين بل التمسك بما يظنه حقاً من حقوقه ، وعلى كل حال فانه يستثني الرهبان اليسوعيين ، لما له من العطف الممتاز عليهم بسبب نشاطهم وغيرتهم والصداقة المتأصلة بينه وبينهم وخدماتهم للموارنة ، وقد امره البطريرك ان يكتب الى الحاقلاني ، مترجم البلاط الروماني ، هذه الامور لكي يعرضها على مسامع الحبر الاعظم واحبار البلاط الروماني ، وسفير الملك العريق في المسيحية ، اي ملك فرنسة . وهذه الكتابة تشعر بما كان للحاقلاني من المنزلة عند اساتذته

القائل ان تاوفيل الرهاوي الماروني وضع خمسة احرف سريانية جديدة ، على شبه ما قبل اليونان ، غيّرها عما يشبهها من الحروف في اللفظ والكتابة ، ولم يُذكر ما هي هذه الاحرف.

القدماء ، ومن النفوذ في البلاط البابوي ، مع انه لم يرتسم كاهناً ولا شماساً انجيلياً لاسباب نجهلها . بل كان قد قبل الدرجات الصغار ، وعين قانونياً في احدى كنائس رومية ، ثم تزوج قنسطنسة ابنة ميخائيل الباني ، فرزق منها ولدين : ديونيسيوس ويوحنا . دخل الاول المدرسة المارونية ، وكان له من العمر ١٢ سنة ، فدرس نصف الفلسفة ثم دخل رهبنة شمامسة مار لورنسيوس ، مع اخيه يوحنا الذي لم يدرس الفلسفة . فديونيسيوس سيم كاهناً وعين معلماً وطلبته ملكة اسوج القاطنة في رومية ليتقيد في خدمتها . اما يوحنا فخرج من الرهبنة قبل ان يكمل التجربة ، ودخل رهبنة اخرى (الدويهي)

ومع اهتمام الحاقلاني بامور طائفته ، كما سبق لنا ذكره وما سيرد فيما بعد ، نراه لا يكلّ عن التأليف والترجمة . فانه في سنة ١٦٤٧ نقل الى اللاتينية كتاب خواصّ النبات والحيوان لعبد الرحمان . واخذ يجمع المستندات التاريخية المؤيدة صحة القوانين العربية المنسوبة الى مجمع نيقية ، ونشرها بالطبع في اللغة اللاتينية . وكان قد اخذ هذه الوثائق من ستة مصادر عربية . قابلها بعضها بعضاً ونشرها بعد ان ترجمها ترجمة فصحى . وكان قصد الحاقلاني ان يثبت ان القوانين العربية المنسوبة الى مجمع نيقية هي حقيقةً لذلك المجمع . وعدد هذه القوانين ٨٤ قانوناً ، ترجم منها ماروتا اسقف تكريت ٧٣ قانوناً ، واضاف اليها غيره احد عشر اخر . وقد وافق على صحة نسبتها الى المجمع النيقاوي الاب تيرس غوتزالس اليسوعي الذي انتخب فيما بعد رئيساً عاماً لرهبانيته ، والعلامة الحاقلاني ، ورفضها العلامة بترسون .

(المقال صلة)

مظاهر الادب المصري

طه حسين في نظر المستشرق جيب

لا يزال المستشرق جيب مواصلاً دروسه في تاريخ الآداب العربية المصرية ، ناشراً فصولها في مجلة معهد لندن الشرقي . وقد اخذنا عنه سابقاً كلامه في المتناوطي « المشرق » (٣٧ [١٩٣٩] ٦٨٤) وها ان الحديث ، اليوم ، دائر على طه حسين (١٩٣٩ ، ١٥٦) ف. ت.

وُلد طه حسين في قرية من قرى الارياف ، من اسرة حفيظة على التقاليد القديمة . فقد بصره وهو صغير ، فعُقدت العزائم على تخصيصه بالعلوم الدينية . تلقن الدروس الابتدائية في كتّاب القرية ، ثم دخل الازهر ، فقضى فيه سنوات تضلّع فيها من اللغة العربية ، واظهر ميله لآدابها تحت اشراف الشيخ سيد بن علي المرصفيّ ؛ وانجز من ثمّ دروسه في الجامعة المصرية المنشأة حديثاً ، على اساتذة اوربيين ، متدرباً على طرائق الانتقاد الادبي الغربي ، وعلى اساليب الدروس التاريخية العلمية . وسرعان ما طرح عنه النزعة الأزهرية ، ونهض مجابهاً المقاومات فكان كتابه في ابي العلاء المعرّي باكورة مؤلفاته ، ترك فيه العنان لجماح مُرّاته ، وتناول بالانتقاد طرائق تعليم الآداب العربية في مصر .

قضى ايام الحرب الكبرى تلميذاً في السوربون ، وصرف همه الى درس فنون الآداب الافرنسية ، والى النقد الادبي ، في امهات المؤلفات الافرنسية ، المعروفة « بالكلاسيك » او المدرسية . ثم خاطر بجملاته الانتقادية حتى كاد يذهب ضحيةً لها ، ومع ذلك لم تخفق مساعيه ، بل نال شهادة الدكتوراه على درسه في ابن خلدون . وعاد الى مصر فعهدت اليه الجامعة المصرية بتعليم التاريخ اليوناني والروماني في عصره الذهبي ، ثم نقلته الى منبر تعليم الادب الجاهلي ، ولا يزال فيه الى يومنا .

وما كان احوج الاستاذ الحديث العهد في التعليم الى شجاعته الفطرية ! فان

وقوفه في منبر التعليم جعله ومؤلفاته هدفاً لحملات الفئة المحافظة ، فسخط عليه المشايخ وكرهوه وامتعضوا من فتح ذلك الباب التعليمي ، وربما كان الاول من نوعه في الاسلام . وانّ من درس تاريخ القرون الوسطى لا يجهل فضل المدنية اليونانية على الاسلامية . على ان المسلمين لم يرضوا الاقرار بذلك الفضل ، وابى شرقهم الّا انكار اصل الفنّ الموروث عن اليونان ، على ما له من التأثير في تطوّر المدنية الاوربية . فلم يدرسوا من الفكر الغربي الّا مظاهره الحديثة ، كما بدت لهم بعد ان دبّت روح النهضة الغربية في مصر وسورية ودفعت الاقلام الى الترجمة ، فالتقليد ، فالمطالعة . وكانوا كلما تعمقوا بدرس الفكر الاوربي زادوه انصافاً ، لكنهم في الحقيقة لم يكتشفوا اساساته ، حتى قام سليمان البستاني فكان اول من جهد في جذب العالم العربي الى الاستئناس باحدى امهات المؤلفات المدرسية ، فعرّب الالياذة .

وربما جاء مشروعه سابقاً لاوانه ، لان شعر الملاحم ، بالمعنى الافرنجي ، لم يستهو العرب اليه قط ، ولغتهم قاصرة عنه ، فالبيت الشعري العربي اضيق نطاقاً من ان يسع مادّة ملحمة كالالياذة . وممّا زاد المصاعب في وجه المعرّب ضرورة نقل الاسماء الاعجمية الى العربية وادماجها في العروض . فنالت الياذة البستاني منزلتها من طول باع معرّبها ، اكثر من ميزاتها الباطنية . وظلّت مصر ، على جهادها في سبيل الديموقراطية والعلم الغربي ، جاهلةً لمصادرها ومحتقرةً اياها بعض الاحتقار .

فجاء طه حسين وكشف عن اسباب تلك الحالة المتناقضة . فلم يرضَ عليه تلامذته اولاً وعاندوه ، ولكنهم ما لبثوا ان انقادوا رويداً رويداً الى نصاحته وحماسته . فوقف الاستاذ مصرّحاً ان كرامة مصر ومصلحتها وعمرانها يضطرها الى العودة الى المدرسة ، والاخذ بالعمل من الاساس ، ووجّه الى العامّة سلسلة مؤلفات مناديةً فيها بواجب الانكباب على الدروس المدرسية المؤسّسة للعمران الحيّ . . .

وكانت مصر مهتمة بازمتها السياسية ، فصرفت همها عنه . على انه وجد سنداً قوياً في الفئة المتنوّرة من العامة ، وبين زملائه في الجامعة . وكان آنذاك

احمد لطفي بك السيد مدير الجامعة مشتغلاً في تعريب « علم الاخلاق لنيقوماخوس» ، وقد اظهره سنة ١٩٢٤ . على ان الازمة السياسية عاقت طه حسين عن نشر مبادئه . ونُقل من ثمَّ الى تدريس الآداب العربية ، فكفَّ عن الدروس المدرسية لسوء حظها . لكن مساعيه لم تخفق تماماً ، والامل وطيد ان حماسته وشجاعته الفكرية لم تذهب في الناشئة سدى . ...

اتبع في تعليم الآداب العربية طريقة ديكارت الآخذة بالمؤلف الى الشكّ ، فالفحص ، فاليقين ، ووصل بها الى نتائج أدّت يوماً فيوماً الى استئصال شأفة الآراء القديمة .

وكان الدكتور هيكل يُعمل الروية والفطنة في تدريج الرأي العام المصري الى مستوى الثقافة الاوربية . فلم يقتفِ طه حسين آثار زميله ، ولم يزاحمه في سبيل التؤدة والتفطن ، بل هاجم الرأي العام المصري بطريقة الشكّ الفلسفي ، والرأي العام المصري غير مستعدّ لها . وسار يقطع المراحل من انكار الى انكار ، وعنوان هذا الاسلوب كتابه « حديث الاربعاء » ، ثم تبعه الكتاب « في الشعر الجاهلي » فأحدث ضجّة الجأت اولياء الامر الى منع الكتاب عن الناس ، واتهم طه حسين بالزندقة . وفي تلك المرة ايضاً نجا الاستاذ من الشرور التي كادت تجرّها عليه جرأته ، وكانت نتيجة الحادثة انها رفعت منزلته في القلوب والعيون وجعلته معبود الدارسين . فلم يكترث من ثمَّ للكارثة ، واظهر كتاباً آخر عنوانه « في الادب الجاهلي » لم يكن الّا طبعة مجددة للكتاب السابق مع بعض الزيادة والنقصان[1] .

وان تلك المؤلفات ، على صبغتها المدرسية ، قد اتت ذخيرةً للآداب العربية المصرية الحديثة ، ليس فقط بانشائها واسلوبها ولكن بعناية صاحبها بسدّ حاجة العامة الى امثالها .

يمتاز انشاؤه بصبغته الخطابية لانه لم يكتبه بيده ، بل القاه القاء ، ومن

---

١) راجع في موضوع هذا الكتاب ، وتحليل الردّ عليه ، ما كتبناه في المشرق (٢٧[١٩٢٩]٤٣٤)

ميزاته المراجعات . لكنها غير مملة لان انتخاب الالفاظ ، وعرض البراهين بلهجة سهلة مقبولة ، والأخذ بالموضوع عن اقتدار وممازحة ، أسبل على اقواله حلةً جذابة قلما ارتداها كتاب من الكتب المصرية . على ان تلك الدروس تنال قيمتها من وجوهها التثقيفية ، ولا بدّ ان تؤدي مقدّماتها الى تقوية الفكر المصري ، وتعزيز المبادئ المستندة اليها تلك المقدمات ، سواء صحّت نتائج طه حسين او لم تصحّ .

ولم يحصل طه حسين على مكانته الفائقة في عالم الادب المصري بفضل تلك المؤلفات فقط ، لانه خرج عن دائرة تلك الدروس وتفرّغ الى الشغل في آداب الصحافة ، وله فيها القدح المعلّى . وحسبنا ذكر تحليله الروايات الافرنسية المصرية التي نشرها في « الهلال » . وفي السنة ١٩٢٢ عرّب روح التربية لغوستاف لوبون . ونشر قصة حياته تحت عنوان « الايام » ، وهي جديرة بان يقال فيها انها آية من آيات الفنّ العربي الادبي لما فيها من عواطف عميقة ، واوصاف صادقة .

دير سيدة طاميش

لحضرة القس انطونيوس شبلي اللبناني

٥

اضافات واستدراكات

ومما عثرنا عليه بين اوراق دير سيدة طاميش صورة الاذن الذي منحه رئيس عام رهبانية الدومنيكانيين لجميع اديار الرهبانية اللبنانية المارونية بان تحتفل بزياح الوردية المقدسة . وهذه صورته بالحرف :

انا توما ريبوللي معلّم اللاهوت الرئيس العام الحقير والخادم العام الى رهبنة الواعظين اي الدومنيكانيين .

فحتى نسعى على قدر استطاعتنا عبادة مريم البتول الكلية القداسة باسم الوردية المقدسة في هذه الوثيقة وفي سلطان وظيفتنا المعطى لنا اجازة لجميع ديورة رهبنة القديس مار انطونيوس

الموارنة اللبنانيين بان يزيحوا في كل احد اول شهر الوردية المقدسة وبان يكتبوا اسامي المؤمنين في هذه الاخوية حتى يربحوا الغفرانات الممنوحة لهذه الاخوية في هذا الشرط بان يرسلوا اسامي الاخوية الى الدير الذي يكون اقرب حيث يبنوا هذه الاخوية باسم الاب والابن والروح القدس امين.

حرر في رومية العظمى في ديرنا باسم القديسة مريم سوبرز ميروز (*Sopra Minerva*) في خامس عشر من اذار المبارك سنة الف وسبعماية واثنين وثلاثون مسيحية.

خط يده توما ريبولي معلّم الرهبنة

اليازجي عبد الاحد يتروني رفيق ويازجي الرئيس العام

واطلعنا ايضاً على انعام من قداسة البابا بيوس السادس جاد به على رهبانيتنا المارونية وهذا نصهُ بالحرف :

اعلام

في مقابلتي لقداسته انا المذيّل اسمي بذيله قد تنازل وانعم قداسة بيوس السادس مستجيباً توسلات الاب شربل مدبج اب عام الرهبان الموارنة من رهبانية القديس انطونيوس الملقبة باللبنانية ومنح الى الابد جميع كهنة الرهبنة المذكورة في الحال والاستقبال مذبحاً اختصاصياً واقنومياً غفراناً كاملاً فللرؤساء في اربعة ايام وللمرؤسين في ثلاثة ايام في كل سنة بحيث لا يقبلون لاجل هذا الاختصاص شيئاً زائداً عن حسنة القدّاس المعتادة.

حرّر في رومية في اسطوانة مجمع انتشار الايمان المقدّس في ١٠ اذار سنة ١٧٨٧

اسطفان بورجيا

كاتب مجمع انتشار الايمان المقدس

ووجدنا ايضاً بين اوراق دير سيدة طاميش كلمة عن تكريس كنيسته بعد ترميمها وهي :

قد كرّس هذا الهيكل المبارك قدس السيد الجليل ماري يوسف الخازن مطران دمشق برئاسة حضرة الاب اجناديوس زعرور في ١٧ من شهر آب سنة ١٨٣٩ مسيحية

ومن اوراق الدير حجة بيع هذا نصها :

سبب تحريره

هو اننا بنا العودة الذي لدير بكركي المعروفة بديك المحدي حقل المقلع جيرة شركة دير سيدة طاميش الى رئيس الدير المذكور القس مبارك الرشماني بمبلغ قدره وبيانه مايتين قرش وقبضنا منه الثمن المبين دفعة واحدة ولم يبقى لنا عنده درهم الفرد بيعاً صحيحاً شرعياً خالص من الكره والفساد ونحن بصحة العقل والاجساد وضمناً له المثافنة والمدافعة من ساير الاوجاه الشرعية وصار الموضع المذكور ملك من بعض الاملاك المختصة في الدير المذكور

ومن بيع هذا المبيع خمس عشر حمل ورق وبيت ومختلف وبورة ويحط ميرة على الموضع المذكور ثلاث قروش ومها صار توازيع من الحاكم يحط على قدر ما يخصه وحررنا له هذه الحجة لاجل البيان والحافظ (والحافظ) من النسيان وقطع منازعة كل انسان. تحريراً في ١٢ نيسان سنة ١٧٩٦

صح وهذا المبيع المذكور لاجل تفقة المثلث الرحمة البطرك فيلبّوس الجميّل

صح وهذا المبيع بتثبين الياس زعرور من قرنة شهوان

الحقير المطران الحقير المطران الحقير المطران الحقير المطران الحقير بولس
اغناطيوس الخازن يوسف تيان حنا الحلو يوسف نجم اسطفان
مطران جبيل والبترون

الحقير المطران الحقير المطران الحقير المطران الحقير المطران
مخايل فاضل اسطفان الخازن جرمانوس الخازن بطرس مبارك

وبجانب اسم كل مطران ختمه

. . .

ومما وقفنا عليه من الآثار في الدير المذكور صورة للسيدة العذراء[1] مرسومة باليد طولها متران ونصف متر ، وعرضها متر و٦٥ سنتمتراً . وفي اسفلها هذه الكتابة :

«وقفاً مؤبداً على دير سيدة طاميش لرهبان طايفة الموارنة في جبل كسروان وكان ذلك في ايام رياسة الاب العام اغناطيوس بليل مصنوعة من تفقة المسيحيين بسعي واعتناء القس استيفان فاضل في مدينة القسطنطينية في ١٥ اذار سنة ١٨١١»

ويوجد صورة اخرى رسم اليد تمثل الدينونة وجهنم والمطهر والسماء ، وهي بحجم صورة السيدة المذكورة ، قد اعتنى بها القس نستير مدلج اللبناني سنة ١٧٨٢ م

---

١) هي غير الصورة التي وصفناها في «المشرق» (٢٧ [١٩٢٩] ٥٠٥) ونشرنا صورتها في مشرق هذه السنة ص١١٢) وقلنا في الصفحتين انها ترق الى سنة ١٦٠٢ ، والصواب ١٦٩٢ ، فاقتضى التنبيه .

صفي القلب الاقدس ورسوله

نبذة في سيرة
الاب كلود دي لا كولومبيار اليسوعي
المطوَّب حديثاً

بقلم الاب شرل ايلا اليسوعيّ

٦

مختار القلب الالهي

ولم يكتفِ قلب يسوع بان يعيّن الاب دي لا كولومبيار مُرشداً لمتسلّمة اسراره ، بل اختاره هو ايضاً صفياً ورسولاً له.

هذا ما يتضح جليّاً ممّا اوحاه عزّ وجلّ ، لأمته القديسة. فما كتبت قولها :

« واذ جاء ذات مرةٍ لاقامة القداس في كنيستنا ، جادَ الربُّ عليه ، كما وعليَّ ايضاً ، بنعم عظيمة للغاية. فانه ، لما تقدمتُ للمناولة ، اراني قلبه الاقدس كأتون متّقد وقلبين آخرين يلجانه ليتحدا ويذوبا فيه ، وهو يقول لي : هكذا يصل حبي هذه القلوب الثلاثة على الدوام. ثم افهمني ان الاتحاد هذا انما هو بناء لمجد قلبه الاقدس ، وانه يرغب في ان اكشف للاب كنوزه ، كما يستطيع ان يعلن ويذيع قيمتها ومنفعتها . . . وقد فاتَ ما اراني الرب عند مواجهتي الاول للأب. اما هو فالكلام الذي نقلته اليه ، كما وغيره مما له علاقة به وكلفني الرب الاله تبليغه من قبله ، فقد تقبّلهُ بملاطفة الاتضاع والشكران ، مما اثّرَ فيَّ شديداً وفعني اكثر من كل الحظات التي كان يمكنني سمعها. »(١)

وما عتّم الرب يسوع ان اوضح رغائبه لصفيّه بنوع جلي مدقق مفصّل وذلك في الرؤيا الشهيرة التي حظيت بها القديسة مرغريتا مريم في ١٦ حزيران

---

(١) *Vie et Œuvres de la* Bienheureuse Marguerite-Marie Alacoque, *Paris, Poussielgue, tome II p. 347.*

١٦٧٥ . واليك ما كتبت عنها:

«كنت مرةً امام القربان المقدس، في احد ايام ثمانية عيده. فانالني نعماً وافرة من حبه. واذ شعرت بنفسي تتوق الى بعض المبادلة بأن اقابل حبه بالحب اجابني: «لا تستطيعين ان تقدمي لي حباً اعظم من ان تفعلي ما قد طالما سألتك.» حينئذٍ كشف لي عن قلبه الالهي قائلاً: «هوذا القلب الذي احب البشر الى حدّ ان لم يضنّ عليهم بشيء، حتى استنزف وافنى ذاته ابداء لحبّه لهم. وما من مكافأة القاها من اكثرهم سوى كنودهم نحوي، باتهاكهم مهانتي وخرقهم حرمة اقداسي وخمود عبادتهم واحتقارهم لي في سرّ محبتي هذا. على انّ ما يؤلمني بالاكثر هو ان المعاملة الموصوفة صادرة عن قلوب تكرّست لي. ولذا ارغب اليك ان يُقدّس اول يوم جمعة يقع بعد ثمانية خميس الجسد، بعيد خاص، يُكرَّم به قلبي بالمناولة في ذلك النهار والوفاء لجلاله بالاستغفار، تعويضاً عن الاهانات التي لحقت به طيلة الوقت الذي كان فيه مصموداً على المذابح. واني اعدك ان قلبي يتفتّح فيُهطل سوابغ حبه الالهي على الذين يؤدّون له هذا الاكرام ويسعون في ان يُقدّم له.» (١

فاجابت القديسة: «ربّي أتتكل عليّ في امر كهذا وانا خليقة دنيئة وخاطئة تعيسة قد يكون شقاؤها عقبة في سبيل تحقيق مقاصدك، ولديك من ذوي الشهامة كثيرون يستطيعون تتميمها؟»

فاجابها: «أولا تعلمين انني استخدم من تبأعي أضعفهم لاخزي الاقوياء وان قوتي تتجلى عادة في احقر المساكين بالروح باجلى مظاهرها، لئلا ينسبوا الى انفسهم منها شيئاً؟»

قالت: «فاعطني اذا واسطة للقيام بما تأمر.» فاجابها: «عليك بعبدي الاب دي لا كولومبيار اليسوعي. قولي له من قبلي ان ابذل المستطاع في اقامة هذه العبادة فتسرّ قلبي الاقدس. ولا يوهننّ عزمه ما سيلاقي من الصعوبات... بل ليعلمنّ ان من تحرّز من نفسه وجعل كل اتكاله عليّ فهو القادر الظافر.»

ولم يكن الاب دي لا كولومبيار، بما ازدان به من سداد الرأي، ليركن عن طيش الى اي قول يسمعه. الّا ان ما قام لديه من الادلة الصريحة على صدق الفضيلة ومتانتها في القديسة، ولاسيما على تواضعها وطاعتها، لم يترك له مجالاً للريب في صحة ما قالت.

(١ Loc. cit. p. 355.

وعليه لم يألُ جهدًا في تحقيق ما من اجله اختاره الرب المخلص. وكيما يقوم بمهمته احسن قيام شرع بمزاولتها بادئ بدء لدى نفسه . ففي اليوم الخامس بعد الرؤيا الموصوفة ، تكرّس المرشد وتلميذته للقلب الاقدس . وكان ذاك يوم الجمعة الواقع في ٢١ حزيران ١٦٧٥ ، وهو تاريخ اول عيد أُقيم لقلب يسوع طبقاً لرغائبه[1]

٧

رسول القلب الاقدس
في باريس ولندرة

وللحال شمّر الطوباوي عن ساعد الجدّ لبثّ العبادة المنشودة في الافئدة . فكان بما فُطر عليه من الفطنة والرزانة والرقّة ، ينتهز لذلك كل الفرص السانحة ، بمواعظه في كنائس باراي وغيرها ، ولاسيما في ارشاداته ورسائله الى اعضاء اخوية العذراء التي اسّسها في باراي للرجال . فكثيرًا ما كان يحضّهم على الوفاء للقلب الاقدس واكرامه ، حسب مرغوبه ، بانعمال التكريس والمحبة وبالمناولة التعويضية ، وبتقديس اليوم الذي عينه الرب ، اي يوم الجمعة الواقع بعد ثمانية عيد الجسد .

وكان الطوباوي قد اقام عيد القلب الاقدس للمرة الثانية اذ تلقى في اواخر آب ١٦٧٦ امرًا من الرؤساء بالذهاب الى عاصمة الانكليز ، حيث عينوه واعظاً لدوقة يورك وخادماً لمبدها . فوصل الى لندرة في ١٣ تشرين الاول وحلّ ضيفاً في قصر سانت جامس .

ثمة كانت تنتظره الصلبان من كل نوع ، على ما كانت القديسة مرغريتا مريم قد انذرته من قبل يسوع ، برسالة وجيزة وجهتها اليه قبل سفره ، تنشيطاً له في ايام المحنة .

وقد مكث في لندرة مقدار سنتين وشهرين ، بذل اثناءها جهده يدرّب

١) عن سيرة القديسة مرغريتا مريم لمعاصراتها (ص ٩٣ – ٩٤) . وتجد هذه السيرة في المجلد الاول من الكتاب المذكور آنفاً .

الانفس على العبادة للقلب الاقدس. ومن مفاعيل غيرته ان دوقة يورك تلميذته كانت في طليعة الذين رفعوا العرائض للحبر الاعظم اينوشنسيوس الثاني عشر ملتمسين اقامة عيد للقلب الالهي (٢٣ اذار ١٦٩٦) . وقيل انهُ وجد في معبد وندسور (*Windsor*) الملوكي ، بين نقوش الكرسي الملكي ، صورة لقلب يسوع يرتقي عهدها الى زمن اقامة الطوباوي في لندرة.[1]

وقد صنّف الاب في ذلك الوقت عينه عدّة خطب ، منها مواعظ الصوم الكبير للعامين ١٦٧٧ و ١٦٧٨ ، وغيرها لاعياد مختلفة ، كما وتأملات في آلام المسيح خصّ بها الرجال في الاربعينيّتين المذكورتين. وله فيها اساليب لطيفة مكّنته من بثّ العبادة المنشودة في الانفس مع مراعاة ذهنية السامعين. فطبعاً لم يرَ بعد من الحكمة ان يتخذ رأساً القلب الالهي موضوعاً لارشاداته. الا انه كان ، كلما سنحت الفرصة يقول شيئاً عنه فيحثّ المؤمنين على اكرامه والاتكال عليه وتأدية التعويض له والاقتداء به.

من ذلك ما جاء في عظته الاولى لجمعة الآلام وقد جاءت كانها صدى لتظلمات القلب الالهي في رؤياه الشهيرة لأمته ، وقد مثّله يخاطب المؤمنين قائلاً:

« يا ايها البشر الذين يكتفون بالنظر الى جسدي هذا المهشم المثقوب بالمسامير ؟ ألا ادخلوا هنيهةً جراحي الخفية وتأملوا هل من وجع كمثل الذي اعانيه في روحي» ؟

فيجيب الخطيب:

« لا يا رب. ليس من شيء يُشبّه بوجعك . فانّ تحطّمك كالبحر (مراثي ٢ : ١٣) . وضنى قلبك بحر آلام عجّاج . . . نعم يا إلهي ، اني من الآن وصاعداً لاجعلنّ رائداً لتأملاتي آلامك الداخلية ، تلك الملبان الخفية . ولقلبك الحزين تكون كل محبتي وحناني فأشغل بالنوح على جراحه الاليمة . . . »

وقال في تأمله الثالث:

« ليكوننّ قلب يسوع المسيح مدرستنا ، ولنجعلن به اقامتنا في هذه الاربعينية ، ولندرس حركاته ، ساعين في جعل قلبنا مثله . »

---

١) راجع Alet, *La France et le Sacré-Cœur, p. 286.* – ذكره زيل (Zelle) في مؤلفه المذكور آنفاً ، ص ٢١

٨

تلميذ القلب الاقدس المتألم

وفي الوقت ذاته كان الطوباوي ، في قصر سان جامس ، مثالاً حياً بسيرته لفضائل القلب الالهي.

وكانت غرفة الاب مشرفة على الساحة الممتدة امام القصر. على انه لم يقترب قط من النافذة ولم يلق نظره منها على شيء يتلهى به . وقد غادر لندرة ولم يحضر فيها مشهداً البتة. ولم يرَ شيئاً من تحف المدينة ولم يذهب مرة واحدة الى النزهة . ولم يزر الا المرضى والذين كان له امل ان يُفيدهم بمواجهته لهم. وبالرغم من كرهه الطبيعي لالوان الطعام الانكليزية ، كان يقتصر عليها لا يطلب غيرها. واما رقاده فكان على فراش يطويه في بحر النهار ويمده عند المساء على الحضيض في وسط الغرفة . ولم يسمح قط ان يوقدوا لها ناراً ليدفأ من البرد ، وناهيك بشدته بلندرة في فصل الشتاء هذا فضلاً عن اماتاته الخفية.

وان كان تقشفه هذا المتواصل قد نشطه روحاً فلا شك انه اضناه جسداً. وقد اشتهرت العاصمة الانكليزية بضبابها. والظاهر ان الاب احتمل مفاعيله في السنة الاولى بدون ما اذىً يُذكر . واما الشتاء الثاني فقد اتاه بالمرض القتّال ، اذ حصل له اولاً احتقان في شعب رئتيه مما لم يمنعه ان يواصل اعماله عدة اشهر. على ان المرض لم يلبث ان اتصل بالرئتين عينهما . فاخذ الاب يبصق الدم في ١٤ آب ١٦٧٨ . فحسم الاطباء بضرورة تغيير المناخ ، لكنَّ حالته الضعيفة لم تمكنه من الانتقال[1]

ومما قال هو في احدى رسائله من ذلك التاريخ: «لا استطيع الكتابة ولا الخطابة بل اكاد لا اقوى على الصلاة. فلتكمل مشيئة الله.»

ولا جرم فمن شأن هذه المشيئة الالهية ورحمتها الحكيمة ان تمتحن القديسين بالآلام كي يكونوا تلاميذ اخصاء للمصلوب القائل : «من اراد ان يتبعني فليكفر بنفسه ويحمل صليبه ويتبعني» (متى ١٦ : ٢٤) . ولم يكتفِ ، جلّت

١) عن مقدمة كتاب مواعظه وغيرها.

رأفته ، ان يختبر صفيّه باسقام الجسد بل شاء ان يخصه ببركة الاضطهاد من اجل اسمه .

٩

الرسول المضطهد

كانت انكلترة بروتستنتية منذ فصلها عن الوحدة الرومانية والعقيدة الكاثوليكية هنري الثامن ، يحكم عليها اذ ذاك ، اسماً لا فعلاً ، شارل الثاني . وكان في الظاهر يدين بالاصلاح الموهوم خوفاً من الشعب والندوة . واما قلبه فكان على المعتقد الكاثوليكي الذي مات فعلاً عليه (١٦٨٥) . على انه قلما تمكن من تلطيف الشرائع الجائرة التي كانت الكثلكة تئنّ تحت وطأتها في مملكته . واماً اخوه وولي عهده ، جاك ستيوارت ، دوق يورك ، فكان كاثوليكياً قلباً وقالباً . وكذلك زوجته الدوقة . وهي اميرة من الاسرة الملكية الفرنسية رضيت بان تعدل عن الانخراط في السلك الرهباني فاقترنت باخي الملك ، عملاً بنصيحة البابا اكليمنضوس العاشر (١٦٧٣) .

وكان الدين الكاثوليكي في ذلك العهد محرّماً لدى الانكليز ، لا يحقّ الّا للسفراء والامراء ان يمارسوه ، وذلك في معابدهم الخاصة .

ففي اواخر العام ١٦٧٨ قام رجل من الاكليروس الانكليزي يدعى تيطوس اوتس (*Titus Oates*) ، ولفّق رواية دسيسة من الكاثوليك ، يريدون بها ، على ما زعم ، قتل الملك وبعث البابوية (*le Papisme*) [1] فوشى بهم ظلماً وعدواناً الى الملك ووزرائه . وما كان اسهل عليهم ان يتحققوا البغي مما اشتهر به ناسجه من الرثاء والتقلب على حسب مقتضى مصلحته الشخصية . فانه قبل ان يبدي هكذا غيرة على المذهب الانكليكاني ، كان قد خانه اذ جاهر بالكثلكة لدى اليسوعيين في سانت اومر . وناهيك بما حوى من المناقضات الخبر الذي حاكه بدون ما دليل ولا ما يشبهه . وبالرغم من هذا كله ارتاعت الحكومة ايما ارتياع وقامت تشدّد التنكيل بالكاثوليك وامرت

١) هكذا كان البروتستانت يدعون الدين الكاثوليكي غيرةً .

الطوباوي بعظ دوقة يورك

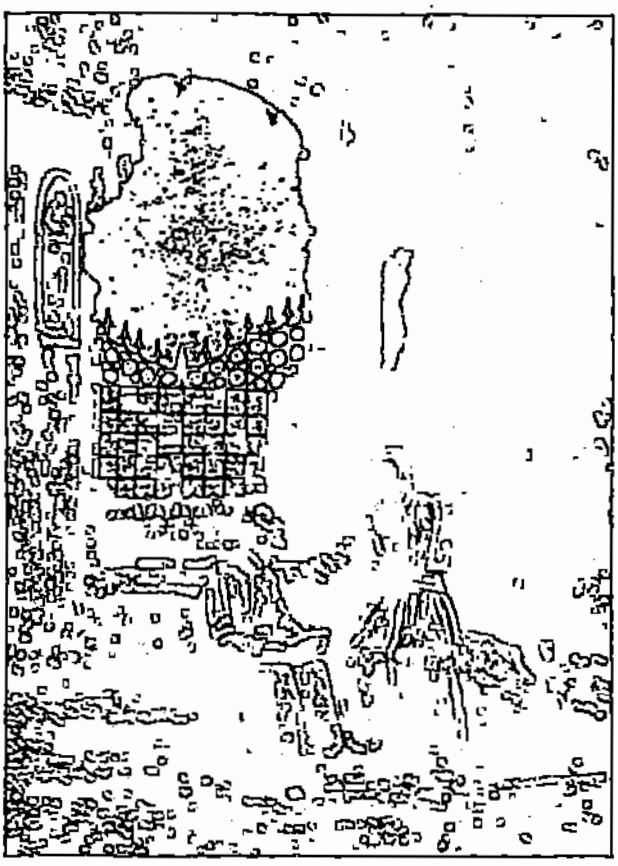

الطوباوي يشرح للاب دي غاليفه اسرار العبادة
لقلب يسوع الاقدس

بالقبض على كثيرين منهم.

ومن جملة الذين تناولهم امر التوقيف رجل الله ، مع ما عُرف به من التنحي التامّ عن السياسة ومكايدها . الّا ان المتعصبين الفوه غنيمة اثمن من ان يخلوا عنها . وقد سهّل لهم الامر شابٌ افرنسي من مقاطعة الدوفينه ، كان للاب فضلٌ سابق عليه اذ عُني بتعليمه ونصحه بل تصدّق عليه ببعض المال . فخانه ووشى به الى اولياء الامر مدعياً انه من دعاة البابوية العاملين.

وكان وقتئذٍ دوق يورك وقرينته متغيبين عن لندرة . فانتهز الفرصة رجال الشرطة ودخلوا قهراً قصر سانت جامس وقبضوا على الطوباوي واقتادوه الى سجن كِنس بنش (*King's Bench*) العامّ ، حيث قضى نحو شهر برفقة اسفل اوباش المدينة ، وهو ضعيفٌ قد انهك المرض قواه.

ولا شك انه تذكر ، في هذه المحنة ، ما كان قد كتب في رياضته الكبرى (ص ٣) حيث قال :

«سيأتي لديّ ، بنعمة الله ، كل الاحوال التي قد تطرأ على الجسد ، من صحة ومرض وعجز وحياة وموت . وكأني بي احسد الذين فصلهم العمى او عاهة اخرى عن سائر العالم فقضت عليهم ان يعيشوا كاتم اموات . . . وقد اضرم الله فيّ رغبةً شديدة ألّا احب شيئاً سواه وان احرّر قلبي من كل تعلق بالخلائق ، حتى اني لو زُججت بتهمة باطلة في سجن مؤبد لحسبت نفسي متمتعاً بحظ لا نظير له ، ولا اخالني كنت بحول الله اشعر بذل البتة.»

وقد تحقق القضاة اعينهم براءة رجل الله ولم يأخذوا عليه سوى مزاولة وظيفته الكهنوتية ، ولكن داخل القصر لا خارجاً عنه . وقد احتجت دوقة يورك على خرق حرمة سراياها ، وطلب لويس الرابع عشر بواسطة سفيره الافراج عن الاب. وبعد اللتيا والتي اكتفت الحكومة بقرار وقّع عليه الملك ، بنفي اليسوعي من البلاد . فغادرها متوجهاً الى باريس في اوائل كانون الثاني من العام ١٦٧٩[1]

١٠

الجهاد الاخير

ومن باريس استدعاه الرئيس الاقليمي الى ليون . فسار اليها سيراً بطيئاً

١) راجع مقدّمة كتاب المواعظ المذكورة آنفاً وايضاً *Le Messager du Sacré-Cœur, juin 1929, pp. 337—340.*

لداعي مرضه . فاتخذ قسطاً من الراحة بضعة ايام اولاً في ديجون ثم في پاراي لي مونيال . فزار فيها دير الزيارة حيث وجد العبادة للقلب الاقدس في تقدم مطّرد ، ومعظم الراهبات متقدات تقوى وغيرة حارّة ، عاكفات على اعمال الكفارة والتعويض .

على ان المعاكسات لم تخفَ عن تلميذته مرغريتا مريم . ذلك خصوصاً لان الام غريفيه ، وكانت رئيسة منذ نحو سنة ، دأبت في محنها ومقاومتها وتحقيرها . بل اصدرت اوامر ضيقت بها نطاق الاعمال التي كانت تمارَس في الدير اكراماً لقلب يسوع .

وقد فاز الاب دي لاكولومبيار باقناع الرئيسة المذكورة ، وازالة ما كان عالقاً بذهنها من الاوهام في شأن تلميذته ، اذ بسط لها الادلة القاطعة على قداستها وصدق ما نقلته من وحي الرب اليها . واخصّ هذه الادلة تواضعها وبساطتها ، وطاعتها الدقيقة ، وكفرها بذاتها ، مما لا يمكن ان يكون من مفاعيل الروح الشرير .

وبلغ الاب ليون في ١١ اذار ١٦٧٩ . وما لبث ان أُرسل بايعاز من الاطباء الى مسقط رأسه سان سنفوريان دوزون ، على امل انّ مناخ وطنه يشفيه من مرضه . وفي الخريف كانت صحته قد تحسنت نوعاً فعيّنه الرؤساء مرشداً روحياً لاخوته الرهبان ، طلاب الفلسفة في مدرسة الثالوث الاقدس بليون .

وكأنّ العناية الربانية ، بتدبيرها هذا ، انما توخّت اعلاء شأن العبادة لقلب يسوع الاقدس . فقد قضى الاب دي لاكولومبيار نحو عامين يدرّب على اصولها هؤلاء الطلّاب . حتى اذا ما سيموا كهنة بعد وفاة معلمهم ، قاموا يبسطون تعاليمه في القلب الالهي ويدافعون عنها .

وقد اشتهر بينهم الاب يوسف دي غاليفه بكتابه «في التعبد لقلب الهنا وربنا يسوع المسيح[1] .» وهو من اقدم المصنفات في الموضوع واجلها . ومثله الاب

(١ P. J. de Gallifet, S. J., *De Cultu Sacratissimi Cordis Dei ac Domini nostri Jesu Christi, Romae, 1726.*

يوحنا كوزاه . وله سفر جليل في الموضوع نفسه[1]. وقد اخبرني احد الرؤساء السابقين لديرنا في الشهباء انه عثر لدى بعض العيال الكاثوليكية فيها ، على اكثر من مخطوط قديم لترجمة مؤلف الاب كوزاه العربية . ولا عجب فالمشهور عن حلب انها اول المدن الشرقية التي انتشرت فيها العبادة للقلب الاقدس .

ثم عاود المرض الطوباوي كلود ، بل اشتدت وطأته عليه . فارسله الاطباء ثانيةً الى سان سنفوريان ، ولكن بدون ما جدوى . واذ يئسوا من شفائه بعثوه الى باراي لي مونيال ، علّ هواءها المعتدل ينعش رئتيه . فوصل اليها في آب ١٦٨١ فقضى فيها ستة اشهر يعاني اهوال مرضه القتّال . وفي ١٥ شباط ١٦٨٢ ، الساعة السابعة مساء ، تسلّم الرب يسوع روحه البارّة .

وفي الساعة الخامسة من صباح اليوم التالي نعته الى القديسة مرغريتا مريم الانسة دي بيزفران (Mlle de Bisefrand) وكان مرشد اعترافها . فاجابت القديسة بلهجة الحزن : «صلي واطلبي صلاة من اجله» . على انها ما لبثت ان كتبت اليها في الساعة العاشرة من النهار عينه : «ألا كفي عن الحزن ، بل توسلي اليه ولا تخافي ، فان قدرته لاسعافك هي اليوم اعظم مما كانت في يوم من الايام .» واذ عجبت رئيستها كيف لا تقدّم لراحة نفسه الصلوات والتقشفات ، اجابتها : «هو في غنى عنها بل هو اجدر بان يصلي من اجلنا ، اذ يسكن محلًّا جيداً في السماء ، بجودة ورحمة قلب يسوع الاقدس . نعم كان قد بقي عليه ان يفي عن بعض غفلات في ممارسة الحب الالهي . ومن اجلها حُرمت نفسه معاينة الله من حين وفاته حتى دفنه .»[2]

ونعم القول ! ففيه تقريظ للاب دي لا كولومبيار لا نعرف أبلغ منه سوى الرقيم الذي به اعلنته الكنيسة المقدسة طوباويًا .

(١ *La dévotion au Sacré-Cœur de N.S.J.C., par un Père de la Compagnie de Jésus* (le R. P. Jean Croiset) *d'après l'Edition définitive, 3e de Lyon, 1694, Montreuil - sur - Mer, Imprimerie Notre-Dame des Prés, 1895.*

(٢ راجع سيرة القديسة لماصرانا المذكورة آنفاً ص ١٥٤ – ١٥٦ .

الاوائل في اللغة

بقلم سالم خليل رزق

٢

ويقولون : فعل هذا آثِر ذي اثير . ولقيته اوّلَ ذي أثير ، وأثيرةَ ذي اثير ، وأثرةَ ذي أثير ، وأثرَ ذي اثيرَين ، وإثر ذي اثيرَين ، وأثرةَ ما ، وآثِر ذات اليدين وذي يدين . اي اول كل شيء .

وافعله بدأة ذي بدء ، وبَدأة ذي بدأةٍ ، وبدأة ذي بديء ، وبدأة بديء ، وبديء ذي بديء . اي اوّلَ اوّلَ .

ويقال : فعله على بدئِهِ ، وفي عوده وبدئِهِ ، وفي عودته وبدأتِهِ . وافعل ذلك عودًا وبدءًا .

وتقول : رجع عَوْده على بدْئِهِ ، اذا رجع في الطريق الذي جاء منه .

وبادئ الرأي : اوله وابتداؤه .

وتقول : لقيته اول ذات بَوْكٍ ، مثل اول ذات بدء . وكذلك اول صَوْلَة ، واول بائكة ، واول بائكة ، وأدْنى دَنْيٍ ، وادنى دَنًا ؛ واول عَيْن ، واول صَوْك ؛ وقبل كل صَيْح وتَفر ، وذلك اذا لقيته قبل طلوع الفجر . والصيْح : الصياح ، والتفر : التفرق .

ولقيته ادنى ظَلَم ، واول ذي ظَلَم ، اي اول كل شيء سدَّ بصرك في الرؤية ؛ وقيل حين اختلاط الظلام ؛ واول عَوْك وبَوْك ، واول عائنة ، وادنى عائنة ، واول ذي يدين اي ساعة غدوت .

والبدأة ، والبداءة ، والبدينة : اول الحال والنشأة . يقال جرى ذلك

في بدأتنا . وتقول : لك البداءة والبديئة ، مثل قولهم : لك البدء .

والبَدَاهة والبُداهة : اول كل شيء ، وما يفجأ منه . وكذلك البَدْهُ والبديهة ، يقولون : اجاب على البديهة ، اي اول ما يفجأ به . وبديهة الفرس ، وبداهتُهُ : اول جريه ، وعلامته جري بعد جري ، تقول : هو ذو بديهة وبداهة

وقولهم : لا اكلمك الى عشر من ذي قِبَل ، وذي قَبَل ، اي في ما استأنف ، او الى عشر تستقبلها .

وانا اول من اقترح مودة فلان : اي اول من اتخذه صديقاً .

ولقيته في قَرْن الفلاة : اي في اولها ، وقيل في طرفها .

ويقال : فلان مستدبر المجد مستقبله : اي كريم اول المجد وآخره .

ودار حابله على نابله : اي اوله على آخره .

وقد احسن اولاً وآخر ، وآنفاً وبادياً ، ومفتتحاً ومكرّرًا ، وسالفاً وحادثاً .

والشُؤبوب : اول ما يظهر من الحسن . تقول : هو حسن الشآبيب وحسن شآبيب الوجه .

والدَّعث : اول المرض . وقد دُعِث الرجل اذا اصابه فتور واقشعرار .

وارغادَّ الرجلُ كان مرغادًا ، وهو المريض لم يُجهد ، وفيه ضعضعة . وارغادَّ الوجعُ المريضَ : بدأ به . والمرغادّ والملهاجّ يُستعملان في اختلاط المرض بالبدن ، واصله اللين الذي اختلط بعضه ببعضه ولم تتم خثورته .

والمتبغثر : الرجل اول ما يشتكي يسوء لونه وتخبث نفسُهُ .

وقد عَلَّث الوجع تعليثاً ، اذا ابتدأ .

والرَسُّ : اول مسّ الحمى . ومثله الرسيس . تقول : به رسّ الحمى ، ورسيسها ، اي ابتداؤها . وكذلك حِسُّ الحمى ، اي اولها عند ما تُحَسُّ . ومَسُّها ، تقول : وجد مسّ الحمى اي اول ما نالهُ منها . والمُرَواء : قرة الحمى ، ورعدتها ، ومسُّها ، وحِسَاسها : حسُّها .

والثُقْبة اول الجرب . يقال : ظهر بالبعير ثُقْبَة (الاساس)

والمَسُّ : اول ما يُحَسُّ به منه التعب . يقال : لم نجد مَسًّا من النصب .

والرسيس اول الحبّ .

والتَّرْقة : اول الجري، وآخره عَقْبٌ.

ومَزَع البعيرُ والظبي والفرس مَزْعاً ومَزْعةً : عدا اول العدو.

وأَمَجَّ الفرسُ : بدا يعدو قبل ان يضطرم عدوه.

والنِّشوة : الخبر اول ما يرد. والنَّشيان الذي يتخبر الاخبار اول ورودها. يقال : رجل نشيان للاخبار بيّن النِّشوة.

والنَّفية : اول ما يبلغك من الخبر قبل ان تستثبته. قال ابن السكيت: قد سمعت نفية من كذا ، اي شيئاً من خبر.

والنأنأة: اول الاسلام. ومنه طوبى لمن مات في النأنأة ، اي قبل ان يقوى ، ويكثر اهله ، وناصره ، والداخلون فيه ، فهو عند الناس ضعيف (رواهُ عكرمة عن ابي بكر الصديق).

وسِقاطا الليل : ناحيتا ظلامه ، وكذلك سِقطاه . قال الراعي:

حتى اذا ما اضاء الصبح وانبثت عنه نُمامة ذي سقطين متكير

وصَرِعاه : اوله وآخره.

والناشئة : اول النهار والليل ، او اول ساعات الليل . ومثلها النَّشيئة.

والنَّسَق : ظلمة اول الليل ، او دخول اوله حين يختلط الظلام.

والغُرَّة من الشهر : اوله . والغرّة: ليلة استهلال القمر لبياضها.

والناحرة : اول يوم من الشهر ، وقيل آخره ، وقيل آخر ليلة منه . ومثله النحيرة . قال ابو الغوث : النحيرة آخر ليلة من الشهر مع يومها ، لانها نحر الشهر الذي بعدها ، اي تصير في نحره او تصيب نحرهُ.

والحُرَّة: اول ليلة من الشهر.

ومثله البَرَاء . ومن سجعات الاساس : ان اسعد الناس البراء ، كما ان اسعد الليالي البراء. قال الراجز :

ان سبدًا لا يكون غداً كما البراء لا يكون غدا

وَجْهُ الدهر : اوله . يقال : كان ذلك على وجه الدهر ، اي اوله .

والدهارير: اول الدهر في الزمان الماضي لا واحد لها . ويقولون : كان ذلك في دهر الدهارير قال الشاعر :

بالباعث الوارث الاموات قد ضمنت ايام الارض في دهر الدهاريس

وقالوا : كانه ذلك دهرَ النجوم ، اي حين خلق الله النجومَ.

والقَبْل والقُبُل من الزمان : اوله.

والنَّشْء : اول ما ينشأ من السحاب ، وقيل هو السحاب المرتفع. وكذلك النَّشيء ، والخَرْج ، والقَريح ، وهو السحابة اول ما تنشأ . وقريح السحابة : ماؤها حين يترل. وبواسق السحاب: اوائله ، وقد نَشَأت السحابة: اي ارتفعت وبدت . وذلك في اول ظهورها ، ومنهُ قولهم : نشَأ غمام النصر.

والهَلَل : اول المطر . وقد استهلّت السماء اذا اتت بالهَلَل.

والسُّنُك : مثل الهَلَل.

والقرانيس : عثانين السيل ، واوائله مع الغثاء.

والنَّهَل : اول الشرب . والعلَل ثانيه . يقال : سقى عَلَلًا بعد نَهَل ، لان الابل تُسقى في اول الورد فترد الى العطن ، ثم تسقى ثانية فترد الى المرعى. والنِقال: ان تشرب الابل نَهَلًا وعلَلًا بنفسها من غير احد. يقال: شربت نِقالًا . وقرّت الناقة : نهلت ولم تعلّ ، وقد نَهلت نَهَلًا ومَنْهَلًا: اي شربت اول الشرب ، وانهَلَ الابل: سقاها نهلًا. وأنهلوا زرعهم : سقوه السقية الاولى.

والفُوَق : الطريق الاول.

والبارض : اول ما تخرج الارض من النبات ثم هو جميم ، قُبَيرة ، فصماء ، فحشيش . والشَّكير : اول النبت على اثر النبت الهائج المُبِرّ . والعُنْقُر: اول ما ينبت من القصب وهو غضٌّ . والرَّشْمُ : اول ما يظهر من النبت . والخامة اول ما ينبت على ساق من الزرع. والنُطر : ما تفطّر من النبات . والنَّشْطُ : النبات حين يصدع الارض تسمية بالمصدر. والنجيم : الطريّ حين نجم فنبت. والنَّشرُ : بدء النبات. والنفاطير : اول نبات الوسميّ . والوَشْمُ : شي تراه من النبات اول ما ينبت. ج. وشوم ووشام . والنشط: مقلوب النشط. والروشم: الرشم. ومثله المَشرة والمَشَرَة. وبادرة النبات: رأسهُ اول ما ينفطر عنه. والرِقَةُ : اول نبات النصيّ والصلّيان ، اذا اخضرّا في الربيع. والنمصُ : اول ما يبدو من النبت فينتف. والنَّشُ :

الوشمُ. والبَذْرُ : اول ما يخرج من الزرع ، والبقل ، والنبات ، لا يزال ذلك اسمُهُ ما دام على ورقتين . وقيل هو جميع النبات اذا طلع من الارض فنجم ، او هو ان يتلوّن بلون او تُعرف وجوهُهُ.

والثَّفِرَة : ما ابتدأ من الطريفة ينبت لينـاً صغيرًا ، وهو احب المرعى الى المال اذا عدمت البقل.

والجَنعُ والجَنيعُ : النبات الصغير.

وقد بَرَض النبت بروضاً ، اذا خرج اولًا قبل تبيّن اجناسه. وجَدَر النبت والشجرُ ، اذا طلعت رؤوسُهُ في اول الربيع كأنّهُ الجُدَري. وكذلك جَدُر جدارة. وشقّ شقوقاً ، اذا ظهر ، وذلك اول ما تنفطر عنه الارض. وقد طرّ طرًّا وطُرُورًا ، اذا نبت . ومثله ازبأرّ. وذرّ البقلُ ، اذا طلع ادنى شيء منه كالذرة. وقزّح العرفج ، طلع وهو اول نباته. وانتَشّ النبت ، اخرج رأسهُ من الارض قبـل ان يعرف. ونَثِدت الكمأة ، ونُثِطت : نبتت. وطَلِيَ البقلُ : ظهر على وجـه الارض. ونَشظَ النبت : نبت من ارومته اول ما يبدو حين يصدع الارض. وبَقّ بُقُوقاً : طلع. وقرّح العرفج مثل قزّح. وأوشم النبت : طلع اولًا. وظفّر تظفيرًا : طلع . وظفّر العرفج : خرج مثل الاظفار.

في سبيل ثقافتنا العامة : ١

البكالوريا اللبنانية والتعليم العصري

بقلم فؤاد افرام البستاني
استاذ الآداب العربية في كلية القديس يوسف

٣

الله من يدرس بامعان برنامج البكالوريا الجديدة ، ويُعمل الذهن بدقة في قيمة اقسامه ويقابلها بعضها ببعض ، لا يسعه الّا الاقرار بحكمة واضعي هذه الاقسام ، والثناء على ما بذلوه من الجهود كي يناسبوا بينها جميعاً ، ويسيروا بها الى الغاية المهمّة التي توخّوها من تدريب الطلّاب على طرق التنشئة الثنوية التي كثيراً ما تقدم لنا ان حدّدناها وشرحناها . فهم في عملهم هذا ، وخصوصاً في اخلاصهم في العمل ، يستحقون كل ثناء ، على الرغم مما تسرّب الى البرنامج من نواقص وهفوات سنشير اليها ، وكلها سهلة الاستدراك . ولنا الامل ان وزارة المعارف لا تُحجم عن اصلاحها ، اذا ما أُبديت لها الانتقادات الوجيهة في ذلك . وعلى هذا الامل نذكر بعض ما رأيناه مناسباً عند درسنا البرنامج قسماً قسماً :

اللغة العربية في قواعدها وآدابها

للغتنا النصيب الاوفر في البرنامج الجديد ، سواء في ذلك الفرع الادبي والعلمي ، القسم الاول والثاني . ففي القسم الاول خُصّ الفرع الادبي بساعتين خطيين : الاول في الآداب العربية ، والثاني في النقد الادبي[1] ، وبسؤال شفهي في

(١) للطالب انْ يستبدل بالمسابقة العربية الثانية مسابقة في احدى اللغات الاجنبية الحيّة ، او ترجمة نص لاتيني .

تفسير نصّ ما. وتبلغ معدلاتها خمسة على احد عشر معدلاً. هذا مع ترك الحرية للطالب ان يستعمل اللغة العربية للجواب عن اسئلة التاريخ والجغرافية والرياضيات. وهكذا فلا يبقى خارجاً عن لغتنا الّا مسابقة الآداب الفرنسوية وتفسير النص الفرنسوي. وكذلك القول عن الفرع العلمي، باسقاط سباق النقد الادبي منه، لكثرة ما فيه من السباقات والاسئلة في العلوم والرياضيات. اما القسم الثاني ففي الفرع الادبي منه تتمثل اللغة العربية بسباق خطي وسؤال شفهي، كل منها بمعدل واحد، مع ترك الحرية للطالب في الجواب بالعربية عن اسئلة الفيزياء، والكيمياء، والتاريخ الطبيعي، والتاريخ، والجغرافية، وعلم رسم الكواكب، كتابةً كان ذلك او مشافهة. وقد نالت العربية حظاً اوفر في الفرع العلمي من القسم الثاني ففيها وحدها يُعطى السباق الخطي في الفلسفة الادبية.

كل هذا يدعو الى التفاؤل بمستقبل هذه اللغة العزيزة علينا التي كثيراً ما يضرّها اولئك الذين يدّعون الغيرة عليها، اذ كثيراً ما تكون قتّالة تلك الغيرة العمياء التي لا تعرف، ولا تحب ان تعرف، موضع الألم فتعالجه. على ان ما يفوق كثرة المسابقات العربية مدعاة الى التفاؤل بالمستقبل هو ذاك الروح الظاهر في تنسيق موادّ البرنامج وترتيب اقسامه، الدالّ على اهتمام اولي الامر بصرف اللغة عن تلك المجموعة المادية الجافة التي تقدّم لنا وصفها، الى الآلة المرنة التي نحتاج اليها في زمننا هذا. وهو امر لم يمكن تطبيقه في الدورة الاولى من الامتحان لما بسطناه من الاسباب في المقال الماضي. على ان املنا شديد في امكان تطبيقه في المستقبل القريب، ولا سبيل الى ذلك الّا بتطبيق ما اختُبر وقرّر في بلاد الغرب من اساليب النقد الحديث، وطرق الدرس العلمي، على آدابنا القديمة، ومذاهب تدريسها التقليدية. وهو ما رمى اليه واضعو البرنامج فحصروا المسابقة المهمة بموضوع من «آداب اللغة»، او من «الفلسفة الادبية» او بأي موضوع «اخلاقي». فوضعوا الطلّاب ضمن دائرة محدودة لا يمكن ان يتعدوا ما تتطلب منهم من المعلومات الدقيقة، وعرضها باسلوب فيه وحدة وتنسيق، الى ما قد يكون اسهل عليهم من رصف القوالب الفارغة والتعابير الطنانة دون لحمة ولا ترتيب. على اننا نلاحظ هنا نقصاً من السهل استدراكه في ما

خصّ السياق العربي الثاني في الفرع الادبي من القسم الاول ، فقد ذكر عنه في البرنامج : «بحث في نصّ عربي من الوجهتين البيانية والنحوية.» ولا يخفى على كل من عانى التعليم ما في هذا الكلام من الغموض ،لاضطراب لفظة «البيانية» وتقلقل مدلول « البيان » في عرف القدماء من الاساتذة — ولا يزال بيننا كثير منهم — وعرف المصريين الذين يرون فيه خصوصاً فنّ التأليف الادبي التام اولاً من حيث المعنى ، وثانياً من حيث المبنى ... قد لا ينتبه لهذا الامر من يطالع البرنامج بسرعة دون الاهتمام بتطبيقه العملي فينسب انتقادنا الى التعنت . ولكن اذا مكنته الظروف ، كما مكنتنا في الدورة الاولى ، من الوقوف على مسابقات الطلبة في الموضوع ، وتحقق ، كما تحققنا ، كم شوّش هذا الغموض من افكار اولئك المساكين فهاموا يضربون بين اركان البيان من تشبيه واستعارة ، ومجاز ، وبديع لفظي ومعنوي ، وقواعد النحو المختلفة ، واصول النقد الادبي الحقيقي ، ورأى ان القليل منهم كانوا يجمعون نتفاً من كل شي في مسابقاتهم ، والكثير لا يجمعون شيئاً — اذا تحقق كل هذا ، اشفق معنا ، وتمنى لو استبدلت وزارة المعارف بهذا العنوان قولها : « مسابقة في الانتقاد الادبي » واردفت ذلك بقاعدة عقلية لهذا الانتقاد ، يطبقها الاساتذة في مدارسهم فيدرّبون عليها الطلّاب قبل الهجوم على الامتحان النهائي.

هذا ما كان من امر طريقة الفحص . اما منهاج الآداب العربية نفسه فلا حاجة الى القول انه اتى في وقته ، ليصرف اساتذتنا وطلابنا عن درس ظاهر اللغة الى التعمق في آدابها ، تابعين في ذلك تطوّر تلك الافكار المتعدّدة المنشأ زماناً ومكاناً والمعبر عنها بالقالب العربي.وعليه فالمنهاج في غاية الموافقة ، على ما فيه من نواقص قليلة سنشير اليها في ملحق هذا الدرس.ولا عبرة باقوال المنتقدين ، واكثرهم لم يتعوّدوا درس الآداب او تدريسها على هذه الطريقة ، فرأوا بحكم الطبع ما يخالف عاداتهم التقليدية فلم يقرّوه . هذا وانه يمكننا ان نردّ جميع انتقاداتهم الى امرين: ١ً — المنهاج طويل . ٢ً — ليس لدينا من الكتب ما يوافقه.

اما طول المنهاج فهو في ظاهره اكثر منه في حقيقته . ولعل المنتقدين رأوا

كثيراً من الاقسام والفروع والملحقات فهالهم ذلك ، وما كان المقصود منها الّا تدريبهم على طريقة التدريس ، والتسهيل عليهم ترتيب موادهم ومعلوماتهم . واما الاعتراض الثاني فهو في غاية السذاجة ، ان لم نقل في غاية الغثاثة ، وهل عرفتم حكومة تعتمد في سنّ منهاج لشهادتها الرسمية على كتاب موضوع ؟ وان هذا الاعتراض ليذكرني بحثنا الشديد في مجلس كنا نقرأ فيه المنهاج الذي وضعته وزارة المعارف السورية ، حتى اذا وصلنا الى الصف الثاني ، قرأنا مقرر «تاريخ الادب» واذا الواضع يقول في آخره : «ويجب ان لا تقلّ المواد التي تدرّس في هذا الصف عن المواد المذكورة في كتاب الوسيط من اوله الى منتهى العصر الاموي . » ، وعند ذكر «تاريخ الادب» في الصف الاول يقول الواضع نفسه : «ويجب ان لا تقل المواد التي تدرس في هذا الصف عن المواد المذكورة في كتاب الوسيط من اول العصر العباسي الى منتهى الكتاب . » وعلى الجملة ان وزارة المعارف السورية وضعت منهاجها في الادب العربي معتمدة على كتاب الوسيط . . . واهون ما يؤخذ على الوسيط انه تأليف «مصري» في تاريخ ناحية من نواحي الادب العربي . . . هذا وليفهم المعترضون انّ للحكومة ، بل عليها ، ان تضع منهاجها بصرف النظر عن الكتب المعروفة ، حتى اذا فرغت منه ، أتى دور المؤلفين فيجدّون ويجتهدون ليضعوا كتبهم موافقة لهذا المنهاج .

ومما يجب الاشارة اليه في منهاج الآداب العربية اتساعه في درس النهضة الحديثة ، وهي ظاهرة مهمّة في تاريخ ادبنا ، وان لم يتجاوز ذكرها في «الوسيط» عدة صفحات ، وان لم يتجاوز تأثيرها في عرف اصحاب «الوسيط» حدود البلاد المصرية . على ان ذلك لا يمنع كون دارسي الادب العربي ، في الشرق والغرب ، يميلون في زمننا كل الميل الى درس هذه الآداب العصرية ، واصدق الشهود اهتمام المستشرقين في فرنسة وانكلترة وروسية ، والمانية خصوصاً ، بهذه الآثار الحديثة مما ذكره مؤخراً المستشرق الروسي المشهور ، الاستاذ اغناطيوس كراتشقوفسكي[1] . فأتى المنهاج اللبناني متلافياً ذلك النقص ، فتعمّق في درس اسباب

١) اغناطيوس كراتشقوفسكي : درس الآداب العربية الحديثة (في مجلة المجمع العلمي العربي ، دمشق ١٩٣٠ : ١٨)

النهضة من بعيدة وقريبة ، وتوقف لدى مظاهرها المختلفة، وتجاوز القرن التاسع عشر الى ما بعد الحرب الكبرى في ذكر بعض الفنون كالشعر والنقد الادبي ، فكان موافقاً كل الموافقة للاسلوب العلمي في الدرس ؛ جامعاً بين القديم والحديث في الموضوع.

. . .

اما في ما خص اللغة الفرنسوية وآدابها فليس ما يستحق ذكرًا خاصاً سوى ان المنهاج اكتفى من تاريخ تلك الآداب بالقرن السابع عشر وما يليه الى نهاية القرن التاسع عشر.

التاريخ والجغرافية

على اننا نقف قليلًا عند منهاج التاريخ والجغرافية ، فنلاحظ ان واضعي هذا المنهاج تبعوا طريقة البكالوريا الفرنسوية القديمة المدعوّة بطريقة «الازدواج»، ومعنى ذلك ان المادة الواحدة كانت تُدرس على مرتين: في الصف الثالث ، وفي الصف الاول ، في ما خصّ الجغرافية ؛ وفي الصف الثالث ، وفي صف الفلسفة ، في ما خص التاريخ . الّا ان عقبة هذا الازدواج في المنهاج الفرنسوي القديم ، كانت تظهر اقل تأثيرًا منها في المنهاج اللبناني الجديد ، لان الفاصل بين تدريس المادة كان سنتين على الاقل . بينما لا نراه يتجاوز السنة في منهاجنا ولاسيما في موضوع الجغرافية. وهاك تفصيل ذلك[1].

القسم الاول (الصف الاول)	القسم الثاني (صف الفلسفة)
لبنان وسورية : المناطق الطبيعية – الجغرافية الطبيعية.	جغرافية لبنان وسورية البشرية والاقتصادية.
الممالك الواقعة على البحر المتوسط ، وآسية الوسطى.	جغرافية فرنسة وستعمراتها ، والشعوب الواقعة على شرقي البحر المتوسط ، وجغرافية آسية الوسطى.
	معلومات عن اهم الدول الاقتصادية في العالم.

١) منهاج البكالوريا اللبنانية – الطبعة الاولى – ص ٣٥و٣٥

وان من له اقلّ المام بتعليم الجغرافية يدرك انه من المستحيل ان تُفصل اقسام الجغرافية من طبيعية وبشرية واقتصادية ، الواحد عن الآخر . وعليه يرى المعلّم ذاته مضطرًا لان يعيد امام الطلّاب ، في صف الفلسفة ، قسماً كبيرًا مما قاله في الصف الاول ، فيضجرهم ويصرفهم عن الافادة من حيث لا يقصد . هذا فضلًا عن ان منهاج القسم الثاني اطول من ان يمكن للتلميذ استيعابه في عام واحد . فان فرنسة ومستعمراتها ، واهم الدول الاقتصادية في العالم ، بصرف النظر عن لبنان وسورية ، موضوع مادة ضخمة لا يمكن شرحها في مدة سنة ، ولا فائدة من تلخيصها واختصارها .

وان جاز لنا ان نبدي رأيًا ، فاننا نشير الى التقسيم الآتي :

في الصف الاول : البحر المتوسط وما يحيط به من البلدان الاوربية والافريقية (ما عدا مصر) .

في صف الفلسفة : تركية ، ارمينية ، اذربيجان ، لبنان وسورية ، فلسطين ، العراق ، جزيرة العرب ، مصر .

ويمكننا القول نفسه تقريباً في ما خص منهاج التاريخ فان موادّه ، في غير تاريخ لبنان وسورية ، لم تنسق على اسلوب موافق . فقد كان على الواضع ان يختار من التاريخ العام ما يرافق التاريخ الشرقي خاصة ، ويوضح ذلك بطريقة صريحة لا ان يكتفي ، في منهاج القسم الثاني ، بذكر «اهم المعلومات من تاريخ شعوب اوربة الشرقية وعن تواريخ مصر وايطالية والمانية وانكلترة والولايات المتحدة منذ ١٨٤٨ الى اليوم» ، مستعيناً بالفاحص في تمكين «الطالب عن تبيان مقدار معرفته بالعلائق الموجودة بين الحوادث التاريخية في فرنسة واوربة وحوادث التاريخ في الشرق .»[1] فان هذا الاحتياط الاخير لا يجدي شيئاً ، ولا يصل اليه الطالب الّا وقد فات الحين .

الرياضيات والعلوم

من محاسن بكالوريتنا انها فصلت كل الفصل بين الفرع الادبي والفرع العلمي في ما خصّ العلوم والرياضيات وما اليها ، فلم تجبر جميع الطلّاب ان

١) المنهاج ، ص ٢٥

يتبعوا منهاجاً علمياً قد لا يوافق ذهنية اكثرهم ، فنجت بذلك من المزلّة التي وقع فيها البرنامج الفرنسوي الحديث ، اذ جعل درس الرياضيات والعلوم اجبارياً الى حدٍ ما في جميع فروع البكالوريا ، فادّى ذلك في دورة السنة الماضية ، وهي الاولى من البرنامج المذكور ، الى اسوأ النتائج كما يظهر من الاحصائيات الدقيقة التي تنشرها ادارات الكليات الفرنسوية . ولا يتسع المقام لذكر الكثير منها فنكتفي بالاشارة الى ان معدّل النجاح في كلية لويس الكبير (*Louis-le-Grand*) في باريس لم يتجاوز ٣٢ ٪ في حين ان ذلك المعدّل لم يكن لينحط على ايام البرنامج السابق ، عن الخمسين بالمئة . وكذلك القول عن النتائج في كلية هوش (*Hoche*) في ڤرسايل ، فقد نجح من طلابها في الفرع A' ١٦ على خمسين او ٣٢٪ ، وفي الفرع B ٨ على خمسين او ١٦ ٪ .

فقام اذ ذاك اساتذة التعليم الثنوي ، واعادوا الحملة التي قاموا بها على اثر نشر البرنامج ، ذاكرين ان من الطلاب من لا تتفق ذهنيتهم والتعمق في درس العلوم ولاسيما الرياضية منها ، وعليه فان البرنامج يظلمهم ، ويفسد عليهم تنشئتهم الادبية اولاً ، ومستقبلهم ثانياً ، باجبارهم جميعاً على درس منهاج علمي كان يُترك في البرنامج السابق لمن يرون من انفسهم الاستعدادات الطبيعية للقيام به . وكان آخر ما بلغنا من هذه الاحتجاجات مقالة شديدة اللهجة لموستاڤ كوهن ، من اساتذة السوربون ، كتبها على اثر قيامه بالفحص حسب البرنامج الجديد ، فذكر النتائج المؤلمة وتأسف على البرنامج الماضي ، وتمنى لو اعيد بعد ان تُحذف منه الفئة B الخاصة باللغة اللاتينية واللغات العصرية وحدها .[1] وهذا البرنامج الفرنسوي القديم هو الذي اقتدى به واضعو برنامجنا فسلموا من تلك الورطة ، وكان منهاجهم الرياضي والعلمي على غاية ما يرام ، لولا انهم تجاوزوا الحدّ في اهمال الرياضيات في الفرع الادبي من القسم الاول ، وانصرفوا نوعاً ما عن العلوم العملية الى النظريات في ما سوى ذلك . وقد احدثوا صعوبة في التدريس بتطبيقهم المنهاج الرياضي للفئة الفرنسوية القديمة D ، على الفرع العلمي من القسم الاول ،

(١) Gustave Cohen, *Le nouveau Baccalauréat, sciences + lettres*, – dans «*Les Nouvelles Littéraires*», *16 nov. 1929*.

وذلك ان الكتب التي يدرس فيها هذا المنهاج اصبحت نادرة بسبب الغاء تلك الفئة من البكالوريا الفرنسوية ، فضلاً عن الصعوبة التي تصادفها المدارس في خلق صفّ جديد من الرياضيات يوافق هذا المنهاج . وقد كان بامكان واضعي برنامجنا ان يستندوا ، في ما خصّ الفرع العلمي الى البرنامج الفرنسوي الحديث فيقرروا منهاجه الرياضي ، كما استندوا اليه فنقلوا الهندسة الرسمية والهندسة المرقّمة من القسم الاول الى القسم الثاني ، وحسناً فعلوا.

الفلسفة

اما في الفلسفة فقد كان لوزارة المعارف الفضل الوافر بادخالها تاريخ الفلسفة العربية في برنامج البكالوريا ، وتعمقها بذكر اسباب نشوء تلك الفلسفة وتطوّرها على مختلف وجوهها . ثم بوضعها في مصافّ مؤلفات الفلاسفة المشهورين ، التي تُدرس عادة في البكالوريا الفرنسوية ، مؤلفات فلاسفة العرب واخلاقييهم كآثار علي بن ابي طالب والفارابي وابن سينا وابن رشد وابن خلدون في النثر ، وآثار المعرّي وابن الفارض والطغرائي في الشعر . فنالت على ذلك الشكر الجزيل .

. . .

هذا مجمل ما رأينا ذكره بمناسبة تأسيس هذه البكالوريا الجديدة التي نتمنى لها كل نجاح ، مؤملين ان وزارة المعارف تظلّ سائرة على الخطة التي بدأت السير عليها من تطبيق البرنامج بروح ثنوية محضة ، تنصرف عن شغل الذاكرة الى اعمال العقل ، وان تثابر على الاهتمام ، جدّ الاهتمام ، بالامتحانات فتهيمن عليها عن قرب كما فعلت في الدورتين الاولى والثانية فتقطع كل تدخل ، وتحبط كل مسعى ، وتصمّ اذنها عن كل رجاء ، من شأنه ان يحط قيمة الفحص ، فقيمة البكالوريا ، فقيمة الوزارة نفسها .

ملحق

واننا نورد في ما يلي بعض ما اخذناه من النواقص والهفوات وسقطات التعريب على البرنامج الجديد ، مع اصلاح ذلك ، متبعين الطبعة الاولى صفحة صفحة . وقد كانت الوزارة سبقت فاصلحت شيئاً من ذلك في نشرة الحقتها بالكراس ، فذكرنا اصلاحها واشرنا اليه بنجمة :

صفحة	سطر	خطأ	صواب
١١	١٦	منشأه – الاسواق: انواعها الخ	*منشأه : الاسواق – فنونه ، صفاته ، صحة نسبته ، تأثيره
١٢	٠٦	المدح والهجاء: ابو تمام ، دعبل	المدح والهجاء: ابو تمام ، دعبل ، بشّار (١
١٢	٠٨	ابن المقفع وتلامذته	*ابن المقفّع واسلوبه
١٢	١٦	الجبر، الهندسة، علم الفلك وعلم التنجيم	*الجبر والهندسة ، الفلك والتنجيم
١٢	١٨	الفقه والكلام	*الفقه وعلم الكلام
١٢	٢٠	الادب العربي	الادب
١٢	٢٠	ابو زيد	ابو زيد القُرشي
١٢	٢٢	التأثير التركي	*النفوذ التركي
١٤	٠٥	العلوم	*فنونه
١٤	٠٦	قواعد الصرف والنحو وقواعد اللغة	*العلوم النحوية واللغوية
١٥	٠١	القصص	*فن جديد: القصص
١٥	٠٨	المختارات الادبيـة	*المجاميع الادبية
١٥	١٨	التاريخ الطبيعي: الدميري	*العلوم الطبيعية (٢
١٥	١٩	الرياضيات	*العلوم الرياضية
١٥	٢٠	الفلسفة	*العلوم الفلسفية
١٥	٢١	التاريخ والجغرافية والاسفار	*التاريخ والجغرافية والرحلات:
١٥	٢٢	ابن جبير، ياقوت، المقريزي، المقري	ابن جبير ، ياقوت . (٣
١٦	٠٨		يجب ان يذكر بعد السطر الثامن مايلي: العلوم الطبيعية: الدميري.
١٦	٠٩	الاسفار	*الرحلات
١٦	١٠	ابن بطوطة ، السيوطي.	ابن بطوطة ، المقريزي ، المقري ، السيوطي وتآليفه الشاملة.
١٦	١٢	المختارات	*المجاميع
١٦	١٢	القلقشندي ، الابشيهي	القلقشندي، الابشيهي ، العاملي (٤
١٦	١٢	طلائع عصر الانبعاث	تذييل: طلائع عصر الانبعاث.

١) لا شك ان اسقاط اسم بشّار من السهو لانه ذُكر بين من يجب ان تُدرس منتخبات من شعرهم ، وذلك في الصفحة ٢٠ من المنهاج ذاته.

٢) يحذف الدميري لانه ذكر هنا سهوًا ، ومحلّه في عصر الانحطاط.

٣) لأن مكان المقريزي والمقري في عصر الانحطاط ، وقد ذُكرا هنا سهوًا.

٤) سقط اسم العاملي سهوًا ، وقد ذُكر في النص الفرنسوي - البرنامج (٢٤ م)

١٦٠	١٩	كتاب الملوك والامراء وشراؤهم	*كتبة الدواوين وشراء البلاط
١٦	٣٠	القسطنطينية	*بلاط القسطنطينية
١٧	٠١	مصر	*بلاط مصر
١٧	٠٣	عكا	*بلاط عكا
١٧	٠٥	لبنان	*لبنان : بلاط الامير بشير
١٧	١٣	المؤلفات المدرسية	*المؤلفات القديمة
١٨	٠٥	انتشار الطباعة السريع	انتشار الصحافة السريع
١٨	١٤	الاسلوب القديم حتى القرن العشرين	*الاسلوب القديم حتى القرن العشرين : ناصيف اليازجي ، سامي البارودي ، فرنسيس مرّاش
١٨	٢١	انواعه	*فنونه
١٩	٠٢	الطحطاوي	*الطهطاوي
١٩	٠٣	الحريري	الحرائري
١٩	١٠	الانتقاد الادبي	*الادب
٢٠	٢١	اخبار الامم والملوك	*اخبار الرسل والملوك
٢١	٠١	ابن جبير : الاسفار	ابن جبير : الرحلة
٢٥	١٠	ب س^{٢} + ب س + د	ب س^{٢} + ج س + د
٢٥	١٥	الزوايا المتشابهة	المثلثات المتشابهة
٢٦	٠٥	ب س^{٢} + دش + ج	ب س^{٢} + ج س + د
٢٦	٠٧	"	"
٢٦	١٥	تعين معنى تحوّل التابع	تعين اتجاه تحوّل التابع
٢٦	١٧	ي = ب س + د	ي = ب س + ج
٢٦	١٨	ي = ب س^{٢} + د س + ج	ي = ب س^{٢} + ج س + د
٢٦	٢٣	في مستوى	في سطح
٢٦	٢٣	في مستويين	في سطحين
٢٨	١٤	الاشكال	الاجسام
٢٨	١٦	حجم الهرم الناقص	*حجم جذع الهرم
٢٨	١٧	حجم المنشور الناقص	*حجم جذع المنشور
٢٩	٠٨	مبحث الضوء	البصريات
٢٩	٢١	المجهر ، مبدأ المكبّرة	المكبّرة ، مبدأ المجهر
٣٠	٠٢	الاقطاب	*القطبان
٣٠	١١	الاقتدار	الطاقة

وكثيراً ما كان يخشى اهل الميت ان ترجع فتيذهم الارواحُ الخبيثة فيسمون في طردها ، مسلحين الناووس بروس للالاهة الفاجرة « ميدوز » ، وقد التوى شعرها التواء الافاعي ، واتخذت ملامحها شكلاً شرساً . وحكاية « الميدوز » عند اليونان ، ثمّ عند الرومان ، انها كانت شنيعة الوجه للغاية ، يقظة العين دائماً ، لا تنظر الى شخص الّا حوّلته جلموداً . ومع انها كانت على هذا الشكل ، فانها اثارت غيرة الالاهة الجميلة اثينا ، فدعت هذه البطل فرسيس ، وطلبت منه ان يأتيها برأس « الميدوز » النجسة . فركب فرسيس الاهوال في طاعة اثينا ، وما زال يحتال حتى خدع الميدوز ، وزجّ عنقها ، فربطت اثينا الرأس المقطوع بعقد وجعلته بصورة بارزة على صدرها . فكان لها خير درع ضدّ الارواح الخبيثة والاعداء ، فكان هؤلاء يرتعدون عند منظر هذا الرأس الخبيث . وكان عمل اثينا على حدّ قول الشاعر العربي :

ولكلّ شيء آفة من جنسه حتى الحديد سطا عليه المبرد

ولذا ترى اكثر النواويس تُسلّح برأس « الميدوز » ، وتتخذه عوناً لها لابعاد الارواح النجسة .

. . .

واكثر النواويس الرصاصية التي اكتشفت بعد الحرب موجودة في متحفنا الوطني ، وسيُضم اليها ، عمّا قريب ، اربعة نواويس جديدة ، هي الآن ملك راهبات دير الناصرة ، وقد نشر عنها الأثري العالم الاب موترد ، مدير معهد الحقوق في بيروت ، مقالاً جاء في العدد الاخير من المجلة المعروفة « بسيريا » ، فرأيت ان الخص بعضه لقرّاء «المشرق» .

بينا كان راهبات الناصرة يحفرن خندقاً ، شرقي ديرهنّ في بيروت ، على القمة المعروفة باسمهن ، وجدن على عمق مترين مدفناً رومانياً مربّع الشكل . وفي داخل هذا المدفن ناووس من الفخار ، على يمينه وشماله ناووسان رصاصيان من كل جنب .

وقد حفظت الايام هذا المدفن من السلب ، فوجد على ما كان عليه في القِدَم . والدليل على ذلك وجود بعض الحلى داخل النواويس .

ولن اطيل في وصف الناووس الفخاري ، لانه من الطراز المألوف ، اي على شكل علبة مستطيلة لا رسم يزيّنها . امّا التوابيت الرصاصية فقد ازدانت بالرسوم المتنوعة واليك وصف بعضها:

اولها ناووس مستطيل له غطاء على شكل قوس محني ، نقرت رسومه فتألفت ، على كلّ من جهاته ، من مربعين يفصلهما رسمٌ مفتول كالحبل ، وهو على شكل معيّنين (*losanges*) تتاطح وأساهما . وفي كل من المربعات رأس الالاهة « ميدوز » ، وفي وسط المعيّنين دائرة ضمنها انثى الحيوان المدعوّ بابي الهول مضطجعة على قاعدة. (الرسم ٢)

وثاني النواويس على شكل الاوّل ، يختلف عنه بترتيب رسومه . وعلى جهتيه الطويلتين ثلاثة مربّعات داخل كلّ منها اكليل من الزهر تحت رتاج مؤلف من عمودين يضمهما عتبة . وبين المربّعات رؤوس « الميدوز » تفصلها احدها عن الآخر . واظنّ انّ هذا الرتاج يرمز الى باب الدار الابدية ، والاكليل رمز السعادة الدائمة. (الرسم ١)

وامّا الثالث فهو بسيط للغاية ، على جهاته رؤوس « الميدوز » احاط بكل منها دائرتان . انما هذه الرؤوس من شكل خاصّ . فهي ، خلافاً لما عرف عن «الميدوز» ، جميلة الملامح يبدو عليها بعض التأثر ، وذلك بتقويس الحاجبين وتقبّض الشفتين. وقد عرف اليونان والرومان من عهد بعيد هذا الشكل . اما مبتدعه فكان احد مشاهير الفنّانين من اليونان.

ثم طرأ على ابداع هذا الشكل امر ، لولا خوفي من المبالغة ، لقلت عنه انه مطّرد في امور الفنّ القديم ، الا وهو ان الرسم بعد ان يكون لابداعه سبب دينيّ ، او ان يكون منه منفعة مادّية ، تتقلّب به الايام ويتسلّط عليه تفنن الرسّام فيفقد معناه الاول او سببه الاصلي ، ولا يعود له على طول الاستعمال من سبب غير الزينة والفنّ ، او يتحول معناه من رمز الى آخر . ولهذا فانّ رأس الميدوز ، بعد ان كان شيئاً وكانت الغاية منه ابعاد الارواح النجسة ، اصبح يعرب عن الحزن او الكآبة واتّخذ ملامح جميلة.

وبخلاف ما حدث على الناووس الثالث ، فالرسوم تزدحم على الناووس

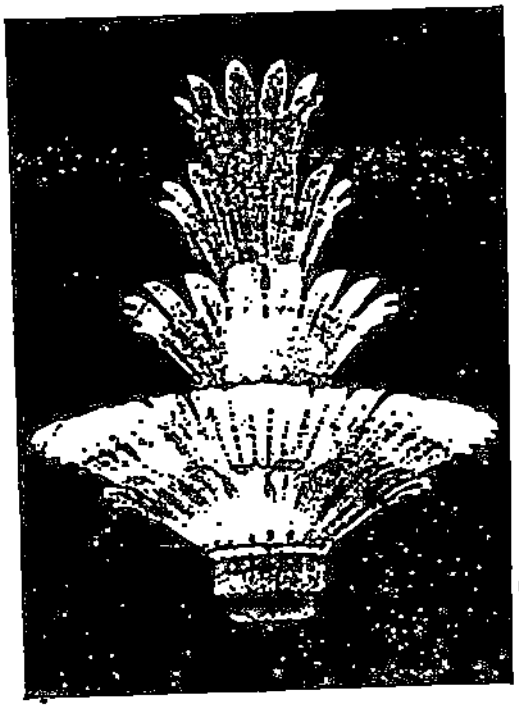

الرسم ١
ثريا ضمنها ٢١ ضوءاً كهربائياً

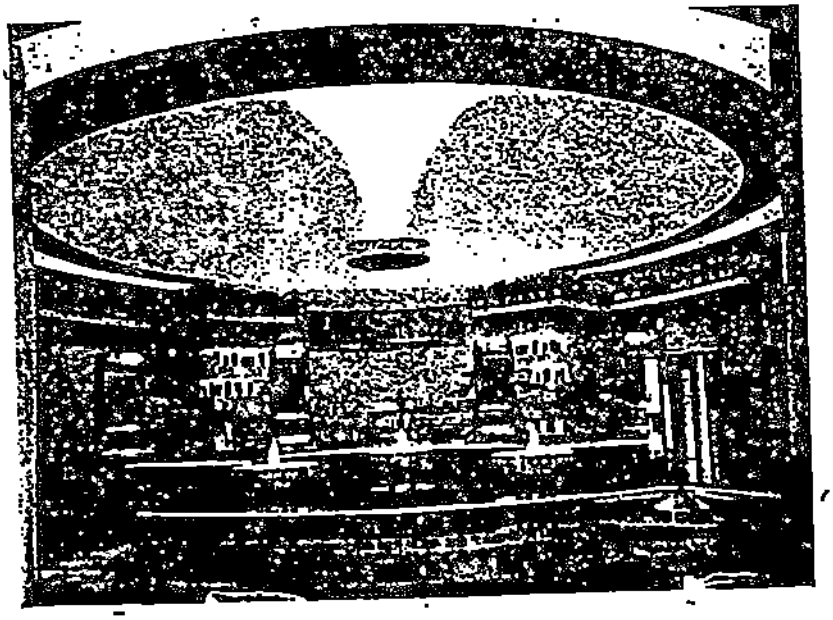

الرسم ٢
سقف مضيء في مقهى شركة القهوة البرازيلية (باريس)

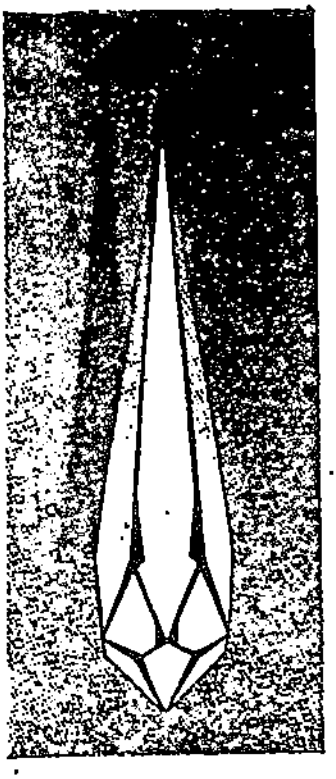

الرسم ٢
مصباح كهربائي بشكل حلق من الالماس

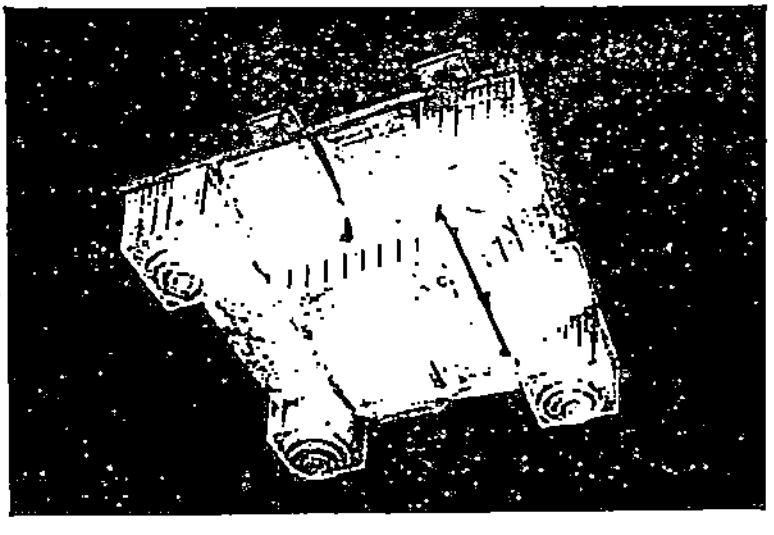

الرسم ٣
ثريا فيها ١٦ ضوءا كهربائيا

الرابع واكثرها مربعات متعددة داخل بعضها في بعض. وفي وسطها اله الحب يحمل باحدى يديه علبة ويحيط بعنقه مشلح يتطاير خلفه . وهو يتمشى بخفة ورشاقة. (الرسم ٥)

وهذا الناووس اغنى نواويس المدفن بما حواه من التحف ، فقد وجد فيه سواران من الذهب حفر عليهما اسم امرأة تدعى كلوديا پروكلا. (الرسم ٤)

وقد عُرفت امرأة بيلاطس البنطي بهذا الاسم ، وهي شهيرة في التاريخ بتدخلها في امر الحكم على المسيح اذ طلبت من بعلها ان لا يحكم عليه قائلة: « اياك وذاك الصديق فاني قد توجعت اليوم كثيراً من اجله في الحلم » (متى ٢٧ : ١٩) وقد قيل عن هذه المرأة انها اعتنقت الدين المسيحي وماتت شهيدة .. وقد انتشر اسم كلوديا پروكلا انتشاراً واسعاً في اواخر القرن الثاني بعد المسيح ، فعُرفت به نساء كثيرات.

ويظن الاب موترد ان عهد هذه النواويس يرتقي الى اوائل القرن الثالث بعد المسيح ، والادلة على ذلك هي انتشار هذا الاسم في ذاك العهد ، ورسم الاحرف ومنها ما لا يتجاوز القرن الثالث بالشكل المكتوبة به ، وتدل على ذلك ايضاً دقة صنع الرسوم على الناووس الثالث . فاذا ثبت (وهو الارجح) كون هذه النواويس من اوائل القرن الثالث ، كانت هذه المجموعة من اقدم ما عرف من النواويس الرصاصية.

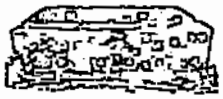

مجلة المجلات

للاب توفل البسوعي

بين الارثوذكس والكاثوليك

عن المجلة الافرنسية للآباء البندكتيين (*Irénikon*) ١٩٢٩، ٢١٠٠٠) بتصرف:

ما الذي ادّى بكنيسة القسطنطينية لتنفصل عن الكنيسة الرومانية ؟ في البدء لم تكن دواعي الانتقال ناتجة عن اختلاف في التعليم او في قانون الايمان. وقضية انبثاق الروح القدس من الآب والابن لم يجعلها فوطيوس (†٨٩١) وميخائيل كارولاوس († ١٠٩٥) مادة للبحث والجدال بين الشرق والغرب. انما كانت مادّة الخلاف طقسية محضة. وما زالت لائحتها مدوّنة في رسالة ميخائيل كارولاوس التي وجهها الى حنا اسقف تراني في ايطالية، وهي موقعة باسم كارولاوس، واسم لاون ميتروبوليت بلغارية، يناشدان بها الاسقف اللاتيني المذكور ان يتدخل بين الشرق وبين اساقفة وكهنة ورهبان الغرب، واخصهم البابا، ويطلبان منه بالحاح ان يسعى في رفع ما سموه في مذهبهم: «عثار الشك في الكنيسة اللاتينية»

وما هي تلك الشكوك التي أنكرت على الكنيسة الغربية ؟ هل هي الموادّ التي يتخذ منها اعداء الكنيسة اعتراضاتهم على البابوية، تلك الاعتراضات التي صار لها حجةً هذا او ذاك من الرجال الذين جلسوا على الكرسي البطرسي عن غير اهبة واستحقاق، فان اخطأوا فقد اخطأوا، لا بتعليمهم وتدبيرهم، ولكن بسلوكهم الشخصي مما تعود تبعته عليهم من غير ان تمسّ الكنيسة،

عروسة المسيح بشائبة ؟ ان كارولاوس انكر على الكنيسة اللاتينيـة عادات طقسية محضة منها : «انهم يحرمون المؤمنين من غير الاكليروس من الشرب من كأس الكاهن في ذبيحة القداس ، ويستعملون الخبز الفطير في الذبيحة ، ويصومون يوم السبت ، ويحزفون في الصلوات البيعية ، ايام الصيام ، لفظة هلوليا ... الخ »

ليس الموقف موقف جدال في هذه الساعة ، وليس من شأننا ان نبحث عن الدواعي الحقيقية التي اتخذت من تلك الحجج سبيلاً الى احداث اعظم انقسام حلّ بالمسيحيّة الى ذلك العهد . وليست مهمتنا الكشف عن نيات فوطيوس او كارولاوس او غيرهم ممن اصمتهم مصالح ومفاخر بيزنطية اكثر مما اهمتهم واجبات اتقاء شرور الانقسام وبلاياها على المسيحية جمعاء . انما غرضنا في هذا المقال تبيان حقيقة قد جهلها الكثيرون وهي ان ما نسميه : «خلافاً طقسياً محضاً» كان له في العصر الحادي عشر شأن اعظم من ان تتعاطى امره بالسرعة والمجازفة .

والشاهد على ذلك ان البابا لاون الحادي عشر ، لما اطلع على فحوى رسالة كارولاوس الى يوحنا اسقف تراني ، امر الكردينال هومبر بالردّ عليها . والجواب محفوظ الى يومنا في مجموعة مين الكبرى (Migne, *P. L. 143, col 931-984*) . نظر الكردينال بعين الاعتبار الى شكاوى بطريرك القسطنطينية ، وردّ عليها مبيناً حقوق الكنيسة اللاتينية في ممارسة العوائد التي أوخذت بها عن غير حكمة وصواب

وقد عالج القديس بطرس داميان (١٠٠٦ — ١٠٧٠) ، احد معاصري كارولاوس العظام ، المشاكل المطروحة آنذاك بين الشرق والغرب ، واتخذ من ثمّ فرصة للتوسع في تفسير رموز بعض العوائد الطقسية المذكورة ، مما يدل على عظم شأنها ليس فقط في نظر الشرق ولكن في نظر الغرب ايضاً ، فقال في الصوم السبتي انه تذكار لليوم السابق قيامة المسيح ، وان حياتنا يجب ان تكون سبتاً دائماً في رجاء القيامة السعيدة . وتناول الكلام على واجب الوقوف في الكنائس ، احتراماً وقال « مفروض ابداً ، ليس فقط على الاكليروس ولكن على العلمانيين ايضاً من الجنسين ، الا يجلسوا ولا يتكئوا في الكنائس وقت

الطقوس الا وقت القراءات طبقاً للعادة التي أدخلت ، او وقت المرض . » على اننا نعلم ان نظام الكنيسة الحالي قد ادخل بعض التغيرات على تلك العادات فوضعت المقاعد والمساجد والكراسي في الكنائس شرقاً وغرباً . ولكن لم تدخل تلك العوائد عفواً في جميع الكنائس ، ولعلها اصطدمت بمقاومة عنيفة أدت الى شقاق عظيم . فانها في العصر السابع عشر انتجت عواقب وخيمة في الكنيسة الروسية ، وقد قام البطريرك نيقون سنة ١٦٥٣ في موسكو مبتغياً احداث تغيير في الطقوس لا يكاد يستحق الذكر . فهاج الشعب وانكر على البطريرك « اختراق القدسيات » وانشق عن الكنيسة الروسية الرسمية محدثاً فيها بدعة جديدة دعيت (*Staroobriadtsy*) او اصحاب الايمان القديم . هذا مما يدل على واجب مراعاة حقوق العوائد في الطقوس توقياً للشرور الناتجة في الغالب عن الجهل والتعصب القومي ، وهذا ما يفسر لنا الاسباب التي من اجلها لا تزال رومة ساهرة كل السهر على حفظ الطقوس مصانة في بيعة الله .

الامن في الحجاز

نشرت مجلة «الاصلاح» الدينية المكية مقالاً (ربيع الثاني ١٣٤٨ ، سبتمبر ١٩٢٩ ، ص ١٩٥) عن الجنايات في مصر ، وكثرتها ، وشناعتها ، فعلّلتها بتراخي الحكومة عن معاقبة المجرمين الشريعة المهيبة ، وقابلت بين مصر وسائر البلاد الشرقية وبين الحجاز ، فانكرت على الاولى تساهلها بتطبيق الشريعة ، وذكرت ان العدالة نشرت لواءها على الحجاز والامن خيم على رماله ، لان سيف حكومتها سريع الانتقام للشريعة . قالت :

واعظم شاهد على صدق ذلك حالة بادية الحجاز اليوم وما هي عليه من الامن الشامل الذي يمكن اي كائن من ان يحمل ما يشاء من ذهب ومتاع ويروح به في اي ناحية من نواحي الجزيرة العربية لا يخاف الا الله والذئب مصداق قوله (صلعم) « وستذهب الظعينة من المدينة الى صنعاء لا تخشى على نفسها الا الله والذئب» . . . وما ذلك الا لما يرون من تطبيق الحدود الاسلامية على وجهها الصحيح ، وما اعظم ذلك المنظر الرهيب اذ علم اهل مكة أنه بعد صلاة الجمعة سيقتل فلان الذي قتل فلانة وتقطع يد فلان الذي ثبتت عليه السرقة بالاعتراف فتجمعت الجموع الحافلة أمام دار الحكومة عقب صلاة

الجمعة وشاهدوا كيف يشهر الجلّاد سيفه ويضرب به تلك الرأس الفاسدة(كذا!!) ضربة واحدة تطيح بها فتطهر الارض من شرها وتذهب الى سريع الحساب ، ويجيء القصاب فيقطع بسكينه يد ذلك السارق المفسدة ويعمل فيها ما يعمل في لحم الشاة ثم يفصلها ويرفعها ليراها الناس كذلك معلقة امام باب الحكومة طول اليوم ، تلك والله هي الدروس التي لو طبقت مرة في مصر او غيرها ، لما احتاجت الحكومة كل عام الى بناء سجون حديثة وانشاء محاكم جديدة وارهاق الميزانية بمقدرات جديدة لو انها انفقت على انشاء معاهد علمية وصناعية وغيرها لكان اجدى بالنفع الكثير على الامة.

واني أجزم الجزم كله لو ان حادثة من الزنى طبقت فيها عقوبة الشرع بالرجم او الجلد مثلًا في ميدان من احد الميادين العامة على مرأى من الناس لكان ذلك اوقع واردع واقطع لمادة الفساد . ولا وربك ما المجرم المصري باقسى قلباً ولا اشد فتكاً من مجرم بادية الحجاز مثلًا ، ولكن هو القانون الصارم والعقوبة القوية قلمت اظفار الشر في الجزيرة ورفعت لواء الامن ، وخلت السجون من كثرة الضيوف ، وهو القانون الهين اللين والعقوبة الظريفة في مصر وغيرها حددت من مخالب الشر والفساد حتى عم الخوف وكثرت حوادث القتل وضاعت حرمة الاعراض وذهب الشرف تحت اقدام الفاسقين ، وامتلأت السجون بالضيوف المكرمين المزنين.

قسنطينة العاصمة العلمية

عن «الشهاب» المجلة الاسلامية الجزائرية ، باختصار (جمادى الثانية ١٣٦٨ نوفمبر ١٩٢٩ ص : ٣٦)

« قسنطينة ظلت محافظة في غالب ادوارها على مجدها العلمي العتيق . فجمهرة العلماء يحملون فيها تزعة الثقافة الاسلامية والتلاميذ الناشئون يثابرون على تلقي تلك الثقافة وغشاة المساجد يجدون فيها كل آن دروساً عالية في التفسير والفقه الاسلامي بطريق التحليل والتمحيص والتطبيق ؛ سيما مسجد «الجامع الاخضر» الذي هو مثابة المتعطشين ؛ حيث ان الذي يلقي تلك

الدروس هو نفس الاستاذ منشئ هذه المجلة (عبد الحميد بن باديس) ؛ ومسجد سيدي قوش الذي يلقي فيه هذا الاستاذ ايضاً الدروس العربية لخصوص طائفة من تلاميذ الطبقة العالية. والنشء هواة التعليم النظامي الحديث يعثرون على ضالتهم في الكتاتيب العربية المؤسسة لذلك الغرض النبيل الذي يوفر على التلاميذ وقتاً فسيحاً وخاصة الكتاب الذي اسس بدار الجمعية الخيرية الموقرة لمزاولة المبادي العربية والدينيـــة بالاساليب الحديثة تحت اشراف هذا الاستاذ ايضاً ؛ ومن اساتذته حضرة كاتب الجمعية السيد محمد النجار والشيخ الشريف الصايغي.

ومنها ان اول ما يتبادر الى ذهن المستشف حالة البلاد هو انه يرى نفسه في وسط عربي اسلامي وبين قوم عرب اقحاح ؛ سواء في الزي ، او في التقاليد او في الثقافة ، او في التفكير. ومما يثير اعجاب الزائر لهذه المدينة الجميلة تلك الميزة التي تمتاز بها لا عن بلدان الجزائر فحسب ؛ بل عن الشرق عموماً وهي ان الطبقة المفكرة لا تتخاطب — ولو في المجالس العادية — الا بالفـاظ عربية فصيحة مع الحرص على النطق بالكلمات معربة ، ولعل طول مرانهم على ذلك هو مما غرس فيهم ملكة التعبير عن مقاصدهم على ذلك النحو بدون كلفة

ومنها ان الطبقات ممتازة ، طبقة العلماء والادباء ، وطبقة المزاولين للمهن الوطنيـــة ، وطبقة التجار ؛ لكن ليس امتيـــاز بعضها عن بعض بالمعنى الارسطوقراطي المعروف ؛ وانمـــا من الآداب المتعارفة لديهم ان لا تعدو كل طبقة حدود وظيفتها مـــع احترام غيرها لوظيفتها ؛ سيما طبقة العلماء والادباء والمفكرين اكثر تمتعاً بهذه الميزة ، وملحوظة من الجميع بعين ملؤها الاجلال.

حكاية أمّ ثكلى

تأليف : بول بورجيه

تعريب : فؤاد افرام البستاني

للروائي الفرنسوي الكبير ، السيد بول بورجيه ، المشهور بدروسه النفسية ، حكاية قصيرة حلل فيها عواطف امّ ثكلى في صباح عيد القيامة ! فرأينا ان نعرّبها تعريباً حرفياً على قدر الامكان ، ونزفها الى القراء الكرام بمناسبة عيد القيامة المجيد.

ف. ا. ب.

١

سارت اليصابات دي فريسن حزينةً في حديقة منزلها ، فصعدت ببطء مرتفع الهضبة الشجراء المسوّرة ، وتقدّمت الى وسط منبسط مُهّد في ايام اوفر سعادة من يومها ذاك ، فجلست على حجر هناك ، وانبسط امام نظرها مشهد من افسح مشاهد البحر والجبال في مقاطعة بروفنسة ، حتى لُقبت تلك الجهة من ضواحي هيير بالشاطئ الجميل فدعيت «كوستبيل». كانت رؤوس الصنوبر الحلبي الاصل تبدو ، تحت قدمي السيدة ، مختلفة الارتفاع ، وتتماوج خضرتها اذ يميل بها النسيم الهابّ من الخليج المزرقّ في البعد ، والذي كان محصوراً من احدى جهتيه بطريقي شبه جزيرة جيان الطويلين الدقيقين ، ومن الجهة الاخرى برأس بريفانسون المحصّن. وكان الافق البعيد محجوباً بجزيرة بوركرول وصخورها المفرّضة ، وجزيرة بوركرو ومرقبها ، وجزيرة ليقان واراضيها الباؤة العارية . وعلى شمال السيّدة الفتيّة كانت تتسلسل هضبات المور القاتمة ، وفي اسفلها مدينة هيير تتصف منازلها البيضاء . وكانت الشمس المشعّة تغلف ببهاء هذه الغابة ،

وتلك الامواج ، وتلك الجزر ، والهضبات ، وواجهات المنازل البعيدة . انها لشمس محيية شمس آخر آذار ، التي كانت تلقي اشعتها بلطف ، على مقربة من السيدة ، على منزلها المدهون باللون الوردي ، وعلى مماشي حديقتها المتصلة بالهضبة ، وعلى ما يرتفع حول هذه المماشي من اشجار السلم المزهرة ، وما يحيط بها من انواع السوسن البنفسجي ، واضراب القرنفل الابيض والاحمر ، وكيات الورود الشاحبة ، وشقائق النعمان المتسمة الاوراق. اما في حرج الصنوبر الصغير ، فكانت نباتات الاريقى المرتفعة كالشجر تميل بعناقيدها البيضاء الشاحبة ، اذا ما هب عليها نسيم البحر ، فتميل نباتات الدفلى بزهورها البيضاء الناصعة. ثم يدفع ذاك النسيم ، مع الاريج البحري ، الشذى الفائح من صمغ الصنوبر وزهور الرياحين ، جامعاً اليه عبير النبات البري من عيثران ، وقصاص وما شاكل . وكانت اشكال النبات الغريب عن ذاك الاقليم تظهر غامضة من هنا ومن هناك ، فتبدو سعف النخل العريضة ، واوراق الصبر المحاكية الخناجر المنحنية ، واعواد اليوكا المشابهة اللحى الحادة الاطراف . ومما كان يزيد في روعة مشهد هذا الربيع الذي كاد يكون شرقياً ، فيتم جماله ، ويضيف الى سحره عنصراً من الجاذبية اشرف واطهر ، تلك الرنات التقوية التي كان يرسلها جرس الكنيسة . كانت الكنيسة الصغيرة المشرفة على كل تلك الجهة والمدعوة باسم «سيدة التعزية» الجميل ، تطلق صوتها ، فتتابع تموجاته الفضية الضئيلة في ذاك الهواء الفاتر النير البلسمي المنعش ، وتبشر الملأ بان ذاك الصباح الربيعي المجيد هو ايضاً صباح عيد الفصح ، وان عيد القيامة هذا يتحد كل الاتحاد مع هذا الفرح الشامل بالحياة ، المنتشر في كل مكان حتى ان الطبيعة العجيبة نفسها تظهر ، بهذه الشمس ، بهذا البحر ، بهذه الزهور ، كأنها تعلن هي ايضاً ، انتصار المحبة التي غلبت الموت . . .

٢

ولكن يا للأسف ! ان هذا العيد ، عيد الحياة في الطبيعة والكنيسة ، في السماء المنظورة وغير المنظورة ، هو الذي كان يسبب حزن المرأة الصبية في صباح الفصح العجيب ، اذ بدا شديد الوطأة عليها فهد قواها ، وضاعف اساها . كانت

ترتدي ثوباً من الكريب القاتم احاط جمالها الاشقر اللطيف بنوع من الملاحة الجذابة تدفع الى الشفقة والحنو ، واشار الى حداد كان في قلبها اشد أسى وادعى الى اليأس . وكانت عيناها الزرقاوان اللطيفتان تظهران مجروحتين باشعة بهاء ذاك النهار الجميل ، بعد ان غلفهما الذبول الاغبر لكثرة ما ذرفتا من الدموع . وكانت كل رنة من رنات الجرس تحجب جبينها الشاحب بفكرة محزنة . كانت قد فقدت ولدها ، ولدها الوحيد ، لاربعة اشهر خلت ؛ فكان جرحها الفاغر يزداد تزيفه كلما نظرت الى سحر ذاك الربيع الجديد الذي لن ينظر اليه صغيرها اندري العزيز ، وكلما سمعت ذاك النداء المتصاعد نحو اله لم تكن لتبتهل اليه ، بل لم تكن لتقدر ان تبتهل اليه ، وقد سلب منها وحيدها . فجلست على ذاك المنبسط الذي دبت فيه الحرارة واخذت تلقي ، دون اهتمام ولا انتباه ، نظرات اليأس والقنوط . فكانت ترتفع امامها ، من جميع نقاط الافق العجيب ، صور ومشاهد تتبعها مواكب من الفكر تتجمع وتظهر امام المسكينة تفاصيل مصيبتها ، حتى البسيطة منها ، بوضوح مؤلم . لقد كان مصيبة مؤلمة ذاك الموت الذي كاد يكون مفاجئاً ، والذي قصف حياة وحيدها في السادسة من عمره ، على اثر التهاب في السحايا لم يمهله الا بضعة ايام . الا ان بعض الظروف الشخصية اكتنفته فزادت ثقل وطأته . . . وكانت المرأة الصبية تستعيد هذه الظروف واحداً واحداً امام ذاك المشهد المثقل بكثير من الذكريات . . . تلك المياه المترقرقة في الخليج الساكن هي مياه البحر ، البحر البعيد المدى ، الذي سار عليه ، لعشرة اشهر خلت ، لودوفيك دي فريسن ، زوجها ، قاصداً الى الشرق الاقصى . وقد رافقته ضابطاً للمركب ، حتى طولون فشيعته زوجة مضطربة ، ولكن اماً سعيدة . اما الآن ، وقد اصبحت حاجتها اليه في اقصى المسيس ليساعدها على احتمال ذاك الخطب الشديد ، فها ان الوفاً والوفاً من الاميال تفصله عنها ! متى يرجع اليها ، فيلقي على مسامعها كلمات عذبة تعيد اليها الشجاعة اللازمة حتى تحيي وتقوم بواجبها ؟ . . . واي واجب ؟ ها ان صوت الجرس ، المؤذن بقداس كانت ثورتها الداخلية تمنعها من حضوره ، يذكرها به بمنتهى الدقة والوضوح . لو وقفت السيدة دي

فرنسن والتفت نحو الطريق الممتدة من باب مقرلها ، منسابةً في الحرج حتى الكنيسة ، لشاهدت مركبة يجرّهـا فرس قصير ، فيها ولدان ارتديا الحداد مثلها : صبيّ في التاسعة من عمره ، وفتاة في الثامنة . كان هذان الصغيران ، غي واليس ، ولدَي زوجها من زوجته الاولى . وكانت اليصابات تذكر ذلك ، وتذكر ايضاً انها ، لما اقترنت بالضابط البحري ، وهو ابن عمها ، كم اخذتهـا الشفقة على هذين اليتيمين ، وكم كانت هـذه الشفقة مخلصة صافية ! وكانت تذكر ايضاً كيف ان ضميرها كان يدفعها بكليّتها الى ان تبدل نفسها بأمهما المتوفّاة ، حتى ان الصغيرين ، وقد بلغا التاسعة والثامنة من العمر ، لم يكونا يشكّان في كونها امهما الحقيقية ! ولما رزقت هي ولدها ، كم كانت تجتهد ، وكم كانت تأخذ نفسها ، حتى لا تفضّله ابداً على الآخرَين ! ولم تكن هذه المساواة لتكلفها العناء الكثير ، لان تلك الرؤوس الشقراء الثلاثة كانت قد تراكضت وتلاعبت وتضاحكت حولها حتى ان قلبهـا انقسم من طبيعته بين الثلاثة . . . ولكن لماذا لم تبقَ الحالة الآن على ما كانت عليه ؟

لماذا ؟ . . . لم يكن على المرأة الصبية الا ان تلتفت نحو شمالها ، نحو ذاك المكان الذي كانت تعرفه حقّ المعرفة ، فتنال الجواب عن سؤالها . هناك ، وراء آخر بيوت المدينة ، منخفض يدلّ في جوف الوادي على مكان المقبرة . فمنذ اليوم الذي نظرت فيه بعينيها — وكانت قد دفعت بها الشجاعة الى هـذا الحدّ ! — التابوتَ الصغير الذي حوى رفات عزيزها اندري ، ينحدر بين الحبال في الضريح المحفور جديداً ، منذ ذلك اليوم شعرت بانفعال فظيع ملك عليها نفسها . وعبثاً جاهدت في سبيل التخلّص منـه ، وعبثاً كانت تجاهد حتى تلك الساعة . بل انها في صباح العيد هذا كانت تشعر بذاك الانفعال على اشدّ تأثيره في قلبها . فلم يكن بامكانها ان تغفر لولدي زوجها ان يظهرا بمظهر السرور والحداثة ، وان يسيرا ، ويتكلما ، ويتنفسا ، بل لم يكن بامكانها ان تغفر لهما أن يعيشا ، بينما كان ذاك الصغير ، صغيرها ، متمدداً في قبره دون حراك . فهي لم تقلع قطّ عن محبتها ، بل كانت تشعر من حين الى آخر — فيرتجف اذ ذاك كل كيانها رعبةً وندماً ! — بانها تبغضها ، كما لو كانا اختلسا نصيب

الراجل من السرور والصحة والنور. وكانت كلما سمعتها يدعوانها «ماما!» تشعر برغبة هائلة مزعجة تدفعها الى ان تصيح بها: «اسكتا! لست بامكما...»، حتى لا يمكن لاحد بعد ذلك ان يدعوها بهذين المقطعين اللطيفين، لان ذاك الفم اللطيف العزيز الذي كان له وحده الحق بلفظها، لن يعود فيدعوها بها. هذا الحقد الفظيع على الصغيرين الجميلين، كان قد أثر فيها حتى الاعماق في ذاك الصباح. وكانت قد شاءت ان تضع لها بنفسها البيض الفصحي كما كانت تفعل في السنين السابقة. ومن العدل ان ننصفها بذكر هذا العمل، اذ انها كانت كلما عظم في نفسها ذاك الحقد الظلوم، اجتهدت في الّا تظهر شيئاً من آثاره في اعمالها. وعليه، فقد اتى الولدان الى غرفتها صباحاً، فنظرت الى اعينهما وقد لمع فيها بريق الانتظار، والى ايديهما وقد تفتحت لتضمّ البيض الملوّن، والى وجهيهما وقد ظهرت عليهما امارات الدهش والاعجاب لدى ما قدّمت لهما من الهدايا: فاعطت للصبي دبوساً نجيفاً، وللفتاة سلسلة منتهية بصليب... لله من بريئين ظالمين بل قاتلين! لقد اعملا الخنجر في قلبها لما اظهرا سرورهما الساذج، وفرحهما بالحياة بالوجود في هذا العالم، ذاك الفرح الذي كان يفرح حتى ثيابهما السوداء... عند ذاك دفعت بها الفكر الى الصبي الآخر فشاهدته كانه يلومها على نسيانه، بعينيه الجافتين الذابلتين. فتصاعدت الى حلقها أنة شديدة، ولكنها ضبطتها بما بقي لها من الشجاعة، ثم تركت البيت واتت وحيدة، فجلست على ذاك السطح الخالي، علّها تتخلص، وان وقتياً، من ازمة حزنها الشديدة المفاجئة، بعد ان ارسلت غي واليس الى حضور القداس. ولكن... أوّ ما كان ينبغي لها ان تفطن الى ان جرحها الداخلي، عوض ان يضمّد ويسكن، سوف ينكأ وتثور آلامه لدى سعادة الطبيعة جمعاء!

٣

كانت مياه الخليج لا تزال تتألق وترقّ، والجزر تنتصب بصخورها البنفسجية اللون على الافق الخالي من الغيوم، والجبال تنبسط بخطوطها اللينة الشائقة، والزهور تنشر عبير شذاها، والصنوبر الحلبي ينخل النور فيصفّيه، وينثره هباء ذهبياً لا يمسّ، والشجيرات الغريبة تخنق مرتجفة تحت تلك السماء.

كما لو كانت تتذكر اقاليمها البعيدة حيث تنمو عناصرها القوية . وكان الجرس وحده قد سكت في برج الكنيسة المخرّم . في صمت تلك البرّية السعيدة ، كانت اصوات الاسف واليأس تهدر ، تهدر دائماً وتشتدّ ، في اعماق قلب الام ، ـ ومعها صوت الثورة ايضاً ، وصوت الحقد ! وكانت جميع الشعائر المنهكة التي كان يثيرها في نفسها التضادّ الظاهر بين عيد الحياة المزدهي حولها وحدادها المديم السلوان ، تتجمّع الى عاطفة غريبة لا تقاوم كانت تدفعها الى ان تكره سعادة ولدَي زوجها . فكانت تحسّ ببغض ممزوج بحقد يرتفع من اعماق كيانها ، فتخجل من نفسها ، ولكنها لا تتمكن من التسلط على ذلك . نعم ! لقد كانت تحسد اخا اندري واخته لابيه على هذا الربيع الذي لم يكن ميتها العزيز لينشق نسيمه ، كانت تحسدهما على ذاك المستقبل غير المحدود الذي كانت فتوتهما تظهره امام عينيها . وكانت تستغرب ، هي نفسها ، كيف تتمكن من ان تكرهما هذا الكره الهائج حتى الجنون . فلا تجد سبباً لذلك سوى أنها كانت لا تتصوّر هيئة وجهيهما ، الّا شعرت بتحوّلها الى «خالة» جافية تكره ثمرتي زواج بعلها الاول بما لا يمكنها تصوّره في غريزتها من عواطف الحقد الثائر ... حقاً انها لم تكن بمنصفة ! ولكن هل من انصاف في هذا الكون ؟ حقاً ان ذينك الولدين لم يكونا ليستحقّا ذاك الحقد الجائر من امرأة ابيهما ، من تلك التي عهد اليها في حفظهما الاب الغائب ! ولكن هل استحقت ، هي نفسها ، ان يسلب منها ملاكها الصغير على تلك الطريقة الفجائية الهائلة ؟ ... وهكذا فان تلك المرأة التي كانت في ما مضى تقيةً لطيفة ، مغفورةً مخلصة ، والتي كانت لا تزال على تلك الصفات في اعمالها تبعاً للقوة المستحكمة فيها الناتجة عن مزاولة فضائلها السابقة ، تلك المرأة كانت تتأثر بمفاعيل الالم الشديد الحادّ فتنحطّ الى دركات الفساد ، فكان شيطان خبيث حتى الشراسة يضطرب في داخلها ، امام هذا المشهد الذي لم يكن يظهر فيه الّا التآلف والسكينة والجمال ، فيدفعها الى لفظ تلك الجملة الهائلة التي القتها بصوت عالٍ ، الى من ؟ أإلى الطبيعة ؟ أإلى الله ؟ أإلى الربيع ؟ ... فصاحت :

— «آه ! لو مات احدهما ايضاً ، على الاقل !...» (لها تابع)

شذرات

محصول الشرانق في بلادنا

اطلعنا في بعض الوثائق الرسمية على احصائيات تتناول محصول الشرانق الخضراء في بلادنا ، اي في سورية ولبنان وبلاد العلويين ، منذ السنة ١٨٦١ الى ايامنا ، فرأينا نشرها بمناسبة مؤتمر الحرير الذي عُقد مؤخرًا في بيروت ، بعد ان قابلناها بما ورد في الاحصائيات غير الرسمية كالنشرات الاقتصادية المختلفة ، وعلقنا عليها بعض الحواشي :

السنة	كيلو	السنة	كيلو
١٨٦١	٩٦٠ ٠٠٠	١٨٦٢	١ ٩٠٠ ٠٠٠
١٨٦٣[1]	١ ٥٠٠ ٠٠٠	١٨٦٤	١ ٢٠٠ ٠٠٠
١٨٦٥	٢ ٠٠٠ ٠٠٠	١٨٦٦	٢ ٤٠٠ ٠٠٠
١٨٦٧	٢ ٤٠٠ ٠٠٠	١٨٦٨	٢ ٧٠٠ ٠٠٠
١٨٦٩	٢ ٣٥٠ ٠٠٠	١٨٧٠	٢ ١٥٢ ٠٠٠
١٨٧١	٢ ١٠٠ ٠٠٠	١٨٧٢[2]	٢ ٠٠٠ ٠٠٠
١٨٧٣	٢ ٣٠٠ ٠٠٠	١٨٧٤	١ ٨٠٠ ٠٠٠
١٨٧٥	١ ٧٩٥ ٠٠٠	١٨٧٦	١ ٦٦٧ ٠٠٠
١٨٧٧	١ ٥٠٠ ٠٠٠	١٨٧٨	٢ ٢٥٠ ٠٠٠

١) في هذه السنة استُجلب من قرنة البزر الياباني الذي عُرف في بلادنا باسم « بزر صيني » وذلك على اثر انتشار مرض الفرن الاحمر بدود البزر البلدي.

٢) انتشر حوالي هذه السنة المرض المعروف بالمُحَرْوق (*Pébrine*) . فاخذ اللبنانيون باستجلاب البزر اولًا من الاماكن التي لم يكن وصلها المرض بعد كطرابلس ، ثم من قبرس ، فمن كريت ، فمن مصر . وفي السنة التالية ١٨٧٣ بدأوا باستجلاب البزر من كورسيكا.

السنة	كيلو	السنة	كيلو
١٨٧٩	٢ ٠٠٠ ٠٠٠	١٨٨٠	٢ ٤٦٨ ٠٠٠
١٨٨١	٢ ٨٠٠ ٠٠٠	١٨٨٢[1]	٢ ٠٥٠ ٠٠٠
١٨٨٣	٣ ٣٠٠ ٠٠٠	١٨٨٤	٣ ٠٧٠ ٠٠٠
١٨٨٥	٣ ٠٧٥ ٠٠٠	١٨٨٦	٣ ٢٠٠ ٠٠٠
١٨٨٧	٣ ٦٤٢ ٠٠٠	١٨٨٨	٣ ٦٢٥ ٠٠٠
١٨٨٩	٣ ٧٢٥ ٠٠٠	١٨٩٠	٤ ٦٣٦ ٠٠٠
١٨٩١	٣ ٦٩٢ ٠٠٠	١٨٩٢	٤ ١٠٢ ٠٠٠
١٨٩٣	٥ ٩٠٠ ٠٠٠	١٨٩٤	٥ ٢٩٠ ٠٠٠
١٨٩٥	٤ ٣١١ ٠٠٠	١٨٩٦	٤ ٧١٠ ٠٠٠
١٨٩٧	٥ ٤٩٠ ٠٠٠	١٨٩٨	٥ ٢١٠ ٠٠٠
١٨٩٩	٥ ٠٥٠ ٠٠٠	١٩٠٠	٥ ٠٠٠ ٠٠٠
١٩٠١	٤ ٦٥٠ ٠٠٠	١٩٠٢	٥ ٦٧٠ ٠٠٠
١٩٠٣	٥ ٣٨٠ ٠٠٠	١٩٠٤	٤ ٩٦٥ ٠٠٠
١٩٠٥	٥ ٣٣٠ ٠٠٠	١٩٠٦	٥ ٠٨١ ٠٠٠
١٩٠٧	٥ ٨٤٠ ٠٠٠	١٩٠٨	٥ ٤٧٦ ٠٠٠
١٩٠٩	٤ ٨٧٥ ٠٠٠	١٩١٠	٦ ١٠٠ ٠٠٠
١٩١١	٦ ٠٠٠ ٠٠٠	١٩١٢	٦ ٠٠٠ ٠٠٠
١٩١٣[2]	٦ ١٠٠ ٠٠٠		
١٩١٩	٠ ٥٠٠ ٠٠٠	١٩٢٠	٠ ٨٠٠ ٠٠٠
١٩٢١	١ ١٠٠ ٠٠٠	١٩٢٢	١ ٧٠٠ ٠٠٠
١٩٢٣	٢ ٠٠٠ ٠٠٠	١٩٢٤	٢ ٤٠٠ ٠٠٠

١) بدئ في هذه السنة باستجلاب كمية من البزر المتحثر في بروسه.

٢) اما المحصول في مدة الحرب الكونية (١٩١٤–١٩٠٨) فلم تقف على احصاء رسمي يحدد كميته.

السنة	كيلو	السنة	كيلو
١٩٢٥	٣ ٠٠٠ ٠٠٠	١٩٢٦	٢ ٩٦٠ ٠٠٠
١٩٢٧	٣ ١٨٥ ٠٠٠	١٩٢٨	٣ ٥٠٠ ٠٠٠
١٩٢٩	٣ ٤٠٠ ٠٠٠		

اما المعدّل الاوسط لما تنتجه علبة البزر ، الوازنة ٢٥ غراماً ، فكان قبل الحرب في بلادنا وغيرها من التي تعتني بهذا الصنف على ما يظهر في الجدول التالي :

	محصول العلبة بالكيلو
لبنان وسورية	٢٢,٧٣٣
المجر	٢٥,٤٠٠
ولاية بروسة	٣٤,٤٠٠
ايطالية	٣٩,١١٠
فرنسة	٤٢,٦٢٣

فعسى ان تدفع هذه الاحصائيات الواضحة من يهمهم الامر من ارباب الحكومة الى بذل مزيد العناية بتعزيز صنف هو من اهمّ موارد بلادنا ، ان لم نقل اهمها .

فحص الضمير

هو عنوان الرسالة الرعائية التي وجهها نيافة القاصد الرسولي السيد فريديان جيانيني الى الاكليروس والشعب اللاتيني بمناسبة الصوم الاربعيني لسنة ١٩٣٠ . بعد ان شكر لله تعالى نعمه ، وللبلاد حفاوتها بشخصه بمناسبة يوبيله الفضي ، تطرّق الى الكلام على فحص الضمير مهتدياً باقوال الحكماء والقديسين ، محدداً شروطه ، مطرئاً مفاعيله ، داعياً الى الاصغاء الى شهادة الضمير ، مستقصياً نيات النفس ، منبهاً الى ما هو مثمر فيها او عقيم . «لان النية المستقيمة لا قيمة لها بذاتها الا على قدر ما تكون الغاية المتوخاة حكيمة وصالحة من كل وجوهها . ثم ان الارادة الحسنة لا تكفي وحدها لتبريرنا الا اذا تعذر علينا مادياً وادبياً

ان نحقق ما يفرضه علينا الواجب . » وبلهجة اسبلت عليها هالة الاسقف الشيخ الجلال والتواضع ، دعا صاحب الرسالة المؤمنين الى ممارسة فحص الضمير اليومي ، فانه خير رادع عن الشرور ، واقوى واقٍ من روح العالم الشرير .

الاكتشاف الاثري الجديد في مصر

نشرت «مجلة افريكان ورلد» رسالة لمكاتب قال فيها ان اكتشاف قبر رع ور عجيب . ولكن اعجب منه ان هذه اول مرة قام فيها طلبة مصريون تحت اشراف استاذ مصري باعمال الحفر والتنقيب عن العاديات المصرية . وقد كان المصريون بالامس لا يهتمون بمثل هذه القبور الا اذا كان فيها من التحف والكنوز الثمينة ما يمكن اغتنامه . ولكن هذا كله تغير في السنوات القليلة الماضية ويرجع السبب في ذلك الى ثلاثة عوامل رئيسية اولاً التشجيع العظيم الذي يلقاه الجيل المصري الحديث من جلالة الملك فؤاد في كل ما يتعلق بالشؤون العلمية . ثانياً الخطوات التي خطتها الحركة الوطنية التي ساعدت على ايجاد الشيء الكثير من الثبات والرسوخ مما لم يكن له وجود في الشعور الوطني فيما مضى . ثالثاً ما وجد في قبر توت عنخ آمون من التحف القيمة المدهشة التي اثارت الاهتمام الصحيح بالآثار المصرية بين النشء المصري الذي صارت عقليته قابلة للاكتساب والتحصيل بفضل العلم والثقافة والهام الروح الوطنية فبات يبحث عن منفذ يرسل منه مواهبه بطريقة قومية .

معدن جديد اصلب من الفولاذ

جرّبت مختبرات شركة وستنغوس (*Westinghose*) ، في كانون الثاني ، معدناً جديداً توصل الى تحقيقه المهندس لوري (Lowry) مركباً بين النيكل والكوبلت واحدى مركبات الحديد ، فاتى معدنه اصلب من الفولاذ . والدليل على ذلك انه سُلّط عليه ، وهو في درجة البياض من الحرارة ، مطرقة هائلة كانت تصدع الفولاذ وهو في تلك الدرجة ، فلم تؤثر فيه . اما اوجه استعمال المعدن الجديد فمن اهمها انه سوف يُبدل بالبلاتين في انابيب الراديو .

وفي سفر باروك ، واسمه الحقيقي في اللغة البابلية بَلْشَرْأُصر ومعناه : « يا بَلْ احفظ الملك ! » . وكان نابونيد ترك لابنه هذا حكم بابل وسار الى اكتساح تيماء في شمالي جزيرة العرب ، فاقام فيها ثماني سنوات .

وقد برهن المؤلف في آخر كتابه ، عند ذكره لسقوط بابل في يد كوروس سنة ٥٣٩ ق . م . ، ان الحوادث الموصوفة في سفر دانيال توافق تمام الموافقة للنتائج المستخلصة من النصوص المسمارية . هذا وكم نودّ ان يقوم احد الشرقيين فيخوض الموضوع ، بعد الاستاذ دوفرتي ، ويدرس مادة تهم التاريخ الشرقي عامة ، والتاريخ العربي خاصة ، والكتاب المقدس ! ونختم بان نقدم تهانينا الخالصة للعالم الفاضل ، ونتمنى له الابحاث العديدة على هذا الشكل . س . ر .

Rouët de Journel s. j. : Une Russe catholique, Madame Swetchine. *in-8° écu*, 400 *pp.* 1929. *Paris, Maison de la Bonne Presse.*

روسية كاثوليكية : السيدة سويتشين

السيدة سويتشين حلقة من تلك السلسلة الروحية التي تكوّن مفخرة اوربة الدينية . وقد كان لها في حياتها تأثير عظيم لم يكن ليتناقص في عصرنا بل ليزيد . دليل ذلك انتشار ترجمة حياتها التي كتبها صديقها الكونت دي فالو (Falloux) سنة ١٨٦٠ ، والتي بلغت طبعتها التاسعة عشرة سنة ١٩١٦ . اما الترجمة التي نصفها اليوم فتمتاز بعدد اوفر من المستندات ، وبما يبحث فيه المؤلف من اسباب تأثير السيدة سويتشين على كل من كان يعرفها ، ودوام هذا التأثير في كثير من ابناء الكنائس الجامعة . ج . ل

Paul Humbert : Recherches sur les sources égyptiennes de la littérature sapientiale d'Israël. [*Mémoires de l'Université de Neuchatel, t. VII.*] *Neuchatel, Secrétariat de l'Université*, 1929, *in-8°* 195 *pp.*

بحث عن المصادر المصرية للآثار الحكمية في آداب اسرائيل

اجتهد المؤلف في البرهان عن ان آثار اسرائيل الحكميّة (كالامثال ، واسفار ايوب ، والجامعة ، وابن سيراخ ، وطوبيا ، والسفر الثالث من كتاب

عزيزا ، وما شاكل ، تأثرت كل التأثر بآداب المصريين الحكمية ، فاتى بعمل مفيد صادر عن اخلاص في الدرس ومعرفة باللغة العبرية ، وان كان يتطرّف بعض الاحيان في شرح النصوص التي يوردها . على انه لا يطلق احكامه جزافاً ، بل كثيراً ما يقيّدها بالقول أن قد يكون شيء من توارد الخواطر في بعض الحكم المتشابهة . اما ذاك الشبه فيبدو على نوعين : نوع واضح كما نرى في كتاب الامثال من جهة وحكم أمن - ام - اوبي من جهة اخرى ، وليس من برهان يدلّ على ان صاحب « الامثال » استقى اقواله رأساً من الحكيم المصري . ونوع غامض يذكره المؤلف في الفصل الثالث من كتابه المخصّص بسفر ايوب ، ولا يمكننا الاستناد اليه لتقرير نظرية مطلقة كالتي يقرّرها المؤلف بهذه المناسبة. ج. س. ا.

Joh. Weiss et Roland Schütz : Synoptische Tafeln zu den älteren Evangelien und Gegenstücke des vierten Evangeliums, mit Unterscheidung der Quellen in vierfachem Farbendruck. 3te *neubearbeitete u. erweiterte Auflage.* 8° *Goettingen. Vandenhoeck u. Ruprecht.* 1929.

جداول لمقابلة نصوص الاناجيل

لا غاية من تأليف هذا الكرّاس (١٨ صفحة) الّا ان تُوضع امام دارسي العهد الجديد طريقة سهلة للتفتيش، كثيراً ما استعملت في درس العهد العتيق . وهذه الطريقة عبارة عن جدول للمقابلة ذكرت فيه عناوين المقاطع الواردة في الاناجيل ومواضيعها ، وطبعت بالوان مختلفة يدلّ كل منها على الانجيل المأخوذة منه ، فخصّ انجيل مرقس باللون الاسود ، وانجيل يوحنا بالاحمر ، وانجيل متى بالازرق ، وانجيل لوقا بالاخضر ، تبعاً لترتيب هوك (Huck) . فكان من ذلك اداة صالحة للعمل. ج. س. ا.

Benoit Padey : Le médecin du pauvre, du colon, du missionnaire. Les plantes. *in*-12, 149 *pp.* 1929. *Paris, Desforges, Girardot et Cie, librairie centrale des Sciences.*

بحث في النبات ومنافعه الطبية

يسمي المؤلف كتابه بعنوان شائق فيلقب النبات بطبيب الفقير ، وساكن

المستعمرات ، والمرسل . وهو مرسل من اخوة العائلة المقدسة ، عانى مدة طويلة الطب الاختباري وتحقق منفعة العقاقير النباتية فاراد ان يفيد قرّاءه ، مشجعاً اياهم على درس منافع النبات ، واستعمال هذا الطب الذي لا يغلو سعره ولا تنفد مواده .

A. Majuri- G. Jacopich : Rapporto generale sul servizio archeologico a Rodi e nelle isole dipendenti, dall'anno 1912 all'anno 1927. (= Clara Rhodos, *vol. I*) 1928, 191 *pp.* 4°, 157 *illustr.*, *Istituto storico-archeolog. Rodi.*

تقرير عام عن اعمال دائرة الآثار القديمة في رودس وما اليها من الجزر ، من السنة ١٩١٢ الى السنة ١٩٢٧

كتاب جميل قدم هدية الى المؤتمر الدولي الاول للآثار القديمة الذي عقد في رومة سنة ١٩٢٨ . منذ احتل الايطاليون جزر بحر ايجه ، لم يفتأوا يبحثون باهتمام عما تحتويه من العاديات جزيرة من اغنى الجزر بالآثار ، ليس فقط في ما خص العصور القديمة السابقة للتاريخ او العصور اليونانية والرومانية ، بل ايضاً في ما خص القرون الوسطى ، اذ كانت متحفاً حقيقياً لآثار فرسان تلك العصور (الاسبتالية) . وقد قسم الكتاب الى قسمين : في الاول وصف للعاديات المجموعة في المتحف المنشأ في مقام الفرسان انفسهم ، ثم وصف تخطيطي لآثار الجزيرة ، وذكر عاديات بالبزوس المشهورة ، والحفريات الحديثة في رودس وما جاورها من الجزر الصغيرة ، مع حفريات بلاد الاناضول . وفي القسم الثاني ذكر خاص للآثار الفنية والحصون التي اقامها فرسان الاسبتالية . ويحتوي المجلد على كثير من الرسوم والصور الحسنة ، وعلى خارطة للعاديات ، مع ملحق بنص قانون الآثار القديمة ، وسلسلة بالمآخذ المهمة (١٩١٢ — ١٩٢٧) تختم مجلداً يستحق كل ثناء لمؤلفيه ، ولمعهد رودس ، ولبلاد ايطالية .

س . ر .

G. Gianni : Le Isole italiane dell'Egeo. *in-8° illustré*, 80 *pp.*, 2 *cartes. Publicazione dell' Istituto geografico militare Firenze*, 1928.

الجزر الايطالية في بحر ايجه

هو دليل متقن دقيق المعلومات ، ومن ثمّ كثير القيمة يرى فيه المطالع كل ما يود معرفته من الاحوال السياسية والادارية والحربية والجغرافية والتجارية

الخاصة بتلك الجزر ، مع عدة صور وخارطتين واحدة لجزيرة رودس ، والثانية لباقي الجزر .

André Bellessort: Victor Hugo. Essai sur son œuvre. *Cours professé à la Société des conférences. 10 gravures, in-8° écu, 372 pp. Prix : 25 fr.*

بحث انتقادي في آثار ڤيكتور هوغو

يلذ لنا دائماً ان نقرأ مؤلفاً جديداً في موضوع قديم قرأنا فيه كثيراً من المؤلفات . وهذه حالة المطالع لدى هذا الكتاب الجديد عن ڤيكتور هوغو الذي كثيراً ما درس النقاد ظروف حياته ، وحللوا آثاره . فاتى المؤلف واهتم خصوصاً باوفر هذه الظروف تأثيراً في آثار الشاعر ، وبأروع هذه الآثار ، صارفاً النظر عن الباقي . فاطلعنا على ناحية العظمة والانسانية في هوغو ، وسار بنا في طريق مستقيمة متجنباً الافراط والتفريط ، وهي الطريق المثلى التي يجب ان يسير عليها كل ناقد .

Fr. Bonjean : Cheikh Abdou, l'égyptien. *in-16°, 248 pp. 1929. 12 fs. Paris, Editions Rieder.*

الشيخ عبده المصري

هو المجلد الثالث والاخير من تأليف عنوانه «تاريخ ولد من بلاد مصر» تعرض فيه المعاكسة بين منصور ، وهو الولد المسلم المحافظ ، ومعلمه الشيخ عبده المجدد . على ان المؤلف الذي يدعي فهم الشرق ويود وصفه كما هو ، يكثر في كتابه هذا من المشاهد البذيئة فيجعله مفسدة لاكثر المطالعين .

Rouët de Journel s. j. et J. Dutilleul s. j. : Enchiridion asceticum. *in-8°, XXXVI et 666 pp. M. 13, relié 15. Freiburg im Breisgau, Herder et Cie.*

مجموعة في الرياضات الدينية

تتم هذه المجموعة سلسلة الكتب السهلة الاستعمال التي يتزايد انتشارها في العالم يوماً فيوماً . جمع فيها صاحباها اهم النصوص الدالة على روح الرياضة الدينية والتقشف منذ اوائل النصرانية حتى عصر القديس يوحنا الدمشقي ، فعرضا في

ذلك ، آراء آباء الكنيسة ومؤرخيها . واردفاها بثلاثة فهارس : احدها تاريخي ، والثاني ترتيبي ، والثالث ابجدي ، فاتى الكتاب جزيل الفائدة لجميع رجال الاكليروس من طلاب وكهنة ومعلمين ج.ل.

Henriette Celarié : La prise d'Alger. [*Récits d'autrefois*] 12°, 128 *pp. Paris, Hachette*, 1929.

فتح الجزائر

وصف رشيق لفتح الجزائر يستند في اكثره الى التاريخ وفي بعضه الى الاسطورة . فيظهر في وقته اليوم ، وسيصادف دون شك انتشاراً واسعاً بمناسبة مرور مائة سنة على ذلك الحادث التاريخي .

Bibliothèque de Manuscrits Paul Sbath, *Prêtre Syrien d'Alep.* 2 *vol. in* 8, *Imprimerie Syrienne, Heliopolis*, 1928

مخطوطات الاب بولس سباط

هو مؤلف جدير بلفت انظار الخاصة المتصرفين الى درس تاريخ الآثار النصرانية العربية . وما من حاجة الى تعريف القراء بصاحب « المشرع » وبناشر « المباحث الفلسفية » (راجع ص ٧٦) بل حسبنا القول انه اتى وحده باعمال تنوء دون القيام بها اكتاف الاقوياء المنتمين الى الجمعيات الكبرى .

في هذه المجموعة ١١٢٥ مخطوطاً جمعها الاب بولس أثناء سفراته في بر الشام ولبنان ومصر ، ووصفها طبقاً لترتيبها باعدادها الموسومة بها في مكتبته ، والحقها بفهارس مفصلة غزيرة يهتدي بها القارئ في التنقيب الى ما يطلبه من انواع العلوم . اكثر تلك الآثار مسيحية ، وفيها النادر الخطير والمبتذل الحقير ، وهي تتناول : علوم الكتاب المقدس وتفسيره ، ومؤلفات الآباء الرسوليين ، والآباء القديسين ، وغيرهم من الكتبة الكنائسيين ؛ وعلوم الفلسفة ، والمنطق والجدل ، والاخلاق ، واللاهوت النظري ، والادبي ، والحق القانوني ، واعمال الكرسي الرسولي ، والمجاميع ، والتعليم المسيحي ، وسيرة السيد المسيح ، والعذراء القديسة ، والرسل ، والقديسين ؛ وعلوم الطقوس الشرقية : من يونانية ، وسريانية ، وكلدانية ، ومارونية ، وقبطية ؛ وعلوم التقاويم ،

والبرنامات ؛ والمؤلفات في الحياة الروحية ، والنسكية ، وفي المواعظ ؛ وعلوم اللغة العربيـة ، وقواعدهـا من صرف ، ونحو ، وادب ، وشعر ، وانشاء ، وعروض ، وخطابـة ، وقواميس ، وروايات ورحلات ؛ وعلوم التـاريخ ، والطب ، والرياضة ، والحقوق ، والطبيعة ، والجغرافيـة ، والفلك ؛ وغيرهـا من مؤلفات مسيحية واسلامية ايضاً.

وددنا لو قابل صاحب الكتاب في وصفه لمخطوطاته ، بينها وبين مخطوطات المكتبة الشرقية التي وصفها المرحوم الاب شيخو . وقد ذكر (غرة ٤٩) كتاب البرهان باسم القديس اثناسيوس ، وليس هو منه (راجع المشرق ٢٧[١٩٢٩]: ٩١٤) وضرب جـدولاً لاصلاح الاغلاط في ذيل المجلدين ، والاغلاط في عمر المخطوطات أتت بالزيادة وهي عديـدة مما ينمّ عن ميل صاحب المجموعة الى المغالاة في تقديرهـا . على ان كتابه حقيق بزينـة المكاتب وحريّ بان يعود عليه بالثناء.

ف.ت.

سيارات شفروليه

وضعه بقالب عربي نقولا جورج عبد النور

مطبعة هويتيد موريس ليمتد ، الاسكندرية ، ١٩٢٩ — ١٢٧ ص . متوسطة

مجموعة تعليمات وايضاحات لادارة وصيانـة سيارات شفروليه من طراز انترناشيونال ، سلسلة A C ، تخللتها رسوم مختلفة للسيارة واقسامها ، وطريقة الاهتمام بكل عضو منها . وكل ذلك مشروح باللغة العربية مما دلّ على جهود ناقله واهتمامه بايجاد الكلمات الموافقة في لغتنا لكل هـذه المستحدثات وهي تعـدُّ بالمئات . وعليه فاننا نهنئ المعرّب الفـاضل ، ونشكر لشركة جنرال موتورز اهتمامها بهذا الأمر ، ونتمنى ان تقوم غيرها من الشركات ، فيتحفنا اربابها بمثل هذا التأليف المفيد ، كلٌّ ضمن دائرة اختصاصه.

تاريخ الفنون واشهر الصور

لخصه سلامه موسى عن « خلاصة الفنّ » للسير وليم اوربن

نشرته ادارة الهلال ، مصر — ١٩٠ صفحة كبيرة

قيمة هذا المجلّد في انه يبسط للجمهور ، بطريقـة سطحية ، اشياء عن

الفنون وتاريخها في اوربة وشيئاً عنها في مصر وبلاد الاسلام - على ان في تلك الطريقة من الاقتضاب المخلّ ، والسذاجة في تعليل تطوّر الفنّ ، والافكار المبتسرة ما لا يمكن الركون اليه ، ولاسيما في المقدمات اذ جرّب الملخص ان يبحث في الجمال ، فدار حوله ، وعدّد مظاهره ، ولم يمكنه تحديده على وجه صوابي . ولعلّ خير ما في الكتاب الصور التي تمثل اشهر الرسوم المعروفة ، واكثرها مطبوع بمظهر انيق يروق للمطالع فيحتفظ بالمجلد مجموعةً فنية جميلة.

ف. ا. ب.

معجم المطبوعات العربية والمعربة

وهو شامل لاسماء الكتب المطبوعة في الاقطار الشرقية والغربية مع ذكر اسماء مؤلفيها ولمحة من ترجمتهم ، وذلك من يوم ظهور الطباعة الى غاية السنة الهجرية ١٣٢٩ الموافقة لسنة ١٩١٩ ميلادية مطبعة سركيس مصر

قرظنا هذا الكتاب سابقاً عند ظهور كل جزء من اجزائه ، وها ان بين يدينا الجزئين التاسع والعاشر ، وهما يبشران بالاجزاء الاخيرة عن قريب ان شاء الله . اما مادتها فتقطع المراحل من اسم القناطري الى اسم وجدي. فنشكر للمؤلف الفاضل همته الشماء ونسأل الله تعالى ان يمدّ بايامه الثمينة ، فينجز اعماله بكمالها ويضع في كنز المكاتب اثرًا جليلًا شاهدًا على صبره وثباته على العمل ونجاحه

ف. ت.

لبنان وسورية قبل الانتداب وبعده : الجزء الاول

بقلم بولس مسعد
المطبعة السورية بمصر ١٩٢٩

هذا الكتاب نشر تباعاً في المجلة السورية التي تحوّلت مؤخرًا الى جريدة وظهرت باسم «المجلة البطريركية». والسيد بولس مسعد معروف بمؤلفاته عن لبنان وسورية ، وها انه اضاف اليها حلقة جديدة يجد فيها القارئ تاريخ بلادنا سحابة السنين العشر الاخيرة . وقد وطأ له المؤلف بنظرات تاريخية وجغرافية في حوران وجبل الدروز ، وتاريخ الدول التي تعاقبت فيها . وان اسهابه في ذكر الحوادث التي جرت على ايام الجنرال غورو يدل على وفرة مصادره وحسن

مطالبتها. قال في انشقاق الزعماء في جبل الدروز انهم لم يفطنوا بانهم صاروا العوبة بين ايدي البلاشفة ولم يعلموا حق العلم «ان البرنامج الذي وُضع لاعمال رسل البلاشفة واعوانهم لم يكن مقتصراً على دمشق وبيروت وحلب وغيرها من المدن السورية بل كان يتناول سائر الديار الشامية واللبنانية. وفي جملتها حوران وجبل الدروز» . فلو ان الثوار ادركوا حقائق الامور لما تهوروا في اضرامهم نار الحرب الاهلية. ف. ت.

* الفصول * هي مجلة ادبية يصدرها عن سنتياغو دل استيرو (الارجنتين) مرة في كل فصل من فصول السنة حضرة الاب مبارك مارون اللبناني . في مائة وخمسين صفحة من القطع يلحق بها خمسون صفحة باللغة الاسبانيولية . — بدل اشتراكها السنوي: في الجمهورية الفضية ١٠ ريالات ، في الخارج ليرة انكليزية.

* الزنبقة * مجلة علمية اخلاقية تهذيبية روائية ، تصدر عن المطبعة الاميركية ، بيروت ، مرة في الشهر ، في ٣٢ صفحة متوسطة لصاحبها ومحررها الياس يوسف حاطوم . — بدل اشتراكها: في لبنان وسورية ٣٠ غ. ذ. ، في الخارج نصف ليرة انكليزية.

* النشرة الشهرية لشركة القديس منصور دي بول * انشئت في مصر في اول السنة الحالية وغايتها ايقاف الاعضاء على روح قانون الشركة ، وايراد اهم اخبارها في انحاء العالم. — ٨ صفحات صغيرة.

« رسالة الفدية تريزيا الطفل يسوع » هي مجلة جديدة ايضاً تصدر في مصر عن دير الآباء الكرمليين ، مرة بالشهر في ٢٠ صفحة صغيرة . بدل اشتراكها العادي ٦ ق.م. ، والمساعد ١٠ ق.م.

* الزهرة التركية في الحديقة الرهبانية * هي المقالة التاريخية التي نشرها في الشرق حضرة الخوري يوسف العمشيتي ، طبعها على حدة وقدّمها الى صاحب السيادة المطران يوسف الخازن الولي على دير سيدة البشارة التي نبتت فيه تلك الزهرة.

* الرجل العظيم * مقالة في مدح السيد طاهر سيف الدين كتبها محمد علي الحاج سالمين ، مدير جريدة «دي ديواين ميسيج» الانكليزية الاسلامية في بمبي ، الهند.

* قائمة كتب مكتبة الهلال لسنة ١٩٣٩ * لصاحبيها ابراهيم زيدان وولده — عنوان المكتبة: ٦٥ ، شارع الفجالة ، مصر.

* فهرس مكتبة صادر لسنة ١٩٣٠ * وهي السابعة والستون لتأسيسها ، لصاحبها سليم ابراهيم صادر — عنوانها : بيروت ، شارع اللنبي ، صندوق البريد رقم ١٠

اهمّ حوادث الشرق في شهر

١٥ شباط — ١٥ اذار

روسية والشرق

* في ١١ من الشهر الفائت بارك صاحب النيافة الكردينال امين السر في مجمع الكنيسة الشرقية ورئيس لجنة الشؤون الروسية بنايات المعهد الحبري للطلبة الاكليريكيين الروس المنجزة من وقت غير طويل .

* وجه مجمع ايضاح تعاليم المجمع التريدنتيني الى جميع الاساقفة تعليمات عن ضرورة اتخاذ التدابير الحازمة ضد تهتك الملابس الانثوية . وتتضمن هذه التعليمات اثنتي عشرة مادة تقضي على الرؤساء والكهنة وارباب الاسر من آباء وامهات ، ورؤساء المعاهد العلمية ، ان يتخذوا الاجراءات الشديدة في تأييد الملابس النسائية الدالة على الفضيلة والحشمة

* نشرت الاوسرفاتوري ورومانو الرسالة البابوية بشأن اضطهاد السوفيات للاديان في روسيا ، وفيها الاسانيد الهامة التي احتج بها ابو المؤمنين العام ، وشكا الى العالم المتمدن عموماً والى المسيحيين خصوصاً ، حالة بلاد المسكوب التاعسة . فبلغ صداها انحاء العالم قاطبة فقامت الكنائس على مختلف نزعاتها تحتج على الاضطهاد . اما البلشفيك فاتهموا البابوية باثارة العالم عليهم .

لبنان وسورية

* لا يزال الروم الارثوذكس يشتغلون في انتخاب البطريرك ، وقد طلب سيادة القائمقام البطريركي الى المفوض السامي ان تكون الكنيسة الارثوذكسية في بلاد الانتداب مستقلة في شؤونها الروحية ، فوافق المفوض السامي على طلبه .

* صرح رئيس الوزارة اللبنانية ان قضية الريجي قد بتّ فيها بصورة نهائية

وتنتهي امتيازها في منتصف نيسان ، وقد فرضت الحكومة اللبنانة من وضع نظام البندرول ، وان لم توافق عليه الحكومة السورية نفذته الحكومة اللبنانية منفردة . وان تجارة التبغ اللبناني ستصان من المزاحمة الاجنبية بوضع رسوم باهظة على التبغ الاجنبي.

ان اخبار الداخلية تنم عن استحسان تدابير الحكومة اللبنانية.جاء من دمشق ان وزير النافعة باشر اخراج بعض المناظرين على الطرق والغاء عدة وظائف من دائرتها حباً بالاقتصاد ، وقد تحذو مديرية الصحة والاسعاف العام حذو النافعة

* تفيد الاخبار على العموم ان الامطار سقطت بغزارة في سائر الجهات والموسم مخصب مما زاد في هبوط اثمان الحبوب. وجاء من حمص انهم يعملون بجد على بر المياه وتوليد الكهرباء.

ومما يدلّ على تحسن الاحوال تدني عدد المهاجرين.

عند بريطانيا

عقد مؤتمر في خليج فارس على سفينة بريطانية بين ملكي العراق ونجد ، بحضور المندوب السامي البريطاني . وعقدت معاهدة ثلاثية في لندرة بين فخامة جعفر باشا العسكري ، ممثل العراق في لندرة ، ومستر هندرسن وزير خارجية بريطانية ، والجنرال شارلس دلوس ، سفير الولايات المتحدة الاميركية ، اعترفت فيها جمهورية الولايات المتحدة الاميركية ببلاد العراق دولة مستقلة بغية التوصل الى تفاهم قطعي بين البلادين.

* جاء من حيفا: تقدمت اعمال المرفأ تقدماً مرضياً رغم كثرة هطول الامطار في خلال الشهرين الماضيين.وبلغ ما بُني من اللسان الكبير حتى الآن نحو ٢٠٠ متر ومترين ، وبلغت كمية الحجارة التي استخرجت من المقالع ووضعت بجانب الآلة البخارية الرافعة لاستعمالها في بناء اللسان نحو ٢٠٧٠٠٠ متر مكعب.ويبلغ مقدار الحجارة المستخرجة من مقالع عتليت في الوقت الحاضر نحو الف طن يومياً.

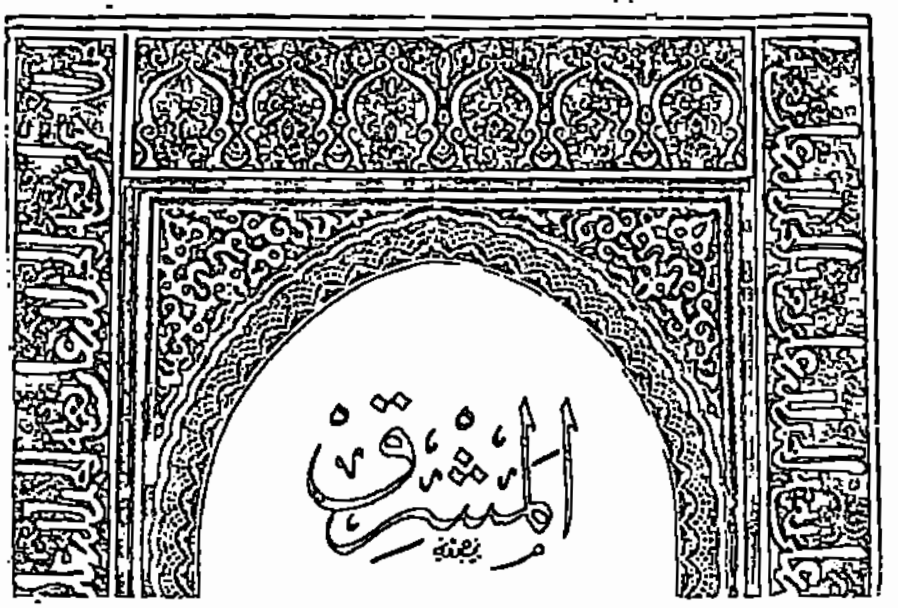

ايار ١٩٣٠

نفوذ السيّد المسيح
في حياتنا الدينية*

بقلم الاب مرمرجي الدومنيكي

من اساتذة المعهد الكتابي والاثري الفرنسي في القدس الشريف

الدين صلة الانسان بالله صلة ضرورية ؛ وضرورة هذا الاتصال ناشئة عن كون هذا ابن آدم خليقةً اي صنيعة ، وغيرُ خافٍ ان كل مصنوع منوطٌ حتماً بصانعه . ولما كانت كل خليقة تعيش وتأتي اعمالها ، أيّة كانت ، حسب طبيعتها ، طبقاً للمبدأ الفلسفي القائل : تجري الصنائع مجرى الطبائع ، اراد الله سبحانه ان يقوم تعلقنا به بموجب طبيعتنا . واذ كان الانسان مركباً من نفس وجسد ؛ وكانت نفسه متصفة بقوى اهمها العقل والارادة ، رتّب ، جلّ جلاله ، ان يتوقف الدين ، اي اتصالنا به ،

* تقدم لنا في «مشرق» السنة الماضية مقالان في نفوذ السيد المسيح : الاول في حياتنا الادبية (ص ٤٨١) والثاني في حياتنا الاجتماعية (ص ٨٠١)

بنوع خاص، على فعلين وهما معرفته تعالى، وهذا مما يرجع الى العقل؛ ومحبته عز وجل، وهو مما ينوط بالارادة، ومن ثم بالقلب. واذ كان الله الحق الاسمى، والخير الاعظم، وجب على الانسان ان يعرفه بعقله، أعني بقوته المعدة لادراك الحق؛ وان يميل او يتجه اليه بارادته، اي بقوته التواقة الى الخير. وهذه المعرفة، وهذه المحبة، المتكونة منهما حياة الدين الفطري، قد رفعهما الله الى درجة لم يكن للانسان مندوحة للوصول اليها بما فطر عليه من القدرة الطبيعية، وهي درجة معرفته ومحبته بنوع فائق الطبيعة. ومن ذلك نشأ الدين العلوي الموحى به، اي الذي انزله الله تدريجاً اولاً في بدء الخليقة؛ ثم على يد موسى كليمه ومن تبعه من الانبياء الصادقين، على تعاقب الدهور؛ الى ان اكمله على يد ابنه الوحيد، حسبما جاء به بولس الرسول في رسالته الى العبرانيين بقوله: ان الله كلم آباءنا قديماً بالانبياء كلاماً متفرق الاجزاء، مختلف الانواع. وكلمنا اخيراً في هذه الايام بابنه الوحيد الذي جعله وارثاً لكل الاشياء، وبه انشأ الدهور.

فالدين، طبيعياً كان ام منزلاً، قائم اذن في معرفة الله وما يتعلق به، وقائم ايضاً في الميل الى الله ومحبته، في الاول بنوع طبيعي، وفي الثاني بنوع فائق الطبيعة. وهذه هي حياتنا الدينية. فاذا تقرر هذا، لنبحث عن كيفية نفوذ السيد المسيح فيها، اي في معرفتنا لله، ثم في محبتنا له، تقدست اسماؤه.

. . .

يعلمنا ايماننا ان الله موجود، وانه خالق الكائنات عموماً، وخالقنا خصوصاً. فمن ثم كان من اللائق، بل من المحتوم، ان يحصل لنا معرفة بالله وما يعود اليه، اي بالعالم، وبنفسنا. وهذه المعرفة المثلثة الموضوع قد زاد تعالى على درجتها الطبيعية درجة سامية، فائقة الطبيعة. فبسر الثالوث الاقدس، قد عرفنا حقيقة طبيعته سبحانه، وهو امر كان ادراكنا عاجزاً غاية العجز عن تصور وجوده؛ وبسر الخلق، علمنا حقيقة العالم؛ وبسر سقوط الانسان، قد اطلعنا على حقيقة طبعنا. وهذا كله قد كمل بالوحي الذي اتانا مع الانجيل. الا ان هناك سراً حوى مفعول هذه الاسرار كلها، ولخص

لنا المعارف المنطوية عليها ، وهو سرّ التجسد الالهي ، الـذي بواسطته خاصةً كان للسيد المسيح الاثر البليغ في معرفتنا الدينية.

فسرّ التجسد ، او سر الكلمة المتأنس ، قد علمنا علماً فائق الطبيعة بطبيعة الله وحياته في ذاته . لان هذا السرّ يظهر لنا ان الكلمة الازلي هو شعاع جوهر الآب ، وضياء مجده ، الـذي نزل من السماء الى الارض لكي يلقننا معرفة الله التي بها نقدر ان نحصل على الحياة ، كما قال ، لاسمه المجد موجهاً الكلام الى ابيه : « قد جئتُ يا ابتاه لتكون لهم الحياة الابـدية ؛ وهذه الحياة الابدية ان يعرفوك انت الالـه الحقيقي وحدك ، والذي اوسلته يسوع المسيح.» فاحدى غـايات التجسد كانت ان يعرّفنا الله ويبيّن لنـا سرّ حياته الداخلية ، اي مثلما هو بذاته.وهو امر كان ، قبل ان يعلنه المسيح ، سرّاً غامضاً حتى على حكماء هذا الدهر . نعم ، كان للثالوث الاقدس بعض الاثر في تقاليد الامم ، وفي العهد القديم ؛ وكان له في الطبيعة عينهـا بعض الرموز . نعم من شأن الفلسفة والعلم اثبـات وجود الله واعماله في الخارج . اما حياته الداخلية فلم يكن في امكان انسان ، وان كان آيةً في العبقرية ، ان يطلعنا عليها . فالمسيح وحده اوحى بها الينا في انجيله . ودونك ، في ذا الشأن ، بعضاً من اقواله : « الا تؤمن ، يا فيلبس ، اني في الآب ، والآب فيّ ؟ آمنوا اني في الآب وان الآب فيّ . وانا اسأل الآب فيعطيكم معزيـاً آخر يقيم معكم الى الابد ، الروح القدس الذي سيرسله الآب باسمي.فهو يعلمكم كل شيء..» وقبل صعوده ، قال لرسله ذاكراً اقـانيم الثالوث : « اذهبوا الى العالم كله ، وعمدوا الامم باسم الآب والابن والروح القدس . » هـذه هي شهادة الابن عن الثالوث ، اي عن نفسه وعن أبيه وعن روحه القدوس .وبعد ان اوحى المسيح بسرّ الثالوث ، بشر الرسلُ باسم الثـالوث ؛ وباسم الثالوث علّموا البشر ؛ وباسم الثـالوث عمدوا الامم ؛ وباسم الثـالوث كان الشهداء يرسمون علامة الثالوث على جباههم ، قبل نزولهم مضمار الاستشهاد. فانت ترى ان سرّ الثالوث هو أساس الدين المسيحي ، وان ملخصه هو في سرّ التجسد ، اي في المسيح الاله المتأنس.

فضلاً عن اسرار الله ، قد كشف لنا المسيح حقائق الكون ؛ لانه نور ساطع على المبروآت جمعاء ؛ كما قال هو عينه : « انا نور العالم » . وبالحق انه نور العالم ، ليس في دائرة العقليات والادبيات وحدها ، بل هو نور العالم حتى في مادّياته . اذ ان يقيننا بالله يعرّفنا باصل العالم وخالقه . وبما ان المسيح هو كلمة الله ، فقد حوى في ذاته مثال المخلوقات بأسرها ؛ وكما ان كلّ شيء فطر على صورته ، فقد كُوّن ايضاً بفاعلية قدرته ، كما جاء في انجيل يوحنا : « كل شيء به كان ، وبغيره لم يكن شيء مما كان . » فمن الجهة الواحدة نراه صادرًا من الآب صدورًا ازليًا . ومن الجهة الثانية نجده خالقاً للعالم في الزمان . فالكلمة ضياء الآب ومجده وصورة جوهره . والكلمة مثال الخلائق وباريها . وهذا هو السرّ الذي القى على العالم نورًا لامعاً ، لانه نور العالم . فالايمان بالوهية المسيح يحلّ عقدة اصل العالم وخلقه وتكوّنه ، ويبيّن لنا ان بين الله وبين خلائقه بوناً شاسعاً ، وان الكلمة المتجسد قطع هذا الشوط القصيّ ، فاضحى الصلة بين الله ومبروآته ؛ وباتحاده في شخصه الالهي الطبيعتين الالهية والانسانية ، اثبت تميّزهما الواحدة عن الاخرى .

ثم ان سرّ التجسد يظهر لنا ، بعد اصل العالم ، نظام الكائنات وتناسقها . لاننا نعلم ان هناك رجالًا نوابغ ، وفلاسفة جهابذة قد درسوا طبائع الكون وعتقوا في احواله ؟ فوجدوا في كلّ مكان ان الخلائق العليا ، اذا اتصلت بالسفلى ، رفعتها الى طبيعتها ، وجعلتها في مقامها . من ذلك النبات يجتذب اليه المعادن فيضمها ، لا بل يمزجها بحياته النباتية . والحيوان يستميل اليه النبات فيتمثله ، فيدخله في حياته الحيوانية . والانسان المرتفع على كل ما تقدم من المخلوقات يجذب اليه هذه الكائنات المعدنية والنباتية والحيوانية فيستغرقها كلها في طبيعته البشرية ، ويرقى بها الى مقامه الروحي الذي يتصل به هو عينه بالطبقات العقلية الرفيعة . فاذا كان هذا نظام الطبيعة ، اي نظام اجتذاب الخلائق العليا للخلائق السفلى ، واستيعاب طبيعتها ، افلا يمكن ان نتصوّر ارتفاعاً واتحادًا آخر ؟ اجل ان هذه الاتصالات قد جعلت الانسان كالصلة بين الخلائق الجسمانية التي هي ادنى منه ، وبين الخلائق الروحية التي هي اعلى منه .

لكن هناك اتحاداً لم يشاهد قط مثله في العالم ، وهو الاتحاد الذي اجراه الله بمجيئه ، اي اتحاد الانسان به تعالى ، وذلك في شخص المسيح الاله الحق ، والانسان الحق ، وهذا الذي كلّل ذلك التناسق العجيب.

على ان المسيح الكلمة المتجسد يعلمنا ، فضلاً عن هذا ، علم الانسان ؛ اي انه يعرفنا بوحدة اصلنا وبطبيعتنا . لان من معتقدات الدين المسيحي ان البشرية قد سقطت ؛ وان منقذها هو المسيح ابن الله . مما نتج عنه ان كل البشر الذين خلصوا بيسوع المسيح هم الذين هلكوا جميعهم بآدم . فالسقوط جرى بآدم الاول ، والقيام بآدم الثاني . وهاتان هما العقيدتان المتجاذبتان والمتحدتان ؛ وكلتاهما تثبت وحدة الجنس البشري ، اي ان جميع هؤلاء الانام قد نزلوا من صلب ابيهم الوحيد ؛ مما جعلهم باسرهم اخوة بالطبيعة ، كما هم اخوة بنعمة المسيح . وبعد وحدة الاصل ، يلقننا سرّ التجسد معرفة الطبيعة البشرية . لان عقيدة اتحاد لاهوت ابن الله بناسوتنا اتحاداً اقنومياً يوحي الينا ان لنا ، فضلاً عن الجسد المادي ، نفساً روحانية ، حرّة ، خالدة ، لما هو معلوم من اصول ايماننا ان التجسد لم يتوقف على اتخاذ الكلمة من طبيعتنا الجسدَ وحده ، بل انهُ قد اضحى انساناً كاملاً اي ذا جسدٍ ونفسٍ أتحدهما بلاهوته. مما يثبت معه ان في الانسان نفساً حيةً روحانية ، لظهور النفس متميزة في المسيح عن جسده وقائمة بذاتها ؛ ونفساً حرةً ، لانه قبل باختياره المطلق الآلام والموت ؛ ونفساً خالدةً ، لان نفسه باقية في المجد معه.

ومما يفيد به سر التجسد هو انه يوضح لنا تاريخ البشرية . اذ بدون المسيح كل التاريخ ، سابقه ، ومعاصره ، وتابعه ، لا معنى له . فبدونه لا يُرَى في الشعوب المتقدمة بجينه سوى الاضطراب والتنازع والتطاحن والتفاني . ولاسيما في الشعب الاسرائيلي ؛ فانه ان لم يُعتبر بآبائه ، وانبيائه ، وشرائعه ، كتمهيد لمجيء المسيح ، فلا يكون وجوده وتاريخه الّا زعبرة وشعوذة . وكذا القول في تاريخ تأسيس الدين المسيحي ونشأته . فبغير عقيدة التجسد ، اي بدون الايمان بالمسيح ابن الله ، لا يمكن شرحه . اذ لا يمكن تعليل الانقلاب الذي احدثه . لان انخذال العالم الوثني ، وانتصار المسيحية امّا هو

حادث الهي اي من تأثير المسيح الاله ، والّا فهو حادث مستحيل الوجود. وهذا ايضاً شأن التأريخ الذي عقبه الى يومنا هذا ؛ فان ثبات النصرانية ، على الرغم من الاضطهادات ، والتقلبات ، والهرطقات ، ليس الّا من مفاعيل الوهية المسيح وقوته الفائقة الطبيعة المستمرة في الكنيسة حتى منتهى الدهور.

صفوة القول ، ان المسيح الاله هو كالفنار المنتصب على ساحل بحر هذا العالم متلألئاً ، ساطعاً بنوره على سبيل الحقائق الضرورية لنا معرفتها في ما يعود الى الله والعالم وطبيعتنا . فان كل شيء به ، ومعه ، وفيه. هذا نفوذه الاول.

. . .

على ان نفوذه الثاني ، اي تأثيره في الارادة التي بها نميل الى الله ونحبه ، ليس باقلّ فعلاً من تأثيره في عقلنا . لاننا اذا انعمنا النظر في حقائق ديننا القويم ، نرى فيه عجائب مذهلة ، نسبةً الى الاعمال التي اجراها الله لخير الانسان. لكننا نشاهد ، فوق كل تلك المدهشات ، عجيبة من اغرب العجائب تلمع بينها كالشمس النيّرة ، الا وهي عجيبة المحبة. اننا اذا عمقنا في التأمل ، نجد الهاً واجب الوجود ، كائناً بذاته ، قديراً ، غنياً ، حكيماً ، لا بداية له ولا نهاية ؛ حياته وغايتها ، سعادته وكمالها ، في نفسه. الّا ان هذا الاله فيه خاصية جوهرية هي خيريّته او جودته الفيّاضة التي دفعت حكمته وقدرته الى العمل . فمن فيض هذه الجودة الالهية. قد برزت قدرته الى الخارج ، فابدعت العالم بما فيه من كائنات سماوية وارضية . وفي جملة هذه المبروآت صنع الله الانسان ، مميّزاً اياه عن بقيّة الخلائق . وكان ذلك عجيبةً من عجائب المحبة الالهية . خلقه من مادّة جامدة نفخ فيها روح الحياة ، الروح العاقلة ، المريدة ، الحرّة ؛ فجاء بذلك على صورة باريه ومثاله . فوضعه الله في جنّة عدن ، وافاض عليه بركاته وآلاءه ، واقامه ملكاً مسلّطاً على الطبيعة . وما سبب ذلك ؟ عجيبة من عجائب المحبة الالهية . سقط الانسان في الخطيئة ، رغماً مما زيّنه به من الكمالات ، وانعم عليه من الخيرات ؛ لكن الله ، عوضاً عن ان يهمله ، قصدَ ان ينشله من وهدة الهلاك . وما داعي ذلك ؟ عجيبة من عجائب المحبة الالهية . الملائكة اشرف من الانسان واسمى ، وكانوا قد سقطوا قبله ،

فهلكوا هلاكاً ابدياً . اما الانسان ، ففضّله الله على الملائكة ، واختصّه بعنايته ؛ فما علة ذلك ؟ عجيبة من عجائب المحبة الالهية . هذه الارواح السماوية لم تخطئ الّا خطيئة واحدة في ظرف من الظروف شقّ على طبيعتها غاية الشقّ ، فحصلت على التعس الدائم ؛ وابناء البشر يأثمون ولا يزالون مكرّرين الاثم ، رافضين نعم الله ، محتقرين وصاياه ؛ ومع ذلك يحتم الباري ان ينقذهم ، ولماذا ؟ عجيبة من عجائب المحبة الالهية . كان في امكان الله ، وقد حتم بان يغفر للانسان جرمه ، ان يفعل ذلك بكلمة واحدة تصدر من فم القدوس ؛ لكنه قصد ان يخلّصه بتجسد كلمته الازلي لان التجسد اسمى درجة لاتحاد خليقته به ، واولى وسيلة لارضاء عدله ورحمته معاً . وهذا ايضاً عجيبة من عجائب المحبة الالهية . صار الكلمة جسداً وحلّ فينا ، اي انه ضمّ طبيعتنا الواهية الى طبيعته الالهية باقنومه السامي ؛ فاصبح الاله انساناً ، والانسان الهاً ؛ وبذلك ارتفعت الافعال البشرية الى مقام الافعال الالهية ؛ مما قدر الانسان معه ان يكفّر ، في شخص المسيح ، عن خطيئته . اجل ان هناك لسرّاً عميقاً ؛ لكنه عجيبة من عجائب المحبة الالهية . كان يوسع المسيح ان يكتفي بهذا العمل العظيم الذي لم يُرَ له مثيل ؛ لكنه لم يرضَ بان تواضع هذا التواضع ؛ بنزوله من علوّ بهائه ، حيث يحفّ به الملائكة ركّعاً سجّداً ، مسبّحين ، لانه رأى في قلب الانسان ميلاً شديداً الى الكبرياء ؛ فعزم على ابرائه منها . ولذا ، فهو الذي لم يحسب خلسة ان يكون مساوياً للآب ، قد اخلى نفسه وتواضع وصار في اشبه مثل الانسان ؛ فولد في مغارة حقيرة ، من أم فقيرة ؛ وعاش حياة المسكنة ، وقضى ايامه الرسولية بالتعب والعناء ، معرضاً ذاته للمذلة والهوان ؛ وهذا كله عجيبة من عجائب المحبة الالهية . ولم تكن المحبة لتقف عند هذا الحد ، لانه هكذا احب الله العالم حتى انه سلم ابنه الوحيد ؛ والى اي شي سلّمه ؟ سلمه ليس الى الشغل والتعب ، او الذل والعار فقط ، بل اذ كانت الخطيئة تدفع الانسان الى طلب الراحة والرفاهية والتنعم والملذات ، قد قرر الآب الازلي ان يدفع ابنه الى العذاب والآلام الفادحة ، لكي يفهم البشر ان لا كفارة عن الخطيئة الّا بتجرّع غصص الالم

وان طريق الصليب هو طريق السماء . وهذه عجيبة من عجائب المحبة الالهية. كان كافياً للمسيح الاله ان يأتي فعلاً واحداً ، كذرف دمعة ، او سكب نقطة دم او ما اشبه ، للتكفير عن المآثم البشرية ، ولفداء عوالم جمة ؛ لكنه ، فضلاً عن الاتعاب ، فضلاً عن الاحزان والكروب ، فضلاً عن الاوجاع والآلام ، اراد ان يموت الميتة الشنيعة المريعة ، ميتة الصليب ؛ لكي يثبت لنا انه كما ان لكل شيء حداً اقصى ، اقتضى ان تبلغ محبته للبشر اقصاها ؛ هو الذي اذ كان قد احب خاصته احبهم الى الغاية ؛ وهو القائل: «ما من حب اعظم من ان يبذل الانسان نفسه عن احبائه !» . وهذا اعجب عجائب المحبة الالهية . على ان المسيح المغرم بحب البشر لم يشأ ان يضحي مرة واحدة على الصليب كفارة عن مآثمنا ، بل انه ، ارواء لغليل حبه لنا ، قد رسم سر المحبة الذي امكنه به ان يكون ذبيحة متواصلة على المذابح ، تصد عن الخطأة سيف غضب الله الساخط عليهم ، لتفاقم شرورهم ؛ وفيه ايضاً صار طعاماً وشراباً لتقوية نفوسنا ؛ وزوادة لنا في سفرنا الى الابدية ؛ فضلاً عن انه رضي ان يبقى سجيناً في كنائسنا ، ليقوم لدينا مقام الرفيق والخليل والمعزي والمشجع لنا في ضيقاتنا وتجاربنا واحزاننا . وهذا ليس عجيبة من عجائب المحبة فقط ، بل هو عجيبة العجائب ، واقصى حدها ، واوج كمالها ، في سبيل المحبة ، من قبله تعالى نحونا نحن البشر .

هذا ومعلوم ان المحبة تدعو المحبة . فاذ كان للسيد المسيح النفوذ البالغ في انشاء المحبة الالهية في الحياة الدينية ، فلم يكن الا ليتشئ في قلوب البشر محبة تقابل هذه المحبة الربانية . وبالحق ان المسيح القائل : «جئت لالقي ناراً على الارض ، وما اريد الا اضطرامها» ، قد اضرم حريقاً في العالم ، هو حريق المحبة المتأجج في النفوس ، منذ تجسده وحياته الارضية ، وعلى مدى الدهور . فنجم عن ذلك تجاه عجائب المحبة الالهية ، عجائب المحبة الانسانية . اذ مقابل محبة المسيح ، وبنفوذ نعمته ، نرى عجائب المحبة في امه القدوسة ، التي عاشت على الارض متحدة القلب بابنها الالهي ؛ فكانت كشعلة ملتهبة بنار المحبة ، وشاركته في اتعابه وآلامه ؛ ولم تفارق هذا العالم الا لشدة حبها

لحاشية فؤادها وفلذة كبدها. وكذا القول عن القديس يوسف ، مربي المسيح؛ فانه بعيشه قرب اتون المحبة قد التهب هو ايضاً بنيرانها الالهية . وبنفوذ نعمة المسيح الفعالة ، قد تأثر رسله الاطهار الذين تركوا كل شيء وتبعوه . ولاسيما زعيمهم بطرس الذي اجهر بحبه للمسيح في فرص كثيرة ؛ ويوحنا الذي دعاه الانجيل: «التلميذ الحبيب» ، وقد اضحى رسول المحبة . وماذا نقول عن بولس الرسول الذي التهب بمحبة معلمه ، فكان يصرخ قائلاً : «من يفصلنا عن محبة المسيح ، اشدة ام ضيق ، ام جوع ، ام عري ، ام خطر ، ام اضطهاد ، ام سيف ؟ اني واثق بانه لا موت ولا حياة ولا علو ولا عمق ولا خلق آخر يقدر ان يفصلنا عن محبة الله التي هي في المسيح يسوع ربنا.» وقد ختم جميع الرسل ايمانهم ومحبتهم باقتدائهم بمحبة معلمهم العظيمة ، اي انهم سفكوا دماءهم في سبيل دين يسوع الذي بشروا به. وعلى مثال الرسل قد سار الوف فالوف من المسيحيين ، رجالاً ونساء ، شيوخاً وعجائز ، شباناً وشابات ، صبياناً وصبيات ، فاغرموا بحب المسيح هذا الغرام البالغ بهم اقصى الحد ، اي انهم تكبدوا العار والهوان ، والتعب والمشقات ، والعذاب والآلام القاسية ، شهادةً للدين المسيحي ، فنالوا اكليل الظفر والسعادة الخالدة. وبمعزل عن هؤلاء ، هناك الوف وربوات من الابرار ، من مصافّ النساك والمتوحدين ، والرهبان والراهبات ، والكهنة والاساقفة والاحبار للعظام ، الذين احبوا المسيح حباً جماً ، وحققوا في نفوسهم فضائله السامية ، محاربين امياله المعوجة ، سائرين في طريق الكمال ، فاحصوا بين القديسين.

الخلاصة ، ان للمسيح الاثر البليغ ، والنفوذ التام في حياتنا الدينية . لانه عرّفنا الله معرفة كاملة بطريقة فائقة الطبيعة ، واطلعنا على حقيقة العالم ، وماهية طبيعتنا وحياتنا . وكان الوسيط بين الله ابيه وبيننا . وقد جاء فالقى في العالم نار المحبة ، فاشتعلت بها النفوس ، وتأججت لهباتها في القلوب ؛ فدفعت تلاميذه الى اتيان الاعمال العظيمة ، والمشاريع الباهرة ؛ مما حيّر الورى في كل عصر وجيل . فسبحانه هو القادر على كل شيء ، هو المنير العقول ؛ هو المضرم القلوب ؛ وله المجد والتسبيح والشكران في كل اوان.

تربية دود الحرير

تقرير رفعه لوزارة الاقتصاد الجليلة بمناسبة
عقد مؤتمر الحرير

حضرة الاب لويس بليبل اللبناني

١ -

اوه الرهبانية البلدية اللبنانية المعروفة بكونها صاحبة الاملاك المعتبرة في جبل لبنان ، وبان معظم وارداتها من محصولات دود الحرير «الفيالج» ، قد حصل منذ نحو ثلاثين سنة نقص غير قليل في عموم موسمها المذكور بالرغم من انتخاب البزر الجيد ، فأحدث في ميزانيتهـا عجزاً غير قليل اهتمت به الرهبانية المشار اليها جد الاهتمام ، فأخذت تدقق في البحث لمعرفة اسباب ذلك النقص. فاوعز اليَّ الرؤساء ان اتفرَّغ لدرس هذه الحالة لمعرفتهم ميلي الى تربية دود الحرير ، قصدَ معرفـة تلك الاسبـاب وطرق ملافاتها . فبعد درس طويـل ، استغرق نحو ثلاث سنين ، توصلت الى معرفة تلك الاسباب واخترت طرقاً لتلافيها ، وبعد ان امتحنت صلاحيتها في مختلف جهـات لبنان وحصلت على افادات تؤكد وتثبت نجاح ما وصفت ، نشرتُ تلك القواعد مطبوعة في كتيب ، ونشرتها ايضاً في الجرائد لتعمَّ فائدتها.

وباثنـاء وجودي في القطر المصري ، سنة ١٩٢٧ ، قررت الحكومـة المصرية تجديد زراعة التوت واحياء تربية دود الحرير ، فقدمت ذاتي لخدمتها ، بعد الاستئذان من رؤسائي ، فقبلت طلبي واستدعتني وزارة الزراعة المصرية واجرت عليَّ امتحاناً ، ثم قررت ان يُسلَّم اليَّ انشاء زراعة التوت وتربية دود الحرير . على انه قد حال دون تتميم هذه الفكرة انقلاب الشؤون السياسية في الحكومة المصرية.

والآن وقد طلبت الوزارة اللبنانية من رئيس رهبانيتنا العـام ان يبعث

احد افرادها ليمثلها في هذا الاجتماع الموقر، انتدبني قدسه للقيام بهذه المهمة. وها كم خلاصة مباحثي في هذا الامر:

ان النجاح في تربية دود الحرير، اي الحصول على كمية وافرة من الشرانق جيدة مقطوعتها، متينة خيوطها، ظريف لونها، يتوقف على ثلاثة شروط:

١ً: ان يكون ورق التوت صالحاً للتغذية. ٢ً: ان يكون قليل الرطوبة. ٣ً: ان يكون الدود تربّى تربية صحيحة فنيّة.

قلت اولاً: ورق صالح للتغذية. يفهم بذلك ان تكون متوفرة فيه مادة الصمغ والسكر وهما المادة الهامة والكلية الفاعلية لتغذية الدود. وان يكون الورق نظيفاً من الغبار وليس عليه ندى. ان توفير مادة الغذاء في الورق تحصل من حراثة الارض جيداً دفعات متعدّدة. ومن تسميدها بتسميد حيواني او نباتي او كيماوي. وقلت ثانياً: قليل الرطوبة، اي غير ورق التوت النابت في ارض كثيرة الرطوبة «نعص». وطريقة تجنبه وازالته تقوم بترميل التربة بساكة ثلاثين سنتيمتراً، ثم تحرث ليمتزج الرمل مع التربة فيمتص الرطوبة، او بانشاء مصارف «اقنية – مصافي» لترشيح الماء. لكل عشرة امتار ارض قناة بعمق خمسة وسبعين سنتيمتراً، بعرض خمسين سنتيمتراً، فيرشح الماء من هذه الاقنية فتنشف الارض، فتصلح للحراثة في حين اللزوم وتزول رطوبتها. ان وفرة الرطوبة في الارض تسبب مائية زائدة في ورق التوت فتجعله طرياً. ولما كانت دودة الحرير لا مخرج خاص للماء في جسمها كباقي الحيوانات، بل ترشحه من مسام بدنها «جلدها» مثل العرق، فوفرة الماء في الورق زيادةً عن معدّله القانوني وعجز مسام جلد الدودة عن افرازه كله، يبقى منه كمية زائدة عن المطلوب في جسمها، فيسبب لها مرض الاستسقاء «الاصفر» وهذا الداء لا علاج له، وهو غير وراثي ولا هو ميكروبي.

التربية الفنية

ان التربية الفنية الصحيحة تقوم بعملين: الاول عمل تمهيدي يتناول مقدمات التربية وهي انتخاب البزر الجيّد، اصلاح البيوت، التطهير، المدخن. وعمل

تنوي مداره : المنحل ، التربية ، التلحيق .

١ً انتخاب البزر الجيد

ان البعض من اهالي البلاد يولدون البزر على طريقة العلامة باستور الشهير ، وهو المعروف بين العموم بالبزر البلدي ، او الثنوي . وقد نجحوا في عملهم فافادوا واستفادوا . وانني الفت نظر الحكومة الجليلة الى هذا الأمر الهام بان تراقب عملهم ، وان تكافئ المجتهدين منهم باتقان هذا العمل بجائزة مالية تنشيطاً لهم ، وان تضرب على يد المبزر الخائن الغاش تأديباً له وتحذيراً للغير . ثم ان توجب على تجار البزر بان يجلبوه من الجنس الجيد رحمة بالفلاح ، والمالك ، والتاجر ، والدائن ، والمدين . وان تقتص من بعض تجاره الخالين من الذمة والشرف ، اولئك الذين طمعاً بربح طفيف يخدعون شاري البزر ويغرونه برخص الثمن على انه بزر جيد عال مفحوص فحصاً افرادياً ، حال كونه بزراً عاطلاً ، غير مبالين بالخسارة الفادحة . ثم تذيع نشرات على صفحات الجرائد تنصح بها الفلاح ان يشتري البزر الجيد المكفول ، ولو كان ثمنه غالياً ، وان لا ينخدع بترغيب وتشويق التاجر الطماع الخائن فيشتري من بزره المشكوك بجودته لرخص ثمنه توفيراً لبعض دريهمات قليلة لا توازي خسارته بمحل موسمه .

٢ً اصلاح البيوت

يكون ١ً : باعادة تطيينها وتنظيفها ، وذلك قبل زمن التربية لتنشف وتزول الرطوبة ، فانها مضرة . ٢ً : بدهن الحيطان بالكلس « طرشها » وليس بالتراب المعروف بالحوارة التي ، ولو كان لونها ابيض ، فما هي الا تراب . لأن الكلس من اهم المطهرات القاتلة الميكروبات المخزونة في حيطانها . ٣ً : بعمل السقائف « السدة » بجانب الحيطان بحسب الاصطلاح المعروف . وان يكون الفراغ بين الطبقتين لا اقل من شبرين ، اي ثلثي الذراع ، لتجديد الهواء ولمنع تخزن الهواء الفاسد مولد العفونة التي هي من اكبر الآفات على حياة الدود . لانه قد ظهر بالامتحان ان كل طبق دود وجد على ورقه عفونة كانت خسارته تامة . ثم ان الفراغ الواسع يفسح مجالاً للعمل بحرية في اطعام الدود والكشف عليه والتشييح ... ولا اعتبار لاعتراض البعض ان هذه

الطريقة تجعل بيته غير كافٍ لتربية كل موسمه، وانه ليس في امكانه ان يعد مكاناً آخر لتربية الباقي منه . فانني اردّ على اعتراضه باحالتـه الى قول المثل الدارج « ياما احسنه ، لا ياما اكثره ! » اذ انه يستعيض باقبال موسمه ويربح الورق الـذي يذهب سدًى في تربية قزّ غير مقبلة . ٤ : ان يكون لبيوت القزّ ولو شباكاً واحداً من الزجاج لفوائده الجمة واهمها : دخول اشعة الشمس المنيرة للاستنارة ، ودخول اشعتها السوداء لقتل الميكروبات وازالة العفن ، لان الاشعة السوداء هي كلية الفاعلية في التطهير . قال الاطباء وهم صادقون فيما قالوا : « حيث تدخل اشعة الشمس لا يدخل طبيب ، اذ ليس مرض . »

٣ التطهير

ان الآفات القتالة التي تفتك بهذا الحيوان الذهبي الثمين ، كما قد اثبت الامتحان ، هي نتيجة ميكروبات مخزونة في بيوت القزّ وآلاتها من سنة الى سنة ، وليس كما يظنّ البعض ان كلها من عدم جودة البزر .

ان امراض دود الحرير هي على نوعين : ارثي واكتسابي ، والآخر اكتسابي فقط . ان مرضي البربين « التحرق » والفلاشيري « الذبلان » يكونان ارثاً واكتساباً ، واما ميكروب المسكردين « الحرتوق » فلا يكون ارثاً بل اكتساباً فقط ، اي عدوى ، لان القز التي فتك فيها هـذا الداء الوبيل لا يدعها تتحول الى فراشة لتصنع بزراً ، فتكون العدوى اذاً اكتسابية اما من الهواء ، اي ان الهواء يحمل على اجنحته ميكروب هذا المرض من بيوت موبوءة الى بيت سليم يجاوره ، واما من خزن جزة موبوءة ببيت سليم ، او بمشترى او استقراض آلة قزّ تربى عليها قزّ مصابة به . واما من زبل بقر عمل منه طباق جديدة او مسح بها سطح طباق عتيقة مأخوذ من بقر أكلت جزة كان دودها مصاباً بهذا المرض . واما مرضا البربين والفلاشيري فيكونان ارثـاً وعدوى ، وقد يكون تأثير الارث ليس بنقل الميكروب بـل بنقل الضعف في بنية الدود ، او استعداد قابلية لذاك المرض . والعدوى تكون اما من ميكروبات مخزونة في البيوت ، او في الآلة ، او من لمس دود مريض ثم لمس دود سليم ، او من ثيـاب المربـين او الزائرين ، او من الهواء كما في مرض المسكردين « الحرتوق » .

والعدوى من الهواء محصورة في داء اليرقات فقط . فالطريقة اذاً للتخلص من هذه الآفات تكون بقتل الميكروبات بواسطة التطهير.

كيف نطهر بيتك ؟

قد ثبت لنا بالامتحان ان اقرب مادة للتطهير فعّالة ، قليلة الكلفة ، سهلة العمل ، وسهلة الوجود هي راسب الكبريت المعروف بالكبريت السودي بكمية وافرة وافية. فالبيت المؤلف من عمودين (ثمانية امتار طول بخمسة عرض بثلاثة امتار علو...) يكون ١٢٠ متراً مكعباً ، يلزم لتطهيره ست اقات اي ٧٢٠٠ غرام ، لكل متر مكعب ٦٠ غراماً ، فهذه الكمية كافية لتطهيره. واما اذا كان المرض من نوع المسكردين فيلزم ضعف القيمة ، او على الاقل تسع اقات كبريت تحرق كلها دفعة واحدة ، ويكرر العمل بهذا المقدار من الكبريت ستة فستة الى ان يتأكد ملاشاته. والبيت القائم على عمود واحد (ستة امتار بخمسة عرض بثلاثة امتار علو) يكفي لتطهيره من اربع اقات الى ست اقات كبريت ، اذا كان فيه مرض المسكردين. ومن قلل كمية الكبريت عما ورد اعلاه لا يحصل على نتيجة مرضية.

مقدمات التطهير : اولاً سدّ الابواب والشبابيك والطيقان والشقوق وكل المنافذ سداً محكماً ، بعد ان يكون قد تمّ وضع السقايف ، وفوقها الطباق والنزار وكلها يستعمل في التربية بعد غسله بماء جار نظيف وليس بماء ساكن واكد محقون وسخ . ثم يستحضر اثنا عشر قدحاً « شقفة » بجوفة او ما يقوم مقامها ، لكل نصف اقة كبريت شقفة ؛ ثم توزع في عموم البيت توزيعاً نسبياً ، وخاصة في الزوايا ، لان فيها الخفايا . والقصد من تجويف الشقف وكثرتها مفهوم . ثم يوصد الباب ويحكم سدّ شقوقه ، وبعد مرور ٢٤ ساعة من اشعال الكبريت تفتح الابواب والشبابيك وتبقى هكذا مفتوحة مطلقة للهواء ٢٤ ساعة. وان الفائدة من هذا التطهير تشمل الدودة والانسان.

٢ً المدخن

انه لما كان المدخن اي محل التوليد الصناعي « النقف » للدود من اهم

مقدمات التربية الفنية ، وما سيكون له من شديد التأثير على حياة الدود في مستقبل الحين ، فاني آخذ بالاسهاب عنه فاقول : ان القواعد الاساسية الفنية لتدخين البزر هي : ١ً تطهير البيت بالكبريت ووضع مقدمات المدخنة : سقايف ، وجاق ، ميزان حرارة ، فاصل من الخام الابيض ..الخ. ٢ً وضع فاصل من القماش الابيض بين البزر والنار « الوجاق » ، وعلو هذا الفاصل نحو متر ين او مقدار قامة انسان معتدلة . ٣ً وضع البزر داخل هذا الفاصل بعيداً عنه نحو متر ين او اربعة اذرع . ٤ً وضع وجاق حديد تكون قساطله مكوّعة لنشر الحرارة وحفظها بعيداً عن الفاصل مقدار متر ونصف او ثلاثة اذرع . ٥ً وضع ميزان حرارة سنتيكراد معلقاً على القماش الفاصل بين البزر والوجاق خارجاً . وميزان آخر يعلق في السقايف داخلاً ، قصد التدقيق بمعرفة الحرارة ، وعند وجود الفرق بينهما ، تعتبر اشارة الميزان الداخلي . ٦ً التهوية لتجديد الهواء ، بفتح باب وشباك متعاكسين ، اذا وجد ، والا فمتقابلين ، فاذا كان الطقس معتدلاً ، اربع مرات ، لكل ست ساعات مرة ، ليلاً ونهاراً الى مدة لا تكون اكثر من ثلث ساعة ولا اقل من ربع ساعة . واذا كان الطقس رديئاً ، فنصف المدة . ٧ً يلزم تدفئة البيت « المدخن » ، قبل ادخال البزر فيه برفع الحرارة الى درجة ١٦ . وهي الدرجة الاولى من سلم الصعود بدرجات الحرارة لتوليد البزر « نقف » . وتضعد الحرارة في اليوم الثاني الى ١٧ . وفي اليوم الثالث الى ١٨ . وهكذا دواليك الى درجة ٢٢ ، في اليوم السادس . ففي هذا اليوم على الغالب يبتدي نقف « فقس » البزر . ويجب الوقوف عند هذه الدرجة الى ان يتم نقف كل البزر الموجود في المدخن ، لان رفع الحرارة الى ما فوق هذه الدرجة مضرّ لا طاقة للدود الناقف على احتماله مدة ربما تطول الى ٣٦ ساعة ، بدون اكل . وان ما نراه من الدود الماشت مصرصراً في الفطرة الاولى او الثانية او الثالثة هو نتيجة ارتفاع الحرارة عن حدودها المشروحة اعلاه . ٨ً يحرك البزر اربع مرات في الليل والنهار لكل ست ساعات مرّة ، ويتمّ ذلك بتقليب الخرايط الى الجهات الاربع وتعليقها في السقايف عكس التعليق الاول.

(للمقال صلة)

دستور القضاء

بقلم المحامي الكنسي الخوري لويس الخازن

عنوان كتاب حديث وضعه حضرة الاب العالم بولس عبود ، يقع في ٣٣٦ صفحة بقطع ثمانية ، ثمنه ليرة سورية ، يطلب من مطرانية الروم الكاثوليك في بيروت

غير خافٍ على احد ان للقضاء الكنسي ، خصوصاً في نواحينا ، صفة ليس فقط كنائسية دينية محضة ، بل مدنية ايضاً . لان دستور البلاد وانظمتها يقرّان للمحاكم الكنائسية بهذا الحق المشروع ، ويوجبان على المحاكم المدنية النزول عند احكامها ، وعلى الدوائر الاجرائية تنفيذ الاحكام الصادرة من قبلها .

ومن المعلوم ايضاً ان اللغة العربية هي لغة البلاد ، واكثر الاحكام تصدر بها ، ولكن باسف نقول انه حتى الان نرى معظم القوانين والدساتير التي يتحتم على المحاكم الكنائسية العمل بموجبها والركون اليها لم ينقل الى لغة الناطقين بالضاد . ولهذا نرى بعض القضاة يخبطون خبط عشواء ، ولا يلمّون الّا ببعض القشور من قوانين القضاء ؛ بيد ان الغربيين لم يتركوا في تآليفهم في لغاتهم زيادة لمستزيد في هذا الصدد ؛ ولهذا قد اصبح القضاء الكنسي عندهم موضوع احترام لكل من يطالع احكامهم حتى من اخصام الكنيسة انفسهم ، وعكس ذلك نرى في احكام دواوينا ، فقلّ ان تقرأ حكماً صادراً من قبل احدها الّا وترى دلائل الجهل بادية فيه .

فلما احس بهذا الفراغ حضرة الاب العالم بولس عبود عمد الى ترجمة

الكتاب الرابع من مجلة الحق القانوني اللاتيني الى اللغة العربية ، وعلق عليه عدة حواشي مفيدة توضح للقارئ ما غمض من معانيه ، اخذها عن ائمة القانونيين فجاء الكتاب وافياً في بابه ، واضحاً كافياً في اسلوبه ، وهو يحتوي على ٦٤٢ مادة ، ويقسم الى ثلاثة اجزاء: الاول في الاحكام واصولها في عامة الدعاوي ، والثاني في دعاوي تطويب واثبات قداسة عبيد الله خاصة ، والثالث في اصول بعض احكام خصوصية لانزال التأديبات الكنائسية. وكل جزء يقسم الى عدة فصول وابواب لا حاجة الى تعدادها. وقد عني حضرة الاب عبود بترجمة الجزئين الاول والثالث واهمل الثاني ، لان ما جاء فيه من خصائص دواوين رومية فقط.

هذا هو كتاب حضرته الذي حقّ له الشكر عليه من كل من يقرأه ، اولاً لحسن اختياره هذا السفر ، ثانياً لان الترجمة جاءت صحيحة واضحة خالية من التعقيد والابهام.

ولكن ، كما ترى ، فان حضرته قد اهمل النظر ، ولو عن سبيل الايجاز ، في قوانين الكنائس الشرقية عامّة ، لان ما ترجمه يعني اللاتين فقط الّا ما كان منه بطبيعة حاله ، او لورود النصّ ، متعلقاً بالشرقيين. بيد ان لكل من هذه الكنائس قوانين وانظمة مرعية مأخوذة من قوانين الكنيسة القديمة لا يتوجب عليها ، بل لا يحق لها ، استبدالها بسواها مهما كانت لاسيما ما كان منها مقيداً في المجامع المعروفة الحديثة كالمجمع اللبناني عند الموارنة ، ومجمع الشرفة عند السريان ، ومجمع بزمار عند الارمن.

علاوة عن ذلك ، يوجد ايضاً للكنائس الشرقية ، لاسيما في الدعاوى الزواجية والتأديبات الكنائسية ، قوانين وتعاليم وضعها الاحبار الرومانيون يجب السير بموجبها. من ذلك تعليم بنديكتوس الرابع عشر الصادر في ٢ ت٢ سنة ١٧٤١ ، وتعليم جمعية المجمع التريدنتيني الصادر في ٢٢ آب سنة ١٨٤٠ ، وتعليم مجمع البروباغندة الصادر سنة ١٨٨٣ ، وتعليم مجمع السانت اوفيس الصادر في ٢٠ حزيران سنة ١٨٨٣ ، وتعليم المجمع نفسه الصادر في ٣٠ حزيران سنة ١٨٩٢ ، وكذلك تعليم المجمع نفسه الصادر في ٥ حزيران سنة ١٨٨٩ ،

وتعليم هـذا المجمع ايضاً الصادر في ٢٥ حزيران سنة ١٨٨٥ ، وتعليم مجمع البروباغنده بخصوص التأديبات الصادر في ١١ حزيران سنة ١٨٨٠ ، وغير ذلك كثير من التعاليم ممـا تجب معرفته والاعتماد عليـه في الدعاوى الكنائسية في ربوعنا .

اما قول حضرته في المقدمة ، تحت عدد ٣ ص٥ ، بانه يجب على الكنائس الشرقية ان تلجأ في قضائها عند الحاجة الى مجلة الحق القانوني اللاتيني الحديث بدلاً من القديم ، فهذا قول فيـه نظر ولا نعلم من اي وجه يوجب حضرته هذا الالتجاء ، فلو قال يُستحسن ، لربما سلمنا معه .

اخيراً كنا نود من حضرته ان يعتمد في تعريبـه على الكلمات والتعابير الشرعية المألوفة ، لان الالفاظ التي اعتاد ارباب القانون استعمالها اصبحت كالفاظ وضعية لا يجوز استبدالها ، لانه قد يتسرب الى ذهن القارئ اشكال في ادراك المعنى المقصود فمن ذلك قوله : « عناصر المحاكمة » بدلاً من « اركان المحاكمة » — « صورة » بدلاً من «شكل» — « الاستعلام باللسان » بدلاً من «الاستعلام بالمشافهة» او الشفهي — «احداث» بدلاً من «امور» — «لها القوة القانونية» بدلاً من «مرعية الاجراء» — «محامي الوثاق» بدلاً من «محامي السر» — «دفع الحكم الى القاضي الاعلى» بدلاً من «رفع الحكم» — «نقل» بدلاً من « زائد» ، الى آخر ما هنالك مما لو رمنا تعداده لطال بنا المجال كثيراً . ولكن كل هذا لا يغير نضارة التأليف بشيء ، وحضرة صديقنا الاب المترجم من العلماء الاعلام الذين يشار اليهم بالبنان .

ثم لا يسعنا ختـام هذه العجالة من غير ان نوجه كلمة شكر وامتنـان لسيادة الحبر المفضال العلامة المطران باسيليوس قطان ، رئيس اساقفة بيروت على الروم الكاثوليك ، لانه طبع هذا الكتاب على نفقته الخـاصة . فحبذا لو حذا حذو سيادته غيره من السادات ، وساعدوا اصحاب العلم والتأليف على نشر ما لديهم من ثمرات جهودهم خدمة للعلم وللانسانية .

التنوير والفنّ

بقلم انطوان باز

المهندس من المكتب الافرنسي في بيروت ،
ومن مدرسة الكهرباء العليا في باريس

لقد افتتحنا مقالاتنا في المشرق الاغر ، لسنتين خلت ، بمقال عنوانه «التنوير الكهربائي» بينا فيه ماهية اللمبة الكهربائية ، وما احدثته من التغيير في صناعة التنوير ، فاصبح ذلك فناً من فنون الهندسة له قواعده وطرقه. وقد ضربنا صفحاً ، وقتئذٍ ، عن نتيجة ذلك الانقلاب من الوجهة الفنية او الجمال الفني (*côté artistique*) سواء كان في المنازل او المحلات التجارية او الصناعية. واننا نعود اليوم الى الكلام ، فنقول:

اول ما ظهرت اللمبة الكهربائية قابلها العالم اجمع بالاعجاب ، وتهافت الكل على اقتنائها ، غير انه ما عتم ان زالت عنها صبغة الجديد فشقّ على ساكني القصور والمنازل الفخمة استبدال تلك الثريات الحاملات من البلور لآلئ ، بذلك البلبوس البسيط . فاستبقوها ليس فقط كبقايا ثمينة لعصر فائت بل كمصابيح جمعت بين المنفعة والفن . كيف لا وانوار شموعها ، عند المساء ، بانعكاسها وانكسارها ضمن سلاسل البلور ، لابلغ من انوار الكهربائية الساطعة !

وبقيت للشموع رموزها ومقامها الى اليوم . فكم تنير من قصور ، في الليالي الساهرة رغم تقدم الكهرباء !

التنوير وصناعة الزجاج

وادرك الزجاجون الاوربيون ، ومنهم من طار صيتهم كالمعلم الفنان لاليك (Lalique) والمعلمان سابينو (Sabino) وبرزل (Perzel) ، حراجة الموقف فعمدوا الى تطبيق فنّ الزجاج ، خصوصاً البلور بشكله الحالي المعروف «بالزجاج

المرصوص » (*verre pressé*) ، على التنوير الكهربائي. فجاؤوا تارةً بثريات وتارةً بسقوفٍ منوَّرة ، دقيقة الصنع ، جميلة المنظر ، اذا لعبت ببلورها الانوار اضاءت كحلية من الالماس في شمس الضحى. وقد مثلنا ، في الرسم ١ ، احدى تلك الثريات صنع الفنّان سابينو ، طولها تسعون سنتيمترًا وعرضها ثمانون ، تسع واحد وعشرين من الاضوية مختبئة ضمنها ، مخفية عن العيون . فاذا اضيئت لعبت انوارها بالزجاج من انعكاس الى انكسار ، فظهرت كالكوكب الوضّاح.

اما الرسم ٢ فيمثل فانوساً عُمل بشكل حلق من الالماس مستطيل الشكل يعلق في احدى زوايا البهو او في بعض الملهى من بيوت الاغنياء . صفائحه من الزجاج المرصوص جمعت بعضها الى بعض بواسطة اقلام معدنية بيضاء ، وصانعه الزجّاج برزل.

وفي الرسم ٣ ثريّا ، لست عشرة لمبة ، تجعل في السقف ، وكلها من الزجاج المنقّى. عملت بشكل مكعبات منقوشة غاية في الذوق.

ولو تيسّر لدينا صور فوتوغرافية اخرى لنشرنا غير ذلك من الاشغال الساحرة في صناعة الزجاج استخداماً للنور.

التنوير ونشر الدعوة

لم تنحصر صناعة الزجاج في الثريا الكهربائية من جهة التنوير ، بل تعدّتها الى اشياء كثيرة كالاعمدة والينابيع المنوَّرة. ومن الاعمال المدهشة السقوف المنوَّرة ، وهي سقوف من الزجاج المنقّى اضيئت وراءها الوف من الاضوية ، فنثرت من خلال زجاجها اشعتها البيضاء . ولم تخفَ اهمية التنوير على اصحاب الاشغال وخصوصاً التجار ، فعمدوا اليه في بث دعوتهم لايقاف الزبون واستلفات انظاره. وقد حققت محلات «الغاليري لافاييت» في باريس رواقاً امام ابنيتها طوله مئتا متر وعرضه عشرة ، سقفه مجموع مكعباتٍ من الزجاج الابيض المنقّى . وينير ذلك الرواق ، من وراء الزجاج ، الوف من الأضوية ، على اختلاف الوانها . والمدهش هو ان تلك الاضوية لا تضيء الّا حسب نظام موضوع فلا ينير منها مثلاً الا الابيض ، ثم الاحمر ، ثم الازرق ، ثم تتقلب الالوان والانوار فيصير

الرسم ١
اوجه « الميدوز » (على الناووس الثاني)

الرسم ٢
ابو الهول (على الناووس الاول)

الرسم ٣
بعض ما استخرج من الناووسين الرابع والخامس (من اليمين الى الشمال):
سوارا كلوديا پروكلا وتحتهما خاتم من الذهب، والى جنبه فصّه من الزمرّد.
اناء من الزجاج الاخضر القاتم وتحته هتان من البروتز.
قطعتمن البروتز تشبه الدواة.

الرسم ٤
سوارا كلوديا پروكلا الذهبيان
(وجدا في الناووس الرابع)

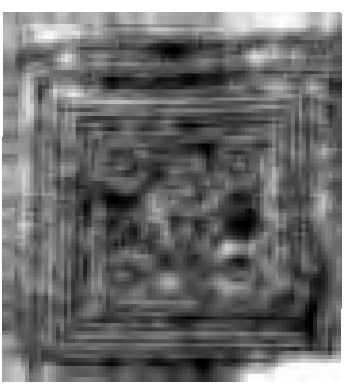

الرسم ٥
اله الحب (على الناووس الرابع)

برتقالياً ما كان احمر ، وازرق ما كان اخضر ، وهلمّ جرّا ؛ الى ان يظهر السقف متموّجاً بجميع الالوان . ولا ادري هل يُصدّق القارئ ان القوة التي تستخدم لانارة سقف ذلك الرواق تبلغ السبعمائة حصان ، اي ما يكفي لانارة مدينة بكاملها .

وقد شاع اليوم ، لغلاء السقوف المنورة ، التنوير المخفي ، وهو يحقق بان تخفى الاضوية ضمن فرز من البناء ، يحيط بالسقف في اعلى الحائط ، ترسل الاضوية اشعتها على السقف فتنعكس على صحن الغرفة او الدار . وفي الرسم ٤ صورة لمقهى شركة القهوة البرازيلية في باريس انير بالطريقة المخفية . ففي المقهى صحنٌ من المعدن الابيض معلق في الوسط ، وضمنه ثماني لمبات كهربائية قوة كل واحدة منها ثلثمائة شمعة ، وقد حكمت تلك الاضوية لكي ترسل اشعتها بشكل شهاب يضرب في السقف فينيره ثم تنعكس انواره فتنير ما في اسفل .

ومن اشهر ما عُمد اليه في التنوير ، لبثّ الدعوة ، الجريدة المصورة وهي احرف من نور تنير امام اعين المارين مركبة الكلمات والجمل حسب المطلوب .

ولا بد لنا ، بهذه المناسبة ، من ذكر اعلان محلات سيتروين للاوتوموبيلات فوق برج ايفل ، ويرى فيه المارّ اسم سيتروين مصنوعاً باحرف من نور من اعلى البرج الى اسفله ، وحواليه نجوم لمّاعة من الاضوية تتموّج بالوان شتى . ويروى ان اكلاف هذا الاعلان بلغت المليوني فرنك ، خلا ما يصرف كل يوم من الكهرباء في سبيل انارته . . .

التنوير والحديد المطروق

ومن الصناعة التي عزّزها فن التنوير صناعة الحديد المطروق . فهذا يستخدم اليوم ليس في البناء فقط ، بل ايضاً في كل ما يتعلق بالتنوير كالقناديل والثريات الكهربائية وغيرها . وقد جاء ثمن تلك الآنية غالياً لغلاء قيمة الحديد المطروق . واننا نأسف لعدم تمكننا من نشر بعض ما يُصنع من الاشغال في هذا الفن .

هذه لمحة يستنتج منها ما بين صناعة التنوير والفن الحديث من الاتفاق ، فالمنفعة اذاً لا تنفي الفن ، ولو كان العكس احياناً صحيحاً .

نوابغ المدرسة المارونية الاولى: ٤

ابراهيم الحاقلي او الحاقلاني (١٥٩٤؟ـ١٦٦٤)

بقلم الخوري بطرس غالب

٤

المؤلف والاستاذ (تابع)

معلوم ان المجمع النيقاوي عقد في صيف سنة ٣٢٥ بناء على دعوة وجهها قسطنطين الكبير الى اساقفة سلطنته وهذا المجمع هو المسكوني الاول . كان القصد من التئامه اعادة السكينة الى الكنيسة وبواسطتها الى المملكة لان آريوس الناكر الوهية السيد المسيح كان قد شوّش الافكار بما القاه ونشره من التعاليم الضالّة والمضلة. فاجتمع في نيقية ٣١٨ اسقفاً اكثرهم من اساقفة الشرق. واجتمع حول الاساقفة عدد عديد من الكبراء والشمامسة والمؤمنين حتى بلغ عدد الجميع الفي نسمة ونيف . وترأس المجمع اوسيوس اسقف قرطبة مستناباً عن البابا سلفسترس يؤازره كاهنان من كنيسة رومية وحضر المجمع قسطنطين الكبير بالذات . فبعد ان قرّر المجمع العقيدة بالوهية المسيح ووضع قانون الايمان النيقاوي الذي لا تزال الكنيسة ترتله في اعيادها وطقوسها، حدّد ايضاً ان يحتفل بعيد الفصح في الاحد التابع لبدر الربيع ، واذا وافق تمام البدر يوم احد جُعل العيد في الاحد الذي يليه.

ثم انصرف الآباء الى وضع قوانين تتعلق بتنظيم الكنيسة وتهذيب الاكليروس وتعيين سلطة الاساقفة . فعلى هذه القوانين دارت ابحاث الحاقلاني ليثبت انها اكثر من عشرين قانوناً بخلاف ما تتمسك به الكنيستان اللاتينية واليونانية . اما الكنائس الشرقية غير اليونانية فانها تقبل قوانين اخرى عديدة غير المذكورة، وعددها جميعها ٨٤ كما قلنا. وهذه القوانين ظلت مجهولة في الكنيسة

اللاتينية حتى الجيل السادس عشر الذي فيه اشار اليها الاب رومانو اليسوعي ، لانه كان قد وجد في خزانة بطريرك الاقباط نسخة من هذه القوانين لكنه لم يقدر ان يحصل عليها ، فاشتراها العلّامة السمعاني في ما بعد واهداها الى المكتبة الفاتيكانية . وقد نقلها الى اللاتينية اولاً توريانوس سنة ١٥٧٨ . ثم جاء الحاقلاني بعده فبحث الامر بحثاً تاريخياً مدققاً فأدى للكنيسة خدمة جلى اذ اثبت صحة نسبة هذه القوانين الى المجمع النيقاوي وايّد بها رئاسة الحبر الاعظم .

اما كون مجمع نيقية سنّ اكثر من عشرين قانوناً فذلك مما لا ريب فيه . لان الكنيسة التي كانت قد نالت حريتها رأت ان من الضروري ان ترتّب احوالها وتسنّ ما يلزم من الانظمة لتنسيق ادارتها وتعيين واجبات كلٍّ من ابنائها حسب ما يعهد اليه من الوظائف فتحدّد مسئوليته وحقوقه . وكذلك فان الملك قسطنطين كان يرغب في ان يوطد أسّ النصرانية في مملكته . فلم يرَ انسب من اجماع آباء المجمع على فرض القوانين وتسليم تنفيذها للاساقفة لئلّا يُضطر هو الى استعمال القوة في حمل الشعب على الخضوع لها .

فاذا تحققتَ ذلك بدت لك ضرورة سن قوانين عديدة تتناول هذه المواضيع المتفرّقة .

اما الاثباتات التاريخية فاخذها الحاقلاني من كتابات الاحبار الاعظمين منها فقرات ذكرت فيها قوانين لا يُرى لها نصّ في العشرين قانوناً التي تحفظها الكنيسة اللاتينية ، ومن هؤلاء الاحبار لاون الكبير وسوزيوس ويوليوس المعاصر لمجمع نيقية . ومن شهادات المجامع البيعية كالمجمع الافسي والانطاكي والأرلي ومن اقوال الآباء كباسيليوس الكبير وايروتيموس واغوسطينوس . واهم شهادة هي شهادة اثناسيوس بطريرك الاسكندرية القديس فانه في رسالته الى البابا مرقس ذكر ان مجمع نيقية سنّ ٨٠ قانوناً .

اختصرنا ما قاله الحاقلاني للافادة حتى يعلم الجميع ما لهذا المؤلّف من الاهمية التاريخية واللاهوتية اذ ان بعض القوانين المحفوظة عند المراطقة حتى اليوم ، وهي المعروفة بالقوانين العربية ، تثبت بنوع جلي رئاسة الحبر الاعظم في الكنيسة نذكر منها القوانين ٣٧ و ٤٤ و ٧١ التي يقال فيها « ان لصاحب رومية

سلطاناً على سائر البطاركة مثل بطرس في سلطانه على رؤساء النصرانية اجمع ، لانه خليفة المسيح على بيعته كلها . ومن خالف هذا القانون يكون محروماً من المجمع . وان المقام الاول يخصّ الحبر الروماني على ما امر به الرسل ، وانه يحق للاسقف الذي يحطه مجمع الاساقفة ان يرفع دعواه الى محكمة الحبر الروماني ، وعلى الجميع ان يرتلوا لحكم اسقف رومية .»

فكان لنشر ذاك البحث تأثيرٌ شديد في الكنيسة فقرّظه الذين طالعوه ، ونثروا على واضعه ابرهيم الحاقلاني درر ثنائهم .

ومع انهماك علّامتنا بالتأليف وجمع المواد اللازمة لكتابه الاخير الشهير ، اي الانتصار لافتيشيوس ، كان يهتم بما ينفع طائفته ساعياً في طبع الكتب الطقسية . فانه في السنة ١٦٥٠ راقب طبع الفنقيط الشتوي ، وساعده في ذلك المطران اسحق الشدراوي الذي كان فحص ترجمته الى اللاتينية ، بالاشتراك مع الشماس جرجس ابن العريان ، والخوري يعقوب الحصرونيين ، ومرّاشيوس واجازوا طبعه . وهذه الترجمة باشرها مرهج ابن غرون الباني ، ابن اخت الحاقلاني ، فكمل الطبع على يد يوسف بن داود البلوقيتي ، في سنة ١٦٥٦ .

وحين كان اسطفان الدويهي تلميذاً في المدرسة المارونية ، كان الحاقلاني يُعنى به ويهتم بامره ، ولمّا قرب ميعاد رجوعه الى وطنه سنة ١٦٥٥ ، سعى الحاقلاني في تعيينه من قبل المجمع المقدس مرسلاً رسولياً . فتوفق بتخصيص معاش له قبل ان يغادر رومية ، وما سيم الدويهي كاهناً في ٢٥ آذار سنة ١٦٥٦ حتى أُرسل للكرازة والتبشير وقد اشتهر خصوصاً في حلب حيث قضى نحو خمس سنوات يعظ المؤمنين بمثله وتعليمه .

وفي تلك الآونة نشر الحاقلاني دفاعه عن ترجمة الكتاب المقدس المطبوعة في باريس ، ردّاً على انتقاد مناوئيه وكان ترك باريس نهائياً في سنة ١٦٥٣ ، بعد ان نشر تاريخاً للشرق مأخوذاً عن مصدر عربي قبطي ، من جملة ما ورد فيه تاريخ خلفاء مصر وبطاركة الاسكندرية الاقباط حتى الجيل الثالث عشر . واضاف اليه ملحقاً في تاريخ العرب قبل الاسلام . ومؤلف التاريخ هو ابن الراهب القبطي ، كتبه في الاسكندرية في ١٣ بشنيه سنة ١٠٢٣ للشهداء المقابل

لثلاثة ايام خلت من شهر ذي القعدة سنة ٧٠٦ هجرية.

ولما عاد الى رومية نشر لائحة الكتبة السريان لمؤلفها عبد يشوع الصوباوي ، اسقف تصيبين ، وعلق عليها الحواشي الضافية المفيدة ، وجعلها تقدمة للكردينال فرنشيسكو بربيني الذي كان آنئذٍ في باريس ، في حماية الكردينال مازارن ، لان شعب رومية كان قد هاج عليه وطلب من البابا اسكندر السابع حطه عن مقامه . فعارضهم مازارن وجعل الكردينال بربيني في حمايته وخلصه . اما اللائحة المذكورة فكان قد اخذها الحاقلاني من دير الصليب في القدس ، لكنها لم تكن متقنة بل مشحونة اغلاطاً ، وقد خلط الحاقلاني بين الصوباويين . ولذا اعاد السمعاني طبع هذه اللائحة في مكتبته الشرقية ، وصحح ما كان سالفه قد شطّ فيه . اما المطبعة التي اهتمت بنشر هذه اللائحة فهي مطبعة يوسف البلوقيتي من عائلة بيت هلال.

ويُذكر للحاقلاني نسخه بيده كتاب رتب وضع اليد «السيامذه» وكتاب «الكهنوت» لمؤلفهما مار يوحنا مارون . واشترك مع العالم لاون الآسيوس في تأليف كتاب جمعت فيه الادلة المثبتة اتفاق الطوائف المسيحية الشرقية في عقائد الايمان ، وقد طبع هذا الكتاب في مدينة مايَنس.

ونشر كتاب الصلوات الفرضية للموارنة ، بعد ان صدّق الترجمة نسيبه مرهج ابن نمرون سنة ١٦٥٦.

وبعد سنة انتخب البطريرك جرجس البسمعلاني خلفاً للسعيد الذكر البطريرك يوحنا الصفراوي ، فاسرع الى ارسال معتمد يحمل صورة اعترافه بالايمان ، مع صكوك انتخابه ، الى مقام الحبر الاعظم لينال التثبيت ودرع ملء الرئاسة ، وكلّف بهذه المهمة راهباً كملياً ذا فضيلة ممتازة . انما شدّة التعب ومشاقّ الاسفار أضنت قوى الرسول فما لبث ان فارق الحياة الفانية بعد وصوله الى رومية بمدة وجيزة . عندئذٍ كتب رئيس الكرملتان الى البطريرك يطلب منه ان يفوّض الى راهب آخر ان يقوم بالمهمة المذكورة. لكن المساعي التي بُذلت لم تأتِ بنتيجة ، فظنّ البطريرك ان بعض ابناء طائفته كتبوا عرائض ضده الى رومية لان بعضهم كتب اليه من رومية ان الدرع لا يُعطى بدون نفقات. فاغتم

كثيراً لهذا التأخير ، وكاد يقنط لانه كان يقول هما الداعي لهذا التسويف وقد نال اسلافي الدرع حالاً دون ابطاء ؟ ماذا صنعت للكرسي الرسولي حتى اعامل هذه المعاملة ؟ » وزاد في غمّه ازدراء الروم والمراطقة به ، وكانوا قد ألّفوا اغاني عامية يردّدها الشعب للتهكم عليه . والامر المدهش هو ان البطريرك ، كان رجل الله يعيش عيشة نسكية لا يأكل اللحم ابداً بل يصوم صيامات كثيرة ، ويحب قطيعه محبة فائقة ويساعده ما استطاع ، وخصوصاً في تلك الايام التي كان فيها الحمادية يسومون الموارنة عسفاً وظلماً . فانه باع حتى اثوابه وما في كرسيه من فرش ، على حقارته ، ليساعد بنيه ، واضطر ان يهرب من كرسيه مرتين ، فنهبها الحمادية وتركوها بحالة يرثى لها .

ففي تلك الضيقة ، التفت البطريرك الى ابناء الطائفة الموجودين في رومية ، وخصوصاً الى الحاقلاني ، صاحب الكلمة المسموعة في البلاط الروماني ، وكتب اليه يشكو حالته ويطلب مساعدته واليك ترجمة الرسالة التي بعثها ننشرها ليطلع القرّاء على الحالة النفسية التي سببها تأخير وصول الدرع الرئاسي اليه . وتاريخ الرسالة ١٥ آذار ١٦٦٠ ، ومصدرها قنوبين :

الحقير جرجس بطرس بطريرك الموارنة الانطاكي

بركة سيدنا يسوع المسيح تحلّ على ولدنا العزيز ابرهيم الحاقلاني . لتحلّ بركة الرب عليك وعلى اولادك وعائلتك وقواك . امين

وصل لدينا ولدنا العزيز رئيس الكهنة يعقوب الحصروني ، وهو حامل الكتب والكؤوس والاثواب البيعية وسائر الامتعة التي ارسلها سيدنا الكلي القداسة البابا اسكندر السابع بفضل مساعيك . وقد وصلت كلها كما جاء في لائحة المجمع المقدس . ان رئيس الكهنة يعقوب قد اثنى الثناء الطيب على محبتك واجتهادك وتعلقك بالطائفة المحبوبة ، فسرّنا ذلك جداً وجلّ ما نرغبه ان تواصل السير على هذه الخطة . فليباركك الرب . كذلك فرحنا كثيراً لشديد تعلقك بأميرنا المحبوب جداً الرفيع المقام ابي نوفل باستحصالك له على رتبة فارس وعلى امتيازات اخرى من لدن الكرسي الرسولي . ونرغب ان تتم محبتك جدّ الاهتمام في قضاء مصالح طائفتنا حتى يبقى لك ذكر طيب وشكر جزيل . فضلاً عن ذلك نعلم محبتك بما يتعلق باتخاباتكم ارسلنا اليك من الكتابات حتى تساعد من جهتك لتنال لنا التثبيت من قداسة سيدنا الحبر الاعظم ! لكنه حتى اليوم لم يجدّ علينا شيء ولا نعرف ما حصل من هذا القبيل ، نجهل الاسباب التي لاجلها يُماطَل في قضاء هذه المسئلة التي ما زالت تتأجل من مدة طويلة . فعليه لثقتنا بتمام اجتهادك نرغب اليك ان تمد يدك لمعاونة الاباء الكرملتان بما تستطيع بكل

اجتهاد لانجاز الشؤون المذكورة المتعلقة بنا كما كنا قد سبقنا وكتبنا لك . فان رجاءنا موضوع في الله تعالى وفي محبتك. ونكرر لك البركة.

ان براءة التثبيت كانت قد صدرت قبل ذلك من لدن الحبر الاعظم اسكندر السابع ، بتاريخ ٥ نيسان ١٦٥٩ ، ثم تلاها رسالة من البابا نفسه الى البطريرك المذكور صدرت بعد شهرين من تاريخ الاولى ، يُقرّ بموجبها البطريرك في سلطته ويطلب منه ان يبرز حسب العادة المألوفة صورة الاعتراف بالايمان ، وصورة قسم الامانة للحبر الاعظم ويوقعهما بخط يده امام مطراني اهدن وحوقا ، او امام احدهما لتُرسَلا الى رومية . وكانت الرسائل الاولى قد غُيّر فيها العبارات المعتادة وعوض التثبيت طلب البطريرك رضى الحبر الاعظم بالانتخاب فكان ذلك من اسباب تأخير ارسال الدرع الذي كان قد قرّر منحه البطريرك قبل ان كتب الكتابة الاخيرة للحاقلاني ، لان البابا اسكندر السابع اثبت انتخاب البطريرك في مجلس الكرادلة المنعقد في ٢٦ ايار سنة ١٦٥٩ . لكن البراءة لم تصل الّا في شهر آب سنة ١٦٦٠.

فمن رسالة البطريرك التي ذكرناها يتضح جليًا ان تأخير التثبيت كان قد احزن البطريرك ، وان الحاقلاني لم يكن ليهمل مصالح طائفته . يدلّك على ذلك تكليف رؤسائها اياه ان يقضي امورًا شتى يجتهد بكل قواه لينال حلّها بالشكل المرضي ، بما يسر السيد البطريرك . ويثبت ما قدمنا ان الحاقلاني كان ذا نفوذ واعتبار لدى الباباوات والكرادلة والملوك ، كما قال عنه القس الياس عويضه النزيري في زجليته عن تلاميذ رومية.

وشاس ابرهيم حاقلاني · مشهور بعلم الكلداني
علمه مشهور بين الناس عند البابا والجلاس
عمل غراماطيق سرياني يورث حياة الابدية
دائم كان مرفوع الراس بيواب الكردينالية

وكان في تلك السنة قد هيّأ كتابه المشهور « الانتصار لافتيشيوس » وضعه في اللاتينية ، وترجمه منها المطران يوحنا الحصروني ، مطران طرابلس ، لكن هذه الترجمة فُقدت ، وقدمه للموافقة فكلف الاب فرنسوا ده سانت اوغسطين ان يفحصه فقرّظه قال : « ان هذا الكتاب جاء طبق المرام مستندًا الى حجج

قوة ، سلس العبارة . يبرهن مؤلفه اقواله بحذق ويثبتها اثباتاً ، يهاجم بشدة ، تجد فيه الدقة ومضاء العزيمة وصدق اللهجة . اما براعة المؤلف في اللغات الاجنبية فتكسب اقواله قوة غير اعتيادية . انشاؤه هجومي ، لكنه يمتاز بما فيه من الاتقان .»

وقال مرّاشيوس احد الفاحصين : « ان الكتاب حصن منيع قام في وجه خصوم الكنيسة الرومانية المقدسة ولهذا اعتقد انه يستحق ان يُكتب بماء التبر وان يلمع لمعاناً خالداً . فليعش المؤلف طويلاً بمنّه عزّ وجلّ لخير الكنيسة حتى يدافع عن الدين الكاثوليكي بمؤلفات كهذه ويفضح جنون الكافرين الاشرار المملوء ضرراً في العالمين وينظفهما منه تماماً .»

طبع الكتاب في السنة ١٦٦٠ فجاء مؤلفاً بديعاً دحض فيه الحاقلاني اقوال البروتستانت في اصل رئاسة البابا وسلطان الاساقفة ، وخصوصاً ترهّات العالم البروتستاني سلدانوس الذي تعقبه الحاقلاني وبيّن فساد مزاعمه .

فبحق وصواب وصفه الاب يوسف العينطوريني اليسوعي ، تلميذ المدرسة المارونية ، في قصيدة هاك ترجمتها :

« عقلك الشامل جمع بعهد جبال لبنان الذهبية القمم وغنى الاردن وخمر التيبر . بشدة « مراسك تؤدب بكلامك «الانكليزي» (سلدانوس) ، وبعد حصولك على السلام والامان « بقهرك العدو تلبث متحفزاً للقتال . لكنك حليم في ذكائك تكرّم اسم الاب الجليل (الحبر « الاعظم) برغائبك وقلبك وتلفك . من يمكنه ان ينكر انك قلت كلاماً خالداً جديراً بالارز الذي اعطي مجد لبنان واللاسيوم (بلاد الرومانيين) متحدّين»

ومع انكباب الحاقلاني على التعليم ، كانت مساعيه لا تزال متواصلة لخدمة طائفته . فانه اجتهد كل الاجتهاد لمساعدة الخازنيين في مراميهم السياسية ، ونال للشيخ ابي نوفل رتبة فارس روماني ، وحمل البابا على التوسّط لدى الملك العريق في المسيحية ليسمي ابا نوفل قنصلاً فرنسياً في بيروت . فكتب اليه البطريرك جرجس البسبعلاني يثني عليه اجمل الثناء كما سبقنا وقلنا .

وفي تلك السنة باشر الحاقلاني ، الذي كان قد سمّاه البابا اسكندر السابع ترجماناً ورئيس كتبة اللغات الشرقية في رومية ، وضع الجزء الاول من فهرست المخطوطات الشرقية في المكتبة الفاتيكانية . لكنه لم يتمكن من انجازه ، فواصل عمله نسيبه يوحنا بن متى بن غرون الباني . ثم جاء بعدهما السمعاني

الكبير فقام بالعمل ، وألف مكتبته الشرقية المشهورة التي لا تزال مرجع المدققين.

ومما لا بد من ذكره ان جود العائلة المديشية سهل لعلمائنا ان ينشروا مصنفاتهم القيمة ، وبالخصوص الاميران فرديناند ثم ليوبولد الذي رُقي فيما بعد الى مقام الكرادلة . وبناء على طلبهما ومدهما يد المساعدة ، ترجم الحاقلاني شرح مقالات ابولونيوس ، لابي الفتح ، وهي مقالات مشهورة في العالم كله ، ترجمها علامتنا الى اللاتينية فقال فيه مرهج ابن نمرون : « ماذا اقول في الرجل الذائع الصيت في العالم اجمع ، الذي اعزّ مقامه اوفر الرجال علماً في اوربة وامراء الكنيسة لنبوغه في المعارف ، واجزلوا عطاءه وتكريمه.» وترجم ايضاً مرآة العالم في الادبيات من اللغة الفارسية الى اللاتينية.

وله غير ذلك من المؤلفات والترجمات التي اعلت مقامه بين العلماء ، واكسبته نفوذاً عند ارباب السلطتين الروحية والمدنية.

وافته المنون في اليوم الخامس عشر من شهر تموز سنة ١٦٦٤ في رومية ، بعد ان كان الحبر الاعظم سمّاه حافظاً لخزانة مار بطرس ، فبرح هذه الفانية شبعاناً من الايام ، بعد حياة ملأتها خدماته العظيمة للعلم وللدين ولطائفته.

قال عنه العلامة رينودوت في تأليفه «دوام الايمان»: « ان شهرة الحاقلاني العالية ومؤلفاته المشتهرة عند العلماء الذين لم يجهلوا اعتبار الاحبار الاعاظم له وعطفهم عليه ، قد اصبحت معروفة لدى كل احد . وقد كرّمه رجال العلم الاوفر شهرة في اوربة.»

وفي التذكار المئوي لانشاء المدرسة المارونية الذي احتفل به سنة ١٦٨٥ ، قد نُظم في مدحه الشعر الآتي تعريبه:

«ولد لخير الادب والحكمة فلمع ببراعته في اللغات وبعلمه المتنوع ولذا شمله الامراء والاحبار بعطفهم العظيم لانهم عالمون انهم لا يستطيعون ، بدون مساعدة الآداب ، ان يملكوا او يحسنوا تدبير الملك. طلبه اولاً الى فرنسة لويس الثالث عشر ثم لويس الرابع عشر . ساعد مساعدة نشيطة في طبع الكتاب المقدس ونشر مؤلفات كثيرة في الفلسفة والرياضيات ، وكتب كثيراً ضد الاراطقة. وقد ظن بصواب ان افضل ما يزين به عقله تخصصه لخدمة الدين».

والحق يقال ان هذا العلامة لم يضع وقته ، ولم يدفن الوزنات التي اعطاه اياها سيده ، بل تاجر بها وربح عشر وزنات مثلها.

فانه خدم العلم بما جمعه من مخطوطات ، وما ترجمه منها ، وما ألف من كتب . وخدم الدين بمصنفاته الآئلة لتأييد الحقائق التي تعلمها الكنيسة ، ولبيان اتفاق فروعها المختلفة على تلك العقائد ، وخدم طائفته بما نال لها من عطف الاحبار الاعاظم والكرادلة وكرمهم ، وبما جعله لها من المنزلة بين الامم وباعلاء شأنها بما يشرّف البشرية ويرفع مقامها . فحق على الطائفة المارونية ان تخلّد ذكره بين الذين تفتخر بهم .

ونختم هذه النبذة بايراد بعض المخطوطات القيمة التي جمعها الحاقلاني للمكتبة الفاتيكانية ، وهي الى الآن تعرف باسمه :

العهد العتيق ، سرياني . طبعه المطران سركيس الرزي .

الشرطونية المارونية ، جزءان كتبت سنة ١٥٠٧

الشرطونية والرتب اليعقوبية ليعقوب متربوليت ميافارقين ، نسخت سنة ١٥٧٢

التواقيع المستعملة عند الموارنة ، نسخت سنة ١٥٣٥

التواريخ المختلفة لاسماعيل بن ايوب ، لابن الراهب ، لغريغوريوس ابن العبري

قوانين وعظات القديس انطونيوس ، وايضاح الليتورجية لمار يوحنا مارون ، وايضاح الايمان لاهالي جبل لبنان

زحليات ابن القلاعي وعددها ٢٣

دواوين زهير ، وابن الوردي ، وابي بكر ، وابي اسماعيل ، وعبد الرحمان السيوطي

غراماطيقات مختلفة عربية او سريانية .

كتب فقه اسلامية .

تاريخ مراكش .

الى غير ذلك من المخطوطات التي لها تتمة كلائحة كتبة السريان لعبد يشوع الصوباوي ؛ وكتب طبية عديدة تعرف من مطالعتها ما هي الدرجة التي بلغها الاطباء من العلم والحكمة في ما مضى من الازمنة .

هذا ما استطعنا جمعه من المعلومات عن علّامتنا الحاقلاني . وعسى ان يوفّق الغير الى اكثر من ذلك .

تنبيه — قلنا في الجزء الاول من هذه النبذة ان المحالفة التي كان يُسعى في عقدها بين البابا والامير فخر الدين وفراندوق توسكانا كان من مقتضياتها ان يولّى احد افراد عائلة بربريني على فلسطين ، وفراندوق توسكانا على قبرس ، والصحيح ان المقصود كان تولية الامير تاديو بربريني على قبرس ، وحفظ الاراضي المقدسة لفراندوق توسكانا . فاقتضى التنبيه الى ذلك .

(انتهى)

في سبيل ثقافتنا العامة : ٢

النقد الادبي

فائدته — طريقة العملية

بقلم فؤاد افرام البستاني
استاذ الآداب العربية في كلية القديس يوسف

نشرنا في جريدة «البشير» ، لاربع سنوات خلت ، سلسلة ابحاث في ماهية النقد الادبي ، وتاريخه عند العرب ، وتطوره حتى عصرنا . وقد سُئلنا مراراً منذئذٍ عن طريقةٍ عملية للنقد الصحيح ، يطبقها طلاب الصفوف العالية في درس الآثار الادبية ، فتمكنهم من فهم عناصر الجمال فيها ، ومن التعبير باسلوب مقبول عن ائتلاف هذه العناصر وتساوقها لاحداث التأثير الفني الظاهر في كل أثر من روائع الفكر البشري ؛ وآخر ما شعرنا بالحاجة الى هذه الطريقة في شهري حزيران وتشرين الاول الماضيين ، اثناء تصليح مسابقات المتقدمين لامتحان البكالوريا اللبنانية ، اذ رأينا اكثر الطلاب يخبطون في نقدهم هائمين بين قواعد الصرف والنحو والبيان ، دون اهتمام بالفرق الجوهري بين نقد المعنى ونقد المبنى[1] . فرأينا ان نجمع في مقال مختصر ما نراه ضرورياً من قواعد النقد الادبي ، ونبسطه باسلوب سهل ظاهر التقسيم ، فيتمكن الطلاب من حفظه ، وتطبيق اقسامه على كل قطعة يطلب منهم نقدها . . .

وغنيّ عن البيان ان النقد الادبي من اخصب الفنون الادبية فوائد للمرتاض ، ومن اوفر التمارين العقلية نتائج للمتأدب . لانه يحصر نطاق الفكر في درس قطعة معلومة فيجدّ الذهن في البحث عن محاسنها ومساوئها ، فيفتح الفاظها وتعابيرها ، ويحلل جملها وفقراتها ، فيشاهد الكاتب في معمله ينتقي من المعاني

١) راجع ما قلنا عن هذا النقص واسبابه في مشرق السنة الحالية ، ص: ٢١٢ و ٢٨١

اوفقها ومن التعابير اليقها ، ويحضر الشاعر في مختبره يختار من الصور اوفرها سطوعاً ومن العواطف ارقها تأثيراً ، ومن القوافي ابعدها صدى . ثم يسير متنقلاً من فكر الى آخر حتى الفكرة الشاملة فيعرضها على محك بصيرته وذوقه ويرتقي منها الى صاحبها ، اي المؤلف ، فيدرس عقليته ، مجتهداً في تصور زمانه ومكانه وتفهم عوامل بيئته ، وما كان لكل ذلك من التأثير الحسن او السيء ، في القطعة المذكورة . ثم يدرس الصلة بين الفكرة الشاملة والافكار الثنوية من جهة ، وبين هذه الافكار واسلوب التعبير عنها من جهة اخرى . ويعود وقد مرّن ذهنه بدرس ذهن المؤلف ، وروّض مخيلته باتباع مخيلة المصور ، ورقّق شعوره بالاحساس بشعور الشاعر ، وربّى ذوقه بعرضه على ذوق الكاتب ، فيصبح ادق بصيرة ، من ذي قبل ، في درس الآثار الفنية ، واصوب حكماً على مولدات الفكر البشري ، واوفر احساساً بالجمال على مختلف مظاهره .

هذا ما يستفيده الناقد ، او ما ينبغي له ان يستفيده ، اذا اعمل بصيرته في القطعة المطلوب درسها ، وسار في عمله على اسلوب قويم يقوده الى لبّ النقد الادبي .

اما هذا الاسلوب فسنجتهد في تحديده ، وبسط اقسامه ، وماهية كل منها ، مرتبين كلامنا على اربعة اقسام : اولها التوطئة ، وآخرها الحكم العام :

التوطئة : ذكر المؤلف ، وتحديد مركز القطعة في تأليفه

لا يخفى انه كثيراً ما تكون القطعة المطلوب نقدها منتخبة من تأليف مشهور ، فقد تكون وصفاً لليل او للجواد او للقتال ، مأخوذاً من احدى المعلقات ، او رأياً لابن خلدون في تأثير الهواء في الاخلاق ، او درساً حكمياً للغزالي ، او ما شاكل . فينبغي للناقد ، والحالة هذه ، ان يجتهد في تبيان الصلة بين هذه القطعة المنفصلة ، وما فُصلت عنه من سائر قطع الكاتب او الشاعر في تأليفه ذاك ، مشيراً الى آرائه المهمة ونتائجه التي تجب معرفتها لفهم القطعة المذكورة . ومن ثمّ يتطرّق الى ذكر ما يعرفه عن المؤلف ، مما يفيد الموضوع الحالي ، وما وقف عليه من الظروف المكانية والزمانية التي دفعت الكاتب

الى تأليف كتابه عامة وهذه القطعة خاصةً . اما اذا كانت القطعة منفردةً ، مستقلةً بنفسها ، كأن تكون مثلاً خطبةً تامة لعلي بن ابي طالب ، او مقامةً للهمذاني او الحريري ، او قصيدةً برأسها للمتنبي او لابي تمام ، او رواية كاملة للاصبهاني ، او مقالة عصرية ، او ما شاكل ، فلا حاجة الى التوقف عند ذكر الصلة بينها وبين سائر آثار الكاتب ، بل يُكتفى بذكر المؤلف ، والظروف التي قد يكون ذكرها ضرورياً جداً اذا كانت القطعة تاريخية او تمت الى حادث تاريخي ، كما نرى في رسائل علي الى معاوية ، وفي قصائد المتنبي وفي اكثرية مقالاتنا وقصائدنا العصرية . فاننا لا نفهم حق الفهم رسائل نهج البلاغة ، ولا مدائح المتنبي لسيف الدولة ، ولا مقالات ولي الدين يكن مثلاً ، ان لم نلمّ ، وان سطحياً ، بحروب علي ومعاوية ، وبمعارك سيف الدولة ، وبظلم عبد الحميد ومناهضته للاحرار .

وبيّنٌ ان الطالب بعيدٌ عن ان يدرك ، وحده ، هذه المعلومات ، فيجب على على المعلّم اذاً ، او على الفاحص ، ان يقرن القطعة المطلوب نقدها بما يلزم من الافادات عن المؤلف وذكر الحوادث الظرفية التي دفعته الى تأليفها . فيكون من واجبات الناقد ان يسبك ذلك بجملة مقبولة واسلوب مختصر ، متحاشياً التطويلات والشروح النافلة التي لا تتناسب وسائر اقسام النقد ، فيضيع وقته ووقت مطالعه ، ويخرج عن الموضوع المقصود .

القسم الاول: تحليل القطعة

نريد بالتحليل درس تكوين القطعة قسماً قسماً ، وتفكيكها جزءاً جزءاً ، مع اظهار اللحمة بين هذه الاجزاء ، وعرضها بطريقة مصغّرة تغني المطالع عن قراءة النصّ المذكور . واذاً فعلى الناقد أن لا يخلط بين التحليل والحلّ المعبّر عنه في عرف البيانيين « بان يعمد الكاتب الى ما نظمه غيره فيرويه بالنثر » ، وان لا يخلط ايضاً بين التحليل والشرح ، وهو أن يعمد الى فكرة الكاتب فيوسّعها او يعلّق عليها . فكم من الطلّاب ، اذا طلب منهم نقد قصيدة من مدائح المتنبي ، ينصرفون سريعاً الى حلّها بيتاً بيتاً فيوردون بنثرهم المضطرب الركيك ، ما اودعه الشاعر نظمه الرشيق المتين . واذا فُرض

عليهم نقد خطبة من نهج البلاغة ، يسرعون الى شرح بعض الفاظها فيذكرون ما يلفت نظرهم فيها من نكات اعرابية او نحوية ويكتفون بتعليق شيء من الشرح على بعض فقراتها ... ليس هذا من التحليل في شيء . اما التحليل الذي نقصد ، وهو العمل التمهيدي للنقد بحصر المعنى ، فيقوم بأمرين :

١ً - غاية المؤلف

لكل عاقل غاية في ما يتفوّه به من الاقوال ، او في ما يأتيه من الافعال ، فكيف بالمؤلف يذيب دماغه ويحيي لياليه في قرض مقطوعة ، او تحبير مقالة ، او تدبيج خطبة ! فاول ما يجب علينا اذاً ، هو التفتيش عن غاية المؤلف في قطعته . وقد يُقال لهذه الغاية الفكرة العامّة ، او الشاملة ، او المسيطرة ، او قصد المؤلف ... وكلها كلمات لا عبرة باختلافها الظاهر اذ ان مضمونها واحد يكون تارةً وصف حادثة ما ، او درس اخلاق ، او تصوير مظهر من مظاهر الحياة ، او ايراد حكمة ، او سرد قصّة واقعية او مخترعة ، او مدحاً او هجاء او غير ذلك من فنون الانشاء المتعدّدة التي يسير بينها المنشئون ، فيختارون ما يروقهم ، ولا اعتراض عليهم في شيء من ذلك . اذ لا يمكننا ان نلوم المؤلف لتفضيله موضوع فخر مثلاً على سرد حكاية ، او لميله الى درس بعض الاخلاق عن درس مظاهر الطبيعة . والخلاصة ان للمؤلف ملء الحريّة بانتقاء اي موضوع شاء ، على ان يظلّ ذاك الموضوع ضمن الحدود الادبية التي يقرّها الذوق الكامل المهذّب ، وتتطلبها اللياقة الانسانية الجديرة بالاعتبار والاحترام .

٢ً - طريقة المؤلف للوصول الى غايته

ان وجود الغاية او القصد يفرض وجود طرق واساليب يسير عليها المؤلف للوصول الى تلك الغاية ، او لبلوغ ذاك القصد . وهنا ندخل القسم الثاني من تحليل القطعة ، الا وهو تفكيك اجزائها ، واحداً بعد واحد ، للاطلاع على اللحمة بينها ، والوقوف على نوع ترتيبها بعضها الى بعض لنفهم الطريقة التي ادّت بصاحبنا الى غايته . وبكلمة اخرى علينا ان نحلّل الافكار الثنوية في القطعة لنرى تساوقها كلها الى تحقيق الفكرة العامّة ، وهو ما يسمّى بدرس

التقسيم ، او باعادة رسم القطعة المحللة . مثلاً لو فرضنا قصيدة ينظمها المتنبي في سيف الدولة ، « لكل امرئ من دهره ما تعوّدا ! » مثلاً ، فتكون غايته فيها او فكرته العامة المدح . اما ما يورده من مفاخر سيف الدولة كتعوّده الغلبة ، وذكائه ، وترفعه عن الملوك ، وبطشه بالروم ، وادلاله على الخليفة ، وحكمته ، وكرم سجاياه وأريحيته الخ . . . فيكون من الافكار الثنوية التي يجب علينا تعدادها والاشارة اليها في القصيدة واحداً بعد واحد ، ثم ترتيبها على النسق الذي اوردها به الشاعر . علينا ان نقوم بذلك على طريقة وضعية بحتة ، اي خالية من كل عبارة قد يظهر منها الذم او المدح . لان واجب الناقد الاول ان يبسط غاية المؤلف الذي ينتقده ، ويجلي اقسام مؤلفه ، على اسلوب خارجي محض وافر البرودة ، كثير الدقّة الوضعية ، يترفع عن العاطفة والميل . حتى اذا فرغ منه تناوله بالنقد ، وهو القسم الثاني من بحثنا .

القسم الثاني : النقد

اما النقد فيدور على شيئين ايضاً : نقد المعنى ، ونقد المبنى .

١ – نقد المعنى

تقدّم أن نقد الفكرة العامة ، او غاية المؤلف ، لا يتيسر عادةً ؛ وعليه يجب الانصراف الى نقد التقسيم . ويكون بالنظر في تلك الاجزاء التي عرضناها سابقاً بطريقة وضعية ، فنأخذها الآن فكرًا فكرًا ، ونحكم على كل واحد منها : اوّلاً بحدّ نفسه ، ثمّ بالنظر الى مركزه من التأليف . ولا بدّ هنا من ايراد مثل يوضح هذه القواعد النظرية . فلنرجع الى قصيدة المتنبي ، ولنسأل نفسنا إزاء كل معنًى : هل هذا حسن ام لا ؟ وهل هو موافق ؟ مثلاً : هل وصف سيف الدولة بالبطش حسن في حد نفسه ؟ فان كان الجواب نعم ، انتقلنا الى السؤال الثاني وهو : هل وصف سيف الدولة بالبطش موافق لغاية الشاعر في هذه القصيدة ؟ فان كان نعم ، ثنينا بسؤال جديد فقلنا : وكيف ذلك ؟ ثم انتقلنا الى المعنى الثاني ، وهكذا الى ختام القصيدة . ولكن لا يتوهمنّ الناقد ان من واجبه تعداد الاسئلة ، او سبكها كلها بقالب واحد ، او الوقوف بها عند كل معاني القطعة ! لا فان كثيراً من القطع لا

يحتمل مثل هذا التدقيق في البحث ، وان كثيراً من المعاني لا تستحق هذا الاهتمام . فعلى الناقد ان يعتمد على بصيرته وحسن ذوقه . اما اذا كان الجواب عن السؤال الاول او الثاني سلبياً ، فيلزمنا القول: لماذا ؟ وما هو المعنى الاحسن ؟ او ما هو الاوفق ؟ وكيف كان يجب على الشاعر ان يسير حتى يصل الى غايته على اهون طريق ؟

ولا يخفى ان للثقافة الادبية الحقة ، وللعادة النقدية الصحيحة ، وللذوق السليم المهذب الدور الاول في تحقيق هذا النقد ، وافراز المعاني الموافقة من غيرها ، وترتيبها كلها وفقاً لمنفعتها واهميتها بالنسبة الى الغاية المتوخاة ، ولاسيما ان كانت القطعة متعددة الافكار ، متباينة الاقسام ، متشعبة المقاصد الثنوية ، كما نرى في اكثر قصائدنا القديمة .

٢ – نقد المبنى

ولا يتصورنَّ الناقد انه اذا انتهى من هذا العمل ، فقد اتمَّ مهمته ونال الفائدة الناتجة من النقد الادبي ! لقد قام بشيء مهم ، ولكنه لم يقم بكل شيء . نقد المعنى ، فبقي عليه نقد المبنى . وما المبنى الّا الطريقة الخاصة بكل مؤلف ، يلجأ اليها اذا ما اراد ان يوصل ما يجول في خاطره ، وما يختلج في فؤاده ، وما يتمثل امام مخيلته ، الى قرائه . ما المبنى الّا الانشاء اللاصق بشخصية الكاتب الى درجة دفعت بوفون الى القول : « ان الانشاء هو الرجل نفسه ! » ما المبنى الّا الاسلوب المندمج في روح الاديب الى حدّ جعل فاكيه يقول: « انما يخلد الانسان باسلوبه ! » بهذا المعنى الواسع نفهم المبنى ، ونرى من الضروري ان يتبسط الطالب في نقده . واول ما يجب عليه ان يقف على الصفة العامة لهذا المبنى ، سواء كان اسلوباً نثرياً بما يجرّه من توازن بين الفقرات وتوفق في اختيار المفردات ، او شعرياً بما يقوم به من وزن ، وروي ، وصناعة . ثم عليه ان يلاحظ العلاقة بين الاسلوب الانشائي المستعمل ونوعية الغاية وما يقود اليها من الافكار الثنوية ، فيسأل : هل يوافق هذا الاسلوب الفسيح او الهادئ ، او المقتضب ، او العصبي او . . . للتعبير عن المعاني الغضبية ، او الحكمية ، او العاطفية الساكنة او . . . ثم ان كان كل ذلك موافقاً ،

هل احسن الكاتب باستعمال اسلوبه ؟ وكيف ذلك ؟ وان لم يحسن ، اي اسلوب كان عليه ان يستعمل ؟ ولماذا ؟

وبعد هذه الملاحظات العامّة ، ينحدر الناقد الى جمل المؤلف ، فيتتبع ابتكاراته، وتعابيره الشخصية . وهنا المجال افسح من مجال المعنى ، اذ لا يخفى انه من الاسهل بما لا يُقاس على الكاتب ، ان يكون مبتكراً في تعابيره ، من ان يكون مبتكراً في معانيه ، لان « الشعراء لم يغادروا متردّماً » . بهذه التعابير الفرديّة تبدو مظاهر شخصية الكاتب الادبية ، فعلى الناقد ان يتتبعها حتى يؤلف منها صورة لتلك الشخصية ، وليجتهد في ان تكون تامّة . ثم ينحدر ايضاً الى نقد الكلمات ، فيرى فيها كما رأى في التعابير ، حسنها الذاتي ، وموافقتها للمعاني . ويجب عليه في هذا القسم ان يقوم بما يلزم من الشروح اللغوية لاسيما في ما خصّ الكلمات الوضعية ، او الدقيقة ، او التي استعملها المؤلف عن قصد خاصّ ، فيفتحها الواحدة بعد الاخرى ، ويستخرج مضمونها فيعرضه على الفكرة التي شاء المؤلف الباسها تلك الكلمة . ومن الضروري هنا ان يستعمل القاموس ؛ لان في مؤالفة كتب اللغة من النفع ما لا يكاد يتصوّره اكثر اساتذتنا ، وما لا تهتمّ به ، لسوء الحظّ ، جمهرة طلّابنا . فينتج من كل ذلك ان الاساتذة يتعوّدون شرح الكلمات بترادفاتها — والترادف الحقيقي في اللغة قليل وقليل جدّاً ، ان لم نقل غير موجود ! — فينسون الفروق الدقيقة بين كلمتين تشتركان بالمعنى العامّ ولكنهما تتباينان بما تجرّه كل منهما من الجوّ الخاصّ بالمعاني الثنوية ، فتقلقل المعاني ، اذ ذاك في ادمغة التلاميذ ، فيلجأون الى التقريب ، في فهم النصّ الادبي ، وخصوصاً في شرحه .

وفي هذا القسم ايضاً ، مجالٌ للاشارة الى ما يستحقّ الذكر من الملاحظات النحوية ؛ ولا نريد بها اعراب الكلمات ، كما قد يتوهّم البعض . فالاعراب ليس من النقد الادبي في شيء ، وان بدا لازماً احياناً لفهم تركيب دقيق او لتحديد موقع لفظة ما . وعلى الناقد ان يأخذ منه بمقدار ، وان ينتبه خصوصاً لما يهمّ الوقوف عنده من التراكيب الخاصّة او التعابير التي قد لا توافق مشهور المألوف

عند النحاة ، كأن يسمع مثلاً ، في نقده قطعة من روايات الاغاني ، احد اشخاص ابي الفرج يقول مستفهماً : «وانا اصنع ماذا ؟» فيشير الى استعمال اداة الاستفهام بعد الفعل ، فيدلّ على معرفته القواعد من جهة ، وتيقّظه لكل بادرة تستحق الذكر من جهة اخرى.

وعلى الجملة نرى ان واجب الناقد ، في ما خصّ القواعد، لغويةً كانت او نحوية ، يقوم بان يستعملها، لا لاضجار المطالع باعراب مفردات القطعة او بشرح الفاظها لفظة لفظة ، بل للاشارة الى ما لعلّه يفيد الغاية العامّة من النقد بأن يوفر له ابداء بعض الملاحظات المهمة.

الختام : الحكم العامّ

جرينا في نقدنا ، حتى الآن ، على اسلوب تحليلي محض بادئين بالمركّب فالبسيط فالابسط ، منحدرين من الغاية العامّة الى الافكار الثنوية ، ومن الاسلوب الاجمالي ، الى التعابير ، فالى الالفاظ . وهو افضل اسلوب للوقوف على مركبات القطعة الفنية واحداً واحداً ، ولمس اللحمة الظاهرة او الخفيّة التي تجمع شتاتها وتجعل منها وحدةً ادبية . وقد آن لنا ان ننتقل الى استعمال الاسلوب الجمعي ، فنلقي الحكم على هذه الوحدة ، بعد أن القيناه على اجزائها. ويكون ذلك بتلخيص ما تقدّم من الملاحظات ، وباختصار حكم نهائي عام نحدّد به القطعة المفروضة ، ذاكرين ما تقتضيه من التعليق من حيث الادب والفنّ او الاخلاق او التاريخ ، متجنبين ، في هذا ايضاً ، ما تجنبناه سابقاً من الاندفاع العاطفي مع المؤلّف او عليه ، ومن الملاحظات العامّة ، وطرق التعجب المبتذلة التي تفيد كل شيء ولا تفيد شيئاً . ثم نرتقي مجالاً اعلى نلقي منه نظرة اعمّ واشمل تتناول شخصية المؤلّف ، صاحب القطعة ، بجمعها اذا امكن ، فنصفها بحكم مختصر ايضاً ، ونبيّن موافقة القطعة المفروضة لما نعرفه من اسلوبه الانشائي وطريقته الفنية.

هذا ما رأينا بسطه من قواعد النقد الادبي ، فعسى ان يكون فيه ما يدفع متأدّبينا الكرام الى التبصر في ما يقرأونه من النصوص الادبية ، ليتفهموا ما فيه من جمال ، ويقتربوا منه في آثارهم.

«انت الصفاة»

لمة

في رئاسة القديس بطرس وخليفته الحبر الروماني

سُئلنا : ما الرأي ، من الوجهة الكتابية والتاريخية ، في القول الآتي :
« بطرس احد الزعماء وليس الرئيس . والكنيسة المقدسة احترمت بابا رومة كزعيم ذي شأن وليس كرئيس مُطاع ؟ »
فنُجيب :

١

الزعم الاول
« بطرس احد الزعماء وليس الرئيس »

المفهوم من هذا الزعم ان المسيح الربّ ، لاسمه المجد ، لم يُنشئ كنيسة منظورة واحدة ، بل كنائس متعدّدة اي فئات شتى ، لا يحكم في امرها رئيس سامٍ فرد ، بل لكل منها « زعيم » مستقل تماماً عن غيره . وانما بطرس واحد منهم ليس الّا .

وهذا ما تنقضه تماماً اقوال الربّ عينه في الانجيل الطاهر . فاذ ابتدأ يكرز عزّ وجلّ ، كان يقول (متى ٤ : ١٧) : « توبوا فقد اقترب ملكوت السماوات » بالمفرد . ولم نسمعه قطّ يثنّي او يجمع ملكوته الذي هو كنيسته وقال ايضاً : على الصفاة سأبني « كنيستي » (متى ١٦ : ١٨) لا كنيستيّ ولا كنائسي . بل صرّح جلياً ان رعيّته ينبغي ليس ان تكون « واحدةً » فحسب ، بل « لراعٍ واحد » (يو ١٠ : ١٦).

وهذا ما فهمه الرسل كما يُستدلّ من مواضع عديدة[1] وعلّموه المؤمنين

١) راجع اعم ٩ : ٣١-٣٢ ؛ ١٥ : ١٦ ؛ ٢٠ : ٢٨ ؛ ١ كور ١٠ : ١٧ ؛ ١٣ : ١٢ الخ.

الاولين . جاء في تعليم الرسل[1] « اذكر يا ربّ كنيستك . . . واجمعها من اربع اقطار المسكونة مقدّسةً لملكوتك » وقال القديس يوستينوس[2] : « ان الذين يؤمنون بالمسيح هم نفس واحدة ومجمع واحد وكنيسة واحدة . » وما اصرح قول القديس كبريانوس[3] : « واحدٌ هو الله وواحدٌ هو المسيح وواحدةٌ هي الكنيسة وواحدٌ هو الكرسي المؤسس بصوت الربّ على الصخرة . »

ولا تتوهمنَّ ان رابطة الوحدة هذه انما هي روحية محضة . فهي منظورة ظاهرة كما انّ الحظيرة هي منظورة ظاهرة . فالوحدة التي توخّاها المسيح هي :

١ً : وحدة الاعتراف بايمان واحد . فقد قال (متى ٢٨ : ١٨) للرسل : « تلمذوا كلّ الامم . . . . وعلّموهم ان يحفظوا جميع ما اوصيتكم به » وايضاً (مر ١٦ : ١٥—١٦) : « اذهبوا الى العالم اجمع واكرزوا بالانجيل للخليقة كلها . فمن آمن واعتمد يخلص ومَن لم يؤمن يُدان . » وتلك كانت عقيدة الرسل[4] والآباء منذ اوائل النصرانية ، منهم يوستينوس المذكور آنفاً وهيجيزيبوس[5] وهو يسمّي هراطقةً « الذين انفردوا بزعامهم الخصوصية . . . لأنهم اذ استنبطوا تعليماً مشوهاً . . . فسخوا وحدة الكنيسة » وقال القديس ايراناوس[6] في القرن الثاني للمسيح : « كما ان الشمس هي واحدةٌ في العالم اجمع لا تتغير ، كذلك يسطع التبشير بالحقيقة في كل الانحاء ويُنير كلَّ بني البشر ، الذين يرغبون ان يأتوا الى معرفة الحقيقة . . . لان الكنيسة الجامعة لها في المعمور كله ايمانٌ واحدٌ لا يتغير . »

٢ً : وحدة الشركة . وقوامها بان يكون كل اعضاء الكنيسة ، افراداً وفئاتٍ ، مرتبطين معاً ، على شكل جسم ادبيّ واحد ، وعائلةٍ واحدة ، وجامعة واحدة . فهم مشتركون بذبيحة واسرار وصلوات واحدة .

١) *Didachè* 10 : 5
٢) *Dial. c. Tryph.* 63
٣) *Ep. ad plebem*, 5
٤) راجع غلا ١ : ٨ — ١ كور ١ : ١٠ — افس ٤ : ٥ الخ .
٥) ذكره اسابيوس في تاريخه الكنسي ٤ : ٢٢ .
٦) *Adv. Haer. I*, 10 : 23

هذا ما يُفهَم من الاستعارات التي عبَّر بها الرب والرسل عن كنه الكنيسة. فهي في عرفهم صرحٌ ذو اساس واحد ، وملكوت تُسلَّم مفاتيحه الى امين واحد[1] ورعيَّة لراعٍ واحد[2] وجسم مجهَّزٌ منظَّم واحد[3].

وهل من مجال للشك في ان الوحدة المنشودة هي التي قصدها الرب في صلاته بعد العشاء حيث هتف قائلًا (يو ١٧):

«ايها الآب القدوس احفظ باسمك الذين اعطيتهم لي ليكونوا واحدًا كما نحن واحد . . . ليكونوا باجمعهم واحدًا كما انك انت ايها الآب فيَّ وانا فيك ، ليكونوا هم ايضًا واحدًا فينا . . . . ليكونوا واحدًا كما نحن واحد ، انا فيهم وانت فيَّ ، ليكونوا مكملين في الوحدة . »

٣ : وحدة السلطة والرئاسة . وقوامها بخضوع كل المنتمين الى كنيسة المسيح لسلطة منظورة واحدة . وانما متقلدو هذه السلطة هم الاساقفة المتحدون بالسدّة البطرسية ، الخاضعون لها.

فلا لعمري ليس بطرس «احد الزعماء» بل هو الرئيس الاعلى ورئيس الرؤساء وراعي الرعاة . عليهم ، هم ومرؤوسهم ، ان يتقيدوا بتعليمه وباوامره في كل ما يتعلق بالعقيدة والاداب والتهذيبات . ومن منهم انفصل عنه فقد انفصل عن الكنيسة الحقيقية.

واليك النصّ الذي بهِ حدّد المجمع المسكوني الفاتيكاني هذه العقيدة[4]. قال :

«ان قال احدٌ ان الطوباويّ بطرس الرسول لم يُقم من المسيح الرب رئيسًا على كل الرسل ورأسًا منظورًا لكل الكنيسة المجاهدة ، او انه اخذ من ربنا يسوع المسيح اولية الشرف فقط ، وليس اولية الولاية الحقيقية الصحيحة ، فليكن محرومًا . »

وفي الانجيل الطاهر نصوص صريحة جليّة ، تؤيد التحديد المذكور ، ممّا لا يترك ادنى مجال للشكّ ، اللهمّ فيمن سلمت اذهانهم من الاوهام. واليك شيء من هذه النصوص:

١ – كان المسيح قد سأل الرسل:

---

١) راجع مت ١٦ : ١٨–١٩ .
٢) راجع يو ١٠ : ١٦ ٣) راجع روم ١٢ : ٤–٥ ؛ ١ كور ١٠ : ١٧ الخ.
٤) الجلسة ٤ والرأس الاول – راجع ايضًا الرأس الثالث.

«وانتم من تقولون اني هو . فاجاب سمعان بطرس قائلاً انت المسيح ابن الله الحي . فاجاب يسوع وقال له طوبى لك يا سمعان بن يونا . فانه ليس لحم ولا دم كشف لك هذا لكن ابي الذي في السماوات . وانا اقول لك انت الصفاة وعلى هذه الصفاة سأبني كنيستي وابواب الجحيم لن تقوى عليها . وسأعطيك مفاتيح ملكوت السماوات وكل ما ربطته على الارض يكون مربوطاً في السماوات وكل ما حللته على الارض يكون محلولاً في السماوات . » (مت ١٦: ١٥ - ١٩) .

وانك ترى جلياً ان المخاطب في النص المذكور هو شخص مفرد اسمه سمعان واسم ابيه يونا . فله وحده إذن ، وله رأساً ، يعد الرب يسوع ما يعد . والموعود به انما هو لا محالة سلطة الولاية على كل الكنيسة التي عزم الرب على انشائها فقد قال :

١ - « انت الصفاة ، اي الصخرة ، وعلى هذه الصفاة سابني كنيستي وابواب الجحيم لن تقوى عليها» ولا شك ان لفظة «كنيستي» ، بدون ما اضافة شرط ولا قيد ، تدل على كل كنيسة المسيح . وقد لقب ، عز وجل ، سمعان «بالصفاة» دلالة على انه يكون الصخرة التي ستُبنى عليها الكنيسة . والمعنى ان سمعان يخوّل كنيسة المسيح كلما يخوّل البيتَ اساسه الصخري ، بان يجعل كل اجزائه مترابطة متلاحمة ، فيبقى متيناً لا تزعزعه عوامل الخراب .

وكون معنى الاستعارة التي استعملها الرب هو على ما شرحنا ، فيستفاد بنوع ظاهر من قول سابق له ، عزّ وجلّ . فقد قال في ختام عظته على الجبل (مت ٧: ٢٤ - ٢٥) :

«كل من يسمع كلامي هذا ويعمل به يُشبه رجلاً حكيماً بنى بيته على الصخر . فنزل المطر وجرت الانهار وهبت الرياح واندفعت على ذلك البيت فلم يسقط لان اساسه كان على الصخر . »

فلبطرس اذاً ان يجعل كنيسة المسيح واحدةً متينة لا تزعزعها قوات اعدائها ، التي تدلّ عليها «قوات الجحيم» سواء عُني بهذه العبارة الموت او القوات الشيطانية ، وهو الرأي الاشيع . ففي الرأي الاول يُفهم من قول يسوع ان الكنيسة لن تموت ، لن تتلاشى ، لانها مؤسسة على سمعان . وان كان الثاني فالمؤدى انها ، بفضل الاساس عينه ، لن تتزعزع ، مهما صادمها الشيطان او اعوانه من ابالسة وبشر .

ب «ساعطيك مفاتيح ملكوت السماوات» اوَليس انَّ من سلّم اليه سيده مفاتيح بيتٍ او مدينة ، كيما يفتح ويغلق على ما يرى ولمن يرى ، فقد سلّطه عليهما سلطة تامة مطلقة. فيكون الرب ، اذ وعد سمعان بمفاتيح ملكوت السماوات ، اي كنيسته على الارض ، قد وعده بسلطة تامة سامية على الكنيسة.

ج — وكي لا يخفى هذه الحقيقة ادنى ريب ، شاء الرب ، جلّت مراحمه ، ان يُفسّر لنا بذاته معنى لفظة المفاتيح. فقد قال فيما يليها : «كلّ ما ربطته على الارض يكون مربوطاً في السماوات. وكل ما حللته على الارض يكون محلولاً في السماوات . » والمراد انه لما كان بطرس عتيداً ان يتقلد السلطة السامية التامة على الكنيسة ، من اجل هذا اضحى كأن الله يتكلم بفمه . فهو تعالى يُقرّ في السماء كل ما يقرّره بطرس على الارض . فالله يربط ما ربط ويحلّ ما حلّ. وهل من حاجة الى البيان ان الرباط المقصود هنا ، انما هو الرباط الادبي ، الذي يُعبّر عنه بالالزام. افلا يكون اذ ذاك معنى كلام الرب ان قرارات بطرس تتقيد بها ضمائر ابناء الكنيسة كلهم . فان فرض عقيدة او عملاً فعليهم ان يؤمنوا ويخضعوا ، وان نهى فعليهم ان يمتنعوا ، والّا فقد اساؤوا الى الله الديّان بعينه.

٢ — وقد انجز المخلص وعده لبطرس بعد قيامته على ما ذكر الرسول يوحنا في انجيله حيث تقرأ (٢١ : ١٥ — ١٧) :

«قال يسوع لسمعان بطرس يا سمعان بن يونا أتحبني اكثر من هؤلاء. قال له نعم يارب انت تعلم اني احبك. قال له ارعَ خرافي. قال له ثانية يا سمعان بن يونا اتحبني . قال له نعم يا ربّ انت تعلم اني أحبك. قال له ارعَ خرافي. قال له ثالثةً أتحبني فقال له يا رب انت تعلم كل شيء وانت تعلم اني احبك. فقال له ارعَ غنمي.»

فظاهرٌ من هذا النصّ ان كلام الرب موجّه الى بطرس واليه وحده . فانه يدعوه باسمه واسم ابيه ، بل يميّزه صريحاً عن زملائه قائلاً : اتحبني اكثر من هؤلاء. وظاهرٌ ان يسوع يخوله السلطة السامية على كل الكنيسة . وظاهرٌ ان الخراف والغنم تدلُّ على الكنيسة بكل افرادها بدون استثناء ، وقد سبق للرب ان دعاها حظيرته (يو ١٠ : ١١ — ١٦) وسيأتي ان يُعنى بالخراف المرؤسين وبالغنم الاساقفة ، على ما فهم اكثر المفسرين ، او ان يُقصد باللفظتين كل

جمهور المؤمنين . فهل يمكن ، حتى في المعنى الثاني ، ان نستثني الاساقفة من رعاية بطرس ، ما لم ننكر انهم من حظيرة المسيح ، معاذ الله ! وهل من حاجة الى الاسهاب في تفسير لفظة «إرعَ» ؟ وحيث يكون مفعولها خرافاً عاقلة ناطقة ، كما هو الواقع هنا ، افلا يكون مدلولها سلطة التدبير والحكم ؛ أم ليس هذا ما قصده بعض الملوك من الاقدمين اذ لقبوا انفسهم رعاةً ؟

٣ – ومما يؤيد الحقيقة التي نحن بصددها ظروف جزئية ، يعثر عليها مَن يتصفح اسفار العهد الجديد ، وقد يخالها لاول وهلة طفيفة لا طائل تحتها ، الّا انه لا يلبث ان يُنعم النظر فيها ، إذ يراها تتكرّر مراراً عديدة . فيحاول تعليلها فلا يجدُ لوقوعها تفسيراً سوى السلطة السامية المطلقة التامة المخوّلة من الرب لبطرس . من ذلك :

ا – انَّ اسم « الصفاة » هوَ من وضع الرب عينه ، وذلك قبل ان يعد رسوله بالرئاسة السامية . فقد ذكر القديس يوحنا (يو ١ : ٤٠ – ٤٢) انه لما جاء اندراوس باخيه سمعان الى يسوع «نظر اليه يسوع وقال : أنت سمعان بن يونا أنت تُدعى كيفا الذي تفسيره الصفاة . » وقال انجيليٌّ آخر (مر ٣ : ١٦) : «وجعل لسمعان اسم بطرس» ومعلوم ان الاسماء التي من وضع الله لا بد ان تأتي مطابقة لمن تُطلق عليهم . واما ما اراد المخلص ان يعبّر عنه بتسميته سمعان بطرس ، اي الصفاة والصخرة ، فظاهرٌ فيما ورد في الفصل الـ ١٦ من انجيل متى على ما مرّ بك .

ب – ومثل هذا المنزلة الرفيعة التي لبطرس دون سواه في الاسفار المقدسة . فانّا نرى يسوع يعلّم من سفينته ، واليه وحده ، بعد الصيد العجيب ، يوجّه القول (لو ٥ : ١٠) : «لا تخف فانك من الآن تكون صائداً للناس» . وهو اول من غسل يسوع وجليه (يو ١٣ : ٦) واول من يجب من الحواريين ان يُبلَّغ خبر القيامة السيّدية (مر ١٦ : ٧) بل اول من منهم يظهر له الرب بعد خروجه من القبر حيا (لو ٢٤ : ٣٤ – ١ كور ١٥ : ٥) .

ج – ومن ذلك ايضاً المحلّ الاوّل الذي خُصّ به بطرس في الكتب المذكورة : كان اندراوس قد تبع المسيح قبل اخيه . ومع هذا نرى ان

« انت الصفاة وعلى هذه الصفاة سأبني كنيستي وابواب الجحيم لن تقوى عليها »
(متى ١٦ : ١٨)

خليفة القديس بطرس
قداسة الحبر الاعظم
يوس الحادي عشر
المالك ـ سيدنا

المكان الاول في كل قوائم الرسل محفوظ لبطرس[1] بل قد لاحظوا ان متى[2] يقول صريحاً في قائمته : « الاول سمعان المدعو بطرس » ويكتفي بان يسرد اسماء الباقين من الحواريين بدون ما يرتبهم بان يقول مثلاً : « والثاني اندراوس والثالث يوحنا . . . »

د — وللسبب عينه وكل الربّ الى بطرس ان يثبت باقي الرسل . فقد ذكر القديس لوقا (٢٢ : ٣١—٣٢) ما نصّه : « قال الربّ : سمعان سمعان هوذا الشيطان سأل ان يغربلكم مثل الحنطة . لكني صلّيتُ لاجلك لئلّا ينقص ايمانك وانت متى رجعت فثبّت اخوتك » فكيف يُثبت الآخرين من ليس له عليهم سلطة ؟

ه — وهي سلطة بطرس السامية التي مكنته من الاعمال التي اتاها بعد الصعود . فهو الذي يتصدّر انتخاب متّياً وهو اوّل من يبشر بالانجيل يوم العنصرة واول من يؤيده بمعجزة[3] . الى غير ذلك مما تعلّله سلطة بطرس تعليلاً يرتاح اليه العقل[4] ومما اذا نظرنا اليه ، ليس بكل مفرداته على حدة ، ولكن بها مجموعة ، يدلّ ولا شكّ انّ لبطرس على زملائه مزيّةً لا معنى لها ، ما لم يكن معترَفاً له بسلطة حقيقية سامية عليهم جميعاً .

وهذا ما فهمه الآباء ، منذ اوائل الكنيسة ، على ما يتضح من كتابات لهم عديدة[5] ، يطول بنا سردها في هذه العجالة . بل يكفينا ان نذكر في جزءها الثاني ما قالوا وأتوا دلالةً على إعتقادهم بسلطة خلفاء بطرس .

٢

الزعم الثاني

« والكنيسة المقدسة اعترفت بابا رومة كزعيم زي شأنه وليس كرئيس مطاع . »

هذا ما يكذّبه التاريخ تماماً . واليك الادلة :

١) راجع مت ١٠ : ٢—٤ ومر ٣ : ١٦—١٩ ولو ٦ : ١٤—١٦ واعم ١ : ١٣ .

٢) في المحل المذكور . ٣) راجع اعم ١ : ١٥ ؛ ٢ : ١٤ . . . ؛ ٣ : ٦ .

٤) راجع اعم ٧ : ٢—٨ ؛ ١٥ : ٦ . . . ؛ ٩ : ٢١—٢٢ ؛ غلا ١ : ١٨

٥) راجع Tertulianus, *de Præscript.* 22 ; — Origenes, *In Ep. ad Rom. c. VI, l. V, circa finem* ; — Cyprianus, *de Unitate Eccl.*, 4, etc....

١ : في اواخر القرن الاول للمسيح ، اذ كان بعدُ يوحنا الرسول في قيد الحياة ، كتبَ اسقف رومة ، القديس اكليمنضوس ، الى كنيسة كورنتس التي كان قد اسسها بولس الرسول عينه ، رسالةً ضافيةً ، لا معنى لها لولا اعتقاده بما له على الكنيسة المذكورة من السلطة الحقيقية الخليقة ان تطاع . واليك بعض ما جاء في الاثر المذكور :

«عارٌ وعارٌ للغاية ان يُسمَع ، وغير خليق بالطريقة المسيحية ما قد تحققناه . الا وهو ان كنيسة كورنتيين المتينة والعريقة في القدم تثور على كهنتها بسبب انسان واحد او اثنين . . . فيا ايها الذين اقمتم اسس الفتنة كونوا بالطاعة خاضعين للكهنة وتقبلوا التأديب للتوبة . . . وليخضعوا لما يقوله المسيح بلساننا فليعلموا انهم يعرّضون بانفسهم الى اساءة وخطر ليسا بطفيفين . واما نحن فنكون قد برّأنا ذاتنا من هذه الخطيئة . . . وقد ارسلنا رجالا امناء يكونون شاهدين بينكم وبيننا . . . »[1] .

فهل تختلف لهجة اكليمنضوس عن لهجة باباواتنا ، ام سلطته عن سلطتهم ؟

وما احسن ما وصف به القديس ايراناوس[2] هذه الرسالة حيث قال : « انها قويّة للغاية » (ἱκανοτάτη) . ومع ذلك فقد تقبلها الكورنتيون بكل اكرام بل جرت العادة طويلةً من بعد ان تُتلى في مجتمعات المؤمنين ليس بكورنتس فحسب بل في غيرها من المدن .

واكليمنضوس هذا تلميذ الرسل ومثله القديس بوليكربوس اسقف ازمير الذي نراه يقصد رومة ، بالرغم من كبر سنه ومشقات السفر البعيد ، كيما يسأل البابا انيكيتوس حلّا للمسألة الفصحية .

٢ : ومن تلاميذ بوليكربوس في القرن الثاني القديس ايراناوس الذي سُقف على مدينة ليون . فتكون شهادته ناطقة بايمان وتقاليد الكنائس الاولى في فرنسة وايضاً في الشرق الذي نشأ فيه . وقد عُني هو ايضاً لدى الحبر الروماني بالمسألة الفصحية فكتب الى البابا ڤيكتور رسالة[3] يرجو منه بها ان لا يحرم الكنائس الاسيوية العديدة ، لداعي تمسكها وتتلمذ بالتاريخ الفصحي ، الذي كان قد عيّنهُ الرسل انفسهم ، على سبيل تهذيب كنسي محض . وما كان

(١) *Ep. I Clem. ad. Cor.* ٤٧ : ٦ ; ٥٧ : ١ ; ٥٩ : ١ ; ٦٣ : ٣.

(٢) *A. dv. Haer. III.* ٣ : ٣.

(٣) راجع التاريخ الكنسي لاوسابيوس ٢٤ : ٢

اسهل على ايراناوس ان ينال مرامه لو كان لا يعتقد اعتقادنا بسلطة البابا المطلقة. فكان يمكنه اذ ذاك ان يقول له : « انت زعيم ذو شأن لا رئيس مطاع » والكنائس الاسيوية مستقلة عنك فليس لك ان تغيّر تهذيباتها ولاسيما تلك التي انشأها فيها الرسل . على ان ايراناوس لم يستند الى مثل هذه البراهين لانه كان يعتقد بملء السلطة في الكنيسة للحبر الروماني . فاقتصر في رسالته المذكورة على الالحاح لدى البابا ڤيكتور ان يعامل الكنائس الاسيوية في هذه القضية التهذيبية بحلم وتساهل ، اسوةً بسلفائه الستة من عهد البابا كسيستوس.

وقد صنّف ايراناوس سفراً جليلاً ضدّ البدع الكاذبة . ومما يبسط فيه طريقتان للحصول على معرفة الحقيقة :

«احداهما استطلاع الكنائس ، التي يتصل اساقفتها بالرسل بتسلسل متواصل . فالامر الذي تتفق عليه هذه الكنائس يكون الحقيقة بعينها . واما الطريقة الاخرى ، وهي اعجل واسهل ، فانما تقوم بالتنقيب عن تقليد الكنيسة العظمى ، العريقة في القدم ، المعروفة لدى الجميع ، وهي التي انشأها واقامها في رومة الرسولان المجيدان بطرس وبولس.»(١

والسبب في كون رأي الكنيسة الرومانية هو ، بمعزل عن سواه ، كافٍ وافٍ ، يوضحه ايراناوس بقوله :

«فان هذه الكنيسة (الرومانية) ، لما من الاولية القديرة ، يجب ان تقصدها كل كنيسة ، اي المؤمنون من كل صقع ، اذ لا يزال دوماً محفوظاً فيها ، من الذين هم من كل صقع ، التقليد الذي هو من الرسل» (٢

والمعنى الظاهر انّ الكنيسة الرومانية لها على سواها ميزة خاصة ، مما لا بد لاجله ان تؤمن باقي الكنائس ايمانها وتعتقد اعتقادها.

وللقديس اغناطيوس الشهيد اسقف انطاكية ، في القرن الثاني ، اقوال تشهد بتعلقه بالسدّة البطرسية وخضوعه للجالس عليها . وذلك خصوصاً في رسالته الشهيرة الى الرومانيين.

٣ : ومثله في القرن الثالث ترتليانوس ، فانما يكون قبل انشقاقه ، وكيبريانوس وديونيسيوس الاسكندري.

---

١) *Adv. Haer. III*, 3 : 2.

٢) في المحل المذكور

٤ : وكان الاوسابيون في القرن الرابع عزلوا القديس اثناسيوس الاسكندري عن كرسيه. فرفع هـذا ، كما والاوسابيون انفسهم ، الامر الى البابا يوليوس الاول . فصرّح الحبر الروماني بوجوب اعـادة اثناسيوس الى كرسيه وانكر على الاساقفة الاوسابيين اقدامهم ، عن غير ترخيص منه ، على خلع الاساقفة ولاسيما الاسقف الاسكندري ، من مناصبهم . قال : «هل تجهلون ان العادة هي ان يُكتَبَ اولًا الينا ومن هنا يصدر القرار بما هو عادلٌ»[1]

وذكر سوقراط[2] ، لذلك العهد عينـه ، «أن يولس اسقف القسطنطينية واسكليباس اسقف غزّة ومرشلوس اسقف انقره ولوسيوس اسقف ادريانوبوليس طُردوا من كنائسهم لاسباب مختلفة . فاتوا الى رومـة حيث عرضوا قضاياهم ليوليوس الاسقف الروماني . وان هذا ، نظرًا الى ما للكنيسة الرومانية من الميّزات ، ارجعهم الى الشرق مشفوعين برسائل منـه ، واعادَ كلًا منهم الى كرسيه . وفي الوقت ذاته وبّخ الذين كانوا قد اقدموا على عزلهم.»

٥ : وكذا يوحنا فم الذهب ايضاً ، في القرن الخامس . فانه لما تعدّى عليه ثيوفيلوس واشياعه وعقدوا مجمعاً فيه حطّوه من كرسيّ القسطنطينية ، كتب رسالته المشهورة[3] الى البابا اينوشنسيوس الاول يستنجده على ظالميه . قال : «التمس اليك ان تكتب ان الامور هذه ، التي انما وقعت ظلماً ... ، لا قوة لها ... وان تُنزل في الذين اتوها عقابات الشرائع الكنسية.»

ولك فيما جرى بمجمع افسس المسكوني ، عام ٤٣١ ، برهانٌ تاريخي ساطع على اعتقاد الكنيسة المقدّسة بسلطة الحبر الروماني الفعلية الخليقة ان تُطاع . كان البابا شلستينوس ، قبل انعقاد المجمع ، اي في العام ٤٣٠ ، اصدر حكمه على نسطوريوس . ثمّ عيّن القديس كيرلس الاسكندري وكيـلًا عنه كيما يتصدّر المجمع بالنيابة عنه . وامر قصّاده ان يراعوا كرامة الكرسي الرسولي بان لا يتدخّلوا بالمجادلات بـل يحكمون في اراء غيرهم . وكتب الى المجمع

---

١) S' Athan. *Apol. c. Arian.* 20, 35

٢) في تاريخه الكنسي ٢ : ١٥ .

٣) *Ep. 1 ad Innocent*, 1.

انهُ مرسلٌ قصّاداً « كيما يحضروا ما يجري فيه وينفّذوا ما كان هو قد قرّره من قبل .»[1] وان سألت باي حقّ يتصرّف هكذا شلستينوس بالمجمع ، ولا معارض ، اجابك الكاهن فليبس ، وكان احد قصّاد البابا اذ ذاك ، بما بسطه للسينودس قائلاً :

«لا يشكّ احدٌ ، بل هو امرٌ معروفٌ لدى كل الاجيال ، ان القديس بطرس الكلي النبطة ، امير الرسل ورأسهم ، اخذ من ربنا يسوع المسيح مفاتيح الملكوت . وهو الى زمننا هذا والى الدوام حيٌّ في خلفائه ، وهم يزاولون القضاء . وعليه فالذي خلفه بحسب الترتيب وهو قائمٌ مقامه ، القديس الكلي النبطة ، بابانا شلستينوس الاسقف ، ارسلنا الى هذا المجمع لننوب مناب . » (٢

ثم عُقد المجمع الخلقيدوني سنة ٤٥١ . وفيه اتّبع الآباء ما كان البابا القديس لاون الاول قد سبق وحدّد في شأن اوطيخا هاتفين : «ان بطرس تكلم بفم لاون» واقرّوا صريحاً ان لاون هو الذي ، بواسطة قصّاده ، تصدّر مجمعهم « كما يرأس الرأس الاعضاء» . واما ديوسقورس ، الاسقف الاسكندري المخلوع ، فصرّحوا عنه في رسالتهم الى لاون انه « قد تحامل جاهلاً احمق على الذي وكل اليه المخلص حراسة الكرمة ، اي حتى على قداستك الرسولية ، فعزم على رشقك بالحرم انت الذي بادرت لتوحيد جسد الكنيسة»[3]

فشتّان بين تصريحات الآباء الافسيين والخلقيدونيين المذكورة والقول « ان الكنيسة المقدسة احترمت بابا رومة كزعيم ذي شأن وليس كرئيس مطاع : » ومما يهم ابناء شرقنا العزيز معرفته ، ان الاكثرية الساحقة ، في مجمعَي افسس وخلقيدونة ، كان قوامها الاساقفة الشرقيين دون الغربيين . وان هذين المجمعين يعترف بهما اخوتنا المنفصلون .

ولا عجب فان الآباء ، في المجامع وخارجاً عنها ، لم يغرب عن بالهم وعدُ الرب لبطرس « انت الصفاة وعلى هذه الصفاة سأبني كنيستي وابواب الجحيم لن

١) راجع تاريخ المجامع لهيفله (Hefele) : الجزء ١ من المجلّد ٢ من الترجمة الفرنسية ص ٢٦٠–٣٠٠

٢) ذكره فان نورت في مؤلفه عن كنيسة المسيح ص ٧٠

٣) راجع هيفله في الجزء ٢ من المجلد المذكور ص ٦٧٨–٦٩٠ و٨٢٥–٨٤٤ .

تقوى عليها.» فلو كانت السلطة السامية المطلقة ، المعطاة لبطرس ، قد تلاشت بموتـه ، لجاز القول ، والعياذ بالله من الكفر ، انّ ابواب الجحيم قويت على الكنيسة فقد اخلف المخلص بوعده . واما الحقيقة فهي ان بطرس ، برئاسته وسلطته التامة ، لا يزال حيًا في خلفائه.

اما كون الحبر الروماني هو خليفة بطرس فهذا ما يشهد به التاريخ القديم والحديث ، بل الواقع الظاهر في ايامنا هذه.

وفعلًا ان كانت كنيسة المسيح الحقيقيـة لا تموت ولا يطرأ تغيير على ما رتب فيها منشئها الالهي ، وان كانت منظورة ، على ما وضع لها عزّ وجل ، وجب القول ان خليفة بطرس في رئاسته عليها ، ينبغي ان يكون هو ايضاً ، والى ايامنا هذه ، منظورًا.

ولكن تُرى هل ادّعى او يدّعي جديًا بخلافـة بطرس احدٌ من رؤساء الكنائس المنظورين ، سوى الحـبر الروماني ؟ ولو ادّعى غيره بها فهل يعترف به ذووه ؟

نَعَم قد سُمع في الآونة الاخيرة مَن ينادي : «ان الرئاسة هي لانطاكية ، دون رومة.» وهو زعم اول من يدحضه القديس اغناطيوس الانطاكي[1] وهو من اقدم خلفاء الرسول بطرس على كرسي انطاكية ، بل هو اوجههم لا محالة. فلم يبقَ الا واحدة من اثنتين : فاما ان خلافة بطرس قد انقرضت فتكون الكنيسة الحقيقية قد انقرضت معها ، مما ينقضه وعد المسيح الصريح في الانجيل الطاهر. واما بطرس لا يزال حيًا في الحبر الروماني ، على ما حدّد المجمع الفلورنتيني المسكوني ومن بعده الفاتيكاني ، المسكوني ايضاً ، في الرأس الثـاني من جلسته الرابعة ، حيث قال :

«ان قال احدٌ انه ليس من وضع المسيح الرب ، اي من الحق الالهي ، ان يكون للطوباوي بطرس ، في رئاسته على الكنيسة جمعاء ، خلفاء دائمون ، او انّ الحبر الروماني ليس خليفة للطوباوي بطرس في هذه الرئاسة عينها ، فليكن محرومًا.»

---

١) راجع رسالته الى الرومانيين.

التذكار المئوي لاحتلال الجزائر

١٨٣٠ – ١٩٣٠

بقلم الاب جبرائيل لوفنك اليسوعي

ظلت شواطئ اوربة على البحر المتوسط قروناً عديدة ترى العداوة كامنة متحفزة في ما يقابلها من شواطئ افريقية ، حتى ان المراكب الاوربية كانت ، اذا اقتربت من تلك الموانئ ، سارت وجلة خائفة حذرَ الالتقاء بمراكب القراصين من البربر .

واننا نعجب اليوم لدوام الاضطراب طولَ تلك المدة ، في المناطق الافريقية وما جاورها من البحر المتوسط . على انها الحقيقة ؛ وقد ظلَّ الأمن مختلًا على الرغم مما بذله الاوربيون في سبيل اقراره . وذلك لان اعمالهم هذه كانت متقطعة متناوبة ، ينقصها الثبات والتنسيق . فقد انشأ البرتغاليون مراكز حصينة على الشواطئ المراكشية ، وكذلك قام الاسبانيون بالفتوحات الباهرة على شواطئ الجزائر وتونس ؛ ولكن لم يدم شيء من ذلك مدة طويلة . وفي سنة ١٥٤١ ، اقلع الامبراطور شارلكان ، في ستمائة مركب شراعي ، وجيش لجب ، حتى انتهى الى الجزائر فحاصر مدينتها . الّا ان معاكسة العناصر اجبرته على الرجوع من حيث اتى فترك الحصار ، وظلت الجزائر عاصمة القرصنة ، وموئل لصوص البحار ، وموضوع رعب الامم المتمدنة .

وفي القرن السابع عشر تقدم الفرنساويون الى تلك البلاد ، فدخلها اولًا بعض المرسلين من الكاثوليك ، رجاء ان يُعزّوا من فيها من الاسرى النصارى ويهتموا بشؤونهم الروحية . ثم حاصرها العسكر الفرنسوي فصبّ قنابله

على اسوارها . فكان من انتقام الجزائريين انهم كانوا يضعون في فوهة المدافع كل من وقع تحت ايديهم من المسيحيين . وهكذا هلك الاب لوفاشي (Le Vacher) من اللعازريين ، وكان قنصلاً لدولة فرنسة ، بينا كان احد شرفاء فرنسة ، وهو الضابط دي شوازول بوبري (de Choiseul Beaupré) يقول لآسريه بكل عجب وأنفة : «مهما بالغتم في تشنيع جثتي ، فلن تدفعوني الى ان أفسد عليّ ديني او اجلب العار على أسرتي ! » وكان ذلك سنة ١٦٨٣

ثم اتى عصر فضّل فيه اربابه السماح بالقرصنة على قطع العلاقات مع تلك الجهات ، وكان ذلك عصر الثورة الفرنسوية ، فاقرض امير الجزائر مجلس ادارة فرنسة (*Directoire*) مليوناً دون فائدة ، وسمح لاثنين من يهود ليفورن بنقل كميات الحبوب اللازمة للجمهورية . وان من الغرائب ان تفضي المفاوضات بهذه المسألة ، بعد نصف قرن ، الى دفع الاسطول الفرنسوي الى الهجوم على شواطئ الجزائر .

***

سقطت مدينة الجزائر في يد الفرنسويين في ٥ تموز ١٨٣٠ . فكان ذاك الفتح من اهم الحوادث الحربية . اما اليوم فاننا نراه في ضوء التاريخ من اهم الحوادث العالمية على الاطلاق . وفعلاً فان كانت اهمية انتصار ما بما يعقبه من النتائج الحسنة ، فان فتح الجزائر لاهم من انتصارات فونتنوى ، او مارنغو ، او اوسترلتز ، لان به نشأ شعب جديد على ذاك الشاطئ الافريقي : شعب وطني واوربي معاً .

وعليه فاننا نرى من الحق ان نقوم بواجب الشكر لمن عملوا على تحقيق هذه النشأة الباهرة ، وقد قال اوغست برنار : « ان الملكية المجدّدة في فرنسة لم تقم فقط ، في ارسالها بعثة الجزائر ، بعمل من السياسة الداخلية تقتضيه الظروف الصعبة المحيطة بالوزير بوليناك ، بل قامت ايضاً بعمل يفرضه الشرف والمصلحة الوطنية . » [1]

---

(١) راجع Aug. Bernard, *L'Algérie, 1929, Alcan, p. 177.*

وقد خلّدت ذكر هـذا الانتصار صحيفة من الرخام وضعت على باب حصن سيدي فرّوش ونُقش فيها:

هنا في ١٤ حزيران ١٨٣٠
بامر الملك شارل العاشر
تحت قيادة الجنرال دي بورمونت
نصب الجيش الفرنسوي اعلامه
فاعاد الحرية للبحار
واعطى الجزائر لفرنسة

هذا تذكار من الحقّ ان يُحتفل به الاحتفـال الشائق ، لاسيما وانه من النادر ان نرى امةً عظيمة تحتفل بمثل هذا الاحتفال.

* * *

كم كان عدد سكان الجزائر الوطنيين سنة ١٨٣٠ ؟ لم يكونوا يتجاوزون المليون الا قليلاً. لان حالة الحرب الدائمة ، وانتياب المجاعات ، وانتشار الأوبئة المتعددة ، كل ذلك كان يجعل من البلاد بقعة مستوخمة. اما اليوم فيبلغ عددهم الخمسة الملايين ، وقد لوحظ انه اعتباراً من سنة ١٨٧٦ يزداد الوطنيون زيادة عظيمة متتابعة بمعدّل ٢٠٠,٠٠٠ كل خمس سنوات. وذلك نتيجة تحسين شروط الحياة ، بتعداد منشآت الصحة والاسعاف العام وما اليها من الاعمـال الانسانية المزدهرة في ظلّ السلام الفرنساوي . ثم ان الوطنيين يتحققون ان الارض نفسها قد تقدّمت من حيث غنى التربـة وكأنها زادت مساحةً . وعلى الرغم من ان القسم الكبير ، المتجاوز النصف من ارض الجزائر الشماليـة ، لا يزال مواتاً ، فقد زاد خصب الاراضي المزروعة وبلغت مساحتها ثمانية ملايين هكتار . اما هذه الزيادة المهمة فقد ارتكزت على ثلاث عمليات: التوسع بالاراضي المزدرعة ، وتحسين الزراعات القديمة ، وادخال زراعات جديدة. وكان من اجلى مظاهر هذا

التحسن الاقتصادي تقدّم زراعة الكروم ، فقد بلغت مساحتها اليوم ٢٣٨,٠٠٠ هكتار ، ولم تكن تبلغ سنة ١٨٧٩ سوى ٢٠,٠٠٠ هكتار. فبدأ هذا التقدم بتلك الحركة الاقتصادية التي انعشت بلاد الجزائر ونقلتها من العسر الى الرخاء الذي تتنعم به منذ ثلاثين سنة.

وهناك غير الكرم مزروعات مهمة كالتين والزيتون ، وهما الموردان المهمان لاهل القبائل المزدحمين جداً حتى يبلغ عددهم ١٢٣و١٩٨و٢١٨ في الكيلومتر المربع . وان ما تستهلكه العائلة الواحدة من اهل القبائل ، في السنة ، من التين يبلغ ٧٠٠ كيلوغرام ، اما الزيت فمعدل ما يستهلكه الشخص الواحد يبلغ ١٥ ليترًا.

قبل الفتح الفرنساوي كانت الاراضي تفوق حاجة السكان اتساعاً ، لان عدد هؤلاء كان قليلاً ، فضلاً عن انهم كانوا متشتتين في نواحٍ شاسعة لا يفكرون الّا بحرث ما يكفيهم من المساحة القليلة إزاء مساكنهم . وما ذاك الّا لخوفهم الدائم من الغزو وما يليه من نهب وسلب.

وعليه كان عمل الفاتحين مهمًا جداً اذ صرفوا همتهم الى النهوض ببلاد ما زالت تتدهور في دركات الخمول منذ العهد الروماني ، فأمنوا حياةَ سكانها ، وحسّنوا اقتصادياتها بان جدّدوا زراعتها وعززوا صناعتها وتجارتها ، فبسطوا امام اهلها كنوز اراضيهم المختلفة الثمينة . فكان من واجب الوطنيين ايضاً ان يحتفلوا مع الفرنساويين بهذا التذكار المئوي.

* * *

على ان الانسان لا يعيش بالخبز وحده . فما كانت قيمة التأثير الاخلاقي والديني الذي أثّره الاوربيون في ذاك الشعب ؟ هو ما سنجتهد في تبيانه:

دخل الفرنساويون الجزائر ، ولا ميل يدفعهم الى مناوأة دين السكان او اخلاقهم او عاداتهم ، فلم يكن دخولهم يشبه في شيء تلك الفتوح القديمة المرتكزة على الجهاد الديني . ولكن كان من طبيعة الحال ان تتقابل المدنيتان وجهاً لوجه بما لكل واحدة من الحقوق والواجبات . على ان الكثيرين من

الفريقين لم ينتبهوا لهذه النقطة ، فتركوا الامور تجري مجراها دون اهتمام او شبه اهتمام بالعلاقات الدينية والاخلاقية. حتى قام كبار الكاثوليكيين واوضحوا ، بكل اخلاص ، افكارهم في هذا الشأن ، فكان لهم فخر المتقدم.

كان عمر الجزائر الفرنساوية عشر سنوات ، اذ وصل اليها سنة ١٨٤١ ، الكاتب الصحافي الشهير لويس ڤيليو (Veuillot) ، وذلك في اول عهد حكومة المارشال بوجو (Bugeaud) . وكان الفرنساويون لم يقوموا بعد بعمل يستحق الذكر ، فكان الامن لا يزال مضطرباً ، والحرب مستعرة على ابواب قسنطينة ووهران ، ومعسكر مليانة محاصراً ، وكان على الانسان ان يسير وراء المدافع حتى يصل بامان من مدينة الجزائر الى بليدة . فكان يتساءل القوم عن نتيجة تلك الحروب وهل يكون فتح الجزائر شيئاً صالحاً او سيئاً. في تلك الظروف الحرجة ، أسس الحبر الاعظم اسقفية الجزائر ، وصرح بانه يريد ان يعيد الى كنيسة افريقية مجدها الغابر. اما ڤيليو فقال: «ان تكن فرنسة قامت بهذا الفتح ، فان ذلك عمل العناية الالهية التي شاءت ان تفتح تلك البلاد لاستقبال كلام الانجيل». ولكن تلك الغاية النبيلة لم تكن بادية للعيان . على ان هذا لم يمنع ڤيليو من متابعة القول : « اننا نعتقد العمل في سبيل تعزيز التجارة والاقتصاد ، بينا نعمل حقيقة في اتمام عمل الصليبيين. وان تجارنا الضعيفي الايمان يتممون جهود اتقياء المسيحيين في القرون الوسطى . فكل ارض حلوها هي أرض تُقام فيها ذبيحة القداس ، ويمتد فيها الاطفال ، ويُنشد فيها القديسون ، مهما كان عددهم ، مدائح الاله الظلم ! »[1]

فترى ان هذه النتيجة الدينية كانت تظهر ضرورية للويس ڤيليو وقد قال: « اذا شئنا ، في فتحنا للجزائر ، ان نؤسس شعباً حياً يلزمنا ان نجتهد في رد هذا الشعب الى الله. وهذه هي العلامة التي تدلني على ان الفرنساويين يمكنهم الاحتفاظ بالجزائر ... يستحيل على العرب ان يصيروا لفرنسة الّا اذا صاروا فرنساويين ، ويستحيل عليهم ان يصيروا فرنساويين الّا اذا صاروا مسيحيين ،

١) راجع Veuillot, *Les Français en Algérie*, 7e édit. Mame, 1867, *introduction*, p. 6.

ويستحيل علينا ان نصيرهم مسيحيين ان لم نصر نحن ايضاً مسيحيين حقاً.»[1]

وانه لمن العجب ان نسمع الصوت نفسه مرتفعاً من اعماق الصحراء ، بعد ثمانين سنة ، وهو صوت الاب دي فوكو. وبين هذا وذاك ، كان الكردينال لافيجري بذل جهده في اعزاز كنيسة الجزائر وترقيتها.

وكان اول هذا التحسين في سنة ١٨٦٧ ، فزيد في تنظيم الكنيسة بان رُفع اسقف مدينة الجزائر الى درجة رئيس اساقفة ، وانشىء مطرانيتان جديدتان في وَهران ، وقُسنطينة . ثم استلم الادارة الكردينال لافيجري فثقب نظره ظلمات المستقبل ، وصرّح لاكليروسه بعيد وصوله قائلاً: «دونكم مستقبل هذه الكنيسة ، ودونكم ما يجب عليكم القيام به ، وما اساعدكم فيه بكل ما عندي من الوسائط ، وان ضعيفة : يجب ان نجعل من ارض الجزائر هذه مهداً لأمةٍ عظيمة ، كريمة ، مسيحية ، وبكلمة اخرى يجب ان نجعل فيها فرنسة جديدة ، فننشر حولنا الانوار الحقيقية لمدنية زاهية يكون الانجيل موردها الصافي وشريعتها السامية.»[2]

واننا نرى ذاك الشعب الجزائري ينشأ ويتألف تدريجيًا فيتحقق شيئاً فشيئاً قول الكردينال ، وقول ڤيليو الذي طلب في الجزائر أسراً مسيحية ، وكهنةً اتقياء محترمين.

اما اول من اهتمّ الاهتمام الفعلي المكلّل بالنجاح بتطوّر الشعب فكان المارشال بيجو ، واسمه من اشهر اسماء العظماء في الجزائر. فقد اوجد الجيش الجزائري ، وعزّز الأمن ، وباشر اعمال الاستعمار الحسن ، فكان لذلك طريقان: الرسمي والحرّ[3] . وقد مرّ كلاهما بكثير من العقبات الشديدة ، وما زال يبذل الاوربيون ، من مختلف الشعوب ، جهودهم حتى وصلوا الى درجة حسنة

١) الكتاب نفسه *Op. cit. p. 69*

٢) Baunard, *Le Cardinal Lavigerie*, 2 vol. 1896, *Poussielgue* ; *t. I, p. 164*

٣) انظر في ما خصّ اعمال الاستعمار الرسمية الابحاث التي قام بها ، سنة ١٨٩٨ ، السيد دي پيرّنهوف (de Peyerinhoff) والتي نشرها مؤخرًا لجنة بيجو ، ومن رأيها مباشرة الاعمال الاستعمارية في اواسط الفلّاحين. اما اسم الكتاب فهو:

« *La colonisation officielle de 1871 à 1895*; in-8°, *Paris, Soc. d'édit. géograph.* »

الرسم ٥
فتيه جزائري من البربر

عن Abendland und Morgenland

الرسم ٦
امرأة جزائرية

عن Abendland und Morgenland

فتحققوا ، سنة ١٨٩٦ ، ان عدد مواليـــد الاوربيين في الجزائر زاد على عدد المهاجرين اليها.

اما اليوم فيبلغ عدد الشعب الجزائري الاوربي ، حسب احصاء سنة ١٩٢٦ ، ٨٣٣,٣٥٩ نسمة منهم ٦٥ ٪ فرنساويو الاصـــل ، والـ٣٥ ٪ الباقون من الاسبان والمتجنسين بالجنسية الاسبانية من يهود واوربيين ، ثم من الايطاليين ، والمالطيين وغيرهم . وقد قدم اكثر الفرنساويين الجزائر من جنوبي فرنسة من مقاطعات بروفنسة ، ولانغدوك ، ودوفينيـة ، ومن كورسيكة . وهم يؤلفون الاكثرية في سكان المدن والقرى . وقد أشير مرات عديدة الى قوة أنسالهم ، وشدة بنياتهم ، لاسيما من كان عائشاً منهم في المزارع . ويرى علماء الاجتماع في هذا الامر افضـل ضمانة لمستقبل الشعب الجزائري الفرنسوي ، وهم على صواب في ما يرون.

ومما يجدر بالذكر ان هؤلاء السكان تأثروا بعوامل التبليد العديدة ، وعملت فيهم مظاهر البيئة التي هاجروا اليها ، فغدا لهم مظهر خاص ، وهيئة خاصة ، ونبرة ، وعادات ، وأخلاق خاصة . وكذا القول عن سائر المهاجرين الاوربيين ولاسيما الاسبان واهل مالطة ، حتى اصبح في الجزائر شعب جديد اقوى وانشط واوفر اقداماً وجرأة من اخيه الاوربي.

ينتشر الاسبان ومن اليهم في كل الجزائر تقريباً ، الّا انهم يكثرون في جهة الغرب في مقاطعة وهران التي لا تبعد اكثر من ثماني ساعات بطريق البحر عن مدينة قرطجنة . ولهم من الجرأة والجلد على العمل ، والقناعة في الاكل ، واحتمال تقلبات المناخ ، صفات جليلة تساعدهم في جميع مشاريعهم.

اما الايطاليون فكثيرون في جهة الشرق حول مدينة بونة ، واكثر اعمالهم الملاحـــة ، والاستخدام في المشاريع المهمة كالبنـــاء والتعدين ، واستخراج الفوسفات . واما المالطيون فلا يستغربون شيئاً في بلاد الجزائر ، ولاكثرهم ميل خاصّ لتعاطي الاعمال التجارية البسيطة فيفتحون الحوانيت الصغيرة ويتوصـلون الى الرخاء لما فيهم من روح الحذق والاقتصاد.

ولكن على الرغم من هـــذه العناصر المختلفة ، نرى ان المصالح المشتركة

والتزاوج ، والاتحـاد في العقليات والاخلاقيات والسياسيات يؤلف بين الجميع ويجعل منهم ، على تباين اصولهم ، شعباً واحداً هو الشعب الجزائري.

على ان هناك ألفةً اخرى يلزم تحقيقها ، وعنصراً آخر يلزم ضمه الى هـذه العناصر. الا وهو الشعب الجزائري الوطني من البربر الذي اشرنا ، في اول المقال ، الى زيادة افراده زيادة مطّردة ، والذي يؤلف الاكثرية الساحقة فيبلغ ٨٦٪. وهو عنصر قوي ، جريء ، ذكي ، يقترب في كثير من صفاته ، من فرنساوي الماسيف سنترال (Massif Central).

اما الفرق الجوهري الذي يفصل هذين الشعبين الجزائريين احدهما عن الآخر فهو الدين. يتفق جميع البحاثين على ذلك ، ثم لا يجرب احد معالجة هذه المسألة. وقـد قال اوغست برنار : « ان لم يكن متعلقاً بنا ان يترك اهل الجزائر اسلامهم ، فلا ارى من المحال ان نجعلهم من متكلمي اللغة الفرنسوية . »[1] وقالت لجنة بيجو : «ان العمل الجوهري الضروري الذي من شأنه ان يقلب طباع الوطنيين في الجزائر فيقرّبهم منّا ، هو ان ندخل بينهم ، في الاوسـاط التي لا تزال تحجبها الاشواك والغياض ، عدة الاف من الفلاحين الفرنساويين.» على ان كل هذه الاساليب لا تحلّ تلك المسألة العويصة حلّاً كاملاً . ولا نرى لها حلّاً الا بطريقة واحدة ظهرت في تضاعيف هذا المقال ، وهي الطريقة الكاثوليكية-

(١ A. Bernard, *L'Algérie*, 1929, *Alcan*, p. 382.

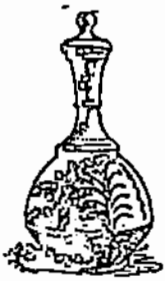

انبامة

حكاية أم ثكلى

تأليف : بول بورجيه

تعريب : فؤاد افرام البستاني

٣ (تابع)

سمعت نفسها تلفظ هذه الكلمات التي تدفقت فيها آلامها الهائجة ، فأخذها نوع من الهلع دفعها الى الوقوف ، فتركت المقعد الحجري الذي كانت جالسة عليه. وامرّت يديها على عينيها كأنها تريد ان تطرد تجربة تلك الامنية الفظيعة ، واخذت تعاود سيرها في نواحي الحرج مسرعة خطاها ، كما لو ارادت الهرب من ذاك المشهد الساطع ، الهرب من رؤية الطريق التي سيأتي عليها ولدا زوجها ، الهرب من افكارها ، الهرب من ذاتها . كانت تهيم في تلك الحديقة الفسيحة الموحشة ، فتختار الماشي الضيقة التي لا تكاد تُطرق ، فتعلق الاغصان اليابسة بفساطينها ، وتفرقع كروز الصنوبر زالقةً تحت قدميها ، وتنحّي بيديها بعض الانجام الشائكة ، او بعض اغصان الاريقى العالية . وبينما كانت تسير مدفوعةً بنوع من الهذيان الوحشي الى إيلام قدميها على تلك الطريق الكثيرة العقبات ، وايجاع اصابعها بشوك الاغصان والاوراق ، كانت فكرتها تهيم هي ايضاً ، على غير هدى . على ان تلك الثورة القوية التي حملتها مؤخراً على بغض ولدي زوجها كانت قد هدأت . ولكنها تركت في فؤادها سآمةً مؤلمةً ، ونوعاً من الكره لا يقاوم كانت تُقرّ به اذ ذاك ، بل كانت تعتبره من حقوقها ، كما لو كان انتقاماً مشروعاً من مصيبتها. كانت تهيم ، وفي فكرتها يتجلى قصد كثيراً ما اقلق خاطرها ، ولكنه لم يتوصل قبلاً الى هذه الدرجة من الدقة والاستواء . أية فائدة في ان تتابع ، تجاه ذينك الشخصين اللذين

كان وجودهما وحده يعذّبها ، القيام بتلك السخرة ، بل بتلك المهزلة ، فتمثل امومةً اصبحت منافية للحقيقة ؟ لماذا لا تتخلّص منهما بان تفعل بهما كما يفعل كثير من الاهل باولادهم الحقيقيين ؟ فبدلاً من ان تحتفظ بهما في البيت ، لماذا لا ترسلهما : الصبي الى مدرسة داخلية ، والفتاة الى دير البنات ؟ فتبقى هي وحدها ، مع ولدها الميت ، متخلّصة من سماع تلك الاصوات حولها ، وتلك الضحكات ، وتلك الالاعيب ، وسائر تلك الحركات التي كانت تهزأ بألمها ؟ ان غي الوافر الشعور ، واليس اللطيفة الاخلاق ، لا يكونان سعيدَين بين جمهور طلبة المدارس الداخلية . ولكن كم من صغار الصبيان وصغيرات البنات يقاسون ، وهم بعمرهما ، ذاك المنفى بالبعد عن العائلة ، ومع هذا يكبرون كغيرهم ؟ وان لم يكونا سعيدَين ؟ اوليس ذلك من العدل ؟ . . كانت اليصابات تعرف ان امّهما كانت ، وهي على فراش الموت ، قد رجت من زوجها ان يترك منصبه ، ليعيش مع الولدين ، فلا يفارقهما بل يحبهما حباً مزدوجاً لانه سوف لا يبقى لهما سواه . وكانت تذكر ايضاً كم كان في قلبها من الشفقة ، لما قبلت وصية المائتة ، فعبّرت عن رجائها الاخير قائلة : «بما ان الاب لا يزال في خدمته العسكرية ، فعليَّ انا ان لا افارقهما ، انا اظلّ دائماً معهما فاكون لهما ما ارادت ان تكون هي ! » فهل يوافق رغبة المائتة ، رغبة تلك التي حلّت اليصابات محلّها واخذت على نفسها ان تقوم مقامها في كل شيء ، هل يوافق رغبتها المقدّسة ان تخرج اليصابات ذينك اليتيمين من منزلهما الابوي ؟ من الحقّ ان ضميرها كان يجيبها لا . ولكن « الخالة » اذا انتبهت عواطفها ، اصبح من الصعب ان تهدأ . ومن غريب مظاهر العاطفة البشرية المتألمة حتى المرض ، ان المرأة الحية ، الفاقدة ولدها ، كانت تشعر إزاء المائتة ، التي لا يزال ولداها يتمتعان بالحياة ، بتلك الغيرة الجافية التي تتراجع الى الوراء ، فتفسد بسمتها الحادّ كثيراً من الزيجات الثانية ، وتجعل من افضل المخلوقات احياناً آلات للعذاب لا تشعر ولا ترحم . ولهذا فما ان وضع الصغيرين في المدارس الداخلية كان احدى مخاوف الام ، وهي على فراش الموت ، كانت « الخالة » ترغب فيه شاعرة بلذّة خفية مبهمة كانها لذة الانتقام . . . وكانت تشعر ، فوق ذلك ، ان هذا العمل ليس الّا

الابتداء ، ليس الّا الخطوة الاولى على طريق من القسوة لا تقف فيه عند حدّ . . . ولكن سوف يرجع الأب ، فما تقول له ؟ وهنا اصبحت التجربة اوفر اثماً من ذي قبل . لم يكن للصغيرين من شاهد لدى ابيهما ، البحري الغائب ، سوى «خالتهما» . فكان من السهل ان تكتب الى زوجها انها لم يعد بامكانها الاحتفاظ بالولدين من اجل هذه النقيصة او تلك العادة . ولم تكن بحاجة الى الكذب في ذلك لان الصغير كان غضوباً من طبيعته ؛ وكانت الفتاة ، من طبيعتها ، تجاوب بشيء من عدم الاعتبار . وكانت اليصابات ، في ما مضى ، تحول دائماً بين نقائص الصغيرين وقسوة ابيها ، كما لو كانت امهما الحقيقية . أما الآن فما عليها الّا تغيير خطتها تلك — أوَ ليس هذا من حقها ؟ — وعليه فان ارسال الصبي الى المدرسة ، والابنة الى الدير ، غدا بسيطاً ، بل نافعاً ، بل ضرورياً ! . . . اما كون عملها هذا يؤثر في حنوّ الاب على اليتيمين ، ويبعد عما كانت رسمته لنفسها من المقاصد السابقة ، فلم تكن لتهتم به ، لان عملها سيخفف من عذابها في المستقبل . . .

٤

لكل نفس جوّ خاص من الافكار ، لا يمكنها التنفس طويلاً اذا اخرجت منه . وان الشعور الشريف قد ينحطّ زمناً فينقاد الى قصد المقاصد السافلة ، بل قد يباشر تنفيذها اذا ما انتابته نوبة مضلّة ؛ ولكنه من المحال ان يرضى مغتبطاً بتلك المقاصد . عندما صرّحت السيدة الفتية لنفسها : «لقد قصدت قصدي ، فسابعدهما عن المنزل ، قبل مرور ثمانية ايام» ، عند ذلك جرّبت ان تقلع عن التفكير بالصغيرين اللذين سوف تعاملهما بتلك القساوة ، وعن التفكير بالدور الشائن الذي سوف تمثله امام ابيها ، وبدافع غريزي اخذت تستغرق بكليتها باستعادة ذكريات اندري ، علّها تخدّر وسواسها الذي بدأت تشعر به في اعماق ضميرها الطاهر . فاستدعت الشبح الصغير بجدّة من الاسف جعلتها تخاله حاضراً لديها ، كما لو لم تكن رأته جامداً على نعشه ، وقد فُتح فوه بعد ان تقطعت انفاسه ، واغمضت عيناه ، وجُمعت يداه الشاحبتان كلون الشمع الى الصليب ؛ كما لو لم تكن شاهدت الرجال السود يسترون خشب التابوت فوق

ذاك الشيء الساكن بلا حراك الذي كان ، الى الامس ، ولداً ضاحكاً لا يبالي بشيء . . . كانت تتصوره الى جنبها ، وعلى خصل شعره الذهبية ينعكس نور الشمس الزاهي . وقد بلغت دقة تلك الصورة ، وتأثيرها في الام حتى شعرت هذه بميل لا يقاوم يدفعها الى تغذية حنوّها بشيء حقيقي ، شعرت بحاجتها الى القيام بعمل يكون فيه نصيب لهذا الابن المعبود ، شعرت بشهوة تحملها على خدمته بشيء . فجعلت تجمع اجمل ما كانت تراه من اغراس الاريقى البيضاء لتحملها اليه ، وتزيّن بها غرفته . منذ اليوم الذي سارت فيه جثة الصغير الى المقبرة من المنزل — ذاك المنزل الذي دعي «المنزل الوردي» فاصبح الاسم مدعاة للتهكم المؤلم ! — لم تشأ الام ان يغير متاع واحد من اثاث الغرفة . وقد نالت من زوجها الوعد بان يشتري ، بعد رجوعه ، ذاك المنزل الذي كان استأجره لقربه من طولون اذ كان ضابطاً في احد المراكب المرابطة هناك . وكم من النساء ، امهات كنّ او زوجات او فتيات ، جرّبن هكذا ان يُطلن وجود كائن معبود لديهن يحفظ ما كان يعزّ عليه من الاشياء ! ثم يأتي الزمن فيُهلك الكاهنة نفسها التي كانت تقوم بهذه العبادة ، ولا يُبقي من تلك الذخائر التي كانت تكوّن كنزها الثمين ، الّا مخلفات لا قيمة لها من اطمار رثّة ، واثاث قد بلي وانقضى زمنه . ولكن من يجرأ ان يلوم قلباً أميناً على جهاده في ان ينتزع ، ولو مدة قليلة ، من الفناء الآتي على كل شيء ، هذه المجموعة من الامتعة الوضيعة ، الثمينة ، الشخصية حتى تكاد تكون اشخاصاً حية ؟ منذ اربعة اشهر ، لم تخالف الام يوماً واحداً ، عادتها بأن تذهب ، كل صباح وكل مساء ، الى تلك الغرفة الصغيرة التي قاضت فيها آخر نسمات وحيدها . فكانت تفتح نوافذها بنفسها ، وترفع الغبار عن اثاثها ، وتنشر الثياب الصغيرة التي كانت لا تزال محتفظة بشكل الجسد الصغير . . .

هو مظهر لتقواها الجريحة كان يدفعها الى القيام بهذه العبادة المؤثرة التي لا تجدي نفعاً . وهذا ما شاءت القيام به الآن . كانت باقة ازهار الاريقى قد ضخمت حتى ثقلت على يديها ، فضمتها بساعديها وسارت بهذا الحصاد الباطل ، وهي سعيدة يائسة معاً ، فانحدرت نحو المنزل المتراءي بين الصنوبر الحلبي ،

واشجار النخل واليوكا ، بلون وردي ، لون الفرح والرجاء . كان جديراً بمشاهد مأساة مؤلمة ظهورُ تلك السيدة الفتية الشقراء غارقةً في حدادها الاسود ، حاملة باقة الاريقى البيضاء العطرة ، مسرعةً نحو ذاك المنزل الزاهي الالوان ، تحت تلك السماء الزرقاء ، في تلك الحديقة المخضرّة ، كما يُسرع الانسان نحو بلاط ضريح ، فيزينه بالازهار ويبكي فوقه !

٥

... دخلت الام منزلها من الباب الخلفي ، وهي غارقة في افكارها حتى انها لم تنتبه للحوذي يغسل ، امام الاصطبل ، دواليب المركبة الانكليزية — مما يدلّ على ان نزهتها الكئيبة كانت اطول من القداس . وكان غي واليس قد رجعا من زمن طويل . فما كادت اليصابات تدخل المشى المؤدّي الى غرفة الميت ، حتى شعرت برجفة شديدة غريبة اذ رأت الباب مفتوحاً قليلاً ، وسمعت صوت الولدين ، صوت ذينك اللذين عذّبتها صورتهما طول صباحها فحصرتها ضمن نطاق من البغض والظلم ... ماذا يفعلان في هذه الغرفة التي حرّمت دخولها على اي كان ، والتي لو لم يمرّ فيها ، بين خصاص النافذة وفتحة الباب ، شعاع من الشمس فيقطعها بحبل من نور ، لظلّ الظلام مشتملاً عليها . فوقفت الام جامدة تصغي الى ما يقوله الزائران ، دون ان تميّز تماماً حركاتهما ، وقد شدّت باقة الزهور على قلبها المتضاعف النبضات . ففهمت ، في تأثرها الشديد الذي لم تكن لتدري أتصفه باللذة ام بالالم ، ان اخا اندري المسكين واخته قد سبقاها الى القيام بتلك الزيارة الحنونة التي كانت تنويها . في ذاك الصباح المشعّ ، تذكر الولدان اللطيفان رفيق العابهما الغائب . فجمعا له ازهاراً من الجنينة القريبة ، كما جمعت له امه الازهار من الحديقة البعيدة ، وارادا ، في سذاجتهما الصبيانية المؤثرة ، ان يشركاه بالعيد الكبير ، فاشتريا له بعض البيض امام باب الكنيسة ، واسرعا ليهديا اليه هدية الفصح المجيد . سمعت الام صوت اليس :

يجب وضع الباقة هنا . هل تذكر تلك الجشرات الذهبية التي كنا نلتقطها له من بين الورود ؟ ...

فاجاب غي : وهنا يجب وضع البيض ، كما صنعنا الستة الفائتة. لقد كان مسروراً جداً اذ ذاك ! آه كم اود ان اراه واقبله !

فقالت الصغيرة : هذا مستحيل ! ... على اننا سنجده في السماء !

فقال الغلام : آه ! لو كان يقوم من الموت ! لقد قام العازار ! وقام سيدنا يسوع المسيح ايضاً ... اني اسأل الله هذا كل مساء ، وكل صباح . واني متأكد ان امنا تسأله الشيء نفسه ايضاً ... فاذا قام ، يكون الله قد صنع اعجوبة ليس غير . ولم لا يصنع الله هذا من اجلنا ؟ ... فانني اعتقد بوجود العجائب ...

وبينا كان المؤمن الساذج ، ذو التسع السنوات ، يفوه بهذه الكلمات ، لم يكن ليخال ان اعجوبةً حقيقية كانت تحدث قريباً منه ، لدى سماع صوته ، وقيامة جديدة ، هي قيامة العدالة والشفقة ، قيامة الحنوّ والواجب ، قيامة الفضائل السامية ، كانت تحدث في نفس تلك التي كادت تصبح اقسى «الخالات» له ولاخته . باغت الامَّ برهانٌ صبياني بأن اليتيمين لا يزالان يذكران اخاهما الميت ، فتأثرت حتى اعماق كيانها . وما عتم غي واليس ان ابصرا الباب يفتح على مصراعيه ، فخافا ان يُلاما على عملهما ، ولكن سرعان ما تحوّل خوفهما الى طمانينة لطيفة ، اذ شاهدا الام — امهما — قد دخلت فبسطت لهما ازهارها قائلة : « خذا واعطياه هذه ايضاً مع زهوركما ... » ثم اخذتهما معاً فضمتهما الى صدرها بولع ، بل بجنون ، كما لو كانت تضمّ الآخر ... الم تجدهما ، هما ايضاً ، بعد ان كانت قد فقدتهما ؟ ثم اجهشت في البكاء ذارفة دموع الالم ذاته ، ولكن بعد ان لطفه الحنوّ ، كما لو كانت روح ملاكها الغائب همست في اذنها : «احبيهما كما تحبيني ! ...» فذاب الحقد الفظيع ، والمقاصد السيئة ، والحسد القاسي ، وسائر مسببات الاهواء الحاطمة ، وانحلت طائرة بتلك القبلات . واذا بسرّ التجديد العظيم ، الذي تحتفل به الكنيسة ، والذي يظهر في مشهد الربيع ، يفعل مفعوله ، مرّة اخرى ، في هذا القلب البشري : واذا بالحياة تطرد منه الموت ، واذا بالمحبة تنتصر فيه على البغض .

مجلة المجلات

درس الآداب العربية الحديثة

نشر المستشرق اغناطيوس كراتشقوفسكي ، في مجلة المجمع العلمي العربي (دمشق : كانون الثاني ١٩٣٠ ، ص ١٧) بحثاً ضافياً في «درس الآداب العربية الحديثة ، ومناهجه ، ومقاصده في الحاضر» اودعه الملاحظات القيّمة عن تقصير ادباء العرب ، في الشرق والغرب ، في ما خصّ الاهتمام بآدابهم الحديثة. وبعد ان قدّم كلاماً في صلاحية تقسيم تاريخ الآداب الى اطوار ، قسم ملاحظاته الى ثلاثة اقسام : ١ً قلة الابحاث في تاريخ الآداب العربية الحديثة . ٢ً احوال الابحاث في تاريخ الآداب بين الامم الاخرى . ٣ً تنوع المناهج والاساليب لدرس تاريخ الآداب في الحاضر . وقد رأينا ان نقتطف شيئاً من توطئته ، قال (ص:١٨) :

ولسائل ان يسألنا سؤالاً ثانياً هل يجوز إفراد طور مخصوص نسميه طور الآداب الحديثة وهل هو الا صلة الأطوار المتقدمة ولا فرق بينها. ويحق له ان يسأل ذلك لان تفريق الاطوار في حياة كل فرد او مجتمع او فكر شيء خطر . وكل طور يتصل باخيه بطريق خفي وبخيوط لا ترى ولا حدّ محسوس بين طور وطور وقد قلنا سابقاً انه لا فرق بين مناهج درسه . ومع ذلك فانا لا نرى انساناً او نباتاً يشبه نفسه في أطواره المختلفة تمام المشابهة وعليه فلا مندوحة لتقسيم حياته الى أطوار كما لا مندوحة لاطوار في تاريخ اي شيء كان وان كانت الاطوار بنايات خيالية تبنيها الافكار تسهيلاً للدرس والنظر الاجمالي. ولا يشك احد ان الطور الجديد لا يبتدئ من نقطة محسوسة معيّنة بل يتدرّج عمّا قبله تدريجاً. وهذا لا يمنعنا من ان نأخذ وقعة تاريخية حداً لطور ما ولاسيما اذا كان لهذه الوقعة تأثير ظاهر في الطور القديم . وفي تاريخ الآداب العربية الحديثة نرى وقعة من هذا الجنس وهي حملة الفرنسويين على مصر بقيادة نابوليون التي جرّت على الشرق العربي نتائج جمة منها سياسية ومنها اقتصادية ومنها ادبية ووصلته باوربة بصلة لم تنقطع في وقت من الاوقات الى ايامنا هذه . نعم ان المواصلات في الشام وان كانت بدأت مع اوربة قبل القرن التاسع عشر بكثير الّا انها توطدت بعد فتح المدارس المتنوّعة وخصوصاً في

لبنان وبيروت . وهذا ما يدعونا لان نبتدىء بدور الآداب العربية الحديثة من النصف الاول للقرن الماضي وان لم ننس ما قلناه سابقاً من وجوب الاحتياط في تقسيم الاطوار وعن عدم الفرق في مناهج البحث كلها .

الانفراد بالرأي في الادب

وفي المجلة نفسها (شباط ١٩٣٠ : ص٩٢) باشر الاستاذ شفيق جبري طبع سلسلة محاضرات كان قد القاها في كلية الآداب ، في دمشق . نشر منها في هذا العدد ثلاثاً خصّ الاولى « بالادب : انفه . فعله . غايته » ، والثانية «بثقافة الذوق : دراسة المصادر الادبية . الانفراد بالرأي في الادب» ، والثالثة « بمزج الثقافات» . فكان في اكثرها مرآة للاستاذ غوستاف لانسون ، الناقد الفرنسوي المعروف ، فوسّع بعض آرائه مقرباً اياها من مثال سامعيه ، باسلوب واضح ضمّنه الكثير من الحقائق البديهية التي ، ان افادت مجمل الطلاب ، فقد لا تفيد كثيراً جمهور الادباء ، ومعرفةُ هذه الحقائق مقرونة عندهم حتى يظهر أن التوسع فيها ، والبرهان عنها ، من باب تحصيل الحاصل . على اننا لا نلوم الاستاذ جبري في ذلك ، لان الاعمال بالنيات ، ونيته صالحة . ولكننا نود ان نذكر بعض الملاحظات ، لا على تحديده للأدب ، ولا على عدم تحديده للذوق ، فمجالنا اليوم اضيق من ان يتسع لذلك ، بل على آرائه ، او آراء لانسون ، في ما خصّ « الانفراد في الادب» . نقل الاستاذ رأياً للانسون في هذا المعنى وعلّق عليه قائلاً (ص ١٢) :

هذا ما قاله لانسون ومن قوله هذا يتبين لنا اننا اذا اردنا الكلام على المتنبي مثلاً لزمنا ان ندرس شعر المتنبي نفسه دون ان نردد ما قاله فيه بعض الاساتذة كالثعالبي والجرجاني وغيرهما ، اذا اردنا الكلام على حسّ المتنبي لزمنا ان ندل على مواطن هذا الحس وعلى طبائعه من دون ان نستعير كلام غيرنا والخلاصة اذا حاولنا دراسة المتنبي وجب علينا ان نقرأ شعره وندون الآثار التي تركها فينا هذا الشعر وننقل هذه الآثار الى غيرنا حتى يكون في كلامنا شيء من الروح والحياة وعلى هذا ينمو ذوقنا في الادب ومتى نما هذا الذوق نما معه الشعور بالجمال .

اني لا ارى اضل سبيلاً من الذين لا يريدون ان ينفردوا بآرائهم في الادب . وعلى الخصوص بعد ان عرفنا ان الادب ليس فيه حقائق مبنية على اصول مستندة الى عقل اي ليس فيه شيء من حقائق العلم الثابتة وانما الادب يتبع الذوق والعاطفة فتتغير آراء الناس فيه بتغير اذواقهم وعواطفهم انظروا

مثلاً الى « فيكتور هوغو » فقد قال فيه « فاكه Faguet » « هوغو من الخالدين لان جمال الاسلوب هو الذي يخلد » وقال فيه اناتول فرانس : « ان مجد الشاعر الذي احتفل امس آخر احتفال بوفاته يأتي عليه اليوم دهر صعب حرج لقد ذهب اعجاب المعجبين به الذين كلوا واعيوا بعد ان جهدوا في ذلك الاعجاب خمس عشرة سنة ، وتبددت طائفة من الاوهام فقد كانوا يظنون ان شاعراً كبيراً فكر اكثر من ذلك » . انظروا الى تناقض هذين الرأيين في شاعر مثل « هوغو Hugo » ومنه يتبين لكم قلق الادب واضطرابه فاذا كان الامر كما وصفنا فما أجدر الذين يريدون ان يذوقوا لذة الادب بالانفراد بآرائهم دون ان يكون لغيرهم سلطان عليهم .

لا يخفى على الاستاذ الفاضل ان في الفنّ الادبي طائفة من العوامل «مستندة الى العقل» خالدة بخلود الجمال ، لان الادب لا يقوم فقط «باتباع الذوق والعاطفة» والا فهو متقلقل مضطرب ، ولا يخفى عليه ان هذه العوامل تؤثر فينا ، عند درسنا كاتباً او شاعراً ، الاثر نفسه التي تكون قد اثرته في من تقدمنا من الدارسين . فمن باب اضاعة الوقت اذاً ان ينفرد كلّ منا في احكامه ، وان يبدأ عصر النقد الادبي بنفسه . هذا فضلاً عن انه ليس لكل ناقد من حسن الذوق ما يكفل له الوصول الى الحقيقة النقدية في انفراده الشخصي ، وان يكن هذا المذهب قد نجح مع جول لومتر ، او من هم على شيء من ذوق جول لومتر ، فلا ينجح مع الكثيرين غيره . من الحسن ان نستقلّ بالحكم الشخصي ، ولكن ذلك يكون بعد الاطلاع على احكام من تقدّمنا . لانه لو لم يكن في عرض رأينا على رأي الغير الّا تنجيتنا من الادعاء والتبجح بمقدرتنا على اكتشاف كل شيء ، لكفى !

اما مثل الخلاف بين فاغيه وفرانس في الحكم على فيكتور هوغو الذي اختاره الاستاذ جبري وظنه حجة لكلامه ، فهو ابعد من ان يؤيد ذاك الرأي . ومن الغريب ان لا يرى الاستاذ ان الخلاف بين الناقدين كان سببه اختلاف وجهة النظر ؛ بل لاخلاف بينهما ، اذ ان الخلاف والاتفاق لا يكونان الّا بالنسبة الى شيء واحد مشترك بين الامرين . ونحن نرى ان فاغيه نظر الى اسلوب هوغو ليس غير ، واصدر حكمه بالنسبة الى هذا الاسلوب فقال : « هوغو من الخالدين لأن جمال الاسلوب هو الذي يخلّد . » اما اناتول فرانس فنظر الى قيمة الشاعر الفكرية ، ولما رآها ضئيلة ، اصدر حكمه الشديد ، فبدّد « طائفة من اوهام من كانوا يظنون ان شاعراً كبيراً فكّر اكثر من ذلك » . ولو اورد لنا الاستاذ حكم فرانس على اسلوب هوغو ، او حكم فاغيه على قيمة هوغو الفكرية لكان مجال للمقابلة ، فللخلاف او للاتفاق .

ومهما يكن من امر فاننا نسرّ كل السرور اذ نرى اخواننا ادباء دمشق ينصرفون عن التقليد العقيم ، فيحوّلون ابصارهم الى الامام . . .

ف . ا . ب .

شذرات

التذكار المئوي لنقل جسد القديس منصور دي پول

في ٢٥ و ٢٦ و ٢٧ نيسان الفائت، احتفل المرسلون اللازاريون الكرام، في كنيستهم بباريس، احتفالاً شائقاً اشترك فيه الكرادلة والاساقفة والمرسلون، وذلك لمرور مائة سنة على نقل جسد مؤسسهم القديس منصور دي پول الى كنيستهم المذكورة، بعد ان أُخفي اثناء الثورة الفرنسوية، وتنقل بعدها من كنيسة الى كنيسة. وقد رأينا ان نذكر في ما يلي بعض التفاصيل عن اخفاء الجسد الكريم ونقله:

في بدء الثورة الفرنسوية، وُضع الجسد في صندوق من السنديان، وأُخفي في بيت السيد كلاره (Clairet) وكيل اللازاريين امام المحاكم. ولما رجعت راهبات المحبة الى باريس، سنة ١٨٠٠، طلبن الى الاب برونه (Brunet)، نائب الجمعية العام اذ ذاك، ان يسمح لهنّ بنقل الجسد الى كنيستهنّ. فسمح لهنّ بذلك، فنُقل الجسد على اثر بناء الكنيسة سنة ١٨٠٥.

ثم كان ان رئيس اساقفة باريس السيد دي كيلان قدَّم، باسم مدينته، صندوقاً بديعاً من الفضة الخالصة، يرى المطالع رسمه في اول الصفحة التالية، ليحفظ فيه جسد القديس. فنُقل الجسد الى دار الاسقفية، سنة ١٨٣٠، ووضع في الصندوق الجديد. ومن هناك جرى الاحتفال بنقله الى كنيسة الآباء اللازاريين، وهم احقّ الناس به.

وقبل الاحتفال أُجري فحص الجسد، فكان طول الهيكل متراً و ٦٠ سنتمتراً، ينقصه ١١ ضلعاً، واليد اليسرى، وعظمة الركبة اليمنى، و ١٣ سناً، سبعة من الفكّ الاعلى، وستة من الاسفل. وكانت العظام قد رُبط بعضها الى بعض بشريط من نحاس. فالبس الجسد قميصاً من حرير ابيض، وفوقها قمص القديس، ثم بطرشيل بنفسجي اللون موشّى بالذهب. ثم أُلبس فوق هذا ثوباً من حرير اسود، فوقه «درع» ثمينة جداً وعليها بطرشيل موشّى

الصندوق الفضي وضعه جسد القديس منصور

بالذهب الخالص . ووضع في رجليه حذاء من مخمل اسود . ثم كُوّن على عظام الوجه قناع من الشمع يشبه صورة القديس ، وألبس على رأسه قلنسوة من حرير اسود . وكذلك جعل على عظم اليدين ما يمثلهما من الشمع ، ووضع بينهما متكئاً على الصدر ، الصليب الذي كان يحمله القديس عند حضوره وفاة الملك لويس الثالث عشر ، وكان محفوظاً في كنيسة نوتردام . ومُدّد الجسد على فراش من الحرير البنفسجي . ثم خُتم الصندوق وظلّ معروضاً للاكرام ١٣ يوماً .

وفي ٢٤ نيسان ١٨٣٠ ، الساعة الثانية بعد الظهر ، بدأ الاحتفال ، فاقيمت صلوات فاه بعدها بعظة بليغة الاب ماتيو ، الذي صار فيما بعد كردينالاً . وفي صباح اليوم التالي اكتظّت طرقات العاصمة ، فاقيم قداس صارخ . والساعة الثانية بعد الظهر سار الموكب الفخم بحية السيد لامبروشيني (Lambruschini) السفير البابوي في باريس ، والسيد دي كيلان ، رئيس اساقفتها . فاستقبله في كنيسة اللازاريين رئيسهم العام الاب سالورن (Salhorgne) حسب المراسيم الدينية . وهنا فاه رئيس الاساقفة بخطبة بليغة اجابه عنها

الرئيس العام . ودامت الاحتفالات تسعة ايام متواليـة ، زار في اثنائها كنيسة اللازريين عشرات الالوف من الناس . ومن جملتهم ملك فرنسة شارل العاشر مع اعضاء الاسرة المالكة ، والدوقة دي باري (Berry) . وقد رغب الملك الى رئيس الاساقفة في ان يضرب على نفقته ايقونةً تذكارية لهـذا الاحتفال . فنقشت ايقونة تمثل من جهة العذراء حاملة الطفل ، ومن الجهة الثانية القديس منصور ، فضُرب منها ٣٠,٠٠٠ من ذهب وفضة ونحاس .

هذا هو الاحتفال العظيم الـذي قام بتذكاره المثوي الآباء اللازريون في باريس فاشتركت معهم بالروح الملايين من البشر التي خُففت عذاباتها وبلاياهـا بفضل ابناء القديس منصور ، بطل المحبة الخالد ، وشفيع جميع الشركات الخيرية في العالم كله .

المحصولات الداخلية في مناطق الانتداب

نشرنا في مشرق السنة الفائتة (ص٣٧٨) عدة فوائد عن محصولات بلادنا الزراعيـة مدة سنة ١٩٢٧ ، اخذناها عن نشرة بنك سورية ولبنان الكبير ؛ فرأينا اليوم ان نتم تلك الفوائد بنشر ما يقابلها عن سنة ١٩٢٨ ، آخذين ذلك عن العدد الخامس (١٩٢٩) من النشرة ذاتها :

الزراعة

الحالة الزراعية العامة

كانت النتائج الزراعية في سنة ١٩٢٨ اضعف مما كانت عليـه اجمالًا في السنوات السابقة . فانه فضلًا عن تأثير الجراد وغيره من الحشرات الضارّة في بعض الاماكن ، كان الجفاف المستمر في فصـل الشتاء والربيع في مجمل المناطق ، والهواء المحرق الذي هبّ على الشواطئ في الربيع من افعل اسباب المحل . فقدت الغلال غير كافية بل ماحلة في الكثير من المناطق ، لاسيما في ما خصّ الحبوب . اما مساحة الاراضي المحروثـة سنة ١٩٢٨ فكانت هي نفسها على التقريب في السنة السابقة .

الحبوب

بلغت مزروعـات الحبوب الشتوية ، اي القمح والشعير ، في سنة ١٩٢٨ ، حسب احدث التقديرات ، مساحة ٧٧٥,٢٩٠ هكتارًا ، وكانت قد بلغت في السنة الفائتة ٧٦٠,٧٠٠ هكتار . وهي تقسم كما يلي : ٤١٤,٣٩٠ هكتارًا للقمح

تقابل ٤٩٥,٥٠٠ هكتار سنة ١٩٢٧ ، و٣٦٠,٩٠٠ هكتار للشعير تقابل ٢٦٥,٢٠٠ هكتار في سنة ١٩٢٧.

ولكن على الرغم من هذه الزيادة المهمة في مساحة المزروعات ، ولاسيما الشعير الذي عزز زراعته سهولة تصريفه حتى كادت تبلغ مساحة الارض المخصصة له مساحة ارض القمح ، فان محصولات هذين النوعين كانت غير كافية لما اضرّ بالمزروعات من تقلب الاحوال الجوية . فلم يبلغ محصول القمح الا ١٧٤,٠٠٠ طن يقابلها ٣٦٢,٠٠٠ طن في سنة ١٩٢٧ ، وبلغ محصول الشعير ٢٩٨٠٠٠ طن يقابلها ٣٣٥,٦٢٢ طناً سنة ١٩٢٧.

وان مقابلة محصولات هاتين السنتين وقد كانت الامطار في الاولى منها كافية ، وفي الثانية ناقصة عن المعدل المعتاد ، تظهر اهمية الامطار ، وما يكون من المنفعة العظيمة لمجمل مناطق الانتداب اذا تحقق مشروع الري الذي لا يزال الآن تحت الدرس.

وقد لحق ضرر الجفاف ذاته بزراعة الحبوب الصيفية كالذرة البيضاء والصفراء . وكان من نتائج ذلك ان نقصت مساحة الارض المزروعة ونقصت المحصولات ايضاً . فلم تبلغ المحصولات الّا ٧٢,٠٠٠ طن في مساحة ٥٥,٠٠٠ هكتار يقابلها ٨٠,٦٥٠ طناً في مساحة ٦٣,٩٨٠ هكتاراً في السنة الفائتة.

هذا وقد رأينا الى جنب هذه المزروعات التقليدية نوعاً جديداً ظهر في بلاد العلويين ، في الجهة الشمالية من قضاء مصياف ، وهو زراعة الرز . وقد نجحت تجاربها النجاح الكافي الّا ان رخص هذا الصنف في السوق العالمية لا يسمح للمزارعين الوطنيين بمنافسة غيرهم ، ومن ثمّ يعيق تقدّم هذه الزراعة.

القطن

ان النتائج السيئة التي ظهرت في محصولات القطن سنة ١٩٢٧ بسبب سوء الاحوال الجوية أثّرت في مزارعي سورية ، فصرفتهم عن زراعة القطن الى غيرها فلم يخصصوا بهذا الصنف الّا ٤,٣٨٥ هكتاراً يقابلها في السنة الفائتة ١٣,٦٠٥ هكتارات. فكان من نتيجة هذا الانقاص ، ومن نتيجة جفاف الشتاء ايضاً ، ان المحصولات لم ترد عن ٥,٧٠٠ بالة بعد ان بلغت ٢٠,٠٠٠ بالة سنة ١٩٢٧ .

بيد ان النتيجة كانت على عكس هذه في دولة العلويين حيث تقدمت زراعة القطن تقدماً محسوساً على الرغم من ان احوال المناخ لم تكن احسن منها في سورية ، فارتفعت مساحة الارض المزروعة من ٣٠٠ هكتار في سنة ١٩٢٥ الى ٣,٠٠٠ هكتار في سنة ١٩٢٨ ، وبلغت الصادرات نحو ٣,٥٠٠ بالة

وكان السبب المهم لهذا التقدم استعمال نوع جديد من القطن هو المعروف «بلون ستار» الذي استبدل به مجمل المزارعين النوع الوطني القديم. ويكفي ان تذكر ان محصول الهكتار ، بفضل هذا الاستبدال ، ارتفع من ٥٠٠ فرنك الى ٤,٠٠٠ فرنك حتى نبين كل ما في هذه الزراعة من المنفعة لمناطق الانتداب.

وعليه فقد عينت «الشركة القطنية للمستعمرات» في فرنسة ممثلاً عاماً ، مركزه اللاذقية ، ومهمته ان يضع ، بالاتفاق مع الحكومة الوطنية وممثل السلطة المنتدبة ، برنامجاً لتوسيع مجال هذه الزراعة يطبق على مجمل مناطق الانتداب.

الدخان

بلغت محصولات الدخان في لبنان ٧٠٠,٠٠٠ كيلوغرام يقابلها ٦٥٠,٠٠٠ في سنة ١٩٢٧ ، وبلغت في بلاد العلويين ٥٧٢,٠٠٠ كيلوغرام يقابلها ٥٠٠,٠٠٠ سنة ١٩٢٧ . ويعتبر ان الجفاف الحاصل في لبنان أثر في محصولاته فانقصها نحو الثلث.

الصوف

يظهر من المعلومات المستقاة من اشهر محلات اصدار الصوف ان محصولات هذا الصنف في السنتين الاخيرتين كانت كما يلي:

محل الاصدار	١٩٢٧ كيلوغرام	١٩٢٨ كيلوغرام
حلب	٣,٦٦٠,٠٠٠	٢,٨٥٠,٠٠٠
حماه	-	٤٠٠,٠٠٠
حمص	٥٨٠,٠٠٠	١٢٠,٠٠٠
دمشق		٣٨٠,٠٠٠
المجموع	٤,٢٤٠,٠٠٠	٣,٧٥٠,٠٠٠

اما النقص في محصولات سنة ١٩٢٨ فناتج عن الجفاف ، فالمحل في المراعي الذي اضعف القطعان فقلل عدد رؤوسها. ولكن مهما يكن من ذلك فان هذه النتائج لا تزال حسنة وهي تمثل موردًا من اهم موارد سورية . اما البلاد التي تشتري الصوف السوري فاولها اميركة التي اشترت ثلاثة ارباع المحصول ، ثم ايطالية ، ففرنسة ، فانكلترة ، فتركية.

الزيتون

ان محصولات الزيتون اتت بنتائج مقبولة ، اذا اعتبرنا مجمل مناطق الانتداب ، فتراها بلغت ٤٠٢,٨١٥ قنطارًا يقابلها ٥٠٩,٦٣٦ قنطارًا سنة ١٩٢٧ . الّا انها امتازت بامر غريب وهو عدم معادلتها في كل المناطق . من ذلك ان زيتون الشواطئ تأثر كثيرًا بالحوادث الجوية السيئة فلم يبلغ محصوله في لبنان الّا ١٠٠,٠٠٠ قنطار يقابلها ٣٠٠,٠٠٠ في السنة السابقة ، ولم يبلغ محصوله ، في بلاد العلويين الا ٣٦,٠٠٠ قنطار يقابلها ١٠٨,٠٠٠ في السنة السابقة على حين ان مساحة الزيتون لم تتغير.

اما في الداخلية فكان الامر على خلاف ذلك فان منطقة الزيتون الكبرى في نواحي ادلب والحارم اتت بنتائج غاية في الحسن ، على الرغم من نقص قليل حدث في مساحة الارض المغروسة زيتونًا ، فبلغت محصولات ٢٦٦,٠٠٠ قنطار يقابلها ٩٩,٠٠٠ قنطار سنة ١٩٢٧

وسبب هذ الاختلاف ميزة من ميزات الزيتون في مناطق الانتداب ، اذ يتعلق محصوله بنوعين من الاراضي متباينين كل التباين من حيث التأثر بالعوامل الجوية. حتى انه من الصعب ان تكون المحصولات حسنة ، في السنة ذاتها ، في الداخلية وعلى الشواطئ.

هذا وان الحكومات الوطنية التي عرفت اهمية الزيتون في موارد البلاد الاقتصادية ، وسعة الارض المخصصة لغرسه ، لا تألو جهدًا في سبيل تعزيزه وزيادة انتشاره. وهكذا فان الحكومة اللبنانية باعت بثمن قليل الى من طلب ذلك من الزارعين ، نحو خمسة عشر الف نصبة من مطاعيم الزيتون.

مطبوعات شرقية جديدة

F. Falck : L'Algérie, un siècle de colonisation française. *Gr. in-8°, 2 cartes, 52 photogr. Prix : 15 fr. Paris, Edition Notre domaine colonial.*

الجزائر : مائة سنة من الاستعمار الفرنساوي

مؤلف الكتاب من موظفي ادارة الحكومة العامة في الجزائر . وعليه فهو مطلع تمام الاطلاع على انظمة البلاد ، واقتصادياتها . وقد جاء كتابه وافياً بالموضوع على الرغم من كون القسم المختص بالجغرافية الطبيعية مقتضباً نوعاً ما في نظرنا . على ان الكتاب ينيل المؤلف غايته ، وهي ان يظهر الثروات الطبيعية في افريقية الشمالية .

ج . ل

Paul Huvelin : Etudes d'histoire du droit commercial romain (histoire externe — droit maritime). *Ouvrage publié après la mort de l'auteur par* **H. Lévy-Bruhl,** *augmenté d'un appendice. in-8° de 298 pp. 1929, Librairie du Recueil Sirey.*

دروس في تاريخ الحقوق الرومانية التجارية

جمع هذا الكتاب مواد عدة دروس القاها المؤلف في ليون ، قبل الحرب الكبرى ، على طلاب الدكتوراه في الحقوق . وانه يلذ لجميع مريدي المؤلف المرحوم ان يطالعوا اقوال من رفعه اخلاصه للعلم الى اسمى درجات الاعتبار . وقد الحق به السيد لاڤي - بروهل ، الواقف على طبعه ، رسالتين نادرتين في العلاقات بين الحقوق والعقائد الدينية ، ومن ذلك اللوحات السحرية والحق الروماني . ويشمل المجلد تاريخ الحقوق الرومانية التجارية من اوائلها الى العهد البيزنطي ، ثم بحثاً في حقوق النقليات البحرية . وذكر في الختام جدول بالنصوص الموردة .

ج . ل .

A. Lugan : L'évangile et les biens terrestres. *Edition Spes Prix : 9 fr.*

الانجيل والخيرات الارضية

هي حلقة من سلسلة الابحاث المعروفة باسم « الفكر والعمل الاجتماعي في

الدين المسيحي » خصها المؤلف بمسائل الملكية ، والمال ، والفقر ، والصدقة ، والفائدة ، فاتى في كل ذلك على امور مهمة ، ولاسيما في عصرنا . فيجدر بكل كاثوليكي الاطلاع عليها .

La Médecine dans les Missions, *conférences données à l'Institut Catholique de Paris* .1928-1929. 1 *vol.* (12 × 19). 256 *pp. Bloud et Gay, Paris. Prix :* 14 *f*.

الطب في الارساليات

لقد خصص « اتحاد الارساليات الاكليريكية » بهذا الموضوع المهم سلسلة محاضرات ، القيت في المعهد الكاثوليكي في باريس ، قام بها عدة اختصاصيين من مشهوري العالم الطبي ومشهوري اهل الارساليات رجالاً ونساء . فشملوا الموضوع من جميع اطرافه ، مبتدئين بالاشارة الى الهمة التي بذلها قداسة البابا بيوس الحادي عشر في تلقين المبادئ الطبية لافراد المرسلين . ثم تبسطوا في كيفية هذا التلقين . ومن ثمّ انتقلوا الى وصف اهم الامراض التي يصادفها المرسلون ، وتشخيصها ، وكيفية مداواتها والوقاية منها . وقد خصت المحاضرات الاربع الاخيرة بعمل الراهبات المرسلات التي تظهر معاونتهنّ ثمينة جداً في المستشفيات والمستوصفات .

Louis Houllevigue : La vie du Globe et la Science Moderne. 1 *vol. in*-18, 22 *fig. Armand Colin, Paris. Prix*:14 *f*.

حياة الكرة الارضية والعلم العصري

عرف السيد هولفيك ، الاستاذ بجامعة اكس - مرسيليا بابحاثه السابقة في « المادّة » ، و « تطوّر العلوم » و « السماء والجوّ » ، وها هو يجتهد اليوم بان يفيد من يرغب من القرّاء في فتح ميادين جديدة لترويض الفكر بالابحاث العلمية النظرية . وان المواضيع التي يطرقها في هذا الكتاب لَذات بالاهمية لانها تمسّ حياة كرتنا الارضية ، وتبسط بعض الاشعة على تكوينها ، وماضيها وحاضرها ومستقبلها . والمؤلف يقوم بكل هذا بلغة سهلة ، واسلوب واضح ، فيذكر كيف وسّعت الاكتشافات العلمية معلوماتنا بهذه المواضيع ، ويقرّ المبادئ العامة لدرس طبيعة الكون ، وهي القواعد التي قليلاً ما تتغير ، مع انها في تطوّر دائم .

E. Granger : Atlas-guide géographique « Alpina ». *Editions Alpina, Paris. Prix : 15 f.*

دليل جغرافي مصوّر

هذا دليل صغير بحجم الجيب غاية في الفائدة ليس فقط بخرائطه الملوّنة العديدة التي لم ينسَ المؤلف فيها بلادنا ، بل بوفرة ما فيه من المعلومات الدقيقة ، وبجدوله الابجدي الاخير .

M. Florisoone : Le Cardinal Dubois. [*Biblioth. Cath. illustrée*] 1 *vol. in-16, 64 pp., une centaine d'illustr., Bloud et Gay, Paris. Prix : 4 f.,75*

الكردينال ديبوى

لم تمرّ الاشهر بعد على ختام حياة الكردينال ديبوى ، وها ان الابحاث في هذه الحياة الخصبة المتنوّعة الاعمال قد بدأت تظهر بالطبع . فقد نظر المؤلف الى مختلف مظاهر حياة الكردينال ، تصوّرها بكلامه ورسومه العديدة الجميلة التي اتحدت مع الكلام فاظهرت الكردينال العظيم بهيئته الطبيعية ، ومواقفه المتعدّدة ، وفكرته السامية .

Romain Rolland : 1 - La vie de Ramakrishna. 1 *vol.*
2 - La vie de Vivekananda. 2 *vol. Paris, Librairie Stock.*

حياة راماكرشنا ، وحياة ڤيڤكانندا

اضاع المؤلف وقته بهذا العمل القليل القيمة الذي يقيم فيه من مظاهر الاضطراب العقلي في الهنود امثلة عليا لاهل اوربة . فبعد ان قام بوظيفة المبشّر بانجيل غاندي ، شاء ان يطلع الاوربيين على نفس فنان صرف خمسين سنة (١٨٣٦—١٨٨٦) عرضة لبعض ازمات عصبية عدّها البعض انجذابات . وكان من الطبيعي ان يكون لهذا المنجذب تلاميذ يتأثرون آثاره . فكان من هؤلاء ڤيڤكانندا المتوفى سنة ١٩٠٢ ، بسن الثانية والثلاثين ، وقد خصّ به المؤلف كتابه الثاني .

D. G. Mukergi : Le visage de mon frère, *traduit de l'anglais*, 1929. *Paris, Librairie Stock.*

وجه اخي

المؤلف هندي ابن احد فقهاء كلكتة المعروفين ، اقام اثنتي عشرة سنة

في جامعات انكلترة واميركة ، ثم رجع الى بلاده ، فنشر سنة ١٩٢٤ هذا الكتاب ، الذي طبع في نيويرك ، جامعاً فيه كل ما رأى وسمع مما تفيد معرفته ويمكن الركون اليه لوفرة اطلاع الكاتب . وبين يدينا الترجمة الامينة مع الاقتضاب في بعض الفصول .

E, Bourgeois : Ce qu'il faut connaître du Passé de la France. 1 *vol. sur papier alfa. Boivin et Cie, éditeurs, Paris. Prix :* 8 *fs.*

ما تجب معرفته عن ماضي فرنسة

يقوم الاستاذ شارل روبر دوما (Dumas) بنشر سلسلة « عنوانها : ما تجب معرفته ... » غايتها بسط الابحاث العلمية والتاريخية لجمهرة المطالعين . وآخر ما ظهر منها كتاب في تاريخ فرنسة ، ألفه المؤرخ بورجوا ، عضو المجمع العلمي والاستاذ في جامعة السوربون ، فوضع فيه ملخص دروسه التاريخية ، مدة خمسين سنة ، مقروناً الى بعد نظر في البحث ، ووضوح في الحكم ، ومهارة في فن التاريخ الذي اضحى مهنته الخاصة . جمع في ١٨٠ صفحة كل ما يجب على الفرنساويين معرفته عن ماضي بلادهم ، مبتدئاً من اقدم العصور ، منتهياً سنة ١٨٧٠ ، محللاً كل الحوادث المهمة ، مستخلصاً نتائجها العملية التي أثرت في ما مضى ، والتي يجب عليها ان تؤثر في الحاضر والمستقبل ، جاعلاً من كل ذلك عبرة تنادي الفرنسويين حيث كانوا ، في الشارع ، او في المعمل ، او في المكتب ، قائلة : « دونكم من اين جئتم ، ودونكم أين يجب عليكم ان تسيروا ! » والخلاصة ان الاستاذ بورجوا نجح في عمله كل النجاح .

«**Yerushalayim**» Journal of the Jewish Palestine Exploration Society. Dedicated to the memory of Abraham Moseh Luncz in commemoration of the tenth year after his death (Iyar I. 5678). *Edited by I. Press and E. L. Sukenik. Published by Darom Booksellers and Publishers. Jerusalem,* 1928. 400 *pp. in-8°. Prix :* 12 *shil. ou* 3 *dollars.*

اورشليم

هو اثر تذكاري لتكريم العالم اليهودي الربّان ابراهيم لونص الذي عمل كثيراً ، على رغم عماه ، في سبيل تقدم الدروس اليهودية والفلسطينية ، وتوفي قبيل انتهاء الحرب الكبرى ، في ١٣ نيسان ١٩١٨ . فقام ابناء ملته بتكريم

ذكراه وألّفوا هذا الكتاب جامعين فيه ٢٦ مقالة باللغة العبرانية تتخلّلها الرسوم والتصاوير ، عن العاديّات الفلسطينية ، والآداب الكتابية واليهودية ، والجغرافية وما قبل التاريخ ، والعلوم الطبيعية ، يتقدّم كل ذلك ترجمة حياة الفقيد ، وجدولان بآثاره رتّبت احدهما ابنته حنه لونص - بولطين . وقد ختم الكتاب بمقالين احدهما باللغة الالمانية من قلم السيد غوته (Guthe) وموضوعه « روب » ، والثاني باللغة الفرنسوية من قلم الاب آبل (Abel) عن الفريفاشيت . ومما يستحق ذكرًا خاصاً من المقالات العبرانية بحث الربّان سيگال (Segal) في ترجوم يوناثان ، والابحاث العاديّة للسادة سوكنيك (Sukenik) عن ضريح يهودي في جبل الزيتون ، وبنكرفيلد (Pinkerfeld) وكروس (Krauss) عن بعض الهياكل القديمة ، والدكتور شالم عن المعدن الظرّاني في مُصى ب. م.

اربعون عاماً في حوران وجبل الدروز

للمطران نيقولاوس قاضي

مطبعة القديس بولس في حريصا ، لبنان — ١٤٣ صفحة متوسطة

ومن اجدر بالكلام عن حوران وجبل الدروز من سيادة الحبر الجليل المطران نقولاوس قاضي ، رئيس اساقفة بصرى وحوران ، الذي قضى اربعين عاماً يجول في انحاء ابرشيته ، يدرس اخلاق اهلها وعمل على تحسين احوالهم الروحية والمادية مشاركاً اياهم في السرّاء والضرّاء ، وشاهد عن كثب ثورة حوران الاولى فتدخل في قمعها مع سامي باشا الفاروقي ، ثم كان من نصيبه ان يتدخل ايضاً في ثورة الجبل الاخيرة ، فكان في الحالين اميناً على ثقة الدولة الحاكمة ، غيوراً على مصلحة شعبه على اختلاف طوائفه ، مما جعله جديراً بكل اعتبار واحترام . ولم تتأخر المقامات العليا من دينية ومدنية عن اظهار اعتبارها ، فوردته عدّة رسائل اودعها ملحقاً بكتابه لتظلّ شهادات ناطقة بصحة اقواله . ومما يستحق ذكرًا خاصاً ، في الكتاب ، فضلاً عما فيه من المعلومات النفيسة الحرّية بكل ثقة ، لهجة المؤلّف المفضال الجامعة بين قوّة الحقيقة وبساطة المترفع عن كل غاية دنيويّة في ذكرها . هذا الى ما في الكتاب من المثل الصالح القائم بتفاني الراعي المتيقّظ في سبيل رعيته ، المتكل في كل مآتيه على

العناية الالهية . وقد زيّن الكتاب بعدّة رسوم للكنائس التي سعى سيادته في بنائها ، او ترميمها ، في حوران وجبل الدروز ف. ا. ب.

صاحب مختار الصحاح

تأليف عبدالله مخلص

٢٦ صفحة كبيرة

للسيد عبدالله مخلص ، عضو المجمع العلمي العربي في دمشق ، همّة لا تني وجلد لا يملّ في التنقيب عن الآثار الادبية القديمة لاسيما ما اتصل منها بالتاريخ وقد افرغ جهده ، في هذا الكتيّب ، في البحث عن صاحب مختار الصحاح ، محمد بن ابي بكر الرازي ، من اهل القرن السابع الهجري ، وعن عصره وما وصل الينا من ترجمته ، فطالع الكتب التاريخية العديدة من مطبوع ومخطوط ، واستفتى كبار العلماء ، ولخّص كل ذلك في صفحات يطالعها المتأدّب ببرهة وجيزة فيستفيد منها ، فضلاً عن المعلومات القيّمة ، طريقة علمية للبحث والتنقيب. ف. ا. ب.

بديعية العميان

لمحمد بن جابر الاندلسي — نشرها عبدالله مخلص

المطبعة السلفية ، القاهرة ، ١٣٤٨ — ٥٢ صفحة صغيرة

هذا الكتيّب من آثار السيد عبدالله مخلص ايضاً ، نشر فيه بديعية شمس الدين ابي عبدالله بن جابر الاندلسي الاعمى ، من اهل القرن الثامن الهجري ، المسمّاة « الحلة السيرا في مدح خير الورى » والمعروفة باسم « بديعية العميان » . وقد قدّم عليها بحثاً مفيداً في مخطوطاتها ، وترجمة صاحبها ، وتعريف علم البديع ، وذكر البديعيات المطبوعة والمخطوطة الا انه سها ، في هذا القسم الاخير ، عن ذكر ثلاث بديعيات للخوري ارسانيوس الفاخوري († ١٨٨٣) (اطلب المشرق (٤ [١٩٠١] ٢٦) وقد نشر فيه احداها وهي ميمية على البحر الكامل) وبديعيتين للخوري نقولا الصائغ († ١٧٥٦) (اطلب المشرق (٢٥ [١٩٢٧] ٦٠٢) . وختم الكرّاس بعدّة ملاحظات قيّمة سعادة احمد تيمور باشا. ف. ا. ب.

اهمّ حوادث الشرق في شهر

١٥ اذار — ١٥ نيسان

روسيا والشرق

* قام قداسة الحبر الاعظم في ١٩ الفائت بقداس صارخ على نية تخفيف الاضطهادات في روسية ، فاشترك بنية الحبر الاعظم ليس العالم الكاثوليكي فحسب ، بل كل العالم المتمدن. ما السوفييت فلم يكونوا ليخففوا من غلوائهم في اضطهاد الاديان جماء ؛ وقد اذاعت لجنة اتحاد الملاحدة نشرات على جميع فروعها طالبة ازكاء نار الدعاية ضد الدين بمناسبة حلول عيد الفصح عند الطوائف الكاثوليكية والارثوذكسية واليهودية في وقت واحد وتأليف جبهة حربية واحدة لمقاتلة المؤمنين . وقد سعت هذه اللجنة لدى مفوضي الشعب كيما يأذنوا لها ليلة العيد بان تنسف بالديناميت عدة كنائس مسيحية ومجامع يهودية.

* رقي السيد مرغوتي ، ممثل الكرسي الرسولي في الاستانة ، الى الدرجة الاسقفية.

لبنان وسورية

* سقطت وزارة الاستاذ اميل اده في ٢٠ اذار. وبعد تردّد دام ثلاثة ايام ، ألفت الوزارة الجديدة في ٢٣ منه ، وقوامها اوغست باشا اديب رئيساً ووزيراً للمالية والزراعة ، والسيد احمد الحسيني للعدلية ، والسيد موسى نمور للداخلية والصحة والاسعاف العام ، وحسين بك الاحدب للاشغال العامة ، والسيد جبران التويني للمعارف . اما برنامج الوزارة الجديدة فوافق بجمله ، حسب تصريح رئيسها ، لبرنامج الوزارة السابقة.

* لا يزال الاضطراب سائداً القضية السورية ، وقد قابل رئيس الجمعية التأسيسية مؤخراً المفوض السامي مقابلة طويلة ، اذاع بعدها الرئيس بياناً على الشعب السوري ضمنه ذكر المراحل التي اجتازتها القضية منذ انعقاد الجمعية التأسيسية وختمه بمناشدة الامة الاتحاد وتأميلها بنيل الاماني مهما طال عليها الوقت ...

حزيران ١٩٣٠

اين ومتى

تُرجمت التوراة اليونانية «السبعينية»؟

لحضرة الخوري لويس ملحه

احد اعضاء الجمعية الاثرية الملكية في الاسكندرية

ان في امر ترجمة التوراة اليونانيـة الشهيرة «بالسبعينية» ، اقوالاً كثيرة متباينة يتيه الزائد في مجاهل ابحاثها العويصة التي حارت بها عقول العلماء والاقطاب ، بدليل انـك لا تكاد تنتهي من مطالعة مؤلف يبحث في شأن هذه الترجمة وتعمد الى تصفح آخر ، حتى تعروك الدهشة من التناقض الكائن بين هذين المؤلفين ؛ اذ بينما ترى هذا مثلاً يقصّ عليك حكاية هذه الترجمة على ما رواها اريستاوس في رسالتـه الشهيرة ، التي ارفدها الى اخيه فيلوكرات ، يأتيك ذاك فيفند تلك الرواية بما لديه من الادلة ، زاعماً ان تلك حكاية مصنوعة ملفقة لا اثر لها من الصحة . وقد رأينا نحن ان

ننهج السبيل الاوسط في مقالتنا هذه بحيث نأخذ صفوة اقوال اولئك الكتبة ، فنعارضها ببعضها ثم نحصل منها ما نراه اقرب الى التصديق ، وفاقاً لما اورده كبار الأيمة ممن وضعوا هذا البحث الخطير على محك التمحيص والانتقاد ، واماطوا الستار عن كثير من غوامضه وخفاياه . وبناء عليه قد قسمنا مقالتنا في بادئ الامر الى مطلبين تمهيديين ، فنتكلم في الاول منهما عن زمن هجرة اليهود الى الديار المصرية . ثم نتخطى في المطلب الثاني الى البحث عن تاريخهم في مدينة الاسكندرية ، وعمّا كان من امرهم هناك ، ولاسيما عمّا يتعلق بنسيان لغتهم العبرانية واتخاذهم اللغة اليونانية - المكدونية بدلها . ثم نتطرق الى المطلب الثالث الذي فيه نأتي على تاريخ ترجمة التوراة اليونانية « السبعينية » وما اليها . والله تعالى ولينا فيما نقوله على صفحات هذا « المشرق » المنير .

المطلب الاول

في الزمن الذي حلّ فيه اليهود بالديار المصرية

لقد انبأنا ارميا النبي ، في ف ٤٢ و ٤٣ من سفره الجليل ، بان طائفة من اليهود نزلوا مصر بعد خراب اورشليم بزمن قليل ، وكان هو منهم . ثم عاد وافادنا ، في ف ٤٤ ع ١ ، بان من هؤلاء اليهود من استوطن مصر العليا والنوبة حيث حلّوا بمجدول وتحفنحيس ونوف وارض فتروس[1] . على ان من القوم من ذهب الى ان اليهود جاؤوا مصر قبل ذلك العهد ، اذ قالوا ان حارل اليهود بمصر كان في سنة ٧٣٣ ، اعني بعد افتتاح الاشوريين للسامرة . فاذا صحّ ذلك ، كانت هجرة اليهود اذن الى مصر قبل استحواذ نبوكدنصر على اورشليم في سنة ٥٨٧ . وهذا ما يؤيد رأي اريستاوس ، الذي اورد ، في رسالته الشهيرة الى اخيه فيلوكرات ، بان فريقاً من اليهود كانوا في الديار

١) مجدول مدينة قديمة في مصر السفلى لم يبقَ الاثريون موقعها حتى اليوم – وتحفنحيس واقعة في تخوم الدلتا الشرقية ، وهي المشهورة عند سكان مصر الحاليين بتل دفنة – ونوف ، اي ممفيس ، كانت عاصمة مصر في الاعصار السالفة وتعرف في زمننا بالبدرشين – اما ارض فتروس فاسم لمناطقة في مصر العليا وعاصمتها « ثيبة » الطائرة الشهرة .

المصرية في ايام بساماتيك الثاني ، الذي ملك من سنة ٥٩٤ الى سنة ٥٨٩ قبل المسيح ، ودعم رأيه بقوله انه وجد بين جنود هذا الملك ، عندما شنّ الغارة على الحبش ، فرقة من اليهود . فلا يبعد ، والحالة هذه ، من ان يكون الفرعون نكو سلفه قد ساق هؤلاء اليهود معه الى مصر ، عند عودته من غزوة فلسطين ، بعد ان اقام هناك الياقيم بن يوشيا ملكاً مكان يوشيا ابيه ، وغير اسمه يوياقيم ، واخذ يواحاز واتى به الى مصر فمات هناك ، كما جاء في ملوك ٤ ف ٢٣ ع ٣٤[1] .

ولقد اماطت اللثام اعمال الحفر والتنقيب في جزيرة اليفنتين في اسوان ، مع توالي السنين ، عن عدة مدارج واضابير بردية ارامية يرقى زمن البعض منها الى القرن الخامس قبل الميلاد . ولم يكد يتهافت رهط من العلماء على دراستها وحلّ رموزها حتى تبين لهم ان في سطورها ما يثبت وجود جالية يهودية في تلك الجزيرة يتكلم اهلها اللغة الارامية التي كانت لغة ديوان ملوك الفرس الحخمانيين الذين بسطوا ولايتهم على الديار المصرية في ذلك العهد السحيق . وكان لتلك الجالية هناك هيكل لاقامة شعائرهم الدينية . وجنح العلّامة اوتينج (Euting) الى ان الملك داريوس الذي ورد اسمه في احد هذه المدارج البردية هو داريوس الثاني الذي توافق السنة الرابعة عشرة لملكه سنة ٤١١ — ٤١٠ قبل المسيح[2] .

فاذا تمهد ذلك دريت ان دخول طائفة من اليهود الاقطار المصرية ، وظعن جالية كبرى منهم عن ديارهم الى الاسكندرية للاقامة فيها على اثر نشأتها ، ليس من الامور المستغربة . ناهيك عمن انتظم منهم في سلك جيش الاسكندر وهو في فلسطين يتحفز للزحف على مصر كما قال يوسيفوس[3] .

* * *

---

١) Lagrange, *Mélanges d'histoire religieuse, page 7.*

٢) اطلب مقالة العلّامة كلرمون غانو Clermont Ganneau في مجلة الانتقاد *Revue Critique, 1906* ؛ والمجلد السادس من كتابه *Recueil d'Archéologie Orientale, p. 23*

٣) J. Vandervorst, *Israël et l'Ancien Orient, page 203*

المطلب الثاني

في تاريخ اليهود في الاسكندرية

لا مراء في ان اليهود كانوا يعدون من اقدم سكان الاسكندرية وكان لهم ، على ما قال يوسيفوس[1] ، بمقتضى براءة الاسكندر ما كان لليونان - المكدونيين من الحقوق الوطنية. وبعد وفاة هذا الفاتح العظيم اعترف لهم خلفاؤه البطالسة بهذه الامتيازات ، وعينوا لهم حياً خصوصياً في المدينة ليقيموا فيه ، وهو الحي المعروف بمنذر بالدلتا وكان مجاوراً للقصور الملكية[2] كي يتمكنوا من المحافظة على نواميسهم وسننهم باكثر دقة بحيث لا يختلطون مع غيرهم من الاجانب الا قليلاً ، ورخصوا لهم علاوة على ذلك بان يحملوا لقب «مكدونيين» ، وكان لهم نوع من الاستقلال وحاكم يدير شؤونهم يسمونه (*Etbnarque*) اي الزعيم الاعظم يعاونه في مهمته مجلس من اعيان الجالية.

ومن المحقق ان بطليموس الاول جعل منهم عدداً لا يستهان به في القلاع والحصون الكائنة في تخوم الدلتا الشرقية.

ولا عبرة بما يدعيه فريق من الكتبة بان تاريخ اقامة اليهود في الاسكندرية وغيرها من المدن المصرية لا يتعدى القرن الثاني قبل المسيح ، لانه ما خلا القراطيس البردية التي اثبتت وجود جالية بل جاليات يهودية في مدينة الفيوم ابان القرن الثالث قبل الميلاد ، فان الكتابة التي عثر عليها المنقبون في مدينة شاديا القديمة (*Schedia*)[3] تؤذن بتدشين مجمع اقامه اليهود في تلك المدينة تكريماً لبطليموس الثالث افرجات وبرنيقة زوجته ، فضلاً عن ان المقبرة

١) حرب اليهود ، كتاب ٢ ف ١٨ ع ٧

٢) طالع معجم العاديات اليونانية الرومانية في مادة *Judaei* ، المجلد الثالث ، ص ٦٢٣

٣) كان موقع مدينة شاديا في الجهة المعروفة اليوم بكوم الجيزة قرب كفر الدوار ؛ والمسافة بينها وبين الاسكندرية نحو خمسة وعشرين كيلومتراً ، وقد شيدت هذه المدينة ، على ما ظهر ، في نفس الزمن الذي شيدت فيه مدينة الاسكندرية . وهناك كانت تنفصل الترعة التي تصل الاسكندرية بالنيل عن الشمية الكانوبية ، وقد عثر في انقاض تلك المدينة على تقادم تدشينية يرتقي عهدها الى اوائل القرن الرابع قبل الميلاد Bouché - Leclercq, *Histoire des Lagides, p. 323 et* Ev. Breccia, *Juifs et Chrétiens de l'Ancienne Alexandrie p.6.*

اليونانية - اليهودية التي حصرت بقاياها في الاسكندرية والتي يرتقي تاريخها الى عهد بطليموس الثاني الفيلادلفي تثبت بان اليهود كانوا يؤلفون في الاسكندرية كتلة عظيمة في بدء القرن الثالث.

ولما اصبحت اللغة اليونانية - المكدونية مع كرور الايام لغة سكان الاسكندرية قاطبة، طفق السواد الاعظم من اليهود يتعلمونها وينكبون على درس آدابها ويتكلمون بها كسواهم من اهل تلك المدينة، مما ادّى بهم في آخر الامر الى نسيان لغتهم العبرانية كما نسي قبلهم يهود جزيرة اليفنتين تلك اللغة واتخذوا بدلها اللغة الارامية[1]. وعليه فبات اكثر يهود الاسكندرية ان لم نقل كلهم بحاجة الى ان تترجم لهم التوراة من العبرانية الى اليونانية ليتأتى لهم مطالعة الاسفار المقدسة ويفهموا ما يتلى منها عليهم في مجامعهم وهياكلهم كما سترى فيما يلي[2].

المطلب الثالث

في تاريخ ترجمة التوراة السبعينية اليونانية

ان اول من روى حكاية هذه الترجمة هو اريستاوس في رسالته الشهيرة التي وجهها الى اخيه فيلوكرات. وقد لخص يوسيفوس هذه الرسالة في كتابه

١) اطلب صفحة ٩ من كتاب Lagrange, *Mélanges d'histoire religieuse*

٢) ذهب غير واحد من العلماء الى ان اليهود في ذاك العهد لم يكونوا قد اوغلوا في يونانيتهم الى حد انهم اصبحوا مضطرين الى ان تترجم لهم التوراة من العبرانية الى اليونانية، وايدوا قولهم بالحفريات التي اجراها العلامة براتشيا مدير متحف الاسكندرية في المقبرة اليونانية - اليهودية الكائنة بالقرب من محلة الابراهيمية في الاسكندرية التي اشرنا اليها آنفاً، اذ ان القبريات او الرقم المدفنية التي عثر عليها هذا الاثري الكبير على القبور اليهودية هناك هي باللغة الارامية - السريانية، وفي ذلك ما يدعو الى القول بان اللغة الارامية كانت لا تزال شائعة بين يهود الاسكندرية في ذلك الزمن البعيد. بيد ان هذا القول لا ينجم عنه ان يهود الاسكندرية كانوا في ذاك الحين بغنى عن ترجمة التوراة الى اليونانية، لانه وان كان قد بقي قوم منهم في الاسكندرية يعرفون اللغة الارامية التي اتصلت اليهم من اجدادهم الذين تعودوا الكلام بها اثناء الجلاء البابلي، الا ان التوراة لم تترجم الى اللغة الارامية الا بعد الترجمة اليونانية السبعينية بدليل ان بين الترجمة الارامية والترجمة الاسكندرية من المشابهة ما يثبت بان اصحابها كانوا يعتمدون في ترجمتهم على الترجمة السبعينية.

المعروف بالعاديات اليهودية كتاب ١٢ ف ٢ حيث قال :

ان ديمتريوس فالير اشار على بطليموس الفيلادلفي ان يزين المكتبة التي انشأها في الاسكندرية واغناها بالكتب والقراطيس بنسخة من التوراة اليهودية مترجمة من العبرانية الى اليونانية. وذلك انه بعد ان اطلق هذا الملك سراح مائة الف من اليهود ممن كان قد اقتادهم ابوه اسرى الى مصر ، بعث برسالة من قبله مع وفد كان اريستاوس من جملته الى اليعازر كبير كهنة اليهود في اورشليم راغباً اليه ان يوفد اليه مترجمين ماهرين ليترجموا التوراة من العبرانية الى اليونانية. فاختار اليعازر ٧٢ مترجماً ستة ستة من الاثني عشر سبطاً مع ذكر اسمائهم ، وارسلهم الى مصر مع هدايا ونسخة من التوراة مدوّنة بحروف ذهبية. فاستقبل الفيلادلفي هؤلاء الاثنين والسبعين بحفاوة واولم لهم ولائم فاخرة مدة سبعة ايام ، والقى عليهم اسئلة صعبة متنوعة فاجابوا عليها بحكمة اعجبت الملك. ولما انتهت مدة هذه الولائم أخذ الاثنان والسبعون الى جزيرة فاروس حيث وضعوا في قصر ملوكي[1] ليتموا هناك بالعزلة والانفراد الترجمة المعهودة فكانوا كل يوم يترجمون جزءاً من التوراة ثم يعمدون الى مقابلته بما ترجمه كل منهم ليكونوا جميعاً على وفاق تام من حيث المعنى. وقد انتهت مهمتهم في برهة اثنين وسبعين يوماً[2]. ثم تليت هذه الترجمة امام الملك الذي اندهش من سمو الشريعة اليهودية وامر بايداع هذه الترجمة في خزائن مكتبته . ثم اغدق على المترجمين وعلى كبير كهنتهم بالهدايا الثمينة وصرفهم.

ان أرسطوبولس الذي عاش في منتصف القرن الثاني قبل المسيح قد سلّم بما جاء في رسالة اريستاوس من الامور الجوهرية فيما يتعلق بترجمة التوراة من

١) روى قوم ان اول كنيسة مسيحية شيدت في الاسكندرية كان الساعي في تشيدها تيوناسيوس (Théonas) البطريرك الاسكندري. ولم تلبث هذه الكنيسة ان اصبحت فيما بعد كرسي البطاركة خلفاؤه ، ثم حوّلها المسلمون على مر الزمان الى جامع اطلق عليه اسم جامع الالف عمود ، وقد كان الموضع الذي بُنيت فوقه تلك الكنيسة هو نفسه الذي اقيم عليه في الاعصار السالفة الهيكل والمعبد الذي فيه اوعز بطليموس بن لاغوس الى الاثنين والسبعين مترجماً حسب التقليد بترجمة التوراة العبرانية الى اليونانية. اطلب :

Etudes sur l'ancienne Alexandrie par Alex. Max de Zogheb *page* 204.

٢) ومن هنا وجه تسمية هذه الترجمة بالترجمة السبعينية على ما هو مشهور.

العبرانية الى اليونانية ، ونحا نحوه فيلون اليهودي لكنه اغفل اسم كاتب هذه الرسالة . اما التلمود واكليمنضوس الاسكندري والقديسان يوستينوس وايريناوس فقد زعموا بان المترجمين وان كانوا قد عزلوا في حجر منفصلة عن بعضها فقد عبّر كل منهم عن الاصل العبراني بكلام واحد ، الامر الذي حدى بكثيرين من الكتبة الى ان يعتقدوا بان هؤلاء المترجمين قد انزل عليهم الوحي .

غير ان طائفة كبيرة من علماء هذا العصر اجمعوا على ان معظم ما ورد في رسالة اريستاوس لا يجاوز حدّ الاقاصيص الموهومة ، لكن جوهر نصها لا يخلو من صحة وينحصر وجه صحتها على قولهم في ان بطليموس الفيلادلفي هو الذي عني حقيقة بنقل التوراة العبرانية الى اليونانية في مدينة الاسكندرية ، وخاطب اليعازر كبير كهنة اورشليم بامر هذه الترجمة فنال منه بغيته . اما ما قاله أرسطوبولس المقدم ذكره بان بعض اجزاء من اسفار موسى كان مترجماً الى اليونانية قبل ترجمة الاثنين والسبعين شخصاً فهذا مما لم يسلّم به حتى الآن لما ان غرض أرسطوبولس من قوله هو ان يثبت بان افلاطون قد اقتبس قسماً من فلسفته من اسفار موسى[1]

ومما لا مشاحة فيه ان السواد الاعظم من يهود الاسكندرية كانوا قد اصبحوا في ذاك العهد الواغل في القدم يجهلون لغتهم العبرانية ، ولم يكونوا يتكلمون الّا اللغة اليونانية - المكدونية السائرة في الاسكندرية يومئذٍ كما مر بك آنفاً . ومن ثم فقد غدوا بحاجة الى ترجمة التوراة العبرانية الى اللغة اليونانية ليتسنى لهم ادراك الاسفار المقدسة التي كانت تتلى عليهم في مجامعهم ومعابدهم مدة اقامة الرتب الطقسية . ولا ريب في ان القيام بعمل خطير كهذا قد استغرق سنين طويلة يتعذر علينا تعيين السنة التي انتهى فيها .

على ان الذي عليه اكثر اهل التدقيق هو ان الفراغ من هذه الترجمة كان

١) قال العلّامة ماتير (Matter) خلال كلامه عن أرسطوبولس في المجلد الاول من كتابه القيّم المسمى تاريخ مدينة الاسكندرية ، صفحة ١٩٩ ، ما ملخصه : « ان ارسطوبولس كان بلا نزاع من اقطاب المدرسة اليهودية التي كانت في الاسكندرية منذ اقامت فيها تلك الجالية اليهودية الكبرى التي نقلت من اليهودية الى مصر في عهد الاسكندر ، ومن هذه المدرسة نبغ مترجمو اسفار موسى الخمسة وغيرهم ممن ترجموا تباعاً فيما بعد بقية اسفار العهد القديم . »

نحو سنة ١٣٠ ق.م. بدليل انه يتحصل من مقدمة سفر يشوع بن سيراخ انه في سنة ٣٨ لافرجات الملك قدم حفيد يشوع مصر واقام بها مدة. وهناك تبيّن له ان اسفار التوراة العبرانية لم تكن بعد قد ترجمت برمتها الى اليونانية ، ومن جملتها سفر يشوع جده . ولذلك اقبل هو على ترجمته من العبرانية الى اليونانية والقاه الى اليهود المتغربين الذين يبتغون التعلّم ممن اعجبتهم اخلاقهم للسلوك في سنن الشريعة[1] . والحال انه يوجد ملكان من الملوك البطالسة دعيا باسم (افرجات) احدهما بطليموس الثالث افرجات الاول (٢٤٧ – ٢٢٢ ق.م.) والآخر بطليموس افرجات الثاني المسمى فيسكون (*Pbyscon*) (١٧٠–١١٧ ق. م.) ومن ثم يظهر باجلى بيان انه لا يمكن تطبيق قول ابن سيراخ على الاول لان هذا لم يملك الّا ٢٥ سنة فقط كما هو واضح . فلم يبقَ اذن سوى التسليم بان حفيد يشوع قدم مصر في السنة الثامنة والثلاثين لبطليموس افرجات الثاني الذي انافت مدة ملكه عن الخمسين سنة . والسنة الثامنة والثلاثون لعهد هذا الملك توافق السنة ١٣٢ ق. م. وهب ان ترجمة سفر جده قد استغرقت نحو سنتين وهو آخر الاسفار التي نقلت الى اليونانية ، فالقول اذن بان معظم اسفار التوراة العبرانية كان مترجماً الى اليونانية في سنة ١٣٠ هو ادعى الى التصديق واولى به[2] .

ومما لا غبار عليه ان الذين عهد اليهم بامر هذه الترجمة قد عاشوا في ازمان مختلفة ، فكان لا بُدّ اذن من وقوع اختلافات كثيرة فيما ترجموه من الاسفار من حيث نوعية التعبير والتفاوت في الترجمة ، وهذا ظاهر من ان الكلام اليوناني لا يستوي في كل اجزاء هذه الترجمة المختلفة . وهكذا قل عن الانشاء وطريقة الترجمة وهجاء اسماء الاعلام وغير ذلك مما يدل على ان هذا الكتاب الالهي ليس بجملته لمترجمين عاشوا في زمن واحد .

اجل ان اسفار موسى الخمسة هي احسن ما ترجم من الاسفار الالهية إما لان مترجميها كانوا اكثر مهارة ممن جاء بعدهم من المترجمين او لانهم استندوا الى مخطوطات اصحّ واضبط من غيرها . اما بقية الاسفار ففيها تباين من حيث

١) مقدمة سفر يشوع بن سيراخ ، في الترجمة العربية للآباء اليسوعيين ، بيروت .
٢) طالع معجم الكتاب المقدس للاب ڤيكورو في مادة (*Septante*)

احكام الترجمة وعدمه ، كترجمة سفر دانيال مثلاً فانها جاءت غير محكمة ، وعليه فقد رفضت الكنيسة اليونانية استعمال هذا السفر رفضاً قاطعاً وفضلت عليها ترجمة تاودوسيون[1] . على ان ذلك كله لا يحط من قدر هذه الترجمة ومكانتها السامية ، كيف لا وانك تراها ، مما فيها من الشوائب والعيوب ، اقرب الى الاصل العبراني في جوهرها ومعانيها . ومن ثم فهي من هذا القبيل اكثر اعتباراً من الترجمات الاخرى لانها هي هي الترجمة الاولى التي نقلت عن التوراة العبرانية وذاعت بسرعة بين اليهود اليونانيين كافة . وقد آثرها المسيحيون الاولون على سائر الترجمات ، واتخذها الرسل الاطهار كاساس لتلقين الامم قواعد الدين المسيحي ، واستمدّ كتبة العهد الجديد كثيراً من آياتها بدلاً من ان يستمدوها من الاصل . وبالاجمال فهي التي مهدت السبيل لنشر البشارة الانجيلية في اصقاع العالم واقطاره الشاسعة[2] .

---

١) لقد اطلق على هذه الترجمة اسم ترجمة تاودوسيون نسبة الى مترجمها ، وهو رجل افسي المولد اخذ في ترجمة العهد العتيق من العبرانية الى اليونانية في نحو اواسط القرن الثاني للميلاد . ثم اعاد تاودوسيون هذا النظر في الترجمة السبعينية وتتبع فيها ما لزم وهذّب المواضع التي بدا له فيها شيء من الخطأ من حيث المعنى والنسخ . وقد وضع العلّامة اوريجانوس ترجمة تاودوسيون في مؤلفه الشهير المعروف بذي الاعمدة الستة (*Hexaples*) وكان المسيحيون في القرون الاولى يفضلون ترجمة تاودوسيون لسفر دانيال على ترجمة هذا السفر في السبعينية . واعتمد القديس ايرونيموس في ترجمته قصة سوسنة على ترجمة تاودوسيون .

٢) قال صديقنا العلّامة الاب هنري كتنان البندكتي (Quentin) في كتيبه المعنون : *Essais de Critique textuelle, p. 13* : «ان الكنيسة الاولى جعلت لغتها اللغة اليونانية ففي هذه اللغة كتب القديس بولس رسالته الى الرومانيين وفي اليونانية كان يتلو المؤمنون الكتاب المقدس في مجتمعاتهم وكانوا يستعملون لتلاوة العهد الجديد النصوص الاصلية . اما في القسم الاكبر من العهد القديم المكتوب باللغة العبرانية فكانوا يرجعون فيه الى الترجمة اليونانية السبعينية التي كان لها عندهم المنزلة السامية حتى انهم قد عدوها كموحاة .»

وليس كذلك القديس ايرونيموس الذي كان يفضل النصّ العبراني على الترجمة السبعينية رغماً من الانتقادات الجارحة التي سببتها له هذه البدعة ، وحجته في دعواه ان المخلص والرسل كانوا يوردون آيات العهد القديم ، لا بحسب التوراة السبعينية ، بل بحسب العبرانية . انظر :
Léon Sanders O. S. B., *Etudes sur S Jérôme p. 34.*

العلم والدين

بقلم منصور حنا جرداق
استاذ الرياضيات العالية
في الجامعة الاميركانية (بيروت)

تطور العالم في الثلاثين سنة الاخيرة تطوراً غريباً ، فقد كان انتاج العالم المتمدن في ضروريات الحياة و كمالياتها ، منذ مائة سنة ، ربع ما ينتجه في الوقت الحاضر . ولم يقتصر انتاج العلم على ألذّ المأكولات ، واجمل الاثواب ، وافخر المساكن ؛ ولكنه تخطاها الى إعداد احسن اساليب الراحة والملاهي ، وانفع اسباب السرور والسعادة ، وافضل وسائط تنشئة القوى العقلية والتهذيبية والادبية . فجعل مجال الحياة فسيحاً ، واوجد اثمن الفرص للتقدم والارتقاء.

ونجاح العلم يستدعي توجيه الذهن الى اساليبه والتمعّن فيها . ومعلوم ان عماد العلم الملاحظة والمراقبة والتجربة والاختبار والتحليل . وقد عرف ذلك العلماء منذ مئات السنين ، ولكن الذين لا يشتغلون بالابحاث العلمية قلما يقدرون الدقة الزائدة والضبط التام اللازمين للقيام بالملاحظات والتجارب ، والامانة في تدوينها ونقلها وتسجيلها ، وتنوّع الاساليب المختلفة وتغيير الظروف في اعادتها ، فانهم قلما يقدرون ذلك حق قدره . فالعلم لا يخضع للعادات والتقاليد والمعتقدات ، ولا يتقيّد بالعواطف ، بل يعزّز الحقّ ويرفع لواءه ، ويتطلّبه الى اقصى درجات الامانة ، ولا يقدح بفضله وصحة دعواه تنقيح النظريات وتغييرها ؛ لان النظريات ليست سوى افضل تعليل لفئة خاصة من الظواهر التي تعرض للبحث العلمي في وقت ما . وما التنقيح والتغيير والتبديل

فيها الا اكبر دليل على تقدم المعرفة وارتقاء العلم . والاكتشافات الحديثة لا تناقض « الحقائق » القديمة السابقة ، ولكنها تتضمنها كما يتضمن الكلُّ الجزء الخاصّ ، وكما تتضمن القضايا العامّةُ القضايا الخاصة . فالاكتشاف الحديث أن الجواهر الفردة مركبة من كهربائية ايجابية وسلبية لم ينقض علم الكيمياء وعلم الفلسفة الطبيعية ولم يقلبها رأساً على عقب ، ولكنه احدث بعض التغيرات في اصطلاحاتها وابحاثها.

والاساس الذي يرتكز عليه العلم هو اطراد نظام الكون وترتيبه . والمراد به أن الاسباب المتشابهة تمام التشابه يعقبها نتائج وظواهر متشابهة . وبكلام آخر : اذا عمل سبب ما تحت ذات الظروف والمحيط فان نتيجته تكون واحدة . وهذه القضية ، وان ظهرت حقيقتها كأولية ، فان تاريخ العلم والعمران يثبت عكس ذلك . فالقدماء اوجدوا الآلهة الميثولوجية لتعليل مظاهر الطبيعة . وما الخرافات المستولية على عقول الفريق الاكبر من البشر سوى دليل على ان الاساس الذي يرتكز عليه العلم — اي اطراد النظام واستمرار ترتيبه — لا يزال مجهولاً وغير مسلم به او معمول بموجبه.

ويسود الاعتقاد بين العلماء ان بداءة العلم كانت في علم الفلك لان أبسط الظواهر الطبيعية — التي تتكرر غالباً وتعود الى ما كانت عليه قبلاً في اوقات قصيرة ونظامية ، ويطرد حدوثها في اوقات معينة ، ويلاحظها جميع البشر ، وتؤثر على مصالحهم واشغالهم ، والتي لها مساس بسائر امورهم في الحياة فينتبهون لها ، وتؤثر في عقولهم فيعرفون اطراد نظام الكون — تجري في ميدان علم الفلك ، كطلوع الشمس وتعاقب الليل والنهار ، واوجه القمر ، وتتابع الفصول ، وظهور مجاميع النجوم الخاصة المعروفة « بالابراج » والصور او الكوكبات.

وعليه فحينما استتبت للبشر معرفة اطراد النظام في الكون في علم الفلك ، سهل عليهم معرفته وتقريره والجري عليه والعمل بموجبه في سائر العلوم . وبالرغم عما قام من العقبات والمصاعب والمشاكل في وجه العلم والعلماء وخصوصاً في الاعصر المظلمة حينما تراجعت العلوم القهقرى وخُشي على مصباح التمدن

والعمران من الانطفاء ، بالرغم عن كل ذلك فان مبدأ اطراد النظام والترتيب والتعاقب في الكون امتدّ وانتشر من العلوم الفلكية والطبيعية والكيماوية وغيرها من العلوم المختصة بالعالم الغير الآليّ ، الى العلوم البيولوجية ، وحديثاً الى العلوم العقلية والتاريخ والاجتماع والسياسة والاقتصاد والى كل ما له مساس وعلاقة بعقل الانسان . ويجب علينا قبل كلّ شيء ان نصرّح في هذا المقام ونؤكد ان معرفتنا لأطراد نظام الكون وترتيبه وتعاقبه في الامور الطبيعية ناقصة جداً . فالمجهولات في الطبيعة اكثر جداً من المعلومات . نرى هذه المجهولات في نواميس الجماد ، وفي خواص الحيوان والنبات ؛ فاذا قسنا ما نعلمه بما لا نعلمه ، وجدنا اننا لا نعلم شيئاً يذكر واننا لسنا سوى مشاهدين وواصفين . من منا يعلم لماذا تنوّعت العناصر في اشكالها والوانها وخواصها ؟ من منا يعلم كيف نشأت انواع النبات والحيوان التي تعد بمئات الالوف ؟ وكيف تختلف افراد كل نوع منها واصنافه ؟ — اذا كانت معرفتنا في العلوم الطبيعية التي تقع في ميدان الحواسّ الخمس كما ذكرنا فما قولنا في سائر العلوم المعقّدة كعلم الحياة والعلوم العقلية وعلوم التاريخ والاقتصاد والسياسة حيث تدخل ارادة الانسان وتلعب الاهواء والعواطف ، امّا عمداً او عن غير قصد ، دوراً هائلاً ، فتحجب الحقائق وتوضع الامور في غير مواضعها وتُقلب النتائج وتُعكس عما كانت عليه وتصوّر وتلوّن بغير لونها الحقيقيّ . ولكن هذا لا يقف عثرة في سبيل الاعتقاد الراسخ انه توجد ادلة عديدة على اطراد النظام والترتيب والتعاقب في هذا الكون ، وفي جميع مظاهره الطبيعية والعقلية ، فيشمل الجماد والنبات وجميع انواع الحيوان والانسان . وعلى ان هذا الاعتقاد عام بين جميع طبقات العلماء .

ذكرنا قبلاً ان عماد العلم الملاحظة والمراقبة والتجربة والاختبار والتحليل ؛ فيجمع العلماء عدداً من الظواهر او الحوادث المتشابهة ، ويدرسونها درساً وافياً ، ويمحصونها تمحيصاً دقيقاً ، ثم يستخرجون منها رأياً او نظرية لبسطها وكشف المجهول منها وتعليل ما يجهلون علته . ثم يعرضون عليها للمحكّ كل ظاهرة او حادثة مما لديهم ليتحققوا صحة النظرية وصدقها ، وهل بوسعهم ان يعلّلوا

بواسطتها جميع الظواهر والحوادث . فاذا وجدوها قاصرة اهملوهـا واستنبطوا غيرها . ولكن اذا وجدوها صحيحة عمـدوا الى جمع ظواهر اخرى وحوادث من ذات النوع وعرضوهـا على النظرية كما فعلوا قبـلاً ، وقاموا بتجارب واختبارات دقيقة لابرامها (اي النظرية) واثبات صحتها وصدقها ، او نقضها . فاذا ابرمت وثبت صدقها وصحتها المرة بعد الاخرى ، صارت ناموساً او قانوناً كناموس الجاذبية . وهذا يتطلب وجود عدد عظيم من الظواهر والحوادث ، والحصول على ادوات وآلات علمية دقيقة . وقد عجز القدماء عن الوصول الى ما وصل اليه المتأخرون لتعذّر اكتمال الشروط المذكورة ، فقـدماء الكلدان والصينيين عرفوا قـانون تكرار الخسوف والكسوف ودورتها ، وفيثاغورس واتباعه اعتقـدوا ان الارض كرة تـدور حول الشمس ، والسموات ثابتة . واعتقد فلاسفة اليونان بخيالهم الوثاب ان المادة لا تفنى ، وانهـا تتركب من عنصر واحد أوليّ ؛ وبعضهم علّم بمبدأ بقاء الأفضـل واصول الرأي الـديمي والانتخاب الطبيعي . وارسطوطاليس رمى بظله في التاريخ الى مـدى عشرين جيلاً في جميع المواضيع والابحاث التي عالجها وبحث فيها ، والى ابعد مجال فيه (التاريخ) في الأبحاث المنطقية: وستبقى قوانينه التي استنبطها وقيّد بها اصول المنطق القياسيّ والاستنتاجيّ خالدة الى ابد الدهر . وسيظل اسم اقليـدس وهندسة اقليدس المثال الاعلى لجميع المشتغلين في العلوم الرياضية ما دام البشر بشراً.

والابحاث العلمية التي قام بها العلماء في المدة الاخيرة تدعو الى الـدهشة والاعجاب ، والنتائج التي توصلوا اليها تحيّر الألباب ، وذلك باستنباط الوسائل الجديدة واتقان الوسائل القـديمة اذ اصبح بوسع العالم الطبيعي ان يقيس جزءاً من مليون جزء من الثانيـة ، واستخدم في ابحـاثه مصباح النيون بدلاً من مصباح كهربائي عادي لسرعة تأثره انارةً واطفاء من غير ان يترك لمعاناً بعـد اطفائه ، لانه يستطيع ان ينيره ويطفئه مليون مرة في الثانية ؛ واستعمل وحدة صغيرة لقياس طول تموجات النور واشعتـه ، وهي جزء من عشرة ملايين جزء من المليمتر ؛ وبوسعه ان يرى بعدسيـة هوكر في مرصـد جبل ولسن ؛ في

كليفورنيا ، شمعة مضيئة على مسافة خمسة آلاف ميل ، وان يبصر بها مصباحاً من نور القوس (مصباح كهربائي) اذا كان على سطح القمر . وعن قريب سيستخدم التلسكوب الجديد الذي شرعوا في صنعه في اميركة ، وقطر عدسيته ضعفا قطر عدسية هوكر المشار اليها ، ومداه الف مليون سنة نورية ، وحينئذ تتراجع الآفاق الكونية وترتد الى الوراء مسافة تذكر . وبالجملة تقول ان المرء يتسلح بحواسه الخمس ، ويتذرع بجميع المعدات والادوات التي استنبطها ويستنبطها ، ويستخدم جميع الوسائل التي توصل اليها والتي سوف يتوصل اليها ، ويزود بها الكون من اصغر صغيرة فيه الى اكبر كبيرة ، من الذرات الكهربائية والميكروبات الى النجوم والمجرات او الاكوان الجزرية .

ولكي ندرك شيئاً من عظم القوى الطبيعية العاملة في الكون اقول : انه لو تيسر لنا ان نبطل فعل جاذبية الشمس للارض ونلغي تأثيرها ، ولو احببنا في الوقت نفسه ان نربط الارض بالشمس بعمود من فولاذ لئلا تفلت الى الفضاء الشاسع ، لاقتضى ان يكون قطر العمود ٣٠٠٠ ميل ويكون حينئذ بالغاً درجة الانقطاع .

ومقدار حرارة الشمس التي تشع منها وتنتشر في الفضاء هائل جداً ، وليانه اذكر انه لو فرضنا وجود جسر من الجليد ممتد بين الارض والشمس ، قاعدته نحو ثلاثين ميلاً مربعاً وطوله ثلاثة وتسعون مليون ميل ، وأمكننا صب جميع حرارة الشمس عليه وحده فقط ، لذاب وتحول ماء في ثانية واحدة ، وبسبع ثوان اخرى تبخر واضمحل .

ويقدر العلماء القوة المخزونة داخل الجوهر الفرد بكمية عظيمة ، ويعتقدون انه لو اطلقت القوة من الجواهر الفردة الموجودة في قدح ماء فقط لكانت كافية لتسيير اعظم البواخر من الهافر في فرنسة الى نيويورك .

فما هو قولنا في مجموع قوى الجاذبية العاملة بين جميع الاجرام السماوية على اختلاف انواعها ، وعددها يقدر بالوف الملايين ؟ وفي كمية الحرارة التي تشع الى الفضاء ؟ وفي مقدار القوى المخزونة في الجواهر الفردة الموجودة في هذا الكون الاعظم والتي لا تحصى ولا تعد ؟

ولاجل الدلالة على عظم الكميات اذكر الامثلة الآتية :

١ً — اذا كتبنا العدد عشرة ، ورقيناه الى القوة العاشرة ثم رقينا النتيجة الى القوة العاشرة أيضاً (اي عشرة مرقاة الى القوة العاشرة الى القوة العاشرة هكذا : $10^{10^{10}}$) وكتبنا النتيجة في سطر مستقيم من الارقام ، فهل يخطر لكم ببال كم يكون طول السطر ؟ وكم تكون دهشتكم عظيمة اذا أخبرتكم ان طوله يبلغ نحو ثلاثين الف كيلومتر . اي انه يبلغ نحو ثلاثة ارباع محيط الارض الاستوائي.

٢ً — جميعنا نعلم ان مقدار نسبة محيط الدائرة الى قطرها كمية غير تامة ولا يمكن قياسها بالضبط ، فهو ثلاثة وكسر عشري لا نهاية له ، ولكنه غير دوري ، وعملية استخراجه ليست سهلة وبسيطة . وقد استخرجه بعض الرياضيين ووصل به الى سبعمائة وعشرة ارقام. ولكي نتصور مقدار التدقيق ، فيما لو اخذنا مئة رقم من الكسر العشري المذكور ، اقول انه لو رسمنا كرة مركزها الارض ومحيطها مارّ في الشعرى اليمانية التي تبعد عنا نحو ١٣٥ مليون مليون كيلومتر ، وتصورنا تلك الكرة العظيمة ملآنة بالميكروبات بحيث يوجد منها ملايين الملايين في المليمتر المكعب ، وان هذه الميكروبات أخذت جميعها ووضعت في خط مستقيم بُعد الميكروب الواحد عن الآخر نفس البعد بين ارضنا والشعرى اليمانية اي نحو ١٣٥ مليون مليون كيلومتر ، وجعلنا هذا الخط قطراً لدائرة وحسبنا محيطها ، متخذين مئة رقم فقط من الكسر العشري ، لكان الفرق بينه وبين المحيط الحقيقي اقل من جزء من المليون جزء من المليمتر.

قلت فيما مر ان الذرات الكهربائية صغيرة جداً ، ولكي ندرك شيئاً من مقدار حجمها نقول ان بوسعنا ان نضع خمسين الف مليون الكترون جنباً الى جنب في صف واحد ولا يزيد طولها عن قطر نقطة واحدة من نقط حروف الطبع الاعتيادية . ويزيد عجبنا اذا تذكرنا ان البروتون ، وان يكن أثقل من الالكترون ، فهو اصغر منه بكثير . فما قولنا بعدد البروتونات

والالكترونات الموجودة في الشمس ، وقطرها نحو ١,٤٠٠,٠٠٠ كيلومتر . وماذا يكون عددها في الكون العظيم الاتساع ؟ وبما ان لا فائدة من ذكر الارقام الضخمة ، نضرب المثال الآتي لتسهيل فهم وادراك صغر حجم الاجزاء التي تتركب وتتألف منها المادة :

اذا اخذنا قدح ماء وفرضنا انه يوسعنا ان نطلم او نسم كلَّ دقيقة من دقائق الماء التي فيه لتتميز عن سواها من دقائق سائر المياه على كرتنا الارضية ، ثم سكبنا ذلك القدح في الاوقيانوس وصبرنا حتى يصل التبخر والأرياح والغيوم والمطر والينابيع والأنهر والأمواج عملها التام . ثم مزجت هذه الدقائق مع غيرها مزجاً تاماً — اذا جرى ذلك كما رسمنا تماماً — ثم ملأنا القدح ثانية ، فكم دقيقة من الدقائق الموسومة او المعلّمة تكون اذ ذاك في القدح ؟ فلأول وهلة يكون الجواب : ولا دقيقة واحدة . ولكن بموجب قوانين الممكنات الرياضية يجب ان يكون في القدح الفا دقيقة ، لأن عدد دقائق قدح الماء يساوي نحو الفي ضعف عدد اقداح الماء الموجودة في الأوقيانوس . زد على ذلك ان حجم الدقائق يساوي نحو عشرة آلاف ضعف حجم الذرات الكهربائية .

واسمحوا لي ان اذكر مثالًا فيه تظهر قوى العقل وتبدو عظمتها بابهى جلالها ومنه نعلم مقدار الدقة الزائدة والضبط التام اللازمين في الابحاث المنطقية . وهو أنه بعد مرور خمسين سنة على اكتشاف السيار أورانوس ، وجد الفلكيون ان الفرق بين مركز السيار الحقيقي والمركز المحسوب له في الجدول دقيقتان من دقائق الزاوية او الدائرة ، وهو فرق زهيد جداً لا يعبأ به في سائر الامور حتى العلمية منها . ولكن الفرق والخطأ في الحسابات الرياضية الدقيقة والمضبوطة خطأ مهما كان قليلًا . ولذلك قامت قيامة العلماء وعلا صياحهم ، فانبرى الرياضيون لحلّ القضية ونجحوا في ذلك نجاحاً باهراً .

ولرب معترض يقول : ولماذا كل هذا التدقيق والتشديد والتعنت في مثل هذه الامور ؟ وماذا يهمّ الكون خلل طفيف في مركز سيّار اكتشف حديثاً ولا تأثير له البتة في امور البشر لا مباشرة ولا مداورة ؟ الا يدلّ ذلك على

ان الفلكيين والرياضيين هم من اهل الخيال وبعيدون عن الامور العملية النافعة المفيدة ؟ والجواب على ذلك : كلا ثم كلا . نعم ان قضية الخطأ الذي ظهر في مركز السيار أورانوس ليست مهمة ولربما كانت بحدّ ذاتها تافهة من الوجهة العملية ، ولكنها تستدعي النظر والبحث والتدقيق في صحة الامور الأساسية العلمية واساليب العقل البشري والمنطق . لأنه اذا اجرينا رصداً (او تجربة) مهما كان بسيطاً او تافهاً ، وكانت نتيجته القاء الشك في صحة قوانين واصول علم المنطق واظهار عجزنا وضعفنا وعدم مقدرتنا على اكتشاف قوانين ونواميس الطبيعة ، فانّ ذلك الرصد البسيط الذي لا اهمية له يصير رصداً فائق الاهمية.

والخلل المشار اليه في قضية السيار أورانوس أفضى بالعلماء الى التوصل الى اهم اكتشاف علميّ قاموا به حتى الوقت الحاضر ، وكانت نتيجته انطباق اسمى مبادئ العلوم الرياضية والميكانيكية النظرية على الواقع وعلى الحقيقة . فقد اشار فريق من العلماء انّ الخلل المذكور المجهولة اسبابه قد يكون ناشئاً عن وجود سيّار آخر ابعد من أورانوس يعمل على جذبه وتغيير مركزه . وعليه تكون القضية تعيين مركز سيار بعيد مجهول تمام الجهل من نتائج جذبه المتجمعة في مدة تزيد على الستين سنة . وهذا ما فعله لاتاريه العالم الافرنسي ، اذ تمكن بهذا الجهد الجهيد والعناء العظيم والحسابات الطويلة العويصة ، من تعيين مركز السيار المجهول وتحديد موقعه في فلكه الخاص واستخراج اصول الفلك او المدار ومعرفة مقاديره ورسمه وقياس حجم السيار نفسه ومعرفة كتلته (مقدار مواده) وقوة جذبه وقدر نوره . ثم كتب الى غاله في مرصد برلين قائلاً : « وجه تلسكوبك الى نقطة في برج الدلو طولها ٣٢٦ درجة تجد بالقرب منها ، وعلى مسافة لا تزيد على درجة واحدة ، سياراً من القدر التاسع بهيئة قرص صغير » وهكذا كان . وبذلك تم الفوز الباهر والنصر المبين للعلوم الرياضية والميكانيكية ، وتعاظمت ثقة العلماء بانفسهم ومقدرتهم على اكتشاف اسرار الطبيعة المكنونة ومعرفة نواميسها المجهولة ، وزاد احترام البشر لسمو قواهم العقلية وتفوق مداركهم ونبوغهم.

وحينما وصلت الى هذه النقطة من الفكر والكتابة توقفت قليلاً

واستعرضت في ذاكرتي فريقاً من أنبغ الفلاسفة والعلماء مثل سقراط وافلاطون وارسطوطاليس وارخميدس ونيوتون ولاپلاس وهنري پوانكاره وغيرهم في سائر العلوم ، وعند ذلك تذكرت العبارة التي شاهدتها منقوشةً على ضريح العلامة الفيلسوف اسحق نيوتون في دير وستمنستر في لندن حيث دفنت الامة الانكليزية أشهر مشاهير رجالها واعظمهم ، لان لها في هذا المقام معنى خاصاً ونوراً ساطعاً يخترق تلافيف الدماغ حتى ابعد غور فيها . وهاكم مفاد العبارة المذكورة : « ايها الفانون هنئوا انفسكم لان رجلاً عظيماً كهذا عاش لشرف الجنس البشري »

«*Mortals, congratulate yourselves that so great a man has lived for the honor of the human race.*»

***

واذا وقفنا عند هذا الحد والقينا نظرة عامة نجد — او على الاقل نعتقد اننا نجد — انَّ المرء تسلط على الطبيعة او كاد يتسلط عليها لأنه أخضع كثيراً من قواها وسخرها لخدمته ، منذ اتسع نطاق معرفته بها اي بالقوى الطبيعية ؛ واستنبط الوسائل العديدة للسيطرة عليها . فقد سهل المواصلات براً وبحراً وهواء ، واستخدم الكهربائية — اعظم قوة في الكون — لقضاء حاجاته فهو يستعملها لانارة البيوت والمعامل والمدارس والشوارع والملاهي ، ويدير الآلات بها في المعامل ويسير القطارات ، وينقل الانباء والصور ، ويطبخ بها طعامه ، ويكوي بها ثيابه ؛ وجعل المخاطبات التلفونية تحدق بالكرة الارضية هازئة بالجبال الشاهقة والصحاري المقفرة والبحار الواسعة ؛ ولا تنقضي سنة الا ويستنبط ادوات كهربائية جديدة تبعث على الدهشة والانذهال والاعجاب وتحير العقول والألباب . وعرف اسباب الامراض فتجنبها واخترع الادوية والأمصال على اختلاف انواعها ليتقي شر الامراض اذا هاجمته ؛ وطار على اجنحة الخيال العلمي ودخل الى قلب النجوم والشموس وعرف تركيبها وتكوينها ؛ كما انه قد دخل الى جوف الجوهر الفرد واكتشف تركيبه العجيب المعقد ؛ وراد السموات الى اقصى حدّ يستطيع الوصول اليه . وهو لا يزال مجداً في عمله ، ونجاحه وتقدمه

يسيران ركضاً ووثباً . ولكن اذا توقفنا وسألنا انفسنا هل توصل المرء الى جوهر الامور وكنهها في العالم الطبيعي ؟ هل عرف الحد الاقصى لطبيعة الاشياء وحقيقتها ؟ وجواب العلماء الراسخين على ذلك سلبيّ ، لان معارف المرء الطبيعية تقتصر في الوقت الحاضر على صفات الاشياء ، لا على حقيقتها وجوهرها . فاذا اخذنا عصا بيدنا وسألنا ما هو جوهرها وحقيقتها ؟ فالجواب يكون انها شيء مستطيل الشكل ناعم اللمس ، اصفر اللون ، ثقله كذا وكذا . ولكن هذه الامور صفة من صفات العصا وليست العصا نفسها . فالطول ليس العصا ولا اللون ولا الثقل . واذا طبقنا عليها ما نعرفه من العلوم الطبيعية والكيماوية وغيرها من العلوم وقلنا انها مركبة من دقائق وجواهر فردة وبالتالي من ذرات كهربائية ، وتتألف من عناصر الكربون والهدروجين والاكسجين ... الخ . اذا فعلنا ذلك فاننا نكون قد خرجنا عن دائرة الموضوع لان هذه الحقائق ليست حقيقة العصا وجوهرها .

وعليه فانّ ما نعرفه عن الاشياء ومن الاشياء في الكون الطبيعي ليس الا بعض صفاتها . وبما ان خاصة العلم التحليل ، فبموجبه يعتبر العلماء الاصطلاحات الطبيعية وصورها مثل الفضاء ، والوقت ، والكتلة ، والجوهر الفرد ، والالكترون ، اهم الاسس التي تبنى عليها علومهم ، سواء أكانت هذه الصور عبارة عن جوهر الحقيقة الاقصى ام لم تكن . واذا سلّمنا بهذه الصور او الفكرات وبما هو من رتبتها او اقل قليلاً ، فالعلم يمحص ويكتشف العلاقات الكائنة بينها بطرق الامتحان والتجربة ، وهذه العلاقات هي نواميس الكون الطبيعي . وقد لا يتاح لنا ان نعرف مثلاً حقيقة الجاذبيّة او حقيقة قوّة المجرى الكهربائي ، ولكننا نعرف نواميسها ونستخدمها في ماجرياتنا . ولهذا كان البحث في معرفة الحدّ الاقصى لطبيعة الاشياء والوصول الى جوهر حقيقتها خارجاً عن دائرة العلوم الطبيعية — التي تبسط الامور وتجعلها اكثر وضوحاً وجلاء واسهل فهماً وتناولاً ، ولا تعتمد الوقوف على كنهها وجوهرها — وواقعاً في ميدان الابحاث المعروفة بعلوم ما وراء الطبيعة وليس في ميدان العلوم الطبيعية .

والذي يهمّ علماء الطبيعة من كلّ ما ذكر ، ويجعلهم يقفون حيارى ذاهلين

مدهوشين ، هو انتظام الكون واتساقه وترتيبه بالضبط التام ، وسلامته من التشويش والتبعثر واعمال الصدفة والاتفاق . فالنظام والترتيب والاتساق في الكون الغير المتناهي اعظم الاكتشافات العلمية لانها تنفي وجود التشويش والتبعثر والاتفاق والصدفة وتثبت للعالم الحقيقي — ولو بطريقة التأمل (او التمثيل) — وجود قوة حكيمة مبدعة صفاتها فوت مداركنا القاصرة مهما سمت .

وكلما فكرنا في المعدات والادوات التي يستخدمها العلماء في ابحاثهم وتجاربهم ، والاساليب والطرق التي يجرون عليها ، والنتائج التي توصلوا اليها ، يتنازعنا عاملان متضادان : عامل استصغار الانسان في جنب غيره من الكائنات والقوى حتى يصير كالعدم ، وعامل استكبار عقله الذي دخل مخادع الجوهر الفرد وبلغ الى اعماق الكون وقاس السموات بالشبر وعرف عناصر النجوم واقدارها وأبعادها .

وآخر ما بلغ اليه العلم حتى الوقت الحاضر هو ان المادة تتألف وتتركب من القوة . ومعلوم ان الفكر والعقل قوتان من نظام غير نظام القوى الطبيعية ، واساليبها في الابحاث الطبيعية معروفة حيث يستخدم المرء حواسه الخمس ويتذرع بها ليرود الكون الذي يحيط به من اصغر صغيرة فيه الى اكبر كبيرة . ولكن هل تقتصر معارفنا في هذا الكون على الطبيعي منها فقط مما ندركه بالحواس الخمس ؟ الا يوجد امور عدا الامور المادية ، وشعور وادراك غير ما يأتينا عن طريق الحواس الخمس ؟ والجواب على هذه الاسئلة يفضي بنا الى ابحاث واسعة الرحاب يتعذر بل يستحيل على العقل البشري الاحاطة بها ، والمرء يكره الخوض فيها لصعوبتها وعدم المقدرة على اثبات كل ما يرغب في ان يثبته منها ، وخصوصاً اذا اشترط فيها ان تقتصر معلوماتنا عنها على ما يأتينا عن طريق الحواس الخمس . وكيف تأتي الامور الروحية عن طرق واساليب المادة فقط ؟ ان ذلك لشرط فاسد . الا يوجد لدينا في العلوم الطبيعية والعقلية قضايا ، اذا قيدناها بشروط مماثلة للقيود والشروط المذكورة سابقاً ، خرجت عن ميدان البحث ، واصبحت معضلة من المعضلات التي لا يمكن حلها ؟ خذوا

مثلاً قضية تربيع الدائرة : اي رسم مربع يساوي دائرة مفروضة ، والعكس بالعكس ؟ فانه اذا اشترط في حلها استخدام المسطرة والبركار فقط ، اصبح الحل مستحيلاً ويبقى كذلك الى آخر الدهر . نعم ان وجه الشبه غير تام في القضيتين ولكنه يكفي للدلالة على ما نقصد .

وبما ان غاية العلم بسط القضايا وشرحها لتصبح واضحة جليـة سهلة الفهم قريبة المنال ، فلذلك نستخدم الامور المعروفة بالبداهة كالاوليات الرياضية التي نعرفها بقولنا انها امور لا تحتاج الى برهان . والحقيقة انه لا يوجد لدينا ما هو ابسط منها لنستخدمه في اقامة البرهان على صحتها وصدقها . ونحن لا نقبل ولا نجيز برهان قضية عامة بمجرد برهان مثال واحد او عدة امثلة منها ، ما لم نتمكن من تطبيق مبادئ الاستقراء العامة . فاذا طلب منا برهان القضية « مربع الوتر في مثلث قائم الزاوية يساوي مجموع مربعي الساقين » فاننا نثبت صدقها وصحتها ببرهان عام ، ولا نستعيض عنه باخذنا الاعداد : ٣ ، ٤ ، ٥ او اية مجموعة منها واظهار صحة انطباقها على القضية .

والبشر متفقون على قضايا دينية عامة . ولكنهم يختلفون قليلاً او كثيراً في كيفية تطبيقها ، وغاية العلم تعزيز الحق ورفع لوائه ، والسيطرة على الطبيعة واستخدام قواها وتسخيرها لمنفعة الانسان وسعادته . وكذلك غاية الدين العظمى فانها منفعة الانسان وسعادته . وعليه فالعلم الصحيح لا يناقض الدين الصحيح لان الحقيقة لا تناقض الحقيقة . وهذا المبدأ نجده واضحاً جلياً في العلوم الرياضية ، وقد تتعذر احياناً مشاهدته كذلك في غير العلوم الرياضية ، وسببه قصر مداركنا ونقص معارفنا .

وخلاصة القول أن ميدان العلوم الطبيعية غير ميدان الدين ، واساليب البحث مختلفة فيها . وعليه فليس بوسعنا ان نثبت ونبرهن المبادئ والقضايا الدينية بنفس الطرق والاساليب التي نستخدمها في برهان القضايا العلمية . ولكن العالم المادي ليس كل شيء في الكون ، بل هنالك العالم الروحي الذي هو أعظم واسمى واشرف ، وانه لا نزاع ولا خصام بين العلم الصحيح والدين الصحيح

لذة وفائدة

وفرة الذهب، والترف في القديم

بقلم حضرة القس عبد المسيح زهر

وفرة الذهب

جاء في الكتاب الكريم أن موسى الكليم حين اذ همَّ بعمل خباء المحضر والتابوت ، طلب الى بني اسرائيل التبرّع بالعطاء ، وتقدمة ما تسخو به نفوسهم للرب « فأتى الرجال والنساء من كل مَن سخت نفسه فجاؤا بأسورة وشنوف وخواتم وقلائد كل متاع من الذهب وكل من قدم تقدمة ذهب للرب . »[1] فاجتمع لدى النبي على اثر ذلك ذهب كثير . « فامر موسى ان يُنادى في المحلة ويُقال : لا يعمل رجل ولا امرأة بعد شيئاً لتقدمة القدس ؛ فكفَّ الشعب عن التقديم.[2] وغشّوا الالواح بذهب ، وصنعوا لها حلقاً من ذهب مكاناً للعوارض ، وغشّوا العوارض بذهب . وصنعوا للحجاب اربعة اعمدة من سنط وغشّوها ذهباً ، وعقاقيفها من ذهب[3] . وعمل بصلائيل التابوت من خشب السنط طوله ذراعان[4] ونصف ، وعرضه ذراع ونصف ، وسمكه ذراع ونصف ، وغشاه بذهب خالص من داخل ومن خارج ، وعمل له اكليلاً من ذهب محيطاً به . وصاغ له اربع حلقات من ذهب . وصنع عتلتين من خشب السنط وغشاهما بذهب . وصنع غشاء من ذهب خالص طوله ذراعان ونصف ، وعرضه ذراع ونصف . وصنع كروبين من ذهب صنعة طرق . وعمل المائدة من خشب السنط طولها ذراعان ، وعرضها ذراع ، وسمكها ذراع ونصف ، وغشاها بالذهب الخالص ، وعمل لها اكليلاً من ذهب يحيط بها . وعمل اكليل ذهب لحافتها محيطاً بها . وصنع الآنية التي على المائدة قصاعها

١) خروج ٣٥:٥ و ٢٢ ٢) خروج ٣٦:٦
٣) خروج ٣٦:٢٤ و ٢٦ ٤) طول الذراع ٥٥٥ ميليمترًا

ومجامرها وجاماتها وكؤوسها التي يُسكب بها من ذهب خالص . وعمل المنارة من ذهب خالص . منها كانت مُجَرها وشُعَبها كلها قطعة واحدة مطروقة من ذهب خالص . وصنع لها سبعة سرج ومقاطها ومنافضها من ذهب خالص ، من قنطار[1] ذهب خالص عملها مع كل آنيتها . وعمل مذبح البخور من خشب السنط طوله ذراع ، وعرضه ذراع مربعاً ، وسمكه ذراعان ، وقرونه منه ؛ وغشّاه ذهباً خالصاً سطحه وجدرانه من حوله وقرونه ، وعمل له اكاليل ذهب محيطاً به . وعمل له حلقتين من ذهب تحت اكليله.[2] وكانت جملة الذهب الذي صيغ في جميع عمل المقدس ، وهو ذهب التقدمة ، تسعاً وعشرين قنطاراً وسبع مئة وثلاثين مثقالاً[3] بمثقال القدس.[4] اي نحو ١٢٤٤ كيلوغراماً تبلغ قيمتها ٤,٢٨٤,٧٣٣ فرنكاً ذهباً . وسعرها هوملاور (Hummelauer) ٣,٨٥٥,٧٣٣[5].

وما عدا ما ذُكر من الادوات فقد صنعوا الأفود وزناره من ذهب ، وطوقين لحجري الجزع من الذهب ، والصدرة صنعوها من ذهب ، ورصّعوا فيها اربعة اسطر من حجارة كريمة في الذهب ، وصنعوا لها سلاسل مجدولة صنعة ضفر من الذهب الخالص . وصنعوا ايضاً طوقين وحلقتين من الذهب ، وجلاجل من ذهب خالص[6].

ولما بنى سليمان بيت الرب في اورشليم ، جعل فيه من الذهب شيئاً جماً كثيراً . «وكان طول المحراب عشرين ذراعاً ، وعرضه عشرين ذراعاً ، وسمكه عشرين ذراعاً ؛ وغشّاه بذهب خالص . وصنع مذبحاً من الأرز تجاه المحراب وغشاه بذهب . وغشى سليمان داخل البيت بذهب خالص ، ومدّ سلاسل ذهب امام المحراب ؛ وغشى بالذهب جميع البيت بتمامه . وغشى مذبح

١) القنطار بالعبرانية «كيكّار» كان وزنه ثلاثة آلاف مثقال اي ٤٢ كيلوغراماً و ٥٣٣ غراماً.

٢) خروج ٣٧.

٣) كان وزن المثقال ١٤ غراماً و ١٧٧ ميليغراماً.

٤) خروج ٣٨: ٢٤.

٥) طالع كتابه *In Exod., Paris, 1897, p. 348*

٦) خروج ٣٩.

المحراب كله بالذهب . وصنع كروبين سمك كل واحد عشر اذرع ، والجناح الواحد من الكروب الواحد خمس اذرع ؛ وغشى الكروبين بالذهب . وغشى بالذهب ارض البيت داخلاً وخارجاً . وصنع لباب المحراب مصراعين من خشب العُتم[1] وغشّاهما بذهب . وصنع لباب الهيكل مصراعين ونقش عليهما كروبين وغشاهما بذهب محكم على النقش.»[2] وفوق هذا كله « صنع سليمان جميع ادوات بيت الرب ، المذبح من الذهب ، والمائدة التي عليها خبز الوجوه من الذهب ، والمناثر من ذهب خالص ، خمساً عن اليمين ، وخمساً عن الشمال امام المحراب ، والازهار ، والسرج ، والمقاطّ من الذهب . والطسوت والمقاريض ، والجامات ، والصحون ، والمجامر من ذهب خالص ، والمفاصل لمصاريع البيت الداخلي وهو قدس الاقداس ، ولمصاريع البيت وهو الهيكل ، من ذهب . ولما أكمل جميع العمل الذي صنعه الملك سليمان لاجل بيت الرب ، ادخل سليمان اقداس داود ابيه من الفضة والذهب والادوات وجعلها في خزائن بيت الرب.»[3]

وكان داود قد جهّز في حياته الذهب لبيت الرب مئة الف قنطار من الذهب ، كما ورد في سفر اخبار الايام الاول.[4] فالمئة الف قنطار التي جهّزها داود تبلغ قيمتها اربعة عشر مليارًا من الفرنكات الذهب.[5] وقد اعطى داود فضلًا عنها من ماله الخاص ثلاثة آلاف قنطار ذهب ، من ذهب اوفير.[6] وتطوّع رؤساء الآباء ، ورؤساء اسباط اسرائيل ، ورؤساء الالوف والمئين مع رؤساء عمل الملك ، وادّوا لخدمة بيت الله من الذهب خمسة آلاف قنطار.[7] « وارسل حيرام عبيده في السفن مع عبيد سليمان قوماً ملاحين عارفين بالبحر ، فاتوا اوفير ، واخذوا من هناك اربع مئة وعشرين قنطارًا من الذهب

---

١) العُتم شجر الزيتون البري ، الواحدة بالهاء. ٢) ٣ ملوك ٦ : ٢٠-٣٥.
٣) ٣ ملوك ٧ : ٤٨-٥١. ٤) ٢٢ : ١٤ و ٢٨ : ١٤-١٨.
٥) معجم التوراة لشيكورو ، المجلد الرابع ، عمود ١٨٤٣.
٦) لم يُتوصل الى معرفة موقع اوفير . فمنهم من جعلها في بلاد العرب ، ومنهم في افريقية ، ومنهم في الهند. ٧) اخبار الايام الاول ٢٩ : ٢-٧.

واتوا بها الملك سليمان.»[1] اي ١٧,٨٦٤ كيلوغراماً.« وكان وزن الذهب الذي ورد على سليمان في سنة واحدة ستمائة وستة وستين قنطار ذهب.»[2] اي ٢٨٠,٠٧٥ كيلوغراماً تنتهي قيمتها الى نحو ٩ مليارات من فرنكات الذهب. وليس هذا بكثير على ابن داود الذي جمع الذهب كالقصدير.[3]

ولما عاد بنو اسرائيل من جلائهم حملوا معهم شيئاً كثيرا من الذهب لبناء بيت الرب. وردّ كورش ملك فارس الآنية التي كان اخرجها نبوكدنصر من اورشليم، «وهذا عددها ثلاثون طستاً من الذهب، والف طست من الفضة، وتسعة وعشرون سكيناً وثلاثون جاماً من الذهب، واربع مئة وعشرة جامات من الفضة من الرتبة الثانية، والف من آنية اخرى، جميع آنية الذهب والفضة خمسة آلاف واربع مئة اصعدها ششبصر عند اصعاد اهل الجلاء من بابل الى اورشليم.»[4] ثم ان «بعض رؤساء الآباء اعطوا على حسب وسعهم لخزينة العمل واحداً وستين الف درهم[5] من الذهب.»[6] اي ما يبلغ ١,٨٠٠,٠٠٠ فرنك.

وما ملك ارتحشستا حتى اوعز الى عزرا ببناء بيت الرب. فشخص عزرا من بابل، ورؤساء الآباء. وجمع هؤلاء الرؤساء عند نهر اهوى[7]، وفرز اثني عشر من رؤساء الكهنة، ووزن لهم الفضة والذهب والآنية... «ووزنتُ لهم ست مئة قنطار فضة من اواني الفضة، ومئة قنطار من الذهب، وعشرين جاماً من الذهب الف درهم.»[8] واعطى نحميا الف درهم ذهب. ومن رؤساء الآباء من اعطى لخزينة العمل عشرين الف درهم من الذهب. والذي اعطاه سائر الشعب عشرون الف درهم من الذهب.[9]

وقد اخبر يوسيفوس المؤرخ اليهودي ان هيكل هيرودس كان له تسعة

---

١) ٣ ملوك ٩: ٢٧-٢٨.
٢) ٣ ملوك ١٠: ١٤-٨.
٣) سيراخ ٤٧: ٢٠
٤) عزرا ١: ٩-١١.
٥) الدرهم اربعة غرامات ونصف.
٦) عزرا ٢: ٦٨-٦٩.
٧) اختلفت الآراء في تعيين موقع هذا النهر. والراجح في الرأي انه قناة تنشعب من دجلة او الفرات. وذهب بعض النقاد الى ان اهوى خاصة الميت.
٨) عزرا ٨: ٢٦-٢٧.
٩) نحميا ٧: ٧٠-٧٢.

ابواب مغشّاة بذهب وفضة ، وان داخله كله كان مغشى بصفائح الذهب . ولما فتح وسبسيانوس وطيطوس اورشليم نقلت مائدة الذهب والمنارة الى رومية.[1]

ولما شاعت عبادة الاصنام في اسرائيل على اثر تمرّده على بيت داود ، من اجل حماقة رحبعام بن سليمان ونقص فطنته ، عمل يربعام عجلين من الذهب ، وجعل احدهما في بيت ايل ، والآخر وضعه في دان.[2]

ثم من لا يقضي العجب من تمثال الذهب الذي صنعه نبوكدنصر . فهذا التمثال كان طوله ستين ذراعاً وعرضه ست اذرع . ولعله لم يكن كله من الذهب ، بل كان مغشى بالذهب فقط . ومهما كان من ذلك فان تغشية تمثال طوله ٣٠ متراً في عرض ثلاثة امتار تحتاج الى نفقة جسيمة . وقد روى هيرودوت[3] انه كان في بابل تمثال من ذهب لاله جالس وعلى مقربة منه مائدة ذهب ، وعرش ذهب ، ودرجة ذهب ، يبلغ الكل ٨٠٠ قنطار ، قيمتها ٦٠,٥٨٨,٠٠٠ من الفرنكات الذهبية. وذكر ايضاً مذبح ذهب وتمثالاً مصمتاً من الذهب طوله اثنا عشر ذراعاً . ثم ان ديودر الصقلي[4] وصف ثلاثة آلهة كانت فوق الهرم البابلي . فهذه الآلهة ومذابحها وآلاتها كان وزنها يبلغ ٥٨٥٠ قنطاراً من الذهب اي ١٤٣,٥٥٩ كيلوغراماً قيمتها ١٣٠,٦٧٧,٠٠٠ من فرنكات الذهب.[5] وفي هياكل الهند اليوم ما لا يقدّر من الذهب.[6]

الترف في المملكة الرومانية

في الجيل الثاني قبل المسيح ، كان صاحب الستين قنطاراً (*talent*) اي ٣٧٥,٠٠٠ فرنك لا يعد غنياً. فشيبيون الافريقي اعطى كل واحدة من بناته ٥٠ قنطاراً اي ٣٣٧,٠٠٠ فرنك. واوصى م. اميليوس ليبدوس الّا يُنفق على دفنه اكثر من مليون أس اي ٢٨٥٠٠٠ فرنك . وكان يُقوّم بيت الخطيب

---

١) *Bell. Jud., V,3*
٢) ٣ ملوك ١٢ : ٢٨-٢٩.
٣) *I, 183*.
٤) *II, 9*.
٥) معجم التوراة لفيكورو ، المجلد الرابع ، عمود ١٨٤٥
٦) *Cf.* P. Loti, *L'Inde, Paris, p.* 204-205, 430-432

كرسوس ١٧,٠٠٠,٠٠٠ من الفرنكات . ودروزوس المحامي عن حقوق الشعب كان يملك آنية فضية قيمتها ٩٠٠,٠٠٠ فرنك . وسكستوس روشيوس الذي هلك في فتنة سيلّى كان له ١٣ عقاراً تبلغ قيمتها ١,٧١٥,٠٠٠ فرنك . ول. دومتيوس اهنوبربوس القنصل وعد توزيع عشرين الف هكتار من اراضيه على عشرين الف جندي . وبمبيوس كان يحوز ٢٠ مليوناً من الفرنكات ، والممثل ازوب ستة ملايين ونصف مليون ، وكرسوس المثري بعد اجزال الهبات ، واسناء الصلات ، ترك ٥٠ مليوناً . والعائف ليتولوس الذي عاش في عهد طيباريوس كان يحوز ثلاث مئة مليون سترس[1] اي ٦ مليوناً . ونرسيس العتيق في عهد كلوديوس كان يملك اربع مئة مليون سترس اي ما يساوي ثمانين مليوناً . ونال حفيد هورتنسيوس من اوغسطوس مبلغ ٢٠٠,٠٠٠ فرنك ، واعطى طيباريوس ٤٠,٠٠٠ فرنك كلًّا من اولاد هورتنسيوس الاربعة ، واشترى اوكتاثيوس سمكة بالف فرنك . وكانت الديون آنئذٍ باهظة جداً . فقيصر كان عليه سبعة ملايين من الدين ، ومرقس انطونيوس احد عشر مليوناً ، وكوريون القنصل سبعة عشر مليوناً ، وميلُن اكثر من عشرين .[2]

وفي عهد نيرون كان ستة ملّاكين مستولين على نصف اقليم افريقية . ولما باعت ملانية الصغيرة عقاراتها لتوزع ثمنها على الفقراء ، كان لها ثماني مئة عبد ، واملاك واسعة في كمبانية وصقلية واكيتانية واسبانية . وكان لآل انيشية (Anicia) عقارات واملاك في كل مكان . ومدينة نيكوبوليس برمتها كانت للقديسة بولا .[3] بيد ان هذا الغنى الفاحش كان يضرّ بالمملكة ، لان هذه الملايين الكثيرة كانت تضيق عن سدّ احتياجات اربابها اصحاب الثراء ، وتكاد لا تكفيهم للقيام على العبيد والخصيان ومعالاة القصور ، وتشييد المصايف والصروح في ظاهر المدينة ، وجلب ماء الانهار على ظهور القناطر في القنوات الى باتيتها ، فضلاً عن الرواقات الطويلة الحاوية الاعمدة الفاخرة ، والخشب النادر ، والمعادن

١) كانت قيمة السترس ٠,٢٥٦ من الفرنك .

٢) Paul Guiraud, *Lectures historiques, Paris, 1896, p. 381-388.*

٣) S. Hier., *Praefat. epist. ad Tit.*

السنية ، والرخام العزيز ، والفسيفساء الجميلة ذات التهاويل والتصاوير الحسنة المرصعة في السقوف والجدران ، والذهب والحجارة الكريمة المركبة في الحيطان ، والابواب المصنوعة من خشب الارز المرصع بالعاج ، والمُنَد ذات الرونق المعجب ، وتماثيل الرخام الابيض والفضة والبرنز المذهب ، وسجوف الحرير والبرفير الناعم الرقيق الشفاف ، وزجاج الكوى الملوّن ، وكراسي الفضة ، والزرابي الفارسية والهندية ، والفرش الوثيرة التي يجلس عليها ربات البيوت بين الازهار وروائح الندّ والعنبر ، والإماء والوصائف اللواتي يروحن عليهنّ بمراوح الذهب والحرير ، ويعطرن ويمتكن ارجلهن المخلخلة.[1]

وكان اولئك الاقوام يحرصون على جمع الكتب مفاخرةً ولا يقرأونها ، ويرصفونها رصفاً فوق مناضد مصنوعة من خشب الارز ، او يجعلونها في اصونة ثمينة ، ويباهون بما كتب منها بماء التبر. ولكنهم كانوا احرص على لذيذ الطعام والتأنق في المآكل منهم على جمع الكتب ، اذ انهم كانوا يبذلون المال الكثير في استجلابها واعدادها وفي تفنيق انفسهم ، واستعمال السرف والترف في استجادة المطابخ وانتقاء الوان الاقوات واصناف الاشربة . ففي وسط بيت المائدة كنت ترى خابية ذهب ملأى بالخمرة التاسية يشربونها بجامات مرصعة باللجين والنضار ، ويرصدون للخدمة العبيد الروقة الحديثي السنّ ويلبسونهم احسن الثياب . ومتى خرجوا الى المدينة تقدمهم موكب من الطفيليين والعبيد والخصيان والنخاشيين والمجانين ،[2] ومنادٍ ينادي امام سيده مطرباً في صوته ، ذاكراً القاب مولاه الجالس في مركب مذهب دواليبه من فضة ، او الراكب على جواد وفي يده مروحة ، وعلى رأسه مظلة. وكان من عاداتهم اتخاذ البغال البيض لجرّ المراكب يلبسونها جلال البرفير والذهب ، ويجلسون في مراكبهم متفاخرين بثيابهم ونقوشها وانواع طرازها.

اما النساء فكنّ يخرجن في محفّات يستر جوانبها السجوف ، ويحملها البغال البيض المطهمة الحسنة الهيئة جالسات فوق الحشايا الفاخرة ؛ وقد جمّلن وجوههن

١) فم الذهب: المجلد ١١ ، صفحة ١٠٠ و١٠ ص ١٨٩ – و ٥ ص ٣٢١.
٢) فم الذهب: المجلد ١١ ، صفحة ٥٦ – وفالون : تاريخ الرق ، المجلد ٣ ص ٣٥١

وشعورهنّ بالحجارة الكريمة ، ونحورهنّ بقلائد العقيان ، وايديهنّ بخواتم الذهب ، وارجلهنّ بالخفاف الملوّنة ، ولبسن رداء من جلود تيوس الجبل كله ذهب ،[1] وصبغنّ العيون والوجنات والخدود والأنفاء بالالوان البيضاء والوردية والسوداء ، وحملن في آذانهن قوت مئة عائلة ، كما قال القديس يوحنا فم الذهب.[2] وفي هذا الزيّ والأبهة كن يترددن الى الاسواق والملاعب والكنائس والميادين والحمامات ، وراءهن جمّ من الخصيان ،[3] فاضطرّ ذات يوم القديس فم الذهب الى توجيه هذا التعنيف اليهنّ : « هل تأتين الى هنا للرقص ام للصلاة ؟ »[4]

وحدّث عن حرص الرومانيات في الجيل الاول على التزيّن والتخضب والتحلّي ، ولا حرج . فان المرأة من ذوات الجدة واليسار كانت متى انبعثت من منامها تقصد حجرة الزينة حيث ينتظرها إماؤها . فتدنو منها واحدة وفي يدها صفحة مملوءة حليب اتان وتغسل به وجهها ، ثم تدنو اخرى فتبيّضه وتحمّره واخرى تزجّج الحاجبين والاهداب ، واخرى تقدم لسيدتها علكة تطيب النكهة وتأتيها بقارورة من العقيق فيها بول صبي فيُذاف فيه شيء من مسحوق حجر « الخفّان » والرخام وتفرك به اسنانها ، ثم تجعل لها فيها اسنانها الصناعية العاجية المركبة في الذهب . واذ رأى مرسيال الشاعر مبالغة النساء في الزينة ، وافراطهنّ في تغيير خلقتهنّ قال هازئاً بهنّ : « انت يا غالّة مركبة من اكاذيب . فبينما انت عائشة في رومية يكون شعرك نابتاً على ضفاف الرين . ومتى خلعت عند المساء ثيابك الحرير تخلعين ايضاً اسنانك ، فيبقى ثلثاك في الليل ضمن الاسفاط . ان خديك وحاجبيك عمل امائك . »

وتدنو اخرى وتصبغ لها شعرها باصباغ مشقّرة ، وتجعّده ، وتضمّخه ، وتزويه بالنردين والعطور الشرقية ، وتعقّده في قفاها ، وتعطّر لها فاها . ولا

---

١) فم الذهب : المجلد ٧ ، صفحة ٨٣٦ ، و ١١ ، ص ١٥٣ ، و ٤ ص ١٥٢ .
٢) فم الذهب : المجلد ٧ ، ص ٨٣٨ .
٣) فم الذهب : المجلد ٣ ، ص ١٧٦ و ١٥٣ .
٤) فم الذهب : المجلد ١١ ، ص ٥٤١ .

تزال امة في تلك الاثناء واقفة في يدها مرآة يدها من عاج وإطارها مرصع بالدر . ثم تنظف لها أمة اخرى اظفار يديها ورجليها ، وتلبسها نعليها وقلادتها وقرطيها واساورها الذهب وخواتمها في كل اصبع خاتمين ما عدا الوسطى ، فتجلس حينئذٍ في محفّتها محفوفة بامائها ووصائفها اللواتي يروّحن عليها بمراوح الريش الشمين ، ويتناوبنَ على حمل المظلة فوق رأسها.[1]

وكان الشبّان يباهون النساء في الزينة والتجمّل والتحلي والتطيب والتعطر ولبس الثياب المطرزة ، والنعال الملوّنة ، والاكسية الشفافة ، صارفين كل وكدهم الى الترف والتخنث . وكان اذا دخل الثري منهم الى الحمام اخلاه له القوم ، واذا سلموا عليه اشاح عنهم وجهه ، ومدّ لهم يده او ركبته ليقبلوها فقط .

هذا بعض من عدّ احببنا ان نفكه به القارئ الكريم ليس الّا.

(1) Guiraud, p. 215-221.

نبذة تاريخية
في تنصُّر بعض الامراء اللمعيين

عني بنشرها

القس انطونيوس شبلي اللبناني
رئيس معاملة جبيل والبترون

توطئة

عُهد اليَّ سنة ١٩٢٦ البحث عن كتابات عبيد الله الابرين نعمةالله كسّاب الحرديني ، وشربل مخلوف بقاع كفرا الجبيس ، والاخت رفقا الرّيس ، من ابناء رهبانيتنا اللبنانية . وبينما كنتُ اقلّب اوراق خزانة القعادة الرسوليّة الجليلة في بيروت ، وقعت تحت يدي رسالة للطيّب الاثر الاب اغناطيوس بليبل اللبناني الشهير[1] ، ارسلها الى السعيد الذكر المطران يوحنا المعمدان القاصد الرسولي

١) هو ابن ابي انطون بليبل من ساقية المسك ابتدأ في دير مار انطونيوس سير ، احد اديار رهبانيتنا اللبنانية ، في ٦ نيسان سنة ١٧٨٢ ، فوله من العمر ١٥ سنة . وألبسهُ فيه الاسكيم الرهبانيّ رئيسه الاب سمعان الخازن في ١٥ آذار سنة ٧٨٤ ، وسيم كاهناً سنة ١٧٨٧ ، وتولّى كتابة اسرار الرئاسة العامة . وفي سنة ١٧٩٠ ترأس على دير مار موسى الحبشي . وفي سنة ١٧٩٣ ترأس على دير الكحلونية ، وظلّ الى سنة ١٧٩٩ التي فيها نُسّي رئيساً على دير قزحيا وبقي الى سنة ١٨٠٥ . وفي عهد رئاسته على هذا الدير نُقلت المطبعة الشهيرة من دير مار موسى الى دير قزحيا . وفي سنة ١٨٠٥ أنتخب مدبّراً ثالثاً . وفي سنة ١٨٠٨ أنتخب مدبّراً اول . وفي ١٨١٠ سمّي نائباً عاماً ، بعد وفاة الرئيس العام الاب عما وئيل الجميّل . وفي سنة ١٨١١ أنتخب رئيساً عاماً ، وبقي سبعة عجامع اي الى سنة ١٨٣٣ التي فيها خلّفه الاب مبارك حليحل البسكنتاوي في الرئاسة العامّة ، وتسمّى معه الاب اغناطيوس مدبّراً اوّل . وتوفي في دير مار يوسف البرج ، في ١٩ آذار سنة ١٨٣٥ ، ولم تزل جمجمته الى اليوم محفوظة فيه . وكان رحمه الله من الرجال المشهورين بالتقوى واصالة الرأي والعزم والحزم ، وقد ازدهرت الرهبانية في عهد رئاسته ونمت . وكان صديقاً حميماً للامير بشير الشهابي الكبير . وقد وعدنا حضرة الاب بولس بليبل ، رئيس دير مار مخائيل بحرصاف ، بانه سيدون ترجمة حياته باسهاب ، وهي ملأى بالمفاخر والمآثر الطيّبة .

في ذاك الحين ، في تنصُّر بعض الامراء اللمعيين بناء على طلب سيادته منه . فرأيتها اثرًا نفيسًا يرفع الستار عن حقائق تاريخية . فاستأذنتُ في نسخها ونشرها فتكرَّم صاحب النيافة السيد فريدياتو جيانيني القاصد الرسولي باجابة ملتمسي .

واتفق لي سنة ١٩٢٨ ان رأيت عند حضرة الاب يوسف حبيقه رئيس معاملة المتن اللبناني ، رسالة بمعنى الرسالة الاولى للمثلث الرحمة المطران بطرس كرَم ، رئيس اساقفة بيروت المارونيّ ، الى السيد يوحنا المعمدان القاصد الرسولي الآنف الذكر بعث بها اليه تلبيةً لرغبته . وكلتا الرسالتين حجّةٌ قويّة في بابها ، لان الكاتبين شاهدا عيان على حقيقة نظراها بأمّ العين ولمساها لمس اليد . لذلك آثرتُ نشر هاتين الرسالتين على صفحات مجلة «المشرق» الغرّاء بحرفهما طبقًا للاصل ، لافادة الراغبين خصوصًا في الاطلاع على مثل هذه الآثار التاريخية النفيسة[1] .

وقد ورد ذكر اللمعيين الامراء في كتاب الغرر الحسان للامير حيدر الشهابي ، وفي اخبار الاعيان في جبل لبنان للشيخ طنّوس الشدياق ، وفي تاريخ الرهبانية الانطونية لقدس الآباتي عمانوئيل البعبداتي ، صفحة ٤٨٤ ؛ وفي كتاب الشيخ انطونيوس ابي خطّار العينطوريني . المشرق (٤[١٩٠١]:٧٧٣) ، وايضًا في المشرق (١٨[١٩٢٠]:٥٤٣) .

الرسالة الاولى

للاب اغناطيوس بليل

يُشرّف بلثم انامل قدس السيد الجليل المطران يوحنّا المعمدان النايب والقاصد الرسولي الكلي الشرف والاحترام دام بقاه

ايها السيد الكليّ الشرف والفايق الاحترام

المعروض لقدسكم غب لثم اياديكم المقدسة والتماس بركتكم الرسولية وفرط الوجد التامّ لمشاهدة انوار طلعتكم السنيّة بكل خير . انه لفي اشرف آنٍ سعيد تشرّفنا بوفود مرسوم بركتكم الكريم وفهمنا فحواه وحمدناه تعالى

---

[1] ان النقط الواردة في هاتين الرسالتين تنوب عن كلمات لا تُقرأ في النسختين الاصليتين او عن كلمات خرقها الحتّ .

لاعتدال مزاجكم وهداوة بالكم . رسمتم ان نعرض عن عماد وزيجة المرحوم الامير مراد وعن عماد وزيجة ولده المرحوم الامير شديد وان يكون هذا الاعراض مثلما نعرفه ذمّةً بالتحقيق . فحسب امركم ومعرفتنا نعرض ان حيوة الامير شديد والد الامير مراد كان درزيًا مقترن بستّ اخت حيوة الامير قاسم من غزير وهي عمّة سعادة افندينا الامير بشير المعظّم ولا نعلم ان كانت معمودة بدار غزير ام لا . وبعد اقترانها بالامير شديد المذكور دخلت بمذهب الدروز اكثر من قرينها وتمسّكت به جدًا وبهذه الحال اتّجد[1] لهما الامير مراد وبلغ رشده وبعد ذلك حصل نفور زايد بينهما ولا نعلم سببه فحضرت الستّ المذكورة وابنها الامير مراد من دار فالوغا الى ديرنا مار موسى[2] واستقاما في الدير المرقوم بما انه على كيفهم[3] فهجرها الامير شديد حسب سنّتهم واقترن ستّ من بيت رسلان من الشويفات وهي ايضاً درزيّة . وحين فهمت الستّ المهجورة ذلك اعتمد ابنها الامير مراد في الدير المذكور من الكهنة الموجودين . . . بطقسنا الماروني . وبعد مدّة حضر ايضاً الامير شديد المذكور الى قرية بعبدات التي هي بقرب دير مار موسى استقام هو وحرمته الدخيلة برهة وجيزة وتوفي درزيًا في القرية المرقومة فنزل ابنه الامير مراد مع والدته دفناه وصرفا الستّ الدخيلة للشويفات ورجعا لدارهما لفالوغا . ومن ثمّ عملا احساناً مؤبّدًا للدير المذكور وهو باقي ليومنا هذا وتصرّف الامير مراد بعهدة والده وخضعت له السنّة[4] لانه كان رجلًا متعقّلًا ذو فطنة وفصاحة بليغة . وبقي متمسّكاً بطقسنا الماروني مع والدته وذلك من مدّة تنيف عن خمس واربعين سنة .

وبعد كم سنة امرتني الطاعة ان اكون رئيساً بدير الكحلونية وبما ان الدير المرقوم يخصّ دار فالوغا كنتُ الفقير ولدكم اتردّد كثيرًا لعند حيوة المرحوم الامير مراد لفالوغا وعينت له كاهن من عندي لخدامة داره الروحية حسب طلبه وتارةً كنتُ انا بذاتي اقضي لهم اللوازم الروحية . وحيث كثرة تردّدي واختصاصي بهما كانت والدته تخبرني كيف كان قبلًا تمسكها بدين الدروز

١) اي وُلدَ لهما
٢) الحبشي ، فوق بعبدات
٣) تحت ادارتهم
٤) اي خضع له الذين تحت حكمه

شديدًا . وفي وقت ما شاورني الامير مراد واظهر لي ارادته بالاقتران بابنة عمته الست سلطانه اخت الامير طرودي من بسكنتا جاوبته انه يلزم يجيب تحليلة فارسل جاب تحليلة من بطركنا الذي كان وقتئذٍ وعمل عرس فاخر وكللته (انا) الفقير ولدكم والخوري عبدالله الرامي خادم كنيسة فالوغا وكللناه سرًّا لعدم المشاهرة بذاك الوقت خوفًا من الدروز . وبعده اتجدّ له الامير شديد وتوفّت الستّ سلطانه المذكورة بحال الولادي والخوري عبدالله المذكور عند الامير شديد بطقسنا الماروني بحضور ولدكم لانه ما كان يدخل عندهم الطقس الشرقي كليًّا . وبما ان الامير مراد كان حبّه فريدًا لقرينته المتوفية لازدياد معارفها اراد ان يقترن باختها فاظهر لي ارادته بذلك افهمته ان هذه وبما لا تحلّ عندنا ومع ذلك يرسل يطلب تحليله فطلب تحليله من بطركنا الذي كان بوقته[1] فما سمح له باخذها بما انها بنت عمته واخت حرمته . وبذلك الوقت كان حيوة السيد الذكر المطران اغناطيوس صرّوف[2] يتردّد لفالوغا حيث له هناك كنيسة ورعية وكان حماه الامير مراد المذكور رجل كاثوليكي يُقال له عبدالله عاصي حين فهم غاية افنديه وازدياد رغبته بأخذ اخت قرينته المتوفية وان بطرك الموارنة ما سمح له بأخذها تفاوض (عبدالله) مع حيوة صرّوف بذلك فوعدهُ انه يحللها له بحيث ان الامير مراد يتبع الطقس الشرقي فاعرض المذكور (اي عبدالله عاصي) على الامير مراد ذلك فلازدياد رغبته باخذها كما سبق ارتضى بتغيير طقسه كي يقترن بها . وبوقته تمّ ذلك من دون حضورنا وتبع الامير مراد الطقس الشرقي هو بذاته فقط وبقيت والدته وقرينته متمسكين بطقسنا الماروني . وبعد ذلك حضرنا لعنده وسألناه عن سبب هذا التغيير واوضحنا له عدم جواز تغيير الطقوس . جاوبنا ان صرّوف وعده يجيب له تحليله من المجمع المقدّس بالزيجة وبتغيير الطقس فسكتنا . والامير شديد ولده حين كبر تبع طقس الشرقي ايضًا مثل والده . وفي اعياد الاحتفالية كانوا يجيبوا كاهن كاثوليكي لاجل مناولتهم القربان المقدس وكاهن الماروني كان

١) هو السيّد المغبوط يوسف التيّان
٢) الرومي الكاثوليكي

مقيد بخدامتهم دايماً. وبعد كم سنة توفيت قرينته المذكورة واقترن ايضاً بحضرة الست خدوج المحترمة ولله الحمد هي الآن باقية وتعرف ما صار في زمانها اكثر منا . والامير شديد اقترن بحضرة الست الموجودة الآن بحيوة والده والاولاد الذين اتجدوا بقيرا الذكور بطقس الشرقي والبنات والنسا جميعهم بطقسنا الماروني.

ومن برهة كم سنة حضر انا تحرير من قدس سيدنا المطران بطرس[1] الكلي الاحترام يسألنا عن ذلك ردينا له الجواب بخطنا وختم وظيفتنا حسب معرفتنا نظير هذا الشرح . وبهذا الاثنا قبل وفود امركم حضر لنا تحرير ايضاً من سيادة المطران اغابيوس[2] الكلي الاحترام يسألنا عنه كذلك ردينا له جواب بخطنا فقط ليس بختم الوظيفة حسب معرفتنا فربما يكون باحدهم تغيير عرضي لانه برح مدة طويلة جداً توفي خمس بطاركة وجملة اساقفة للابرشية وما احد سألنا . فاذا كان حصل من سهو باحد الجوابات من طول المدة نرجو السماح لاننا كلما نعرضه فهو بموجب ذمتنا ومعرفتنا.

هذا ما لزم اعراضه ونرجو عدم ابراحنا من دعاكم ورضاكم وبكل عواطف الخضوع اكرر لثم اياديكم المقدسة ملتمساً بركتكم الرسولية ثانياً وثالثاً وادام الله بقاكم

ولد قدسكم

(مكان الختم) القس اغناتيوس بليبل

لبناني

حرر بدير مشموشة في ١ ايلول سنة ٣٤[3]

(حاشية) ومن كون ذلك ليس بخطنا لزم اخبرناه بختم الوظيفة[4]

(لها بقية)

---

١) كرم ٢) الروسي الكاثوليكي

٣) سنة ١٨٣٤ ٤) يستفاد من الكتابة المنقوشة على الختم انه كان مديراً اول

الشعر العامي

بقلم توفيق عوّاد

١

من هو الشاعر العامي ؟

بعيداً عن معاجم اللغة ومجموعات القوافي ، بعيداً عن الاقلام والمحابر ، بين صفوة من الاصدقاء وأمام كاس من العرَق ، يجلس الشاعر العامي ، واضعاً رأسه على كفه ، يستوحي قصائده الفكر والعاطفة مجردين عن المؤثرات المصطنعة ، وينشدها بصوته الشجي على سامعيه ، وقد ارتسمت عليه ، في ذبول اجفانه ، وتجعدات جبينه وكل حركة وسكنة من جوارحه ، القوّة الخفيّة التي تدفعه من داخل لاخراج ما يجيش في نفسه الى عالم الوجود : ذكر لمجالس الانس ، عتاب الى الايام الغادرة ، مناجاة للحبيب النائي ، مداعبة للندماء . تلك هي المواضيع التي تبعثها الشاعرية الفطرية فيه ، فيندفع في معالجتها واحداً فواحداً ، او يخلط بينها اذا شاء موقعاً نبراته على تصفيق الايدي ونقرات الدف ، حتى اذا اكل بيته رفع الكاس الى شفتيه المرتعشتين ، يزيد نشوته نشوة ، في حين تردّ عليه الجوقة بملء الحناجر هازجين متهوّسين . فيتجاوب صدى هتافهم بين جدران البيت الدانيْ ان كانوا حول النار في ليلةٍ من ليالي الشتاء ، أو يسير به النسيم من وادٍ الى وادٍ ان كانوا على ربوة بين الكروم والصنوبر ، مساء يوم من ايام الصيف الجميل البهيج !

تأثره وتأريخه

الشعر فطري في الانسانية ، عرفته منذ عهدها بالكلام الواضح . كل الامم

في كل العصور احتاجت ان تعبر عن افكار وعواطف خاصة تعبيراً جميلاً ، اجمل من الذي تستعمله في الاحاديث. وجمال هذا التعبير يتمّ بالايقاع ، كما هو معلوم . فحيثما كان الفكر الحي ، والعاطفة الصادقة ، والنغمة العذبة ، كان الشعر ؛ سواء في ذلك ادوات التعبير ، ان كانت اللغة العربيـة أو غيرها من لغات العالم.

اذا صحّ ما قلنا ، فتاريخ الشعر العامي يرجع الى العصر الذي كانت فيه لغة عامية .وأريد باللغة العامية اللهجة التي يلفظ بها الشعب لغته الفصيحة ، مهملاً فيها تأثير بعض القواعد والاصطلاحات ، وهي تتكوّن او تظهر حين تتضعضع اللغة الفصيحة بسبب كرور الايام من جهة ، ودخول اللغات الاعجمية عليها من جهة اخرى . وقد برزت هذه الظاهرة في اللغة العربية قبيل العصر العباسي ، اذ تفرّق ابناؤها في شتى الاقطار واحتكوا بمختلف الشعوب ، فتعدّدت اللهجـات فيها وكثر الدخيل من الالفاظ.

يقول ابن خلدون في مقدمته[1] :

« لاهل الشرق وامصاره لغة غير لغة اهل المغرب وامصاره ، وتخالفها ايضاً لغة اهل الاندلس وامصاره ... ثم لما كان الشعر موجوداً بالطبع في اهل كل لسان ... لم يُهجر بفقدان لغة واحدة.»

ثم يقول :

«أما العرب ، اهل هذا الجيل ، فيقرضون الشعر لهذا العهد في سائر الاعاريض على ما كان عليه سلفهم المستعربون ويأتون منه بالمطوّلات... فاهل امصار المغرب من العرب يسمّون هـذه القصائد « بالاصمعيات » نسبـةً الى الاصمعي راوية العرب في اشعارهم . واهل المشرق من العرب يسمون هـذا النوع من الشعر « بالبدوي » وربما يلحنون فيه الحاناً بسيطة لا على طريقة الصناعة الموسيقية ، ثم يغنون به ويسمّون الغناء به باسم « الحوراني » نسبةً الى حوران.»

ويردف بقوله :

« لهؤلاء العرب في هذا الشعر بلاغة فائقة وفيهم الفحول ؛ واساليب الشعر

(١) الفصل الحادي والخمسون : في اشعار العرب واهل الامصار لهذا العهد

وفنونه موجودة في اشعارهم هذه ما عدا حركات الاعراب في اواخر الكلم فان كلماتهم موقوفة الآخر.»

ثم يقول في الفصل نفسه :

« لما شاع فن التوشيح في الاندلس ، واخذ به الجمهور لسلاسته وتنميق كلامه وترجيع اجزائه نسجت العامة من اهل الامصار على منواله ونظموا في طريقته بلغتهم الحضرية من غير ان يلتزموا اعراباً ، واستحدثوه فناً سموه « بالزجل ».»

والحق ان الموشحات الاندلسية كان لها تأثير عظيم بيّن في نشأة الشعر العامي وانتشاره . ونحن ناقلون بعض ابيات يكاد لا يعرف سامعها اهي شعر فصيح أم شعر عامي . ولعلها مثال صادق للدور الانتقالي الذي مرّ به الشعر من الفصيح الى العامي :

وردةٌ دقّ يترلْ وشعاع الشمسْ يضربْ
فترى الواحدْ يفضّضْ وترى الآخرْ يذهّبْ
والنباتْ يشربْ ويسكرْ والطيورْ ترقصْ وتطربْ
والغصونْ تعطفْ علينا ثم تستحي وتغربْ

ان في هذه الابيات خطوة نحو الشعر العامي واسعة ، ولكن الحال لم تبق كذلك طويلاً بل تكوّن شعر عامي صرف يبعد البعد كله عن الشعر الفصيح نجد منه شيئاً كثيراً في مقدمة ابن خلدون نفسها . نطالعه ، ولكن الوزن لا يستقيم لنا في انشاده ولا نحن نفهمه حقّ الفهم ، لان معظم كلماته تابعة للهجات اولئك القوم ، ولا مرجع لدينا يوقفنا على معناها ولا على كيفية لفظها من حيث الحركات والسكون.

... ولقد كان للشعر العامي في ذلك العهد انتشار وازدهار ، مما يجعلنا نعتقد انه كان ظاهرة أدبية قوية . ذكر ابن خلدون ، من الذين نظموا فيه ، اسماء عديدة وقال ان اصحابها أتوا منه بالبدائع . غير انه يفضل عليهم جميعاً أبا بكر ابن قزمان († سنة ١١٦٠). قال احدهم : « رأيتُ ازجاله مروية في بغداد اكثر مما رأيتها بحواضر المغرب.» يريد ان يبين مكانة شعره وشهرته .

وكان في عصره شاعر آخر كبير اسمه عبدالله بن الحاج المعروف بالمدغليس . كان الاندلسيون يقولون : ابن قزمان في الزجالين بمنزلة المتنبي في الشعراء والمدغليس بمنزلة ابي تمام . يريدون بذلك ان الاول كان يعنى بالمعاني اكثر من عنايته بالعبارات ، وان الثاني يفعل العكس .

هذا ما يقوله ابن خلدون . وأما تاريخ الشعر العامي بعد ابن خلدون فما عُني احد بتدوينه . ولكن عدم تدوينه لا ينفي وجوده . فهو قد وجد من دون شك .

وللاستاذ عيسى افندي اسكندر المعلوف كتاب لا يزال مخطوطاً يقع في ٥٢٢ صفحة كبيرة اسمه « نيل المتمنّي في فن المعنى » . تناول فيه مؤلفه تاريخ الشعر العامي ، وقدّم له مقدّمة قيّمة درسه فيها درساً ضافياً احاطه من جميع نواحيه . ولقد تكرم يوماً ، اثناء زيارتنا له في منزله ، بان تلا علينا بعض نبذات من هذا الكتاب ، فاذا هو اوفى ما كُتب في الشعر العامي حتى عصرنا . قال لنا انه اخذ معلوماته الخطيرة من بطون مخطوطات كثيرة محفوظة في مكتبته . وهذا الكتاب يحتوي على مختارات جميلة متنوّعة لاقدم الشعراء العاميين في مصر وسورية والعراق وسائر البلاد العربية . قال : من الذين اشتهروا في اوائل القرن التاسع عشر ابو الكبائر ، والشريف حسين باشا عون ، وناصيف نصار الحاوي ، ونمر العدوان البدوي ، وجبرائيل الشدياق ، وبولس البكاسيني ، وبو علي طبوش . ولديه قصائد من نظم ابن نباتة الشاعر المصري ، ومن نظم صفي الدين الحلي وغيرهما ، مما يدلنا دلالة واضحة ان الشعر العامي لم يُهجر قط بل ظل مرافقاً الاجيال واحداً فواحداً حتى جيلنا هذا .

رُوي عن فخر الدين المعني الكبير ان يوسف باشا سيفا عيّره بقصره ، فانشد في ذلك ابياتاً ، وهو ذاهب للانتقام منه ومحاصرته في قلعة الحصن . ولعل الرواية افسدت فيها قليلاً ، وهذه هي :

غنا قصارْ بعيون المدرْ كبارْ
انتو خشب حور نحنا للخشب منشارْ
وحق طيبا وزمزم والنبي المختارْ

ما بعمّر الدير (١ إلّا بن حجر عكارْ

وفي مخطوطة للاستاذ المعلوف قصيدة لا يُعرف ناظمها . يظهر انها من عهد الامير بشير الكبير كما ينبئنا التاريخ المذكور في اول ابياتها وهو ١٢٠٦ للهجرة ، وكما تنبئنا اسماء العلم المذكورة فيها . في هذه القصيدة يصف الشاعر مجاعة اصابت البلاد في تلك الايام ، وكان له منها نصيب وافر دفعه الى بثّ شكواه . وقد نشرها مع بعض الحواشي الاستاذ المعلوف في « المشرق » (١٨ [١٩٢٠] : ٣٣٩) وهو يرى ان ناظمها لبناني مسيحي من دير القمر او من جوارها . ومما جاء فيها :

سنة ميتين الف وستة اخدت مدّ الحنطه بسته (٢
وكان زمان جدي وستي باعوا بزلطه سبع مدادْ

الى ان يقول :

كان عندي حالوش (٣ وناس وطنجرتين ودست نحاس
بعت الكل من الافلاس حتى الفرشه والليباد
اشتريت لولادي رطل طحين فول وكرسنّه ورزّين
بمصريات خمسة وستين وعجنّاه فشي ما زاد
وخبزناه بلا تنور وحطّينا عباب ناطور
ما كفّانا نص فطور وكان غايبنا ابن معادْ »

وقال البدوي من رثاء زوجته « واضحه » :

فاض الغرامْ وفاضت العين بدماعْ من فوق صحن الخد سالت سواقيه
وامسيت انا على الشوق لدّاع وسبّحت قلبي من الهمّ مساليه
قلبي حزين وسافراتهم لوّاع والجسر ما يخرق الا رجل واطيه

انواعه وفنونه

قال الابشيهي في المستطرف اثناء كلامه عن الشعر العامي : « والفنون السبعة المذكورة عند الناس هي الشعر القريض (ولعله يريد القرادي) ، والموشح ،

١) دير القمر ٢) اي بستّ مصاري ٣) الحالوش : منجل الحصاد

والـدوبيت ، والمواليات ، والزجل ، والكان كان ، والقومـا ، وبينهم من جعل الحاق من السبعة ». هذه هي الفنون التي نظم فيها القدماء. واننا لذاكرون امثلة على البعض منها فيما يلي :

المواليا — قيل ان اول من تكلم بهذا النوع بعض اتباع البرامكة بعد نكبتهم . كانوا ينوحون عليهم بابيـات من الشعر ، ويرددون في آخر كل بيت يا « مواليا » . فعرف بهذا الاسم وقيل ايضاً غير ذلك . من اقدم مـا روى هذان البيتان :

يـا دار ابن ملوك الارض اين الفرسْ ابن الذين حموهـا بالقنـا والترسْ
قالت ترام رمم تحت الاراضي الدرسْ سكوت وبعد الفصاحه الـنتهم خرسْ

القوما — واصل تسميته بهذا الاسم من قول المغنين بعضهم لبعض ! « قوما نُـجر قوما » . في هـذا الباب بيتان ايضاً يرويان عن لسان ولد انشدهمـا الخليفة ، فاعجب الخليفة بهما جدّ الاعجاب فامر له بصلة كبيرة :

يا سيد السادات لـك بالكرم عادات
انـا ابن بو نقطـه تعيش ' أويـا مات

وهنا ننتقل الى الشعر العامي اللبناني فنقول :

يطلق على الشعر العامي اللبناني اسم « معنّى ».

قال الاستـاذ عيسى اسكندر المعلوف : « والـذي اراه في تسميته انه سمي باسم قائله لانه شكوى العاشق الحزين الـذي يـسونه المعنّى فيكون معناه لسان المعنّى . » وهو قول لا يبعد ان يكون الحقيقة او ما يقرب منها. والمعنّى ينقسم الى ثلاثة اقسام اولية : المطلع ، والقصيد ، والقرادي.

يلتزم في المطلع رويّ واحد في كل من الاشطر الثلاثة الاولى ، وللرابع قافية تردد في كل مقطع ، حتى آخر القصيدة. (والمقطع كناية عن اربعة اشطر) ما عدا المقطع الاول ، فان للشطرين الاولين ، وللشطر الرابع رويٌ واحـد هو الرويّ المردّد بعد ذلـك في كل مقطع ، والشطر الثالث بدون رويّ . كما يظهر ذلك في المثال الآتي . مطلع من نظم موريس بشاره :

بعدك ضناني يا وليف وهدّني وكل فرقة يوم اصعب من سني
قلبي عملنا بقصد تاجيلي الهموم يا عملنا عن طريق الولدني
قلبي عملنا بقصد تاجيلي الهموم تكب بدال المعرفي كاسي سموم
ما دام عارف ان حبك ما يدوم ما كان لازم جواك شكتني

القصيد - يلتزم فيه عادة رويّ في الصدر ورويّ في العجز ، ويتبعان في القصيدة من اولها الى آخرها كما يظهر ذلك في المثال الآتي : قصيد لمنصور شاهين الغريب :

عندي أمانة ثابته طول الزمان الله يشهد والعوالم عالمين
لولا الامل في نيل منديل الامان ما كنت للتنكيت اطلقت الهمين
كم غالياً ينباع في ارخص ثمن والرخيص يروح في سعر الثمن
لما رأينا النمر في وكرو كمن خفنا الجنادب ان يطيرو هايصين

. . .

وقد يجيء كالقصيدة في اللغة الفصحى فيلتزم رويٌّ واحد في آخر العجز كقول جرجس بشاره :

يا نسيم الشرق غو الغرب سيرْ وذي سلامي بالعجل وذيلْ
سلمْ على خلانا واصحابنا واهدي سلامي للوليف هديهْ
اشرق علينا بدر يا علا ضياه عجل غيابو وما فرحنا فيه

وهكذا الى آخر القصيدة. وقد يتصرف فيه ايضاً القوالون على انواع شتى غير هذين النوعين

اما القرادي (ولعله مصحف عن قراضي من القريض وهو الشعر) فهو باب واسع جداً للتفنن ، ذكر خليل سمعان القفالي من فنونه اثنين وعشرين نوعاً . وذلك في فصل من ديوانه معنون « بالكنز الخفي » اثناء محاورة بينه وبين ابنه اسعد اذ قال :

غيرْ ممكنْ اعطي شهادي تواشهرْ اسمك بين الناسْ
ما لم تشرحْ قرّادي تنين وعشرين موضه عالْ

فشرح له ابنه كل هذه الموض . منها المسجع ، والمطبق ، والموشح ، والقلّاب ، والشلوقي ، وكرج الحجل ، والكناري ، وغيرها . مثال على الشلوقيّ :

خودْ جوابْ ، صحيح سرْ وجولْ وسباحْ ، بطيبْ وفلْ
وجودْ بخطابْ ، مليحْ وقرْ وقولْ وشراحْ ، وغيبْ وهلْ
قصودْ الثابْ ، وصيحْ وكرْ وصولْ ورباحْ ، وجيبْ الكلْ
سودْ وحجابْ ، الريحْ وفرْ بطولْ الراحْ ، وطيبْ البالْ

وهو فنّ صعب المنال اذ ان كل كلمة فيه قافية.

وهناك نوع آخر اضافي لان القوالين لا ينظمون فيه كثيراً لما فيه من التحذلق اللفظي وهو العتابا كقول شديد غصن :

لمّا زرت دار النبر شكيت كأنك رمح ضمن القلب شكيت
عليكم لاله العرش شكيت حتى يوقفك عند الحساب

وللقوالين باب يحبُ طرقه منهم الملتون بالكتابة والقراءة وهو ما يدعونه « الالفية » ، نسبةً الى « الالف » اول حرف من حروف الهجاء . يلتزمون فيه في كل كلمة من البيت الواحد ان يكون أولها ألفاً . وفي البيت الثاني أو المقطع الثاني الباء والثالث التاء وهلم جرا . وقد يلتزمون ذلك في اول وآخر كلمة فقط من كل شطر ، وقد ينحون ايضاً غير هذا النحو مما لا مجال لاستيعابه . كالذي جاء في ألفية خليل سمعان في الجزء الاول من ديوانه على حرف الباء وقد التزم فيها ان تكون الكلمة الاولى مبتدأة بباء والكلمة الاخيرة منتهية بباء ، من الشطر الاول والثاني قال فيما قال :

« بولاد ماني مسا يحدو غر شيب البحر ما بتوكرو بزرة تراب »

(للبحث صلة)

تربية دود الحرير

تقرير رفعه لوزارة الاقتصاد الجليلة بمناسبة
عقد مؤتمر الحرير

حضرة الاب لويس بليل اللبناني

٢

التربية

ان الاعتناء في الصغر والاهتمام بالتربية الفنية بموجب القواعد الصحية يعطيان في المستقبل دودًا بنيته قوية وعضلاته متينة ، اي انه من احسن تربية قزه وهي صغيرة يجدها كما يشتهي نشيطة قوية في جميع ادوار حياتها ، قادرة على مقاومة كل ما يطرأ عليها من الآفات سواء كانت من تقلبات الطقس من الحر الى البرد الى المطر ، او ما يتهددها من الميكروبات الكامنة لها في البيوت او الآتية اليها من الهواء ، او من ايدي المربين وثياب الزائرين الى غير ذلك . والعكس بالعكس .

قواعد التربية

ان القاعدة التي وضعتها امامي ، وبنيت عليها قواعد التربية ، وكانت علة نجاحي في عملي ، هي « العملية في التربية بموجب الفن » اعني : انه بمقدار اطالة حياة الدود يكون المحصول قليلًا وبمقدار تقصيرها تكون الحاصلات جيدة وافرة مرضية . القواعد الاساسية في التربية هي :

١ً قبل نقل خريطة البزر الناقف من المدخن الى البيت ، يلزم تدفئته بحرارة ٢٧ د. س.

اما كيف يرفع الدود الناقف عن البزر فهكذا : يطرح على وجه البزر قطعة قماش تسمى « تول » فيوضع فوقها ورق توت طري مبسط ويرفع عند امتلائه ، ويوضع على طبق سبق تغطية سطحه بورق توت مفروم فرماً ناعماً .

وعند امتلائه يطعم ورقاً برياً ناعم الهرم جداً. ثم يوضع على السقايف ثم يؤخذ غيره...

٢ً يجدَّد الهواء اربع مرات في الليل والنهار، وفي كل مرة تصعد الحرارة فوق الحدّ المرسوم.

٣ً تبقى الحرارة بصورة دائمة بدرجة ٢٧ د. س. ليلاً نهاراً فتحرك شهوة الدود الى الأكل، فيأكل برغبة ونشاط ضروريين لحسن قوته ونموّه.

٤ً تطعم القز من التسع الى العشر مرات في الليل والنهار باوقات متساوية من الورق البري الناعم الهرم، قلت من الورق البري لانه طري، وسهل الهضم، فيقيت الدود وينميه بسرعة.

٥ً ان سكين الهرم يلزم ان تكون ماضية مسنونة جيداً لانه اذا كان حدّها مفرّضاً يرضّ الورق فتتحوّل عصارته الى مادّة سامّة مضرة.

٦ً الاهتمام بالنظافة، وهي من اهم القواعد الصحية الاساسية في التربية. والمواد اللازم تطهيرها (تنظيفها) هي السكاكين المعدّة للهرم، يجب غسلها بالصابون قبل الهرم وبعده. واليدان يجب غسلهما قبل الهرم واطعام القز. والبيوت بكنسها بلطافة بحيث لا يتصاعد الغبار. وان انسب وقت لهذا العمل يكون قبل اطعام القز. ومن القواعد المهمة ايضاً في التربية تحاشي القبض على الدود بالاصابع، واخذ الاحتياط اللازم لمنع سقوطها. ووضع الشبح في الوقت المناسب. ومنع دخول الهواء بشكل مجرى. لان القبض على الدودة بالاصابع عند رأسها، او بسقوطها من علوّ، يسبب قطع خيط الغزل البارز من فم الدودة، فتتحوّل الدودة الى زيز، فلا تصنع شرنقة. لان القناة الحريرية المزدوجة المخصصة لغزل الخيوط الحريرية هي لطيفة حساسة للغاية، فتى طرأ عليها عرض مما ذكرنا وقع خلل في نظام هذه القناة، إما بسدّ هذا المجرى بسبب القبض على العنق، او بقطع خيط الغزل.

٧ً توليد القز على الطباق فوائده لا تحصى منها: ان القز تصوم وتفطر براحة. ومنها سلامتها من الدود الصغير المقصّر «الرعوانة» ومنها الشبع والنموّ السريع. وخصوصاً ان تراكمها على بعضها «المباوة» تسبب العبوق وسوء نتائجه مفهوم.

تنبيه : ان السير في التربية على هذه الطريقة يجعل اقتصاداً في الورق ، واقبالاً في المحصول ، وتوفيراً في الزمان ، لانه لا يمرّ على هذه القز ثلاثون يوماً من سجنها الّا صارت شرانق . واما من تمشى على طريقة الكسل والراحة فتبقى قزه دوداً من الـ ٤٠ الى الـ ٥٠ يوماً ، وفوق ذلك قلة المحصول.

التلحيق

ان العادة عند اكثر القزازين ان يمنعوا الاكل عن الدود الناقف اولاً اي « الفوج الاول » ، مدة ٢٤ ساعة ، الى ان يفقس الدود لثاني مرة « الفوج الثاني » ، فيدفعون الاكل لكلا القسمين وقعة واحدة ، ثم يحرمونها الاكل معاً الى حين الحصول على الفوج الثالث ، وهكذا بالتتابع الى ان يتم فقس البزر كله ، بحجة تلحيق هذه الافواج على اعتقاد منهم ان لا ضرر عليها . والحال اننا لو بحثنا في عملهم هذا لوجدنا ان حجتهم هذه ليست للتلحيق بل لراحتهم فقط . لان التلحيق على هذه الطريقة عين الضرر ، فايّ كائن حيّ لا يهزل متى صرفناه عن الاكل مدة . على ان للتلحيق الاصولي طريقة هي على نوعين : النوع الاول: ان يوضع الفوج الاول في اول السقايف ، والفوج الثاني اعلى منه ، والفوج الثالث فوقهما ، وما يأتي بعده في اعلى السقايف . والفائدة من وضع الفوج الاول في اسفل السقايف ، والفوج الثاني اعلى منه ، والثالث ... الخ هي انه بمقدار العلوّ في البيت تكثر الحرارة ، فيكثر عدد الاكلات فيكتسب الدود نموّاً ولحوقاً بما سبقه . والنوع الثاني للتلحيق : ان يوضع الدود المتأخر تحت قسطل الوجاق المكوعة ، فيأكل من الثلاث مرات الى الاربع زيادة عن المعدل المفروض ، بسبب كثرة الحرارة ومتى نقف الفوج الثاني يرفع الفوج الاول الذي كان قبله ليحل محله ويوضع في اعلى السدة ايضاً بحسب الطريقة الاولى ، وهكذا الى النهاية . وهذه الطريقة الاخيرة هي افضل ولكنها خطرة لكثرة الحرارة . وعليه من سار عليها لزمه الانتباه لئلّا تحترق قزه .

الصوم والافطار

ولما كان لكل صومة تصومها القزّ ، ولكل فطرة ايضاً قواعد خاصة

وعامة رأيت ان اورد هذه القواعد باسهاب تعميماً للفائدة.

قواعد الصومة الاولى : الحرارة ٢٥ د. س. الاكل سبع مرات باوقات متساوية في الليل والنهار من ورق بري ناعم الهرم جيداً. تجديد الهواء والتلحيق كما مرّ ذكره. ومن سار بموجب هذه التعليمات يرى قزه فاطرة ، للمرة الاولى ، بعد اربعة او خمسة ايام من وجودها.

قواعد الفطرة الاولى : الحرارة ٢٦ د. س. الاكل من ثمان مرات الى اكثر من ورق ناعم الهرم بري . تجديد الهواء ، والتلحيق ، كما ذكر اعلاه . ان القشّ « اي رفع الدود عن فضلات الورق الجزّة » من اهم القواعد الصحية الفنية في تربية دود الحرير . فيلزم بعد فطورها بمدة ٢٤ ساعة رفع الدود عن الجزّة (قشّها) ووضعه على طباق نظيفة فارغة ، ولو كانت الجزة ناشفة لا اثر للعفونة فيها ، وتفرغ الجزة خارجاً عن البيت ، ومنحرفة عن الباب ، منعاً لدخول الغبار . ثم توضع تلك الطباق في الشمس مدة من الزمان لتطهيرها . وان تأخير قشها الى الصومة الثالثة او الرابعة ، كما يصنع البعض ، مضرّ للغاية ، لان القزّ بصومها يضمر جسمها ويرقّ بتدبير العناية لتتمكن من التخلص من قشرتها التي تمنع نموّ جسمها فتفسد تلك القشرة وتصبح منبتاً خصباً للميكروبات . ان طريقة القش الفنية هي ان يطعم الدود ورقاً صحيحاً طرياً « رخصاً » ، ومتى توشحه تماماً يقبض على الورق بلطف ويوضع على طباق فارغة نظيفة ، ويدلّل معاً ، ويطعم حالاً . ثم يُطرح على الدود الباقي ورق صحيح كما في المرة الاولى ، وهكذا الى ان ينتهي العمل . وما حصل من الفرق يعرض بوضع القز المقشوشة اولاً في اسفل السقايف ، والاخرى اعلى منها ، فتأكل زيادة لكثرة الحرارة فيتعوض الفرق

قواعد الصومة الثانية : درجة الحرارة ٢٤ د. س. الاكل ست مرات من ورق بري مهروم ناعم . تجديد الهواء ، والتلحيق كما مر ذكره . فبعد صوم القز باثني عشر ساعة اذا وُجد دود غير صائم « رعواني » يطرح عليه ورق صحيح طري ، ومتى توشحه يرفع ويوضع على طباق فارغة نظيفة ، ويربى كقز جديدة . والاسباب الموجبة لهذا العمل جوهرية هامة وهي ان الدود الصغير

اذا بقي مع الدود الكبير لا يبلغ الفطرة الثالثة او ما فوقها الّا ويسقط مائتاً . لان القز الكبيرة تندفع على الورق وتأكله بسرعة وتأكل كل ما وضع امامها ، دانة على الدود الصغير الذي لا يتمكن من الاكل الّا قليلاً لصغره وضعفه . وبتكرار هذه الحالة يهزل ويموت في ميدان تنازع البقاء المشهور حيث الانتصار للاقوياء . وبما انه لا بد من رفع ذلك الدود يوماً ما مائتاً ، فالاحرى رفعه حياً فيسلم ، ويكون بعد مدة كالقز الكبيرة . ويجب ان لا يلتفت الى اعذار البعض من القزازين الكسالى بتأخير قشّ القز الى الفطرة الثالثة او الرابعة . وبهذه الطريقة تبلغ القز الفطرة الثانية بعد ثمانية او تسعة ايام من تحيلها . قواعد الفطرة الثانية : الحرارة ٣٥ د . س . وقعات الاكل من السبع مرات الى الثماني من الورق البري الناعم الهرم . تجديد الهواء . القشّ . التلحيق . تنقية الدود الصغير ، كما ورد اعلاه .

قواعد الصومة الثالثة : الحرارة ٢٣ د . س . الاكل خمس مرات او اكثر من ورق بري ، اذا وجد ، مهروماً هرماً متوسطاً . تجديد الهواء . اعادة النظر على الدود الصغير وفصله كما مرّ اعلاه . وبطريقتنا هذه تفطر القز للمرة الثالثة بعد تحيلها بخمسة عشر يوماً . قواعد الفطرة الثالثة : الحرارة ٢٤ د . س . الاكل من الست مرات الى السبع من الورق البري المهروم اذا وجد ، ولو على مرتين في اول افطارها . وفي اليوم الثاني تطعم ورقاً صحيحاً جوياً مقروطاً بدون قلحون . تجديد الهواء والقشّ والتلحيق ، كما ذكر اعلاه .

ملاحظات : ١ً ان ما مرّ من القواعد لحدّ هذه الفطرة يمكن لقزازة السواحل ان يعتمدوه في تربية قزوزهم . واظن انهم لو اخروا نقل قزوزهم الى الخصاص لحدّ هذه الفطرة لكان اكثر فائدة ، وافضل صيانة لها من الاعراض الجوّية ، وللعجلة . ٢ً ان من هذه الفطرة وصاعداً تهبّ الريح الشرقية « الشلاهب » واكثر مربي القزوز يطعمون القزّ بكثرة وبافراط . فهذا العمل مضر جداً لان القز في الشلاهب تتحرك فيها شهية الاكل الى حدّ الافراط ، فلو اطعمناها بكثرة فوق المعتاد لسبب لها ذلك تخمة ، فيكثر الماء في معدتها ، ومسامّ جسمها لا تقوى على رشحه كله ، فيبقى جانباً منه اكثر من اللازم

فيسبب لها مرض الاستسقاء. فتلطيف الشلاهب يكون بقفل الابواب والشبابيك الشرقية وفتح الابواب والشبابيك الغربية والشمالية ، ويوضع عليها شراشف بيضاء مبلّلة بالماء ، ويرشّ ماء في ارض البيت ، وتُطعم القز مرة واحدة فقط زيادة عن المعتاد . اما الافضل لو بقي غذاء الدود على معدله القانوني بحسب القواعد . ٣ً اعتيادياً بهذا الوقت. يتدي الموت بعض الدود ، فيجب والحالة هذه ان يرفع الدود المائت ويدفن في الارض لا ان يلقى على سطحها ، او في ارض البيت ، لئلا تنتقل جراثيم الوباء الى البيوت السليمة المجاورة . وبعد النهاية من العمل تغسل الايدي بماء الصابون ، حذراً من نقل المرض الى قز سليمة.

قواعد الصومة الرابعة : الحرارة ٢٢ د. س. الاكل اربع مرات ؛ من ورق صحيح بدون قلحون منسق الوضع. تجديد الهواء . وتلحيق المتأخر يقوم باطعامه ورقاً مهروساً ، ويوضع في اعلى السقائف. وبهذه الصومة يقطع الشيح.

قواعد الفطرة الرابعة الاخيرة : الحرارة ٢٣ د. س. الاكل في اليوم الاول الى اليوم الثالث اربع او خمس مرات من ورق صحيح مفروط ، وبعد ذلك تطعم قلحوناً وورقاً ، وقمات متعددة حسب مقطوعيتها . وفي اليوم الخامس من فطرتها يلزم قشها ، وتدليلها ، وتفريقها ، ويعرف ذلك بفرقة الشيح . وفي اليوم السابع من افطارها يوضع الشيح تماماً وكمالاً . وفي اليوم الثامن او التاسع توضع الشراشف البيضاء على الابواب والشبابيك المفتوحة لمنع دخول الهواء بقوة ، حذراً من تقطيع خيطان الدود. ويُزاد فتح القوافع في السقف ، وتوسيعها ، وخاصة في الزوايا منعاً لحدوث التفطيس . وبعد جمع فضلات الدود « المعالف » ووضعها على حدة بثمانية ايام ، يباشر بجمع الشرانق « القطاف ». ومن يعجّل فيه قبل ثمانية ايام يُعد عمله سيئاً ، لانه يحدث اضراراً في الشرانق ، فيقع العطل على الشاري وعلى المالك وعلى المربّي نفسه . ان القطاف يستوجب ثلاثة شروط . لطافة ، ونظافة ، وفطانة ، اللطافة فيجمع الشرانق عن الشيح سالمة ، والنظافة بنزع ما يلتصق بها من الشيح والجزة والقشور ؛ والفطانة بوضع كل صنف على حدة كالمواتة . والبغلية « المزدوجة » والملطخة ، والملونة ، والرقيقة ، والمفطسة.

في مدينة العذراء

زيارة مؤمن

بقلم ميشيل سليم كميد

توطئة

فها منذ الآن تطوبني جميع الاجيال ؛
لان القدير صنع بي عظائم واسمه قدوس ؛
ورحمته الى اجيال واجيال للذين يتقونه.

١

لورد ! ما احيلى هذا الاسم ! يا له وميض ينير الدياجير ، وميض دائم لا يخبو ، وميض يلمع في النفوس السقيمة في ايمانها ، فيهذبها ويقوّمها ، ويهديها ! لورد ! اي قلب لا يختلج لذكراهـا ، بل اي امرئ به ذرة ايمـان لا تهتز مشاعره رهبةً وخشوعاً ! ان اسم لورد نسيم عفيـاف زكي ، تكتنف هباته وجدان المؤمن ، فيحلق عن كون الارضيات الضيق !.. اي موسيقى سماوية اسم لورد الحبيب الى فؤاد الكاثوليكي ، بل اي هالة عظمة وقداسة تروع نفسه التقية !

في لورد ينشد السقماء شفاء ، ويطلب الاشقياء عزاء وتوبة ، ويجد الابرار رجاء ومحبة . ففيها الحمى والمقيل لكل فرد . لان فيها اختارت الحبل بها بلا دنس ان تُرسل على العالم فيضاً من نعم ابنها الالهي . فتشفي المرضى ، وتهدي الخطأة ، وتثبت ذوي الايمان ... آه ، لا ازال اذكر ، ولن انسى ، كيف كنت اهتز شوقاً وخشوعاً ، وكم كنت ازداد اضطراباً ، والقطار يعج في غياض واودية فرنسة الجميلة ، قاصداً لورد . وجميع ما فيه ايضاً واجف مراقب !...

ان مركز لورد في العالم الكاثوليكي ، يتبوأ أرفع الاكنـاف . وليس من كاثوليكي صادق لا يؤثر فيه الالماح اليها ، بل لا تهيج شجونـه ، ولا

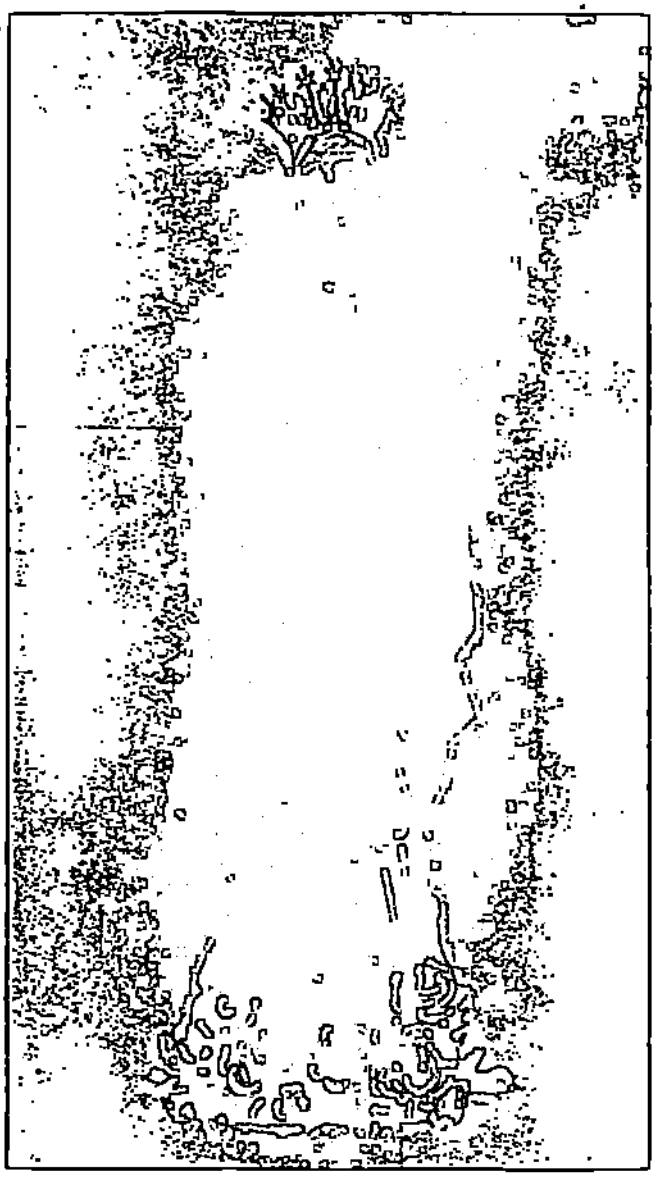

سيدة لورد

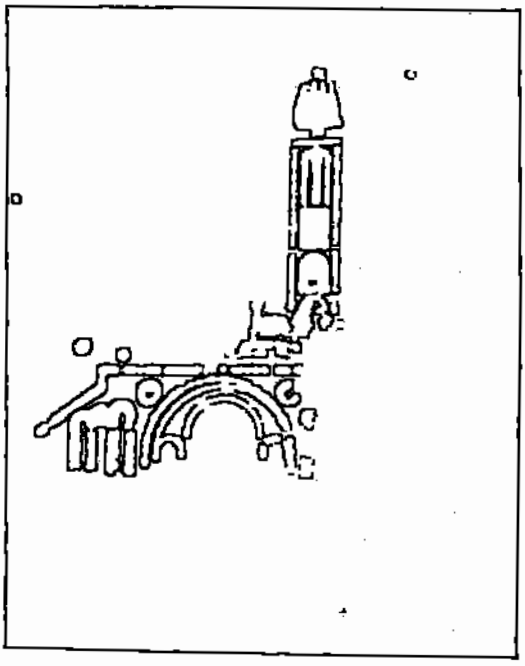

كنيسة لورد في ليل ٢٢ ٨ سنة ١٩٢٩
منوّرة بالكهربائية
مأخوذة من قاعدة التمثال الايمن

يفعم وجدانه تقوى ومحبة في هواها.

اردت في تجوالي في فرنسة ، العام المنصرم ، ان لا احرم زيارة الاحرام المقدسة فيها ، يدفعني لذلك امران ، اولا : ان انجز امراً يجب على كل كاثوليكي قضاءه ، حين وجوده في تلك البلاد ، وهو قضاء فريضة الزيارة لهذه الاماكن . ثانياً : ان ابحث عن تعمق العاطفة الدينية في فرنسة ، واتبين اي نفوذ تملكه ، وهو مطلب يستهويني اكثر من كل امر عداه ... ولهذين السببين قررت نيتي على زيارة لورد بدئاً ، ثم اتلوها بلزيو (*Lisieux*) مسقط رأس القديسة الصغيرة ، ترازية الطفل يسوع . وصممت ان ابدأ زيارتي للاولى اوان الزيارة الاهلية الافرنسية ، حين يهبطها جمع غفير من كل المقاطعات ؛ من اصحاء وسقماء . فضلاً عما تنص به من وفود اخرى من البلاد الاجنبية ، من انحاء العالم قاطبة ، القادمة لحضور هذه الاحتفالات الدينية الخاشعة الباهرة.

يقع موسم الزيارة الافرنسية[1] في التاسع عشر الى الثالث والعشرين من آب كل عام . فتغشاه الآلاف المؤلفة من ابناء فرنسة السعيدة ، وقد صحت نيتي اذ ذاك ، على مشاركتهم ، والقيام بفرض « الزيارة اللبنانية المارونية » لسيدة لورد ، فريداً وحيداً.

على الطريق

شاء القدر ان اصل تولوز بعد انتصاف الليل من صباح التاسع عشر . وكان عليّ ان انتظر قطار بيارتز ، القائم عند السادسة صباحاً . فجلست على حقيبتي في فناء المحطة ، والبرد يقرصني قرصاً شديداً ، تصطك منه عظامي بالرغم من ثخانة ملابسي . واصوات القطارات تزعجني وتصمتني : فتهجدت ليلتي رغماً ، الى ان آن الوقت واصطفت حافلات القطار المنشود ، فاخذت موضعي ؛ ولم

١) هناك مواسم زيارات للشعوب الاخرى . وكلها تقع في آب ، وهي تقريباً على هذا التعديل : ايطالية من ١٠ الى ١٦ ، هولندة من ٨ الى ١٣ ، المانية من ٧ الى ١٣ ، النمسة من ١٣ الى ١٧ ، مالطة من ١٠ الى ١٤ ، ايرلندة من ١٣ الى ١٦ ، وقس على ذلك غيرها . وكلها كما ترى ملاحقة بعضها البعض . ما عدا فرنسة فلا يشاركها احد رسمياً اوان زيارتها .

اكد حتى غص بالركاب.

واني كذلك ابصرت بكاهن يجوس خلال الحافلات حائراً مثقلاً بالحقائب ، باحثاً عن فرصة يستقرّ فيها . فعزمت عليه وبعض رفقاء السفر ليأخذ مكاناً معنا . وما استقرّ ، وحطّ متاعه الثقيل ، حتى هبّ القطار من غفلته.

وتململ الفجر ، واشرقت الشمس . وكلنا تعب منهوك ، من متواصل السفر . فبدأنا نتثاءب ونتناعس طمعاً في قليل من الكرى ، فلم نفلح . وكانت جماعتنا من شتات المبادئ . هنا رفيقنا الكاهن بالرغم من وصبه البادي عليه ، يتلو كتاب فرضه ، يقاربه ماسوني يحمل شارته في عروة سترته ، يتصفح صحيفته الماسونية — وقد غاب عني اسمها — وآخر من حزب الاكسيون فرانسيز ، كما يدلّ شغفه بجريدته . ثم احد المحررين بالايكو دي باري ، كما تبين لي من شرحه لرفيق له عن مواضيع جريدته . اما انا فكنت ساكناً قانعاً بزاويتي ، امام الكاهن ، وقد امضني السهاد — ولم اكن نمت الا ساعة في ليلتي بطولها — اقلب دليل الفنادق بفتور ظاهر ، ولا انفكّ متفحصاً وجوه الرفقاء.

لم يطل المقام حتى اتصل بيني وبين جاري الكاهن تنف حديث متقطع عرفت اثناءه ان خورنيته بسويسرة ، بالرغم من جنسيته الفرنسية ، ولذا هو في طريقه الى الزيارة الاهلية . ثم استعلمني عن وجهتي . فاطلعته على مطلبي لورد ايضاً ، بعد قضاء مأرب لي في بيارتز ولست ادري متى اقفل الى مدينة العذراء ، ايومي هذا ام غدي ؟ وجرنا الحديث الى الفنادق فمدح لي بوجه خاص نزلاً سينزله ، وسألني ان اوافيه اليه ، اذا ما انتهيت وقفلت ؛ فوعدته خيراً.

ومر القطار على لورد فتفارقنا ، وانزويت وحدي في الغرفة مع الرفيق الماسوني !

في لورد

في عصر ذلك النهار ، بارحت بيارتز ، وهبطت لورد مساء . فقصدت حالاً النزل الذي هداني اليه الكاهن . وهناك فوجئت بازدحامه بالزوار . واني

كذلك في حيرة وبلبلة ، اذ يرفيق السفر ، قد ظهر فجأة ، كأن النعمة الالهية بعثته لمساعدتي . وصاح بي « ايه يا صاح ، لقد رجعت سريعاً ! » ...وسعى فأعطيت غرفة شاغرة للغد فقط ، على شريطة اخلائها صباحاً .

محلة لورد تتناسق مع تأثيرها الديني ؛ وفرنسة باجمعها بلاد موسيقية المناظر ، كلمتها الجميلة ، لا تعقّد فيها ، ولا حشو ، ولا لغو ، كل شيء سهل في مناعة ، لين في قوة ، فالبلدة غير كبيرة ، تعج بالفنادق ، غير ذات ساحات او ميادين ، شوارعها ومسالكها في ضيقة والتفاف . تكتنفها الجبال من كل ناحية ، فتملأها روعة ، وتكسوها بهاء وجلاء ، وتزيدها جلالاً في نفس الزائر . ولعمري لست ادري ، ماذا يحوط المرء من هيبة وخشوع ، وهو يشرف من مشرف عالٍ على المدينة الملهمة . بل ما هي تلك العواطف النابضة التي تأخذ عليه وجدانه ... فلله يوم نزلت بساحتها . انه سجلّ في حياتي لا انساه ...

في تلك الليلة ذاتها تعرفت برب النزل وعقيلته وآله . وما تبلغت عشائي ، حتى وافاني احد ابنائه ، ودعاني الى مشاهدة الطواف الليلي بالمشاعل . فلبيت دعوته مسروراً .

طواف المشاعل

وهناك في باحة الكاتدرائية الواسعة ، التهبت آلاف المشاعل . فغدا الليل نهاراً منيراً ، بتلك الانوار المتوقدة ...واني احدثك كيف يبدأ الطواف :

تجتمع جماهير الزوّار بعد العشاء عند المغارة العجائبية ، كل يحمل شمعة . وبينما يتلون السبحة ، يشعلون الشمع . فيمتدّ اللهيب من واحد الى آخر ، وتنقلب الساحة الى نيران نائرة . ويبدأ الطواف ، فيتجهون نحو مسالك الساحة ، إزاء نهر الكاف (Le Gave) وهم لا ينفكون ترتيلاً وتسبيحاً ... آه ما اروعه منظراً ، وما اتقاه مشهداً ! ...تسير الجموع رتلاً رتلاً الى منتهى الميدان الشاسع الممتد امام الكاتدرائية .. فينثنون حول الصليب البريطاني قافلين الى الباحة . وما ان يجتازوا تمثال العذراء المتوجة ، حتى يبدأوا برسم حلقات ، كتاويات الافاعي ...والحشد في ازدياد على الدوام بالزوّار والسياح والمشاهدين .

انيرت الكاتدرائية من الخارج بآلاف المصابيح الكهربائية الشديدة السطوع ، وارسل على قمتها نور كشافي من قلعة لورد يبهرها . . ويزيدك خشوعاً وروعة ، في وسط هذه المشاهد التقية ، الصليب الكبير النائر ، المطلّ على لورد من قمة (Pic de Jer) . فهناك على ذروتها ارتفع نحو السماء رمز التضحية والمحبة والرجاء ، مجللاً بالنور البهي الساطع ، في كبد الليل البهيم ، يشرف على البلدة التقية من اميال عدة . فانت تنظر اليه ، وتختلجك الذكرى الاليمة ، لعشرين قرن خلت ، وتسمو بك نحو جبل الجلجلة ، جبل الفداء . وتكاد تستعرض في مخيلتك ، بوضوح وجلاء ، فادينا الحبيب ، لاسمه السجود ، مصلوباً على خشبة العار ، يجود بروحه الالهية ، محطماً قيود العالم الخاطئ الشريرة ! . . . ثم تسمع هذا الحشد يصرخ مرتلا : السلام ، السلام ، السلام يا مريم (*Ave, Ave, Ave Maria*) فتكاد نفسك تسيل أسى وندماً ، وتنتفض تقوى . وقد يغشاك نوع من الرهبة الدينية ، لا تنفد تفسيره ، ويعجزك معرفة كيانه ! . . . وتشتد الاصوات المنشدة : السلام ، السلام ، السلام يا مريم ! . . .

زياح القربان الاقدس

ليس من مشهد في لورد باعظم وقعاً ، واشد رهبة تنفذ في النفس ، وتتغلغل في مكامن العواطف ، فتثير كوامنها ، وتبعث هواجسها ، من طواف القربان الاقدس . . . في تلك الساعة ، حين يصرخ المرضى والمدنفون مترحمين الحمل الفادي ، المستتر في القربانة . . . ما انفذه اثراً في نفس مشاهده ! آخالك تقرني انه الاثر الوحيد ، الذي لا يمحى مشهده من الفؤاد ، مهما طال الزمن ، ووالت عليه الاعوام . فتلك الوجوه الشاحبة ، تلك الوجنات المحتقنة بالدماء ، تلك العيون الغائرة ، تلك الاجسام المزيلة ، تلك الاعضاء الضئيلة ، تلك الافواه المتمتمة ، تلك الايدي الناحلة تعدّ حبات المسبحة ، او تنبسط نحو السماء ، او نحو القربانة ، تلك الهياكل البشرية المسجاة على المحامل ، ثم تلك التنهدات الحرّى ، تلك الدموع الحزينة الواجية ، تلك الصلوات الخافتة ، تلك الطلبات الاسترحامية التقية ، المرددة من افواه هذه الكتل

البشرية المتألمة ، كل هاته المشاهد الاليمة ، لا شك انها تاركة في اعمق اعماق فؤادك لوعة وحرقة ، لا تمحوها يد الدهر ، وان كنت كافراً جاحداً ملحداً . فلو عدم المرء الاحساس ، وانحلّ فيه الشعور ، لن يبارح لورد ، الّا وفي نفسه أثر ايّ أثر ، أثر الم وحرقة ورهبة . . .

يبدأ اجتماع الزوار ، منذ الساعة الثانية ظهراً . وتتوافد المرضى زرافات زرافات . وكلهم محمول على عربة نقّالة أو مسجّى على محمل . يقودها ، او يحمله المتطوعة ، فيؤخذون قبلاً الى غرفة حمّام صغيرة ، بالقرب من العين العجائبية . . ثم ينقلون نحو مسلكي الكاتدرائية فيصفون الواحد تلو الآخر في صفوف متتالية .

ويصطفّ الزوّار في صفين على جانبي الطريق المؤدي من المغارة الى الساحة ، يراقبون نقل المرضى ، وهم يصلون وينشدون بعض تلك الاناشيد « الوردية » ويرتقي عادةً احد الكهنة المنبر المقام على باب المغارة العجائبية ، فيعظ الجماهير الخاشعة .

ويظلّ الامر كذلك ، الى الساعة الرابعة ، والزوّار في توافد دائم واحتشاد ، فيبلغون عشرات الالوف ، ثم يبدأ الطواف القرباني ، تتقدمه صفوف من الفتيات المرتديات الاوشحة البيضاء ، باعلامهن . فالشبان ، فالرجال فبعض الضباط العسكريين والجنود ، وكذلك بعض الضباط البحريين ، وبعض البحارة ، وقد حملوا في احد الايام بارجة مصغرة ، يتلوهم الكهنة ، فالمظلة القربانية يحملها بعض كبار الضباط والمدنيين من اعضاء البرلمان أو المجمع العلمي وسواهم من عظماء البلاد ، يحوطها بعض الاساقفة . . . ويسلكون في الزياح مسلك طواف المشاعل ، والاسقف حامل المصمد[1] يبارك في كل آونة الجمع المحتشد على جانبي باحة الوردية ، في حين يصطفّ بعض الكهنة في الساحة ، كل منهم يرشد الجماعة ، ممن يواجههم ، في التراتيل والصلوات .

---

١) في كثير من الاحيان ، يحمل المصمد احد الكرادلة . وقد قام بذلك ، سيدنا قداسة البابا الحالي ، حين كان رئيس اساقفة ميلانو . اما اثناء الزيارة الافرنسية هذه ، فقد حمل المصمد ، اسقف لورد وتارب .

واذا ما اتم الاسقف الدورة بالمصد ، وقفل حتى تمثال العذراء ، التي حُبل بها بلا دنس ، ترك المظلة هناك ، وخرج الى الجانب الايسر يبارك كل بضع خطوات قصيرة ، مَن امامه من الزوار والمرضى . فيخرّ الاصحاء سجّداً خشوعاً للاله المتواضع المتجسّد في سرّ القربان . امّا المرضى الراقدون فيكتفون بتلاوة بعض الصلوات ، واسترحام السيد المسيح ، في دموع وتنهدات .

وعند ابتداء هذه البركة ، تبطل الاناشيد ، ويقف في وسط الساحة الواسعة ، احد الكهنة ، فيتلو الطلبات ، والجمع يرددها ، ومنها :

« يا سيد اننا نعبدك ... يا سيد اننا نؤمن بك ... يا سيد اننا نحبك ... انت المسيح ابن الله الحي ... انت سيدي والهي ... اوشعنا اوشعنا لابن داود ... يا سيد اننا نؤمن ، فزد ايماننا ... انت القيامة والحياة ... يا سيّد اذا اردت فانت تشفيني ... يا يسوع الذي احييتنا كثيراً ارحمنا ... يا يسوع يا ابن داود ارحمنا ... يا سيد ان الذي تحبه مريض ... يا سيد رد بصري ... يا سيد اجعلني امشي ... يا سيد قل كلمة واحدة فاشفى ..

يا والدة المخلص صلي لاجلنا ... يا باب السماء صلي لاجلنا ... يا ملجأ الخطاة صلي لاجلنا ... يا ملجأ النصارى صلي لاجلنا ... يا سلام المرضى صلي لاجلنا .. يا معزية الحزانى صلي لاجلنا ... يا سيدة لورد صلي لاجلنا ...

ايتها الطوباوية برنادت صلي لاجلنا ... »

وانك لتشاهدنّ جميع هذه الربوات تردّد الطلبات ، بحرارة وتقوى فائقتين ، وانك لتشعرنّ بها تصعد من قلوب الجميع بصدق واخلاص حقيقيين ، الى السماء تستمطر نعم الفادي الحبيب ووالدته القديسة . والكل يأملون الرحمة والجميع يرجون النعمة . والمرضى بنوع خاص يرددونها بقوة وتلهف . ولتشهدنّ ذلك عندما يعيد الكاهن الطلبات الشفائية : « يا سيد اذا اردت فانت تشفيني ... يا سيد ان الذي تحبه مريض ... يا سيد قل كلمة واحدة فأشفى ... »

وتشاهد الدموع تهطل بغزارة من عيونهم الغائرة المحملقة ، وايديهم ترتفع في ارتجاف نحو السماء ، او نحو المعرض ، وشفاههم تتمتم الطلبات ، وهناك على النقالات والمحامل تتمدد كل الامراض والعاهات ، كل الاعمار وكل المهن . هناك تبصر الشاب والفتاة ، الشيخ والعجوز ، الصبي والصبية ، الجندي والمدني ، الكاهن والعلماني ، المالك والاجير ، الغني والفقير ، العظيم والحقير ، وجميع ما

حوته الانسانية من طبقات وتفاوتات. كلهم امامك منهكون يسترحمون عطف الرحمن ... واني اصدقك الخبر ، اني كثيراً ما اشحت بوجهي عن هذه المناظر المؤلمة ، وكثيراً ايضاً ما انهملت قطرات دمع من عيني ... والآن ، وانا اذكر مشاهداتي هذه ، اشعر بفؤادي يكاد ينوء بالذكرى ، بل اشعر به يكاد يثب حرقةً وجوى وتحنناً على اولئك البؤساء المساكين ، الذين اختارتهم العناية الربانية الكلية الحكمة ، محملاً لآلام البشرية المتعذبة . تعالت حكمة المولى ! .

درب الالام

« لانه احاطت بي كلاب كثيرة . جماعة الاشرار اكتنفتني . ثقبوا يديَّ ورجليَّ واحصوا كل عظامي
(مز ٢١ : ١٧-١٨)

يواجه التل تلٌّ قريب نصبت عليه مواقف درب الصليب ، فكنا نسمع صلوات وتراتيل السائرين.

وقد اسرعت في صباح اليوم التالي — بعد ان قطعت لورد طولاً وعرضاً بسيارة رفيقي ابن رب التل — الى ارتقاء الهضبة ، كي لا يفوتني رتبة مراسيم الزيارة ، اذ لا ادري متى اسعد مرة اخرى بزيارة مدينة العذراء المجيدة.

ولاحدثنك عن درب الصليب هذا الذي يقوم على هضبة تسمو من ظهر الكنيسة العليا ، نصبت على دائرتها المحطات الاربع عشرة ، بشكل لطيف جميل ، على مسافات متفاوتة ، ذات اشراف بديع على البلدة.

اسرعت الخطى ، وتوقفت الارتفاعات الاولية ، على امل ان ادرك بعض الجماعات المترشدة بكاهن . وما كدت اعتليها قليلاً حتى وجدت نصب ملك ، في يده اليسرى صليب رقمت عليه هذه الكلمات : (*In Cruce Salus*) يشير الى الطريق . يتلوه عن قليل صليب آخر ضخم عظيم ، تكتنف ملامح مصلوبه تأثرات عميقة . وذراعاه مبسوطتان نحو المدينة ، كأنه يباركها. وعلى بضع خطوات صليب آخر مرمري كبير ، مقام على مذبح ؛ هو رمز مؤلم رُفع لتخليد ذكرى اولئك الزوّار التعساء الذين قتلوا في زيارتهم بانزلاق القطار عن القضبان ؛ وقد نقشت اسماؤهم الثلاثة والثلاثون ، على القاعدة ، مع رقم

« زيارة الآلام » .

وما تلبث ان تصل الى السدرج المقدس (*Scala Santa*) ، المؤلف من ٢٨ قطعة من المرمر الناصع البياض — متوجة في اعلاها ، بعدة تماثيل ترمز الى السيد المسيح له المجد ، امام بيلاطس البنطي ، وحواليه بعض القوّاد والجنود . وهذا الدرج سلم تقليدية لتلك التي استعلاها مرتين فادينا الحبيب في أورشليم ، ودماؤه القدسية تنضح عليها . ولذلك ففي لورد يحتم على الزوار الذين يريدون تسنمها الّا يطأووها بأقدامهم . فهم يصعدون عليها جثاة على ركبهم . ومنهم من يتلو السبحة اثناء ذلك . ومنهم من يلثم الدرجات . واني لا اكتمك ان الضعف البشري تملكني حينذاك ، فعبرت عن استعلائها ، وقصدت المرحلة الاولى ، ومن هنا يبتدىء درب الصليب ؛ وكل تماثيله بالحجم الطبيعي ، تخفق عليها صورة الحياة ، فتجعلها امضى تأثيرًا واوفى ذكرًا . وتتألف المرحلة من جملة اشخاص ؛ لا يقل عددهم في كل منها عن ستة او سبعة . اما المرحلة الثانية عشرة فتتألف من اربعة عشر شخصاً ، وهي اكبر المراحل واهمها ، اذ فيها تمّ الفداء العظيم ، وغفرت الخطيئة ؛ وارتفع اله البشر المتجسد ، على خشبة العار ، بأمر بيلاطس الجبان .

لحقت بجماعة واتممت معهم هذه الرتبة السامية ، والكاهن يعظنا في كل مرحلة ، ويرشدنا الى سلسلة الآلام ، التي اراد الفادي الالهي ، عبورها لفداء عبيده الخطاة . . . ولطالما ابصرت ترقرق الدموع في مدامع المجتمعين ، لاسيما حين بلغنا المرحلة الاخيرة ، ووسد يسوع الجدث في المغارة . اذ افاض الاب الخطيب ، وطلب منا السجود برهة لتلاوة صلاة قصيرة .

قضيت هذه الرتبة في تأمل وتفكر ؛ فكنت ارى في هذه التماثيل صورة ناطقة حية ، للاربع عشرة مرحلة التي مر بها ربنا والهنا كالحمل الوديع ، لتتمم الفداء العظيم . . .

واكملت طوافي بالهضبة ، وهبطت من جانبها الآخر نحو المغارة العجائبية . . . وهذه الدورة تبلغ من بدء درب الصليب الى ختامه نحوًا من كيلومتر ونصف ونيف .

(لها بقية)

بمناسبة ٢٤ حزيران

عادة التنوير

في عيد القديس يوحنا المعمدان

نبذة لحضرة الخوري يوسف العشيقي المرسل البطريركي

لكل امة عادات ارثية تختلف مصادرها باختلاف آدابها وعقائدها. وتتباين الآراء في اصلها على قدر بُعد عهدها ، الّا ان يزيل هذا الاشكال تاريخها او يروي عنها تقليدها كعادة التنوير في عيد الصليب الواقع في ١٤ ايلول . فليس من يجهل اصلها ، وما كان من امر استرجاع الصليب من العجم . اما عادة التنوير في عيد القديس يوحنا المعمدان فلكلٍّ فيها آراء لا تتعدّى حدّ التخمين.

قيل ان احد العملة على دواليب الحرير لم ينقطع عن الشغل في عيد القديس المذكور ، فاتفق ان احترق دولابه ، فدُعي اذ ذاك العيد بحرّاق الدواليب . واخذ الناس في بعض الجهات يوقدون النار في هذا العيد تذكاراً لتلك الحادثة.

وقيل ايضاً : ان عادة التنوير في عيد القديس يوحنا وثنية الاصل ، وهو الاقرب الى الصواب . ولمّا كان الكثيرون يودّون الوقوف على حقيقة التقليد بما يخصّ هذه العادة رأيت ، بمناسبة العيد الذي تبزغ شمسه علينا في ٢٤ الجاري ان اتخذها موضوع الكلام لعلّ بها ما يُفكه خواطر القرّاء الكرام.

ان عادة ايقاد النار هي قديمة جداً لا يتصل بنا عهدها بالتدقيق . وكل ما نعلمه بشأنها انها وثنية الاصل ، اتخذها سدنة الهياكل من اسباب اللهو والانشراح في الاحتفالات باعيادهم . وصودف ان وقع عيد ميلاد القديس يوحنا في احد فصول السنة الذي تدخل فيه الشمس برج الاسد ، وكان هذا اليوم مهرجاناً لدى الامة الوثنية تحتفل به بالطواف بالمشاعل وايقاد النار ، فكان للعادة تأثيرها عند كل شعب وامة.

ولما كان يتعذّر على الكنيسة ابطال هذه العادة العامة ، استحسنت ان تجعل عليها مسحة مسيحية بأن تُحيلها لغاية الاحتفال بعيد ميلاد القديس يوحنا استناداً

الى نصوص الكتاب الكريم « ليس في مواليد النساء نبيّ اعظم من يوحنا » ، وفي محل آخر: « ويفرح كثيرون بمولده لانه يكون عظيماً ، ويمتلئ من الروح القدس وهو في بطن امه .»

ولئن تعذّر علينا معرفة ما كان من شأنها في أول عهدها في العهد المسيحي ، فلا يتعذر علينا معرفة تقاليد القرون الاولى وما يليها . ففي القرن الخامس ، ذكرها تيودوره بحواشيه في كتابه عن ملوك فرنسة مجلد ٤ : ١٣ : ٣ والقديس اغوسطينوس يذكر عادة التنوير في بعض الاعياد كعادة عمومية لا يدرك عهدها .

وفي مفكرات غليوم ديران : ان التنوير في عيد القديس يوحنا كان عمومياً في وقته ، فكان الناس يطوفون في المدينة وفي ايديهم المشاعل رمزاً الى القديس يوحنا الذي كان نوراً يضيء في الظلمة وسراجاً موقداً وبشيراً بالمخلص . وفي ايامه كانوا يحرقون عظام الحيوانات في ايقادهم النار ذكراً لعظام القديس يوحنا التي احرقها اليهود في سبسطية[1] .

وفي باريس عينها كان لكلّ رعيّة عادةٌ في ايقاد النار المذكورة واشهرها . العادة التي كان يتولّى إيقادها الولاة في ساحة الكراف بحضرة الملك ووجوه واعيان المملكة ، واشهر تنوير يذكره لنا تاريخ هاتيك الاجيال هو تنوير سنة ١٤٣١ الذي احتفل به لويس الحادي عشر .

واما تنوير سنة ١٥٧٢ الذي تولى الاحتفال به شارل التاسع فكان في غاية الابهة والعظمة ، حضره القوّاد والاعيان وكل هيئات الحكومة . فنصب في وسط الساحة عمودٌ طويل يعارضه عوارض خشبية معلقٌ عليها ٥٠٠ حزمة من الاغصان و ٢٠٠ حزمة من الحطب وجميعها تتركز على هشيم سريع الالتهاب ، وعلى قمة العامود برميل يحتوي على مولد قابلة الاحتراق ، ودولاب تتعلق باطرافه اسهم نارية . ويعلو الجميع كيس كبير فيه ٢٤ هراً ، وثعلب واحد ، وكان العامة يدعون هذا المشهد مشهد رقص الحيوانات .

وقد ذكر في ميزانية حكومة باريس انه قد أعطي احد الجباة مئة قطعة

١) احدى قرى فلسطين المشهورة بكنيستها الصليبية التي حوّلها المسلمون الى جامع . وفيها مدافن القديس يوحنا ، واليشع ، وعوبديا النبيين .

عملة باريسية ، لتقديمه بعدة ثلاث سنوات كل ما يلزم لحفلة تنوير عيد القديس يوحنا : ١٥٣٩ من الهررة ، وثعلب واحد ، وكيس حسب العادة.

وفي سنة ١٥٩٣ حضر حفلة تنوير العيد الملك هنري الرابع مع اهل بلاطه واعيان مملكته . وممن يذكرهم التاريخ انهم حضروا حفلة ايقاد النار في عيد القديس يوحنا لويس الثالث عشر والملكة الشابة حنة دوتريش ، ولويس الرابع عشر الذي تناول طعام الافطار في المحل عينه حسب العادة.

ولم تكن باريس لتنفرد بتضحية بعض الحيوانات كما تقدم القول ، بل تعدّت هذه العادة الى غيرها من مدائن فرنسة . انما كان المحتفلون بايقاد النار المشار اليها يضعون الهررة والثعالب في اقفاص كبيرة لمشاهدتها بحال احتراقها ، لا باكياس كما كان يصنع الباريسيون.

وفي بعض البلدان كان الشعب يحتفل بنوع آخر . فكان حاكم المدينة يركز خشبة دقيقة مرتفعة تجاه المقبرة العمومية ، ويعلق برأسها ضمة من سوق النبات المعروف بالثوم ، وتجمع حواليها حزم الهشيم ، ثم يأتي خوري الرعية فيباركها اولاً ثم يلقي فيها النار ، واخيراً تجمع سوق الثوم وتوزع على الحضور فيتخذونها بركة ويعلقونها في بيوتهم اعتقاد انها تقيهم من الوباء وضربات الصواعق.

اما في رومة فيجتمع الشعب عشية ليلة العيد حوالي كنيسة القديس يوحنا لاتران الكبرى ، وبايديهم اصول البصل الزاهرة ، فيحيون تلك الليلة بالاغاني واسباب الطرب والالعاب.

اما في لبنان فعادة ايقاد النار عشية ليلة العيد محلية ، اي في بعض الاماكن ، اما عادة الخروج من المساكن للنزهة والانشراح فعادة قديمة وعمومية.

٣

من العادات ما هي حسنة ومنها ما هي سيئة . فعادة ايقاد النار احتفالاً بالعيد ليس فيها ما يشتم منه رائحة الاعتقادات الباطلة او ما يخلّ بالآداب . وقد كان خوري الرعية عينه يحتفل في بعض الاماكن بايقاد النار المذكورة ومباركتها حسب الصلوة المعدة لهذه الغاية في كتاب الطقس الروماني على التنسيق الآتي :

اولاً : يخرج الكاهن والمرتلون من الكنيسة وهم يلحنون النشيد

المعروف « *Veni Creator* »: «هلمّ ايها الروح الخالق» ويذهبون توّاً الى حيث اعدوا كومة الحطب ، وبعد نهاية النشيد المذكور يتلو الكاهن بعض نوافذ فيجيبه عليها المرتلون بامثالها ، ثم يتقدم ليشعل النار ، ويبدأ المرتلون باناشيد اكرامية لصاحب العيد . وبعد نهاية الترتيل يتلو الصلاة التابعة :

« ايها الاله النور الحقيقي الذي ينير كلّ انسان آتٍ الى العالم ، بارك هذه النار المعدّة لاكرام صفيك القديس يوحنا الخ »[1] وبعد نهاية الصلاة يرش من الماء المبارك على النار ويرجع والمرتلين الى الكنيسة وهم يلحنون ترنيمة الشكر «*Te Deum*»: «اياك اللهم نمدح» وما بقي مما لم تحرقه النار يؤخذ ويحفظ في البيوت كما نحفظ نحن اغصان الزيتون وسعف النخل بعد تبريكها في احد الشعانين في بيوتنا تيمناً . اما العادات السيئة التي يشتم منها رائحة الاعتقادات الباطلة والخرافات الوثنية فهي الرقص والقفز والدوران حول النار ، كما يفعل اللبنانيون ايضاً في بعض القرى بعد ايقادهم النار عشية عيد الصليب اعتقاداً منهم بان هذه التظاهرات والحركات تطيل ايام حياتهم .

على ان بعض الجهلة لا يقفون عند هذا الحدّ بل يوغلون في ضلالهم ، ويعتقدون كل الاعتقاد ان في النار المرقدة في ليلة عيد القديس يوحنا قوة غريبة تأتي بالخوارق والمعجزات . ومن عداد معجزاتها لديهم انها تريهم شعر خطياتهم . وهم لذلك يدورون حولها ثلاثاً ويتناولون جُذىً منها وبعد ان يطفئونها ، يأخذونها لبيوتهم ويضعونها تحت وسائدهم عند رقادهم ؛ وفي اعتقادهم انهم سيرون شعر من ستكون رفيقة حياتهم ملصوقاً على الجذوة المذكورة عند نهوضهم ، الى غير ذلك من الخرافات والاعتقادات الباطلة التي هي من بقايا العادات الوثنية وتقاليد الامم العريقة بالهمجية[2]

وخلاصة القول ان الغربيين ، وان كانوا سبقونا في مضمار التمدن شوطاً بعيداً واخذنا نحن نجاريهم في عاداتهم واصطلاحاتهم ، لكنهم قد سبقونا ايضاً في كثير من عاداتهم المستهجنة التي يستقبحها عقلاؤهم اليوم .

(١ Barbier de Montauls, *Œuvres, A. V. p. 6?.*

(٢ Guérin, *Les petits Bollandistes A. VII, p.317*

مجلة المجلات

المجرة الهندية في السنة ١٩٢٠ – حول نشأة المقامات

الهجرة الهندية في السنة ١٩٢٠

ما هي العلاقات بين المسلمين ومواطنيهم من الهنود في موقفهم تجاه الحكومة البريطانية ؟ تواردت الينا الاخبار متناقضة في ذلك المعنى : فقيل ان المسلمين لم ينضموا الى حزب المعارضة ، وقيل انهم اخيراً اتفقوا على توحيد الكلمة والعمل مع الغير المسلمين . واكثرية الهنود الساحقة انما هي من الغير المسلمين ، ومنهم غاندي . ولم تعرف نيات غاندي الحقيقية نحو مواطنيه المسلمين . على ان مجلة « العالم الاسلامي » الانكليزية نشرت (ابريل ص ١٦٤) فصلا موقعاً باسم بريغس (F. S. Briggs) تحت العنوان الذي اشرنا اليه ، ذكرت فيه قصة غريبة واقعية جرت على الحدود بين الهند وافغانستان ، عرضناها لقراء « المشرق » مناسبة لحوادث الهند الاخيرة .

في اوائل سنة ١٩٢٠ قامت «لجنة الخلافة» ، وغاندي هو احد مناصريها ، تحث المسلمين على خذل حكومة الهند « الجهنمية » التي تبسط طاعتها عليهم خلافاً لتعليم القرآن ، وعلى استيطان بلاد يكون حاكمها اميراً مسلماً كبلاد الافغان . فلماذا تدخل غاندي في القضية وما كانت اغراضه منها ؟ هذا امر لم تكشف غوامضه بعد . وقد رأى بعض الذين رجعوا عائدين الى الهند من هجرتهم أن غاية غاندي كانت ابعاد مسلمي الهند ، على قدر المستطاع . وقد يكون الحادث قصة خيالية لولا وقوع « الهجرة » حقيقةً وموافقة غاندي للقائمين بها .

انبثّ دعاة الهجرة بين مسلمي الهند يحثونهم على المنفى الاختياري ، ويحدثونهم عن بلاد الافغان الفاتحة ذراعيها لاستقبالهم ، وعن وعد اميرها ، المتربع على العرش بعد الحرب الافغانية الثالثة ، انه يقطعهم الاراضي الواسعة المخصبة ، وعن مساعدة الاهلين الذين سوف يمدّونهم بالزاد على طول الطريق من الحدود الى كابل . أحقيقةً كان وعد الامير او وهماً ؟ لا ادري ! ولا ادري هل بلغه خبر الحملة العتيدة . اما الشعب فمن المؤكد انه لم يعد بالزاد

الجماهير الآتية من الهند. وهب انه وعد ، فلم يكن بوسعه ان يبرّ بوعده.

واقبل الناس على الهجرة ، تلبية للدعوة . أتوا من انحاء البلاد وخاصة من السند ، ومن حدود الايالة الشمالية الغربية . فجمعوا جموعهم رجالًا ونساء في بشاور وشدوا المطايا الى كابل. فغصت القطارات بالجماهير المسافرة الى بشاور ، القاصدة الى العاصمة الافغانية . وتزاحم سكان الارياف على رصائف المحطات ليزوّدوا المهاجرين . وطارت لفظة الهجرة من فم الى فم فاستطارت لها الالباب وكثر عدد المهاجرين حتى بلغ مليونين ومئة الف على ما قيل . وان في القول لمغالاة ، لكنه ليس بعيدًا جدًا عن الامر الواقع.

وكان المهاجرون من المدن قليلين ، نسبةً لاهل الارياف ، حيث تحرّكت للهجرة اسرٌ برمتها ، وضيع بكفتها . فمشى من مشى وركب من ركب من عجز ومرضى ، وتحركت العجلات وراء الثيران وعلى جانبيها نساء سائرات مرضعات اطفالًا لم يتجاوز عمرهم بضعة ايام . واستحسن بعض مشايخ القرى حركة الهجرة ، اذ سُئل عنها احدهم فقال : « يا صاحبي ! ذلك احسن ما حدث لنا من زمان طويل : لقد ذهبت الهجرة بعناصر الاضطراب كلها . » انقضى اسبوعٌ على المهاجرين وهم في رحيل ، وظل قافلاتهم يتقلّص او يمتدّ تجاه بيت كاتب هذه الاسطر.

ولكل فريق منهم عازف يعزف وينشط السير . وقد مرت احدى فرقهم الكبرى خارجة من بلاد الهند البريطانية ، وفي مقدمتها مزمرٌ يزمر على لحن الحرس البريطاني !

وكان سلوك المهاجرين حسنًا محمودًا الى حدّ بشاور . سافر واياهم « محرر هذه الاسطر » في قطار ملاوه وتزاحموا على ركّاباته وعلى اسطحته ، ولم يأخذ عليهم اشارةً مخلة بآداب المعاشرة . ثم دخلوا بشاور فاستنشقوا ريح الفوضى ، وما خرجوا منها حتى انقلبوا يقذفون بشتائمهم كل اوربي لاقوه . واتفق ، ان سافر « المحرر » ، الى ممر « خيبر » ، والى « لاندى كاتال » ، حيث اتجه المهاجرون ، فلم يجد فرقة واحدة منهم احجمت عن شتمه ورجم مركبته.

ولكن شتان بين رحلة ورحلة . كان السير الى بشاور اشبه بالسير في

نزهة ، فامسى من بعدها اشبه « بدرب الصليب » ، وكان في آخر المتقهقرين اولئك الذين كانوا اشد تحمساً في دفع غيرهم الى الهجرة . لم يكن معهم زاد وما كان ليخطر على بالهم فكر الزاد ، وهم يتوغلون في بلاد مقفرة ، والحرّ في اواخر ايار ومستهلّ حزيران قد بلغ اشدّه ، ولا ماء ولا طعام كافٍ لتلك الجماهير ، واشعة الشمس تنعكس على الصخور الجرداء متلظية في الفضاء كانها اللهيب . وجدوا قليلاً من الماء في « يرود » ثم ساروا عشرة اميال ، ووجدوا بالقرب من « مسجد علي » غديراً لم ينضب ماؤه تماماً . وكان معهم من الطعام ما ساعدهم على الوصول الى « خيبر » بنشاط . ولكن ما لبثوا ان جاعوا وعطشوا ، ولم يجتازوا مقاطعة النفوذ البريطاني في « لاندى كتال » الا والعوز والحرّ قد وسما فيهم الذبائح للمرض والموت . وتفاقم الامر بخروج القبائل عليهم فسلبوا ثيابهم وما كانوا يملكونه من دريهمات ادّخروها من بيع ممتلكاتهم ، وأقفروا ذلاً وعاراً . وحاول ثلاثة منهم مقاومة اللصوص ، فغلبوا على امرهم ، وكووا في ظهورهم بالحديد المحمى في النار . فرأى الكثيرون منهم ان الحكم البريطاني ما كان ليبلغ ذلك الحدّ من التنكيل ، فعرجوا على اعقابهم تائبين . وحدث ان الثلاثة المكويين على ظهورهم قصّوا قصتهم على من لاقوهم في طريقهم . فكان وقع كلامهم على فرق المهاجرين كوقع اشعة الشمس على كومات الثلوج ، لانه بدّد الجموع وردّ المهاجرين على وجوههم فعادوا ، وقد انقلبت سحنتهم وتغيرت مظاهرهم . وظلّ بعضهم مصرّين على عزمهم فبلغوا كابل ، واذ الاراضي المخصبة الموعود بها انما هي «آل بلقعة وبرق خلب» . طرقوا باب الامير فاجابهم ان بين يديه بعض الاراضي البور ، فان شاؤا استعمارها فلا بأس ، ولكن ليس من غيرها . فقضاوا الرجوع الى الهند ، ولم يبقَ في كابل الا بعض السذّج الراضين بالعيش الشظف . ف . ت .

حول نشأة المقامات

ذكر الحريري في مقدمة مقاماته (طبعة بيروت ، ص : ١٢) انه تلا فيها تلو بديع الزمان الذي « ابتدع » هذا الفنّ . فاراد الدكتور زكي مبارك « إصلاح هذا الخطأ الذي مرّت عليه قرون» فكتب مقالاً رائعاً في « مقتطف » مارس وأبريل ينكر فيه على الحريري قوله

المتقدم ، وينسب الهمذاني الى احتذاء ابن دريد في مقاماته . اما ان يتم الاستاذ زكي مبارك باصلاح الخطأ في نشأة المقامات – ان كان هنالك خطأ – فما يشكره له كل اديب . وأما ان ينسب مصدر هذا الفنّ الى احاديث ابن دريد ، وكلنا يعرف ان هذه الاحاديث بعيدة عن فنّ المقامات ، فهو ما لم يتوفق اليه . فضلاً عن انه لا حاجة الى اقحام ابن دريد بابداع المقامات ، ونحن نرى لها مصدراً اقرب الى النقل في رسائل ابن فارس اللغوي المعروف المتوفى في الريّ سنة ١٠٠٥ ، والذي كان استاذ بديع الزمان . ولا عجب ان يكون التلميذ اقتبس عن استاذه هذا النسق ، ونفخ فيه من روحه ما سما به الى المقام الرفيع . وابن فارس اقرب الى البديع من ابن دريد ، ورسائله الموضوعة اقرب الى المقامات من تلك الاحاديث المروية بالاسناد .

هذا وقد ردّ الاستاذ مصطفى صادق الرافعي على الاستاذ زكي مبارك ، في « مقتطف » ابريل ردًّا شديد اللهجة اشار فيه الى وجوب درس النصّ الذي استند اليه الاستاذ مبارك . وهو كلام لصاحب زهر الآداب يصرّح فيه باحتذاء البديع لابن دريد . قال الاستاذ الرافعي (ص ٥٨٦) :

ان البحث يجب ان يكون في الاصل الذي نقل عنه صاحب زهر الآداب اذ لم يذكر هذا الخبر احد غيره وقد كان في آخر عهد بديع الزمان وكان ينقل في كتابه من الكتب وهو من القيروان وليست له رواية ولم يرحل الى العراق . فمن اين وقع له ذلك الخبر ؟ وهو لو كان صحيحاً لذكره الثعالبي في اليتيمة او في غيره من كتبه ولاستفاض في كلّ كتب التراجم .

ولم يذكر احد في اخبار ابن دريد ان له مقامات او احاديث وكتبه محصورة معروفة وقد ولد البديع بعد وفاته بنحو ثلاثين سنة ولا تكون المعارضة عادة الا للمشهور المتداول .

والاحاديث الموضوعة على الاعراب كثيرة لم ينفرد بها ابن دريد وأشهر وضّاعها ابن الكلبي ، وابن دريد ينتهي اليه في اكثر ما يرويه .

والذي يظهر لنا ان صاحب زهر الآداب سمع الخبر من بعض من رحلوا الى العراق ونقلوا عن علمائه دنّه هذا كأنه ممّا انفرد بعلمه فرواه ذاك بدون تحقيق . وهذا كان شائعاً في الاندلس والمغرب فكل من رحل الى العراق طلبوا عنده ما ليس عند غيره فان كان في عقيدته وهن أنفق من كيس لا ينتهي ما فيه . . . وقد اشرنا الى ذلك في باب الرواية من تاريخ آداب العرب .

وكيف يعارض البديع اربعين حديثاً باربعمائة مقامة شرّقت وغرّبت ثم

لا يستفيض ذكر هذه المعارضة في كتب المشرق ولا تراه منقولاً الا عن رجل من اهل القيروان لا رحلة له ولا سند ولا رواية وانما يستطرف من كل كتاب ومن كل خبر ؟

وقد نقل الشريشي ان البديع كان يقول لاصحابه في آخر مجلسه اقترحوا غرضاً نبني عليه مقامة فيقترحون ما شاؤا فيملي عليهم المقامة ارتجالاً في الغرض الذي اقترحوه . قال: وفيها مقامات لا تبلغ عشرة أسطار . قلنا وهذا هو السبب في انه لم ينتهِ الينا من المقامات الا ثمنها فيكون الباقي مما اهملوه اذ كان اشبه بالعبث من القول ولا يجري الا مجرى النادرة والحديث دون الصنعة والكتابة .

ثم يقول الاستاذ مبارك ان الدكتور طه حسين قال له ارجع الى كتاب الامالي وانظر الاحاديث التي نقلها عن الاعراب فان رأيته يروي عن ابن دريد فاعلم اذن !!! ان الاربعين حديثاً التي ذكر صاحب زهر الآداب انه اخترعها لم تكن شيئاً آخر غير هذه القصص التي حلى !!! بها القالي كتابه . قال فلما رجعت الى كتاب القالي وجدت حقاً !!! ان القصص التي احتواها مروية عن ابن دريد الخ .

اذا كان ابن دريد شيخ القالي وكانت رواية القالي عنه فهل يكون كل ما يرويه عنه الا مسنداً اليه . وهل نسيت ان الرواية علم دقيق له آداب وشروط . وان صاحب زهر الآداب يقول في احاديث ابن دريد أنه استنبطها من ينابيع صدره يعني ألفها فهي من وضعه وليست من روايته وانه اذا كان كذلك لم يبق وجه لان يدخلها القالي في كتابه ويلبس بها على الناس ويزعمها مروية بالسند عن ابن دريد الى الاصمعي أو ابن الكلبي . ولو فعل لكان كذاباً وبطلت الثقة به وبكتابه .

هذا مضحك واذا جاز ان يقوله من لا يعرف شروط الرواية فلا يجوز ان يقع فيه من يروي بشروطها وآدابها كالقالي . وانت ترى القالي في اماليه يروي من شعر ابن دريد وينسبه اليه فما الذي يمنعه ان يفعل مثل ذلك في احاديثه التي الفها «من ينابيع صدره ومعادن فكره» ؟

شذرات

المحصولات الداخلية في مناطق الانتداب

الزراعة (تابع)

الفواكه

كانت نتائج محصولات الفواكه مقبولة بالاجمال . وقد بلغت في منطقة دمشق ، وهي اهم المناطق المصدرة للفواكه ، ٤٥٠,٠٠٠ قنطار من العنب ، و ٢٣٠,٠٠٠ قنطار من المشمش ، يقابلها في السنة السابقة ٤٤٨,٥٠٠ قنطار من العنب ، ٢٥٣,٠٠٠ قنطار من المشمش.

اما في الشواطئ وفي منحدرات لبنان التي تصدر في آن واحد فواكه اوربا المعتدلة وفواكه البلاد الحارّة كالتمر مثلاً ، فان المحصولات كانت غير متعادلة . فبلغ ما اصدرته كروم لبنان ومساجتها ١٠,٥٠٠ هكتار ، ٣٥٠,٠٠٠ قنطار من العنب و ٢٠,٠٠٠ هكتوليتر من النبيذ . اما الليمون فقد اصابه ما اصاب سائر الاغراس من تأثير الجفاف ، ولحقه في منطقة صيدا تأثير الاهوية الحارّة وضرر الحشرات الطفيلية ايضاً ، فنقص محصوله في هذه المنطقة من ٢٥ الى ٣٠ ٪ وقد تأثرت الكروم ايضاً في هذه الناحية باضرار حشرة الفيلوكسيرة. اما في ناحية طرابلس فبلغ ما أصدر من صناديق ليمون البرتقال والليمون الحامض ٦٠٠,٠٠٠ يقابلها ٤٠٠,٠٠٠ في السنة السابقة ، مما دل على موسم حسن.

هذا والتقدم جارٍ في غرس الاشجار المثمرة والتوت . وقد بلغت اغراس الاشجار المثمرة في سنجق اسكندرونة ٧٠٠,٠٠٠ . وفي بلاد العلويين سهّلت الحكومة على المزارعين غرس ١٠٠,٠٠٠ نصبة . ونرى الامر نفسه في منطقة حلب وفي ناحية حمص ايضاً ، حتى ان المشاتل الوطنية لا تكاد تكفي لسد مطالب المزارعين . ولا شك في انه اذا دامت الحال على هذا التقدم لا يلبث ان يصبح لموارد الفواكه تأثير مهم في موازنة حكومات مناطق الانتداب .

والحق يُقال ان محصولات الفواكه ليست فقط من مرافق المعيشة الوطنية بل هي ايضاً صنف مهم من الصادرات الى الخارج ، ويزداد طلبها بالحاح في اسواق الشرق الادنى ولاسيما مصر . وقد بلغ ما أصدر في سنة ١٩٢٨ من الفواكه الخضراء ١٥,٧٩٩ طنًا بلغ ثمنها ٢,٦٣٥,٠٠٠ ليرة لبنانية سورية ، ومن الفواكه اليابسة والمربيات ١٠,٠٧٨ طنًا.

وقد اقيم هذه السنة في انطاكية معرض للثمار المختلفة فنجح كل النجاح . واشترك فيه اكثر من ٣٥٠ مالكاً عارضين من حاصلاتهم المتنوعة.

الصناعة

الزيوت

على الرغم من جودة محصولات الزيتون في سورية الشمالية ، كان مجموع ما خرج من المكابس من الزيت سنة ١٩٢٨ اقل منه في السنة السابقة ، فلم يبلغ هذه السنة الا ٩,٥٦٩ طنًا يقابلها ٩,٩٢٦ طنًا في سنة ١٩٢٧ . وقد بلغ المحصول في سورية وحدها ٧٢٣٥ طنًا في حين انه لم يبلغ في السنة السابقة سوى ٢٠٢٢ طنًا.

على ان مبلغ الزيت المصدَر لم يتجاوز ٤١٠ اطنان يقابلها ٣٩١١ طنًا في السنة السابقة ، بسبب جودة المحصولات الزيتية في سائر المناطق حول البحر المتوسط . وقد كانت مصر ، هذه السنة ، اكثر الدول طلباً للزيت فاستوردت منه ٢٠٠ طن بقيمة ١,٦٩٣,٠٠٠ فرنك.

وقد تألف في ربيع سنة ١٩٢٩ ، تحت رعاية بنك سورية ولبنان الكبير وبالمساعدة الفنية من قبل الشركة الصناعية في افريقية الشمالية ، شركة جديدة غايتها مباشرة بناء المعامل لاستخراج الزيت من فضلات الزيتون بعد عصره ، واسمها « الشركة الصناعية في مناطق الانتداب » وقد تتسع غايتها فتنشئ المشاريع الزراعية والاقتصادية والتجارية.

الصابون

اصدرت المصابن الوطنية الى بلدان الشرق الادنى حيث تروج بضاعتها نحو ٦١٤,٧٣٠ كيلوغراماً تبلغ قيمتها ١٠٩,٩٢٥ ليرة لبنانية سورية . وقد كان

اكثر هذه البلدان طلباً العراق وتركية .

الحرير

على الرغم مما احدثه هبوب الاهوية الضارّة في الربيع على الشواطئ ، فان محصولات سنة ١٩٢٨ زادت على محصولات السنة السابقة ، فانت ببرهان جديد على التحسن المستمر منذ السنة ١٩٢٠ . وهذا في ما يلي جدول بمحصولات الشرانق :

السنة	محصولات الشرانق	
١٩٢٠	٨٠٠,٠٠٠	كيلو غرام
١٩٢٧	٣,١٨٥,٠٠٠	«
١٩٢٨	٣,٣٥٠,٠٠٠	«

وتُقسم هذه المحصولات على المناطق كما يلي :

لبنان	٢,٠٦٠,٠٠٠	كيلو غرام
بلاد العلويين	٦٣٠,٠٠٠	«
الاسكندرونة	٦٦٠,٠٠٠	«

وهنا يجب الاشارة الى ان محصولات بلاد العلويين تضاعفت منذ خمس سنوات . وان ازدياد اغراس التوت فيها مستمر بمعدل ٢٠٠,٠٠٠ نصبة بالسنة .

اما قيمة بزر القزّ المستوردة الى مناطق الانتداب او المنتجة فيها والمهيأة للتفقيص في سنة ١٩٢٩ ، فتبلغ نحو ١٢٤,٠٠٠ اوقية يقابلها ١٢٥,٧٨٦ اوقية في سنة ١٩٢٧ . اما مصادر هذه البزور فمختلفة منها ٩٥,٧٠٥ اوقيات من المعامل الفرنساوية ، و ٢٢,٠٣٤ اوقية من المعامل اليونانية ، و ٧٤٠ اوقية من المعامل الايطالية .

اما عدد الكراخين التي اشتغلت بترتيب معتاد فقد بلغ هذه السنة ٨٥ . ويمكن القول ان آلات الحلالة وادوات المعامل تتحسن شيئاً فشيئاً .

صناعة النسج

تُقدّر المنسوجات في منطقة حلب بـ ٥٠,٠٠٠ قطعة من المنسوجات القطنية ، و ٤٣,٧٠٠ قطعة من الاطلس او الحرير ، و ١٠٤,٥٠٠ قطعة من حرير وقطن مشترك .

اما معامل دمشق فبلغ ما نسجته ١٢٠,٥٠٠ قطعة قطنيـة ، و ٧٠,٠٠٠ قطعة من الاطلس او الحرير ، و ٧٠,٠٠٠ قطعة من حرير وقطن مشترك.

ومن المفيـد ذكره ادخال الآلات العصرية في معـامل النسج ، وزيادة المحركات الكهربائية في معامل الحلالة ، من ذلك ان في دمشق ٣٥ آلة نسيج من ماركة ديدريش . وان القيام بتوزيع القوة الكهربائية يدفع الى الامل انه لا تمضي سنون قليـلة حتى تكثر آلات النسيج المحركة بالكهرباء فيمكن استعمالها حتى في المعامل العائلية الكثيرة في سورية.

الجلود

بلغت محصولات الجلود ٢٨٠,٠٠٠ من جلود الكباش ، و ٢٢٠,٠٠٠ من جلود الماعز و ٢٢١,٥٠٠ من جلود الحملان ، و ١٤,٥٢٠ من جلود الابقـار و ٣٦,٢٢١ من مختلف الجلود . تبلغ قيمة كل ذلك ١,٠٣٤,٢٩١ ليرة لبنانية سورية ، ووزنه ١,٥٦٦ طناً.

وكانت حلب ولا تزال اهم مركز لبيع وشراء هـذا الصنف فهي تمثـل وحدها ٨٠٪ من مجمل الحركة العامة.

وقد اصدرت مرافئ سورية ولبنـان هـذه السنة ١٢٦٩ طناً من الجلود غير المدبوغة يقابلها ٨٧١ في سنـة ١٩٢٧ ، و ٨٩٩ طناً من الجلود المـدبوغة بصوفها .

مؤتمر المستشرقين الدولي الثامن عشر

أتانا من حضرة المستشرق كرامر ، سكرتير لجنة عقد المؤتمر الدولي الثامن عشر للمستشرقين ، في ليدن ، نشرة اولى يقول فيها انه طبقاً للقرار المتخذ في اول ايلول ١٩٢٨ ، في آخر جلسة للمؤتمر السابع عشر المعقود في اكسفرد ، سيجتمع مؤتمر المستشرقين الدولي الثامن عشر في هولاندة . وقد تأسست لجنة غايتها تهيئة المعدات اللازمة لذلك ، وقررت قراراً ستؤكده في ما بعد ، مفاده ان المؤتمر المذكور سيُعقد في ليدن من ٧ الى ١٢ ايلول ١٩٣١.

ازمة الورود

لكل الاحوال في ايامنا ازمات تعترض سيرها من حين الى آخر فتهلع لها قلوب اربابها . فهناك الازمات السياسية ، والتجارية ، والزراعية ومن هذه الاخيرة أزمة الورود التي اشير اليها في شهر ايار الفائت وهو شهر الورود . وما هذه الازمة الّا عرقلة حصلت في اعمال بذر الورود المختلفة ، وغرس فسائلها ، وتنويعها والاهتمام بها في مغارس ليون العظيمة . وسبب ذلك قلة اليد العاملة وانصراف العمال شيئاً فشيئاً عن هذه الصناعة . وهو أمر شكت منه غرفة تجارة ليون في نشرتها الاخيرة لما يلحق من النقص في دخل تلك المدينة المشهورة بورودها في جميع انحاء اوربة واميركة حتى اصبحت طلبات اغراس الورد تتراكم بعشرات الالوف على المزارعين فلا يمكنهم تلبيتها جميعاً ، وقد اشارت النشرة المذكورة الى ان مدينة ليون تصدر سنوياً نحو مليون وسبعين الف غرسة ورد ، تبلغ قيمتها نحو خمسة ملايين فرنك . منّ الله بانفراج تلك الازمة وغيرها من الازمات !

لضعف الاسناد !

اجتمع محدّث ونصراني في سفينة . فاخرج النصراني زكرة من خمر كانت معه ، وصبّ منها في كأس ، وشرب . ثم صبّ ثانياً وعرض على المحدّث ، فتناوله من غير فكرة ولا مبالاة . فقال النصراني : « جعلت فداك ، انها خمرة ! » فقال : « من اين علمت ذلك ؟ » قال : « اشتراها غلامي من يهودي . » فشربها المحدّث سريعاً ، وقال للنصراني : « ما رأيت احمق منك ! نحن اصحاب الحديث نتكلّم في مثل سفيان بن عُيَينة ويزيد بن هارون ، افنصدّق نصرانيا عن غلامه عن يهودي ؟ . . . والله ما شربتها الّا لضعف الاسناد ! »

(حلبة الكميت)

مطبوعات شرقية جديدة

Julio Cejador Y. Franca : Alphabet et inscriptions ibériques. *I. Généralités. Epoque du renne pyrénéen. XVI - 159 pp.; II. L'Alphabet ibérique et les inscriptions néolithiques, 143 pp. in-12, ill. Trad. du* Dr **J. Brouta.** *Paris, Paul Cattin,* 1929.

الابجديات والرقم الايبيرية

اننا نشعر بأسف شديد لدى مطالعتنا هذين الكتابين لاحد اساتذة جامعة مدريد ، المتوفى سنة ١٩٢٧ . ولكن اسفنا يشتد ايضاً ، اذا فكرنا بان هذا الاثر للمؤلف الاحمق وجد من يترجمه الى اللغة الفرنسوية ، ويدين بكل نظريات المؤلف متوسعاً ببعضها .

اما ملخص تلك الادعاءات فهو ان المؤلف يزعم بقدرته على حل معميات الخط الايبيري ، او الاسباني القديم ، الذي لا يزال مغلقاً على علماء الآثار ؛ يدعي حل ذلك ، بالاستناد الى لغة بلاد الباسك الحالية التي لم تتطور ، في زعمه ، منذ عهدها الاعرق في القدم . وهو يدعي ان ابجدية تلك اللغة ترقى الى اقدم عصور البشرية ، وعنها تولدت الابجديات القديمة ليس فقط الفنيقية واليونانية ، بل الشومرية ايضاً (كذا) ، فتفرعت عنها المقاطع المسمارية . فيكون ان تلك الابجدية اقدم من كل ما نعرفه من آثار المدنيات !

أوَ لا يكفي عرض هذا الكلام للحكم على المؤلف بالجنون ؟ وقد شعر هو نفسه بجنونه حتى قال : « لنفرض ان طريقتي وهم لا حقيقة له ، فانا ارغب ان تعرفوا الشجرة من اثمارها ! والحال ان جميع من اهتم بالرقم الايبيرية من العلماء لم يتمكنوا من ترجمة كلمة واحدة من تلك النصوص ، حتى المنقوش منها على النقود . اما انا فبواسطة ابجديتي الاولية وبواسطة لغتي الباسكية التي لا تقصر اولية عن ابجديتها ، اتمكن دون عناء من ترجمة جميع النصوص المعروفة ليس الايبيرية فحسب ، بل الاقريطشية ، والحثية حتى نصوص غلوزل . » ونحن يكفينا ذكر بعض هذه الترجمات ، للبرهان على جنون المؤلف .

فقد قرأ على احدى قطع النقود : « ينبوع الحليب غير النـاضب » وعلى قطعة اخرى : « لي فم » وعلى غيرها : « عندي عـدس ناضج » . ودونكم اعجب من ذلك . فقد قرأ بعض الحروف المنقوشة على مـلّة تظهر عليهـا حربة ، وترجمها بقوله : « برغشة العنب التافه » ! والاعجب ان في الناس من يهتم بهذه الحماقات ويترجمها !

واني اتبسط في الكلام عن جنون المؤلف ، لاني عرفته هنا ، في بيروت، مدة سنتين متواليتين ، اذ كان اراد الدخول في رهبنتنـا ، فأُرسل الى هنـا ليدرس اللغات الشرقية . فتراءى له ، من ذاك الحين ، أن يفتش عن لغـة البشرية الاولى ، وعكف على درس العربية والعبرانية والسريانيـة ، والصينية واليابانية وغيرها ... وكان يطلعني على بعض نتائج لابحاثه فأراها بعيدة كل البعد عن الصواب . وكان ، في حياته ايضاً ، بعيـداً عن كل نظام ، يحبس نفسه في غرفته طويلاً ، ويدخن دائماً ، ويقضي القسم الاوفر من لياليه في العمل ، حتى ترك الصلاة ، وترك دروسه اللاهوتية التي كان قـد طلب ان يبدأها هنا ، فرسب في امتحـانه الاول رسوباً مخجلاً . فانتقل من ثمّ الى اسبانية حيث رسب مرة ثانية ، فترك الرهبنة وعاش في العالم لا يعتقد بشيء . فلو عرف الدكتور بروتا ما عرفناه عن اضطراب دمـاغ المؤلف ، لأعرض عن نظريته في اصل الكلام ، ولربأ بنفسه ان يترجم أثر رجل مجنون . س . ر .

Kortleitner (F.-X.), *ord. Praem.* De Antiquis Arabiae incolis eorumque cum religione Mosaica rationibus. | *Commentat. bibl. III*| *Oeniponte. Rauch* 1930. 118 *pp.* 8°

سكان جزيرة العرب الاقدمون وعلاقتهم بالديانة الموسوية

عديدة هي المجلدات التي نشرها المؤلف ، باللغة اللاتينية ، في الـديانات القديمـة ومقابلتها بالديانة الموسوية ، وفي العاديات وعلاقتهـا بشروح الكتب المقدسة ، وغايته ، قبل كل شيء ، ان يفيد طلّاب المدارس الاكليريكيـة العالية . وقد نال هذه الغاية الحميدة ، فادّى لهم خدمات جليلة . وكلّ كتبه ترتقي شيئاً فشيئاً مع تقدّمه في السنّ فتزداد المعلومات فيها ، ويتحسن مظهر

تأليفها . وكان آخرها المجلد المذكور الذي يهم خاصة قراءنا الشرقيين ، لانه يبحث في احوال العرب الاقدمين كما تظهرهم لنا الآثار البنائية والرقم القديمة المكتشفة منذ ستين سنة . وهو موضوع على متكلمي اللغة العربية من أهل الشرق ان يكونوا السابقين الى درسه ، ولكن الكثيرين منهم يجهلونه كل الجهل ، لسوء الحظ . اما الكتاب فيقسم الى قسمين : يذكر في القسم الاول كل ما نعرفه عن جزيرة العرب القديمة : المصادر الدينية والمدنية ، اقسام البلاد القديمة ، اصل سكانها ، الابحاث العصرية ، الممالك المختلفة التي اقتسمتها . وفي القسم الثاني يعرض المؤلف للعلاقات بين العرب الاقدمين والديانة الموسوية ، فيتكلم عن : هل كانت شرائع موسى مكتوبة في البدء بلهجة من لهجات العرب ؟ هل من علاقة بين تلك الشرائع الدينية وبين نظام العرب العريق في القدم؟ هل اقتدى موسى ، في انشائه رتبة الكهنوت ، بكهنوت مملكة العرب القديمة ؟ الى غير ذلك من الابحاث المهمة التي تنتهي كلها بآخذ وافرة تفيد من يشاء التعمق في الموضوع . فهل بين علماء شرقنا العزيز من يستفيه تعريب هذا الكتاب ، ولاسيما القسم الاول منه ؟ س . ر .

Thorbecke (F): Afrika. Erster Teil: Allgemeine übersicht. (*Jedermanns Bücherei*) *Breslau. F. Hirt*, 1929. 3, 50 *Mark*

افريقية - القسم الاول : نظرة شاملة

هو مجلد اول يختص بنظرة عامة شاملة على بلاد افريقية فيفيد بما فيه من الخارطات والرسوم العديدة البالغة الستين ، وبما يحتويه من المعلومات العامة عن جغرافية البلاد الطبيعية والاقتصادية ، وعن السكان وحركاتهم . كل ذلك يستند الى وثائق دقيقة مصية فيزداد قيمة .

R. Grousset: Les civilisations de l'Orient. t. II. L'Inde. *Paris, Editions Crès et Cie*, 1930

مدنيات الشرق : الهند

تكلمنا سابقاً (مشرق هذه السنة ص ١٤٩) عن المجلد الاول من هذا الكتاب الخاص بمدنيات الشرق . وها ان المجلد الثاني يوافينا متضمناً درس

بلاد الهند من حيث آثارها وفنونها وسائر مظاهر مدنيتها الفنية حاملاً الفوائد العديدة السهلة المأخذ في الموضوع . وهو مقسوم الى ثلاثة اقسام: الهند البوذية والهند البرهمية ، الهند الخارجية اي فنّ جزيرة جاوى وفنّ الهند الصينية ، ثم الهند الاسلامية وسيتبع المؤلّف هذا الكتاب بمجلد ثالث يتضمن درس مدنية الصين وما جاورها. ج. ل.

Philip. K. Hitti : The origins of the Druze people and religion, with extracts from their sacred writings. [*Columbia University Oriental Studies vol XXVIII*] *New York*, 1928. *Prix: dollars* 2.00

اصول الشعب الدرزي ودياناته

هو عمل مفيد يلخص كل ما يُعرف عن الدروز منذ تأليف العلّامة دي ساسي. وقد جمع المؤلف عدة اقوال عن عبادة العجل ، ولكن ليس فيها ما يؤيد حقيقة هذه العبادة عند الدروز . هذا والمؤلف يميل الى الاعتقاد ان الدروز من اصل فارسي . على اننا نرى ان العنصر السائد فيهم انما هو العنصر العربي . وهذا لا يمنع كون بعض أسرهم الشهيرة تمتّ الى اصل كردي او بربري. ه.ل.

J. G. Prod'homme : Voltaire raconté par ceux qui l'ont vu. *Paris. Stock*. 1929. XVI - 288 *pp. Prix* : 24 *f*.

فولتير كما صوّره من رأوه

مجموعة تذكارات ورسائل ووثائق مختلفة نُشرت مع بعض الملاحظات الادبية والتاريخية ، وقُدمت عليها توطئة بقلم السيد ادوار هريو بالغ فيها في تعظيم ذاك العصر السعيد في عرقه . ومهما يكن من الامر فان الكتاب مفيد بما جمعه من المعلومات عن فولتير ، من مراسلاته مع السيدة دي شاتلي (Mme du Chatelet) ، ومع فريدريك الثاني ، الى اقامته في جنيف ، فاظهر ذاك الرجل في حياته اليومية ، او كما يُقال « في مباذله » ، قبل ان يحفّه بعضهم بذاك الطلاء الخارجي الغرّار . وانها لفكرةٌ حسنة فكرة القيام بهذا النوع الادبي الذي يدلّ على قيمة الرجل بشهادة معاصريه . وقد ظهر في المجموعة نفسها حتى الآن ثلاثة مجلدات ، عدا الحاضر ، عن بيتهوفن ، وموزار ، وشوبرت. ج.ل.

R. P. Antony Philippe : Au cœur de l'Afrique. Ouganda. Un demi-siècle d'apostolat du centre africain 1873-1928. *in-8°*, 191 *pp.*, 32 *illustr. hors-texte*, 3 *cartes*. *Prix* : 20 *f*. *Paris*, *Dillen et Cie*.

في قلب افريقية

من المعلوم ان الكردينال لافيجري كان اطلق ابناءه الروحيين الى قلب افريقية ، الى بلاد اوغاندا ؛ فأسسوا فيها رسالةً لم تلبث ان ازدهرت ازدهاراً جميلاً . ولم تكن مرّت عشر سنوات على دخول الآباء البيض اليها ، حتى اعطت تلك النواة المسيحية عدّة شهداء من العبيد ماتوا في سبيل المسيح ، فطُوّبوا سنة ١٩٢٠ . فذكر المؤلف تاريخ تلك الرسالة باسلوب موجز واضح ، شائق المظهر من حيث الورق والطبع والتصوير ايضاً . ج. ل.

Commandant Noël Maestracci : La Syrie contemporaine. Ce qu'il faut savoir sur les territoires placés sous mandat français. *in-8°*, 228 *pp.* 3 *pl. hors-texte*. *Prix* : 16 *f*. *Paris*, *Charles-Lavauzelle et Cie*. 1930.

سورية المعاصرة

رأى مؤلف هذا الكتاب رأياً حسناً بجمعه اهم المعلومات التاريخية ، والجغرافية ، والجنسية ، والادارية عن البلاد السورية . ولكن مما يؤسف له انه لم ينتبه في بعض مواضيعه للتدقيق اللازم ، ولم يستقِ دائماً من المصادر الوثيقة ، فسقط في هفوات منها انه ينسب سيف الدولة الى السلاجقة (ص ٤٨) ويدعو باسم دوران (Durand) الاثري الذي تولى حفريات جبيل ، وهو السيد دونان (Dunand) (ص ١٧٦) ويخلط بين الاسماعيلية والنصيرية (ص ٢٠٤) الخ. ه. ل.

Robert de Beauplan : Où va la Syrie ? *in-16*, 20 *illustr. et* 1 *carte*. *Prix* : 12 *f*. *Paris*, *Jules Tallandier*.

مصير سورية

كتاب معتدل اللهجة ، متوسط من حيث الدقة في المعلومات ، كاف للفرنسويين الذين كتب لهم المؤلف . وقد ظهر في مجموعة غايتها درس المسائل التي تهمّ الجمهور في الوقت الحاضر « كمصير انكلترة » وغير ذلك .

فعلى سورية ان تبتهج اذاً بان ترى لنفسها محلاً الى جنب الدول الكبرى . على ان هذه المسائل تظل دون جواب ، او حل نهائي ، في اكثر الاحيان . وهكذا فالتاريخ يخبرنا ان سورية ظلت عائشة بعد اضمحلال كل الشعوب التي احتلتها . فعلى المنتدَبين اذاً ان يهتموا باسباب المسؤولية اكثر من اهتمام المنتدَب عليهم . يشهد بهذا الامر اكثر الكتب الفرنسوية التي تظهر في الموضوع . ومؤلفوها انما يبحثون ويكتبون في سبيل مواطنيهم . على ان كتبهم واحكامهم تفيدنا في المستقبل كشواهد على الحالة الحاضرة اليوم . ج . ل .

M. Honoré : Vers Bagdad. *in*-16, 212 *pp*. 8 *planches hors-texte. Paris, Editions Pierre Boyer*, 1929.

نحو بغداد

سفرة سريعة قام بها المؤلف ، فاسرع ايضاً في مشاهدة كل ما مرَّ به من اوربة الوسطى الى حلب ، فالى بغداد ، ثم في رجوعه مارًّا بتدمر فحلب . على ان اسلوبه حيٌّ موجَز .

H. Malcovati : *Caesaris Augusti imperatoris operum fragmenta.* [*Corpus scriptorum latinor paravianum* N° 38] *Turin. Paravia. et Cie.* 1928. *Prix* : *L.* 22.

بعض آثار للامبراطور اوغسطوس قيصر

هي طبعة ثانية استفاد فيها الطابع من الرُقم المكتشفة في كيرينية ، وفي انطاكية بيسيدية . وقد ختم الكتاب بجدول تقدمي ذكر فيه الروايات المختلفة والمعلومات اللازمة للافادة .

مفصّل جغرافية العراق

لمؤلفه طه الهاشمي

مطبعة دار السلام في بغداد ١٩٣٠ ، قطع ٨ كبير ، ص ٥٦٤

الفريق طه الهاشمي هو رئيس اركان الجيش العراقي ، واحد القائمين بالنهضة العلمية في ما بين النهرين . أدَّت به وظيفته الى التجوّل في انحاء العراق ، وعُهد اليه بتدريس جغرافية تلك البلاد العسكرية فاستنبط من تعليماته الشخصية ومن مطالعة التآليف الافرنجية والتقارير العسكرية التركية موادَّ تعليمه في

المدرسة العسكرية . وهذا الكتاب انما هو ثمرة تلك المتاعب المحمودة . يجد فيه القارئ درساً واسعاً في جغرافية العراق الطبيعية من جبال وانهار وغابات ومستنقعات وطرق ووديان ومسالك ومضايق ؛ ويقف به على حالة تلك البلاد الاقليمية من حرارة ورطوبة وغيوم وامطار ورياح وزوابع ؛ ويلم بخلاصة ما يعرف عن حدود بلاد العراق السياسية والطبيعية ، وعن علاقاتها بجيرانها ، وعن مرافقها الاقتصادية ، من مشاريع المواصلات بالطرق والخطوط الحديدية والملاحة ، ومشاريع الري ، والتنقيب على الآثار . وان الكتاب غزير المادة ، مكتظ بالتعليقات والفوائد العلمية والتاريخية والاجتماعية ، مشفوع بخارطات عديدة بعضها مرسوم بالوان مشكلة على غاية الاتقان . وان ما كتبه المؤلف (ص ١٠١ وما بعده) عن تاريخ المذاهب المسيحية لمعرفة الاسباب التي جعلت نصارى العراق يتبعون ثلاثة مذاهب دال على انه متروٍّ في مباحثه ، مستق تعليماته عن تمحيص وذكاء . فنحن نشكر له هديته ، ونتمنى للكتاب ان ينفد بين يدي الناس فتجدد طبعته وهو سالم من كل خطأ مطبعي يحول دون ارتياح البال لفهمه .

ف . ت .

القاموس المصري انكليزي - عربي

تأليف الياس انطون الياس

الطبعة الثالثة منقحة مكبرة — المطبعة المصرية بمصر

Elias' Modern Dictionary, English-Arabic *by* Elias A. Elias.

هو مجلد ضخم يحوي زهاء ٦٠٠٠٠ كلمة في اكثر من سبع مئة صفحة من القطع المثمن ، صدّره صاحبه بمقدمة ذكر فيها منزلة القواميس من علم اللغات عموماً ومن اللغة الانكليزية واستعمالها بالشرق خصوصاً ، ودلّ على غرضه من وضع الكتاب وقد توخى به تلامذة المدارس المصرية ، وشرح مصطلحاته ، وفيه تتميز الالفاظ بمعانيها وصيغها مع تعريبها باللغة الفصحى والعامية المصرية . واعتمد على حكم فانديك وشرل بيكوك والمنفلوطي وغيرهم من ائمة اللغتين في مصر وعلى احكام مجلة المجمع العلمي العربي الدمشقي للبتّ في امر

الالفاظ التي يتناقش بشأنها المعربون . اما شكل الحرف وحجم القاموس فهما على مزاياهما ، المعهودة في مطبوعات المطبعة العصرية من رونق وجلاء ، ليسا على ما يرام من الخفة والرقة المرغوبة للمعاجم فيستطيع صاحبها ان يحملها معه اينما توجه . على ان المجلد جميل الطلعة جدير بان يزين المكاتب ف.ت.

الاوخارستيا والكنيسة السريانية المارونية

تأليف الخوراسقف بطرس حبيقة

المطبعة الكاثوليكية ، ١٩٣٠

يبحث الكتاب في عقيدة الكنيسة السريانية المارونية في سر الاوخارستيا العظيم ، فيثبتها ببراهين مأخوذة من صلوات الكنيسة وطقوسها ، ومن اقوال مار افرام ومار يعقوب النصيبيني ، والعلامة السروجي ، ومار يعقوب الرهاوي. ومن شهادات الآباء في الشرق وفي افريقية ، « في البلاد التي يلتئم فيها المجمع القرباني الدولي » (ص ٥) والكتاب باللغتين العربية والافرنسية.

كتاب اقشاع الغيوم القاتمة المحاول اخفاء الشمس الساطعة

للاب ارمند اودين اليارامي – عني بتصحيحه وطبعه الفس اسطفان فرحات الراهب اللبناني

هو كراس باربعين صفحة بُسط فيه التعليم الكاثوليكي على الرئاسة البطرسية ، وانبثاق الروح القدس ، والمطهر ، والغفرانات ، وتقديس الفطير ، والتناول بالشكل الواحد ، والطلاق واتخذ المؤلف الاسلوب الجدلي في كتابه. ويكون قد ادرك مرامه باقرب طريقة لو اقتصر على عرض العقائد المذكورة بالايضاح ، وما ان تسطع الشمس الا وتنقشع الغيوم. ف. ت.

* برنامج الجمعية الخيرية المارونية تحت حماية سيدة موتليجون ، بحلب * خلاصة وارداتها ونفقاتها لسنتي ١٩٢٨ – ١٩٢٩ – المطبعة المارونية حلب ١٩٣٠.

* تقوم جمعية اخوة التعليم المسيحي الكاثوليكية المؤسسة بحلب عام ١٨٩١ بادارة الآباء الفرنسيين الافاضل * عن سنتي ١٩٢٨ – ١٩٢٩ ، وهي السنة التاسعة والثلاثون لتأسيسها.

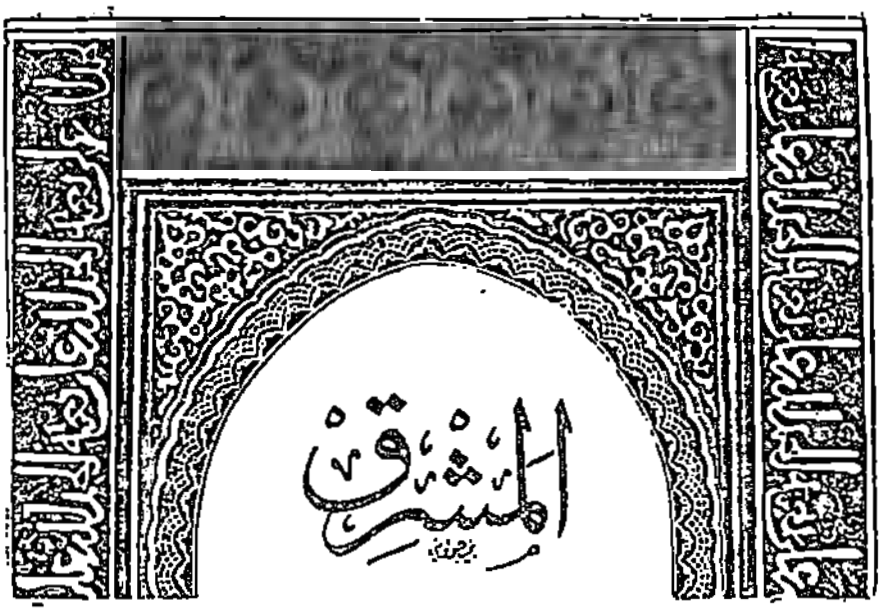

تموز ١٩٣٠

القديس يوحنا فم الذهب

وثورة انطاكية

بقلم حضرة القس عبد المسيح زهر

١

في سنة ٣٧٩ جلس ثودوسيوس الكبير في عرش المملكة الرومانية. وما هلَّ شهر كانون الثاني من سنة ٣٨٧ حتى كان مضى سنون اربع على عقده ولاية الملك لابنه ارقاديوس، وتسميته اياه اوغسطوساً. فاراد حينئذٍ ان يحتفل بعيد اكراماً لولي عهده ووارث ملكه، وبعيد ايضاً له لمرور عشر سنوات على جلوسه في عرش الملك، فقدَّم عيده سنة وجمع العيدين في عيد واحد. وكانت العادة جارية في ذلك الزمان ان يوزع القياصرة على عساكرهم طائفة من المال (stipendium) خوفاً من تمرّدهم عليهم، ورغبةً في توطيد اركان ملكهم، وحرصاً على نشر راية السلام في انحاء المملكة. ولكن بذل المال، واجزال الهبات للفيالق كان علّة في زيادة الضرائب، وداعياً الى التثقيل على كاهل الرعية. وحينئذ

وطن ثودوسيوس النفس على زيادة الضرائب ليتسنى لـه افاضة سجال الترف على الجيش وامرائـه ايام العيد ، ويستطيع سدّ الثلمة ، ثلمة النفقـات الجسيمة ، التي فتحها عليه حرب القوط . ولما رسم بزيادة الضرائب ، اضطربت المملكة باسرها ، وامتعضت الاقاليم باجمعها . بيد انها ادّت كلها الضريبـة طائعـة او كارهة . وبسبب ذلك استشاط الشعب الاسكندري على الولاة وشتموهم في الملعب ، وتهـدّدوهم بخلع نير القسطنطينيـة ، وتسليم مصر الى مكسيموس القيصر الروماني .

وفي ٢٦ شباط جمع والي انطاكية مجلس الندوة ، وقرأ عليهم امر الملك المؤذن في زيادة الضرائب . وما اتى على قراءته حتى ثار الشيوخ من مواضعهم مغضبين ، وشرعوا يحتجون على هذه الزيادة الجديدة . ثم عمدوا الى شاراتهم فنزعوها ورموها في الارض وداسوهـا بارجلهم ، وخرجوا على عجل وانبثوا في حياء المدينة ينادون بالويل والثبور ، ويقولون ان القيصر يتقاضى الانطاكيين مالًا وافرًا ليس في طوقهم تقديمه ، وان باعوا انفسهم وبذلوا كل ما يملكون . وما هي الّا سويعة حتى رنّ صدى هذه الشكوى وهـذا التذمّر في اطراف المدينة ، فاستشرى الشعب من عند آخره ، واشتعلت نيران الفتنة . فهرع العقلاء من فورهم الى الاسقف فلابيانوس ، وطلبوا اليه ملحين ان يتوسط بينهم وبين العاهل ليخفف الضريبة . غير ان ألسُن لهيب الفتنة[1] اندلعت بسرعة وخاب كل امل في اخمادها ، اذ سطا الطغام والرعاع لفورهم على الحمامات وعاثوا فيها سلبًا ونهبًا ، وخرجوا من هناك وهجموا على دار الولاية ، وطفقوا يتهـدّدون ويتوعـدون ويحطّمون ويكسرون . فشت اذ ذاك قلوب الحكام وامراء الجيش في صدورهم خوفًا ، وانقطعت ظهورهم رهبة وفرقًا ، وحاروا في امرهم

---

١) ان تيلمون في الحاشية ٢٧ من حياة ثودوسيوس يجعل ثورة انطاكية سنة ٣٨٧ . وذكر القديس فم الذهب في خطبته ١٦ ان تلك السنة كانت الثانية من وعظه . فاذن تيلمون مصيب لان يوحنا ارتقى الى درجة الكهنوت سنة ٣٨٦ في اوائلها . ولكن بعضهم جعلوها سنة ٣٧٨ استنادًا الى احتفال الملك بعشر سنين من ملكه . غير ان الملك قدّم عيده سنة . هذا وان ثودوسيوس في سنة ٣٨٨ لم يكن في القسطنطينية اثناء الصوم ، بل كان في تسالونيكي .

مبلسين لسرعة انتشار الاضطراب والهيج ، وفشوّ الهرج والمرج ، ولم يتجه لهم رأي يعتمدون عليه حتى انهم لم يتمكنوا من الفرار . فكان سكوتهم وخوفهم واستتارهم سبباً لتشجيع الثوار وتنشيطهم . ولمّا طلبوا الى زعيم الرماة ان يسرع الى حراسة الشوارع والطرق ، تثاقل ، بل لم يلبِّ الطلب . وفي تلك الاثناء تألب في الازقة والسكك والجوادّ جماهير اقوام أخلاط من غرباء ، وعملة ، ومشعوذين ، وبطالين ، ومجّان ، واولاد ، وعمدوا الى صور الملك المنقوشة في وجوه المباني العمومية ، ولطخوها بالوحل ، وتسلّق الاولاد الاعمدة وقلبوا التماثيل . ولما انتهوا الى الساحة العمومية عمدوا الى تمثال ثودوسيوس المنصوب فيها وركسوه ثم حطموه ، بل انهم لم يبقوا على تماثيل امرأته[1] واولاده ، فربطوها بالامراس ، وجرّوها في الاوحال وهشموها ، وبعد ذلك رموا بها في العاصي . واتفق ان احد الشيوخ ابى مشاركتهم في عملهم ، فيتموا داره وجعلوها للوقت طعمة للنار . وما مضت ساعات وحان الظهر ، حتى سكن الهيج وهدأ الاضطراب ، وسادت على اثره السكينة وخيّم الهدوء ، وادرك الثائرون وخامة عملهم وحرج موقفهم ، وفطنوا لتباعات ما جنت ايديهم من الشرّ وما تعرضوا له من شدة العقاب والأسواء المتعدّدة ؛ لان البُرُد تجهزت للسفر في اليوم عينه ، وخرجت مسرعة الى القسطنطينية ، حاملة الى الملك اخبار الفتنة وتفاصيلها .

حينئذٍ خاف أولو الامر من القصاص والعزل فاشتدوا على معاقبة المجرمين ، واصبحت المدينة كلها رهينة الخوف والاضطراب ، ولاذ بالفرار الاغنياء والفقراء ، والرجال والنساء ، والشيوخ والاحداث ، وعاذوا بالمدن المجاورة والآجام ، واستكنوا بالجبال والآكام ، فهلك منهم خلق كثير[2] ، لان اللصوص الذعّار بطشوا باولئك اللاجئين بطش الاسود بالحملان ، واثخنوا فيهم قتلاً ، حتى كانت كل يوم اشلاء القتلى تذهب الى البحر طافية فوق مياه النهر .

ومن بعد الظهر هبّ ولاة الامور يتعقبون النافخين في نار الفتنة ويزجون

١) فلاسيلا (Flacilla) الملكة المتوفاة .

٢) فم الذهب : المجلد الثاني ، ص ٢٢٠

بهم في اعماق السجون ، وامتدت ايديهم الى الابرياء ، فغصّت اذ ذاك سجون المدينة بالافنـاء والاوباش ، والكرام والاشراف . امّا الشيوخ واولادهم فحبسوا في دار الولاية ، وبقوا فيها الى حين وصول اوامر الملك بالعفو . ولمّا دجا الليل انتشر على المدينة غمامة كثيفة من الخوف والهلع ، فبات من بقي هنالك بليل أنقد . وما انبثق نور الفجر ، حتى ابكر الولاة والقضاة الى مجالسهم ، وشرعوا يستعرضون السجناء ويستخبرون منهم عن اخبـار الثورة وعمن اشترك فيها ، وقد تذرّعوا بجميع ضروب العـذاب والنكال من قتل وضرب وحرق وطرح للوحوش وجلد توصلاً الى بغيتهم ، وارصدوا امام باب دار المحكمـة فرقة من الرماة منعاً للرجال الذين اسرعوا للتشفع في والديهم واصدقائهم ، واقصاء للنساء اللواتي وثبنَ الى ذلك المكان للتوسّل في انقـاذ ازواجهنّ واولادهنّ ، وهنّ باكيات منتحبات . والحاصل ان ذلك النهار كان من اشد الايام هولاً . ولمّا اتى المساء ، رأى النساء ، بينما كنّ واقفات خارج الباب صامتات واجمات ليس في وجوههنّ رائحة دم ، اعيانَ المدينة مكبولين مكتوفين مساقين الى الموت ، فعلَتْ اصواتهنّ ، وفاضت شؤونهنّ ، واستبقت عبراتهنّ ، وغُمي على كثير من الوالدات والزوجات والفتيات . ثم أفقنَ وأسرعنَ الى موضع النكال ليشاهدن بامّ العين مقتل اولادهنّ وازواجهن وآبائهنّ واخوتهنّ . وحين وصولهنّ ابصرن ما هالهنّ ، وارعش مفاصلهنّ ، فاغمي عليهنّ . مرة اخرى فحُملن الى بيوتهنّ فوجدنها موصدة في وجوههنّ ، لان الولاة كانوا سبقوا وختموا ابوابها ، فاضطررن الى الطواف في احياء المدينة ، وطَرْق الابواب باباً باباً ليجدنَ لهنّ مأوى[1] . ودامت الحال هكذا خمسة ايام ما انقطع فيها التقرير ولا التعذيب ، فهلك ابرياء ومجرمون واولاد عديدون . على ان هذه الكارثة نبّهت في الانفس عاطفة الدين ، فتغيّر في لحظة عين ذلـك الشعب المتهالك في الملذّات والافراح ، واختراف ثمار المسرّات ، تغيّرًا عظيماً ، وخفّ الى الكنائس والمعابد والتفّ حول القديس فم الذهب يسمع كلامه وتعازيه .

١) الكتاب المذكور : ٤٥ و ١٢٤ .

وكان القديس لا يألوا جهداً في الذهاب الى الوالي ليدافع عن المتهمين[1] ، وفي زيارة العائلات وتعزيتهن عن فقد من فقدن ، وهو حزين كئيب. وقد عزم في تلك الاثناء على لزوم الصمت . ولكنه لما رأى شدة حزن الانطاكيين ، صعد المنبر مطرقاً ممتقع اللون ، مقبوض القلب ، مكدّر الخاطر ، وشرع يقول بكلام يملك القلوب ويستعبد الاسماع :

« ماذا اقول لكم وبايّ الكلام اخاطبكم في هذه الايام المشؤومة ، ايام الحزن والكآبة ؟ اني احتاج اليوم الى دموع لا الى كلام ، والى ندب لا الى خُطَب ، والى رفع الادعية الى الله لا الى مواعظ. لقد اثمنا ، ولا دواء لبلايانا العظيمة الجسيمة . . . فاسمحوا لي اذن ان ابكي شرورنا. والآن ، بعد سبعة ايام انقضت في الصمت والسكوت ، افتح فاي بالنطق لاندب معكم مصيبتنا العامّة . مَن حسدنا ايها الاعزاء على سعادتنا ؟ ومن اين اتى هذا الانقلاب ؟ . . . اني لا اكاد استطيع فتح فمي والنطق بالكلم ، لان الحزن بمنزلة لجام يعقد لساني ويحبس كلامي. ما كان اسعد مدينتنا قبلاً ، وما اشقاها الآن ! كل يوم كانت الجماهير تملأ الساحة العامة ، وتمور فيها كانها خشرم نحل يدندن حول خلاياه ، وكان الجميع يغبطون هذه المدينة المنعم عليها ، التي كان يحييها وينعشها كثرة السكان . والآن امست الخليّة خالية ، لان الخوف بدّد السكان كما يبدّد النحلَ الدخان . . . اننا ما رأينا بعد نار البرابرة ، ولا جه العدوّ ، ومع ذلك نحن فريسة لنفس العذاب الذي يقاسيه الاسرى . . . انطاكية منذ ايام احتت بهزّات الزلازل ، واليوم هي القلوب تهتزّ وترتجف . حينئذٍ تزعزعت أسس البيوت ، واليوم انفس السكان تتضعضع من شدة القلق ، اذ ان الموت ماثل على الدوام نصب اعيننا ، وحياتنا اصبحت عبارة عن خوف دائم . . . السادة والعبيد اختبئوا في عقر بيوتهم ، واصبحوا كالاسرى يتساءلون من شدة قلقهم قائلين : على مَن قُبض اليوم ؟ وهامة مَن نُتِفت ؟ . . . يا تلال البسي الحداد ، ويا جبال نوحي معنا ! فلتدعُ الخلائق كافة لتشاركنا في نكبتنا . المدينة العظيمة ، عاصمة الشرق ، على

---

١) الكتاب المذكور : ١٢٥ .

عدّة الاستئصال من على وجه الارض ! المدينة الحافلة بالسكان فقدت فجأة اولادها ولا معين لها ! اننا امتهنا من لا مثيل له على الارض ، لان الملك زعيم اهل الارض ورأسهم. فلنلجأ اذن الى المالك في السماء ، ونسأله العون. ولكن اذا اخطأنا الأيد العلوي فما من كفّارة لذنوبنا.»[1]

فبهذه الكلمات وامثالها كان القديس يعزّي ويشدّد وينشط ويوبّخ الانطاكيين الذين استحوذ عليهم الخوف والقنوط ، واضطر الى القاء عشرين موعظة في اثناء ايام الخوف . وكان يذكرهم بسرعة زوال الدنيا وبطلانها ، ويغريهم بالفضيلة ، ويلومهم ويقرّعهم على تناسيهم واجباتهم ، ويبيّن لهم حرج موقفهم. قال :

« لنتصرفنّ بحكمة ايها الاعزّاء في كل الامور . واعلموا ان الفقر لا يضرّنا بل يفيدنا خيراً ... اني سائلكم فاجيبوني : مَن كان افقر من ايليا ؟ ولكنه مع فقره فاق الاغنياء ... أما ان ملك اسرائيل الذي كان يملك ويحوز قناطير الذهب كان لا يزال يتهافت باحترام على سماع هذا الفقير المعدم الذي كانت كل ثروته رداء فقط ، ولكن هذا الرداء فاق بلمعانه بزفير الملوك ، ومغارة الصديق كانت اجمل من قصور السلاطين ... ايليا ترك رداءه لتلميذه ، وابن الله لدى صعوده ترك لنا جسده . ايليا تجرد من ردائه ، ويسوع المسيح اخذ معه ما ترك لنا . فلا نفشلنّ ، بل لنكفنّ عن البكاء والخوف من مصائب الدنيا.»[2]

(له صلة)

---

١) الخطبة الثانية في الشعب الانطاكي ، من المجلد عينه ، ص ٢٠ وما يليها.

٢) ٢٤.

رفع المياه

بقلم انطوان باز
المهندس من المكتب الطبي الافرنسي ،
ومن مدرسة الكهرباء العليا في باريس

١

ان ما اوحى الينا بهذه المقالة هو ما يجهله العامة من المبادى الاولية في علم الطبيعيات ، خصوصاً فيما يختص بمبدأ مصّ المياه من الآبار ورفعها بواسطة الآلة المعروفة بالطلمبة .

كيف لا وكثيرون هم القادمون الينا من اهل المدن والقرى يطلبون طلمبةً عادية او طلمبةً من النوع المعروف « بالسانتريفوج » لسحب المياه من بئر يزيد عمقها عن العشرة امتار ! .. ولسنا نتوخّى في هذا الدرس كيفية ايجاد الينابيع ، بل طرق استخراج مياهها ، جاريةً كانت في الانهر والجداول ، او راكدةً في الآبار والخزّانات فنقول :

ان الآبار على نوعين ، الآبار السطحية وهي ما لم يزد عمقها عن الثمانية امتار ، والآبار العميقة وقد يبلغ عمقُ بعضها ثلاثين وخمسين مترًا ، ولا نذكر الآبار الارتوازية واكثر مياهها فوّارة . فالآلات المستعملة لرفع تلك المياه ، من الآبار العميقة هي غيرها لرفعها من الآبار السطحية . وقد بحث الانسان ، منذ القديم ، عن تلك الآلات وجهد نفسه في تحسينها لان الماء ، كالهواء ، مادّة حياته ، فلا غنى له عنه في غذائه ، ورفاهيته ، وريّ ارضه . غير ان الطرق التي استخدمها ، في بدء التاريخ ، دامت اجيالًا حتى قام طوريشاليّ وباسكال في القرن السابع عشر ، فحدّدا مبدأ الضغط الجوّي على سطح المياه ، فكانت الطلمبة .

الآلات التاريخية

اول ما استخدم الانسان ، في رفع المياه ونقلها ، الاوعية والقصاع ، يستقي بها من المياه الجارية رأساً ، او يدليها في الماء بواسطة الشادوف . والشادوف آلة لا تزال تستعمل عند الفلاحين في مصر والجزائر ، قوامها عمود تتحرك فوقه ، كما في الميزان ، خشبةٌ طويلة يعلّق في احد طرفيها الدلو او غيره ويثقل الطرف الآخر بالاحجار ، حتى اذا أُنزل الدلو في الماء وامتلأ صعد بقوّة الثقل .

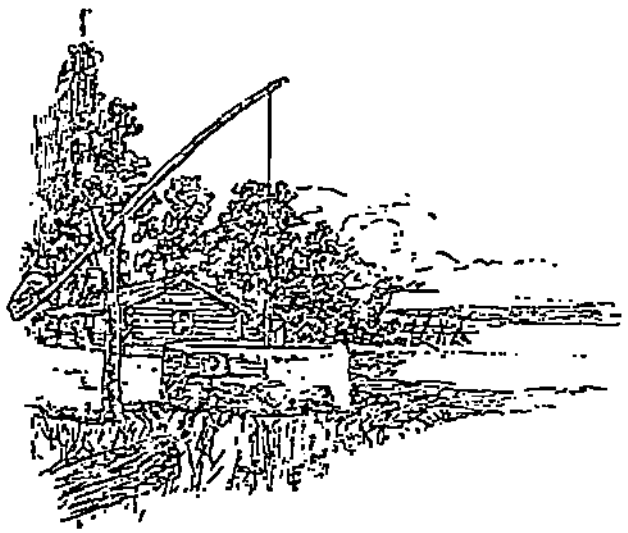

الرسم ١ : الشادوف

ثم جرت العادة انْ تُنزل الاوعية في البئر بواسطة الحبل . وهذه الطريقة لا تزال تستعمل في كثير من القرى عندنا حيث يجتمع حول البئر ، في الصباح وفي المساء ، نساء وبنات القرية ، حاملات جرار الخزف فيملأنها ويعدن بها واقفاتها على رؤوسهنّ متمايلات ... وكم رأيت هذا المشهد في صغري فطالما ذكّرني بالسامرية ، واقفة بجرّتها على حافة البئر ، تسمع كلام السيد المسيح عن ماء الحياة ...

ورفعُ الماء، بطريقة الحبل، ذو مشاقّ، لذلك جيء بالخنزيرة او الدولاب والجذع كما في الرسم ٢ . وادارة الخنزيرة أهون بكثير من سحب الحبل، لان القوة تخفّ بنسبة قطر الجذع الى قطر الدولاب.

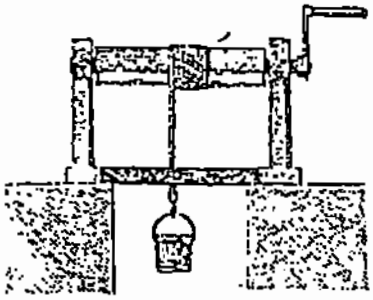

الرسم ٢ : الخنزيرة

وسواء استعمل الحبل او الخنزيرة فكمية الماء المستخرجة، بهذه الطريقة، زهيدة، محصورة، لا تكفي لاحتياجات شتى كالري وغيره . وقد سدَّ هذه الحاجة، في القديم، الآلة المعروفة بلولب « ارخميدس » والتي يمثلها الرسم ٣ فاذا حُرِّك اللولب بسرعة، صعد الماء حيال ضلوعه، بقوة البرم، وصبّ منه. وقيل ان الاقدمين في مصر استخدموا تلك الآلة لرفع مياه النيل .

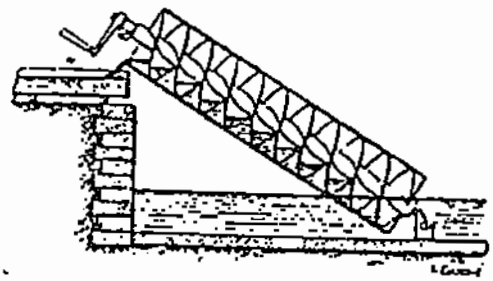

الرسم ٣ : لولب ارخميدس

وكانت بعد ذلك فكرة « الدولاب » وهو دائرة، عظيمة القطر، حكمت فيها، من الخارج، مجارف بشبه فراش . فاذا دار ذلك الدولاب على محوره جرفت فراشاته شيئاً من الماء وصبته على سطح الارض كما يرى في الرسم ٤ . وفي الناعورة، تُحكم تلك الفراش فوق حبل

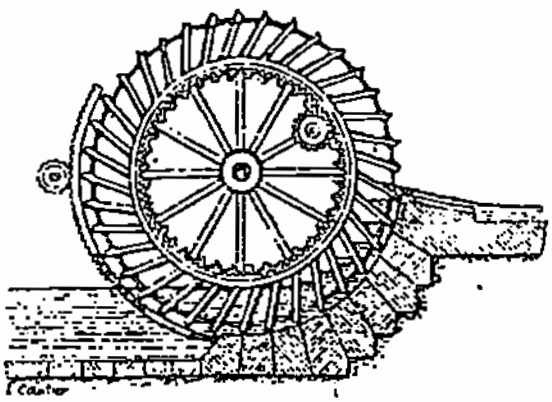

الرسم ٤ : الدولاب

جرّار يدور على نفسه فوق دولابين صغيرين (انظر الرسم ٥)

وفي بلادنا ، تستبدل الفراش بخلايا او قواديس مركبة على دائرة دولاب كبير او جرار ينزل في البئر كما في الرسم ١٣ . فاذا دار الدولاب او الجرار ،

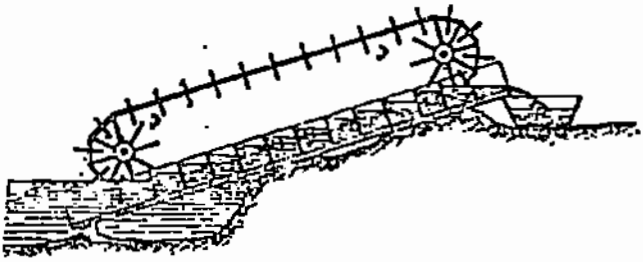

الرسم ٥ : الناعورة

مرت قواديسه في البئر الواحدة تلو الاخرى واخذت من مياهها شيئاً حتى اذا وصلت فوق سطح الارض صبته في جرن جامع . ولا يزال اثرُ تلك النواعير باقٍ في لبنان ، خصوصاً في بعض المدن الزراعية كجونية وصيدا . . ومن لم يَرَ « ناعورة » قهوة انطلياس ، قرب بيروت ، يديرها الماء الجاري فيجتمع الناس من حولها ، ايام الصيف والربيع ، متفرجين متبردين ؟

يُديرُ الناعورة غالباً زوجٌ من البقر ، وهذا سببُ بقائها الى اليوم. قَلَّمَ يحوّل الفلاح ناعورته باستخدام المحرّكات الزراعية ، ولديه قوة طبيعية ، هي البقر ، لا غنى له عنها في اشغاله وحراثة ارضه ! ولو وقفنا موقف الشعراء لرأينا ان في الناعورة ، بصريرها ، وحبال مياهها الفضية ، شيئاً من الشعر لا نراه في الطلمبة الصناعية .

ومن المدهش ، في المياه الجارية ، هو استخدام قوة سيلان الماء لإدارة الدولاب كما هي الحال في جهات حماة حيث تُرفع مياه العاصي بمئاتٍ من تلك الآلات ، مشتتة على ضفافه . وقد تغنى شعراء الافرنج وكتابهم ، «كبوردو» ، و« تارو » ، بهذه الدواليب فوصفوها بصريرها الدائم ، ومياهها المتساقطة فوقها ، تشعّ في شمس الصباح . . .

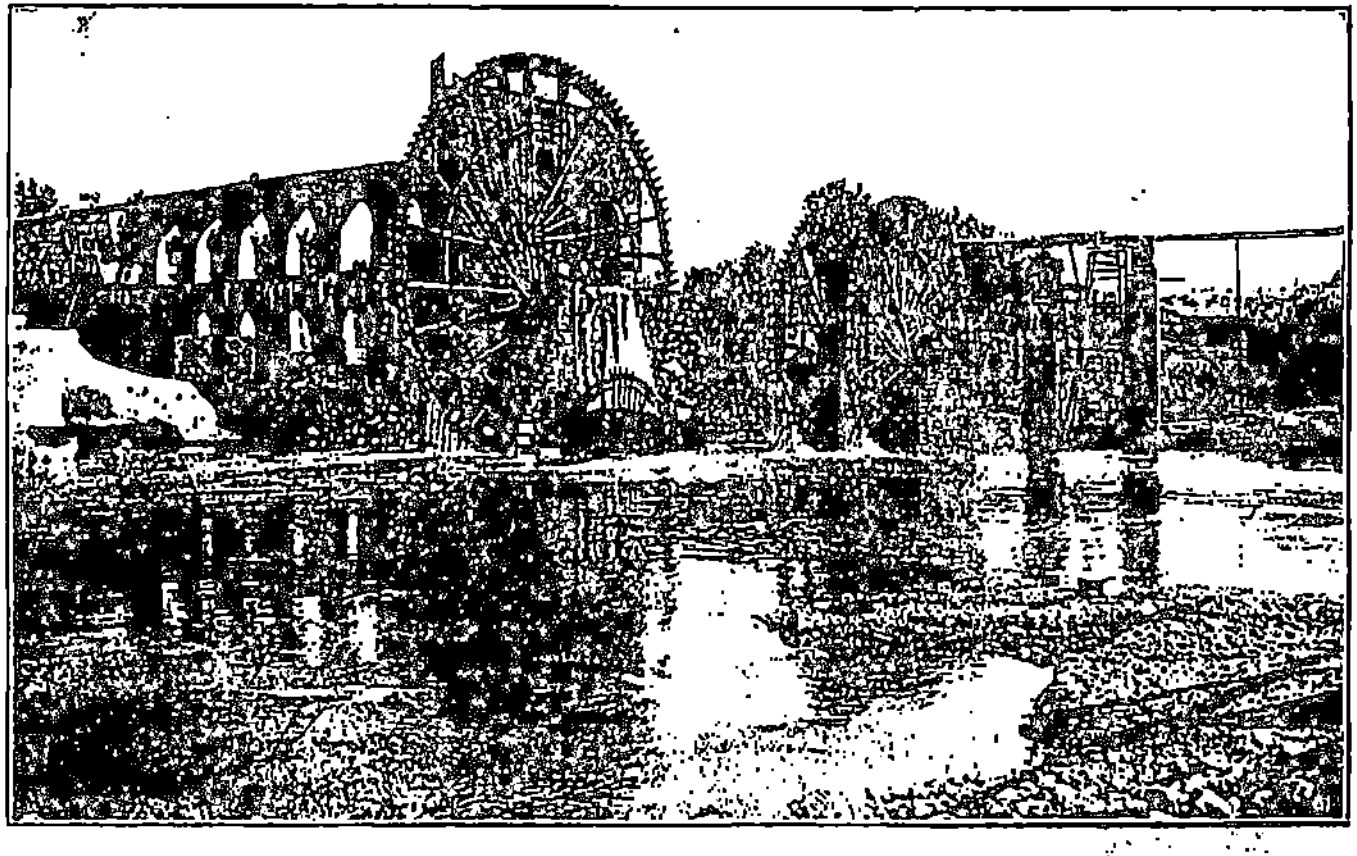

الرسم ٧ : نشات الدواليب على ضفاف نهر العاصي

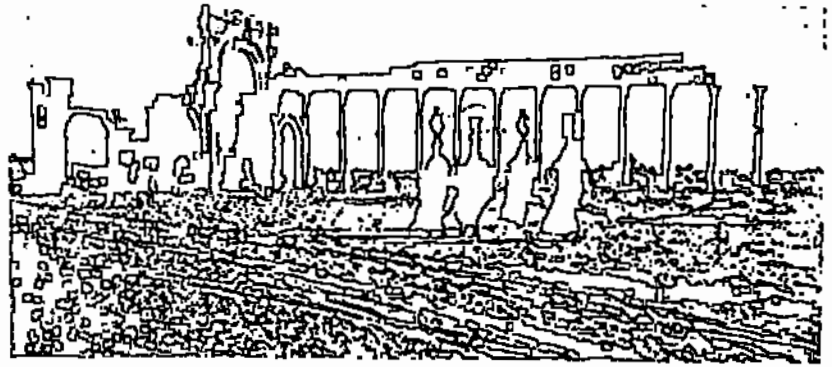

الرسم ٦: البدويات في تدمر راجعات من العين متايلات

الآلات الحديثة

اول الآلات الحديثة الطلمبة العادية ، واساسها ما بيّنه العالم باسكال من مبدأ الفراغ والضغط الجوّي. وهذه الطلمبة ترى في الرسم ٨ ، اساسها اسطوانة فارغة ، يتحرك ضمنها ، رواحاً واياباً ، مدكّ فيه مصراع يفتح الى فوق . وفي قعر الاسطوانة مصراعٌ ايضاً يفتح كذلك . فاذا حُرّك المدكُّ تكرارًا ، خفّ الهواء في الطلمبة ، فصعد الماء ، بقوة الضغط الجوّي ، في انبوبة المص النازلة في البئر ودخل منها ، بواسطة المصراع ، الى اسطوانة الطلمبة ، حتى اذا نزل المدك ضغط على تلك الكمية من الماء ففتحت المصراع العلوي وخرجت منه .

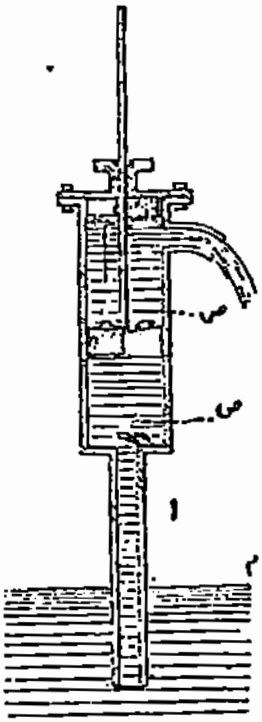

الرسم ٨ : الطلمبة
ص : المصراع – انبوبة المص
م : سطح الماء في البئر

وقد بيّن العلماء أن قوة الضغط الجوّي ، على سطح البحر ، توازي ضغط عشرة امتار وثلث المتر من الماء . لذلك يستحيل سحبُ المياه ، بواسطة الطلمبة ، من بئر يزيد عمقُها عن العشرة امتار ، لان ضغط الماء ، في انبوبة المصّ ، يغلب الضغط الجوّي . وفي الواقع لا يزيد علو السحب عن الثمانية امتار بسبب صعوبة تفريغ الهواء من الطلمبة تماماً .

ويجب ان تكون حركة المدكّ بطيئة فلا تزيد على الستين دفعة في الدقيقة ، والّا تحطمت الطلمبة او نقص عمرها . لذلك جاؤوا فيما بعد بالطلمبات المعروفة « بالسانتريفوج » ، وهي كناية عن مروحة تدور بسرعة ضمن غلاف خارجي ، محكم التوقيع ، فتفرغ منه الهواء ، فيصعد فيه الماء ويصب منه . وهذه الطلمبات كثيرة الاستعمال اليوم في الريّ وغيره ، انما لا تسحب لاكثر من ستة او سبعة امتار . ومن معايبها وجوب ملء انبوبة المصّ اول استخدامها والّا لم تخرج ماء .

وعلى مثال «السانتريفوج» الطلمبات «الدوّارة»، وعمل الفراغ فيها تحققه اسطوانة داخلية تدور ضمن اسطوانة خارجية، حسب قاعدة مخصوصة. وقد رأيت من هذه الطلمبات ما حكم توقيعها فسحبت عن عمق ثمانية او تسعة امتار، اي ما يقارب العمق المبدئي...

ولا بدّ لنا من القول في ان علوّ السحب او المصّ يتناقص بارتفاع البئر عن سطح البحر لان الضغط الجوّي اخفّ في الجبال منه في الشواطئ. لنأخذ مثلاً لذلك طلمبةً في بيروت تسحب عن عمق ثمانية امتار، فلو نقلت هذه الطلمبة الى صوفر، وعلوّ البلدة ١٢٥٠ مترًا عن سطح البحر، لما سحبت الّا عن ستة امتار ونصف تقريباً.

هذا من جهة السحب. اما علو الدفع فيبلغ في الطلمبات العادية ثلاثين واربعين مترًا، اللهم اذا كانت قوة المحرك للطلمبة كافية لذلك العلو، وفي الطلمبات الخصوصية «كالسانتريفوج» ذات المروحتين فاكثر، يُزاد هذا العلوّ الى مائة متر فما فوق

في الآبار العميقة

قلنا ان علوّ المصّ في الطلمبة لا يزيد مبدئياً عن العشرة امتار وثلث المتر في السواحل. امّا في الواقع فيتراوح بين الستة والثمانية امتار، حسب نوع الطلمبة وحسن صنعها. فما هي الطريقة اذًا لرفع المياه من الآبار العميقة ذات العشرين والثلاثين مترًا؟

ان لحلّ السؤال طرقاً شتى:

اولًا اذا كانت الطلمبة من النوع العادي، ذات المدك، وجب وضعها ضمن البئر وتحريكها من سطح الارض بواسطة عمود طويل يصل المدك بالدولاب او مسكة البرم. وتُنزل الطلمبة في البئر الى ان يصح علو السحب ثمانية امتار فما تحت. والرسم ٩ يمثل مقطع بئر ركبت فيه الطلمبة على هذا الشكل.

امّا في «السانتريفوج» فامامنا طريقتان: اما ان تجعل الطلمبة ضمن البئر،

يديرها المحرك من على الارض بواسطة قشاط ينزل في البئر ويلف على بكرتها ، او الاحسن ، اذا كان المحرك كهربائياً ، ان يركز المجموع على مرتبة في البئر ، كما في الرسم ١٠ ، فيدير المحرك الطلمبة رأساً بدون قشاط . ويصير ايقاف المحرك وتسييره بارسال التيار الكهربائي اليه بواسطة اسلاك تنزل في البئر ، ومفتاح كهربائي تقفله او تفتحه من الخارج . ولا يجوز وضع المحرك الكهربائي في البئر ما لم يكن معمولاً لهذه الغاية والا اثرت فيه ، على طول الايام ، رطوبة الهواء ، فتعطل . ويجب ايضاً ألا يُركز المجموع ضمن البئر ما لم يتحقق صاحبه ان المياه فيه لا تعلو في الشتاء فتغمره ، لان من العيون ما لا تثبت مياهها على علو واحد فتشح في الصيف وتفيض في الشتاء . فاذا وُقع المجموع الكهربائي في الشتاء صعب استخدامه في الصيف ، لنزول سطح المياه ، واذا حُكم في الشحائح ، فاضت المياه في الشتاء فغمرت الطلمبة والمحرك فعطلته . لذلك وجب ، والحالة هذه ، اما نقل المجموع تباعاً ، فيوطى في الصيف ، ويعلى في الشتاء — وفي ذلك مشقة — واما ان يُحفر ، قرب البئر ، غرفة عميقة يُنزل فيها المجموع ، كهربائياً كان او نارياً ، فيكون في مأمن من الماء (انظر الرسم ١١) .

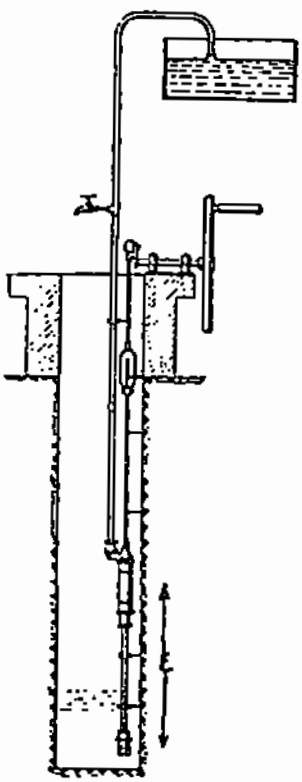

الرسم ٩
اذا زاد علو البئر عن الثانية امتار ، تنزل الطلمبة في البئر
ع : علو السحب

وتصل الطلمبة بانبوبة المص ضمن جدران البئر على ان يطيَّن حولها «بالسيمنتو» . وقد شاع استعمال تلك الطريقة ، اذا كان المحرك على النار لان تنظيفه وتسييره اسهل في الحفرة منه في البئر . غير انها طريقة ذات اكلاف

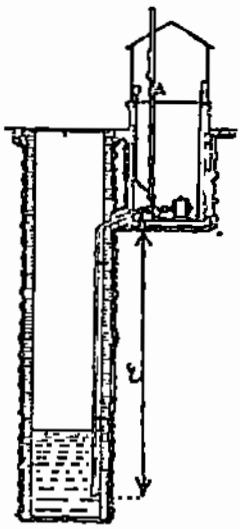

الرسم ١١
المحرك والطلمبة جُملا
في حفرة قرب البئر لتخفيض او
السحب ع

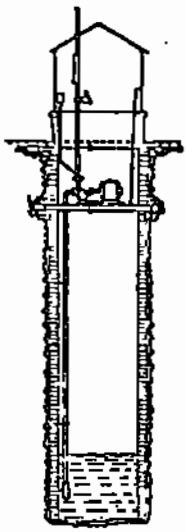

الرسم ١٠
مجموع طلمبة ومحرك
كهربائي انزل في بئر عميقة

واهية لاسيما في الآبار العظيمة العمق فتصير الحفرة كأنها بئرٌ ثانية .

ويُستخدم ايضاً في الآبار العميقة ، آلات اخرى كالناعورة (الرسم ١٢) والطلمبة المعروفة بالشانليس . واساسها جنزير ذو خلايا رفيعة يدور فوق دولاب ، وطرف الجنزير نازلٌ في الماء فاذا دار الجنزير بسرعة ، علق في خلاياه وعلى خارجه الماء قصبٌ من الطلمبة ...

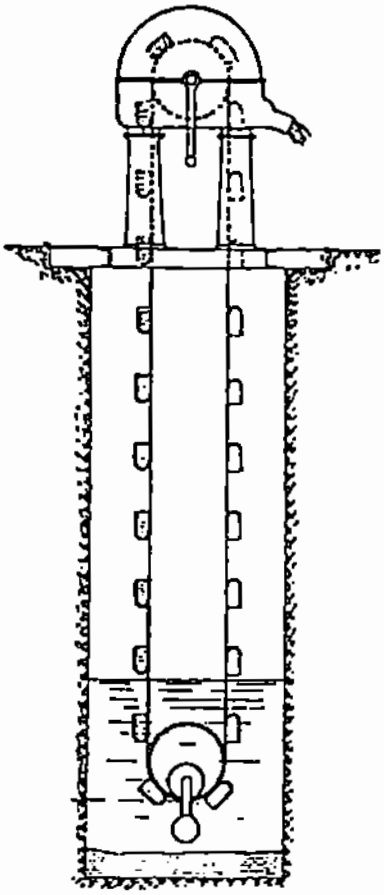

الرسم ١٢
الناعورة حبلٌ
ذو قواديس يدور في الماء

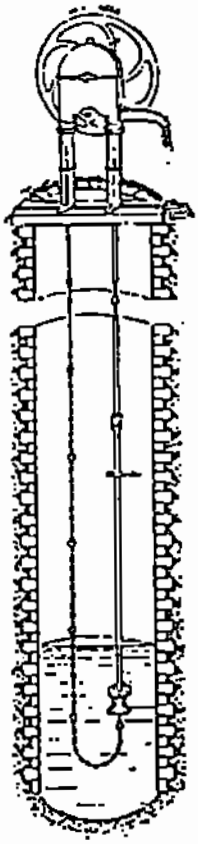

الرسم ١٣
الطلمبة «ڤيشانليس»
تعلق حبيبات الماء في الجتزير ،
بارة للجرم ، فتصب من الطلمبة

(للبحث صلة)

نبذة تاريخية
في تنصر بعض الامراء اللمعيين

عني بنشرها
القس انطونيوس شبلي اللبناني
رئيس معاملة جبيل والبترون

الرسالة الثانية(*)

للمطران بطرس كرم

ايها السيد الكلي الشرف والاحترام

بعد اهداء ما وجب ولاق وبث الاشواق نبدي انه بالطف آنٍ وصلني تحرير سيادتكم وبه تطلبون مني لكي اقدم لكم الايضاح عمّا يخصُّ عايلة المرحوم الامير بشير ابن المرحوم الامير مراد فامتثالاً لامر المجمع المقدس وتتميم مطلوبكم اعرض عن ذلك ولكن قبل ان ابرهن لكم حقيقة هذا الامر فرأيت ان اخبركم عن اسم عايلة ... كيف كان اعتقادهم وباي واسطة اقتبلوا الديانة المسيحيَّة الحقيقية فهذه العائلة تُكنّى بيت ابي اللمع ومذهبهم كان دروزاً كما هو الواضح اذ لم يزل للآن البعض ... دروزاً ومن برهة قصيرة قد رجع للايمان البعض من هذه البقيَّة عن يد الموارنة وهم تابعين طقسنا بكل طمأنينة . واما الوسائط التي بها اقتبلوا الديانة الحقيقية فلا اقدر اشهرها كتابةً لاسباب صوابيَّة . وبعده ان شاء الله بالمواجهة اعرضها لساناً وانما اقول الآن فقط ان بذاك الوقت ما كان يقدر احد من جميع الطوائف الشرقية على ذلك الّا الموارنة لاجل جملة محذورات ومن جملتها لاجل الخوف من الدروز المقتدرين ومن احتسابهم من المشاقين لئلا يصير لهم سبيلاً لاضطهادهم فلذلك هذا هو السبب الذي من اجله ما كان « ممكناً » ترجيعهم إلّا عن يد الموارنة الذين استقاموا في طقسهم منذ اقتبالهم الديانة المسيحية . وحصل للطائفة

(*) نقلت حرفياً عن النسخة الاصلية التي هي بخط المطران بطرس نفسه .

اضطهادات وخسائر ليست بقليلة من جرى (جراء) ذلك فاذ اوردنا ذلك باختصار وبوجه العموم فلنوضح كيفيّة ما نحن بصدده ونقول انه كان يوجد امير درزيّ يقال له الامير شديد فهذا تزوّج بالستّ فتنة اخت المرحوم الامير قاسم الشهابيّ عمّة سعادة الامير بشير الموجود الآن فاتّحد له منها ولد يقال له الامير مراد. فالمذكور الامير شديد ترك الديانة المسيحية ورجع درزيًا كما كان فلما كبر الامير مراد فوالدته المذكورة اعتنت بعماده وعمادها فمنعها زوجها المرقوم اذ حصل الخصام بينهما طلّقها وتزوّج بغيرها ابنة درزيّة من عايلة بيت رسلان من الشريفات . فالامرأة المذكورة المباركة اخذت ابنها اذ صار شابًا وانطلقت به الى دير مار موسى الحبشي الكائن بقرية بعبدات من معاملة المتن لعند رهبانه الموارنة واعتمدا منهم وقبلا الديانة المسيحية وتبعا الطقس الماروني وتناولا الاسرار المقدسة بالفطير وسلكا بالحساب الجديد وباقي الطقس الماروني. واستقام الامير مراد هناك مع والدته الى ان توفي والده بغير ولد من الامرأة الدرزيّة ثمّ رجع الى بيته في قرية فالوغا وخطب الستّ سلطانه ابنة عمّته اخت الامير طرودي المارونية من بسكنتا وطلب التحليل والتفسيح من هذا المانع من بطرك الموارنة وتكلّل من خوري المطرح[1] الماروني فاتّحد الى الامير مراد من الستّ سلطانة المذكورة ولد وهذا هو الامير شديد واعتمد بالدير المذكور عند الرهبان المرقومين[2] فماتت الستّ سلطانه واراد زوجها الامير مراد يأخذ اختها الستّ قانوس امرأة له فارسل يطلب ذلك من المرحوم البطرك يوسف التيّان فامتنع ولم يسمح له بذلك . واذ كان المرحوم الامير مراد متعصباً لاخذ اخت امرأته فاستشار بذلك المرحوم البطرك اغناتيوس صرّوف الروم الملكيّ الكاثوليكي اذ كان مطراناً على رعيّة بيروت الملكيين فاوعده بالتفسيح من هذه القرابة وهكذا تمّ واتخذ الستّ قانوس المارونية ايضاً اخت سلطانه امرأته الاولى المتوفية زوجةً له . فمن ذاك الوقت الامير مراد اتّبع الطقس الخمير والحساب العتيق من دون اذن الكرسي الرسولي بعد براءة البابا

١) المحلّ ٢) والصواب ان الذي منحه سرّ العماد هو الخوري عبدالله الرامي خادم فالوغا بحضور الاب اغناطيوس بليبل ، على ما ورد في كتابه السابق للقاصد الرسولي.

بناديكتوس الرابع عشر التي يحتم بهـا بعدم تغيير الطقوس ونقل شخص من طائفة الى طائفة من دون اذن صريح من الكرسي الرسولي. وهذا اعني اتباع الامير مراد بالطقس الشرقي بعد هذا الامر الرسولي تحقق غاية التحقيق لكوني انا الفقير اعرف الامير مراد قبل زيجته الاولى واعرف امرأتـه الاولى الست سلطانه قبل زيجتها له وباولى حجة اعرف الثانية ايضاً . ولا اعرف كيف ان المطران صرُّوف المرقوم فسَّح له مانع القرابة المذكور واقتبله بطقسه الشرقي لانه لا يوجد لذلك دليل ولا اثبات ولكن مع ذلك لا عجب . حيث انهم الآن يقتبلون بطقسهم الرومي بعض اشخاص من طائفتنـا بدون اجازة من الكرسي الرسولي وضد رضانا ولم يعتبروا ذلك.

فلما المرحوم الامير شديد بلغ رشده نظر والدهُ تابع الطقس الشرقي فتبعه هو ايضاً مع ان خالته الست فانوس اتجد لها ابنتين من والده وبقيتا على الطقس الماروني مثلما كان والدهم في الابتداء وكما كانت والدتهما مارونيَّة دائماً وتوفيت كذلك . والابنتان الواحدة توفيت بعد زواجها مارونية والثانيـة لم تزل حيَّة الى الآن مارونية . ثمَّ تزوَّج الامير شديد بابنة مارونية من عايلته واتجد له منها اربعة صبيان وابنتين وتوفي الامير شديد من نحو اربع سنوات كاثوليكياً فابنه الاكبر المسمى الامير عبدالله كان كوالدته واخوته واختيـه ولم يزل في الطقس الشرقي . واما والدته الموجودة الآن ما غيَّرت طقسها الماروني ابداً مع ابنتها ايضاً . واما اولادها الثلاث اذ فهموا من والدتهم بان جدَّهم ووالدتهم قد كانا في البداية موارنة وتبعا الطقس الشرقي من دون جواز وكذلك جدَّتهم ووالدة جدَّهم عاشا وماتا موارنة فرجعوا الى طقسهم القطيع والحساب الجديـد ولم يرتضوا في الطقس الشرقي . فلما علم بذلك حضرة الاخ المطران اغابيوس حرَّر لي عن سبب قبولي اياهم ولم يخلو من الملامة عليَّ مذكراً اياي بامر الكرسي الرسولي المار ذكره لكونه غير عالم بحقيقة ما شرحناه فاجبته بشرح المادة وكيف يحقُّ لي قبوله وانني نبهته بحياته على ذلك وانه لا يجوز لـه ان يتبع الطقس الشرقي حيث ان والده اقتبل الديانة المسيحية بطقسنا الماروني وبقي عليه جملة سنين ... والامراء المرقومين ما لنا استطاعة تلزمهم بالقهر خوفـاً من جملة

محذورات كانت رؤساء الطائفة متحملة ذلك احتمال.

ثمّ بعده انعرضت المادة منه ومنا الى المجمع المقدّس وقلّد فحصها للسيّد لوسانا - اولاً هل ان الامير مراد اقتبل الديانة كما شرحنا. ثانياً هل ان الامراء المرقومين هم بالحقيقة مع والدتهم يرغبون بان يستمرّون بالطقس الماروني وهذا قد افهمني عنه[1] ...من غير ان يريني امر نيافته[2] ام يطلعني عليه. وبعد ... يرد لي بعدة[3] حضر لعندهم بذاته وصحبة المطران اغابيوس الملكي وفحصوا حضرة الستّ واولادها فاوضحوا له. اولاً حقيقة ما شرحناه. ثانياً انه لا يمكن ان يتركوا الطقس الفطير وبالجملة الطقس الماروني ويتبعون الطقس الخمير مع باقي الطقس الشرقي. وسيادة المطران لوسانا رغبهم جدًّا جدًّا لكي يتركوا الطقس الفطير مع باقي الطقس الماروني ويتبعون الطقس الخمير مع باقي الطقس الرومي وابدل (وبذل) كلّ جهده بذلك بحضور المطران اغابيوس فما صار قبول منهم ولا من والدتهم بل اوضحوا له امام المطران المرقوم انه غير ممكن يرضون بذلك. فلما تحقّق حضرة المطران اغابيوس هذا تهدّدهم بانواع كثيرة وكلّمهم بكلام مرّ قاسي فتزايد نفورهم منه وجاوبوه بان لا يحتملوا ذلك لحال مقامهم وشرفهم. ثمّ قدّموا للسيد لوسانا كثيرًا من شهادات كهنة اتقياء وشهدوا له عما يخصّ الا... قبوله للديانة. وهذا جميعه صار بدون حضوري اذ كنتُ بعيدًا عنهم مسافة يوم ولم يخبرني (المطران لوسانا) بحضوره لعندهم كما اوعدني حين مواجهتي له لمّا افهمني امر نيافته. ثمّ انصرف صحبة المطران اغابيوس واستقام عنده ثلاثة ايام واذ علمتُ بذلك ارسلتُ له ما عندي من الشهادات وطلبت منه ما تقدّم له من حضرة المطران اغابيوس فجاوبني لساناً لا خطاً بانه اتجد عنده شهادات تبيّن ان الامير مراد وابنه الامير شديد عاشا وماتا بالطقس الشرقي وانه يوجد شخص كفيف النظر شهد لـه بان الامير مراد لم تكلّل ... له روبيـاً (مارونيًّا) وبعض شهادات من المشاقين والبعض من الدروز. فجاوبته لساناً مع الرسول انه لا عجب من ذلـك وعلى افتراض صدق ... يحتمل عـدم

١) وظنه السيد لوسانا ٢) رئيس المجمع المقدس ٣) اي انه علم بعد مدّة انه حضر عندهم السيد لوسانا بذاته صحبة المطران اغابيوس ... كما يتحصّل من سياق الكلام

تصديقه فما شهدوا به هو بزيجته الثانية واتباعه بعدها الطقس الشرقي وكذلك الامير شديد . أمّا شهادة المشاقين والدروز فهذه لا اعتبار لها كونهم يشهدون بما لا يعلمون.

ثمّ بعد ذلك اعرضتُ الستّ المرقومة وجناب الامراء اولادها الى المجمع المقدّس كلّما جرى وتمّ من جهة حضرة السيّد لوسانا ومن حضرة الاخ المطران اغابيوس وقرّروا لنيافته على اعتمادهم بدوامهم بالطقس المارونى وان لا يمكنهم يتبعوا الطقس الشرقي لاجل جملة اسباب صوابية ومرتجين نيافته بان لا يلزمهم بما لا يقدرون عليه . ثمّ اعرضتُ انا ايضاً عمّا تمّ وارسلتُ صورة الشهادات المنقولة عن الاصلية الموجودين عندي الآن بعد ان نسخها اشخاص كتابيين وتوجهوا لنيافته حينما همّ السيد لوسانا على التوجه من هذه البلاد . ثمّ هو ايضاً طلب مني شرح المادّة بالاختصار مع صورة الشهادات فارسلت له حسب طلبه واخذهم صحبته والى الآن ما رجع جواب من نيافته بل حضر لي تعريف واعلام بوصول كتابتي والشهادات وكتابة الامراء المرقومين وكتابة والدتهم. والشهادات التي اتحدت معنا بهذا الصدد فهي واصلة ليدكم بخير وربما انها كفاية واذ (واذا) لزم غيرها اخبروني واذ لزم براهين وايضاح كذلك ارل تعرفوني لانني بعونه تعالى مستعدٌ الى اثبات ذلك.

أمّا بخصوص حضور اولادكم رعيتنا الموارنة الى بيروت الى استماع الوعظ ورسالة سيادتكم وانكم قد انشرحتم جدًّا من حضورهم للوعظ فانني بذلك ممنون غيرتكم واشكر افضالكم على هذا الامر الحميد وبكل وقت طائفتنا اولادكم الخاضعين للاوامر الرسولية ومقدمين اجتهادهم ورغبتهم لاحترام قصّاد هذا الكرسي من رؤساء ومرؤسين حسب عادتنا من قديم الزمان للآن وبالاخص نحو شخصكم الموقّر الذي قد تحقّق لي منه الغيرة الرسولية وحبّ السلامة التي اشهرتموها فاؤمل دائماً تكرموا عليّ بالتطمين عن انشراحكم ولا ابرح من دعاكم واطال الله تعالى بقاكم للدوام

الداعي اخيكم
المطران بطرس كرم
مطران بيروت

١٣ آذار سنة ١٨٣٤

الشعر العامي

بقلم توفيق عوّاد

٢

كيف ينظمون المعنى — المحاورة وآدابها

يسمّون الشاعر في لغة العامّة « قوّالًا » (من « القول » وهو اسم آخر للشعر العامي اللبناني) وابن الفن ، وابن الكار ، وابن الذكا . وللقوالين آداب في محاوراتهم بعضهم مع بعض يراعونها بدقائقها . ومن اخلّ بشيء منها عُدّ ذلك عيباً فيه وعاراً له . واكثر ما يجتمعون في السهرات ، والافراح ، واندية اللهو ، وبيوت الاغنياء . فاذا دُعوا الى اجتماع ، تحرّش بهم بعض الحاضرين واورى نار الفتنة — الفنية — بينهم ، فبدأوا بالمحاورة التي كثيراً ما تطول . وقد يمنح صاحب الدعوة الفائز منهم صلة مال او حطام ، تقديراً له .

والمحاورة نوع من البراز ، بل هي براز بمعنى الكلمة الصحيح ، ولكنه براز كلامي . هي اكثر الشعر العامي تشويقاً ، فيها تظهر قوة البديهة ، وتدفق المعاني ، ونضاعة البرهان . فضلًا عن ان الانسان بطبيعته الغريزية ، مولع بالبراز . وما ازدحام الالوف من الناس في اسبانية واميركا وغيرهما من بلاد العالم لمشاهدة ثورين يتناطحان أو ديكين يتناقران إلا دليل واضح على ما نقول .

وللقوّالين ادعاء منتفخ ، ولكنه بريء ساذج . وقد يقصد الواحد منهم زميله من قرية الى قرية ومن بلد الى بلد . وياخذ كل قوّال من انصاره جوقة يسمونها « الردّاده » ، يحمسونه اثناء الانشاد فيصفقون له ويهزجون .

و « للردّاده » شأن كبير في غلبة زعيمهم أو انكساره إزاء خصمه .

اما انشاد المغنّى فيكون على نوعين ، كما ذكره شهدان عواد في مقدمة ديوانه :

اولاً : ان كان المنشد يعرف مطلعاً أخذه من غيره ، فيجلس بين الجمهور ، ويتناول دفًّا او دربكة أو ما الى هاتين الآتين ، ويضرب عليها بيديه بشرط ان يُخرج الصوت موافقاً للانشاد ، فيهيج عواطف السامعين ويطربهم .

وحين يبتدئ بالانشاد يخفض صوت الدف لئلا تفوت الجمهور لذة المغنى ، والجمهور يصغي حتى يتم الردّة (اي الملازمة) . ثم ينقر الدف ، والجوقة يصفقون ويرددون ما قال على اللحن نفسه الى ان ينتهي المطلع الذي ابتدأ به .

واذا كان المنشد مطّلعاً على شيء من القرادي ، انشده بعد نهاية المطلع ، فيكون ذلك داعياً لزيادة التهوس والطرب .

ثانياً : اذا كان في المجتمع قوّالان ، ينقسم الجمهور الى قسمين مع كل قوال قسم . يبتدئ القوال الاكبر سنًّا ويطلب الاذن او « الدستور » من الحاضرين عند تناول الدف ، ويأخذ في الانشاد في موضوع يختاره ويوجه كلامه الى القوّال الآخر . ويجوز للبادئ في القول ان يضع المغنى كما يريد في شكران او الغاز او فراق او وصف او جناس ولكن الافضل ان يبدأ بالمطايبة .

يجب على القوّال الموجه اليه الكلام ان يجاوب بالمعنى ذاته مع « مسك الحرف » ، اذا كانت العادة كذلك في محيطه . ففي بعض الجهات لا يعنون « بمسك الحرف » بل يعتبرون الجواب على المعنى فحسب .

اذا لم يتوصل القوال ، الذي يجب عليه ان يجاوب ، الى حلّ الالغاز ، او اذا لم يرصد الحرف ، ينبغي له ان يعتذر ، انشادًا لا حديثاً ، والا يسقط .

لا يجوز للقوّال ان ينتحل اشعار غيره ، او ان يقول اشعارًا قالها من قبل . بل يجب ان تكون له وبنت ساعتها .

هذا ، ويقيمون اكثر الاحايين ، حكماً بين القوّالين ، يكون عادة من الشيوخ العالمين بهذا الفن ، فيفصل بينهما بحسب ما سمع ويعلن الفوز للذي استحقه .

ودونكم مثال على المحاورة ، من ديوان خليل سمعان الفغالي ، الجزء الثاني — والكلام بينه وبين جبور ابي جابر البدادوني :

قال جبور :

في مرّه ، خليلْ سمعانْ شفتو نازل في ميدانْ
حاملْ في ايدو مسّاسْ وراكبْ فوق حلة بلانْ

فاجاب الفغالي :

بالوقت المرحوم خيّكْ قصّه وكلفني فيها :
دَلّلْ علاحات بيّكْ وخيّل الكان مستقيها

قال البدادوني :

يا بو اسعدْ فيكْ علّه بتشوف الهلّ تلّه
لو شفت الناقه بالليلْ بتحبّها ترغلّه

فاجاب :

اي من شافك ليلْ وغار يتبشلْ ويتحيّرْ
وهنكلكْ وهيارك يغشّ وفي اوقات بتتنيّرْ

قال :

في لك ردّات مسيّنْ شبه شيباش المحيّينْ
سلياني شرحكْ تنّال بتيبسْ منو شجار التينْ

فاجاب :

كروم التين ونواميها ولو احترقت أراضيها
لازم يبقا لك تينه تا تشتقْ حالك فيها .

والغالب يُعدّ الغلبة على خصمه أمرًا كبيرًا ومفخرة له ، وقد يشقّ على المكسور انكساره فيخجل وينسحب او يغضب ويقاتل . قال خليل سمعان الفغالي في وصف احد خصومه المكسورين :

« وكان يرفع الدف في يده الى فوق رأسه ، ويثب عن الارض ، ويلبط برجليه على رفاقه . »

ثم يقول :« فلما نظرت ذلك قلت له قصيداً وبعده مطلعاً على حركاته التي ذكرناها . »

اي انه لم يخطر بباله ان يسكن حدته ، بل بالعكس استفاد من هذه الحدة ، ورأى فيها موضوعاً جديداً للزراية به مرّة ثانية ونكايته ابلغ ما تكون النكاية .

وقد يؤدي ذلك الى نفور يتعدى الجفاء الى السباب والسفه ، والتراشق بالاقداح والكراسي ، وتبادل المدى والعيارات النارية ، فيمزّق الشمل وتعكس آية السرور بينهم ، بعد ان يكونوا جميعاً اكلوا خبزاً واحداً وشربوا خمرة واحدة على خوان واحد . ولكنه نزق قلما يصلون اليه ، والحمد لله .

عروض الشعر العامي

في لغات العالم الراقية ثلاث اعاريض :

اولاً : العروض المقطعية ، ويكون تقسيمها بحسب المقاطع . مستعملة خصوصاً في اللغة الفرنسية .

ثانياً : العروض النبرية ، من نبرة ، والنبرة هي رفع الصوت وتشديده على مقاطع معيّنة من الكلمات وفقاً لاصول تختلف باختلاف اللغات . ويكون اساسها على محل النبرات . مستعملة خصوصاً في اللغة الانكليزية .

ثالثاً : العروض الوزنية يُعتبر فيها طول المقاطع وقصرها . مستعملة في اللغة العربية وفي كل اللغات السامية .

عروض الشعر العامي وزنية ، أعني تابعة لتفاعيل معلومة هي نفسها التي نراها في الشعر العربي الفصيح . لان الشعر العامي في مجموعه مشتق منه . ولو رجعنا الى المعنى نحلّل اجزاءه لوجدنا فيه الابحر الآتية :

١ً الرجز : مستفعلن مستفعلن مستفعلن . ثلاث مرات في الصدر ، وثلاث مرات في العجز . مثال ذلك قول رشيد نخله :

ودّعْ وأرمي القلب بعد ان ودعو وقلي : اصطفل قليك رجع لموضعو
قرّبت من قلبي جفل مني وهرب قلي : سلك ما بروح رجّعني معو !

وهذا تقطيعه :

وَدَّعْ وَأَرْ مى القَلْبَ بَعْ دَنْ وَدْعو
مستفعلن مستفعلن مستفعلن

وَقَالِي أَصْطفلْ قلبك رجع لا موضو
مستفعلن مستفعلن مستفعلن

٢ً السريع : مستفعلن مستفعلن فعلن . كقول احدهم :

ريح الصبا بحياة غصن البانْ والورْد والنسرين والريحانْ
من وَين جبتِ المسك بجيوبك تحسين سَرَّيتِ على الحلانْ

وهذا تقطيعه :

ريح الصبا بحياة غص ن البانْ
مستفعلن مستفعلن فعلان

والورد والنْ سرين والرْ ريحانْ
مستفعلن مستفعلن فعلان

٣ً الوافر : مفاعيلن مفاعيلن فعولن . مثال ذلك :

صار القبر اقرب من خيالي وصار الصبر ابعد من منالك

وهذا تقطيعه :

(و) صار القبـ ـر اقرب من خيالي
مفاعيلن مفاعيلن فعولن

وصار الصبـ ـر اقرب من منالك
مفاعيلن مفاعيلن فعولن

أما القرادي فلا سبيل الى حصر بحوره فهي كثيرة تتنوّع بتنوع فنونه . ولكننا نكتفي الآن بالمعتاد منه ، وتفاعيله هي هذه : مفعولاتن مفعولن ، كقول موريس بشاره :

صارت تشرب سيكاره وتمشي بايدا بستونْ
وما بتركبْ غير سياره وما بترقص غير شارلستون

وهذا تقطيعه :

صارت تشرب	بكاره	وتحمل بياع	دا بتون
مفعولاتن	مفعولن	مفعولاتن	مفعولان

ولا بدّ من الاشارة الى ان هذه التفاعيل لا يجوز فيها شيء . فلا يجوز مكان مستفعلن متفعلن ، ولا مكان مفاعيلن مفاعلتن (والتفاعيل معكوسة هنا كما هو ظاهر) . هذا ، وللانشاد في هذه التفاعيل تأثير كثير او قليل . والحان الانشاد في الشعر العامي اللبناني مأخوذ معظمها عن الترانيم الكنسية السريانية ، فنرى بعض الاحيان ان البحر لا يستقيم اذا نحن اردنا تطبيق تفاعيله على الفاظه ، يجيء هنا مقطع طويل مكان مقطع قصير او مقطع قصير مكان مقطع طويل الى غير ذلك . ولكن المنشد هو الذي يتكلف تسويتها فتستوي في انشاده .

والقافية في المغنى موسيقية جدًّا . لا يجيز القوال لنفسه فيها ما يجيز الشاعر . يستطيع الشاعر ان يستعمل «ظافرون وعالمين» قافية واحدة ، ولكن القوّال لا يستطيع ذلك . فإما ظافرون وعالمون واما ظافرين وعالمين . غير انه مقابل ذلك يشبع الحركة في القافية تارةً وغير القافية تارةً اخرى كقول يوسف بشير :

تركوا مدار الدار لأمر الجارية عشره تنشر عبد تحت امرا انوجدْ
صبحتْ بانعم بال فرح بالدلال تلبس وتشلح كل يوم فسطان جديد

« انوجد » و « جديد » قافية واحدة ، لان الانشاد يذهب الفرق بينهما تماماً .

مزاياه وقيمته

لدينا من المغنى مجموعات كثيرة لاشهر القوّالين مثل منصور الغريب ، والياس الفران ، وخليل سمعان الفغالي ، وجرجس بشاره ، وشديد غصن ، وسعد الجلخ ، وشهدان عوّاد ، وغيرهم . وهم يدعون هذه المجموعات باسم قصص . فيقولون : « قصة فلان » لا ديوانه . وانهم لمصيبون في ذلك لان هذه المجموعات بمثابة سرد لحياتهم الداخلية ، بما يلاقون فيها من فرح وترح ، وما

بينها من هوس زاه ، ولوعة دامية . فضلاً عن انهم يضمنونها حوادث كثيرة جرت لهم من مصائب وسجن ونوادر ومجالس انس. ولقد طالعنا هذه القصص ، وذقنا في مطالعتها لذةً من لذات الفن لم نذقها في مطالعة شعراء كثيرين في اللغة الفصيحة . ونحن نعترف انه اتفق لنا ان نرى اشياء فيها اضطراب في التركيب وسماجة في المعنى ، ولكننا نصرّح باننا لم نرَ قط تكلفاً وتحذلقاً . وانما هي الفطرة مرسلة في مجراها حرّةً من كل قيد . ذلك لان معظم هؤلاء القوّالين يجهلون الكتابة والقراءة ، وهذا الجهل حجاب بينهم وبين التنميقات اللغوية الفارغة يقيهم شرّها ، الذي تورط فيه كثير من الشعراء فافسد عليهم شاعريتهم .

لا ينظم القوّال الا في ساعات وحيه . والوحي لا ينزل عليه الا في اوقات « الكيف » ، كما يقول هو . فتجول به افكاره في شعب حياته وتهيج عاطفته ذاهبةً في تعاريج شجونه ، فينطلق معبرًا عنها شاكياً ، في لغته البسيطة ونغمته العذبة الجارية .

فالصدق هو اذن المزية الاولى للشعر العامي . واذا قلنا عن شعر انه صادق ، فقد اعترفنا له بالركن الاساسي الذي بدونه لا يقوم شعر في اية امة من الامم . هو صدق نابض حياة ، ومتشح بوشاح ناصع من السذاجة يشفّ بضحكات ساطعة خلال دموع سائلة قاتمة .

فكه في محاوراته ، طريف في الغازه ، لاذع في هجائه ، عذب في غزله ، شجي في مراثيه ، تلك صفات الشعر العامي التي لا تفارقه . يموج على كل ذلك مسحة من الكآبة صفراء يحاول القوّال ان يموّهها بالاخضرار الباسم ، فتبين على الرغم منه حتى في اشدّ مواقفه طرباً . تلك نفسية الشرقيين عموماً . وما نداء المغني في اغانيه ، لا يفتر يردّد : « يا ليل ، يا ليل ! » حتى يكاد يبحّ صوته وينشف صدره ، وزفرة المنشد في اشعاره بين البيت والبيت هاتفاً : « اوف ، اوف ! » ما تلك اللهجة الحزينة المؤثرة ، الا صدى لفلسفته المتشائمة المستسلمة . تنوء نفسه تحت اعباء الحياة وتكاليفها فيتنهد ، وتجد نفسه سلوى في هذا التنهد وعزاء ، تهزّ على انغامه سرير امالها واحلامها وترقدها ، تريد ان تسكن

من ثورتها وتتحرر من ربقتها ولو الى حين.

في كل مرة ينطلق الشعر العامي في طبيعته التي خلق فيها ، ولغته التي ربيَ عليها يأتينا بالرائع . ولكنه قد يتيه بعض الاحيان ويأخذ في مبالغات فارغة لا يرتاح اليها الا الاطفال ومن هم في مرتبة الاطفال في الافهام . كذكر البعض للحروب ، وما لهم فيها من سيف يقطع ونار تؤجّ ، وهام تتساقط في الميادين تحت اقدام الخيل . ولعلّ للروايات التي هم مولعون بمطالعتها جدّ الولوع مثل سير عنترة ، وبني هلال ، والزير ، وعلي الزيبق ، وغيرها ، تأثيراً في ذلك لا يستهان به .

والمصيبة الثانية هي في اعتقاد البعض انهم حسناً يفعلون عند ما يستعملون الفاظاً فصيحة ، واكثر ما يستعملونها في غير مواضعها . او عند ما يُعربون بعض الكلمات ، واكثر ما يكون اعرابها خطأ . وهم لو عقلوا ، لدروا انهم يشوّهون جمال معانيهم تشويهاً فظيعاً . وقديماً قال الابشيهي في المستطرف : « لا يكون البيت بعض الفاظه معربة وبعضها ملحونة ، فان هذا من اكبر العيوب التي لا تجوز . » وقال منصور الغريب :

قول المنى من النحو لا يطلبْ وان كان عا هالحال ، يا ليلى اخلي ،
من وقت ما قرينا سوا فصل الخطاب كتاب الحريري عندنا رتّ وبلي .

اجل يجب ان يفهم الشاعر العامي ان له لغة خاصة ، لها الفاظها الرشيقة الطلية ، وتراكيبها الموجزة الجميلة ، وموسيقاها الشجية العذبة . ومتى فهم ذلك جيداً فقد اتانا بصورة لقومية وطنه القروي ناطقة ، بارزة الخطوط ، زاهية الالوان ، رائعة الجمال ، سامية المعاني والرموز .

قال شهدان عواد في مقدمة قصته : « وفي بعض الاحيان حين يبتدئ القوّالون في الغناء يبدأ الحكم يكتبون حتى لا تضيع الحقيقة . وتعطى الشهادة على هذه المبادئ : غرف من بحر ، قطف من زهر ، نقر في صخر ، وكلام قطر . »

والحق ان هذه هي مزايا الشعر العامي اللبناني : السهولة ، وسموّ المعاني ، ومتانة التركيب ، وعذوبة التعابير .

الاشوريون او النساطرة(*)

بقلم الاب فردينان توتل اليسوعي

الهدي

الينا كتاب عنوانه «الاشوريون وجيرانهم» تأليف الدكتور ويگرام ، نلفت اليه نظر القراء ، ونبدي فيه ملاحظة ، ونلخص منه ما تروق معرفته عن الكنيسة الاشورية.

رأى صاحب الكتاب ان الاشوريين او النساطرة المقيمين في بلاد ما بين النهرين انما هم سُلالة الدولة الاشورية الكبرى التي ازدهرت نحو القرن العاشر قبل المسيح ، ثم تقلص ظلها وسقطت ، ولم تندثر بقاياها كلها ، او على الاقل «ليس من دليل واضح على اندثارها التام» . وما بقاياها الا النساطرة المقيمون في ديار الموصل ، والكاثوليك منهم يدعون الكلدان ، ويسمي المؤلف كنيستهم «الاشورية» ، ويتخذ برهاناً على كونهم حقيقة احفاد الاشوريين القدماء: انهم قطنوا على مدى الاجيال البلاد التي كانت في قديم الزمان مملكة اشور ، وان لهم تقاليد ينتسبون بها الى الاشوريين ، وان لغتهم «الارامية» هي في اصلها واحدة مع اللغة الاشورية ، وان ملامح وجوههم وتقاطيعها اشبه بالملامح والتقاطيع المصورة على الآثار الاشورية الثابتة الى يومنا.

والدكتور ويگرام انكليزي الجنس ، بروتستنتي المذهب . وهو متضلع من تاريخ الشرق القديم ، ومطلع على احوال الطوائف «جيران الاشوريين» . وكتابه بجملته اشبه بتاريخ الشرق العام لانه ، وان يكن وضع خصوصاً في الاشوريين ، فقد يكلمنا على الدول والشعوب التي توالت على تعاقب العصور في ظهورها على مسرح بلاد اشور واطرافها مثل بابل وفارس واليونان والرومان والبارتيين والعرب والتتر والترك ، وعن الملل التي نشأت في تلك البلاد من عناصر الشعوب الصغيرة التي اخضعتها الدول الكبرى لسلطانها وعن علاقات الملة الاشورية بالغرب وبرومة.

* The Assyrians and Their Neighbours, by The Rev. W. A. Wigram. G. Bell and Sons, London, 1929.

ولهجة المؤلف في البابا وتعاطيه مع الكنائس الشرقية صادرة عن نظراته الشخصية ، وهي لا تطابق الحقيقة دائماً. فانه ينوّه بان الاب الاقدس اشدّ حرصاً على بسط نفوذه على الشرق منه على حفظ الايمان ، وانه يتساهل مع الشرقيين في امر العقيدة ، ويغضّ النظر عن شواذاتهم في ممارسة النظامات الدينية والقوانين الكنائسية على شرط ان يعترفوا بسلطته الرسولية . وهذا القول والحقيقة على طرفي نقيض. لانه ، وان تكن الظروف الجأت الاب الاقدس ، في حين من الاحايين ، الى السكوت او الى غضّ النظر دفعاً لشرّ اعظم ، فلم يرضَ قط بمصالحة من لم يتفق والكرسي الروماني بالايمان والتعليم.

ولا ادري هل يقتنع الاثريون ببراهين المؤلف على « اشورية » النساطرة ؟ فانهم ان انتسبوا للاشوريين ، فغيرهم ايضاً ينتسب الى ذلك الشعب القديم كالقبيلة الكردية التي ذكرها الجغرافي ركلو (Reclus) ؛ وان سكنوا بلاد اشور القديمة فالاكراد ايضاً سكنوها . اما ملامح التشابه بين صورة احد النساطرة في يومنا وصورة احد الاشوريين القدماء فليست دليلاً قاطعاً على « اشوريته » وكون لغة النساطرة ارامية الاصل فقد يدل ايضاً على اصلهم الارامي. اما اصلهم الاشوري فانى لنا ان نثبته بالتأكيد ، وبين يوحنا مؤسس مدرسة نصيبين ، وانقراض الدولة الاشورية مسافة عشرة قرون على التقريب . او لا يذكرنا ذلك النسب بمن ينتسب الى الاسكندر ذي القرنين من سكان بلادنا الروم الملكيين ؟ او بمن ينتسب الى المردة من غيرهم ؟

ولكن ما بالنا نناقش المؤلف رأياً يدل على النساطرة ثوب العز والفخر ، وما احرانا بالاصغاء لحديثه عن هذه الفئة المسيحية التي تقربت منا كثيراً بعد الحرب ، وفي هذه الايام. وكتاب الدكتور ويكرام سلس العبارة أنيس المجالسة. يروقنا ان نقتطف للقراء زبدة تعليماته عن الكنيسة النسطورية او « الاشورية ».

* * *

نال النساطرة ما نالهم من الاضطهاد في القرون السابقة للاسلام ، على الخصوص ايام توتر العلاقات ونشوب الحروب بين بيزنطية والفرس ، لان موقع بلاد اشور غربي المملكة الساسانية ، هو على الحدود بين الدولتين فما ان

تصطدم بمملكة الا وتصطك اطرافها ويحل فيها الدمار . فلما تنصر قسطنطين وأعلن الدين المسيحي ديناً للمملكة الرومانية ، اصبح كل مسيحي في المملكة الساسانية موضعاً للشبهة وموقعاً للنقمة . وكانت تلك النقمة تنهال ويلات على النساطرة اذا افرط ملك بيزنطية بفاخرته بحماية المسيحيين في الشرق ؛ واذا غضب عليهم الفرس عباد النار وخافوا على ديانتهم من دعاية المسيحيين . وكانت تتوالى الاضطهادات الى ان يحكم في الفرس ملك حليم يرضى للمسيحيين بعض الحرية فتتكون «الطائفة» والملة الاشورية في ظل تلك السياسة المتساهلة . ولم يعرف الشعب الساكن بلاد اشور الجدال الذي القى الاضطراب في الكنيسة عند ظهور اريوس وبدعته ، لكن الكنيسة النسطورية انشقت عن الايمان الكاثوليكي عند ظهور بدعة نسطور . ولعل دواعي الشقاق الاصلية لم تكن عن فساد في العقيدة ، ولكن عن سوء تفاهم في الالفاظ التي كانوا يعبرون بها عن ايمانهم ، ولم يكن معناها محدداً محصوراً كما حددته الكنيسة من بعد ، دفعاً للالتباس . على ان القلوب كانت نافرة من بيزنطية ، وذلك ما حدا بالمسيحيين الشرقيين في الغالب الى رفع لواء البدع تمرداً ، لا على التعليم الكنائسي ، ولكن على السلطة العلمانية المتدخلة بشؤون الايمان وبما هو ليس من صلاحيتها ، فذهب بعضهم مذهب المونوفيزية ، وغيرهم مذهب نسطور ، لئلا يلتقوا وبيزنطية في توحيد كلمتهم . وما عتم ان انقلب الخلاف في الكلام انقساماً في العقيدة وخلافاً حقيقياً نشأت منه الطوائف .

ولما فتح الاسلام الشرق المسيحي ، كان ذلك الانقسام بين المسيحيين اعظم مساعد للفاتحين على تلك الاعناق ، فساعدوا عليه وجعلوا لكل بدعة او طائفة كيانها الادبي واستقلالها الاداري ، ومنحوها بامتيازات خالها الجهال خيراً ، انما هي التي كانت الضربة القاضية على وحدة المسيحيين واتفاقهم ، وهي التي لا تزال نتائجها الى يومنا تزرع الفتن بين طائفة وطائفة وبين كنيسة وكنيسة حتى في منطقة واحدة بل في قرية واحدة .

فتح العرب بلاد الشام وفارس فاتخذوا معلميهم ومهذبيهم من النساطرة . وكان هؤلاء يرسلون شبانهم الى مدرسة الرها الشهيرة . ثم جلس على كرسي

الاسقفية برصوما النصيبيني فانشأ في مدينته معهداً للعلوم ، وهذب فيه شبان ملته على مذهب افلاطون وارسطو ولم تلبث ان ازدهرت مدرسة نصيبين . فلما نظر الخلفاء الى الامم التي اطاعتهم وجدوا السريان النساطرة اقرب اليهم لغة من غيرهم فعهدوا اليهم بالتعليم والترجمة . فالتقى العرب واليونان على ارض اشور وكان الفضل بتآلفهم للنساطرة .

وبلغت الكنيسة النسطورية اوج عزها في تلك الايام ، فعدت ٢٥ متروبوليتاً ووالين للبطريرك تيموطاوس . وكان لها اسقف في دمشق ، وآخر في اورشليم . وكان الشعب النسطوري مقداماً على العمل ، غيوراً على الدين . فساح في البلاد وبلغ سومطرة والمالابار والصين ، وبشر بالمسيح ورحل اساقفته الى الشمال وعاشروا الاكراد وسكنوا تحت الخيم ، وبشروا في الجبال .

قال المؤلف : « ان المسيحية هي شرقية الاصل ، واذا عرضها الشرقيون على الشرقيين فقد تظهر كانها وضعت خصيصاً لاجلهم . سارت الكنيسة « الاشورية » من غير ان تتجهز بما تتجهز به الجمعيات التبشيرية في عصرنا من امتعة واموال ، ومدت فروعها بنموها الطبيعي في تلك الاقاليم ذاتها التي طالما طمعت الارساليات المسيحية بفتحها في يومنا . منذ اوائل القرن السادس ظهر في مرو وفي هراة وفي سمرقند ، اساقفة ورؤساء اساقفة ! لو اتيح لنا اليوم ان نرى طائفةً مسيحية في تلك البلاد من اهاليها ذاتهم ، فاي عزيز او ثمين لا نبذل للحصول عليها ؟ اما المؤسسات المسيحية النسطورية فقد تأصلت في البلاد وصارت وطنية تماماً حتى سموها « المعابد الفرسية »

وحدثت الحروب الصليبية وزحف المغول من اواسط آسية على بلاد ما بين النهرين ، ولم يكونوا مسلمين بل كان في معسكر ملكهم رجال من الاكليروس النسطوري واللاتيني . فارسل خان المغول الاكبر يهب الله البطريرك النسطوري المذهب ، الصيني المنشأ ، الى البابا سفيراً خاصاً من قبله . ولم تتضح غاية تلك الوفادة ، وربما صدرت عن السلطان باغراء احد رجاله المسيحيين على امل اجتذاب المغول الى اعتناق المسيحية . ولعل السلطان طمع بالتقرب الى البابا عسى ان ينال بواسطته نجدةً على دولة المسلمين مناوئيه .

اما يهب الله فرض وانتدب احد اقربائه المدعو صوما ليقوم بالسفارة مقامه. فجال صوما بلاد الغرب ، وحلّ رومة عند ارتقاء البابا نيقولاوس الرابع السدة البطرسية . فاكرم الاب الاقدس ضيافته . اما استنهاض همم الصليبيين نجدةً للمغول ، فلم يكن من سبيل اليه بعد ما سببته الحروب الصليبية من الخسائر للافرنج . لكن البابا بعث رهباناً من الفرنسيسكان الى المغول ليلتمسوا ارسالية مسيحية في بلاد التتر . وفي غضونها سقطت عكا من ايدي الصليبيين سنة ١٢٩١ . وتوفي السلطان المغولي صديق المسيحيين ، وخلفه في الملك غازان . فاعتنق الاسلام هو وشعبه . وخابت من ثم آمال المسيحية بتنصير المغول . وما كل فرصة تنال !

هذا ! ولو ان المسيحية في الشرق ظهرت عزيزةً ، قويةً ، غير مقسمة ولا مشوّهة بالوان البدع ، لاستهوت قلوب المغول او الاتراك ، وهم في ظلام الوثنية ، يستهدون الى اعتناق ديانة يتخذونها ديانة قومية لهم . ولو تنصر الاتراك ايّ خير لم يكن ليرجى من تنصرهم ، وفيهم ، على صلابة عودهم وقساوتهم ، الصفات الحسنة التي كانت سوف تزدهر فيهم ازدهارها في امثالهم من الشعوب الاوربية البربرية بعد ان دخلت في طاعة الانجيل ، ونالت منه روح الكرم والكفران بالذات والمروءة المسيحية ، ففتحت العالم للعمران وهذبت الذراري المالكة على اعناق الانام .

وكانت احوال الطائفة النسطورية في بلاد الموصل ، على العهد التتري والعهد التركي ، كاحوال سائر الطوائف المسيحية . اجتاح تيمور البلاد ، وعاث فساداً في ما بين النهرين والموصل ، واعمل السيف في المسيحيين ، فاهلك اكثر من ثلاثة ارباع القاطنين ديار الموصل . اما الباقون فتبدّد شملهم في جبال هيكار وما عتموا ان لموا شتاتهم ، وانضموا الى بواقي المسيحيين الذين اقاموا في الجبال وفي منطقة بحيرة اورمية ، فانبعثت حياتهم الطائفية من موتها . ولكن الاضطهادات التي دامت زهاء ٢٥٠ سنة أثرت في حياة الشعب الدينية فاضطربت احواله ، وتزعزعت اركانه ، وذلك ان وظيفة البطريرك اصبحت محصورة بين اعضاء اسرة واحدة ، اذ انه كان حالما يتقلد وظيفته ، يسمي خلفه من بعده ، وان كان ولداً قاصراً . فكان اختراق حرمة القوانين في انتخاب رئيس

الاكليروس مدعاة للانقسام في الملة .

في السنة ١٥٥٢ ، توفي البطريرك شمعون بار ماما ، فقام ابن اخيه شمعون دنكا يطالب بالبطريركية لنفسه . فخالفه الكثيرون وانضموا الى رئيس دير ربان هرمز بالقرب من الموصل ، واحتجوا على اختراق حرمة قوانين البيعة في تعيين احبارها ، ولجأوا الى البابا . وكانت تلك الحوادث اصلاً للحركة التي نشأت منها الطائفة الكلدانية الكاثوليكية .

وفي الحرب المسكونية حاولت تركية ان تقنع رعاياها المسيحيين انها تريد موالاتهم وخيرهم . وما عتمت ان قامت عليهم تمزقهم وتبيدهم ، فطرحتهم في لجة اليأس . واشعر النساطرة المقيمون في بلاد الموصل ، وبجوار بحيرة اورمية بدنوّ اجلهم ، وقد سلح الاتراك الأكراد عليهم ، فلاذوا بحمى روسية ودخلوا في مصاف المتحالفين وتسلحوا وتمنعوا بجبالهم . ثم سقط القيصر ، وتضعضعت اركان روسية ، وانقطعت مساعدة الروس للنساطرة ، ونفدت الذخيرة بين ايديهم ، وقتل بطريركهم مار شمعون اغتيالاً على يد الأكراد ، واحاطت بهم الاهوال ، فعقدوا العزائم على الرحيل الى بغداد ليدخلوا في حمى السلطة البريطانية . شدوا رحالهم وساروا وقطعوا مسافة خمس مئة ميل من جبال واودية ، في بلاد انقلب سكانها عليهم كالعقارب . فمات منهم من مات ، ونجا من نجا ، الى ان بلغوا دار السلام فاسكنتهم السلطة البريطانية بعقوبة شمالي بغداد على نهر ديالى .

واظهر العسكر النسطوري او الاشوري بأساً وشجاعة أعجب بهما ضباط الانكليز . فكونوا منهم فرقةً جهزوها بالمعدات واعتمدوا عليها في شؤون العراق الحربية . ومضت ايام الحرب المسكونية ، وها ان الاشوريين يتوقون الى العودة الى جبالهم والى تكوين وطن قومي . وقد يخاف عليهم صاحب الكتاب ، الذي اخذنا عنه هذا المقال ، ان تتحد كنيستهم بالكنيسة الكلدانية الكاثوليكية فتضيع هويتها وتنقرض بذلك « سلالة ابراهيم » . ولكن لا خطر عليهم من الانقراض باتحادهم بالكثلكة ! لان ابناء الكنيسة الرومانية ، على اتحادهم بالايمان والخضوع لخليفة المسيح ، لا ينفكون محافظين على قوميتهم فهذا يكون انكليزياً وذاك ارمنياً وهذا « اشوريا » الخ . . . ويكونون جميعهم مسيحيين كاثوليكيين .

في مدينة العذراء

زيارة مؤمن

بقلم ميشيل سليم كميد

٢

وصف الكاتدرائية

« اذهبي وخبري الكهنة ، ان يشيدوا كنيسة
هنا ، ويقيموا النطوافات . »
كلمة العذراء لبرنادت — الظهورة الرابعة عشرة

انتهيت من درب الآلام ؛ فلمَ لا احضر القداس ؟ ارتقيت درجات الكنيسة ، فوجدتها مزدحمة بالمصلين حتى الباب الاكبر . فاخترقتهم وانتقيت مكاناً قصيا وراء احد الاعمدة الضخمة ، لا اضايق احداً ، ولا يضايقني احد . واستكنت اسمع القداس . وكانت الكنيسة هادئة مع ازدحام الداخلين والخارجين .

ولعلك تميل الى سماع وصف الكاتدرائية الشهيرة ، فهي بالحقيقة ليست كنيسة واحدة ، بل واحدة فوق اخرى ، يتوسطها ناووس .

فالكنيسة العليا ، وهي الكبرى ، مشيدة على الطراز القوطي ، طراز القرن الثالث عشر ، مقامة على صخرة مرتفعة على جانبها الايمن مغارة الظهورات . وما تكاد تلجها حتى تأخذك تلك المنحنيات الرشيقة والتقوسات النحيفة ، والدعائم الهائلة الجميلة . وتجد الاعلام والرايات المهداة من الفرق والجيوش والجمعيات وغيرها الى الكنيسة هنا وهناك مدلاة من السقف كالسجوف البديعة ؛ ثم الاوسمة والنياشين والرتب العسكرية والبراءات ، تكسو الجدران ، وتزين المسالك . واذا ادرت بصرك نحو زجاج المنافذ ، وجدت تاريخ السيدة العذراء لها المجد مرسوماً على الواحها . وذلك ببسط قضايا الحبل

بلا دنس ، منذ الخليقة الى قرار بيوس التاسع السعيد الذكر . ثم هناك خمسة معابد على كل جانب منها . وفي كل منها مذبح كبير . وكل معبد يضم عادة في نافذته ايقونة عليا كبيرة ، واخرى تحتها صغيرة ، وتمثال قديس على المذبح ، وبعض صفحات مرمرية تذورية . وكل ايقونة تمثل حادثة من حوادث الكنيسة الكبرى . وعلى الاغلب تمثل الايقونة العليا برنادت وحوادث لورد العجائبية . . . وفي مقدمة الكنيسة عدة مذابح اخرى تتألف كالسابقة . وجميع هذه لا تهدأ بها القداسات ايام الزيارات لامتلاء لورد بالكهنة الوافدين من جميع الانحاء .

ونصل الى الناووس (Crypte) ، الذي يمتد تحت الكنيسة العليا مسافة طويلة ، وعند ما تدخله تجد في مدخله ايقونة كبيرة تمثل السعيد الذكر البابا القديس بيوس العاشر ، يواجهه تمثال هامة الرسل واول رئيس للكنيسة الرومانية المقدسة ، القديس بطرس . وهو نسخة لنصبه في الفاتيكان ، الذي صنعه لاون الاول ، بعد تقهقر اتيلا . . . ومن العادة ان تقبل قدم التمثال اليمنى . ولكني لم ألثمها ، بل وقفت وصليت وتمتمت صلوة قصيرة . . .

بعد هذا تسير في دهليز طويل ، سعته ثلاثة امتار ، وفي منتهاه الناووس وفيه خمسة مذابح كبيرة ، على كل منها نصب قديس ، وعلى كل زجاج نوافذه رسوم حوادث ملونة كما في الكنيسة العليا . . . والناووس ساكن هادئ لا يدخله إلا طلاب التأمل والاعتراف ، أو لاجل مباركة اشياء تذكارية ، او من يريد الرياضة الروحية . واهم ما فيه تمثال البتول الطاهرة على المذبح الرئيسي ، وقد قالت الطوباوية برنادت انه اكثر النصب شبهاً بالعذراء في ظهوراتها .

واذا انتهيت من الناووس ، وانحدرت بايّ السلمين الجانبيين الى الكنيسة السفلى ، المعروفة بكنيسة الوردية ، تراها على شكل مستدير بديع ، وبها خمسة عشر مذبحاً عظيماً من الرخام والنحاس . وتضم من المعابد والايقونات ، وزجاج النوافذ المصوّر وسواها ، ما يماثل ما في الكنيسة العليا .

مغارة الخوارق والمياه المقدسة

« اذهبي اشربي من العين واغتسلي »
الظهورة التاسعة

اما المغارة التي ظهرت فيها العذراء المجيدة للفتاة الراعية برنادت سوبيروس ،

ثاني عشرة مرة ، فهي نقرة في صخرة عظيمة تعلوهـا الكنيسة الكبرى ، سوداء الحجارة من دخان الشموع المشعلة على مدى هذه الاعوام الطويلة . وقد اقيم في المكان الذي اشارت اليه الطوباوية برنادت كموقع ظهورات العذراء ، نصب بالحجم الطبيعي ، يعلو ثلاثة امتار عن الارض. وقد اكتظ سقف الثغرة وخارجها بالعكاكيز والركائز ، وادوات اخرى كثيرة ، مما تركه المرضى الذين نالوا نعمة الشفاء فيها ... وعلى المدخل حاجز ذو فتحتين للدخول وللخروج .

وقد دخلت عصرَ ذاك اليوم — قبيل الزياح القرباني — مع بعض الزوار . وهم يسيرون في صفّ ، واحداً بعد آخر ، يراقب هذا النظام بعض الكهنة خيفة الازدحام والتشويش . لاسيا وذلك المكان يعجّ بالالوف ... ولجت المدخل وبيدي شمعة اشعلتها في محملة الشمع . فالفيت صخرة فاحمة اللون دخناء ، يلثمها الزوار في مرورهم ، تقع تحت التمثال . فدنوت في رهبة وسكون . وادنيت شفتيّ فلثمتها .

وانتهيت الى الباب التالي ، فاذا بي امام اجران المياه تعلوهـا لوالب تحمل اليها ماء الصخرة العجائبي في قساطل . . . وكم كان خجلي عظيماً ، وانا دون طاس للشرب . فما العمل ؟ احترت في كيف عساي اتدارى موقفي الحرج . ووددت ان افلت من هذه الورطة . ولكن الجبل المشير للطريق يحول دون الهرب فكأني في حبس . . ولم يتركني تدفق الزوار ان اتريث . فاندفعت بضغطهم الى الامام نحو الاجران . فسرت مضطرباً على مضض . ودنوت من لولب تناولت منه بكفي شرقة رشفتها على عجلة ، وهممت نحو المنفذ !

لورد في العالم

مما يجدر التنويه به ، ويشير الى مكانة لورد خارج العالم الكاثوليكي ، ان زرافات عديدة تهبطها من اتباع وارباب المذاهب المنشقة . ولقد شهدت حادثة من ذلك النفوذ البليغ . فقد استوقل القطار الذي قدمت به ، في محطة بايون (Bayonne) ، اسقف وسبعة كهنة ، وما ينيف عن العشرين من الالمان البروتستان . وكان من حظ حافلتنا ان توهل باكثرهم . وكان بعضهم على مقربة مني ، وانا في مسالك العربة ، اسرح النظر وامتعه من النافذة بمناظر

فرنسة البهجة الساحرة.

كثيراً ما يتعرف الانسان في تجواله الى رفقاء السفر ، وكثيراً ما يتمدد الحديث معهم ، أو قد تجر اليه الظروف او حادثة ما . ولست ادري كيف اتصل بيننا وصل الكلام . فوجدتني اخوض معهم في غمار حديث طريف — والحديث ذو شجون كما يقولون — فطفنا نقتحم مبحثاً الى آخر ونطرق موضوعاً ننقله الى سواه ، قتلاً للوقت وطلباً للتسلية . فخضنا في ذكر المانية كمطلب سياحة وتجوال ، فزينوها لي . وامتد بنا الكلام الى تفقد البلدان الاخرى كمتره وملهى ، فالى الحرب العظمى ، ونصيب الدول فيها وسواها . واتفق ان وقف القطار في العراء قبل لورد لامر ما ، ونحن على رمية منها . فسألني احدهم اين اطلب . فبثته بغيتي . وما لبثت بدوري ، بهذه المناسبة ، ان سألته اين يقصدون . فاظهرني انهم ايضاً على قصدي . لان هذه الايام هي اوان الزيارة الوطنية (الافرنسية) وبها تزهو لورد وتميس في حلل زاهية نضرة من المراسيم والاحتفالات الدينية البهية الآخذة بمجامع القلوب . فتعجبت عمداً — كيما استجر مقاله — والمحت الى بروتستانيتهم . فاجابني ان ليس بهذا عجب . وليس المذهب « بالشيء المهم في عرفه » ، ولا غرابة ، فان هذه هي المرة السابعة التي ينزل بها البلدة المقدسة . وسواء عنده الاديان اجمعها ... ثم ذهب يبسط لي باسهاب روعة الحفلات الدينية ونشوة جلالها التي تعتري مشاهديها . وابلغ في سرد ماهية ما يكتنف المرء من الرهبة والتأثر اوان منح بركة المرضى والمنكوبين النساء . واقاض انه ، وهو غير متشيع لدين ما دون آخر ، « تؤثر فيه مشاهد لورد الى درجة عظيمة ، قلما تعتريه في سواها ، بل يود ان لا تفلت منه فرصة قط لحضور احتفالاتها وزياراتها الاهلية ، واشار الى انه يكاد يصدق جميع ما تهتز به لورد حيناً بعد آخر ، من العجائب وحوادث الشفاء النادرة الخ » ... الى ان وقف القطار في البلدة المنشودة فختم كلامه بان دعاني الى نزل هيتز الشهير ، حيث هم عازمون « كي نكون معاً » . فاعتذرت له بوعدي احد الكهنة بوافاته الى نزل آخر . وتأسفت لعدم مرافقتهم . ونزلنا وتفارقنا ، وكان آخر العهد بهم .

ولست في حاجة الى ان اشير الى ان النزل المذكور يزدحم عادة باتباع الفرق البروتستانية من الشعوب السكسونية ، وهذا ما علمته اثناء مقامي بلورد ، مما يدلك على سعة نفوذ لورد بين الشعوب قاطبة ، ومبلغ صيتها . وقد شهدت عدداً عديداً من قساوسة البروتستان اثناء التطواف القرباني يلتقطون مراسيمه وفرائضه بالآلات الفوتغرافية والسينمائية .

السينما الدينية

وفي لورد شهدت لاول مرة شريطاً سينمائياً دينياً ، كان عظيم التأثير عليّ . فقد عرضت على اللوحة الفضية استشهادات بعض القديسين الاتقياء ، وهم يبذلون انفسهم بلا ادنى مقاومة في سبيل الدين المقدس . فناجيت نفسي : متى ارى امثال هذه الافلام ، تتبوأ مكانها على مراسح السينما المعهودة .

وبهذه المناسبة ، اذكر ان في باريس جمعيات تقوية تألفت خصيصاً من كبار الافرنسيين العلمانيين والدينيين ، لمراقبة الافلام العامة ، ونشر الملاحظات عنها في جرائد ومجلات خاصة . وبين يدي الآن مجلة « الصداقة الافرنسية الكاثوليكية »[1] وبها تقرير عن المؤتمر الثاني للجمعية السينمائية الكاثوليكية به بحث كافٍ عن الوسائل اللازمة لنشر الثقافة والآداب الكاثوليكية بواسطة السينما . ثم مراقبة الافلام الاجرامية . وتحذير الجمهور من شرها اللعين . وانا لنأمل ان يمتد أثرها ، ويقوى حولها ، فتعزز بذلك آدابنا ، وتسمو اخلاقنا . وان ذا لقريب !

اللبناني الوحيد

مما اذكره بحرقة ومرارة ، ولن اغفله قط ، هو كم كانت صدمتي عظيمة حين تحققت اني كنت السوري اللبناني الوحيد ، وسط تلك الخلائق الكثيرة . فقد استوضحت جميع من اتصلت بهم من كهنة ودنيويين وتصفحت جميع الوجوه ، ونقبت جميع الجماعات ، عساي اقف على وطنيّ لي . فكنت كصاحب بغية تائه ، اقتحم تارة هؤلاء ، واخترق اولئك اخرى . وكانت النتيجة واحدة .

(١) *Les Amitiés Catholiques Françaises - 15 décembre, 1929. p. 17.*

ولست انسى خجلي ، وقد وقع في روعي ما صغر نفسي في عيني ، حين علمت ، وحيداً ، لا عشير لي من ابناء وطني يقدم معي للبتول الطاهرة شعائر الزيارة ، ويقوم ببعض فرائضها . وكيف لا اتأثر ، وقد بلغ جمع الزوّار — حسبما قرأته في جريدة « منارة لورد » — نيّفاً وتسعين الفاً ، ايام الزيارة ، ليس بينهم من ابناء فينيقية سواي ! اجل كيف لا تنسحق نفسي والحقيقة المؤلمة تجابهني بما فيها من قسوة ! لم يدفع عني لطف وايناس ارباب الفندق ، وجميع من تعرفت بهم ، غائلة الكآبة في ذكري تقصير ابناء بلادي نحو والدة الاله ، الاله الذي بذل نفسه ضحية زكية لفدائنا !

فكرت في هذا الامر . وتساءلت لماذا لا تذهب وفود زوّار من بلادنا الى لورد ، ولماذا لا نقتدي بفرنسة . فيذهب جمع من سورية ولبنان ، كما تذهب الجموع من اقاليم فرنسة ومقاطعاتها المختلفة ؟ احياء في الدين ، أم ضعفاً في الايمان ؟

ثم لِمَ لا نكمل امراً ، ان لم يكن فريضةً محتمة ، فادنى ما فيه انه مظهر ديني جليل ، فنقوم به اسوة بسوانا من الامم والشعوب . اخال فيه هضيمة ومهانة ، وها ان اعظم الدول واحقر الشعوب ، تأتيه جزلة مختارة ؟ وكفى بفرنسة قدوة — وهي التي يعدها بعض صغار العقول موئل الالحاد وكنف اللادينية — أجل ففيها لنا مثال ناطق ، ومن شهد موسم الزيارة الاهلية الافرنسية ، وابصر تلك الربوات الوافدة على المدينة المقدسة من شتى الاقاليم ، اقرّ صاغراً مفحماً بما يسود الشعب الافرنسي النبيل من العواطف الدينية ، واقتنع ايضاً أن الشعب ايضاً من اشد شعوب الارض تمسكاً بالدين وتعلقاً باهداب تعاليم الكنيسة المقدسة . ولقد شهدت بعينيّ ، في لورد وليزيو ، ما شعرت به في باريس من هذه المظاهر ، في احتشاد واكتظاظ الكنائس العديدة ، في ساعة الظهر ، بل في ايّ برهة من النهار ، بجماهير المتعبدين ، مما أيد لي تعلق الافرنسيين واعتصامهم بروح الدين . وعليه ما احرانا ان نكون نحن ، ابناء منبت الانبياء والرسل ، في الاقتداء بفرنسة ، وما احرانا ، ونحن تحت اشرافها وانتدابها ، ان نعد انفسنا بمثابة اقليم من اقاليمها ، فنوفد ايام الزيارة

الافرنسية جمعاً يقدم لسيدة لورد الطاهرة ، فرائض الزيارة ! ؟

وقد علمت اتفاقاً هناك ، من صاحب النزل ، ان المنسيور عقل — ان لم تخدعني ذاكرتي — امّ لورد ، مستصحباً عائلته الكريمة ، فاقام بها ، العام المنصرم ، شهراً وبعض الشهر . فحبذا لو سعى سيادته ، بما له من نفوذ ومكانة ، في تأليف جماعات من شرقنا العزيز لزيارة سيدة لورد !.

المبارحة

ولجّ القطار مزمجراً بين الهضاب والاودية ، قاصداً رين عاصمة بريطانية . ولمت كنيسة العذراء ، سيدة لورد ، من خلال فجوات الجبال ، وبرق صليبها الذهبي اللامع على محياها الزاهر ، فسرت في المسافرين رهبة وروعة . واستولت عليهم رعشة هزت ايديهم هزاً ، فارتفعت بسكون راسمة بخشوع اشارة الصليب المقدس ... واشرأبت اعناق ، وحملقت اعين من خلال نوافذ حافلات القطار ، ومرت حبات المسابح بين الاصابع ، فتمتمت جميع الشفاه كلمات خافتة مبهمة ، وامتلأت العيون ببعض دمعات حزن وفرح . وارسلت تنهدات حرّى صعدت جميعها الى العلى كنشوز حمد وشكر وتقوى !

ونظر الحفل المحتشد في مسالك الحوافل الى بعضهم بعضاً ، كأن ثمة لسان حالهم يناجي الباري تعالى : هل من عودة لهذه الربوع المقدسة ؟

وكان آخر مشهد من لورد ، لحظة ما هي بالثانية ؛ مشهد حشد الزوار في باحة الكنيسة ، سجداً خشوعاً ، امام ابن الله المتأنس ، المطاف به في الزياح القرباني المؤثر .

وامعن القطار ، فاستترت لآخر مرة عن الانظار كنيسة لورد وصليبها الذهبي ، وراء الشامخات الشائبات ؛ والجمع لم يبرح المنافذ محملقاً متمتماً زافراً . . وفي الافكار جائشات ، وفي الصدور إهتزازات ، وفي الافئدة آمال وتأملات ! ! . . .

يا سيدة لورد صلي لاجلنا !

الجزائر في مائة سنة

١٨٣٠ - ١٩٣٠

لحضرة الشيخ سليم الدحداح

نشرنا في عدد ايار الفائت لحضرة الاب لوفنك اليسوعي ، بحثاً بعنوان « التذكار المئوي لاحتلال الجزائر » درس فيه حالة تلك البلاد من حيث الرقي الاجتماعي والديني خصوصاً . ثم اتانا المقال التالي من حضرة المؤرخ الشيخ سليم الدحداح ، وقد جال في الموضوع جولة تاريخية تتمم البحث السابق ، فنشرناه شاكرين.

في هذه السنة ١٩٣٠ تتمّ تذكارات قرنية عديدة . فالكنيسة الكاثوليكية بالعموم ، وكنيسة افريقية بالخصوص ، تحتفل بمرور ١٥٠٠ سنة على وفاة معلّم الكنيسة العظيم القديس اغوسطينوس اسقف هيبّونه (في الجزائر) . والشعب اليوناني احتفل في ٣ شباط بمرور مائة سنة على توقيع معاهدة لندن بين فرنسة وروسية وانكلترة التي قررت نهائياً استقلال دولة اليونان استقلالاً تاماً . وقد ابتدأ شعب بلجيكة وحكومتها بالاحتفالات بمرور مائة سنة على مناداة بلجيكة بالثورة على حكومة هولندة ، وطلب الاستقلال عنها . وكذلك يستعدّ المصريون للاحتفال بمرور مائة سنة على ولادة اسمعيل باشا ، ذلك الخديوي العظيم ، والد جلالة الملك فؤاد الاول ، والذي عمل الاعمال العظيمة لتشييد عظمة وتمدّن مصر . وهو الذي قال عن بلاده انها لم تعد تحسب من افريقية .

ولا غرو اذا اشرك كل هذه الشعوب الشعب الفرنسوي باحتفالات اعياده الوطنية ، لانه كان لفرنسة اليد الكبرى في كافة الحوادث التي يحتفلون بتذكاراتها ، فتُظهر هذه الامم معرفتها جميل هذا الشعب الكريم وهذه البلاد

التي هي الوطن الثاني لجميع اهالي الارض.

على ان فرنسة تحتفل هي ايضاً بتذكار أولاها المجد، ويجدر بجميع الامم، وبالاخص جميع الشعوب الساكنة شواطي البحر المتوسط، ان يشاركوها في احتفالاته. اعني بذلك مرور مائة سنة على فتح الجزائر. وقد رأينا ان نروي لقرّاء «المشرق» بعض امور تتعلق بهذا الفتح العظيم، وببعض ما اجرته فرنسة في تلك الاصقاع خلال هذه المائة السنة.

انه ليصعب على عقولنا، ونحن نرى الآن عظمة دول اوروبة، ان نتصوّر ما كانت عليه شواطئها والملاحة في البحر المتوسط مدة ثلاثة قرون. فقد كانت شواطئ بلاد المغرب منذ منتهى حدود القطر المصري الى جبل طارق، وعلى الاخص القسم الغربي من هذه الشواطئ، منبعاً للصوص يغيرون بمراكبهم السريعة فينقضون على المراكب التجارية ويستولون عليها، ويستحضرونها بكافة محمولها وركابها الى موانئ بلادهم، فيقتسمون ارزاقها وخيراتها، ويستعبدون من يستبقون من رجالها في قيد الحياة. وهناك تبتدئ حياة التعاسة والشقاء لهؤلاء العبيد، فقد كان اسيادهم يذيقونهم جميع انواع الهوان، الى ان يحسن لديهم امّا قبول الاموال التي تتقدم فديةً عنهم من جمعيات رهبانية اخذت على نفسها الاستعطاء في كافة اوروبة لهذه الغاية، وامّا التلذّذ برؤيا موتهم في وسط العذابات. وكثيراً ما كانوا يسرّون بان يتركوا علامةً في اجساد من يطلقونهم من الاسرى كقطع انفهم او اذنهم، او تعطيل الاعضاء التناسلية فيهم، وبالعموم تشويههم بصورة مريعة. وقد قضى عدد لا يُعد من الوف المسيحيين في اسر ذليل في الجزائر وتونس ومراكش، في خلال القرون الثلاثة التي تنتهي في سنة ١٨٣٠، ويكفينا ذكر الشاعر الاسباني الشهير سرفانتيس مؤلف دون كيشوت الذي وقع في اسرهم سنة ١٥٧٥ وقضى عندهم خمس سنوات، وافتداه الرهبان بستمائة ريال، فاطلقوه مشوهاً. والقديس منصور دي پول الذي وقع في اسرهم سنة ١٦٠٦ وعاد من هناك، بعد ان تمكن من تنصير سيده.

وقد كان حكّام تلك البلاد الناشمون يتلذذون بان يذيقوا جميع الاجانب المسيحيين انواع الهوان، غير محترمين صفة القناصل او المعتمدين السياسيين ولا

الرهبان او الاشخاص المتحايدين . فكانوا اثناء غيظهم ، او حين ما يخطر على بال تعصبهم ، يأمرون بطرح هؤلاء المتمدين بالسجن ، او يرمونهم في افواه المدافع بعد ان يمتدوا على اعراضهم فيستولوا على نسائهم وبناتهم . وقد ظلت اوربة مدة طويلة تحتملة هذه الاهانات والاعمال اللصوصية. نعم ان الامبراطور شارل الخامس (Charles Quint) في القرن السادس عشر ، ولويس الرابع عشر ، على ثلاث مرات مختلفة في القرن السابع عشر ، ارادا تأديب هؤلاء القرصان . الّا ان الاول عاد خائباً ؛ واما الثاني فقد حصل في كل مرة على نوع من التعويض. على ان القرصان كانوا لا يلبثون ان يعودوا الى اعمالهم.

وفي بداية القرن التاسع عشر قصد نابوليون الاول ان يؤدّب والي الجزائر. لكن ضعف قواته البحرية ، ودوام حروبه البرّية مع دول اوربة حالا دون قصده. وهكذا استمرّت دول اوربة تؤدي للداي الجزية سنوياً للحصول على عدم التعدي على مراكبها.

واول من استنكر هذه الحالة دولة الولايات المتحدة. فقد ارسلت اسطولها لضرب شواطئ الجزائر ، وتمكّن اخيراً القبطان ديكاتور من اجبار داي الجزائر على التنازل عن هذه الجزية . وحذت بعد ذلك انكلترة حذوها ، فنال الاميرال اللورد اكسموث في سنة ١٨١٦ ، اعفاء انكلترة من هذه الجزية . امّا فرنسة فكانت منذ سنة ١٨٠٠ في خلاف على حسابات مع بعض رعايا الداي ، واخيراً ادّى ذلك الخلاف الى الحادث الذي كان سبباً للحرب.

أتى المسيو ديفال قنصل فرنسة لمعايدة الداي حسين حاكم الجزائر بعيد الفطر ، في ٢٩ نيسان ١٨٢٧ ، فانتهره حسين مطالباً اياه بالجواب . واخيراً انتهى به الامر الى ان ضربه بمروحته قائلاً له «انه ما من شيء يمنعه عن القائه في السجن» فاجابه ديفال بحدّة : «لا يجوز لك ان تمسني ، ولا بدّ ان ترى كيف يأخذ ملكي بثاري» فصرخ الداي: «اني اخاف ملكك بقدر ما اخافك. اذهب من امامي فانني اطردك» فخرج ديفال وعاد الى فرنسة مع رجال قنصليته على المركب «لابروفنس.»

كانت فرنسة حينئذٍ في عهد الملك شارل العاشر ، ووزارة دي فيلال الشهير.

فاغتاظ الملك لهذا الامر وارسل في ١٥ حزيران اسطولاً مؤلفاً من اربعة مراكب كبيرة ، و ١٨ قطعة صغيرة ، لحصر شواطي الجزائر والتضييق على تجارتها ، ليحمل الداي على الاعتذار. فكان الجزائريون يسخرون بهذا الحصار ، وكثيراً ما ألقت العواصف المراكب الصغيرة على الشواطئ ، فكان يلقي الجزائريون القبض على البحارة ويذبحونهم ويعلقون رؤوسهم على ابواب المدينة.

اخيراً بناء على مداخلة البعض من المتحايدين بان الداي يرغب في اعادة المخابرات ، ارسل قائد الاسطول احد كبار رجاله في تموز ١٨٢٩ تحت العلم الابيض المتحايد ، فدخل مرسى الجه ونزل الى البرّ فتخابر مع الداي بمداخلة وحضور قناصل بعض الدول ، فلم تسفر المخابرات عن شيء . ولما خرج المعتمد المذكور على مركبه « لابروفنس » وهو رافع العلم المتحايد أطلق عليه الجزائريون المدافع رغماً عن قوانين حقوق الدول . ولكن المركب بقي سالماً وظلّ ماخراً حتى خرج من الجه ، بدون ان يجيب بالنار على هؤلاء القرصان. فقرّ حينئذٍ رأي الملك شارل العاشر على ان يأخذ بالثأر . لكنه امام مقاومة الاحزاب المعاكسة تردّد اولاً في ارسال جيش ، فقصد ان يحمل محمد علي باشا حاكم مصر على تأديب الداي واعداً اياه بمصاريف الحملة . وقد ارسلت الحكومة الفرنسوية عشرة ملايين فرنك الى مرسيلية لتسليمها الى معتمد محمد علي باشا . الّا ان هذا الاخير رفض قبول هذه المهمة.

حينئذٍ رغماً عن معاكسة المجلس النيابي والاحزاب المضادّة ، اخذ الملك ووزارته الجديدة باعداد معدّات الحملة. وقد اعلن الملك شارل العاشر سفراءه لدى الدول الاجنبية انه « يريد الاثار لشرف علمه ، والغاء القرصنة واستعباد الاسرى ، وانقاذ اوروبة من ذلّ الجزية التي تدفعها الى بلاد البربر ، وانه مصمّم على عدم طرح السلاح واسترجاع جنوده من الجزائر قبل ان يحصل على مقصده » — فقابلت روسية هذا المشروع بتمام الارتياح طالبة من فرنسة توطيد حالة مستقرة في افريقية تضمن دوام السلام. ووافقتها بروسية حبّاً منها بانشغال فرنسة في خارج اوربة . ولم تبدِ النمسة معارضةً . امّا اللورد ستوارت سفير انكلترة ، فقد اخذ بمقابلة رئيس مجلس الوزراء البرنس دي بولينياك ، الذي

كان وزيراً للخارجية ايضاً ، وغيره من الوزراء ملحاً عليهم بان حكومته لن تقبل بارسال حملة ضد الجزائر ، وتوصل الى مقابلة الملك واعادة تهديداته له والى وزير البحرية البارون دي هوسز . فما اسفرت مداخلاته الا عن فشل تام فان الملك قال له : «فليتحاش الانكليز عن المداخلة بامورنا بقدر ما نمتنع نحن عن المداخلة بامورهم .» وبما انه كان قدم للبرنس دي بولينياك مذكرة تهديدية قائلاً بانها وردت له من حكومته واخذ يلح بطلب الجواب ، قال له البرنس : «اكتب الى وزارتك انك قدمت لي المذكرة وانني لم اقرأها .»

امّا البارون دي هوسز فقد اجابه : « قلت لك مراراً يا حضرة السفير انني لا ارغب المحادثة معك بامور سياسية . واثباتاً لذلك فانني ساستعمل معك عبارات غير دبلوماتيكية فاقول لك : « *Je m'en f.. de l'Angleterre !* » وبعد ان اعطاه جميع التفصيلات عن عدد مراكب النقل والمراكب الحربية التي تحفرها ، وعدد رجال البحر ، ورجال الجيش البري ، وعدد المدافع ، واسماء القوّاد ، والقائد العام ، وتاريخ يوم اقلاع الاسطول ، والطريق التي يسلكها ، ومحل انزال الجيش ، ختم قائلاً : «يمكنك الآن ان تعطي هذه التفاصيل لحكومتك ولترسل اذا شاءت اسطولاً يمنعنا .»

ولمّا انتشر خبر تجهيز الحملة جاء كثيرون من امراء اوربة ورجالها فتطوّعوا في الجيش الفرنسوي مثل البرنس دي شوارزنبرغ النمسوي ، والبرنس دي كارينيان الايطالي ، وغيرهما . وطلب كثير من الضباط السماح لهم بالسفر مع الجيش بصفة جنود بسيطين او برتبة اصغر من رتبهم .

واخيراً في ١٦ ايار ١٨٣٠ ، ابحر الجيش من مياه طولون .

كان الاسطول مؤلفاً من مائة مركب حربي عليها ٢٨ الف بحري بامرة القيس اميرال دي بيدي (وقد كان يقول بعدم امكان نجاح الحملة) وبرفقة ثلاثمائة وسبعة وخمسين مركباً (منها سبع بواخر فقط) تحمل ٣٧,٢٠٠ جندياً وضابطاً وقائداً ، و ١١٢ مدفعاً مقسومين الى ثلاث فرق تحت قيادة الجنرالية لوفردو وبيرتيزين ودي كارس ، بأمرة القائد العام الجنرال دي بورمون الذي كان هو ذاته وزيراً للحربية . وقد ركب المركب لابروفنس ، ورفع عليه

علم القيادة العامة . وبالنظر لمماكسة الارباح ، لم يتمكن الاسطول من الاقلاع الّا في ٢٥ ايار ١٨٣٠ . وبعد وصول الاسطول امام شواطي بلاد الجزائر ، وتردّد رجال البحرية بسبب حالة الجوّ ، صار اخيرًا انزال الجيش قرب محلة سيدي فروش في ١٣ حزيران ١٨٣٠ . وفي ١٩ منه جرت المعركة الاولى بين الفاتحين وبين جيش الجزائر ، وعدده ٢٨ الفاً بقيادة ابرهيم اغا صهر الداي ، فاستولى الفرنسيون على معسكرهم في ستاويلي . ثم انتصروا ثانية في ٢٤ منه في معركة سيدي خالف . الّا ان الضابط اميدي دي بورمون احد انجال القائد العام ، قُتل فيها . وبدأ حصار مدينة الجه في ٣٠ حزيران ١٨٣٠ . وكان الداي عزل صهره ، واسند قيادة الجيش والحامية الى احد رجاله المدعو « ابو مزراق » . وفي ٤ تموز صمتت مدافع الجه وارسل الداي يطلب التسليم بواسطة كاتبه مصطفى اغا ، وحضر معه قنصل انكلترة بصفة خصوصية . فعرض على الجنرال دي بورمون اعطاءه معاريف الحملة والاعتذار عمّا بدا سابقاً بشرط الّا يدخل احد المدينة . فاجابه القائد . على الداي ان يسلّم المدينة ، وان تخضع هذه مع كافة الجنود لحكومة فرنسة ، وانه يتعهد للسكان بحرية المذهب واحترام شعائرهم الدينية ، وتخويلهم الحرية والامان لهم ولعرضهم واملاكهم . واذا لم يوقّع الداي شروط التسليم قبل نصف الليل ، فهو يهدم المدينة .

فتقدمت صورة المعاهدة الى الداي ، فوقّعها يوم الاحد الواقع في ٤ تموز ليلًا . ونهار الاثنين في ٥ تموز سنة ١٨٣٠ ، دخلت الجيوش الافرنسية بصورة رسمية بقيادة الجنرال دي بورمون مدينة الجه التي طالما رأت صفوف الاسرى من افرنسيين واسبانيين وايطاليين وخلافهم داخلين مقيّدين بالاغلال والحديد وسط الجموع المحتشدة لتسخر منهم وتمثل بهم . فاستولوا على القلاع والحصون وجميع المحلّات الرسمية ، واستلموا الخزانة فوجدوا فيها ٤٩ مليوناً من الفرنكات ورُفعت الاعلام الفرنسوية البيضاء المزدانة بالزنبق (علم فرنسة في عهد البوربون) على المدينة والاسوار . ثم سُمح للداي بالمجيء لمقابلة الجنرال ، فأتى ومكث عنده ساعة من الزمان ومما قاله له : « كنت بهذا القدر واثقاً من هلاك من ينزل منكم الى البرّ حتى انني كنت مستعداً لتسهيل نزول

الجيش. لكنّ الله شاء عكس ذلك ، فلكم النصر ! » وقد استأذن بالذهاب مع اسرته وذويه الى ليفورنو في ايطالية ، فاحضر له الجنرال مركباً مخصوصاً. وعند ساعة السفر غيّر فكره ، وبناء على طلبه ، توجّه به المركب الى مدينة نابولي ، وهو يردّد الشكر لحسن معاملة المنتصر له . اما الملك والحكومة في باريس فلم يبلغهما الخبر الّا نهار الجمعة في ٩ تموز ، فقد أرسل القائد العام التقارير الرسمية وبشرى خبر النصر مع المركب سفينكس الذي اقلع من مرسى الجه في ٦ تموز فوصل مرسيلية حيث طيّر الخبر مع التلغراف الهوائي الى باريس. فوصل الخبر للملك شارل العاشر والبرنس دي بولينياك الجمعة في ٩ تموز عند الظهر ، فزيّنت دور الحكومة . ويوم الاحد في ١١ تموز عند الساعة الرابعة بعد الظهر ، أقيمت صلاة الشكر في كنيسة السيدة الكاتدرائية بحضور الملك. وقد انعم الملك على الجنرال دي بورمون بمقام المارشالية.

وانقذ دخول بورمون الى الجه اكثر من الف اسير كانت حكومة الجزائر تستعبدهم في الاشغال الشاقة تحت الارض ، وتحت الاسوار في خنادق باب الواد ، فعادوا الى الحياة والى الحريّة . فيجدر بدول وشعوب اوربة كافةً ان يتخذوا يوم ٥ تموز ، اي يوم دخول الجيش الفرنسوي لمدينة الجه ، عيداً رسمياً شاملاً يشتركون فيه معها بالافراح. لان فرنسة بانتصارها هذا المبين قد انقذتهم من الجزية التي كانوا يدفعونها للجزائر ، وقد انقذت رعاياهم من ذلّ الاسر والعبودية وامّنت حرية البحار . هذا هو الفتح العظيم الذي يمرّ عليه في ٤ تموز الحالي مائة سنة كاملة . وقد ذهب رئيس الجمهورية الفرنسوية في الشهر الماضي الى الجزائر حيث افتتح احتفالات الاعياد القرنية لهذا التذكار العظيم.

قضى الفرنسيون سنين طويلة حتى تمكنوا من اخضاع قبائل وشعوب هذه البلاد الشاسعة المعروفة الآن بمستعمرة الجزائر . وليس هنا المحل اللازم للتكلم عن ثورة ٢٦ و ٢٧ و ٢٨ تموز ١٨٣٠ التي ذهبت بعرش شارل العاشر ، وارسلت الفرع الاول الشرعي من سلالة البوربون الى المنفى . ولم يلبث المارشال دي بورمون ان سلك طريق المنفى باثر سيده ، لكونه رفض يمين الطاعة للعلم المثلّث الالوان وللملك لويس فيليب . فغادر الجزائر في ٢٠ آب

١٨٣٠ ، وكان وصل خلفه الجنرال كلوزيل منذ ١٧ آب. وقد تعاقب حكام الجه حتى سنة ١٨٣٤ حيث عُيّن القائد العام بلقب « الحاكم العام لممتلكات فرنسة في افريقية الشمالية» . وفي سنة ١٨٤٠ سمّي بلقب حاكم الجزائر العام وكان اكبر مناوئي الفرنسويين الرئيس الاعلى للقبائل الوطنية حتى نهاية سنة ١٨٤٧ ، الامير عبد القادر الحسني ، من ولاية وهران ، فقد رأس قوّات المدافعين عن استقلال الجزائر مدة ١٤ سنة ، واضطر في اواخر كانون الاول ١٨٤٧ الى التسليم بين يدي الجنرال دي لاموريسيير.

وفي نهاية سنة ١٨٧٠ تمت اعمال الفتح تقريباً ، فاستبدلت الحكومة الفرنسوية نوع حكومة الجزائر ، وسلّمت السلطة فيها الى حكام ملكيين ، واصبح قائد الفيلق التاسع عشر المقيم في اراضي الجزائر منحصرة مهمته في ادارة الجنود فقط كما في فرنسة ، وصارت رئاسة المستعمرة الى حاكم مدني باسم حاكم عام ، يتبعه حكام ولايات يدعى كل واحد منهم باسم بريفي (*prefet*) كما في فرنسة.

وفي الربع الاخير من القرن التاسع عشر توغّلت الجنود الفرنسية في داخلية البلاد واجتازت اراضي الصحراء ، وربطت الفوطات التي في اقصى البلاد ، في وسيط القفار ، بعضها الى بعض بطرقات بديعة شيّدها الجيش ، فاكملوا بذلك حدود الجزائر كلّها ، وذلك بضمّ القفار المعروفة باسم المزاب (M'zab) . ووضعوا الحاميات في اطرافها بطريقة تضمن امكان اسعافها حين الحاجة ، فتمّ تطويق اراضي المستعمرة من جهة الصحراء.

وانه يضيق نطاق هذه المقالة عن تلخيص اعمال فرنسة في مدة هذا القرن في الجزائر ، فقد كانت تجارتها في ١٨٣٠ لا تكاد تبلغ بضعة ملايين من الفرنكات ؛ اما الآن فهي تبلغ عشرة مليارات. كانت عديمة الطرقات لا يوجد فيها سوى منافذ ومسالك وعرة صعبة ، اما الآن ففيها خمسة آلاف كيلومتر من الطرقات الحديدية ، وخمسة آلاف كيلومتر من الطرقات العمومية الواسعة الحسنة الجيدة.

كانت الجزائر لا تكفي ذاتها في سنة ١٨٣٠ بالحبوب ، اما الآن فانها

تصدر من الحبوب ما قيمته ثلاثمائة مليون فرنك . لم يكن فيها مـا تصدره من النبيذ ، اما الآن فان قيمة ما تصدره من الخمر يبلغ مليارًا ونصف مليار من الفرنكات . كان عدد سكان الجزائر يبلغ مليون نفس تقريباً . ففي سنة ١٨٧٠ بلغ عدد الوطنيين والاجانب مليونين وثلاثمائة وخمسين الفاً . اما في سنة ١٩٢٧ فقـد بلغ الاحصاء الرسمي ستة ملايين وخمسة وستين الفاً ، منهم نحو تسعمائة الف فرنسوي واوربي.

في سنة ١٨٣٠ كان يتردَّد لمياه الجزائر بضع مئات من المراكب التجارية ، وهي جازعة خائفة من سوء المصير نظرًا لاستبداد الحكومـة . اما الآن فان حركـة الاساكل عظيمة جداً فيغشاهـا عشرة آلاف من البواخر والمراكب الشراعية محمولها عشرة ملايين واكثر من الاطنان.

كانت الجزائر تجهل في سنة ١٨٣٠ اعمال البريد والتلغراف ، اما الآن فان فيهـا ٧٠٠ مركز للبريـد ، و ٨٠٠ مركز للبرق ، وعطتين للتلغراف اللاسلكي ، و ١٦ الفاً من طرقات البرق لها ٥٠ الفاً من الخطوط التلغرافية ، عدا خطوط التلفون في داخل الجه وغيرها من المدن الكبيرة.

وبالاختصار فان الجه اصبحت الاسكلة التجارية الثالثة بين اساكل فرنسة ، والثالثة ايضاً بين اساكل البحر المتوسط.

وفي سنة ١٩٢٣ تمّ اجتيـاز الصحراء في السيارة من الجزائر الى اراضي المستعمرة الفرنسوية في غربي افريقية لاول مرّة . وفي النيَّة انشاء خطّ دائم لاتصال ممتلكات فرنسة الافريقية مع الجزائر.

وقبل ان نختم مقالتنا هذه عن الجزائر نقول انـه في ١٨٨١ تسنى لفرنسة ان عقدت معاهدة مع باي تونس ، فدخلت هذه الدولـة تحت حمايتها . ومن سنة ١٩٠٦ الى سنة ١٩١٨ ادخلت سلطنة مراكش (ما خـلا منطقة صغيرة دخلت في نفوذ اسبانيـة) تحت حمايتها . وهكذا اضحى القسم الغربي من شواطي افريقية الشمالية باسره تحت العلم الفرنسوي اي ما يبلغ طوله اكثر من الفي كيلومتر من الشواطي.

تبلغ مساحة الجزائر الآن ٦٧٠ الف كيلومتر مربّع منهـا ٢١٠ آلاف

كيلومتر مربّع تحت الاحكام الملكية مثل سائر ولايات فرنسة بالـذات ، وتبلغ مساحة القسم الممكن الانتفاع منه من اراضي الجزائر نحوًا من اربعمائة الف كيلومتر مربّع .

واما تقدّم الدين المسيحي وانتشار التعليم والتمدن في تلك الاصقاع التي كان يخيم عليها الجهل قبل ١٨٣٠ فحدّث عنه ولا حرج ؛ انشئت المدارس للذكور والاناث في اكثر المدن والقصبات ، وأُعيدت التقسيمات الكنائسية فأنشيء في الجزائر رئاسة اسقفية في الجـه واسقفيتان في وهران وقسنطينة . وتشيدت اديرة الرهبان في انحاء عديدة . وكان للكردينال لافيجري ورهبانه الآباء البيض ، فضلًا عن التراپيست واليسوعيين ، القسم الاكبر من هذه الاعمال الخيرية والتهذيبية . وبالاختصار فان مستقبل الجزائر ، وكذلك القول عن تونس ومراكش ، تحت الادارة الفرنسوية ، يبشر بنجاح باهر . فسيعود مجد هذه البلدان التي كانت زاهرة قبل القرن السابع للمسيح . ولا شك ان المسيحية ستعود الى سابق عزّها وازدهارها هناك . وقد حصلت معاً احتفالات تذكار وفاة القديس اغوسطينوس ، واحتفالات العيد القرني لفتح الجزائر ، مع انعقاد المؤتمر القرباني في مدينة قرطجنة وحضور كردينال فرنسوي ليترأسها من قبل قداسة البابا . ويجدر بنا ان نختم هذه المقالة بالعبارة التي كتبها النائب البلجيكي المسيو ماينهوت على اثر سياحته في الجزائر : « متى عدنا لبلادنا سنقول لمن يريد ان يصغي الينا انه يجب ان نذهب الى الجزائر لنجد احسن مثال للتمدّن . »

وقد برهن الجزائريون عن معرفتهم الجميل ومزيد تعلقهم بفرنسة بهرق دماهم دفاعاً عنها في الحرب العالمية ، فضلًا عمّا اجراه الامير عبد القادر في دمشق سنة ١٨٦٠ ؛ فكلّ هذا يثبت ان فرنسة لا تزال ام المدنية والانسانية ، وانه يحق للمؤرخ ان ينعت اعمالها في العالم خدمة للدين والتمدن ، كما قال مؤرخ الاجيال الوسطى في كلامه عن حروب الصليبيين : « اعمال الله على يد الافرنج »

Gesta Dei per Francos

بلاد البلجيك في مئة سنة

١٨٣٠–١٩٣٠

بقلم الاب لامنس اليسوعي

تحتفل بلجيكة ، هذه السنة ، بالتذكار المئوي الاول لاستقلالها . وما فتئت تلك المملكة الصغيرة تسير بشعبها الحيّ في طرق التقدم والرقي ، منذ ذاك العهد الى يومنا هذا . ومن عوامل التقدم المهمّة ، يلزمنا ان نذكر اولًا الملوك الحازمين الذين مدّت بهم العناية على تلك البلاد ، فساسوها بما اوتوه من بُعد نظر ، وحسن إقدام ، وقوة عزيمة تذلل المصاعب ، حتى اوصلوها الى مكانها العالي . وهم ليوبولد الاول (١٨٣٠ — ١٨٦٥) وليوبولد الثاني (١٨٦٥–١٩٠٩) والبر الاول ، الملك الحالي ، الذي وُلد في ٨ نيسان ١٨٧٥ ، وتزوّج سنة ١٩٠٠ الاميرة اليصابات التي عُرفت في ما بعد باسم « ملكة الرحمة » . وقد كان للحرب الكونية ان تلفت الى الملك البر انظار العالم المتمدّن ، فأعجبت به الشعوب ، واجمعت على تسميته « بالملك الفارس » ، اذ عرفت ذاك الجواب المملوء فخرًا وحماسةً الذي اجابهُ به العدوّ ، في اوائل الحرب ، وقد طلب منه ان يمالئه على غاياته فيحظَ من قدر بلجيكة وشرف مليكها . ولا يزال الملك البر يتابع في ايام السلم ما كان يبذله في زمن الحرب من اهتمامه العجيب ، ومساعيه الدائبة ، وعنايته الابوية في راحة ابناء رعيته على اختلاف طبقاتهم .

كان سكان بلجيكة ، سنة ١٨٣٠ ، لا يتجاوزون الاربعة الملايين . اما اليوم فقد تضاعف عددهم . وليس من بلد في الكون يفوق هذه الدولة كثافةً في السكان ، اي من جهة عددهم بالنسبة الى المساحة . اما المرافق الاقتصادية من زراعة وصناعة فهي في بلجيكة على غاية ما يمكن من الازدهار . فتقدّر رؤوس الاموال الزراعية بخمسين مليارًا . ويبلغ دخل صناعات الحليب وحدها ٣٧٥ مليونًا من الفرنكات ، ومحصول تربية الطيور

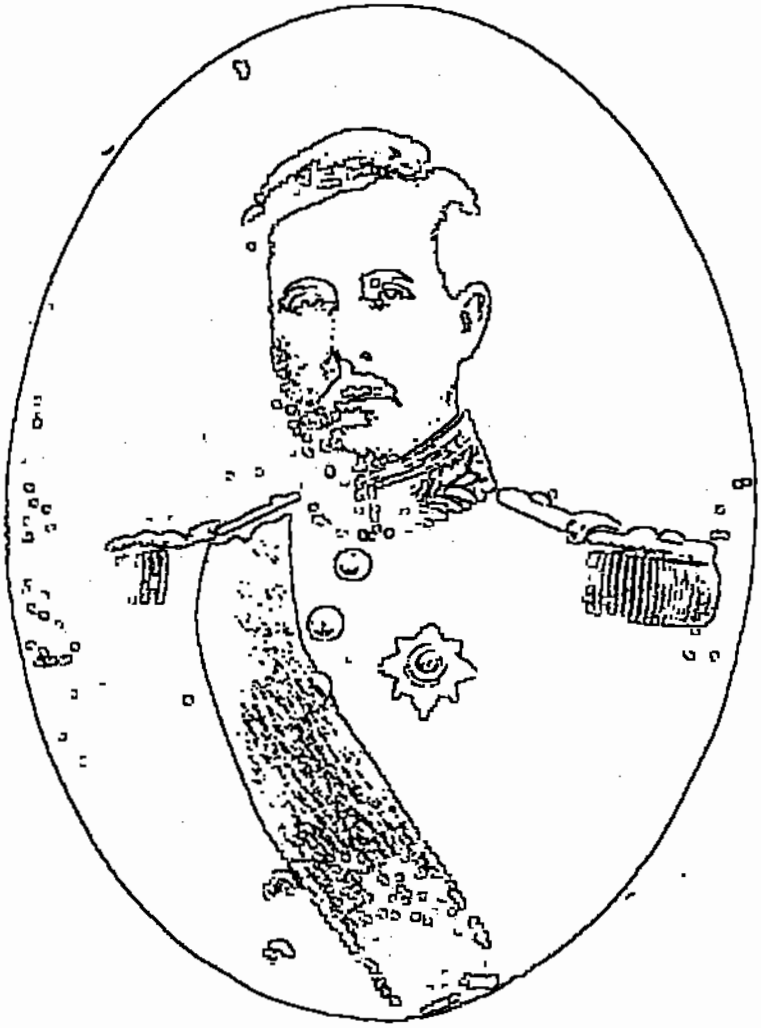

البر الاول

ملك البلجيكيين

١٤٤ مليوناً . وقد بلغ فيها عدد الابقار المختلفة الاصناف ١,٨٠٠,٠٠٠ رأس . وفي ١٩١٠ ، اصدرت ٣٥,٠٠٠ رأساً من الخيل . اما مركزها الصناعي فمعروف لا نفيض بذكره ، بل يكفي القول انها كانت تحتل قبل الحرب الدرجة الخامسة بين الدول الصناعية ، وكانت ارقام تجارتها الصناعية تفوق ارقام تجارة ايطالية والنمسة . ومن المفيد ان نذكر ان ربع محصولات العالم من الصناعات الزجاجية يخرج من معامل بلجيكة . كما ان الحديد والفولاذ البلجيكيين يحتلان الاسواق الاجنبية . فهي تتفوق في صنع الثقيل المتين كما تتفوق في صنع الخفيف القيم . تجمع الى ذلك اوسع شبكة في العالم من الخطوط الحديدية بالنسبة الى مساحتها ، مما يسهل لها طرق المواصلات البرية ، كما تسهل لها ميناء انفرس طرق المواصلات البحرية ، وقد كانت حركة تلك الميناء لا تتجاوز ٥٠٠,٠٠٠ طن سنة ١٨٦٠ ، فبلغت ، سنة ١٩٢٣ ، نحو ٢٣,٠٠٠,٠٠٠ طن .

هذا وينبغي لمن يتكلم عن بلجيكة الّا ينسى الكونغو البلجيكي . فلما اخذت باستعمار تلك البلاد سنة ١٨٨٥ ، كان عليها ان تذلل صعوبات عديدة من جهة توحش تلك الشعوب التي كان بعضها لا يزالون على اكل لحوم البشر ؛ ومن جهة هجمات لصوص العرب وقرصانهم من طلّاب الرقيق المذكر والمؤنث ، فضلًا عن الامراض المتعددة ، ولاسيما مرض النوم الذي لا يزال يفتك بالكثيرين حتى ايامنا . وكان في مقدمة المستعمرين الف ومائتا مُرسل من رهبان وراهبات ، اخذوا على عاتقهم تبشير اولئك الزنوج المساكين . فاقاموا يهذّبونهم ويعلّمونهم طرق الزراعة والصناعات اليدوية . ولم تلبث ان تكللت اعمالهم بالنجاح ، واذا في الكونغو اليوم اكثر من نصف مليون من المسيحيين الوطنيين ، واذا بتلك البلاد تصدر المعادن الثمينة كالذهب والالماس ، فتحتل بلجيكة باصدارها هذا المعدن الاخير الدرجة الثالثة بين دول العالم . اما من حيث اصدار الراديوم فتحتل بلجيكة المرتبة الاولى في الكون ، لان نصف محصول العالم من الراديوم مأخذ من المعادن النادرة المستخرجة من الكونغو .

عنترة التاريخ وعنترة الاسطورة

٥٢٥ ؟ — ٦١٥ ؟

بقلم فؤاد افرام البستاني

استاذ الآداب العربية في كلية القديس يوسف

١

لا نعرف بين وجوه مَن اكتنفتهم هالات الفخر ، واحاطت بهم إطارات العزّ من ابطال الجاهلية ، وجهاً انبل مظهراً ، واشدّ جاذبيـــة لعقول القوم ، فادعى الى اثارة اعجابهم ، واوفر حظّاً باجلالهم ، من ذاك الوجه الاسود اللون ، الصلب العود ، الضخم القسمات ، الغليظ المشفرَين ، الجامع بين عبوسة البطل العنيد ، ولطف الفارس الحليم . حتى أصبح من الصعب على مؤرخ الادب ، اذا تكلّم عن « عنترة التاريخ » ، ان يتخلّص من تلك الخيوط الدقيقة والمتينة التي تحوكها روايات القصّاصين ومعتقدات العامّة حول شاعره ، فتحوّله الى « عنترة الاسطورة » . ولهذا رأينا ان نجتهد ، قبل ان نبدأ درس شاعرنا ، في تحديد كلّ من هذين المظهرين المختلفين ، وفصلهما احدهما عن الآخر ، سواء في حياة الشاعر او في ما نُسب اليه من الشعر .

حياته

عصره

من الشائع في تواريخ الادب ان عنترة توفي سنة ٦١٥[1] ، اي قبل الهجرة بسبع سنوات ، وكان قد أسنّ فتجاوز الثمانين ، على رأي البعض ، وبلغ التسعين

(١) اطلب de Perceval, *Essai sur l'Histoire des Arabes*, t. II, p. 519 — والاب شيخو : شعراء النصرانية ، ص ٧٩٤ . اما من تبعهما من مؤرخي الادب ، فقد اخذوا جميعهم عن الاب شيخو .

على رأي غيرهم ، مما جعل ميلاده حول السنة ٥٢٥ .

اما كون عنترة ادرك من العمر مبلغاً قصياً فهو ما يمكن الاطمئنان اليه بالاستناد الى جميع الروايات[1] ؛ والى ما لا يكاد يُشكّ في نسبته من شعر عنترة نفسه ، كقوله :

فاذا اوهن مراسُ الحرب ركني ولكن ما تقادم من زماني (٢ :

والى ما استنتجه المستشرق بيرون في بحثه عن مقابلة الاجيال[2] ، من ان عنترة كان ، من سلسلة نسبه ، في درجة توازي درجة عبدالله ، والد محمد ، فلزم اذاً ان يكون من مواليد الثلث الاول من القرن السادس. فاذا اضفنا الى هذا ما نعرفه من ان عنترة اشترك في حرب داحس والغبراء التي انتهت بين السنتين ٦٠٨ و ٦١٠[4] ، وانه غزا غزوة كان فيها الحُطيئة الذي ادرك الاسلام وروى لعمر بن الخطّاب شيئاً عن تلك الغزوة[5] ، وانه كان من اقران عمرو بن معدي كرب[6] الذي ادرك الاسلام ايضاً ؛ كانت النتيجة ان شاعرنا من المعمّرين حقاً .

واما وفاته فقد يمكننا حصر زمنها بواسطة ما لدينا من المعلومات ، وان قليلة . نحن نعرف ان عنترة شهد حرب السباق المذكورة وابلى فيها. ثم نعرف ، باجماع الرواة ، انه توفي او قُتل بعد ان كبر وعجز ؛ فمن المعقول اذاً ان يكون عاش بضع سنوات بعد تلك الحرب. واذاً فلا يمكننا الأخذ بقول حاجي خلفا ، اذ يجعل وفاة عنترة « سنةً قبل الاسلام »[7] ، اي نحو السنة ٦١١ . بل يلزم الانحدار بها الى ما بعد ذلك ، الى السنة ٦١٥ التي اشرنا اليها ، ان لم يكن الى ما بعدها ايضاً .

١) الاغاني ٧ : ١٥٣

٢) المبرّد : الكامل ، طبعة Wright ، ص ١٢٥ . وديوان عنترة ، طبعة ابن لورد ، وهي التي نشير اليها دائماً ، ص ٥١ .

٣) A. Perron : *Lettre sur Antar, J. As. décembre 1840, p. 501-503*

٤) راجع الروائع ٢٥ : ب

٥) الاغاني ٧ : ١٥٣ .

٦) الاغاني ٧ : ١٥٣ .

٧) حاجي خلفا : كشف الظنون عن اسماء الكتب والفنون ، طبعة Flügel ، ٣ : ٢٩٨ العدد ٥٨٨٦ .

منشأه

اسمه – أمّه – لقبه

يختلف الرواة والمؤرّخون بحثّ الاختلاف في سرد آباء عنترة، فمنهم من يجعل جدّه شدّادًا، واباه معاوية كابن الكيت[1]، ومنهم من يجعل اباه عمرًا مع الاحتفاظ بشدّاد جدًّا له كابن الكلبي[2]، وابي زيد القرشي[3]. ولكن اكثرهم[4] على انه عنترة بن شدّاد، بن عمرو، او معاوية، بن قراد، احد بني مخزوم من قبيلة عبس، من مُضر. وقد رُوي له، في ديوانه، بيت شعر يذكر فيه اباه شدّادًا وهو

منهم ابي شدّادُ اكرم والـدٍ والامُّ من حامٍ، فهم اخوالي (٥.

على اننا نظنّ ان في صدره تحريفًا مستحدث العهد. اما اصله فهو، كما اورده ابن قُتيبة:

منهم ابي حقًّا، فهم لي والـدٌ، والامُّ من حامٍ، فهم اخوالي (٦.

اما امّ عنترة فكانت أمةً حبشية الاصل، وهو معنى قوله: «والامُّ من حامٍ»، اسمها زبيبة، سباها ابوه في احدى الغارات، فاستولدها عنترة، فاتى حبشيّ اللون، مشقوق الشفة السفلى، فكان يُقال له «عنترة الفلحاء» بصيغة المؤنّث حملًا على تأنيث اسمه، او على قصد «الشفة الفلحاء» اي المشقوقة. على انّ بروكلمان[7] يشكّ في صحة هذا اللقب، لانه يعدّه مدعـاة لاحتقار لم يكن عنترة ليرضاه، وهو الذي وصف، بشيء من العبث، رجلًا اعلم، اي مشقوق الشفة العليا، في معلقته[8]. ولكن هذا لا يمنع كون الرواة مجمعين تقريبًا على

١) التبريزي: شرح المعلّقات، ص ٩٠

٢) ابن قُتيبة: الشعر والشعراء، ص ١٢٠ – والبغدادي: خزانة الادب ١: ٦٢

٣) القرشي: جمهرة اشعار العرب، ص ١٨٨.

٤) اطلب الاغاني ٧: ١٤٧ – والتبريزي: شرح المعلقـات، ص ٩٠ – والجمحي: طبقات الشعراء، ص ٣٥.

٥) اديب مصري: شرح ديوان عنتر بن شدّاد، ص ١٦٤.

٦) ابن قُتيبـة: الشعر والشعراء، ص ١٢٤. وهكذا ورد البيت في شعراء النصرانية، ص ٨٥٣.

٧) Brockelmann, *Antar(a)* - *Encycl. de l'Islam, I, 366*

٨) المعلّقة: ٤٣

الاشارة الى هذا اللقب ؛ وسواء دُعي به عنترة في حياته او لم يُدعَ ، فاننا نراه متناقلاً على الألسن . قال شُريح بن بجير التغلبي :

وعنترة الفلحاء جاء مُلاءَماً كانك فِند من عمامة اسودُ (١ !

وكان يكنى عنترة « بابي المغلّس » ومعناه السائر في الظلام ، اشارةً الى سواد لونه . وعُدَّ ايضاً من « اغربة العرب »[٢] للسبب نفسه . اما لفظة « عنترة » فمعناها واحدة العَنْتَر ، وهو الذباب الأزرق . وقد سمي بها ثلاثة من الشعراء اشهرهم صاحبنا . ثم عنترة بن الاخرس او ابن عكبرة الطائي ، وعنترة بن عروس ، مولى ثقيف . وورد ذكر هذين الاخيرين في حماسة ابي تمام[٣] . وذكر الاول منهما في معجم ياقوت .[٤]

ادعاه ابيه اياه – تأثير سواده

نشأ عنترة عبداً يرعى ابل ابيه وهو لا يكاد يؤبه له ، لما كان من عادة العرب في استعباد اولاد الإماء ، حتى اذا انجبوا ، ادّعاهم آباؤهم ، فالحقوهم بنسب القوم . وهذا ما حصل لعنترة في حديث طويل رواه ابن الكلبي ، وملخّصه ان بعض احياء العرب اغاروا على بني عبس فاستاقوا من ابلهم . فتبعهم العبسيون ليستنقذوا اموالهم . فقال شدّاد لابنه : « كرّ يا عنترة ! » فقال : « العبد لا يُحسن الكرّ انما يحسن الحلاب والصرّ . » فقال : « كرّ ، وانت حرّ . » فكرّ وقاتل قتالاً حسناً . فادعاه ابوه ، والحقه بنسبه[٥] .

وان جواب عنترة لأبيه يدلّ على طموح في نفسه الى الحريّة ، وألم فيها ناتج عن رفض سابق بالاعتراف به . مما يرجّح الحادثة الاخرى الواردة في الاغاني[٦] ، والتي نظنها وقعت قبل هذه المعركة . وخلاصتها ان عنترة كان قد اغار مرّةً مع العبسيين على بني طيء ، فاصابوا نعماً . فلما ارادوا القسمة ،

١) الفضل الضبي : المفضليات ، طبعة Lyall ، ص ٧٨٧ – ونقائض جرير والفرزدق ، طبعة Bevan ، ص ١٠٨ ، وقد ذكر فيها « الثلبي » ، والصواب « التغلبي » .

٢) هم ثلاثة من فتّاك العرب وفرسانهم سمّوا « اغربة » ، ج. غراب ، لسواد لونهم وهم : عنترة ، وخُفاف بن ندبة ، والسليك بن السُلكة .

٣) حماسة ابي تمام ، طبعة Freytag ، ص ٢٠٦ .

٤) ياقوت : معجم البلدان ، طبعة Wustenfeld ، ٣ : ٩١٢ .

٥) الاغاني ٧ : ١٤٦ ٦) الاغاني ٧ : ١٤٩ و ١٥٠

قالوا لعنترة : « لا نقسم لك نصيباً مثل انصبائنا لأنك عبـد.» فغضب عنترة واعتزلهم ، حتى مسّت الحاجة اليه فادّعاه ابوه.

وكان لزبيبة اولاد عبيـد من غير شدّاد ، اسم احدهم حنبل ، فعمل عنترة على الحاقهم بقومه ، بعد ادّعاء ابيه اياه ، كما روى الاصبهاني[1].

على انه ظلّ عرضةً لتهكم الكثيرين من ابناء قبيلته ، ولاحتقار الوجوه فيها ، ولحسد ابطالها وشعرائها ، بسبب سواد جلده ، وعدم خلوص نسبه . فكانوا ، على حاجتهم اليه ، لا يدعون فرصة تمرّ الا اقترصوها لتحقيره والحطّ من شأنه . من ذلك ما قاله قيس بن زهير بعد ان هرب العبسيّون امام بني تميم ، وهو سيّدهم ، فدافع عنترة عن قومه دفاعاً مجيداً ، فما كان من قيس الّا ان قال : « والله ما حمى الناس الّا ابن السوداء ! »

والى هذه الاشارات والتلميحات المؤلمة ، التي تعدّدت كثيراً في حياته حتى استغلّها واضع «سيرته» استغلالاً عجيباً ، اشار عنترة في عدة ابيات من شعره ، منها قوله :

اني امرؤ من خير عبس منصباً شطري ؛ واحمي سائري بالمنصلِ
واذا الكتيبة احجمت وتلاحظت ، ألفيت خيراً من مُعمّ مخولِ

مآتيه

تكاد تنحصر مآتي عنترة في الغزوات المطّردة التي كان يقوم بها على جيرانه من طيء وغطفان وحنيفة ومن اليهم ، وفي مواقف الدفاع الكثيرة التي كان يقفها لدى هجمات الاعداء . لأن غزوات العبسيين المتعدّدة كانت تتطلب ثارات متعدّدة ايضاً ، ولم تكن القبائل المعادية لتتخلّف عن القيام بها . ولعلّ اشهر هـذه المناوشات كانت حرب السباق ، او حرب داحس والغبراء التي ذكرناها بالتفصيل عند كلامنا عن زهير بن ابي سُلمى[2] . وهكذا فقـد قضى شاعرنا حياته ، شاكي السلاح ، على ظهر جواده ، مستعدّاً للطوارئ.

واذا اضفنا الى هذه الحالة المجلبة للفخر والحماسة ، حبّه لابنة عمه عبلة حباً ساد سير المثل ، على ما بينهما من اختلاف اللون والمنشأ ، كدنا نذكر اهمّ

١) الاغاني ٧ : ١٥١ ٢) الروائع ٢٥ : ي و يا

مستبات شعوره ومستدعيات صور خياله. فان اكثر ما قال عنترة من الشعر ، وما نُسب اليه ، ان لم نقل كله ، يدور حول معاركه وبطشه فيها ، وحبه لعبلة واجتهاده في لفت نظرها الى مآتيه العالية وصفاته السامية التي تبرّر في نظره سواد لونه ، وشوائب نسبه ، كما سنرى.

موته

ذكرنا ، في اول هذا الدرس ، اجماع الرواة على كون عنترة من المعمّرين ، ثم استنتجنا انه توفي حول السنة ٦١٥ ، ان لم يكن بعدها قليلاً . اما كيفية موته فاختُلف فيها. واشهر الروايات في ذلك ثلاث ، الاولى منها عن ابن الاعرابي والمفضّل ، وابن حبيب ، وابن الكلبي ، بطريق ابي سعيد السكري ؛ والثانية عن ابي عمرو الشيباني . وكلتاهما تُفيد ان عنترة مات قتيلاً . والثالثة عن ابي عبيدة . وجميع هؤلاء الرواة من مشهوري المطلعين على تاريخ العرب ، فرأينا ذكر اقوالهم ملخّصة كما رواها الاصبهاني[1] وتناقلها عنه الادباء.

الرواية الاولى

اغار عنترة على بني نبهان من طيّء . فاطّرد لهم طريدة ، وهو شيخ فجعل يرتجز ، وهو يطردها ، ويقول :

آثار ظالانٍ بقاعٍ مُحرَبِ

وكان وزر بن جابر النبهاني ، الملقب « بالاسد الرهيص » على قول ابن الكلبي ، في مضيق يرصده ، فرماه ، وقال : « خذها ، وانا ابن سلمى ! » فقطع مطاه . فتحامل عنترة بالرمية حتى اتى اهله ، فقال ، وهو مجروح :

وان ابن سلمى عنده ، فاعلموا ، دمي وهيهات ! لا يرجى ابن سلمى ، ولا دمي !
اذا ما غنى بين اجبال طيّء مكانَ الثريا ، ليس بالمتهضّم !
رماني ولم يدهش بأزرق لهذمٍ عشيّةَ حلّوا بين كَنفٍ ومخرمِ

ولقد صحّ قول عنترة ، فلم يأخذ قومه بثأره. وعاش قاتله ، وزر بن جابر ، الى ما بعد الهجرة ، فكان احد الموفدين من قبل الطائيين الى محمد حوالي السنة ٦٢٩[2].

---

١) الاغاني ٧ : ١٥٣

٢) النويري : غاية الارب – ذكرها Perceval, *op. cit. t. II. p. 520*

الرواية الثانية

ذكرها ابو عمرو الشيباني ، وملخصها ان عنترة غزا بني طيء مع قومه . فانهزمت عبس . فخرَّ عن فرسه ، ولم يقدر من الكبر أن يعود فيركب . فدخل دغلاً . وابصره ربيئة طيء ، فنزل اليه . وهاب ان يأخذه اسيراً ، فرماه ، فقتله .

الرواية الثالثة

عن ابي عبيدة ، مفادها ان عنترة كان قد أسنَّ ، واحتاج ، وعجز لكبر سنه عن الغارات . وكان له على رجل من غطفان بكر من الجمال . فخرج يتقاضاه اياه . فهاجت عليه ريح ، وهو بين ماءين لعبس اسمهما شريج وناظرة ، فأصابته ، فمات في الطريق . ونقل عن ابي عبيدة ايضاً « ان طيئاً تدعي قتل عنترة ، ويزعمون ان الذي قتله الاسد الرهيص ، وهو القائل :

انا الاسد الرهيص قتلتُ عمرًا وعنترة الفوارس قد قتلتُ ! » (١

وعندنا ان البيت مصنوع ، صُنع ليدعم الرواية الاولى التي مال اليها اكثر الادباء ، لاسيما بعد ان وُضعت « سيرة عنتر » واختار واضعها الاسد الرهيص قاتلاً لبطل قصته ، بعد ان غيَّر في الحادثة وبدَّل .

ومهما يكن من الأمر ، فان المستخلص من الروايات الثلاث اتفاقها على ان عنترة شاخ وضعف ، فكان عجزه سبباً مهماً في موته . وليست الرواية الثالثة التي تصوّر لنا ذاك البطل المقدام ، الذي طالما غزا وسلب فوهب واجزل ، يُصبح عاجزًا عن قيل ما يقيم معاشه ، فقيرًا معدماً حتى انه يتذكر جملاً له على بعض الاعراب ، فيقوم ليطالب به ، فيقطع شقة بعيدة لا يقوى فيها على مقاومة العناصر ، فيموت في الطريق عجزًا وفقراً وانقطاعاً عن القوم الذين طالما ساروا وراءه الى المعارك فربحوا الاسلاب بواسطته ، ليست هذه الرواية البسيطة باضعف تأثيراً ، واقلّ شجىً ، من الاولَيين ، في نهاية حياة ذاك البطل العظيم .

(له صلة)

---

١) البغدادي : خزانة الادب ١ : ٦٢

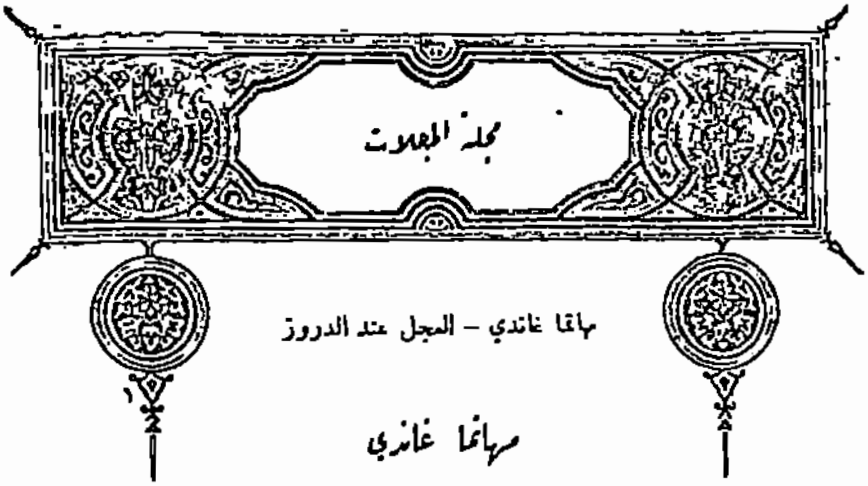

عن المجلة العامة الافرنسية « *La Revue Universelle* » ، ١ ايار ، ١٩٣٠

« عينان هادئتان قاتمتان . انسان قصير القامة ، ضعيف ، ناحل الطلعة ، حافي الرجلين ، ذو اذنين كبيرتين متصبتين ، على رأسه قبعة بيضاء ، وثوبه من القماش الابيض ». تلك هي صورة مهاتما غاندي ، كما رسمها رومان رولان

ان غاندي ينتمي بمولده الى الفئة الهندية المتوسطة المتعيشة من المتجر . اما منشأه فهو انكليزي ، او يكاد . وقد يشكو لكونه لا يفهم اللغة السانسكرية الا بالجهد . قضى في لندن اياماً درس فيها الحقوق ، وحرّر باللغة الانكليزية المقالات التي نشرها في جريدة « الهند الفتاة » عارضاً فيها مطالبه.

ان الحركة الهندية غربيّة الاصل . وهذه حقيقة اشهر من نار على علم . وقد صدقت في غاندي كما صدقت في سونياتن وفي مصطفى كمال ، فان افكارهم لم تختمر الا بما نالها من افكار الغرب . اما غاندي فقد تعلم على روسو وروسكين وتولستوي . وكان تأثيرهم فيه اشدّ من تأثير كتب الهند المقدسة !

تمخضت آسية ، ردًّا لفعل اوربة فيها ، وولدت فكرة ! واذا بالفكرة . . . اوربية !

ختم غاندي دروس الحقوق وعاد الى الهند وتعاطى مهنة المحاماة . ولم يكشف على ما ايقن به من دعوته الخاصة الا بعد ان طرحته النوى مطارحها سنة ١٨٩٣ في افريقية الجنوبية ، وهي مهجر الهنود المألوف ، يؤمّها الوفهم من ذوي البؤس ويقيمون خاصة في اقليمها المعروف بالناتال.

فلما حلها غاندي ورأى بام العين ١٥٠,٠٠٠ من مواطنيه عمالاً على شواطي البحر واكثرهم في المناجم ، وهم تحت ثقل حكم اشبه بتحكم الاميركان في الجنس الاصفر في كاليفورنية ، تفتحت عيناه ، وتبصر في مشكل الجنسيات ، وعقد العزائم على صرف حياته في تنبيه عاطفة الحزم في الشعب ، وبعث وجدانه القومي الى الحياة . فمثل في افريقية دوراً أهبه للدور الثاني الـذي اخذ يمثله اليوم في بلاده امام العالم.

آلى على نفسه الملاينة والحلم في النضـال . فلن يخوض معركة ولن يحمل سلاحاً ولكن يتذرع بالوسائل السلبيـة بلوغاً لمأربه وذلـك بالاضراب عن العمل ، وبالحث على مهاجرة المدن . ودام جهاده السلمي عشرين سنة ، الى ان سلمت انكلترة بمطالبه فابدلت سنة ١٩١٤ بعض بنود النظام المجحفة بحقوق المهاجرين الهنود . ورجع غاندي الى بلاده فظهر فيها رشيداً وقـائداً تجسمت فيه حقوق الامة ومطالبها .

وفي السنة ١٩١٤ نشبت نيران الحرب المسكونية ، فناصر غاندي انكلترة ودعا مواطنيه الى التجند ولم يشك بامكان التآلف بين استقلال الهند وكيانها ضمن الامبراطورية البريطانية . ولعله علـل نفسه بان «تهب انكلترة الهنـد استقلالها عفواً ووفاء بالمعروف» ولكن الانكليز ضيقوا على الهنـد في اواخر الحرب فخابت الآمال وهاجت الخواطر ، وساعد على توتر الاحوال استيـاء المسلمين من ازمة الخلافة فانضموا الى البراهمة وانفسح مجال العمل لغاندي.

واعلم ان الهند هي ارض الاديان منذ القدم . فتذرع غاندي بالعاطفـة الدينية ، ودعا الناس الى اقامة يوم يصومون فيـه اجمعين (٦ نيسان ١٩١٩) فحدث انفجار واضطراب قبض في اثنائه على غاندي ، واحتج الناس ، فاطلق سراحه .

وعُقد المؤتمر الهندي الاول (٣٠ حزيران ١٩٢٠) في الله اباد وقُرر مبدأ «التنحي» (*noncooperation*) وتصدى الشعب الهندي في ناتال لصوت المؤتمر وضخمه . فصودرت البضاعات والمدارس والادارات الانكليزية مصادرة عامة مدهشة .

فاستنبح غاندي الفرصة لزرع التعاليم التي استغل بذورها من مطالعاته روسكين وتولستوي ، وحث على مقاومة « الماشينيم » (او عادة الافراط بالاستعاضة عن اليد العاملة بالماكنات والمغالاة بتقدير منزلة الاجهزة المادية) وعلى العودة الى الصناعة الهندية ، ولبس النزل الهندي وحذا حذوه الهنود ونبذوا الانسجة الاوربية .

ورفع غاندي علم الاصلاح وشان على الامة انقساماتها طبقات متنائية وظلمها لطبقة « الباريا » السفلى ودعا الهنود والمسلمين والباريا الى السلام والوئام ، وبلغ منه حسن ظنه بالمستقبل ان عرض عليهم اجمعين توفيقهم بالمذهب وتوحيدهم في الدين . واعلن ذاته تلميذاً للمسيح ولبوذا معاً .

وليس نفوذ غاندي في السياسة دونه في الحياة الاجتماعية وهو ثاقب الرأي محنك ، يخاطب الناس طبقاً لاحوالهم ولمقتضيات الظروف . وان يكن يدعو دوماً الى الملاينة والى السعي في خير الانسانية جماء فلن يحجم عن اهاجة عاطفة التحمس والوطنية الصميمة في من يراهم ميالين الى العنف والقتال من امثال شعب « السيخ » ذلك ما دعا ببعض الناس الى الاعجاب « بنفسية غاندي الخصيبة » اما نحن فلا نرى من ثم داعياً للاطراء وندعو تاونه «استنباح الفرص في حينها» (*opportunisme*) .

وفي السنة ١٩٢٩ عقد مؤتمر نغبور وايد مبدأ غاندي بعدم استعمال العنف والشدة . فاجابت الحكومة بالقوة والقمع . فدعا غاندي مواطنيه الى الخروج عن الطاعة المدنية . واعلن ان الشرائع الانكليزية لا قوام لها ان لم تلبّ طلبات الهند . وقرر الاضراب عن دفع الضرائب .

فاكترثت انكلترة للحوادث . وفي تشرين الثاني ١٩٢١ حل الهند البرنس اوفولس . فانهارت الاحتجاجات واضطرمت الفتن ، وقامت الساعة .

ولعل غاندي اراد مراعاة حرمة وليّ العهد البريطاني ، او خاف على ذاته تبعة الحوادث ، فاوقف تيار المقاومة ، وسلك تلك الخطة ايضاً في السنة التالية عند مقتل رجال الدرك الانكليزي في شوري شورا ؛ لكن سياسته الحذرة سوء المنبات لم تحل بينه وبين السجن مرةً اخرى . فحبس ومرض واقلق الرأي

العام فافرج عنه وعومل انصاره بالتساهل فتراخى عن التقيد بالاضراب المدني وساهمهم في اشتراكهم باللجن التشريعية .

فنال ما نال من علوّ المكانة ونفوذ الكلمة ، ووقف بوجه الحكومة الانكليزية وقفة الزعيم المطاع الى ان تطوّرت الحركة الوطنية وتفرقت طرائق في مبدأ « الملاينة والحلم » فتنحى غاندي عن السياسة (١٩٢٦—١٩٢٩) ثم عادت الحوادث واخرجته عن عزلته الى ميدان جديد.

في تشرين الثاني ١٩٢٩ تعدى احدهم على نائب الملك . فبادر غاندي وشنع الجريمة وفاز بجذب اصوات المؤتمر الوطني الى رأيه ، ببعض الاكثرية . ثم هاج الشعب وماج وتحدث عن الاستقلال وتحمس فاعلن العيد الوطني الرسمي (٢٦ كانون الثاني) رغماً عما كان المؤتمر قد قرره من عدم قطع العلاقات مع الامبراطورية البريطانية.

وفي ٢ اذار الماضي ارسل غاندي الى الحكومة اخطاراً بشقّ عصا الطاعة المدنية ان هي لم تلبِّ طلب الهند وتخولها حق حكم ذاتها بذاتها (*Home Rule*) وفي ١٢ آذار مشى غاندي واتباعه على بومباي ولم يلاقِ مانعاً يوجهه. فاضطربت البلاد وذكرت الصحافيين بايام الثورة الافرنسية اذ اتخذ الشعب من المكس على الملح داعياً للفتنة.

مشى غاندي واينما مشى اقدم متطوعوه على تهيئة الملح وبيعه . اما الحكومة فغضّت النظر وصبرت .

سارت حملة غاندي ولواء السلام معقود على رأسها ، لان زعيمها يأبى الا تحقيق الاماني بالملاينة والحلم والتأني. ولكن تجري الرياح بما لا تشتهي السفن.

انفجرت قنابل في مصافّ الناس ولم تحدث ضرراً يذكر لانها كانت غير محكمة الصنع . ولكن لرماها معاني ؛ لقد دخلت المقاومة السلبية في طور جديد. قد يسود مبدأ الملاينة بلاد بومباي ، اما في كالكوتا فهو في تلاش ، والمعارك اسفرت عن قتلى وجرحى واحراق البيوت . وان للشيوعية الدولية الثالثة يداً خفية في الامر ، وهي التي تضع الخمير في العجين اذا ما عجنته الفتن الاسيوية .

واستاء غاندي من تلك الفظائع وقبحها . وبلغ منه الاستياء الى تهدد انصاره بمقاومتهم ، اذا هم اصروا على التذرع بالعنف توسلاً الى غايتهم . وان اضطرار غاندي الى ذلك الاعلان لامر خطير ودليل منذر بان الفتن لن تكذب اصلها !

عبثاً يضع لها منشؤوها سدوداً ، لانها اذا طفت جرفت كل مانع في وجهها . واذا انهدّ السدّ وطغى السيل ودخلت الحركة الهندية الوطنية طورها الدموي ، فلا سبيل الى معرفة ما تجرّه من الاهوال.

العجل عند الدروز

ذكر « المشرق » (السنة الحالية ، ص ٤٧٦) كتاب الدكتور حتي في « اصول الشعب الدرزي وديانته » ، فقال عن عبادة العجل ان امرها غير محقق عند الدروز .

وتناول سليمان بك ابو عز الدين الكلام في الكتاب المذكور ، فقال عن «خرافة العجل» (في الكلية ، ص ٣٠١) :

« الصقت بالدروز خرافة تنسب اليهم عبادة العجل او الاحتفاظ بتمثاله في صندوق من فضة او ذهب او ما شاكل ذلك . ونظراً لتكتم الدروز في معتقداتهم وتضارب اقوال الرواة في هذا الموضوع خامرت الشكوك بعض الباحثين في معتقدات الدروز . على اننا كنا نظن ان الدكتور حتي الذي عاشر الدروز طويلاً يزيل هذا الشك ويصحح الخطأ الذي وقع فيه الذين تقدموه لان الدروز شديدو النفور من التماثيل ونسبة عبادة العجل اليهم او احتفاظهم بتمثاله باي شكل من الاشكال ولاي غرض من الاغراض مما لا صحة له على الاطلاق . وتعزيزاً لذلك نقول :

١ ان العجل لقب اطلقه الدروز على نشتكين الذي يزدرونه وهو عندهم ابليس الرجيم فهل يعقل انهم يعبدونه وهم يحتقرونه.

٢ ان النصوص الدينية في كتبهم تشير الى عبدة العجل بالهزء والازدراء فلو كان الدروز من تلك الطائفة لما اشير اليهم بالتحقير في كتبهم.

٣ ان الدروز موحدون « وموحدون » هو اسمهم الاصلي وعبادة الصنم نوع من الشرك المخالف للتوحيد.

٤ لو كان الدروز يقدسون هذا الحيوان النافع ويعبدونه لحذوا حذو الهنود فاحجموا عن استخدام البقر وامتنعوا عن اكل لحومها.

٥ لو كان الدروز يحتفظون بتمثال العجل في خلواتهم او منازلهم لوقع في ايدي سواهم[1] . فان عدداً كبيراً من كتب الدروز تسرب الى ايدي غيرهم في اوقات مختلفة . وفي اثناء ثوراتهم على ابراهيم باشا المصري وحكومة الانتداب الافرنسي وقع بعضها في ايدي محاربيهم الذين دخلوا خلواتهم ومنازلهم بغتة ولم نسمع انهم عثروا في تلك الخلوات والمنازل على اي تمثال من اي نوع كان . واذا قيل انهم لم يحتفظوا الا بتمثال واحد وفرض انهم توفقوا منذ اكثر من تسعمائة سنة الى حفظه حيث لا تصل اليه ايدي الغير لكان ذلك التمثال الفرد محجاً يؤمه الدروز بالكتم . اما رواية المستر سيبروك التي اشار اليها الدكتور حتي وهي ان المستر سيبروك استنتج من حديث مع احد مشايخ جبل الدروز وجود تمثال للعجل فهي اما خيالية او استنتاج غير صحيح من حديث مبهم . فقد اجتمع كاتب هذه السطور بالمستر سيبروك في بيروت قبل سفره الى جبل الدروز وبعده واوضح له سخافة نسبة عبادة العجل الى الدروز ولم يذكر المستر سيبروك حينئذ شيئاً عن حديث مع احد مشايخ جبل الدروز في هذا الموضوع.»

هذا وقد اخذنا عن دي ساسي اسطراً بثّ منها نور على هذه القضية المبهمة. قال في كتابه «ديانة الدروز» (١ : ٢٢)

«تقول العامة ان الدروز في مجتمعاتهم يعبدون الحاكم بصورة العجل ، وعرّف العلامة اولير الناس باثر من امثال ذلك مأخوذ عن متحف الكردينال بورجيا . ولكن السيد فانتور نشر في لندن سنة ١٧٨٦ كتاباً شكّ فيه بكون الدروز ينظرون الى العجل نظرهم الى رمز من رموز ديانتهم ويضعونه موضع العبادة فقال : «لا يمكننا ان نقتبس الّا بصيصاً عن اجتماعات الدروز

١) اكد لنا كاهن قرية من القرى اللبنانية المسيحية الدرزية انه رأى يوماً بين يدي ولد درزي عجلاً صغيراً مصوغاً من المعدن ، فتوصل الى الحصول عليه ، وما مضت ايام الا فقد العجل ولم يدر كيف فقد.

السرّية. وكل ما نعرفه عنها هو انهم يُظهرون فيها عجلاً ويقرأون فيها كتبهم المقدسة ويؤولونها تأويلاً رمزياً تقليدياً اباً عن جد . يزعم العوامّ ان العجل الذهبي هو موضوع عبادتهم ، اما انا فلديّ من الشواهد ما يمكنني من القول انهم يعرضون العجل رمزاً لسائر الاديان الشائعة التي اوشك مشترعهم ان يبيدها ، فليس هو موضوعاً لعبادتهم وكتبهم الدينية تؤيد زعمي هذا ، لانها تارةً تستهجن عبادة الاوثان وطوراً تشبّه دين اليهود والمسيحيين والاسلام بالعجل او بالثور.»

وهذا الكلام هو مصداق الى ما كنت اشتبهه في امر عبادتهم وهو ان العجل الموهوم مؤلهاً ، انما هو رمز ابليس عدوّ الحاكم وخصمه. واني اليوم على اليقين ان عبادة العجل ليست مفروضةً او مباحة طبقاً للتعليم الدرزي الاصلي وتعليم الحاكم ، بل هي امر مستحدث قد ادخله على دين الموحدين احد زعماء البدع المشتقة من الدروز.

ف.ت.

شذرات

ما نقرأه في كتاب صغير

هو كتاب تاريخ الشام من السنة ١٧٢٠ الى السنة ١٧٨٢ للخوري مخائيل بريك الدمشقي الذي نشره مؤخراً الخوري قسطنطين الباشا المخلصي [1] . فما نقرأ فيه مدحاً لاحد حكام دمشق من آل العضم ، سنة ١٧٥٩ ، وذكر حالة النصارى في ايامه . قال الكاتب (ص ٦٢—٦٣) :

« الفقير قرات في تواريخ دمشق منذ حين تسلمتها الاسلام الى هذا الزمان فما رأيت تاريخ يخبر بانه صار لهم عزّ وجاه وسيط وسطوة وذكر مثل مدة العشر السنين الماضية في حكم اسعد باشا ابن العضم فكان اسمه اسعد والسعد يوجهه

١) مطبعة القديس بولس ، حريصا ، ١٩٣٠ ، في ١٦٠ صفحة متوسطة

في هذه السنين الماضية . وسنذكر قليلًا من كثير منها وهو ان النصارى الدمشقيين تظاهروا (برزوا) بملابس مها شاؤا واختاروا رجال ونساء ما عدا الاخضر . واما النسا فكانت تلبس جبب جوخ وصوف جتراري خضر من غير مانع . وكان سباب وبيع وشراء ومكاسب ومتاجر من غير خوف ولا حد . وتظاهرت النصارى بعمارات الدور والقصور والقاعات شيء ما حصل لمن تقدمهم ولا عاد يصير لمن يأتي بعدهم . وكذلك تظاهروا بالخروج الى البساتين والجناين والسيارين رجال ونسا الميلة جميعها وكل جنينة وبستان يوجد فيها خمس عيلات واكثر واقل من رجال واولاد وبنات وخروج العرق والخمر الذي عندهم من غير من يعترضهم احد طول السنة على هذا المنوال وكذلك الزيارات الى صيدنايا ومعلولا والقعود في الدرب والخمر اشكره (جهرًا) من غير مانع.» .

وقال في تاريخ السنة ١٧٢٣ (ص ١٠٠) :

« في هذه السنة شاب نصراني اسمه حنا ابن موسى الله وردة من شدة خلقه — وكان يشرب — لبب لا يذكر خرج من دينه ونطق بشهادة الاسلام فقبضوا عليه اذ ثاني يوم عاد الى دينه وجحد الاسلام وقال انا نصراني . فامر الحاكم بقطع رأسه . وقال للسياف اضرب انا مسيحي وعلى محبة المسيح وايمانه اموت وراح شهيد والله اعلم.»

وهو يذكر خراب كنيسة في بيروت سنة ١٨٦٧ فيقول (ص ٨٩) :

« وفي هذه السنة خربت كنيسة مدينة بيروت في شهر اذار وقد كانت تعمرت جديدًا وبلغت كلفتها ما ينيف عن خمسين الف غرش وكان هبوطها نهار الاحد الثاني من الصوم المقدس في وقت القداس وراح تحت الردم نحو ماية انسان رحمهم الله وكانت تلك الايام محزنة على كافة المسيحيين اولًا لاجل خراب تلك الكنيسة العظيمة ثانياً لفقد المتوفين.»

وفي تاريخ السنة ١٧٥٥ نرى وصفاً لشتاء اشتدّ برده حتى تجلدت « بحرات » الشام ونهر العاصي (ص ٣٥)

ولا يخلو الكتاب من بعض العظات القصصية الطريفة كالحكاية التي يعزّي

بها من ابتُلي بامرأة شريرة ، قال (ص ٢٧) :

« خبر مفيد للصبر وبه تعزية لمن يقع بامرأة شريرة خبيثة . في هذه السنة توفي احد كهنة دمشق وفي ليلة دفنه في آخر الليل اجتاز على المقبرة رجال محليين تبناً فنظروا فوق قبر ذلك الكاهن عمود نور يمتد من السما الى فوق ذلك القبر وسمعوا اصوات وتنغيم ادهشهم وشموا رايحة زكية عظيمة ولما دخلوا المدينة اخبروا بذلك فبحثنا عن الامر وكيف صار هذا فوجدنا انه كان له امرأة خبيثة وشريرة وهو صابر عليها وشاكر الله تعالى فعرفنا ان الله تعالى منحه هذه النعمة من اجل صبره واحتماله لان الله لا يضيع اجر الصابرين وشكر الشاكرين . »

فنشكر لحضرة الناشر الفاضل اهتمامه في سبيل التاريخ .

قمم الدخان

افتتحت بلجيكة مؤخرًا ، بمناسبة الاحتفال بمرور مائة عام على استقلالها ، معرضاً عاماً في مدينة انفرس . فكان من الشركات العارضة مصنوعاتها شركة شهيرة للدخان . وبلغ ما تخرجه من معاملها في الاسبوع الواحد ٨٠,٠٠٠ كيلو من التبغ المعدّ للغليون . وهو مقدار عظيم اذا وُضعت علبه واحدة فوق واحدة تألف منها قمة هائلة تبلغ ٢٧,٠٠٠ متر او ما يفوق اكثر من ٥ مرّات علوّ الجبل الابيض في الالپ ، وتسع مرّات علوّ اعلى قمة في لبنان .

علم الطب وعجائب لورد

القى الطبيب هنري مونيه مؤخرًا أطروحة في جامعة باريس موضوعها : « درس طبي عن بعض أشفية حصلت في لورد » وهي المرة الاولى التي يجري فيها الكلام عن مثل هذا الموضوع امام علماء الجامعة الباريسية وقد بيّن الخطيب العالم في بحثه ان تلك الاشفية لا يمكن تعليلها بالقوى الطبيعية المعهودة حتى الآن اية كانت ولا سبيل الى انكار انها مفعول ما يوحي به الايمان المسيحي . وقد استحقت اطروحة الطبيب مونيه لصاحبها من اللجنة الفاحصة ثناء طيباً .

مطبوعات شرقية جديدة

L. A. Waddell: The Makers of Civilisation in Race and History. *(in. 8°, LVI-646 pp., 35 planches, 5 cartes, 168 fig. London, Luzac a. C°, 1929. 28 sh. net.*

صنّاع المدنيّة في العنصر والتاريخ

نشكر للسادة لوزاك وشركاه هذا المجلد الضخم ، الفريد في نوعه ، الذي اظهروه باجمل ما يمكن من الطبع والتنسيق فاستحقوا التهنئة .

ان المؤلف استاذ اللغة التبتيّة في جامعة لندن ، وقد اهتمّ كثيرًا في السنين الاخيرة بالشؤون الخاصة باصل المدنيّات ، ونشر عدة ابحاث احدثت استغرابًا شاملًا في محيط الاختصاصيين . وكان ان حدث مؤخرًا أمر اعاد لهمة المؤلف ولمخيلته نهضتها السابقة ، الا وهو الحفر في وادي الهندوس ، في محلتي مُهنجو دارو وهرابا ، الذي كشف آثار مدنيّة عريقة في القدم لم يفكر بها احد حتى اليوم . وبين تلك الآثار اختام عليها علامات كتابية ، شُبهت حالًا بالخط السومري القديم . فسار المؤلف مستندًا الى هذا الشبه السطحي ، فجعل للعلامات الجديدة قيمة العلامات السومرية ، حتى انه ادّعى حلّ جميع النصوص الموجودة على الاختام ، ذاكرًا انه اكتشف سلسلة اقدم ملوك الهند منذ الالف الرابع قبل المسيح ! ثم بعد ان قابل هذه الاسماء باسماء مشهوري المدنيات القديمة في ما بين النهرين ، وآسية الصغرى ، ومصر ، توصّل ، في زعمه ، الى الوقوف على علاقات تاريخية وعنصرية ولغوية بين جميع هذه البلدان ، والى وضع مقابلات توقيتية مكنته من القول ان العالَم السومري والعالَم الهندي القديم يتحدّران من عنصر واحد ، وكذلك العالَم المصري الخ . . . حتى ان حتوري نفسه يصبح آري الاصل ، وكذا القول عن الفنيقيين ! فتكون النتيجة ان اعمال المؤرخين حتى اليوم كانت كلها ضلالًا في ضلال ، وانه من الضروري تغيير نتائجهم كلها . فلم يظهر الساميون في التاريخ الا مؤخرًا ، وكل الشعوب الاوربية

متحدّرة عن السومريين والفنيقيين. اما الابجدية الفنيقية فهي متفرّعة عن ابجدية هذه الاختام الهندية.

هذا ملخص نظرية المؤلف. اما تفصيل تلك الغرائب التي اسهد جفنه في سبيلها فاننا نحيل المطالع الى الكتاب نفسه فيقف عليها، ويرى انه يمكننا ان نشبّه هذه الطريقة، في بعض نقاطها، بطريقة الكاهن الفرنسوي بوريار (Pourrière) الذي «اكتشف» منذ عشرين سنة تقريباً ان تشتّت سبط دان كان اصلاً لجميع الديانات الوثنية؛ ويمكننا ان نشبهها ايضاً بطريقة كتاب تخادور (Cejador) في اللغة والمدنية الايبرية الذي تكلمنا عنه مؤخراً.

(العدد الماضي من «المشرق» ص ٤٧٣) س.ر.

Massignon (L.) : Recueil de textes inédits concernant l'histoire de la mystique en pays d'Islam. [*Collect. de textes inédits relatifs à la mystique musulmane, t. I*] *in*-8°, 259 *pp. Prix :* 125 *f*. *Paris, Geuthner*, 1929.

مجموعة نصوص غير منشورة تتعلق بتاريخ الصوفية في بلاد الاسلام

ينشر السيد ماسينيون، في هذه المجموعة، كلّ النصوص العربية والفارسية والتركية التي استقاها وترجمها لتأليفه النفيس في صوفية الحلّاج. واكثر هذه النصوص مما لم يكن سبق نشره، وقد اضاف اليها المؤلف نصوصاً اخرى تتعلق بمشاهير الصوفيين. فكان من كل ذلك مجموعة اسانيد قيمة تسهّل على الدارس ان يلقي لمحة سريعة شاملة على تاريخ هذه العاطفة الدينية في الاسلام. فيتعرّف الى شخصية كل صوفي بمفرده، بفضل المعلومات المختصرة عن حياته والمركز الذي يحتله في العالم الصوفي وتطوّره، مما يجعل للكتاب قيمة خاصة ونزيد شكر جميع دارسي الاسلام للسيد ماسينيون. ه.ل.

Paul Joüon S. J. : L'Evangile de Notre Seigneur Jésus-Christ, *traduction et commentaire du texte grec.* [*Collect. Verbum Salutis, n° V*]. *Paris, Beauchesne*, 1930, *in*-16° *XXIV*-620 *pp.*

انجيل سيدنا يسوع المسيح

ان هذه الترجمة الجديدة للاناجيل الاربعة، والحواشي النحوية واللغوية التي

ترافقها ، لهي خير تتمة للشروح الاربعة التي ظهرت قبلاً في المجموعة نفسها « *Verbum Salutis* » من اقلام الآباء هوبي (Huby) ودوران (Durand) وثالنسن (Valensin) . ومع ما هي عليه من التدقيق العلمي الخاص بقسم الباحثين ، نرى انها تفيد الكثيرين من الوعاظ ، والمتأملين ، ومطالعي الاناجيل ، اذ تسهل لهم ان يفهموا ، حق الفهم ، ما اراده الكاتب الملهم بتعابيره اليونانية . على حضرة المؤلف الفاضل يميل نوعاً ما عما يعتقده الكثيرون من أن لغة الاناجيل اليونانية هي اليونانية الجارية العادية ، وهي يونانية المخطوطات البردية المصرية . اذ انه يعتقد بوجوب الانتباه الى اللغات السامية من عبرية وارامية في شرح التعابير اليونانية في الانجيل لان كتبة الاناجيل كانوا يتكلمون هاتين اللغتين ويجتهدون في تقليد طرق تعبيرهما باليد ، في كتاباتهم ، على اسلوب الترجمة السبعينية . ومهما يكن من قابلية هذه الآراء للمناظرة ، فان الكتاب مفيد للكثير من القراء . ب . م .

Preussische Staatsbibliothek. Katalog der Handbibliothek der orientalischen Abteilung. *XIII-573 pp. gr. 8°, Leipzig, Harrassowitz*, 1929.

المكتبة البروسية الوطنية : فهرس المكتبة اليدوية في القسم الشرقي

ان مكتبة برلين من اجمع المكاتب للتآليف المتعلقة بالشرق واموره . الا ان في نظامها نقصاً يسوء جميع من يقصدونها للدرس ، وهو انها تُعير مجلداتها مما ينتج عنه ان المشتغلين كثيراً ما لا يجدون الكتاب المطلوب . فلكي يُتلافى هذا النقص العائق طبعاً بكل مكتبة تُعير كتبها ، رأت ادارتها ، في ما خص القسم الشرقي ، ان تختار عدداً من المؤلفات تمنع خروجها من المكتبة ، فتضعها في ردهة خاصة يمكن لجميع الراغبين ان يدخلوها ، ويطلعوا دائماً على ما فيها من الكتب . وقد بلغ الموجود في هذه الردهة الشرقية ، حتى كانون الاول ١٩٢٨ ، ٤٣٠٠ مؤلف ، في ٧٢٠٠ مجلد . وقد أُضيف في آخر الفهرس الذي نصفه عدد المؤلفات التي وصلت المكتبة ، أوان طبعه ، وهي قليلة .

اما فروع هذه المجلدات فهي : لغات وآداب آسية وافريقية ، وتاريخ

ومدنيات آسية وافريقية الشمالية ، ثم آداب وتاريخ اليهود بعد عهد التوراة.

واما الفهرس فيحتوي : ١ً على مبادئ عمومية ثم بعض الابحاث في تاريخ الكتابة والطباعة ، وتاريخ الآداب ، ومآخذ الكتب والترجمات ، وتاريخ علم الاستشراق: ٢ً على فهارس المطبوعات والمخطوطات في مكاتب اوربة والشرق ، مع تاريخ المكاتب . ٣ً على ذكر المؤلفات في اللغات الشرقية وآدابها ، حسب التقسيم الجغرافي . ٤ً على المؤلفات في التاريخ ، والجغرافية ، وعلم الجنس ، والديانات الوطنية الخاصة . ٥ً على المؤلفات في الديانات العامة وهي : البوذية ، والمانوية ، والاسلام ، واليهودية ، والمسيحية الشرقية .

هذا وان مؤلف الكتاب الدكتور كوتشالك (Gottschalk) وهو مستشار المكتبة (*Bibliothekrat*) ، بذل كل جهده في الحصول على ما يفيد من الكتب ، معتبراً في ذلك سعة الردهة ، وحاجات الدارسين العادية وما شاكل ، فتوفق ، وان لم تكن المؤلفات تامة في الاقسام . على ان القسمين الاولين غنيان بالكثير من المواد مما يدفعنا الى الامل أن المكتبة الوطنية في بيروت تطلب الفهرس الذي نصفه لتطلع على ما ينقصها من المؤلفات . اما مكتبتنا الشرقية ، في كلية القديس يوسف ، فانها ، كمكتبة للعمل والدرس ، تعادل تقريباً مكتبة برلين ، بل تفوقها في بعض نقاط . س. ر.

Dr Kaufmann Kohler: The origins of Synagogue and Church, *edited with a biographical Essay by* A. G. Enelow. *New-York, the Macmillan Co*, 1929. *XL-300 pp. in-16, Prix, 3 dollars.*

اصول الكنيس والكنيسة

كان مؤلف هذا الكتاب من اشهر مثلي النزعة الاصلاحية (*réformiste*) عند الاسرائيليين . وقد توفي في كانون الثاني ١٩٢٦ عن ثمانين سنة ، تاركاً هذا المجلد مخطوطاً . فاهتم به السيد انلو وطبعه بعد ان قدّم عليه ترجمة المؤلف . والكتاب يشمل قسمين مختلفين طولاً ، يختص الاول ، وهو الاطول ، باصول الكنيس اليهودي منذ الرجوع من بابل الى المسيح ، والثاني يختص باصول الكنيسة . ويستند المؤلف في كل اقواله ، ولاسيما في هذا القسم ،

الى مواقف النقد الكتابي الاكثر تطرّفاً ، فيولي اهمية متجاوزة الحدّ لاحد اناجيل الزور المعروف « بانجيل اليهود » . فيخرج تاريخ القرون الاخيرة قبل المسيح ، وتاريخ المسيح نفسه ، وتاريخ الكنيسة في اول ايامها ، وقد اصطبغت بآراء المؤلف الخاصة مع بعض الميل الى المسيحية يدفعه الى ان يناشد الكنيس والكنيسة بان يتحدا في رأي او مبدأ مشترك لا يكون فيه شأن يُذكر للعبادات الطقسية ولا للعقائد . وعلى الجملة فليس الكتاب بالتأليف العلمي المحض ، ولا بالعمل المبتكر . ان هو الّا مراجعة افكار التاهل المعروفة المبتذلة العزيزة على المؤلف وشيعته ، وعلى البروتستانت ايضاً . ب . م .

Baedekers Dalmatien und die Adria, 1929. [*Westliches Südslavien, Budapest, Istrien, Albanien, Korfu*] 322 *pp.*, 37 *cartes et* 34 *plans. Leipzig, Karl Baedeker.* 12M, 50

دليل دلماسية وادرية

ان البلدان المذكورة في هذا الدليل تطوّرت حدودها تطوّراً عظيماً بعد الحرب الكونية مما دفع الناشر الى اظهار المعلومات عنها بمظهر جديد ، فضلاً عن حاجة السيّاح الى ذلك وعددهم يتكاثر في قصدهم تلك الانحاء . والخلاصة ان دليل بيدكر الجديد يقوم بهذه المهمّة حقّ القيام بما فيه من الخرائط والرسوم والافادات ، فهو كالدليل العامّ للبحر الادرياتيكي وشاطئه الشرقي . ج . ل .

Epistolae et logistorici, *in form einer nicht periodischen Zeitschrift gegr. in Jahre* 1926 *von* Prof. Dr. Vasili Sinaisky.

Nos 2-5 : Von Adam bis zu Jesu Christo, 72 *pp. in*-8°

Nos 6-7 : Ueber das Zehnmonatliche Jahr und die chronologische Methode, 28 *pp.* — *Riga* (*Lettonie*), 1927

١ – من آدم الى المسيح
٢ – في السنة ذات العشرة اشهر والطريقة التوقيتية

تظهر سلسلة هذه المنشورات باللغة الالمانية وغايتها الوحيدة ان تبسط نظريات السيد ڤاسيلي سينيسكي ، محرّرها الوحيد ، في مسألة التوقيت في العصور القديمة . وهو يزعم انه يبرهن عن ان السنة عند الرومانيين وغيرهم من

الشعوب القديمة كانت ، طيلة قرون عديدة ، مؤلفة من عشرة اشهر ، او ٣٠٠ يوم على التقريب ، وذلك استناداً الى اشارة ذكرها النحوي سنوريتوس (في القرن الخامس بعد المسيح) والى غيرها من الاشارات . فكان من شأن هذا الاكتشاف ، اذا ما استعمل بشيء من المهارة ، ان يساعده في استنتاجاته فيعرض للمشكلات العديدة الصعبة التي يراها الدارسون في التوقيت القديم من روماني ويهودي ومصري وأشوري ، شروحاً مبتكرة جديدة ، وان لم تكن كافية . على انه بعيد من ان يبرهن حقيقة وجود هذا الحساب عند الاقدمين ، وابعد من ان يدلّ على استعماله طول تلك المدة عند اولئك الشعوب جميعهم . وان ما يأخذ به من الاستنتاجات اللغوية الغير الراهنة ، ومن الاشارات الغامضة ، لا يكفي في البرهان عن هذا الزعم ب . م .

A treatise on The Canon of Medecine of Avicenna by O. Cameron Gruner, M. D. *London : Luzac and C°*

قانون ابن سينا .

هذا اول كتاب يتاح فيه للقارئ الانكليزي ان يتناول مباشرة بنظرة عامة الحالة التي كانت عليها المعارف ، منذ الف سنة ، في طبيعة البدن الانساني وفي الامراض والمعالجات ، طبقاً لتعليم الحكيم الكبير الذائع الصيت في الخافقين ، ابن سينا (٩٨٠–١٠٣٧ م) كتب « القانون » زهاء خمسين عاماً قبل فتح النرمان لبلاد بريطانية ، وما زال كتابه في يومنا مرجعاً تستوحى منه بعض الاراء والافكار التي لا يأباها العلم العصري في تفسير الحوادث الطبيعية على العموم ، وفي معالجة بعض المشاكل الخصوصية المطروحة على بساط البحث والتي لم تحلّ عقدها بعد . ومما يزيد هذا الكتاب رونقاً في اعين القراء انه لا يزال بين ايدي الاطباء الشرقيين مرجعاً يعوّلون عليه في تطبيبهم . وليس قانون ابن سينا كتاب طب فحسب بل هو ايضاً كتاب جامع لمباحث فلسفية كثيرة الفوائد ، لما فيها من النظرات العالية ولما لها من العلاقات مع فلسفة القديس توما الأكويني والفلسفة المدرسية الحديثة ، فضلاً عن طلاوة عبارتها وحسن انشائها . وطبعة الكتاب ممتازة بورقها الصقيل وحروفها الجميلة وصورها وفهارسها المتقنة . ف . ت

الفرائد العلمية

تأليف الارشيمندريت بولطاوس ابراهيم صليبا

المطبعة الكاثوليكية . بيروت ١٩٣٠ ق ١٢ ، ص ١٠١ ، ٤٠ غ سوري

هي منتخبات شعرية ونثرية نشرت اكثرها سابقاً في المجلات . جمعها المؤلف في كتاب واحد حفظاً لها من الضياع. ه . ل .

الروضة الطبية ، لعبيد الله بن جبرائيل بن بختيشوع

عني بتصحيحها والتعليق عليها القس بولس سباط

سنة ١٩٢٧ ، المطبعة الرحمانية ، بمصر (ص ٧٣ ، ق ٨)

عنوان الكتاب يوهم بعلم الطب ، اما حقيقته فهو مؤلف موجز بالفلسفة وعلى الخصوص بعلم الانسان والنفس ف . ت .

الاصول العربية لتاريخ سورية في عهد محمد علي باشا

تولى جمعها ، وضبط قراءتها ، ووضع فهارسها ، الدكتور اسد رستم

المجلد الاول : الاوراق السياسية ، ١٢٤٧ ه ؛ المطبعة الاميركية بيروت ١٩٣٠

بلغ قراءنا (المشرق ٢٦ [١٩٢٨] : ٤٣٧—٤٤٠) ان الدكتور اسد رستم عزم على نشر كل الوثائق الاصلية المتعلقة بحروب ابراهيم باشا في سورية . وها هوذا المجلد الاول من مجموعته ، وفيه الاوراق السياسية مرتبة طبقاً لزمان ظهورها من ١٢ حزيران ١٨٣١ الى ٣١ ايار سنة ١٨٣٢ . وهي نشرة بديعة في ١٣٩ صفحة من الورق الجميل من القطع المثمن الكبير ، راعى فيها صاحبها جميع حقوق النشر الحديث ، فاصبحت مثالاً وقدوةً لكل من شمر في الشرق بالدعوة الى نشر المخطوطات . لكل وثيقة منها توطئة قصيرة تدلّ على مؤلفها وتاريخها ، وعلى حجمها ، ونوع ورقها ، ان كانت لم تنشر بعد.

وتلو التوطئة ، نصّ الوثيقة بحرفه ، من غير زيادة ولا نقصان ، على اغلاطه وعباراته العامية حيث وقعت . وقد يعسر على القارئ ان يتصوّر ما اقتضته تلك المجموعة من الاسفار والنفقات ، فضلاً عن مشقات المؤلف ومتاعبه

بعرض الآثار المذكورة بالرغم ممن يطرحونها مأكلاً للسدود ولا يبأون بما يعود فيها من المنافع على المؤرخين في الغد. فرحباً بالكتاب ، وان شاء الله فسوف تتلوه سائر المجلدات بالقريب العاجل ه : ل.

دليل بكفيا

نشرته لجنة الاصطياف في بكفيا ، لبنان
مطبعة العلم ، بيت شباب ، ١٩٣٠ ، ١٢٨ ص. صغيرة

لقد اجتمعت في هذا الكتيب الصغير أشهر اقلام البكفاويين من السودا ، الى الجميل ، الى المنذر ، الى سواهم متسابقين في الاشادة بذكر وطنهم ومناخه الممتاز ، ومائه العذب البارد ، ومناظره البهجة ، واهله الكرام ، يزين كل ذلك عدة صور جميلة ولكن لم تظهر كلها واضحة في الطبع . على اننا لا نأسف الّا لامر واحد وهو ظهور هذا الدليل متأخراً نحو الشهر او اكثر ه.ل

شعراء النصرانية بعد الاسلام

القسم الرابع : شعراء القرون المتأخرة مباشرة بالقرن الرابع عشر
تأليف الاب لويس شيخو اليسوعي
المطبعة الكاثوليكية بيروت ، ١١٨ ص . متوسطة

هو الكتاب الذي طالما انتظره دارسو الادب العربي بعد ان اطلعوا على اقسامه الثلاثة الاولى . كان المرحوم الاب شيخو قد نشره في مجلة المشرق سنة ١٩٢٧ ، وانهاه تُبيل وفاته ، وقد جمع فيه ترجمة وآثار نحو الثلاثين من ادباء النصارى الذين نظموا الشعر والزجل في عصر الانحطاط ، من القرن الرابع عشر الى اواخر الثامن عشر ، فاتم به تلك السلسلة الطويلة التي بدأ بها سنة ١٨٩٠ . وان اشهر من يذكرهم المطران جرمانوس فرحات والخوري نقولا الصايغ ، اما الباقون ، وان بدا شعرهم ضعيفاً ركيكاً ، فيفيد ذكرهم لدرس انحطاط الادب في تلك العصور المظلمة ، وللدلالة على ان الروح الشعرية العربية ، ما فتئت حية في صدور النصارى طول تلك المدة . وعليه فسيكون شكر مؤرخي الادب جزيلاً للاب المرحوم . ف.ا.ب

تاريخ الآداب العربية في الربع الاول من القرن العشرين

تأليف الاب لويس شيخو اليسوعي

المطبعة الكاثوليكية ، بيروت — ٢٠٨ ص . متوسطة

وهذا ايضاً من آخر آثار ذاك العامل النشيط ، بل هو آخرها ، لانه انهى صفحاته الاخيرة قبل وفاته بايام قليلة . فلم يكن على المطبعة الّا ان تعدّ فهارسه وتطبعه . وان الذين اطّلعوا على مجلّدي الفقيد في تاريخ آدابنا في القرن التاسع عشر ، يقدرون معلوماته الكثيرة عن حياة الكتاب والشعراء واسماء كتبهم ومكان طبعها ، وعدد مخطوطاتهم ومحلات وجودها ، ونظراته الشاملة في تطوّر الادب العصري ، فيتلقّون بشوق وارتياح هذا المجلّد الجديد الذي يبسط امامهم حركة آدابنا في الربع الاول من القرن الحالي ، والمؤلف يقسمه الى ثلاثة اقسام يدرس في الاول حالة الادب من فجر القرن حتى السنة ١٩٠٨ ، وفي الثاني تطوّر الادب من السنة ١٩٠٨ الى منتهى الحرب الكونية سنة ١٩١٨ ، ويتبسّط في القسم الثالث في درس المظاهر الادبية من السنة ١٩١٨ حتى السنة ١٩٢٦ ، ذاكراً في الكتاب كله نحو الالف شاعر وكاتب ومؤلف ومعرّب من مستشرقين وشرقيين على اختلاف اديانهم وبلادهم ونزعاتهم . مما يفتح امام المؤرخين باباً واسعاً للبحث والتنقيب . والبناء على هذه الاسس التي وضعها الاب الفاضل واسعة متينة ف. ا. ب.

اهم حوادث الشرق في شهر

١٥ ايار — ١٥ حزيران

اسست الممالك الاسلامية في الشرق تشريعها على القواعد الدينية ، وخوّلت الاقليات المذهبية حقّ تطبيق مبادئ دينها وآدابها في احكامها الشخصية . فلم يتساوَ بذلك المسلم وغير المسلم امام الشرع ؛ لكن الجميع قضوا زمانهم في ظل ذلك النظام منذ قرون عدة . وهو نظام الطائفية . ولم تزل الطائفية اساساً

للدستور حتى في يومنا هذا . ولكن الحكومة اللبنانية اخذت ترمي بنظرها الى نظام الشعوب المتمدنة الحديث ، وتبحث في تغيير بنود بعض قوانين الاحوال الشخصية فيما تضطرها اليه تطوّرات الحوادث ومقتضياتها . فلم يجمع اولياء الامر من مسيحيين ومسلمين كلمتهم في الرضى عن التغييرات المنوي اجراؤها . ونشرت جريدة البشير (١٥ ايار) كتاب غبطة البطريرك كيرلس المنبغ الى رئيس الجمهورية اللبنانية طالباً تخويل الطوائف المسيحية الحقوق المخوّلة للمحاكم الشرعية الاسلامية ، وعرض الاستاذ الجسر في المجلس النيابي طلب فئة من المسلمين الرجوع في الامور العائلية المختصة بهم الى احكام الشرع . وان القضية خصية بمشاكل متنوعة ، نسبةً لاتصالها بالمسائل المدنية والدينية ، وعلى الخصوص بالحياة الطائفية ، اذا ما نشب فيها خلاف .

* لم يحجم سيادة المطران باسيليوس قطان عن حلّ المجلس الملي للطائفة الرومية الكاثوليكية في بيروت متذرعاً بقوانين الكنيسة الكاثوليكية المخولة الاسقف ، عن يد الحبر الاعظم ، سلطته التامة في تدبير شؤون ابرشيته بمساعدة من يرى فيهم الاهلية والجدارة لاستشارتهم .

* دعت الكنيسة الارمنية ابناءها للاشتراك في الحفلات الاكرامية للطوباوي غوميداس الشهيد .

* لم يرَ الروم الارثوذكس سبيلاً في حلّ مشكل انتخاب البطريرك الّا بالاستنجاد ببطاركة الطائفة الارثوذكسية اليونانية في الاسكندرية واورشليم والقسطنطينية . ولا ادري هل يتوصلون الى توحيد كلمتهم ، لانهم لا يتقيدون بطاعة البطاركة . على انهم ساروا بموجب مبدأهم القائل باستقلال الابرشيات وطبقاً لذلك المبدأ ناهض السيد نيفون ، مطران زحلة ، القائمقام البطريركي واحتج على دعوته الاساقفة باسم الكرسي الانطاكي لارسال ممثلين من قبلهم الى مؤتمري اتوس ولندن ! — فاحكم على المبدأ من النتائج !

* * *

قام المفوض السامي برحلة في الانحاء السورية متفقداً شؤونها العسكرية والاقتصادية ، فاعجبه ما رآه واثنى على ما يجري في الجهات الشمالية من

تسهيلات المواصلات بمد الجسور وتعبيد الطرق . وتحقق ان المواسم جيدة، وان الجراد لم يكد يؤثر فيها كثيراً ؛ وزار العشائر العربية وعاد مبشراً بالخير والامن . واعلن القانون الاساسي في ٢٢ ايار لبلاد سورية ، والحكومات اللاذقية ، وجبل الدروز ، والاسكندرونة ، ولمجلس المصالح المشتركة.

وُضع الدستور السوري على الشكل الذي اقرته الجمعية التأسيسية السورية ، واضيف اليه تحفظات قضت بها حقوق الدولة المنتدبة وواجباتها ، كما هي ناجمة عن المادة ٢٢ من ميثاق جمعية الامم او صك الانتداب.

ولم تمض ايام على اعلان الدستور حتى تألفت في سورية محكمة تمييز مختلطة واحتلت السلطة الافرنسية منقار البطة (٣ حزيران) وهي المنطقة الواقعة في الجانب الشمالي الشرقي من الجزيرة العليا . فجاء عملها دعامةً للدستور لان من له الحق والقوة والواجب في صيانة الحدود عليه ان يسن الشرائع ، ويحفظ الامن ويدافع عن الارواح.

اما الحكومة اللبنانية فلا تزال مواصلةً اصلاحاتها في سبيل انجاح البلاد : خففت ضريبة التمتع ، وامرت اصحاب الفنادق باعلان قيمة اسعارهم لتحول دون ما يمنع الاجانب عنا ، ونشرت القانون الجديد المختص بزراعة التبغ والتنباك وصناعتهما وتجارتهما وقررت نظام الباندرول. وحذت الحكومة السورية حذوها في ذلك بعد الغاء دائرة الريجي.

ولا يزال جيراننا الفلسطينيون يتخبطون بالمشكل الصهيوني وما من سبيل الى حله وانكلترة تصر على عزمها بالبقاء على وعودها لليهود ، والشعب الفلسطيني يتدرج يوماً فيوماً في سبل المقاومة والدفاع عما يراه ماله الطريف وحقه الموروث . فانصرف الوفد الفلسطيني من لندن بالخيبة ، وتظاهر يهود لندن ونيويورك احتجاجاً على ايقاف حركة المهاجرة.

اما تركية فقد حفظت العهود ، وأجلت عن منطقة منقار البطة ، ولا تزال تسعى في الخروج عن التقاليد الاسلامية فاستعاضت عن المؤذنين بالايذان اللاسلكي ، لكنها لم تحد عن خطتها القديمة في العهد بشؤونها المالية الى الاجانب فسلمت زمامها اختصاصياً افرنسياً.

ف. ت.

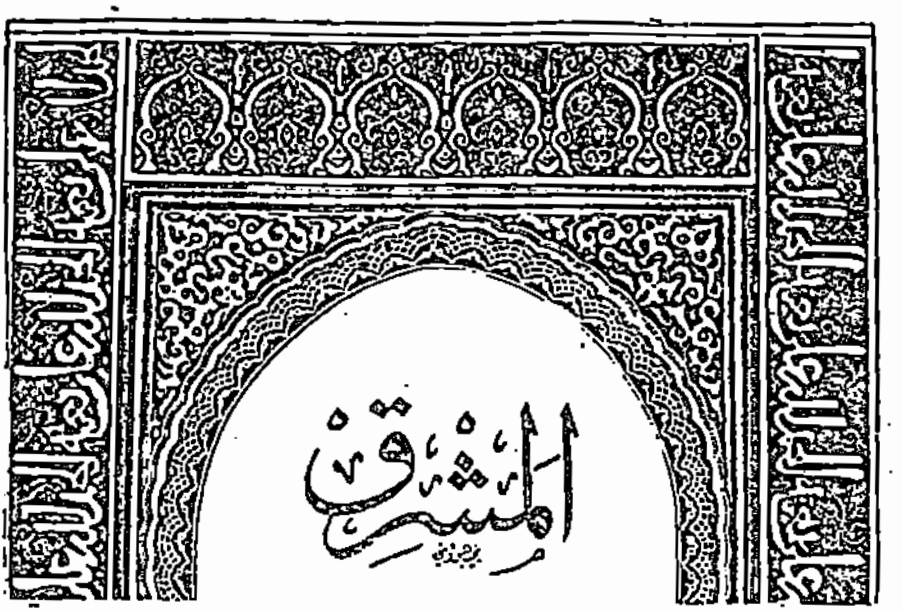

آب وايلول ١٩٣٠

في النعمة : ١

ضرورة النعمة

بدوني لا تقدرون ان تصنعوا شيئاً

(يوحنا ١٥ : ٥)

بقلم حضرة الاب ا . س . مرجي الدومنيكي

من عقائد ايماننا القويم ان الباري عزّ وجل خلقنا ، طبقاً لحكمته الازلية ، لاجل غاية توخاها ، غاية ليست بمآربة لطبيعتنا البشرية ، بل متفوقة على مطلباتها وقواها . وذلك انه تعالى قد اختارنا للحياة الدائمة المتوقفة على الاشتراك في حياته عينها . وحياة الله قائمة في معرفته لذاته ومحبته اياها . فنحن اذن مدعوون لنرى الله كما يرى ذاته ، ونملكه كما يملك ذاته ، ونحبه كما يحب ذاته . تلك هي الحياة الخالدة ، تلك هي الدعوة التي نحن مصطفون لها ، تلك هي الغاية التي يجب علينا ان نتوق اليها . هذا ما قد اعدّ لنا في الديار الابدية ، من فضل الله وفيض كرمه .

لكن هل يا ترى من تأثير لهذه الدعوة في عيشتنا الحاضرة ، في هذه العاجلة ؟ هل ان الله تعالى ، الذي اجتبانا واعدّنا لنيل هذا الاجر ، يمنحنا منذ الآن القوى الكافية للحصول عليه ، او انه يجتزئ بان يطلب منا حسن التصرّف بضميرنا وحريتنا ؟ القصارى ، هل في مقدرتنا ان نصل الى غايتنا القصوى الفائقة الطبيعة بقوانا الطبيعية وحدها ، او انه لا مندوحة لنا من التذرّع بوسائل من جنس هذه الغاية وملائمة لها لنفوز بهذا المرام ؟

هذه هي المسألة التي يتحتم على كل مسيحي ان يعرفها حق المعرفة ، ويوقن بحقيقتها ، لما لها من الخطورة في حياته واعمالها الادبية والدينية . فلننظر اذن فيها ، مستنيرين بنبراس تعاليم الكنيسة المقدسة ، المعزّزة بآيات الكتاب الكريم ، وحجج العقل السليم .

* * *

اذا اردنا الوقوف على حقيقة تعليم الكنيسة ، في صدد هذه العقيدة ، فلنفتح التأريخ الكنسي ، نعلم منه انه في اوائل القرن الخامس ، كانت بيعة الله باسرها في حالة قلق واضطراب غير مألوفة . فقد كان احبارها ، حرّاس قطيع اسرائيل ، ملتئمين في مجمع من تلك المجامع المقدسة التي جاءت ، في كل عصر ، وسيلة فعالة لاثبات الحق والدفاع عن حرية الدين . وكان ملافنتها العظام ، وفي مقدمتهم الكوكبان النيّران : هيرونمس واوغسطينوس ، قد تقلدوا اقلامهم للذبّ عن حياض العقيدة المستقيمة ، بجديد الغيرة والحماسة . مما نجم عنه ان ذاك الاضطراب كان بالحقيقة دليلًا على وجود اخطار محيقة . فما يا ترى كان قد جرى ؟ ان زمن الاضطهادات الدموية كان ، والحمد لله ، قد زال . يوليانوس الجاحد كان قد مات وقبر ، واضمحلت معه اضاليله وقساوته . كان قد مضى نحو قرن على موت آريوس المضلّ الكبير . واما بدعته ، وان لم تكن قد تلاشت تمام التلاشي ، الا انها لم تعد بعدُ ذات خطر جسيم على الكنيسة . فما يا ترى اذن كان قد جرى ؟ اجل ان اريوس كان قد زال من الوجود ، الّا ان اريوساً آخر ، اي هرطوقيًا ، اسمه بيلاجيوس كان قد نهض ناشرًا ضلالًا جديدًا . اريوس انكر الوهية المسيح ، وبيلاجيوس حاول ابطال

نتائج التجسد الالهي . فانه كان يجحد ضرورة نفوذ الله ، بمساعدة علوية ، في امر خلاص البشر ، وذلك ، حسب مدّعاه ، لان الانسان مستطيع ، بمجرّد قواه الطبيعية ، التوصل الى امتلاك الله والتمتع به . ففي هذا الزعم الضلالي رأت الكنيسة الخطر المحدق ؛ فاوجست خيفةً ، فقامت من ثمّ لمناهضة هذه الهرطقة الحديثة ، فرشقتها في مجمعها بسهام الحروم النافذة ؛ معلنةً ، بسلطتها القوية الخالدة ، تعاليم الحقيقة الكاثوليكية الراسخة . وما دافعت عن صوابه ، عصرَ ذاك ، لم تكن لتنفكّ عن المناضلة عنه في كل زمان . ولذا ، فلما قام ، بعد بضعة قرون ، راهب آخر متمرّد ، اعني به لوتيروس ، بائثاً بين القوم سمّ اضاليله ، في صدد هذه العقائد والاسرار عينها ، لم يكن منها الّا ان تذكرت تعاليمها التي اثبتتها في القرون السالفة ، فضربت بسيف الحرم لوتيروس واتباعه ، مؤيدةً ضرورة مساعدة الله للانسان بقوة فائقة الطبيعة ، تمكنه من الوصول الى غايته السامية .

هذه خلاصة تعاليم الكنيسة الكاثوليكية في ذا الشأن . وهي تعلم اليوم ما علّمته بالامس ، وما سوف تعلّمه في مستقبل الايام . وان كان في هذا العصر يقومُ في وجهها اضاليل كما قام في السابق ، فانها لا تُخيفها كما لم تخفها اباطيل الازمان القديمة . وطبقاً لهذا التعليم المقدس ، يجب ان نوقن بان الانسان مسيّر الى غايته الفائقة ، ليس بعون خارجي وحسب ، بل بمبدأ داخلي ملازم لحياة سامية . وهذا المبدأ ما يدعوه اللاهوت : « النعمة المقدسة » . اي الهبة الممنوحة للانسان قصد تقديسه .

* * *

يعزّز هذا التعليم مختلف الآيات الواردة في الكتاب المقدس . فقد قال الرب له المجد : « بدوني لا تقدرون ان تعملوا شيئاً . » وقال مار يوحنا الرسول في مفتتح انجيله : « في البدء كان الكلمة ، والكلمة كان عند الله ، والله كان الكلمة . كان هو النور الحقيقي الذي ينير كل انسان آتٍ الى العالم . الى خاصّته جاء وخاصّته لم تقبله . اما الذين قبلوه ، فاعطاهم سلطاناً ان يكونوا ابناء الله . » وكتب في رسالته الى المسيحيين الاولين : « انظروا اية محبة منحنا

الآب ، حتى ندعى ونكون ابناء الله . » وقال مار بولس الرسول في رسالته الى اهل رومة : « وجميع الذين يقتادون بروح الله هم ابناء الله . » وعليه فبالنعمة نضحي اولاداً لله ؛ مما ينجم عنه ان النعمة قوة تشرك الانسان في طبيعة الله . وهذه النتيجة تظهر باجلى بيان اذا دققنا الفحص في سر التبني الالهي .

كيف يا ترى نحن ابناء الله ؟ مما لا شك فيه اننا لسنا ابناء الله بالولادة الازلية . لان مار بولس الرسول يسأل في رسالته الى العبريين قائلاً : « لمن من الملائكة قال قط : انت ابني وانا اليوم ولدتك . وايضاً : انا اكون له اباً وهو يكون لي ابناً ؟ » فلله لم يكن ، مدى الازلية ، الا ابن واحد ، اي ذاك الذي قال عنه مار يوحنا الحبيب : « في البدء كان الكلمة ، والكلمة كان عند الله ، والله كان الكلمة . » لان حصول الله على ابن بهذا المعنى يستلزم اقامته لذاته مثيلاً معادلاً ، وانشاءه فيه جميع الخواص الطبيعية ، والحقوق الناجمة عنها . فلو كنا ابناء الله من هذا القبيل ، لصرنا آلهةً بالطبيعة ، وبطلنا ان نكون خلائق ذليلة . فاذن نحن لسنا ابناء الله بالطبيعة .

على ان اسم الابوّة وحقيقتها لا يقفان عند هذا الحدّ . ولذا فعلينا ان نبحث في النظام البشري ، عن مثال للسُنن الالهية .

من ذات طبع الابوّة ، في الحالة العائلية ، ان تتطلب وجودَ البنوّة الفعلية ، بموجب الشروط الطبيعية . الّا ان لهذه القاعدة شذوذاً ، كما لكل قاعدة . اذ قد يحدث ان شجرة الرجل لا تنالها بركة الخصب ، لاصابتها بالعقم ؛ فيتعذّر عليه اذ ذاك ان يحصل على ثمرة ، يليق به ان يقول لها : « انت ابني وانا اليوم ولدتك . » وهي آفة من اكبر آفات الحياة البشرية التي من ذات طبعها النموّ والتكاثر بالتوالد . فاذا اراد الرجل ، وسالته هذه البؤسى ، ان يعمد الى التسلية وتخفيف وطأة هذه البلية ، بالحصول على ذرية نسبية ، فانه يختار له فرداً من اولاد الناس ، فيقيمه لنفسه ابناً بالذخيرة ، يحبه كما لو كان ابنه بالطبيعة ، فيشركه في حياته ، ويتخيل فيه دمه وصورته وعلائمه ؛ ويطيب له ان يدعوه هذا الابن : « يا اباه » . معنى هذا كله انه ، بمعزل عن البنوّة

الطبيعية ، هناك بنوّة المحبة ؛ تلك البنوّة الناجمة عما يسميه الناس « التبني ». وما التبني ، في عين الانسان ، سوى الاستعاضة عن البنوة بالطبيعة.

هذا ما يصنعه البشر ، وهذا ما يعمله الله ايضاً ؛ لكن لا من باب الاحتياج ، لكونه حاصلاً على ابن مسار له في كل شيء ؛ بل من باب المحبة ، وغزارة الجودة ، وشدة الرغبة في اشراك الخليقة في خيراته . ولذا القى نظرة الى بشريّتنا ، فرأى انه في امكانه ان يقرّبها منه « بالتبني » وتحقق انه بهذا العمل يقدر ان يوجد اخوةً لابنه الازلي . واذ كان قد قال في بدء الخلق : « لنصنعنّ الانسان على صورتنا ومثالنا » ، قال حينئذ : « لننشئنّ لنا ابناء ، ولا تكن صنعتنا الخلقة وحسب ؛ بل لنضف اليها خاصته الابوّة . » فعندها تحركت احشاؤه تعالى ، فاضحى لنا اباً . وهذا هو السرّ الذي كشف لنا عنه مار يوحنا الحبيب بقوله : « والذين قبلوه اعطاهم سلطاناً ان يكونوا ابناء الله . »

فاذا تقرر هذا ، امكننا الاستنتاج بان النعمة هي اشتراك في الطبيعة الالهية ، اجل ان ذلك غير ظاهر جلياً في « التبني البشري » لان المتبني لا يهب لمن يريد تبنّيه الّا حقّاً خارجياً صرفاً . ويبقى الشخص غريباً عن الاشتراك في الطبيعة . يتمتع المتبني مُتبنّاه بغناه ، ويتزله منزلةً خاصةً في عائلته وبين احبّائه ، الا انه يقف عند هذا الحد ، لملازمة النقصان طبيعة الانسان . اما الله فطبيعته خلوٌ من كل نقص وشائبة.

نرى الانسان مالكاً اموالاً خارجةً عنه . لانه عاجز عن القيام باعالة ذاته من داخل ، فيفتقر الى الاستعارة من الخلائق الخارجية عنه قوة ليست بموجودة في داخله . اما الله فهو على خلاف ذلك ، لكونه ينبوع حياته عينها ، والميراث الذي يشركنا فيه هو نفسه التي يتفضّل علينا بمعرفتها ومحبتها . ولهذا وجب في هذا التبني ، ان تضحي النعمة — تلك العطية الفائقة الطبيعة والمجانية — خيرنا وملكنا ، والقوة التي بها يمكننا ان نبلغ اليه تعالى.

ومن شكّ في ذلك ، فليعمد الى الكتاب المقدس ، يسطع له منه النور الباهر . فقد ورد في رسالة بولس الرسول الى اهل رومة ما هذا نصه :

«والروح عينه يشهد لارواحنا باننا ابناء الله. وحيث نحن ابناء فنحن ورثة، ورثة الله، ووارثون مع يسوع المسيح.» فالبنوّة، حسب تعليم الرسول، شيء سابق، والوراثة شيء لاحق. التبني مبدأ، والميراث نتيجة.

وهذا ما يشهد به الروح عينه المفاض فينا. وجاء ايضاً في رسالة الرسول الى العبريين: «اننا مشتركون في المسيح ما دمنا حافظين بداءة القيام فيه ثابتة الى المنتهى.» ويؤيد هذا الكلام قول مار يوحنا الرسول: «كل من هو مولود من الله لا يعمل خطيئة، لان زرعه ثابت فيه، ولا يستطيع ان يخطأ لانه قد ولد من الله.» معنى ذلك ان ابن الله فينا كالثمرة الكائنة في البذر الذي يحويها.

تلك كلها حقائق تدلنا على ما اقتضى لله من الاعمال الحبية، وما اجترحه من العجائب، لجعلنا مسيحيين، اي بشراً معدّين للتمتع ببنوّته. نعم انه منحنا ذاته في سرّ التجسد؛ نعم انه اعطانا نفسه في سرّ القربان؛ الا انه لم يكتفِ بذلك، بل اراد ان يكلل تلك الافعال، بانعامه علينا بقوة الاشتراك معه في المجد والسعادة. ولذا فعند تفرّسنا في النفوس الحاصلة على النعمة، يجدر بنا ان نهتف مع النبي اشعياء قائلين: «قلت انكم آلهة وابناء العلي جميعاً.»

اجل! نحن آلهة ليس لتوقعنا امتلاك الله يوماً فقط؛ ليس لاننا صورته ومثاله لا غير؛ ليس لاستطاعتنا البلوغ اليه بعقلنا وقلبنا وحسب، بل بنوع خاصّ لاننا مدعوون لمشاركته في طبيعته مشاركة عجيبة. ولهذا، فبعد ان بسط الرسول المجتبى، في رسالته الى اهل افسس، مشهد الحب الالهي، في تدابير خلاصنا، قال: «انتم الآن نور بالرب، فاسلكوا كابناء النور.»

* * *

فضلاً عن آيات الكتاب العزيز، تُؤيّد هذه الحقيقة بنور العقل السليم؛ لانه يكشف لنا عن ضرورة النعمة، ودخولها في منهاج تدابير العناية الالهية في العالم.

من شأن العقل ان يدلنا على ان الله بخلقه المبروءات عيّن لها غاية، وجعل

لهذه الغاية وسائل مناسبة في الحياة . وهي سنة مطردة هذا الاطراد ، حتى انه يمكن ان يقال ان الغاية تُعرَف من طبيعة الخليقة . فاذ اراد الله ان يبلغنا الى غايتنا ، انشأ فينا حياةً ملائمة لها . واذ كانت غايتنا رؤيته والتمتع به في الابدية ، وجب ان تكون حياتنا الحاضرة موافقة لحياتنا في الآخرة . ولكي نفهم هذه الحقيقة يتحتم علينا ان نرقى في سلّم الخلائق ، باحثين عن السنن القائم عليها مدار الحياة .

الكائنات ليست على حدّ سواء من حيث التنعم بالحياة . لانها تتدرج في هذه السلّم من الذرّة الدقيقة الى الله ، العظمة بالذات . وبين هذه الدرجات المتفاوتة في الكمال ، تستضيء الموجودات بانوار الالوهية مستمدّة من ينبوعها ماء الحياة غير الناضب . ففي اسفل السلّم نلاحظ المادة وما يجاورها من المواليد المعدنية حيث تكاد تظهر دلائل الحياة . وفوق ذلك النبات ، فالحيوان ، فالانسان ، فالملاك . وفي قمة السلّم نرى الله مستوياً ، سائدًا على كل هذه المبروءات الصادرة عنه بالخلقة . ومما لا ريب فيه ولا مندوحة عنه ان يقابل كل درجة من هذه الدرجات ، درجات الحياة ، عملٌ مناسبٌ لها وخاص بها ، يعيّن حدود الوجود لها ، ويميزها عن الخلائق القريبة منها . الكائن الخالي من الاعضاء يجلب اليه العناصر التي منها يتجمّع قوامه ؛ النبات يحيا بالحياة النباتية ؛ الحيوان بالحياة الحسية . اما الانسان والملاك والله عينه فيحيون بالحياة العقلية . القصارى كل عمل من اعمال الكائنات يجري جرياً مناسباً لطبائعها . وعليه ، فاذ كان الانسان ليس على درجة الملاك من الحياة والكمال العقلي ، وكان الله سبحانه يفوقهما بنوع غير متناهٍ ، نجم ان طريقة التعقّل في الانسان ليست كطريقة التعقّل في الملاك ؛ وتلك الطريقة عينها في الملاك مختلفة عمّا هي عليه في الله .

الانسان والملاك والله يدركون الحقيقة ، لكن الانسان يحيط بها كانسان ، والملاك كملاك ، والله كالله ؛ اي ان الاولين يدركانها بنوع محدود ، والله بنوع غير موصوف ولا محدود . وهذا الفرق في طريقة المعرفة يدلّنا على الكمال المختلف في الحياة التي يتمتعون بها . فاذا كان الامر كذلك ، فما هي الخاصة

الفارقة اللائقة بالله في اعماله ، وماذا يميّزها عن كل عمل ادناها .

الله غير متناهٍ بالطبيعة ، فعمله اذن غير متناه كطبيعته ، طبقاً للمبدأ القائل : تجري الصنائع مجرى الطبائع . وبما ان عمل كل كائن ليس سوى نتيجة قوته الطبيعية المنتهية الى موضوع مناسب له ، وجب ان يكون موضوع عمل الله غير متناهٍ كطبيعته وعمله . فاذن معرفة الله ذاته كما هي في طبيعتها تنشئ الخاصة الفارقة لاعماله ، جلّ شأنه .

اجل ان الانسان يمكنه ان يعرف الله . لكنه يدركه باشعة الجلائق اللامعة في ظلمات قاتمة . الملاك يعرف الله ، لكن بالنور المتناهي الذي منحه اياه الباري نفسه كخاصة فارقة لحياته . فالله وحده يعرف ذاته كما هي ؛ وليس من خليقة في وسعها ان تبلغ الى الحدّ غير المتناهي لهذا الموضوع الوحيد .

فانت ترى ان العقل البشري يثبت لنا هذه الحقيقة ، وبذلك يؤيد تعاليم الكنيسة ، ويشهد لقول السيد المسيح نفسه : « لا احد يعرف الابن الا الآب ولا احد يعرف الآب الا الابن . » ومن ثم قد شجبت الكنيسة الضلال المدّعي بان الخليقة العاقلة قادرة بذاتها ان تبلغ الى الله وتدركه ، كما هو بذاته ، وتتمتع برؤيته .

على انه اذا كانت الحياة الابدية – كما علمنا من شواهد الكتاب المقدس وتعليم الكنيسة – متوقفة ، للانسان ، على معرفة الله ؛ واذا كان حقاً انه يأتي يومٌ فيه تسقط الحجب ، فننظر اليه تعالى وجهاً بازاء وجه ؛ اجل اذا كان كل ذلك حقاً ثابتاً ؛ فكيف التوفيق ، والحالة هذه ، بين هذه الحقائق وبين ما وقفنا عليه بنور العقل من تفوّق الطبيعة الالهية على طور عقلنا بما لا يحدّ ؟

ليس لذلك الّا افتراض وسيلة واحدة وهي ان يرفع الله الانسان فوق طوره ، فيشركه في طبيعته الالهية ؛ وهذا ما تعلّمه الكنيسة الكاثوليكية . لانه ما دام الانسان انساناً ؛ وما دام لا يُبرز الا اعمال قواه الضعيفة ، فلا مكنة له ابداً ان يعلو فوق طبيعته الزاحفة على الحضيض ، لكونه خليقةً محصورة ضمن حدود ضيّقة ؛ ومن ثم ، فالموضوع الذي يبلغه محدود . والسبب في ذلك ان النور معدّ للعيون القادرة على ادراكه . لكن هل يُعقل ان الله

يفيض علينا ذاته ؟ هل يجوز للطبيعة البشرية ان تشترك في الطبيعة الالهية ؟ او ليس ان الله من ذات طبعه قائم في وسط النور الذي لا يصل اليه احد ، اي فوق كل كائن مخلوق او قابل الخلق ؟ او ليس اننا نكون قد انكرنا هذا السمو الالهي ، اذا قلنا بامكانية اشتراك الانسان في هذه الحياة الالهية ؟ اجل هذا حق وصواب ولسنا نجاحديه ، لانه ، والحق يُقال ، ليس من خليقة قادرة ، من ذات طبعها ، ان تشترك مع الله في طبيعته . الله واحدٌ بالجوهر ، مثلث بالاقانيم . وقد كان هكذا منذ الازل وقبل الدهور . بيد انه طاب له ان يأتي الى الوجود بالكائنات التي لم تكن موجودة . خلقها متميزة عنه ، ذات طبيعة ادنى درجةً من طبيعته ، وان كانت صادرةً عنه . هذا هو التعليم الكاثوليكي الذي يؤيده العقل بادلته الدامغة . اجل ! لا نجهل ان هناك قوماً يجحدون هذا التعليم ، لكن ما لنا ولهم ، لندعهم في غيّهم يعمهون ، ولنتمسك بشهادة الايمان القويم ، والعقل السليم .

على انه في ما خلا ميدان هذه العقيدة ، اليس لله من مجال ان يشرك غيره في ذاته ، اي ان يهب نفسه ، لا بمنزلة طبيعة ، لكن بمثابة نعمة تضاف الى هذه الطبيعة ؟ وهل من الصواب القول بعجز الله عن اتيان ذلك ؟ كلا ! ليس هذا من الحقيقة في شيء ، اذ كيف يسوغ هذا المدّعى ونحن نرى الخلائق عينها ، مع كونها ضعيفة ذليلة ، تجري اعمالاً من هذا القبيل . او لا يمكن للبشر ان يهبوا ذواتهم بعضهم لبعض ؟ اجل ! دونك رجلاً يلاقي يوماً من الايام خليقةً شبيهة به ، ضعيفةً مثله ؛ واذ تقع في قلبه موقع القبول ، يوجه اليها هذا الكلام: «ايتها الخليقة المضارعة لي ، لقد شغفت بحبك . فدونك حياتي ، خذيها ، ولتكن ملكك الى آخر نفس من انفاسي ؛ ولنصبح متحدين ؛ ولنكن ، باتحادنا ، سعيدين .» فتجيبه ، وقد شعرت بمثل ما شعر: « لقد قبلت ووافقت عن رضىً وملء مسرّة . » وفي الحال يمنح واحدهما ذاته للآخر دون رجوع . ومنذ ذاك اليوم يحتسبان ذاتهما مغبوطين ، ويشعران بنفسهما قد عظمت وشرفت بهذه العطية المتبادلة ، وانهما قد اكملا ، بالحب ، اعظم عمل من اعمال الحياة البشرية . وبالحق لقد اصابا المرمى ، اذ في نظام الامور

الطبيعية البشرية ، ليس من شيء اسمى واقدس من عمل هبة الذات.

فان كان هذا الحال حال البشرية ، فهل يمكن ان يقال بان الله ليس فيه هذه العظمة ؟ هل يجوز يا ترى ان يكون الله اقل كمالاً وسعادة من خلائقه ، هو الذي منحها الكمال والسعادة ؟ كلا ثم كلا ! هذا مستحيل . لان في قدرة الله ان يهب ذاتـه . وهذا التعليم الكاثوليكي يفيدنا بانه تعالى قد اعطى ذاته ، واعطاها بطريقة اكمل من جميع طرائق البشر . فانه يومَ عزم ان يخلص العـالم ، اتى ذلك العمل العجيب الذي لم تزل الاجيال ، منذ وقوعه ، تجله وتحترمه ، وهو ما نـدعوه التجسّد الالهي ، اي الاله المتأنس ، الاله المتحد بالانسان ، الاله الكلمة الموحّد الشخص ، المضاعف الطبيعة.

فما عمله الله مرةً ، لِمَ لا يمكنه ان يعمله مرتين او ثلاثاً ، او عشرات او مئات لا بل الوفاً ورِبوات ، وان يصنعه في كل زمان ومكان ؟

نعم ان هذا المنح او الاتحاد الناجم عنـه لا يجري باتصال او اشتراك اقنومي ، كما جرى في سرّ التجسد ؛ لكنه مع ذلك لا يخلو ان يكون اتحاداً حقيقاً فعّالاً ، الا وهو الاتحاد بالنعمة المقدسة التي بهـا يهبنا الله ذاته ويرفعنا اليـه ، مشركاً اياناً في حياته . اجل ان الله يتحدنا بطبيعته ، ويتحد بطبيعتنا بنعمته . وهذا ما نشعر به متى كان قلبنا خالياً من الخطأ . وهذه الحياة ، حياة النعمة ، هي استعداد ، لا بل عربون للحياة الالهية الفائقة الطبيعة ، المعدّة لنا في الآخرة . فلنشكر الرب الذي دعانا الى هذه الدعوة السامية ، ولنحرص على العيش في حال النعمة ، حتى اذا مـا ثبتنا في القداسة ، نحظى يوماً بالسعادة الخالدة.

اعلام الرومانتيكيين

مدام دي ستال
(١٧٦٦-١٨١٧)

فرنسوا رينه دي شاتوبريان
(١٧٦٨-١٨٤٨)

الفرد دي فيني
(١٧٩٧-١٨٦٣)

هونوري دي بلزاك
(١٧٩٩-١٨٥٠)

اعلام الرومانتيكيين

جورج ساند
(١٨٠٤—١٨٧٦)

الفرد دي موسه
(١٨١٠—١٨٥٧)

فيكتور هوغو
(١٨٠٢—١٨٨٥)

الفونس دي لامرتين
(١٧٩٠—١٨٦٩)

(عن معجم لاروس)

التذكار المئوي

للرابطة الادبية الفرنسوية (١٨٣٠ — ١٨٥٠)

LE ROMANTISME

بقلم نصرالله واسعد نصرالله

اهم السنين التي تطور فيها الادب الافرنسي سنة ١٥٤٩ و ١٦٣٦ و ١٨٣٠ . ففي ١٥٤٩ نشر دي بللي J. du Bellay كتابه المدعو « *Deffence et illustration de la langue française* » حامى فيه عن اللغة الافرنسية ، ودوّن قواعد خصوصية لكل فنّ من فنونها . وسنة ١٦٣٦ برزت الى الوجود رواية « السيد *Le Cid* » للروائي الشهير كورنيل ، واخيراً سنة ١٨٣٠ مُثلت رواية هرناني « *Hernani* » لفكتور هوغو .

فالكتب الثلاثة المشار اليها ليست مؤلفات سامية فحسب ، بل كانت في طليعة انقلاب جديد في التفكر والاحساس والكتابة .

هاجمت سنة ١٨٣٠ آداب القرن السابع عشر وارادت ان تستبدل بها آداب القرن التاسع عشر . فرأينا ان لا ندع هذه السنة تمرّ دون ان نقول كلمة ، نظراً لمرور قرن كامل على رابطة احصت بين رجالها من الشعراء المتفوقين مَن لا تزال قصائدهم تأخذ بمجامع القلوب فتنعش النفوس سكرى برحيقها .

وقضاء للموضوع حقه نقسمه الى اربعة ابواب نتكلم في اولها عن تحديد او عن تعريف تلك الرابطة ، ٢ً عن اسبابها ، ٣ً عن تاريخها ، ٤ً عن مآثرها . وذلك تتمةً لفائدة القراء بما نضيف الى لغتنا من معلومات قيمة عن آداب الغرب . وقد اصبح من المحقق ان الكاتب العربي المجيد لا ندحة له ، كما شهد غير واحدٍ من علية كتابنا ، عن الاطلاع على آداب الافرنج ، ومن سبقهم من الرومان واليونان .

١

تحديد هذه الرابطة الادبية

يمثل لنا موسه في كتابه « *Lettres de Dupuis et Cotonet* » رجلين صرفا السنين الطوال علها يقفان على تحديد لهذه الطفرة الادبيـة . لكنهما لم يظفرا بطائل . ولعلّ ما فات الرجلين لا يفوتنا.

فاصدق تعريف لهـذه النهضة هو انهـا ثورة في الاحساس ، والفكر ، والكتابة . ومعلوم ان كل ثورة تدفع الشعوب الى التملّص من ربقة قـديم عافته نفوسها ، وسئمته طباعها ، الى جديد طلي تأنس به خواطرها ، وترتاح اليه اميالها . وعليه فكتّاب القرن التاسع عشر بنهجهم الجديد نازعوا آداب القرن السابع عشر ، وارادوا تقويض معالمها. ومن البيّن ان من اطلع على تاريخ اللغة الافرنسية يعلم ان ادباء القرن السابع عشر كانت خطتهم الاحتذاء بالاقدمين ، والتطريس على آثار الاوائل ، ولاسيما اليونان والرومان . وقد وضعوا لكل من فنون الكتابة قواعد خاصة لا يسوغ للمنشئ ان يتعدّاها . ومن ميزات تلك الحقبة سيادة العقل وسيطرة الفكر ، بحيث كان يهيمن على الخيال والاحساس. واما الاخيران فكانا تابعَين له ، وكثيرًا ما ابتخس شأنهما وبولغ في الحطّ من مقامهما.

اما كتاب القرن التاسع عشر فجروا على خطـة معاكسة لانهم نبـذوا الائتمام بالمتقدمين ، وتفلّتوا من الضوابط ، واطلقوا للقلم العنـان يجري على هواه ، ورفعوا من مستوى الشعور والخيال حتى جعلوهما والعقل في سمتٍ واحد بل كثيرًا ما رفعها البعض منهم فوق العقل .

٢

اسبابها

يحسن بنا بعد ان انهينا التحديد ان ننتقل بالقارئ الى الاسباب التي حدت بمنشئي القرن التاسع عشر الى ان يثوروا على القديم ، ويناهضوا من تقدمهم .

ومرجع هذه الاسباب الى اثنين : اولها ضيق نطاق قواعد الادب القديم ، لاسيما في غاية القرن الثامن عشر ، حتى صار الكاتب يعدّ مبرّزًا اذا استظهر قواعد معلومة ، وطبق انشاءه عليها . وهذا التعبد جعل الكتّاب عبيدًا لمثل معلومة . ولا يخفى ما في ذلك من الغضّ من القيمة الشخصية ونتائج الفكر . اضف الى ذلك نضوب ينابيع الادب القديم ، بحيث لم يعد مورد يستقي منه الفكر . فتسرّب الملل الى النفوس حتى هتف احد الشعراء : « من ينقذني من ادب اليونان والرومان » .

السبب الثاني هو ان الشعب الافرنسي كان قد انفسح خياله لما مرّ به من الاهوال في حروب نابوليون الكبير ، ودقّ احساسه لما شاهد من مجازر الثورة وملاحمها الدموية ، ومن قراءة بعض المؤلفات التي تجعل للاحساس المقام الاول كمؤلفات روسّو ، وروايات غوته وشيلر وولترسكوت وشكسبير ، وقصائد الشعراء البحيريّين (*Les poètes Lakistes*) من امثال كوليدج وسوثي ووردسوورث وخصوصاً قصائد بيرون . فتشرّبت نفسه الحرّية ، وتلمس ضوابط جديدة توائم نزعاته ، وتطلّب ما يرضي خياله ويغذي شعوره ، اعني ادباً جديداً يفي بطالبه . وعليه فما نشر لامرتين سنة ١٨٢٠ كتابه المدعو التأملات « *Les Méditations* » حتى تلقاه الشعب بالاستحسان اذ رأى فيه ما يحقّق احلامه الذهبية . هذا ما دفع لامرتين الى القول عن نفسه « هوذا الشاعر الذي يتوقع الشعب بزوغه من بعد روسّو ، وبرنردين دي سان بيير ، وشاتوبريان [1] »

٣

تاريخها

في اواخر القرن الثامن عشر نرى الشعراء ينزعون الى منهج جديد اذ دبّ فيهم روح حديث دفعهم الى الانقلاب على الماضي ، فروسو هو الذي ابتدع

(١ *Première préface des Méditations.*

اسلوباً طريفاً لوصف الطبيعة والتغني بجمال الكون . وكذلك تبعه برنردين دي سان بيير .

وكلما دنونا من السنة الثلاثين ازداد غرّ هذا الروح وتأهبت العقول لقبوله . فشاتوبريان حاكى روسّو في طريقته ، لا بل فاقه في تحبيب مشاهد الطبيعة وادراكها بجلاء . فان كان يحق لروسّو ان يدعى جدّ ادب القرن التاسع عشر ، يسوغ لشاتوبريان ان يدعى اباه . وفي هذا المعنى قال تيوفيل غوتيه « ان شاتوبريان هو عميد الادب الجديد » ففي كتابه المدعو « عبقرية النصرانية » « *Génie du Christianisme* » اعاد الى الوجود الفنّ الوطني ؛ وفي رواية « الناتشز *Les Natchez* » فسح للخاطر رؤية مجالي الطبيعة الجذّابة بنمط بديع ؛ واخيراً في « رينه *René* » عرّف تلك الحالة التي تنتاب النفس احياناً وتلقيها في بحر من الغم بدون داع . وهذا الداء قد تفاقم في القرن التاسع عشر حتى سمي مرض العصر (*Mal du siècle*) . وقد كان لمدام دي ستال (M. de Staël) مقام ممتاز بين مؤسسي هذه النهضة ، ويحقّ لها ان تحسب في عداد موجديها لانها بكتابها « كورين *Corinne* » عرفت الافرنسيين بايطالية الحديثة حيث ازهر الادب الجديد . واوقفتهم على مشاهير منشئي المانية كغوته وشيلر .

على ان كتاب لامرتين المسمى « التأملات *Les Méditations* » وقصائد الفرد دي ڤيني (de Vigny) تعدّ باكورة هذا الادب الحديث . ففي هذين الكتابين تجلت الاساليب الحديثة .

فالشعراء الذين وجدوا لهذا الفن هوًى من نفوسهم التأموا في ندوة خاصة في منزل شارل نوديه (Nodier) والفوا جمعية ادبية (*Cénacle*) . فكانوا يحسون بعضهم ، وفي مطاوي مناظراتهم يجلون عن خواطرهم ويصلحون ما وجدوا فيها من الخلل . وفي سنة ١٨٢٣ وضعوا مجلة شهرية « *Muses Françaises* » نشروا فيها اساليب فنهم . فنظر اشياع الزيّ القديم بعين الاشمئزاز والنفور هذه الآراء المضادة لآرائهم ، فاخذ النزاع بين الفريقين يشتدّ ويتفاقم . ثم قام ڤكتور هوغو ، الذي اشتهر في كتابه « *Odes et Ballades* » فصنّف عدة نشرات بيّن فيها بكل وضوح افكاره الادبية واساليبه الفنية .

وفي سنة ١٨٢٦ نشر رواية «كرومويل *Cromwell*» بسط في مقدمتها قواعد فن التمثيل الجديد. فهذه المؤلفات صادفت استحسان المجددين واستهجان محبي القديم، فاحتدم وطيس الجدال بين الفريقين، وكثيراً ما افضى اللدد الى الشتم والضرب. واذ كان الشعب يتوقع كتاباً مستوفياً كل قواعد الفنّ، مثّل دي ڤيني رواية «اوتلو *Otbello*» المترجمة عن شكسبير. ومن بعده وضع هوغو رواية «هرناني *Hernani*». عندئذ تقوّت دعائم ادب المجددين، فخال هؤلاء ان اركان الادب القديم تزعزعت. وفي مدة عشر سنين، على رغم ما جرى من الانتقادات والمصادمات، استظهر المجدّدون على اخصامهم ووضعوا بضعة مؤلفات ابدعوا فيها، وقد بحثوا في كل فرع من فروع الادب لاسيما في الفنون الجميلة.

فتفوق في الشعر الغنائي هوغو، ولامرتين، وڤيني، وموسه؛ وفي القصص هوغو، وڤيني، ودوما (Dumas)، وجورج سند، وبلزاك. وفي التاريخ تييري وميشليه. واعاد لامني ولاكوردير الى الخطابة الدينية رونقها وجمالها. وبثوا في كل من الفنون قوةً لم تكن لها قبلاً، فاحدث جريكو، وجيروردي، ودي لاكروا، واري شيفر، فنّ تصوير جديد. ومن ثمار قرائحهم: زورق الميدوز، ومأتم اتالا، وقارب دانتي. وداڤيد دانجه ورود (David d'Angers et Rude) تفوّقا في نقش التماثيل، ومن روائع ما اتحفانا به فيلوبين والموسيليز. ونبغ في الموسيقى شوبين وبرليوز (Chopin et Berlioz) مؤلفا المقاطع الخلابة كالنشيد المأتمي، وهلاك فوست.

على ان الاسباب التي ساعدت على تشييد هذا الصرح الادبي هي عينها عملت على دكه وسقوطه. فقد عاش هذا الفن طيلة بقاء اصحابه غير مضيقين على مبادئهم، ومدة لقائه هوًى من نفوس الشعب، وموافقته لذوقه. فما اتت السنة الخمسون حتى اخذ في الانهيار والتداعي. وغدا جمعية لا تحفل الا بطنطنة الالفاظ وسبك الجمل، دون الاهتمام بالافكار، فانصرفت الى المباني دون المعاني. وزد على ذلك ان خبرة الشعب جعلته ان لا يحفل بنتائج الخيال حيث يحلّق الشاعر في فضاء الاوهام. فاخذ الشك والارتياب يدبّ الى النفوس، وهذا الريب ولّد ظمأً شديداً الى اغتنام ملاذ الحياة، فاخذ الروح المادي

الذي وضعه كونت يمتد وينتشر . ومن ثم تطلب ادباً يلائمه ، ويتكيف بكيفيته ، فاوجد ادباً مادياً صرفاً (*Réalisme*) خلف الادب الذي ذاع من ١٨٣٠ الى ١٨٥ . هذا وان سقوط رواية البُرْگراف «*Les Burgraves*» لفكتور هوغو سنة ١٨٤٣ ، وتلقي الشعب ، بمزيد الاستحسان ، رواية لوكريس «*Lucrèce*» التي تمت الى ادب القرن السابع عشر ، كان نذيراً بادبار ادب تلك الحقبة . اضف اليه نضوب قرائح المجددين وعدولهم عن نشر مؤلفات تحييهم الى الشعب . فلامرتين انصرف الى السياسة ، ولم ينشر الا مصنفات قليلة جارياً على ما قاله : «ما الشعر الا دعابة يلهو بها الخاطر ابان الراحة . اما الخبز اليومي فهو الثقل الدائم» . وثيني بعد انضمامه الى الاكادمية الافرنسية (١٨٤٥) اعتزل الناس وانقطع الى قصر في املاكه مزجياً بقية حياته في التوفر على العناية بزوجته المريضة ، والتأمل ، وكتابة خواطر خاصة . وموسّه ارتطم في حمأة الرذائل ، وعكفت نفسه على الملاذ ، فقضى على قريحته الوقّادة التي صارت جدبة قليلة الثمار . اما هوغو فعمل وحده بفكرته الفياضة على اطالة حياة تلك النهضة الادبية الى سنة ١٨٨٥ . على انه كان وحيداً ، وكان يبدّل ذوقه طبقاً لرغائب الشعب .

٤

مآثرها

يجمل بنا في نهاية هذا المقال ان نقول كلمة عما تركه هذا الادب من الآثار . اول شيء اوجده هو تجديد ، بل ابداع ، الشعر الغنائي الذي كان تضاءل شأنه جداً في غاية القرن الثامن عشر . فعرفنا شعراء هذا العصر بمحاسن الطبيعة بكل رشاقة وجلاء واغرونا بحبها ، لانهم جسّوا مشاهدها وهاموا بجمالها ، ولذا قال لامرتين : «ايتها الكائنات الجامدة هل لك نفس تلاصق نفوسنا فتضطرها الى حبها ؟»[1] . ومن مآثرهم انهم اعادوا الى الديانة المنزلة التي تحق لها ، فكان لامرتين اول من اوجد الشعر الديني في فرنسة حتى ان

(١ *Harmonies poétiques - Milly ou la Terre Natale.*

ليون غوتيه (Léon Gautier) قال عنه : « انه لصعب علي ان اتصور مسيحياً لا يحب لامرتين ، لا بل لا يحفظ له في قلبه اخلص عواطف الشكر» وايضاً : « اننا نحن الكاثوليك نحفظ لك ، ايها الشاعر المحبوب ، اطيب التذكارات لانك سموت بنفوس عديدة نحو الله ، نفوس لدى مطالعتها كتاباتك ارتفعت بافكارها عن اوحال الرذيلة »[1] .

ومن مآتي ادباء هذا العصر انهم سلكوا في التعبير عن افكارهم والابداء عن عواطفهم منهجاً حديثاً ، فجددوا اللغة شعراً ونثراً ورفعوا ذلك الحجاب الفاصل بين الكلمات حتى انه لم يكن يسوغ في الافرنسية ان يطلق على بعض الاشياء اسماؤها الوضعية ، بل كانوا يعبرون عنها بلفظ مجازي . فالمتجددون اطلقوا على كل مسمى اسمه الخاص[2] . واكتسبت المنظومات رقة ولينا وصارت اكثر طواعية للخاطر ، واعذب على السمع ، واوقع في النفس .

على ان ازاء هذه المحاسن سيئات لا يسعنا الاغضاء عنها . منها ان الفكر فقد بسبب فرط العناية بالالفاظ شيئاً من قوته . كما ان اطلاق عنان المخيلة والشعور الى حد مفرط كان له اسوأ وقع في الحياة الاجتماعية ، فالخيال جموح اذا لم يضبطه عقل رشيد ، يقتحم بصاحبه مهامه الغي والضلال .

هذا ما رأينا تلخيصه راجين الاغضاء عما فاتنا ، وان يكون في ما ذكرنا محرضاً لكتابنا الافاضل يحملهم على الاستقاء من ادب الغرب . فيجدون فيه ثروة طائلة للغتنا العربية ، وما احوجها الى مثل ذلك !

---

١) *Portraits du XIX' siècle, par* Léon Gautier, *I vol. p. 82, 87.*

٢) لنتذكر شعر فكتور هوغو :

J'ai nommé le cochon par son nom : pourquoi pas ?

تقرير السيد ده غرانجه

مفتش قنصليات الاساكل الشرقية في القرن الثامن عشر

عرّبها وعلّق حواشيها الخوري بطرس غالب

ان الطيّب الاثر الاب انطون رباط اليسوعي ، رحمه الله عداد اتعابه في سبيل تاريخ الكنائس الشرقية ، قد نقل من المخطوطات القيّمة ما يرسل على احوال هذه البلاد نوراً وافياً لايضاح ما جرى فيها ، وما كانت عليه اهاليها من بؤس ورقاء وظلم وعدل . وكان الكثير المبرّات الاب لويس شيخو اذن لي ان اطلع على بعض ما لم ينشر حتى اليوم من هذه الآثار ، فوقع نظري على رحلة السيد ده غرانجه مفتش قنصليات الاساكل الشرقية الفرنسي . وكان لدي فقرات منها لم أكن اعرف مؤلفها ، فلدى المقابلة بين النسخة والفقرات تأكدت انها كلها للمفتش المذكور ، فكملت هذه بتلك واثرت نشرها مترجمة عن الفرنسية للفائدة ، معلقاً عليها الحواشي اللازمة لفهم ما يذكر من الحوادث . وساتبعها بنبذة اخرى لاحد التمسيين ، الذي اتى البلاد بعد السيد ده غرانجه بنحو خمسين سنة ، وذلك تعميماً للفائدة .

قضى السيد ده غرانجه نحو عشرة اشهر في بلادنا وجاب اغلب اقطارها ، وبعد ان فرغ من جولته كتب تقريره لوزير البحرية ، لان القنصليات في الاساكل كان مرجعها وزارة البحرية . ولذلك ترى اغلب الوثائق التي تتعلق بالشرق في تلك الايام محفوظة في خزانة تلك الوزارة .

وقد نشرت في كتابي «صديقة وعاميقة» نتفاً من هذا التقرير الذي اترجمه الآن بكامله :

٦ آب ١٧٣٦

سيدي . بما اني كنت قد زرت في شهري تشرين الاول وتشرين الثاني من السنة المنصرمة ١٧٣٥ القسم الجنوبي من كسروان ، غادرت صيدا في ٢٥ حزيران (من هذه السنة) لازور قسمه الشمالي ، فرجوت من الاب بطرس فرماج اليسوعي ان يأتيني برجل من عينطورا استصحبه دليلاً حتى ارقر استنجار دركي وحصانه مدة وجودي في تلك القرية .

عينطورا قرية صغيرة مؤلفة من ١٥ الى ٢٠ بيتاً بالكثير يحيط بها من جميع جهاتها جبال عالية محروثة جيداً ، ما عدا جهة الغرب فان الجبال فيها اقل ارتفاعاً وهذا ما يجعل النظر الى البحر لطيفاً للغاية . فان البحر لا يبعد عن القرية سوى ساعة ونصف الساعة

وقد بنى فيها الآباء اليسوعيون معبداً صغيراً ، وديراً نظيفاً جداً ،

ومناسباً للاجانب الذين يستقبلون فيه احسن استقبال . وعندهم دير آخر في عمل عال كثيراً لا يبعد الا قليلاً عن الاول ، وحتى الآن لم يكمل بناؤه ، ويطلقون على هذه الدار اسم «المدرسة الاكليريكية» ، واهل البلاد يسمونها «مدرسة» . وفيها ثمانية احداث يتربون فيها وهي تقدم لهم حاجاتهم . ويؤم هذه المدرسة جميع صبيان الثلاث او الاربع القرى المجاورة لعينطورا يأتونها كل يوم صباحاً ويعودون الى بيوتهم مساء .

ومدير المدرسة هو الاب نكي القبرسي الاصل[1] وهو رجل مشهور ، وذو صيت منتشر في البلاد لقداسة سيرته ، باشر بناء المدرسة ، وهو يرجو ان يكمله ولو كان قد امسى طاعناً في السن .

اما الدير فرئيسه الاب هودول ويساعده في خدمته اخ مساعد . ويمكن اعتبار الابوين نكي وهودول من مرسلي الاجيال القديمة . فاني رأيتهما يذهبان كل يوم من قرية الى قرية على بعد ساعتين من عينطورا ، يقضيان فيها النهار بكامله لاستماع الاعترافات وتدريس التعليم المسيحي وذلك بعد ان يحتفل احدهما بالقداس ، ويلقي الآخر الامثولة على التلاميذ . عندئذٍ كانا يضعان خبزةً في جيبها ، ويذهبان مرتديين ثوباً رثاً من قماش ازرق او اسمر ، ومتمنطقين بمنطقة من جلد ، وارجلهما عارية[2] .

٤) الاب يوحنا نكي ولد في قرية اسوماتوس في قبرس من والدين مارونيين سنة ١٦٦٦ او ١٦٦٧ ، سافر الى رومية مع اخيه فيلبي صحبة الاخ توما من رهبان القدس سنة ١٦٧٦ ، ودخل الرهبانية اليسوعية في ٢٧ تموز سنة ١٦٨٧ ، ورسم كاهناً في ٣٠ ك ١ سنة ١٦٩٢ ونسب الى اقليم رومية . ارسل الى سورية فجال مقاطعة جبل الدروز يعلّم ويعرّف ويبشر وصار نسمة صالحة في النسك والخضوع ، وسمي مديراً للمدرسة الاكليريكية في عينطورا ورئيساً لها ثم رئيساً للرسالة ، حضر المجمع اللبناني بصفة لاهوتي وتوفي شهيداً من الاعمال الصالحة ، في شهر آب سنة ١٧٤٦ .

اما الاب يوحنا بطرس هودول فلم نعرف عنه سوى انه كان رئيساً للرسالة في عينطورا حين عقد المجمع اللبناني وقد حضره .

٢) مدرسة عينطورا . ان المرسلين اليسوعيين استوطنوا عينطورا سنة ١٦٥٣ ، في عمل اوقفه عليهم الشيخ ابو نوفل نادر الخازن . اما المدرسة الاكليريكية فقد أسسها بعض افاضل الموارنة ، وطلبوا من رئيس الرهبانية اليسوعية العام ان توضع تحت تدبير اليسوعيين ، فاجابهم الى ذلك وعيّن رئيساً لها الاب يوحنا نكي ١٧٢٨ . ومن شروط تلك المدرسة ان يُقبل فيها

كسروان ملجأ جميع الكاثوليكيين المضطهدين في الشرق ، ولهذا يُرى فيه عدد كبير من الاديار للرهبان والراهبات . لجميع كنائس هذه الاديرة قبات معلق فيها اجراس . وتمارس الديانة فيه بحرّية كما في فرنسة

واهم دير في تلك المقاطعة ، بعد دير اللويزة ، دير قديم قريب من عجلتون ، يدعى ريفون ، يقيم فيه البطريرك عادةً . وبالقرب منه دير للراهبات عددهن اربعون . ولا يستطيع احد غير المطران الذي يسكن ريفون ان يدخل الدير ليعرفهن[٢] . فوق درعون وتحتها يوجد ايضاً ديران ، احدهما للرهبان ، والآخر للراهبات . الاول يُدعى دير مار يوحنا حراش[٤] . والثاني مار شليطا[٥]

من غير الموارنة تلاميذ يوازون ربع الموارنة وان تجعل مداخيل هذه المدرسة منفردة . واذا وجب نقل المدرسة لقوة قاهرة ، فلا تنقل الى ما وراء حدود سورية ، والى حيث لا يوجد موارنة . واذا قدّر ان يتخلى اليسوعيون عنها فيمكنهم ان يهدوا جميعها لمن يكلفونه تتميم نيات المحسنين . واذا تعذّر ذلك قامت مقامها مدارس صغيرة ينشئها بطريرك الموارنة في بلاد طائفته على ما يرى . والذي له الفضل الاكبر في انشاء هذه المدرسة هو الاب بطرس مبارك الماروني اليسوعي وغايته تهذيب اكليرس طائفته ، والاكليرس الشرقي عموماً . ولما اغلت الرهبانية اليسوعية بامر البابا ، سلمت المدرسة الى المرسلين المازاريين وكان قد نقل راس مالها الى باريس واستولت عليه الحكومة ، ولذلك كتب الاب شارل برينور رئيس رسالة اليسوعيين في سنة ١٧٦٦ الى الدوق دورليان كفيل المملكة يرجوه ان يخصّص ولو قليلاً من مداخيل تلك الوقفية للمدرسة . وكان في مدرسة عينطورا مخطوطات نقلها سنة ١٧٩٠ الى باريس مسيو كورديه المرسل المازاري بعد ان استلمت جمعيته المدرسة . اما دير عينطورا فقد انشأه مسيو كيسنس ، ومدخول المدرسة كان ١٥٠٠ فرنكاً وقد ضُبطت مع ما ضبط من اموال الرهبانية حين الغائها .

٣) دير سيدة اللويزة بناه الشيخ سلهب الحاقلاني ، وافتتح سنة ١٧٠٧ . والشيخ سلهب ترهب في الرهبانية البلدية الحلبية وفيها مات . وفتحت فيه مدرسة جمعت في وقت من الاوقات نحو ٨٠ تلميذاً .

دير ريفون ، او مدرسة مار سركيس وباخوس ، انشأها القس سليمان مبارك ١٦٥٥ وجعلها لسكنى الرهبان العبّاد ، وقد تحولت مدرسة بامر البطريرك يوسف حبيش سنة ١٨٣١ .

نظن انه يعني دير مار الياس الراس الذي بُنيَ لسكنى الراهبات بامر السمعاني ، في نحو سنة ١٧١٢ وسلم الى الرهبان اللبنانيين سنة ١٧٣٦ فخصّصوه للراهبات اللبنانيات .

٤) دير حراش انشأه الاسقف يوسف العاقوري ١٦٤٣ ، وهو الذي صار بطريركاً ، وعقد فيه مجمعاً (١٦٤٤)

٥) دير مار شليطا مقبس جدّد بناءه القس يوحنا محاسب ١٦٢٧ ، سكنه البطاركة

(مقبس) . وبين غوسطا وحريصا دير آخر للرجال يُعرَف بدير الكريم ، اي الكرم الصغير ، وفيه يقيم مطران ارمني مشهور في البلاد بما احتمله من الاضطهاد لاجل الدين . وهذا الاسقف بعد ان خرج من اللبان في الاستانة ، وكان قد قضى فيه عشر سنوات ، اعتزل في المحل المذكور وابتنى ديراً جعل ملجأ لمابري الطريق . ويوجد فيه ثمانية كهنة يأتمرون بامره[٦] .

وعدا هذه الاديار يُبنى الآن دير آخر قرب عينطورا للبنات الحلبيات ، وهو يشيد بنفقة اثنتي عشرة ابنة حلبية تكرّسن للحياة الرهبانية وسيجتمعن فيه متى تمّ البناء ، قانونهنّ قانون راهبات الزيارة[٧] .

ولآباء الاراضي المقدسة (الفرنسيسكان) دير في حريصا يبعد ساعة عن عينطورا من جهة ، وساعة عن غوسطا من جهة اخرى . وللكبوشيين ايضاً دير في غزير[٨] وهناك حقل يوجد فيه حجارة يهودية تعرف باسم دوليف المحجّرة . وللكبوشيين ايضاً دير في عبيه[٩] يبعد ست ساعات عن صيدا ، وعلى بعد مدة ، وكان فيه مكتبة خطية ذات شأن

٦) دير الكريم المنشأ على اسم المخلص له المجد ، وهب محله لشابين ارمنيين حضرا من حلب الى كسروان سنة ١٧٠٧ ، الشيخ صخر ابن ابي قنصوه المازن سنة ١٧١٦ . وفيه انشأ رهبانية للارمن تتبع قانون الرهبانية البلدية المارونية . ثم سكنه بطاركة واساقفة الارمن المضطهدون واستمروا فيه حتى وقف الشيخ شرف دهام المازن محل بزمار . واما دير الكريم فاشتراه المطران يوحنا حبيب لجمعية المرسلين اللبنانيين سنة ١٨٦٥

٧) دير الزيارة أنشئ في عينطورا في السنة التي ذكرها ده غرانجه اي ١٧٣٦ . لكنه لم يكتمل بناؤه الا بعد مدة ، وجرى ذلك بعناية رئيس الرسالة اليسوعية في سورية في ذلك العهد . اشترى محله بمال المحسنين وطالبات الانضواء الى رهبانية القديس فرنسيس سالس . وهب تلك الشمن الشيخ موسى طربيه المازن لقاء دخول ابنته وشقيقته في الرهبانية المذكورة . وقد سمح البطريرك الماروني بذلك شرطاً ان تحفظ الراهبات الطقس الماروني وعاداته ، واما ارشادهن فتولاه مرسل يسوعي الى حين انشاء الرهبانية اليسوعية ، وخلفهم في هذه المهمة المرسلون المازاريون ، واخيراً كرنة موارنة .

٨) دير مار انطونيوس حريصا بناه الفرنسيسكان في محل وقفه عليهم الشيخ سنتو بن فياض المازن منذ سنة ١٦٨١ . اما دير مار فرنسيس غزير ، فبناه الكبوشيون على قبو اعطاهم اياه الامير حيدر الشهابي حاكم لبنان ١٧١٢ ، والقبو كان من آثار سراي الامراء الصافيين .

٩) دير عبيه أسسه المرسلون الكبوشيون في اواخر الجيل السابع عشر . وقد ورد

نصف ساعة في هذا الدير الاخير يوجد توتيا واصداف كثيرة محجّرة.

ولا سبيل الى اغفال ذكر دير مار يوحنا الشوير[10] الذي اكتسب شهرة في البلاد بابوائه رجلًا فريدًا يُدعى الشماس عبدالله زاخر[11] الحلبي الرومي . هو صائغ ، نقاش ، يصبّ حروفاً للمطبعة ، ويجلّد الكتب ، ضليع في اللغة العربية. ألّف كتباً عديدة قيّمة لها قدرها في البلاد ، وبينها كتاب ضد الروم الارثوذكس . وجمع عددًا كبيرًا من الكتب الروحية التي ترجمها الاب بطرس فروماج اليسوعي[12] . وقد تعلم كل هذه الصناعات من تلقاء ذاته ، ما عدا الصياغة فانه تعلمها في حلب .

ويوجد بين عجلتون وجبل الماقورة الذي يبعد عن عينطورا ست ساعات

ذكره في سنة ١٦٨٦ ، ولا ريب انه بُني قبل ذلك ، وقد قتل فيه سنة ١٨٦٥ مرسل كبوشي افرنسي وشماسه ، وتلميذه ، وقس ماروني ، ونُهب الدير واحرق .

١٠) دير مار يوحنا الصايغ ، قرب الحشارة ، ويعرف بدير مار يوحنا الشوير . وبه عُرف الرهبان الباسيليون الفانوتيون الروم الكاثوليك الذين دعوا ايضاً حنّاوية . اما الدير فانه كان موجودًا في اواخر القرن السابع عشر يسكنه كاهن من بيت صوايا . ولما حدث انشقاق بين رهبان البلمند ، انتقل منه الى دير مار يوحنا الشوير الراهبان جراسيموس وسليمان في سنة ١٦٩٧ . وقد بنى الكنيسة الخوري نقولا الصائغ الشهير في الزهد ، وفي عالم الادب .

١١) عبدالله زاخر ولد في حلب سنة ١٦٨٠ . ثم اهتدى الى الكثلكة بارشاد المرسلين اليسوعيين ، فاضطهده الروم الارثوذكس اضطهادًا اكرهه على الهرب من وطنه الى لبنان في سنة ١٧٢٢ ، سكن دير مار يوحنا الشوير حيث اعتنى بالمطبعة ونشر فيها كتباً مفيدة للدين والعلم . وكان ورهبان مار يوحنا يقيمون طقوسهم باللغة السريانية ، وظلوا مدة على هذا النمط . وقد قدمت من ثلاث سنوات الى صاحب السيادة المطران ميشال دريني رئيس المعهد الحبري الشرقي في رومية نسخة من كتاب هذه الطقوس استعملت فيه اللغة السريانية بدل اليونانية . ولعبدالله زاخر كتاب ضد الروم الارثوذكس احدث ضجة عظيمة عنوانه: «التفنيد للمجمع العنيد.»

١٢) مرسل يسوعي اشتهر بغيرته ونشاطه في التاليف والترجمة . ولد سنة ١٦٧٧ في ١٢ ايار ، ودخل الرهبانية في ت ٢ ١٦٩٣ . تولى رئاسة دير عينطورا ، ثم الرسالة في سورية ، ونقله رؤساؤه الى جميع اديار هذه الرسالة فكان عاملًا في كرم الرب بكل اجتهاد وغيرة . وقد سمي لاهوتياً في المجمع اللبناني ، ولفظ في افتتاحه خطاباً مهمّاً . وله رسالة مطولة في هذا المجمع سننشرها ان شاء الله . ولم اتوصّل الى معرفة تاريخ وفاته .

كثير من معادن النحاس المخلوطة بكمية قليلة من الفضة ، ومعادن حديد . وهناك جبل صغير يستخرج منه حجر الحتر .

هذه الجبال يقطنها الدروز والموارنة . واني لا اتحرى البحث في اصل الاولين بل اقول انهم اتراك مع الاتراك ، ومسيحيون مع المسيحيين[١٤] . وان الاديان كلها سواء لديهم[١٤] . ويؤكدون ان النساء وحدهن واقفات على اسرار الديانة التي يعتقدون بها[١٥] .

اما الموارنة فجميعهم كاثوليكيون واغلبهم بالاسم فقط . وبالعموم تراهم ميالين الى جميع الرذائل والفواحش ، وفوق ذلك انهم يكفرون بالنعمة ، فمهما عملت مع الماروني من المعروف لا تستطيع ان تجعله ممنوناً لك . كل دياناتهم قائمة بالانقطاعات وبعض الاعمال الخارجية[١٦] .

لكل ضيعة كاهن يخدمها ، لكنه ملتزم بان يحرث الارض لمعاشه . وهذا مما يشغله عن الاهتمام بتدريس الاحداث التعليم المسيحي ويوعظ رعيته ، على

١٣) يشير المفتش الى ما جاء في كتب الدروز : « اي امة تظلمت فاتبعوها واحفظوني في قلوبكم »

١٤) هذا القول غير مطابق للواقع ، فان الدروز متعلقون بدياناتهم الباطنية شديد التعلق واهم ليستمضون جداً ممن يترك الدرزية ليعتنق ديانة اخرى . ومن المأثور عندهم ان عددهم لا يزيد ولا ينقص ، فلذلك اذا جحد احدهم الدرزية اعتبروا انه لا يزال درزياً في قلبه .

١٥) لا نعلم من اي مورد استقى هذه المعلومات الكاذبة . نعم انه يوجد نساء « جويدات » في الدرزية ، ولكن اسرار الديانة يعلمها مشايخ العقل اولاً وهم المحافظون عليها . والدروز طبقات ثلاث « الجويدون » وهم الطبقة الاولى والعليا ، ثم « العقال » ، ثم « الجهال » ، ولا يعلم سر الديانة لهؤلاء لانهم ليسوا « خاثرين » ولا يستحقون ان يعلموا جوهر الديانة .

١٦) ليس الموارنة كاثوليكيين بالاسم فقط ، ولا يكتفون بالاعمال الخارجية وبعض الصيامات . واعتصامهم بالجبال الجرداء دليل ساطع على تمسكهم الفعلي بدياناتهم . وما كان اسهل جحودهم دينهم ليرفلوا بحبوحة العيش ! وتكتفي بشهادة الذين يعرفون الموارنة من المرسلين الواقفين على حقيقة الديانة اكثر من المفتش ده غرانجه . فان اليسوعيين مثل الآباء فايوس برونو ، ودنديني ، وبوازو ، وسوام والفرنسيسكان ، والكبوشيين ، وهم عديدون ، يؤكدون انهم لم يجدوا في الغرب نفسه امة اشد تعلقاً بالجبر الاعظم من الموارنة . وبهذا رد كاف على اختلاقات المفتش المذكور .

انه يوجد عدد كبير من الكهنة الوطنيين ، واساقفة تلاميذ رومية ، ممتازو الصفات يبذلون كل ما يوسعهم ليعلموا الشعب ويرجعوه عن نقائصه [١٧] .

الماروني الذي يعتم بعمامة حريرية سوداء او حمراء ، ويلبس فروًا ، ويحمل خنجرًا ، يكون سيدًا عظيماً وقديرًا ، والامراء في كسروان يضاهون عدًا نظراءهم في المانية ، لكنهم امراء فقراء غير مهذبين ومتكبرون الى درجة لا تطاق [١٨] . اخص مواردهم الحرير والخمر وبعض الثمار . اما القمح فيحصدون منه ما يلزمهم لمعيشتهم . وبوجيز العبارة يمكن القول ان كسروان يعطي حريرًا جيلًا ، وخمرًا جيدة ، واناسًا اردياء .

مرجع كسروان باشوية صيدا ، وحاكمه امير درزي من سلالة صلاح الدين ، من جهة النساء ، مقامه في دير القمر التي تبعد سبع ساعات عن صيدا وساعتين عن عبيه . وهذا الامير يلتزم خراج البلاد بمبلغ معلوم يدفع نصفه نقدًا والنصف الآخر عينًا [١٩] .

١٧) لا شك ان الكهنة كانوا يضطرون لحراثة الارض للقيام بما يلزم لمعيشتهم وعيشة عائلاتهم ، لان اغلبهم متزوج . فلا الرعية الفقيرة يمكنها ان تقدم له معاشه ، ولا له موارد من الخارج تعينه على ذلك . اما سذاجة الكهنة فقل ما شئت فيها ، لان البلاد محرومة من المدارس ، والمواصلات مع رومية والغرب لم تكن امرًا سهلًا ولم يكن في البلاد مطابع تساعد على نشر الكتب باثمان رخيصة .

ولذا قد اتى الاحبار الاعاظم في جنب الطائفة عملًا عظيماً بانشائهم في رومية مدرسة لتثقيف الاكليريكيين فيها . وتلاميذ هذه المدرسة هم الذين يبذلون ما بوسعهم لتعليم الشعب وتهذيبه التهذيب الوافي . وكذلك فضل السيد البطريرك الحالي مار الياس الحويك عظيم جدًا بارجاعه المدرسة المارونية العبرية . ولا يمكن ان ننسى الذين اهتموا ويهتمون بالمدارس الاكليريكية ، من وطنيين واجانب ، وقد وقفوا عليها الاوقاف وخصصوا لها المداخيل سواء كانت هذه المدارس في الخارج او في البلاد ذاتها .

١٨) ان اللبس المحكي عنه يُنعم به من قبل مثلي السلطة العثمانية على الذين يريدون مكافأتهم او تعيينهم ولاة او تشريفهم برتبة . وبالطبع لا يستطيع الفلاح لبس هذه الاثواب الدالة على رتبة الشيخ او الامير لانه لم ينعم عليه بها ، وليس له مورد يسدّ منه ما تقتضيه الرتبة من النفقات . اما كونهم « غير مهذبين ومتكبرين الى درجة لا تطاق » فانا لا نسلّم به على اطلاقه ، لانه لو طالع تقارير المرسلين ورسائلهم لرأى فيها ما يخالف قوله بتاتًا . وقد ذكرنا بعض هذه الشهادات في كتابنا « صديقة وحامية »

١٩) ومن موارد كسروان الفحم والحطب . والفلاح لا يزرع الا ما يلزمه خوفًا من

ويطلق عليه الباب العالي لسم سنجق[٢٠] وهو الامير الوحيد في سورية على ما اظن الذي يُرسل اليه باشا صيدا الخلعة بواسطة القاضي او احد الاغاوات ، الذي يأخذ علماً بتسليمه الخلعة الى الامير . اما سائر الزعماء والامراء فيلتزمون ان يقصدوا الى صيدا ويمثلوا امام الباشا ليقبلوا الخلعة منه[٢١] .

ويخضع لهذا الامير خمسون او ستون شيخاً موارنة ودروز . واهم هؤلاء المشايخ الموارنة اولاد ابي نوفل الخازن[٢٢] الذين يلقبون ذواتهم امراء ويعرفهم اهل البلاد بهذا الاسم . وهم اخوة اربعة يؤلف من ذريتهم عائلة وافرة العدد : الاول يقيم في عجلتون وله عم أُقيم بطريركاً على الموارنة منذ اربع سنوات[٢٣] لدواعٍ سياسية . والثاني يدعى الشيخ نوفل الخازن[٢٤] . هذا شرفه لويس الرابع عشر بقنصلية بيروت واهدى اليه سيفاً . وله اخ يقيم معه اسمه الشيخ كسروان ، وقد ذهب الى فرنسة سنة ١٧٢٨ ، حيث شمله ارباب البلاط الملكي بعلامات الصداقة . وكلا الشيخين مقيم في درعون .

الباعث من قبل الحكومة ، التي تفرض عليه الضرائب الباهظة متى رأت حالته المادية قد تحسنت . ولا نعرف من عاشر المفتش في كسروان حتى يحق له القول ان كسروان «يعطي اناساً اردياء» . اما قوله عن مرجع كسروان فكان صحيحاً في ايامه . واما انتساب الشهابيين ، وهم مسلمون يحكمون بعض جبل لبنان ، فلم تر له اثراً في التاريخ لان الشهابيين ينتسبون الى بني قريش ، وقد قلّد صلاح الدين الامير عماد الشهابي ولاية وادي التيم ليس الا

٢٠) سنجق اسم يطلق على المنطقة الادارية التي يسمح لها برفع سنجق ، وهو اقل من الولاية .

٢١) قد ورد ذكر ذلك في تواريخ الشهابيين . وطريقة التزام الالوية ظلت متبعة الى امد غير بعيد ، اي الى الزمن الذي تغيّر فيه شكل الحكم في لبنان بعد الامير بشير عمر الشهابي .

٢٢) الشيخ نادر الخازن ، المعروف بأبي نوفل ، نال شهرة بعيدة بعمل الخير والوقفيات ومساعدة المرسلين ورجال الدين ، وقد افاض في مدحه المرسلون اليسوعيون والقنصل اسْتل « انظر صديقة وعامية ص ٢٤٣ وما بعدها . »

٢٣) هو البطريرك يوسف ضرغام الخازن المشهور بشجاعته . فانه هو الذي تولى قيادة اربعمائة فارس قصد بهم الى جبة بشري ليثأر للبطريرك الدويهي الذي كان قد اهانه الشيخ عيسى حاده . وفي ايام هذا البطريرك عقد المجمع اللبناني .

٢٤) انظر « صديقة وعامية ص ٢٩٤ الخ . » تبين الشيخ نوفل قنصلا ببراعة تاريخها ، تموز ١٧٠٨ ومات سنة ١٧٥٣ .

اما الرابع فاسمه الشيخ موسى الخازن اقامته في زوق مكايل الذي يبعد عن البحر نحو ساعة . فهذا الشيخ يضيف في داره رجال الطوائف ايًا من كانوا ويسهّل لهم الاقامة (في كسروان)

ولهؤلاء المشايخ الاربعة صَولة ويمكنهم ان يجندوا ثلاثة آلاف رجل ، ومتى اتحدوا وامير الدروز استطاعوا ان يقاوموا باشا صيدا [٢٥] .

ثم انتقل ده غرانجه الى وصف شمالي لبنان ، قال :

في اليوم التالي زيارتي لباشا طرابلس برحت تلك المدينة قاصداً دير مار سركيس [٢٦] . الذي هو دير الكرملتان المشيد في جبال لبنان على مسافه ثماني ساعات من طرابلس . والقسم الاكبر من هذا الدير منقور في الصخر . والرهبان يجدون فيه كل اسباب الراحة . ويقيم فيه وكيل وراهبان يستقبلون الاجانب بكل رحابة صدر .

وقد ذهبت الى الارز مع الآباء الكرمليين ، فاذا هو على بعد ساعة من ديرهم . والارز عبارة عن ٤٠٠ الى ٥٠٠ شجرة [٢٧] بينها بعض شجر السنديان الاخضر وبعض ارزات اضخم من الأُخر اربع مرات . وهذا كل ما تمتاز به . شهرتها متأتية عن الرواية القائلة ان روح القدس [٢٨] قد غرسها . وقد وُضعت بعض الحجارة امام الاشجار التي تفوق غيرها ضخامة وجعلت مذابح يقيم عليها القداس الرهبان الموارنة والكرمليون في كل سنة يوم ٥ آب . [٢٩] وفي قعر وادي قاديشا ثلاثة اديرة للموارنة يبعد الواحد عن الآخر ساعة واحدة . اول هذه الاديرة شيد على اسم القديس انطونيوس [٣٠] والثاني يطلق عليه اسم

٢٥) ان قوة اللبنانيين كانت ولا تزال باتحادهم ، على اختلاف طوائفهم ومذاهبهم ، في سبيل الوطن ومصلحته .

٢٦) تركه الكرملتان في ما بعد ، ولم اتوفق الى معرفة تاريخ انشائه .

٢٧) ترى في حواشي النبذة التالية ، التي ستقرأها في هذا العدد ، (ص ٥٩١ ، حاشية ١٥) الاختلاف بين السيّاح على عدد اشجار الارز .

٢٨) هذا من الاقوال التي لا اساس لها في لبنان . انما يقال عن الارز « انه ارز الربّ »

٢٩) لم يذكر غير ده غرانجه كثرة المذابح المقامة جذا الشكل . والقداس يقام بنوع حافل حتى يومنا هذا في عيد تجلي السيد المسيح ، المعروف بعيد الربّ ، الواقع في ٦ آب .

٣٠) دير مار انطونيوس قزحيا هو دير قديم جدًا ، ورد ذكره في برآة البابا

قنوبين [٣١] وقد حفر قسم منه في الصخر . وجدت فيه بطريرك الموارنة ، ومعه خمسة او ستة رهبان ، يدير بمساعدتهم شؤون الديانة لانه قليل المعرفة بالقراءة والكتابة . وقد استقبلني الحبر بكل حفاوة حسب عادات البلاد وشرّفني بدعوته لي الى مائدته التي تجلت فيها الاماتة اكثر منها في كل وقت آخر ، فسقينا خلًا جيدًا ، شربناه لعدم وجود غيره [٣٢] . وشرب البطريرك نخب الملك امامي ولم ينسَ سعادتكم ، لان عادة الموارنة متى استقبلوا افرنسيًا ان يشربوا نخب الملك والوزير . ثم بعد محادثة خرساء دامت ساعة ، ودعت ذا الغبطة الشرقي الذي زوّدني بركات وافرة . الدير الثالث هو دير القديس ايليا . كان قبلًا يخص الكرمليين وقد تخلوا عنه للموارنة منذ ثلاثين سنة تقريبًا ، لكي يقيموا في الدير الذي يقطنونه الآن حيث الهواء انقى من هواء الوادي [٣٣] .

مدخول دير قنوبين السنوي ٢٥ الف ليرة (فرنك) يدفع منها البطريرك الف غرش لشيخ الحمادية ، ومثلها لباشا طرابلس ، وما بقي ينفق لاعاشة الرهبان في الاديار الثلاثة ، ولدفع البلص الذي يسببه لهم الروم الارثوذكس من وقت الى آخر . يقيم في جبل لبنان (لبنان الشمالي) روم كاثوليك وموارنة وحمادية . النصارى فيه مظلومون اكثر منهم في كسروان ، لانهم ما خلا الضريبة التي تدفعها كل قرية للحمادية ، يكرهون على تأدية رسوم فاحشة لوالي طرابلس . وجبل لبنان هذا يحكمه شيخ من الحمادية يلتزم ماله من باشا طرابلس ، لقاء مبلغ معلوم من الدراهم وكمية من الحرير .

الحمادية هم من اتباع علي عدو الاتراك [٣٤] الالد ، واشد قطاع الطرق مراسًا ، فانهم لا يكتفون بسلب المارة اشياءهم بل يعدمونهم الحياة .

ايوشنيوس الثالث سنة ١٢١٥ ، بل قبل ذلك اي سنة ١١٥٤ حيث يُذكر في كتاب انجيل قديم ان البطريرك يوحنا اللحفدي ارسل في ذلك العهد الراهب اشيا من دير قزحيا الى دير الكوزبند في قبرس. ٣١) دير سيدة قنوبين بناه الراهب ثاودوسيوس في اوائل الحياة النسكية في لبنان . ثم جعل كرسيًا للبطريرك الماروني . وقد خلط المفتش بين المطارنة والرهبان لان المطارنة يلبسون الاسكيم كالرهبان .

٣٢) لا شك ان ده غرانجه يحب المزح . ٣٣) دير مار اليشع فوق بشري .

٣٤) يريد المسلمين لان هؤلاء الكتبة الافرنج يطلقون اسم اتراك على المسلمين عمومًا دون فرق . ولنا على ما يقوله عن الحمادية في ذلك الوقت شواهد كثيرة لا لزوم لسردها .

تعريف
عن حكم جبل كسروان

معاملت (معاملة) امرات (امراء) الدروز

نشرها وعلّق حواشيها

الخوري بطرس غالب

عثرنا ، بين الاوراق المخطوطة التي جمعناها ، على النبذة التي سيلي نشرها ، فآثرنا ان نذيعها بالطبع مع ما فيها من الاغلاط ، مكتفين بتعليق الحواشي الضرورية لتصحيح ما يجب تصحيحه ، لئلا يعلق في ذهن القارئ شيء من الحوادث التي رواها الكاتب دون ان يتحرّاها ويمعن النظر فيها . وقد يقع النظر على روايات مبالغ فيها او مخالفة للواقع ، فليغض الطرف عندئذٍ ويأخذ ما يفيد ، وليعذر الكاتب لانه ككل اجنبيّ عن البلاد يمر فيها مرورًا سريعًا لا يتاح له ان يبحث جميع الامور بذاته ، بل يصعب عليه ان يحكم حكمًا مستقيمًا بشأن ما يسمعه او يراه ، لانه يجهل عادات البلاد واخلاق اهلها وطرق معاطاتهم مع بعضهم بعضًا ومع الاجانب الى غير ذلك من الملحوظات التي لا تفوت القارئ اللبيب .

ومما يُسرد في هذه النبذة يستنتج انها كتبت في سنة ١٧٨٦ ، في عهد البطريرك يوسف اسطفان .

وقد نسخها ، في ١٠ نيسان ١٨٥٨ ، في ڤينا ، الدكتور في العلوم ولتر جرناور ، معلم اللغة التركية في كلية تلك العاصمة ، وفيها من المعلومات ما لا يستهان به ، ومن المرويات ما يفيدنا عن حكم بعض السياح في حوادث بلادنا . واليك هذه النبذة بنصها ، وقد اصلحنا في الحواشي ما لا بدّ من اصلاحه ، ووضعنا علامات الوقف لزيادة الايضاح :

« من نسخة (رقم) ٥٠٩ من نسخ شرقيات الكتبية (المكتبة) في مدرسة اللغات الشرقيات في مدينة ڤينا . قد اعتنى بتسويد هذا الخبر قلم دكتور ولتر جرناور مدرّس اللغة التركية في مدرسة كلية ڤينا .

تعريف عن حكم جبل كسروان

معاملات امرة الدروز *

ذيل حديقة الاخبار

Vienne, 10 *avril* 1858 D' Behrnawer

هذه الجبال في بلاد سوريّا [1] وحدودهم ما بين مدينة طرابلس الشام ومدينة بيروت [2] . وهم منقسمين ثلاثة معاملات اول معاملة جبل لبنان يخصّ في الحكومة الى طرابلس [3] ، سكانه موارنة ، موجود فيه اربعة ضيع كبار ، الاول ضيعة تسمّا زُغرتيا [4] تجمع ثلاثة الاف نفس موارنة ولها كنيسة على اسم العذرى [5] ، ودير صغير الى رهبان اليسوعية سابقاً ، وبعيد في علوّ الجبل ،

* سترى من تحديد ما يدعوه الكاتب « حكم جبل كسروان » انه اطلق هذا الاسم على جبل لبنان بامره الذي تألف منه كيان سياسي مستقلّ استقلالاً داخلياً يحكمه مقدّمون ومشايخ وامراء من اهاليه .

ولم يكن كسروان خاضعاً لامراء الدروز ، ما لم نطلق هذا الاسم على كل من حكمه من غير النصارى مسلمين ومتاولة وتركمان ، سواء امتدت سلطتهم على كسروان بامره او على قسم منه .

١) كان يطلق اسم سورية على جميع البقعة الواقعة بين آسية الصغرى ، وما بين النهرين ، وبلاد العرب ، والبحر المتوسّط .

٢) التحديد مناوط فيه اذا كان قصد الكاتب ان يعرّف تخوم جبل كسروان . لان البلاد التي يدخلها ضمن هذه الحدود لا تعرف بجبل كسروان بل هو قسم منها ، وجبل كسروان هو الواقع بين جسر المعاملتين ونهر بيروت . اما اليوم فجبل كسروان لا يمتد الا من المعاملتين حتى وادي نهر الكلب .

٣) اي تابع لحكومة طرابلس .

٤) هي زغرتا ، ولا نعلم لاي سبب دعاها « زُغرتيا » .

٥) العذراء . كنيستها هذه دُمّرت ورُمّمت مراراً ؛ اصلحها اسقف البلدة ، جرجس بن عميره ، في سنة ١٦٠٧ ، وهو الذي انتخب بطريركاً وشرّف طائفته بعلمه وفضيلته ، ثم الاسقف الياس الحدناني ، مرشد فرنسيس ده شتويل الحبيس الفرنسي العالم والقديس . وفي اوائل الجيل الثامن عشر ، ثم في سنة ١٧٦٢ . وقد اضيف الى الكنيسة مدرسة ادارها المرسلون اليسوعيون ؛ والفضل في تأسيس هذه المدرسة عائد الى المطران جرجس بنيمين الذي كان من

الثانية وتسمّا ضيعة اهدن [٦] تجمع ثلاثة الاف نفس ايضاً ، ومكانها موقفه جيّد وفريد في سائر بلاد الشرق ، وفيها كنيسة ودير لرهبان اليسوعية. والثالثة ضيعة يسمّوها ضيعة كفرصنام [٧] تجمع الفين نفس . وبعيد عنها ساعة موجود دير رهبان مار انطونيوس للموارنة [٨] ، قانون القديس انطونيوس الكبير [٩] ؛ والرابعة ضيعة بشرّه [١٠] ، هذه الضيعة في الراس الجبل تجمع اربعة آلاف نفس فيها ثلاثة كنايس ، ودير الى رهبان الكرمليين الحافيين ، ومعمّر على اسم القديس سركيس ، ودير آخر على اسم مارليشاع لرهبان مار انطونيوس الحلبية ، ودير آخر في وادي الضيعة يسمّا سيدة قنوبين [١١] . هذا الدير سابقاً كان كرسي بطاركة انطاكية للموارنة ، كان سابقاً دير غني جدًّا وارزاقه كثيرة ، ومن قبل ظلم حكام المسلمين التزم بطرك الموارنة ان يخرج منه من مضية خمسون سنة [١٢] والآن متروك يسكنونه عشرة رهبان بلا قانون وارزاقه واراضيه انتركت .

وكذلك يتوجد اربعة ضيع صغار يجمعوا خمسة آلاف نفس ، والجميع موارنة ، ولهم مطران واحد وهو مطران طرابلس وجبل لبنان ويدفعوا ميريهم

تلامذة المدرسة المارونية ثم سقف على اهدن وبعد ذلك استقال ودخل الرهبانية اليسوعية في رومية ١٧١٤ ، وتوفي فيها بعد ان صرف حياته بالتقوى ١٧٥٥ ، وقد ورد سهوًا في مجموعة الاب رباط انه استشهد في الحبشة . اما شفيع مدرسة زغرتا فهو القديس يوسف .

٦) اهدن هي مصيف زغرتا . كنيسة السيدة المعروفة بسيدة الحصن ويوجد غيرها مكرّسة لسيدة الحي وللقديس جرجس الذي به تعرف مدرسة اليسوعيين التي كانت تنقل في الصيف الى اهدن .

٧) كفرصناب .

٨) دير قزحيا الشهير .

٩) التابع قانون الخ .

١٠) بشرّي . الكنائس الثلاث : مار سابا ، ومار سمعان ومار يعقوب ، ويوجد غيرها لم تذكر . اما دير الكرملتان فهو على اسم القديس اليشع .

١١) قنوبين في وادي قنوبين ، لا يزال كرسي البطاركة وقد بنى السيد البطريرك الياس بطرس الحويك فوق الوادي ، قبالة حدشيت ، كرسيًّا جديدًا ، سُمّي جديدة قنوبين .

١٢) ترك البطاركة قنوبين من ايام البطريرك يعقوب عواد الذي ثار عليه اضطهاد قوي ، كان بعض اقاربه الداعين اليه .

(الاموال الاميرية) الى باشة طرابلس ؛ وكل ضيعة لها حكم فلّاح من الضيعة الذي يقيموه الفلاحين عليهم ويسموه شيخ الضيعة ، ومدخول هذه الضيع من الحريس[١٣] والقمح والزيت والخمر والجبن والعسل والذرى (الذرة) لا غير.

هذا الجبل قديماً كان عامر ، قد دثر الآن . واغلب الموارنة الموجودين في مدن الشرق اصلهم من جبل لبنان . وطائفة الموارنة اصلها سريان ، فلما انشقّت طائفة السريان من الكنيسة الرومانية على عهد يوحنا فم الذهب والانبا مارون السرياني الذي تكنوا هذه الطائفة باسمه ، لان لما خرجوا السريان عن بيعة الله استقام هذا القديس متمسكاً في ايمان الكرسي الروماني مع شعب غفير من السريان ، وستيوا من المراطقة تهذّرًا موارنة لكي لا يدعوهم سريان ، واستقاموا متمسكين في الايمان الكاثوليكي الى يومنا هذا[١٤] . ودائماً عاشوا في الفقر وطلع منكم (منهم) علماء واصحاب فضيلة وجاهدوا في بيعة الله كثيرًا . حتى الآن لم يزالوا في جهدًا عظيماً (جهد عظيم)

والآن جبل لبنان ما بقي فيه نصف الربع عمّا كان قديماً . لان سكانه تفرّقت في المدن من قبل ظلم الاسلام لان دائماً جبل لبنان في حكم باشات طرابلس الشام ، كذلك جانب غفير من سكان لبنان نقلت الى جبل كسروان ، وجبل الدروز الذي نأتي بذكرهم آنفاً .وفي رأس هذا الجبل موجود تسعة عشر ارزة[١٥] الذي يذكر عنه الكتاب المقدّس ارز لبنان. وبين هذه التسعة عشر ارزة موجود ثلاثة يعجب منظرهم لانهم باهضين (باهظين) في العلو والغلظ جدًا

١٣) الحريس قد يكون الماشية راعيها المعزى.

١٤) ان هذا الرأي في اصل الموارنة لا يخلو من الصحة في بعض ما جاء فيه . لكنّا لا نعرف ما اذا كان السريان الغير الكاثوليكيين سمّوا الموارنة باسمهم الحالي تهذّرًا اي تمسكًا ، انما يسرّنا ان نسجّل شهادة المؤلف باستمرار الموارنة على امانتهم للكرسي الرسولي المقدس. اما ضيع الموارنة في لبنان الشمالي فهي أكثر مما عدّها الرحّالة.

١٥) في سنة ١٥٥٠ عدّ الرحّالة بلون ٢٨ ارزة ، وفي ١٥٥٦ كان عدد هذه الاشجار الفخمة ٢٦ ، وفي ١٥٧٥ صارت الاشجار ٢٤ ، ورأى الاب دندبني ٢٣ في سنة ١٥٩٥ ، والفارس درفيو عدّها سنة ١٦٦٠ فكانت ٢٢ ، وفي سنة ١٦٩٠ كانت ٢٠ ، وفي سنة ١٦٩٦ عدّها مَندرل فلم يجد الا ١٦ ، وفي سنة ١٧٥٠ وجد آخر ١٢ شجرة . وكاتبنا قال انها ١٩ في سنة ١٧٨٠ فلا نعلم كيف عدّها هؤلاء السيّاح حتى حصل هذا الاختلاف بينهم.

وغير ما ذكرنا ما موجود شيء ، فقط المواجيد [١٦] والمياه كثيرة والارض متسعة بل الطرق ردية ومحجرة .

وحكم جبل لبنان عشرون ساعة عرض وعشرون طول .

وانتها حكمها يدخل بلاد جبيل ، وهذه معاملة وحدها تبع مدينة جبيل ، هذه المدينة في زمان القديم كانت كبيرة ، والآن ضيعة تجمع اربعة آلاف نفس وسكانها النصف موارنة والنصف روم ومسلمين ، وهي مينا على البحر . ويتبعها عشرة ضيع تجمع عشرة آلاف نفس ، معاملة واسعة مثل جبل لبنان ، ولكن خراب . والآن لها اثني عشر سنة تسلمت في تدبير حكم الدروز [١٧] وهي معاملة وحدها ، ومعبور هذه المعاملة حرير وقمح وتتن وحطب لان في جبالها حرش عظيم جداً وحدودها من طرابلس الى جسر يسموه نهر المعاملتين اعني معاملة جبيل ومعاملة جبل كسروان .

ومن هذا الجسر يبدي حكم الدروز من قديم الزمان [١٨] ، فوق هذا الجسر مسافة ساعة ونصف يتوجد ضيعة كبيرة تجمع اربعة آلاف نفس وفيها دير لرهبان الكبوچيين وتسمّا غزير . ومشايخ بيت حبيش سكنوا هذه الضيعة منهم الذي يروحوا الى بلاد النصارى ، ويدعوا ذواتهم امرة جبل لبنان ؛ ولكن هذه عيلة قديمة عايشين من شحاده بلاد النصارى ، وجمعوا اموال كثيرة ما لها عدة . ولكن بما انها بالكذب والزور ما تشمر معهم بل تذهب بالحرام وداعاً هم فقره واعتادوا على عدم الشغل ، وصنعة ما يستعملوا ، بل صنعتهم الشحادة ، يروحوا من ضيعتهم فلاحين ويرجعوا باسم امرة النامسا او فرنسا او اسبانيا . ومثل ما يكذبوا في بلاد المسيحيين يرجعوا يكذبوا على اهل بلادهم ويخرجوا

١٦) قد يكون معناها الكهوف.

١٧) تولى الامير يوسف الشهابي بلاد جبيل بكتاب اعطاه اياه عثمان باشا الكرجي والي دمشق ، وذلك سنة ١٧٦٣ وهو حاكم الشوف ، ولكنه ليس درزياً بل مسلماً . انما كان يدعى حاكم الدروز ويمتد حكمه تارة الى كسروان ، ومرات الى جبيل والبترون .

١٨) تناوبت الدول على هذا القسم من لبنان ، فتارة حكمه حكام جبل الدروز ، وليس الدروز ، لان المنيين وامراء بيت شهاب لم يكونوا من الطائفة الدرزية . فكان الواجب ان يقال «من هذا الجسر يبدأ حكم حكام جبل الدروز .»

(ينفقون) الدراهم الذين يجمعوها بغير ترتيب ويرجعوا فقره بازود مما كانوا. وهم عشرة عيالات اقارب في بعضهم عشتهم مساية نفس نسا ورجال ، وضيعة غزير الذي يسكنوها هم يحكموها من تحت يد امير الدروز ، كل واحد له فلاحين ثلاثة يأخذ منهم الميري ويعطيه لامير الدروز ، والغني منهم يعبر له في السنة مايتين غرش من ارضه لا غير سنتاني(؟) الفلاحين ، وعندهم ديرين في ضيعتهم دير الواحد فيه خمسة عشر راهبة ، قانون مار انطونيوس ، ودير الآخر للكبوجين دائماً يسكنه راهب واحد يستعمل صنعة الحكمة حتى يعيش مع خدامه ، هولاي امرة بيت حبيش ، وبرّا ضيعتهم ما يحكموا ولا على حيوان . ومن ضيعتهم مدخل جبل كسروان[١٩]

معاملة جبل كسروان

هذا الجبل يبتدى من جسر المعاملتين الى مدينة بيروت تسع ساعات طول

(١٩) لا نعلم ما الذي حمل المؤلف على هذا التهجّم واتهام عائلة شريفة ، نبغ منها رجال خدموا وطنهم ، بانها عائشة من الشحاذة . ويكفي مراجعة التواريخ الصادقة حتى تعرف من هم الحبيشيون ، وان الذين أتوا اوربة منهم قد أكرهوا على ذلك بسبب المظالم والاضطهاد لاجل اماتهم في خدمة بلادهم وبسبب تغلب الحكام . وقد راجعنا ما لدينا من المستندات التاريخية ، وهي كثيرة ، فلم نجد ذكرًا الا لثلاثة من العائلة الحبيشية الكريمة هجروا وطنهم لفقرهم وتنكّر الدهر عليهم . وقد اوصى جم رجال الدين والدنيا . واذا كان احدهم اساء التصرّف فلا يمكن ان ينسب عمله الى عائلته عموماً ، وكأني بالمؤلف قد خصص بالحبيشيين ما كتبه قبلًا الموفد الفرنسي غرانجه ، او الفارس درفيو ، عن الموارنة عموماً واحكم مما تقدم في وصفه للمرسل الكبوشي في غزير الذي عزا اليه التعيّش من صنعة الحكمة ، وهو يستعملها لتخفيف ويلات المرضى والوصول الى شفاء نفوسهم من وراء الاعتناء باجسادهم.

دير الراهبات هو دير مار الياس غزير الذي يتبع راهباته قانون الرهبان الانطونيين المنتسبين الى القديس اشيا . بناه الشيخ طربيه بن حبيش ووقف عليه بعض العقارات بالاتفاق مع اقاربه واهالي غزير سنة ١٦٦٥ .

وقد اشتهر بين الحبيشيين المطرانان يوسف وفيلبّوس حبيش ، وطربيه حبيش الذي كتب له الامير احمد المعني ولاية غزير (١٦٨٠) والبطريرك الشهير الحازم يوسف حبيش ، والخوري اسطفان حبيش الذي كان وكيلًا للبطريرك الماروني في الاستانة ، وعلى يده مات فيها الامير بشير عمر الشهابي الثاني ، ثم شديد بك حبيش قنصل تركية في باريس ، وطالب بك حبيش ياور السلطان عبد الحميد ، وغيرهم ممن لم يحضرنا اسمهم عند كتابة هذه السطور.

على البحر ، اما لكي تدوره دايرة الخيّال ما يدور في خمسة ايام لانه واسع ، موجود في هذا الجبل نحو ستون ضيعة تجمع سبعون الف نسمة كلهم موارنة كاثوليكية ، وموجود ثلاثة رؤساء عام لرهبان مار انطونيوس ، اولاً رئيس عام رهبان مار انطونيوس الجبلية[٢٠] ، عدة ديورته ثلاثة عشر دير يجمعوا مايتين وخمسين راهب كهنة واخوة ، وديورتهم كلها عامرة ، لهم ارزاق كافية الى معاشهم وزود . وجميعهم فلاحين يشتغلوا في الارض ، وقانونهم قابلين تجت ممبت[٢١] اكل اللحم ، دائماً صايمين عن اكل اللحم الا عند ضرورة مرض قوي . والثاني رئيس عام رهبان مار انطونيوس الحلبية ، هولاى الرهبتين كانت واحدة ابتدأت اصلها من الحلبية . ولكن لاجل ان الحلبية ضعفا في الجسم ومرتبتين (مرتبين) في الراحة ، ويحبّوا الرياسة ، ورهبان الجبلية راسهم يابس مثل مسكنهم ، وقع بينهم انشقاق وعدم الوفق ، وتعبوا رومية كثيراً في هذا الانشقاق مع بعضهم[٢٢] الان لها عشرة سنين الكنيسة الرومانية قسمتهم وصاروا رئيسين عام ، ولما انقسموا ، عدة رهبان الحلبية خمسون راهب ولهم خمسة ديورة فقط ، وديورتهم كافية الى معاشهم . والآن في هذا الوقت ما بقي منهم الا ثلاثون راهب فقط ، لهم رئيس عام واربع مديرين ، ولهم دير في رومية فيه خمسة رهبان[٢٣] . وثالث رئيس عام على رهبان مار انطونيوس

٢٠) الرهبان البلديون اللبنانيون . واما عدد اديارهم في ذلك التاريخ فكان ١٨ ديراً وهي اديار : رشميا ، وصير ، وقزحيا ، وطاميش ، ومشوشة ، ومار الياس الراس للراهبات ، ومار يوسف البرج ، وحوب ، ومار موسى الدوّار ، والناعمة ، وبنايل ، وبرسنين ، وميارق ، وكفيفان ، ودير البنات ، والكعلونية ، ومطوشي في قبرس ، ومار ساسين بسكنتا للراهبات .

٢١) الامتناع عن اكل اللحم .

٢٢) بسبب عدم توافق الاخلاق والتربية ، وبسبب قبول رهبان كثيرين اصلهم من طوائف غير كاثوليكية ، او من غير الطائفة المارونية ، والغاء بعض العادات المشروعة ، ساد الخلاف ، فسعى الاحبار الاعاظم باصلاح الحال فلم يتوفقوا . وكان للرهبانية اعداء خارجون عنها لم يدعوها ترتاح وتستجمع افكارها للتأمل في الحالة التي صارت اليها . وهذا ما دعا المؤلف الى القول انهم اتعبوا رومية كثيراً . والحقيقة هي ان الفريقين تشبّثا بنظريتهما فحكمت رومية انذاك ان القسمة هي اسهل طريقة لاعادة السكينة والراحة ، فاثبتتها .

٢٣) هذه الاديار هي : مار ليشاع الوادي المقدس ، ذكره المؤلف قبلاً ؛ ثم دير اللوزة حيث عقد المجمع اللبناني ، ودير مار بطرس كرم التين ، ودير مار بطرس ومرشليتوس في

يسمونهم رهبان مار اشميا جبليه ، والدير الذي ابتدت رهبنتهم فيه معمّر على اسم مار شميا ، سُمّيت الرهبنة على اسم الدير منشأهم ، هولاى الرهبان عددهم مايةَ راهب ، لهم عشرة ديورة ، كلهم فلّاحين ، وما هم منظومين [٢٤] ، لهم قانون مثبت من رومية على قدّهم وديورتهم مكتفية ، ولكن يجبّوا الدوران في الشحاده [٢٥] ، كثيرين منهم يروحوا الى بلاد المسيحيين ويتسّوا انطنيانيين يضعون هذه العلامة T على ثوبهم [٢٦] ، وكل الذين يتوجهوا يجمعوا مال من المسيحيين ، ما يرجعوا الى ديورتهم بل يجمعوا المال وعلمهم هواهم فيه ويصرفوه في الحرام [٢٧] . ومن قديم الزمان كان في جبل كسروان رهبان اصحاب فضيلة وقوانين متشددة وقداسة ظاهرة وعمل خير منهم وافادة انفس ، ولكن الآن بخلاف صاروا مثلًا رديئاً وسبب ذلك كثرة توجههم الى بلاد المسيحية ، لان

رومية الذي بيع واشتري بثمنه محل آخر حذاء دير مار بطرس في السلاسل ودعي باسم القديس انطونيوس الكبير ، ودير مار الياس شويّا . اما الانطونيون فاديارهم كانت ١٣ ديرا : مار اشميا غزير ، مار عبدا المشمّر ، بكركي ، انطلياس ، امدن ، عوكر ، دير القلعة ، مار روكس ، قطين ، عين التيو ، بعبدا ، جزين ، مار ادنا الفتوح .

٢٤) لم نفهم ما يريد بهذه الكلمة .

٢٥) هذا الوصف لا يتفق مع الواقع فقد يكون المؤلف قد انخدع بما سمعه وبما رآه من دوران بعض الرهبان لجمع حسنات البيت ، او اشتراكات المؤمنين في الفداءات مع الرهبانية . وهذه العادة لا تزال متّبعة حتى اليوم . ومما قد يكون زاد في اعتقاد الكاتب رؤيته الرهبان الكائنين خدمة الرعايا ، فاهم بالطبع خارج اديرتهم . ونعرف من التواريخ الصادقة ان عدد الرهبان سنة التسعة قد بلغ ٢٥١ كهنة واخوة ، فانضم الى الباديين ١٩٠ راهباً والى الحليين ٦١ . اما رهبان مار اشميا فام نعلم بالتدقيق كم كان عددهم في سنة ١٧٦٨ . اما التواريخ التي يذكرها المؤلف فهي غير صحيحة عموماً .

٢٦) هي رقعة زرقاء اللون بشكل عكّازة القرّاءة وقد اطلق عليهم اسم الزُرّيقية لهذا السبب .

٢٧) استأنف المؤلف حملته فان الرهبان وعددهم قليل جدًّا ، ما توجّهوا لبلاد النصارى الا مدفوعين بعامل الحاجة . لان الحكام الغير المؤمنين كانوا يرهقونهم بما يتولونه بهم من الظلم فكانت الديون الفادحة تتراكم على الاديار وليس لها مورد لتستهلكها فيضطر الرؤساء الى مدّ يد الاستجداء الى اخوانهم المسيحيين في اوربة ، ورغم ما بذلناه من السعي للتنقيب عن الذين ذهبوا الى بلاد النصارى لاجل هذه الغاية لم نتوفق الى معرفة اكثر من ستة من الرهبان طيلة قرن كامل .

جرت عادة كل ما اتوجد راهب كسلان وقليل العبـاده يغش رؤساءه بطمعة جمع المال ويعمل اوراق على ما في خاطره ويدور في الدنيا يغش النـاس[٢٨] . ومن مدة ثلاثون سنة قبل تاريخ هذا الخبر راح راهب واحد وكيل رهبنـة مار انطونيوس اسمه البادري ارسانيوس شكري حلبي ارسلته رهبنته مع رفيق له البادري بنيامين (بنيمين زكريا) كان على الرهبنة خمسون الف غرش الى تجار الفرنساوية استقاموا (في) فرنسا وايطالية خمسة سنين وجمعوا المبلغ الدين واوفوا الدين ورجعوا الى طاعة روساهم[٢٩] ، الواحد حين وصوله مات . والآخر صـار مطران على حلب الذي هو الآن في حلب رجل قديس وعمل خير ولم يزل الى الآن ذو قداسة عظيمة جداً ، ومن بعدهم نخبر عن عدد الذين راحوا شحّدوا اولاً توجهوا اثنين واحد اسمه البادري لويس نادر والبادري انطون صالح ، الواحد من صيدا والآخر من جبل كسروان ، وعملوا ذواتهـا (ذواتهما) روسا بالزور واباتية[٣٠] ووضعوا صليب مثل المطارين ، والحال قط ما جرت العادة في كنيسة الشرقية ان المطارين يضعوا على صدرهم صليب الّا فقط في قداس الاحتفالي لا غير حتى ولا البطرك له عادة ان يضع صليب في عنقه الا في القـداس فقط ، هذه عوايد الكنيسة الشرقية . كذلك ان رهبان مار انطونيوس الذين هم في جبل كسروان الآن مشدّدين وقوانينهم مثبتـة من رومية كحسب رتبـة

٢٨) في هذا التعميم افتراء محض.

٢٩) ان الابوين المذكورين ارسلا الى اوربة بامر رؤسائهما مرفوقين بمكتوب توصية من قنصل فرنسة في طرابلس.

٣٠) هذا اختلاق ايضاً لانه وقع في يـدنا كتابات توصية بالابوين المـذكورين من الكردينال موليتو اسقف براشيا ومطران باتراس فرنسيس كارافا. ولا صحة لقول الكاتب ان المطارنة الشرقيين لا يلبسون صليب الصدر الا في القداس الاحتفالي ، فان هذه الميزة هي للاساقفة يتمتعون بها متى شاؤوا وللرؤساء العامين انعام بذلك ، وللسيـد البطريرك ان ينعم بلبس الصليب والمثام على من يريد مكافأته . ويصح قول الكاتب فقط في اساقفـة الطائفة الملكية الكاثوليكية الذين ما ابتدأوا بلبس الصليب الصدري الا من مدة ، لانهم كانوا في ما مضى يضعون على صدورهم ايقونتين معلقتين بسلسلتين . والابوان لويس نادر وانطون صالح ذهبا لاستشداء الاكف مساعدة لدير قبرس وموارنتها الـذين زهقت نفوسهم من الظلم والبلص .

الحبساء.[٣١] بخلاف رتبة رهبنة مار انطونيوس الغربيين ، لان قانونهم متشدد بازود من الكبوچيين باكل الاحم (السلحم) ممنوع عنهم تحت خطأ ميت وثيابهم خشنة وقصيرة وحافيين ، وقط روساهم ما يلبسوا حبروي الا فقط رئيس العام له اجازة من مجمع المقدس ايام معدودة في السنة ان يقدس حبروي في ديره فقط لا غير . ولما ينعزل يرتفع عنه الاجازة ولا يعود يقدر يقدس حبروي . اما رهبان الدى (الذين) يدوروا الغرب يشحدوا ، من الجبل ، من قبل غشمهم وعدم فحص السادات المطارين يلبسوا حبروي وهذا ضد الرتب الكنائسية غرباً وشرقاً . ويكون محقق عند كل مسيحي ان كل الرهبان الذين يستعملوا الشحادة ويدوروا في بلاد المسيحيين ما احد منهم يرجع الى ديره ، وتحقيقاً لذلك نخبر عنهم مستقصراً انه من سنة ١٧٤٠ الى سنة ١٧٨٠ قد راح الى بلاد المسيحيين قدر اربعين راهب ، من هولاي الاربعين ما يرجع عشرة رهبان الى ديورتهم بل انهم البعض جمعوا الاحسان وتصرفوا فيها واستقاموا في بلاد النصارى رجعوا وعملوا تجارة وعصيوا على روسايهم ، والبعض منهم راحوا الى مصر ، والبعض الى حلب وعاشوا عيشة ردية ، والبعض في قبرص قد احتموا عند المسلمين لكي يعيشوا على خاطرهم ، والبعض رجعوا الى الجبل واعطو الى امرات الدروز بعض الذي شحدوه حتى يحموهم من روساهم لكي يعيشوا على خاطرهم عيشة ردية . اذاً فليتحقق القارئ بذلك لان هذا الاعلام قليل من كثير ويغني لصاحب المعقول من هذا الصدد[٣٢]

وعدد الديورة جملة الذي ذكرناهم وسوف نذكرهم ثلاثة وسبعون دير

٣١) انه كان في الطائفة المارونية رهبان « عبّاد » لا ينضمون الى جمعية ، بل يعيشون في اديرة مستقلة (بعضها عن بعض) وقوانينهم قوانين الحبساء القدماء الذين كانوا يعيشون عيشة قشفة للغاية ، ولا يزال عدد منهم حتى الساعة . اما الرهبان المنضوون تحت قانون القديس انطونيوس فانهم يؤلفون رهبانية قانونية تخضع لرئيس عام واحد وقانون واحد مثبت من الكرسي الرسولي .

٣٢) انهذه الفقرة تستدعي تصحيحات كثيرة نكتفي بما يلزم منها : ان الاتمام بالحبريات المعطى للرئيس العام يمكنه من التمتع به في جميع اديرة الرهبانية كل مرة اراد . والرئيس العام المعزول تبقى له الاتمامات ، لكنه لا يلبس الخاتم والصليب ولا يقدس بالحبريات الا باجازة

وثلاثة مدارس لا غير[٣٣]

وبطريرك الموارنة الآن مسكنه قرية اغوسطا في الدير الذي كان عمره ، وهو مطران ، للراهبات وعمل كرسيه ، والآن له عشرون سنة بطرك وساكن في هذا الدير وعامل فيه كابلًا جيدة على اسم مار لويس سلطان فرانسا . اما الدير مؤسس على اسم الطفل . وهذا الدير على طرف الضيعة ما في موجود

الرئيس العام الحالي . اما ما يقوله الكاتب عن الرهبان الذين يذهبون للشحادة ففيه من الاختلاق ما فيه : يدعي ان ما من راهب يذهب الى بلاد النصارى للشحادة فيرجع الى ديره ، وهو قد سبق وقال عن الاب ارسانيوس شكري والاب بنيمين زكريا انهما قاما بمهمتهما افضل قيام وعادا الى بلادهما وسيم احدهما مطرانًا على حلب وعاش عيشة القديسين . اما الابوان لويس نادر وانطون صالح فانهما عادا الى قبرس . اما مصر فقد ارسل اليها الاب موسى هيلانه الشامي لكي يؤسس رسالة فيها . وقد اسندت وظائف هامة الى هؤلاء الرهبان في رهبانيتهم في مواقف مختلفة ، وكنا نود لو ذكر صاحب النبذة اسماء الرهبان الذين ذهبوا الى اوربة للشحادة وقادتهم النواية الى ما يتهمهم به ، لا شك ان ذلك صعب عليه ، اما اذا اضاف الى من ذكرنا الرهبان الذين أرسلوا الى رومية او ذهبوا اليها للدفاع عن قضية الرهبانية او تمكين وحدتها وعدد هؤلاء كثير فيصبح عددهم وافرًا . ولكن هؤلاء لم يذهبوا للشحادة ولدينا من بعض هؤلاء الرهبان رسائل تبين حقيقة الحال واسباب الخلاف .

حبذا لو اورد المؤلف اسماء الذين احتسوا عند المسلمين لكي يعيشوا على خاطرهم ، ولكن ما اسهل الشكوى ؟ ان كثرة ما عثرنا عليه من الاغلاط جعلنا ان نصلحه ببعض الحدة لان للحقيقة حقوقًا يجب على كل فرد ان يثبتها ويدافع عنها ولو كان ما سرده صاحب النبذة مطابقًا للواقع في عمومه لوافقنا على قوله دون ما خوف او وجل . فاذا قاد احدهم نكد حظه الى مجاوزة القانون فلا يسوغ لنا ان نتهم رهبانية باسرها بما لا يصح نسبته الا الى بعض افرادها .

٣٣) ان عدد الاديار في السنة التي كُتب فيها هذا «التعريف» كان قد بلغ ٣٦ ديرًا للرهبانيات الثلاث ذكرناها في حاشية سابقة . اما سائر الاديار فهي : قنوبين ، مار عبدا سماد ، سيدة ستيتا ، مار ضوميط البوار ، مار يوسف الحصن في غوسطا ، بنلوش ، سيدة البشارة في الزوق ، مار جرجس ساحل علما ، دير الزيارة في عنطورا ، دير حراش ، سيدة البزاز ، مار يوسف الحرف دوعون ، مار الياس بلونه ، مار موسى بلونه ، دير الراهبات في شويا ، مار انطونيوس بفعاتا ، دير البقيعة ، عين ورقة ، الرومية ، سيدة الحقلة ، مار عبدا هرهريا . اما المدارس فهي مدرسة عينطورا ، ثم مدرسة زغرتا ، ثم دير عين ورقة المحول مدرسة . ويجب ان نضيف الى ما تقدم ذكره بعض الاناطيش حتى يحصل العدد المطلوب ، وهي اناطيش طرابلس ، وبيروت ، وصيدا ، وجبيل ، وزحلة ، ودير القمر ، وقب الياس . ولا اعلم هل يقصد هذه الاديار التي سميتها ، لكني لم اجد ذكرًا لاديار عامرة غير التي اوردت اسماءها .

كثير الا الحجارة ، شرح المنظر ، ولكن رزقه قليل والآن البطرك يخرج[٣٤] على هذا الدير ، اما اذا مات البطرك ، غيره من البطاركة ما يقدر يسكن فيه الا بخاطر الراهبات واسم البطرك المذكور يوسف بطرس اسطفاني مطران بيروت سابقاً[٣٥] ، وله اربعة عشر مطران اولهم المطران ارسانيوس شكري رئيس اساقفة حلب وهو حلبي ، والثاني المطران ارسانيوس عبد الاحد رئيس اساقفة الشام ، والثالث الياس جميّل مطران قبرص ، والرابع مطران انطون على مدينة عرقه ، ومطران جبرايل مبارك مرسوم على حمص ، والسادس ميخايل فاضل عكاوي مطران صيدا وعكا ، والسابع ميخايل الصايغ من جبيل ومطران جبيل ، رافايل كسرواني مطران بعلبك الثامن ، والتاسع اثاناسيوس كسرواني مطران على معاملة الدروز ، اغناطيوس دياب حلبي مطران صور وهو العاشر ، الحادي عشر المطران جبرايل رشماني على حماة ، الثاني عشر المطران عبدالله طرابلسي على الانقية ، حنا اسطفان الثالث عشر مطران بيروت ، الرابع عشر ايرميا غسطاني مطران على الكرسي الانطاكي ، هولاى المطارنة للطايفة الموارنة[٣٦] ، اما الخوارنة الرعايا وكل كهنة الموجودين موارنة نحو الف

٣٤) ينفق. ٣٥) البطريرك يوسف اسطفان من غوسطا ، تلميذ المدرسة المارونية الرومانية الاولى ، المشهور بعلمه وتقواه ، سيم اسقفاً على بيروت في السنة ١٧٥٠ ، انتخب بطريركاً في ٩ حزيران ١٧٦٦ . بنى دير مار يوسف الحصن في عقار ورثة من ابيه . حدثت في عهده حادثة الراهبة هندية . وهو مؤلف شهير في الناقوس اليمية وله فروض تصلى في مساء بعض الاعياد ، في عهده تمت قسمة الرهبانية اللبنانية الى حلبية وجبلية (١٧٦٨) طلب تنصلية فرنسة للشيخ غندور السمد فنالها ١٧٨٧ . وتوفي في ايامه عين ورقة الى مدرسة اكليريكية طائفية . انتقل الى راحة الصالحين في ٢٢ نيسان سنة ١٧٩٣ .

٣٦) قد خلط الكاتب الحابل بالنابل في ايراد اسماء المطارنة . ولذا رأينا ان نصحح ذلك ونذكر الاساقفة الذين كانوا في قيد الحياة في سنة ١٧٨٦ :

ارسانيوس شكري ، مطران حلب ، من ابناء الرهبانية اللبنانية ، سيم اسقفاً في ٢٦ اذار سنة ١٧٦٣ وقد نوّه به المؤلف سابقاً . توفي في ايلول ١٧٨٦ في دير عين شقيق .

ارسانيوس عبد الاحد ، مطران دمشق ودير حراش ثم نقل الى بعلبك ، سيم ١٧٥٥ وتوفي ١٧٧٧ . ومنهم من قال انه توفي في رومية ١٧٨٨ .

الياس الجميل ، مطران قبرس ، سيم ١٧٦٨ وتوفي ١٧٧٩ قبل تاريخ النبذة .

انطون محاسب ، سيم اسقفاً على عرقا وجبيل والبترون ١٧٦٨ توفي ١٧٨٠ قبل كتابة النبذة .

كاهن ناقص ولا زايد ، رهبان الديورة وكهنة عوام ، ورتبتهم في كنايسهم بالسرياني وفرض صلاتهم ايضاً وقداسهم يقدروا يقدسوا بالعربي والسرياني ، واعيادهم واصوامهم تبعوا اللاتينية وما لهم عياد خصوصية في مدار السنة [٢٧] ويعملوا رتبهم وعيادهم مجهراً مثل بلاد المسيحيين من غير خوف من الامم الغريبة ، وحكام جبل كسروان هم امرات الدروز ، هؤلاى الحكام قديمين في هذا الجبل نحو ماية وخمسون سنة[٢٨] ، اصلهم من بلاد حوران شمالي

جبرائيل مبارك الثاني ، مطران بطبك ، سيم اسقفاً في سنة ١٧٦٤ توفي ١٧٨٨ .
مخائيل فاضل ، مطران عكا ثم صور ثم بيروت ١٧٦٣ توفي ١٧٩٥ بعد ان انتخب بطريركاً .
مخائيل الصائغ ، مطران دمشق ، سيم ١٧٦٦ ، توفي ١٧٥٥ على ما نظن ، قبل النبذة .
رافائيل الحاقلاني ، يدعوه كسرواني ، سيم على طرابلس ١٧٦٥ ثم دمشق ، توفي ١٧٨٠ قبل النبذة .
اثناسيوس كسرواني ، وهو الشنيي من غوسطا ، سيم ١٧٦٨ ، توفي ١٧٧٨ قبل النبذة .
انطونيوس دياب ، والاصح جرمانوس ، وكان اسمه الاول ارسانيوس ، رقي الى اسقفية حمص ١٧٦٩ ، ومات في دير القمر ١٧٩٩ ، ودفن في سيدة النلة .
جبرائيل رشماني ليس مطراناً ، وقد يكون المؤلف خلط بين المطران والرئيس العام فانه وجد رئيس عام للرهبانية البلدية يدعى عانوئيل الرشماني (١٧٦٣-١٧٦٩) ، ولكن ما ابعده عن تاريخ النبذة .
عبدالله طرابلسي ، هو عبدالله نستير ، سيم على عرقا ١٧٦٢ . ولم نعلم سنة وفاته .
حنا اسطفان ، سيم على اللاذقية ١٧٣٢ ثم نقل الى بيروت ١٧٤٣ ، توفي ١٧٧٩ قبل النبذة .
وبعد ايام الكاتب كان المطران بولس اسطفان مطراناً على قورش ثم نقل الى جبيل والبترون ، سيم ١٧٨٧ - ١٨٠٨ . يوسف نجيم على بيروت ١٧٧٩ - ١٨٠٢ لا ارميا الذي مات ١٧٧٩ ، وذي الكاتب المطران مخائيل المازن ١٧٦٧ - ١٧٩٤ .

٣٧) هذا الكلام غير مطابق للواقع ، لان الموارنة حافظوا ، ولا يزالون محافظين ، على اصوامهم . وقد حاول بعض البطاركة ان يجعلوها كاصوام اللاتين ، فلم يرضَ الاحبار الاعاظم . انما جرت العادة ان يقلّل ايام القطاعات التي تسبق عيد الميلاد ، وعيد مار بطرس وبولس ، وعيد انتقال السيدة . واما قوله انه ليس للموارنة اعياد خصوصية ، فناتج عن جهل المؤلف حقيقة الاحوال ، فان للموارنة اعياد القديسين مارون ، ويوحنا مارون ، والثلاثة والخمسين شهيداً ، تلامذة مار مارون . وهم يحتفلون بنيرها من الاعياد ، بالاشتراك مع الشرقيين ابناء الكنيسة الكاثوليكية . وصحيح ما يقوله عن احوال لبنان في تلك الايام ، فان الامراء المنيين والشهابيين لم يقلقوا النصارى في معتقداتهم ، بل وجد منهم من ساعدهم واكرمهم وولى اعيانهم المناصب الرفيعة .

٣٨) يشير الكاتب الى عهد الامير فخر الدين الذي سعى لضم كلمة اللبنانيين وتأليف

مدينة حلب[٣٩] وقبلهم كانوا حكام من هذه البلاد امرة بيت معن . ولما ماتوا بيت معن ، اتوا مكانهم اميرين اخوة يسمو اولاد الشهاب ، والآن صاروا نحو ماية امير . والكبير الذي فيهم يحكم والآخر كلهم تبعة ، ولكن منقسمين في ارزاقهم واموالهم ، وديانتهم عبادة الاصنام وليس الّا . اما في الظاهر مسلمين ، وفي الباطن دروز . وسوف نتكلم عنهم جليلًا وفي محله . وتحت يدهم في الحكم مسفين مشايخ اولاد الخازن[٤٠] . هولاي المشايخ عيلة قديمة جدًا قبل ان يحكموا امرات الدروز في كسروان ، اصلهم اخين كانوا ساكنين في جبل كسروان ومزوجين ولما حكموا هولاي الامرة ، وكانوا هولاي الاخين يجمعوا الميري من الفلاحين الموجودين في كسروان ويدفعوه للحكام ، وبما انهم كانوا يخدموهم في امانة وصدق ، الامرة قدموهم وسلموهم بلاد كسروان كلها في تصريفهم ، وكثروا وامتدوا في كل جبل كسروان . والآن صاروا نحو ماية نفس عدا النسا من هولاي الاخين ، وقنوا اموال وارزاق ويسموا مشايخ البلاد اعني متقدمين والامرا يعتبروهم جدًا وفي بلاد المسيحيين يسموهم امرة جبل لبنان . وقد اخذوا هذا الاسم من البابا في رومية بواسطة المنسنيور يوسف السمعاني شهد فيهم انهم حكام بلاد كسروان وهم امرت البلاد والكنيسة اشهرة (اشهرت) اسمهم امرات جبل لبنان . ولكن بالفعل ما هم امرا بل الامرا هم الدروز من قديم الزمان[٤١] . اعطتهم الكنيسة هذا الاسم لان متقدمينهم فعلوا خيرًا عظيم في دولة مستقلة قوية .

٣٩) يقصد آل شهاب الكرام ، الذين يُقال عنهم اصم من شهاب في حوران ، ولكن حوران ليست شمالي مدينة حلب . اما زعم المؤلف ان آل شهاب هم عبدة اصنام فليس له نصيب من الصحة ، فان الشهابيين مسلمون تنصّر قسم منهم . ولا نعلم من اين استنتج ان الشهابيين في باطنهم دروز .

٤٠) ان بيت الخازن اشتهروا بوفائهم للمعنيين الذين ولوهم على كسروان ، واحيانًا على مقاطعات اخرى . اما الشهابيون فاستخدموا جميع ابناء العيال الكبيرة في لبنان من نصارى ودروز .

٤١) ان آل خازن نالوا مقامًا رفيعًا بما اتوه من الاعمال في جانب البلاد والدين ، فنالوا مقامهم بجدهم واستحقاقهم ، وشرفتهم الكنيسة بلقب فرسان وكتبت اليهم تشكر فضلهم وتسبغ

حماية ايمان الروماني في بلاد كسروان ، ولما تضايقوا طلبوا المعونة من الكنيسة لكي يدوروا يجمعوا احسان لاجل معونة الايمان ، ولكي الملوك المسيحيين تحسن اليهم بزيادة اعطوهم اسم امرة . وامراء عدة راح منهم اناس الى بلاد المسيحيين وجمعوا احسان كثيرة وعملوا فيها خيراً . وقد طلع في جبلنا هذا اناس منهم جهال ، وكثروا جداً ، وما لهم صنعة ولا مكسب عملوا صنعتهم الشحادة في بلاد المسيحيين وجمعوا احسان كثيرة وعملوا فيها خيراً . واستعملوا ذلك بكثرة من غير ان يمشوا في طريقة صالحة وصار كل من اراد من الكسلانين يعملوا لهم بدلتين ثياب جيدة ويسمى ذاته امير جبل لبنان . والحال امارات (امراء) جبل لبنان ما قط في الزمان احد منهم لزم له ان يشحد بل دايماً من قديم الزمان سلكوا كاملين مثل امرات بلاد المسيحيين . ودايماً عملوا خيراً ما للموارنة وشيدوا لهم كنايس وديورة بكل ما يمكنهم ولا قط ظلموا مسيحي ولو كانوا عباد صنم ، بل انهم يحبوا الكاثوليكية اكثر من محبتهم الى اهل جنسهم ويعتقدوا في الموارنة كثيراً وخاسطاً (خاصة) في هذا الزمان على كثرتهم تقاسموا ارزاقهم صار معبورهم قليلاً وشاهدوا اقدامينهم (القدماء منهم) حصل لهم خيراً من بلاد المسيحيين صاروا الجميع يرغبوا التوجه[٤٢] .

عليهم انعاماتها . وشرفهم ملوك فرنسة بان عهدوا اليهم بتصليحهم في بيروت . وقد اطلق عليهم اسم امراء جبل لبنان من قبل السيد يوسف سمعان السمعاني . وسنأتي على نبذة تاريخية في هذه العائلة ان شاء الله . اما امراء البلاد فلم يكونوا قط من الدروز كما يتضح من مطالعة التاريخ .

٤٢) عاد المؤلف الى انتقاده المستهجن ، ونسب الى عدد غير يسير ما قد يكون اتاه بعض الجهال او الكسالى . ولا نعلم انه ذهب عدد كبير منهم الى بلاد النصارى بقصد الشحادة . ولا نعرف من اين اتى بالرواية الآتية اي « ان كل من اراد من الكسالى يعمل بدلتين ثياب جيدة ويسمي ذاته امير جبل لبنان . »

ان حكام جبل لبنان عملوا خيراً مع الموارنة اذا كان القصد من كلمة حكام الامراء المعنيين والامراء الشهابيين . لكن اذا قصد بنو سيفا وبنو عساف وسواهم فلا يمكن ان يقال عنهم مثل هذا القول ، لانهم ظلموا وباعوا واستبدوا . اما ان يحب الامراء الكاثوليكيين اكثر من بني جنسهم ، فذلك ناتج عن امانة الكاثوليكيين في الخدمة واخلاصهم لمن يتقادرون اليه .

والآن حسبما اتت الاخبار بان الملوك قد اطلعوا على كافة امورهم منعوهم عن الشحادة وحسناً جرى ذلك ، لان الآن صاروا يتعبوا في الشغل ويمتنعوا عن هذه الصنعة المقرفة[٤٣]

وهولاى المشايخ متصرفين في بلاد كسروان من قبل الامرا عدد عشرون ضيعة منهم عشرة ضيع تجمع كل ضيعة نحو العشرة الالف نفس ، وعشرة الآخرة تجمع كل ضيعة نحو من اربعة الاف واقل كلهم فلاحين ، مدخولهم من عمل الحرير ويزرعوا قمح وحمص وضرى (ذرة) وقطاني ، واكثر مدخول جبل كسروان حرير ويصير جيد كثيراً . والفلاحين ماهرين كثيراً في عمله وكل فلاح يطلع لـه نحو اربعين ليبرة حرير ، الامير يأخذ النصف والنصف الآخر يبقى للفلاح . ومن هذا النصف الذي يبقى له يلزمه ان يعطي خراجه ويعاش منه كل السنة . ومعاش الفلاح ضيق جداً وبغاية الفقر ، لان الشعب غفير في جبل كسروان والارض ضيقة ومحجرة وكلها جبال وقليل ارض جيدة[٤٤] .

المبور معناه المدخول .

٤٣) ان الذين توجهوا بقصد الشحادة الى بلاد النصارى لم يكونوا من ذوي الصفات الممتازة ، بل احترفوا هذه الحرفة لنوائبهم وعدم تودّهم الشغل . وقد اقلقوا الحكومة هناك وازعجوها بطالبهم ، فاتخذت تدابير صارمة بحقهم . واصبح كل مَن سافر الى بلاد النصارى عرضة لاشتباه الحكومة به .

٤٤) في كسروان اكثر من عشرين ضيعة ، ولكن لا يوجد ضيعة تحوي عشرة آلاف نفس . وربما وجد قرية واحدة تضم اربعة نفس خصوصاً في تلك الازمنة الصعبة . وبالنتيجة ان مجموع السكان مبالغ فيه جداً . لانه لو كان في عشر قرى مائة الف نفس وفي عشر قرى اربعون الف نفس لكان عدد سكان كسروان في اواخر الجيل الثامن عشر ١٤٠,٠٠٠ نفس . وهذا ما لم يعلم به . واما القول ان الفلاح يعيش من مدخول الحرير وحده فليس مطابقاً للواقع ، لان المدخول من اللبن والجبن والاحراش والعنب والتين والخرنوب لا يستهان به . نعم ان معاش الفلاح ضيق لاسيما بعد ان هجر اللبناني وطنه ، او اذا قاسه المؤلف بعيشة اوربة في مدنها العامرة . واذا كان قد حصل ضيق فمن الحروب المتواصلة والظلم . اما ما عدا ذلك فان الفلاح اللبناني تعوّد شظف العيش والجهاد ، والى الآن تراه قويّ البنية سليمها ، يعيش طويلاً ما دام يسير على خطة الجدود قانعاً مجتهداً .

الأواخر في اللغة

بقلم سالم خليل رزق

الآخر خلاف الاول ، والانثى آخرة ، والجمع اواخر ؛ ونقيض المتقدم . وهو صفة ، تقول : جاء آخرًا ، اي اخيرًا . ج آخرون ، وجاء في أخريات الناس ، وخرج في أوليات الليل ، اي اواخر الناس ، واوائل الليل ، من غير نظر الى معنى الصفة . وقولهم « لا افعله اخرى الليالي اي ابدًا ؛ وأخرى المنون : آخر الدهر . وتقول جاء أَخَرَةً وبأَخَرةٍ وأُخْرَة وبأُخْرَةٍ ، وجاء أُخرًا وإخريًا وآخريًا وبآخرةٍ اي آخر كل شيء .

وخَرَج مُؤَخِّرًا ، اي في آخر الشهر ، او في آخر الوقت .

وجاء دَبَرِيًّا اي اخيرًا . تقول : تبعت صاحبي دَبَرِيًّا ، اذا كنت معه فتخلفت عنه ، ثم تبعته وانت تحذر ان يفوتك ، والدَّبَرِيُّ : رأي يسنح اخيرًا عند فوت الحاجة اليه وعليه قولهم : « شر الرأي الدبريّ »

والبُلْجَة : آخر الليل عند انصداع الفجر . يقال : رأيت بُلْجة الصبح ، اذا رأيت الضوء ، وسريت الدُلجة والبلجة حتى وصلت .

والجَهْمَة والجُهْمَة والجُهْنَة : اول مآخير الليل ، وذلك ما بين الليل الى قريب من وقت السحر . وقيل : بقية سواد من آخره . يقال : مضى من الليل جهمة ، والعَجُوس : آخر ساعة من الليل ، ومثله العُجْن ، والاهتجام : آخر الليل ، والغَلَسُ : ظلمة آخر الليل . تقول : رأيت من غَلَس الظلام خيالًا .

والفَلْتَة : آخر ليلة من كل شهر . وقيل آخر يوم من الشهر الذي بعده الشهر الحرام ، والدُوْدَز : ثلاث ليالٍ من آخر الشهر ، وهي ليالي المحاق ، ج . دآدِئ . والدَّلَماء : ليلة ثلاثين من الشهر القمريّ قيل لها ذلك لظلامها . والحَنادِسُ : ثلاث ليالٍ في آخر الشهر مظلمة ، وابن البَرَاء : آخر ليلة من الشهر ، وكذلك الناحرة . وقيل الناحرة آخر يوم من الشهر ، والنحيرة . قال ابو الغوث : النَحِيرة آخر ليلة من الشهر مع يومها لانها نحر الشهر الذي بعدها

اي تصير في نحره او تُصيب نحرَهُ . والمُحاق : آخر الشهر ، وقيل ثلاث ليال من آخره . وقيل ان يستتر القمر فلا يرى غدوة ولا عشية ، سُمّي به لانه طلع مع الشمس فمحقته . وكذلك الشَكس ، وطُواس : ليلة من ليالي المحاق . وليلة الشياء : آخر ليلة من الشهر ، ومثله سرار الشهر ، والليلة الفَماء ، وليلة الوَصل ، وهُلبة الشهر وسَلخه ومُنسَلَخه ، وقُحَم الشهر : ثلاث ايال آخرَهُ ، ويومٌ أيوَم : آخر يوم في الشهر . وابن جبير : الليلة التي لا يطلع فيها القمر في اولاها ولا في اخراها ، وذلك يكون آخر ليلة من الشهر . ويقال للقمر ابن جبير ، لانَّ الشمس تجمره اي تواريه . وابنا جبير : الليلتان يستسرّ فيها القمر . وابن سبير : ابن جبير ، والسرَرُ : السرار ، وقد استسرّ القمر : اذا خفي ليلة او ليلتين ، وهو من السرار .

والسحر : آخر الليل ومتنفَّس الصبح ، وهو سحران : السحر الاعلى قبل انصداع الفجر ، والآخر عند انصداعه . تقول لقيته باعلى سحرَين ، وباعلى السحرين ، وكذلك السحَريّ والسحَريّة ، والفُرْقان ، والقُطاط .

وصرعا الليل : اوله وآخره ، ومثله سقاطاه ، وسِقْطاه ، قال الراعي :

حتى اذا ما اضاء الصبح وانبثت عنه نُعامة ذي سقطين متكر

وذَنَبَة الوادي والدهر : اواخره ، ومثله ذُنابتها ، والمُذانِب من الابل الذي يكون في اواخرها :

ونَفَس الساعة : آخر الزمان .

وبيضة العُقْر : آخر بيضة للدجاج ، وقيل اول بيضة . وبَيْضة العُقْر : آخر الاولاد ، ومثله الجرعة ، والزَنية ، والعِجزَة ، والعُجزة . يقال : هو عجزة ابيه ، وهو بلفظ المفرد مع الجميع . ويقال وُلد لعجزة اي بعد ما كبر ابواه ، والقِعدة (للذكر والانثى والجمع) والزُكمة ، تقول : هو زكمة ولد ابيه ، والكِبْرَة يستوي فيه الواحد والجمع والمؤنث ؛ ويشبهه النُضاضة والغُضاضة . ويقال لآخر ولد الشيخ والشيخة «ابن هِرْمة» ، وفي اللسان انه غير مصروف .

والأهزَع آخر سهم في الكنانة ، رديئاً كان او جيداً ، وقيل هو افضل سهامها لانه يذخر لشديدة .

والعاقبة : آخر كل شيء. يقال تغيَّر فلان بعاقبة اي بآخرة ، بعد ما كان مرضياً ، ج . عواقب ، قال جرير :

انسيت يومك بالجزيرة بعد ما كانت عواقبه عليك وبالا

والقُصْرَى : آخر الامر . ومثله القَصارى والقُصارى يقال : قصاراك ان تفعل كذا ، اي جهدك وغايتك وآخر امرك ، قال الحريري :

وان قصارى منزل الحيّ حفرة سيترلها مستنزلاً عن قبابه

والنِبُّ : المَنْبَة ، والخاتم ، والدَّبْرة ، والخاتمة . تقول: هذه خاتمة السورة اي آخرتها . وهذه خاتمة الكتاب ، والصَّيْر والصَّيُّورة . تقول : صيّره الى كذا اي عاقبة امره ومنتهاه ، والدابر ، يقال قطع الله دابرهم اي آخر من بقي منهم ، والدُّبُر تقول جئتك دُبُر الشهر ، وفي دبره ، وعلى دبره ، اي آخره ؛ والذَّيل ج . اذيال وذيول . تقول جولاء اذيال الناس وذيولهم اي اواخرهم ؛ والعُقْبى قال المتنبي :

عقبى اليمين على عقبى الوغى ندم ماذا يزيدك في اقدامك القَسَم

والعُقْب ، والعُقُب ج . اعقاب . قال الشاعر :

بصير باعقاب الامور كانما تخاطبه من كل امر عواقبه

والعُقْبان تقول جئت في عقبان الشهر ، اذا جئت بعد ان يمضي كله ، مثل قولك جئت في عُقْبه ، وفي عَقِبِه ؛ والختام تقول هذا ختام الشراب اي آخره ، وهذا خِتام القوم اي آخرهم ؛ والنهاية ، وهي غاية الشيء ، وآخره ، واقصى ما يمكن ان يبلغه. ومثلها المَنْهاة . يقال : « الموت مَنهاة الناس » و « قد انحنا في بوبؤ العز ومنهاة الكرم » . والمنتهى ، قال الشاعر :

فكل حياة الى منتهى وكل شقاء الى مترع

والمَدَى ، تقول بلغ مدى الحياة ، اي غايتها . تقول: يشحذ للبغي المُدى ، ويبلغ في الغيّ المَدَى . والغاية ، تقول: غايتك ان تفعل كذا ، اي نهاية طاقتك وفعلك . قال المتنبي :

لم أجرِ غاية فكري منك في صفة الا وجدت مداها غاية الابد

وقال الدكتور فياض :

ما الغبر غاية كل حيّ مثلما زعموا ، فللانسان غاي اعظمُ

ومثله الجَهْد ، والجُهْد ، والجُهَيْدى . يقال: لابلغنّ جُهَيْداي ، اي غاية جهدي ، وصغر للتعظيم . والندى ، والنصُّ ، يقال بلغ الشيء نصّه اي منتهاه ، والنهاء تقول بلغ نهاءه اي غايته وآخره ، والنُهْية ، والشوط ، والرُونة (من الشيء : غايته في حرّ او برد او حرب او حزن) والإِنَى ، يقال بلغ الامر إناه ، والشأوُ ، قال الشاعر :

اكلت مناخرك المقاخر وانثنت عن شأوهنّ مطيّ ومغي ظُنَّما

والطرف (حرف الشيء ونهايته) والردْف ، والأَمد . يقال ما أَمدُك اي منتهى عمرك . وجاء في اللسان : وللانسان امدان : احدهما ابتداء خلقه الذي يظهر عند مولده ، والامد الثاني الموت . ومثله الأَفد ، والميداء ، والدَهْرُ ، والباب ، والبابة (في الحدود والحساب : الغاية)

والميتاء : آخر الغاية التي يجري اليها الخيل ؛ والحداس ، والاداس : الامر الذي تظن انه الغاية التي يجري اليها ؛ والمبلغ : حدّ الشيء وغايته يقال بلغ مبلغه ؛ والحدّ : منتهى كلّ شيء ، لانه يرده ويمنعه عن التمادي .

وقالوا : عَكدُك هذا الامر ، اي غايتك . ومعكودك أن تفعل كذا ، وتُصَيِّرَاك ان تفعل كذا ، اي آخر امرك ان تفعله . وصار الامر الى قراره ، ومستقرّه ، اي تناهى وثبت . ولكل نبأ مستقرّ ، اي غاية ونهاية . والشمس تجري لمستقرّ لها ، اي لمكان لا تجاوزه وقتاً ومحلاً ، وقيل لاجل قُدّر لها . ولتجدّني بقرن الكلأ ، اي في الغاية مما تطلبه مني . وفلان يأتيك بالامر من مَفصِله اي من منتهاه . ولا تجعلوني كقدح الراكب اي آخر . وبلغ الله بك اكلأ العمر ، اي آخره وابعدَهُ . وفلان عُقبة قومه ، اي آخر من تبقى منهم . وجاء أخرى القوم ، اي من كان في آخرهم . وجاء في اخرياتهم اي في اواخرهم . ولا افعله أخرى المنون ، اي آخر الدهر ، قال كعب بن مالك الانصاريّ :

ان لا ترالوا ما تمرّ طائر اخرى المنون مواليًا اخرانا

وفعله نتيشاً ، اي اخيراً . وجاء مُعقّباً ، اي في آخر النهار ، وما عرفته

الا بآخرة اي اخيراً.

والمُدَّة : الغاية من الزمان والمكان ، يقال : لهذه الارض والامة مدة . والصَّير والصِير : عاقبة الامر ومنتهاه . وكُفَّة الشجر : منتهاه حيث ينقطع . والمسكت : آخر القداح . والسُكَيت: آخر خيل الحلبة . والغَبَشُ : ظلمة آخر الليل ، تقول نحن في اغباش الليل وهي بقاياه . والكُيُول : آخر صفوف الحرب ، وعُجمة الرمل : آخره . واتاه بجرش من الليل ، اي بآخر منه.

وقالوا : اواخر الامور ، وحلاقيم البلاد: اواخرها واطرافها ، وفي حديث الحسن قيل له ان الحجاج يأمر بالجمعة في الاهواز ، فقال : «يمنع الناس في امصارهم ، ويأمر بها في حلاقيم البلاد» واسحار الارض ، يقال بلغ من الارض اسحارها اي اطرافها واواخرها ، استعاره من اسحار الليالي . وكذلك اكناء رمضان ، تقول : قدمنا في اكناء رمضان ، ومروا في اكناء المنهزمين ، وعلى اكنانهم ، اي على آثارهم وادبارهم . ومجاري الكلام ، لانّ حركات البناء والاعراب انما تكون هنالك . واكرع الجوزاء . وعُجوب الكُثبان . وحوادي الاشياء (كما ان الهوادي اوائلُ كل شيء) وتوالي الابل . والعرب تقول : ليس هوادي الخيل كالتوالي ، فهواديها اعناقها وتواليها مآخرها

وقد تعقَّب فلان رأيه اي وجد عاقبته الى خير . واعقب الامرُ : حسنت عاقبته. واستعقب فلان من ذلك خيراً ، اي وجد بذلك خيراً بعده. والحُسنى: العاقبة الحسنة . وقولهم : ختم الله له بالخير ، اي جعل له عاقبة حسنة .

وفرَّخ الامرُ : استبانت عاقبته بعد اشتباه . وعَقُرَ الامر عُقْراً : لم ينتج عاقبة .

وتمادى في الامر تمادياً : بلغ فيه المدى . وغبَّت الامورُ : صارت الى اواخرها ، وتناهى الشيء : بلغ نهايته ، يقال تناهى البعير سناً . ومثله تراقَّ ، يقال انك لا تدري علامَ يتراقّ هرمك ، اي على اية حالة يتناهى رايك ويبلغ آخره. واجاب الظلامُ اجابة. والمتغبب: المنتظر الغب اي العاقبة.

القديس يوحنا فم الذهب

وثورة انطاكية

بقلم حضرة القس عبد المسيح زهر

٢

وفي اليوم الثاني شاع في المدينة خبر تداولته الرواة وملأ الاسماع ، كان فحواه ان البُرْد الموجهة الى الملك حدث لهم بعض العوائق في الطريق ، فاكرهوا على ترك خيلهم والركوب في العجلات العمومية[1] . وللحال اظهر العزم على السفر الشيخ الجليل فلابيانوس ، وهو اخو ثاثين ، وسرى بقطع من الليل تاركاً اخته في شدة المرض ، وهازئاً بشدائد السفر ، عازماً على الوصول قبل الرسل وقبل اشتداد الذنب . وفي اليوم الثاني من سفر الاسقف امّ يوحنا الكنيسة ، وجعل يبشر اولاده بسفر راعيهم الذي كان ثودوسيوس يجله ويعظمه من اجل فضائله فقال : « اني حين ارى هذا الكرسي واشاهده فارغاً محروماً صاحبه الذي كان يعلمنا ويرشدنا افرح وابكي . ابكي لاني لا ارى ابانا هنا ، وافرح بسفره ، لعله يخلصنا وينقذ هذه المدينة العظيمة من غضب الملك ... لقد سافر مستعداً لبذل نفسه من اجلنا كلنا ... ذهب كالشاب لان كبر همته اعاره اجنحة .»[2]

وما فتئ بعد سفر الاسقف يشجع اولاده ويقوّي جأشهم بقوله : « ان سرأى هذا الرجل المكرّم سيؤثر في ملك العالم ... فيخاطبه كما خاطب موسى الله : ان غفرت لهم خطيئتهم والّا فامحني من كتابك[3] . ويحثه على الاقتداء بربه ، ويذكره بمثل العبد صاحب العشرة آلاف وزنة وصاحب المئة الدينار[4] ... ويقول الرب : اغفر لنا ذنوبنا كما نحن نغفر لمن اساء الينا[5] .

١) فم الذهب : المجلد الثاني ٧٥ و ٧٦ ٢) ٧٥ و ٧١ ٣) خروج ٣٢ : ٣٢
٤) مت ١٨ : ٤ ٥) مت ٦ : ٧

وبقوله له: تفكر في شرف هذه المدينة... فيها اتباع يسوع سمّوا مسيحيين... اكرم يسوع المسيح وابق على المدينة التي نطقت اولاً بهذا الاسم الجميل العذب وبها اقام الرسل والقديسون ... اذكر كلامك الذي وجّهته الى المدائن باجمعها : ليتني استطيع بعث الموتى ! فالى هذه العواطف نلتجئ وبقولك نستغيث . ان مجد الملوك يتوقف على قهر الغضب اكثر من قهر الاعداء . انتصاراتك يشاركك فيها قوّادك وجنودك ، واما غلبتك على نفسك فرجعها اليك وحدك ، اذ ما من احد يشاطرك شرف حلمك . لقد دوّخت البرابرة فدوّخ كبرياء الرتبة العليا ، فيتعلم غير المؤمنين ان كل سلطة تُلجم بلجام المسيح . مجّد ربك بتجاوزك عن عبيد مثلك.»[1] على ان همة الخطيب كانت بكليتها منصرفة الى تحريك عواطف الشعب وحمله على الثقة بالله عز وجل، قال: «اذا كان الله طلب عشرة ابرار ليعفو عن شعب اثيم ، فهنا عندنا لا عشرة ولا عشرون ولا اربعون بل جمّ كثير ممن يعبدون الله بنشاط وحسن همة . فكيف اذن لا نؤمّل ؟ اني اسمع البعض يقولون : غضب الملوك يشبه زماجر الاسود . ولكن الله قادر على تحويل الاسود الى خلان.»[2]

وكان الشعب الانطاكي ينصت لكلام يوحنا بلذة وانبساط ويعيره اذناً صاغية فيتعزّى عن شدائده وبلاياه ، ويتقلب والثقة ملء جوانحه ثم يعود اليه في اليوم الثاني ، ويستمع الى كلامه كالسابق. فكسدت حينئذٍ اسواق الملاعب والملاهي ، وأقفلت الحمامات ، وكثر الزحام في الكنيسة[3] ، وبقي يوحنا لا يفارق المكان المقدس تارة ينفي الاشاعات الكاذبة ، وطوراً يشجع ، وحيناً يعد بالعفو ، ووقتاً يوبّخ.

اما الاسقف فلابينوس فمع ما بذل من الجهد في السير فلم يستطع الوصول الى القسطنطينية قبل شيوع خبر الفتنة . ولمّا نُمي الى الملك خبرها تبدّل الضياء في وجهه بالظلام ، واستشاط غيظاً ، ووطّن النفس على حرق انطاكية ، واطلاق السيف في اهلها قتلاً[4] ، وارسل من قبله رسولين اختارهما من بين قواده

---

١) ٧٦ ٢) ٢٧ ٣) ٢٥ و ٦١ ٤) ١٤٩ و ١٧٥

المحنكين ، واوعز اليهما ان يعاقبا المدينة المتمردة باقفال الملعب والحمامات وبيوت اللهو ، وتجريدها من مزاياها الخاصة ومن لقب « عاصمة » ، ويجعلاها خاضعة للودوقية ، ويحبسا عنها توزيع الطعام.

وكان بين هيليكوس ، احد الرسولين ، وبين القديس غريغوريوس النزينزي ولاء واخاء . سار الرسولان من وقتهما من القسطنطينية حتى بلغا عاصمة الشرق فالقى وصولهما الذعر في القلوب ، وانتشرت القالات والاراجيف[1] ، وتبسط الجند وقتئذ في ما شاؤوا من نهب وسلب وحرق ، وشاع ان العساكر آخذة في الزحف على المدينة لتخربها ، فاوجد هذا القال والقيل الوالي الوثني الى دخول الكنيسة . فدخل وخطب في الشعب يوم انتصاف الصوم وسكّن روعته. وفي تلك الاثناء كان يوحنا مصاباً بوعكة ملازماً البيت[2]. وما بلغه وصول رسولي الملك حتى هرع في اليوم الثاني الى الكنيسة وطفق يقول : « اني اثنيت على حضور الوالي الذي اتى وعزاكم واحيا فيكم مائت الامل ، وذلك لمّا رأى اضطراب المدينة والاستعداد للفرار . ولكني انفضح خجلاً اذ انكم بعد كل الخطب التي سمعتموها من فوق هذا المنبر تحتاجون الى معزّ ايضاً. فلما سمعت ان الوالي اتى ليهدئ روعكم ويلومكم على خوفكم الذي وقع في غير اوانه ، وددت لو ساخت الارض بي.»[3]

ولما وصل الرسولان اعلنا تجريد المدينة من ميزاتها ، واخذا يقبضان على المتهمين ويحبسانهم ، فامتلأت السجون وكادت تضيق ذرعاً بالسجناء ، وعيّنا قضاة من الجيش يقضون على المجرمين بلا مراجعة. وبينما هما ذاهبان ذات يوم الى مجلس القضاء راكبين فرسيهما ، احاط بهما على حين غرة اناس ذوو وجوه شاحبة ، والوان مصفرة ، واجسام ناحلة من طول القيام وكثرة الصيام . من كانوا يا ترى ؟ النساك . فانهم ما سمعوا ما حلّ بانطاكية حتى خرجوا من كهوفهم وصوامعهم ، وطاروا الى المدينة يسألون رسولَي الملك العفو عن المجرمين وكان فيهم شيخ جليل عليه آثر البؤس والمسكنة ، لابس ما تلدّم من الثياب.

---

١) ١٨١ و ٢١٤ ٢) ١٨٨ والعظة ١٩ ٣) ١٦١

فهذا تمسك باذيال الرسولين وامرهما بالنزول . فهما بضربه . ولكنهما سمعا في الحال صرخة ردّدت صدى صوته فترجلا عن فرسيهما واهويا على قدميه . فهذا الناسك كان مقدونيوس الذي اشتهر في بلاد المشرق بزهده وصومه وصلاته واقتصاره من الطعام على طحين الشعير مَدوفاً بالماء . ولكنه رفض اكرام الرسولين له وقال لهما : « اذهبا واحملا هذه النصيحة لمولاكما . قولا له : انت ملك ، ولكنك انسان . انظر الى طبيعتك ، لا الى رتبتك . انت انسان مسلط على بشر مثلك مطبوعين على صورة الله . خف من غضب الخالق واياك ان تلاشي صورته . انك غضبت لكسر تماثيل من نحاس ، افلا يغضب على كسر التماثيل الحية ؟ تماثيل النحاس تُصلح وتُرَمّ ومن التمثال الواحد تصنع تماثيل عديدة ، ولكن اذا قتلت البشر كيف تصلح هذه الخسارة ؟ أتستطيع ان تقيم المفقودين وتردّ الانفس الى الاجساد العادمة الحياة . »[1]

فاثر هذا الكلام في نفس الرسولين ، ووعدا الناسك القديس رفع هذه الرقيمة الى الملك . ولما دخلا دار القضاء الفيا الاساقفة والقسيسين ، وفي مقدمتهم فم الذهب ، واقفين عند الباب ، فلم يفسحوا لهما في الدخول وقالوا : لسنا نمكنكما من الدخول ، وان ابيتما الّا استعمال الشدّة فدوسا على جثثنا اولاً ثم ادخلا . واخذوا يقبلون ارجلهما مرة ، ومرة يوبخونهما[2] ، ولشدّة الالحاح اضطرّا الى النزول على رغبة الاساقفة والكهنة ، فبادر الجميع الى شكرهما وتقبيل ايديهما والاشادة بالدعاء لهما .

وكان هنالك امرأة مكشوفة الرأس ، مشعثة الشعر ، فهذه تعلقت بلجام فرس هيليكوس ودخلت دار الولاية . وما كادت ترى ولدها مقيداً ، حتى طارت اليه ونزعته من الحرّاس وجرّته الى امام نائب الملك هيليكوس ، وشرعت تبكي وتستحلفه ان يعفو عن ولدها وحيدها وعكاز شيخوختها ويشفق عليها بحرمة امه ، ثم ناشدته ان يقتلها او يردّ لها ولدها[3] .

ومن بعد ذلك تأهب الرسولان للرجوع على اعقابهما لطلب العفو عن المدينة ،

(١ ١٧٣ (٢ ١٧٥ (٣ ١٧٣

واراد النساك اللحاق بهما، ولكنهما اقنعاهم بتقديم عريضة الى القيصر فكُتبت العريضة وحملها سزاريوس وتوجه للحال الى القسطنطينية . وبقي هيليكوس يسكن جأش الانطاكيين وينفي مخاوفهم . وفي تلك الأثناء نُقل المعتقلون من سجونهم وأودعوا بناء رحباً ذا اروقة وحدائق ، وأذن لاهلهم في زيارتهم ومحادثتهم ، وتغيرت الاحوال وانقلب الحزن فرحاً ، والنوح ضحكاً ، والخوف امناً ، واستأنف السكان طربهم وفرحهم كالسابق . فحاك ذلك في صدر القديس فأقبل يوبخهم ويعنفهم قائلاً : « ان حكم الملك ما زال مجهولاً ، وحكام المدينة ما زالوا في القيود ، والسكان مع ذلك يخفُّون الى النهر للاستحمام ، ويستسلمون الى المآكل والمشارب والاشر والبطر والرقص والزفن مع النساء . فكيف اسامحهم ، وكيف اعذرهم ؟ »[1]

وبينما كان الاسقف فلابينوس في القسطنطينية يحاول الاذن في الدخول على الملك ، والملك يمانعه ، وصل سزاريوس ودخل على ثودوسيوس في ساعة ما كان ينتظرها وقد طوى المسافة القائمة بين العاصي والبسفور في ستة ايام . ثم قصّ عليه الحوادث ، وعرّفه جلية الخبر ، وما جرى من شدة الحكام ومخاوف السكان ، ووساطة النساك والرهبان ، وتوبيخ الاساقفة والقسان ، وقدّم له العريضة ، وجثا امامه يسترحمه على المدينة المتمردة ، وانضم اليه وفود البلدان . وحينئذٍ دخل فلابينوس ووقف بعيداً صامتاً منكساً رأسه حياء وخجلاً . فدنا الملك منه وقد تأثر ، وذكّره بالآلاء والنعم التي ازلها الى مدينته ، والجميل الذي ساقه اليها ، وكيف قابلت صنيعته ، وانكرت جميله ، وجحدت احسانه . فرفع الاسقف رأسه المكلل ببياض الشيخوخة وامارات القداسة ، وطفق يتكلم ، وآثار الحزن بادية على وجهه . وما انتهى من خطابه الطويل حتى ظهر التأثر على وجه الملك فقال : « لا عجب اذا عفونا نحن البشر عن بشر اسخطونا ، بينما نرى رب العالم نزل الى الارض وصار عبداً من اجلنا ، واحتمل عذاب الصلب من صنائعه ، وصلى لابيه من اجل معذبيه ، وقال : يا ابتِ

(١ ١٨٧

اغفر لهم لانهم لا يدرون ما يعملون.»[1]

ثم اوعز الى فلابينوس بالسفر ليبشر اولاده بالعفو ، وقال: «اني عالم انهم فريسة للقلق ، فاسرع وعزّهم ؛ انهم متى رأوا قائدهم ينسون آلامهم.»[2] ولما الحّ الاسقف على الملك ورغب اليه في ارسال ابنه الى انطاكية قال : «صلِ لله لتزول العوائق وتخف الحرب فاذهب انا نفسي واعزّيكم.»[3] وللحال سيّر فلابينوس البُرُد[4] فبلغت اوامر ثودوسيوس بالعفو يوم سبت النور ، فجمع هيليكوس المعتقلين سحراً وبشرهم بالعفو ، وقرأ عليهم امر الملك فانتشر الخبر باسرع من لمحة الطرف ، وتطايرت البشائر فنضرت لها الوجوه ، وضحكت القلوب ، وعمّ الفرح والسرور ، وفُتحت الحمامات ، وزُيّنت الساحة العمومية بالازهار ، وسُرّح السجناء ، وانطلقت الالسن بالمدح ، واجهرت بالثناء الطيب على ثودوسيوس وفلابينوس وسزاريوس ، وهتفوا باسمائهم طويلاً . ولمّا وصل الاسقف لاقاه الشعب باكرام واحترام ، اجلال واعظام . وكان يوم وصوله يوم هناء وفرح وسرور لا مثال له .

وفي ٢٥ نيسان ، يوم عيد القيامة ، وقف القديس فم الذهب ، وشكر الله على نعمائه وقال: «تبارك الله الذي اذن لنا في الاحتفال بهذا العيد المقدس معكم في اتمّ الفرح ، اذ ردّ الراعي الى رعيته ، والقائد الى عسكره ، والحبر الى كهنته . تبارك الله الذي منّ علينا واعطانا فوق ما طلبنا وأملنا . . . فلنشكره متعجبين من قدرته وجوده وحكمته وعنايته بمدينتنا[5] . ثم قال : ليخزَ الوثنيون بل بالاحرى ليفهموا ويتعلموا من الملك والحبر حكمة شريعتنا الالهية.»[6]

فالفضل في نجاة انطاكية من سيف الموت المصلت ، وعقاب الملك ، واستعادتها ميزاتها راجع الى الدين المسيحي ورجاله ، ولاسيما القديس يوحنا فم الذهب الذي كان مرشد الشعب الانطاكي ، ومعلمه ، ومعزّيه ، ودليله ، وزعيمه ، واباه ، وامه .

---

١) ٢٢٢ ٢) ٢٢٢ ٣) ٢٢٢
٤) ٢٢٢ ٥) ٢١٢ و ٢١٤ ٦) ٢٢٢

الأخت مسيحية علوان

الراهبة اللبنانية

١٨٤٤ - ١٩١٥

حسن علوان الدرزية

او

الاخت مسيحية الراهبة اللبنانية

بقلم القس انطونيوس شبلي اللبناني
رئيس معاملة جبيل والبترون

١

تمهيد

الى عباد الله المتقين من ابناء الوطن العزيز ، نوفُّ ترجمة حياة راهبة لبنانيَّة من فضليات الراهبات .

تكشفت لها الدنيا عن اباطيلها الفانية ، فرغبت عنها الى الآخرة حبًّا بالسعادة الباقية . وانجلت لعينيها الحقيقة ، فتمسَّكت بها تمسُّكاً وثيق العرى ، لا تلويها عنها المخاوف ، ولا تزحزحها عن الاعتقاد بما ركن اليه عقلها اهوالٌ ولا خطوب

دعتها العناية الالهية الى اعتناق الديانة المسيحية ، ثمَّ الى الحالة الرهبانيَّة ، فلبَّت الدعوة بنفس رضيَّة مُصغيةً الى الهامات الله الخفيَّة ، وكأنها تقول بلسان حالها : « تكلَّمْ يا ربّ فعبدتك تسمع »

هجرت اهلها ، ووطنها ، ولجأت الى احد اديار راهباتنا اللبنانيَّات المحصَّنات ، وتحصَّنت داخل جدرانه عاكفةً على العبادة واعمال الزهادة . فبلغت من الرقيّ في معارج الكمال الرهبانيّ مبلغاً قصيًّا . وكانت حياتها مدرجةً لاخواتها الراهبات الى الاقتداء بفضائلها السامية . نعني بها الاخت مسيحيَّة علوان الدرزية المذهب في الاصل

ومن أمعن الرويَّة في ترجمتها اندهش من مفاعيل نعم العناية الالهية التي لا تقف بسبيلها قوَّةٌ بشريَّة . فسبحان من يغير الاحوال في طرفة عين

برمانا — بلدتها

برمّانا بلدةٌ في مقاطعة المتن ، أفرغت عليها الطبيعة أبهى المحاسن وكستها بثوبٍ من جمال الخضرة البديع ، قائمةٌ على رابيةٍ شرقيّ بيروت ترتفع عن سطح البحر ٨٠٠ متر ، تحوّطها اشجار الصنوبر من جميع اطرافها ، وتطفل بين غاباتها بعض بيوتاتها تتنعّم بنفحات نسيمها وتغاريد طيورها.

تطلُّ من جهتها الشمالية والغربية على بيروت وحدائقها النضرة . وتقابل من الجهة الشرقية جبل صنين اللامع شتاء وصيفاً بثوبه الناصع . وتقع العين من الجهة القبليّة على وادي الجماني الغاصّ باشجار الصنوبر والسنديان ، وعلى عاليه ومعظم قرى الغرب. واذا كان الجوُّ صافي الأديم ، وصعدت الى مرتفعاتها قُبيل الغروب ، رأيت جبال قبرس متمثّلاً بابدع مشاهد الطبيعة التي تشبعُ العين بهجةً وتملأ النفس غبطةً .

أضفْ الى هذه المحاسن الطبيعية شمائل اهالي برمّانا الطيّبة ، وكرم اخلاقهم ، وبساطة كفّهم ، واكرامهم للغريب ، وحبّ التآخي الذي يسود فيما بينهم على تباين مشاربهم ومذاهبهم . كلُّ ذلك يشوّق طلّاب الاصطياف الى اختيار هذه البلدة في فصل الصيف مسرحاً لافكارهم ومتنزّهاً لابدانهم بحيث تتوفّر لهم فيها اسباب الراحة والمسرّة .

حسن علوان — او الاخت مسيحية

نسائرها

وُلدت في برمّانا في اواخر شباط من ابوين درزيين ، اسم ابيها شاهين ابي نكد ، وامّها ستّ الاخوة ، وكلاهما من عيلة علوان . تزوّج ابوها اربع نساء على التعاقب وطلّقهنّ جميعاً . رُزق من الاولى ولداً ذكرًا ، ومن الثانية بنتين ، واما الثالثة فقد سمّمت للولد ومات ؛ فشكاها زوجها الى الامير بشير المالطي ، فأمر بشنقها . فاخذها زوجها وابوها ، وطرحاها في البحر .

ثمَّ اقترن شاهين بالمرأة الرابعة ، ستّ الاخوة — والدة صاحبة الترجمة — وكان حدث لها قبل عقدها عليه مسٌّ في عقلها ، فاشار اليها بعض جيرانها النصارى ، ان تنذر نذراً للقديسة تقلا في كفرسلوان فتشفى . فنذرت وشفيت . ثمَّ أصيبت بمرض الطاعون ، وشفاها الله على يد أمته القديسة تقلا ايضاً . واذ وثقت من قوّة شفاعتها ، أخذت تستغيث بها في كل بلاء ومحنة تعرض لها .

ولمّا مضت مدّة على زواجها ولم تقرّ عينها بولدٍ ، لجأت الى شفيعتها كمن يلجأ الى كهفٍ حريز والى مسامحةٍ حنون ، فبان حبلها . واتفق ان مرَّ بها احد المغاربة ، وهي حبلى ، فتكهَّن لها انها ستلد ولداً ذكراً وتموت وقت ولادته ، فأثّر تكهُّنهُ بعقلها وحزنت حزناً مزّق شغاف قلبها وأسال مذارف عينيها ، فهرعت الى شفاعة مساعدتها القدّيسة تقلا طالبةً منها ان ترزقها بنتاً مخافة ان يصدق المغربيّ في تكهُّنهِ وتموت ، ووعدتها اذا استجابت سؤلها ، انها تنذر لها هذه الطفلة ، وتقدّم لمعبدها كلّ سنةٍ نصف رطل زيتاً ما لازمتها الحياة

نامت ليلة نذرها ، فرأت ، في الحلم ، القديسة تقلا تضع في حضنها بنتاً وتقول لها : خذي هذه الابنة وارضعيها . فاخذتها والسرور ملء فؤادها . وفي الصباح قصّت على زوجها وجيرانها ما رأت في الحلم وسمعت ، والفرح آخذٌ منها كلَّ مأخذ .

مرّت على حملها اربعة ايام فولدت بنتاً — هي الاخت مسيحيّة — اطلقت عليها اسم حسْن . وما مضى احد عشر شهراً على ولادتها حتى طلّق شاهين امرأته الرابعة ستّ الاخوة ، على مألوف عادته . ولمّا كانت متعلّقةً أشدّ التعلّق بابنتها ، ويعزّ عليها الانفصال عنها ، إكترتْ منزلاً مجاوراً لمنزل زوجها رغبةً في رؤيتها والعناية بامرها .

ولم تكن تتقاعد عن القيام بايفاء نذرها السنويّ للقديسة تقلا المحسنة اليها ، والشفيعة الخصوصية لها ، والحصن المنيع الذي كانت تفزع اليه في كلّ خطبٍ يُلمُّ بها او بابنتها التي كانت تقول لها عند كل حادث : « لا تخافي يا حسْن ، فان القديسة تقلا تدفع عنكِ كلَّ ضرّ وتنجيكِ من كل بلية لاني خصصتكِ لها بالنذر »

بدأت هذه الابنة منذ نعومة اظفارها تُكثر الترداد الى اولاد النصارى مستأنسةً بعشرتهم ، مستطيبةً مخالطتهم . وكانت تصوم الصوم المفروض عند المسيحيين اقتداء بهم وحبًا بالله ، على ما كانت تسمع منهم.

. . .

بلغت حسن السنة الخامسة عشرة من عمرها ، واستهوى جمالها قلب ابن خالتها ضاهر نجم ، فرغب في الاقتران بها وكاشف أمها بسرّه فوعدتهُ خيرًا . واذ رفضت حسن الزواج ، احتالت عليها أمها وقادتها الى دار الامير علي ابي اللمع ، طالبة اليه ان يقنعها اذا استطاع ، بالزواج من ابن خالتها ، او انهُ يغصبها على الرضى به غصباً . ولا يخفى ما كان للامراء من السيطرة والارهاب في تلك الايام ، فسلّمها الاميرُ الى ضاهر نجم قسرًا بالرغم من رفضها ومقاومة والدها واخيها . فاقامت في بيته سنة وهي طاهرة الذيل نفساً وجسدًا (كما اخبرت رئيستها عن حالها وهي راهبة) وكانت تتحيّن الفرص للهرب غير عالمةٍ الى اي مكان تلتجيء فرارًا من هذا المأزق.

حلمت يوماً في نومها انها دخلت جنينة فرشت ارضها بالورد والبنفسج والزنبق وسائر انواع الزهور الجميلة العطرة ، يزينها حوض ماء زلال في وسطها. ورأت هناك امرأة بديعة المنظر لم تقع عينها على أبهى منها جمالًا ، فسألتها حسن: «ماذا تصنعين هنا ، ألا تخافين من سارق او باغٍ يسطو عليكِ ؟» اجابتها المرأةُ والابتسامة ملء ثغرها : «لا خوف عليَّ يا بُنيّتي فلا احد يجرؤ على ان يمدَّ اليَّ يد سوء.» فدنت حسنُ منها وقبّلت يديها فرفعت المرأةُ يدها وباركتها. ثمَّ خرجت حسنُ من تلك الجنينة ووجهتها بلاد كسروان ، الى غير مكان معيّنٍ او معروف

استيقظت من رقادها وروت حلمها على كنة عنتها ، التي كانت تدّعي تفسير الاحلام ، فازدجرتها هذه ورفعت يدها لتضربها صارخةً بها : «ويحكِ انكِ ستصيرين نصرانية». اجابتها: «ما كان أسعدني لو تمَّ لي ذلك.» قالت ، وفرّت من امامها.

من برمانا الى بكركي

مرَّ شهرٌ على حلم حسن فحدثت حوادث السنين الشهيرة وكثرت المخاوف في جهات المتن ، فاضطرَّ ابن خالتها ضاهر نجم الى التخفي في احدى الغابات . وكانت والدته تختلف اليه سرًّا من وقتٍ الى وقت ، تمدُّهُ بالزاد والماء . واذ ذهبت يوماً لافتقاده شعرت حسنُ بعاملٍ خفيٍّ شديد يدفعها الى الخروج من البيت فاستنهزت فرصة غياب خالتها ، واخفت الجرَّة لتوهمها عند عودتها انها ذهبت لتملأها فلا تفتّش عنها ، وخرجت هاربةً من البيت الذي ضاق فيه صدرها وغُمَّت نفسها ، لا تحمل معها شيئاً من الزاد تقتات به عند الحاجة.

سارت نحو بلاد كسروان التي رأتها في الحلم فأدَّى بها السير الى خرائب كنيسة على اسم القديس موسى في جوار انطلياس ، فالقت في نافذتها زرًّا من الفضَّة لم تكن تملك غيره طالبة بحرارة من شفيع ذاك المسد العجائبي الذي كانت تسمع به ، ان يهديها طريقاً آمنة ، ويعينها في سفرها ويسدَّ في وجهها سُبل العود الى بيتها. ثمَّ واصلت سيرها حتى صربا لا تدري الى اين هي ذاهبة ، فالتقت هناك بامرأة نصرانية من برمانا ، واذ عرفتها هذه اسرعت الى رجال مجتمعين تستحثُّهم على قتل هذه الابنة الدرزية ، أخذًا بثأر قتلى النصارى الذين قتك بهم الدروز ولا يزالون يثأرون بالمسيحيين افظع تمثيل.

اقترب الى حسن رجلان ، وقد ظنَّاها جاسوسة تحمل مكاتيب من مشايخ آل الخازن الى اناس في صربا ، فتنصّلت من تلك التهمة فلم يصدّقاها ، وهمَّ عندئذ احدهما ان يجرّها الى خارج القرية ليقتلها. فتمسّكت بجذع شجرة عفص ، وحاول الرجل افلات يديها منهُ فلم يستطع ، ولم يشأ ان يقتلها جهرًا في القرية . واذ يئس من التغلب عليها سألها عن المكان الذي تؤمّه . اجابته فورًا: «اني ذاهبة الى بكركي لشغلٍ خصوصي.» ولم تكن تعرف الوجهة التي تقصدها ، ولا ما هي بكركي . قال : «ان كنتِ صادقة في قولكِ ، فانا اوصلكِ اليها.» فشكرت معروفهُ وذهب برفقتها ليتحقق أصادقةٌ هي ام كاذبة مثُلت حسنُ بين يدي السيد البطريرك بولس مسعد ، وكشفت لهُ عن نفسها،

وألقت اليه بخيبة صدرها ، مظهرةً رغبة شديدة في اعتناق الديانة المسيحية . فظنَّ غبطتهُ انَّ امرًا ما عرض لها فألجأها الى هذا الطلب . لذلك أخذ يهدّئ روعها ، وينفس كربتها ، ويطمئن بالها ، مسهّلًا لها الرجوع الى اهلها ، ضامناً كلَّ أذى يصيبها في طريقها اليهم . فصرّحت له انها تفضل الموت على العود عن قصدها الحسن . ولمّا تحقق السيد البطريرك انها متصلّبة في عزمها على الاخذ بدين النصرانية ، أمر ببقائها في بكركي ، واوصى حاشيتهُ برعايتها وتقديم كل ما تحتاج اليه . فقضت هناك خمسة اشهر ، ناعمة البال ، قريرة العين ، تأكل وتشرب من مائدة البطريرك ، وتنام في احد بيوت شركاء الكرسي البطريركيّ .

اتصل بمسامع اهلها خبر وجودها في بكركي فقصدتها شقيقتها وخالتها — والدة ضاهر نجم — يرافقها رجل من طائفة الروم الارثوذكس من جيرانها ، فصادفوها تنشل جرّة من بئر ، ومعها صاحب البيت الذي تأوي اليه وزوجتهُ . فهمَّ الثلاثة البرمّانيون بامساكها واقتيادها عنوة ، فاستأسدت حينئذٍ ، واستبسلت في الدفاع عن حرّيتها ، واعطت حبل الجرّة الى مضيفتها وارتدّت الى خالتها تشابكها وتجادلها حتى اخذتها بتلابيبها ورمت بها الارض ، وأفلتت من شقيقتها ايضاً ، وهرولت تحتمي في بوّابة بكركي بينما كان مضيفها ممسكاً الرجل الارثوذكسيّ عن مساعدة رفيقتيه عليها ، وعن اللحاق بها .

اختفت عنهم في بكركي واصرّت على رفض مواجهتهم ، فابلغوها انهم يقبلونها بالحبّ والترحاب مقدّمين لها كلَّ ما تشتهي وتريد ، فلم تنل تملّقاتهم عطفاً في قلبها وكان جوابها لهم : ان أحبَّ شيء اليها هو ان تكون نصرانية . واذ قطعوا الامل من مقابلتها عادوا الى بيوتهم آسفين .

من بكركي الى بيروت

دعاها السيد البطريرك ، في نهاية الخمسة الاشهر على اقامتها في بكركي كما تقدّم الكلام ، الى المثول امامهُ وامام اساقفته ، واخذ يسهّل لها الرجوع الى اهلها على ما مرَّ ، امتحاناً لعزمها . فوجدها راسخة القدم ، ثابتة العزم على الديانة بدين المسيحية ، فكانت تجيبه : « الموت أحبُّ اليَّ من الرجوع الى

اهلي . واني اشتهي من صميم قلبي ان اكون مسيحية »

اراد غبطتهُ ان ينصرها ، فعارضهُ الاساقفة ، مخافةَ ازدياد ثوران الدروز وانتقامهم من النصارى بسببها وقد عرفوا بوجودها في بكركي ، فعدل عندئذٍ عن رأيه واتفق والاساقفة على ارسالها الى بيروت . وفي اليوم التالي استدعوا رجلًا وامرأة وامروهما بايصالها الى محلّ آمنٍ في بيروت . فذهبا بها وهي غير عالمةٍ في اي مكانٍ تحطُّ عصا رحالها وما سألتها عن شيء..

كان للرجل صديق في بيروت ، فبات ثلاثتهم تلك الليلة عنده . ولمّا وقف مُضيفهم على حقيقة أمرها ، اشار الى رفيقها ان يضعها عند الانكليز « البروتستانت » ، فقاومتهُ امرأتهُ مبيّنة عدم صواب رأيه ، ومفضلة وضعها في دير راهبات المحبة اللعازريّات ، لانها كانت تحبُّهنَّ لِما يبذلن من المعروف والاحسان . وفي اثناء تبادلهم الآراء ، وصل اليهم خوري من الشيّاح ، فعهدوا اليه ايصال هذه الابنة الى دير الراهبات .. فمضى بها الكاهن وعرضها على الرئيسة راجياً قبولها ، فقبلتها على الرحب والسعة بدون ان تسألها عن هويّتها ودينها .

ليأذن لنا القارئ اللبيب ان نقف قليلًا عن متابعة حديث حسن ، ونرى ما كان من امرها في دير راهبات المحبة :

معلومات وردة ثابت

في سنة ١٩٢٥ ، علمتُ انَّ ابنةً عابدةً تقيم في دير البنات اليتيمات لراهبات المحبة اللعازريّات في بيروت ، تعرف حسن علوان — الاخت مسيحية — واسمها وردة ابنة فارس ثابت من دير القمر ، برحت بلدتها في سنة ١٨٦٠ . وأوت الى دير الراهبات المذكورات واقامت فيه بصفة عابدة ، تزاول الخدمة الى آخر حياتها ، وكان لها من العمر ستّ وستّون سنة . قصدتُها وسألتُها ما تعرفه عن الابنة الدرزيّة حسن ، قالت :

« ان الاخت مسيحية كانت اولًا في دير بكركي ، وقد ارسلها البطريرك الى دير البنات اليتيمات للعازريّة ، وكانت تجهل القراءة فعنيت الراهبات بتلقينها مبادئ الديانة المسيحية والقراءة العربية والفرنسية والخطّ في كلتيهما ، وشغل

الابرة ايضاً . فاتقنت هذه الدروس وبرعت بها لانها كانت ذكية الفؤاد. وبعد ثلاث سنوات اقبلت سرّ العماد المقدّس في ٨ ايلول ، عيد ميلاد السيدة العذراء ، وسمّتها الراهبات باسم ماري ، وانضمّت الى اخوية الجبل بلا دنس . وفي تناولها الاول ألبستها رئيسة الدير الاخت بيزن الفرنسية الأصل ، ثوباً ابيض . وكان فرح ماري بتناول القربان المقدّس لاوّل مرّة عظيماً جداً.

« ثمّ أقامت عندنا في الدير سنتين ، تقضي حصّة كبيرة من ايامها في الكنيسة ، وتباشر في كل شهر رياضتها مع بنات اخويّة مريم ، وتثابر على التناول اليومي . وكانت جميلة الصورة بديعة ، لطيفة في معشرها ، وديعة كريمة في اخلاقها ، حارّة في عبادتها ، نشيطة دقيقة في حفظ واجباتها . وقد أحبّتها الراهبات لدماثة طبعها وجزيل تقواها ، وعهدن اليها خدمة الكنيسة . ولم تكن ترغب في التنزّه ولا في الخروج من الدير ، ولم نسمعها تذكر اهلها مرّة ، ولم ترد ان يأتي أحدٌ على ذكرهم امامها . وقد دروا بمكانها فقصدوها ليخرجوها من الدير ، فاختبأت حالما شعرت بهم رافضة رؤيتهم . واذكر ان اسم والدها شاهين . ويُقال انها كانت مزوّجة .

« أمّا كيفيّة خروجها من الدير فهي : قالت لها الرئيسة مرّة ان شغلك في تطريز هذه القطعة غير حسن ولا تظنين اننا نقبلك في سلك الراهبات اذا لم تكوني ماهرة في التطريز . وقصد الرئيسة بذلك ان تنشطها الى اتقان هذه الحرفة . أمّا ماري فاعتقدت صحّة كلامها . وبينما كنا مجتمعات للصلاة في الكنيسة لم نجدها بيننا ، واتفق ان وجدنا تحت وسادتها ورقة مكتوبة فيها هذه الكلمات : لا تفتّشن عني فاني ذاهبة الى مكان يدعوني الله اليه . ومن ذاك الحين لم نعد نراها ، وقد سألنا عنها فقيل لنا انها في دير بجهات لبنان الشمالي . »

« انتهى كلام وردة ثابت »

* * *

من دير الراهبات اللعازريات الى دير الراهبات البنانيات

لنعد الى تتمّة ما بدأنا به من قصّتها :

بعد ان قضت حسنُ اربع سنوات في دير الراهبات اللعازريّات تتلقّى في خلالها اصول الدين المسيحي ، طلبت من الرئيسة ان تتنصّر ساردةً لها قصّتها مفصّلة ، فاطلقت الرئيسة البنات الى خارج الدير ولم تبقِ فيه سوى راهبةٍ واحدة . ثمّ استدعت المرشد وكاهناً آخر وعمّداها سرّاً ، وسمّيت مريم ، وسُلّمت اليها شهادة تنصيرها . وفي اليوم التالي تناولت جسد الربّ ، وانجلى لعقلها اذ ذاك ما كان يصعبُ عليها فهمهُ من اسرار الدين المسيحيّ .

مكثت في دير الراهبات سبع سنوات [1] قائمةً بخدمة الكنيسة . وكان اهلها في كل هذه المدّة لا يتوانون في البحث عنها ، فلم يظفروا بها . وقد حضر مرّةً رجلٌ من بعبدات لزيارة بنتٍ له في دير الراهبات ، عمرها ست سنين ، وطلب منها ان تمكنه من مقابلة مريم ليقتادها قسرًا الى عمّها الذي وعدهُ بالمكافأة ، اربعة آلاف غرش ، فأبت ابنته اجابة طلبه ، وبكت على قدميه ضارعةً اليه ألّا يقرّ لاحدٍ بمكانها فاقتنع ومضى .

أتى مرّةً اخرى بعض ذويها الى الدير ، فصادفوا بالقرب منه عددًا من البنات يغسلن الثياب فامعنوا النظر فيهنّ لعلّهم يعثرون عليها بينهنّ فلم يجدوها . وكان دورها بالغسيل في ذاك اليوم ، غير انّ الله ألهم الرئيسة ان لا تدعها تخرج مع البنات ، بدون سابق علمٍ بمجيء اقربائها الذين طلبوا ان يدخلوا الدير ويفتّشوا عنها ، فلم تأذن لهم الرئيسة فعادوا أدراجهم خائبين .

كانت الرئيسة والراهبات يعدنَ مريم بقبولها طالبةً للترهب في احد ديوراتهن بباريس بعد اربع سنوات . غير انها استطالت المدّة . واذ كان شوقها شديدًا الى لبس الثوب الرهباني ، رأت ان تنخرط في سلك الراهبات المارونيّات ، وعقدت النية على الخروج من دير الراهبات اللعازريّات . فنهضت يوماً وانتزعت

---

١) نظنّ ان رواية الاخت مسيحيّة عن نفسها : انها قضت في دير راهبات المحبّة سبع سنوات ، أصحّ من رواية وردة ثابت التي قالت انها مكثت خمس سنوات .

غطاءَ فراشها لتستتر به عن العيون ، وخرجت من الدير خفيةً بدون ان تأخذ معها شيئاً . وكان بيدها مفتاح الصندوق الذي تُلقى فيه النذور ، وهو ممتلئ من الدراهم ، فلم تمدّ اليه يداً .

سارت في طريقها ، فبلغت بكركي ، وكان وقتئذٍ السيد البطريرك بولس مسعد في القسطنطينية . ولم يكن في بكركي سوى كاهن من الرهبانية الانطونية ، يُدعى القس جبرائيل ، فروت له حكايتها . فاشار عليها ان تذهب الى الديمان ، وتعرض مسئلتها على المطران يوسف المريض ، النائب البطريركي ، فيتدبّر امرها . وبعث اليه بكتابٍ معها يرجوهُ فيه العطف عليها ، وزوّدها ستّة ارغفةٍ . فشكرت جميله ، ومشت قاصدةً الديمان متوكلة على عناية الرحمان .

وصلت الى كنيسة سيدة مرتين في جبيل ، فاستوقفها جنديٌّ وشرع يتهدّدها ويطرح عليها اسئلةً فضولية ، فأرتهُ الكتاب الذي تحملهُ الى المطران ، وحينما لمح عنوانهُ أخلى سبيلها . وكانت الشمس قد آذنت بالمغيب ، فارتبكت مريم بامرها ، ولعبت برأسها المخاوف وامست مروَّعة القلب مرتعدة الفرائص لا تدري كيف تتوجّه :

واذا العنايةُ راعتك عيونُها ... نمْ فالمخاوفُ كلُّهنَّ أمانُ

وانها لكذلك ، سخّر اللهُ لرفقتها شاباً من بشرّي ، خادماً في الديمان كان عائداً اليه من بيروت ، فسكّن جأشها وأزال المخاوف من قلبها قائلاً : اتبعيني ولا تخافي . وسارا ليلاً حتى انتهيا الى قدعوس ، بالقرب من البترون ، فباتا تلك الليلة فيها . أمّا مريم فأبتْ ان تنام إلّا في خيمةٍ مهجورة لا فراش فيها ولا غطاء .

ولمّا تبلّجت انوار الفجر ، استأنفا السير الى قرية كفيفان . واذ كان هذا الشابّ معجلاً في الرجوع الى الديمان ، وكان التعب قد أنهك قوى مريم فعجزت عن ان تماشيه ، تركها هناك ومضى يغذُّ في طريقهِ . وكأنَّ العناية الالهية أبتْ ان تُهمل هذه الابنة المسكينة ، فقيضت لها رجلاً من حدث الجبّة

فرافقته اليها . ومن هناك ذهبت وحدها الى الديان . وقبل أن تصل اليه ، التقت برجل مهيب ملتحٍ قد جلله بياض الشيب تبدو على وجهه سمات الوقار والكمال فابتدرها بهذا الكلام: «اذا سألك المطران اين تريدين الترهب فقولي له في دير مار سمعان القرن . » واشار الرجل بيده قائلاً : «هناك دير مار سمعان ، على رأس تلك التلة حيث ترين الدخان متصاعداً من الأتون» (كان الرهبان وقتئذٍ يتمونه) . ثمّ ناولها من ذات خاطره غرشين لتبتاع بهما ما يسدُّ جوعها ، وهداها الى طريق الديان التي خلّتها . وقد كانت في اشدّ الحاجة الى الاكل لانها ما تبلّغت في ذاك النهار .

وصلت الديان ، وقابلت المطران المريض وعرضت له أمرها فسألها : اين تريدين الترهب.؟ اجابت : في دير مار سمعان القرن . قال : سيحضر عندنا عن قريب الاب افرام جعجع البشرّاوي ، رئيس الرهبانية اللبنانية العام ، فنكلّمه بشأنك . وفي اليوم التالي وجّهها المطران الى دير مار انطونيوس قزحيا ، وسلّمها كتاباً للاخ عبد الاحد البشرّاوي ليقبلها مدّةً في الدير .

حضر الرئيس العام الى الديمان وروى له المطران روايتها واكلّا اليه العناية بها ، ثمّ قفل راجعاً الى مدرسة بان . وما دوت مريم به حتى اسرعت الى مقابلته تستدرّ منه الشفقة عليها ؛ فارسلها الى دير القرن بمعية رجل وامرأة من قرية بلوزا [1] ، وكتب الى الرئيسة كلمة توصية بها .

(للبحث صلة)

---

١) كان الرجل والمرأة يزوراننا في دير القرن من حين الى حين ، وقد زاراها ايضاً في دير الظهر ، وكانا يحبانها ويعتنيان بها كأنها من ذوي قرباهما .

اول مسافر اوربي في مكة

بقلم الاب لامنس اليسوعي

محرم شريعة الاسلام ، على غير المسلمين ان يدخلوا منطقتي مكة والمدينة ، وذلك تحت عقابات طائلة قد يكون من جملتها الاعدام . اما هذا التحريم فهو توسيع مبالَغ فيه لما ورد في السورة التاسعة من القرآن وهو : « يا ايها الذين آمنوا انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجدَ الحرامَ بعد عامهم هذا » (القرآن ٩ : ٢٩) ويجدر بنا ان نلاحظ ان القرآن لا يحظّر ذلك على « اهل الكتاب » بل على المشركين ، وانه لا يمنعهم الدخول الى مكة ، بل الاشتراك بالحجّ ومناسكه ، فاذا اتضح هذا قولنا ان المسلمين بالغوا في شرح هذه الآية . وفضلًا عن ذلك فان التاريخ يثبت انه كان لغير المسلمين ، في القرن الاول للهجرة ، مطلق الحرية ليس فقط بان يدخلوا المدينتين المقدّستين ، بل بان يقيموا بهما ما شاؤوا . واننا نرى فيها ، اذ ذاك ، كثير من اليهود والنصارى ، من تجار ، وموسيقيين ، واطباء ، ومهندسين ؛ وكان لهم مقبرة معروفة .

على ان هذه الحرية لم تدم مدةً طويلة ، فحُرّم دخول الحرمين منذ القرن الثاني للهجرة . ولكن لا يمكن القول ان هذه الشريعة لم يخرقها احد بعد القرن الثاني . فان من يجزم بأمر كهذا يبرهن عن جهل بقوّة الجاذبية التي يحدثها في عقول الفضوليين ، وهم دائماً كثيرون ، كلُّ امر مجهول تكتنفه الاسرار . بيد انه ، وان كان عدد الشرقيين ، من غير المسلمين ، الذين عادوا من مكة سالمين ، لا يُستهان به ، فانه لا يمكننا القول نفسه عن مسافري اوربة ، وخصوصاً عن اولئك الذين تركوا في آثارهم ، وصف ما لاقوه في الحرَمين . فان عددهم لا يجاوز الخمسة عشر . يخرج منهم ثلاثة او اربعة لا نرى براهين كافية لتصديق مروياتهم . وقد كان آخر من زار الحرمين من مسافري اوربة الانكليزي الدون روتر الذي قام برحلة سنة ١٩٢٥—١٩٢٦ .

وقد وصف « مشرق » السنة الفائتة (حزيران ، ص ٣٩٠) كتابه في ذلك . وان قلة من نجح من هؤلاء الرحالة في مغامرتهم الصعبة توضح اهتمامنا باول مسافر اوربي زار مكة والمدينة .

في اوائل القرن السادس عشر ، كان كريستوف كولومب قد اكتشف اميركة ، وكان ڤاسكو دي غاما قد دار حول رأس الرجاء الصالح وافتتح الطريق البحرية الى بلاد الهند العجيبة ، فكان الكثيرون يحلمون بكشف الجديد الغريب . في ذلك الزمن ، كان يعيش بمدينة بولونية في ايطاليا رجل مغامر جريء يدعى لودوڤيكو دي ڤرتيما (Ludovico de Varthema) كان اقصى متمناه ان يزور البلاد الغريبة ، فيدرسها ، ويعرّفها لاهل اوربة .

ولما كان العالم الجديد قد اكتشف قبله ، حوّل نظره جهة الشرق ، وعزم على زيارة الجهات المجهولة في جزيرة العرب : المدينة ، ومكة ، وبلاد اليمن المدعوّة « بلاد العرب السعيدة » . ومن هناك عزم على ان يسير الى الهند ، فالى اجتياز اقصى الحدود التي كان وصل اليها الرحّالة قبله . هذا ملخّص الخطة التي وضعها لنفسه قبل السفر ، وقد قُيّض له ان يتمم اكثرها . وبعد رجوعه الى وطنه نشر باللغة الايطالية وصفاً مطوّلاً لرحلته هذه ،[1] طبع مرّات عديدة وتُرجم الى اكثر اللغات الاوربية . اما المؤلف فلا نعرف عن حياته شيئاً يُذكر ، قبل قيامه بالرحلة ، الّا ما ذكرناه من اسمه ومدينته . بل نرجح انه كان في الثلاثين من عمره اذ ركب البحر من البندقية سنة ١٥٠٣ .

وبعد ان قام مدة قصيرة في القاهرة ، اقلع الى بلادنا ، فنزل في بيروت وقد أثّرت فيه عاصمتنا تأثيراً حسناً ، فوصفها « غنيّة بجميع المرافق ، يحيط بها البحر حتى تتكسر امواجه على اقدام اسوارها . » وقد ذكر فيها « الهيكل المقام على الموضع الذي قتل فيه القديس جرجس التنين ، ولكنه كان خراباً . » ثم سافر من بيروت الى حلب بطريق طرابلس . ولم يلبث ان رجع فدخل دمشق واقام فيها « أشهراً يتعلّم اللغة العربية . » امّا ما حفظه من هذه اللغة

(١ P. Giulici, *Itinerario di Ludovico de Varthema*, Milano, 1928. وقد استندنا الى هذه الطبعة في النصوص التي نوردها .

فكان خصوصاً اللسان العامي كما تشهد التعابير الكثيرة التي يدخلها كتابه (في الصفحات ١٠٣–١٠٥ ، ١١٤ ، ١٢٢ ، ١٣٦ ، ١٤٠ ، ١٤٢–١٤٤ الخ) ، والتي تدلّ دلالة واضحة على ان ذاك اللسان العامي لم يتغيّر منذئذٍ تغيّرًا يُذكر.

وكان ان عرف في دمشق باستعداد قافلة الحجّ للسفر . فخطر له ان يرافقها . وكان قد حصل صداقة بينه وبين قائد المماليك المكلّفين مرافقة الحجّاج وحراستهم والدفاع عنهم لدى هجمات البدو . فدفع رحّالتنا الى القائد المذكور « قيمة جسيمة من الدراهم » فاعطاه هذا ثوباً من البسة المماليك الخاصة وسهّل له سائر معدّات السفر ، فغادرا دمشق مع القافلة في ٨ نيسان ١٥٠٣ .

وكان عدد رجال القافلة « ٤٠,٠٠٠ من الحجاج[1] وستّين من الحرّاس المماليك . » وقد سارت على الطريق المعروف « بدرب الحجّ » ، وهو الطريق الذي سار عليه منذ القديم حجّاج الحرمين من مسلمي سورية . ولم تخرج القافلة عن العادة القديمة ايضاً في محاربة البدو الذين ما فتئوا يطالبون بحقّ المرور ، وبثمن مياه آبارهم ، حتى حققوا ما قاله عنهم الحديث الذي يسميهم « سرّاق الحجيج » . وعلى يومين او ثلاثة من المدينة الى شماليها وصلت القافلة ، على قول رحالتنا ، « الى جبل يسكنه نحو اربعة او خمسة آلاف يهودي . وهم تقريباً عراة ، صغار القامات ، اصواتهم كاصوات النساء ، لا يأكلون الّا لحوم الضأن . ويشهرون يهوديّتهم . واذا وقعوا الى القاء القبض على مسلم ، فانهم يسلخون جلده حيّاً . » (ص ٩٨)

فما هو ظنّنا بهذا الزعم ؟ هل ردّد مسافرنا خرافة كان قد سمعها من الحجّاج ، وقد ازهقتهم مساوئ البدو فانتقموا منهم بان اتّهموهم باليهودية ؟ ومهما يكن من الامر فان مؤلفي العرب ، في القرن الحادي عشر ، كالمقدسي مثلاً يشيرون الى وجود جوالي يهودية في وادي القُرى . والحال ان طرف هذا الوادي الجنوبي يقع على يومين او ثلاثة من المدينة . . .

ثم اجتازت القافلة « بحر الرمل » ، اي النفود ، وقد هبّت عليهم عاصفة سموم . فكانت الريح تثير غمائم الرمال كثيفة حتى ان احدهم لم يكن يرى

١) قد يكون في هذا العدد بعض المبالغة.

رفيقه على عشر خطوات .

كان في اوربة خرافة مشهورة متداولة منذ القرون الوسطى ، مفادها ان «قبر محمد في المدينة معلق في الهواء بفضل جاذبية قطعة عظيمة من المغناطيس.» فكذّب ڤرتيا هذه الخرافة بلهجة لا تحتمل الردّ ، وقال: «لقد شاهدت قبر محمد في المدينة. وقد اقمنا فيها ثلاثة ايام فامكننا ان نزور كلّ شيء..» (ص ٩٩).

وفي خروجهم من المدينة ، تبعوا الطريق المارّة ببدر ، موقع المعركة الشهيرة ، فوصلوا الى مكة في ٤ ايار بعد ان ساروا اربعة اسابيع سيرًا شاقًا منذ خروجهم من دمشق . وقد وصف الرحالة مكة فقال : «انها مدينة غاية في الجمال ، كثيرة السكان ، تعدّ نحو ٦,٠٠٠ بيت . منازلها حسنة كمنازلنا . . . اما امير المدينة فهو من اسرة محمد ، متعلّق بسلطان مصر . وله ثلاثة اخوة لا يفتأون يحاربونه . واما البلاد المجاورة فكأنها وقعت عليها لعنة الله فهي لا تنبت شيئاً من العشب ولا من الشجر ، لكثرة احتياجها الى الماء . وكل الموادّ الغذائية تقريباً تأتيها من القاهرة . وقد شاهدنا من الحجّاج في مكة من أتوا للتجارة ، ومنهم من جاء لنيل مغفرة خطاياه . » (ص ١٠٩ . . .)

ثم يصف ڤرتيا الجامع الكبير فيقول : «هو هيكل جميل جدًا يذكر ببناء الكوليزي في رومية [1] ، وان لم يكن مبنيًا بمثل حجارته الجميلة ، بل هو مبني باللبن . وعلى بابه يقف باعة الحلي . وفي داخله ، تحت القناطر ، اربعة او خمسة من باعة الطيب . وهواء الجامع مثقل برائحة المسك وغيرها من العطور اللطيفة . وهو مكشوف صحن الدار ، وفي وسطه برج [هو الكعبة] مغطّى بستار من الحرير الاسود . وعلى علوّ قامة الرجل ، باب من الفضة الخالصة (كذا) يدخل منه الى داخل البرج . وفي ٢٤ ايار ، منذ الصباح ، اخذ جميع الحاضرين يطوفون سبع مرّات حول البرج المذكور ، ويلمسون ويقبلون كل زاوية من زواياه . واذا سرت اثنتي عشرة خطوة من البرج رأيت بئرًا جميلة [هي زمزم] فيها ماء أجاج ، وحولها ستة او ثمانية رجال يستقون للشعب . فاذا اتمّ الحجاج طوافهم سبع مرّات ، اقبلوا نحو البئر ، فحنوا ظهورهم ،

١) هو المدرّج القديم في رومية . ولا نرى وجهًا للشبه بين الاثرين.

وقالوا: « بسم الله الرحمن الرحيم استغفر الله »[1] فيرمي الرجال المستقون على كل واحد منهم ثلاث دلاء فيغسلونه من رأسه الى قدميه .» (ص ١١٢—١١٤) .

ثم يصف رحلتنا ، ولكن بشيء من الغموض ، مناسك الحجّ في مزدلفة ، وعرفات ، ومنى . فيتكلم عن « تضحية عشرين الف خروف » ، وعن « خطبة دامت ساعة كاملة » ، وعن الجمرات . ثم بعد ان يعود الى مكة يذكر حمائم الحرم المشهورة ، فيقدّر ان عددها ٢٠,٠٠٠ حمامة ، ويقول : « يزعمون ان هذه الحمائم من نسل تلك الحمامة التي كلّمت محمداً بهيئة الروح القدس (كذا !) . وهذه الحمائم تطير بكل حرية في جميع انحاء المدينة ، فتدخل حوانيت القمح والارز وما شاكل من الحبوب . ولا يجرأ اصحاب الحوانيت على طردها . واذا بلغ عدم الاهتمام باحدهم الى ان يؤذيها ، فيكون اذ ذاك انتهاء العالم . واعلموا انهم ينفقون النفقات الباهظة لتغذية هذه الحمائم في الجامع الكبير » . (ص ١١٨)

وبعد ان اكتفى قرتيا من زيارة مكة ، فشاهد ما راقه ، اراد ان يتابع سفرته الى الهند . على ان صعوبةً شديدة كانت تعترضه ، وهي انه ، بانخراطه في سلك المماليك ، كان عليه ان يعود الى دمشق في حراسة القافلة السورية ، بعد انقضاء الحج . ولكنه تخلّص من ذلك بان اتفق مع احد اهالي مكة ، فاخفاه هذا في بيته الى ما بعد سفر القافلة بثلاثة ايام . فسار صاحبنا الى جدّه ، ميناء مكة ، فرأى فيها « منازل جميلة على طراز منازل ايطالية » ووصفها « مدينة فيها حركة تجارية مهمة . على ان كل انواع التجارات فيها بيد المسلمين لان دخولها محظور على النصارى واليهود . اما حاكمها فشاخ الامير بركات ، شريف مكة . ولا تخرج البلاد شيئاً من المحصولات ، لان حاجتها الى الماء شديدة . وكلّ الموادّ الغذائية الضرورية تأتيها من القاهرة او اليمن او غيرها . والامراض فيها كثيرة يعزوها الجميع الى رداءة المناخ . وفي جدّة نحو ٥,٠٠٠ منزل . امّا المرفأ ففيه نحو مئة مركب بين كبير وصغير » . (ص ١٢٥)

ومن جدّة اقلع قرتيا الى اليمن فقام برحلات جديدة اوصلته الى جزائر الهند ، وليس علينا ان نرافقه اليها .

١) هكذا ورد في الكتاب بالحرف اللاتيني .

عنترة التاريخ وعنترة الاسطورة

بقلم فؤاد افرام البستاني
استاذ الآداب العربية في كلية القديس يوسف

٢

ديانته — اخلاقه وصفاته

نصرانيته

تباينت الآراء في دين عنترة تباينها في دين اكثر الشعراء الجاهليين . وقد قُيّض لنا في الاعداد التي ظهرت من « الروائع » ان نلخِّص بعضها في ما خصّ دين امرئ القيس[1] ، وطرفة[2] ، وزهير[3] ، وعمرو بن كلثوم والحرث بن حلزة[4] . اما عنترة فاشهر الاقوال في دينه قول المرحوم الاب لويس شيخو الذي جعله من « شعراء النصرانية » وبسط براهينه في عدة ظروف ، بعد ان اجملها في كتابه « النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية » وهي تردّ الى ما يلي :

١ ــ نصرانية امّه الحبشية ، والحبش نصارى كما هو معروف.

٢ ــ الآثار العديدة الدالّة على التوحيد الظاهر في شعره ، الصحيح والمصنوع ؛ والتوحيد ، قبل محمد ، لم يشع في جزيرة العرب الا بفضل النصرانية.

٣ ــ وجوده في خدمة الملك زهير وابنه قيس ، وهما نصرانيان[5].

ومهما يكن من صراحة النصرانية في معتقدات عنترة ، فاننا نرى في سلوكه نهجاً حسناً لا نخطئ اذا شبهناه بتأثير الفضائل المسيحية :

---

١) الروائع ٧ : ل
٢) الروائع ٢٥ : ز
٣) الروائع ٢٤ : يد
٤) الروائع ٢٦ : ط
٥) الاب شيخو : النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية ، ص ٤٣٩ .

عفّته – ترفّعه

من ذلك عفّته المشهورة التي افتخر بها في بعض ابياته ، وهي ما يحقّ به الافتخار في محيطه وزمانه ، فقال :

اغشى فتاة الحيّ ، عند حليلها ، واذا غزا في الجيش لا اغشاها ،
واغضّ طرفي ، ما بدت لي جارتي ، حتى يواري جارتي مأواها (١

فسار ذلك عنه مسير المثل ، وساعد انتشاره انغماسُ اكثر ابطال العرب وشعرائهم ، في الجاهلية والاسلام ، في الملاهي والملذّات على اختلاف انواعها حتى اصبحت العفة فيهم من الامور المستغربة ، مما دفع ابن عبد ربه الى القول ، عن لسان بعضهم :

« وددت لو ان لنا ، مع اسلامنا ، كرم اخلاق آبائنا في الجاهلية ! الا ترى عنترة الفوارس جاهلي لا دين له(٢) ، والحسن بن هانئ ، اسلامي له دين ، فمنع عنترة كرمه ما لم يمنع الحسن بن هانئ دينه ، فقال عنترة :

واغضّ طرفي ، ان بدت لي جارتي ، حتى يواري جارتي مأواها .

وقال الحسن بن هانئ ، مع اسلامه :

كان الشباب مطيّة الجهل ومحسّن الضحكات والهزل . . . الخ (٣

ولم يكن من نتائج عفّة عنترة الترفّع عن الملذات المحرّمة فحسب ، بل تجاوزت عفّته ذلك الى الماديّات ، فكان يقرن الى بطشه بالاعداء الترفّع عن اغتنام الاسلاب ، فاذا « غشي الوغى ، عفّ عند المغنم » كما قال في المعلقة(٤) ، وكما تردّد ذكر ذلك في الكثير من شعره الصحيح والمنحول

سهولة خُلقه – كرمه

وكما كان يعفّ عند اغتنام الاسلاب ، كذلك كان يترفّع عن الاساءة

١) اطلب الروائع ٢٧ : ٢٧ .
٢) قال ذلك جريًا مع الوهم السائد انه لا دين ولا مدنية يستحقان الذكر في زمن « الجاهلية » .
٣) ابن عبد ربه : العقد الفريد – الروائع ٩ : ٩١ ٤) المعلقة : ٤٧ .

الى الغير ، فكان لطيف المعشر ، سهل المخالقة[1] ، مبتعداً جهده عن الظلم ، الا اذا ظُلم ، وكثيراً ما كان يظلمه قومه ، فيجازيهم اذ ذاك

يظلم باسل ، من مذاقته كطعم العلقم[2]

اما ايام يصفو له الدهر ، فلم يكن يتأبى ما كان يتاح اليه سراة العرب من مجالس الانس واللهو ، فكان يجيل القداح ، ويعاقر الخمرة الجيدة المصفاة ؛ الا انه كان يفوق رفاقه رزانةً وتحفظاً ، حال شربه . فاذا استهلك ماله ، ظلّ محافظاً على شرفه ، واذا صحا من السكر ، لم يندم على تكرّمه السابق ، بل اردف العطاء بالعطاء ، مما يدلّ على ان الكرم فيه سجيّة وليس من مفاعيل السكر[3] .

واذا اضفنا الى هذا ما اشتهر عن حلم عنترة وصبره وترفعه عن الدنايا جملةً ، فهمنا القول الذي نُسب الى النبي محمد ، اذ أنشد بيت عنترة :

ولقد ابيت على الطوى واظله حتى انال به كريمَ المأكل

فقال : « ما وُصف لي اعرابي قطّ ، فاحببت ان اراه الا عنترة ! »[4] .

شجاعته – فروسيته

اما شجاعة عنترة فحدّث عنها ولا حرج ، وقد ملأ القصائد العديدة بذكر آثارها ومفاعيلها ، من خوض مخاطر ، واقتحام جيوش ، وقتل ابطال ، واخذ ثارات . الا ان شجاعته هذه ، كما نراها موصوفة في كتب التاريخ ، تظهر بعيدة عن التهوّر المضحك الخاص بالحمقى من رجال الحرب ، كما انها تظهر بعيدة ايضاً عن الحميّة المجرّدة والمروءة الخالصة التي تدفع رجال «الفروسية» وكبار الابطال الى نجدة المستغيث في ايّ ظرف كان ، فيرتمون في المخاطر دون حساب للعواقب ، بل دون نظر في من هو هذا المستغيث . مما لا شك فيه ان عنترة كان شجاعاً ، ولكنه كان مقتصداً في شجاعته ، مفكراً في طريقة استعمالها ، لا يبذل منها الا بمقدار ؛ مجتهداً في استعمال هذا المقدار

١) المعلقة : ٣٦ ٢) المعلقة : ٣٧
٣) المعلقة : ٣٨ – ٤٢ ٤) الاغاني ٧ : ١٥١ .

القليل لنيل الكثير من التأثير ، كما ذكر عنه صاحب الاغاني ، في سلسلة من الاسانيد ، فقال: قيل لعنترة : « انت اشجع العرب واشدّها ؟ » قال: « لا ! » قيل : « فبماذا شاع لك هذا في الناس ؟ » قال : « كنت اقدم اذا رأيت الاقدام عزماً ، واحجم اذا رأيت الاحجام حزماً ، ولا ادخل موضعاً لا ارى لي منه مخرجاً . وكنت اعتمد الضعيف الجبان ، فاضربه الضربة الهائلة يطير لها قلب الشجاع ، فاثني عليه واقتله . »[1]

سيرة عنتر

هذا « عنترة التاريخ » ، كما تمكنا من معرفته احاديث الرواة وابيات شعره من التي لا يكاد يُشكّ في صحة نسبتها . اما « عنترة الاسطورة » ، او « عنتر » بحذف التاء[2] ، فهو تلك الشخصية المرتفعة حتى ارقى درجات البطولة ، المزدانة باسمى فضائل الفروسية ، الجامعة بين جرأة الشجعان لا يهابون من المخاطر شيئاً ولا يتراجعون امام اجتراح الخوارق والمعجزات ، وعطف السراة المقتدرين يحنون على الارامل والايتام فينصفون المظلوم وينتقمون من الظالم ، مضحّين براحتهم ووقتهم وانفسهم في سبيل ما ينيلهم الفخر الحقيقي والمجد الدائم . هذه الشخصية البارزة ، الخالية من الشوائب ، الظاهرة مثلاً اعلى « للفارس الكامل » ، تبدو لنا في مجلدات القصة الكبيرة المشهورة بين جميع الناطقين بالضاد على اختلاف مللهم ونحلهم ، المعروفة « بسيرة عنتر » ،

١) الاغاني ٧ : ١٥٨ .

٢) أسقطت تاء التأنيث من اسم « عنترة » لكثرة التداول ، ولان الاسم بصيغة المذكر يعدّ مفعولاً اعظم في عقول جمهرة الناس من سماع الاحاديث والقصص . اما ما لاحظه المستشرق هرتمن (Hartmann) ، في مطلع الاسلام « *Encycl. de l'Islam I, 366* » ، من ان اسم « عنترة » يظهر بصيغة المذكر في شرح حماسة ابي تمام (المجلد الاول ، ص ١٠٨) فلا نرى له كبير اهمية ، لان الشارح لا يشير خاصة الى اسم « عنترة » بل هو يشرح اللفظة شرحاً لغوياً في كلامه عن عنترة بن الاخرس فيقول : « قال ابو الفتح : العنتر والعنترة جميعاً الذباب الازرق ، فهو منقول ايضاً . . . وقال ابو العلاء : « عنترة مسمّى بالواحد من الذباب ، يُقال : عنترة وعنتر في الجمع . . . الخ » (حماسة ابي تمام ١ : ١٠٨) – وقد ورد الاسم ، بصيغة المذكر ، في شعر عنترة نفسه ، (المعلقة : ٧١ و ٧٥) وذلك على سبيل الترخيم . ولعلّ هذا من الاسباب التي دفعت القصاصين الى اسقاط تائه .

فتملأ اقسامها فخراً وحماسة ، وكرم اخلاق ، ونبالة مقصد ، وتسمو بطالعيها الى اشرف العواطف ، اذ تسير بهم على آثار ذاك العبد صاحب النفس الحرّة الابيّة.

كل هذه الصفات الكاملة لم يخترعها مؤلف القصة ، او مؤلفوها ، بل وجدوا اصولها في ما ذكرناه من المعروف عن اخلاق عنترة وصفاته . ولكنهم اجروا فيها لمخيّلتهم العنان ، فتوسّعوا في بعضها ، وابدلوا بالبعض الآخر ما كان اكثر ملاءمة للغاية المتوخاة ، وبالغوا في ذكر المعارك الحربية التي خاضها بطلهم ، وزادوا عليها ما كان من شأنه ان يزيد في اظهار بطشه . وهم على ذلك لا يقفون عند حدّ ، ولا يأخذون بتحفّظ ، فاذا انبتوا جزموا دون تردّد ، واذا نفوا قطعوا دون تمييز ، حتى اصبح « عنترهم » لا يهاب جيشاً مهما بلغ عدده ، ولا يخشى مهالك مهما تنوّعت اسبابها ، ولا يتراجع امام عقبة مهما كان نوعها ، فاذا قاومته الالوف زعق عليها فبدّدها ، واذا صدّته الجان اعمل فيها حسامه فصرع افرادها ، واذا نبا رمحه عن خرق دروع قرنه رمى به الارض وضرب صدر القرن بقبضته فانفذها من ظهره .

ولما كان لا بدّ من معاكسة تُظهر فضل هذا البطل ، فتقوم مقام النياهب اذ تحيط بالنور فتزيد في سطوعه ، اخذ القصّاصون يتوسّعون في المصاعب التي لاقاها عنترة في حياته ، وترجع اسبابها الى امرين : لونه ، وحبه لعبلة .

اما لونه فقد يظهر اشدّ سواداً في القصة منه في التاريخ ، وذلك نتيجة ما اشرنا اليه من ولوع القصّاصين بالمبالغة ، فيجلب عليه احتقار الجميع بما يدلّ عليه من رداءة الاصل ، وخبث المولد . فيحتمل عنترة ذلك بكل صبر ، ويكفّر عنه بالاعمال الباهرة والشعر الكثير .

واما حبه لعبلة فلا نخطئ اذا عددناه الموضوع المهمّ في القصة ، لان مآتي عنترة جميعها ، سواء كانت في الحرب او في السلم ، تدور حول غاية واحدة وهي الاقتران بعبلة . فضلاً عمّا سبّب له هذا الحب من احتقار عمه مالك وابنه عمرو ، ومن مناظرة عمارة بن زياد « معدن الخبث والفساد » واخيه الربيع ،

فعقدهما الشديد ؛ الى غير ذلك مما يتضافر كله على تشييد العقبات كؤوداً في سبيل البطل الذي ينتصر عليها جميعاً ، فيفوز بالفضل الاسمى ، والفخر الارفع ، مرتقياً الى اعلى منصب في محيطه فيصبح « الحصن المشيد لال عبس » يدافع عنهم في حياته ، وبعد وفاته ايضاً ، اذ يتخيّل الراوي تلك الخاتمة الفاجعة لحياة البطل المجيد ، فيأخذ برواية ابن الكلبي عن موت عنترة جريحاً بسهم الاسد الرهيص ، ويحوّر فيها ما شاءت مخيلته ، فيصبح الاسد الرهيص بطلاً شديداً كان عنترة قد وتره بقلعه عينيه ، فغدا يستنح الفرص للانتقام ، متمرناً على الرماية ، فالاصابة ، لدى سماعه صوتاً او حركة ، حتى انه اذ يشعر بحس عنترة يرميه بسهم مسموم ، فيقطع مطاه . اما عنترة فيحس بقشعريرة الموت تسري في عروقه ، فيركب جواده ملتثماً ، ويقف على باب المضيق مستنداً الى رمحه ، حتى يجوز قومه العقبة ويبعدوا عن العدو ، والفضل « لحصنهم » الذي يحميهم حتى في مماته . ثم يبقى الجسد منتصباً على ظهر « الابجر » الساكن ، والاعداء يرقبونه عن بعد ولا يجرأون على الدنو منه ، الى ان يطول بهم الانتظار ، ويخطر لاحدهم استعمال حيلة تخرج الجواد من جموده ، فيتمايل جسد البطل الاسود ، ويسقط على الحضيض .

هذا المشهد الجميل كان حقيقاً باختتام تلك الحياة الملأى بالمفاخر . ولقد اخذ بقلوب جميع من وقفوا عليه ، فأعجب به الغربيون بعد الشرقيين ، منذ ترجمت القصة الى لغاتهم حتى ايامنا هذه ، وقد اعاد ذكراه المرحوم شكري غانم في روايته الافرنسية الشهيرة « عنتر » التي عرضت مشهد وفاة ذاك العبد بكل ما يستحق من ابهة وعظمة على اشهر مسارح باريس . وقد ارتفع الروائي اللبناني ببطله فوق الدرجات التي اوصله اليها القصاص فاضاف الى شجاعته ، وكرمه ، واخلاصه ، وحلمه ، صفة نادرة في ذاك العصر ، الا وهي روح الوطنية التي تدفعه الى السعي في سبيل توحيد القبائل العربية في حكم ملك واحد . واذ لا يمكنه الموت المفاجئ من تحقيق تلك الوحدة ، يتنبأ عنها ، قبيل وفاته ، في مقاطع من اروع الشعر واشجاه ، يختمها بقوله :

Et, des déserts sans fin, les peuplades arabes

Surgirent, au lever de leur croissant nacré! [1]

. . .

هذا « عنترة الاسطورة » كما يبدو لنا واضحاً في « القصة » وما اليها من الاحاديث . اما مصدر هذه الحكايات ، وتحديد زمان نشأتها ومكانها ، واول من باشر تأليفها، فمن الصعب الجزم فيه.

لا ريب في ان العرب كانوا ، كسائر الشعوب ، يتغنون بامجاد ابطالهم الاقدمين ، وينسبون اليهم من الخوارق ما كان يتضخم عصراً فعصراً ، قاصدين ان يقيموا منهم امثلة سامية للشجاعة والكرم وسائر صفات الرجولية. وقد ورد في آثارهم القديمة شيء من هذه الحكايات عن عنترة ؛ فانهم كانوا يتناشدون اشعاره في صدر الاسلام ، ويتناقلون غرائب مواقعه وحوادث بطشه اضراماً للحماسة في قلوب الجنود ابان الحرب ، او تفكهةً وتسليةً في ايام السلم .

فكانت تلك الاخبار المتفرّقة، التي بقي شيء منها في كتب المحاضرات، والتي كانت في اكثرها لا تبعد عن الحقيقة ، بمثابة نواة اجتمع حولها اساطير جمّة لمدّة مؤلفين او قصّاصين ، اطلقوا فيها العنان لمخيّلتهم وشعورهم ، كما قدّمنا ، فراجت عند الشعب ، وتنوقلت من عصر الى عصر ، ومن مكان الى آخر ، وهي عرضة للزيادة والنقصان ؛ حتى قيّض لها رجل على شيء من العلم بتاريخ الجاهلية وما اليه من العادات والاخلاق والآداب ، وعلى حصّة من الذوق في التأليف ، فجمع اشتاتها ، وضمّها في شبه وحدة ادبية ، مؤلّفاً منها تلك القصة الحماسية الكبيرة المعروفة « بسيرة عنتر » . فمن هو هـذا المؤلف ؟

في ابتداء بعض السياقات من القصة ، يرد اسم الاصمعي ، او ابي عبيدة ، او جهينة الاخبار، او غيرهم من الرواة ، وهي تُعزى في اولها الى الاصمعي . فهل من صلة بينها وبينه ، او بينها وبين احد معاصريه من العلماء المعروفين ؟

(١ Chekri - Ganem, *Antar. Paris, 1910, Acte IV, sc. 3*.

انه لمن الصعب ، ان لم يكن من المستحيل ، ان نجيب بالايجاب ، لان اسلوب القصة يختلف كل الاختلاف عن اسلوب ذاك العصر ، ولان فيها من الهفوات التاريخية ، وانواع الغفلات ، والخلط ، والركاكة ، وضعف التأليف ما ينفي هذه الصلة . ولعل المؤلف اراد ان يزيد روايته ثقةً ، فاسندها الى الاصمعي ومن على شاكلته من الرواة المشهورين بالاطلاع على تاريخ العرب وطرق معيشتهم .

هذا وقد ورد في احدى طبعاتها البيروتية انها من وضع يوسف ابن اسماعيل المصري . وهو رجل اظهر البحث انه كان يعيش في مصر ، ايام الخليفة العزيز بالله الفاطمي (٩٧٥ - ٩٩٦ م) ، اي في اواخر القرن العاشر للمسيح ، ويتنادر باخبار العرب وحوادثهم . وكان ان حدث ريبة في بلاط الخليفة المذكور ، فلهج بها الناس كثيراً حتى ساءه ذلك ، فاشار على يوسف ان ينشر بين القوم ما يشغلهم . فباشر يوسف كتابة القصة وتوزيعها حتى شغل الناس بها عن امر الخليفة . وكان من تلطفه في التشويق ان قسم الكتاب الى عدة اجزاء بلغ بها البعض ٧٢ ، والتزم في كل جزء ان يقطع الكلام عند معظم الامر ، فيتطلب المطالع الجزء التالي .

وهناك رأي آخر يستند الى قول ابن ابي أصيبعة ، ومفاده ان واضع القصة هو ابو المؤيد محمد بن المجلي بن الصائغ الجزري الطبيب المعروف « بالعنتري » ، لانه « كان في اول امره يكتب احاديث عنتر العبسي فصار مشهوراً بنسبته اليه »[1] . اما زمن ابن الصائغ هذا فيمكننا تحديده بما نعرف من انه كتب رسالة الى حجة الدين مروان ، وزير الاتابك زنكي المتوفى سنة ٥٤٠ للهجرة ، اي سنة ١١١٥ م[2] . فيكون من ادباء منتصف القرن الثاني عشر .

ومهما يكن من نصيب ابن الصائغ في التأليف ، فان هذا القول يرجح ما قلناه من ان القصة لم ينفرد بوضعها مؤلف واحد ، بل كانت نتيجة عمل طويل

١) ابن ابي اصيبعة : عيون الانباء في طبقات الاطباء — طبعة ١٨٨٢ مصر ، الجزء ١ ص ٢٩٠

٢) راجع *J. Asiatique, 1838, I, 386*

تخل ، وروايات مختلفة مشاعة، لا يمكننا حصر زمان نشأتها ، التي عليها يوسف ابن اسماعيل في اواخر القرن العاشر فجمع متفرقها على رسم رآه موافقاً ؛ ثم قد يكون لابن الصائغ ، الذي اتى بعده بمائتي سنة ، يدٌ في تبويب حوادثها وتقسيمها ، كما قد يكون يدٌ لغيره ايضاً مما لم نعرفهم . يعزّز ذلك ما نراه من التباين في ما وصل الينا من رواياتها المختلفة ، وكلها تُردّ الى ثلاث : «السيرة الحجازية» وهي اطولها ، «والسيرة الشامية» ، «والسيرة العراقية» وهي لا تختلف كثيراً عن الثانية .

والقصة ، في مجملها ، مكتوبة باسلوب سهل مسجّع ، فيها كثير من التلميح الى حوادث العرب القديمة ، وحروبهم ، وامثالهم ، واشعارهم . وقد نالت حظاً وافراً من الاعجاب والانتشار في الشرق والغرب . فكان متكلمو العربية في سورية ومصر وبلاد المغرب ، ولا يزالون ، يحيون لياليهم في القهاوي او في بيوتهم لسماع القصاصين يروون حوادث بطلهم المحبوب . ومما يدل على شغفهم في ذلك ما رواه اسكندر اغا ابكاريوس قال:

« بلغنا عن رجل من اهل حمص كان يحضر كل ليلة الى حلقة القصّاص يسمع فصلاً من قصة عنترة . ففي احدى الليالي تأخر في حانوته الى ما بعد المغرب ، فحضر الى هناك بدون عشاء . وكان في تلك الليلة سياق حرب عنتر مع كسرى ، فقرأ القصّاص الى ان وقع عنتر في الاسر عند الفرس ، فحبسوه ووضعوا القيد في رجلهِ . وهناك قطع الكلام ، وانفضّ الناس ، فدخل على الرجل امر عظيم واسودت الدنيا في عينيهِ ، وذهب الى بيته حزيناً كئيباً . فقدمت له زوجتهُ الطعام ، فرفس المائدة برجلهِ ، فتكسرت الصحون وانصبّ ما فيها على فرش البيت ، وشتم المرأة شتماً قبيحاً ، فصادمتهُ في الكلام ، فضربها ضرباً شديداً ، وخرج يدور في الاسواق ، وهو لا يقر لهُ قرار . ثم غلب عليهِ الخيال فذهب الى بيت القصّاص ، فوجده نائماً ، فايقظهُ وقال لهُ : « قد وضعت الرجل في السجن مقيداً ، وانت تنام مستريح البال ! فارجوك ان تكمل لي هذا السياق الى ان تخرجه من السجن ، فانني لا اقدر ان انام ولا يطيب عيشي ما دام على هذه الحال . وانظر ما تجمعهُ من الجمهور في ليلتك ، فانا اعطيك اياه الآن . فاخذ القصّاص الكتاب ، وقرأ لهُ باقي السياق حتى خرج عنترة من السجن . فقال له : « اقرّ الله عينيك واراح بالك . الآن طابت نفسي ، وزالت همومي ، فخذ هذه الدراهم ، ولك الفضل . ثم انصرف الى بيته مسروراً ، وطلب الطعام واعتذر للمرأة بان القصّاص وضع لهُ القيد في رجل عنتر ، وهي جاءته بالطعام ليأكل ، فكيف يمكنهُ ان يذوق طعاماً وعنتر محبوس مقيد قال : « واما الان فقد ذهبت الى بيت القصّاص ،

وقرأ لي باقي الحديث الى ان اخرجه من السجن ، والحمد لله ، قد طابت نفسي ، فهاتي ما عندك من الطعام واعذريني عما فرط مني . » (١

في الربع الاول من القرن الماضي ، وقف المستشرق كاردَنْ دي كاردون (Cardin de Cardonne) على نسخة منها في القسطنطينية ، فحملها الى باريس حيث كتب عنها دي برسفال الابن عدة مقالات في المجلة الاسيوية ، ونشر بعض فصولها في « المنتخبات الشرقية » (Chrestomathies Orientales) سنة ١٨٤١ ، وفيها يقول : « يرى المطالع في سيرة عنترة صورة أمينة لحياة عرب البادية الذين لم تتأثر اخلاقهم بكرور الزمن . ففيها يرى صفاتهم جميعها مصوّرة بكل دقّة من اكرام للضيف ، ورغبة في الآثار ، وحب ، وسخاء ، وحماسة تدفعهم الى الغزو والنهب ، وشغف طبيعي بالشعر . فهي هي الروايات الهوميرية عن حروب العرب القديمة وايامهم قبل محمد ، وعن ابطالهم الاقدمين . ثم ان الانشاء اللبق المتنوّع ، والاخلاق الظاهرة بقوّة والمحدّدة بفنّ ، تزيد في قيمة هذا التأليف . فهي على الجملة « الياذة العرب » . وقد زاد كليمان هوار (Huart) على قوله . انه على هذه الطريقة كان اسكندر دوماس (Dumas) الاب يكتب تاريخ فرنسة[٢] .

وقد ترجم القسم الكبير منها الى الفرنسوية في طبعات مختلفة من مطوّلة ومختصرة خمسة مستشرقين هم : دي كاردونْ ، ودي برسفال المذكوران ، وشربونو (Cherbonneau) ، ودوغا (Dugat) ، ودوفيك (Devic) . وكان هاملتون (Terrik Hamilton) قد سبق وترجم نحو ثلثها الى الانكليزية ونشره في اربعة مجلدات ، في لندن سنة ١٨٢٠ . ولها غير ذلك ترجمات الى اللغات المختلفة كالالمانية والتركية . ومن شاء الاطلاع على عناوين طبعاتها وترجماتها بالتفصيل الوافي فعليه بكتاب المستشرق شوفن في مآخذ الكتب العربية[٣] .

---

١) اسكندر آغا ابكاريوس : منية النفس في اشعار عنتر عبس ، ص ٥ – ٦

٢) اطلب Cl. Huart, *Littérature arabe*, 1923, p. 367

٣) V. Chauvin, *Bibliographie des ouvrages arabes*, III, 113 .

اما النصّ العربي فله عدّة طبعات منها الطبعة التي بدأ بها سليمان الحرائري والاب برقاد (Bourgade) في ذيل جريدة «برجيس باريس» واخذا بنشرها على حدة . ولكن لم يظهر منها الا جزءان من اثني عشر ، وذلك سنة ١٨٦٥ و ١٨٦٦ ثم طبعت «السيرة الشامية» في المطبعة اللبنانية ليوحنا غرزوزي في بيروت ، فظهرت سنة ١٨٧٦ في ٥٢ جزءاً كل جزء يشتمل على ٣ كتب ما عدا الاخير فعلى كتابين ، وذلك في ٩ مجلدات . وقد طبعت ايضاً في المطبعة الادبية سنة ١٨٨٣ — ١٨٨٥ ، في ٦ مجلدات و١٥٥ كتاباً . اما «السيرة الحجازية» فطبعت في مصر سنة ١٣٠٦ — ١٣١١ هـ (١٨٨٨—١٨٩٣) في ٣٢ جزءاً . ثم توالت طبعاتها متعدّدة .

آثاره

الديوان

مما لا شك فيه ان عنترة اشتهر بشعره اشتهاره بفروسيته ، بل هو شاعراً اشهر منه فارساً عند المؤرّخين . على ان هذه الشهرة لا ترتكز على معلقته وحدها ، ولكن على سائر شعره ايضاً ، وهو متداول معروف منذ القرن الثامن حتى ان ابن سلّام الجمحي[1] المتوفى في اواسط القرن التاسع ، ذكر ان له «شعراً كثيراً»[1] تناقله الرواة ، وفي مقدّمتهم الاصمعي ، حتى اجتمع له ديوان ذكره حاجي خلفا في فهرسته[2] . الّا اننا لا نعلم ما هي الصلة بين هذا الديوان والديوان الذي طبع مرّات في ايامنا مشروحاً وبدون شرح ، لاننا نرى في هذا الاخير كثيراً من القصائد التي لا تمكن نسبتها الى عنترة لأسباب سنتبسّط في الكلام عليها بُعيد هذا .

وان احدث هذه الطبعات الطبعة المصرية المشروحة بقلم اديب مصري ،

---

١) ابن سلّام الجمحي : طبقات الشعراء ، ص ٢٥

٢) حاجي خلفا : كشف الظنون عن اسماء الكتب والفنون ، طبعة Flügel ، ٣ : ٢٩٨ ، تحت رقم ٥٥٨٦

بعنوان « شرح ديوان عنتر بن شدّاد » ، وهي مبنيّة على ما نشره المرحوم الاب شيخو في «شعراء النصرانية»[1] سنة ١٨٩٠ ، من شعر عنترة الصحيح والمنحول ، وعلى الديوان الذي طبعه لاوّل مرة في بيروت اسكندر اغا ابكاريوس سنة ١٨٦٤ ، ثم سنة ١٨٨١ ، بعنوان « كتاب منية النفس في اشعار عنتر عبس » ، وتعدّدت طباعاته في بيروت ايضاً واشهرها طبعات خليل الخوري ، ومكتبة صادر ، وفيه كل ما نُسب الى عنترة من الشعر مرتباً على الابجدية مما يبلغ نحو ١٥٠٠ بيت ، مأخوذة عن كتب الادب وعن القصة ايضاً . اما شعر عنترة الذي لا يستند الى القصة فقد اهتم به المستشرق ابن الورد (Ahlwardt) فجمع منه نحو ٣٣٥ بيتاً نشرها مرتبةً على الابجدية في لندن سنة ١٨٧٠ في كتابه الموسوم ، بـ « العقد الثمين في دواوين الشعراء الجاهليين » مع دواوين النابغة ، وطرفة ، وعلقمة ، وزهير ، وامرئ القيس . واردفها بتعليقتين ذكر في اولاهما ما وقف عليه في كتب الادب القديمة مما لا يدخل في ما رواه الاصمعي ، وابو عمرو بن العلاء ، والمفضل ، وابو سعيد السكري ، من الشعر المنحول الى عنترة فكان نحو السبعين بيتاً ؛ وفي الثانية ما وقف عليه من ذلك الشعر المنحول في الكتب المتأخرة ، وهو لا يتجاوز الابيات العشرة .

صحة نسبته

وهنا يجب علينا ان نقف متسائلين عن صحة نسبة هذه القصائد ، مجتهدين في التمييز بين شعر « عنترة التاريخ » وشعر « عنترة الاسطورة » ، اذ لا شك ان مؤلفي القصة كان لهم اليد الطولى في صنع القصائد العديدة التي نحاوها بطلهم ، لاسيما ما يُروى منها قبل مبارزة مهمة ، او على اثر معركة شهيرة ، او في اثناء سفرة طويلة . هذا وستكون طريقنا في محاولة هذا التمييز على نوعين : طريق النقد الخارجي او التاريخي ، وطريق النقد الداخلي او الادبي .

اما الاولى فقد لا تقودنا الى الكثير من النتائج الراهنة اذ لا يمكننا تحديد زمن النحل على الاطلاق ، ولكنها تفيدنا فائدة جلّى في افراد قصائد القصة عمّا تقدّمها ، فالاستنتاج بان هذه اقرب الى الصحة لورود ذكر لها ، او لبعض

---

١) الصفحة ٧٩٤–٨٨٣

ابياتها ، في كتب تقدّم وضعها زمن انشاء القصة . ونحن اذا اعتبرنا يوسف ابن اسماعيل المصري مؤلفاً لشتات تلك الرواية ، ومخرجاً لها على ما يقارب الصورة التي نعرفها بها ، لزمنا ان نفتش في الكتب التي سبقت زمن يوسف ، وهو اواخر القرن العاشر للمسيح ، حتى اذا وجدنا فيها شيئاً من شعر عنترة اقررنا مبدئياً انه من غير صنع القصّاصين. ثم ان لم نرَ سبباً لتجريح رواته ، او زعماً بنسبته الى غير عنترة ، امكننا الاستنتاج ، وان موقتاً ، بانه ثابت صحيح .

واما الطريق الثانية ، او طريق النقد الداخلي ، فتظهر فائدتها اذا ما وصلنا الى هذه النقطة من الاستنتاج التاريخي . وذلك يكون بان ندرس هذه القصائد التي رجّحنا نسبتها بالاستناد الى التاريخ . فنستوعب صفاتها ، ونفهم روحها وشخصيتها جامعين ذلك الى ما نعرفه من روح الشعر الجاهلي الاجمالية . ثم نطبّق عليه سائر الشعر المنسوب الى عنترة مما لم تتمكن من تحقّق تاريخ وضعه ، فما وافق منه تلك الروح السائدة في الشعر التاريخي رجّحنا صحته ، وما لم يوافق منه، رجّحنا نحله او جزمنا بصنعه ، على حسب ابتعاده عن روح الشعر العنتري خاصة ، والشعر الجاهلي عامّة .

فاذا وضحت هذه الخطة قلنا ان اكثر الشعر المطبوع في مجموعة ابن الورد ، قد ورد شيء من ابياته في الكتب السابقة وضع القصة . وفي مقدمة ذلك المعلّقة ، فقد ذكرت كل ابياتها مجملة او متفرقة في جمهرة اشعار العرب لابي زيد القرشي[1] ، وطبقات الشعراء لابن سلّام الجمحي[2] ، والشعر والشعراء لابن قتيبة[3] ، والعقد الفريد لابن عبد ربه،[4] والكامل للمبرّد ،[5] وتهذيب الالفاظ لابن السكيت،[6] والاغاني للاصبهاني ،[7] وأمالي القالي[8] . فيمكننا

---

١) طبعة مصر ١٣٣٠ هـ . ص ١٨٨–١٩٩ . ٢) طبعة Hell ، ص ٢٥

٣) طبعة de Goeje ، ص ١٢٠–١٢١ . ٤) في الروائع ٩ : ٩٧ .

٥) طبعة رَيت Wright ، ص ٤ ، ٨ ، ٥٤ ، ٩٦ ، ٢٦١ ، ٢٦٦ ، ٤٤١ ، ٥٠٣ ، ٧٢٩ ، ٧٤٢ ، ٧٥٨ . ٦) طبعة شيخو ، ص ٤٢٢ ، ٤٦٤ ٧) طبعة بولاق ، ١ : ١٠٦ ؛ ٢ : ١٢٧ ؛ ٧ : ١٢٧ ، ١٢٨ ؛ ٨ : ١٢٤ ، ١٢٥ . . . ٨) طبعة مصر ٢ : ٢٨ ، ١٤٦ .

الاخذ اذاً بصحة نسبة المعلقة الا بعض ابيات فيها كالمطلع الذي يدفعه اكثر الرواة ان يكون لعنترة ، ومنهم الاصمعي وابن الاعرابي ، واول القصيدة عندهما: « يا دار عبلة ... »[1] وكالابيات التي تُوسّع فيها بمعاني عنترة كسلسلة «يدعون عنتر والسيوف كأنها...، والسهام كأنها...، والدروع كأنها...»[2] وكالبيتين اللطيفين الملحقين بها مؤخراً : « ولقد ذكرتك ... »[3].

وكذا القول عن القسم الاكبر من قصيدتيه اللاميتين المنشورتين في الروائع ٢٧ : (ص ١٧ — ٢٥) وهائيته الفخرية (ص ٢٥ — ٢٨) ، وقصيدته في يوم عُراعر (ص ٢٨) ، وحائيته في هجاء الجعد ،[4] ويائيته في يوم الفروق[5] ، فاننا نرى الكثير من ابياتها واردة في ما تقدم ذكره من الكتب وفي غيرها من المجاميع السابقة القرن العاشر كأمالي القالي[6]، والكامل[7]، وتهذيب الالفاظ[8]، والعقد الفريد[9] ، والنوادر لابي زيد الانصاري[10] ، والاغاني في مواضع عدة.

فاذا اتخذنا هذا الشعر ، الراجحة نسبته بفضل النقد الخارجي ، مصدراً نستمدّ منه روح شاعرية عنترة ، ومقياساً نعرض عليه سائر شعره المنسوب فنستخرج منه اصول نقدنا الداخلي ونطبقها على ذاك الشعر ؛ اذا قمنا بهذا العمل ، نتحقق ان ما بقي من الشعر العنتري بيّن النحل ، ظاهر الصنعة ، وانه لجدير بنا ان نخلّص شاعرنا منه ، لما فيه من مباينة لروح شعره الحقيقي ، فضلاً عن كونه متأخر الوضع لم يظهر في كتب الادب الا بعد تأليف القصة .

بقي علينا ان نبحث في قيمة هذا الشعر المنحول ، وفي الاساليب التي اتخذها

١) الاغاني ٨ : ١٢٥ — وشرح الانباري للمعلقة طبعة *Rescher* ، ص ٤ — وابن سلّام : ك.م. ص ٢٥، وهو يذكر المعلقة بمطلعها : « يا دار عبلة » .

٢) اطلب الروائع ٢٧ : ١٥ .

٣) الديوان : شرح اديب مصري ، ص ٢٢٢ ، — وابن الورد : ك . م . *p. 113*

٤) ابن الورد : ك. م. ص ٢٥-٢٦ .

٥) ابن الورد : ك.م. ص ٥١-٥٢ .

٦) الطبعة المذكورة ، ٢ : ٧٢ .

٧) الطبعة المذكورة ، ١٧٥ ، ٢٦٤ ، ٢٠٠ ، ٢٥٠ .

٨) الطبعة المذكورة ، ص ٥٩٢ ، ٦٢٤ .

٩) طبعة بولاق ، ١ : ٤٠ — والروائع ٩ : ٩١ .

١٠) طبعة بيروت ، ص ١٢٢ .

الناحلون والمثل التي ساروا عليها في وضعهم ، وفي اي عصر جرى ذلك على التقريب ، فنقول :

لا يلبث دارس شعر عنترة المتحول ان يتحقق تباين شخصيات واضعيه ، واختلاف عصورهم سواء كان ذلك في معنى الشعر اي موضوعاته ، او في مبناه ، فيقيد ملاحظاته لدى قراءة كل قصيدة ، ويجمع ذلك ، ويقابل ، ويوازن ، واذا به ينتهي وقد قسم القصائد الى اربعة اقسام من حيث روح الشعر ، ومن حيث اسلوبه ايضاً :

يرى اولاً قسماً مهماً احتذي فيه بشعر عنترة نفسه من حيث وصف المعارك ، والفخر بالاعمال الحميدة ، وعلو الهمة ، وبيض الفعال التي من شأنها ان تمحو سواد الجلد ، وتسبل الستر على دناءة الأصل . وقصائد هذا القسم اكثر من ان نشير الى مطالعها . على انه لا يمكننا حصر زمن تأليفها لان فيها المتين القديم ، والمتوسط ، والركيك المتأخر الآخذ بقسط من اغلاط المولدين والمحدثين .

وهناك قسم ثانٍ يقترن فيه وصف الشجاعة العنترية بايراد الحكم العامة والافكار الشاملة ، فكأن واضعيه ساروا فيه على اسلوب المتنبي مشوباً باسلوب شاعرنا ، فتوفقوا الى القصائد المشهورة من امثال « حكم سيوفك »[1] و« لا يحمل الحقد »[2] و« لغير العلا مني القلا والتجنب »[3] وما على شكلها . وبعضها لا يبعد عن نفس صفي الدين الحلي في بعض حكمياته وفخرياته .

وكأن الناحلين ساروا في القسم الثالث على طريقة عمرو بن كلثوم في المبالغات ولم يكونوا من متانة الانشاء على حظ وافر ، فاتى في اقوالهم كثير من مضحكات السرقة كقولهم :

ملأنا سائر الاقطار خوفاً فاضحى العالمون لنا عبيدا
وجاوزنا الثريا في علاها ولم نترك لقاصدنا وفودا
اذا بلغ الفطام لنا صبيٌّ تخرُّ له اعادينا سجودا . . . الخ[4]

١) شعراء النصرانية ٨٦١.
٢) شعراء النصرانية ٨١٨.
٣) « « ٨١٩.
٤) « « ٨٢٨.

وكهذا :

وغن العادلون "اذا حكمنا" وغن المشفقون على الرعيّة
وغن المنصفون اذا دعينا الى طعن الرماح السمهريّة
وغن الغالبون اذا حملنا على الخيل الجياد الاعوجيّة
وغن الموقدون لكل حرب ونصلاها باقتدة جريّة
ملأنا الارض خوفاً من سطانا وهابتنا الملوك الكسرويّة . . . (١

ولا يمكن ان يتقدم وضع هذا الشعر عصر الانحطاط .

اما القسم الرابع ففيه مطالع جذّابة وتعابير غاية في الرقة ولطف الشعور تدفعنا الى التفكير بالبهاء زهير ، وبابي فراس ، وبمن اليهم من شعراء العصر العباسي الثالث والرابع ، يقترن ذلك احياناً بنوع من التشكي العذب على طريقة الطف الشعراء الغزلين ، كما نرى في المطالع الآتية :

لأيّ حبيب يحسن الرأي والردُّ وأكثر هذا الناس ليس لهم عهدُ ! (٢
و اعادي صرف دهر لا يُعادى واحتمل النطيمة والبادا ! (٢
و اذا فاض دمعي واستهلّ على خدي (٣

تضيف الى هذا القسم ما لا يمكن الارتقاء بزمن . وضعه الى ما قبل العصر العباسي الثالث لما فيه من تكلّف الجناس كهذا البيت :

لقد علم القبائل ان قومي لهم حدٌّ اذا لبس الحديدُ (٤

او هذا :

اصدّق منه الزور خوف ازوراره وارضى استماع الهُجر خشيةَ هجره (٥

قيمة شعره

لا نطيل الكلام في قيمة عنترة ، بعد ان افضنا في موضوعات شعره ، وما اختصّ به من طريقة تبعه عليها بعض النظّامين فنحلوه من اشعارهم الشيء الكثير . على انه يجدر بنا ، وقد انهينا هذا الدرس ، ان نشير الى

١) شعراء النصرانية ٨٨١ .
٢) شعراء النصرانية ٨٢٩ .
٣) شعراء النصرانية ٨٢٢ .
٤) ابن الاثير : المثل السائر ، ص ٤٥٦ .
٥) ابن الورد : ك . م . ص ١٨٠ .

ما امتازت به شخصية شاعرنا من اسلوب فخر استحدثه لنفسه ، حتى عُرف به ، على كثرة الشعر الفخري آنذاك ، فاصبح كعلامة فارقة تسم بطولته فتظهرها بارزة بين جمهرة الابطال الاقدمين . وشرح ذلك ان عنترة كان عارفاً بقوة بطشه ، بصيراً بوصف شجاعته ومواقعه ، فاخترع لنفسه تلك الوسيلة لتبيان مقدرته ، وهي ان يصف اولاً عدوه فيصوره اشجع الفرسان ، واكملهم صفات للحرب ، ثم يذكر انه قتله بضربة سيف او طعنة رمح ، فينال فخراً اسمى ومجداً اعظم[1] ، فكان في ذلك مبتكراً .

وكان مبتكراً ايضاً في مطالعه التي خرج في اكثرها عن العادة المتبعة قبله في تقديم النسيب[2] ، وفي تصاويره الجميلة التامة . ولعلّ اظهرها جدّة ، بالنسبة الى الجاهلية ، تلك الابيات الاربعة التي يصف فيها امرأة يُرسل اليها جاريته «لتجسس اخبارها» ، فيضع امامنا مشهداً مصوراً بلطف وفنّ لم نتعودهما الا في شعر عمر بن ابي ربيعة[3] .

وقد رافقه هذا الابتكار في مبنى شعره فلم يتراجع امام استعمال التضمين ، وهو نادر في الشعر القديم ، بل اطلق لفنه العنان في استعماله ، وكثيراً ما نجح فيه كقوله :

فان يك عزٌّ في قضاعة ثابتٌ فانّ لنا ، برحرحان وأسفعِ ،
كتائبَ شهباً فوق كلّ كتيبةٍ لواءٌ كظل الطائر المتصرّف

فيمكننا الإجمال قائلين : ان عُدّ عنترة شاعر الفخر والحماسة بلا منازع ، فانه شاعر الابتكار والشخصية ايضاً .

---

١) المعلقة : ٤٨ و ٤٩ ؛ و ٥٢–٥٩ – واطلب الروائع ٢ : ٢٢ .
٢) اطلب الروائع ٢٧ : ٣٥ – واكثر مطالع الديوان في طبعة ابن الورد .
٣) اطلب ، في طبعة ابن الورد ، الابيات ٦٤–٦٨ من المعلقة ، ص ٤٨ .

الثورة العربية في الحرب الكبرى

بقلم الاب فردينان توتل اليسوعي

اصطلح الجغرافيون على تسمية شبه الجزيرة ، الواقعة في طرف آسية الصغرى الجنوبي ، بلاد العرب ، او عرابية(*Arabia*)، كما قالوا فرنسة وايطالية واسبانية ، فساوهوا ان القطر الواقع بين الاوقيانوس الهندي والبحر الاحمر هو موطن امة واحدة لغةً واصلاً وادارةً وشعباً ومصالح اقتصادية وادبيةً ، شأنَ البلاد ذات الوحدة المؤلفة من اتحاد العناصر ، واتفاق الآراء والقلوب . وقد يتجسم ذلك الوهم في عقل العوامّ ، اذا ما سمعوا اقوال الدعاة الى الجامعة العربية الكبرى ، المناشدين كل من ينطق بالضاد في مشارق الارض ومغاربها ، الى لمّ شتاتهم تحت لواء القومية العربية ؛ والقومية العربية في اصلها انما هي نواة فارغة ، لان قلبها هو الجزيرة ، والجزيرة ليست دار امة واحدة . بل هناك قبائل لا يحصى عددها ، منقسمة بعضها على بعض ، فضلاً عما يقسم بينها من مواعر المسالك ومتسعات الفلوات في هضاب وسهول وبطون وحزون ، لا يعيش فيها ابن آدم في الغالب ، الّا بالغزو ؛ وليس العيش والارتزاق بالغزو الا حياة فتن مقيمة وحروب مستديمة تلك الحالة معهودة منذ القدم في تاريخ الجزيرة ، وهي لا تزال في يومنا مخيّمة على بلاد العرب.

كيف تألفت فلوبريم ؟

لمّا حلّ لورنس ، الكولونيل الانكليزي ، مرفأ جدة ، في تشرين الاول

سنة ١٩١٦ ، موفداً من قبل الحكومة البريطانية ليسعى في الوقوف على افكار الشريف الحسين بن علي ، وفي البحث على وسائل ضمّ قبائل الحجاز الى حزب المتحالفين ، فيسلّح العرب ويطلقهم على الاتراك ؛ لم تكن حالة القبائل القاطنة في الحجاز وعلى الحدود السورية غير التي عهدناها في التاريخ ، وغير التي وصفها الشريف حسين اذ قال : « وماذا في شبه الجزيرة ؟ غير الامراء الاعداء والقبائل المتمرّدة والصحارى والقفار ؟ »[1] فكان من حيل لورنس ودهائه وصفاته الفريدة أنه فهم نفسية العرب ، وحلّ منها محلّاً رفيعاً سلطه عليها ، فارتبط بصداقة الامير فيصل وزوّده بالذخيرة والمال ، والف بواسطته قلوب البدو ، وجمعها وشد عزائمها ، وساقها من مرحلة الى مرحلة ، ومن مناوشة الى مناوشة ، الى ان دوّخ الاتراك وسلبهم راحتهم على جناحهم الشرقي ، وساعد اللنبي القائد العام على جبهة فلسطين ، في فوزه النهائي الباهر ودخول دمشق ، عاصمة الامويين ، دخول الفاتح الظافر سنة ١٩١٨ .

وما مضت عشر سنوات على تلك الحوادث حتى نشر لورنس وصفها في كتاب عنوانه « الثورة في البادية » (١٩١٦—١٩١٨) . ونُقل ذلك الكتاب من اللغة الانكليزية الى الافرنسية ، وتصرّف به اخيراً السيد شاكر خليل نصار ، فاقتطف زبدته معربةً وعرضها على القرّاء تحت عنوان « لورنس والعرب » ، ودخلت مذكرات لورنس في سلسلة المؤلفات الموضوعة ليُعول عليها في تأليف تاريخ الحرب العام . وهي معدن يحوي شتى التعليمات عن عرب الحجاز ، وبلاد معان والسرحان ، وعن اراضيهم واخلاقهم ، وعن تطورات الوقائع في تلك الناحية المجهولة من نواحي الحرب الكونية .

وللكولونيل لورنس الانكليزي نظرات شخصية وتصميمات غريبة حاول ان يجريها في الامر الواقع ، كانت ترمي الى انشاء الدولة العربية الجامعة . فزرع فكرتها في قلوب اعراب لم تخطر لهم في بال ، وحاول سحابة سنتين ان ينفذ تلك الفكرة في العمل حتى اقترب من النجاح ، ولكنه لم ينجح ،

---

١) راجع ملوك العرب للريحاني ١ : ٦٥ : صادر · بيروت ١٩٢٤—١٩٢٥

وذهبت آماله اضغاث احلام . على ان لمذكراته قيمتها التاريخية والادبية ، وهي مرآة الثورة العربية وترجمانها . وان ترق رواية لورنس القراء الانكليز ، فلا اقلّ من ان تلفت انظارنا ، اذ انها مسرح تختلف عليه صور الصحارى وامرائها وسكانها .

في طلب الزعيم

اول من التقى به لورنس من الامراء العرب كان الامير عبد الله ، ثاني اولاد الشريف حسين . قصد الى جدة ليسلم على لورنس ، فوصل راكباً فرساً بيضاء ، محفوفاً بعبيده . دخل ووجهه يسطع باشعة نور الفخر ! كيف لا ؟ وقد كسر الحامية التركية في مدينة الطائف ، ونال استحسان القوم . فابشرت الوجوه لقدومه واستلفتت منه عطفاً وابتسامة .

اما لورنس فتفرس فيه فلم يجد فيه ضالته المنشودة ، وحول عنه النظر الى رجل غيره ، قدير على ان يكون زعيم الثورة العربية ونبيها . من هو ذلك الرجل ؟ واين هو ؟ العله علي ابن الشريف البكر ؟ كلا ! نعم لقد اكرم علي ضيافة القائد البريطاني عند قدومه اليه في الرابغ ، لكنّ اخلاقه لا تنم عن الصفات الضرورية للامر والحكم والتدبير والمغامرة في سبيل النصر . ترك لورنس الاخوين الاولين ، ومضى قاصداً الى معسكر فيصل ، ابن الشريف الثالث . وكانت الطريق اليه صعبةً مملةً في حمارة القيظ . فقطعها لورنس بلا ملل ولا فتور الى ان بلغ الحمراء بين مكة والمدينة ووصف قدومه على الامير العربي وصفاً دلنا الفه كاتبنا العرب ونحن نعرّبه ليكون القارئ به على بصيرة من اسلوب المؤلف ، ويتعرف منه الى شخصية فيصل :

« فويق بلدة « الوسطى » انشقر الوادي عن عرض زهاء ٤٠٠ متر ، وكشف على قاع صحصح ورمل رسيب . وبرزت الصخور من حمر وسود على اعالي المنحدرات كانها الجدران المخرمة ، ورؤوسها كالسكاكين . وقعت عليها اشعة الشمس وقوعها على الصفحات المعدنية فانعكست وتطايرت شظايا ، فزاد رهيجها بقية الرطوبة المنبعثة من الاشجار والعشب . ونظرنا ، واذا رجال

فيصل وخيله في المراعي والعسكر مخيّم في كل جرف من الصخور المحاذية للطريق ، وفي كل دغل من الادغال . بادروا دليلي بالسلام فعلت الاصوات بالترحاب . وانتبه الدليل وردّ السلام وعجل سيره على امل الوصول سريعاً والانطلاق الى شأنه بعد القيام بمهمته نحوي.

« سرنا والحمراء ، مقام فيصل ، ممتدة على يسارنا ، وبيوتها المئة ، على ما رأيت ، متوارية في البساتين ، متفرقة بين اطلال لا يفيف عاوها على الشرف قدماً . قطعنا ساقية المخاضة في الوادي ، وجانبنا حديقة جنة غناء وارتقينا ذروةً من السذرى ، حتى بلغنا الى باب دار يؤدي الى بيت واطئ مستطيل . فبركت الجمال وكلم الدليل الحرس . وكان واقفاً بالحراسة عبد وبيده سيف فضي القبضة ، فادخلنا . فنظرت فاذا برجل مرتد ثياباً بيضاً ، واقف كالشبح على باب البيت ، بين عاموديه القائمين ، ولم اكن رأيته عمري قط ، ولكن ما وقع نظري عليه الا اشعرت انه هو هو ضالتي المنشودة والزعيم القمين بان يسير بالثورة العربية الى النصر المبين.

« برز فيصل متشحاً بالحرير الابيض الفضفاض ، منتصباً كالعامود : طويل القامة ، مطرقاً الى الارض ، اسود اللحية ، كامد الوجه ، مقنعاً بالجمود . ووجهه مع ذلك يتلوّن بالوان تحفّظ وحذر مدهش . وقف ويداه على قبضة خنجره .

« فسلمت عليه.

« فادخلني غرفة الضيوف وتنحى وجلس القرفصاء بالقرب من الباب ، وما ان انست عيناي بعتمة الغرفة الا اكتشفتا في زواياها وجوهاً صامتة وابصاراً شاخصةً تارةً اليّ ، وطوراً الى فيصل.

« وتأمل الشريف السلاح بين يديه ، ثم كلمني وقال :

« خير ، ان شاء الله .

« فقلت : يوم قائظ.

« قال : وكم من الزمان على الطريق.

« فاخبرته ، فقال ان المدة قصيرة بالنسبة للفصل وحرّه . ثم قال :

« وما رأيك في مقامنا في وادي الصفراء.

« فقلت: لا بأس به ، ولكن شتان بينه وبين الشام!

« وما كان انقضاض الصاعقة في وسط الجماعة ليحدث التأثير الذي احدثته اللفظة في قلوب الحاضرين . وكنت لتحسبهم كانهم قبضوا، وانحبست انفاسهم في سكوت دام دقيقة » . . .

على تلك الصورة مثل لورنس الحوادث في مذكراته.

هذا ، ولو اتيح لزعماء الحملات العربية التي سارت للفتح في مستهل التاريخ الهجري، ان يجلس بينهم كاتب جلوس لورنس في موتمر الحمراء ؛ لعرفنا كيف كانوا يحنون الى ارض الشام ويتوقون اليها . وهي التي وصفها لهم روّادهم : ارض الخمر والخمير ، والديباج والحرير ؛ فما اطيب ثمارها واعذب مياهها وابلّ هواءها . اولا يجدر بهم ان ينسوا المشاحنات القديمة ويتفقوا عليها مرتعاً ومغنباً . ولكن ما اشسعها عن رمالهم بوناً ، وما ابعدها عن رغائبهم منالاً !

مصدات الثورة العربية

بلغ لورنس محطة الآمال ، ووجد قائد الثورة . ولكن اين رجالها ؟ ومن ينظمهم ويقودهم ، ومن يمدهم بالمال والذخيرة ؟

جمع فيصل جيشاً متفاوت العدد ، بين السبعة والثمانية آلاف ، وهم رجال بدو لا ضابط لهم ، ولا عهد في الفنّ الحربي الحديث . لا سلاح لهم الا ما يتخذه النفر له من بندقية يفتش عنها في بيته فيحملها مدةً ، ثم يعود على آله ؛ فيسلمها غيره ، وعلى تلك الطريقة يتناوبون . وكان المتزوّجون من الجند يعودون الى عيالهم من غير ان يستأذنوا قوادهم.

وربما هجرت عشيرة برمتها معسكر الجيش وارتدت على اعقابها عاكفةً على الراحة ، ولم يكن بين العسكر صلة نظام ولا قيد . وكان بعضهم معادين لبعض مضمرين في قلوبهم الاحقاد والشرور . فيتباعدون عن الملاقاة اتقاء المشاحنات ودفعاً الاذى . ولم يكن في معسكر فيصل من الاسلحة المجهزة

الا البنادق اليابانية الغير المتقنة الصنع ، السريعة العطب والانفجار في ايدي صاحبها ، واربعة مدافع قديمة من طراز كروب ، لا ترمي قنابلها الى ابعد من ثلاثة آلاف متر ، ولا تقوى على مقاومة المدافع التركية الرامية الى ما وراء التسعة آلاف متر . وليس للعرب ديوان ذخيرة ، ولا ديوان يعهد اليه بامر النقليات ، بل كان المقاتلون يتدبرون شؤونهم بامر النقل كل واحد بذاته . اما خزينة المال فحدّث عنها ولا حرج . كان فيصل قد وضع صندوقاً ، واقام عليه حرسه الخاص ، وكان الصندوق ثقيلاً مختوماً فيحمل على جمل ويرحل مع قواد الحملة اينما رحلوا ، ويحطّ تحت خيامهم اينما حطوا ، وكان الاعراب يتوهمونه صندوق الذهب ، ولكن كان ملؤه الحجارة .

تلك الحالة السيئة لم تكن لتستحث زعيم الثورة العربية على مغامرة الحرب لولا ذكاء لورنس ودهاؤه . فانه اخذ على عاتقه امر اصلاح ذات البين بين الامراء ، فاستجلب مئات الالوف من الليرات الانكليزية من القاهرة ، ووزع الاصفر الرنان بين العرب ، واطلق في ميدانهم «فرسان القديس جرجس» فالّف القلوب . ولم يتكلم لورنس على تلك العطايا في كتابه الا همساً لكن ذكرها فيه واضح . وتلك المرابح وغيرها من المغانم التي غنمها اصحاب الثورة على الاتراك وبما وصلت اليه ايديهم من سلب ونهب ، هي التي كانت في الغالب تحول دون فكّ العصبة التي بذل لورنس قصارى جهده في احكام عقدها . فبذل المال وتعهد بالاسلحة والذخيرة والزاد على ان يقدم العرب الرجال ويتألفوا ويسيروا تحت لواء واحد .

امراء العرب ووفودهم

فتح عرب الشريف مدينة الوجه على شاطئ البحر الاحمر بمساعدة لورنس والمراكب الانكليزية . وضرب فيصل سرادقه الفخم الجميل على بعد ميل من البحر ، وخيم العساكر في منخفضات الرمال اتقاء الحر . وقامت الروّاد في الصحراء تدعو العرب الى الاجتماع حول الشريف ، وما عتّم ان تحركت القبائل وسارت اليه الركبان من كل صوب وفجّ . ذكرهم لورنس : منهم بنو عجيل ،

وبنو عتيبة ، وعرب البلي والجهينة والحويطات والعطيـة والرولا . ووصفهم وصف الكاتب النحرير المعي ذكرى الرجال في مخيـلة القراء . قال في نوري الشعلان ، امير الرولا :

« قطع نوري شوطاً من عمره ، وحكم في قبيلة عنزة ثلاثين سنـة ، ولم ينل نوري سطوته من نسبه ، وان يكن من نبلاء الرولا ، ولم يستهو قلوب رجاله اليه ، وليس هو القائد المتبدع المندّى . لكنه شديد البأس صعب المراس . بطش باخويه غيلة ، فهابـه العرب . وحالف الشرارات وغيرها من القبائل ، فلم تخالف له امراً في متسعات اراضيها . ليس نوري صاحب دهاء وحيـل ، شأن غيره من الشيوخ ، بل يطلق كلامه فوراً وينفذه كالسهم الصائب فـلا يقف بوجهه معارض ولا مقاوم . »

وكان نوري متصلاً بالاتراك موالياً لهم ، وحالف مع ذلك الشريف فيصل ، ومده بمئات الجمال . وعاهد لورنس الّا يتعـارض لمرور العرب الثوّار في بلاد السرحان ، بين الجوف والازرق ، شرقي البحر الميت . وتوسط بين زعيم الثورة ومستشاره لورنس وعرف اليها عودة ابا طي امير الحويطات ، من ليس لـه ند ولا نظير في شبه الجزيرة العربية .

عودة ابو طي قائد باسل يساوي وحده كتيبة الفرسان بطشاً وبأساً : طويل القامة ، مربع الكتفين ، منتصب القوام ، سريع الحركة ، نضير الاعضاء لدنها . جاوز الخمسين من عمره ، وجُرح ثلاث عشرة مرة ، وقتل من الاعراب سبعين ، ومن الاتراك ما لم يُحص عدده . مقدام على الغزو والسلب ، مقحام المخاطر ، خواض المنايا ، داهية زمانه ، ذلق اللسان ، حلو النوادر ، تزوج بثماني وعشرين امرأة . صادق لورنس ودرّبه على اسلوب العيش ، وعلى القتال في الصحراء .

وهوذا الشريف شاكر ، معشوق عرب العتيبة وحبيبهم لانهم عهـدوا فيه صفات الفروسية والبطولة العربية . لا يشقّ له غبار ، ولا يبـارى في رمي الرصاص والشجاعة والغنى والعز . وهو حريص على استهواء قلوب البدو بمظاهره الخشنة وزيّه البسيط واخلاقه البدوية . يترك رأسـه مرتعاً للحشرات ويضحك قائلاً : « لا يمنع الكلأ عن النعم الّا البخيل . »

واقبل الى زعيم الثورة غيرهم من الامراء: ابو زعال ابن عم عودة ، وامراء الشرارات ، وضيف الله ابو تيور ابن عم احمد بن غزي ، من رحالة عرب معان ، ونواف بن نوري الشملان ، وابو تجيجه ، وغيرهم.

وكان قدوم زعماء العرب على فيصل يهيج في قلوب الرجال اجمعين عواطف التحمس والتآلف. فيغتنم الشريف فرصة ليستحلفهم على القرآن « انهم يكونون معه حيثما يكون ، فيصبرون اذا صبر ، ويرحلون اذا رحل ، وينبذون طاعة الاتراك ، ويصادقون العربي اينما وجدوه اكان في بغداد ، او في حلب ، او في الشام ، او في شبه الجزيرة ، وانهم يقضون استقلال شبه جزيرة العرب على الحياة والآل والمال ».

وظل فيصل سحابة سنتين امام العرب ورشيدهم وقاضيهم . يدخل الاحزاب عليه ليحكم فيهم ، ويصلح ذات البين فيقوم بمهمته خير القيام من وراء جبهة القتال ولم يتعرض للمعارك ولم يقاسِ الاهوال التي قاساها غيره من الامراء . ولكن مهمته السلمية رفعت مكانته ، فقويت شوكته وعلا نجمه ، وخفق علمه على رؤوس الاعراب المنضمين اليه فاصبحوا امةً واحدة فتألفت قلوبهم او كادت . وصاروا كالجيش الجرار.

على ان جيش العرب لن يكون كسائر الجيوش المنظمة . فكر لورنس في امرهم ، فاذا هم رجال صحارى لا ينقادون الى نظام ، ولا يقف لهم صف بوجه عدو . فالاولى به الا يسألهم ما لا طاقة لهم باحتماله بل يجاريهم على اميالهم ، ويسير واياهم في حرب الخداع والمواربة . فلم يضيّق عليهم لئلا يُخمد اوارهم ، ولم يحبسهم ضمن حدود منطقة واحدة ، بل تركهم يتطايرون كالشرارات المحرقة او كالذباب اللاذعة ، ينهالون على العدو على غفلة منه ويفتكون فيه فتكاً ثم يغيبون كالبرق . فصاروا للاتراك شغلاً شغلهم ، وهمًّا نخر عظامهم وعرقل حركاتهم وانهك قواهم على الجبهة الفلسطينية امام القائد اللنبي .

الحملة على العقبة

وتوالت حملات العرب وتجددت مراراً ، ومنها ما كانت حرب خدعة ومنها

حرب سجال ، حيث يكون القرن كفوءاً لقرنه . وكان لورنس الدافع اليها حيناً عن اتفاق مع القائد العام ، وحيناً تملة للعرب لئلا يأمنوا البعد عن الاوطان ، ويتحدثوا بهجر الجيش . وقد يطول بنا المقال في سرد قصص تلك الحملات ، فحسبنا ذكر السير على العقبة ، ليقف منه القارئ على بعض المشقات التي تكبدها لورنس في بلوغ مأربه . سافر بصحبة عودة ابي طي ورجاله مسافة ١,٤٠٠ ميلاً . شدوا الرحال ، وساروا ليل نهار في هواء كانه لهيب الجحيم . حالفهم الجوع والعطش ، ودبّت برفقتهم افاعي الصخور ، وعشش البقّ والبراغيث والقمل في ثيابهم لا بيت لهم الّا عند عرب الحويطات ، وتباً لهم من مضيفين ثقلاء يتهافتون على نزيلهم ، متطفلين مستقصين اخباره ، ساعة يكون بمسيس الحاجة الى الراحة .

اجتاز لورنس ورفاقه المفاوز ، وقاربوا عمان واعلنوا قدومهم باطلاق الرصاص ، ونسفوا ثمانية جسور ، وعطلوا الخط الحديدي على مسافة طويلة . فانتبه الاتراك من غفلتهم وفزعوا ، وفهموا انهم في خدعة عند استصغارهم شأن العرب . فتحفزوا لقتالهم وقطع دابرهم في جملتهم على العقبة . وشد عزائم الاتراك قدوم طابور من الجند القوقاسي الى معان . وتأهب لورنس من جهته للاحتكاك بهم ، فوزّع العرب على اطرافهم واطلق سراحهم ، فطاروا كالبزاة الكواسر وانقضوا على الاتراك وافقدوهم رشدهم ، ثم جمع لورنس جموعه وهجموا على الاتراك هجوماً عاماً فكسروهم ، واثخنوا فيهم ، وهزموهم شرّ هزيمة . وكان عدد القتلى من الاتراك ثلاثمائة . اما العرب فلم يفقدوا الا رجلين ، واسروا ١٥٠ تركيًا ، وغنموا الغنائم الوافرة ودخلوا العقبة ظافرين . فانقطع الاتراك عنها ، وامنت ترعة السويس مخاطر حملاتهم عليها ، وتقربت المواصلات بين العرب وبين القاهرة . فدعا لورنس فيصل واقرّه في العقبة ، واقامه قائداً عامًا للعرب اجمعين بالرغم عن معارضة الشريف حسين . ولمّ الاتراك شعثهم ، واشتد ظهرهم بقدوم القائد الالماني فلكنهايم الى معان واخذوا يطمحون باسترداد العقبة . فصار لورنس يرسل اليهم الطيارات البريطانية تمطرهم وابل القنابل ، ودبر الحيل عليهم ليضطرهم الى تبديد قواهم . فكان العرب يهاجمونهم من

شتى الانحاء ويشغلونهم عن الحذر واتقاء المكائد التي كان لورنس يكيدها للقطارات السائرة من دمشق الى المدينة.

نسف القطار

كان يوسع لورنس منذ اوائل الحرب ان يقطع الخط الحديدي الواصل بين المدينة ودمشق قطعاً باتاً. لكنه فضل ابقاءه فخاً وشبكةً لاصطياد القطارات المسافرة لتموين الحامية التركية في المدينة. وكان يقطعه في نقطه الخطيرة وعلى الخصوص في ممرّ الجسور، فيضطرّ الاتراك الى ترميمها وتصليحها بمشقّات دونها خرط القتاد.

ووصف لورنس في كتابه نسفه قطاراً من قطارات الاتراك، وعربنا صفحة وصفه، لما رأينا فيها من شديد الوقع على القراء: بينما كان الاتراك منشغلين بدفع غارات العرب عنهم، سار لورنس ورجلين من الجند الانكليزي، وجمع مئة رجل من عرب الحريطات، ومضى الى الخط الحديدي حيث الجسر ممدود بعد اعوجاج الخط، فوضع الغام الديناميت تحت الجسر وسلحها بالقنابل، ووصل جهاز الانفجار بسلك كهربائي مربوط بمحطة خفية واقام حارساً على مرتفع، عن بُعد، ليتنذر بقدوم القطار عند ظهوره في الافق. قال لورنس:

« اشار الحارس الينا بان الساعة قد دنت وان القطار آتٍ الينا. نعم! لقد اتى، وعلى رأسه قاطرتان. سمعنا صوت صفيرهما يشقّ عنان السماء، ورأيناهما يجرّان الحافلات مجهزةً بانواع الاسلحة والذخيرة. علا الاتراك اسطحتها ووقفوا عليها ورآء متاريس من اكياس الرمل. وتقرب القطار الينا واعوجّ سيره مع اعوجاج الخط. وما كان قد خطر على بالي امر وجود قاطرتين على رأسه. فغيرت افكاري وقررت اطلاق القوة المفرقعة تحت القاطرة الثانية حتى اذا نجت الاولى فلا تقوَ على جرّ باقي الحافلات.

« وما هي دقيقة حتى وصل القطار ومرت القاطرة الاولى على الجسر ثم الثانية فرفعت يدي بالاشارة المعهودة بيني وبين الرجل الموكل على المفتاح الكهربائي. فحدث ضجيج هائل، وغاب الخط عن نظرنا في عمود تراب

ودخان ملأ الفضاء طولاً وعرضاً.

« واصطك الحديد بالحديد ، وتطايرت القطع المعدنية ، ومنها دولاب من دواليب القاطرة ، فانه تصاعد وتعلى بحركة رحوية ثم هبط وراءنا . وعقب صوت الانفجارات سكوت كانه الموت ، وهبت الريح نحونا فساقت الينا عمود الدخان ، وحولت لونه من الاسود القاتم الى الابرش الشفاف . ثم هجم العرب على الاتراك . وهرب هؤلاء لاجئين الى ما وراء الصخور والرشاشات تحصدهم حصيداً ، وتقطعت حافلات القطار وسقطت على جانبي الخط . . . »

دخول العرب دمشق

في ١ تشرين الثاني ١٩١٧ ، سقطت بئر سبع في ايدي الحلفاء . وفي ٧ منه سقطت غزة وعسقلان ، وفي ٩ و ١٧ يافا . ولم يمض الشهر على هذه الحوادث حتى دخل الحلفاء القدس . اما لورنس فكان ينتظر في برد الشتاء ساعة النصر النهائي . وها ان الساعة ازفت لدخول العرب في هجمات الحرب الاخيرة ، شنوا الغارات متواترة على الخط الحديدي ، فقطعوه تقطيعاً على مسافة مئة كيلو متر ، ونسفوا ٧٩ جسراً . ونالوا من المغانم ما لم يحلموا به حتى اشبعوا جشعهم . وفي ٢١ شباط ، فتح اللنبي اريحا وتلا ذلك الفتح فتح السلط . ثم هاجم اللنبي الاتراك على جبهة امتدت من الاردن الى البحر . وعول على عرب لورنس ليتقي شر العدو على جناحه الشرقي . ودعاهم الى اللقاء واياهم في درعا . ولم يخالف لورنس الميعاد . ففي ١٦ ايلول ١٩١٨ وقف على ابواب درعا . وتوالت انتصارات اللنبي في الناصرة وجنوبي بحيرة طبرية وعلى الاردن ، فكسر الجيش التركي السابع والثامن واباده عن بكرة ابيه . واصبح لورنس على قاب قوسين من دمشق فلم ينتظر اوامر اللنبي . رأى الثمر ناضجاً فابى الا ان يقطفه بيده . سار الى دمشق ودخلها مع رجاله ولم يصبر على قدوم فيصل اليها ، ودبر شؤونها الى ان دخلتها جنود الحلفاء محرريها الحقيقيين.

سر هرم الملك خوفو

بقلم حضرة القس عبد المسيح زهر

الدول تدول ، وظلوما يتقلص من على الارض ويزول ؛ ولكن معالم حضارتها وعرفانها تبقى دهوراً متطاولة بعد زوالها . ومن هذه المعالم الاهرام التي لم تهرم مع تقادم عهدها وطول مدتها . فالاهرام آثار مصرية قديمة من عاديات امة نالت حظاً كبيراً من الحضارة ، واستحكمت بها عوائدها بما كان لملوكها من الطَّول والسطوة والتهوّس بتشييد المباني العظيمة . وهي متفاوتة في الكبر تتمايز الثمانين في مصر ، والمئة في النوبة . واشهرها اهرام الجيزة على النيل ، ازاء مدينة القاهرة القديمة ، لا تزيد على القمة واكبرها هرم خوفو (Chéops) احد ملوك الدولة الرابعة ، الذي عاش في اواسط الالف الخامس قبل المسيح على رأي بعضهم . ومن بعده يأتي هرم كفرن (Chéphren) اخي خوفو ، ثم هرم منكَوْري بن خوفو او كمنيس (Chemnis) الذي عاش على ما يقال قبل حرب طروادة بعشرة اجيال. فكلامنا في هذا البحث على هرم خوفو الذي علوّه الآن ١٣٨ متراً ، واتساع قاعدته ٢٢٧ ، المعدود بين عجائب العالم . على ان العلماء ذهبوا مذاهب شتى في تأويل بناء الاهرام . ولكن من الثابت ان بعضها اتخذ لدفن الملوك ؛ والدليل على ذلك النواويس والموميات التي عُثر عليها في جوفها . وكانت اهرام الجيزة قديماً مطلية بالشيد والصوان المحبب الا ان العرب نزعوا عنها طلاءها وعرّوها منه بعد رسوخ قدمهم في البلاد.

وهنا يحضرنا سؤال مهم: هل هذه الاهرام بُنيت في الاصل لتكون مدافن فقط ، ام كان لبُناتها غاية اخرى في معالاتها والتفنن في تشييدها ؟

فهلمّ ايها القارئ الكريم نتتبع اقوال الاب مورو في الجواب على هذه المسئلة الوعرة العويصة ، ونستخلص زبدتها لما فيه من تنوير الاذهان والفوائد الحسان :

ذهب هذا العلامة في كتابه « الغاز العلم » الى ان المصريين الاقدمين كان لهم غاية علمية فنية في بناء الاهرام ، اذ ان من الحماقة ، على رأيه ، استهلاك الاموال واتلافها على بنايات عظيمة ليُودع في جوفها موميا ملك يابسة محنطة مربطة بخيوط ملفوفة بلفائف. فالعقل لا يكاد يصدق هذا الزعم . فكل من الاهرام له منافذ ومجازات ومقاصير ظاهرة وباطنة في غاية الدقة والاحكام ، صرف الصناع وكدهم الى اخفاء مداخلها حرصاً على صيانة القبر والثاوي به من الانتهاك . ونسبة اوضاعها في الغالب تناوح الجهات الاربع . بيد انهم لم يراعوا دائماً هذه النسبة في اوضاعها ، كما اننا لا نراعي في بناء كنائسنا توجيهها الى الشرق . ثم ان جدران المنافذ والمقاصير منشاة بكتابات هيروغليفية تعرب عن مآثر الدفين. فاذا كانت هذه الاهرام ، ولاسيما الاكبر ، لم يُبنَ مدفناً ، فما هي الغاية اذن من بنائه ؟

ما زال الجواب على هذا السؤال سرا مكنوناً لم يدرك الى الآن ولم يُحط حجابه. فلعل الكهنة المصريين الاقدمين ، علماء عصرهم وائمة وقتهم ، ارادوا بذلك تخليد العلوم التي اتصلوا اليها في الهيئة ، وفهم القوانين لحساب احوال الكواكب وحركاتها وتعديلها ، والوقوف على مواضعها واشكالها ، ومراكزها ، واقبالها وادبارها ، وكيفياتها واجناسها ، وتركيب الافلاك في طبقاتها ، ومعرفة الازياج في ما يختص بكل كوكب ، من طريق حركته في وضعه ، من سرعة وبطء ، واستقامة ورجوع . فالانسان اليوم يفتخر ويتبجح باكتشافاته وما بلغت اليه معرفته ، ولكن قل لمن عرف شيئاً : غابت عنك اشياء .

فكيف مسح اولئك العلماء الارض ، واستشفوا اسرار السماء ، وهم خلاء من آلات الرصد ؟

ان سر هرم خوفو بقي مكتوماً الى اخريات القرن الثامن عشر . فلما

ارادت بعثة نابوليون اجراء مسح مصر ورسم زواياها اتخذت هذا الهرم قاعدة لاعمالها يقوم مقام دائرة معدل النهار المركزية ، واساساً لعروض البلاد . وقد قضوا اشد العجب اذ تحققوا ان الخطوط الممتدة من هذا الهرم تلتقي في وجه ، وتشمل مثلث النيل ، وان دائرة معدل النهار ، اي الخط الممتد من الشمال الى الجنوب ، يمرّ بقمة الهرم عينه ، ويقسم مثلث النيل الى شطرين متساويين

فهل يا ترى هذا الوضع ابن الاتفاق ، ام هو متعمد مقصود ينبني على مبادئ العلوم الهندسية ، ويتوقف على الحذق في فن الهندسة ومعرفة الجغرافية ؟

واذا نظرنا الى عامة خطوط دائرة معدل النهار وتأملناها كلها ، رأينا خط الهرم الاكبر على غاية الكمال ، اذ انه يمر بالجملة بالارضين الصالحة للسكن ، ويشطرها شطرين متساويين ، ولا يمر بالبحور الا قليلاً . ثم اننا اذا رسمنا شكل دائرة متوازنة تنتهي الى خط الاستواء وتمر بالدرجة الثلاثين عرضاً ، رأينا ايضاً ان هذه الدائرة تشمل اراضي اكثر من غيرها . والحال أن عرض قمة هذا الهرم تقاربها ، اذ ان درجته ٢٩ ، و ٨ دقيقة و ٥١ ثانية.

على ان بعضهم نسب الى وضع هرم خوفو نقصاً في الدقة والكمال ، ولكن الامر ليس كذلك. لان مهندسه تنبّه عند وضعه لما يسمونه «الانكسار الجوي» . فان كثافة طبقات الهواء تميل بشعاع النور وقت نفوذه اياها بعض الميل . فاذن وضع الهرم على غاية الاحكام والاتقان . واذا كان في وضعه بعض الميل او الحيد والانحراف فهو قليل لا يزيد على ٢٢ من الثانية . فانظر ايها القارئ الى هذا الاحكام الذي يحيّر العقل ، واستدلّ به على فتك اولئك الاقوام في الفنون والعلوم والتفنن فيها والاحاطة بمبادئها وقواعدها ، والوقوف على مسائلها واستنباط فروعها من اصولها حتى اربوا على المتأخرين وفاتوهم. وقد روى هيرودوت ان الكهنة المصريين افادوه وجه النسب الحاصلة بين جانب قاعدة الهرم وعلوه ، وكون المربّع القائم على علوّ عمودي قائم يوازي سطح جوانبه المثلثة الزوايا كما اتفقت عليه القياسات.

ثم ان بين الدوائر والقطوع (*diamètre*) نسبة معروفة . وذلك اننا اذا اردنا معرفة طول الدائرة ضربنا القطع بعدد ٣,١٤١٦ ، وزدنا جوانب قاعدة

الهرم ، التي كانت في الاصل ٨٠٥,٢٣ من كل جانب فكانت دائرتـه كلها ٩٣١ متراً و ٢٢ . فاذا قسمنا هـذا العدد مرتين على علو الهرم او على ١٤٨ متراً و ٢٠٨ حصلنا على ٣,١٤١٦ اي على النسبة الحاصلة بين الدائرة والقطع . فاذن كان الكهنة المصريون عارفين بعدة مسائل معرفة في غاية الدقة والضبط

ولكن هل كانوا يعرفون علم المناظرة ؟ [1]

الجواب : في سنة ١٩٠٥ زار الاب مورو قرطاجنة ورأى في متحف الآباء البيض حجراً كريماً منقوشاً فيه حصان يحكّ اذنه في غاية الدقة واتقان الصناعة . وبعد الفحص الطويل ، أُعجب باحكام نقشه واستدل ، باتقان صناعته ، على ان خواص العدسيات كانت في القديم معروفة . ثم انه شاهد بلورة مقطوعة بحسن صنعة وفن تكبر الاشياء فاستخدمها لفحص الحجر وازداد رسوخاً في رأيه . فاذن كان المجهر معروفاً في القديم ، ولعل المرقب والنظارة ايضاً كانا معروفين .

واذا تدبرنا الآن ما بذل الفلكيون المتأخرون من الجهد لمعرفة المسافة القائمة بين الارض والشمس ، توصلنا الى حقيقة اخرى . اعلم ان اليونانيين في مبدأ ابحاثهم توهموا الشمس توازي البلوبنز (Péloponèse) في كبرها ، وخمنوا بعدها عن الارض ١٥ مليون كيلومتر . ثم ان اريسترك الساموسي قال بثمانية ملايين كيلومتر وشايعه على رأيه بطليموس وكوبرنيك وتيخو براهي . واما كبلر فقال بثمانية وخمسين مليون كيلومتر . وفي عهد الملك لويس الرابع عشر اوصلوه الى ١٢٥ مليون ثم الى ١٨٦٤ ، وفي آخر الامر قرّ رأيهم على ١٤٩,٤٠٠,٠٠٠ . فاذا ضربنا علو الهرم الاكبر بمليون كان الحاصل ١٤٨,٢٠٨,٠٠٠ ، وهي المسافة القائمة بين الارض والشمس على وجه التقريب . ولعل المصريين الاقدمين ارادوا تخليد حل هذه المسئلة العويصة ببنائهم هرم خوفو .

ولم يقف الفلكيون المصريون عند هذا الحد من الاكتشاف والعلوم بل عدوا عنه ، اذ ان الراجح في الراي انهم قاسوا الارض وعرفوا اتساعها . وقد

---

١) المناظرة يقابلها بالافرنسية *optique* وهو علم على ما حدّه ابن خلدون في مقدمته المطبوعة بالمطبعة الادبية ١٩٠٠ في بيروت : يتبين بـه اسباب الغلط في الادراك البصري بمعرفة كيفية وقوعها . طالع صفحة ٤٨٧ .

اشتهر في هذه الآونة الاخيرة الفلكي كلارك (Clarke) الذي استخرج من القياسات الحديثة شعاع الارض القطبي البالغ ٦,٣٥٦,٥٢١ متراً ، والحال ان هذا القياس هو عين الذراع الهرمية اعني ٠,٦٣٥٦٥٢١ مضروباً بعشرة ملايين. فعلى هذا النحو يكون المصريون قاسوا على وجه التقريب درجات مختلفة من دائرة معدّل النهار ، واتخذوا قاعدة لقياساتهم الجزء العاشر من المليون من شعاع الارض القطبي الذي لا يتغير في الوف من السنين . لعمري ان هذه الاتفاقات لغريبة في بابها.

ثم اننا اذا انتقلنا من هذا الى حساب السنين والاشهر والايام ، رأينا فيه ما يحمل على العجب ، اي اننا اذا قسمنا جانب الهرم الاكبر بالذراع التي استعملوها وقت بنائه ، وجدنا فيه مدة السنة النجمية ، اي الوقت الذي تحتاج الشمس اليه للرجوع الى النقطة عينها من السماء ، اعني ٣٦٥ يوماً و ٢٥٦٣ . امّا السنة المدنية التي لم يتوفق اليونان والرومان الى تعيينها بالضبط ، فاننا نجدها بضرب عدد ٣,١٤١٦ بطول المقصورة الظاهرة المتقدمة مقصورة الملك الموضوعة في الاصل على اقدار الاباهيم الهرمية ،والحاصل ٣٦٥ يوماً و ٢٤٢ .فاضرب الآن الايام الهرمي بمئة مليار ، فيكون لك المسافة التي تقطعها الارض في ٢٤ ساعة.

ثم ان لناووس مقصورة الملك سراً . فهذا الناووس الذي لم يهيأ لدفن الموتى اشكاله تشبه قبة عهد البرانيين . وهذا سر مكنون . فمن نقل عن الآخر ؟ ولماذا هذا الشبه ؟ اما مدخل الهرم فينظر الى النجمة القطبية التي كانوا يعيّنونها حينئذٍ بهذا الاسم ، وقد وجهوه اليها بعد ملاحظة حركة رجوع نقط الاعتدال الذي بموجبه يتفق وقوع قطب السماء والنجوم عينها بعد ٢٥٧٩٦ سنة . وقد توفق هرشل وبياتزي سميث الى معرفة ذلك ، ولكن المصريين السابقون ، والله اعلم.

وصف بناء هرم اوناس[1]

ان تواريخ بناء الاهرام احترقت في جملة ما احترق حين استيلاء الرعاة على منفيس . ولكن لحسن الحظ قد نجا من الحريق اخبار اعمال الملك اوناس ،

١) عن تاريخ سبرو : «في عهد رعمسيس واشور بانيبال» ١٩٢٣ ص ١٤١ بتصرف.

احد ملوك الدولة الخامسة ، ووصف بنائه لهرمه . واليك ذلك:

«في السنة الثانية ، والخامس والعشرين من الشهر الثالث من الشتاء ، في عهد ملك مصر العليا والسفلى اوناس الذي يعطي الحياة دائماً كالشمس . في ذلك اليوم بينما كان هذا الملك جالساً على سريره الذهب وعلى راسه تاجه ، اذ اخبروه بان وكيل اعمال المدفن ، وزعيم الرسامين ، ومقدّم قطاعي الاحجار ، ورئيس البنائين ، بالباب يستأذنون ليخبروه بخروجهم الى الجبل ونقضهم اياه من كل جوانبه طلباً لتخيّر المكان الموافق لبناء هرم له بين اهرام الملوك ، وحشر قطاعي الاحجار ، وجمع الايدي للعمل ، والبقر للنقل ، واختيار النقاشين ، وانتقاء المصورين . فاوعز الى حاجبه بادخالهم ليراهم ويحكم على عملهم . فدخلوا الى حضرة الاله رافعين ايديهم للسجود وهاتفين له . ثم سجدوا امام وجهه الجميل وصرخوا : « انك تشبه في افعالك اباك الاله الشمس ، وكل ما يرغب فيه قلبك يتمّ في الحال . فمرنا بلا تريّث بما تشاء ايها الملك مولانا . »

«ثم ان وكيل اعمال المدفن تكلم فقال: « ايها المولى الملك ، يا شمسنا وسيدنا ، ان المكان الحسن الذي يمكنك ان تجعل فيه اقامتك هو الى الجانب الجنوبي الغربي من الهرم الحجري الذي ابتناه ملك مصر العليا والسفلى زوزيري. فالمكان يغطيه الرمل ، ويعزل عن آبار الموتى وقبور الامراء . فهنالك يمكننا بناء اثرك ولا تحل بنا لعنة الآلهة وسخط الارواح الشريفة الذين عاشوا سابقاً .»

ثم عرض على الملك الواح المهندسين مرسوماً فيها اشكال المقاصير والمنافذ ، واطوالها وعروضها ، وادراج البردي الحاوية رسوم التصاوير المعدة لتنميق المعبد وقال :« لتأمر جلالتك رئيس قطاعي الاحجار فيقطعوا من جبل تروجة الحجر الابيض الجميل الذي يستعمله زعيم البنائين في بناء مخادعك . واما احجار الابواب والاعتاب واسداد المنافذ واعمدة المعبد فارسل رسلك الى كل البلاد التي فيها الصوان المحبّب ، وارسل مع الرسول الذي يقصد الفنتين ، وابيت الشلال ، جنوداً وملاحين واقوى سفينة ، ليأتي بالحجارة الجميلة سالمة .

« فاجابه الملك:«حسناً حسناً ! ان ما ذكرت اعظم من كل شيء في العالم.»

ثم امر باحضار رئيس السحرة وسأله : «هل الاوضاع التي عيّنوها للاقامة

الرسم ٢ : ناعورة قديمة بجوار بيروت يديرها حصان

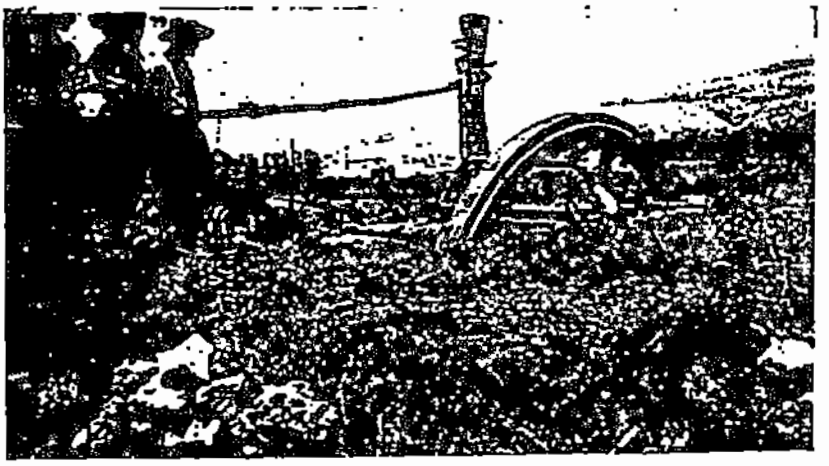

الرسم ٣ : ناعورة في جونية حولت بواسطة طلمبة «ماتريفوج» ومحرك كهربائي يديرها بواسطة قشاط . وترى الطلمبة الى اليمين والمحرك الى الشمال ، وقد غطي باخشاب حفظاً له من الشمس والامطار

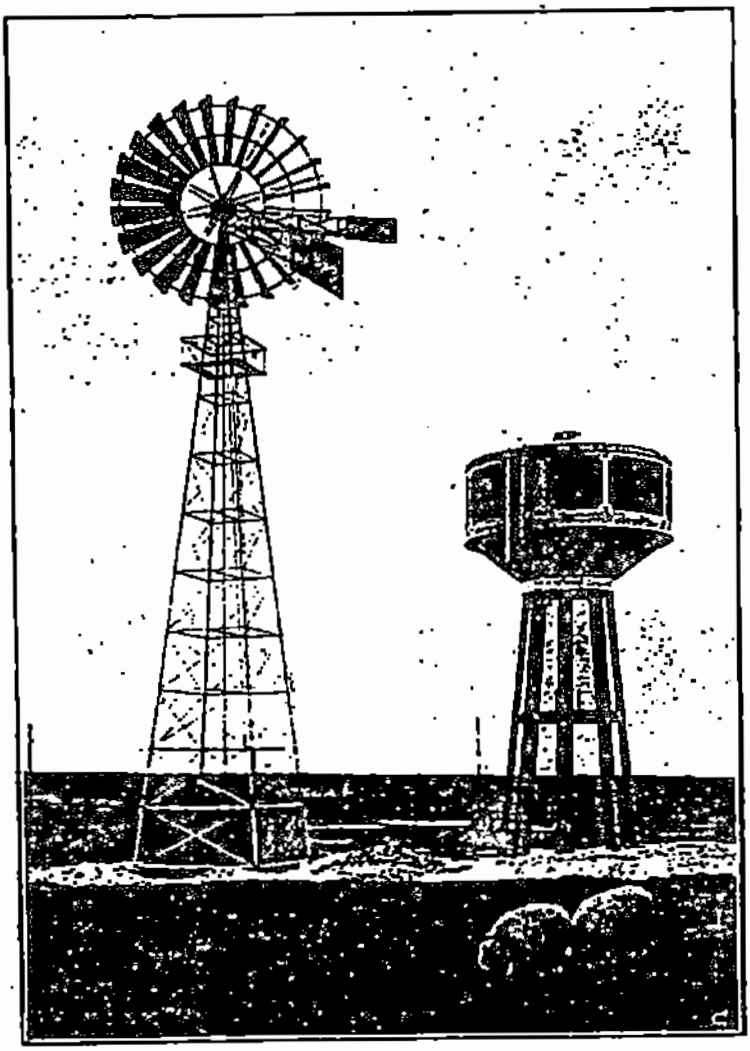

الرسم ٤ : مروحة هوائية تدير طلمبة لرفع المياه الى حاووز قريبا ،
وعلوّ المروحة عشرون متراً وعلوّ الحاووز اثنا عشر متراً

السعيدة مرضية لآلهة الغرب ؟» فاجاب: «انها مرضية يا سيدنا ومولانا الملك.» فقال الملك : «وباي اسم نسمّي الاقامة السعيدة ؟» فاجاب الساحر : «نسميها اوناس ذا الاماكن الجميلة.» وعلى اثر ذلك استدعى الملك صديقه ، ناظر الغابات المختصة بالمملكة ، وامره بالسفر الى الفنتين وابهيت الشلال في سفينتين حربيتين بجنودهما ، وسفينة نقل قوية جداً ، وقطع الصوان المعبّب الذي يُحتاج اليه لبناء مقاصير الهرم والمعبد وامر خازنه وقال : «احضر لي قلائد الذهب والفتخ ؛ واحضر لي ذهباً ذهباً كثيراً.» فاتاه بما اراد ، فوزع المخانق والفتخ على رؤساء البنائين والرسامين وقطاعي الاحجار الذين اختاروا للملك موضع الاقامة السعيدة . فسُرّوا جدا جداً وسجدوا لمولاهم منبطحين . ثم نهضوا وخرجوا متقهقرين منحنين هاتفين وقصدوا الى الجبل لانجاز امر الملك.»

ولمّا كان الفرعون عندهم الهاً وابن اله ، نازلاً من السماء ليسوس البشر ، وجب له السجود والاكرام حياً وميتاً ، وارصاد الكهنة لخدمته والاموال لتأييد عبادته ، واتخاذ موضع حريز لصيانة جسده وقرينته على الدوام ، ومعبد تقام فيه الصلوات وتجعل فيه القرابين ، واهراء لخزن الاقوات والغلات.

فاوناس شرع في حياته يتخير الاحبار والخدام والكهنة الذين يقومون بعبادته ، واضاف اليهم الصناع والعبيد والحاشية والخدم والخبازين والقصابين والسقائين وخزّان الاقوات الخ ، واقطع رئيس الكهنة الذي عينه الاراضي التي ارادها لتكون وقفاً على عبادته ، وملكاً لهرمه فترسل اليه بعد وفاته البقر السمان والطيور والسمك واللبن والسمن والبقول والثمار والازهار والجعة والنبيذ وخبز السميذ وحلواء اللوز والتين والاقراص المعجونة بالعسل وانواع الحلويات ، وارصد الوكلاء والنظار والحسّاب والمهندسين وجعلهم تحت امرة انبيائه لسياسة هذه الاقطاعات والقيام عليها في حياته.

ومامضت بضعة اشهر حتى حفرت اسس الهرم وآن وقت مباشرة البناء . فاعلن المنجمون والسحرة ان اليوم العاشر من الشهر الثاني موافق لاقامة فروض العبادة المصاحبة لوضع الاساس ، فنهض الملك صباحاً وجلس في محفّته الذهب وسار يريد جبل منوف بين الاغاني والاهازيج . واذ بلغ مكان دار قراره ترجل

وبسط يديه الى ابيه اوزيريس الاله الاكبر للسجود ، ثم اخذ الخيط ومسح الموضع ورزّ اوتاداً من خشب الجميز في زواياه الاربع ، وخط بمنكاش بين الاوتاد خطوطاً دالة على مواضع الأسس ، وترك مكاناً للباب ؛ ثم فرش الرمل الاصفر مخلوطاً بالنقيق والينع والحجارة البرّاقة تحت المدماك الاسفل ، ووضع الحجر الاول في موضعه بواسطة عتلة خشب صلب ؛ ومن بعد ذلك اتوه باربعة ثيران : أبيض ، واسود ، واصهب ، وارقط ، فذبحها وقدم افخاذها لالهة الجهات الاربع ، وركب محفته وعاد الى قصره بين الاغاني والاهازيج.

وفي اليوم الثاني باشر العملة اعمالهم بجد ونشاط يبعثان على اعتقاد تمام العمل في ثلاث او اربع سنين . وفي اثناء ذلك ، كان اوناس يزور العمال الفينة بعد الفينة ، وينشطهم ويستحثهم ويستهمهم بلين الكلام ولطيف القول ، ويوزع عليهم الكراث والبصل والثوم والقثاء . وفي السنة الثانية عشرة ، في اليوم الثاني من الشهر الرابع ، شهر الزرع ، بينما كان اوناس في هيكل منوف أُخبر بقدوم رئيس بناتي المدفن وسائر رؤساء العمل . ولمّا دخلوا عليه قالوا له : « ايها الملك مولانا ان الهرم الذي اوعزت الينا ببنائه قد تمّ حقيقة ، فجدرانه القويمة بُنيت بحجر تروجة الجميل ، والمنافذ والاسداد بالصوان المحبب ، ونقوشه وتصاويره استقرت على غاية الاتقان ، وابوابه صُنعت من خشب السنط المصفح بالبرونز . فلتشأ جلالتك الذهاب لترى عمل ايدينا . » فقام الملك اوناس وخرج يريد الجبل ، فرأى كل شيء على ما وصف له رؤساء العمل ، واجهر بالثناء الطيب عليهم ، وابدى لهم وجه الاستحسان ، وافاض فيهم العطاء ، وطوقهم المنن ، واسنى لهم الجوائز والصلات ، وامر بتوزيع الاقوات على العملة ، وعين لكل واحد منهم اربعة ارغفة وجرتين جعة ، فهتفوا باسمه ودعوا له ثم تلا الصلوات للآلهة آبائه شكراً لهم على منهم عليه ، وهو حي يطأ الارض ، بانجاز دار قراره السعيدة . ولمّا اتى على صلاته رجع الى منفيس ودخل قصره واخذ يفرح ويسر مع نسائه واولاده.

رفع المياه

بقلم انطوان باز
المهندس من المكتب الافرنسي في بيروت
ومن مدرسة الكهرباء العليا في باريس

٢

انابيب الماء

يُستخدم ، لرفع المياه ، في الطلمبات الحديثة ، انابيب من الحديد المصبوب ، او الافضل من الفولاذ الملبس بالتوتيا ويُعرف « بالحديد المزيبق » . وثخانة هذه الانابيب ، من الداخل ، تتراوح بين نصف الانش للطلمبات المنزلية الصغيرة ، والثانية او العشرة آنات لطلمبات الري الضخمة . والانش ، كما هو معروف ، مقياس انكليزي ، قدره ٢,٥٤ سنتيمترًا ، شاع استعماله في بلادنا ، لانابيب الماء ، بسبب علاقاتنا التجارية في ذلك الصنف ، مع انكلترة والمانية وما اليهما من البلدان . امّا قطع الانابيب طولًا ، ففي الغالب ١٥ قدماً اي ما يعادل الاربعة امتار ونصف المتر تقريباً . فاذا احتيج الى اكثر من ذلك الطول ، تحكم الانابيب بعضها الى بعض بواسطة وصل لولبي .

تُنزل انبوبة المصّ عمودية في البئر ، بحيث لا يزيد طولها عن الستة او الثانية امتار . ويجب ان يُترك ، على الاقل ، ثلاثون سنتيمترًا بين قعر البئر ومؤخر الانبوبة كي لا تصعد فيها الرمال فتعطل الطلمبة . ويجعل في طرف انبوبة المصّ الاسفل آلة تعرف « بالصَّاب » هي كناية عن مصراع يفتح الى فوق ، غلافه شبكة حديدية توقف الاوساخ . وفائدة المصراع ان يحفظ ، في انبوبة المص ، كمية من الماء ، فيسهل تسيير الطلمبة ، عند استخدامها ثانية ، لفراغ الانبوبة من الهواء .

اما انابيب الرفع فتخرج من الطلمبة الى مكان الاستخدام ، اما عمودية واما مع سطح الارض ، حسب انحدارها. ويجب ، في تخطيط تلك الانابيب ، النظر الى امرين : التخفيف من طولها ، والاقلال من عدد الزوايا ما امكن ،

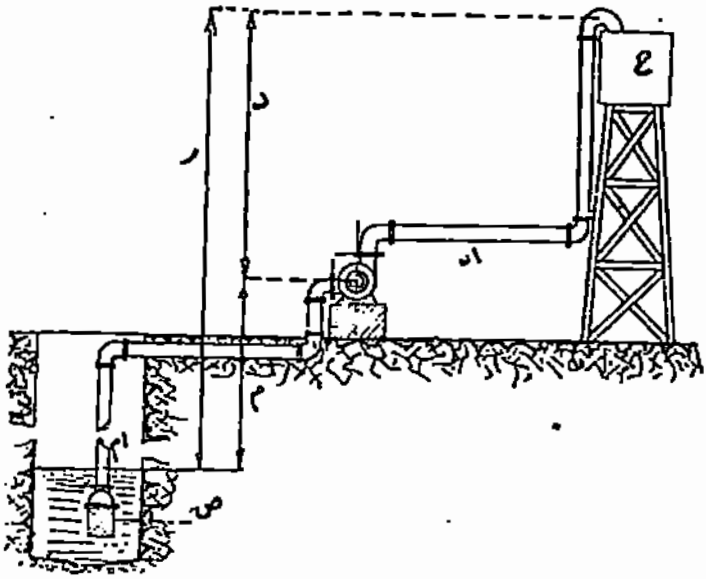

الرسم ا م : علوّ المصّ – د : علوّ الدفع – ر : علوّ الرفع والمصّ والدفع – ام : انبوبة المص – اد : انبوبة الدفع – ص : « الصيّاب » – ح : الجاووز

لان احتكاك حُبيبات الماء ، في انبوبة الرفع وفي الزوايا ، يستغرق قوةً تزيد بطول الانابيب وعدد الاكواع وضيق زاويتها ، لذلك كثيراً ما تفضّل الزوايا المفتوحة اذا كان لا بُدَّ منها . ويرى القارئ ، في المثل الآتي ، تأثير طول الانابيب في تحديد قوة المحرك والطريقة المستعملة لتخفيض تلك القوة.

لراهبات المحبة ، في بيروت ، بقعة من الارض قرب فرن الشباك تحتوي على حرج من الصنوبر ، وقطعة خصبة لزرع الفاكهة والبقول. وقد ادّى البحث الى ايجاد مياه غزيرة في زاوية الارض الشمالية الغربية ، مصدرها ماء النهر الممتد قرب تلك الارض من عن عين خط الترامواي الكهربائي . فبنيت في ذلك المكان بئر عميقة ، قطرها خمسة امتار ، طلع بها الماء ، في الشتاء

الماضي ، الى ثمانية امتار ونيف ومركز هذه البئر يبعد اربعمائة متر عن حاووز لجمع مياه الري ، قديم البناء ، في الجهة المعاكسة من الارض . اما العلو العمودي بين سطح البئر وسطح الحاووز فاثنا عشر متراً . وقد كلفت تركيز طلمبة صناعية تسحب عن ثمانية امتار من البئر ، وترفع الى الحاووز مقدار ١٨ متراً مكعباً في الساعة ، اي خمسة ليترات في الثانية . فوجدت ان فوهة الطلمبة ، المعمولة لتلك الكمية من الماء تعادل سبعة سنتيمترات ، اي ٣/٤ من الانش ، مما اوجب ، لولا طول انابيب الدفع ان تكون ، ثخانة الانابيب كذلك اي سبعة سنتيمترات ايضاً .

لكنّ الحساب الهندي بيّن ان مقاومة هذه الانابيب ، لتلك الكمية من الماء ، يوازي علواً قدره خمسة سنتيمترات ، لكل متر واحد من الانابيب . فلو كان طول الانابيب ، مصاً ودفعاً ، عشرين متراً لكان احتكاك الماء فيها يوازي ٥ × ٢٠ = ١٠٠ سنتيمتراً اي متراً واحداً من العلو . ولو عدّلنا ان قوة المحرك لادارة الطلمبة ، تابعة لعلو الرفع وهو عشرون متراً لزادت القوة ، بسبب احتكاك جبيبات الماء في الانابيب ، بنسبة ١/٢٠ وهو شيء زهيد . اما طول الانابيب اربعمائة متر لا عشرين ، والخسارة فيها توازي على المعدل السابق ٥ × ٤٠٠ = ٢٠٠٠ سنتيمتراً او عشرين متراً عوضاً عن المتر الواحد . فتكون زيادة القوة اذاً بنسبة ٢٠/٢٠٠ اي مرتين . ولا يستهان بهذا الفرق اذا عرف القارئ ان الحصان الواحد يصرف من القوة الكهربائية ، على حسب بيعها في بيروت ، ما يعادل عشرة غروش سورية في الساعة ، وان الطلمبة المنوّه عنها تستلزم عادة ثلاثة احصنة . فلو زادت القوة مرتين ، بسبب الانابيب ، لاستغرق فرقُ القوة ثلاثين غرشاً سورياً في الساعة الواحدة .

ولمّا كان من الثابت ، في فن الهندسة ، ان مقاومة الانابيب ، لكمية معلومة من الماء ، تنقص بزيادة قطرها . اضطررنا ، في المشروع المذكور ، الى وضع انابيب قطرها عشرة سنتيمترات عوضاً عن السبعة . وقد اعطت القاعدة الهندسية لتلك الثخانة وكمية خمسة ليترات من الماء في الثانية ، خسارةً في العلو توازي ٧,٥٠/١٠٠٠ من المتر لكل متر من الانابيب ، فتكون الخسارة للاربعمائة

متر $\frac{٧٫٥٠}{١٠٠٠}$ × ٤٠٠ = ٣ امتار ، عوضاً عن العشرين ، وزيادة القوة $\frac{٣}{٢٠}$ اي ١٥ بالماية . ولولا غلاء ثمن الانابيب لكنّا جعلنا قطرها ١٢ سنتمترًا ، انّما اكتفينا بما ذكر وهو عدد مقبول.

تحديد قوة المحرك

لقد استنتجنا ، ممّا سبق ، اهمية قطر الانابيب من جهة تحديد القوة . فلنبحث الآن في كيفية ذلك التحديد ولنأخذ لنا مثلًا مشروع راهبات المحبة المنوّه عنه .

إنّ قوّة المحرّك للطلمبة تابعة لكمية الماء المنوي رفعها ، ولعلوّ الرفع ، مصاً كان ام دفعاً . ولمّا كان تحديد الحصان ، كمقياس القوة : « القوة اللازمة لرفع ٧٥ ليترًا من الماء في الثانية الى علوّ متر واحد عمودي » او « رفع ليتر واحدٍ من الماء في الثانية الى علو ٧٥ مترًا عمودياً » تحسب قوة المحرك بان تضرب عدد ليترات الماء المنوي استخراجها في الثانية بعلو الرفع العمودي وتقسم الحاصل بالعدد ٧٥ . وهذه القوة هي القوة المبدئية ، اي خلا الخسارة في الانابيب وفي الطلمبة . ولتعويض الخسارة في الانابيب يُزاد العلو المبدئي بمقدار الهبوط الناتج عن احتكاك الماء في الانابيب وهذا ما تعطيه ايانا قاعدة هندسية لا سبيل الى تبيانها الآن . امّا الخسارة في الطلمبة فتتراوح بين الاربعين والخمسين في المائة « للسانتريفوج » ، واربعين وثلاثين في المائة للطلمبات ذات المدك . وتطبيقاً للقاعدة ، ذكرنا ادناه حساب القوة في طلمبة فرن الشباك لراهبات المحبة :

كمية الماء المنوي استخراجها في الثانية	٥ ليترات
علوّ المصّ	٨ امتار
علوّ الدفع المبدئي	١٢ مترًا
علوّ الرفع مصاً ودفعاً	٢٠ «
قطر الانابيب	١٠ سنتمترات
طول الانابيب	٤٠٠ متر
هبوط العلوّ الناتج عن الانابيب	٣ امتار
علو الرفع الواقعي	٢٣ مترًا

القوة المبدئية اللازمة $\frac{٢٠ \times ٥}{٧٥} = ١\frac{١}{٣}$ حصاناً

القوة فيما في الخسارة في الانابيب $\frac{٢٣ \times ٥}{٧٥} = ١\frac{١}{٣}$ حصاناً

القوة فيما في الخسارة في الانابيب والخسارة في

الطلمبة على تعديل انتاج الطلمبة ٥٠ بالماية $١\frac{١}{٣} \times ٢ = ٣$ احصنة

هذا اذا ضربنا صفحاً عن الخسارة في زوايا الانابيب ، لذلك آثرنا ، في ذلك المشروع ، استخدام محرك قوته اربعة احصنة عوضاً عن الثلاثة . وليس في ذلك ندامة لان المحرك الذي انتقيناه كهربائي ، والمحركات الكهربائية ، خلافاً للمحركات النارية ، لا تصرف من الكهرباء الّا بقدر ما يُطلب منها من القوة . فلو استلزم رفع الخمسة ليترات من الماء في الثانية ثلاثة احصنة وثلث الحصان مثلاً ، لما صرف المحرك الّا ما يوازي هذه القوة ، ولو كان مصنوعاً لاربعة احصنة . اما لو كان مصنوعاً لثلاثة احصنة فقط لسار بعجز وزادت حرارته بزيادة التيار الكهربائي فتعطل .

انواع المحركات الصناعية

إنّ المحركات الصناعية لادارة الطلمبات على نوعين : المحركات الكهربائية ، والمحركات النارية على اختلاف اشكالها ، كالتي تسير باشتعال البنزين او الكاز او الزيت والوسخ ويعرف « بالمازوت » . ولا مشاحة اليوم في ان المحركات الكهربائية هي الاصلح لادارة الطلمبات ، نظراً لسهولتها ورخص اثمانها ، اما لا يستغنى احياناً عن المحركات النارية لفلاء الكهرباء ، كما هي الحالة في بلادنا ، او لعدم وجودها كما في سهول الريّ والقرى الغير المتمتعة بفوائد الكهرباء . والاحسن ، في المحركات النارية ، استخدام محركات الكاز او البنزين للقوات التحت العشرة احصنة ، ومحركات « المازوت » للعشرة احصنة فما فوق ، ومحركات المازوت اغلى ثمناً من محركات الكاز انما هي اكثر اقتصاداً للفرق الفادح بين سعر المازوت وسعر الكاز او البنزين .

يوقع المحرك غالباً فوق صفيحة من الحديد المصبوب فيدير الطلمبة رأساً بدون قشاط ، والرسم ٥ يمثل مجموعاً كهربائياً كهذا ، قوته ربع الحصان يستخدم في البيوت لرفع المياه ، يرى المحرك الكهربائي لجهة اليمين والطلمبة امامه لجهة الشمال .

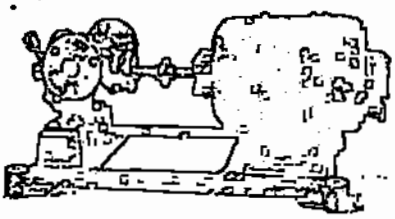

الرسم ٥ : مجموع طلمبة كهربائية لاحتياجات المنزل قوتها ربع الحصان

ويجوز ان تُدار الطلمبة بواسطة قشاط من جلد او غيره يلفّ فوق بكرتها وبكرة المحرك . وهذه الطريقة لا تستعمل الّا في مواقع خصوصية كما لو وُجدت الطلمبة وخالف عدد دوراتها دورات المحرك ، فصعب ادارتها رأساً لانها تدور حينئذ بسرعة المحرّك فيخف انتاجها او تتعطل . فلو كانت الطلمبة مصنوعة مثلاً لالف وخمسمائة دورة في الدقيقة ووُقعت رأساً مع محرك يدور الف دورة ، لدارت الطلمبة الف دورة ، ولم تُصعد من الماء الا القليل . امّا في القشاط فيمكن ادارة الطلمبة على سرعتها ، ولو اختلفت عنها سرعةُ المحرّك ، وذلك بتعديل بكرتها نسبةً لبكرة المحرك (انظر الرسم ٣)

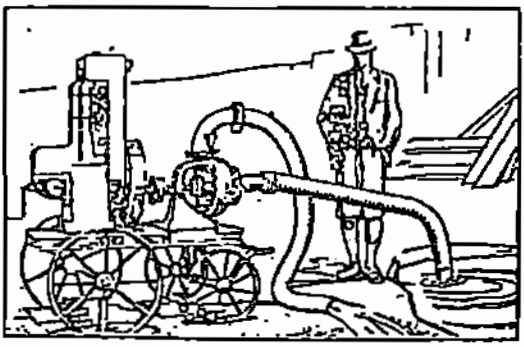

الرسم ٦ : مجموع طلمبة ومحرك على البنزين ، تنقل الضيه الى بيروت

ومن المحركات ما وُقع ، مع الطلمبة ، على عجلة نقّالة ، لاستخدامها حيث يلزم . والرسم ٦ يمثل مجموعاً نقّالاً قوته حصانان ونصف الحصان ، جلبناه لشركة الماء في بيروت ، يستعمل عند اصلاح انابيب الدفع من الضيه الى بيروت ، لمصّ المياه المتدفقة من الانابيب ودفعها بعيداً ، تسهيلاً للعمل .

ومن غريب ما رأيت ، لاستخدامها في المنازل الخالية من الكهرباء ، طلمبةٌ صغيرة يديرها محرك على الهواء الساخن . يكفي لادارة المحرك ان تشعل تحته الآلة المعروفة « بالبريموس » فيتمدّد الهواء ، ضمن الاسطوانة ، بواسطة الحرارة ، فيدفع المدكّ رواحاً واياباً ، فيدير الطلمبة . وقوة هذا المجموع تكفي لرفع ٣٨٠ ليترًا من الماء الى علو سبعة امتار (مصًّا ودفعاً)

او ٢٧٠ ليترًا الى عشرة امتار او ١٨٠ ليترًا الى ستة عشر مترًا . وقد مثلنا المجموع بالرسم ٧ .

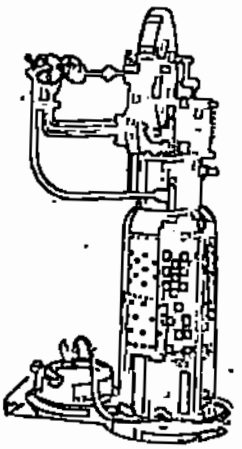

الرسم ٧ : مجموع طلمبة منزلية ومحرك على الهواء السخن باشعال البريموس تحته .

والاسهل للبيوت ، فيما لو توفرت الكهرباء ، استخدام مجموع كهربائي « اوتوماتيكي » اي مجموع يسير ويقف من تلقاء ذاته كلما خفّ الماء في الحاووز الجامع الذي يدفع اليه الماء ، او فاض منه . والالة المسيّرة سبّاح ، يجعل في الحاووز حكم في اعلاه مفتاح كهربائي . فاذا نزل سطح الماء بفروغ الحاووز ، نزل السبّاح واقفل المفتاح الكهربائي ، فسار التيّار في المحرك ، فدار ورفع الماء ، حتى اذا ارتفع سطح الماء في الحاووز ، علا السباح وقطع المجرى فوقف المحرك ، وهلم جرًّا . وقد مُثّل ذلك السبّاح مع مفتاحه الكهربائي في الرسم ٨

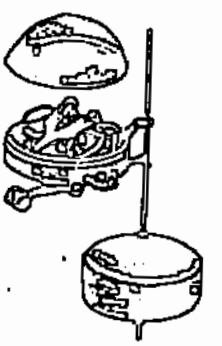

الرسم ٨ : السبّاح وفوقه المفتاح الكهربائي

امّا الرسم ٩ فيمثل مقطعاً لمنزل ذي اربع طوابق جُعل في اسفله المجموع « الاوتوماتيكي » محكوماً بالسبّاح وفيه يُرفع الماء من البئر الى الحاووز الجامع حيث يتشعّب منه الى كل فروع المنزل.

وقبل الختام لا بُدَّ لنا من كلمة عن المراوح الهوائية ، وقد كثر استعمالها ، في بعض الجهات الكثيرة الارياح ، لرفع مياه الري وغيرها (راجع مقالة المشرق ٢٧[١٩٢٩]٤٠) غير ان انتاج تلك المحركات لا يحسن الّا اذا بلغت سرعة الهواء الثلاثة او الاربعة امتار في الثانية. وتزيد قوة المراوح بزيادة قطرها ، لسرعة من الهواء محدودة ، كما يظهر من الجدول التالي.

* * *

قطر المروحة سنتيمترات	سرعة الهواء امتار في الثانية	كمية الماء ليترات في الساعة	علو الرفع امتار
٢٧٥	٤	٠٠٥٠٠	٢٠
٣٢٥	〃	٠١٠٠٠	〃
٤٠٠	〃	٠٢٠٠٠	〃
٤٨٠	〃	٠٣٥٠٠	〃
٥٧٠	〃	٠٥٠٠٠	〃
٧٥٠	〃	١٠٠٠٠	〃
١٠٠٠	〃	٢٠٠٠٠	〃

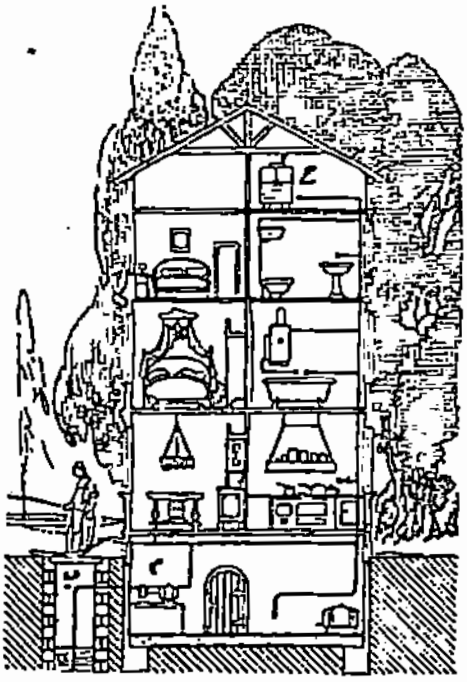

الرسم ٩ :
رفع المياه في المنازل بواسطة مجموع كهربائي اوتوماتيكي
ب : البئر
م : المجموع
ح : الحاووز وضمنه السبّاح

هذه لمحة عن كيفية رفع المياه والقواعد التابعة لها . عسى ان يكون منها لقراء المشرق بعض الفائدة .

الفاتن

رواية

بقلم الاب توتل اليسوعي

الفجيعة

يوم الاثنين الواقع في ٢١ كانون الاول سنة ١٩٢٥ ، الساعة الرابعة بعد نصف الليل ، كان قطار بيروت قد غادر محطة شتورة وانحدر مسرعاً ، وقد اطلق سراحه من قيود الخط الحديدي المسنّن ، وهبط اواخر سفوح لبنان الغربي قاصداً الى رياق ، حيث قطار حلب بانتظاره . وان الخط يميل ويعوج قبل ان يمتدّ منبسطاً في سهل البقاع ليبلغ محطة سعدنايل . فانطلق عليه القطار من شتورة باشدّ سرعته ، قاذفاً شرارات النار من مدخنته ، وقد لعبت بها الريح الشمالية الهابّة من سهول بعلبك . فاستيقظ المسافرون لحركة القطار السريعة ، واخذ القاصدون منهم الى المعلقة يتفقدون امتعتهم ويتأهبون للنزول ؛ لما دوّى في الفضاء صوت صفارة القاطرة متهدّجاً متقطعاً ، وبعد بضع ثوانٍ وقف القطار بغتةً .

فذعر الركاب لوقوفه في غير موضعه وميعاده ، في ذلك الليل الحالك ، وفي زمهرير كانون . واشرفوا من الحافلات ، فرأوا رئيس القطار قد نزل من الحافلة الاخيرة ومشى متوجهاً نحو القاطرة ، والسائق نعّاراً قد خرج من جهته ايضاً ، وهرول مسرعاً ، وبيده مصباح نحو مؤخر القطار ، فلاقى رئيس القطار ، فقال :

— يا لها من مصيبة دهماء . لقد هوى رفيقي مهنا الوقاد من القاطرة ، وسقط

في الفضاء ، ولا بد انه وقع على جانب الخطّ في مسافة قريبة منّا.

ما سمع الركاب كلام نصار الا تنحّى رجالهم ، ونزلوا فانضموا الى عمّال القطار ومشوا الى الوراء مفتشين. ولم يلبثوا ان وجدوا على الحضيض ، غير بعيد عن الجسر ، انساناً طريحاً ، مشدوخ الرأس ، مهشّم الاضلاع ، فرفعوه فاذا هو الوقاد مهنا ، وقد صار جثة هامدة . فحملوها ووضعوها في احدى غرف حافلات الدرجة الاولى ، وظلّ بقربه بعض رجال المروءة والشهامة يحرسونه ، بينما كان السائق نصار يحدّث بكيفية وقوع الخطب ، قال :

— عند التواء القطار ونزوله سهل البقاع ، كان مهنا قد فتح الاتون وطرح فيه الفحم واغلقه ، منحنياً ؛ ثم انتصب ، ووجهه محمى من وهج النار . ثم انعطف على جانب القاطرة ليراقب حركة سيرها فلفحه الزمهرير فاداخه وصرعه ، وما رأيته الا غاب عن نظري في الظلام.

فارتاع القوم للخبر ، وصدقوا كلام السائق ، وترحموا على الوقاد المسكين ، وتمثلوا بالاقوال التي تخطر على بال العامة في مثل تلك الاحايين ، فقال بعضهم : « نصيبه ! » ؛ وقال غيرهم : « اذا حلّ القدر فلا ينفع الحذر ! » وندبته بعض النساء ممن تذكرنَ لرؤيته احزانهنّ وامواتهنّ .

شعر رئيس القطار بوجوب الوصول الى المعلقة ، فرياق ، في الميعاد المعهود ، فاستحثّ الناس على دخول الحافلات ، وساعده على ذلك العامل المؤثر التذاكر ؛ وما مضى ربع ساعة الا كان القطار قد قطع المعلقة وحطّ في رياق. وفي الحال فكّت القاطرة التي سقط منها الوقّاد وحجز عليها في مستودع خاص.

في دار العدلية

وفي ضحوة ذلك النهار كان مدير الامن العام في مكتبه في بيروت ، لما دعي بالجرس الى القبض على سماعة الهاتف . فاذا بصوت من ادارة سكة حديد دمشق وحماة وملحقاتها ينعي اليه الوقاد مهنا ، احد اهالي قرية وادي المرّ ، ويفصل له اطوار الحادثة كما ذكرناها.

وما مضت ساعة الا قام المدير وركب سيارته قاصداً الى دار العدلية ،

ودخل على المدعي العام ليتذاكر واياه في بعض الشؤون ، وكاد امر وفاة مهنّا الوقّاد يغيب عن فكره ، لما التقى برجل واقف امام المدعي العام. كان اسم الرجل مراداً ، وهو صاحب المطعم الواقع بالقرب من المحطة في بيروت؛ وعنده ياكل ، عادةً ، عمال السكة الحديدية ، فيجلسون في حانوته ويتحدثون الى ان تأزف ساعة سفرهم ، فيسافرون . ومراد يسمع عنهم الاخبار ومن جملة ما سمعه اليوم خبر سقوط مهنا من القاطرة ، فرابه الامر ولم يصدق تفاصيل الحادثة ، كما رواها الناس عن السائق نصار . فجاء طالباً مواجهة المدعي العام ، وقال:

— قبل ان يسافر القطار البارحة في نحو الساعة الحادية عشرة من الليل ، سهر في مطعمي نصار ومهنّا ، فاكلا وشربا وتحدثا . ثم ما عتا ان دخلا في جدال عنيف كان موضوعه الانتخابات للمجلس النيابي التي جرت في احدى قواعد الجبل . كان نصار زعيم الناخبين الثانويين المناصرين لحزب السيد انطونيوس ورفاقه ، ومهنّا زعيم الحزب المناصر للسيد حبيب ورفاقه . فانكر مهنا على نصار تحزّبه في الانتخابات ، فأدى الجدال الى رمي مهنا رفيقه نصاراً بقبعته على وجهه . فنهض للحال نصار وخرج ، وهو يقول : « لاشربنّ دماك » . قال صاحب المطعم : وغاب الاثنان عن نظري متوغلين في جمهور الركاب وعدد المركبات والسيارات .

فاهتم المدعي العام بالقضية ، واستحضر السائق . وما مضى زمان الا وقف نصار امامه فاستنطقه ، فقال :

— صدق صاحب المطعم فيما رواه . نعم تعشّيت ، وسهرت البارحة في مطعمه مع رفيقي مهنا . وكلانا من ضيعة واحدة ، ورفيقا عمل وكدّ واحد . ولم تكن مجادلتنا غير التي الفنا عقدها كلما جلسنا الى سفرة الطعام والشراب ، وهل يتحدث ابناء قرية واحدة الا بشؤون ضيعتهم ؟ اما كون رفيقي رماني بقبعته فهو لا طائل تحته ، ولم احقد عليه في ذلك ، بل انفقت من كيسي ثمن عشائه وعشائي . فدخلنا المطعم متصافيين ، وخرجنا متصافيين . ولا صحة لشهادة من قال اني توعدت مهنا بشرب دماه !

وكان مراد واقفاً سامعاً للحديث ، فتلظّى غيظاً ، واصرّ على تكرار

شهادته . وتحرج المقام لان الشهادة لا تقوم بواحد . . . على ان المدعي العام امر بتوقيف نصار ، فاوقف .

واخذ رجال التحري يبحثون في كيفية وقوع الحادثة . وكانوا مع تعقبهم آثارها يتحققون ان مهنا لم يمت حتف انفه ، بل قضى ضحية جريمة مدبرة عن سابق معرفة وتعمد ، دلتهم على ذلك آثار الدم الثابتة في ثياب السائق ، وعلى القاطرة ، فسألوا عنها نصاراً فقال :

— لما رفعت جثة مهنا ، كان الدم يتدفق من رأسه تدفقاً ، فتلطخت به يداي وثيابي ، وحملت منه القاطرة ما حملت ، فظل اثره عليها .

وكان رئيس القطار وكثيرون من المسافرين قد اجمعوا على القول ان صفير القاطرة كان قد سبق اعمال الضابطات في دواليب القطار ، وان ذلك الصفير شق عنان السماء متهدجاً ، كانه لهفات المستغيث ، او نفسات المحتضر ، مما كان ينم عن عراك وكفاح حول مفتاح الصفارة . فسئل نصار عن علاقته فقال :

— لما رأيت رفيقي هاوياً في الليل ، اقشعر بدني ، ومددت يدي الى مفتاح الصفارة ، واطلقت فيها البخار مروعاً مرتجفاً ، فتهدج صوتها .

فقال المدعي العام : ولم لم تعمل الضابطات اولاً ؟ الم يكن امرها اعجل من الصفير ؟

— نعم ، ولكن سبق السيف العذل ، فطير لبي ، وافقدت رشدي . . .

وان تلك الجوابات لمقنعة . على ان وراءها سؤالات كانت تولد الغازاً ومشاكل ، قال المدعي العام :

— لما دوى صوت الصفير في الفضاء ، كان رأس القطار قد بلغ جسر نهر سعدنايل ، هذا ما يشهد عليه اثنان من المسافرين كانا يشرفان من النوافذ الى الخارج ، فمن المحتم اذن ان يكون مهنا قد وقع قبل الجسر ، بما انه هوى قبل صفير القاطرة . ولكن لم يعثروا عليه الا بعد الجسر بمئات من الامتار ، وغير بعيد عن موضع وقوف القطار بين الجسر ومحطة سعدنايل .

فقال نصار : لعل مهنا ، عند سقوطه من القاطرة ، علق بيد من ايديها الحديدية ، او بناب من الانياب الشاكية بها الماكنات البخارية ، فسحب على

مسافة ما ، وسقط فتهشم.

فلم يقتنع المدعي العام بالجواب ، لكنه لم يرفضه بتاتاً.

وشرّح الاطباء الجثة ، بعد يومين من وقوع الحادثة ، فاسفر التشريح عن ثلاثة اضلاع مكسرة ، وعن تجوّف في اسفل الرأس ، كانه موقع مطرقة مربعة قوية . فبلغوا نتيجة عملهم رجال التحري ، فسافر هؤلاء وفتشوا عن الآلات الموضوعة في القاطرة المشؤومة ، فلم يعثروا فيها على ما يزيدهم علماً في الامر الواقع . لكنهم افتقدوا المطرقة المستعملة لتهشيم الفحم الحجري فلم يجدوها .

فرابهم الامر ولم يجرأ نصار على اتهام سارق بسرقتها ، لان القاطرة باتت تحت المراقبة الشديدة منذ قدومها الاخير الى رياق . وكان ولا بد لنصار من حلّ المشكل المولد من فقدانها ، فقال :

— قد يكون مهنأ قبض عليها ، وهو منحن الى الخارج قبيل سقوطه ، فافلتت من يديه ووقعت بين الدواليب فتحطمت وباد اثرها .

فمضوا وبحثوا عن بواقي المطرقة على المسافة التي وقعت فيها الكارثة ، فلم يقفوا لها على اثر ، ورأوا من الراجح ان نصاراً اخفى الآلة المؤدية الى الكشف عن الحقيقة . وفتحوا موقد القاطرة وبحثوا في الرماد ، فوجدوا حديدة محروقة . فقال المدعي العام تلك هي المطرقة . ولعله اصاب في قوله . لكن البرهان على صدقه لم يكن جلياً واضحاً .

في محكمة الجنايات

وتناولت الصحافة القضية وذهبت مذاهبها في تعليلها . فشاع امرها في البلاد . وما مضت ايام على وقوع الفجيعة الا عُدت من القضايا الجنائية ورفعت الى الحكومة . فالتأمت في دار العدلية هيأة القضاء .

واكتظ المجلس بالحاضرين من حكام ، ومحلفين ، ومحامين ، وشهود ، ورجال شرطة ، ومتفرجين ، وغيرهم .

وكان نصار ومهنا كلاهما من ذوي المكانة والشأن في بلدتها . وبلدتها

من اهم قرى الجبل عدد سكان ، وموقعاً ، ومواردَ ؛ زينتها الطبيعة بمزايا بديعة جمعت فيها محاسن قرى كثيرة : فهي تشرف من الاعالي على البحار ، وتباهي بانواع الاشجار من صنوبر وتفاح وكرز ومشمش ، وتكتسي بالكرمة ، وتترصع بمناقيد عنبها العسجدي ، وتطرب لخرير مياه تنصبّ ليل نهار وتشحن بانحدارها من القرى ما يكفي لتوليد تيارات كهربائية ثمينة بتنوير المدن وتشغيل المعامل .

وان هذه المزايا تجعل بلدة الرجلين جنة عدن وحقيقة بان تدعى « وادي النعيم » ، لولا الغيوم السوداء المخيمة عليها ، المعكرة صفاء جوها ، الذاهبة برونقها وبهائها ، المهددة بالرعد والزوابع والدمار ؛ وما تلك الغيوم ، في الحقيقة ، الا انقسام الاهلين ومعاداتهم بعضهم لبعض . ولذلك دعيت قريتهم « وادي المرّ » .

روى شيوخهم ان ذلك الانقسام عريق في القدم ، سابق لقدوم آل نصار ومهنا الى تلك الديار . وحدثوا في تلك البلدة عن ايام سبقت العهد الهجري والفتح العربي ، انه كان فيها حزبان يتقاتلان على الزعامة وعلى ضبط موارد الرزق وكان الحزبان يتخذان من الحروب الناشبة آنذاك بين الفرس والبيزنطيين والملتحمة وقائعها في سورية ولبنان ، فرصة يتحيز فيها كل منهما ظاهراً الى دولة من الدولتين الكبيرتين ، وكانا في الواقع يتسلحان احدهما على خصمه ، وهما في جوار قريب ومنطقة واحدة . وتتابعت الايام على تلك الحالة ولم تغيرها . وحدث جلاء شعوب عن البلاد وقدوم غيرها اليها . وابدلت القرى سكانها بغيرهم ، ولم تبدل باخلاقهم ونزعاتهم . وحلت فيها اسرتا نصار ومهنا ، فاصطبغت كل اسرة بلون من الوان البدع الدينية التي نشأت في القرن الخامس والسادس الميلادي . ولم يصلح الفتح العربي ذات البين بين الفريقين ، بل ساعد على التفريق التام بينهما اذ جعل لكل فريق امتيازات خاصة فقسمتهم الى طائفتين . ومضت الايام وانقرضت الاعوام والعصور ، وتطوّر الزمان ، وحالة القرية لم تتغير . وأدّى أمر ذلك الانقسام المزمن الى ازمة اشتدت وطأتها في السنين الاخيرة حتى بلغت الى الحدّ الذي وصلنا اليه ، وامامنا قتيل مختبط بدمائه .

كل يعلم ما كان من امر الانتخابات النيابية التي اجرتها الحكومة اللبنانية سنة ١٩٢٥ ، حيث اشترى المرشحون اصوات ناخبيهم بالاصفر الرنان. فالذين فازوا بالانتخاب تسنى لهم ان يستعيضوا ، عن نفقاتهم ، فيما هم يتربعون في دست النيابة. اما المنخذلون فعادوا يحرقون الارم ويحفظون حنقهم وصدورهم تخفق فيها مراجل البغضاء ، فتنتفخ وتتورّم الى ان تمسها شرارة فتفرقع وتدفع الى ارتكاب الجرائم تشفياً وانتقاماً.

وكان مهنّا زعيم حزبه ، في وادي المرّ ، ورئيس الناخبين الثانويين . فسار على رأس قومه يوم الانتخاب ، وكان ذلق اللسان فصيحاً شاعراً ، فجعل يلقي الاقوال ويقول الاشعار . وكانت الاغاني تزيد في هيجان الناس وتثير منهم عواطف الانتقام . وان ننسَ لا ننسَ ما بلغ مسامعنا من ادوار ذلك الغناء ، والجمهور المتدفق تدفق المياه الجارة في الشوارع يرفع على الاكتاف زعيمه وهو ينشد الشعر العامي والناس تردّ عليه باللازمة :

يا مهنّا لا تهتمّ نحن زلمك نشرب دم

وكان بعض المتفرّجين يتسمون لدى تلك المشاهد ويطربون لتلك الاناشيد . لكن امرها لم ينتهِ بالسلام . لان المعركة الانتخابية اسفرت عن مناوشات وجرحى وقتلى في بعض القرى . اما في قرية وادي المر فهدأت نارها وخمدت تحت الرماد الى ان وقعت الفجيعة التي ذكرناها.

واتهم آل مهنّا نصاراً بالقتل ، ورفعوا شكواهم الى الحكومة . وقام آل نصار فاوقفوا المحامين للدفاع عن ابنهم . وانقلب مجلس الحكومة ساحة معركة يسفر امرها لا عن معرفة البريء من المجرم ، ولكن عن تفوّق حزب على حزب ، وأسرة على أسرة ، وطائفة على طائفة.

على انه كان في مصاف الحكام رجل ذو فطنة واستقامة ومقدرة اسمه السيد ابراهيم . ولم يكن من المتوظفين في القضاء ، لكنه دعي الى حضور الدعوى ليبدي فيها رأيه ، ويكون مرشداً حكيماً يهتدي به القضاة الى الحكم بالعدل والاستقامة.

وكان ابراهيم يقف على تفاصيل القضية ويرجح في قلبه ان نصاراً جانياً

قاتلًا ، لكنه لم يقتل عن تعمد ، ولكن زيغاناً وتهوراً !

وكان يعتبر نصاراً ، على ما سمعه عنه ، كالانسان الذي سماه الرومان في اصطلاحهم الحقوقي *impotens* ، او العاجز ، اي الغير متمتع بكامل قواه ، الواجب نبذه من المجتمع البشري لانه لا يستطيع ضبط النفس عن اهوائها الامارة بالسوء .

جلس ابراهيم في مقدمة المحلفين من اعضاء المحكمة واتوا بالمتهم ، فما القى عليه نظره الا تغيرت سرائره وتبددت غيوم الهواجس من قلبه . اول ما وقف نصار بين يدي الحكام ، ادهشهم برباطة جأشه وهدوءه المجرد من كل غطرسة وعجرفة . كانت اماراته امارات انسان حسن الخَلق والخُلق ، ذكي ، نظيف ، هادئ ، رزين . امن الممكن ان يكون ضميره مثقلًا بالجريمة ؟

اختلف الشهود على المحكمة سحابة يومين ، واجمعت شهاداتهم على تأييد الادلة التي رفعها اليها المستنطق ، وحاول الاستاذ خطار الخليل ، المحامي عن نصار ، ان يرمي الشبهة على صدق مراد ، صاحب المطعم ، ليكذب شهادته . فلم ينجح في جذب المجلس الى رأيه .

ومن البديهي ان المرء لا يكذب ان كذب الا لداعٍ ما . ولا داعي يدفع صاحب المطعم الى الشهادة بالزور ، وهو مع ذلك يصر مملناً على اعلانه على رؤوس الملأ انه سمع نصاراً يتهدد مهنا « بشرب دماه » . وهذا الاصرار في الاثبات لا مفسر له سوى ان مراداً يشهد بما سمعه ويبديه بلا زيادة ولا نقصان . وقد اعاد شهادته مراراً وايدها بالأيمان المحرّجة .

وثقلت وطأة الساعة على القضاة في جوّ مسموم بانفاس مئات الحاضرين المحتشدين في قاعة الحكم ، وتكهرب الجوّ وتلعثمت الالسنة في الافواه وضاقت الصدور وتوترت الاعصاب . وكان الحضور في القاعة متحمسين كل لحزبه ، فتظاهروا بالضجيج والصخب حتى الجأوا رئيس المحكمة الى رفع الجلسة مرتين . وكان على المحلفين ان ينظروا في تلك المعمة الى القضية بعين صافية ، والقضية مبهمة غامضة وقد غشتها خطابات المحامين ومغالطهم بظلام حجب حقائقها عن البصيرة .

وكانت الساعة رهيبةً امام الله وامام البشر . وليست هي للمناظرات والتفكير ، بل للحكم والقضاء والتدبير . وكانت القضية مبسوطة امام المجلس على هذه الصورة :

ان التهمة الواقعة على نصار مثبتة بادلة راهنة وثيقة ، ولكن دونها موانع ادبية راجحة . لقد شهدوا على نصار بالاستبداد برأيه والمطالبة بحقوقه بعنف وشراسة . وقالوا ان له سوابق في بلدته حيث لا يقف بوجهه خصم ولا معارض . ولكن ، أيتخذ من ذلك سبب كافٍ لتأثيمه ؟ امن المعقول ان يتخذ الرجل من جدال بسيط في قضية انتخابات قروية داعياً للحقد والنقمة ولقتل رفيقه اغتيالاً عن تصميم وتعمد ، بطرقة الحديد ، وهو على ذلك يخترع الاختراعات الكاذبة ازالة للشبهة عن نفسه بحكاية مستغربة يقصها على الناس ؟ كلها ان تلك الحكاية ليست مختلقة بل واقعية . والا فهل من الممكن ان يحفظ نصار هدوءه ورباطة جأشه وصفاء سريرته الدالة عليها اماراته الوضاحة ؟ فضلاً عن انه لم يتردد بكلامه البتة ، ولم يبدِ كلمةً واحدةً مغالطة لما سبق من كلامه عن براءته .

وكانت افكار الحكام تتقلب على احرّ من جمر بين الشك واليقين . كيف لا ؟ وعار عليهم ان يحكموا لنصار او عليه ، وهم على غير يقين من معرفة الحقيقة .

ووضع الندى في موضع السيف بالعلى مضرٌ كوضع السيف في موضع الندى

وان جريمة الحاكم نحو الوطن ، ان هو برأ المذنب ليست دونها ثقلاً ان حكم على البري . وكم من قاضٍ في مثل تلك الساعة يفضل لو اتيح له ان يبقى بمعزل عن تلك المسؤولية ، مرتاحاً في خلايا مكتبه ، عاكفاً على الدروس والمطالعة في عالم النظريات ! حقاً ان حمل القضاء لثقيل على البشر ، ومقامهم مقام الديان بين الناس . ومع ذلك فالقضاء واجب لازب ، والعدل اساس الملك والعمران !

تأمل السيد ابراهيم حراجة الحالة وقال :

— هناك مغمضات يجب الجلاء عنها فاسأل المحكمة المحترمة اعادة النظر في

الحجج والبينات عسى ان نبلغ كامل التحقيق فلا يبقى مجال للريبة في كيفية ارتكاب الجريمة.

وكان السيد ابرهيم يرى ان تعلق الجثة بالقاطرة على مسافة مئات الامتار قبل سقوطها امر مستحيل . لكنه ابى الا ان يدعم رأيه بعلة راهنة فركب وسائر المحلفين سيارة اقلتهم على جناح السرعة ، من بيروت على طريق الشام ، الى اعالي لبنان ، الى رياق ، حيث ملتقى الخطوط الحديدية ، ودخلوا المستودع الذي حجزت فيه القاطرة ، فتفقدوا شؤونها وتحققوا ان الوقّاد عند سقوطه منها لم يعقه عائق ، بل هبط توًّا الى الحضيض ، واجمعوا على ان نصارًا لم يصدق فيما قاله عن تعلق مهنا بشانكات القاطرة.

وطلب السيد ابراهيم معاينة قطعة الحديد المحترقة التي كشف عليها في الرماد ، فوضعت في الميزان ، فقدر وزنها مقدار وزن الآلة المستعملة في الشركة ، والمطارق المستعملة في تهشيم الفحم كلها على طراز واحد . فعادت اذًا لجنة القضاء الى بيروت ، وهي على يقين ان نصارًا قاتل.

او لا يكون بريئًا ؟

عقدت المحكمة جلسة جديدة ، ووقف المدعي العام ساردًا تفاصيل الجريمة ، وسأل القضاة القسط في الحكم ، واليك ملخص خطابه:

نصار رجل عنيد ، متكبر ، حقود . خرج من معمعة الانتخابات في الصيف الماضي ، ومراجل البغضاء تغلي في قلبه ، تضغط عليها وصبر . وصار ينظر الى مهنا شزرًا نظره لعدوه الشخصي الذي سلبه نفوذه وجاهه في بلدته ، متذكرًا الحزازات القديمة التي قسمت بين آل نصار وآل مهنا . ولم يسبر مهنا المسكين غور البغضاء المحفوظة عليه في قلب خصمه ، ولم يذكر قول الشاعر :

اذا كان في صدر ابن عمك احنة فلا تستثرها ، سوف يبدو دفينها ،

فاثارها ، ورمى بقبعته نصارًا بينما كانا على العشاء في المطعم . فتركت الاهانة في صدر نصار نيران الحقد . فسكت على ان يستنح الفرصة في حينها فيشفي غليله . وها ان الساعة دقت ، وكلاهما على القاطرة في الليل الدامس ،

والقطار يتسرب ويتلوى كالافعى في سهول البقاع . وفتح الوقاد باب الاتون ، وانحنى ليقحم فيه الفحم ، وتغافل عن المطرقة . فقبض عليها نصار ورفعها واسقطها من اعالي رأسه على مؤخر جمجمة رفيقه فشدخها . ولم تكن تلك الضربة لتقضي على مهنا ، وهو جباري البنية قويّ الاضلاع ، فانتصب وحاول القبض على مفتاح الصفير . فمدّ اليه يده ومسّه ، فتحرك وسُمع صوت الصفير ، ثم تقطع لان نصاراً حال دون انطلاقه . وحدث عراك . وما هي هنيهة الّا سقط الوقاد مصروعاً . فطرحه رفيقه السائق خارج القاطرة ودسّ المطرقة في الاتون ، وهي الشاهد الوحيد على الجريمة . ثم اعمل الضوابط في القطار ، ومسح يديه الداميتين ، واخذ مصباحه ومضى في طريقه يلاقي رئيس القطار الذي اتى لمقابلته . فارتكب اذن نصار الجريمة عن سابق علم وتعمّد .

ووقف رجلان للدفاع وهما الاستاذ رشيد ابو يوسف والاستاذ خطار الخليل ودعم الاول خطابه بان حجة الخصوم واهية . وقال ان بيناتها لمن يحدق اليها اجمالًا تظهر كانها الجبال الراسيات . اما حقيقتها لمن يتبصر بها واحدةً واحدة فهي اوهى من خيط العنكبوت .

ثم اردف : «وما عسى ان تكون تلك البينات ؟

«شهد صاحب المطعم ، وشهادته مردودة لانها صادرة عن رجل فرد ؛ فضلًا عن ان الشاهد من المدمنين على شرب الخمرة ، وهو ممن لا يعوّل على كلامهم . اما الدماء الثابتة آثارها على ثياب نصار ، وعلى اطراف القاطرة ، فعلاتها انها انتقلت من ايدي نصار بعد حمله رفيقه المهشّم الرأس . ولا حجة على نصار تكون جثة مهنا سقطت بعد الجسر ، وقد يكون المقتول قبل سقوطه قد تشبّث باليد الحديدية الملتصقة بجانب القاطرة . فتعلق في الفضاء بضع ثوان ، ثم هبط بعد مئتين او ثلثمئة متر عن المكان الذي هوى منه .

«اما المطرقة الحديدية فلا يبعد عن العقل ان يكون الوقّاد طرحها سهواً في الاتون مع الفحم .

«امن العدل اذن ، والحالة هذه ، ان يتخذ القضاة من تلك البينات حجة دامغة ، والبينات باطلة اساساً ، وتفسيرها عن غير طريق الجريمة معقول مقبول .

وختم المحامي الاول دفاعه قائلاً : « لا اسألكم العفو عن نصار ، ايها السادة ، ولكن اسألكم الفطنة . فاذا قضيتم فاقضوا عن برهان وعن يقين . »

ووقف الاستاذ الخليل ، وهو المحامي الثاني ، وتناول القضية من وجوهها الادبية . وكان لسناً فصيحاً يؤاتيه الكلام ، فيستميل القلوب النافرة ، ويرد الاهواء الشاردة ، وكان اختصاصياً بالقضايا الجنائية يتخذ منبر الخطابة سلماً يتسلق به سماء الزهو والعجرفة ؛ فيحل كلامه من قلوب العامة محلاً رفيعاً . اما الخاصة فقد تعرض عنه ، لانها تأبى ان تقتنع الا بالبراهين الصادقة ، اما المغالطات والسفسطات فتثير استهجانها واشمئزازها .

حاول المحامي الاول الاستاذ رشيد ابو يوسف التبيان ان بينات الجريمة لم تتحقق مادياً . اما الاستاذ الخليل فتخطى الى ابعد من ذلك ، واخذ يبرهن عن عدم امكان وقوع الجريمة ادبياً . وخلاصة كلامه أن نصاراً رجل دين ، ابو عائلة صالحة ، وله سنون عديدة عاملاً في شركة السكة الحديدية ، ولم تلحق به شائبة قط . وهو وكيل كنيسة قريته ، وممثل طائفته في الانتخابات ، فهو اعلى مكانة من ان يتنازل الى ارتكاب الجريمة الفظيعة المتهم بها قال :

« كلا ، ثم كلا ! لا يتحول الحمل الى وحش ضار بلمحة العين . لا عاقل يصدق هذه الاكاذيب ، ولن يصدقها احد . والحقيقة هي ان البغض الدافع الطائفة المعادية لطائفة نصار والحزب المقاوم لحزبه ، هو الداعي الحقيقي لالقاء الشبهة عليه . وليس الخصام ، في ساعتنا هذه ، بين شخص وشخص ؛ انما هو بين طائفة وطائفة ، وسياسة وسياسة ، واسرة واسرة . وان يكن نصار مذنباً ، فذنبه لا لكونه قتل مهنا ، ولكن لكونه فاز بالانتخابات ، ورفع لواء قومه ، ونكس اعلام حزب مهنا . »

وكان جو المحكمة مكتظاً بالسامعين من ذوي نصار واقربائه ، فانطلقوا بالتصفيق والاستحسان لما سمعوا المحامي يتكلم بفصاحته المعهودة . وكان قوم من الناس واقفين خارج المحكمة مزدحمين على ابوابها ، لم يجدوا مجالاً الى دخولها ، فظاهروا وصفقوا من الخارج لما بلغهم صدى كلام الاستاذ الخليل . واتخذ هذا من المظاهرة فرصة للتصرف باهواء العامة طبقاً لمرامه فقال للقضاة :

«ان انتم حكمتم على نصار ظلمتموه. واعلموا ان الشعب اعلنه بريئاً، وانما صوت الشعب صوت الله.»

فدوى المجلس بتصفيق العامة، ونهض الرئيس وخرج، وتبعه الاعضاء للمذاكرة، وكانوا اثني عشر، عليهم العمدة في تقرير الحكم وكان السؤال مطروحاً عليهم كما يلي:

«هل قتل نصار مهناً ام لا؟»

فانقسموا في الجواب: ثلاثة منهم قالوا نعم، واربعة قالوا لا، والباقون امتنعوا عن التصويت. واخذوا بالمذاكرة الشرعية. فتكلم فيهم السيد ابراهيم وقال:

لا يغرنكم سادتي، ما سمعتموه من اقوال الاستاذ الخليل، وهو لا يليق بمجلس مسؤول عن نظام البلاد وحياة العباد. لقد كان خالجني الريب لما سمعت دفاع الاستاذ رشيد ابي يوسف، وصرت اتردد في واجب الحكم على نصار. ولكن لما تدفق الاستاذ الخليل كالتيار الجارف مهيجاً اهواء الرعاع مغتصباً ضمائر القضاة، مهولاً اياهم بسخط الشعب عليهم ان لم يبرروا القاتل، اشعرت بوهن حجته. ان القلوب المستقيمة تأبى الرضى بالكذب والبهتان. وقد يكون من الجنون ان تعفو عن المذنب الاثيم تصدية لصوت المحامي المطرب ولفصاحته الرنانة. لا لا ان لسان الحال يشهد للحقيقة. لقد وقعت جريمة فظيعة فلا بد من عقاب مقترفها. وليس للنزعات الطائفية في القضية ناقة ولا جمل.

أثر كلام السيد ابراهيم في قلوب الاعضاء المحلفين، وجذب الى رأيه اصوات المترددين في حكمهم فاسفرت المذاكرة عن تأثيم نصار بسبعة اصوات ضد خمسة. وعادت هيئة القضاة الى المجلس فوقف السيد ابراهيم واسترعى الاسماع ولفظ الحكم. وعقب اصدار الحكم هدوء كانه السابق للزوبعة، فزاد في هيبة المقام. ولم يتله انفجار ولا تظاهر بل سكوت وجمود، كسكوت المقابر وجمود الليل. وخيل للسامعين انهم يسمعون صوت وخز الضمير ينخر النفوس. وانتصب نصار، والتقى نظره بنظر السيد ابراهيم، فلم ينكس البصر، وقال برباطة جأش وثبات:

— لقد حكمت عليَّ ظلماً . وانك لفي ضلال . والله العظيم ، اني بريء ، وولدي غير حقيق بان يدعى ابن القاتل !

ثم شهق وانقطع صوته بالنحيب ، فهبط على كرسيه مغرقاً بالدموع .

وانحلَّ المجلس ، وصرف رجال الدرك الجماعة . وعاد القضاة كل منهم الى بيته وآله . ودخل السيد ابراهيم مخدعه واجماً ، اليم الفؤاد ، وقد ساورته الشكوك ، وتوزعته الفكر . وحاول الرقاد فهجره فتمثل بقول بشر

فبتُّ مسهَّداً أرقاً كأني تمشت في مفاصلي العُقار

ويل للظالمين !

ومضى على الحكم اربعة ايام تناوبت فيها نفس السيد ابراهيم ساعات الانحطاط والهواجس ، ولم تفارق مخيلته صورة نصار ، لما وقف في المحكمة متظلماً ، محدّداً اليه نظره ، ملقياً عليه تبعة الحكم الجائر ، ومنادياً ببراءته على رؤوس الملأ .

تكلم ، وكان في كلامه لهجة الصدق والاستقامة . فتصدت له جوانح السيد ابراهيم ، واضطربت . وصار اذا اعاد في ذاكرته تفاصيل الحادثة ، اعتراه الوسواس ، ودفعه الى الريبة في عدالة الحكم الذي اصدره . وقال في نفسه : لقد اشعرت ببراءة الرجل وربما كنت برأته لولا سماعي مدافعة الاستاذ الخليل التي اثارت فيَّ اشمئزازاً ونقمة تحولت بدافع رد الفعل الى قساوة في القضاء . ولم يتمالك نفسه ان مضى قاصداً صديقه الاستاذ رشيد ابا يوسف المحامي . فبادره الاستاذ وقال :

— اراك مكتئباً حزيناً شاحب الوجه كانك سهرت الليالي .

فقال السيد ابراهيم : صدقت . وهمي العظيم كوني جرمت رجلاً بريئاً .

— الراجح عندي انه مجرم !

— ومع ذلك ، فقد دافعتَ عنه . اذن انك اني ضلال ؟

— عزيزي ، فاتك ان واجب حرفتي يربط لساني عن الكلام لو ان نصاراً اسرَّ اليَّ بذنبه ، لحفظته في دفائن قلبي عنك وعن اي خليقة كانت . ولكن ،

في الحقيقة ، لا اعرف من الحادثة غير ما تعرفه . واما مدافعتي عن نصار فقد قضى بها الواجب وقمت بها كما علمت . وعلى كل الاحوال ان يكن هذا الرجل قد ارتكب الجناية فانه لداهية من الدواهي . لانه في مختلف المواقف ، لم يبدِ علامة وهن ، ولم يلفظ لفظة واحدة دالة على مواربته وكتمانه وخداعه . فقد يمثل دور البريء وهو اثيم ، على اتم الحذاقة والفن . فاطرح عنك الهموم والهواجس . فان تبرير المرء نفسه لا يقيم حجة وبينة له . وانا ، الذي دافعت عنه بالامس ، اعترف لك اليوم ان حجتي كانت واهية .

— ولكن انا . . . انا المسؤول عن اصدار حكم الاعدام وقد دفعت اليه زملائي اثناء المذاكرة .

— لم احضر المذاكرة ، ولكن لا اتردد في القول انك المسؤول عن قرارها النهائي .

— اذًا انا المذنب ؟

— مذنب ؟ كلا ثم كلا . لقد امرك ضميرك فطاوعته فحسبك . وقد يضلّ الضمير ولا جناح عليه ، ان صدر الضلال عن نية صالحة . اما انت فقد حكمت طبقاً لما رأيته اقرب الى الحقيقة .

— وهل كنتَ تحكم بغير الحكم الذي اصدرتهُ ، لو كنت في مكاني ؟

فسكت الاستاذ رشيد ابو يوسف كأنه حائر في امره . ثم قال :

— لا شاهد في القضية الا رجل واحد ، فشهادته مردودة ، وقد ردها المتهم وانكرها بعزم وشدة . والرأي الارجح عندي هو ان يطلق سراحه .

فزاد هذا الكلام في اضطراب السيد ابراهيم وسكت . فقال المحامي :

— لم تفت الفرصة فترجع عن تدارك الاول . وبلغني ان الاستاذ الخليل يحاول ان ينال عفو رئيس الجمهورية عن المحكوم عليه ، فايذن لي بعرض امر وسواسك وندمك على الحكم الذي اصدرته ، وانا قمين بان نصارًا ينال العفو .

كاد السيد ابراهيم يقبل بالنصيحة . ولعل غيره ممن هو اقل استقامة منه كان قد طرح عنه ذلك الهم وقال في نفسه : ما لي وهذه الهواجس . مات مهنا فلن يعود الى الحياة ، أُجرِّمَ نصارٌ او لم يُجرَّم . ولكن القاضي العادل فكر في نفسه وقال : لا يحق لي ان اطلق سراح نصار ، على ما ثبت عليه

من ادلة الجريمة دون ان اتيقن انه بريء منها . والا فذنبي نحو البلاد جريمة جديدة . والتفت الى المحامي وقال :

— لا . اصبر عليّ ثلاثة ايام .

ومضى كل منهما الى شأنه .

وعند المساء زار السيد ابراهيم رئيس المحكمة ، وعرض عليه اسباب اضطرابه وبلباله . فتعجب الرئيس وقال :

— ما عسى ان يكون قد جد منذ البارحة حتى غيرت افكارك ؟ هل انت يا ترى مخدوع بما قاله نصار تبريراً لنفسه ؟ ايخفى عليك ان شرّ المذنبين في الغالب لا يقرّون بذنبهم امام الحكام . وهم يتظلمون دوماً من جور المحاكم ، ويعلنون براءتهم . ولكنهم كذّابون منافقون .

— اني اقرّ لك يا سيدي الرئيس ان صدق لهجة المتهم قد أثرت فيّ كل التأثير .

— لقد مثّل دوره بحذاقة عجيبة . انما هذه خزعبلات وخدع لا ينخش بها من قضى سنوات في مهنة القضاء .

— لقد حصحص لك الحق المبين ، وثبت لك ان هذا الرجل قاتل اثيم ؟

— لا اشكّ في اثمه . والحكم في امره عادل . واني لاهنئك على شجاعتك في اصدار الحكم . لو ان لجان القضاء جمعاء تتصرف في المحاكم تصرفك في اللجنة التي ترأستها ، لكان الامن مخيماً على البلاد ، من اقصاها الى اقصاها .

— ان كلامك سيدي لا يهديّ وخز ضميري . ايذن لي ان استرد حكمي الذي اصدرته .

فاهتز الرئيس لهذا الكلام وقال : اياك ثم اياك . . . والا فضحت الحكومة عند الناس ، فيعيروننا بالجبن ، والخوف من تهدّدات جماعة مهنّا وطائفته .

— سيدي الرئيس ان امر الطائفية والسياسة لا دخل له في الحالة الحاضرة . وما احرانا بان ننسى اقوال الاستاذ الخليل ، ودفاعه الذميم باسم الطائفية . فلا نكون لها ولا عليها . ان محور القضية يدور على حياة هذا الرجل وشرفه ، فاسمح لي بمراجعة اوراق دعواه كلها . فسوف ابحث فيها وحدي على عزلة وهدوء ، فاكون على بصيرة كاملة من الحقيقة ، وسوف اوافيك بقراري بعد ثلاثة ايام .

وخرج الاستاذ . وفي اليوم التالي اخذ الاوراق وراجعها من سطرها الاول الى الاخير . فاطمأن باله لقراءتها ، لان حوادثها المتسلسلة كانت تجرّ حقيقة الجريمة ، كما تجرّ المقدمات النتائج . ولاحظ ، في اطلاعه على حياة نصار ، ما لم يفطن اليه احد قبله ، وهو ان الرجل كان ابن تاجر سكير مات انتحاراً في المهجر . فورث ابنه عنه عاداته فتأصلت فيه الملكات الذميمة وكانت تشتد وطأتها عليه . حتى انها كانت تفقده رشده وتدفعه الى شر الاعمال . وهي التي ادّت به الى اغتيال رفيقه . ولعل الرجل الفاقد اللب غير مسؤول عن اعماله تماماً ، تجاه ضميره . اما تجاه الحكام وتجاه البشر فلا بد ان يجازى بالقصاص الذي استحقه ويُطرح خارج المجتمع فيُنبذ منه نبذ النواة .

فقر من ثمّ قرار السيد ابراهيم على ان يترك القضاء ينفذ الحكم فتجري المياه في مجاريها . وحاول الاستاذ الخليل طلب العفو من رئيس الجمهورية . ولعل ابراهيم كان يتمنى صدور ذلك العفو فتنتهي المأساة بفصل يردّ نصاراً الى سلامة الحياة ، وضميره الى الراحة والسكينة ، وقد امسى في حالة شقاء نفسية لم تفارقه منذ اخذ على عاتقه البتّ في القضية .

وما مضت ايام الا شاع الخبر ان رئيس الجمهورية رفض العفو . وكانت في اثنائها قد تعددت الجرائم في البلاد فكان لا بد من القاء الرهبة في قلوب الناس . فحكم المجلس بالاعدام على نصار لقتله مهنا تعمداً ، وظهر بلاغ العدلية في الصحافة معيناً اعدام نصار شنقاً في اليوم التالي .

حيث روحهم لا يموت !

كان السيد ابراهيم مقتنعاً بان نصاراً قاتل مهنا ، ومتيقناً انه لا سبيل لاعادة النظر في الدعوى . ومع ذلك كانت الهواجس تقتحم نفسه لان في حياة ابن آدم الفكرية طبقتين : طبقة اليقين التي يرتاح فيها البال الى ما يراه معقولاً بذاته متفقاً منطقياً مع القرائن اتفاق النتائج مع المقدمات . وطبقة ثانية هي طبقة الخيال والشعور تداهم الانسان عن ضعف في مزاجه ، اذا ما افرط في اجهاد النفس قياماً بعمل خطير او حذراً من شر عتيد . وكان الوسواس الذي اعترى نفس السيد ابراهيم منذ اصداره الحكم على نصار يمثل في مخيلته ذلك

الرجل الشاب القوي المادئ يناديه بصوت اليأس والتظلم : انا بري ! انا بري ! وكان ذلك الصوت ينساب في صدر السيد ابراهيم كانه دود الضمير الناخر . عبثاً حاول ان يخنق انينه في السهرات يقضيها في المنتزهات ، تارة في بيروت على شاطئ البحر ، وطوراً في مصايف الجبل.

كان اذا ما نظر الى الحالة بعين البصيرة ، رأى الخيال يتلاشى . واذا ما اطلق السراح لمخيلته القوية تمثل بفكره شبح السائق نذار واقفاً امامه ماقياً نظره عليه بحدة تخترق الصدور ، قائلاً : انا بري.

وكان التناقض بين الحالتين في نفس السيد ابراهيم مما حطّ من قواه واسقطه في اعتبار نفسه . فكان يقول في نفسه : اقاموني حاكماً على الناس ، ولست قادراً على الحكم بصواب ويقين . قد طالما قضيت ايامي بتمرين الفكر على الاصابة ، وها انا رميت سهمي فطاش . ومنذ صدر الحكم على نصار ، كان السيد ابراهيم قد التقى بعضوين من الاعضاء الذين صوتوا في لجنة المحلفين وكان احدهما قد حكم بتبرير نصار فسأله رأيه ، وهما على انفراد فاجاب:

— قد خطر على بالي ان نصاراً مجرم. ولكن كم من مرة ضلّ الحكام في حكمهم وجاروا . ففضلت ان لا الطخ يدي بدماء المتهم.

اما العضو الثاني فلما سأله ابراهيم عن امر سبب تجريمه نصاراً قال :

— انه قاتل ، والقاتل يستحق القتل ، وان لم ينفذ فيه الحكم ، اكلت الناس بعضها بعضاً كالوحوش الضواري.

وكان كلا الرجلين قد نظرا كل واحد الى طرف من اطراف القضية ، فادى بهما نظرهما الى نتيجتين متناقضتين.

وبلغ السيد ابراهيم انهم في الغد يعدمون نصاراً في ساحة العدلية . فآلى على نفسه ان يبذل غاية الجهد لعله يصل الى الوقوف على الحقيقة بتمامها ، من فم القاتل نفسه . فقصد الاستاذ رشيداً ابا يوسف وقال له :

— ايمكنني ان ازور نصاراً .

— وما عسى ان تفيدك زيارته ، فانه لن يبوح بسره !

— اني اسألك ان تساعدني على الوصول اليه.

ـــ لا بد من ان تراه ؟ اذن كن على باب سجن الرمل اليوم ، في الساعة الثامنة مساء .

في سجن الرمل

وما ازفت الساعة الا وقفت سيارة امام باب السجن ، فنزل السيد ابراهيم . وكان هناك الاستاذ رشيد ابو يوسف بانتظاره . فكلم علي افندي مدير السجون . وامر المدير فحضر السجان وبيده المفاتيح ، وسمع اوامر المدير . فمشى وتبعه المحامي والسيد ابراهيم فاجتازوا اولاً دهليزاً بنيت على جانبيه غرف الحراس وبيوت المطابخ . وها هم في صحن الدار ، وهي مطوقة بسور عالٍ واسع ، والمساكن فيها مبنية على طراز منظم يساعد على ضبط مرافق السجن . هناك بنايات تتفرع على شكل اصابع اليد الخمس اذا تبسطت . كل بناية طولها يزاهي الثلاثين او الاربعين متراً ، وهي عبارة عن دهليز ضيق طويل تمتد على جانبيه المساكن على اختلاف انواعها من قاعة كبيرة تسع زهاء الاربعين سجيناً ، وتسمى القاعة « قاووقاً » اصطلاحاً عن زمن الاتراك . وهناك غرف صغيرة يقيم فيها السجناء وحدهم ، او برفقة رفيق واحد ، وهم في منعة من مخالطة الناس ، وكل غرفة من هذه الغرف تسمى «زردانا» .

وفي دار السجون بناية خص جناحها الشمالي بالمرضى ، وجناحها الجنوبي بمن اقترفوا جريمة كبيرة ، وهناك مقام المحكوم عليهم بالاعدام .

الى ذلك الجناح مضى السجان فوقف امام شبكة الحديد ، ودعا اليه الموظف المقيم في الداخل ، حارساً ابواب غرف المجرمين . فسأله هل الاغلال داخلاً بحكمة القفل كلها . فقال :

ـ لا خطر عليكم تفضلوا .

وكان الظلام قد انتشر في الدهاليز ووضعت قناديل في زوايا المكان هداية للسائر في الليل . وكانت رائحة الجدران الرطبة المملحة تهب على الداخل ذلك المكان المظلم ، فيخالها بخاراً متصاعداً من قدر غلي فيه الماء والصابون لغسيل الثياب القذرة . ووقف الحارس امام باب غرفة قد ثقب نصفه الاعلى بطاقة مساحتها مساحة الرغيف الصغير . وربما ضيقوا على السجين فسموا على تلك

الطاقة تنكةً مثقوبة بثقبين او ثلاثة يتاح للسجان ان يراقب منها حركات المسجون . اما هذا فلا يستمدّ بصيص الضياء الا من طاقة صغيرة مشبكة بالحديد واقعة في اعلى الجدران .

دخل المحامي اولاً على نصار ، وظل في غرفته هنيهة ثم خرج . ودخل من بعده السيد ابراهيم . هناك على الحصير وضعت فرشة وعليها نصار قد جلس القرفصاء وامامه شمعة موقدة وبيده كتاب.

فنادى السيد ابراهيم السجين باسمه .

وما كان السجين ليعرف الزائر لولا صوته فنهض لساعته ، وانتصب وقال:

— لماذا اتيت اليّ وماذا تريد مني ؟

قال ابراهيم :

— اتيتك مستخبراً.

— وما عسى ان يكون الخبر الذي تستقصيه ؟

— اتيت استقصي الحقيقة .

وكان صوت السيد ابراهيم ينمّ عن تأثر عظيم . فارتعش السجين وجمد . ثم ارتخت اعصابه وخطا خطوةً الى الامام، وقد طرقت رأسه هالة كانها البخار المتلوّن باشعة الشمعة الضئيلة . وكان طربوشه القاتم ، ولحيته الكثّة ، وثيابه القضفاضة القذرة قد اسدلت على هيئته كلها امارات الشقاء والتعاسة . ولكن عينيه لم تزالا وقادتين تحدقان الى الزائر كانهما ضلعا ملقط حديدي.

فقال ابراهيم :

— يا نصار ! غداً سوف تظهر على ساحة العدل للاعدام وذلك الاعدام صدر من المحكمة عن لساني ، وبعلمي ، وارادتي . ولست بآسف على ما صدر مني لانك قاتل مهنا.

فقال نصار :هذا كذب ومين !

— انت الذي طرحته خارج القاطرة وقد بلغت منه الروح التراقي.

— هذا كذب ومين !

— ثم القيت المطرقة الدموية في الاتون.

ـــ قد حلفت اني بريء !

ـــ نعم حلفت ! وبما انك حلفت فها قد اتيتك الآن ، واني على يقين من كذبك ونكرانك للحقيقة . وقد افرطت في الكذب حتى هجت هواجسي ، وسلبتني راحتي . ان البيّنات عليك عديدة هائلة . ولا داعي واحد قد يحول دون اعتقادي بانك مجرم . . . الا كلامك الذي ما زلت تردده انك بريء ، فهو يرميني في الشك والريبة من امرك . وان كذبك لمثير في صدري نار حزن وشجون واضطراب . استحلفك بالله قل . قل لي الحقيقة .

فنظر المجرم شزراً الى حاكمه ، ثم عاد فانطرح على فراشه وهز كتفيه متهكماً وقال : اذن لقد فتح سيدي الحاكم صدره الى صوت العدل والشفقة . ولكن ما عسى ان يفيده اقراري ، ولات ساعة ندامة ، ولا مناص من الموت !

ـــ نعم لات ساعة ندامة ! وقد رفض العفو عنك ولا سلطة بشرية تنقذك من تنفيذ الحكم فيك . واني درست سجلات دعوتك وفحصتها كلها ، وكلها تشهد فيك بالجريمة . وهبني اني تيقنت براءتك فلست استطيع مساعدتك ، فخابت اذن آمالك كلها . وما من امل من وراء كذبك .

ـــ لم اكذب قط !

ـــ قد ينكر المذنبون ما يتهمون به ضناً منهم على شرف اسمهم ، وكرامة اسرتهم . وانت تخفي الحقيقة مثلهم . ولكني اعدك باني وحدي اسمعك فلن افشي بسرك .

ـــ اتعدني ، وانت لا تصدق كلامي ، فكيف . . .

ـــ رويداً يا نصار . هل انا اتيتك لأمثل رواية هزلية . لقد صرفت حياتي في القضاء ولست بطالب مكرمة ولا مال . وليس لي الا مطمع واحد ، وهو ان اموت في راحة الضمير . انظر اليّ . ما بالك توارى بصرك عني . على مَ تؤنبني ؟ اعلى كوني حكمت عليك ؟ وانما حكمت عن واجب لم يطاوعني ضميري في مخالفته .

ـــ واجب المتطرف المتحيز للطائفية العمياء !

ـــ واجب الحاكم المسؤول عن نظام البلاد ، وعن حياة العباد . وعلى كل

حال فني هذه الساعة ليس في هذا المكان حاكم ولا محكوم . بل هنا رجلان كلاهما يتألمان : انت لما يحلّ فيك من القصاص ، وانا لكوني اسير شجرني وقلقي ، وقد حكمت ولم انل اقرارك التام.

وكان ابراهيم واقفاً كانه المتسوّل المتوسّل . اما نصار فقال همساً :

— لم اقتل مهنا .

— اذا هذا هو جوابك الذي لا مردّ له !

— نعم !

فادار السيد ابراهيم ظهره وتأهب للخروج وقال :

— الوداع يا نصار . ان نكرانك لا يقنعني ببراءتك ، لكنه يطرحني في الوسواس والاوهام طيلة حياتي . هذه نقمتك عليّ . فقد اثأرت مني ، وتشفيت .

وتخطى السيد ابراهيم الى الباب ثم التفت واذا بنصار قد قبض على اطراف فراشه ، وحدّد نحوه بصره ، كما كان قد حدده في المساء الذي سمع فيه الحكم ، واجاب بصوت متقطع كانه قطع الفؤاد وقال :

— نعم انا هو .

— انت ؟

— نعم انا القاتل . . . هشمت رأس مهنا بالمطرقة . . . وقُضي عليه .

وفي اليوم التالي سير بنصار الى المشنقة في ساحة العدلية .

* * *

وعاد السيد ابراهيم الى اشغاله اليومية . وضميره ساكن لكونه قام بالواجب . ولكن قلبه البشري لم يشفَ من الجرح الذي اصابه عند تعاطيه امور الحكم والمحاكم ، والظلم والمظالم . .

وكيف لا ينفطر قلب الحكام عندما ينظرون تنفيذ الاعدام بمن هم اخوتهم في الانسانية ، وقد الجأهم الواجب المقدس الى قطعهم من الجسم الاجتماعي اما بابعادهم في ظلمات السجون او بنفيهم من ارض الاحياء . . . وليس الا الله قدير على ان يوفق بين طرفي نقيض فيبلي للشفاء ويضرب ليرد الخاطئ الى التوبة مبيداً حياة الجسد ليمنح حياة الخلود ، جامعاً بين العدل والرحمة .

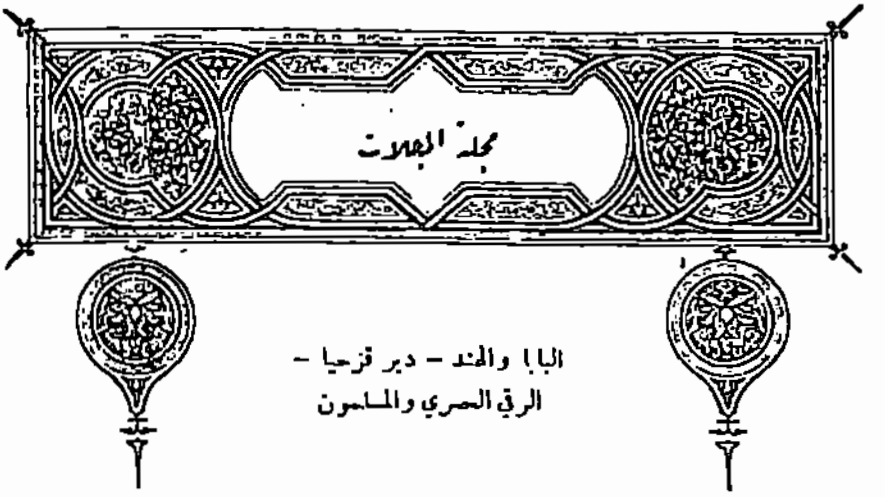

البابا والهند

يبلغ عدد سكان الهند على الثلاثة مليون نسمة منهم :

٢١٦,٠٠٠,٠٠٠	وثنيون هنود
٧٠,٠٠٠,٠٠٠	مسلمون
١١,٠٠٠,٠٠٠	بوذيون
١٠,٠٠٠,٠٠٠	نفسيون *animistes*
٢,٦٠٠,٠٠٠	كاثوليك
١,٨٠٠,٠٠٠	بروتستانت

نظر الاب الاقدس الى اكثرية النجر المسيحيين الساحقة في ذلك الاحصاء ، وارسل سنة (١٩٢٤-١٩٢٦) زائرًا الى الهند ، رقمًا من ثم الى مقام الكرادلة ، وهو السيد ليبي . واستفت مجلة المراسل الافرنسية « *Le Correspondant* » (٢٠ تشرين الاول ١٩٢٩) من الخبر المذكور التعليقات التالية عن حالة الكثلكة في الهند فقالت ما ملخصه :

لا ينكر احد فضل الادارة المدنية الانكليزية في الهند فانها عاملت السكان بالمساواة ، ففتحت ابواب الوظائف لطبقة الباريا ، ومهدت السبيل الى ازالة الحواجز الفارقة بين الناس . ومن جملة اصلاحاتها : الغاء عادة الزواج قبل اوانه والغاء عادة احراق الارامل ، ومساعدة المدارس . ومعروف ان الهنود منقسمون الى طوائف متعادية متنائية ، فلا يُعقد زواج بين طائفة وطائفة ، ولا تختلط رجال الطائفتين لتناول الطعام او للمواصلات الاجتماعية . وان من

فضل الدين المسيحي انه اخذ يخفف من قساوة تلك القوانين الصارمة ، وعسى ان يلغيها تماماً مع تطور الايام ، وقد يستعين على ذلك بالحركة الجديدة الصادرة من الزعيم غاندي الذي اخذ يناشد مواطنيه بواجب القبول بالمساواة بين جميع السكان من اي طبقة كانوا.

واخذ المرسلون يتصرفون بتوزيع الاسرار من غير ان يجعلوا فرقاً بين فئة وفئة ، فتح السيد فزانديه ، اسقف تريشينوبولي ، سرّ التثبيت اولاد البراهمة واولاد الباريا معاً ، وجمع الآباء الكبوشيون الاولاد من مختلف طبقات الشعب للتعليم المسيحي. فسخط الوثنيون على المرسلين لعدم تفرقتهم بين الاولاد ورفعوا دعواهم الى الزائر البابوي . فاستقبل السيد لبيسيه وفود المحتجين بلطف وبشاشة ثم صرفهم بالحسنى . ونظر الى الاولاد فباركهم ، وحثّهم على المواظبة والصلاة في الكنائس وعلى سماع التعليم.

وبهذه الطريقة اللطيفة تتدرج الكنيسة بتلك الشعوب الى خلع نير التقاليد القاسي ، والتخلق بالاخلاق المسيحية التي لا تفرق بين نفوس العبيد ونفوس الاسياد.

دير قزحيا

ايام الصيف والعطلة المدرسية تدعو الاساتذة والتلامذة الى ترويح النفس من اتعاب الدروس بتمرين الجسد على الرياضة البدنية . ولا بلاد اصلح لتلك الرياضة من الجبال ، يأتي الانسان في قممها من المشقات ما تعلو عاقبته اذا بلغ الذرى واستراح في ظلّ الصنوبر ، وروى الغليل من الينابيع الصافية ، ومتع النظر بالمشاهد الطبيعية الرائعة . ومن عقبات الجبل الشهيرة الجديرة باجتذاب السيّاح والزوار اليها وادي قاديشا ، وعلى جانبيه الصوامع والاديرة ، واخصها دير قزحيا . وصفه حضرة الاب الخوري بولس قرألي وصف الشاعر المتفنن قال : (المجلة البطريركية ٣٠٩)

دير قزحيا مختبئ كالناسك في بطن واد عميق ضيق وعر ، محجوب باشجار كثيفة قاتمة تغار عليه من العيون ، ومحصن باسوار صخور شاهقة متوحشة لم تمسها يد بشرية منذ خلق العالم والانسان. لكن الطبيعة التي احبها واحبته قد عوضته من تلك الوحشة فتجلت له بكل ما حباها الله من جمال وجلال ودلال : فيأته بوارف ظلالها ، تفتحه ببلبل نسيماتها ، اطربته بهدير مياهها وحفيف اوراقها

وتغريد اطيارها ، أروته بزلال ينابيعها ، متعته بالغيذ خضرتها وثمارها ، اسكرته بشذاء زهورها وبخور صنوبرها وعطور دلبها ، وشغفته بقامات حورها الرشيقة المتايلة تيهاً وغنجاً . فطابت له الاقامة وراقته العزلة واستهوته المغازلة ، فاستمر في هذه البقعة وتوسع واستقل واستكفى ، واصبح بابنيته العظيمة وملحقاتها بلداً قائمة بنفسها في وسط جنينة غنية غناء .

ان قصدت زيارته فطيك اما ان تهبط عليه من عينطورين بدرجات نقرت في جدار الوادي المنتصب فوقه ، او ان تدور من جهة الجنوب مجتازاً قرية بان المختبئة بين العرائش ، حتى اذا بلغت اسفلها وجدت نفسك امام نبع صغير بارد سارح في روضة هادئة منعزلة ، تبش لك وتدعوك الى اراحة جسمك وفكرك بين ظلالها ، وطرح همومك وهواجسك على عشبها النضر . ثم تستأنف السير فتظهر لك جهة الغرب محبسة الدير محتمية بصخر ينطح الافق وقد كست الشجيرات عنقه وانحسرت عن رأسه فبرز في الجو عارياً حاملاً صليباً كبيراً من جذعي صنوبر ، هو راية هذا الوادي المقدس . وعلى قدمي الصخر تنبسط الكروم التي يشتغل فيها الحبيس دفعاً للبطالة ، حتى اذا نضج عنبها وتينها تناول من كل صنف ثلاث حبات فقط ، ليحلو له طعمها فيمنع نفسه عنها ويضاعف اجره . وهو يلبس المسح ولا يأكل غير البقول ولا يقابل النساء ويقضي اكثر ليله في الصلاة راكعاً .

قرأنا الصفحة وذكر زيارتنا الاخيرة الى وادي قاديشا والديمان حي في القلوب والاذهان .

في اوائل شهر تموز سرنا بمعية آبائنا ، اساتذة الكلية اليسوعية ، ورقينا روابي لبنان الشمالي عن طريق كسبا والحدث ، وقمنا بواجب الزيارة والاكرام البنوي نحو الشيخ الجليل البطريرك الماروني في الديمان فجلس غبطته بيننا بعد تناولنا طعام الغذاء وتحدث الينا بعطف ووداعة وهيبة ثم باركنا واطلقنا نسرح في الدير وجواره ، ونشرف من اعاليه على مناظر وادي قاديشا . وكان سيادة المطران عبدالله خوري ، وحضرة الاب بولس طعمه ، وسائر آباء الدير الاجلاء يحفّون بنا بلطفهم وانسهم المعهود . فيطيب لنا اغتنام الفرصة لنرفع الى مقام غبطته عواطفنا البنوية سائلين تعالى ان يمدّ بايامه الثمينة لمجده سبحانه ودعم اركان الكثلكة في الشرق .

الرقي المصري والمسلمون

نشر السيد ابراهيم سليمان في مجلة العرفان مقالاً طرق فيه ابواب المقابلة بين الشرق والغرب، ثم ختمه قائلاً : (حزيران ، ص ٣٢)

نعم للغربيين ان يهزأوا بنا ما دمنا مثابرين على خطتنا هذه وهي الاختلاف القائم بيننا على قدم وساق حتى افترق المسلمون الى نيف وسبعين فرقة مع ان نبينا واحد وكتابنا واحد وشريعتنا واحدة سوى بعض امور اجتهادية لا تقتضي هذا الاختلاف والتشتت العظيم وهي ليست من اصول الدين في شيء. اذ ان اصوله عند الجميع خمسة[1] : التوحيد ، والعدل ، والنبوة ، والامامة ، والمعاد ، والجميع متفقون على الجميع اللهم الا مسألة الامامة فانهم متفقون جميعاً على أصل وجوب نصب الامام ولكنهم مختلفون في تعيينه لا غير ، وهذا المقدار لا يستدعي تفريق كلمتهم مع ما ورد من الآيات والاحاديث التي تأمر بالاتحاد وتنهى عن التفريق.

فمتى ننبذ هذا الاختلاف ؟ ومتى نتحد يداً واحدة على من سوانا ؟ ومتى نطرح التعصب الذميم وراء ظهورنا ؟ ومتى نترك استهزاء بعضنا ببعض ؟ اليس بيننا رابطة دينية ان لم تكن وطنية او جنسية ؟ ومتى نسير مجدين في نشر العلوم والآداب والفلسفة والاختراعات والاكتشافات ؟ ومتى نعيش بعقول جديدة غير تلك العقول القديمة الجامدة فالعقل زينة الانسان وهو افضل مخلوق وجد على سطح البسيطة وبه لا بغيره توصل الغربيون الى علومهم الجديدة واختراعاتهم العظيمة المفيدة ، ومتى ندخل — على الاقل — علم النفس والكيميا والهيئة والهندسة والجغرافيا والحساب وغيرها وبعض اللغات الاجنبية بين علومنا وفي مدارسنا ولا نكفر من يقرأها منا ، ومتى نسعى الى العمل فليست الكتابات وحدها بكافية وانما هي نفثة ينفثها قلم من يجيش في صدره عامل الاصلاح فما يلبث ان يقوم في وجهه المعارضون فيقوم ناقضاً ذيله مبرأ نفسه مما كتب عاضاً انامله نادماً على ما فعل فلا حول ولا قوة الا بالله. ف. ت

---

١) لا يقول جميع المسلمين بأن العدل والإمامة من اصول الدين كما لا يخفى.
[الحاشية للعرفان]

شذرات

حول الحج الى مكة

اخرجت مصارف العجم في السنوات الاخيرة نحو ٢٠٠,٠٠٠ ليرة انكليزية انفقها الحجاج الى مكة في القيام بفرضهم الديني . فاخذت الجرائد الفارسية تنعي هذه الخسارة الكبيرة وتنصح الفرس بان ينصرفوا عن زيارة البيت الحرام الى المزارات الشيعية كمزار قمّ ومشهد علي ، فيوفروا عليهم قطع المفازات الشاسعة ، وتبقى اموال الفرس في بلادهم.

اما عدد الحجاج الى مكة فعلى ازدياد متواصل ، ان صدقت احصائيات الوهابيين . وقد ذكرت ، في السنة الماضية ، ٨٨,٠٠٠ حاج وصلوا بطريق البحر ، و ٢٠,٠٠٠ بطريق البرّ . واكثرهم اتوا من جاوى (٣٣,٠٠٠) ومن مصر (١٨,٠٠٠) ومن الهند (١٥,٠٠٠). اما بلاد اليمن فاتى منها نحو الالفين . واما سورية ، وفلسطين وحضرموت فلم يبلغ عدد الحجاج من كل منها الالف الواحد .

سورية طريق الهند

هو عنوان مقال نشرناه في « مشرق » سنة ١٩٢٨ (ص ٥٧٧) ، وقد اطلعنا مؤخرًا على ارقام تؤيد ما قلناه اذ ذاك - فان شركة السيارات نيرن (*Nairn Eastern C°*) نقلت وحدها من دمشق الى بغداد في السنة الفائتة ١٨,٠٠٠ مسافر ، قصد اكثرهم بلاد الهند عن طريق سورية وخليج العجم . وكانت سياراتها تقطع الصحراء بين دمشق وبغداد ، البالغ طولها ثمانمائة كيلومتر ، في يومين فقط ، مستريحة ، بعد المرحلة الاولى ، في رطبة ، وهي منزل في منتصف الطريق ، فيه ماء عذب وفندق كامل المعدّات . وحين الوصول الى بغداد ، تقوم سيارات جديدة فتنقل المسافرين الى خليج فارس او الى طهران . ويجدر

بنا ان نضيف الى ارقام شركة نيرن عدد المسافرين الذين ساروا على طريق تدمر ، والذين سافروا من حلب ، فتتحقق صحة ما قلناه سابقاً ، وانه من الحقّ ان ندعو سورية « بطريق الهند . »

شيطان السرعة

ذكرنا في السنة الماضية (مشرق ١٩٢٩ ص ٨٧٣) بشيء من التحفّظ ان عدد النفوس التي تذهب ضحايا السيارات ، في الولايات المتحدة وحدها ، يبلغ الاثني عشر الفاً في السنة . ثم وقفنا على ما أكد لنا ان تلك الارقام اقلّ من العدد الحقيقي . فان السيارات اصبحت اوسع اسباب الموت انتشاراً ، وافظعها نتائج في اميركة ، واوربة وسائر انحاء العالم ، حتى في جمهوريتنا الصغيرة . وقد اطلعنا على احصائية بضحايا السيارات ، سنة ١٩٢٩ ، في بعض البلاد فرأينا من الفائدة والاعتبار اطلاع قرائنا عليها :

	عدد القتلى	عدد الجرحى
انكلترة	٦,٧٠٠	١٧٠,٩٢٠
فرنسة (ما عدا باريس)	٢,٢٦٧	٢٧,١٥٩
برلين	٨٦٤	١١,٨٢٨
ايطالية	٢٠٩	١,٢٣٤
بلاد البرتغال	٢٠٥	٢,٥٥٢
كندا	١,١٧٠	
الولايات المتحدة	٢٢,٠٠٠	١,٢٠٠,٠٠٠

مفردات جديدة في اللغة التركية

لم يقف الاتراك في تقليد الاوربيين عند اتخاذ اجديتهم ، بل تراهم لا يتراجعون امام نقل الالفاظ الاوربية الجديدة من التي لا مرادف لها في لغتهم ، وهم لا ينتبهون لاصل هذه الالفاظ ، ولا للغة التي ينقلونها عنها ، ولا للطريقة التي يجرون عليها في نقلهم . فيكفيهم ان يسموها او يروها في جريدة اوربية حتى يتناقلوها فتصبح تركية لا غبار عليها . ويرى القارئ في ما يلي بضع

كلمات افرنسية الاصل ، مأخوذة عن جريدة « اقشام = *Akšam* » التركية ، وقد اوردناها على صورتها التركية الجديدة مع الاصل الفرنسوي ، ومعناها بالعربية :

معناها	بالفرنساوية	بالتركية الحديثة
معهد الجمال	Institut de beauté	Enstitü de bote
سيّارة	Automobile	Otomobil
سيّارة شحن	Camion	Kamyon
سيّد	Monsieur	Mösyö
ملاكم	Boxeur	Boksör
مصور	Photographe	Fotograf
مسرح	Théâtre	Tyatro
شراب	Liqueur	Likör
حزم البضائع	Emballage	Ambalaj

التذكار المئوي لاول سكة حديد تجارية

جاء من لندن انه سيحتفل في لفربول ، في شهر كانون الاول القادم ، بمرور مئة سنة على خط سكة الحديد بين لفربول ومنشستر . وهو اول خط تجاري في العالم جرت عليه القطارات تجرّها قاطرات بخارية . وكان اسم اول قاطرة جرت عليه « السهم » ، وكانت سرعتها ١٨ ميلاً في الساعة ، ولكن بعد اسبوع من ذلك زادت سرعتها الى ٣٠ ميلاً في الساعة . وستحتفل مدينتا لفربول ومنشستر بذكر هذا الحادث وتشاركها فيه شركات سكك الحديد البريطانية .

تنبيه :

في الصفحة ٦٩٦ والسطر ١١ من العدد الفائت ، في مقالة « تنصر اللمعيين » ، وردت كلمة « الامير بشير » ، والصواب « الامير شديد » ، فاقتضى التنبيه .

مطبوعات شرقية جديدة

Lokotsch (K.) : Etymologisches Wörterbuch der Europäischen (Germanischen, Romanischen u. Slavischen) Wörter orientalischen Ursprungs. *XVII-243 pp. gr-8° à 3 col. Heidelberg, C. Winter, 1927. Prix : 13 M.*

معجم لغوي للكلمات الشرقية الاصل في اللغات الاوربية

يقوم هذا الكتاب بحاجة كثيراً ما شعرنا بها في الابحاث اللغوية ، وهي تجربة لمعجم شامل يجمع الكلمات الشرقية الاصل في اكثر اللغات الاوربية ، ولا نشك ان هذه التجربة الحسنة ستزداد مع الوقت دقةً وكمالاً .

اما الكلمات الشرقية الاصل فيقصد بها جميع المفردات التي انتقلت من اللغات السامية والافريقية والاسيوية (كالصينية واليابانية الخ) والفارسية ، الى اللغات الاوربية سواء كان ذلك في العصور القديمة او المتوسطة او في عصرنا ، وسواء كان دخولها في مظهر اللغات الاوربية القديم — كاللغة الرومانية بالنسبة الى الفرنسوية والايطالية — او في مظهرها الحالي . وغنيّ عن البيان ما يتطلبه موضوع كهذا من الجهود والابحاث في مفردات جميع اللغات الاوربية ، وفي تحقيق اصولها ، مع الاستناد الى المصادر الاصلية ، ووجوب نقل اللفظة الشرقية الاصلية حسب لفظها في اللغة المأخوذة منها ، هذا الى اطلاع عامّ ومعرفة شاملة بالعلاقات التاريخية والتجارية بين اوربة وبلاد المشرق . يسيطر على كل هذا شعور دقيق بالنقد العلمي كي يصل الباحث الى نتائج راجحة ان لم تكن راهنة .

اما اسلوب المؤلف فقوامه ان يذكر الكلمة الشرقية بطريقة ظاهرة ، ويردفها بجميع المفردات التي تفرّعت عنها مستعملةً في اللغات الاوربية مستنداً في ذلك الى المعاجم والمؤلفين . اما اذا شاء الباحث الاطلاع على اصل كلمة اوربية لا يعرفه فعليه ان يرجع الى معجم المفردات الاوربية في آخر المجلد ، فاذا وجدها ، وجد قربها رقم الصفحة المذكورة فيها من الكتاب .

وعلى الجملة فالكتاب واضح الاسلوب ، سهل المتناول ، احسن بتأليفه

الاستاذ في جامعة كولونية لافادة طلّابه من دارسي القسم التجاري . هذا وان المكان لا يتسع لابداء بعض الملاحظات والاصلاحات. س. ر.

Paul Tannery : Pour l'Histoire de la Science Hellène. *2e édition par* **A. Diès.** *vol in-8°, 435 pp. Prix : 80 f° broché. Gauthier-Villars et Cie.*

في سبيل تاريخ العلم اليوناني

ظهر هذا الكتاب للمرة الاولى سنة ١٨٨٧ ، فاحدث ضجة شديدة في تاريخ الفكر القديم بما اظهره من طرق جديدة في البحث والتمحيص والنقد الجريء ، وبما زيّفه من النتائج المستندة اكثرها الى النقل والتقليد والاخذ باقوال الاقدمين دون شك او ارتياب . فكانت غايته درس تلك الاقوال بروح جديدة متخلّصة من تأثير التقليد الاعمى ، مجتهدة في ان تفهم النصوص وتُفهمها كما هي ، لا كما يشاء بعض الشرّاح . ولكن لم تلبث تلك الضجّة ان هدأت على اثر البحث ، وبعد ان كان الكتاب يُعتبر ثورويًا متطرّفاً ، اصبح من اركان المؤلفات المدرسية الراهنة يقول بقوله اكثر طلّاب المدنية اليونانية في فرنسة وخارجها.

وهذا ما دفع الناشر الى اعادة طبعه دون ان يغيّر فيه او يبدّل ، اللهم الحواشي العديدة والمفيدة التي علّقها على بعض الفصول والآراء والتي من شأنها ان تحقق الصلة بين الكتاب الموضوع منذ اكثر من اربعين سنة والحالة التي وصلت اليها الدروس المذكورة في عصرنا . فغدا الكتاب قديماً وحديثاً ، جامعاً الى الاسس المتينة الاصلية الاطلاع على تشعبات الدروس العصرية في ما خصّ الموضوع . وقد ختم بجدول واسع للمآخذ.

O. Weinreich : Gebet und Wunder. [*Extrait de Genethliakon Wilhelm Schmid*, 1929, *pp.* 167-464.] *W. Kohlhammer, Stuttgart*, 1929.

الصلوة والمعجائب

يجمع هذا العنوان بحثين دقيقين للاستاذ ويغريخ يتعلّقان بالدروس اللغوية وتاريخ الديانات . فانه يتكلم اولاً عن « انانية الصلاة » ويقصد بها ذاك

الشعور الخاصّ الذي يحمل الانسان، اذا اوجس من خطر مداهم، على ان يطلب من الهه ابعاده عنه، ولو وقع على شخص آخر. فالروماني مثلاً كان يرجو من السماء ان تنقل المصيبة عنه الى جاره، اما اليوناني فكان يبعد المصيبة الى «نهاية العالم المعمور» او ينقلها الى اعدائه. ومما يلاحظ ان الشاعر اللاتيني تيرانس (Térence) يبتعد في مهزلته اندريا (Andria) (في الابيات ٢٣٢ وما بعده ...) عن سلفه الشاعر اليوناني مناندر (Ménandre) لان صلاة بطلته مجبولة بالاناتية المقدّسة التي عرف بها الرومانيون.

امّا البحث الثاني الدالّ على تحقيق دقيق واطلاع عظيم فان المؤلف يخصّه بموضوع يظهر عامًّا في الآداب الدينية في جميع العصور، وهو ذكر افتتاح ابواب هيكل او سجن بطريقة خارقة او عجائبية، افتتاحاً ينسب الى ظهور اله، او الى تعبير عن مشيئته او عن غضبه، وتكون غايته تخليص اله (ديونيزوس) او نبيّ (موسى) او ولي من اولياء الله (الرسل). وقد يكون مؤثّرًا بقوة سحريّة، او دافعاً لشعوذة صانعي الآلات المتحرّكة. هذا وان المؤلف لا يتبسّط في قيمة المجانه الدينية بل يعتبر ان مثل هذه الحوادث نشأت في اكثر الاحيان عند الشعوب المختلفة، مستقلة بعضها عن بعض من باب توارد الخواطر، لما في الطبيعة البشرية من الافكار المشتركة (ص: ٢٠٤) ثم هو يعتقد انه برهن عن ان مؤلف «اعمال الرسل» كان قد درس رواية «كاهنات باخوس» (*Bacchantes*) لاوريبيد، فشاء ان يؤلف اثرًا ادبيا ينزل منزلة تلك القصص الخرافية المنتشرة بين الوثنيين. وعلى كل فابحاث الاستاذ وينريخ تحقق معاني كثير من التعابير اليونانية واللاتينية. ر. م.

A. Segre : Il commercio dei popoli antichi nel bacino del Mediterraneo (*secondo i testi del tempo*).

تجارة الشعوب القديمة في البحر المتوسط

كثيرًا ما اهمل كتبة التواريخ وصف الحياة الاقتصادية عند الشعوب القديمة. ولهذا رأى الاستاذ سيكري، وهو من الاختصاصيين بالامور الاقتصادية في الزمن القديم، ان يسدّ تلك الثلمة بكتابه هذا. فبدأ بسرد افكار قيّمة

كلاحظته انّ اولى المحطات التجارية كانت مدن الشواطئ لما ثبت من ان المواصلات بطريق البحر كانت اسهل وآمن بما لا يقاس منها بطريق البرّ ، وكقسمته التطوّر الاقتصادي الى ثلاث درجات يذكر في الاولى المبادلة بالاعيان ، ثم استعمال انواع النقد ، ثم استعمال طرق الاعتماد . وبعد ذلك ينتقل الى تاريخ التجارة في الصين ، والهند ، وبابل ، وآشور ، فعند الفينيقيين ، والعبرانيين ، والمصريين ، والفرس ، واليونان ، والاتروريين ، والقرطاجيين ، والرومان . فيُسهب في درس التجارة في بلاد اليونان ، ولاسيما في اثينا التي توسّعت فيها اعمال المصارف ، مشيرًا في كل ذلك الى ما له شبه او تأثير في المدنية العصرية . وهو يستند الى المؤرخين والجغرافيين والشعراء اليونان واللاتين ، فيترجم الكثير من اقوالهم ، وخصوصاً هوميروس ، وهيرودوطس ، وبلينوس ، واسترابون . وكنا نود لو استند ايضاً الى ما كشفته الحفريات من الرقم او الآثار التي تفيدنا معلومات عدة عن تجارة مصر القديمة. و.م.

Rudi Paret : Die legendäre Maghâsi - Literatur Arabische Dichtungen über die muslimischen Kriegszüge zu Mohammeds Zeit. *in-8°, 251 pp. 1930. Tübingen, Verlag von J. C. B. Mohr (Paul Siebeck).*

الاساطير العربية عن مغازي محمد

لقد ترك لنا ابن هشام والواقدي والطبري وغيرهم التفاصيل الكثيرة عن مغازي محمد . على ان رواة المسلمين شاؤوا بعد ذلك ان يزيدوا في عدد هذه المواقع وخصوصاً في صفاتها الخارقة ، فاخترعوا كثيرًا من المغازي التي لم تترك اثرًا في التاريخ ولم يعرفها المؤرخون . فرأى مؤلف هذا الكتاب ان يهتم بدرس هذه الروايات الخرافية ، فطالع نحو خمسة آلاف صفحة اكثرها من المخطوطات، وحلل مواضيعها ، واجتهد في معرفة مؤلفيها ، وتحديد زمن تأليفها ، دارساً انشاءها واساليبها البيانية واهمها السجع والشعر المنحول . اما بطل هذه المغازي فهو غالباً عليّ لا محمد ، فيهجم وحده على الاعداء ويكسرهم ويقتل منهم المئات . وقد يظهر بين اعداء النبي في بلاد العرب ، عدد من اكلة لحوم البشر

(ص ٨٥ ، ١١٣ ، ٢٢٠) . ثم ان محمداً يستلم كتاباً فلا يمكنه قراءته فيتكلم الكتاب من نفسه (ص ١٧٥) . فهذه الامثلة تدلنا على سائر تلك الروايات ، وعلى قوة مخيلة واضعها. ه. ل.

J. - L. Blanchot : Les bijoux anciens.

Claude Sézan : Les poupées anciennes.

Les deux premiers volumes de la Collection des Collectionneurs. *Série d'ouvrages format* 18 × 14, *richement illustrés de hors texte. Prix :* 30 *f*° *chaque volume. Les Editions Pittoresques, Paris.*

١ – الحلي القديمة

٢ – الالعوبات القديمة

هي مجموعة جديدة تفيد المتأدبين ، وغواة الفن ، وارباب المجموعات ، الشيء الكثير عما يهمهم من آثار الفن والصناعة ، فتسد ثلمة واسعة في عالم المنشورات الفنية ، اذ توفر للطالعين ليس فقط الاحكام الاجمالية على تلك الآثار ، بل اساليب التدقيق في طرق الصناعات والظروف المختلفة التي دفعت اليها في تطور الاجيال فكنت الصناع والفنانين من اظهار آثارهم الجميلة.

Lewis Spence : The mysteries of Egypt, or the secret rites and traditions of the Nile with sixteen illustrations. 8°, 285 *pp.* 15/, *London, Rider and C°.*

اسرار مصر

مؤلف هذا الكتاب اختصاصي بمسألة الاسرار والغوامض وقد درس سابقاً اسرار انكلترة القديمة ، وها هو يهتم اليوم باسرار مصر القديمة ، فيقر بان موضوعه صعب مبهم غامض . على ان بين يديه ، لتبديد هذا الغموض ، سراجين نيرين هما الالهام والمقابلة ، على زعمه . فيستضيء بنورهما ويقسم كتابه الى خمسة عشر جزءاً تدور حول المآخذ الادبية للموضوع ، واصول الاسرار وفلسفتها ، والاسرار عند الشعوب الغريبة ، والطقسيات ، وقيامة الموتى ، والوهم والشعوذة في الاسرار ، وبقاء الاسرار في العصور الحاضرة. وعلى الجملة نرى ان الكتاب يدل على اطلاع واسع ولكنه غير مقرون بالنقد الكافي . ج. ل.

H. Frei : La grammaire des fautes, *in*-8°, 317 *pp.* 1929. *Prix :* 40 *f*°. *Paris, Geuthner.*

غراماطيق الاغلاط

من المعلوم ان من يرتكب الاغلاط النحوية واللغوية لا يرتكبها للذة الخطأ. ولهذا رأى المؤلف، وهو من متخرّجي جامعة جنيف، ان يبحث عن اسباب هذه الاغلاط وعما تدلّ عليه في عقلية مرتكبيها، فيخرج في هذا عن دائرة الاختصاصيين في هذه المواضيع. ثم يعرض، لتلافي هذه الاغلاط، طريقة لغوية جديدة تقوم بان تُسرد المفردات لا بحسب الحروف، وهي الطريقة التقليدية في مؤلفات اللغة، ولا بحسب المعاني، بل بحسب الحاجات التي على اللغة ان تقوم بها. هذا والكتاب مفيد لذيذ حتى لغير الاختصاصيين.

Marquis de Roux : La Restauration. *in*-16, 406 *pp. Prix :* 16 *f*°. 50. *Paris, Arthème Fayard.*

تاريخ رجوع الملكية الى فرنسة

هو تاريخ حسن، وقف مؤلفه على جميع ما كتب في الموضوع، واستعمل ايضاً وثائق لم يسبق نشرها، فأتى بالجديد وغدا كتابه متمماً لما نشر قبله في الموضوع كمؤلفات پيير دي لاغورس (de La Gorce) عن لويس الثامن عشر، وشارل العاشر. ثم ان التذكار المئوي لاحتلال الجزائر دفع المؤلف الى افراد فصل مهمّ لتلك البلاد في ذكر السياسة الخارجية. وهو يخص القسم الثالث بموقف الملكية المعادة والثورة، ودرس الاخلاق والعادات، وذكر الحركة الادبية المعروفة بالرومانتيسم.

Annuaire pontifical catholique pour 1930. *in*-8° *de* 944 *pp.*, 327 *illustr. Prix :* 35 *f*°. *Paris, Bonne Presse.*

الدليل البابوي الكاثوليكي لسنة ١٩٣٠

هو المجلد الثالث والثلاثون لهذه النشرة، ويمتاز، فضلاً عما فيه من المعلومات الكثيرة، بما يتبسّط فيه من الحوادث التاريخية المهمة التي جرت سنة ١٩٢٩، كالاقرار بالاستقلال الزمني للكرسي الرسولي، وتوقيع معاهدة

لاتران ، وتنظيم دولة « حاضرة الفاتيكان » ، والخطب العديدة التي القاها الحبر الاعظم والتي تمكن المطالع من فهم افكار نائب المسيح حق الفهم في ما خصّ جميع المسائل الحالية الهامة ، واهمية الزيارات اليوبيلية.

Ant. Baldacci : L'Albania con una carta geografica alla scala 1 : 500000 (in tre fogli) e tre cartine. *grand in-8°, 463 pp. Prix: Lire ottanta,* 1930. [*Publicazioni dell'Istituto per l'Europa orientale, Seconda serie XVII*].

البانية

عاش مؤلف هذا الكتاب ، وهو استاذ في جامعة بولونيا (ايطالية) ، مدة طويلة في البانية ، مهتماً بدرس نباتها . فجمع كل ما توفق اليه من المعلومات جمعها في مؤلفه هذا الذي ينيل تلك البلاد الغربية ما كان ينقصها من شهرة مؤسسة على معلومات دقيقة صحيحة . وقد قسمه الى ثلاثة اقسام : الجغرافية الطبيعية (ص ٩ــ١٢٩) والحوادث التاريخية (١٢٩ــ١٥٥) ، والجغرافية الانسانية (١٥٥ــ٤٢٩) فأتى كتاباً شاملاً تاماً من افضل منشورات المجموعة التي ظهر فيها. ج. ل.

Alfred Jeremias : Das Alte Testament im Lichte des Alten Orients. 4° *édition entièrement refondue* (*7e mille*). *Leipzig, Hinrich,* 1930. *in-8°, XVI* - 851 *pp. Prix : M.* 42.

العهد العتيق على نور الشرق القديم

تمتاز هذه الطبعة الرابعة للكتاب بمظهر مطبعي اقلّ لزازاً واسهل قراءة من المظهر السابق ، وباتساع الفهارس والجداول ، وبتغيير الترتيب في الصور والرسوم ، وببعض الآراء الجديدة كالمقابلة بين ايزابل وتيامة عشتروت (ص ٦١٢) ، والقول ان اسم « السيدة » (*Madonna*) لقب به بعض الالاهات (ص ٥٠٢ ، ٣٦٧ ، ٦٧٥) ، وكالاعتبارات التي يوردها المؤلف في توطئته ومقدمته وغايتها تقرير الثقة بطريقته الميثولوجية . ولكن لم يجدّد شيء في رسوم الكتاب ، ولا في معلوماته الاثرية ولاسيما الفصول الخاصة بالاحوال السياسية في بلاد كنعان (ومن ضمنها بلاد سورية) قبل وصول الاسرائيليين ، وبالحفريات الفلسطينية ،

فانها ظلت تقريباً على ما كانت عليه قبل الحرب الكبرى . فلم يذكر المؤلف اثراً واحداً من الآثار المكتشفة في سورية بعد ذاك . وكذا القول عن الآثار التي اكتشفها في ايامنا البحاثون في الارض المقدسة. ب . م .

Georges Le Fèvre : Un bourgeois au pays des Soviets. *in*-16, *Prix* : 12 *f*^m^. *Editions Jules Tallandier.*

في بلاد السوفييت

كتاب جديد عن روسية ، علّه يشبع نهم اوربة الحاضرة للاطلاع على ما يجري في بلاد السوفييت من الغرائب . وقد ساعد المؤلف في الاطلاع على معلوماته الجمة معرفته اللغة ومداخلاته العديدة . على ان هذا لا يمنع غيره من تأليف كتب جديدة ايضاً في الموضوع قد تخالف آراءه كل المخالفة . ولكن مهما يكن من الامر فان شهادته تظلّ من الشهادات المعتبرة.

O. Merlier : Athènes moderne. [*Collection Le monde hellénique*] *in*-16, *illustré de* 16 *pl.*, 61 *pp.* 1930. *Prix* : 12 *f*^m^.

اثينا العصرية

هي تجربة حسنة في تاريخ بلاد اليونان العصرية وطرق معيشتها ، سهلة الاسلوب ، وافرة الصور . قسمها المؤلف الى اربعة فصول: اثينة من سنة ١٨٠٦ الى سنة ١٨٣٤ ، ثم من ١٨٣٤ الى ايامنا ، ثم بعض ما شعر به الرحالة الفرنسويون لدى زيارتهم اثينة ، ثم اثينة العصرية.

R. de Beauvais : Louis Delaporte, explorateur 1842 - 1925. *in* 8° *illustré*, 205 *pp*, *Paris*, *F. Lanore.*

الرائد لويس دي لابورت (١٨٤٢–١٩٢٥)

كتبت حياة هذا الرائد الشجاع لافادة الشبيبة التي يجول في عروقها دم حار يدفعها الى الرحلات في سبيل الاكتشاف والاطلاع . وقد استعان المؤلف بما تركه الرائد المذكور ، وهو احد ضباط البحرية ، من مراسلات ومقالات ورسوم . اما مجال ارتياده فكان الهند الصينية ، فعرّف العالم بفنّ تلك البلاد وبالكثير من صفاتها . هذا وان ظهور الكتاب موافق جدّ الموافقة في عصرنا

وقد اخذ كثير من الناس يرمون بابصارهم الى البلاد الغربية الشاسعة.

J. Carcopino : Ostie. [*Les visites d'art, memoranda*] *in*-16 *illustré*, 64 *pp. Paris, H. Laurens*, 1929.

اوستية

ترى فائدة جليلة في ان يزور المطالع ، برفقة المؤلف ، مرفأ رومة القديم ، حيث انزل الشاعر الكبير ڤرجيليوس انياسَ بطل انياذته. وذلك بالاستناد الى معلومات المؤلف الوافرة الشائقة ، وايضاحاته الكاملة ، وصوره الجميلة.

Maurice Pillet : Thèbes: Palais et nécropoles. *Collection « Les villes d'art célèbres ». Prix, broché :* 18 *fr. Paris, Librairie H. Laurens*,1930.

طيبة : قصورها ومدافنها

اشتهر المؤلف بما نشره سابقاً من الابحاث عن مواضع الآثار المصرية كطيبة والاقصر . فتابع ذلك في هذا المجلد عابراً النيل الى القصور والمدافن ، واصفاً بدقة تمثالي ممنون الضخمين ، والهياكل والقبور في وادي الملوك ، مزيّناً كل ذلك بـ ١٢٢ صورة جميلة حية.

Institutiones Theologiae dogmaticae *auctore* **Ludovico Lercher S. J.** *vol. IV. De virtutibus, de Sacramentis in genere, de singulis Sacramentis, de Novissimis. Oeniponte*,1930. *F. Rauch in*-8°, 763 *pp. Mark* 13.

مؤسسات اللاهوت النظري : المجلد الرابع

يسرّنا ان نشير الى ظهور المجلد الرابع من « المؤسسات اللاهوتية » للاب لرخر وهو يتضمن البحث في الفضائل ، والاسرار ، والعواقب ، فينتهي المؤلف اللاهوتي الذي اشرنا سابقاً الى مجلداته الثلاثة الاولى.

في ٧٣٩ صفحة يلمّ المؤلف بجميع اطراف موضوعه على طريقة جامعة بين الايجاز ، والدقة ، والوضوح . يجمع الى ذلك جدولاً واسعاً بكل ما ذكره من الموضوعات واسماء الاشخاص ، في المجلدات الاربعة . ولما كان مطلعاً جدّ

الاطلاع على المسائل والمناظرات التي تمتّ الى الموضوع ، رأيناه يبسط تعليمه على شكل مطالب واضحة التحديد ، دقيقة التمييز ، ثم يعرض الموضوع بايجاز ، ويشير الى الآراء المختلفة ، ثم يبرهن عن مطلبه او نظريته ببراهين موجزة ولكنها مختارة ، واحياناً لا يتراجع لدى الشروح المستفيضة. وعليه فان هذا الكتاب المستفيد من تعليم دام سنوات عديدة على اسلوب مدرسي مقرّر ، لا يمكن ان يكون الا غاية في الافادة ليس فقط لطلاب اللاهوت الذين يصرفون جهدهم في التفتيش عن تعبير سهل موجز ، بل لجميع الكهنة ممن يرغبون في الاطلاع دائماً على الآراء الصحيحة ، ولمديري التعليم الديني في المدارس الاكليريكية. ي.م.

H. Dieckmann S. J. : De revelatione christiana, *tractatus philosophico-historici. in-8°. XXII et 694 pp.* 1930. *Prix, broché :* M. 20. *Freiburg im Breisgau. Herder et Cie.*

الوحي المسيحي

عرف المؤلف ببحثه « في الكنيسة » المنشور سنة ١٩٢٥ . اما هذا المجلد فهو مجموعة الدروس التي القاها في مدرسة فالكنبورغ (Valkenburg) ، يشتمل على مقدّمة يبسط فيها المؤلف الاسباب التي حملته على الابتداء بنشر القسم الثاني « في الكنيسة » من تأليفه الشامل في اللاهوت ، وعلى قسمين يخص الاول بالوحي ، والثاني بيسوع المسيح وبعثته الالهية . اما طريقته فهي على ما عرفناه في كتابه الاول من الدقة والصراحة .

Ch. Ledré : Les émigrés russes en France, ce qu'ils sont, ce qu'ils font, ce qu'ils pensent. *in-16, 288 pp. Prix :* 12 *frs. Paris. Editions Spes.*

المهاجرون الروس في فرنسة

بحث ملؤه الاخلاص للحقيقة والاهتمام باولئك المهاجرين ، قام المؤلف من اجله بزيارات متتابعة الى جوالي الروسيين في فرنسة ، فشاهد عن قرب اوجاعهم وآلامهم ، ووقف على آمالهم ورغباتهم ، وراعه ان يرى هذا الشعب العظيم متشرداً في انحاء اوربة كما كان الشعب الفرنسوي منذ اكثر من مائة سنة .

وهو امر على التاريخ ان يهتمّ بذكره ، كما على المدنية والانسانية ان تخفف من الم وقعه على اولئك المساكين . وهو ما تقوم به فرنسة اليوم ، او ما تجتهد ان تقوم به . ج. ل.

A. Puech : Histoire de la Littérature grecque chrétienne. t. III. Le IVe siècle. 8°, 693 *pp.* 1930 *Paris, Société d'éditions « Les Belles - Lettres »*.

تاريخ الآداب اليونانية المسيحية : المجلّد الثالث

هذا المجلد الاخير من تاريخ الآداب اليونانية المسيحية التي تكلم عنها المشرق ، حين ظهور المجلدين السابقين (٢٧ [١٩٢٩] : ١٤٩) . وان ما ذكرناه هناك من المحاسن ينطبق على هذا المجلد ايضاً ، وهو يتضمن الآثار الظاهرة في القرن الرابع ، وهو عصر لمع فيه المؤلفون السوريون والفلسطينيون في كنائس مصر وآسية الصغرى . وبعد ذلك تطوّرت الآداب فاصطبغت بالصبغة البيزنطية . على ان هاتين الصفتين كلتيهما تروقان رجال الاكليروس في بلادنا .

H. de Golen : Le drame d'une mission secrète. *in*-16, *Prix* : 12 *fr*. *Paris, Editions G. Crès et Cie*.

مأساة بعثة سرّية

كتاب كان يمكن مؤلفه ان يجعله من التاريخ ، الّا انه لم يشأ وضعه الا في محيط الاسطورة . وملخّصه ان احد الضبّاط يسافر في بعثة سرّية الى روسية فيلقى من العقبات الشيء الكثير حتى اذا رجع الى فرنسة ، رأى منزله مهدّماً . فينشىء من ذلك رواية لا يحسن بالجميع مطالعتها .

Entretiens de Juilly : II, Méthodes d'éducation. *in*-12, 347 *pp.* 1930, *Paris, de Gigord*.

محادثات جويلي : ٢ ، طرق التهذيب

عرف قراء المشرق (٢٧ [١٩٢٩] : ٨٧٣) المجلد الاول من هذه المحادثات . وهذا المجلد الثاني يتضمن المحاضرات التي أُلقيت سنة ١٩٢٨ ، وعددها ثماني تدور كلها حول مسألة التهذيب واسلوبه ، وعناوينها : اول تهذيب

عقلي ، التثقيف العائلي ، تهذيب الخلق ، التعليم الديني ، الكشافة ، المدرسة الموحدة ، التثقيف الصناعي ، التنشئة الوطنية . وفي كل ذلك يهتم المؤلفون بالمبدأ الدائم الثابت وبالتطبيق العملي الذي من شأنه ان يجاري العصر في مقتضياته .

Mgr G. Stété: Un Grand Patriarche, S. B. Mgr Ignace Ephrem II Rahmani, Patriarche Syrien d'Antioche. *in*-12, 80 *pp. Imp. syrienne, Beyrouth*, 1929.

ترجمة البطريرك اغناطيوس افرام الثاني الرحماني

خصّ المونسنيور جرجس ستيته ، رئيس مدرسة الشرفة البطريركية ، هذا الكتاب بذاك البطريرك العظيم الذي فقدته الطائفة السريانية خاصة والكثلكة الشرقية عامة في منتصف العام الماضي . فذكر ترجمة حياته ، ولخص اعماله المتعدّدة وآثاره النفيسة في سبيل الدين والعلم . ثم اردف ببعض التآبين التي القيت في القاهرة والاسكندرية وبيروت ، وبنتف من مقالات الجرائد . رحم الله الحبر الراحل عداد حسناته ، وعوّض على الطائفة العزيزة ببطريركها الجديد الغيور .

كتاب اذكار الحقوق والرهون

لاحمد الطحاوي — نشره واعتنى بتصحيحه يوسف شخت

هيدلبرغ ، ١٩٢٧ ، VIII + ٤٢ صفحة متوسطة

لقد اشتهر السيد يوسف شخت ، الاستاذ في جامعة فريبورغ (المانية) بدروسه السابقة على « المخارج والحيل » في الحقوق الاسلامية ، وهو يطبع اليوم نصاً لم يسبق نشره لابي جعفر احمد بن محمد الطحاوي من مشاهير فقهاء المسلمين ، في « اذكار الحقوق والرهون من الجامع الكبير في الشروط » . وسيعود الناشر الى درس الآثار الفقهية في « الشروط » درساً مطوّلاً ستكون له اهميته دون شكّ . هذا وفي الكتاب غلطة مطبعية تكرّرت كثيراً وهي « السناة » وصوابها « المحناة » .

م . ل .

اشهر ملكات التاريخ

بقلم الكاتبة الانكليزية ليديا هويت فارمر — تعريب ادارة الهلال
مطبعة الهلال ١٩٣٠ — ١٧٦ ص متوسطة

هو الكتاب الثاني الذي اهدته مجلة الهلال الى مشتركيها سنة ١٩٣٠ ، يتضمن سير اشهر الملكات اللاتي عرفهنَّ التاريخ منذ الفي سنة قبل المسيح حتى عصرنا ، من سميراميس ملكة اشور ، الى تزوهسي امبراطورة الصين . وذلك باسلوب تاريخي صحيح على الغالب. ه. ل.

هل تتساوى المرأة بالرجل في جميع الحقوق والواجبات

للدكتور فخري
مطبعة المال ومكتبتها ، مصر ، ١٩٣٠ — ٢٨ صفحة كبيرة

هي المحاضرة التي القاها في ١٤ شباط الفائت الدكتور فخري فرج ، في قاعة المحاضرات بالجامعة الاميركية في مصر فاثارت سخط رجال الدين الاسلامي ، واتهموه بالتطاول العلني على الدين ، فتقرر ان تعرض قضيته على محكمة جنايات مصر ، ولم نعلم نتيجة ذلك . اما موضوعات المحاضرة فتدور حول العنوان يلخّص فيها الخطيب نقطة الخلاف على المسألة ، وكيفية نشأة الثورة النسوية للمطالبة بالمساواة التامة ، وهل تتفق هذه المساواة وواجبات المرأة العديدة ، ثم يتطرّق الى القول « باستحالة مساواة المرأة بالرجل في جميع الحقوق والواجبات » ف. ا. ب

الرحلة الدانتيّة في الممالك الالهيّة : ١ً الجحيم

٣٠٦ صفحات متوسطة — طرابلس الغرب ، ١٩٣٠

هو الجزء الاول من تعريب الالعوبة الالهية « لاديفينا كوميديا » للشاعر الايطالي دانتي اليغيري ، بقلم الكولير الاستاذ عبود بك ابي راشد ، اللبناني الاصل . وقد حصر هذا الجزء بتعريب القسم الاول من الملحمة المعروف « بالجحيم » ، على ان ينشر قريباً الجزءين الثاني والثالث بعنواني « المطهر » و « النعيم » . اما الاسلوب فرائق سهل صحيح على الغالب ، وعليه من الحواشي والشروح ما يكفي لتفسير الغامض والاشارة الى التلميحات التاريخية ، وان

تكن بالاجمال قليلة . اما المقدمة فوددنا لو كانت اطول من ذلك . فعسى ان يهتمّ المعرّب في الجزءين التاليين بدرس شخصية دانتي الادبية درساً وافياً . وعلى كل فاننا نثني على همته ، ونتمنى لكتابه الرواج الذي يستحقه . ف . ا . ب

رواية باريزت

تأليف لوي فياد — تعريب توفيق عبد الله

المطبعة المصرية — ٣٩١ ص . متوسطة

هي رواية شائقة حسنة التنسيق ، وافرة التأثير ، الفها لوي فوياد الكاتب الفرنسوي ، واخرجت الى السينما اخراجاً احدث عليها الاقبال . فعرّبها الاستاذ توفيق عبدالله ، ونشرتها ادارة المطبعة المصرية ، مزيّنة اياها بعدّة مشاهد ، مأخوذة من الفلم المذكور .

شرح خدمة القدّاس الالهي

عني بجمعه وطبعه الخوري جبرائيل مصوبع

مطبعة القديس بولس ، حريصا — ٢٨٢ ص صغيرة

أهدي الينا كتاب « شرح خدمة القداس الالهي لابينا الجليل في القديسين يوحنا فم الذهب » تأليف الخوري جبرائيل مصوبع الراهب الباسيلي المخلصي . فتعشنا خيراً عند مطالعته لما حواهُ من الفوائد الروحية لجميع المؤمنين الذين يحضرون طقوس ذبيحة القداس الالهي . ومع الامل أن المؤلف يتابع سلسلة مؤلفات كهذه تفيد المؤمنين روحياً وتعرّف الى كثيرين جمال الطقوس الشرقية فتكسب الرهبنات شرفاً وفضلاً ، ندعو له بالتوفيق ونشكرهُ على هديته . م . م .

الخضروات في مصر

تأليف مصطفى سرور ، محمد بيومي علي ، محمد عبد البديع

مطبعة المقتطف والمقطم ١٣٦٨—١٩٣٠ ، ص ٤٤١ ، ق ٨ ، ثمنه ٣٠ ق . م .

هذا كتاب ضخم موضوعه المواد الزراعية ، لفت فيه المؤلفون نظر القراء الى اتساع نطاق زراعة الخضروات في ايام الحرب الكونية ومن بعدها الى يومنا . لما اغلقت الطرق الدولية ايام الحرب أُلجئ القطر المصري الى تحصيل مواد معاشه ، ومعاش الجيوش الجرّارة التي اجتازته او اقامت فيه ، واشعر

اولياء الامر بمسيس الحاجة الى الخضروات ، وفطن الفلاح الى الارباح التي تعود عليه منها ، فشمّر عن ساعد الجدّ وعني بها فنجح . واخذ القطر المصري من ثمّ ينتج الخضروات بكثرة ، واكل سكانه منها وحملوا منها الكميات الوافرة على المراكب العديدة المسافرة الى اقاصي البحار . وان بين الاقليم المجاور للبحر المتوسط والاقليم الحارّ في اسيوط واصوان كثيراً من مختلف الاهواء المساعدة على انتاج الخضروات المفيدة بخصب وكثرة قليل وجودهما في غير ذلك من الاقطار .

افتح هذا المجلد ايها القارئ اللبيب ، فانك ستمتع نظرك فيه ليس فقط بالصور العديدة المتقنة الصنع ، ولكن بالاطلاع على كل ما يهم زراعة الحقول والبساتين ، كما هي معهودة في ارقى بلاد الله زراعةً وخلاصةً .

بحث اصحاب الكتاب بطبيعة الاقليم والتربة ، وبكيفية تهيئة تلك التربة والعناية بها ، طبقاً لمزاج النبات العتيد ان يحلّ فيها . وتكلموا عن انتخاب البذار وعن الاغراس ونقلها ، ومن بعد ذلك عن التعشيب والفلاحة الثانية والريّ ، ومكافحة الحشرات والامراض النباتية وغير ذلك من الآفات المضرة بالزراعة ... اقرأ هذا الكتاب فتجد فيه التعليمات المذكورة ، ولن تلبث ان تصير مزارعاً فهيماً خبيراً . ان للعناية بالنبات وبزراعة الارض اصولاً وقواعد كما لسائر الفنون ، وضلّ من رأى ان زرع البذار ببطن الارض كافٍ لانتاج الغلة بالكمية المناسبة لجهود الفلاح . ما اكثر النبات الآتي عفواً بزهره وثمره ! ولكن ما اقلّ ما يجره من المرابح !

قد علمت الخبرة ان كثرة الغلة وعلى الخصوص جودتها لا تتوفر الا اذا وفيت فيها حقوق التربة والري والسماد ، والبذار والاغراس والمشاتل الخ ... وهناك امر العناية بواجب تبديل انواع البذار ، واختيار وقته في فصله ، مع وضعه في عمق يختلف مع اختلاف الاحوال الخ . وما اكثر ما يجب ان يطلع عليه الفلاح من التعليمات ليبلغ النجاح في مساه . طالع هذا الكتاب وادرسه ، فانك لتجدن فيه التعليمات المذكورة وغيرها فتنجح في زراعة بستانك البيتي ، وفي مشاريعك الزراعية الكبرى .

الاب اسكندر طوران اليسوعي

اهم حوادث الشرق في شهر

١٥ حزيران — ١٥ تموز

سورية ولبنان

اقامت الكنيسة الكلدانيـة في الشرق لبطريركها الجليل السيد يوسف عمانوئيل الثاني توما حفلات اليوبيل الكهنوتي الذهبي والبطريركي الثلاثيني . ولغبطته مقام رفيع لدى الحكومة العراقية ، فانها نظرت اليه نظرها الى ممثل المسيحيين اجمعين في بلادها وعينته عضواً في مجلس الشيوخ العراقي ونائباً لرئيسه . وقد تعقد الآمال العظيمة على نجاح مساعي صاحب اليوبيل بضم شتات الامة الكلدانية النسطورية الكريمة حول الكرسي الرسولي في عصرنا هذا ، والناطرة ينبعثون الى حياة قومية جديدة بعد ما حلّ بهم من نكبات الحرب بتبدد شملهم وتضعضع اركان السلطة الدينية بينهم .

* رفعت حكومة الانتداب عن سورية ولبنان تقريرها الى لجنة الانتدابات في جنيف ، ومن اهم بنوده الكلام عن موقف الاحزاب في دمشق تجاه الدستور . فان المتطرفين بينهم ينبذون التحفظات المفروضة بواجب الانتداب . اما المعتدلون فيعترفون بضرورة العمل بالاتفاق مع فرنسة . وهم يدعون الناس الى موافقتهم في آرائهم ولهم فروع منظمة في المدن الكبرى .

مصر

كان لحوادث المنصورة ولفتنة الاسكندرية الدموية صدى اسف في البلاد السورية اللبنانية لما بين القطرين من العلاقات الاقتصادية والادبية ، والعقلاء لا يحجمون عن تقبيح وسائل العنف والطياشة التي ادت الى احتدام نيران الحرب الاهلية في بلاد لو شاء سكانها لجعلوها من اسعد بلاد الله غنىً ونجاحاً ورفاهية . ان فقيد الوفد الكبير ، سعد زغلول باشا ، بعد ان علمه الزمان كان قد

خفض كثيراً من مطالبه تجاه الحكومة البريطانية وعرف ان يميز بين الممكن والمحال ، فراعى حقوق الملك والامة وتوفق الى القيام بمهمته بهيبة وكرامة عادتا عليه بالذكر المجيد وعلى الامة المصرية بايام سلم ونجاح قلما شهدتها منذ عصر محمد علي . فاحر بخلفاء سعد ان يتعلموا عنه الخبرة والتروي والتدبير في سبيل مصلحة البلاد الحقيقية.

العراق

اصدرت الحكومة العراقية بلاغاً عرضت فيه اهم بنود المعاهدة الجديدة المبرمة بينها وبين بريطانية العظمى ، وخلاصتها ان العراق مقيد تجاه انكلترة باقل ما يمكن من القيود العسكرية والسياسية ، ولا ذكر في تلك المعاهدة للفظة انتداب . وبعد ؟ فهل تسير البلاد سيراً حثيثاً في سبيل العمران فتستغل اراضيها وتستنبط معادنها وتحيي في مجاهلها آثار الدول القديمة التي نصبت اعلامها على مجاري دجلة والفرات وجعلتها من ارقى بلاد العالم ؟ ان الرقي المادي والاقتصادي المؤسسة عليه حياة الامة الادبية لا يتمّ فوراً وعن غير تدريب . ذلك ما دعا جمعية الامم الى العهد ببلاد العراق الى دولة قديرة ان تسير بها في معارج التقدم والفلاح ، كما سارت بمصر.

ولا يسعنا في هذا المقام الا سرد ما يبلغنا عن لسان القادمين الينا من العراق المقابلين بين ما تمّ عندنا من المشاريع التي بعثت فينا حياة جديدة وبين البلاد اللاهية عن اساس الحياة القومية بالسياسة السطحية العقيمة ! ولا مناص لنا من التألم لتلك الحالة لانها تؤثر فينا . ومعروف ان الرخاء اذا ما ضرب اطنابه عند جيراننا ، فلن يلبث ان يمتدّ ظله الى اراضينا . وما اشد توقعنا للنهضة العراقية التي تفتح الينا مجاري النفط والبترول فتقلب سحنة البلاد الشرقية وتستردّ لاقطارنا حركتها التاريخية ؛ وان هذه النهضة لن يذرّ قرنها الا عن ثقة متبادلة بين الدولة البريطانية والعراق . وهذه الثقة ليست ربيبة يوم واحد . ونموها معقود باتفاق الآراء والتساهل البصير والسعي في سبيل انتاج ثروة البلاد وتحقيق آمالها.

ف . ت .

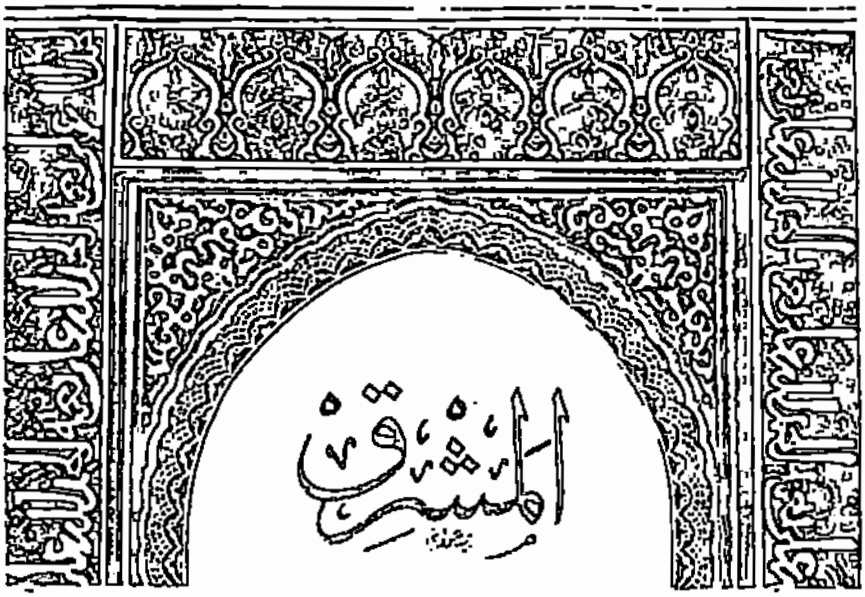

تشرين الاول ١٩٣٠

البطريرك بولس مسعد

١٨٠٦ – ١٨٩٠

بقلم سيادة المطران اغوسطين البستاني

وقفنا في هذه الاثناء على ترجمة السعيد الذكر البطريرك بولس مسعد ، كتبها سنة ١٩٠٤ الاب اغوسطين البستاني النائب العام في الرهبانية الحابسية اللبنانية المارونية (هو سيادة المطران اغوسطين البستاني رئيس اساقفة صيدا الحالي) فاستأذنا سيادته بنشرها في « المشرق » فاذن بكل ارتياح ! واخبرنا انه بعد ان انتهى من وضعها عرضها على غبطة السيد مار الياس بطرس الحويك ، البطريرك الحالي الجليل ، وعلى المثلثي الرحمات المطران يوسف نجم ، والمطران يوسف هريان ، الانطاكيين البطريركيين ، والمطران بولس مسعد ، مطران دمشق ، ابن شقيق المترجم ، فوافق جميعهم على صحة رواياتها. (المشرق)

هو بولس بن مبارك بن يوسف زياده بن مسعد بن ابي مسعود خاطر بن ثابت بن خاطر بن داود ابن الشدياق يوسف ابي رعد المسمى خاطر المقدّم في جبة بشري ابن الشدياق شاهين الحصروني من بيت مشروق ابن رعد بن شاهين الذي ارتحلت اولاده من صدد الشرق الى قرية حصرون سنة الف واربعمائة وسبعين ، وكان اصلهم منها ، وغادروها زمناً بسبب ما كان حاصلاً في نواحيها

من الظلم والشغب ؛ ثمَّ عادوا اليها حين خيَّم في ربوعها الامن والسلام. وسنة الف وستمائة وثلاث عشرة انتقل خاطر وبعض اقاربه الى مزرعة بيت قصاص في جبة المنيطرة . وسنة الف وستمائة وخمسين رحل عنها الى بلاد كسروان ، فتوطن قرية عشقوت ، حيث وُلد هذا البطريرك العظيم في اوائل شهر شباط سنة ١٨٠٦ ، فارضعه والداه افاويق الفضيلة والتقى ، ونشّاه على الآداب المسيحية. ولما ميطت تمائمه ، واتقن درس مبادئ اللغتين العربية والسريانية ، ادخلاه مدرسة الرومية ، ثمَّ مدرسة عين طورا المارونية ، فدرس اصول اللغتين اللاتينية والايطالية على المرحوم الخوري انطون عريضه البشراني . ثم نقلاه الى مدرسة عين ورقه الشهيرة ، فتلقن اللغتين العربية والسريانية بفروعهما ، واعرب هناك عن فطنة رائعة استلفتت انظار اوليائه اليه واكسبته رضى السعيد الذكر البطريرك يوسف حبيش الذي ، لمّا زار هذه المدرسة وظهرت له نجابة المترجم وتفوّقه على اقرانه فضيلة وعلماً ، رقّاه الى درجتي المرتل والقارئ في ١٩ نيسان سنة ١٨٢٤ ، ثم الى درجة الشمعداني في ٢٠ ايار من السنة نفسها.

وسنة ١٨٢٦ ارسله الى مدرسة مجمع نشر الايمان المقدس برومية العظمى لتلقي العلوم اللاهوتية والفلسفية والرياضية والقانونية والتاريخية ؛ فسعى وراء تحصيلها بجدٍ وانصباب وصبر حتى جمع أوابدها وشواردها وادرك اعمق إسرارها واقصى غاياتها ، وفاز بخصل السبق على اترابه ، ونال اسمى حظوة في عيون رؤساء المدرسة واساتذتها الذين قد طالما جاهروا بالثناء عليه معجبين بحدة ذهنه وقوة عارضته وتنافسه في حفظ القوانين المدرسية . وكان اذ ذاك البطريرك يوسف حبيش يكلّفه قضاء بعض اموره لدى المجمع المقدس ، فكان يقوم بالمهمة بمزيد الفطنة والنشاط ، كما تشير الى ذلك الرسائل المتبادلة بينه وبين البطريرك المشار اليه ، ولا يزال بعضها محفوظاً في خزانة البطريركية المارونية ، والبعض الآخر في مدرسة القديسين بطرس وبولس بعشقوت.

وفي سنة ١٨٣٠ اذ أتمَّ علومه وشُهد بكفائته التامة ، ألمَّ به داء مزعج ، فاستدعاه البطريرك يوسف حبيش الى لبنان ، فامتثل اشارته ، فودَّعه اساتذته بحرارة النفس وهنأوه بنجاحه الباهر ، ودعوا له بالشفاء التام العاجل ، وأودعوه ما

هو اهله من كلمات المدح وادلة الرضى ، واتحفه بعض السادة الكرادلة بكتب نفيسة لأئمة العلماء الشرقيين والغربيين عربون العطف والاكرام . ولما بلغ المقر البطريركي في لبنان تلقاه ابوه البطريرك يوسف حبيش بمنتهى الانس والترحاب ، وما لبث ان رقاه الى الدرجة الكهنوتية في ١٣ حزيران من السنة نفسها ، وعيّنه كاتباً لاسراره ؛ فقام باعباء هذه الوظيفة أحسن قيام مبرهناً في الاشغال على اختلافها عن سعة اطلاعه في العلم ، ودقة نظره في حلّ المشاكل ، وشدة حرصه على حقوق طائفته . واشتهر بطهارته الملائكية ، وفضائله الراسخة ، وتجرّده عن الاميال البشرية والاغراض الذاتية ، وصدق امانته ووفائه لمخدومه البطريرك الموما اليه الذي اولاه كل ثقته لما تجلّى له فيه بالاختبار من طيب الفطرة وصفاء الجوهر واستقامة القصد .

وفي ٢٨ آذار سنة ١٨٤١ رقاه عن كل جدارة واستحقاق الى درجة الاسقفية المقدسة في كنيسة دير مار جرجس علما ، وجعله مطراناً شرفياً على طرسوس ونائباً روحياً له ، متوسماً فيه خيراً عظيماً للطائفة وملاذاً حريزاً لها في مستقبل الايام . فأخذ عندئذٍ يجول في انحاء الابرشية البطريركية يوزع الاسرار ، ويصدع بكلمة الحقّ ، ويمهد المصاعب والعراقيل بين ابنائها في ما بقي من ايام البطريرك يوسف حبيش ، وفي عهد خلفه الحميد الذكر البطريرك يوسف الخازن . ومع ما كان يتنازعه من مثل هذه الشواغل المهمة ، وينتابه من الامراض المزعجة ، لم يكن يحجم عن وضع الكتب المفيدة والرسائل المعتبرة تأييداً لتعليم الكنيسة الرومانية المقدسة ومحاماة عن شرف طائفته ، فألّف في تلك الاثناء كتابه « الدرّ المنظوم » ، وهو سفر نفيس تضمن من الشروح الضافية في تاريخ الشرق القديم والحديث ، والبراهين الساطعة والحجج الدامغة في شرف الطائفة المارونية واستمرارها الدائم على الايمان الكاثوليكي الروماني القويم ودحض مزاعم خصومها ، ما هو السحر الحلال واغلى من اللآلئ الغوال . وقد ذاع امر هذا الكتاب في الشرق والغرب ، فاقبل العلماء الاعلام على اقتنائه وادّخار فوائده ، وانزلوه بين الكتب التاريخية ارفع منزلة من الاعتبار ، واصبح مرجعهم في اكثر الحوادث المتعلقة بتاريخ الشرق ومعولهم

بتاريخ الطائفة المارونية . ثم كتابه « دحض رسالة فتح الله مرّاش » يوضح به انبثاق الروح القدس من الآب والابن باجلى عبارة واقوى برهان. وايضاً كتابه في المحاماة عن بتولية سيدتنا القديسة مريم والدة الله سماه « النجمة الغرّاء في تثبيت بتولية مريم العذراء » ، وغير ذلك من المقالات الرائعة ، وكلها تعلن غزارة مادته ، وسموّ عقله ، وسلامة ذوقه في اساليب الكلام وفنونه ، واستقامة مسلكه في فن الجدال وآداب المناظرة ، ومهارته في معرفة حقائق التاريخ ووقائعه .

* ٥ *

في الثالث من شهر تشرين الثاني سنة ١٨٥٤ رقد بالرب البطريرك يوسف الخازن ، فاجتمع مطارنة الطائفة لاختيار خلف له . فاجمع رأيهم واتفقت كلمتهم على المطران بولس مسعد المترجم له ، فرفعوه الى السدة البطريركية الجليلة بالصوت الحي في الثاني عشر من الشهر المذكور والسنة نفسها . فابتهجت ابناء الطائفة بهذا الانتخاب المقدس ، وعلقوا على بطريركهم هذا الجديد آمالاً عظيمة لما عُرف به من السجايا العالية والمقاصد النبيلة والغيرة النادرة على تعزيز شأن الطائفة وايرادها موارد المجد والسعادة . فاقبل المهنئون من كل صوب ونادٍ الى دير سيدة بكركي ، المقرّ البطريركي الشتوي ، واجروا حفلات شائقة ومظاهرات فرح فخيمة . واثبت انتخابه قداسة الحبر الاعظم البابا بيوس التاسع بموجب براءة رسولية مؤرخة في ٢٣ آذار سنة ١٨٥٥ ، وانعم عليه بالباليون ، اي الدرع المقدس ، على يد معتمده القس امبروسيوس نطّين الدرعوني ، رئيس دير القديس انطونيوس الكبير برومية للرهبانية الحلبية اللبنانية ، واتحفه المجمع المقدس ببدلة للقداس ثمينة منسوجة كلها بخيوط الذهب والفضة والحرير كُتب على طرفها بحروف ناتئة من الذهب هذه العبارة : « من المجمع المقدس الى البطريرك بولس مسعد ، سنة ١٨٥٥ » . فاستقبل غبطته شارة التثبيت الرسولية في دير القديس يوحنا مارون بالديمان ، المقر البطريركي الصيفي ، ولبسها بحفلة مشهودة جمعت مطارنة الطائفة وامراء ومشايخ واعيان البلاد من كل رتبة ومقام ، وما برحت الالسنة تردد الى الآن بالفخر والثناء ذكر ذلك

اليوم البهيج ، وما ظهر فيه من ادلة الحب والاجلال لرئيس الطائفة المارونية الاعلى ، وأبدي من كرم الضيافة والترحيب.

وصرف غبطته من ثمَّ عنايتــه الى تدبير شؤون الطائفــة ، وتثقيف اكليروسها وتهذيبهم على الفضائل المسيحية والمحامد البشرية والعلوم الصحيحة ليكونوا رعاةً امناء ودعاةً صالحين للشعب الى مراعي الدين الخصيبة . واول عمل رآه مهماً وضرورياً انما هو رفع مقام البطريركية في عيون الخاصة والعامة من كل نحلة وطبقة الى ذرى الكرامة والكمال ، ليتأتى له تنفيذ غاياته المقدسة ونياته الخيرية بدون صدٍّ او معارضة ، واذاعة تعليماته الرسولية على ابنائه بمطلق السلطان المُعطى لصاحب هذا المقام من لدن السيد المسيح له المجد ونائبه على الارض الجالس على السدة البطرسية ، فاقتــدر بفضل حكمته وقداسته على تحقيق بغيته هذه الحميدة ، وجعل المقام البطريركي محبوباً محترماً من الجميع وملاذاً لكل مَن يلجأ اليــه . وقد نهج نهجاً جميلاً في مكاتبة الاساقفــة والرؤساء والكهنة والحكام والامراء والمشايخ وسائر طبقات الشعب ، فتابع بعض الاصطلاحات القديمة التي وجدها موافقة ، ونسخ البعض الآخر منها مما لم يعد لائقاً بمقامه وحالة العصر ، وانشأ غيره على الطريقــة المستحسنة ، وحافظ شديد الحفظ على هذا النهج مدة بطريركيته كلها ، ولا يزال معمولاً به في البطريركية المارونية الى الآن.

وفي ١١ و ١٢ و ١٣ نيسان سنة ١٨٥٦ عقد بامر البابا بيوس التاسع مجمعاً بدير سيدة بكركي سماه «المجمع البلدي» ترأسه ، بالنيابة عن الحبر الاعظم ، سيادة المطران بولس برونوني ، القاصد الرسولي في سورية . وهو احسن واطول مجامع الموارنة بعد المجمع اللبناني . وقد افرغ فيه غبطته كنوز علمه ومعارفه اللاهوتية والتاريخية ، وطبقه على قواعد المجمع اللبنــاني كل التطبيق . ومن يطالعه بدقة وامعان يلقَ من آثار القداسة والدراية والسداد ما يبهج الخواطر ويسلب الالباب.

وعلى اثر هذا المجمع المبارك اذاع التعليمات الكنسية على اكليروس طائفته من كل رتبة ومقام ليجتهدوا في اتمام واجباتهم الرعائية ، حسب نصوص المجمع

اللبناني وسائر المجامع المقدسة . ونشر المراسيم الخلاصية على ابنائه ، الشعب الماروني ، ليقبلوا على ايفاء فروضهم الدينية ، ويحيوا بوحدة المحبة والوئام ، ويحرصوا على جوهرة الايمان القويم التي ورثوها من آبائهم واجدادهم الاماجد سالمة من كل عيب ، ويخلصوا الطاعة للسلطتين الروحية والزمنية ، ويرتبطوا بوثاق الوفاق والوفاء مع من تجمعهم واياهم الوحدة البشرية . وكان يتضوع من معاني اقواله السامية وارشاداته الناجعة شذا فضائله ويفوح عبير شمائله ؛ وعلمت المراجع العالية وكل من جالسه او طالع مناشيره واوامره ومناهيه انه حبر همام ، وقائد مقدام ، ورسول للسلام ، وعاقد للوئام ، وناشر للخير العام بين الانام.

* * *

وقد جرت على عهده الميمون احداث كثيرة مهمة في هذه البلاد رواها اكثر المؤرخين المعاصرين ، وهي لا تندُّ عن اهل العلم والخبرة ؛ ورام البعض من ذوي المآرب الملتوية ان يعوا جانب هذا البطريرك العظيم ، ويسوّدوا صحيفة حكمته ، ويخطئوا تدابير سياسته ، وكانوا في خلال تلك الحوادث الخطيرة واقفين له بالمرصاد لينالوا من اقواله او من كتاباته امانيهم الساقطة . اما هو فقد علا فوق هذه المصاعب والمحن كالنسر في كبد السماء مواصلاً سيره على مسلك النزاهة والاستقامة بحزم لا يجارى وعزم لا يبارى يليقان بعظماء ارباب الرئاسة وقابضي زمام السياسة ، ولسان حاله يقول : صرت كلًّا للكل لأربح الكل . فاقرّ له الحاسدون بسموّ الادراك ، ودقة النظر ، ونزاهة النية ؛ وطأطأوا رؤوسهم اجلالاً لصفاته الفريدة . واصبح المقام البطريركي مطمحاً للابصار والافكار في كل امر عسير ومعضلة شديدة.

فرقيت الطائفة بعدة حبريته معارج النجاح ، وازهرت بالمحاسن والاعمال ، وزين عقدها بخمسة عشر مطراناً رقاهم الى درجة الاسقفية بوضع يده الكريمة ، وكلهم من نخبة اهل الفضيلة والغيرة والعلم وهم : المطران بطرس البستاني ، مطران صور وصيدا – المطران يوسف المريض ، مطران عرقا شرفاً والنائب البطريركي – المطران بطرس مسعد ، مطران حماه شرفاً والنائب البطريركي –

المطران يوحنا الحاج ، مطران بعلبك « الذي خلفه في البطريركية » — المطران يوسف فريفر ، مطران اللاذقية شرفاً ووكيل غبطته على ابرشية البترون — المطران يوسف الدبس ، مطران بيروت — المطران نعمةالله الدحداح ، مطران دمشق — المطران امبروسيوس نطّين الدرعوني (رقاه الكردينال فرنكه رئيس مجمع نشر الايمان المقدس مطراناً على ادنه شرفاً) — المطران اسطفان عواد ، مطران طرابلس — المطران يوسف الزغبي ، مطران قبرس — المطران يوسف مسعد ، مطران عكا شرفاً والنائب البطريركي — المطران بولس حكيم ، مطران حلب المطران الياس الحويك ، مطران عرقا شرفاً والنائب البطريركي (بطريركنا الحالي) — المطران يوحنا الحبيب ، مطران الناصرة شرفاً — المطران يوسف نجم ، مطران عكا شرفاً والنائب البطريركي — المطران بولس مسعد ، مطران حماه شرفاً والنائب البطريركي.

وقد انشأ للبطريركية مكتبة حوت انفس الكتب الخطية والمطبوعة ، قديمة وحديثة ، في كل فنّ ومعنى لاشهر علماء الغرب والشرق ؛ وجمع شتات البرآت الرسولية الصادرة من لدن الاحبار الاعظمين الى بطاركة الطائفة واودعها سجلاً مخصوصاً بغاية الترتيب والنظام ؛ ودوّن ايضاً في سجلات عامة كلّ ما صدر عن البطريركية من الكتابات الرسمية والاحكام القانونية. وذلك اثر جميل اغنى البطريركية في المواد التاريخية والاصطلاحات المتعارفة بينها وبين الذين لهم علاقة معها ، وبين الخاضعين لسلطانها . ثمّ اجرى اصلاحات مهمة في المقرّ البطريركي في بكركي ، وفي الديمان ، واتقنه بالاثاث الفاخر . وصرف اهتمامه الى شراء الارزاق ، فانفق في هذا السبيل نحواً من خمسة وثلاثين الف ليرة ذهباً ، فضلاً عما كان يبذله من الاموال الطائلة احساناً لذوي البأساء واسعافاً للمشروعات الخيرية. واشتهر بكرم الضيافة وعزة النفس وبسطة اليد ، فكان كل من يؤمّ الدار البطريركية من حكام وامراء وخاصة وعامة يعجب مما يجد من السخاء ، ولاسيما ابّان طروء البلايا في لبنان من حرب وثورة ومجاعة ، اذ كانت الجموع الغفيرة تتألب زرافات زرافات سحابة النهار وسواد الليل ليشبعوا جوعهم ويكسوا اجسامهم ، وينابيع الجود تتدفق عليهم من يدي ذاك

الاب الشفيق بكل لطف وحنان ، وهـذه مزية امتاز بها ايضاً هذا الرجل العجيب حتى ضُرب المثل في جوده وكرمه.

* * *

وعرفت الدولة العثمانية سجاياه الشريفة ، فحباه سنة ١٨٦٦ السلطان عبد العزيز خانُ الوسام المجيدي من طبقته الاولى . وفي السنة نفسها انعم عليه نابليون الثالث ، امبراطور فرنسة ، بوسام جوقة الشرف. وسنة ١٨٦١ اهدت اليه جمعية الفنون في ليون حلةً للقداس هي آية في الصناعة والنفاسة لما حوت من النقوش البديعة والحجارة الكريمة.

وقد اختبر الكرسي الرسولي الرفيع الشأن رجاحة عقله واصالة رأيه ، وخضوعه العميق لمراسيمه وطاعته القلبية لتعليماته ، فاغزر عليه كلمات المدح والثناء. وتناهى في رعايته واكرامه ، واستمرت صلاته مع المجمع المقدس مدة حبريته الطويلة تزداد مع الايام توثقاً واستحكاماً. ومما يُذكر فيؤثر انه في ايام بطريركيته لم يُنقض له حكم من المجمع المقدس ولم يرد عليه كلمة لوم او توبيخ ، بل لبثت حتى موته مراسلة هـذا المجمع محلاة بعبارات الرضى والارتياح . وقد جرى بينه وبين المجمع المشار اليه بعض مفاوضات فيما يتعلق ببعض الحقوق البطريركية ، فكان اربابه يندهشون من وفرة تحقيقاته التاريخية واستدراكاته الدقيقة واساليبه اللطيفة المقرونة ابداً بتمام الخضوع والاخلاص . ولم يغفل عن تأييد جانب الرسالات الكاثوليكية وتكريم فعلتها المرسلين الغيورين ، بل امتاز بحسن الالتفات اليهم وطيب الثناء عليهم ومدح اعمالهم المجردة لمجد الله وخير الكنيسة ، مبلغاً اليهم في كثير من الفرص اجل تنشيط وتقريظ . ونظن ان هؤلاء المرسلين الافاضل لا يزالون يشفرون بمفاعيل تلك العواطف السامية.

* * *

وسنة ١٨٦٧ دعاه البابا بيوس التاسع لحضور تثبيت القديسين اليابونيين في

العيد القرني لوفاة القديس بطرس هامة الرسل ، فانتهز هذه الفرصة لتجديد وتشديد روابط انتمائه وولائه للكرسي الرسولي . وبعد ان اعدَّ معدات السفر زايل مقامه في بكركي في ٢ ايار من السنة نفسها ، مسابقاً انوار الشفق قاصداً بيروت تحت جناح الليل مجانبةً لتظاهرات المجد ومجالي الاحتفال التي كان استعدَّ لاستقباله بها اكابر الناس واكارمهم . فبلغ بيروت على حين غرة ، فاكبر العقلاء تواضعه وعظموا فضائله وخفَّ ارباب المناصب والرتب والوجهاء للسلام عليه وتأدية فروض الاجلال لذاته الجليلة ، فردَّ الزيارات الاكثر وجوباً وركب البحر في العاشر من الشهر المذكور وبخدمته الحيران النبيلان المطران يوحنا الحاج ، مطران بعلبك ، والمطران بطرس البستاني ، مطران صور وصيدا ، والخوري يوحنا حبيب ، مؤسس جمعية المرسلين اللبنانيين ، وكاتم سره الخوري نعمة الله الدحداح ، والخوري يوسف الياس الدبس ، وسمعان طنوس مسعد ، ابن شقيقه ، وجبرائيل الشالي من سهيله ، مشيعاً بالتبجيل والتكريم من جانب الحكومة ، وقنصلاتو دولة فرنسة ، ومن سراة بيروت ولبنان حتى غصت الشوارع والاسواق بجموع المودّعين . واذ ذاك سارت به وبحاشيته المشار اليها الباخرة اماريكا من شركة الماجيري ماريتيم الفرنساوية . فبلغ رومية العظمى في ٢٩ ايار ، ونزل بدير القديس انطونيوس الكبير للرهبان الحلبيين اللبنانيين الكائن قرب دير مار بطرس في السلاسل ، وتبادل الزيارات مع الكرادلة والبطاركة والمطارنة والرؤساء والاشراف واجتمع بهم في الولائم الفاخرة والمحاضر الحافلة .

وفي الرابع من حزيران حظي وحاشيته بالمثول امام الحبر الاعظم فالتقاه بمزيد الرعاية والاكرام ، واراد ان يعانقه . فابى غبطته احتراماً ، وقبل بنانه الطاهر ، فاجلسه قداسته الى يمينه ، واسمعه ما طاب من الكلام اللطيف ، واهدى اليه بطرشيلاً ثميناً محبوكاً باسلاك الفضة والذهب والحرير وايقونة كبيرة من الذهب الخالص ، وانعم بايقونات مختلفة على سائر حاشيته . وقد حضر بدعوة قداسته سائر الحفلات البيعية التي أقيمت لتثبيت القديسين اليابونيين ، ولتسجيد هامة الرسل ، والترقية بعض الاساقفة الى مقام

الكردينالية، ولتكريم بعض الاعياد المشهودة ؛ وفي كلها كان مظهراً للرعاية والاجلال.

ولمّا اتم مهمته في تلك المدينة الابدية القرار غادرها شاكراً حامداً ، ويتم باريس ، حاضرة المملكة الفرنساوية ، فوصل اليها في ٢٣ تموز ، وتشرّف بمقابلة الامبراطور نابوليون الثالث والامبراطورة اوجيني ، فابديا نحو غبطته من ادلّة الانس والاكرام ما يليق بمقامه وبشخصه الجليل . وقد قدمت له الامبراطورة نجلها الصغير طالبة منه ان يباركه فباركه ، واهدت اليه حلةً للقداس حافلة بالجواهر الكريمة والنسيج الدقيق والوشي البديع.

وبعد ان تبادل الزيارات مع وزراء الدولة وارباب المناصب الدينية ، قصد دار السعادة ، عاصمة دولتنا العثمانية ، فبلغ اليها في ٣٠ آب ، فخفّ الى الباخرة صاحب السعادة فرنقو افندي نصرالله كوسا (وقد صار متصرفاً على جبل لبنان) موفداً من الحكومة السنية لاستقبال غبطته ، فانزله بزوارقها الجميلة الى البرّ حيث وجد فريقاً من الجند الشاهاني قائماً لتحيته ، وخمس عجلات معدّة لركوبه ، فاستيطنها وحاشيته يواكبه اربعة فرسان اثنان من قبل الحكومة ، واثنان من قبل المجلس البلدي ، وساروا به الى قصر يكمكجي باشي في البارا ، وهو قصر فسيح مزيّن باحسن الرياش ، وفيه معبد للقداس بكامل لوازم التقديس ، وغرف متقنة ، وردهة للاستقبال ، وعشرة رجال ، وثلاث عجلات معينة للخدمة . فمكث بهذه الدار التي اعدتها له الحكومة مدة اقامته بالاستانة ، مغموراً باحسانات الحضرة السلطانية التي امرت ان يقدم له من قبلها كل ما يلزم من النفقات لتوفير اسباب راحته وكرامته . وفي اليوم الثاني زار عالي باشا ، الصدر الاعظم ، ومحمد فؤاد باشا ، وزير الخارجية ، فاوفدا معتمدين ردّا له الزيارة . ثمّ تزاور وسائر الوزراء والسفراء والعظماء وارباب السياسة ، فاجلّ جميعهم مقامه . واتحفه بطريرك الروم الارثوذكس بصليب وسلسلة من الذهب المصمت ؛ وقدم له ايضاً الكاثاليار بولاكي حوا ، احد ابناء طائفته المشهور بالتقى والثراء ، صليباً مرصعاً بالدرر وسلسلة من الذهب دقيقة الصنع.

وفي الحادي عشر من شهر ايلول نال وحاشيته شرف المثول امام السلطان عبد العزيز خان، في سراي طوله بنچه، فلفظ غبطته خطاباً بديعاً ضمّنه شواعر اخلاصه واحترامه للعرش العثماني، فتنازل السلطان واظهر رضاه وسروره من رؤية غبطته وحاشيته في الاستانة، واعرب عن تقدير صفاته واعماله وامانيه، وشمله بكل رعاية والتفات. وعلى اثر تلك المقابلة، انعم جلالته على حاشية غبطته باوسمة مختلفة الطبقات. ولما كان غبطته حاملاً الوسام المجيدي الاول، اتحفه بحقة سعوط من حجر ثمين مرصّعة بالالماس واللآلئ الغالية تساوي قيمتها نحو اربعين الف قرش، قدمها له ساعة الوداع فؤاد باشا.

وبرح غبطته وبطانته الاستانة في ٢٣ ايلول لاهجين بالشكر والثناء، فرست به الباخرة في مياه مدينة طرابلس، في ٣٠ منه. فاستقبل هناك بابهى تظاهرات الفرح والاجلال. وبعد ان تبادل الواجبات المألوفة مع اهل المقامات الرسمية، قصد كرسيه في الديمان تحفّ به الالوف المؤلفة من اكابر البلاد. فحلّ به في الثالث من شهر تشرين الاول على ما يُرام من اليمن والهناء. ومن اراد مزيد بيان في امر هذه الرحلة الميمونة التي احرز بها غبطته له ولطائفته لدى السلطتين الروحية والزمنية ذكراً جميلاً ومجداً رفيعاً، فعليه بمطالعة كتاب «سفر الاخبار في سفر الاحبار» لمؤلفه الخوري يوسف الياس الدبس (المطران يوسف الدبس رئيس اساقفة بيروت) وقد اجتزأنا بالالماع الى ما قلّ فدلّ بقدر ما سمحت هذه النبذة الوجيزة. ولا تزال التحف التي اهديت اليه وأتينا بذكرها، محفوظة في خزانة البطريركية المارونية بهجة للناظر واثراً لغبطته من بعده يشهد على الدوام بما اتى الله الطائفة على يده من النعم الوسيمة ورفعة الشأن.

* * *

ومع خطورة مقامه وكثرة شواغله ومهماته، كان لين الجانب، دمث الاخلاق، لا يأنف من مجادلة الفقير الذليل، ولا يحفل بالكثير دون القليل، يحمي جانب العدل بنفس مملوءة من عواطف الشجاعة والشهامة، ويناهض مَن

يميل عن عمود الحق ويزيغ عن قصد السبيل بلين وجفاء وشدة ورخاء ، شأن الراعي الصالح المخلص الخدمة لربه والمستميت في حفظ رسومه ووصاياه ؛ يتجافى جهوده عن الأبهة الفارغة ، ويأنف من فخفخة اهل العالم ومظاهر مجده الدنيوية ، ثقةً منه بان شرف الرؤساء انما هو في اتمام واجباتهم الرعائية وتربية الرعايا على الاخلاق الصالحة والفضائل الالهية التي هي مناط السعادة في هذه الدنيا وفي الاخرى. ولذلك كان يُرى بادياً في كل وقت بمظهر الزهد والتجرّد والازدراء بالزخارف والملاذّ الدنيوية ، يقضي اوقات الفراغ بمناجاة ربه بالصلاة اللفظية والعقلية واستمداد أيده وعونه ، ضابطاً حواسه عن كل ما من شأنه ان يقلق ضميره وراحته الباطنية ، رصيناً مهيباً موقرًا ، بعيدًا عن الهزل والمزاح والحدة والغضب ، رائق الذهن ، سريع الخاطر ، يقظ الفؤاد ، تتجلى آيات الذكاء والحكمة في عينيه ، وتنبعث انوار الطهارة الملائكية من محيّاه ، وتتناثر درر العلم والقداسة والادب من شفتيه ، مما يجعل جليسه مفتوناً بكلامه محترماً لمقامه معجباً برقة محاضرته . وقد زاره الملك ميلان ، ملك الصرب ، في اواخر ايامه ، فاورى زند الكرم وبالغ في الاحتفاء بزائره العظيم ، فخرج الملك المشار اليه من الدار البطريركية بهجاً مسرورًا ذاكرًا باجمل التذكارات شهامة مضيفه ، وعزة نفسه ، وصفاء لبه . ولمّا بلغ الاستانة العلية اوسل اليه تلغرافاً اودعه فائق اعتباره وخالص شكره وثنائه.

وقد خوّله الله حافظة نادرة قلّ مَن رُزق مثلها ، فكان يعي في صدره نصوص الشرائع المقدسة والمجامع الخاصة والعامة والرسوم والقوانين الكنسية ، ويفقه كنه معانيها واسرارها ، حتى لم يكن يفوته ذرة من ذلك. واشتهر بمعرفة الحوادث والحروب والتقلبات السياسية التي جرت في لبنان ، واصول العائلات التي نشأت فيه ورحلت عنه وفروعها وتشعباتها وما جرى عليها من تصاريف الدهر وحسناته ، وكتب الكثير منها في وريقات منثورة لم تساعده الفرص على جمعها ؛ ولولا بحثه وتدقيقه للبثت اكثر عائلات هذه البلاد تجهل اصلها وفصلها ، وهي الآن وفي كل وقت توفيه حقه من المديح . وبالجملة فقد كان هذا الحبر ، الذي قلّ ما رأت مثله عين الزمان ، من آحاد العصر في علمه

وحكمته ، وحجة اهل التاريخ في بلاده ، ومثال الكمال في تقواه وقداسته ، وامام انصار الخير والبرّ في جوده واريحيته ، جمع من المناقب الغراء والمفاخر البيضاء ما قلما يجتمع لافراد الرجال . .

قضى نحبه بالرب برائحة القداسة بدير سيدة بكركي في الثامن عشر من شهر نيسان سنة ١٨٩٠ ، ولم يغب عن الصواب الّا ساعتين فقط ، ثمّ فاضت روحه الكريمة بهدوء وسكينة لم يتخللهما انزعاج ولا اضطراب متمماً واجباته الدينية والقانونية بمنتهى الاخبات والورع عن خمسة وثمانين عاماً احياها كلها في اكمل الخلال واشرف الاعمال . فبكته الطائفة المارونية بالدموع السخينة ، وخسرت به زينة احبارها ورافع منارها ومخلد آثارها وفخر رجالها ، وطيرت مناعيه الى المراجع الايجابية الدينية والمدنية ، فشمل الحزن عليه الكبير والصغير ، العالم والامير ، الشريف والحقير ، الغني والفقير . وتقاطرت الجموع الغفيرة الى المقام البطريركي لتأدية فروض التعزية بهذا الخطب الجلل والخسارة العسيمة . وتوالت مثلها رسائل البرق من ذوي الحلّ والربط في رومية والاستانة وباريس والقطر المصري وسائر الاصقاع السحيقة . وصُلّي عليه في كنيسة الدير الموما اليه ، وافاض الخطباء في كلام التأبين ، ثمّ نُقل جثمانه الطاهر الى مسقط رأسه عشقوت تتقدمه راية الصليب الكريم ، وبعض السادة المطارين ، واعيان البلاد ، وفريق من الجند اللبناني ، وتخفره الوف من اللبنانيين على اختلاف الطوائف والمذاهب . وهناك أودع الضريح الذي أعدّ له بكنيسة القديسين بطرس وبولس المختصة باسرته آل مبارك مسعد ، نفعنا الله بيمن شفاعته وحسن تذكاراته .

كتاب الشفعة

من الجامع الكبير في الشروط

لابي جعفر احمد بن محمد الطحاوي

بقلم الاستاذ الفقيه القانوني جرجس بك صنا
رئيس محكمة استئناف المنوف والتجارة سابقاً

صاحب هذا الكتاب الامام ابو جعفر الطحاوي اعرف من ان يعرّف ، وهو من العلماء الكبار الاقدمين ، وقد نشر له هذا الكتاب الاستاذ يوسف شخت المستشرق البحّاثة الالماني . وهو في موضوعه من انفس الكتب واوسعها . ولو لم يُعنَ الاستاذ شخت بنشره لبقي مجهولاً ، وربما اندرس في جملة ما اندرس من آثار علماء العرب وتآليفهم . وقبل ان نصف هذا الكتاب وما عاناه الناشر في ضبطه وتصحيحه ، يحسن بنا ان نقدم ترجمة مختصرة لمؤلف الكتاب فنقول :

هو ابو جعفر احمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك الازدي الطحاوي الفقيه الحنفي ، انتهت اليه رئاسة اصحاب الامام الاعظم ابي حنيفة النعمان . وكان ابو جعفر شافعي المذهب يقرأ على المزني[1] ، فقال له يوماً : « والله ، لا جاء منك شيء . » فغضب ابو جعفر من ذلك ، وانتقل الى ابي جعفر بن ابي عمران الحنفي واشتغل عليه . فلما صنف مختصره[2] ، قال : « رحم الله ابا

---

١) هو ابو ابرهيم اسماعيل بن يحيى بن اسماعيل بن عمرو بن اسحق المزني ، صاحب الامام الشافعي ؛ وهو من اهل مصر ، كان زاهداً عالماً مجتهداً محجاجاً غواصاً على المعاني الدقيقة ، وهو امام الشافعيين واعرفهم بطرقه وفتاويه . صنف كتباً كثيرة في مذهب الامام الشافعي منها الجامع الكبير ، والجامع الصغير ، ومختصر المختصر ، والمنثور والمسائل المعتبرة ، والترغيب في العلم ، وكتاب الوثائق ، وغير ذلك . وقال الشافعي في حقه : « المزني ناصر مذهبي » . ولم يكن احد من اصحاب الشافعي يحدث نفسه في شيء من الاشياء بالتقدم عليه . توفي سنة ٢٦٤ (٨٧٧م) في مصر .

٢) اي المختصر المعروف بالطحاوي ، شرحه جماعة من كبار العلماء . ومن شروحه

ابرهيم ، يعني المزني ، لو كان حياً لكفّر عن يمينه.» وذكر ابو يعلى الخليلي في كتاب الارشاد في ترجمة المزني ان الطحاوي المشار اليه كان ابن اخت المزني ، وان محمد بن احمد الشروطي[1] قال : «قلت للطحاوي : لِمَ خالفت خالك واخترت مذهب ابي حنيفة ، فقال : لاني رأيت خالي يديم النظر في كتب ابي حنيفة ، فلذلك انتقلت اليه.» وصنّف كتباً مفيدة منها احكام القرآن واختلاف العلماء ، ومعاني الآثار والشروط . وكان قد استكتبه ابو عبيد الله محمد بن عبدة القاضي ، وكان صعلوكاً ، فاغتاد ، وكان ابو عبدالله سمحاً جواداً . ثم عدّله ابو عبيد علي بن الحسين بن حرب القاضي عقيب القضية التي جرت لمنصور الفقيه مع ابي عبيد ، وذلك سنة ٣٠٦ (٩١٨م) ، وكان الشهود يتصفون عليه بالعدالة لئلا يجتمع له رئاسة العلم وقبول الشهادة ، وكان جماعة من الشهود قد جاوروا بمكة في هذه السنة ، فاغتنم ابو عبيد غيبتهم وعدّل ابا جعفر المذكور بشهادة المأمون وابي بكر بن سقلاب . وكانت ولادته سنة ٢٣٨ (٨٥٢) وتوفي سنة ٣٢١ (٩٣٣).

والكتاب الذي نشره الفاضل الاستاذ المدقق يوسف شخت هو من اجل كتب الشروط ، اتى فيه ابو جعفر على جميع ابواب الفقه من المعاملات كالبيع والرهن والاجارة والشركة والمضاربة وغيرها التي تذكر في كتب الفقهاء باسم «كتاب» فيقال : كتاب البيوع ، وكتاب الاجارة الخ ؛ ولا يتهيأ للكاتب ان يكتب صكاً من الصكوك على وجهه الشرعي سالماً من الخلل ، آمناً من النقض الّا ان يكون احاط علماً بجميع ابواب الفقه وتضلع في اصوله وفروعه ، وتردّد الى العلماء وعارضهم وعارضوه واحاط علمه بما اختلف فيه الفقهاء وما اتفقوا عليه واطلع على مذاهبهم ومذاهب اهل الشروط منهم خاصةً ، الى غير ذلك مما يطول شرحه.

المتبرة شرح القاضي الاسبيجابي ، شيخ صاحب الهداية.

١) الشروط علم مستقل من الفقه ، يتعلق بكيفية كتابة الصكوك وتطبيقها على الاحكام الشرعية لتكون سالمة من الخلل ، ويلقب صاحبه بالشروطي. وكان ابو جعفر من كبار الشروطيين ، وقد الّف فيه كثير من الائمة كالامام ابي حنيفة وصاحبيه : الامام ابي يوسف ، والامام محمد ؛ والخصاف ، والسرخسي ، وغيرهم من قدماء اكابر الفقهاء ومن المتأخرين.

وقد كان هذا الكتاب الجليل متروكاً في زوايا النسيان لا يُعرف صاحبه عند الناس الا بطريق الشهرة بالتسامع، ولا هذا الذي كتبه المؤلف في الشروط الّا ما يرد بطريق النقل عنه في بعض المسائل . واما بعد ان نشره الاستاذ شخت فصار يعرّف قدر المؤلف وما كان عليه من الفضل وغزارة العلم وسعة الاطلاع والقدرة على البيان، ويعرّف ايضاً لغة اهل القرن الرابع الهجري من الفقهاء في الكتابة، ويحفظ لنا صورة تدقيقهم وحرصهم على ان يكون ما يكتبونه سديداً وافياً بالغرض جامعاً مانعاً[1].

---

١) قد جعل العلامة المحقق ابن كمال باشا الفقهاء سبع طبقات: الاولى: طبقة المجتهدين في الشرع كالايمة الاربعة وهم: ابو حنيفة، والشافعي، ومالك، واحمد بن حنبل، ومن سلك مسلكهم في تأسيس قواعد الاصول . الثانية: طبقة المجتهدين في المذهب كابي يوسف، ومحمد، وسائر اصحاب ابي حنيفة القادرين على استخراج الاحكام من الادلة على مقتضى القواعد التي قررها استاذهم ابو حنيفة في الاحكام، وان خالفوه في بعض احكام الفروع . الثالثة: طبقة المجتهدين في المسائل التي لا نصّ فيها عن صاحب المذهب كالخصاف، وابي جعفر الطحاوي (الذي نحن في صدده)، وابي الحسن الكرخي، وشمس الايمة الحلواني، وشمس الايمة السرخسي، وفخر الاسلام البزدوي، وفخر الدين قاضي خان . فانهم لا يقدرون على شيء من المخالفة لا في الاصول ولا في الفروع، لكنهم يستنبطون الاحكام في المسائل التي لا نصّ فيها على حسب القواعد، الى ان قال: . . . الخامسة: طبقة اصحاب الترجيح من المقلدين كابي الحسن القدوري، وصاحب الهداية، وامثالهما . والسادسة: طبقة المقلدين القادرين على التمييز بين القوي والاقوى والضعيف وصاحب المذهب والرواية كاصحاب المتون المعتبرة من المتأخرين كصاحب الكنز، وصاحب الوقاية، وصاحب المجمع اه. قال العلامة الشيخ محمود الحمزاوي، مفتي الشام، في كتابه الطريقة الواضحة:

ان المتون عندنا اربعة صغارُ :
وقاية، ومجمع، والكنز، والمختارُ .

ونقل عن الواقعات ان القدوري فوق المتون، لانه «الكتاب» عند المتأخرين، وان السلف من ابي حنيفة الى محمد بن الحسن، والخلف من محمد بن الحسن الى شمس الايمة الحلواني، والمتأخرين من شمس الايمة الحلواني الى حافظ الدين البخاري اه.

فما تقدم يتبين لنا ان ابا جعفر الطحاوي في الطبقة الثالثة بين الفقهاء، وان القدوري الذي كتابه فوق المتون هو بالنسبة للطحاوي وفي الطبقة السادسة، ويعلم من هذا درجة الطحاوي في العلم.

وقد تصفحت هذا الكتاب الذي نحن في صدده فوجدت ان ناشره الاستاذ شخت قد صرف العناية في تصحيحه ، وانه واسع الاطلاع لا يكاد يخفى عليه شيء من قانون الكتابة العربية واصولها واصطلاحات الكتاب ومناحيهم ، وقد ميّز بالشكل الكلمات التي قد يسبق لفهم القارئ ان يقرأها على غير ما هي عليه في اصلها.

ومما زاد في اعتباري لهذا المصحح الفاضل انه يكتب لفظة ابن مثلاً مثبتاً لها همزة الوصل مع انها واقعة بين علمين ، وهو في ظاهره مخالف لما رسمه الكتّاب ، ولكن لهذه المخالفة وجه صحيح وهو ان لفظة ابن اذا كانت واقعة في اول السطر او في آخره تكتب باثبات الهمزة ، وهذا مما استثناه الكتاب من حذف همزة ابن ، وهذا لا يتنبه له الا المحنك . الى غير ذلك مما يحتاج في في معرفته لممارسات طويلة ونظر عميق . وهذا يبين لنا مقدار تدقيق الاجانب في الكتابة بلغتنا العربية وحرصهم عليها ويحرّك فينا الغيرة ان نحرص مثل حرصهم على لغتنا الشريفة الجامعة على قدمها بين الطلاوة والبلاغة الساحرة والاختصار العجيب في تأدية المعنى الكثير بالفاظ قليلة مما يكاد يتعذر وجود نظيره في غيرها.

ولا بد لنا بهذه المناسبة من بيان ما عثرنا عليه من الملاحظات في طبع هذا الكتاب ، فمنها ان الحروف دقيقة لا يقدر العموم على قراءتها بسهولة ، ومنها ما يتعلق في كتابة بعض الكلمات . فقد ورد :

صفحة	سطر	غلط	صواب
٤	١٠	في حقوقه ومسائله	في حقوقه ومسايله (جـ مسيل بلا همز)
٥	١٦	جمياً	جيماً
٦	١٤	رسائله	ومسايله
٧	١٤	شائه	شائعة
٨	٥	مسائله	مسايله
٨	٢١	فبين	فتبين
٩	١٨	عنده	عند

صفحة	سطر	غلط	صواب
٢١	٨	شائه	شاشة
١٦	١٠	رأيا	رأي
١٦	١٠	عنده	عند
٢١	٧	وتلخية	تُراجع في الاصل . فاننا لم نجد هذه اللفظة في كتب اللغة بهذا المعنى ولا وجدناها واردة في استعمال الفقهاء . وقد يمكن ان يُتَمحَّل لها معنى يوافق ما وردت فيه ولكنه بعيد . قال في القاموس : لَخَّ في كلامه : جاء به مُلتَبِساً مستعجماً . فكأنّ المراد تلبيس او استعجام ، او ابهام ، أو ان يكون الأصل تلجنة بالجيم ، وهو الاقرب .
٤٥	١٠		
٢٧	٢٤	يجل	يعجل
٣٥	٩	لاتهم	لم نرَ أنّ لها علاقة بما قبلها ولا بما بعدها ، فلتراجع في الاصل .
٤١	١٢	واكتابها كتاب المهدة التي كان اكتباه بينها	واكتابها كتاب المهدة الذي كانا اكتباه بينهما .

هذا واننا نكرّر الثناء على الناشر في تصحيحه للكتاب فانه لم يدخر وسعاً في التدقيق ، ومثل هذه الاغلاط لا يسلم منها في الغالب الذين يرتبون الحروف عند الطبع ، وهي لا تخفى على علم الاستاذ ، وقد ذكرناها لاجل استدراكها اذا اعيد طبع الكتاب .

نظرة في حاضر الاسلام

بقلم الاب لامنس اليسوعي

١

مضت عدة سنوات على قرار اصدرته الحكومة التركية ، فقضت فيه ، بجرة قلم ، على مؤسسة عاشت قروناً طويلة ، الا وهي الخلافة الاسلامية . على ان هذا القضاء السريع لم يحدث شيئاً من العقبات التي كان يتوقعها الناس في داخل الاسلام وخارجه . وذلك ان هؤلاء كانوا على وهم من تأثير الخلافة في العالم الاسلامي ، اذ كانوا يشبهونها ، من بعض وجوهها ، بالبابوية في العالم المسيحي ، فتصبح ، والحالة هذه ، عظيمة الخطر ، تكاد تكون ضرورية لحياة الشعب الدينية . الا ان الواقع على عكس هذا الوهم فان الاسلام عاش مدات متفاوتة ، في حياته الطويلة ، دون خليفة ، كما انه عاش ايضاً مع وجود عدة خلفاء يظهر كل منهم العداوة للآخر . وهكذا ، بعد ان مضى ست سنوات على القرار الكمالي القاضي على الخلافة في اذار سنة ١٩٢٤ ، نرى الاسلام يعيش ، وهو لا يكاد يشعر باضمحلال تلك المؤسسة العليا .

ولكن هذا لم يمنع من يهمهم الأمر ان يبحثوا في تأليف هيئة يتولونها منزلة الخلافة ، فافتكروا بالمؤتمر الاسلامي الدولي الشامل ؛ وجربوا ذلك ، فعقد مؤتمران في صيف سنة ١٩٢٦ ، الواحد في القاهرة ، والآخر في مكة . فلم يصلا الى نتيجة . الا ان مؤتمر مكة ، بعد ان تحقق استحالة تعيين خليفة جديد ، دون ادعاءاته ومطالبه للمستقبل ، ووضع الأساس لما يراه لازماً من تأليف اتحاد عام بين الشعوب الاسلامية . وعليه فلم يبق من هذين

المؤتمرين ، اللذين كثيراً ما تناقش فيهما الاعضاء ، سوى صدى المناظرات والمقترحات التي سرعان ما نسيها الجميع . وقد القى السيد بركات‌الله ، احد مسلمي الهنود المتصلين بشيوعيي الروس ، فكرة جديدة ترمي الى ايجاد لجنة دائمة تحلّ محل الخلافة . وهذه اللجنة تؤلف من اربعة اعضاء ، يهتم اولهم بالسهر على العقائد الدينية ، والثاني بجمع الزكاة ، والثالث بامور التربية ، والرابع باساليب الدفاع عن الدين ونشر الدعاية للاسلام . وبيّن ان صاحب هذا الاقتراح استمدّ مشروعه من المؤسسات البرلمانية ، ومن نظام الادارة في الكنائس المسيحية . كما انه يظهر من ذلك ان الاسلام يشعر بحاجته الى سلطة تديره ؛ وقد كانت الخلافة توهمه وجود هذه السلطة ، نقول : توهمه ، والبرهان انه لم يكن للخليفة ادنى صلاحية في ما خصّ العقائد ، حتى انه لم يكن له حق اصدار الفتوى المُعطى لأبسط « العلماء » .

وهنا يجدر بنا السؤال عن هذه المشاريع وهل يُعاد النظر فيها ، وهل يحقق شيء منها يوماً ما ؟ من الصعب ان نجيب جواباً مقنعاً . لأن الصعوبات جمّة تنشأ عن اسباب عديدة منها تعدّد الشيع التي تتقاسم الاسلام ، ويقظة الروح القومية وتباين مصالح الشعوب الاسلامية المختلفة .

ولو سلّمنا بان السنيّين يتفقون جميعهم على اقرار هيئة جديدة ، لكان هذا الامر سبباً كافياً لحمل سائر الشيع على الابتعاد عنه . على ان هذا التسليم صعب التحقيق لان بين السنيين انفسهم كثيراً من المحافظين التقليديين الذين لا يفيقون بسهولة من الحلم باعادة الخلافة القديمة . ومن ايّ الشعوب يكون الخليفة الجديد ؟ ايكون تركياً وقد جرى ما جرى في الخلافة العثمانية ؟ ام يكون عربياً ، والاتراك لا يقبلونه كما انهم لا يقبلون شيئاً يأتيهم عن طريق العرب ؟ وهذا نتيجة من نتائج اليقظة القومية التي اخذت توسّع الخروق وتعلي الحواجز بين المسلمين من الامم المختلفة ، حتى ان تلك الحركة القومية القديمة ، التي ظهرت في القرون الاولى للاسلام وعُرفت بالحركة الشعوبية ، لا تظهر اقوى مما نراه اليوم من النزعات القومية ، فضلاً عن انها لم تبقَ كما كانت عليه في صدر الاسلام من طلب المساواة بالعرب فحسب ، بل تجاوزته الى ابعد من

ذلك ، لان النفوذ العربي هبط هبوطاً عظيماً في العالم الاسلامي الحاضر . وكان السابق في هذه الطريق الشعوبية الشعب التركي ، فترك كل شيء حتى الديانة . ولم يكتفِ بان نسخ الابجدية العربية مستبدلاً بها اللاتينية ، حتى ادخل لغته الخاصة في الصلاة الجامعة ، وفي خطبة الجمعة ، واخذ ينفي من قاموسه كل المفردات العربية والفارسية الاصل . وقد سار الفرس على طريق الاتراك في هذه النهضة الوطنية التي تظهر عزيزة على قلب الشاه الحالي . ويجب ، في ذكر هذه الظواهر الشعوبية ، الّا ننسى المصريين الذين لا يدعون فرصة الّا ويباهون بمجد الفراعنة . وما الفراعنة في القرآن ، الّا مثال الكفر والظلم .[1] فاضحت الشعوب الاسلامية تجوز التاريخ الى ما قبل الاسلام لتتدل باجدادها حتى قبل الهجرة ، اذ لم يبقَ «للجاهلية» تلك الصفة الشائنة التي اقام منها العرب في صدر الإسلام فزّاعة تمنع المسلمين الجدد من الاتصال باجدادهم الاقدمين . من الحقّ ان هذه الحركة لا تزال في اولها ، الّا اننا لا ندري هلّ تتوقف بعد وقد سارت على هذا السبيل الذي اختطته تركية امام الجميع فاصبحوا على وشك السير عليه . اما مصر فان كل مآتيها منذ الحرب الكونية تدلّ على انها تتبع سياسة شعوبية ضيقة ، قليلة الاكتراث ، او عديمته ، لخير الاسلام العام .

ومن مظاهر هذه الحركة ان الشعوب الاسلامية بدأت ، منذ الحرب ، تحصي رجالها ، وتباهي بعددها ، مطالبة بتحقيق مصالحها القومية قبل كل شيء . ومن المفيد ، في هذا الباب ، ان نطّلع على العدد الحقيقي لاهمّ الشعوب الاسلامية . فنتحقق اننا ، على مجموع ٢٤٠ او ٢٥٠ مليون مسلم (حسب احصاء سنة ١٩٢٩) ، لا نجد اكثر من ١٢ مليوناً من العرب الخالص . فاذا اضفنا اليهم الستة والعشرين مليوناً من الاسلام الذين يتكلمون العربية ، ويعدّهم اكثر الناس خطأً من العرب ، كان لنا ٣٨ مليوناً من المنعوتين بالعرب على غير حق ؛ ومهما يكن فهو عدد ضئيل بالنسبة الى سائر المسلمين . اما الاكثرية فيؤلفها الهنود وعددهم ٧٠ الى ٧٣ مليوناً ؛ ثم يأتي الخمسون مليوناً من الماليزيين ، وهم سكان المستعمرات الهولندية في اوقيانية كجزيرة جاوى

١) اطلب القرآن : سورة ٣٨ : ١١ ؛ و ٤٠ : ٣٨ ؛ و ٨٩ : ٩ وما بعدها

وسومطرة وغيرهما . وقد يبلغ الاتراك ٣٤ مليوناً منهم ١١ مليوناً فقط في تركية . وظاهرٌ ان اعظم هذه الكتل الكتلة الهندية ليس فقط بعددها ، بل بمدّاتها المالية ايضاً ، وبسيرها على طريقة منظّمة اقتبستها من المؤتمرات السنوية التي تعقدها . وهذه الطريقة المنظمة تفتقر اليها كل الافتقار الكتلة العربية كما انها تفتقر الى توحيد آرائها في سبيل الاخذ ببرنامج مشترك . اما هذه الوحدة الفكرية فلا يمكن الاتكال في تحقيقها على مصر المنصرفة كل الانصراف الى تعزيز استقلالها السياسي . وما كانت « مملكة نجد والحجاز وملحقاتهما » لتقوى على السير في مقدّمة هذه الحركة ، وان كره بعض المغرورين بابن سعود . فان مملكته فقيرة ، ولم تنسل ، حتى اليوم ، ثقة العرب انفسهم ، اذ انها لا تزال تقاوم العقبات الداخلية ، من ثورات القبائل الى معارضات العلماء الذين يعتبرون ابن سعود متطرّفاً في تقدّمه نحو المدنية ، فضلاً عن الفظائع التي ارتكبها الوهابيون مدفوعين بتعصبهم الذميم مما ترك اسوأ اثر في نفوس المسلمين اجمعين .

يؤلف السنيون الاكثرية الساحقة في الاسلام اذ يبلغ عددهم نحو ٢٢٠ مليوناً اي ٩١ ٪ من مجموع العالم الاسلامي . وقد يوهم هذا العدد العظيم بقوة حقيقية ، ووحدة متينة ثابتة ، مَن لا ينتبه الى انه ينطوي على عشرات الملايين من الاتراك العلمانيين العاملين في طول الاناضول وعرضه ، ومن المسلمين الشيوعيين المقيمين في الجمهوريات السوفيتية الروسية ، ومن « المصريين » المنتشرين في مصر والهند وغيرهما . ومن هؤلاء جميعاً كتل قوية يؤلفها ادباء متعلّمون يعملون عملاً هدّاماً يضعف قوى الاسلام القديم ويفرّق اجزاءه . فيكوّنون ما ندعوه «بحزب اليسار المتطرّف» في المجموع الاسلاميّ . وتجاهه نرى حزباً متطرّفاً من جهة اليمين يؤلفه الوهابيون ، وهم حنبليون على غاية ما يكون من التعصب ، يعتقدون ويدّعون بانهم وحدهم المسلمون الحقيقيون . وقد تدفع بهم الجرأة الى ان يُحلّوا انفسهم ، على قلة عددهم ، محلّ تابعي المذاهب الثلاثة جملةً : اي الحنفيين (١١٨ مليوناً) والشافعيين (٧٣ مليوناً) والمالكيّين (٣٠ مليوناً) . اما عدد الحنبليين ، فلا يبلغ الثلاثة ملايين . . .

وفي الجانب الايمن من الاسلام ايضاً ، ولكن على بعد من الوهابيين

وتطرّفهم ، نرى فئة المحافظين القدماء . وخلاص الاسلام ، في نظرهم ، يكون بالرجوع جملةً الى الاسلام التقليدي دون انتباه للتقدّم العصري ، ولا اهتمام بالمدنية الحاضرة والاستفادة منها . وان من هؤلاء من يتأسف على السلطنة المطلقة في امور الدين والدنيا كما كانت في تركية القديمة ؛ ومنهم من يرجو الرجوع الى عهد خلافة تقليدية تذكر الشعب بعهد الخلفاء الراشدين ، ذاك العهد الذي لا يزال البعض يتوهمون انه كان عصر الاسلام الذهبي . واقلّهم مطالب يرضون بخلافة دستورية ، على شكل الخلافة التركيّة بعد ثورة تركية الفتاة سنة ١٩٠٨ ، بل يرضون بخلافة اسمية خالية من كل سلطة سياسية ، كما كانت الخلافة العثمانية من سنة ١٩٢٢ الى سنة ١٩٢٤ . وفي اليمين ايضاً ، بل في الوسط الايمن من الاحزاب الاسلامية ، يجب ان نفرد مكاناً خاصاً « للسَلَفيّة » الذين يدّعون المحافظة والاصلاح معاً . وانه من الصعب ان نعيّن في اية حدود يمكنهم تطبيق هذين القسمين ، اللذين يتنافيان كما يتنافى الجمود والحركة . اما لسان حال هذا الحزب « المحافظ المصلح » فهو المجلة الشهرية « المنار » التي وقفت نفسها ايضاً على خدمة ابن سعود ، ونشر الدعوة لسياسته .

ورب قائل يقول : أولا يمكن التوفيق بين هذه الاحزاب المختلفة ؟ فنجيب ان كل تجربة في هذا السبيل يعترضها ، فضلاً عن التباين في الافكار الدينية ، نموّ النزعات القومية الرامية من جهة الى توسيع النفوذ التركي ، ومن الجهة الاخرى الى توسيع النفوذ العربي . هذا اذا لم نتكلم عن معارضة الشيعيين الذين يبلغون نحو ٢٢ مليوناً . وافضل جواب نجيب به من يسأل عن امكان الاتفاق بين السنة والشيعة هو ان نطلعه على المناظرات الشديدة اللهجة الدائرة منذ سنين بين مجلة « المنار » ومجلة « العرفان » . فيرى ان الفريقين ابعد من ان يذكرا قرابتهما الدينية . . . وقد تألف في القاهرة حزب جديد غايته العمل على التقريب بين قلوب المسلمين ، وهو حزب « الرابطة الشرقية » ، ولكنه لم ينجح ؛ لان المتطرّفين يتهمونه بالرجعية ، والمحافظين بالتطرّف والخروج . فكان من نصيب « الرابطة » انها اختبرت صحة القول : ان المتساهلين المصلحين يُرمون بالخطأ في غالب الاحيان .

(للبحث صلة)

صفحة من تاريخ

الرهبانية الباسيلية الشويرية

بقلم الاب اثناسيوس حاج ق. ب.
مدبر الدروس في المدرسة الاكليريكية

ان لهذه الرهبانية الكريمة ، كما لسائر الرهبانيات القديمة ، تاريخاً جمع بين الاعمال المجيدة التي اتتها ، والاضطهادات المؤلمة العديدة التي انتابتها ، فكان كحقل نبتت فيه الزهور الجميلة ، على ما رمت فيه الايدي المفسدة من الاشواك الوبيلة . ولها ايام مجد وصفاء ، كما ان لها ايام بؤس وعناء.

١ تأسيس الرهبانية

هناك على مرتفع صخري مطل على البحر ، جنوب مدينة طرابلس الشرقي ، امام غابة من السنديان ، يقوم دير البلمند. وهو دير قديم ابتناه سنة ١١٥٧ رهبان القديس برنردس السترسيون ، كما بيّنه بالادلة الدامغة المؤرخ المدقق الاب لامنس اليسوعي ، والعالم الافرنسي انلار. وان كان احد لم يزل في شك من هذا القبيل ، فليستنطق اسم الدير ، بل حجارته وهندسته ، تجبه عن اصله باجلى بيان.

على انه مهما كان من امر تأسيسه وتطوره على تعاقب الاجيال ، وانتقاله من اللاتين الى اليعاقبة ، ثم الى الروم الملكيين ، فان ما يهم البحث عنه باختصار في مقدمة هذه المجالة هو حالة دير البلمند في اواخر القرن السابع عشر وبدء الثامن عشر . فلقد حدث آنئذ بين جدرانه امر ذو بال.

ان رهبان البلمند كانوا حوالي سنة ١٦٩٤ ارثوذكسيين . وقد يدل على ذلك بعض الدلالة صورة كبيرة في كنيسة الدير تمثل الدينونة والجحيم والنعيم بيد انها لا تمثل المطهر ، وقد كتب في اسفلها هذه العبارة :

« في رئاسة الاب المكرم الخوري فرح صورها . . . . سنة ١٦٩٤ »

ان نقل عن هذا الدير انه كان ارثوذكسياً فاننا لا ننفي وجود بعض رهبان كاثوليكيين . لان الانفصال التام ما بين الطائفتين لم يكن قد تمّ بعد وكان الفريقان مشتركين لا يكادان يريان اختلافاً ما في ان يكون الواحد خاضعاً لرومة ، والآخر غير خاضع . ناهيك ان المرسلين اليسوعيين ، الذين كانوا في طرابلس ، لم يتوانوا في ايصال تعاليمهم الى قلب الدير المذكور . فقد ورد في ما يسمونه (*Lettres édifiantes t. I. p 129-130*) ان تلميذين من تلامذتهم دخلا دير البلمند لاعتناق الحياة الرهبانية . فمن ثم تسنّى للاب ڤرسو ان يتردد على الدير ويخاطب رهبانه ، رأساً وبواسطة تلميذيه ، عن الاتحاد برومة الى ان فاز بالمرغوب . يؤيد هذا الاتحاد الرسالة القديمة التي نشرها في مشرق سنة ١٩٣٠ صفحة ٢١٥ ، المؤرخ البحاثة الاب قسطنطين الباشا ، وقد وجهها بعض رهبان البلمند الى الحبر الاعظم سنة ١٧٠٤.

فهذا الدير الذي غدا كاثوليكي المعتقد ، بقي كذلك حتى بعد سنة ١٧٢٥ . يشهد على ذلك اولاً ما ورد في سجل الرهبانية الشويرية القديم ، صفحة ٩ ، من ان المطران جراسيموس ، اسقف حلب ، هرب سنة ١٧٢٢ من وجه الروم فالتجأ بدير البلمند . وثانياً ما جاء في مجموعة رباط التي اشار اليها الاب توتل اليسوعي في مقالته الممتعة على دير البلمند ، اي ان قنصل حلب الافرنسي كتب الى وزير فرنسة ما معناه : ان البطريرك سلڤسترس وصل من القسطنطينية الى حلب في ٩ ت ٢ سنة ١٧٢٥ ورشق بالحرومات اربعة كهنة كاثوليكيين وكل دير البلمند[1].

على انه لم يلبث طويلاً حتى انفصل رهبان الدير المذكور عن رومة ، ولعل ذلك الانفصال قد ابتدأ سنة ١٧٣٣ اذ حضر سلڤسترس الى طرابلس واخذ . . [2]

هذه اللمحة كافية لان ترينا السرّ في نزوح بعض رهبان البلمند وتأسيسهم الرهبانية الشويرية ، فمن ثمّ اذ لمع سراج النقمة على رأس الابوين البارين وهما الخوري جراسيموس والخوري سليمان الراهبان الحلبيان من رهبان دير سيدة

١) انظر ايضاً سجل الرهبانية صفحة ١٧

٢) انظر سجل الرهبانية ، ص ٥٦

البلمند ... فتعاقدا اليمين مع سبعة انفار من اخوتهم ... بان يبارحوا الدير ويذهبوا الى مكان يرفعون فيه اعلام قانون الرهبانية المقدس الذي خمد لهيبه في هذه البلاد ... وكان ذلك سنة ١٦٩٧ »[1].

اجل ان دير البلمند هذا بعد ان كان جنة من جنان الكنيسة الزاهرة بالفضائل الرهبانية ، آلت احواله الى الفتور والانفصال ، الى ان هبت روح الحياة الكاثوليكية في صدور البعض من ابنائه فتركوا رفاقهم وطلبوا مكاناً آخر يعيشون فيه بحياة رهبانية وكاثوليكية معاً.

ولما كانت غايتهم تاسيس دير خاص بهم ، وسن قانون جديد ، رأوا ان يستطلعوا رأي البطريرك كيرلس الخامس الانطاكي الكاثوليكي ، ويستأذنوه بذلك ؛ فارسلوا له اثنين منهم ، هما الابوان جراسيموس وسليمان الراهبان الحلبيان ، وبعثوا اليه معهما بقانون مؤلف من ١٥ باباً ليثبته لهم فيبرموا عليه ، وكان ذلك سنة ١٦٩٧ . فلما وقف البطريرك على قصدهم المقدس توسم فيه خيراً كبيراً ، فباركهم وشجعهم وثبت قانونهم . فذهبوا من ثمَّ يفتشون عن مكان تصلح فيه الحياة الرهبانية . وبعد البحث الطويل لم يروا افضل من ضواحي الشوير ، فحلوا ضيوفاً كراماً على كاهن مقيم بين الشوير وبتغرين ، في غرفة محاذية لكنيسة قديمة على اسم القديس يوحنا الصابغ ؛ فعاشوا هناك بالبر والقداسة ، ونالوا حظوة كبيرة في عيني الامير نجم ، وهو من الامراء اللمعيين الذين كانوا يلون على المتن تحت اشراف الامير الاكبر حاكم لبنان حيدر الشهابي . فهذا الامير باعهم مزرعة « بيت عيال » ووعدهم ان يحمي ذمارهم.

اما هم فلما استتب بهم المكان اقاموا عليهم رئيساً ، وعاشوا بالعفة والفقر والطاعة ، الحصون الثلاثة للحياة الرهبانية . ومنذئذ اخذ يتوارد عليهم طلاب الكمال من كل صوب.

وفي سنة ١٧٢٠ كان عدد الرهبان قد بلغ الثلاثين ، فعقدوا مجمعاً عاماً ، هو الاول ، فاقيم فيه رئيس عام ومدبرون اربعة . وفي السنة التالية اثبت مجمع المدبرين النذور الثلاثة ، وابرزوها جميعهم باحتفال مهيب.

(١) كذا في سجل الرهبانية ، في الفاغة.

٢ نمو الرهبانية

ولم تكن سنة ١٧٢٢ حتى ذاع خبر إنشاء الرهبانية في كل ناحية ، واخذ بعض آبائها يقومون بالرسالات المقدسة في جهات مختلفة كحمص وحماه وبعلبك. فكان جميع الناس من اكليروس وعلمانيين يطمحون بابصارهم وبقلوبهم الى الرهبانية الجديدة التي غدت كسراج يضيء في ظلام الليل ، فكنت تراها على حداثة عهدها تنمو بسرعة عجيبة لان اصبع الله كانت فيها . واذا باهل رأس بعلبك يلتمسون من الرهبانية ان تستولي على دير سيدة الراس ، وبدير مار اشعياء يطلب الانضمام اليها . فسبحان من يجعل من الحبة الصغيرة شجرة كبيرة باسقة الاغصان.

٣ الاضطهادات والنكبات

بينا الرهبانية تنمو كالوردة في ريعانها ، اذا بسيف الاضطهاد وقد استله الشيطان ليقتطعها من بستان الكنيسة.

ففي سنة ١٧٢٤ مات البطريرك اثناسيوس دباس الانطاكي ، فاجتمع الاساقفة واقاموا خلفاً له كيرلس طاناس السادس . اما الروم في الاستانة فقد ساموا سلفسترس بطريركاً ليكون خليفة لاثناسيوس . فاخذ سلفسترس من ثم يسعى بكل قوته في حط كيرلس عن كرسيه ، ونفي الاساقفة الكاثوليكيين اعوانه ، وطرح الكهنة المنتمين اليه في السجون.

فهؤلاء لم يروا ملاذاً لهم آمن من اديار الرهبان في لبنان ، فعاذوا بها . ومن ثمّ تحوّل سخط البطريرك ووكيله على الرهبانية ، وبنوع خاص على رهبان دير سيدة الراس ؛ ونال من محافظ الشام الامر بالقبض على بعض كهنة الدير الذين كان حانقاً عليهم . فلما شعر رهبان الدير بوصول الجنود ، فرّ المغضب عليهم الى المغاور والجبال ، وكان رفاقهم يقدمون لهم الطعام خلسة تحت جنح الظلام . ولم يلبث هؤلاء ايضاً ان تركوا الدير واعتصموا بالجبال[1].

---

١) سجلّ الرهبانية ص ١٤

وكان اذ ذاك وقت الشتاء ، فقاسوا عذاباً شديداً من الجوع والبرد القارس ، وبقوا اياماً تائهين بين الثلوج ؛ ولم يعودوا الا يوم السبت العظيم ، فاختبأوا في قرية الراس الى ان انتصف الليل ، فذهبوا جميعاً الى الدير حيث تلوا القرض الالهي ، وقدموا الذبيحة ، ووزعوا الاسرار على الشعب . وبعد ذلك تفرقوا واختبأوا الى ان تيسر لهم الفرار ، فاتوا الى دير مار يوحنا الصابغ ، بعد ان قاسوا على الطريق من اهوال الامطار والثلوج وآلام التعب والجوع ما يشيب الاطفال . وكانوا في كل ذلك يسبحون الله شأن الانام القديسين .

اما الشيطان فلم يكتف بهذا القدر من الاضطهاد ، بل اراد ان يتتبع الرهبانية في كل اين وآن ليبيدها بالكلية ؛ ومن ثمّ نراه قد نقل مسرح اضطهاداته الى دير مار يوحنا الصابغ .

ان بعضاً من اعداء رهبان مار يوحنا اغروا الامير نجماً بثلاثمائة غرش لكي يخرج الرهبان من الدير ويجعله في ايديهم . فدفع الغرور هذا الامير الى استدعاء الرئيس العام وتهديده باخراجه من الدير عنوة ، ان لم يدفع القيمة . فوعده بدفع مائتين وخمسين غرشاً . فلما علم الاعداء بذلك ، وعدوا الامير نجماً بدفع ضعف القيمة . فبلغ الرهبان خبر هذه المؤامرة ، فالتجأوا الى آل خازن طالبين وساطتهم . اما هؤلاء فهبّوا لنصرة الرهبان واطلعوا الامير الاكبر (حيدر الشهابي) على دخيلة الامر ، فارسل فلام الامير نجماً لوماً شديداً . ومذ ذاك اخذ الامير نجم يزداد حقده الى ان اتيح له سنة ١٧٢٨ فهيّج بعض المشاغبين على الرهبان ، وهكذا اضطرهم ان يخرجوا من ديري مار يوحنا ومار الياس شويا فاخلوهما ولجأوا الى دير مار اشعياء . اما دير مار الياس شويا فقد بقي في ايدي الاعداء حتى ٢٣ ت ١ سنة ١٧٢٩ ، يوم انسلخ مع المحيدثة عن سلطة الامير نجم ليدخل تحت حكم الامير عساف ، الذي استدعى حالاً الرئيس العام وسلمه الدير بما فيه . فعاد الرئيس العام ، الخوري نيقولاوس الصائغ ، برهبانه الى الدير حيث وجدوا الدّ خصومهم باقياً فيه . فلم يدعوه يمضي ، بل ابقوه عندهم على الرحب والسعة ، شأن المسيحي الحقيقي الذي يقابل الشر بالخير . واما دير مار يوحنا فقد ارجع الى الرهبانية سنة ١٧٣١ ، بعد ان

بقي فيه الاعداء ستتين وتسعة اشهر . وهكذا خرجت الرهبانية من هذه المعركة وكثير غيرها ظافرة قوية.

٤ الرهبانية والاحبار الرومانيون

لا يخفى ما للاحبار الرومانيين من العطف الابوي الجزيل على الشرقيين والعناية بهم وبشؤونهم. فلقد قدروا الرهبانية حق قدرها فحوطوها ، منذ اول عهدها ، بعناية خاصة لتوسمهم فيها عوداً للكنيسة قوياً في بلاد سورية. ولا عجب فان الرهبانيات في الكنيسة بمثابة الجيوش المنظمة في الممالك ، تذود عنها ، وتمد سيطرتها الى جميع الاقطار.

ففي سنة ١٧٤٣ كتب الكردينال بيترا ، وكيل المجمع المقدس ، والمونسنيور السمعاني ، للرئيس العام كتباً يمتدحان فيها امتداحاً جزيلاً الرهبانية ، وحفظها الايمان والفروض المأمور بها في المناشير الرسولية . وعربوناً لرضى الكرسي الرسولي عنها ، قد وهبها البابا اكليمنضوس الثاني عشر سنة ١٧٣٩ دير سيدة السفينة في رومية . فعظم جلال الكرسي الرسولي للرهبانية يُعرف من عظم هذه الهبة . فان كنيسة سيدة السفينة هي من الآثار التاريخية الجليلة جداً ، كانت على عهد يوليوس قيصر منزلاً للغرباء ، ثم تحولت في الجيل الثاني بعد المسيح الى ملجأ للمسيحيين وهبتهم اياه الملكة دومينيكة نسيبة الملك ، ليجدوا فيه معتصماً وقت الحاجة ، ولذا سمي وقتئذٍ ملجأ الخلاص الى ان تحوّل الى كنيسة للسيدة على عهد قسطنطين الكبير ، فدعي كنيسة سيدة السفينة من باب التورية . اما التصاوير والنقوش والقسيفساء التي فيها فهي غاية في القدم والابداع.

ولقد اعرب الكرسي الرسولي فيما بعد عن جزيل اعتباره للرهبانية وعطفه عليها بشهادات جمة ، بينها ما ورد في مقدمة الفرائض التي كتبها السمعاني مبيناً فيها رضى رومة عنها:

« فمدت هذه الكرمة المباركة [الرهبانية الشويرية] قضبانها الى البحر والى الانهار فروعها ، اذ انتشرت ليس بديورتها فقط بل بفضائل ابنائها ايضاً...»

وما اجمل التشابيه التي شبّه بها البابوات الرهبانية . فتارة يرون فيها وردة بين الاشواك ، وتارة يشبهون اولادهـا بنجوم منيرة في الظلام . قال البـابا بنادیکتوس الرابع عشر في براءة ارسلها الى الرئيس العام والرهبان عموماً:

«بما ان الكردينال فرتوناطوس قد امتدح الفرائض واعتبرها مستحقة التثبيت ببراءة رسولية فنحن بالحنو والسلطان الحبريين لم نأنف تمام ذلك. وبما انكم ايها الاولاد الاحبـاء ، انتم وبقية الشعوب الارثوذكسيين الخاضعين لهـذا الكرسي المقدس ، قائمون في بلاد سورية كنجوم منيرة بين ظلمات غير المؤمنين والاراتقة ، فاجتهدوا دائماً في ان تتردّوا نوراً جديداً وتقدموا انواراً متقدة لاولئك الذين لا يشاهدون نور الحق.»

ومنها ما ورد في منشور التثبيت الذي ابرزه البابا بنادیکتوس الرابع عشر في ١١ حزيران سنة ١٧٥٧ وفيه :

«...ان سالفنا السعيد الذكر اكليمنضوس الثاني عشر جزاء عن خضوعهم وانتمائهم وطاعتهم للكرسي الرسولي ونظراً للايمـان الارثوذكسي الرومـاني الذي يتمسكون بـه ويحفظونه بغير انثلام ما بين الاراتقـة وغير المؤمنين والمشاقين المحيطين بهم ... قد منح رهبان الجمعية المذكورة كنيسة القديسة مريم ايندومنيكا الملقبة عموماً بكنيسة السفينة ... بموجب هذه البراءة نقبل ونثبت بالسلطان الرسولي الفرائض المذكورة ونضع عليها تمكين قوة الثبـات الرسولي غير المتحل.»

وهناك ايضاً المناشير التي ارسلها الحبر الاعظم الى جميع الاساقفة والبطاركة السوريين ، واوصاهم فيها بالرهبان توصية الاب الحنون ببنيه الاعزاء ، ومناشير الانعامات التي منحها للرهبانية من مثل الغفرانات الكاملة وغيرها.

«ولان محبتنا ترمي الى نموّ عبادة المؤمنين ... فنمنح بالرب غفراناً كاملاً لكل المؤمنين الذين يزورون بعبادة كنائس رهبان وراهبات الروم الملكيين الباسيليين من مجمع مار يوحنا الصابغ وذلك في الاعياد الآتية الخ.»

كل هذا قليل من كثير الادلة على فضل الاحبار الرومانيين وسموّ منزلة الرهبانية في اعينهم.

(للبحث صلة)

شخصية الحطيئة الادبية

بقلم فؤاد افرام البستاني
استاذ الآداب العربية في كلية القديس يوسف

للحُطَيئة شخصية ادبية من اعمق الشخصيات الجاهلية تأثيراً في المتأدبين ، واشدّها اجتذاباً لعقول المطالعين ، على ما فيها من غرابة اطوار وشذوذ اخلاق ، وما اكتنفها من سوء تقدير واحتقار . فرأينا ان نجتهد في تحديدها وسرد ميزاتها ، مستندين من جهة الى ما نعرفه من صفات الحطيئة واخلاقه ، ومن جهة اخرى الى ما وصل الينا من شعره .

صفاته واخلاقه

سوء خَلقه وخُلقه — بخله

كان الحطيئة قصيراً ، دميماً ، اقتم ، اي بارز اللحي الاسفل ، قبيح المنظر ، يلبس خشن الثياب وخلقها ؛ فكان رثّ الهيئة ، « لا تأخذه العين » ، على قول صاحب الاغاني[1] . يجمع الى ذلك خبث الاصل ، وفساد النسب ، فعدم العصبية لقبيلة او لمذهب ، فدناءة الاخلاق ، والنفاق في الدين ، والعقوق ، وما الى ذلك مما ينتج عن سوء المنشأ كعادة التشرّد ، والاحتيال على الكسب دون تمييز بين الحلال والحرام ، احتيالاً ادّى بالحطيئة الى الحرص والجشع والبخل حتى انه كان ، على رغبته في ضيافة الغير ، لا يضيف احداً ؛ بل ربما طرد من قصده اقبح طرد كما فعل بابن الحمامة ، وقد مرّ به ، وهو جالس

(١) الاغاني ٢ : ٥٢ .

بفناء بيته ، فقال: « السلام عليكم . » فقال الحطيئة : « قلتَ ما لا يُنكر . » قال : « اني خرجت من اهلي بغير زاد . » فقال: « ما ضمنت لأهلك قِراك . » قال: « افتأذن لي ان آتي ظلّ بيتك فاتفيأ به ؟ » قال : « دونك الجبل يفيء عليك . » قال : « انا ابن الحمامة . » قال : « انصرف ، وكن ابن ايّ طائر شئت ! »[1]

اما حين لم يكن يتوفق الى طرد ضيفه فكان يهجوه ، بعد ان يقريه ، هجاء مرّاً ينغّص عليه القرى ، كما فعل بابن اعبي فقال فيه من ابيات :

لما رأيت ان ما يبتني القرى وان ابن اعبي ، لا محالة ، فاضحي
شددت حيازيم ابن اعبي بشربة على ظمأ ، مدّت اصول الجوانح[2]

ولم يلبث ان عُرف ذلك منه ، فتجنّب الناس ضيافته .

كفره بالنعمة

ومن نتائج لؤمه انه كان سؤولاً مُلحفاً ، كافراً بالنعمة بعد ان ينالها ، كما صوّره ابدع تصوير صاحب رسالة الغفران ، اذ خلّصه الى النعيم ، لصدقه في هجاء نفسه ، ولكنه اقامه « ببيت في اقصى الجنة كأنه حفش امة راعية » ، واظهره رجلاً « ليس عليه نور سكّان الجنة ، وعنده شجرة قميئة ثمرها ليس بزاكٍ » . وجعله يجيب ، اذ يُسأل عن رضاه بهذا المقام الحقير ، فيقول ، وفيه اجلّ بيان لكفره بالنعم : « والله ، ما وصلتي اليه الا بعد هياط ومياط ، وعرق من شقاء ، وشفاعة من قريش وددت انها لم تكن ! »[3]

رقة قلبه

على ان هذا الرجل اللئيم الطباع ، الخبيث اللسان ، المنافق في دينه ، الذي عقّ امّه ، ولم يعرف اباه ، كان رقيق القلب احياناً ، شفيقاً ، عطوفاً على امرأته واولاده كما تدلنا حادثته مع امرأته ، عندما همّ بالسفر فاتته ، وقد قدّمت له راحلته ليركب ، فقالت :

اذكر تمنّينا اليك وشوقنا وارحم بناتك ، انّ صغارُ !

---

١) الاغاني ٢ : ٤٩ ٢) الروائع ٢٩ : ٢٤
٣) ابو العلاء المعرّي : رسالة الغفران – في الروائع ١٧ : ٢٤ .

فقال : « حطّوا ، لا رحلت لسفر ابداً . »[1] ، وكما نستنتج من رقة تلك الابيات التي خاطب بها عمر من سجنه ، اذ تذكر اولاده ، فحنّ قلبه اليهم وصاح :

ماذا تقول لافراخ بذي مرخ زغب المواصل ، لا ماء ولا شجر !

وكثيراً ما يشبههم بافراخ القطا ، ويذكر انه انما يستجدي الاكفّ ويقاسي مشاقّ السفر من اجلهم ، كما قال في مدحه للوليد بن عقبة :

واني لارجوه ، وان كان نائياً ، رجاء الربيع انبت البقلَ وابلُه
لزُغب كاولاد القطا ، راث خلفُها ، على عاجزات النهض حمر حواصلُه . (٢

واننا نحترم هذه العاطفة في اي شخص كان .

شعره

الديوان

جمعه – رواياته

اهتمّ لغويّو القرن الثامن والتاسع بشعر الحطيئة اهتمامهم بغيره من الشعر الجاهلي والمخضرم . وكان قد دُسّ على الحطيئة شعر لا يُستهان به من قبل الرواة ، ولاسيما حماد ، كما سنرى . فانشطر الجامعون الى شطرين من حيث قبول هذا الشعر . فكان ابو حاتم السجستاني يشدّد في ذلك ، ويرفض كل ما يشكّ بصحته . وكان ابو عمرو الشيباني وابن الاعرابي يقبلان دون صعوبة ما يريانه محتملاً ، ويشيران احياناً الى اماكن الشكّ .

شرحه – طباعته

اما الرواية الاولى فلم يصل الينا منها الا القليل المتفرّق . واما الثانية فقد اخذها ابن حبيب عن الشيباني وابن الاعرابي ، ثم شرحها ابو الحسن السكري . وهي التي اشار اليها حاجي خلفا ، ووصلت الينا باسم « ديوان

١) الاغاني ٢ : ٥١ – ومقدمة ديوانه لنولدسيهر ص ٢٨ .
٢) الديوان (طبعة مصر) ص ٢٩ – راث خلفُها : ابطأ شبابها ، لسوء غذائها وفقرها .

الحطيئة » . وقد طُبعت لاول مرة في القسطنطينية سنة ١٣٠٨هـ. (١٨٩٠) في جزئين بين يدينا الاول منهما ، « وعليها ايضاحات مختصرة » مأخوذة من شرح السكري . ثم قام المستشرق اغناطيوس غولدسيهر (I. Goldziher) فنشر الديوان نشرةً علمية في ليبسيك سنة ١٨٩٣ مع شرح السكري ، مقدماً عليه بحثاً ضافياً بالالمانية ، مضيفاً اليه حواشي مفيدة ، ملحقاً به ما يُنسب الى الحطيئة من الشعر غير الموجود في الديوان . وفي سنة ١٣٢٣هـ.(١٩٠٥) ظهرت له طبعة مصرية عني بها احمد بن الامين الشنجيطي ، مع شرح السكري ايضاً ، الا انها خلو من فوائد الطبعة الالمانية.

صحة نسبته

مما لا شك فيه ان الرواة تصرّفوا في الكثير من شعر الحطيئة ، بل اضافوا اليه ما ليس منه . وهناك حديث ذكره ابن سلّام وصاحب الاغاني وغيرهما عن ابي عبيدة ، عن يونس ، مفاده ان حمّاداً قدم البصرة على بلال بن ابي بردة . فقال له : « ما اطرفتنا شيئاً ! » . فعاد اليه فانشده القصيدة التي في شعر الحطيئة[1] يمدح بها ابا موسى الاشعري . فقال له بلال : « قد علمت ان هذا شيء قلته انت ونسبته الى الحطيئة . والّا فهل كان يجوز ان يمدح الحطيئة ابا موسى بشيء لا اعرفه ، وانا اروي شعر الحطيئة ؟ ولكن دعها تذهب في الناس . » ووصله .[2] هذا الشائع - ولكن المدائني صحّح نسبة هذه القصيدة ؛ وعاد صاحب الاغاني[3] فذكرها للحطيئة دون اشارة الى ما تقدم سوى قوله : « انشدها حماد بلال بن ابي بردة ولم يكن عرفها فوصله » . ومهما يكن من صحة الحادثة فانها معقولة ، وليس تلك الفعلة بغريبة من حمّاد ، ونحن نعرفه ناحلاً للكثير من الشعر الجاهلي[4] .

---

١) الديوان (طبعة مصر) : ص ٣٤.

٢) ابن سلّام : طبقات الشعراء (طبعة Hell) ص ١٥ – الاغاني ٢ : ٥١ ؛ و ٥ : ١٧٣ .

٣) الاغاني ١١ : ٢٦.

٤) راجع حادثته مع المهدي حين اقرّ له بصنعه بعض ابيات اضافها الى زهير ، الروائع ٣٥ : ١٨ و ١٩.

هذا وفي الديوان عدة قصائد ذُكر في اولها انه لم يروها المفضل او لم يروها غيره ، وفيه دليل على مسوّغ الشكّ بصحتها . وهناك قصيدة قصصية من اروع ما كُتب في نوعها لم ترد في شرح السكري ، ولكن اضافها الى الديوان المستشرق غرلدسيهر عن بعض النسخ ، وفعل فعله الشنجيطي فأخذناها عنهما[1] . ولكن هذا لا يجزم بكونها لغير الحطيئة . كما ان تصرّف الرواة في غيرها لا يوجب الشك بكل الديوان . ومن الواضح ان اكثر قصائده ثابتة لا شكّ فيها كالسينية في هجاء الزبرقان ، وما شاكلها في النفس والطريقة ، وهو كثير .

قيمته

كان الحطيئة يلازم زهير بن ابي سلمى ويروي له[2] ؛ فتشرّب منه صفات في الصناعة الشعرية ، وروحاً في التأليف ، وذوقاً في الوصف ، سمت بشعره الى درجة عالية ، حتى عدّه كثير من شيوخ الادب في مقدّمة الشعراء . فجعله صاحب الاغاني من « فحولهم ومتقدّميهم ، متصرّفاً في جميع فنون الشعر من المديح والهجاء والفخر والنسيب ، مجيداً في ذلك اجمع .»[3] وقال اسحق انه « اشعر الشعراء بعد زهير »[4] . اما كثيّر الشاعر فجاهر انه « اشعر الناس »[5] وكان الاصمعي يعجب بشعره ويتأسف لكونه افسده بهجاء الناس وكثرة الطمع ، وقد كتب له بليلة واحدة اربعين قصيدة[6] .

اما تأثير زهير فيه فواضح لمن تصفّح الديوان ، خصوصاً في القصائد المدحية ومقاطع الوصف ، وهو يتجلّى بأمرين : الاول من حيث الصناعة الشعرية وما اليها من السبك والتنسيق ؛ والثاني من حيث التعابير والاوصاف واستغلالها على طريقة خاصة ورثها زهير عن أوس ، واورثها ابنه كعباً ، وتلميذه الحطيئة .

ولا غرابة ان يتأثر الحطيئة باسلوب زهير اولاً ، وهو يرى فيه ابلغ ما

---

١) اطلبها في آخر هذا الدرس

٢) وقد لازم ابنه كعباً ايضاً وطلب منه ان يقول اياتاً يجعل فيها انه اول الشعراء ، ويثنّي بالحطيئة ، ففعل . ٣) الاغاني ٢ : ٤٣ . ٤) الاغاني ٢ : ٤٨ .

٥) « ٢ : ٦١ . ٦) « ٢ : ٥٠ .

وصل اليه الشعر ، اذ ذاك ، من متانة ، ورزانة ، وقوة سبك ، الى دقة في الصنعة وطول صقل يتراجع امامهما من اراد القول السهل السريع ، ومن رغب في الشعر الفطري « المطبوع » . أعجب الحطيئة بهذا الكمال في « الحوليات » ووقف على سره ، ولا سرّ فيه الا كثرة الشغل والتنقيح ، فاقبل يفضله ويقول : « خير الشعر الحولي المنقّح المحكّك »[1] ، واخذ يسير على منواله فينقّح شعره ويصحّحه حتى ادرك قوة سبك ، وسلامة تركيب كاد ينماهما عليه الاصمعي بقوله : « زهير والحطيئة واشباههما عبيد الشعر ، لانهم نقحوه ولم يذهبوا فيه مذهب المطبوعين.»[2] وعرفهما له ابن سلّام وابو عبيدة فقالا : « كان متين الشعر ، شرود القافية — اي سائرة في البلاد تشرد كما يشرد البعير — وما تشاء ان تطعن في شعر شاعر الا وجدت مطعناً ، وما اقل ما تجد ذلك في شعره.»[3] يدلنا على ذلك ايضاً قول الحطيئة نفسه عن استاذه زهير ، وقد سُئل عنه فاجاب ، مفضّلاً فيه تلك القوة العقلية والقدرة على تكييف الشعر كما شاء ، الناجمة عن كثرة العمل وطول الممارسة ، قال : « ما رأيت مثله في تكفيه على اكتاف القوافي ، واخذه باعنتها حيث شاء من اختلاف معانيها امتداحاً وذمّاً.»[4]

وكان لا بدّ ان يمتدّ اثر زهير في نفس الحطيئة من الاعجاب بالصناعة الخارجية والسير على طريقها الى تذوّق اساليب التفكير نفسه والاخذ بنسق التصوير ايضاً ، فلم يلبث التلميذ ان اصبح ذا ذوق زهيري تامّ يستعمله في قصائده المدحية الفخمة السبك ، الجزلة المطالع ، وفي اوصافه الحسيّة ، الوضحية الصور ، المستوفية كل شروط الفنّ ؛ حتى اصبح من الصعب علينا ، اذا قرأنا رائيته في مدح شمّاس :

عفا مسحلان من سُليمى فحامره فمثّى به ظلمانه وجآذره

او داليته في مدح آل شمّاس ايضاً التي يقول فيها :

١) ابن قتيبة : الشعر والشعراء (طبعة de Goeje) ص ١٧
٢) ابن قتيبة : في الموضع نفسه.
٣) ابن سلّام : الكتاب المذكور ٣١ — والاغاني ٢ : ٤٦.
٤) ابن قتيبة : الكتاب المذكور ٦١.

مطاعين في الهيجا مكاشيف للدجى بنى لهم آباؤهم وبنى الجدُّ

والتي من صورها :

وان غاب عن لأي بنيضٌ كفتهم نوائثُ لم تطررْ شوارجهم بعدُ

او سينيّته المشهورة في هجو الزبرقان ، او صوره الدقيقة التامة من مثل قوله دالاً على سرعة سفره :

وتُضحي الجبالُ النُّبر خلفي كأنها من الآل ، حُفَّت بالملاء المضرّد (١)

او ما شاكل ، اصبح من الصعب علينا ان لا نلمس فيها لمس اليد تأثير فنّ زهير الذي حدّدناه في مقدّمة الجزء ٢٥ من الروائع ، فليراجع . وهو تأثير داخلي عميق يتغلغل حتى الروح الشعرية نفسها ، بخلاف تأثير معلقة طرفة الذي نتحققه في دالية الحطيئة ، المأخوذ منها البيت السابق ، وهذا خارجي محض قد يظهر في توافق الالفاظ والتعابير بل الاشطر ، ولكنه لا يعدو ذلك . وكذا القول عن الابيات الحكمية التي كان يرغب فيها شاعرنا ، كقوله :

من يفعل الخير لا يعدم جوازيَه لا يذهب العرف بين الله والناس

وقوله :

ولست ارى السعادة جمع مال ولكن التقيّ هو السعيدُ
وتقوى الله خير الزاد ذخراً ، وعند الله للأتقى مزيدُ
وما لا بدَّ ان يأتي قريبٌ ولكنَّ الذي يمضي بعيدُ !

فهي ايضاً من تراث زهير الحكمي ، ولكن الحكمة فيها تألمت نوعاً ما ، اذا صحَّ التعبير ، بفضل تأثير القرآن .

وكان يستعمل هذا الذوق الزهيري ايضاً في ما يتذوّقه من شعر سلفائه ومعاصريه ، بدليل ان كل الابيات التي ذكر الرواة ، في احاديثه المختلفة ، انه كان يفضلها على سائر الشعر ، او يفضل اصحابها على غيرهم بسببها ، لا تعدو ان تكون حكمية موجزة ، او تصويرية دقيقة من مثل :

لا اعدّ الاقتارَ عدماً ، ولكن فقد من قد رزيته الإعدامُ
و أفلحْ بما شئت ، فقد يدرك بالجـ ـهل ، وقد يخدعُ الأريبُ !
و من يسألِ الناس يحرموه وسائل الله لا يخيبُ !

(١) الديوان (طبعة مصر) ، ص ٢٤ .

وعدد كثير من ابيات زهير نفسه[1].

ولا يؤخذ من هذا ان الحطيئة تأثر بزهير الى درجة استغرقت شخصيته ، وقطعت عليه اساليب الابتكار . لا ! لقد عرف ان يستفيد من تلك المُثل ، ولكنه ظلَّ محتفظاً بنفسيته الخاصة . استعمل الذوق الزهيري المكتسب ، ولكنه اضاف اليه ما امتاز به من رقة تجلت في ابياته الاستعطافية ، ومن ولوع بالعبث ورغبة في الظرف رافقاه حتى منتهى حياته فظهرا في تلك الوصية الغريبة ؛ ومن مقدرة على استعمال التهكم الدقيق اللطيف الشديد المفعول في المتهكَّم عليه . هذا من اشهر ميزات الحطيئة في هجائه ؛ وهذا في عرفنا ، افعل سلاح كان يستعمله في رغباته الكثيرة فيرعب الناس ويجبرهم على قطع لسانه وشراء اعراضهم . ولقد كان يعرف من نفسه هذه المقدرة حتى انه كثيراً ما كان يجيب من يسأله عن اشعر الناس بان يخرج لسانه ، ويقول : « هذا ، اذا طمع ! »[1] واذا طمع معناها : اذا اراد الهجاء للتهديد . واي هجاء اوفر تأثيراً بتهكمه من قوله يحرّض القوم على الردَّة ، فيجعل الاسلام « دين ابي بكر » ، ويجعل الخلافة « متاعاً يورثها بكراً بعد موته » فيقول :

اطنا رسولَ الله ، اذ كان بيننا ؛ فواعجبا ، ما بال دين ابي بكرِ ،
ايورثها بكراً ، اذا مات ، بعده ؟ فتلك ، وبيتِ الله ، قاصمة الظهرِ !

وكان احياناً يتلطف في التهكم حتى يخفى الا على اصحاب البصيرة ، كما في البيت الذي هجا به الزبرقان وهو :

دعِ المكارمَ ، لا ترحل لبغيتها واقعد ، فانك انت الطاعم الكاسي !

فشكاه الى عمر ، فأجبر هذا على استفتاء حسَّان بشأنه . فسأله : « أتراه هجاء ؟ » قال حسان : « قد هجاه وسلح عليه . »[2] ومعنى البيت ان مروءة الزبرقان لا تعدو ان يأكل ويلبس .

بهذه الطريقة كان ينال غايته من الناس اذ يأتيهم عن طريق مقامهم في المجتمع وما يرغبون فيه من التبجح بكرم الفعال ، فيتهكم عليهم ، ويعبث

١) اطلب في ذلك ابن عبد ربه : العقد الفريد ٣ : ١٣٠ – والاغاني ٢ : ٤٧ و ٥٦ .
٢) ابن عبد ربه : العقد الفريد ٣ : ١٣٠
٣) راجع في ذلك . الاغاني ٢ : ٥٢–٥٧ .

بهم ، وينعتهم بالبخل واللؤم ، فيهابونه . فلم يكن بحاجة الى الاقذاع في القول ، والفحش في الكلام ، والبذاءة في التعابير . وهذه صفة ثانية تميز هجاءه عن هجاء بعض من تقدّمه من الجاهليين كالمتلمس وطرفة ، ومن تلاه من الاسلاميين كالفرزدق وجرير وبشّار . وهي صفة مهمة لا نكاد نتصوّرها في شعر رجل كالحطيئة وقف حياته على الهجاء وجعل منه مهنته ومكسب معاشه . ولكنها امر واقع نفهمه اذا تعمقنا في درس الخلاف بين نوعي الهجاء المذكورين ، ومن ثم خلوّ هجاء الحطيئة من الفحش . ولعل السبب في ذلك ان الحطيئة كان نفعياً لا يتطلّب من وراء الهجاء الا الكسب . وكان الذين يهجوهم من السراة في قومهم ، واعظم ما يحافظون عليه سمعتهم من حيث الكرم والجود . وليس لهم على الشاعر سلطة امارة او ولاية يضغطون عليه بواسطتها . بينا كان الفرزدق وجرير يتهاجيان ، وكلاهما شاعر يتطلّب الزواية على خصمه ، فيهجو آدابه ، ويفحش في ذكر اصله ، ولا يتعرّض لبخله او كرمه لان هذا اقلّ ما يكترث له الشاعر . اما المتلمس وطرفة وبشّار ، فكانوا في بذاءتهم ، يهجون ملكاً او خليفةً ، وهم يقصرون عن التأثير عليه بذكر البخل او نكث الوعود ، فلا يجدون ما يشفي غليلهم الا الانتقام منه بالسباب وفحش الكلام .

وعلى الجملة نرى شعر الحطيئة فخماً في المديح ، رقيقاً في الاستعطاف ، أليماً في الهجاء .

واذا ثبتت للحطيئة تلك القصيدة القصصية ، بل الرواية البديعة ، التي أُلحقت بديوانه ونشرناها في آخر هذا الدرس ، كان له فضلٌ جديد في الشعر القديم ، وهو فضل استعماله هذا النوع القصصي على اتمّ ما يتصوّره ارباب الفنّ ، اذ يورد رواية كاملة بمقدّمة يعرض فيها الاشخاص واحوالهم وزمانهم ومكانهم ، وعقدة يسرد فيها الحادثة ، وخاتمة يذكر فيها حال الجميع . كل ذلك باسلوب غاية في الموافقة من حيث الرشاقة والايجاز ، والتنقل بين الانشاء والخبر ، وحسن استعمال الالفاظ . فاذا ثبتت ، ولا نخالها الا ثابتة ، عرفنا ناحية جديدة من شخصية الحطيئة تفوق سائر نواحيها المعروفة ، وتدعو الادباء الى ان يهتموا بها مزيد الاهتمام .

ضيافة بدوية

قال الحطيئة في اعرابي جواد ، صاحب صيد ، ألوف للفلوات :

وطاوي ثلاثٍ عاصبِ البطنِ ، مُرمِلٍ ،
بيداء لم يعرفْ بهـا ساكنٌ رسما ، [1]
اخي جفوةٍ ، فيـه من الإنس وَحشةٌ ،
يرى البؤس فيها ، من شراسته ، نُعما [2]
تفرّد ، في شِعبٍ ، عجوزًا إزاءهـا
ثلاثـةُ اشباحٍ تخالهمُ بَهمـا ، [3]
حُفاةٌ ، عُراةٌ ، مـا اغتذوا خبز ملّةٍ ،
ولا عرفوا للبُرّ ، مذ خُلقوا طعما ؛ [4]
رأى شبحاً ، وسط الظـلام ، فراعـه ؛
فلما بـدا ضيفـاً ، تصوّر واهتما . [5]
فقال ابنـه ، لمـا رآه بحيرةٍ :
« ايا ابتِ ، اذبحني ! ويسّر له طُعما ؛
« ولا تعتذرْ بالعُـدمِ ، عليّ الـذي طرا
يظنّ لنـا مالًا ، فيوسعنا ذمّـا ! » [6]

---

١) الطاوي : المضيض البطن ، الجائع . ثلاث : اي ثلاث ليال . عاصب البطن : الذي يعصب بالخرق ويشدّها على بطنه من الجوع . مُرمِل : محتاج . بيداء : رفي طبعة غولدسيهر : تيهاء . الرسم : ما بقي بالارض من آثار الدار . اي هو في مفازة لم يترل بها احد .
٢) الجفوة : غلظ الطبع . الإنس : البشر . البؤس : الشدة . فيها : الضمير للبيداء .
٣) تفرّد : اعتزل الناس ، والضمير للاعرابي الموصوف سابقاً . الشعب : الطريق في الجبل ، سيل الماء في بطن الوادي . عجوزًا : منصوب باسقاط الباء . والاصل : تفرّد بعجوز . البَهم : ج . جَمة : ولد الضأن والماعز ، شبّهم بها لهزالهم .
٤) الملّة : الرماد الحارّ . البُرّ : الحنطة — لم يرد هذا البيت في طبعة غولدسيهر .
٥) بدا : في طبعة مصر : رأى . تصوّر : في طبعة غولدسيهر : تـوّر .
٦) طرا : مخفف طرأ : على القوم : اتاهم فجأة ، طلع عليهم من بلد آخر .

فروّى قليلاً ، ثم احجم بُرهةً ،
وان هو لم يذبح فتاه ، فقد هنا ؛ [1]
وقال : «هيا ربّاه ! ضيفٌ ولا قِرى !
بحقك ، لا تحرمه تالليلة اللحما ! »
فبينا هم ، عنّت ، على البعد ، عانةٌ
قد انتظمت من خلف مسحلها نظما ، [2]
ظماء تريد الماء ، فانساب نحوها ؛
الا انه منها الى دمها اظما ! [3]
نامها حتى تروّت عطاشها ،
فأرسل فيها من كنانته سهما ،
نخرّت نَحوصٌ ، ذات جحش ، فتيةٌ ،
قد اكتنزت لحماً وقد طبّقت شحما. [4]
فيا بشرَه اذ جرّها نحو اهله !
ويا بشرهم لما رأوا كلمَها يدمى ! [5]
فباتوا كراماً قد قضوا حق ضيفهم
فلم يَغرموا غرماً ، وقد غنموا غُنما. [6]
وبات ابوهم من بشاشته ابا
لضيفهم ، والام من بشرها أُما .

---

١) روّى : في الامر : نظر فيه وفكّر. — في طبعة مصر : تروّى.
٢) فبينا هم : في طبعة غولدسيهر : فبينا هما . عنّت : عرضت . العانة : الاتان ، القطيع من حُمُر الوحش . المسحل : الحمار الوحشي ، وانتظامها من خلفه : انضمامها اليه.
٣) ظماء : في طبعة غولدسيهر : عطاشاً . الا انه : في طبعة غولدسيهر : على انه.
٤) النَحوص : الاتان الوحشية . فتية : في طبعة غولدسيهر : سمينة . طبّقت شحماً : اي امتلأت حتى عمّها الشحم.
٥) اذ جرّها : في طبعة مصر : ان جرّها . اهله : في طبعة غولدسيهر : قومه . الكَلْم : الجرح.
٦) الغُرم : الدين . وقد ورد هذا البيت بعد البيت التالي ، في طبعة مصر.

حسن علوان الدرزيّة

او

الاخت مسيحة الراهبة اللبنانية

بقلم القس انطونيوس شبلي اللبناني
رئيس معاملة جبيل والبترون

٢

المبتدئة والراهبة مسيحة

قضت ثلاثة اشهر بثيابها العالمية في دير القرن، تمتحن الرئيسة دعوتها، حتى اذا وثقت بصحتها، كتب الرئيس العام المشار اليه الى رئيسة دير راهبات اللعازريّات في بيروت يستعلم عن سيرة وسلوك هذه الابنة، وهل هي متحرة ام لا. فوردته جملة طيّبة بحقها، وشهادة بتنصرها، فألبسها اذ ذاك زيّ المبتدئات الاب بطرس الحانك البجدرفليّ، رئيس دير قزحيّا، في اول تشرين الثاني سنة ١٨٦٥، وسُمّيت الاخت مسيحيّة، وكان عمرها عشرين سنة. ولمّا اكملت سنتيْ الابتداء، وشّحها الرئيس العام بالاسكيم الرهبانيّ، ونذرتْ امامه وامام الراهبات النذور الرهبانية الاحتفالية في الثاني من تشرين الثاني سنة ١٨٦٧[1].

مجمل فضائل صاحبة الترجمة

بعد ان استوفينا الكلام عن اطوار حياة الاخت مسيحية علوان وعمّا حدث لها، يحسن بنا ان نأتي على ذكر لمحة عن مجمل فضائلها الرهبانية والادبية.

١) اليك ما جاء عنها في روزنامة دير القرن بحرفيته: «قد لبست الاسكيم الملائكي ونذرت النذر الاحتفاليّ الاخت مسيحيّة برمّانا من طائفة الدروز. قد اقترنت الديانة المسيحيّة وسرّ العماد المبرّر وطلبت الرهبنة فقبلها الرئيس العام بأمر السيّد البطريرك. وكانت راهبة مهذّبة وتعرف اللغة الفرنساويّة جيّدًا والعربيّة والسريانيّة، وذلك من يد الرئيس العام افرام البشرّانيّ في ٢ ت ٢ سنة ١٨٦٧».

وعمّا امتازت به من الصفات الحسان ، نقدّمها خير مثال لراهباتنا الوطنيّات جميعاً فيجدن فيها ما يثير في قلوبهنّ حبّ الرغبة في ان ينهجن نهجها ، وينعش في نفوسهنّ روح الحياة الرهبانية الكاملة.

١ً طاعتها

تفرّدت الاخت مسيحية بين الراهبات بالدقّة في حفظ نذر الطاعة . فقد تخلّت عن ارادتها لرئيستها واصبحت لا تستقل امراً ، ولا تتردّد في قضاء عمل تأمر به الطاعة ، سواء كان صعباً او سهلاً . ومن الادلّة على سرعة طاعتها انها اذا كانت في الكنيسة تصلّي ، او في الدير تعمل ، ودعتها الرئيسة ، تركت عملها في الحال ووقفت أمامها مكتوفة اليدين مُطرقة العينين مستعدّة لتسمع ما تأمرها به.

٢ً عفّتها

يدلّك على شغفها بالطهارة كرهها للزواج ، على ما مرّ بك ، وهجرُها اهلها وموطنها وهي في عنفوان شبابها ، وانجابُها طيلة العمر بين جدران الدير تمارس ضروب الزهادة والعبادة حبّاً بالله ، وصيانةً لفضيلة الطهارة البادية لكل ناظر اليها من حشمتها وآدابها بجميع حركاتها وتصرُّفاتها.

٣ً فقرها

لقد ارتقت الى درجة سامية من كمال الفقر الرهبانيّ . فلم تحبّ ان تلبس ثوباً جديداً ، واذا اشارت اليها الرئيسة بلبسه اجابت ان يسوع لا يطلب مني ان اكون فقيرةً في باطني فحسبُ بل في ظاهري ايضاً . وكانت فضيلة الفقر ظاهرة للعيان في مرقدها ، وملبسها ، ومأكلها.

٤ً دعتها وضعتها

قد تحلّت الاخت مسيحية بهاتين الفضيلتين اللتين حبّتاها الى كلّ القلوب ، وحملتا كلّ القلوب على اكرامها واحترامها . فكانت تعدُّ ذاتها أصغر اخواتها وتأنف من الاطراء موثرة الضعة والمسكنة ، سبّاقة الى كل خدمة حقيرة.

٥ً ملاحظا

ان شغفها بالصلاة كان عظيماً . تصرف حصّة كبيرة من النهار والليل جاثيةً امام القربان الاقدس ، متأملةً او مصليةً . ولم تُهمل قط الصلوات السبع القانونية على القرّاءة . وامّا عبادتها للسيدة العذراء فحدّث عنها ولا حرج فكانت مغرمة بتلاوة ورديّتها غراماً . ومنذ اندمجت في سلك بنات اخويّة الحبل بلا دَنس في دير الراهبات اللعازريّات واناطتْ بعنقها ايقونتها ، بدأت تصلي فرضها في كلّ يوم وظلّت مثابرة عليه ومحتفظة بتلك الايقونة الى حين وفاتها ، ولكثرة ما كانت تقبّلها نعُمتْ وملستْ .

٦ً مثابرتها على العمل

عُهدت اليها خدمة الكنيسة في الاديار الثلاثة التي سكنتها : دير راهبات المحبة ، ودير القرن ، ودير الظهور . وفي كلها كانت بليغة النشاط والعناية بتنظيفها وترتيبها ممّا دلّ على حسن ذوقها وجزيل تقواها .

وكانت تتمّ سائر اعمالها بمنتهى الصدق والنشاط والامانة . ولم تُرَ في كلّ حياتها الرهبانيّة بطّالة قط ، وكان يصعب عليها ان تذهب دقيقة من الزمان ضياعاً . وفي مرضها القصير والاخير ، قبل وفاتها بيومين ، كانت تتسلّى بفتل مغزلها ، وهي مستلقيةٌ على فراشها . ومن اقوالها : « ان الراهبة اذا كانت بطّالة لها اعداء كثيرون يحاربونها وينتصرون عليها . وامّا اذا كانت مشتغلة ، فلها عدوٌّ واحد يمكنها التغلّب عليه بسهولة . »

٧ً زهدها في الدنيا

كانت الاخت مسيحيّة من أشدّ الراهبات ازدراء بالحياة الدنيا وبزخرفها الباطل ، لا يستهوي قلبها شيء من نعيمها ، ولا توقفها محنة عن اطّراد التقدّم في معارج الكمال الرهبانيّ . وقد أخلتْ عقلها من الشواغل الدنيويّة وصبّت بكل جوارحها الى التعمّق بالحياة الباطنية ، سادلة ستار النسيان على ما حدث لها من الحوادث وما انتابها من المكاره والخطوب ، لا تتولاها سآمة ولا كدر من مداومة الصلوات والاماتات وسائر اعمال الحياة الرهبانية .

كانت راغبة اقصى الرغبة في الاعتزال والانفراد عن الناس ليتسنى لها ان تحيا حياتها الباطنيّة ، متمثّلة بامائل القديسين الذين اعتزلوا عشرة الناس جهدهم وآثروا ان يعبدوا الله في الخلوة . وقد قال قائـل : « كلّ مرة كنت بين الناس ارتددتُ انساناً مُنتقصاً »[1] لذلك كانت مغتبطة بعزلتها المؤنسة التي تعيش فيها مع يسوع عيشةً روحية لذيذة لا يعكر صفاءها معكر ، واضعةً نصب عينيها هذا القول : « من رام التوصّل الى العيشة الباطنة الروحانية ينبغي له ان يعتزل مع يسوع عن الجميع[2] »

ومن حين خروجها من برّمانا لم تعد تحبُّ ان ترى من اهلها احداً ولا ان يؤتى على ذكرهم امامها ، ولم تُظهر يوماً رغبةً في مقابلتهم لدى حضورهم مرات الى دير راهبات المحبـة ، ودير القرن ، ودير الظهر . وكانوا يأتونها حاملين السلاح في طي اثوابهم قصد اخذها قسراً او قتلها على ما تحقّق عنهم فيما بعد .

قصدت مرة شقيقتها وابنتها دير مار يوسف الظهر ، وطلبتا من الرئيسة بتذلّل وإلحاح مقابلة الاخت مسيحيّة ، فاشارت اليها الرئيسة ان تواجههما قائلة لها : « هل تخشين شرّاً من مقابلة اختكِ وبنت اختكِ وهما امرأتان ضعيفتان لا تستطيعان إخراجكِ من الدير ولا الاضرار بكِ ؟ » فاجابتها : « تركتُ اهلي في بادئ الامر فلا أُحبُّ بعدُ ان اراهم لان السيد المسيح قال : ان كان احدٌ يأتي اليَّ ولا يُبغض اباه وأمه .. واخواته .. فـلا يستطيع ان يكون لي تلميذاً[3] . وقال ايضاً : ليس احدٌ يضع يدهُ على المحراث وينظر الى الوراء يكون اهلاً لملكوت الله[4] » وهكذا خنقت في قلبها تلك العاطفة الطبيعيّة ، واصرّت على رفض رؤية شقيقتها وبنتها .

٨ً تأسيس دير الظهر[5] وسكنها فيه

تحدّثت الاخت مسيحية ، وهي في دير القرن ، ذات يوم ، الى الامّ اورسلا

١) كتاب الاقتداء بالمسيح ، سفر ١ ، فصل ٢٠ ٢) السفر عينه
٣) لوقا ١٤ : ٢٦ ٤) لوقا ٩ : ٦٢
٥) طالع ما كتبناه عنه في رحلتنا الى شمالي لبنان (المشرق ٣٤[١٩٣٦] : ٤٦٦-٤٧١) وقد وعدنا هناك باننا سننشر ترجمة هذه الراهبة الفاضلة مسيحيّة .

ضومط المغادية رئيسة دير مار يوسف الظهر الحالية قالت : «ألا يمكن انشاء دير للراهبات في جهات جبيل والبترون ؟» اجابتها الامّ اورسلا : «ليس ذلك بمستحيل اذا صليتِ وطلبتِ من الله . واذا صحّ هذا الظنّ يكون تشييده على اسم القديس يوسف.»

شرعت عندئذٍ الاخت مسيحيّة بعمل تساعيّة توصّلاً الى نيل هذه الغاية ، ولما اتمّتها أتت الى الامّ اورسلا قائلة وهي تصفق بيديها فرحاً : «ستتحقق أمانينا ويصير دير ، لاني حلمت في نومي اني جاثية امام الصليب اخاطبه بهذه الكلمات : بحق جراحاتك يا سيدي ، سهّل الطُرُق لعمار دير للراهبات في تلك البلاد ويكون على اسم مربّيك القديس يوسف ، فرأيت المصلوب قد رفع يده عن الصليب ومدّها اليّ وقال : يصير دير . يصير دير.»

كانت تروي هذا الحلم مراراً ، والبشرُ يطفح في وجهها . وقد عرضت على الامّ اورسلا ان تستدعي اليها شقيقها الخوري اغناطيوس ضومط ففعلت . ولما حضر اخبرته بما كان من حلم الاخت مسيحيّة ، وألحّت عليه ان يبذل قصارى جهده لتحقيق هذه الامنيّة ، فوعدها خيراً ورجع يسعى لدى السيد البطريرك يوحنا الحاج ، ففاز منه بأذن وباشر بناء هذا الدير بمساعدة رهبانيتنا ، على تلّة تُسمّى ضهر وطا سفرتا ، قريبة من قرية جربتا . وكان من اقوى المعاونين له على تذليل الصعاب ، المطران يوسف دريان.

لما اكتمل بناء اربعة أقبية وستّ غرف واصبحت صالحة للسكن ، انتقل اليه من دير القرن ، سنة ١٨٩٧ ، ست راهبات من عدادهنّ الاخت مسيحية ، وعبدة الله الاخت رفقا الرئيس التي نشرنا ترجمة حياتها في المجلة البطريركية المارونيّة ، ثمّ طبعناها على حدة.

٩ تثقيفها للمبتدئات

لمّا بلغت الاخت مسيحية الى كمال قداسة في السيرة ، اتفقت الكلمة على تعيينها معلّمة للمبتدئات في دير الظهر ، فكانت تتعهّد هذه الغراس الغضّة الصغيرة بافضل عناية واحسن تربية ، وتسهر على تنشئتهنّ راهبات تقيات ،

باذلة ما في وسعها بتثقيفهنّ على المبادئ القويمة ، طابعة في قلوبهن حب القدوة الصالحة المتجلّية في سيرتها والناطقة في تعليمها ، عاطفةً عليهن عطف الامهات على احبّ البنات.

كانت مثالًا لهنّ في الدقّة بحفظ القوانين بحيث لا تدع هفوةً تمرّ بدون عقاب. وكانت تلبس لباس الخشونة للمبتدئات المتوانيات في تتميم واجباتهنّ ، وتسلك مسلك الرقّة مع النشيطات منهنّ ، جامعة بين العدالة والشفقة . وكان أمقت شيء لديها الكذب ، لانها هي لم تكذب كذبة بسيطة في كلّ حياتها الرهبانية ، على ما تشهد الام اورسلا ضومط التي عاشرتها سنين طويلة . لذلك كانت تحذّر المبتدئات من هذه الرذيلة بقولها : « هلّا رأيتنّ هذه السماء التي فوق رؤوسكنّ ؟ فاني أفضّل ان تهبط الى الارض على ان تكذب واحدة منكنّ كذبة بسيطة . واذا خطر لاحداكنّ ان تقتلني ، فلتقل بصراحة ان فكر القتل مرّ ببالها ، ولا تكذب ، فاقرارها بذنبها يستحقّ المغفرة.» وهكذا غرست في قلوب المبتدئات غرسة الصدق الجميلة.

١٠ً شهرة فضائلها

ثمّ عرف هذه البنفسجة الطيّب ، ولهجت الالسن بقداسة سيرتها ، وكبرت منزلتها في العيون ، واعتبرتها الراهبات واهالي القرى المجاورة لدير الظهر ، راهبة قديسة . فكانوا يقصدونها طالبين صلاتها لشفاء مريض او لتفريج مكروب.

سألها واحد من اهالي صفار الصلاة لابلال مريض ، فاسرعت الى الكنيسة تصلّي واشعلت مصباحاً من الزيت امام مذبح سيدة لورد ، فانطفأ المصباح ثلاث مرات . فاستدلّت على ان المريض مائتٌ لا محالة واخبرت الرئيسة. وفي اليوم التالي مات . وقد جرت حوادث كثيرة على هذا المنوال تبرهن على ان ايمانها بالله كان شديداً ، ورجاءها به وطيداً ، وحبّها له عظيماً.

زار المطران بولس بصبوص دير الظهر واخذ يُطرئ فضائل الاخت مسيحيّة ومما قاله: « انني لا أعجب من بنت درزية تصير مسيحية ثم راهبة ، لان للعناية

الالهية اسراراً غامضة يعجز العقل عن ادراكها ، بل أعجب من تفوقها على الراهبات بكمال سيرتها التي أهلتها لان تكون معلمة للمبتدئات »

وجملة القول ان الاخت مسيحية علوان قضت في دير القرن اثنتين وثلاثين سنة ، وفي دير الظهر ثماني عشرة سنة ، وحياتها فيهما حافلة بأبهى الفضائل والمحامد ، واجلّ الخلال والمناقب.

كانت وادعة النفس ، مطمئنة الضمير ، أليفة السكينة والدعة ، مرهفة الذهن ، شجيعة القلب ، صبورة على الشدة ، بارعة الجمال ، مستوفية محاسن الخَلق والخُلق.

وفاتها

رأى الله عبدته هذه نضجت كالثمرة وحان وقت قطفها ، فاحبَّ ان ينقلها من حديقة الرهبانية الارضية الى جنة ملكوته السماوية ليمتعها بالسعادة الخالدة جزاء مبرّاتها الكثيرة . فقد استمرّت متمتعة بصحة العقل والجسم الى يوم وفاتها ، غير منقطعة عن الرياضات اليومية . وشاء الله ان يلهمها دنوّ أجلها ، فاخبرت رئيستها عن الشهر الذي تموت فيه ، واخذت تستعدّ للاقاة ربّها بما في نفسها وقلبها من حرارة وشوق . وقد صدقت بما تنبأت.

ففي اليوم الخامس من شهر تشرين الثاني سنة ١٩١٥ ، تناولت الزاد الاخير ، ومُسحت بالزيت المقدّس ، وهي في انتباه كامل . وما زالت تردّد هذه العبارة : «يا يسوع ومريم ومار يوسف ، أعينوني . بين ايديكم أضع روحي» ، حتى رقدت بسلام رقاداً ابدياً . واذا اضجع البار فيرقد بسلام ويكون رقاده عذباً[1] .

يقول المثل : من غاب عن الانظار ، غاب عن الافكار ، ولكنه لا ينطبق على الصدّيق لانّ ذكره يحيا الى الابد ، ولا يزال الخلف يتناقله عن السلف ، على تراخي الاجيال والاحقاب.

١) امثال ٣ : ٢٤

لذة وفائدة

لماذا تدخنون ؟

« ان اردت ان تتخلص من عادة مضرة ، فانظر نتائجها في غيرك ، يتبين لك فسادها ، وتشمئز نفسك ، اذ ذاك ، من اتباعها . »

هذا ما قاله احد اطباء الفرنسويين لمدخن مريض لم يكن له مقدرة على ترك التدخين .

وقد قال المدخن عن نفسه :

بعد سماعي هذا الكلام ، اخذت انظر بعين الازدراء الى افواه المدخنين وقد اعوجها الغليون ، والى شفاههم وقد فرقها السيكار ، والى شواربهم واصابعهم وقد حمرها دخان السيكارة . وكنت اشمئز عند ما اراهم ينفضون رماد سيكاراتهم في المنازل فيوسخون الطنافس والمقاعد ، او ينفخونه في الهواء فيفسدونه على الحاضرين . ثم يسعلون ويبصقون متضايقين ، شاكين من وجع الحلق والحنجرة . . . ولم ازل على هذه الحال حتى نفرت نفسي من الدخان ومن رائحته ، وصرت اتجنب كل من يحمل اثراً منه ، ضاحكاً من اولئك المغرورين الذين يضيعون مالهم ، وصحتهم ، ووقتهم ، دون فائدة .

ولم اقف عند هذا الحد . فاخذت ابحث عن الاسباب ، بل عن اشباه الاسباب والتعاليل ، التي يخترعها المدخنون دائماً ليبرروا تجاه انفسهم ، او تجاه ذويهم ، ادمانهم على تلك العادة السيئة . فخرجت من بيتي ، ذات صباح ، قاصداً احد المجتمعات . وبينا انا في الطريق ، رأيت عدة اولاد مختبئين وراء جدار عالٍ ، يدخنون ، ثم يحنون رؤوسهم لنفخ الدخان بين ثقوب الجدار . فوقفت قليلاً اتأمل بهذا المشهد ، ثم قلت :

— لماذا تدخنون ؟

فاجابوا بكل بساطة :

— لنفعل مثل الرجال الكبار . . .

وطرحت بعدئذٍ السؤال نفسه على الرجال « الكبار » ، فاجابوا بكل اسف :

— لان هذه العادة تمكنت منا ، مذ كنا صغاراً .

وهكذا فان اكثر الناس يدخنون ولا يعرفون لماذا . . . يدخنون ليفعلوا مثل غيرهم . فهم يقلدون مقلدي نيكوت ، الذي كان يقلد ، في تدخينه ، احد البرابرة ؛ وهذا الاخير كان يقلد رجلاً كان يدخن ليبهج معاصريه ، فيعجبوا بقدرته على اخراج الدخان من فيه وأنفه . . . عُجب وتقليد ! هما قطبا المحور الذي تدور حوله البشرية .

سألت ، بعد ذلك ، سيدة كانت تحمل سيكارة بين اصبعين دقيقتين عن السبب الذي دفعها الى التدخين ؛ فانفرجت شفتاها بابتسامة لطيفة جمعت بين الزهو والحرية والبساطة ، ورنت بجنوحٍ الى خواتمها الثمينة المتلألئة الاحجار . ففهمت انها تدخن لتظهر للناس تلك الثروة .

— وانتِ ، ايتها الآنسة ، لماذا تدخنين ؟

فنظرت اليَّ الثانية باعجاب ، ورفعت فماً من العاج المذهب ، وقالت :

— بربك ، الا تراه جميلاً ؟

فتبسمت قليلاً لهذا الجواب . واذا بالثالثة تقول بصوت عالٍ :

— ان فم سيكارتي اغرب من هذا . انظر ، الا تجده بديعاً ؟

فنظرت . . . واذا بانبوب من البأر يلتوي بعضه على بعض كالحية . فهززت رأسي . واتمت السيدة :

— انه جميل للغاية . وهو من آخر طراز مستعمل في باريس .

وخرجت من هذا المعرض مكتفياً بما رأيت وسمعت .

فذهبت الى شيخ منفرد لا ينقطع عن التدخين . ولم اكد اطأ عتبة الباب ، حتى سمعته يسعل ويبصق . فدخلت ، وسلمت . وسألته السؤال المعهود . فسعل ثانية ، وبصق ، ثم وضع غليونه باعتناء كلي على طنفة من

المخمل الاخضر ، وقال :

— اني ادخن لامتحن صلاحية هذه الغلايين التي يعملونها تارة من الخزف وطوراً من الخشب الاعتيادي . وكل هذه الانواع تفسد رائحة الدخان ، وتنغص عيش المدخن الخبير و . . .

ثم اخذ يشرح كيف يجب ان يكون الغليون ليحفظ رائحة التبغ .

فتركته يتكلم عن غلايينه ، وخرجت قاصداً احد الفلاسفة المدخنين ، فقال لي :

— اني ارى من خلال دخان السيكارة افكاراً صريحة ، وآراء واضحة ، لا اقدر على الحصول عليها بدون التدخين .

وقد كان احد الشعراء اقرّ لي بكل حرية قائلاً :

— عندما ادخن ، اسبح في عالم الخيال ، فتغيب عني المادة وما تجرّه من حقائق واضحة صريحة . وهذا مما يساعدني على نظم الشعر الخيالي . . .

فتعجبت للتضاد بين التأويلين ، وتركتهما يهيم الاول في فلسفته الصريحة ، والثاني في شعره الغامض . وقصدت صديقاً من كبار المدخنين ، فرأيته منزوياً في حجرته شاحب اللون ، مصفرّ الاصابع ، وقد بحّ صوته من السعال المتواصل ، والسيكارة لا تزال بيده . فسلمت وجلست ، ثم القيت عليه سؤالي المعهود . فسكت ، واجابت امرأته ممتعضة :

— انه ، على ما اظن ، يدخن لينقطع الى خيالاته . لانه كلما اشعل سيكارة ، انتقل من هذا العالم ، فاكلمه واحادثه دون جدوى . ولهذا ارى ان افكاره تسبح في الفضاء تابعة مجرى دخان سيكارته . ويالعظم مصيبتي اذا تناول الغليون . لان دخان هذه الآلة الجهنمية يذهب ، كما لا يخفى ، الى ابعد ما يذهب اليه دخان السيكارة .

فقلت ضاحكاً :

— فله درك من عالمة بامور النفس ، يا سيدتي .

فابتسمت ، وتناولت غليوناً كبيراً فقلبته مدة بين يديها ، وأرتني اياه قائلة :

— لا اشكّ ان هذا الفليون انكليزي . لان من يدخن فيه يلزمه وقت طويل . وقد شُغف به صديقك منذ اسبوع حتى اصبح لا يفارقه . فارجو منك ان تنصحه بالاقلاع عن هذه العادة المشؤومة.

فقلت : لقد اقلع الانكليز انفسهم عن التدخين بمثل هذا الفليون ، لانهم الآن شديدو الحاجة الى الشغل والعمل.

ثم تناولنا القهوة ، وتابعت الحديث :

— لا شكّ ان التدخين عادة مضرّة بكل الناس ، سواء كانوا كباراً او صغاراً ، رجالاً او نساء...

قالت هذا ، وفتحت علبة دقيقة الشغل ، فاخرجت منها سيكارة نحيفة اشعلتها بكل هدوء.

فصحت بها منذهلاً :

— وانتِ ايضاً تدخنين !...

— وحقك ، اني لا ادخن الا لأطرد عني رائحة غليونه ... الا ترى ان دخان الغير لا يُحتمل ؟

— الحق معك !

— تفضل اذاً هذه السيكارة.

فاشعلت السيكارة التي كانت تجربة هائلة ارجعتني حالاً الى عادتي المشؤومة ، فعدت من كبار المدخنين . وما ذاك الّا لاطرد عني رائحة دخان الغير ...

ف. ا. ب

السجون ونظام التأديب

نظر اجتماعي للاب توتل اليسوعي

كيف هي السجون وكيف يجب ان تكون ؟ أهي قفص من حديد تقفلت شبكاته المعدنية على وحوش ضواري ، ام مدرسة لتأديب المجرمين الذين اهمل الدهر تأديبهم ، فتاهوا في بيداء الجهل وحطوا في معاطن الهوان ؟ أتكون السجون « قبراً من قبور الاحياء » كما وصفها المأمون[1] او مأوىً لعلل الارواح ومستشفىً للنفوس ؟ أهي دار العذاب المشبهة بالجحيم المكتوب على بابها الآية التي قرأها الشاعر دانتي على باب جهنم : « ايها الداخلون اليها اطرحوا عنكم كل امل » ؛ ام هي مكان التطهير والتكفير حيث يتاح للمعتقلين ان يلتئموا شتات افكارهم. ويعودوا الى ربهم تائبين ، حتى اذا انتهت مدة سجنهم رجعوا الى ما بين الناس وعرضوا بسلوكهم الحسن عن سالف زلاتهم ؟

ان مسألة السجون خطيرة ووجوهها عديدة ، وهي تشمل ناحيةً من نواحي حياتنا السياسية والمدنية والاجتماعية والاقتصادية والدينية . والسجون كثيرة في بلادنا ، غاصة بالسكان ، على رحبها ، بين اقبية السرايات القديمة والبنايات الحديثة العهد . وان الحكومة تبذل في ايامنا همةً تُذكر لها فتشكر ، في سبيل صحة المحبوسين البدنية وخاصةً في السجون المبنية حديثاً ، كسجن بيروت ففيه دار للمرضى وطبيب وممرض . وقد يؤتى الطعام الى السجناء كل

---

١) النويري : نهاية الارب ٦ : ٦٧ ، دار الكتب المصرية

يوم مرتين ، نظيفاً ؛ وتراعى في السجون حقوق الانسانية على الاجمال . فمن لا يسبب سيأ للقصاص لا يُهان ولا يُشتم ولا يُضرب . ولعل بعض السجناء المفترشين الصوف ، المتوسدين الوسائد ، القاضين ساعاتهم بين قراءة وحديث وتدخين يكونون في حالة يحسدهم عليها ذوو الكدّ والتعب من العمال خارج السجون . والرأي العام قلما يلتفت الى شؤون السجون في البلاد ، وغاية ما يتوخى فيها الناس ، هو ان تكون ابوابها محكمة الاغلاق ، لئلا يفرّ سكانها المجرمون فيعيثوا في الارض فساداً .

على ان اولياء الامر ممن تعهد اليهم الامة باصلاح شؤونها ومداواة جراحاتها ينظرون الى السجون بعين غير عين العامة ، ولا يكتفون بان يجعلوهـا داراً للاعتقال ، ولكن يرغبون في استثمارها غاية المكن فتكون ايضاً داراً للتأديب ولشفاء امراض النفوس . ولما كان هذا العلاج يحتاج الى اطبـاء روحيين من رجال الدين خاصة ، فقد اخذت الحكومة السورية اخيراً تدعو رؤساء الاديان الى اقامة المرشدين على السجناء ، وسبقتها حكومتنا اللبنانيـة العزيزة فسهلت لرجال الدين دخول السجون منذ سنوات عديدة . ولا يسعني في هذا الصدد الّا الثناء على وزارة الداخلية لسماحها في الاذن الذي تخوله الكهنة للتردد على السجون لاعطاء السجناء النصائح الدينية . على ان زيارة رجال الدين السجون من حين الى حين لا تكفي لوفاء المعتقلين حقهم . وما زال امر العناية الادبيـة بهم مشكلاً عويصاً لم تحلّ عقده .

زار صاحب المقـال السجون في بيت الـدين وحلب ودير الزور وبعبدا وزحلة وبعلبك وغيرهـا ، وعلى الخصوص في بيروت حيث أقيمت الرياضات والقيت المواعظ مراراً . واختلط بالمسجونين على اختـلاف المذاهب والاجناس من رجال واحـداث ونساء ومرضى واصحاء . واجتمع بمدير السجون الانكليزي في بلاد عكا ، ايام كان سجناء فلسطين يشتغلون في تعبيـد الطريق الكبرى بين الناقورة وعكا ، ووقف على طرائق مراقبتهم وتشغيلهم . وبين يـديه وثائق رسمية مأخوذة عن احوال السجون في اوربـة واميركة ؛ فقابل بين سجوننا وسجون الافرنج ، فرأى ان كثيراً من النقائص والعيوب المشوّهـة

دور الجزاء والتأديب ، موجودة في الشرق وفي الغرب معاً . كأنّ امرها منوط بطبيعة السجون وخواصها ، اذ هي دور للقصاص والاعتقال لا للرفاهية والانتزاه . على ان الامم الراقية صارت تنظر الى وجوه التأديب واصلاح المسجونين الادبي ، اكثر مما كانت تنظر الى ذلك في الماضي ، وتحققت ان ذلك الاصلاح لا يتمّ الّا بشروط عدة منها مادية ومنها ادبية فاقبلت على العمل بموجبها في تنظيم سجونها وصارت بذلك قدوة لنا . وان الغرض من هذا المقال هو البحث في اصلاح حالة السجناء ولا سبيل الى ذلك الا : اولاً بالكشف على احوال السجون اجمالاً وعلى الخصوص في بلادنا كما هي اليوم ؛ ثانياً في فهم حالة السجناء النفسية كما شخصها الاختصاصيون من اطباء القضاء ؛ ثالثاً في النظر في طرق معالجة امراض السجناء النفسية ، كما يسيرون عليها في البلاد المتمدنة .

١

دار القصاص : القفص الحديدي

ان سجن الرمل في بيروت من احدث البنايات المشادة لاعتقال المذنبين والمتهمين والموقفين ، وسوف يبلغ عدد سكانه عند انتهاء بنيانه زهاء ٨٠٠ . فهو من اهم سجون البلاد وجدير بان نتخذه قاعدة للكلام . مقامه فسحة واسعة واقعة بين غاب الصنوبر والبحر ، جنوبي بيروت ، على مسافة ثلاثة ارباع الساعة للماشي اليها من ساحة البرج . هذه الفسحة مسورة بجدار عالٍ وفيها البنايات مهندسة على شكل الاصابع في الكف ؛ والبناية المختصة بالادارة والموظفين هي بمنزلة الراحة من تلك اليد . يؤتى بالمعتقل الى السجن فيُفتح امامه اولاً الباب الخارجي في الوجهة الشمالية وعليه جندي حامل بندقيته وبها حربتها . على باب الادارة يفحصون عن هوية المعتقل ويعينون له مقاماً . بنايات السجون اربع ، اضيقهن مختصة بالنساء وملاصقة لبناية الموظفين شرقاً ؛ فيها ثلاث غرف ، غرفتان مساحتهما زهاء عشرة امتار طولاً وعشرة عرضاً ، وهما على جانبي الغرفة الصغرى المتوسطة حيث مقام السجّانة . والغرف لها ابواب على دهليز طوله زهاء العشرين متراً ، وعرضه زهاء الاربعة . وفيه المراحيض وحنفيات الماء ومغسل الثياب .

ويلي سجن النساء بناية اخرى قسم جانبها الشمالي ليكون مستشفىً للمرضى ؛ فيها مطبخ صغير ، ويلاصقه غرفة الممرض وحانوت العقاقير . اما قسم البناية الجنوبي فهو عبارة عن دهليز ضيق مستطيل ، ضربت على جانبه غرف المجرمين الكبار .

ومن ثمَّ بناية فيها دهليز طوله خمسون متراً وعرضه متران ، في صدره باب يفتح على ممشى مساحته زهاء المئتي متر مربع ، وهو مسقوف ، تحدق بـه قضبان الحديد ، ويقف من وراءها في الخارج جندي ببندقيته وحربتها . والبناية الرابعة شبيهة بهذه ، ولكن ليس فيها ممشى ، وفيها قاووق للاحداث صغير . وفي البنايتين الكبيرتين يوزع السجناء في قاعات كبيرات ، او في غرف منفردة ، طبقاً لمقتضى احوال المعتقلين . والغرفة المنفردة ، او « الزندان » ، يحجر فيها على المتهم الذي لم ينتهِ المدعي العام من اتخاذ قراره ، وتمنع عنـه مخالطة غيره ولكن اذا احتاج الى الخروج اخرجـه السجان وردّه الى محله . وكل قاعة من القاعات الكبرى مُحكمة غلق الباب بقفل متين وفيها المراحيض والماء للغسل وللشرب في زاوية من زواياهـا . وقد يتجنب ذوو اليسر من السجناء فرش فراشهم بالقرب من باب المراحيض . وان غزارة الماء المصبوب ، يذهب بالروائح الكريهة ولكنه يثقل الهواء بالرطوبة . وهذا الهواء اذا كثر عدد المحبوسين واغلقت النوافذ يغلظ ويضيّق الصدور . وقد يراعي الحراس في الغالب طبقة السجناء الاجتماعية فترى الفقراء في قاعة ، والموسرين في غيرها ، وهؤلاء يفترشون البسط ويستخدمون رجالاً من فقراء المعتقلين . ولا يجوز احد من قاعته الى غيرها . وسكان القاعات يقيمون ليل نهار في مقامهم مجتمعين ، ويتراوح عددهم بين العشرين والاربعين . وبينهم الرجل المأيوس والجاني المحبوس لاول وثاني وثالث مرة ، والموقف توقيفاً ، والمتهم ، والشاب ، والكهل ، والمحبوس لشهرين ، ولخمس وعشرين سنة . وان عـدوى الامراض النفسية تتفشى من عليل الى عليل ولكن هذا الخطر لم يُعبأ به وجلّ ما هو مطلوب من المعتقلين ان يركنوا الى السلامة في قفصهم الحديدي .

هذا في « الرمل » اما في بتدين فالسجن اشبه بالخان الكبير . وكذلك

سائر السجون الكبرى في حلب وفي دير الزور قديماً . وبعض السجون موقعها في اقبية السرايات او في طبقاتها السفلى كما في بعبدا وزحلة وبعلبك . اما حالة المسجونين فلا تكاد تتغير عما وصفناها في «الرمل» ، الا انهم في الغالب يتمتعون بفسحة مفتوحة على السماء. ذلك هو مقام سكناهم – اية هي حالتهم الادبية ؟

دار « المنسيين »

قال ابن عبد القدوس في حبسه :

خرجنا من الدنيا ، ونحن من اهلها ، ولا نحن في الاموات فيها، ولا الاحيا.
اذا جاءنا السجان يوماً لحاجةٍ عجبنا وقلنا : جاء هذا من الدنيا.

ان في هذا الكلام بعض المغالاة ومع ذلك فهو صحيح في عدد وافر من السجناء. وما اكثر ما رأينا المساكين يتقدمون الينا ويقولون: ما من سبيل الى الصلة بيننا وبين الناس . نحن في السجن منذ اشهر ولا احد يسأل عنا . تقدم الي يوماً رجل في حالة رثة وقال : « اتهمتني امرأتي بذنب فالقوا الشبهة علي وطرحوني في السجن ، وانا فيه منذ ١٦ شهراً.» ثم أطلق سبيله ؛ فسألت عنه ؛ فقالوا : كان بريئاً . وسمعت شاباً يقول : « سرق جاري في بعلبك . فتعقبوا السارق فلم يجدوه . فدخلوا علي ، وكنت طريح الفراش مريضاً ، فساقوني الى السجن . ولي فيه ثلاثة اشهر ولا احد يسأل عني.» ولما سمعني اتحدث اليه اغرورقت عيناه ولسان حاله يقول: « وقلنا جاء هذا من الدنيا »

ودخلت المستشفى ، فرأيت رجلاً مسلولاً ، فسألته عن سبب علته. فقال : « وضعوني في قبو معتم رطب ، مدة اسابيع ، فمرضت ولا احد يسأل عني وانا غريب اجنبي.» ثم قال : « على ان صفتي الاجنبية حالت دوني ودون عذابي . كان في جواري رجل لرمني حاولوا ان يضطروه بالقوة الى الاقرار ، فضربوه وصرعوه وداسوه بالارض.»

وقال آخر : « حرموني من الطعام ثماني واربعين ساعة ليحصلوا مني على زيادة اقرار ولكن لا اعرف اكثر مما قلت . ولا احد يأتي اليَّ فيسأل عني سوى السجان فانا في « الزندان » كالميت في القبر.»

وسار عند الاميريكان مثل في السجون فقالوا : « السجن دار المنسيين.»

على ان هذه الدار تغلو كالقدر على الماء واذا ضاقت الصدور وبلغت الروح التراقي ، انفجرت قنبلة الارواح واحدثت الثورات والفتن.

في السنوات الاخيرة تآمر ست مئة سجين على حراسهم في الكولورادو ، في الولايات المتحدة ؛ فتغلبوهم على امرهم ، واغتصبوا المفاتيح ، وضبطوا مرافق الحبس ، واقتتلوا قتالاً قلما سبق له مثيل في عهد السجون.

واضطرمت نيران الفتنة في سجن ليفنورث المركزي حيث كان ثلاثة آلاف من السجناء محشورين في بناية قد اعدت لالف وثماني مئة فقط . وينفق على معيشتهم ما كانوا يتقاضونه لمعيشة الف وثمانمئة فقط.

وان امريكا هي بلاد العجائب والغرائب ، وهي بسعة اراضيها وكثرة عدد سكانها ، عظيمة بخيراتها ، وعظيمة بشرورها ايضاً . اما بلادنا فدونها سعة وشراً . ومع ذلك فان وقوع الفتن غير نادر في تاريخ حبوسنا . اما الحوادث الافرادية فكثيرة ، ولا تنقضي الاشهر الّا وتنعي الصحافة سجيناً يهلك انتحاراً اما بشنقه ذاته او باحراقه نفسه ، او يموت حتف انفه بعد ان يكون طال نزاعه اياماً وشهوراً ، ولا احد يكترث لامره ، وحياة الكثيرين من المحبوسين في نزاع مستديم.

بحثوا في امريكا عقب الفتن التي ذكرناها عن اسباب وقوعها فكانت على ما يلي . ١ً : الملل الذي يعتري السجين من طول القيام في سجنه وعلى الخصوص ان كان في الخلوة (او في الزندان) ، ولا يُسمح له بالمخالطة ولا بالحديث مع انسان وهذا الملل دونه مرارة الموت. ٢ً : سوء معاملة الحراس الذين يستعملون الوسائل المادية لضرب المحابيس بالعصي وغيرها. ٣ً : تعسف الحراس وظلمهم المحابيس وسبهم وشتمهم لادنى هفوة يرتكبونها. ٤ً : ضيق المكان نسبة لعدد السكان. ٥ً : قلة العناية بالطعام ليكون شهياً مقبولاً واساسه في الولايات المتحدة نوع من انواع اللفت يسمونه بارسنيس (*parsnips*)

جرت الحوادث فاحدثت ضجةً وشغلت الصحافة فالتفت الناس اليها ، ثم حولوا نظرهم عنها . وعاد السكوت فضرب سرادقه على السجون وسكت السجناء في امريكة ؛ اما في بلادنا ، فلا يسمع صوتهم الا نادراً ، ولا يتم

ان يمحي اثره مع الساعات والايام.

على ان بنايات السجون لا تزال شاهداً عياناً لما يقع فيها من العقوبات القاسية.

وقفت على باب احد السجون في المنطقة الشمالية ، وقد اذن لي الحاكم بالدخول . فامتنع المأمور وكان منتظراً البخشيش. فكرّر الحاكم الامر . فدخلت فاذا فناء لا تزيد مساحته على اربعمائة متر مكعب ، يغصّ بزهاء ثلثمئة رجل . ونظرت فاذا حنفية ماء الشرب تجري بالقرب من المراحيض . واما هذه فجورة مكشوفة على الدوام . وبالقرب منها قبو فيه غرف لا يشرف عليها نور الشمس ابداً. دخلتها فاذا مساحتها بضع امتار مكعبة ، لا بلاط فيها ولا حصير. يفترش صاحبها الحضيض فراشاً فيقاسي برد الشتاء وحرّ الصيف والعفونة ، وروائح المراحيض الكريهة المنبعثة ابداً.

اما في بيروت فعدد وافر من السجناء لا يبصرون نور الشمس الا من خلال شبكات ضيقة ، تصفي عليهم الضياء ضئيلاً . قال لي السجان يوماً « اقتصصنا منهم لانهم ضجوا ليلاً خلافاً للقانون القائل بالسكوت عند الساعة التاسعة مساء.» فنظرت فاذا هم زهاء الخمسين مكتظين في قاعة لا يحل فيها لاكثر من الخمسة والعشرين. فقلت : « لا عجب من ان يقلقوا ويضجوا ونحن في آب اللهاب ! »

— ولكن حلت فيهم العقوبات وعلى ضجيجهم ، حُكم عليهم الا يبارحوا القاووق مدة ٤٨ ساعة . اي انهم حرموا من الانتراه في دهليز الحبس المظلم وطوله ثلاثون متراً وعرضه المتران !

فلا عجب اذن ان تبدو على وجوه بعضهم ملامح اليأس وامارات الحزن والقنوط . افلا يكفي هؤلاء المساكين ابتعادهم عن آلهم وبنيهم واخوانهم وفقدانهم الاموال في الدعاوي وحرمانهم كل ما هو عنوان الراحة المادية والمعنوية ؟ وما بالنا نزيد في طينهم بلة ، وعلى نارهم جمرة : فضرب وشتم وتنكيل . . .

تقدم الي احد السجناء ، وهو مكبل بالسلاسل ليل نهار فذكرني باخبار العصور المظلمة وبايام الاتراك.

العين بالعين والسن بالسن

وكأني بمعارض يقول: قد تحدث اليك الناس بذلك المجرم المكبل بالسلاسل ليل نهار ، وعلمت منهم انه قتل اثنين من الناس ، ولم ينج من عقوبة الاعدام الا لكونه قتل عن غير تعمد ، وامثاله كثيرون .. أعلى هؤلاء الحسرات ؟ اتنسى قول الجاحظ : من « قابل الاساءة بالاحسان فقد خالف الله في تدبيره .» اقرأ ما جاء في نهاية الارب للنويري (٦:٦٥) :

ومن الناس من يرجّح عقوبة المذنب على ذنبه ومقابلة المسيء بما يستحقه من نكاله وضربه ورأى ان العفو عن المجرم موجب لتكراره والاحسان الى المسيء مقتضٍ لاصراره ؛ وقال : ان طباع اللؤم التي حملته على ذلك لا ترتدع بالاحسان ، ومرارة الذنب التي استحلاها لا تغيرها حلاوة الغفران . واخذ في ذلك بالكتاب والحديث ، وقابل على الذنب القديم بالعذاب الحديث وجاء في القرآن : « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم ؛ وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عاقبتم به» وقد امر نبي المسلمين بقتل ابي عزة وصلب عُقبة بن ابي معيط يوم بدر الى شجرة فقال : يا رسول الله انا من بني قريش ! قال نعم . قال فمن للصبية ؟ قال النار . وكان النضر بن الحارث شديد العداوة للنبي فأخذ اسيرًا يوم بدر فامر بقتله فقتل صبرًا بيد علي بن ابي طالب .

وقال علي : الشر بالشر ، وقال : رد الحجر من حيث جاءك ، وقال :

ولي فرس للخير بالخير ملجمٌ ولي فرس للشر بالشر مسرج

ومن اقوال العرب في مثل ذلك كثير ومنه :

اذا المرء اولاك الهوان فأوله هوانًا وان كانت قريبًا اواصره
وان كنت لم تقدر على ان تهينه فدعه الى اليوم الذي انت قادره
وقارب اذا ما لم تكن لك حيلة وصمّم اذا ايقنت انك عاقره

وليست اقوال العرب في الانتقام والعقوبة الا ترداد ما جاء في شريعة موسى الكليم : « العين بالعين ، والسن بالسن » . وان هؤلاء السجناء لم يصلوا الى حالتهم التعيسة الا بارتكابهم المحرمات ومطاوعتهم النفس الامّارة بالسوء ، وفيهم الكذاب والمنافق والسارق والقاتل والفاسق . فمن العدل ان يحتملوا تبعات سيئاتهم ويجازوا عليها بالقصاصات الصارمة . فلا لوم على الحكومة اذا نكلت بهم وجعلتهم عبرة لمن اعتبر . وان وضع القصاص في محله واجب لازب ، لولاه لقويت شوكة الجرائم واضطرب حبل الامن وتضعضعت اركان

النظام العام . والقوة في الحكام فضيلة . وجاء في الانجيل الطاهر : «من اخذ بالسيف ، بالسيف يؤخذ.»

على هذا الاعتراض اجاوب واقول : لا بد من مقاصة المجرمين تعويضاً عن امتهان الشرائع ، وترهيباً للناس . ولكن العدل يقضي بالتناسب بين الجريمة والقصاص . وقد تتذرع الحكومة بذلك العدل لتقضي على القتلة بالاعدام ولا لوم عليها . اما في دون ذلك من الجرائم فلا بد من مراعاة كل ظرف من الظروف والنظر ليس فقط الى الجريمة ولكن الى حالة المجرم عند ارتكابه الذنب لعل العوامل التي دفعته اليه تخفف من ثقل تبعتها عليه او تزيلها.

فيقول المعارض ان القانون يعتبر الظروف المخففة ويراعي حقوقها في تصدير الحكم واعلان الجزاء . اما اذا تم الحكم وقضي في الامر ، فما على السجان الا تنفيذ الحكم فحسب.

اقول : لا ، لا يكفي الحكام ان يزجوا المجرمين في السجون ويتركوهم وشأنهم . ان الفكرة القديمة في طبيعة السجون اخذت تتطور وتتغير منذ اشرق على العالم نور الانجيل ودوى صوت المسيح في الخافقين داعياً الى الرفق بالبائسين : «كنت سجيناً واتيتم اليّ» . تحركت اواصر الرحمة وتمخضت بالحنان وارسلت الى ظلمات السجون نور الشفقة والاغاثة ، فدخلها القديسون يفتدون الاسرى ويفكون اغلال المقيدين . وقال احمد شوقي :

ولد الرفق يوم مولد عيسى والمروآت والهدى والحياء
لا وعيد ، لا صولة ، لا انتقام لا حسام لا غزوة لا دماء

وانبعثت روح الشفقة المسيحية في الامم المتمدنة ونمت واحدثت انقلاباً في علم الاشتراع الجنائي ساعد عليه حديثاً تقدم العلوم الطبية والفلسفية . وتغيرت آراء القضاة في حقيقة الجرائم وعللها ، وادى البحث والتعمق في الامر الى النظر الى المجرم السجين نظر الطبيب الى المريض والى السجون لا كانها مقام القصاص فقط او قفص محكم المرافق يكفينا ان نطرح فيه السجناء ونضرب صفحاً ذكرهم ولكن كما يجب ان تكون : مستشفى للنفوس العليلة ومدرسة للمتأدبين كما سنرى.

(للمقال صلة)

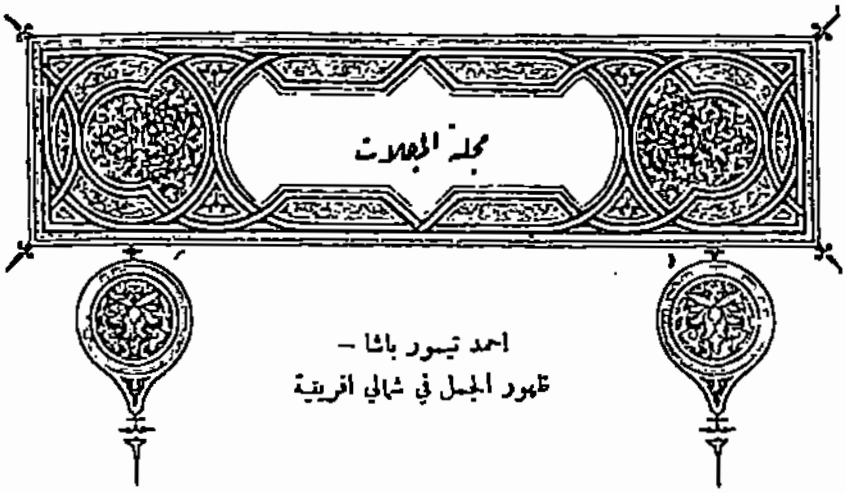

احمد تيمور باشا

انجبت مجلة الزهراء سنة كاملة ، ثم ظهرت مؤخراً وضمت بنشرة واحدة الجزءين السابع والثامن الى مجلدها الخامس . فرحباً بالزميلة وها انا نأخذ منها باختصار (ص ٥٥٦) ترجمة فقيد العربية احمد تيمور باشا ، رحمه الله .

اصل الاسرة التيمورية من بلاد الكرد ، منبت صلاح الدين الايوبي . اول من وفد منها الى مصر تيمور كاشف من رجال دولة محمد علي ، وابنه محمد تيمور وحفيده اسماعيل والد المترجم له .

ولد احمد تيمور في القاهرة سنة ١٢٨٨هـ (١٨٧١م .) تلقن مبادئ العربية والافرنسية والتركية وشيئاً من الفارسية في داره ، ثم دخل مدرسة مارسيل الافرنسية ودرس على الشيخ حسن الطويل († ١٣١٧ = ١٨٩٩) والشيخ رضوان محمد المخللاتي . واتصل بالصداقة بمحمود باشا البارودي ، واسماعيل صبري باشا ، والشيخ محمد عبده ، والعلامة الشنقيطي († ١٣٢٢ = ١٩٠٤) وطاهر الجزائري . فقد زوجه وهو شاب فآلى على نفسه ان لا يرزأ اولاده بعد امهم بمن لا يجدون عندها مثل عطف امهم التي كانت من افضل النساء واكرمهن حسناً وتهذيباً . وفي الثانية والثلاثين من عمره فقد اخته السيدة عائشة تيمور الشاعرة ، ووالدته ، وكان ذلك في شهر واحد . فزهد في الدنيا واباطيلها وانقطع الى العلم والتدين ، وسعى في سبيل اصلاح احوال المسلمين .

فكان يرى الخطر الاعظم عليهم آتياً منهم ، اي بجمود المشايخ وعجزهم من اخذ دفة السفينة بايديهم.

وله مؤلفات عدة كلها مخطوطة ، الا بعض المقالات نشرها في المجلات العربية ، واليك عناوين اهم مؤلفاته:

معجم اللغة العربية — اعيان القرن الثالث عشر والرابع عشر — تراجم المهندسين العرب — ذيل طبقات الاطباء — التصوير عند العرب — مفتاح الخزانة — نقد القسم التاريخي من دائرة معارف فريد وجدي — حياة ابي العلاء المعري وعقيدته — الحلقة المفقودة من تاريخ مصر — لعب العرب — البرقيات — الآثار النبوية — فهرس مكتبته — معجم الفوائد.

واليك ما طبع من مؤلفاته :

نظرة تاريخية في حدوث انتشار المذاهب الاربعة — قبر الامام السيوطي — اليزيدية ومنشأ نحلتهم — تاريخ العلم العثماني — تصحيح القاموس المحيط — تصحيح لسان العرب.

وقد يخلد ذكر تيمور باشا على الخصوص مكتبته وفيها نحو ثلاثة عشر الف كتاب نصفها مخطوط او مصوّر بالفوطوغراف ، ونصفها مطبوع.

ظهور الجمل في شمالي افريقية

الجمل سفينة الصحراء ، حامل الاحمال وقاطع المراحل الطوال ، بحث الاثريون على اصله في بلاد افريقية الشمالية ، وراجم اس عدم وجود آثاره في وادي النيل الا من عهد غير عريق في القدم . فذهب بعضهم الى القول ان الجمل لم ينشأ في افريقية ، بل هو هدية اهدته آسية الى شقيقتها عن طريق بلاد سيناء ، لما اجتازها كامبيس ملك الفرس ، وحمل على مصر وفتحها سنة ٥٢٥ قبل المسيح . وتناول الدكتور اوهدن هذا الرأي وامعن فيه النظر وعلق عليه تعليقات وفوائد في مجموعة بترمن الجغرافية الالمانية (١٩٢٩ : ٣٠٧) ومقاله جدير بلفت الانظار لانه يكشف لنا عن الجهود الفائقة التي يبذلها المستشرقون في البحث على دقائق الامور التي يتوقف على معرفتها مصادر تاريخنا القديم ويرينا اسلوب المناقشة العلمية في موضعه قال :

اذا ما نظرنا الى حركة النقل والتجارة في مصر قبل الفتح الفارسي ، والى ما بلغنا عن معرفة المصريين احوال البلاد ، لا يسعنا الا ان نشك بصدق

القائلين ان الجمل لم يكن معروفاً قبل القرن السادس ق. م. ولا بد ان يكون المصريون قد انتبهوا الى الخدمات التي يؤديها هذا الحيوان فضلاً عن انه لدينا من الآثار الدالة على انهم قد عرفوا الجمل.

وروى صاحب المقال تلك الادلة عن المؤلف شوينفورث وهذه هي :

١) عثروا في وادي ابي عجاج بالقرب من اصوان على تمثال جمل مع صاحبه وعليه كتابة منقوشة يرقى عهدها ، على رأي «مولر» ، الى السلالة السادسة (٢٤٢٠ — ٢٢٧٠ ق. م.) وفيها شهادة صريحة على ان حركة التجارة كانت رائجة مع بونت.

٢) تمثال جمال من وادي حمامات يرقى عهده الى السلالة الحادية عشرة (٢١٠٠ — ٢٠٠٠ ق. م.) على رأي غولنيشف ، وهو من البلاد الممتدة بين مقاطعة ثيبة والبحر الاحمر على الطريق التجارية القديمة.

٣) اكتشف مولر في قبر يرقى عهده الى السلالة الاولى (نحو ٣٠٠٠ ق.م.) بالقرب من ابو صير الملك على اناء كلسي يمثل ابلاً باركة.

٤) رأس جمل من حجر اكتشفه فيلندر بتري في مقلع الحجارة بالقرب من ابيدوس.

٥) لوح من العاج قديم جداً ابتاعه شيابارلي في الاقصر وعليه صورة انسان يقود جملاً.

وانه من الممكن ان تكون القطع الثلاث الاخيرة قد نقلت الى مقرها من غير بلاد. وفعلاً ، لقد ثبت ذلك في ما خصّ اناء ابو صد. على ان التماثيل المنقوشة في الصخور تؤدي البراهين الكافية على وجود الجمل قديماً في مصر . وقد ثبت وجوده ايضاً في غير ذلك من الامكنة ولكن من غير تاريخ.

وفي البلاد الواقعة على الحدود بين مصر والسودان ، عثر ليتان دي بلفون ، شرقي عتبي في وادي ميسا ، على آثار جمال وبقر ؛ وفي وادي بيضاء على صور جمال مشوّهة وخيل للركوب وكتابات غير هيروغليفية ؛ وفي وادي مرة في بادية النوبة ، على منتصف الطريق بين كوروسكو وابي حامد وُجدت تصاوير منقوشة في الصخور ، راق عهدها الى زمان غير حديث ، وعليها رسوم

خيل وجمال وغير ذلك ، ذكرها لبسيوس وقال فيها انها ليست من نوادر المكتشفات في بلاد النوبة.

اما الكتابة العربية التي وُجدت ، ثم مُحيت ، فقد عثر عليها نتيغال بالقرب من ام مشانة في دارفور وعليها تصاوير الخيل والنعامات والابل . فهي حديثة العهد.وجديرة بلفت النظر اقوال نتيغال في الرسوم الصخرية الواقعة في داخل بلاد التبستي في مسافة ثلاثة ايام عن تاوو لانها تناقض رأي هنري بارت. تلك الرسوم مثلت بصورة خشنة غير متقنة جملاً وثيراناً من غير جنس البهائم الموجودة في السودان ، وهي للنقل والحمل . واخيراً نقول ان رسوم الجمل غير قليلة في الصخور الصوانية التي اكتشفها حسنين بك في واحة العوينات سنة ١٩٢٣ ، وان نيوبولد وجد تماثيل مئات من الجمال وغيرها من الحيوانات في ابي سفيان شمالي القرضيان الغربي . لكن عهدها لا يرقى الى ابعد من ١٥٠٠ او الفي سنة على ما يظهر.

وان هذه الادلة العديدة لا تلمّ بسائر ما يمكن كشفه في هذا الصدد ومع ذلك فهي برهان واضح على ان الجمل كان موجوداً منذ القدم في مصر وجنوبها وجنوبها الغربي.

ومما يستحق الذكر بعض رسوم عليها صور الجمال والبقر وهي موجودة في نقط متنائية بعضها عن بعض . ولما كان ظهورها غير منفرد بنوعه ، فلا سبيل الى اتباع رأي هان في قوله ان تمثال اصوان الصخري نحته احد المسافرين الآتين من الساحل الشرقي للبحر الاحمر . وقد علل كرمر عدم وجود الجمل في البلاد العامرة في الزمان القديم تعليلاً مقبولاً . فانه افترض ان الجمل كان نجساً عند المصريين لما كان بينهم وبين القبائل البدوية من النفور ، فضلاً عن ان جنسه ينحط واثره يبيد في الاراضي الرطبة المكونة من رواسب المياه . فمن المعقول ان يكون الجمل قد ظلّ حتى ايام الفتح الفارسي مختصاً بالقبائل الحامية وحدها فقط ، وهذه القبائل كانت معادية لسكان مناطق وادي النيل الواقعة غرباً بشرق انطيو القديم او بلماير.

على ان هناك مشكلاً لم يُنظر اليه بعد وهو : كيف كانوا يقطعون

المسافات قديماً بين مصر والواحات الليبية التي خضعت منذ السلالة الثانية عشرة للحكم المصري ، بعد حملة مصر على ليبية.

قال بورخاردت : انهم كانوا يستخدمون الحيوانات لحمل الاحمال او جرّ المركبات ويسقونها من موارد الصحراء ، ومياهها موفرة لديهم اما بمناهلها واما بطرائق اصطناعية . ثم مضى الزمان وأهمل شأنها فباد اثرها . وهذا الرأي مقبول لانه منذ تناقش العلماء في شأن الآبار الارتوازية اقروا بامكان وجود ينابيع في اعماق الرمال. وقد يصح كلامهم في البلاد الواقعة على طريق القافلات القديمة بين الشرق والغرب من دقل الى كفره.

وبروقنا تذييل المقال بالابيات التالية اخذاً عن مجلة البادية (١٩٣٠ : ص ٤٨٦) وهي لقسطنطين بني ، من قصيدة لطيفة عنوانها « الجمل والطفل والحوض » ، نظمها في اليمن ، يوم كان في ضيافة ضيف الامام يحيى حميد الدين . وهي تظهر الطريقة التي لا تزال متبعة حتى اليوم في سحب المياه من الآبار ، ولعلها موروثة عن الجدود الذين كانوا يقطعون المراحل في ايام العصور الخوالي. ثم تطوّر الزمان وارتقى العالم وهي لا تزال كما كانت . . .

ايها الطفل المغني للجمل ، خدعة منك لكي يعلي القلل ،
هو يدري أنّ من واجبه ، طيلة الايام ، انجاز العمل :
يُخرج الماء من البئر لكي يملأ الحوض ، بلا ادنى ملل ،
يتهادى سائراً مندفعاً ، كاندفاع النحل في جني العسل ،
آملاً ان ينزح الماء من البئر ؛ لكن خيب البئر الامل :
كلما افرغ منه جانباً ، عاد مملوءاً مياهاً بالعجل .
حيّر الماء نهاه ، جاهلاً انه يأتيه من سفح الجبل .
كلما في سيره جدّ ، رأى حبله من خلفه يقفو المثل .
واذا كلّ من السير ، تلاً الطفلُ انشاداً ينسيه الكلل .
هكذا عقل صغير قائدٌ لكبير ضخم جسم ما عقل .
انما لو انصفوه ، عرفوا انهم ، لولاه ، ما نالوا وشل .

ف . ت .

شذرات

جحيم المشاة

نشرنا في العدد الفائت من المشرق (ص ٧٠٢) عدد القتلى والجرحى الذين يذهبون ضحايا السيارات كل سنة في انحاء اميركة ثم اطلعنا في «مجلة العالمين» الفرنسوية (عدد ١٥ تموز ١٩٣٠) على بعض الشروح لهذه الحوادث المؤسفة وذلك في مقالة واسعة عن «الحيل الحاضر في الولايات المتحدة»، قال فيها الكاتب (ص ٣٤٤):

«اصبح تعدّد السيارات وباء ذا خطر شديد على الشبيبة الاميركية. واسباب ذلك عديدة منها تنقّل الوالدين الذين يتركون سياراتهم، دون اهتمام، بين ايدي اولادهم؛ ورخص هذه السيارات المتزايد يوماً عن يوم؛ وعدد المربات المباعة بطريق الحراج بثمن بخس؛ والسهولة في اعطاء شهادة السوق لمن تجاوز الخامسة عشرة من سنيه، في بعض الولايات. كل هذه الامور وضعت في ايدي الشبيبة آلةً قتّالة صارت خطراً عاماً.»

ثم يقول الكاتب في الصفحة نفسها: «ان الولايات المتحدة غنية. على ان هذا الغنى يظهر خصوصاً بغلاء المعيشة، وعليه ينبغي للانسان كثير من المال حتى يعيش عيشة بسيطة.» ونحن نزيد ان هذه الخواطر موقعة بامضاء اميركي فخور ببلاده.

انتشار السينما

ظهرت الصور المشبّحة على لوحات المسارح لاول مرة في ٢٨ كانون الاول سنة ١٨٩٥. اما اليوم، بعد مرور ٣٥ سنة، فيبلغ رأس المال المستعمل في الصناعة السينمائية نحو ٤ مليارات من الدولارات. تستهلك الولايات المتحدة منها نحو النصف، فتأتي صناعة السينما فيها في الدرجة الثالثة، بعد صناعة المقدّدات،

وصناعة السيارات . اما فرنسة فتخصّ بهذه الصناعة نحو مليارَي فرنك ، وبريطانية العظمى ٧٠ مليون ليرة ، واليابان ما يُعادل ٣٠٠ مليون من الفرنكات الذهبية . وفي المانية شركة عظيمة للسينما يعادل رأس مالها ، وحدها ، ٤٥ مليون مارك .

وفي العالم اليوم اكثر من ٦٠,٠٠٠ ردهة لعرض الصور السينمائية منها نحو ٢٥,٠٠٠ في الولايات المتحدة ، واكثر من ٥,٠٠٠ في المانية ، و ٤,٠٠٠ في انكلترة ، ونحو ٤,٥٠٠ في فرنسة ، و ٢,١٠٠ في ايطالية ، و ٢,٥٠٠ في اسبانية . وفي ردهات الولايات المتحدة ثمانية ملايين محلّ ، يمرّ فيها كل اسبوع نحو ١٠٠ مليون من المتفرّجين .

اما محصولات الصناعة السينمائية ، سنة ١٩٢٧ ، فبلغت ١٨٦٩ فلماً ، او شريطاً ، منها ٧٤٣ أُخرجت في الولايات المتحدة ، و ٤٠٧ في اليابان ، و ٢٧٨ في المانية ، و ١٠٦ في انكلترة ، و ٧٤ في فرنسة ، و ٥٧ في الصين . . .

وغنيّ عن البيان ان هذه الاعمال تتطلّب عدداً كبيراً من العمّلة والمستخدمين فضلاً عن الممثلين ومن شاكلهم . وفي الولايات المتحدة وحدها ٢٢٥,٠٠٠ عامل ، و ٣٠,٠٠٠ ممثّل من الاشخاص الثنويين ، وعدّة آلاف من الممثلين الفنيين يرتزقون جميعهم من السينما . وفي المانية شركة مهمة تشغل وحدها ٤,٠٠٠ عامل . ويقدّر مجمل المشتغلين بالسينما في فرنسة بنحو ٤,٠٠٠ ممثل ثنوي ، يُضاف اليهم نحو الفي فنّان . وفي انكلترة ٧٠,٠٠٠ شخص يعيشون بفضل صناعة السينما .

من المسرح الى الدير

جاء في الاخبار الاخيرة ان الممثلة الفرنسية الشهيرة ايفون هوتن ، احدى كواكب « الكومدي فرانسيز » والتي لم تبلغ الثلاثين من عمرها ، قررت هجر العالم والاعتزال في دير ، لقضاء ما بقي من حياتها في اعمال البرّ والتقوى .

مطبوعات شرقية جديدة

Meisler (B): Untersuchungen zur alten Geschichte u. Ethnographie Syriens u. Palästinas. [*Arbeiten aus dem Orient. Seminar der Univers. Giessen, Heft* 2]. *VI-82 pp.*, 8°. 1930, *Töpelmann, Giessen.*

ابحاث في التاريخ القديم ، ودرس السُلالات ، في سورية وفلسطين

هو كتاب جديد (بل جزء اول من كتاب جديد) يختصّ بموضوع قسم مؤرخي الشرق وعلماء سُلالاته البشرية الى قسمين متباينين . فبينما نرى العالم الاميركي كُلَي (Clay) يبرهن ان الأموريين (اطلب سفر العدد ٢١ : ٢١ . . . ، وتثنية الاشتراع ٢ : ٢٦ ؛ وسفر القضاة ١١ : ١٩ . . .) كانوا يحتلّون سورية بكاملها وجميع فلسطين فضلاً عن انتشارهم في بلاد بابل ، منذ عهد سلالة حمورابي ، نرى مذهباً جديداً ، هو مذهب العالم الاشوري لاندسبرغر (Landsberger) ، يقول بنظرية جديدة ينشرها ويتوسّع فيها تيوفيل باور (Bauer) تلميذ لاندسبرغر المذكور . ومفاد هذه النظرية ان الاموريين كانوا من اقدم العصور مقيمين في بلاد بابل لا وانهم متميّزون عن الذين احتلّوا ، بعد ذلك ، سورية الشمالية والمتوسطة .

اما السيد ميسلر ، في كتابه الحاضر ، فانه يعود الى النظرية الاولى فيجعل مقام الأموريين في مناطق سورية الشمالية وما بين النهرين ، ثم يحدرهم شيئاً فشيئاً نحو الجنوب . والمؤلف يهتم بتأليف واسع يدرس فيه السُلالات البشرية في سورية وفلسطين منذ اول عهدها حتى الالف الاول ق.م. ولكنه يكتفي ، في هذا القسم الاول ، بدرس السُلالات غير العبرية اي الاموريين ، والحُرّيين ، والكنعانيين ، والحثيين ، وعلاقاتهم بعضهم مع بعض ؛ مدققاً في درس نصوص التوراة ، مرسلاً شيئاً من النور على جميع الموضوعات الصعبة التي يخوض فيها . هذا ولا يمكننا ان نتبعه في تفاصيله كلها ، بل نكتفي بما تقدّم ، منتظرين نهاية تأليفه حتى نبدي حكماً عاماً في ذلك .

س . د .

J. Sauvaget : Deux sanctuaires chiites d'Alep. [*Extrait de la revue Syria*. 1928]. *Paris, Geuthner. Prix* : 20 *f*

مبدان شيعيان في حلب

هو درس دقيق خصّه المؤلف بمبدين شيعيين على اسم الحسين ومحبّين من حفدة النبي يُظهر اهمية الشيعة في حلب منذ عهد سيف الدولة . والمؤلف يهتم خصوصاً بالجهة الاثرية ونوع هندسة البناء ، مقابلاً بين المبدين المذكورين وآثار الايوبيين والمماليك ، في ابحاث توليه الفضل الجزيل. ه. ل.

Marica Monte Santo : L'Isola dei Gigli (Stampalia.) [*Collezione di opere e di monografie a cura del ministero delle Colonie. n° 7.*] *Sindacato italiano arti grafiche editore in Roma.*

ستامپاليا ، جزيرة الزنابق

عنوان لطيف جذّاب لكتاب جميل المظهر يُقسم الى قسمين : يبتدئ الاول بلمحة في تاريخ الجزيرة ، ثم بوصف عادات سكانها وصفاً يقف فيه المؤلف طويلاً عند الزيّ النسائي ويعزّز اقواله بالصور والرسوم العديدة المتقنة . اما القسم الثاني فيجمع كثيراً من الاغاني الشعبية . وقبل القسمين مقدّمة طويلة يجتهد فيها المؤلف ان يظهر النفوذ المثلّث الذي أثّر في عادات سكان الجزيرة ، والذي يتراءى للباحث حتى ايامنا هذه . فيعتبر ان من يلاحظ الثياب المُتقنة المُثقلة بانواع الزخارف والتطريز التي ترتديها النساء ، يلمس في ذلك تأثير الترف البيزنطي ؛ كما ان من يقف على الاحتفالات الطويلة المعقّدة التي لا تزال ترافق الزواج والدفن ، يشعر بأثر متأخر من آثار العصور الوثنية ؛ وكذلك لا يمكن الباحث الا ان يتحقّق جمال عادات البندقية وحكمة سكانها عندما يطرق سمعه الشعر الفطري النفل الذي يتغنى به اهالي تلك الجزيرة . ويلي ذلك مدح طويل لمدينة البندقية الجميلة . فيمكن المطالع ، والحالة هذه ، ان يستنتج ما لا يصرّح به المؤلف ولكنه ظاهر من خلال اقواله ، من ان ستامپاليا ، والجزر التي حولها ، لا يمكن ان تنفصل عن الشعب الذي يحفظ تقليد جمهورية البندقية. الاب كاتاكيس

Chr. Henn. Voson et Fr. Knulen : Rudimenta linguae hebraicae scholis publicis et domesticae disciplinae brevissime accommodata. *Editio undecima, in-8° XII et 172 pp.) Prix : 2 M., 50 relié toile : 3 M., 50. Herder Freiburg, sans date* (1930).

مبادئ اللغة العبرية

تدلّ هذه الطبعة الجديدة على رواج مؤلّف مدرسي جزيل الفائدة للمبتدئين في درس اللغة العبرية . فبينا نتمنى له دوام هذا الرواج ، نأسف اذ نرى ان الطبعة الحاضرة ، فضلاً عن كونها غير متقنة الطبع ، لا تميّز الكتاب في شيء عما كان عليه سنة ١٩١٠ ، في طبعته التاسعة . مع ان دروس الألسُنية عامة ، واللغة العبرية خاصة ، تقدّمت تقدّماً محسوساً منذ ذاك العهد . حتى انه اصبح من الواجب على اصحاب الكتب في الموضوع ، حتى الابتدائية منها ، ان يستفيدوا من ذاك التقدّم . وهو ما نؤمله للكتاب الحاضر في طبعة جديدة قريبة ان شاء الله .

ب . موترد

J.-B. Thibaut A. A. : L'Ancienne Liturgie gallicane. *vol. 25 × 17 de 120 pp. Prix : 5 f°. Bonne Presse, Paris.*

الليتورجية الغاليكانية القديمة

اهتم حضرة الاب تيبو بدرس المشكل الحائم حول اصل الليتورجية الغاليكانية القديمة التي ظهرت في غالية ، على عهد كلوفيس ، بسرعة تعادل سرعة اضمحلالها في منتصف القرن الثامن ، دون ان تترك شيئاً مهمّاً من آثارها في فرنسة . وكان مما يعقّد حلّ المشكل تلك الصفة الشرقية السائدة في الليتورجية المذكورة . اما اليوم فتبدّدت الغوامض واصبح ذاك الاصل واضحاً بفضل مؤلف الاب العالم الذي استقبله جميع الاختصاصيين بما يستحق من الثناء .

M. Sabry : L'empire égyptien sous Mohamed Ali et la question d'Orient. 605 *pp. gr. in-8°. 1930. Paris, Geuthner. Prix : 75 f°.*

المملكة المصرية على عهد محمد علي والمعضلة الشرقية

شاهد مؤلف الكتاب ، وهو استاذ في دار المعلمين العليا في القاهرة ،

كثرة ما كُتب ، في اوربة خصوصاً ، عن محمد علي والمعضلة الشرقية ، فرأى ان يُقابل ذلك بمؤلف شرقي في الموضوع ، وهو امر لم يقم به احد قبله . فكان كتابه مبتكراً جديداً من بعض جهاته . الّا ان هذه الجدّة قائمة باستعماله المستندات والمآخذ المحفوظة في السجلّات الاوربية ، اكثر منها باستناده الى المعلومات الشرقية. هذا وان في الكتاب ، نقصاً في المعلومات ، وعدم ضبط في التدقيق ، في ما خصّ بلادنا السورية ؛ من ذلك اسماء بعض الاماكن المحرّفة عن اصلها تحريفاً غريباً ككلمة « *Cornile* » (ص ٣٦١) ، وهو يريد بها ، « قرنايل » ؛ وكذلك « *Bait-Hannis* ». ثم ان تأثير هذه المعركة في مصير بيروت مجهول تماماً. وكذلك قوله ، في الصفحة ٣٤٣ ، ان الموارنة من اصحاب البدع ، ليس على شيء من الصحة. وعليه نرى هذا الكتاب مفيداً بالمستندات التي يوردها ، اما احكامه واستنتاجاته فيجب الاخذ فيها بمقدار ، لأنها مفتقرة بالاجمال الى تدقيق وضبط. ج. ل.

Santi Nava : Il mandato francese in Siria dalle sue origini al 1920. *in-8° 269 pp.* 1930.[*Collezione « Cedam » di studi coloniali. vol.* I] *Padova. Casa editrice Dott-A. Milani.*

الانتداب الفرنسوي في سورية ، من اول عهده حتى سنة ١٩٢٩

كتاب حريّ بكل انتباه ، حسن التأليف ، كثير الوضوح ، مترفع عن الاميال الشخصية . فهو يظهر للقرّاء الايطاليين اثرًا وافي المستندات ، صحيح الاستنتاجات ، وللقرّاء الفرنسويين رأي الاجانب في اعمالهم في سورية ، رأياً مصيباً عادلاً. ج. ل.

Emile Faguet : Histoire de la Poésie Française de la Renaissance au romantisme. *t. IV.* Jean de la Fontaine (1621 - 1695). *in-16, broché :* 15 *fr.* *Boivin et Cie, Paris.*

الجزء الرابع من تاريخ الشعر الفرنسوي : جان دي لافونتين

ان الثلاثة المجلدات الاولى التي ظهرت من هذا المؤلف الفريد في نوعه عرضت لنا تاريخ الشعر الفرنسوي من السنة ١٦٠٠ الى ١٦٦٠ ، وهي سنة الانتقال

من الحقبة البيانية التي تلت النهضة الى الحقبة المدرسية المعروفة غالباً بالنصف الثاني من القرن السابع عشر . وفي هذا المجلد الرابع يُظهر لنا الاستاذ النقّاد الشهير كيف ان الآداب الفرنسوية منذ السنة ١٥٥٠ ، وخصوصاً آداب من عرفوا « بالثُريّا » ، تتسق وتتطوّر حتى تصل الى اكمل مظهر لتامها وازدهارها في آثار لافونتين . ولا حاجة بنا الى حثّ الادباء على اقتناء هذا المؤلف النفيس .

Reinstadler: Elementa philosophiae scolasticae. 2 *vol. in-12. Edit. decima tertia, brochés :* 9 *M. reliés:* 11, 40, *Herder et Co Freiburg im Breisgau.*

مبادئ الفلسفة الكلامية

لا شكّ في ان رواج هذا المؤلّف سببه ما تحلّى به من الصفات التعليمية ، كترتيب الموضوعات ، والخوض فيها بدقة ووضوح فضلاً عن سهولة لغته اللاتينية ، وكثرة النصوص الفرنسوية ، مما يرغّب الطلّاب في درسه اولاً ، وفي الرجوع اليه حتى بعد انتهاء دروسهم . ج . ل .

René Maunier: Mélanges de sociologie nord-africaine. 221 *pp. in-12 Prix :* 15 *f^s. Librairie Alcan, Paris.*

ابحاث عمرانية عن شمالي افريقية

عاش المؤلّف ، وهو استاذ في جامعة باريس ، مدة في الجزائر وفي مصر . فرأى ان يجمع في كتابه هذا ما لاحظه ودرسه من الشؤون العمرانية في ذينك القطرين ، فتكلم عن العمران العربي والبربري في ما خصّ الجزائر ، وعن مرافق الغنى ، واسباب الجرائم ، والانتحار ، في ما خصّ مصر . ج . ل .

Chanoine Jules Tournier: La conquête religieuse de l'Algérie (1830 - 1845). 260 *pp, in-12 avec 7 gravures hors texte et une carte. Prix :* 16 *fs. Paris Plon,* 1930.

فتح الجزائر الديني

ان من يطالع مجموعة التذكار المئوي لافتتاح الجزائر يأسف اذ لا يرى فيها كتاباً خاصاً بالجهة الدينية . تلك ثلمة تبعد عن الروح العلمي العادل .

وقد اجتهد بسدّها مؤلف الكتاب الذي نصفه فروى تاريخ الفتح الديني ، الذي كان اصعب وادعى للفخر من الفتح السياسي ، خصوصاً لما صادفه من معاكسات مطّردة من قبل ادارة مدنية لا تفقه شيئاً من حاجات الشعوب الروحية . فأتى بتأليف لذيذ مفيد يبسط خاصة تاريخ اول اسقفية كاثوليكية في بلاد الجزائر. ج. ل.

Islamica, *vol. III, fasc.* 5 — *vol. IV*, 2. *Leipzig, Verlag der Asia Major.*

جزءان من مجلة «إسلاميكا»

لما جزءان جزيلا الفائدة لقرّائنا الكرام . يتضمّن الاول منهما ، في ٩٩ صفحة ، درساً مسهباً عن «ايام العرب» يشهد الكاتب بالاطلاع الواسع والمعلومات الصحيحة . على اننا ، في ما خصّ الصفحة ٦٦ ، نرى رأي بروكلمن ونقول ان اكثر هذه الاحاديث مولّدة من الشعر القديم . اما الجزء الثاني فيحتوي على معلومات ثمينة عن الابحاث العربية التي ظهرت في روسية من سنة ١٩٢١ الى سنة ١٩٢٧ ؛ وعن الاسلام والتاريخ العربي ، والنقود الاسلامية . واننا نشير خاصة الى ابحاث السيد برتولد ه. ل.

Abel Dechêne S. J. : Le flambeau dans la maison. *in*-12°, 164 *pp. Paris, P. Lethielleux.*

السراج في البيت

يجمع هذا العنوان اللطيف صفحات نفيسة عن الفتاة ، فيبحث المؤلف في عقلها ، وارادتها ، وقلبها ، وطرق تنشئتها الادبية ، وتهذيبها الروحي حتى تصبح سراج البيت المنير ، الذي يذكره الانجيل الطاهر . كل ذلك بجملة رشيقة ، واسلوب جذّاب. ج. ل.

الحركة الاشتراكية

بقلم رمزي ماكدونالد — ترجمة الاستاذ محمود حسني العرابي

عني بنشره الياس انطون الياس صاحب المطبعة المصرية. ص ١٦٨ من القطع المثمن الكبير

لم تبلغ بلادنا الى مستوى المدنية الغربية ، ولم تتألم من المشاكل التي تولّدت

في الغرب من تضخم الثروة بين يدي البعض وقبضهم على مرافق الحياة الاجتماعية حتى ضاقت على ذوي الكدّ مذاهبهم ، فنهضوا برُمّتهم يحاولون قلب النظام الاجتماعي السائد ، ويطلبون توزيع اموال الارض وخيراتها على غير ما هي اليوم في ايدي الناس. تلك ، على ما ارى ، خلاصة ما يسمونه الحركة الاشتراكية التي حاول المعرّب ان يعرضها في ترجمته . ما هي قيمة الكتاب في اصله ؟ — لا شكّ ان رمزي ماكدونالد ، رئيس الحكومة الانكليزية وزعيم الاشتراكية ، والمؤلف المعروف ، هو من برى قوسه للنضال عن مبادىه بعزم وارادة بلغت به الى مراقي النجاح . ولكن ليست نظراته في حلّ المشاكل الاجتماعية المتولّدة من الحركة الاشتراكية ما يُستطاع التوفيق بينها وبين المبادئ الكاثوليكية . وقد يزيد هذا الكتاب ابهاماً وتعقداً تعريبه عن اصل لم يتضح معناه للمعرّب فخاض الميدان «كساع الى الهيجاء بغير سلاح». على انه اقبل على العمل بغيرة ونشاط .

ف . ت .

الغدر الذميم

تأليف الارشيمندريت برتلماوس صليبا

٧٢ صفحة متوسطة – بيروت ، ١٩٣٠

مأساة ذات ثلاثة فصول تظهر عاقبة الغدر الذميم ، وجمال الوفاء والامانة . وهي حسنة الوقائع ، متنوّعة المشاهد ، تستنتج منها النصائح الجمّة ، وذلك بجملة سهلة ، واسلوب لطيف .

ثورة عواطف

بقلم نقولا حدّاد

١٥٠ صفحة متوسطة ، مصر ، ١٩٢٨

هي « رواية حب يعلّم الادب » ، على قول مؤلّفها الذي صوّر فيها مشاهد متنوّعة ، وعواطف قوية ، باحثاً في « فلسفة الحب الشعري والهوى العذري » وغايته البرهان ان « التربية اولاً والسُلالة ثانياً منبت الشخصية » كما ان « الام هي من ربّت لا من ولدت .» فتوفق الى ذلك باسلوب قد يكون فيه تكلّف من حيث التشابيه وتناسق الصور ، ولكنه مقبول بالاجمال . هذا وقد نتق

الرواية تنسيقاً تمثيلياً ايضاً.

الذخيرة الى المعاد

نظم سليمان ظاهر العاملي

مطبعة العرفان ، صيدا ، ١٣٤٨ (١٩٣٠) – ٢٦٥ صفحة صغيرة

هي مجموعة ١٨ قصيدة في مدح محمد وآله ، قدّم الناظم على كل منها معلومات تاريخية ودينية ضافية عن الذين يمدحهم . وقد بدأ الكتاب بثلاثة فصول خصّ الاول منها ببحث ديني اسلامي في الالوهية والايمان ، والثاني بمحمد ونبوّته واقوال البعض فيه ، ثم باحوال عرب الجاهلية من العلم والصناعة فالسياسة والادب والاجتماع. اما في الفصل الثالث فيبحث في الامامة بحثاً شيعياً يردفه بشر القصائد التي اشرنا اليها . ويختم الكتاب بعدّة تقاريظ اتته من علماء الشيعة.

كتاب تهذيب الاخلاق لابي زكرياء يحيى بن عدي

عني بنشره وتعليق حواشيه مراد فرّاد چقي

مطبعة دير مار برقس للسريان بالقدس ١٩٣٠ (ص ٦٠ ، ق ٨)

طالعنا الكتاب فرأيناه مستوفياً حقوق النشر العلمي ، قدمه الناشر بديباجة وذكر طبعاته ، ووصف مخطوطاته ، وترجم لصاحبه ، وعرض لائحة مؤلفاته . واعتمد في طبعته هذه الجديدة على النسخة المحفوظة في المكتبة المرقسية بالقدس . وصور صفحته الاولى ليتسنى من ثم للقارئ ان يقابل بين النشرة واصلها . وكتاب تهذيب الاخلاق حقيق بان يوضع بين يدي تلامذة الفلسفة من طلّاب البكالورية. ف. ت.

* الاصطياف في لبنان * كرّاس ذو ٧٢ صفحة نُشر تذكاراً للحفلة التي اقيمت في مسرح حديقة الازبكية ، في القاهرة ، في ١٣ ايار ١٩٣٠ ، وغايتها نشر الدعاية للاصطياف في لبنان . وقد جُمع في الكراس كلمتان طيّبتان لخليل بك مطران والدكتور علي ابراهيم بك ، ومحاضرة نفيسة للطبيب العالم العامل الحكيم امين الجميّل عنوانها : « تغيير الهواء احسن دواء ! »

* حبوبة خاطر * بقلم ولدها لحد خاطر ، بيروت ، المطبعة الكاثوليكية ١٩٣٠ –

هي ترجمة والـدة صديقنا الماون في تحرير جريدة البشير يطلع فيهـا القارئ على مثال الام المسيحية والمرأة الفاضلة.

* برنامج الجمعية الخيرية للقديس منصور دي بول في دمشق، عن سنة ١٩٣٩ * مطبعة القديس بولس في حريصا – تتفرع الجمعية الى تسعة فروع، عدد اعضائها ٢٥١، وميزانيتها عن العام الماضي ٣٠٢٣٠ فرنكاً ذهبياً.

اهم حوادث الشرق في شهر

١٥ تموز — ١٥ ايلول

لا داعي للتنويه بالاشاعات الكاذبة التي لفقتها بعض الصحف على فكرة تنازل البطريرك الماروني عن مقامه والتـاوم في الكرسي وفي امر الانتداب، لولا انها دعت الى شدّ عرى الصداقة بين البطريرك والقـاصد وممثل السلطة المنتدبة بالزيارات والمراسلات التي جرت بينهم (١٤، ٢٧ تموز، ٨ آب). هي هبة ريح نثرت غباراً في اعين البعض، ثم صفا الجو على تجول القاصد الرسولي في لبنان وتظاهر ابناء الكنيسة بطاعتهم الابوية لممثل الحبر الاعظم، ولكن ناحية من نواحي شرقنـا العزيز لا تزال متليدة بالغيوم، والروم الارثوذكس يلتمسون قشع الظلام من بطاركة الاستانة واورشليم والاسكندرية والعلاقات بينهم وبين تلك الكراسي انما هي قانونياً اوهى من سلك العنكبوت. واعرب بعض زعماء الارثوذكس عن فكرتهم باتخاذ بطريرك لهم خارجـاً عن طائفتهم ان لم يجدوا فيها من يكون كفوًا للمقام. عسى ان تكون الفكرة وميض برق الاتحاد.

اصدر المجمع المقدس مراسيم بخصوص ذهاب الكهنة الشرقيين الى اميركة واقامتهم فيها لخدمـة النفوس او لجمع الحسنات، وحدد واجباتهم وواجب السلطة المألوفة تجاههم وتجاه رومة.

اقيمت الرياضات الروحية الكهنوتية السنوية، وصار امرهـا عادةً قلما شذت عنها ابرشية من الابرشيات الكاثوليكية.

لبنان وسورية

سكان الجمهورية اللبنانية	الحاضرون	المهاجرون
الموارنة	٢١٤,٣١٣	٢٠٤٤٨
السنيون	١٣٦,٤٠٤	١٥٠٨
الشيعيون	١١٣,٥٣٦	١٨٣٩
روم ارثوذكس	٧٧,١٤٩	٩٩١٥
روم كاثوليك	٤٥,٥٠٥	٤١٧٧
دروز	٤٢,٣٠٧	٢٦٢٦
البروتستانت	٥,٤٢١	٤٣٩
طوائف الاقليات	١٠,٩٧٤	١٨٩

والمجموع العمومي هو ٨٦٢,٦١٨ ، مع اضافة عدد الاجانب.

توفرت موارد الارتزاق وسبل الراحة: هبطت اسعار المواد الغذائية ، وهجر كثيرون من الارمن في بيروت اكواخهم الخشبية لسكنى البنايات المعدة لهم في الاشرفية وفيها ٣٠٠ منزل ، وانتظم البريد الجوي الاسبوعي ذهاباً اياباً بين مرسيلية وبغداد عن طريق نابولي ، كورفو ، اثينة ، كاستلروسو ، بيروت ، دمشق ، بغداد . وباشرت الوزارة الداخلية النظر الى المواقع الواجب تحريجها وكيفية اشتراك الاهالي او البلديات او اللجان المشاعية في مشروع التحريج مع تحديد المناطق الباقية لرعاية الماعز . واختصروا ٣٥ كيلومتراً من الطرق بتوسيع الاكواع او ازالتها . وصلحوا الطريق الساحلية من حدود حمص فطرابلس فالناقورة ، وانشاوا جسوراً منها جسر الدجاج شمالي جبيل وفتحوا شارعاً جديداً في صيدا ، وابتدأوا ببناية المتحف اللبناني والبارلمان وبزغت اشعة الاصلاح في ظلمات السجون فافرج عن بعض المعتقلين بمناسبة التذكار السنوي العاشر لاعلان استقلال لبنان ، وارسلت الحكومة السورية الى رؤساء الاديان سألتهم ارسال مرشدين الى السجون . واعدت المفوضية العليا مشروعاً لاسكان

المشاتر الرحل في الجزيرة العليا ستبدأ بتنفيذه من اول العام القادم : بتمليك الاراضي ، على ان تشاد المنازل وتباع تقسيطاً ، وتصفية المياه وجعلها صالحة للشرب ، واستثمار نهر جغجغ. ومدت الحكومة السورية يد المساعدة للمزارعين فخفضت رسوم اعشار سنة ١٩٢٩ عشرين بالمئة وسنة ١٩٣٠ ثلاثين بالمئة واجلت الاقساط المستحقة للمصرف الزراعي والمتأخر من اعشار سنة ١٩٢٦ ، ودُشنت دار للحكومة في قضاء الباب ودار للبلدية في قضاء منبج في ولاية حلب (١٧ تموز) . واصبحت القاموشلي مركز لواء متصرفية جديدة.

فلسطين

ان سلاح الصهيونية الادبي الاعظم هو تكرانها على الوطنيين انقساماتهم. فتقول ان الوطن القومي اليهودي لا يبخس العرب حقوقهم وليس العرب بامة واحدة . وقد اشعر الفلسطينيون بالضرر العائد عليهم من جراء الانقسام. وكان المسيحيون اول من نادى بالاتحاد فضربوا صفحاً عمّا نالهم في عهد المظالم والاستبداد وضموا صوتهم الى اصوات المسلمين احتجاجاً على الصهيونيين ، ولبسوا الحداد مع المسلمين على موتاهم الثلاثة المعدمين ، ووقع ارسلان وجابري وعبد الهادي اسماءهم على برقية نشرتها مجلة الامة العربية[1] وفيها : لا قوة في العالم تغصب العرب المسلمين والمسيحيين على الملك الذي بين يديهم من ١٤ قرناً. ومن المسيحيين الذين بذلوا جهدهم في شد عرى الاتحاد ، الشاب الناهض والكاتب المعروف[2] جميل البحري.

---

١) *La Nation Arabe, Juin, 1930, p. 166.*

٢) من مؤلفات جميل البحري :

ترجمة البطريرك كيرلس التاسع – ترجمة واعمال المتربوليت فريغوريوس حجار – الهجوم على البلجيك – تاريخ حيفا – رواية الاختفاء الغريب – الحقيقة المؤلمة – الزهرة الحمراء – الطفل المسروق – اللص الظريف – النرجس وما قيل فيه – الماسة الزرقاء – الوطن المحبوب والمهاجرون اليه – سجين القصر – سقوط بغداد – ظلم الوالد – عبد البهاء عباس والديانة البهائية – على ابواب باريس – على ظهر سفينة – في السجن – في سبيل الشرف – قاتل اخيه – مريم المجدلية – غاية ممثل.

وان سيادة المطران غريغوريوس حجار ارسل البحري مع رفاقه للقيام بمهمة في سبيل المصلحة الدينية المدنية فقتله رعاع المسلمين وجرحوا رفاقه ... فزقوا بيد اثيمة عرى الاتفاق ، ولا يزالون في رعاية وذمة زعماء مذهبهم. فهل تتمنى الصهيونية ان تتسلح على العرب بسلاح غير سلاح قتلة جميل البحري ؟ وهل من محالف لها اشد بأساً على الوحدة العربية من الذين مدوا ظل حمايتهم على المجرمين.

تركية

اثار الاكراد الفتنة على الاتراك سنة ١٩٢٦ فكُبح جماحهم بقساوة . وها انهم جيشوا ١٠٠٠٠ رجل واشهروا الحرب على الاتراك للدواعي التي منذ القدم دفعت الشعوب الواقعة تحت نير الترك الى شق عصا الطاعة . اعني بها تعسف الحكام وعدم كفاءتهم للعمل في سبيل مصالح رعاياهم . واضطرم القتال بين الفريقين واتصلت شرارته بين ايران وانقره واستدعت الجمهورية التركية سفيرها من ايران (١٦ آب)

في ٣٠ آب افتتح خط السكة الحديدية الجديد بين انقره وسيواس.

العراق

جال الملك فيصل اوربة الغربية ساعياً في اكتساب صداقة حكوماتها طالباً لبلاد العراق دخول جمعية الامم بعد ان خرجت عن الانتداب . وقد تظهر فرنسة ولاءها لملك العراق على ان يتم الاتفاق على تحديد التخوم بين بلاده وبلادنا ، وعلى ممرّ انابيب البترول الى البحر المتوسط . وجاء من لندرة ان العراق ينوي انشاء قانون الخدمة العسكرية الاجبارية على الجميع.

يوم ١ ايلول توفي المؤرخ الالماني ادوار ماير.

ف. ت.

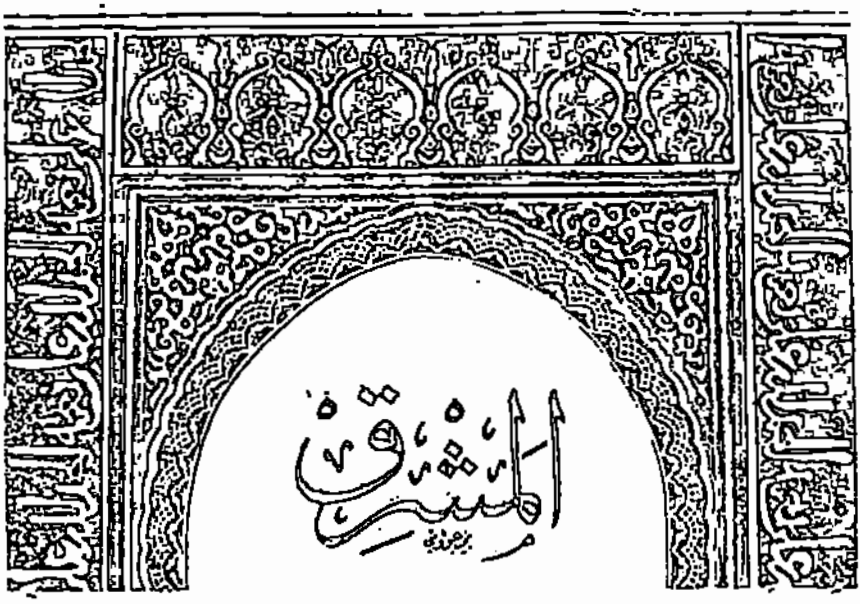

تشرين الثاني ١٩٣٠

في النعمة : ٢

ينبوع النعمة

ومن امتلائه نحن كلنا اخذنا نعمة بدل نعمة
(يوحنا ١ : ١٦)

بقلم حضرة الاب ا . س . مرمرجي الدومنيكي

رأينا في المقال السابق[1] ان الله قد دعانا الى العيش عيشة خالدة ، عيشةً تفوق طور طبيعتنا ، عيشةً متوقفةً على رؤيته تعالى ومعرفته والتمتع بحياته . ولذا فقد اعدّ لنا في هذه الدنيا الوسائل الفعّالة المؤدية الى هذه الغاية . واذ كان من الواجب ان تكون الوسائل من جنس الغاية ، منحنا الرب مساعدةً فائقة الطبيعة ، وهي ما ندعوه « النعمة » ، تلك المساعدة التي بدونها لا يمكننا ان نعمل عملاً واحداً من اعمال خلاصنا . وقد

١) راجع مشرق السنة الحالية ، ص ٥٦١ — ٥٧١

وقفنا على تعليم الكنيسة في هذا الشأن ، بشهادة الكتاب المقدس ، الدالة آياته على ان الله جعلنا اولاده بالذخيرة ، واخوة لابنه الازلي . فاشتركنا ، بواسطة هذه النعمة ، في حياته الالهية ؛ ثم بالادلة العقلية المثبتة بان الخلائق موجهة الى خالقها بطرائق ملائمة لطبيعتها ، وان من طبيعة الانسان ان يعرف الله بعقله ، ويحبه بارادته وقلبه . بيد انه اذ كان الله ، موضوع هذه المعرفة وهذه المحبة ، غيرَ متناهٍ ، وجب ان يهب الباري عبده قوة فائقة الطبيعة بها يستطيع ان يراه تعالى ويحبه كما هو ويشترك في حياته اشتراكاً فعّالاً . وهذا ما قد جرى بفعل النعمة .

امّا الآن ، فبعد ان عرفنا ماهية النعمة وضرورتها ، لنبحث عن مصدرها او ينبوعها ، وهو سيدنا يسوع المسيح الذي به اتانا الخلاص ، ومن ثم النعمة المخلصة او المقدسة .

* * *

اضحى المسيح ينبوعاً فياضاً تأخذ البشرية من امتلائه نعمةً بدل نعمة ، لانه اصبح ، نسبةً الى البشرية ، كالرأس نسبةً الى الاعضاء ، حسب قول الرسول بولس :

« نصدّق بالمحبة ، فننمو في كلّ شيء للذي هو الرأس ، للمسيح ، الذي منه كل الجسد يتسق ويتلاءم بكل المفاصل المتعاونة . فحسب العمل الذي يناسب كل عضو ينشيء لنفسه نموًا ، لبنيانه في المحبة . »

وعليه اذا ارتقينا بنور الايمان الى صدر البشرية ، وآبان خلقة ابوينا الاولين ، نجدهما حاصلين على مجد حالتهما الاولى ، اي مخلوقين على صورة الله ومثاله ، ومدعوين الى غاية فائقة مطلبات طبيعتهما . وهذه الحالة ، حالة النعمة الاولى ، كانت تعدّهما لحالة المجد الموعود به ليس للانسان الاول وحده ، بل لكل ذريته ؛ على شرط ان ابا الجنس البشري أو رأسه يستمرّ خاضعاً لله ؛ والّا فان حدث وتمرّد هو على ربّه ، فانه يجد في ذلك العصيان مبدأ الانحطاط له ولنسله . وهذا ما قد حدث ، كما لا يخفى . فنتج عنه الحالة البؤسى

لكل العالم ، وهي الحالة التي نحن فيها . اذ بعد آلاف من السنين ، نرى آثار خطيئة آدم مثقلة علينا . فعوض ان نكون متشحين بوشاح البرّ ، والحالة الفائقة الطبيعة ، متذرّعين بالأيد الالهي ، ها نحن اولاء نولد ولادة الورثة المحرومين من ملكهم ، ولادة المقترنين بالضعف والاسقام ، اي ولادة المائتين عن النعمة . وهذه الاحوال باقية على هذا المنوال حتى منتهى الاجيال . وليس الايمان وحده يؤيد لنا صحة ذلك ، بل الاختبار عينه . فان كثيرين من الفلاسفة والمفكرين ، لمّا عمقوا في درس الحياة البشرية ، وقفوا فيها على آثار خراب عظيم ، وانحطاط وخيم .

على ان الله لم يكن ليدع الانسانية في تلك الحال الشؤمى ، اي في حال السقوط دون امكانية القيام ، اجل لم يكن ذلك في الامكان ، لمخالفته حكمته ومقاصده ، فان دعوته البشر الى السعادة العلوية المقبلة كانت ثابتة رغماً عن السقطة القديمة . ومن ثم كان واجباً ان يستطيع الانسان ، ان شاء ، العيش في هذه الدنيا عيشة فائقة الطبيعة ، ويحصل على الوسائل التي تمكنه من ان يسترجع لنفسه النعمة التي فقدها . فلزم لذلك ان يقيم الله في العالم رأساً آخر للجنس البشري ، ينزل منزلة العين الروحية ، تتدفق منها مياه الخيرات العلوية ، عوضاً عن العين الاولى التي تغضب مآؤها بمعصية آدم الاول .

فمن هذه الملاحظات ينجم انه للحصول اليومَ على النعمة يجب ان نولد من واحد ، وان تأتينا النعمة من مبدأ شامل . اذ من المناسب ان تعود الينا من الطريق التي بها فقدناها . فقد حُرمناها على يد رأس متمرّد ، فوجب اذن ان تؤوب الينا بواسطة رأس خاضع . وكما لزم ان ننال النعمة الاولى بآدم الاول بالميلاد الطبيعي والنزول من الصلب الاصلي ، اقتضى الامر ان نفوز بالنعمة الفائقة الطبيعة ، بولادة روحية ، من آدم الثاني الالهي ، وهو المسيح الكلمة المتجسد .

فاذا تقرّر هذا ، ظهر جليًّا خطأ الكثيرين من ابناء هذا العصر القائلين بانه لارضاء الله يكفي الرقي الى ذات كل شخص بمفرده . واذا فمن بغية هؤلاء ان يؤلفوا بينهم وبين الله ألفةً خاصة ، ناسين او متناسين تأريخ البشرية الناطق

بوجود ذاك التضامن الذي من شأنــه ان يضمنا ، تحت انظار الله ، بعضاً الى بعض ، كما تلتئم الاعضاء دون ان يُسمح لنا بالانفصال من رأسنا السائد على وجودنا كله.

هذا مدّعى ذوي الآراء الزائفة . اما نحن ، فلعلمنا بتدابير الله وتسليمنا بعبر التاريخ وتعاليم الحياة البشرية ، نجهر بان ديننا من شأنه ، كبقية ما يحدث فينــا ، ان يكون حادثاً اجتماعياً ، وانه ، لكي نحصل على الحيــاة الفائقة الطبيعة ، ينبغي لنا ان نشترك في مبدأ هذه الحياة . فنعلن بان رأسنا وزعيم جنسنا هو كلمة الله ، مجد الآب وصورة جوهره ، الملك الخالــد ، يسوع المسيح ربّنا.

* * *

اجل ان الينبوع الصادر عنه هذا النور وهذه القوة وهذه الحياة ؛ اي نور الله وقوته وحياته ، هو يسوع المسيح سيدنا ، راس البشرية الفائق الطبيعة . وهذا الذي يوقن به ويعلنــه الجمهور المسيحي . اذ انّ المسيح هو ذاك الملك الذي رآه حزقيال النبي ، حين نقله الله بالروح ، فأطلعه على مشاهد العــالم العظيمة . فتأمل النبي حينئذٍ في تلك الالفة الوحيدة المؤلفة من شعب واحد ، على رأسه ملك واحد . فقال له الله : « هــا انا ذا آخذ بني اسرائيل من بين الامم الذين ذهبوا اليهم ، واجمعهم من كل جهــة ، وآتي بهم الى ارضهم ، واجعلهم أمةً واحدة في الارض ، في جبال اسرائيل . وعبدي داود يكون ملكاً عليهم ، وراعٍ واحد يكون لجميعهم.» ثم ان يسوع هو الملك القائم على جبل صهيون الــذي ظهر لداود حين سمع دوياً صاعداً من الارض الى السماء ، ومؤامرة الشعوب على الله ومسيحه . فصرخ قائلاً : « لماذا ارتجت الامم وهذت الشعوب بالباطل . قام ملوك الارض والعظماء وائتمروا معاً على الرب وعلى مسيحه . فقالوا لنقطع ربطهما ، ونلقِ عنّا نيرهما . لكن الساكن في السماوات يضحك ، والسيد يستهزئ بهم ، حينئــذٍ يكلمهم بسخطه ، وبغضبه يروّعهم . اني مسحت ملكي على صهيون جبل قدسي.»

والرب يسوع نفسه ، اثناء حياته الارضية ، كان يدعو الخطاة للاتيان اليه فيقول : « انا الطريق والحق والحياة . اتيت لتجب للناس الحياة ولتكون لهم افضل . من يثبت فيَّ وانا فيه يأتي بثمر كثير.» بمثل هذه الآيات تظهر ملوكية يسوع ورئاسته الفائقة الطبيعة.

فان كان الامر كذلك ، فهل حدث في حياة الرب عملٌ او جملةُ اعمال خوّلته هذه السلطة المجيدة ؟ قبل ان نقف على ذلك يجب ان ندرك بان فكرة الرئاسة تتضمن ضرورة امرين : اولهما تفوّق القدرة ، ثانيهما وحدة الطبيعة. فان كان الرأس ، من الناحية الواحدة ، ذا طبيعة مخالفة لطبيعة الاعضاء ، فلا يحصل بينها وبينه ملاءمة ، فيتعذّر الاتحاد ، او فلا اقل من ينشأ عنه كبير تنافر . وان كان ، من الجهة الاخرى ، لا يتمتع الّا بقوة محصورة كقوة اي عضو من الاعضاء ، جاء عاجزاً عن اتيان اعمال شاملة ، فبطل ان يكون رأساً ، اذ يتعذّر عليه ايجاد الوحدة بين اعضائه.

والحال ان طبيعة يسوع المسيح توجد فيه بنوع عجيب جميع هذه المطلبات. فلو كان انساناً محضاً وكان رأساً لنا ، لجاءت قداسته مستعارة ، ولما ملك ملكاً ذاتياً الخيرات التي يوزعها ، ولامسى بمنزلة قناة بسيطة فيها يفيض الله روح النعمة على البشر ، دون ان يبلغ درجة الكمال التي من خاصتها ان تجعله ، لا مجرى ، بل ينبوعاً تتولد فيه النعمة وتتدفق منه مياهها الى المجاري التي توصلها الى النفوس . لو لم يكن الّا انساناً ، لاصبحت ملوكيته ذاتها ناقصة ؛ ولكان منهاج النظام الطبيعي متفوّقاً على منهاج النظام الفائق الطبيعة. ولجاء الرمز اكمل من الحقيقة . لكن الامر ليس كذلك ، لان يسوع هو اله ، فهو اذن ملك لا مثيل له ، كامل في النظام الفائق الطبيعة ، مالك بذاته الحياة التي يدعونا الى الاشتراك فيها كاعضاء هو رأسنا الالهي.

بيد انه لو كان ، من الجهة الاخرى ، الهاً فقط واضحى رأسنا ، لما كان من عين طبيعتنا ، ولما امكنه ان يسدّ جميع حاجات قلبنا ، لاننا كنا مفتقرين الى رأس مشابه لنا ، وفي وسعه ان يصلنا به في طبيعة مماثلة لطبيعتنا ، كنا مفتقرين الى رأس لا يفصلنا عنه بهاء عظمته ، الى رأس يكون قريباً منا ،

الى رأس شفيق علينا ، خبير بشقائنا ؛ ولتجربه كأس الالم ، يقدر ان يخفف آلامنا ، ويسلينا في احزاننا . الخلاصة ، كنا في حاجة الى رأس يتزل لنا منزلة الاب والاخ والصديق ، فلو كان يسوع الهاً فقط ، لنقصنا كل هذا ، ولكنا عبثاً نسعى وراء شاطئ ثابت قوي نلقي فيه مرساة رجائنا .

لكن يسوع اله وانسان معاً . ولهذا فهو حريّ ان يصبح رأساً لنا ؛ لانه بهذا يستطيع ان يحقق بنوع عجيب كل مطلبات رئاسة كهذه الرئاسة .

لكونه الهاً ، فهو ملك عجيب وكامل ، وينبوعه غير ناضب ، وملكه للحياة ملك خاص ذاتي ، غير مستعار ، وغير قابل الفقدان . ولكونه انساناً ، فهو خليق بان يشبع كل اشواقنا ، ويسدّ سائر حاجاتنا . هذا الرأس الذي كنا نتمناه ، وها نحن مالكوه ، هذا الرأس ابونا الحنون ؛ هذا الرأس اخونا الشفيق ؛ هذا الرأس خليلنا المخلص ؛ هذا الكلمة المتجسد ؛ هذا الضعف والقوة معاً ؛ هذا المجد والذلّ في آن واحد .

على انه لا يكفي للمرء ، لكي يكون رأساً ، ان يملك في طبيعته القدرة والسلطة ؛ اذ يجب ، فضلاً عن هذا ، ان يبرز هذه القدرة فتتحقق بالواقع . من شروط كل سلطة ان يتم تقلدها بحادث او جملة حوادث تنشئها وتحدّدها فتصبح مبدأ الحقوق المنوطة بها . فهل يا ترى قد نال يسوع ، بالفعل ، حقّ الترأس علينا ؟ وهل حاز ذلك بعمل او اعمال من حياته ؟ اذا تخيّلنا ، طبقاً لآرائنا البشرية ، ما عسى ان تكون حياة الاله على الارض ، لا نتمالك من ان نتصوّره محاطاً بالبهاء والعظمة والجلال ، فتتمثل ايامه من اولها الى آخرها سلسلة انتصارات وامجاد ؛ ودوام شرف وسعادة . هذه افكارنا ، هذه احلامنا . لكن ما ابعدها عن افكار الله . فانه قد جاء الى العالم ؛ اما كيف كانت حياته ، فاننا نجدها خلاف ما تتوقعه احكامنا واميالنا . اذ انه ، عوضاً عن ان يولد في الغنى والجاه والعظمة ، قد وُلد في الفقر والخمول ؛ وبدل ان يعيش عيشة الهناء والرغد ، قد قضى عمره في الشغل والعناء الجسم . واما موته فلم يكن موت الظفر والافتخار بل موت الخزي والعار . هذه هي الحقيقة . لانه بتلك الاعمال التي يشقّ علينا تصوّرها قد تقلد السيد المسيح سلطة

ملوكيته . وبهذه الحياة وهذا الموت اضحى رأساً لنا . واذا اردنا ان نعرف لماذا جرى الامر على هـذا النمط ، فلنعلم انه بهـذه الافعال ادى الشروط المطلوبة من الآب الازلي للتكفير عن خطايانا واصلاح حياتنا اصلاحـاً فائق الطبيعة.

فاذا كان يتطلب العدل الالهي لكي يسمح للانسان باسترجاع مجده القديم؟ كان يجب اداء التعويض ؛ كان محتوماً ان لا يعود ابناء آدم الى الحياة العلوية ، الّا بمقدار ما يُكفّر عن الاهانة التي وُجهت الى الله على يد ابيهم الاول . والقول بوجوب التعويض يستلزم وجود معوّض . على ان هـذا المكفّر او المعوّض لم يكن ممكناً وجوده بين البشر ، اذ كان يقتضي ان يُصعد الى عرش العزّة الصمدانية استحقاقاً غير متناهٍ ؛ او بعبارة اخرى ، كان من الواجب ان يتشح الانسان بوشاح مجد الله ، فيمكنه ان يقول للرب المهان«: ألا فلترضَ عدالتك ، وليهدأ غضبك ؛ فهوذا اكرام وتكفير مساوٍ لذنوبنا.» والحال ان مثل هذا العمل كان من المستحيلات ؛ لان البشر خلائق. ولكونهم خلائق ، فهم متناهون ، ومن ثمّ فاعمالهم التكفيرية متناهيـة كطبيعتهم ، فاذن كانوا عاجزين عن ارضاء الله بتعويض غير متناهٍ.

على ان ما كان مستحيلًا بشرياً فقد حققه يسوع المسيح الاله المتأنس بحياته وموته . لانه قصدَ ترضية العدل الالهي ترضية تامة ، قد قام ابن الله مقـام الانسانية جمعاء . ولكي تلبس وشاح افضاله الفائقة ، صار الالـه انساناً . وبصيرورته انساناً ، امكنه ان يتألم فيموت . وهذا ما خوّله الحق ليكون رأساً لنا . فوجدنا بـه الوسيلة للرجوع الى الله والتكفير عن مآثمنا تكفيراً موازياً . لان المسيح توسط بين الله والانسان ، فاضحى صلة الاتحاد بينهما ؛ للواحد اصبح ضحية تكفيرية ، وللآخر صار خلاصاً ابديـاً . وكما انه بآدم الاول هلكت البشرية ، فبيسوع آدم الثاني ، تجددت واصلحت احوالها . وكما ضرب موسى الصخرة ، فتفجرت منها المياه العذبة ، فمن قلب يسوع المسيح ، الصخرة السرّية ، التي ضربت على الجلجلة ، تدفقت ميـاه النعمة الغزيرة ، فجرت على نفوسنا جوي الانهار الطامية ، وما دامت الصخرة — وهي دائمـة

ثابتة – فلن تزال المياه الروحية متحدّرة.

* * *

فيسوع اذن بتأنسه وبموته على الصليب اضحى رأس البشرية ، وبهذا خوّل البشر ان يصيروا ابناء الله . لانه فتح في العالم ينبوع النعمة الذي كان قد سدّه آدم الاول.

على اننا يخلق بنا ان نتساءل : هل يا ترى من الكافي ، لكي يكون يسوع رأسنا ، ان تكون هذه الاعمال قد تمّت في الماضي ، او انه يتحتم علينا ان نصنع شيئاً خاصاً بنا ، حتى نتصل به اتصال الاعضاء برأس الجسم كله ؟

الحقيقة انه من الضروري ان يبقى السبيل منفتحاً بين افضال يسوع وبين ضعفنا ، اي يلزم ان تصبح هذه الافضال افضالنا ، وان تتخلّل حياتنا كتغلغل الدم في شرايين جسمنا . وكما انه لا يكفي ، لافادة ابداننا وعيوننا بانوار الشمس ، ان تكون هي شارقة مضيئة ونحن تحت حجاب يصدّ عنا اشعتها الساطعة ؛ وكما انه لا يجدي نفعاً ، لارواء غليلنا ، ان تنبع المياه من عين نراها عن بعد ، دون ان نقترب منها ، ونشرب من تلك المياه العذبة ؛ فهكذا عبثاً يكون المسيح رأسنا ، وعلة خلاصنا الابدي ، ان لم نذهب اليه ونتحد به ، بل نستمرّ بعيدين عنه ، غير فاتحين عيوننا لانوار علمه وقلوبنا لمياه نعمته.

لكن ما الحيلة لاجراء هذا العمل ؟ ما هي الحركة الاولى التي لا بدّ منها للنفس المتوجّهة الى يسوع للتأثر بفاعيل نعمته ؟

على هذا تجيبنا الكنيسة بذكرى حادثة رمزية وردت في العهد القديم. فانه قد جاء في سفر الخروج انّ بني اسرائيل تذمّروا على الله في البريّة ، فانزل فيهم الرب القصاص بان ارسل عليهم حيّات ذات لسعات محرقة مميتة. بيد ان الشعب بعد ان اصابهم ذاك المصاب الهائل ندموا واتوا الى موسى مقرين بخطيئتهم . فتحنّن الرب عليهم وامر عبده بان يرفع في وسط المحلة ، تجاه الشعب ، حيةً من نحاس ، كان يجد فيها الناظر اليها بندامة ، الشفاء من لدغ الحيات القتالة. فنحن كنا كالاسرائيليين مصابين بلسعات حيات الخطيئة المميتة . بيد ان الله

برحمته رفع تجاه انظارنا حيّة ليست من نحاس ، لكن الحيّة الحقيقية المخلصة ، المسيح المصلوب ، فوجدنا الوسيلة للشفاء من سمّ الخطية ، بنظرنا اليها بعين العقل والقلب اي بالايمان. اذ ان الايمان بيسوع وبفدائه هو الشرط الاول لنيل الفائدة الناجمة من نعمه . وهذا ما قد شهد به مار بطرس بقوله : « ليس باحدٍ غيره الخلاص . لانه ليس اسم آخر تحت السماء ممنوحاً للناس به ينبغي ان نخلص . » وهذا ما اثبته مار بولس الرسول ايضاً بقوله : « فاذ قد تبرّرنا بالايمان ، فلنا سلام عند الله بربنا يسوع المسيح الذي به حصل لنا الدخول الى هذه النعمة التي نحن فيها مقيمون ومفتخرون في رجاء مجد الله . » ولا نعجبن من هذه الفاعلية . فانه كان من اللائق ، لكي يتمّ هذا الخلاص فينا ، ان يطلب الله منا اتيان العمل الذي نهب به ذاتنا بكليتها.

على ان هذا الايمان وحده غير كافٍ ، إنْ لم يكن مقروناً بشرط آخر اشترطه المخلّص ولخّصه بقوله : « من لم يولد من الماء والروح لا يقدر ان يدخل ملكوت الله.» فاذن يجب اولاً الولادة من الروح بالايمان ؛ ثم الولادة من الماء بالعماد . وهذا امر واضح . اذ ان يسوع لما اراد ان يمنح نعمته للالفة الاجتماعية ، تحتم ان يظهر ذلك بعلامة حسّية . وهذا ما صنعه بوضعه شريعة العماد. اذ بهذا السرّ تكمل الولادة بالنعمة اي بالعماد بالماء ، او العماد بالشوق ، او العماد بالدم.

ليس من ينكر ان الامر لمّا يجرِ هكذا في الازمان القديمة السابقة مجيء السيد المسيح . اذ بعد ان وعد الله بتجديد واصلاح احوال الجنس البشري ، كان يكفي الايمان بهذا الوعد الالهي والرجاء بافضال المسيح الآتي ، مع اعداد النفس للحال اللازمة لنيل الغفران . هكذا كان الشان في عهدي الشريعة الطبيعية والشريعة الموسوية . ولهذا كان مناسباً ان يسوع حين تأسيسه الالفة الفائقة الطبيعة المنظورة ، يصنع علامة خارجية تدل على الانضمام اليها حسب استطاعة كل واحد . فتطبع هذه العلامة كختم على جباه اتباعه تميزهم عن غيرهم.

وهنا يجدر بنا ابداء ملاحظة وهي ان جميع المسيحيين موسومون بسمة

العماد المقدس ، لكن هل يا ترى كل تلاميذ المسيح قد ابقوا فيهم كمال الايمان بفاديهم وبالخلاص الذي اتاهم به ؟ لا ريب ان جمهور المؤمنين لا يرجون الفدى خارجاً عن حظيرة المسيح ، لكن هل هم باجمعهم حاصلون على روح الايمان وحياته ؟ يوقنون ان يسوع ينبوع النعمة والحياة ، فهل يذهبون فعلاً فيستقون من هذا الينبوع الالهي المياه الروحية التي تشفي غليل نفوسهم ؟ هل يقولون له : « يا رب عندك ملء الحياة ، فامنحني ايلها ، وافض علي مياهها ، لكي احيى باسرارك وقوتك . »

اما نحن فاذ قد نلنا العماد في كنيسة المسيح الحقيقية . فما لنا الّا ان ننمو باتحادنا معه ؛ ولنذهبن غالباً الى هذه العين بالفكر والقلب ، وباعمال حياتنا الروحية ، لنطلع حق الاطلاع على حقيقة عطية الله . لاننا ، وحالتنا هذه ، شبيهون بالمرأة السامرية . نحن عطاش ، ونطلب الماء . فها ان يسوع جالس على حافة العين مستعدّ ان يسقي من يستسقيه ، ويقول لنا عند طلبنا الماء : « انكم لو تعرفون عطية الله ، لاستردتموه سقياً . »

لنسمع اذن صوت الرب ولنقل له كالسامرية الخاطئة سابقاً والتائبة لاحقاً : « ربنا اعطنا لنشرب . اعطنا من هذا الماء ، ماء النعمة الجاري للحياة الابدية . » وهو لا يتردد في ان يهبنا ما نطلب فننمو متقوّين بالنور والسلام . واذا اقتربنا من الابدية نتوق حينئذٍ بشدة اعظم الى مياه المقرّ الذي يؤدي اليه ماء النعمة هذا . فنكرر مع هذه المرأة السعيدة لملاقاتها الرب : « اننا نعرف ان هذا هو المسيح المنقذ . نعرف ذلك لا لانه قيل لنا ، بل لاننا رأينا بعيوننا ، وشعرنا بفعل نعمته العجيبة . »

الفن والاخلاق

بقلم نصرالله واسد نصرالله

ازاء تيار الفساد الجارف المتأتي عن مؤلفات الخلاعة وكتب المجون ، ماذا علينا ان نفعل ، نحن الكاثوليك ؟ انصمت ام نرفع اصواتنا بالاحتجاج باسم الديانة وباسم الضمير ؟ فاذا صمتنا ، استشرى الشرّ وعمّ وباله ، وجثم مكيال الرذيلة حتى يغمر الارض. واذا احتججنا ، أجابنا اعداؤنا ، كما اجاب العبراني موسى في سالف الدهر : « من اقامك رئيساً علينا ؟ فالادب حرّ ، وانما انتم تعترضون علينا باسم ديانتكم والحكم . فديانتكم تزدريها ، والحكم لا نعبأ به. »

فيخيّل لنا اننا بين قياس ذي حدّين ازاء مناصري الشرّ ، الذين ، تبعاً لفولتير ، يرددون : « لنسحق الرجس » ؛ والذين يقولون ان الفنّ حرّ لا يُضبط بقيد ؛ نحتجّ ، ليس باسم الله وهم لا يعتقدون به ، لكن باسم الحقّ ؛ باسم الفنّ نفسه . وبعبارة اصرح ، نعلن ان الفنّ ليس كما ارادوه ، بل نقول :

١ً يجب على الفنّ ان يخضع لغاية الانسان السامية.

٢ً لانه ان ترك وشأنه ، هوى بصاحبه الى وهدة الفساد . (نستدل على ذلك من طبيعة الفنّ نفسه ومن البيّنات التاريخية).

٣ً بل اصبح آفة على نفسه.

وبياناً لصدق ادلتنا نعوّل في هذا البحث على لمع من اقوال خيرة الرجال ، ليس من كاثوليك فحسب ، بل من كفرة ايضاً.

* * *

اولاً – هل من علاقة بين الفن والادب – ونريد بالادب مجموع السنن الاخلاقية – وما هي ؟ قد انكر البعض وجود هذه العلاقات زاعمين ان كلاً من الفن والادب يشغل حيزاً خاصاً ، فكما ان الاديب او الاخلاقي لا يعنى في البحث عن فنون الجمال وشرائط الملاحة ، هكذا الفنّان لا يخل بالاخلاق واصول العادات . فالجمال هو خير الفنّان ، وغاية الفنّان هي الفنّ نفسه . وعندهم ان الفنّان طليق ، يكتب ما يشاء ، ويصوّر ما يريد ، ويمثّل ما يستحسن ، على شريطة ان يكون لعمله مجلىً خارجي جذّاب يسترعي الانظار ويستدعي الانتباه ؛ لا فرق اذا كان الاثر الفني الذي تحدثه منسوجات الفنّ حسناً او سيئاً . فيرون ان « الشعر الذي عليه مسحة من جمال خارجي لاكفى وآثر من شعر يضم اسمى المعاني »[1] والتماثيل العارية فيها من روعة الحسن ما تغلب على القلب ، بينما نرى الملابس تعبث بنضارتها وتذهب برونقها .

فدعاة هذا المذهب يطلقون العنان للطبيعة البشرية دون وازع ولا لجام . ولا يفوت علم المطالع ان الشر اذا القي حبله على غاربه ، عمّ وباله ، وافضى الى اسوأ المغبّات . فهم لا ينظرون الّا الى اللذة ، دون ان يبالوا بما وراء هذه العاجلة ؛ ولا يفكرون ان كل ما على الارض ، حتى الفنّ ، يجب ان يرفع النفوس ويسمو بها الى غايتها العليا .

اجل ان الفن حرّ ، ولكن ضمن نطاق معلوم . يجب ان يكون خاضعاً لسنة الله ، يجب ان يخضع لقواعد خارجة عنه رتبتها علة اعلى واشدّ ضرورة منه . لان المخلوقات العاقلة لها غاية عليها ان تدركها ، وهي كمالها لاجل حياة اسمى لا تنالها الا باستحقاقاتها . فالذين يقصرون غايتهم على حياة الدنيا ، عليهم ان يضعوا غايةً لحياة الانسان ابعد من اللذّة . والحال ان كل شيء ، سواء كان من ذاته او خارجاً عنه ، لا يؤدّي بالانسان الى هذه الغاية ، فهو شرّ ؛ كما ان كل ما يمكننا من ادراكها فهو خير .

. . .

(1) Flaubert

الرسم ١
صورة شرقيّة قديمة للسيدة العذراء محفوظة في دير
طاميش وتاريخها سنة ١٦٠٢
راجع المشرق (٢٧[١٩٢٩] ٥٠٥)

الرسم ٢
عبسة دير سيدة طاميش
راجع المشرق (٢٧[١٩٢٩] ٥٠٨)

زبيّن ان هذه الشريعة ، من حيث انها تنجم عن غاية الانسان الاخيرة ، هي عامة لا يُستثنى من حكمها انسان . والفنان انسان ، بل هو يتحمل مسؤولية اشدّ من مسؤولية اخوانه في الانسانية ، من حيث ان الفنّ كثيراً ما يكون مدرجة للزيغ عن الطريق القويم . « ففي كل ضرب منه كما يقول برونتيير (Brunetière) جرثومة للفساد ... اذ ان كل نوع من الفنون ، كي يصل الى الفكر ، لا يقتصر على استعمال الحواسّ بل يتناول اللذات الخاصة بكل منها . فالصورة غرضها لذة حاسة النظر ، والموسيقى لا تكون شجية مطربة الا اذا انس بها السمع ... »

فقول برونتيير لا يخلو من الغلوّ ، لكنه على جانب من الصحة . وليس في الفن جرثومة الفساد ، كما ادّعى ، بل اخطار الوقوع فيه ، اخطار يؤخذ بحبائلها من لا يجعل غايةً للفن الا الفن نفسه . لانه :

١ً في الفن « توسيع لحياتنا » . اذ من غرضه ان يطبع فينا حياة مصنوعاته ، وذلك بتحبيبه الينا تلك الاشياء . فاذا كان الوسط الذي يلقينا فيه الفنان والكاتب غير صالح ، واذا كان الهواء الذي نستنشقه مسموماً ، فارادتنا اعجز من ان تقاوم الخطر . فهي مأخوذة بروعة المصنوع الخارجية . والجزء الحيواني فينا يتغلب ، واهواؤنا تثور ، وليس في وسعنا اذ ذاك ان نكبح جماحها ، لانه كما قال برغسون (Bergson) « ان موضوع الفن يخدّر ما في قوى الانسان من نشاط ، ويطفنا مجتذَبين اليه ، ويسلب قيادنا فنجري بطواعية لكي ننجز المثال الذهني الممثل لنا . »

٢ً « الفن حنان » فان كان الفنان يدفعنا الى حب اشياء غير اهل بمحبتنا ، فاننا نبذل ما في طاقتنا لكي نقترب منها ، لانّ الحب يدفع الى الاقتداء .

٣ً الفن يوجد الفةً بين العقول . فان كانت دعامة هذه الرابطة فساد الخُلق ، وان كانت الغاية التي تجمع هذه القلوب اثيمة شريرة ، فما عساها تكون تلك الجامعة ؟ اعضاؤها يتمالأون لا للنهوض من اوحال الرذيلة بل للتلطخ باقذارها . وكلما كثر عددهم ، ازدادوا تمرّغاً في المخزيات ، وتمادوا في الغي .

ورب معترض يقول: ان بيئة الفن نقية اذ انه يُحدّ «تمثيل الاشياء على وجه افضل مما هي عليه.» لكن هـذا التمثيل من أدعى مروّجات الشرّ اذ يريه في الاعين مزخرفاً منمقاً . فيفرغ الرذيلة في قالب من الرقة ، ويوشحها بابهى الرسوم ، وينتقها بآنق الكلام واعذبه ، ولا يزال يعالجها حتى يحببها الى النفوس . وهي خدعة حرية باسفنا . ان اصحاب هـذا المذهب دنّسوا كلمة (*idéalisation*) المحدَّد بها الفن ، وخدعوا قلوباً طاهرة تصبو من فطرتها الى الجمال ، فحرّضوها على ارواء غليلها من الاشياء السافلة الدنيئة ، بعد ان كانت تنزع الى المطالب السامية الشريفة.

ومن الغرابة ان نرى اناساً يبثون هذه التعاليم ، ويجاهرون بها بلا حياء ، وكأني بهم يجهلون الطبيعة البشرية ولا ينعمون النظر في ذلك القول المأثور عن أنكر (Ingres) «انه يوجد اكثر مما يتصور ملاءمة بين الذوق والاخلاق السليمة » ليلقوا نظرة على الاجيال الغابرة فيروا ما احدثته تلك الآراء من المفاعيل السيئة. شخصيات بارزة فقدت حريتها ، وشعوب برمتها أضاعت استقلالها ، لانها لم تُعنَ بامر الاخلاق ، ولست مغالياً . الى اي مغبة يقود الفن اذا لم يُضبط ؟ انه ، ولا مراء ، ينتهي الى الفتور ، الى التخنث ، بحيث لا يسعى الا وراء الملاذ.

لنا مثل الامة اليونانية العريقة في المجد ، فانها ، لما فصلت الفن عن الدين والاخلاق ، تسرّب اليها الانحطاط ودبّت في جسمها عوامل الفساد.

كذلك الايطاليون في القرن السادس عشر ، لما استسلموا الى اساتذة البيان الذين يشتغلون بالشكل الخارجي في فني التمثيل والتصوير ، هرّوا حتى افضى بهم الامر الى درك سافل ، حتى في وسط المسيحية عينها ، وتحت نظر البلاط الروماني.

ونضيف الى شهادة التاريخ الصادقة ، بينات النقد المحققة أن الفنّ ، اذا لم يكبح بلجام الادب ، يُفضي حتماً الى فساد الاخلاق . فيرونتير يقول : « ان كل صورة من صور الفن ، اذا تركت وشأنها ، كانت خطراً على نقاوة الاخلاق» وزاد على ذلك فوييه (Fouillée) قائلاً « ان الادب الفني المحض حقيق بآلهة شيلر (Schiller) المتوطنة جبال الأولمب (Olympe) ، غير

حافلة بمقتضيات الحياة، مكتنفة بنور الهي على الدوام، لا بالبشر المائتين الذين في قلوبهم شهوات، ولهم حاجات عليهم ان يضبطوها بقيود.»[1]

لا تنكر ما في ذلك من المغالاة. اجل ان الفن، في الحالة التي صوّره بها بعض الغلاة، قد ينتهي الى تغلب الشهوات. لكن الفنون بالعموم ليست خطرة الى الحدّ الذي جعلها فيه روسو (Rousseau). نعم ان روسو يبالغ — كما فعل قبله بوسويه (Bossuet) في مناظرته مع كافارو (Cattaro) — بزعمه ان الفنون خطر على الاخلاق، ولقد وُجدت لتوطيد عروش الملوك «وهي تضع على اغلال الحديد تيجاناً من الازهار»[2] ان حب روسو، الرجل الفطري، للطبيعة الخالية من كل تصنّع وزخرف يصدّه عن ان يحكم بسداد واصابة. لقد ابى ان يفهم ان الفنّ، حسب الاصول، يقود الى الله، الجمال الخالد، ومن ثم الى اصلاح الاخلاق. فلو كانت الفنون خطراً على الهيئة الاجتماعية، لما بسطت الكنيسة عليها حمايتها ونشطت القائمين بها. وليس في وسعي الآن التوسع في الردّ على روسو، فاجتزئ بما قاله جيلبر (Gilbert) شعراً: «سقوط الفنون يلي ذهاب الاخلاق.»

. . .

ثالثاً — الفن الذي غايته الفنّ فحسب، الذي يزدري بالآداب، ينتهي الى هدم نفسه. ولنا شهادة قيمة للشاعر بودلير (Baudelaire). ففي مقاله عن «المدرسة الوثنية» يُدلي بحجج راهنة فيبين الى ايّ مدى من الضلال يتدهور الانسان، اذا عالج الفن كغاية اخيرة له، وينهي مقاله بهذه الكلمات: «الشغف الشديد بالشكل الخارجي ينتهي الى التشوّش وعدم النظام. فالفنان يصرف قواه كلها الى تلمّس الجمال الظاهري، غير حافل بالكمال الباطني. فافراط الكلف بالفنّ يحسب كأن لا فن، لان ما جاوز حدّه جالس ضدّه»[3]

(١ Fouillée, *Morale des Idées-Forces*, p 351 - 356.

(٢ *Cf. Le «Discours sur les Sciences et les Arts»* de Rousseau.

(٣ Baudelaire, «*L'Art Romantique*».

او مثلما قال رينوفيه (Renouvier): «الفن الذي لا يُعنى بالادب مطلقاً يجرح الضمير ، ويسبب السآمة ، او يثير الاهواء ، وكل من هاتين الناحيتين يعدم حقيقة اللذة الفنية »

ما هي اللذة الفنية : هي انفعال في القوى المدركة بحيث يصول عليها الدهش ، ثم الحب ، فتندفع الى الاقتداء بالمصنوع الخارجي . فالدهش يتطلب سلاماً مستقراً في النفس ، اعني ان تكون في منجاة من نزوات الشهوات ، فكل ما يحيل بها ويعكر راحتها يكون قبحاً لانه ينازع تأثرات الجمال . وعندما نحلّل شعورنا بالجمال نجد ان الركن الاول فيه سكون النفس وطمأنينتها، فكل ما يقلق راحة النفس ويبلبل سكونها يضعف فيها حاسة التذوّق للاشياء الجميلة ، وهي حالة مضادّة للفنّ .

فيلخص مما تقدم ان سيادة الشرّ على المصنوعات ، او اذا كان فيها ما يثلم نقاوة الضمير ويهيج احساسات فاسدة ، يضعف تذوّق لذات الحسّ اذ تتغلب اللذة الحسية على الشعور الفني وتحلّ محله كما قال ونكلمان (Winckelmann): « كل ما يثير الاهواء السافلة يؤذي الشعور الفني . حينئذٍ ليس الجمال الذي يعطف بل اللذة الحسية التي تجتذب »

والاب لونغاي (Longhaye) يقول في كتابه « في النظريات الادبيات » : « ان الشعور بالشرّ او بالاخطار الادبية يميت في اثر الجمال .»[1]

* * *

وبما ان الفن . الذي غايته الفن ، والذي يثلم الادب ، يكون ضرراً على ذاته ، أوَيجب عليه ان يعظ ويؤدّب ؟ ليس الى الوعظ والارشاد يرمي الفن ؛ ولكن يجب ان لا ينتهي الى الاثم ولا يحبه ؛ فلا يعرض على المسارح روايات يمثل فيها الرذيلة على وضح النهار دون ان يشير الى الهوة السحيقة التي تفضي اليها ، ولا ان يمثل مشاهد بذيئة او تحدو الى الفساد من ذاتها ، كتمثال

(١) P. Longhaye : *Théorie des Belles-Lettres*, p. 83.

الزهرة الذي نحته احد النقاشين مدنساً الآية الربانية : « تعالوا اليَّ » . لكن قلما نجد لهذه مثلاً في الفن السامي . وما يتكرر وقوعه غالباً لا يدفع الى الفساد مباشرة ، لكن عن طريق ابعد ، وهي تمثيل اشياء غير لائقة تلفظها الأعين الطاهرة . وهكذا غدت الرموز تصورات منسوبة في جميع الحالات على زيٍّ خلاعي واحد .

ورب معترض يقول انه من الضروري ان تمثل الحياة مثلما هي في الحقيقة . فعليه نجيب : أأنتم مؤرخون علماء أم فنيون . ان غاية المؤرخ والعالم هي الحقيقة المجردة وكشف النقاب عنها ، اما الفنان فهدفه بيان ما فيها من جمال ورونق معجب . فعليه ان ينتقي ما حسن وراق ، وكل ما فسد فهو قبيح ، عليه اطراحه . ولربما يكون الجمال الخارجي كاملاً ، لكن الشكل البادي ليس كل شيء في المصنوع . فالمثال الذهني وما يلهم به الفنان لهما مقام ممتاز في شعورنا ، فاذا كان المثال الذهني غير قويم والهام الفنان ليس بصالح ، نتج عن ذلك تبليل ، ففاتته صفة جوهرية من صفات الحسن .

وهذه النتة « بما ان الفن مستعبد للانسان ، فمن اللازم ان يخضع لشريعة الانسان اي للناموس الادبي » لا تعني ان الفن يترتب عليه ان يحقق الادب عملياً بالوعظ والارشاد . فالادب ليس غاية الفن ، بل هو احد قواعده ومن حدوده . فاذا انجزت الصناعة غرضها بان راعت الآداب من جهة ، واستوفت شرائط الجمال من الجهة الاخرى ، فقد انتت الغاية المطلوبة .

وما ذكرناه عن غاية الفن لا يمنع الفنان ان يقصد الى التأديب . ومن الممكن ان لا تكتسب المصنوعات جمالاً اوفر ، لكنها تحرز شيئاً آخر ، وهو ان تجمع الجمال مع الخير . وهنا يجب عدم الافراط بحيث لا يحوّل فنّ التمثيل مثلاً الى منبر خطابة . فالكاتب التمثيلي لا يتحرى الذود عن الحقائق ، والمصوّر والموسيقي والمشخص لا يحصرون فنهم في موادّ العبادة . فغاية التأديب تقيد حرية التبصر ، وقد قال فاغيه (Faguet) : « من عمد في مصنوعاته الى شرح حقيقة اخلاقية ، سبب عدم النجاح في فنه » كما حصل لشاتوبريان (Chateaubriand) في كتابه « الشهداء = *Les Martyrs* » فقد بذل جهده في

ان يبرهن عن تفوّق الخوارق (*merveilleux*) المسيحية على الخوارق الوثنيـة . ولكي يدلي بحجج يعدّهـا متينة ضحّى بجمالات حقيقيـة موجودة في العبادة الوثنية ، وطمس بعض الشخصيات مثل (*Démodocus et Cymodycée*) . وبارادته ان يقابل بين الخوارق المسيحية والخوارق الوثنية ، وضع من الجهة الواحدة الله تعالى وملائكته ، ومن الجهة الاخرى القوى الجهنميّة ونذرًا من الآلهة الوثنية. فجاء بمقابلة باردة مسهبة جعلت سياق الرواية غير ملتحم .

فاذًا خير الاشياء اوسطها . واذا اضطر الفنان ان يمثل في المسرح اشخاصاً لهم اهواء ، او يصوّر امورًا ليست فاسدة بذاتها ولكنها ، لبعض الاسباب ، لا تخلو من خطر على بعض الانفس السليمة ، فيقتضي بذل الجهد في انقاص الخطر وتقليل تأثيره . فالكاتب التمثيلي عليه ان يقرن الجرائم بتوبيخ الضمير ولوم النفس الامارة بالسوء ؛ ولا يني عن تحبيب الطباع الشريفة والاخلاق العالية . اما من جهة فن التصوير ، افلا يوجد من طريق لرسم الهيئة او بعض الكيفيات بحيث يتناقص اثر الشر ؟

وتأييدًا لما بسطنا عن علاقة الفن بالاخلاق نورد لمعاً لبعض مشاهير الرجال من فلاسفة وادباء :

يؤخذ من خواطر افلاطون وارسطو « ان غرض الفن الوحيد هو التثقيف ونشر الآداب .» وافلاطون كان يرى الفنون التي ترمي الى احداث اللذة خطرًا ، وقد نفاها من جمهوريته .

وبعدهما بلوتينوس (Plotin) يقول « ان المصنوعات الفنيـة تكون جميلة بمقدار ما تتجلى فيها الحقيقة . لهذا السبب لا يلتزم الفنـان ان ينقل الطبيعة الحساسة التي هي حُثالة لطبيعة اعلى ، لكنه يطمح الى مطالب سامية ويجتهد ان يمثل في مصنوعاته جوهر الاشياء التي هي وراء العالم الحسي .... وهكذا ينقي الاشياء الحسية من نقائصها .»[1]

ويقول القديس توما : « اذا كان الفن يصنع اشياء يتعـذّر على البشر

---

(1) *Revue Néo-Scolastique, mai 1909, p. 240 et 242-243.*

استعمالها دون اثم ، فبتكر هذه الاشياء يخطي لانه يقدّم الى غيره مباشرة سبب الشرّ القريب ، كالذي ينحت تماثيل لعبدة الاوثان . على انه يسوغ استعمال الفنون التي يمكن التصرف بنتائجها خيرًا او شرًّا . اما الفنون التي يغلب ان تفضي الى الشر ، وان كانت سائغة ، فالاولى اطراحها .»[1]

وفي منتصف القرن السابع عشر ، نرى بوسوه يحظّر شهود المراسح . لا ننكر انه غالى في تحظيره ، لكنه كان على جانب من الحق . وبوالو (Boileau) يعيب الكتاب الذين يجلون الفساد فيحببونه لقرائهم[2] .

ولا اتعرّض لما قاله روسو عن تأثير الفنّ السيء . ففي كلامه شيء من الاغراق .

وفي القرن التاسع عشر كتبت جورج ساند (G. Sand) « ان على الكاتب واجبات . فالفن الذي غايته الفنّ كلمة جوفاء لا معنى لها ، ولكن الفن للحق والخير والجمال . ذلك هو المذهب الذي افتش عنه .»[3] وبكلمة اصرح يقول تين (Taine) « ان المصنوعة التي تمثل سجية كريمة اسمى من التي تمثل خلقًا ضارًا ... ومجرّد روية هذه النفوس الصغيرة العرجاء يولّد في نفس القارئ شعورًا غامضًا من تعب وسأم حتى من غيظ وكراهة .»[4]

وتولستوي (Tolstoï) في كتابه « ما هو الفن ؟ » يظهر اشدّ صرامة من بوسوه في نقمته على المسارح وعلى الفنون التي غايتها اللذة .

وافضل ما يؤيد ما اتينا على وصفه ، ويجعله خاتمةً لهذا المقال هو روح تعليم المسيح . فالفن الذي غايته الفنّ يرمي الى تمجيد الجسد وتعظيم الاهواء .

(١ *Sum Théol., II-II. q.169, a. 2, ad 4.*

(٢ *. . . Ces dangereux auteurs*
Qui de l'honneur, en vers, infâmes déserteurs,
Trahissant la vertu sur un papier coupable,
Aux yeux de leurs lecteurs rendent le vice aimable.
Art Poétique, chant. IV.

(٣ و ٤ *Cf.* Brunetière : *Discours du Combat, I vol. p. 75.*

والمسيح اعلن ان الجسد هو العدوّ الذي يجب ان نحاربه . لعنه لانه عيتنا ، وما زال يستدرجه من عذاب الى عذاب ومن اهانة الى اهانة حتى علقه على الصليب . وانتم ايها الفنانون قد اتخذتموه الهاً لكم ، وغايتكم القصوى . فهو الكل من فنكم كما هو الكل من حياتكم . وهو يملي عليكم ارادته ويستحكم بكم فيطلق يدكم في تصوير انتصاراته ، فلمجده كرستم قلمكم . اهذا عمل اجتماعي مسيحي ؟

اذا كان الشاب يخرج من مسارحكم وقاعاتكم ، وقد الفت عيونه المشاهد الدنسة ، فرفرفت على اجفانه ، اثناء الليل ، احلام السوء واشبع خياله بصور مستهجنة وافسد قلبه مما رأى وسمع ؛ اذا كنتم تلقنون العذراء الطاهرة والزوجة المصونة اسرار الرذيلة والفساد ؛ اذا كانت اغانيكم الخلاعية تطنطن في آذان الشعب الذي قد علت وجهه حمرة الخجل لدى سماعها لاول مرة ؛ افتسمون لاجل الخير ؟

انكم تلتم منحاً من الله بواسطتها تحوزون نفوذاً عظيماً ، وهذا النفوذ تستعملونه حتى تحاربوا المحسن اليكم ، وتجعلوا وجهة القلوب حباً فاسداً لا ينتج فرحاً في العاجلة ولا في الآجلة .

« الويل لمن تقع الشكوك عن يده ! » تذكروا دائماً آية المعلم الالهي ، ردّدوها اثناء صوغ شعركم وتصوير رسومكم . ان قريحتكم تثقلكم بواجبات . اذا كنتم لا تريدون هداية الناس الى سنن الفضيلة ، فلا تعلموهم سبل الرذيلة .

الاحوال الشخصية

درس تاريخي قانوني

بقلم الخوري بطرس غالب

١

اصدرت وزارة الاستاذ اميل اده في الثالث من شهر شباط سنة ١٩٣٠ ، مرسوماً اشتراعياً رقم ٦ موضوعه التنظيم القضائي خصّص الفصل الثالث من الباب الثاني منه بالاحوال الشخصية ، وحصر فيه اختصاص المحاكم المذهبية بقضايا معيّنة هي الخطبة ، وعقد الزواج او انحلال روابطه (الطلاق والافتراق) والبنوّة ، والاقرار بالبنوّة ، والحضانة ، وفرض النفقة او التعويض ، عند بطلان الزواج دون تعيين مقدارهما ، وحق الفصل عند اتفاق الطرفين خطيًا في مقدار النفقة او التعويض ، وفي المسائل المتعلقة بالجهاز والحق اي البائنة ، وحق اقتراح تعيين وصي القاصر او تعيين خلفه عند وفاته او اعتزاله او عزله ، وحق محاسبة ولي الوقف واعطائه سند مخالصة ، وحق عزل ولي الوقف واقامة خلف له ، وحق تعيين مستحقي الاوقاف . ثم عين قاضي الاحوال الشخصية ، واخيرًا ترك لمحاكم الاحوال الشخصية الاسلامية والدرزية صلاحيتها الحالية بالنظر الى المتقاضين من الطائفتين الاسلامية والدرزية .

فجاء هذا القرار مقلّلًا من الحقوق التي كانت تتمتع بها الطوائف المختلفة منذ القدم ، والتي اطلق عليها في عهد السلطنة العثمانية اسم « الامتيازات المذهبية » ، لانها في نظر الشارع العثماني بل المسلم حقوق استثنائية مُنحتها تلك الطوائف فجعلتها ذات ادارة داخلية مستقلّة عن الادارة العامّة في الدولة .

فمسألة الاحوال الشخصية ليست مستحدثة ، بل انها تكوّنت من يوم

تعددت الطوائف في الحكومة الواحدة والوطن الواحد، فاسترعت خواطر ذوي الحل والربط فاعاروها من الاهتمام ما تستوجبه ، وما لبثوا ، بعد ان اشبعوها درساً وامتحنوا طرق حلّها المختلفة ، ان اقرّوا ليس لكل طائفة فصب احوالها الشخصية ، بل وضعوا لكل طبقة من طبقات الرعية قانوناً ينظم شؤونها الخاصة . وقد اختلفت احوال الاحرار عن احوال الارقّاء والمتوفين ، واحوال الكبراء عن احوال متوسطي الحال في المملكة الواحدة . وحيث تعدّدت المذاهب تكوّن لكل منها قانون احوالها الشخصية فاقرّته السلطة الحاكمة بعد ان حاولت ان توحّد مذهب الرعية فلم تنجح .

وقد استفاد الخلف من تجارب السلف ، فاكتفى بان يعترف لهذه الطوائف بما اكتسبته من الحقوق وبما فرضته عليها ديانتها من الواجبات التي لا يمكن القيام بها ، اذا كانت السلطة لا تدعها حرّة او لا توفّر لها اسباب الراحة في ممارستها ، بل تعرقل اعمالها ومساعيها وتاريخ رومية القديم ينبئنا انه تكوّن في عاصمة العالم المتمدّن آنذاك مقابل حق الوطنيين الخاص باهل رومية دون سواهم حق آخر دُعي حق الخوارج وهو مجموع قوانين وعادات غايتها ترتيب علاقات الاجانب بعضهم بالبعض الآخر او بالوطنيين الرومانيين

ويرى مثل ذلك في بيزنطية ، فان سلاطينها الذين حكموا الشرق قد اقرّوا للطوائف التي اختلفت مذاهبها عن مذهب السلطنة نظام احوالها الشخصية . فكان لليهود محكمة يتقاضون لديها تفصل في الدعاوى المذهبية المتكونة بينهم وكان للمسلمين مجلس يرفعون اليه دعاويهم حتى في القسطنطينية .

ولما دوّخ الخلفاء سورية وما يجاورها ، اقرّوا النصارى على انظمتهم الداخلية . ومشهور عن الخليفة عمر ابن الخطاب انه ، حين دخل اورشليم ظافراً سنة ٦٣٧م ، اعطى البطريرك صوفرونيوس ميثاقاً اثبت فيه للرؤساء الروحيين ما كانوا يتمتعون به من الحقوق ، وانهم لا يزالون مرجع طوائفهم في قضاياها ، وعفاهم من الجزية والنفر والمواجب . ولم يرضَ ان يلج القيامة حتى لا يدّعي المسلمون انها اصبحت مسجداً ، لان الخليفة قد وطئ ارضها .

اما الصليبيون فانهم ، بعد استيلائهم على الاراضي المقدسة ، اقرّوا كل

طائفة على نظام احوالها الشخصية الخاص بها. وفي العصور الوسطى تكوّن حق خاص نُظمت بموجبه المناسبات بين اصحاب الاقطاعات ، وبينهم وبين سيدهم ، وبينهم وبين مرؤوسيهم . اما رجال الدين فكان لهم منزلة ممتازة في الادارة والقضاء يتصرفون بحقوقهم دون منازع ولا معارض.

وفي السنة ١٤٥٣ فتح محمد الثاني القسطنطينية . فلم يبطره النصر العظيم الذي حازه ، بل تجنّب المزالق السياسية ، واستفاد من اغلاط من تقدموه في الحكم ، ولم يتبع خطتهم المعوجة محاولاً ان يكره الشعوب المغلوبة على التمذهب بمذهب الفاتحين . فانه ابى ان يضغط على النصارى ليتهطوا الاسلام ، بل رمى الى استمالة الرعية اليه بتساهله في ما لا يضرّ بمصلحة المملكة ؛ لانه كان يعلم انه لن يأمن شرّ الفتن والثورات ، التي غالباً ما يسببها الضغط على الضمائر والتحكك بالعادات المعقولة العريقة في القدم ، الّا اذا ترك للطوائف المؤلفة منها سلطته ، الحرية اللازمة لصيانة احوالها الشخصية . عدا انه بعمله هذا ترك للروم المجال مفتوحاً للمجادلات ليتلهّوا عن القلاقل باختلافاتهم الداخلية ، فيستمروا على ضعفهم تجاه السلطنة.

وقد سنحت الفرصة للفاتح ليظهر مقدرته السياسية وحنكته الادارية يوم طلب اليه الاروام ان يوافق على انتخاب البطريرك جناديوس سكولاريوس ، فامرهم ان يستمرّوا على عادتهم في انتخاب البطريرك وتوليته ، ودعا المنتخب الى وليمة ، وقبل ان يصرفه اهدى اليه عكازاً ثميناً وقال له : « كن بطريركاً ولترعك العناية . ولك مني عهد الصداقة فاعتمد عليه بكل ما كان لاسلافك البطاركة من السلطة والميزة ». وبعد ايام وجه اليه فرماناً اعلن فيه ان شخص البطريرك لا يمسّ ، وانه لا يجوز لاحد ان يتحكم بأمره او يزعجه او يقلقه ، وان يكون هو والاساقفة والاحبار الذين انتخبوه معفين من كل رسم وضريبة وتكليف عام . ومنع تحويل الكنائس التابعة للبطريرك الى مساجد ، وامر ان يكون زواج تابعي البطريرك وجميع عاداتهم وتقاليدهم مصونة حسب تعاليم كنيستهم ، وان تبقى لهم شرائعهم في الاحوال الشخصية كالزواج ، والطلاق ، والوصية ، والميراث ؛ واثبت حقهم بانشاء المدارس ،

وبالتعليم ، وادارة شؤون ابنائهم تحت اشراف الرؤساء الروحيين ؛ وان على القوة المسلحة ان تنفذ احكام محكمتهم ، وان يكون مجمعهم المؤلف في الاستانة المجلس الاعلى الاستئنافي للاحكام الصادرة من محاكم الاساقفة والاحبار . ومُنح البطريرك مقام وزير ، والاساقفة مقام ولاة.

فهل من اعتراف اصرح من هذا بالاحوال الشخصية. فان السلطان اقرّها ، وجعل البطريرك والاساقفة ممثلين لطوائفهم لدى الحكومة . وعوض ان يعنى بتكليف الافراد ما يتوجب عليهم للمملكة ، اكتفى بان يجعل الرؤساء الروحيين ضامنين تتميم هذه الواجبات ، وذلك لقاء ما منحهم «من الامتيازات.»

وكان السلطان سليم الاول قد اراد ان يستولي على المعابد المسيحية ، ويكره جميع رعاياه على انتحال الدين الاسلامي ، واصدر بذلك ارادة سنية. الا ان احد مشاهير علماء ذلك العصر ، السيد علي جمالي ، المتضلّع من الشرع الاسلامي ، استدرك المضارّ التي كانت تتهدّد السلطنة فيما لو نفذت ارادة السلطان ، فنصح للبطريرك القسطنطيني ان يتسلّح بعهدة السلطان محمد الفاتح ، ويقدم للسلطان سليم بعض الشهود معاصري الفاتح الذين حضروا اعطاء العهدة ليشهدوا بذلك ، ففعل وتوفق الى اقناع السلطان سليم بان يعدل عن خطته.

اما السلاطين الذين خلفوا سليم الاول فانهم جدّدوا مآل هذه العهدة في فرمانات عديدة ، وبرآءات مختلفة ، نذكر اهمها واقربها الينا ، اي فرمان ١٤ شعبان ١٢٦٩هـ. (ايار ١٨٥٣) ، ثم منشور الباب العالي الى سفراء الدول ٣ شوال ١٢٦٩هـ. (٢٠ حزيران ١٨٥٣) ، ومذكرة عالي باشا للدول العظام (١٧ ايار ١٨٥٥) ، والخطّ الهمايوني المؤرخ في ٩ آذار سنة ١٨٥٦ ، والخط الآخر المؤرخ في ١٨ شباط سنة ١٨٥٨ ، ثم تفسير الخط الهمايوني الاول الذي اذاعه فؤاد باشا في ٢٥ ايار ١٨٦٧ . زد على ما تقدم الارادة الشاهانية التي اصدرها عبد العزيز في ٣٠ ك ١ سنة ١٨٧٥ ، ثم القانون الاساسي الذي نشر في ك ١ سنة ١٨٧٦ ، والدستور الذي نشر بعد اعلان الحكم الديموقراطي في سنة ١٩٠٨.

ويمكن ان نلخص ما جاء في هذه الوثائق الرسمية بما كتبه عالي باشا في

تقريره الى الدول العظمى في ١٣ ايار سنة ١٨٥٥ قال : « ان وظيفة البطاركة قد جمعت عدة حقوق مدنية ودينية بنوع انه يمكن ان يقال انه ، ما عدا السلطة المدنية التي تتولاها الحكومة الاسلامية ، شؤون المسيحيين ومحاكمتهم وتدبير احوالهم مودعة لسلطة مسيحية لا لسلطة اسلامية »

قال المؤرخ لاقاله في كتابه « تاريخ تركية » ، المطبوع سنة ١٨٥٩ : « بقيت كنائس الروم في يدهم ، عدا كنيسة آيا صوفيا التي حولت مسجداً ، وتركت لهم الحرية التامة للقيام بشؤونهم المدنية ، والاستقلال في ادارتها الداخلية . فألفوا جماعة مختلفة عن الامة الفاتحة وفرضت عليهم ضريبة الجزية والخراج لقاء ما اثبت لهم من الحقوق كطائفة رئيسها البطريرك يعاونه في الادارة مجمع الاساقفة ، وله رتبة وزير يقوم بخدمته ياور من الانكشارية . واعترف له بحق النظر في جميع الدعاوى الحقوقية والجزائية بين رعاياه الروم ، ضمن نطاق بطريركيته ، واليه يرجع الفصل في امور الزيجات ، والمواريث ، والوصيات ، والطلاق ، والسرقات ، والجنح . محاكمه مؤلفة من رجال الاكليروس الاعلين ، لها حق ان تجازي بالحبس والضرب والنفي الخ . وكانت القوة المسلحة مكلفة ان تنفذ جميع قراراته بحق المسيحيين . . . وكان المجمع ، بصفته مجلساً ملياً كبيراً ، ديوانَ استئناف للاحكام الصادرة من المطارنة في ابرشياتهم يتصرف بواردات الكنائس والملّة عموماً . والبطريرك ورجال الاكليروس واعضاء مجالس الطائفة اعفوا من الضرائب . »

وكانت المحاكم الروحية تفصل الدعاوى المتكوّنة بين المسيحيين والمسلمين ، اذا رضي المسلمون بذلك . وكانت تلك الاحكام تنفّذ ، ولو انتحل المحكوم عليه الدين الاسلامي بعد قبول الدعوى عليه . فضلاً عن ان البطريرك والاساقفة خوّلوا حق انشاء المدارس وادارتها وقبول الاوقاف والمناظرة عليها وادارتها .

وهذه « الامتيازات » ، التي مُنحت للروم اولاً ، صار تمديدها فيما بعد الى سائر الطوائف المسيحية بموجب فرمانات وبراءات التولية .

وما زالت الحال على هذا المنوال حتى فككت الحرب الكونية أواصر السلطنة العثمانية ، فقُسمت اراضيها ، وانتدبت جمعية الامم لكل قسم منها

دولة من دول الحلفاء الظافرة لتقوم بواجب الوصاية على الحكومات الجديدة المتألفة من حطام تلك المملكة الواسعة الارجاء. وقد نصّ في صك الانتداب، في المادة ٦ منه، ان على الدولة المنتدبة واجب تأمين الاحوال الشخصية التي اصبح قانونها مضموناً بصكّ الانتداب، ومتعلقاً تحويره وتعديله بجمعية الامم، لا بهيئة منفردة من الهيئات الرسمية ايًّا كانت. وقد طبقت بريطانية العظمى المادة السادسة المذكورة على فلسطين، واثبتت قانون الاحوال الشخصية، وتوسعت في تفسيره، ومدّدت نطاق اختصاص المحاكم المذهبية حتى انها خولتها الحكم بثبوت الوقف الخيري الديني، وما شاكل.

اما في سورية ولبنان فقد حاول السيد ده جوفنل، المفوض السامي السابق ان يحصر صلاحية المحاكم المذهبية في عقد الزواج وما يتفرّع منه فقط، فاحتجّ عليه رؤساء الطوائف الدينية واوقف اثر ذلك العمل بموجبه، وقراره هو المعروف بقرار رقم ٢٦١. ثم اصدرت وزارة الاستاذ اده المرسوم الاشتراعي الذي ذكرناه في صدر هذه المقالة، فاعاد الى المحاكم المذهبية امورًا سبق لنا ايرادها فزاد على القرار ٢٦١ وخفف من «امتيازات» الرؤساء الروحيين.

ومما يلفت النظر هو ان اكثر ما نسميه «امتيازات مذهبية» قد استمدّه محمد الفاتح من الشريعة البيزنطية. لانه من يوم استولى قسطنطين الكبير على زمام الحكم خوّل الاساقفة سلطة واسعة جدًّا في الامور المدنية، وقد حصرها يوستينيانوس، صاحب المجلة المعروفة باسمه، في موادّ معيّنة.

قال الاستاذ كوف، المعلم في جامعة الحقوق الباريسية، في مقالة عنوانها «يوستينيانوس ومآثره التشريعية»: «ان هذا العاهل رغب في ان يخفف وطأة سوء استعمال السلطة من قبل الحكام المدنيين، فاستعان بالاساقفة وخوّلهم سلطة واسعة ليتفقدوا السجون ويطلقوا سبيل من لم يكن موقوفاً بامر صريح من الرؤساء، ويرفعوا الشكوى على الذين يتعدون خطة الاعتدال في الحكم وقد تأيدت في عهد خلفاء يوستينيانوس مداخلة الاساقفة في الشؤون المدنية في الامبراطورية الشرقية واتت بفوائد جمّة في القرون التالية.»

(للمقال صلة)

صفحة من تاريخ

الرهبانية الباسيلية الشويرية

بقلم الاب اثناسيوس حاج ق. ب.
مدير الدروس في المدرسة الاكليريكية

٢

٥. بعض رجالها المشاهير

لما كانت شهادة الانسان بحقّ ذويه ضعيفة البرهان ، عمدنا الى شهادة هي من القوة بمكان ؛ لان مصدرها رومية . فقد ورد في مقدمة الفرائض التي دبجها السمعاني باشارة الكرسيّ الرسولي ما نصّه :

«. .فكانت يد الرب على رجل يمينه وعلى ابن الانسان الذي شدّده له ، اي على الاب الصالح الذكر الخوري نيقولاوس الصائغ ، رجل يمين الرب الشهير بالاعمال والعلوم. . . فمدت هذه الكرمة المباركة قضبانها . . . اذ انتشرت. . بفضائل ابنائها وخاصة برؤساء الكهنة الخمسة : المطران مكسيموس ، رئيس اساقفة حلب الشهير باحتمال الشدائد من اجل الايمان ؛ والمطران اثناسيوس ؛ والمطران باسيليوس . . . والمطران جراسيموس الذي امتحن ايمانه فوجد افضل ثمناً من الذهب المجرّب في النار اذ كابد النفي من اجل الرب ؛ والمطران ناوفيطوس ، مطران صيدنايا ، الذي توفي في رومية العظمى حيث صار مشهداً للعالم وللملائكة والبشر.»

١ — المطران ناوفيطوس نصري († ١٧٣١)

هو سليل اسرة كاثوليكية من حلب ، ولد حوالي سنة ١٦٦٠ ، فرباه ابواه على الفضيلة والتقى ، فشبّ عليهما الى ان بلغ العقد الرابع من عمره ،

فاتى الى دير سيدة البلمند حيث لبس الاسكيم الرهباني . ثم سيم كاهناً ، ودعي الاب نصرالله . غير انه لم يلبث ان شعر بتلاشي الحياة الرهبانية في ذلك الدير . فاتفق مع الايرين جراسيموس وسليمان وغيرهما أن يذهبوا الى لبنان ، فيؤسسوا هناك رهبانية جديدة ، ويحيون حياة اكمل.

بيد ان رئيس البلمند خاف ان يلحق بهؤلاء سائر رهبانه ، فاشعر البطريرك بذلك . اما البطريرك فرأى ان يفرقهم ، ومن ثم ارسل الاب نصرالله الى ديار بكر ، حيث قام باعماله الرسولية احسن قيام ، فاعجب به الجميع ، ولا سيما البطريرك اثناسيوس الرابع ، الذي سامه اسقفاً على صيدنايا سنة ١٧٢٢ ثم ولاه على معلولا سنة ١٧٢٤ . ثم مات البطريرك فاجتمع الاساقفة الكاثوليكيون ومنهم المطران تاوفيطوس نفسه ، فاقاموا خلفاً له كيرلس . اما المشاقون فقد انتخبوا سلفستروس الذي شرع يضطهد البطريرك الكاثوليكي وكل من والاه من الاساقفة ، ولا سيما المطران تاوفيطوس ، الذي حكم عليه بالنفي . فلما علم هذا الاسقف بذلك صعد الى الدير مع تلميذه الخوري اغناطيوس ابن الشماس نعمه الحلبي فتلوّا هناك فرض العذراء (الباراكليسي) وطلبا منها حفظ القطيع من الذئاب . ثم هربا فاختبئا مدة ثلاثة عشر يوماً .

ولما ذهب الجنود ، عاد المطران الى دار الاسقفية ، فوجدها منهوبة ، فقال : « الرب اعطى والرب اخذ ، فليكن اسمه مباركاً . » ورأى ان الهرب الى لبنان اولى ، فقام اليه مع رفيقه . غير ان الجواسيس اخبروا الباشا بهربهما فارسل جنوداً يتعقبونهما . اما هما فكانا يختبئان في المغاور والجبال ، الى ان اتيح لهما ، بعد العناء الجزيل ، ان وصلا الى لبنان.

ولقد اعيي سلفستروس امر تاوفيطوس ، فعمد اخيراً الى اللين والرقة فكتب له قائلاً : « كفاك هياماً في الجبال كالوحوش . اشفق على نفسك ، وكن معنا ، واترك البابا واحرمه ، فاقيمك وكيلاً لي في دمشق . » فاجابه تاوفيطوس: « لأن ابقى في الجبال شريداً طريداً احبُّ اليَّ من سكنى قصور جميلة يعقبها الاقامة في جهنم . » ثم اعاد سلفستروس الكرّة عليه مازجاً التهديد بالتمليق فلم يزدد الاسقف الا شجاعة وشهامة واجاب سلفستروس جواباً يذكرنا باجوبة

الشهداء للمضطهدين : « اولاً انا في حضن كنيستي منذ سبعين سنة ولن اخرج منها . ثانياً انت حزين عليّ ، اما انا ففي غبطة وسرور . ثالثاً تتوعدني بالموت واني مستعدّ لـه . رابعاً اما البابا فهو نائب المسيح ومن يستطيع ان يجدف عليه ... فاخضع له تكن راعياً حقيقياً ... »

اخيراً رأى الاسقف ان يستقيل من ابرشيته ففعل وسافر الى رومية ، فوصل اليها في ٣٠ آب . وبقي هناك مدة اربعة اشهر وتوفي برائحة القداسة .

ان الله تعالى ، الذي يجعل قديسيه في الارض عجباً ، قد اجرى بواسطة هذا القديس بعض الامور العجيبة التي يخبرنا بها شهود ثقات . منها ما حدث على يده مدة حياته وقد ذكر بتفصيل في مجلة صوت الحق سنة ١٩٢٣ . واما العجائب التي جرت بعد موته فقد اشار اليها السمعاني كما ذكرنا ونوّه بعظمتها سجلّ الرهبانية ووصفها بتدقيق القس اغناطيوس قندلفت[1] رفيق الاسقف فقال :

« بعد ان وصلنا الى رومية باربعة اشهر ذهبنا لزيارة الآباء اليسوعيين . وبينما كنا مارّين في الشوارع رأينا جمعاً غفيراً قد تألب لاستقبال سفير مالطه . فوقفنا قليلاً ، ولكن اتفق ان عربة حادت عن طريقها ولطمتنا ، فكسرت ضلع الاسقف وصدعت رجلي ويدي . فحملونا الى دكان قريبة واستدعوا لنا طبيباً . ففحصنا فوجد ان لا خطر عليّ ، واما الاسقف فكانت حالته خطرة جداً . فامر الطبيب ان ننقل الى مستشفى الروح القدس حيث بقيت اربعة ايام وشفيت ، خلافاً للاسقف الذي ازدادت حالته خطراً .

« وفي ذات يوم استدعاني سيادته وقال لي : « انني اشعر بدنوّ اجلي فاعطني الزيت المقدس . » فاجبته . « ان صحتك على تقدم فلا حاجة لذلك . » فاجابني : « لم يبقَ لي فوق هذه الغاية سوى يوم واحد . » فاعلمت الرئيس بكل ذلك . فامر بان يمسح بالزيت المقدس . وبعد المسحة ، طلب سيادته ان اقرأ له قانون يسوع الحلو . وبعد نهاية الصلاة ختمها كعادته ، والتفت اليّ قائلاً : « يكفي الآن . فاذهب وتناول طعامك . » ولما رفضت معتذراً ، قال لي : « لقد دنت الساعة ، فاذهب يا ولدي . » فلبيت الأمر ، ولما عدت

[1] اغناطيوس نعمه (؟)

اليه سألني: «كم الساعة ؟» فقلت : «هو نصف النهار.» فقال : «استودعك الله يابني ، لاني سابارح هذا العالم.» فطفقت ابكي. فقال لي: «لا تبكِ ، يا ولدي ، بل قدّم بعض قدّاسات لراحة نفسي.» ثم قال: «فليبتهج قلبي ونفسي بالاله الحي.» واسلم الروح.

«ولما تحققنا موته البسناه حلته الحبرية ، وحملناه الى كنيسة المستشفى. وفي اليوم التالي اخذناه الى كنيسة البروباغنده ، واقمنا لـه جنازًا . بعد الصلاة ، تقدّم المؤمنون لتقبيل يديه ، فدهشوا لرؤيتهم جثته مبللةً بالعرق ، فظنوا انه لم يزل حيًا . فلما علم البابا بالامر ، ارسل اربعة من مشاهير الاطباء ليروا هل حالة الجثة طبيعية . وبعد الفحص المدقق وجدوها غير طبيعية.

«وكان بين الحاضرين رجل مصاب اخوه بداء السلّ الوبيل ، وكان الاطباء قد يئسوا من شفائه . فاخذ شعرة من لحية الاسقف وذهب بها الى اخيه ، واوعز اليه ان يبتلعها ، ففعل . وللحال رقد ثم قام مملوءًا عافية وقوة. فاسرع الاخوان وخبرا الجمع بالقصة . فأخذ المؤمنون يتواثبون على الجثة بغية الحصول على بركة منه . فعرّوه من الشعر والثياب . فالبسناه حلّة اخرى لم يلبث ان عُرّي منها ايضاً.

«وبقيت الجثة في الكنيسة خمسة ايام ، والعرق ينبعث منها . وكان وجه الاسقف مشرقاً كأنّ الحياة لم تفارقه . وكان المرضى يتسابقون لاخذ اثر منه فيشفون حالاً.

«وبعد مضيّ خمسة ايام امر البابا الاطباء ان يفصدوه ، ففتح احدهم جرحاً في ذراع الميت . وللحال خرج دم عندمي بغزارة كلية كما من جسم حي . فهجم المؤمنون متسابقين الى التقاطه بالقطن والمناديل . ولما رأى ذلك الاطباء والاساقفة الحاضرون ، دوّنوا الحادث في السجلّ ، ووقّعوا عليه . وامر البابا بدفنه ، فواروا الجثة تحت الهيكل الكبير في كنيسة البروباغنده ، بعد ان وضعوا فوق تابوته صحيفة كتب عليها اسم مكرم «*venerabile*». وكان ذلك في ٢٤ شباط سنة ١٧٣١»

ولقد اتى على ذكر هذا الرجل القديس ووصف حياته وممانـه بتفصيل ،

كثيرٌ من المجلات الكاثوليكية ، وبنوع خاص مجلة «صدى الشرق» ، وذلك في المجلد الخامس ثم السادس ثم السابع ثم الثامن ثم التاسع . فيا حبذا لو يعمل الرؤساء الشرقيون على تطويب هذا الاسقف ، اذن لكانوا يضيفون لؤلؤة جميلة الى لآلئ اكليل الكنيسة الشرقية.

٢ — الخوري نقولا الصائغ (١٦٩٢ — ١٧٥٦)

هو نقولا بن نعمه الصائغ ، ولد في حلب سنة ١٦٩٢ . وكان ابواه على جانب كبير من التقوى والصلاح ، فربّياه على الفضيلة ، ولم يهملا تعليمه بل جعلاه في احد المكاتب . فابدى من الذكاء والنبوغ ما اكبره فيه معلّموه . ولما تعلّم مبادئ العربية ، اخرجه ابوه ليعلّمه الصياغة ؛ فلم يلبث طويلاً حتى اتقنها . بيد انه كان يشعر من نفسه بميل الى الحياة النسكية مما كان يحدو به الى التردد المتواتر على الكهنة وعلى الكنائس . وكان يتردّد مع بعض رفاقه على شيخ مدقق في اللغة العربية ، فدرس عليه الصرف والنحو والبيان والعروض . ولم يكتفِ بذلك ، بل كان طامحاً الى العلوم العالية ولا سيما الكهنوتية فقيّض الله له ، ولابن عمه عبدالله زاخر ، ان يتعلّما على القس جبرائيل بن فرحات.

ولما كان العلم الحقيقي من شأنه ان يقرّب الى الله اكثر فاكثر ، ازداد هذا الرجل اشتياقاً الى العيشة الرهبانية. وكان قد سبقه اليها الابوان جراسيموس وسليمان الحلبيان ، اللذان كانت تصله اخبارهما واخبار رفاقهما بعد اقامتهم في دير مار يوحنا . وقد اطلع على رغبته في النسك القس جبرائيل فرحات الذي احبّه جدًّا ، وشجعه على تلبية دعوة الله . ولم تكن سنة ١٧١٥ حتى لبّى هذا العبد الامين دعوة ربه ، فأمّ ربوع الشوير ، وكان الله يقود خطاه حتى وصل الى دير الصايغ . فكان له وللرهبان تعزية كبرى . وبعد ان مكث بضعة ايام ، لبس ثوب الابتداء ، فكان مثالاً فريدًا بتقواه ووداعته وكدّه مما خلب قلوب الرهبان وجمعها على حبه . وكان قد احضر معه جانباً من المال لاسعاف الرهبانية ، فبنى سنة ١٧١٨ كنيسة القديس نيقولاوس مع خمس قلالي للرهبان.

وبعد ثلاث سنوات من دخوله الرهبانية ، سيم شماساً ، ثم قساً ؛ ولم تمرّ سنة على سيامته ، حتى انتخب مديراً ثانياً للرهبانية ، مما يدلّ على عظم الاعتبار الذي كان له على حداثة عهده . ولما مات مطران حلب سنة ١٧٢١ ، طلبته الطائفة ليكون خلفاً له ، فلم يحقق الله امنيتهم هذه . وفي سنة ١٧٢٣ قلد رئاسة دير الصابغ ، فرقاه مادياً وادبياً . وكذا فعل بدير مار اشعياء الذي اقيم عليه رئيساً في السنة التالية . ولقد انتخب بعد ذلك رئيساً عاماً لاكمال مجمع سابق ، ثم مديراً اولاً ، ونائباً عاماً . وفي تلك الاثناء بنى ديراً للعابدات في الذوق على اسم «سيدة البشارة .» وكان في كل اعماله ، وفي كل المراتب التي يشغلها يتلهب غيرة على اخوته ، مما ادّى بهم الى تقليده زمام الرئاسة العامة منذ سنة ١٧٢٣ الى سنة ١٧٥٦ ، اي الى وفاته .

واما وفاته ووصف فضيلته فقد وردت باختصار في تاريخ الرهبانية :

« توفي في اليوم السابق لابتداء المجمع العام في دير مار ميخائيل الذوق . اقام الاب العام قداساً خشوعياً حسب عادته وبعد ذهابه الى قلايته ، شعر بالموت ، فاستدعى المدبر الاول فاعترف اعتراف الموت . فحضر حالاً آباء المجمع ، والسيد كير اثناسيوس فتحه سرّ المسحة ، وحينئذ بدأ يودّع الآباء ويعظهم . ثم مات وقد حزن الجميع لفقدهم ضياء هذا الكوكب الساطع الذي في حياته عمل وعلّم ، وبسيرته النسكية سقف وارشد ، وبعمله وفضائله اسس ورتب الرهبانية ، وبذكائه نظم الفرائض كباسيليوس ثانٍ . وفي حياته اقام وشيّد اديار الرهبانية القانونية »

اجل ان نيقولاوس الصائغ كما تشهد البراءة الرسولية نفسها هو الذي يستحق ان يُدعى مؤسس الرهبانية الحقيقي . فهو الذي الف الفرائض وطلب تثبيتها من الكرسي الروماني . وفي عهده غدت الرهبانية ذات اديار كثيرة اذ شيد دير سيدة البشارة في الذوق سنة ١٧٣١ ، واخذ دير مار جرجس بسوق الغرب سنة ١٧٥٠ ثم دير سيدة الرأس سنة ١٧٥١ . ثم بنى دير النبي ايلياس بزحلة سنة ١٧٥٥ . وبسعيه ايضاً منح الحبر الاعظم الرهبانية كنيسة سيدة السفينة برومة مع مقام للرهبان .

لقد قضى مدة رئاسته كلها في جهاد متواصل ، لانه استلم زمام الرهبانية ايام الضيق والاضطهادات . والله يعلم كم قاسى هذا الرجل الكبير من المتاعب والنكبات ، وكم ابدى من العزم والحزم والثبات . فلم تكن الشدّة الّا لتزيده قوة ومضاء شأن الذهب الذي لا تضرّ به النار بل تزيده صفاء ونقاء.

واما علمه الواسع فهو اشهر من ان يذكر ، وحسبك ما اتصل الينا من تآليفه لترى فيه الشاعر المجيد واللغوي الكبير والفيلسوف واللاهوتي ، واليك بعضاً من ابياته وهي قطرة من بحر.

قال يتشكى بمرارة من بعض الرؤساء المشاقين :

كثر الثارُ بعثرة الرؤساء ، وغوء الصغار بثرّة الكبراء
لما رأيت الراسَ ، وهو مهشّمٌ ، أيقنت منه تهشم الاعضاء.
ان كان طبُّ النفس اشجى داءها ، انّى تنال البرء من ادواء
هذه (عمودُ الحق ، وهي ثباتُه ، وبناؤها قد ساد كل بناء

. . .

وكأني به يشكو آلامه الجمة في قصيدته الحائية :

ليس لي راحةٌ بما استريحُ ، في حياتي ، الّا يسوع المسيحُ
عزتي في مذلتي ، وعزائي في بلائي ، وليس عنه جنوحُ :
هل يرى لي سواه لي من سكونٍ ، يا الهي ، من ذا سواك يريحُ ؟
انا مضنى لا استطيع حراكاً ، واقعٌ من اذى الخطوب طريحُ ،
ضاق صدري عن شرح حالي . . . . .

وله في القربان الاقدس قصيدة تقارب المئة والعشرين بيتاً ، وهي قصيدة فلسفية لاهوتية كسائر قصائده الدينية.

وله في مديح العذراء قصائد عدة اودع فيها قلبه المضطرم حباً بها ؛ ومنها :

يا سدرة المنتهى ، الهُ رقاك ، طوباك ، يا منتهى الآمال ، طوباكِ !
يا نور عرشٍ اله انت صفوته ، وخير خلق يرجّي نيل جدواكِ ،
لقد حكمت بامر الله في نعم ، لم يؤتها بشرٌ الا بنعماكِ ،
من لم تسعه السماوات الرحاب غدا ، بمعجز الله موسوعاً باحشاكِ

وله فيها موشح ، هاك دوره الاول :

اني اشكو فواجعي الالِ ، لم يعد لي من جَلَدْ

---

١) الكتيبة الرومانية

زجٌّ بي جبلي بقاعِ الندمِ ، والنهى مني شردْ
رشقتني شهوتي بأسهمٍ اورثت قلبي لَـدَدْ
غير اني ارتجي في مريمٍ صفوة الله الاحدْ
خصها الله باسمى النعمِ عندما منها وَرَدْ .

. . . .

وله ايضاً البديعية الجميلة في مديح السيد المسيح ورسله الاطهار في ١٥٦ بيتاً ، نظمها ايام رئاسته على دير مار اشعيا سنة ١٧٢٤ ، وفيها من المعاني والتخيلات وانسجام العبارات ما يقضي بالاعجاب.

وله حكم جميلة منها :

العدل يبني ، والامان يشيدُ والجور يفني ، والهوان يبدّدُ ،
والحزم في الاحكام حكم فيصل تثنى به ناس وناسٌ تعمدُ ،
والحكم سيفٌ في يمين ولاته قد ينتضى طوراً وطوراً يغمدُ .
لولا السيوف البائرات ، لكان هذا الدهر لم تكفف لباغيه يدُ .

. . .

وله قصيدة يذمّ فيها الغنى ويمتدح الفقر الاختياري ، منها :

لا تغبطنَّ امرءاً بزهو بثروته ولا تخلْهُ سعيداً ، فالثراء ثرى .
كم اذهب الذهب الموموق من شرفٍ سامٍ ، وكم فضة قد فضّتِ الفكرا ،
والدرُّ كم درَّ ضرّاً للعقول ، وكم من مستهامٍ بحب التبر قد ثبرا .
ورد الثراء يزيد الناهله صدًى ، فكلما زاد زادت كبدُهم سُعُرا .

وله ايضاً :

الدهر ريحٌ قلّبُ ، ربعوه برقٌ خلّبُ
ما فيهم الا فتى متأوّلٌ متقلبُ ،
برد سلام وجهه ، رقوّاده يتلهّبُ
ما لذّ لي يوماً ، وعمر ايسك ، منهم مشربُ ؛
حاولت منهم مهرباً ؛ لكنّ اين المهربُ ؟
علوا الهداية مثلما عمل الطريق الثعلبُ .
ولربَّ خلّ خلته ممن به قد يُرغبُ ،
فوجدته في الخبر ممن يستعاذُ ويرهبُ

وله من قصيدة نُشرت منتخبات منها في المشرق (٢٥[١٩٢٧] ٦٠٢) :

ذا الدهر ميدان المصائبْ ، وبنوه فرسان المعاطبْ ،

ما هذه الدنيا التي هي للورى وادي المتاعب .
فخ البلايا والرزايا ، والاماليا ، والمصاعب ،
تجري باحته الكوارث والبلى جريَ اللاعب
دهرٌ عجيبٌ لا تزال صروفه تبدي الاعاجب .

. . .

لو أنَّ ضدّي غرَّ بي ماكان ذاك من الغرائب ،
بل ، يا شقيق الروح ، انت كسوتني ثوب المثالب
وجعلتني غرضاً لهم منك رائته المصائب ،
كلماته كالزيت لينا وهي كالبيض القواضب
بحرٌ هدا ، لكنه كم غرقت فيه مراكب !

وله تواريخ عديدة والغاز ونكات شعرية لطيفة . ومما يُنسب اليه قوله في الشرق :

رأيت بلاد الشرق ، في كل حالة ، بلاء وشرًّا فاض مكياله الوافي
فرخّمْ على غير القياس وقل اذن : « بلاد بلا دالٍ ، وشرق بلا قافِ ! »

وله ابيات اربعة من النوع البديعي الذي دعاه البعض بالتخيير الكليّ وهو ان يأتي الشاعر بقافية يجوز ابدالها بجميع قوافي الابجدية : وقد نشرها المرحوم الاب شيخو في السنة الاولى من المشرق (١[١٨٩٨] ١٠٧) وهي :

اما تذكرتَ الحمامَ وهولَه عجباً لقلبكَ كيف لا [ينهاأ]

فيسوغ بدل القافية باحدى القوافي الآتية : يتقلب . يتفتت . يتحدث . يتشنج . يتجرّع . الخ . . . .

واذا تفكرت الحساب وقسطه ، عجباً لفكرك كيف لا [يتأسأ]
او يتحسب . يتشتت . . . الخ .

واذا تحققتَ الجحيم وحرها ، عجباً لنفسك كيف لا [تتلظأ]
او تتاهب . . . الخ .

واذا تأملت النعيم وحسنه ، عجباً لعقلك كيف لا [يتملأ]
او يتعجب . . . الخ .

خلاصة القول ان حسناته الشعرية كثيرة ، وانه لم يأتِ على الشعر الّا عن فطرة شعرية طبيعية وطمعاً بنشر المبادئ الدينية والعلمية . فكان كالنحل الذي يندفع طبعاً وراء الزهر ليجني العسل اللذيذ .

(للبحث صلة)

نظرة في حاضر الاسلام

بقلم الاب لامنس اليسوعي

٢

ومهما يكن من أمر فان عدد المسلمين يظهر على ازدياد متواصل ، وقد قدّرهم الاستاذ ماسينيون في آخر السنة الفائتة ، بـ ٢٤٦ مليوناً[1] . ولما لم يكن من احصاء دقيق في اكثر البلاد الاسلامية ، فاننا نرى هذا التقدير ادقّ ما صُنع من نوعه ، واجدره بالاقتراب من الحقيقة . على ان الاستاذ ماسينيون نفسه يُقرّ[2] بان احصائيات الحكومة الوهابية « زيدت بمعدّل مائتين في المائة » (كذا !) ولكن هذا لم يمنعه قبولها في مجموعه عن اهل العالم الاسلامي ، وعن سكان جزيرة العرب . وكان التقويم نفسه قد ذكر ، في السنة ١٩٢٦ ، مجموعاً لعدد المسلمين يبلغ ٢٢٧ مليوناً . فما هي اسباب هذه الزيادة المهمة ، اي زيادة عشرين مليوناً في اربع سنوات ؟

من اسبابها الاولية زيادة المواليد . وهنا يجدر بنا الانتباه الى امر اشرنا اليه سابقاً[1] وهو ان المسلمين ، ما عدا نحو ٣٥ مليوناً منهم ، يعيشون جميعهم في بلدان خاضعة لسلطة الدول الغربية إمّا مباشرة او عن طريق الحماية او المراقبة او الانتداب . وقد ظهر ان المقاطعات الاسلامية المستقلة يظلّ عدد سكانها على ما هو ، ان لم يتناقص شيئاً فشيئاً ، بسبب الحروب الاهلية ، وتكاثر وفيات الاطفال ، وغير ذلك من الاوبئة المجتاحة . هذه بلاد الجزائر التي لم يكن يتجاوز سكانها المليون سنة ١٨٣٠ ، نراها اليوم ، بعد مئة سنة مرّت على الحكم الاوربي فيها ، وقد زاد عدد اهليها حتى بلغ خمسة اضعافه . ويمكننا القول نفسه عن جزيرة جاوى ، من املاك هولندة ، فان سكانها كانوا يبلغون ، سنة ١٨١٢ ، من اربعة الى خمسة ملايين . فلم يمض عليها مائة سنة ، حتى بلغوا سبعة اضعاف ما كانوا عليه ، فتجاوزوا الثلاثين

١) *L'annuaire du monde musulman, 3e édition, Paris. 1930, Leroux.*

٢) الكتاب المذكور ، في حاشية الصفحة ١٠٥

١) راجع كتابنا *Islam, croyances et institutions, p. 241.*

مليوناً . فاذا قابلنا حالة هذين القطرين بحالة بلاد الافغان المستقلة ، وما يتزل بسكانها من مصائب الحروب الاهلية ، والمجاعات ، والاوبئة ، تحققنا فضل الادارة الغربية ، وعملها في تحسين معيشة المسلمين وزيادة عددهم.

وسبب ثانٍ في زيادة عدد المسلمين ينتج عن ان هؤلاء يقومون بنشر الدعاية لدينهم ، فيستميلون بعض جيرانهم من الزنوج في افريقية ، ومن ابناء اللفوف السفلى في الهند . وقد دفعت الرغبة في نشر الدعاية الاسلامية بعض ذوي الاقدام منهم الى تأسيس مدارس خاصة يُربّى فيها المرسلون . فرتبوا فيها صفوف اللاهوت والآداب ، وطرق التمارين الجدلية يتمرّن فيها المرسلون على المناظرات الدينية . وأنشىء فيها مجلات خاصة بنشر الدعاية . واشهر هذه المدارس مدرسة الشيعيين في لكنهو بالهند ، ومدارس الاحمدية في قاديان ولاهور ، بالهند ايضاً . اما في مصر فان مدرسة « دار الدعوة » التي أنشئت سنة ١٩١٣ في جزيرة الروضة (القاهرة) لم تعش سنتين . هذا واننا نفتقر الى معلومات واحصائيات دقيقة عن اعمال الارساليات الاسلامية ، وعدد ما يكتسبونه بغيرتهم من المسلمين الجدد . ولا يكفي في ذلك افتخار الاحمدية ، ولا مناداتهم بالنصر والظفر ، ولا احتفالاتهم في جامعهم في برلين او قرب لندرة ، كلما دان احد افراد الانكليز او الالمان بالدين الاسلامي.

اما التعليم القرآني فاننا نراه في تأخر مستمر ومطرد حتى في البلاد الاسلامية المستقلة . واجلى مظهر لذلك تطوّر التعليم الرسمي ، ولا سيما في المعاهد العالية والثنوية ، فهو يتجرّد شيئاً فشيئاً من تأثير الدين حتى يُصبح لادينياً محضاً كما هي الحالة في تركية . وقد مدّ دعاة التطوّر العصري اصابعهم حتى داخل الجامع الأزهر ، فاغتنموا حاجته الى الاصلاح ، وتدخّلوا في ادارة الدروس وتعديل البرامج التي حُوّرت مرات دون نتيجة تُذكر حتى غدا تأثير ذاك المعقل العلمي على شفير هاوٍ ، ففقد في عشرين سنة ، ثلاثة اخماس طلّابه. وهكذا القول عن مدرسة «الزيتونة» ، وهي اعلى مدرسة دينية في تونس. واذا اضفنا الى ذلك الروح العصري السائد في الجامعة المصرية الجديدة ، والمستمد مبادئه من النقد الغربي ، وفهمنا انه ابعد من ان يثبّت الشبيبة الاسلامية في

مبادئها الدينية وعقائدها ، ادركنا الصدمة القوية التي يعانيها اليوم الاسلام التقليدي . واننا نذكر ، بهذه النسبة ، القلق الذي احدثته ، لسنوات قليلة ، مؤلفات الاستاذ طه حسين العلمية ، وهو من خريجي الازهر القدماء ، ومن اساتذة الجامعة المصرية الحاليين .

وحتى ايامنا هذه ، كان السنيون يتفقون جميعهم على تفسير القرآن . على ان السلفية ، وهم الاصلاحيون المحافظون الذين اشرنا اليهم سابقاً ، اخذوا يضعفون هذا الاجماع بكثرة ما يدخلونه من آراء جديدة في التفسير والتأويل ، قصداً ان يطبقوا القرآن على ذوق العصر والافكار العصرية . فخالفوا جميع الائمة القدماء بزاعم غريبة عن روح التقليد ، منها ان القرآن يُشير بوحدة الزواج (٤:٣) ، ومنها انهم يرون نسخ الآية ٢٣٠ من السورة الثانية . هذا فضلاً عن الميول الظاهرة في اكثر انحاء العالم الاسلامي للتخلص من المحرّمات القرآنية الشديدة في ما خصّ فائدة المال ، وآراء الائمة الاقدمين في الإدانة والربا . فانشئت مصارف كثيرة برؤوس اموال وادارات اسلامية خالصة ليس في تركية فحسب ، بل في مصر ، وجاوى ، والهند ، وغيرها من الاقطار الاسلامية . وتقوم هذه المصارف بجميع اعمال البنوك المعروفة من استقبال المال وادائه بالفوائد المقرّرة ، كما انها توزّع ارباحها على مساهميها كالمصارف غير الاسلامية . وكذلك يشترك كثير من المسلمين بشركات التأمين على انواعها المختلفة . وكلها اعمال مخالفة للشريعة والقرآن .

وفي العالم الاسلامي اليوم حركة نسوية قوية ترمي الى نزع الحجاب ، واعتاق النساء ، وتحتجّ على استئثار الرجل وحده بحقّ الطلاق ، وعلى انتقاص حقّ المرأة بالارث والشهادة . على ان هذه الحركة المتقدّمة تقدّماً عظيماً في تركية ، لا تزال تلاقي العقبات والمعاكسات في بلاد العرب ، وسورية ، والعراق ، والجزائر ، ولا سيما مراكش . اما في مصر فقد ابتدأت الدعاية النسوية على يد المرحوم قاسم امين ، سنة ١٨٩٩ ، وسارت شوطاً بعيداً منذئذٍ ، ومديرتها اليوم السيدة هدى شعراوي باشا . وقد شاءت دمشق ان تجاري مصر في هذا المضمار فعقد نساؤها مؤتمراً في الصيف الماضي ، واحتججن كلهنّ على الحجاب

ولبس الخنار احتجاجات شديدة ، ولكن لم يكن منهنّ من تجرأت فرفعت زاوية من خمارها . ومهما يكن من أمر ، فان الفكرة قد بُثت ، وبُدئ بحركة يؤمل اصحابها انها ستمتدّ في المستقبل القريب . وقد حدثنا قراءنا سابقاً (المشرق ٢٦[١٩٢٨] ٣٦٦)عن تأليف الآنسة نظيرة زين الدين في هذا الموضوع.

* * *

لقد اكتفينا ، في ما تقدّم ، بعرض حالة الاسلام الحاضرة ، على طريقة وضعية بحتة تجنبنا فيها كلّ ما يُشتمّ منه رغبة في المناظرة او ميل الى الجدال. وهي نظرة تظهر كيف يجتهد الاسلام بالسير مع الرقي العصري واتباع الافكار العصرية، وتظهر خصوصاً تأثير هذه الافكار في الاوساط الاسلامية ، ولا سيما في الشبيبة المتعلّمة . وعلى الجملة نرى ان الاسلام واقف بازاء معضلة مهمّة دقيقة.

فاذا استثنينا بعض المحافظين القدماء ، امكننا القول ان جميع المسلمين يشعرون بضرورة الاصلاح ، وبالحاجة الى الاتفاق مع الرقي العصري . وهو امر تتعلّق به حياتهم او موتهم . فقد طالما عاش الاسلام حياة العزلة والانفراد . اما اليوم فلا يمكنه الاستمرار على تلك العزلة ، ولا البقاء بعيداً عن الحركة العامّة التي تدفع بالمجتمعات الى مجال الحياة المشتركة فتجدّدها . يجب عليه ان يسير مع التيّار العصري ، والّا كان عرضةً للصدمة فالسقوط. هذا ما تحقّقه الاتراك ، بعد ان اهابت بهم روح الوطنية ، فهبوا يتخذون المؤسسات الغربية بكاملها قصدَ ان يحاربوا اوربة بسلاحها نفسه ، فيمنعوها عن مزاحمتهم في عقر دارهم . اما باقي المسلمين ، وهم لا يقلّون وطنية عن الاتراك ، فانهم يتمنّون ، قبل كل شيء ، بتأمين معتقداتهم . ولهذا فهم يودّون ان يختاروا من المؤسسات الاوربية ما يوافق القرآن ويحفظ روحه سالمة.

فهل ينجحون في هذا الاختيار ؟ وهل يتمكنون ، قبل فوات الحين ، من تلافي التأثير السيّء المفسد الذي تؤثره المبادىء العصرية في الشبيبة الاسلامية ؟

ان المعضلة كلها في هذه النقطة ، وسيرينا المستقبل كيف يتوفق قادة الافكار الاسلامية الى حلها.

السجون ونظام التأديب

نظر اجتماعي للاب توتل اليسوعي

٢

دار النفوس المعتلة

تطورت الفكرة في السجون مع الزمان ، وتأثرت بالتعليم الحديث ، ورأت الحكومات المتمدنة من واجبها ان تنظر الى السجون ليس فقط لكونها مقام القمع والانتقام والتكفير ، ولكن مكان الاصلاح والتأديب ايضاً[1] . ومن ثم فللمعتقلين بعض الحقوق في ان يعاملوا ليس فقط بالعدل وبموجب القانون الجزائي ، ولكن بالرفق والانسانية ايضاً .

وانما الغرض من هذا المقال لفت النظر الى ما يحتاج اليه السجناء من مراعاة وعناية ادبية ومادية ، فنكشف على حالتهم النفسية وعن عوامل الشر في حياتهم . فانها لا ترفع عنهم مسؤولية اعمالهم ، وهم متمتعون بكامل حريتهم مخيرون في مقاصدهم وافعالهم ، فارتكبوا الجناية ومن العدل ان يعاقبوا عليها ؛ ولكن ظروف سقوطهم تدلّ على انهم كثيراً ما يندفعون الى الذنب اندفاعاً عن اضطراب في قواهم العقلية ، وقد تسمع كثيرين من سكان السجون يلعنون ساعة الجريمة ويقولون : طغاني الشيطان . ولا بد من امعان النظر في امرهم ودرس العوارض التي ادّت بهم الى السجون لنكون على بصيرة من معالجتهم ادبياً ومادياً .

---

١) راجع المشرق السابق ص ٢٨١

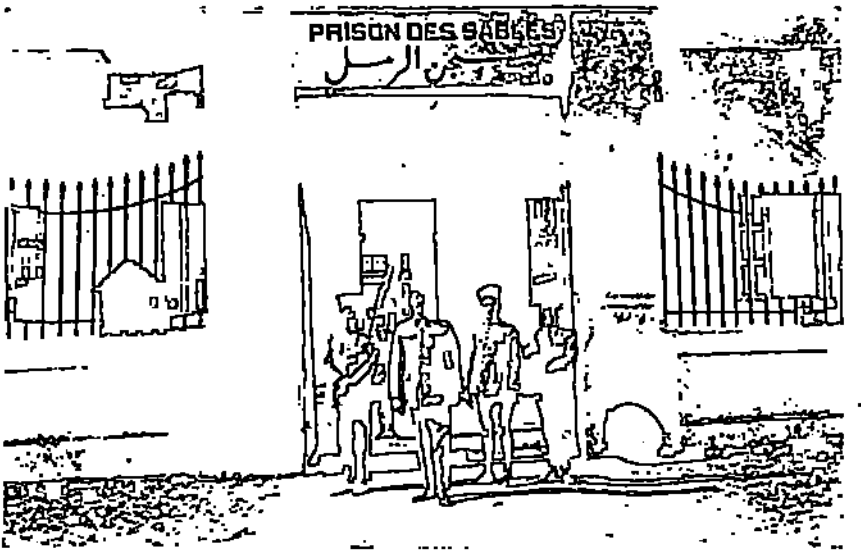

سجن بيروت — ضباط الادارة والحرس

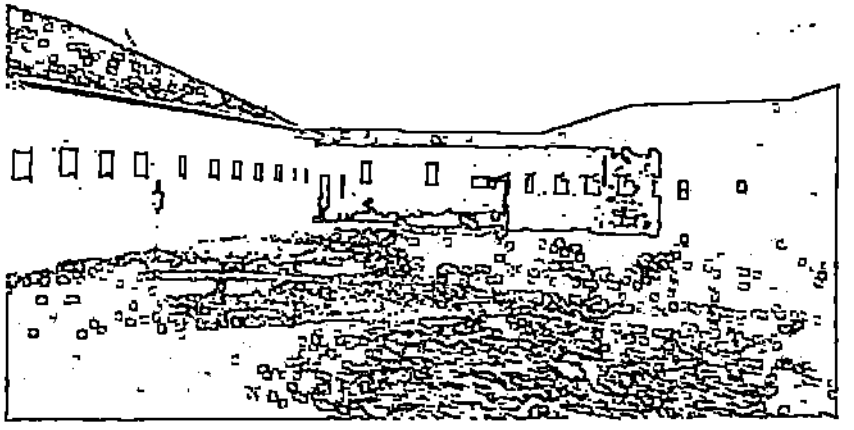

صورة فناء السجن الداخلي في بيروت أخذت من الجهة الشرقية

تعليم لومبروزو

واولاً لا بد من تفنيد اقوال الايطالي لامبروزو ، من ينسبون اليه نظرية « الجريم الفطري » . رأى ان بعض العلامات البدنية كهيئة الانسان وحجم رأسه وتقاطيع وجهه وملامح عيونه وغير ذلك من الامارات الفيسيولوجية والبسيكولوجية دليل على ان هذا الانسان منقاد الى ارتكاب الجرائم انقياداً اعمى ، نافياً الحرية الشخصية . وحاول اثبات قوله باختبارات اجراها في السجون وقال ما ملخصه ان الانسان مرتبط برباط السلالة مع سائر الكائنات الحية ، بالصفات الموروثة من صالحة او طالحة ، وان البيئة التي نشأ فيها أدّت الى صيرورته في حالة غصبته على ارتكاب الذنوب . وقال ايضاً ان بعض العاهات الدماغية دليل اكيد على ان من ابتلي بها انما هو مجرم بالفطرة ، مضطرّ الى ارتكاب الجرائم . واستنتج من ثمّ ان من حكمت عليهم الحكومة بالسجون كان الاولى بها ان تضعهم في المستشفيات او المارستانات .

ولكن العلماء فندوا طرًا اقوال لامبروزو . فان مزايا الاب الشرّيرة لا تقع حتماً في البنين ، وربّ ولد صالح نشأ عن أب شرير . وكثيرًا ما تصلح التربية الحسنة الفساد اللاحق ببنية الاولاد المولودين من الدين مصابين بالعاهات ، وكثير من الملامح التي اتخذها لامبروزو برهاناً قاطعاً على ان صاحبها انما هو «جريم بالفطرة» قد تبدو على وجوه الاصحاء الصالحين . وجلّ ما يدعونا الى تفنيد رأيه هو انه ينفي وجود الجريمة الحقيقي بنفيه صدورها عن العقل والارادة والحرية ، ويدعو الى نقض الشرع في دعائمه في ذمّه العقوبات والسجون .

ولكن فيما نحن نبتعد عن لامبروزو ، علينا ان نتجنب التطرّف الضارب صفحاً عن العوامل والظروف التي تخفف من مسؤلية المجرمين ، فحقوقها مراعاة في تشريع البلاد المتمدنة ، وهي الداعية الى تلطيف العقوبات ؛ وقد اوحت الى اولياء الامر نظامات السجون الحديثة المختلفة على اختلاف البلاد واخلاقها ومشاربها ، كما سنرى . وهي التي ادخلت في القانون الجزائي في بلادنا المواد

الموجبة للعذر المخففة انواع القصاصات[1] . لان النفس وقواها ، وان تكن باطنياً وفي الداخل ، كما يقول الفلاسفة ، غير مقيَّدة بالمادة ، فهي مقيدة بها خارجياً وبانواع شتى . وبهذا المعنى صدق من قال ان العقل لا يفقه الا ما ناله من الحواس . ولا بد من امعان النظر في هذا الكلام تخطياً الى ما نريده من الكشف على حالة السجين النفسية .

العقل الصحيح في الجسم الصحيح

هذا غاية ما كان يتمناه الرومان للانسان في حياته حتى سار عندهم مثلاً فقالوا « *mens sana in corpore sano* » وهذا ما تعلمنا طلبه من الله في صلاتنا الكنائسية : صحة النفس والجسد ، اذ فيها الوقاية من جميع الشرور ، ولا تنوب البشر نائبة الا عن اختلال فيها . فمن تمكن من كامل قواه الروحية والجسدية تمكن من القيام بواجباته احسن قيام ووفى الطبيعة البشرية حقها . والّا فلا . لان الانسان حيوان ناطق ؛ بجسده يشبه البهائم وبروحه يشبه الملاك . فالفرق بينه وبين العجماوات هو انه يعقل ويفهم ولذلك سمي ناطقاً ، والفرق بينه وبين الملاك هو ان نفسه الروحانية مقيدة في اعمالها بالحواس ، فلا يدرك بالعقل الا ما يناله بالحواس خلاف الملاك . وان الصلة في الانسان بين النفس والمادة والعقل والحواس معهودة بشروط كثيرة اذا ما اضطرب احدها تبلبلت من ثم حياة الانسان في سائر مرافقها تبلبلاً متفاوتاً على تفاوت الاضطرابات الواقعة في تلك الشروط .

قال الدكتور غراسه[2] ان الانسان في حياته هذه لا يستطيع الاحساس والفكر والارادة طبقاً للواجب ما لم يكن جسده صحيحاً لا تمسه شائبة ، وعلى الخصوص ما لم يكن دماغه وخلاياه النخاعية معصومة من كل ضرر . ولما كان هذا التعادل الكامل في العناصر البدنية مما لا يكاد يوجد بين البشر ، فلا عجب ان لا يكاد احد منهم يعصم في حياته واعماله من شائبة دالة عن

(١) راجع باز : مرقاة الحقوق ، عدد ٦٢٣ وما بعده

(٢) راجع مجلة العالمين الافرنسية ، ٢٥ حزيران ١٩١١

موضع خلل في عقله . وفطن العرب الى هذه الحقيقة[1]

« قال ابو هلال : ومن العجب ان العرب غلت في جميع الخصال باقوام جعلوهم اعلاماً فيها ، فضربوا بهم المثل اذا ارادوا المبالغة ، فقالوا : احلم من الاحنف ، ومن قيس بن عاصم ، واجود من حاتم ، ومن كعب بن مامة ، واشجع من بسطام ، وابين من سحبان ، وارمى من ابن تقن ، واعلم من دغفل ، ولم يقولوا اعقل من فلان ، فلعلهم لم يتكملوا عقل احد ، على حسب ما قال الاعرابي وقد قيل له حبذا لنا العقل ، فقال : كيف احده ولم اره كاملا في احد . — وقالوا لكل شيء غاية وحد ، والعقل لا غاية له ولا حد ، ولكن الناس يتفاوتون فيه كتفاوت الازهار في الرائحة والطيب . »

لنضرب صفحاً عن اسباب ذلك الخلل في الانسان وعن الاضطراب الذي يحدث فيه من جراء الخطايا ، مع ما تجره من العادات السيئة ، وعلى الخصوص من جراء الخطيئة الاصلية وعواقبها الذميمة ؛ وحسبنا النظر الى القضية من الوجهة التي تهمنا ، اعني الكشف على الاسباب التي دفعت المذنبين الى ارتكاب الذنوب . فانما هي الاختلال في توازن قواهم العقلية والجسدية . كما ان اضطراب الامزجة في البدن يولد الداء ويستدعي الدواء ، كذلك ايضاً نقول ان اعمال المجرمين قد تصدر عن اضطراب يستدعي المعالجة مع مراعاة الفرق بين امراض الجسد وامراض النفس فان تلك غير مقيدة غالباً بحرية الانسان اما هذه فقد يغلب عليها تصرف الانسان الاختياري ، وان يكن معهوداً بشروط غير اختيارية ، وبعضها متعلق بعوارض خارجة عنه وأثرت فيه تأثيراً : كالنشوء والسلالة ، والتربية ، والبيئة ، والطبقة الاجتماعية ، وسائر الظروف التي تتلون بها حياة الافراد ، والواجب مراعاتها في تعيين عاهاته النفسية .

علل النفوس

العقل الشاذ

ضلّ من ظن ان سكان السجون طراً هم من الناقصي العقل المعدومي الذكاء ، القدم ، البلهاء ! . قد جرى احصاء المجرمين في اسبانية وتوزيعهم فئة فئة على تفاوت درجات ذكائهم ، ففحصوا منهم ٢٣,٦٠٠ فكان منهم ٦٧,٥٤

---

١) النويري : نهاية الارب ، ٣ : ٢٢٢

بالمئة متمتعون بكامل عقلهم و ١٠,١٧ بالمئة مختلو الشعور بعض الاختلال ؛ و ١٨,٨٠ بالمئة مفسودو الرأي و ٧,٥ ناقصو العقل ، و ٢,٧٤ معدومو العقل . ودرس احد الاطباء حالة السجناء الفكرية وكان عددهم ٢,٠٠٥ فكان منهم ١,٢٤٩ ذوو ذكاء متوسط ، و ٣٧ ذوو ذكاء نابغ ، و ٣٥ بلهاء اغبياء[1] . ومن زار السجون في بلادنا وتحدث الى سكانها وامعن النظر في حالتهم الفكرية وجدهم اجمالاً غير مختلفين عن اولاد عمهم في اوربة .

ومما يزيد حالتهم تفاقماً انهم في الغالب لم يتثقفوا بالثقافة الادبية الكافية ، ولم يفقهوا مبادئ الدين والشرع الادبي فلا يسمعون لضميرهم او كأن دود ضميرهم قد مات فلا وخز ولا تبكيت . وان محيط السجون وامثال المذنبين الرديئة عوض ان تقوم معوج عقولهم تزيدها تلوياً وفساداً . وعدد عظيم من السجناء في بلادنا اميون لا صلة لهم بالحياة الفكرية ، الا بما يسمعونه ويرونه في محيطهم السيء الرديء .

الارادة بين عناد وانقياد

قال الدكتور غراسه ان ضعف الارادة هو اجلى ما يبدو من مظاهر العاهات النفسية في سكان السجون وهذا ما تشهد عليه اعمالهم طراً . ان عزائمنا في الحياة العادية تشتد وتنثني باسباب معقولة ترتبط بالتفكير ارتباطاً بطيئاً او سريعاً بعد فحص العوامل والظروف ، والمقابلة بينها ، واستنتاج نتائجها ؛ وان قوة الارادة في الانسان مؤسسة على تلك العزائم . اما قوة الارادة عند الكثيرين من المقبلين على الاعمال الذميمة فهي عدم او اشبه بانعدم لانها غير مدعمة على اساس معقول ، ومع ذلك فانهم عنيدون متمردون تنثني البهيمة عن غيها ، وهم عن عنادهم لا يتزعزعون . لا تسألهم كيف يفضلون وكيف يوصلون وجل ما عهدوه في انفسهم هو انهم اشعروا بدافع دفعهم الى العمل فقاموا على وجهم يهيمون . فلا رأي لهم صادر عن مشورة او عن مقابلة في الامور وعلاتها ولا يردعون النفس الامارة بالسوء ، واذا ما دبروا الحيلة على الجريمة فلا يحسبون

---

١) راجع جولي : الجريمة ، باريس ١٨٨٨

حساباً لديّان ولا لقاض ، ولا يخافون الله ولا الناس.

قد يترددون في مباشرة الفظائع لا عن وسواس بالضمير ، ولكن خشية ان يُلقى القبض عليهم ويطرحوا في السجون ، فيتداولون الوسائل الواجب استعمالها لاتقاء الوقوع في ايدي الجندرمة والسقوط في السجن . اما العذاب والاضرار التي يوقعونها في غيرهم ، فليس من طائل تحتها في نظرهم ، وهم يتوهمون ان الجريمة اذا ظلّت مكتومة لم تكن جريمة . فاذا خيم الظلام على حركاتهم وامنوا مراقبة المراقبين اقبلوا على الفظائع ، لا عن ارادة قوية ولكن عن اندفاع اعمى.

اما عواطفهم واحساساتهم فكأنها لا وجود لها . في الغالب لم تتيقظ في قلوبهم عواطف المحبة والحنوّ في التربية العائلية ، وقد اعتادوا منذ الصغر الجولان والدوران وفقدان الزمان. لا يرفقون بانسان ولا بحيوان ومع ذلك فربما اعتراهم عاطفة شفقة مزوّرة فيبكون على ديك مكسور او على كلب مدعوس ولا تدمع عينهم لدموع الثكلى ، وربما سروا عند مشاهدتهم عذاب غيرهم. يفاخرون بشجاعتهم واعمالهم المستغربة وهم مع ذلك جبناء كذابون. ينفرون من نصائح الصالحين وينقادون الى خزعبلات المشعوذين وخرافاتهم.

عوامل السوء

منها المادية والاقتصادية والاجتماعية والادبية

المادية

من اعظم العوامل الدافعة الى ارتكاب الجرائم شرب المسكرات والادمان على المخدّرات. قبيل ان يصعد على خشبة المشنقة في ساحة العدلية في بيروت ، في شهر نيسان الماضي ، سُمع احد الاثنين المحكوم عليهما بالاعدام يقول جهاراً «العرق العرق ! هو القاتل». وروي عن محمود فهمي القيسي باشا مدير ادارة عموم الامن العام في مصر قوله : أن احدى علل ازدياد الجرائم هي الكوكايين. وقال : ان جملة من كانوا في السجون في مصر بسبب المخدّرات ٤٦٣٤. وعالج

السيد جولي الاختصاصي في العلم الجنائي قضية المخدرات والمسكرات ، فقال ان المشروبات الكحولية مضرة ولكن محلات الشرب اضر ، اذ فيها تختمر افكار المدمنين على الشرب ومنها يندفعون الى ارتكاب الجرائم. وقال الاستاذ دوبرا ان علة العاهات العقلية الاساسية انما هي التسمم بشرب الكحول. وقال قرياني : زهاء نصف السجناء من الاحداث هم ابناء اهلين قد اعتادوا المسكرات.

الاقتصادية

قال الافرنج: الجوع مرشد فاسد . وقال القيسي باشا: « ان ازدياد الجرائم في بعض السنين دون البعض الآخر سببه الازمة الاقتصادية . اذا تدهورت اسعار القطن وانقبضت الايدي التي كانت في الامس مبسوطة للعطاء وجاع الناس حدثتهم النفس بالسرقة واذا سرقوا مرة تعودوا السرقة واندفعوا في تيار الجرائم.»

ولا حاجة الى الاسهاب في ذكر الدواعي الدافعة الى التهتك والفجور فانما هي الجوع غالباً. الجوع الدافع النعجة لتلتمس الكلاء في جوار الذيب، والمؤدي ببنات الجبل الفقيرات الى المدن للخدمة فمن ثم الى التشرد والسقوط والسجن. والجوع هو الداعي الاساسي الى التلصص والنزو والغارات والقتل.

الاجتماعية

مصدرها في الغالب النعرة الدينية ، والخزازات القديمة الكامنة في الصدور وان يكن عقلاء الناس لا ينقادون الى تأثيراتها في حياتهم ، فهي مع ذلك قابضة على ناصية حياتنا الاجتماعية في الشرق. فاذا وقعت ازمة او حدث خلاف بين طائفة وطائفة ، اتسع الخرق سريعاً ودب الفساد على الخصوص في العقول القاصرة والارادات الجموحة.

وضع الاستاذ فؤاد عمون[1] كتاباً بالافرنسية على الجنايات في بلادنا ، وددنا لو عرب لقراء العربية لما فيه من الفوائد العميمة ، بغض النظر عن بعض الاقوال

(١ Fouad Ammoun : *La Syrie criminelle, Giard, 1929.*

والآراء التي لا نوافقه عليها قال في الجرائم التي تسببها النعرة الطائفية ان عددها قد بلغ مبلغاً هائلاً في الايام العصيبة ، سنة ١٩٢٣ ، في مقاطعة الشوف ، وعدد سكانها لا يجاوز الستين الفاً ، فقد احصوا ١٧ حادث قتل في شهر واحد وسببه النعرة الطائفية. ومثل تلك الحوادث جرت في البقاع. ولا تسأل عن الدم الذي اهرق في الفتن التي قام فيها العنصر القوي على العنصر الضعيف ، واعمل فيه السيف والنار في جبل عامل بعد الاحتلال وفي ما قبل ذلك في سائر البلاد.

الادبية

السواد الاعظم من السجناء لا يعرفون القراءة ولا الكتابة ، ولم يتفقهوا على معلم ، ولم يتهذبوا على مهذب . فنالهم ما نالهم من الفساد من عدم ارتيادهم المدارس . ولعل بعضهم دخل المدارس وتعلم ، لكنه لم يجد في اساتذته القدوة الصالحة ولم يتهذب . وان وجود اساتذة غير مستحقين ثقة الامة فيهم لامر معروف حمل الوزير ادّه على اغلاقه بعض المدارس اتقاء الشرور الناجمة عنها للناشئة. في مثل تلك المعاهد تسلم مقاليد التعليم رجالاً خيم على عقلهم الظلام ، ودبّ في فؤادهم الفساد ، فلا خير يرجى منهم لدفاع الامة . ومن المضرات بالاولاد المدارس اللادينية او المدارس التي لا يلقن فيها التعليم الديني الكافي ، لغرس خوف الله في القلوب والردع عن المحرمات. ان الاحصاءات في هذا الصدد لم تتم في بلادنا فلا بأس ان نتخذها عن غيرنا عبرة

نشرت وزارة التجارة في كندة الاحصاءات الجنائية في السنة ١٩١٥ وفيها تناسب بين عدد الجرائم التي ارتكبها الاحداث في جميع الاقاليم . قابلوا بين اقليم انطاريو المتغلب فيه التعليم اللادينيّ ، واقليم كيبيك الاكثر عناية بالتربية الدينية ، وكلا الاقليمين يكادان يتساويان في عدد السكان وفي كل منهما زهاء مليوني نسمة ونصف المليون . اما الاحداث المجرمون فهم في البلاد ذات التعليم الديني ثلث ما هم عليه في غيرها . وقابلوا بين مدينة تورونتو وعدد سكانها زهاء ٤٠٠,٠٠٠ ومدينة مونريال وعدد سكانها زهاء ٥٠٠,٠٠٠ فكان عدد الاولاد المحكوم عليهم في الاولى ٨٥٣ وفي الثانية ٥٦٨ في مدة واحدة ، ولاحظوا ان النفوذ في التعليم في مونريال انما هو للمدارس الكاثوليكية ،

وكل يعلم ان المدارس الكاثوليكية هي شديدة الحرص على التعليم الديني ، فجاء مثلها برهاناً على ان قلة التعليم الديني او عدمه هو من اقوى عوامل السوء.

كثرة الجرائم في بلادنا

حيث تنتشر الاوبئة ويفسد الهواء ، يكثر عدد المرضى. ولما كانت عوامل السوء على ما وصفناها من الكثرة والقوة فلا عجب ان يكون عدد الجرائم في بلادنا كثيراً ، وعدد السجون عشرات ، وكلها ، على رحبها ، تغص بالسكان . لا تفتح جريدة اليوم الا وترى جزءاً عظيماً من اخبارها المحلية مدبجاً باخبار الجرائم كأن دائرة الامن العام عاهدت ادارة الجريدة على عمود كامل في الصحيفة كل يوم من ايام الاسبوع. هي السلسلة المشؤومة وحلقاتها السرقات والتعدي والقتل والظلم . تجر المذنبين وتزجهم في السجون . كم هو عددهم ؟

قال السيد فؤاد عون ان نظام العقاب في سورية انما هو في تطوره الاول ، ولم يبلغ بعد الى ما يرجى منه من الاصلاح واول خطوة في سبيل الاصلاح هي وضع الاحصاءات الرسمية ، وهذه الاحصاءات لم تتم بعد في بلادنا . وبذل المؤلف المذكور جهده في عد الجرائم في البلاد ، والمقابلة بينها وبين غيرها افادة وانذاراً فقال :

في ١ كانون الثاني سنة ١٩٢٨ ، كان عدد المحكوم عليهم او المعتقلين في سجون سورية ولبنان وبلاد العلويين وفلسطين ٥,٨٧٧ ، على عدد السكان العام في تلك البلاد وهو ٢,٩٢١,٠٠٠ مما يؤدي الى معدل ٢٠١ على ١٠٠,٠٠٠ ساكن.

اما في فرنسة سنة ١٨٦٩ ، في عهد كانت الحياة الاقتصادية اخف وطأة على البلاد منها عندنا ، فكان عدد السجناء ٦٥,٠٧٥ على ثمانية وثلاثين مليوناً او ١٧١ على ١٠٠,٠٠٠ ساكن . هذا ولم يشمل احصاء سورية عدد المعتقلين بسبب الثورات الاخيرة من الذين لم ينالوا العفو . فضلاً عن ان العفو العام سنة ١٩١٨ كان قد افرغ السجون من سكانها . فاحصاء الاستاذ عون في سورية يتناول

المحكوم عليهم منذ عشرين سنة واكثر . فتصوّر الفرق واحكم في كثرة عدد المجرمين في بلادنا ، وفي واجب الناس سبيل الاصلاح لتلك الحالة المشؤومة باستعمال وسائل التأديب.

واذا ما نظرنا الى تطوّر الحركة في دور القضاء ، رأينا ان عدد الجنايات اخذ بازدياد سنة فسنة.

في بيروت من ١٩١٩ الى ١٩٢٥ ، زاد عدد القضايا ٤٧ بالمئة ؛ وفي دمشق من ١٩٢٢ الى ١٩٢٧ ، ٧٢ بالمئة.

اما في فلسطين وقد اجروا الاحصاءات الرسمية ، فالبرهان واضح على تفاقم الداء وتكاثر عدد الجرائم واليك اللائحة فاحكم :

	١٩٢٦	١٩٢٧	١٩٢٨
القتل العمد	٩٥	٠٠٨٤	٠١١٨
القتل من غير عمد		٠٠٥٥	٠٠٨٦
الشروع بالقتل		٠١٠٤	٠١٢١
الجرح البليغ		٠٢٩٦	٠٣٢٣
التلصص		٠٠٩٥	
السرقة		١٣٥٦	١٤٩٤
السرقة المشكلة		٠١٥٨	
هتك العرض		٠٣٤٥	٠٤٠٩
الحريق العمد		٠٤٧٤	٠٦٣٦
تزييف النقود		٠٣٧٨	٠٣٥٤
شهادة الزور		٠١٤٩	٠٢١٩

من تفاقم الداء تبدو ضرورة معالجة الدواء واستعمال وسائل التأديب . ليس فقط بالحجر على المتقلين ، ولكن بتشغيلهم وتعليمهم. والعناية بهم عناية الاستاذ بتلميذه ، والطبيب بمريضه ، كما سنرى. (للبحث صلة)

من صدائق الناسك

الاب لورنسيوس الحيمري الديراني

الناسك الحلبي اللبناني

بقلم الاب لويس الحداري الديراني
المدبر الحالي اللبناني ، والوكيل الاسقفي في كرسي ابرشية صيدا المارونية

١

توطئة

نحمد الله الذي انعم علينا اولاً بوديعة الايمان ، ايمان الكنيسة المقدسة الكاثوليكية الراسخة اساساتها على الصخرة البطرسية . ونشكره ثانياً لايجاده ما بيننا نفوساً تقية ، تضيء امامنا كالمصابيح في دجى ارضنا الشقية ، فتمهد لنا سبيل الخلاص الذي يتراءى لنا منطقياً بالاشراك . اما بعد فقد ترددنا كثيراً قبل ان نبرز الى حيز الوجود خلاصة حياة الاب لورنسيوس الناسك الحلبي الذي هرب من العالم وشهرته والتجأ الى الدير ، ولم يكفه الدير بل اختبأ في زوايا المحبة ليعبد الله بعيداً عن قرقعة المجد الباطل . ولكن بعد التفكر ملياً رأينا من النقص ان نحرم النفوس التقية من كنز غني بالفضائل ، وكان مما دفعنا ايضاً الى تسطير حياته النسكية الصالحة ان نكمّ افواه المتشدقين زوراً وبهتاناً بان محبة المسيح رقدت مع الاجيال الغابرة . فهذه الترجمة هي برهان ساطع على ان المسيح هو ملك كل الاجيال . وفي كل آن يجد نفوساً كريمة تتفانى بخدمته . يسوع وحده سلطان القلوب ، وهو وحده غلبت محبته العصور ، وعاشت ما وراء القبور ، ووجدت لها ملايين من الشهداء يثبتون ذلك بدمائهم ، والوفاً وربوات من القديسين المعترفين والنساك الابرار ينادون بها فوق المنابر ويعظمونها بسيرة حياتهم القشفة ، ويتفاخرون بانهم أسراها .

فعظيمة اذاً هذه الشعلة العجيبة من المحبة التي تكهرب القلوب من بعد انقضاء عشرين جيلاً ! وعجيب الله في اصفيائه !

وصف المتعبد

كلمة عن العزلة

هنـاك بين ربى لبنان الجميلة التي تطلّ على بحر الروم المملوء بالتذكارات التاريخية ، قرية حقيرة جادت عليها الطبيعة بغزارة الماء وطيب الهواء ، وأنعمت عليها السماء باكثر من ذلك اذ ارسلت اليها النساك الاتقياء الذين اشتهروا بالعلم والفضيلة . هذه القرية تُسمّى مار بطرس كريم التين موقعها شرقي بيروت ، بالقرب من قريتي بكفيا وبيت شباب . بجوار تلك القرية دير لرهبانيتنا الحابية ، والى جانب ذلك الدير كوخ صغير شيدتـه يد التقوى ، وزينته يمين الحب ، فاصبح معبداً لتمجيد الله ترتفع حوله جفنة من الكرم فتكوّن خيمة واسعة لا يشبع الناظر من التأمل فيها ، نظراً لما هي عليه من بديع الترتيب والاتقان . وهناك ايضاً اشجار جميلة من السرو والشربين كأنها سَردَة تحرسُ ذاك المكان ، تتايل عجباً في الجوّ عندما يحركها نسيم ذاك الوادي ، فيخيل لك انهـا ترتل أنشودة الحرية والجمال ، وتسبح الله القادر المتعال . وهناك اخيراً صخور شامخة تتدرّج فوق أودية عميقة ، كأنها اشباح تفكر في سرّ هذا الكون ، فتصيغُ اجمل المناظر التي تبرهن عن قدرة الخالق العظيم .

هناك في وسط تلك العزلـة التي يؤنسها حفيف الاشجـار وخرير الانهار وزقزقةُ العصافير ، بعيداً عن شرّ الانسان ، في وسط الهدوء والسكينة ، تحت ذاك الجو الـذي ترفرف فيه ملائكة السلام ، قد اختار ناسك مار بطرس مسكنه ، ليعبد الله ويحارب الشيطان والعالم واللحم . هناك في تلك العُزلـة أقام مذبحاً ليصلي ، وهل مثل العُزلة للصلاة ؟ العزلة طعام الفكر وقوت الحب ولذة القلب . . . في العزلة تنزل الالهامات الالهية التي تشفي النفس من كلومها السرية ، فتنسجم بسهولة دموع التوبة النقية ، في العزلـة تختبيء الطهارة ويلتجيء الضعف المضطهَد ؛ في العزلة تتمرّن النفس على المكافحة ، ويرتاح الضمير المضطرب ؛ في العزلة يحلو التأمل في كمالات الخالق لان فيهـا تنضج الافكار السامية ؛ في العزلة جاهد انطونيوس الكبير جهاده المشهور وغلب

عساكر الشياطين ؛ في العزلة بكى اوغسطينوس ضلاله وصار مثال الوداعة ونبراس الهداية في بيعة الله . وفي العزلة تعلم جمهور القديسين الجهاد المقدس ، وألف العلماء تآليفهم الشهيرة واخترعوا اختراعاتهم العظيمة . واخيراً في هذه العزلة المقدسة ، اراد الاب لورنسيوس الحيمري ، صاحب هذه الترجمة ، ان يتم حياته ، فنمت زنبقةً طاهرة يفوح منها عبير التقوى . وفي العزلة ايضاً يقضي حياته الآن عبد المسيح الحايك ناسك رهبانيتنا الحالي سائراً في طريق الكمال بنشاط غريب .

فيا ايها القارئ الكريم عندما يتلبد جوّ حياتك بالهموم والاحزان ، أو تهبُّ عليك رياح الضغائن والاضطهاد ، وحينما ترى الدنيا مع سعتها قد ضاقت في وجهك ونفرَ منك الصاحب والصديق ، لا تطلب دواء لنفسك سوى الانفراد ، حيث تقدر على مهل ان تغسل نفسك مما لحق بها من أقذار العالم . انا لا أقول لك اذهب وتنسك ، لان هذه الهبة عظيمة جداً لا يمنحها الله الّا لمن يشاء ، وما هي الّا قسمة النفوس الكبيرة اولئك اللواتي يلمسهن الله باصبعه المقدسة . لا ، انا لا اقول لك ذلك وانما ألحّ عليك ان تنفرد من حين الى آخر ، وتدخل الى ذاتك مضيئاً سراج العقل ، ومفتشاً بتدقيق عمّا يزعج داخلك لتصلحه . واذا اسعدك الحظ وأتيحت لك الفرص لتزور ناسك مار بطرس ، فلا تُبطئ ، لانك تجد لنفسك راحة وسعادة عمّا تنشقهُ هناك من أريج الطهارة والقداسة . هناك تنظر كيف يجاهد القديس جهاده العظيم من اجل الله بهدوء وسعادة داخلية . هناك ترى وداعة المسيح بادية على محيا عبده الامين ، فتتعلم ان تكون متواضعاً ومحباً وتدرك معنى الكفران بالذات وتفهم حقيقة معنى كلمة المسيح : « احملوا نيري عليكم . فان نيري طيب وحملي خفيف . » مهما كان قلبك ، مضطرباً وعقلك متشتتاً ، تحدّث مع ناسك مار بطرس واكشف له همك ، فتشعر حالاً بان السلامة ولجت قلبك وساد السكون في داخلك ، ممّا يسكب على جراحك الخفية من طيب اقوال الانجيل المقدس . انا لا ابالغ بما اقول ولا اشهد ذلك من نفسي فقط ، بل انقل اقوال الآخرين من مسيحيين وغير مسيحيين الذين شهدوا بان في ناسك مار بطرس شيئاً غير

اعتيادي يرفع القلوب الى ما فوق . فهذا الشيء الغير الاعتيادي ان هو الّا الوداعة ... ولا عجب في ذلك أليس هو تلميذ ذاك المعلم الالهي القائل : « تعلموا مني ، فاني وديع ومتواضع القلب.»

إي نعم الوداعة والتواضع ، او بالاختصار البساطة المسيحية ، أُنس الفضائل ووداعتها ورابطة القلوب بعضها ببعض ، هي الفضيلة المميزة خصوصاً في ناسك مار بطرس ، فتراها ظاهرة ظهوراً حسياً في ملبسه وكل اعماله . ادخل كنيسة المحبسة فترى البساطة مجسمة هناك بأبهى معانيها ، لا سيما في ذاك المذبح الذي أقلّ ما يقال فيه انه يجذب القلوب رغماً الى تمجيد الله . وما هو ذاك المذبح ؟

هو درجات ثلاث من الحجر الشحمي الثمين ذي الصفاء الاصفر الزيتي ، يعلوها بيت قدس الاقداس يرتفع فوق اربع قوائم من الحجر ذاته ، ويحيط به الى الجانبين عمودان شبه اكليل جميل . اما الزهور الطبيعية والاصطناعية التي تزين ذاك المذبح ، امام رسم العذراء المجيدة يحفّ به جمهور من رسوم القديسين العظام ، فانها آية في اللطف . وزد على ذلك صور درب الصليب الخشوعية ، فيتمثل امامك جمال ذاك المعبد الصغير الذي أُعد لعبادة الله . اما عن تلك الهيبة الماثلة الكنيسة فحدّث ولا حرج . نعم انها توجد في كل بيوت الله ، ولكنها هناك بنوع خاص . فكأنه سبحانه وتعالى يُسرّ باظهار مجده في مثل تلك المواضع .

فاذا تمّ لك ايها القارئ الكريم أن تزور تلك المحبسة وتتمتع بكل تلك المشاهد الحلوة . فلا تنسَ عند عبورك من باب الكنيسة الخارجي ان تلتفت الى يسارك ، وتحيي بخشوع واحترام ضريحاً من الرخام ... ينام فيه نومه الابدي منشئ ذاك المعبد ، الاب لورنسيوس الحيمري ، صاحب هذه الترجمة .

هناك في ذاك الموضع الصغير ترقد حياة طويلة مملوءة بالجهاد والمشقات في سبيل الله . هناك تكمن الحلاوة والوداعة والبساطة الملائكية . هناك يسكن الفضل والاناة . هناك ترفرف روح لورنسيوس الطاهرة ، فعليها ، وعلى الانفس التقية ، السلام العاطر .

صداقة لورنسيوس

وُلد لورنسيوس الحيمري في قصبة دير القمر ، والقرن الثامن عشر شيخ ضئيل يمشي على شفير الهاوية . فتلاقيا وتصافحا ثم افترقا كل في طريقه . مشى الشيخ الى القبر ، ودبَّ الطفل الى الحياة والجهاد ، يحفظ بامانة في قلبه ذكر صديقه الشيخ ، اي تلك البساطة المسيحية التي امتاز بها الجيل ، قبل ان تسرّب اليه روح الضلال العصري . لم تنعم الطبيعة على لورنسيوس بالحسب الشريف والنسب العالي . ولكن ما ضرّ البنفسجة ان يكون نباتها اصلاً وضيعاً . أليست هي تلك الزهرة الجميلة الزكية العرف التي تملأ البراري من طيب أريجها؟ وهكذا قل عن لورنسيوس الصغير الذي كان يُدهش مَن حوله ببساطته الملائكية ، وفضائله المسيحية . فكان ابوه ، يوسف الحيمري ، وامه ، بديعة الكك ، ينظران اليه بعين ملؤها الفرح والابتهاج ويشكران الله على ما أنعم عليهما . وكما تنمو زنبقة الحقول الجميلة تحت أشعة شمس الربيع ، هكذا كان ينمو صغيرنا بالطهر والبراءة والجسم والعقل ، تحت أشعة شمس الحب الوالدي ؛ الى ان ترعرع ومال الى العلم ، فارسله والداه الى مكتب البلدة ، وفيه تلقى مبادئ اللغتين العربية والسريانية .

نعم انه كان من الفئة المتوسطة بالذكاء ، ولكن رغماً عن ذلك كان انموذج النشاط بين اترابه ومثال الوداعة بين رفاقه ؛ ولذا اكتسب رضى معلمه وحبّ اقرانه . وكانت الرحمة الفضيلة المميزة فيه منذ الصغر . فكان يبكي عندما يسمعُ ان احد الفقراء محتاج الى القوت او الى الكساء . وكان يتصدّق ما تخوّله حالته . اما عبادته فكانت حسنة جداً ، وخصوصاً نحو البتول . كما كان يصرّح به هو نفسه في شيخوخته لاحد اصدقائه من وادي شاهين ، قال : « كنت لا اعرف ان اقضي نهاراً واحداً من دون ان أحييها مراراً ، جاثياً . وهي بلا شك قد استمدت لي نعمة الخروج من العالم الغرّار منذ تركته في سن الخامسة عشرة . . . »

(لها بقية)

بعض مظاهر الشعر العصري

عود على بدء

بقلم فؤاد افرام البستاني
استاذ الآداب العربية في كلية القديس يوسف

١

تقدم لنا في المجلد الخامس والعشرين من «المشرق»[1] بحث ضاف عن الشعر العربي العصري ، وانواعه المختلفة ، ووجهة تطوّر كلّ منها ؛ وعن ميول اربابه الى اساليب جديدة تبدو ، من حيث المعنى ، بما ينزعون اليه من مزج شخصيتهم بجميع موضوعات الشعر ، ومن حيث المبنى ، بما يرغبون فيه من السير على اعاريض واوزان متنوّعة جديدة : حتى كدنا نحصر الشعر العصري كلّه في النوع الغنائي ، مع ما يخالطه احياناً من افكار فلسفية واخلاقية ، يبرزها الشاعر كانها نتيجة اختباره في الحياة ، ولا يقتصد في عرضها ، سواء كان موضوعه القصة ، او التمثيل ، او الوصف او ما سوى ذلك . ولم نألُ جهداً منذئذٍ في الاطلاع على ما نُشر من آثار الشعر ، وفي تقييد ما صلح منها مقياساً لتطوّر تلك الحركة المباركة ، حتى اجتمع لنا ما يدلّ دلالةً كافية على اتجاه بعض الفنون الشعرية ، فرأينا ان نعود على ما بدأنا به ، ونتمّ ما باشرناه من هذا البحث ، قاسمين مقالنا هذا على طريقة السابق ، عارضين لكل فنّ على حدة ، قصدَ ترتيب المعلومات ، فتسهيل الرجوع اليها .

الشعر التمثيلي

اول ما يبدو لنا تطوّر الشعر في النوع التمثيلي الذي تحققنا ضعفه في المقال

(١) المشرق (٢٥ [١٩٢٧] ٥٤٢ ؛ ٦٢٢ ؛ ٦٧٢)

السابق[1] ، اذ لم نرَ الّا عدداً قليلاً من الروايات الشعرية الصرفة، على نقص في تأليفها ، وقصور في توفيتها شروط الفنّ . ولا يفيد هذا ان الشعر التمثيلي بلغ أوجه اليوم ، لا . انما ظهر فيه تجربة جديدة نراها جديرة بالذكر ، وان لم تكن غاية ما نتمناه من شعرائنا ، وهي «مصرع كليوباترا» لأحمد شوقي بك[2] التي وصفناها باختصار في احد اجزائنا السابقة[3] ، ونذكرها بشيء من التبسط في مقالنا هذا :

تتناول الرواية قصة كليوباترا المشهورة ودخولها بين انطونيو واوكتاف في معركة «اكتيوم» ، على اهتمام قليل بالتاريخ التقليدي ، ورغبةٍ من المؤلف في ان يبرّر الملكة التي يجعل منها مصرية صميمة لا همّ لها الّا خدمة وطنها ، ولا غاية تسيّرها الا رفعة شأنه . لكننا ندع جانباً الوجهة التاريخية من الرواية، اذ للمؤلف الحقّ ان يتصرّف ببعض وقائع التاريخ على ان لا يعاكسها ، فننصرف خصوصاً الى نقد قيمتها الفنية والادبية .

اما من حيث التأليف الفني المسرحي فنرى ان الشاعر لم يتوفق كل التوفيق . فلم ينجح النجاح الكافي في تنسيق حوادث الرواية ، ولا في ايجاد اللحمة المتينة بينها جميعاً ، ولا في ترتيبها كلّها الى الخاتمة دون انحراف وتطويل . يبدو ذلك بما تتخلله من التردّد والاضطراب في بعض الشخصيات الثنوية كشخصية أنشو مضحك الملكة ، وشخصية اولمبوس ، الطبيب الروماني ، وشخصيتي الوصيفتين شرميون وهيلانة ؛ وبما نشعر به من التنافر في بعض المشاهد كمشهد حابي وأنوبيس اذ ينصرفان عن الملكة المتحرة الى الاهتمام ببعث وصيفتها هيلانة من الموت ، وما دافعهما سوى حبّ حابي لهيلانة ، فيضعفان تأثير انتحار الملكة ؛ ثم يشوّه العاشقان والكاهن ذاك المشهد الفخم بمحاورة اقلّ ما فيها انها خارجة عن الموضوع .

---

١) المشرق (٢٥ [١٩٢٧] ٦٢٤)

٢) مصرع كليوباترا ، تأليف احمد شوقي بك – مطبعة المعارف بمصر ، ١٩٢٩ – ١٥١ صفحة صغيرة .

٣) المشرق (٢٨ [١٩٣٠] ١٥٥)

على ان هـذه الشوائب لا تمنع كون المؤلف برهن عن مقـدرة وشعور بخلق الشخصيات المهمة في مـأساته ، واتمام صفاتها بدقة واتقان ، فتعجبنا فيها شخصية كليوباترا المرأة الجميلة الواثقـة بجمالها ، القوية الحجة ، السـاحرة البيان ، والملكة الحازمة الادارة ، السـاهرة على خير وطنها ، الفخور ببلادها ، والتي لا تخلو سياستها من تدبير ودهاء يقودانها حتى الرياء احياناً . فتنتبه واذا امامنـا شخصية مزدوجة تروقنا وتملك انتباهنا بترددهـا بين دولة الهوى ، ودولـة المجد ، بين انطونيو ومصر ، بين اللـذة والواجب ، حتى تضحي بالاولى في سبيل الثـاني ، بعد ان تكون ضحت بالكثير في سبيل الاولى ، وتختم حياتها بتضحية نفسها في سبيل الوطن ، « في سبيل التـاج » ، كما يقول عنها انوبيس[1] .

وتكاد ترى الاتقان نفسه في شخصية انطونيو ، الجندي الشجاع ، المتمتع باللهو والملذات ، الذي طالما ضحى بالهوى في سبيل المجد ، حتى عرف كليوباترا فاصبح يضحي بالمجد في سبيل الهوى . على انه يختم حياتـه بالتضحية الكبرى بعد ان يصبح

كأنه بقيّة نصلٍ او رنات غضنفرٍ[2]

فيناجي رومة نادماً مستغفراً ، ولكنه ينعي عليها قساوتها وانها حرمته من ترابها يواري فيه رفاته ، فيقول ، قبل ان ينتحر :

روما ! حنانك واغفري لفتاك ! اوّاه منك ، وآهِ ما اتـاكِ !
روما ، سلامٌ من طريدٍ شاردٍ في الأرض ، وطّنَ نفسه لهلاكِ .
اليوم يلقى الموتَ لم يحنثْ بـه ناعٍ ، ولا ضجّت عليه بواكي .
ان الذي اعطاكِ سلطانَ الثرى لم تُنصفي لرُفاته بثراكِ .
ان الذي بالامسِ زنتِ جبينه بالغار ، عفّتْ جهدَه وعصاكِ .
يا ربَّ تاجٍ في جبينك زاهرٍ عطّلتُ منه مفارقَ الاملاكِ .
الامّهـات تلوحنَ رقيدةً ، ما بالُ قلبك لم يلن لفتاكِ ! [3]

---

١) مصرع كليوباترا : ص ١٠٦ ٢) ص ٥٨ ٣) ص ٥٦

واما من حيث القيمة الادبية ، او اسلوب الشعر وموافقته للمقتضيات المسرحية ، فنقول : ان للمؤلف فضلَ الاقدام ، لا على جعل روايته شعراً صرفاً فاننا لم نعدم الروايات الشعرية قبلها[1] ، بل على تنويعه اوزان الشعر والقوافي ، وتلطّفه بالانتقال من نوع الى آخر . وفي هذه التجربة ما فيها من تسهيل في التعبير عن العواطف ، ومن راحة للاذن بتعديد اساليب الايقاع الشعري ؛ فالشاعر ، من هذا القبيل ، جدير بكل ثناء . على ان شعر شوقي بك قد لا يوافق المقتضيات المسرحية كل الموافقة . وذلك لما في شخصيته من النزوع الى الشعر الغنائي — وهو امر تحققناه في شعراء العرب جميعهم — ولا سيما ما كان منه فسيح المجال يقرن الى سموّ العواطف المبالغة بالفخر والاشادة بذكر مواقع المجد والعزّ ، او المناجاة وما تتضمّن من شعور لطيف وأنفة معجبة . ونحن نتحقق ذلك اذا ما انتبهنا لما في الرواية من الشعر الرائع العالي يسمو خصوصاً في الخبر المورَد للفخر ؛ كما في وصف كليوباترا لسياستها واعمالها في وقعة « اكتيوم » ، اذ تقول — ولا بأس بايراد كل كلامها ، وهو اقرب الى النوع الخطابي منه الى سرد الوقائع ، فضلاً عمّا فيه من جمال التصوير ودقة الوصف[2] :

أيها السادةُ ، اسمعوا خبر الحر ب ، وأمرَ القتال فيها ، وأمري ،
واقتحامي العُباب ، والبحرُ يَطغى ، والجواري به تلي الدَّمِ تجري ؛
بين أنطونيو وأكتافَ يومٌ عبريٌّ يسيرُ في كل عصر ،
أخذتْ فيه كلُّ ذات شراعٍ أُهبةَ الحرب ، واستعدتْ لِشرّ ؛
لا ترى في المجال غيرَ سَبوحٍ مُقبلٍ ، مدبرٍ ، مكرٍّ ، مِفرّ ،
وترى الفُلك ، في مُطاردةِ الفلكِ ، كنسرٍ أراد شرًّا بنسر ،
وتخال الدُّخانَ في جَنَباتِ الجوّ ، جُنحاً من ظلمة الليل يَسري ،
ودويَّ الرياح ، في كل أجّ ، مزجَ الرعدِ ، أو صياحَ المزمّر ،
وترى الماء ، منه عودُ مريرٍ لغريقٍ ، ومنه أحشاءُ قبر ؛

---

١) راجع ما قلناه بهذا الصدد في المشرق (٢٥[١٩٢٧]٦٢٤)
٢) ص ١٥ — ١٦

يغسلُ الجُرحَ شرٌّ من غسل الجر ح ، ويأمر من الحياة ، ويُبري .
كنت في مركبي ، وبين جنودي أزنُ الحربَ والأمور بفكري ،
قلت : روما تصدّعت ، فترى شعنراً من القوم في عداوة شعر ،
بعثلاها تقاسما الفُلكَ والجيشَ ، وشبّا الوغى ببحر وبرّ ،
واذا فرّق الرُّعاة اختلافٌ ، علّموا هاربَ الذئاب التجرّي .
فتأملتُ حالتيَّ مليّاً ، وتدبّرت أمرَ صحوي وسكري ،
وتبيّنتُ أن روما ، اذا زا لت عن البحر ، لم يسُد فيه غيري .
كنت في عاصف ، سللتُ شراعي منه ، فانسلّت البوارجُ إثري ،
خلصت من رَحى القتال ، وعمّا يلحق الشفن من دمار وأسر :
فنسيتُ الهوى ، ونُصرةَ أنطنيو سَ ، حتى غدوتُه شرَّ غدر .
علمَ الله ، قد خذلتُ حبيبي ، وأبا صبيتي ، وعوني ، وذُخري ،
والذي ضيّع العروشَ ، وضحّى في سبيلي بألف قُطر وقنر .
موقفٌ يُعجب الملا ، كنتُ فيه بنت مصر ، وكنتُ ملكةَ مصر .

وترى النفس العالي ايضاً في مناجاة انطونيو لرومة قبل انتحاره ، التي اوردنا شيئاً منها قبيل هذا الكلام . وفي مناجاة كليوباترا للحياة قبل انتحارها ، وهي قطعة غنائية لطيفة بما يتخللها من حنان الملكة الامّ على بنيها الصغار حتى تودّ الحياة ذليلة من اجلهم ، فيدفع ذلك عنها واجب الموت في سبيل المجد والعزّ ، فتطيعه مضحّية بعواطف امومتها ، مكتفية بايراد هذه الصورة البديعة ، فتقول :[1]

بروحي ، وان لم تبقَ مني بقيّةٌ ، صغارٌ ورائي ذرّقُ اليُتم ، لُوّحُ
أذوب لبراهم ، وأعلم انني حملت عليهم ما يجلُّ ويفدحُ ؛
وقد اشتهي عيش الذليل لأجلهم ، فلا المجد يرضى لي ، ولا النبلُ يسمحُ .
فصفحاً صغاري ، إن شقيتم بمصرعي ، واني لارجو أن تنضّوا وتصفحوا !
وداعاً صغاري ! صيّر الله يُتمكم الى خير ما يكفي اليتامى ويُصلحُ !
أطفت بكم ، والنومُ تمري سناته على صفحات كالاهلّة تلمحُ ،

١) ص ٩٨

وما منكمُ في الحرّ إلّا حمامةٌ عليها طليلٌ ناعمُ الفرع أفيحُ ،
تنام ، وما تدري الكرى ما وراءه ، ولا الصبح في ظلّ الربا كيف يصبحُ ،
أتغدو على الدنيا ، كأمرٍ ، طليقةً فحتى اليوم ، أم يُغدى عليها فتذبحُ ؟

حتى اذا قامت بواجب الوداع ، وخلعت عنها بقيّة حنانها ، اندفعت تدرس حالتها ، وتزن مآتيها السابقة ، وتقابل بينها وبين الحياة ، فتصحو من لهوها ولعبها الى ما يأمرها به الواجب من الموت مخافةَ أن تُدخل ،

في ثياب الذلّ ، روما (وتُعرض) كالسبيّ على الرجال(١)

ومن القطع الغنائية الرائعة جواب كليوباترا لاوكتافيوس ، عندما اقبل ليقبض على انطونيو في قصرها ، فرآه ميتاً ، فقال هازئاً(٢) :

كلوباترةُ ، لا تخشَيْ فان آخذَه منكِ .

فاجابت :

أبي تهزأ ؟ ام بالمو تِ ؟ ام بالموقفِ الضنكِ ؟
ان أسلمتَ ، على ما لك من بطشٍ ومن فتكِ ،
وما حولك من خيلٍ ، وما تحتك من فلكِ ،
فخذه من يد المو تِ ، ومن عاجزةٍ تبكي!

وكذلك انتهارها في الموقف نفسه احد جنود اوكتافيوس ، وكان قد دنا ليكشف القناع عن جثة انطونيوس ويتحقق موته ، فصاحت به :

مكانكَ ، يا عبدُ ، لا تمتكنّ على سيّد الهالكين ، القناعْ .
تريد لتكشف عنه الغطا ء ، عسى تحته حيلةٌ او خداعْ !
عبثت به ، وهو تحت الطيا لس ملقى السلاح ، قليل الدفاعْ ،
ولم تمتشم بفماً من دمٍ عليهنّ تحمد مصرَ البقاعْ .
رويدك ! ما الموت مستبـ ـدٌ ، ولا هو مستغربٌ من شجاعْ .
وان التماوت فعلُ الشا لب ؛ ليس التموت فعل السباع !

---

١) ص ١٠٢ ٢) ص ٨٠

اما المحاورة وما اليها مما لا يدخل فيه الاسلوب الغنائي ولا يتسع مجاله للعواطف ، فليس فيه لشاعرية شوقي بك حظٌّ كبير . ونحن اذا استثنينا محاورة انطونيوس واوروس ، في الفصل الثالث ، يمكننا الاجماع ان المحاورات في الرواية ضعيفة باردة . حتى محاورة انطونيوس واوروس نفسها فانها لا تستمدّ جمالها الّا مما فيها من الميل للاسلوب الانشائي الغنائي .

فاذا تقرّر هذا ، واذا اضفنا اليه ما تحققناه مراراً من ان الشعر العربي مبني في طبيعته على التأثير والعاطفة ، وان الشاعر العربي مؤثر قبل كل شيء ، راغب في التملك على القلوب بالانفعال[1] ، وان الشاعر المصري يميل بجميع الانواع الى الفنّ الغنائي فيحوّلها الى قصائد عاطفية ؛ اذا فهمنا ذلك ، امكننا القول ان شوقي بك قام في « مصرع كليوباترا » ، بتجربة ممدوحة في الشعر التمثيلي ؛ ولكننا لا نطمئنّ الى الأمل بتقدّم هذا الفنّ ، الشعري الصرف ، في مستقبل قريب ، لأنه لم يصل بعد لدرجة توافق وضعية الشعر العربي التقليدية ، او لأن هذا الشعر لم يصل بعد لدرجة من المطاوعة توافق ماهية الفنّ المسرحي . بل نرانا مضطرين الى ان نعيد اليوم ما قلناه سابقاً ، من ان النوع المختلط ، اي تأليف الروايات نثريةً شعرية ، لعله افضل في لغتنا ، لاختصاص الشعر بالانشاء اكثر منه بالخبر ، فتعرض الفصول الاعتيادية نثراً حتى اذا اشتدّ التأثير ، وحرج الموقف ، وهاج الشعور ، تدفّقت العواطف شعراً .

(للبحث صلة)

---

١) راجع الروائع ٢ : ١٩ – ٢٠

الروايات التاريخية

في الادب المصري

للاستاذ اغناطيوس كراتشقوفسكي

طالع قراؤنا دروس المستشرق جيب على المنفلوطي (المشرق ٢٧[١٩٢٩] ٦٨٤) وعلى طه حسين(١ (المشرق ٢٨[١٩٣٠]٢٥١) وها انّا ندعوهم اليوم الى سماع الاستاذ كراتشقوفسكي المستشرق الروسي المعروف. قضى عامين في الشرق ، وتعرّف الى اعظم ممثلي الادب في سورية ومصر، وانشأ في بيروت سنة ١٩٠٩ مقالاً في الروايات التاريخية المصرية اخذه اساساً لما نشره فيما بعد في اوربة في هذا الموضوع. وراقت دروسه المستشرقين زملاءه ، فاستأذنه احدهم وهو كامبفماير ، صاحب مجلة الجمعية الالمانية للمعارف الاسلامية ، في تدوين درسه في مجلته . فاذن له كراتشقوفسكي بعد ان اعاد النظر في ما كتبه منذ عشرين عاماً ، ونقّحه وزاد عليه . وهذا اول ما ظهر عند الافرنج في هذا الصدد ، وقد يكون تكملة لكتاب تاريخ الآداب العربية للاب شيخو ، وفيه من النظرات والفوائد ما هو جدير بالاعتبار . نمناه لمن لا يتاح لهم ان يطالعوا اصله من القراء (٢١ : ١ ، ٢ : ص ٥١ وما بعدها): ف. ت.

اقترح الاستاذ كراتشقوفسكي مقاله في الكلام على الادب الحيّ والادب الميت . فالادب الحيّ لا ينفك عن النمو وعن العمل ، وله مفاعيله في حياة العصر الفكرية والاجتماعية. اما الادب الميت فهو الذي وقف عن النموّ وجفت اغصانه وليس له الّا الأثر التاريخي. وتناول الكلام في الادب العربي ، فيما قبل الاسلام الى العصر الخامس عشر الميلادي ، فقال ان زمانه مضى وزال تأثيره في الحياة الفكرية البشرية الحالية مع انه كان ايام عزه ، في القرون الوسطى ، لسان حال الامة العربية ، ومورداً استقى منه الافرنج. واطلق عليه العبارة التي قالها احد المستشرقين في علم الفقه في الجزائر ان قيمته هي اثرية محضة. وتدارك

---

١) نشرت مجلة الحديث الحلبية المقال بحرفه عن المشرق ، ولم تذكر المصادر ، فبخست الادب حقه .

كراتشقوفسكي معارضة من يخاصمه على المغالاة في الكلام فقال : ولعله يأتي بعدنا جيل يتقصى آثار الادب القديم وتأثيره اكثر مما فعلنا فيكشف على ما لم نقف عليه . وحصر درسه في الروايات الادبية التاريخية . فضرب صفحاً عن كتاب كليلة ودمنة وكتاب الف ليلة وليلة ، وكلاهما خارجان عن دائرة المؤلفات العربية الاصيلة ومادتهما مأخوذة من العنصر الآري او الغير السامي.

واتى على ذكر الروايات التاريخية العربية المحضة كايام العرب ، وسيرة عنتر ، وقصة بني هلال ، وسيرة سيف ذي يزن ، وسيف التيجان ، وسيرة بيبرس ، وقال انها نالت سهمها من النفوذ في عصرها ، وعلمت الافرنج امورًا ساعدتهم على وضع نظام الفروسية الغربي ، وعلى تدوين قصصها البطلية. ثم غاض ماؤها وجف عودها فيبست وماتت ... ومضت قرون ثم ظهر في الادب العربي غرسة جديدة ، وانبعت لانها نمت في تربة اوربية ، تلك الغرسة انما هي الروايات العصرية الحديثة.

اخذت مادتها من المؤلفات الافرنسية والانكليزية خاصة . ومن الالمانية بواسطة ما ترجم منها الى اللغتين السابقتين . وكان ناصيف اليازجي وبطرس البستاني اعظم من ساعد على نشأتها الجديدة في اواخر النصف الاول من القرن التاسع عشر وهما دعامة النهضة الحديثة . لم يعملا مباشرة في الدائرة التي حصرنا فيها مقالنا ، ولم يصرفا همهما الى التأليف الادبي الجميل (*Belletristik*) المميز القرن التاسع عشر ، بل حصرا جهودهما في درس مؤلفات القرون الوسطى وفيها افرغا كنانتهما فكان لهما نفوذ عظيم...

ومنذ ثمانين سنة دبت الحركة في الاقلام فدفعتها الى التحبير والتعريب . وعقب التعريب مؤلفات كانت تنم عن تقليد دوماس وفيكتور هوجو ووالتر سكوت . وبرزت الروايات التمثيلية للوجود وفي مقدمة كتبة ذلك العهد اديب اسحاق ، وخليل اليازجي ، ونجيب حداد ، حفيد ناصيف اليازجي . اخذ نجيب رواياته عن الافرنج فتعلم عليهم ومضى في سبيله ، ومؤلفاته الروائية والشعرية خاصة لا تزال موضوعاً لاعجاب الناس في يومنا .

ومن البديهي ان جهود هؤلاء الكتبة في الروايات التمثيلية ساعدت على

حركة تأليف الروايات التاريخية. فنشرت مجلة المشرق رواياتها، وهي عنوان لما يمكن ان يستقصه الكاتب من حوادث تاريخ الشرق لسرد الاخبار الروائية. ولم يبلغ الاميريكان في هذا الصدد الشأو التي بلغت اليه كليسة اليسوعيين. ولم يخلوا المكانة اللائقة بهمتهم، بل حصروا جهدهم في تعريب بعض الروايات الغربية، والتصرف به فيما يعود بالمذمّة على الكاثوليك وسواهم من الغير البروتستانت.

فسبق الافرنسيون الاميريكان في ذلك المضمار، ومما يشهد على نجاحهم، ان اول من وضع رواية تاريخية في اللغة العربية كان من تلامذتهم، وهو جميل نخله المدوّر. ولد في بيروت، وتخرج على الآباء اليسوعيين، وطبع في القاهرة سنة ١٨٨٨ كتابه «حضارة الاسلام في دار السلام.» ولم يكن الكتاب رواية في حصر المعنى، اي انه ليس فيه عقدة ولا سعاية، بل هو سلسلة رسائل صادرة من رجل من رجالات الحكم في القرن الثاني الهجري على ايام الرشيد ومعاصريه. فاحيا المؤلف ذكر ذلك العصر ورجاله واخلاقه ولم يشطّ عن الحقيقة التاريخية، فحط كتابه محطةً في تاريخ الادب الروائي العربي. وتوفي المدوّر شاباً ولم ينشر سائر مؤلفاته.

وخص كراتشقوفسكي جرجي زيدان بصفحات عدة. زيدان «ابو الروايات التاريخية» ولد في بيروت، ودخل خادماً ودارساً في الجامعة الاميريكية، وكدّ وجهد. ولم تمض عشر سنوات على خروجه من معهد التعليم الا وقد حاز شهرةً واسعة في عالم الصحافة والرياضيات والروايات. ومن مؤلفاته: الالفاظ العربية والفلسفة اللغوية — انساب العرب القدماء — البلغة في اصول اللغة — تاريخ اللغة العربية — تاريخ مصر الجديد — تاريخ انكلترة — التاريخ العام... في السنة ١٩٠٢ اظهر كتابيه في «تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر» اخذاً عن «الهلال» مجلته، وباشر طبع «تاريخ التمدن الاسلامي» بخمسة اجزاء. فالتفت اليه من عني بالآداب العربية من الافرنج، ونقل الاستاذ مرغوليوث الى الانكليزية السفر الرابع من ذلك المؤلف وضمه في مجموعة جيب الشهيرة. وعسير بتّ الحكم في هل اخطأ الاستاذ مرغوليوث في عمله ام اصاب. ولكن لا مناص من القول ان تاريخ زيدان مبني عن تصميم

وأساس جامع لشتى المواد . ومفيد ليس فقط لعامة القراء العرب ، ولهم فيه غنى عن مؤلفات كرير وغولدسيهر ، بل للعالم الاوربي ايضاً .

وذكر كراتشقوفسكي كتاب تاريخ الآداب العربية والمناهل التي استقى منها زيدان ونقد الناقدين عليه ، ونوّه بمجلة الهلال ومعظم مقالاتها من قلمه مما يدل على طول باعه وقال : وقد يُلام زيدان على بعض التسطح ، وعلى قلة التعمق في المواضيع ، واوليات مؤلفاته تنمّ من نقص في معرفة الآداب العربية الاسلامية بكمالها . ولكن مكانته على الاجمال عالية بفضل جهاده وثباته على العمل ، وقد نال تلك المكانة ليس فقط في الادب ولكن في درس احوال العالم العربي المصري ، فتعلّمها وعلّمها . وكان الادباء على ايامه يتبارون في ميدانٍ ضيقوا فيه على القرّاء بين انيق النثر وناعم الشعر . فاعرض زيدان عنهم وبرهن بعمله ان المشاكل التاريخية والعمرانية الكبرى تلفت نظر القرّاء وتسرّهم اجمعين . ورمى الى اغراض شتى فطوراً اخطأ ، وطوراً اصاب ، وصار هدفاً لنقد الصحافة والمجلات العربية .

وتوسع كراتشقوفسكي في الكلام على زيدان المؤرخ الروائي وقسم رواياته قسمين الاول يشمل : استبداد المماليك ، والملوك الشارد ، واسير المهدي ، وليس لها بينها صلة حقيقية . اما الثاني فحلقاته مرتبطة متواصلة بالموضوع والزمان والمكان اي منذ مستهلّ الهجرة الى ايام الفتوح : فتاة غسان ، ارمانوسة المصرية الخ . بهذه الروايات نال زيدان شهرة واسعة . فحذا حذوه محررو الجرائد السيارة كعبد المسيح الانطاكي الحلبي الاصل مدير العمران (١٩٠٣) ، المتوفى سنة ١٩١٧ . ونُقل الى الفارسية والهندستانية والانكليزية والافرنسية والروسية حلقاتٍ وسلسلة منها .

النقد الادبي يتناول زيدان من الوجهتين التاريخية والفنية . وانه اختار من التاريخ المواضيع العصبية التي يتولد منها احتكاك المصالح وحدوث الحوادث التي تنجلي فيها اخلاق الاشخاص سواء اكان ذلك في بلاد الاندلس ، او على ايام بني امية ومشاحناتهم مع اهل الشيعة ، او على عهد دخول الاتراك في الدولة العربية . لقد ادى التاريخ الاسلامي مادةً وافرة لفولتير ولامارتين وغوطه وغيرهم

في تأليف رواياتهم التمثيلية . ولا سبيل الى نقد زيدان لاتخاذه دعائم رواياته من ذلك التاريخ . على ان القسم الاول هو دون الثاني قيمةً تاريخية ، وعلة ذلك ان المؤلف لم يكن قد ادرك الخبرة التي رقي اليها فيما بعد ، فضلًا عن ان وقائع الروايات الاولى كانت اقرب عهدًا اليه من ان يوفق في النظر اليها عن البعد الزمني الذي لا بد منه للالمام بالحوادث والاشخاص وانتخاب ما يصلح منها للرواية . وامتازت سلسلة زيدان الثانية بمطابقة قشورها لبها ، وصورتها مادتها ، وانشائها معانيها.

اما زيدان الروائي الفني فاول ما يقال فيه ان رواياته مرآة الواقع بما فيها من صورة حياة الناس . تلك الصورة قد ابرزها المتهتكون من الكتبة بما فيها من جميل او شنيع . اما زيدان فتحاشى عن العار وستر الشنار ، فاستحق الثناء . كشف على اطراف الحادثة كثيرًا ، واهتم بتحليل اخلاق اشخاصه قليلًا . ولم يُسمع عن اقوالهم وصناعتهم ابعد من الحدود التي احتدّها في الزمان والمكان المسرحاً للرواية . ان الكاتب ابن الفن هو من له قوة المخيلة والشعور . وهذه مقوة لتبرز في الاشخاص الذين يثلون ادوارهم في رواياته . وفي وصف الطبيعة ومحاكاتها . اما ابطال زيدان فاقرب اقوالًا وعواطف الى رجالات التاريخ الصحيح منهم الى مبتدعات الشعراء والمتفنين . واما صورته للطبيعة فهيفاء شاحبة ، وجماله الفني بعيد الخيال . على ان ذلك النقص ليبدو خاصة في اوليات مؤلفاته ، والخبرة مع الزمان خففت من وطأتها . ولا عجب ان ينال التاريخ حظه الاوفر من الروايات وهو الميدان الواسع الذي جال فيه زيدان بقلمه . ومما يذكر له بالفضل انه عالج المواضيع الاسلامية ، ولم يمسّ المسلمين بعواطفهم . وظهوره في الادب العربي العصري رفع منزلة الادب الروائي الى مستوى الادب الحي.

وتكلم كراتشقوفسكي عن فرح انطون ، ويعقوب صروف ، وخليل خياط ، وامين ظاهر خيرالله ، وخليل بك سعاده ، وابدى فيهم رأيه . . . ونوه بالمجادلة التي حدثت بين المستشرقين منذ ثمانين سنة حول الروايات التاريخية . وختم بعبارة الامل في حسن مستقبل الروايات التاريخية العربية وما يرجى لها من الازدهار بفضل النهضة الادبية العصرية.

شذرات

الحياة العقلية في قبرص

نشرت مجلة آسية الفرنسوية[1] مقالاً ممتعاً لنويل ڤارمون (Noël Varmond) في جزيرة قبرص وحالتها الحاضرة ، رأينا ان نلخص منه ما يفيد حركة الحياة العقلية في تلك الجزيرة :

يبلغ سكان قبرص ٣٤٣,٥٣٠ منهم ٢٧٤,١٨٠ من اليونان الارثوذكس ، و ٦٤,١٨٠ من المسلمين ، و ٢,٥٤٠ من الارمن الغريغوريين ، و ١٦٢٠ مارونياً و ١٠١٠ من طائفة اللاتين . وتتجلى الحياة العقلية في التعليم ، والصحافة ، وسائر المظاهر الادبية .

اما التعليم فمظاهره المدارس الابتدائية ، للصبيان والبنات ، المنتشرة في في جميع قرى الجزيرة . ثم المدارس الثنوية ، وعدد اليونانية منها تسع في مدن نيكوزية ، ولرناكا ، وفاماغوست ، ويافوس ، وليماسول ، وكيرينيا ، ومُرفو ، ولفكارا ، وريزوكرپاسو . ولليونان ايضاً مدرسة اكليريكية في لرناكا ، ومدرسة تجارية في ليثو . ولكن في هذه المدارس جميعها آفة واحدة مؤثرة وهي ادخال السياسة في التعليم . وللمسلمين مدرسة في نيكوزية ، واخرى ابتدائية في لرناكا . وفي لرناكا ايضاً مدرسة انكليزية ؛ واخرى اميركانية يديرها المرسلون الميتوديون الذين يزاحمون بمدرستيهم للبنات ، في لرناكا ونيكوزية ، مدارس الراهبات الفرنسويات .

اما الكاثوليك فلهم مدرسة « الارض المقدسة » في نيكوزية بادارة الآباء الفرنسيسكان . ومدرسة للبنات في ليماسول يديرها راهبات الفرنسيسكان الايطاليات . ولراهبات القديس يوسف الفرنسويات مدرستان في لرناكا ونيكوزية فيهما ١٨ راهبة يدرنّ نحو ٣٠٠ فتاة من مختلف الطوائف . وجميع المعاهد

1) *L. Asie française, Août-Sept. 1930, p. 259-268*

الكاثوليكية تشتكي من قلة المساعدة التي اجبرت مرسلينا على اقفال غير ما ذكرنا من المدارس ، التي كانوا يديرونها خصوصاً في لرناكا وليماسول. واذا انهى شباب قبرص دروسهم في الجزيرة هاجروا لاتمامها في معاهد اليونان خصوصاً ، وقليل منهم يذهبون الى انكلترة او الى فرنسة ؛ وافراد قلائل يتجهون نحو المانية او سويسرة او النمسة .

يظهر في الجزيرة ٢٥ جريدة منها ١٩ باللغة اليونانية ، و ٣ باللغة التركية ، و ٣ باللغة الارمنية ، ويأتيها عدد من الجرائد الخارجية اكثرها يونانية ، ثم بعض الجرائد الانكليزية كالتيمس والدايلي مايل ، وقليل من الجرائد الفرنسوية منها الطان ، والجورنال دي ديبا ، والاوستراسيون. وكذلك يدخلها بضعة اعداد من جريدة البشير .

اما الادب فلا يكاد يُشعر بوجوده لولا بعض القصائد وبعض الابحاث الاثرية . وليس للكتب الاجنبية من رواج ، لان القبرسي اذا تكلم كثيراً فهو يطالع قليلاً. واذا طالع فلا يروقه الّا الروايات الخيالية والبوليسية خاصة . واما المحاضرات فنادرة الّا ما كان منها متعلقاً بالسياسة . وكذلك الاقبال قليل على دور التمثيل ، وهي قليلة وفي غاية الانحطاط الا في نيكوزية . ويكتفي القبرسيون بحضور السينما ، ولها ردهتان في كل من نيكوزية ، ولرناكا ، وليماسول . واكثر رغبتهم في الافلام الخيالية التي تكثر فيها الوقائع والمعارك .

اهتداء خطير الى الكثلكة

اهتدى الدكتور سلدن دي لاني ، احد مشاهير الشيعة الاسقفية البروتستانية ، الى الديانة الكاثوليكية . فأحدث اهتداؤه ضجة في الولايات المتحدة لما هو عليه من الصفات الممتازة ، ولما كان له من تأثير في شيعته ، اذ كان راعياً في كنيسة « القديسة مريم العذراء » ، في نيويورك . كان قبل اهتدائه قد ادخل على رعيته بعض العبادات والعقائد الخاصة بالكنيسة الكاثوليكية وحدها كالاعتراف بعقيدة الحبل بلا دنس ، والعبادة لقلب يسوع الاقدس . وما زال يظهر التقرب الى الكثلكة ، مدافعاً عنها في كل فرصة كما جاهر بدفاعه عن كاثوليك المكسيك عندما اضطهدتهم حكومة القائد كاليس ، حتى اعلن اهتداءه

الى الحق وانضمامه نهائياً الى الكنيسة الكاثوليكية . وقد استقال من منصبه بكتاب لطيف ، ثم غادر نيويورك الى موضع لم يخبر احداً عنه. لكن صحافة نيويورك التي كان يهتها اخذ بعض التصريحات من فمه ، سعت الى معرفة مقره واهتدت اليه في ولاية ايلانـد ، في دير لرهبان القديس مبارك في مدينة « باريوث » فتمكن مراسل « ذي ورد » ، بعد محاولات كثيرة ، ان يحصل منه على التصريح التالي :

« كان هناك عاملان اثرا جوهرياً في تغييري معتقدي : الاول مخالفة رأيي للكنيسة الاسقفية الاميركية التي تنزع وتميل الى الاتحاد مع باقي الشيع البروتستانية ، والثاني ازدياد اعتقادي في حقيقة تعاليم الكنيسة الكاثوليكية التقليدية ، يوماً بعد يوم . لقد درست تاريخ الكنيسة الاولى واقتنعت بصحة الخلافة الرسولية وسيادة اسقف رومية على الكنيسة كلها . ان الانكليكانية تعترف بوجود درجة الاسقفية ، ولكنها تنكر ولاية الحبر الاعظم . وهذا غير ممكن ، بل لا يمكن فهمه . وليس انفصالي عن الكنيسة الاسقفية ناشئاً عن اسباب ومشاكل طقسية وحفلات خارجية . واني سأذهب الى رومية ، لاني اسلم واعتقد بسلطة الكنيسة الكاثوليكية .»

وقد سافر الدكتور دي لاني الى اوربة لزيارة معابدها ، ولا سيما ضريح القديسة « ترازيا الطفل يسوع »

احصائيات مصرية

وصلنا مؤخراً الاحصاء السنوي العام في المملكة المصرية لسنة ١٩٢٨ — ١٩٢٩ ، باللغتين العربية والفرنساوية ، وهو مثال الترتيب والاتقان يجدر بحكومات الشرق جميعها ان تقتدي به . وقد رأينا ان نستفيد منه معلومات قد تهم قراءنا الكرام عن عدد السكان في القطر المصري ، وانواع دياناتهم ، وتبعاتهم ، وعدد المتعلمين فيهم ، نبدأ ذلك بجدول يبين تزايد عددهم منذ السنة ١٨٠٠ الى السنة ١٩٢٧ وفيها صار الاحصاء الاخير :

السنة	العدد	
١٨٠٠	٢,٤٦٠,٢٠٠	حسب التقدير على عهد الحملة الفرنساوية
١٨٢١	٢,٥٣٦,٤٠٠	حسب التقدير بواسطة كشف المولين (المكلفين)
١٨٤٦	٤,٤٧٦,٤٤٠	حسب التقدير بواسطة تعداد المساكن
١٨٧٣	٥,٢٥٠,٠٠٠	حسب التعداد الرسمي
١٨٨٢	٦,٨٣١,١٣١	« « «
١٨٩٧	٩,٧٣٤,٤٠٥	« « «
١٩٠٧	١١,٢٨٧,٣٥٩	« « «
١٩١٧	١٢,٧٥٠,٩١٨	« « «
١٩٢٧	١٤,٢١٣,٣٦٤	« « «

وفي هـذا العدد الاخير ٧,٠٥٨,٠٧٣ من الذكور ، و ٧,١١٩,٧٩١ من الاناث ، ما عدا عرب البادية.

وهذا توتيبهم حسب الديانات والجنسيات

مسلمون	١٢,٩٢٩,٢٦٠	رعايا الحكومة المصرية	١٣,٩٥٢,٢٦٤
مسيحيون	اقباط ٩٤٦,٣٩٣	« « البريطانية	٣٤,١٦٩
	غير اقباط ٢٣٥,٥١٧	« « الفرنسوية	٢٤,٣٣٢
اسرائيليون	٦٣,٥٥٠	« « الايطالية	٥٢,٤٦٢
طوائف اخرى	٣,١٤٤	« « التركية	٩,٢٨٤

اما عدد اللبنانيين والسوريين والفلسطينيين (دون تمييز في الاصل) فيبلغ ٣٩٦٠٥ منهم ٣٠,٩٢٣ من رعايا الحكومة المصرية ، و ١٨٠١ من رعايا فرنسة ، و ١٦٥ من رعايا تركية . والباقون محتفظون بتبعة وطنهم الاصلي.

وفي جميع انحاء القطر المصري ١,٦٧٠,٨٩٣ شخصاً فقط يلمون بالقراءة والكتابة ، او ما يعادل ١٧٧ شخصاً بالالف.

مطبوعات شرقية جديدة

J. B. Coulbeaux, *Missionn. lazariste*: Histoire politique et religieuse de l'Abyssinie depuis les temps les plus reculés jusqu'à l'avénement de Ménélik II. 3 *vol. in-8°* 1929. *Prix* : 100 *f*. *Paris, Geuthner.*

تاريخ بلاد الحبش السياسي والديني ، من اقدم العصور الى منليك الثاني

عاش المؤلف في بلاد الحبش مدة ثلاثين سنة ؛ وتوفي سنة ١٩٢١ ، تاركاً بين مخطوطاته هـذا التاريخ الواسع الـذي طُبع مؤخراً . وان من يقـدر معرفة المؤلف تلك البلاد ولهجاتها ، واطلاعـه الواسع على عـادات السكان ومظاهر مدنيتهم الخالصة ، يدرك ما لهذا التاريخ النفيس من قيمـة عظيمة ، وما سيكون له من تأثير بليغ في جميع مـا يكتب عن الحبشة حتى مستقبل بعيد .

ج . ل .

H. Lusseau : Essai sur la nature de l'inspiration scripturaire. *in-8°*, 242 *pp. Prix* : 40 *f*. *Paris, Geuthner.*

بحث في طبيعة الوحي في الكتاب المقدس

هي أطروحة طرحها المؤلف وناضل عنها في ٢٢ تشرين الثاني ١٩٢٨ ، امام لجنة الكتاب المقدّس ، فنال بها لقب « دكتور في الآداب الكتابية » . وقد قسمها الى قسمين : درس ، في الاول ، الموضوعات التي تختصر عقيدة الكنيسة في الوحي . وشرح ، في الثاني ، تعـابير فلسفة القديس توما في الموضوع ، وتطرّق الى درس العلاقات بين الوحي وعقل الكاتب ، ومواهبه الكتابية ، وارادته للكتابة . ثم ختم مبيّناً ان الوحي ، كما حدّده وشرحه ، لا يظهر محققاً كل التحقيق الّا في عقيدة الكنيسة الكاثوليكية .

Litterae Orientales. *Heft* 44, *Oktober* 1930. *Harrassowitz. Leipzig.*

الآداب الشرقية

تنشر مكتبة أوتوهرّاسوفيتز في ليبسيك ، تحت هـذا العنوان ، نشرات

دورية تذكر فيها ما يجدّ من المؤلفات الشرقية مع بعض المعلومات عنها ، ومنتخبات من بعضها . وقد لاحظنا في النشرة الحاضرة بحثاً لدوستويوسكي في ما نُشر من المؤلفات الحديثة باللغة الروسية في المواضيع الشرقية والاستشراق.

P. Mainage O. P. : Le Bouddhisme. [*Biblioth. Cath. des sciences religieuses*] *Paris, Blond et Gay.*

البوذيّة

اننا نستقبل بكل ارتياح هذا الكتاب الصغير الذي يلقي نظرة شاملة على تاريخ البوذيّة العام ، منذ نشأتها الى القرن التاسع عشر. ومما يستحق الذكر ان المؤلف اهتمّ اهتماماً خاصاً باظهار الاسباب التاريخية لتطوّر البوذيّة في كل من الاقاليم التي توسّعت فيها كالهند ، وبلاد الشرق الاقصى ، ويذيّل ذلك بعدد من المآخذ تفيد من يرغب في مزيد الاطلاع . فيظهر ان البوذية بعد ان استقلّت مدة قليلة بشخصيتها الاصلية ، تطوّرت سريعاً بسبب ما فيها من قابلية التحوّل ، حتى تعدّدت فيها المذاهب فبعدت عن صفاتها الاولية . وهو ما بينه المؤلف بكل وضوح. ج. ل.

R. Chélard : Responsabilité de la Hongrie dans la guerre mondiale. Souvenirs personnels et documents inédits. *in*-8°, 192 *pp*. *Prix : 30 f*°. *Paris, Editions Bossard.*

مسؤولية هنغارية في الحرب الكونية

لا يمكن القول ان المؤلف يجهل هنغارية ، وقد خصّ بها ، قبل الحرب عدّة مؤلفات . ثم عاد اليها ، فاقام فيها سبع سنوات ملحقاً تجارياً بالسفارة الفرنسوية . ولكننا لا نعلم ما لحق به من المساوئ وما قاساه من المعاكسات في تلك البلاد ، فان في تذكاراته روحاً عدائياً شديداً . اما التاريخ نفسه فهو عبارة عن سرد حوادث الشعب المجري منذ دخوله اوربة الى اليوم ، بلهجة شديدة فيها كثير من التحزّب والتطرّف. ج.ل.

J. Carcopino : Virgile et le mystère de la IVe églogue. *Paris. Artisan du livre*, 1930.

فرجيل وسرّ الانشودة الرابعة من رعائياته

لا يخفى ان في الانشودة الرابعة من رعائيات (*Eglogues*) فرجيل ذكر غلام عجيب ، يجعل الشاعر ميلاده على عهد قنصلية بوليون ، ثم يذكر له مصيراً غريباً يتصل بنهضة جديدة يعود فيها العصر الذهبي والسلام العالمي الشامل . وقد تباينت آراء العلماء في ماهية هذا الغلام ، وفي المصادر التي استقى منها الشاعر ما يصوّره في انشودته ، فذهب بعضهم الى ان هذا المولود العجيب هو المسيح ، وان فرجيل عرف شيئاً عنه بواسطة الكهنات السيبلية ، وقال غيرهم كنوردن (Norden) وبول (Boll) ، وهم من العلماء المعاصرين : بل هو احد امراء مصر ممن اطلع الشاعر على مصيرهم مشروحاً في ما عُرف من طقوس الاسكندرية السرية التي تبشر بعودة العصر الذهبي . اما الاستاذ كركوبينو فيعرض حلاً لهذا المشكل يقرن بين المحافظة على ما ثبت من التقاليد ، واعمال النقد العلمي الدقيق . فهو يرى ان الانشودة « قطعة قنصلية » كما برهن نوردن ، كتبها الشاعر عند ارتقاء بوليون الى هذه الرتبة السامية . اما الغلام العجيب فهو ولد بوليون المذكور . ثم يدقق الاستاذ كركوبينو في مختلف المعلومات التاريخية فيبيّن ان هذا الغلام ، المولود في آخر السنة ٤٠ قبل المسيح ، هو المدعو سالونينوس الذي يشير اسمه الى حكم ابيه على سالون من بلاد دلماسية ، وهو امر يوافق ذاك الوقت . واما السلام العالمي الشامل فهو ما كان يتوقعه الجميع حين ذاك من الأمن والسلام على اثر مصالحة برندس (Brindes) . بقيت تلك اللهجة النبوية السائدة في الانشودة والتبشير بعصر ذهبي وبرجوع العذراء ، ويشرحها الاستاذ بقوله ان كل ذلك مأخوذ من العقائد الفيثاغورية التي تجدّدت وانتشرت انتشاراً واسعاً بين ادباء رومة عندما وصل اليها فرجيل . وهكذا يشرح الاستاذ كركوبينو بوضوح كلي ومقدرة فائقة موضوع الانشودة وما يتصل به من الدقائق المعنوية . مما يحملنا على القول ان الكتاب يحدث أثراً حسناً في عالم الابحاث اللاتينية .

ر . موترد

M. Viller S. J. : La spiritualité des premiers siècles chrétiens. [*Biblioth. Cath. des sciences religieuses*] *Paris, Bloud et Gay.*

الروحانية في صور المسيحية الاولى

لا تؤلف التصانيف الروحية نوعاً خاصاً في العصور الاولى للنصرانية بل هي لا تظهر على حدة من بين سائر المؤلفات الدينية الا في القرن الرابع، بعد ان ازدهرت الحياة النسكية، وميّز الفرق بين الحياة حسب الوصايا والحياة حسب النصائح. ولهذا رأى المؤلف ان يتبع الترتيب التاريخي، فتكلم اولاً عن الانجيل وسائر اقسام العهد الجديد، ثم عن الاستشهاد، فعن حياة البتولية، فالنسك الشرقي والغربي. ثم عن مشاهير الروحانيين من الآباء اليونان في القرنين الخامس والسادس كالقديس اغوسطينوس والقديس غريغوريوس الكبير، واخيراً تكلم عن القداسة خارج الحياة النسكية. وختم بفصل في العبادات الخاصة.

Jean Bayet : La Sicile grecque. [*Le monde hellénique.*] *Paris, société d'édition « Les Belles Lettres ».* 1930.

صقلية اليونانية

بعد ان يصف المؤلف الجزيرة وصفاً مختصراً، يبدأ في الفصل الاول فيذكر بكل تدقيق عدد المدن والقرى التي انشأتها الشعوب اليونانية المختلفة على شواطئ صقلية منذ القرن الثامن الى السادس قبل المسيح. فيقول ان اول هذه الشعوب كان الشعب الخلقيدوني، وهو اشدّهم جرأة، فقطع افراده مضيق مسينا، وانشأوا المدن في شمالي شرقي الجزيرة، ثم على شاطىء ايطالية، ثم في شمالي الجزيرة. فاصبحوا المسيطرين على المنافذ التجارية حتى فكروا بجعل البحر التيريني بحراً خلقيدونياً. وفي العصر نفسه، اي في القرن الثامن، قدم بعض الكورنثيين فنزلوا على ضفة نهر اناپوس، وأسسوا مدينة سيراقوسة. وفي القرن السابع اقبل الدوريون، من اهالي رودس واقريطش، فاحتلوا جنوبي الجزيرة وانشأوا فيها محطاتهم. واخيراً وصل الميغوريون فاتجهوا الى غربي الجزيرة حيث اسسوا سلينونت، وساروا منها الى الجهات البعيدة على بحر افريقية. وفي هذا الفصل خارطة حسنة تساعد المطالع على توقيع الاعلام

المكانية المذكورة.

ثم انصرف صاحب الكتاب الى ذكر الحروب والمناوشات العديدة الناشبة طوراً بين كل من هذه المدن وجاراتها ، وطوراً بينها مجتمعةً وبين الاجانب من قرطاجيين ورومانيين . ولكن على الرغم من كل ما ينتج من التفرقات عن مثل هذه الحالة الحربية ، نرى ان اصطباغ صقلية بالصبغة اليونانية لم يتوقف في عصر ما ، حتى ان اعداء اليونان انفسهم كالقرطاجيين مثلاً اصطبغوا هم ايضاً بها فتخلقوا باخلاق اليونان . وهذا ما جعل وحدة معروفة لتلك الجزيرة المختلفة الشعوب والنزعات المقاومة للحروب الداخليـــة وغزوات القراصين من الاجانب ، وهي وحدة مبنية على وحدة الآداب اليونانية تظهر جلية لكل من يطالع تأليف شيشرون المعروف باسم « *de Signis* » ، وليس في الجزيرة مدينة لا تحتفظ الاحتفاظ الكلي بأثر او بآثار يونانية. الاب كساتاكيس

Marc le diacre : Vie de Porphyre, évêque de Gaza. *Texte établi, traduit et commenté par* H. Grégoire *et* A. Kugener. [*Collection byzantine*] *Société d'édition « Les Belles Lettres»*. CXII, 79, 156 *pp. Prix : 35 f.*

حياة برفيريوس اسقف غزة

تظهر ترجمة هذا النصّ الى الفرنسوية لاول مرة ، وهي مستندة ليس فقط الى المخطوطات المعروفة حتى اليوم ، بل ايضاً الى مخطوطة اورشليم المحفوظة في مكتبتها البطريركية . وقد قدّم عليها المؤلفان بحثاً في ١١٠ صفحات ذكرا فيه علاقة حياة برفيريوس المذكور بتاريخ تيودوره الديني ، وبيّنا قيمتها التاريخية . فيكون ان لهـذا الاثر قيمة مهمة في معرفة حالة البلاط البيزنطي على عهـد اركاديوس وافدوكسية ، وفي معرفة اضمحلال الوثنية من مدينة غزة .

G. Champenois : Le sabotage officiel de l'histoire de France. 1930, *Prix : 12 f. Paris, Editions Bossard.*

التدمير الرسمي في تاريخ فرنسة

يجمع المؤلف عدداً كبيراً من اجوبة ارباب المعارف والذوق والذكاء في

بلاده من مؤرخين واساتذة وادباء وعلماء وفنيين وسياسيين ، اجابوا بها عن ثلاثة اسئلة وُجهت اليهم وهي: هل من الصواب القول بتحريف تاريخ فرنسة ؟ وما هي الاسباب التي أدت الى هذا الخطأ ؟ وما هو الدواء لهذا الداء ؟

L. de Poncins : Les forces secrètes de la révolution. *Texte nouveau. Prix : 20 fs. Paris, Editions Bossard*, 1929.

قوى الثورة السرية

ظهر الكتاب لأول مرة سنة ١٩٢٨ فوصفناه في المشرق . وقد نفدت نسخه بسرعة فاعاد المؤلف كتابته ونفى منه ما شُكّ في صحته من المستندات. وهو يُقسم الى قسمين : الماسونية كما تظهر وتأثيرها في العالم ؛ والماسونية كما هي وعلاقتها باليهودية ، ونظامها ودورها الثوري.

Les Œuvres de la Comtesse de Ségur. *Collection à 2 fs, 50 le volume. Paris, A. Fayard et Cie.*

مؤلفات الكونتس دي سيغور

من المعلوم كل ما يستفيده صغار الفرنسويين ، في كل جيل ، من تآليف الكونتيس دي سيغور . ولهذا نشكر لمكتبة فيار اهتمامها باعادة طبع هذه الآثار النفيسة على طريقة سهلة قريبة المنال ، ليس فقط لادباء فرنسة ، بل لجميع من يدرسون اللغة الفرنسوية من الصغار في جميع انحاء العالم . وقد ظهر منها حتى الآن سبعة مجلدات.

G. Grosjean : Jeanne d'Arc et le sentiment national. *Edition du cinquième centenaire, in-4°, 1930. Paris. Editions Bossard.*

جان دارك والعاطفة القومية

من الاخطاء العامة ما يلقنه بعض الاساتذة في المدارس الفرنسوية من ان عاطفة الوطنية الفرنسوية نشأت سنة ١٧١٠ ، وانه لم يكن قبل ذلك الحين الّا جمهرة من الشعوب مجتمعة حول عرش الملك . وهذا ما يعود الى القول انه لم يكن من وجود لفرنسة. لهذا شاء المؤلف ان يمحص ما عسى هذا الخطأ دون ان يأخذ على نفسه كتابة تاريخ العاطفة القومية في فرنسة ، فاكتفى ، بمناسبة

مرور خمسمائة سنة على ظهور جان دارك ، بدرس هذه العاطفة وتأثيرها في ذاك العهد ، في المعارك الهائلة بين فرنسة وانكلترة . فاتى بكتاب لذيذ مفيد رشيق المظهر. ج. ل.

مصنفات في علم الكيمياء للحكيم جابر بن حيّان الصوفي

قد اعتني بطبعها ونشرها ارك يحيي هولمبارد (الجزء الاول من المجلد الاول)

طبع في باريز المحروسة ، بمطبعة بول غايتنير ، سنة ١٩٢٨ ، ثمنه ٦٠ فرنكاً

ناشر الكتاب هو الاستاذ الاول في علوم الكيميا في مدرسة كليفتن في مدينة بوستل. اخذ على عاتقه نشر مؤلفات جابر بن حيّان كلها ، حتى المطبوعة منها ، لانها لا تقوم بسائر ما يطلب منها لدرس مؤلفات اعظم عالم كيماوي مسلم درساً علمياً موفى الشروط . وسوف تظهر المصنفات بمجلدات عدة وكل مجلد ينقسم الى جزئين : الاول فيه المتن العربي بضبطه ومقابلته على ما يمكن الحصول عليه من مخطوطات جابر ، والثاني فيه الترجمة الانكليزية مع الحواشي.

اما هذا الجزء الاول من المجلد الاول ، ففيه مجموعة احد عشر كتاباً في علم الاكسير الاعظم ، طبع على الحجر سنة ١٨٩١ في بمباي . فتوفق الناشر الى الحصول على مخطوطين منه اتخذهما اساساً لعمله ، ووعد بتخصيص المجلد الاخير من المصنفات بحياة جابر ومقدرته من علم الكيمياء وخدماته . وسأل المساعدة على اكتشاف مؤلفات جابر المنسية . فرأينا ان ندله على النمرة ٢٥٦ ٢٥٧ من مجموعة وصف المخطوطات الشرقية[1] التي فيها المرحوم الاب شيخو على ذكر كتاب مفتاح الرحمة وكنز النعمة للشيخ علي افندي ابن الرومي فقال: « ان ورود اسم جابر مراراً في الكتاب يدعونا الى الظن انه شرح على كتاب الرحمة لجابر . » وهذا الشرح محفوظ في خزانة مخطوطات المكتبة الشرقية ، لكنه في حالة يرثى لها. ف. ت.

(١ *Catalogue des Mss. de la Bibl. Orient.* N° 256, 257

سقطة الكنيسة القبطية بوجود بطريرك حكومي غير قانوني

بقلم جرجس فيلوثاوس عوض

المطبعة المصرية الاهلية ، القاهرة – ٢٧٢ صفحة صغيرة

غايــة المؤلف ان يبين ان انتخاب بطريرك الاقباط الارثوذكس الحالي ، البطريرك يؤنس ، انتخاب غير قانوني ، وان غبطته جرى منذ انتخابــه ، على طريقة تخالف قوانين الكنيسة القبطية . وهو يبرهن ذلك بقولــه ان بخيت سيداروس (وهم اسم البطريرك الاصلي) رسم كاهناً بسنّ العشرين ، وهو امر مخالف القانون ، على قول المؤلف ، لانه لا يجوز للمبتدئ ان يُرسم كاهنــاً الا في العمر الذي بدأ فيه السيد المسيح رسالته ، اي سنّ الثلاثين من سنيه . ثم لم تمرّ اثنتا عشرة سنة على ذلك حتى سيم الكاهن ، الذي كان قد صار رئيس دير ، اسقفاً على الاسكندرية ووكيلاً بطريركيّاً . والمؤلف يسرد سلسلة من الشكاوي على الاسقف منهــا انه كان يسهل الطلاق حتى « فتح بابــه على مصراعيه » خلافاً لتعاليم الانجيل (متى ٦ : ١٩) . ويصل الى ذكر الانتخــاب فيبين عدم قانونيته بان المنتخب كان ذا كرسي (ولا يُنقل الاسقف من كرسيه الى غيره عند القبط) ، وبان الانتخاب جرى بأمر من الملك ، وبأن الاساقفــة الحاضرين اعادوا وضع اليــد على المنتخَب . والنتيجة ان البطريرك الحــالي بطريرك حكومي مدني ، او موظف بسيط عينــه الملك ، ولا صفة رئاسة دينية له . واذاً فليس له حقّ باقامة المراسيم الدينية ، وعلى الاكليروس ان لا يعاونــه على المذبح ، كما انــه على الشعب ان لا يحضر الاحتفالات التي يرئسها .

يلي ذلك فصل مطوّل في وصف انتخاب البابا بيوس العاشر لا ندري هل اورده المؤلف للمقابلة بينه وبين انتخاب البطريرك يؤنس . ومهما يكن من أمر فان الناظر اليه باخلاص وتجرّد لا يشكّ لحظة واحدة في سموّ انتخاب البابا . ويذكر المؤلف في ملحق خاصّ طموح رهابين الاقباط الى الاسقفية ليؤمنوا لهم

ثروة شخصية من املاك الكنيسة ، فينحو عليهم باللائمة وينعي عليهم تقهقرهم وفتورهم الديني بعد ان كانت الحياة النسكية والرهبانية على اتم الازدهار في مصر في القرن الرابع . ثم يلوم المدارس القبطية التي تعنى بالعلوم وتهمل الدين . ويشير الى الخسائر بالرجال التي تقاسيها الطائفة القبطية ، من ذلك ان ٤٠٠ قبطي ينتقلون الى الدين الاسلامي كل سنة وان ٥٠,٠٠٠ قبطي اعتنقوا البروتستانية ، وكان قد ذكر قبل ذلك ان التوراة البروتستانية البيروتية فيها كثير من الشوائب والتحريف . هذا ملخص ما في الكتاب . على ان المؤلف ، عندما ذكر ازدهار الحياة الرهبانية المصرية في القرن الرابع ، نسي ان يشير الى ان القديس بولا الناسك ، والقديس انطونيوس . وتلاميذهما وزملاءهما ، كانوا جميعهم من اتباع الكنيسة الكاثوليكية . وكذلك نسي ان يذكر الثلاثين الف كاثوليكي العائشين في بلاده ، والذين لا يمنعهم الاحتفاظ بطقسهم القبطي من اتباع روما العظمى والتعلق بايمان بولا ، وانطونيوس ، واثناسيوس «الرسولي» كما تسميه ليتورجية القداس القبطي ، ومرقس ، تلميذ القديس بطرس الذي تدعوه الكنيسة القبطية ، يوم عيده ، « برأس الرسل وخليفة يسوع المسيح . »

الاب شفراي

الخطابة

تأليف الدكتور نقولا فياض

ادارة الهلال بمصر ، ١٩٣٠ — ٢٤٨ صفحة متوسطة صغيرة

هي الهدية الاخيرة من هدايا « مجلة الهلال » لسنتها الثامنة والثلاثين جمع فيها الخطيب والشاعر المعروف الدكتور نقولا فياض بين اصول الخطابة النظرية ، من ادبية وفيسيولوجية ، وتطبيقها العملي . فتكلم في القسم الاول عن تعريف البلاغة ، وصفات الخطيب والعلاقة بينه وبين الممثل ، وبينه وبين الشاعر ، والصلة بينه وبين الجمهور ؛ وعن انواع الخطب المختلفة . وتطرق ، في القسم الثاني ، الى ذكر بعض الوصايا الصحية التي ترمي كلها الى تحسين الصوت . وختم القسم الثالث بذكر امثلة مقتضبة من خطب العرب والافرنج . وقد وددنا لو

كانت هذه الامثلة اطول مما هي عليه ، اذن لتمكن المطالع من تطبيقها على اصول الخطابة ، ومن الاستدلال بواسطتها على شخصية اصحابها الخطابية والادبية. ومهما يكن من أمر فالكتاب سهل القراءة ، نافع. ف. ا. ب.

هندسة الطرق العملية

تأليف وليم داي وحامد القصبي

١٢٦ ص. متوسطة ، برسوم وخرائط – م. مصر ١٩٣٠

تصفحنا الكتاب فوجدناه ، رغم تعقد عبارته ، كثير الفائدة لما فيه من التعليمات ، واكثرها ناتج عن الاختبارات الشخصية ، خصوصاً فيما يتعلق بعملية الرصف بالقار او الاسفلت . وهو يقسم الى اجزاء اهمها الرصف بالزلط او « الماكادام » ، والرصف بالزلط المسقي بالقار ، والرصف بالاسفلت ، ثم الرصف بالبلاط ، ثم بالخرسانة . وقد بيّن المهندسان ما لكل عملية من المحاسن وفي آخر الكتاب فصول عن الاقاريز ، وتكاليف الاعمال ورصدها ، والآلات المستخدمة في اعمال الطرق . وفي اوله فصل عن المواد القارية اجمالاً واستعمالها في دهان الطرق . فيا حبذا لو قام احد مهندسي النافعة عندنا بمثل هذا العمل مبيّناً التجارب التي أُتي عليها في لبنان وسورية ، خصوصاً في اعمال الرصف بالمكادام المسقي بالقار ، لان العمليات تختلف من بلد الى بلد ومن قطر الى قطر ، لاختلاف العوامل الجوية وحركة السير الخ .. وعلى كل فنحن نهنئ صاحبي الكتاب طالبين له احسن رواج. ا. ب.

معصمها وهنسل

تأليف الخوراسقف اسحق ارملة

المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ١٩٣٠ – ٥٥ ص صغيرة

هي طريقة جديدة في تعليم القراءة السريانية يتدرّج فيها التلميذ من التهجئة البسيطة الى القراءة بالشكل الكامل ، وقد انتخبت مواد هذه القراءة من الصلوات والمزامير ، ومن بعض القصص . وزيّن الكرّاس بصور واضحة لأهم ما يقع تحت حسّ التلميذ من نبات وحيوان وجماد . فنشكر لحضرة المؤلف هذه الخدمة ، ونتمنى لتأليفه الرواج والانتشار.

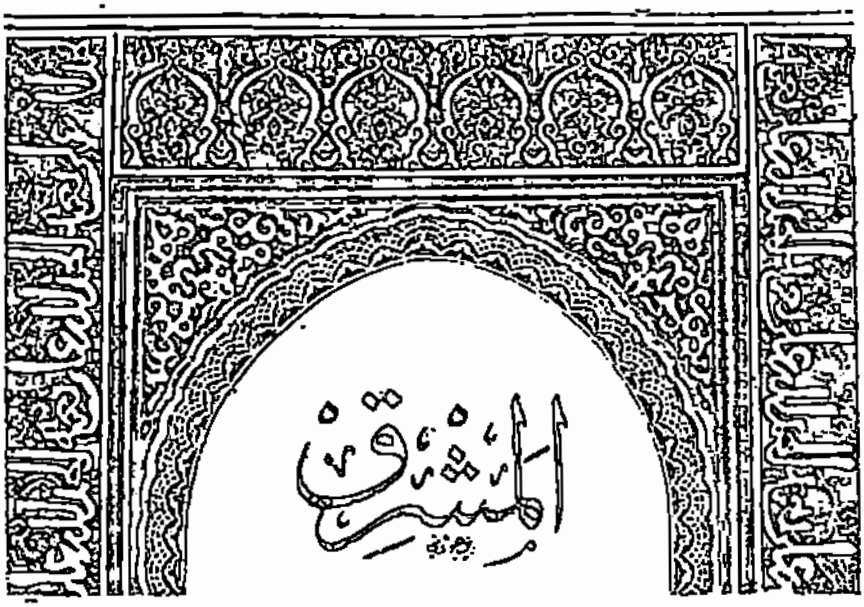

كانون الاول ١٩٣٠

في النعمة : ٣

مفاعيل النعمة وموقفنا تجاهها

انا الكرمة وانتم الاغصان ، من يثبت فيَّ وانا فيه فهو يأتي بثمر كثير
(يوحنا ١٥ : ٥)

بقلم حضرة الاب ا . س . مرمرجي الدومنيكي

النعمة عون فائق الطبيعة يهبه الله الانسان ، فيمكنه العيش في الارض ، عيشة ملائمة دعوته السماوية ، وهي رؤيته ، عز وجل ، ومحبته والتمتع بحياته مدى الابدية . على ان في البشرية ينبوع حياة استمدت هي ولا تزال تستمد منه قواها وخواصها . وهذه الحياة الطبيعية وما يتعلق بها قد اتتنا من الخالق بواسطة ابينا ، ورأس جنسنا الاول ، وهو آدم . بيد انه اذ كان بمعصيته قد صار سبباً لان ينقطع عنا مجرى الحياة العلوية ، التي كان الرب قد منحها له ولذريته ، ترحم الله علينا

فاقام لنا رأساً ثانياً ، وهو يسوع المسيح ، الكلمة المتجسد ، الذى اضحى لنا ينبوعاً فياضاً لجميع النعم التي نحن في حاجة اليها ؛ فاقتضى لنا ان ننضم الى هذا الرأس انضمام الاعضاء الجسدية الى رأسها لكي تجري في حياتنا النعم الالهية ، كما يجري الدم في عروق ابداننا . هذا ملخص ما رأيناه في المقالين السابقين .

على ان النعمة قوة ، ومن شأن القوة انها حيثما عبرت او فعلت فعلها ، ابقت لها اثراً او مفعولاً . ولهذا فبعد ما درسنا ضرورة النعمة وينبوعها ، لنرَ ما هي الآثار او المفاعيل التي تتركها في نفوسنا ، ثم كيف يجب ان يكون موقفنا او تصرفنا نظراً اليها .

* * *

اخص مفاعيل النعمة فينا مفعولان اولها انها تفيض في نفسنا حياة جديدة فائقة حياتنا الطبيعية ؛ ومن هذه الحياة ينشأ ثلاث خواص ، او فضائل مفاضة تدعى الفضائل الالهية اي الايمان ، والرجاء ، والمحبة . وهي الهية من حيث مصدرها وهو الله راساً ؛ ومن حيث قوامها ، فانها لا تحوي شيئاً من الطبيعة كالفضائل الادبية ؛ ومن حيث موضوعها ، فان الباري عينه هو المعروف والمرجو والمحبوب بها بنوع فائق الطبيعة .

فالعطية الاولى اذن هي الايمان ؛ اي ذاك النور السموي الذي يرينا الحقائق الموحى بها من لدنه تعالى . ولذا فالنفس الحاصلة على النعمة يسطع فيها نور الله وتظهر لها الاشياء بمظهر جديد . فهي قريبة من الله ، وتراه احسن مرأى . وهذا ما عنى به الرب يسوع بقوله : « طوبى لانقياء القلب ، فانهم يعاينون الله . » مما دل على انهم مدعوون ليس لمشاهدته في الابدية وحسب ، بل منذ الآن يرونه رؤية اكمل ، اي في تعاليم انجيله الطاهر وكنيسته المقدسة ، وحوادث التاريخ ، والاعمال العجيبة الناجمة عن قدرته .

يضاف الى الايمان فضيلة الرجاء ، تلك القوة التي تدفعنا الى الله تعالى ، وتنشئ فينا الاعتماد على مواعيده ، والثقة بافضال يسوع . وهذا ما يجعل النفس تقف حق الوقوف على حقيقة الحياة ، فتصرخ مع الرسول بولس قائلة : « ليس

لنا هنا مدينة باقية ، لكن نطلب الآتية . » اجل ان هذه الدنيا ملأى بالهموم والاكدار ، بيد ان مصائبها تزول . واما ما يعقبها من المجد فهو دائم الى الابد . « لان ضيقنا الحالي الخفيف ينشئ لنا ثقل مجد ابدياً لا حد لسموه . » ومن ثم فاحر بنا ان نستتلي مع الرسول القائل : « اني راغب ان انحل فاكون مع المسيح ، وذلك افضل لي بكثير . » واذا اقبل اوان الحرب الروحية ، فالنفس تشعر بذاتها متذرعة بقوة فائقة للجهاد ، وآملة الظفر النهائي .

بعد الرجاء تأتي فضيلة المحبة ، تلك العطية المفاضة التي تصلنا بالله صلة بنوية ، فنجسر ان ندعوه باسم الثقة والرقة « ابانا » ، اي اننا لا نكتفي ان نخشاه كما يخشى القاضي العادل ، او ان نحترمه كما يحترم السيد الملك ، بل نسعى في ان نقرّب قلوبنا من قلبه ؛ فحينئذ نحسّ نفسنا ان قد نشأ بينها وبينه نوع من المساواة المتولدة من الصداقة .

هذا ما يصدر من حالة النعمة . اجل انها لامور غير منظورة بذاتها ، لكن يتحقق وجودها بقوة الافعال الناشئة عنها . اذ من ينبوعها يصدر ذاك اليقين الثابت الذي نلاحظه في القديسين ؛ وتلك التضحيات التي بها يحتقرون الدنيا ، ويلتهبون بمحبة الله الفائقة . من اي ينبوع يا ترى الّا من هذا الينبوع صدرت شجاعة اغناطيوس النوري الذي كان يرتم طرباً لحصوله على ذاك الشرف العظيم وهو ان يطحن حباً بيسوع تحت انياب الوحوش الضارية ، كما تطحن الحنطة ؛ او اختطافات القديسة تريزية ، والقديسة كترينة السيانية ، في وسط التجارب والمحن القاسية ؟

نجد لهذا المفعول ، مفعول النعمة ، رمزاً في حادث من حوادث حياة السيد المسيح . فانه حين تجلّى على جبل طابور ، ظهر لاهوته هنيهة من خلال ناسوته ؛ فصار وجهه يلمع كالشمس ؛ واضحت ثيابه بيضاء كالثلج ؛ ثم سُمع صوت من السماء يقول : « هذا هو ابني الحبيب فله اسمعوا . » فشيء شبيه بهذا يحدث حين تجلّي النفس المسيحية ، اي وقتما ينزل الله فيسكن فيها بنعمته ، حينئذ تستنير بنور شمس الحق ، وتتوق اشد التوقان الى السماء ، ويشهد الرب بصوت ضميرها ، انها ابنته الحبيبة التي بها ارتضى .

ومن هنا يظهر ما يخوّله هذا المفعول للنفس من المجد الاثيل . لانه اذا كانت عظمة المرء متوقفة على التقرب من الله والتشبه به ، نجم ان الرجل الحاصل على هذه الخيرات وما يرافقها من الفضائل الادبية لهو اقرب من الرب. ومن ثم فهو امجد واسعد من الرجل الخالي منها . اجل لا بد في الشخص البارّ برّاً بشرياً طبيعياً من وجود بعض الاشعة من نور الله ، لكن ما اضآلها وما انقصها ! اما في حالة النعمة ، فان النفس تجول في ميدان حياة الله عينها . فما يراه الله ، نحن نؤمن بـه ؛ وما يملكه الله ويتمتع به ، نحن نرجو الحصول عليه ؛ وما يحبه الله ، نحن نشرع في حبه . فان كان الامر كذلك ، افليس هذا مجداً وسنوّاً فائقاً ؟

ومع هذا ، ماذا نسمع حولنا ؟ نسمع ابناء هذا الدهر يدّعون ، لجهلهم ، ان الحياة الفائقة الطبيعة انحطاط للانسان ، لانها تنزع منه عظمته الطبيعية ، وتسلب منه ما فيه من المجد. ولكن اذا كان ذلك صواباً ، اي اذا كان يعتبر نقصاً وانحطاطاً الحياة الفائقة الطبيعة المضافة الى الحياة الطبيعية ، دون ان تهدمها وتمحقها ، بل تزيدهـا كمالاً ؛ اذا كان ذلك حقاً ، لاضطررنا الى القول ، في الامور الطبيعية ، ان قمة البنـاء خلل في الاساس ، وان الزهرة نقص في ساق النبات ، وان الاجنحة معرقلة طيران الطائر . والحال ان هذا ضلال ، فكذا الشان في ذاك. اجل ان ابناء الظلام ، لمهاوة عقولهم وتصلب قلوبهم ، يتهمون الحيـاة الروحية ، الا انهم لعاجزون عن هدم قوتها ومحو اثرها ، لانها معدة للاستمرار ساطعة بانوارها على البشرية.

المفعول الثاني للنعمة هو انها تلقي الخصب في اعمالنـا ، فتجعلها مستحقة الاجر . وهنا يمكننا ان نسأل : ما هي قوة اعمالنـا بذاتها نظراً الى الحياة الابدية ؟ فيجيبنا التعليم الكاثوليكي : انها كلا شيء . والسبب في ذلك انه لكي تستحق هذه الافعال مجد السماء يتحتم ان تكون بمناسبة هذه المكافأة السامية . فلو كان الله قد خلقنا لغاية طبيعية محضة ، او كان قد دعانا للتمتع به نظرياً ، او لرؤيته كما ترى الاشياء في مرآة ، لكان من طبيعة اعمالنا ان تصل الى هذا الحدّ. لكن لما كنا مدعوّين للصعود الى العلاء ، فافعالنا خلوٌ من

هذه المزية التي تفوق طورها . وكما ان الخلائق السفلى ، كالحيوانات ، لا تستطيع ان تبدي افعالاً تفوق الحد الفاصل بينها وبين البشرية ، فافعالنا الادبية ، مهما كانت كاملة بشرياً ، لهي عاجزة عن تجاوز الحد الفاصل بينها وبين النظام الالهي ، اي الفائق الطبيعة ؛ ومن ثم فهي قاصرة عن ان تستأهل الاجر السماوي .

زد على هذا انه اذا كان من الامور الثابتة ان ليس من فضيلة ، كان في وسعها ، في حالة البرارة الاولى ، ان تبلغ الانسان غايته الابدية ، فما القول في اعماله ، وهو الآن في حالة السقوط التي ليست انزل درجة من النظام العلوي وحسبُ ، بل هي معاكسة له ، لا بل هي بالنسبة اليه كنسبة الموت الى الحياة . وكما ان الحياة الطبيعية لا يمكنها ان تخرج من جثة هامدة ، فالافعال المطاوبة للحياة الالهية ليست بقادرة على الصدور من نفسنا المصابة بموت الخطيئة الاصلية . وعليه فافعالنا بذاتها لا منفعة لها للحصول على المكافأة الابدية .

لكن هل يا ترى ان هذه الحالة صعبة هذه الصعوبة حتى انه يعدّ من قبيل المستحيل تلافيها ؟ او بعبارة اخرى ، هل نحن عاجزون كل العجز عن جعل اعمالنا تبلغنا السعادة ؟ الجواب ان كان هذا مستحيلاً على الانسان ، فلم يكن مستحيلاً عند الله . لان من شروط النظام ان يحصل المرء على الكمال بالاعمال ، ومن ثمَّ على المكافأة . ضروري من الجهة الواحدة ، ان يقدّم الانسان بعض التقادم لله ؛ ومن الجهة الاخرى ، اذ كان بذاته غير قادر على تقديم ما يليق ، عوّض الله عن هذا التقصير ، وقد اتخذ لذلك وسيلة ، وهي النعمة ، حسب تعليم الكنيسة المقدسة .

فاذا كانت النفس عائشة عيشة النعمة ، وكانت اعمالها صالحة صلاحاً ادبياً ، اضحت ذات استحقاق لطلب الاجر . ولا عجب في ذلك لانه لمـّا كانت النعمة حياة الله فينا ، نجم اننا لسنا وحدنا العاملين ، لكن الله العامل فينا ، كما يثبت ذلك الرسول المجتبى بقوله : « لست انا الحيّ ، لكن المسيح هو الحيّ فيّ . » واذا كان ذلك كذلك ، فاية غرابة في ان الاعمال التي هي اعماله ، بنوع ما ، تستحق مكافأة الحياة . لان عدم المناسبة بين هذا الاجر واعمالنا

البشرية البحتة لا يعود له وجود . اذ ان اعمالنا بصيرورتها الهية سماوية ، تضحي اهلاً لان ترقى بالاستحقاق الى السماء .

وهذا ما من شأنه ان يجعل في اطمئنان النفوس التقية التي يستولي عليها الفشل عند رؤيتها عجزها في العمل البشري ، اذ يخامرها الخوف مما عسى ان تكون قيمة جهدها الضعيف واعمالها الوضيعة ، امام العزة الصمدانية . بيد انها بنور الايمان تدرك ان ما يصدر من الله يليق به تعالى ، وانه ، عزَّ وجلَّ ، لا يمكنه ان يحرم من الاجر ذاك الذي يأتي اعمالاً هو ، سبحانه ، مبدؤها ومحركها .

وهذا ما يفهمنا نفس الكثيرين من المسيحيين الذين لا يبالون بالامور الدينية . فاننا نشاهد رجالاً ذوي فضل جدير بالاعتبار ، يقضون غالباً سنين طويلة في عمل الخير الطبيعي ، وتحتمل التضحيات بشجاعة عجيبة ؛ نرى آباء عائلات باذلين الجهد ، دون تردد ولا تذمر ، في خدمة اولادهم وذويهم ؛ نجد وطنيين متفانين لبلادهم دون ان يبخلوا عليها بوقتهم ومالهم وخدماتهم ؛ نلقى اشخاصاً شعارهم العدل والاستقامة والشرف ، وهم سائرون بوجه دون خجل ولا فشل . اجل نرى رجالاً هذه خصالهم وهذه اعمالهم ، والحق يقال انها خصال حميدة ، واعمال فريدة . لكن هولاء الانام في الوقت عينه بعيدون عن اداء واجبهم الديني الفائق الطبيعة . فما قيمة هذه الافعال في نظر الله ، ونظراً الى الاخرة ؟ نحن مضطرون الى الاجابة ، بكل أسف ، ان ذاك كله لا قيمة له ، لانه لا يتجاوز النظام الطبيعي ، ومن ثمَّ فليس بحريّ بالمكافأة المتفوقة على طبيعته . ويوم يمثل هولاء الناس امام ديانهم ، فلا يجد سبحانه على جباههم الختم الالهي ، وسمة النعمة التي تتسم بها النفوس للدخول الى السعادة الابدية ، يقول لهم : لا اعرفكم ؛ من اين انتم ؛ لاني لا ارى فيكم نور الحياة الخالدة ، وعلامة الاتحاد بابني الحبيب ، وشعار التبني السماوي .

واذا استمر مثل هولاء المساكين عشرين او ثلاثين او اربعين سنة محرومين من مفاعيل النعمة الالهية ، فكل يوم من حياتهم ، في هذه المدة الطويلة ، لا فائدة له للابدية ، واذا افتقدهم الرب برحمته ، آخر عمرهم ، فاثرت فيهم

نعمته ، فعادوا اليه تائبين ، فلا مكنة لهم ان يجدوا للحياة الدائمة الاعمال التي كانت للموت ، كل تلك الحقبة المديدة .

ولذا تناشد امنا الكنيسة النفوس المسيحية التي تستهين بقيمة النعمة ، وتطلب اليها ، بحق صالحها ومستقبلها الابدي ، الا تحتقر تحريضاتها وتضرعاتها، بل تفتكر بمواعيد الله ووعيد عدله الالهي . فعلى مثل هولاء ان ينزلوا الى اعماق ضمائرهم ، وبعد اطلاعهم على حالهم البؤسى ، ليسرعوا في التخلص منها ، ويقبلوا النعمة التي تجعلهم ابناء الله ، ومن ثم اهلاً للاجر السموي .

* * *

بعد ان وقفنا على مفاعيل النعمة ، لنرَ كيف يجب ان يكون موقفنا او تصرفنا بالنظر اليها .

اول موقف يلزمنا ان نقفه تجاه مفاعيل النعمة هو موقف التجلة والاعتبار الذي ينشأ عنه الرغبة في الاحتفاظ بها . وهذا امر في غاية الوضوح . فان الناس من عادتهم الضنّ بالاشياء الثمينة . واذ كانت النعمة ذات ثمن لا يقدّر ، وكانت فاعليتها جزيلة هذه الجزالة ، لزمنا الاهتمام بصيانتها في قلوبنا بامانة . مما ينجم عنه وجوب اجتناب الشر الادبي ، اعني به الخطيئة قاتلة النعمة في النفوس .

وعليه نرى القديسين احكم الناس ، لانهم كانوا يقولون ويعملون بموجب قولهم وهو : « فليخرب العالم ، ان اقتضى الامر ، على شرط ان تبقى نفسنا غير مصابة بضربات شرّ الخطيئة . لنُحرم من الشرف والثروة والسعادة ، فهذا لا يهمنا ما دامت فينا النعمة ، غنانا الوحيد . » اجل هذا ملخص مبادئ الاولياء واعمالهم . فانهم كانوا يسمون ، قدر المستطاع ، في حفظ النعمة في قلوبهم ، وصيانتها صونهم اثمن الكنوز . فكانوا ابلغ حكمة من كثيرين من المسيحيين ، اذ ما اقلّ الذين يهتمون بهذا الكنز حقّ الاهتمام ، وبالعكس ، ما اكثر الذين لا يبالون به ، فيطرّحون نفوسهم في المخاطر ، كأن لا قيمة لها للأبدية . واما نحن فلنقتفِ آثار الابرار والصديقين ، ضانين بهذه الدرة الكريمة العائدة بالمجد الحقيقي على النفس البشرية .

الموقف الثاني هو موقف الراغبين والجادّين في ان يكثروا ، وهم في حال النعمة ، من الاعمال المصنوعة لوجهه عزّ وجلّ .

ان المذهب البروتستاني اخترع نظرية غريبة في خصوص استحقاق النفوس . فانه يدّعي بان الاعمال الصالحة لا تسوى شيئاً ، وان الايمان وحده يكفي للوصول الى الله ، وان يسوع المسيح قد خلصنا بافضاله ، وانه قد اتحدنا معه بالروح ، فتحقق بذلك الشرط الوحيد المطلوب لاسعادنا في جنّة الخلد . ان الخاصة الوحيدة لهذه النظرية هي سهولتها ، لانها بالحقيقة قد فتحت باباً واسعاً وبسطت مجالاً رحباً ، للاهواء الرديئة باجمعها ، بمنحها الانسان الحق المشؤوم الملخص بقول لوتيروس الشهير : « أخطئ كثيراً ، لكن اؤمن اكثر ، فالخلاص مضمون لك . » بيد انه مهما يكن من سهولتها ، فهي قصيّة عن الصواب لكونها غير لائقة لا بالله ولا بالطبيعة البشرية . هي شائنة لله ، لمناقضتها جميع الغرائز الادبية التي ركّزها هو تعالى في طبيعتنا . وهي شائنة للانسان نفسه لانها تنزع منه خاصة العمل والجدّ ، جاعلة اياه خليقة جامدة عاجزة عن ايّ عمل فعّال بالنظر الى خلاصه ومجده الابدي .

اما الصواب فهو ان الاعمال الصالحة ضرورية ، لما تقدم من التبيان ، وان الايمان ، دون اعمال ، ميت ، بحسب تعليم مار يعقوب الرسول . الصواب انه كلما ازدادت اعمالنا الحسنة في هذه الحياة ، ازداد مجدنا في العالم الآتي .

ان في السماء منازل كثيرة ، حسب قول الرب ، لاسمه السجود . وكما ان النجم يختلف عن اخيه النجم بنوره ، فالمختارون ايضاً يختلفون في درجات المجد ، في الفردوس السماوي . وكما ان النور ينتج نتائج متضاربة في الاجسام المتباينة الاستعداد ، فكذلك تكون نتائج احوالنا في الحياة الدائمة .

هذا هو الحق وهذا هو العدل . لان العقل ذاته يشهد بان القديس الذي قضى سحابة عمره متفرّغاً لممارسة الزهد والاماتة والتقشفات الجسدية المتنوعة لهو حريّ بان يفوز بمجد اعظم وابهى من مجد الرجل الذي يتوب في الساعة الاخيرة من حياته ، ولا يكون قد قدّم لله سوى بقايا عيشة ممتنة بخدمة العالم ، واتباع اباطيله ، والتمتع بلذاته . وهذا ما يبيّن لنا وجوب الاكثار من الاعمال الجيدة

التي من شأنها ان ترفع درجة مجدنا . ومن ذلك ينتج ان التأهل في ذا الامر لما يندم عليه المرء ساعة الموت ، تلك الساعة التي يتمنى فيها ان يكون قد عمل كل شيء حباً بالله ، وعاش لخدمته ؛ بيد انه يكون قد ندم حين لا ينفع الندم . فاليوم ما دام الوقت بيدنا ، لنكفِ نفوسنا مؤونة تلك الحسرات ؛ لنكسب ، ولنبالغ في كسب الاجر والثواب العائد علينا بالفائدة الكبرى في الآخرة .

لكن ما هي الاعمال الصالحة التي تبقي فينا الحياة الفائقة الطبيعة ؟ اذا سألنا الكنيسة المقدسة عن الشروط الضرورية لحفظ النعمة واغنائها ، اجابتنا ان اول هذه الشروط هو الايمان بكلام المسيح القائل : « من آمن واعتمد فقد خلص . » فالايمان — وليس الايمان المبهم ، لكن الايمان الثابت بالحقائق المعينة الموحى بها وقد اثبتتها الكنيسة — اجل هذا الايمان هو اول واجب علينا لصون هذه الوديعة المقدسة الثمينة . ثم بعد الايمان يلزم حفظ الوصايا ، حسب قول الرب عينه : « من يحبني يحفظ وصاياي اذهبوا الى العالم كله ، وعلموا الامم ان يحفظوا ما اوصيتكم به . » وكلمة الوصايا تشمل — ما عدا الشرائع المكتوبة على صفحات الضمائر البشرية والمعلنة كتابةً في التوراة — الاوامر والنواهي التي وضعها السيد المسيح واذاعتها الكنيسة واضافة اليها سُننها الخاصة ؛ الخلاصة : وصايا الله ووصايا الكنيسة .

فالايمان بكلام المسيح وحفظ وصاياه هما اذن الوسيلة للبقاء في حال النعمة ومن ثم لنيل الاجر الابدي . ونفهم سبب حدوث ذلك بهذه الطريقة ، اذا لاحظنا تلك السنة الطبيعية ، سنة نمو البذور بتمثل العناصر المناسبة لطبيعتها ، والتي تجدها في المنابت الملقاة فيها ، وهي سنة متحققة في جميع طبقات الاحياء . كيف يا ترى ينمو الحيوان ، الا باستعمال هذه القوة العجيبة ، قوة تمثل العناصر المجاورة له والموافقة لكيانه الذي اتاه بالولادة ؟ كيف تتوسع في الولد بذور الحياة العقلية والادبية الّا بماسة عقله وحريته الموضوعات التي تنيره بضيائها الداخلي فتمكنه من تمييز الحق والعدل ؟ فعلى هذا المنوال يجري الامر في الحياة الفائقة الطبيعة . فان النعمة نور وقوة ملقاة في نفس الانسان . تنمو بتمثلها

اعماله الادبية المصنوعة بحرية ، حسب تدابير العناية الالهية . ولا عجب من نفوذ الرب في تعيين تلك الاعمال ، لما هو مقرر من ان الخلائق جديرة بان تدرّب في سبيل تقدّمها ، وتساق الى غايتها القصوى ، بفعل العلة التي اوجدتها . وبما ان الكلمة المتأنس هو علة حياتنا الفائقة الطبيعة ، وقد استحقها لنا باهراق دمه الزكي ، ويفيضها علينا بقوة متواصلة ، كان من اللائق ان تكون افكاره افكارنا ، وان تدل ارادته على ارادة العناية في تسييرنا نحو غايتنا ، وان يخضع عقلنا للوحي الذي انزله ، وتتبعه ارادتنا ، ليقودها في سبيل الخير السامي الذي اتى به الى العالم .

على هذه الحقائق الثابتة مبنية الواجبات المسيحية . ولهذا لَيأخذ منا العجب مأخذه لدى رؤيتنا اناساً هذا عددهم يحاولون التخلص من الخضوع ، بالروح والارادة ، لشرائع الله وكنيسته ، وبذلك يحرمون نفوسهم من مفاعيل النعمة ويجعلون خلاصهم في خطر جسيم .

من التصاوير الدينية صورة متقنة الصنع يُرى فيها طائفة من القديسين مجتمعين بشكل حلقة طائفين طوافاً مقدساً ، طواف الغبطة والسرور ، حول العزة الصمدانية غير المنظورة ، تعظيماً واجلالاً لها ، فهذه الصورة خليقة ، والحق يقال ، بان تكون رمزاً عمّا يتطلبه منّا وجود النعمة في نفوسنا . لان الله بفعل هذه النعمة حاضر فينا ، ينيرنا بنوره ، وينعش آمالنا بمواعيده ، ويحيينا بحبه . لكنه يريد ، مقابلة لهذه المنح التي تشركنا في حياته الالهية ، ان تكون حياتنا مقدسة ، حياة البهجة والحبور ، وان تنشد اناشيد الغبطة ، موقعة على آلات الايمان بوحيه ، والخضوع لوصاياه .

فعسى جميع المسيحيين يدركون هذه الحقيقة ، فيقدرون النعمة حق قدرها فيستمدونها من ينبوعها الالهي ، ويجهدون في المحافظة عليها اشدّ المحافظة ، على مثال القديسين ، ويكثرون من الاعمال الحسنة ، وهم في حال النعمة المقدسة ، فيكنزون لهم كنزاً في السماء ، يجدونه يوم ملاقاتهم الرب بوجه مسفر ، فيدخلون معه الاخدار الابدية .

الاحوال الشخصية

درس تاريخي قانوني

بقلم المتوري بطرس غالب

٢

فما تقدم ذكره يمكن ادراك المقصود من عبارة « الاحوال الشخصية » ، ويتوضح ان ما اتفق عليه ائمة القانون هو عين الصواب اذ اطلقوا هذا الاسم على مجموع شرائع تنظّم اساساً اعمال الافراد بصفتهم اعضاء طائفة مقيّدة بقوانين خاصة تتناول عرَضاً الأمور التي تتعلق ضرورةً بهؤلاء الافراد . وعليه فان اسم «طائفة» لا يشمل غير الجماعة المنظورة الكاملة التي ترمي الى غاية واحدة دينية او سياسية او ادبية . اما في مقالنا فلا نقصد غير الجماعات الدينية التي ترتكز شرائعها على الدين الذي ينتمي اليه افرادها ، والتي تكون غايتها غاية الدين ، اي سعادة الافراد في الآخرة . فلليهود احوال شخصية ، كما للمسلم وللمسيحي وغيرهم من اتباع الاديان المعترف بها .

ولا ريب انه بتعدّد المذاهب تتعدّد انظمة الاحوال الشخصية . غير انه لا ينجم عن هذا التعدّد اضرار لا يمكن تلافيها ، اذ ان قانون الاحوال الشخصية قانون داخلي لا يشمل غير المنتمين الى الطائفة الواحدة . واذا حدث بين الطوائف المختلفة تنازع على الصلاحية ، امكن استدراك الامر في شريعة تحدّد اختصاص كلٍّ من المحاكم المذهبية ، طبقاً للقواعد المرعية في جميع الامم وللمبادئ الاساسية للحق العام .

فقانون الاحوال الشخصية ليس اذاً سوى طريقة منظّمة تمكن كل طائفة من حفظ كيانها بضمان حريتها المذهبية ، وتنفيذ شرائعها الداخلية المرتّبة نموّها والمحافظة على غايتها الخاصة .

ويوم كانت السلطتان الروحية والزمنية محصورتين في هيئة حاكمة واحدة ، او متفقتين ، لم يكن مجال لبحث الطرق المؤدية الى تنفيذ الاحكام الروحية والمتعلقة حتماً بالروحيات ، لانَّ قوّة السيف ، كما يقول العلماء ، كانت قيد تصرّف السلطة الروحية . اما وقد تغيّرت مبادئ السياسة في اغلب اقطار المسكونة ، واخذت الحكومات تحاول ان تبني النظام السياسي والاجتماعي على أسس العلمانية او اللادينية التي لا تكتفي بان تؤيد استقلال الزمني عن الروحي بل تجعله اسمى من الروحي واولى منه بالسيادة ، علق التنازع يتجسم بين اللادينية والمبادئ الروحية ؛ فاضطرّت الحكومات ، واغلبها لاديني ، بعد الاختبارات المتكررة ، الى ان تختار احدى خطتين لا ثالثة لهما ، لتوطيد السكينة والسلام في الوطن الواحد ؛ فاما ان تترك الحرية التامة للرعية والجماعات الدينية المتكوّنة فيها حتى يمارسوا ما يفرضه الدين عليهم ، واما ان تعقد المعاهدات مع السلطة الروحية العليا التي تخضع لها تلك الجماعات ، فيحدّد فيها ما للجماعات من حقوق ، وما على الحكومة من واجبات إزاء الدين . وفي ما عدا هاتين الخطتين الاضطهاد والبلبلة ، وانصراف الحكومات الى الفتن الداخلية ، ولهوها عن الشؤون الهامة التي تتطلب كل عنايتها .

ومعلوم ان الحكومات ما كانت لتتدخل عادةً في الشؤون الدينية ، الّا اذا قصدت الاضطهاد والقضاء على الدين ، ما دامت ممارسة الدين لا تضرّ بالمصلحة العامة ، ولا تقلق راحة الرعية المعقولة ؛ لكنها ما كانت تضع موضع الاجراء احكام المجالس المذهبية ، فاضطر الرؤساء الروحيون الى التوسل ، لتنفيذ قراراتهم واحكامهم ، بما يخوّلهم اياه القانون من السلاح الروحي كالتأديبات والعقوبات الروحية . اما في العصر الغابر تعدّت بعض الحكومات حدودها فسنّت شرائع اخضعت لها المواد المتعلقة بالدين دون سواه كصحة الزواج المسيحي ، وحق الجماعات الدينية بالتملّك والاجتماع ، وما اشبه . وفي ذلك مجاوزة ظاهرة للحق الالهي ، وللحق الطبيعي الوضعي ، لان الجماعات الدينية ، بصفتها جماعات كاملة منظورة منظمة ، لها غايتها السامية التي تفوق المصالح الزمنية ، ولها حق بان تنظّم شؤونها وتسنّ قوانين تكفل حفظ كيانها

الادبي والمادي وتضمن نموّها ، بلوغاً الى الغاية التي أُلفت لاجلها.

لكن تلك الحالة ادّت بالحكومات المتعدية نفسها الى تبديل موقفها في المسائل الدينية البحتة وسعت لحلّ المشكلة بطريقة الاتفاق مع السلطة الروحية.

على ان التنازع ما زال شديداً على المواد المختلطة . فهذه لا يمكن تعيينها ، او تحديد المبادئ التي تفرقها عن غيرها ، الّا باتفاق السلطتين الزمنية والروحية ، لتوضع الحدود التي تفصل بعضها عن بعض ويرجع ما يختصّ بكل من المحاكم اليها.

ولك في اتفاقي لاتران ، المعقودين بين الكرسي الرسولي وحكومة ايطالية ، والاتفاقات التي عقدت بين الكرسي وباڤارية ، وبولاندة ، وليتوانية ، والبرتوغال الخ ، خير مثال لشكل الحلّ الواجب اعتماده في مسائل الاحوال الشخصية وحقوق الكنيسة التي هي اكمل الجماعات الدينية.

فما الذي تتناوله اذاً « الاحوال الشخصية » ؟

ذلك سؤال يسهل الجواب عليه. لانه اذا كان لكل جماعة شرعية حق بحفظ كيانها ونموّها . فهذان الامران لايتمّان الّا بان يكون للهيئة الحاكمة في الجماعة السلطة الفعّالة لحمل الاعضاء على التقيّد بشرائعها تحت طائلة العقاب او الثواب.

فحفظ كيان الجماعة يقتضي له تكاثر اعضائها ، وتأمين الروابط التي تربط بعضهم بالبعض الآخر ، والسهر على ان يحفظوا ما توجبه عليهم غاية الجماعة ، وحرية ممارسة مذهبهم ، وضمان استمرار الهيئة الحاكمة ، ومنع التعدّي عليها ، وتأمين اسباب حياتها المادية والادبية ، وتنفيذ احكامها وقراراتها المتخذة ضمن دائرة اختصاصها . هذا اذا كانت الجماعة الروحية خاضعة لسلطة غير سلطتها. واما اذا كانت مستقلة تماماً فانها تتدبّر امورها بما ترى.

هذه الحقائق ادركها عموم مستلمي زمام الاحكام ، حتى ان السلاطين العثمانيين انفسهم اتخذوها قواعد لسياستهم مع الطوائف المختلفة المؤلفة قسماً كبيراً من رعيتهم ، فاثبتوا في فرمانات وبراءات متعدّدة ما اعتبروه مختصاً بالاحوال الشخصية . وها نحن نذكره باختصاره مأخوذاً عن تأليف الصحافي ستاثروس ڤوتيراس ، وعنوانه : «امتيازات الجماعات المسيحية في المملكة العثمانية.» وقد قسمها

لزيادة الايضاح قسمين سرد في اولهما امتيازات الرؤساء الروحيين ، ثم جاء في ثانيهما على صلاحيتهم.

فامتيازات الرؤساء الروحيين لخصت في الامور التالية :

١ً يعيّن الرؤساء الروحيون ويعزلون بمقتضى القوانين الملية.

٢ً لا تسمع الشكوى عليهم ما لم يعتبرها البطريرك والمجمع الملّي بعد الفحص والتدقيق.

٣ً لا يحاكم الرؤساء الروحيون في الدعاوى المدنية ، خارج الاستانة ، وترسل تذاكر الدعوة بواسطة البطركخانة.

٤ً يحاكمون امام البطريرك في الدعاوى الجزائية.

٥ً للبطريرك وحده ان يجري توقيف المقارنة والاساقفة عند اللزوم.

٦ً اذا ثبتت دعوى جنائية على مطران او اسقف تُنزع منه درجته اولاً ، ثم يسلّم للحكومة لتقتصّ منه بحسب القوانين.

٧ً يُناط النظر في اموال ومتروكات رؤساء الكهنة بالبطركخانة.

٨ً للرؤساء الروحيين ان يعيّنوا الكهنة وينزلوهم من وظائفهم ؛ وتقام الدعاوى على رجال الاكليرس بواسطة البطركخانة في الاستانة ، وبواسطة المطرانخانة خارج الاستانة.

٩ً يُحاكم الكهنة في الدعاوى الجزائية امام المحاكم النظامية . لكنهم يقضون مدة سجنهم ، اذا حكم عليهم به ، في البطركخانة او المطرانخانة . اما في الدعاوى الجنائية ، فاذا ثبت جرمهم ، يعزّون من وظيفتهم الكهنوتية ، ثم يسلّمون للحكومة ليتموا قصاصهم في السجون العمومية ؛ لكنهم قبل الحكم يوقفون في حجرة مخصوصة.

١٠ً يُحلّف الكهنة وسائر الاكليريكيين في البطركخانة او المطرانخانة.

امّا صلاحية الرؤساء الروحيين ومجالس الكنيسة والمحاكم المذهبية فهي :

١ً ان تُرى لحامهم ، دون سواهم ، دعاوى الخطبة والزواج وما يتعلق بهما ، والجهاز والترشحات ، والنفقة ، والطلاق ، والوصيات ، والنذور ، اذا قامت هذه الدعاوى بين ابناء الطائفة الواحدة.

٢ً ان يراقبوا المدارس الملية ، والمستشفيات ، وسائر المؤسسات الخيرية والملية ، ويدققوا في حساباتها ودخلها وخرجها ، وفي حسابات الاديرة والكنائس ؛ ويعينوا وكلاءها وتظارها ويعزلوهم وينظموا لوائح التدريس ، ويصدقوا شهادات المعلمين.

زد على ما تقدم ان للمسيحيين عموماً الحق بان يوصوا بجميع متروكاتهم ، سواء كانت من المنقولات او غير المنقولات ؛ الّا اذا كانت من الاوقاف او الاموال الاميرية . ومتى وجدت وصية رسمية مصدّقة لا يسوغ لاحد ايّاً كان ان يتدخّل في شأنها ؛ والدعاوى المتعلقة بها ، وبصحتها ، وتصديقها ، هي من اختصاص المحاكم المذهبية . واذا كان بعض الورثة من طائفة اخرى ، او غير عثمانيين ، واذا كانت الوصية تشمل اراضي موقوفة او اميرية او املاك عليها دعوى من قبل شخص ثالث ، فالنظر فيها للمحاكم النظامية.

ج) على دوائر الاجراء ان تنفذ بدون مراجعة جميع الاحكام الصادرة من مجالس الطرانخانة.

اضف الى ما تقدم وجوب تصديق البطاركة على بيع اي وقف كان. (تحريرات انجمن عدلية ٤ ك ١ سنة ١٨٨١ ، وقرار محكمة التمييز اللبنانية ٢١ ت ٢ سنة ١٩٢٩ ، وتحريرات متصرفية جبل لبنان ٢١ ك ٢ سنة ١٣٧١ رقم ١١٦ .)

هذا عموماً . اما لبنان فقد تمتع باكثر من ذلك ، وكانت حقوق الرؤساء الروحيين فيه اوسع نطاقاً . فان الاساقفة كانوا يتولون القضاء في جميع شؤون ابناء ابرشياتهم حتى المدنية منها . ويكفينا ان نلقي نظرة على تاريخ لبنان حتى تتوافر لدينا الادلة المثبتة صحة ما نقول :

الاسقف كان يعين الاوصياء على القاصرين والمحجورين ، ويسهر على تربيتهم واموالهم ، ويعلن بلوغهم الرشد ، ويوزع التركات بموجب القوانين المتبعة التي نص عليها خصيصاً في الناموس . وكان يثبت الوقف ويقبله ويحكم بمسألة اللقطاء ، ويفصل الدعاوى المدنية المتكونة بين ابناء ابرشيته .

وقد اقر هذه الحقوق حكام لبنان من اي مذهب كانوا .

وها نحن ذاكرون بعض ما جاء في المجامع الطائفية المارونية :

فان مجمع ضيعة موسى ، سنة ١٥٩٨ ، حدد صداق الارملة . وقال مجمع حراش سنة ١٦٤٤ بان يكون المهر برضى العريس والعروس ، وان لا يكون ارث قبل وفاء الدين وحسنات القداسات وباقي ما يلزم لدفن الميت ، وقرر انه اذا مات رجل عن امرأة ووارث ، تعطى الامرأة اولاً نقدها والثمن من متروكاته اي ٣ قراريط من ٢٤ قيراطاً . اما المجمع اللبناني ، وهو دستور الطائفة المارونية ، فينص في القسم الاول ب ٣ ع ٤ ، ما يلي : « وجب على السيد البطريرك السامي الاحترام ان يعهد الى رجال اكفاء من ذوي الاطلاع والرسوخ في العلم ممن برعوا في معرفة اللغات ان يضعوا ، ما عدا الكتب التي مر ذكرها آنفاً ، مجلة في الناموس القانوني والمدني تكون دستوراً للاساقفة الذين يتولون بحكم عادة الشرقيين تسوية الدعاوي بموجب كلا الناموسين . »

ان هذه الشهادة التي اوردناها — وهي للعلامة السمعاني المؤرخ الكبير وواضع نص المجمع اللبناني — لاقوى برهان على صدق ما قدمنا اياً كان

مصدر هذه السلطة المدنية في الاساقفة.

ولنا دليل آخر في وثيقة للبطريرك سمعان عوّاد ، مؤرخة في ١٩ تموز سنة ١٧٤٤ ، جاء فيها ان « قد قرّ قرار البطريرك والمطارنة ان يشرع كل اسقف في رعيته وان يجري ذلك بموجب كتاب « مختصر الشريعة » للمطران قراعلي وكتاب فتاويه.»

وقرر مجمع بقعاتا ، المنعقد في ٢٢ آب سنة ١٧٥٦ ، لاجل تنفيذ قرارات المجمع اللبناني «ان يعتني قدس البطريرك والاساقفة معه على تعيين قاضٍ واحد يقضي الخصومات العالية وليتعين له مدخول من اصحاب الدعاوى.»

وهذه الحقوق قد مارسها الاساقفة ، بشهادة السمعاني الشهير كما تقدم ، وبشهادة البطاركة والاساقفة الذين ما اكتفوا بان اثبتوا هذه الحقوق بل استعملوها كما ترى من مراجعة الاحكام والفتاوى التي صدرت منهم . وقد اورد قسماً منها حضرة الاب العالم المنقّب الخوري يوسف زيادة ، امين سر البطريركية المارونية ، في كتابه « القضاء الماروني وعلاقته بالشرع الروماني » . وقد استعنا بهذا المؤلّف المفيد في مقالنا هذا.

سلم والي طرابلس اعلاماً الى البطريرك الماروني ، في سنة ١٦٠٩ ، جاء فيه:

« المقصود من يوم ورايح ان تكونوا جميعكم في اطاعة البترك (البطرك) على امور دينكم وجاري عوايدكم القديمة وكل من حصل منه عناد اوخلاف تطلع من حقه...» ٢٠ رمضان ١٠١٨هـ.

وكان البطريرك آنئذٍ يوحنا مخلوف الاهدني.

من موسى حماده الى البطريرك يعقوب عواد (سنة ١٧١٧) :

...« وان لا احد من الحكام يعارض البطرك ولاتباعهم ايضاً ولا ينازعوه بوجه من الوجوه ولا يغلّط خاطره فيما يخص امور الدين من رسامة وشرع وزيجات وورثات ووقوفات وديورة ورهبان مع جميع ما يخص محبنا البطرك من نورية وطاعة وعوايد الديورة وكذلك ان جميع الوقوفات من مزارع وبيوت واقبية واشجار واراضي وجوز واسياه وسبيل ومجالات الجيرة وبما ان البطرك ربة (رئيس) دين ومقصود من كل طرف وجانب فلا احد يعترض

الشاردين والواردين عنده كايناً من كان...» جمادى الثاني ١١٣٠هـ.

ومثله تعهد حسين حماده للبطريرك سمعان عواد ١١٥٨هـ. ١٧٤٥م.

وكتب الامير ملحم شهاب الى البطريرك المذكور يقول :

...«ثم كتبنا مكتوب الى الشيخ ستو (الخازن) انه يحضر ام يوجد له وكيل وفي وصولهم يتوجه وكيله والرهبان لعندكم تسمعوا دعوتهم وتقطعوها بوجه لان ما يمكن تخلي النصارى يشرعوا الا عند ربة (رئيس) دينهم.»

واصدر الامير حيدر شهاب سنة ١٢٠٦ (١٧٩١) في ربيع الاول امراً اليك نصه بحرفه :

«سبب تحريره اننا لما فحصنا عن المظالم التي تجددت في رعايانا وانعرضت علينا العادة التي احدثت في الطائفة النصرانية منذ ايام وجيزة وهي اقامة قاضي ان كان مطران ام خوري من قبل سلفائنا لاجل قطع الشرائع والدعاوى التي تحدث ما بين الطائفة المذكورة وقد جعلوا لمن يقوم بهذا المقام ان يأخذ محصول على جميع الدعاوى التي تنعرض عليه فلما تحققنا انها سنة غير عادلة وظلم على رعايانا ثم امرنا في ابطالها ورفعها من يد المطارنة والخوارنة بل تكون بيد حضرة عزيزنا البطرك يوسف ومن يقوم مقامه من بعده بما انه رأس دينهم وملتزم بتدبيرهم وانه يقضي ويحكم على جميع الدعاوى والشرائع النمية والعالمية التي تحصل في بطريركيته من غير انه يأخذ محصول ام يكلف احد شي....»

وقد صدرت فرمانات من الدولة العلية بتمديد الانعامات المعطاة لطائفة الروم الارثوذكس الى سائر الطوائف المسيحية . وورد امر سام في ٢١ ذي القعدة ١٣١٠ (١٨٩٢) جاء فيه :

« تبين من التذكرة الواردة من الديوان الهمايوني ان من مقتضى العادة القديمة المتخذة والمرعية في جبل لبنان ان ترى دعاوى الوقف الحادثة بين المسلمين والمتاولة والدروز عند قضاة مذاهبهم والحادثة بين غير المسلمين عند رؤسائهم الروحيين وانه يلزم من ثم التقيد بهذه القاعدة.»

ولدينا الشيء الكثير من هذه الوثائق التي يشبه بعضها البعض الآخر ؛ ولذا احجمنا عن نشرها خشية ان يمل القارئ من مطالعة الشيء ذاته (للمقال صلة)

حول صناعة النجوم

بقلم حضرة القس عبد المسيح زهر

النجام او المنجم هو الذي يرعى النجوم فيحسب مواقيتها وسيرها ليعلم منها احوال العالم . « فاصحاب هذه الصناعة يزعمون انهم يعرفون بها الكائنات في عالم العناصر قبل حدوثها ، من قِبَل معرفة الكواكب وتأثيرها في المولدات العنصرية مفردة ومجتمعة » ،[1] ويدّعون معرفة حوادث الغيب من رصدها والوقوف على تأثيراتها في العالم والخلائق . وفي زعمهم ان المولود ، منذ ساعة ولادته ، يؤثر فيه احدها . ومتى ارادوا معرفة ماضي الانسان ومستقبله ، وما يعرض له في حياته من سعد او نحس ، وبؤس او نعيم ، وتوفيق او زيغ ، ونجاح او خيبة ، توسّلوا بحسابات الكواكب وسيرها لمعرفة اوضاعها ، ولاسيما الاعمار والولادة للاستدلال على ما يريدون . ويعتقدون ان الكواكب على بعدها لا تخلو من فعل في العالم ، لانها كائنات حيّة متكيّفة بكيفيات متفاوتة في المنافع والمضارّ ، والخير والشر ، والاحسان والاساءة ، وان نورها لا بد له من أثر في الكائنات العنصرية من اجل المزاج الحاصل لكل كوكب . وهذه الآثار تختلف وتتفق وتتناقض فيهدم الاثرُ الأثرَ ، وذلك لكثافتها واوضاعها ، وطلوعها وغروبها ، واختلاف المواقيت والساعات والشهور . ولا ينجو من تأثيرها انسان او حيوان او نبات او معدن ، اذ كل مولود عبد لها بالطبع ، فتتصرف به في حياته على هواها .

---

1) مقدمة ابن خلدون ، المطبعة الادبية ، بيروت سنة ١٨٧٩ ، ص ٥١٤ .

اذن السعد والنحس ، والنعيم والشقاء ، والخير والشر تتوقف على النجم .

ثم ان تأثير قوى الكواكب ليس مقصوراً على الانسان والكائنات الشخصية ، بل يتناول الكائنات الكلية والشعوب والامم والممالك فتزيد وتكبر ، وتتقوى وتهن ، وتسعد وتشقى ، وتنعم وتبأس بالتأثيرات المتعاقبة عليها . وهذه الطوارئ الواردة عليها كلها مكتوب في اسفار السماء . فالعالم كل العالم من قرأها وابدى اسرارها . فكانت هذه الاعتقادات باعثاً على رصد الكواكب والتطلع الى معرفة اوضاعها وادوارها وموافقتها ومضادتها وتأثير قواها مفردة ومركبة ، ومشتدة ومتوانية ؛ اذ ان كل الحوادث الطارئة على الشمس والقمر والنجوم الحوّارة كلها دلالات بل آيات وإنذارات للشعوب من قبل الملأ الاعلى . فالعاقل العاقل من اتعظ بها وسار طبقاً لها .

وفي القديم اشتهر البابليون بهذه الصناعة كما جاء في سفر اشعياء : « قد اعييت من كثرة مشوراتك ، فليقف راصدو السماء الناظرون في الكواكب ، المعرفون عن رؤوس الشهور ، وليخلصوك مما هو آتٍ عليك . »[1] وقد عُرف اصحاب هذه الصناعة باسم « كلدانيين » كما ورد في سفر دانيال[2] . فكلمة « كلداني » كانت في اصل وضعها تدلّ على المتضلّع من العلم والمتعمق والمتبسط في المعارف والامور القضائية والرياضية وصناعة التنجيم . وكان الكلدانيون يتدارسون هذه العلوم بلغتهم الكلدانية القديمة ، طبقاً لما ذكر دانيال النبي من قوله : « فاجاب الكلدانيون الملك بالارامية : ايها الملك حييت الى الابد . »[3] ولهذا السبب اختار نبوكدنصر منهم الولاة والحكام . وذكر هيرودت[4] ، وشايعه ديودور الصقلي[5] ان اسم « كلداني » كان يشمل كهنة بعل مردوك ، فلما عطلوا من العلوم واقتصروا منها على العرافة والكهانة والتنجيم ظل هذا الاسم ملازماً لهم ملتصقاً بهم ، وصارت كلمة « كلداني » مرادفة للعرّاف والكاهن والمنجّم .[6]

---

١) اش ٤٧ : ١٣ ٢) دانيال ٢ : ٢ و ٤ ؛ و ٣ : ٨ و ٤٨ و ٤ : ٤ ؛ ٥ : ٧ و ١١

٣) دانيال ٢ : ٤ ٤) I, 181

٥) II, 24 ٦) معجم التوراة لفيكورو ، المجلد ٢ ، عمود ٥٠٨

وما عتمت هذه الصناعة ان انتقلت من الكلدانيين الى العرب ، ودليله ان المتكهن يسمى في لسانهم حزّاء او حازياً من صلة الارامية [1] ؛ والى المصريين ؛ ومن مصر انتقلت الى بلاد اليونان فايطالية ثم عمت اوربة الغربية. وقد لقيت في الاجيال الوسطى مقاومة عنيفة ، وبالرغم منها اشتهرت وانتشرت. وفي القرن السادس عشر بلغت أوج عزّها ، اذ كان حينئذٍ لكل ملك منجم يلازمه . فلويس الحادي عشر كان له منجم اسمه غالوتي (Galeotti) ، وكاترين مديسيس زوجة هنري الثاني كان عندها منجم ايضاً اسمه قزما روجيري (Ruggieri) . ولكن ما طلع فجر القرن الثامن عشر حتى بطلت ، وأعرض عنها القوم ؛ خلا ان بعض العلماء الاعلام تعلقوا بها ومالوا اليها مثل كدران (Cadran) وتيخو براه وكبلر .[2]

ولكن هل للكواكب في التحقيق تأثير في مقادير الآدميين ؟ وهل لكل واحد ، كما يزعم ارباب هذه الصناعة ، نجم في الفلك يمتدّ فعله الى افعاله بجملتها ويسيطر على اموره ، ويؤثر فيها ؟

فلنسأل العلم ، ولنستطلع رأيه مستصحبين باقوال الاب مورو[3] في الجواب على هذه المسئلة . ولكن العلم يقول لنا : ماذا تكون ايها الانسان المتكبر في وسط هذا الكون العظيم ! ان السيّارة التي تسكنها وتقع عليها المنازعات بين الناس ان هي الاّ هباءة تلعب بها الرياح في اجواز الصحراء الافريقية الفيحاء. فمن حاول مقايسة نفسه بجرثومة تدبّ على هذه الارض الصغيرة كل الصغر الضائعة بين مجتمع الكواكب عُدَّ جسوراً. «ها ان الامم تحسب كنقطة من دلو ، وكهبوة في ميزان . ها ان الجزائر كذرّة تنفض . »[4] اننا ولا ريب نسقط حين ولادتنا على هذه الارض ، ونقضي على ظهرها ايام حياتنا القصيرة الفانية ،

١) مونث الحازي حازية ، وجمع الاول حازون ، والثاني حوازي قال الاخطل :

ولاق ابن الحُباب لنا حياً كفته كل راقية وحازِ
ولاق ابن الحُباب لنا حياً كفته كل حازية وراقِ

٢) معجم لاروس ، ص ١٥٢

٣) *Les énigmes de la science, Paris, 1925, p. 91.*

٤) اشعياء ٤٠ : ١٥ .

ونحسب انفسنا ثابتين غير متقلقلين ، بينما نحن نسير ونتحرك على الدوام . فهذه الارض التي نحسبها ثابتة تسبح في وسط اجواز الفضاء وتقطع دورها السنوي البالغ تسع مئة مليون كيلومترًا بسرعة ثلاثين في الثانية ، والشمس تسير ايضاً بسرعة عشرين ، والسيارات كلها تسير ، وكل ما حولنا يسير ، ونحن في هذا الفضاء الأفيح تحدق بنا نجوم اكثرها شموس بالغة عظم الكبر ، وقد ربطت بينها القدرة الالهية كما ربطت جميع الكائنات علوًا وسفلًا ، وقدرت لها بقوة التجاذب ادوارها وحركاتها واوضاعها في افلاكها ، فمن اجل بعدها الشاسع عنا قلَّ تأثيرها في عالمنا . فضلًا عن ان الفلكيين قصروا عدد النجوم على بضع مئات من الملايين . فهب انها تبلغ المليار ، فاين هذا العدد من البشر المنتشرين المنبثين على ظهر الارض الذين يكادون يناهزون المليارين ؟ فانى والحالة هذه يكون لكل منهم نجم في جوّ السماء ؟

ثم اننا نقول ماذا ، اذا عرفنا ان نور بعض النجوم يحتاج الى آماد متطاولة ليصل الينا بالرغم من سرعة جريه البالغة ٣٠٠,٠٠٠ كيلومتر في الثانية ؟ فاذا كان الامر كذلك فأيّ التأثير تحدثه النجوم في الارض وهي على بعد جدّ بعيد منا ؟ غير ان النيّرين الشمس والقمر يشذان عن هذا الحكم اذ لا يسع احدًا جحد تأثيرهما في سيارتنا . فالشمس تفعل في الكائنات العنصرية لانها تشملها ليلًا ونهارًا بنورها وحرارتها . وهذه الحرارة تزيد وتنقص ، تزيد في مدة اربع سنين ونصف سنة ، وتنقص في سبع ، ولا تزال الحوادث عينها تتكرّر على هذا النحو . وقد يقصر عمر الفلكي كله عن الوصول الى معرفة ما يتولد في جوّ الشمس من الغيوم المتأطمة المتأججة البالغة ستة آلاف درجة من الحرارة وما ينشأ من الزوابع والاعاصير الشديدة التي يعجز القلم عن وصفها ، وما يهبّ من العواصف الهائلة والانفجارات التي تذهب بمئات من السيارات الصغيرة المشبهة سيارتنا . فلولا المراقب لما استطاع الفلكيون رؤية هذه الحوادث ولا ادركوا شدتها .

بيد ان اشعة الانوار المنبعثة من هذا الاتون الدائم الاستعار لا تدلنا على حقيقة المعارك القوية المشتبكة بين تلك العناصر الجائشة الهائجة ، لما يصيبها من

التغيّر الدائم والظهور في مظاهر مختلفة متنوعة من اشعاع ، وانارة ، وتسخين ، وكهربة ، واحياء واخصاب ؛ وحينئذٍ تكون الارض بمنزلة وتر من اوتار قيثارة الشمس يهتزّ اذا اهتزّت ، ويتأثر من جرّاء انقباضها وانبساطها ، وامتدادها وتقلّصها . ولعلّ السبب في زيادة حرارة الشمس منسوب الى تهافت المواد المبعثرة حول النيّر وتساقطها عليه رُكاماً واكواماً ، فتكون لها بمنزلة الحطَب للنار يحييها ويهيجها ويزيد في حرارتها . والدليل على ذلك ظهور الكلف وانتشارها في قرصها ، وافراط اشتداد الحرارة وانقلاب المواد التي تقدم ذكرها ارواحاً لطيفة او غازات ذات الوان بنفسجية مشبعة . فهذا الينبوع العظيم ينبوع الحرارة ألا يؤثر في حياة الارض والكائنات ؟

على ان الفلكي المشهور هرشل قرّر منذ زمان طويل نسبةً بين كلف الشمس واسعار الحنطة . والاب مورو اثبت ان جودة غلة القمح في العالم ، والعنب في فرنسة ، نتيجة اشتداد فعل الشمس ، وان تكاثر قطع الجليد المنفصلة من جهات القطب الشمالي والسابحة في المحيط الاتلانتيكي لها علاقة به ايضاً ، وان اشتداد البرد والحر في اوربة من تأثيراتها اي من تأثيرات هذه الكلف . ثم ان اشتداد الحر وقت بلوغ الكلف معظمها يُحدث تبخيراً في ما يلي خط الاستواء فتتساقط الامطار على اثرها غادقةً وابلة . هذا وان للشمس تأثيراً آخر ايضاً ؛ وذلك ان الكهرباء المتطايرة من اجل الحوادث الكيمية الناشئة من احتراق المواد المتصعدة من اتون الشمس تؤثر في جوّ الارض فيقوى بسببها انوار الفجر القطبي ، وتختلّ الابرة المغناطيسية فتضلّ وجهتها وتلعب المجاري الكهربائية بسطح الكرة الارضية فيكون جريها تابعاً لحركة دورتها ، ويبطل فعل الخطوط التلغرافية ساعات واحياناً اياماً ، وتقع الزلازل ، وتهب جبال النار اي البراكين من سباتها وتكثر الاعاصير في البحور ، وتقوى هذه المظاهر في اوقات معلومة كل اربع وثلاثين سنة . ويعمّ هذا الفعل عروض البلدان ، ويتعاقب المطر والجفاف ادواراً كل سبع عشرة سنة .

ثم ان الانسان نفسه لا ينجو من تأثيرات هذه الحوادث اذ انه يشعر

بالكهرباء قرب حدوث العاصفة ولا يراها ، وتؤثر في جهازه العصبي ، لان كلّ امرئ يشبه الرصيف الكهربائي ، او الدينامو ، ينتشر حوله هبوات مغناطيسية عديدة تزيد وتنقص ، تقلّ وتكثر في كل دقيقة . فهذا التشبيه قد لا يصدق من كل وجه لان البحث في المواد العنصرية لم يزل في مهده .

وقد استدل من ذلك الاب مورو الذي زاول حرفة التعليم زماناً مستطيلاً على ان القصاصات في المدارس تكثر ايام وقوع الانحرافات المغناطيسية ، اذ تتأثر من جرائها امزجة الاولاد ، كما تتأثر الابرة المغناطيسية ، والطباع ، واستعدادات النفوس ، والوئام بين العيال ، والمؤتمرات ، وسنّ الشرائع ، وتؤثر العلاقات السياسية بين الممالك ، واضرام الحروب . قال الاب مورو : واذا صدقت حساباتي واستقراءاتي تكون اوقات ضعف فعل الشمس اوقات راحة وهدوء وسلام تشمل الارض وسكانها . ففيها اقيمت المعارض العامة ، ولكن عند اشتدادها ، قويت المنازعات والحروب ، كما جرى سنة ١٨٧٠ و١٩١٤ كما تراه امامك في الرسم .

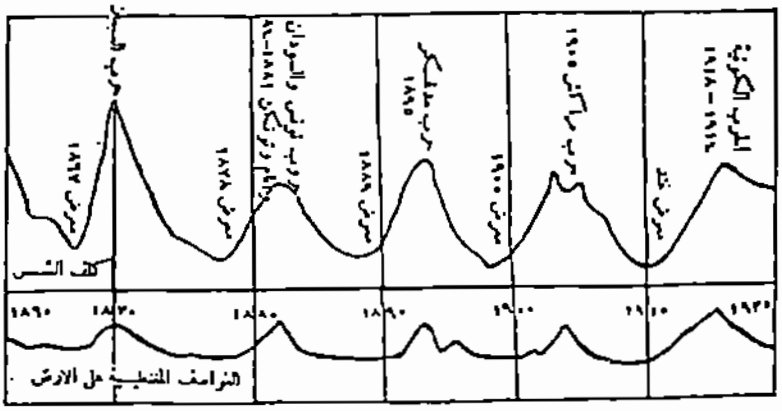

اما فعل القمر فظاهر في المد والجزر ؛ اذ ان هذه الحركة المتعاقبة كل يوم على مياه البحر فترتفع وتنخفض ، وتمتد وتنحصر ، تتولد من التجاذب الحاصل بين الشمس والقمر ، وتجري متفقة ودورة الارض . فحينما يكون القمر فوق مياه البحر مماساً لها يؤثر فيها بالجذب ويحملها على الارتفاع فيحدث المدّ ،

ومتى مال عنها حدث الانخفاض اي الجزر . وعلى هذا النحو لا تزال المياه في الابحر تذبذب علواً وسفلاً حول مركز متوسط ثابت يسمونه « السطح الوسط » ، ومهما بلغت المياه معظم ارتفاعها وانخفاضها وقفت حيناً ثم عادت الى حركتها من علو وسفل ، على ان معظم تأثيرات القمر تقع على أثر دنوّه من الارض . ولكن فعله يختلف كل يوم لتنقله بين الارض والشمس . فمتى كان هلالاً او بدراً ، يكون والشمس من جهة واحدة ، فيقوى اذ ذاك فعله . فيكون اذن المدّ والجزر ناشئين من اختلاف فعل النيّرين . ثم ان شكل الشواطئ وسعة البحار لها تأثير في المدّ والجزر وسيرهما المتبع . ولما كان بحرنا المتوسط منقسماً الى برك او احواض كثيرة نتج ان المدّ والجزر لا يقعان الا في خليج سيرت (Syrte) المسمى اليوم خليج سيدر (Sidre) على شاطئ طرابلس الغرب ، ويتصل فعله الى شواطئ تونس . ويحدث في سائر الابحر ، ولاسيما في بحر الصين عند ساحل كشنشين وتنكين والصين ، وساحل فرنسة بين سان مالو وشربورغ . ففي سان مالو يبلغ ارتفاعه اثني عشر متراً ، وفي شربورغ خمسة امتار ونصف متر ، وفي غرانفيل احد عشر متراً ونصف متر ، وقد يبلغ اربعة عشر متراً وسبعين سنتيمتراً ، وفي كندا بفرضة فندي (Fundy) خمسة عشر متراً ونصف متر ، ويبلغ احياناً تسعة عشر وستين سنتيمتراً .

وينسبون الى القمر تأثيرات اخرى غير محققة . ولكن لما كان نوره اضعف من نور الشمس كان فعله الكيمي اضعف . وتأثيره في حفظ الغابات والنبات زعم . واما القمر الاشقر (*rousie*) وتأثيره في البراعيم الغضة الطرية فحديث خرافة ، اذ ان اصفرارها ويبسها منشأه الاشعاع العظيم المتولد من اصحاء السماء ، لان الغيوم تحجب نوره وتنقص الاشعاع والبرد ، والله اعلم .

السجون ونظام التأديب

نظر اجتماعي للاب توتل اليسوعي

٣

دار الاصلاح

قلنا ان العوامل الدافعة الى ارتكاب الجرائم بعضها مادية وبعضها معنوية . فمن الطبيعي ان تكافح تلك العوامل باضدادها ، فيبذل اولياء الامر جهدهم : اولاً في العناية بصحة المعتقلين الجسدية ، وفي الاهتمام بسكناهم وطعامهم ولباسهم ؛ وثانياً بصحتهم العقلية والادبية ، وذلك بتعليمهم الديني والمدني وتشغيلهم ؛ واخيراً في مساعدتهم على التوقي من الانتكاس في سالف عاداتهم بعد قضائهم مدة حبسهم ، ورجوعهم الى الحياة بين الناس .

صحة الاجسام

انها منوطة اولاً بالسكنى . ومن البديهي ان شروط البنايات الصحية واحوالها تختلف مع اختلاف البلاد وسكانها وطبيعة اقاليمها . فان ما يصلح للسكنى في بلادنا قد يكون مضراً ، غير كاف ، في البلاد الشمالية ، حيث الشمس لا تظهر الّا محجوبة وراء ستر كثيف من الضباب ؛ واذا ارسلت اشعتها فنورها ضئيل وحرارتها قليلة . فيضطرّون من ثم الى الاكثار من عدد المنافذ وتوسيعها ، والى اشادة السجون في امكنة مشرفة على الرياض .

اما في بلادنا فلا لوم على من ضيق منافذ النور على اشعة شمس تدفق منها كالانهار ، صيف شتاء ، الا بعض الايام القلائل ؛ ولكن حالة بنايات السجون

على ما هي في « الرمل » دون ما هو معهود في مثلها من البلاد الراقيـة ، فيما يخصّ المجال الضروري لحركة السجناء واستنشاقهم الهواء . فـلا بدّ من ان يُلحق بالبنايات التي ليس لها ممشىً ، كالبناية الغربية ، وبناية المرضى ، وبناية النساء ، فناء او فسحةٌ للسير .

اما الطعام فلا يكفي ان يعهد بامره الى ملتزم يقدّمه لقاء مبلغ يتقاضاه ، ولا مرجع لـه سوى الادارة في السجن . لان الادارة ، على استقامتها ، لا يسعها القيام يومياً بالتفتيش عما يقدّم الى السجناء من الاغـذية ، فضلاً عن ان الاعمـال المادية تسبب الملل وقلة الاكتراث مع طول الزمـان ، والسجناء لا يمكنهم التظلّم لدى اولياء الامر مباشرةً . فلا بد من ان تسهل الحكومـة سبيل زيارة السجون وافتقادها لمن تنتدبهم هي او تنتدبهم الجمعيات الخيريـة الى هذه المهمة . ومن الجاري في البلاد الراقية ان يعطى السجناء ثياباً خصوصية قد يقبلها الفقراء بالشكر لانهم بئيس الحاجة الى ما يسترهم ويدفئهم . اما الموسرون ، فان كان ولا بدّ من ارغامهم عليها ، فسوف يعتادونها كما يعتادون سائر عقوبات السجن القانونية . رأينـا السجناء في فلسطين يشتغلون في ترميم الطرق وبعضهم لابس ثياباً خصوصية تميزهم عن سائر الناس ، وتحول دون تغلغلهم في الجماعات ومواراتهم وهربهم . اما سجناء بلادنا ، فالفقراء منهم واحداثهم خاصة هم في حالة تعرّ شائن مما يحط من قيمة الانسان الى درجة يتعذّر معها الحصول على بواقي الكرامة الشخصية الضرورية لممارسة الخير .

ومن شروط الاصلاح في سكنى السجنـاء تقسيمهم على اساس اخلاقهم وجسامة العقوبة وطبيعة الجريمة ، لئلا يتسرّب الداء من الشقي المقترف الكبائر وما الفه من الشرّ بغرور الشهوة ونزعات الاميال الشريرة ، الى السجين المعتقل لعلل عرضية ، ليست ذات اهمية عظمى . وصف سليم بك عنحوري ، شاعر الفيحاء ، تلك الحالة السيئة فقال في احد السجناء :

طرحوه في السجن ، بين مئات من رجال زنائف سفهاء .
حرّضوه على ارتكاب الدنايا والمعاصي ، حتى بسفك الدماء .
كان قبـلاً يخاف سرقة مـال ! اصبح اليوم اعظم الاشقيـاء .
تلك حال السجون ، من الف عام ، في بـلاد الجهـال والاغبيـاء !

ولا بد من مراعاة حالة السجناء العقلية والوقوف على درجة قابليتهم للاصلاح ، عند توزيعهم في المساكن ؛ فيفصل المحكوم عليهم بمدد قصيرة عن المحكوم عليهم بمدد طويلة . ومن الواجب الا يجاوز عدد المعتقلين الخمس مئة لئلا يتعذر ضبطهم او صرف العناية الكافية بهم . وقد يفيدنا ان نروي في هذا الصدد ما يجري في السجون المصرية اخذاً عن الحكيم باشي علي حلمي بك في كتابه « مصر والنظم التأديبية » . قال (ص ١٢٥) :

«وتقسيم السجون المصرية الى عمومية وثانوية ومركزية يحقق فصل فئات المحكوم عليهم بمدد قصيرة عن المحكوم عليهم بمدد طويلة . وعلاوة على ذلك فان السجون المصرية تشدد في فصل فئات المسجونين في السجون العمومية والثانوية فصلاً تاماً .

فاولاً — النساء مفصولات عن الرجال باقسام خاصة .

ثانياً — ارباب السوابق مفصولون عن غيرهم من المحكوم عليهم لاول مرة فصلاً تاماً في النوم والرياضة والاشغال ولهم علامات مميزة على ملابسهم .

ثالثاً — حديث السن مفصول ايضاً في النوم ، وبقدر الامكان في الشغل .

رابعاً — المحكوم عليهم لاول مرة مقسمون الى فئتين ، فئة المحكوم عليهم باقل من سنة ، وفئة المحكوم عليهم بسنة فاكثر ويميز بينهما بعلامات على الملابس .

خامساً — المنقولون من اللبانات [اي الامكنة التي يودع فيها المحكوم عليهم بالاشغال الشاقة] الى السجون العمومية لبلوغ سن الستين ، او لاسباب صحية مفصولون عن غيرهم .

سادساً — المحبوسون احتياطياً ، مفصولون فصلاً تاماً عن غيرهم وهم يلبسون اما ملابسهم الاهلية او ملابس خاصة بهم . »

وخصصت انكلترة سجوناً خففت فيها ما امكن العقاب على من اتى على ذنب لاول مرة . فاذا احسن سلوكه في السجن سمح له بحضور الموسيقى وسماع المحاضرات ، وتناول الطعام حول المائدة مع غيره . وتلك المائدة يتصدرها احد السجناء . هذا ما يعمل به في سبيل الاصلاح المادي في البلاد الراقية . لكنه دون الوسائل الادبية نجعة ونفوذاً .

التربية المدنية والمدرسية

قال الدكتور غراسه المذكور سابقاً (ص ٨٤٢) : من اراد اصلاح البشرية والتقليل من عدد المجرمين ، عليه ان يعلم وينشر مبادي الادب الاخلاقي الطبيعي والانجيلي ؛ عليه ان يكشف للجميع على صورة الخير ، ليحبوها ويعشقوها ويتوقوا اليها ويتمثلوا بها ؛ عليه ان يبث فيهم حب العائلة والوطن ، وينزع من قلوبهم ايثار الذات وروح الانانية ، ويردعهم عن الانهماك في

الملذات ؛ عليه ان يُريهم ما وراء الموت ، كمال الحياة واكليلها . واعلم أن التعليم الادبي الاخلاقي انما هو الشرط الاساسي والعامل الاقوى لحفظ صحة الجسد والنفس . فهو الالف والياء والبداية والنهاية في سفر علم العقوبات القضائية .

فيجب من ثم اتخاذ التدابير اللازمة لتعليم السجناء الديني والمدني . واننا اذا نظرنا الى ما يجري في هذا السبيل في سجون بلادنا لا يسعنا الا الاسف لاهمال الحكومة امر التعليم في السجن وعدم تسهيلها على رجال الدين ، في بعض الاحيان ، زيارة السجناء . والكاهن يدخل السجن ليخدم الامة بابنائها المعتلين ، ولا اقل من ان تذلل بوجهه العقبات ووقته قليل وعدد السجناء كثير .

لاضربن صفحاً عن ذكر الشائبات ؛ وحسبي رواية ما كتبه علي حلمي بك عن التعليم الديني والمدني في السجون . وان في كلامه لبرنامجاً جديراً بان يُتخذ قاعدةً لوضع نظام جديد في سجون بلادنا فلا تكون قفصاً من حديد ولا قبراً للاحياء ؛ ولا جحيماً على الارض ؛ ولكن دار التأديب والاصلاح قال :

ان التعليم الديني والمدني عام في سجون اوربة اما واجبات القسيس بصفته واعظاً ومعلماً ومهذباً وقانون التعليم في مدرسة السجن فمدون في نظام السجون في انكلترة واليك بعض بنوده :

على قسيس السجن ان يكتب دفاتر الوقائع الخاصة بعمله ؛ ان يقدم تقريراً سنوياً عن الحالة الدينية والخلقية في السجون ومدرستها . وله الحق في اي وقت كان بتقديم اقتراح للاصلاح ؛ ان يحضر يومياً الى السجون ؛ ان يناظر وسط المسجونين عند اعتقالهم والافراج عنهم ؛ ان يزور كل سجين على حدة من وقت لآخر في مدة سجنه ويبذل كل مجهود لاصلاحه ؛ ان يقيم الصلاة للمرضى بالمستشفى يومياً ويزور الموضوعين في غرف الجزاءات ؛ أن يخصص جزءاً عظيماً من وقته لزيارة وتعليم السجناء ؛ ان يجتر من مات من السجناء ؛ ان يسعى لايجاد العمل اللازم للمسجونين عند الافراج عنهم .

وفي ايطالية يجرون على هذا النظام تقريباً .

اما وسائل التعليم فهي : درس في المساء من الساعة السادسة الى الساعة السابعة والنصف المساعدة في استعادة الأنفة والكرامة والاحترام الشخصي بتكوين فرقة تسمى فرقة الشرف تمتاز بعلامات خاصة ، يسمح لها باداء العمل اليومي من غير مراقبة والا كل على المائدة جماعات خاصة ، وقراءة الجرائد . وفي مساء السبت الاجتماع ولعب الشطرنج والداما ، وتقام في السجون صفوف مدرسية يشمل برنامجها مواد تعليم لثلاثة اشهر على معدل ساعة وربع في كل

الاسبوع الخ . . . ومثل ذلك النظام جارٍ في البلاد الاوربية وجدير بان يتخذ قاعدةً للتعليم في سجون بلادنا .

وفي قرار قدمه علي حلمي بك الى الحكومة المصرية في يناير سنة ١٩٢٥ قال :

« بعد زيارتي سجون بعض الممالك رأيت ان القسيس فيها في كل سجن هو من العمال الداخلين في هيئة الموظفين حتى ان قسيسي بعض السجون كانوا يرافقوننا في زيارتنا . اذ ان البلاد الاوربية لم تقرر هذه الوظيفة الا لما تبينته من فوائدها ، بالنظر لما للوعظ الديني من التأثير على نفسية الناس ؛ وان تجول الوعاظ لا يؤدي للغرض الذي يرجى مثل واعظ مقيم بنفس السجن ؛ فان هذا يمكنه علاوةً على الوعظ ان يتدخل في نفسية كل مسجون على حدة وبذلك يكون عوناً على تقويم اخلاق المسجون بما يفيده في الحال والاستقبال ؛ وعلى كل فمع عدم الاحتياج لطول البيان في هذا الخصوص ، فاني لا ارى اقل مانع يمنعنا من الاقتداء باوربة في هذا الصدد . فانني في طلباتي التي اتشرف بتقديمها عن مشاهداتي ، لا يفوتني ملاحظة ما هو جارٍ في اوربة ولا يطبق عندنا . اما بخصوص المدرسة فارى ان يخصص لسجن مصر على سبيل التجربة غرفة ككتاب يوضع فيه الاولاد لغاية سن الخامسة والعشرين ، الذين يجهلون القراءة والكتابة ، مدة ساعتين في اليوم ، ساعة في الصباح ، وساعة بعد الظهر ، حتى لا يحرموا من الاشتغال بالورش .

ونتيجة التماسي هو تعيين واعظ ديني مسلم لكل ليمان ، واصلاحية ، ومسجن عمومي . ويكتفي للديانات الاخرى بالوعاظ المتنقلين بالنظر لقلة عدد المسجونين من اتباع هذه الديانات . »

هذا وفي لبنان يكاد عدد المسيحيين السجناء يعادل عدد المسلمين فلا بد من وفائهم حقهم من العناية الدينية ، ولا اقل من ان يفتح باب السجن بسرعة وسهولة للكاهن القادم لالقاء المواعظ ولاقامة الصلاة .

اما التعليم المدني فيجب ان يشمل الاميين اولاً فيعطون الكتب للقراءة ويقام فيهم استاذ وقد يسهل ايجاد هذا الاستاذ ما بين السجناء . ووجود خزانة للكتب من الضروريات في السجون لغير الاميين . فلا يخلو سجن من سجون اوربة من خزانات للكتب المتنوعة ، وقراءتها مسموحة للجميع بلا قيد ولا شرط . ولا حاجة الى الاسهاب في تبيان منافع قراءة ومطالعة الكتب الصالحة فانها تغيّر احوال السجين النفسية وتصرف ذهنه الى المفيد مما يقرأه . ولا بد من انارة بعض الغرف بالنور الكهربائي فتُستطاع القراءة حتى ساعة النوم

وان وجود رجل الدين في السجون ، واقامة الصلاة والقاء الوعظ والمحاضرات واعطاء الدروس ، قد يقتضي مكاناً خاصاً واسعاً ، فيه مقاعد ، لائقاً بالاجتماع. وليس من العسير ان يُبنى ذلك المكان في سجن بيروت ، فيكون متصلاً بسائر البنايات . ويقيم فيه رجل الدين ، وتوضع فيه خزانة الكتب . ويُتاح للمعتقلين ان يزوروا المرشد في ساعات معهودة . وان ما تقتضيه هذه النفقات لا يكاد يذكر تجاه ما يعود به من الخير على البلاد باصطلاح المجرمين وتقليل عدد الجرائم .

وذلك لن يتم الا عن اتفاق مع الرؤساء الروحيين وممثلي الجمعيات الخيرية وسوف يؤدّي تنوّع الاديان واحتكاك المذاهب الى مواقف حرجة ، فتوضع شتى العوائق في اعمال رجال الدين الداخلين السجون للقيام بمهمتهم ، من اي دين كانوا . والسجين دامي الفؤاد ، موغر الصدر ، كلمة واحدة تثير غضبه واحتدامه وتلقي شرارة في السجن ان حلّت في غير محلها ، والسير بالسفينة بين الصخور والبحر مائج يحتاج الى يد رجل خبير ، فلا بد من انتخاب الرجال الاكفاء للارشاد في السجون فلا تفتح ابوابها لاي واعظ كان . ولكن مع اتخاذ الاحتياطات الكافية ، لا بد من فتح السجون لرجال الدين ، وروح التضامن بين السلطتين الروحية والزمنية ، وصدق النية المتبادلة ، والغيرة على مصالح الامة سوف ترشد الى معرفة الطرق الاقرب منالاً لتحقيق الاماني . فيُسن قانون التعليم الديني والمدني في السجون ، ضامناً حرية الاشخاص ، مؤدياً الى الخير العام . ومن العسير جداً تقرير ذلك القانون مفصلاً بكامل بنوده قبل اجرائه في الواقع لان الخبرة هي المعلمة في هذا الدرس العويص ولكن لا بد من وضعه اجمالاً وعلى وجه العموم مع ترك السبيل مفتوحاً الى تغييره مع الظروف . وعدم وجود قانون التعليم في السجون نقص عظيم لا ترضى به لنفسها امة متمدنة .

الشغل في السجون

البطالة تولد المفاسد . اما الشغل ففيه الحركة والبركة . وقد يحق للحكومة

ان تفرضه واجباً لازباً على السجناء ، ايًا كانوا ، لانهم في حالة العقاب والتكفير . وللشغل فوائده العامة لحفظ النظام وانتاج عمل اليد . وان يكن بعض السجناء يفضلون البطالة على الشغل ، فمنهم الكثيرون يلتمسون السبيل الى العمل في صنعة تعود عليهم بالتسلية والمنفعة . واذا ما ذاق المسجون طعم مكسبه ، فلن ينفك عن الاجتهاد والعمل املاً بزيادة المكافأة .

على ان امر تشغيل السجناء متصل بمشاكل عديدة مترامية الاطراف . وورشة الشغل تقتضي مراقبة خاصة ، وتعاهداً مع من يضمن تقدمة المواد الاولية وابتياع منتوجات العمل باثمان تعود بالنفع عليه وعلى السجناء . ذلك مما يفرض على اولياء الامر الالمام باطراف المسألة فلا يتم الا بعد الدرس الطويل واختبار طرق التشغيل ، والتمييز بين خيرها وشرها .

اما في سجن الرمل فلا شغل سوى الحلاقة والخياطة والتكنيس وبعض اعمال الخدمة لعدد زهيد من السجناء . اما السواد الاعظم منهم فهم قاعدون يصلون آناء ليلهم باطراف نهارهم ، بطالين . وكذلك ايضاً غالباً في سائر سجون البلاد السورية اللبنانية .

وحصرت حكومة فلسطين سجناءها في عكة وفي القدس فلمت شعث السجون وقللت من عدد الموظفين ، وسنت قانون التشغيل واجرته بكماله . والسجناء ثلاثة اقسام ، وشغلهم اما في الاشغال العامة ، واما في الصنائع . وقد تراعي الحكومة في معاملتهم نظام الضبط والتشجيع والمكافأة الى ان يفرج عنهم . فمن كان منهم في القسم الاول كُبل بالحديد ، والجئ الى الاشغال الشاقة خارجاً عن الحبس ، مدة ستة اشهر ، ومن بعدها يستطيع ان يرقى الى القسم الثاني ثم الى الاول . والشغل في القسم الاول اخف وطأة واوفر مربحاً . فيه الحدادة والنجارة والحياكة والخياطة وصنع السلال الخ . وقد يجعل تقسيم السجناء غير ذلك من الامتيازات فيما يخص النوم والطعام والثياب وتكرار زيارة الاهلين والاصدقاء والمراسلات واعطاء المال عند الافراج وعندهم اساليب دقيقة لمراقبة الاعمال والمحاسبة عليها ، بواسطة نقط يومية يرسمها المراقبون بغاية ما يمكن من العدل والاستقامة .

وان ما نقوله على السجون اجمالاً يقتضي التفصيل فيما يخص سجن الاحداث والنساء . وهذه الناحية ما زالت الى يومنا مظلمة في بلادنا ، لا يدخلها شعاع شمس الله ولا تفتيش البشر الا نادراً . وحسبنا الاشارة بما يمكن الحكومة ان تستغله من الفوائد لابنائها وبناتها المعتقلين اذا ما عهدت بامرهم الى رجال اختصاصيين ، اعني بهم الرهبان والراهبات فان بعضهم قدموا حياتهم لله توالى ليصرفوها في نشد الخروف الضال وتأديب الجهال وتعليمهم ، واصلاح المعتقلين في السجون . وقد يطول بنا الحديث ، اليوم في سرد اخبارهم والبعض منهم يعهد اليهم بامر حراسة السجون او العناية باطعام السجناء . ولا يسعنا الا ذكر راهبات الراعي الصالح المخصصات لايواء الشاردات والتائبات ، والرهبان القائمين على دور تأديب الاحداث في اوروبا . وقد تجري عليهم الحكومات النفقات عن كرم واريحية لما تعهده في مشاريعهم من الاعمال العائدة بالخير على البلاد .

وماذا بعد ؟

تصور ايها القارئ اللبيب رجلاً او امرأة او شاباً او صبياً قضى في السجن اشهراً او اعواماً ، مفترقاً عن ذويه منعزلاً عن الحياة ، وقد ذاق الامرين من فقدان حريته ومن سائر عقوبات السجن ، وهو اليوم يعود بين الناس ، ولا رأس مال بين يديه ، ولا اعتبار له عند الاقارب والمعارف ، ولا ثقة فيه من العالم ، وربما صادف عند خروجه الظروف المقوتة ذاتها التي كانت ادت به الى الحبس : العوز المدقع الذي اغراه بالسرقة ، العشرة الشريرة التي اثارت في قلبه الضغائن ودفعته الى القبائح ، الديون المتراكمة عليه مع فوائدها . . . فمن يفرج عنه من هذه القيود الادبية بعد اخراجه من سجون الحكام .

قد طالما اهتمت الامم المتمدنة بهذا المشكل كما اهتمت بغيره من المشاكل التي ينسجها القانون القضائي على منوال الحياة . وعنيت بانشاء وتشجيع الجمعيات المؤسسة للمساعدة على اصلاح السجناء بالاشراف عليهم وهم في السجون وعلى موازرتهم عند خروجهم منها . فتسعى بان توجد لهم عملاً او

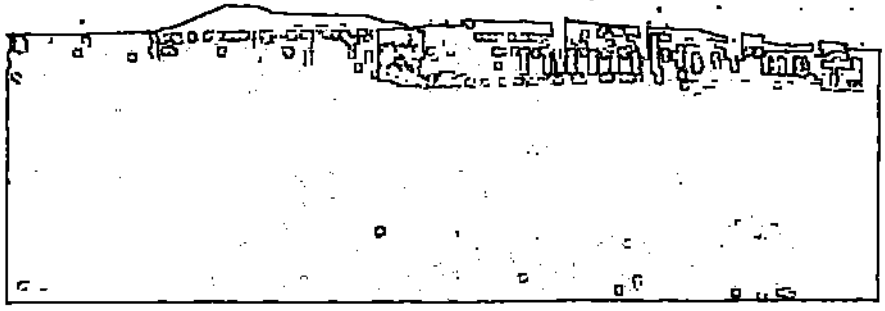

سجن الرمل – نظرة عامة

لا تخلو حديقة السجون في بيروت من بعض الزهور بينها السجناء تحت مراقبة الحراس

توجههم الى عملهم السابق ، وتصرف الهمة الى ترتيب سكناهم مع طعامهم ولباسهم ، وتهبهم بعض النقود او غير ذلك من المواد التي تفتح لهم باب العمل والمعيشة ، كبضائع للمتجر ، وتجهزهم بوسائل النقل والسفر ، وتنفق عليهم ما تقتضيه الحالة لاستخدامهم ، وتبتاع لهم آلات الشغل وتدفع عنهم الغرامات ، وتعاون عائلاتهم وتوكل امر مراقبتهم بالمحبة واللطف وارشادهم بمن تعهد فيهم الكفاءة لذلك من اعضائها .

وحيث لا يقوى كاهل الجمعيات الخاصة على القيام بهذا العبء الباهظ فالحكومة نفسها تشكل لجنة تلحقها بمصلحة السجون وتدعو رجالات البلاد ، وعلى الاخص الموظفين ، لمساعدتها على القيام بهذه المهمة المحمودة وتستنجد الجمعيات الخيرية في هذا السبيل . اما في بلادنا فما زلنا في الطور الاول من العمل في اصلاح حالة السجناء . على ان الرقي متواصل في البلاد بفضل رعاية وارشاد الدولة الافرنسية والآمال معقودة في ان حركة الاصلاح التي دبت في السجون سوف تقلب سحنتها المشؤومة فلن تكون موضع التكفير فقط ، ولكن دار الاصلاح والتأديب ايضاً . وعلى الامة واجب مقدس نحو ابنائها الضالين التائبين وهو ان تساعد ما امكنها على انشاء الجمعيات لمساعدة السجناء الادبية والمادية ؛ وعلى الصحافة والمجلات ان تلفت قراءها الى تلك الناحية المظلمة من نواحي حياتنا الاجتماعية ، فتستفيد المصلحة التأديبية العامة من موازرة الجميع ويتحقق في سجون بلادنا وصف الشاعر ، وفيه خلاصة مقالنا وختامه . قال سليم بك عنحوري :

« لقد السجن زاجر لذويه ، عن فعال الظلم والارتياء
فيه علم ، صنائع ، واشتغال ، يكسب المرء شيمة الادباء
محكم الوضع ، متقن الصنع ، زاه ، صالح العيش جالب للهناء
فيه كتب تهذب الخلق قسراً ، فيه طب يزيل اعضل داء
فيه قوم ليرشدوا كل غاو بحديث ذي حكمة وجلاء .
هكذا السجن في بلاد حباها مالكوها ذرائع الارتقاء . »

صفحة من تاريخ

الرهبانية الباسيلية الشويرية

بقلم الاب اثناسيوس حاج ق. ب.
مدير الدروس في المدرسة الاكليريكية

٣

٥ — بعض رجالها المشاهير (تابع)

٣ — الشماس عبدالله زاخر (١٦٨٤ — ١٧٤٨)

ولد في مدينة حلب سنة ١٦٨٤ من والدين مسيحيين ، وكان ابوه بارعاً بصناعة الصياغة والنقش فعلمه اياها . وقد مارس عبدالله التصوير ايضاً فاتقنه ، ومن تصويره صورته التي صورها بيده ناظرًا الى وجهه بمرآة ، او كما يقول البعض ، بالماء ، وهذه الصورة القيمة لم تزل محفوظة . ويحكى عنه انه صنع ساعات مائية ومطبعة كاملة في حلب بمساعدة اخيه فكان له في كل ما زاوله الباع الطولى ، لان الله آتاه ذكاء غريباً وذوقاً كبيراً .

ولما كانت سنة ١٧٢٣ ، خرج من حلب المطران جراسيموس ، ومعه الشماس جرمانوس ، والشماس عبد الله زاخر . وكان سبب خروجهم كما يخبرنا تاريخ الرهبانية الاضطهاد الشديد الذي اثير على المستقيمي الايمان . اما المطران فمضى الى دير البلمند ، مع شماسه جرمانوس . واما عبد الله زاخر الذي كان يبغضه الخصوم ويطلبون قتله لتفنيده آراءهم بكتاباته وبراهينه المفحمة ، فانه لجأ الى دير مار يوحنا في ٢١ ت٢ . فمكث في الدير حتى ٢٠ تموز سنة ١٧٢٤ . ثم انتقل الى زوق مكايل مخافة ان يلحق بالرهبانية اذى بسببه . وهناك شرع في عمل مطبعة الصابغ صانعاً بيده الآلات اللازمة لهذا العمل الخطير ، ولم يكن

له معاون سوى رجل صائغ كان يقدم له بعض آلات ويكل اليه الامور البسيطة.

وفي سنة ١٧٢٧ عاد من الزوق الى دير مار يوحنا ، وبدأ ببناء قلاية كبيرة ورواق وأخذ في تأسيس المطبعة . فارسل الى حلب يستجلب بعض الآلات التي لا بدّ منها . غير انه لم يلبث ان اضطر الى الرجوع الى الزوق لان الامير نجماً ارغم الرهبان على اخلاء الدير ، ولم يرجع الى الصابغ الا سنة ١٧٣١ اذ استُردّ الدير وعادت الاحوال الى مجاريها . ولم تكن سنة ١٧٣٢ حتى كانت المطبعة كاملة بجميع مقتضياتها ، فابتدأ بطبع ٨٠٠ نسخة من كتاب ميزان الزمان . واخذ يطبع الكتب الكثيرة المفيدة فيشدّها بيده ويوزعها على المسيحيين ، وقد علم كثيرين فنّ الطباعة ليواصلوها بعده حباً بالخير العام وخدمة للدين.

قداسته

كان محباً للقريب ، غيوراً عليه ، متفانياً من اجله . فكان اذا اتاه فقير وليس لديه مال يتصدق به عليه ، يعطيه من ثيابه لئلّا يرده خائباً . وكان عذب الكلام ، وديعاً ، متواضعاً على غزارة علمه وسمو مكانته . ولهذا كان الجميع يحبونه ويتسابقون لمجالسته . وقد كان حافظاً المشورات الانجيلية غير ان تواضعه صدّه عن إقتبال الدرجات الاكليريكية ، محتسباً نفسه غير اهل لهذه الرتب السامية . ومما يخبر عنه انه لم يرضَ بابراز النذورات الرهبانية الا قبيل موته . ولم يكن يعرف البطالة بل كان يصرف ايامه في الصلاة والمطالعة والتأليف والتعليم والطباعة . وكان ينهض ليلاً قبل الرهبان ، فيصلي صلاته العقلية ، ويذهب بعدئذ مع الرهبان الى الكنيسة لحضور صلاة الفرض بكامله غير مشفق على جسمه الضعيف ، وعلى شيخوخته من التعب ، ولا من البرد القارس ايام الشتاء . وقد اتفق له مرة ان سقط ، وهو ذاهب الى الكنيسة ليلاً ، فاصيب بجرح كبير في راسه فلم يرجع الى قلايته ، ولئلا يصدّه احد عن الذهاب الى الفرض ، وهو على تلك الحالة ، لفّ رأسه وستره كانه خائف من البرد.

وكان حاكفاً على المناولة المتواترة ، متعبداً لمريم العذراء. مشتركاً بكثير من اخويانها ، مميتاً ذاته بتقشفات صعبة من مثل الصيام الى ما بعد الظهر بساعتين ، والامتناع عن اللحم والخمر بالكلية ، متردياً بالمسح ، مكتفياً بخمس ساعات من النوم كل يوم رغم ما كان به من الامراض.

علمه الزاخر

لقد قرن هذا الرجل بين الفضيلة والعلم الغزير ، فكان عالماً حقيقياً ولذا لقب بالزاخر اشارة الى بحر فضائله وعلومه . ومما يعجب له في هذا الرجل انه اكتسب اكثر العلوم التي كان جاهلاً لها بالمطالعة والتنقيب والتفكير وبما اعطاه الله من ذكاء غريب.

وانه بنوع خاص قد تعمق في علم اللاهوت بجميع ملحقاته من مثل علم الكتاب المقدس ، والآباء والمجامع ، وعلم الدفاع ، حتى انه لم يكن له مثيل فيها ببلاد الشرق ، وحسبنا برهاناً الكتب التي الفها او نقحها او عربها ومنا اكثرها واجزلها فائدة.

منزلته السامية

كان الجميع يجلونه اجلالاً عظيماً ويحسبون له حساباً كبيراً . فاعداء الدين كانوا يخافون ان يعرضوا نفوسهم هدفاً لقلمه البليغ وحجته القوية . ورجال الدين من بطاركة واساقفة وغيرهم كانوا يحبونه ويكاتبونه ويستطلعون آراءه وكانوا اذا كتبوا للرئيس العام يخصونه بالسلام: «تهدون البركة لمحبة الآباء والى الشماس عبدالله زاخر» واذا قرّ رأيهم على شيء يكتبون «رأي الاباء والشماس عبدالله زاخر»

موته

من يحيي حياة القديسين يمت ميتتهم ، فالشماس عبدالله زاخر قد مات متمماً واجباته الدينية مزوداً بالاسرار المقدسة في ٧ آب سنة ١٧٤٨ . اعترته حمى شديدة ، وظهرت عليه علامات الموت وغاب عن الصواب . فحزن الآباء جداً . غير ان الله تعالى اعاده الى الانتباه ، فنهض واعترف اعترافاً عاماً ، وطلب ان يذهب الى الكنيسة ليتناول هناك اجلالاً للقربان الاقدس . اما معلم

اعترافه فامره بالبقاء على فراشه ، ولما لحضروا له الزوادة الاخيرة ، هب من فراشه وجثا وناجى يسوع بخطاب يتدفق تقوى وعبادة فابكى جميع الحاضرين ، ثم تناول وشكر طويلاً واقتبل سر المسحة. واخيراً فاضت روحه الطاهرة كما يفيض المصباح نوره الساطع بعد ان يكون اضاء طويلاً.

٤ — الاب رومانوس بن حنا لوقا (١٨٠٤—١٨٧٤)

هو من بغداد، اتى الى الرهبانية فابتدأ في ١٨ ك١ سنة ١٨٣٠ ، وبعد ان قضى مدة قصيرة في التجربة بروح الورع والقداسة ابرز النذور الاحتفالية سنة ١٨٣٢ . ولما رأى الرؤساء كبير فضيلته ، دعوه للدرجة الكهنوتية ، وارساوه الى بغداد ليخدم النفوس فيها . غير انه لم يلبث طويلاً حتى سافر ، باذن الرؤساء ، الى الهند طلباً لاخ له ، وطمعاً في عمل الخير. فلما وصل الى كلكوتا وقضى مدة فيها ، شعر اسقف اللاتين بفضيلة وغيرة هذا الراهب ، فسأله ان يساعد المرسلين بخدمة النفوس مهتماً بنوع خاص بجالية حلبية مقيمة هناك ، فلم تأبَ غيرته هذه المهمة السامية ؛ وقد افاد كثيراً بتفانيه ومثاله الصالح.

قد قضى في كلكوتا سبعاً وعشرين سنة جمع في خلالها احسانات كبيرة للطائفة وللرهبانية . فقد ارسل لمطران بيروت ثلث نفقات الكنيسة ، وارسل للرهبانية اواني مقدسة ذهبية وفضية كثيرة . ولما حضر من الهند ، مرّ بمصر ، فشيد فيها داراً للرهبانية ؛ ثم حضر الى الصايغ باحسانات جزيلة وشيء كثير من الاواني الكنسية والبدلات الكهنوتية الجميلة ، فوضع كل ما كان جمعه بين ايدي الرؤساء غير حافظ لنفسه شيئاً ، شأن الرهبان المتجردين.

لم يكد يصل حتى سمّي رئيساً لدير القديس انطونيوس في كفرشيما ، فكان مثال الرئيس المتواضع المتفاني . وقد مرّت عليه وعلى الدير ايام ضيق وجوع ، فكان هو اكبر المتوجعين لرؤية رهبانه في الحاجة . وكثيراً ما كان يبكي بدموع غزيرة طالباً الى الله اعانة رهبانه ، ولما كانت الاديار ملجأ الفقراء وتمت الحاجة ، كان لا يألو جهداً حتى يطعمهم ايضاً ، ولذلك كان يحرم نفسه من طعامه ليعطيه للفقراء.

كان الرؤساء قد سمحوا له ان يحتفظ بصليب ذهبي حاو ذخيرة مقدسة ، فدفعته محبته للفقراء وتجرّده الرهباني الى ان يبيع ذلك الصليب الجميل ، جاعلاً الذخيرة في صليب بسيط ، ويطعم بثمنه رهبانه والفقراء.

واراد الله زيادة استحقاقاته فسمح بان الذين احسن اليهم هذا البارّ يقومون عليه فيهينونه ، واتصلت القحة باحدهم ان رفع يده عليه ، فابدى هذا الاب احتمالاً عجيباً وصبراً جميلاً وغفر لاولئك الجهلة وبالغ في اكرامهم.

اما موته فكان في ٣٠ كانون الثاني سنة ١٨٧٤ . بكاه كل من عرفه ، وتقاطر الناس الى التبرّك بدفنه عادّينه قديساً ، ولا عجب ، فان جثته بقيت غير بالية زماناً طويلا ، وان اهل كفرشيما لا يزالون يوقدون مصابيح على قبره مستشفعين به كلما وقع احدهم في مرض عضال . وهم يحدثون دائماً بالعجائب التي يقولون انها جرت على يده.

٥ — الخوري جاورجيوس عيسى (١٨٢٧ — ١٨٧٥)

هو ايلياس بن ابرهيم عيسى السكاف ، ولد في معلقة زحلة سنة ١٨٢٧ ، ودرس على كاهن رعيته مبادئ الدين والعلوم . كان منذ صغره تقياً ميالاً الى العيشة الرهبانية ، وكان يشتدّ فيه هذا الميل وينمو كلما ازداد في السن الى ان اتيح له الذهاب الى دير الصابغ في ٢٨ ايلول سنة ١٨٤٥ ، فلبس ثوب الابتداء واخذ يمارس التقشفات الرهبانية شأن المتفردين في الزهد والاماتة . وفي ٦ تموز سنة ١٨٤٧ ابرز النذورات الرهبانية الاحتفالية المؤبدة.

ولما كان على جانب كبير من الذكاء والاجتهاد ، سهل له رؤساؤه الوسائل لدرس العلوم فاحرز منها نصيباً وافراً . ثم ارسل الى بيروت ليعلم فيها ، فكان في اوقات الفراغ يتردد على صديقه الشيخ ناصيف اليازجي ، فاخذ عنه شيئاً كثيراً في اللغة والعروض والبيان . اخيراً اكب على درس اللاهوت متأهباً لقبول الدرجات الكنسية ، فسامه المطران اغابيوس الرياشي شماساً ثم قساً سنة ١٨٥٧.

لم يمض على ذلك سنة حتى عرف الجميع فضله وفضيلته ، فاجمعت الطائفة

على انتخابه قاضياً لها في محكمة لبنان ، فحقق ثقة القوم فيه باخلاصه وتفانيه. وفي سنة ١٨٥٩ دعاه صوت الطاعة الى دير الصابغ ليكون مدبراً للرهبانية ، فلبى الامر وقام بمهمته احسن قيام.

ولما كانت البلاد في حاجة الى مدرسة وطنيـة عالية ، وكان ذا غيرة على وطنه وطائفتـه ، سافر سنة ١٨٦٠ ، بأذن الرؤساء ، الى باريس ، ومنها الى ايرلندة حيث جمع المال الوافر لانشاء مدرسة كبيرة في بيروت . وقد مرّ في عودته على رومية ، فزار الحبر الاعظم الذي سرّ به كثيراً وبارك مقـاصده الصالحة ، وذلك سنة ١٨٦٥ . ولم يكد يصل الى بيروت حتى شرع ببناء المدرسة البطريركية ، ولم تكن سنة ١٨٦٦ حتى فتحت ابوابها للطلبة. فكفاءة خدمته الوطنية هذه قد منحته الدولة العثمانية الوسام المجيدي الخامس كما ان البطريرك سماه ارشيندريت الكرسي الانطاكي.

بيد ان الاتعاب والمشقات الجزيلة انحلته فاضطر ان يستقيل . وعاد الى الصابغ حيث انقطع الى تعليم الرهبان وعمل الرياضات الروحية في القرى ايام الصيامات.

ولما كانت سنة ١٨٧٠ دعاه المطران اغابيوس الريشي اليه ، فسماه وكيله العام في بيروت . وهناك انفسح له مجال الجهاد في سبيل الخير . فاول مبرّة اتاها ، ولم يكن سبقه اليها احد من الطـائفة في بيروت ، هي تأسيـه سنة ١٨٧٠ اخوية العذراء المجيدة للرجال وللنساء ، وقد نظّم هذه الاخوية وسنّ لها قوانين ، وكان يجمع الاعضاء والمشتركين فيعظهم ويباحثهم ويصلي معهم ، وقد فتح لهم غرفة قراءة للمطالعة الروحية ، فافاد جداً بوعظه ومثاله الصالح.

وان الراعي الصالح هو الذي يبذل نفسه عن الغنم . هذا ما فهمه الاب جاورجيوس عيسى واتخذه شعاراً له واضعاً اياه بالعمل . لم تكن سنة ١٨٧٥ حتى انتشر داء الهواء الاصفر في بيروت فملأ القبور ، والمستشفيات ، والبيوت ، واخذ الكثيرون يهربون الى الجبال . اما الاب عيسى فعرف ان يتمم واجب الراعي في مثل هذه الاحوال العصيبة ، فكنت تراه يطوف المدينة حاملاً عليه ، مع الادوية الروحية ، ادوية زمنية ايضاً للفقراء المصابين ، وكان يصرف نهاره

والشطر الكبير من ليله في عيادة المرضى . واذا مات احدهم فكان هو اول من يسارع لنقل جثته عند تعذر وجود من يحمل الميت الى القبر.

اخيراً بينما كان ذات يوم عائداً من عند احد المصابين شعر بالداء ، وكأن الله عرفه بذلك ان اجله قريب. لأن هذا الكاهن الورع كان يطلب من العذراء ان تعرفه باجله ، ولو قبل وفاته بقليل ، فلم تشأ العذراء ان ترد طلبة هذا العبد الذي كان شديد العبادة لها ومضطرماً غيرة على نشر عبادتها بين المؤمنين . فعند رجوعه الى قلايته مرّ بنجار واوصاه ان يعمل له تابوتاً على قياسه ويأخذه له حال اتمامه . ثم ذهب الى غرفته واخذ يتهيأ الى الموت بكل طمأنينة قلب شأن العبيد الامناء . ولم يكد النجار ينتهي من التابوت حتى مات الاب عيسى ميتة الابرار ، وهو يردد اسم العذراء مريم. فاسرع الجميع اليه ، وكان النجار من اول الحاضرين ، فاخذ يقص عليهم ما جرى له مع الاب البارّ وكيف عرف بدنوّ اجله مع انه كان بملء العافية عندما اوصاه بعمل التابوت.

٦ — البطاركة والاساقفة ابناء الرهبانية

١ — البطاركة

مكسيموس حكيم	توفي ٢٧ ت ٢ سنة ١٧٦١
ثاوذوسيوس دهان	١٧٦١-١٧٨٨
اغناطيوس صروف	توفي ١٨١٣

٢ — الاساقفة

ناوفيطوس نصري	من حلب	مطران صيدنايا	١٧٢٢-١٧٣١
جراسيموس احد مؤسسي الرهبنة	من حلب	مطران حلب	١٧٥٤-
باسيليوس بيطار		« بعلبك	١٧٥٤-١٧٦١
مكسيموس حكيم		مطران حلب ثم بطريرك	
اثناسيوس دهان		« بيروت ثم بطريرك ثاوذوسيوس	
مكسيموس حنانيا صاجاقي	من حلب	مطران حلب	١٧٦١-
اغناطيوس جربوع	من حلب	مطران حلب	١٧٦١-١٧٧٧

فيلبس قصير	من حلب	مطران بعلبك	١٧٦١–١٧٧٧
ديمتريوس قيمجي	من الشام	مطران جبيل	١٧٦٨–١٧٧٩
يوسف الحكيم	من حلب	مطران قاره	١٧٦١–
اغابيوس قنيصر	من حلب	مطران دياربكر	١٧٧٥ ? –١٨١٠
اكليمنضوس طيب	آخر مطران على جبيل		١٧٩٨–١٨٠٢
اثناسيوس بن عوده	مطران بدوسة القديس اثناسيوس برومية		١٨١٦–
اكليمنضوس بيدبروس	من حلب	مطران جبيل	١٧٩٨–
باديكتوس التركماني	من حلب	مطران بعلبك	١٧٨٥–١٨٠٨
ثاوذوسيوس بن بدره	من حلب	مطران بيروت	١٨١٤–١٨٢١
مخايل التركمان	من حلب	مطران حلب	١٨٢٣–
شكرالله بن نعمه شكر	من حلب	مطران حلب	١٨٢٣–
اثناسيوس عبيد	من عكا	مطران بعلبك	١٨٢٣–١٨٤٩
لقاطيوس دهان	من بيروت	مطران بيروت	١٨٢١–١٨٢٦
لقايوس الرياشي	من المنشاره	مطران بيروت	١٨٢٨–١٨٧٨
يوستينوس شاهيات	من حلب	مطران زحلة	١٨٢٦–
باسيليوس كفوري	من المنشاره	مطران مصر	١٨٣٧–١٨٥٩
اغابيوس مطوف	وادي الكرم	مطران بعلبك	١٨٩٦–١٩٢٢
اثناسيوس صوايا	قاع الريم	مطران بيروت	١٩٠٥–١٩١٩

الاحياء

فلابيانوس كفوري	من المنشاره	مطران بيروت سابقاً	١٩٠١
باسيليوس قطان	ذوق ميكائيل	مطران بيروت	١٩٢١
ديونيسيوس كفوري	من المنشاره	مطران طرسوس	١٩٢٦

(للبحث صلة)

من حدائق النساك

الاب لورنسيوس الحيمري الديراني

الناسك الحلبي اللبناني

بقلم الاب لويس الحداري الديراني
المدبر الحلبي اللبناني ، والوكيل الاسقفي في كرسي ابرشية صيدا المارونية

٢

رهبان الرهبانية الحلبية اللبنانية

لم تطل الحديث عن حداثة الاب لورنسيوس لاننا لا نعلم منها اكثر مما قلنا . وهذه الكلمة الصغيرة التي دوناها عن منشأه وتربيته الاولية قد استقيناها من الذين عرفوه وعاشوا معه . اما عن حياته الرهبانية والنسكية فسنطيل الكلام بقدر ما يسمح لنا المجال . ولكن أيمكننا ان نسطر في هذه العجالة ، كل ما كان يحوي ذاك القلب الطاهر من الوداعة والتواضع والمحبة ، ولاسيما من البساطة ؟ أنستطيع ان نماشيه في كل اعماله وحركاته ، لا لعمري ! ولكن كمن يتنزه وسط بستان ، بين الازهار والرياحين ، هل يجمعها كلها في طاقته ، لا بل يأخذ منها ازكاها عرفاً واجملها منظراً ليزين بها صدره ، ويمس الباقي بيديه او بثوبه حتى يتضوع طيبها ليتنشقه . وهكذا نفعل نحن فاننا لا نتبع الناسك في كل حركاته وسكناته بل نتكلم عنه وعن فضائله بوجه العموم . ولا نكتب بقصد ان نعظم ذكره كما قلنا في المقدمة ، فهو لم يحلم بذلك مطلقاً في حياته ، وكيف به الآن وهو في مكان يزدري سكانه كل اباطيل العالم ؟ وانما نفعل ذلك حباً بنفع النفوس التقية .

قلنا بلغ لورنسيوس سن الخامسة عشرة فاشتد فيه الشوق الى ترك العالم واتباع سيده له المجد . فهجر وطنه وآله ودخل الرهبانية في سنة ١٨١٥ . فاتى دير سيدة اللويزة الكائن في معاملة كسروان ، وطلب الدخول في مصاف المبتدئين . فقبله الرئيس العام ، الاب اغناطيوس سركيس عواد ، وألبسه ثوب

التجربة . وحينئذٍ اخذ يجاهد بشجاعة مدهشة ليتمم قوانين المبتدئين ويقتبس الفضائل والكمالات . وهكذا بعد ان قضى سنتين يمارس جميع اصناف الاعمال التقوية والتقشفات الجسدية الى ان قوي وترعرع في الفضيلة واصبح مثلاً صالحاً لاخوته المبتدئين ، ابرز النذورات الرهبانيـة في اليوم الثامن من شهر كانون الاول سنة ١٨١٧ . والبسه الاسكيم الملائكي قدس الاب العـام الآنف الذكر . ثم انصبّ بعـد ذلك على درس العلوم اللاهوتية اللازمة لدرجة الكهنوت المقدسة . ولما اتمها رُقي كاهناً بوضع يد سيادة الطيب الذكر المطران اسطفان الخـازن ، في دير القديس موسى الحبشي ، الكائن في قرية بلوني من اعمال كسروان . وذلك في اليوم الرابع والعشرين من شهر حزيران سنة ١٨١٩ . ومن ذلك الوقت اخذ يحرث في كرم الرب بامانة وحرارة وغيرة لا تعرف الملل .

ولما رأى ان الاحسان الى القريب واجب ، بعد محبة الله ، طلب ان يعلم الاحداث في مدرسة زوق مصبح الخـارجية ، فقضى مدة فيها كان في خلالها معلماً صالحاً بل مرشداً حكيماً يحبه تلاميذه كحبهم لوالديهم ويغار هو عليهم كالاب الرؤوف . ومما يروى عنه انه كان مرة بعد الظهر نائماً من دوار اعتراه فاستفاق من نومه بغتة ، وقـال للاولاد : « اخرجوا من هنا كلكم . » فاطاعوا مسرعين . وحالاً بعد خروجهم سقطت جدران تلك المدرسة . فتعجب الاولاد وسألوه كيف عرف ذلك وهو نائم . فقال : نبهني الله اليه في الحلم . فتعالوا اذاً نشكره لانه نجانا من الموت الفجائي . فخروا كلهم على ركبهم يباركونه تعالى .

وبعد ان علّم مدة وافاد كثيراً احتاجت اليه الرهبانية فانتخبته رئيساً على دير القديس انطونيوس في مدينة رومية العظمى . وذلك على عهد البـابا غريغوريوس السادس عشر ، ورئاسة الاب العـام اجناديوس الزوقي . وكان انتخب قبل هذا العهد ثلاث مرات كاتباً للقرعة في المجمع العام ، وذلك لزيادة الثقة بحسن تقواه وضميره الحي . امّا من جهة انتخابه رئيساً فتمنع اولاً بروح التواضع . ولما رأى اخيراً ان لا مناص له ، قبل اتماماً لامر الطـاعة المقدسة فقط ، وتوجه الى رومة سنة ١٨٣٥ . وهناك في تلك المدينـة الابدية ، مقر

الكبرياء ومنبت التواضع ، حيث تلتقي العظمة والجمال في مكان نضبت فيه القساوة القديمة الوثنية وفار في محلها ينبوع الحلم المسيحي ، هناك فوق قبور الشهداء العظام وبين منابر العلماء الافاضل ، تعلم لورنسيوس التمسك باهداب الفضيلة المتينة . وفي اثناء وجوده في رومية كان صديقاً للكردينال ماستاي الذي جلس على الكرسي الرسولي تحت اسم بيوس التاسع . ولما رأى لورنسيوس نفسه محاطاً بالكرامات ، خاف على ذاته من ان ينفخه روح العجرفة ، فطلب بتواضع عميق وخضوع كامل من الاب العام اعفاءه من الرئاسة ، متعللاً بانه غير اهل لها . فاعفاه الاب العام ، وأذن له بالرجوع الى لبنان حسب رغبته ، فرجع وقلبه يرقص فرحاً ؛ لانه انه تخلص من نير المسؤولية الصعب ، ولكن املاً بقرب عهد انجاز عمله الكبير الذي كان يحلم به منذ الصغر ، ألا وهو الزهد الكامل في العالم . لم يكن لورنسيوس ليحب التدخل في امور الدنيا بل كانت نفسه تطمح دائماً الى الانفراد والتأمل . قد خُلق ليعبد الله في العُزلة . وها هوذا الآن يترك الدير باذن رئيسه العام ، ليقضي باقي حياته في الوحدة على مثال ابيه انطونيوس الكبير . فانشأ اذاً له المحبسة المار وصفها قرب دير مار بطرس كريم التين ، ودخلها سنة ١٨٤٢ ، وفي معيته القس حنانيا القليعاتي .

حياة النسك

هذا هو الدور الجديد ، بل هذا هو الدور الوحيد في حياة الاب لورنسيوس الذي نريد ان ننبه الافكار اليه . ليست حياته الماضية سوى طريق او تمهيد لهذا العمل العظيم . وليس جهاده الماضي ليُذكر قرب اعماله النسكية . فبحق إذاً يليق ان ننبطه على انتصاره التام على ذاته . ليست البسالة في هرق الدماء ، ولا في خوض المعامع تحت نبال الاخطار ، وانما الشجاعة كل الشجاعة في التفوق على الاهواء الداخلية وكبح جماح الجسد المتمرد . يندفع انسان بداعي الهوس او المجد او الانتقام او ما شاكل لاختراق صفوف الاعداء او الفتك بهم . فان فاز نكلله باكاليل الغار ونحرق امامه بخور التهاني ونلقبه بطلاً ، وان قضى نستعظم عمله ونقول ذهب ضحية الوطن والواجب . اما اذا رأينا رجلاً يسهر الليالي الطوال ليذلل جسده ويستعبده ، ويهرب من المجد

الباطل كهربه من الافعى والثعبان ، لا يطلب سوى خدمة الله والقريب في زوايا النسيان ، فنقول عنه انه مسكين في عقله ، لا يرى أبعد من انفه . والحال اننا في خطأ مبين لان ذاك الذي نلقبه بطلاً في العالم لم يستغرق عمله العظيم سوى ساعة واحدة ، ولم يمت إلا مرة واحدة ، مع ان هذا الثاني قضى حياته كلها جهاداً وكفاحاً ، يموت لذاته الف مرة في النهار . فيه وحده اذاً يختص لقب البطل الحقيقي ، حسب قول ابن الوردي :

ليس من يقطع طرقاً بطلاً انما مَن يتق الله البطل

دخل لورنسيوس المحبسة وودع العالم وداعاً جديداً ، وداعاً كاملاً ، وانقطع لخدمة الله فقط . فلبس المسح واخذ يقمع جسده بالجلد والصوم ، جاعلاً فراشه «بلاساً» من الشعر ، ووسادته قطعة من خشب ، زاعماً انه لا يقدر ان يقاوم الشيطان إلا بعد ان يكون غلب ذاته غلبة تامة . واقتصر على اكلة واحدة ، كل اربع وعشرين ساعة ، كان في خلالها يجلد جسده مرتين بسوط من الجلد القاسي الى ان يسيل الدم منه . حتى ان الذي كان يعتني بتنظيف ثيابه كان ينظرها دائماً ملطخة بالدم . لم يقف عند هذا الحدّ من التقشف بل اراد ان يذلل نفسه ايضاً بالاشغال الشاقة ، فاتخذ له بستاناً غرس فيه اشجار العنب والتين ، وكان هو بذاته يحرثه ولفرط زهده لم يذق من ثماره ابداً لزعمه ان الانتصار على شهوة الحلق هو اكبر دليل على نكران الذات . وعلى هذا النمط كان يقضي ايامه تارة بالصلاة الشفاهية ، وطوراً غائصاً بالتأملات العقلية ، وحيناً منعكفاً على الاعمال اليدوية ، وآخر على القراءة الروحية بنوع انه لم يدع دقيقة واحدة من حياته تمر من غير عمل تقوى.

فضائله

اني لاحار عن اي فضيلة من فضائله اتكلم خصوصاً . أعن وداعته ، ام عن طهارته ، ام عن فقره الروحي ام عن غيرته المتقدة لخلاص النفوس ، ام عن محبته لله ؟ . فانها كلها تتلألأ في آن واحد في محياه اللطيف.

هيئته الخارجية

كل من عرفه ناسكاً يُخبر ، كما ان جسده الباقي بلا فساد يدل ، نه

كان ربع القامة ، ضخم الجسم ، اشقر اللون . شعر لحيته ناصع البياض يزيده مهابة وجمالًا على نور الايمان الذي يضيء به الله أوجه محبيه .

طهارته

لم يهجر لورنسيوس العالم ولم يختبئ في زوايا معبده إلا حبًا بحفظ طهارته التي كان يلقبها عروسته المحبوبة ، ويتيم بذكرها ويتمثلها تارة في صليب المخلص يعانقها الفادي بشوق عظيم ، وطورًا في شخص البتول الطاهرة فيذوب وجدًا بحبتها . ولكي يحرص على هذه الوديعة الثمينة كان يرفض قطعياً ، في الدور الاول من استنساكه ، مقابلة النساء وجهاً لوجه ، حتى التكلم معهنّ محتجباً . ولكن لما نيف على الستين ، بدأ يكلمهنّ من وراء حجاب ؛ واخيرًا لما طعن في السن رضي بان يقابلهنّ بحضور الاخ رفيقه ليرشدهن في سبيل الخلاص .

وداعته وتواضعه

قد عرفنا قبلًا ان التواضع حمله على ترك الرئاسة ، والتواضع ايضاً حبب له الانزواء في كوخه الصغير بعيدًا عن مجد العالم . وها نحن نتأكد الآن ان الوداعة ، ثمرة ذاك التواضع ، قد جعلت هذا الشيخ العابس في وقت الصلاة ، تسيل نفسه لطفاً في احاديثه مع الكبار والصغار . اما انعطافه نحو الاولاد فكان فائقاً . كمعلمه الالهي كان يُسرّ بمحادثتهم وملاطفتهم ، لان نفسه كانت تشابه انفسهم بالبساطة الملائكية . ومما يروى عنه انه من عظم محبته لهم ، ولكي يحثهم خصوصاً على تعلّم قانون الايمان وباقي الافعال ، كان يُنبئ لهم قرب المذبح خرنوباً . وعندما كان احدهم يقول بعد الانجيل قانون الايمان ، كان يلتفت اليه ويناوله قرن الخرنوب ، بشرط ان لا يأكله في في الكنيسة . فبمثل هذه المعاملة اللطيفة وغيرها كان يكتسبهم اليه ، ويقودهم منذ الصغر في طريق الخلاص الامينة . اما عن تعلق الصغار به فحدث ولا حرج ، فانهم كانوا يجدون في حنانه لذة اكثر منها في حنان امهاتهم .

تقواه ومحبته لله

كانت ايامه كلها مملوءة من روح الصلاة . فكان يصلي دائماً كما اوصى المسيح وكرّر رسول الامم بعده خوف ان يدخل بالتجربة . نعم انه ما كان

يقضي كل اوقاته في الصلاة ولكن كل اعماله كان يديرها روح التقوى . اما في صلواته الشفاهية وتأملاته العقلية فكان يجثو في اغلب الاحيان ويداه بشكل صليب ، وكان يذرف دموعاً مرة عندما يتأمل بآلام المسيح ، ولذا شحب وجهه ، وانطبع اثر البكاء في خديه كما يشهد من رآه . وكان يقضي مراراً ساعات طويلة بالتأمل امام القربان الاقدس حتى يخيل انه لا يشعر بوجوده . وكان يفرح عندما تداهمه اوجاع في جسده لانه كان يحتملها بصبر وشجاعة حباً بالله . فيردد « يجب ان نفرح بالامراض لاننا بذلك نصير اخوة حقيقيين ليسوع المتألم . »

غيرته

لو اصغى لورنسيوس لذوقه فقط ، لما كان اختار إلا العزلة الكاملة ، ليدرس وحده على مهل شريعة الله ؛ ولكن غيرته المتقدة لخلاص النفوس جعلته في آخر مدته يكرس قسماً كبيراً من اوقاته لارشاد القريب .

في شرقي المحبة ، على مسافة ربع ساعة منها قرية صغيرة حديثة العهد ، تسمى « وادي شاهين » ، ملأت روؤس اكامها اشجار الصنوبر الجميلة ، انساب الى جانبيها ساقيتان ترقرقت مياهها تحت ظل اشجار الدلب والحور الباسقة فجاءت آية في الجمال الطبيعي . لم يكن في البدء فيها كنيسة ، فكان اهلها يضطرون ان يذهبوا الى «عين الخروبة » ، القرية المجاورة لهم ، لسماع القداس ايام الآحاد . فلما صار الحبيس لورنسيوس يسمح للنساء ان يدخلن الى المحبة ، اخذ اهل تلك القرية يتهافتون كبارهم وصغارهم لسماع ارشاداته وحضور الذبيحة عنده في كنيسته ، فكانوا يصادفون منه بشاشة الاب الصالح والراعي الساهر على خرافه بعين يقظى . ولعظم غيرته عليهم ، كان لا يسمح لاحد منهم مطلقاً ان يذهب الى غير كنيسة ؛ وقبل ابتداء القداس ، كان يلتفت عادة نحو الجمهور قائلاً بساطته المألوفة : « لقيتوا او بعد ؟ » وعندما كان يلاحظ انه ينقص واحد حتى ولو كان ولداً ، كان يقول : « ننتظره بعد ونصلي المسبحة ريثما يأتي . » ولكي يجبب اليهم المجيء ، كان دائماً بعد انتهاء القداس يجلس معهم خارج الكنيسة ، ويحدثهم فرداً فرداً بعذوبة ملائكية عن اشغالهم

واحوالهم الخصوصية ، ويرشدهم كالاب الحكيم ، ومن ثم يوزع عليهم تيناً او زبيباً او لوزاً من ثمار بستانه ، وكان كل واحد ملتزماً بان يقبل حديثه .

لم تقف غيرته عند هـذا الحد بل دفعته الى اكثر من ذلك . كان منذ دخل المحبسة لم يسمح لنفسه ان يخرج الى خارج مطلقاً ، حتى الى الدير . ولكن لما مرض احد ابناء رعيته في وادي شاهين ، وهو الشيخ اسطفان الجميل وكان عزيزاً لديه جداً ، أتى لكي يعزّيه ويزوّده الاسرار الالهية ، واتى ايضاً ثانية الى القرية المذكورة ليكهن راحلاً ثانياً الى الابدية .

ولا يزال اهل القرية الى يومنا هذا يلهجون بوداعته وطهارة سيرته ويتمنون ان يحصلوا على ذخيرة منه ، لانهم لا يرتابون ابداً في قداسته .

سألت مؤخراً احد ابناء رعيته من « وادي شاهين » ان يفيدني شيئاً عنه ، فقال : « ماذا اقول لك ؟ كان ملاكاً في منظره وبساطته السماوية . فقلت ماذا تتذكره خصوصاً قال بحديثه الحار الطبيعي الذي كان احلى من العسل . واتذكره لاسيما وقت الصلوة حينما كان يخشع ويقرع صدره باكياً . فانه بهذا كان يجيب الى الجميع الاعمال التقوية . » هذه شهادة انسان فاضل بل هذه شهادة كل من عرفه . كان قديساً ، يقول الجميع ، كان وديعاً طاهراً في كل اعماله وتصرفاته . فلو جمعنا كل هـذه الاقوال ، والشهادات الحقيقية الصادرة كلها عن قلب والخلاص لصاغت هالة من نور حول قبر الخبيس لورنسيوس تنطق وتخبر عما كان يحوي قلبه من الفضائل السنية .

انعام الله عليه بمعرفة شيء عن الموتى

فلا عجب اذاً ، اذا شرفه الله بمعرفة اسراره الخفية كمثل مشاهدة الانفس بعد انفصالها عن اجسادها . لانه هو تعالى يقول في انجيله الطاهر : طوبى للنقية قلوبهم فانهم يعاينون الله . ولا تظن ايها القارئ الكريم انها ضرب من الخرافات ، كما يدعيها عصرنا الحاضر . ليس من الصعب على الله ان يُظهر مجده لاصفيائه . هـذا من جهة ، ومن اخرى نقول ان الخبيس لورنسيوس لم يقصد بذلك الاتجار كما يتفلسف البعض ، ليستجلب عليه الحسنات من المؤمنين ، بل كان يرفض قبول ادنى شيء حتى حسنة القداس . ولما كان يسأله احد عن

موته ، كان يخبره بكل بساطة وصراحة بما يعرفه ، وما ذلك إلا بعد ان يكون صام مدة يومين او ثلاثة.

ومما يروى عنه انه كان ليلة نائماً بعد انتصاف الليل . واذا به قد نهض بغتة ، وايقظ الاخ طوبيا الذي كان عنده وقال له : « اذهب حالاً الى الدير واوقظ الرهبان وقل لهم ان الراهب ... قد مات ونفسه تطلب الصلاة . » فاجابه الاخ مبغوتاً : « ماذا تقول يا ابتِ ؟ ان الراهب ... قد نام في هذا المساء لا يشكو من علة مطلقاً . » فكرر عليه ان : « قم وانطلق الى غرفته فتأكد صدق قولي ، لان نفسه مرّت عليّ بعد انفصالها من الجسد ، وطلبت مني الصلاة . » فنهض الاخ ، وسار الى الدير واخذ يقرع باب غرفة القس المذكور . فلم يجبه سوى الصدى . فاعلم الرئيس والرهبان بالخبر فأتوا مسرعين الى الغرفة ، ودفعوا الباب عنوة فوجدوا القس ميتاً كما قال الحبيس . فعندئذٍ مجدوا الله وجثوا كلهم يصلّون عن نفس الراحل مندهشين من هذه الاعجوبة.

استمرّ لورنسيوس الناسك يتقدم هكذا نحو الشيخوخة وعطر طهره وقداسته ينتشر في كل الجهات ؛ فيأتيه الزائرون من كل حدب وصوب على اختلاف مذاهبهم ، للتبرّك منه ويسألونه الصلاة من اجلهم ليشفوا من امراضهم الروحية والجسدية . الى ان وصل خبرٌ ما يقصّه عن الموتى الى سيادة المطران يوسف جعجع ، رئيس اساقفة قبرس فاستغرب الامر كثيراً ، واستعظمه ، واراد ، بادئ بدء ، ان يوقف الناسك عن القداس ، خوفاً مع ان يكون حصل له خلل في عقله ، ولكنه عزم اخيراً ان يمتحنه بذاته . فارسل اليه مع شماسه يقول: « قدّم غداً الذبيحة الالهية عن نفس والدتي التي توفيت ، وارغب اليك ايضاً ان تفيدني مع رسولي في اي محلّ هي ، وهل يقتضي لنجاتها من المطهر قداسات وافرة ام لا ؟» فاجاب الحبيس : سمعاً وطاعة. وفي صباح النهار المقبل قدّم الذبيحة المقدسة على نية سيادته . وفي الحال عرف ان التي يقدم عن نفسها الذبيحة لا تزال حية ، وعلم ان سيادته قصد بذلك تجربته ، لا غير . فعند نهاية الاسرار المقدسة ، طلب الشماس المذكور الجواب من الحبيس ، فقال له ببشاشة : « اخبر سيادته ان والدته لا تزال في قيد

الحياة ، وصحتها جيدة ايضاً .» فتعجب الشماس من كلامه لانه كان عالماً حقيقة الامر . فرجع وقصّ حقيقة الخبر على المطران الذي دُهش منه ومجّد الله . وتناقلت هذا الخبر جميع الالسن فما كان إلا كالاريج الطيب ، زاد الناس رغبة في زيارة المحبسة والحبيس .

عبادته للبتول الطاهرة

اتينا على اخر الترجمة ولم نقل شيئاً عن عبادته للبتول الطاهرة ، فانه كان مغرماً بمحبتها غراماً شديداً حتى انه اصبح كالطفل لا يمكنه ان يتفوّه بحديث البتة قبل ان يلفظ اسم امه . وقد كان في اكثر ارشاداته يتكلم عنها مع ابنائه الروحيين ، ويحثهم على التمسك بعبادتها ولاسيما بصيام السبت ، زاعماً ان التعبد لها هو ميناء الخلاص الامين .

مرضه ووفاته

هكذا قضى الاب لورنسيوس الناسك حياته الطويلة في الصوم والتقشف والصلاة وقمع الذات والاشغال الشاقة ، الى ان سقط جسمه تحت عبء كل هذه الاعمال ، ولاسيما تحت يد الشيخوخة ، فجاءه المرض في اوائل شباط سنة ١٨٨٠ . فلما علمت القرى المجاورة بمرضه ، اخذوا يتوافدون لزيارته لطلب بركته ولكي يودّعوه الوداع الاخير ، لانهم تأكدوا موته . وكأنه هو شعر بساعته الاخيرة فاخذ يشكره تعالى ويبارك كل الحضور ، ويصلي لاجلهم حتى يجمعهم جميعاً في الاخدار السماوية . ولفظ نفسه الاخير ، بدون توجع ولا كدر فبكاه الجميع بكاء مرّاً ، وكان ذلك في التاسع والعشرين من شهر شباط من السنة نفسها . وما ان بلغ نعيه القرى المجاورة حتى تقاطرت الجموع الى المحبسة لاخذ بركته فغصت تلك الناحية من كثرة الوفود . وكان كل من حضر لا يأوب إلا ومعه ذخيرة من ثيابه . ثم بعد الصلاة ، غيبوه عن الاعين في كنيسة المحبسة ، وجسده باقٍ للآن على حالته الطبيعية لم يمسّه الفساد مطلقاً .

وبعد مضي خمس عشرة سنة على وفاته ، نقل جثمانه الطاهر من ضريحه الى محل آخر في الكنيسة حيث أعدّ له رمس ظاهر من الرخام ، فوجد جسده في الحالة المنوّه عنها قبلاً .

آخر الازياء الادبية في الغرب

الشرق وخبط بعض الاجانب في فهمه

بقلم فؤاد افرام البستاني

للآداب ازياء كما للاثواب ، وللاقلام اوبئة كما للاجسام ، تنتابها بين آونة واخرى فتحتلّ مواضيع الانشاء ، وتخيّم على عقليات بعض المؤلفين ، حتى لا تكاد ترى كاتباً الّا وفي اقواله تأثير هذا الوباء الجديد ، ولا كتاباً الّا وبين سطوره ميل نحو هذا الزيّ الحديث.

اما القرّاء — وهم كسائر الناس مسحورون بكل جديد غريب — فيتهافتون على هذه الكتب ، يتنازعون المواضيع الجديدة ، ويحشون ذاكراتهم بالاقوال الغريبة ، متفانين في التقاطها ، غُيُرًا على حفظها ، حتى يبرزوها في المجتمعات فيعرضوها بعجرها وبجرها ، متناظرين في اشياء كلما زادت جدّتها زاد جهلهم بها.

هذا ونحن لا نكاد نعرف اليوم زيًا ادبيًا اكثر انتشارًا في بعض الاوساط الغربية المؤثرة في اوساطنا ، ولا وباء كتابيًا اعظم تأثيرًا في بعض مؤلّفي الغرب من ذوي الكتب الرائجة في بلادنا ، ولا سحرًا بالجديد الغريب اشدّ خطرًا عليهم وعلينا ، مما يسمّيه ادباء العصر «زيّ الشرق» ، و «وباء الشرق» ، و «سحر الشرق» !

الشرق !

موضوع كتب عديدة ونشرات متتابعة تغطي الرفوف الكثيرة في المكاتب ، بل هو فرع مستقلّ من آداب ادعياء الاستشراق من الغربيين في يومنا ، يبحث فيه كتّابهم عن «بلاد النور ، ومهبط الوحي ، ومهد الاديان.» وهم لا يتقيدون ،

في ابحاثهم ، بزمان ولا بمكان ، بل يشملون الشرق كله من ضفاف الغانج الى مصبّ النيل ؛ فيتكلمون عن عادات الشرقيين وعقليّاتهم المختلفة ، واديانهم المتباينة ، وآدابهم المتفرّقة ، وتجاراتهم العديدة ، وصناعاتهم الخاصّة . ثم يدفع بهم الهوَس الى المقابلة بين ماضي الشرق وحاضره ، وقياس المدنيات التي تقلبت عليه . ولا يسهو بالهم عن ارسال تلك النظرة الاخيرة ، والثمينة في زعمهم ، في « ماذا يكون مستقبل الشرق ؟ » مع ابداء النصائح الجمّة التي « يجب على الغربي ان يتّبعها ليفهم الشرق » . على ان اكثر مؤلّفي هذه المجلّدات ، ان لم نقل كلهم ، اهملوا ما ينصحون به ، فضلّوا الطرق التي « يجب على الغربي ان يتبعها ليفهم الشرق » ؛ وكان أبينهم ضلالاً اشدّهم مجازفة باعطاء النصائح . فهم لا يفهمون من الشرق بعض ما تعرف انت من الغرب ، وقد تعلمت في المدرسة تاريخه ، وجغرافيته ، وعادات اهله ، السنين الطوال ، فهل ترى من نفسك جرأة على الكتابة في ماضيه وحاضره ومستقبله ؟

نحن لا ننكر ما للمستشرقين الحقيقيين من فضل في اخراج تاريخنا وآدابنا من زوايا النسيان ومطاوي الاهمال الى محيط النور والمعرفة ، بل نحن اول من يثني على جهودهم القيّمة ، ويقرّ بفضلهم الجزيل . الّا اننا لا نرضى بان تُضيَّع تلك الجهود اذ تُعرض على مستوى واحد مع آثار الاستشراق المزعوم ، ولا نرضى بان يُغمط هذا الفضل اذ يجعل اربابه في محيط واحد مع جمهرة مدّعي هذا الاستشراق . فاذا قرّظنا فاننا نقرّظ اولئك العلماء الكرام ، واذا لمنا فاننا نلوم هؤلاء الادعياء الجهّال ، وعليهم يدور كلامنا :

يزور الكاتب منهم الشرق الاقصى فيقيم الشهر ، او بعض الشهر ، في احد ثغور الهند ؛ ويطالع ، بلغته الغربية طبعاً ، ما يقع تحت يده من ترجمات اقوال المتصوّفين واحاديث « الفقراء » ، فيرى فيها من الدعوة الى التجرّد والتزهد ، والحثّ على التقشف والتضحية ، ما يظهر جديداً بالنسبة الى عقليّته المادّية ، فينادي بالاكتشاف ، ويدعو بملء صوته الى السير على سبل الشرق القويمة ، واذا به يسوّد الصفحات العديدة في المقابلة بين الشرق « الروحاني » والغرب المادّي ، واذا بالمطابع تُخرج الكتب « النفيسة » في تحليل عقلية

الشرق ، وتفهم طبائع الشرقيين...

ويأتي الآخر بلادنا — وهي ايضاً شرق ولا تميز بينها وبين الهند والصين مثلاً — فيقيم اسبوعاً في احد فنادق بيروت ، ثم يسافر الى دمشق بقطار الليل فيقضي فيها عدة ايام ؛ ثم يعود ، وهو لا يعرف عن بلادنا اكثر ما يعرفه تاجرنا عن بلاد السنغال ، بعد ان يقيم فيها شهراً . ومع ذلك فلا يتراجع امام وضع رواية « شرقية » تصوّر عادات الشرقيين على اختلاف العقائد والنزعات ، وتعرض بعض امثلة الشرقيين . فنطالع تلك الرواية ، واذا بعاداتنا تنحصر بكل ما يندى له جبين الأدب ، واذا بامثالنا تظهر غريبة بتلك الترجمة المضحكة . وليست العبرة في وضع تلك الرواية العجيبة ، بل في ان صاحبها يصبح ، في عرف نفسه وبعض قرائه ، من كبار المستشرقين. ويزيد اعتقاده رسوخاً طلبات اصحاب المطابع والمكاتب للكتب الشرقية اجابة لرغبة قرائهم المصابين بوباء الاستشراق ، فيروح الكاتب يجبر المقالات الكثيرة ، ويسوّد صفحات المجلات المعتبرة في الكلام عن الشرق ، وعقليته ، وانتقاد سياسات حكامه.

ويمتدّ وباء الاستشراق من الكاتب الى مقلديه ممن لم يعرفوا الشرق الا بواسطة ادلة كوك وبديكر ، فيأخذون بالتأليف ، ويخبطون ما تشاء لهم عقليتهم التي لن تفهم الشرق ما دامت تنظر اليه بنظارات الغرب.

ويزهو عصر الاستشراق فتربح شركات التسفير ارباحاً طائلة ، وتشحن الى بلادنا خلقاً كثيراً من رجال ونساء ، وكتّاب وسيّاح ، وصحفيين وضبّاط ، يختلفون نظراً واسلوباً ، ولكن يتفق اكثرهم بقلّة وجهلاً بامور الشرق..

. . .

ولعلّ اعظم مدرجة خطأ هؤلاء القوم ، بعد ادّعائهم غير المحدود ، استناد النساء منهم الى شعورهنّ الحسّاس دون الاعتماد على العقل ، وميل جميعهم الى الاجمال ، واستعمالهم في كل الاحوال القياس الاستقرائي الناقص.

يدخل الغربي منهم احد المطاعم فيطلب قنينة وسكي مثلاً . فيتم له

صاحب المطعم ، ويجتهد كي يفهمه ، مع الاسف ، ان الصدفة حكمت بخلو محلّه من الوسكي ، او ان مطعمه ليس بحانة فتبيح له الحكومة بيع المسكرات . فيتمرمر الضيف ، ويقلب شفتيه مشفقاً هازئاً ، ويكتب في مفكرته : « في الشرق لا يعرفون الوسكي ! مسكينة هذه البلاد ، كم هي بعيدة عن المدنية ! »

يسمع الغربي ، في بلاده ، بخرائب تدمر ، وآثار بعلبك ، وحفريات بيبلوس ، فيدفعه وباء الاستشراق الى الابحار وجهة بيروت ، وهو يتصوّر رؤية كلّ هذا على المرفأ ، حتى اذا لم يشاهد شيئاً من ذلك يئس من « سراب الشرق » ، وربما حذف من الوجود تدمر ، وبعلبك ، وبيبلوس .

يأتي الصحافي ليراسل احدى الجرائد الغربية عن الشرق ودوله ، فيتصل ببعض القينات الراقصات ، فتريه ما تشاء عن بلاد الشرق ، وتخبره بما يجول في مخيلتها من سيطرتها على بعض رجال الحكومة البارزين ، ومن مقدرتها على خرق القوانين . فيؤخذ الصحافي بكل هذا ويكتب ان حكومة البلد الفلاني بيد الراقصات يدرنها كيف شئن . ويكون البلاء شرّاً مما تقدم اذا كان ذلك الصحافي امرأة ، فتضيف الى ما سمعته توسيعات وتعليقات يحوكها شعورها النسائي الجذّاب . . .

ومن هذا النوع امور كثيرة يضيق المقام عن سردها ، وما كنا لنتعرّض لها ، لو لم نقرأها في الكتب ، فبرهنت عن قصر في النظر ، وسذاجة في عقلية تميل دائماً الى الاحكام المطلقة العامّة ، دون تمييز ولا استثناء . واننا لا نزال نذكر بحثاً عن ارز لبنان شاقنا عنوانه ، فقرأناه في رحلة احد السيّاح « الى الشرق » ، واذا فيه ، بعد ديباجة طويلة في عقلية الشرقيين ومخيلتهم القوية :

« وللبنانيين ولع خاص بذكر الارز واحترام التقاليد المتعلقة به ، فهم يقولون ان سليمان الحكيم بنى الهيكل من خشبه ، ويردّدون ذلك متعزّين به عن انقراض الارز من بلادهم . وأني لاستغرب كل هذه الضجّة حول الارز ! وما عسى ان يكون حكم من لا يعرفون لبنان ، اذا قلت لهم ، انا الذي زرت هذه الارض ، ان ليس في لبنان ارزة واحدة ! وان الارزة الوحيدة التي

يمكننا رؤيتها هي في حديقة النبات في باريس ! »

فما رأي القارئ الكريم في هذا الحكم الصادر عن رجل رحل الى الشرق قصد درسه وفحصه ! وما قوله اذا عرف ان لهذا الكتاب طبعات تقرأ بامعان حتى في لبنان ، فيعجب المتفرنجون بما فيها من الدرس العميق ! وقد يكذبون انفسهم عما يرون في بلادهم كي يتشبثوا باحكام الغربيين . . . ويقف غيرهم على هذا الامر فيشفقون عليهم ، وعلى الكاتب ، باسمين . . .

وما قولكم في كاتبة غربية تهبط الشرق لمحة من الزمن ، فتتنقل في مدنه الكبيرة ، ثم ترجع عادةً نفسها من كبار علماء المشرقيات ، فتكتب وتكتب ولا تملّ ، عن الشرق ، وامراء الشرق ، وتاريخ الشرق ايضاً ، فتجد مستندات قيّمة لم يعرفها احد من المؤرّخين ، وترى في شاعر الفرس سعدي ضحية للصليبيين يمنعونه ارتياد مكتبة طرابلس الضخمة ! ويحكمون عليه السنين الطوال بالاشغال الشاقّة في بناء قلعتهم ! ! !

. . .

وقس على ذلك اكثر ما كتبه ويكتبه زائرو الشرق حتى اصبحنا نقف موقف الريبة والشكّ ازاء كل كتاب جديد عن بلادنا . اللهمّ عدا ما يكتبه المستشرقون الحقيقيون ، ومن قضوا الشطر الاوفر من حياتهم العلمية ما بيننا ، فعرفوا ما نعرف ، وزادوا عليه تجرّدهم ، فحكموا بما لا نقدر عليه . فاكبرنا اختبارهم واعتبرنا احكامهم ، وسخروا معنا من مدعيّ المعرفة بالشرق .

مجلة المجلات

بين المعرّي والخيام – الادب وخلوده –
المدينة والتجارة المصرية

بين المعري والخيام

نشرنا سابقاً في المشرق (٢٦ [١٩٢٨] ٤٤١–٤٥٠) مقابلة بين المعرّي والخيام قارنّا فيها بين آراء الشاعرين في فكرة الموت وما وراءه من مصير الارواح ومآل الاجسام. ثم أنشأنا، في الصيف الماضي، بلقاء احد كبار الخيّاميين في الشرق، الاديب العراقي المعروف، الاستاذ احمد حامد الصرّاف، فاكبرنا جهوده المتواصلة في درس الخيّام، واطلاعه الواسع على آثاره، وتنقيبه عمّا ثبت له من الرباعيات وما اضيف اليه، واخذه في الابحاث بناحية من المقابلة والموازنة تكمّل الدروس الادبية الحقة. وقد اطلعنا له مؤخّراً، في مجلة المجمع العلمي العربي (الجزء ٩ من السنة ١٩٣٠) على «مقارنة بين المعرّي والخيّام» قابل فيها بين اخلاق الشاعرين، ومحيطيهما، ومعتقداتهما المختلفة، فاتت بعض اقسامها خير تتمة لدرسنا السابق، اذ حصرنا كلامنا عن فكرة الموت وما بعده عند الشاعرين المذكورين، وها انا نورد ما قاله الاستاذ في اتفاق اخلاق مفكرينا ومحيطيهما:

ان من غريب الاتفاق ان يكون الحكيمان متماثلين في الاخلاق فكلاهما كان منقبض النفس ضيق الصدر منزوياً عن الناس زاهداً فيما بايديهم ماقتاً لهم مستهزئاً بهم مستخفاً بعقائدهم ومبادئهم وكلاهما مبغض للدنيا متطال لامور غامضة أجل شأناً واعظم قدراً من حطامها وكلاهما متطلع تائق الى اسرار الحياة معنى بها، وكلاهما ابي النفس صادق القول مطلق الرأي جري على البوح بمذهبه، الا فترات كانا كلاهما يراعي فيها خواطر الناس خشية الاذى والضرر. وكلاهما فقير لم يملك شيئاً من حطام الدنيا، ولو ارادا لنالا وفراً وذهباً وفضة، وكلاهما عاش عزباً لم يتزوج وكلاهما نشأ في عصر حافل بالعلوم والمعارف فانتض

بالآراء الفلسفية ، اذ في عصرهما ظهر مذهب الاسماعيلية والباطنية وفي عصرهما اجتمع اخوان الصفا خفيـة وابرزوا رسائلهم الشهيرة . واقوال الفيلسوفين على تقارب في العلوم والمعارف . اما تآليفهما فقليلة ايضاً وأما السياسة في زمانهما فتشابهة فقد كانت نار الفتنة مشتعلة في سورية في عصر المعري . واما فارس فقد كانت رحى الحرب فيها دائرة كل المدة التي عاش فيها الخيام فانـه نشأ في اكناف الدولة السلجوقية التركية التي قامت مقام الدولة الغزنوية ولم تقم تلك الدولة الا بالسيف وكان الخيام يشهد ذلك وقد اتسع سلطان هذه الحكومة في ايام ملكشاه (٤٦٥–٤٨٥) الذي كان يجل عمر الخيام اجلالاً عظيماً حتى عهد اليه بناء الرصد وترتيب الزيج . وفي عهده اسس زميله وشريكه في الدرس «حسن الصباح» مذهب الباطنية وفي ايامه ارتكب الباطنية المنكرات والموبقات وفيها قتيل زميله وشريكه الآخر «نظام الملك» بطعنة باطني .

ثم يشير الكاتب الى ان كلاً من الشاعرين «اتهم بضعف الايمان ، والمروق من الشريعة ، ووسم بالتعبير الذي كان شائعاً في ذلك العصر وهو «الزندقة» ، ذلك الجرم الذي ما ألصق باحد الا كان جزاؤه الموت . » وهـذه التهمة نتيجة لازمة لمشابهة الشيخين في افكارهما الشكوكية الحائمة حول الايمان بالبعث وانكاره . ويرى الاستاذ «ان كلا الحكيمين كان منكراً للبعث غير معتقد بحشر الاجسام وخلود الارواح ، واما الابيات التي نظمها الشيخان في اثبات البعث فقد نظماها تقية وخوفاً من الناس وسخط الجمهور عليهما . » قلنا : ولعل تلك الحالة النفسية التي كانت تدفع الشيخين الى نظم الابيات في الايمان والتي نسبها الاستاذ الى التقية ومداراة الجمهور ، قد تكون نتيجة الشك المستحكم في شخصية الحكيمين ، ولا يخفى ان الشك ليس بالحالة الدائمة الى الاطمئنان ، بل هو لا يزال يدفع صاحبه من تردد الى تردد ، ويتخطى به من حيرة الى حيرة ، ويحوك حوله من كثافات ظلام التشاؤم – وهي حالة الشيخين كما بيّنه الاستاذ – حتى يفضي به الى قلق مؤلم يحمله على الشك في ايمان معاصريه شكاً فعالاً لا يلبث ان يتلو ، اذا ما تأثر بعوامل جديدة ، الى شك جديد في شكه ذاك ، فيرجع الى ايمانه السابق او الى ما جاوره ، فيسكن هنيهة يعود بعدها الى نقطته الاولى . . . وهكذا دواليك . . . ولعل ما نراه من مظاهر الايمان في ابيات الشيخين وليد هذه اللمحات السريعة من نور الاعتقاد في ظلام الشك .

هذا وبعد ان يتكلم الاستاذ عن تأثير التشاؤم في آراء الشيخين يستنتج «ان كلا الحكيمين اتفقا على ان الحياة خطب وبلاء ، فقد اتحدا واتفقا على تشخيص الداء الا انهما اختلفا في الدواء . فبينا كان الخيام يرى دواءه الوحيد في الخمرة ، كان المعري يلتمسه في الموت :

كان عمر الخيام يرى ان الوسيلة الوحيدة الى النجاة من آلام الحياة السلافة. وكان المعري يرى ان المنية هي الوسيلة الى ذلك . وقد وصف الخيام الخمر بما وصف به ابو العلاء الموت. وفي طاقتنا ان ندعي ان نفس المعاني التي ذكرها المعري في الموت جعلها الخيام في الخمر. فقد ذهب في المغالاة بمدحها ، والاسراف في حبها ، والولوع بها ، وحثّ الناس على شربها ، ما جعل بعض الباحثين ان يُسيئوا به الظنونَ ويعتبروا اقواله ضرباً من الجنون ونزعة من السفه. وقد ذهب الخيام في الخمرة مذهب اكثر الشعراء والحكماء الذين كانوا يرون ان فيها راحة للنفوس وتسكيناً للاوجاع وتخفيفاً للآلام والاكدار.

وتدل رباعياته على انه لم يشرب لمجرد اللهو والعبث . وانما اتخذها دواء كما يتخذ المريض الدواء لمرضه. وانه كان يرى ان السلافة هي الوسيلة الوحيدة الى تبديد الهموم وتفريج الكروب عن الصدر فمن ذلك قوله ما معناه :

«ليس شرب الخمرة من اجل الطرب والفساد وترك الدين والأدب. انما أريد ان انفس الصداء وانا ذاهل عن نفسي فشربي الخمرة وسكري لهذا السبب.»

«بين مجيء الربيع وذهابه تطوى اوراق وجودنا . اشرب الخمرة ولا تتألم فقد قال الحكيم ان آلام الحياة سم ودرياقها الخمر.»

وقد ظن بعض الباحثين ان السلافة التي يتغنى بها الخيام في رباعياته هي «سلافة الحب» او «خمرة الحقيقة» او «السكر المقدس» وهي الخمرة الخيالية التي ينشدها شعراء الصوفية في قصائدهم مثل ابن الفارض وجلال الدين الرومي وغيرهم ، وفي الحقيقة ان هذا الظن باطل غير صحيح ؛ فان عمر الخيام لم يتغزل بخمرة وهمية وانما تغزل بالمشعشعة الحمراء بنت الكروم لابادة الالم الرابض في صدره والرباعيتان اللتان تقدم ذكرهما كافيتان في دحض هذا الزعم.

اما شيخ المعرة فقد خالف صاحبه في هذا المعنى واكثر من ذم الخمرة وقبحها وندد بشاربيها وزعم انها سالبة العقول هاتكة الوقار مفرقة الاحباب ، وقد اجبز على السلافة في لزومياته فمن ذلك قوله :

وحاذر من الصهباء ، فهي عدوة من الصهب مشت في مفاصلك السكرا

. . .

البابلية باب كل بلية ، فتوقينّ هجوم ذاك الباب !

جرّت ملاحاة الصديق وهجره ، واذى الندم ، وفرقة الاحباب ،
ام الحباب ، وان أميت لبيها بمزاجها ، وافت كأم حباب ،
هتكت حجاب المحصنات، وجشمت مهن العيد تخمّ الارباب ؛
وتوهّم الشيب المدالف انهم لبسوا ، على كبر ، برود شباب ؛
واذا تأملت الحوادث ألفيت صعب الدنان اخادي الالباب.

. . .

قلنا غير مرة ان الخيام والمعري كانا يريان الحياة خطباً وشراً يجب التخلص منها اما الخيام فقد رأى ان احسن وسيلة تنجيه منها هي «الخمرة» واما المعري فقد ذمها وكان يرى ان الموت هو الدواء الشافي ، وكان يتطلب الفرج على يد المنية وقد تمناها في كثير من شعره فمن قوله :

اما حياتي فالي عندها فرج قليت شعري عن موتي اذا قدما !
صحبت عيشاً أعانيه ويتلبني ، مثل الوليد يقود المصعب الدما
وقد مللت زماناً شرّه لحب اذا دنا لحبوّ ، عاد فاحتدما ،
من باغني بحياتي ميتة سرحا بايعته : وامان الله من ندما !

. . .

ربّ متى ارحل عن هذه الدنيا ، فاني قد اطلت المقام ،
لم ادر ما نجمي ، ولكنه في النحس مذ كان جرى واستقام
فلا صديقي يترجى يدي ولا عدوي يتخشى انتقام ،
والعيش سقم المفتى منصب ، والموت يأتي بشفاء السقام .
والترب مثواي ومثواهم وما رأينا احداً منه قام.

ثم يختم بمقابلة في مصير الاجسام بعد الموت على نحو ما ذكرناه في مقالنا السابق.

الادب وخلوده

قابل احد كتاب الانكليز شاعر الهند الأشهر ، رابندرناث طاغور ، فحادثه عن «الادب والحياة» حديثاً نقله الكاتب الى مجلة «المقتطف» وفيه آراء في خلود الادب وبعض عوامل الشهرة الادبية لا تخلو من فائدة ، منها قوله (جزء تشرين الثاني ، ص ٣٢٧) :

قال : كيف نستطيع ان نحكم على بيان عصرنا لمعرفة الآثار التي تنعم بنعمة الخلود ؟ ان بيان كل عصر هو نتيجة عوامل واحوال مهدت له السبيل في عصور سابقة ، وهو بدوره يمهد السبيل لبيان جديد في عصر تالٍ. فلا بد لنا من موضع للنظر المشارف لنستطيع الحكم على الانسان وأسلوبه في الافصاح عن نفسيته . والمسافة في الزمان والمكان لا مندوحة عنها لهذا الحكم لان

القرب يحير البصر لكثرة ما نراه من الدقائق فيمتنع علينا النظر الشامل وتتعذر رؤية الكل كلًا لا اجزاء من كلّ .

سألني كثيرون عن احب الشعراء اليَّ واي رجل اعظم الرجال في نظري . اننا لا نستطيع ان نحصر التفوّق في شخص واحد لكثرة المتفوّقين . تلقيت علومي في العصر الفيكتوري فانا اجيد لغته وافهم ادبه ولكنني لا استطيع ان افهم تعبيرات الادباء المحدثين . قد تكون هذه التعبيرات غاية في الابداع وقد تنطوي على صفات تضمن لها الخلود كالصفات التي تمتاز بها اشعار شلي وكيتس[1] ولكنني لا افهمها .

ان لغة كل امة كالامة ذاتها . فاما ان تتقدم واما ان تموت . انها لا تستطيع ان تجمد في مكانها . فالانكليز لا يتكلمون بلغة تشوسر[2] الآن . ولو اتيح لتشوسر ان يطلع على اسلوب الكتابة في العصر الاليصاباتي — عصر شكسبير وفرنسيس باكون — لحسبه وطانة محدثة . هكذا ينظر ادباء العصر الفكتوري الى اساليب الادب الحديثة .

وفي لغة كل شعب تتردد اصداء الزمان ! لقد انقضى عهد التجوال الشعري في الريف والطمأنينة في البعد عن المدن . ونحن الآن في غمار عهد لطنين السندان واصطخاب الآلات اعظم شأن . فالنغمات المتسقة الغنائية التي كنا ننشدها في امسنا الغابر قد انقضى عهدها وحلّت محلها العبارات المقتضبة والشعر المطلق في يومنا هذا القلق المضطرب . وليس هذا بالامر الذي يؤسف له . فكل فترة يزكو فيها الانتاج العقلي والفني تعقبها فترة راحة تخلد فيها النفس الى السكينة تستجمع قواها فاذا بدأت فترة الانتاج التالية اتصلت اساليبها بالعنف وبالرجوع الى السذاجة مسترحية دوافع البشر الاولية في الخلق والابداع .

. . .

كلما تقدمنا في السن قويت بصيرتنا الروحية فنستطيع ان ننظر الى الاشياء نظرًا مشارفاً فنفهم عللها . فيحملنا ذلك على تفضيل ايام حداثتنا الزاهية على

---

١) شلي وكيتس شاعران انكليزيان من اكبر شعراء القرن التاسع عشر

٢) شاعر انكليزي من القرن الرابع عشر

ايام كهولتنا او شيخوختنا التي نعاني اعباءها فنشير الى ايام الشباب متحسرين : كان زمن الشباب كذا وكذا . والواقع ان الحال لم تسُء والايام الماضية لا تفضل الايام الحاضرة حكمة وسعادة وانما بعدنا عنها يمكننا رؤية اثرها رؤية مجملة شاملة . وهذا ما لا نستطيع ان نفعله في ايامنا هذه لاننا ما زلنا فيها . ان رسم الحائك لايرى الا متى تمت حياكة الثوب.

ويغلب ان تكون الشهرة نتيجة الفرصة السانحة وكثيراً ما تشبهها في مداها ا ف. ا. ب.

المدينة والتجارة المصرية

اهدت الينا مصلحة التجارة والصناعة «صحيفتها» وهي عبارة عن نشرة شهرية ضخمة ، قطعها كبير ، وعدد صفحاتها ١٢٠ . دخلت في سنتها السادسة ، وفيها المواضيع الواسعة الشاملة التجارة والصناعة والاقتصاد مع تقارير قنصليات المملكة المصرية وغير ذلك من الفوائد والروائع . واليك نبذة من مقال على التجارة المصرية في المدينة (يوليه ١٩٣٠ ، وجه ٦٧) والمقال مقتطف من تقرير قنصل مصر في جدة بعد زيارته المدينة يرمي فيه صاحبه الى دعوة مواطنيه الى انشاء معرض مصري في الحجاز لنشر المصنوعات التجارية فيها ، ولترغيب الحجاج بالتعريج على مصر في عودتهم . ولبست الفكرة بعيدة التحقيق لان البلاد المتنائية تقاربت بوسائل النقل العصرية:

بينا ان المدينة المنوّرة تعتمد في تجارتها ووارداتها على ما يأتي اليها من الخارج كما بينا ان ليس بها صناعات مطلقاً وأن ما بها من الزراعة لا يكفي الا للاستهلاك المحلي ولا يمكن للمدينة الاعتماد على محصول زراعة القمح ولذا تراها في حاجة دائمة الى القمح لاستهلاكه وتصديره الى نجد . كما ان العدس والشعير المصري يمكن ان يروجا كثيراً في المدينة لو خفضت أسعارهما في مبدأ الامر والبطاطس يعتبر مأكول الطبقة الراقية ولكن أثمانه مرتفعة جداً اذ تباع الاقة باكثر من ستة قروش صاغ مصرية ولا يوجد في اغلب الاحيان الا عند بعض التجار فلو ان التجار المصريين عنوا بتوريد البطاطس باثمان معقولة لامكن كسب السوق وتوزيع كميات كبيرة من هذا المحصول لانه من المحقق أنه اذا رخصت الاسعار أقبل الاهلون على شرائه لما فيه من المادة المغذية.

الصابون — يكثر استعماله في المدينة خصوصاً في زمن الصيف وهو شائع بين جميع الطبقات والصابون المصري نافق السوق ولقد سمعت من الكثير الثناء

عليه وبخاصة المصنوع منه في فاوريقة احـد الوطنيين بالاسكندرية . ويسرني ان اعلن ان الصابون المصري امكنه في المدينة بفضل اتقان صنع الفاوريقـة المشار اليها ان يزاحم انواع الصابون الاجنبي.

السجاير المصرية — تروج في المدينـة كثيراً ويقبل الاهـالي على شراء الرخيص منها ومن المحقق كسب السوق للسجاير المصرية لان السكان يدخن اغلبهم ويستهلك مقداراً عظيماً منه اما التنباك فعليه إقبال كبير.

الغاز والبترين — مقطوعيتهما كبيرة في المدينة وهي التي تقوم بتوريدهما الى داخل نجد وفي بعض الاحيان يندر البترين في المدينـة الى حد انـه تطلب الصفيحة منه باي ثمن وقد رأيتها تباع بـ ٨٠ قرشاً مصرياً على ان يكون المشتري معروفاً وموصى عليه عند التاجر وهذا يرجع الى ندرة المعروض.

وفي ميسور المصريين ان يجعلوا المدينة مركزاً لتوزيع البترين خصوصاً في زمن الحج فوجود مستودع للبترين فيها وتحديد اثمان معتدلة له يجعل الاقبـال عليه شديداً ويزيد في مقطوعيته.

الروائح العطرية — للروائح العطرية اهمية كبيرة في المدينـة ولاسيما في زمن الحج فالتطيب من السنن ولكن اغلبها يـأتي من الخارج ويفضل التجار المصنوع منها بمصر.

المنسوجات القطنية والصوفية والكتانية والحريرية — لا غنى للأهالي عنهـا ومعظمها يأتي من سورية ومن الثابت أن مصر تستطيع المزاحمة في هذا الميدان على شرط ان يكون الثمن معتـدلاً الى حـد يجب الى المستهلك الشراء - ومقطوعية المنسوجات بانواعها كبيرة جداً اذا اعتبرنا ان المدينة هي سوق نجد في اغلب الاحيـان ومعظم العربان يلبسون البفتـة السمراء ونساؤهم يلبسن الجلابيب السوداء والملاءات السوداء والزرقاء القاتمة.

الحلويات — لها مقطوعية كبيرة بالمدينة وهي تأتي من مصر . وجملة القول ان في استطاعـة التاجر والصانع المصريين ان يكسبا سوق المدينة واسواق الحجـاز الاخرى اكثر من غيرهما . والتاجر يستطيع ان يرسل بضاعته من ينبع الى المدينة على السيارت في ٦ ساعات.

ف . ت.

شذرات

عادات الاردنيين في الامراض

كتب مراسل البشير من شرقي الاردن (١٥ تشرين الثاني ١٩٣٠) :

العادات السائدة هنا في الامراض ان يعدّ فراش المريض في زاوية من زوايا البيت ، الذي لا منافذ له ، ولا اثر فيه للمقتضيات الصحية ، فيجتمع حوله من الاقارب والاصدقاء والزائرين حشد غفير يسهلون له الشفاء وراحة الضمير والتذكارات الحسنة ، او يرشدونه الى ملاقاة ربه ، ان كان قد قارب الدنف . ومتى اشتد مرضه ، يحدّثونه عن شقاء زوجته واولاده بعد موته ، وعما يحصل من الخصومة بسبب ميراثه بين اقاربه . ثم يصطفون حلقة حول فراشه يدخنون التبغ ، فتضيق انفاسه ، ويشتدّ مرضه ، ولا يجد له فرجاً الّا اذا حضر الخوري او الطبيب ، ويرى اذ ذاك ان لا خلاص له ، فيخلد الى السكون العميق ، فيضيّقون الحلقة عليه ، ويأخذون بالصراخ والصياح والبكاء والعويل وهو ينظر بعينيه ولا يتمكن من التكلم ، فيقرّبون بذلك احتضاره ، ان كان بعيدًا ؛ واذا اطال النزاع ، يولولون ويصرخون الى ان يصرعوه . ومتى ضجروا من انتظار حتفه ، « يقيمون المخدة » من تحت راسه حتى تسقط رقبته فيفارق الحياة . ورفع المخدّة مجرّب ، وكلهم يعرفونه . ويزعمون انهم يريحون به المنازع من العناء بتقريب موته .

وبعد ان يموت المنازع ، يخرجونه الى باحة البيت لكي تبرد عضلاته عاجلًا ثم يجري دفنه بسرعة . واكثرهم يدفنون موتاهم بعد وفاتهم بثلاث ساعات ، وغيرهم بساعتين . وقبل ان يبرد الجسم يكون صاحبه مدفوناً في القبر .

وقد وجد في المقابر بعض جثث دلّ ظاهرها على انها دُفنت في حالة الاغماء ، كأن يُرى الجسم مقلوباً من وضعه المعروف ، مما افاد انتباه المدفون بعد دفنه . ولعمري ليس من امر افظع من دفن المرء وهو في حال الغيبوبة ،

حتى اذا انتبه في القبر ، مات ميتة لم يسمع باهول منهـا . فعسى ان تنتبه الحكومة الى هذا الامر ، وتضع قانوناً بان لا يدفن الميت الا بعد مرور اربع وعشرين ساعة على وفاته . ونطلب من ابناء هذه البلاد ان لا يفعلوا عند عيادة المريض ما يقرب اليه حتفه ، والسلام.

التذكار المئوي لظهور الايقونة العجائبية

احتفل حضرة الآباء اللعازريين في ٢٥ و ٢٦ و ٢٧ الفائت بحفلات دينية باهرة بمناسبة مرور مائة سنة على ظهور السيدة العذراء بشكل الايقونة العجائبية للمكرمة كاترين لابوره (Labouré) ، راهبة المحبة . وقد جرى هذا الحادث العجيب في باريس ، يوم السبت الواقع في ٢٧ تشرين الثاني سنة ١٨٣٠ ، الساعة الخامسة والنصف مساء . فبينما كانت الراهبة المذكورة في الكنيسة تقوم بفرض تأملها ، شعرت بظهور السيدة العذراء بثوب ناصع البياض ، وقد بسطت يديها فامتدتا باشعة النور الساطع الى الكرة الواقفة عليها . وقد احاط بها اطار من النور على شكل اهليلجي مكتوبة عليه هذه الكلمات باحرف ذهبية : «يا مريم البريئة من الخطيئة الاصلية ، صلي لاجلنا ، نحن الملتجئين اليك .» ثم انقلبت الصورة فظهر عليها حرف M ، وفوقه صليب ، وتحته قلبا يسوع ومريم. فكان ذلك مثالاً للايقونة التي امر بضربها السيد دي كيلان (de Quélen) رئيس اساقفة باريس ، حسب اشارة الاخت لابوره المعبرة عن امر البتول مريم . وقد كثرت العجائب بفضل هذه الايقونة حتى اشتهرت في جميع انحاء الارض ، وعرفت «بالايقونة العجائبية.»

حياة محمد في السينما وآي القرآن في التوغراف

طالما رغبت بعض الشركات السينمائية من اوربية واميركية ان تخص نبي الاسلام باحد الافلام فتمثل حياته ومآتيه ، فكانت تصادف الاعراض والاشمئزاز في الاوساط الاسلامية والمقاومة من ائمة المسلمين ، مما كان يثني عزمها . وقد اطلعنا مؤخراً على خبر روته احدى الجرائد الاسبوعية الاسلامية في مصر

بكل تحفظ ومفاده ان جمعية الشبان المسلمين عزمت على اخراج فلم بحياة النبي محمد وتاريخه ، وان الامير عمر طوسون يؤيد الفكرة ويساعدها ماديًا . ثم تخوفت الجريدة من ان اخراج هذا الفلم يشجع الشركات الاجنبية على اقتداء بجمعية الشبان فتخرج افلاماً في الموضوع نفسه قد لا توافق مشيئة المسلمين في اظهار نبيهم .

وقد نقلت جريدة «الصاعقة» المصرية هذا الخبر ، وعلقت عليه بما يلي ، مشيرة ايضاً الى مسألة انشاد آي القرآن بالفنوغراف قالت (عدد ١٩ تشرين الاول ١٩٣٠) :

«وفي انتظار ما تقوله جمعية الشبان المسلمين في هذا الموضوع الخطير ، نقول ان الشكوى من شركة الافلام الاميركية أو غيرها من الشركات لتصديها لتصوير الحوادث الاسلامية واخصها « البعثة المحمدية » راجعة الى ان هذه الشركات لا تؤمن على التصوير والتمثيل ولا تؤمن على افراغ الحوادث بشكل يصونها ويبعدها عن جهل الجاهلين وعبث العابثين ممن لا يعرفون قليلا او كثيراً من اسرار الدين الحنيف .

« فاذا تولت العمل جمعية الشبان المسلمين او غيرها من الجماعات الاسلامية فانها تسير مهتدية برأي اهل العلم وائمة الدين . ولا عيب عليها ولا حرج اذا هي استعانت بفريق من الفنيين الاجانب وعلماء التاريخ منهم الذين قد يعرفون من شؤون تاريخنا المدني والسياسي ما لا نعرفه .

. . .

«وقد تحركت في الايام الاخيرة مسألة ترتيل الفونوغراف لآيات القرآن وهل يجوز إدارة هذه الآلات في كل مكان أو لا يجوز .

«والمسألتان بتّ فيهما منذ زمن بعيد . ومن اراد المزيد فليراجع ما كتبه العلامة الشيخ محمد بخيت في إباحة تدوين آي الذكر الحكيم على أقراص الفنوغراف .

«وأما ترتيل القرآن بالفنوغراف في الشوارع وغيرها من أماكن نجسة فحكمه

حكم منع القراء من التلاوة في هذه الاماكن.

«وكل ما نرجوه ان توضع قواعد صريحة في هذا الموضوع ، فتسجل الآيات الكريمة على صفحات الاقراص وتنشرها في العالم الاسلامي على أهون سبيل.»

شهادة غير مجروحة

قابل موفد جريدة «الكرديو كاتالان» التي تصدر في برشلونة ، من اعمال اسبانية ، الكاتب الانكليزي المدقق شترتون ، وسأله رأيه في موقف الكثلكة في الوقت الحاضر بانكلترة . فاجاب الكاتب :

«لم يسبق للكثلكة في انكلترة ان وصلت الى مثل الازدهار الذي وصلت اليه في الوقت الحاضر.

«لما كنت حدثاً ، كان الكاثوليك قليلي العدد جداً في انكلترة . واذكر ان القرية التي انا منها لم يكن لهم فيها كنيسة ، ولا في القرى المجاورة لها ، القائمة منها على مسافة ٤٠ او ٥٠ كيلومتراً . اما الآن فقد اصبح لهم كنائس جميلة في جميع هذه القرى. ورجال الكنيسة الكاثوليكية في انكلترة يقتدون في عملهم الرسولي ، بلاعبي الشطرنج ؛ فانهم يهاجمون النقاط المركزية ، ولا ينفكون عن محاصرتها من كل جانب ، والتشديد عليها جهد طاقتهم ، الى ان يفتحوها ، وتطلق يدهم فيها للاعمال الخيرية وخدمة النفوس.»

نقص معدل المهاجرة

يُستدلّ من معلومات مفوّضية المرفأ الخاصة أن عدد المهاجرين الى البلاد الاميركية ، هذا العام ، من ابناء البلاد المشمولة بالانتداب ، عن طريق مرفأ بيروت ، بلغ ٣,١٢٥ شخصاً ؛ بينهم زهاء الثلث من الارمن المتجنسين بجنسية هذه البلاد ؛ مقابل ٥,٩٩٠ في المدة نفسها من العام الماضي.

مطبوعات شرقية جديدة

H. Massé : L'Islam. [*Collect. Armand Colin* n° 126] 221 *pp.* 1930. *Prix :* 10 *f* 50, *Paris, A. Colin.*

الإسلام

يسرّنا ان نرحّب بهذا الكتاب وننصح بمطالعته . فان المؤلف متضلّع من موضوعه يبحث فيه بحث العادل المنصف مترفعاً عن النقد المتطرّف والمدح المترلف. وهو ، بعد ان يشرح منشأ الاسلام ويبسط عقائده وشرائعه ، يتطرق الى اتساعه التاريخي فيدرس العصور العربية ، والمغولية ، والفارسية ، والتركية . اما بحثه في الاسلام المعاصر فضئيل ، وكذلك نأخذ عليه جعله المسافة بين مكة والمدينة يومين فقط (ص ٨) وهي اربعة ايام على الاقل ، وقوله عن نصارى الحبش انهم نساطرة (ص ٢٢) وهم يعاقبة ؛ وقد سها باله عن ان السلطان صلاح الدين كردي لا تركي كما قال (ص١٩٠). على انها هنات صغيرة تُصلَح في طبعة جديدة قريبة ان شاء الله. هذا وان مظهر الكتاب الطبعي في غاية الاتقان. ه . ل .

Nathaniel Schmidt : Ibn Khaldun, historian, sociologist and philosopher, *in*-8°, 1930, *Prix* : 2 dollars *New York, Columbia University Press.*

ابن خلدون المؤرخ والعمراني والفيلسوف

هو درس وافر خصّه المؤلف بابن خلدون من الوجهات الثلاث التي ذكرها في عنوانه. ومعلوم ان ابن خلدون بدأ في مقدّمته ما ندعوه اليوم بفلسفة التاريخ سائراً على طريقة قويمة لم يتبعه عليها احد من مؤرخي العرب بعده. اما اخلاقه فلم تكن تضاهي آثاره قيمةً وجودة ، وهو لم يتراجع امام التذلّل لتيمورلنك حارق دمشق. ويختم المؤلف كتابه بلمحة على طبعات المقدّمة المختلفة ، فيتأسف بحقّ على ان القائم بالطبعة البيروتية لم يُشر الى النسخ التي استند اليها . هذا

وقد ذكر في الصفحة ٧ المستشرق الفرنسوي هوار فستاه كلود والصواب كليان. ه. ل.

Dr Rudolf Tschudi : Von alten osmanischen Reich. [*Philosophie u. Geschichte* N° 25]. 28 *pp. in*-8°. *M.* 1,80. 1930. *J. C. B. Mohr* (*Paul Siebeck*) *Tübingen.*

المملكة العثمانية القديمة

لقد لخص مؤلف هذه المحاضرة ، وهو استاذ في جامعة بال (سويسرة) ، بطريقة عجيبة اسباب رقي الامبراطورية العثمانية وانحطاطها. فبدا تلخيصه كصورة أخذت من طيارة ، كما يقال اليوم. والمحاضر يلقي اثناء سيره السريع ، بعض الآراء والملاحظات الطريفة القيمة ، منها ما يشرح به انخذال محمد الفاتح ، امام تشبث الائمة الفقهاء ، وانصرافه ، على الرغم منه ، عن الاضطلاع بالمدنية الاوربية. ه. ل.

Mr R. L. Devonshire : Eighty Mosques and other islamic monuments in Cairo. *English edition revised and enlarged. Prix :* 12 *fs. Paris, Maisonneuve frères*, 1930.

الجوامع وسائر الآثار الاسلامية في مصر

دليل صغير يفيد المسافر المسرع فيدله على اشهر الجوامع في القاهرة ويفيده عنها بعض معلومات مرتبة حسب تاريخ انشائها ، مع صور غاية في الاتقان. ه. ل.

Islamica, *vol. IV, fasc.* 3 (1930). *Leipzig. Verlag von der Asia Major.*

الجزء الثالث من مجلة «اسلاميكا» لسنة ١٩٣٠

نشير ، في هذا الجزء ، الى تتمة التقرير عن الدروس العربية في روسية. وفيه يعجب المطالع بالجهود العلمية التي يبذلها الاستاذ كراتشقوفسكي ، فيأسف لان كثيراً من هذه الآثار النفيسة تظهر في لغة قليلة الانتشار بين العلماء كاللغة الروسية. ه. ل.

Mgr Tissier, *évêque de Châlons :* Les puissances morales et surnaturelles des femmes. *in*-12, 208 *pp*: *Prix:* 9/. *Paris, P. Téqui.*

مواهب النساء الاخلاقية والفائقة الطبيعية

لقد كتب المطران تيسيه عن المرأة ومن اجلها عدة مؤلفات تلقتها الشعب الفرنسوي بكل ارتياح . وهذا آخرها يتوسع فيه الكاتب بالقوى العديدة الكامنة في «الجنس اللطيف».

وان القوى الحقيقية في العالم المسيحي ليست الطبيعية ؛ وليست القوى العقلية اشهرها في محيط الاخلاق والفضائل ، ولا القوى الارادية المحضة . بل هناك قوى القلب الوضيعة الكامنة ، ومرجعها الى الفضيلة عامّة (وهو موضوع المحاضرة الثانية من الكتاب) وخاصّة الايمان (المحاضرة الثالثة) ، والاخلاص (المحاضرة الاولى) ، واللطف (المحاضرة الخامسة) ، والمحبة . (المحاضرة السادسة) . وان هذه القوى تنتشر حتى وسط الآلام (المحاضرة الرابعة) ، والتضحية (المحاضرة الثامنة) . اما محيط تطبيقها الاوفق فهو تربية الاولاد (المحاضرة السابعة) . فتنصح لنساء هذه البلاد ، ولنساء فرنسة ، اذا اردنَ الحصول على هذه القوى المهمة والطموح الى استعمالها ، ان يلجأن الى كتاب المطران تيسيه فيجدن فيه الدليل العارف والرفيق اللطيف. ف . س .

René Tresse : L'irrigation dans la Ghouta de Damas. [*Extrait de la Revue des Etudes islamiques*, 1929] *Paris, Librairie Paul Geuthner.*

الريّ في غوطة دمشق

هذا مثال لما يصدر من نوعه من الابحاث التي نودّها كثيرة متنوّعة المواضيع ، وهي افضل طريقة لتعريف حالة البلاد اذ يتخذ فيها المؤلف نقطة خاصة فيدرسها وفي درسه لها يشرح طائفة من النقاط الجغرافية والتاريخية والاجتماعية : هذا ولا يخفى ان نهر بردى ، الذي لا يصبّ في بحر ، هو السبب الجوهري في وجود دمشق وازدهار غوطتها ؛ ولهذا نرى مياهه قد قُسمت في كل عصر على طريقة تضمن مصالح جميع المشتركين في الانتفاع منها ، وهي وسيلتهم الوحيدة

في محاربة عوامل الجفاف والجدب. وان هذه الطريقة في تقسيم المياه هي موضوع المؤلف الذي يدرس تنظيم الريّ وما يتعلق به من ترتيب الاقنية ، وكمية المياه الموزّعة وكيفية قياسها ، وتنظيم الجمعيات او المؤسسات للمحافظة على الاقنية واصلاحها ؛ ثم يبحث في حالة الاملاك الاميرية ، واملاك الافراد ، والحقوق التقليدية والمكتوبة ، والعادات ، وتوزيع المياه في المدينة ، واستعمالها ، ومستقبل هذا التنظيم. ويختم كتابه بسلسلة الوثائق التي استند اليها. ج.ل.

Paul Baurain : Alep, autrefois, aujourd'hui ; ***accompagné d'un plan touristique de la ville, illustrations hors texte. in-12, 368 pp. Prix : sur papier ordinaire : 20f ; sur papier glacé : 40f. Alep, Librairie Castoun,*** 1930.

حلب بالامس واليوم

اقام المؤلف مدة في حلب ، فشغف بها ، فاراد ان يشغف بها غيره من الاجانب ، فكتب هذا الكتاب ذاكراً فيه كل ما يحبّب المدينة وسكانها ، قاسماً ابحاثه الى اقسام الاول تاريخي يتتبع فيه مصير المدينة في خلال العصور. والثاني يختص بسكان المدينة وادبائهم . والثالث بالمدينة نفسها . وفيه الشروح عن مواردها ، والحياة الاجتماعية فيها ، والحياة العيلية. وفي الكتاب ٢٠ صورة مطبوعة على حدة . فنتمنى له الرواج ، كما نتمنى ان نرى مثله لاشهر مدن سورية ولبنان. ج.ل.

Annuario della Reale Accademia d'Italia. I. 1929 - VII. *in-8°. 404 pp. Roma,* 1930. *Prix : L.* 25.

تقويم الاكادمية الملكية الايطالية

علم قراؤنا ان الاكادمية الملكية الايطالية حديثة النشأة (٢٨ تشرين الاول ١٩٢٩) وهذا التقويم هو اول منشوراتها من نوعه . وهو يحتوي على دستورها ، وسائر المعلومات المفيدة عنها كاسماء اعضائها وبعض التراجم ، وكثير من الصور لمختلف ردهات قصر فارنيزينا (*Farnesina*) الذي اصبح مركز الاكادمية المذكورة . كل ذلك في مظهر طبعي شائق.

Dr Aug. Vallet : Guérisons de Lourdes en 1927-28-29. *in-12, 320 pp. Prix : 10f. Paris, Librairie Téqui.*

أشفية لورد في السنوات ١٩٢٧ و ١٩٢٨ و ١٩٢٩

مؤلف الكتاب رئيس مكتب التحقيقات الطبية في لورد ، وهو يدرس في مؤلفه الجديد اشهر الاشفية العجائبية التي حدثت في السنوات الثلاث الاخيرة ، وعددها ٢٢ . وقد قدّم على ذلك مقدّمة مهمّة في فصلين : ذكر في الاول منها الحركة الدينية في لورد واتساعها وازدياد مظاهر التقوى فيها ، وفي الثاني صفات الشفاء العجائبي في لورد ومنها : خلوّ الواسطة او العلاج ، والحالية ، والغاء طور النقاهة ، واختلاف الطرق الشفائية ، واعادة الوظيفة الحيوية دون الجهاز .

ج . ل .

L. Bordes : Œuvres Choisies des grands artistes. Le XIXe siècle. *in-8° illustré. Paris, De Gigord.*

منتخبات من آثار كبار الفنّانين : القرن التاسع عشر

يختص هذا الجزء بالقرن التاسع عشر ، وهو مكتوب لطلّاب الصف الاول من التعليم الثنوي . وقد سار فيه صاحبه على طريقته في الجزئين السابقين : فأورد ترجمة مختصرة جامعة لكل مؤلف ، ثم ذكر منتخبات من افضل اقواله وادلّها على شخصيته ، مع شرح بعضها والتعليق عليها . فاتى عمله مفيدًا ليس فقط للطلاب والاساتذة ، بل لجميع المتأدّبين .

ج . ل .

Bréviaire médical à l'usage des missionnaires et des coloniaux, *publié par un groupe de professeurs de la Faculté libre de Médecine de Lille. in-8° de 751 pp., 260 figures et 4 planches hors texte en couleurs. Prix : 80fs 1930. Paris, Vigot Frères.*

مختصر طبي لخدمة المرسلين والمقيمين بالمستعمرات

نشأت فكرة هذا التأليف في المعرض الطبي الفاتيكاني المقام سنة ١٩٢٥ ، وقد اخذت جامعة ليل الكاثوليكية على نفسها ان تقوم بمادّته فجمعت فيه ما القته في تعليمها الطبي للمرسلين ومساعديهم ، واخرجت دليلًا مفيدًا يؤلفه

اختصاصيون بوادّه لخدمة غير الاطباء ، خدمة عمليّة في الوقاية والمعالجة . وقد قُسم الى تسعة اجزاء بُحث فيها في التشريح ، والتضميد ، والتشخيص الجراحي ، وبعض العمليات الجراحية البسيطة ، ومعلومات عامة في الطب ، وفي الامراض الخاصة بالمستعمرات ، وطرق علاجها ، ومبادئ عملية في الصحة ، وفي امراض العيون.

ج . ل .

Le Diwân de 'Orwa ben el-Ward, *traduit et annoté par* René Basset. [*Publications de la Faculté des Lettres d'Alger.*] *Paris. P. Geuthner*, 1928 — *in-8° de 75 pp.*

ترجمة فرنسوية لديوان عروة بن الورد

هو من آخر آثار المستشرق الفرنسوي المعروف المرحوم رينه باسّه ، عرض فيه لعروة بن الورد فأشار اولًا الى طبعات ديوانه ومآخذ اخباره ، ثم اورد ترجمة حياته مترجمةً عن كتاب الاغاني ، ثم نشر ترجمة فرنسوية لثلاث وثلاثين قطعة من شعر ذاك البطل الجاهلي ، مستندًا فيها الى طبعات نولدكه ، وشيخو ، وخمسة دواوين العرب ، ملحقًا بها بعض الشروح والملاحظات . وقد اضاف اليها عشرين قطعة اخرى بعضها لا يتجاوز البيت الواحد ، ولم ترد في الديوان ، بل وقف عليها في المعاجم وكتب المحاضرات وغيرها من الآثار الادبية ، فنشرها بنصّها العربي مشيرًا الى المصادر ، وبترجمتها . وان من هذه القطع ما هو ركيك مضطرب لا تصحّ نسبته الى العصر الجاهلي ، فضلًا عن ان يُنسب الى عروة ، كالقطعة العاشرة (ص ٦١) التي اخذها المؤلف عن مجاني الادب (الجزء ٤ : ١٨٩) ، ومصدرها الاصلي انما هو « سيرة عنتر » ، وهي الى نظام عصر الانحطاط اقرب منها الى عروة . اما الترجمة فهي صحيحة جميلة بالاجمال الّا في مواقع قليلة يُسيء فيها المترجم قراءة النصّ فيفسد عليه المعنى ، كما نرى في الصفحة ٧٢ حيث عرض للبيت :

لو كانت الريح حقًّا تحمل المبرا حملتُ ريح الصبا « انفاسنا » سحرا

فخال « الانفاس » جمع نَفَس ، وهي جمع نَفَس بالتحريك ، كما لا يخفى ، فترجم :

«Si réellement le vent portait des messages, je chargerais la brise de *nous porter* au point du jour »

وكان حقّه ان يقول: «*de porter nos soupirs*». على ان هذه الشوائب الطفيفة لا تكاد تُذكر بجنب ما للمؤلف من فضل في البحث والتنقيب والنشر في سبيل الآداب العربية. ف. ا. ب.

Das Kitâb 'agâ'ib al-akâlîm des Suhrab. *Herausgegeben nach dem handschriftlichen Unikum des Britischen Museums in London.* 1930. *R. M.* 28. [*Bibliothek arabischer Historiker u. Geographen fünfter Band.*] *von Hans* v. Mzik. *Arabischer Text. Leipzig, Otto Harrassowitz.*

كتاب عجائب الاقاليم لسهراب

هو المجلد الخامس من «مجموعة مؤرّخي العرب وجغرافيهم». وقد طبع النص حسب المخطوطة الوحيدة الموجودة في المتحف البريطاني بلوندرة. اما سهراب فلا نعرف عنهُ شيئاً، واما عنوان الكتاب «عجائب الاقاليم» الذي قد يضلّ المطالع فهو العنوان المذكور في المخطوطة، ولهذا احتفظ به حضرة الناشر. والكتاب رسالة في خطوط الطول والعرض الخاصّة بمختلف المواقع الجغرافية في العالم. وهو الموضوع نفسه الذي كان قد خاض فيه الخوارزمي في مؤلفه «صورة الارض»، وقد استفاد منه سهراب فوائد عديدة، ويلزم اصلاح بعض الارقام التي نقلها بتسرّع نساخ المخطوطة. كما انه يجب ان نقرأ في الصفحة ١١٦ (سطر ١٠) «شراة» بدل سراة. هذا وان طابع الكتاب يستحق كل الثناء لما قاساه من الجهود في فهم هذه المخطوطة العويصة الخط المحتوية في اكثرها على ارقام واسماء اعلام تخلو غالباً من الاعجام الضروري. ه. ل.

كتاب خطط الشام: الجزء السادس

تأليف محمد كرد علي

مطبعة المفيد بدمشق ١٣٤٢، ١٩٢٢

هو الجزء الاخير من المؤلف الذي كتب عليه المشرق سابقاً (٢٣ [١٩٢٥])

٥٥٦، ٥٦١، ٧٩٦، ٨٧٤ و ٢٤، [١٩٢٦] ٨٧٦) فيه التاريخ المدني، وفصوله: البيع والكنائس والديرة، المساجد والجوامع، المدارس، الخوانق والرُّبط والزوايا، المستشفيات والبيمارستانات، دور الآثار، دور الكتب، الاديان والمذاهب، الاخلاق والعادات، واخيراً فصل في الاستدراكات والتصويبات، وفصل في حياة المؤلف وترجمته بنفسه.

ان مواد الكتاب بعضها مدوّن بقلم مَن عهد اليهم بها صاحب الخطط وادمج مقالهم في كتابه وذكر اسماءهم: من امثال الكتبة واضعي تاريخ الاديان وغيرهم؛ وبعضها مأخوذ عن الكتب المطبوعة، كالفصل في الاديرة القديمة، فيجده القارئ في مسالك الابصار وممالك الامصار للعمري، الا بعض التغييرات؛ وغيرها مما هو قريب المتناول في الكتب الموضوعة دليلًا للمسافرين في الشرق. اما المنسوب الى قلم المؤلف وابتكاره فهو اسلوب بنيانه ونظراته الشخصية في تعليل الحوادث. سار بالقارئ من معهد الى معهد، ومن مدرسة الى مدرسة، فمن الكنائس الى الاديرة الى دور القرآن والحديث، فالمدارس الشافعية والحنفية والمالكية ... والمستشفيات والمكاتب. فذكر اسماءها ونوّه بمن لهم الفضل عليها؛ وقلما وقف ليستمع النظر بها، او ليسأل على طول حياتها وكيف نشأت وعاشت وماتت، وما كان تأثيرها في الزمان والمكان. نعم ان تلك الوقفة لتطول جدًا بالقارئ، ولكن الامر المهم ليس ذكر لائحة الاسماء دون اهمال اسم منها، وهذا من المُحال؛ ولكن تنبيه الفكر الى العلل. ومن ذكر ولم يعلل كان جامعاً لا مؤرّخاً. على ان السيد كرد علي تخطّى الى تعليل كثرة المعاهد الصغيرة، وهو التنافس بين الناس وايثار المصالح الشخصية والخير الجزئي على المصالح العمرانية والخير العام. وصدق في تعليل اسباب هدم الكنائس، وهي وقوع الازمة السياسية بين الشرق والغرب، الداعي الى التضييق على المسيحيين في الشرق انتقاماً بما يلحق المسلمين من الحيف بمعاداة الغرب.

ان الفصل المختص بالموازنة زائد، لانهم فئة من الكثلكة ومن ذكر الكل وفّى الجزء حقه. قال المؤلف ان الآباء اليسوعيين فتحوا مدارس ابتدائية في الجبل من بعد الحرب، والصواب انهم فتحوها سنوات عديدة قبلها. وقال

ثرعسوس ، والصواب شرعسوس (او شارع سوس)

وقال اجمالاً ان كل قرية في الجبل فيها كنيسة او كنائس . وعاد ضارباً لائحة اسماء القرى التي فيها كنائس وهذه اللائحة قلما يعنى بها مؤلف التاريخ العام . وصوّر العادات والاخلاق في لبنان تصويراً يوهم بان الجبل دون بلاد دمشق وحلب رقياً وعمراناً ، والحقيقة خلاف مقاله . ونظرات المؤلف كثيراً ما تصدر عن راي شخصي يحتاج الى الاسهاب في التعليل لاقناع القراء ، ولعله اضطر الى الايجاز في عرضها ، وقد يكون معذوراً في ايجازه لضيق المقام واحتشاد المواد . والمادة على وفرتها لا تتناول ذكر الاشخاص الا قليلاً ، مع ان اخلاق الاشخاص هي التي تساعد على احياء الحوادث على مسرح التاريخ . على ان وجوه النقض لا تحول النظر عن الوجهة الجليلة التي ازدان بها الكتاب وهي عنوان الاجتهاد وحب البلاد والهمة على العمل . فنشكر لرئيس المجمع العلمي العربي هديته ونتمنى له سنوات عديدة ، وهو متمتع بالصحة ، فيخدم الادب العربي ويتحفنا بمعجم الخطط عن قريب ان شاء الله . ف . ت .

تقويم البشير لسنة ١٩٣١

تأليف الاب لويس معلوف اليسوعي

المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، — ٢٦٢ صفحة متوسطة مع بعض الرسوم

هي السنة الثالثة والخمسون لهذا التقويم المفيد ، وهو كلما تقدّم سنة زاد تحسناً واتقاناً ، فبدا في مظهره الحالي في اكمل حلة وصلت اليها التقاويم العربية في عصرنا بل هو يزيد عدة افادات وابحاث على كثير من التقاويم الاجنبية ، فضلاً عن موافقته لحاجات جميع ارباب المصالح في بلادنا ، اذ يرون فيه كل ما يتوقون الى معرفته من المعلومات السياسية ، والادارية ، والتاريخية ، والجغرافية ، والاقتصادية ، والتجارية ، والزراعية ، بما يلحقها من طرق المواصلات ، وساعاتها . ومما يستحق الذكر في تقويم هذه السنة نشر الدساتير للبلاد المشمولة بالانتداب ، وبعض المعلومات عن الحياة الاقتصادية في تلك البلاد في سنتي ١٩٢٨و١٩٢٩ ، وبعض المعلومات عن اهم الآثار في بلادنا مع تصويرها تصويراً غاية في الدقة والجمال .

اعتراف تولستوي وفلسفته

بقلم الارشمندريت انطونيوس بشير

عني بنشره وتصحيحه الشيخ يوسف توما البستاني . مطبعة العرب ، ١٩٣٠

ما قولك ايها القارئ برجل «يسمر» للسم . فينادي باعلى صوته ويغني باطرب تغاته بصفات ذلك السم الزعاف ومفاعله القتالة ، ويقول اخيراً اني اعرضه لا بكونه سماً ، ولكن بكونه مصبوباً بقالب شهي جميل . وانما هذه هي قصة المعرب مع تولستوي الكافر ، على انه وعدنا بالترياق. وقال انه سيأتي القراء بكتاب «ديانة تولستوي والانجيل تولستوي» ... وهل يرجى منها شفاء لداء الكفر. وشتان بين هذا الكتاب وكتاب حياة المسيح لابيني الذي عربه الارشمندريت ذاته واهدى الينا جزءه الاول. ونحن نتوقع صدور جزئه الثاني لنقرّظه.

ف . ت .

لاجل الاتحاد

بقلم الاب الياس اندراوس البولسي

مطبعة القديس بولس في حريصا ، ١٩٣٠ - ٢٨٥ صفحة صغيرة

هو مجموع المحاضرات النفيسة الشهيرة ، التي القاها حضرة المؤلف الفاضل في اوائل العام الجاري ، وبيّن بها سهولة الاتحاد وضرورته ، تحت طاعة الحبر الروماني ، بين طائفتي الروم الخاضعتين لكرسيّي انطاكية ، الكاثوليكي والارثوذكسيّ . وقد ذيّلها بملحق فند فيه الاعتراضات. ولا غلوّ في القول انّ الكلّ جاء جامعاً بين سداد الرأي ، والصراحة الكاثوليكية الوضّاحة ، واحبه المناظرة.

واننا نلفت الانظار خصوصاً الى ما ورد في الملحق المذكور (ص ٢٢٥-٢٣٩) عن الاشتراك في القدسيات وعصمة البابا. فثمة دليل ساطع ، وان عملياً ضمنياً، على صحّة قول الكاتب الفاضل (ص ٢٣٩) في المعتقد الكاثوليكي : «ان كثيرين ينكرونه او يحتجّون عليه لانهم لا يُدركون معناه وفحواه.»

ش . ا .

محاضرة في تاريخ الروم الكاثوليك في مصر

للخوري قسطنطين الباشا الراهب المخلصي

مطبعة القديس بولس – حريصا – ١٩٣٠

في ٢٧ شباط الماضي القى حضرة الاب قسطنطين الباشا ناشر الكتب التاريخية الخاصة بالطائفة الملكية الكريمة هذه المحاضرة في النادي الكاثوليكي في القاهرة ، ونشرها في المسرة ثم طبعها على حدة واهدى الينا نسختها وهي مقطعة تقاطيع منمرة تسهيلاً لمراجعتها . قصر المحاضر الكلام على تاريخ الطائفة في القرن الثامن عشر . فاظهر انه منذ القرن الثالث عشر كان لطائفة الروم جالية في مصر : بعضهم من بقايا الملكيين الاقدمين ، وبعضهم اتوا حديثاً من فلسطين وسورية ، وبعضهم من القسطنطينية وبلاد اليونان والاناضول . واللغة الغالبة بينهم العربية . ومكان اقامتهم ، في مصر العتيقة ، الا تجارهم فكانوا يسكنون بولاق وهم فيها على اتصال بدمياط بطريق النيل .

حدث اهتداء فئة من الروم الى الكثلكة واثارة الاضطهاد عليهم . ونال الاضطهاد طائفة مصر وكاد يقضي عليها لولا تفاني الرهبان المخلصين في خدمتها وغيرهم من الكهنة الافاضل المهاجرين من سورية الى مصر . حتى صفا لهم الجو فعمروا الكنائس . ودخلت حياتهم الطائفية في طور جديد لما اعلن الكرسي الرسولي (١٣ تموز ١٧٧٢) واجب خضوع الروم الكاثوليك القاطنين ضمن حدود البطريركيتين الاسكندرية والاورشليمية للبطريرك الانطاكي الكاثوليكي ، فوحد كلمتهم وقواهم . وبارك الله ابناء الطائفة في مصر فتوفقوا في اشغالهم وشادوا الكنائس والاناطش واجروا الوقفيات عليها . ولنشرة حضرة الاب قسطنطين ملحق فيه وثائق التركية ومن جملتها رسالة الاب فرماج اليسوعي في امر سماع قداس الهراطقة . وان رومة في ذلك العهد لم تكن قد بتت حكمها في الامر ، اما الآن فلا بد من تحذير الكاثوليك من سماع القداس في الكنائس الغير الكاثوليكية ، وان تكن رتبته تقام في طقسهم . ف . ت .

المختارات

للاب روفائيل نخله اليسوعي

الجزء الاول ، المطبعة الكاثوليكية ١٩٣٠

هو كتاب تاريخ وادب وقراءة لتلامذة الصفوف العليا ولعامة الادباء اختار واضعه اجمل ما رآه عند بعض المعاصرين من شعر ونثر في مواضيع شرقية وطنية ، ونشره مزيّناً بصور ثلاثين كاتباً او شاعراً مع مختصر تراجمهم ، وشكّله ببعض الحركات المساعدة على اتقاء اللحن في القراءة . لا شك ان الاساتذة سيقبلون على الكتاب ويضعونه بين ايدي تلامذتهم فيقطفون اثماره الشهية ، وهو في حجم لطيف يسهّل الحمل في السفر والتصفح في ساعات الفراغ.

ف . ت .

الدهور

مجلة انتقادية في العلم والفلسفة والادب ، لصاحبها ومحرّرها ابرهيم حدّاد

مطبعة الوفاء ، بيروت ، ١٢٨ صفحة متوسطة

هو العدد الاول من مجلة شهرية صدرت في تشرين الاول الفائت مصدّرة بشعار مأخوذ من قول ديكارت «*Cogito, ergo sum*» ومعرّب بالقول « انا اشعر فاذًا انا موجود» ، وتعريبه يخالف التعريب المشهور القائل: «انا افكر» بدله «انا اشعر» ، وهو امر لا طائل تحته لان التفكير والشعور لا يتباينان في هذا الحكم لديكارت . والمجلة كما ظهرت بعددها الاول جديرة بالاهتمام ، لاسيّما في مقالاتها العلمية ، واننا نشير ، بهذه المناسبة ، الى ان فيها في الصفحات (٤٩–٦٣) لائحة بتعريب اسماء الاصول الاولى للاحياء قد تخالف في بعض افرادها المعروف المتداول عند علمائنا . اما مقالاتها الادبية فقد وددنا لو كان بعضها بمستوى ابحاثها العلمية . وعلى كل فاننا نتمنى للمجلة الجديدة ان تظلّ على مستواها الحاضر بل ان تتجاوزه صعودًا ، كما اننا نرجو لها رواجاً تستحقه .

اهم حوادث الشرق في شهر

١٥ تشرين الاول — ١٥ تشرين الثاني

لبنان

اجتمع المجلس النيابي في ٢١ الفائت لتجديد الرئاسة وامانة السر ، فجدّد الرئاسة للشيخ محمد الجسر ، وانتخب نائباً له يوسف بك الزين (نائب الجنوب) ، وانتخب لامانة السر الدكتور مسعود يونس (نائب الشمال) وهنري بك فرعون (نائب بيروت).

انتهت الدورة الثانية (١٧ تشرين الاول) من امتحانات البكالوريا اللبنانية لسنة ١٩٢٩ — ١٩٣٠ فكان الفائزون في القسم الاول ٧ على ٢٦ وفي القسم الثاني ١ على ٢ .

انتهت امتحانات المكتب الطبي الافرنسي للدورة الثانية فنال شهادة الدكتورية في الطب اثنان ، وفي طب الاسنان ٣ ، ونال الشهادة الرسمية في فن التوليد آنستان وسيدة.

وكذلك انتهت امتحانات مكتب الحقوق الافرنسي فنال شهادة المأذونية ٣٥ من بلاد الشرق المختلفة.

صدر مرسوم بان يُعدّ قصر بيت الدين وتوابعه قصراً تاريخياً وينشأ فيه متحف يحوي الآثار المتفرقة اللبنانية ونماذج الازياء منذ اول عهد الامراء المعنيين حتى آخر عهد المتصرفين.

بعد نزاع طويل حول مصب الزيوت المتدفقة من آبار الموصل وبغداد وكركوك أيكون في حيفا ام في طرابلس ، اتفق اصحاب الاسهم على قسمة المشروع شطرين : الشطر الاول يخص الراسماليين الانكليز وينتهي في حيفا ، والشطر الثاني يخص الراسماليين الفرنسيين والاميركيين وغيرهم وينتهي في طرابلس.

وقد تلقت الحكومة اللبنانية ، بواسطة المفوضية العليا ، من ممثلي الشطر

الثاني نص الاتفاقية القاضية بمد الانابيب في اراضيها الى ٧٠ سنة ، لقاء بعض المنافع . وقد اجتمع مجلس الوزراء للبحث فيها ، وستطرح قريباً على مجلس النواب ؛ ويقال ان الاعمال ستبدأ في مطلع الربيع اي بعد ثلاثة اشهر.

فلسطين

ظهر الكتاب الابيض عن المسألة الفلسطينية ، وهو مبني في اكثره على تقرير السير جون هوب سيمسون ، واهم ما جاء فيه ان الحكومة البريطانية ستقوم بادا. واجبها الاول في ادارة فلسطين ، وتتذرع الى ذلك بامور اجدرها بالذكر اعتزامها ان توجد مجلساً تشريعياً يتألف من المندوب السامي و٢٢ عضواً منهم ١٠ موظفون ، و١٢ يُختارون بانتخابات على درجتين ، واهتمامها بالشؤون الاقتصادية والتوفيق بين مطاليب العرب والصهيونيين مع ميلها الى تحديد الهجرة . فلم يرض الكتاب احداً من الفريقين لان الصهيونيين قاموا يحتجون على ما تضمّن من ذكر تحديد الهجرة . وقام العرب يحتجون ايضاً ، ولا يزال الفريقان في احتجاجاتهما التي توالت من جهة العرب خصوصاً بمناسبة تذكار وعد بلفور ، مما يدل ان الحالة بعيدة عن الطمأنينة النهائية.

مصر

نشر في ٢٢ تشرين الاول الدستور المصري الجديد معدّلاً بساعي اسماعيل صدقي باشا رئيس الوزارة الحالي. واهم تجديداته : ١ً تأليف مجلس الشيوخ من ١٠٠ عضو منهم ٦٠ يعينهم الملك. ٢ً تأليف مجلس النواب من ١٥٠ عضواً كلهم منتخبون . ٣ً وضع الانتخاب على درجتين . ٤ً جعل الفصل في صحة نيابة النواب والشيوخ المنتخبين من صلاحية محكمة الاستئناف المنعقدة بهيئة محكمة نقض وابرام لا من صلاحية البرلمان . ٥ً عدم قبول الاقتراع بعدم الثقة بالوزارة الا اذا صدر عن الاغلبية المطلقة لمجموع النواب. الى غير ذلك من التعديلات التي هاج رجال الوفد بسببها ، ومال اليهم بعض الاحرار الدستوريين. فجرّبوا تهييج الاهالي على الحكومة فنازوا في محيط الطلاب خصوصاً . على ان اعمالهم لم تؤثر التأثير المتوقع لما ابدت الحكومة من الحزم.

فهارس المشرق

للسنة الثامنة والعشرين

١٩٣٠

فهرس اوّل

لموادّ اعداد السنة الثامنة والعشرين من مجلة المشرق

(الرقم الاسود يدلّ على اعداد المجلة ، والرفيع على الصفحات)

العدد ١ (كانون الثاني) قضية السلعة الشخصية ، بقلم الاب شرل ايلا اليسوعي (١ : ١-٦ ؛ ٣ : ٨٩-٩٥) = بدائع التلفون ، بقلم انطوان باز (١ : ٦-١٢ ؛ ٢ : ٩٥-١٠٤) = اصل كلمة الفصح وابن بشكوال ، بقلم الاب مرمرجي الدومنيكي (١ : ١٢-٢٤ ؛ ٢ : ١٠٤-١١١) = غرائب الارقام الهندية ، بقلم الاب انطون صالحاني اليسوعي (٢٤-٢٩) = اصلاح الابجدية العربية ، بقلم يوسف غصوب (٢٩-٣٥) = البكالوريا اللبنانية والتعليم المصري بقلم فؤاد افرام البستاني (١ : ٣٥-٤١ ؛ ٣ : ٢٠٦-٢١٥ ؛ ٤ : ٢٧٩-٢٩٠) = نصرانية الحارث ابن كعب ، بقلم حبيب زيات (٤١-٤٤) = الاستقلال المدني في الكنائس الشرقية الكاثوليكية (تابع) (٤٤-٥١) = النينيون وجيراغم ، بقلم الامير موريس شهاب (١ : ٥١-٥٦ ؛ ٢ : ١٢٥-١٣٢ ؛ ٣ : ١٩٤-٢٠٢) = امانة لبناني : حكاية لبنانية تاريخية ، بقلم فؤاد افرام البستاني (٥٦-٦٠) = مجلة المجلات ، للاب توتل اليسوعي : الانتحار الوهابيون والمثلاثة . دفع الاذى بالنار . الالعاب الرياضية ومضراتها (٦٠-٦٥) = شذرات : بويل ثياقة الفاصد الرسولي . بويل مجلة « الشرق والغرب » . شهادة غير مجروحة . لتحافظ على الصافير الصغيرة . كاهن كاثوليكي من مفدة لوتير . الملبار : وزنه وحجمه . منافع اللاريا . دعوى على شاعر (٦٥-٦٩) = مطبوعات شرقية جديدة (٦٩-٧١) = اهم حوادث الشرق في شهر (٧١-٨١)

العدد ٢ (شباط) مرّ الحياة ، بقلم القس عبد المسيح زهر (٨١-٨٩) = دير سيدة طاميش (تابع) ، بقلم القس انطونيوس شبلي اللبناني (٣: ١١١-١١٨ ؛ ٣: ٢١٧-٢٢٢ ؛ ٤: ٢٦٢-٢٦٥) = الزهرة التركية في الحديقة الرهبانية ، بقلم الخوري يوسف المشيتي (٢ : ١١٨-١٢٥ ؛ ٣: ٢٠٣-٢٠٩) = غاية الارب للتويري ، بقلم الاب توتل اليسوعي (١٢٢-١٤٠) = مجلة المجلات للاب توتل اليسوعي : المسيحيون على عهد السلاطين (١٥٥٣-١٥٩٢) . تحرير المرأة الافغانية . ثقفوا بناتكم . اليسوعيون والماسونية . اما البابوية . . . (١٤٠-١٤٦) = شذرات : حول السفور والحجاب . ردّ على انتقاد (الدكتور فيليب حتي) . فوائد الملاريا (الحكيم امين الجميّل) (١٤٦-١٤٩) = مطبوعات شرقية جديدة (١٤٩-١٥٩) = اهم حوادث الشرق في شهر (١٥٩-١٦١)

العدد ٣ (آذار) صفي القلب الاقدس ورسوله : نبذة في سيرة الاب كلود دي لا كولومبيار اليسوعي ، بقلم الاب شرل ايلا اليسوعي (٣: ١٦١-١٧٦ ؛ ٤: ٢٦٥-٢٧٤) = غرائب الارقام الهندية (مقال ثانٍ) بقلم الاب انطون صالحاني اليسوعي (١٧٦-١٨١) = الاوائل في اللغة ، بقلم سالم خليل رزق (٣: ١٨١-١٨٦ ؛ ٤: ٢٧٤-٢٧٩) = ابراهيم الحاقلي او الحاقلاني ، بقلم الخوري بطرس غالب (٣: ١٨٦-١٩٤ ؛ ٤: ٢٥٠-٢٥٩ ؛ ٥: ٢٤٢-٢٥١) = رسالة قديمة من رهبان دير البلند الى مجمع الكرادلة ، نشرها الخوري قسطنطين الباشا ب . م . (٢١٥-٢١٧) = مجلة المجلات ، للاب توتل اليسوعي : البابا والارثوذكسية . نكبة ازمير الكبرى ونتائجها . تحرير المرأة التركية (٢٢٢-٢٢٨) = شذرات : جوازات السفر . من معارك العرب (٢٢٨-٢٣٠) = مطبوعات شرقية جديدة (٢٣٠-٢٣٨) = اهم حوادث الشرق في شهر (٢٣٨-٢٤١)

العدد ٤ (نيسان) الحياة في الاجرام السماوية ، بقلم القس عبد المسيح زهر (٢٤١-٢٥٠) = مظاهر الادب العصري : طه حسين ، للمستشرق جيب (٢٥٩-٢٦٢) = نواويس الرصاص ، بقلم الامير موريس شهاب (٢٩٠-٢٩٤) = مجلة المجلات ، للاب توتل اليسوعي : بين الارثوذكس والكاثوليك . الامن في الحجاز . قسطنطينة العاصمة العلمية (٢٦٤-٢٦٥) = القيامة ! حكاية ام ثكلى ، عن بول بوجيه (٤: ٢٩٩-٣٠٥ ؛ ٥: ٢٧٩-٢٨٥) = شذرات : محصول الشرانق في بلادنا . فحص الضمير . الاكتشاف الاثري الجديد في مصر . معدن جديد اصلب من الفولاذ (٣٠٥-٣٠٩) = مطبوعات شرقية جديدة (٣٠٩-٣١١) = اهم حوادث الشرق في شهر (٣١٩-٣٢١)

العدد ٥ (ايار) نفوذ السيد المسيح في حياتنا الدينية ، بقلم الاب مرسجي الدومنيكي (٢٢١-٢٣٠) = تربية دود الحرير ، بقلم الاب لويس بليل اللبناني (٥: ٢٢٠-٢٢٦ ؛ ٦: ٤٤٤-٤٥٠) = دستور القضاء ، بقلم الخوري لويس الخازن (٢٣٦-٢٣٩) =

التنوير والفن ، بقلم انطوان باز (٣٣٩-٣٤٣) = النقد الادبي : فائدته ، طريقته العملية ، بقلم فؤاد افرام البستاني (٣٥١-٣٥٩) = انت الصفاة ! لمة في رئاسة القديس بطرس وخليفته الحبر الروماني ، بقلم الاب شرل ايلا اليسوعي (٣٥٩-٣٧١) = التذكار المئوي لاحتلال الجزائر ، بقلم الاب جبرائيل لوفنك اليسوعي (٣٧١-٣٧٩) = مجلة المجلات ، لفؤاد افرام البستاني : درس الآداب العربية الحديثة . الانفراد بالرأي في الادب (٣٨٥-٣٨٨) = شذرات : التذكار المئوي لنقل جسد القديس منصور دي بول . المحصولات في مناطق الانتداب سنة ١٩٢٨ : الحبوب ، القطن ، الدخان ، الصوف ، الزيتون (٣٨٨-٣٩٤) = مطبوعات شرقية جديدة (٣٩٤-٤٠٠) = اهم حوادث الشرق في شهر (٤٠٠)

العدد ٦ (حزيران) اين ومتى تُرجمت التوراة اليونانية السبعينية ؟ ، بقلم الخوري لويس ملحه (٤٠١-٤١٠) = العلم والدين ، بقلم منصور حنا جرداق (٤١٠-٤٢٢) = وفرة الذهب والترف في القديم ، بقلم القس عبد المسيح زهر (٤٢٢-٤٣١) = نبذة تاريخية في تنصّر بعض الامراء اللمعيين ، للقس انطونيوس شبلي اللبناني (٦ : ٤٢١-٤٢٦ ؛ ٧ : ٤٢٦-٥٠١) = الشعر العامي ، بقلم توفيق عوّاد (٦ : ٤٣٦-٤٤٤ ؛ ٧ : ٥٠١-٥٠٦) = في مدينة العذراء ، بقلم ميشيل سليم كميد (٦ : ٤٥٠ ؛ ٤٥٠ ؛ ٧ : ٥١٥-٥٢٢) = عادة التنوير في عيد القديس يوحنا المعمدان ، بقلم الخوري يوسف العشي (٤٥٤-٤٦٣) = مجلة المجلات : الهجرة الهندية في السنة ١٩٢٠ . حول نشأة المقامات (٤٦٣-٤٦٨) = شذرات : المحصولات الداخلية في مناطق الانتداب سنة ١٩٢٨ : الفواكه ، الزيوت ، الصابون ، الحرير ، النسيج ، الجلود . مؤتمر المستشرقين الدولي الثامن عشر . أزمة الورود . لنصف الاسناد (٤٦٨-٤٧٢) = مطبوعات شرقية جديدة (٤٧٢-٤٨١)

العدد ٧ (تموز) القديس يوحنا فم الذهب وثورة انطاكية ، بقلم القس عبد المسيح زهر (٧ : ٤٨١-٤٨٧ ؛ ٨ و ٩ : ٦٠٩-٦١٥) = رفع المياه ، بقلم انطوان باز (٧ : ٤٨٧-٤٩٦ ؛ ٨ و ٩ : ٦٦٧-٦٧٥) = الاشوريون او الناطرة ، بقلم الاب فرديان توتل اليسوعي (٥٠١-٥١٥) = الجزائر في مائة سنة ، بقلم الشيخ سليم الدحداح (٥٢٢-٥٣٣) = بلاد البلجيك في مائة سنة ، بقلم الاب لامنس اليسوعي (٥٣٣-٥٣٤) = عنترة التاريخ وعنترة الاسطورة ، بقلم فؤاد افرام البستاني (٧ : ٥٣٤-٥٤١ ؛ ٨ و ٩ : ٦٣١-٦٤٨) = مجلة المجلات للاب توتل اليسوعي : مهاتما غاندي . العجل عند الدروز (٥٤١-٥٤٧) = شذرات : ما تقرأه في كتاب صغير . فم الدخان . علم الطب وعجائب لورد (٥٤٧-٥٥٠) = مطبوعات شرقية جديدة (٥٥٠-٥٥٨) = اهم حوادث الشرق في شهر (٥٥٨-٥٦١)

العددان ٨ و ٩ (آب وايلول) ضرورة النعمة ، بقلم الاب مرمجي الدومنيكي (٥٦١-٥٧١) = التذكار المئوي للرابطة الادبية الفرنساوية ، بقلم نصرالله واحمد نصرالله (٥٧١-٥٧٨) = تقرير السيد ده غراغنه عن بلادنا في القرن الثامن عشر ، عرّبه ونشره

المتوري بطرس غالب (٥٧٨-٥٨٨) = تعريف من حكم جبل كسروان في اواخر القرن الثامن عشر ' نشره المتوري بطرس غالب (٥٨٨-٦٠٤) = الاواخر في اللغة ' بقلم سالم خليل رزق (٦٠٤-٦٠٩) = حسن علوان الدرزية ' بقلم القس انطونيوس شبلي (٩٠٨: ٦١٥-٦٢٦ ؛ ١٠: ٧٦٢-٧٦٩) = اول مسافر اوربي في مكة ' بقلم الاب لامنس اليسوعي (٦٢٦-٦٣١) = الثورة العربية في الحرب الكبرى ' بقلم الاب توتل اليسوعي (٦٤٨-٦٥٩) = سرّ هرم الملك خوفو ' بقلم القس عبد المسيح زهر (٦٥٩-٦٦٧) = القاتل ' رواية للاب توتل اليسوعي (٦٧٥-٦٩٧) = مجلة المجلات : البابا والهند . دير قزحيا . الرقي المصري والمسلمون (٦٩٧-٧٠١) = شذرات : حول الحج الى مكة . سورية طريق الهند . شيطان السرعة . مفردات جديدة في اللغة التركية . التذكار المئوي لأول سكة حديد تجارية (٧٠١-٧٠٤) = مطبوعات شرقية جديدة (٧٠٤-٧١٩) = اهم حوادث الشرق في شهر (٧١٩-٧٢١)

العدد ١٠ (تشرين الاول) ترجمة البطريرك بولس مسعد ' بقلم المطران اغوسطين البستاني (٧٢١-٧٣٤) = كتاب الشفة من الجامع الكبير في الشروط ' بقلم جرجس بك صفا (٧٣٤-٧٣٩) = نظرة في حاضر الاسلام ' بقلم الاب لامنس اليسوعي (١٠: ٧٣٩-٧٤٤؛ ١١: ٨٣٦-٨٤٠) = صفحة من تاريخ الرهبانية الباسيلية الشويرية ' بقلم الاب اثناسيوس حاج ق. ب. (١٠: ٧٤٤-٧٥١ ؛ ١١: ٨٣٧-٨٣٦ ؛ ١٢: ٩١٤-٩٢٢) = شخصية المُطيئة الادبية ' بقلم فؤاد افرام البستاني (٧٥١-٧٦٠) = ضيافة بدوية ' قصيدة قصصية للحطيئة (٧٦٠-٧٦٢) = لماذا تدخنون ؟ بقلم فؤاد افرام البستاني (٧٦٩-٧٧٣) = السجون ونظام التأديب ' بقلم الاب توتل اليسوعي (١٠: ٧٧٣-٧٨٢ ؛ ١١: ٨٤٠-٨٥٠ ؛ ١٢: ٩٠٥-٩١٤) = مجلة المجلات للاب توتل اليسوعي : احمد تيمور باشا . ظهور الجمل في شمالي افريقية (٧٨٢-٧٨٧) = شذرات : جحيم المشاة . انتشار السينما . من المسرح الى الدير (٧٨٧-٧٨٩) = مطبوعات شرقية جديدة (٧٨٩-٧٩٧) = اهم حوادث الشرق في شهرين (٧٩٧-٨٠١)

العدد ١١ (تشرين الثاني) ينبوع النعمة ' بقلم الاب مرمرجي الدومنيكي (٨٠١-٨١١) = الفن والاخلاق ' بقلم نصرالله واسعد نصرالله (٨١١-٨٢١) = الاحوال الشخصية ' بقلم المتوري بطرس غالب (١١: ٨٢١-٨٢٧ ؛ ١٢: ٨٩١-٨٩٨) = الاب لورنسيوس الحيمري الديراني ' بقلم الاب لويس الحداري (١١: ٨٥٠-٨٥٥ ؛ ١٢: ٩٢٢-٩٣١) = بعض مظاهر الشعر المصري ' بقلم فؤاد افرام البستاني : الشعر التمثيلي (١١: ٨٥٥-٨٦٢) = الروايات التاريخية في الادب المصري ' لاغناطيوس كراتشقوفسكي (٨٦٢-٨٦٧) = شذرات : الحياة العفية في قبرص . اهتداء خطير الى الكثلكة . احصائيات مصرية (٨٦٧-٨٧١) = مطبوعات شرقية جديدة (٨٧١-٨٨١)

العدد ١٢ (كانون الاول) مفاعيل النعمة وموقفنا تجاهها ، بقلم الاب مرمرجي الدومنيكي (٨٨١-٨٩١) = حول صناعة النجوم ، بقلم القس عبد المسيح زهر (٨٩٨-٩٠٥) = آخر الازياء الادبية في الغرب : الشرق وخيط بعض الاجانب في فهمه ، بقلم فؤاد افرام البستاني (٩٢١-٩٢٦) = مجلة المجلات : بين المرّي والخيام. الادب وخلوده. المدينة والتجارة المصرية (٩٣٦-٩٤٢) = شذرات : عادات الاردنيين في الامراض. التذكار المئوي لظهور الايقونة المجائبية. حياة محمد في السينما ، وآي القرآن في الفتوغراف. شهادة غير مجروحة. نقص مذلّ المهاجرة (٩٤٣-٩٤٧) = مطبوعات شرقية جديدة (٩٤٧-٩٥٩) = اهم حوادث الشرق في شهر (٩٥٩-٩٦١) = فهارس المشرق (٩٦١).

فهرس ثانٍ

يحتوي اسماء كتبة المشرق ومقالاتهم

ايلا (الاب شرل اليسوعي) : تنمية السلطة الشخصية ١-٦ : ٨٩-٩٥ – صفي القلب الاقدس ورسوله : الطوباوي كلود دي لاكولومبيار اليسوعي ١٦١-١٧٦ ؛ ٢٦٥-٢٧٤ – «انت الصفاة» ٢٥٩-٢٧١ – وله وصف مطبوعة ٩٥٦

اندري (الاب ج. س. اليسوعي) : له وصف مطبوعات ٢١١ : ٢١٣

باز (انطوان) : بدائع التلفون ٦-١٢ ؛ ٩٥-١٠٤ – التنوير والفن ٢٢٩-٢٤٢ – رفع المياه ٤٨٧-٤٩٦ ؛ ٦٦٧-٦٧٥ – وله وصف مطبوعة ٨١٠

الباشا (المطران قسطنطين) : رسالة قديمة من رهبان دير البلند الى مجمع الكرادلة ٢١٥-٢١٧

البستاني (المطران اغوسطين) : ترجمة البطريرك بولس مسعد ٧٢١-٧٢٤

البستاني (فؤاد افرام) : البكالوريا اللبنانية والتعليم المصري ٣٥-٤١ ؛ ٢٠٩-٢١٥ ؛ ٢٧٩-٢٩٠ – امانة لبناني ٥٦-٦٠ – النقد الادبي ٢٥١-٢٥٩ – عثرة التاريخ وعثرة الاسطورة ٥٢٤-٥٤١ ؛ ٦٢١-٦٤٨ – شخصية المطيئة الادبية ٧٥١-٧٦٠ – لماذا تدخّنون ؟ ٧٦٩-٧٧٢ – بعض مظاهر الشعر المصري : الشعر التمثيلي ٨٥٥-٨٦٢ – آخر الازياء الادبية في الغرب : الشرق وخيط بعض الاجانب في فهمه ٩٢١-٩٢٦ – وله مجلة المجلات ٢٨٥-٢٨٨ : ٤٦٥ ؛ ٩٢٦-٩٤١ – له وصف مطبوعات ١٥٧-١٥٥ ؛ ٢٢٦ ؛ ٢٢٧ ؛ ٢١٦ : ٢٩٨-٤٤٠ ؛ ٥٥٧ ؛ ٥٥٨ ؛ ٧١٥ ؛ ٧١٦ ؛ ٧١٧ : ٧٦٥-٧٦٦ ؛ ٨٧٩ ؛ ٩٥٢ : ٩٥٥ : ٩٥٨- وله تعريبات وشذرات شتى

بليل (الاب اغناطيوس) : رسالة في تنصّر بعض الامراء اللدميين ٤٢١-٤٢٦

بليل (الاب لويس اللبناني) : تربية دود الحرير ٢٢٠-٢٢٦ – ٤٤٤-٤٥٠

بورجيه (بول) : القيامة ١ : حكاية ام ثكلى ٢٩٩-٣٠٥ ؛ ٢٧٩-٢٨٥

توتل (الاب فردينان اليسوعي) : غاية الارب للثوبري ١٢٣- ١٤ – الاشوريون او الناطرة ٥٠٩-٥١٥ – الثورة العربية في الحرب الكبرى ٦٤٨-٦٥٩ – القاتل ٦٦٧-٦٧٥ – السجون ونظام التأديب ٧٧٣ - ٧٨٣ ؛ ٨٤٠ - ٨٥٠ ؛ ٩٠٥-٩١٤ – له مجلة المجلات في اكثر اعداد السنة ٦٠-٦٥ ؛ ١٤٠-١٤٦ ؛ ٢٢٣-٢٢٨ ؛ ٢٢٧ ؛ ٢٩٤-٢٩٩ ؛ ٤٦٣ ؛ ٥٤١ - ٥٤٧ ؛ ٦٩٧ - ٧٠١ ؛ ٧٨٢-٧٨٣ ؛ ٩٤١ – وله وصف مطبوعات ٧٤-٧٧ ؛ ٧٨ ؛ ١٥٧ ؛ ١٥٨ ؛ ٢١٥ ؛ ٢١٧ ؛ ٤٧٨-٤٨٠ ؛ ٥٥٥ ؛ ٧٩٤ ؛ ٧٩٦ ؛ ٨٧٧ ؛ ٩٥٣ ؛ ٩٥٦ ؛ ٩٥٧ – وله تلخيص اهم حوادث الشرق في اكثر الاعداد – وله تعريبات متفرقة

جرداق (منصور حنا) : العلم والدين ٤١٠-٤٢٢

الجميّل (المكيم امين) : فوائد الملاريا ١٤٨

حبيب (م ا. ر.) : طه حسين ٢٥٩-٢٦٢

حاج (الاب اثناسيوس ق. ب.) : صفحة من تاريخ الرهبانية الباسيلية الشويرية ٧٤٤-٧٥١ ؛ ٨٢٦-٨٢٧ ؛ ٩١٤-٩٢٢

حتي (الدكتور فيليب) : ردّ على انتقاد ١٤٧

الخداري (المدبر لويس) : الاب لورنسيوس الحيسري الديراني ٨٥٠-٨٥٥ ؛ ٩٢٢-٩٣١

الخُطيئة : نبذة بدوية ٧٦٠-٧٦٣

الخازن (الخوري لويس) : دستور القضاء ٢٢٦-٢٢٩

الدحداح (الشيخ سليم) : الجزائر في مائة سنة ٥٢٢-٥٢٣

ده غرانجه : تقريره عن بلادنا في القرن الثامن عشر ٥٧٨-٥٨٨

رزق (سالم خليل) : الاوائل في اللغة ٨١ - ١٨٦ ؛ ٢٧٤-٢٧٩ – الاواخر في اللغة ٦٠٤-٦٠٩

روفائيل (الخوري بطرس) : الاستقلال المدني في الكنائس الشرقية ٤٤-٥١

رورتزفال (الاب سبستيان اليسوعي) : له وصف مطبوعات ٦٩-٧١ ؛ ١٤٩-١٥١ ؛ ٢٢٠-٢٢٢ ؛ ٢٢٣ ؛ ٢٠٩ ؛ ٢١٠ ؛ ٢١٢ ؛ ٤٧٢-٤٧٥ ؛ ٥٥٠ ؛ ٥٥٣ ؛ ٧٠٤ ؛ ٧٨٩

زهر (القس عبد المسيح) : سر الحياة ٨١-٨٩ – الحياة في الاجرام السماوية ٢٤١-٢٥٠ – وفرة الذهب والترف في القديم ٤٢٢-٤٢١ – القديس يوحنا فم الذهب وثورة انطاكية ٤٨١-٤٨٧ ؛ ٦٠٩-٦١٥ – سرّ هرم الملك خوفو ٦٥٩-٦٦٧ – حول صناعة النجوم ٨٩٨-٩٠٥

زيّات (حبيب) : نصرانية الحارث بن كعب ٤١-٤٤

سوانيون (الاب فيلكس اليسوعي) : له وصف مطبوعة ٩٤٩

شبلي (القس انطونيوس اللبناني) : دير سيدة طاميش : كتب خزانته المخطّة (تابع) ١١١-١١٨ ؛ ٢١٧ - ٢٢٢ ؛ ٢٦٣-٢٦٥ –

نبذة تاريخية في تنصّر بعض الامراء اللمعيين ٤٣١-٤٣٦ ؛ ٤٩٦-٥٠١ – حسن علوان الدرزية ٦١٥-٦٢٦ ٧٦٢-٧٦٩
شفراي (الاب كلود اليسوعي) : له وصف مطبوعة ٨٧٨
شهاب (الامير موريس) : الفنيقيون وجيراتهم ٥١ - ٥٦ ؛ ١٢٥ - ١٢٢ ؛ ١٩٤ - ٢٠٣ – نواريس الرصاص ٢٩٠-٢٩٤

صالحاني (الاب انطون اليسوعي) : غرائب الارقام الهندية ٢٤-٢٩ ؛ ١٧٦-١٨١ – وله وصف مطبوعة ٧٧
صنا (جرجس بك) : كتاب الشفعة من الجامع الكبير في الشروط ٧٢٤-٧٣٩

طوران (الاب اسكندر اليسوعي) : له وصف مطبوعات ١٥٤-١٥٥ : ٧١٧

العشيقي (المتوري يوسف) : الزهرة التركية في الحديقة الرمانية ١١٨-١٢٤ : ٢ ٢ ٢٠٩ – عادة التنوير في عيد القديس يوحنا المعمدان ٤٥٩-٤٦٢
عوّاد (توفيق) : الشعر العامي ٤٣٦-٤٤٤ ؛ ٥٠١-٥٠٩

غالب (المتوري بطرس) : ابراهيم الحاقلي او الحاقلاني ١٨٦-١٩٤ ؛ ٢٥٠-٢٥٩ ؛ ٢٤٢-٢٥١ – تقرير السيد ده غرانجه عن بلادنا في القرن الثامن عشر (تعريب ونشر) ٥٧٨-٥٨٨ – تعريف عن حكم جبل كسروان في اواخر القرن الثامن عشر (نشر) ٥٨٨-٦٠٤ – الاحوال الشخصية ٨٢١-٨٢٧ ؛ ٨٩١-٨٩٨
غصوب (يوسف) : اصلاح الاجندة العربية ٢٩-٣٥

كراتشوفسكي (اغناطيوس) : الروايات التاريخية في الادب المصري ٨٦٢-٨٦٧
كرم (المطران بطرس) : رسالة في تنصّر بعض الامراء اللمعيين ٤٩٦-٥٠١
كساتاكيس (الاب بطرس اليسوعي) : له وصف مطبوعات ٧٩٠ : ٨٧٤
كميد (ميشيل سليم) : في مدينة المذراء ٤٥٠-٤٥٩ ؛ ٥١٥-٥٢٢

لامنس (الاب هنري اليسوعي) : بلاد البلجيك في مائة سنة ٥٢٢-٥٢٤ – اول مسافر اوربي في مكة ٦٢٦-٦٣١ – نظرة في حاضر الاسلام ٧٢٩-٧٤٤ ؛ ٨٢٦-٨٤٠ – وله وصف مطبوعات ٧١ : ٧٢ ؛ ٤٧٦ ؛ ٤٢٧ ؛ ٥٥١ ؛ ٥٥٦ ؛ ٥٥٧ : ٧٠٧ : ٧١٥ : ٧١٦ ؛ ٧٩٠ : ٧٩٤ : ٩٤٧-٩٤١ : ٩٥٣ – وله شذرات متفرّقة
لوفنك (الاب جبرائيل اليسوعي) : التذكار المئوي لاحتلال الجزائر ٢٧١-٢٧٩ – له وصف مطبوعات ٧٣-٧٤ : ١٥١ : ١٥٣ : ٢٢٢-٢٢٥ ؛ ٢١٠ ؛ ٢١١ ؛ ٢١٣-٢١٥ : ٢٩٤-٢٩٧ ؛ ٤٧٥ ؛ ٤٧٦ ؛ ٤٧٧ ؛ ٥٥٤ ؛ ٧٠٨-٧١٠ : ٧١١ : ٧١٣ : ٧٩١-٧٩٤ : ٨٧١-٨٧٢ : ٨٧٥-٨٧٧ ؛ ٩٤١-٩٥٢

مرجي (الاب ا. س. الدومنيكي) : اماني السُنية : ٥ اصل كلمة الفصح وابن بشكوال ١٣-٢٤ ؛ ١٠٤-١١٠ – نفوذ السيد المسيح في حياتنا الدينية ٢٢١-٢٣٠ – ضرورة النعمة ٥٦١-٥٧١ – ينبوع النعمة ٨٠١-٨١١ – مفاعيل النعمة وموقفنا تجاهها ٨٨١-٨٩١

مطوف (الخوري مكسيموس) : له وصف مطبوعات ١٥٨ ؛ ٧١٧
ملحه (الخوري لويس) : أين ومتى تُرجمت التوراة اليونانية «السبعينية» ؟ ٤٠١-٤١٠
موترد (الاب بولس اليسوعي) : له وصف مطبوعات ١٥٣ ؛ ٢٣٤ ؛ ٢٩٧ ؛ ٥٥١ ؛ ٥٥٣ ؛ ٥٥٤ ؛ ٧١٠ ؛ ٧٩١
موترد (الاب ريته اليسوعي) : له وصف مطبوعات ٧٠٥ ؛ ٧٠٦ ؛ ٨٧٣
مونجان (الاب يوسف اليسوعي) : له وصف مطبوعة ٧١٢

نصرالله (نصرالله واسعد) : التذكار المئوي للرابطة الادبية الفرنساوية ٥٧١-٥٧٨ — الفن والاخلاق ٨١١-٨٢١

فهرس ثالث

للمطبوعات التي ورد وصفها في السنة الثامنة والعشرين للمشرق

على ترتيب اسماء مؤلفيها

١ — المطبوعات العربية والسريانية الخ

ا

ابو راشد (عبود) : الرحلة الدانتية في الممالك الهوائية : ١ً الجحيم (٧١٦)
ابو زهير الاندلسي : الثقافة والتهذيب (١٥٨)
ارملة (الخوراسقف اسحق) : مصحفها وهندسها (٨٨٠)
الاصبهاني (ابو الفرج) : الجزء الثالث من كتاب الاغاني (٧٧)
الياس (الياس انطون) : القاموس العصري انكليزي-عربي (٤٧٤)
اندراوس (الاب الياس البولسي) : لاجل الاتحاد (٩٥٦)
الاندلسي (محمد بن جابر) : اطلب مخلص (عبدالله)
اودين (الاب ارمند) : اقتناع الغيوم القاتمة المحاول اخفاء الشمس الساطعة (٤٨٠)

ب

الباشا (الخوري قسطنطين المخلصي) : اطلب بريك — محاضرة في تاريخ الروم الكاثوليك في مصر (٩٥٧)
بخيشوع (عبدالله بن جبريل بن) : الروضة الطبية — نشرها القس بولس سباط (٥٥٦)
بريس (الاب فرنسيس) : حجة المبشرين بحقائق الدين (٧٥)
بريك (الخوري مخائيل الدمشقي) : تاريخ الشام من السنة ١٧٢٠ الى السنة ١٧٨٢ — نشره الخوري قسطنطين الباشا (٥٤٧)
بشير (الارشيندريت انطونيوس) : تعريب حياة المسيح لهابيني (٢٢٨) — اعتراف تولستوي وفلسفته (٩٥٦)

ج

جمعية اخوة التعليم الكاثوليكي : بحلب (٤٨٠)

الجمعية الخيرية للقديس منصور دي بول في دمشق : برنامجها من سنة ١٩٢٩ (٧٩٧)
الجمعية الخيرية المارونية تحت حماية سيدة موتليجون ، بحلب (٤٨٠)
الجميّل (الحكيم امين) : الاصطياف في لبنان (٧٩٦)
جيانيني (السيد فريديانو) : فحص الضمير (٣٠٧)

ح

حاطوم (الياس يوسف) : مجلة الزنبقة (٣١٨)
حبيقه (الخوري الاسقفي بطرس) : الحولية الحادية والثلاثون (٣٣٨) — الاوخارستيا والكنيسة السريانية المارونية (٤٨٠)
حدّاد (ابرهيم) : مجلة الدهور (٩٥٨)
حدّاد (نقولا) : ثورة عواطف (٧٩٥)
حيّان (جابر بن) : مصنّفات في علم الكيمياء — نشرها ارك يحيى هولمارد (٨٧٧)

خ

خاطر (لحد) : حبوبة خاطر (٧٩٦)
الخوري (عوض) : تبديد الظلام او اصل الماسونية (٧٦)

د

داي (وليم) والنصي (حامد) : هندسة الطرق العملية (٨٨٠)
دليل بكفيا (٥٥٧)
دموس (حايم) : المثالث والمثاني : الجزء الثاني (٣٣٦)

ر

رسالة الفدية ترازية الطفل يسوع (٣١٩)
رستم (اسد) : الاصول العربية لتاريخ سورية في عهد محمد علي باشا (٥٥٦)

ز

زيدان (ابراهيم) : فهرس مكتبته (٣١٨)
زين الدين (نظيرة) : الفتاة والشيوخ (١٤٦)

س

سالمين (محمد علي الحاج) : الرجل العظيم (٣١٨)
سباط (القس بولس) : نشر مباحث فلسفية دينية لبعض القدماء من علماء النصرانية (٧٦) راجع البحري ؛ وبختيشوع .
سركيس (يوسف اليان) : فهرس مكتبته (٣٣٨) — معجم المطبوعات العربية والمعرّبة : الجزءان ٩و١٠ (٣١٧)
سرور (مصطفى) وطي (محمد بيومي) وعبد البديع (محمد) : الخضروات في مصر (٧١٧)
سلمان (الارشيمندريت بولس) : خمسة اعوام في شرقي الاردن (٣٣٦)

ش

شخّت (يوسف) : اطلب الطحاوي
شوقي (احمد) : مصرع كليوباترا (١٥٥)
شيخو (الرحوم الاب لويس اليسوعي) : شعراء النصرانية بعد الاسلام : القسم الرابع (٥٥٧) — تاريخ الآداب العربية في الربع الاول من القرن العشرين (٥٥٨)

ص

صادر (سليم) : فهرس مكتبته (٣١٨)
صليبا (الارشمندريت برتلماوس) : الفرائد العلمية (٥٥٦) — الندر الذميم (٧٩٥)
صوايا (الدكتور جورج) : همس الشاعر (٣٣٧)

ط

الطحاوي (احمد) : كتاب اذكار الخفوق والرهون ؛ نشره يوسف شخت (٧١٥) — كتاب الشفعة من الجامع الكبير في الشروط ؛ نشره يوسف

شخت (٢٣٤-٢٣٩)

ظ

ظاهر (سليمان الحلبي) : الذخيرة الى المعاد (٧٩٦)

ع

عبد البديع (محمد) : راجع سرور
عبدالله (توفيق) : راجع فيّاد
عبد النور (جورج) : سيّارات شفروليه (٣١٦)
عوض (جرجس فيلوثاوس) : سقطة الكنيسة القبطية بوجود بطريرك حكومي غير قانوني (٨٧٨)
العبري (ابن) : مختصر في علم النفس – نشره القس بولس سباط (٧٦)
عبود (الاب بولس) : دستور القضاء (٢٢٦-٢٢٩)
عدي (ابو زكرياء يحيى بن) : كتاب تهذيب الاخلاق – نشره مراد فرّاد جتي (٧٩٦)
العرابي (محمود حسني) : اطلب ماكدونالد
علي (محمد بيومي) : راجع سرور
العمشيتي (الخوري يوسف) : المسيح لي حياة والموت ربح (٢٢٧) – الزهرة التركية في الحديقة الرهبانية (٣١٨)
عمّار (عباس مصطفى) : ابو نواس : حياته وشعره (١٥٦)

ف

فارس (ليدا هويت) : اشهر ملكيات التاريخ – تعريب الهلال (٧١٦)
فخري (الدكتور) : هل تتساوى المرأة بالرجل في جميع الحقوق والواجبات (٧١٦)
فيّاد (لوي) : رواية باريزت – تعريب توفيق عبدالله (٧١٧)
فياض (الدكتور نقولا) : الخطابة (٨٧٩)

ق

قاضي (المطران نيقولاوس) : اربعون عاماً في حوران وجبل الدروز (٣٢٨)
القصي (حامد) : راجع داي

ك

كرد علي (محمد) : خطط الشام : الجزء السادس (٩٥٣)

ل

لسان الحال : (يوبيله الذهبي) (٧٨)

م

مارون (الاب مبارك اللبناني) : مجلة الفصول (٣١٨)
ماكدونالد (رمزي) : الحركة الاشتراكية – تعريب محمود حسني العرابي (٧٩٤)
مخلص (عبدالله) : صاحب مختار الصحاح – نشره بديعة العميان (٢٩٩)
مسعد (بولس) : لبنان وسورية قبل الانتداب وبعده : الجزء الاول (٣١٧)
مصوبع (الخوري جبرائيل) : التعليم الطقسي لطائفة الروم الملكيين الكاثوليكيين (١٥١) – شرح خدمة القداس الالهي (٧١٧)
مطوف (الاب لويس اليسوعي) : تقويم البشير ١٩٣١ (١٥٥)
موسى (سلامه) : تاريخ الفنون واشهر الصور (٣١٦)

ن

نه (الاب رفائيل اليسوعي) : التحفة (٣٢٧) – المختارات (٩٥٨)
النشرة الشهرية لشركة القديس متعود دي بول (٣١٨)
نوفل (عبدالله حبيب) : تراجم علماء طرابلس وادبائها (١٥٧)

ه .

الهاشمي (طه) : مفصّل جغرافيـة العراق (٤٧٨)

الهوري (ملكه عبده) : الكنوز الملكية في

الزراعـة المصريـة (١٥٤) — الكنوز الملكية في تربة الارانب المصرية (١٥٥)

هولبارد (ارك يجي) : راجع حيّان

و

٢ — مطبوعات اوربية

A son Excellence Mgr F. Giannini. (236)
Aigrain (René) : La musique religieuse. (151)
Almanach catholique français pour 1930. (75)
Ammoun (Fouad) : La Syrie criminelle. (151)
Annuaire pontifical catholique pour 1930. (209)
Annuario della Reale Academia d'Italia. (950)

Baedeker (K.): Spanien und Portugal. (74)
Baedekers Dalmatien und die Adria, 1929. (554)
Baldacci (Ant.) : L'Albania con una carta geografica alla scala 1 : 500,000 (in tre fogli) e tre cartine. (710)
Basset (René) : Le Diwân de Orwa\ben el-Ward, traduit et annoté. (952)
Baurin (Paul) : Alep, autrefois, aujourd'hui. (950)
Bayet (Jean) : La Sicile grecque. (874)
Beaupin (Mgr E.) : Les missions catholiques. (153)
Beauplan (Robert de): Où va la Syrie ? (477)
Beauvais (R. de) : Louis Delaporte, explorateur 1842-1925. (711)
Bellessort (André): Victor Hugo. Essai sur son œuvre. (314)
Bondinelli (G.) : Torino romana. (233)
Bortini (N.) Pie XI et la médecine au service des missions. (154)
Blanchet (J.-L.): Les bijoux anciens (708)

Bonjean (Fr.) : Cheikh Abdou, l'égyptien. (314)
Bordeo (L.) : Œuvres choisies des grands artistes. (73) — (951)
Bourgeois (E.) : Ce qu'il faut connaitre du Passé de la France. (397)
Bremond (Henri) : Introduction à la Philosophie de la Prière. (72)
Brosso (P. Francesco) : Vade mecum tecnico in quatro lingue. (72)
Bréviaire médical à l'usage des missionnaires et des coloniaux. (951)
Brouta (Dr. J) : Cf. Cejador Y Franca (J.)

Carcopino (J) : Ostie. (712)—Virgile et le mystère de la IVe églogue. (873)
Cejador Y Franca (Julio): Alphabets et inscriptions ibériques, traduit par Brouta(Dr. J.)(473)
Célarié (Henriette) : La prise d'Alger. (315)
Champenois (G.) : Le sabotage officiel de l'histoire de France. (875)
Charbonneaux (J) : L'art égéen. (235)
Chélard (R) : Responsabilité de la Hongrie dans la guerre mondiale. (872).
Le colonie italiane. (154)
Constans (L. A.) : Guide illustré des campagnes de César en Gaule. (153)
Coulbeaux (J. B) : Histoire politique et religieuse de l'Abyssinie depuis les temps les plus reculés jusqu'à l'avènement de Ménélik II. (871)

Dochôno (Abol) S. J. : Le flambeau dans la maison. (794)
Devonshiro (M. R. L.) : Eighty Mosques and other islamic monuments in Cairo. (948)
Dieckmann (H.) S. J. : De revelatione christiana. (713)
Diès (A.) : Cf. Tannery.
Dougherty (R. Ph.) : Nabonidus and Belshazzar. (310)
Dutilleul (J.) S. J. : Cf. Journel (de)

Enclow (A. G.) : Cf. Kohler (K.)
Entretiens de Juilly : II, Méthodes d'éducation. (714)
Evans (Sir Arthur) : The Shaft Graves and Bee-Hive Tombs of Mycenae and their interrelation. (71)

Faguet (Emile) : Histoire de la Poésie Française de la Renaissance au Romantisme. t. IV. Jean de la Fontaine. (792)
Falck (F.) : L'Algérie, un siècle de colonisation française. (394)
Florisoone (M.) : Le Cardinal Dubois. (396)
Frei (H.) : La grammaire des fautes. (709)
Furlani (G.) : La civilita babilonese e assira.— Leggi dell' Asia anteriere antica. (150)

Gontizon (P.) : Mustapha Kemal ou l'Orient en marche. (232)
Gillouin (R.) : Le destin de l'Occident. (74).
Gianni (G.) : Le Isole italiane dell' Egeo. (313)
Golon (H. de) : Le drame d'une mission secrète. (714)
Granger (E.) : Atlas-guide géographique « Alpina » (396)
Grégoire (H.) Cf. Marc le diacre.
Grimme (H.) : Texte und Untersuchungen zur safatenisch-arabischen Religion. Mit einer Einführung in die safatenische Epigraphik. (69)
Grosjean (G.) : Jeanne d'Arc et le sentiment national. (876)
Grousset (René) : Les civilisations de l'Orient. t. I, L'Orient. (149) — t. II, L'Inde. (475)

Grunor (O. Cameron) : A treatise on the canon of medecine of Avicenna. (555)

Hitti (Philip. K.) : The origins of the Druze people and religion, with extracts from their sacred writings. (476)
Honoré (M.) : Vers Bagdad. (478)
Houllevigue (Louis.) : La vie du globe et la Science moderne. (395)
Humbert (Paul) : Recherches sur les sources égyptiennes de la littérature sapientiale d'Israël. (311)
Huvelin (Paul) : Etudes d'histoire du droit commercial romain. Publié par H. Lévy-Bruhl. (394).

Islamica, IV, 1. (72) — III, 5 (794) - IV, 2 (794) — IV, 3 (948)

Jacopich (G.) Cf. Majori (A.)
Jeremias (Alfred) : Das Alte Testament im Lichte des Alten Orients. (710)
Joüon (Paul) S. J. : L'évangile de notre Seigneur Jésus-Christ. (551)
Journel (Rouët de) S. J. : Une russe catholique, Madame Swetchine. (311)
Journel (Rouët de) S. J. : et Dutilleul (J.) S. J. : Enchiridion asceticum. (314)

Kaufmann (A.) : Ewiges Stromland. Land und Mensch in Aegypten. (153)
Kaulen (Fr.) Cf. Vosen.
Kohler (Dr. Kaufmann) : The origins of Synagogue and Church. édited by A. G. Enclow. (553)
Kortleitner (F.-X) : De Antiquis Arabiae incolis eorumque cum religione Mosaica rationibus. (474)
Kugener (A.) Cf. Marc le diacre.

Ledré (Ch.) : Les émigrés russes en France, ce qu'ils sont, ce qu'ils font, ce qu'ils pensent. (713)

Le Fèvre (Georges) : Un bourgeois au pays des Soviets. (711)
Lerchor (Ludovico) S. J. : Institutiones Theologiae dogmaticae. (712)
Lévy-Bruhl (H.) :Cf. Huvelin (Paul).
Litteræ Orientales, 44 (871)
Lokotsch (K.) : Etymologisches Worterbuch der Europaichen (Germanischen, Romanischen u. Slavischen) Worter orientalischen Ursprungs. (704)
Lugan (A.) : L'évangile et les biens terrestres. (394)
Lusseau (H.) Essai sur la nature de l'inspiration scripturaire. (871)

Maestracci (Ct Noël) : La Syrie contemporaine. (477)
Malnago (P) O. P. : Le Bouddhisme. (872)
Maisler (B.) : Untersuchungen zur alten Geschichte u. Ethnographie Syriens u. Palaestinas. (789)
Majuri (A.) et Jacopich (G.) : Rapporto generale sul servizio archeologico a Rodi e nelle isole dipendenti, dall' anno 1912 all'anno 1929. (313)
Malcôvati (H.): Caesaris Augusti imperatoris Operum fragmenta. (478)
Marc le diacre : Vie de Porphyre, évêque de Gaza. Texte établi, traduit et commenté par H. Grégoire. et A. Kugener. (875)
Markward (J.) : Skizzen zur historischen Topographie und Geschichte von Kaukasien. (73)
Massé (H.) : L'Islam. (947)
Massignon (L). : Recueil de textes inédits concernant l'histoire de la mystique en pays d'Islam. (551)
Maunier (René) : Mélanges de sociologie nord-africaine. (793)
Médecine (La) dans les missions (395)
Merlier. (O.) : Athènes moderne. (711)
Monte Santo (Marica) : L'Isola dei Gigli (Stampalia). (790)
Morichini (Ugo) : La civiltà mediterranea. (232)
Mukergi (D. K.) : Le visage de mon frère. (396)
Müller (Valentin): Frühe Plastik in Griechenland und Vorderasien. (70)
Mzik : Das Kitâb 'agâ'ib al-akâlim des Suhrab. (951)

Nava (Santi) : Il mandato francese in Siria dalle sue origini al 1929. (792)

Paco (Biagio) : Camarina. Topografia, storia, archeologia.(231)
Padoy (Benoit) : Le médecin du pauvre, du colon. du missionnaire. Les plantes. (312)
Paret (Rudi) : Die legendare Maghâsi - Literatur — rabische Dichtungen über die muslimischen Kriegszüge zu Mohammeds Zeit. (707)
Philippo (R. P. Antony): Au cœur de l'Afrique. Ouganda. (477)
Pillet (Maurice): Thèbes : Palais et nécropoles. (712)
Pinot (M. J.) : La vie ardente de Jehan Gerson (72)
Plessner (Martin) : Der Οἰκονομικός des Neupythagoreer « Bryson » und sein Einfluss auf die islamische Wissenschaft. (152)
Poncins (L. de) : Les forces secrètes de la Révolution.(876)
Preussische Staatsbibliothek. Katalog der Handbibliothek der orientalischen Abteilung. (552)
Prod'homme (J. G.) : Voltaire raconté par ceux qui l'ont vu. (476)
Puech (A.) : Histoire de la Littérature grecque chrétienne t. III. Le IVe siècle. (714).

Rahmani (Mgr Ephrem II): Les Liturgies orientales et occidentales. (74)
Reinstadler : Elementa philosophiae scolasticae. (793)
Riviere (J) : Mgr Batiffol. (234)
Rolland (Romain) : La vie de Ra-

makrishna. — La vie de Vivekananda. (396)
Roux (Marquis de) : La Restauration. (709)

Sabry (M.) : L'empire égyptien sous Mohamed Ali et la question d'Orient. (791)
Sauvaget (J) : Deux sanctuaires chiites d'Alep. (790)
Sbath (Paul) : Bibliothèque de Manuscrits. (315)
Schmidt (N.) : Ibn Khaldun, historian, sociologist and philosopher. (947)
Schooll (Frank L.) : U. S. A. Du côté des blancs et du côté des Noirs. (235).
Schütz (R.) : Cf. Weiss (J.)
Séo (H.) : Esquisse d'une histoire économique et sociale de la France depuis les origines jusqu'à la guerre mondiale. (73)
Sogro (A.) Il commercio dei popoli antichi nel bacino del Mediterraneo. (706)
Ségur (Comtesse de) : Œuvres. (876)
Sézan (Claude) : Les poupées anciennes. (708)
Sinaisky (Dr Vasili) : Epistolae et legistorici : Von Adam bis zu Jesu Christo. — Uber das Zehnmonatliche Jahr und die chronologische Methode. (554)
Soiron (Thad. O. F. M.) : Das Evangelium und die heiligen Statten in Palastina. (234)
Spence (Lewis) : The mysteries of Egypt, or the secret rites and traditions of the Nile with sixteen illustrations. (708)
Stamp (L. Dudley) : The World. (310)
Stéto (Mgr G.) : Un Grand Patriarche, S. B. Mgr Ignace Ephrem II Rahmani. (715)
Strzygowski (J.) : Asiens bildende Kunst in Stichproben, ihr Wesen und ihre Entwicklung. (309)
Suhrab : Cf. Mzik.
Sury d'Aspremont (P de) : La Presse à travers les âges, France, Allemagne, Angleterre, Etats-Unis. (233)

Tallgren (O. J.) : Zu den Prachtinschiften der Alhambra. (71)
Tannery (Paul) : Pour l'histoire de la Science Hellène. édité par A. Diès. (708)
Thibaut (J.-B.) : L'ancienne Liturgie gallicane. (791)

Thorbecke (F.) : Afrika. Erster Teil : Allegemeine übersicht. (475)
Tissier (Mgr) : Les puissances morales et surnaturelles des femmes. (949)
Toulomondo : (Abbé Jean) : 1er L'art de commander. Psychologie de l'Autorité personnelle — 2e Pour avoir de l'autorité (1-6 ; 89-95)
Tournier (Chanoine Jules) : La conquête religieuse de l'Algérie. (793)
Tresse (R.) : L'irrigation dans la Ghouta de Damas. (949)
Tschudi (Dr. R.) : Von alten osmanischen Reich. (948)

Unger (E) : Assyrische u. Babylonische Kunst. (230)

Waddell (L. A.) : The makers of Civilisation in Race and History.(550)
Weinreich (O.) : Gebet und Wunder (705)
Weiss (Joh , et Schulz (R.) : Synoptische Tafeln zu den alteren Evangelien und Gegenstücke des vierten Evangeliums, mit Unterscheidung der Quellen in verfachem Farbendruck. (312)
Wellesz (E.) : Byzantinische Musik. (230)
Wigram (W. A.) : The Assyrians and Their Neighbours. (509)

Yerushalayim, Journal of the Jewish Palestine Exploration. Society. (397)

Vallet (Dr A.) : Guérisons de Lourdes en 1927-28-29. (951)
Viller (M.) S. J. : La Spiritualité des premiers siècles chrétiens. (874)
Voson (Ch. H.) et Kaulen (Fr.) : Rudumenta liguae hebraicae scholis publicis et domesticae desciplinae brevissime accomodata. (791)

فهرس رابع

للمجلات التي ورد ذكرها في باب «مجلة المجلات»

إريكون (فرنسوية) : بين الارثوذكس والكاثوليك ٢٩٤ .

الاصلاح (مكة) : الوهابيون والخلافة ٦١ — الامن في الحجاز ٢٩٦

الانسان (المانية) : دفع الاذى بالنار (وار كلين) ٦٢

البادية (بيروت) : الجبل والطفل والحوض (قسطنطين بني) ٧٨٦

الحارس (بيروت) : الانتحار ٦٠

رسالة قلب يسوع (فرنسوية) : البابا والارثوذكسية (المطران دريني) ٢٢٢

الزهراء (القاهرة) : احمد تيمور باشا ٧٨٢

الشهاب (الجزائر) : قسنطينة العاصمة العلمية ٢٩٧

صحيفة مصلحة التجارة والصناعة (القاهرة) : المدينة والتجارة المصرية ٩٤١

صدى الشرق (فرنسوية) : المسيحيون على عهد السلاطين (لوران) ١٤

العالم الاسلامي (انكليزية) : نكبة ازمير الكبرى ونتائجها (فلفريد بوست) ٢٢٤ — الهجرة الهندية في السنة ١٩٢٠ (بريس) ٤٦٢

العرفان (صيدا) : ارقى المصري والماسون (ابراهيم سليمان) ٧٠٠

الكلية (بيروت) : المجل عند الدروز (سليمان ابو عزّ الدين) ٥٤٥

المجلة البطريركية (جونيه) : دير قزحيا (الخوري بولس قرألي) ٦٩٨

مجلة الدروس الاسلامية (فرنساوية) : تحرير المرأة الافغانية ١٤١—تحرير المرأة في تركية ٢٢٦

المجلة العامة (فرنسوية) : مهاتماغندي ٥٤١

مجلة المجمع العلمي (دمشق) : ثقفوا بناتكم (محمد كرد علي) ١٤٢—درس الآداب العربية الحديثة (اغناطيوس كراتشقوفسكي) ٢٨٥— الانفراد بالرأي في الادب (شفيق جبري) ٢٨٦ — بين المعرّي والخيام (احمد حامد الصرّاف) ٩٢٦

مجموعة يترمن الجغرافية الالمانية : ظهور الجبل في شمالي افريقية (الدكتور اوهدن) ٧٨٢

المراسل (فرنسوية) : الالعاب الرياضية ومضرّاتها ٦٢ — البابا والهند ٦٩٧

المقتطف (مصر) : مجد البابوية (سامي الجريديني) ١٤٥ — حول نشأة المقامات (زكي مبارك ومصطفى صادق الرافعي) ٤٦٥ — الادب وخلوده (طاغور) ٩٣٩

المنار (مصر) : اليسوعيون والماسونية ١٤٢

فهرس خامس

لجميع مواد السنة الثامنة والعشرين من المشرق

على طريقة حروف المعجم

ا

آخر الازياء الادبية في الغرب ٩٢١–٩٢٦

آي القرآن في الفنوغراف ٩٤٤

الابجدية : اقدم كتابة بالحروف الابجدية ١٩٨–٢٠١

الابجدية العربية : اصلاحها ٢٤–٢٥

اثر جديد في مصر ٢٠٨

الاجرام السماوية : الحياة فيها ٢٤١–٢٥٠

احصائيات مصرية ٨٦٩

احمد تيمور باشا ٧٨٣

الاحوال الشخصية ٨٣١–٨٣٧ ؛ ٨٩١–٨٩٨

الاخلاق والفن ٨١١–٨٢١

الادب : الانفراد بالرأي فيه ٢٨٦ – خلوده ٩٢٩

الآداب العربية الحديثة ٢٨٥ – الروايات التاريخية فيها ٨٦٢–٨٦٧ – الشعر التمثيلي فيها ٨٥٥–٨٦٢

الارثوذكسية والبابا ٢٢٢ – والكاثوليك ٣٩٤

الاردنيون : عاداتهم في الامراض ٩٤٣

الارقام الهندية : غرائبها ٢٤–٣١ ؛ ١٧٦–١٨١

ازمة الورود ٤٧٢

ازمير : نكبتها الكبرى ونتائجها ٢٢٤

الاسلام : نظرة في حاضره ٧٣٩–٧٤٤ ؛ ٨٣٦–٨٤٠

الاشوريون او النساطرة ٥–٥١٥

الافغانية (المرأة) : تحررها ١٤١

الالعاب الرياضية ومضارها ٦٢

امالي السنة : اصل كلمة الفصح وابن بشكوال ١٣–٢٤ ؛ ١٠٤–١١١

امانة لبناني ٥٦– ٦

الامن في الحجاز ٢٩٦

انت الصفاة ٢٥٩–٢٧١

الانتحار ٦٠

انتشار السينما ٧٨٧

انطاكية : ثورتها والقديس يوحنا فم الذهب ٤٨١–٤٨٧ ؛ ٦٠٩–٦١٥

الانفراد بالرأي في الادب ٢٨٦

اهتداء الى الكثلكة ٨٦٨

الاواخر في اللغة ٦٠٤–٦٠٩

الاوائل في اللغة ١٨١–١٨٦ ؛ ٢٧٤–٢٧٩

اول مسافر اوربي في مكة ٦٢٦–٦٢١

اين ومتى تُرجمت التوراة اليونانية «السبعينية» ؟ ٤٠١–٤١٠

ب

البابا والارثوذكسية ٢٠٣ – لمة في رئاسته ٢٥٩–٢٧١ – البابا والهند ٦٩٧

الباباوية : مجدها ١٤٥

بشكوال (ابن) واصل كلمة الفصح ١٣–٢٤ ، ١٠٤–١١١

بعض مظاهر الشعر العصري : الشعر التمثيلي ٨٥٥–٨٦٢

البكالوريا اللبنانية والتعليم العصري ٣٥–٤١ ؛

٢٠٩–٢١٥ ؛ ٢٧٩–٢٩٠
البلجيك في مائة سنة ٥٢٣–٥٢٤
البلمند : رسالة قديمة من رهبانه الى رومية ٢١٥–٢١٧
بية خانم الراهبة التركية ١١٨–١٢٥ ؛ ٢٠٢–٢٠٩
بيبلوس : من آثارها ١٢٩–١٣١ ؛ ١٩٤–١٩٥ ؛ استقلالها ومصيرها ١٩٥–١٩٨

ت

التجارة المصرية والمدينة ٩٤١
التذكار المئوي لاحتلال الجزائر ٢٧١–٢٧٩ ؛ ٥٢٢–٥٢٣
التذكار المئوي لاستقلال البلجيك ٥٢٢–٥٢٤
التذكار المئوي لاول سكة حديد تجارية ٧٠٣
التذكار المئوي للرابطة الادبية الفرنساوية ٥٧١–٥٧٨
التذكار المئوي لظهور الايقونة العجائبية ٩٤٤
التذكار المئوي لنقل جسد القديس منصور دي بول ٣٨٨
ترجمة البطريرك بولس مسعد ٧٢١–٧٢٤
الترف في القديم ٤٢٢–٤٢٤
تركية : تحرير المرأة فيها ٢٢٦ — مفردات جديدة في لغتها ٧٠٢
تعريف عن حكم جبل كسروان في اواخر القرن الثامن عشر ٥٨٨–٦٠٤
التعليم المصري والبكالوريا اللبنانية ٣٥–٤١ ؛ ٢٠٩–٢١٥ ؛ ٢٧٩–٢٩٠
تقرير ده غرانجه عن بلادنا في القرن الثامن عشر ٥٧٨–٥٨٨
التلفون : التلفون اليدوي ٧–١٢ ؛ التلفون الاوتوماتيكي ٩٥–١٠٤
التمثيلي (الشعر) في الادب المصري ٨٥٥–٨٦٢
تنصّر بعض الامراء اللمعيين ٤٢١–٤٣٦ ؛ ٤٩٦–٥٠١
التنوير والفنّ ٢٢٩–٢٤٣
التنوير : عادته في عيد القديس يوحنا المعمدان ٤٥٩–٤٠٢
التوراة اليونانية السبعينية : ابن ومتى تُرجمت ٤٠١–٤١٠
تيمور (احمد) ٧٨٢

ث

ثقفوا بناتكم ١٤٢
ثورة انطاكية والقديس يوحنا فم الذهب ٤٨١–٤٨٧ ؛ ٢٠٩–٦١٥
الثورة العربية في الحرب الكبرى ٦٤٨–٦٥٩

ج

جحيم المشاة ٧٨٧
الجزائر : التذكار المئوي لاحتلالها ٢٧١–٢٧٩ — تطوّرها في مائة سنة ٥٢٢–٥٢٣
الجلود : محصولها في مناطق الانتداب ٤٧١
الجمل : ظهوره في شمالي افريقية ٧٨٢
جوازات السفر ٢٢٨

ح

الحارث بن كعب : نصرانيته ٤١–٤٤
الحاقلاني (ابراهيم) ١٨٦–١٩٤ ؛ ٢٥٠–٢٥٩ ؛ ٢٤٢–٢٥١
الحبوب : محصولها في مناطق الانتداب ٢٩٠
الحجاز : الامن فيه ٢٩٦
الحجّ الى مكة ٧٠١
الحرب الكبرى : الثورة العربية فيها ٦٤٨–٦٥٩
الحرير : تربية دوده ٢٢٠–٢٢٦ ؛ ٤٤٤–٤٥٠ — محصولاته في مناطق الانتداب ٤٧٠
حسن علوان او الاخت مسيحية الراهبة اللبنانية ٦١٥–٦٢٦ ؛ ٧٦٢–٧٦٩
حسين (طه) في نظر المستشرق حيب ٢٥٩–

٢٦٢
الحطيئة : شخصيته الادبية ٧٥١–٧٦٠ — قصيدة له ٧٦٠–٧٦٢
حول الحج الى مكة ٧٠١
حول صناعة النجوم ٨٩٨–٩٠٥
حول نشأة المقامات ٤٦٥
الحياة وسرّها ٨١–٨٨
حياة محمد في السينا ٩٤٤
الحياة في الاجرام السماوية ٢٤١–٢٥٠
الحياة العقلية في قبرص ٨٦٧
الحيمري (الناسك لورنسيوس الديراني) ٨٥٠–٨٥٥ ؛ ٩٢٢–٩٢١

خ

الخلافة والوهابيون ٦١
خلود الادب ٩٢٩
خوفو : سرّ هرمه ٦٥٩–٦٦٧
الخيّام والمعرّي ٩٢٦

د

الدخان : محصوله في مناطق الاتداب ٢٩٢ — قسمته ٥٤٩ — لماذا تدخّنون؟ ٧٦٩–٧٧٢
درس الآداب العربية الحديثة ٢٨٥
الدروز وعبادة العجل ٥٤٥
دستور القضاء ٢٢٦–٢٢٩
دفع الاذى بالنار ٦٢
دعوى على شاعر ٦٨
دود الحرير : تربيته ٢٢٠–٢٢٦ ؛ ٤٤٤–٤٥٠
ده غرانجه : تقريره عن بلادنا في القرن الثامن عشر ٥٧٨–٥٨٨
دير قزحيا ٦٩٨
الدين والعلم ٤١٠–٤٢٢

ذ

الذهب : وفرته في القديم ٤٢٢–٤٢١

ر

راهبة درزية ٦١٥–٦٢٦ ؛ ٧٦٢–٧٦٩
ردّ على انتقاد ١٤٧
رسالة قديمة من رهبان دير البلمند الى رومية ٢١٥–٢١٧
رفع المياه ٤٨٧–٤٩٦ ؛ ٦٦٧–٦٧٥
الرقّ المصري والمسلمون ٧٠٠
الرهبانية الباسيلية الشويرية : صفحة من تاريخها ٧٤٤–٧٥١ ؛ ٨٢٧–٨٣٦ ؛ ٩١٤–٩٢٢
الروايات التاريخية في الادب المصري ٨٦٢–٨٦٧
الروماتيسم : تذكاره المثوي ٥٧١–٥٧٨
رئاسة القديس بطرس وخليفته الحبر الروماني ٢٥٩–٢٧١

ز

الزهرة التركية في الحديقة الرهبانية ١١٨–١٢٥ ؛ ٢٠٢–٢٠٩
الزيتون : محصوله في مناطق الانتداب ٢٩٣
الزيوت : محصولها في مناطق الانتداب ٤٦٩

س

السبعينية : التوراة اليونانية : اين ومتى تُرجمت ؟ ٤٠١–٤١٠
السجون ونظام التأديب ٧٧٢–٧٨٢ ؛ ٨٤٠–٨٥٠ ؛ ٩٠٥–٩١٤
سرّ هرم الملك خوفو ٦٥٩–٦٦٧
السرعة وازديادها ٧٠٢
السفور والحجاب ١٤٦
السكة الحديدية التجارية : تذكارها المثوي ٧٠٢
السلطة الشخصية : فضيتها ١–٦ ؛ ٨٩–٩٥
سورية طريق الهند ٧٠١
السينا : انتشارها ٧٨٧ — حياة محمد فيها ٩٤٤

ش

شخصية الحطيئة الادبية ٧٥١–٧٦٠
الشرانق : محصولها في بلادنا من ١٨٦١–

٩٣٩ ؛ ٣٠٥
الشرق وضبط بعض الاجانب في فهمه ٩٣١–٩٣٦
«الشرق والغرب» : يوبيلها ٦٥
الشعر العامي ٤٣٦–٤٤٤ ؛ ٥٠١–٥٠٦
الشعر العصري : بعض مظاهره : الشعر التمثيلي ٨٥٥–٨٦٣
الشفعة (كتاب) من الجامع الكبير في الشروط ٧٣٤–٧٣٩
شهادة غير مجروحة ٦٦ ؛ ٩٤٦
شيطان السرعة ٧٠٣

ص

الصابون : محصوله في مناطق الانتداب ٤٦٩
صفحة من تاريخ الرهبانية الباسيلية الشويرية ٧٤٤–٧٥١ ؛ ٨٢٦–٨٢٧ ؛ ٩١٤–٩٢٢
صفي القلب الاقدس ورسوله ١٦١–١٧٦ ؛ ٢٦٥–٢٧٤
صناعة النجوم ٨٩٨–٩٠٥
الصوف : محصوله في مناطق الانتداب ٢٩٣

ض

ضرورة النهضة ٥٦١–٥٧١
ضيافة بدوية (قصيدة قصصية) ٧٦٠–٧٦٣

ط

طانيوس : كتب خزانته المطبوعة ١١١–١١٨ ٢١٧–٢٢٢ ؛ اضافات واستدراكات ٢٦٢–٢٦٥
الطب وعجائب لورد ٥٤٦

ظ

ظهور الجمل في شمالي افريقية ٧٨٣

ع

عادات الاردنيين في الامراض ٩٤٣
العار : دوره في دفع الاذى ٦٣
العامي : الشعر ٤٣٦–٤٤٤ ؛ ٥٠١–٥٠٦
العجل عند الدروز ٥٤٥
العذراء : في مدينتها ٤٥٠–٤٥٦ ؛ ٥١٥–٥٢٢
العرب : من معاركهم ٢٢٩ — ثورتهم في الحرب الكبرى ٦٤٨–٦٥٩
العصافير الصغيرة : ضرورة المحافظة عليها ٦٦
العلم والدين ٤١٠–٤٢٢
العلم في قسطنطينة ٢٩٧
عنترة التاريخ وعنترة الاسطورة ٥٢٤–٥٤١ ؛ ٦٣١–٦٤٨

غ

الغربيون وضبط بعضهم في فهم الشرق ٩٣١–٩٣٦
غرائب الارقام الهندية ٢٤–٢٩ ؛ ١٧٦–١٨١

ف

فحص الضمير ٣٠٧
الفصح : اصل الكلمة وابن بشكوال ١٣–٢٤ ؛ ١٠٤–١١١
فم الذهب وثورة انطاكية ٤٨١–٤٨٧ ؛ ٦٠٦–٦١٥
الفن والاخلاق ٨١١–٨٢١
الفن والتنوير ٢٣٩–٢٤٢
الفنوغراف وآي القرآن ٩٤٤
الفنيقيون وجيرانهم : فنيقية السابقة التاريخ ٥١ ؛ فنيقية التاريخية ٥٢ ؛ فنيقية ومصر ١٢٥–١٢٩ ؛ من آثار بيبلوس ١٢٩–١٣١ ؛ ١٩٤ – ١٩٥ ؛ استقلال بيبلوس ١٩٥ ؛ عصور الاضطراب في مصر ١٩٦ ؛ اقدم كتابة بالحروف الابجدية ١٩٨
الفواكه : محصولها في مناطق الانتداب ٤٦٨ في مدينة العذراء ٤٥٠–٤٥٦ ؛ ٥١٥–٥٢٢

ق

القاتل : رواية ٦٧٠–٦٩٧
القاصد الرسولي : يوبيل نيافته ٦٥ — رسالته في فحص الضمير ٣٠٧
قبرص : الحياة العقلية فيها ٨٦٧

القديس يوحنا فم الذهب وثورة انطاكية ٤٨١-٤٨٧ ؛ ٦٠٩-٦١٥
القرآن : آية في الفتوغراف ٩٤٤
قزحيا : ديره ٦٩٨
قسطنطينة العاصمة العلمية ٢٩٧
القضاء : دستوره ٢٢٦-٢٣٩
القطن : محصوله في مناطق الانتداب ٣٩١
القيامة : حكاية ام ثكلى ٢٩٩-٣٠٥ ؛ ٢٧٩-٢٨٥

ك

الكاثوليك والارثوذكس ٣٩٤
كاهن كاثوليكي من حفدة لوتير ٦٧
كتاب الشفعة من الجامع الكبير في الشروط ٧٣٤-٧٣٩
الكشكة : اهتداء اليها ٨٦٨
كسروان : تعريف عن حكمه في اواخر القرن الثامن عشر ٥٨٨-٦٠٤
الكنائس الشرقية الكاثوليكية : استقلالها المدني ٤٤-٥٠
كولومبيار (كلود دي لا) : ترجمته وتطويبه ١٦١-١٧٦ ؛ ٢٦٥-٢٧٤

ل

لضعف الاسناد ٤٧٣
اللغة : الاوائل فيها ١٨١-١٨٦ ؛ ٢٧٤-٢٧٩ — الاواخر فيها ٦٠٤-٦٠٩
اللغة التركية : مفردات جديدة فيها ٧٠٢
اللسيون : تنصر بعضهم ٤٢١-٤٢٦ ؛ ٤٩٦-٥٠١
لماذا تدخنون ؟ ٧٦٦-٧٧٣
لورد : زيارتها ٤٥٠-٤٥٩ ؛ ٥١٥-٥٢٣ — الطب وعجائبها ٥٤٩
لورنسيوس الحيمري الديراني (الناسك) ٨٥٠-٨٥٥ ؛ ٩٢٢-٩٣١

م

ما تقرأه في كتاب صغير ٥٤٧
الماسونية واليسوعيون ١٤٣
المحصولات الداخلية في مناطق الانتداب : الحبوب ٣٩٠ ، القطن ٣٩١ ، الدخان والصوف ٣٩٢ ، الزيتون ٣٩٣ ، الفواكه ٤٦٨ ، الزيوت والصابون ٤٦٩ ، الحرير والنسيج ٤٧٠ ، الجلود ٤٧١
محمد : حياته في السينما ٩٤٤
المدينة والتجارة المصرية ٩٤١
المرأة : تحرير المرأة الافغانية ١٤١ — حول السفور والحجاب ١٤٦ — تحرير المرأة التركية ٢٢٦ — ثقفوا بناتكم ١٤٢
المستشرقون : مؤتمرهم الدولي الثامن عشر ٤٧١
مسعد (البطريرك بولس) ترجمته ٧٢١-٧٣٤
المسلمون والرق المصري ٧٠٠
المسيح : نفوذه في حياتنا الدينية ٢٢١-٢٣٠
المسيحيون على عهد السلاطين ١٤٠
مسيحية : الاخت الدرزية الاصل ٦١٥-٦٢٦ ؛ ٧٦٣-٧٦٩
مصر : من احصائياتها ٨٦٩ — تجارتها في المدينة ٩٤١
مصر وفنيقية ١٢٥-١٣٩ ؛ ١٦٦
مضار الالعاب الرياضية ٦٣
معدن جديد اصلب من الفولاذ ٢٠٨
المعري والخيام ٩٣٦
مفاعيل النعمة ٨٨١-٨٩١
مفردات جديدة في اللغة التركية ٧٠٢
المقامات : حول نشأتها ٤٦٥
مكة : اول مسافر اوربي فيها ٦٢٦-٦٣١ — حول الحج اليها ٧٠١
الملاريا : فوائدها ٦٤ ، ١٤٨
المليار : وزنه وحجمه ٦٧
من المسرح الى الدير ٧٨٨
منصور دي بول : التذكار المئوي لنقل جسده

٢٨٨
المهاجرة : نقص معدّلها ٩٤٦
المياه : رفعها ٤٨٧-٤٩٦ ؛ ٦٦٧-٦٧٥
ن
النجوم : حول صناعتها ٨٩٨-٩٠٥
الناطرة او الاشوريون ٥٠٩-٥١٥
النسيج في مناطق الانتداب ٤٧٠
نصرانية الحارث بن كعب ٤١-٤٤
نظام التأديب والسجون ٧٢٣-٧٨٣ ؛ ٨٤٠-٨٥٠ ؛ ٩٠٥-٩١٤
نظرة في حاضر الاسلام ٧٢٩-٧٤٤ ؛ ٨٣٦-٨٤٠
النعمة : ضرورتها ٥٦١-٥٧١ — ينبوعها ٨٠١-٨١١ — مناعيبها وموقفنا تجاهها ٨٨١-٨٩١
نفوذ السيد المسيح في حياتنا الدينية ٢٢١-٢٣٠
النقد الادبي ٢٥١-٢٥٩
نقص معدّل المهاجرة ٩٤٦
نهاية الارب للنويري ١٣٣-١٤٠
نواويس الرصاص ٢٦٠-٢٦٤
ه
الهجرة الهندية في سنة ١٩٢٠ ٤٦٣
هرم الملك خوفو : سرّه ٦٥٩-٦٦٧
الهند والبابا ٦٦٧ — وطريقها من سورية ٧٠١
و
الورود : ازمتها ٤٧٢
وفرة الذهب والترف في القديم ٤٢٢ ٤٣١
الوهابيون والخلافة ٦١
ي
اليسوعيون والماسونية ١٤٣
ينبوع النعمة ٨٠١-٨١١

AL - MACHRIQ

Revue Catholique Orientale Mensuelle
SCIENCES—LETTRES—ARTS

Sous la direction des Pères de la Cie de Jésus
UNIVERSITÉ St JOSEPH

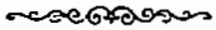

Vingt huitième année

1930

BEYROUTH
Imprimerie Catholique
1930

TABLES DES SOMMAIRES

XXIIIe ANNÉE 1930

JANVIER

Psychologie de l'autorité personnelle : I (p. 1) *P. Abela S. J.*
Le téléphone automatique : I *(illustré)* (p. 6) *Mr A. Baz.*
Notes de philologie comparée : V (p. 13) *P. Marmardji O. P.*
Mystères du calcul. (p. 24) *P. Salhani S. J.*
Suggestions pour la réforme de l'alphabet arabe. *(illustré)* (p. 29) *Mr J. Ghossoub.*
Le Baccalauréat libanais et l'enseignement moderne : I (p. 35) *Mr F.-E. Boustany.*
Al-Ḥariṯ ibn Ka'b était chrétien. *(illustré)* (p. 41) *Mr Habib Zayat.*
L'émanicipation civile des Églises Orientales Catholiques : II (p. 44) *Abbé P. Raphaël.*
Les Phéniciens et leurs voisins : I (p. 51) *Emir M. Chéhab.*
Loyauté libanaise, conte historique (p. 56) *Mr F.-E. Boustany.*
Revue des Revues : Le suicide. — Les Wahhabites et le Califat. — Dans l'Arabie méridionale. — Contre les excès du sport. (p. 60) P. F. Taoutel S. J.
Varia : Le jubilé de Mgr Giannini. — Le jubilé d'un confrère. — Un témoignage impartial. — Défendons les petits oiseaux. — Un prêtre catholique descendant de Luther. — Le poids et le volume d'un milliard. — Les avantages de la malaria. — Un procès contre un poète. (p. 65).
Bibliographie : (p. 69)
Ephémérides du mois : (p. 79)

FEVRIER

Le mystère de la vie. (p. 81) *Abbé A.-M. Zahr.*
Psychologie de l'autorité personnelle: II (p. 89) *P. Abela S. J.*

Le téléphone automatique : II *(illustré)* (p. 95) *Mr A. Baz.*

Notes de philologie comparée : V (p. 104) *P. Marmardji O. P.*

Le couvent de N. D. de Tamich : III *(illustré)* (p. 111) *P. A. Chibli O. S. A.*

Une Jeune musulmane religieuse de la Visitation : I (p. 118) *Abbé J. Amchiti.*

Les Phéniciens et leurs voisins : II *(illustré)* (p. 125) *Emir M. Chéhab.*

Analyse du Kitab Nihayat el-Arab. (p. 132) *P. F. Taoutel S. J.*

Revue des Revues : La condition des Chrétiens dans l'empire ottoman au XVIe siècle. — L'émancipation de la femme afghane. — Eduquez vos filles ! — Les Jésuites et la Franc-maçonnerie. — La gloire de la Papauté. (p. 140) P. F. Taoutel S. J.

Varia : Une réplique du féminisme musulman. — Rectification (Dr Ph. Hitti). — La malaria et la paralysie (Dr A. Gemayel). (p. 146)

Bibliographie : (p. 149)

Ephémérides du mois : (p. 159)

MARS

Le fidèle Apôtre du Sacré-Cœur : I *(illustré)* (p. 161) *P. Abela S. J.*

Mystères du calcul. (p. 176) *P. Salhani S. J.*

Notes de linguistique arabe : I (p.181) *Mr Salem K. Rizk.*

Abraham Hechelensis (1591?-1664) : I (p. 186) *Abbé P. Ghaleb.*

Les Phéniciens et leurs voisins: III *(illustré)* (p. 194) *Emir M. Chéhab.*

Une jeune musulmane religieuse de la Visitation : II (p. 203) *Abbé J. Amchiti.*

Le Baccalauréat libanais et l'enseignement moderne : II (p. 209). *Mr F.-E. Boustany*

Une épître adressée à Rome par les moines de Belmont. (p. 215) *P. C. Bacha B. S.*

Le couvent de N. D. de Tamich. IV (p. 217) *P. A. Chibli O. S. A.*

Revue des revues : Sa Sainteté Pie XI et les Orthodoxes. — Le désastre de Smyrne et ses conséquences. — L'émancipation de la femme turque. (p. 222) P. F. Taoutel S. J.

Varia : A propos de passe-ports. — Une bataille des anciens Arabes. (p. 228)

Bibliographie : (p. 230)

Ephémérides du mois : (p. 238).

AVRIL

La vie dans les astres. (p. 241) *Abbé A.-M. Zahr.*

Abraham Hechelensis (1594 ?-1664) : II (p. 250) *Abbé P. Ghaleb.*

A propos de Littérature contemporaine : Taha Ḥosaïn (p. 259) *Mr H. A. R. Gibb.*

Le couvent de N. D. de Tamich : V (p. 262) *P. A. Chibli O. S. A.*

Le fidèle Apôtre du Sacré-Cœur : II *(illustré)* (p. 265) *P. Abela S. J.*

Notes de l'linguistique arabe : II (p. 274) *Mr Salem K. Rizk.*

Le Baccalauréat libanais et l'enseignement moderne : III (p. 279) *Mr F.-E. Boustany.*

Les sarcophages de plomb. *(illustré)* (p. 290) *Emir M. Chéhab.*

Revue des revues : Entre Orthodoxes et Catholiques. — La sécurité dans le Hedjaz. — Constantine, capitale scientifique. (p. 294) P. F. Taoutel S. J.

Résurrection ! *(Traduction F.-E. B.)*: I (p. 299) *Mr P. Bourget.*

Varia : La production des cocons dans notre pays de 1861 à 1929. — Examen de conscience ! — La nouvelle découverte archéologique en Egypte. — Un nouveau métal plus dur que l'acier. (p. 305)

Bibliographie : (p. 309)

Ephémérides du mois : (p. 319)

MAI

L'influence du Christ sur notre vie religieuse. (p. 321) *P. Marmardji O. P.*

L'élevage des vers à soie : I (p. 330) *P. Bleibel O. S. A.*
A propos de droit canon. (p. 336) *Abbé L. Khazen.*
L'éclairage et l'art. (*illustré*) (d. 339) *Mr A. Baz.*
Abraham Hechelensis (1594?-1664) : III (p. 342) *Abbé P. Ghaleb.*
La critique littéraire. (p. 351) *Mr F.-E. Boustany.*
Tu es Petrus I (*illustré*) (p. 359) *P. Abela S. J.*
Le centenaire de l'Algérie. (*illustré*) (p. 371) *P. Levenq S. J.*
Résurrection I (*Traduction F.-E. B.*) : II (p. 379) *Mr P. Bourget.*
Revue des revues : L'étude de la littérature arabe contemporaine. — A propos d'indépendance dans le jugement littéraire. (p. 385) F.-E. B.
Varia : Le centenaire du transport du Corps de St Vincent de Paul. (illustré) — Les productions des pays sous mandat en 1928 : céréales, coton, tabac, laine, olives. (p. 388)
Bibliographie : (p.394)
Ephémérides du mois : (p. 400)

JUIN

A propos de la Version des «Septante». (p. 401) *Abbé L. Malha.*
Science et Religion. (p. 410) *Mr M. Jardak.*
L'Or et le luxe chez les Anciens. (p. 422) *Abbé A.-M. Zahr.*
A propos de la conversion de quelques Emirs Bellamas : I (p. 431) *P. A. Chibli O. S. A.*
La poésie populaire ; I (p. 436) *Mr T. Aouad.*
L'élevage des vers à soie : II (p. 454) *P. Bleibel O. S. A.*
Dans la cité de la Vierge : I (*illustré*) (p. 450) *Mr M. S. Kemeïd.*
Les Feux de St Jean. (p. 459) *Abbé J. Amchiti.*
Revue des Revues : L'émigration hindoue de 1920 — Autour de l'origine des Maqamats. (p. 463)
Varia : Les productions des pays sous mandat en 1928 : fruits, huiles, savon, soie, tissus, peaux. — Le XVIIIe congrès international des Orientalistes. — Une crise de roses. — Une tradition mal établie I (p. 468)
Bibliographie : (p. 473)

JUILLET

St Jean Chrysosthôme et la révolte d'Antioche : I (p. 481) *Abbé A.-M. Zahr.*

Elévation des eaux souterraines : I *(illustré)* (p. 487) *Mr A. Baz.*

A propos de la conversion de quelques Emirs Bellama^c : II (p. 496) *P. A. Chibli O. S. A.*

La poésie populaire : II (p. 501) *Mr T. Aouad.*

Assyriens ou Nestoriens (p. 509) *P. Taoutel S. J.*

Dans la cité de la Vierge : II (p. 515) *Mr M. S. Kemeïd.*

Autour du centenaire de l'Algérie. (p. 522) *Cheikh S. Dahdah.*

La Belgique après cent ans (1830-1930). (*illustré*) (p. 532) *P. Lammens S. J.*

Antara, dans l'histoire et dans la légende : I (p. 534) *Mr F.-E. Boustany.*

Revue des Revues : Mahatma Ghandi. — Le culte du Veau chez les Druses. (p. 541) F. T.

Varia : Ce qu'on lit dans un petit livre. — Montagne de fumée ! — Les guérisons de Lourdes et la science. (p. 547)

Bibliographie : (p. 550)

Ephémérides du mois . (p. 558)

AOUT - SEPTEMBRE

La nécessité de la Grâce. (p. 561) *P. Marmardji O. P.*

Le centenaire du Romantisme (*illustré*) (p. 571) *MM. N. & A. Nasrallah.*

Un rapport du XVIIIe siècle sur le Liban. (p. 578) *Abbé P. Ghaleb.*

Second rapport de la même époque sur le Kesrawan. (p. 588) *Abbé P. Ghaleb.*

Notes de linguistique arabe. (p. 604) *Mr S. K. Rizk.*

St Jean Chrysostôme et la révolte d'Antioche : II (p. 609) *Abbé A.-M. Zahr.*

Une religieuse d'origine druze : I (*illustré*) (p. 615) *P. A. Chibli O. S. A.*

Le premier voyageur européen à la Mecque. (p. 626) *P. Lammens S. J.*

Antara, dans l'histoire et dans la légende : II (p. 631) *Mr F.-E. Boustany.*

La révolte arabe pendant la grande guerre. (p. 648) *P. Taoutel S. J.*

Le mystère de la pyramide du roi Chéops. (p. 659) *Abbé A.-M. Zahr.*

Elévation des eaux souterraines : II (*illustré*) (p. 667) *Mr A. Baz.*

L'assassin, *conte*. (p. 675) *P. Taoutel S. J.*

Revue des Revues : Le pape et les Indes. — Le couvent de Qozhaya.— Le progrès monderne et les musulmans (p. 697) F. T.

Varia : A propos du pélérinage mecquois. — La Syrie, route des Indes.— Le démon de la vitesse. — Néologismes turcs. — Centenaire du premier chemin de fer commercial. (p. 701)

Bibliographie : (p. 704)

Ephémérides du mois. (p. 719)

OCTOBRE

Le Patriarche Paul Massad (1806-1890), (*illustré*) (p. 721) *Mgr Aug. Boustany.*

Kitab ach-Chif'a. (p. 734) *Mr Georges Bey Safa.*

Coup d'œil sur l'Islam contemporain : I (p. 739) *P. Lammens S. J.*

Une page de l'histoire de l'ordre basilien chouérite : I (p. 744) *P. Ath. Hage R. B. B.*

La personnalité littéraire d'al-Ḥotai'a. (p. 751) *Mr F.-E Boustany.*

Hospitalité bédouine. (p. 760) *Al-Ḥotai'a*

Une religieus d'origine druze : II (p. 762) *P. A. Chibli O. S. A.*

Les prisons-Les pénitenceries : I (p. 769) *P. Taoutel S. J.*

Pourquoi fumez-vous ? (p. 778) *F.-E. B.*

Revue des Revues : Ahmad Taïmour Pacha. — L'apparition du chameau dans l'Afrique du Nord. (p. 782) F. T.

Varia : L'enfer des piétons. — Le développement du cinéma — Du théâtre au Couvent. (p. 787)
Bibliographie : (p. 789)
Ephémérides du mois : (p. 797)

NOVEMBRE

La source de la Grâce. (p. 801) *P. Marmardji O. P.*
L'art et la morale. (p. 811) *MM. N. et A. Nasrallah.*
Le Statut personnel : I (p. 821) *Abbé P. Ghaleb.*
Une page de l'histoire de l'ordre basilien chouérite : II (p. 827) *P. Ath. Hage R. B. B.*
Coup d'œil sur l'Islam contemporain : II (*fin*) (p. 836) *P. Lammens S. J.*
Les prisons-Les pénitenceries : II (*illustré*) (p. 840) *P. Taoutel S. J.*
Le Père Laurent Haimari : I (p. 850) *P. L. Hédari.*
De quelques aspects de la poésie arabe contemporaine. (p. 855) *Mr F.-E. Boustany.*
Les romans historiques dans la littérature arabe contemporaine. (p. 862) *Mr I. Kratschkovsky.*
Varia : La vie intellectuelle à Chypre. — Une conversion au Catholicisme. — Statistiques égyptiennes. (p. 867)
Bibliographie : (p. 871)

DÉCEMBRE

Les effets de la Grâces. (p. 881) *P. Marmardji O. P.*
Le statut personnel : II (p. 891) *A. P. Ghaleb.*
Autour de l'Astrologie. (p. 898) *Abbé A.-M. Zahr.*
Les prisons-Le pénitenceries : III (*illustré*) (p. 905) *P. Taoutel S. J.*
Une page de l'histoire de l'ordre basilien chouérite : III (p. 914) *P. Ath. Hage R. B. B.*
Le Père Laurent Haimari : II (p. 922) *P. L. Hédari.*
La pseudo-littérature orientale en Occident. (p. 931) *Mr F.-E. Boustany.*

Revue des Revues : Parallèle entre al-Maarri et al-Khayyâm. — A quoi tient la réputation littéraire. — Médine et le commerce égyptien. (p. 938)

Varia : Mœurs transjordaniennes. — Le centenaire de la Médaille miraculeuse. — La vie de Mahomet en film et les versets du Koran en disques. — Un témoignage impartial. — Diminution du nombre des émigrants. (p. 843)

Bibliographie : (p. 947)

Ephémérides du mois : (p. 959)

Tables des sommaires de la XXVIIIe année. (p. 961)

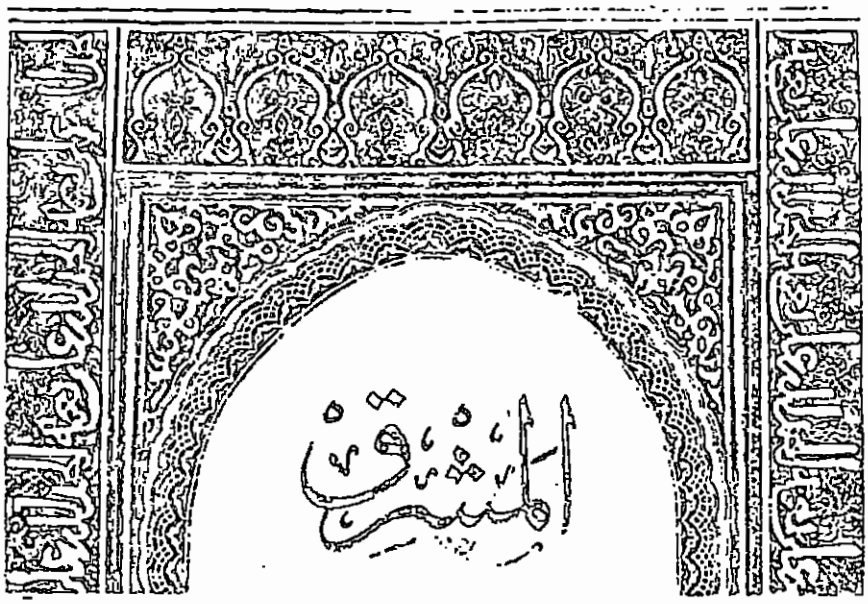

كانون الثاني ١٩٣١

ΔΙΔΑΧΗ ΤΩΝ ΔΩΔΕΚΑ ΑΠΟΣΤΟΛΩΝ

Διδαχὴ κυρίου διὰ τῶν δώδεκα ἀποστόλων τοῖς ἔθνεσιν

تعليم الرسل الاثني عشر

تعليم الرب للامم بواسطة الرسل الاثني عشر

بقلم الاب انطون صالحاني اليسوعي

المقدمة

ان الأثر الكتابي اليوناني المسمى «دِيدَكِه» ، اي «تعليم» هو من اقدم الآثار الكتابية المسيحية المعروفة ، بعد اسفار العهد الجديد وقانون ايمان الرُسل.

في السنة ١٨٧٥ وقف على نسخة منه خطية المطران فيلوتاوس برينيوس ، متروبوليت نيقوميدية الارثذكسي ، وجدها في خزانة كتب دير القبر المقدس بالاستانة ، الخاضع لسلطة بطريرك اورشليم الارثذكسي . وكانت هذه النسخة قد نُقلت في السنة ١٦٨٠ من اورشليم الى الاستانة . الا انها الآن اعيدت الى

المكتبة البطريركية في القدس ، وهي موسومة بالعدد ٥٦ .

اما تاريخ كتابة هذه النسخة فهو سنة ١٠٥٦ ، كتبها لاون المسجّل.

في السنة ١٨٨٣ ، نشرها بالطبع المطران المشار اليه . ولم تكد تظهر هذه الطبعة حتى تهافت عليها العلماء ودرسوها ، ونقلوها الى اللغات المختلفة في جميع البلاد المسيحية وكتبوا عنها المقالات الواسعة ، لما لها من الاهمية العظمى. وقد نُقلت ايضاً الى العربية ، وطبعت في مطبعة المقتطف بالقاهرة في السنة ١٨٨٦ .

لهذا الكتيّب عنوان مزدوج . ففي بدئه نجد هذا العنوان : « تعليم ربّنا المُعلّن للأُمم بواسطة الرُسل الاثني عشر » . اما في آخر الكتاب قبل الفهرس فالعنوان هو : « تعليم الرسل الاثني عشر » فالعنوان الاوّل هو الحقيقي . امّا الثاني فهو مختصر الاول.

لا يُعرف مؤلف هذا الكتاب . والمظنون ان مؤلفه استفاد من تأليف سابق ادبي عنوانه « الطريقان » . كما استفاد منه غيره من المؤلفين في اوائل النصرانية . فكاتب « تعليم الرُسل » سبك كتاب الطريقين مع ما زادهُ عليه سبكاً محكماً متلائماً . الاّ ان هذا الرأي ليس بثبتٍ . كما انه لا يوجد دليل على ان كاتب الطريقين كان يهوديًا.

وما عدا النصّ اليوناني الذي طُبع في السنة ١٨٨٣ ، وُجدت ايضاً في خزانة كتب مدينة مِلك (Melk) غربي ڤينا بالنمسة ، نسخة خطية لجزء من تعليم الرسل في اللاتينية ، عنوانه « الطريقان » . وترتقي هذه النسخة الى القرن التاسع او العاشر للمسيح . وقد عُني العلّامة فونك بنشر هذه الترجمة اللاتينية بالطبع . كما ان العلّامة شلخت (Schlecht) نشر بالطبع نسخة خطية لاتينية قديمة من تعليم الرسل عنوانها «الطريقان» وجدها في مكتبة مونيخ[1]، واكتشف ايضاً العلامة ازلين (Iselin) ترجمة عربية قديمة تحتوي الفصول الستة الاولى من « تعليم الرُسل »[2] وهذه الفصول هي الطريقان.

(١ Fribourg, *1900*, *in*-8° .

(٢ *Texte und Untersuch. t. XIII. 1.* Leipzig. 1895.

يُقسم تعليم الرُسل الى ثلاثة اقسام . فموضوع الفصول الستة الاولى ادبي يعلّم الموعوظين المستعدّين للعماد ما يلزمهم ان يعلموه ويعملوه او يتجنبوه. نعلم انه موجّه للموعوظين لانه في الفصل ١:٧ نقرأ : « عمّدوا بعد ان تقولوا قبلاً كل هذه الامور » اي بعد ان تبيّنوا للموعوظين كل ما ورد في الفصول الستة الاولى.

والقسم الثاني ، من الفصل السابع الى العاشر ، يحتوي على الليتورجية ، اي ما يختصّ بالعماد ، والافخارستيا ، والصلاة.

والقسم الثالث ، من الفصل الحادي عشر الى الخامس عشر ، يتكلم عن نظام الجماعة المسيحية ويذكر رؤساءها من رسل وانبياء ومعلمين واساقفة وشمامسة.

والفصل السادس عشر هو الختام ، فيحرّض على السهر وانتظار مجيء الرب ، ويصف ملك المسيح الدجّال ، ومجيء الرب على سحب السماء.

كان هذا الاثر الكتابي جزيل الاعتبار عند الاقدمين حتى ان بعضهم احصوه بين الكتب المنزلة . فاقليمس الاسكندري يؤكد صريحاً وجود هذا الكتاب ؛ لانه ليس فقط يقتبس منه كثيراً من الآيات ، لكنه في كتابه المعنون « ستروماتا » يذكر الآية ٥ من الفصل ٣ من تعليم الرسل « يا بُني لا تكن كذّاباً لان الكذب يقود الى السرقة » وينسب هذه الآية الى الكتاب المقدس γραφή[1] « الكتاب »

اما اوسابيوس المؤرخ فانه يذكر تعليم الرسل بين الكتب غير القانونية[2]. والقديس اثناسيوس يذكر تعليم الرسل بين الكتب المستعملة في تعليم الموعوظين ويسميه « التعليم المدعوّ تعليم الرسل». وهو بعد ان يعدّد اسفار الكتاب المقدس التي كانت الكنيسة في ايامه تقبلها كقانونية ، يقول : « ما عدا هذه الاسفار توجد غيرها لم تُحدّد انها قانونية . ويرى الآباء انه يمكن قراءتها الذين يرغبون في اكتساب العلم والتقوى . وهذه الاسفار هي حكمة سليمان ، وحكمة

١) مجموعة مين للآباء اليونان ، المجلّد ٨ ، العمود ٨١٧.
٢) مجموعة مين للآباء اليونان ، المجلّد ٢٠ ، العمود ٢٦٩.

ابن سيراخ ، واستير ، ويهوديت ، وطوبيا ، وما يسمّى تعليم الرسل ، والراعي»[1]. وجدير بالاعتبار ان اثناسيوس يميز هذه الاسفار عن الكتب الاپوكريف التي ينسبها الى الهراطقة المُضلّين ويحرّم قراءتها.

ان بعض العلماء المحدثين الذين تكلموا عن هذا الاثر الكتابي النفيس عنوا لكتابته السنة ١٣٥ للمسيح. وبعضهم ارتأى انه وُضع في اوائل القرن الثاني للمسيح. والمطران برينيوس يقول ان رسالة برنابا وكتاب الراعي هرماس سبقا تعليم الرسل ، ويعين لظهوره الزمن ما بين ١٢٠ و١٦٠ للمسيح. وهذا هو ايضاً رأي هرناك . امّا العلامة فونك ومثله زهن ، وشاف ، ولايتفوت ، وسباتيه ، ودون كابرول ، فانهم يعطون السبق لكتاب تعليم الرسل ويعينون لزمان تأليفه اواخر القرن الاول للمسيح ، اي بين السنتين ٧٠و٩٠ ، لا قبلاً ، يتضح ذلك من مضمون الفصول ٧ و ٩ و ١٠ و ١٥:١ و ١١:٣ ؛ قلنا لا قبلاً لانّ مؤلفه يعرف انجيل متى ، وانجيل لوقا ، وبعض رسائل الرسل ، خاصةً رسالة بولس الى الرومانيين والى الكورنتيين ورسالة بطرس ، لاننا نراه يشير الى هذه الاسفار من العهد الجديد (راجع ١:٣ــ٥ و ٢:٢و٣ و ٥:١ و ٢ و ٧:١ و ٣ و ٨:٢ و ١٠:٥ و ٦ و ١١:٧ و ١٢:١ و ١٣:١ و ١٦:١ و ٥ و ٦ و ٨ .

ومما دار البحث عنه بين العلماء بخصوص تعليم الرسل شخصية مؤلفه وهل كان من المرتدين الى الدين المسيحي من الوثنية ام من اليهودية. فارتأى العلامة فونك انه كان من المرتدّين من اليهودية ، لانه يذكر ما كان محرّماً اكله في العهد القديم ولا يستثني الّا اكل ما قُدّم للاوثان (٦:٥) ولانه يطعن بالمرائين اي الفريسيين اذ انه كان عاشرهم وعرفهم . او اقلّه كان المؤلف عائشاً

---

١) مجموعة مين للآباء اليونان ، المجلد ٣٦ العمود ١٤٣٧ . امّا قوله : « لم تحدد اعمالها قانونية » فلأنه في زمن القديس اثناسيوس لم تكن الكنيسة اثبتت قانونية هذه الكتب كما اثبتتها فيما بعد ، مع رفض قانونية كتاب تعليم الرسل وكتاب الراعي هرماس. الا ان اقوال الاقدمين تبين اهمية هذين الكتابين ، وان غير قانونيين ، حيث يضمّونها الى الكتب التي صرّحت الكنيسة فيما بعد بقانونيتها .

بين المسيحيين المرتدين من اليهودية .

وبحث ايضاً العلماء عن البلاد التي كتب فيها تعليم الرسل . فقال بعضهم انه كُتب في مصر . ولكن ينفي هذا القول ما جاء في الفصل ٩ الآية ٤ عن الخبز المجموع من الحنطة المنتثرة في الجبال . ومعلوم انه لا جبال في اراضي مصر تُنبت الحنطة . وقال البعض انه كُتب في فلسطين . ويوافق هذا الرأي ما ورد في الفصل ٨ عن الفريسيين المرائين ، لان المؤلف يظهر انه عاش بينهم وعرفهم . وقال آخرون ان تعليم الرسل كُتب في سورية يؤيد هذا القول اولاً لفظة « المسيحي » التي وردت في الآية ٤ من الفصل ١٢ وقد استعملت هذه اللفظة لاول مرة في انطاكية ثانياً العبارة التي تنتهي بها الصلاة الربية « لان لك القوة والمجد الى الابد » ، وهذه العبارة استُعملت عند السريان. وفي ايامنا يختم السريان الكاثوليك الصلاة الربية بقولهم : « لأن لك المُلك والقوّة والتسبحة الى ابد الابدين . امين » . اما السريان اليعاقبة فيقولون : « لان لك الملك والقوة والمجد الى ابد الابدين . امين » وفي الطقس البيزنطي : « لانّ لك هو الملك والقوة والمجد . . . » .

ومهما يكن من حقيقة مؤلفه ، والمكان الذي كتب فيه تعليم الرسل ، فانه يُلقي على اوائل الكنيسة المسيحية نوراً ساطعاً يظهرها لنا كما كانت في تعليمها وسلوكها وطقوسها ورؤسائها ونظامها ، فنعرفها ونعتبرها ونحبها ونتمسك بها ، فينتعش ايماننا.

نقلنا هذا الاثر المهمّ الى العربية عن نسخة يونانية لتعليم الرُسل ، كان عُني بطبعها ثانيةً في السنة ١٩١٠ الاب كايتانو رومانو اليسوعي ، والحقها بالترجمة اليونانية الحديثة ، وبالترجمات اللاتينية ، والايطالية ، والفرنسية . وعن طبعة العلّامة فرنسيس كسفاريوس فونك في كتابه « الآباء الرسوليون ١٩٠١ » ، وقد بحث بحثاً واسعاً في كل ما تهمّ معرفته من هذا الاثر النفيس « تعليم الرسل الاثني عشر » .

تعليم الرسل الاثني عشر

تعليم الرب للامم بواسطة الرسل الاثني عشر

١

١ يوجد طريقان واحدة للحياة وواحدة للموت[١] . الّا ان الفرق بين الطريقين عظيم . ٢ امّا طريق الحياة فهي اولًا ان تحبّ الله خالقك . ثم قريبك كنفسك[٢] . اخيرًا ان لا تصنع بالغير ما لا تريد ان يصنعه الغير بك[٣] .

٣ ان تعليم هذه الاقوال هو : باركوا لاعنيكم وصلّوا لاجل اعدائكم . صوموا لاجل مضطهديكم لانه ايّ فضل لكم ان احببتم من يحبّكم ، أليس ان الامم هكذا تعمل ؟ امّا انتم فأحبّوا من يبغضكم ولا يكون لكم عدوّ[٤] . ٤ امتنعوا عن الشهوات اللحمية والجسدية[٥] . ان لطمك احد على الخدّ الايمن فحوّل له الآخر ، فتكون كاملًا . ان سخّرك احد ميلًا فامش معه ميلين . ان نزع احد ثوبك فاعطه ايضًا رداءك . ان نزع احد منك ما هو لك فلا تطالبه[٦] . لانك لا تقدر[٧] . ٥ كلُّ مَن سألك فأعطه ولا تطالبه

---

١) يراد بالطريق نوع حياة الانسان وسلوكه . « قال الربّ هاءنذا اجعل امامكم طريق الحياة وطريق الموت » (ارميا ٢١ : ٨) . « ادخلوا من الباب الضيّق لانه واسع الباب ورحب الطريق الذي يؤدي الى الهلاك والداخلون فيه كثيرون . ما اضيق الباب واحرج الطريق الذي يؤدي الى الحياة وقليلون الذين يجدونه » (متى ٧ : ١٣ و١٤)

٢) متى ٢٢ : ٣٧–٣٩ ومرقس ١٢ : ٣٠ و٣١

٣) متى ٧ : ١٢ ولوقا ٦ : ٣١ : « كلّ ما تريدون ان يفعل الناس بكم فافعلوه انتم جم . فان هذا هو الناموس والانبياء » ٤) متى ٥ : ٤٤ و٤٦)

٥) يريد بهاتين اللفظتين ان تُميت كل شهوات الطبيعة الفاسدة

٦) متى ٥ : ٣٩ و ٤٠ و ٤٢ لوقا ٦ : ٢٢ و٢٣

٧) اي لا تقدر ان تفوز بحقّك بدون مخاصمة او بدون ان تلتجئ الى المحاكمة . الامر الذي لا يليق بالمسيحي كما قال الرسول : « أيجترئ المرء فيكم اذا كانت له دعوى على آخر ان يحاكمه لدى الظالمين لا لدى القديسين » (١ كور ٦ : ١)

لانَّ الآبَ يريد ان نُعطي الجميع من مواهبه. طوبى لمن يعطي حسب الوصية فانه بلا لوم . الويل لمن يقبل لانه ان قبل احد وكان محتاجاً كان بريئاً . امَّا من يقبل من غير حاجة فانه سيؤدّي حساباً لماذا قبل ولأيّة غاية . وسيكون في القيود ويُسأل عمّا فعل ولا يخرج من هناك حتى يؤدّي آخر فلس[1] . ٦ وقد قيل ايضاً في هذا الموضوع : لتعرق صدقتك في يديك الى ان تعرف لمن تعطيها[2] .

٢

١ وصية التعليم الثانية[3] ٢ لا تقتل ، لا تزنِ ، لا تفسد الصبيان ، لا تفسق ، لا تسرق ، لا تعمل سحرًا ، لا تدُف سمّاً ، لا تقتل جنيناً في البطن ، لا تقتل طفلاً مولوداً ، لا تشتهِ ما هو لقريبك . ٣ لا تحنث ، لا تشهد بالزور ، لا تسبّ ، لا تتذكر ما لحق بك من الاهانة . ٤ لا تكن ذا وجهين ولا ذا لسانين ، لانَّ اللسان المزدوج هو فخّ الموت. ٥ لا يكن حديثك كاذباً ولا باطلاً ، بل ممتلئاً عملاً . ٦ لا تكن حريصاً ، ولا خاطفاً ، ولا مرائياً ، ولا شرّيرًا ، ولا متكبّرًا ، ولا تَنو سوءًا لقريبك. ٧ لا تبغض

---

١) متى ٥ : ٢٦

٢) معنى هذه العبارة غير واضح. لعلّه يريد ان لا نُسرع في منح الصدقة بل نتأنّى الى ان نعرف من يستحقّها بسبب احتياجه . او انه يريد ان نتعب ونكدّ لنحصل على ما يسهّل لنا اعطاء الصدقة.

٣) في هذا الفصل نجد شرح الجزء الثاني من الوصية « احبب قريبك كنفسك » . فانه في الجزء الاوّل اوصى بمحبة الله وفي الجزء الثاني اوصى بمحبة القريب . وجدير بالاعتبار انه في الجزء الاول اورد ما هو بالايجاب اي بصنع الخير مع القريب حسبما ورد في رسالة يوحنا الاولى (٤ : ٢١) : « من احبّ الله فليُحبب اخاهُ ايضاً » . امَّا في الجزء الثاني فقد سلك بالسلب اي انه اوصى بالامتناع عمّا يضرّ بالقريب . كما فعل بولس الرسول في رسالته الى الرومانيين (١٣ : ٩) : « ان هذه الوصية لا تزنِ ، لا تقتل ، لا تسرق ، لا تشهد بالزور ، لا تشتهِ ، وما كان من الوصايا غير ذلك ، انّما هي متضمنة في هذه الكلمة ان احبب قريبك كنفسك » .

اجداً ، بل وبخ هؤلاء ، وصلِّ لاجل أولئك ، واحبب غيرك اكثر من نفسك .

٣

١ يا بُنيَّ اهرب من كل شرٍّ ومن كل ما يشبهه . ٢ لا تكن غضوباً لان الغضب يقود الى القتل ؛ ولا حادّ الطبع ولا خصوماً ولا شرساً لانه من كل هذا يتولّد القتل . ٣ يا بُنيَّ لا تُطع الشهوة لانها تقود الى الزنى ؛ ولا تكن فاحش الكلام ، ولا ترفع عينيك بجرأة مفرطة لانه من كل هذا تتولد انواع الزنى . ٤ يا بُنيَّ لا تكن متطيّراً لانّ ذلك يقود الى الوثنيّة ؛ ولا راقياً ولا منجّماً ولا ساحراً ولا ترضَ النظر الى هذه الاعمال لانه منها جميعها تتولّد الوثنيّة . ٥ يا بُنيَّ لا تكن كذّاباً لان الكذب يقود الى السرقة ؛ ولا تكن راغباً في المال وفي المجد الباطل لانه من هذه كلّها تتولّد السرقات . ٦ يا بُنيَّ لا تكن متذمّراً لان التذمّر يقود الى التجديف ؛ ولا متعجرفاً ولا سيئَ الظنّ لانه من كل هذه تتولّد التجاديف . ٧ بل كن وديعاً لان الودعاء يرثون الارض[1] ٨ كن صبوراً ، رحيماً ، صادقاً ، مسالماً ، صالحاً ، وراهباً دائماً الكلام الذي وُعظتَ به . ٩ لا ترفع ذاتك ، ولا تُسلم ذاتك الوقاحة . لا تعاشر المتكبرين ، بل ليكن تردُّدك على الابرار والمتواضعين . ١٠ كلُّ ما يحدث لك اقبله كانه خير لك عالماً بانه لا يحدث شيء بدون الله .

٤

١ يا بُنيَّ اذكر ليلاً ونهاراً من يكلمك بكلام الله . خفه كالرب لانه حيث تكون السلطة فهناك الربّ . ٢ اطلب كلَّ يوم لقاء القديسين لكي ترتاح الى حديثهم . ٣ لا تسبّب انشقاقاً لكن اسعَ في مصالحة المتخاصمين .

---

١) متى ٥: ٤

احكم بالعدل ، وفي التوبيخ على الزلّات لا تنظر الى وجوه الناس. ٤ لا تكن مرتاباً في هل يكون الشيء ام لا[1].

٥ لا تمدّ يدك للأخذ وتقبضها عند العطاء. ٦ أعط ممّا عندك من تعب يديك كفّارةً عن خطاياك. ٧ لا تتردّد في العطاء ولا تتذمّر فسوف تعلم من هو المكافئ الصالح. ٨ لا تصرف وجهك عن المحتاج ، بل اشرك اخاك بخيراتك. ولا تقل عن خير انه خاصّ لك لأنه ان كنتم شركاء في الخيرات الابدية فانتم بالاولى شركاء في الزمنية.

٩ لا ترفع يدك عن ابنك ولا عن ابنتك ، بل من طفولتهم علّمهم مخافة الله. ١٠ لا تأمر بمرارة نفسك عبدك او أمتك اللذين يرجوان معك الاله ذاته حذرًا من ان لا يهابا الاله المتسلّط عليهما. لانه لم يأتِ ليدعو الناس محاباةً للوجوه ، بل اتى ليدعو الذين اعدّهم الروح. ١١ اما انتم ايها العبيد فاخضعوا لسادتكم باحترام وخوف خضوعكم لصورة الرب[2].

١٢ ابغض كلّ رياء وكل ما يسوء الربّ. ١٣ لا تترك وصايا الربّ بل احفظ كل ما قبلتَه بدون زيادة ولا نقصان. ١٤ اعترف بخطاياك في جماعة المؤمنين[3]. ولا تقدُم على الصلاة بضمير اثيم[4].

هذه هي طريق الحياة

(للبحث صلة)

---

١) لا يوضّح في اي شيء يلزم ان لا نرتاب. الا ان الراعي هرماس (الوصية ٩ الاعداد ١–٨) يُبين ان الكلام عن الصلاة حسب قول المسيح (مرقس ١١: ٢٤) : «كلّ ما تسألونه في الصلاة فآمنوا بانكم تنالونه فيكون لكم». (راجع متى ٢١: ٢٢)

٢) افس ٦: ٥ كولوسي ٣: ٢٢ تيطس ٢: ٩ ١ بطرس ٢: ١٨

٣) يعقوب ٥: ١٦ ٤) عبرانيين ١٠: ٢٢

من آثارنا الدفينة

مدينة افامية واهمية اطلالها

نتيجة حفريات البعثة البلجيكية

بقلم فؤاد افرام البستاني

انسنا ، في الشهر الماضي ، بلقاء الاثري البلجيكي المشهور ، الاستاذ فرنان مايانس (Mayence) من جامعة لوفان ، رئيس البعثة البلجيكية للحفر في افاميـة ، وامين متاحف الفن والتاريخ الملكية في بروسل ؛ وكان عائـدًا من مركز حفرياته في موقع افامية ، فحدثنا عن نتائج اعماله حتى الآن وعن قيمة مكتشفاته ، فرأينا ان ننقل الى قرائنا الكرام هذه المعلومات القيمة مع مقدمة تاريخية ، شاكرين للاستاذ الفاضل تلطفه ، متمنين له تمام النجاح في اعماله كلها

على نحو خمسين كيلومترًا من شمال حماة الغربي ، قرب ضفة العاصي الشرقية ، يرى المسافر في يومنا خرائب خالية وحجارة ضخمة مبعثرة او متراكمة ، منتشرة قرب قرية هناك بُنيت ضمن قلعة عربية قديمة فدعيت « قلعة المضيق » . تلك هي آثار مدينة مشهورة في تاريخ سورية القديم ، عرفها المؤرخون قبـل السلوقيين باسم بيـلا ، وبعدهم باسم افامية ، ثم عرفها العرب والصليبيون باسم افامية وفامية .

دُعيت المدينة بيلا (Pella) على عهد المقدونيين ، باسم مدينة في مقدونية كانت عاصمة فيلبوس ، وفيها وُلد الاسكندر الكبير[1] . وعلى اثر وفاة هذا الفاتح العظيم ، تقاسم قوّادُه الامبراطورية ، فكانت مقاطعات سورية والعراق وارمينية وما جاورها من نصيب سلوقوس ، الـذي عُرف في ما بعـد بلقب

١) ولم يبقَ منها اليوم الا بعض خرائب قرب قرية ينيجي من اعمال سالونيك .

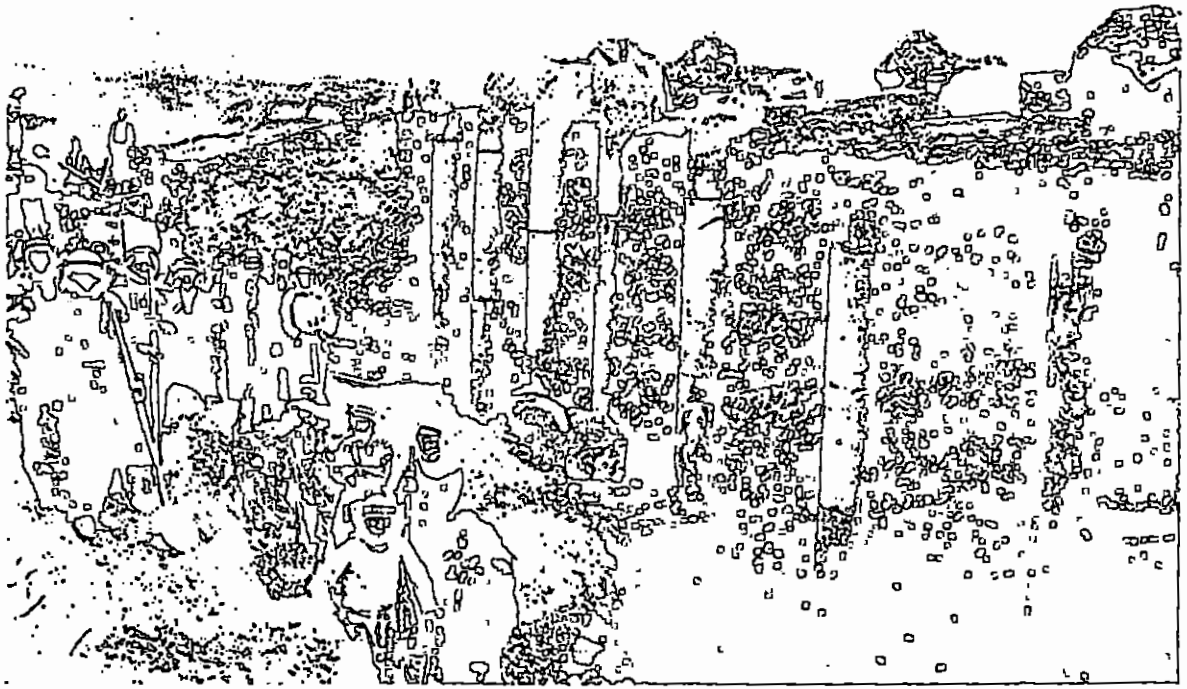

الرسم ٤ مشهد قسم من الاعمدة الضخمة ، والحفريات التي أجريت لكشف المطمور منها

الرسم ٦

منظر القناة الحجرية الضخمة ، في اسفل الصورة ، والاقنية الفخارية الصغيرة فوقها ، وعلى اليسار اركان القناة الكبيرة المكشوفة

« نيقاطور »[1] ومعناه « المنصور » ، فأسس الدولة السلوقية ، وانشأ المدن الكثيرة . وكان ان احتاج الى معسكر في نواحي العاصي ، ومستودع للخيول والمؤن والذخائر ، فكبّر مدينة پيلا المذكورة وجعلها ، وغيّر اسمها فسماها أفامية[2] باسم امرأته . وازدهرت المدينة ازدهاراً عجيباً على ما يظهر حتى عُدّت احدى المدن الاربع الكبيرة في مقاطعة سلوقية او سورية الغربية وهي: سلوقية ، وانطاكية ، واللاذقية ، وافامية هذه .

ويُستخلص من بعض الآثار والاشارات التاريخية ان المدينة ظلّت على ازدهارها في عهد الرومانيين قبل المسيح وبعده ، وكانت مركز اسقفية .

وفي اواسط القرن السادس ، اثناء الحروب الشديدة بين الامبراطور

---

١) كان سلوقوس من افضل قوّاد الاسكندر ، وكان قائد الخيّالة الملكية على اثر وفاة سيده . فاحتلّ ما كان تحت يده من المقاطعات واعان استقلاله فيها . وعلى اثر منازعات يطول شرحها مع منافسيه من القوّاد والامراء ، ولاسيما أنتيغون ، أخذ يبسط نفوذه ويكتسح البلاد حتى احتلّ ما بين الفرات ونهر السند ، واتخذ لقب ملك سنة ٣٠٧ ق . م . مؤسس الدولة السلوقية . وبعد معركة ابسوس ، التي قُتل فيها منازعه انتيغون ، اضاف الى بلاده مقاطعات سورية والعراق وارمينية وفريجية (٣٠١) . ثم أسس على العاصي مدينة انطاكية سنة ٢٩٩ ق . م . وجعلها عاصمة ملكه . ولم يزل يواصل الحروب والفتوحات حتى بسط نفوذه على اكثر مقاطعات امبراطورية الاسكندر ، وسنة ٢٨٣ ق . م . نادى بنفسه ملكاً على مقدونية وتراقية وآسية الصغرى ، فحياه الناس بلقب «نيقاطور» اي المنصور . ولكن لم يمض عليه ثلاث سنوات في ذلك العزّ حتى اغتاله المدعوّ بطليموس كيرونوس سنة ٢٨٠ ق . م .

٢) أسّس سلوقوس عدة مدن باسم امرأته أفامية منها واحدة ما بين النهرين على ضفة الفرات اليسرى ، مقابل زغمة ، تُدعى اليوم روم - قلعة .

ومنها واحدة قرب ينابيع نهر الماندر ، على حدود پزيدية اسمها اليوم آيدين كوزل حصار .

وذكر ياقوت ، عن يحيى بن جرير المتطبّب ، ان « سلوقوس بنى في السنة السادسة من موت الاسكندر اللاذقية وسلوقية وأفامية وباروّا وهي حلب» (ياقوت : معجم البلدان–طبعة Wüstenfeld — ١ : ٣٢٢) ولا نعلم اي افامية اراد . ولعلها التي يهمّنا امرها الآن اذ انه يورد ذلك بعد ان يقول : « افامية : مدينة حصينة من سواحل الشام ، وكورة من كور حمص » (١ : ٣٢٢)

وهناك عدة مدن تُدعى باسم أفامية ، ولكنها لا تمتّ بشيء الى سلوقوس نيقاطور .

يوستنيانوس وكسرى انو شروان ، دخلها هذا سنة ٥٤٠ ، وعاث جيشه فيها.

وسنة ١٧ للهجرة (٦٣٨ م.) زحف عليها ابو عبيدة بعد ان افتتح شيزر ، فتلقاه اهلها بالصلح ، فصالحهم على الجزية والخراج[1] . ولم يبقَ لها بعد ذاك من ذكر مهمّ في التاريخ سوى انها وردت في الشعر العربي تارة باسم افامية ، كما في قول ابي العلاء المعرّي :

ولولاك لم تسلم افامية الردى

وطورًا باسم فامية ، كما في قول عيسى بن سعدان الحلبي :

ما مرّ برقك مجتازًا على بصري ... الّا وذكّرني الدارين من حلبِ
ليت العواصم من شرقيّ فاميةٍ ... اهدت اليّ نسيمَ البانِ والغرَبِ
ما كان اطيبَ ايامي بقربهم ... حتى رمتني عوادي الدهر من كثَبِ

وقد ذكرها ياقوت بالاسمين: أفامية وفامية[2] . وعرفها الصليبيون ايضاً بهذا الاسم الاخير فدعوها « Famich »

وفي سنة ١١٥٢ ، حصل زلزلة قوية هدّت مبانيها ، وقضت اركانها ، فحوّلت صروحها الجميلة الى كوم متراكمة من الحجارة . ثم لعبت بها ايدي الحدثان ، فنقل العرب كثيرًا من آثار تلك الصروح حتى بنوا قلعة المضيق ، وهي قائمة في غربيها على تلّ مرتفع يُشرف من جهة الشرق على انقاض المدينة في سهل فسيح ، ومن جهة الغرب على نهر العاصي . وكذلك بُني بحجارتها الخان الكبير الذي ينزله المسافر الى تلك الجهات في سفح التل المذكور. ولا شك أن هذا التل كان، في ما سلف ، متصلًا بأفامية التي تراكم التراب على معالمها فدفنها، ومحا النسيان ذكرها او كاد ، حتى قيّض الله لها همّة الاستاذ ميّانس فاقبل يحفر في ترابها حتى اكتشف آثارها ، فاعاد الى نور التاريخ ذكرى مدينة عظيمة تفتخر بها سورية ، فتشكر للاستاذ جدّه ونشاطه.

* * *

في مستهلّ القرن الحالي ، مرّت من تلك الجهات بعثة أثرية أميركية ،

---

١) ياقوت ١ : ٢٢٢ – والبلاذري : فتوح البلدان – طبعة de Goeje – ص ١٣١

٢) راجع معجم البلدان – طبعة Wüstenfeld – ١ : ٢٢٢ و ٣ : ٨٤٦

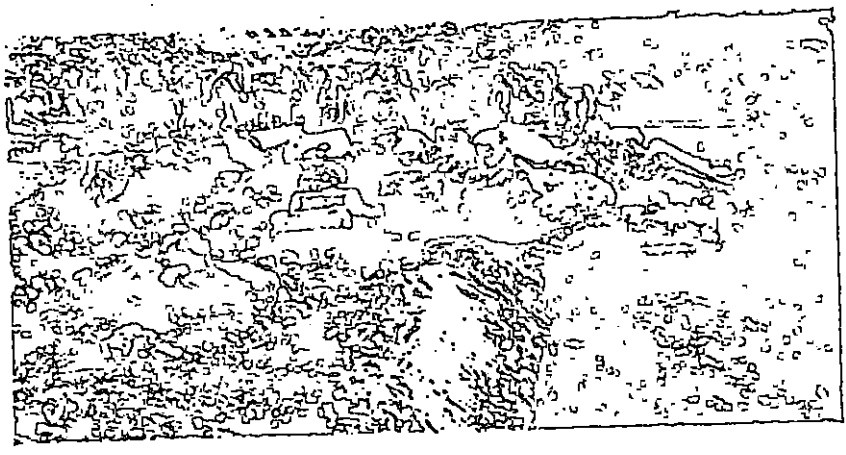

الرسم ١

بعض عمّال الحفريات ، اثناء الشغل ويُرى في آخر الصورة ، الى اليسار مضارب البعثة

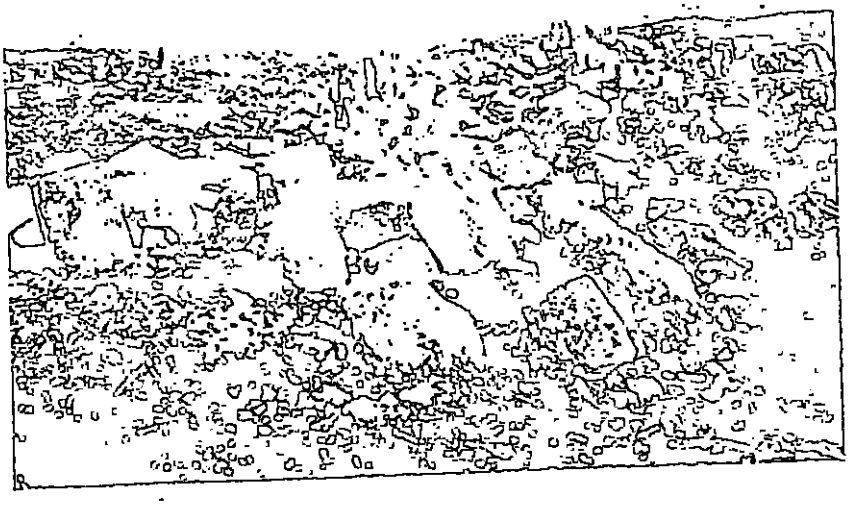

الرسم ٢

منظر قسم من الخرائب تظهر فيه معالم الاعمدة التي طمر القسم الكبير منها

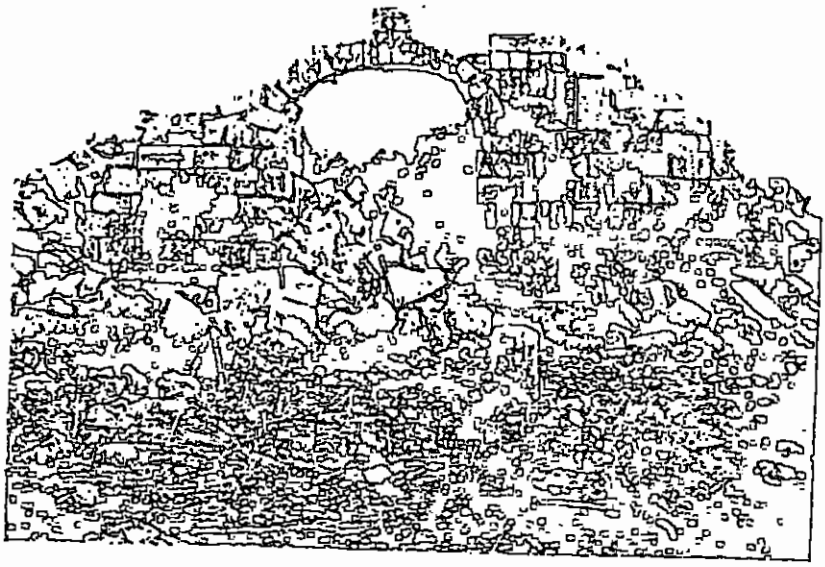

الرسم ٣

آثار الباب الشمالي – وهو مدخل الجادّة الكبرى

الرسم ٥

مثال للاعمدة المكتشفة ، وهي مزخرفة في اعلاها واسفلها

فاستوقفها مشهد تلك الخرائب ، ففحصتها . الّا انهـا كانت مستعجلة ، على ما يظهر ، فلم تحفر بل اكتفت بما شاهدته على وجه الثرى،وهو اقلّ من القليل بالنسبة الى ما حُفظ مطموراً ، فكتبت عنه الشيء النزر ، ورسمت لبعض المباني القديمة رسوماً ظهرت اليوم ناقصة كل النقص ، بل معاكسة للحقيقـة احياناً ، وما ذاك الا لانها مبنية على الظاهر من الاطلال فقط . ولم يتبع هـذا العمل شيء من الاهتمام في الاوساط العلمية ، فبقيت تلك الخرائب لا يقف عندها الا بدو سورية الشمالية ، ولا يهتمّ بها الّا من تروقهم بعض احجارها فيستلّوهـا لبناياتهم الخاصة، حتى قدم ، لبضع سنوات خلت ، الاثري البلجيكي الكبير الاستاذ كومون(Cumont) ، فقام بالحفريات في الصالحية على شاطئ الفرات، وهي الحفريات المعروفة في موقع دورا اوروبوس والتي لا تزال متابعة بمعاونة جامعة ييل(Yale). فكان ان الاستاذ كومون، عند عودته ، مرّ بافامية فشاهد خرائبها ، ولفت نظره اتساع محيط اطلالها . ولما لم يكن لبلجكة بعثـات علمية في الشرق ، خطر على باله ان يعرض عليها القيام بهـذا العمل . فقابل الاستاذ ماياس وسأله هل يوافق على تأليف بعثة تأتي بادارته الى سورية فتجري الحفريات في موقع أفامية ؟

فارتاح الاستاذ ماياس للمشروع كل ارتيـاح . واتى بلادنا سنة ١٩٢٨ للتحقيق والاستكشاف . وما هو ان صرف بضعة اسابيع في جهات افامية ، حتى حصل على ما كان يرغب فيـه من درس الموقع وطرق اجراء الحفريات ، فعاد الى بلجكة ورفع تقريراً ضافياً بذلك الى لجنة « الاعتماد الوطني للابحاث العلمية» «*Fond national des Recherches scientifiques*»، وهي مؤسسة غايتها تعزيز الدروس والابحاث العلمية على اختلاف انواعها تعزيزاً فعّالاً بالرجال وبالمال. فاهتمت بتقرير الاستاذ ، وقرّرت ان تشارك الحكومة البلجيكيـة بامداد البعثة بكل ما تحتاج اليه في اعمالها . فلم يبقَ اذاً الّا تأليف هذه البعثة ومباشرة العمل . فألّفت هيئة عالية دُعيت « لجنة البحث والحفريات في أفامية» قوامها اساتذة من الجامعات البلجيكية الاربع،والاستاذ رينه دوسو(Dussaud) الاثري الفرنسي الخبير بآثار سورية . وتلطّف صاحبا الجلالة ملك البلجيكيين

وملكتهم فشرّفا اللجنة برعايتها . وفي الخريف الماضي وصل الى مركز الحفريات الاستاذ ماياس وبمعيته المهندس لاكوست من مجمع الفنون البلجيكي وبعض الرجال ، فباشروا اعمال الحفر التي شغلوا فيها مائة عامل مدة سبعة اسابيع متوالية (انظر الرسمين ١ و ٢) . واوقفت البعثة اعمالها في اواخر تشرين الثاني بسبب رداءة الطقس ، وصرفت عمّالها على ان تستأنف الشغل في الخريف القادم . وقد وجدت عقبات كثيرة في نقل موادّ الحفر لتعذّر المواصلات ، كما انها قاست كثيراً من صعوبة المعيشة في الخيام لما كان يطرأ من تقلّبات الجوّ في تلك الانحاء . ولا تزال تذكر وصف الاستاذ ماياس لليلة هبّت فيها العواصف وتراكمت الامطار ، ثم اشتدّت الزوبعة فقلبت المضارب ورمت في الاوحال كلّ ما كان جمعه من معلومات ، وتخطيطات ، ورسوم ، وقوالب صور ، حتى خُيّل اليه ان اتعابه كلها ذهبت دون جدوى — وكان ذلك بعد انتهاء الحفريات — وانه لا بدّ من مراجعة الاعمال من اولها . قال الاستاذ هذا ، واخرج مفكرته فارانا ما كان لا يزال عليها من اثر الاوحال كما انه ارانا التخطيطات والرسوم الملطّخة ، وقال : « وهذا ايضاً من الذكريات الجميلة التي نحملها من ارض افامية . » فضحكنا . فقال ضاحكاً : « اننا نضحك اليوم لهذا التذكار ، ولكني كنت جدّ بعيد عن الضحك في تلك الايام الشديدة اذ رأيت ثمرة جهودنا مطروحة في الوحول وقد تراكمت فوقها امتعتنا ، فخلت ان رسومنا تعطلت وقوالب صورنا تكسّرت كلها ؛ وداخلني أسف عميق لا يعادله الّا فرحي بوجودها كلها سالمة . » فاكبرنا هذه العاطفة في الاستاذ ، وادركنا ما يقاسيه رجال العلم في سبيل علمهم .

اما ما كشفت الحفريات عنه فآثار عديدة امكن مجموعها من تخطيط المدينة ، ورسم شارعها الاعظم ، وبعض مبانيها ، وكشف طريقة توزيع المياه فيها ، مع الاطلاع على بعض الآثار الخاصة بالمعتقدات والعبادات . ومما افاد البعثة في توجيه حفرياتها خارطة جوية أُخذت من احدى الطيارات ، فشملت جميع الاطلال ، ومكنت المهندس من القاء نظرة اجمالية على المدينة بكاملها . فاستند الى تلك الخارطة من جهة ، والى الحفريات من جهة أخرى ، وتمكن من تخطيط المدينة ، واذا هي تظهر على شكل اهليلجي يستطيل من الشمال الى

الجنوب ، ويتصل من جهة الغرب بالتلّ القائمة عليه اليوم « قلعة المضيق » ببنائها الجميل الذي أخذت اكثر حجارته من خرائب أفامية . ويرى القارئ ، في الرسم ٣ ، آثار الباب الشمالي للمدينة . وهو مدخل الجادّة الكبرى التي كانت تكتنفها الاعمدة الضخمة على طول ١٦٠٠ متر فتقسم المدينة في وسطها الى قسمين من الشمال الى الجنوب.

وهذه الاعمدة تؤلف ، مع الصرح الآتي ذكره ، أهم مكتشفات البعثة . وهي تقوم منتشرة على جانبي الجادة ، كما تنتشر الاشجار في عصرنا على ارصفة الشوارع الكبرى ، ولم يكن يظهر قبل الحفر الا رؤوسها او حلقات منها فكان يظنّها بعض الزوّار آساسها . اما قطر العمود منها فيبلغ ١٢٠ سنتيمترًا.

وهنا ايضاً يعود الفضل الجزيل في توجيه الحفريات للصورة الجوية ، وكانت تظهر فيها آثار تلك الاعمدة على شكل رؤوس الدبابيس بيضاء متسلسلة من اول المدينة الى آخرها . فلم يكن على مدير الاشغال الا تتبعها ، فتتبعها وبالغ بالحفر حتى وصل الى قواعدها .

اما هذه القواعد فكانت مطمورة بعضها على عمق ٣ امتار ، واكثرها على عمق سبعة امتار ونصف المتر . وقد حفرت الخنادق الواسعة حتى كشف عنها ، كما يُرى في الرسم ٤ ، فاذا هي مزخرفة بنقوش لطيفة على شكل اوراق اللبلاب (*lierre*) والكنكر (*acanthe*) المعروفة (انظر الرسم ٦) . وما زال الحفر متواصلًا خارج الجادّة مما يلي العواميد حتى كشف عن الحائط الاقصى . ويبلغ عدد العواميد الالف ، على صفّين متقابلين طول الجادة ، بين العمود والآخر ٣ امتار ، الّا عندما تنفرج الاعمدة فتخلي المكان لطريق آخر ، فتتألف ساحة في المفرق ؛ وعندما تنفرج امام واجهة الصرح الكبير الذي أشرنا اليه ، القائم على اعمدة تشابه السابقة ، الا انها ارفع لا يزيد قطرها عن ٨٠ سنتيمترًا. وهو من اجدر الآثار بالاهتمام لما بدا في هندسته الرومانية ، واسلوب بنائه ، من المزايا التي تخالف كل ما يُعرف من نوعها حتى اليوم ، وقد تمكنت البعثة، بواسطة ما اطلعت عليه من المواد ، من اعادة رسم هذا الاثر الفخم بكل ما يمكن من الدقة العلمية الخالية من تأثيرات الخيال والوهم . الا انها لم تتمكن

من معرفة غاية هذا البناء وهل كان معبداً، ام قصراً خاصاً ، ام مركز ادارة او حكومة . ولعلها تتوصل الى ذلك بعد تفريغ الارض حول انقاضه.

وعلى ملتقى الطرق وجدت أثراً آخر يقوم بقاعدة كبيرة مزخرفة بنقوش دقيقة الصنع ، فوقها عمود كورنثي كان يجب ان يكون عليه تمثال الا انه فُقد لسوء الحظ . وقد تمكنت البعثة من اعادة رسم هذا الأثر ايضاً .

ومن الآثار المكتشفة انقاض مسرح روماني . وركن مزخرف يمثل مشاعد واشخاصاً تتعلّق بعبادة الكرم ؛ منها شخص واقف على احدى الدوالي المتفرّعة اغصانها حول فخذيه وصدره ، وقد رفع بيده فأساً مزدوجة ؛ وشخص آخر له رجلا تيس يمسك بيده ذنب حيوان لم يُعرف تماماً . وكلّها آثار مهمة لدرس عبادة الاله باخوس وعلاقتها بعبادة اله الكرم الشرقي . ويجدر بالذكر انه ليس من رُقم على هذه الآثار. ويمكن القول نفسه عن غيرها ؛ فان الرقم المكتشفة في افامية قليلة منها بعض الكتابات اللاتينية على نصب دفني روماني ، ومنها كتابة يونانية من عصر متأخر لا يمكن الارتقاء به الى ما وراء منتصف القرن الخامس .

وقد وجد في الشارع الاكبر ناووس من الحجر عليه نقوش رومانية تشبه نوعاً ما النقوش الموجودة على نواويس الرصاص المكتشفة في بيروت (راجع المشرق ٢٨ [١٩٣٠] ١٩٤) . على ان وجود هذا الناووس مطروحاً في الجادة الكبرى يدل على ان مقبرة المدينة قد نُهبت ، ونُقل هذا الناووس ليُستعمل وعاء لجمع ماء المطر .

وهناك آثار لا تقلّ اهمية عن كل ما ذكر ، كما انها لا تقلّ دلالة على تقدّم تلك المدينة في العمران ، ومقدرة اهليها في الهندسة والصناعة ، الا وهي الاقنية الحجرية والفخارية التي كانت تتفرّع في ارض المدينة فتوزّع الماء على انحائها المختلفة .

لا يخفى انه لم يكن في المدينة ماء يكفي سكانها ، ولم يكن بالامكان ان يحوّل اليها شيء من ماء العاصي ، وهو احطّ منها مستوًى. فلزم اذاً ان تُجرّ اليها المياه من نقطة بعيدة لم تُعرف بعد. اما المعروف فهو طريقة الجرّ ، وهي

على اتم ما يمكن من الترتيب . فقد كشفت اعمال الحفر ، تحت مستوى ارض المدينة ، عن قناة كبيرة مكشوفة رُفعت في بعض الاماكن على قناطر ضخمة واركان قوية حتى اوصلت المياه الى المدينة . واكتشف ايضاً قناة اخرى اصغر من المجرى الاول ، ولكنها مستديرة تجري فيها المياه مغطّاة ، يبلغ قطرها الداخلي خمسين سنتيمتراً ، والخارجي تسعين سنتيمتراً . والعجيب فيها انها كلها من الحجر المحفور حتى منعرجاتها وزواياها ، وهو شغل يدفع الى الدهشة والاعجاب ؛ وقد كُشف مؤخراً قناة مثلها في اورشليم . هذا ويتفرع عن تلك القناة الحجرية كثير من الاقنية الصغيرة فتسير في جميع انحاء المدينة ، الا انها من الفخار الصلب . وقد ظهرت كلها في الرسم ٦ .

* * *

هذا ما امكننا ذكره من نتائج حفريات البعثة البلجيكية في اول اعمالها . وقد تركت الآثار في غرف الخان الكبير القائم هناك ، تحت عناية الحكومة السورية ، وستعود في الخريف المقبل مع المعدّات اللازمة من ادوات لتسهيل الحفر ، وحافلات لتفريغ التراب ، وآلات لبناء سكة حديد صغيرة ، فتواصل اعمالها حتى تنتهي من تخطيط افامية تخطيطاً كاملاً .

وقد اشرنا الى الآثار المكتشفة بطريقة سطحية تاركين وصفها العلمي الدقيق وما يُستنتج منها لفائدة تاريخ المدنية القديمة ، الى المستقبل ، بعد ان يكون الاستاذ مايانس قدّم تقريره الى اللجنة البلجيكية ، وبعد ان يكون نشر آراءه وشروحه التي ليس من حقّنا ان نشير اليها الآن . بل يكفي ان نطلع قرّاءنا الكرام على ما يجري في بلادنا وما يُكتشف فيها من الدفائن النفيسة ، واعدينهم بالعودة الى الموضوع ، متمنّين للاستاذ مايانس متابعة عمله حتى النهاية .

دولة جديدة

في قلب جزيرة العرب

بقلم الاب لامنس اليسوعي

اسم هذه الدولة الجديدة « مملكة الحجاز ونجد وملحقاتها » ، وهو اسم يدلّ بطوله على ان الدولة مؤلفة خصوصاً من قُطرين مختلفين هما نجد والحجاز التاريخيان . ولا يرقى نشوء هذه الدولة الى ابعد من الحرب الكونية التي جرّت كثيراً من الانقلابات السياسية والجغرافية .

كان الحسين بن علي ، الذي فاجأتنا بنعيه اخبار تُسرّع في ارسالها ولم تلبث ان كُذّبت ، شريفاً في مكة في اوائل الحرب . وهو لقب لا سلطة فعليّة لحامله ، لان النقض والابرام كانا بيد والي الحجاز العثماني . إلّا ان الحسين استفاد من اضطراب النظام العسكري التركي ، ومن تضعضع الاتراك على اثر دخولهم الحرب ضدّ الحلفاء ، فاعلن استقلاله في ٣٠ ايار ١٩١٦ . ومنذ ذاك الحين بدأت حياة تلك المملكة التي دُعيت « مملكة الحجاز » والتي كانت ، في رغبة الحسين ، سوف تمتدّ الى ابعد من حدود الحجاز . لانه ، باتخاذه لقب « ملك العرب » ، كان يرمي الى انْ يضمّ تحت سلطته ، عاجلًا او آجلًا ، كل انحاء الجزيرة العربية ، فضلًا عن سورية والعراق . ولكن تلك الرغبة الجميلة لم تتحقّق ، فلم يعترف الحلفاء بلقبه ذاك ، ولا أقرّ امراء العرب بتلك السيطرة المزعومة ، وهم شديدو التمسّك باستقلالهم الذاتي . اما ملك الحجاز فلم يُقلع عن فكرته بل جارى طمعه مجاراة كانت وخيمة العاقبة عليه ، اذ شهر الحرب على ابن سعود ، امير الرياض ، لانه لم يعترف بسلطته . فكانت

النتيجة ان الجيش الحجازي كُسر شرّ كسرة ، فانهزم امام العساكر النجدية التي دخلت مكة في ١٣ تشرين الاول ١٩٢٤ . فتنازل الحسين عن عرش الحجاز لابنه علي ، الذي لجأ الى جدّة ، وقاوم فيها حتى ١٨ كانون الاول ١٩٢٥ . عند ذاك الحق ابن سعود الحجاز موقتاً بامارة نجد ، على ان يجتمع ممثلو العالم الاسلامي في مؤتمر عام يقرّر مصير تلك البلاد .

وفي الحقيقة لم ينتظر ابن سعود قرار ذاك المؤتمر ، بل انه ، بعد ان اتخذ لقب « سلطان نجد » ، نادى بنفسه ملكاً على الحجاز في ٩ كانون الثاني ١٩٢٦ . وفي ٣١ آب من السنة نفسها اعلن دستوراً للحجاز كمّله بقانون صادر في ٢٦ حزيران ١٩٢٨ ، ومآله ان الملك يدير بنفسه الشؤون الدينية والعسكرية والسياسية . ويمثله في مكة وسائر الحجاز الامير فيصل ، ثاني اولاده ، حاملاً لقب « نائب عام » ، فيدير الشؤون الداخلية والمالية ، والمعارف العامة ، وينظّم الحجّ وما اليه . يعاونه في كل ذلك مجلس شورى مؤلف من احد عشر عضواً معيّنين جميعهم بقرار من الملك . وقد كان المجلس الاول منتخباً ، ولكن سرعان ما حلّه ابن سعود ، لأنه لم يظهر الموافقة التامة على رغبات الحكومة الوهّابية .

ومن المعلوم انه ليس في الحجاز الّا بلدة واحدة تفتح ابوابها لغير المسلمين ، وهي جدّة . ولهذا نرى فيها جميع القناصل وممثلي الدول لدى ابن سعود ، فيقيمون في تلك المدينة ، ولا يتجاوزون حدودها . وفيها اليوم ممثلو انكلترة ، والعجم ، وفرنسة ، وهولندة ، وروسية ، وتركية ، وايطالية . وقد عقد ابن سعود مع انكلترة معاهدتين اولاهما في بحرة ، في ٣ تشرين الثاني ١٩٢٥ ، والثانية في جدّة في ٢٠ ايار ١٩٢٧ ، فالغتا جميع الاتفاقات السابقة المعقودة بين انكلترة والشريف الحسين بن علي .

ويتولّى ادارة مكة والمدينة وجدّة قائمومقام يعاونهم مجالس ادارية يعيّن الملك اعضاءها . فيظهر ان ليس في الحجاز هيئة واحدة ناتجة عن الانتخاب الشعبي . اما من حيث المذاهب الدينية فان اكثرية اهل الحجاز الساحقة تنتمي الى المذهب الشافعي ، والاقلية منقسمة بين المذاهب الثلاثة الباقية . وهناك في

بعض القرى ، كما في نواحي المدينة ، قليل من الشيعيين . وهمّ ابن سعود السعي الحثيث في التخلص من هذه الاقلية الضئيلة ، وفي ضمّ اتباع المذاهب الثلاثة ، الشافعي والحنفي والمالكي ، الى مذهب ابن حنبل وهو مذهب الوهابيين .

اما المعارف فضعيفة والتعليم قليل الانتشار . وقد أُنشئ ، في مكة ، في ١١ نيسان ١٩٢٧ مدرسة دُعيت « بالمعهد السعودي » . على اننا لا يمكننا ذكر شيء عن منهاجها وحركتها العلمية لافتقارنا الى المعلومات . ويمكننا القول نفسه عن الصحافة ، ولا يمثلها في الحجاز الّا جريدة « أمّ القرى » الرسمية ، ومجلة « الاصلاح » وهي نصف شهرية تنشر مقالات قليلة الاهمية تظهر على وتيرة واحدة . وقد كان في مكة جريدة اخرى تُدعى « القبلة » ، وفي جدة جريدة ايضاً تُدعى « البريد الحجازي » ، ولكنهما ماتتا بسقوط الدولة الشريفية سنة ١٩٢٥ .

* * *

تقلّ بلاد نجد عن الحجاز تأثيراً دينياً ، ولكنها تفوقه مساحةً ، وعددَ سكّان ، وغنى في المحصولات . فان الحجاز لا يعيش الّا باستثمار موسم الحجيج واستغلال الحجّاج . اما نجد فعليه معتمد ابن سعود ، وهو وطن أسرته ، فيقدّم له مادّة جيوشه التي بولغ في عددها فأوصلت الى ٨٠,٠٠٠ مقاتل . كما بولغ في عدد سكّان نجد وملحقاته اي الاحسا ، والجوف ، والعسير ، فقدّرته الحكومة رسمياً بعدد ١,٦٥٠,٠٠٠ ساكن .

لما كان عبد العزيز بن سعود في الخامسة عشرة من سنيه ، لم يكن في يده شيء من مقاطعات امارته الموروثة ، لان ابن الرشيد ، امير شمّر ، كان قد انتزعها كلّها ، والجأ الامير الشاب الى ان يعيش منفياً في الكويت . ولكن لم تطل المدّة على هذا الشاب حتى اخذ بالسعي في استرجاع املاكه ، فاستعاد اولاً النجد الجنوبي ، وهو مقاطعة آبائه واجداده . ثم اتت الحرب العامة فاعلن معاداته للاتراك الذين كانوا ينتصرون لابن الرشيد . ودامت المنازعات طويلاً بين الاميرين ، حتى انتهت بفوز ابن سعود ، فاحتلّ بلاد شمر او النجد الشمالي . ثم اضاف اليها واحات الجوف — وهي دومة الجندل المذكورة في الشعر القديم —

ثم بلاد الحجاز سنة ١٩٢٥ ، كما فصّلنا ؛ واخيراً ناحية العسير او امارة أبها ، وهو يشتغل ، في ايامنا ، بنشر نفوذه في بلاد اليمن، وبسط سيادته على امامها الزيدي .

ويمكن القول ان ابن سعود كان ، قبل السنة ١٩٢٧ ، ملكاً مطلقاً في بلاد نجد . اما اليوم فقد يظهر ثملاً بخمرة الظفر حتى الغرور ؛ لانه ، على الرغم من مقدرته السياسية والادارية ، لم يحذر الحذر الكافي من تقلقل البدو الفطري وتذمرهم الطبيعي من كل ادارة نظامية . فظنّ انه بامكانه ان يطفر الطفرات ويقتضب المراحل والمسافات في نقل رعاياه من محيطهم ، الذي لا يكاد يفرق اليوم في شيء عما كان عليه في الجاهلية زمن عنترة وحاتم طي ، الى محيط التقدم ، ومجال الرقي الحاضر . سها باله عن كل هذا ، فنال ثمرة غفلته ؛ اذ اتّهمه الوجيهون ، وكثيرٌ ما هم ، بالميل الى الروح العصري ، فقاموا ينعون عليه تجديداته واصلاحاته حتى اجبروه على الامتثال امامهم في مؤتمر الرياض (نيسان ١٩٢٧) ، ليشرح لهم سبب تلك التجديدات ، ويسمع منهم ما لا يرضيه من الملاحظات .

هناك سمع تصريح العلماء الوهّابيين بانهم لا يعرفون حقيقة التلغراف والتلفون ، وأنهم لم يروا شيئاً عن هذه الامور في تأليف الأئمة الاقدمين من السلف الصالح ، وأنهم ، الى ان يقفوا على شيء في ذلك ، لا يمكنهم شجب هذه المجدّدات ، ولكن لا يمكنهم السماح بها . وفضلاً عن ذلك ، فانهم طالبوا بالغاء الضرائب التي لا تنصّ عليها الشريعة ، وبالغاء القوانين التي اصدرتها السلطة المدنية . وانتهوا بان طلبوا ارغام الشيعيين على الرجوع عن « اضاليلهم الوثنية » (كذا !) .

ولا حاجة الى التعليق على هذه التصريحات ، فانها واضحة تدلّ الدلالة الكافية على استعدادات القائمين بذاك المؤتمر ، الذين تخوّفوا من التلغراف والتلفون وما شاكلهما متوجّسين فيها تدخّلات شيطانية ، وما ذاك الّا لأنه لم يرد لها ذكر في مسند الامام احمد بن حنبل ، ولا في تآليف ابن تيميّة ، وابن قيم الجوزيّة ومن اليهما من فطاحل العلوم الوهّابية . على ان المهمّ في الامر هو

ان وجود هؤلاء الرجعيين خطر دائم على سياسة ابن سعود ، بل تهديد مستمر يترقب كل ما يحدثه. وقد افهموه ، بطريقة ضمنية ، انه يجب عليه في المستقبل ان يستشير علماء الوهابيين ، كما انه يحسن صنعاً ان بدأ باضطهاد الشيعيين القلائل في مملكته . ثم تقدمت الحركة الرجعية فخطا اربابها خطوة واسعة الى الامام ، فدفعوا ابن سعود ، في شهر تموز ١٩٢٨ ، الى انشاء مجلس دائم من وجهاء البلاد ، وكلهم رجعيون ، وغايتهم مراقبة الملك عن كثب وقدر اعماله بمقياسهم الرجعي.

* * *

تقسم بلاد نجد وملحقاتها الى اربع مناطق ادارية يحكم كل منطقة امير يعاونه مجلس منتخب . وهذه اسماء المقاطعات : ١ً القصيم او النجد الشمالي ويشمل بلاد شمر والجوف . ٢ً العارض او النجد الجنوبي وعاصمته الرياض ، وهي المدينة التي يقيم فيها ابن سعود ، حين لا يكون في تنقلاته الكثيرة . ٣ً الاحسا على خليج فارس . ٤ً ابها او العسير الشمالي[1] ، على شاطئ البحر الاحمر .

وقد اعتنقت الاكثرية الساحقة من سكان نجد ، بالرغم او بالرضى ، مبادئ الوهابيين ، وهؤلاء يتبعون مذهب ابن حنبل ، ولا يرضون بكونه اضيق المذاهب السنية ، بل يضيقون فيه ايضاً ويبالغون في بعض نزعاته. وابعد الوهابيين عن التساهل جماعة تعرف « بالاخوان » ، كانت تؤلف جوالي او طوارئ عسكرية حربية في المقاطعات التي استولى عليها ابن سعود في اخريات حروبه ، فعاونه الاخوان وألفوا النواة القوية في جيوشه . الا ان تقيدهم الغشيم بمعتقداتهم ، وتعصبهم البعيد عن العقل يعوقان الملك في الكثير من مراميه السياسية ؛ وهم يشجبون كل تجديد يقوم به ، واليهم يعود السعي في انشاء ذاك المجلس المراقب.

---

١) تكلمت الصحافة مؤخراً عن نجاح ابن سعود في بسط سلطته على العسير الجنوبي. على اننا لا نشير الى ذلك ، قبل ان تتحقق مبلغ هذه الروايات من الصحة.

ومن اجدر مقاطعات الدولة بالذكر مقاطعة الاحسا ، وهي بلاد البحرين القديمة ، لانها تمتاز على سائر المقاطعات بخصبها وعمرانها . فان فيها كثيراً من الواحات ، وبعض الينابيع والسبخات ، وهي البحيرات الوقتية . وان من ينابيعها ما هو غزير المياه يؤلف بركات ، اي بحيرات دائمة ، وهو امر وحيد من نوعه في بلاد العرب . اما سكان تلك المقاطعة فمن الوهابيين ، بينهم عدد من القرامطة يبلغ نحو ٦٠,٠٠٠ .

ونذكر ايضاً بلاد نجد الجنوبية ، وهي ما يدعوه مؤلفو العرب الاقدمون باليمامة . وقد كان من اشهر سكانها بنو تميم ، ولا يزالون فيها حتى اليوم . وفي النجد الشمالي ، او بلاد شمر ، ينزل بنو طي ، قبيلة حاتم المشهور ، فيقيمون في سلسلتين من الجبال متوازيتين مشهورتين في الآداب القديمة باسم جبلي طي ، وهما أجا وسلمى . وقد اصبح اكثر رجال هاتين القبيلتين ، تميم وطي ، من الحضريين في ايامنا هذه .

* * *

يجدر بنا ، وقد القينا هذه النظرة الاجمالية ، ان نسأل نفسنا ما هو مستقبل هذه الدولة الجديدة ؟ هل تكذب ابن خلدون القائل « ان العرب ابعد الامم عن سياسة الملك » وانه ليس بامكانهم ان يؤسسوا هيئة حكومية منظمة قابلة الحياة والدوام ؟ هذا ولا شك ان شخصية ابن سعود تكون بمعزل عمّا يتسرّب الى تلك الدولة من الوهن والانحطاط ؛ لانه ، بما خُصّ به من الذكاء والحزم ، يظهر مثالاً حيًّا لرجل الادارة الحقيقي . الّا انّ ما نسأل عنه هو : هل ينجح هذا الاداري الحازم في تمهيد السبل لتنظيم البدو ، وتقرير تقلقلهم الفطري ، وابدال التساهل بتعصب الاخوان ، وهو اعقل من ان يجاريهم فيه ؟

وان من العقبات التي يصادفها وجود القبائل القويّة التي تتحمل نير سلطته بتذمّر كقبيلتي مُطَير وعُتيبة . ويفيدنا عبرةً ان نشير الى ان قائد الجيوش النجدية كان ، حتى سنة ١٩٢٨ ، فيصل الدويش امير مُطير وصهر شيخ عُتيبة ، وهاتان الصفتان كانتا تبسطان له اوسع نفوذ في الدولة الجديدة . ولم يكن يترك فرصة تمرّ الّا ويدلّ على الملك بنفوذه . حتى عزله هذا ، فثار مع رجال

حزبه المديـدين ، وعاونه كثير من الاخوان . فشقّ الامر على ابن سعود ، ولزمته جهود سنـة كاملة ومعارك كثـيرة ، حتى تمكن من قمع تلك الثورة الخطرة . ومن الطبيعي ان العقوبات كانت شديدة ، فتركت آثارًا بليغة لا تنتظر الّا فرصة جديدة لتثور من مكامنها .

هذا في نجد . اما في الحجاز فالدولة الوهابية بغيضة الى جميع السكان . واهم ما يشكو منها البدو قساوتهـا في الاحكام ، حتى انهم ليلومون نظام الشرطة فيها الذي يجتهد في وضع حدّ للفوضى السائدة التي اعتادها البدو نصعب عليهم الخروج منها . ثم ان سكان مكة والمدينة لا يغفرون للوهّابيين ما اتوه من الفظائع ، في نظرهم ، بهدمهم الآثار التذكارية الاسلاميـة . وذلـك ان الاخوان يزعمون ان مـا يؤديه المسلمون من شعائر الاحترام والاكرام لـلآثار والامـاكن التي حفظت ذكرى مؤسس الاسلام والصحـابة ، ان هو الّا من دلائل الوثنية .

هذا شيء من الصعوبات التي يلاقيها ابن سعود ، وأينا من المفيد ذكرها ، كما ان من المفيد التشوّف الى المستقبل ، فنرى هل يتوصل الامير الاداري الحازم الى التغلّب على هـذه العقبات ، فينجح ، بما فطر عليه من الدهاء والدربة ، بتغيير الفطرة البدوية ، فيؤلّف القلوب ويسيّرها جميعاً في خدمة مثال اعلى واحد تتجه نحوه هذه الدولة الجديدة في قلب جزيرة العرب ؟

الاحوال الشخصية

درس تاريخي قانوني

بقلم الخوري بطرس غالب

٣

وقد استعمل رؤساء الطوائف الدينية هذه الحقوق المعترف لهم بها من الدول التي تعاقبت في الحكم على هذه البلاد ، واستندوا ، في احكامهم في الاحوال الشخصيـة ، الى قوانين مكتوبة وعادات مشروعة مرعية مدة اجيال.

ومن المعلوم ان هذه الحقوق تعتبرها الجماعات المذهبية حقوقاً طبيعية لا يمكن ان ينازعها فيها احد ، اذ ان المذهب يرمي الى سعادة الانسان الروحية واحوال النفس واحتياجاتها ؛ فبقدر ما تسمو النفسُ الجسد تسمو احوالُها احوالَه وغايتُها غايته ، ويفضّل قضاء حاجات النفس على الاهتمام بحاجات المادة.

ومذ تألفت الطوائف المختلفة ما فتئت تعتدّ اعضاءها مقيّدين بقوانين معروفة تنظّم احوالهم بالنسبة الى غايتهم ، وتضمّ اليهم من طلب منها ذلـك ورأته قد استوفى الشروط المطلوبة وتنبذ من لا تتوسّم فيه خيراً ، او تقصي عنهـا من يثبت لها ضرره بالهيئة عموماً ، او تؤدّبه ليرعوي عن غيّـه ويصلح نفسه . وكانت تلك الجماعات تتوسّل بما وضع بين يديها من الوسائل الروحية والمـادية لتنال ضالتها المنشودة.

اما الجماعات المسيحية فقد سنّ لها مؤسسها الالهي شرائع اوجب على كل مُنتمٍ اليها ان يتقيد بها . وهذه الشرائع تتناول حياة الاعضاء الفردية ، والحياة العائلية ، والحالة الاجتماعية من حيث هي هيئة معنوية لها غاية روحية سامية.

طالع الانجيل ، واعمـال الرسل ، ورسائل القـديس بولس ، والقوانين

الكنسية في الاجيال الاولى ، ترَ ان جوهر تلك القوانين التي يتمسك بها الآن الرؤساء الروحيون المسيحيون ويطالبون الحكومة بتأمينها لا يختلف عمّا كان الاولون يحفظونه ، بل ان رؤساء الجماعة المسيحية قد تركوا منها ما كان من صلاحيتهم ، لئلا ينهمكوا في ما ليس له الّا علاقة بعيدة مع الامور الروحية ، والغاية التي تتوخّاها الكنيسة . والحكومة الزمنية ، التي لا تجاوز غايتها سعادة الشعب المادية ورفاه عيشه وطمأنينته ، لا يقبل لها بان تغفل سعادة الشعب الخالدة ، بل عليها ان توفر اسبابها له طبقاً لارادة المبدع الازلي ، الذي انما اراد ان يسلّط الانسان على الماديات لتكون له سلّماً يرتقي بها الى الروحيات .

فبناء على هذه المبادئ التي لا ينكرها الّا المكابرون ، قد استعمل الرؤساء الروحيون حقوقهم ، وكفلت لهم الحكومات ، المدركة واجباتها ، حرّية هذا الاستعمال ، وتنفيذ احكامهم وقراراتهم .

تلك كانت نظرية محكمة حلب الاستئنافية المختلطة في قرارها الصادر في ٢٧ حزيران سنة ١٩٢٧ اذ فقهت روح المشترع الذي ضمن للجماعات المذهبية ما كانت تتمتّع به من الامتيازات ، فقررت انه في الاحوال الشخصية لا يمكن ان تطبق على النصارى الشريعة الاسلامية المستقاة من القرآن الذي البسها صبغة دينية بحتة . ولهذه الاسباب قد اغترف محمد الفاتح بعد استيلائه على القسطنطينية ، عاصمة المملكة البيزنطية ، بالامتيازات الكثيرة التي كانت الجماعات المسيحية تتمتع بها ، واراد ان تحترم احوال النصارى الشخصية كما تحترم احوال المسلمين ذاتها . وقد اثبت الباب العالي هذه الامتيازات على مدار الاجيال ، وغالباً ما كان يفعل ذلك بناء على مراجعات تلك الجماعات ، وخصوصاً جماعة الروم الارثوذكس . . . وقد بقي القانون العثماني البيزنطي قانونها المكتوب في شرائع يوستينيانوس المعروفة بالجديدة او النوفل ، مادة ١١٧ و ١١٨ . . . اما نحن فقد سبق لنا ان نشرنا من الفرمانات ما يؤيد هذا المبدأ .

ولدينا ، في ما يخصّ جبل لبنان ، سلسلة احكام صادرة من رؤساء الطائفة المسيحية المنظّمة الوحيدة فيه حتى الجيل الثامن عشر ، وهي الطائفة المارونية ، يرتقي عهدها الى الجيل السادس عشر . وفيها فصل البطاركة والاساقفة

الدعاوى المدنية ذاتها ، فضلاً عن القضايا التي تتعلق بالاحوال الشخصية .

وقد عقدت اتفاقات بين حكّام البلاد والبطاركة موضوعها المحافظة على هذه الحقوق ، وذلك بعد ان استولى على قسم من لبنان المسلمون الشيعيون ، او السنيون ، او الاتراك ، او غيرهم لانهم قبل ذلك الوقت كان الموارنة ، وهم مسيحيّو لبنان ، ينظمون شؤونهم الداخلية كما يرومون ، يقيمون المقدمين في البلدان الكبيرة ، ويرتبون مجالس حكامهم الذين كانوا يفصلون الدعاوى جميعها ، ما عدا الجنائية منها فانهم تركوها للمقدمين او سائر الحكام الزمنيين .

قلت انه قد عقدت اتفاقات اذكر منها ما عقد مع الشيخ سرحان حماده سنة ١٦٥٤ ، وفيه اشترط عليه الرؤساء الروحيون انه لا يحق له التدخل في امور الدين والعرض والدم .

والاحكام والفتاوى الصادرة من البطاركة والاساقفة وافرة جداً . فانهم كانوا يقضون في مسائل الزواج ، وكل ما يتعلق بها ، وبامور الوقف ، والوصايا ، والقاصرين ، حتى انهم كانوا يحكمون بالجزاء النقدي والحبس . وقد استمرت عادة فرض الجزاء النقدي الى ايام المطران يوسف جعجع ، مطران قبرس .

وقد نشر بعض هذه الاحكام والفتاوى حضرة الاب المدقق يوسف زياده ، في كتابه في القضاء الماروني الذي نوّهنا بميزاته فيما سبق ، وسينشر احكاماً وفتاوى غيرها في فرصة اخرى ، ولدينا منها العدد العديد . ويرتقي عهد اقدم ما في يدنا الى البطريرك اسطفان الدويهي .

اما الذين امتازوا في القضاء بين رجال الاكليروس ممن وصلت الى يدنا بعض احكامهم ، فهم البطاركة جرجس عميره ويوسف حليب الساقوري ، واسطفان الدويهي ، ويعقوب عواد ، ويوسف ضرغام الخازن ، وسمعان عواد ، وطوبيا الخازن ، ويوسف اسطفان ، ويوسف التيان ، ويوحنا الحلو ، ويوسف حبيش ، ويوحنا الحاج . اما المطارنة فنذكر منهم يوسف الحصروني ، ومخائيل الحصروني ، وبطرس مخلوف ، واغناطيوس شرابيه ، ويوسف اسطفان ، ويوحنا مارون العظم ، وجبرائيل الناصري ، وبطرس كرم ، ويوحنا حبيب . والكهنة كثيرون منهم ارسانيوس الفاخوري ، وجرجس يمين ، وبطرس منصور

بطحا ، ويوسف الشاعر ، ويوسف المكرزل عين عار ، وعبد الله العقيقي ، وجرجس فرج الاول ، وبطرس المكرزل بيت شباب .

وكان هؤلاء القضاة يحكمون بموجب القوانين والشرائع والعادات المشروعة ، واغلبها مقتبس من الشرائع الرومانية ، و « القوانين الملوكانية » ، والقوانين الكنسية والعادات المرعية . وقد استندوا مرات الى الشريعة الاسلامية في المواد المدنية طبعاً .

جمعت هذه القوانين في كتب معروفة :

١ قال الخوري اسقف جرجس منش ان اول كتاب قوانين اتبعه النصارى وخصوصاً الموارنة هو كتاب عدي بن ابراهيم عديان . وقد ورد ذكر عدي هذا في كتاب « الهدى » المشهور .

٢ ثاني هذه الكتب الناموسية هو كتاب « الهدى » او « الناموس » او « الهداية » او « الكمال » الذي لا يُعرف مؤلفه ، ولا سنة تاليفه ، انما كل ما هنالك ان النسخة الموجودة ترتقي الى سنة ١٠٥٩ . هذا الكتاب مجموع من مؤلفين متعددين ، ضمت فيه قوانين الرسل الى قوانين اقليميس وكيرلس والمجامع المسكونية والوطنية ، وبوجيز العبارة ، عموم القوانين البيعية . وفي هذا الكتاب نرى ، بعد القوانين البيعية ، الشرائع المدنية ذاتها ، لا الاسلامية ، بل الرومانية . يشتمل هذا الكتاب على ٥٣ باباً ، يتناول الباب الثالث والخمسون منها مراسيم الملك قسطنطين ، وثاودوسيوس ، ولاون ، وعددها ١٤٠ مرسوماً ، وموضوعها الامور المدنية . وخُصص البابان التاسع عشر والخامس والعشرون بالزواج والطلاق ، والامانة ، والقضاء ، ثم الاسباب المسوّغة الهجر .

٣ ثالث هذه الكتب : كتاب « الناموس » والنسخة الموجودة منه ترتقي الى السنة ١٥٥٠ . وهو غير كتاب الهدى ، ويعرف ذلك في عدد ابوابه ومواضيعها . وعدد هذه الابواب ٥١ ، خصص منها بالشؤون المدنية ، عدا الاحوال الشخصية ، ابواب كثيرة : كالباب ٢٢ ، وفيه القوانين المتعلقة بالاموات ، وبالامور العالمية والسياسية كالمأكول والمشروب والملبوس ، والمنازل ، والزواج ، وتحريم التسري . والباب ٢٣ في المآكل والملابس والصنائع — ٢٤ :

في الإملاك والزيجة — ٢٦: في الهبة — ٢٧: في القرضة والرهن والضمان والكفالة — ٢٨: في العارية — ٢٩: في الوديعة — ٣٠: في الوكالة — ٣١ : في الحرية والعبودية والعتق — ٣٢ : في الهجر — ٣٣ : في المبايعات وتوابعها — ٣٤: في الشركة — ٣٥: في الاكراه والغصب — ٣٦: في الابنية وتوابعها — ٣٧: في الطرق والشوارع والازقة ، ومجاري المياه ، وانهيار الضياع — ٣٨: في القرض — ٣٩: في الاقرار — ٤٠: في من يجد ضائعاً — ٤١: في الوصية بالمال — ٤٢: في المواريث — ٤٧: في القتل — ٤٨ : في قصاص الزناه — ٤٩: في قصاص السرقة — ٥٠: في عدة جرائم — ٥١: في عدة امور . وقد اضيف الى هذه النسخة امور اخرى لكنها كنسية .

٤ رابع هذه الكتب : كتاب « الطب الروحاني » للمطران مخائيل الاثري اسقف بلج في الصعيد ، وفيه ٤٩ باباً تتناول المواضيع المتقدم ذكرها .

٥ خامس هذه الكتب : كتاب القوانين الذي نسخه جرجس البرديوط الاهدني رئيس دير قزحيا سنة ١٤٧٢ ، وهو يحتوي على مقتطفات من قوانين المجامع واقوال بعض اساقفة الشرق .

٦ سادس هذه الكتب : كتاب الناموس لجبرائيل ابن القلاعي ، مطران اقنسية قبرس ، اخذه عن اللاتينية واغلب ابحاثه في الامور الروحية .

٧ سابع هذه الكتب : كتاب الشريعة للمطران مخائيل الحصروني ، ومداره المواريث خاصة .

٨ ثامن هذه الكتب : كتاب مختصر الشريعة للمطران عبدالله قراعلي ، مطران بيروت . واحد مؤسسي رهبانية القديس انطونيوس الكبير اللبنانية . وهذا المختصر اثنان وثلاثون باباً ترى في بعضها فصولاً :

الباب الاول في القاضي وفيه فصلان ، الثاني في الشهود وفيه فصلان ، الثالث في الاقرار ، الرابع في الهبة ، الخامس في القرض ، السادس في الرهن ، السابع في ضمان المال ، الثامن في كفالة النفس ، التاسع في العارية ، العاشر في الوديعة ، الحادي عشر في الوكالة ، الثاني عشر في المبايعات وفيه اربعة فصول ، الثالث عشر في الحوالة ، الرابع عشر في الشركة ، الخامس عشر في المضاربة ،

السادس عشر في الاكراه والغصب ، السابع عشر في الشفعة ، الثامن عشر في الصلح ، التاسع عشر في الاجارات والحكور ، العشرون في الطرق والشوارع وفيه ستة فصول ، الحادي والعشرون في ما يوجد من ضائع وفيه ثلاثة فصول ، الثاني والعشرون في الحجر ، الثالث والعشرون في الحرية والعبودية والعتق ، الرابع والعشرون في الوقف ، الخامس والعشرون في الخطبة وفيه فصلان ، السادس والعشرون في الزيجة ، السابع والعشرون في حضانة اليتيم وتربيته ، الثامن والعشرون في الوصية بالمال ، التاسع والعشرون في الوصي ، الثلاثون في المواريث وفيه ستة فصول ، الحادي والثلاثون في جناية البهائم ، الثاني والثلاثون في عقوبات المتعدين وصايا الله وشريعته .

٩ تاسع كتاب : كتاب الفتاوى للمطران ذاته ، وهو مجموع امثلة تطبق فيها القوانين على الوقائع تنويراً للقضاة .

وقد جعل هذان الكتابان الاخيران دستوراً للقضاء في الطائفة المارونية بقرار من البطريرك سمعان عواد والاساقفة في عهده بتاريخ ١٩ تموز سنة ١٧٤٤ . وقد استند اليها البطاركة والموارنة في احكامهم . وما ذلك الا تحقيقاً لما كان قد سبق ورسمه المجمع اللبناني ، وقد ذكرناه فيما تقدم .

وبقي الحال على هذا المنوال حتى ايام شكيب افندي سنة ١٨٤٠—٤١ ، الذي حاول ان يدخل النظام القضائي العثماني فلم يفلح . ولم يتم هذا الامر الا في عهد رستم باشا ، متصرف جبل لبنان ، الذي اخذ في هضم حقوق لبنان المقررة في نظامه الاساسي ، وحقوق رؤساء الدين التي كان قانون سنة ١٨٦٢ قد ابقاها لهم . ولم يعطَ فرمان للبطريرك الماروني الا في اوائل الحرب الكبرى ، فان الحكومة العسكرية اكرهته تحت الضغط الشديد على قبوله .

الخلاصة

ان الجماعة المسيحية المنظمة في لبنان كانت ، قبل سنة ١٨٦٠ ، الطائفة المارونية يتمتع رؤساؤها بحقوقهم كلها ، دون ما تفويض من قبل السلطة العثمانية ، لانهم لم يطلبوا الفرمان ولم تقدر الدولة العثمانية ان ترغمهم على اخذه

وذلك بفضل الدولة الفرنسية التي كانت تعضدهم في حفظ امتيازاتهم القديمة. اما في الولايات فكانت امتيازات الجماعات المسيحية مصونة في البرآءات السلطانية .

ولذلك ترى الموارنة في لبنان ينتخبون بطاركتهم ، والبطاركة ينتخبون الاساقفة ، دون تدخل السلطة المدنية مطلقاً . وكان جميع من تقدم ذكرهم يستعملون وظيفتهم ، ويصدرون الاحكام فينفذها المقدمون والولاة ، ويبنون المعابد والمدارس والاديار والمحابس دون اجازة ، بعكس الذين كانوا في الولايات . ويوقف النصارى الاموال الثابتة او المنقولة للاعمال الدينية والخيرية بتصديق البطاركة وحدهم ، ويقيمون مراسيم الدين علناً في الكنائس وخارجها ، بدون اجازة ، ويجددون المقابر ويجيزون بناءها او يمنعونها ، ويفصلون في الدعاوى الزمنية كما ذكرنا . ويقيمون الاوصياء على القاصرين ويحاسبونهم ، ويناظرون على الاوقاف ويسهرون على ادارتها . ولم يكن الاساقفة الموارنة المقيمون في الولايات كمطراني بيروت وحلب يأخذون فرماناً .

بما تقدم كفاية لاثبات امتياز الجماعات المذهبية في لبنان حتى عن امثالها في الولاية . ولما كانت الجمهورية اللبنانية ليست سوى لبنان بحدوده الطبيعية الجغرافية والتاريخية ، كان عليها ان تحافظ على ما تعوده اللبنانيون في ما لا يضر بالنظام العام والامن ، وتبقي لكل طائفة على السواء ما تمتعت به من الحقوق من قديم الزمان .

ونرى ان احسن ما يمكن ان نختم به هذه المقالة المذكرة التي قدمها بطاركة الطوائف المسيحية في كانون الاول سنة ١٩٢٨ الى فخامة المفوض السامي للجمهورية الفرنساوية في سورية ولبنان، وبمشروع قانون الاحوال الشخصية الذي كانوا قدموه للجنرال ڤيغان قبل ذلك ، واليك نص المذكرة:

نحن بطاركة الطوائف المسيحية في البلاد المشمولة بالانتداب بعد ان تذاكرنا في البنود الرئيسية لقانون الاحوال الشخصية ومع وجود فوارق بين مذاهبنا التي لكل منها اختصاصاتها وايضاحاً للتقرير المنظم من المطارنة في بيروت في اجتماعهم في شباط سنة ١٩٢٧ بموجب مرسوم فخامة رئيس الجمهورية اللبنانية لدرس هذه القضية ، لنا الشرف ان نحيط فخامتكم علماً بما وقع عليه اتفاقنا لتتكرم فخامتكم بالتعجيل جهد المستطاع في نشر قانون الاحوال الشخصية المرغوب فيه كل الرغبة والمنتظر من الجميع اشد الانتظار .

١ – الزواج. اننا نؤكد ان يكون من وظيفة المحكمة الروحية في الطائفة التي عقدت الزواج دون سواها كل القواعد والدعاوى المختصة بالزواج – مما يتقدمه وما ينتج عنه – كما سنبين فيما يلي ، وان تنفذ المقررات التي تصدرها تلك المحكمة بواسطة السلطة المدنية . والامور المختصة بالزواج هي : الخطبة ، الباتة (الدوطة) ، الجهاز ، بدل البكارة (النقد) ، الهدايا التي تقدم للعروس، العقد الزواجي، صحته ، الهجر ، ابطال الزواج ، والطلاق عند الملل التي تقول به ، النفقة ، النسب ، اعطاء اولاد الفراش البنوة الشرعية ، التبني ، الحضانة ، حق الاحتفاظ بالاولاد.

واذا عقد زواج مختلط فالحق لمحكمة الطائفة التي عقد كاهنها الزواج ، واذا حصلت بركة الاكليل من كهنة طائفتين على التوالي فالحق للطائفة التي اتم كاهنها العقد اولاً.

٢ – الوصاية . للسلطة الدينية العادية حق تعيين الوصي ، والمشورة الشرعية على القاصرين الذين يكون قد قرر الحجر عليهم. وكذلك حق ابداله بسبب موته او عزله من قبلها . وادارة اموال هؤلاء القاصرين تجري تحت مراقبتها واليها تقدم الحسابات من الاوصياء ، ولها وحدها الصلاحية بان تعطيهم المأذونية اللازمة للتصرف باموال الموصى عليهم. وهم يتمون العقود بناء على تلك المأذونيات وفاقاً لقواعد القوانين العامة بدون ان يلجأوا مطلقاً الى المحاكم الشرعية ، على انه يبقى لهذه المحاكم بصورة موقتة واستثنائية حق النظر بامر مداينات القاصرين التي جرت سابقاً بحجة شرعية وفاقاً للتعامل القديم . واخيراً للمحاكم الروحية حق رفع الحجر عن المحجور عليهم ، والنظر في الدعاوى التي تقام من القاصرين لاثبات الرشد

٣ – الارث. نظراً للصعوبات الجمة التي قد تنشأ بداعي توزيع الارث نترك للمفوضية العليا ان تعين في قانون الاحوال الشخصية المحاكم الصالحة لذلك . على ان يبقى للمحاكم الروحية اولاً ان تحكم بالوفاة وانحصار الارث. ثانياً ان تحرر التركات حتماً اذا وجد بين الورثة قاصر او مفقود.

واننا نطلب ان ينص في التشريع الجديد على جواز الوصية ولو لوارث بثلث المال ان كان للموصي ورثة قانونيون ، اصول او فروع ، وبكل مال الموصي عند عدم وجودهم ، كما اننا نطلب تقرير حق التمثيل.

٤ – الوصية. تسجل الوصية لدى المحاكم الروحية ، ولها وحدها الحق في الحكم بقانونيتها.

٥ – الاوقاف . انا نطالب المحاكم الروحية بحق قبول وتسجيل الاوقاف العائدة لوجه البر والخير كالبرشيات ، والاديرة ، والكنائس ، والقداديس ، والمدارس ، والفقراء ، والاعمال الخيرية العائدة لهم. وان الرؤساء الروحيين هم بموجب اختصاصهم مديرو اوقاف طوائفهم ، يديرونها بموجب القانون الكنسي . ولهم ان يسموا لوقت ما مديرين لها ينتخبونهم من الاكليريكيين او العلمانيين ، وعلى هؤلاء ان يقدموا لهم حساباً عن اعمالهم . والرؤساء يأذنون لهؤلاء بكل عمل يكون به التصرف باموال الاوقاف (كالاستدانة والاستبدال والبيع او اعطاء حقوق عينية)

وكل مأذونية او دعوى هي الآن من وظائف المحكمة الشرعية لتعلقها بالوقف تعود عندئذ

للرؤساء الروحيين ولمحاكمهم الكنائسية التي تنفذ مقرراتها بواسطة السلطة المدنية.

٦ – المفقود. الى ان يعلن تشريع جديد تنظم بموجبه قضية المفقود ويعطى حق النظر بامره الى المحاكم العادية. نطلب ان يعطى لنا في ما خص المفقودين من المسيحيين ذات الحقوق التي للمحاكم الشرعية بحق المفقودين من المسلمين.

ولقد اردنا بيان ما تقدم من اتفاقنا على هذه النقاط الاساسية ان نظهر لفخامتكم اجتماع كلمتنا، رغم الفوارق التي بين طوائفنا، في وجهة النظر ببعض هذه الامور، لنسهل لكم سرعة نشر قانون الاحوال الشخصية.

واملنا ان هذه العريضة تلقى منكم قبولاً حسناً. ونرجو منكم في المقام، يا فخامة المفوض السامي، ان تقبلوا شائر اعتبارنا الممتاز.

قد اكتفى الرؤساء الروحيون بما تقدم من حقوقهم العديدة، رغبةً منهم في ان يخففوا عنهم عبء اثقال قد تعيقهم عن اتمام سائر واجباتهم، فلا مندوحة للحكومة من ان تقرر ما طلبوا حتى تصبح المساواة اكيدة بين طوائف لبنان، فتتمتع جميعها بما لها من الحقوق، دون ان يجعل لطائفة ميزة على سواها.

ولا بد من لفت الخواطر الى ان مسألة الوصاية، وتقدير النفقة، والمنعة الاكليريكية، وصيانة المعابد والمؤسسات الخيرية، لمن اهم ما يتطلبه الرؤساء الروحيون، لان السهر على القاصر وتربيته من اوجب واجباتهم الرعائية، واعطاء المحكمة المذهبية حق تقدير النفقة يغني المتداعيين عن نفقات لا موجب لها، ومنعة الاكليريكيين والمعابد مما تتطلبه كرامة رجال الدين ودرر العبادة. ولا شك ان المجلس النيابي اذا اشبع هذه المسألة درساً في كل تفاصيلها، لا يلبث ان يقرر هذه الحقوق التي ضمنها للطوائف المسيحية السلاطين العثمانيون انفسهم، ثم رؤساء وزارات فرنسة المتتابعون لجمعية الامم في صك الانتداب.

اما الاعتراضات التي يتسلح بها خصوم الاحوال الشخصية فلا قيمة لها، اذ ان سوء الاستعمال لا تخلو منه المحاكم والادارات الروحية والعالمية، وليس دواؤه في هضم الحقوق بل في التشبث بحسن استعمالها. ان ما يطالب به الرؤساء الروحيون هو المبدأ. فليست المسألة بما يتعلق بالاشخاص بل بالمبادئ، فعلى اسس المبادئ والتقاليد والعادات المرعية والحقوق المكتسبة، يجب ان تحل.

وسننشر، في العدد القادم، مشروع القانون الذي كان قد وضعه الرؤساء الروحيون بناء على رغبة الجنرال ڤيغان، وقدموه له قبل ان يُستدعى الى فرنسة بمدة قليلة.

حرارة البخار مصدر القوة

نظرية جورج كلود وتطبيقها العملي

بقلم انطوان باز
المهندس من المكتب الافرنسي في بيروت ،
ومن مدرسة الكهرباء العليا في باريس

فكرة فريدة ابداها ، لسنتين خلتا ، العالم الفرنساوي الكبير جورج كلود فسُمع صداها في جميع اقطار المعمور ، ولا يزال ذلك الصدى الى اليوم ، تتناوله الجرائد والمجلات العلمية ، نظرًا لما قام به العالم المذكور من الاختبارات تطبيقاً لفكرته.

قام وقتئذٍ المعارضون — وما اكثرهم في مثل تلك الاحوال — متّهمين السيد كلود بالتطرُّف ، منكرين عليه صحة نظريته من الوجهة العملية. امّا هو فلم يعبأ بما قيل ، بل عمد الى تجارب فنية يذكرها التاريخ اجيالًا ، فكانت شاهداً قويًا على ثبات همته ، وبُعد نظره ، وسداد رأيه .

من باريس الى بلجيكة ، ومنها الى جزر الاوقيانوس ، سارَ مجدًا وراء تحقيق فكرته ، غير عابئٍ بالاخطار ، رافعاً لواء الهمة والنشاط. أجل من ينكر عليه همته وهو اليوم في العقد السابع من عمره ، كساه الشيبُ ، فزاده جلالًا .

خانته الاقدارُ في بعض تجاربه فلم ينثنِ اولا ولا ثانياً ، متابعاً اعماله ، صارفاً في سبيلها الاموال بلا حساب . هوذا سرُّ نجاحه ! ولا شك في أنَّ فوزه الباهر يحفظ له ، عند عارفيه والسامعين باعماله ، عاطفة حبٍّ واكرام .

توطئة

ان نظرية السيد جورج كلود مرتكزة على مبدأ الآلة البخارية . لذلك نقول توطئة : إن للبخار قوة عرف منافعها ، لاول مرة ، العالم پاپين (Papin) الفرنساوي وذلك اذ رأى ، صدفةً ، غطاء قدرته يعلو ويخبط . فتمعّن في الامر ،

واخذ يبحث عن طريقة لاستخدام تلك القوة ، فكانت الماكنة البخارية . وقد زاد في تحسين تلك الآلة المهندس الانكليزي وات (Watt) ، فشاع استعمالها حتى يومنا هذا .

يولّد البخار بتسخين الماء ضمنَ حلّةٍ متينة الجوانب ، محكمة السدّ ، فيزيد ضغطه بارتفاع حرارة الماء . وتلافياً لازدياد ذلك الضغط وخطر الانفجار ، يُجعل فوق الحلة آلة لوزنه . امّا تعديله فيصير امّا بتخفيف النار في الموقدة واما باستخراج قسم منه .

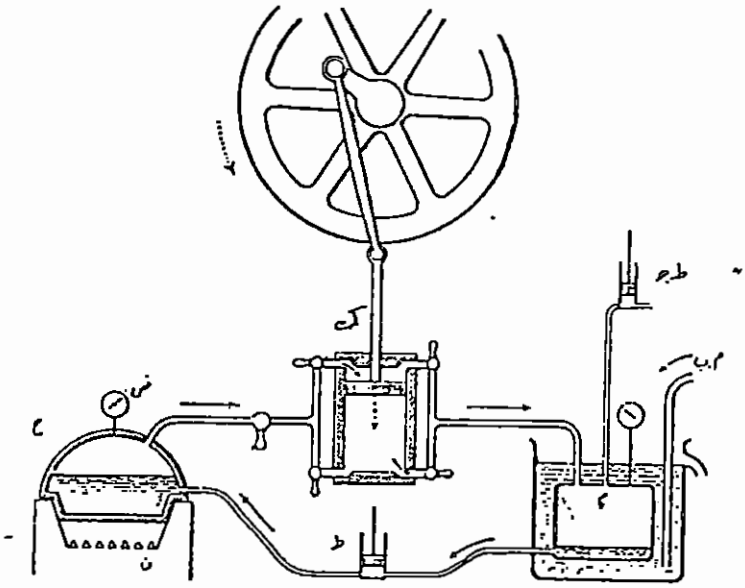

الرسم ١ : توليد القوة بواسطة البخار

ح : الحلة
ك : المدك
ط ح : طلمبة لتفريغ الهواء
ض : آلة لوزن الضغط
ن : الموقدة
م : المقطرة
ط : طلمبة لدفع الماء في الحلة
م ب : وصول الماء البارد لتبريد المقطرة

كان الضغط المعوّل عليه ، حتى الحرب ، لا يتجاوز ١٢ كيلوغراماً في السنتيمتر المربع ، اي ما يوازي حرارة درجة ١٨٠ سنتغراد . ثم توصلوا الى استخدام ضغط ٢٤ كيلوغراماً ، خصوصاً في القاطرات البخارية . وقد زيد هذا الضغط اليوم الى الخمسة والخمسين كيلوغراماً في الدوّامات .

يدخل البخار ضمن اسطوانة فيحرك فيها مدكاً من فوق الى اسفل مثلاً ، حتى اذا وصل المدك الى قعر الاسطوانة ، أتي بالبخار من الجهة المعاكسة ، فارتفع المدك وقذف بالبخار السابق الى الخارج ، والاحسن الى وعاء يُعرف «بالمقطرة» ، فيتحول فيها ماء يعاد استخدامه في الحلة . وقد بيّن المهندسون ان انتاج المجموع تابع لارتفاع حرارة البخار في الحلة ، وانخفاض حرارة «المقطرة» . لذلك كثيراً ما يُصرف في سبيل تبريد هذه كمية وافرة من الماء .

ومن الثابت ، في علم الطبيعيات ، ان تبخير السوائل يجري بأي حرارة كانت ، على ان يخف الضغط فوقها . وتطبيقاً لذلك المبدأ نقول : لو جعلنا في الحلة ماء درجة حرارته ٢٥ فقط ، لتمكنا من تبخيره بعمل الفراغ ، واستخدام ذلك البخار لتحريك الماكينة او الدوامة بشرط ان تكون درجة حرارة المقطرة تحت الخمسة والعشرين . ولا حاجة الى القول ان القوة المستخرجة بتلك الطريقة هي اقل بكثير من التي تستمد بواسطة البخار الحار ، غير انها لا تستلزم محروقاً ، وفي ذلك وفر ظاهر .

نظرية السير جورج كلود

لقد ثبت بالاختبارات الحديثة ان مياه البحار ، عند خط الاستواء ، تبلغ درجتها الخمسة والعشرين سنتغراداً ، وتخف تلك الحرارة مع العمق حتى الخمسة او الثلاثة ، والرسم ٢ يمثل هندسياً انخفاض حرارة الماء ، مع العمق ، في محطة جزيرة «هافان» في الاوقيانوس الاتلانتيكي . فلو تمكنا من استخراج الماء البارد من قعر البحر واستخدامه كبرد «للمقطرة» في الماكينة البخارية ، واخذنا مياه

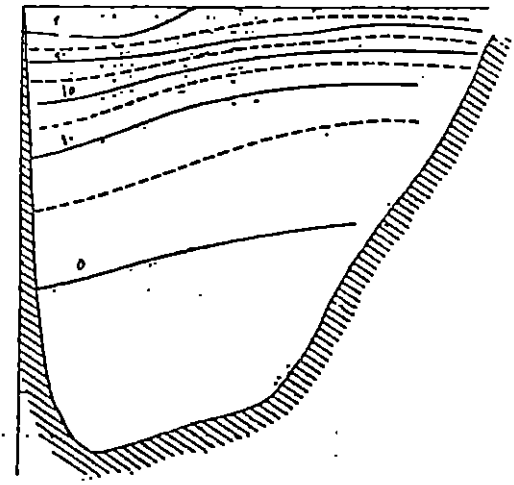

الرسم ٢ : حرارة مياه الاوقيانوس قرب جزيرة «هافان»

السطح الفاترة ويجرناها بلا وقود بواسطة الفراغ ، لأتينا بقوّةٍ ميكانيكية لا تفنى ! . .

تلك هي نظرية العالم كلود ، وقد ساعده على تحقيقها المهندس الشهير « بوشرو » (Boucherot).

بقي علينا ان نبحث في كيفية استخراج تلك المياه الباردة دون قوةٍ ما ، والامر سهل صعب : سهل في مبدئه ، صعب في تحقيقه.

اذا ما انزلنا ، عمودياً في البحر ، انبوبة مفتوحة الطرفين ، صعد بها الماء ، بقوة الضغط ، حتى يُساوي سطحه سطح البحر (الرسم ٣). وبقدر ما تنزل الانبوبة في البحر تزيدُ برودة الماء. وتحفظ تلك البرودة بواسطة غلافٍ خارجي من « الليف » وغيره يحيط بالانبوبة فيمنع دخول الحرارة الخارجية اليها . امّا تركيزُ الانبوبة عموديةً ، واثباتها في محلها ، رغم الامواج والزوابع ، فذلك من الصعب. لهذا قد حلّ المشكل السيد كلود بتركيزها مائلةً كما في الرسم ٤ ، مثبتةً في الشاطئ من جهة وغارقة في البحر من الجهة المقابلة. ولا خوف على ذلك القسم من الامواج لان قعر البحار مُظلمٌ ساكن لا تصل اليه حركة.

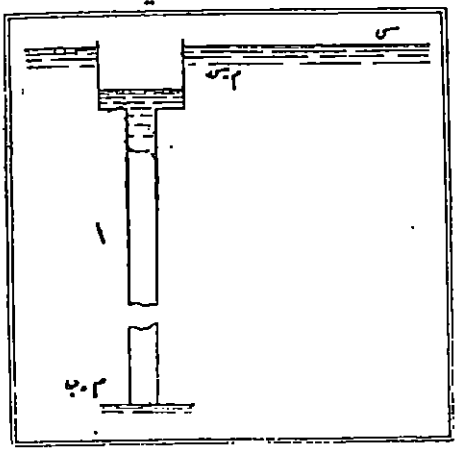

الرسم ٣ : الماء البارد يصعد في الانبوبة من قعر البحر بقوة الضغط

س : سطح البحر
م.س : الماء السخن
م.ب : الماء البارد

وقد مثّل بعضهم في الرسم ٥ مركزاً خيالياً لتوليد القوة الكهربائية حسب نظرية السيد كلود ، والمركز سابح في البحر . . .

عملية السيد جورج كلود

بدأ السيد كلود باختباراته في لياج ، من اعمال بلجيكة ، سنة ١٩٢٨ ،

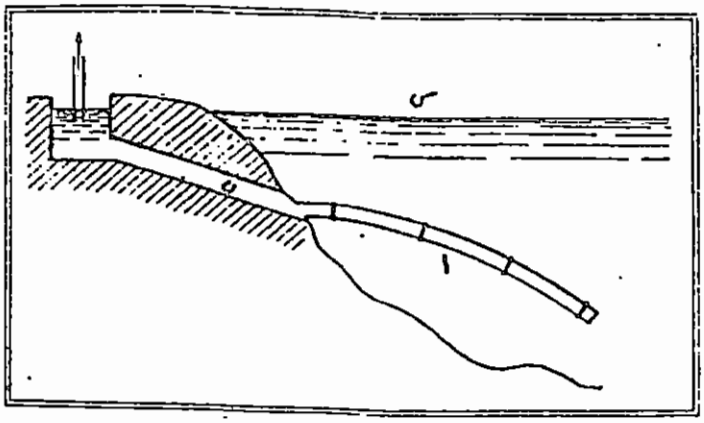

الرسم ٤ : الانبوبة مرتكزة في البحر ، مائلة ، مثبتة من جهة الى الشاطئ

س : سطح البحر ا : الانبوبة ن : نفق في الصخر موصول بالانبوبة

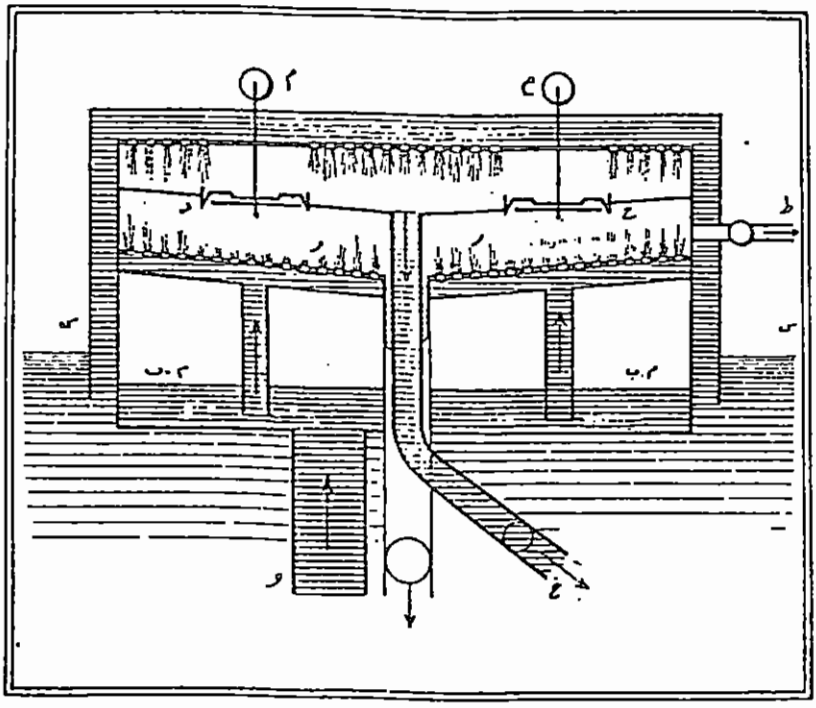

الرسم ٥ : شكل هندسي اجمالي لمركز توليد القوة الكهربائية على طريقة جورج كلود

س : سطح البحر م . ب : الماء البارد

ع : خروج الماء السخن الشاغل في الدوامة و : وصول الماء البارد في الانبوبة

د : الدوامة البخارية م : المولدة الكهربائية تديرها الدوامة

مستعملاً مياه نهر الموز (Meuse) لتبريد « المقطرة » ، والمياه نفسها مسخنة قليلاً لتوليد البخار .

وقد دفع به نجاح عمليته هذه الى تجارب ، اوسع واعظم ، على شواطئ جزيرة كوبا ، قرب خليج ماتنزاس . فاعدّ ما يلزم من الأنابيب والآلات وشحنها الى مركز العمل . امّا الانابيب فكانت من صفائح الفولاذ المضلّع بثخانة مليمترين فقط ، قصد الخفّة وسهولة التركيز . وتخفيضاً لنفقات الشحن ، فقد عُملت قِطع الانابيب هذه بثلاثة اقطار مختلفة : يبلغ احدها ٢١٨ سنتيمتراً ، والثاني ٢٠٧ ، والثالث ١٩٦ ؛ كي يمكن ادخالها بعضها في بعض فيخفّ حجمها . وقد قيل ان اجرة شحن تلك الانابيب من اوربة الى اميركة ناهز ثمنها ، اي نصف مليون فرنك .

وُصلت الانابيب بعضها الى بعض ، وطولها الفا متر ، بواسطة اللحام الذاتي . ثم أُنزلت الى البحر تحملها ، فوق الماء ، ظروف من الهواء تعرف « بالسبّاحات » ، وقبل ان يتمّ اغراقها في الماء بتمزيق السبّاحات ، هبّت زوبعةٌ عظيمة فشتّتها واتلفت منها قسماً وافراً .

ولم تكن تلك الخسارة لتثني العالم عن عزمه فعاد الى فرنسة وباشر عمل غيرها من الانابيب . وكانت هذه الانابيب كالسابقة قوة وخفة ، انما بقطر ١٦٠ سنتيمتراً فقط . ويرى في الرسم ٦ دائرةً احدى تلك الانابيب وبقربها صاحب النظرية السيد جورج كلود . امّا انزالها في الماء فكان على الوجه الآتي :

قسمت الانابيب ، على طولها ، الى قسمين طول القسم الاول ١٥٠ متراً وطول الثاني ١٨٥٠ . فاثبت ذاك في محلّه ، قرب الشاطئ ، في اوائل حزيران الماضي ، وصُفّ هذا بطوله على خطّ حديدي قرب الماء ، ورُبط احد طرفيه الى حبلٍ من الفولاذ يلفّ على خنزيرة مثبتة في الصخر (انظر الرسم ٨) . وهنالك استعدادات غيرها لا سبيل الى ذكرها الآن .

ولما كان الخامس والعشرون من شهر حزيران ، والجوُّ صافٍ والبحر راكد ، حضر المهندسون والعملة ، ولكلّ عمل مفروض ؛ فأُنزلت الانبوبة في الماء يجرّها فوق الخط الحديدي ستة من القوارب ، ولما بدأوا باتلاف السبّاحات

لاغراقها ، لم يشعروا الا والحبل الفولاذي قد انقطع ، فغارت الانبوبة في البحر بسرعة مخيفة . فاسودّت الوجوه وضعفت الآمال . غير ان جورج كلود قابل ذلك بثبات جأش وصبر يالمين ، قائلاً : « سنعاود العمل » . وهكذا كان حتى توصّل ، في الثالث والعشرين من شهر ايلول الماضي ، الى اثبات الانبوبة في محلها ، فصعد فيها الماء البارد ترفعه ، من الجاووز الجامع ، طلمبات مخصوصة ، فتبرّد المقطرة .

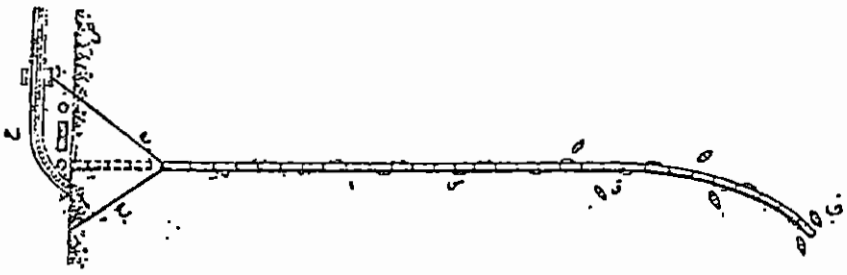

الرسم ٨ : شكل هندسي لطريقة انزال الانبوبة في الماء

ا : الانبوبة	ح : الحبل الفولاذي
ب : الخنزيرة	خ : الخط الحديدي
ق : القارب	س : السبّاح
ن : الارض اليابسة	

ولا تزال تصعد الى اليوم ، انما وجدت درجة حرارته ١٣ ستغراداً بينما ان الحساب قدّر لهذا العمق عشر درجات : ورغم ذلك فالفرق الباقي بين درجة حرارة المياه على سطح البحر ودرجة ١٣ لا يزال كافياً لادارة الدوّامة البخارية .

القوة الممكن استمدادها من مركز مانزانس

لا يخفى على القارئ ان القوة المستخلصة ، بطريقة كلود ، من الآلة البخارية ، لا تصعد كلها ، لوجوب استخدام قسم منها في الطلمبات وباقي المحركات اللازمة للعمل : وقد قدّر البعض ، قبل اختبارات السيد كلود ، ان هذه القوة المستهلكة قد توازي القوة المستمدة من البخار فتكون النتيجة لا شيء : لكنهم اخطأوا في حسابهم لان الطلمبات والمحركات التي استخدمت لهذه

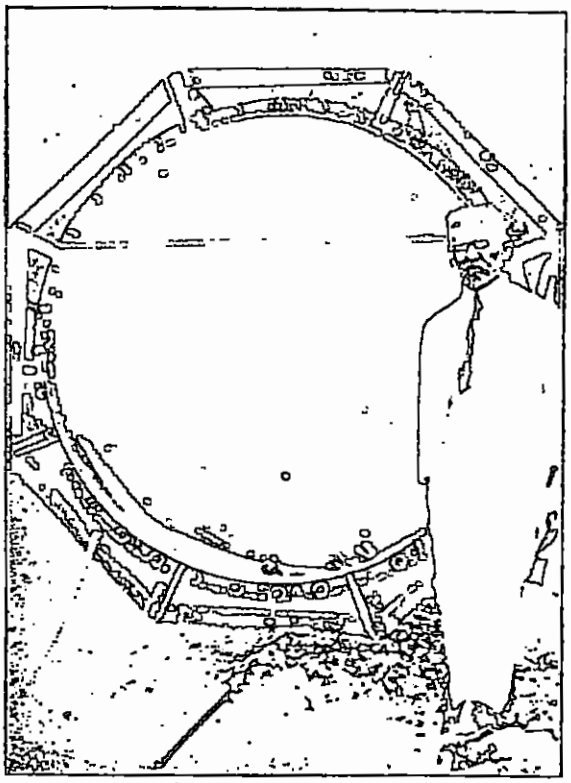

الرسم ٦ : دائرة الانبوبة وقربها السيد جورج كلود

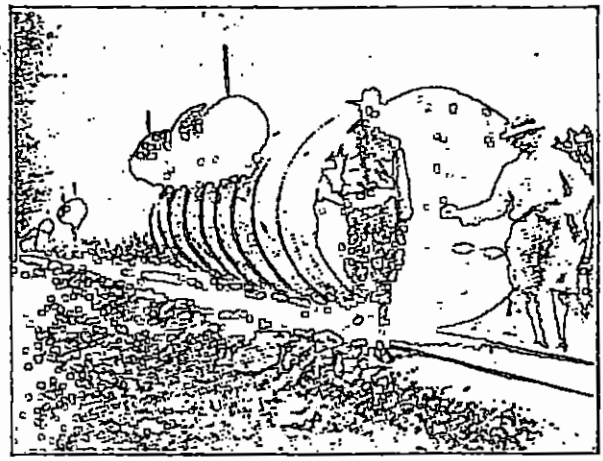

الرسم ٧ : الانبوبة مرتكزة على الخط الحديدي وعلى جانبيها السبّاحات

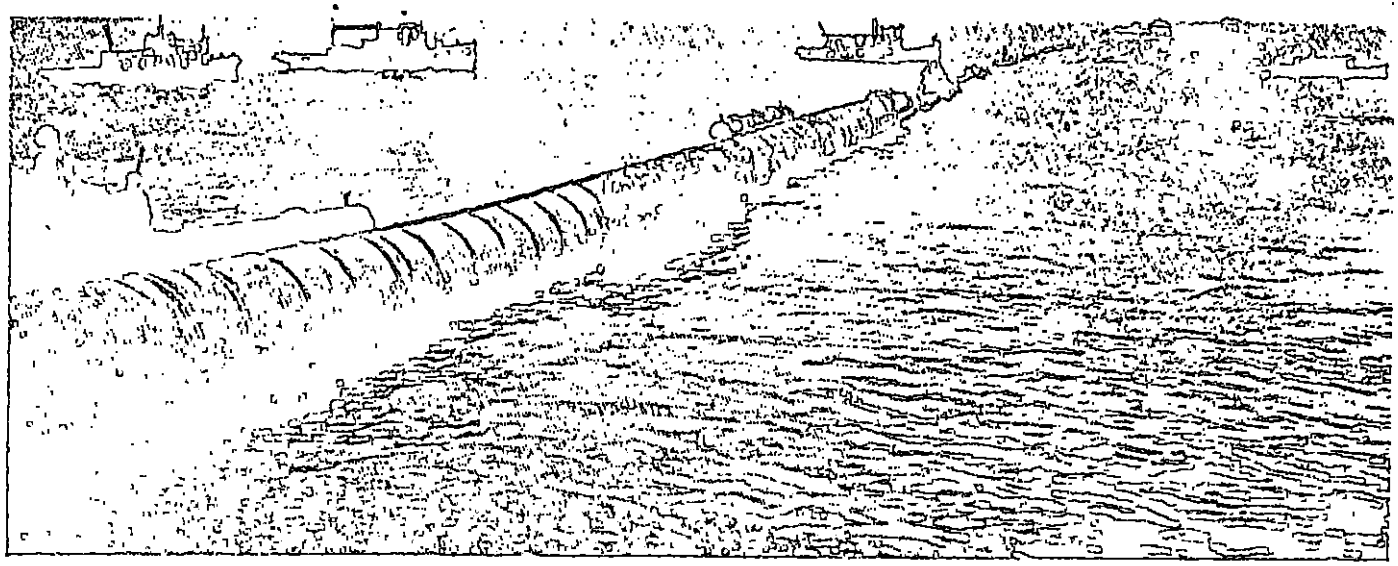

الرسم ٩ : الانبوبة سابحة في البحر

الغاية عُملت خصيصاً بانتاج عظيم ، بساعي السيد راتو (Rateau) زميل السيد كلود في اكادمية العلوم .

امّا القوة الصافية الممكن اعطاؤها فتبلغ — على تقديرنا — الخمسمائة كيلووات او سبعمائة حصان . هذا فيما لو افترضنا ان كمية الماء البارد ، المستخرجة من الانبوبة ، ثلاثة امتار مكعبة في الثانية ، وان درجة الماء الفاتر ٢٥ ودرجة الماء البارد ١٣ ، وان انتاج الدوامة البخارية سبعون بالمائة ، وان القوة المستهلكة لرفع الماء وعملية تفريغ الهواء ، توازي ٢٥ بالمائة من القوة البخارية . امّا القوة التي اتت بها تجارب كلود فلم نعرفها بعد . ومهما يكن من مقدارها فالمقصود الآن من الاختبارات السابق ذكرها ، ليس الاستثمار ، بل تبيان « مبدأ » علمي واننا نؤمل ان يكون لتجارب السيد كلود نتائج اقتصادية ، فيتلوها مشاريع من نوعها اقوى واضمن .

. . .

وقبل الختام لا بُدَّ لنا من التصريح بان عملية العالم جورج كلود ليست ، كما يدعوها البعض ، « بالحركة الدائمة » . فان مبدأ هذه فاسدٌ اذ يرمي الى استمداد القوة من اللاشيء . غير ان مبدأ عملية كلود صحيح ، قديم العهد ، معروف عند العلماء منذ القرن الثامن عشر ألا وهو تحويل الحرارة الى قوة ميكانيكية ، بواسطة تبخير الماء وتقطيره . وفضل السيد جورج كلود عائدٌ الى تطبيق ذلك المبدأ ، باستخراج القوة من حرارة مياه البحار .

حيّ بن يقظان

وفلسفة ابن طفيل

بقلم الاب توتل اليسوعي

١

عني الافرنج بقصة حيّ بن يقظان عناية سبقونا فيها الى التفتيش عن ذلك المؤلف وطبعه ، ونقله الى مختلف لغاتهم ، وتفسيره . في السنة ١٦٧١ ، كان المستشرق الانكليزي پوكوك (Pocock) اول من طبعه في العربية أخذاً عن مخطوطٍ محفوظ في مكتبة اوكسفرد ، وفي السنة ١٧٠٠ أعيد طبع الكتاب . وفي السنة ١٩٠٠ ، نشرَ لاون غوتيه الافرنسي ، المتعاطي تدريس الفلسفة في معهد الآداب العليا في الجزائر ، الكتاب ذاته بطبعة علمية ، متقنة مطابقة لأصل مخطوط اكتشفه في مدينة الجزائر ، واستعان عليه بطبعة پوكوك ، وبطبعات ظهرت في مصر ، وفي الاستانة .

ونُقل الكتاب الى اللاتينية ، والهولندية ، والالمانية ، والانكليزية ، والاسبانية ، والفارسية ؛ واعيد طبعه في بعض تلك اللغات مراتٍ . وسبق موسى الناربوني اليهودي ، ونقل الكتاب الى العبرية سنة ١٣٤٩م، وعلّق عليه ، فساعد من اتى بعده على فهم ابن طفيل وغيره من فلاسفة العرب .

وفي القرون الثلاثة الاخيرة ، ولع الافرنج ولعاً شديداً بقصة حيّ بن يقظان ، فقرأوها واخذوا عنها موضوعها وحوادثها ، وحذوا حذوَ ابن طفيل . وعند مقابلتنا بين تلك القصة وبين ما كُتب من امثالها كقصة روبنصون كروزوي ، وكمؤلفات جان جاك روسو في نشأة الانسان بمعزل عن الحياة الاجتماعية ، وتطوّر حياته الفكرية بالاكتشاف التدريجي في احوال الكون ،

وكاقوال ديكارت في سلسلة البراهين واستنباط النتائج من المقدمات ، لا يسعنا الا الميل الى ان هؤلاء الكتبة اطلعوا على كتاب ابن طفيل ، إما في متنه العربي او في احدى ترجماته ، واقتبسوا عنه . وفي السنة ١٦٥٠ ، ألف الاب بلتزار غراسايان اليسوعي الاسباني كتاباً عنونه « الكريتيكون » وضمنه حكماً واقوالا غايتها حث القراء على الزهد بالعالم تأسياً بحي بن يقظان .

وآخر ما انتهى الينا من عناية الافرنج المحمودة بهذا الكتاب الممتع هو ترجمته الانكليزية التي ظهرت حديثاً في مجموعة جميلة تولّى نشرها السيد دنيسون روس ، مدير المعهد اللوندني الشرقي ، وعنوانها « كنز القصص الشرقية » « *The Treasure House of Eastern Story* » وكتاب ابن طفيل حلّ في الحلقة الرابعة من المجموعة ، عُني بطبعه ، وتعليق حواشيه ، وتصديره بمقدمة ممهدة في حياة ابن طفيل وموجز تاريخ الفلسفة العربية ، السيد اسكندر س. فولتون (A. S. Fulton) المساعد في الامانة على الكتب الشرقية في المتحف البريطاني . اما الترجمة الانكليزية فهي لسمان اوكلي (Simon Ockley) ؛ نقلها عن العربية سنة ١٧٠٨ [1] . أهدي الينا الكتاب ، فرحّبنا به ، وسرّنا ان نعرّف به القرّاء .

ولما كان امره مهملاً ، ولم يطبع في سورية ولبنان قط ، وطبعاته في مصر وفي الاستانة دون ما يرجى لمثل هذا الكتاب من الاتقان والعناية ، رأينا ان نخصه بمقال عسى ان نمهد السبيل الى طبعه في بلادنا ؛ فأتينا على ترجمة ابن طفيل ، وعلى ذكر شيء من اقواله يساعدنا في الوقوف على اسلوبه ، وفي التمتع بمحاسنه اللغوية ، والنظر في تعليمه الفلسفي ؛ والمقابلة بينه وبين التعليم الفلسفي المدرسي القويم ، فتتميز لنا وجوه الاتفاق ووجوه الاختلاف بين التعليمين . ومن الواجب ان ينبّه اليها تلامذة الفلسفة ، وقصة حي بن يقظان مذكورة في برنامج

---

(١) The History of Hayy ibn Yaqzan *by* Abu Bakr Ibn Tufail *Translated from the Arabic by* Simon Ockley. *Revised with an Introduction by* A. S. Fulton. *London, Chapman and Hall Limited.* 1929.

البكالوريا ، وفيها خلاصة تاريخ فلاسفة الاسلام ومعالجة المشكل الاعظم الذي طالما شغل الافكار في القرون الوسطى ، وهو الوفاق بين الايمان والعقل ، وبين الدين والفلسفة .

نشأة ابن طفيل

هو ابو بكر محمد بن عبد الملك بن محمد بن طفيل القيسي ، ويكنى ايضاً ابا جعفر باسم ابنه الثالث ويعرفه الافرنج باسم « ابو بكر » ، او ابو باسر ، طبقاً للفظهم اللاتينية « Abubacer ». لم يبلغ الينا عن حياة هذا الرجل الكبير الا ما ذكره المؤرخون عرضاً . ولد في وادي آش في الاندلس ، في موقع مدينة غاديكس في اسبانية الحالية ، على زهاء ٦٠ كيلومتراً من شمالي قرطبة . وان ما يُتاح لنا ان نتحققه في قصة حي بن يقظان من دقة الفكر ، وبعد مرامي النظر ، وتسلسل الافكار ، مع سعة المعارف ، ومتانة اللغة ، ووفرة الالفاظ ، وصدق مطابقتها للموضوع ، وتحبيب الفضيلة والزهد في زخارف الدنيا ، لشاهد لمؤلفنا بكرامة الاصل وحسن الثقافة . ولا بدَّ ان من اختاره الخليفة وزيراً وطبيباً له ، نشأ في أسرة نبيلة غنية وفّرت له وسائل التعلّم .

روى سركيس في معجم المطبوعات وغيره من المؤلفين ان ابن طفيل قرأ على ابي بكر الصائغ المعروف بابن باجة ، وهذه الرواية صادرة عن كتاب « المعجب في تلخيص اخبار المغرب » للمراكشي ، (ص١٧٢ ، طبعة دوزي) . وقد نقدها ابن طفيل ذاته ، في مقدمة قصة حي بن يقظان ، لما قال عن ابي بكر بن باجة ، انه « لم يعرفه » . ولعل المراكشي اراد القول : ان ابن طفيل تلقن العلم في مؤلفات ابن باجه « ككتابته في النفس وتدبير المتوحد ، والمنطق ، وعلم الطبيعة » . ولا يبعد عن المعقول ان يكون ابن طفيل قد ابتدأ العلم على بعض الاساتذة ، ورقي مدارجه بمطالعاته الشخصية عن غير استاذ ، شأن الكثيرين من النوابغ ، وهو الواضع سيرة حي بن يقظان الملقّب « بالفيلسوف المتعلم بذاته » « *Le philosophe autodidacte* » هذا وقد سُمّي ابن طفيل الاندلسي ، والقرطبي ، والاشبيلي اشارة الى معيشته في الاندلس ، واقامته في

قرطبة واشبيلية مدينتي العلوم والمعارف .

وتقلب تلامذة نجباء كابي اسحق البطروجي صاحب التأليف في علم الهيئة ، وعلم الطب في قرطبة . وتنقل من وظيفة الى وظيفة ، فمن كتابة اسرار ولاية قرطبة ، الى الكتابة في ديوان ابي سعيد (٥٤٩هـ = ١١٥٤م) صاحب غرناطة ومالقة والجزيرة الخضراء وسبتة وطنجة ، الى الوزارة على ايام الخليفة ابي يعقوب يوسف الموحدي .

صنائع المعروف

وكانت دولة الموحدين في أوج عزها ، وسلطانها يلقب امير المؤمنين شأن زميله في بغداد . ولكن شتان بين خليفة وخليفة . فهذا مخفوض الجناح تحت سطوة الامراء السلجوقيين ليس له من الملك الا الخيال ، وذاك نافذ الكلمة ، قوي الشوكة ، مطاع في الزمنيات والروحيات ، وهو من سلالة عبد المؤمن مناصر المهدي بن تومرت . ولم تكن الحروب المتواصلة بينه وبين الاسبان على حدود الاندلس الشمالية والجهاد الدائم بين العرب والافرنج عائقاً عن ارتفاع شأن الدولة الموحدية . وكان الخليفة ابو يعقوب يوسف صاحب دهاء وعزم وسياسة ، فصد عن الهجوم اعداء الخارج ، ونشر ألوية السلم والامن في الداخل ، وامر الناس بالانصراف الى اشغالهم عن الجدال والمناقشات بالدينيات ، خشية تكدير الجو الاسلامي واحداث البلبال في معتقدات العامة ، لكنه اتخذ خاصته من الفلاسفة ميلاً منه الى المعارف ، واستنفاعاً بمن رأى فيهم الكفاءة للمشورة والنصح والتدبير . فقرب اليه ابن طفيل وكان « شديد الشغف به والحب له . يبقيه عنده في القصر اياماً ، ليلاً ونهاراً . »

لم يبلغ الينا من اقواله في السياسة ومن اخباره في التدبير الا القليل . لكن ذلك القليل منوه بما في ابن طفيل من تنزهه عن الطمع باباطيل الفانية ، وإيثاره المصالح العمومية على مصالح آل بيته ، واستخدامه نفوذه عند السلطان في سبيل احياء المعارف وتشجيع رجال العلم عليها . فكأني بالوفود يتزاحمون اليه لينالوا بشفاعته نعمة او وظيفة ، فيتفرس بهم ، وبنظرة تخترق الصدور يميز فيهم

بين القوي والضعيف ، والمقتدر والعاجز ، ولا ينخدع بالظواهر ولا يدور في خلده زعم المحدثين الزائف ، المطالب جميع الناس بالمساواة المطلقة والحق في الحكم والتحكيم والامر والتأمير ، وهو القائل :

ما كل من شمّ نال رائحة ، للناس في ذا تباين عجب ،
قوم لهم فكرة ، تجول بهم بين المعاني ، اولئك النجب .
وفرقة في القشور قد وقفوا ، وليس يدرون لبّ ما طلبوا . . .
لا يتعدّى امرء جبلّته قد قسمت في الطبيعة الرتب .

فلا محاباة وجوه ، ولا تفضيل ذوي قربى في توزيع المراتب . قيل انه رزق ثلاثة بنين : بكر ويحيى وجعفر ، ولا يعرف التاريخ ان اباهم سعى في تقليدهم وظيفة من الوظائف .

ابن طفيل وابن رشد

بل يذكر التاريخ جهود ابن طفيل في جمع الكتب ، وتقريب العلماء وجلبهم الى الخليفة « من جميع الاقطار » . ودوّن المراكشي خبر اتصال ابن رشد الفيلسوف بالخليفة ، بواسطة ابن طفيل وسعيه . فانه « نبّه الخليفة عليه وعرفه بقدره » ، ولم يأل الشيخ ان يتنحى للغلام في مجلس الفلاسفة فيقدّمه على ذاته ويوصي به السلطان ، ويقلّده قصب السبق على نفسه . وجاءت الحادثة التي ذكرها المراكشي عن دخول ابن رشد على السلطان بمنّة ابن طفيل محطّة في تاريخ الفلسفة العامّ . فدفعت مفسّر ارسطو وشارحه الكبير في ميدان التأليف . ولا بد من رواية الخبر ، وهو عنوان تواضع الشيخ ونبوغ الفتى واحتشامه ، وكلا الفيلسوفين متباريان في تفضيل احدهما صاحبه على نفسه . والخبر ، على ايجازه ، صورة حياة الافكار ونزعة الاميال في العصر الذهبي العربي . نشره فرح انطون في كتابه على ابن رشد وفلسفته (ص ١٢) معرّباً عن نصّ افرنجي ، واليك الاصل العربي :

قال ابو الوليد بن رشد :

« لما دخلت على امير المؤمنين ابي يعقوب وجدته هو وابو بكر بن طفيل ليس معهما غيرهما . فاخذ ابو بكر يثني عليّ ويذكر بيتي وسلفي ويضمّ بفضله الى ذلك اشياء لا يبلغها

قدري. فكان اول ما فاتحني به امير المؤمنين ، بعد ان سألني عن اسمي واسم ابي ونسبي ، ان قال لي : « ما رأيم في السماء ، يعني الفلاسفة ، اقديمة هي ام حادثة ؟ » فادركني الحياء والخوف . فاخذت اتلكأ ، وانكر اشتغالي بعلم الفلسفة ، ولم اكن ادري ما قرّر معه ابن طفيل. ففهم امير المؤمنين مني الروع والحياء ، فالتفت الى ابن طفيل ، وجعل يتكلم على المسئلة التي سألني عنها ، ويذكر ما قاله ارسطوطاليس وافلاطون وجميع الفلاسفة ، ويورد مع ذلك احتجاج اهل الاسلام عليهم. فرأيت منه غزارة حفظ لم اظنها في احد من المشتغلين بهذا الشأن، المتفرّغين له. ولم يزل يبسطني حتى تكلمت . فعرف ما عندي من ذلك. فلما انصرفت امر لي بمال وخلعة سنية ، ومركب.

وقال ايضاً ابو الوليد :

« استدعاني ابو بكر بن طفيل يوماً فقال لي : « سمعتُ اليومَ اميرَ المؤمنين يتشكى من قلّق عبارة ارسطوطاليس او عبارة المترجمين عنه ، ويذكر غموض اغراضه ، ويقول : لو وقع لهذه الكتب من يُلخصها ويقرب اغراضها ، بعد ان يفهمها فهماً جيداً ، لقرب مأخذها على الناس . فان كان فيك فضل قوّة لذلك فافعل ؛ واني لأرجو ان تفي به لما اعلمه من جودة ذهنك وصفا قريحتك وقوة نزوعك الى الصناعة ؛ وما يمنعني من ذلك الا ما تعلمه من كبرة سني واشتغالي بالخدمة وصرف عنايتي الى ما هو اهمُّ عندي منه . » قال ابو الوليد : «فكان هذا الذي حملني على تلخيص ما لخّصته من كتب الحكيم ارسطوطاليس. »

قال المراكشي : « وقد رأيت انا لابي الوليد هذا تلخيص كتب الحكيم في جزء واحد في نحو من مائة وخمسين ورقة ترجمه بكتاب الجوامع ، لخص فيه كتاب الحكيم المعروف بسمع الكيان ، وكتاب السماء والعالم ، ورسالة الكون والفساد ، وكتاب الآثار العلوية ، وكتاب الحسّ والمحسوس . ثم لخصها بعد ذلك وشرح اغراضها في كتاب مبسوط في اربعة اجزاء » (١

ويتبين من فحص « غوتيه » هذين المتنين ان الاول سبق الثاني في الزمان، وجرت حادثته في مراكش في اوائل السنة ١١٦٩ م ، على افتراض ان ابن رشد اقبل مع وفود الاندلس لتحية الخليفة عند اتخاذه لقب « امير المؤمنين». وكان عمر ابن رشد ٤٢ سنة ، وكان ابن طفيل قد بلغ الشيخوخة وعمره بين ٦٣ و ٦٨ عاماً ، فيكون وُلد نحو سنة ١١٠٥ .

وفي السنة ١١٨٢ ، تنحى ابن طفيل لابن رشد عن وظيفة تطبيب الخليفة ، وظل في جوار امير المؤمنين وموالاته . وتوفي ابو يعقوب يوسف في

١) المراكشي : المعجب ، طبعة دوزي ، ص ١٧٤-١٧٥

١٣ تموز ١١٨١ ، في الاندلس ، من جراحات نالته في حصاره مدينة شنتارين في البرتغال . فخلفه احد ابنائه ، ابو يوسف يعقوب ، واحتفظ بحمية ابيه وكتبه ووزرائه .

زهده ، وفاته

يفيدنا عبرةً وقدوةً صالحة ان نتصوّر ابن طفيل في اواخر ايامه شيخاً مهيباً ، نال من مواهب الطبيعة ومن زخارف الدنيا ما لا يناله الا القليلون من البشر ، وهو الحظي المقرب من السلطان ، والسيد المطاع من الناس ، والاستاذ المقول بقوله . فلم يغترّ بغرور الحياة ، ولا ابتسمت له وعرضت عليه محاسنها وملذاتها ، ترفع عنها متمسكاً باهداب الفضيلة :

فامسكتُ ، لا مستغنياً عن نوالها ، ولكن رأيت الصبر أوفى واكرما .

وشعر بدنوّ اجله ، فاغرق في الزهد ، واختلى الى نفسه مفكراً بالعالم تفكير الفيلسوف البصير بعلل الاشياء ، المحتقر اباطيل الفانية ، الزاجي سعادته من مراحم ربه ، وهو القائل :

يا باكياً فرقة الاحباب عن شحط ، ملأ بكيت فراق الروح للبدن
نورٌ تردد في طين الى اجل ، فاغتاز علواً ، وخلّى الطين للكفن
يا شدّ ما افترقا من بعد ما اعتلقا ، اظنها هدنة كانت على دخن ! (١
ان لم يكن في رضى الله اجتماعهما فيا لها صفقة تمت أعلى غبن .

وتوفي ابن طفيل سنة ٥٨١ هـ . (١١٨٥) ، في مراكش ، وحضر جنازته السلطان ابو يوسف يعقوب .

---

١) هدنة على دخن : اي سكون لعلة لا لصلح

(المبحث صلة)

صفحة من تاريخ

الرهبانية الباسيلية الشويرية

بقلم الاب اثناسيوس حاج ق. ب.
مدير الدروس في المدرسة الاكليريكية

٤

٥ — بعض رجالها المشاهير (تابع)

٧ — المؤرخون من ابناء الرهبانية

ان لبعض آباء الرهبانية فضلاً كبيراً بتركهم للوطن مصادر تاريخية ذات قيمة جليلة ، منهم :

١ — الاب نقولا الضائغ الذي ترك للرهبانية سجلاً دوّن فيه اهم الحوادث الرهبانية ، وشيئاً من الحوادث المدنية ، وذلك من سنة ١٦٩٧ الى سنة ١٧٥٦

٢ — الاب قسطنطين الطرابلسي الذي ترك لنا في « تاريخ دير رومية نافيجلا » كل ما اتصل به عن الشرق مبتدئاً من سنة ١٧٢٩ ومنتهياً بسنة ١٧٧٣

٣ — الاب روفائيل كرامه الذي عُني بنشر تاريخه سيادة المطران العلامة باسيليوس قطان تحت عنوان « مصادر تاريخية لحوادث لبنان وسورية من سنة ١٧٤٥ الى سنة ١٨٠٠ »

٤ — الاب حنانيا المنيّر المعروف في اوربة بكتابه الشهير في ديانة الدروز الذي ترجمه ونشره القنصل Guys. فمن جملة تآليفه: تاريخ الرهبانية الحناوية الذي اتى فيه بدقة ووضوح على ذكر الحوادث الهامة في بلادنا من سنة ١٧١٣ الى سنة ١٨٠٤. وله ايضاً تاريخ مدني معروف بكتاب « الدر المرصوف في تاريخ الشوف » وهو اوفى وادق ما كُتب في تلك الايام عن تاريخ الشوف بنوع خاص ، وتاريخ سائر البلاد عموماً ، ولقد تطرّق المؤرخ الى ذكر كثير من

الامور التي جرت في سورية ومصر مبتدئاً تاريخه من الامراء الشهابيين حتى موت الجزار اي منذ سنة ١٦٩٧ الى سنة ١٨٠٤ . فعلى هذين المؤلفين كان معوّل المؤرخين فيما بعد كالامير حيدر ، والشيخ بطنوس الشدياق في استقاء المصادر التاريخية اللبنانية لذلك العصر.

٨ — شهيد من شهدائها الأبرار

القس بطرس نمير الزحلاوي. جميل بنا ان نختتم سلسلة بعض رجال الرهبانية الافاضل بكلمة موجزة عن كاهن من ابنائها مات لاجل الايمان . على اننا لا نعرف من امر هذا الرجل القديس سوى ما ورد باختصار في تاريخ الاب روفائيل كرامه الذي اشرنا اليه ، وما وصفه به الاب نيقولاوس الصائغ في قصيدة بدؤها

اي بطرس القسُّ ، تمَّ الحكم فيك كما قضى الاله ، وهل ردٌّ لما حكما !

الى ان قال :

سلوك كفرًا ، فلمْ تكفر ، فتَّ على حفظ الوديعة بالايمان معتصما .

اما ما يعرف عنه فهو انه كان سنة ١٧٤٩ مقيماً في دير سيدة راس بعلبك ، فذهب يوماً الى اخرته خارج البلدة حاملاً اليهم طعام الغداء ، فتصدى له بعض المتاولة وخيّروه بين القتل ونكران الايمان المسيحي . اما هو فقد فضل الموت شهيدًا ، وقبل ان يوقعوا به ، التمس منهم هنيهة للصلاة . فركع ساجداً وبينا هو يسال الله معونته لتجرع كاس الممات ، قبضوا عليه وذبحوه ذبح الشاة ، فمات فائزًا باكليل الشهادة. ويا ما احبّ هذا الاكليل الى نفوس القديسين !

تنبيه :

لقد وقع في لائحة الاساقفة من ابناء الرهبانية التي ختمنا بها القسم المنشور في الجزء السابق من المشرق ، وهم في سرد بعض الاسماء او اهمال في تحديد سني الاسقفية : فرأينا ان نستدرك هذه الهفوات هنا ، وقد انتهينا من الفصل الخاصّ بمشاهير الرهبانية . وعليه يجب ان يضاف الى اللائحة :

جراسيموس احد مؤسسي الرهبنة	مطران حلب	١٧٢١ — ١٧٥٤
يوسف الحكيم (او سَفَر)	مطران قاره	١٧٦١ — ١٨١٠
باسيليوس المرقتنجي (شكرالله بن نعمه شكر)	مطران حلب	١٨١٦ — ١٨٢٣

باسيليوس شاهيات (كان اسمه يوستينوس) مطران زحلة ١٨٣٦ – ١٨٦٤

ويجب ان يحذف منها :

١ً مكسيموس حنانيا صاجاني — لم يوجد مطران بهذا الاسم من الرهبانية

٢ً اكليمنضوس بيدروس — هو نفس المطران اكليمنضوس الطيب

٣ً مخايل التركمان

٦ — اديار الرهبانية الشويرية البلدية

لا يخفى ان الرهبانيتين الحلبية والبلدية كانتا في بدء الامر رهبانية واحدة، وان الله كما سمح يوماً ان يفترق القديس برنابا عن القديس بولس لاجل فائدة النفوس ، قضى ايضاً ان ينفصل الرهبان البلديون عن الحلبيين اولاً سنة ١٨٢٣ ، بيد انهم لم يلبثوا ان اتحدوا في السنة نفسها على يد الامير بشير الشهابي ، ثم سنة ١٨٢٩ . ومنذ هذه السنة صارت الرهبانية الحلبية والبلدية متميزتين كل بجالها واديرتها ، غير انهما لا تزالان شقيقتين تعمل بهما روح واحدة ، وتعملان على مجد الله وخير النفوس ، وان شئت قل نهراً جرى طويلاً ثم ابى ان تنحصر مياهه العذبة في ناحية واحدة فتشعب الى شعبتين ليتسنى له ان يؤتي الخصب والحياة في مجال اوسع .

فاذا حصرنا الكلام الآن في الرهبنة البلدية قلنا ان لها خمسة اديار ثلاثة للرهبان ، واثنان للراهبات المحصنات .

منها دير النبي ايلياس بزحلة الذي شيد سنة ١٧٥٥ على ايام الخوري نيقولاوس الصائغ . ثم دير القديس انطونيوس في قصبة كفرشيما ، بني سنة ١٧٦٣ على رابية عالية ترفعه فوق صحراء الشويفات فيرى البحر بمنظره المهيب . ويعلوه من الجهة المقابلة سلسلة روابي وجبال خضراء تحيط به احاطة الهالة بالقمر . فهناك يقضي ما تبقى من الحياة رهبان طاعنو السن قضوا ايامهم في خدمة الدين والوطن وجاهدوا الجهاد الحسن ، فكانوا كاولئك الفرسان الذين بعد ان كافحوا اجمل كفاح ، وسقطوا مثقلين بالجراح لا يستطيعون خوض المعامع من بعد ، رفعوا اكف الضراعة يؤازرون رفاقهم بالصلاة والدعاء .

دير الصايغ — هو اقدم اديار الرهبانية واعظمها يحوي ثلاث بنايات : بناية

قديمة يقيم فيها جمهور المبتدئين، وبناية جديدة يقيم فيها عمدة الرهبانية والكهنة، وبناية ثالثة منفردة وهي المدرسة الاكليريكية للرهبانية.

اما موقع الدير فهو ما بين قصبتي الشوير والخنشارة، على طبقة صخرية فوق وادي الجاجم، تحفّ به صخور واشجار اكثرها من السنديان والصنوبر الجميل.

وما خلا هذه الاديرة الثلاثة، يوجد ديران للراهبات المنتميات للرهبانية، وهنّ محصنات منقطعات للصلاة والعمل. احدهما دير في ذوق ميكائيل على اسم سيدة البشارة شيد في عهد رئاسة الخوري نيقولاوس الصائغ سنة ١٧٣٧، فكان ولم يزل مزاراً شريفاً يؤمّه كثير من اهل الصلاح والتقى. والآخر دير سيدة النياح في بقعتوته، بين مزرعة كفردبيان وبسكنتا، شرع ببنائه على نفقته الخاصة نحو سنة ١٧٦٠ احد الدمشقيين الاتقياء، المقدسي ابرهيم خير، وفرغ منه سنة ١٧٦٧ كما يشهد بذلك التاريخ المثبت فوق كنيسة الدير وهو:

اتى بالخير خيرٌ من دمشقٍ لسيدة النياح اقام ديرا
اردت كتابة التاريخ يوماً فقلت جزاك ابرهيم خيرا

١٧٦٧

٧ — الآثار التاريخية في الرهبانية

ان اجلّ الآثار التي تملكها الرهبانية الشويرية هي مطبعتها القديمة، وكنيستها القائمتان في دير الرئاسة اي دير الصايغ.

المطبعة

هي اول مطبعة عربية في هذه الارجاء. ولا عبرة بان مطبعة دير قزحيا قد سبقتها لان هذه كانت تطبع بالسريانية وبالحرف الكرشوني. اما تلك فقد اتت بكتب عربية عديدة روحية وطقسية وجدلية، وكل ذلك بحروف عربية واضحة وطبع جميل. وهي لم تزل الى الآن محفوظة بكامل ادواتها من حروفها الى امهات الحروف الى ابياتها الى طوابع الاقدميي وغير ذلك، وكله في غاية الدقة والاتقان مما يدل على مهارة وتفنن مؤسس المطبعة الشماس عبد الله زاخر.

الكنيسة

ان في دير الرئاسة كنيستين احداهما قديمة العهد والثانية احدث عهداً . فالقديمة المدعوة بكنيسة مار يوحنا شفيع الدير لا يعلم من تاريخها سوى انها كانت قبل تأسيس الدير بسنين كثيرة جداً فكانت بمثابة مزار للقرى المجاورة. اما الصور الموجودة فيها فانها عريقة في القدم ، فاحدثها كصورة الصابغ وصورتي السيد والسيدة يرقى عهدها الى سنة ١٧١٠ او سنة ١٧٢٠ . وهناك صور اقدم عهداً منها بكثير من السنين وإن منها صورة عجائبية اثبتت عليها شهادات الرؤساء والاساقفة.

كنيسة القديس نيقولاوس – شرع ببنائها سنة ١٧١٩ الطيب الذكر نقولا الحصاني الدمشقي وانفق عليها نقولا الصائغ مالاً جزيلاً فاتت كنيسة متينة البناء .

فمظهر جمال هذه الكنيسة قائم في الايكونوستاز ، او واجهة الصور ، الذي صنع بعد كمال الكنيسة بزمن غير طويل ، وهو على جانب يذكر من الزخرفة والاتقان يدلّ على مهارة صانعه ورفرة ذوقه ، وصانعه احد الرهبان المتفننين الذي آتاه كل ما اتاه من التفنن على عدم تيسر الادوات اللازمة .

الايكونوستاز كله من خشب الجوز طوله ستة امتار ونصف ، وعلوّه اربعة ونصف ، وقد حفر فيه تماثيل ومشاهد دينية جميلة . ففوق الباب الايمن منه يرى القديس ديمتريوس على حصانه ، ثم القديس اغناطيوس تأكله الوحوش ، وبين هذين المشهدين بشارة العذراء . وفوق الباب الشمالي قد مثل القديس جاورجيوس يقتل التنين ، ثم النبي دانيال في جبّ الاسد وقد وافاه الملاك بحبقوق النبي حاملاً اليه زاداً ، والملاك ماسك حبقوق بناصيته حسب نصّ الكتاب المقدس . وبين هذين المشهدين الممتعين نرى القديس يوسف حاملاً الطفل يسوع .

ويُرى فوق صورة السيد المصلوب تُحيط به المريمات ، ثم القبر والحراس ساقطون من الرعدة ، ثم المسيحُ قائماً ظافراً . وفوق صورة السيدة القديسان بطرس وبولس يحملان قبة الكنيسة ، ثم ملاكان يحملان القربان الاقدس في

كاس ترفرف حوله الملائكة ، ثم الملك قسطنطين وامه هيلانه وقد وجدا الصليب المقدس ، وفوق كل ذلك السيد المسيح تحيط به اجواق الملائكة.

كل هذه المشاهد قد فرّغ ما حولها الا قليلاً لتبقى التماثيل متماسكة .

وهناك ايضاً الباب الاوسط ، وهو يتميز من البابين الآخرين بان العمودين القائمين على جانبيه حفرت فيها تماثيل السيد المسيح والرسل ، وقد افرغ قلبا العمودين وما حول التماثيل .

واما ما فوق الباب فقد استوت فيه العائلة المقدسة ، وعن اليمين يوحنا السابق شفيع الدير ، والى اليسار القديس باسيليوس الكبير مؤسس الرهبانية.

أضف الى هذا الاثر الجميل صوراً قديمة منها صورة قلب يسوع ، وصورة الوردية المقدسة ، قدمتا للكنيسة سنة ١٧٤٠ ، مما يدل على ان العبادة لقلب يسوع والوردية كانت متأصلة اذ ذاك بين الشرقيين وبين الرهبان قادة الشعب في تلك الايام.

٨ — مآثر الرهبانية

لقد شبه البابوات الرهبانية بشجرة كبيرة ، وقد اصابوا ولاسيما انها اعطت منذ تأسيسها ثماراً كثيرة لذيذة فخدمت الدين والعلم والوطن خدمة جلى.

خدمت الدين بالرسالات التي افتتحتها في بلاد بعلبك ، وحمص ، وحماة ، وديار بكر ، وبعدئذ في السلط وغيرها . جاء في سجل الرهبنة :

« في سنة ١٧٢١ ارسل اهل قرية رأس بعلبك الى الرئيس العام يطلبون منه كاهناً كاروزاً لكي يرشدهم في حقائق الايمان الكاثوليكي الذي سمعوه من الخوري ثاودوروس اذ كان عندهم فارسل لهم رئيس الخوري مكسيموس (حكيم) الذي ذهب وكرز علم وحتى انه شاع خبره . . . فارسل مطران حمص يستدعيه اليه فذهب وعلم وكرز عدة ايام ومذ ذاك تأسس هناك الايمان الكاثوليكي . . . »

وفي محل آخر

« ثم ان الاب ثاودوروس خرج من حلب في اواخر ايار سنة ١٧٢٢ . . . فمرّ على حماة وحمص وانذر اهلها بالايمان الكاثوليكي . . . »

خدمت الدين بخدمة ابنائها رعايا الابرشيات ، وبتقديمها للطائفة بطاركة واساقفة وكهنة يصحّ في كثير منهم ما قاله السمعاني عن موسسيها . خدمت الدين بالكنائس والمدارس التي شيدتها في كثير من قرى ابرشيتي زحلة وبيروت .

ولقد خدمت العلم والوطن ليس بالمدارس الصغيرة التي كان معهودًا بها الى كهنة الرعايا الرهبان فقط ، بل بتشييدها اكبر المدارس الوطنية التي تخرج فيها اكبر صحافيي وشعراء هذه الاقطار .

فمن ينكر يا ترى ما للكلية الشرقية بزحلة من عظيم الفضل على شبيبة الوطن ، وكم ضحت الرهبانية من مال ورجال في سبيل العلم في هذه البلاد . والمدرسة البطريركية في بيروت ، وكذا الاخويّات فيها ، من الذي اسسها سوى احد ابناء هذه الرهبانية ؟

واخيرًا من حفظ الطائفة وصانها من كل ضلال وانشقاق في القرنين الخاليين سوى الرهبانيات الكرمة التي كانت منائر ساطعة الضياء ، تبدّد الظلمات عن هذه الارجاء ، وترى ابناء هذه الطائفة بين الاضطهادات الجمة التي حلت بهم ، وتقلبات بعض الرؤساء وغوايتهم ، الصراط المستقيم الى الكنيسة الحقيقية الرومانية منارة المنائر وامّ الكنائس .

بصّاره براجه بتشوف البخت !

حكاية

بقلم فؤاد افرام البستاني

وهيمة كانت لوالديها ، تطلب العزيز الممتنع فتراه بين يديها . شبت منعمة تتنقل من مهد الترفه الى حضن الدلال ؛ لا ترى الا الابتسام ، ولا تسمع الّا «يا عيني ، ويا روحي» . كان ابوها شيخ القرية وأمها شيختها ، يفصلان في شؤون الرجال ومنازعات النساء ، وما فيهم من يحتجّ ، ولا فيهنّ من تتذمّر . وسلمى تخطر في هذا المحيط يحفّها والداها بالعناية ، وينظر اليها الجميع بعين الاعجاب والاكرام ، فيتراءى لها التسلّط من طبيعتها ، وتخال الحياة ماهاة جميلة ...

ولم يكن لها ما يصرفها الى شغل عقلي ؛ لان أباها ، وهو من « المحافظين على التقاليد الصالحة » ، أبى ان يعرّضها لمفاسد العصر ، فلم يعلّمها الّا المبادئ الاولية ، مستعيذاً بالله من مضارّ القراءة بالنساء ، وشرور الكتابة ! فمالت الفتاة الى التأمل بما كانت تسمع من اقاصيص العجائز ، واخبار بنات القرية ، فتتوسّع فيها ، وتعلّق عليها ، وتجترّها طولَ تلك الايام المتتابعة على وتيرة واحدة ، فترمي بانظارها الى ما وراء المنزل ، الى مكان ولّدته مخيلتها البليدة ، الى عيشة تكون لحمتها الملذّات ، وسداها قلّة العمل .

هكذا كانت تغذّي تلك الافكار ، وتتعزّى بها . تسمع باحاديث الخطب والأعراس ، فتتمنى ان يكون لها عريس ، لا عن حبّ او ميل ، بل ليقول رفيقاتها : « خُطبت سلمى . وغداً عرس سلمى . ورأينا عريس سلمى . » الى آخر ما هنالك بما حشت بـه دماغها المضطرب ، المتقلقلة فيه اسماء الاقمشة والفساطين ، والقاب الطيوب والمساحيق .

ولم تكن سلمى دميمة الخَلق ، كريهة المنظر ، فتنبو عنها العين ، وتنفر منها النفس ؛ بل كانت على قسطٍ من الجمال وضاءة الجبين ، دعجاء العينين

ترسل منها نظرات الآمرة المتكبرة . غير ان مواهبها الخُلقيـة لم تكن على شيء من حسنها الخارجي ، فكانت ، مع بساطة قلبها ، ضعيفة الارادة ، كثيرة التقلّب ، مدّعية بانواع المعرفة ... فكان من يسمعها لاول وهلة يميل عنها ؛ ومن يعرفها يشفق عليها ، ويلوم اباها « المحافظ على التقاليد الصالحة » ...

* * *

قضت سلمى السنين من حياتها بين تزيّن وتبرّج واستحمام ، تنام النهـار وتساهر القمر ، الى ان ضجرت من انتظار العريس ، فاخذ التشاؤم المؤلم يدبّ في اعماق نفسها ، ويدنو من افكارها شيئاً فشيئاً .

وبينا هي في عصر احد الاعياد ، منطرحة على كرسي هزّاز في بهو المنزل ، اذ طرق سمعها صوت « نورية » تنادي :

بعّاره براّجه بتشوف البخت !

فبرقت اساريرها وصاحت :

— تعالي ! تعالي !

دخلت النورية ، فحطّت بضاعتها . ثم فتحت جرابها ، وبعـد ان اجالت فيه يدها مرّات ، اخرجت اصدافها ، فقلبتها ، وقالت :

— الاسم الكريم ؟

— سلمى .

— تعيشين باسمك ، يا سلمى . تفضلي وضعي يدك هنا .

فوضعت سلمى يدها بعجب . اما النورية فجمعت اصدافها ، ورمتها ثانية . وقالت :

— انت حسناء بين زينـات العرب ، يا سلمى . مستقبلـك احسن من حاضرك ، يا سلمى . بعض الناس يحبّونك ، والبعض يبغضونك ، يا سلمى . امامك سفرة طويلة تتوفّقين فيها ... سيأتيك مكتوب سارّ قريباً ، ان شاء الله ! ...

ثم سكتت النورية ، فقلقت سلمى وتمتمت :

— حسن . ولكن ... لم تقولي شيئاً ...

فابتسمت النورية ، واجالت اصدافها ثالثةً ، وقالت :

— اني ارى شاباً فكره فيك . وسيحصل نصيبٌ عن قريب ... قولي معي : ان شاء الله ! ...

فقالت سلمى : ان شاء الله ! ثم حذفت النوريةَ بما تيسّر لها من النقود ، ودخلت غرفتها فرحةً مبتهجةً .

***

في الطبيعة البشرية ميل الى الاعتقاد ، ولو بلا شيء . فالانسان ، اذا لم يعتقد بالحقائق الراهنة ، اعتقد بالترّهات والخرافات الباطلة . وهكذا فان سلمى أُخذت باقوال النورية ، فاصبحت تعدّ الايام والليالي مترقبة وصول العريس ، منتظرة من ساعة يقظتها الى ساعة نومها على شرفة المنزل ، مردّدة بايمان حارّ قول النورية : ان شاء الله ! ان شاء الله ! ...

وحدث ان عاد ابوها ، ذات مساء ، وبصحبته شاب من معارفه كان قد رجع حديثاً من اميركة ، ورجع « موقّفاً » . فلم تشكّ سلمى بانه العريس المعهود ، فاخذت بملاطفته مظهرة امامه كل ما حفظته في حياتها الماضية من التصنُّع ، وكل ما اتقنته من الانفعالات . حتى خُدع الرجل بجمالها الخارجي وبحركاتها التمثيلية ، فعدّد الزيارات ، وعدّدت المظاهرات . وانتهى بأن خطبها الى والديها . وبعد ايام قلائل اقيمت حفلة العرس ، فشمل الفرح الجميع ، وتحدّث بالخبر كلّ نساء القرية ...

***

مضى على زواج سلمى سنتان ، ولم تُرزق ولداً . فحزنت نفسها ، واخذت بتناسي ملذّات العرس لتحوّل افكارها الى نقطة واحدة هي الحصول على ولد مهما كلفها الامر . ولم يكن دافعها الى ذلك حبّ الامومة او رغبة التربية بل ميلها الفطري الى الظهور والتمثيل ، فكانت تود ان تكون امّاً ، لتلقّبها الجارات « بأمّ فلان » ، ويقلنّ لها : «فرحة عريسك !» فشغلت ذهنها الليل والنهار ، مستمدّة النصائح من العجائز الكثيرات اللواتي يترقّبن هذه الظروف لتبرّعن بآرائهنّ . اخيراً ، افتكرت بزيارة اطباء بيروت ، واستعدّت لاطلاع زوجها

جولة في المجلات

المسيحية والمدنية الغربية – الميرون وتقديسه عند الاقباط – اهمّ المقالات الشرقية في مجلّات الاستشراق

المسيحية والمدنية الغربية

ما علاقة المسيحية بالمدنية الغربية الحاضرة ؟

هذا سؤال طرحه السيد احمد الرفاعي على مجلة الشرق والغرب فاجابت : (ص ١٢٥ ، سنة ١٩٣٠)

سؤال بعث به الينا احد القراء الكرام . وليس هذا القول مستحدثاً ، وانما هو قول شائع يتردّد صداه في كل ارجاء الشرقين الاقصى والادنى . فعند ما يسمع الشرقي تعاليم المسيح ومبادئ المسيحية وما انطوت عليه من محبة وخدمة وتضحية وتقديس للشخصية البشرية ؛ وما تدعو اليه من امانة واخلاص وقداسة وعفة وطهارة ؛ عند ما يسمع الشرقي كل ذلك ، ويلتفت الى الغرب المسيحي ، يتولّاه الدهش ويتساءل قائلاً : ما هذه المدنية المسيحية وكيف يكون المسيح ملك السلام والمحبة ولا همّ لاتباعه الا اثارة عوامل الحقد والضغناء والانصراف الى الجشع المادي والمطامع الاشعبية ؟ وكيف يكون المسيح ملك الطهر وبرّ الحياة وقداسة النفس ويحيا العالم المسيحي حياة تتناقض تماماً وهذه الحقائق ؟

هذه الاقوال وغيرها تتوارد على مخيّلات الناس في الشرق : وكلما رأوا عيباً او شذوذاً في حياة الغرب راحوا يندّدون بالمسيحية ويحكمون عليها بما يرونه في العالم المسيحي من نقائص وعيوب .

ولا بدّ لنا هنا ان نكرر القول الذي سطرناه مراراً وتكراراً على

صفحات هذه المجلة ، وهو وجوب التفريق بين المسيحية وبين المدنية الغربية ، واستئصال تلك الفكرة العتيقة البالية التي تزعم ان تصرفات الحكومات والشعوب المسيحية هي المحك الذي يعرف به الدين المسيحي . فلسنا نعتقد مطلقاً ان هناك مدنية مسيحية او حكومة مسيحية او شعباً مسيحياً بالمعنى الصحيح الكامل .

وهذا القول لا ينفي وجود علاقة ما بين المسيحية والمدنية الغربية . والواقع اننا اذا قسنا المدنية الغربية بمدنيات العصور الماضية او المدنيات الاخرى — القائمة على اديان غير مسيحية — وجدنا المدنية الغربية درة مرصعة في تاج الحضارات العالمية الاخرى . واما اذا قسنا المدنية الغربية بإقيسة تعاليم ومبادئ المسيح فهنا — وهنا فقط — تبدو لنا نقائصها وعيوبها .

ألا يرى حضرة السائل الكريم فضل المسيحية على المدنية الغربية ؟ ألم تقض على ضروب القسوة ، وتهذب العاطفة البشرية حتى وسط الحروب والمظالم ؟ الم تعتق العبيد ، وتمنع السخرة ، وتنصر الحرية الشخصية ، والقومية ، وتشفق على المرضى ، وتواسي اليتامى والارامل ، وترفع مكانة المرأة ، وتحمي ضعف الطفولة ؟ الم تقدس العمل ، وتطهر العلائق البشرية والعائلية ؟ الم تدفع المشرعين ورجال الاصلاح للعمل على صيانة الاداب العامة وقواعد الحق والعدل والشرف ؟

كل هذه المظاهر وغيرها التي تتصف بها المدنية الغربية انما خلعتها عليها مبادئ وتعاليم المسيح . اما ما نراه من سيئاتها فراجع الى حيدة تلك المدنية عن الاخذ بالمبادئ المسيحية الصحيحة .

وبيّن الكاتب بكامل الوضوح كيف ان المسيحية ليست ميزة الغرب دون الشرق . وهي ، وان تكن قوية النفوذ في المثقفين بواسطة نفوذ الامم القابضة على زمام العالم ، الدائنة بدين المسيح ، فليست قوتها مؤسسة على قوة الغرب ، بل الغرب آخذ عنها او عن المسيح وتعليمه ، اساس محاسنه وخيراته . اما كون الكثيرين من الغربيين مبتعدين عن المبادئ الانجيلية فابتعادهم جملة سببه عدم اهتدائهم هداية صادقة في أصل تنصرهم ، ذلك مما اثر في باقي تاريخهم ، كتنصر المسكوب بتنصر امبراطورهم ، فقد كان مشوهاً في اصله ، غير مستق مبادئه من المناهل الانجيلية الصافية : تعمد الشعب المسكوبي ولم ينبذ خرافاته كلها ولم يؤمن ايماناً متنوراً ، مما يفسر الحالة التعيسة الروسية في زماننا بعض التفسير ؛ اقول بعض التفسير ، لان

على تلك الرغبة ، واذا بصوت عرفته من قبل يطرق سمعها . فارتعشت ، وأسرعت تفتح الباب . واذا بها ترى النورية صائحة :

بضّاره برّاجه بتشوف البخت !

— اهلاً وسهلاً بعجوز الخير !

— وبكِ ، يا زينة .

— تعالي ، بصّري لي !

— تكرمي ، يا زينة . تفضّلي وضعي يدك هنا .

وبعد اجراء العملية المشهورة ، كانت خلاصة « التبصير » ، ونتيجة « بخت الستّ سلمى » ان النورية تداويها لقاء بعض دريهمات ، وتكفل لها ولداً ذكراً بعد تسعة اشهر .

وهكذا تمّ الاتفاق ، فكانت النورية تأتي كل اسبوع الى احد المغاربة ممن اتقنوا فنّ التدجيل والشعوذة ، فيعطيها قناني وماحيق تحملها الى منزل سلمى ، فتتقدها هذه اضعاف الثمن مع الحلوان ، وتشرب الادوية بكل لهفة متأكدة ان بها نيل المبتغى . حتى انفقت المسكينة المبالغ الطائلة ، فانسأت البضّارة انسلال الافعى ، وتلاشى صدى صوتها في الازقة والمنعطفات .

ومضت الاشهر ، فاخذ النساء يتحدّثن في اجتماعاتهنّ عن سلمى ، وعن طفلها المزعوم ؛ فمنهنّ مصدّقات ، ومنهنّ مكذّبات . اما سلمى فكانت طريحة الفراش ، تقاسي امرّ الالام .

كثر اللغط في مسألتها ، وابتدأت العجائز من ذوات القربى يزرنها في الليالي الساهرة ؛ فيزدن آلامها من حيث يردنَ تخفيفها ، ويقلقنها بأسئلتهنّ الباردة وملاحظاتهنّ التافهة ، حتى اذا خرجن ، قلبنَ شفاههنّ ، وتهامسنَ :

— « مسكينة سلمى ! وا ولدي ! حطّت حالها ومالها وما استفادت شيئاً ! هي مغشوشة فلنتركها في غرورها . »

ثم يرجعن في اليوم التالي ، وكلّ منهنّ تريد ان تمرّض النفساء ! . . .

بقيت سلمى خمسة عشر يوماً على فراش الآلام ، وهي لا تدري ما تعتقد . فقرّ رأي زوجها وابيها على ان يُرسلا الى بيروت ، فيستدعيا طبيباً ماهراً .

وبينا الجميع ينتظرون صامتين وصول الطبيب ، وسلمى تتقلّب يائسة من الحياة ، وزوجها يفكر حافي الرأس ، وابوها يمسح دموعه ساكتاً ، والعجائز مصطفات حولها كالتماثيل ، اذا بصوت رنّ تحت الشباك :

بصّاره برّاجه بتشوف البخت !

فتململت سلمى كأنها افاقت من حلم مزعج ، وأومأت ان ادعوها ، فتسارع العجائز ، والابتسامة على شفاههنّ .

دخلت النورية المعروفة ، فسلّمت على سلمى ، واعتذرت عن غيابها . ثم رمت اصدافها متمتمة . فانتعشت سلمى وصاحت :

— دخيلك !...

فاجالت النورية الاصداف ثانية ، وقالت ، بعد تأمل طويل :

— معك ولد ذكر كما قلت لك ...

وكأن قوّة خفيّة خنقت الكلام في حنجرتها . فجمعت اصدافها بسرعة وسكون ، وتراجعت متخاذلةً ، مطرقة ، مختبئة بين النساء . ذاك انها بصرت بالطبيب داخلًا على عجلة . فانصرفت اليه الابصار ، وعلقت بشفتيه الآمال . فتقدّم وفحص المريضة الفحص الدقيق ، وما هو ان مال الى زوجها وابيها يهامسهما والاهتمام يقطّع انفاسه ، وما هو ان بدت اللوعة باروع مظاهرها على وجهي الرجلين ، حتى فهمت سلمى الحقيقة الهائلة ، وان كلّ ما سقته من المساحيق وجرعته من العقاقير لم يكن بالادوية النافعة . فصرخت صوتاً مزعجاً وأغمي عليها ، فاسرع الطبيب يعالجها بالمنعشات والعجائز يفركن يديها ورجليها .

اما النورية فانها اغتنمت تلك الفرصة ، فتغلغلت بين النساء حتى انسلّت الى الخارج ، تاركة سلمى بين الحياة والموت . وبعد ان القت نظرة اخيرة على المنزل ، رفعت جرابها باستخفاف ، وسارت متمهلة ، وصدى صوتها يرنّ في الازقة ويتموّج في المنعطفات :

بصّاره برّاجه بتشوف البخت !

امر فساد الامم وانقلابها من الخير الى الشرّ مشكل مترامي الاطراف، واصله تنازع عاملي الخير والشر في الانسان الحرّ. فالدين، وان يكن قوياً صحيحاً، فلا يقوى دائماً على حرية الانسان ليحول دونه ودون المحرّمات.

ومما نرى مفيداً في زيارته على جواب الرصيفة ودليلاً على ان الدين المسيحي براء من مساوئ المدنية الغربية هو احتجاج رجال الدين عليها؛ وما ان تطالع الصحف والمجلات الاوربية الدينية حتى تكون على بيّنة بان الداء، وان يكن عضالاً، فمعالجته قائمة على قدم وساق. وان تكن الادوية غير ناجعة ظاهراً على ما يرام، فهي بالحقيقة تفعل مفاعيلها الحيوية. وهناك ايضاً نظرات لا بد من مراعاتها للالمام باطراف المشكل: منها ان الشر سريع المجاهرة كثير الضوضاء، اما الخير فيختفي تحت اجنحة الحشمة والتواضع والكفران بالذات. وكونه خفياً لا يجعله اقل من الشر وجوداً ونفوذاً. وان توهم البعض ان المسيحية مزعزعة على اساسها بما يحكمون عنها من مظاهر الفساد الآتي من الغرب فهؤلاء حقيقون بان يقرأوا ما كتبه المنفلوطي في هذا الصدد منذ عشرين سنة ولا يزال لكلامه وقعه الحالي، قال (١):

يريد المصري ان يقلّد الغربيّ في نشاطه وخفته فلا ينشطُ الا في غدوته وروحته، وقعدته وقومته، فاذا جد الجد وأراد نفسه على ان يعمل لنفسه عملاً من الاعمال المحتاجة الى قليل من الصبر والجلَد والكد كان الملل أسرع الى نفسه من الماء الى الحدور

يريد ان يقلده في رفاهيته ونعمته فلا يفهم منها الا أن الاولى التخنثُ في الحركات، والثانيةَ التردّدُ على الحانات

يريد ان يقلده في الوطنية فلا يأخذ منها الا نعيقها ونعيبها وصريرها وصفيرها فاذا قيل له هذه المقدمات فأين النتائج أسلمَ رجليه الى الرياح الاربع واستنّ في قراره استنان المهر الأرن، فاذا سمع صفير الصافر مات وجلاً، واذا رأى غير شيء ظنه رجلاً

يريد ان يقلده في السياحة فلا يزال يترقب فصل الصيف ترقب الطبيعة المائتة فصلَ الربيع حتى اذا حان حينُه طار الى عواصم اوربة طيران حمام الزاجل لا يبصر شيئاً مما حوله ولا يلوي على شيء مما وراءه حتى يقعَ على مجامع اللهو ومكامن الفجور وملاعب القمار، وهنالك يَبذل من عقله وماله ما يعود بعده فقير الرأس والجيب لا يملك من الاول الا ما يقوده الى طويق الباخرة التي تحمله

(١) النظرات، الجزء الاول، ص ١٠٢، طبعة ١٩٠٩

في أوبئه ، ولا من الثاني اكثرَ من الجمل الذي يدفعه للصحافي ليكتبَ له في حوادث صحيفته حادثة عودته ، موشاة بجمل الاجلال والاحترام ، مطرزة بوشائع الاكرام والاعظام

يريد ان يقلده في العلم فلا يعرفُ منه الا كلمات يرددها بين شدقيه ترديدًا لا يلجأ فيه الى ركنٍ من العلم وثيق ولا يعتصمُ به من جهل مُشين

يريد ان يقلده في تعليم المرأة وتربيتها فيقنعهُ من علمها مقالة تكتبها في جريدة او خطبةٌ تخطبها في محفل ومن تربيتها التفننُ في الازياء والمقدرةُ على سحر النفوس واستلاب الالباب

هذا شأنه في الفضائل الغربية يأخذها صورةً مشوهة وقضية معكوسة لا يعرف لها مغزى ولا ينتحي بها مقصدًا ولا يذهب فيها الى مذهب فيكونُ مثله في ذلك مثلَ جهَلة المتدينين الذين يقلدون السلفَ الصالح في تطهير الثياب وقلوبهم ملأى من الاقذار والاكدار وفي اداء صور العبادات وان كانوا لا ينتهون عن فحشاء ولا عن منكر والذين يتشبهون بعمرَ في ترقيع الثياب وان كانوا أحرص على الدنيا من صيارفة الاسرائيليين

اما شأنه في رذائلها فانه اقدر الناس على اخذها كما هي فينتحرُ كما ينتحر الغربي ويُلحد كما يلحد ويستهتر في الفسوق استهتاره ، ويترسم في الفجور آثاره .

روينا الكلام، والمهدة على المتلوطي ، وهو مبالغ في وصفه ، شأنه في الكثير من مواقفه البيانية ، وحسبنا التنويه برجالات مصر العظام من بلغوا بمشاريعهم الى مستوى مشاريع الامم العظمى في مرافق الاقتصاد والفن والتعليم وقد تعلموا على الغرب، فنكون على بصيرة من الحقيقة .

ولكن العبرة الثابتة هي ان الانصاف في الحكم العام على الشعوب عسير جدًا . . . وعلى كل ، فقد راقتنا النتيجة التي استنتجها صاحب الشرق والغرب من مقاله وهي: ان المسيحية لا شرقية هي ولا غربية ، بل هي فوق الامم والشعوب بمباديها وغاياتها . وقال :

وللشرق ان يقتبس من مدنية الغرب ما يشاء كثيرًا كان ام قليلًا . ولسنا ننكر ان فيها كثيرًا من مظاهر الجمال والنفع . ولكنه يستطيع ان يقبل المسيحية دون ان يقبل المدنية الغربية ولا ينسب الى المسيحية ما يراه في تلك المدنية من نقائص وشوائب .

الميرون وتقديسه عند الاقباط

لا تسأل البروتستانت الاتفاق على تعليم ثابت أكيد في عدد اسرار البيعة وطبيعتها . لان مبدأهم الديني الاساسي القائل « بالفحص الحرّ » وبعدم التقيّد بالسلطة الظاهرة الواحدة ، يؤدي بهم الى اختلاف الآراء بتعداد الاسرار وتحديد طبيعتها . أنهم من قال ان الاسرار اثنان فقط ، ومنهم من قال انها خمسة ، ومنهم من وافق الكنيسة الجامعة شرقاً وغرباً على القول انها سبعة ، ومنهم صاحب مجلة الشرق والغرب . نشر للسيد توفيق بك اسكاروس مقالاً على الميرون وتقديسه ، واعرب عن إحترامه لتعليم الكنيسة القبطية من غير ان يُبدي اعتقاده الشخصي بسرّ الميرون .

ومن المعروف ان الميرون المستعمل في الاسرار هو نوع من الزيت المطيّب . وقد تختلف تشكيلات ذلك الطيب مع اختلاف الطقوس ولا تعارض الكنيسة الكاثوليكية في استعمال تلك الطيوب ، على شرط ان تكون كمية الزيت فيها كافيةً للمسح . وراقنا ما كتبه السيد اسكاريوس في طريقة صنع الميرون عند الاقباط فقال (ص ١٣٩) :

وموجز هذه الطريقة هي ان يأمر البطريرك قبل الصوم المقدس بشراء الافاويه التي يتركب منها الميرون المقدس ، وعددها ٣٨ صنفاً بمقادير معينة يضاف اليها دهن البلسان والزيت بمقدار معين ايضاً فيكون المجموع ٤٠ صنفاً

وتقسم الثمانية والثلاثون صنفاً الى اربع مجموعات يؤتى بكل مجموعة على حدتها ويصلى عليها في اوقات معينة ولكل وقت صلوات خاصة : -

١ يبدأ البطريرك بسحقها سحقاً جيداً في الاسبوع الثاني من الصوم المقدس ، بوجود المطارنة والاساقفة الذين يعملون مع غبطته ويساعدهم جماعة من الرهبان .

٢ وفي الاسبوع الثالث يوضع مسحوق المجموعة الاولى في الماء النقي المرشّح ساعات معينة ، ثم يطبخ بزيت الزيتون ويصفى .

٣ يطبخ مسحوق المجموعة الثانية بعد ان ينقع في الماء مضافاً اليه مطبوخ المجموعة الاولى ويصفى ، ويطبخ مسحوق المجموعة الثالثة مضافاً اليه مطبوخ المجموعتين الاولى والثانية ويصفى .

٤ يطبخ مسحوق المجموعة الرابعة مضافاً اليها مطبوخ المجموعات الثلاثة

ويصفى ، ويكون هذا المطبوخ الاخير هو الميرون المقدس .

ويتم كل ذلك بصلوات معيّنة تقرأ في اثناء السحق والطبخ والتصفية . وفي يوم خميس العهد يصلي البطريرك قداساً حبرياً خاصاً بالميرون ، وكذلك يوم السبت (سبت الفرح او سبت النور) وقبل عيد الفصح ، وفي سحر عيد الفصح يضيف البطريرك الخميرة الباقية من الميرون الى الميرون الجديد ، وتستمر اقامة القداسات الخاصة بالميرون الى يوم الاحد التالي لعيد الفصح (وهو المعروف بالاحد الوحيد او احد توما) ثم يحفظ ذخيرة مقدسة بعد ما يوزع جانب منه على الكنائس للخدمة.

وعرض السيد اسكاريوس اسماء مفردات الميرون على الاستاذ مايرهوف ، فبين مسمياتها باللغة الفرنسية وهذه هي :

الطبخة الاولى — يؤخذ نوار القندول وهو الدارشيشان المعروف الان بزهر الفُتنة (بضم الفاء) (*Fleurs de l'Acacia Farnesiana*) : ١٦ درهماً وثلثان .

عيدان السليخة وهي القرفة الخشبية (*Cinnamomum Cassia*) : ٢٠ درهماً .

الخُمام المعروف الآن بتين الفيل (*Amomum*) : ٢٠ درهماً .

اصل السوسن الاسمانجوني (*Racines de l'Iris bleue*) : ٦ دراهم وثلثان .

قصب الذريرة (*Calamus aromaticus*) : ٢٠ درهماً . وفي نسخة اخرى ١٠ دراهم .

الطبخة الثانية — يؤخذ قسط زبدة (*Costus*) : ٢٠ درهماً .

ورد احمر عراقي منزوع الاقماع (*Roses rouges de l'Iraq*) : ٢٠ درهماً . وفي نسخة اخرى ١٢ درهماً .

صندل مقاصيري ابيض مدقوق مسحون (*Bois de santalete Macassas*) : ٢٠ درهماً .

قرفة وقرنفل وعيدانه (*Cannelle et girofle*) : ٢٠ درهماً . وفي نسخة اخرى ١٢ درهماً .

الطبخة الثالثة — يؤخذ زرنباد ، والان كافور الكمك (*Curcuma numbat*) ، وهي حشيشة تشبه السعد : ٢٠ درهماً .

قشور السليخة الحمراء الجيدة (*Ecorce de Cinnamomum Cassia rouge*) ٦ دراهم وثلثان . وفي نسخة ٧ دراهم .

جوز بوار كبار (جوزة الطيب) (*Noix muscade*) : ٣ حبات او جوزات وثلث . وفي نسخة ١٥ وثلث

سنبل الطيب عصافيري — الخزامى اولاوندا بالافرنجية (*Lavande*) : ١٠ دراهم

قرنفل (*Cannelle*) : ٦ دراهم وثلثان .

بسباسة — داركسته (*Macis en feuilles*) : ٦ دراهم وثلثان .

الطبخة الرابعة — يؤخذ اصطرك ابيض — ميعة سائلة (*Storax liquide*) ٢٦ درهماً وثلثان .

دار صيني المين (*Cannelle de Chine*) : ١٦ درهماً وثلثان .

زعفران شعر (*Filaments de Safran*) : ١٣ درهماً وثلث . وفي نسخة ١٢ درهماً ونصف .

عود هندي (*Bois de Paloès*) : ٦ دراهم وثلثان . وفي نسخة ١٢ درهماً .

هناك ايضاً صفة الدرور وهي ان يؤخذ دار صيني المين وسنبل الطيب منقى : ٢٠ درهماً ، وعود هندي : ٢٠ درهماً ، وقشور سليخه حمراء : ٢٦ درهماً وثلثان ، وبسباسة (داركسته) : ٦ دراهم

ولا بأس من ذكر صفتها : تدق هذه الحوائج وتنخل بمنخل حرير ارق ما يكون ويضاف بوزن ستين درهماً دهن بلسان خالص ، ويحل العطر مع الزيت المطبوخ في الزجاجة ، ويحرك في كل يوم مراراً سبعة ايام ، ثم يرفع ويؤخذ من صفوه عند التقديس .

وان في هذا التفنن الغريب بصنع الطيب الموافق عليه من الكنيسة الجامعة لشاهد على ان الاختلاف بالمرضيات والطقوس الخارجية لا يضر بوحدة الايمان ، ان كان الاتفاق تاماً في العقائد الاساسية . فيا ليت اخواننا الاقباط الارثوذكس ينظرون الى قرب المسافة بينهم وبين الكثلكة وبعدها بينهم وبين البروتستانت ، ويلتمسون السبيل الى الاتحاد بالكنيسة الجامعة باقرب الطرق اليها وهي طريق رومة .

ف . ت .

اهم المقالات الشرقية في مجلات الاستشراق

ORIENTE MODERNO. *Anno X, n° 11, novembre 1930* الشرق المصري
A. Giannini, *La Costituzione dell'Iraq, p. 521-546*

دستور العراق

بحث دقيق في ١٦ فقرة عن دستور العراق الجديد ، يختمه الكاتب بملاحظات مفيدة منها ان الشعب العراقي ، ان كان هناك عنصر واحد يدعى بالشعب العراقي ، لا يستند الى شيء من التقاليد الدستورية التي تمكنه من اصلاح نقائص الحكم البرلماني . ويعتبر الكاتب ان الطراز الغربي للدستور نُقل الى العراق دون معرفة ، فطُبق في غير دقة ، وذلك انه تُرك جانب مهم من محاسن الدستور ، وبولغ في الكثير من مساوئه . فغدا النظام غير متوازن السلطات ، لان محور الحياة السياسية يدور حول مجلس النوّاب وحده .

ORIENTALISTISCHE LITERATURZEITUNG, *33 Jahrg. n° 11, novembre 1930* مجلة الآداب الشرقية
A. Schaade, *Ahmed Taimūr Paša und die arabische Renaissance. col. 854-859.*

احمد تيمور باشا والنهضة العربية

مقالة تزينها العاطفة والاعجاب خصّها الكاتب بالعالم العربي المصري احمد تيمور باشا المتوفى ، في القاهرة ، في ٢٦ نيسان ١٩٣٠ . فامتدح من معارفه في جميع العلوم العربية ، وخصوصاً في اللغة ، وخصّ بالذكر مكتبته التي صرف حياته في جمعها فبلغت مجلداتها ١٣,٠٠٠ نصفها تقريباً من المخطوطات او صور المخطوطات . وقد شاء الفقيد ان تُوقف هذه الثروة العلمية فتُحفظ بكاملها .

ORIENS CHRISTIANUS. *Dritte Serie, fünfter Band, 1 Heft. 1930*
Prof. D. Dr. F. Stummer, *Einige Bemerkungen zur Geschichte des Karmels. p. 15-18*

هي ملاحظات مفيدة على كتاب حديث نشره الدكتور كوپ Dr Cl. Kopp. بعنوان النبي الياس والمسيحية في الكرمل (*Elias und Christentum auf dem Karmel.*)

BULLETIN OF THE SCHOOL OF ORIENTAL STUDIES. London Institution. *vol.VI, part* 1, *1930* نشرة مدرسة الدروس الشرقية في معهد لندن

Sir Arnold T. Wilson, *Earthquakes in Persia, p. 103-121*

الزلازل في بلاد فارس

مقال ممتع ، مردف بخارطة ، عن الزلازل في بلاد فارس والعراق وما جاورها ، من السنة ٥٥٠ بعد المسيح الى السنة ١٩٣٠ ، مع ذكر المآخذ اللازمة ، وتحديد درجة القوّة لكل من تلك الزلازل.

RENDICONTI DELLA R. ACCADEMIA NAZIONALE DEI LINCEI, Classe di scienze morali, storiche, *serie sesta. vol. V, fasc.* 11-12, *nov-dec.* 1929 نشرة اكادمية لنجي

Angela Codazzi, *Il Compendio geografico arabo di Ishaq ibn al-Husayn. p. 373-463*

التصنيف الجغرافي العربي المنسوب لاسحق بن الحسين

يدرس المؤلف مخطوطة جغرافية من المكتبة الامبروسيانية في ميلانو ، وينشرها مع حواش وترجمة ايطالية ، وعنوان المخطوطة : « كتاب اكام المرجان في ذكر المدائن المشهورة في كل مكان . »

GAZETTE DES BEAUX-ARTS. *décembre* 1930 صحيفة الفنون الجميلة

Paul Deschamps, *Au temps des Croisades. Le château de Saone, dans la principauté d'Antioche. p. 329-364.*

قلعة صهيون ، في امارة انطاكية ، على عهد الصليبيين

هي القلعة التي لا تزال قائمة في دولة اللاذقية ، خصّ بها الكاتب بحثاً ثرياً دقيقاً زيّنه بالكثير من الصور والرسوم ، فاتى فريداً في بابه .

THE GEOGRAPHICAL JOURNAL. *Décembre* 1930 المجلة الجغرافية

خُصّ هذا العدد بذكرى مرور مائة سنة على تأسيس الجمعية الجغرافية فحوى المقالات النفيسة عن العالم المسكون او القابل للسكن ، منها مقال عن « فلسطين وثبوت مناخها » بقلم الاستاذ غريغوري (J. W. Gregory) وآخر عن « امكان السكنى في صحاري بلاد العرب » بقلم الدون روتر (E. Rutter) الذي قام ، سنة ١٩٢٥ ، برحلة الى جزيرة العرب ، ثم نشر عن ذلك مجلّدين بعنوان « الحرمين » : « *The Holy cities of Arabia* » .

شذرات

آثار من الفسيفساء في الاوزاعي

عُثر في محلّة الاوزاعي ، جنوبي غربي بيروت ، على بعد ٣٠ متراً عن شاطئ البحر ، وعلى عمق بضعة سنتيمترات عن سطح الارض ، على مكان غرفة كانت مفروشة بالفسيفساء تمثل اشجاراً من نوع السرو ، وطيوراً من انواع الحجال والديكة وما شاكلها ، واسماكاً ، واواني جميلة الشكل ، وذلك ضمن اشكال هندسية من نوع المعيّنات . وحول الفسيفساء إطار في زواياه آنية تخرج منها افنان وعرانيس من شجر الكرم ، وفي وسطها اثمار كالرمان وعناقيد العنب . اما مساحة الغرفة فخمسة امتار طولاً باربعة عرضاً . واما عهدها فيرقى الى العصر الروماني .

كيف يتزوج بعض المهاجرين

قرأنا في مجلة « العرفان » التي تصدر في صيدا (١٩٣٠ : ص ٦٣٦) سؤالين ألقيا عليها من الارجنتين بعنوان « الزواج عند الخوري » و « الشهادة لمسلم بانه مسيحي . » فاجابت عليهما بما يلي . ننقل ذلك للتفكهة:

١ — « س ما قولكم سيدي في رجل (مسلم) تزوّج عند الخوري في هذه البلاد وسأله الخوري عن دينه فقال بأنه مسيحي. فهل خرج عن دين الاسلام ، وهل له توبة ؟

« ج ان كان ما قاله رتب عليه الآثار فقد خرج عن الاسلام وان كان باللسان فقط فيعدّ لغواً . »

٢ — « س ما قولكم في رجل مسلم شهد على اخيه المسلم عند الخوري بانه مسيحي ليتمكن من زواج مسيحية من هذه البلاد ؟

« ج الشهادة لا تجعله مسيحياً ، واذا اجرى الصيغة الشرعية للمرأة التي تزوّج بها صحّ زواجه . » (اه.)

المشمش المجفف وقمر الدين في سورية

نقلت « صحيفة التجارة والصناعة » المصرية (نوفمبر ١٩٣٠) عن مجلة الفاكهة الكاليفورنية (*California Fruit News*) بعض المعلومات عن المشمش المجفف ومحصوله في سورية رأينا من المفيد ايرادها ، قالت :

المشمش من اهم محاصيل الفاكهة التي تنتجها سورية. ولكن انتاجه ضيق النطاق ، وفيما يلي بيان عن انتاجه في السنوات الاخيرة:

سنة	سورية (طن صغير)	لبنان (طن صغير)	المجموع
١٩٢٦	١٩٧٣٠	—	١٩٧٣٠
١٩٢٧	٢٧٩٦٠	—	٢٧٩٦٠
١٩٢٨	٢٥٧٦٠	٣٣١٠	٢٩٠٧٠
١٩٢٩	٢٣١٠٠	٣٩٠٠	٢٧٠٠٠

ولا أهمية لما تنتجه سورية من المشمش المجفف اذ يتراوح مقداره بين ٦٠٠ طن و٧٥٠ طناً في السنة. وقد نمي الينا ان ما أنتج منه في دمشق الشام ، سنة ١٩٢٧، هو ٦٥٠ طناً مقابل ٢٥٠ طناً سنة ١٩٢٦. وتستهلك مصر ٦٠ بالمئة من المشمش المجفف الذي تنتجه سورية ، وما يستهلك منه داخل سورية فهو ٢٥ بالمئة . اما الباقي ، وهو ١٥ بالمئة فيصدر الى تركية وشبه جزيرة العرب. وقد كان المحصول الرئيسي الذي تنتجه سورية من صناعة المشمش هو « قمر الدين » ، وليس عندنا بيان عن مقدار الانتاج من هذا الصنف. ولكن قمر الدين الذي صدر من دمشق الشام بلغ ١٤٠٧ أطنان في سنة ١٩٢١ ، و١٥٠٦ في سنة ١٩٢٢ ، و٣٦٥٥ في سنة ١٩٢٣ . وقد قلت الطلبات على هذا الصنف. ومن المعلومات التي انتهت الينا ان مصر تستهلك ٨٥ بالمئة من قمر الدين المصدر من سورية ، اما الباقي فيستهلك في الاناضول وممالك البلقان . ويلوح لنا من البيان السالف أن مشمش سورية لا يزاحم مشمش كاليفورنية لان معظمه يستهلك في الاسواق المصرية ، بينا أسواق اوربة هي اهم الاسواق التي تستهلك مشمش كاليفورنية المجفف ، ولم يرد قطعياً من مشمش الولايات المتحدة لمصر الا ما قيمته عشرة أطنان في سنتي ١٩٢٧ و١٩٢٨ .

مطبوعات شرقية جديدة

Forschungs-Institut für Geschichte der Naturwissenschaften in Berlin. Dritter Iahresbericht mit einer wissenschaftlichen Beilage der Zusammenbruch der Dschabir - Legende, die bisherigen Versuche, das Dschâbir - Problem zu loesen, von Julius Ruska, Dschâbir ibn Hajjan und die Isma'ilijja, von Paul Kraus. *Berlin* 1930. *Verlagsbuchhandlung Julius Springer.*

رسالتان في جابر بن حيّان واسطورته وآثاره

هما رسالتان غايتهما ايضاح تلك الاسطورة التي أُلفت حول شخصية الكيماوي العربي المشهور جابر بن حيّان ، وحول آثاره المختلفة . وقد زعموا ان هذا الكيماوي كان تلميذاً لجعفر الصادق سادس ائمة الشيعيين. اما ما نسب اليه من المؤلفات فقد تُرجم اكثرها الى اللغة اللاتينية . الا ان هذه منحولة ، على ما يظهر ، وكذلك اكثر ما ينسبه اليه ابن النديم في كتاب «الفهرست». بقي قليل من الآثار يمكن القول بانها صحيحة النسبة الى جابر ولكن المؤلّفين الذين نصفهما يبرهنان انها متأخرة عن القرن التاسع ، وانها مكتوبة بقلم مجهول من شيعة الاسماعيليين يتّ بنسبه الى الوسط الذي نشأت فيه ، بعد ذلك ، رسائل اخوان الصفا. ه. ل.

Usâmah's memoirs entitled Kitâb al-I'tibâr by Usâmah ibn Munqidh. *arabic text edited from the unique manuscript in the Escurial library, Spain, by* Philip K. Hitti. [*Princeton Oriental Texts vol. I*] *in*-8° 240×45 *pp.* 1930. *Princeton, Princeton University Press.*

كتاب الاعتبار لأسامة بن مُنقذ

قام المستشرق ديرنبورغ بالطبعة الاولى لهذا الكتاب فجاء فيها كثير من القراءات الفاسدة او المشكوك في صحتها . فأتى على ذلك الدكتور حتّي ، وقابل الطبعة بالمخطوطة الوحيدة المحفوظة في مكتبة الاسكوريال . فنجح في اصلاح كثير من الهفوات والنقاط الغامضة التي لم ينتبه لها ديرنبورغ ، على

تدقيقه المشهور . ثم علّق على النصّ حواشي عديدة مفيدة بعد ان قدّم عليه مقدّمة ضافية. اما انشاء أسامة فركيك مضطرب يجاور لغة العوامّ في عصرنا . ومهما يكن من أمره فاني اهنىء محرر الكتاب ، الدكتور حتي ، على العناية التي عُني بها في عمله . ولكني لا اشاطره هوسه في اعتقاده باخلاص أسامة . فاني ارى البطل قد بالغ في عدد ما ارداه من الاسود ، كما انه غفل عن شرح تخاذله وجبانته في الدفاع عن بيروت ضدّ الصليبيين ، مما دفع صلاح الدين الى ان يحقد عليه حقـداً مشروعاً . ثم لا اعلم هل يوافق اعضاء المجمع العلمي الدمشقي على هذه الملاحظة للمحرر في مقدمته (ص : ت) : « ولو ان أسامة عاش اليوم لكان بلا ريب عضواً عاملاً في المجمع العلمي العربي » ، ولغة أسامة أبعد ما تكون عن لغة اعضاء ذاك المجمع ؟ هـ. ل.

L.A. Waddell : Egyptian civilization, its sumerian origin and real chronology. An sumerian Origin of egyptian hieroglyphs with 21 plates, 97 text illustrations and 2 maps. *in*-8°, 223 *p*. 1930. 12/6 *net*. *Luzac and C°, London*.

المدنية المصرية واصلها السومري

وصف المشرق سابقاً (٢٨ [١٩٣٠] : ٥٥٠) كتاباً اوّل للمؤلف عنوانه « صناع المدنية » فاظهر ما فيه من الجرأة والغرابة في النظريات . وها ان الكاتب يردفه بتأليف ثانٍ يدلّ عنوانه الدلالة الصريحة على آراء المؤلف ، فهو يعتقد ان المدنية المصرية سومرية الاصل . وقد وجّه دروسه ، في البرهان على هذه النظرية ، الى أسرة منس خصوصاً (Menes) فيكون منيس هذا ، في نظره ، ابن سرغون الكبير ، ملك ما بين النهرين ، واذاً فهو نفس منيس (Manis) المعروف في ما بين النهرين . ويتابع المؤلف نظريّته فيزعم ، ان هذا الامير ، قبل ان يستلم مصر من ابيه ، كان رئيساً اميلام ، وزعيماً في وادي الهندوس . ثم يتحوّل الى ذكر باقي الملوك من سُلالة منيس من الذين يرى اسماءهم في لوائح ملوك الهنود الآريين . ثم ينتهي بان يبيّن اهمية هذه الاكتشافات لتغيير مجرى التاريخ العام في ما خصّ العالم القديم. ج.ل.

Charles Picard : Les origines du polythéisme hellénique. L'art créto-mycénien. [*Collection Art et Religion*] *vol. in-8° avec 24 planches hors texte en phototypie. broché : 20 f°. Paris, H. Laurens, éditeur.*

اصل الشرك اليوناني والفنّ الاقريطشي – الميقيني

لقد اظهرت الحفريات ، منذ نحو ثلاثين سنة ، في كنوسوس من جزيرة اقريطش آثارًا فنية غاية في الاتقان دلّت على تقدّم مهمّ في الفنّ القديم ، وشبه غريب بما نراه اليوم من آثار الفنّ العصري. وهو ما يمكن الاطلاع عليه بدرس الصور المتقنة التي تزيّن هذا الكتاب . على ان تلك الآثار تدلّ ايضاً دلالة واضحة على نزوع الى الشرك بتعداد الرموز الى الالهة المختلفة ، وهو ما درسه الكاتب فرأى ان ذاك الفنّ تأثر ، في مظاهر شركه ، بالمؤثّرات الشرقية ، فتخيّل الالهة باجسام غريبة تشمل الجسم البشري ايضاً ، وتدلّ كلّها على روح مشبّهة بتعدّدة الرموز . وسيخصّ المؤلف مجلداً ثانياً بذكر التطوّرات التي حصلت في الفنّ المذكور في العصر الهوميري ، مشيرًا الى ما اقتبسه هذا الشرك من الصوفية الميتوّية فتحوّل من مذهب شعري محض ، الى ديانة فيها قسط وافر للتطبيق على الاعمال البشرية.

ج. ل.

J. Bidez : La vie de l'empereur Julien. *in-8°, X-408 pp. Paris, « Les Belles-Lettres »* 1930. *Prix : 25 f°.*

حياة الامبراطور يوليانوس

ان الامبراطور يوليانوس ، الذي لم يبلغ ملكه السنتين (٣٦١–٣٦٣) لمن ادعى شخصيات التاريخ الروماني لاختلاف المؤرّخين وتباين احكامهم . فبينا التقليد المسيحي ، يسمه بلقب « الجاحد » ويجعله في عداد الظلّام المضطهدين ، يمكن لتبّاع « حرية الفكر » ان يسيروا وراء ڤولتير فيسمّوه « الرجل الثاني » (بعد مرقس اوريليوس) بل يمكنهم ان يسمّوه « الرجل الاول » .

هذا ولم يكن اجدر من السيد بيديه (Bidez) ، الاستاذ في جامعة غاند ، بوصف هذه الشخصية الغريبة وصفاً دقيقاً منصفاً ، وهو يدرس منذ السنوات العديدة آثار يوليانوس ، ومحيطه ، والعصر الذي نشأ فيه . وذاك

عصر الامبراطرة الميالين للبدعة الاريانية ، وقد انتشرت فيه النصرانية بسرعة عجيبة بعد قسطنطين ولكنها صادفت كثيراً من مظاهر الخيبة (ص ٨٢ وما بعدها) ويمكننا الاطلاع على هذا العصر بالاستناد الى شخصيتين بارزتين في كتاب الاستاذ بيديه : اولاهما شخصية تيوفيلوس الهندي الذي كان اولاً مرسلاً في بلاد اليمن ، ثم اصبح اسقفاً يشفي المرضى بعجائبه فتوصل الى الحصول على نفوذ واسع في بلاط كونستانس (ص ٣٦ وما بعدها) وثانيتها شخصية فيتاسوس ، اسقف اليون ، الذي استقبل يوليانوس كما يستقبله المطّلع على أسرار تدفعه في ما بعد الى الانتقال الى الوثنيّة فيُصبح كاهناً من كهّانها ، ولكنه ، حتى في ديانته الجديدة ، يحدث قلقاً لرؤسائه الوثنيين (ص ١٠٠—١٠٣) . في هذا المحيط ، لا يظهر يوليانوس بمظهر المفكّر الحرّ الذي يثور على العقائد ، بل بمظهر الصوفي المنوّر الذي يلبي داعي قلبه فيعود الى عبادات اجداده . على انه يحتفظ ، من مسيحيّته ، بالاهتمام بحسن الاخلاق ، فيظلّ عفيفاً ، ويسهر على « حياته الداخلية » سهر تلامذة ميثرا (ص٢٢١ وما يليها).

وهكذا يمكننا ان نفهم الاصلاحات المهمّة واعمال البرّ التي تميّز الاشهر الستة الاولى من ملك يوليانوس. فانه في ذلك فاق جميع امبراطرة القرن الرابع الذين ، على نصرانيّتهم ، لم يعادل احد منهم يوليانوس في الاقتصاد بدم اعدائه وبدم ابناء رعيّته . ولكن لم تمضِ هذه الاشهر الستة حتى اخذ يوليانوس باضطهاد المسيحيين اضطهاداً منكراً (ص ٣١٠) رافقه طول الستة عشر شهراً الباقية من ملكه . وهو في كل ذلك يودّ اعادة الديانة الوثنية ، الا انه ضلّ السبيل في ما خصّ عصره والطرق التي استعملها . فهل يكون ذلك سبباً كافياً لاحتقار صفات ذكائه السامية وارادته الحازمة (ص ٣٥٠) ؟

وان الميل الذي يشعر به الاستاذ بيديه لبطله يظهر مبالغاً فيه لمن لا يذكر من ملك ذاك الامبراطور الّا آخر قسم منه ، وهو الحافل بالاضطهادات والمعارك في حربه ضدّ الفرس . وفي ما خصّ هذه الحرب ، التي يلذّ وصفها للقراء الشرقيين ، لا يسعنا الّا السؤال هل ان يوليانوس لم يفقد فيها صواب نظره الذي كان يضمن له انتصاراته في بلاد غالية ؟ كما انه يمكننا ان ننسب الى

ما كان يعتقد به من مفعول تخرّصات الكهّان الوثنيين وادعاءاتهم بمعرفة الغيب، تلك الجرأة المجبولة بالغرور التي دفعته الى الهجوم على بلاد الفرس، والتي حملته على ملاشاة مؤن جيوشه وذخائرها قبل صعوده نهر دجلة. هذا وان لم تكن الكلمة المشهورة: «لقد غلبتَ، يا جليلي!» ثابتة الصحة التاريخية، فان اول صرخة صرخها يوليانوس الجريح: «لقد خدعتني، يا هليوس!» تلخّص بدقة وصواب حياته واعماله. الاب رينه موترد اليسوعي

Alfred Jeremias : Muhammedanische Froemmigkeit. [*Religionswissenschaftliche Darstellungen für die Gegenwart, Heft*4]1930, *Prix* : 1 *M.* 75. *Leipzig, Adolf Klein, Verlag.*

التقوى المحمدية

هي كرّاسة يعرض فيها احد الاساتذة الالمان لموضوعات لا يعرفها الّا بواسطة غيره من المطّلعين. فيخبط في نقل الكلمات العربية وفي ترجمتها مما يدلّ على انه يجهل هذه اللغة. اما ملاحظته، في الصفحة ٣٤، على «البخشيش» فتافهة مضحكة. ه. ل.

P. M. Viaud, O.F.M. : Qoubeibeh, Emmaüs évangélique. *in*-8°, 36 *p.* 4 *planches. Typographie de St Sauveur, Jérusalem. Prix* : 10 *p. p.*

قُبيبة وعمّاوس الانجيل

هل ان قُبَيبة هي نفس عمّاوس المذكورة في الانجيل؟ هو مشكل قديم مرّ عليه ستّون سنة من المناظرات ولا يزال من العلماء من يعتقد ان لا صلة بين آثار قُبيبة والقرية الانجيلية. ولهذا رأى المؤلف ان يظهر اسفه لانصراف بعض العلماء الفلسطينيين عن آثار قبيبة، وان يستعين بالعلوم الأثرية، فاستند الى تقرير المهندس غيليمو (Guillemot) الذي ادار الحفريات الاولى في قُبيبة من سنة ١٨٧٣ الى سنة ١٨٧٥؛ والى تقرير الدكتور شيك (Dr Schick) الذي رفعه سنة ١٩٠٤ بعد ان درس الارض الفلسطينية مدة ٥٠ سنة. والتقريران يبرهنان ان كنيسة قبيبة بناها الصليبيّون حول منزل يهودي عريق في القدم، هو المنزل عينه الذي اظهر فيه السيد المسيح نفسه لتلميذيه، عند كسره الخبز، على اثر قيامته. ويمكن الاستناد ايضاً الى موقع قُبيبة، وهي على ٦٠ غلوة من اورشليم.

Almanach Catholique français pour 1931. *Librairie Bloud et Gay, Paris.*

التقويم الكاثوليكي الفرنسوي لسنة ١٩٣١

لسنا بحاجة الى تعريف القرّاء بهذا التقويم ، وكثير منهم خبروا منافعه العديدة . وان هذا الجزء الجديد لا يقلّ في شيء عن الاجزاء السابقة . فيرى فيه المطالع ملخص السنة السابقة على جميع مظاهرها ، مع تقويم عام للعالم الكاثوليكي ، ودرس مفيد في الجغرافية الاكليريكية مع خرائط جامعة لابرشيات فرنسة .

P. Renaudin: Les filles de la Charité. [*Biblioth. Catholique illustrée*] 56 *pp., une centaine d'illustrations. Prix* : 5 *f*. 1930. *Paris, Bloud et Gay.*

راهبات المحبة

هو مجلّد لطيف ، جميل ، مزيّن بالصور المتقنة ، يأتي فيه المؤلف على تاريخ راهبات المحبة ، وقد أسست جمعيتهن سنة ١٦٣٣ ، ويبلغ عددهنّ اليوم نحو الاربعين الفاً منتشرات في جميع انحاء العالم يقمن ، في خدمة الله ، باعمال البرّ والاحسان على اختلاف انواعها . وان من اشهرهنّ الاخت روزالي ، والاخت لابوره التي ظهرت لها الايقونة العجائبية ، والاخت جيلاس المشهورة في بلادنا ، والاخت صهيون ، وكثيرات غيرهنّ ، يظهرن في اعمالهنّ المختلفة ، مثال «الاخت الصالحة» التي تحافظ على فضائلها الجذّابة في كل زمان ومكان . ج . ل

المجمع المصري للثقافة العلمية : الكتاب السنوي ١٩٣٠

دار المصور للطبع والنشر ، مصر ، ١٩٣٠ – ٢٢١ صفحة متوسطة

تألف في مدينة القاهرة مجمع علمي دُعي « المجمع المصري للثقافة العلمية » غايته نشر الثقافة العلمية باللغة العربية ، ووسيلته الى ذلك القاء المحاضرات العلمية باللغة العربية ، وانشاء رابطة للمشتغلين بالعلم من الناطقين بالعربية والمستعربين ، عن طريق الانتساب الى المجمع . وها هو يصدر كتابه السنوي الاول ، وفيه مجموعة المحاضرات التي ألقيت في مؤتمر المجمع لسنة ١٩٣٠ ،

وعددها عشر، عدا خطبة الرئاسة، وفيها المباحث الطبيعية والفلسفية والاجتماعية من التي ، وان لم تخلُ من بعض المآخذ من حيث الافكار والنظريات ، فان لاربابها الفضل بمعالجتها باللغة العربية . نكتب هذا ونتمنى ان يكون بين المتكلمين بالعربية في البلاد المختلفة رابطة او شبه رابطة ترمي الى توحيد المفردات العلمية العربية ، لان التعبير العلمي في مصر مثلاً قد لا يوافق شبيهه في لبنان ، وقد يخالف كل المخالفة نظيره في العراق ، فعسى ان يعمل على ملافاة هذا الخطر من يقدرون على ذلك . ف. ا. ب.

دليل مختصر لمقتنيات دار الآثار الوطنية بدمشق

تأليف الامير جعفر الحسني

مطبعة المفيد ، دمشق (١٣٤٨ ، ١٩٣٠)

أسست دار الآثار بدمشق سنة ١٩١٩ ، تحت حماية المجمع العلمي العربي ، فجُمعت فيها العاديات الاسلامية وغيرالاسلامية في بناية المدرسة العادلية الكبرى. والآمال معقودة على ان تساهم ادارة الاوقاف المجمع فيما لديها من العاديات فتقدمها للمتحف خدمة للعلم وصيانة للآثار الاسلامية من الضياع . على ان محتويات المتحف ، على حداثة نشأته ، لجديرة بان تلفت نظر العلماء وتستوقف السياح ، ذلك ما حمل المؤلف على وضع كتابه . وهذا الدليل يشيد بذكر المحسنين الى المتحف ، وهو خير مرشد اليه ، ومن محاسنه فضلاً عن صوره انه موضوع باللغة العربية خدمةً لاهل البلاد اولاً ، وهم احق من غيرهم بمعرفة ما في البيت . وسوف يدعو انتشار الكتاب ودخول عاديات جديدة في المتحف الى اعادة الطبعة،فنرجو لها حسن الاتقان فلا يشوه الغلط وجهها الوضاح.

ف . ت.

وثيقة الدزدار وقضية البُراق

اهدى الينا هذه الرسالة (ص ١٤،قطع ٤)صديقنا الدكتور اسد رستم، صاحب كتاب « الاصول العربية لتاريخ سورية في عهد محمد علي باشا» (اطلب المشرق

٢٨ [١٩٣٠] ٥٥٦) . عرض فيها للنقد العلمي الخارجي والباطني وثيقة موجهة الى احمد دزدار ، متسلّم القدس ، وموقعة باسم محمد شريف باشا ، ومؤرخة في ٢٤ ر١ سنة ٢٥٦ . هذا الاثر قدمه الحاج امين الحسيني الى اللجنة الدولية الفاحصة قضية البراق، وفيه تحديد الرخصة المعطاة لليهود «بزيارة البراق على وجه القديم» فلا «تحصل المساعدة لليهود بتبليطه ويمنعوا عن رفع الاصوات واظهار المقالات» . أأصلية هذه الوثيقة ام مزورة ؟ انعم صاحب الرسالة النظر في نوع ورقها ، وقاعدة خطها ، واسلوب انشائها ، وطريقة تنميرها ، وتاريخها ، وختمها ، وموافقة النصوص التاريخية لها ، وقال : « ترانا مضطرين ان نرجح اصليتها ترجيحاً علمياً تاماً » فافاد اللجنة الدولية وادّى للبحّاثين انموذجاً في النقد عزيز الوجود في اللغة العربية. ف . ت .

منتخبات ادبية : الجزء الرابع

للاب بشير اجيا اليسوعي

المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ١٩٣٠ – ٣٠٦ صفحات متوسطة

لا بدع ان قلنا ان « المنتخبات الادبية » احدثت تجديداً حميد الاثر في التعليم العربي العصري فوجّهته في سبيل الثقافة الحقّة ، بما وضعت بين يدي التلميذ من قطع صالحة ملحقة باسئلة متنوّعة تحمله على التفكير والتأمل ، وبما دفعت به الاساتذة الى العمل الشخصي المنتج ليمكنهم ارواء ظمأ تلامذتهم الى المعرفة . وقد تقدّم لنا وصف الاجزاء الثلاثة الاولى ، وها اننا نقدّم اليوم للقراء الجزء الرابع وهو موضوع لتلامذة الصف الثالث من التعليم السنوي . آثر فيه صاحبه من المواضيع ما يوافق السنّ بين الخامسة عشرة والسابعة عشرة ، فيوهّب الطالب للارتقاء الى صف البيان . وقد راعى هذه الفكرة ايضاً ، في ما خصّ الاسئلة والتمارين ، فجعلها اعدادية للنقد الادبي او التحليل البياني . وهي اجلّ خدمة يمكن تأديتها للآداب العربية خاصة ، وللثقافة الادبية عامّة . ف . ا . ب

كيف يتقدس الاكليريكي

بقلم الخوري الياس الزيناتي

مطبعة يوسف صادر ، بيروت ، ١٩٣٠ — ٢٢٧ صفحة صغيرة

هو من نوع التآليف الروحية المبتكرة في لغتنا ، يقرأها الاكليريكي ، وغير الاكليريكي ، فيستفيد منها دروساً دقيقة في السير على طريق السيد المسيح ، ولا طريق للقداسة سواها ؛ ويطلع على نتف من آيات الكتاب المقدّس ومن اقوال العلماء اللاهوتيين موردة بذوق وموافقة . فنتمنى ان يستفيد الاكليريكيون وغيرهم من هذا الكتاب النفيس ، فيزداد عدد النفوس المقتربة من مثال القداسة الاعلى ، وهو جلّ ما يتمناه حضرة المؤلّف الفاضل .

ف . ا . ب

تقويم الهلال لسنة ١٩٣١

٢٨٨ صفحة متوسطة — مطبعة الهلال ، مصر ، ١٩٣٠

هو الجزء الثاني من «تقويم الهلال» حوى ما حواه السابق من ذكر التواريخ والمواسم والاعياد ، وملخص حوادث العام على اختلاف مظاهرها ، واضاف الى ذلك ابواباً جديدة كاحوال الدول المعاصرة ، وباب السينما في عام ، واكثر من الصور والرسوم ، فأتى سفرًا لطيفاً يرجع اليه المطالع فيتسلّى ويستفيد .

* الوفاء واللقاء * ١٦ صفحة متوسطة — هي رواية شائقة للاستاذ يوسف سعاده ، ضمنها حادثة لبنانية باسلوب لطيف .

* حسن علوان الدرزية او الاخت مسيحية الراهبة اللبنانية * ٢٠ صفحة متوسطة — هي المقالة التي نشرها تباعاً في مجلتنا حضرة القس انطونيوس شبلي اللبناني ، طبعها على حدة اجابة لرغبة الكثيرين من القراء .

* عرف البنفسج في حياة الناسك لورنسيوس الحيمري الديراني * ١٦ صفحة متوسطة — وهذه ايضاً من المقالات التي نشرناها في السنة الفائتة من المشرق ، طبعها صاحبها حضرة المدبّر لويس الحداري الديراني الحلبي اللبناني وقدّمها الى سيادة المطران اغوسطين البستاني رئيس اساقفة صيدا ، وكلاهما من وطن الناسك البارّ ، ومن الرهبنة التي كان ينتمي اليها .

* ملحق المطبوعات والكتب الموجودة في مكتبة العرب * لصاحبها الشيخ يوسف توما البستاني ، عنوانها : ٤٩ شارع الفجالة ، مصر .

شباط ١٩٣١

امالي السنة : ٦

اصل كلمة « هيكل »

بقلم حضرة الاب ا. س. مرمرجي الدومنيكي

هذه اللفظة من عداد الالفاظ الواردة في اللغات السامية جمعاء ، اي الاكدية ، والعبرية ، والارمية ، والعربية ، والحبشية . اما المعاجم العربية ، من قديمة وحديثة ، فلا تجد فيها ذكرًا عن اصلها . انما الواضح انها ليست من الاوضاع المشتقة من الافعال ، بل احرِ بها ان تحسب من الاصول الجامدة .

كان يُظنّ سابقاً ان اصلها عبريّ . ثم لمّا ظهرت في الرقم المسمارية ، قيل انها اشورية . وفي الحقبة الاولى من دراسة الاشوريات ، حين كان الباحثون يدعون اللغة الشمرية « اكدية » ، قالوا انها منقولة من هذه اللغة الى الاشورية . بيد انه اذ توصل المحققون الى ان يثبتوا بان « الشُمَرِيّة » لغة قائمة بذاتها ، ليست من طائفة الألسُن الساميّة ، لكونها لغة مقطعية ، مجاورة ، غير

متصرفة — وقد وضعوا لها تدريجاً كتب لغة وصرف ونحو — اتضح اليوم بكل جلاء ان لفظة « هيكل » وضع شُمَري ، ولا سامي قطعاً . ومن هذه اللغة نقل الى الاكدية ، ومنها الى العبرية ، فالارمية ، فالحبشية ، فالعربية . ودونك اثبات القضية .

اللغة الشمرية ذات كتابة مقطعية ، مسمارية . بيد ان هذا الخط كان في عريق العصور « صُورياً » (*Idéographique*) وقد تحوّل ، على كرور الازمان ، من « الصُورية » الى « المقطعية » الّا ان « الصُوريات » لم تضمحل منه بالكلية ، بل بقي منها شيء كثير يتخلّل المقاطع او يدلّ على الفاظ ذات معانٍ تامّة . من ذلك كلمة *E-Kal* . فانها مركبة ، حسب روح اللسان الشمريّ ، وخلافاً لروح الساميّات من باب الاطلاق ، من علامتين وهما : *E* و *Kal* ؛ معنى الاولى « بيت » والثانيــة « كبير » ، واذ كانت البيوت الكبرى لسكنى الكبار ، وكان اعظم الاعاظم الالهة والملوك ؛ خصت هذه اللفظة ببلاط الملك ، ومعبد الاله .

غير خاف على ذوي الالمام بالشمريات - الاكديّات ان الاكديين — وهم اقدم الساميين المتوطنين ربوع العراق الجنوبي — اقتبسوا من الشمريين كتابتهم المسمارية ، مطبقين اياها على مطلبات لغاتهم الساميــة . على انهم لم يكتفوا باستعارة الخط ، بل زادوا على ذلك — مما يحدث غالباً بين الشعوب المتجاورة المتمازجة — انهم اخذوا عنهم الفاظاً كثيرة ، وتعبيرات جمة ، جرت على ألسن المتكلمين ، واقلام المنشئين ، منها لفظة (Ekal) . واذ كانت الاكديّة — خلافاً للشمرية — لغةً متصرفة ، اضافوا الى الكلمة علامات الاعراب ، فقالوا Ekal-u او Ekallu . ودليله ان علماء اللغة ، من الاكديين القدماء ، نظّموا جداول خاصة ، ذات ثلاثة حقول ؛ في الحقل الاوسط ، وضعوا العــلامات الصُوريّة المسماريــة ، الشمرية التي دخلت في لسانهم ؛ وفي الحقل الايسر ، ذكروا لفظها المقطعي الشمريّ ؛ وفي الحقل الايمن ، شرحوها ، او قل ترجموا معناها بما يقابله في لغتهم الاكدية . مما ينجم عنه انه لو كانت اللفظة سامية اكدية ، لما كانوا احتاجوا الى هذا العمل .

وان رغبت ان تتحقق ذلك ، فاعمد الى كتاب تعليم قراءة الكتابة المسمارية ، لصاحبه الاستاذ العلامة فريدريك ديلتج الالماني[1] فانك ترى في الصفحة ١٠٢ ، السطر ٢٣٢ من المقطعية (syllabaire) المعلمة ب « S^b. » ان العلامة الصورية (E.) يقابلها في الحقل الايسر، بالشمرية (E) وفي الحقل الايمن، باللغة الاكدية ، وبالطريقة المقطعية (bi-i-tu,) اي بيت . وفي الصفحة ٩٩ ، السطر ١٢٤ من المقطعية المذكورة ، ان العلامة الصورية ، المرسومة في الحقل الاوسط تنظر ، عن اليسار ، الى الكلمة الشمرية المركبة من مقطعين وهما : (Ka-al) وعن اليمين ، الى اللفظة الأكدية ، ذات المقاطع الثلاثة ، وهي : (ra-bu-u) في السريانية ܪܒܐ = كبير . وفي الوجه ٢٣ من الكتاب ، تجد هاتين العلامتين الصوريتين مزدوجتين مركبة منها لفظة واحدة ، دالة على معنى واحد (Ekallu, *Palast, Tempel*) ، هيكل ، بلاط .

وان شئت ان تستند بذاتك الى سلطة علمية ، معتمداً على كتب العلماء الاعلام في ابحاث الشمريات - الاكديات ، فلا تركنن الى مُعجم اشوري - فرنسي تورّط باقتنائه بعض المتهوّرين العراقيين ، بعد ما فندت قوله الفائل مقالة «البارية ليست بفارسية »[2] فشرع يطبّل به كانه حجة الحجج ، والدستور الحاوي القول الفصل، على حين ان واضعه ، « سوبين » ، بشهادة ذوي الشأن ، ليس من الثقاة ذوي المقام الرفيع ، والشهرة المنقطعة النظير ، في عالم الاشوريات ، وقد سبق العلمُ آراءه البالية بمراحل شاسعة ، بل عليك ان تؤمن بقول كبار المحققين الراسخي القدم ، من مثل شيخ علماء المسماريات الاب Scheil الدومنيكي ، والاب Dhorme الدومنيكي ، مدير مدرستنا الكتابية - الاثرية ، والاب Legrain اليسوعي ، وكمثل الاساتذة المشاهير Zimmern, King, Ungnad Bezold, Delitzch, Thureau-Dangin. وغيرهم .

وهاك ما جاء في معجم Bezold البابلي - الاشوري - الالماني[3] ، وهو احدث

---

(١) Friedrich Delitzch : *Assyriche Lesestücke.*

(٢) اطلب « المشرق » سنة ٢٧ (١٩٢٩) ص ٨١ وما يليها

(٣) Carl Bezold : *Babylonisch-assyrische: Glossar, Heidelberg, 1926.*

ما وضع في ذا الشأن ؛ فهو اذن مستند لآخر ما حصل من تحقيقات العلماء .
ففي الصفحة ٢٨ منه تقرأ ما يلي :

Ekallu, *st. c.* Ekal, *pl.* Ekallâti.

وترى بعد هذا ، بين هلالين ، هذه المختصرات : (*Sum. L.IV.*) وهي بالكتابة الكاملة (*Sumerisch Lehnwort*) وتعريبها : «كلمة شمرية دخيلة» في الاكدية ، ويعقب ذلك بعض العبارات الدالة على استعمالها في هذا اللسان :

Ekalilâni, *Palast der Götter* بلاط الآلهة او الهيكل

Ekal malki, *Königspalast.* بلاط الملك

الخلاصة : مما ينجم عن تقصيات المتخصصين ، ان اللغة الشمرية ليست بسامية ؛ فلا يجوز اذن نظمها في سلك هذه الالسن . كلمة Ekal شمرية مركبة من علامتين صوريتين ، وقد اطلقت ، عند الشمريين ، على البلاط والمعبد . ادخل الاكديون هذا الوضع الى لسانهم ، غير مغيرين فيه شيئاً ، سوى انهم زادوا عليه علامات الاعراب ، التي لا وجود لها في الشمرية . ومن الاكديه انتقل الى اللغات السامية الاخرى . وفي هذه الالسن — لا في الاكدية نفسها ، المضمحلة فيها اكثرية الحلقيات — تحولت الهمزة الى هاء ، فاصبحت الكلمة : הֵיכָל — هُمكُلا — هيكل — UP.hA

هذه هي الحقيقة العلمية الناصعة ، وما ورد في الكتب او الصحف السيارة ، بهذا المعنى ، فهو الحري بالاعتبار ، والاتباع .

اما الآن — وقد وقفت على رأي العلماء البرزين المدعم بالبراهين الدامغة — فالق نظرة — ان شئت اضاعة دقيقة من وقتك الثمين — الى ما جاء في احدى النشرات البغدادية[1] ، تجد البون شاسعاً بين اقوالهم الراهنة وبين ما تنتجه المخيلة الثائرة ، ذات الباصرة الكليلة ، المتوهمة بزوغ شمس مختلف الالسن المتلألئة في العالم المتمدن ، قديمه وحديثه ، من جوف الظلمات المدلهمة ، ظلمات لغو اهل البادية البرابرة — ولا عجب لان ذلك من طبع الذوق الخاص !!

(١) مجلة لغة العرب ، جزء ٦ سنة ٧ ؛ ص ٤٩٢ — وجزء ١ سنة ٨ ، ص ٥٨ .

يقظة الفن في لبنان

نظرة في معرض التصوير والنقش

بقلم يوسف غصوب

رئيس قلم الترجمة في المفوضية العليا

زرت معرض التصوير والنقش ، الذي اقيم اخيراً في مدرسة الصنائع والفنون ، فكان اول ما فوجئتُ به ، فسررتُ له ، وفرة العارضين من ارباب الفن والفواة ، وكثرة الزائرين على اختلاف ثقافتهم وتفاوت طبقاتهم . فتوسمت خيراً ، وتبيّنت يقظةً للفن في لبنان ترفع من مستواه ، وتهذّب من ذوقه ، وقد تصرف بعض شبيبته عما يشينها الى ما يحلي نفسها ، ويشحذ مخيلتها . فالفنون الجميلة خير ما تُمدح به البلدان الراقية ، وافضل كنز لها . فانها تدلّ على قوة الابداع في اهلها ودرجة تقدمهم في مضمار الحضارة والتمدن .

قد كان لنا ، في قديم الزمان ، فنّ ؛ وكان لنا صيت حسن منتشر في الآفاق ، غير ان الايام والليالي قد كرّت عليها فلم تترك لنا الا الذكر ، وبعض آثار اكثرها طامس او مجهول المقرّ . وقد عشنا دهراً عالةً على الاقدمين والاغراب في كل فرع من فروع الآداب والفنون ، وليس لنا من ميزة نعرف بها ، ولا من نسق مفروز .

فلو نظرنا مثلاً الى الآداب الكتابية ، لما رأينا فيها شيئاً مستجدًا بل جلّ ما جادت به القرائح من مئة سنة الى اليوم ، ان لم نقل كله ، عبارة عن تمارين اجهد اصحابها نفوسهم تأتي على مثال ما سلف لكبار شعرائنا وكتابنا العريقين في القدم ؛ او لتشابه ، ولو عن بعد ، ما ابتكره الغربيون ، فكنا في كل ذلك مقلدين ، مقصرين حتى ان المئة سنة التي غبرت لم تنتج لنا اثراً نفاخر به

او تتقدم به الى العالم ليضم الى آثاره الخالدة.

ومن الامور التي اهملناها كثيراً الفنون الجميلة من موسيقى ، وتصوير ، ونقش ، وهندسة ، وغيرها . فلم نعنَ بها اقل عناء ، بل عشنا ونحن في وادٍ وهي في واد ، كانها لم تكن . فلو استقرينا ما بني قبل الحرب من الابنية في لبنان ، لوجدناها خلواً من الهندسة او تكاد ، فلا تفنن ولا ابتكار ولا ذوق ، على ان الكثير مما شيّد آنئذٍ متسع ، متقن البناء ، أُنفق عليه المال الوافر .

وقد كان مستوى الذوق منحطاً الى درجة قصوى ، حتى انك لو دخلت دور الاغنياء لوجدتها تغصّ بالنفيس من السجاد العجمي والرياش الثمين والمرايا والثريات الباورية ، ثم تجد قريباً منها ، وفي البهو الواحد ، صوراً لا قيمة فنية لها . فهي اما مطبوعة طبعاً ، واما مصوّرة تصويراً بالمكنسة ، على انها وضعت في اطارات فاخرة . ولا تزال ليومنا هذا نرى الاقبال الشائن على مثل هذه التوافه التي لا تصلح لشيء ، فكأنها بعض قصائد الشعر التي « تنتفخ بها بطون الكتب » كما قال في هذا الصدد احد مشاهير كتابنا في القرن الغابر ، احمد فارس الشدياق .

* * *

اننا لا نتصدى الآن لهذا الموضوع ، فانه متشعب بعيد الاطراف ، بل نحبّ ان نهلل للفكرة الجميلة التي اوحت انشاء معرض النقش والتصوير وان نكتب كلمة عن زيارتنا لهذا المعرض ، الذي هو باكورة عمل قد يكون له يدٌ بيضاء في تثقيف ذوقنا ، واستثمار مواهبنا ، وايجاد روح فنية لبنانية . ولا غروَ ان للسيد موريس زوين ، مدير مدرسة الصنائع ، الفضل الاوفر في تنظيم المعرض ، وترتيبه وجمع معروضاته ، فنحن نشكر له ذلك شكراً جزيلاً ، ونسأله ان يتابع عمله هذا بكل نشاط وجدّ حتى يأتي بالفائدة الجلى التي ننتظرها منه .

مدرسة الصنائع في حيّ من افضل احياء بيروت مركزاً ومنظراً ، فهو مستشرف يطل على البحر ، وفيه من الدور الجميلة الحديثة ، والحدائق الزاهرة ، ما يبهج العين ويشرح الصدر . وامام المدرسة حديقة للبلدية فيها الاشجار الباسقة ،

والمياه الجارية ، ومسارح للاولاد يتراكضون فيها ويرتعون ويلعبون . فكأن هذه الصورة من الحياة مقدمة شائقة للمعرض. اذا ولجت رتاج المدرسة الكبير فاول ما يواجهك قوارير من النبات والازهار قد رتبت على اشكال هندسية جميلة ، تمرّ خلالها حتى تصل الى قاعة التصوير الشمسي القائمة عن يمين المدخل.

التصوير الشمسي

قد تقدم هذا الفن تقدماً محسوساً ، وارتفع حتى كاد يصير في درجة التصوير اليدوي ، وقد ذهب فيه اربابه مذاهب شتى فلم يتكلوا في اعمالهم على الآلة المصوّرة ، بل سخرها البارعون منهم لتأدية اغراض معينة يقصدونها قصداً فيأتون بالتحف الثمينة. فن اللونين الابيض والاسود ، وما بينهما من درجات متفاوتة ، يتوصلون الى نتائج هي على غاية من الجمال . قد تمرّ بالمنظر البديع في الطبيعة مراراً عديدة ولا تأبه له حتى اذا احتال عليه المصور الشمسي، فأبرزه على شكل رائع ، ظللنا امامه مسحورين. فالمقدرة الفنية لا تقوم بالآلة فقط بل ببراعة المصوّر ايضاً وقوته على تخيّل المناظر والمواقف وابرازها على احسن ما تكون .

واني اعرف من اصدقائي النواة في فن التصوير من ابدعَ كل الابداع في تصوير بعض المناظر او الاشخاص ، فجاءت صوره آيةً في الفن يُغبط عليها.

وقد رأينا في قاعة التصوير الشمسي صوراً هي في منزلة عالية من الاتقان. اذكر منها رأس امرأة يمثل « الالم » ، فانك تقرأ على قسمات وجهها عاطفة قوية في حلة من الجمال البارع . وهذا الرأس هو من صنع الفنان اسعد دقوني . وله ايضاً بعض صور لا تقل عن تلك اتقاناً وصنعةً .

ومن المناظر التي استلفتت الزائرين صورة « لنهر الكلب » من صنع سكافو ، قد جمعت الى وحشة الوادي تعاكس الاظلال والاضواء واتساع المدى في وضوح وجلاء. وهناك مجموعة صور لصديقنا العزيز جوب زغزغي قد افرغ فيها من روحه الحساسة وخياله الفني ما شاء. فانه قد سلب الطبيعة مشاهدها ، وهي في افضل اوقاتها ، فن جلال السكون في المساء الى روعة اليقظة في

الصباح . وفي هذه القاعة بعض الصور الناجحة غير التي ذكرنا ، وما بقي فهو لا يخرج عن العادي المبتذل .

التصوير البدوي

واذا تركت قاعة التصوير الشمسي ذرت في ممشى ملوء صور بدوية اكثرها لتلامذة المدارس ، كالمدرسة الايطالية ، والمدرسة الارمنية ، وزهرة الاحسان ، وغيرها . وجلّ هذه الصور منقول عن صور لكبار المصورين الغربيين ، وليس لها قيمة فنية ، واذا مُدح اصحابها فعلى نسبة الاتقان في النقل . ومما استرعى النظر في هذا القسم رسم «قنينة» الآنسة مسك ، ورسم «فرس وفارسه» يعبّان من الساقيه للآنسة ايفون ماضي .

وكنا نود لو ان لجنة المعرض استغنت عن هذه المنقولات . وقد يكون لها عذر في رغبتها بتنشيط الفن والترغيب فيه . ولا نشك انها تكون في المستقبل أصرم منها الآن .

ثم نصعد الدرج الى الطابق العالي فنشاهد في طريقنا « طاولة من حديد مطرّق » صنع مدرسة الصنائع ، وهي على جانب عظيم من الذوق والاتقان . وعلى جانبي الدرج صور عديدة لمصورين معروفين منها « قلعة الحصن » للاستاذ قيصر الجميل ، وهي لوحة كبيرة مضطربة الصنعة ، كانما هي قد صورت بناء على طلب طالب .

وفي الجانب الايمن صورة « شيخ » للاستاذ فروخ الغائب الآن في باريس ، تمثل رجلاً عند غروب الحياة يتأمل غروب الشمس . وهذه من الصور الرمزية تبدو لنا من خلالها روح فروخ الرقيقة اللطيفة ؛ وانه ليؤسفنا ان لا يكون له في هذا المعرض غير هذه الصورة وصورة اخرى تمثل منظرًا من لبنان . وعلى الدرج ايضاً صورة « طاحون لبناني » للاستاذ موراني ، ذات الوان زاهية ترى فيها غبرة ارض الجبل ولعاب شمسه في يوم من ايام الصيف .

نصل الآن الى بعض اساتذة الفن في لبنان . واول ما يعترضنا في طريقنا الاستاذ سرور و«بدوياته» ، فانه قد اشتهر بهذه البدويات ، وتمثيله لهنّ تمثيلاً

بدوية

نسرور

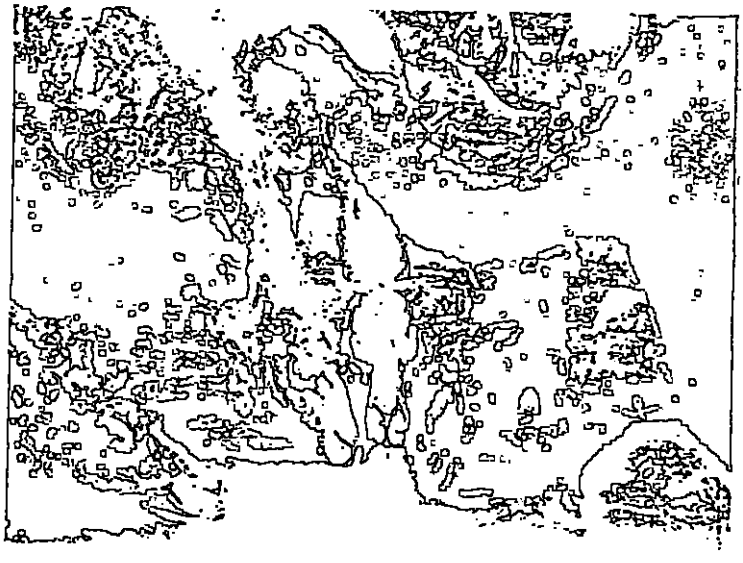

جمال ترد الماء

للأنسي

طبيعياً بالوان ثيابهن وميزات وجوههنّ ، وما في نفوسهن من غموض او فراغ. وقد انسنا بهؤلاء البدويات قديماً في المعرض الذي اقيم في بيروت في اول الاحتلال . ولسرور مناظر اتقن — على ما ارى — من بدوياته وهي مناظر «الناعورة في حماه» ، و«مضارب النوَر» ، و« الطاحون اللبناني» ، و«رأس خوري ماروني» يكاد ان يكون ناطقاً . واوشك الاستاذ ان يكون الوحيد بين العارضين بعرض الصور « الطباشيرية » ، فله صور طيور مائتة ترى ريشها بارزًا للعيان بالوانه المختلفة . والحق يقال ان الاستاذ سرور يجيد تصوير الطبيعة المائتة .

وقد سررت لبعض مناظر لبنانية بريشة الآنسة بلانش عمون فيها صناعة وتسديد في التلوين ، وطريقة في مزج الاصباغ غير الطريقة المألوفة . فهذه الفاوية لها ذوق خارج عن المستوى العام .

وخصص جانب من المشى في الطابق العالي للمصور كوبر . وان لهذا الفنان شهرة في بيروت لا سيما في تصويره المناظر . قد وقفنا امام آثاره فتبيّنا — على قدر تمكننا من تفهم الفن — انه يسخّر الطبيعة لصوره ، فهو يؤلّفها تأليفاً يحاول فيه ابراز فكرة ما . وقد رأينا له في الماضي صورًا اعلق بالقلب من صوره الحالية ، منها صورة « لأرز لبنان » كان قد عرضها في معرض خاص في التياترو الكبير . وقد اقنعتُ كثيرًا نفسي في ان تشتمّ في صور كوبر رائحة لبنان ، وجوّه ، وسماءه ، وروح وهاده وجباله ، فلم تقتنع النفس بذلك . واخاف ان يكون الاستاذ قد اصبح تاجرًا .

ومن المصوّرين الاجانب نوثيكوف ، فله صورة «غيضة حور» جميلة ، غير اني اخشى ان لا تكون هذه الصورة صورة لبنانية . ثم الدكتور جوفروا ، والمسيو لي كوك دي لافريوندبير ، وغيرهم كثير . اننا نرى على الاجمال في مناظر الاجانب من فنانين وغواة ، قوة وتسديدًا في التلوين هما على ضعف عند المواطنين .

وفي القاعة الكبرى عرضت صور الفنان السيد الانسي . فهذا الاستاذ ، على حداثة عهده بالتصوير ، قد نال منه قسطاً وافرًا ، وتجاوز العادي في مناظره الطبيعية ، فهي لبنانية وعليها مسحة لبنان وفيها هواؤه . وطريقته « الاجمال » ،

اي ابراز المنظر مجملًا بدون تفصيل ، فانك تراه من بعيد فتعجبك امانة نقله وتناسقه ؛ واذا اقتربت منه لا ترى فيه شيئاً من دقائقه. فهو لا يهتم للرسم كثيراً ، بل يحاول ان يؤثر على الناظر تأثيراً عاماً يرتاح لـه القلب والعين ، وهذا ما يكشف لنا عن ضعف الرسم في « متجرّداته » فهي ترضي جملةً ، ولا ترضي تفصيلًا. ومن مناظره الناجحة صورة «جبل الشوف» ثم صورة « الجمال» المتهالكة على الماء بعد قطعها الصحاري والقفار. فهذه الصورة مستغربة ، حسنة التركيب ، مبتكرة في بابها .

وفي هذه القاعة نفسها عرضت صور لفنان دمشقي هو السيد المظم . وقد وقفنا طويلًا امام هذه الصور ونحن في حيرة منها . انحن امام تحف فنية ام نحن امام حداثة الفن ، فقد قصر ادراكنا عن تفهمها تماماً ، ففيها اختلاط كثير في الالوان ، واضطراب كثير في الرسم ، واذكر سماء في احدى الصور لا يدري الناظر اليها اهي حقل مزدهر ام ساقية دامية .

ثم ولجنا القاعة الكبيرة ، وفيها معروضات الاستاذ الفتى ، تلميذ مدارس باريس ، قيصر الجميّل ، فاعجبنا منها دقة الصنعة واتقان الرسم. ففي« متجرّدات» الجميّل درس عميق لاعضاء الجسم البشري ، وامانة في النقل رسماً ولوناً ، وقد القى عليها مسحة شعرية من روحه ، غير انها لم تخرج عن حد «الكلاسيك». ومن مميزات الجميل الاقتصاد في الالوان فهو يستعمل ثلاثة الوان او اربعة ، ولكنه يفاوت كثيراً فيما بين درجات اللون الواحد. ولا شك ان لبعض صوره قيمة فنية لا يستهان بها ، وهو رسام اجسام ووجوه اكثر منه رسام مناظر وطبيعة ، فانك لتحسّ الدم جارياً في بشرة اشخاصه ، ولتشعر بنبض عروقها. وله رؤوس من الدقة في مكان لاسيما في نظراتها وتغلب على رسومه الكآبة ، فتكاد تلمسها في جميع صوره . ومن هذه الصور « رأس للمسيح » هو غاية في الاجادة ، تقرأ على ملامحه مُتضارب العواطف ، وقد اقبل يهوذا ليسلمه بقبلة .

وفي المعرض صور كثيرة تستحق الذكر انما لا يسعنا المكان لوصفها وقول كلمة فيها .

طاحون عين زحلتا

للسوراني

كنيسة بيت شباب

للدكتور جوفروا

النحت

اما النحت فيمثله الاستاذ الحويك ببعض رؤوس وتماثيل معظمها قديم ، فيها دقة في الصنعة . ومن ميزة هذا النحات انه لا ينهي تماثيله ، فهي تخرج من المرمر ، او الحجر الاصفر ، ولا تزال عالقة فيه ؛ كأن الاستاذ قد اكتفى بما انهى، وما بقي من العمل فلا أبه له. ومن التماثيل التي رأينا فيها صنعة رأس شارل قرم ، فانه قد جاء مستجمعاً الاتقان والعاطفة والروعة.

. . .

ومما لاحظنا في مجمل المعرض ان «الجماعات» اي الصور التي تحتوي على عدة اشخاص، قليلة جداً بل تكاد ان تكون معدومة. ولا شك ان المصورين يجدون عناء في تأليف مثل هذه الصور ، فهي تطلب وقتاً طويلاً ومواضيع تاريخية او عصرية قد لا يكون لديهم وقت للبحث عنها.

* * *

نحن لا نقول ان هذا المعرض يوازي المعارض الاجنبية ، فهو بعيدٌ عن ذلك جدّ البعد . الا انه فاتحة عمل قد يكون له ثمرة طيبة ومستقبل ناضر ، فلا بدّ لنا من اسداء الشكر لمن دعا اليه ، ولمن سعى بانشائه ، ولمن لبّى الدعوة من الفنانين الكرام الذين اتخذوا لهم هذه المهنة الصعبة في بلادنا ، ولكننا على ثقة من انهم، اذا هذّبوا ذوقنا بمعروضاتهم ، راجت صناعتهم فيما بيننا .

ΔΙΔΑΧΗ ΤΩΝ ΔΩΔΕΚΑ ΑΠΟΣΤΟΛΩΝ

Διδαχὴ κυρίου διὰ τῶν δώδεκα ἀποστόλων τοῖς ἔθνεσιν

تعليم الرسل الاثني عشر

تعليم الرب للامم بواسطة الرسل الاثني عشر

بقلم الاب انطون صالحاني اليسوعي

(تتمة)

٥

١ اما طريق الموت فهي هذه : قبل كل شيء هي رديئة ومفعمة بانواع اللعنة ، والقتل ، والزنى ، والشهوة الرديئة ، والفجور ، والسرقة ، وعبادة الاوثان ، والتنجيم ، والخطف ، وشهادة الزور ، والرثاء ، وازدواج اللسان ، والغشّ ، والكبرياء ، والخبث ، والعجرفة ، والبخل ، والخنى ، والحسد ، والوقاحة ، والعُجب ، والمباهاة ، وعدم التقوى[1] .

٢ [والسالكون فيها هم] مضطهدو الصالحين ، مُبغضو الحقّ ، محبو الكذب ، جاهلو مجازاة البرّ ، غير متبعي الصلاح ولا الحكم العادل ، الساهرون لا لعمل الخير بل لعمل الشرّ ، البعيدون عن الوداعة والصبر ، محبو الاباطيل ، متطلبو المجازاة ، غير الراحمين للمُعدَم ، وغير متأطرين الحزين كربته ، غير العارفين خالقهم ، قاتلو الاطفال ، مُفسدو خليقة الله ، المعرضون عن المسكين ، الجائرون على المظلوم ، المحامون عن الاغنياء ، القاضون بالظلم على البائسين ، المرتكبون كل الخطايا . ايها الابناء ليتكم تخلصون من كل هذه .

٦

١ احذر من ان يحيد بك احد عن طريق التعليم هذه ، لانه يعلّمك في غير طريق الله . ٢ اذا امكنك ان تحمل نير الرب كلّه تكون كاملًا .

---

١) راجع كثيرًا من هذه الشرور في مرقس (٧ : ٢١ و ٢٢) ، وفي رسالة بولس الى الرومانيين (١ : ٢٩ و ٣٠)

وان لم يمكنك فافعل ما تقدر عليه. ٣ اما في ما يختص بالطعام فقم بالصب الذي لك قبل به[1] ، لكن اثبت في الامتناع عمّا يُذبح للاوثان لان تناوله عبادة آلهة ميتة[2] .

٧

١ اما بشأن العماد فعمّدوا هكذا ، بعد ان تكونوا تممتم كل هذه الامور[3] ، عمّدوا بالماء الجاري[4] باسم الآب والابن والروح القدس ٢ وان لم يكن لك ماء جارٍ . فعمّد بماء آخر . وان لم يمكنك بماء بارد فبماء سُخن .

٣ وان لم يكن لديك [ما يكفي من][5] احدهما ، فاسكب ثلاث مرّات على الرأس ماء باسم الآب والابن والروح القدس[6] . ٤ قبل العماد ليصُم المعمّد والمنوي تعميده ، ومَن امكنهم ذلك من الآخرين . واوصِ المستعدّ للعماد ان يصوم يوماً او يومين قبلاً .

٨

١ لا تتفقوا مع المرائين وقتَ اصوامكم[7] ، فانهم يصومون في اليومين الثاني والخامس من الاسبوع ، اما انتم فصوموا يومي الاربعاء والجمعة .

٢ ولا تصلّوا كالمرائين ، بل كما اوصى الرب في انجيله هكذا تصلّون[8] : ابانا الذي في السماوات ، ليتقدس اسمك ، ليأتِ ملكوتك ، لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الارض . خبزنا كفافنا أعطنا اليوم ، وسامحنا بديننا كما نسامح المدينين لنا ، ولا تُدخلنا في تجربة ، لكن نجنا من الشرير[9] ، لانّ

١) الكلام عن لحم الحيوانات المحرَّم اكلها في العهد العتيق.
٢) راجع اعمال الرسل (١٥: ٢٩) : « ان تمتنعوا عمّا ذُبح للاصنام »
٣) اي بعد ان تكونوا علّمتم الموعوظين كل هذه الحقائق حينئذٍ عمّدوهم.
٤) في اليوناني « الماء الحيّ » والماء الحيّ هو الماء الجاري.
٥) ان المعنى يطلب زيادة ما وضعناه بين معكّفين
٦) يتضح من هذه الآية ان المسيحيين الاولين كانوا يعتقدون ان العماد بالصبّ هو صحيح. راجع ما كتبناه عن العماد في كتابنا « الحقائق اللامعة في عقائد الكنيسة الجامعة ».
٧) يريد بالمرائين الفريسيين كما ورد في متى (٦: ١٦ و٢٣: ١٣ و١٤ و١٥ و٢٣ و٢٥ و٢٧ و٢٩) الا اننا نرتأي انه يريد هنا بالمرائين اليهود عامّةً .
٨) متى ٦: ٥ ٩) متى ٦: ٩-١٣

لك القوّة والمجد الى الابد[1] ٣ هكذا تصلون ثلاثاً كل يوم[2].

٩

١ في ما يختصّ بالشكر اشكروا هكذا ٢ اولًا على الكأس : نشكرك ابانا لاجل كرمة[3] داود فتاك المقدسة التي عرّفتنا اياها بواسطة يسوع ابنك. لك المجد الى الابد. ٣ ثم على كسر الخبز: نشكرك يا ابانا لاجل الحياة والمعرفة التي أطلعتنا عليها بواسطة يسوع ابنك . لك المجد الى الابد . ٤ كما ان هذا الخبز الذي كُسر كان منتثرًا في الجبال[4]، وصار واحدًا عندما التأمت اجزاؤه ، كذلك فلتكن كنيستك مجموعة من اقاصي الارض للدخول في ملكوتك . لانّ لك المجد والقوة بيسوع المسيح الى الابد . ٥ لا يأكل ولا يشرب من قربانكم غير المعمّدين باسم الرب[5]، فقد قال الربُّ نفسه في هذا الشأن: «لا تُعطوا القدسيات للكلاب»[6]

١٠ (*)

١ بعد ان تكونوا شبعتم[7] اشكروا هكذا : ٢ نشكرك ايها

١) عبارة المجد هذه يتلوها السريان الى ايامنا ويختمون بها الصلاة الربّية. راجع العدد ٤ من الفصل ٩ من تعليم الرسل هذا . وما قلناه ايضًا بهذا الخصوص في الصفحة ٥ من المقدمة.

٢) ساعات الصلاة كانت الثالثة والسادسة والتاسعة، كما يتضح من اعمال الرسل ٣ : ١ و٥ و٣ : ١ و١٠ : ٩ ٣) يؤكّد كليمنت الاسكندري واوريجنس انه بدم الكرمة يُراد دم سيدنا يسوع المسيح . ولا عجب ان يقدّم صاحب التعليم الكأس على كسر الخبز فان بولس الرسول هكذا عمل (١ كور ١٠ : ١٦) «كأس البركة التي نباركها أليست هي شركة دم المسيح والخبز الذي نكسره أليس هو شركة جسد المسيح» وفي الفصل ذاته الآيتان ٢٠ و٢١

٤) ان الخبز كان منتثرًا في الجبال، اذ كانت حبات الحنطة في سنابلها قبل ان تصير خبزًا.

٥) المعمودية باسم الرب او باسم يسوع تمييزًا لها عن معمودية يوحنا، فالمعمودية التي رتّبها السيد المسيح تُعطى باسم الآب والابن والروح القدس. راجع الفصل ٧ الآية ١ و٢

٦) متى ٧ : ٦ : «لا تُعطوا القدس للكلاب»

*) ان ما ورد في الفصلين ١٠ و١١ يكفي لاثبات قدم هذا التأليف ومندوره في العصر الرسولي، اي قبل نهاية القرن الاوّل للمسيح، لاننا نرى في هذين الفصلين الليتورجية في بدئها وبساطتها الاولى . وكذلك نظام الجماعة المسيحية تراه بسيطًا من رسل يجولون وأنبياء ومعلمين، كما كان في ايام الرسل الاثني عشر. ٧) عندما ظهر كتاب تعليم الرسل كانت

الآب القدوس لاجل اسمك القدوس الذي أحللته في قلوبنا ، ولاجل العلم والايمان والخلود التي عرّفتنا اياها بواسطة يسوع ابنك . لك المجد الى الابد .

٣ ايها السيد الكلي القدرة خلقت جميع الاشياء لاجل اسمك ، ومنحتَ الناس طعاماً وشراباً يتمتعون بها لكي يشكروك . اما نحن فقد منحتنا طعاماً وشراباً روحيًّا وحياةً ابديّةً بواسطة ابنك . ٤ فنشكرك خصوصاً لانك قادر . لك المجد الى الابد . ٥ اذكر يا ربّ كنيستك لكي تنجيها من كل شرّ وتجعلها كاملة في محبتك . اجمعها من الرياح الاربع[1] ، وقدّسها وأدخلها في ملكوتك الذي اعددته لها . لانّ لك القوة والمجد الى الابد . ٦ لتُقبل النعمة ويُدبر هذا العالم . هوشعنا لابن داود . اذا كان احد قدّيساً فليأتِ ، اذا كان احد غير قديس فليَتُبْ . ماران اتى . امين[2] ٧ اما الانبياء فدعوهم يشكرون بقدر ما يريدون[3]

١١

١ كل من يأتيكم ويعلمكم جميع هذه الامور المذكورة فاقبلوه .

٢ امّا اذا كان المعلم ذاته ضالاً ويعلّمكم غير هذا التعليم لهلاككم ، فلا تُصغوا اليه . امّا اذا علمكم معلّمٌ ليزيدكم برًّا ومعرفة للرب فاقبلوه قبولكم للربّ .

٣ في ما يختصّ بالرسل[4] والانبياء اعملوا كما امر الانجيل . ٤ كل

وليمة المحبة المسماة باليوناني « أغابي » ترافق تناول جسد الرب المعبّر عنه بكسر الخبز . يؤيد حقيقة تناول جسد الرب ودمه ما ورد في العدد ٢ من هذا الفصل العاشر : « امّا نحن فقد منحتنا طعاماً وشراباً روحيًّا وحياةً ابدية بواسطة ابنك »

١) راجع متى ٢٤ : ٣١ « فيجمعون مختاريه من الرياح الاربع »

٢) كان المسيحيون الاولون يظنون ان مجيء المسيح الثاني كان قريباً وكانوا يصلّون ليتمّ ذلك . وهذا معنى « ماران اتى » اي « تعالَ ايها الرب يسوع » (رؤيا ٢٢ : ٢٠) وقال بولس ١ كور ١٦ : ٢٢ : « ان كان احد لا يحبّ ربنا يسوع المسيح فليكن مُبسَلاً . ماران اتى »

٣) الانبياء وحدهم كان يُسمح لهم ان يشكروا زيادة عما ورد هنا .

٤) ليس الكلام عن الرسُل الاثني عشر ، بل عن اولئك الذين ، في اوائل النصرانية ، كانوا يتبعون اعمال الرسُل بالتبشير . وهؤلاء لم يكونوا يستقرّون عند المؤمنين بل كانوا

رسول يأتيكم اقبلوه قبولكم الربّ. ٥ لا يمكث عندكم الا يوماً واحداً او يوماً آخر عند اللزوم . فان مكث ثلاثة ايام فهو نبيٌّ كاذب [1] ٦ عندما يمضي الرسول لا يأخذ معه شيئاً غير الخبز [الكافي] الى ان يدرك مبيتاً . فان طلب دراهمَ فهو نبي كاذب [2] .

٧ كل نبيّ يتكلّم بالروح [3] لا تجرّبوه ولا تدينوه . لان كل خطيئة تُغفر امّا هذه الخطيئة فلا تغفر. ٨ لكن ليس كلّ من يتكلم بالروح هو نبيّ بل من يسلك سلوك الربّ. فمن السلوك يُعرف النبي الكاذب والنبي الحقيقي. ٩ ليس من نبيّ يأمر بالروح بأن تُهيّأ المائدة ثم يأكل منها ، الا اذا كان نبياً كاذباً [4] ١٠ وكل نبيّ يعلّم الحقيقة ان لم يعمل ما يعلّم فهو نبيٌّ كاذب [5] ١١ كلُّ نبي مجرَّب حقيقي يعقد اجتماعاً لاقامة السرّ العالمي [6] فان لم يعلّم بان يُعمَل ما يعمله هو فلا تدينوه انتم فانما دينونته لله لان الانبياء القدماء هكذا فعلوا . ١٢ كل من قال بالروح اعطني فضة او شيئاً آخر فلا تسمعوا

عابري سبيل لانّ شغلهم كان مختصاً بالنير المؤمنين يتنقلون من موضع الى آخر ليكرزوا بالانجيل وينشروا الايمان بالمسيح كما كان يفعل بولس وبرنابا. وقد وُجد رُسل كذبة يجولون بين المؤمنين لمنفعتهم الذاتية كما صرّح بذلك بولس الرسول بقوله (٢ كور ١١ : ١٣) : « امثال هؤلاء هم رسُل كذبة وعملة خدّاعون يتغيّرون هيئتهم الى هيئة رسُل المسيح »

١) « قد كان في الشعب انبياء كذبة كما انه سيكون فيكم معلّمون كذبة » (٢ بطرس ٢ : ١) . ٢) « لا تقتنوا ذهباً ولا فضّةً ولا نحاساً في مناطقكم. ولا مزوداً للطريق . . . لان الفاعل مستحقّ طعامه » (متى ١٠ : ٩ و ١٠)

٣) التكلم بالروح هو التكلم عند الانخطاف بالروح : « وصرتُ في الروح يوم الرب فسمعتُ . . . » (رؤيا ١ : ١٠) . « صرتُ في الروح فاذا بعرشٍ موضوع . . . » (رؤيا ٤ : ٢) . « ليس احد ينطق بروح الله ويقول يسوع مُبَلٌ ولا يستطيع احد أن يقول يسوع ربٌّ الا بالروح القدس » (١ كور ١٢ : ٣) . « ان الذي ينطق بلسانٍ لا يكلّم الناسَ بل الله اذ لا يسمع احدٌ غير انه بالروح ينطق بأسرارٍ » (١ كور ١٤ : ٢)

٤) لانّه يطلب منفعته لا منفعة الشعب المسيحي .

٥) « امّا الذي يعمل ويعلّم فهذا يُدعى عظيماً في ملكوت السماوات» (متى ٥ : ١٩)

٦) ذهب العلماء الى آراء شتى في تفسير هذه العبارة « السرّ العالمي » . فلم ينجحوا ، وبقيت العبارة غير واضحة. ولعلّه اراد السرّ المقدّم في كل العالم ولاجل كل العالم اي ذبيحة الافخارستيا كما قال ملاخي (١ : ١١) « في كل مكان تقتّر وتقرّب لاسمي تقدمة طاهرة »

٥ . اما اذا قال اعطوا لآخرين محتاجين فلا يدنه احد .

١٢

١ كل من يأتيكم باسم الرب فليُقبَل وبعد اختباره تعرفونه[1] ، لانه سيكون لكم فهم لتميّزوا اليمين واليسار[2] ٢ اما اذا كان الآتي عابر سبيل فساعدوه بقدر ما تستطيعون . ولا يبقَ عندكم الّا يومين او ثلاثة ، اذا اقتضى الامر . ٣ اما ان اراد المكوث بينكم وكان صاحب حرفة ، فليشتغل وليتقِ قوتَه . ٤ وان لم تكن له حرفة فاعتنوا بفطنتكم ان لا يعيش مسيحي في وسطكم بطّالاً[3] . ٥ فان لم يرضَ ان يفعل بذلك فهو متاجر بالمسيح . فاحذروا من مثل هؤلاء .

١٣

١ كل نبيّ حقيقي يرغب في الاقامة بينكم فهو مستحقّ طعامه[4] .
٢ وكذلك كل معلم حقيقي مستحق هو ايضاً طعامه كالفاعل . ٣ ومن ثم تأخذُ كل بواكير نتاج المعصرة والبيدر والبقر والغنم وتعطيها للانبياء ، لانهم بين ظهرانيكم رؤساء الكهنة[5] ٤ فان لم يكن لكم نبيّ فاعطوا

ومما يؤيّد تفسيرنا هذا ان المؤلّف في ما يلي (١٤ : ٢) يستشهد بآية ملاخي هذه المختمة بذبيحة الافخارستيا .

١) بعد ان تكلّم عن قبول الرسُل والانبياء في الجماعات المسيحية اخذ في الفصل ١٢ يتكلّم عن قبول الغرباء من المسيحيين . ويتضح من كلامه انه يلزم قبولهم قبل ان يُمتحَنوا .

٢) تمييز اليمين واليسار اي معرفة الاشرار منهم والصالحين .

٣) يريد ان المسيحي يحصّل قوته بتعبه وشغله وهذه هي المرة الوحيدة التي يُذكر فيها اللفظ « مسيحي » في كتاب تعليم الرسُل . وهذه الكلمة لم يكن شاع استعمالها في العصر الاول للنصرانية ، فكان تبّاع المسيح يقال لهم المؤمنون ، الاخوة ، القديسون ، المعمَّدون .

٤) يتكلم عن الانبياء والمعلمين الذين كانوا يقيمون بين جماعات المسيحيين كرؤساء كهنة . انّ النبي كان يتكلم بالروح لا المعلّم . وكان النبي يُقدَّم على المعلّم . وحيث كان اساقفة وشمامسة كان الانبياء والمعلّمون يفوقونهم رتبةً .

٥) كان فُرِض في العهد القديم ايضاً على اليهود ان يُعطوا الكهنة بواكير البيدر والمعصرة (سفر الخروج ٢٢ : ٢٩ و٢٣ : ١٦ و٣٤ : ٢٦) . الا ان تعليم الرسل لا يذكر العشر الذي كان اليهود ملتزمين بتأديته .

للفقراء[1] ٥ ان صنعت خبزًا ، فخذ الباكورة ووزّعها بحسب الوصية .
٦ كذلك اذا فتحتَ جرّة خمر او زيت ، فخذ الباكورة واعطها للانبياء .
٧ خذ الباكورة من الفضة واللباس ومن كلّ ما تملكه كما ترى موافقًا ، وأعطها بحسب الوصية .

١٤

١ لدى اجتماعكم يوم الرب اكسروا الخبز[2] واشكروا بعد ان تكونوا اعترفتم بخطاياكم[3] لكي تكون ذبيحتكم طاهرة . ٢ لا يحضر معكم من له منازعة مع صاحبه حتى يتصالحا[4] ، لئلّا تتنجّس ذبيحتكم . ٣ لان الرب قد قال « في كل مكانٍ وزمانٍ تُقرَّب لي ذبيحة طاهرة ، لاني ملك عظيم ، يقول الرب ، واسمي عجيب بين الامم » .[5]

١٥

١ أقيموا لكم اساقفة وشمامسة جديرين بالرب ، رجالًا وُدَعاء غير محبين المال ، صادقين ، ومجرَّبين ، فهم يخدمونكم خدمة الانبياء والمعلمين[6]

---

١) من هنا يتضح ان الانبياء لم يكونوا في كل الكنائس .
٢) كانوا يجتمعون يوم الرب ، اي يوم الاحد ، ويقيمون الذبيحة الالهية ويتناولون جسد الرب ودمه الكريم . راجع ما كتبه بولس (١ كور ١٦ : ٢) : « في كل اول اسبوع » . وما ورد في اعمال الرسل (٢٠ : ٧) : « في اول الاسبوع لما اجتمعنا لكسر الخبز كان بولس يفاوضهم وهو مزمع ان يسافر في الغد واطال الكلام الى نصف الليل » .
٣) يتضح من هذه الآية ان المسيحيين لدى اجتماعهم لحضور ذبيحة الفداء وتناول جسد الرب ، كانوا يعترفون بخطاياهم . يلتزم المسيحي قبل التناول ان يعترف بخطاياه ويتصالح مع اخيه .
٤) اورد باختصار ما ألزم به السيد المسيح المتخاصمين قبل ان يقدموا قربانهم (متى ٥ : ٢٣ و٢٤)
٥) « من مشرق الشمس الى مغربها اسمي عظيم في الامم وفي كل مكان تُنثر وتُقرَّب لاسمي تقدمة طاهرة لان اسمي عظيم في الامم قال رب الجنود » (ملاخي ١ : ١١) وهذه الآية تدلّ دلالة صريحة على ذبيحة الافخارستيا .
٦) يريد الخدمة الروحية بتوزيع الاسرار والارشاد يتممها اساقفة وشمامسة يُقيمون بين ظهرانيهم

٢ فلا تحتقروهم ، لانهم هم المكرَّمون بينكم ، مع الانبياء والمعلمين .
٣ وتحبوا بعضكم بعضاً ، لا بغضب ، بل بدعة ، كما جاء في الانجيل .
واذا أخطأ شخص الى آخر فلا يكلمه احد ، ولا تصغوا اليه حتى يتوب .
٤ صلواتكم وصدقاتكم وجميع اعمالكم افعلوها كما ورد في انجيل ربنا [١] .

١٦

١ اسهروا على حياتكم . لا تنطفئ سُرجكم ، ولا ترتخ احقاؤكم
بل كونوا مستعدين ، لانكم لا تعلمون الساعة التي فيها يأتي ربنا . [٢]
٢ اجتمعوا كثيراً لطلب الاشياء المفيدة لنفوسكم ، لان كل مدة
ايمانكم لا تفيدكم شيئاً ان لم تكونوا كاملين في اليوم الاخير . ٣ لانه في
الايام الاخيرة يكثر الانبياء الكذبة والمفسدون ، والغنم تتحوَّل الى ذئاب ،
والمحبة تصير الى بغض [٣] . ٤ واذ يزداد الاثم يبغضون ويضطهدون ويُسلمون
بعضهم بعضاً . وحينئذٍ يظهر مُضلّ المسكونة كانه ابن الله ويصنع آيات وعجائب
وتسلَّم الارض ليديه ويقترف آثاماً لم تُصنع قط منذ الدهر . ٥ وبعدئذٍ يأتي
الناس الى نار التجربة ويتشكك كثيرون ويهلكون ، فالذين يثبتون في ايمانهم
يخلصون من هذه اللعنة . ٦ وحينئذٍ تظهر علامات الحق ، فالعلامة الاولى
انفتاح السماء ، والعلامة الثانية صوت البوق ، والثالثة قيامة الموتى [٤] ٧ ولكن
ليس الكلُّ ، [٥] بل كما قيل يأتي الربّ وجميع القديسين معه . ٨ حينئذٍ
يرى العالم الربَّ آتياً على سحُب السماء . [٦]

---

١) متى ٦ : ١–٤ ٢) لوقا ١٢ : ٣٥ و ٤٠
٣) في هذه الآية وما يليها يشير الى ما قاله السيد المسيح عن مجيئه الثاني ومنتهى الدهر (متى ٢٤ : ٥–١٢ و ٢٠ و ٢١) ٤) ١ كور ١٥ : ٥٢ ومتى ٢٤ : ٣١
٥) بقوله «ليس الكل» يعني ليس الكل يقومون لقيامة مجيدة . كما قال بولس الرسول (١ كور ١٥ : ٥١) «انا سنقوم كلنا ولكن لا تتغير كلنا» ٦) متى ٢٤ : ٣٠

دلبتا

نبذة تاريخية

للخوري بطرس روفائيل

نشر هذا البحث الدقيق في بادة دلبتا نموذجاً للتواريخ الخاصة ، مشمنين على مؤرخينا الكرام ان يسيروا على اسلوبه ، فيفردوا ، كلٌّ لبلدته ، نبذة مسهبة مستندة من جهة الى الصكوك والسجلات ، ومن جهة الى مرويات التقليد قبل ان تذهب بذهاب اصحابها ، عارضين كل ذلك على الاصول النقدية . فيتمكن من يأتي بعدهم من وضع تاريخ علمي دقيق لبلادنا . وهو ما تفتقر اليه كل الافتقار . (المشرق)

توطئة

الله

ما سوّل لي الإقدام على هذا البحث رغبتي في افادة مواطني ، وولعي في خدمة التاريخ ، وتشويق الادباء الكتبة في القرى اللبنانية الى ان ينسجوا على هذا المنوال ، فينجم عن اجتهادهم وعنايتهم معرفة مناشئ أسر الوطن واصولها وفروعها وانسابها ومشاهيرها وتكاثرها وانقراضها ، فيهون بعد ذلك على مؤرخ بصير طويل الباع ، متوقد الذهن ، واسع الاطلاع ، الاستفادة من دروسهم وجمع أشتاتها ، لينفخ الوطن العزيز بتاريخ تامّ كامل الصفات المطلوبة .

وقد اعتمدتُ فيما كتبته ، فضلاً عما وجدته مذكوراً في الصكوك والوثائق القديمة التي بيدي ومُثبتاً في بعض كتب المؤرخين ، على مخطوطتين للمرحوم الخوري منصور الحتوني الدبلتاوي ، صاحب تاريخ المقاطعة الكسروانية المطبوع . والمخطوطتان المذكورتان تخصّان الوجيه السيد بولس عبد الله الخوري الحتوني . عنوان الاولى منهما « كتاب سجلّ كنيسة مار يعقوب المقطّع في قرية دلبتا واوقافها » جمعه المؤلف وقسمه الى مقدمة وثلاثة فصول . عدد صفحاته ١٠٦ ،

صورة حيّ بن يقظان في جزيرته

عن حفر خشبي للآنسة كنت (Kent)

من كتاب *The History of Hayy ibn Yaqzan. London*, 1929.

وعدد السطور في كل منها يتراوح بين ٢٥ و٢٨ سطراً. لا تاريخ له في اوله ، اما الصكّ الاخير فيه فمؤرخ سنة ١٩٠٦ . وعنوان الثانية « نبذة تاريخية في العيال الدلبتاوية »، وهذه ايضاً لا تاريخ لها في اولها ، غير ان من طالعها رأى ان مؤلفها قد اوقف قلمه فيها سنة ١٨٨٣ . عدد صفحاتها ١٣٥ ، وعدد الاسطر في كل منها يتراوح بين ١٩ و٢٠ سطراً. تقسم الى قسمين ، ففي القسم الاول بحث عن اصل العيال الدلبتاوية (صفحة ١ الى ٩٠) ، وفي القسم الثاني بحث عن كنائس دلبتا واوقافها (صفحة ٩٠ الى ١٣٥) . لكن يداً اثيمة قد سلخت ، لسوء الحظ ، بعضاً من صفحاتها ، خصوصاً فيما يتعلق بعائلة روفائيل ومنشأها وفروعها ، وقطعت بسكين او مقصّ سطرين او ثلاثة من كل صفحات هذه الكراسة ، مما ضعضع الموضوع وشوّش المعنى فيها .

وليثبت صاحب النبذة للقارئ ان ما اورده لم يكن الا بعد طول التحري والتنقيب ، قال في المقدّمة :

« اني ما قنعتُ ولا اكتفيت برواية وتناقل الاخبار من السلف الى الخلف بل بحثت وعوّلت على مطالعة الصكوك القديمة التي قد عثرت عليها وتلقيتها شاهداً كلّي الصدق لا يمكن للخصم تحريفها ولا للمعترض تغريفها . . . اذاً ارجو ان تتلقى يا اخي الاديب ما وقته هذه النبذة على سبيل صافي السريرة والطوية والاستقامة المسيحية لان غايتي فيها افادة القريب ومجد الله الرقيب » . اه

وقد اشرتُ الى المصادر التي اعتمدت عليها الا ما نقلته عن اوراق قديمة مبعثرة ، وقد يكون فرّط فيما اوردته من التحقيقات التاريخية والجغرافية والاحصائية سهو او تقصير ، فالموضوع شاقّ والطريق وعر لعدم وجود الوثائق الكافية ، وفي ذلك تمهيد للعذر عما قد يشوب هذا المقال من النقص ، ورجاء ان يُرشدني الادباء ذوو النقد الى ما زلّ به اليراع القاصر . فان مَن يعترف بعجزه فذنبه مغفور ، والله المسؤول ان يرمقني بعين عنايته ، انه السميع المجيب !

الفصل الاول

موقع دلبتا ومناخها وحالتها الاقتصادية والعمرانية

دلبتا قرية من قرى كسروان أُطلق عليها هذا الاسم لكثرة اشجار الدلب التي كانت فيها ، وقد تلاشت بفعل سيل هائل حدث سنة١٨٦٢ ، فاستأصلها. انما لم يزل بعض منها في المكان المسمى « الوادي » .

هي قائمة فوق قضبة غزير ، شرقيها ، وبعيدة عنها بالسيارة نحو ربع ساعة. وبالقرب منها ، من الجهة الشرقية الجنوبية ، قلعة قديمة تُعرف « بقلعة معراب» يُستدلّ من ضخامة حجارتها وطريقة بنيانها انها من عهد الرومان . وقد تكون الزلازل قوّضتها ، او ان احد الملوك الفاتحين دمّرها . مساحة ارضها واسعة جدًا وتُعدّ من هذا الوجه من القرى اللبنانية الكبيرة . اسفلها يعلو سطح البحر نحو ٥٥٠ مترًا ، واعلاها ينيف على ١٠٠٠ متر . غير ان علو معظم بيوتها يتراوح بين ٦٥٠ و ٧٥٠ مترًا ، واهلها يقولون عنها ان « اولها ساحل وآخرها جرد » . فهذا البون الجسيم في درجات ارتفاعها جعل سبلها صعبة شاقة ذات سلالم واقفة ، الا ان فيها طُرُق عربات تريح القادمين اليها من الخارج ، منها طريق دلبتا - غزير - جونية ، وطريق دلبتا - عرامون - الكفور - يحشوش. وشُقّت حديثاً طريق ثالثة تربطها بغسطا وريفون وميروبا .

ينابيعها غير غمرة ، شحيحة ، لكنها عديدة تُربي على العشرين . وماؤها عذبٌ للغاية ذو برودة معتدلة خفيف هضام ، وعُرف من الفحص الكيماوي انه خالٍ من السلفات ، وان المادة الكلسية فيه قليلة جدًا ، وهو منظّف للامعاء . وقد اكّد لي بعض المصطافين الذين خبروهُ وخبروا مياه اوربّة ان مفعوله في المعدة اشبه بمفعول ماء ڤيتّل (Vittel)

مناخها موصوف بالجودة سيما في الجهات العالية منها ، ويؤمّها طلّاب الاصطياف وفي مقدّمتهم النازحون عنها من اهلها . تراها محاطة من جهاتها الاربع بغابات السنديان والعفص وغيرها ، مكلّلةً قممها باكليل من الصنوبر ،

مما يجعل هواءها نقياً نشيطاً ، فلا تدخل الامراض الموبئة ساحتها ، بل اذا اتاها مريض من الخارج شفي بمدة يسيرة . وسكانها يعمّرون ، وقد كان فيها ، في سنة الحرب الكبرى ، نحو مائة شخص بلغوا سبعين وثمانين وتسعين سنة ومنهم من بلغ المئة واكثر .

ان الداخل اليها يراها واقعة في سفح جبل ينتهي بوادٍ عميق ضيّق مشرف على البحر ، فيقف مدهوشاً من جمال مناظرها الخضراء ، فاني اتجه بصره عاين الغابات النضرة واشجار الصنوبر الضخمة الاصول المشوقة القدّ ذات الرؤوس المنروشة كالمظالّ ، ويبتهج الاوربيون خاصةً بمشاهدها لانها تذكرهم بجبال بلادهم المشجرة . يدخلُ اليها من جهة غزير بضيق يسمّى « الهدّ » ان كمن فوقه ثلاثة او اربعة رجال اوقفوا عسكرًا ، كما حدث سنة ١٨٦٠ ، وسيأتي خبر ذلك في غير هذا المكان . وتحت « الهدّ » وادٍ جميل اخضر ينسل حتى شتنمير ، فجونية ، فالبحر ، وهو اشبه بوادي قاديشا . نعم انه دونه عمقاً ، لكنه يضاهيه جمالًا بسبب غاباته واتصاله بالبحر .

الثمار فيها متنوّعة وكافية لسدّ حاجات سكانها منها الاجاص ، والتفاح ، والليمون ، والفرجل ، والخوخ ، والدراق ، والمشمش ، والتين . والزيتون فيها ليس بيسير . اما حاصلاتها فهي الخشب ، والعنب ، والحرير .

قلنا ان الغابات تحيط بها من كلّ الجهات فيقطع السكّان اشجارها بكل حذاقة فلا تلبث ان تنبت وتنمو ويُصدرون اخشابها كحطب للوقود ، او يقيمون « المشاحر » لعمل الفحم فينقلونه للخارج . وهذا موردٌ لا يستخفّ به للعملة ولاصحاب الاملاك .

والعنب فيها كثير جداً وهو على الجملة من النوع المسمّى « المرواح » وهو كثير العصير يستخرجون منه الدبس لمؤونة البيوت في الشتاء ، والعرق ، والنبيذ الفاخر ، فيتجرون بها . وعند بعض الملّاكين اشكال من النبيذ الذهبي الممتاز يشبّه الخبراء بنبيذ « كرم العروس » في بكفيا .

وكان للحرير المنزلة الاولى قبل الحرب ، فكان الاهلون يهتمون كل الاهتمام بزراعة التوت وحراثته وفلاحته حتى صار غطًا كثيفاً حول البيوت

كالثابات ، واذا ما قدم القرية زائر غريب اعتقد ان التوت ينمو على الماء مع انه « بَعل » في الثالب ، وكان يثمر سنوياً من الفيالج نحو ١٥ الف اقة . اما الآن فقد تبدّل الامر فلا يغلّ اكثر من ٤ آلاف اقة لان الحرب قد اتلفت الكلّ : الناس ، والارض ، والتوت .

عدد سكّانها تجاوز الالفين مات الثلث منهم في الحرب الكبرى ، والثلث الثاني يعيش في بلدان المهجر ، والثلث الآخر باقٍ في الوطن مشتّتاً بين دلبتا ، وجونية ، وبيروت ، واكثر المهاجرين يقيمون في القطر المصريّ ، وجزيرة كوبا ، والولايات المتحدة ، وفنزويلا ، والبرازيل ؛ وبينهم من اسّس بيوتات نالت شهرة بعيدة في عالم التجارة . عدد منازلها قبل الحرب نحو ٣٠٠ ؛ اما الآن فلم يبقَ قائماً منها سوى ١٢٠ منزلاً تقريباً .

عُرفت دلبتا قبل الحرب بغنى اهلها ، فأُقيمت « بينك كسروان » ، ودُعيت ايضاً « ضيعة ربّنا » في ايام المثلّث الرحمات البطريرك يوحنا الحاج ، لان البطريرك المذكور كان منها . ومنها ايضاً مطران الابرشية ، سيادة الحبر المفضال يوحنا مراد رئيس اساقفة بعلبك ، وخرج منها حينئذٍ نحو ٤٠ كاهناً بين قانوني وعلماني كانوا متفرقين في الاديار والمدُن .

اكثر اهلها متثقف ، وفيها رجال عديدون يستحقون الذكر ، اما لعلومهم واما لمراكزهم الادبية او التجارية . ومن حسنات سكّانها انهم ذوو ضيافة يحبون الغريب كثيراً وينتحون له ابوابهم على مصاريعها ، ولا يغادرهم مصطاف الا آسفاً لما يجد فيهم من الانس وكرم الاخلاق .

فيها دورٌ قديمة وحديثة عامرة متقنة في الخارج والداخل تنافس بيوت المدن الكبيرة . ومساكنها غير مجموعة وملصقة ببعضها ، بل متفرّقة تحيط بكل منها بقعةٌ من الارض مكشوفة للشمس وللهواء ، مغروسة توتاً واشجار فاكهة تجعل صاحبها مستقلاً في بيته ، ملكاً في رزقه ، لا يخشى اذن الفضوليّ ولا عينه .

ولها مجلس بلدي نشيط راقٍ يهتم بما يقتضيه إنجاح البلدة من الاصلاحات والمشاريع العمرانية ، ويهمة رئيسه السيد الياس موسى روفائيل استقدم مهندس

درس القرية وطاف في كل احيائها ومكث فيها نحو ٢٠ يوماً ، فرسم بيوتها بيتاً بيتاً مع ذكر ارتفاع كل منها عن سطح البحر ، وخطّط فيها من الطرق ثلاث شُعب للسيارات تشقُّها شقًّا ويستفيد منها ، اذا ما تمت، سكّان انحائها المختلفة. وتوفق رئيس البلدية المذكور بعد بذله المساعي الكثيرة الشاقة الى ان يقترض من الحكومة مبلغاً من المال حبسه على اصلاح نبع القرية المركزي، «عين الضيعة» ، وبنائه وتحسينه بمقتضى رسم فني. فكانت نتيجة العمل انه صار من اجمل ينابيع لبنان ، جديرًا بان يُتخذ هدفاً لزيارة السيّاح والمصطافين.

الفصل الثاني

سكانها الاوّلون

سكان دلبتا في الحاضر موارنة . اما في القديم فكانوا غير مسيحيين . بعد ان تمّ الفتح العثماني في اوائل القرن السادس عشر ، خمدت نيران المشاحنات وتوفرت الراحة في لبنان نوعاً ، فاندفق اليه الناس من كل جهة. وروى الدويهي ان السلطان سليم الاول ولّى على كسروان الامير عساف من امراء التركمان ، وامره ان يُحسن سياسة القوم ، ويجدّ في تعمير البلاد . ولكي يسهل عليه تنفيذ مُهمته ، رتّب على كسْروان مالًا يسيرًا فتقاطر الناس اليه من كل صوب : أتى المتاولة من بلاد بعلبك ، فسكنوا فاريّا ، وحراجل ، وبقعاتا . وقدم السنيون من البقاع واستوطنوا فتقا ، وساحل علما ، والجديدة ، والقليعات وفيترون . وجاء الدروز من المتن والجرد الى برمانا ، ومزارع كسروان . وكذلك فعل النصارى النازحون من بلاد طرابلس . فان اهل المجدل توجّهوا الى عرامون ، واهالي يانوح الى كفور الفتوح ، ومن يانوح انتقل الشيخ حبيش بعياله الى غزير[1]

قال الخوري منصور : «اما قرية دلبتا فلم أجد من يذكر زمن تجديدها صريحاً بعد خراب كسروان غير ان الصكوك القديمة التي جمعتها من قريتنا هذه

---

١) الدويهي : تاريخ الطائفة المارونية ، سنة ١٥١٥ ، صفحة ١٥٢ و١٥٣

انبأت ان سكانها الاولين كانوا من الطائفة المحمدية كون غالب هذه الصكوك هي مبيعات من ابناء هذه الطائفة الى النصارى ... وكنت اظنّ ان اسماء الموقعين في الصكوك هي اسماء اشخاص شيعيين سنداً على ما قيل. الّا ان المؤرخ الدقيق البطريرك بولس مسعد اكد لي لساناً ان سكان دلبتا كانوا من الاسلام السنية . وان في الجيل السادس عشر بعد ان تملّك السلطان سليم الديار الشامية واعتنى في نجاحها اضحى سكان كسروان في سواحله الطوائف التركمانية ، ووسوطه الاسلام السنيين ، وجروده الشيعة ، وعليه تكون الاسامي التي عثرتُ عليها في الصكوك هي سنّية لا شيعية »[1]

فيا ليت صاحب النبذة والسجلّ أصرّ على رأيه الاول ، لان عندي ان سكّان دلبتا الاولين شيعيون لا سنيون وذلك لاسباب :

اولاً لا يطابقُ الحقيقة كلها قولُ الطيب الذكر البطريرك بولس مسعد ان السنيين سكنوا في وسوط كسروان ، والشيعيين في جروده ، ونحن نعلم ان السنيين سكنوا قريتي القليعات وفيترون ، وهما من الجرود.

ثانياً ان سكان دلبتا يردّدون الى يومنا بالتناقل انهم خلفوا فيها الشيعيين، والتقليد له شأنه في مثل هذه الامور.

ثالثاً ان معظم الاسماء الموجودة في صكوك المبيع القديمة في دلبتا هي اكثر انتشاراً بين الشيعيين منها بين السنيين ، كاسمعيل ، وعليّ ، وابو علي حسن ، وابو علي ناصرالدين ، وابن عليّ صغير[2] الخ ...

رابعاً في بلدة شمطار عائلة شيعية تدعى « عائلة الشحيتلي » اي من شحتول ، وشحتول هذه قرية لا يسكنها اليوم الّا موارنة ، وهي من الوسوط لا من الجرود ، لا تبعد كثيراً عن دلبتا . فهذا مما ينفي صحة قول البطريرك بولس مسعد . وروى لي احد مواطنيّ ، والمهدة على الراوي ، ان في شمطار عائلة شيعية تنقسم الى فرعين فرع يدعى « دلباني » والفرع الآخر « دلبتاني »

١) السجل صفحة ١ : والنبذة صفحة ٤

٢) اسرة علي صغير لا تزال موجودة في قضاء جزين وهي شيعية . راجع دراني القطوف في تاريخ بني المطوف ، صفحة ٢٥٠

وتعرّف هناك الى رجل شيعيّ مسنّ ، يسمّى ابا عبّاس الدلبتاني ، اخبره انه علم من والده ان جدّه باع ارضاً له في دلبتا . وعرف ايضاً في جهات بعلبك احمد سعيد الدلبتاوي وهو شيعيّ .

فحسبنا مما تقدّم ان نرجح ان سكّان دلبتا الاولين كانوا شيعيين لا سنّيين . اما الزمن الذي قدموا فيه القرية فيظنّ الخوري منصور انه كان بعد تملّك السلطان سليم بثلاثين سنة تقريباً . ومن الصكوك القديمة يظهر ان مدة استيطانهم لها لم تطل اكثر من ٣٥ سنة ، حتى اخذ الموارنة يجاورونهم ويبتاعون املاكهم . واما هم فنزحوا رويداً رويداً الى الجرود ، والى جهات بعلبك . ومن الوثائق التي تُثبت قولنا صكّ محرّر في العشر الاخير من الجيل السادس عشر ، وصكّ مؤرخ في سنة ١٦١٥ . قال الخوري منصور : ومن الصكوك ايضاً « استدللت انه تمّ رحيلهم من هذه القرية في اواخر الجيل السابع عشر ، لان آخر صك من بيعاتهم الاملاك عثرتُ عليه مؤرّخاً سنة ١٧٠٠ . . . فمن بعد هذا الصكّ قد انقطعت دلايل وجود طائفة الاسلام في قريتنا هذه وفي كلّ الصكوك التي وجدتُها بعد هذا التاريخ لم اجد فيها تواقيع لابناء هذه الطائفة قطعاً فنتج لي انه نحو هذا الوقت تمّ رحيل الاسلام منها والله اعلم »[1]

واقام الشيعيون في دلبتا بالجهة المسماة الى يومنا « الضيعة » ، وهي تمتدّ من « عين الضيعة » الى الجهة الغربية منها . امّا بقية الانحاء مثل « الجورة ، والوادي ، والخرائب » فكانت احراجاً لا يزال آثار منها الى الان . ولمّا اتاها الموارنة قطنوا في الامكنة البائرة المحرّجة ، فبنوا البيوت ، ونقبوا الارض وحرثوها وزرعوها توتاً وكروماً حتى صارت عامرة ، وخصّصهم الشيعيون ، كي لا يستقوا من نبع القرية المركزي « عين الضيعة » ، ينبع هو اليوم في وسط القرية يدعى « عين المحقن » وكان يسمى قديماً « عين النصارى » . ولا يزال اثر صليب منقوش على احد حجارة الحنية . غير ان هذه الحال لم تدم طويلاً ، فما عتم النصارى ان كثر عديدهم واخذوا يشترون املاك الشيعيين وبيوتهم ، فنزح هؤلاء ، وحلّ اولئك محلّهم .

(للبحث صلة)

١) الخوري منصور : السجل صفحة ١

حي بن يقظان

وفلسفة ابن طفيل

بقلم الاب توتل اليسوعي

٢

الفلكي

نظم ابن طفيل القريض ، وكتب في علم الفلك . ولكن لم يصلنا من شعره الا النذر القليل ، روينا شيئاً [1] منه عن المراكشي ؛ ولم يُعرف في عالم الادب كشاعر ؛ انما كانت مطالعة الاشعار وحفظها ونظمها في برنامج التعليم ، فلم يهملها . اما علم الفلك ، فله فيه مقالة ، على قول ابن رشد . وقال ابو اسحق البتروجي الفلكي في مقدمة كتابه في الفلك ، وهو الذي اراد ان يستبدل به نظريات بطليموس : « تعلم يا اخي ان استاذنا القاضي ابا بكر بن طفيل قال انه وفق لنظام فلكي لتلك الحركات ، كان يتبعه ، غير النظام الذي اتبعه بطليموس ، وانه في غنى عن الدوائر الداخلة والخارجة ، وان نظامه يخفف حركات الاجرام بدون وقوع في الخطأ . ووعدنا بالتأليف في هذا الباب ، فلا عجب ، فان علمه غني عن الاطناب »

وان النظام الذي اتبعه بطليموس في تفسير حركات الاجرام السماوية يقول بان الكرة الارضية لا تدور ولا تتحرك بل هي ساكنة في مركز الفلك ، والكواكب والنجوم تدور حولها . ونقد كوبرنيك وغليليو ذلك المذهب بتعليمها ان الارض تدور حول الشمس ، واتخذ العلماء الفلكيون من ثم كلامها حجة

---

١) راجع الجزء الماضي من المشرق ص ٤٦

ومبدأ في تدوينهم قواعد علم الهيئة .

واراد البعض ان يفاخروا بابن طفيل سابقاً لكوبرنيك وغليليو بتفيده نظام بطليموس المذكور . فعارضهم لاون غوتيه قائلاً ان ابن طفيل لم يفكر قط بنظام كوبرنيك وغليليو ، وأن علمه لم يرقَ على علم الفلكيين في زمانه . واما هؤلاء اجمعون ، فلم يروا غير الرأي القديم في حركة الفلك ، فلاموا بطليموس على مخالفته بعض المخالفة ذلك التعليم ، الذي خلاصته : « الافلاك هي اجسام كريات مشفات مجوفات ، وهي تسعة افلاك مركبة بعضها في جوف بعض ، كحلقة البصل ، فادناها الينا فلك القمر ، وهو محيط بالهواء من جميع الجهات كاحاطة قشرة البيضة ببياضها ، والارض في جوف الهواء كالمح في بياضها ، ومن وراء فلك القمر فلك عطارد ، فالزهرة ، فالشمس ، فالمريخ ، فالمشتري ، فزحل . ومن وراء فلك زحل فلك الكواكب الثابتة ، ومن وراء فلك الكواكب الثابتة الفلك المحيط . والفلك المحيط بجميع ما يحوي من الافلاك والكواكب يدور حول الارض »[1]

ولكن غوتيه لم ينصف في حكمه على الاقدمين بجهلهم ، اجمعين ، حركة الارض حول الشمس . وفي كتاب مواقف عضد الدين ، الجلد الثاني ص٤٤٥ ، شهادة واضحة بينة على ان بعض العلماء الاقدمين قالوا بحركة الارض : « وقيل انها تدور على نفسها من المغرب الى المشرق ... » اما رأي ابن طفيل في ذلك فقد يتاح الوقوف عليه بما كتبه عن حيّ بن يقظان (ص ٦٣) : « وما زال حي يتصفح حركة القمر الآخذة من المغرب الى المشرق وحركات الكواكب السيارة كذلك حتى تبين له قدر كبير من علم الهيئة ، وظهر ان حركاتها لا تكون الا بافلاك كثيرة كلها مطمئنة في فلك واحد ، اعلاها ، وهو الذي يحرك الكل من المشرق الى المغرب في اليوم والليلة . » ولا داعي كاف يدعونا الى القول ان ابن طفيل غير رأيه في ذلك . والنتيجة من هذا الكلام ان ابن طفيل لم يرتأ غير رأي الاقدمين بحركة الفلك . على ان ما بلغنا من اقواله عن الشمس

---

١) راجع رسائل اخوان الصفاء المجلد الاول ، ص ٥٦ ؛ والمجلد الرابع ، ص ٢٨١ .

وشكلها ونورها وتأثيرها في نشأة الحياة ، وان يكن قد جاء على سبيل العرض والايجاز في قصة حي ، ففيه من وضوح العبارة ودقة الوصف ما يستطاب مذاقه ، تعويضاً عما لم يبلغ الينا من مؤلفاته المطولة [1].

« قد ثبت في علوم التعليم ، بالبراهين القطعية ، ان الشمس كرية الشكل ، وان الارض كذلك ؛ وان الشمس اعظم من الارض كثيراً ، وان الذي يستضيء من الارض بالشمس ، ابداً هو اعظم من نصفها ؛ وان هذا النصف المضيء من الارض ، في كل وقت ، اشد ما يكون الضوء ، في وسطه ؛ لانه ابعد المواضع من الظلمة ، وانه يقابل من الشمس اجزاء اكثر . وما قرب من المحيط كان اقل ضياء ، حتى ينتهي الى الظلمة ، عند محيط الدائرة التي هي ما اضاء من الارض . وانما يكون الموضع وسط دائرة الضياء ، اذا كانت الشمس على سمت [2] رؤوس الساكنين فيه ، وحينئذ يكون الحر في ذلك الموضع اشدّ ما يكون . فان كان الموضع مما تبعد الشمس عن مسامتة رؤوس اهله ، كان شديد البرودة جداً ، وان كان مما تدوم المسامتة ، كان شديد الحرارة . وقد تبرهن في علم الهيئة ان بقاع الارض التي على خط الاستواء ، لاتسامت الشمس رؤوس اهلها سوى مرتين في العام ، عند حلولها برأس الحمل وعند حلولها برأس الميزان ، وهي في سائر العام ستة اشهر جنوباً منهم وستة اشهر شمالاً منهم فليس عندهم حر مفرط ولا برد مفرط ، واحوالهم بسبب ذلك متشابهة وهذا القول يحتاج الى بيان اكثر من هذا لا يليق بما نحن بسبيله»

وذكر المؤرخون لابن طفيل كتباً في الطب لم يظهر منها ، الى يومنا ، شيء بالطبع ؛ عسى ان يوفق المنقبون في البحث عنها فيخرجوها من النسيان وينشروها .

الفلسفة

لم يثبت التاريخ لابن طفيل سوى كتاب واحد ، وهو قصة حي بن يقظان

١) ص ١٨-١٩ من طبعة غوتيه ، فوتانة ، الجزائر ١٩٠٠ ، ومنها سائر ما نقتطفه من قصة حي .

٢) سمت الرأس في علم الهيئة : نقطة من الفلك ينتهي اليها الخط الخارج من مركز الكرة الارضية على استقامة قامة الشخص .

في اسرار الحكمة المشرقية ، فعليها الاعتماد في درس فلسفته . ونحن نتكلم على مآخذ القصة ومغزاها ، وخلاصتها ، ومعانيها ، ونتخطى من ثم الى النظر في مباديها ونقدها .

المآخذ والمغزى

قد ورد ذكر حيّ ، وسلمان ، وابسال ، في المؤلفات الفلسفية واشهرها رسالة حي بن يقظان لابن سينا[1] . هذا ولنصر الدين الطوسي ، وللجامي الشاعر الفارسي مؤلفات في الموضوع ذاته ، وكلها ترمي الى غرض واحد وهو تبيان كيفية كشف العقل الانساني على احوال الكون والوجود وتفسيره . وقيل ان بعض تلك المؤلفات مأخوذة من مجموعة يونانية ، ومعربة بقلم المترجم الشهير حنين بن اسحق . وذكر ابن طفيل في مقدمة الكتاب المؤلفات التي اعتمد عليها ، ومنها اقوال ابن سينا في اسرار الحكمة المشرقية ، واقوال ابي بكر ابن الصائغ في صفة الاتصال والاتحاد بالله تعالى ، وفلسفة ارسطو وابي نصر الفارابي والغزالي . فالنتيجة هي ان ابن طفيل استقى من الينابيع الثلاثة التي تدفقت مياهها في حدائق الآداب العربية وعلومها فانعشتها وهي فلسفة السريان واليونان وفارس ، وسوف تظهر لنا في خلال القصة آثار التأثير الهندي .

وللاسماء حي واسال وسلامان مغزى ، ومعانٍ رمزية في عرفهم . « فحي » هو رمز العقل الصادر من الله ، المقتبس نوره المخلوق من نوره الغير المخلوق . وبذلك المعنى يدعى «ابن يقظان» او ابن الذي لا ينام سبحانه ، وهو الله . وان هذا العقل ظهر في معزل عن البشر ، ونشأ في محيط لم ينله فيه تعليم ولا تأثير ، فلا اب له ولا ام . ولم يتفتح للمعارف الا عفواً بقوته الشخصية وتأمله بالكون وتجاه ذلك العقل الفعال ، اقام ابن طفيل أسال وسلامان ، والاول يمثل العقل المهتدي بالاجتهاد الى معرفة الحق ، والثاني العقل المكتفي بحرف القرآن والحديث والفرائض والمعادي للفلسفة والتصوف . وغاية ابن طفيل من ابرازه هؤلاء الاشخاص هي ان يخفي تحت « حجابهم اللطيف اسراراً تنهتك سريعاً

---

١) راجع مخطوطات المكتبة الشرقية ، نمرة ٤١٠ ، ١ ، ١١

لمن هو من اهلها ، وتتكاثف لمن لا يستحق تجاوزها حتى لا يتعداها . » فان كثيرين من المفكرين في الاسلام يميلون الى الاعتقاد. ان الفلسفة تؤدي الى ابعد ما يؤدي اليه حرف القرآن من معرفة الله . وفي الحقيقة ان الشريعة لا تسنّ واجبات للحياة الباطنية ، بل هي قانون اجتماعي غاية مرماه التوحيد الظاهر بين المسلمين في المذاهب الاربعة،من غير ان يعنى بطقوس ورتب خارجية تُعرب عن الحياة الباطنية وتحكم في الضمائر . فالايمان بالله الاوحد ، كما يدعو اليه حرف القرآن ، يضع الله ، سبحانه وتعالى ، ابعد من ان يمتّ اليه مخلوق بقربى او صداقة.على ان النفوس البشرية ، وان حصرت ضمن حدود الفرائض الخارجية ، فهي توّاقة الى الخير الاسمى وعطشى الى الحياة الروحية والى الدين الباطني . فنظر اتقياء المسلمين حولهم ملتمسين السبيل الى الاتصال بالله عن الطرق الاقرب منالاً اليهم . وتلك الطرق كانت شعباً فمنها المسيحية ، ومنها اليونانية الأسكندرية ، ومنها البوذية . فلبس الاتقياء الصوف تأسياً بالرهبان المسيحيين اللابسين المسح ، وزهدوا واستطابوا التعلم بالكفران بالذات . وذهبوا مذاهب الاسكندريين القائلين بامكان اتصال المخلوق بالخالق بواسطة الرياضة والتمرين . وبلغت نتائج تعاليمهم حيث حطّ البوذيون المنود في آخر محطة كمالهم وفلسفتهم وقالوا : « سبحاني ! ما اعظم شأني ! » فاضمحلت شخصيتهم باللاهوت .

واحدثت تعاليمهم ضجة في الناس واثارت عليهم نقمة الحكام فصاروا هدفاً للاضطهاد . اما ابن طفيل ، فقد نال من حماية السلطان ، كما رأينا ، ومن عرض تعليمه الفلسفي تحت حجاب القصة والرموز ما وقاه شرّ معارضيه .

خلاصة القصة

المقدمة

عرض ابن طفيل في المقدمة موضوع الكتاب : وهو بثّ اسرار الحكمة المشرقية اخذاً عن هؤلاء الفلاسفة المذكورين وقد زاد عليهم بتحصيله الشخصي . ونبّه القارئ في مستهل الكلام الى ان الموضوع عويص ، والكلام عليه

اعوص ، وهو مع ذلك بهيج سار الى غاية لا مزيد عليها. وان اسرار الحكمة المشرقية ، في مراد ابن طفيل ، هي المعارف التي يبلغ بها الانسان الى الاتصال بالله تعالى . وهي « خليقة ان يقال لها احوال الهية يهبها الله لمن يشاء من عباده ». فمن الفلاسفة من ينتهي الى ذلك الاتصال بطريق العلم النظري والبحث الفكري ، ومنهم من يهتدي اليه بطريق الذوق ، لا على سبيل الادراك النظري المستخرج بالمقاييس ، وقال : (ص ٦—٧)

« ان اردت مثالاً يظهر لك به الفرق بين ادراك هذه الطائفة وادراك سواها ، فتخيل من ولد مكفوف البصر ، الا انه جيد الفطرة ، قوي الحدس ، ثابت الحفظ ، مسدد الخاطر . فنشأ منذ كان في بلدة من البلدان ، وما زال يتعرف اشخاص الناس بها ، وكثيراً من انواع الحيوان والجمادات وسكك المدينة: مسالكها وديارها واسواقها ، بما له من ضروب الادراكات الاخر حتى صار بحيث يمشي في تلك المدينة ، بغير دليل. ويعرف كل من يلقاه باول وهلة. وكان يعرف الالوان وحدها بشروح اسمائها وبعض حدود تدل عليها . ثم انه بعد ان حصل في هذه الرتبة فتح بصره وحدثت له الرؤية فمشى في تلك المدينة كلها وطاف بها فلم يجد امراً على خلاف ما كان يعتقده ولا انكر من امرها شيئاً ، وصادق الالوان على نحو ، صدق عنده الرسوم التي كانت رسمت له بها ، غير انه في ذلك كله حدث له امران عظيمان ، احدهما تابع للآخر ، وهما زيادة الوضوح والابتهاج واللذة العظيمة » .

وقال ابن طفيل : ان طريقة المشاهدة بالذوق اسمى من طريقة النظر . ولا يمكن وصف ما يراه « اصحاب المشاهدة والذوق والحضور في طور الولاية » لان من حاول ذلك وتكلفه بالقول او الكتب استحالت عينه وصار من قبيل القسم الآخر ، صاحب المعرفة بالبرهان والقياس . فمن ظفر بشيء من تلك المعرفة السامية لم يكلم بها الناس الا رمزاً و« الملة الحنيفية والشريعة الحقيقية » الاسلامية منعت من الخوض فيه . وليس ما حاول كتابته الفلاسفة المذكورون موافقاً للحقيقة على الاطلاق. لكن ابن طفيل اتى على هذا الموضوع متتبعاً كلامهم ، موفقاً بينهم ، مفسراً اقوالهم بآراء زمانه. فبلغ الى تلك المعرفة الربانية

السامية اولاً بطريق النظر ، وثانياً بالذوق والمشاهدة.

الاحقاب السبعة

قسم ابن طفيل حياة حيّ بن يقظان الى احقاب ، كل حُقب يستغرق سبع سنين .

اصل الانسان

فالحقب الاول يشمل نشأة الصبي في جزيرة من جزائر الهند ، الواقعة تحت خطّ الاستواء . قيل انه ولد من غير اب ولا ام وبقوة اختمار الفخار تحت اشعة الشمس الحارة المعتدلة . وقيل انه ولد كسائر البشر من اب وام ، وحُمل على موج البحر الى داخل كهف حيث ارضعته ظبية وربّته فنشأ وترعرع واخذ يفكر ويميز بين ذاته والاشياء التي حوله : (ص ٢٨)

« فلما ثبت في نفسه امثلة الاشياء بعد خفيها عن مشاهدته ، حدث له نزوع الى بعضها وكراهية الى بعض ، وكان في ذلك كله ينظر الى جميع الحيوان فيراها كاسية بالاوبار والاشعار والريش ، وكان يرى ما لها من سرعة العدو وقوة البطش ... ثم يرجع الى نفسه فيرى ما به من العري وعدم السلاح وضعف العدو وقلة البطش ... فكان يفكر في ذلك ولا يدري سببه ، وقارب سبعة اعوام واخذ يكتسي باوراق الشجر . »

حياة الانسان الطبيعية بمعزل من المجتمع

ودخل الحقب الثاني من عمره ، وانتهى منه الى الحقب الثالث ، فابدل ثوب الورق بريش النسر وجلده بأردية صنعها . وماتت الظبية فأسف عليها . ونظر الى جميع اعضائها فلم يرَ بشيء منها آفة . وتدرج من النظر فيها الى النظر في احوال اعضائه وحواسه ففهم وظائفها . ووقع في خاطره ان الآفة التي نزلت بالظبية هي في عضو غائب عن العيان . وهو مركز الحياة . فشقّ صدر الظبية على امل ان يكشف عليه ويداويه ، فاخفق مسعاه وفهم حقيقة الموت . على ان عمله هذا هداه الى معرفة جسم الحيوان وعناصره.

ودفن الظبية واخذ يكشف على انواع الحيوان والنبات ، ويدرس طبائعها. وانقدحت نار في اجمة ، فهاله منظرها ، ثم فهم منافعها . وخلا بها في حجر استحسنه للسكنى ، وما زال يمدها بالحشيش والحطب فعظم قدرها وظنها من الجواهر السماوية . وتعلم الصيد والطبخ ومهد له اقتناصه الحيوانات السبيل الى التعمق في معرفة اصلها وطبائعها : من وحش ، وطير ، وسمك . وصنع آلات الصيد ، وتعلم الصناعة وميز بين روح الحيوان وجسده ، وهو على رأس ثلاثة اسابيع من نشأته وذلك احد وعشرون عاماً .

العقل المتفلسف ، اكتشاف المادة والصورة في الاشياء.

ودخل في الحقب الرابع (ص ٤٤) فتصفح جميع الاجسام التي في عالم الكون والفساد من الحيوانات على اختلاف انواعها الى النبات ، والمعادن ، واصناف الحجارة والتراب ، والماء ، والبخار ، والجمد ، والثلج ، والبرد ، والدخان ، واللهيب ، والجمر . فرأى لها اوصافاً كثيرة: افعالاً مختلفة وحركات متفقة ، وهي في حكم الوحدة والتغاير معاً . وكان ينظر الى انواع الحيوان كلها في نفسها ويتأملها فيراها تتفق في انها تحس وتغتذي وتتحرك « بالارادة » الى اي جهة شاءت. ونظر الى وجوه الكثرة في الاشياء والى مبدأ الوحدة فيها فميز بين المادة والصورة (ص ٥٢)

فلما وقف بهذا النظر على ان حقيقة ذلك الشيء الذي كان تشوق ابداً الى معرفته ، هي كونه مركباً من معنى الجسمية ، ومعنى آخر زائد على الجسمية ، وأن معنى الجسمية مشترك له ولسائر الاجسام ، والمعنى الآخر المقترن به ينفرد به وحده ، هان عنده معنى الجسمية فاطرحه وتعلق بالهه بالمعنى الثاني وهو المعبر عنه بالنفس (للبحث صلة)

خواطر ونصائح

الى اللبنانيين من لبناني وطني

بقلم الاب لامنس اليسوعي

النادي الشبيبة الكاثوليكية في بيروت عادة حميدة يتبعها منذ نشأته ؛ فيعدّ ، كل سنة ، سلسلة من المحاضرات النفيسة يلقيها رجال شُهد لهم بالمقدرة والاختبار . وقد تختلف مواضيع هذه المحاضرات ، ولكنها تدور كلها حول البلاد وما فيها من مقدّرات ، وما يلزمها من تحسينات . ومن افضل المحاضرات التي أُلقيت ، السنة الفائتة ، محاضرة فرنسوية للسيد ميشال شيحا القاها في ١٠ كانون الثاني ١٩٣٠ ودعاها « مشكلاتنا واحكامنا المتسرّعة فيها ». ولم اتمكن ، لسوء الحظ ، من سماعها لعارض مؤسف اقعدني مدة طويلة . على ان النادي احسن صنعاً بنشرها على حدة ، فقرأتها بوافر المسرّة ، ووددت ان يشاطرني جميع قرائنا الكرام الفائدة الجزيلة التي نالتني منها .

واول ما يبدو لنا جمال الاسلوب ، وإناقة الانشاء . فان المحاضر يستعمل اللغة الفرنسوية بقدرة فائقة ، ويستغلّ بمهارة وحذق جميع طرق الفصاحة . ومع انه ليس اصعب من اعطاء النصائح الا اقناع السامعين بوجوب قبولها ، فان السيد شيحا يعرضها بلطف وظرف ، حتى ان الحاضرين ينصاعون الى كلامه بكل ارتياح ، وقد عرفوا فيه الرجل المخلص والوطني الغيور الذي طالما فكّر في اهمية وطنه السياسية والاقتصادية ، وفي قيمة عوامل هذه الاهمية ؛ فيشعرون انهم امام الخطيب الذي وصفه شيشرون قائلاً « انه رجل شريف يعرف ما يقوله لنا ، ويعرف مواقع التعبير عنه . »

والخطيب ينصح لنا (ص ٥) «بان نقتني كرة تمثل الارض ، وان ننظر اليها بدقة ومواظبة ، وان نجعل منها موضوع تأملاتنا.» وما الفائدة من هذه التأملات ؟ فائدتها ان نضع حداً لتأسفاتنا على فقر لبنان المزعوم . فنطّلع ، بواسطة هذه التأملات الجغرافية ، على ان لبنان واقع في نقطة من اهمّ النقاط الحيويّة في العالم الاقتصادي ، وعلى طريق من اهم طرق العالم القديم. «فان كل آسية الجنوبية ، اي نحو سبع مائة مليون من البشر ، اذا ما شاؤوا ان يصلوا الى البحر المتوسط ، وهو قلب العالم القديم ، فلا يمكنهم الا ان يمرّوا في بلادنا. قد يمرّون بانحراف قليل الى الشمال او الى الجنوب ، وليس في ذلك كبير امر ، لان آسية بجملها ، آسية اللجبة ، التي تمتدّ من خليج العجم الى بحر اليابان ، عند ما يزداد استعمالها للقطارات الحديدية وللسيارات وللطيارات ، وكذلك اوربة عند ما تشاء الوصول اليها بطريق برّية او هوائية ، لا تريان مندوحة عن السير على طريقنا (وهذا ما يشرح لنا نوعاً ما فائدة مطار طرابلس). ولم يكن قطار سيبرية لينتصر علينا في هذا المجال» . وهذه هي النظرية التي عرضناها سابقاً في المشرق (٢٦ [١٩٢٨] ٥٧٧) بعنوان «سورية طريق الهند» . وان التاريخ ، كما يقول المحاضر ، نتيجة الجغرافية في اكثر مظاهره . وهو يستنتج من هذه الملاحظة عبرةً مبتكرة ومفيدة فيقول : «لا يمكن لشعب من الشعوب ان يعيش كأمة متميّزة فينمو ويستقرّ على طريق من هذه الطرق المهمة التي تستعملها عشرون أمة ، وبالطبع يشتهيها جميعهنّ ، الّا اذا كان قويّاً بنفسه ، او اذا انضمّ الى شعب قويّ ، او اتحد معه . وهذا ما يشرح لنا ان هذه البلاد لم تعرف ، او لم تكد تعرف ، الّا آناً بعد آن وبصورة متقطعة ، الاستقلال التامّ . » ويا له من نور ساطع تنشره هذه الملاحظة على المستقبل السياسي في لبنان وسورية ! ولكي نفهم ذلك كل الفهم ، علينا ان نضيف الملاحظة التالية للمحاضر ، قال (ص ١٠) :

«اما من حيث السياسة فان فرنسة لتهتمّ بنا اهتماماً يدفعها الى عدم التخلي عنا ، اللهمّ الا اذا تحوّلت عما هي عليه ، وانها لتعلم الآن حقّ العلم ايّ منافسة تتهيأ لها ، وكم من الدول ترغب فينا ! اما من جهتنا فان لنا ، بصرف النظر عن

الاسباب العاطفية القويّة ، مصالح تعادل مصالحها على الاقلّ ، في التعلّق بها .»
ونحن نرى ان هذه هي النتيجة التي يصل اليها جميع اللبنانيين المفكرين الذين لا يغترّون بطنين الالفاظ ، ولا يسكرون بنشوة فصاحتهم وبيانهم !

* * *

وليس السيد شيحا من هؤلاء . فانه بعد ان يبيّن المنافع الجليلة التي ينالها لبنان من وجوده على طريق عالمية ، يكشف عن المضرّات ايضاً فيقول : «ان الطريق اشبه بالساحة العمومية . . . » ولهذا يتهمنا البعض بكوننا سطحيين . . . ثم يتابع بكل جرأة (ص ١١) : «اننا في بلاد تنصرف فوق اللزوم الى الوجهة المادية . لانه يصعب علينا ، الا في ما ندر ، ان نتصوّر تاجراً ، او وسيطاً ، او صاحب نزل ، او ما الى ذلك من اصحاب المهن التي تتطلب الطريق وجودها وتريد المواصلات في انتشارها ، يصعب علينا ان نرى اصحاب هذه المهن يعملون لمجرّد الخير ، على طريقة السامريّ الصالح . . . ليس لي ان احطّ من شأن هذه المهن النافعة ، الضرورية ، الشريفة دون شك اذا استعملت بشرف . الا انني اشير الى انها خطرة من طبيعتها ؛ والى انه ، حيث يزداد انتشارها ، على الحكومة واجب اجتماعي قد لا يجب عليها في غير ذلك من الظروف . لان المسألة تتحوّل الى مسألة تهذيبية واخلاقية ، الى مسألة اجتماعية من اجدر المسائل بالاهتمام . »

فان المكسب القريب يبهرنا فيستهوينا ، « فننصرف الى القيام بخدمة مأجورة ، عن غرس شجرة قد تظلّل ابناءنا . وعلى هذه الطريقة ، نسير في جميع مآتينا ، فنهمل ، في ابحاثنا ومناظراتنا ، الفلسفة التي هي العمق ، لنتعلّق بالبيان والادب وما هما الّا التسطّح . »

وان السيد شيحا الذي اظهر كل رغبة في الطرق ، يرى من اللازم ان نتحفّظ في احكامنا بذا الشأن ، فيصرخ (ص ١٢) : « الطرق ! وددت لو كانت اقلّ مما هي في بلادنا ! ووددت لو ظلّت عشرات القرى والمزارع منفردة مختلية تستعيض عن موسيقى ابواق السيارات ، بحفيف اشجارها وخرير مياهها ! »

لان اللبنانيين ، بواسطة كثرة الطرق ، يهجرون قراهم ومزارعهم . وهما ان كثيراً من البلدات الكثيرة السكان ، في ما مضى ، اصبحت ، وقد خلت نصف منازلها ، بسبب الحرب والمهاجرة الاميركية ، وبسبب هبوط سكانها الى مدن الشاطئ . فهل يمكننا ان نرى تقدماً في ازدحام الناس في المدن ؟ هو ما يشك فيه المحاضر ، وحق له الشك ، فيقول : « ان ذاك الانتقال لمنا يضعف عنصرنا . فان الجبل اعطى آباءنا نسلاً قوياً صالحاً ... عند ما تُصبح حقولنا المهجورة ولا نبات بها الا الشوك والعوسج ، عندما يُصبح جبلنا الشامخ معروضاً في سوق التجارة وقد عقم واجدب ، عندما يتلاشى حب ارض الضيعة وكنيسة الضيعة امام التعطش الى الذهب ، عند ما نصبح ، في جميع مظاهرنا ، شعباً تاجراً ، عند ذاك نشعر كل الشعور بقوة الكارثة . ولكني اخاف ان يكون شعورنا بعد فوات الحين . »

« ان هذه البلاد ، التي لو فقهت ، لرأت مائة سبب تحملها على القناعة والاكتفاء ، والتي لو عقلت ، لوضعت حداً لاطماعها ولتأوهاتها ، ان هذه البلاد قد اختلت موازنتها فاصبحت عرضة لمزيد الشرور . »

ثم يذكر الخطيب ، بكل اختصار ، لضيق الوقت ، عدداً من الآراء السائرة والاحكام المتداولة دون ان يكون لها مستند قوي او سبب كافٍ ، من ذلك مسألة اللغة : « كأن هذه البلاد ، التي تكلمت ولا تزال تتكلم جميع اللغات تقريباً الحية ، والميتة المحفوظة بفضل العقائد والطقوس ، يمكنها الاقتناع بلغة واحدة مهما كانت جميلة ... وهناك حكم آخر فاسد ايضاً وهو ذاك الذي يدعو « أدباء وسادة » لا من يفكرون ، بل من يكتبون ويتكلمون ، والذي يُغدق القاب النبوغ والعبقرية على اول قادم ، بشرط ان يتكلم نظماً . وحكم فاسد ايضاً ذاك الذي يجعل لبنان — على وغم ما فيه من اسباب المعاش المختلفة ، منظورة وغير منظورة — بحالة الخطر الداهم مذ قل فيه بيع الانسجة القطنية . »

* * *

بعد هذا الفحص الدقيق المخلص ، ايّ دواء يرسم المحاضر ؟ فلنصغ اليه (ص ١٣) : « لكي يحافظ لبنان على ميزته الخاصة ، وكيلا يكون سوقاً مشتركة بين الشعوب لا ميزة لها ولا روح ، وكيلا تُصبح الطريق ممراً للكثير من العادات والآراء الدخيلة ، وحتى لا يحدث بنا ما حدث باهل برج بابل ، علينا ان نتحرّر من الروح الفاسد الذي يبثه بعض النفعيين تحت ستار المساواة ، ومن الروح التجاري الفاسد ايضاً ؛ فنهمل الجهة المادّية في الامور دون ان نجهلها طبعاً ، لان اهتماماتنا المادية لا تقف عند الاقتصاديات والمعاشات وما يلحقها من زيادة ونقصان ، ولا عند الابنية وما يجب لها من اعمال سريعة او بطيئة . علينا ان نتحرّر من كل ما سبق فنكلّم اهل بلادنا ، في اقلّ ما يمكن من الظروف ، عن المال وما يجرّه . بل علينا ان نخاطبهم ، وبطريقة مستعجلة دقيقة ، في شأن تهذيبهم العقلي والخلقي . علينا ان نهتم بالعائلة ، والمدرسة ، وبطبقات الشعب واحدة واحدة ، فندرس روحها ونطّلع على احتياجاتها الحقيقية . علينا ان نحترم العادات والتقاليد ، ريثما نصل بالتدريج الى نظام سياسي واجتماعي واخلاقي اقوى من نظامنا الحالي واثبت . »

وفي عمل الانهاض والتحسين هذا ، يستند السيد شيحا الى المدرسة والتعليم ، ولكن لا الى ايّ تعليم كان ، وهو يشرح فكرته على الصورة التالية : « علينا ان نعزّز التعليم ونُقلّ من تفرّقه ، فنكون ادقّ واصرم واشحّ في توزيع الشهادات . علينا ان نخشى المدرسة الابتدائية اذا لم يكن التهذيب غايتها الجوهرية ، وعلينا خصوصاً ان نخشى ، كما نخشى الطاعون ، اولئك الابتدائيين الذين لا سعة في عقلهم ولا بعد في نظرهم ، وان نخشى ايضاً التثقيف التجاري المحض او النفعي المحض . وعلى عكس ما تقدم ، يلزمنا لزوماً حيوياً ، ان نهتم بدرس الافكار العامّة والتضلّع منها ، وان نهتمّ ، فوق اهتمامنا بالتعليم الفني ، بان نفهم ونقرّ ضرورة التعليم المدرسي الصحيح الذي يستند الى طريقة من التهذيب عميقة ثابتة ، فيسير القلب والعقل الى نضوجهما التامّ . »

وان من الطرافة بمكان ان نرى هذا الصيرفي ، هذا الرجل العملي ، ينادي بتفوّق الثقافة المدرسية على التعليم الفني . ويُنذر بانه يوم تتفوّق المصالح

الاقتصادية ، في هذه البلاد ، على المصالح الروحية والخُلقية ، يومذاك ، نُصبح مجموعة من رجال قد يكونون اذكياء ، حذّاقاً ، اصحاب اقدام ، اغنياء ، ولكن مستعبدين ؛ نصبح خليطاً من ذوي الانانية ، والاحتيال ، والحقد ، والتخاذل. يومذاك نفقد لبناننا ، اي مدنيّة ذات الف سنة ، وسيطةً ضرورية بين الشرق والغرب ، حافظةً تراث اثينة ورومة على رغم انفصام دام عشرة قرون ؛ نفقد تلك الصلة بين القُطرين اللذين يقتربان احدهما من الآخر يوماً فيوماً بفضل العلم وحذق رجاله ؛ نفقد تقاليدنا الثابتة المتقاربة على اختلاف انواعها ، فنُصبح وقد اضعنا معنى الأمة.» (ص ١٤)

وفي سبيل ابعاد هذا الخطر ، وتحويل هذه المصائب ، يتكل الخطيب على عمل النخب وتأثيرها في الشعب. واولاً يلزمنا نخبة من ارباب التفكير « نخبة تفتش عن الجمال والصلاح، للجمال والصلاح ليس غير ؛ وكما انه يلزمنا سراة من ارباب الارض يستحقون هذا اللقب الشريف فيعيدون الى سكة الفلاحة والى الحقل مرتبتها المهضومة ، ويعيدون الى الفلاح شرفه المغتصب فيقرّونه حولهم في الارض ، يلزمنا سراة من ارباب الفكر الواسع ، والذكاء الحادّ ، والقلب الكبير . »

* * *

هذا وان ما نبسطه بالاختصار لا يبدي الا مظهراً ضئيلاً من تلك الاعتبارات القيمة التي توسع فيها السيد شيحا. فنحث قراءنا على الاهتمام بالمحاضرة نفسها والتأمل بأفكارها ، وهم اذا فعلوا ، لا يضيعون وقتهم سدى !

الاحوال الشخصية

درس تاريخي قانوني

بقلم المتوري بطرس غالب

٤

مشروع نظام الاحوال الشخصية

الذي كانت البطريركيات المسيحية قدمته للجنرال ڤيغان بناء على طلبه تمهيداً لوضع قانون الاحوال الشخصية . وقد ترجمتُ عن الافرنسية المذكرة التي رفعتها البطريركية المارونية

تمهيد

ان جميع مسائل الاحوال الشخصية ، سواء أكانت روحية محضة كالزواج والخطبة او مدنية مرتبطة بالاولى كالنفقة والبائنة ، كانت من اختصاص السلطات الروحية في جميع التطورات السياسية التي طرأت على هذه البلاد ، وفي عهد الحكومات المختلفة التي تتالت عليها .

فانه ، منذ سنة ١٥١٦ ، وهي السنة التي فتح فيها بنو عثمان هذه الاقطار ، كانت جميع طوائف لبنان من مسيحية ودرزية وشيعية وسنية الخ تتمتع بنظام احوال شخصية ينطبق على مذهبها ، وعاداتها . فاصبحت هذه الحالة التي توارثتها هذه الطوائف منذ اجيال بتقليد غير منقطع حالةً طبيعية لكل طوائف لبنان حتى انه صار من المستحيل ان يتصور غيرها

ان الحكومة العثمانية التي طبقت سياستها على مبدأ الحرية الدينية ، كانت قد اعترفت للسلطات الروحية ولمجالسها بحق النظر والحكم في دعاوي الاحوال الشخصية ، مانعة المحاكم المدنية والشرعية من التعرض لها ؛ بل امرت هذه

المحاكم ودوائر الاجراء ان تعتبر هذه الاحكام صحيحة وتنفذها متى كانت صادرة ضمن صلاحية تلك المحاكم الروحية لفصل دعاوي قائمة بين الخاضعين لها.

وهذا جميعه يتحصل صريحاً من الفرمان الصادر بتاريخ ١٨ اذار سنة ١٨٥٦، وقد اثبتته المادة التاسعة من معاهدة باريس المعقودة في ٣٠ اذار سنة ١٨٥٦، والتحريرات العمومية الصادرة بشأن مواريث المسيحيين سنة ١٨٦١.

وقد ارادت الحكومة العثمانية ان تتمتع الطوائف الغير المسلمة بالتفويضات التي كانت قد منحتها بطريركيتي الروم الارثوذكس والارمن، فاقرت ذلك في تحريرات مؤرخة في ٣ شباط سنة ١٨٩١ واول نيسان سنة ١٨٩١، وقد اثبتت ذلك باوامر ارسلت فيما بعد بصورة تعليمات لسائر الولايات العثمانية، وفيها يعين اختصاص المحاكم الروحية والقضايا التي لها ان تنظر فيها وهذه القضايا قسمت ثلاثة اقسام:

القسم الاول يختص بحقوق العائلة، ويشمل الخطبة والزواج والمسائل التي ترجع اليها كفسخ عقد الخطبة او الزواج، والتفريق بين الزوجين، وبحث القرابة، والتبني، والحضانة، والنفقة فيما يختص باحد الزوجين او القاصرين، وشهادة الوفاة، وحصر الارث وجرد التركة.

القسم الثاني يشمل مسائل الاهلية المدنية كالرشد، والحجر، والوصاية، والدعاوي المتفرعة عن الوصية.

القسم الثالث يشمل الاكليريكيين، والمسائل الروحية، والاوقاف الدينية والخيرية الموقوفة على كنيسة او مدرسة او جمعية مصدق عليها من قبل السلطة الروحية. وكذلك يختص بالسلطة الروحية تعيين وكلاء الأوقاف السابق ذكرها واوقاف الذرية التي لم يسبق الواقف ويعين في صك وقفه طريقة تعيين وليها او وكيلها. ويختص بالسلطة الروحية النظر في الدعاوي الجنائية القائمة بين الاكليريكيين.

فانا نطلب ان يثبت لكل المحاكم المذهبية المعروفة ما قد سبقت العادات والشرائع فاعترفت به للسلطات الروحية في شأن الاحوال الشخصية التي تقدم سردها، وان تأمر الحكومة المحاكم المدنية والشرعية السلطات الادارية ذات

الاختصاص ان تعتبر اعمال واحكام محاكم طائفتنا الروحية ، اي الديوان الاسقفي والديوان البطريركي ، صحيحة وان تهتم بتنفيذها فيما يختص بالموارنة .

اننا نطلب ايضاً من الحكومة الفرنسية ان تتنازل وتعترف لنا بالامتيازات والاعفاءات الممنوحة لرجال الاكليرس والتي لا نزال نتمتع بها ، وهي هذه :

١ — ان الاكليريكيين الذين يُطلب حضورهم الى المحاكم المدنية ، او لدى المستنطق ، يبلغ ذلك اليهم بواسطة السلطة الروحية . ويجب على هؤلاء الاكليريكيين ان يحلفوا اليمين امامها بموجب ما يفرضه القانون الروحي . واذا حُكم بوجوب توقيف اكليريكي في دعوى جزائية ، فليحبس في غرفة مخصوصة الى ما بعد الحكم عليه . فان كان الحكم في جنحة او مخالفة ، يكون حبسه في البطريركية او في المطرانية . اما اذا كان الحكم جنائياً فيحبس في محل مخصوص في السجن العمومي . وقد حفظت هذه القواعد حتى بعد اعلان الاحكام العرفية وتطبيق القانون الحربي .

٢ - فيما عدا الجرم المشهود ، لا يمكن نفي او ابعاد الرؤساء الروحيين الا بعد ان يجري تحقيق من قبل البطريرك يثبت الذنوب التي تنسب اليهم .

٣ — يجب ان تصان حرية الضمير بموجب التقاليد المعروفة ، وان تضمن منعة الاديار والكنائس .

٤ — في حال النزاع على التركات يجب ان يُستعلم عن كل المسائل التي تتعلق بحصر الارث لدى السلطة الروحية التي لتصريحاتها قوة الاثبات لدى المحاكم المدنية والشرعية .

اما الاعفاءات التي سبق ذكرها فهي الآتية :

١ — انه بموجب قانون ذي الحجة لسنة١٢٨١ ه. يُعفى من رسوم الجمرك الامتعة التي ترد لرجال الاكليرس العلماني والقانوني ، والراهبات ، والاديار ، والمؤسسات الخيرية الطائفية .

٢ — وبموجب الشرائع المرعية لا تدفع الويركو الكنائس وكراسي الاساقفة ، ودور الخورنيات ، والاديار .

٣ — يُعفى من الخدمة العسكرية الرؤساء الروحيون ، والرهبان ،

والخوارنة ، والشمامسة ، والشدائقة ، والمرتلون ، والواقفون الذين يقومون بالخدم الطقسية في الكنائس والاديار . وكذلك يعفى من الخدمة العسكرية اساتذة العلوم الكهنوتية ، والطلبة الاكليريكيون الذين يعنون بدرس هذه العلوم . وذلك بموجب قانون الخدمة العسكرية الذي اذيع في سنة ١٩١٤

٤ — ومما هو مفروض في القوانين أنه يجب لبناء معبد او كنيسة او دير ان تنال الرخصة من لدن السلطة الروحية.

فلنا ملء الثقة ان هذه الامتيازات وما شاكلها ، التي مُنحت بموجب فرمانات عامة وخاصة وقوانين وتحريرات عمومية الخ ، ستصان من قبل الحكومة الفرنسية الحرة التي انما انتدبت لتحفظ لكلٍّ حقه مع احترام تقاليد البلاد العريقة في القدم .

١

في المحاكم الروحية

١ — يجب التقيُّد برسوم الحق القانوني في تأليف المحاكم الروحية ، وسير المحاكمة،والحكم،والتبليغ،ودعوى الفسخ او الابطال،وفي الاستئناف ، والتمييز

٢ — على دوائر التنفيذ ان تنفّذ الاحكام الروحية المرعية الاجراء ، دون قيد ولا بحث .

٣ — ان الموادَّ التالية تحتوي موجز القوانين التي تتقيد بها المحاكم الروحية في احكامها . اما التفاصيل والقوانين التي لا يرد ذكرها في هذه المواد فتتقيد فيها المحاكم المارونية بالمجمع الاقليمي اللبناني، والمحكمة السريانية الكاثوليكية تتقيد بمجمع الشرفة. وفي حال سكوت القانون الخاص يتقيد الموارنة والسريان الكاثوليك بالحق الكنائسي العام في الكنيسة الكاثوليكية [1] .

٤ — يكون للمحاكم الروحية صلاحية النظر والحكم في الدعاوي المتعلقة

---

١) اما الروم الكاثوليك والروم الارثوذكس فلهم قوانينهم الخاصة . لكنها ليست مثبتة في مجمع اقليمي مستوفي الشروط القانونية وقد تختلف في بعض الشؤون عما هو وارد في هذا المشروع .

بالخطبة والزواج ومتعلقاتهما كهجر المسكن ، والصداق والنفقة ، والحضانة ، واعالة الصغير ، والبائنة ، وافتضاض البكارة ، وشرعية الاولاد ، والتبني ، وبحث وجوه القرابة ؛ وفي الدعاوى المتعلقة بالوصية ، والوصاية ، والرشد ، والحجر ، والولاية على المحجور ؛ وكذلك في الدعاوى المتولدة عن ادارة الوقف والوكالة، عليه ، وتسمية الوكيل ، وحق الولاية ؛ وفي الدعاوى المتعلقة بالعقائد الدينية والآداب المسيحية ؛ وفي الدعاوى المتعلقة برجال الاكليرس فيما ينظر الى حقوق وظيفتهم وواجباتها ، كما والى حقوق نظامهم (الرهباني والعلماني) او في الاختلافات التي تقوم بينهم في المسائل الجزائية والمخالفات .

٢

في الخطبة

٥ — الخطبة هي الوعد المتبادل بعقد زواج آجل.

٦ — ان الصغار الذين اتموا السنة السابعة يمكنهم ان يعقدوا خطبة شرط ان يكونوا ادركوا سن التمييز.

٧ — يستطيع الوالدون ان يعقدوا خطبة باسم اولادهم البالغين او الغير البالغين شرط ان يوافق الاولاد على ذلك فيما بعد موافقة صريحة بالقبول بها او بالاعراب عن رضاهم عنها ، او موافقة ضمنية بعدم اعتراضهم على ما قد اتمه والدوهم نيابة عنهم.

٨ — يحرَّم عقد الخطبة مع الغير المعمودين ، ما لم يعدوا صراحة بانهم سيعتنقون الدين المسيحي.

٩ — تعقد الخطبة امام خوري الرعية الذي يتلو الصلوات الطقسية المبينة في كتاب الطقوس وامام شاهدين . ويسجل العقد في سجلات الخورنية . والكنيسة تهتم بمثل هذه الخطبة الكنسية دون سواها .

١٠ — ان عقد الخطبة ينشأ عنه التزام عقد الزواج. وينتج عن عقد الخطبة مانع الحشمة او الادب العمومي .

١١ — يفسخ عقد الخطبة لثمانية اسباب : اغتراب احد الخطيبين ثلاث

سنين او سنتين في الاقل ؛ دخوله في الرهبانية او قبوله الـدرجات المقدسة ؛ الزنا مع شخص آخر سواء أسبق عقد الخطبة او تبعه شرط ان يكون عرف بعد العقد ، وللفريق البريء وحده ان يفسخ العقد ، مانع القرابة الاهلية المبطل الذي يتأتى بعد العقد ؛ مرض ثقيـل او تشوّه جسدي او ادبي يتبع العقـد ويكون طويل المدة ؛ تولّد عداوة شديدة بين الخطيبين بعد الخطبة ؛ التراضي على الفسخ .

١٢ — اذا تلا الزواج العقد ، فالهدايا التي يكون الخطيبان قد تبادلاها وقت الخطبة تصبح ملك الذي يكون قد استلمها . ففي الحالة الاولى يملـك البريء شرعاً الهدايا التي يكون قد استلمها اما في الحال الثاني فيجب على كل من الفريقين ان يعيد للآخر ما يكون قد اخذه منه ما لم يكن قد وُجد بينهما علاقات لحمية ، ففي تلك الحال لا يجب على الخطيبـة الا ان تردّ نصف الهدايا التي تكون قد اهديت اليها .

١٣ — اذا كان قد فُرض في العقد تعويض معيّن للطرف المتضرّر ، فمن الواجب ان يُتقيَّد به . والّا فالحق في فرض التعويض اللائق المـادي والادبي على المذنب يرجع الى المحكمة الروحية .

٣

في الزواج

١٤ — الزواج عقد متبادل بين الرجل والمرأة به يسلّم احدهما الآخر جسده باعتبار حق الزوجية والحياة المشتركة . (ولا يمكن في الكنيسة الكاثوليكية فصل العقد عن السرّ) . فالزواج « الصحيح » المكتمل بين المؤمنين لا يمكن فسخه لايّ سبب كان ما دام الزوجان في قيد الحياة .

١٥ اما الزواج الصحيح المقرر الغير المكتمل ، فللحبر الاعظم ان يفتح فيه بسلطته السامية لاسباب خطيرة ؛ ويفسخ هذا الزواج ايضاً بابراز النـذور الاحتفالية في الرهبانية .

١٦ — على الكاهن ان يتثبت اطلاق حال طالبي الزواج ، اي ما اذا كان

يوجد بينهما قيد سابق يمنع ابرام عقد جديد .

١٧ — لا يحرّم الزواج الثاني والثالث والرابع وهلمّ جرّاً ، شرط ان يكون طالب الزواج غير موثق بقيد ، بل مطلق الحال.

١٨ — من الطبيعي ان يُنال رضى الوالدين قبل الزواج ، لكن انكار الوالدين رضاهما ليس مانعاً مبطلاً .

١٩ — ان السن القانونية لعقد الزواج هي في الاقل الرابعة عشرة للشاب ، والثانية عشرة للابنة .

٢٠ — يجوز ويصحّ الزواج بالتوكيل ، ويكون وثاقه غير قابل الانحلال

٢١ — ان الزواج الذي لا يعقد بحضرة خادم الرعية ، او كاهن مفوّض منه او من الرئيس المألوف ، وامام شاهدين في الاقل ، هو زواج باطل لا قيمة له .

٢٢ — ولصحة الزواج يكفي ان يحضر خوري رعية احد الطرفين مع الشهود . وتطبق هذه المادة حينما يكون الطرفان من رعيتين مختلفتين، على انه يُطلب حضور خوري الرعية التي يعقد فيها الزواج

٤

الموانع المبطلة

٢٣ — الموانع المبطلة الزواج هي التي اذا وجدت جعلت عقد الزواج باطلاً ، سواء اعلم الطرفان بوجود المانع او لم يعلما .

٢٤ — ان الموانع المبطلة اربعة عشر وهي الآتية :

الغلط في الشخص ، الغلط في الحالة ، النذور الاحتفالية في الرهبانية ، القرابة : الطبيعية الدموية ، الروحية ، الشرعية ، القرابة الاهلية ، الذنب ، اختلاف الدين ، الخوف والاكراه ، الدرجات المقدسة ، وثاق الزواج السابق ، الادب العمومي ، مانع الخفاء ، العجز ، الخطف . (راجع للاستزادة من التفاصيل المجمع اللبناني للموارنة ، ومجمع الشرفة للسريان الكاثوليك ، والحق القانوني) .

٢٥ — للكنيسة وحدها الحق في التفسيح في الموانع التي رسمتها . . .
وكل زواج يُعقد مع وجود مانع مبطل لم يسبق التفسيح فيه من قبل السلطة ذات الاختصاص يكون من ذاته باطلاً وقابلاً للفسخ في اي وقت كان

٥

الافتراق ، والهجر الموقت ، والمؤبد

٢٦ — يجب على الزوجين ان يتساكنا ويعيشا معاً ، ما لم يمنع من ذلك مانع مشروع .

٢٧ — فان الزنا بجميع معانيه القانونية ، مع كونه لا يمس الوثاق الزواجي باي نوع كان ، فانه يخول احد الزوجين (اي البريء منهما) حق هجر زوجه الى وقت ، او الى الابد ، شرط ان يكون غير راضٍ بزنا زوجه او مسبباً له او يكون قد سامحه صريحاً او ضمناً ، او ان لا يكون هو ذاته ارتكب فعل الزنا . ويُعتبر ان الزوج البريء سامح زوجه المذنب ، ضمناً ، اذا كان ، بعد تحققه زناه ، واصل علاقاته الزوجية معه . وهذا السماح يفترض وقوعه ، اذا كان البريء لا يطرد المذنب او لا يهجره او لا يقدم الشكوى عليه في خلال ستة اشهر (من معرفته زنا زوجه)

٢٨ — ومن مسوغات الهجر : انتماء احد الزوجين الى مذهب غير كاثوليكي ، حياته الملطخة بالذنوب والشائنة ، والمعاملة القاسية التي تجعل الحياة الزوجية المشتركة صعبة بل غير ممكنة ، خطر هلاك النفس او الجسد الذي يخشى حصوله من المساكنة الزوجية . ان هذه الاسباب وما شاكلها ، اذا اثبتت وكان مضرة او خطر في التأجيل ، تسوغ للطرف البريء ان يهجر الطرف المذنب بحكم او قبل الحكم . فالهجر الذي يتم على هذه الصورة يجب ان يزول بزوال اسبابه . اما اذا حدث الهجر بحكم صادر من المحكمة الروحية لاجل معين ، فالزوج البريء لا يلتزم باستئناف المساكنة الزوجية الا بامر رئيسه المألوف ، او لدن حلول الاجل المعين .

٢٩ — اذا هجر الزوج البريء الزوج الزاني ، سواء أجرى ذلك من تلقاء

نفسه او بحكم القاضي الكنسي ، فانه لن يلتزم مطلقاً ان يُرجع المذنب اليه . على انه يستطيع ان يفعل ذلك ، اي ان يستدعي الزاني او يقبله في بيته ، ما لم يكن الزاني قد اعتنق برضى البري، حالة لا تتفق مع حالة الزواج.

٦

النفقة

٣٠ – النفقة تقوم بالتزام الزوج بان يقدم لزوجته المسكن ، والكسوة ، والطعام ، ونفقات التطبيب في حال المرض ما دامت مساكنة له ، او هاجرة اياه لسبب من الاسباب القانونية الوارد ذكرها في باب الهجر . والنفقة واجبة ايضاً للاولاد الذين تقدم لهم الام الطعام في حالة الهجر ، او الذين تحتضنهم .

٣١ – تحرم حق النفقة كل زوجة تفترق عن زوجها دون ما سبب شرعي او بذنبها . لكن هذه النفقة تجب لها ، حتى ولو كانت مفترقة عن زوجها بحكم صادر لاسباب قانونية ليست هي مسؤولة عنها . وعلى كل حال فان النفقة واجبة للاطفال في حال الرضاعة الى ان يصبح عمرهم سنتين كاملتين.

٣٢ – ان نفقة الزوجة والاولاد تفرض نسبة الى حالة امثالها وامثال زوجها وثروته . ويمكن ان تزاد هذه النفقة او تخفف نسبة الى تقلبات ثروة القائم بالنفقة.

٣٣ – متى انتهى اجل الرضاعة ، فان حُرمت الام حق الحضانة ، وجب على الاب ، او على الشخص المعين من قبل المحكمة الروحية لحضانة الطفل، او بطلب الاب ان يقوم بتربيته . وفي كل الاحوال الاب ملتزم بان يقوم بجميع احتياجات الولد

٣٤ – الاتفاق على نفقة مستحقة يحرم الزوجة حق المطالبة باكثر من المتفق عليه . اما الاتفاق على نفقة غير مستحقة فهو لغو وباطل .

٣٥ – اذا كان الزوج فقيراً والزوجة غنية ، فحكم النفقة له كحكمها للزوجة في الاحوال ذاتها .

٣٦ – على الاولاد ان يقوموا بنفقة والديهم وجدودهم الفقراء ، كما انه على الوالدين والجدود ان يقوموا بنفقة اولادهم واحفادهم القاصرين ، ما لم

تعذر الجهتين حالتهم الفقرة . وعلى الاب نفقة ولـده ولو راشداً ، اذا كان الولد لا يستطيع ان يكسب معاشه . اما اذا كان الوالـد فقيراً ، فتترتب النفقة على الام الغنية ، او على الاقارب الادنين في الخط المستقيم .

٣٧ — ان النفقة تستحق من تاريخ طلبها من المحكمة الروحية.

٧

حضانة الولد

٣٨ — ان حضانة الولد وتربيته من حقوق الام ، وعند عدمها يرجع الحق الى اقارب الولد الادنين حتى الدرجة الثالثة من القرابة الدموية او الاهلية ، ان وُجدوا . والا فان الحق يعود الى الشخص الذي تعينه المحكمة الروحية .

٣٩ — ان الحضانة من حقوق الام المساكنة زوجها او المفترقة عنه ، في حال حياته او بعد موته . وتدوم الحضانة الى ان يتمّ الولد السنة السابعة من عمره . وهي تتناول الذكر والانثى على السواء .

٤٠ — يطلب في الام ، وفي الشخص الذي يقوم مقامها في حضانة الولد ، ان يكون حسن السلوك ، اميناً وكفوءاً للقيام بهذه المهمة من الوجهة الادبية والمادية . ويطلب ايضاً منها ان يكونا ثابتين في الدين الكاثوليكي.

اما الوالدة التي تعقد زواجاً ثانياً فانها تفقد بذلك حق الحضانة.

٤١ — على الاب ان يدفع اجرة مقابل حضانة الولد . اما الام التي تعيش مع زوجها فلا حق لها بذلك. ولكن اذا افترقت عنه يحق لها ان تتقاضى اجرة.

٤٢ — يجب على الام ، او الشخص الموكولة اليه الحضانة ، ان يقيم مع الولد في محل لا يمنع الوالد من ان يراه بسهولة كبعد المسافة او غيره من الاسباب

٤٣ — اذا حدث ما يوجب حرمان الام حق الحضانة فانها تستعيد هذا الحق متى زال سبب الحرمان . ومن حقوق المحكمة الروحية ان تقرر ما يجب بهذا الخصوص وباعادة حق الحضانة الى الام .

٤٤ — متى انقضت مدة الحضانة يسلّم الولد لابيه . واذا كان الاب قد مات ، او كان غائباً ، او رفض ان يستلم ولده ، فيسلم الولـد الى اقرب اهله الذي تحكم المحكمة الروحية بكفايته للاهتمام بالولد. (لها بقية)

الرسالة الخاتمية

فيما وافق المتنبي في شعره كلام ارسطو في الحكمة

بقلم فؤاد افرام البستاني
استاذ الآداب العربية في كلية القديس يوسف

١

توطئة

وما الدهر الّا من رواة قصائدي : اذا قلتُ شعرًا ، اصبح الدهر مُنشدا :
فسار بـه من لا يسير ، مشمّرًا ، وغنّى به من لا يغنّي ، مغرّدا .

هكذا تنبأ المتنبي عن شعره ، وهكذا كان ! فلم يكن يُنشد القصيدة الا سارت في البلاد تحدو بها الركبان من منزل الى منزل ، وينقلها الادباء من مجتمع الى مجتمع ، حتى اصبح فريدًا في تلك الضجة التي حدثت حول شعره ولا تزال ، وفي تلك الشهرة التي تمتّع بها في حياته ولم تكن لتنتهي بعد مرور الف سنة ، بل لتزيد . فلا عجب اذن ان تباينت فيه احكام الادباء ، وتعدّدت في قيمته المؤلّفات ، فتعصّب عليه الكثيرون من ادباء عصره وغير عصره ، ودافع عنه الكثيرون كذلك ، حتى اوجد تطاحن الحزبين حزباً ثالثاً توسّط المتناقشين ، وانتدب نفسه للحكم ، فكتب القاضي الجرجاني « اوساطة بين المتنبي وخصومه »[1] وافرد ابو منصور الثعالبي في « يتيمته »[2] قسماً صالحاً لذكر ما للمتنبي وما عليه .

---

١) طبعت « الوساطة » في صيدا سنة ١٣٣١ هـ . (١٩١٢) بعناية احمد عارف الزين ، مع مقدّمة وفهارس .

٢) طبعت « اليتيمة » في دمشق ، وقد خُصّ فيها المتنبي بنحو تسعين صفحة من الجزء الاول . ثم طبع هذا البحث في مصر ، على حدة .

وكان من الذين همّهم المتنبي ابو علي محمد بن الحسن بن المظفّر المعروف بالحاتمي ؛ واستفزّ حقده ان ابا الطيب ، لما قدم بغداد ، بعد عودته من مصر، ترفّع عن مدح الوزير المهلّبي ، والحاتمي من المنتمين اليه . فكان ذلك من مثيرات غضبه. فما زال يسعى حتى قصد المتنبي في داره ، فتهجّم عليه ، واقذعه ، وزعم انه اظهر له سرقاته كلها وبيّن عيوب شعره في ذلك المجلس . وصنّف في المتنبي رسالتين : الاولى سمّاها « الموضحة » ، وتُدعى « الحاتمية » ايضاً ، ذكر فيها سبب زيارته للمتنبي ، ووصف ما جرى في تلك الزيارة التي سرعان ما تحوّلت الى مجلس مناظرة فمهاترة خرج منه الحاتمي ، على قوله ، ظافراً كل الظفر [1] . والثانية، وهي المعروفة « بالحاتمية » بحصر المعنى ، اورد فيها « ما وافق المتنبي في شعره كلام ارسطو في الحكمة » . وهذه لطيفة اللهجة ، على جانب عظيم من التأدّب ، بل على جانب من الميل الى المتنبي والتعصّب له حتى يكاد الكاتب يفضّله على الفلاسفة الاقدمين ، كما يظهر في مقدّمته ، مما يحيّر المطالع ، فيستغرب ان يكون كاتب الرسالتين واحداً ، ويهمّ ان يشكّ لولا اجماع مؤرّخي الادب .

ومهما يكن من أمر فان للرسالة الحاتمية قيمة جزيلة بما تدلّ عليه من وفرة اطلاع صاحبها ، ومن فضل ابي الطيّب في شعره الحكمي فانه ، ان كان اتى ذلك « عن فحص ونظر وبحث – كما يقول الحاتمي – فقد اغرق في درس

---

١) من هذه الرسالة نسخة خطية في دار الكتب الكبرى ، في مصر ، في مجموعة ٢٠٣٩ ادب . وتجد القسم الكبير منها ، مع اختلاف قليل ، في :

ياقوت : ارشاد الاريب الى معرفة الاديب ، طبعة (Margoliouth) ، الجزء السادس ، مصر ، ١٩١٣ : ص ٥٠٤–٥١٨ .

ابن خلكان : وفيات الاعيان ، وانباء ابناء الزمان ، طبعة بولاق ١٢٩٩هـ. (١٨٨١) ، الجزء الاول ، ص ٦٤٦–٦٤٨ .

يوسف البديعي : الصبح المنبي عن حيثية المتنبي – على هامش العكبري – مصر ١٣٠٨هـ. (١٨٩٠) ، ص ١٤٤–١٧٣ .

وتجد ، في ما خصّ زيارة الحاتمي للمتنبي ومناظرتها ، ملاحظات مفيدة واعتبارات جديرة بالذكر في مقال نشره كامل كيلاني في المقتطف ، سنة ١٩٣٠ ، ص ١٨٩ و٢٢٤

العلوم ؛ وان يكن ذلك منه على سبيل الاتفاق ، فقد زاد على الفلاسفة بالايجاز والبلاغة والالفاظ العربية ؛ وهو ، على الحالين ، على غاية من الفضل وسبيل نهاية من النبل » ؛ وبما تفيده طلّاب الادب العربي ونقّاده من مستندات لدرس شعر المتنبي ، ونقاط للمقابلة بينه وبين غيره من مظاهر الادب الاجنبي، ومن دلالة على طريقة مقابلة الآداب هذه في عصر الكاتب.

هذا ، وللرسالة طبعتان ؛ ظهرت الاولى في مؤلف للقس انطون بولاد سماه « راشد سوريا » وطبعه في بيروت سنة ١٨٦٨ . وظهرت الثانية في مجموعة « التحفة البهية والطرفة الشهية » المطبوعة في القسطنطينية سنة١٣٠٢ه (١٨٨٤). الا ان الطبعتين تختلفان قليلًا ، وفيها عدة نواقص . فضلاً عن كونها عزيزتي الوجود ، في عصرنا ، لان الكتابين نادران ، ولم تُفرد الرسالة عنها فتظهر على حدة .

وكنا قد وقفنا ، في المكتبة الشرقية ، على نسخة خطية للرسالة غاية في الجمال ثم على نسخة أخرى ، فقابلناهما وعرضناهما على الطبعتين السابقتين ، فاذا بعض الاختلافات والزيادات . فرأينا من الضروري ان نُعدّ لهذا الاثر القيّم طبعة لائقة نبذل وسعنا في دقّتها ، ونعلّق عليها بعض الحواشي ، بعد ان نقدّم بحثاً في ما نعرفه من حياة صاحبها [1] ، ووصف المخطوطتين المذكورتين ، آملين ان يكون في ذلك خدمة للادب العربي ولمن يهتمّ به من المريدين ، وهم يزدادون يوماً بعد يوم.

---

١) اما المتنبي فلا نرى لزوماً للترجمة له بعد ان اسهبنا في الكلام عن حياته وشعره في المشرق (٢٥[١٩٢٧] ٨٣٠، ٩٠٠) و(٢٦[١٩٢٨] ٥١) ؛ وفي الروائع (الجزءان ١١ و١٢ — بيروت ١٩٢٧)

الحاتمي

؟ ـ ٩٩٨

الرجل

نشأته

اسمه – دروسه

هو ابو علي [1] محمد بن الحسن [2] بن المظفر البغـدادي ، المعروف بالحاتمي نسبةً الى بعض اجداده [3] . اخذ الادب عن ابي عمر الزاهد [4] ، غلام ثعلب. وذكر ياقوت [5] انه ادرك ابن دريد ، واخذ عنه . ونحن نعرف ان ابن دريد قدم بغداد سنة ٩٢٠ وتوفي فيها سنة ٩٣٤ ، فيكون الحاتمي تتلمذ له في هذه الحقبة .

ولا نعلم ، غير هذا ، شيئاً يُذكر عن نشأته واول شبابه الا ما يذكره هو نفسه ، في احد كتبه المسمّى « الهِلباجة » او « تقريع الهلباجة » من انه خدم سيف الدولة ، وهو ابن تسع عشرة سنة ؛ « فوُزن في مجلسه » . ثم يأخذ بمدح نفسه ، والتبجح بمعارفه – على نحو ما عوّدنا في سائر كتاباته – فيسمّي ، من اقرانه في مجلس سيف الدولة ، ابا علي الفارسي ، وابا عبدالله بن خالويه ، وابا الطيب اللغوي . ويعلمنا انه « نازع العلماء ، ومُدح في مصنفاتهم ، وعُدّ في الافراد

---

١) وفي دائرة المعارف للبستاني : ابو عبدالله – ٦ : ٦٣٨

٢) وفي يتيمة الدهر للثعالبي : ابن الحسين – ٢ : ٢٧٣ ، ولعله تصحيف .

٣) ابن خلكان : وفيات الاعيان ، ١ : ٦٤٩

٤) قال الحاتمي عن نفسه انه اعتلّ يوماً فتأخر عن مجلس شيخه المذكور . فسأل عنه فقيل له انه مريض . فجاءه يعوده ، فوجده قد خرج الى الحمّام ، فكتب على بابه باستيداع :

واعجب شيء سمعنا به عليلٌ يعادُ فلا يوجد !

(ابن خلكان ١ : ٦٤٨)

٥) ياقوت : ارشاد الاريب ، ٦ : ٥٠١

الذين منهم ابو سعيد السيرافي وعلي بن عيسى الرماني . »[1] الى غير ذلك مما لا شاهد لنا عليه الا الحاتمي نفسه . الا انه لا يقول لنا اين خدم سيف الدولة . وان تعداده لهؤلاء العلماء يدلّ على انه اتصل بالملك الحمداني في مدينة حلب ، وسيف الدولة لم يدخلها الا سنة ٩٤٤ ، على اثر انتزاعه اياها من يد اميرها احمد بن سعيد الكلابي . فلو قدّرنا ان الحاتمي اتصل به ، اذ ذاك ، وانه كان ابن تسع عشرة سنة ، لما امكننا القول مع ياقوت انه تلمذ لابن دريد المتوفى سنة ٩٣٤ . ومهما يكن من أمر فان الحاتمي يفتخر باتصاله بسيف الدولة ، وبان له قصيدة في مدحه ، ذكر منها شيئاً في كتابه المذكور.

في بغداد

اتصاله بالوزير المهلّبي

وتمرّ الايام فترى الحاتمي في بغداد ، متصلاً بالوزير المهلّبي ؛ عندما يردها المتنبي ، فيطلب اليه الوزير ان يمدحه ، فيترفّع مدّعياً انه لا يمدح غير الملوك. عند ذاك يُغري به الوزير شعراء بغداد فيتحدون على هجوه والتهجم عليه.

زيارته للمتنبي

اما الحاتمي فكان من اشدّ رجال الوزير تحمّساً ، واوفرهم غيظاً على المتنبي ، يتحيّن الفرص لمشاهدته ، ويسخّر الظروف للتحرّش به . حتى اذا رأى الامور تعاكسه ، وشعر ان المتنبي يتغلّب بعظمته على جميع مناوئيه ، وادرك ان الوزير « تخيّل ان احداً لا يقدر على مساجلة ذاك الرجل ولا مجاراته ، وان معزّ الدولة ساءه ان يرد عن حضرة عدوّه رجلٌ فلا يكون في مملكته احد يماثله في صناعته ويساويه في منزلته »[2] ، صمّم على قصده في منزله ، فسار اليه في مركب رائع وزيّ جميل ، وهو في شبابه ، على قوله .[3] الا اننا ، اذا سلّمنا بقول ياقوت ان الحاتمي تلمذ لابن دريد ، كان هذا الشباب اقرب الى

---

١) ياقوت : الكتاب المذكور ٦ : ٥٠٣ .
٢) هذا كلام الحاتمي ذاته في ياقوت : الكتاب المذكور ٦ : ٥٠٥ .
٣) ابن خلكان : ك . م . ص ٦٤٧

الكهولة ، لان صاحبنا لم يمكنه الاجتماع بالمتنبي الّا بعد سنة ٩٦١ ، وهي سنة رجوعه من مصر . اما المتنبي فلم يكترث له ولم يُقبل عليه في حديثه . فزاد ذلك في غيظ الحاتمي « فتحدّر عليه تحدّر السيل الى القرار »[1] يشتمه ، ويبيّن معايبه ، ويظهر سرقاته ، على اسلوب عجيب رواه الحاتمي بنفسه ، بعد موت المتنبي . وليس لنا على ذلك الا شاهد واحد هو الحاتمي نفسه . فهو الشاهد والخصم والحكم . وعليه فاننا نتلقى هذه الرواية بكل تحفّظ ، قائلين مع ابن خلكان ، وفيه من دقة النقد والدعوة الى الشكّ ما فيه : « فان كان كما ذكر انه ابان له جميعها (اي جميع اغلاطه وسرقاته) في ذلك المجلس ، فما هذا الّا اطلاع عظيم »[2] . . .

على اننا نرى الحاتمي خفّف من غلوائه ، وكأنه رضي عن المتنبي بعد تلك المقابلة — وهو يزعم ان المتنبي تذلّل واعتذر — فلم يشأ ان يبخسه حقّه ، بل قال فيه كلمة طيبة في اول « الرسالة الحاتمية » التي كتبها في المقابلة بين ابيات الشاعر الحكمية ، وحكم الفيلسوف ارسطو ، وسترد هذه الكلمة في حينها .

وفاته

ثم لا نقف على شيء يستحقّ الذكر في ما بقي من حياته التي طالت ، على ما يُستنتج من زعم ياقوت بانه ادرك ابن دريد وتتلمذ له . وتوفي الحاتمي يوم الاربعاء لثلاث بقين من شهر ربيع الآخر سنة ٨٨٣[3] (٢٧ نيسان ٩٩٨)

اخلاقه

رأينا في ما اوردناه من اقوال الحاتمي ، سواء كان في كلامه عن اتصاله بسيف الدولة او في ذكر مناظرته للمتنبي ، انه كان مدّعياً بنفسه ، متبجحاً بمعارفه ، مترفّعاً على اقرانه ، مدفوعاً بنوع خاصّ من الكبرياء يُكره في

١) كلام الحاتمي ، ياقوت ك . م . ٦ : ٥٠٦ .
٢) اطلب نقداً قيّماً لهذه الرواية في المقتطف (١٩٣٠ : ١٨٩ و ٢٢٤) بقلم كامل كيلاني .
٣) ابن خلكان : ك . م . ١ : ٦٤٧

العلماء خاصّة ، لانه في العامة يدعو الى الاشفاق عليهم او التأجن بهم ، اما في العلماء فلا يدعو الّا الى الكره . وهو ما حدث للحاتمي فقد قال عنه الثعالبي ، ونقله ياقوت والسيوطي[1] « انه كان مبغضاً الى اهل العلم » فهجاه ابن حجّاج وغيره من الشعراء باهاجٍ مُرّة ، وابن حجاج هذا كان من جملة شعراء بغداد الذين هجوا المتنبي باغراء الوزير المهلّبي.

الاديب

علومه وشعره

اشتهر الحاتمي بالنحو واللغة وما يتفرّع عنهما من علوم متنوّعة . وعُرف بسرعة الخاطر ، وبسعة الاطلاع وكثرة المعارف ، كما تدلّ على ذلك رسالتاه في المتنبي ، وان لم نسلّم بانه ذكر جميع تلك المقابلات والسرقات على البديهة . وعدّه الثعالبي من « حذّاق اهل اللغة والادب »[2] وجعله ابن خلكان « احد الاعلام المشاهير المطّلعين المكثرين »[3]

ونظم الحاتمي الشعر كاكثر علماء عصره ، الّا ان شعره — كما نراه في مرويّات الثعالبي وياقوت والسيوطي — جافٍ ، كثير التكلّف اشبه بالتمرين النظمي منه بمولّدات العاطفة والبديهة . وانّ هذه التمرينات كانت من الازياء الادبية في ذاك العصر . ولعلّ اوضح مثال لنوع الشعر المذكور ، ولادّعاء شاعرنا ايضاً ، ما رواه هو نفسهُ في كتابه « الهلباجة » ، او « تقريع الهلباجة » ونقله ياقوت[4] والسيوطي[5] ، قال:

---

١) الثعالبي : اليتيمة ٢ : ٢٧٣ — وياقوت : ك . م . ٦ : ٥٠١ — والسيوطي : بُغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، مصر ١٣٢٦ هـ . (١٩٠٨) ص ٣٥

٢) الثعالبي : في الموضع نفسه .

٣) ابن خلكان : ك . م . ٦ : ٦٤٦

٤) ياقوت : ك . م . ٦ : ٥٠٤

٥) السيوطي : ك . م . ص ٣٥-٣٦

« كلفني المعروف بالسلامي في ابيات النابغة من مرثية احسن فيها كل الاحسان [1] :

لا جنبنْ الناس ما يرهون من كللٍ ، وما يوقون من اهل ومن مالِ ،
بعد ابن عاتكة الشاوي ببلقعةٍ امسى ببلدةٍ ، لا عمّ ولا خالِ ؛ [2]
سهل الخليقة مشّاء باقدحهِ الى ذوات الذرى حمّال اثقالِ .
حسبُ الخليلَين نأيُ الارض بينهما : هذا عليها وهذا تحتها بالِ !

« فانه ارادني على فكّ صدورها ، وابدالها بالفاظ تنتظم مع اعجازها في وصف الليل ونجومه . فتناولت القلم وكتبت معجلًا خاطري :

في ليلةٍ ضلّ عنها الصبح داجيةٍ لبستها بطول الجري هطالِ ،
وقد رمى البين شعب الحيّ ، فاقتسموا ايدي سبا ، بين تفويضٍ وترحالِ :
فناسبت انجم الآفاق عيسهم « وما يوقون من اهل ومن مالِ » ؛ [3]
ترى الهلال نحيلًا في مطالعه « امسى ببلدة لا عمّ ولا خالِ » ؛
والجدي كالطرف يستنّ المراح به « الى ذوات الذرى ، حمّال اثقالِ » ؛
والليل والصبح في غبراء مظلمةٍ « هذا عليها ، وهذا تحتها بالِ » !

« فاعظم البيت الاخير من هذه الابيات واكبره ، وفخّم امره كل التفخيم وغلا في استحسانه غلوًا تجاوز قدره . »

(له صلة)

---

١) هذه الابيات في رثاء صخار ، اخي النابغة لابيه وامه ، وكان اسم امها عاتكة . وردت في شعراء النصرانية ، للاب شيخو ، ص ٧٢٨ ؛ وفي ديوان النابغة ، طبعة الشيخ عبد الرحمن سلام ، بيروت ١٩٢٩ ، ص ١١ .

٢) ببلقعة : في الديوان وشعراء النصرانية : على أيوَى .

٣) وناسبت : في السيوطي : وناسب ؛ وهو غلط مطبعي .

جولة في المجلات

مؤتمر لامبث – ذكر التيفوس في الكتاب المقدس – اهم المقالات الشرقية في مجلات الاستشراق

مؤتمر لامبث

في شهر تموز من العام الماضي التأم في لامبث احدى ضواحي لندن ، مؤتمر الانكليكان ، الممثل الكنيسة العليا في انكلترة ، فبحث في اهم المشاكل الدينية التي ساقتها الاحوال الحاضرة والظروف الجديدة الطارئة على حياة المجتمع ، الصادرة من تطوّرات الحياة الفكرية والاجتماعية في انكلترة : فوضع قراراته النهائية في ستة بنود :

١ً التعليم المسيحي بجمع انواعه
٢ً حياة وشهادة الجماعات المسيحية
٣ً وحدة الكنيسة
٤ً حياة الكنيسة الانكليكانية
٥ً خدمة النفوس في الكنيسة
٦ً الشبيبة ودعوتها الى الحياة الكهنوتية

ومن البديهي ان انعقاد المؤتمر لحادث خطير في ذاته . وكلما وقع تحدثت فيه الصحافة والمجلات وتناقشت في تقاريره . ويذكر قراؤنا ما تحدثنا اليهم في هذا السبيل عن امر كتاب الصلاة في الكنيسة الانكليكانية واحداث التغييرات فيه (المشرق ٢٥ [١٩٢٧] : ٦٤١) اما في هذا العام فقد سار مؤتمر لامبث هدفاً لانتقادات عديدة تهافتت عليه من سائر انحاء الكون ، لانه مسّ قضية من القضايا الاساسية في التعليم المسيحي الذي كانت كنيسة الانكليكان محافظة عليها كل المحافظة ، وركنها من اساساتها .

وددنا لو اعرضنا عن الكلام في هذا الموضوع ، وهو احق بان يكون مادةً لبحث الاختصاصيين من اطباء الاجساد ومرشدي النفوس ، لولا ان بعض المجلات العربية فتحت له ابوابها ؛ وهذا ان « مجلة الشرق والغرب » نشرت في اكتوبر ١٩٣٠ اهم البنود التي قررها المؤتمر ، ومن جملتها البند الخطير الذي اثار زوبعة الاحتجاجات حتى في الكنيسة الانكليكانية .

وكنا نتوقع من « مجلة الشرق والغرب » الدينية اما ان تعرض عن نشر البند المذكور ، واما ان تردّ عليه ، وهيهات ان يكون دستوراً للتعليم الديني العام في انكلترة كما سنرى . ولكنها نشرته وزادت في تأثيره اذ قالت : انه صادر عن « مؤتمر ديني خطير ، قوامه ثلاثمئة وسبعة من كبار اساقفة الكنيسة الانكليكانية الاسقفية » . فلا بد لنا من الرد عليه ولو بالايجاز . وانما موضوعه تحديد النسل .

وقد يخالجك هذا السؤال ، ايها القارئ اللبيب : ماذا دعى بالاساقفة الانكليكان الى البحث في الامر ؟ — دعا اليه تناقص عدد المواليد في انكلترة منذ الحرب العظمى . ان استعمال الوسائط الفنية لمنع الحمل والاجهاض لجريمة غير مجهولة في سائر البلاد : اما في انكلترة فقد اخذت تستنجد بناصرين يدعون اليها جهاراً ويقولون بواجب تقليل عدد البنين مداواةً للداء الاجتماعي والاقتصادي المتأتي من كثرة النسل . وبلغت هذه الاقوال الى آذان الناس ففزعوا الى رؤساء الاديان من الخطر الجسيم وطلبوا بتّ الحكم في الامر .

وكان الانكليكان قد عالجوا القضية في السنة ١٩٠٨ ، وكان الداء اذ ذاك اخفّ وطأة عما هو عليه اليوم ، بما لا يقاس حدّه ، ومع ذلك فقد اجمعوا آراءهم على التحذير والتهويل ورشقوا بسهام اللعنة كل وسيلة مآلها قتل الحياة في الاصل ، وسألوا الحكام ان يحولوا دون بيع العقاقير والمواد المستعملة لقتل الحياة ، وان يقيموا الدعوى القضائية على دعاة الفساد ونشرة الاعلانات المخلة بالآداب العامة .

ومضت اثنتان وعشرون سنة ، وتفاقم الشر ، وانتشر الداء ، وهبط عدد المواليد في انكلترة حتى بلغ فيها ، اليوم ، اسفل درجاته في اوروبة . واجتمع مؤتمر لامبث ، ونحن في صدده . وقام فيه الدكتور ودس (Woods) ، اسقف وينشستر ، وطالب المؤتمرين بألّا يعرضوا عن معالجة الداء ووصف الدواء . فأيد المؤتمر الحق الصراح ، بان الغريزة الجنسية غرس مقدس انبته الله في الطبيعة البشرية . واعترف بان الاختلاط الجنسي بين الزوج والزوجة له قيمته الخاصة في الزواج ، كنتيجة ختامية تكميلية لهذا السرّ المقدس .

وقرر ان واجب الامومة هو مجد الحياة الزوجية ، وان العائلة مبعث الفرح والغبطة في حدّ ذاتها ، وعلى كيانها يتوقف خير الوطن ، وانها من وسائل بناء الاخلاق للآباء والابناء على السواء . وسجل استنكاره الشديد لعملية الاجهاض وسائر أساليب الفساد ، ولكن في خلال هذه القرارات ادمج القرار التالي ، كما عرّبته مجلة الشرق والغرب :

« متى وجد التزام أدبي قوي يحمل على تحديد أو منع النسل يجب ان تقرر الوسائل وفاقاً للمبادئ المسيحية . وأولى تلك الوسائل وأظهرها هي الامتناع التام عن الاختلاط الجنسي (بقدر ما تدعو الضرورة) في حياة التدريب وضبط النفس الخاضعة لسلطان الروح القدس . ومع ذلك ففي الاحوال التي يوجد فيها الالتزام الادبي القوي لتحديد النسل أو منعه والباعث الادبي السليم الذي لا

يسمح بالامتناع التام عن الاختلاط الجنسي فان المؤتمر يوافق على استعمال الوسائل الاخرى على شرط ان تُستخدم على ضوء المبادئ المسيحية . والمؤتمر لا يسعه الا الندل الشديد والتنديد المرّ حيال استعمال وسائل ضبط النسل لمجرد بواعث يخلقها حب الذات والرغبة في الترف وسهولة الحياة ومتعتها»

(تصدق على هذا القرار باغلبة ١٩٣ صوتاً ضد ٦٧ صوتاً)

وما ان بلغت هذه الاقوال الى آذان الكردينال بورن ، رئيس اساقفة وستمنستر وزعيم الكنيسة الكاثوليكية في انكلترة حتى رفع صوته بالاحتجاج فقال :

كنت بعيداً عن انكلترة لما نُشر في الناس ذلك البند الوبائي . وقد عرفت ان الضمائر المسيحية في انكلترة وفي سائر البلاد ، ارتجّت واضطربت وتألمت لصدور قرار يحول دونها ودون تعليم الكنيسة التقليدي . كل من صوّت لهذا القرار من الاساقفة تخلى عن كل حقّ من الحقوق التي كان من الممكن ان يُعطوها فيكونوا تراجمة مفوضين للاداب المسيحية . . . وخشية ان يتسرّب الضلال الى قلب من القلوب، وتتعرّض للخطأ المميت نفس من النفوس ، قد اتيت اعلن وأؤيّد ، مكرراً ، تعليم الكنيسة الكاثوليكية في هذا الموضوع ؛ وهو يربط الضمائر ؛ ضمائر الرجال وضمائر النساء طرّاً .

« كل وسيلة مباشرة لمنع الحبل، الناتج طبيعياً من الاتصال الزواجي ، سواء أكان ذلك في الزواج او خارجاً عنه ، انما هو رذيلة ضدّ الطبيعة ، اي خطيئة ضده سبحانه وتعالى »

ولم يمضِ الشهر على صدور هذا الاحتجاج الا ونشرت الصحافة بلاغاً موقعاً باسم احد خدمة سان بول القانونيين الانكليكان ، وباسم زهاء خمسين من خدمة الرعايا الانكليكان في لندن وفي ضواحيها . وفيه « اعرابهم عن رغبتهم بالتمسك بالمبدأ الكاثوليكي التقليدي »

اما العبارات التي اتخذوها اعراباً عن ذلك المبدأ فهي عبارات الكردينال بورن بعرفها وقد وضعناها بين هلالين . فحسبنا المثل دليلاً على المعارضة

هذا والكنيسة لا تجهل المصاعب القائمة بوجه المتزوّجين ، لكنها تذكرهم ان الباري تعالى لا يأمر الا بما يمكن حمله ، فعليهم ان يبلغوا قصوى الجهود بقوام الطبيعية للمحافظة على الوصايا . واذا رأى الزوجان العبء ثقيلاً ، فالصلاة وطلب النعمة تأتي بالنجدة والقوة على الاحتمال .

وشعر بعض اساقفة المؤتمر بالحاجة الى تغيير القرار المذكور وحاولوا ذلك فلم ينجحوا ؛ لكنهم نالوا اخيراً ان يُذيّل القرار بذكر عدد المصوّتين له وعليه . وقام في المؤتمر بعض الاساقفة الاميريكان وطلبوا الاعراب عن الدواعي التي دفعتهم الى التصويت فرُفض طلبهم . فاحتج الكثيرون منهم ولم يحضروا الحفلة الختامية . وعاد الدكتور ماتيوس اسقف نيوجرزي الى بلاده واعلن رسمياً خذلانه للمؤتمر .

وفي ١٤ آب عشيّة اليوم الذي نشرت فيه الجرائد وثائق المؤتمر ، ارسل الدكتور كاري ، اسقف بلومفونتين (جنوبي افريقية) وسأل جريدة التيمس الكنائسية ان تضيف الى نشر القرار

هذا التعليق موقعاً باسمه وهو أنه براء منه. وانبأ لورد سيسيل ، اسقف اكستر ، ابناء ابرشيته انه بذل قصارى الجهد في مقاومة البند المذكور وقال : اني على يقين بان الناس سوف يبخسون القرار حقه من التأويل الشرعي الواجب فيُسيئون فهمه . لقد مدّ الاساقفة يدهم الى الباب وفكوا الغلّ. فانفتح ، او كاد. وسوف تهاجمه الانانية بالقوة وتقتحمه على مصراعيه . . . ان التقليد المسيحي ، منذ العهد الرسولي الى عهد المؤتمر هذا ، تمسّك بهذا الاعتقاد ولم يحد عنه ولا دقيقة : وهو انه لا سبيل للمسيحي ان يستعمل براحة ضميره وسيلةً ضد الحمل . وما ان اعتبار الظروف القصوى ادى الى وضع شريعة فاسدة ؛ وليس الحادث جديداً في التاريخ. ان حب التساهل المفرط افسد طهارة الحق ، وليس هذا الاقتراف ذنباً لم يسبق له مثيل في التاريخ !

ومضت خمسة عشر يوماً ونشر اسقف لندن كتاباً مفتوحاً اعلن فيه اشتراكه في الاحتجاج مع زميله اسقف يورك وتين.

وفي غضون ما كانت الصحافة قد اخذت تناقش في اعمال المؤتمر. وكأن البند المذكور أصبح همّها الوحيد ، فضربت صفحاً عن الباقي ، وتمرّضت فيه لقرار الاساقفة وسمّمت جمّ. وكان استحسان الجرائد المتطرفة وتهانيها ، اعضّ ناباً وانفثَ سماً في كرامة المؤتمرين من مناقبة المناقبين. وتصرفت السن الناس في هذه المسألة الدقيقة تصرّف العامة في المسائل الاختصاصية ، فنسيت او تناست وجوه التحفّظ ، ولم تهتمّ الا بذكر التساهل المسموح به . واحالت الرسائل على الصحافة ، طبقاً للعادة المألوفة في انكلترة وتدفقت اخبارها في الجرائد حجّةً للقرار او عليه. وكتب احد الشبان موقعاً رسالته بهذه العبارة « دعوة في قدم العمر » وقال : « لما رأيت تنازل الرعاة عن واجبهم الرعائي وعن سموّ المنزلة التي كنت اتصورها لهم ، سقطت من عيني الدعوة الاكليريكية فتركتها. ويا ضيعان ما صرفته من الزمان والمال تأهباً لها ! »

وكتب كاهن من كهنة الارياف وقال : « كم من رجل فاضل ، كم من امرأة صالحة آثرا العزوبة على الزواج اشفاقاً من عدم القيام بحبّ البنين ، واعتاضا عن هذا الواجب بغيره فكرّسا حياتهما لخدمة الفقير وتعليم الجهال . . . انما هي العزوبة المسيحية ! وانّ تساهل المؤتمر في قراره البعيد النتائج ، وساعته روح الانانية ، لصفعة صفع بها وجه التضحية والكفران بالذات . »

وسوف تغدأ العزوبة وتعود الكنيسة ويرى الصالحون ان الحق يدوم الى الابد . فلا يحلّون نقطة من الناموس ولا يحطون درجةً واحدة من سموّ فضيلتهم . اما الجبناء فقد يتخذون من ثم عذراً فيزدادون انحطاطاً. والكنيسة الانكليكانية تسير سيرها وقد فقدت شيئاً مهماً مما كان لا يزال فيها من روح التضحية ونبذ الدنايا .

اما الحقيقة في هذه القضية الخطيرة فقد ظهرت في الرسالة الحبرية التي صدرت من الاب الاقدس في ٣١ كانون الاول ١٩٣٠ وانتشرت في العالمين . ف . ت .

ذكر التيفوس في الكتاب المقدس

القى الحكيم الشيخ امين الجميّل، في نادي جمعية الاطباء والصيادلة في بيروت، محاضرة قيّمة عن « الامراض المصرية في الاسفار القديمة » ذكر فيها عددًا من الامراض المعروفة او المتفشية في مصرنا، وما ورد في الكتاب المقدّس عن وصفها، والاشارة الى طرق الوقاية منها. ومن تلك الامراض « الوباء » المتعدّد الذكر، الذي استنتج حضرة الحكيم انه التيفوس، قال (المجلة الطبية العلمية، ك٢ ١٩٣١، ص ٢٠٤):

التيفوس، هو رفيق الحروب وربيب المجاعات بدون جدال. هكذا رأته البشرية في كل اطوارها وفي كل انحائها. أترتاب بذلك والحرب الاخيرة اقرب واعظم شهود على امر هذا الوباء، وصلته بالمجاعات والحروب مسلّم به من الجميع ؟

ولنا على ايد ذلك النصوص بالعشرات :

« متى اغلقت السماوات ولم يكن شتاء وحصلت المجاعات والوباء » (سفر الملوك الاول ٨: ٣٧ و٣٧)

« سافنيهم بالمجاعة والحمى والوباء » (تثنية ٣٢: ٢٤).

ارميا ١٤: ١٢ وغيره من الانبياء وبغير مكان : « اذا صاموا فلا اسمع صراخهم واذا اصعدوا محرقة وتقدمة فلا ارضى عنهم بل افنيهم بالسيف والجوع والوباء.

« اذا خرجت الى الحقل فاذا القتلى بالسيف واذا دخلت المدينة فاذا المرضى بالجوع.

« وبعد ذلك يقول الرب: اجعل صدقيا ملك يهوذا وعبيده والشعب ومن بقي في هذه المدينة من الوباء ومن السيف ومن الجوع في يد نبوكدنصر...

« الذي يقيم في هذه المدينة يموت بالسيف والجوع والوباء.

« وارسل عليهم السيف والجوع والوباء حتى يفنوا من الارض التي اعطيتها لهم ولآبائهم.

« والامة والمملكة التي لا تتعبد لنبوكدنصر ملك بابل... فاني افتقد تلك الامة بالسيف والجوع والوباء يقول الرب الى ان افنيهم بيده.

« لماذا تموتون انت وشعبك بالسيف والجوع والوباء كما تكلم الرب على الامة التي لا تتعبد لملك بابل ؟

« ان الانبياء الذين كانوا قبلي وقبلك منذ الدهر تنبأوا على اراض كثيرة وممالك عظيمة بالحرب والشر والوباء.

«هكذا قال رب الجنود هاءنذا ارسل عليهم السيف والجوع والوباء واجعلهم كبشع التين الذي لا يمكن اكله لخباثته.

« ها ان المتارس قد بلغت الى المدينة لاخذها والمدينة قد صارت في ايدي الكلدانيين محاربيها من السيف والجوع والوباء. . . . »

وورد قبل ذلك في العدد ٣٦ من الفصل نفسه ، وفي الفصل ٣٤:١٧ ، و٣٨:٢ ، و٤٢:١٧ و٢٢ ، و٤٤:١٣ ما هو من هذا النحو.

وفي مراثي ارميا ١:٢٠ : « السيف يثكل في الخارج والموت في البيت ».

نبوءة باروك ٢:٢٥ : « وها انها (عظام ملوكنا وابائنا مطروحة لحر النهار وقرس الليل) وقد ماتوا في اوجاع اليمة بالجوع والسيف والوباء ».

ومثل ذلك جاء في نبوءة حزقيال ٥:١٢ و١٧ ، و٦:١١ ، ٧:١٥ ، و١٢:١٦ « وابقى منهم نفراً معدوداً من السيف والجوع والوباء لكي يخبروا بجميع اوجاعهم في الامم . . . »

وكذلك ١٤:١٧ و١٩ ، وبالخصوص ٢١:٢٣

وجاء في الانجيل : « ويكون وقتئذٍ مجاعات واوبئة » .

اهم المقالات الشرقية في مجلات الاستشراق

JOURNAL ASIATIQUE *tome CCXVI, n° 1, janvier-mars* 1930. المجلة الاسيوية

يحتوي هذا الجزء الذي ظهر مؤخراً على عدة ابحاث تختص بآسية الغربية ، نكتفي بان نذكر منها :

« شكوى الغريب عن الاوطان الى علماء البلدان » وهو مصنف لعين القضاة الهمذاني († ٥٢٦هـ = ١١٣١) نشره وترجمه الى الفرنسوية وعلق عليه

الحواشي محمد بن عبد الجليل (ص ١—٧٦)

* الأخائيون في آسية الصغرى ، ومشكلة وصول الاخائيين الى البحر المتوسط في الالف الثاني قبل المسيح ، بقلم ريون ويل (Weill) (ص ٧٧—١٠٨)

* طبيعة الذبائح والضحايا في بلاد شومر ، بالاستناد الى النصوص الشومرية السابقة دولة إسين ، بقلم الكاهن اللازري شارل جان. (ص ١٤١—١٤٦)

* وثائق ومستندات ارامية من القرن السادس عشر ، بقلم مرسل كوهن (ص ١٤٧—١٥٦).

Fondation Eugène Piot - Monuments et mémoires publiés par l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres. *t.* 30e, 1er *et* 2e *fascicules (n°* 52 *de la Collection)* 1929.

مؤسسة اوجين بيو

Les mosaïques de la mosquée des Omayyades à Damas, planches X et XI, par Eustache de Lorey *(p.* 111-122*)* ; *par* Marguerite von Berchem *(p.* 123-139*).*

فسيفساء الجامع الأموي في دمشق

يختص القسم الاول من هذا المقال بوصف اجمالي لما اكتشف تحت الغطاء الكلسي من الفسيفساء على جدران الجامع الاموي. وهي لوحات في الجهة الغربية من ساحة الجامع ، على اعمدة المدخل المسمى «باب البريد» ، طولها ٣٤ متراً ونصف المتر ، بعرض ٧,٣٠ امتار ، تعلو عن سطح الارض ٥ امتار. وتمثل هذه الفسيفساء اولاً اشجاراً من انواع مختلفة كالجوز والتفاح والتين والاجاص واللوز والسرو ، ثم بيوتاً وابراجاً وادغالا وصخوراً. وفي القسم الثاني من المقال تبين الكاتبة اهمية هذا الاثر في تاريخ الفن. فان هذه الفسيفساء تؤلف الاثر الوحيد من نوعه في آثار القرون الوسطى في سورية. ولا يشبهها من هذا القبيل الا فسيفساء قبة الصخرة في القدس. وفضلاً عن ذلك فانها تؤيد كثيراً من النصوص القديمة المعروفة في وصف هذا الاثر . وهو امر نادر في ايامنا . لان من عادة ارباب البحث ان يقفوا على آثار لم يكتب عنها شيء ، او على كتابات تتعلق بآثار فقدت اعيانها.

JOURNAL DES SAVANTS, *novembre* 1930. مجلة العلماء

G. Contenau, *L'exploration archéologique de l'Asie occidentale et la collaboration américaine*, *p.* 385-396.

البحث عن الآثار في آسية الغربية والمساعدات الاميركية

يتبين من هذا المقال النصيب الاميركي في اعمال الحفريات ومنا اليها من طرق البحث عن الآثار القديمة في آسية الغربية . واول ما بدأ بهذه الاعمال من اميركة ، كانت جامعة بنسلفانيا التي باشرت حفرياتها منذ سنة ١٨٨٩ في نيبور القديمة ، ثم تلتها جامعة برنستون فقامت ببعض الحفريات في سورية سنة ١٨٩٩ و١٩٠٠ . وبعد الحرب عادت الولايات المتحدة الى مساعدة هذه الابحاث على صور مختلفة فهي طوراً تقدّم الاموال والآلات الفنيـــة كما في حفريات كيرا (Chiera) في نواحي كركوك ، وحفريات سبيسر (Speiser) من جامعة بنسلفانيا في تيبي - غورا من بلاد اشور ، وحفريات ڤون در اوستن من معهد شيكاغو الشرقي في اليشار من آسية الصغرى ، وحفريات مجدو في فلسطين لحساب جامعة شيكاغو ، وحفريات بيسان لحساب متحف جامعـــة بنسلفانيا ، وحفريات تلّ بيت مرسيم لحساب المدرسة الاميركية للابحاث الشرقيـــة والمعهد اللاهوتي في سان لويس . وتارة تقدّم اميركة النفقات لبعثة اجنبيـــة كما حدث في حفريات دورا التي أُجريت لحساب جامعة يال . وحيناً تقدّم مساعدة مالية لبعثة اجنبية تقوم بحفريات اجنبية كما في الحفريات الفرنسوية في تيلو التي يقوم بهـــا الاب هنري دي جينويلاك (de Genouillac) وقد قدّم متحف كنساس سيتي مبلغاً لاعمال سنة ١٩٢٩ فيها .

شذرات

نصب الشهداء

صحّت عزيمة الحكومة اللبنانية على ان تُقيم اثرًا تذكاريا لفريق من ابناء الوطن ضحّوا بانفسهم في سبيل الاستقلال ، فزهقت ارواحهم على اعواد المشانق اثناء الحرب العامة . ولم يكن احقّ من الساحة اللبنانية ، التي شنقوا فيها فدُعيت «ساحة الشهداء» ، بان تفتخر بقيام ذاك الاثر فيها . ولم يكن اجدر من يد لبنانية بان تنحت صخر الاثر وتمثّل فيه عواطف الامة تروعها ذكريات ابنائها الابطال . فكلّفت الحكومة المثال اللبناني القدير الاستاذ يوسف الحويك ، فنحت النصب في الحجر الاصفر ممثلاً امرأتين مكتنفتين ، يُستدلّ من قناع احداهما انها مسلمة ، ومن سفور الاخرى انها مسيحية ، اشارةً الى ان الرزء اصاب ابناء الوطن جميعاً ، والى ان الواجب يقضي على الجميع بان يتّحدوا كل حين امام الخطوب لاجل انهاض الوطن ، كما اتحد شهداؤهم امام المشنقة منذ ١٥ عاماً في سبيل غاية وطنية نبيلة . وقد جلست المرأتان امام قارورة كانها تضمّ رفات الشهداء . وتمثّل الصورة ، في الصفحة المقابلة ، هذا الاثر الرائع وقد اقيم الى الناحية الجنوبية من حديقة بيروت العامة ، وفي الجهة الشمالية من ساحة الشهداء .

اما اولئك الضحايا الذين شُنقوا بامر جمال باشا متّهمين بخيانة الدولة العثمانية ، فهذه اسماؤهم ، كما قرأها رئيس المجلس النيابي في حفلة تدشين الاثر في ١٩ كانون الاول ١٩٣٠ ، ندوّنها تذكارًا :

٢٢ آذار ١٩١٥ : الاب يوسف الحايك

٢١ آب ١٩١٥ : عبد الكريم الخليل . صالح حيدر . علي الارمنازي . محمد المحمصاني . محمود المحمصاني . عبد القادر الحرسا . نور الدين القاضي . سليم الاحمد عبد الهادي .

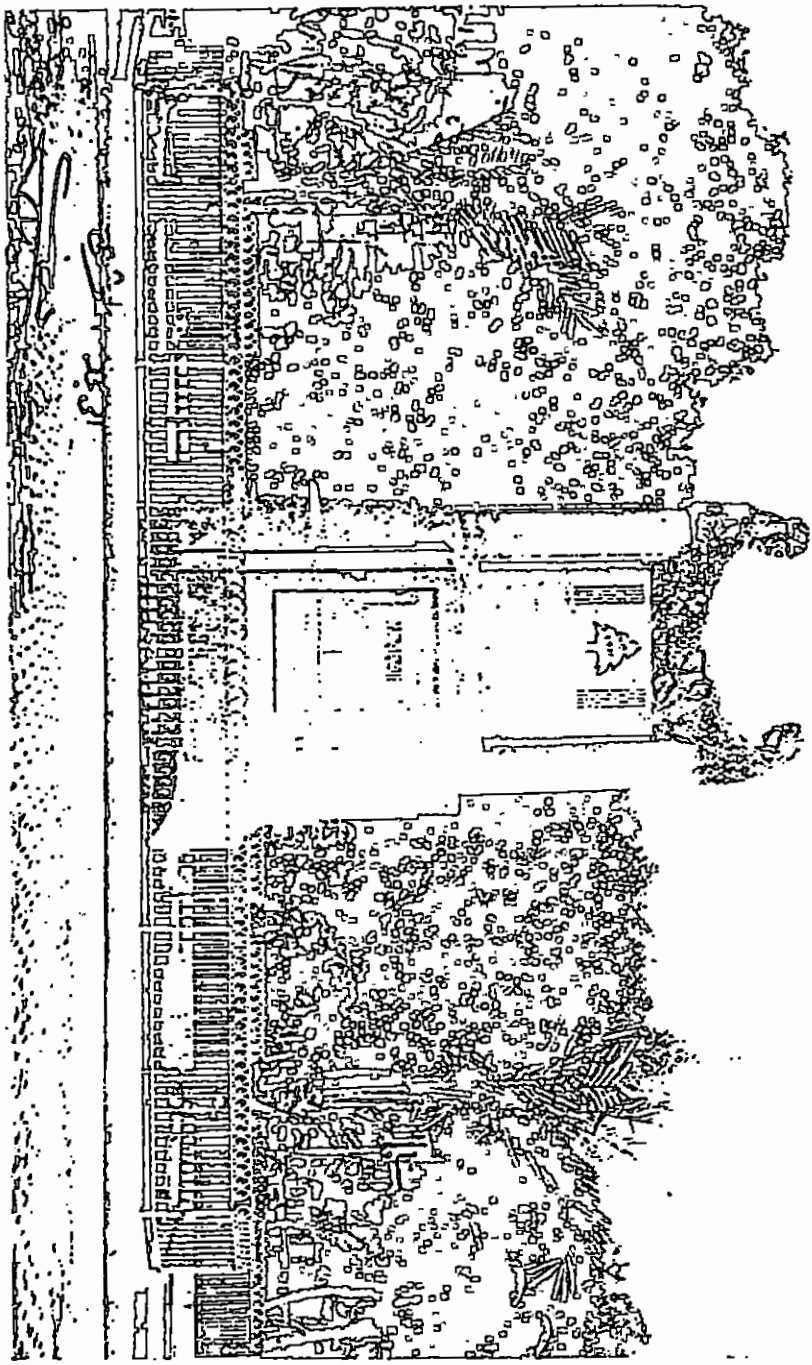

نصب الشهداء ، من صنع المثال اللبناني السيد يوسف الحويك

محمود العجم . نايف تللو . محمد مسلم عابدين .

٥ نيسان ١٩١٦ : يوسف بشاره الماني

٢٥ نيسان ١٩١٦ : مسعود الملّيل

٦ ايار ١٩١٦ : عمر مصطفى حمد . محمد حسين الشنطي . عبد الغني العريسي . عارف سعيد الشهابي . سيف الدين الخطيب . الشيخ احمد حسن طباره . سعيد فاضل عقل . باترو باولي . توفيق البسّاط . جورج الحدّاد . سليم محمد سعيد الجزائري . علي حاجي عمر . امين لطفي . محمد حافظ . جلال سليم البخاري . عبد الحميد الزهراوي . شفيق المؤيد . شكري المالح . عبد الوهاب الانكليزي . رفيق رزق سلوم . مهدي الشمعه . الامير عمر الجزائري .

٦ حزيران ١٩١٦ : الشيخان فيليب وفريد الخازن

١٤ ايلول ١٩١٦ : انطون زريق . توفيق زريق

رسالة الحبر الاعظم في الزواج

نشر قداسة الحبر الاعظم في ٣١ كانون الاول الفائت رسالة في « سرّ الزواج » سنتكلّم عنها في عدد قادم ، وقد كان لها وقع عظيم في انحاء العالم قاطبة ، لا سيما في اميركة . ومن دليل ذلك ما تذرع به الاميركيون من الوسائل الى سبق غيرهم بالحصول عليها فان هناك شركتين اميركيتين للنشر سعتا في هذا السبيل ، الاولى شركة « *National Catholic Welfare Conference* » وهي تعنى بابلاغ الاخبار الى الصحف الكاثوليكية جمعاء في الولايات المتحدة ، والثانية شركة « *Associated Press* » وهي اعظم شركة صحافية في اميركة ، ولهذه الغاية طيرت الرسالة بكاملها بالنص الانكليزي على اجنحة البرق في مركز التلغراف الفاتيكاني دون ان يهمل منها حرف او نقطة او علامة من علامات القطع . فيوم صدور الرسالة بدئ الساعة العاشرة بارسالها ، ولم يفرغ من

ذلك الا في الساعة الثالثة عشرة. وفي الساعة السادسة عشرة كان نصها بكامله مطبوعاً في ادارتي الشركتين، وبعد قليل ظهر بجذافيره في اعظم جرائد نيويورك الكاثوليكية والبروتستانية. وكان عدد الكلمات المرسلة ٢٠ الفاً، انفق على ارسالها ٥٠ الف فرنك ايطالي. وقد استعمل لاجل نقلها كلتا الآلتين السلكية واللاسلكية. وهذا دليل باهر على ما لكلام ابي المؤمنين من جليل القدر في اعين مفكري العالم لا في الولايات المتحدة وحدها بل في جميع اصقاع المسكونة على اختلاف نحلها وجنسيات ساكنيها.

الطيران ورجال الدين

اول من جرّب الطيران من رجال الدين راهب من رهبان القديس مبارك، انكليزي الاصل اسمه اوليفار، عاش على ايام الملك ادوار المعترف (١٠٠٤–١٠٦٦) خاض فضاء الجوّ لا بارتفاعه عن الحضيض، ولكن بالرمي بنفسه من رأس برج عالٍ. وكان قد ركّب جهازاً مجنحاً على ذراعيه وساقيه. وطار هنيهات، ثم شعر بتيار من الريح، فخاف وحطّ. وانكسرت ساقاه، وظل ملازماً سريره بقية حياته، مدة عشرين سنة. ونسب سقوطه الى كون جهازه المجنح لم يكن له ذنب.

وكان الفضل لغيره من رجال الدين في التماس السبيل الى الطيران فساعدت تجاربهم ومجهوداتهم على رقي ذلك الفن الى ان بلغ في يومنا ما بلغ اليه، منهم الطوباوي البرتس الكبير، استاذ القديس توما الاكويني؛ درس حركة الطيور والنحل والذباب في طيرانها واهتدى الى وضع مبادئ فن الطيران بنظرات ثاقبة، بعيدة المرامي. وهو اول من قال بامكان ارتفاع القربة فوق الارض اذا حُبس فيها الهواء الحارّ. ومنهم روجه باكون العلامة الفرنسيسكاني الشهير، عاش في ذلك العصر وقال بامكان صنع آلة طيّارة، ووصف جهازها وحركاتها. وفي القرن السابع عشر اخترع اثناسيوس كرخر اليسوعي (١٦٠١–١٦٨٠) طائراً يطير بقوة مغناطيسية خفية، تتوجه به الى حيث يريد صاحبها، وسبب له اختراعه قلقاً واضطراباً لان العامّة توهمته ساحراً.

على ان البابا اوربانوس الثامن دعاه اليه. ورغب اليه في مشاهدة الاكتشاف الجديد، فتحقق ان ليس فيه شيء من الشبهة ولكن، اشفاقاً على العامة من حدوث قلق وبلبال، اوصاه ألّا يبرز اختراعه امام الناس. وفي ذلك العصر ايضاً عرض اثنان من اليسوعيين، احدهما افرنسي والثاني ايطالي، طريقةً لدفع الماكنات في الجوّ. فالاول اقترح استعمال الهواء المضغوط عليه، والثاني استعمال البارود، وكلتا النظريتين لها قيمتهما في فنّ الطيران الحالي. وفي غضونها توصل اليسوعي الالماني كسبار شوت بعد ابحاث طويلة، الى هذه النتيجة: ان في الطبيعة جوهراً اخف من الهواء ثقلاً، اذا ما اكتشفه الانسان استطاع ان يسير على سفائن جوية في بحر الفضاء. ثم جاء الاب يوسف جلانثيل الانكليزي فنظر الى القمر وقال: كما ان الرحلات الى اميريكة اصبحت في يومنا غير نادرة، كذلك، قبل ان تتعاقب ذراري عديدة، سوف تصبح الرحلات الى الاقطاب الشمالية المعروفة، بل الى القمر، امراً ليس من ضروب المحال، لا بل سوف تأتي ايام يبتاع بها الانسان الجناحين للطيران كما يبتاع اليوم الجزمتين للسير.

وفي القرن السابع عشر، فكر الاب فرنسيس لانا اليسوعي الايطالي في صنع سفينة تسبح في الفضاء، متعلقةً باربع كرات مفرّغة من الهواء. ونال الاب كرنوس، استاذ الطبيعيات في المعهد الملكي في رودز في فرنسة استحسان اسقفه ومساعدة مواطنيه في بناية منطاد، نفخه في ٨ آب ١٧٨٤، بالهواء الحار، وصعد به مع رفيقه الى علو ٣,٠٠٠ متر على مشهد من جمع غفير مدهش، وظلّ في الجوّ مدة ٣٥ دقيقة، وحطّ خمسة عشر ميلاً بعيداً عن مكان ارتفاعه، ولم ينله عطب ولا ضرر.

اما الاب الاقدس المالك سعيداً فقد اعرب عن اسفه مراراً لعدم تمكنه من الطيران في الطيارات الحديثة. رسم منذ اربع سنوات احد الاساقفة الصينيين ثم قال له: يجب ان تعود الى رومة وتزورنا زيارات عديدة. فاشار الاسقف الجديد بيده ولسان حاله يقول: ما ابعد الصين عن رومة. فسبقه الاب الاقدس بالكلام وقال: قبل ان تنقضي اعوام عديدة سوف يمكن المسافر ان يقطع المراحل من الصين الينا بأقل من الاسبوع.

مطبوعات شرقية جديدة

Ehrle (Fr. s. j. Cardenal) : Los manuscritos vaticanos de los teologos salmantinos del siglo XVI. *primera edicion espanola corregida y aumentada a cargo del Padre* **Jose M. March s. j.** [*Biblioteca de «Estudios eclesiasticos-Serie de opusculos* 1.] *in*-8° *VII*-136 *p. Madrid, Estudios eclesiasticos.*

مخطوطات مكتبة الفاتيكان لآثار لاهوتي مدرسة سلمنكة

يحتوي هذا الكتاب على اكثر من وصف للمخطوطات ، فيبحث في معهد سلمنكة اللاهوتي ، واساتذته ، وما تركوه من الآثار ؛ وفي مكتبة الفاتيكان عدد منها لا يُستهان به . ولحضرة الاب مارش فضل جزيل بطبعه مؤلف الكردينال اهرله باللغة الكاستليانية ، وبما علّق عليه من المعلومات المفيدة لكل من اهتم بدرس تاريخ الفلسفة الكلامية النصرانية . ج.ل.

F-X Kortleitner : Commentationes biblicae : *IV. Babyloniorum auctoritas quantum apud antiquos Israelitas valuerit.*
V. De Sumeriis eorumque cum vetere Testamento rationibus.
VI-115 *p.* ; *VI*-92 *p.* 8°. *Oeniponte F. Rauch*, 1930.

تعاليق على التوراة

لا يزال المؤلف الهمام الغيور يتابع نشر معلوماته وابحاثه في العلوم الكتابية الشرقية ، لفائدة طلاب العلوم الاكليريكية وسائر رجال الاكليروس . وقد تكلمنا سابقاً في المشرق (٢٦ [١٩٢٨] : ٣٠٩) و (٢٨ [١٩٣٠] : ٤٧٤) عن الجزءين الثاني والثالث من تعليقاته على الكتاب المقدّس . وها اننا نصف اليوم الجزءين الرابع والخامس . وهو ينتقد ، في الرابع ، على بعض المستشرقين مبالغاتهم في القول انه كان للديانة البابلية تأثير كبير في عبادة الاسرائيليين الاقدمين ومعتقداتهم الدينية . ويتطرّق في الجزء الخامس ، الى ذكر الشيء

نفسه في ما خصّ الشومريين الذين كانوا ، في كثير من الامور ، اساتذة البابليين .

وان ما في الجزءين من الضبط والترتيب ، وما في المختصرات من الايجاز والوضوح ، في ما خصّ البابليين والشومريين ، وما في النتائج من الحكمة والتحفظ ، مع ذكر المآخذ والمستندات المهمّة ، كل هذا يجعل من الكرّاسين خير تابعين لما تقدّمها ، وملحقاً مفيداً للدروس الكتابية . فانه لم يعد بمقدور الاكليريين اليوم ان يجهلوا هذه المسائل ، وهم يجدون في المؤلف دليلاً عاماً حكيماً . ونختم بتهنئة ناشر الجزءين للمظهر الطبعي الشائق . س . ر .

Alfred Rühl : Vom Wirtschaftsgeist im Orient. *in*-8° *VI*-92 *p.* 1925, *Prix* : 3 *M*, 60 — *Verlag vom Quelle und Meyer, Leipzig.*

الروح الاقتصادي في الشرق

شاء المؤلف ان يدرس الروح الاقتصادي في الشعوب الشرقية فاختار بلاد الجزائر ، لانها ، كما يؤكد ، تشابه مناطق الشرق بمناخها ، وديانتها وعاداتها اهلها . على اني اعتقد ان ما دفعه خصوصاً الى هذا الاختيار هو وفرة المعلومات التي امكنه الحصول عليها عن تلك البلاد . فاتى كتابه درساً خاصاً بالجزائر وبحالتها الاقتصادية . والكاتب يبحث في تأثير الديانة ، والاعتقاد بالقضاء والقدر ، وتحريم الربا ، وكيف يحتالون على الشريعة في هذا الامر . ويبدي اهتماماً خاصاً باليهود ، والمزابيين وتأثيرهم على تجارة البلاد . ه . ل .

Acta conventus Pragensis pro studiis orientalibus anno MCMXXIX celebrati. 8°, 258 *pp. Prix* : 38, 1930. *Accademia Velehradensis Olomouc.*

اعمال مؤتمر براغ في الدروس الشرقية

في مدينة ڤلهراد ، من اعمال تشيكوسلوڤاكية ، وسط علمي يبدي الاهتمام الجزيل بالدروس الدينية المتعلقة بالشرق الصقلبي ، وبموضوعات الاتحاد . وسنة ١٩٢٩ ، على اثر الاحتفالات بتذكار القديس ڤنسيلاس ، التأم مؤتمر خاصّ لفحص كل الموضوعات الخاصة بوحدة الكنيسة فحصاً مدقّقاً قام به رجال عُرفوا بمقدرتهم في هذه الدروس . وقد نال المؤتمر نجاحاً باهراً ، فجُمعت اعماله وقراراته في هذا المجلّد النفيس ، واكثرها مكتوب باللغة اللاتينية . ج . ل .

Démétrius Cydonès: Correspondance. *Texte inédit établi et traduit par* Giuseppe Cammelli. [*Collection byzantine*] 216 *pp.*, 1930, *Prix* : 40 *f*. *Paris*, « *Les Belles-Lettres.* »

مراسلات ديمتريوس سيدونوس

ليس لمؤلفات ديمتريوس سيدونوس التسالونيكي ، الـذي عاش في القرن الرابع عشر ، طبعة شاملة . على ان مكتبة الفاتيكان تهتم بهذا الامر . وقد كلّف المؤلف درس رسائله ، فنشر منها ٥٠ كتاباً كانت لم تُنشر بعد ، وقدّم عليها بحثاً جمع فيه كل المعلومات المعروفة عن الكاتب ، ولائحة كاملة بمخطوطاته ، وبمراسليه ، وبكل المآخذ التاريخيـة التي تمكن من فهم مراسلاته . وهي طبعة مُتقنة ، ككل مطبوعات المجموعة ، فنهنئ النـاشر ، ونتمنى ان تزيد المنشورات التي تفيد جميع من يدرسون امور الشرق. ج.ل.

H. G. Farmer : Historical facts for the arabian musical influence. [*Studies in the music of the middle ages.*] *in*-12, 376 *p.* 12/6. *London*, *William Reeves.*

حوادث تاريخية في الدلالة على تأثير الموسيقى الشرقية

هو بحث دقيق يعود به المؤلف على كتاب نشره سنة ١٩٢١ بعنوان « التأثير العربي في نظرية الموسيقى » فيبرهن عن وجود ذاك التـأثير العربي ، اي تأثير الشعوب المتكلمين اللغة العربية ، سواء كان من حيث السياسة او من حيث الدروس العقلية . ثم يبحث في النظرية الموسيقيـة العربية الاولى ، وفي اسماء العـلامات ، وفي تأثير العود العربي في موسيقى القرون الوسطى . ثم يردف كلامه بثمانية واربعين مُلحقاً بالمـآخذ والاستشهادات التي من شأنهـا ان تزيد المعلومات في موضوع قلّ من خاض فيه من العلماء. ج.ل.

L'Apocalypse. *Edition abrégée, introduction, traduction française et commentaire par le* R. P. Lavergne, O.P. *in*-16 *de* 169 *pp.* (*Collection des Etudes Bibliques.*) *Prix* : 10 *f*. *Librairie Lecoffre, Gabalda et fils, Paris.*

رؤيا القديس يوحنا

كان حضرة الاب ألوا ، الاستاذ في جامعة فريبورغ ، قد نشر شرحاً كبيراً

على روْيا القديس يوحنا ، لفت انظار العلماء بما فيه من دقة النقد الكتابي ، والتمحيص اللغوي ، ومظاهر الاطلاع الواسع على ما كُتب في انواع الروْى من الابحاث ، والتقيُّد بالتقليد الكاثوليكي . فسأله الاب لاڤيرنيه ان يطبع طبعة مختصرة لذاك الشرح النفيس لتتمكن جمهرة القرّاء من الاستفادة منه ، فقبل وشجعه برسالة وضعها الناشر في مقدّمة الكتاب المفيد .

L. Massignon : Annuaire du monde musulman, *statistique, historique, social et économique*, 3° *édit. Paris, Ernest Leroux*, 1930.

تقويم العالم الاسلامي

هو تقويم ضروري لكل من يهتمّ بحالة الاسلام في عصرنا . وقد اعاد المؤلف النظر في الكتاب كلّه ، وزاد عليه معلومات ، في هذه الطبعة الجديدة ، التي خصّ القسم الاوفر فيها بالمعلومات المفصّلة من مختلف البلاد الاسلامية ، مع ذكر احصائيات تستحق الثقة والاطمئنان في مجملها . وفيه ايضاً ابحاث عن التقاويم الاسلامية ، ولائحة عامّة باسماء الصحف في بلاد الاسلام ، ولائحة باسماء معاهد التدريس الاسلامية ، ثم اشارة الى اهمّ الكتب الخاصّة بشؤون الاسلام التي ظهرت في السنتين ١٩٢٧ و ١٩٢٨ . كل هذا يبدو بالدقّة والترتيب والرغبة في الحقيقة التي عوّدناها الاستاذ ماسينيون في جميع ما يكتب عن العالم الاسلامي .

ه . ل .

Karl Willing : Methodische Schulgrammatik der hebräischen Sprache. *in*-8° 207 *pp. Prix* : 5 *M*, 80. *Moritz Diesterweg, Frankfurt am Main*, 1929.

H. L. Strack *und* **Alfred Jepsen** : Hebräische Grammatik mit Uebungsbuch, *in*-16°, 242 *pp. Prix* : 7 *M*.

Clavis linguarum Semiticarum., *C. H. Beck, München*, 1930.

Israël Bursztyn : Vollständige Grammatik der Alt-und Neuhebraïschen Sprache. *in*-8°, 334 *pp. Prix* : 15 *M. Gerold und C°, Wien*, 1929.

ثلاثة غراماطيقات للغة العبرية

لا تزال الدروس العبرانية على تقدّم وازدهار في بلاد اللغة الالمانية والشاهد هذه الغراماطيقات الثلاثة :

يختصّ الاول منها بالمدارس ، فينال المؤلف غايته بايجاز وسهولة . الا ان القسم الخاصّ بالنحو قد يكون مختصراً جدّ الاختصار فلا يكاد يكفي حتى المبتدئين . اما ترتيب الموادّ فمبتكر موافق ، يجتهد فيه المؤلف ان يبعد درس اللغة العبرية عن الجفاف الذي عُرف به سابقاً ، وهو ينجح بان يجعل التلميذ يحكّم ذكاءه مع ذاكرته ، كما يقول في المقدّمة . ونحن نرى ان هذا الغراماطيق كافٍ باجماله ليقود الطالب الى معرفة صحيحة بلغة التوراة.

اما الكتاب الثاني فهدفه الجامعات الكبرى ، وان لم تتخصّص لدرس اللغة العبرية ، فان دروسها العلمية تدفعها الى معرفة هذه اللغة. وهو غراماطيق يُعاد طبعه للمرّة الاربعين بعد المائة . وقد وقف على تكميله وتحويره موافقة للوقت الدكتور يسن (Jepsen) فجدّده دون ان يغيّر ميزته الاصلية ، وقد توفق في ذلك . ولما كان همه منفعة شرّاح الكتاب المقدّس قبل غيرهم،صرف عنايته الى القسم النحوي ومعرفته ضرورية لفهم النصوص العبرية ، وهو ما يُحمد عليه ؛ وان كان في اهتمامه هذا قد اهمل نوعاً ما القسم اللفظي وما اليه من مواضع اللغويين.

اما الغراماطيق الثالث فلا يختصّ بدرس اللغة العبرانية القديمة ، بل ان المؤلف يرمي فيه الى الجمع بين اللغتين القديمة والحديثة . فترى في كتابه بعض معلومات كثيراً ما يحتاج اليها الطالبون ولا يعرفون أين يجدونها في تطوّر اللغة العبرية اللاحق بعصر التوراة . على ان ما يؤسف له هو ان المؤلف لا يهتم خصوصاً بهذا التطور . فهو لا يميز بين العبرانية القديمة والحديثة بل يأخذ اكثر امثاله من التوراة ، ويحيطها بكثير من المعلومات المتفرّقة على غير ترتيب ، فتجرّ الى غموض واختلاط لاسيما اذا نظرنا الى طريقته في كتابته الكلمات العبرية بالحروف اللاتينية التي لا توافق ، في كثير من نقاطها ، طريقة علماء العبرية غير الاسرائيليين . واننا نرجو ان يُصلح الكاتب كل هذا في طبعة مستقبلة .

ب . م .

Albert Dufourcq : L'avenir du Christianisme.
Première partie : Histoire ancienne de l'Eglise :
1e *vol.* Les religions païennes et la religion juive comparées. 9e *édit.* 1924.
2e *vol.* La révolution religieuse de Jésus 7e *édit.* 1927.
3e *vol.* Le christianisme primitif. 8e *édit.* 1929.
4e *vol.* Le christianisme et l'empire. 7e *édit.* 1930.
Seconde partie : Histoire moderne de l'Eglise.
7e *vol.* Le christianisme et la désorganisation individualiste (1294-1527.) 4e *édit.* 1925.
***Paris, Plon, chaque volume* 25 *f sauf le t.* 1 *et le t.* 7, 12 *f*.**

مستقبل النصرانية

تحت هذا العنوان الشامل ، « مستقبل النصرانية » ينشر المؤلف ، الاستاذ في جامعة بوردو ، تاريخاً عاماً للكنيسة ، ظهر منه حتى الآن سبعة مجلدات كلّلتها اكادمية العلوم الاخلاقية والسياسية . ولاقت كثيراً من الرواج فتعددت طبعاتها ، واستفاد المؤلف العالم من ذلك فحسّن فيها وزاد حتى اصبح كل جزء كنزاً ثميناً من المعلومات يدلّ على اطلاع صاحبه ومواصلة جهوده المكلّلة بالنجاح .

ج . ل .

Tancrède de Rothe: De l'existence de la propriétét. Idées personnelles, opinions diverses. *in*-8°, 211 *pp.* 1930. *Paris, Librairie du Recueil Sirey.*

نظرات وآراء في حق الملكية

يهتم الكاتب بحقوق الملكية الشخصية أو المشتركة التي تعاكس الملكية المشاعة . وقد قام الكثيرون يُنكرون على الكاتب آراءه ونظرياته في الامر وقام غيرهم يدافعون عنه ، ولكن هؤلاء في دفاعهم ، حرّفوا بعض آراء المؤلف . فقام هو يُظهر الحقيقة ويبرّر نفسه تجاه الاوّلين والآخرين باسلوب لطيف جذّاب .

ج . ل .

تاريخ سورية قبل الفتح الاسلامي

تأليف امين خليفه

مطبعة الدائرة الاستعدادية في الجامعة الاميركية في بيروت ، ١٩٣٠–٢٨٠ ص متوسطة .

كتاب قيّم ، صحيح المعلومات ، واضح الاسلوب . قدّم عليه المؤلف مقدمة قصيرة ولكنها غنية بالافكار والنصائح التي تبعها في كتابه فوفّر للاستاذ الطرق التي يرغب بواسطتها تلاميذه في درس التاريخ فيلتذّون ويستفيدون . واننا نلاحظ بعض امور نودّ ان يصلحها المؤلف في الطبعة الثانية التي نتمنى ظهورها قريباً ، منها ان بُصرى لم تكن عاصمةً للغسانيين كما ورد في الصفحة ٢٧٠ ، فانّ هؤلاء الامراء كانوا يقيمون في جابية الجولان . وكذلك نلاحظ في ما خصّ المذكور بالصفحة ١٠٦ ، أن مدينة جبيل اقدم من صيدا ، استناداً الى ما كشفته الحفريات الاخيرة . هذا والخارطتان المرفقتان بالنصّ تزيدان في قيمة الكتاب .

ه . ل .

ادباء العرب في الجاهلية وصدر الاسلام

تأليف بطرس البستاني

مطبعة « مكتبة صادر » ، بيروت ، ١٩٣١–٤٤٥ صفحة متوسطة

هو احدث التواريخ الادبية جمع فيه المؤلف معلومات كثيرة ، عن العصرين الاولين من عصور آدابنا وعن الشخصيات البارزة فيها ، واردف ذلك بنظرات شاملة في ميزات كل عصر وكل شخصية ، وبتحليلات وافية للآثار المهمة . فكان كتاب ادب وتاريخ وتحليل لا يستغني عنه اديب ولا استاذ . وكان همّ المؤلف الاول انْ يجعل كتابه مطابقاً لبرنامج البكالوريا اللبنانية في ما خصّ ذينك العصرين ، ولكنه توسّع في التأليف فاضاف الى مقرّرات البرنامج من لم يذكر فيه من مشاهير الشعراء كالاعشى ، وجميل بن معمر ، وعمر بن ابي ربيعة ؛ فزادت بذلك فائدة الكتاب . وقد جرّت هذه الزيادة بعض ابيات وابحاث وددنا لو مرّ بها المؤلف مرّاً رفيقاً . ولعلّه يعيد النظر في ذلك في طبعة قادمة نتمناها في مستقبل قريب .

ف . ١ . ب

ذخيرة المتأدب

تأليف ادوار مرقص

مطبعة كومين ، اللاذقية ، ١٩٣٠ – ١٥٠ صفحة كبيرة

مجموعة لغوية نحوية فيها كثير من الامثال والحكم ، والشوارد والفروقات والمترادفات ، والفكاهات عن اهل الادب ، وكلها تفيد طلاب اللطائف اللغوية وجماع النوادر النحوية والاعرابية . وقد ادخل فيها المؤلف طائفة من اقواله ومنظوماته ، وهي اقل فائدة مما تقدم ذكره. ف . ا . ب

امكان التهذيب

بقلم ابي زهير الاندلسي

مطبعة العرفان ، صيدا ، ١٩٣٠ – ١٠٠ صفحة صغيرة

هذا الاثر الثاني للمؤلف في التربية والتعليم ، وهو موضوع قلما اهتم به كتابنا ، على اهميته ، فكان للمؤلف في ذلك فضل جزيل . وقد تكلمنا سابقاً (المشرق ٢٨[١٩٣٠]١٥٨) عن رسالته الاولى في الثقافة والتهذيب . اما الرسالة الحاضرة فتبحث « في ماهية الطبع واختلاف العلماء في تعريف وتحديد العناصر المكوّنة له ، وامكان تأثره بالتهذيب . وتتناول درس نظريات الحكماء الشكوكيين والمعتقدين والنسبيين في علاقة الطبع الانساني بالتربية والتعليم . » كل ذلك باسلوب مختصر واضح ، ولكنه شديد الميل الى النظريات . وقد وددنا لو ان المؤلف عدّد الامثلة على ذلك ، اذاً لسهل فهم الرسالة على جمهرة المطالعين ، فزادت فائدتها. ف . ا . ب

الاحوال الشخصية في الجمهورية اللبنانية

بقلم الخوراسقف بطرس حبيقه

المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ١٩٣١ ؛ ٧٢ صفحة صغيرة

هو بحث قيّم باللغتين العربية والافرنسية رفعه المؤلف الى المفوّض السامي وجمع فيه الملاحظات الجديرة بالاعتبار حول مسألة الاحوال الشخصية التي يدرسها اليوم في المشرق حضرة الخوري بطرس غالب.

اهم حوادث الشرق في شهر

١٥ كانون الاول ١٩٣٠ — ١٥ كانون الثاني ١٩٣١

لبنان — سورية — مصر

* احتفل في ١٩ كانون الاول سنة ١٩٣٠ بازاحة الستار عن نصب الشهدا الذي تكلمنا عنه في غير مكان من هذا الجزء ، وذلك بحضور المرشال فرنش دسپره والمفوّض السامي ورئيس الجمهورية وقناصل الدول والرؤساء الروحيي وكبار موظفي الحكومة ، وعلى مشهد من جمّ غفير.

* اقيم من ٢٠ ك ١ الى ١٥ ك ٢ ، في مدرسة الصنائع والفنون المعرض اللبناني الاول للنقش والتصوير. وقد افردنا له مقالًا خاصاً في هذا الجز

* نشرت الجريدة الرسمية الفرنسوية ، في عددها المؤرّخ في ١٦ كانو الاول ١٩٣٠ قرارًا اصدره وزير المعارف في فرنسة بتاريخ ١٢ ك ١ يعتبر ف البكالوريا اللبنانية معادلة للبكالوريا الفرنسوية

* زار الملك علي ابن الملك حسين بيروت آتياً من دمشق فاستقبل وودّ بكل حفاوة . وقد أعلن ان لقدومه صفة شخصية محضة

* لم يحدث ما يستحقّ ذكرًا خاصًا في السياسة السورية . انما الجمي يتوقّعون الانتخابات الجديدة التي لم يعيّن تاريخها بعد

* لا تزال الازمة البطريركية الارثوذكسية على حالها . وقد عقد مجتم تداول فيه بعض المطارنة ووفد من العلمانيين في عدّة امور متعلّقة باسبا الازمة ولكنهم لم يصلوا الى التفاهم.

* من اهم جهود الحكومة المصرية في هذا الشهر اهتمامها بالازمة الحال وسعيها في سبيل الاقتصاد ، وقد تنازل الملك فؤاد عن شيء من مخصصاته عط على ما تبديه في هذا السبيل . والحكومة سائرة بنشاط على تنفيذ خطّتها جميع مظاهر الحياة السياسية ، ويستنتج من حديث ، نشرته جريدة الدايلي نيو كرونكل ، لاسماعيل صدقي باشا ، انه يريد ان تجري الانتخابات في اسر وقت ممكن وان له ملء الثقة بنتيجتها.

المشرق

آذار ١٩٣١

مسألة الشرّ

نبذة فلسفية

للاب ارمند اودين من جمعية قلب يسوع*)

توطئة

اي يوم قامت تجاه العقل البشري مسألة الشر المزعجة ، فاخذ الانسان في حلها ؟ ألم يكن ذلك في اليوم عينه الذي دخلت فيه الخطيئة الى العالم ، مصحوبة بجملة الشرور التي لم يكن ليختبر الانسان منها شيئاً ، لو كان ثبت في البرّ والطاعة لخالقه ؟ أليس وقتئذٍ خطر على بال آدم هذا السؤال : لماذا نشاهد ، بل نكابد هذه البلايا ، ونتعرّض لهذه المصائب التي لا تزال تتناوب على تعذيبنا الى ان يدركنا ما نحسبه طبعاً اعظم الشرور وارهبها ، اي انحلال كياننا وعودة جسدنا الى التراب الذي اخذ منه؟

*) صحح عبارتها وعني بنشرها على صفحات هذه المجلة انفس اسقفان فرحات الراهب اللبناني .

ولماذا امتلأ هذا العالم مضادةً بين ما تشتهي الكائنات تحصيله من الكمال ، وما يحلّ بها من النقائص مع ما يحيط بها من عوامل الفساد والفناء ؟

ولم تزل عقول البشر مشغولة بهذه المسألة الى يومنا هذا ، وكثيراً ما كتب فيها الفلاسفة على اختلاف مبادئهم ومذاهبهم ، ولا شك ان الوحي الالهي قد اتانا في هذه المسألة — كما في سائر المسائل الفلسفية العالية — بأثمن مساعدة لنفهم ماهية الشرّ فنميّز انواعه ، ونعلّل وجوده ، ونبحث عن اصوله . فقصدنا من هذه المقالة هو ان نجمع اهمّ ما يفيد القرّاء بهذا الصدد ، فنسهل بذلك مهمة من يجب عليهم ان ينيروا عقول المؤمنين في هذا الموضوع ، فيزيلوا من انفسهم كل ظنّ بان وجود الشرور ينافي حكمة الخالق وصلاحه ، ويدل على قصور قدرته ، او نقص عنايته . لان هذه الآراء الباطلة هي التي جلبت على كثيرين شرّ جميع الشرور ، اي فقدان الايمان ، والغرق في لجة اليأس والكفر .

غير ان البحث في اصول الشر وعلله يقلّ نفعه ، ان لم نتبين ما هو الشرّ ، وما هي انواعه . لذلك نقسم هذه المقالة الى قسمين : نبحث في الاول عن ماهيّة الشر وما يفيد تمييزه من انواعه . وفي الثاني عن اصول الشر ونسبته الى عناية الله مدبّر جميع الخلائق ومرتب احوالها وافعالها كافةً .

١

في ماهيّة الشر وانواعه

قد قلنا ان ابانا الاول ، آدم ، اخذ يتأمل في الشرّ يوم رأى نفسه فاقداً ما كانت يد الله السخية قد زينته به من المواهب . ولكن اذا اعتبرنا ما كانت عليه احوال الكائنات التي اوجدها الله حول آدم قبل معصيته ، نضطر الى الاعتراف بان بعض الشرور كان في العالم ، حتى وفي الفردوس ايضاً حيث شاهده آدم ، فيحتمل كثيراً انه سأل نفسه حينئذٍ ، كما نتساءل نحن اليوم : ما هي هذه النقائص ؟ ولماذا لم يصنع الله براياه متزّهة عنها ، بل كاملة من كل جهة ؟

فلايضاح ذلك اعتبر اولاً : ان الشر ليس سوى سلب الخير ، او الخلوّ

احدى الارزات القديمة

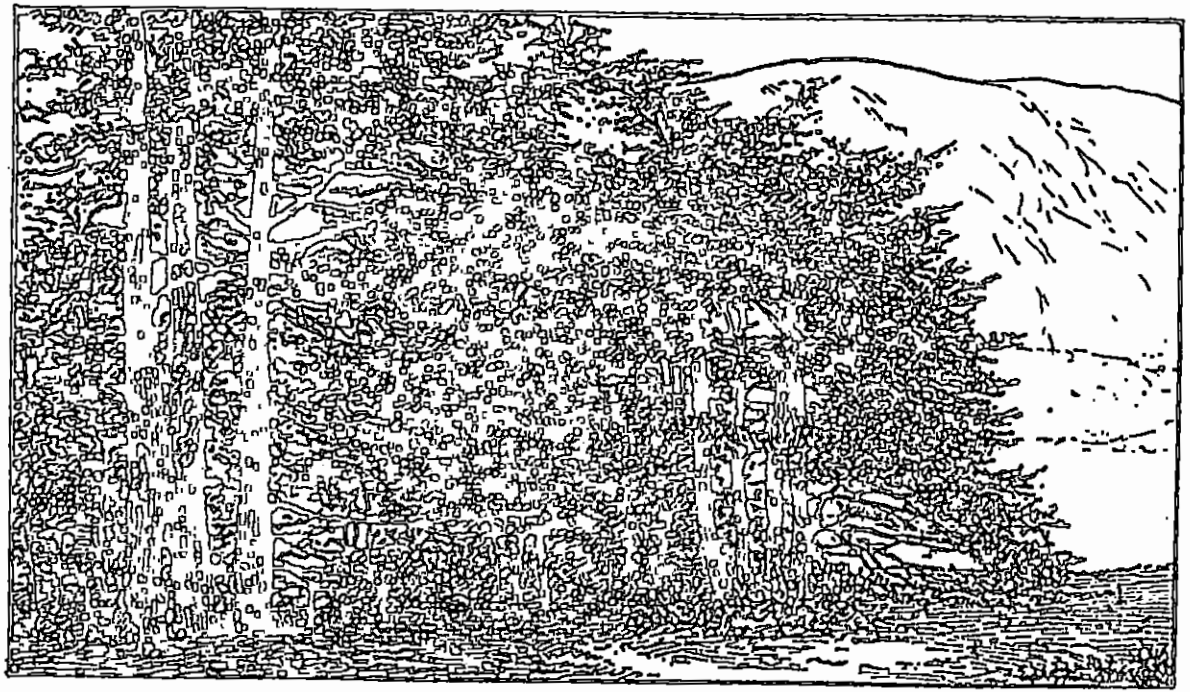

بعض ارزات حديثة

منه ، ولكن ليس كل خير يُدعى الخلوّ منه شرّاً . بل ذلك الخير وحده الذي يُحسب ملائماً لطبع الشيء الخالي منه ، ولازماً لبلوغ غايته . فهما خلا الانسان من كمال الطبيعة الملائكية فلا يقال : ان هذا فيه شر . اما اذا فقد الرشد ، او صارت ارادته معوجة ، فلا شك في كون هذا شرّاً . وعدم استطاعة الانسان على الطيران مثل العصفور ، او على الركض مثل الأيل ، ليس فيه شرّ . اما اذا اضحى اعمى ، او اصمّ ، او مخبلاً ، فلا يُرتاب في كون حالته هذه هي شرّ ، فحدّد من ثمّ الفلاسفة الشرّ قائلين : هو خلوّ الشيء مما يلزمه من الكمال . فكلما نقص كمالٌ او خيرٌ شيئاً تقتضيه طبيعته ليحصل على غايته ، قلنا : ان في ذلك الكائن شرّاً .

تأمل في ما كان حال الفردوس الذي وضع الله آدم فيه ، كما في مسكن فخم معدّ له ، فانه كان هناك عدد عظيم من الحيوانات والنباتات على اختلاف انواعها ، وكانت الحيوانات ثمّ ، كما نراها اليوم ، محتاجة الى الاغتذاء بكل النباتات ، وكان يقتل بعضها بعضاً ؛ ولا شك ان النبات الذي يلتهمه الحيوان ، يصيبه نوع من الشرّ ، لان طبيعته كانت تطلب المحافظة على حياته وعلى سلامة اعضائه . وقل كذلك عن الحيوان الذي يهاجمه حيوان آخر اقوى او امكر منه ، فيتغلّب عليه ويقتله ليغتذي بلحمانه ، واذن فيظهر ان عالمنا هذا كانت فيه شرور دائماً ، منذ خلق الله النبات والحيوان . ويتضح من ثمّ ان آدم علم شيئاً من الشرّ قبل سقطته الاولى .

تصوّر الآن ما جرى في عقل آدم ، لما سمع كلمة الله القائل له : « لا تأكل من شجرة معرفة الخير والشر ، فانك يوم تأكل منها موتاً تموت » (تكوين ٢ : ١٧) فاول شيء نستدلّ عليه من هذا الكلام ، هو ان آدم كان حينئذٍ يدرك معنى لفظة الشرّ ، واذن فلم يكن يجهل الشرّ . ثم لاحظ ، ايها القارئ اللبيب ، ان آدم فهم من الكلام عينه انه من باب الممكن ان يصير هو نفسه محلّاً لبعض الشرور ، لا بل لاعظمها ، الذي هو الموت . ولكن هل انحصر في ذلك ما ابانه تهديد الله بالموت لآدم ، ان اكل من الثمر المحرّم ؟ كلّا ، فانه تعالى نوى بكلامه هذا ان ينبه آدم الى ما يصيبه من العقاب اذ

خالف ارادة مولاه . والعقاب لا يفهم إن لم يسبقه ذنب . فبان اذن لعقل آدم ، انه يمكن ان يسيء تصرّفه في حرّية الارادة التي ازدانت بها طبيعته الناطقة ، فيعصي ربّه الاعظم صائرًا بذلك محلًا لشرّ جديد ، لم يكن بعدُ ظهر في الدنيا ، الا وهو الذنب او الشرّ الادبي ؟ نعم ان هذا الشر كان قبل ذلك الوقت ، قد ابتدأ بالوجود بين الملائكة ، فان آدم لم ينقد الى ذنبه الا بتجربة واغراء من بعض الارواح التي سقطت بتمرّدها ، وهي الشياطين . ولكن لا شيء يدلنا على ان آدم قبل خطيئته علم حال الشياطين . ولهذا نقول انه ادرك طبع الشرّ الادبي ، كأمر ممكن الحدوث لا غير .

فترى من ذلك ان الشرّ تراءى لذهن آدم ، اولًا كحادث طبيعي ينتج لا محالة من ماهيات الاحياء التي يقتضي تنوّعها ان يحارب ويقاتل بعضها بعضاً ، وان يفني اقواها اضعفها ، وهذا هو الشر الذي نسميه شرًّا طبيعيًا . ثانياً ظهر لعقل آدم ان ما شاهده من ذلك الشر في المجاوات ، مع ما يقترن به من الوجع ، يمكن ان يصيبه هو ايضاً ، وذلك بحكم من الله الذي يرتّب هذا الشرّ لمعاقبة الانسان ، إن أبى العبادة ، والطاعة الواجبتين عليه لالهه . فهذا هو الشرّ الطبيعي الحالّ في الخليقة الناطقة ، وهو بذاته غير مختلف عما هو في الخلائق الغير الناطقة . لكن هذه تتعرّض له بمجرّد طباعها والنظام الذي اقامه الله بين انواعها . اما الانسان فيصيبه هذا الشرّ على مقتضى العدل الالهي كتبعة لمعصية الانسان ، ولهذا يُدعى هذا الشر الطبيعي ، الذي اصبحنا له عرضةً بالخطيئة ، شرّ عقابٍ او قصاصٍ . ثالثاً واهمّ ما انكشف لعقل آدم هو ماهية هذا الشر ، الذي لا يمكن حلوله ، الا في الخليقة الناطقة ، لقيامه بعدم خضوع الارادة المخلوقة الحرّة لارادة الخالق الاسمى ، وهو المعروف بالشرّ الادبي .

واذن فقد بيّنتُ لك بايجاز الكلام ، ما هو الشرّ على وجه العموم ، وكيف ينقسم الى انواع مختلفة ، وقد مرّ بك ان حقيقة الشرّ تقوم بخلوّ كائنٍ من كمالٍ لازمٍ له . ثم ان بعض الشرور تحصل من نظام الطبيعة ، ومضادّة بعض انواع الكائنات للبعض الآخر ، وهو ما نسميه شرًّا طبيعيًا .

ويتميز عنه الشر الادبي ، الذي لا مبدأ له سوى ارادة الخليقة الناطقة ، وهو القائم بعدم خضوع هذه الارادة لمشيئة الله . ثم ان الشر الطبيعي كلما حلّ في الخليقة الناطقة كعاقبةٍ للشر الادبي ، واصلاحاً للنظام الذي اخلّت به الارادة، يُدعى عقاباً او قصاصاً .

لكنه يفيد ان نزيد ايضاحاً لما يوجد من الفرق بين الشرّين الطبيعي والادبي ، لنفهم لماذا اجمع ارباب علم اللاهوت على ان الشرّ الادبي يفوق الطبيعي فظاعةً بما لا حدّ له ، بحيث يجب ان نفضّل احتمال الشرور الطبيعية ، مهما كثرت وعظمت ، على الانقياد الى الشر الادبي باقتراف خطيئة مهما كانت خفيفة . فاعلم ان مبنى هذا الحكم يؤخذ من اعتبار نسبة المخلوقات الى الخالق . فانه تعالى هو نفسه الغاية القصوى التي تُرتّب لها الخلائق قبل ، وفوق كل ما سواها . ومن ثمّ أول خير يلزم وجوده في الخلائق هو انها تمجد باريها بانجاز مشيئته بالطريقة الملائمة للطبع الذي اعطاه لكل واحدة منها . وهذا ما تخالفه الخليقة الناطقة كلما كان فيها شيء من الشرّ الادبي . لان هذا الشر ينافي خضوع الارادة المخلوقة لمشيئة الله . وهذا الخضوع هو الطريقة المناسبة لطبع الكائن الناطق لتمجيد الخالق . واذن فان الخليقة الناطقة تفقد بكل شر ادبي ، اول خير يلزم وجوده فيها . وليس الامر كذلك في الشر الطبيعي ، فانه لا ينافي سوى بعض الخيرات الثانوية التي يكون خسرانها اكثر جوازاً واحتمالاً من عصيان الارادة المخلوقة على ارادة الله . ولهذا يحسب دائماً الشرّ الادبي اشنع وابعد عن الاحتمال من الشر الطبيعي ايًا كان . وهكذا يحكم كل عاقل ان الشر الادبي ، دون ما سواه ، هو عيب وشين في حياة الانسان . وان شرفه وفضله يقومان باستعداده الثابت لايثار مكابدة انواع الشر الطبيعي كلها ، على ان يدنس نفسه بالشر الادبي .

وتكميلاً لما قيل في الشر الطبيعي ، لاحظ ان فيه درجات متفاوتة جداً كتفاوت اصناف الكمال ، التي تنافيها الشرور المختلفة ، فلا ترتاب مثلاً في الحكم ان فقدان الانسان رشده هو شر اعظم من خسارته ماله . لكون كمال العقل انفس من الغنى المادي باضعاف . وكذلك ان العمى في الانسان

هو شر اكبر مما هو في الحيوان ، لانه بقدر ما طبيعة الانسان هي اشرف من طبائع البهائم ، يكون خلوّها من بعض خواصها اشد مضادة لما ينبغي وجوده من الكمال في جملة المخلوقات . فيجوز اذن ان نقول ان شرّاً يحسب اعظم من غيره من وجهين : الاول اهمية الخير الذي ينفيه . ثانياً شرف الكائن الذي يخلو من بعض ما يقتضيه طبعه من الكمال .

ولا خفي ان المصنوعات هي ايضاً محلٌّ للشر . فانها قد تخلو من الكمال اللازم لبلوغ غايتها . كما لو كان بيت اضيق مما تستلزمه سهولة المعيشة فيه ، او كان قليل النور . فاننا لا نرتب في القول ان فيه شرّاً . ولا يختلف هذا الشر الذي في المصنوعات عن ذلك الذي في الطبيعيات . فيدعى ايضاً شرّاً طبيعيًا .

لكننا بكل ما تقدم لم نجاوب بعدُ على سؤال قد شغل كثيرًا عقول المفكرين ، ألا وهو : هل للشر وجود حقيقي في الاشياء ؟ ام في عقلنا فقط ؟ ولا يعسر الجواب ، اذا اعتبرت ان الشر ليس سوى خلو كائن من الكمال الملائم له . فليس اذن الشر شيئاً حقيقيًا ، بل نفي شيء حقيقي . وهو من باب الاشياء التي يتصورها عقلنا ، ويحملها على الموجودات ، غير ان حقيقتها كلها هي قائمة بسلب ، نحو العمى والصمم والجهل والجمود وما اشبه . وقد سمّى الفلاسفة مثل هذه الاشياء كائنات اعتباريّة ، ولا شك في كون الشر من جنسها .

ولكن يحدث ايضاً ان اسماء بعض الاشياء تغيّر معناها ، فتنقل من مسماها الاول ، الى ما يمثله او يحدثه او يرتبط به ، كما نراه في الالفاظ التي يدعوها ارباب المنطق مشككات او ملتبسات . هكذا اسم الشرّ فهو مشكك ، لانه ، زيادةً على معناه الاصلي المارّ ذكره ، قد يتخذ للدلالة على ما يتبعه لا محالة خلوّ كائنٍ من الكمال اللازم له . هكذا نقول : ان كل غلط هو شرّ في العقل ، مع ان الغلط ليس هو خلو العقل من الكمال الملائم له ، اي معرفة الحق . لكن الغلط يرتبط بهذا الخلو بمعنى ان من يغلط في امر ما ، فلا يمكن ان يعرف الحق في الامر عينه . وكذلك يقال : ان الغضب الشديد هو شر

لانه ينافي هدوء النفس وصحو العقل ، مع ان الغضب ليس هو الخلوّ منهما ، ولكن هو انفعال نفس يتبعه لا محالة هذا الخلوّ ، فقس على ذلك سائر الصفات والحالات ، التي تلاحظ انها قد تسمّى شروراً مع انه يظهر انها لا تقوم بسلب بل بشيء وضعي.

٢

في اصول الشر

لا غرو اذا لقينا من الصعوبة والغموض ، في هذا الجزء ، ما لم نلقه في الاول ، فان اشياء عديدة نستطيع ادراك طباعها ووصف خواصها ، غير انّا نعجز عن اكتشاف مبادئها ، كمن يُشرف على نهرٍ ويتتبع جريان مائه ، لكنه لا يرى قط نبعه ولا يدري اين هو.

واعلم ان الفلاسفة طالما لاحظوا ان الخلائق هي محلّ وعرضة للشر ، من حيث هي مُخرَجة من العدم ، فانها من هذه الحيثية تحصل على وجودها لا وجوباً بل حدوثاً ، وكما انه يمكن عدم وجودها كذلك يمكن خلوّها من بعض ما يختصّ بملء الوجود الذي يلائمها . وهذا اول جواب على السؤال : كيف تتعرّض الخلائق للشرّ ؟

اما حلول الشر بالفعل ، في بعض الكائنات ، فيبيّن الاختبار انه ينسب في الغالب الى فاعل او علة محدثه . وهذا يكون على نوعين تندرج تحتهما جميع العوامل التي تحدث شراً بتأثيرها :

النوع الاول : هو العلة الناقصة الفعل ، اي التي لا يكفي تأثيرها لترقية مفعولها الى درجة الكمال الملائمة لطبعه والمناسبة لغايته ، كالصانع الذي كلما قلّت مهارته في صناعته ، او نقص اجتهاده في ممارستها ، خلا مصنوعه من الكمال الواجب ، ويكون فيه شرّ . وكذلك قد ينسب جهل التلميذ الى عدم فطنة مهذّبه ، او قلّة اهتمامه وحزمه . ومن لم يبذل قصارى جهده في ترويض نفسه على الفضائل ، فلا يزال خالياً منها ، وهذا شرّ عظيم منسوب الى نقص فعل الانسان.

النوع الثاني: هو العلة التي تطبع بتأثيرها صورةً تضادّ الصورة التي يقتضيها كمال الشيء المطبوعة فيه. ويهون ادراك ذلك في هذه الامثال. اذا كنت في وسط هواء بارد جداً تفقد الحرارة اللازمة لراحة جسدك، فهذا شرّ منسوب الى الهواء الذي يحدث فيك البرد المضادّ لتلك الحرارة. واذا صدّقت خبراً غير صحيح، كان هذا شراً منسوباً الى من اسمعك ذلك الخبر، فولّد في عقلك بكلامه رأياً مخالفاً للحقيقة. ومن تعوّد بعض الرذائل، يخلو مما يضادّها من الفضائل، وهذا ايضاً شر جلبه الانسان على نفسه من حيث أصل في ذاته الملكات المنافية لتلك الفضائل.

اما الشر الذي في المصنوعات فلا يجب ان ينسب دائماً الى علة فاعله سواء كانت من اول النوعين المذكورين او من ثانيهما، فانه يحدث ايضاً ان تحل نقائص في بعض المصنوعات لمجرّد مقاومة المادة لتأثير الصانع مهما كان ماهراً، واجتهد في اتقان عمله. فتصوّر مثلاً ما يجري اذا أمر نجار بصنع مائدة من خشب فاسد وناخر، او اذا طلب من نحّات ان يعمل تمثالاً من حجر غير ملائم يتفتت تحت كل ضربةٍ من المنقاش، فيكون المصنوع من كلتا الحالتين ناقصاً في جماله ومتانته، فينسب هذا الشر عندئذٍ الى المادة لا الى الصانع.

فهذا ما تهمنا معرفته بخصوص علل الشرور التي نشاهدها في الكائنات الغير الناطقة، اما الشرور التي تحلّ في الانسان فانها تستحقّ اعتباراً خصوصياً، حتى نعلم ما هو مصدرها واصلها، فتذكر ما قيل آنفاً في الشر الادبي، وما يلحقه من الشر الطبيعي الذي يُدعى عقوبة. وعلة الشر الادبي ما هي الّا ارادة الانسان الحرّة التي ابت الخضوع لمشيئة الله، ويتحقق فيها ايضاً ما قد مرّ تبيانه من جنسي العلل التي تحدث شراً بفعلها. اي ان ارادتنا قد تكون مصدر شر ينقص فعلها الذي فيه من الجد ما ينبغي ان يكون. ومن هذا الباب الخطايا التي اصلها الفتور والتقصير والرخاوة وما اشبه. وتكون الارادة مرات اخرى منجم ذنوبٍ، بالتفاتها الى مواضيع تضادّ ما يجب ان تؤثره وتختاره. وهذا ما يحصل حينما ينقاد الانسان الى نيات ذميمة ومقاصد مخالفة للشريعة الالهية. ثم لا يخفى ان علّلاً عديدةً قد تجرّ الارادة الى اقتراف

الخطايا . منها ما في داخلنا ، كالغلط والجهل من جهة الذهن ، والشهوات من جهة جزء طبيعتنا الحيواني . ومنها ايضاً ما يصيبنا من الخارج كالامثال الرديئة واقوال الخبثاء الحاثين على المنكرات ، وما في بعض المحسوسات من القوة الجاذبة ، كاجتذاب الخمر للشريب والدراهم المعروضة في مكان مخبوء لمن اعتاد السرقة . فتكون هذه الاشياء كلها عللاً الشرّ الادبي . ولكنها ثانوية بالنسبة الى الارادة التي هي دائماً مبدأه الاصلي والرئيسيّ .

اما العقاب ، فجليٌّ انه يُعزى الى ذلك الذي يختصّ به الحكم بانزاله ، وهو الله تعالى نفسه . نعم ان كل رئيس يشترك في هذه السلطة ، ومن فروضه ان يحكم على مخالفي الشرائع من مرؤوسيه ، فيعاقبهم وفقاً الشرائع عينها ، الا ان هذا العمل عمل العدل المعاقب يختص اولاً واصالةً بالله سانّ الشريعة الطبيعية ، وصائن النظام العمومي الواجب ان يحفظ في كل العالم ، ولهذا لا ننسب ما يصيبنا من انواع القصاص الى بعض البرايا إلّا من حيث نعتبر هذه في يد العدل الالهي كآلات يستخدمها عزّ وجلّ لتنفيذ احكامه ، ويعين طبائعها وكيفية تأثيرها فينا حتى يكون القصاص موافقاً لمقتضيات العدل مع ما تقترن به من مقاصد الرحمة . وهذا اذا تكلمنا عن عقوبات هذه الدنيا حيث يمتزج دائماً عمل العدل بتأثير الرأفة خلافاً لما يكون في الآخرة حيث يملك العدل وحده ، ويستوفي مطاليبه بتمام الدقة والشدة .

فترى من ذلك ان جميع الشرور التي فيها حقيقة العقاب تنسب نسبة خصوصية اليه تعالى ، اما الشرور الطبيعية التي تحتملها الحيوانات والنباتات ، والتي تحصل من نظام العالم ، واختلاف الانواع ، فلا شك في كون الله ايضاً علتها ، ما دام هو مبدئ نظام الطبيعة ومرتب نواميسها ومنشئ كل انواع الكائنات مع ما يلازمها ويلاحقها من الخواصّ . ولا بأس في ان الله هو مصدر تلك الشرور ، لا من جهة منافاتها لبعض الخيرات الجزئية ، بل من حيث افادتها لخير الكون العمومي الذي يتفضّل جداً على ما لبعض اجزاء الكون من المصالح الخصوصية ؛ وبكل صواب يشبّه عمل الله في ذلك بعمل البستاني الذي يقلع اعشاباً ويقتل هوامّ ويقطع اغصاناً عديدة ايضاً حتى وفي اجود

الاشجار ، وكل هذا شر لما يُقلع ويقتل ويقطع ، غير انه خير عظيم للبستان كله وشرط ضروري لتكثير ثماره .

اما اذا سألت : ايجوز ان ننسب اليه تعالى الشر الادبي ايضاً ؟ اجبتك مع جملة ارباب علم اللاهوت بالنفي المطلق ، فانه من اشنع التجاديف التي انقاد اليها بعض المنافقين بقولهم ان الله هو بنوع ما محدث الشرّ الادبي ، او مبدئ الخطيئة . كيف لا وان هذا الشر يضادّ قداسة الله كل المضادة ، ويبعد الخليقة عن الغاية التي خلقها الله لاجلها ، ولا يفتأ يهديها اليها ، ألا وهي كمال اتحاد الخليقة الناطقة بباريها وحصولها بالحال على ملء السعادة . فلو كان الله علةً للشرّ الادبي لكان يضادّ نفسه ، وينقض عمله بنفسه . فمحال اذن ان يصدر الشرّ الادبي منه تعالى ، وان ينسب اليه على وجه من الوجوه

الا اننا اعتدنا القول : ان الله يسمح بحدوث الشرور الادبية . أفلا نعني بهذه العبارة نوعاً ما من التأثير يكون الله به محدثاً لتلك الشرور . حاشا ، فان سماح الله بحدوث الخطايا لا يتضمّن شيئاً من التأثير والابداء ، وهذا ما بقي علينا اثباته . ولكون هذه المسألة على جانب من الاهمية ، يحسن بنا ان نخصص لها مقالة نبحث فيها عما هو سماح الله بالشرور وعما يسوغ ان يجاب به من يسأل : لماذا ولاي غاية يسمح الله بما يحيط بنا بل يغمرنا من الشرور في هذه الدنيا ؟ وما يؤول بكثيرين الى افظع الشرور ، اي الهلاك الابدي ، وهو المجيب ، والمنير ، وعليه الاتكال ؟

رحلة الى قنّوبين

في جبل لبنان

سنة ١٧٢١

بعث بها الاب بتيكوه المرسل اليسوعي الى الاب فلوريو

نقلها عن الافرنسية

القس انطونيوس شبلي اللبناني

رئيس معاملة جبيل والبترون (*

توطئة

حال كثيرٌ من السيّاح الاوربيين في لبنان في ما سلف من العصور ؛ ودوّنوا تفاصيل سياحاتهم ، واسهبوا في كلامهم عن أرضه وسمائه ومائه وهوائه وارزه وغاباته وعاداته واديانه ، منهم الشفاليه درفيو ، ودي لاروك ، ولامرتين ، وميسلن ، والاباء اليسوعيّون دندينِي ، وفروماج ، وبتيكوه ، وغودار ، وغيرهم كثيرون . وقد اتى كلٌّ منهم على وصف ما رآهُ وتحقّقه بنفسه وما كان له من التأثير على عقله ، من مناظر جبالٍ ووهاد وغياض ورياض وكهوفٍ محفورة في صخور لبنان الصمّاء ،

---

*) صاحب هذه الرحلة الاب بطرس فرنسوا بتيكوه (Petitqueux) ، ولد في نوايون (فرنسة) في ٢٤ ايار ١٦٨٣ ، ودخل الرهبنة اليسوعية في ٤ تشرين الاول ١٧٠٣ . وقدم رسلًا الى سورية سنة ١٧١٩ . وفي سنة ١٧٢٤ نراه في دمشق ، وفي سنة ١٧٣٤ في حلب حيث توفي في ٣٠ آب ١٧٣٧ . وقد ترك رسالة نُشرت في مجموعة الوثائق للارساليات اليسوعية في الشرق (*Nouveaux mémoires des Missions de la Compagnie de Jésus dans le Levant, IX, 1724*) ، وهي الرسالة التي عرّبها حضرة القس انطونيوس شبلي . اما مراسله الاب فلوريو (Fleuriau) فكان في باريس يقوم بمهمّة وكيل المصروف لارساليات سورية . (المشرق)

ومناسك واديار مطلّة كالمصابيح على اكتاف جباله واوديته ، الى غير ذلك من المشاهد الساحرة الفاتنة التي ارتسمت روعتها وجلالها في نفوس هؤلاء السيّاح فاملت على أقلامهم ابلغ العبارات وادقّ التصورات والتخيلات.

وقد درسوا وحلّلوا نفسيّة الشعب اللبناني ، واطّلعوا على اطواره ، وكتبوا فيها فصولاً طليّة شائقة تميط اللثام عن وجه عصورٍ غبرت فتبدو للذهن بحقيقتها ووضعيتها .

على انّ هذه الكتابات لا يخلو بعضها من التطرّف ، اذ انها تحتاج الى مزيد دقّةٍ في البحث تنزيهاً لها عن مطايب ميولٍ واهواء غلبت على اصحابها فشوّهت محاسن كتاباتهم.

وها انّ الاب بتيكوه اليسوعي يبسط لنا في سياحته الى لبنان ما راقه من مشاهد هذا الجبل الساحرة الالباب كمناظر أرزه وصخوره ومرتفعاته واديارة . وهو يعرض على الابصار صورةً جميلةً لحياة اللبنانيين القدماء الذين اعتصموا في جبلهم الاشمّ متحفّزين لصدّ هجمات الطوارئ ، عاكفين على تتميم فروض دينهم ، عائشين عيشةً فقريّةً تسودها روح القناعة والبساطة والطهارة المسيحية الحقّة . وقد بسط كلّ ذلك بعبارةٍ رشيقة موجزة تشوّقُ الى مطالعة سياحته التي عرّبنا قسماً منها ونشرناه على صفحات هذه المجلّة الشرقية التاريخيّة اللامعة ، على أملٍ ان نعود الى تعريب القسم الآخر . ولا يبرح ذهن القارئ ان الاب بتيكوه بعث برحلته هذه الى الاب فلوريو إجابةً لطلبه واليك كلامه :

الرحلة

القيام من طرابلس – عرجس – عينطورين – زوبعة هائلة – دير مار مركيس – ارز لبنان – وصف اشجاره – سهل البقاع – دير مار الياس – النهر المقدّس – مغاور الحباء – عبدالله والحليّون – عوائدهم الرهبانية – دير قنّوبين – بطريركه – معبد القديسة مارينا – سيرتها – دير القديس انطونيوس – المطران عبدالله – حياة رهبانه الصالحة – الرجوع الى عرجس فطرابلس.

١

طلبت مني ابتِ المحترم ، تفصيل سياحتي الى لبنان . وها انا اتشرّف

بارسالها اليك ، وان كان بعض مرسلينا قبلي كتبوا في هذا الموضوع ولم يتأخروا عن بسط تفاصيل مثل هذه السياحات . لكنهم قد يكونون سهوا ، في ما كتبوا اليك ، عن تسطير بعض امور تراها في سياحتي ولم ترها في سياحاتهم . واني لعالمٌ انَّ استحقاقي عندك يقوم بطاعتي لك.

سافرتُ والاب بونامور (Bonamour) من طرابلس ، في ١٣ تشرين الاول سنة ١٧٢١ ، يرافقنا ثلاثة هداة موارنة من جبل لبنان . ثم مشينا معاً اربعة ايام ، فبلغنا عرجس ، القرية الصغيرة في سفح جبل لبنان الشمالي، تبعد عن الارز مسافة ستّ ساعات . وبالرغم من جدنا في المسير ، لم نصل الى هذه القرية إلا الساعة العاشرة ليلًا على ضوء القمر . واضطررنا ان نقضي ما بقي من الليل في كوخ قصب حقير بتنا فيه الى ما قبل الصباح نتألم من البرد القارس.

قمنا من عرجس قبل الفجر بساعتين يسير بنا هداتنا على مهل في طرقات صعبة المسالك .

ومررنا في طريقنا بقرية صغيرة تسمى عينطورين ، فرآنا شيخها فخفَّ الى ملاقاتنا ودعانا لتناول الغداء عنده . ويا ليتنا أجبنا دعوته ، لاننا ما ابتعدنا عن عينطورين نحو نصف ساعة ، حتى امطرتنا السماء هطالًا من المطر والبرد والصواعق ؛ واستمرَّ ذلك نحو ساعتين لا ينقطع للشتاء خيط . وامسينا كالغرقى حائرين بائرين لا نجد لنا مأوى ولا معين.

فانحصرت اثوابنا وغصنا بالوحل للركب ، وكدنا نغرق ببرك الماء . وما كان من هذا الماء كالانهار حيث نحن ، كان ثلجاً على مناكب الجبال المجاورة. واخيراً بعد شقّ النفس وعرق القربة ، وصلنا دير مار سركيس للاباء الكرمليين المحترمين [1] . فتسابقوا الى مساعدتنا ، وكانت مساعدتهم في حينها ، لاننا لقينا منهم كلَّ ما يلائم تلك التعاسة التي كنا بها . فاسترحنا عندهم الى اليوم الخامس عشر . وديرهم هذا قائمٌ في سفح صخر عالٍ يرتفع ارتفاعاً هائلًا بحيث لا يصل الى قمته سوى القشاعم والنسور.

---

١) هذا الدير قائمٌ في لحف جبل ، جنب بلدة بشرّي الشرقي.

ان قسماً كبيراً من هذا الدير مغاور صخريّة اجتمعت يدُ الصناعة والطبيعة في اتقانها فابرزتها رحبةً جميلة . والمعبد مغارةٌ ايضاً كبيرة نظيفة لا يتهيأ للصناعة ان تأتي بابدع منها . من ذلك الصخر تنبجس عينٌ غزيرة صافية تمرُّ في كل محالّ الدير حيث يُحتاج اليها وتنتهي الى بستانٍ حافل بالخضر . لذيذٌ جدًّا السكن في مار سركيس صيفاً . أمّا في الشتاء فيهجرهُ الآباء الكرمليُّون بسبب الثلج والبرد القارس ، حيث يصير السكن فيه غير مطاق ، ويهبطون الى طرابلس ويقيمون فيها نحوًا من ستة اشهرٍ الى عيد الفصح .

وفي صباح السادس عشر سرنا وهداتنا الى ارز لبنان . وفي الطريق أخاديد فيها بقايا ماء الشتاء الغزير . فشقَّ علينا كثيرًا قطعُ المسافة الكائنة بين مار سركيس والارز الذي يبدو للناظر من بعيد .

متّعنا البصر والفكر بذلك الارز ما طاب لنا ، وهو على هضبته الصغيرة ، ومن حوله سهلٌ فسيح ، تحدقُ به جبالٌ عالية تغطّيها الثلوج .

ان هذا الارز الطائر الشهرة في العالم كثير العدد ، والصغير منه والجديد اكثر عددًا من الكبير والقديم . وقد عددتُ من الشجرات الكبيرة الضخمة زهاء اثنتي عشرة ارزة ، وقستُ اكبرها فاذا قطر دائرتها ستُّ باعات . وقد رأينا أنَّ بعضها يتفرَّع بعد ارتفاع الجذع قليلًا عن الارض الى خمس او ست اشجار وانّ رجلين بالكدّ يحوطانها باذرعهما . واذا تشابكت هذه الاشجار في اعلاها حصل عن تشابكها اتساعٌ مذهل ، بينه وبين الارتفاع مناسبةٌ هندسيّة لطيفة . وقد حفر سيّاحٌ كثيرون اسماءهم في جذوع الارزات الضخمة حيث أحدثوا شقوقاً كبيرةً في ظاهر الجذع ليتسنى لهم الحفر ، فخرجت مائية متحوّلة الى صمغٍ مفيدٍ جدًّا لعصب وضماد الجراح ، وقد امتحنّا ذلك بنفسنا .

وعلى اصول الاشجار الضخمة قامت اربعةُ مذابح من حجر وكل سنة يصعد بطريرك الموارنة ، يوم عيد تجلي السيد المسيح ، الى هناك بموكبٍ عظيم من الاساقفة والكهنة والرهبان ، يتبعهم خمسة او ستة آلاف ماروني يجتمعون من كل ناحية للاحتفال بهذا العيد الذي يدعونه عيد الارز . على انَّ الموارنة ، وان اجتمعوا للاحتفال بالعيد يوم تجلي الرب ، في الارز ، فانهم لا يعتقدون ،

كما يتهمهم بعض المؤرخين بدون سندٍ ، أنَّ السيد تجلّى على هذا الجبل. لانَّ تجليه تمَّ ولا ريب على طور طابور.

والذي حمل هؤلاء المؤرخين على هذا القول انما هو رأي البعض انَّ طور طابور جزء من جبال تُدعى لبنان وما وراء لبنان (انتيلبنان)

أما جبال لبنان هذه فهي التي تمتدُّ من جهة البحر من نبع الاردن او جبل الكرمل الى مسافة يوم او يومين من الشام. اما جبال انتيلبنان (ما وراء لبنان) فهي تمتد اكثر في عرض الارض يفصلها عن جبال لبنان سهلٌ واسع يبتدئ من مسافة يوم او يومين من دمشق الشام الى جهة بعلبك يُدعى البقاع . وقد دُعيت جبال ما وراء لبنان بهذا الاسم لانها إزاء جبال لبنان مطلّةٌ عليها.

أمّا منبتُ الارز فذو هواء باردٍ بحيث يمتنع على احدٍ ان يسكنه ايام الشتاء . غير انَّ موقعه جميل وما فيه من الاعشاب الطبية نادر المثال . أما الطيور فمتنوّعة وكثيرة في ذاك المكان لا تخشى الا الجوارح ، والارض صالحة للزراعة مخصبة ، لكنها مهملة ليس فيها سوى أدغال البربريس ذات الاشواك الحادة الظريفة المنظر.

قد كان لبنان في القديم مغطّى كلّه بالارز . أمّا الآن فليس فيه إلا الارز الذي ذكرناه ، وغابةٌ اخرى في جبلٍ مجاور لقنوبين. لذلك ترى كل مصنوعات النجارة في لبنان من خشب الارز ، وهي ذات دقّةٍ في الصناعة [1] .

---

(١) طالع الفصل البديع الذي كتبه حضرة الاب لامنس اليسوعي في كتابه تسريح الابصار مجلد اول ص ١٣٤–١٤٢

(لها صلة)

جيراننا في الشرق الادنى

بقلم الاب لامنس اليسوعي

لاحظ الكثيرون ان الانكليز لا يكترثون غالباً اكتراثاً شديداً لما يحدث عند سائر الاوربيين . ولهم عذرهم في ذلك ، لان انكلترة جزيرة منفصلة عن مناطق اوربة . اما نحن فلا يمكننا التشبث بعذر الانكليز ، لان بلادنا تشبه جسراً يصل بين القارات الثلاث في العالم القديم ، لانها ممرّ طبيعي يضطر جميع جيراننا الى السير عليه ، بل هي طريق مبتة كما ابان ذلك السيد ميشال شيحا ، في محاضرته النفيسة التي تكلمنا عنها في الشهر الماضي[1] . وعليه فلا يمكننا ان نجهل او نتجاهل ما يحدث عند جيراننا . فهم يؤثرون فينا ، ونحن نؤثر فيهم . وها ان تاريخنا باجمعه برهان واضح على هذا الامر ، يدلنا ان بلادنا نالت في كل عصر فوائد الطريق ، وتحملت مضارّها ، وان جدودنا استفادوا من مركزهم النادر منافع توسّطهم بين الامم كما قاسوا مساوئ هذا التوسّط . فاستثمر الفينيقيون هذا المركز ، فعقدوا الصلات التجارية واستحدثوا المستعمرات . ولكن المركز نفسه جرّ على احفادهم الغزاةَ والمكتسحين .

واننا ، في هذه الساعات السوداء التي نحياها اليوم ، ووسط هذه الازمة الآخذة بخناق العالم كله ، نرى من دواعي الاعتبار واساليب التعزية ان نلقي نظرة على جيراننا . فنتحقق اننا اخف الجميع ضنكاً واقلهم مقاساة لهذا الضيق العالمي . واننا لا نعني بقولنا تركية وحدها التي كادت تخنقها ازمة

---

(١) اطلب مشرق شباط الماضي ، ص ١١٦-١٢٢

اقتصادية زادتها شدة عقبات سياسية داخلية ، بل تتجاوز ، في هذه النظرة ، تركية الى غيرها من بلاد الشرق الأدنى . فنرى ان مصر نفسها ، التي طالما مثلوها لنا بلاداً ذات كنوز لا تفنى ، وموارد لا تنضب ، ومستقبل لامع براق ، نرى مصر السعيدة تقاسي اليوم ازمة مالية غاية في الشدة والخطر ، وفضلاً عن ذلك فان المستقبل السياسي فيها لا يبعث الى الاطمئنان.

اما بلادنا فبعيدة عن هذه البلايا . ونحن اذا انتبهنا الى ان الازمة كونية عامة لم تخلص منها منطقة ، رأينا اننا اسعد حظاً من جميع جيراننا في الشرق الادنى ، كما ان فرنسة اسعد حظاً من سائر دول اوربة.

تكلمنا في « مشرق » كانون الثاني من هذه السنة عن الحالة الحاضرة في جزيرة العرب . فيحسن بنا الآن ان نحوّل انظارنا الى الشمال فنبحث في حالة تركية الكمالية . فنرى انها ، على الرغم من البلاغات الرسمية والمعلومات المطمئنة ، تسير الى مستقبل قاتم الإلوان . فهي ، فوق تأثرها بالازمة العالمية تأثراً شديداً ، تشكو من ثلاث أزمات تنتابها جملة: أزمة مالية ، وازمة دينية ، وازمة انفصالية . اما الازمة المالية فشديدة الخطر حتى انه اذا لم يتوفق اولي السلطة الى حلها قريباً ، لا تبعد ان تجرّ افلاس الحكومة . وسببها ان السلطة انصرفت الى الشؤون السياسية البحتة مدة سنوات متوالية ، دون ان تهتمّ بما دون ذلك من امور الاقتصاد . فخصّت القسم الأعظم من الموازنة بنفقات عسكرية لا فائدة اقتصادية منها ، فلم تنل الزراعة الّا عناية جزئية ، والزراعة مورد تركية الاعظم اذ لا صناعة مهمة في تلك البلاد. وفي الوقت الذي تظهر فيه انقرة عاجزة عن وفاء ديونها للاجانب ، نرى الحكومة الكمالية تمدّ سككاً حديدية غايتها الاولى تسهيل حركات الجيش زمن الحرب ، وتوصي في معامل انسالدو الايطالية على قطع مدفعية بقيمة خمسين مليوناً.

ثم ان اخراج الاقليات غير الاسلامية كان سيئ التأثير على اقتصاديات تركية . لان هذه الاقليات كانت على رأس الحركة التجارية فيها . فلم يعزز رحيلها في شيء الصناعة التركية ولا التجارة ، على عكس ما قدّره ساسة الكماليين . فلم تتمكن بلادهم من ان تسدّ الثُلم العديدة التي احدثها ذهاب

تجار الارمن والروم. واجلى مظهر لهذا النقص نراه في موانئ ستامبول وازمير وغيرهما ، فانها تكاد تقفر بينا مرفأ البيره يضيق بما يرسو فيه من البواخر والمراكب.

ولا تزال الاطلال المحروقة والآثار الدائرة تنتشر في انحاء ازمير التي خربتها جيوش الكماليين الظافرة . وقد جرّب فتحي بك تلافي الشرّ قبل استفحاله ، فأسس حزبه المتساهل وغايته ان يخفف نوعاً ما ذاك العداء الجافي لكل ما هو اجنبي ، فيسمح لمن بقي من الاقليات في تركية بحياة تكون اقلّ شقاء مما هي عليه ، ويدل على تعاسة الحالة في تلك البلاد ستاراً قد يلطّف منظر الخطب على ابصار اوربة ، حتى اذا احتاجت تركية الى معونتها المالية لا تبوء بالفشل والخذلان . على انه سرعان ما شعر فتحي بك بان الداء اصبح عضالاً ، فاقلع عن فكرته وحلّ الحزب القليل الذي كان قد جمعه حول برنامجه .

وان الغاء الخلافة ، وما تبعه من الشرائع اللادينية التي رمت الحكومةُ الكمالية ببعضها صميم الدين الاسلامي ، انفدتا الصبر الطويل الذي اشتهر به الاتراك المؤمنون . فسرى روح التذمّر ، خصوصاً بعد حبوط مساعي فتحي بك في التساهل ، ودُفع الكثير من المسلمين الى المطالبة بحرية الضمير ملتجئين الى الطرق المشروعة ، حتى اذا يئسوا منها ، لجأ مسلمو مُنيمن وولاية أزمير الى الثورة. وان حركتهم هذه كانت اشدّ واوسع مما تظهر في الاخبار والبرقيات الرسمية يدلّنا على ذلك شدّة العقابات وصرامة الانتقامات ، فان انشاء المحاكم العسكرية يدل على شيء اشدّ خطراً من هياج الدراويش . كل هذا ينذر حكومة انقره بأن مسلمي تركية لم يصلوا بعد الى درجة تمكنها من جعلهم ملحدين . ولا تنحصر روح التذمّر والهياج في ولاية ازمير وما جاورها ، بل تتجاوزها الى اكثر الولايات الاناضولية فتنتظر فرصة سانحة للوثوب والثورة. وقد قام مصطفى كمال مؤخراً بجولة في الولايات ، ولا غاية له الّا تسكين الخواطر وتهدئة هذا الهياج المتحفّز للوثوب. وهناك انذار ثانٍ تجلّى بثورات الاكراد ، وهو انذار يهدّد وحدة الجمهورية التركية. فان الثورات المتتابعة تكذّب دائماً البلاغات الرسمية التي تدّعي دائماً ان الثورة الكردية انتهت وان الثوّار الاكراد أبيدوا على بكرة ابيهم . هذه نتيجة السياسة الكمالية العدائية التي تابعتها انقرة مدة

مدينة انقرة الحديثة

سنين ، فالجأت رعاياها الى التذمر فاليأس فالثورة ، ليس ثورة الاكراد الرامين الى الانفصال فحسب ، بل ثورة مسلمي تركية انفسهم .

وفي مصر ايضاً تزداد الازمة الاقتصادية خطورة بأزمة سياسية خانقة احدثها الحزب الوفدي بتشبثه بمبادئه وقطعه عن كل تساهل ؛ ولكن حكمة الملك فؤاد وعزيمة صدقي باشا ، رئيس الوزراء ، تعملان ، لحسن حظ تلك البلاد ، على معالجة الداء . وقد حُذف من الدستور المصري الجديد اشدّ الموادّ خطراً كمسألة التصويت الشعبي العام في بلاد يبلغ عدد الاميين فيها ٩٨ بالمائة . فمن يُعطي حقّ التصويت العامّ لهؤلاء كمن يُسلم دفّة الحكومة لعميان لا يرون اين يقصدون . ولنا الامل ان الانتخابات المقبلة تؤيد الحكمة في هذه الاصلاحات .

اما العراق فقد اقرّ برلمانه ، في دورة تشرين الثاني الفائت ، المعاهدة الجديدة التي عُقدت بينه وبين انكلترة . وهو ينتظر السنة ١٩٣٢ ليطلب قبوله في جمعية الامم . فهل ينجح في طلبه ؟ وهل يحقق الشروط المطلوبة للدخول في تلك الجمعية ؟ وهل هو دولة مستقلة حقيقة ام ان تلك المعاهدة لم تكن الّا واسطة ابدلت بها انكلترة نظام الانتداب على العراق بنظام الحماية؟ ثم ان جمعية الامم تطلب من العراق ، دون شك ، ضمانات مهمة في مصلحة الاقليات التي لا تتمتع دائماً في تلك البلاد بالانصاف والتساهل الواجبين . من ذلك ان حكومة العراق بتدخلاتها المزعجة ، تنكد الحياة على المدارس المسيحية ، وتضيّق عليها مجال العيش ، كأنها تريد الغاءها مقتفية ، في ذلك ، اثر حكومة انقرة .

واما فلسطين فان نشر « الكتاب الابيض » اهاج في العالم كله غضب الصهيونيين ، دون ان يرضي الوطنيين . ويخشى هؤلاء من ان تتأثر الحكومة الانكليزية باحتجاجات الصهيونيين ، وضجيج اليهود في العالم اجمع . واننا نرى خوفهم في محله اذا انتبهنا لمسألة الهجرة الصهيونية التي كانت ممنوعة منعاً باتاً ، ثمّ سُمح بها بشروط . ومهما يكن من الامر في المستقبل فان الوطنيين والصهيونيين يتقاطعون في معاملاتهم ، فيزداد عدد العمال العاطلين ، فتزداد خطورة الازمة الاقتصادية .

دلبتا

نبذة تاريخية

للخوري بطرس روفائيل

٢

الفصل الثالث

سكانها الحاليون

ان السكان الحاليين كلهم موارنة قدموا القرية في ازمنة مختلفة . واني آتٍ بذكر عيالهم واحدةً واحدةً ، تابعاً تاريخ قدومهم .

١ً عائلة المدولب

هي العائلة المسيحية الاولى التي قطنت في القرية ، حسب قول القدماء . انما لم نعثر على صكّ او وثيقة تؤيد هذا التقليد . ورأى البطريرك مسعد ان جدّها قدم من قرية معاد من بلاد جبيل . رحل فرع منها عن دلبتا الى الكفور في الفتوح ، وفرع الى النتورة في الفتوح ايضاً ، وفرع ثالث الى فتري في بلاد جبيل .

من هذه العائلة الخوري يوسف ابي حاتم . أتقن الشعر واجاد فيه ، وله قصائد مطبوعة مشتّتة . وقد عيّنه البطريرك مسعد سنة ١٨٨٢ فاحصاً للمترشحين لدرجة الكهنوت . توفي سنة ١٩٠٤ [1]

وجناديوس ، دخل الرهبانية الحلبية ، وصار قسيساً باسم جرمانوس . ترأس مدة طويلة دير مار اليشاع في بشري ، واقتنى له املاكاً وافرة . وبنى على اسم مار اليشاع ديراً جديداً حسب الهندسة الحديثة وسقفه بالآجر . وله اليد الطولى

---

١) قد اكتفينا ، خوفاً من الملل وهرباً من الاطالة في الكلام ، بذكر من نال رتبة او ترك اثراً ما ادبياً او عمرانياً .

في تشييد دير مار انطونيوس في دلبتا . وقد كان له مقام رفيع في رهبانيته ، فانتخب مدبّراً .

والشماس لطف الله المدولب . كان له خطٌّ جميل فانكبّ على نسخ الكتب ، منها في مكتبة دير طاميش كتاب « مختصر الكمال المسيحي » للمطران فرحات ، نسخ سنة ١٧٩١ [1]

٢ً عائلة شوشان

قدم دلبتا جدّ هذه العائلة من رأس بيروت ، في اواخر الجيل السادس عشر [2].

من هذه العائلة الخوري جرجس شوشان ، تلميذ المدرسة المارونية في رومية . وقف في شيخوخته ارزاقه وكلّ ما عنده من الكتب والامتعة الى دير مار يوسف الحصن في غسطا بواسطة البطريرك يوسف اسطفان . ابتاع بيته الياس جحى باسيل ، ولا يزال له ذكر عند الاهلين ، من مكان على طريق العربات يدعى « عريشة الخوري جرجس » [3]

٣ً عائلة الحتوني

منشأ هذه العائلة قرية حتون في بلاد البترون . قدمت دلبتا في اوائل الجيل السابع عشر ، والسبب هو انه حدث بينها وبين المتاولة ، سكّان تلك النواحي ، عداوة شديدة افضت الى سفك الدماء . ولما كانت القرية حقيرة صغيرة تحتوي نحو ثلاثين بيتاً من ارومة واحدة ، اضطرّ جميعهم الى الفرار ، فلاذوا بكسروان وتفرّقوا في قراه [4] . فمنهم بيت مارون في ساحل علما ، وبيت عازار في عرامون ، ومناسا في جوار الحشيش ، وناكوزي في صليما ، وابي كرم في برمانا ، وابي سليمان في المتين وبرمّانا [5] . ويُلقّب بنو الحتوني في دلبتا

---

١) المشرق (٢٨[١٩٣٠] ٢١٨) .

٢) السجل ص ٣ . اما النبذة ص ٩ ، فيقول مؤلفها ان الجدّ جاء دلبتا ، في اوائل الجيل السابع عشر .

٣) النبذة ص ١٠ ٤) سجلّ ص ٣

٥) الخوري ميخائيل غبرئيل : كشف النقاب عن بقعة بيت شباب . الجزء الثاني ص ٢٨٠

بالحراتقة . وقد نظرتُ هذه الكنية في صكوك عديدة قديمة مؤرخة في سنة ١٧٢٢ و ١٧٦٩ و ١٨٠٧ الخ [1] .

وقد رحل عن دلبتا الى القطر المصري فرعٌ يُعرف «بالابيض» ، منهُ جورج ابيض الممثل الشهير .

من هذه العائلة يوسف حنا الخوري ، ترى ترجمته في غير هذا المكان .

والخوري بطرس حنا الخوري ، اخو المتقدّم ذكرهُ . سافر ، وهو شماس ، الى رومية والاستانة برفقة البطريرك بولس مسعد ، ونال وساماً من السلطان عبد العزيز . رُقّي الى درجة الكهنوت سنة ١٨٦٨ ، وعُيّن كاتباً لاسرار البطريركية المارونية . فاكسبته وظيفته هذه نفوذاً قوياً وشهرةً بعيدة ، وقد مكث فيها الى سنة ١٨٨٢ . توفي سنة ١٩٠٤ .

والقس فيليبوس الانطونياني . اقام سنة ١٨٧٤ دير مار مارون الرويس في شنعير ، ودفع ثمن ارزاقه الى اولاد طنوس نصر [2] .

والخوري يوسف بن نصر . قال عنه الخوري منصور انه رحل عن دلبتا الى جبيل ، وخدم فيها الطائفة وتوفي سنة ١٨٠٣ في جبيل ودُفن في كنيستها وهو الذي سعى مع ابن عمه القس مرقوس في ان يسلّم الامير يوسف شهاب الوالي انطوش جبيل للرهبان البلدية » . [3]

---

١) سكن المسيحيون في بادئ الامر عند دخولهم دلبتا في الجهات غير المأهولة ، وخارجاً عما يسمى الان « الضيعة » حيث كان يقيم الشيعيون وحدهم . وكان للنصارى قسٌ من بيت الحتوني يخدمهم ، ففي اوقات القداس واقامة الطقوس ، كان يعطي علامةً لاجتماع الرعية باستعماله قطعة مستطيلةً من الحديد معلّقةً من طرفيها ، يقرعها فيسمع صوتها من بعيد ، فيقول الشيعيون : «حرتنق القسيس ، والقسيس الحرتوقي ، وفلان من عائلة الحرتوقي» . فأُطلقت هذه الكنية على بني الحتوني فسمّوا حراتقة .

٢) قد ابتاع هذا الدير من الرهبانية الانطونيانية حضرة الخوري بطرس نصر ، وجدّد بناءه على الطراز الحديث ، انما الحرب الكونية حالت دون تتميمه .

٣) لا اعلم مقدار هذا القول من الصحة ، لان من المؤكد تاريخياً ان الشيخ سعد الخوري ، مدبّر الامير يوسف ، قد استطاف سيّده فوهب الرهبان اللبنانيين كنيسة مار يوحنا ويُثبت ذلك كتابة منقوشة بالكرشوني على بلاطة فوق عتبة الكنيسة وهذه حرفيتها : « قد جُدّد تشييد هذا الهيكل المبارك في ايام المبر الاعظم البابا بيوس السادس وايام قدس السيد

والام سوسان. ترهبت في دير حراش واستلمت حسابات الدير ، وانتخبت رئيسة بالقرعة القانونية سنة ١٨٧٧. وبقيت في هذه الوظيفة ست سنين كانت منصبة على نسخ الكتب الكنائسية لان خطها في السرياني كان فريداً في حسنه [١].

والخوري منصور الخوري صاحب الكتاب المطبوع « نبذة تاريخية في المقاطعة الكسروانية » والمخطوطتين اللتين تقدّم ذكرهما الاولى « نبذة تاريخية في الاعيال الدلبتاوية » ، والثانية « سجلّ كنيسة مار يعقوب واوقافها ». [٢] توفي سنة ١٩١٠

٤ً عائلة مخلوف

قد تضاربت الآراء في اصل هذه العائلة فالخوري منصور ، صاحب النبذة التاريخية ، يقول مستنداً الى تناقل اخبار القدماء ، انها « من قرية المنيا في زاوية طرابلس » [٣] وذهب الطيّب الذكر المطران بطرس شبلي الى ان اصلها من قصبة اهدن ، ورأى العالم البحّاثة الخوري بطرس غالب انها « احد فروع عائلة باسيل التي ذكر عنها انها اتت من مينا طرابلس الى غوسطا كما ورد في وُريقة قديمة من مخطوطات المكتبة البطريركية المارونية » [٤] وذهب بعضهم غير

البطريرك مار اسطفان وهمّة ومساعدة الشيخ سعد الخوري وبناية ربانية ورهبنة لبنانية وطائفة مارونية تمّ ١٧٧٦» راجع المشرق (٢٤[١٩٢٦] ٤٤٤). غير انه قد يكون للخوري يوسف ولابن عمه القس مرقس بعض التأثير في هذا الامر ، او بالاحرى لما كان للموارنة في جبيل كنائس اخرى عديدة صغيرة ومعظمها بيد الرهبان البلديين ، فقد يكون لها مساع لدى الامير في تسليم واحدة منها للرهبان المذكورين.

١) قد عثرتُ في كنيسة سيدة النجاة في دلبتا على كتاب الشحيم اي الفرض الجيمي الكامل بخط سرياني جميل جداً حتى خلته لاول نظرة مطبوعاً . وفي آخره قرأت ما يلي : « قد تمّ نسخ هذا الكتاب عن يد الاخت سوسان لاوندوس من دلبتا راهبة دير حراش في ١٥ تشرين الثاني ، وقد وصل ثمنه من ابن عمّنا باخوص بو شابوب من دلبتا سنة ١٨٦٦ فيتصرف فيه حسب ما يشاء. وبريد وقد دفع ثمنه خمس مائة غرش عن يد القس ميخائيل بو خليل ».

٢) النبذة التاريخية ، صفحة ١١-١٦ والسجل صفحة ٣.

٣) النبذة ص ١٧ و١٨ ، والسجل ص ٣. ٤) المشرق (٢٢[١٩٢٤] ١٨)

هذا المذهب [1] ومهما كان من امر الاختلاف في اثبات الموطن الاول ، فمن المؤكد ان البعض من هذه العائلة استوطنوا غسطا ، ومنهم نشأ البطريرك يوحنا مخلوف ، والمطران بطرس مخلوف . وفي العشر الثالث من الجيل السابع عشر ، انتقل احدهم باولاده من غسطا الى دلبتا فكثرت هناك سلالته ومنها فرع رحل الى النقاش ، وفرع الى بيروت ، وفرع ثالث الى القطر المصري.

٥ عائلة روفائيل

ان اقدم صكّ عُثر عليه ، وفيه ذكر لهذه العائلة ، مؤرّخ في سنة ١٦٩٢ ، وهو صك بيع « الحاج فرح الى سليمان الحصروني » . رحل روفائيل ، جدّ هذه الاسرة ، عن جاج الى دلبتا في منتصف الجيل السابع عشر [2] . فنمت ذريته وكثر عديدها حتى اصبحت اكبر عائلة في القرية . وقد اقدم بنو روفائيل على ابتياع الارزاق والمساكن من الشيعيين في وسط القرية اي « في الضيعة » واقاموا فيها ، ولا يزال اكثر بيوتهم في تلك الجهة الى يومنا . وبيدي وثائق تنبئ بقرابة بين بيت الخازن وبيت روفائيل ، منها صكّ بيع مؤرّخ في سنة ١٧٨٥ بامضاء الشيخ شيان الخازن فيه ما يلي : « هو ان بعنا الى قرايبنا روفائيل حصتنا في

---

١) لا اعلم الى اي مستند استند المؤرخ ميخائيل غبريل لما قال في « كشف النقاب عن بقعة بيت شباب » الجزء الثاني ص٢٧٩ : « اصل عائلة مخلوف من بكنيا هاجر جدّها مخلوف زمن خراب كسروان الى الكورة مع اخوته جرجس وحبقوق وعبدالله فانتقل مخلوف الى بقاع كفرا واخوته الى قرية بان ونخل من سلالة حبقوق اناس توطنوا قرية كفرصفاب مع فريق من بني الصبحة يعرفون فيها بعائلة ابي منصور ومن فروع هذه العائلة ابناء مرقس في ذكريت وبيت شباب »

٢) ان السيد عيسى اسكندر المعلوف في كتابه « دواني القطوف » ص ٦٥١ و٦٥٢ يقول عن بني روفائيل ان جدّهم ترك جاج في اواسط القرن السابع عشر مع شقيق له قطن غزير ونشأ من سلالته بنو جاج فيها . اما روفائيل فسكن دلبتا ونشأ من سلالته فروع كثيرة « ومما يروى ان هذه الاسرة من فروع الاسرة المعادية الكبيرة التي منها بنو بصبوص وبنو الحاج في قبتولة وبنو عون في دير القمر وبنو قشوع في غسطا وبيروت » وقد اعتمد المؤلف فيما كتب على السيد يوسف المؤرخ روفائيل المتضلع من التاريخ ، وصاحب شجرة انساب عائلته التي سيقدّمها للطبع .

منزلان في دلبتا على طراز الهندسة اللبنانية القديمة

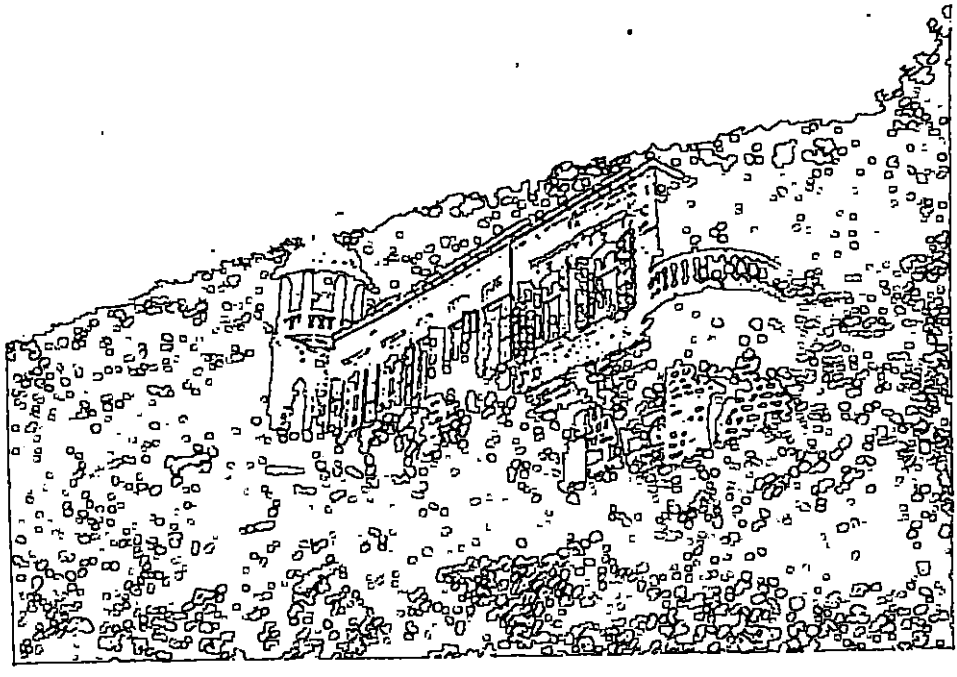

منزل في ذلبتا على طراز الهندسة الحديثة

المصرة التي فوق العين ...» ومنها كتاب توصية من الشيخ بطرس الخازن [1] الى الشيخ بوبشاره عرب الشلفون وكان هذا من المقربين الى الامراء الشهابيين [2] ننقل منه ما حرفيته :«بعد الاحتشام وكمال الاحترام ننهي لحوتكم بخصوص قرابينا روفايل من دلبتا ...» وقد اكثرت من البحث والتنقيب لاعرف ما اذا كانت هذه القرابة ابوية ام بالمصاهرة، سابقة لتزوجهم عن جاج ام تابعة له، فلم أظفر بمطلوبي . غير ان هذه الوثائق تؤيد صدق من قال ان بني روفائيل قدموا من جاج ، لان بني الخازن رحلوا ايضاً عن جاج الى كسروان.

ومن هذه العائلة خاطر ، انتقل من دلبتا الى عجلتون ، ولا تزال ذريته معروفة للآن «ببني ابي خاطر» . ومنها فرع ابي اسطفان في بيروت ، وبني مدلج في بيروت والقطر المصري ، وفرع معروف ببني فارس روفائيل في بعلبك.

ومنها بو فرح بطرس ، ترى ترجمته في غير هذا المكان .

والخوري بطرس روفائيل القديم الذي اجمع مواطنوهُ على انتخابه وكيلاً على كنيسة الرعية وعهدوا اليه امر تتميم بنائها ، فقام بأعباء هذه الوظيفة خير قيام . توفي سنة ١٨٠١ .

وولدهُ الخوري يوحنا ، ترى ترجمته في غير هذا المكان .

والقس مرقس بشاره من الرهبانية البلدية. شيّد لرهبانيته انطوشاً في وادي رعشين ، واقتنى له ارزاقاً وبيوتاً واحراشاً . توفي سنة ١٨٩٥ .

والقس يوحنا فرح من الرهبانية الحلبية ، شيّد بكدّه وتقتيره كنيسة السيدة في وطا نهر الكلب ، توفي سنة ١٩١٢ .

والقس يعقوب كرم من الرهبانية الحلبية ، نال لقب اباتي مع الانعام باستعمال الحبريات. مكث في مدينة الزقازيق في القطر المصري مدة ثلاثين سنة «يعمل في اعلاء شأن الرسالة وخير النفوس»وشيّد بمساعيه واجتهاده داراً للرسالة ومدرسة للاحداث وكنيسة وقد تكرّست الكنيسة سنة ١٨٩١،وهي الكنيسة الاولى

---

١) توفي الشيخ بطرس بن نوفل الخازن سنة ١٧٦٠

٢) وكان ايضاً لاولاد عرب الشلفون حظوة كبيرة في عيني الامير بشير ، وكانوا من خاصته ، وقد ولى احدهم، يوسف الخوري ، الحكم في سواحل بيروت.

الطوائف الكاثوليكية في هذه المدينة[1] » . عيّنته الزيارة الرسولية رئيساً على دير رومية سنة ١٩١٠ ، فظلّ في وظيفته هذه الى ما بعد انتهاء الحرب الكونية، ولما رجع الى وطنه اشترى انطوشاً للرهبانية في المعاملتين . توفي سنة ١٩٣٠ .

والمهندس باخوس لبنان ، اشترك في سنة ١٩١٤ « باعمال لجنة شبه رسمية جاءت من فرنسة لدرس احوال الشركات الفرنساوية في شبه جزيرة ملكا وجزائر جافا وسومترا وبُرنيو . . . وكان له آراء متبوعة في اعمال هذه اللجنة، ولهذا السبب انعمت عليه الحكومة الفرنساوية بوسام الاستحقاق الزراعي ، وبأثناء الحرب الكبرى منحته حكومة روما الحماية الايطالية لقاء الخدمات التي أتاها للارساليات الايطالية في صعيد مصر ، ثمّ عيّنته حكومة فرنسة ترجماناً فخريا لوكالتها السياسية في مصر اقراراً بحسن ما جاء به من الاعمال المفيدة للجالية الفرنساوية الكريمة » .[2] له مقالات قيّمة عديدة سياسية واجتماعية واقتصادية في الجرائد الافرنسية في القطر المصري وفي فرنسة .

والخوري داميان زميا ، المحرّر في عدة جرائد افرنسية مثل لاكروا والاوتيفر وغيرهما . وهو مراسل وكالة فيدس الرومانية .

والمحامي اسعد مخلوف ، صاحب « كتاب اهمّ المعاملات في الصكوك والاستدعاءات » وكتاب « دليل المتداعين ورفيق المحامين » .

والسيد يعقوب كرم ، صاحب مجلّة « الاخلاق » المصوّرة ، التي تصدر في نيويرك ورئيس التحرير فيها .

٦ً عائلة ديب

جدّ هذه العائلة هو ابو يوسف الياس ذيب ، اصله من قرية العاقورة من اسرة مهنا ، هجر مسقط رأسه في اواسط الجيل السابع عشر ، وأتى فسكن اولاً في محل يدعى « الفص » بين غزير ودلبتا . ثم استوطن دلبتا وهو اول من سعى ووقف الاملاك لدير سيدة الحقلة .

---

١) القس بطرس الحويري : تاريخ الرسالة المارونية ، ص ٢٥٤

٢) ابراهيم الاسود : تنوير الاذهان في تاريخ لبنان ، المجلد الثاني ، ص ٦٢٠

من هذه العائلة فرعان في ساحل بيروت ، وفرع في القطر المصري ، وفرع في بلاد جبيل .

ومن هذه العائلة الخوري بطرس ديب ، اول رئيس من آل ديب على دير سيدة الحقلة . ترى ترجمته في غير هذا المكان .

والخوري موسى ديب ، ابن اخي الرئيس السابق ، لبس الاسكيم في دير سيدة الحقلة سنة ١٧٦٣ ، وانتُخب رئيساً للدير سنة ١٧٨٠ في حياة عمه الذي تنزّل له عن حقّه . أسّس دير المخلص المعروف « بدير العفنس » بين دلبتا وغزير ، في المكان الموقوف من اقاربه . وكان له كنيسة وفيه رهبان ، اما الآن فهو خراب . تعلّم فنّ تصوير اليد على « الراهب اللبناني » المصوّر المعروف بهذا الاسم في تلك الايام ، وله من عمل يده صور عديدة لا يزال قسمٌ منها موجودًا في دلبتا ودير الحقلة ودير مار روحانا ودير مسيّتا . صارت عليه بعض الشكاوي سنة ١٨١٦ ، فاوقفه البطريرك يوحنا الحلو عن الرئاسة ، غير انه رجع الى وظيفته بامر البطريرك المذكور سنة ١٨١٨ بعد التئام مجمع اللويزة . توفي سنة ١٨٢٦ .

وكنعان ديب ، وولده الخوري بطرس ، وحفيده الخوري بطرس . فكنعان تعلّم فنّ تصوير اليد على عمّه الخوري موسى وفاقه . له صور عديدة لا تزال منتشرة في كنائس كسروان والمتن وبلاد جبيل والبترون ، توفي سنة ١٨٨٢ . وولده الخوري بطرس تعين مدة كاتب سرّ لنيافة القاصد الرسولي لودوفيكو پياڤي ، ونال من البابا لاون الثالث عشر لقب حاجب سرّي (منسنيور) توفي سنة ١٨٨٩ . واما الخوري بطرس حفيده فهو خوري اسقف ، ورئيس دير سيدة الحقلة ، واستاذ الحقّ القانوني في كلية ستراسبورج ، له مؤلفات منها « عقد الخطبة » وكتاب « المجامع المارونيـة » وكتاب « *La liturgie maronite* » ومقالات عديدة قيّمة علمية وتاريخية وقانونية في بعض المجلّات الافرنسية .

والاخوة الثلاثة الاب يوسف ، والمنسنيور يوحنا ، والخوري برديوط يوسف . فالاب يوسف اتقن العلوم في غزير في مدرسة الآباء اليسوعيين وانخرط في جمعيتهم ، توفي سنة ١٨٧٨ . والمنسنيور يوحنا ترأس دير سيدة الحقلة اكثر من

عشرين سنة ، وجدد بناء دير سيدة مسيتا ، وقسماً كبيراً من دير سيدة الحقلة ، وعدداً غير يسير من بيوت الشركاء ، وكان ماضياً في العمل بهمة شماء وعازماً على ان يُرمّم كل قديم ، غير ان الحرب الكونية ثارت فعرقلت مساعيه . ادار ابرشية بعلبك في اثناء سفر سيادة مطرانها الى رومية وباريس والاستانة قبل الحرب ، فتصرف في وظيفته بكل حكمة وتقوى ، وحل المشكلات العديدة التي اعترضته في ادارته . انعم عليه السيد الذكر البابا بيوس العاشر بلقب حاجب سري . توفي سنة ١٩٣٠ . واما الخوري البرذيوط يوسف فترأس مدة سنين مدرسة الرومية الاكليريكية بامر صاحب الغبطة البطريرك الياس الحويك . نقل الى العربية مجلدين للمؤلف الفرنساوي هامون دعاهما «الدرّة السنيّة في الواجبات الكهنوتية» ، وطبعهما على نفقته . توفي سنة ١٩٢٣ .

٧ عائلة الحصارنة

ان ابناء هذه الاسرة دُعوا حصارنة نسبةً لقرية حصرون التي نزحوا عنها ، وينتمون في دلبتا الى فرعين ، غير انهما في حصرون من محتد واحد هو بيت عواد . فالفرع الاول ينتسب الى الخوري يعقوب الذي جاء دلبتا حوالَ ١٦٨٠ ، والفرع الثاني ينتسب الى الحاج سليمان الذي قدم دلبتا حوالَ ١٦٩٠ .

الفرع الاول

هذا الفرع من سلالة الخوري يوحنا وينتسب الى الخوري يعقوب الحصروني الاول الذي سعى في بناء كنيسة مار يعقوب المقطّع في دلبتا كما سيمرّ بك القول . ومن ذريته ابو جبر عبود والياس وصالح . هؤلاء نزحوا عن دلبتا باولادهم فسكن الاولان المغيل قرب ميروبا ، ثم انتقلا الى زواريب عين شقيق وسكن الثالث قرية الغينة في الفتوح . من هذا الفرع القس طوبيا من الرهبانية البلدية ، كان شديد الغيرة على مصالح رهبانيته وخيرها فاقتنى لدير طاميش املاكاً وافرة منها الاراضي الوسيعة في بيروت في حيّ الكرنتينا ، وقد بيع منها قسم مهمّ لشركة السكة الحديدية . توفي سنة ١٨٤٢ [1] . (لها بقية)

---

(١) النبذة صفحة ٢٧

حي بن يقظان

وفلسفة ابن طفيل

بقلم الاب توتل اليسوعي

٣

اكتشاف وجود الله بالبرهان (١

وبموجب هذين المبدأين او المعنيين ، المادة والصورة ، كما رأينا سابقا ، اخذ يفحص سائر المخلوقات ليعرف عللها ، فاعتبر ان « كل حادث لا بد له من محدث ، فارتسم في نفسه بهذا الاعتبار فاعلاً للصورة ، ارتساماً على العموم ، دون تفصيل . وتتبع الصور التي كان قد عاينها قبل ذلك ، صورةً ، صورةً ، فرأى انها كلها حادثة وانها لا بد لها من فاعل ... فلما لاح له من امر هذا الفاعل ما لاح على الاجمال دون تفصيل حدث له شوق حثيث الى معرفته . وطلب ذلك الفاعل من جهة المحسوسات فلم يجده ، وانتقلت فكرته الى الاجسام السماوية . وانتهى الى هذا النظر على رأس اربعة اسابيع من منشئه وذلك ثمانية وعشرون عاماً .

ودرس حركة الافلاك وقرر انها صادرة عن فلك واحد وهو الاعلى

فلما انتهى الى هذه المعرفة ووقف على ان الفلك بجملته وما يحتوي عليه كشيء واحد متصل بعضه ببعض ، وان جميع الاجسام من نبات وحيوان كلها ضمنه ، وانه كله اشبه بشخص من اشخاص الحيوان ، وان ما فيه من الكواكب المنيرة هي بمنزلة حواس الحيوان ، والافلاك بمنزلة اعضائه ، وما في داخله من عالم الكون والفساد هو بمنزلة ما في جوف الحيوان من اصناف

(١) عبرنا عن افكار ابن طفيل بعباراته ذاتها ، ما امكن ، مع مراعاة واجب الايضاح والاختصار .

الفضول والرطوبات . . . تفكر في العالم بجملته هل هو شيء حدث بعد ان لم يكن ، وخرج الى الوجود بعد العدم ، او هو امر لم يزل موجوداً ولم يسبقه العدم. ولم يترجح عنده احد الحكمين على الآخر . لكنه استنتج من معنى الحدوث وجود المحدث :

«وهو الموجود المحض الواجب الوجود بذاته المعطي لكل ذي وجود وجوده فلا وجود الا هو ، فهو الوجود ، وهو الكمال ، وهو التمام ، وهو الحسن ، وهو البهاء ، وهو القدرة ، وهو العلم ، وهو هو ، كل شيء الا وجهه . فانتهت به المعرفة الى هذا الحد على رأس خمسة اسابيع من منشئه وذلك خمسة وثلاثون عاماً».

وتبين له ان ذاته التي ادرك بها الله امر غير جسماني لا يجوز عليه شيء من صفة الاجسام ، وان كل ما يدركه من ظاهر ذاته من الجسمانية فانها ليست حقيقة ذاته . وانما حقيقة ذاته ذلك الشيء الذي ادرك به الموجود الواجب الوجود ، ودرس الاجرام السماوية ، وحكم فيها انها تعقل وتعرف الله. والتمس لنفسه سبيل الصلاح ليتأسى بالموجود الواجب الوجود مع ما فيه من كمالات .

واجب الناموس الادبي

«فاتجهت عنده الاعمال التي يجب عليه ان يفعلها نحو ثلاثة اغراض: اما عمل يتشبه به بالحيوان غير الناطق ، واما عمل يتشبه به بالاجسام السماوية ، واما عمل يتشبه به بالموجود الواجب الوجود . فالاول من حيث له البدن المظلم ذو الاعضاء المنقسمة والقوى المختلفة والمنازع المتفننة . والثاني من حيث له الروح الحيواني الذي مسكنه القلب . والثالث من حيث هو هو اي من حيث هو الذات التي بها عرف ذلك الموجود الواجب الوجود. وفي هذا التشبه الثالث تحصل المشاهدة الصرفة والاستغراق المحض الذي لا التفات فيه بوجه من الوجوه الا الى الموجود الواجب الوجود. والذي يشاهد هذه المشاهدة قد غابت عنه ذات نفسه ، وفنيت وتلاشت ، وكذلك سائر الذوات ، كثيرة كانت او قليلة الا ذات الواحد الحق الواجب الوجود

طريقة الاتصال والاتحاد بالله

وراض نفسه على اكل البقول وامتنع عن اكل الحيوانات « وجعل يطرح عن نفسه كل عناية بما حوله، وما زال يقتصر على السكون في قعر مغارته مطرقاً غاضاً بصره ، معرضاً عن جميع المحسوسات والقوى الجسمانية ، مجتمع الهم والفكرة في الموجود الواجب الوجود . ودأب مدة طويلة ، ربما مرّ عليه عدة ايام لا يتغذى فيها ولا يتحرك ، وفي خلال شدة مجاهدته هذه ربما كانت تغيب عن ذكره وفكره جميع الاشياء الا ذاته ، فانها كانت لا تغيب عنه في وقت استغراقه بمشاهدة الموجود الحق الواجب الوجود . فكان يسوءه ذلك ويعلم انه شوب في المشاهدة المحضة وشركة في الملاحظة. وما زال يطلب الفناء عن نفسه والاخلاص في مشاهدة الحق حتى تأتى له ذلك. فغابت عن ذكره وفكره السموات والارض وما بينهما ، وجميع الصور الروحانية والقوى الجسمانية ، وجميع القوى المفارقة للموادّ التي هي الذوات العارفة بالموجود ، وغابت ذاته في جملة تلك وتلاشى الكل واضمحل وصار هباء منبثاً ؛ ولم يبقَ الا الواحد الحق الموجود. وهو يقول بقوله الذي ليس معنى زائداً على ذاته . . . وعند ما افاق من حاله تلك التي هي شبيهة بالسكر خطر بباله انه لا ذات له يغاير بها ذات الحقّ ، وان حقيقة ذاته هي ذات الحقّ ، وان الشيء الذي كان يظن اولاً ، انه ذاته المغايرة لذات الحقّ، ليس شيئاً في الحقيقة بل ليس ثم شيء الا ذات الحق».

وبقي على حالته تلك حتى اناف على سبعة اسابيع من منشئه وذلك خمسون عاماً وحينئذٍ اتفقت له صحبة أسال (ص ١٠٤)

طريقة المقرّبين لا توافق الجمهور

وكان اسال رجلاً تقياً ، اتى من الجزيرة المجاورة الى جزيرة حي بن يقظان على امل ان يجدها خالية من السكان فيعكف فيها على الحياة الروحية. وعلّم أسالُ حي بن يقظان الكلام وتحدث اليه فدهش لكيفية نشأة افكاره وتطوّرها واكتشافها اسمى عقائد الدين بطرائق خفية ، وتعرفها ما اوحاه الله من امر الثواب والعقاب والفرائض . وفرح الرفيقان لاتفاقهما على العقائد

ذاتها مع كونهما قد بلغا اليها بطرائق مختلفة : اسال ، باتخاذهما من البشر بالتطيم ، وحيّ ، بقوة عقله وفلسفته . ولما علم حيّ من رفيقه بوجود بشر في الجزيرة المجاورة يقولون بالدين وعقائده ولا يسلكون طرق الكمال في فرائضه ، فيأكلون لحم الحيوان ، ويتمتعون بالملاهي ، ويمتلكون الاموال عقد العزمة على القصد اليهم لتبشيرهم وتعليمهم طرق الزهد . فسافر الرفيقان وحلّا عند سلامان ، زعيم الجزيرة ، ضيفين مكرمين . واخذ حيّ بن يقظان يعلم الزعيم وخاصته ، وهم نبلاء القوم وانجباؤهم ، طرق الزهد بالعالم والاتصال بالله من غير الطرائق الحسية التي تلهي الحواس ولا تشفي غليل الارواح .

« فما هو الا ان ترقى عن الظاهر قليلاً واخذ في وصف ما سبق الى فهمهم خلافه ، فجعلوا ينقبضون عنه وتشمئزّ نفوسهم عما يأتي به . . . فعلم وصاحبه اسال ان هؤلاء لا نجاة لهم الا بالطريقة التي نشأوا عليها ، وان طائفتهم ان رُفعت عن بقاع الاستبصار اختلّ ما هي عليه ولم يمكنها ان تلحق بدرجة السعداء ، فتذبذبت وانتكست وساءت عاقبتها ، وان هي دامت على ما هي عليه حتى يوافيها اليقين (الموت) فازت بالامن وكانت من اصحاب اليمين ؛ واما السابقون فاولئك المقربون . فودعاهم وانفصلا عنهم وتلطفا في العود الى جزيرتهما . وطلب حيّ بن يقظان مقامه الكريم بالنحو الذي طلبه اولاً حتى عاد اليه ، واقتدى به أسال حتى اقترب منه او كاد ، وعبدا الله بتلك الجزيرة حتى اتاهما اليقين »

نقد فلسفة ابن طفيل

كل ما قاله ابن طفيل في وصف انواع الاشياء من نبات وحيوان وانسان جدير بالاعتبار ، وهو لسان حال وخلاصة ما قاله المدرسيون في القرون الوسطى عن طبيعة الاشياء ومادتها وصورتها . ولا يسعنا الا التحريض على قراءته مطوّلاً في قصة حيّ بن يقظان ، وفيه فوائد ادبية ولغوية جمة فضلاً عن اسلوبه المنطقي الفلسفي المروّض الفكر على النظر .

اما تدرّج حيّ بن يقظان الى الكشف على الموجود الواجب الوجود ،

سبحانه وتعالى ، من تعليل الحدث المقتضي فاعلاً يحدثه ، سواء اكان الكون محدثاً او ازلياً ، فهو ايضاً صفحة جميلة حقيقة ان تتخذ مادةً للشرح في المدارس.

هذا ، ولقصة حي بن يقظان وجوه تحتمل النقض رأينا ان ننوه بها فتزيل، ان شاء الله ، ما يحول دونها ودون فهم القارئ المستقيم الرأي ، اذا ما اقبل على تصفحها . فان ابن طفيل يؤاخذ في نظرنا ، خاصةً : ١ً باهماله امر النعمة وسقوط الطبيعة البشرية . ٢ً بتفضيله المعرفة بالعقل على المعرفة بالايمان . ٣ً باعتقاده الانسان قادراً على رؤية الله في هذه الحياة ٤ً باقواله المنتجة مذهب تأليه الكلّ او البانتيسم

١ً ان الله خلقنا لغاية توخاها ، غير موازية لطبيعتنا البشرية ، بل متفوقة على مطلباتها وقواها . وذلك انه اختارنا للحياة الدائمة المتوقفة على الاشتراك في حياته عينها ، ونحن مدعوون لنرى الله كما يرى ذاته ، ونملكه كما يملك ذاته ، ونحبه كما يحب ذاته . وبما ان الطبيعة البشرية قاصرةٌ بقواها عن البلوغ الى تلك الغاية القصوى ، فقد اعطانا الله النعمة وسيلةً اليها . فالنعمة ضرورية لنا وهي قوة فائقة الطبيعة تمكننا من الوصول الى مشاهدة الله . فالانسان لا يسير الى غايته الفائقة بعون خارجي فحسب ، بل بمبدأ داخلي ملازم لحياة سامية ، انما هي النعمة وهي موهبة من الله مجانية ، وليست ثمر مجهودات الانسان . اما ابن طفيل فقد اهمل امر النعمة اهمالاً باتاً او كاد. نعم قد ذكر ، خلسةً ، ان الاتصال لا يتمّ الا لمن منّ الله عليهم به ، ولكن ليست تلك الموهبة بموجب كلامه لتفترق فرقاً جوهرياً عن سائر المواهب الطبيعية التي بنّ بها الله على البشر . فنشأ حيّ بن يقظان ونما وبلغ اسمى درجات الكمال بقواه البشرية ؛ وهذا ، في تعليم اللاهوتيين ، ضربٌ من المحال ، والقول به مخالف للعقل وللوحي ، وحسبنا التنبيه عليه.

وكما ان ابن طفيل اهمل شأن النعمة كذلك ضرب صفحاً عن امر الخطيئة الاصلية وسقوط الطبيعة البشرية ، الذي يجعل انسان الفطرة عاجزاً عن اكتشاف غايته الفائقة الطبيعة ، ما لم يمنّ الله عليه بالوحي فيكلمه بكتبه المقدسة ويكشف له غوامض اسراره.

٢ً اما الوحي وما له من التعاليم المدوّنة في الكتب المقدسة او الناتجة عنها بالاجتهاد والتفسير ، فقد بخسه ابن طفيل حقه اذ جعله دون العقل الفلسفي مرتبةً ونفوذاً . والفلسفة عنده ليست « خادمة » لعلم اللاهوت ، بل هي مستقلة بذاتها ومقصودة لذاتها، كونها بذاتها طريقة الاتصال بالله.

واذا فطن القارئ اللبيب الى كيفية نشأة حيّ بن يقظان وتعلمه وترقيه حتى بلوغه الكمال والاتحاد بالله ، لا بمعرفة الكتاب والشريعة بل بفضل عقله وفطرته ، فهم مرامي واغراض ابن طفيل من عرضه شخصية حيّ على المسرح تجاه اسال ، الرجل الذي عرف الكتابة « والملة » ولم يستطع ان يتقرب الى الكمال بما تعلمه منها ، ولكن باقتدائه بحيّ بن يقظان « حتى قرب منه او كاد » .

فنتيجة البحث اذن ، على رأي ابن طفيل ، هي ان العقل والايمان يتفقان على معرفة الله ولا تناقض بين الدين والفلسفة ، وان ذلك لصحيح. اما كون معرفة الله الفلسفية اسمى من المعرفة الدينية المكتسبة من الكتاب ، فليس ذلك بصحيح ولم يجرأ ابن طفيل على التصريح به ، ولكنه مفهوم من قصة حيّ بن يقظان . وقد تضاربت آراء المسلمين في صحة هذا الاستنتاج وهي عقدة من العقد التي حاولوا حلها في مدارسهم الفلسفية . وتفرقوا طرائق في حلها وهي التي صارت سبباً لاضطهاد الفلاسفة بينهم.

وباقي القصة مصداق للتأويل الذي سبق . لان سلامان ورجاله « هم اقرب الى الفهم والذكاء من جميع الناس ومع ذلك فلما قصد حيّ بن يقظان ان يعلمهم طرق الكمال عجز وكان عن تعليم الجمهور اعجز ». فاضطر الى الاعراض عنهم والعودة الى جزيرته.

٣ً اما بلوغ حيّ بن يقظان الاتصال بالله طبقاً للوصف الذي وصفه ابن طفيل فله وجهان : فوجه الصواب ان الله قد يمن على الاتقياء القلوب من البشر بنعمة تبررهم وتؤهلهم الى الاتحاد به. فينالون بنعمته البرّ والاتحاد، بعناية خاصة من لدنه تعالى . وقد يبلغون بفضل تلك النعمة درجات من الكمال سامية ويعرفون الله معرفة فائقة ، سرية ، كمعرفة القديسين ، من غير استعمال الحواس،

عقلية محضة. ولكن بين هذه المعرفة ومعرفة الرؤيا في السماء فرق ما بين السماء والارض. وهذا الفرق لا يظهر في كلام ابن طفيل، وهو وجه الخطأ في القصة.

٤ ثم ان معرفة الرؤيا في السماء وجهاً ازاء وجه على ما فيها من كمال الاتحاد به تعالى ومشاركته بطبيعته وسعادته، لا تفني شخصيتنا.

وضلّ ابن طفيل اذ قال ان حي استطاع ان يرى الله وجهاً لوجه، واغلظ في الغلط لما نسب الى بطله فناءه واضمحلاله في اللاهوت.

نعم لقد تدارك النقد من هذا السبيل وقال: ان من يلومه على مقالاته فقد اساء فهمه. ولكن لا سبيل الى التنصل من اللوم، ومتن الكتاب صريح كما رأينا. وقد يساعد على فهمه بمعناه الضالّ سائر ما ورد فيه من وصف ارتياض حيّ بن يقظان على التقشف والصيامات شأن البوذيين الهنود، ومن المعلوم ان هؤلاء يؤدي بهم مذهبهم الى البانتيسم او اضمحلال الكل بالله او الى تأليه الكل.

* * *

قد امتدحوا اسلوب ابن طفيل التأليفي واطرأوا لغته، ولا مغالاة بالمديح. ولا يسعنا الا ان نستحثّ الادباء على قراءته بعد ان نبهناهم على مواضع الخلل فيه. ولكن لا بد من ان نضيف الى تلك الملاحظات ان اقسام الكتاب تتفاوت سهولة للمطالعة واقتراباً للفهم. وبينما نرى بعضها رائقاً لطيفاً، سائغ القراءة، منبه الافكار، موسع النظرات، فان غيرها لم يخلع حلة الغموض ولم ينبذ تعقيد الافكار، وعلى الاخص في المقدمة، وفي المواضع التي يعرض فيها ابن طفيل الى الكلام على الحياة الروحية كأنه يضنّ بفهمها على عامة القراء. ولكن من طالع قصة حي بن يقظان وراجعها وثبت عليها بجلد واستعان عليها بما يعرف عن فلسفة القرون الوسطى فسوف يوافق الافرنج على حكمهم: انها آية من آيات القصص العربية الحكمية ومختصر فلسفة العرب.

الرسالة الحاتمية

فيما وافق المتنبي في شعره كلام ارسطو في الحكمة

بقلم فؤاد افرام البستاني
استاذ الآداب العربية في كلية القديس يوسف

٢

الحاتمي

الاديب (تابع)

آثاره

من المعروف ان الحاتمي تصانيف عديدة اكثرها في الشعر والادب ، يذكر منها الادباء نحو خمسة عشر بين كتاب ورسالة. فرأينا ان نعدّد ما نعرفه منها عن ابن خلكان[١] ، وياقوت[٢] ، والسيوطي[٣] ، وحاجي خلفا[٤] مشيرين الى نوع كل مصنف :

١ ــ حلية المحاضرة

في صناعة الشعر ، يقع في مجلدين . ذكره ياقوت ، والسيوطي[٥] ، وابن خلكان ، وزاد : « وفيه ادب كثير » . وذكره حاجي خلفا ، وزاد : « يشتمل على آداب كثيرة »[٦]

---

١) ابن خلكان : ك.م. ١ : ٦٤٦ و٦٤٨ ٢) ياقوت : ك.م. ٦ : ٥٠٢-٥٠٣

٣) السيوطي : ك.م : ٢٥

٤) حاجي خلفا : كشف الظنون عن اسماء الكتب والفنون ، طبعة Flügel ، في اماكن عديدة سنشير اليها .

٥) في السيوطي : حلية المحاضرة ، وهو تصحيف .

٦) حاجي خلفا : ك.م. ٣ : ١١٢ ، عدد ٤٦٣٤ – وقد ورد اسم الكتاب في دائرة المعارف للبستاني : حلية الادب (٦ : ٦٢٨)

٢ ــ الطباجة

معنى الطباجة الاحمق الضخم القدم الاكول الجامع لكل شرّ. قال ياقوت: وهو كتاب صنّفه للوزير ابي عبد الله بن سعدان في رجل سَبَّه عنده، وسمّى الرجل الطباجة من غير ان يصرّح باسمه. ومحور الكتاب صنعة الشعر، وقد ذكره السيوطي وسمّاه «تقريع الطباجة». ولم يذكره ابن خلكان، ولا حاجي خلفا.

٣ ــ سرّ الصناعة

في الشعر ايضاً. ذكره ياقوت، والسيوطي، وحاجي خلفا (١

٤ ــ الخالي والعاطل

في الشعر ايضاً. ذكره ياقوت، والسيوطي، وحاجي خلفا (٢.

٥ ــ المجاز

في الشعر ايضاً. ذكره ياقوت، والسيوطي.

٦ ــ الرسالة الناجية

لم يذكرها الا ياقوت.

٧ ــ مختصر العربية

ذكره ياقوت، والسيوطي.

٨ ــ عيون الكاتب

لم يذكره الا ياقوت.

٩ ــ رسالة في الشراب

ذكرها ياقوت، والسيوطي.

١٠ ــ منتزع الاخبار ومطبوع الاشعار

يدلّ اسمه على انه من نوع المجموعات. ذكره ياقوت، والسيوطي، وحاجي خلفا. الّا انه اتى مصحّفاً عند هذا الاخير، فدعاه «منتزع الاخبار ومطبوع الاشعار لابي علي... الحاتمي»(٣

١١ ــ كتاب البراعة

ذكره ياقوت والسيوطي.

---

١) حاجي خلفا: ك م. ٣: ٥٩٤، عدد ٧١٣٧ - وفيه ورد اسم الحاتمي مصحّفاً بالخاتمي.

٢) ك. م. ٥: ٧٩، عدد ١٠٠٨٤، وورد فيه الخالي والعاطل، وهو تصحيف

٣) حاجي خلفا: ك. م. ٦: ١٦٦، عدد ١٣١٠٨

١٢ ــ كتاب المفصل
ذكره ياقوت وقال: « وهي الرسالة الباهرة في خصال ابي الحسن النبي. »

١٣ ــ كتاب في اللغة
لم يتمّ. ذكره ياقوت والسيوطي.

١٤ ــ كتاب المعيار والموازنة
وهذا لم يتمّ ايضاً. ولم يذكره الّا ياقوت.

وهناك الرسالتان اللتان اشرنا اليهما في المتنبي . اما الاولى منهما فسمّاها:

١٥ ــ الموضحة
وتعرف بالحاتمية ايضاً. ذكرها ابن خلكان باسم الحاتمية اولاً ثم قال : « وقد سمّاها الموضحة » (١) وذكرها ياقوت والسيوطي بعنوان: « الموضحة في مساوئ المتنبي ». وزاد السيوطي بعد ان عدّد بعض مصنفاته ، كأنه يتكلم عن كتاب آخر: « الرسالة الحاتمية شرح فيها ما دار بينه وبين المتنبي واظهر فيها سرقاته. » ولا يخفى ان هاتين الرسالتين واحدة بدليل ما تقدّم من قول المؤرخين . وكذلك قول حاجي خلفا في ذكر المتنبي : « وبيّن ابو علي محمد بن حسن الحاتمي البغدادي المتوفى سنة ٣٨٨ سرقات شعره (المتنبي) وعيوبه في كتاب سماه الموضحة. » (٢). وقد تقدّم لنا وصف هذه الرسالة في التوطئة ، فليراجع(٣) . على اننا نشير الآن الى انها لم تُطبع بعد طبعة كاملة.

واما الرسالة الثانية فهي التي يهمّنا امرها في هذا البحث ، وهي المعروفة « بالحاتمية » بحصر المعنى.

الحاتمية

سبب تأليفها

من الغريب ان نرى الحاتمي ، الذي عرفناه يتميّز غيظاً على المتنبي ويستشيط حسداً له ، حتى يدفعه حبّ التشفي به والانتقام منه الى قصده في عقر داره ، ومناظرته تلك المناظرة التي وصفناها بانها اقرب الى المهاترة ، ثم تبجّحه بانه

١) ابن خلكان : ك. م. ١ : ٦٤٧
٢) حاجي خلفا : ك. م. ٣ : ٣١٢
٣) اطلب مشرق شباط الماضي ، ص ١٢٣

اظهر سرقات المتنبي ومعايبه في جلسة واحدة ، من الغريب ان نرى رجلاً هذا رأيه في المتنبي ، ينقلب كل الانقلاب ، حتى يُصبح من الذائدين عن عدوّه بالامس ، ومن المنافرين لخصومه في خصمه السابق ، فيقول في مقدمة رسالته : «والذي بعثني على تأليف هذه الالفاظ ... مفاخرة خصومي فيه (المتنبي) لما رأيت من نفور عقولهم عنه وتصغيرهم لقدره ...» فسبحان مغيّر القلوب !

بيد اننا اذا تفحصنا عن الأمر رأينا ان المتنبي اظهر للحاتمي كل مجاملة وكل لين حتى في اشدّ تهجماته ، فكان يداريه ويلاطفه ، على قول الحاتمي . ولا يهمنا سبب هذه المداراة . انما المقصود من تحققها انها غسلت حقد الحاتمي ، وشفت نفسه ، فاكتفى بها للدلالة على تقدّمه ، وعلى انه غلب المتنبي فامكنه الفخر بذلك لدى سيّده المهلّبي ، وسيّد سيده معزّ الدولة . فلم يرَ من حاجة الى استئناف العداوة بعد ، فأخذ يميل شيئاً فشيئاً عن حالته السابقة و «يعرف حق المتنبي ويجمل في وصفه» . وذلك بدليل قوله ، في آخر «الموضحة» ، بعد ان يطيل في وصف انتصاره على المتنبي :

«وكنت قد بلغت شفاء نفسي منه ، وعلمت ان الزيادة على الحدّ الذي انتهيت اليه ضرب من البغي لا اراه في مذهبي ، ورأيت له حقّ القدمة في صناعته . فطأطأت له كتفي ، واستأنفت جميلاً من وصفه . ونهضت فنهض لي مشيّعاً الى البابَ ، حتى ركبت ، واقسمت عليه ان يعود الى مكانه . »[1]

والخلاصة ان الحاتمي اكتفى بان نفّذ رغبة المهلّبي ، وغلب المتنبي في نظر سيده هذا ، ونظر معزّ الدولة ، ونظر من حولهما من الشعراء والادباء «وشفى منه صدورهم» جميعاً . فلم يبقَ من حاجة الى انقاص قيمة الرجل .

ولعلّ الحاتمي مال ، بعد تلك الحادثة ، الى المتنبي ، وقد امن شره ، فغدا يقدّمه ويشيد بذكره . وهو انقلاب قد نراه احياناً في من فُطروا على الاحساس السريع الانفعال ، والشعور المتقلّب بتقلب الاحوال . ولكن مهما يكن من امر فلا يخلو هذا الانقلاب من الغرابة .

---

١) ياقوت : ك . م . ٦ : ٥١٨ .

طبعاتها

لا نعرف للرسالة الحاتمية الّا طبعتين. ظهرت الاولى منهما في مجموعة للقس انطون بولاد ، دعاها « راشد سوريا » وطبعها في بيروت سنة ١٨٦٨ ، وهي ذات ٢١٧ صفحة من القطع المثمن المتوسط. والرسالة تقع في ١٨ صفحة منها، (ص ٢٥—٤٣) ولا عنوان لها ولا خاتمة . بل تبدأ بما يلي :

« قال الامام ابو علي محمد بن الحسن المظفر الكاتب اللنوي المعروف بالحاتمي لما رأيت ابا الطيب احمد بن الحسين ابن الحسن الشاعر اللنوي المعروف بالمتنبي قد اتى في شعره على اغراض فلسفية ومعاني منطقية اردت الموافقة بين ما توارد به في شعره مع ارسطو في حكمه لانه ان كان ذلك عن فحص ونظر . . . الخ »

ولا نعرف النسخة التي اخذت عنها.

وفي هذه الطبعة ٧٩ مقابلة تحتوي كل منهـا على فقرة من اقوال ارسطو وبيت من حكم المتنبي.

وقد اطلعنا في فهرس الكتب العربية في المتحف البريطاني[1] على ذكر طبعة للرسالة المذكورة في بيروت ، ذات ١٨ صفحة من القطع المثمن . وهو يرجح زمن طبعها سنة ١٨٦٠، الا انه لا يجزم بذلك بدليل علامة الاستفهام التي يردف بها الرقم المذكور . ونحن لا نعرف هذه الطبعة ، بل اننا نميل الى القول انها هي طبعة القس انطون بولاد نفسها ، اقتطعت من مجموعته ، وافردت على حدة بدليل مشابهتها لتلك الطبعة في عدد الصفحات وقطعها ، ومحل طبعها. وبدليل ان احداً من الادباء ومؤرخي الادب لم يُشر الى هذه الطبعة . فبروكلمان[2] ، والاب شيخو[3] ، لا يذكران الّا طبعة القسطنطينية ، وهي

(١ A. G. Ellis, *Catalogue of arabic books in the British Museum. vol. II, London, 1901. col. 182.*

(٢ C. Brockelmann, *Geschichte der arabischen Litteratur, I Band, Weimar, 1898, p. 88.*

(٣ P. L. Cheikho s. j., *Catalogue raisonné des manuscrits de la Bibliothèque Orientale, IV, Philosophie et Ecriture sainte — Beyrouth, 1925. p. 213.*

التي سنتكلم عنها ؛ وجرجي زيدان[1] لا يذكر الا طبعة القس انطون بولاد البيروتية .

اما الطبعة الثانية فظهرت في مطبعة الجوائب في القسطنطينية ، سنة ١٣٠٢هـ. (١٨٨٤) ، في مجموعة ادبيـة ذات ٢٩٦ صفحة بقطع مثمن كبير ، دُعيت « التحفة البهية والطرفة الشهية » ، واحتوت على ١٧ رسالة « مُنتخبة تشتمل على ادبيات معجبة ونوادر مطربة » ، وكانت الحاتميـة الحادية عشرة منها ، وقعت في ١٦ صفحة (١٤٤—١٥٩) وعنوانها : الرسالة الحادية عشرة وهي الرسالة الحاتمية للعلامة ابي علي محمد بن الحسن بن المظفر الحاتمي » ، وبدؤها :

« بسم الله الرحمن الرحيم
« وما توفيقي الا بالله

« قال ابو محمد (٢ بن الحسن بن المظفر الحاتمي رحمه الله اما بعد . . . والذى بعثني على تأليف هذه الالفاظ المنطقية والآراء الفلسفية التي اخذها ابو الطيب احمد بن الحسين المتنبي مفاخرة خصومي فيه لما رأيت من قصور عقولهم عنه وتصغيرهم لقدره . . . ووجدنا ابا الطيب احمد بن الحسين المتنبي قد اتى في شعره باغراض فلسفية ومعانٍ منطقية فان كان ذلك منه عن فحص ونظر . . . الخ »

وهذه المقدمـة ، الا بعض اختلافات طفيفة ، هي الواردة في مخطوطتي المكتبة الشرقية اللتين سندرسهما . وقد أُخذت الطبعـة المذكورة عن نسخة كتبت سنة ٦٤٤ هـ. (١٢٤٦) بدليل خاتمتها وهي :

« تمت الرسالة والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على نبيه سيدنا محمد وآله الطاهرين ، وسلم تسليماً كثيراً كتبت في شهور سنة اربع واربعين وستمائة (٦٤٤) »

وتحتوي هذه الطبعة على ٩٧ مقابلة ، في كل منها فقرة من حكم ارسطو وبيت للمتنبي ، الا اربع مقابلات منها ورد في كل منها بيتان . وهي بالاجمال اقرب الى مخطوطتي المكتبة الشرقية من الطبعة السابقة التي لا نعلم مصدرها .

---

١) جرجي زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية ، الجزء الثاني ، مصر ١٩١٢ ، ص ٢٤٨
٢) ابو محمد : كذا ، والصواب : ابو علي محمد ، كما في العنوان ، وقد سقطت لفظة « علي » في الطبع دون شك .

نسخها الخطية

تعرف للرسالة الحاتمية اربع نسخ خطّية ، في العالم العربي . منها واحدة في مكتبة غوطا (المانية) رقمها ٢٢٣٤ ، وواحدة في مكتبة مدينة الجزائر رقمها ٥٦٦ . وقد ذكر الاثنتين بروكلمان في تاريخه[1] . اما مخطوطة دار الكتب الكبرى في مصر فتحتوي على الرسالة الحاتمية الاولى المعروفة « بالموضحة » ، لا على حاتميتنا هذه .

واما المخطوطتان الباقيتان فهما في المكتبة الشرقية ، في كلية القديس يوسف ، وعليهما بنينا طبعتنا . فيحسن بنا ان نقول كلمة في كل منهما .

المخطوطة الاولى

رقم الاولى ٣٤٢ ، وهي من مجموعة الآثار الفلسفية . تظهر في كرّاس جميل ، حسن التجليد ، قويّ الجلد ، محاط ، في دفتيه ، بأطار ذهبي مع نقشة ذهبية في الوسط . يحتوي على ٥٣ ورقة مكتوبة اكثرها على صفحة واحدة . والورق صقيل ، كامد اللون ، يبلغ طول الصفحة منه ٢٠ سنتيمترًا بعرض ١٦ سنتيمترًا . اما القسم المكتوب منها فيبلغ ١٣–١٤ سنتيمترًا بعرض ١٠–١٠½ . والصفحة المكتوبة محاطة باطار مزدوج ملوّن بالاحمر والازرق والاخضر في المقدمة ، وبالاحمر في سائر الرسالة . والخط نسخي واضح جليّ ، على قسط من الجمال ، متوسط الكبر في النثر يبلغ علوّه ٧–٩ مليمترات . اما في الشعر فهو كبير يبلغ علوّه السنتيمترين . وقد أفردت فيه العناوين من مثل : « قال ارسطو » و « قال المتنبي » فذُكرت في وسط السطر بحبر تارة احمر وطورًا اخضر ، بين نقشتين خضراوين مع الحبر الاحمر ، وحمراوين مع الاخضر . اما سائر الكلام فمكتوب بالحبر الاسود . وقد زُينت الصفحة الاولى بتصاوير غريبة من زهور ، ونبات ، وطيور ، مع حيّتين ، وحيوان يُشبه الثعلب وآخر

(١ Brockelmann, *op. cit. I, 88.*

من النوع نفسه. كل ذلك بالوان عديدة من اخضر واحمر واسود وفضي او رصاصي. ولم يُكتب شيء في هذه الصفحة. اما الصفحة الثانية ففيها العنوان محاطاً بالاطارات المذكورة، وبزهور متعددة الالوان، مع طائرين واحد في كل زاوية من اعلى الصفحة. وسنصوّر هذه الصفحة مع صفحة اخرى من الرسالة مثالين من المخطوطة المذكورة.

وفي آخر الورقة ٥٢ تنتهي الرسالة، فيزيد عليها الناسخ في الورقة ٥٣ بعض ابيات لا صلة بينها وبين ما تقدّم، ويذكر اسمه وتاريخ نسخه اياها بقوله:

«قد علّقها بيده أرذَل العبيد ميخائيل ولد [حنا فخر] في ١٥ ذ الحجة ختام سنة ١١٧٤ الف ومائة واربعة وسبعين للهجرة.»

اي ١٨ تموز ١٧٦١، وقد وضعنا لفظتي «حنا فخر» بين معقفين لانهما تظهران في النسخة كانهما أُضيفتا بعد ان حُكّ الكلام الذي كان محلهما.

وقد دخلت هذه المخطوطة في ملك المكتبة الشرقية سنة ١٨٩٧، اشتراها المرحوم الاب لويس شيخو في بيروت ووصفها، مع المخطوطة التالية، في القسم الرابع من وصفه لمخطوطات المكتبة الشرقية.[1]

تحتوي هذه المخطوطة على ٩٩ مقابلة، في كل منها فقرة لارسطو وبيت للمتنبي، الا اثنتين منها اشتملت كل منهما على بيتين.

هذا ما خصّ مظهر المخطوطة. اما قيمتها الداخلية فحسنة بالاجمال لان التصحيف فيها قليل، وضبطها من حيث اللفظ موافق الا في ما ندر. الّا ان في ضبطها النحوي بعض الاضطراب، فالكاتب شكل فيها كل الكلمات تقريباً فوقع في هفوات عديدة كان من السهل ان يتجنّبها. ومهما يكن من امر فالمخطوطة حسنة يصحّ الاعتماد عليها.

المخطوطة الثانية

اما المخطوطة الثانية فرقمها ٣٤١، وهي ترقى الى اوائل القرن التاسع عشر. وتشتمل فضلًا عن الرسالة الحاتمية على مجموعة حكمية فلسفية هذا ترتيبها:

(١ P. L. Cheikho, *op. cit. IV, p.* 213 *et* 214

١ – الرسالة المعروفة بالحاتمية (ص ١–١٢)
٢ – جواب الفس بولس عن سؤال في تقدير الله للعمر والرزق (ص ١٢–١٤)
٣ – رسالة هرمس الحكيم المثلث الحكمة في معاتبة النفس ورجوعها الى سبيل الخلاص (ص ١٥–٥٠)
٤ – رسالة افلاطون الحكيم الى فوفيريوس في حقيقة ذي الغم والهم . . . (ص٥١–٥٨)
٥ – يلي ذلك جداول في الاشهر الهجرية والمسيحية والساعات والنجوم والابراج وما شاكل (ص٥٩–٦٤)
٦ – وقد زيد ، بعد ان ختم الناسخ الكرّاس في الصفحة ٦٤ ، وصية آدم لابنه شيث قبل وفاته (ص ٦٤–٦٧)

فيظهر مما تقدّم ان اوراق المخطوطة ٣٤ مكتوبة على الصفحتين. والكرّاس مجلّد بالقماش تجليداً حسناً ، وورقه خشن متين منفصل قليلًا بالرطوبة ، يبلغ طوله ١٩½ سنتيمترًا وعرضه ١٣½ سنتيمترًا ، وطول المكتوب من الصفحة ١٥½ سنتيمترًا بعرض ١٠½ سنتيمترات ، يدخل فيه من ١٩ الى ٢٢ سطرًا محاطة باطار بسيط . اما الناسخ فهو ميخائيل بن شاهين طراد كما يتضح من خاتمة الكرّاس. (ص ٦٤) ، وهي :

« قد كمل نسخ هذه الكراسه التي تسمى سنيت (سنية) الفؤاد يد ناسخها افقر واخطا العباد عبده ميخائيل شاهين طراد سنة ١٢٢٦ » (١٨٠٩)

وخطّه من نوع النسخي واضح على الغالب ، ولكنه بعيد عن الجمال . وكله بالحرف الاسود . .

اما الرسالة الحاتمية فتقع في اول الكراس في ١١ صفحة ونصف الصفحة ، وقد اختُصرت منها افعال «القول» ، في «قال ارسطو» ، و«قال المتنبي» فلم يذكر الا اسم الحكيم والشاعر في اول السطر ، بحرف كبير في الصفحة الاولى ، وبحرف اعتيادي في ما يليها من الصفحات . وقد احتوت على ٩٨ مقابلة في كل منها فقرة لارسطو وبيت للمتنبي، الا اثنتين ورد في كل منهما بيتان. ومادّتها صحيحة بالاجمال ، الا ان تاءات الاسماء المؤنثة وردت كلها تقريباً مبسوطة . فنرى في العنوان مثلًا : « الرسالت المعروفت بالحاتميت فيما وافق المتنبي في شعره كلام ارسطو في الحكمت »

(لها صلة)

العلم الطبيعي يثبت وجود الله

بقلم القس عبد المسيح زمر

١

ان اعتقاد وجود اله يكافئ الخير ويجازي الشرّ اعتقاد عامّ شامل كل الازمان والاماكن والشعوب والامم والقبائل المنبثة على وجه البسيطة . وقد اقرّ هذا الاعتقاد التاريخ ، واثبته العلم ، وتحققه الجوّالون في اسفارهم ورحلاتهم ، وتمسك به النظّار والعلماء واصحاب القلوب ، على مرّ الازمان واختلاف البلاد والاوطان . نعم ان معرفة الاله قد تشوّهت عند بعض الشعوب ، وظهرت في مظاهر متباينة متنوّعة ، وذلك لشدة ما علق بالعقول من الاوهام ، وتعارض المذاهب في تعيينه وتعريفه وتسميته ، ولكن هذا الضلال على طغيانه لم يستطع طمس ودرس ذكر الاله من الافئدة ؛ حتى ان القبائل المتبدّية المتوحّشة اعتقدت وجوده اسوة بالشعوب المتحضّرة المتمدّنة ؛ وآمن به الامم الخالية كما تؤمن به اليوم الامم الباقية . ولما كان هذا الاعتقاد راسخاً كل الرسوخ ما استطاع الكفر ، بالرغم من شدة حملاته ، نسخه من القلوب . قال روبسبير : « ان الامة تعتقد وجود الكائن الاعظم . » على انه ، وان زاد عدد الكفّار في الاجيال الاخيرة ، واجتهد المعطّلون في نسف صرح الدين ونفي الله من المجتمع ، فما زال المؤمنون بالله الاكثر عددًا حتى انك لا تجد في المئة كافرًا واحدًا بالحقيقة وحصر المعنى . قال جول سيمون العقليّ : « لستَ تجسر على عدّ كافر واحد بين مئة اب عائلة . »[1] بل ان مصنفات اكثر العلماء ، حتى الكفار منهم ، حافلة بذكر الله والدين بالرغم

[1] Jules Simon, *L'école*, 1885.

من مطاعن اهل الكفر والضلال . ولله در كاترفاج اذ قال : « ان الكفر حيثما حلّ يكون متقلقلاً غير ثابت . وقد نجا من غائلته اكثر شعوب الارض في كل مكان وزمان اذ انه ما من سلالة كبيرة من السلالات البشرية بل ما من طائفة منها كافرة . »[1] وقال القديس توما الاكويني : « من المستحيل ان يكون باطلاً امر قد اجمع عليه البشر . وفي الحقيقة ان الرأي الضالّ منسوب الى ضعف العقل لا الى طبيعة العقل نفسه . فمن خاصيات هذا الرأي ان يكون عرضياً ، وما كان عرضياً لا يكون عاماً . اذن في امور الدين وحسن الاخلاق لا يمكن على الاطلاق ان يكون باطلاً الحكم الذي يستصوبه جميع البشر ويتفقون عليه . »[2]

على ان بعضهم نسبوا اعتقاد وجود الله الى التربية . وكان الامام الغزّالي قصد الى هذا المعنى حين قال : « كل مولود يولد على الفطرة ، فابواه يهوّدانه وينصّرانه ويمجّسانه . »[3] فكأنّ الوالدين هم العامل الاولي على زرع بذر المعتقد في نفوس اولادهم . لسنا ننكر ان للتربية تأثيراً في تلقين الافكار وزرعها في العقول منذ الصبا وطراءة السن ؛ والتجربة والاختبار اصدق دليل على صحة هذا القول ، ولكن التربية لا تستطيع وحدها خلق الافكار وانماءها وتركيبها ؛ ومهما كانت كاملة تعجز عن تعليل اعتقاد البشر وجود اله . فيلزم من ذلك ان تكون نتيجتها اوهاماً تعلق وتسدك بالعقول . والحال ان الوهم من شأنه الحؤول والتغيّر على ممرّ الازمان وتعاقب الاجيال . اما اعتقاد الاله فما زال منذ فطرة الانسان الاول الى وقتنا الحاضر ثابتاً في كل آن وزمان ، مؤيداً بحجج افاضل العلماء والنظار . فلو كان محض وهم لدثر على توالي الاجيال ، ونسخه من العقول العلماء الذين قاموا في كل الشعوب على كرور الاعصار .

وذهب غيرهم الى ان اعتقاد وجود الله منشؤه الخوف . قال لكريسيوس كاروس : « ان الخوف الاول احدث الآلهة في العالم . » وذلك ان البشر لما رأوا الحوادث الغريبة التي تجري في الطبيعة ، ولا يعلمون اسبابها ، نسبوها الى

١) النوع البشري الفصل ٣٥ ٢) ضد الامم ٢ : ٢٤
٣) ميزان العمل ، وجه ٦٠

كان سام ، فانتشر وتفشى اعتقاد وجود الاله .» ولكننا نسألهم ان يشرحوا لنا كيف سرى هذا الاعتقاد وتسرب الى شعوب الارض كافة على اختلاف نزعاتها ، فتيقنوا وجود اله صالح رحيم ؟ بل كيف تحققت القبائل المتوحشة الغارقة في لجج الجهل وجود اله يحييها ويقيها ضير الارواح الشريرة التي تطلب الحاق الضرر بها على الدوام ؟ فلو كان اعتقاد الله ناشئاً عن الخوف لزال هذا الخوف وانمحى على توالي الازمنة ، ولاسيما بعد ما عرف العلماء اسباب الخوارق الطبيعية . فكان في طوقهم ان يزيلوا بالتدريج هذا الخوف من القلوب . بيد ان العلماء انفسهم ، على وجه الاجمال ، قد عززوا هذا الاعتقاد وزادوه رسوخاً في القلوب كما سنرى من شهاداتهم .

وادّعت فرقة ان الدين من اختراع المشترعين والكهنة حملاً للرعايا على مراعاة السنن والشرائع وجرًّا للمنافع والمغانم . فاذا كان ساسة الامم والمشترعون ادركوا تأثير المعتقد في مراعاة النظام وحفظ الشرائع والسنن ، وكان منذ القديم كهنة ، فهذا دليل على ان الدين كان قبل المشترعين والكهنة . فاذن هم ما اخترعوه بل كان قبلهم موجودًا .

وزعمت فرقة اخرى ان البشر من عند آخرهم غلطوا في مسائل كثيرة . أما اعتقدوا دوران الشمس وثبوت الارض ؟ فاعتقادهم وجود الله من هذا القبيل . ولكن شتان ما بين الغلطين ! الغلط الاول لا تعلق له بحياة البشر الادبية وغايتهم وسعادتهم . اما الغلط الثاني فضرر لهم في اهم مصالحهم المتوقف عليها شقاؤهم او راحتهم وسعادتهم . فاذن ليس في امكان كائن من كان ردّ الشهادات التي اجمع عليها النوع البشري واكابر العلماء والنظار وارباب القلوب .

اكثر العلماء اعتقدوا وجود الله

ان البشر على وجه العموم اعتقدوا دائماً في كل الاحوال والازمان وجود الله . ولكن قد قام فيهم من اغمضوا اعينهم واصموا آذانهم لئلا يروا ويسمعوا الحق . على ان كفر هؤلاء الاشقياء ليس بدليل على تعمقهم في العلم ومعرفتهم ما لم يعرف غيرهم ، بل هو منسوب غالباً الى افراطهم في الفواحش والخبائث ،

٢ً اما الوحي وما له من التعاليم المدونة في الكتب المقدسة فهم رف من قذاه عنها بالاجتهاد والتفسير ، فقد نجسه ابن طفيل حقه اذ جعله دونهم بذنوبهم ، ويعاقبهم مرتبةً ونفوذاً . والفلسفة عنده ليست « خادمة » لعلم الـلاهوت كافر بالله الا ويطلق مستقلة بذاتها ومقصودة لذاتها، كونها بذاتها طريقة الاتصال بالله. ورؤية انسان مقتصد واذا فطن القارئ اللبيب الى كيفية نشأة حيّ بن يقظان وتعلما الانسان اذا تكلم بلوغه الكمال والاتحاد بالله ، لا بمعرفة الكتاب والشريعة بل.» (٢

وفطرته ، فهم مرامي واغراض ابن طفيل من عرضه شخصية حفاف الله ، فلن نشك تجاه اسال ، الرجل الذي عرف الكتابة « والملة » ولم يستطع ، والمشي في طرق الكمال با تعلمه منها ، ولكن باقتدائه بحيّ بن يقظان « حتى نير السلطة ، وقراءة حقائق الامور ، كل كاد » .

فنتيجة البحث اذن ، على رأي ابن طفيل ، هي ان العقل ، هوى الكفر . قال على معرفة الله ولا تناقض بين الدين والفلسفة ، وان ذلك لصحيشباب والانقباض من معرفة الله الفلسفية اسمى من المعرفة الدينية المكتسبة من الذ مثلي يعترفون ، ان ذلك بصحيح ولم يجرأ ابن طفيل على التصريح به ، ولكنه به الشديد المضيق على حيّ بن يقظان . وقد تضاربت آراء المسلمين في صحة هذا منها اقامة البراهين عقدة من العقد التي حاولوا حلها في مدارسهم الفلسفية . وتفو حلها وهي التي صارت سبباً لاضطهاد الفلاسفة بينهم . طها سيله ، وبلغت

وباقي القصة مصداق للتأويل الذي سبق . لان سلامان ورملماء المتهوسين بالعلوم الى الفهم والذكاء من جميع الناس ومع ذلك فلما قصد حيّ الاشياء مجردة عن يعلمهم طرق الكمال عجز وكان عن تعليم الجمهور اعجز » . فاضه الحقة . فاذن الكفر عنهم والعودة الى جزيرته . على خلاف ذلك عند

٣ً اما بلوغ حيّ بن يقظان الاتصال بالله طبقاً للوصف الذي . فمن هولاء القوم طفيل فله وجهان : فوجه الصواب ان الله قد عين على الانقياء الـ« اني اقسم لكم ان بنعمة تبررهم وتؤهلهم الى الاتحاد به . فينالون بنعمته البر والاتحاديا القلب اذ لا ارالي من لدنه تعالى . وقد يبلغون بفضل تلك النعمة درجات مر Caractères, ويعرفون الله معرفة فائقة ، سرية ، كمعرفة القديسين ، من غير

ناقصاً اذا اعتقدت ما اعتقد بسكال وراسين وبوسويه . فانا متواضع او اني اجتهد في تحصيل التواضع ... اعلموا اني اعرفكم واحبكم واحب القديسين والكهنة والراهبات ... ولكني لست بقادر ان اتمدى هذه العاطفة .»[1]

لا ريب اذن انه قام على ممر الازمان في المجتمع البشري اناس عرفوا بذكائهم وتفوقهم في العلوم ، واعتقدوا وجود كائن اعظم ابدع العوالم المنظورة وغير المنظورة بقدرته وقوته ، وهو علة العلل وباري المبروءات . فمن الاقدمين هوميروس وشيشرون وفيرجيل وسوفكل وسقراط وكزنفون وافلاطون وارسطاطاليس وجالينوس الطبيب . فهذا بعد تشريحه يد رجل صاح من فوره : « اني بعملي هذا ما صنفت كتاباً بل اشدت بنشيد اكراماً للاله .»

واذا عجنا بالفكر على الازمنة التي مضت بعد مجيء السيد المسيح ، له المجد ، استطعنا ان نذكر اثناغوراس، ويوستينوس الشهيد الذي اشتهر بدفاعه عن الدين المسيحي ، وايريناوس اسقف ليون ، وارنوب المدافع والمؤرخ ، واقليميس بدر مدرسة الاسكندرية الزاهر ، وترتليانوس الفقيه المدافع ، واوريجنس الذي لم يستطع احد ان يشق غباره ويلحق آثاره ، واوسابيوس ابا التاريخ الكنسي ، ومينوسيوس فليكس الفصيح ، ولكتنس ، وقبريانس ، وغريغوريوس اسقف قيصرية الجديدة ، وكيرلس الاسكندري ، وباسيليوس القيصري ، واثناسيوس ، وغريغوريوس النزينزي ، ويعقوب النصيبيني ، وافرام السرياني ، واسحق ، ويوحنا فم الذهب ، وامبروسيوس ، واوغسطينوس ، وايرونيمس ، وهيلاريوس ، وغريغوريوس الكبير ، وكسيدروس ، واجينارد مستشار كارلس الكبير ومؤرخه الشهير ، ورابان مور رئيس اساقفة ميانس ، ويوحنا سكوت اللاهوتي ، وهينكمار رئيس اساقفة رمس ، وفلودوارد مؤرخ كنيسة رمس ، وغريغوريوس اسقف تور اول مؤرخي الافرنج ، وانسلمس العلامة اللاهوتي ، والبرتس الكبير الفيلسوف واللاهوتي ، وتوما الاكويني شمس المدارس ، وبونوَنتورا العلامة السرافي ، وبوسويه الخطيب المصقع والكاتب المجيد ، وفنلون مؤدب دوق بورغونية، وكوبرنيك الفلكي الشهير الذي وضع

(١) Jules Lemaitre, *Les contemporains*, 6e *série*, *p*. 73.

كتاباً برهن فيه على دورة الارض على نفسها وحول الشمس، وباكون الملقب بالعلامة العجيب ، وغليله مكتشف نواميس الثقل والقائل بدوران الارض حول الشمس، وكبلر الفلكي الشهير مكتشف نواميس سير السيارات، وده كارت الفيلسوف ، وپسكال البارع بالهندسة والكاتب الشهير ، وملبرانش الكاتب الفيلسوف، ونيوتن الفلكي والرياضي والطبيعي مكتشف شرائع النور والبصر والتجاذب ، وليبنتز الفيلسوف الرياضي ، واولر الرياضي الذائع الصيت ، وآخرين كثيرين من فحول العلماء يطول بنا الشرح اذا اردنا عدّهم.

هذا وان الحكيم دنرت (Dennert) الالماني البروتستنتي عدّ ٣٠٠ من العلماء الذين عاشوا في القرون الاربعة الاخيرة ، وقد اختار هذا العدد من بين جهابذة اهل النظر الذين نالوا القدح المعلّى في انواع العلوم والمعارف الطبيعية ، والرياضية ، والفلكية ، وطبقات الارض ، والنبات ، والتشريح وغيرها . فكانت زبدة مخضه انه وجد ٢٤٢ يؤمنون بالله ، و ٢٠ معطّلين او غير مبالين بامر الدين ، و ٣٨ ما عرف لهم مبدأ . النتيجة ان ٩٢ بالمئة من العلماء يؤمنون بالله . واكثرهم كان متمسكاً بعقيدته اشد التمسك [1] . ثم وجّه هذا الكاتب نظره الى الجيل التاسع عشر خصوصاً ، واغرق في البحث والتنقيب عن احوال علمائه المحققين ، فعدّ ١٦٣ عالماً وجد ١٢٤ منهم مؤمنين ، و ٢٧ آراؤهم الفلسفية غير معروفة ، و ١٢ كافراً كتينداك وهوكسلي ومولسكوت وڤوغت وبوخنر ، او غير مبالين بامر الدين مثل اراغو وغويت ودروين [2] .

فمن هذا يُستدل على ان مشاهير العلماء الذين يُرجع اليهم في اهم المشكلات ، ويُستصبح بضوء آرائهم في المعضلات ، كانوا مؤمنين بالله . نعم انهم كما قال رنان : « غيّروا اساس العقل البشري بتغييرهم تصوّر الكون وشرائعه » [3] ، ولكنهم بالرغم من ذلك اقروا بوجود الله وعرفوه ربّاً وخالقاً ومدبّراً لهذا الكون الذي تحار في حسن نظامه اكبر العقول والبصائر.

(١ *Cours d'apologétique chrétienne, par le* P. W. Devivier *s. j. Paris*, 1914.

(٢ *Die Religion der Naturforscher, Berlin 1906.*

(٣ *Revue des Quest. scientif.*, 1901, *p.* 66.

(له صلة)

الاحوال الشخصية

درس تاريخي قانوني

بقلم المحامي بطرس غالب

٥

تتمة

٨

في المهر

٤٥ — المهر هو ما يؤديه الخطيب لخطيبته قبل الزواج لقاء بكارتها ، ويمكن ان يكون مالاً ثابتاً او منقولاً ، يتعهد الخطيب كتابةً او خطاً امام شهود عدول بان يقدمه لخطيبته .

٤٦ — لم يعيّن الشرع الكنسي كمية المهر ، ولذلك يجب اعتماد نص التعهد ، وعند عدمه يُرجع الى الاصطلاح المحلي ، ويقدّر عادة في التعهدات الخطية بثلث البائنة .

٤٧ — الزوجة التي لا بائنة لها يحقّ لها المهر ، ومثلها الزوجة التي لا تستطيع الاستناد الى تعهد خطي او قولي . اما الارملة فلا حق لها بالمهر ما لم يُقرّر خلاف ذلك في تعهد خطي .

٤٨ — المهر يصبح ملك الزوجة من حين تكميل الزواج . اما ادارته واستثماره فيبقيان في يد الرجل فيما يختص بالاموال الثابتة ، اما الاموال المنقولة فله ملْ التصرف بها .

٤٩ — ليس للزوجة ان تداعي بمهرها الا بعد الهجر ، او بعد حلّ وثاق الزواج ، او موت الزوج . وتخسره اذا زنت . وحقوقها بعد وفاتها ترجع الى ورثتها . فاذا كان المهر مالاً ثابتاً يسلّم عيناً ، اما اذا كان مالاً منقولاً

وكان الرجل قد تصرّف به فتسلّم قيمته.

٥٠ — اذا فقد التعهد او لم يبرم عقد ، وتعذّر على الزوجة ان تثبت بشهود مهرها الخطي او الموعود به ، فللمحكمة الروحية ان تقدر مقداره ، بعد التحقيق ، بنسبة امثال الزوجين.

٥١ — وعلى المحكمة ان تحلّف الزوجة اليمين انها لم تسترد مهرها وذلك قبل ان تصدر الحكم.

٩

البائنة واموال الزوجين

٥٢ — البائنة هو ما تأتي به الخطيبة لخطيبها رأساً او بواسطة ، سواء كان ذلك اموالاً ثابتة او منقولة ، لكي تساعده على تحمل اثقال الزواج . وقد يقدم الرجل لقاء ذلك لزوجته ما يقابل البائنة ، لكنه يستبقي لنفسه ادارته واستثماره مدة الزواج.

٥٣ — يمكن ان تكون البائنة مالاً ثابتاً او منقولاً . فاذا كانت مالاً ثابتاً ، يستلم الزوج ادارته واستثماره ولا يملك بيعه . اما اذا كانت مالاً منقولاً ، فيملك ملك التصرف به . وهذه الحال هي حال البائنة ، اذا كانت مالاً ثابتاً مسلماً الى الرجل بعد تقدير قيمته وتعيينها.

٥٤ — ليس للزوجة ان تطالب ببائنتها في خلال الزواج ، ولا ان تطلب ما يقابلها ، ما لم تكن البائنة في خطر ، كما لو افتقر الرجل بذنبه فعرّض البائنة للهلاك ؛ او كان للزوجة سبب مشروع لاسترجاعها ، كما لو كانت بحاجة اليها لمعيشتها ، او لمساعدة من تلتزم بمساعدتهم ؛ او تيسّر لها ان تستبدلها بما هو اوفر ريعاً منها .

٥٥ — اذا انحلّ الزواج بالموت ، او باكتشاف مانع مبطل ، تعود البائنة للزوجة ، او لورثتها ؛ وما يقابل البائنة يعود للرجل او لورثته . اما اذا وقع الهجر لذنب ، حرم المجرم البائنة او ما يقابلها ، لمنفعة البريء ، ما لم يكن هناك تعهد او شرط يقضي بعكس ذلك .

واما اذا كان للمذنب اولاد شرعيون ، فاليهم يعود ملك عين البائنة او ما يقابلها ، ويبقى حق الاستثمار للبريء . ويستثنى من هذه العقوبة الذنب الذي عفى البريء عنه ، والزنا المادي او الذي رضي عنه الزوج ، وزنا الزوجين.

٥٦ — البائنة اذا كانت مالاً ثابتاً تعاد عيناً . ويعاد ثمن البائنة التي تكون مالاً منقولاً ، اذا كان الزوج استعمله ، وثمن البائنة اذا كانت مالاً ثابتاً مسلماً الى الزوج بعد تقدير ثمنه اذا كان قد باعه .

٥٧ — ان الاموال التي تملكها الزوجة ، ما خلا البائنة ، هي في مطلق ملكها وتصرفها ، وليس للرجل ان يتدخل في شأنها ما لم تفوض اليه زوجته هذا الامر تفويضاً خاصاً . واذا انحل الزواج او وقع الهجر ، فان هذه الاموال تعاد بتمامها الى الزوجة ، وان مذنبة.

٥٨ — ان ما هو مختص باحد الزوجين وعوائد امواله او عمله الخاص هو ملكه الخاص دون سواه. اما الهدايا المقدمة للزوجين ، ومحصول العمل المشترك ، فيجب ان يقسم بينهما بالتساوي.

١٠

افتضاض البكارة

٥٩ - اذا حصل افتضاض بكر بالاكراه او الخداع او الخوف الشديد الجائز ، او بالتوسل والتملق المزعج ، ولاسيما اذا كان الفاعل ذا نفوذ ، فعلى المذنب ان يجهز الابنة بائنة او يتزوجها حتى لو لم يتقدم الذنب الوعد بالزواج.

٦٠ — اذا تعذر الزواج بسبب رفض البكر المفضوضة او اهلها فعلى المفتض ان يجهزها بائنة ، وليس له ان يصر على الزواج.

٦١ — على المذنب ان يجهز الابنة المفضوضة بائنة ، ولو كان لها بائنة من غير وجه ، او لم تصب بغير الضرر المذكور . على ان المحكمة الروحية هي التي تعين البائنة بنسبة الضرر الحاصل وحالة الابنة بنوع ان تستطيع التزوج كما لو كانت بكراً.

٦٢ — اذا افتض احد بكراً متظاهراً بوعده اياها بالزواج ، ولم يكن

للبكر المفضوضة وسيلة كافية لتعرف نيته الحقيقية ، يلتزم المغتصّ ان يجهزها ببائنة .

٦٣ – كل من يغرّ بكراً ، وهو غير قادر على الاقتران بها لانه متزوج او لان حالته لا تمكنه من التزوج ، يلتزم بان يجهزها ببائنة.

٦٤ – للبكر التي افتُضّت برضاها ان تطالب شريكها في الذنب بالضرر الذي سببه لها ، بنشر خبر الافتضاض السرّي.

٦٥ – لا يُفرض شيء على من يرتكب الفحشاء مع ابنة ذات سلوك شرّير او صيت مفضوح ، ولا على الذي يذنب محمولاً على ذلك بالاكراه او التخويف او الخداع مع ابنة غير بكر ، ومعروفة لدى العموم بهذه الصفة . لكن للابنة المفضوضة المعروفة لدى الجمهور انها بكر ذات حقوق الابكار الحقيقيين .

٦٦ – واذا ولد للابنة ولد ، ولم يتزوجها الاب للاسباب السابق ذكرها ، يُترك الولد لامه على نفقة الاب طيلة مدة الرضاعة والحضانة . وللمحكمة الروحية ان تعين اجرة للام اذا رأت ذلك مناسباً . وفي انتهاء مدة الحضانة يسلّم الولد لابيه.

١١

في شرعية البنين

٦٧ – الابناء الشرعيون هم المحبول بهم ، او المولودون من زواج صحيح، او موهوم اي الذي يعتبره صحيحاً ، عن حسن نية ، احد الزوجين في الاقل ، ما لم يكن الحبل قد تمّ في زمن كانت العلاقات الزوجية محظورة على الزوجين ، كما لو كان احدهما او كلاهما قد ابرزا النذور الرهبانية الاحتفالية بعد الزواج وقبل الحبل.

٦٨ – كل زوج شرعي يعتبر انه والد الولد المولود بعد الزواج ، ما لم يثبت العكس صريحاً.

٦٩ – ان الابناء الذين يولدون بعد الزواج بستة اشهر ، او في خلال

عشرة اشهر تلي فرقة الزوجين ، يُعتبرون شرعيين.

٧٠ – يصبح الولد شرعياً ان كانت المحكمة اقرّت شرعيته ، او اذا كان الوالدان عقدا زواجاً بعد ولادته بشرط ان يكون الوالدان اهلاً للزواج في زمن الحبل او الولادة .

٧١ – يخوّل الاولاد المجعولون شرعيين حقوق الاولاد الشرعيين ، ما لم يشترط خلاف ذلك.

١٢

التبني

٧٢ – التبني هو علاقة او نسبة تنشأ من اختيار شخص شخصاً آخر غريباً عنه ليجعله ابنه او وريثه مجاناً.

٧٣ – شروط التبني ليكون شرعياً هي الآتية :

١ً : ان يكون الشخص المتبني حرًّا .

٢ً : ان يكون تجاوز الخامسة والعشرين من سنيه.

٣ً : ان يكون رجلاً .

٤ً : ان يكون في وقت التبني او قبله قادرًا على الايلاد.

٥ً : ان يفوق عمره عمر المتبنى بثماني عشرة سنة في الاقل .

٦ً : ان يكون حاضرًا عند التبني لان التبني خطًّا او وكالة لا يكون صحيحاً .

٧٤ – يبطل التبني بالغائه الصريح ، او بموت المتبني ، او باعتاق المتبنى.

٧٥ – ان القرابة الناشئة عن التبني ، ولو بطل ، متى تمت فيه الشروط التي سبق ذكرها ، تبطل الزواج في الخط المستقيم صعودًا ونزولاً حتى الدرجة الرابعة بين المتبني والمتبنى واقاربهما. اما اذا استمرّ التبني ، فهو يبطل الزواج ايضاً في الدرجة الاولى فقط من الخط المنحرف .

٧٦ – ان التبني يولد قرابة نسبية ايضاً تبطل الزواج في الدرجة الاولى من الخط المستقيم صعودًا ونزولاً .

١٣

في الوصي

٧٧ — متى مات الاب عن اولاد قاصرين لم يعين لهم وصياً في مدة حياته، وهو في حالة شرعية، بصك موقع منه ومن شاهدين او بتصريح فاه به امام الرئيس المألوف او ممثله ووافق عليه كلاهما، فللرئيس المألوف عند عدم الجد لاب ان يعين للقاصر او للقاصرين وصياً او اوصياء، بعد ان يكون قد تحقق فيهم الصفات المطلوبة. ويُختار هؤلاء الاوصياء بين الاقارب الادنين او خارجاً عنهم، شرط ان يشهد اهل القاصر وكاهن الرعية، واعيان المحل، انهم اكفاء لهذه المهمة.

٧٨ — يستلم الوصي الاموال الثابتة والمنقولة بموجب لائحة يوقعها هو وكاهن الرعية واثنان من اقارب القاصر في الاقل. ويؤخذ عن هذه اللائحة نسختان، يحفظ احداها الوصي، وتحفظ الاخرى عند الرئيس المألوف (اي مطران الابرشية).

٧٩ — تبطل الوصاية بعزل الوصي، او استقالته، او موته، او موت القاصر، او بلوغه الرشد اي ١٨ سنة، ما لم ترَ المحكمة الروحية وجوب اطالة مدة الوصاية الى اجل آخر لاسباب قانونية.

٨٠ — متى بلغ القاصر السنة الخامسة عشرة، وجب على الوصي ان يسلمه في خلال شهر امواله واوراقه بحضور ممثل الرئيس المألوف، بموجب اللائحة التي تسلمها من قبل وبموجب دفاتر حساباته.

٨١ — على الوصي ان يربي القاصر تربية مسيحية، ويدير امواله ويستثمرها بطرق امينة، ويرقم بدقة المداخيل والنفقات، في دفتر مخصوص، بنوع ان يكون مستعداً دائماً لان يؤدي حساباً بناء على امر الرئيس المألوف.

٨٢ — ليس للوصي ان يبيع او يرهن اموال القاصر الثابتة او المنقولة الثمينة، او ان يستبدلها، او ان يعقد عقوداً باسم القاصر، او يستدين اي مبلغ كان ولو طفيفاً، دون ما سبب مشروع واجازة الرئيس المألوف الخطية.

وهذه الاجازة لا يستغنى عنها في اي بيع يجري تكون قيمته اكثر من عشرة آلاف غرش لبناني سوري.

٨٣ – لا يستطيع الوصي ان يقبل بوجه الصرف الحبي مبلغاً ادنى من الدين الذي للقاصر ، ولا ان يدفع عنه ديناً لم يثبت ثبوتاً كافياً دون ان يستشير الرئيس المألوف وينال اجازته.

٨٤ – للوصي ان يدافع عن حق القاصر ، ويرافع عن قضاياه امام المحاكم المدنية او الروحية بذاته او بواسطة محام كفء يختاره . لكنه يستمر مسئولاً عن اعمال ذلك المحامي الذي لا يمكن ان يتجاوز حقه حق الوصي ، والذي تبطل وكالته بموت القاصر او الوصي.

٨٥ – للرئيس المألوف، بالاستناد الى تقرير طبي ، ان يحجر على البالغ سن الرشد المجنون ، والمعتوه والمثبوت كونه غير اهل ، والمسرف ، وان يقيم عليه وصياً له الحقوق وعليه الواجبات التي لوصي القاصر . على ان بعض اعمال المحجور عليه لعدم اهليته او لاسرافه كعقد الزواج ، والوقف على اعمال البر ، تبقى ثابتة وجائزة بينما جميع اعمال المجنون والمعتوه باطلة ابداً.

وللرئيس المألوف ان يعطي الوصي عند الحاجة تعويضاً مناسباً لاتعابه ولحالة القاصر او المحجور عليه.

١٤

في الوصية

٨٦ – الوصية هي تمليك مضاف الى ما بعد الموت ، او بعبارة اخرى ، هو سند ملكية ينال مفعوله بعد موت الموصي بطريق الهبة . ويشترط لصحة الوصية ان يكون الموصي حراً ، راشداً ، ومتمتعاً بجميع قواه العقلية ، وبحرية الاختيار ، واهلاً للاعطاء.

٨٧ – ان وصية القاصر البالغ سن التمييز التي يعين فيها نفقات جنازته والمساعدات الروحية لنفسه هي صحيحة ونافذة . وتصح ايضاً وصية المحجور عليه لعدم اهليته واسرافه ، لاجل البر والصدقة. اما وصية المجنون فلغو وباطلة.

٨٨ – يجوز التصرف بثلث المال لمصلحة احد الوراث او غيره . ومن ليس له وريث فهو حرّ ان يتصرف بماله كما يريد . اما اذا كان عليه دين فيجب ايفاؤه اولاً .

٨٩ – اما في ما يختصّ بالموصى له والحصة الممكن التصرف بها فيرجع الى الشرائع المرعية في البلاد .

٩٠ – لا يسوغ ان تنفذ الوصية المعمولة لمصلحة قاتل الموصي ، او لمصلحة شركائه ، سواء حدث القتل عمداً او صدفةً قبل الوصية او بعدها .

٩١ – لا يملك الموصى له الموصى به الا بعد ان يكون قد قبله صراحة او ضمناً . ولا يصح هذا القبول الا بعد موت الموصي . ولا تصح الوصية ان لم يوقعها الموصي امام شاهدين عدلين ، ويوافق عليها الرئيس المألوف او ممثله . واذا كان الموصي يجهل الكتابة فيوقع عنه شاهد ثالث .

١٥

التركة او المواريث

٩٢ – شروط الارث ثلاثة :

١ً : ثبوت موت المورّث موتاً طبيعياً او مدنياً .

٢ً : ثبوت وجود الوارث المادي او الادبي حين استحقاق الارث .

٣ً : معرفة سبب الارث .

٩٣ – واليك النظام الواجب اتباعه في توزيع الارث :

١ً : نفقات الجنازة من ساعة الموت حتى الدفن ، وتدخل ضمنها حسنات القداديس التي توزع لراحة نفس الميت بموجب العادات المحلية .

٢ً : دفع الديون من مجموع التركة .

٣ً : تنفيذ الوصية .

٤ً : توزيع الانصبة النسبي مما يفضل على الورّاث .

٩٤ – التوزيع يحصل بواسطة المحكمة الروحية بمقتضى الشرائع المتبعة في البلاد .

٩٥ - اذا وجد بين الورثة مستحق غائب يُجهل محل اقامته ، او قاصر ، او جنين ، عيّنت المحكمة نصيب كل منهم ، وحجزت عليه الى ان يولد الجنين ، ويعين وصيّ للقاصر وللغائب ، ويبقى نصيب الغائب محفوظاً الى ان يحضر او يثبت موته .

٩٦ — المحكوم عليه لقتله المورّث عمداً او لاشتراكه فيه والمسيحي الجاحد دينه ، يحرمان نصيبهما من الارث .

٩٧ — اذا تخلّف احد الورّاث عن استلام نصيبه ، تعين المحكمة الروحية وكيلاً لحفظ ذلك النصيب.

٩٨ — للمحكمة الروحية اعطاء شهادة الوفاة واستحقاق الارث.

٩٩ — للمحكمة الروحية حق بتقاضي رسم على توزيع التركة قدره اثنان في المائة .

١٦

الوقف

١٠٠ — الوقف يقوم بالتخلي عن مالٍ لعمل خيري ، بتخصيص ذلك المال له مؤبداً ، ودون رجوع ، ارضاء لله تعالى.

١٠١ — العمل الخيري هو كل ما يختص بعبادة الله ومساعدة خدّمة المذبح وسائر اعمال الرحمة.

١٠٢ — يجب ان يحرّر الوقف في صك توضح فيه غايته جلياً ويوقفه الواقف بشهادة شاهدين عدلين . ويجب ان يوافق على صك الوقف الرئيس المألوف ، وان يسجل هذا الصك لدى المحكمة المدنية.

١٠٣ —شروط صحة الوقف ان يوقفه راشد ، حرّ ، متمتع بجميع قواه العقلية ، ومالك للمال الموقوف ، الغير المستغرق بالدين. المال الموقوف في المرض الاخير هو وصية لا وقف.

١٠٤ — للرئيس المألوف حق تعيين وكيل الوقف.

١٠٥ - لا يجوز بناء او تشييد كنائس او معابد او مذابح بدون اجازة

الرئيس المألوف.

١٠٦ — يستلم وكيل الوقف اموال الوقف الثابتة والمنقولة بموجب لائحة موقعة منه ، ومن ممثل الرئيس المألوف وشاهدين مختارين من اعيان المحلة ، ويحرّر عن هذه اللائحة نسختان تحفظ احداهما لدى وكيل الوقف ، والاخرى لدى الرئيس المألوف.

١٠٧ — على وكيل الوقف ان يمسك دفترًا يجدده كل سبع سنوات يرقم فيه واردات الوقف ونفقاته ، بنوع ان يكون مستعدًا دائمًا لاداء الحساب عنها حينما يطلب منه ذلك الرئيس المألوف.

١٠٨ — على وكيل الوقف ان يدير شؤون الوقف ويستلم وارداته ويرمّم ما تخرّب منه ، ويسهر على الكنيسة والاواني المقدسة ويدافع عن حقوق الوقف امام المحاكم الروحية والمدنية بذاته او بواسطة وكيل يختاره على مسئوليته.

١٠٩ — ليس لوكيل الوقف ان يبيع املاك الوقف وامواله المنقولة ذات القيمة او يرهنها ، دون ما مسوّغ شرعي واجازة الرئيس المألوف الخطية . ولا يمكنه استبدالها او اعطاء شيء منها حتى للفقراء ، او الاستدانة لحساب الوقف بدون اجازة الرئيس المألوف.

١١٠ — اما المسوغات الشرعية فهي وفاء دين ، واستبدال العين بما هو اوفر ريعاً وثمرةً.

١١١ لا يجوز تأجير ملك الوقف لاكثر من ثلاث سنوات . ولا يجوز تأجيره لمن تربطهم بالوكيل روابط القرابة اهلية كانت او دموية ، ولا للذين يجاور رزقهم رزق الوقف ، الا بعد ان تتخذ الحيطة اللازمة. وفي كل الاحوال يقتضي اجازة الرئيس المألوف.

١١٢ — لا يجوز لوكيل الوقف ان يشتري للوقف ما تفوق قيمته عشرة آلاف غرش لبناني سوري دون اجازة الرئيس المألوف.

١١٣ — كل عقد شراء يوقعه الوكيل بصفته هذه يكون للوقف ، ما لم يُذكر في الصك ويثبت الوكيل انه قد اشترى من ماله لنفسه.

١١٤ — تزول وكالة الوكيل بعزله او موته او استقالته . وعليه او على

ورثته ان يسلموا الرئيس المألوف اموال الوقف بموجب اللائحة والدفاتر والاوراق المحفوظة بيدهم واذا كان الوكلاء كثيرين، لا تزول وكالة الجميع بزوال وكالة احدهم.

١١٥ — يبطل الوقف ببطلان غايته، وبجحود الموقوف عليه دينه، وبهلاك عين الوقف.

١٧

المنعة الاكليريكية

١١٦ — المنعة الاكليريكية هي الاحترام الواجب للاشخاص المكرسين لله تعالى، وللاماكن المقدسة، وللمعاهد العمومية التي بيد الكنيسة.

١١٧ — الاحترام الواجب للكنائس وكراسي البطاركة والاساقفة والاديار والمقابر يتطلب ان لا يدخل اليها احد، دون اجازة الرئيس المألوف، للتفتيش عن مجرم او القبض عليه. وللسبب ذاته لا يحق لاحد ان يتدخل في شأن دفن ممنوع من قبل الكنيسة ومن اختصاص الرئيس المألوف ترتيب مسائل الدفن.

١١٨ — للبطاركة والاساقفة ملء الحرية في بناء الكنائس والاديار، والمقابر، والمعاهد العمومية الخاصة بالكنيسة، وفي ترميمها. وللخوارنة حق القيام بالاحتفالات الدينية في داخل الكنائس وخارجها.

١١٩ أ — تُعفى من الضرائب: الكنائس، والاديار، وكراسي البطاركة والاساقفة ومحل اقامة الخوارنة، والمدارس والمؤسسات الخيرية، والمدافن.

ويُعفى من المكوس الاواني المعدّة للكنائس (الشمع والخمر والاواني الكنسية وما شاكلها من لوازم الكنيسة)، وللبطريرك والاسقف (الثياب وحاجات المعيشة والاثاث)، وللاديار والمؤسسات الخيرية والطائفية.

جميع رجال الاكليرس العلماني والقانوني معفون من الضرائب الشخصية.

١٢٠ — يجب ان يستدعى رجال الاكليرس الممثول امام قضاة الاستنطاق وسائر المحاكم، بواسطة الرئيس الروحي. ويُحلفون امامه اليمين المطلوبة من المحاكم، واذا حُكم بوجوب توقيف احد رجال الاكليرس في قضايا جزائية، فيجري توقيفه في غرفة خاصة. ورجال الاكليرس المتهمون بجنحة او مخالفة

يجري توقيفهم في المطرانخانة او البطركخانة. واما المظنونون بجناية فيوقفون في محل مخصوص من السجن العمومي . وبعد الحكم النهائي يحط الاسقف الاكليريكي المحكوم عليه من درجته ثم يحبس في السجن العمومي .

وفي دعاوي الجنحة او المخالفة التي تقع بين اكليريكيين ، المحكمة المختصة بالنظر فيها هي المحكمة الروحية.

١٢١ — في ما عدا الجرم المشهود ، لا يمكن ابعاد الرؤساء الروحيين الا بعد تحقيق يُجرى لدى البطريرك في صحة الحوادث المنسوبة اليهم.

١٢٢ — يُعفى من الخدمة العسكرية الرؤساء الروحيون ، ورجال الاكليرس العلماني والقانوني ، والشمامسة ، والشدانقة ، والمرتاون ، والرافهون ، والطلبة الاكليريكيون ، والمبتدئون ، واساتذة المدارس الاكليريكية وديورة الابتداء.

* * *

هذا هو المشروع الذي قدمه البطاركة للجنرال ڤيغان ، قبل ان تستدعيه وزارة هريو وتستبدله بالجنرال سراي . فهو يتناول مسائل الاحوال الشخصية من جميع وجوهها. لكنه لم يقرّر شيئاً بخصوص تنازع الصلاحية الذي قد يقع بين المحاكم الروحية الكاثوليكية وسواها من المحاكم. ولذا فانا نلفت النظر الى ذلك ونذكر ان المرسوم الاشتراعي الذي اصدرته وزارة الاستاذ اميل اده قد قرّر مبدأ يصلح ان يجعل اساساً للفصل في تنازع الصلاحية، واليك هذا المبدأ:

المادة ٣٦ — ان قاضي الاحوال الشخصية المختص بالنظر في القضايا الزوجية هو قاضي السلطة الروحية التي عقد الزواج لديها.

المادة ٣٧ — اذا عقد الزواج امام سلطتين مختلفتين فمحكمة السلطة الروحية التي عقد امامها الزواج اولاً هي المحكمة ذات الصلاحية .

هذا ما رأينا نشره تنويراً للاذهان ، ولجميع الذين يهتمون بمسائل الاحوال الشخصية حتى يتوفقوا الى حلّ تُحفظ به حقوق الطوائف وحقوق السلطة المدنية معاً.

ولا شك ان الطريقة الفضلى هي الاتفاق مع السلطة الروحية على هذه الامور ، على ان يقرّر هذا الاتفاق بقانون يصدره مجلس النوّاب ، فيخوّله قوة شرعية كسائر شرائع الجمهورية . والله الهادي الى الصواب.

جولة في المجلات

الخطبة وما اليها في حمص وجوارها – تأثير الثقافة اليونانية في نثر صدر الاسلام – ام المقالات الشرقية في مجلات الاستشراق

الخطبة وما اليها في حمص وجوارها

قبل ان يزول الجيل الذي ربانا ، ويمضي عهد التقاليد والعادات اللطيفة التي كانت تجري في الناس ، عند عقد الخطبة وبركة العرس ، نشر حضرة الاب بطرس شامي على صفحات « المشرق » ١٩٣٠ ص٦٠٦ مقالاً في الخطبة وما اليها كما هي جارية في يومنا في بلاد حمص ، وكما كانت على الغالب في سائر البلاد السورية قبل انقلاب الاحوال عليها وانصراف الناس عنها الى الطرق المختصرة اسوة بالغربيين حتى في الافراح والاعراس . قال :

للخطبة مراحل عديدة لكل منها انظمة دقيقة لا بد للعروسين وذويهما من ان يجروا عليها ، وقد تؤدي مخالفة هذه الانظمة الى فسخ الخطبة ولو كان ذلك ليلة الاكليل . ولكل من هذه المراحل اسمها الخاص فهي : المشاورة والتأني والمباركة والعلامة والشوفة والنقش والحمام والجهاز ، اخيرًا الاكليل .

وبين هذه المراحل المختلفة ، ازمنة متفاوتة ، اكبرها ما يلي العلامة ، ويطول هذا الوقت اشهرًا وقد يزيد عن السنة حسب عسر العريس او يسره او غيابه عن وطنه .

فالمشاورة يُكلفها كاهن الرعية فيذهب ويستلم هل يرضى اهل الابنة بالشاب الفلاني عريسًا لابنتهم وما هو نقد الابنة . وبالتأني يتفاوض اهل العروس رسميًا مع اهل العريس ليأخذوا رضاهم . وبالمباركة يأتي الاقرباء والاصدقاء بعد علمهم بعقد الخطبة الى قنشة الخطيبين ، ولهم في ذلك اهازيج مستملحة ، يقف الشبان وينشدون :

قامة يطلبك بعون الله خديناها (اخذناها) بالموج والموج والدزات (الطلقات) لرميحي
كم واس قطفنا كم جشة رميناها بالموج والموج والدزات (الطلقات) لرميحي
يا رب سلّم على المطران والخوري يا دمعة العين فوق الخد منثوره

فتقابلهم النساء (بالمناهين) اي الزغاريد كهذه الزغرودة :

والحمد لله بنت الجيد هي حصلت بنت الامارة وشرفت مطرح ألي وصلت
والحمد لله وكلمتنا هي نفذت وبدار ابو العروس انفكت عقدة ألسرت
لو لو لو لو لو لو لو
غنا ان اخذنا مناخذ بنت هالجيدي بنت الامارة وبنت الست والسيدي
غنا ان اخذنا مناخذ مين يباشرنا لمين بتحكي بتقول للمم يا سيدي

وعندما يدخل الجمهور يقابلنه بهذه « المنهونة »:

اهلا بكم اهلا بكم اهلا بدرب الجايكم
وان كان العريس جلايكم يضرب بحد السيف قدامكم

وتدور عندئذٍ كؤوس المشروبات ويهنئون قائلين : « الله يجعلها مباركة يتهنو . عقباً للتمام » . وفي الغالب يواصلون السهرة فيما بين الدق والرقص والاهازيج والزراغيد.

ويسمون « علامة » تقديم الهدية للعروس مع النقد وتليها الخاتم علامة على رضاها . فيتوافد المدعوون ويشربون الماء والسكر وتقابل النساء الواقفات مقابل مدخل البيت جنهونة ملائمة للحالة ، وللشبان حاملي الهدايا في موكب المدعوين:

عالهادي عالهادي يا حمام الوادي
سيروا سيركم الله على قلوب الاعادي
شباب هالعريس يا ميه وستين ياما سكرتوا عازم الباشين
ياما انبسطوا واجا السعد يخدمكم اخدتو العلامات وطلعتو بالمناهين

غيرها للكهنة :

ابونا الخوري يا منيح ارفع صليبك واستريح
ارفع صليبك وبارك وقول شابوش (فليحيَ) يا دين المسيح

وهكذا الى ان يصلوا الى دار العروس حيث النساء مجتمعات ايضاً فيستقبلنهم بالمناهين :

اهلا وسهلا يلي الملك ربحتكم اهلا وسهلا وتهنى بعجيتكم
والناس بشغالها واتو جمعتكم وتم فرحنا بريس كهنتكم
اهلا وسهلا وحيا الله بلقاكم كانت ساعه مباركة لمين عرفناكم
لا تحسبوا طالت الغيبة نسيناكم كلما نسم الهوا اعرفوا السلام جاكم

والشوفة هي زيارة رسمية للعروس من قبل اهل العريس ، والنقش يُعين ميعاد الاكليل ، فيحمل للعروس مبلغٌ من المال ولهذه الاونة مناهين خاصة :

لا تحسبونا لحط الفرش ذلينا لنا (لسنا) مذله ولا منتاز للناس

نحنا اخذنا عرايس قاطف(قطف)الاس على شباب ألنا تتخسر الناس
نحنا الفرح عندنا ولنا الفرح لحين الله جبر قلبنا من بعد حين وحين
سالت رب السما ويتم فرحتنا بالله عليكم حاضرين قولوا مي امين
سروري سروري وانا انسريت هاليزمي لادري من الله ولادري شفت بنومي
سروري سروري على فتحت يدي ألنا والحمد لله ولمشنا لها اليوم
يا ليلة السبت ويالية الحد وألي ما بتفرح معي بفرح انا وحدي
وحياة عينك وبقيم فرحتك وحدي وبسقي شباب العريس سكر وماوردي

وقبيل العرس يذهبون بالعروس الى احد الحمامات ، وليلة الاكليل يُنقل الجهاز .

تأثير الثقافة اليونانية في نثر صدر الاسلام

القى الدكتور طه حسين محاضرة عامة جال فيها حول « النثر العربي في القرنين الثاني والثالث للهجرة » . وقد نشرتها مجلة « المقتطف » فاذا فيها كثير من الآراء الجديرة بالنظر ، وان كان بعضها يخالف المتعارف عند الادباء . من ذلك مسألة الثقافة اليونانية وتأثيرها في النثر العربي ، والدكتور يميل الى القول بهذا التأثير والى القول بانه فاق تأثير الثقافة الفارسية . قال بعد ان ذكر العنصرين الفارسي واليوناني :

واي هذين العنصرين كان اقوى تأثيراً في النثر العربي ، الفرس ام اليونان . ان اكثر المستشرقين يميلون الى ان تأثير الفرس اقوى بدليل ان اكثر الذين كتبوا نثراً في الاسلام (في العصر الاموي والعباسي) كانوا من الموالي وهؤلاء من الفرس وها هو «ابن المقفع» الفارسي زعيم الكتّاب ... ولكن هنالك قوم آخرون — وانا منهم — يرون ان التأثير اليوناني كان اقوى رغم ان كثرة الكتّاب من الفارسيين ، وذلك لان الثقافة اليونانية كانت قديمة العهد في هذه البلاد منذ ايام الاسكندر اي القرن الثالث قبل الميلاد . ولم ينته القرن الثاني قبل الميلاد حتى كانت اللغة اليونانية هي اللغة الرسمية للشرق الادنى ، ولم يكد يتقدم التاريخ المسيحي حتى كانت كل بلاد الشرق الادنى في مصر وسورية والعراق وقد انبثت فيها مدارس يونانية تعلم الفلسفة والادب وعلوم اليونان .

وعندما جاء الاسلام وخرج العرب فاتحين صادفوا تلك البلاد وقد انبثت فيها هذه المدارس اليونانية فتركت في عقول المصريين والشاميين والعراقيين ... آثاراً لا يمكن ان تمحى الا مع الزمن ... هذه الثقافة اليونانية التي استمرت

في الشرق تسعة قرون لم يقف امرها على الشام والجزيرة والعراق ومصر بل هجمت على البلاد الفارسية نفسها منذ عهد البطالسة في مصر والسلوقيين في آسية .

واخذت الثقافة اليونانية تنبث في الفرس حتى وصلت الى اقصى الشرق . وفي عهد الامبراطورية الرومانية اشتدت الصلة بين اليونان والفرس وتعمقت الثقافة اليونانية في فارس . وفي اواخر هذا العصر عند ما ظهرت المسيحية واصبحت الديانة الرسمية واغلقت المعابد الوثنية ، هاجرت الثقافة اليونانية الى بلاد الفرس فوجدت منها حماية ونصيراً ولقيت من الاكاسرة تعضيداً ... فتأثر العقل الفارسي بها الى حدّ ان ابن المقفع ، زعيم كتاب العرب والفرس ، كان عظيم الحظ من الثقافة اليونانية حتى قيل انه ترجم آثار اليونان . ونحن نعلم ان لليونان ادباً كان يدرس في الاسكندرية وغزة والرها وانطاكية ، قبل ان تستقر الثقافة اليونانية بفارس . والثقافة الفارسية محدودة ، فان كان للفرس ادب فالواقع ان هذا الادب هو في عصر اتصال العرب بالفرس لم يكن عظيماً ، والذي ترجم الى الآداب العربية من الفارسية قليل مع كثرة ما ترجم من الآداب اليونانية . وتنحصر الآداب الفارسية في كتاب كليلة ودمنة وكتاب الادب الكبير وكتاب الادب الصغير ، والحكم التي يشتمل عليها شعر بعض الشعراء كأبي العتاهية ، وبعض الكتب السياسية . هذا هو كل ما يمكن ان يقال انه ادب فارسي وصل الى العرب في القرنين الثالث والثاني بينما وصل الى العرب من اليونان الفلسفة ونظم مختلفة في التفكير لها أثرها في النحو والبيان وغيرهما من الفنون .

والواقع ان الفرس اخذوا من العرب اكثر مما اعطوهم . وحسبنا ان نعلم ان الادب الفارسي الحي انما نشأ بعد ان اتصل الفرس بالعرب وبعد ان تعلموا العربية ، ولم يعط الفرس للنثر العربي في التأثير بمقدار ما يتصوره المستشرقون ، وما كان يراه الشعوبية من الفرس الذين قالوا ان العرب مدينة للفرس بكل شيء . ولا شك ان العرب مدينون للفرس بالكثير من الماديات والنظم السياسية وغيرها واما في الادب فانا مقتصد جداً وفي رأيي ان العرب تدين في ادبها الى الامة اليونانية .

هذا الى ان اكثر الكتاب الذين بدأوا يكتبون النثر لم يكونوا من الفرس بل كانوا من الشام والجزيرة ومصر فهم اما يونان او ساميون ثقافتهم يونانية .

اهم المقالات الشرقية في مجلات الاستشراق

REVUE DES ETUDES ISLAMIQUES, 1930, *cahier I,* مجلة الدروس الاسلامية
L. V. F. Minorski, *Livres scolaires en Kurde, p.* 157-160.

كتب مدرسية باللغة الكردية

لا يخفى ان جمعية الامم ، لما الحقت ولاية الموصل بالعراق في ١٦ كانون الاول ١٩٢٥ ، اشترطت ان موظفي الاكراد انفسهم يقومون بادارة بلادهم ، ويستلمون القضاء فيها ، ويهتمون بالتعليم في المدارس ، وان اللغة الكردية تصبح اللغة الرسمية في جميع الدوائر . على ان هذه اللغة الكردية الشجية النبرات ، القوية الوقع ، التي قد تلذ اللغويين ، لا قواعد فيها للاملاء ، ولا الفاظ وضعية ، بل لا وحدة في لهجاتها المختلفة . ولكن على رغم هذه الصعوبات ظهر فيها عدة كتب مدرسية مطبوعة في بغداد مع ان مركز الاكراد المهم في السليمانية . وان المؤلف ، في هذا المقال ، يصف ثمانية من هذه الكتب ، فيرى ان مؤلفيها اسرعوا في اخراجها ، فوقعوا في اغلاط كثيرة . وهو يتمنى ان يُستعمل فيها ابجدية سهلة يتفق عليها الجميع ، وان ينتبه لادب العامة قبل اقرار القواعد ، وان يُبدأ اولاً بتأليف قاموس شامل ، وان يكون مؤلفو الاكراد الذين يهتمون بهذه الدروس ، قد تعوّدوا نوعاً ما طرق الابحاث الاوربية .

ANGELICUM, *Roma, VIII' année,* 1931, *fasc. I.*
S. Salaville A. A., *S' Augustin et l'Orient.*

القديس اغوسطينوس والشرق

كاتب هذا المقال من الرهبان الصموديين ، وغايته بيان ان القديس اغوسطينوس كان صديق الشرق ، ليس بمعرفته اللغة اليونانية التي كانت قاصرة لعدم تعوّده التعبير فيها ، بل لانه كان يعتبر كل الاعتبار الآباء اليونان ويستقي من تآليفهم . هذا وان الشرق كان يبادله الاعتبار نفسه ، ويمدّه من ارباب

السلطة العالمية في الشؤون الدينية ، وقد ترجم الى اليونانية عدداً من كتبه . ومن المعلوم ان القديس دُعي الى حضور مجمع أفسس ، وهو ثالث مجمع مسكوني ، ولكنه لم يحضره لان الدعوة وصلت بعد وفاته . ولم يتأخر الشرق الا في نقطة واحدة ، وهي انه ، حتى الآن لم يُفسح مجالاً في طقوسه ، لعيد القديس اغوسطينوس . ويذكر المؤلف انه في السنة ١٩٠٧ ، بمناسبة الاحتفال بالمئوية الخامسة عشرة للقديس يوحنا فم الذهب ، اقترح الاب كروولشكي بالاحتفال باعياد القديسين اغوسطينوس ، وايرونيموس ، وتوما الاكويني . وان عيد القديس اغوسطينوس ، الذي هو معلم الكنيسة الشرقية والغربية ، يكون، اذا ما احتفل به في الشرق، دليلاً جديداً على اتحاد الكنيستين المذكورتين .

M. A. Van den Oudenrijn, O. P., *Mechitar sebastenus thomista orientalis.*

مخيتار السيواسي ولاهوت القديس توما

من المشهور ان مخيتار السيواسي أسس رهبانيتين عُرفتا باسمه . على ان ما ليس مشهوراً هو ان مخيتار المذكور كان من مريدي آراء القديس توما الاكويني في اللاهوت ، وآراء البرتوس الكبير . وكان قد شرع بنقل « الخلاصة اللاهوتية » الى اللغة الارمنية . جال الكاتب في الموضوع فوفاه حقه من التدقيق والنقد وختم بالقول ان رهبان مخيتار اقتدوا بمؤسسهم في هذا الامر ، فظهر منهم كثير من اللاهوتيين والفلاسفة على طريقة القديس توما .

THE GEOGRAPHICAL JOURNAL, 1931, *february* المجلة الجغرافية

Eldon Rutter, *The Hejaz.*

الحجاز

يعلم قراؤنا الكرام ان المؤلف نشر مجلدين في بلاد العرب ولاسيما الحرمين وضع فيهما ثمرة رحلته الى تلك البلاد . وقد دخل اليها من ينبع ، فانتقل الى المدينة ، فالى مكة ، فالطائف ، فساحل البحر نحو الجنوب . اما مقاله هذا فيحتوي الكثير من المعلومات الجغرافية والبشرية التي جمعها في رحلته . فيظهر منها ومما يتبعها من المناقشات ان تلك البلاد لا تزال مجهولة من اكثر الاوربيين .

شذرات

الرسالات الكاثوليكية في العالم

في العالم اليوم ٤٥٣ منطقة كنسية تديرها الرسالات الكاثوليكية . وقد كان عدد هذه المناطق ٢٢٨ سنة ١٩٢٢ ، و ٤٠٢ سنة ١٩٢٧ . فيتضح من هذا الازدياد المطرد الجهود التي بذلها المرسلون في السنوات الاخيرة على اثر تنشيطات الحبر الاعظم . وفي ما يلي بعض المعلومات التفصيلية مأخوذة من بحث مستفيض السيد بوشر ، رئيس جمعية انتشار الايمان المقدس في باريس :

عدد الكهنة في هذه المناطق المختلفة ١٢,٩٥٩ بينهم اكثر من ٤,٣٠٠ كاهن وطني ، والاخوة ٥,١١٢ بينهم اكثر من ١,٣٠٠ اخ وطني ، والراهبات ٢٨,٠٩٩ بينهن نحو ١١,٤٠٠ راهبة وطنية . ومن هؤلاء جميعاً يتألف جيش ضخم عدد افراده ٤٦,١٧٠.

وبين الكهنة المرسلين من مختلف الجنسيات الغربية البالغ عددهم ٨,٣٥٩ كاهناً ما يزيد على ثلثهم اي نحو ٣ آلاف كاهن من الامة الافرنسية.

والى هذا الجيش المصطفى ينضم في تلك المناطق جيش آخر مساعد يتألف من ٥١,٦٠٦ مدرسين للتعليم المسيحي ، ومن ٣٨,٦٧٩ استاذ مدرسة ، ومن ٢٥,٦٧٩ معلماً للموعوظين اي المؤهبين لقبول سر العماد المقدس.

وللمرسلين ٢٠٦ مدارس اكليريكية خاصة بتثقيف المرشحين للدخول في سلكهم تحتوي على زهاء ٧,٤٧٦ طالباً ، و ١٠٣ مدارس اكليريكية كبرى لتثقيف المرشحين لدرجة الكهنوت المقدسة من البلدان التي يقيمون فيها تحتوي على زهاء ٢,٥٢٧ طالباً ، و ٥٨٣ مدرسة لتثقيف المرشحين لتدريس المبادئ الدينية او التعليم المسيحي فيها نحو ٨,٠٣٢ طالباً ، و ٣١,٤١٨ مدرسة ابتدائية فيها نحو من ١,٥٢١,٧١٠ تلاميذ ، و ٥ كليات اثنتان منها في الصين واثنتان في الهند وواحدة في اليابان وعدد الذين يختلفون اليها لا يقل عن ١,١٠٠ تلميذ.

وتقوم الى جانب المعاهد العلمية معاهد الاحسان والرحمة . ففي سنة ١٩٢٧

تبيّن من اللوائح الاحصائية ان لدى المرسلين ٦٩٢ مستشفى دخل اليها ٢٨٣,٥٠٣ مرضى ، و ١,٨٥٧ مستوصفاً عاينت ١١,٠٦٦,٧٤٠ مريضاً ، و ١,٥٢٧ ميتماً فيها ٨١,٢٤٠ يتيماً ، و ٠٩٩ مأوى للعجز ضمت ١١,٣٤١ عاجزاً وعاجزة ، و ٨١ مستشفى للبرص أوت ١٤,٠٦٠ مجذوماً .

ولديهم في مختلف المعاهد الصحية ٢١٦ طبيباً تعاونهم ٨٥٥ ممرضة من حاملات الشهادات الرسمية .

فهذا شيء من اعمال الكنيسة الكاثوليكية في العالم بواسطة جنودها المرسلين ...

الازمة العالمية والحكمة البشرية

« لا تزال الحكمة البشرية قاصرة من بعض جهاتها » . هذا ما قاله الخطيب الشهير بوصويه ، وهو ما نرى تحقيقه في الازمة الشديدة الآخذة بخناق العالم عامةً ، والولايات المتحدة خاصةً في هذه الايام . ذكرنا الولايات المتحدة ، لانها شاءت ، منذ خمس سنوات ، ان تصرف عنها هذه الازمة ، فاتخذت احتياطات عديدة كان من شأنها ان تزيد العقدة تمكيناً ، بدل ان تحلّها . وذلك انها شعرت سنة ١٩٢٦ باضطراب في زراعتها وصناعتها ، ناتج عن كثرة المحصولات فيها ، وعن قلة الطلب في اسواقها الداخلية وفي الاسواق الاوربية التي كانت لا تزال متأثرة بتفاعيل الحرب الكبرى .

فما كان من الولايات المتحدة الا انها حدّدت عدد المهاجرين ، فمنعت بذلك ازدياد المشترين في بلادها . ثم انصرفت في صناعتها عن الدقة والاتقان في العمل الى الاكثار من المحصولات ، فضجّت بالفن في سبيل السرعة ، فقلّت رغبة القواة في مصنوعاتها . ثم أسست نظاماً شديداً يحميها من المحصولات الاجنبية ، فكانت النتيجة ان محصولاتها ارتفعت اسعارها ارتفاعاً حال بينها وبين الرواج فبقيت في مكانها . وهكذا فان حكمتها البشرية كانت قاصرة من اكثر جهاتها .

مجمع يعقوبي

انعقد في دير مار متى بالموصل ، من ١١ الى ٢٥ تشرين الاول الفائت ، مجمع ترأسه بطريرك اليعاقبة وحضره ثلاثة فقط من اساقفة اليعاقبة ، وهم خمسة عشر ؛ اما الباقون فقد اعتذر بعضهم ، ولم يكترث البعض الآخر لهذا المظهر من الحياة الدينية فلم يروا ضرورة لازعاج انفسهم بالانتقال . وهذه بعض قرارات المجمع الذي هو اول مجمع يعقده اليعاقبة منذ ثلاثمائة سنة .

«القرار ٧ — اجاز المجمع المقدس استعمال الارغن في اثناء القداس ولاسيما في ايام الاحاد والاعياد الرسمية .

«القرار ٨ — اجاز المجمع المقدس اشتراك الفتيات في الترتيل في الكنيسة وهن واقفات خارج المذبح ، وقرر ان يوصي مطران كل ابرشية ببذل الجهود لانشاء مدارس للاناث .

«القرار ١٠ — قرر المجمع المقدس ان تكون مراسلة افراد الاكليروس السرياني فيما بينهم باللغة السريانية او بحروفها حرصاً على قدسية هذا التراث الثمين .

«القرار ٢١ — قرر المجمع المقدس لدى تداوله في مسألة الحساب الكنسي ابقاء الحساب الشرقي على وضعه الراهن في كل البلاد الشرقية . وانما سمح للكنائس السريانية في الاميركتين بناء على الضرورة الملحة اتباع الحساب المحلي في بعض الاعياد المعينة ، على ان يبقى عيد الفصح تابعاً للحساب الشرقي حيث ان المجمع النيقاوي قد نص بذلك صريحاً . وتقرر ان يذاع هذا التصحيح على الكنائس المذكورة بمنشور بطريركي .

«القرار ٣٠ (وهو الاخير) — بما ان المجمع المقدس اعطى المجالس حق وضع الرواتب لافراد الاكليروس على اختلاف درجاتهم لقاء الخدم الدينية متى يؤدونها فهو يحبذ جداً هذا النظام ويوصي جميع المجالس بنوع خاص ان تسعى الى تطبيقه .»

مطبوعات شرقية جديدة

Axel Moberg : Ueber einige christliche Legenden in der islamischen Tradition. 8°, 38 *pp. Lund, Hakans Buchdruckerei*, 1930.

بعض الاساطير النصرانية في الحديث الاسلامي

يبحث مؤلف هذه الرسالة في اصول الاحاديث الموجودة في سيرة الرسول لابن اسحق وابن هشام والطبري وغيرهم ، في ما خصّ ارتداد مدينة نجران الى التوحيد . ويكتشف المؤلف اصل ذلك في احاديث نصرانية سريانية وحبشية . ثم يبين الصلة بين نوعي الاحاديث ، ويحدّد المعنى الحقيقي للفظة « اصحاب الاخدود » الواردة في القرآن (٨٥ : ٤) ه . ل .

Litterae Orientales - Orientalistischer Literatur Bericht. *Heft* 45, *janvier* 1931.

مجلة الآداب الشرقية – كانون الثاني ١٩٣١

نشير في هذا الجزء ، الى بحث لكرفل (Kirfel) في التقليد وانتقاد النصوص اللغوية في اللغة الهندية . ثم كلمة تذكارية في هنري غلوك (Gluck) مع سرد اسماء تآليفه . ثم اشارة الى الكتب الجديدة الخاصة بالشرق الاقصى .

E. Pittard : Le visage nouveau de la Turquie. *in*-8°, 313 *pp.* 24 *photographies: Paris, Société d'éditions géographiques, maritimes et coloniales.* 1931.

وجه تركية الجديد

مؤلف هذا الكتاب من الاختصاصيين بدرس السلالات البشرية ، وقد زار آسية الصغرى من اقصاها الى اقصاها ولم يتمالك من ان يميل الى شعوبها التي تتطور اليوم تطوراً سريعاً غريباً . فجاء بحثه شاملاً مفيداً عن تلك الشعوب التي لا يمكن لاوربة ان تُعرض عن الاهتمام بمستقبلها . ولا يسهو المؤلف عن تحديد جميع المزايا الفارقة لكل شعب منهم فيهتمّ بالاتراك ، والارمن ، والاكراد ، والتتار . والكتاب مزيّن بـ ٢٤ صورة واضحة . ج . ل .

Rollin (Henry) : La révolution russe. Ses origines, ses résultats. I, Les Soviets. II, Le parti bolcheviste. 2 v. in-12, 1931. *Paris, Librairie Delagrave.*

الثورة الروسية

طالما ساد الاعتقاد بان حالة روسية الخارقة لا تدوم الا سنوات قليلة ، ولهذا تسابق المؤلفون في وصف مظاهر الثورة وما جرّته من البلايا والفظائع . اما الآن ، وقد مرّ عشر سنوات على تلك الحالة ، فلزم المؤلفين ان يدرسوا بدقّة وامعان اسباب تلك الظاهرة ونواحي تطورها . وهو ما يجتهد فيه مؤلف الكتاب ، وهو من ضباط البحرية سابقاً ، فيخص بذلك ثلاثة مجلدات ظهر الاولان منها في « الـوڤيت » ، و « الحزب البولشفيكي » . وفيهما دروس دقيقة شخصية بدت الاولى من نوعها في القاء نظرة جامعة شاملة على تلك الحركة . وسيخصص المجلد الثالث بسيطرة ستالين. ج.ل.

Solomon (George).: Parmi les maitres rouges. in-12, 351 *pp.* *Paris, Editions Spes,* 1930, *Prix* : 18 f.

بين الارباب الحمر

اختار المركز الدولي لمحاربة الشيوعية هذا الكتاب مع كتاب جوزف دوّيه (Douillet) في « موسكو السافرة » لنشر الدعاية ضد الشيوعيين. وهو مجموعة مذكرات كتبها رئيس حزب شيوعي بعد ان انفصل عن حزبه سنة ١٩٢٣ ، اذ كان في لوندرة. وقد كان قبل ذلك سكرتير السفارة في برلين ، ثم قنصلاً في هامبورغ ، ثم ملحقاً في موسكو بمندوب الشعب في ما خصّ التجارة الخارجية ، ثم ممثله الرسمي في ريڤال ، فتمكن من معرفة امور كثيرة ومراقبة حوادث عديدة جمعها في كتابه هذا . على ان المطالع يودّ لو اطّلع على ضمانات كافية في ما خصّ صحة هذه الوثائق ، ودقة ترجمتها . وكلها امور مهمة في كتاب علمي غايته تأييد بعض المزاعم ، وطريقه اليها سرد محاورات ومحادثات يميل الانسان الى ان يقرأها كما يقرأ المشاهد الروائية. ج.ل.

Dr Josef Schmid : Matthäus und Lucas. [*Biblische Studien, XXIII Band 2/4 Heft.*] *gr. in-8°, XVI-384 pp. Herder, Freiburg im Breisgau*, 1930. *Prix* : 16 *M.*

متى ولوقا

عرف قرائنا الدكتور شميد بكتابه في « رسالة القديس بولس الى اهل أفسس » الذي وصفه المشرق سابقاً (٢٦[١٩٢٨] ٧١٠) . وها هو ينشر اليوم كتاباً جديداً خصه بذكر الصلات بين انجيل القديس متى وانجيل القديس لوقا. وبالسؤال هل استقى الثاني شيئاً من الاول ؟ وبعد ان درس الموضوع درساً اميناً استنتج ان لوقا لم يستق شيئاً من متى،ولكنه يرجح وجود مصدر واحد استقى منه الاثنان ما هو مشترك بينهما وغير وارد في انجيل مرقس . وان هذا الدرس العلمي الدقيق ، الذي قام به عالم كاثوليكي ، يلقي نوراً جديداً على مسألة الاناجيل الثلاثة . ونحن نؤمل ان يقربنا من حل نهائي لتلك المسألة .

ب. م.

Franciscus Zorell s. j. : Lexicon graecum Novi Testamenti. [*Cursus Scripturae Sacrae*] *Editio altera novis curis retractata. in-8° raisin XXIV pp. et* 1498 *colonnes. Paris, Lethielleux*, 1931. *Prix* : 150 *f.*

معجم يوناني للعهد الجديد

هي طبعة جديدة لمعجم الاب زورل المشهور ، وقد راجعه المؤلف وزاد فيه نحو مائة صفحة ، فزادت فائدته لجميع شراح الكتاب المقدس ، وهم يجدون فيه ، فضلاً عن اسماء الكتب الجديدة في الموضوع ، هوية جميع الكلمات اليونانية ، ومعانيها ، واستعمالها في الترجمة السبعينية وفي اوراق البردي المعاصرة الخ... وقد خصت بعض المفردات بشروح مطولة ، لكثرة استعمالها في الابحاث اللاهوتية ، وكذلك بعض التعابير الصعبة الفهم . ووددنا لو ان الكاتب اشار ، في جميع المواد ، الى استعمالها في الترجمة السبعينية مع ذكر الكلمة العبرانية التي تترجمها.

ب. م.

Louis Dimier : La gravure. *in-12, illustré, 222 pp. Paris, Garnier Frères, 1930. Prix : 25 f^s.*

حفر الصور

هذا الكتاب حلقة جديدة من سلسلة جديدة عنوانها « مجموعة غارنيه الفنية » وغايتها امـا القاء نظرة شاملة على مظهر من مظاهر الفنّ ، او وصف الفنّ الخاص ببلد من البلاد . اما المجلد الحالي فيخصه مؤلفـه ، وهو من الفنيين الاختصاصيين ، بتاريخ فنّ حفر الصور والرسوم في الخشب . فيذكر اصولـه وعصره الاول ثم يدرس مظاهره المختلفة في بلاد الفلاندر ، وفرنسة ، وهولاندة ، وانكلترة ، واليابان . والكتاب مزيّن برسوم جميلة متقنة ج.ل.

Emile Bayard : Les styles coloniaux de la France. *in-16, 336 pp., 203 illustrations. Paris, Garnier Frères, 1931. Prix : 25 f^s.*

الازياء والطرازات في المستعمرات الفرنسوية

إشتهر مؤلف الكتاب ببحث في معرفة فن الطرازات الهندسية ، فاراد ان يلحقه بهذا المجلد عن الطرازات المعروفة في المستعمرات الفرنساوية . وهو كتاب يأتي في حينه ، وفرنسة على وشك اقامة « معرض المستعمرات وبلاد ما وراء البحار » ، فيستفيد منه جميع زائري ذاك المعرض .

Rousseau (François) : L'idée missionnaire aux XVIe et XVIIe siècles. Les doctrines, les méthodes, les conceptions d'organisation. *[Bibliothèque des missions. Mémoires et documents. vol. II.] gr. in-8°, 142 pp. Paris, Editions Spes, 1930. Prix : 18 f^s.*

فكرة الارسالية الدينية في القرنين السادس عشر والسابع عشر

درس مفيد بيّن فيه المؤلف تأثير الاكتشافات الجغرافيـة في اواخر القرن الخامس عشر على لاهوتي الكاثوليك . وما جرّه ذلك التأثـير من التفكير بالارساليات او البعثات الدينية الى العالم الجديد ، وبلاد الشرق ادناها واقصاها . ولم يلبث التفكير ان عقب بالعمل فتأسست جمعية نشر الايمان سنة ١٦٢٢ بهمة البابا غريغوريوس الخامس عشر . يدرس المؤلف كل هذا بالوضوح الذي اشتهر به في مؤلفاته التاريخية السابقة ، وخصوصاً في مجلديـه الكبيرين عن شارل الثالث ملك اسبانية . ج. ل.

Anna Heyberger : Jean Amos Comenius (Komensky). Sa vie et son œuvre d'éducateur. [*Travaux publiés par l'Institut d'études slaves, t. VII.*] *in-8°, 280 pp. Paris, H. Champion, 1928.*

جان كومنسكي : حياته واثره التهذيبي

كومنيوس اسم لاتيني او مُلَقَّن لكومنسكي التشيكي المولود في اواخر القرن السادس عشر من أسرة بروتستانية تمتّ بالصلة الى الجامعة المعروفة باسم « الاخوة المراثيين » . بعد ان تلقى كومنيوس دروسه شاء ان يُصلح التهذيب في وطنه . ثم جال في البلاد البروتستانية كانكلترة وهولندة واسوج فاتسعت غايته وكتب ما كتبه رغبة في افادة العالم كله ، لا وطنه فحسب . اما الكتاب الحالي في درس حياته وآثاره وطرقه التهذيبية فغاية في الاتقان والدقة . ولا يمكن قدر قيمة هذه الطرق التهذيبية الا عن سبيل المقابلة اذا ما عرضناها على ما كان في عصر الرجل من اساليب في ذلك . هذا والكتاب ينتهي بجداول واسعة مفيدة ج. ل.

Les grands problèmes internationaux de l'heure présente. *Conférences de la première semaine catholique internationale de Genève, 16-22 septembre 1929. in-12°, 250 pp. Paris, Editions Spes. Prix : 15 f.*

امّ المشاكل الدولية في الساعة الحاضرة

في سنة ١٩٢٩ ، القي في جنيف ابان الدورة العاشرة لجمعية الامم ، سبع محاضرات ، ألفت ما دُعي « بالاسبوع الكاثوليكي الدولي » . ثم نُشرت في هذا المجلد وهو اول منشورات « الاتحاد الكاثوليكي للابحاث الدولية » الذي مركزه فريبورغ من اعمال سويسرة وقد بدئ الكتاب بلمحة في تلك الجمعية ونشأتها ، واعمالها ، وغايتها . ثم سُردت المحاضرات وكلها تخوض في الشؤون العالمية الكاثوليكية المهمة ، كالعقيدة الكاثوليكية في الزواج والعائلة ؛ وطرق التهذيب ؛ والوطنية ؛ ومعضلات العمل ؛ والمدنية ؛ والنظام الدُولي ؛ ومعنى الحياة .

تاريخ اللغات السامية

تأليف الدكتور اسرائيل ولفنسون (ابو ذؤيب)

مطبعة الاعتماد بشارع حسن الاكبر بمصر ١٣٤٨–١٩٢٩ ، ص ٢٩٥ متوسطة

لا يخفى ما في درس اللغات السامية من الفائدة لطلاب العربية . وقد شاء المؤلف ، بكتابه الجديد ، ان يعمل على نشر هذه الفائدة . وهو معروف من قراء المشرق (٢٦ [١٩٢٨] : ص ٧٩٢) بكتابه تاريخ اليهود في بلاد العرب ، وله الالمام بتاريخ اللغات الشرقية والاستمداد على خوض غمارها ، فتسلح بما كتبه المستشرقون عليها وعلى الخصوص نولدكه وبروكلمان واقبل على وضع كتابه عن جرأة كلها الظفر . وسيتلو هذا الكتاب ، ولا شك ، غيره من المؤلفات من بعده فتستفيد منه وتزيد عليه ، اما فضل الاسبقية فان يزاحمه عليه مزاحم . تشمل فصوله الابحاث في اللغات السامية على العموم ثم في التفصيل من بابلية اشورية فكنعانية فعبرية فآرامية فعربية فحبشية ، وهي مزينة بالتصاوير والنقوش المساعدة على فهم القواعد . اما لغة الكتاب فعلى وضاحتها لا تزال تشف عن الاصل الذي نقلت منه اكثر المواد ، وهو مختصر تاريخ اللغات السامية لنولدكه . عني المؤلف عناية خاصة بالبحث في نشأة اللغة العربية ، وذهب مذهب طه حسين في الشك بصحة نسبة الشعر الجاهلي ، ووددنا لو بيّن براهينه على ذلك بشواهد افصح مما ذكره موجزاً مختصراً في هذا المعنى . قال (ص ١٥٩) « قرية اسمها ملولة » ، والصواب معلولا ، وقال (ص ١٤٥) « ادوسا » والصواب الرها . ووقعت في الكتاب غلطات مطبعية بسقوط النقط من الحروف كالحجار عوض الحجاز . على اننا نقدر مجهودات المؤلف ، وقد وصف كتابه العلامة بروكلمان في مجلة الاداب الشرقية الالمانية فاشار الى مواضع الخلل فيه ، لكنه قال فيه على الاجمال انه اتى بنظرات قيمة على احوال الشعوب السامية وتمدينها (*OLZ, 1930, 1013*)

ف . ت .

اللغات الآرامية وآدابها

تأليف شابو ، تعريب الاستاذ انطون شكري لورنس

مطبعة دير مار مرقس للسريان بالقدس ، ١٩٣٠

هو كراس عدد صفحاته ٥٢ ، فيه سلسلة مقالات نشرت اولاً في مجلة الحكمة في القدس ، تتضمن وصف اللغات الآرامية وآدابها ، مع بيان فروعها ولهجاتها وخصائصها ، وتاريخ نشأتها ، وتأثيرها في غيرها من اللغات السامية . ولما كانت امثال هذه المباحث في مهدها باللغة العربية فنبشر بظهورها ، ونتمنى لها النموّ والتدرّج من طور « التلخيص والتمحيص » الى طور التبسط والتبيان.

ف. ت.

حظيات لقمان

بقلم يوسف ناصيف ضاهر

مطبعة البريد في ريو دي جانيرو — ١٥٢ صفحة متوسطة

على لقمان ، تعلمنا في الصغر ، مع مبادئ اللغة ، اصول الحكمة البشرية والاصابة في الرأي . قد تقارب مواد هذا الكتاب بفصولها القصيرة امثال لقمان وحكاياته ، وتبتعد عنها بتوسعها في مواضيع سطحية قليلة الخصب . وليست كامثال لقمان خلاصة التأمل الطويل والحكمة البالغة التفكير ، بل هي افتتاحيات نشرت تباعاً في جريدة البريد طبقاً لاحتياجات اليوم . على انها ترجمان لحياة مواطنينا في المهجر وصورة لاخلاقهم ، رجالاً ونساء ، اغنياء وفقراء ، ولها في ذلك قيمة خاصة : معلم القرية اللبناني اصبح مُثرياً عظيماً ، والصحافي اللبناني عاد من البرازيل وتسنم رئاسة المجلس النيابي ، الصحافة العربية كالماس يعدها الناس من الكماليات لا من الحاجيات الخ ...

هذا ولو اعرض المؤلف عن الغمز بالناس ولم يذكر اعلامهم في مواضيع الهجاء لوجدهم اميل اليه في الاتفاق معه عند البحث في الادب ، وفي تقويم معوج الاخلاق.

ف. ت.

قلعة طرابلس الشام

للدكتور اسد رستم

١٥ صفحة متوسطة

هو كراس ذكر فيه صاحبه موقع تلك القلعة الشهيرة ، وتكلم في موادها ، ومساحتها ، وتحصيناتها ، ونقوشها الكتابية ، واصل بنائها الحالي ، معلقاً مقاله على رسم جديد توفق الى وضعه بمساعدة بعض اساتذة الجامعة الاميركية وطلاب الهندسة من كلية العلوم والآداب فيها. ف. ت.

التحفة لسنة ١٩٣١

المطبعة الكاثوليكية قطع ١٢ ، ثمنها ١٥ غ.س.

اصدر حضرة الاب روفائيل نخلة ، مدير مجلة قلب يسوع ، هذه النشرة لسنتها الثانية ، وهي عبارة عن ١٢٨ صفحة مزينة بالصور المديدة محتوية على كل ما يبهج القراء ويسرهم كباراً وصغاراً ، فيها المشاكل الحسابية الظريفة ، والنكت المسلية في السهرات العائلية ، مع حكايات ونوادر وعبر ومواعظ والغاز وقصائد ونصائح مفيدة. ف. ت.

التعليم المسيحي الاعدادي للمناولة الاولى

المطبعة الكاثوليكية بيروت ، ١٩٣١ — ١٥ صفحة صغيرة — الثمن: ٤ غ.س.

هو القسم الاول من « التعليم الكاثوليكي » المشهور الذي نشره نيافة الكردينال غسباري طبقاً للقاعدة التي رسمها البابا بيوس العاشر ، وترجم الى اكثر اللغات . وقد عربه حضرة الخوري بطرس غالب ، ونشر هذا القسم الاول لاعداد الاحداث للمناولة الاولى . والكراس حسن التنسيق ، مختصر جامع ، واضح العبارة ، جميل الطبع . فنحث جميع المدارس والجمعيات على اقتنائه.

* برنامج جمعية طوبيا البار المارونية في بيروت عن سنة ١٩٣٠ * وهي جمعية خيرية مخصصة لدفن الموتى الفقراء المسلمين. بلغت وارداتها ٧٨٨٦٠ غ.س. ونفقاتها ٧٢٩٠١

اهم حوادث الشرق في شهر

١٥ كانون الثاني — ١٥ شباط ١٩٣١

* تلقت انحاء الشرق ، كما تلقت المسكونة جماء ، خطاب قداسة الحبر الاعظم ، الذي القاه يوم تدشين محطة الراديو في حاضرة الفاتيكان ، في ١٢ شباط . فالتقطته الاجهزة اللاسلكية في العالم. وسمت بيروت صوت قداسته مخاطباً سكان البسيطة اجمعين من اكليريكيين وعلمانيين ، مؤمنين وغير مؤمنين ، متمنياً للجميع الهناء والسلام والمحبة.

* لا تزال الازمة البطريركية الارثوذكسية على خطورتها ، ان لم نقل انها زادت تعقداً . وقد كان بعض المتفائلين ظنوا خيراً اذ اجتمع بعض المطارنة في دير مار جرجس الحميراء (بلاد العلويين) فانتخبوا في ٧ شباط المطران ارسانيوس حداد بطريركاً . على ان الخبر كان سيء الوقع على فريق من الاكليروس والشعب الارثوذكسي لاسيما « الكومسيون البطريركي الزمني » في دمشق ، فاحتج جميعهم في النهار نفسه ، ثم اجتمع الكومسيون المذكور مع بعض المطارنة في دمشق وانتخبوا بطريركاً المطران الكسندروس الطحان في ٩ شباط. ولا يزال البطريركان قائمين كل في جهته ، وقد شرع البعض يبذلون المساعي في سبيل التوفيق بينهما .

* صدرت ارادة ملكية بتأجيل جلسات البرلمان العراقي ٢٦ يوماً اعتباراً من ٧ شباط. والحكومة منصرفة ، على ما يظهر ، الى تشجيع المصنوعات الوطنية ، وزراعة الدخان ، وتعزيز العلاقات التجارية بين العراق وسورية.

* استقبلت فلسطين في اواخر كانون الثاني رفات الزعيم الهندي الكبير محمد علي . وقد شيد له ضريح فخم ودفن باعظم ما يمكن من الاكرام . وكانت هذه الحفلة رمزاً جديداً الى اتحاد العناصر الوطنية ضد الصهيونيين. ثم لم يلبث ان قدم اخو الفقيد ، شوكت علي ، فجال في فلسطين ولبنان وسورية خاطباً في الجماهير ، باللغة الانكليزية ، داعياً الى الجامعة الاسلامية ومقاطعة الاجانب . بيد انه لم يكن لكلامه الوقع المنتظر.

المشرق

نيسان ١٩٣١

أمالي اللغة : ٧

اصل كلمة "الداوية"

بقلم حضرة الاب ا. س. مرسجي الدومنيكي

يتصور بعض المتهوّرين ، من ابناء اللغة العربية ، ان تعليل اصل الكلم من الامور الهيّنة ، يكفي للقيام به ارخاء العنان للمخيلة الجامحة ، فتهيم على وجهها في فيافي الاوهام ، فتعود ظانّة الفوز بالمرام . على ان الحقيقة خلاف ما يتوهمون ، لان هذا الباب من اضيق الابواب مدخلاً ، والسبيل اليه من اوعر السبل مسلكاً . ومن عانى مشاقه ، اقرّ بذلك عارفاً صدقه . .

قبل جملة اعوام ، كان قد سألني احد الآباء الاساتذة الفرنسيين ، في معهدنا الكتابي الاثري ، عن اصل كلمة « الداوية » المعنون بها هذا المقال . فلم اتمكن من الاجابة حينئذٍ ، لاني لم اكن قد بحثت عنها . وجرى عرضاً ان

في تلك الايام كان احمد زكي باشا المصري يتردد الى خزانة كتبنا ، فقلت في نفسي : « دونك البحر الجمّ ، والملامة الاعظم ؛ فمنه تجد ضالتك ، ومنه تنال بغيتك . » بيد اني ما طرحت عليه السؤال الّا وتردّد ، فتلعثم ، فساقرّ بجهله ، فانسلّ . فعزمت منذئذٍ ان اتقصّى المسألة بذاتي ، اثناء مطالعاتي .

ان قارئ تواريخ الحروب الصليبية او « الصليبيات » باللغة العربية ، كثيراً ما يصادف هذه اللفظة « داويّة » بجانب كلمة اخرى وهي « اسپتالية » ، ومن القرائن ، والمقارنة بالتواريخ المدوّنة في اللغات الفرنجية ، يتوصّل الى ان يعرف ان « الاسپتالية او الاسپتارية » تطلق على جمعية من الرهبان أُنشئت في اوائل المملكة الفرنجية ، في الربع الفلسطينية ، لضيافة الغرباء ؛ وان لفظة « داويّة » تطلق على الرهبنة الاخرى العسكرية التي كانت الغاية منها حماية الزوّار ، والدفاع عن المملكة المسيحية . وقد كان تأسيسها على يد الفارس هوغ دي پاين (Hugues de Payens) من اشراف شمپانية ، في فرنسة ، ورفاقه الفرسان الثانية ، وذلك في القدس ، سنة ١١١٨ ، في عهد الملك بقدوين الثاني ، الذي وهبهم محلًّا لسكناهم ، قرب موقع هيكل سليمان ، ومنه دُعُوا بالفرنجية : *Chevaliers du temple* او *Templiers* . وفي اثناء مجمع تروا (Troyes) من مدن فرنسة ، المنعقد سنة ١١٢٨ ، وضع لهم قانون ، بعناية او نظارة القديس برنردوس ، اثبته البابا انوريوس الثاني ، اجابةً الى طلب اسطيفانوس بطريرك القدس [1]

فاسم الرهبنة الاولى بالفرنجية *Hospitaliers* . واسم الثانية *Templiers* . والمؤرخون المسلمون دعوا الاولين « اسپتالية او اسپتارية » والاخرين « داويّة » . والواضح ان « اسپتالية » تعريب *Hospitaliers* . فهل يا ترى « داويّة » تعريب *Templiers* ؟ هذا ما ترهمته احدى المخيّلات الطائفة في الفضاء ، ودونك ما

---

١) في خصوص منشأ الرهبان الهيكليين او الداريّة ، وتاريخهم ، راجع المؤلفات الآتية : Guillaume de Tyr, *lib. XII c. 7.* — *(Dans : Historiens des Croisades Occidentaux II)* — Jacques de Vitry, *l. I, c. 65.* — Michaud, *His. des croisades. T. II, pp. 98, 585 ss.*

نزلت به من طبقات الهواء:

« قد شبّه الاقدمون ادعية الرهبان وصلواتهم بدويّ النحل. فاذا جاز لنا ان نرى « الداوية » من الالفاظ العربية ، قلنا انهم سمّوا كذلك لانهم كانوا يصلّون جميعاً معاً ، فيحصل من دعائهم هذا دويّ (!!!) فسمّوا بالداوية. (بخ بخ)

« اما الذي عندنا فالداوية تصحيف « التامبلية » الفرنسية لا غير (سوف نرى عند المحكّ) ... وكان عندنا (؟؟) نسخة تامة من كتاب الروضتين يذكر « الداوية » تارة باسم التاوية ، واخرى بصورة التابية ، ومراراً عديدة : التاملية ، وبعض الاحيان التامية[1] ومن اختلاف هذه الروايات في كل صفحة بصورة من الصور يرى ان الناسخ لم يفهموا معناها لغرابتها او اعجمتها . ولا جرم ان الكلمة اعجمية ، وانها من الفرنسية. »[2]

اما انا فيظهر لي ان هذا الكلام احرى به ان يكون مثالاً حياً « للتهوّر في التخيّل » ؛ وعليه لم يرضني كما انه لم يرق في اعين الاساتذة المحققين الفرنسيين في معهدنا . فما كان مني الا ان تابعت التقصي . وهذه نتيجته ، ابسطها لاهل الاذواق السليمة ، وارباب الاطلاع والاختصاص.

انجع وسيلة للباحث عن اصل الكلم ان يتتبعها في مظانّ ورودها ، ويشارف تطوّر احوالها . وما اكثر مظانّ هذه اللفظة ! فقد وردت في مؤلفات جميع الذين كتبوا عن الصليبيات . ولذا ، عمدت ، قبل كل شيء ، الى « مجموعة تواريخ الصليبيات » باللغة العربية . وتناولت الفهرس الابجدي لكل مجلّد من مجلداتها الضخمة . واينما وجدت كلمة « داوية » بحثت عنها في محلها . فتحققت ، بعد هذا العمل ، ان جميع هولاء المؤرخين المسلمين استعملوها بصورة « داويّة » او مع شيء من التحريف . اما عن اصلها ، فلا ذكر عندهم

---

١) ليت هذه النسخة الثمينة وجدت ، فلكان طلاب الحقيقة استفزوا صاحبها لينشر بالتصوير الشمسي روامز الصفحات العديدة الواردة فيها هذه الكلمة ، لا بصورها المصحّفة ، بل بصورتها الحقيقية «templiers» ذات الحروف الفرنجية !!! ولا ريب ان الذي صدّ الكاتب عن ذكرها بصورتها الاصلية خورٌ في الذاكرة عارض ، ان شاء الله .

٢) مجلة لغة العرب ، جزء ٢ ، سنة ٨ ، ص ١٢٩ .

البتة ، وخير ما صنعوا ، لانهم كفونا مؤونة التخيلات والخزعبلات الشبيهة بتخيل المذر القديم القائل بان اصل «عصفور» من « عصا وفرّ » ، والمذر الحديث المدعي بان اصل « هيكل » من « حي وجل » .

بيد ان ذلك لم يثبط مني العزم . فاكببت عندئذٍ على « مجموعة تواريخ الصليبيات » باللغات الفرنجية ، متبعاً النمط السابق عينه . ثم وقفت على تأريخ الرهبنة المذكورة ، ونصّ قانونها ، في اصله اللاتيني [1] فسفر انعام النظر عن انه كان بين تأسيسها ، سنة ١١١٨ ، وبين تثبيتها ، سنة ١١٢٨ ، مدة عشر سنوات ؛ وان اعضاءها لم يُدعَوا ، منذ البدء ، Templiers ، اي هيكليين ؛ لان الملك بقدوين الثاني لم يهبهم محلًا ، قرب موقع هيكل سليمان ، الا عدة اعوام بعد نشأتهم ، وان اللقب الذي اطلق عليهم ، قبل سكناهم ، في جوار الهيكل ، كان : « *Les pauvres Chevaliers de la sainte Cité.* » (الفرسان « الفقراء » للمدينة المقدسة) وقد بقي هذا اللقب « الفقراء » في جملة القابهم ، حتى بعد نزولهم في ناحية الهيكل ، وتسميتهم به . كل ذلك ظاهر من نصّ دستور رهبنتهم المذكور . اذ نجد في اوله العنوان الآتي باللغة اللاتينية : [2] « *Regula* Pauperum *Commilitonum Christi, templique Salomonis.* » (قانون الفرسان « الفقراء » للمسيح ولهيكل سليمان) . وهذا الآخر : [3] « *Incipit regula* Pauperum *Commilitonum sanctæ civitatis.* » (بدء قانون الفرسان « الفقراء » للمدينة المقدسة) .

وانت ترى ، في هذا العنوان الاخير ، ان لا ذكر لكلمة «*templi*» او « *templariorum* » (الهيكل او الهيكليين) . زد على ذلك اننا نجد ، في خلال هذا القانون ، ان افراد الجمعية يدعون باللاتينية « Fratres » [4] جمع «Frater» اي اخوة جمع اخ . وبهذا الاسم كان يدعى الرهبان عموماً ، في القرون

١) مجموعة الآباء اللاتين ، مجلد ١٦٦ ، عمود ٨٥٥ وما يليه .
٢) م . آ . ل . عين المجلد ع . ٨٥٧ .
٣) م . آ . ل . عين المجلد ع . ٨٥٩ .
٤) م . آ . ل . عين المجلد ع . ٨٧٠ وما يليه .

الوسطى ، كهنةً كانوا ام غير كهنة ، وقد كان وبقي حتى اليوم لقباً رسمياً للدومنيكيين والفرنسيسيين. *Frères Prêcheurs, Frères Mineurs*.

على ان هذه الفوائد ، ان لم تنِ بمرامي في ذاك الحين ، فقد كان لها قيمة كبرى فيما بعد . لاني بينما كنت على تلك الحال ، اذ عنّ لي خاطر ، فقلت في نفسي : ان هناك ، ما عدا المؤرخين المسلمين والفرنجة ، مؤرخين شرقيين نصارى ، وهم السريان . وبين هولاء كان رجال فطاحل في العلوم الدينية والمدنية ؛ وقد عاصروا الصليبيين ومازجوهم ؛ ولا ريب انهم عرفوا هولاء الرهبان المدعوّين في الفرنجية *Templiers* ، وفي العربية « داوية » . ومن جملة هؤلاء المؤرخين السريان ثلاثة ، وضعوا مؤلفات تاريخية بلغتهم السريانية . اولهم : ميخائيل الكبير ، بطريرك اليعاقبة (١١٦٦ ١١٩٩) الذي حدث له مفاوضات للصليبيين ورؤسائهم الروحيين ، في انطاكية والقدس ، وكانت مراسلة بينه وبين البابا انوريوس الثاني . ثانيهم المؤرخ الرهاوي المجهول الاسم († ١٢٠٤) وثالثهم ابن العبري ، الذائع الصيت († ١٢٨٧)

فاقبلت على مؤلفاتهم[1] وادركت منها المواطن المنوطة بالصليبيات . وما اشدّ ما كان عجبي وسروري معاً ، حين اشرقت لانظاري انوار ساطعة تبدّد عن هذه القضية ظلمات الاوهام ، وتظهر الحقيقة باجلى بيان . فان هولاء الثلاثة يسمّون الرهبان المحكي عنهم تارة باسمهم العام اي «*Frères*» واخرى يذكرون بجانبه ترجمته بالسريانية (ܐܚܐ *ahi*) اى اخوة ، ودونك شواهد منهم : الرهاوي: « ܘܐܬܚܕܘ ܐܚܐ ܘܥܢܘ » ، « ܐܚܐ ܘܡܬܚܕܢܝܢ ܥܢܘ »[2] :

---

١) ميخائيل الكبير : تأريخ ، نشر وترجمة الابيل شابو ، المجلد الرابع يحوي النص السرياني ، والمجلدات الثلاثة الاخرى تتضمن الترجمة الفرنسية .

التاريخ المدني والكنسي ، لمؤلفه الرهاوي المجهول الاسم ، نشره السيد رحماني ، البطريرك السرياني الانطاكي .

ابن العبري : تأريخ بالسريانية ، نشره الاب بيجان اللازري .

٢) الرهاوي : تاريخ ص٢٦٤ : « وقبض على الاخوة « الفرير »

ص ٢٥٧ : « الاخوة الذين يدعون «الفرير»

ابن العبري: « ܡܠܦܢܐ ܕܥܕܬܐ » « ܐܚܝܐ ܕܥܕܬܐ ܕܐܝܬܝܗ ܠܗ ܡܠܦܢܐ »[1]
ميخائيل الكبير : « ܐܚܝܐ ܕܥܕܬܐ ܕܐܝܬܝܗ ܠܗ ».[2] وكل ذلك مطابق لما ورد في نص القانون.

على ان ثلاثتهم يطلقون عليهم ، في مواطن مختلفة ، فضلاً عن هذا الاسم ، لقب « ܐܚܝܐ ܕܥܕܬܐ » او « ܥܕܬܐ » فقط. (اي الاخوة الفقراء ، الفقراء) :
ميخائيل الكبير: « ܥܕܬܐ ܕܥܕܬܐ ܕܥܕܬܐ ܕܥܕܬܐ ».[3]
الرهاوي: « ܡܠܦܢܐ ܕܐܝܬܝܗ ܠܗ ܥܕܬܐ » « ܐܝܬ ܠܗ ܥܕܬܐ ».[4]

ابن العبري: « ܐܚܝܐ ܕܥܕܬܐ ܕܐܚܝܐ » ، « ܐܚܝܐ ܕܥܕܬܐ ».[5]

ومعلومك ان كلمة « ܥܕܬܐ » في السريانية جمع لكلمة « ܥܕܐ » (*Dawyya*) الآتية من فعل « ܥܕܐ » ومعناه : كان بائساً ، فقيراً[6]

---

١) ابن العبري : تاريخ سرياني ، ص ٢٢٠ « رئيس (استاذ) « الفريرية » — « ܡܠܦܢܐ » من اللاتينية « *Magister* ».

ابن العبري ، ص ٢٥٤ « اخوة « فريرية » كان فيها ».

٢) ميخائيل الكبير : تاريخ ، ص ٥٠٥ « خبر الاخوة « الفرير » الفرنج »

٣) ميخائيل الكبير : تاريخ ، ص ٦٢٦ « والفرسان الفرنج « الداوية » اخذوا في الحرب » — انظر ايضاً الصفحات التالية : ٦١٢ ، ٦١٤ ، ٦٤٤

٤) الرهاوي : تاريخ ، ص ٢٥٨ « وهجم بشدة هولاء الفرنج « الداوية »
ص ٢٦٠ « وطرد « الداوية » شر طرد »

٥) ابن العبري : تاريخ ص ٢٧٠ « وكثير من الاخوة « الداوية » والاسبتارية »
ص ٢٧٤ « اما الاخوة « الداوية » او « الاسبتالية »

وقد وضع الاب بيجان اللازوي ، ناشر تاريخ ابن العبري السرياني ، حاشية في الصفحة ٢٧٢ ، ابان فيها من كان هؤلاء الرهبان ، ذاكراً مختلف اسمائهم عند السريان . فقال ما هذا تعريبه عن اصله بالسريانية الشرقية : « هم الرهبان العسكريون المحامون عن مملكة المسيحيين ، الذين كانوا يدعون « فريرية » (ܥܕܬܐ) اي اخوة ، او « اخوة داوية » (ܐܚܝܐ ܕܥܕܬܐ) وهم الميكليون (ܡܝܟܠܝܐ)

٦) Payne Smith, *Thesaurus Syriacus*, *T.I. c.* 829.
Brockelmann, *Lex. syr. p.* 143.

فاذن « ܡܣܟܢܐ » التي تعني « الفقراء » قد سمّى بها السريان هولاء الرهبان، مترجمة عن اسمهم الاوّلي ، باللاتينية او الفرنجية : « *Pauvres, Pauperes* » ذاك الاسم الذي بقي عليهم دائماً ، كما رأينا من نص قانونهم .

النتيجة الواضحة ان كلمة « داوية » التي اطلقها المؤرخون المسلمون على هؤلاء الرهبان العسكريين هي تعريب « ܡܣܟܢܐ » السريانية ، دون تعمّل ولا تصحيف . وقد شاعت بين النصارى الشرقيين ، فاخذوها عنهم . ومثل هذا جارٍ حتى في ايامنا هذه . فاننا نسمّي الرهبان الفرنج المتخصصين لتثقيف الشبان ، تارة « فرير » ، تعريب الكلمة الفرنسية . واخرى « اخوة » المدارس المسيحية ، بطريق الترجمة . وكما ان المسلمين اليوم عرفوا هذا الاسم « فرير » من المسيحيين الوطنيين ، فلا ريب ان المسلمين ، في زمن الصليبيين ، تلقوا كلمة « الداوية » من المسيحيين الشرقيين الذين استعملوا هذا الاسم ، دون او مع بقية اسماء هولاء الرهبان ؛ لانه شاع بينهم مترجماً من الفرنجية الى السريانية ، فعرّب . وفي ايامنا هذه ايضاً يحدث مثل هذا في شأن اسماء بعض الرهبان والراهبات ، من ابناء الفرنج . فان النصارى الوطنيين يدعونهم باسماء دون او مع اسمائهم الرسمية . دونك مثلاً : *Les Réparatrices. Les Sœurs Franciscaines Missionnaires de Marie. — Les Pères Missionnaires d'Afrique. etc.*

فانهم لا يدعونهم ، بترجمة هذه الاسماء الى العربية ، بل عوضاً عنها ، او زيادة عليها ، بهذه الآتية : راهبات القربان او السجود ؛ الراهبات البيض (لثوبهن الابيض) ؛ الآباء البيض (لبياض ثوبهم) .

هذا ، وللقارئ عليّ حق اظهار الحقيقة العلمية كما وقفت عليها ، بعد

في هذه الصفحة من معجمه ، قد اشار بروكلمن الى ان الابيض شابو اخطأ بترجمته عبارة ميخائيل الكبير ، الواقعة في الصفحة ٦٢٦ من كتابه ، وهي «ܦܪܝܫܐ ܕܒܝܬ ܡܣܟܢܐ» بما يلي بالفرنسية « *Les misérables chevaliers francs* » اي باتخاذه « ܡܣܟܢܐ » بمعناها الوضعي على حين كان يجب اعتبار دلالتها الاصطلاحية ، التي يقابلها بالافرنسية لا « *templiers* » ، لكن « *misérables* » ، والظاهر ان الحق بيد بروكلمن ، اللهمّ الا اذا كان قصدُ شابو من ترجمة « ܦܪܝܫܐ ܕܒܝܬ ܡܣܟܢܐ » بالعبارة « *Misérables ou pauvres chevaliers* » اعتبارها لقباً من القابهم الخاصة ، وهذا معززاً لقولي المستند الى العنوانين الموجودين في نص قانون هؤلاء الرهبان .

التقصي المتواصل . ولذا اقول : ان البطريرك ميخائيل الكبير كان له معرفة تامة بنشأة هؤلاء الرهبان ، وبقوانينهم التي لخصها في تاريخه ، بنوع كثير المطابقة للاصل اللاتيني ، ان لم يكن ترجمة بحتة ، فن باب التصرف [1] ، وقد عنون الفصل المخصص لهم كما يلي : « ܐܠܗܝܐ ܕܐܚܝܐ ܕܕܘܝܐ » (خبر الاخوة الفرير الفرنج) ويدعوهم في غير محل « ܦܪܝܪܐ » كما رأينا . الا انه ذكرهم مرة كما يأتي : « ܐܠܗܝܐ ܕܐܚܝܐ ܕܕܘܝܐ ܕܦܪܢܓܝܐ » وقد ترجم العبارة ناشر الكتاب الانيل شابو بما يلي : *" Or ces " pbrer " c.-à.-d. " Frères » qui s'appellent « Dawiyah " c.-à.-d." divins "* . ويقول في الحاشية « ܐܠܗܝܐ ܕܐܚܝܐ (باخط الكرشوني) *« l'ersion arabe « داوية » parait la transcription d'un mot franc. »* [2]

فالناجم من هذا ان ميخائيل الكبير — وهو على ظني ، اول من تصدى لشرح او تبيان اصل هذه اللفظة — يرى ان « داوية » تعني « الهيين » والمترجم يقول انها نقلت عن كلمة فرنجية ، دون ان يذكر اية كلمة هي ، والحال اني اطلعت على ان هناك لفظة فرنسية قديمة وهي Dive الآتية من اللاتينية Divus جمعها Divi ودلالتها : « الهي ، الهيون » [3] . اجل ان في ذلك شيئاً من الاحتمال ، بيد انه — على خلاف كلمة « ܦܪܝܪܐ » — لم يلح له مقابل ، ولم اجد له اثراً البتة ، لا في تأريخ الرهبنة او قانونها ، ولا في تواريخ الصليبيات اذ ليس هناك من نص ، او مجرد تلميح يستدل منه ان « الهيكليين » سموا Divi « الهيين » كما انه لم يدع به غيرهم من ارباب الطرائق النسكية [4]

---

١) ميخائيل الكبير : غير الكتاب ، ص ٥٩٥ و٥٩٦ — القس (اليوم : الخوري الاسقفي) ارمة السرياني ، الحروب الصليبية في الآثار السريانية ، ص ٥٧ وما يليها .

٢) ميخائيل الكبير : عين الكتاب (نصه السرياني) ص ٥٩٨ — شابو : ترجمته الفرنسية مجلد ٣ ، ص ٢٠٧

٣) Littré : *Dic. de la langue française p.* 1198 : « Dive, *adj. f.* Divine. *Vieux mot qui ne se dit plus guère que dans cette phrase de Rabelais :* « La dive bouteille.» *Etym. Lat* : Divus, *grec*, θεός, *sanscrit*, deva, *Dieu, de* div, *ciel.*

٤) ارحب بكل نص او مستند تاريخي او لغوي يصدر من قبل العلماء اهل الاختصاص

الخلاصة : الذي نتج من التقصي الدقيق ، غير المتأثر بالهوى ، هو ان كلمة « الداوية » — خلافاً لما توهمه اهل المخيّلات الطوّافات — ليست قطعاً بتعريب اللفظة الفرنجية Templiers . بل قد تكون تعريب لفظة Divi اللاتينية ، الفرنجية ، وهو رأي عليه صبغة الاحتمال ، لما هناك من التقارب بين الوضعين ، لكني القيه على علاته ، غير متخذ اياه قولاً شافياً ، مع احترامي لسلطة صاحبه ، ميخائيل الكبير . وبالعكس أوثر القول — استناداً لما اطلعت عليه من الحقائق ، وأتيت به من البراهين والشواهد التاريخية واللغوية — انّ « داوية » تعريب « دُوَمْطَا » السريانية [1]

فلاهل الاختصاص من لغويين وألسُنيين ان ينظروا في القضية . فان راقت في عيونهم ، فحبذا ؛ والا فليأتوا بما لديهم من الحجج الراهنة الجديرة بتقويض اركانها ، لان الحقيقة ضالة كل باحث نزيه .

من شأنه ان يؤيد هذا القول ، قول ميخائيل الكبير .

[1] هذا ما يمكنني القول به ، بعد عناء البحث في اصل « الداوية » وليس من الغريب عندي ان يقوم بعد مدة بعض «سُود النيّات» فيدعي انتحالي في ذلك قول احد المستشرقين ، كما ادعى اني انتحلت ، في تأصيل « الحواريين » (المشرق : العددان ٨ و٩ (آب وايلول ١٩٢٩) ص٥٧٥ وما يليها) رأي نولدكي . كأنه يستحيل ، بين البشر ، ان يقف رجلان باحثان على حقيقة من الحقائق ، كل واحد من جهته . واما الواقع فهو اني ما عرفت ان « الحواري » آتية من الحبشية الا حين كنت ادرس هذه اللغة ؛ وكان يلدي ، كبدوس ، كتاب العهد الجديد ؛ وفي عنوانه ، كما في نصّه ، اسم الرسل Hawāriyāt ، فكأن ذلك الذي نبني الى تقصي اصلها . هذا ، ولم اقل ، متبجحاً تبجح امام الاغة : « انا وحدي ، ولا غيري ، وقفت على اصلها » بل قلت بصيغة الجمع : « اما اليوم ، فبفضل المقابلة الالسنة السامية . . . قد « عرفنا » ان الحواريين لا عربية ، ولا سريانية ، بل حبشية » ، كما لو قال احد الكتاب ، في غير باب : « اما اليوم ، فبفضل علم الفلك الحديث ، قد عرفنا (اي نحن اهل هذا العصر) ان الشمس ثابتة والارض دائرة » . وان كان نولدكي صاحب هذا الرأي ، فيطيب لي ، لا بل لي الشرف ان يكون بيني وبينه اتفاق الخواطر كي يقع الحافر على الحافر ، وذلك اولى من ان اهذر هذر امام اغة البادية . وان كان نولدكي ارتأى ان « الحواري » من الحبشية ، فهل هو الذي اثبت ايضاً انها ليست من Héwāré السريانية ؟ وهل هو الذي سفّه خزعبلات المستشرقين القدماء ، وترّهات ما شحنوا به احاديثهم ؟ لكن . . . هو الهوى يعمي ويصمّ !!!

العلم الخفي يثبت وجود الله

بقلم القس عبد المسيح زهر

٢

وما عدا من ذكرنا من العلماء سابقاً نستطيع ان نذكر ايضاً عدداً وافراً من الذين احرزوا خطر السبق في انواع العلوم.

فمن الفلاسفة: اراسم ، وفرنسيس باكون الانكليزي صاحب التآليف العلمية والفلسفية ، وانطوان ارنلد صديق پسكال ، ولابروير ، ولوك ، وكلارك ، ومستر ، وبونالد وغيرهم.

ومن القضاة والفقهاء : توما موروس صاحب الايمان الحي ، ودومولان ، وداغسو ، ولاموانيون ، ودُمات ، وغرسيوس صاحب المقال «في حقيقة الدين» وترولنغ .

ومن المؤرخين : إمابيون الراهب البندكتي ، ونُول الكسندر احد الرهبان الدومنيكيين ، والاب تيلمون ، وروولان ، وفاوري المؤرخ الكنسي ، ودوت كلمت البندكتي ، وبرجير ، والاب نُونت ، والاب غنه ، وشتوبريان ، وفردريك اوزنام ، وآخرون كثيرون.

ومن مشاهير الفلكيين: هرشل ، ولاپلاس ، وبينت ، واڤريه الذي وجد السيارة نبتون على رأس قلمه ، والاب سكي ، وفاي ، والكولونل ده ليفوندس ، والاب مورو.

ومن اعيان الرياضيين : بُويل الايرلندي ، واولر الذي اظهر في رسائله شدة كرهه للكفار ، وكوشي مؤدب دوق بوردو ، وجان برنولي ، وهرميت احد اساتذة السربون ، وپويزو ، وهيرن ، وجيلبرت وغيرهم.

ومن افاضل علماء الكيمياء : لافوازيه المشهور بتقواه شهيد الظلم ، وبرزليوس الاسوجي ، وبرتولّه ، وغاي لوساك احد اساتذة السربون ، وتنارد احد اساتذة السربون ايضاً ، و ج. ب. دوماس احد اعضاء المجمع العلمي ومجمع المعارف والطب ، وليبيغ الالماني الاستاذ في مونيخ ، وشفرول الذي حلّل الزيوت والادهان ودرس الالوان ، وورتز الذي علّم الكيمياء الطبية في باريس بمدرسة الطب وآخرون غيرهم.

ومن البارعين في العلوم الطبيعية الحديثة : ريور ، وفولتا الايطالي [1] ، وأمبر التقيّ ، وفارادي الانكليزي ، و ج. ب. بيو ، وروبر ماير ، وبلاتو ، وفرسنل ، وكلوزيوس الالماني ، وبكرل ، ومكسول ، ووليم تومسون ، وبرنلي وغيرهم.

ومن الذين عنوا بكشف اسرار العلوم الطبيعية الحديثة : بوفون مؤلف التاريخ الطبيعي واعصر الطبيعة ، ولينه الذي عني بدرس النبات ، وانطوان ده جوسيو النباتي ، واخوه برنارد ، وهلر ، وكوفيه وبلانفيل ، ولاترى ، واتين جوفروا سانت هيلر ، ولويس آغاسيز المشايع كوفيه على آرائه ، والفنس ميلن ادوارد ، وايزيدور جوفروا سانت هيلر ، وغراسيوله ، وكاترفاج الذي دافع عن وحدة اصل الانسان ، وبروننيار الاب والابن ، وإلي بومون ، وفان بندن البلجيكي ، وده ترنويل ، وأوماليوس دالوا البلجيكي ، والاب هاوي ، واندره دومون ، ودوبره ، والبر غودري ، وده لاپاران ، ودوبويتزن ، ولانتك ، وكوفيه ، وفلورنس ، وتولان ، وكلود برنار ، وپاستور اكبر المحسنين الى النوع البشري ، وآخرون كثيرون [2]

ومن الخطباء والفصحاء : بوردلو ، وفلشيه اسقف نيم ، ومسيّون ، وبريّه ، ومُنتالمبر ، ولاكوردير وغيرهم.

ومن مشاهير الشعراء ، مالرب ، وكورنيل ، وبوالو ، وراسين ، و ج. ب.

---

١) كتب هذا العالم عند آخر حياته قال : « اوتيت كثيراً وفتّشت ، والآن لا ابصر غير الله في كل مكان . »

٢) *Cours d'apologétique chrétienne, p. 42*

روسو ، وسيلفيو بليكو ، ولامرتين الخ.

وبقي اكثر الشعراء والعلماء والفقهاء وارباب الادب والمؤرخين والفلاسفة مسيحيين الى الجيل الثامن عشر . ولسنا ننكر ان بعضهم قد ضلّوا وحادوا عن الصراط المستقيم بسبب تغلّب الاهواء عليهم ، ولكنهم تابوا الى الله قبل موتهم . فمن هؤلاء مونتين ، ولافونتين ، ومنتسكيو ، ويوفون ، ولا هارب ، ولعل ڤولتر منهم . اما جان جاك روسو فقد كتب في الايمان والدين كتابات جمة جُمعت في كتاب عنوانه « جان جاك روسو المدافع عن الدين المسيحي » . ومنهم ايضاً مين ده بيران ، وروبيه كلّار ، وجول سيمون ، وفرنسوا كوبيه ، وبول بورجه الذي بكى طويلاً ايمانه المفقود ، قال : « وبينما انا جالس في زاوية الى جانب النار مريضاً وحدي ، فكرت حيناً في الشتاء يوم كنت اؤمن بالله وبكيت . » فاذن اين عدد الكفار من العلماء اذا قوبل بالمؤمنين منهم ؟

شهادات بعض العلماء

قال سوفكل : « ملك الاولمب ايوها (الشريعة العامة) وهي لم تأتِ من بشر ولن يمحوها النسيان ، لان الله الاله الاعظم لا يهرم فيها[1] . »

وقال افلاطون : « كل من كان لهم شيء من العقل يستغيثون بالالهة في اول اعمالهم ان كبيرة او صغيرة . »[2]

وقال ارسطو : « متى تأمل المرء الارض والبحر والسماء ، هل يستطيع ان يرتاب في وجود اله عظيم قد صنعها ؟ »[3]

وقال شيشرون : « ان الشريعة الاولى الحقيقية هي عقل الله القدير المستقيم . وهذه الشريعة عامة ثابتة ازلية تعلّم الخير وتنهى عن الشر ، ولا تستطيع شريعة تضعيفها او الحذف منها ، بل لا الشعب ولا مجلس الشورى يقدران على الاعفاء من الخضوع لها . وهي تفسر نفسها ولا يمكن ان تكون في رومية خلافاً لما هي عليه في أثينة ، ولا اليوم خلافاً للغد . لان هذه الشريعة غير المتغيرة المقدسة

---

١) Sophocle, *Œdipe roi V. 863*

٢) *Tim.*

٣) *Cf. Cic. de Nat. deor. II, 37*

سوف تـرد ويـرد الله معها في كل مكان وزمان. اذ ان الذي سنها وجزمها هو الله رب العالم وملكه : »[1]

قال ايضاً : « ما من امة جافية متوحشة الا وتؤمن بوجود الآلهة ولو انها تغالط في طبيعتهم . »

وقال : « ان الآراء متشعبة في شأن طبيعة الالهة ، ولكن لم يجحـد احد وجودهم . »

وقال في مكان آخر : « كل حكم من قبل الطبيعة متى كان عاماً وجب ان يكون حقاً. اذن الاقرار بوجود الآلهة واجب. »[2]

وقال بلوتركس : « انك اذا طفتَ في الارض امكنك ان تجد مدناً غير مسوّرة... ولكنك لا تجد شعباً بلا اله وصلوات وايمان وعبادات وذبائح. »[3]

وقال مكسيموس الصوري الفيلسوف : « ان اليوناني والبربري وساكن القارّة والجزيرة يقرون بوجود الله باجماع الكلمة . »[4]

قال ترتليانس : « اتريـدون ان نبرهن على وجود الله ... من شهـادة نفسكم ؟ انها بالرغم من سجن الجسد الذي يضيّق عليها ، واوهام التربية التي تقيّدها ، والاهواء الردية التي تنهكها ، والاصنام التي تفسدها ، متى ثابت الى رشدها ... وافاقت من سكرتها ، وتنبّهت من وسنتها ؛ وعادت اليها صحتها وعافيتها تذكر الله قائلة : يا الله ، يا كريم ، ان شاء الله. هذا نداء كل منا . فيا لشهادة النفس المسيحيّة طبعاً. »

وقال ايضاً : « ما من شيء يمثل لنا الله مثل القصور عن فهمه ، فان كماله غير المتناهي يبديه ويخفيه عن البشر في وقت واحد. »[5]

وقال كبلر : « اشكرك ايها الرب الخالق على ما استفزّني من الفرح لدى تأملي اعمالك التي بثثت عظمتها للبشر. »

وقال نيوتن : « ان في حركة السيارات ونظامها وتنقّل اعوانها ووجهتهـا

---

١) الجمهورية ، الكتاب ٣ عدد ١٧

٢) طبيعة الالهة ، ١٧ و ١ و ٢

٣) *Adv. Col. Epic.*

٤) *Dissert., I*

٥) *Apolog., 17*

وسيرها وشدة اسراعها اثراً من المشورة وشهادةً على عمل علّة لا عمياء ولا اتفاقية . »

وقال لابروير : « اني احسّ بوجود الله ولا احسّ بان لا اله وهذا حسبي . برهان العالم لا ينفعني فاستنتج وجوده . وهذه النتيجة مركوزة في طبعي وقد تلقّنت مبادئها بسهولة في صباي ، وحفظتها الى شيخوختي ، ولم يخطر قط على بالي بطلانها . الا ان بعض العقول تنبذ هذه المبادئ والصعوبة تدور على وجود امثال هذه العقول . فاذا صح ذلك ووجدت فهو دليل على وجود المسوخ . »[1]

وقال ڤولتر : « كل ما في العالم صناعة والصناعة تدل على صانع . تأمل حلزوناً او حشرة او ذبابة تجد فيها صناعة غير متناهية تعجز الصناعة البشرية عن احتذائها . فاذن لا بد من وجود صانع في غاية الحذق ، وهذا الصانع يسميه الحكماء الله . »[2]

وقال ايضاً : « ما اورد احد بعد ادلة تنفي وجود عقل سام . » وايضاً : « التعطيل النظري من اغرب الحماقات . »

وقال : « اذا كانت الساعة تدلّ على ساعاتي ، والقصر على بنّاء ، فكيف لا يدل هذا الكون على عقل سام ؟ بل ايّ نبتة او حيوان او عنصر او كوكب لا يظهر فيه اثر من سناه افلاطون المهندس الازلي ؟ »[3]

وقال ترولنغ : « بعد ما قرأت كثيراً وفتشت طويلاً واشتغلت حيناً ، ما وجدت حقاً سوى التعليم المسيحي . »

كان نابوليون يحب مجادلة منج ولاگرانج ولاپلاس علماء عصره في المسائل الفلسفية والدينية . وكان نابليون يحبهم ويكثر من الاكرام لهم ، ولكنه افحمهم مراراً بقوة براهينه ووضوح دلائله . قال ذات يوم لمنج : « ان ديني بسيط جداً . اتأمل هذا الكون الفسيح الارجاء الكثير التعقيد الفائق الجمال فاقول : ان هذا لا يمكن ان يكون نتيجة الاتفاق ، بل هو بالحري عمل كائن

---

١) الفصل ١٦

٢) *Œuvres de Voltaire. éd. de Kehl, t. 46, p. 30*

٣) ڤولتير : تعليقات على *les Cabales*

مجهول قدير يفوق الانسان كما يفوق الكون اجمل الآلات التي عندنا . ففتش يا مُنج وابحث واستقص انت واصحابك علماء الرياضيات والفلسفة ، فلست تجد برهاناً اقوى واقطع . ومهما حاولت دحضه فلن تتوصل الى تضعيفه .»[1]

وقال هرشل : «مهما اتسع ميدان العلم زادت وثبتت البينات على الوجود الازلي والعقل الخالق . »

وقال لينه : « رأيت الله كما رآه موسى ونظرت قفاه وهو مارّ . رأيته فخرست واستولى العجب عليّ واخذتني الحيرة . ولكني تمكنت من اكتشاف آثار رجليه في اعمال الخلق ، اذ ان في اعماله الصغيرة المحسوبة كلا شيء قوة وحكمة وكمالا لا يوصف . »[2]

وقال ديدرو : « قدّر ان بعض الحمقى ينكرون على امثالك قوة التفكير . فاذا ينتج من هذا الانكار ؟ ينتج انه اذا كان الكون — ولماذا اقول الكون — بل بالحري جناح الفراشة يمثل لي آثارًا متميزة الف مرة عن العقل الذي يدلك على ان مثلك حاصل على قوة التفكير . فانكار وجود الله اكثر حماقة الف مرة من انكارك التفكير على مثلك . فاذا كان الامر كذلك ، فانا احاكمك الى نور عقلك وضميرك . متى رأيت في قوى بعض الناس العقلية وافعالهم وتصرفهم عقلًا ونظاماً وذكاء واهمية اكثر مما في آلات الحشرات . »[3]

وقال دالامبر : « قال الكافر : اني اذا رفعت رأسي الى السماء صدقت رؤية آثار الاله ؛ ولكن اذا نظرت الى ما حولي ... الجواب : انظر الى باطنك ؛ ولكن الويل لك اذا كنت لا تقتنع بهذا البرهان . في الحقيقة انه لا حاجة لنا الى النزول الى اعماق نفوسنا لنرى فينا عمل العقل السامي الذي وهب لنا الوجود ويحفظه فينا . فهذا الوجود معجزة لا تؤثر فينا لانها دائمة متواصلة . غير انها تمثل لنا في كل وقت قوة سامية بها منوط امرنا . ومهما كان اثر عمل هذه القوة محسوساً فينا وفي ما يحدق بنا فمع ذلك لا عذر لنا في

---

١) تاريخ الفلسفة والملكة ، وجه ٢٢٠

٢) Linné, *cité par l'éditeur de la Raison du Christianisme*

٣) المؤلف المذكور سابقاً

التفتيش عنها في الاشياء التافهة التي لا طائل فيها . »[1]

وقال تيبرس : « ان اكبر العقول يحار في عجائب الخلق . فالعقل يبين العقل في الكون ولذلك كان العقل الكبير اقدر من الصغير على رؤية الله من خلال اعماله . »[2]

واذا حاولنا ايراد اقوال العلماء في اثبات وجود الله ضاقت الصحف ونفدت القراطيس فنكتفي بما ذكرنا وحسب.

ولعلّ معترضاً يعترض قائلاً : ولكن العالم ما خلا من علماء اعلام اصحاب عقول ثاقبة واحلام راجحة اصرّوا على انكار الاله.

الجواب : اللهمّ نعم . غير ان انكار هذه الفرقة وجود الله لا يستطيع نسخ الحقيقة وهدم صرحها ، ولاسيما ان هؤلاء العلماء ما ايدوا قط قولهم بالادلة الواضحة والحجج اللائحة ، بل اقتصروا على الانكار بلا حجة ودليل. على ان الحقيقة المثبتة بالبراهين الساطعة والبينات الناصعة لا يبطلها اعتراض المعترضين ، ولاسيما ان الكفار الحقيقيين عددهم نزر يسير ، بل ان بعض الفلاسفة انكروا وجودهم ، لان ليس كل من انتسب الى الكفر كان في التحقيق كافراً مقتنعاً بكفره . ولذلك ليست الاسباب الدافعة الى الكفر من نتائج العلم الصحيح بل ما هي الا ثمرة تسلط الشهوة على العقل. قال الحكيم : « سحر الاباطيل يغشي الخير ودوار الشهوة يطيش العقل السليم.»[3] وقال فليكس لدنتك : « عدد المعطّلة قليل في عصرنا ولو قالوا مهما قالوا.»[4]

فبرهان الكافر هذا هو : اني لا اعتقد وجود الله لاني كافر. هذا برهان الكفر . وقد اعتاد المعطّل الجزم والقطع في الامور بلا فحص واطالة نظر . بل ان كثيراً من هؤلاء الاشقياء البائسين يجهلون مبادئ الدين الذي يشنون عليه غاراتهم ، واذا تدارسوها حيناً كان ذلك منهم فضولاً او سبباً لمقاومتها والاجتهاد في ابطالها . اما ضلال الذاهبين الى ان العلم قادر على كشف

---

١) D'Alembert, *de l'abus de la critique en matière de Religion, chap. VII.*

٢) تاريخ الفلسفة والملكة ، المجلد ٣ وجه ٢٠٩

٣) حكمة ٤ : ١٢ ٤) طالع كتابه المنون *L'Athéisme* ، صفحة ١٧

الاسرار فاقبح واشد فظاعة. وتبيناً لهذا المدعى اسمع ما قال اللورد ساليسبوري في شهر آب سنة ١٨٩٤ ، في حضرة اعضاء مجمع تقدم العلوم البريطاني في اكسفرد : « كان يُظن سابقاً ان نظريات مذهب النشوء مضرة من الوجهة الدينية ، ولربما كان الامر كذلك ، لو سدّت الاشباح مسدّ الاعيان ، وأُقيم البرهان على كون العلم ومذهب النشوء الكفري متلبساً احدهما بالآخر ، وكون العلم والدين غير متفقين ... ولكن قليل هم الذين يظنون في وقتنا الحاضر ان معاهد الاختبارات العلمية ، او المجاهر تستطيع استجلاء الالغاز المتعلقة بطبيعة النفس البشرية ومصيرها . على اننا عائشون في وسط واحة من العلم زاهرة ، ولكنها ضيقة يحدق بها من كل جهاتها اقطار حافلة باسرار لا يسبر غورها ولم يفرعها بعدُ احد ... فالاقرار بجهلنا خير جواب على الالغاز التي تطرحها علينا الطبيعة . »

فاذن من بلغ من العلم ما استطاع به ادراك كنه الدهر كيف لا يكون اسرع ادراكاً لرب الدهر ؟ كما قال الحكيم . على ان جميع الذين لم يعرفوا الله هم حمقى من طبعهم ، اذ لم يقدروا ان يعلموا الكائن من الخيرات المنظورة ، ولم يتأملوا المصنوعات حتى يعرفوا صانعها . واذا كانوا دهشوا من قوة « الطبيعة » وفعلها ، فليتفهموا بها كم منشئها اقوى منها . فانه بعظم جمال المبروءات يُبصر فاطرها على طريق المقايسة[1] . وقال الرسول بولس : ان غير منظوراته قد أبصرت منذ خلق العالم اذ أدركت بالمبروءات ، وكذلك قدرته الازلية والوهته حتى انهم لا معذرة لهم[2] .

الخلاصة : الجاهل وحده قال في قلبه ليس اله[3] . اما العالم فقد عرفه ومجده واعلن قدرته .

---

١) حكمة ١٣ : ١-٩ ٢) رومية ١-٢٠

٣) مز ١٣ : ١

بلاد العرب السعيدة

بقلم الاب لامنس اليسوعي

في الزاوية الجنوبية الغربية من شبه جزيرة العرب ، قرب خليج باب المندب حيث يتصل البحر الاحمر بالاوقيانوس الهندي ، قُطرٌ دعاه جغرافيو اليونان والرومان « بلاد العرب السعيدة » . اما ما دفعهم الى استعمال هذا الاسم المبشر بالخير فهو ان ذاك القطر — الذي يسميه العرب «اليمن» — يمتاز عن سائر الاقطار العربية فيفضلها بعدة صفات من حيث مناخه وتنوّع محصولاته وغناها ، ومن حيث سكّانه ومدنيته العريقة في القدم، ومن حيث لغته ايضاً وهي اللغة الحميريّة ، والجدّيته وهي المعروفة بالخطّ المسند . فاليمن غير صحاري العرب القاحلة ، بلاد الجوع والعطش.

في مرافئ اليمن كانت سفن الهند والشرق الاقصى ترسو فتفرغ محصولات بلادها الغنية ، فيتزاحم التجّار ويتبارون في شرائها والاتجار بها . وفي اليمن كانت السوق العالمية لتجارة البخور والطيوب الغالية التي كانت تباع بالذهب ثقلًا بثقل .

وكان الاقدمون ، بشهادة التوراة وكتبة اليونان والرومان ، يعتبرون اليمن بلادًا مطيّبة الهواء بالبخور وعطور النباتات ، لا يتكلف سكّانها سوى الانحناء الى الارض ليجمعوا المعادن النفيسة الكريمة . فلا عجب اذن ان اجمع كتبة الاقدمين على نعت تلك البلاد « بالسعيدة » .

على انه لم يبقَ اليوم من تلك السعادة الا ما لم يقوَ الناس على ملاشاته ،

اي المناخ والمناظر الجغرافية . وهو ما سنبيّنه دارسين بلاد اليمن الحاضرة [1] .

* * *

يحدّ اليمن من الشمال بلاد عسير ، ومن الغرب البحر الاحمر ، ومن الجنوب الاوقيانوس الهندي ، ومن الشرق صحاري الربع الخالي . فيؤلف مستطيلاً من الارض بين الدرجتين ١٣ و ١٧ من الطول الشمالي . اما مساحته فتبلغ ٤٣,٠٠٠ كيلومتر مربع تنقسم الى ثلاث مناطق متوازية مبتدئة من شواطئ البحر الاحمر ، وصاعدة تدريجياً الى الداخلية . ولكل من هذه المناطق مناخ خاص يستفيد من الموسم ، والموسم اسم السيول الغزيرة التي تفدقها على تلك البلاد رطوبة الاوقيانوس الهندي اذ تسوقها رياح الجنوب الى بلاد اليمن . اما المنطقة الاولى فهي تهامة ، تشمل شاطئ البحر الاحمر وبعض الجزر كأرخبيل كمران ، وتمتد في سهل شديد الحرارة يبلغ ارتفاعه عن سطح البحر نحو ٢٠٠ متر . وهذه المنطقة اقلّ مناطق اليمن خصباً ، وان حرارتها الرطبة تجعل الاقامة فيها ذات متاعب ومشقّات . اما المنطقة الثانية فسلسلة جبال موازية للبحر ترتفع بمعدّل ١٢٠٠ متر ، يرويها عدد من السيول الجارفة والسواقي ، ولكن على غير نظام ولا ترتيب . وتمطر فيها السماء مرّتين في السنة ، في نيسان وفي ايلول ، فتجعلها اكثر المناطق الثلاث خصباً حتى ان السكان قد يستغلون سنوياً ثلاثة مواسم . واما المنطقة الثالثة فتتألف من الجبال الداخلية العالية التي ينتهي ارتفاعها الى معدّل لا يقلّ عن ٢,٠٠٠ متر .

يبلغ سكان اليمن مليوناً ونصف مليون ، لا خمسة ملايين كما تقول المصادر الرسمية وكما يردّد الكتّاب دون تدقيق . على ان موارد البلاد كافية لاعالة خمسة ملايين واكثر . الا ان المبادئ الصحية مجهولة في العيال خصوصاً ، وكذلك طرق الوقاية . وليس هناك من اطباء يقاومون مفاعيل الاوبئة المنتشرة وامراض الاطفال التي تذهب بالكثير من الضحايا ، حتى ان نصف الاطفال على التقريب يموتون دون سنّ البلوغ ، وقد افترط الامام يحيى عشرة

---

١) اخذنا رسوم هذا المقال من كتاب :

Herm. Burchardt u. Mittwoch, *Aus dem Jemen*, Leipzig ; Brockhaus.

من ابنائه الشرعين . واذا اضفنا الى هذه النوازل نزوع السكان الى حياة الفوضى ، وحروبهم الدائمة حتى ان تاريخهم كله يلخص باخبار محاربتهم للاتراك ، وللانكليز ، ولجيرانهم ، وعراكهم بعضهم ضد البعض الآخر ، قبيلةً ضدّ قبيلة وحياً ضدّ حيّ ؛ مما صرفهم الى الرغبة في الاعتزال ، والالتجاء الى جبالهم ، فقست قلوبهم وشرست طباعهم ، فابغضوا الغريب بغضاً شديداً ، وغدوا على استعداد دائم للقتال لا يكادون يفترقون عن بندقياتهم ؛ اذا اضفنا هذا الى ما تقدّم من سوء الحالة الصحية ، ادركنا سبب التوقف في عدد السكّان ، وسبب الشظف والشقاء في معيشتهم ، على الرغم من خصب البلاد وغنى مواردها . فان دوام المنازعات والحروب ينفي الامن والطمأنينة ، فيمنع الناس من استغلال تلك الموارد الطبيعية الغزيرة على سطح الارض وتحتها.

اهم مرافئ اليمن الحُدَيدة (٤٢,٠٠٠ ساكن) ، ثم مُخا التي نالت شهرة بعيدة في تجارة البنّ حتى دُعي البنّ اليمني باسمها ، وقد انحطت اليوم وادرك الخراب قسماً صالحاً من مبانيها . وهناك عدد من المدن لا يتجاوز سكانها الخمسة الآلاف منها لُحَيَّة ، وبيت الفقيه ، ومناخه ، وتَعِزّ ، وذمار ، ويَريم . واكبر منها زَبيد التي تعدّ ثمانية آلاف ، وصعدة وفيها ستة آلاف. اما صنعاء العاصمة فيبلغ سكانها ٢٢,٠٠٠ فيهم نحو ٨,٠٠٠ يهودي . وهي تعلو عن سطح البحر اكثر من الفي متر فتستقبل النسيم بارداً فيرطب حرارة المنطقة ويولي المدينة مناخاً ممتازاً . وقد زارها امين الريحاني في صيف سنة ١٩٢٢ ، فوصفها قائلاً : [1]

« ان صنعاء مدينة عربية صافية روحاً وشكلاً . اسواقها مثل اسواق جدّه غير مرصوفة ولكنها اوسع وانظف . اما بيوتها العالية ، وبعضها ست طبقات ، فبناؤها اكثر اتقاناً واجمل هندسة . لان الاسلوب العربي فيها لا يشوبه شيء اجنبي هندي او اوربي . وهي مبنية بالحجارة البيضاء والسوداء ، وبعضها بالآجرّ ، والبعض باللبن وبين كل طابق والآخر زنّار من الجصّ الابيض المنقوش اشكالاً هندسية . وفوق كل نافذة كوّة فيها لوح من المرمر يكاد

(١) امين الريحاني : ملوك العرب ، بيروت ١٩٣٤ ، ١ : ١١١

يكون كالزجاج رقيقاً شفافاً . ولكنه امتن من الزجاج واجمل : ولاكثر البيوت في الطابق الاخير غرفة واحدة هي غالباً معلقة من جهاتها الاربع تُشرف على المدينة ، وتُدعى المنظرة . وهم يستخدمونها للاستقبال والقيلولة فيفرشونها بالطنافس والمساند والوسائد . ومنهم من يستعملون الزجاج الملوّن في النوافذ فيقسمونه اشكالاً هندسية ،ويلوّنونها بالاحمر والاصفر والاخضر والازرق، اي الاصباغ الاربعة التي يصنعونها في اليمن ، يستخرجونها من النبات . »

اكثر سكان اليمن من القبائل العربية القحطانية ، الّا أُسر « الاسياد » المنتسبة الى النبي . ولكثرة ما كان يعقد عرب تلك البلاد من الزيجات مع العبيد والموالي من الاحباش ، اختلط الدم ، وغدا لون اليمانيين ضارباً الى الادمة بل الى السواد احياناً . وفي اليمن ١٥٠,٠٠٠ يهودي يتحدّرون عن قوم ذي نُواس الذين حرقوا نصارى نجران ، اصحاب الاخدود الوارد ذكرهم في القرآن (٨٥ : ٤) ، والحديث ، وسيرة الرسول . واليهود يدفعون الجزية ، ويسكنون احياء خاصة . ويحتقرهم المسلمون كثيراً فيمنعونهم من ركوب الدوابّ الا الحمير ، ولا يسمحون لهم برفع منازلهم فوق الطابقين . اما منازل المسلمين فكثيراً ما تبلغ الثمانية طوابق كما يظهر في الرسم ١ . ولليهود حاخام اعظم لا يزال يُدعى « حاخام باشا » منذ عهد الاتراك . وفي اليمن ايضاً بضعة آلاف من الاسماعيليين يسكنون نجران وما حولها ، وهم من اعدى اعداء الزيود ، ولكنهم يدفعون الجزية للامام الزيدي . ويستعملون في كتبهم الدينية ابجدية خاصة تُذكّر بالخطّ المسند . واهل اليمن جميعهم ، رجالاً ونساء ، يلبسون نوعاً من البرانيط يتقون به حرارة الشمس المحرقة . وكلّهم يتكلمون اللغة العربية ، وفي لهجاتهم تعابير غريبة قد تكون من آثار اللغة الحميرية السابقة للهجرة .

***

يبلغ مسلمو اليمن نحو ١,٤٠٠,٠٠٠ ثلثهم من السنيين على المذهب الشافعي ، يسكنون السهول في منطقة تهامة والشواطئ البحرية . والثلثان الآخران من الزيود ، يسكنون الجبال . والفريقان اليوم على وفاق ، الّا ان

اتفاقهما ضعيف الفرى ، قد يكفي اقل خلاف لفصمه . والزيود فرقة من الشيعة [1] ينفردون بانهم يجعلون مكان امام الجعافرة الخامس إماماً خاصاً بهم هو زيد ، حفيد الحسين بن علي ، الذي قتل سنة ٧٤٠ ، في محاربته للخليفة هشام بن عبد الملك . وهم اقرب الفرق الشيعية من السنيين ، لا يعتقدون « بغيبة الامام » ، وينتخبون امامهم انتخاباً . اما الامام الحالي فهو يحيى بن حميد الدين المتوكل على الله ، المولود سنة ١٨٧٦ ، والمنتخب امام الزيود ، سنة ١٩٠٢ ، خلفاً لابيه ، الامام المنصور . كان من تابعي سلاطين تركية حتى قبيل الحرب ، فنال استقلالاً جزئياً أتمه على اثر اندحار الترك سنة ١٩١٨ . وفي سنة ١٩٢٥ احتل الحديدة ، واغتصبها من السيد الادريسي ، امام عسير . ولا يزال طموحه يدفع به الى احتلال مقاطعات اليمن القديمة اي عسير وحضرموت . وهو امير حازم مجتهد يقوم احسن قيام بواجباته الادارية والدينية . ولكنه لا يزال من الزي القديم بين الامراء ، فهو كثير الشك بمعاونيه وعماله ، يرتاب بكل ما يحدث حوله ، وقد اعتقل مئات الرهائن يحتفظ بهم ليمنع الخيانات التي قد يرتكبها ولاته والدسائس التي قد يدبرها الاسياد العلويون لخلعه من الامارة . اقام عنده امين الريحاني نحو العشرين يوماً فوصفه بما يلي [2] .

« دخلنا فاذا نحن امام رجل ربع القامة ، صغير الرجل واليد ، اسمر اللون ، عالي الجبين ، مستدير الوجه ، قانئه . وله فم كفم الطفل صغير بارز ، الا ان في مرونته وهو يتكلم اشارة تقربه طوراً منك وتارة تبعده . وفي عينيه السوداوين القريبتين من أنف قصير عريض نور يضيء وشرارة في بعض الاحايين وداعة . وله لحية سوداء قصيرة مستديرة يتخللها خيوط من الشيب . يلبس قباء من القطن مخططاً فوق جبة ذات اردان من نسج اليمن ، ولعمامته البيضاء الكبيرة ذؤابة تكاد تصل الى اذنه . دخلنا فاذا هو جالس على فراش اسود وثير ، تحته فراش آخر وسجادة عجمية ، والى جنبيه الوسائد يتكئ عليها ، وامامه زجاجة من الماء ورزمة من القات ، وخادم ينتخب الطري من

١) راجع كتابنا : *L'Islam, croyances et institutions, p. 170, 199*

٢) الكتاب المذكور ١ : ١١٦-١١٧

الرسم ٣
بدوي من مأرب

الرسم ٤
فلاح من فلاحي اليمن

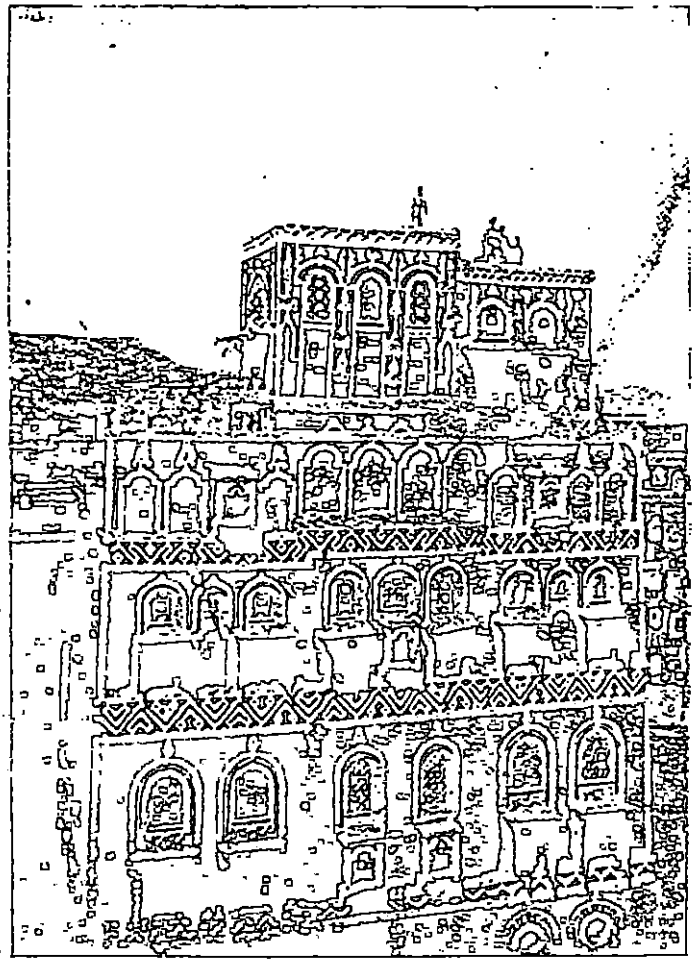

الرسم ١

منزل من منازل صنعاء

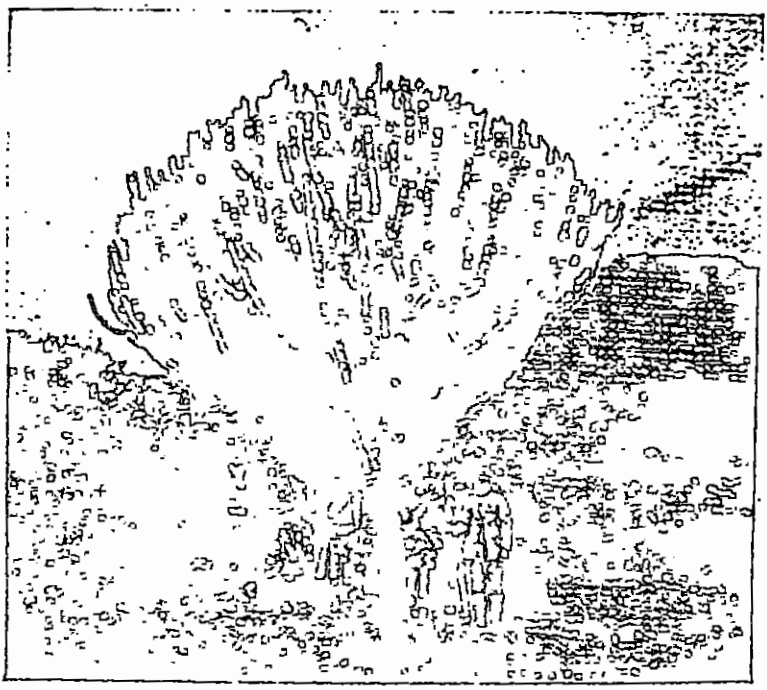

الرسم ٢

شجرة البستى العظيمة

غصونها فيقدمها له . هو الامام يحيى بن حميد الدين المتوكل على الله . صافحناه مسلّمين فردّ السلام مرحّباً بنا دون ان يقف . جلسنا امامه على سجّادة تحتها فراش ، والغرفة الصغيرة مفروشة بمثلها ، وفيها عند الباب ديوان ، وعلى الحائط خرائط البلاد العربية واليابانية باللغة التركية .»

عقد اليمن معاهدة ولاء مع روسية سنة ١٩٢٩ ، ومعاهدة مع ايطالية التي تورد اليه الاسلحة والذخائر وبعض الفنيين الاختصاصيين بصناعة رصاص البنادق ؛ وعقد اتفاقاً مع تركية ، وآخر مع نجد . ويقيم في الحُدَيدة قنصل انكليزي، وآخر فرنسوي ، وثالث ايطالي . اما القبائل المهمّة في تلك البلاد فهي حاشد وباقل المتحالفتان، والزرانيق في تهامة ، وبنو حمدان ، وبنو يام الاسماعيليون في منطقة نجران . وكلّها صعبة الانصياع لاوامر الحكومة تُعتبر مستقلّة نوعاً ما .

وقد أُصلح نظام الجيش منذ السنة ١٩٢٦ ، وهو يعدّ ١٢,٠٠٠ عسكري يدرّبهم ضباط اتراك ، وفي حالة الحرب ، كل رجل سليم في اليمن يُعتبر من المقاتلين : اما المعارف فضئيلة ، وليس في اليمن الا عدد قليل من المدارس الابتدائية ، دخل شيء طفيف من التجديد في اساليب بعضها بفضل المعلّمين من الاتراك ، وفي البلاد كلها جريدة واحدة ، هي الرسمية ، تصدر في صنعاء واسمها «اليمن». اما حركة التجارة فبطيئة جدًّا ، وليس لدينا معلومات احصائية الا ما نُشر في السنة ١٩٠٩ عن مرفأ الحديدة . وان اهم بضاعة تصدر من اليمن البنّ الذي يُعدّ «ملك البنّ» ، الا انه اليوم يقاوم بصعوبة مزاحمة البنّ البرازيلي لرخص هذا . وقد أُصدر من البنّ اليمني سنة ١٩٢٢ ، عشرة آلاف كيس ، وما اقلّها اذا قابلناها بمئات الالوف من اكياس البنّ التي تأتينا من اميركة ! واهل اليمن لا يشربون الا قهوة خاصة يغلون لها قشرة البنّ لا لبّه . ونبات البنّ ينمو في تلك البلاد في علوّ يتراوح بين ١٢٠٠ و ٢٤٠٠ متر، وافضل الاماكن لغرسه المنخفضات التي تحميه من حرارة الشمس اللاذعة . وفي مجاهل اليمن وغاباته تهيم حتى اليوم جماعات من القردة والسعادين. ويرى المسافر في المناطق الداخلية كثيراً من الكتابات والنقوش المينية والحميرية يرقى بعضها الى عدة قرون قبل المسيح فيدلّ على مدنية متقدّمة.

هذه بلاد الامام يحيى « امير المؤمنين » كما يدعو نفسه رسمياً ، حتى مذ عهد الاتراك . هذه « بلاد العرب السعيدة » كما تظهر في ايامنا . وهي تكون سعيدة حقاً ، ان شاءت ان تتمتع بسلام وطمأنينة ، بالخيرات العديدة التي احتبستها لها السماء ، فتضع حداً للمنازعات الداخلية من سياسية ودينية بين الشوافع والزيود . وهي تكون سعيدة ان انصرفت عنها مطامع جيرانها . فابن سعود لا يفتأ عاملاً على توسيع نفوذه ، وقد ثبت حمايته مؤخراً على عسير الجنوبي الذي يعتبره الامام يحيى قطعة من اليمن . ولا نبالغ اذا قلنا انه سيتولد من هذا الخلاف مشادة عنيفة لا ندرك نتيجتها بين أميرين كثيري المطامع ، شديدي العناد ، يدعو احدهما نفسه « امير المؤمنين » ، بينما الآخر يسكر بنشوة انتصاراته السابقة فيزداد طموحاً . من منهما يقوم بالتضحيات اللازمة للسلام العام في البلدين ؟ ومن منهما يتنازل عن شيء مما يعتبره حقه الشرعي ؟ اننا نخشى صلابة ابن سعود ان تدفعه الى التمسك بمطاليبه ؛ وعندئذ فليس الا الحرب بين اميرين يزعم كل منهما انه يعمل لمصلحة العرب اجمعين ولخير الاسلام العام . . .

هذا وان الحاج فيلبي (Philby) الانكليزي الذي اعتنق الدين الاسلامي مؤخراً واضحى مستشاراً لابن سعود ، لا يفتأ يدفع اميره الى محاربة اليمن . ولكن حالة ملك الوهابيين المالية لا تسمح بمباشرة هذه الحرب ، وان هو قبل مساعدة الانكليز ، استهدف لفقدان ما بقي له من ميل الشعب . وعلى كل فان المستقبل كفيل بحل هذا المشكل ، فلننتظره مترقبين . . .

دلبتا

نبذة تاريخية

للخوري بطرس روفائيل

٧ً عائلة الحصارنة (تابع)

الفرع الثاني

ينتسب هذا الفرع الى الحاج سليمان الذي وفد الى دلبتا نحو سنة ١٦٩٠ ، وبيدنا صكّ باسمه مؤرخ سنة ١٦٩٢ .

من هذا الفرع مرعي الحاج ، ترى ترجمته في غير هذا المكان.

واخوه الخوري انطون ، ترى ترجمته في غير هذا المكان.

والخوري يعقوب بن مرعي ، ترى ترجمته في غير هذا المكان.

والمثلث الرحمات البطريرك يوحنا الحاج ، ترى ترجمته في غير هذا المكان .

وسيدنا المطران يوحنا الحاج ، رئيس اساقفة دمشق ، الخطيب البليغ ، وصاحب المباحث الشائقة القيمة اللاهوتية والقانونية عن الزواج ، والمدارس العلمانية ، والماسونية ، وغير ذلك . وما سيم اسقفاً حتى صار له في سبيل ابرشيته ايادٍ بيضاء ومآثر مأثورة منها وفاء الديون التي كان كرسيه رازحاً تحتها.

٨ً عائلة الجميّل

خرج جدّ هذه الاسرة من جاج سنة ١٥٤٥ ، مع الشدياق سركيس الخازن ، وآل كيد ، كما ذكر الدويهي في تاريخه لتلك السنة قال : « ان في هذه السنة كانت نقلة اهالي قرية جاج التي في بلاد جبيل الى بلاد كسروان لكثرة الامان والعدل الذي كان يصدر من الامير منصور فالشدياق سركيس سار الى قرية البوار واولاد الجميّل الى قاطع بكفيا وبيت كيد الى قاطع

غزير[1] . »

وفي منتصف الجيل السابع عشر ، حدث خلاف بين اللمعيين ، وكانوا وقتئذٍ مقدَّمين ، وبين اولاد الجيل ، فتشتت هؤلاء واتوا بلونه طالبين حماية المشايخ الخازنيين . ولما راقت الاحوال رجع البعض منهم الى بكفيا . واما ابو عون حنا فجاء دلبتا في اواخر الجيل السابع عشر واستوطنها ومن سلالته فرع رحل عن دلبتا الى بشوات في بلاد بعلبك ، وفرع آخر الى فتري في بلاد جبيل .

٩ً عائلة باسيل

ان هذه العائلة منتشرة في محالّ عديدة ، غير ان اصلها من قرية سمار جبيل . والذين سكنوا منها قرية دلبتا أتوها من مواضع مختلفة . اوّلهم ايوب باسيل حضر بين آخر الجيل السابع عشر واول الجيل الثامن عشر ، اما المكان الذي قدم منه ففيه قولان : يرتأي البعض انه قرية أسيا في بلاد البترون ، والبعض الآخر يرتأي انه سمار جبيل وهو الارجح . وفي سنة ١٧٣٠ جاء نعيم باسيل من سمار جبيل ، وبعده عبود جحى من معراب ، في آخر الجيل الثامن عشر ، ولحق به من معراب ايضاً سنة ١٨٤٤ يوسف بطرس باسيل[2] .

من هذه العائلة القس نعمة الله من الرهبانية البلدية ، ترأس مدة طويلة دير طاميش ، ثم انتخب مديراً ، توفي سنة ١٩٠٧ .

والخوري سمعان فرج ، تلميذ مدرسة عين ورقة ، ترأس دير مار يوسف الحرف في درعون منذ سنة ١٨٣٥ ، ومكث في وظيفته هذه نحو ستين سنة باذلاً رسمه في تحصيل معاش سكان هذا الدير الفقير . كان مشهوراً بتقواه وكثيراً ما رآه المؤمنون يذرف الدموع الغزيرة في اثناء تقدمة الذبيحة الالهية عند كلام التقديس . توفي سنة ١٨٩٨ .

وولدا اخي المتقدم ذكره القس لويس ، والياس فرج . فللقس لويس المساعي الحميدة في تشييد دير مار انطونيوس البدواني في دلبتا . واما الياس فله آثار عديدة في الاداب العربية منها كتاب « مبادئ القراءة » ، وكتاب « مجموعة

---

١) عن نسخة خطية بيد المؤلف . ٢) النبذة ص ٧١ الى ٧٣ ، والسجل ص ٤ .

الازهار من ربى الاشعار » ، وكتاب « رغبة السائل في انشاء الرسائل » ، وكتاب « دليل الزوّار الى الاراضي المقدسة » ، وكتاب « مجموع صلوات » ، وكتاب « روضة الالحان » . ولا تزال هذه الالحان تُنشد في حلب حتى يومنا . توفي سنة ١٩١٠ .

١٠ عائلة الحدّاد الكفاعية

كانت مهنة جدّ هذه العائلة الحدادة ، فلقبت عائلته ببيت الحداد . حضر الى دلبتا من عين كفاع من بلاد جبيل في بدء الجيل الثامن عشر . من هذه العائلة كنج ، رحل الى حاصبيا وترك فيها ذرّية . وبنو الشامي ، وهم احفاد الشهداء المسابكيين لاتهم [1] .

١١ عائلة الحدّاد التحومية

جدُّ هذه العائلة ابو يوسف رزق كان يحترف الحدادة ايضاً فلُقّب بالحدّاد . نزح عن تحوم وجاء دلبتا في العشر الثاني من الجيل الثامن عشر ، ثم لحق به من تحوم اولاد عمه الياس وطنوس ويوحنا ويوسف ، فسكنوا دلبتا معه وكانت حرفتهم الحدادة . غير ان الياس رحل بعد ذلك الى عرامون وله أعقابٌ فيها معروفون « ببيت نهرا الحدّاد » .

من هذه العائلة شربل ، رحل في آخر الجيل الثامن عشر الى حارة حريك في ساحل بيروت ، وسلالته معروفة ليومنا هناك « ببيت التحومي » ، وفرع رحل الى بيروت ، وفرع الى بلاد جبيل . والآن قد انقطعت ذرّية هذه العائلة في دلبتا [2] .

١٢ عائلة الغربي

في النصف الاول من الجيل الثامن عشر قدم دلبتا طانيوس الغربي ، غير انه لم يُعثر في الصكوك القديمة على مكان مولده ولا على سبب كنيته بالغربي [3] .

من هذه العائلة فرنسيس ، لبس الاسكيم في الرهبانية الحلبية وسيم قساً

١) النبذة ص ٧٤ ، والسجل ص ٤ و٥ ٢) النبذة ص ٧٥ و٧٦ ، والسجل ص ٥ .
٣) النبذة ص ٧٧ ، والسجل ص ٥ .

باسم عبدالله، قد عُيّن رئيساً على دير رومية سنة ١٨٤١ [1] وتوفي سنة ١٨٤٢.

١٣ عائلة مراد

روى لي صديقي الدكتور موسى مراد، الطبيب الماهر المشهور في بيروت وفي الجبل، ان منشأ عائلته حلب. حضر منها أخوان في النصف الاول من الجيل الثامن عشر، فاستوطن الاول زوق مصبح وله سلالة فيها معروفة «بيت الطبيب» اذ خرج منها جبّور الطبيب الشهير. واما الثاني فرح فجاء دلبتا وسكنها ورُزق اولاداً منهم مراد الذي لُقبت العائلة باسمه. وفي سنة ١٧٨٥ اشترى مراد بن فرح من الشيخ بركات جنبلاط الخازن قطعة الارض المسماة «العزقة»، وهي تمتدّ من «عين الضيعة» الى «نبعة الخنزير» وأُطلق على هذا النبع اسم الخنزير لان خنزيراً برّياً كان يرده.

من هذه العائلة يوحنا، اخو مراد، لبس الاسكيم في الرهبانية الحلبية وصار قسيساً باسم مرتينوس، عاش مدة طويلة في دير رومية وترأسه وتوفي فيه سنة ١٨٢١، وكان ذا اعتبار عظيم وسمعة طيبة فشاء اخوته الرهبان ان يحيوا ذكره بينهم فعهدوا الى مصوّر ماهر ان ينجز صورته من نوع الزيت ففعل ولا تزال هذه الصورة موجودة في الدير [2].

ومونسى مراد ترى ترجمته في غير هذا المكان.

وسيادة المطران يوحنا مراد، رئيس اساقفة بعلبك، سُقف سنة ١٨٩٢، واقتنى ارزاقاً وسيعة خصيبة الكرسيه حتى جعله من اغنى كراسي الطائفة.

والخوري شكرالله، صاحب «كلك جميلة» و«دعوة الحبيب» ونشرات اخرى.

١٤ عائلة الحلو

اصل هذه العائلة من قرية حصرايل من بلاد جبيل. استوطن فرع منها غسطا، ومنه البطريرك يوحنا الحلو، وجاء دلبتا واحد منها يدعى موسى في منتصف الجيل الثامن عشر. ثم رحل عن دلبتا الى غزير فرع يُعرف «بيت

---

١) سجلات البطريركية المارونية: اوراق البطريرك يوسف حبيش، عدد ١١٢.

٢) النبذة ص ٧٨ الى ٨٠، والسجل ص ٥.

الحلو » . اما الباقون في دلبتا فيلقبون « ببني الموشري » [1]

١٥ عائلة الخوري

جدّ هذه العائلة من بقعاتا ، ترحّل الى عشقوت واستوطنها ومن ذريّته ابو الياس شاهوب قدم دلبتا في النصف الثاني من الجيل السابع عشر [2].

من هذه العائلة الخوري يوسف الشاعر ، ترى ترجمته في غير هذا المكان.

واخوه الخوري بطرس الشاعر ، صاحب « تاريخ الاحقاب » ، وكتاب « طبيب العيال » ، انعم عليه السيد الذكر لاون الثالث عشر بلقب حاجب سري « منسنيور » ، توفي سنة ١٩١٤ .

١٦ عائلة نعمة

جدّ هذه العائلة نعمة كان في ايامه بنّاء ماهرًا ، منشأه مزرعة كفردبيان من بيت بطيش ، واصل هذه العائلة من قرية تولا. استقدمه الخوري بطرس روفائيل القديم سنة ١٧٦١ ، لاجل تتميم بناء كنيسة القديس يعقوب المقطّع ، فاستوطن دلبتا وظلّت سلالته فيها الى الآن [3].

١٧ عائلة الدكاش

اصل هذه العائلة من الحصون في بلاد جبيل . قدم البعض منها مكانًا يسمى « البستان » في جهات عرامون الشمالية ، وكان بينهم الاخوان رومانوس وميخائيل اللذان سكنا دلبتا وتزوّجا بابنتين من آل الحتوني سنة ١٧٩٢ . وفي بدء الجيل التاسع عشر لحق بهما الى دلبتا فرنسيس بن نصر الدكاش ، وتوفي بدون عقب عن ثروة وفيرة ، فتقاسم اقرباؤه الارث وابتاع داره المطران يوحنا حبيب مؤسس جمعية المرسلين اللبنانيين ، وكان اذ ذاك قاضيًا ، فسكنها نحو ١٨ سنة . ثم انتقلت الى يد نجم مراد وهي باقية الى الآن وكانت تُعدّ من اجمل الدور [4].

---

١) النبذة ص ٨١ ، والسجل ص ٥.

٢) النبذة ص ٨٣ الى ٨٥ ، والسجل ص ٥.

٣) النبذة ص ٨٦ ، والسجل ص ٥. ٤) النبذة ص ٨٧ و٨٨ ، والسجل ص ٥.

١٨ عائلة ابي يونس

اصل هذه العائلة من المرقنية من شنتير ، تزوج احدهما وسكن غزير ثم ترك غزير ابنه ساسين ، وجاء دلبتا سنة ١٨٣٤ [1] .

هذا ما تسنى لي الوقوف عليه من أسر دلبتا وبعض افرادها ، بعد البحث الطويل والتنقيب الدقيق في كتب المؤرخين والصكوك القديمة والمخطوطات التي بيدي. قد يكون في درسي هذا سهو او نقص فارجو المعذرة ان العصمة لله ، واني لمشارك الخوري منصور في ما صرح به ، بعد ان ذكر العيال الدلبتاوية واصلها: «هذا ما تأكدته بعد البحث البليغ ووقوفي على الصكوك القديمة التي دلتني على اصل كل عائلة واني بنعمة الله لم أحرّر شيئاً بسبيل الميل والغرض ولا على سبيل الظنّ والتقدير بل قد حررت كل شيء تأكدته على سبيل البساطة المسيحية فارجو المطالع نبذتي هذه المعذرة اذا وجد فيها غلطاً او شططاً لانه يكون على سبيل السهو او عدم وصول المعرفة اليه . الله يشهد بذلك [2] » .

الفصل الرابع

بعض حوادثها التاريخية

لم تكن دلبتا مقرّاً لحكومة فيتوارد اليها الموظفون والمتخاصمون والزائرون ، ولا مركزاً للسياسة العامة فيتزاحم فيها زعماء الاحزاب بالدسائس والمشاحنات ، ولا موطناً لحاكم فتحدث فيها اعياد واستقبالات واستعراض جنود ، بل كانت نازعة الى الهدوء والسكينة ، ومنقطعة الى الاقتصاديات من زراعة وتجارة . غير انه قد وقع فيها بعض حوادث لا يخلو ذكرها من بعض الفائدة. ففي سنة ١٨٠٦ ، كان ثلاثة من سكانها يصنعون دبس العنب في معصرة « بيت الجميّل » في مكان يدعى « الدلبة » في ناحية « الوادي » ، فجاروا على ارض ليست لهم وقطعوا من اشجارها اغصاناً وحطباً. فاقام الملاك الحجة عليهم، فانكروا الامر ، فطلب القسّم امام مذبح مار يعقوب المقطّع ، شفيع كنيسة

١) النبذة ص ٨٦ ، والسجل ص ٥.

٢) ان صاحب النبذة التاريخية في العيال الدلبتاوية لم يتجاوز ، فيما كتب ، سنة ١٨٨٢ .

الرعية ، فأبى احدهم ، اما الآخران فنظرا الى الامر بطيش فأدّيا اليمين ؛ وما نطقا بالبهتان حتى خرجا من الكنيسة مربوطي اللسان لا يستطيعان التكلم ، وما لبث لونهما ان تغير فقذفا دماً ، وتوفيا بعد برهة وجيزة . فكان لهذا الحادث وقعٌ عظيم في قلوب السكان ، فتناقلوه رعباً وعبرةً [1] .

وفي مساء ١٧ ايار من سنة ١٨٠١ ، هبّت زوبعة هائلة ، فتلبدت السماء بالغيوم وابرقت وارعدت بدون انقطاع حتى نصف الليل ، وهطل بعد ذلك بَرَدٌ كبير الحجم . ودامت هذه السيلة نحو ساعة حتى خشي الناس ان يكون الله قد سمح بخراب قرى الجبل وخسوف اراضيها ، وقد شملت هذه الزوبعة عجلتون ، ودرعون ، وغسطا ، ومعراب ، وغادير ، وساحل علما ، واجتازت دلبتا دون ان تلحق بها ضرراً . واصابت عرامون وبعض قرى الفتوح وبكفيا حتى صليا ، وعلا البَرَد في بعض الامكنة نحو ثلث ذراع فوق الارض وأكد بعضهم انهم شاهدوا البَرَدة بحجم البيضة الصغيرة . فطفت الانهر وفاضت السواقي ، فتلف التوت بعد ان كان عامراً بورقه النضر ، وتجردت اغصانه من قشرها وتحطمت . فدهش اهل دلبتا وشكروا لله نعمته اذ حوّل هذه الضربة عنهم بينما قد حلّت في جوارهم [2] . غير انه في شهر كانون الثاني من سنة ١٨٦٢ هاج ليلاً في دلبتا وجوارها إعصار شديد جداً دام نحو ساعة ، فسالت الامطار وارتفعت المياه طافحة في المجاري العميقة فائضة في السواقي ، فقلعت اشجاراً قديمة العهد غليظة الابدان منها شجر الدلب ، وجرّت صخوراً من محالها ودحرجتها في الوديان وصدمت بيت جبور نعمه ، الذي كان يبعد عن مجرى الماء نحو ٤٠٠ قدم ، فهدمته ، وكان فيه موسى احد اولاد جبور وهو في عنفوان العمر ووالدته ، وعند الصباح التأم اهل القرية فلم يجدوا من البيت الا اساسه فبحثوا عن جثث المقتولين فلم يعثروا الا على بعض قطع من جسد موسى في مجرى الماء [3] .

وقد كان لاهل دلبتا في القرن التاسع عشر بعض النصيب في الانقلابات السياسية المتعلقة بحكم الجبل . ونحن نورد بعض اعمالهم ، ملخّصينها عن تاريخ

١) النبذة ص ١٠٤ . ٢) النبذة ص ١٠٤ . ٣) النبذة ص ١٠٥ .

المقاطعة الكسروانيـة ، فان مؤلفـه كان عليماً بها لكثرة تنقيه ومعاصراً لاكثرها . وهنت قوى اللبنانيين في النصف الاول من الجيل التـاسع عشر ، وخمدت عزائمهم من زيادة الضرائب وثقل الاعانات التي كان يفرضهـا عليهم حكامهم مضطرين ، لاشباع جشع الولاة كالجزار وعبـدالله باشا ، او سداً لنفقات حروب كان يقوم بها نائب مصر ، فيئسوا من الحالة واخذوا ينتظرون ساعة الفرج بذاهب الصبر . وكان يصيب سكان دلبتا كثيرٌ من مثل هـذه الكلف اذ كانوا معتبرين من ذوي الثروات الواسعة . ففي سنة ١٨٤٠ نشبت ثورة في كسروان على الامير بشير وحليفه محمد علي ، فتعصب لها اولاً الشيخ فرنسيس ابو نادر فجُعل قائداً لرجالها ولقب بسر عسكر النصارى. وفي ما بعد انضمّ اليه البعض من الامراء الشهابيين والمشايخ الخـازنيين . غير ان جنود الامير بشير ومحمد علي لحقوا بهم وهزموهم وشتّتوهم . وكان بين الثـائرين الامير خنجر الحرفوش ، واخوه الامير سلمان ، ففرّا هاربين الى بلاد جبيل . ولما درى بهما حاكم كسروان ، الامير عبدالله ابن اخي الامير بشير ، ارسل من قبض عليهما ، وسجنهما في غزير ، بعد ان جرّدهما من السلاح فذاع خبر اعتقالهما في القرى المجاورة لغزير . فاجتمع من دلبتا وعرامون والجديدة وشنعير نحو مائتي رجل مدججين بالسلاح وطلبوا من الامير عبدالله اخلاء سبيل الاميرين ، فابى . ولما اعادوا الكرّة ، اظهر غضباً وتصلباً ، فوثبوا حينئذٍ على باب السجن وحطّموه واخرجوا الاسيرين واتباعهما ، واسترجعوا الاسلحة وسلّموها لاصحابها ، وساروا بهم بالحدو والغناء الى جونية فالمتن . فلما علم الامير بشير بما جرى احتدم غيظاً وعزم على معاقبة الثائرين اشدّ معاقبة ، فارسل ولده الامير خليل الى غزير وأرفقه بخمسمائة جنـدي ، فوزّعهم هـذا على القرى وأمرهم بجمع الاسلحة والغرامة من السكان بصرامة كلية وبدون رحمة . فخاف المتهمون وفرّوا مختبئين في المغاور والكهوف متوارين عن العيون ، فتفرّق الجنود في دلبتا والقرى المجاورة وابدوا اقصى الشدة ، فاكرهوا من لا سلاح عنده على ان يشتري سلاحاً ويقدّمه وغرّموا السكان الاموال واهانوهم بالضرب والاعتقال [1] .

(لها صلة)

١) المقاطعة الكسروانية ص ٢٧٤-٢٨٢

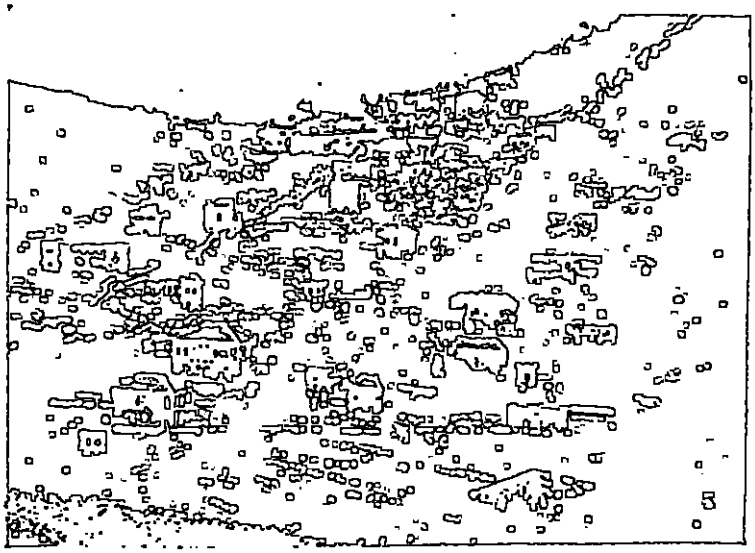

دلتا

الجهة الشمالية

دلتا

الجهة الجنوبية

قال أبو الطيب

بذي العبادة من أشدها مركبا

قال أرسطو

تعاقب أيام الزمان مفسدة
لأحوال الحيوان

قال المتنبي

فما تحيي النفوس من سر أحمد حالية

قال أرسطو

من علم أن الكون والفساد
يتعاقبان الأشياء لم يحزن لورود
الفجائع لعلمه أنه من كونها وهان
عليه ذلك

مثال من المخطوطة ٣٤٢ التي استندنا اليها خصوصاً في طبعتنا

الورقة [٦ و]

الرسالة الحاتمية

فيما وافق المتنبي في شعره كلام ارسطو في الحكمة

بقلم فؤاد افرام البستاني
استاذ الآداب العربية في كلية القديس يوسف

٣

طبعتنا

استندنا في طبعتنا اولًا الى مخطوطة المكتبة الشرقية الاولى ذات الرقم ٣٤٢ ، ووسمناها بحرف م تسهيلًا لذكر الروايات المختلفة . ثم استندنا الى المخطوطة الثانية وأشرنا اليها بحرف مم . ثم الى طبعة بيروت للقس انطون بولاد التي رمزنا اليها بحرف ت ، فالى طبعة القسطنطينية المعبّر عنها بحرف ق .

وقد عرضنا الابيات كلها على ما ورد في ديوان المتنبي ، طبعة اليازجي[1] ، حتى اذا وجدنا اختلافاً ذكرناه مشيرين الى رواية الديوان بحرف د .

اما الزيادة على روايات النسخة م فوضعناها بين معقفين ، واشرنا في الحواشي الى مصدرها . وكذلك أشرنا الى مآخذ الابيات ، اي القصائد التي انتزعت منها ، وفي من قيلت ، ولاي سبب .

ورأينا تسهيلًا لترتيب الحواشي والشروح ، ان نسم كل مقابلة برقم متسلسل نضعه عن يمين النص في المتن والحاشية . وراعينا ذكر اوراق المخطوطة م فأشرنا الى كل منها في اول النص برقم جعلناه بين معقفين يدل على عدد الورقة واردفناه بحرف و او ق ، يدل الاول على وجه الورقة ، والثاني على قفاها .

وهذا نص الرسالة :

---

١) كتاب العرف الطيّب في شرح ديوان ابي الطيّب ، بيروت ، ١٨٨٢ .

[٢ و] الرسالة المعروفة بالحاتمية

فيما وافق النبي في شعره كلام ارسطو في الحكمة

[٢ ق] بسم الله الرحمن الرحيم

[وما توفيقي الا بالله] [1]

[قال الامام ابو علي محمد بن الحسن بن المظفَّر ، الكاتب ، اللغوي ، المعروف بالحاتمي ، رحمه الله] [2] :

اما بعد فان احقّ ما احتكمت اليه نفوس أولي النظر ، وانقادت اليه آراء اهل الفكر ، وجلت [3] الشبهة [4] عنه [5] بنظر [6] المتصفّحين ، وأمضت به عزائمها قلوبُ المعتبرين ، العدلُ . فانه شيح [7] العقل ، ونسيج [8] النُهى ، وصفو [9] الفهم ، وعديل عن الهوى [10] . والذي بعثني على تصنيف [11] هذه الالفاظ المنطقية [12] ، والآراء الفلسفية ، التي اخذها [13] ابو الطيب احمد بن

---

١) زيادة في ق

٢) زيادة في ق و ت الآتاتك : « الامام ابو علي . الكاتب اللغوي المعروف » ففي ت وحدها . وكذلك « رحمه الله » في ق وحدها .

٣) في ق : وحلت .

٤) في ق : الشبه .

٥) في م و مم : عنها .

٦) في ق : نواظر .

٧) شيح : كذا في م ، وفي ق : نسح ، وفي مم : شبح او شيح . اما ت فلم تذكر المقطع كله .

٨) في ق : وحليف . وفي مم : ونسج .

٩) في ق : وصنو .

١٠) في ق : وعدوّ الهوى .

١١) في ق : تأليف .

١٢) في م : المنطيقية .

١٣) في م : اخذها .

الحسين المتنبي ، منافرةُ خصومي فيه ، لما رأيت [من][1] نفور عقولهم عنه ، [وتصغيرهم لقدره][2] .

وقد ثبت[3] عند ذوي العقل [٣ و] والتمييز أنّ الإنسان انما فضل[4] سائر الحيوان بالعقل المتناول[5] علم ما غاب عن الحواس ؛ وثبت ان النظر[6] الفكري في النفس مُفصحٌ عمّا[7] تناول علمه العقل[8] ؛ وهو على ضربين : ضرب منه[9] منثور الالفاظ ، مبثوث[10] المعاني [تتصرّف النفس في اجتلابه من حيث يسنح][11] ، وضرب منه منظوم ، موجز[12] ، مفهوم[12] . ووجدنا ابا الطيب [احمد ابن الحسين][14] المتنبي قد اتى في شعره باغراض فلسفية ، ومعانٍ[15] منطقية ؛ فان كان[16] ذلك منه عن فحص ونظر وبحث ، فقد اغرق في درس العلوم ؛ وان يك[17] ذلك منه على سبيل الاتفاق ، فقد زاد على الفلاسفة بالايجاز والبلاغة والالفاظ العربية[18] . [٣ ق] وهو في[19] الحالتين[20] على غاية من الفضل ، وسبيل نهاية من النبل . وقد[21] اوردت من ذلك ما يُستدلّ به على فضله [في نفسه وفضل

١) زيادة في ق .
٢) زيادة في ق .
٣) في مم : ثبت عندي وعند . . .
٤) في مم : أفضل . وفي ق زيادة : على .
٥) في ق زيادة : به .
٦) في م و مم : العقل .
٧) في م : عن ما .
٨) في ق زيادة : وصحت به خلابة للنفس .
٩) في ق : فيه .
١٠) في م : مثبوث . وفي مم : متبوت .
١١) زيادة في ق .
١٢) في ق : مرجز .
١٣) كل هذا المقطع من « اما بعد » الى هنا لم يرد في ت
١٤) زيادة في ق . اما ت فقد ورد فيها المقطع مختصرًا على الوجه التالي : « لما رأيت ابا الطيب احمد بن الحسين ابن الحسن الشاعر اللغوي المعروف بالمتنبي قد اتى في شعره على اغراض فلسفية ومعاني منطقيه اردت الموافقه بين ما توارد به في شعره مع ارسطو في حكمه لانه ان كان ذلك عن فحص ونظر . فقد اغرق في درس العلوم وان يكن ذلك منه على سبيل الاتفاق . فقد زاد على الفلاسفة في ذلك . وهو في الحالين على غاية الفضل . وقد اوردت من جمله ما يستدل بها على فضله » (كذا بالحرف) .
١٥) في م و مم : معالم .
١٦) سقطت « كان » في مم .
١٧) في ق : يكن .
١٨) في ق : العربية .
١٩) في ق : على .
٢٠) في ق : الحالين .
٢١) سقطت « وقد » في ق .

علمه وادبه][1] واغراقه في طلب الحكمة [مما اتى في شعره موافقاً لقول ارسطاطاليس في حكمته][2] . والله تعالى الموفق للصواب[3] .

١ قال ارسطو[1]

اذا كانت الشهوةُ فوق القُدرة ، كان هلاكُ الجسم[2] دون بلوغها[3] .

[٦ و] قال ابو الطيب

واذا كانت النفوسُ كبارًا ، تَعِبت في مُرادها الأجسامُ !

٢ قال ارسطو

رومُ نقلِ الطباع عن ذوي[1] الأطماع شديد الامتناع .

قال المتنبي

يُرادُ من القلب نِسيانُكم وتأبى الطِباعُ[2] على الناقلِ !

١) زيادة في ق ٢) زيادة في ق ٣) في مم : الى الصواب

١ ١) في م وهم يذكر اسم الحكيم دائماً «ارسطو» . وق تسميه دائماً ارسطاطاليس . وتبدأ ت «بارسطوطاليس» ثم تتابع ذاكرة « ارسطو » . اما الشاعر فذُكر في ق وت دائماً باسم «المتنبي» ، وفي م وهم تارةً باسم « ابي الطيب » وطوراً « المتنبي » . وقد اثبتنا رواية م ولم نُشر الى الاختلاف لقلة اهميته .

٢) في ت : النفس ، وهو خطأ . ٣) في ق : بلوغ الشهوة .

والبيت هو ٦ من قصيدة في مدح سيف الدولة ، وقد عزم على الرحيل عن انطاكية ، مطلعها :

اين ازمعت أيُّهذا الشَّامُ ؟ نحن نبتُ الرُّبى ، وانت الغَمامُ !

(د : ٣٦٧ — والروائع ١٢ : ٤٩)

٢ هذه الفقرة تؤلف الفقرة الرابعة في ق .

١) في ق : من ردي . ٣) في مم : الطاع ، وهو غلط .

هو البيت ٢ من قصيدة في مدح سيف الدولة ، مطلعها :

إلامَ طماعيةُ العاذلِ ، ولا رأيَ في الحبِّ للعاقلِ ! (د : ٣٧٦)

٣ قال ارسطو

اذا تجرّدت اللطائفُ من الشكوك ، اكتست [1] الصورة رونقاً [وبهاء] [2] .

[٤ ق] قال المتنبي

اذا خلعتُ على عرضٍ لهُ حُلَلاً
وجدتُها منه [3] في ابهى [4] من الحُلَلِ .

٤ قال ارسطو

من استمرّت عليه الحوادث لم يألَمْ بحلولها .

قال المتنبي

اذا اعتادَ الفتى خوضَ المنايا فأهونُ ما يمرُّ [1] به الوحولُ !

---

٣ هذه الفقرة تؤلف الفقرة ٥ في ق ، و٤ في ت .
١) في ق : كست. ٢) زيادة في ق.
٣) في ت : أنتَ. ٤) في مم : افضل.
هو البيت ١٨ من قصيدة في سيف الدولة ، صاحب العرض المذكور في البيت ، مطلعها :

اعلى المالكِ ما يُبنى على الأسلِ والطعنُ عند مُحبّيهنَّ كالقُبلِ
(د : ٢٨٣)

٤ هذه الفقرة هي ٣ في ق . اما ت فقد ذُكر في الفقرة ٣ منها بيت المتنبي وحده ملحقاً بحكمة لارسطو لا تناسبه ، والحكمة هي : « نفوس الحيوان اغراض لحوادث الزمان » وهي مذكورة في الفقرة ٧٨ من م ، والفقرة ٢ من ق . فيكون ان حصل سهو في ت فاسقط بيت المتنبي الموافق الحكمة المذكورة ، ثم أسقطت الحكمة التالية الموافقة البيت التالي ، فضُمّ هذا الى حكمة لا توافقه.
١) في م ومم : تمرّ.
هو البيت ٩ من قصيدة في سيف الدولة قالها ، عند رحيله من انطاكية ، مطلعها :

رويدك ، ايها المولى الجليلُ تأنَّ ، وعُدَّهُ مما تُنيلُ .
(د : ٢٧٠ — والروائع ١٢ : ٤٩)

٥ قال ارسطو

الزمان يُنشئ ويلاشي ، ففناء (١ كلّ قوم سببٌ لكون قوم (٢ آخرين .

[٥ ق] قال المتنبي

بذا قضتِ الأيامُ ما بينَ أهلِها :
مَصائبُ قومٍ ، عند قومٍ ، فوائدُ !

٦ قال ارسطو

يَسيرٌ من ضياء الحسّ (١ خيرٌ من كثيرٍ من حِفظ (٢ الحكمة .

قال المتنبي

فإنّ قليلَ الحُبِّ بالعقلِ ، صالحٌ ؛
وإنّ كثيرَ الحُبِّ بالجهلِ ، فاسدُ !

---

٥ هي الفقرة ٨ في ق ، و٧ في ت .
١) في ت : فنا ، وهو تصحيف .
٢) أسقطت اللفظة في ق .
والبيت هو ٣٢ من قصيدة في سيف الدولة ، وقد اراد قصد خرشنة فعاقه الثلج عن ذلك ، مطلعها :
عواذلُ ذاتِ الخالِ فيّ ، حواسدُ : وإنّ ضَجيعَ الخَوْدِ مني لماجِدُ !
(د : ٢٢٠ – والروائع ١٢ : ٥١)

٦ هي الفقرة ٩ في ق ، و٨ في ت .
١) في م : الحِسّ . وفي مم : الحسن .
٢) في ت : درس .
والبيت هو ٤٣ والاخير من القصيدة المأخوذ منها البيت السابق .
(د : ٢٢١)

٧ قال ارسطو [1]

الالفاظ المنطقية مُضرَّة بذوي الجهل لنبوّ [2] إحساسهم عن دركها .

[٦ و] قال ابو الطيب

بذي الغباوةِ ، من إنشادِها [3] ، ضَرَرٌ ؛
كما تضرُّ رياحُ الوَرْدِ بالجُعَلِ .

٨ قال ارسطو

تعاقُبُ ايّام الزمان مُفسِدَةٌ لاحوال الحيوان .

قال المتنبي

فما تَرَجّى [1] النفوسُ من زَمَنٍ أحمدُ حالَيْهِ [2] غيرُ محمودِ ؟

---

٧ هي الفقرة ٥ في ت .
١) ورد خطأ في م : قال ابو الطيّب . ٢) في م وهم : لسوء .
٣) انشادها : الضمير للمدائح التي ينظمها الشاعر .
والبيت هو ١٩ من قصيدته في سيف الدولة المذكورة في الفقرة ٣ (د : ٢٨٣)

٨ هي الفقرة ٦ في ق و ت .
١) في ت : ترجو .
٢) حالَيه : اراد بحالَي الزمن الموت والحياة . والمعنى : اذا كانت الحياة ، وهي احد حالَي الزمان ، غير محمودة ، فماذا نترجّى من الزمان .
والبيت هو ١٠ من قصيدة في مدح سيف الدولة ، ورثاء ابي وائل تغلب بن داود بن حمدان (سنة ٩٤٩) ، مطلعها :
ما سَدِكت عِلّةٌ بِمَوْرُودِ أكرمَ من تَغلِبَ بن داودِ
(د : ٣٠٢)

٩ قال ارسطو

من علم ان الكون والفساد يتعاقبان [1] الاشياء لم يحزن لورود الفجائع ، لعلمه أنه من كونها ؛ وهان ذلك عليه [2] [لعجز الكلّ عن دفع ذلك] [3] .

[٧ ق] قال المتنبي

اذا استقبلَتْ نفسُ الكريمِ مصابَها بخُبثٍ [4] ثَنَت فاستدبرتهُ [5] بطيبِ .

١٠ قال ارسطو

[ترداد] [1] حركات الفلك يحيلُ [2] الكائناتِ [3] عن حقائقها [4] .

قال المتنبي

ومَن صَحِبَ الدنيا طويلاً ، تقلَّبتْ على عينِهِ ؛ حتى يرى [5] صِدْقَها كِذْبا .

---

٩ هي الفقرة ١٠ في ق .

١) في ق زيادة : على ٢) في م ومم : عليه ذلك .

٣) زيادة في ق وت . ٤) بخبث : اي بكره وثقل .

٥) في ق : واستدبرته . وفي مم : فاستقبلته . وفي م : كُتب « فاستقبلته » ثم زيد فوقها : « فاستدبرته » . معنى البيت : اذا استقبلت نفس الكريم مصيبتها بالجزع ، انثنت بعد ذلك فاعرضت عنها ، وهي صابرة ، لعلمها ان الجزع لا يفيد . وهو البيت ٢٧ من قصيدة يعزّي فيها سيف الدولة عن فقد عبده ياك (شباط ٩٥٣) ، مطلعها :

لا يُحزنِ اللهُ الاميرَ ، فانني لآخذٌ من حالاته بنصيبِ . (د : ٢٢٤)

١٠ هي الفقرة ١١ في ق و ت .

١) زيادة في ق ، وقد ورد في ت : ترك .

٢) في م و مم و ت : تُحيل . ٣) في م ومم : الاشياء .

٤) في ت : على جهاتها . ٥) في مم : ترى .

والبيت هو ٥ من قصيدة في مدح سيف الدولة وذكر بنائه مرعش (حزيران ٩٥٢) مطلعها :

فديناك من ربع ، وان زدتنا كربا ، فانك كنت الشرقَ للشمس ، والغربا .

(د : ٢٢٥) (لها صلة)

تواريخ الامبراطور نابوليون بونابرت

باللغة العربية

ولاسيما تاريخ نقولا الترك اللبناني منها*

بقلم عيسى اسكندر المعلوف ، مؤلف تاريخ الاسر الشرقية العام

تواريخ نابليون بالعربية

لقد امعنت في البحث عن التواريخ العربية المؤلفة في الامبراطور العظيم نابليون بونابرت الفرنسي ، فجمعت منها ما اصفه باختصار الآن ، استطراداً لذكر تاريخ نقولا الترك اللبناني الموجود في خزانتي مخطوطاً ، وهو النسخة الكاملة منه التي لم اجد سواها في خزائننا . ولقد عارضتها بنسخة ثانية ، في الجزء الثاني من تاريخ الامير حيدر الشهابي الشملاني المخطوط مطولاً في خزانتي ؛ ووضعتُ هذه المقالة منبهاً الافكار الى هذه التحفة الثمينة ، وهي تاريخ مطول بقلم شاهد عياني وقف على اهم الحوادث والاوراق المتعلقة بها في اواخر القرن الثامن عشر واوائل التاسع عشر . فحبذا طبعه بحواشٍ وتفاسير واستدراكات بلغة مؤلفه الدارجة .

وهذه هي مقالتي :

١ — ان اقدم من ذكر حروب نابليون في القطر المصري بالعربية هو الشيخ عبدالله بن حسن الجبرتي المصري ، المتوفى سنة ١٢٣٧ هـ (١٨٢٢ م) ، الذي كان من كتبة ديوان بونابرت . فألف في تاريخ الفرنسيين في مصر رسالة سماها « مظهر التقديس بذهاب دولة الفرنسيس » . واقتطف منها اشياء لتاريخه المطول الذي سماه « عجائب الآثار في التراجم والاخبار » ، المطبوع في مصر في اربعة

* من مقالات مجلة الآثار المحتجبة الآن ، خصّ بها الاستاذ مجلتنا .

اجزاء[1] . وقد الف « مظهر التقديس » الآنف ذكره سنة ١٢١٦ هـ (١٨٠٢م). فترجم هذه الرسالة بالفرنسية المسيو كردان (Cardin.) المتوفى سنة ١٨٣٨ م، ونشرت هذه الترجمة بسعي المسيو بيانكي (Bianchi) كاتم اسرار ترجمان الملك اذ ذاك .

٢ — التاريخ لحوادث الزمان. وهو يومية تاريخية عربيـة في الحوادث التي وقعت بالقطر المصري في ذلك العهد ، بقلم السيد اسماعيل بن سعد الخشاب ، من كتبة ديوان بونابرت . كان يدوّن هذه اليومية التاريخية بذلك السجلّ ، ويقتطفون منها الاخبار ويطبعونها ، ويوزّعونها على الجند في الاقطار المصرية ، فكانت اشبه بجريدة يومية عطلت عنـد خروج الفرنسيين من مصر سنـة ١٨٠١ م . وتوفي كاتبها سنة ١٢٣٠ هـ . (١٨١٥ م) .

٣ — تاريخ المعلم نقولا الترك الذي انهاه سنة ١٨١٥ م . وساصفه مطوّلا بهذه المقالة ، ولغته عامية ، وعباراته ركيكة.

٤ — تاريخ يوسف الورا. وهو اشبه بكتاب نقولا الترك ، وفيه اطناب وقصائد مدح مثله ، ولم نرَه . بل اشار اليه جودت باشا في تاريخه التركي.

٥ — رسالة للقس حنانيا المنيّر في الاحتلال الفرنسي لمصر وسورية . وهي من مخطوطات خزانتي ، مختصرة.

٦ — ترجمة كتاب تركي للعربية ، ذُكر في الجزء الثـاني من تاريخ الامير حيدر الشهابي الشملاني المخطوط في خزانتنا . وقد انتخب منه اشياء ضمها الى تاريخ نقولا الترك الذي نشرهُ ايضاً .

٧ — تاريخ ملوك فرنسا . تاليف المسيو مونيقورس الفرنسي ، عرّبه حسن قاسم ، ونقحه رفاعة بك الطهطـاوي . وهو يشمل تواريخهم من اوائل القرن الخامس الى سنة ١٨٤٠ م . طبع ببولاق سنة ١٢٦٤ هـ (١٨٤٧ م).

٨ — سـيرة نبليون الاول . تـأليف الكولونل لويس كاليگوريس

---

١) ترجم تاريخ الجبرتي المطوّل هذا بالفرنسية لجنة من الادباء في القطر المصري وهم: شفيق منصور بك ، وعبد العزيز كحيل بك ، وجبرائيل نقولا كحيل بك ، واسكندر بك همون.

(L. Calligoris) الفرنسي. طبع بباريس سنة ١٨٥٦ ، في ٥٨٤ صفحة بقطع الربع ، وفيه اغلاط مطبعية وانشائية كثيرة ، وركيك العبارة.

٩ — تاريخ نبليون بنبارتا الاول. وهو الكتاب الموصوف اعلاه في رقم (٧) ، أصلح ونُشر باضافات اليه من تاريخ نقولا الترك المذكور في رقم (٣) . طبع في بيروت بالمطبعة الوطنية سنة ١٨٦٨ ، في ٤٣٧ صفحة بقطع الربع الصغير .

١٠ — تاريخ نابليون بونابرت الاول. هو المذكور في رقم (٧) ايضاً ، طبعه امين الخوري في بيروت في ٤٨٧ صفحة بقطع الربع.

١١ — تاريخ فرنسا الحديث . للشيخ خطار الدحداح ، ولسليم البستاني. وفيه وصف مطوّل لحروب نابليون وشؤونه المختلفة ، وحالة فرنسة في عهده . ترجم القسم الاول منه الشيخ الدحداح واتم ترجمته البستاني من سنة ١٧٨٩— ١٨٢١ . طبع بمطبعة المعارف ببيروت سنة ١٨٨٤ ، في ١٠٤٠ صفحة بقطع ربع كبير .

١٢ — نابليون الاول والمقابلة بينه وبين اعظم مشاهير الرجال . وهو فصل من تاريخ الامبراطورية الفرنسية للمسيو تيارس ، تعريب الشيخ سليم خطار الدحداح . نشر بمطبعة الارز في جونية (لبنان) سنة ١٨٩٧ ، في ٣٨ صفحة بقطع ثمن عريض.

١٣ — حِكَم نابليون الاول لكل يوم من الاشهر الاثني عشر حكمة. عربها عن الانكليزية جميل بك المعلوف سنة ١٩١٣ ، لمجلة الآثار . ونشرت في سنة الآثار الرابعة من صفحة ٢٨ فصاعداً.

١٤ — تاريخ نابليون بونابرت في مصر وسورية . مقتضب من « تاريخ فرنسة الحديث » الموصوف في رقم (١١) نُشر بمطبعة الفرزوزي في الاسكندرية سنة ١٩١٤ ، في ٢٠٠ صفحة.

١٥ — تاريخ نابليون . تعريب الياس افندي طنوس الحويك . نشرته جريدة الهدى في نيويورك بمطبعتها ، سنة ١٩١٥ ، في ٢٧٤ صفحة بقطع الربع .

١٦ — فتح مصر الحديث او بونابرت في مصر . لاحمد حافظ عوض

بك ، صاحب جريدة «كوكب الشرق» مصوّر ، بمصر في اوائل سنة ١٩٢٦ ، في ٤٤٠ ص ، اعتمد فيه مؤلفه على «الجبرتي» وغيره .

١٧ – تاريخ نابليون . لالياس افندي ابي شبكه . بمطبعة سليم صادر في بيروت ، في ٤١٦ ص بقطع الربع ، سنة ١٩٢٩ .

١٨ – تاريخ نابليون المطوّل. لالياس افندي طنوس الحويك . نشره حبيب افندي زيدان بمصر ، ظهر منه مجلدان منذ بضع سنوات. وهو مطوّل ، مصوّر.

١٩ – قلعة محمد علي لا قلعة نابليون . لعبد الجواد الاصمعي. طبع بمصر منذ بضع سنوات ، بقطع نصف.

٢٠ – نابليون ، احدث تاريخ له . عربه الخوري انطون يمين عن تأليف الكومندان العسكري كلود برجه . بمطبعة جريدة العلم في بيت شباب ، سنة ١٩٢٦ ، في ٢٢٦ ص . بقطع ثمن صغير.

٢١ – تاريخ نابليون بونابرت الاول . للمستر هربرت فشر ، وزير معارف انكلترة قبلًا ، عربه محمد بك نوفل ، ومحمد مصطفى زياده . طبع بالمطبعة الرحمانية في القاهرة ، سنة ١٩٢٧ .

٢٢ – انفس ما كتب نابليون من رسائل وخطب وانباء رسمية عن اعمال جيشه. عربه الخوري انطون يمين ، ونشر بمطبعة يوسف صادر في بيروت ، سنة ١٩٣٠ ، في ١٤٠ صفحة بقطع ثمن .

هذا ما وصلت اليه يد البحث من تواريخ هذا الامبراطور الفاتح العظيم باللغة العربية ، فضلًا عما كتبته المجلات ، ونشر في الرسائل من انبائه وحكمه ونوادره ورسائله وحروبه لكثير من المؤرخين والكتبة بلغة الضاد في الوطن واوربة واميركة . ومنها تاريخ «سليمان باشا» للمعلم ابراهيم العورا وغيره .

تاريخ نابليون لنقولا الترك

اتصلت بخزانتي هذه المخطوطة النفيسة بعنوان «ذكر تملك جمهور الفرنساوية الاقطار المصرية والبلاد الشامية» تاليف المعلم نقولا الترك. وقد قال في مقدمته بالحرف :

«فحق لنا ان نؤرخ في هذا الكتاب . لانتفاع الطلاب . ما حدث من التغيير والانقلاب . بما اجرته يد الاقدار . في هذه الامصار . وبما اذنت به العزة الالهية . بظهور المشيخة الفرنساوية . وما تكوّن بسببها من الفتن في البلاد الافرنجية . وديار (كذا) الرومية . وقتل سلطانهم وخراب بلدانهم . وانتشار شانهم وربحهم من بعد خسرانهم . وذلك بظهور فرد افرادهم . وقايد اجنادهم . الليث الشديد . والبطل الصنديد . امير الجيوش الامير بونابرته وذكر الحروب التي ثارت بتلك الممالك . وحدوث الشرور والمهالك . وقهر البلاد التي اتصلوا اليها . والانتصارات العظيمة التي حصلوا عليها . باتقانهم الغريب من الغرب الى الشرق . ومرورهم العجيب اسرع من البرق . ونزولهم على جزيرة مالطه . كالصواعق الهابطه . وفتوحهم ثغر الاسكندرية واستيلائهم على الاقطار المصرية . وذكر ما تمّ لهم من التمليك . في حروبهم مع جملة الترك والمماليك . ومسيرهم على الاقطار الشامية . ومحاصرتهم لمدينة عكا القويّة . مسكن ذلك الوزير الجبار . المعروف باحمد باشا الجزّار . ورجوعهم الى ارض مصر . وما تمّ لهم في ذلك العصر . وكفاحهم مع الدولتين العظيمتين . الدولة العثمانية . والدولة الانكليزية . ومصادماتهم للعساكر البرية . والبحرية . وخروجهم من مصر القاهرة بالتسليم . من بعد حروب وافرة وهول عظيم . وذلك في مدة ثلاثة اعوام . في التمام . ابتداؤها شهر محرّم الحرام . افتتاح عام الف ومايتين وستة عشر هجرية(١ . وآخرها شهر ربيع الثاني عام الف ومايتين وستة عشر بالهجرة الاسلامية (كذا) . ثم يتلوه ذكر تملك الدولة العثمانية . والدولة الانكليزية . من بعد خروج الدولة الفرنساوية . وذكر ما تم لهم مع زمرة الترك والمماليك المحمدية . من بعد فتوحهم مصر الكنانه . وبالله القوة والاعانه . » (انتهت المقدمة)

وبعد ذلك يبدأ بلمعة في ترجمة نابليون باختصار ، ثم يدخل في موضوع المشيخة الفرنسية متطرقاً الى حوادث نابليون وحروبه .

ونسختنا الموصوفة الآن هي بخط نسخي عليه مسحة من الجمال ، بحبر اسود ، وورق سميك خشن ، تقع في ٣١٢ صفحة بقطع الربع ، طول صفحاتها ٢٢ سنتيمترًا وعرضها ١٥ س . والكتابة في كل صفحة بطول ١٧ س . وعرض ١٢ س . وفي كل صفحة ٢١ سطرًا ، ومعدّل السطر عشر كلمات .

وقد جاء في آخرها ما نصّهُ ، وبنهايته سنة ١٨١٥ م :

« وهذا ما انتهى الينا من اخبار الفرنساوية بالتمام . ولله الحمد على الدوام »

ثم هذه العبارة بالحرف :

« قد تم نساخة هذا الكتاب يوم الخميس ١١ في نيسان وذلك بيد كاتبه العبد الحقير

---

١) الموافقة لسنة ١٨٠١ م

الذليل الخاطي اقل عباد الله يوسف رباحيه الحبمي اصلًا وذلك في قرية زحلة العامرة وهو برسم الجناب المكرم . . . . . (١ سنة ١٨٢٩-١٢٤٤ ه انتهى

ولقد بحثت عن نسخة ثانية لهذا الكتاب فلم اجدها اولًا ، ولكنني وقفتُ على ما طبع منه بدار الطباعة السلطانية في باريس سنة ١٨٣٩ م. ، بهذا العنوان :

Histoire de l'expédition des Français en Egypte.
Par Nakoula El-Turk
Publiée et traduite
Par M. Desgranges Aîné
Secrétaire interprète du Roi
Paris.
Imprimé par autaristation du Roi
A l'Imprimerie Royale
M DCCC XXX IX

وهو يقع في ٢٨٦ صفحة بقطع ثمن ، وبحرف دقيق ، مذيّلًا بملاحظات واستدراكات باللغتين العربية والفرنسية .

فعارضت النسختين : المخطوطة عندي ، والمطبوعة في باريس ، فوجدت المخطوطة واسعة مفصّلة ، والمطبوعة مقتصرة على القسم الاول من المخطوطة اي الى الصفحة ١٦٣ . والباقي ، وهو ١٤٩ صفحة غير مطبوع .

وبقيت انتهز الفرص الى ان عثرتُ على نسخة ثانية مخطوطة لتاريخ الترك في مجلد كبير ، اتصل بخزانتي ، وهو الجزء الثاني من تاريخ الامير حيدر الشهابي الشملاني[٢] الذي طبع في مصر عن نسخة سقيمة ، وليس فيها هذا التاريخ

١) قد كشط اسم الامير، لان الكلام يدلّ على امارته ، ولعله من امراء بسكنتا اللمعيين الذين كانت زحلة باقطاعهم .

٢) يقع هذا الجزء في ٥٣٨ صفحة بقطع نصف كبير ، من سنة ١١٠٩ ه (١٦٩٧م) الى ١٢٣٣ ه (١٨١٧ م) ، وفيه تفاصيل وافية لم اجدها في النسخ الاخرى المخطوطة ، ولاسيما نسخة المكتبة الشرقية للاباء اليسوعيين ، وفي تضاعيف النسخة زيادات مهمة مثل تاريخ الحملة الفرنسوية بمصر وسورية ، وتواريخ خلفاء المسلمين ، ومراسلات ابن السعود ، وتاريخ تيمور ، وبطاركة الموارنة ، ورسالة الخوري يوسف مارون ، ولعلها من تاريخ المطوريني .

لنابليون .

فعارضت ما في تاريخ الامير بمخطوطتي فوجدت فروقاً ذات شأن بزيادة ونقصان وتصرّف ، مما يدلّ على اختلاف النسخ وتلاعب النساخ . ولكنّ النسختين هما واحدة واقتصرت على معارضة نسختي المنفردة على حدة بما طبع منها في باريس كما سيجيء . وربما عدت الى معارضة المخطوطتين ووصف ما بقي بدون طبع .

نقولا الترك مؤلف هذا التاريخ

اقتنيتُ نسخة من ديوان هذا الشاعر ، من زمن طويل ، ذات خروم اصلحت معظمها ، ووضعتُ للناظم ترجمة مطوّلة بتفصيل وافٍ واستقراء اوصلني اليه التنقيب . وتلك النسخة هي الآن في «خزانة الجامعة الاميركية» مما ابتاعته مني منذ بضع سنوات . فأقتصر الآن على ترجمة مختصرة لهذا المؤلف بهذه العجالة :

هو نقولا بن يوسف بن ناصيف آغا الترك ولد سنة ١٧٦٣ ، وتوفي سنة ١٨٢٨ ، بدير القمر حيث ولد . واصل اسرته من الاستانة كما يدلّ على ذلك قوله في قصيدة نظمها ببونابرت وترجمها بالفرنسية المسيو مارسل مدير المطبعة الملكية :

« نظم هذه القصيدة نقولا الترك ولد يوسف الترك الاستانبولي الاصل »

وكان الترك يتردد على قصر الامير بشير الشهابي الكبير ، الذي قتل والده ، يوسف الترك ، لانه كان من رجال ابي عساف جرجس باز ، مدبر الامير يوسف واولاده ، وذلك سنة ١٨٠٧ . كان نقولا قبل هذا التاريخ في مصر ، واتصل بخدمة ديوان بونابرت بفرعه العربي مثل غيره من السوريين والمصريين . وعاد من دمياط الى دير القمر سنة ١٢١٩ هـ (١٨٠٤ م) ، ومدح الامير بشير بقصيدة في هذه السنة مطلعها :

نسخة الخوري بطرس فرج صفير من كفرذبيان سنة ١٨٤٤ ، وكان مرشداً للامير حيدر اسمعيل وتوفي سنة ١٨٨٣ ومن اولاده ، المرحوم الخوري جرجس فرج صفير

دنا البشر المجيد المستطابُ واشرق في معاليه الشهابُ

وختامها التاريخي قوله :

بختم مديحهم انشدت أرّخ دنا البشر المجيد المستطابُ

وفي ديوانه منظومات لهذا الامير بعنوان : « الدر النضير في مدح الامير » مدح فيها الامير واولاده ، وفي مقاماته الاحدى عشرة ذكر لهذا الامير منها « المقامة الديرية » طلب فيها من الامير داراً فاعطاه اياها سنة ١٢١٩ ﻫ (١٨٠٤م) و « اللبنانية » طلب منه فيها فروًا ، و « الثلجية » في مصايف مصايده ، و « العيسوية » في وصفه . وفي ديوانه كثير من المراسلات والمساجلات والتواريخ مع شعراء وقته كالشيخ عمر البكري ، والسادة احمد البربير ، وعبدالله الميقاتي ، وعثمان الحموي ، ونصرالله الطرابلسي ، وبطرس كرامه الحمصي . وقد نشرت مجلة « المشرق » بعض اشعاره . وتقرب من الامير بشير الكبير ، والامير حيدر الشهابي المؤرخ ، والشيخ علي جنبلاط ، وعلي بك الاسعد المرعبي ، وسليمان باشا والي عكا ، والمعلم حايم فارحي وغيرهم . وله فيهم مدائح بشعره الركيك ، مما جمع في ديوانه الكبير . وكان له ولد اسمه فتح الله توفي يافعاً ، فانقطع نسله . واما ابنته وردة الشاعرة فتزوجها حبيب الصوصه من دير القمر[1] ، وكانت شاعرة تنسخ اعمال والدها ، بعد ان فقد بصره . ولها ولدان اديبان توفيا بلا عقب . واهم آثار الترك « هذا التاريخ الموصوف الآن » .

معارضة المخطوطة بالمطبوعة

قلت ان المطبوعة من تاريخ نابليون للترك هي من الصفحة الاولى من مخطوطتي الى الصفحة ١٦٣ ، وآخرها في المطبوعة والمخطوطة هذه العبارة :

« وكان مدة حصار الاسكندرية ستون يوماً وكان منتها (كذا) خروجهم في آخر شهر ربيع الثاني سنة ١٢١٦ (٢ وحضرة (كذا) البشاير الى الصدر الاعظم بمدينة مصر قام بفرحاً عظيم وشكاً (كذا) الحمد لله على تأييد وانتصار المسلمين نصرٌ من الله وفتح مبين.» انتهى

١) راجع ترجمتها بمجلة الآثار لكاتب هذه المقالة (١ : ٣٦٣)

٢) الموافقة لسنة ١٨٠١م

واول القسم الباقي من المخطوطة الـذي لم يطبع هو من نصف الصفحـة ١٦٣ ، واوله :

« فهذا ما كان واما ما كان من ابونابارته لما انه عاد راجعاً من مصر الى باريز بتنبـاهم وافرة وحين دخل باريز بدأ يحتال على الفرنساويين والذين كانوا اتفقوا جميعاً وتعاهـدوا عهداً على انه من المستحيل انهم عادوا يقيمون عليهم ملكاً فصار يخادعهم ويتملقهم بصناعاة (كذا) ومنية طامعاً في جلوسه على السدة الملوكية الخ الخ . . . »

فنعود بعد هذه التوطئة الى معارضة ما طبع بمثله من المخطوطـة ، ونترك الكلام في القسم الثاني الباقي بلا طبع ، الى فرصة ثانية فنقول :

في المخطوطة زيادة بين المقدمة واول التاريخ ، وهي لمة من سيرة نابليون، في الصفحة ١١ من المخطوطة الى قوله « واما سبب قتل السلطان لويس . . . » فهذا بدء الكتاب في النسختين على ان بين ما في الصفحـة ٣ من المطبوعة ، و ١١ من المخطوطة فرقاً :

فان المطبوعة تقول : سنة ١٧٩٢م (١٢٠٧ هـ) حدث اضطراب في باريز — والمخطوطة تقول : سنة ١٧٩٠م (١٢٠٥ هـ).

واسم الحصن الذي سجن به لويس السادس عشر في المطبوعة « طَمبل » ، وفي المخطوطة « تيتيرا » .

وفي الصفحة ١٢٩ من المطبوعـة تواقيع في صورة الكتابات من « محفـل الديوان الخاص » زائدة عما في المخطوطة الصفحة ٩٠ . فهناك مصطفى الصادي الشافعي ، وهنا « الساري » ؛ و « سليمان الفيومي المالكي » ، وهنـا سقط « الشافعي والمالكي » . وبالمطبوعة جاءت التواقيع بعد ما اتفقت به النسختان المذكورتان هكذا وهي :

« الفقير لطف الله العمري — الفقير يوسف فرحات — الفقير جبران سكروج — الفقير لومار — الفقير بودوف — الفقير ذو الفقار كتخـدا كوميسار الاسلام — نظر علم وكيل الفرنساوية جلوتيه »

فكل هذه الفقرات ساقطة من مخطوطتي هذه .

وبالمطبوعة ايضاً : «الفقير علي كتخدا بجرلي باش اختيار» ، وبالمخطوطة « الفقير كتخدا باش اختيار المستحفظات بمصر » .

وفي نسختي المخطوطة زيادة ليست بالمطبوعة ، وهي بين الصفحتين ٩٠ و ١٠٤ من نصف الاولى الى اول الثانية ، زيادة بين قوله « طبعة (كذا) بمطبعة الفرنساوية العربية في محروسة مصر » صفحة ٩٠ و ١٠٤ من المخطوطة وهو نحو ١٤ صفحة لا توجد بالمطبوعة بين صفحتي ١٢٩ و ١٣٠ — لانه بعد قوله الاول « طبع بمطبعة الفرنساوية بمصر المحروسة » يقول حالًا بالمطبوعة : « ثم حضر الجنرال كليبر من دمياط الى بولاق والتقاه القائمقام الجنرال دوكا ... الخ » ، وهذا الكلام يأتي في المخطوطة بعد ١٤ صفحة جاء فيها صفحة ٩٠ — اوله :

« وقد طبع هذا الفرمان وتوزع على الاقاليم المصرية وكان ما ذكر بهذا الفرمان عند قصده لتهذيب اخلاقهم . وتليين اعناقهم »

وآخره صفحة ١٠٤ :

« تواقيع — باش جاويش التفكجية — النفير لطف الله المصري — النفير يوسف فرحات — النفير جبران السكروج — النفير بودون — النفير ذو الفقار كتخدا كوميسار الاسلام — نظر فيه وعلمه وكيل الفرنساوية جلوتيه »

وهذا يدل على ان الكلام في المطبوعة سقط كله من بين هاتين الصفحتين ، اي ٩٠ و ١٠٤ ، فرُبط القولان مقتضبين .

وفي الصفحة ١٥٩ من المخطوطة نقص في التواقيع عن المطبوعة في الصفحة ٢٢١ . ولهذا تنقل التواقيع المطبوعة بحروفها .

وكذلك ذكرت المخطوطة شهر «ميتيدور السنة التاسعة للمشيخة» والمطبوعة ذكرت هكذا : « في تاريخ مبيدرر سنة التاسعة للمشيخة في نصف النهار . الخ » الصفحة ٢٢٠ من المطبوعة .

اما التواقيع في المطبوعة فهي هكذا ، الصفحة ٢٢١ ، ومن المخطوطة الصفحة ١٥٩ :

« وترلو جنرال ويرجاه — موران جنرال ويرجاه — تارار جنرال ويرجاه — حُن هوب جنرال ويرجاه انكليز — عثمان بك وكيل يوسف باشا — اسحاق بيك وكيل قبطان باشا — قد اثبت ذلك هلي هونجنسون ساري عسكر عام — قد اثبت ذلك للورد كايط جام استونسون قبطان مركب انكليز .

وتحت هذه التواقيع ما نصهُ :

« نحن قد اثبتنا جميع الشروط الواقعة في هذا الاتفاق لاجل حلو(١) مصر وتسليمها للباب العالي المشيّد - يوسف باشا وزير المقام - ونحن قد شهدنا واثبتنا جميع هذا الاتفاق الواقع في هذه الشروط لاجل حلو(٢) مصر - حسين قبطان باشا .

« لقد ثبت وتحقق هذه الشروط في سيدور سنة ٩ للمشيخة - الجنرال فاريون بليار »

« قد طبعت في مطبعة الفرنساوية بمصر »

والقطعة في مخطوطتي من الصفحة ١٦٠-١٦٣ آخر ما طبع في باريس تختلف عن القطعة التي هي مثلها في المطبوعة من الصفحة ٢٢٢-٢٢٩ آخر ما طبع .

ومما في المطبوعة بيتا شعر ايضاً في ما كان بمصر من الامان بعد خروج الفرنساوية ، وهما من نظم الترك لانه قال :

« وانشدت بذلك شعرًا وهو هذا :

أتى صدر الصدور لارض مصر بنصر اشرقت فيه الديانة
بعام قد كساهُ النور أرخ به فتحت بيوسف الكنانة

وهي تاريخ هجري لسنة ١٢١٠هـ (يوافقها من التاريخ المسيحي ١٧٩٥م)

وفي المطبوعة تعليقان: (الاول) على سيرة نبوليون من الصفحة ٢٧٣-٢٧٨ . و (الثاني) على ما جاء في الكتاب من الكلمات والاصطلاحات كالفز ، والريالة ، والعجمي ، وجبال الاباز ، وشورباجية ، ووكالة ، وبيورلديات ، والمحمل ، والهوارة ، وطوزسينا ، والمجانة . ثم قصيدة « لله عصر زها .. » من نسخة في خزانة باريس مخطوطة وهي في مخطوطتنا ص ٩٢ . وقصيدة « وفت المنية والحياة قد انقضت » في رثاء الجنرال كليبر المقتول ، وهذه توجد في الصفحة ١٤٦ من مخطوطتنا . ثم شرح قوله « بني متوال » و « خرسان » و « شنك » التركية ، و « غلابين » و « سنجاقية » و « غروش اسدية » و « المصالحة » و « عرضي » التركية ، « يعلم عليها » اي يصدقها . وهذا التعليق هو من الصفحة ٢٧٧-٢٨٧ وفي بعضها نظر :

وفي المطبوعة مقدمة في التاريخ وواضعه والنسخ التي نقل عنها ، وكلها مفيدة ، وان احتاج بعضها الى التمحيص ، والله اعلم بالصواب !

(١ و٢) الاول ان تكون (خلو) بنقط اولها اي إخلاء .

رحلة الى قنّوبين

في جبل لبنان

سنة ١٧٢١

يبعث بها الاب بيكوه المرسل اليسوعي الى الاب فلوريو

نقلها عن الافرنسية

القس انطونيوس شبلي اللبناني

رئيس معاملة جبيل والبترون

٢

قمنا في السابع عشر الى مار اليشع [1]، الواقع على مسافة نصف ساعة من مار سركيس، ورافقنا اليه نائب الدير وراهبان آخران. اما مار اليشع فمشيّد في سفح جبلٍ هائل، على ضفة نهر قاديشا، اي النهر المقدّس، الذي ينساب في وادٍ ضيّق، ومن جانبيه اشجار الصنوبر والجوز والبلّوط والكروم. وعلى مسافة ثلاثين قدماً من جانبي النهر، سلسلة جبالٍ صخريّة هائلة.

وفي تلك الصخور مغاور وكهوف كانت قديماً صوامع متوحّدين عديدين اختاروا عيشة الانفراد، وتحمّلوا شظف العيش ومارسوا التوبة المتواصلة الشاقة.

انّ دموع هؤلاء النسّاك كانت السبب لتسمية هذا النهر المنبجس من جبال لبنان، بالنهر المقدّس. وانّ منظر كهوفٍ ونهر في قفر مخيف مثيرٌ في القلب عوامل الانسحاق والتوبة والشفقة على نفوس شهوانية عالميّة تفضّل لذة أيام وفرحها على ابديّةٍ سعيدة.

أما رئيس مار اليشع فقبلنا بابهى مظاهر المحبة؛ وجمهور ديره يتألّف من

---

١) راجع ما جاء عن هذا الدير في تاريخ الطائفة للدويهي، ص ١٥٩؛ وفي تاريخ الرهبانية اللبنانية للاب بليبل، مج ١، ص ٢٤ و٢٥ و٢٢٢؛ وما كتبناه في مجلة المشرق (٢٤[١٩٢٦]: ٧٤٦-٧٤٩)

عشرين راهباً مارونيا يُلقّبون بالحلبيين ، وهم وحدهم يستحقون اسم الرهبان .

أسكنهم هذا الدير منذ زهاء خمس وعشرين سنة كاهنٌ قديس يُدعى عبدالله [1] ، وسار في تدبيرهم ونظام معيشتهم على مشورة الاب المكرّم نقولا بازير [2] (Bazire) وكان هو اوّل رئيس عليهم ثمّ أُخذ من ديره قسراً وسيم اسقفاً ، وديرنا في عينطورة هو في ابرشيته [3] ، وأقام خلفاً له في ديره الاب جبرائيل [4] الراهب النادر باحتشامه ومثله الصالح ، والمحترم والمبجّل عند عموم الموارنة والروم والاسلام انفسهم نظراً الى سموّ معارفه في اللغة العربية .

يقضي الرهبان الحلبيّون هؤلاء سنتين في التجربة . لا يأكلون اللحم ابداً ، والفقر لامعٌ في ملابسهم . يرتّلون الصلاة نصف الليل ، وقد حضرناها عندهم

---

١) هو الاب عبدالله قرألي الحلبيّ مؤسس رهبانيتنا اللبنانية والمحسن الكبير الى طائفتنا . ولا بدع ان دعاه الاب بيكوه « بالكاهن القديس » لان شهرة فضائله ملأت انحاء جبل لبنان وسورية وما جاورها من البلدان ، وتحدثت بها الالسن ، واجرى الله على يده الكرامات في حياته وبعد مماته . وُلد هذا الاب سنة ١٦٧٤ ، ولبس الزيّ الرهبانيّ في ١٠ تشرين الثاني سنة ١٦٩٥ ، وسيم كاهناً في ١٤ ايلول ١٦٩٥ . وانتُخب رئيساً عاماً ادواراً ، ورقي الى اسقفية بيروت في ١٧ ايلول ١٧١٦ . ورقد بالرب في ٦ كانون الثاني ١٧٤٢ ، ودُفن في الرمس المعدّ له بكنيسة دير سيدة اللويزة . ولا تزال الى الآن محفوظة في هذا الدير عمامته (طاقيته) ومنديلها كأثمن الذخائر . طالع ترجمته المطوّلة التي درّجها عشيره وتلميذه الاب توما اللبودي ، ونشرها الاب رباط في مجلة المشرق (١٠[١٩٠٧] : ٦٢٥ و٩٩٥ و٧٣٠ و٧٩٨)

٢) يظهر ان الاب بازير كان من اصدقاء الاب قرألي ، فكان يتداول واياه في وضع الفرائض الرهبانية .

٣) ان دير عينطورة هذا هو اليوم مدرسة الآباء اللازريين المشهورة .

٤) هو الاب جبرائيل فرحات الشهير احد مؤسسي رهبانيتنا الذي خلّف للغة العربية من تصانيفه تركة علمية لا تعادل بثمن . ولا عجب اذا أجلّه الموارنة والروم والاسلام ، فانه احد اعلام الامة المسيحية في الفضل والعلم . وُلد في حلب في ٢٠ تشرين الثاني سنة ١٦٧٠ ، وترهّب ١٦٩٥ ، وسيم كاهناً ١٦٩٧ ، وأقيم رئيساً عاماً من سنة ١٧١٦ الى سنة ١٧٢٥ التي فيها رقي الى اسقفية حلب في التاسع والعشرين من تموز باسم جرمانوس . وتوفي في ١٥ تموز ١٧٣٢ . عليك بترجمته النفيسة التي ألّفها المؤرخ المدقّق المرحوم المونسنيور جرجس منش ونشرها في السنة السابعة من مجلة المشرق (١٩٠٤) ثم طبعها على حدة بعنوان : « المستطرفات في حياة السيد جرمانوس فرحات »

ثلاث مرّات ، وكانت لنا خير قدوة حشمتهم في الكنيسة وحرارتهم في الصلاة. يصرفون قسماً من نهارهم في حراثة الارض وفي الاعمال الخدمية ، ويكشفون افكارهم لرئيسهم كل يوم صباحاً ومساء ، ويبذلون في حفظ فرائضهم ، ولاسيما فريضتي الصمت والصوم الشاقّ ، منتهى الدقّة . يندرُ ان يروا الناس ، ولا تدخل النساء كنائسهم . وان بدا من راهب تراخٍ او تقصير في واجبات دعوته فيخرجه الرئيس ، ولو كان مضى على نذره عشر سنوات . وللرئيس استطاعة على حلّه من نذوره [1] .

أقمنا في ذلك الدير الى الثامن عشر . وغادرناه صباحاً مع هداتنا الى قنُوبين الذي يبعد عن مار اليشع نحو ساعتين. وقد وقعت اعيننا على كثير من صوامع كان يسكنها المتوحّدون قديماً ، وقد اقفرت وهدمها المتاولة والمسلمون.

ورأينا ايضاً اطلال بعض مناسك كائنة في بطون صخورٍ ذات تحدُّرٍ بليغ بحيث يصعبُ معه فهم الواسطة للصعود اليها.

دخلنا معبدًا محفورًا حفرًا متقناً ، فيه مذبحان على أحدهما صورة العذراء ، وعلى الآخر صورة القديس انطونيوس. والى جانب هذا المعبد في الصخر نفسه ، بعضُ صوامع لم تعدْ لائقةً بسكنى المتوحّدين فيها مرتاحين . والنهر المقدّس يجري في سفح هذه الجبال على مسافة نحو من ستّ ساعات.

وصلنا دير قنُوبين [2] وهو كرسيّ بطريرك الموارنة . فقُبلنا فيه بكل محبّة وعطف . فيه عدد قليل من الرهبان . مساكنهم حقيرة فقيرة ، وكسوتهم ومعيشتهم أفقر وأحقر . يعيش البطريرك والرهبان وبعض الاساقفة المارونيين معاونيه باتحادٍ كامل وآدابٍ قدرةٍ في البساطة والطهارة . يُنزلون بالهفوات الطفيفة عقاباً صارماً ، ويقبلون الغرباء بالرغم من فقرهم المدقع بكل محبةٍ وبشاشةٍ وفقاً لروح الضيافة عندهم. ٥

---

١) ان قانون رهبانيتنا في ذاك العهد كان مثبتاً من السيد البطريرك ، لا من الكرسي الرسوليّ ، لذلك كان للرئيس العام استطاعة الحلّ من النذور .

٢) طالع ما كتبه عنه الاب لامنس في كتابه تسريح الابصار ، مج ١ ص ١١١ .

قابلنا البطريرك [1] ببزّته الحمراء الكاملة المذيّلة بالفرو ، من تحتها اللباس الارجواني ، وهو متجلبب بثوب من الاحتشام أكمل.

ومعبد الدير على اسم السيدة العذراء ، وقد مضى على تشييده ، على ما فهمنا من البطريرك ، اربعة عشر جيلاً . والمعبد مغارة فسيحة جميلة مزدانة بتصاوير كثيرة منها صورة اينوشنسيوس الحادي عشر [2] ، ولويس الرابع عشر [3] ، أرانا اياهما البطريرك نفسه . وقد حضرنا اكثر من مرّة صلوات النهار والليل التي تمت على أوفر عبادة وتقوى . طقسهم (ليتورجيتهم) قديم سرياني تتخلّله بعض مقاطع عربية مكتوبة بالحرف السرياني المدعو بالكرشوني.

وغُرَف الرهبان مفاور بجانب الكنيسة يخرجون منها ويرجعون اليها متحملين حرّ الصيف وقرّ الشتاء. ومن جملة تلك الغُرَف غُرفة نُقشت على جدرانها اسماء الاباء اليسوعيين الثلاثة : يوحنا برونو (Bruno) ، ويوحنا المعمدان اليان (Aelien) ، وايرونيموس دنديني (Dandini) الذين ارسلهم سنة ١٥٨١ البابا غريغوريوس الثالث عشر ، ثمّ اكليمنضوس الثامن ، قصّاداً الى الموارنة.

وقد شرّفنا البطريرك كل مدّة اقامتنا في قنّوبين باجلاسه إيانا معه لتناول الطعام على مائدته مع رهبانه ، حيث شهدنا القناعة باكمل مظاهرها ، لانّ طعامهم سلطة خُضر وفجل وقليل من السمك المملّح مع خبز يابس أسود . أمّا خمرتهم ففاخرة لم يُشرب في فرنسة أجود منها.

بذل البطريرك جهده ليبقينا زماناً اطول في ديره ، لكننا اعتذرنا بانّ وقتنا محدود ، واستأذنّاهُ بالسفر . وقبل المسير حضرنا صلاة الليل وتلونا القدّاس ، ثمّ اكرمنا غبطته بوشاحه [4] الجديد ، وزوّدنا ببركته ، وسافرنا

---

١) هو السيد يعقوب عوّاد الذي رقي العرش البطريركي سنة ١٧٠٦ ، وقضى نحبه في ٩ شباط سنة ١٧٣٣ . راجع سلسلة البطاركة ص ٤٤ و٤٥ ، والفصل الذي كتبه عن البطريرك يعقوب عوّاد الموسيو ريستلهوبر في كتابه « تقاليد فرنسة في لبنان » ص ٢٥٠-٢٨٦

٢) تسنّم العرش البابويّ سنة ١٦٧٦-١٦٨٩

٣) جلس على عرش فرنسة من سنة ١٦٤٣-١٧١٥ وكان عمره حينئذٍ خمس سنوات.

٤) بدلة التقديس.

مصحوبين بشمّاسه (الانجيليّ) الخاصّ ليهدينا في طريقنا الوعرة المسالك.

وعلى رمية حجر من باب الدير معبدٌ مُقام على اسم القدّيسة مارينا . وكلُّ ذلك المكان معطّرٌ برائحة قداسة هذه العذراء ، وهو حافظٌ لها احتراماً لا يوصف .

لا يخالج أحداً ريبٌ بما يخبرنا التاريخ عن حياتها : فانها قد لبست لباس الرجال ، ودخلت دير الرهبان ، وخدمت الله بهذا الثوب سنين عديدة . وقد سمح الله فشكيت زوراً بفعلةٍ شنعاء مع ابنة قريبة من مسكنها ، فحكم عليها رئيسها باعمال توبةٍ شاقّةٍ تمارسها في مغارةٍ صارت بعدئذٍ معبداً على اسمها وهي الى الآن تُكرَّم فيه . على انَّ الله الذي يهتمُّ دائماً باوليائه اظهر براءتها المشهورة ، وأثاب فضيلتها حتى في هذه الحياة الدنيا ، بعجائب عديدة جرت عند قبرها .

صلّينا في هذا المعبد التقويّ واخذنا طريق دير القدّيس انطونيوس[1] الذي يبعد نحو ساعتين من قنّوبين وسلكنا اليه في جبل ما رأيت في حياتي اصعب منه صعوداً ولا هبوطاً . ودير القديس انطونيوس هذا قائمٌ في سفح جبل من صخر مخشوشن ، يسكنه ثلاثون راهباً حلبياً ، مرَّ بك كلامٌ عنهم ، بينهم اثنا عشر كاهناً يقيم فيه مؤسسهم الاسقف عبدالله ، الرئيس الاول عليهم قبل تسقيفه ، والذي قبلنا ببشاشة عظمى . إنَّ هذا الحبر يحيا في هذا الدير حياة قداسةٍ حقّة كأبسط الرهبان ، وعيشته اضيق من عيشتهم الشظفة ، ولا يتميز عنهم الّا بثوبه البنفسجي[2] .

١) هو دير مار انطونيوس قزحيا . المزار العمومي الشهير ، حيث يجري الله بشفاعة هذا القدّيس آياتٍ معجزات . وللمطران فرحات قصيدة رائعة في وصف هذا الدير وما يُقام فيه من صلوات ويجري فيه من جرائح . ديوانه طبعة سنة ١٨٩٤ ص ١٦٤ ، راجع تاريخ دير قزحيا للاب نعمة الله الكفريّ في المشرق (٤[١٩٠١] : ٢٦١ و٨٧٣) وما كتبناه نحن ايضاً . المشرق (٢٤[١٩٢٦] : ٧٥١-١٥٥) وما ورد عنه في تاريخ الرهبانية مج ١ ، ص ٥٩ .

٢) من طالع ترجمة هذا الحبر التي أشرنا اليها تولاه العجب من الاماتات والتقشفات الصارمة التي كان يمارسها بحيث لم تغير رتبة الاسقفية شيئاً من سياق حياته الرهبانية الماضية ، بل زادته زهداً وتقشفاً ومحبةً لاخوته الرهبان وغيرة على رهبانية ما انفكّ يتعهدها بعنايته

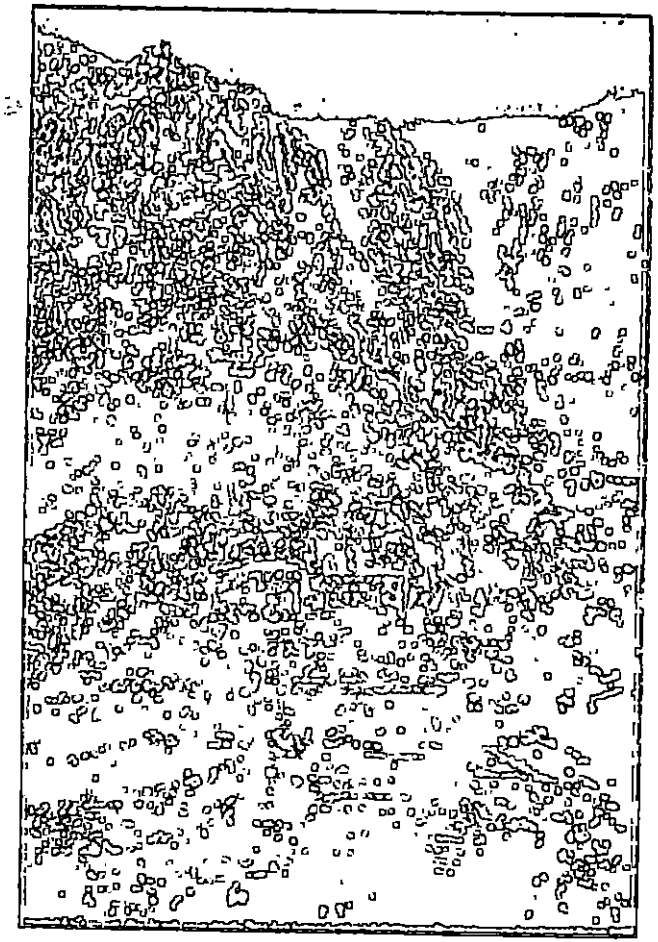

دير قنّوبين

دير مار اليشاع – في سفح الوادي المقدّس

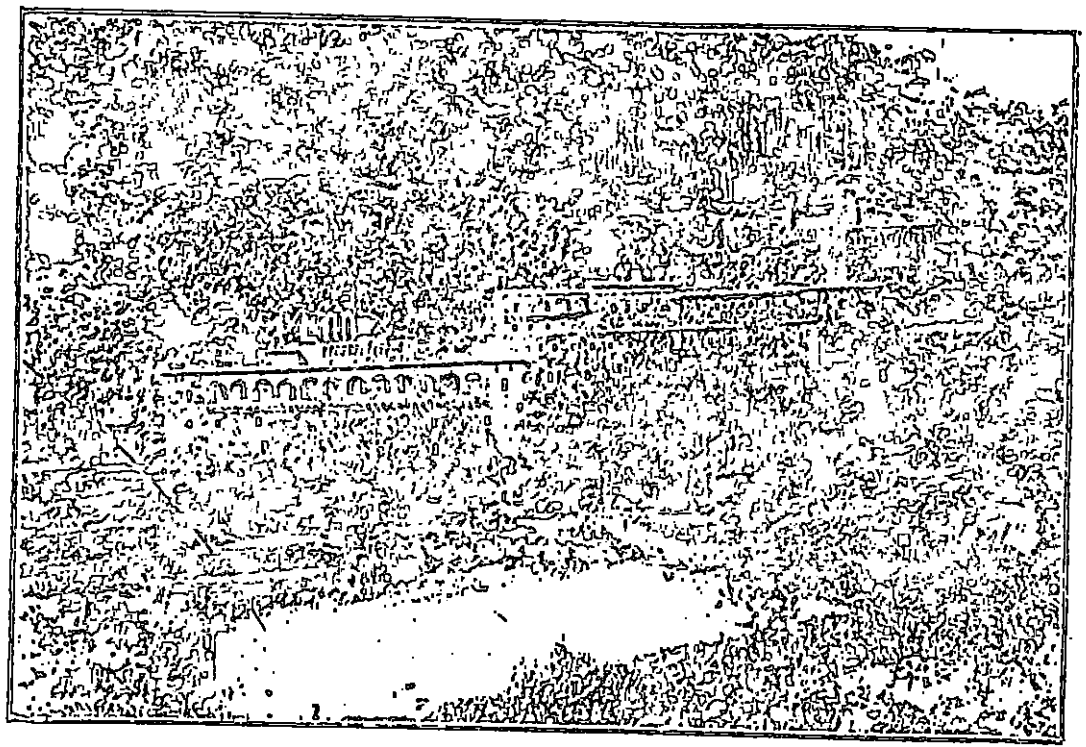

دير مار انطونيوس قزحيا

أمسكنا هناك يومين كاملين ، وأرانا الدير وما جاوره . وهو ، اي الدير ، قسمان كلٌّ على حدة ، ولكل قسم كنيسة . غير أنّ صلاة القرّاءة تُقام في الكنيسة الكبرى ، وزينة الكنيستين نظافتهما البليغة . وأرانا ايضاً مغاور اخرى كلها معابد بينها معبدٌ كبير جميل على اسم القدّيس ميخائيل فيه ثلاثة مذابح ، وغُرفتان صغيرتان يسكنهما رهبانٌ يتمّون رياضاتهم الروحية [1] . وفي آخر الجبل الموازي مغارتان أخريان فيهما اثنان من رهبان الدير نفسه يسيران سيرة التوحد الكاملة ، فلا يخرجان منهما ابدًا ولا يتحدّثان الى احد الّا الى الرئيس ليكشفا له افكارهما كل يوم ؛ وكلاهما كامنان يقيمان الذبيحة الالهية في معبدٍ صغير محفور في الصخر .

يمتنع على انسانٍ ان يرى قدوة تقوى اعظم من التي رأيتُ في رهبان هذا الدير .

قضينا معهم يومين ، ثم استأذنت المطران عبدالله بالسفر ، فاصحبني بهادٍ يرشد خطانا الى عرجس بطرق كلها مهاوٍ يمتنع على مثلنا قطعها بغير هادٍ .

المسافة من عرجس الى طرابلس اربع ساعات . وهذه المسافة سهلٌ واحد منبسط بديع المنظر مغروس بالزيتون وبسواه من الاشجار المختلفة . وصلت الى طرابلس مرتاحاً ، ومنها سافرتُ حيث تابعتُ بنعمة الله مهامَّ الرسالة بالرغم من الامراض السارية التي كانت السبب في زيادة أعمالنا ، ولم يوقف خطرها الكبير غيرة مرسلينا ، وعارٌ على من لا يقتدي بهم .

ومن حيث إنّا بحاجةٍ كبرى الى نعم الله المتواصلة ، نطلب منك ومن جميع ابائنا ان تلتمسوا لنا هذه النعم من الله في قداديسكم الالهية . هذا وانا بتملقي بكم واحترامي لحضرتكم أوضع واطوع بنيكم .

بتيكوه (Petitqueux)

ومثله الصالح الى آخر حياته ، بصرف معظم ايام اسقفيته في اديار ازدانت بفضائله وفاحت منها روائح نسكه ، عائشاً بين اخوته كواحد منهم غير متميز عنهم الا بثوبه كما رأيت ، آخذاً النفس بالامانة البليغة والجهاد النسكي صوناً للكمال .

١) راجع ما كتبناه عن هذا المنسك وغيره في مجلة المشرق (٢٦[١٩٢٦] : ٧٥٢)

« كثرة الغَلَبة »*

حكاية

– عجيب امر هؤلاء الجيران ! يا خليل . فاننا لا نسمع الا صراخهم .

– ما لنا ولهم ، يا ليلى . الا تعلمين ان لكل انسان حالات يهيج فيها غضبه ، فيُدفع الى رفع صوته ؟

– اجل ان الغضب عاطفة تستولي على الجميع ، ولا تلبث ان يعقبها الهدوء . ولكن غضب هؤلاء الجيران مخالف غضب البشر ، فتراهم في هيجان دائم . اسمع ! اسمع ! لقد ارتفع الصوت . هناك خلاف بين الجار وامرأته يلزم ان اعرفه . تعالَ ! ادنُ من النافذة ، وتسمّع .

فتقدّم خليل قليلًا ، وقال متضجرًا :

– لله منكنّ ، ايتها النساء ! ما « اكثر غلبتكن ! »

ثم اخذ وامرأته يتسقّطان اقوال الجيران . غير ان علوّ النافذة ، وسماكة الجدار ، والضجّة المتواصلة كانت تحول بينهما وبين فهم اكثر الالفاظ ؛ فلم يكونا يسمعان الا المقاطع الرنانة والصراخ المتتابع . فأسفا لاحتدام الشجار بين جارهما وامرأته .

اخيرًا ضجر خليل فرجع الى مكانه ، قائلًا :

– ستكون العاقبة وخيمة !

فقالت ليلى :

– اسمع ! اسمع ! لقد بدأ الرجل باللعنات ، والمرأة بالتأوهات . مسكينة هذه الزوجة ، ففي كل يوم تلقى منه الاهوال .

– على رسلك ! انت تدافعين عن المرأة ! ومن يضمن لك ان لا ذنب لها ؟

– لنفرض انها مذنبة ، او لا يجمل بزوجها ان يتبصر في ما يقول ! أوَ

---

* تُطلق العامّة هذا التعبير على الفضول وحبّ الاطلاع غير المشروع ، والميل الى التدخل في شؤون الغير .

لا يجدر به ان يعتبر امرأته ، بل ان يعتبر نفسه ، فيتأنى في غضبه . انه حيوان شرس لا يفهم اللطف والذوق معنى . يقضي ليله في الحانات ، ثم يجيئها الصبح فينغص عليها عيشتها . لقد مضى ثمانية ايام على وجودهما قربنا ، وفي كل صباح يسمعنا حضرته ما يكون قد حفظه بالامس من الالفاظ واللفتات التي يترفع عن التلفظ بها الخمارون انفسهم .

— ما لنا ولهم يا ليلى . قلت لكِ اني لا احب التدخل في امور الغير .

— طالما رددت على مسمعي هذه النغمة : « لا احبّ التدخل في امور الغير » ! فاصنع ما يوافقك . اما انا فقد عزمت على ان اشكو هذا الوقح الى البوليس ، اذا ضرب امرأته كالبارح ؛ لاني لا اطيق ان ارى هذه المسكينة تتعذب كل صباح .

فقهقه خليل وقال :

— يا لكِ من محامية بارعة ! أوَ تظنين اني سادافع عن الزوج فيحتدم الجدال بيننا . اصنعي ما يروقك ، واشكيه لا للبوليس فحسب ، بل لمحافظ المدينة ، اذا شئتِ .

وما كاد خليل ينهي كلامه حتى ارتفع الضجيج ، وعلا الصياح ، وسُمع صوت المرأة صاخبةً مهددة :

— « يا قاتل ! يا قاتل ! اصبر قليلًا ، سأرجعتك الى السجن المؤبد ! لقد كفاني ما . . . »

فاصفرّ وجه خليل ، وجذبته ليلى مضطربةً هامسة :

— تعالَ نذهب امام بابها ، فاننا لا نكاد نسمع شيئاً من هنا .

فخرجا ، واذا بصاحبة المنزل واضعةً اذنها على باب الجار ، وقد جحظت عيناها ، وتقلّصت شفتاها ، وفُتح فوها انذهالًا . فتبادلت وليلى بضع كلمات ؛ ثم سكت الثلاثة وقد فعل فيهم التأثر مفعوله . ولم يلبثوا ان سمعوا امرأة الجار تصرخ من الداخل :

— « هدّدني ، يا قاتل ، هدّدني ! فوالله العظيم لارجعتك الى سجنك ! »

فصاح زوجها وقد خنقه الغضب :

— « يا ابنة ... أتريدين خفض صوتك ! ... »

— « لا ! لا ! المن ، واشتم ، وقل ما شئت . فاني اريد ان يسمعني الجميع ... ارفع يدك ، يا لئيم ! فانا اهزأ بك وبغضبك . ولا يهمني الموت الآن ، بعد ان قتلت صغيرنا المسكين . نعم ، نعم ، لقد قتلته ، انت نفسك ، يا قاتل ، انت ، انت المجرم ! لم تشفق عليه ، يا ظالم ! »

— « كذابة ! ... »

— « انك تعلم حقّ العلم باني لا اكذب . »

فضحك الزوج ضحكة مستطيلة رمت الرعب في القلوب ، وقال ساخراً :

— « احتطت للامر من جميع وجوهه ، فافعلي ما بدا لك ، فلن تنالي شيئاً . »

فصاحت المرأة :

— « سترى عن قريب اني قادرة على اظهار الحقيقة . أوَ تظنّ ان سمّك لم يترك أثراً ؟ ... »

— « ألا تسكتين عن هذا الموضوع ؟ . »

ثم تتابعت اللعنات والشتائم ، وسُمع صوت المرأة متقطعاً ، مردّداً :

— « كنت اظنك اكثر شفقةً ايها الوحش الضاري ! »

فقوطع بضجيج شديد ، ثم سُمع :

— « يا قاتل ! يا شقي ! يا شقي ! يا قاتل ! »

فعلا صوت الزوج مهدّداً :

— « اني امنعك التلفظ بهذه الكلمة . »

— « ستسمعها من فمي حتى اعيدك لمقرّك بين امثالك المجرمين ! »

— « اصمتي ، اصمتي ، ان كان لك مطمع في الحياة . »

— « يا قاتل ! »

— « والله ان تقوليها بعد اليوم ! »

وارتفع الصراخ ، وسمع صوت تساقط الكراسي والآنية . وكانت المرأة تئنّ من قلب جريح ، ثم جمعت قواها وصاحت بصوت ابحّ :

— « آه ! يا قاتل ! يا قا ... »

فقطعت صياحها ضربة قاضية . ثم ساد السكوت الرهيب .

اما خليل وليلى وصاحبة المنزل فكانوا ذاهلين ، جامدين في مكانهم ، وقد علت وجوههم صفرة الرعب ، وعقد الخوف ألسنتهم . الى ان تحركت صاحبة البيت ، ولبت داعي الشفقة على الجارة المسكينة ، فقالت لخليل :

— «لا اخالك تترك هذه المسكينة تذهب ضحية هذا الوحش ، يا خواجه خليل ! » وكان خليل ، مع بغضه التدخل في شؤون الغير ، يفكر بطريقة يخلص فيها تلك المرأة المسكينة ، فما سمع كلام صاحبة البيت حتى صدم الباب بكتفه ، فاقتلعه ، ودخل غرفة الجار بسرعة البرق . . .

ولشدّ ما كان انذهاله عظيماً ، اذ رأى رجلاً يحلق امام المرآة ، وقربه امرأة بين يديها كتاب تقلب اوراقه . فوقف كالمصعوق امام هذا المشهد . اما الرجل فالتفت اليه مستغرباً ، وقال حازماً هادئاً :

— ماذا تريد يا هذا ؟ وبايّ حقّ تخلع الباب ، وتدخل علينا ؟

فازداد خليل اضطراباً ، وتمتم :

— عفواً ! يا سيدي ، أوَ لم تحدث المشاجرة هنا ؟

— واي مشاجرة تعني ؟ اني لا افهم ما تريد . فتفضّل بالخروج في الحال .

وكانت المرأة لا تزال تقلب صفحات الكتاب ، فعندما سمعت « بالمشاجرة» قهقهت طويلاً وقالت لخليل :

— يا لك من ابله ! أوَ حسبت ذلك مشاجرة ؟ كنا نراجع الفصل الثالث من رواية « القاتل » التي سنمثلها هذا المساء . فتفضّل واخرج ولا تضايقنا باسئلتك الباردة .

فخرج خليل خجلاً ، وهو يذمّ امرأته ورفيقتها ، ويلعن « كثرة الغلبة » .

***

ولم يتوارَ حتى قالت الممثلة لزوجها :

— يلزم ان نروي هذا الحادث لمدير المسرح ، فيقلع عن توبيخنا ، ويتأكد ان تمثيلنا طبيعي !

فؤاد افرام البستاني

جولة في المجلات

دير القمر على عهد الامير – النور والتدرّن –
الكثلكة في انكلترة

دير القمر على عهد الامير

ينشر الاستاذ عيسى اسكندر المعلوف في مجلة « المنارة » التي تصدر في جونيه ، شيئاً من اخبار الامير بشير الكبير لم تنشر قبلاً . من ذلك ما ورد عن وصف دير القمر ، كبرى مدن الجبل اذ ذاك ، وهي قطعة مأخوذة من مخطوطة لرستم باز ابن الشيخ جرجس باز الشهير . رأينا ان نأخذها بنصّها . (المنارة ١٩٣١ : ١٠٦) :

« انتَ عرفتها بعد ما تشوه اسمها وخربت واما انا ولدت وتربيت فيها . جنة كانت مدينة لبنان في ولاية الامير بشير التي كانت مدتها ٥٥ سنة[1] وهو الذي اعتنى في عمارها ونجاحها . وكثر سكانها فاتتها السكان من كل جهة للامن والراحة التي كانت سايدة فيها[2] . حتى صار فيها من النوال عدد ٣٠٠ تشتغل قماش وستة نوال منطرّ واربعين نول عبي . وصيّاغ وعقادين اكثر من ستين معلم ومحلاتهم معروفة . ومن الخياطين والحدادين والنجارين والحلاقين وقرادحة وسكافية من كل نوع وبرابيج وكل اسواقهم معروفة ودكاكين سمانة وخضرجية .

واما قيسارية[3] الكبيرة للتجار . وبها ميزان الحرير . ومن الصنايع

---

١) ان حكم الامير كان ٥٣ سنة فكأنه ذكره تقريباً هنا .

٢) استقدم الامير إليه امهر الصناع واللبنانين والمهندسين وجاءت أسر كثيرة الى الدير من حلب والاستانة ودمشق وجهات لبنان وسورية قبل عهده وبعده .

٣) القيسارية تحريف القيصرية وهي ابنية الحكام والامراء للصناعات .

النتّالين والصباغين والدباغين والصابون . اكثر حرير لبنان يورَّد لقيسارية التجار ويسلم للسماسرة وهذه اسماؤهم طنوس مرهج جد سليم لطوف بو شاكر . جبره الحلبي . واهم تات [1] ابو جهنم . شاهين وهبه وخلافهم . فتشتريه التجار وترسله للشام وحلب وحمص وحماة ويصرف منه جانب بالدير للنوال والشراريب وعقايص النسا وكله يزان بميزان الحرير . وكان اكثر من خمسماية حرمة تمتاش من كسب الحرير .

وقيسارية محشوكة في البضائع من كل جنس تجلبها التجار من كل جهة . وبيروت قلة ما كانت معروفة عندهم . كانت صيدا وحلب والشام . وما كان يوجد دكان بيع وشرا بكامل تلك الجهات كل احتياجاتهم من الدير . وكان الامير يفتخر فيها : التجار للمال عند اللزوم والرجال للحرب . فنذكر الآن المال الذي يدخل لخزنة الامير . منها الدكاكين والخرج كلهم ملكه والقيسارية والسرايات مأجورين للسكن كل هؤلاء لا اعرف بالتحقيق قدر ايرادهم .

واما المناقل [2] فهم هكذا : المصبنة ضامنها موسى شوعا بالف عد ٢٢٥ وحاجز الصابون عن لبنان . لواح لا يقدر يدخل لان نقده ما كان عنده بل حبس وضرب عصي وضبط ارزاق . ملحمة الضان ضامنها عبود الشدياق وشركاه بالف عد ١٣٠ يسدده بها لحم كل يوم راس عد ١٢ واحيان اكثر . ملحمة البقر ضامنها بو مارون الفرخ بالف عد ٣٠ . الكيالة مع القبان ضامنها غسطين بو عكر وشركاه بالف عد ١٢٥ . المصبغة ضامنها باروخ بالف عد ٢٥ . الدباغة ضامنها اولاد عزير بالف عد ١٥ . ميزان الحرير ضمنه مدة ابن عمنا يوسف باز بالف عد ٣٢ . وكان يأخذ ميرة عن كل نول قماش في السنة ٣٠ . فكانت كل هذه الاموال تصرف بالدير .

وكانت بتدين تأتيها الاكابر والاصاغر من كل البلاد وتشتري من الدير لوازمها . ثم معصرة الحلاوة ضامنها اولاد المصراني بالف عدد ١٢ . وكل هذه الاشياء محزوزة (محجوزة) .

---

١) هكذا في الاصل مشوشة ولعلها (ابراهيم ثابت) . [المشرق : والارجح انها دهام ثابت]
٢) تستعمل عامتنا المنقل بمعنى المعمل والمصنع كالدباغة والمصبنة .

فالآن ففي كل ذلك الخز فصارت كل ضيعة وقرية ومزرعة عندها ما يكفيها وفي غنى عن الدير. فاصبحت اهلها الباقين فيها والراضين بحالتها مفرودين يبيعوا بعضهم الى ما شاء الله وربما تنحط اكثر.

هذا مدخول الامير من الدير عدا عن باقي المحلات، ايراد البكاليك بكامله ايراد ارزاق الشيخ بشير جنبلاط بعد قتله وهدم حارته بقي هذا الايراد لحين قيامه من الجبل. وخلافه كثير. كل من غضب عليه يضبط ارزاقه ضمان المسابك لاستخراج الحديد. حجز نمال الخيل والبغال وخلافهم عملهم في دوما لقربها من المسابك.

وايرادات كثير وعداد الغنم والاماعز والسمن من العرب. والاكراد تجار الاغنام بالشام كل سنة تقدم ماية الف غرش لصيانة ارزاقها وتحصيل اموالها.»

النور والتدرن

نشر الدكتور غنو، استاذ الامراض الصدرية بالجامعة الاميركية، مقالاً مفيداً في مجلة الكلي (اذار ١٩٣١: ٢١٧-٢٢٢) عن المعالجة باشعة الشمس والنور، رأينا ان نقتطف منه ما خص معالجة التدرّن:

«لا يجوز لي ان اترك هذا البحث دون اشارة مختصرة الى عظم اهمي معالجة الامراض التدرنية بواسطة النور. ان النور واشعة الشمس من الد اعدا الامراض التدرنية بانواعها واعظم قاتل للمكروب المسبب لها. وهي قلما تنتش بين من يعرضون اجسامهم ومساكنهم لاشعتها المطهرة ولكنها تكثر في احيا المدن المزدحمة التي لا يتخللها النور.

اما معالجة التدرن البطني والعظمي والمفصلي والغددي بواسطة الشمس فق عمّت العالم باسره وقلما يختلف في فائدتها اثنان. وبعد ان كنا نستعمل الجبا في معالجة التدرن المفصلي قد عدلنا عنه لانه يحجب نور الشمس واشعتها عن العض المريض وصرنا نعوّل منعاً للحركة عن العضو المصاب على طرق لا يحرم معها م التعرض الدائم للنور الطبيعي او لاشعة كيمية صناعية. وينبغي هنا التحذير م ان الاشعة البنفسجية التي يستعملها الحلاقون وغيرهم موهمين البسطاء انها ه

الاشعة الفوق البنفسجية بعينها لان ذلك ضلال وليس للاشعة البنفسجية شيء مقابل بالاشعة الفوق البنفسجية قطعياً.

اما في معالجة التدرن الرئوي بواسطة الشمس والنور فيوجد بعض الانقسام في رأي الاطباء وبينما تكون النتائج التي يحصل عليها البعض غير مرضية تكون النتائج التي يحصل عليها البعض الآخر حسنة جداً والسبب في ذلك لا يتوقف على النور وعلى مصدره بمقدار ما يتوقف على طريقة استخدامه فتعريض الصدر او الظهر رأساً لاشعة الشمس الحارة او تعريضه وقتاً طويلاً في حالة تدرن حادّ او فعال مثلاً هو شديد الخطر لانه كثيراً ما ينتج عن ذلك تهيّج في الجزء المصاب من الرئة لربما حصل عنه استفحال الداء او سبب نزفاً دموياً . ولكن اذا عُرّض المريض في حالة مرض مزمن وفي وقت تكون فيه حالته العمومية حسنة او اذا عُرض للاشعة الفوق البنفسجية الصناعية الخالية من الاشعة الحارّة واذا ابتدئ بتعريض رجلي المريض مدة قصيرة بينما يكون باقي الجسم في الظل على طريقة الاستاذ روليه ، واذا زيد التعريض تدريجاً بموجب الطريقة المذكورة مع عدم تعريض الصدر او الظهر الى ان يكون المرض قد توقف تماماً والمريض قد تقوّى وصار جلده نشيطاً وملوّحاً باشعة الشمس طبيعية كانت او صناعية فتزيد الفائدة ولا يبقى خطر على المريض من الشمس قطعياً . اما استخدام الاشعة الفوق البنفسجية في السل الرئوي فهو خالٍ من كل خطر وسهل المنال وجزيل الفائدة لعدم وجود الاشعة الحارة فيها اذا استعملت حسب الاصول .

الكثلكة في انكلترة

لا تزال الكثلكة في انكلترة على تقدّم متواصل ، تجلّى مؤخراً في ازدياد عدد الكهنة ، والكنائس ، والمدارس الثنوية والابتدائية ، والرهبانيات . وقد اطلعنا في مجلة «وحدة الكنيسة» (*L'Unité de l'Eglise, Janv.-Fev. 1931 p. 406*) على معلومات واحصائيات استقتها من النشرة الانكليزية الكاثوليكية « *Catholic Directory* » تدل احسن دلالة على اهمية الحركة الكاثوليكية في انكلترة وبلاد الغال ، فرأينا تلخيص شيء منها :

ارتدّ الى الكثلكة ، مدة سنة ١٩٢٩ ، ١٢ ٠٧٥ شخصاً ، وزاد عدد الكاثوليك ٣١ ٥٧١ . وقد بلغ عدد المرتدين في مدة عشر سنوات (١٩٢٠—١٩٢٩) ١٢١ ٩٧٣ ، وبلغت الزيادة في عدد الكاثوليك ٢٩٠ ٧٦٩

ولكن التقدم المهم كان في الاكليروس ، فزاد عدد كهنة الرعايا ١١٢ ، سنة ١٩٢٩، فبلغ اجمالاً ٢٨٩٧ . وأنشئ ١٥ كنيسة جديدة فبلغ عدد الكنائس العمومية ١ ٥٧٦ ، وكذلك زادت الكنائس الخاصة ٨ فبلغ عددها ٦٤٩ . وأسس الكاثوليك ، في السنة نفسها ، ١٠ مدارس ثانوية ، و ٢٠ مدرسة ابتدائية ، فبلغت الاولى ٥١١ ، والثانية ١ ٣٥١ . ووافق هذه الزيادة زيادة في عدد الطلاب فبلغ تلامذة المدارس الثانوية ٥٨ ٨٢٢ بزيادة ٤ ٩٢٥ على السنة السابقة ، وبلغ تلامذة المدارس الابتدائية ٣٧٩ ٤٨٤ بزيادة ٥ ٣١٥ تلميذاً على السنة السابقة . وزاد ايضاً عدد الزيجات الكاثوليكية زيادة محسوسة فبلغ ٢٣ ٠٤٥ بزيادة ٩٥٦ زيجة . الا ان عدد المواليد نقص ، فلم يعمّد من الاطفال سنة ١٩٢٩ الا ٦٣ ٢٨٠ بنقص ٣ ٠٦٧ عن السنة السابقة . وننشر في ما يلي جدولين يدل الاول على عدد الارتدادات الى الكثلكة سنةً فسنة ، في مدة العشر السنوات الاخيرة ، والثاني على التقدم المطرد في عدد الكاثوليك:

١٩٢٥	١٢ ٦٢١	١٩٢٥	١١ ٩٤٨
١٩٢٦	١١ ٦٢١	١٩٢٦	١١ ٧١٤
١٩٢٧	١٢ ٤٠٦	١٩٢٧	١٢ ٠٦٥
١٩٢٨	١٢ ٧٩٦	١٩٢٨	١٢ ٢٧٢
١٩٢٩	١٢ ٢٥٥	١٩٢٩	١٢ ٠٧٥

وهذا عدد الكاثوليك:

١٩٢٢	١ ٩٢١ ٩٩١	١٩٢٦	٢ ٠٤٢ ٦٢٠
١٩٢٣	١ ٩٦٥ ٧٨٧	١٩٢٧	٢ ٠٥٥ ٨٦٠
١٩٢٤	١ ٩٩٧ ٢٨٠	١٩٢٨	٢ ١٤٢ ٢٠٥
١٩٢٥	٢ ٠٢٠ ٨٥٥	١٩٢٩	٢ ١٥٦ ١٤٦

اما عدد الكاثوليك اليوم في انكلترة وبلاد الغال فيبلغ ٢ ٢٠٦ ٢٤٤ .

واننا لنتحقق عظم اهمية هذه الاحصائيات اذا قابلناها باحصائيات الكنيسة الانكليكانية التي تذيعها نشرتها الرسمية «*Official year Book of the Church of England*» فنرى عدد الانكليكان نقص ٣٠ ٠٠٠ سنة ١٩٢٩ ، وان الكنيسة الرسمية للحكومة لا يزيد عدد رعاياها على مليونين ونصف مليون في بلاد يبلغ عدد سكانها اربعين مليوناً .

ف. ا. ب.

شذرات

محصولات مناطق الانتداب سنة ١٩٢٩

اعتدنا ان ننشر كل سنة ، عن « نشرة بنك سورية ولبنان الكبير » ، بعض الفوائد عن محصولات بلادنا الزراعية والصناعية ؛ وقد ظهر مؤخراً العدد السادس (١٩٣٠) من تلك النشرة فرأينا ان نأخذ عنه ما يلي:

الزراعة

الحالة الزراعية العامة

كانت النتائج الزراعية من افضل ما يؤمل . فان هطول الامطار وموافقة المناخ لاكثر انواع المزروعات ، ساعدا على محصولات كانت في بعض المحلات تفوق محصولات السنة السابقة بثلاث او اربع مرات . وتزداد قيمة هذه النتائج اذا انتبه الى انه بسبب المحل في محصولات السنة السابقة ، اهمل المزارعون زراعة قسم صالح من ارضهم بسبب فقرهم وخيبة آمالهم ، فضيقوا مساحة الاراضي المحروثة كما سنرى.

ولكن لسوء الحظ لم يكن لزيادة المحصولات الزراعية النتائج الحسنة التي كانت تؤمل لتحسين حالة المزارعين وترقية اقتصاديات البلاد الاجمالية . وذلك بسبب زيادة المحصول على المطلوب في العالم كله ، وما جرته من كساد المحصولات الزراعية . على انه يجب الاشارة الى بعض ما شذ عن هذا الكساد مما يدخل في الزراعة كتربية المواشي ولاسيما الغنم ، وزراعة الليمون ، والبذرة الصفراء والبيضاء ، وقد بيعت كلها باسعار موافقة بل حسنة.

الحبوب

تقدر الاراضي التي خصتها الحكومات بنوعي الزراعة المهمين اي القمح والشعير بما يلي :

	قمح		شعير	
	١٩٢٨	١٩٢٩	١٩٢٨	١٩٢٩
	هكتار	هكتار	هكتار	هكتار
لبنان	٥٤ ٠٠٠	٥٢ ٠٠٠	٢٨ ٠٠٠	٢٤ ٠٠٠
العلويون	٤٠ ٠٠٠	٣٣ ٠٤٠	٢٠ ٠٠٠	١٧ ٠٠٠
سورية	٣٢٠ ٣٩٠	٢٧٠ ٠٠٠	٣١٢ ٠٠٠	٢٥٨ ٢٠٠
	٤١٤ ٣٩٠	٣٥٥ ٠٤٠	٣٦٠ ٠٠٠	٢٩٩ ٢٠٠

فيكون مجمل المساحة المزروعة قمحاً وشعيراً ٦٥٤ ٢٤٠ هكتاراً يقابلها في سنة ١٩٢٨ مساحة ٧٧٤ ٣٩٠ هكتاراً . وسبب هذا النقص قلة الموارد في المال والحبوب ، التي تأثر بها المزارعون بسبب المحل في الموسم السابق.

اما المحصولات في السنتين ١٩٢٨ و ١٩٢٩ قمحاً وشعيراً فنقابل بينها في الجدول التالي :

	قمح		شعير	
	١٩٢٨	١٩٢٩	١٩٢٨	١٩٢٩
	طن	طن	طن	طن
لبنان	١٨ ٠٠٠	٤١ ٦٠٠	١٤ ٠٠٠	٢١ ٦٠٠
العلويون	٢٠ ٠٠٠	٥٠ ٠٠٠	١٠ ٠٠٠	٢٦ ٠٠٠
سورية	١٣٦ ٠٠٠	٣٤٦ ٤٥٠	٢٧٤ ٠٠٠	٤٧٩ ١٠٠
	١٧٤ ٠٠٠	٤٣٨ ٠٥٠	٢٩٨ ٠٠٠	٥٢٦ ٧٠٠

فيجدر بنا ان نلاحظ الزيادة المهمة التي اتت بها السنة ١٩٢٩ الماطرة على السنة ١٩٢٨ الجافة. فنقول انه في ما خص القمح زاد المحصول بضعفين ونصف ضعف على محصول السنة الفائتة وقد زاد ايضاً على محصول السنة ١٩٢٧ وهي سنة عادية ، كل هذا رغم ان مساحة الارض المزروعة قمحاً نقصت سنة ١٩٢٩ عما كانت عليه سنة ١٩٢٨ بمعدل ١٤٪

وكذلك تتحقق الزيادة نفسها في محصولات الشعير على رغم نقص المساحة المزروعة المعادل ١٧٪

اما زراعة الحبوب الصيفية كالذرة الصفراء والبيضاء فقد اتت هي ايضاً

بمحصول حسن بلغ ١٣٤٨٨٠ طناً في مساحة ٩٥٢٠٠ هكتار يقابلها في سنة ١٩٢٨ ، محصول ٦٢٠١٠ اطنان في مساحة ٥٣٠٠٠ هكتار . فتكون النتيجة انه بزيادة نحو ٤٠٪ من الارض المزروعة زاد المحصول اكثر من ١٠٠٪

اما الزراعة الجديدة التي نشأت في بعض الجهات من بلاد العلويين وسورية ، وهي زراعة الارز ، فقد اتت بنتائج جديرة بالذكر ترضي المزارعين . الا ان هناك مشكلاً لم يحلّ بعد في ما خصّ عمليات نزع القشر وتحضير الارز ، وذلك لانه ليس في البلاد الآلات اللازمة لهذا العمل .

القطن

كان من نتائج الامطار الغزيرة التي هطلت بتناسب في فصل الشتاء فخزنت في الثرى كمية موافقة من الرطوبة ، ومن نتائج محصولات القمح والشعير الحسنة التي صرفت المزارعين عن الاتجاه الى المزروعات الصيفية الثنوية ، ان هؤلاء مالوا الى زراعة القطن فكانت مساحة الارض المخصّصة لذلك زائدة زيادة محسوسة عمّا كانت عليه في السنة الفائتة . وقد كانت النتائج بالاجمال عند الآمال التي عزّزتها الظروف الموافقة .

فكانت النتيجة في سورية ، التي خصّت بزراعة القطن مساحة تزيد اربعة اضعاف عنها في سنة ١٩٢٨ فتبلغ ١٧٣٤٩ هكتاراً ، ولم تكن سابقاً الا ٤٣٨٥ هكتاراً ، ان محصول المروق او الالياف القطنية بلغ ٢٤٦٦٠ كنتالاً (الكنتال مائة كيلو) يقابلها ٥٧٠٠ كنتال في سنة ١٩٢٨ . وان من الجدير بالذكر التوسّع المحسوس الذي تتخذه زراعة القطن في الاراضي البعلية ، وخصوصاً القطن الاميركي من النوع المعروف « بلون ستار » وهو امر جزيل الاهمية في مستقبل هذه الزراعة .

وقد زادت مساحة الاراضي المزروعة قطناً في بلاد العلويين من ٣٠٠٠ هكتار الى ٧٠٠٠ هكتار انتجت ٧١٠ اطنان يقابلها ٣٦٠ طناً سنة ١٩٢٨ . وقد زادت هذه المساحة المزروعة في سنة ١٩٣٠ ايضاً فبلغت ١٣٠٠٠ هكتار مما يدفع الى الامل بافضل النتائج وبالتقدم المتواصل .

وقد اتحد في سبيل هذا التقدّم السلطات العامّة ، والادارات ، والمصارف ،

والشركات الخاصة ، والملاكون ، فلم يألوا جهداً في توسيع مساحة الزراعة وتحسين طرقها واساليبها . وكان من حسن الاتحاد والمعاونة بين الادارات الفنية في الحكومات والشركة القطنية الفرنسوية للمستعمرات ، التي لا يزال عملها يأتي بالفوائد الجمة في جميع مناطق الانتداب ، انه بعد ثمانية عشر شهراً من العمل ، أنشئ « معهد قطني » في بلاد العلويين في السنة ١٩٢٩ ، ومعهد آخر في سورية سنة ١٩٣٠ ؛ وأنشئ معمل للحلج والكبس في الحميدية (بلاد العلويين) ومعملان آخران للحلج والكبس ايضاً في حمص وحماة ؛ واستحضر في سنة ١٩٢٩ ، ١٥ طناً من بزور النوع المعروف « بلون ستار » ، و ٥٣ طناً في سنة ١٩٣٠ . وتزيد ان القطن الحاصل سنة ١٩٢٩ من البزور التي ادخلتها الشركة المذكورة لاقى في الهاقر العلامات المجيدة .

التبغ

قدرت محصولات التبغ سنة ١٩٢٩ ، في لبنان ، بـ ١٠٠٠٠٠٠ كيلوغرام يقابلها ٧٠٠٠٠٠ كيلوغرام سنة ١٩٢٨ . وفي بلاد العلويين بـ ١٥٠٠٠٠٠ كيلوغرام يقابلها ٦٠٠٠٠٠ كيلوغرام سنة ١٩٢٨ .

وقد اتخذت السلطات العامة احكاماً من شأنها تحديد زراعة التبغ وحصرها في المناطق التي تغل التبغ الحسن الجنس فقط ، فتمكن المزارعون من بيع محصولهم بسهولة وبسعر موافق .

الصوف

بلغت محصولات الصوف نحو ٩١٠٠ طن فزادت نحو ٢٥ ٪ عما كانت عليه السنة السابقة . وكان من حسن تأثير المراعي الخصبة هذه السنة ان مائة الجزة التي كانت لا يتجاوز وزنها ٢٠٥ الى ٢١٠ كيلوغرامات في سنة ١٩٢٨ ، بلغ وزنها هذه السنة ٢٥٠ الى ٢٨٠ كيلوغراماً .

مطبوعات شرقية جديدة

Chapoutier (F.) : Mallia. Ecritures minoennes. [*Ecole français: d'Athènes. Etudes crétoises. II*] *Geuthner*, 1930, *VII-99 pp. 4°, VII pl. et 36 fig.*

مالية والرُقُم المينوية

يعلم قرّاؤنا — او لا يعلمون — انه اكتشف في جزيرة اقريطش رُقُمٌ عديدة بلغة مجهولة . وان هذه الرُقُم ، الراقي اقدمها الى الفي سنة ق. م. ، بدأت تصويرية على طريقة الهيروغليف ، ثم اخذت تتسهّل حتى وصلت الى الطريقة الخطية . وقد كشفت الحفريات الفرنسوية في مالية من مدن اقريطش ، عدداً كبيراً من رقم تلك اللغة مكتوبةً على الطريقتين . فدفع ذلك الاستاذ شاپوتيه ، عضو المعهد الفرنسوي في اثينة سابقاً ، واحد القائمين بحفريات مالية ، الى وضع هذا الكتاب عارضاً فيه الفوائد التي توصّل اليها العلماء حتى الآن ، ومدقّقاً في جميع الابحاث السالفة . فاتى تأليفاً مهماً يدلّ على مقدرة كاتبه ، وهو اليوم استاذ في جامعة ديجون .

على انني لا ارى رأي الاستاذ شاپوتيه في نقطة واحدة ولكنها مهمّة . وهي اذ يجتهد ، في الفصل الرابع ، في ان يبرهن على ان الابجدية الفينيقية تمتّ بصلة الى الخط الاقريطشي . أجل انه يقرّ مع جمهور الاختصاصيين بان الابجدية الفينيقية متفرّعة من الخطّ المصري ، ولكنه يرى ان العلامات الفينيقية اتخذت من الخط الاقريطشي الذي يتعلّق ، هو ايضاً ، بالخط الفرعوني . وهي نظرية لا يمكن ان تُسند الى برهان ، وقد جُلت في هذا الموضوع بتفصيل وافٍ في نشرة كلية القديس يوسف ، سنة ١٩٣٠ ، «*Mélanges de l'U. S. J. 1930*» فليطلب ذلك من شاء ، والسلام.

س. ر.

Giuseppe Furlani : Testi religiosi dei Yezidi, *traduzione, introduzione e note.* [*Testi e documenti per la storia delle religioni, n° 3*] *in-12, pp. X-124. Bologna, N. Zanichelli, editore,* 1930. *Lire* 12.

نصوص عن ديانة اليزيديّة

في هذا الكتاب قسمان : يحتوي الاول على معلومات عن ديانة اليزيدية المدعوّين بلغة العامّة ، « عبّاد الشيطان » ، والثاني على نصوص مختارة من كتبهم الدينية ، وقد ترجمها المؤلف الى لغته وعلّق عليها بعض الشروح . وهو مشهور بابحاثه في المعتقدات الدينية القديمة في ما بين النهرين ، وهناك مركز اليزيدية المهمّ . ولكن على الرغم من مقدرة المؤلف وما بذله من الجهود ، لا تزال تلك المعتقدات محجوبة بستر كثيف من الغموض . اجل انه حدّد علاقات اليزيدية بالصوفي السوري عديّ بن مُسافر الذي غدا قبره مزارهم المهمّ (ص١٩) وغدوا يذكرونه في كتبهم الدينية ذكرهم للاله (ص ١٢٠) ، واوضح رمز الطاووس عند اليزيدية . على اننا لم نفهم ما يمثّله لهم بالحقيقة ذاك الذي يدعونه « المَلاك او الملك طاووس » اهو ملاك ام إله ؟ ثم ان المؤلف يورد كثيراً من النصوص الدينيـة على انها صحيحة النسبة ، وهو امر يشكّ فيه كثير من النقّاد .

ه . ل .

Kampffmeyer (Dr G.) : Die Anfänge einer Geschichte der neueren arabischen Literatur. [*Sonderabdruck aus Mitteil. des Seminars für oriental. Sprachen zu Berlin, Jahrgang XXXI, Abteilung II, Westasiatische Studien* 1928.]

في تاريخ الادب المصري

هي رسالة في ٣٥ صفحة تتضمّن رسماً موافقاً لتأليف تاريخ الادب المصري منذ السنة ١٨٨٠ ، يشمل جميع مظاهر الادب العربي في الاوطان والمهاجر . وهي على قسمين : في الاول تحليل دقيق لمقال واسع في الموضوع نشره باللغة الانكليزية المستشرق جيب ؛ وفي الثاني ترجمة بحث عن ادباء العرب المعاصرين نشره باللغة الروسية المستشرق كراتشقوفسكي مقدّمة لمنتخبات من آثارهم . وكل هذا يدلّ على مقدرة المؤلف وميله الى آدابنا المصرية ميلاً يُشكر عليه .

ه . ل .

L. A. Stella : Italia antica sul mare. *Prefazione di* **Pericle Ducati.** *Milano, Ulrico Hoepli, editore,* 1930. 1 *vol. in-8° di pp. XXVII-308, con* 24 *fig. e* 87 *tavole fuori testo, legato. Prix : Lire* 45

ايطالية القديمة وسيطرتها على البحر

كتاب جميل ترشح منه عاطفة الحب والاعجاب ، ويدلّ على مقدرة وجلد خصّت بهما المؤلفة فارادت ان تبحث عن دور ايطالية في انتشار النفوذ الروماني على البحر المتوسّط بعد الحروب بين رومة وقرطاجة. فجالت في مختلف الاقطار الايطالية راقية الى اقدم العصور من الطور الظرّاني والبرونزي الى عصر الاساطير اليونانية ، الى زمن الاتروسك وانتشار سلطتهم في البحر الادرياتيكي ، الى سيراقوسة ، واخيرًا الى رومة وارثة تقاليد ايطالية البحرية . اما مظهر المجلد فجميل في ورقه وطبعه ورسومه . ج. ل.

The commentary of Pappus on book X of Euclid's elements. *Arabic text and translation by* **W. Thomson,** *with introductory remarks, notes and a glossary of technical terms by* **G. Junge** *and* **W. Thomson.** [*Harvard semitic series vol. VIII*] 1 *vol. in-8° de* 294 *pp. Cambridge, Harvard University Press.* 1930.

كتاب بپس في الاعظام المنطقة والصمّ التي ذكرها في المقالة العاشرة من كتاب اوقليدس في الاسطقسات

هذا الكتاب من تراث نهضة العرب، في عصر العباسيين، لنقل العلوم الاجنبية، نقله ابو عثمان الدمشقي عن بپس ، وموضوعه تفسير المقالة العاشرة من كتاب اوقليدس في الاصول الرياضية. وهو جزيل الفائدة لما يدل عليه من اهتمام العرب بتلك الفنون في ذاك الوقت ، ومن مرونة اللغة العربية وموافقتها لهذه الانواع من التعبير . وقد شاءت جامعة كمبردج تمثيل الكتاب للطبع فاهتم به الاستاذ وليم طمسون فطبعه ، مع ترجمة انكليزية ، وقدّم عليه بحثًا في وصف مخطوطات الكتاب ، ومصادره اليونانية ، وما الى ذلك من ذكر طبعته وترجمته. ووطّأ الاستاذ يونغ الالماني لذلك توطئة مفيدة في موضوع الكتاب وقيمته الرياضية . ثم اشترك الاستاذان فعلقا على النصّ بعض الشروح والملاحظات

ووضعا معجماً للالفاظ الوضية الواردة فيه. فاتى العمل مفيداً من جميع وجوهه، مستحقاً لاجل الثناء.

ف. ا. ب.

Rodenwaldt (Dr G.): Neue Deutsche Ausgrabungen. [*Deutschtum und Ausland, 23/24 Heft*] *mit 3 Beilagen und 27 Abbildungen im Text sowie 37 Tafeln als Anhang. in-8°, 277 pp. Münster in Westfalen, Aschendorffsche Verlagsbuchhandlung. 1930. Prix: 12 M.*

حفريات المانية جديدة

هذا الكتاب حلقة من سلسلة خاصة بدرس علاقات المانية بالامم الاجنبية. تظهر فيه اعمال الالمان خارج بلادهم باجلى مظاهرها، من ذلك حفرياتهم التي قاموا بها في بلاد الشرق، وفي بلادهم ايضاً في مناطق جرمانية القديمة. ولم تفتأ هذه الحفريات تتسع شيئاً فشيئاً منذ السنة ١٨٧٤، وفيها أنشئ المعهد الرسمي للماديات في برلين، ودُشنت اعمال التنقيب الالمانية المهمة في اولمبية. على ان المجلد الحاضر لا يذكر الا الحفريات الحديثة التي أوقفت بسبب الحرب العامة ثم أعيدت الاعمال فيها، كما انه يذكر، الى جنب جهود الالمان، حفريات النمسويين في أفسس ومصر، واعمال الاثريين المقبولة في معهد برلين، واعمال الافراد ايضاً؛ من ذلك ارتياد جبل غارزين وعبري الذي قام به الدكتوران شنيدر (Schneider) ومادر (Mader). فمن يقرأ هذا الكتاب الواضح، الجميل الطبع، ويطّلع على وصف كل عمل من اعمال التنقيب بقلم القائم به غالباً، يتحقق ان علماء الالمان ومهندسيهم قاموا مؤخراً، بواسطة امداد اقل مما كانت عليه قبل الحرب، باعمال مهمة في بلاد اليونان (تيرنتة، وساموس، وبرغامة) وفي تركية؛ وفي ما بين النهرين، وفي فلسطين، فضلاً عن تنقيبهم في ارض جرمانية نفسها الذي كشف كثيراً من المحطات السابقة للتاريخ او الراقية الى ازمنة البرابرة، والرومانيين، والكرولنجيين.

وقد قام بنشر المجلد الدكتور رودنوَلت (Rodenwalt)، رئيس المعهد الاثري الالماني؛ وكتب فيه الدكتور جركان (Gerkan)، السكرتير الثاني للقسم الروماني من المعهد نفسه، وصفاً خيالياً لحفريات غاية في الكمال يمكن

القيام بها في كنيدا . فيتضح من كل ما تقدّم منفعة معهد خاصّ بالمانيـة لا مثيل له في اوربة ، مع تأثير التنظيم البالغ في العمل الذي تتصف به تلـك البلاد . ر. موترد

A. Jardé : Athènes ancienne, *illustrations de* Y. Béguignon *et* A. Dalloye. [*Collection Le monde hellénique*] *Paris, Société d'édition « Les Belles-Lettres »*, 1930.

أثينة القديمة

مختصر مفيد لخّص فيه احد العلماء الاختصاصيين ما تهمّ معرفته عن مدينة اثينة الشهيرة ، منذ عصورها الاولى الى عصر انحطاط السلطة الرومانية في القرن الثالث بعد المسيح . فجاء كرّاساً جزيل الفائدة يتمنى المطالع ان يرى ما يشابهه لجميع مدن العالم القديم. ج. ل.

Islamica, *vol. IV, fasc.* 4. *Prix, broché* : 23 *Mk.*

مجلة اسلاميكا : الجزء الرابع من المجلّد الرابع

لقد خصّ هذا الجزء بكامله تقريباً بدرس طويل في « حقوق الملكيـة الخاصة والمشتركة في شرع الملكية العقارية الاسلامي ، ولاسيما في بلاد المغرب ». وهو درس قيّم لما دلّ عليه المؤلف من اطلاع واسع على ما كُتب في الموضوع باللغة العربية واللغات الاوربية . ونحن نلاحظ ان « ربّ المال » (ص ٣٨٨) يدلّ ايضاً على صاحب الارض، لا على صاحب رأس المال فقط . وكذلك كان من الموافق ان يشير المؤلف عنـد ما يتكلّم عن تميم الداري (ص ٤٢٨) الى ان الوثيقة المذكورة منحولة لا صحة لنسبتها. ه. ل.

Th. Joran : Les manquements à la langue française. Exercices pratiques. 2 *vol. in*-12, *Paris, Blanchesne*, 1930.

تمارين عملية في اصلاح اغلاط الكتّاب باللغة الفرنسوية

كتابان مفيدان لا لفرنسة فحسب بل لجميع البلاد التي تُدرّس فيها اللغة الفرنسوية . لان الاغلاط التي تُلاحظ في الفرنسوية في فرنسة نفسها ما اجدرها ان تُلاحظ ايضاً في الفرنسوية خارج فرنسة . وهمـا حسنا التنسيق على قسط وافر من اللذة ، يتابع فيهما المؤلف اقسام التعبير كلها ويذكر المزالق والاخطار

فيها ، وقد جعل صفحة الخطأ في كتاب التمارين ازاء صفحة الصواب . فلا يتكلف الدارس الا القاء نظرة سريعة فينال الفائدة المرغوبة . وهي صفات لا نشك في انها ترغب المعلمين في الحصول على هذين المجلدين .

A. Mesureur : La propriété foncière au Maroc. *Préface de* **M. A. Sarraut.** *1 vol. in-8° de 123 pp. Prix :* 15 *f*.

حق الملكية العقارية في مراكش

يخوض المؤلف ، باسلوب شائق ، في موضوع دقيق هو الصفة الشرعية للعقار في مراكش . فيحلله بوضوح وايجاز ويعرض لنا بحثاً وافياً في المتلكات العقارية دون ان يهمل ذكر الحبوس ، او الاوقاف ، والشفعة ، والتسجيل ، وتشريعات الحماية الفرنسوية الجديدة . وهو في كل ذلك يمدد المآخذ ويقابل بين تلك التشريعات وتشريعات بلاد الجزائر . يقرن الى ذلك لمحة تاريخية كافية ، ويردف الكتاب بمعجم للتعابير الحقوقية العربية . مما يجعل كتابه دليلاً اميناً لمن يهتم بهذه الابحاث .

L. M. Enfrey : Antioche. *in-16°, 97 pp. Paris, Geuthner Prix :* 20 *f*.

انطاكية

كتيب يصف فيه المؤلف ، بل يزعم انه يصف ، مدينة من كبريات مدن العالم القديم ، الا وهي انطاكية . الا انه لا يشير الى مظاهر تاريخها كلها ، بل هو لا يهتم الا بالمآسي من مجازر وحروب ونكبات . اما الناحية الساكنة المثمرة فلا يراها ، كما انه يختصر كل الاختصار في ذكر النصرانية . وما هكذا يكتب التاريخ !

ج . ل .

F. Coró : Vestigia di colonie agricole romane Gebel Nefusa. [*Collezione di opere e di monografie edite a cura del ministerio delle colonie, n° 9*] *gr. in-8°, pp.* 144, *illustré. Roma, Sindacato italiano arti grafiche. Lire :* 17.

آثار مستعمرة رومانية

من ادعى عوامل السرور لمن اخذ باحتلال بلاد ما ان يرى فيها آثار سلفائه ، وان يرى آثاراً تدل على امكان الاقامة في تلك البلاد والعيش فيها

عيشة رخاء وهناء . وهو ما اكتشفه المؤلف في برقة ، اذ وقف على آثار مستعمرات زراعية لقدماء الرومان ، فدرسها ، ورسم خرائطها وعيّن حدودها في تلك الاراضي البائرة اليوم ولكنها قابلة للخصب بدليل ما كانت عليه سابقاً ، وبهمة مستعمريها الحاليين. ج. ل.

C. Zoli : Cronache etiopiche. [*Collezione di opere e di monografie a cura del ministerio delle colonie, n° 10 gr. in-8° pp. 413 con nove carte geografiche fuori testo. Sindacato italiano arti grafiche, Roma. Lire : 30).*

في تاريخ الحبش

يسرد المؤلف في هذا الكتاب جميع الحوادث التي جرت في بلاد الحبش في السنتين الاخيرتين ، اي منذ حركة ايلول ١٩٢٨ حتى تتويج الرأس تفري مكونن نجاشياً على الحبشة . وهي حوادث غير مشهورة يدرسها المؤلف باهتمام كلي متتبعاً لمجرياتها على تسع خرائط يردف بها الكتاب . وكلها تهمّ جميع الدول المجاورة للحبشة بما قد تجرّه في بلادها من التأثير . وها ان ايطالية تقوم بمثل يجدر بسائر الدول المذكورة ان تحذو حذوها فيه. ج. ل.

اتحاف اعلام الناس بجمال اخبار حاضرة مكناس

تأليف مولاي عبد الرحمان ابن زيدان

الجزء الاول ١٣٤٧ = ١٩٢٧ ، والثاني ١٣٤٩ = ١٩٣٠

المطبعة الوطنية لصاحبها عباس التاني بدرب القاسي عدد ٣ بالرباط

هما مجلدان كبيران يربو مجموع صحائفهما على الالف ، دبجتهما يراعة عالم كبير من علماء المغرب اشتهر في بلاد مراكش بعلمه ونبله،وهو نقيب الاشراف العلويين وسليل مولاي اسماعيل وابن عم السلطان محمد بن يوسف . عنوان الكتاب ملخص لفحواه وهو تاريخ مكناس ومن نبغ فيها من رجال سياسة وعلم وادب . الجزء الاول منه مصدر بمقدمة تبحث في علم التاريخ ومباديه ، وفيه من ثمّ شتى الفصول في مكناس واسمها وموقعها وظواهرها ومساجدها

وحماماتها ودورها ودكاكينها ومعاهدها العلميـة ومدافنها ، مع كثـير من
الاستطرادات والفوائد يأتي عليها المؤلف في سياق الحديث مستندًا الى الروا
والمحدثين مجتهدًا في التوفيق بين اقوالهم، أكانت او لم تكن لتثبت على محك
النقد التاريخي الحديث كالكلام في اصل البربر، وحكاية اتصال وفدهم بعمرو
ابن العاص في مصر (ص ٢١ و٦٥) والتقائهم «بذي القرنين عند مغرب الشمس»
ومن المعلوم ان الاسكندر لم يبلغ في رحلاته بلاد المغرب . انما هي الآيـ
القرآنية اوحت الى المؤلف استطراده (سورة الكهف ١٨ : ٨٢) .

واعجب من ذلك كلامه في تحليل لفظة نصارى فقال (ص ٤٨) : النصارى
جمع نصران كالنـدامى جمع ندمان ونصران صفة مشبهة كعطشان وسكران
(كذا) . وقد يعول على بعض الكتبة الافرنج في بعض رواياتـه ، لكنه
يذكر في ما اعتمد عليه من الكتب سوى المؤلفات العربية . والمؤلف بحظ
حافل بتراجم السلاطين والامراء والاعيان والعلماء المنتسبين الى مكناس مرتب
اسماؤهم على الابجديـة . وقد توسع المؤلف في ذكر ادريس عبدالله ، ومولاي
اسماعيل ، ومولاي الحسن السلطان ، ومولاي احمد العلوي وغيرهم ممن اثروا في
مصير البلاد وكانت لهم المكانة العليا في تاريخها ، وعلى الاخص في العصر
الاخيرين اذ كثر الاحتكاك بين الافرنج والمغرب الى ان دخلت البـلاد
الحماية الافرنسية . والكتاب مزين بالرسوم العديدة ، وبعضها غاية في الاتقان
ومكتظ بالوثائق التاريخية والرسائل السياسية وقد صور الكثير منها مما يزيد
قيمة في اعـين العلماء . وكلا المجلدين مذيل بفهارس عديـدة تسهل المطالعة
وتبوب المواد طبقًا للاسلوب العلمي الحديث. وبالاجمال فقد رأينا الكتاب من
خيرة ما ظهر من امثاله بالعربية في السنوات الاخيرة فنقدم لمؤلفه عبارات الشكر
على هديته والاعجاب بسعة معارفه ، ونتمنى له العمر الطويل فيأتي على تكملة
المشروع الذي ابتدأه ، وقـد وعدنا بالجزء الثالث ، واوله الحسن بن عطيـة
الونشريسي .

ف . ت .

حقائق ودقائق ، وهو مختارات العرفان

لاحمد عارف الزين

الجزء الاول ، مطبعة العرفان ، صيدا ١٣٤٩هـ ١٩٣١م . ص ٢٢٠ قطع ١٦ صغير

طالعنا هذا الكتاب فالفيناه ، على صغر حجمه ، لذيذ المطالعة متقن الطبع ، الا بعض صوره ، وهو كما وصفه جامعه حاوٍ لاثنتي عشرة مقالة من اهم ما رآه صاحب العرفان جديراً بان يلفت الانظار بمنافعه ومحاسنه . ومما راقنا فيه الفصل في حوادث الامير فيصل في الحرب الكبرى اخذاً عن الانكليزية (ص ١٢١–١٩٢) والمقالة في الحرب (ص ٣٠٣-٣٠٨) ، وهي معربة ايضاً . والقصيدة في وادي السلام للشيخ علي الشرقي (ص ٣١٣) ف . ت .

انفس ما كتب نابليون

رسائل وخطب وانباء رسمية عن اعمال جيشه العظيم

تعريب الخوري انطون بين – مطبعة صادر ، بيروت ١٩٣٠ ص ١٤١ ، قطع صغير

للعرب فضل في وضع الكتب المدرسية ، وتقريب مناهل صفوة ما وضعه الافرنج تثقيفاً للذهن وتهذيباً للاخلاق ، وهذا الكتاب الجديد جدير بان يوضع بين ايدي الناشئة ، وفيه الفوائد التاريخية والاقوال السامية الناهضة بالهمم الى اقتحام المشاق وتذليل الصعاب في سبيل العلاء . ف . ت .

* مكتبة يوسف اليان سركيس واولاده – بشارع الفجالة ، مصر ، ١٩٣١ ، مطبعة رعميس * اول ما لفت نظرنا في هذا الكراس هو بشرى تتمة الكتاب الجليل « معجم المطبوعات العربية والمعربة » الشامل لاسماء الكتب المطبوعة في الاقطار الشرقية والغربية وقد ذكره المشرق مراراً ، وفقنا الله الى وفائه حقه من النقد والتقريظ ، قريباً .

وفي الكراس ايضاً فهرس الكتب القديمة والحديثة ، الموجودة في المكتبة ، في جميع الفنون ، مع ذكر اسعارها . وفيه ايضاً الاعلان بظهور كتاب جديد وهو : جامع التصانيف الحديثة للمؤلف ذاته .

اهم حوادث الشرق في شهر

١٥ شباط — ١٥ اذار ١٩٣١

لبنان وسوريا — لم يُتوصل الى التوفيق بين المنتخَبين بطريركين ارثوذكسيين ، على رغم المساعي العديدة التي بذلها الكثيرون من عقلاء الطائفة . وقد وصل المطران خريسنتوس موفداً من قبل البطاركة الثلاثة القسطنطيني والاسكندري والاورشليمي فدرس امكانية الاتفاق ، وقابل عدداً كبيراً من رجال الحزبين ، ولم تظهر النتيجة بعد .

* كشفت دائرة الامن العام في لبنان مركزاً للشيوعيين في بيروت ، يُصدر جريدة عنوانها « الفجر الاحمر الدامي » ، فضبط المركز وأُحيل اربابه الى القضاء وكلهم من الارمن ما عدا الترجمان فهو لبناني من البترون .

مصر — افتُتح في ١٥ شباط المعرض الزراعي الصناعي ، افتتحه الملك فؤاد الاول بحضور لجنة المعرض ، ومجلس ادارة الجمعية الزراعية الملكية ، والمندوب السامي ، وكثير من الامراء والوزراء وكبار رجال الاعمال .

* زار مصر الشيخ محمد الجسر ، رئيس المجلس النيابي اللبناني ، وحظي بالمثول لدى جناب الجلالة الملك فؤاد . وقد اقام له اللبنانيون المتمصرون مأدبة كبيرة تكلّم فيها الكثيرون من الادباء والشعراء .

شرقي الاردن — ذكرت «فلسطين» ان اكثر من ٧٠٠ شخص من ارثوذكس « سماوة » التابعة للصلت في شرقي الاردن اعتنقوا الدين الكاثوليكي .

* خفضت مرتبات الرئيس والوزراء والمديرين ٢٥٪ . وستخفض بقية المرتبات على هذه النسبة الّا ما كان منها دون ١٠ جنيهات .

الهند — تمّ الاتفاق بين غاندي واللورد اروين على شروط موافقة للطرفين منها العفو عن المعتقلين السياسيين ، واباحة عمل الملح في السواحل .

* يُستفاد من الاحصاء الجديد الذي تمّ في شباط ان عدد سكان الهند يزيد قليلاً على ٣٥١ مليوناً ونصف المليون ، وكان سنة ١٩٢١ ، ٣١٩ مليوناً .

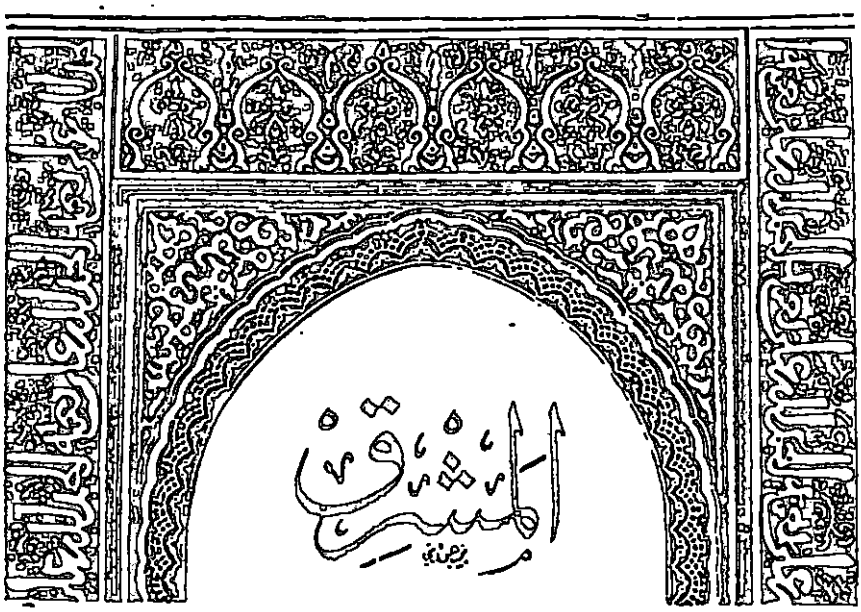

ايار ١٩٣١

في سماح الله بحدوث الشرّ الادبي

للاب ارمند اودين ، من رهبنة قلب يسوع الاقدس(*)

مقدمة

قد بينا ، في مقالة سابقة[1] ، الفرق الموجود بين نوعي الشر : الطبيعي والادبي ؛ واثبتنا ان هذا يفوق ذلك شناعةً بما لا قياس لـه ، لانه ينافي خضوع ارادة الخليقة لمشيئة الخالق . ثم برهنا على كون الله مبدئ بعض الشرور الطبيعية ، اي تلك التي تحصل لا محالة من نواميس الطبيعة ، وتلزم لنظام العالم وكماله ، وتلك التي يُنزلها حكم العدل الالهي بالخطأة ، فتدعى عقوبات . اما الشرّ الادبي فاثبتنا انه ليس من الله ، بل مصدره

*) صحح عبارتها وعني بنشرها على صفحات هذه المجلة القس اسطفان فرحات الراهب اللبناني .

١) راجع مشرق هذه السنة ، شهر اذار ، ص ١٦١–١٧١

ارادة الخليقة المخالفة لمشيئة الله ، والمائلة الى بعض الخيرات الجزئيـة بدل الله الخير الاعظم .

غير ان هذا الشر الفظيع الذي يستحيل ان يكون الله علّته ، قد اعتدنا القول عنـه ، ان الله تعالى يسمح بحدوثه . فيفيـد اذن ان نبحث عن معنى هذه العبارة ، جواباً لمن يسألنا : هل يحتوي هذا السماح على شيء من التـأثير الوضعي ؟ ام يُفهم بالمعنى السلبي فقط ؟ اي بأنه عزّ وجـل لا يمنع الشرّ عن الحدوث .

إلّا انه لدى تأملنا بهذا السماح يخطر في بالنا سؤال آخر ، وهو معرفة غاية هذا السماح ، اي لماذا لا يمنع الله الشرور عن الوجود ؟ واذن فمن المفيـد ان نحلّ هذه المسألة ، ازالـةً لشكّ من يعتقدون ان امتلاء دنيـانا من الفظائع والمنكرات يدلّ على نقص في عناية الله . وكأننا بهم يريدون ان يكون تعالى مسؤولاً عما في مخلوقاته من النجاسات . وهذا لا يليق ان ينسب اليـه عزّ وجلّ . لذلك نقسم مقالتنا هذه الى قسمين : نبحث في الاول ، عما يجب فهمه بالسماح ؛ اذ يتضمّن سماح الله بما في العالم من الشرور الادبية . وفي الثاني نجيب من يسأل : لماذا يسمح الله بوقوع الشرور ، وهل له في هذا غاية يجوز ان نعلمها ؟ والله السميع المجيب .

اذن ماذا يجب فهمه بهذه القضية ؟

١

انه الله يسمح بوقوع الشرور الادبية

ان الامور الالهية ، ينكشف لنا شيء من خفاياها ، اذا تأملنا بما يشابهها ويماثلها في المخلوقات . فلنا اذاً ان ندرك بعض اسرار العناية الالهية باعتبار ما نلاحظه في اعمال العناية البشرية ؛ فامعن نظرك فيما يجري في الجماعة المدنيـة الخاضعـة لعناية حاكمها ، وسل نفسك ما هي افعـال الافراد التي نقول ان الحاكم يسمح بها . هل هي ما يفعله بعضهم تنفيذاً لاوامره ؟ كلّا ، فانا نقول : ان الحاكم اراد هذه الاشياء ، لا انه سمح بها . وهـل هي مـا يُفعل خلافاً

لارادته وخفيةً عنه او دون ان يقدر على منعها ؟ كلّا ، فانه يُقال : ان هذه المخالفات قد جرت بالرغم من الحاكم وبغير رضاه وذلك مما ينافي سماحه . لكن هب ان هذا الحاكم يعرف ان البعض يعملون مـا تنهي الشريعـة عنه ؛ وهو يستطيع ان يردعهم ويضطرهم الى امتثال الشريعة ، الّا انه يمتنع عن ذلك ، ويتغاضى عن سلوك اولئك المذنبين مع انه لا يستحسنه ؛ فلا شكّ حينئذٍ في صحة القول انه يسمح بما يفعلون ، لانه كان في وسعه ان يمنعهم عن ذلك ولم يرد . واذن فهذان الامران يحتوي عليهما تصوّر السماح ، اي من جهـة القوة الكافية لمنع شيء عن الحدوث ، ومن جهة عدم استعمال هذه القوة . وهـذا منسوب الى الارادة الحرّة . وجليٌّ ان اول هذين الامرين هو شيء وضعي ، خلافاً للثاني فانه ليس سوى سلبي ، لا يضع شيئاً حقيقيًّا فيمن يُعزى اليه السماح . كذلك تصوّر علماء اللاهوت بسماح الله بشرور هذه الدنيا . وبالتالي يمكننا ان نعبّر عن ذلك بقولنا انه تعـالى يستطيع ان يمنع هـذه الشرور عن الحدوث ، ولا يستعمل استطاعته هذه . واذن فهذان ايضاً جزآن : اولهما وضعي ، والآخر سلبي .

ولكن ربَّ قارئٍ لا يرضيه تبياننا هذا ، اذ يظهر له انه يتضمن عيباً معزوًّا اليه تعالى . لان من كان في طاقته ان يمنع شرًّا عن الحدوث ولم يمنعه ، يُحسب غافلاً ، او مقصرًا ، او متّفقاً مع صانعيه . ولا نرتاب في نسبة ذلك الشرّ عينه اليه ، كأنه مشترك في احداثه . كأن نقول مثلاً : ان قائد الجيش هو المسؤول عن انتصار العدوّ الذي كان في وسعه ان يقمعه ، واهمل ذلـك ، ومن جرّاء اهماله هذا تسرّب الخراب الى المملكة . فاذا كان لا بدّ ان نتصوّر سماح الله بذنوب البشر ، على هذا المنوال ، يظهر اننا ننسبها اليه عزّ وجلّ ، كأنه مسؤول عنها ، وهو بنوع ما مبدئها وعلّتها .

ولكن اعلم ، يا هداك الله ، ان هذا الاعتراض ليس بحديث ، فان الآباء الاجلّاء والمعلّمين القدماء قد اعتنوا بحلّه ، واوردوا لذلك براهين ساطعة . واليك الآن تمييزًا بسيطاً في شأن ذلك : هب انك استاذ في مدرسة ، وان تلامذتك يضيعون اوقاتهم ، ويخلون بالنظام ، وانت صامت متغاضٍ . فمما لا شك فيه

عندئذٍ أنه يقال انك مسؤول عما يأتيه التلاميذ من الهفوات. ثم هب ان لك بستاناً فيه اشجار جميلة اثمارُها وغزيرة، ومرَّ به بعض اولاد فقراء، على مرأى منك، وسطوا على تلك الاثمار، وسكتّ، فهل انت مسؤول عن سرقتهم، ومذموم على سكوتك هذا؟ كلّا، خلافاً للحال السابقة، لان الاستاذ يجب عليه ان يقهر تلامذته كلما ساء سلوكهم، ولهذا تنسب اليه افعال التلاميذ السيئة التي لم يجتهد في منعهم عنها. واذن فترى من ذلك ان السامح ليس بمسؤول عما يسمح به من الشرور، ولا يحسب علةً لذلك الّا بقدر ما كان واجباً عليه ان يمنع تلك الشرور عن الحدوث، والا فلا ذنب في سماحه ولا مسؤولية عليه.

والحال ان الله سبحانه ليس واجباً عليه ان يمنع الشرور عن الحدوث. وهذه القضيّة هي اكيدة من وجهتين: الاولى كون عقلنا يفتش باطلًا عن حجة يبني عليها حكماً، بانه يجب على الله منع الشرور. والثانية كون وجود الشرور لا ينافي حكمة الخالق او عدله او رأفته الى غير ذلك من كمالاته تعالى، والا لصار وجود الشرور بالحال عينها من باب المحال. لان كمالات الله يستحيل نقضها كل الاستحالة. لكن وجود الشرور ليس محالًا، فانه واقع بالفعل. فاذاً ليس فيه ما ينافي كمالًا من كمالات الله.

فنستنتج اذاً، انه يجوز ان يسمح الله بحدوث الشرور بالمعنى المارّ ذكره، وليس بمسؤول عنها، ولا هو علة لها. ولكن هل هو محقق بالكفاية ما قلناه سابقاً: اي ان سماح الله بالشرور لا يحتوي على شيء سوى هذين الامرين، اعني القدرة على منع الشرور، وعدم استعمال هذه القدرة. ألا يجب ان نزيد عليهما شيئاً ثالثاً، وهو تأثيره تعالى في حدوث الشرور؟ هذا ما يزعمه قوم، ويجتهدون في اثبات زعمهم بايراد حجتين: الاولى ان الله هو، ولا شك، مبدئ اشياء عديدة تحيط بنا وتحملنا كثيراً على الخطيئة، كأن يهيج بعض المناظر شهواتنا التي تقودنا الى الاثم، او كأن تتعاظم المصائب على من يقاسيها، وهو منكود الحظ، فلا يبعد اذ ذاك، ان ينقاد الى التذمر والتجديف. وقد يصعب على طباع الناس تجنب بعض الخطايا، مثلاً كأن ترى ذوي الدم

الحارّ يحتدمون غيظاً بسرعة . او من كان والده او جدّه قد تعوّد السكر او غير ذلك من الرذائل ، فبالكدّ يستطيع ان يقهر ميل طبيعته عن مثل ذلك. فلما كانت تلك الظروف والاحوال تصدر من الله ، علّة جميع الكائنات ، فكيف يُنكر ان ما يحدث بسببها من خطايا البشر هو ايضاً ينسب الى الله ، فيكون في سماحه تعالى بتلك الذنوب شيء من التأثير الوضعي . والثانية ، يأخذونها من اعتبار كون الله مبدئ الموجودات كافةً ، مما يوجب علينا الاقرار بان افعالنا بأسرها سواء كانت جيدة او رديئة تصدر منه تعالى ، فله اذن تأثير وضعي في كل فعل نرتكب به الخطيئة ، وبالتالي في الخطيئة نفسها . ومما لا ريب فيه ان حلّ هاتين المشكلتين هو من اعسر ما اقدم عليه ارباب الفلسفة ، وقد آثر الكثيرون منهم عدم البحث فيه لغموضه . فوالحالة هذه ، فليعذرنا القارئ اللبيب اذا كان كل ما نستطيع ان نقوله في هذا الموضوع لا يذهب بصعوبته ، ولا يكفي لايلاء عقل الباحث فيه تمام الاقتناع به ، والارتياح اليه . فنقول :

ان اول ما يجب الّا ننساه ابداً في درس هذه المسائل ، هو ان الله عزّ وجلّ ، هو الوجود القائم بذاته والكمال الغير المتناهي ، ومن ثمّ ليس تأثيره سوى افاضة وجودٍ وكمالٍ وترقية شيء الى درجةٍ ما من الكمال . فكلّ ما يظهر في البرايا من الاشتراك في الكمال يُنسب لا محالة الى الله ، منبع كل كمال . اما ما فيها من النقص فلا يجوز ان يُنسب الى الله من حيث هو هو . لان النقص ليس اشتراكاً في الكمال ، بل هو خلوٌ من الكمال . والخلو مما يعطيه الفاعل لا يُنسب اليه الّا اذا كان فعله ناقصاً ، اي ادنى مما وجب ان يكون . مثلاً لا يُنسب الى النار ما بقي من البرودة في الماء الموضوع عليها ، الا بمعنى ان النار كانت اضعف مما لزم لتسخين الماء بالتمام . وكذلك لا ينسب الجهل الذي لم يزل في التلميذ الى المعلم ، إلا اذا قصر هذا المعلّم في القيام بمهمته . لكن الفعل الالهي لا يتميز منه تعالى نفسه ، فهو اذن في غاية الكمال ، ولا يقدّر فيه شيء من النقص او القصور . فاذاً لا يجوز ان ننسب الى الله ما في الخلائق من نقص من حيث هو هو . ولا يناقض هذه القضية

ما قد أثبت في القضية السابقة ، من ان بعض الشرور الطبيعية يُنسب حقاً الى الله ، واذا نسبت تلك الشرور اليه تعالى ، فليس من حيث هي نقائص منافية لملء الوجود ، بل من حيث كونها مرتبة لتحصيل بعض الخيرات؛ كما هو جلي في العقوبات التي يصلح بها النظام الذي نقصه المذنب ، فهي من هذه الحيثية ليست بنقص كمال في العالم ، بل بالعكس يحصل بها للعالم كمال غير يسير.

فطبق اذن هذا الاعتبار على كل فعل تقترف به الخطيئة ، ترَ ان هذا الفعل شيء موجود ، له نوعه وخواصه واوان حدوثه ، فما دمنا نعتبره كذلك لا نستطيع الشك في انه من الله مبدئ جميع الموجودات . اما اذا اتينا الى اعتبار خلوه من الحسن الادبي ، ومن الاتفاق مع الشريعة الالهية ، فنضطر الى القول ان هذا النقص ليس من الله كما تقدم اثباته ، بل هو من الارادة المخارقة من حيث هي مخرجة من العدم ، فانها تعود بنوع ما الى العدم حينما تأبى الخضوع لمشيئة الله ، مع كون هذا الخضوع شرطاً لازماً لكل خير من الخلائق. ولهذا نقول انه تعالى هو بالحقيقة علة أولى للفعل الذي ترتكب به الخطيئة. اما الخطيئة نفسها فيسمح بحدوثها فقط ، سماحاً لا يتضمن تأثيراً البتة منه تعالى . ولا يجوز القول انه هو علة الخطيئة.

وبماذا نجيب الآن على الحجة الاولى التي أخذت من اعتبار كون الله هو الذي يضع فينا وحولنا ظروفاً واحوالاً يجرنا بعضها الى اتيان المآثم بقوة تصعب مقاومتها ؛ فيظهر اذن انه تعالى يدفعنا بذلك الى الخطيئة وانه يحسب حقاً مبدئ ذنوبنا . ولا ريب في صحة هذه النتيجة لو ذهبت الاحوال المذكورة بحرية الانسان حتى لا يبقى في وسعه ان يتمالك عن الخطيئة . او بالاحرى نقول انه لو صار الامر كذلك لما عاد لارتكاب الخطيئة من محل . لان الخطيئة الادبية التي يجري كلامنا عليها وحدها ، تستلزم حرية الارادة كشرط ضروري. فكلما نقصت الحرية قلت بالمقدار عينه حقيقة الخطيئة . ولهذا نوقن ان المجانين والسكارى وسائر من فقدوا الرشد ليسوا مذنبين مهما اتوا من القبائح ما داموا على تلك الحالة . مع انهم ربما اذنبوا جداً برضاهم بما ادى بهم الى الحالة عينها كما يظهر فيمن يشمل عمداً.

فتنحصر اذن المشكلة الحاضرة في تلك الاحوال التي ، وان كانت تزيد الانسان ميلاً الى بعض المحظورات ، وضعفاً في مقاومة شهواته ، فانها مع ذلك لا تزيل من حرية الارادة ما يكفي ليكون الانسان مسؤولاً عن افعاله ، ومذموماً اذا انقاد الى المنكر . وليست هذه الملاحظة قليلة الاهمية . لان كثيرين يغلطون في هذه المسألة ظانين ان ما يصيب المرء من هيجان الشهوات، ويداهمه من هجوم التجارب ، قد يجرّه لا محالة مرغماً الى الخطيئة . فيظهر لهم من ثمّ ان الله هو علة تلك الخطايا ، غير ان من غصب على اتيان بعض الحركات او الافعال الخارجية ليس بمسؤول عنها ، ولا تحسب هي افعالاً ، ولا بأس في كون الله علةً لها فانها ليست بذنوب.

وماذا نقول الآن عن الاحوال الاخرى ، تلك التي لا يفقد الانسان بها حريته ومسؤوليته مع انهما تنقصان بمقدار شدة التجربة وقلة التأهب لمقاومتها. نعم ان قوماً هنا ايضاً يميلون الى الزعم انه تعالى هو علة الخطايا التي تُرتكب بسبب تلك التجارب ، فتسمع بعض اصحاب الرذائل يعذرون انفسهم بحجج كهذه: ان خُلقي يحملني على هذه الافعال ، ولا اقوى على ملاشاته ولا على مماكسته، فلماذا اعطاني الله طبعاً كهذا ؟ ولِمَ وضع في طريقي هذه المعاثر ؟ اعني الخلائق التي اثارت شهواتي واغرتني بما يرذله وجداني ، والشدائد التي ذهبت بصبري وحركتني على التجديف . فحبذا لو كنت كفلانٍ وفلانٍ وفلانٍ من يظهر الميل الى الفضيلة مفروزاً في سجيتهم ويعيشون بمعزل عن تهالك الدنيا ومفاسد المجتمع الانساني !

لكن اتظن ، ايها القارئ العزيز ، ان الخاطئ يبرّر ساحته امام الله بمثل هذا الاحتجاج ؟ نعم انه يبرهن بذلك على ان حريته نقصت بمقدار ما اصابه من التجارب وما أحاط به من المعاثر ، فهو اذن بالمقدار عينه معذور في مساوئه ، وهذا مما لا يُرتاب فيه ، ولكن هل يكفي هذا العذر لنسب خطايا هذا الانسان الى الخالق كأنه تعالى هو محدثها ؟ كلا . فان الكتاب المقدس والعقل المستقيم يتوافقان على تأكيد ما عبّر عنه الرسول اذ قال : ان الله هو امين فلا يسمح بان تجرّبوا فوق طاقتكم ، اي مهما ظهر من شدة بعض

ما يهبُّ علينا من رياح العواصف ومن عجزنا عن النجاة من الغرق ، ومع ذلك فمن المؤكد ان الله الذي هو الحكمة والرأفة بعينهما يجعل الدواء دائماً مناسباً للداء ، واسباب الدفاع موازيةً لاسلحة العدوّ ، وصوت الوجدان معارضاً لصراخ الشهوات ، حتى يكون في يد المرء تعيين حاله ، وارجاح احدى كفتي الميزان ، ولهذا ترى الذين استسلموا للشهوات وتمرغوا في حمأة الاثم ، ثم تابوا ، فانهم من آن اهتدائهم لا يعودون الى الاعتذار بمثل ما مرّ من العلل ، ولا يخطر في بالهم ان يشكوا الله كأنه عزَّ وجلَّ هو بمقدار ما مسؤول عما اتوه سالفاً . بل يعتقدون انهم هم المسؤولون ، وانه لو توفّاهم الله ، غيرَ مرتدّين اليه بالتوبة ، لساغ لجلاله الالهي ان يوبّخهم ويعذّبهم الى ابد الابدين . وحكم التائبين هذا لا شك انه اصحّ واحقّ من رأي الذين اعمت الرذيلة عقولهم . ومع ذلك ترغب كبرياؤهم في تبرير حالهم حتى بجعل المسؤولية عنها ، على من خالفوا شريعة الله واستوجبوا ضربات عدله .

٢

لماذا يسمح الله بوقوع الشرور الادبية ؟

لئن كانت طوّحت بنا الجرأة الى البحث في هذا الموضوع ، والتطفّل عليه تعالى بالسؤال عما قصده بترتيب عنايته الذي يتضمّن السماح بالشرور ، فليست هذه المقاصد الالهية الا لججاً لا قعر لها ، ولا يقوى على سبرها سوى العقل الالهي . ومن هو الانسان ، ليدّعي بمحاسبة خالقه عن اعماله ؟ أليس الخزّاف مطلق الحرّية ليصنع من المادّة نفسها ، على خاطره ، آنية لكرامته وآنية للهوان؟ أيحلّ للاناء ان يسأل صانعه قائلاً : لماذا صوّرتني كذا وكذا (رومية ٩ : ١٥ — ٢١) هذه هي كلمات القديس بولس التي تحذرنا من الادّعاء بالتفتيش عن كل غاية قصدها الله بتنظيمه العالم بهذا او بذاك النمط ، فانه اذا كانت نوايا كل انسان بطبعها تخفى على سائر الناس ، فكم بالحري يقصر ذهننا الضعيف عن ادراك تلك الاعماق البعيدة عن انظار الجميع ، اعني بها مقاصد الحكمة الازلية .

فيا رعاك الله لا تتحيَّر مضطرباً ، مهما لاحظت في تبياننا هذا من عدم المعادلة للموضوع ، ومن نقص الكفاية لازالة كل ما يعترينا طبعاً من الدهشة تجاه هذه الشرور الفظيعة ، اعني الجرائم والقبائح التي كثرت كامواج بحر عظيم ووخيم ، تغطي المسكونة ، وتغمرها على الدوام.

وكل متأمل بهذا المنظر المزعج والمحزن يندفع طبعاً الى هذا السؤال: لماذا لا يمنع الله هذه الشرور عن الحدوث ؟ وبما ان الفلاسفة وآباء الكنيسة ، وعلماء اللاهوت قد اجابوا عليه ، فاننا نقتفي آثارهم مبيّنين ما وصل اليه العقل البشري حتى اليوم ببحثه عن هذه المسألة العويصة.

اولاً: يجب ان نميّز بين معنيين ، يجوز ان يفهم بكل واحد منهما السؤال المذكور اي لماذا يسمح الله بوقوع الشرور ؟ اولهما : ما يعبَّر عنه هكذا : لماذا او لاي غاية اختار الله ، بين العوالم الممكنة ، عالمنا هذا الذي من اجزائه خلائق عديدة لا يخلو وجودها من الشر الادبي ؟ ولِمَ لم يؤثر الله عالماً يخلو من كل شر ادبي ؟ ثانيها : لايّ خيرٍ يرتّب الله ما في عالمنا من الشرور الادبية ، حتى لا يخلو حضورها من كل منفعةٍ ، وبالتالي من كل لياقة ؟

فاذا فُهم بحسب منطوق المعنى الاوّل ، وجب القول ان هذا السؤال هو باطل ، ولا يمكن ان يجاب عليه بشيء ، وذلك لان اختيار الله احد العوالم الممكنة ، دون غيره ، لا يتعلق إلا بمشيئة الخالق المطلقة الحرّية. فيستحيل تصوّر علّةٍ او حجةٍ ، امالت الله الى ان يكوّن هذا العالم مؤثراً اياه على سواه . فنقول اذن : ان هذا العالم هو موجود مع كل ما فيه من خيرٍ وشرٍّ ، لان الله شاء ان يوجد . وان مشيئة الله هذه لا يُمكن ان يُبحث لها عن علة . لكونها هي العلة الاولى والاصلية ، التي يتعلق بها ، ويُنسب اليها وجود كل كائن ، فاذن ان الله رضي بانشاء هذا العالم ، لا لعلة من العلل ، بل بمجرد استعمال حرّيته التي استطاع بها ان يوجد بدل هذا العالم ، وعلى حذر سواه ، بعض العوالم الممكنة التي لا انتهاء لسلسلتها .

واذا فهم بحسب منطوق المعنى الثاني ، نجيب مع القديسين اوغسطين وتوما ، مقرّين بان حكمة الله وجودته الغير المحدودتين تمنعاننا عن الظن بانه

جاز ان يسمح الله بوجود الشرور الادبية ، لو لم يرد ترتيبها لاحداث بعض الخيرات التي لولا تلك الشرور لما كان الى وجودها من سبيل ، ولهذا قال الآباء واللاهوتيون : ان الشياطين والاشرار كافة هم كآلات في يد الله الذي يستخدمهم ، مع كل ما يفعلون ، ويرتب ذلك الى الغايات التي تقصدها عنايته، وان الخطايا هي في العالم كالقواتم التي يضعها المصوّر في بعض اجزاء صورته قصد ان يزيد باقي الالوان ظهوراً وسطوعاً مما يفيد لجمال الصورة ، او هي كاوقات السكوت التي تتخلل اغنية ما فتزيدها بهجةً . وتشبه الخطايا ايضاً بما في بيت طبيب من السموم وادوات الجراحة ، فان هذه مهما كانت بطبعها مضرةً ، فانها اذا استعملها الطبيب بيدٍ تديرها الفطنة ، تصير جزيلة النفع . فكما انه لا يستغرب احد حضور تلك الآلات عند النطاسي ، ولا يخطر على بالٍ ان يمتنع عن استخدامها ، كذلك وباقوى حجة لا يسوغ ان نشكّ في حكمة الله وكمال عنايته بسبب وجود الاشرار في هذا العالم مع ما يفعلونه من الجنايات والنجاسات .

اما تلك الخيرات التي تحصل في العالم من وجود الخطأة وذنوبهم ، فهاك بيانها طبقاً لتعليم القديسين المذكورين اللذين يتبعهما اللاهوتيون الكاثوليك بأسرهم :

اولها : ان يكون في العالم ظهور لكمالين من كمالات الله ، ألا وهما الرحمة والعدل . فانه ، لو لم تكن خطايا في العالم، لما امكن ان يمارس الله رحمته بمغفرة الآثام ، ولا ان يزاول عدله بمعاقبة الاشرار . ولكان هذا نقصاً عظيماً في العالم ، لان المخلوقات برمّتها هي مرآة كبيرة مصنوعة لتعكس اشعة كمالات الخالق ، فيليق من ثم ان يكون في العالم ما تتمثل به كمالات الله كافةً .

ثانيها : سرُّ الفداء الذي هو اعجب جميع اعمال الله ، واشرفها واجملها ، فهو اذن اجزلها تمجيداً للخالق ، وجليّ ان هذا السرّ الجليل لم يمكن وجوده ، لو لم يسقط البشر ، فيجوز اذن ان نقول : انه عزّ وجلّ سمح بسقوط الجنس البشري قصد ان يكون هذا المصاب سبباً لايجاد سر الفداء .

ثالثها : ان يكون في الحياة البشرية محلّ لفضيلة التوبة مع كل ما ولّدته

من الاعمال المدهشة في خدّام الله الذين ارتدُّوا الى الحق ، فهنا ايضاً يحقّ لنا ان نقول : ان العالم كان ناقصاً جدًّا ، لو لم تتلألأ في البشر هذه الجوهرة الكريمة التي يبهرنا بهاؤها في حياة القديسين . نعم ان كثيرًا منهم باشروا اعمال التوبة مع انهم كانوا اطهارًا منذ صغرهم فاستحقوا هذا الثناء العجيب . فان شدة التكفير اقترنت فيهم ببياض البرارة التامّة . غير انهم واظبوا كذلك على الاصوام وسائر انواع التقشف ، قصدَ ان يميتوا في انفسهم شهوات الطبيعة البشرية الساقطة ، وان يستغفروا الله عن هفواتهم الخفيفة وعن ذنوب الخطأة ، واذن فهذا اوضح صدق ما قلناه ، اي انه لو لم تكن خطيئة في العالم ، لما كان فيه محل لفضيلة التوبة .

رابعها : ان الاشرار يجرّبون الصديقين بما يمرّسهم على فضائل عجيبة ، لم يكن ظهورها في العالم ممكناً ، لو كان البشر كلهم ابرارًا . واخص هذه الفضائل اثنتان : الصبر على اساءات الائمة ، والشفقة على شقائهم . فاننا نرى هاتين الدرّتين متلألئتين في كل صفحات التاريخ الكنسي . ولاسيما اولاهما فقد لمعت خصوصاً في الشهداء الذين كابدوا من انواع العذاب ما يفوق كل وصف ، في سبيل عبادة الله والتمسك بشريعته المقدسة . فمن ينكر ان ما ظهرَ فيهم من البسالة والجلادة لم يكن من اعظم الاعاجيب التي تجلّت فيها حكمة الله وقدرته الغير المتناهيتين . اما اشفاق الصديقين على ضلال الخطأة ، فنرى ثماره الثمينة . اولًا في ما يُرفع يوميا الى عرش الرحمة الالهية من الصلوات الحارّة لاجل اهتداء الضالين . ثانياً في ما تُشفع به تلك الابتهالات ، من التقشفات والتضحيات المتنوعة لاستعطاف الله على ابنائه الذين ابتعدوا عنه . ثالثاً في ما يُقدم عليه اصحاب الغيرة الرسولية من المساعي الشاقة ليردّوا الخطأة الى التوبة ، وليوصلوا نور الانجيل الى المتكمين في ظلمة الاديان الكاذبة . وهذه الغيرة ، مع ما ولّدته من الاعمال العظيمة والتضحيات المذهلة ، هي من ابهى المحامد التي تفتخر بها كنيسة المسيح .

خامسها : سموّ القداسة الذي يرتقي اليه خدّام الله بممارسة ما صرَّ تبيانه من الفضائل ، فان وجودهم بين الاشرار كوجود الذهب في النار ، كلما اشتد

اضطرامها عليه ، وطال بقاؤه فيها ، زاد بهاء . ومما يزيدنا عجباً حكمة الله الذي يستخرج اعظم الخيرات من اشنع الاحوال ، ويستخدم مساوئ الارذال لانتصار مختاريه . فاي شيء افظع في هذه الدنيا من خبث الذين يضطهدون اهل الورع ، ويحاولون ملاشاة ملكوت الله ، ولكن اي مجد يساوي نصيب الشهداء في السماء من الكرامة والسعادة مكافأةً ابديةً على ما قاسوه من المشقات بمدةٍ وجيزة ؟ وكذلك الذين يتفانون الآن ، في انذار الأئمة وهداية التائهين . فما افخم اكليل البرّ الذي يحق لهم ترجيه من الديّان العادل ! وما اخفّ ما يكابدونه اليوم من المصاعب ، وما يقتحمونه من المخاطر ، بالنسبة الى ما دعاه الرسول ثقل العظمة الابديّة الفائق كل حد وقياس !

واذن فهذا هو ايضاح انواع الخير التي يرتب الله تعالى ما يسمح بحدوثه من الشرّ الادبي لتحصيلها ، حتى يتضح لكل قارئ لبيب ان سماح الله بالشرور لا يتضمن شيئاً ينافي حكمته وصلاحه ، بل بالعكس يبدو فيه سموّ تلك الحكمة التي تحوّل اسوأ افعال المنافقين لاسباب ، الى احسن التبعات واسعدها ، ولا ترضى بخراب بعض اجزاء الكون إلا لايجاد ما يزيد العالم كمالاً وجمالاً . هذا ما يلذّ لاهل التقوى التأمل به معترفين ومنادين بانه ، عزّ وجلّ ، عجيب ليس في اعمال قوّته فقط ، بل في ترتيب عنايته نحو الشوائب التي لم تصدر منه ، وليس في محامد اوليائه فقط ، بل كذلك في مآثم الخلائق الناطقة التي اساءت استعمال حرّيتها ، وحاولت ان تخرج عن النظام العمومي بالتمرّد على خالقها ، غير انه تعالى يردّها الى النظام عينه بطرقٍ تفوق ما تستطيع ادراكه . هذا وان كان وجود الشرّ الادبي في دنيانا سرّاً يقف تجاهه عقلنا مندهلاً ، فمع ذلك ليس سعينا في شرح هذا السرّ مبذولاً باطلاً ، فانه يزيدنا استعظاماً لتلك الحكمة الالهية ، التي تجلّى لنا الآن شيء يسير من كنوزها وسبلها ، ومحبةً لله الذي يظهر صلاحه كما في الخيرات التي هو مصدرها وموزعها كذلك في الشرور التي لا يسمح بوقوعها ، الّا ليحصل منها خير عميم ، وخصوصاً لتكون تلك الشرور مفيدةً اجر الثواب الابدي ، لكل من يجاهد ضدّ الشرّ ، ويسعى الى انتصار الخير .

طريقة في العلم صعبة

بقلم حضرة الاب مرمرجي الدومنيكي

الطريقة العلمية المرعية الجانب ، بغاية الدقة ، بين جمهور ارباب العلم ، في الديار المتمدنة ، هي القائمة على مبدأين : اولها السعي وراء الحقيقة سعياً منزّهاً عن كل هوى ، واظهارها كما هي ، غير ملبسة بالشبهات والمغالطات . ثانيهما الاقرار بالملكية العلمية لاهلها ، وذلك بالامانة في ذكر المصادر المستمدّة منها الحقائق المرويّة ، وفي اقتضاب الفقرات من المتون الاصلية ، مما يُنسب به الفضل الى ذوي الفضل ، ويُعطى لكل ذي حق حقه ، ويتسنى للمطلع تمحيص الاشياء بذاته .

ذلك واجب من الزم الواجبات واقدسها ، يتحتم القيام به على كل من تصدّى لبحث ، صغرت ام كبرت خطورته ، ويعدّ التهاون في ادائه « خرقاً لحرمة الامانة العلمية » محظوراً اليوم كل الحظر في شرع العلم ، فضلاً عن غيره ، وان كان قد استباحه قوم من القدماء ، وتقفّاهم في سبيله الذميم جماعة من الحدثاء .

ومن طالع مصنفات ابناء الغرب ، من ايّ امة كانوا ، او في ايّ لسان كتبوا ، رأى بعينيه تدقيقهم في ذا الشأن . فان وضع احدهم مؤلفاً ، صدّره ، بادئ بدء ، بقائمة مشبعة ، حاوية الكتب التي استعان بها على تأليفه ، مع ذكر اسماء واضعيها ، ومحل نشرها ، وعدد طبعاتها . ثم في تضاعيف السفر ، كلما نقل رأياً عزاه الى قائله ، وان اتى بنصّ لغيره ، حصره بين معقّفين ، موجهاً القارئ الى ينبوع استمداده ، وان هو ترجمه عن لغة اجنبية ، صرّح

بذلك ، مبيناً طريقة الترجمة هل هي حرفية ام بتصرّف ؛ الى غير ما هناك من الامور المسهّلة البحث والتقصي ، والمراعية جانب التدقيق والامانة .

على ان هذه الطريقة العلمية ، المفيدة والواجبة معاً ، لم تنتشر بعد — ويا للاسف ! — بين جماعة الكتّاب والعلماء في البلاد العربية اللسان ، اللهمّ الا عند بعض الافراد . وان اردت الوقوف على الطريقة العلمية ، بمداتها الكاملة ، كما هي جارية في ديار العلم الصحيح ، فما لك الا ان تطالع منعماً النظر في شتّى مؤلفات حضرة الاب لامنس اليسوعي[1] ، وبالعكس ، لكي تعرف مثالاً على الاسلوب الشرقي القديم السقيم العاري عن الصفات العلمية المصرية ، فلك ان تتصفح كتاب « خطط الشام » لاحد الدمشقيين .

بيد ان غايتي الخاصة ان الفت نظرك الى نموذج حي « لخرق الامانة العلمية » جاء في احدى النشرات البغدادية . فانك ترى فيها قسماً مهماً من مقال عنوانه « ترجمات التوراة » فتتخيله من نتاج فكره منشئها ، انما هو بالحقيقة مستلّ ومترجم برمته من معجم الكتاب المقدس الفرنسي لصاحبه العلامة ڤيگورو . ولكي لا يخامرك شك في الامر ، انقل لك من المعجم المذكور ومن المجلة العربية العراقية كلا النصين متآزيين ، فتوقن ان العربي ان هو الّا ترجمة الفرنسي « بشيء من التصرف » ؛ لكن هيهات ان تجد في صدر المقالة او في ثناياها ، او في اواخرها ما به تصريح او تلميح الى الينبوع المستقى منه .

نصّ المجلة العراقية (٢

وكل ما وصل الينا من النقول العربية حديث الوضع .

لان اغلب الكنائس الشرقية كانت تتلو صلواتها باليونانية او الرومية او الارمية او

نصّ معجم ڤيكورو الفرنسي (٣

Les versions arabes que nous possédons sont toutes de date relativement récente.

De fait, le besoin de ces versions ne dut se faire sentir que

---

١) كثيرة هي تصانيف حضرة الاب لامنس ، وكلها حرية بان تنزل منزلة الدليل للباحثين ، والمثال المحتذى للمؤرخين النقّادين . ومن اراد الوقوف على بعضها ، فليراجع جريدة المطبعة الكاثوليكية ببيروت .

٢) مجلة لغة العرب ج ٩ ، س ٨ ، ص ٦٦٥ الى ٦٦٧ .

٣) Vigouroux, *Dictionnaire de la Bible*, T. I. c. 845.

الارمنية او القبطية او غيرهنّ من اللغات المستعملات في الشرق الى عهدنا.

ولما انتشر اللسان العدناني في الشرق الادنى وترك النصارى ألسنة اجدادهم صبّت الحاجة الى نقل الكتب المنزلة الى اللغة الضادية. فنقل علماء اليهود توراتهم اليها وجاراهم المسيحيون في الانجيل. فظهرت الترجمات بين القرن الثامن والعاشر للميلاد. والمخطوطات التي اتخذت لهذه الغاية كانت في الكنس والكنائس.

وكانت روايات النصوص مختلفة لان النسّاخ كانوا قد مسخوا اغلبها مسخاً في كتابتهم اياها.

« فكان اغلب عناية المترجمين في ردّ النص الى اصله الصحيح الفصيح. وما كانوا يبالون كثيراً تقريب المعاني من افهام العوام، اذ كانوا يجرّدون النصّ من الظلمات التي احاطت به » (١

زد على ذلك ان اليهود ما كانوا يقرأون في كنسهم جميع اسفار التوراة. ومثل ذلك قل عن المسيحيين.

« فاقصى ما كانوا يقرأون جميع اسفار العهد الجديد. اما اسفار العهد القديم، فكانوا يطالعون منها الزبور والانبياء. » (٢

lorsque les différentes contrées soumises à l'Islamisme eurent abandonné leurs langues respectives pour adopter celle de leurs conquérants, c'est-à-dire entre le VIIIe et le Xe siècle de notre, ère. Les versions arabes furent alors entreprises par les juifs et par les chrétiens.

Les manuscrits sur lesquels elles furent faites étaient ceux dont on se servait dans les synagogues et dans les églises. Ils représentaient les recensions les plus diverses et, comme on peut le supposer, ils n'étaient pas toujours les meilleurs.

Les traducteurs se préoccupèrent moins de reproduire le texte le plus pur que de mettre la Bible à la portée des fidèles, en la débarrassant de toutes ses obscurités. Tous les livres de l'Ecriture Sainte n'étaient pas également lus dans les synagogues ni dans les églises.

Les chrétiens, en dehors du Nouveau Testament, qui était leur principale Ecriture, ne lisaient guère, dans leur entier, que le Psautier et les Prophètes.

---

١) لقد ضلّ المترجم سبيله في تعريب هذه الفقرة، فجاء النقل خلاف المعنى الاصلي. وهاك الترجمة الصحيحة: « وكان المترجمون اقل اهتماماً في نقل النصّ الاصح الافصح منهم في تقريب معاني الكتاب المقدس من افهام المؤمنين، وذلك بتجريدهم اياه من الظلمات التي احاطت به »

٢) هنا ايضاً جاء التعريب سقيماً، معاكساً لمعنى الاصل. فان النص الفرنسي يدل على ان المسيحيين كانوا يقرأون العهد الجديد « كلّه » ولا كل اجزاء العهد القديم بكمالها. وعليه يقتضي حذف حرف النفي « ما » السابق كلمة « كانوا » فيستقيم المتن. والاولى ان تترجم الفقرة هكذا: « اما المسيحيون، فيعتزل عن العهد الجديد الذي كان كتابهم الخاص (ولذا

ولهذا حامت الخواطر حول ما يُتلى من تلك الصحف. اما ما كان من سائر المصاحف فكانوا ينقلون الى العربية ما ورد من آياتها في الصلوات والادعية والشعائر الدينية ولهذا لا يرى في لغتنا نقل كامل للعهدين.

On se borna, tout d'abord à traduire ces livres; quant aux autres, on n'en traduisit que les parties qui étaient disseminées dans les livres liturgiques.

C'est ainsi qu'aucune des versions arabes les plus anciennes ne s'étend à toute la Bible.

ولما حاول بعضهم الحصول على ترجمة كاملة تستوعب جميع الاسفار الالهية، عمدوا الى الاجزاء المعرّبة — وكانت لعدة مترجمين ومن عدة لغات — وادمجوا فيها ما عرّبوه بانفسهم.

Plus tard, quand on voulut avoir l'ensemble des Saintes Ecritures, pour l'usage du clergé, qui lui-même n'entendait plus suffisamment les langues anciennes, on se contenta de réunir les versions déjà faites des différents livres ou portions de livres, et on combla les nombreuses lacunes par de nouvelles traductions faites sur les exemplaires complets des anciennes versions coptes ou syriaques.

وهكذا جاءت الترجمات بعبارات مختلفة السبك والصحة كانها الثياب القلمونية او مرقعات الدراويش. اذ ترى في تلك النقول مزايا كل لغة ترجمت منها. واحسن مثال لما نقوله مخطوط «Brèves» ولهذا لا يعتمد على النسخ العربية المترجمة. اذ نصوصها مترجرجة ورخوة لا قوام لها.

Il en résulta de véritables mosaïques, dont le fameux manuscrit de *Brèves* est un exemple frappant.

Les versions arabes n'ont donc pas beaucoup d'autorité.

على ان النقدة المتبحرين يرون فيها بعض الاحيان نورًا يطلع منها ليضيء لهم في مدلهمات الرواية الارمية (قل السريانية) المروقة بالبسيطة (١

Cependant la critique y trouve parfois des variantes qui jettent une lumière inespérée sur la version syriaque, et surtout la version alexandrine.

كانوا يتلونه باجمعه) لم يكونوا يقرأون بتمامها (من اسفار العهد القديم) سوى سفر المزامير وكتب الانبياء»

١) يدّعي حضرة المتعصب المعرّب ان من الخطإ الشنيع ان يقال «اللغة السريانية»؛ وان الصواب ان تدعى «إرمية»، ولا آرامية؛ «وان تسمية سريانية كانت جائزة في عصر سابق لا عصر التحقيق كما هو عهدنا هذا» (لغة العرب ج ٨ س ٨ ص ٦١٧) والحال ان الذي حققه ارباب الالسُنيّة السامية ان هناك لغات آرامية، ولا «لغة إرمية واحدة»، بل من باب التدقيق ان هذه اللغة الارامية لم يكن لها وجود، اي لم تدوّن: اما ما وجد له

En tout cas, elles occupent une place importante dans l'histoire de la Bible.

ومهما يُقل عنها ، فان لها منزلتها في تاريخ التوراة .

Versions arabes basées sur le texte hébreu.

La plus célèbre est celle de Saadias Haggaôu (891 — 941) juif originaire du Fayoum, en Egypte, directeur de l'école talmudique de Sora.

واقدم ترجمة عربية نقلت من العبرية وعرفها علماء العصر هي ترجمة سعديا الفيومي (٨٩١ الى ٩٤١م) من ديار مصر . وكان في زمانه مدير المدرسة التلمودية في سورة .

Elle se rapproche beaucoup des paraphrases targumiques, en sorte qu'elle est plus utile pour l'exégèse que pour la critique du texte.

والترجمة تداني كثيراً الحشو الترجومي فهي اهم للتفسير منها لنقد النص .

L'examen des différents manuscrits que nous en avons montre qu'elle a subi de nombreuses et importantes interpolations.

والمخطوطات الباقية من هذا النقل يظهر ان الايدي قد لعبت به كل لعب .

La question de savoir si cette version s'étendait à toute la Bible est encore fort débattue. Il est certain qu'elle comprenait le Pentateuque et Isaïe : On admet généralement que Job, les petits prophètes et les psaumes avaient aussi été traduits par Saadias.

ومسألة معرفة هل ان هذه الترجمة كانت تشمل التوراة كلها او لا باقية في ميدان الجدال . على ان المؤكد انها كانت تشمل اسفار موسى الخمسة ونبوءة اشعيا . ويذهب جماعة الى ان سعديا عرّب ايضاً سفر ايوب والانبياء الصغار والزبور . وهذا يكاد يكون رأي عموم الذين عنوا بهذا الامر .

آثار ادبية ، فهو لهجات آرامية اضحت طائفة منها لغات قائمة بذاتها . وقد قسم الالسُنيّون هذه اللغات الآرامية الى قسمين كبيرين ، احدهما شرقي الفرات ، والآخر غربيه . من اللغات الآرامية الشرقية : الآرامية الرهوية ، الآرامية المندائية ، آرامية التلمود البابلي الخ . ومن اللغات الارامية الغربية : آرامية التوراة ، الآرامية الترجومية ، الارامية التلمودية ، الارامية الفلسطينية . اما احدى اللغات الآرامية الشرقية ، اي « الرهوية » لان منشأها بلاد الرها ، فمنذ تدوينها دعيت سريانية ، لان المتكلمين بها ، وهم قوم من الآراميين ، اطلق عليهم اسم السريان منذ القدم . فاليوم ان قلنا « اللغة السريانية » عنينا « الارمية الرهوية » وان اردنا التخصيص قلنا : « اللغة الارمية السريانية » كما نقول « الارمية الكتابية » ، والارمية التلمودية . فالارمية اسم مطلق ، او اسم جنس ، والسريانية اسم نوع . وفي جميع تآليف العلماء الالسُنيّين المحققين تقف على هذا الفرق . وهذه اللغة السريانية ، لا بغيرها من اللغات الارامية ، تُرجم الكتاب العزيز ، وألف آباء الكنيسة السريانية تآليفهم الجمة . فعلى

فانظر الآن ، رعاك ربّك ، اين هذه الطريقة ، « طريقة أئمة البادية ، طريقة النزو في ربوع العلم الهادئة » ، من اسلوب علماء الغرب المدققين الامناء المنصفين الذين متى استمدوا ، ولو جملة واحدة او احد الاسماء ، من اسفار غيرهم من المصنفين ، قدماء كانوا ام عصريين ، بادروا حالًا الى ذكر ذلك في حواشي مؤلفاتهم ؛ حتى انك لترى بعض الاحيان — وكتب الاب لامنس وغيره من كبار العلماء من انصع الشواهد على هذا القول — ان نصف او اكثر من نصف طائفة من صفحاتها مرصد لذلك . اذن لكان الامر طبقاً للامانة الطبيعية والعلمية ، ومجلبة شرف وفخر ، لو ذكر في حاشية من الحواشي ان هذا النصّ مقتضب ترجمةً عن معجم الكتاب المقدس الفرنسي لصاحبه ڤيگورو ، او لا اقل من يقال: راجع الكتاب المسفور في الجزء الاول العمود ٨٤٥

اما مقالة « ترجمات التوراة » المقصود بها الحطّ من علم ومقام اقطاب العربية في هذا العصر ، الذين قاموا بتصحيح وصقل عبارة الترجمتين العربيتين: اليسوعية والاميركية ، فيجدر القول بان صاحبها يسير فيها متعثرًا ، بينما هو يدّعي اقالة عثرات غيره ؛ لان الزلل قد لاح من مطلعها [1] وكل ما يعزيه من

حضرة المقتضب المرتّب ان يراجع كتب العلماء مثل Noeldeke ، Rubens Duval ، Brockelmann ، ولاسيا كتاب العلامة Chabot المعنون : *Les langues et les littératures Araméennes* فن هذا العنوان وحده يظهر صواب قولنا . وهذا السفر قد ترجمه الى العربية حضرة الكاتب الباوع انطوان لورنس في القدس ؛ وقد ارسلت ادارة مجلة « الحكمة » للسريان غير الكاثوليك بنسخة منه الى حضرة صاحب مجلة لغة العرب ، والظاهر انه استحسنها . فهل يا ترى رأى بام عينه ما الفرق بين السريانية من باب التخصيص ، والارمية من باب الاطلاق .

١) ان مجرّد عنوان المقالة المذكورة يحوي غلطين ، وهو مركب من لفظتين . فانه جاء اوسع من الموضوع ، بدليل ان كلمة « ترجمات » لا تعني الترجمة العربية وحدها ، الدائر البحث عليها ، بل مختلف ترجمات الكتاب العزيز الى لغات شتى . ثم ان لفظة « توراة » لا تطلق ، من باب التدقيق ، كما اطلقت في المقال ، على الكتاب الالهي بعهديه القديم والجديد ؛ بل على العهد الاول وحده . ناهيك ان حضرة المنتقد اخطأ حتى في تلك الايات ، وتبيين اعدادها . مثال ذلك (ص ٦٦٨و٦٦٩ من المجلة المسفورة) سفر الخلق (١ : ٢٢) صواب (٣ : ٢٢) — (٩ : ١٦) صواب (٩ : ٩) — (٢٠ : ٢٤) صواب (١٩ : ٢٤) — (٣٨ : ٤٢) صواب (٣٨ : ٢٤)

الاغلاط الى متولّي الترجمة اليسوعيــة فهو في الغالب ليس من الخطأ في شيء ، لأن سيبه ان اللغة العربية ، المائشة خلاف طبيعة اللغات الحية ، لا يزال ولن يزال الميدان فيها فسيحاً للجوازات والاختــلافات ، ومن ثم للمجــادلات والمماحكات . ان الصحيح الفصيح في سائر الألسن الحية ، السائرة مع تطوّر الاحوال الزمنية والعمرانية ، هو ما يقبله ذوق اهل كل عصر ، قديماً كان ام حديثاً ، ولهذا تجد الفاظاً وتعبيرات وقواعــد كانت في سالف الزمان صحيحة فصيحة ، فاصبحت اليوم ، بفعل التطوّر ، من قبيــل المهجورات ، لا بل من المستهجنات . اما العربية ، فبينما هي تتهذب وتتحول متكيفة بكيفيــة احوال البيئة العصرية ، فاعلة ذلك على المنشط والمكره ، اذا بتلك الفئــة البالية الآراء ، المتحجرة العقول تحاول ارجاعها القهقرى الى عصر الخشونة والبربرة ، عصر الايل والدِمَن ، مدعيةً ان لا صحيح ولا فصيح الا ما تدفعه الينا البادية بسيل اقاصيصها العارية ، على ان كل ذي ذوق سليم يقرّ بان العربية لم تبلغ ما بلغته من الصقل والمرونة ، والسلاسة والعذوبة ، اي انها لم تصبح « متمدنة » الا بفضل عبقرية المولّدين .

يقول صاحب المقال : ان كل ما جاء مخالفاً لمبادئ النحاة (قل تفاهات بعضهم) فهو غلط شنيع . لكن لِمَ يا ترى يستعمل هو عينــه كلمة « مُلوكي » عوض « مَلَكي » عكساً للوارد في كتب النحو ؟ وما قوله في مــا نراه في « مقامات الحريري » و « نهج البلاغة » من مثل العبارات الآتية ، المناقضة لما يرتئيه ؟ ودونكها : « ها انا قد عرضت » « ها هو أمكم » « ها نحن قد تاعينا »[1] « ها هم رهائن القبور »[2] وفي كلها لا نجد اثراً لاسم الاشارة مفرداً

١) راجع مقامات الحريري (طبعة المعارف ، بيروت ، ١٨٧٣) ص ٢٩ ، ٢٩٧ ، ٤١٨

٢) اطلب « نهج البلاغة » المنسوب الى علي بن ابي طالب (طبعة محمد علي بكداش) جزء ٢ ص ٧٩

بديهي عند اهل الذوق السليم المتزّه عن الهوى والارهام ان « نهج البلاغــة ، ومقامات الحريري » — وان كان صاحباها من المولّدين — لسفران حريّان بان يعدّا آية الايات في « الابداع والاعجاز » لانهما ، من حيث الالفاظ ، خلاصة الفصاحة والمتانــة ؛ ومن حيث المعاني ، لبّ البلاغة الفتانة . فلهما من هذا القبيل حق الافضلية على كل ما سبقهما من المصاحف .

كان ام جماً . وما رأيه خاصةً في هذه التراكيب المخالفة لقواعد النحو ؟

١ً « تلك عشرة كاملة » والصواب، حسب قواعد النحو « تلك عشر كاملة »

٢ً « وقطّعناهم اثنتي عشرة اسباطاً » ؛ والصواب « اثني عشر سبطاً » اي بتذكير الاول وافراد الثاني.

٣ً « لكن الراسخون في العلم منهم ، والمؤمنون بما انزل اليك ، وما انزل من قبلك ، « والمقيمين الصلاة » ، والمؤتون الزكاة ، والمؤمنون بالله ، واليوم الآخر » ؛ وصوابه « والمقيمون الصلاة » بالرفع تبعاً لما سبق.

٤ً «وهذان خصمان اختصموا في ربهم» ؛ ووجه الصواب «اختصما في ربهما»

٥ً «وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا ، فاصلحوا بينهما. » والصحيح ان يقال امّا « اقتتلوا وبينهم » واما « اقتتلتا وبينهما »

٦ً « ان الذين آمنوا ، والذين هادوا ، « والصابئون » ، والنصارى. . . » صوابه «والصابئين » لكونه اسم إن.

٧ً « واسرّوا النجوى الذين ظلموا » ؛ هذه لغة «اكلوني البراغيث» الشهيرة، المقيتة. والصواب « واسرّ النجوى الذين ظلموا »

٨ً « ان مثل عيسى عند الله ، كمثل آدم ، خلقه من تراب ، ثم قال له : كن « فيكون » ؛ صوابه « فكان » لان الكلام في الماضي.

٩ً « وانفقوا مما رزقناكم ، من قبل ان يأتي احدكم الموت ، فيقول : لولا اخرتني الى اجل قريب، فاصدق « وأكن» من الصالحين » ؛ والصحيح «واكونَ» بالنصب.

مسكاً للختام ، اتمنى ان تزول مضمحلة من ميدان العلم ، في بلادنا ، تلك الطريقة القديمة ، المعيبة ، المكروهة ، التي جاء هذا المقال بمثل حسي عليها ؛ فتسود منتشرة عوضها الطريقة العلمية الحقة الشريفة. مما ينجم عنها لمزاوليها رفعة المقام وعظيم السلطة الادبية ، ويخلد لهم الثناء الطيب على تراخي الاحقاب ، ويعود على مطالعي اسفارهم من طلاب الحقيقة بجزيل الفوائد في الحال والاستقبال.

السوريون في فرنسة

في القرنين السادس والسابع للمسيح

بقلم الاب لامنس اليسوعي

اودّ ان ابيّن في هذه السطور ، كيف باشر السوريون بسط نفوذهم الاقتصادي على بلاد غالية ، وكيف توفّقوا الى جعلها مستعمرة تجارية ملحقة بوطنهم الاصلي ، على مدة قرنين تقريباً ، اي طول حكم الميروفنجيين. ولا شك ان هذه اللمحة التاريخية تساعدنا في فهم مسألة المهاجرة السورية المهمّة ، كما انها تعيننا في قدر ماضي هذا الشعب النشيط حقّ قدره ، وقياس مواهبه المتنوّعة قياساً عادلاً.

بينما نرى الفلّاح المصري شديد التعلق بارضه ، يعيش ويموت في منطقته الضيّقة ، نرى جاره الفلسطيني ، السوري ، اللبناني لا يفتأ مسافراً من قطر الى قطر . وهو ميل غريزي فيه ورثه عن اجداده الفنيقيين ، جوّابي الآفاق وقاطعي الصحاري والبحار ، مؤسسي نظام الرحلات البرّية والاسفار البحرية ، حتى ان اسم الفنيقي غدا ، في التوراة ، مرادفاً للتاجر ، للبائع النقّال الذي نعدّه بحقّ سلفاً لتجارنا المتنقّلين ووسطائنا الجوّالين في مدن الغرب. كان الفنيقي يرحل ليصيد الزبون ، فيصل الى بلاده ، ويعرض عليه بضاعته . ثم يشتري من بلاد هجرته الموادّ الاولية ، او المصنوعات الخاصة ، فيحملها الى بلاده ويقدّمها محسّناً فيها وزائداً عليها . واننا نرى في العهد العتيق ذكر « المرأة القويّة » التي كانت تستعمل اوقات فراغها لنسج الصوف منتظرة مرور الكنعاني الفنيقي .

وكان السهل الفنيقي الضيّق المحصور بين البحر والجبل تنتشر فيه المعامل والمصانع مشتغلة كلّها في سبيل التصدير الى البلاد الاجنبية ، منتجةً انواع

الزجاج والاصباغ المختلفة ، ومصنوعات الفخار ، وقطع النسيج ، ظاهرةً جميعها بمظهر خلايا النحل المتراكمة بعضها الى بعض ، الدائبة على العمل دون انقطاع . وطالما أعجب قدماء الكتبة والمؤرخين بهذه الحركة المتواصلة ، وبروح الاقدام الذي يميز الفنيقيين ، فقال عنهم بومبونيوس ميلا انهم « امة صناعية مجتهدة ، معتبرة في اعمال الحرب والسلم ، وانهم تجارة فائقو المهارة .» وكذلك رأي القديس ايرونيموس فانه ، في شرحه مقطع النبي حزقيال المشهور عن ازدهار تجارة الصوريين ، يشهد ان السوريين يظهرون بحق وجدارة ابناء اولئك التجار الاقدمين فانهم ورثوا « ميلهم الشديد الفطري للاعمال التجارية الرابحة . وان هذا الميل يقودهم حتى اقاصي المعمور . وعلى الرغم من اكتساح البرابرة الامبراطورية الرومانية ، وفي وسط الجيوش ، وتجاه موت المساكين ، تراهم يسعون دائماً في سبيل جمع الثروات والهرب من الفقر ، وسط المخاطر .» واننا لنتخال هذه الاسطر المكتوبة قبل ستة عشر قرناً مقتضبة من تقرير عصري عن المهاجرة السورية .

ومن اهم ما كان يدفع قدماء السوريين الى القيام بهذا الدور الخطير طبيعة تكوين بلادهم وهيئتها الجغرافية ، وهي جسر بين قارات العالم الثلاث يتصل من بيداء الرمال الى امواج المتوسط . وقد استخدموا طريق البحر بكل جرأة ومهارة فعززوا بواسطتها المواصلات الدولية المختلفة محققين من عصر بعيد قول ليوبولد الثاني : « ان شعباً له منفذ على البحر لن يكون بالشعب الصغير ! » وهو ما يشرح لنا هذه الحقيقة التي لا سبيل الى انكارها وهي ان البلاد السورية كانت في العصر القديم ، وفي عهد طويل من القرون الوسطى ، المركز المهم لحركة صناعية دائبة متنوعة ؛ واضحت مستودعاً جامعاً أثمن محصولات الشرق الادنى والشرق الاوسط .

وقبيل العصر الذي ندرسه اليوم (القرنين السادس والسابع للمسيح) يذكر مؤلف «وصف العالم الروماني» اهم صادرات البلاد السورية فيعددها قائلاً : « انبذة غزة وعسقلان ؛ الكتان المصنوع في سيتوبوليس (بيسان) ، ولاوديسية (اللاذقية) ، وبيبلوس (جبيل) ، وتير (صور) ، وبيريت (بيروت) ؛ واوجوان قيصرية

ونابلس ولدّة ؛ وتمر اريحا ونخلها ؛ وفستق دمشق وفواكهها . » وهو ينهي لائحته بذكر ممثلي المهازل والمهرّجين والمخرقين والموسيقيين والمصارعين الذين كانوا يحيون الملاهي في مدن الشرق ، والذين كانوا بحذقهم ورشاقتهم يسلّون ويلهون قدماء الغاليّين . ويُستنتج من عدة كتابات ان مهارة السوريين الموسيقية كانت مشهورة طول العهد الاول من القرون الوسطى ، حتى ان الكثيرين منهم توصّلوا ، بواسطة مواهبهم الموسيقية ، الى اعلى المراتب الكنسية في بلاد الغرب .

وان من يتصفّح التواريخ اليونانية واللاتينية يعجب باجماع مؤلفيها على القول بغنى البلاد السورية وكثرة مواردها الحيوية . وقد زادت هذه الموارد وازداد بها غنى البلاد ، في القرن السادس ، اذ بدأت صناعة الحرير . ويعود الفضل في ذلك الى راهبين فاضلين أتيا ، تحت طي الخفاء ، من بلاد الصين ببعض بزور القزّ . هذا وان اللائحة التي اوردناها اعلاه اغفلت ، ولا ندري لاي سبب ، ذكر الزجاج الذي كان من اشهر الصناعات السورية واجداها عائدة على البلاد . وهذه لائحة اخرى بالصادرات السورية مختصرة عن الجغرافي الشهير المقدسي : الزيت ، وانواع الصابون ، والمنسوجات النصف حريرية ، والقطن ، وصبغ النيل ، والموز ، والعسل ، والسكر ، والمرايا ، وانواع النحاس ، والارز ، والاطياب وعطور الازهار ، وجميع انواع العنب والفواكه المجففة والمطبوخة .

ولكن مع كل ما تقدّم لا يمكننا القول ، كما لا يزال البعض يزعمون ، ان سورية او سهول البقاع كانت اهراء الامبراطورية الرومانية . وليس ذلك لجدب هذه البلاد ، بل لان ثروة البلاد السورية كانت تستند الى موارد اقلّ كلفةً من مورد الحبوب واوفر انتاجاً . فان سورية كانت تصدر الى العالم اليوناني - الروماني ، والى العالم البربري الذي خلفه ، بضائع الترف وسلع البذخ التي تقابل ما ندعوه اليوم « بسلع باريس » كانواع الطيوب ، والمنسوجات الحريرية والكتانية المطعمة بالذهب وبعض الهنات التزيينية القيّمة ، ثم الافاويه والحجارة الكريمة والمعادن الثمينة التي كانت تستوردها من الهند ومن بلاد العرب .

ثم ان الانبذة السورية كانت تحتلّ الاسواق في بلاد غالية وتفوق غيرها ،

وكانت انبذة فاخرة بشهادة غريغوار التوري ؛ وكما اننا لا نتصوّر اليوم مأدبة لا تنتهي بأكواب الشمپانيا ، كذلك لم تكن تخلو موائد اغنياء غالية في القرون الاولى للمسيح من نبيذ غزة الفاخر . وكذلك كانت حالة اوربة في ما بعد ، في ما خصّ نبيذ قبرص .

وان من يسافر في انحاء سورية يستفيد من المعلومات ، في هذا الموضوع ، ما لا يقلّ عما يستفيده دارس الكتب ، بشرط ان يلاحظ ما حوله . فانه لا يلبث ان يتأكد أن ما يرويه قدماء المؤلفين عن خصب هذه البلاد ورخاء المعيشة فيها لا يمكن نسبته الى المغالاة . يشهد بذلك ايضاً ما نراه من بقايا الآثار الراقية الى العهد الروماني - البيزنطي ، الدالة كلها على حياة فنية موافقة ما تتطلبه المدنية من التأنق في الرفاهية والترف كتلك الكنائس الرائعة ، والقصور الرشيقة ، وكثرة ما فيها من الفسيفساء . فاذا عرفنا ان الفنون الجميلة لا تكون حصّة الشعب الفقير التعيس ، تحقّقنا السعادة التي كانت تتمتع بها بلادنا حتى في مناطقها المجاورة الصحراء ، وادركنا الدافع الذي حمل الامبراطور يوستنيانوس ، اذ رغب في تأسيس مواصلات دائمة بين القسطنطينية وبلاد الغرب ، على اختيار السوري اذايوس وجعله رجل ثقته . فانشأ المراكب التي قامت بالمواصلات المنظمة بين بلاد غالية والمرافئ السورية .

* * *

منذ عصور النصرانية الاولى ، نرى الجوالي السورية في غالية . الّا انهم في اول عهدهم كانوا يختفون بين جمهور الرعية الرومانية فيتبعون طقوسها الدينية ويتسمّون بالاسماء اللاتينية ويتكلمون اللغة اللاتينية . وعلى الرغم من روح الاقدام المتأصل فيهم ، ومهارتهم في تحسين المعاملات واغتنام الفرص ، لم يكونوا اذ ذاك لينتصروا على تلك المدنية الفائقة القوية . ولكن لم تلبث الحالة ان تغيّرت . فما اخذت القبائل الجرمانية تكتسح الامبراطورية منذ القرن الخامس ، حتى بدأ السوريون يتميزون من جمهرة الشعب الوطني ، كما يلاحظ القديس ايرونيموس ، ويأخذون شيئاً فشيئاً بالسيطرة على السوق الغالية . الى ان سقطت الامبراطورية العظيمة ، فراعت سقطتها الغاليين وكأنها بهرتهم

وقيدت مواهبهم فعجزوا عن كل عمل من شأنه مقاومة عناصر الانحلال التي امتدت اليهم ، فاخذت الفوضى تسود بلادهم مرجعةً اياها الى عهد البربرية ، فضعفت صناعاتهم وسائر محصولاتهم وتعطّل الكثير منها، وغارت رؤوس اموالهم. وهي كارثة اقتصادية تتبع دائماً الكوارث السياسية، كما تحققناه بعيد الحرب الكبرى.

ولما كان فتح السوق الهندية الغنية والسيطرة على محصولاتها ، الهدف الدائم للشعوب الاقتصادية ، – وهو السبب الحقيقي لجميع المشاكل التي تخلقها المعضلة الشرقية منذ القديم حتى اليوم – ولما كانت سورية تقع في محطة من اهم محطات هذه السوق الهندية ، استفاد تجارها وارباب صناعاتها من هذا المركز المهمّ ومن حالة الامن والسلام التي كان يرتع فيها الشرق اذ ذاك ، فوسّعوا نطاق اعمالهم، وزادوا محصولاتهم زيادة تطلّبت المنافذ الاجنبية . فحصل ما نعرفه من درس الشرائع الاقتصادية ، وهو ان المُصدر الاغنى والاقدر يسيطر على السوق ، ويتسلّط على المشتري الضعيف ، ويملي شروطه كما يريد ، فيتحكم بالمعاملات المالية ، ويجعل الاولية لنقده وطرق مبادلاته ، وبكلمة واحدة: يشتري رخيصاً ويبيع غالياً . وهذه كانت حالة السوريين في غالية الميروفنجية والقوطية.

ولم يكن السوريون وحدهم في هذه الحملة المالية والاقتصادية ، بل صادفوا هناك غيرهم من الشعوب الشرقية ونافسوهم في معاملاتهم كاليونان والارمن خصوصاً ، والفرس والمصريين ولاسيما اهل الاسكندرية منهم . الا ان الغربيين لم يكونوا ليميزوا بين هؤلاء الشعوب بل كانوا يدعونهم جميعهم «بالسوريين» ، كما كان الشرقيون يدعون جميع اهل اوروبة «بالفرنج» وكما كان سلفاؤنا في اوروبة لا يميزون المسلمين من الاتراك . ولكن من الحقّ ان نلاحظ ان دعوة كل الشرقيين باسم اهالي سورية لدليلٌ واضح على اهمية هذا الشعب بالنسبة الى الباقين ، وعلى تأثيره في الحركة التجارية اذ ذاك. فهو إجمالاً اولى السوريين مجداً وفخراً ، ولكنه اضرّ بسمعتهم احياناً كما سنرى .

في كل مهاجرة ، وفي كل تجربة استعمارية ، يدخل كثير من العناصر المضطربة ، ان لم نقل الفاسدة. فالتاجر ليس بالمرسل الديني ، وهو لا يهتمّ بطرق الكمال ولا بسبل المثل الاعلى . ولم يكن جميع المهاجرين الى غالية من ارقى

طبقات الشعب ؛ كان فيهم من جميع الطبقات ، من المتشردين ومن ارباب المغامرات . وسواء كان هؤلاء من السوريين او اليونان او الارمن ، فان الرأي العام الغالي لم يكن ليميز بينهم بل كان يدعوهم جميعاً بالسوريين محملاً سورية تبعة اعمالهم .

ثم ان ما حصّله السوريون من النجاح بفضل مواهبهم التجارية ومهارتهم ، جعل الوطنيين ينظرون اليهم بعين الحسد ، اذ كانوا يرون بضاعتهم كاسدة ، وحوانيتهم مقفرة . فكانوا يتذمرون من تلك المنافسة الاجنبية ويلجأون احياناً الى الحكومة . من ذلك ان حكومة رومة لكثرة ما ورد عليها من شكاوى تجارها الوطنيين ، قررت اخراج السوريين من منطقتها ، ولكن سرعان ما رجعت عن قرارها إذ رأت المجاعة تهدد شعبها . وان هذه المنافسات والمناظرات والاختلافات لا مندوحة عنها بين الشعوب المتباينة في العادات والعقليات ، لاسيما اذا كانت تتجه كلها الى غاية واحدة فتزيد المنافع المادية الحالة خطورة وتجر احياناً الى انشقاق مهم ينتج غالباً عن سوء التفاهم . وان المهاجر ، مهما كانت اخلاقه سامية ، لا بد ان يراه الوطنيون اجنبياً وبالتالي غير مرغوب فيه ، حتى عندما يستملون مواهبه ويستفيدون من وجوده بينهم . فان كان فقيراً يحتقرونه ، وان كان غنياً بارز الشخصية ذا نفوذ يحسدونه فيكرهونه . وان على التاريخ ان ينتبه لهذه الخصائص فلا يولي اهمية عظيمة للخلافات بين الوطنيين والاجانب لانها لا تدل غالباً على شيء يُذكر في اخلاق الشعوب المهاجرة في سبيل التجارة او الاستعمار .

ولكن لنعد الى السوريين ، فاننا نراهم في العهدين القوطي والفرنجي حائزين على تفوق اقتصادي لا يُنكر ، وعلى نظام تجاري لا يُجارى . وقد جاؤوا برؤوس الاموال وبالمحصولات المتنوعة الى بلاد كانت قد افقرتها الحروب المتوالية والفوضى المستديمة . اما ان يكون السوري اراد الاستفادة من حالة البلاد ومن تفوقه على تجارها حتى انه لم يهتم دائماً بتحسين علاقاته مع الوطنيين ولم يراع شعورهم في الكثير من الاحوال ، فهو أمر لا يسلم منه بشري . ولكن يجب الا ننسى ان الوطني يتهم دائماً الاجنبي ، او الدخيل ، كما يدعوه .

وهو لا يغفر له ان يبيعه غالياً ادوات الترف التي يدفعه الزهو والعجب الى شرائها ، ولا يرى بعين الرضى نجاح ذاك الدخيل حيث يخفق هو الوطني الأصيل . وعلى هذا القياس نرى ان جميع الشعوب التجارية كالفنيقيين والقرطاجنيين واليونان والارمن والبنادقة والبرتغاليين والهولنديين والانكليز كثيراً ما نُسبوا الى الطمع والاحتيال.

كان السوريون ، قبل العصر الذي نبحث فيه ، قد توصّلوا الى اسمى مراتب الامبراطورية الرومانية ، فنالوا العرش أسرة ملكية . وها انهم في القرنين السادس والسابع يصلون الى كرسي بطرس فيجلس عليها منهم خمسة باباوات . وهي سلسلة من الاحبار الاعظمين لا نعرف مثيلاً لها في شعب آخر الّا الشعب الايطالي . وتشهد اللائحة الحبرية (*Liber Pontificalis*) ان الفضل في انتخاب هؤلاء الباباوات عائد لصفاتهم الشخصية ، وهي شهادة صريحة تنفي كلّ افتراض وتشكيك . ولم تنحصر رغبة السوريين في الارتقاء الى اسمى مراتب الكنيسة ، في ايطالية وحدها ، بل نراهم في غالية ايضاً ، بعد ان سيطروا على المصارف والمتاجر ، ورأوا وظائف الحكومة مسدودة دونهم ، يوجهون ابصارهم نحو الكنيسة وكثيراً ما كانوا ينجحون فيلبسون التاج ويحملون العكّاز . الّا ان منافسيهم ينسبون هذا النجاح الى الدسائس والرشوات ، وسنرى في ما يلي كيف ان المال السوري اثّر في انتخاب صاحبه مرّة واحدة على الاقل . ولم تلبث هذه الرغبة في المراتب العالية ان تأصلت فيهم واصبحت كيزة خاصة لهم بما تدلّ عليه من روح الاقدام والثقة بالنفس . ويشير المؤرخون الى ان جميع المنتخبين من السوريين للمراتب الكنسية العليا كانوا بارعين في الموسيقى . ويقول سيدوان ابولينير ، اسقف كليرمون ، في احدى اهاجيه : « السوريون يرتّلون في الحفلات الدينية ! » « *Psalunt Syri* » وهو يظهر تعجبه بنقد لاذع ، لانه يعرف السوريين ماهرين في البيع والشراء ، متخصصين بالوقوف امام مناضد البضائع او الجلوس على كراسي المصارف ، فيستغرب تحوّلهم الى اكليريكيين يرتلون في الحفلات الدينية ويقرأون على القرّاءات في الكنائس.

(للبحث صلة)

الرسالة الخاتمية

فيما وافق المتنبي في شعره كلام ارسطو في الحكمة

نشرها من مخطوطتي المكتبة الشرقية (بيروت)
فؤاد افرام البستاني
استاذ الآداب العربية في كلية القديس يوسف

٤

١١ قال ارسطو

النفوس[١] المتجوهرة تأبى مقارنة الذلّة[٢] جدًّا[٣]، وترى فناءها[٤] في ذلك حياتها[٥]؛ والنفوس[٦] الدنيئة بضدّ ذلك

[٨ و] قال المتنبي

فحبُّ الجبانِ النفسَ أوردَهُ البقا[٧]؛ وحبُّ الشجاعِ الحربَ[٨] أوردهُ الحَرْبا.

١٢ قال ارسطو

باعتدال الامزجة وتساوي اركان الاحساس[١]، يُفرق بين الاشياء واضدادها.

---

١١ هي الفقرة ١٠ في ت، و١٢ في ق.
١) في ق : النفس. ٢) في ق : الذلّ.
٣) لم ترد في م م ولا في ت. ٤) في م ومم وت : فناها.
٥) في ق : بقاءها. ٦) في ق : والنفس.
٧) في ق : التقى. ٨) في ق : النفس، وفي ت : الذكر.
وقد زادت ق بيتًا آخر هو البيت التالي من القصيدة وهو:
ويختلف الرزقان، والفعل واحد الى ان ترى احسانَ هذا لذا ذنبا.
والبيت هو ٣٣ من القصيدة المذكورة في الفقرة السابقة (د: ٢٢٨ – والروائع ١٢: ٤٩)
١٢ هي الفقرة ١٣ في ق.
١) في م ومم : وتساوي الاركان. وفي ت : وتساوي الإحساس.

قال ابو الطيب

وما[2] انتفاع اخي الدُنيا بناظره ، اذا استوت عنده الانوارُ والظُلَمُ!

١٣ قال ارسطو

من لم يُرِدْكَ لنفسه ، فهو النائي عنك ، [وان كنت قريبًا منه؛ ومن يُرِدك لنفسك فانت قريب منه][1] ، وان تباعدت انت[2] عنه .

[٩ ق]

قال المتنبي

اذا ترحّلت عن قوم ، وقد قَدَروا أنْ لا[3] تُفارِقَهم ، فالراحِلونَ هُمُ!

١٤ قال ارسطو

من علم أن الفناء مستولٍ على كونه ، هانت عليه المصائب.

قال المتنبي

والهجرُ أقتَلُ لي مما أُراقبُهُ[1] ؛ انا الغريقُ ، فما خوفي البلَلِ!

---

٢) في م وم : فا.

البيت هو ١٤ من القصيدة المشهورة التي قالها متعتبًا على سيف الدولة ، ومطلعها :

واحرّ قلباه ! ممن قلبُه شَبِمُ ! ومن بجسمي وحالي عنده سَقَمُ .

(د : ٢٤٣ – والروائع ١٢ : ٢٤)

١٣ هي الفقرة ١٤ في ق.

١) الزيادة في ق ٢) لم ترد في ق.

٣) في م وم وق : ألا .

هو البيت ٣٤ من القصيدة نفسها (د : ٢٤٥ – والروائع ١٢ : ٢٦)

١٤ هي الفقرة ١٥ في ق.

١) أراقبه : أتوقّعه من بأس قوم الموصوفة – يقول : ان هجرها اقتل لي من سلاح قومها ، فاذا كنت مقتولًا بالهجر ، لم أبالِ بعده بالسلاح.

والبيت هو ٦ من قصيدة في مدح سيف الدولة مطلعها :

اجاب دمعي ، وما الداعي سوى طَلَلِ دعا ، قلبأه ، قبل الركبِ والإبلِ

(د : ٢٤٩ – الروائع ١٢ : ٥١)

١٥ قال ارسطو

العيانُ شاهدٌ لنفسه ؛ والاخبار يدخل[1] عليها الزيادة والنقصان؛ فأولى ما أُخذ ما كان دليلًا لنفسه[2] .

[١٠ و] قال المتنبي

خُذْ مـا تراه ، ودَعْ شيئاً سمعتَ به ؛
في طلعة البدر[3] ما يُغنيك عن زُحَلِ .

١٦ قال ارسطو

[قد][1] يُفسَد العُضوُ لصلاح[2] غيره من[3] الاعضاء ، كالكي[4] والفصد اللذين[5] يُفسدان الاعضاء لصلاح[6] غيرها[7] .

قال المتنبي

لعـلَّ عَتبكَ محمودٌ عواقبُه ! فرُبَّما صَحَّت الاجسامُ[8] بالعِلَلِ !

---

١٥ هي الفقرة ١٦ في ق .
١) في ق : تدخل ٢) في ق : على نفسه . وفي ت : ما دلّ على نفسه بالنظر .
٣) في ق : الشمس .
والبيت هو ٢٤ من القصيدة المذكورة في الفقرة السابقة (د : ٢٥١ – الروائع ١٢ : ٥١)

١٦ هي الفقرة ١٧ في ق .
١) زيادة في ق وت . ٢) في مم : لإصلاح .
٣) غيره من : غير واردة في ق ، ولا في ت : بل جاء في الاولى : « لصلاح اعضاء » ، وفي الثانية : « لصلاح الاعضا » ٤) في ت : كالكلي .
٥) في م ومم : اللذان . ٦) في مم : لاصلاح .
٧) في م : غيرها . واكتفت ت بالقول : « اللذين هما يُفسدان الاعضا »
٨) كذا في د وق وت . اما في م ومم فورد الابدان .
والبيت هو ٤١ من القصيدة نفسها (د : ٢٥٣ – الروائع ١٢ : ٥١)

١٧ قال ارسطو

مباينة المتكلّف[1] للمطبوع[2] كمباينة الحقّ للباطل[3].

[١١ق] قال المتنبي

لأنّ حِلْمك[4] حِلْم[5] لا تَكلُّفُهُ ؛
ليس التكحُّلُ في العينين[6] كالكحَلِ !

١٨ قال ارسطو

الرجاء تمنٍّ ، والشكّ توقُّف ، وهما اصل[1] الأمل.

قال المتنبي

واحلى[2] الهوى ما شكّ في الوصلِ ربُّهُ
وفي الهجرِ ؛ فهو الدهرَ ، يرجو[3] ويتّقي.

---

١٧ هي الفقرة ١٨ في ق.
١) في ق : التكلّف. ٢) في ت : المطبوع.
٣) في ت : الباطل. ٤) في مم : حكمك.
٥) في مم : حكم. ٦) في ت : بالعينين.
البيت هو ٤٣ من القصيدة نفسها (د : ٢٥٤ — الروائع ١٢ : ٥)

١٨ هي الفقرة ١٩ في ق.
١) أصل : سقطت في ت. ٢) في ت : واصل.
٣) في ت : يرجي.
البيت هو ٤ من قصيدة في سيف الدولة ، مطلعها :
لعينيك ما يلقى الفؤادُ وما لقي ! وللحبّ ما لم يبقَ مني وما بقي !
(د : ٢٥٨)

١٩ قال ارسطو

لسنا[1] نمنع[2] ائتلاف الارواح ، وانما نمنع[3] ائتلاف[4] الاجسام فان[5] ذلك من طبع البهائم.

[١٢ و] قال المتنبي

وما كلُّ من يهوى يَعِفُّ[4] ، اذا خلا ،
عفافي ؛ ويُرضي[6] الحبَّ ، والخيلُ تلتقي.

٢٠ قال ارسطو

من تخلّى عن الظلم بظاهره[1] وعَفّت[2] جوارحُه ، وكان[3] مساكنًا له[4] بحواسّه ، فهو ظالم.

قال المتنبي

وإطراقُ طرفِ العَين ليس بنافعٍ ،
اذا كان طرفُ القلبِ ليس بمطرِقِ!

---

١٩ هي الفقرة ٢٠ في ق.
١) في ت : اشياء. ٢) في ت : تمنع محبة. وفي ق : تمنع عن الائتلاف بالارواح.
٣) في ت : تمنع. ٤) في ق وت : اجتماع. وفي ق وحدها : زيادة « عن » قبلها.
٥) في ت : لأن. ٦) في م وم : وترضى.
البيت هو ٨ من القصيدة المذكورة (د : ٣٥٩)
وفي ق زيادة على البيت : « وقال ايضًا :
وأبعدُ مَن ناداك مَن لا تجيبه ، وأغيظُ مَن عاداك مَن لا تشاكل.
وهو البيت ٢٧ من قصيدة في مدح سيف الدولة (د : ٣٦٣) وقد ورد فيه « وأتعبُ » بدل « وأبعد »

٢٠ هي الفقرة ٢٤ في ق ، و٢١ في ت .
١) في ق وت : بظاهر امره. ٢) في ق : وعفّة.
٣) وكان : سقطت في ق. ٤) له : سقطت في ت ؛ وفي ق : لها.
البيت هو ٣٩ من القصيدة المذكورة سابقًا (د : ٣٦٢ — الروائع ١٢ : ٥٠)

٢١ قال ارسطو

عللُ الأفهام أشدُّ من عِلَل الأجسام.

[١٣ ق] قال المتنبي

يَهونُ علينا ان تُصابَ جُسومُنا ،
وتسلَمَ أعراضٌ لنا وعقولُ .

٢٢ قال ارسطو

من جعل[1] الفكرةَ[2] في موضع البديهة فقد اضرَّ بخاطره ، وكذلك من جعل[3] البديهة في موضع الفكرة .

قال ابو الطيب

وَوَضْعُ الندى في موضع السيف بالعلى[4]
مضرٌّ ، كوضعِ السيفِ في موضع الندى[5]

---

٢١ هي الفقرة ٢٠ في ت ، و٢٥ في ق .
والبيت هو ٦١ من قصيدة في مدح سيف الدولة مطلعها :
ليالِيَّ ، بعد الظاعنين ، شُكُولُ طوالٌ ، وليلُ العاشقين طويلُ .
(د : ٢٧٦ — الرواثع ١٢ : ٥٠)

٢٢ هي الفقرة ٢٦ في ق .
١) في ت : يجعل ، وفي ق : استعمل . ٢) في ت وق : الفكر .
٣) في ق : مستعمل . ٤) في م وهم : بالعُلا .
٥) في م وهم : الندا .
هو البيت ٣٠ من قصيدة في مدح سيف الدولة وتمثله بعيد الاضحى (سنة ٩٥٣) مطلعها :
لكل امرئٍ من دهره ما تعوّدا وعادة سيف الدولة الطعنُ في العدى
(د : ٢٨٧ — الرواثع ١١ : ٤)

٢٣ قال ارسطو

التنائي[1] بمباعدة الجواهر أبعد من التنائي[2] بمباعدة الاجسام.

[١٤ و] قال المتنبي

وأبعدُ[3] مَن ناداكَ مَن لا تُجيبه،
وأغيظُ مَن عاداكَ مَن لا تُشاكلُ[4].

٢٤ قال ارسطو

[إنَّ][1] الحكيم تُريه الحكمة أنّ فوق علمه علماً، فهو يتواضع لتلك الزيادة؛ والجاهل يظنّ أنه قد تناهى، فيسقط بجهله، فتمقته[2] النفوس.

قال ابو الطيب

وما التيهُ طِبّي[3] فيهم، غيرَ أنني بغيضٌ[4] اليّ الجاهلُ المتعاقلُ!

٢٣ هي الفقرة ٢٧ في ق.
١) التنائي: سقطت في ت ٢) في ت: الثناي.
٣) في ت ود: وأتعب. ٤) في ت: يُشاكل.
وهو البيت ٢٧ من قصيدة في مدح سيف الدولة مطلعها:
دووعٌ لذلكِ الروم هذي الرسائلُ برذٌ بما عن نفسه، ويُشاغِلُ. (د: ٣٩٢)
ورد البيت في م وهم وت اما ق فذكرته سابقاً في آخرة الفقرة ١٩ وأشرنا الى ذلك، وذكرت محلّه هنا بيتاً آخر بعيد الصلة بحكمة ارسطو وهو:
ولذيذُ الحياةِ أنفسُ في النفـ ـسِ وأشهى من أن تملّ وأحلى.
وهو البيت ٢٦ من قصيدة في رثاء اخت سيف الدولة الصغرى (د: ٤٣٠) وهو الوارد في الفقرة ٢٦ في م وهم وفي الفقرة ٤٥ في ت.
٢٤ هي الفقرة ٢١ في ق، و٤٣ في ت.
١) زيادة في ت وق. ٢) في ت: وتمقته.
٣) طبّي: كذا في ت وق ود، وفي م وهم: ظنّي. ٤) في م: بعيظ.
معنى البيت: لا يعنيني من مخاطبتهم التيه، اي الكبر، ولكني ابغض الجاهل الذي يترل نفسه منزلة العقلاء. وهو ٢٨ من القصيدة المذكورة سابقاً (د: ٣٩٢)

٢٥ قال ارسطو

وقد رأى غلاماً حسن الوجه[1] ، فاستنطقه ، فلم يجد عنده علماً ، فقال :

نعمَ البيت لو كان فيه ساكن.

[١٥ق] قال المتنبي

وما الحسنُ في وجه الفتى شرفاً[2] له ، اذا لم يكن في فعله والخلائقِ.

٢٦ قال ارسطو

اذا تجوهرت النفوس[1] الماسفية لحقت بالعالم العلوي ، فلا تسكن الى الهمم[2] الترابية ، ولا يعتريها مَلل[3].

قال ابو الطيب

ولذيذُ الحياةِ أنفس[4] في النفـ ـسِ ، وأشهى من[5] ان تُمَلّ[6] ، واحلى[7]

---

٢٥ هي الفقرة ٢٢ في ق ، و٢٤ في ت.

١) في ق : يوماً وقد نظر الى غلام حسن. ٢) في ق : شرف.

والبيت هو ١٠ من قصيدة في مدح سيف الدولة مطلعها :

تذكرت ما بين العُذَيب وبارقِ مجرَّ عوالينا ومجرى السوابقِ

(د : ٤١٢ – الروائع ١٢ : ٥٠)

٢٦ هي الفقرة ٤٥ في ت و٢٣ في ق.

١) في ت : النفس. ٢) في ق : الهموم.

٣) في ق : ولا يعترضها زلل. اما ت فلم ترد فيها هذه الكلمات.

٤) أنفس : كذا في م ود ، في مم : النفس. وفي ت : اوقع.

٥) في مم سقطت : «من» ٦) في د : يُملّ. ٧) في م ومم : واحلا.

هو البيت ٣٦ من قصيدة في رثاء اخت سيف الدولة الصغرى (سنة ٩٥٥) مطلعها :

ان يكن صبر ذي الرزيئة فضلا تكنِ الأفضل الاعزَّ الأجَلّا (د : ٤٢٠)

وقد ورد البيت في م ومم وت. اما ق فأوردته في الفقرة ٢٧ من فقراتنا اي ٢٣ ، وقد اشرنا اليه ، واوردت هنا بدله بيتاً آخر هو :

لنا ولأهله ابداً قلوبٌ تَلاقَى في جسومٍ ما تَلاقَى

وهو البيت الثاني من قصيدة في مدح سيف الدولة (د : ٢٩٧)

دلبتا

نبذة تاريخية

للخوري بطرس زوفائيل

الفصل الرابع

بعض حوادثها التاريخية (تابع)

وفي غضون ذلك قدمت عمارة عثمانية ومعها بعض سفن انكليزية وغسوية وبروسية ومسكوبية تُقلُّ من الجنود العثمانيين ٥٥٠٠ ، ومن الاوربيين الفين . وكان سليم باشا قائدهم ، فوجّه الاسطول الى جونيه . فلما علم بالامر ابراهيم باشا وهو في بعلبك كتب الى عثمان باشا قائد جيشه ان يزحف الى وطا طبرية، قرب رعشين وفوق دلبتا ، وكان معه نحو ٨٠٠٠ عسكري نظامي ، و ١٥٠٠ من الارناووط ، و ١٠٠٠ من الدروز . فلما شاهد سكان جرود كسروان كثرة عدد المحاربين انقادوا لمشورة الشيخ كنعان بان الخازن ، فخضعوا لعثمان باشا ، وسالموه ونجوا من أعباء الحرب ووبالها . واما رجال كسروان الاوسط ، وبينهم اهل دلبتا،فخبأوا امتعتهم واثاث بيوتهم في الغابات والكهوف ، وتوجهوا بنسائهم واطفالهم وعجّزهم الى شاطئ البحر . فدعا سليم باشا الاشدّاء منهم واعطاهم سلاحاً وبارودًا ورصاصاً وزادًا ، وحضّهم على مقاومة عثمان باشا ومقاتلته ، فلبوا امره وارتدّوا الى ساحة الحرب وكانوا في البداءة نحو ١٥٠ رجلًا واخذ عددهم يزيد يوماً فيوماً غير انه لم يتجاوز ١٥٠٠ رجل تحصّنوا بين الصخور على قمم الجبال المشرفة على الجيوش المصرية ، وفرّقوا قوّاتهم بين المنافذ والطرق مثل منفذ رعشين المؤدي الى دلبتا . ولمّا وصل ابراهيم باشا أمر بهجوم عامّ فأحدق جيشه بالكسروانيين فهزمهم ، وجدّ في اثرهم جنوباً حتى فيترون فاحرق مساكنها ، وشمالًا حتى قريتي جورة مهاد ونهر الذهب فأضرم النار فيهما ، وغرباً حتى منفذ قرية رعشين فاحرقها ايضاً وعند ذلك تلبدت السماء بالغيوم وامتدّ

ضباب كثيف صدّ الناس عن رؤية بعضهم فدبّ الرعب في قلوب رجال ابراهيم باشا ، وعدلوا عن مطاردة المنهزمين وتتبعهم في ذلك الوادي العميق العمودي المؤدي الى دلبتا وتخيلوا ان هناك كميناً مدبّراً ، فارتدّوا الى الوراء. فرجع الكسروانيون بعد ان جمعوا شملهم وثبتوا في تلك القلاع الصخرية وأصلوهم النار ، وباتوا على تلك الحال في اصطدام وعراك ومقاومة وثبات من ١٥ ايلول الى ١ تشرين الاول ، وكان ذلك اليوم السبت . وفي اليوم التالي الاحد كان عيد سيدة الوردية ، فعزم اهل دلبتا وغسطا وغزير وشنعير المقيمون في منفذ رعشين ، واهل عرامون والجديدة وشحتول المقيمون في المعبر الشمالي ، على ان لا يضرموا نار الحرب في ذلك النهار الا بعد ان يحضروا الذبيحة الالهية ويقيموا حفلة رتبة صلوات الوردية المألوفة تلاوتها في ذلك العيد. فاعدّوا في الليل مظلة كبيرة من اغصان الاشجار وشيّدوا في داخلها مذبحاً ، واذ هم كذلك حدث ما لم يكن بالحسبان فقبل بزوغ الفجر وقبل الاحتفال بالقداس الذي اقامه القسّ عبد المسيح الدلبتاوي اخذ الجنود المصريون يسرجون المصابيح ويتأهبون للرحيل وكان قد صدر الامر بذلك على الفور ، اذ قد تولّاهم اليأس من الظفر. وفضلاً عن ذلك كانت حمى التيفوس قد فتكت بقسم منهم غير يسير ، فخافوا شرّ العاقبة . فلما درى الكسروانيون بذلك هبوا لساعتهم وجدّوا في السير على اثرهم ، فقتلوا بعضاً وأسروا بعضاً ، ونجا الباقون بالفرار . وترك المنهزمون من الاسلحة والذخر والمؤونة والملابس والامتعة شيئاً كثيراً فغنمها الكسروانيون، وكثيرون منهم بعد ان كانوا فقراء اصبحوا اغنياء بسبب هذه الغنائم . ولما بلغ سليم باشا خبر انتصار الكسروانيين كتب اليهم كتاباً فيه الثناء على شدة بأسهم وبسالتهم والعفوُ عن دفع الضرائب الاميرية مدة ثلاث سنين . وما لبث السيد وود الانكليزي ان توجه الى ميروبا ، وطلب ان يوافيه الى هناك اعيان البلاد فتلا على مسامعهم فرمان الباب العالي الذي ينصّب الامير بشير قاسم والياً على الجبل عوضاً عن الامير بشير عُمر الملقّب بالكبير[1] .

---

١) المقاطعة الكسروانية من ص٢٨٢ الى ٢٩٣ . – قد عثرت على جريدة اموال دلبتا

وفي سنة ١٨٥٨ بدأت الثورة على المشايخ ، فنزل البعض من الزوق الى جونية ، واهانوا الشيخ يوسف وردان الخازن وضربوه . فاجتمع الخازنيون في قرية غسطا ، وسلحوا رجالها ، وراموا الهجوم على زوق مكايل لمعاقبة المتمدّين من اهلها ، فاذا بالبعض من سكان دلبتا وعرامون وشنمير والجديدة جاءوا غسطا وشرعوا يستعطفون المشايخ ويسكّنون غضبهم ، فاقنعوهم بالاقلاع عن عزمهم . غير ان هذا السكون لم يدُم طويلاً ، ففي بدء سنة ١٨٥٩ ظهرت الضغائن ثانيةً ، فارسل الوزير خورشيد باشا ، فوكل الى الامير يوسف علي مراد اخماد الفتنة واصلاح الحال بين المشايخ واخصامهم ، وأرفقه بمائتي خيّال من الارناووط . فتوجه الامير الى غسطا لمفاوضة المشايخ في مركزهم ، فدرى الاهلون بذلك فثار ثائرهم وزادوا هيجاناً ، فاجتمع منهم في وقت وجيز نحو ٨٠٠ رجل مدجّجين بالسلاح ، فساروا الى غسطا بالحدو والصراخ طالبين ابعاد المشايخ عن كل قرى كسروان . ثم وثبوا على الدور ، واطلقوا على المشايخ الرصاص وطردوهم مع نسائهم واولادهم ، وبدّدوا شملهم . وكان سكان دلبتا مشايعين للخازنيين ، فأتى البعض من هؤلاء ومكثوا مدة في دلبتا ، ثم رحلوا الى بلاد جبيل وبيروت. وفي اثناء ذلك قام البعض من اهالي عرامون على آل الدحداح وراموا نفيهم ، فاسرع اعيان دلبتا وفي مقدّمتهم الخوري يعقوب الحاج وردعوا الثائرين عن غيّهم ورجّعوا السكينة بمعاونة بعض عقلاء عرامون [1]

وفي سنة ١٨٦٦ اشتدّت الضغينة بين يوسف بك كرم وداود باشا متصرف الجبل . وكان هذا قد جعل مشتاه في جونية فأمر الطاب قائد جنوده بطرد

الاميرية عن سنة ١٨٦١ ، قرأت على قفاها بعض اشعار عامية لا تخلو من الفكاهة غير اني لا اعلم الى من تشير ، والى اي شيء تلمح ، انشرها كما هي :

شيل يا زمان شيل بمكومك علينا شيل
واندال هذا الزمان صارت علينا وكيل
رائيت العجب واوي يبارك فيل
صبرًا جميلًا على ما تحكم الايام
والكلب قابض سبع وبريد منهُ كفيل

١) المقاطعة الكسروانية ، من ص ٢٣٥ الى ٢٤٢

كرم من دير مار ضوميط البوار وصدّه عن الوصول الى غزير ، ولمّا درى بالامر الشبان المشايعون لكرم من قرى دلبتا وغسطا ودرعون وعشقوت وعرامون شبّت نار الحماسة في رؤوسهم ، فاجتمعوا في مكان من خراج دلبتا يدعى «الفص» وهو في اعلى غزير ، فتصدّى لهم رجال الحكومة مع بعض الاهالي ودارت بينهم رحى القتال فظفر انصار كرم وهزموا اخصامهم ، وكان الطاب قد وصل في تلك الاثناء مع جنوده فصدمهم اعوان كرم صدمة قوية . ولما فرغت ذخيرة هؤلاء وكثر عدد اعدائهم رجعوا القهقرى ، ولمّا بلغوا مدخل القرية المسمّى «المدّ» وهو مضيق صعب المرور به كثيرًا ثبت فوقه بين الصخور والاشجار ثلاثة من دلبتا متدججون بالسلاح ولبثوا مترصدين فجدّ العساكر في اثرهم عازمين على دخول القرية فصاح بهم الرجال الثلاثة المذكورون واطلقوا عليهم الرصاص فاصابوا واحدًا منهم فصرخ قائدهم «بدار الفرار ان الاعداء كامنون بين الصخور وليس في وسعنا العبور» . فرجعوا مذعورين وسمّيت تلك المعركة «حرب الفص»[1] . وما عتم ان عفا عنهم داود باشا بعد استتباب الامن .

الفصل الخامس

كنائسها واوقافها

في دلبتا كنيستان ، وديران قائمان : كنيسة مار يعقوب المقطّع ، وكنيسة سيدة النجاة ؛ ودير مار انطونيوس البدواني للرهبانية الحلبية ، ودير سيدة الحقلة للراهبات ، يلحق به دير مخرّب وهو دير المخلّص المسمّى «دير الفص» ، واني مفردٌ في هذا الفصل جزءًا لكل مؤسسة .

١ً كنيسة مار يعقوب المقطّع

هي الكنيسة الرعائية شفيعها القديس يعقوب المقطّع استشهد في بلاد العجم ، ويقع عيدُه في ٢٧ تشرين الثاني ، وقد اعتمد الخوري منصور في بحثه عن

١) المقاطعة الكسروانية ، من ص ٢٧١ الى ٢٧٤

تأسيسها على نبذة وضعها الخوري يعقوب الحاج لكني لم اعثر على نسخة منها[1]. ففي آخر الجيل السادس عشر[2] قد ابتنى سكان دلبتا المسيحيون في ساحة الكنيسة الحالية ، في الجهة القبلية ، كنيسة حقيرة مسقوفة بالاخشاب على اسم مار الياس ، ومكثوا يقون واجباتهم الدينية فيها الى اوائل الجيل الثامن عشر[3].

ولم أرَ من اسماء الكهنة الذين عاشوا في اثناء قيام هذه الكنيسة الصغيرة الا اثنين اولهما اسم الخوري يوحنا وجدتُهُ في صكّ مؤرخ سنة ١٦٤٧ ، لكنني لا اعلم ان كان هذا خادماً للقرية ام اصلهُ منها[4]. والثاني اسم صافي القديسي من

---

١) افتتح الخوري منصور بحثه قائلًا : « ان المرحوم الخوري يعقوب الحاج والد غبطة البطريرك يوحنا الحاج الذي كان من ذوي العقول الذكية ومشهور بالاستقامة والصفات الحميدة قد ألّف نبذة مختصرة في تأسيس كنيسة مار يعقوب المذكورة وابان فيها صريحاً عن زمن تأسيسها ومؤسسها وألمح بذكر الكنيسة القديمة التي كانت على اسم مار الياس الحيّ.

« وما حرّره الخوري يعقوب المشار اليه بهذه النبذة هو كلّي الصدق : اولًا لان هذا الاب كان من الاشخاص الصادقين المعتبرة اقوالهم ثانياً لانه شاهد عياني لان اغلب ما حرّره قد صار في حياته وعلى عيانه. واما الذي صار قبل حياته فاخذه عن حياة المرحوم عمه الخوري انطون الحاج الشهير بالتقوى والتعقل الذي تمّ بناء الكنيسة في حياته فكلما صار على عيانه (اي الخوري انطون) والذي عرفه من ابن عمه الخوري يعقوب الحصروني المتني في تجديد هذه الكنيسة فجميعه قد لقّنه لابن اخيه المشار اليه صاحب النبذة . ثالثاً ان هذا الاب يُزكّي ما حرره في نبذته بيمين قائلًا في اخرها هكذا: « قد حرّرت روايتي هذه عاريةً عن كل نقص وبعيدة عن كل ميل والله فاحص القلوب يشهد عليّ بذلك » .

« هذه النبذة قد نقلها المرحوم الخوري يعقوب الجميّل بخط يده وحلف يمين على صحة نقلها وعلى انها مطابقة لمعلوميته. واما الذي حدث بعد توفي الخوري يعقوب الحاج الموصى اليه فاذا كان تجديد عقارات فيكون اثباتها صكوكها وان كان تجديد بناء او تحسين او تغيير شيء ما في الكنيسة فيكون اثباته من عنوانه او تاريخه » اه.

٢) يقول الخوري منصور في النبذة ان السكان ابتنوا الكنيسة في اخر الجيل السادس عشر (ص ٩٠) واما في السجل فيقول انهم ابتنوها في اوائل الجيل السابع عشر (ص ٧).

٣) وفي النبذة يقول : «قرب آخر الجيل السابع عشر ».

٤) هاك نصّ الصك بحرفيته : « سنة ١٦٤٧ اشترى منصور الحتوني من دلبتا الحقلة التي في جورة القلاد الذى لدير مار شليطا الذي وقفها الخوري يوحنا متاع دلبتا بثمن قرش ونصف وقبض حقها الخوري سركيس المتولي على الدير وعوّضه البركة وكتب هذه الورقة لاجل التمسك حتى لا يبقى احد يدّعي عليه ».

شنتمير ، الذي بعد ان درس الفلسفة واللاهوت في مدرسة رومية رجع الى وطنه سنة ١٦٥٣ ، وروى عنه الدويهي انه « بعد ما تزوّج سيم كاهناً على دلبتا فأرسل واخذه الى عجلتون الشيخ ابو نوفل قنصل بيروت ليخدم اهل عجلتون ويكون ترجماناً بينه وبين الفرنج تجار بيروت ، ثم مات سنة ١٦٧٦[1] » وقد يكون الذين خدموا هذه الكنيسة من الرهبان المنتمين الى دير سيدة الحقلة او الى الرهبانيات ، اذ يظهر ان عدد من كان يزهد في العالم من سكان دلبتا ويدخل الاديرة لا يُستهان به وقد لاحظت ذلك من ورقة قديمة مأخوذة عن روزنامة دير قزحيا تنبئ مثلاً ان الذين لبسوا الاسكيم من دلبتا وحدها في الدير المذكور سنة ١٧٨٤ كانوا خمسة[2] وسنة ١٨٠٤ كانوا ثلاثة[3] .

ونحو سنة ١٦٨٠ قدم دلبتا وخدمها الخوري يعقوب الحصروني من آل عواد[4] ولما كان كثير التعبّد لمار يعقوب المقطّع أتى بذخيرة من جسد هذا

---

١) الاب لويس شيخو : الطائفة المارونية والرهبانية اليسوعية ص : ١٢٤ . قد اختلف المؤرخون في كتابة اسم صافي هذا أنهم من قال انه القديسي ، ومنهم من أكد انه رأى هذا الاسم في احدى مخطوطات المكتبة الوطنية في باريس مكتوباً باحرف غير جلية ويظن انه « صافي خوري » لا صافي القديسي ومنهم من يرتأي انه مأخوذ عن اللغة الايطالية : giudice اي القاضي ، وهذا المرجّح عندي ، لان عائلة القاضي موجودة في شنتمير سيما وانه كثيراً ما نقلت الاعلام العربية الى كلمة تفسّرها في اللغة الايطالية كما ترجم القمر باونا (Luna) والعظم باوسولي (Ossoli) وفهد بلنثي (Lincei) . . .

٢) هذه اسماؤهم : الاخ ارميا دلبتاني ، والاخ ساروفيم دلبتاني ، والاخ ليشع دلبتاني ، والاخ يونان دلبتاني ، والاخ يوسف دلبتاني ، ترهبوا عن يد الاب بولس مزرعاني .

٣) هذه اسماؤهم : الاخ برنردوس دلبتاني في زمن الاب اغناطيوس بليبل ، والاخ موسى دلبتاني من يد الاب مرقوس الشنتميري ، والاخ بيسين دلبتاني من يد الاب مكاريوس الرادي .

٤) قد ذهب الناس في امر دروس الخوري يعقوب المذكور مذاهب . فالخوري يعقوب الحاج يقول في نبذته في العدد الاول « انه كان من تلاميذ مدرسة الطائفة في رومية وانه ارتسم كاهناً وخدم قرية دلبتا بواسطة المطران بطرس مخلوف القسطاوي الذي سامه البطريرك اسطفانوس الدويهي استناداً على كنيسة قبرس سنة ١٦٧٤ » . وغيره يزعم « انه كان من تلاميذ المدرسة المارونية في رومية وان البطريرك اسطفان الدويهي سامه كاهناً وامره بخدمة قرية دلبتا » . وغيره يروي « انه قد درس العلوم المطلوبة لدرجة الكهنوت على احد تلامذة مدرسة رومية وهو كان شماساً عند المطران بطرس مخلوف الذي سمى في زيجته وسيامته كاهناً

الشهيد كان يعرضها للتكريم والصلاة ثمّ يغمسها في الماء ويسقيه المرضى او ينضحه عليهم ، فنال البعض نعمة الشفاء ، فانتشرت هذه العبادة في القرية وجوارها بزمن وجيز وشاعت عادة « زياح الذخيرة » ولبثت حتى يومنا هذا [1] .

ومنذ ذلك الحين اخذ الخوري يعقوب يحرّض اولاد رعيّته على ان يشيّدوا كنيسةً جديدة كبيرة « معقودة بالحجارة » لا مسقوفة بالاخشاب على اسم مار يعقوب ومار الياس . غير ان المنيّة عاجلته وحالت دون تحقيق فكرته ، فاصابه ما اصاب داود الملك الذي رغب في ان يكون لله هيكل عظيم ومات في رغبته هذه ولما ملك بعده ابنه سليمان أتمّ ما تمنى ابوه واقام لله هيكلاً عظيماً جميلاً . وخلف الخوري يعقوب في خدمة الرعية ولده يوسف ، سيم كاهناً ودُعي يعقوب باسم ابيه وضارع اباه غيرةً ونشاطاً واقداماً ، فباشر حالاً تأسيس الكنيسة سنة ١٧٢٣ . وفي ذات الوقت اوصى برسم صورة القديس يعقوب التي لا تزال موجودة في الكنيسة ، فوق باب النساء ، ترى في اسفلها هذه الكتابة :

« اعتنى في عملها الخوري يعقوب المصروني لتكن شفيعة له والمتشوقين معهُ . عمل الراهب اللبناني سنة ١٧٢٣ » (٢) .

وقد ابدى الاهالي في بناء كنيستهم همّة نادرة وحماسة تفوق الوصف . أجل كانت حالتهم فقريّة وعددهم زهيداً لان البيوت كانت تتراوح بين الثلاثين والاربعين ، غير ان غريب حميّتهم ومزيد تقواهم وعظيم ايمانهم كل ذلك جعلهم لا ينثنون عن الكدّ مثابرين على العمل . ولقد تناقل الشيوخ خلفاً عن سلف ان النساء كنّ يسرن على الاقدام الى البحر مسافة ثلاث ساعات ليأتين بالماء

وعينه كاهناً لخدمة دلبتا بامر غبطة البطريرك اسطفانوس الدويهي » . وقد يكون انه قضى بعض السنين في مدرسة رومية ورجع منها قبل انتهاء دروسه بسبب مرض او حادث آخر ، واكمل في وطنه العلوم المطلوبة للكهنوت وسيم كاهناً . والله اعلم .

١) ان هذه العادة تسمى الى الان « زياح اصبع مار يعقوب » .

٢) ان الراهب اللبناني المصوّر الشهير في تلك الايام هو القس بطرس القبرسي المارونى ، له صور كثيرة متفرقة في كنائس لبنان . وقد افادني حضرة الخوري اسقف بطرس حبيقة انه ولد سنة ١٦٩٨ ، عاش في دير مار الياس شويا على عهد رئاسة القس توما اللبودي ومات في عمل الرسالة في عكا سنة ١٧٤٤

المالح للبنيان . ولما بلغ البناء العقد ، غدرت المنية بالخوري يعقوب ، وذلك بعد سنة ١٧٥٠ فخلفه في خدمة الرعية ، بمعاونة الخوري عبدالله مخلوف ، ولده الياس الذي سيم كاهناً ودعي يعقوب باسم ابيه المتوفى، لكنه لم يماثلهُ غيرةً ومعرفة فأوقف شغل الكنيسة في ايامه [1] . وبعد ان استقام هذا مدة في وظيفته رحل باولاده عن دلبتا ، وسكن زواريب عين شقيق في المكان المسمى جورة طفزون، واخيراً باع املاكه في دلبتا وسافر الى وادي العرايش في البقاع وتوفي هناك .

١) هاك اسماء الكهنة الذين خدموا كنيسة مار يعقوب :

الخوري يعقوب الحصروني الاول الذي كان خادماً للكنيسة القديمة ، وحرض الاهلين على تشييد الكنيسة الجديدة .

الخوري يعقوب الحصروني الثاني الذي باشر بناء الكنيسة .

الخوري عبدالله مخلوف . الخوري يعقوب الحصروني الثالث .

الخوري جرجس برهوش من ساحل علما .

الخوري الياس ضومط ، وجدت اسمه في صكوك مؤرخة بسين ١٧٥٦ وسنة ١٧٦٤ ، غير اني لا اعرف مسقط راسه ولا عائلته .

الخوري بطرس روفائيل الاول خدم الرعية بعد سنة ١٧٨٠ ، توفي سنة ١٨٠١

الخوري الياس داوس باسيل توفي سنة ١٨١٦

الخوري ابرهيم المتوني خدم الرعية سنة ١٨٠١ ، توفي سنة ١٨٢٤

الخوري عبدالله المتوني خدم الرعية سنة ١٨١٦ ، توفي سنة ١٨٢٩

الخوري يعقوب الحاج خدم الرعية سنة ١٨٢٩ ، توفي سنة ١٨٧١

القس مبارك من رهبان دير سيدة الحقلة خدم الرعية سنة ١٨٢٩

الخوري يوسف ديب خدم الرعية سنة ١٨٣٤

الخوري يعقوب الجميّل خدم الرعية سنة ١٨٣٥ ، وتركها سنة ١٨٩٠ ، توفي سنة ١٨٩٢

القس غطاس الجميّل الراهب الانطونياني خدم الرعية سنة ١٨٦٤ ، تركها سنة ١٨٦٩

الخوري بطرس كرم روفائيل خدم الرعية سنة ١٨٦٩ ، توفي سنة ١٩٢٠

الخوري ابرهيم المتوني خدم الرعية من سنة ١٨٧٠ الى ١٨٧٩ ، ثم رجع الى خدمتها سنة ١٨٩٠ ، توفي سنة ١٩١٧

الخوري شكرالله مراد خدم الرعية سنة ١٩٠٦ وتركها سنة ١٩٠٨

الخوري لويس المتوني خدم الرعية سنة ١٩١٧ وتركها سنة ١٩٢٤

الخوري لويس الجميّل خدم الرعية سنة ١٩١٧ وتركها سنة ١٩١٨

الخوري يوسف روفائيل خادم الرعية منذ سنة ١٩٢٤ ويعاونه الخوري يوحنا الحداد منذ سنة ١٩٢٤ .

(لها صلة)

البطريرك ارميا العمشيتي

بقلم المنوري يوسف العمشيتي المرسل البطريركي

١

على هضبة تعلو عن سطح البحر ١٢٠ متراً تقوم قصبة عمشيت الصغيرة بعدد سكانها الكبيرة برجالها كالطيب الذكر والاثر البطريرك ارميا العمشيتي.

ليس من يجهل من عملة العلم وأولي العرفان خدمات البطريرك العمشيتي لابناء ملته وغيرهم من اهل البلاد ، فقد ترك له بيننا من طيب الاحدوثة وجميل الذكر ، ما يحلو بفم التاريخ ذكره ، ويردّد بالاعجاب فمُ الدهر شكره.

كثيرون طلبوا اليَّ ان اكتب شيئاً عن هذا الاب المغبوط الذي لم تتصل بنا اخباره بالتفصيل ، ولم نقف على دقائق حياته لنرويها فنكفيها وصفاً وجلاء. لان ما دهم هذه البلاد من حروب واضطرابات ، وتشتت اهلها ورحيلهم من بلاد الى بلاد ، غير طول المدة وقدامة العهد قد افقدنا كثيراً من المخطوطات والاسانيد التاريخية ، ولا سيما في الاساكل البحرية التي غدت قروناً عديدة ميداناً للحروب وللتعديات، وبنوع اخص في البلدان القريبة من الطريق البحرية كعمشيت وغيرها ومن ثم تبين صعوبة هذا المشروع الذي كلفني بحثاً دقيقاً ومطالعة مؤلفات كثيرة ، حتى توفقت الى تأليف هذه الترجمة معتمداً على بعض مخطوطات واسانيد تاريخية ، ومستنداً الى التقليد وما يرويه الحفداء عن الاجداد ، والى الاستدلالات والاستنتاجات العقلية الى غير ذلك من الادلة.

على اني لا ادّعي العصمة في ما كتبت والمسألة صفحات منسية في مجاهل التاريخ تحتاج الى النقل اكثر منها الى اعمال العقل.

ولد البطريرك ارميا في عمشيت ونشأ وتربى فيها. ولما شبَّ نزع الى الحياة النسكية فشاد في المحل المعروف الآن بدير مار زخيا قلالي ومعابس بمساعدة اخويه داود ويوسف ، واستحبس هناك مدة كعادة عبّاد ذلك العصر . ثم ما لبث ان انتقل الى دير السيدة في ميفوق . كان معبد مار زخيا هيكلاً فينيقياً حوّله مسيحيو الجيل الرابع الى معبد مسيحي يعلو عن سطح البحر ٥٠ متراً ، مركزه على شفير وادٍ بين غابة شجراء. وقد عثر المنقبون في هـذا المحل على نواويس وقبور منقورة في الصخور وعلى سرج وادوات خزفية وزجاجية.

وفي المخطوطات القديمـة التي بين ايدينـا ان عيلة عبيد ، التي نشأ منها المترجم ، اهدنية الاصل. اتى بعضها الى عمشيت سنة ١٢٧١ يونانية. وكان لعبيد ثلاثة اولاد: يزبك ، وطربيه ، وطانيوس. وهي فرع من عائلة دويهي ، نزحت في سنة ١٣٠١ الى كفور العربي بسبب ظلم الحكام. وفي سنة ١٣٢١ عادت الى عمشيت . وبيت الكلّاب هم فرع من اصل مرهج ابن طربيـه سكنوا نيحا وايليج في ميفوق. وفي سنة ١٣٣٠ رجعوا الى عمشيت.

اشتهرت اسرة المترجم برجال افاضل ، وعلماء أعلام . ذكر بعضهم حجة المؤرخين ، البطريرك اسطفان الدويهي ، في شجرة عيلته بخط يده ، مما يؤيد ما ذهب اليه الكثيرون بان عيلة عبيد هي فرع من عيلة الدويهي الاهدنية .

كالمطران مخائيل عبيد الاهدني الذي تلقى علومه في مدرسة الموارنـة في رومية وسيم اسقفاً سنة ١٦٠٠

والمطران يوحنا بن عبيد ، خلف المطران سركيس ابن القس موسى الدويهي سنة ١٥٧٧[1].

والمطران جرجس الاهدني ، سيم اسقفاً سنة ١٦٩٠[2]

---

١) كان يوحنا ورعاً كثير العبادة مشهوراً بنسخ الكتب توفي سنة ١٥٨٤

٢) هو جرجس بن عبيد، بعد ما أكمل سائر العلوم وعمل مجادلة لاهوتية على اسم البابا زخيا العاشر ، خرج من المدرسة في آخر شهر اذار سنة ١٦٨٣ . وفي السنة التي بعدها رسمناه كاهناً في ٧ ت٢ على سيدة الحارة السفلى في اهدن. زار المذكور الاماكن المقدسة. واجتهد على

وكثيرين غيرهم عطروا صفحات التاريخ بعرف فضائلهم وحسن مآثرهم ، لم يذكر الدويهي ترجمة حياتهم مكتفياً بنسبتهم الى اهدن.

على ان تستّر هذه البنفسجة بين جدران قلالي مار زخيا في عشيت ، ومحابس سيدة ايليج في ميفوق ، لم تطل مدته حتى نمّ عرفها وعطر الارجاء أرجها. فاجتمع رأيُ الجميع وطلبوا باجماع الكلمة تسقيف الراهب عملاً بالعادة القديمة والحميدة معاً باتخاذ امراء الكنيسة من الجماعة الرهبانية.

ان الله لم يختر عبده ارميا ، ولم يزين قلبه بالمواهب السامية ، الا ليقلده قيادة شعبه ، ويجعله اناء مختاراً ونوراً تستضيء به امّته. فلم يكد الكرسي الانطاكي يترمّل من راعيه الابرّ البطريرك بطرس الذي نقله الله لدار كرامته سنة ١١٩٩ ، حتى اجتمع الاساقفة واعيان الشعب في دير سيدة ايليج في ميفوق ، وانتخبوه بطريركاً باجماع الكلمة في السنة عينها اي ١١٩٩ ، لا ١١٨٢ — التي زار فيها البطريرك بطرس سلف الممشيتي ايريك بطريرك انطاكية اللاتيني ، وافهمه ان الموارنة طائفة كاثوليكية قديمة وطلب اليه ان يُطلع الكرسي الرسولي على خضوعهم وطاعتهم . فاتخذ غويليوم اسقف صور هذا الامر كرجوعهم عن ضلال حتى كتب ما كتب بشأنهم ، ناسباً اليهم انهم اهتدوا الى محجة الايمان القويمة بواسطة ايريك المنوه به. —

وشدّ ما كان سرور الامة براعيها الجديد الذى انتقل من الدور الاول من حياته ، اي دور الاستعداد والتأمل والامل ، الى دور الغيرة والعمل. فخرج من صومعته كما خرج الرسل من عليّتهم ، رسولاً غيوراً عاملاً نشيطاً ، زاد على نسكه وزهده جهاده ضد اعداء الكنيسة والوطن . فكان بالحقيقة بطلاً مغواراً لا يهاب الموت في سبيل الدفاع عن الحقّ . واضاف الى فقره الاختياري الوعظ والتعليم ، فكان يجول المدن والقرايا والدساكر ، ويدخل دور المشاقين والخارجين لينشر بينهم دين الله الحق ويهديهم الى الصراط المستقيم ، دون

درس الكتب اليمية. وتلمذ الاولاد واعتنى بالوعظ حتى انه صار عبرة صالحة يحتذي بوعظه الشرق والغرب وفي ٢٧ آب سنة ١٦٩٠ رفعناه الى مطرانية اهدن بدل ابن عمّنا المطران بولس المرحوم وصرّفناه في زيارة الرعايا» (تاريخ الدويهي)

خوف سطوة ، او خشية نفوذ . وقرن الى سذاجة سلوكه وشظف عيشه الدعة والضعة اللتين جذبتا اليه لا قلوب ابنائه فقط ، بل قلوب اعدائه ايضاً .

وبالحقيقة اننا لم نجد بين كبار ذلك العصر رجالاً اشد غيرةً واكثر فضلا من العمشيتي الذي ضاء في سماء عصره ككوكب ، لا بالتاج ، بل بالقلنسوة الرهبانية . ولا بالصولجان ، بل بنفوذ كلامه . ولا بارجوانه ، بل بعباءته الخشنة التي اتخذها له في حياته شعاراً وفي ضريحه كفناً . امران كانا موضوع اهتمامه لدن دعاه الله لقيادة شعبه ، ودهنه بالزيت المقدس : ان يحفظ ابناء ملته في اعتقادهم الكاثوليكي اولاً ، وان يدعو المنفصلين عنها للاتحاد معها ثانياً . وقد ذيّل الله مسعاه بالنجح وعقد اماله بالفوز . ومن ثم يُدرك الجميع غيرة هذا البطريرك وحرصه على الحراف الموكولة لعنايته ، فلم يكن يُنسيه منصبه حقيقة دعوته . ولم تكن تُبطره رفعة عرشه فتنسيه صرعة نعشه . ولم تكن تفتح عيناه في الصباح الا لخدمة ربّه واسعاف قريبه بالمساعدات الروحية والمادية . ولا تسير قدماه في النهار الا لزيارة المسجونين وافتقاد المرضى ونشر كلمة الله بين النير المؤمنين . ولا يغلق بابه في المساء ، الا ليخلو بربّه ويستغفره وينال رحمة لشعبه شأن الرعاة الصالحين . فكان بالحقيقة رسولاً شديد الغيرة في امور الدين ، سالكاً في اطاعة الله وسياسة شعبه بكل تيقظ واجتهاد . ولم يكن يذكره الشمامسة بعد وفاته في صلوات الرؤساء الكبيرة ويسمّونه قديساً ، الا لما ذاع عنه بين الخاصّ والعام فكان الرأي العام افضل شهادة على قداسة سيرته وعظم فضائله ، كما ذكر ذلك الدويهي في تاريخه جز ٩ ص ٣٧٢ .

ولما كان شديد التعلق بكنيسة رومة ، شرع يحرّض ابناءه على التقرب من عاداتها ورتبها الكنسية . وعلى مناصرة اخوانهم الصليبيين ، وتقديم المساعدات لهم والتجند معهم ضد الاعداء ، كما روى غويليوم الصوري وغيره من مؤرخي عصره . ومذ ذاك الوقت بدأت الكنيسة المارونية تتقرّب من عادات الكنيسة الرومانية كما ايّد ذلك العلامة لامنس في المشرق (١[١٨٩٨] ٥٧) فقال :

« فالموارنة كانوا من قبل المجمع اللبناني المشهور بقرون كثيرة يسمون في التقرب ما امكن من رومية في الطقوس الكنسية . وابتدأ هذا التقرب من زمن الصليبيين » .

والمرحوم رشيد الشرتوني قال:

« ان ما اتصف به بطاركة طائفتنا المنبوطين من شدة الغيرة على ازدياد امّتهم في الاتحاد مع الكنيسة الرومانية ام جميع الكنائس ومعلمتهن كان يحملهم على الابتعاد عن عوائد كثيرة طقسية وان كانت في نفسها مستحسنة رغبةً في التقرب من الكرسي الرسولي . ولا يخفى على من له إلمام بتاريخ عاداتنا القديمة وما نمارسه اليوم ان هذا الابتعاد قد ابتدأ عندنا منذ عهد رجوع بطريركنا ارميا الممشيتي من رومية عام ١٢١٥ . فان أكليرسنا من ذلك الوقت اخذ يلبس الثياب والحلل الموافقة لثياب وحلل اللاتين ويجتهد في التقرب من الكنيسة الرومانية في كل شيء (منارة الاقداس)

وقد ذكر عن هذا التقرب الكردينال جاك دي ڤتري (J. de Vitry) مكمّل تاريخ غوليلموس ، والرحالة لودلف دي سوخم (L. de Suchem)

على ان حماسة هذا البطريرك وانتصاره للجيوش الصليبيّة ، وشدة تعلّقه بالكنيسة الرومانية ، وادخاله كثيراً من عاداتها وتقاليدها لكنيسته ، ان هو الّا حجة ناصعة على حسن تديّنه ، وعلى غيرته بتهذيب ملّته على سنن آداب الكنيسة الرومانية ، وعلى محبته نحو اخوانه من ابناء الغرب وانتصاره لهم اسوةً بمن تقدّمه من ابناء امّته رؤساء ومرؤوسين كما ذكر ذلك مؤرخو عصره .

٢

وبينا كان البطريرك ارميا يتفقد كراسي الابرشيات ، ويزور الكنائس ، ويجاهد في اعمال بطريركيّته ، ارسل اليه البابا اينوشنسيوس الثالث رسالةً مؤرخة في ١٣ نيسان سنة ١٢١٣ يدعوه الى حضور المجمع اللاتراني الذي عُقد في ١١ تشرين الثاني سنة ١٢١٥ في كنيسة مار يوحنا في لاتران في رومة ، بواسطة الكردينال بطرس القاصد البابوي[1]

١) هو الكاهن بطرس كردينال كنيسة القديس مارسال ، القاصد الرسولي في الامصار الشرقية . ارسله البابا اينوشنسيوس الثالث سنة ١٢٠٣ مع الزحفة الصليبية الرابعة (١٢٠٢ — ١٢٠٤) وامام هذا القاصد خضع روم طرابلس للكرسي الرسولي بنوع احتفالي ، وجدّد الموارنة ايضاً خضوعهم . فعدّ البعض هذا الخضوع رجوعاً عن ضلال بان نسبوا ضلال امة الى امة اخرى (دندبني في رحلته الى لبنان سنة ١٥٩٦)

فما كان اعظم سرور البطريرك بهذه الدعوة ، وطالما كان عقل النفس بزيارة ضريح القديس بطرس ، وزيارة خليفته الجالس على كرسيه ، الى ان اتاح له الحظ فاخذ يترقب سفينة قاصدة الشواطئ الاوربية ، فاسفرت امالـه عن وجوه الفوز فان مركباً شراعياً رابطاً في ميناء طرابلس كان يقصد العود الى وطنه البندقية ، فاغتنم هذه الفرصة ، وقصد على الفور طرابلس تتقدمه الجماهير الكثيرة لوداعه . فبعد ان أناب عنه الاسقف تلردوروس ، وفوّض اليه تدبير الابرشية ركب وحاشيته السفينة ميمماً المياه الايطالية . ولم تمرّ على السفينة ايام حتى ألقت مرساها في احد موانى البندقية فنزل منها ، وقصد رومة العظمى سنة ١٢١٣ . وفي الدر المنظوم سنة ١٢١٤ . فذهب تواً الى القصر البابوي هو وحاشيته ، فاستقباله البابا احسن استقبال وعين له قصراً نزل فيه هو وحاشيته على الرحب والسعة مدة وجوده في رومة . وقد اثنى كثيراً على حسن تدينه واثبته بطريركاً على كرسي انطاكية ، وأقرّه في كرسي يانوح الذي كان منزل البطاركة وكراسي رؤساء الكهنة القاطنين في دير مار اسيا ، وجبة بشري ، والمنيطرة ، ورشمين وكفرفو ، وعرقه . وجعله مع سائر الكنائس التي في ولايته تحت حماية بطرس الرسول . وبالسلطان الرسولي ثبت له وللذين يخلفونه جميع الفوائد التي كانت له وللذين سلفوا قبله على كنيسة انطاكية . واذنه ان يلبس الدرع الكبير في تكريس الكنائس ، وسيامة الكهنة ، وفي سائر الاعياد المأمورة بطالتها . وان يكون راعياً ومتولياً تدبير الامة المارونية في جميع ما يخص سياستها بالروح والجسد .

وفي سنة ١٢١٥ عقد المجمع اللاتراني فشهده نحو خمسمائة اسقف ، ونواب البطاركة ، وسفراء ملوك اوربة ، ولم يكن يتخلف عن حضور جلساته البطريرك ارميا باوقاتها . وكانت غاية هذا المجمع النظر في بدعة الالبجازيين واستنقاذ الاراضي المقدسة من غير المؤمنين . ولم يوجد في اعمال هذا المجمع ما يشير الى هذا البطريرك وطائفته انهم تلطخوا بضلال او بدعة ثم رجعوا الى الايمان المستقيم ، بل يشير الى حضوره المجمع وحسن عقيدته .

وفي شهر نيسان من السنة المذكورة ، سيّر البابا الموما اليه الرسل الى الملوك

والامراء ورؤساء البيعة ، وأمرهم بأن يتجهزوا للسفر لاجل استرجاع الاراضي المقدسة ، ولمزيد غيرته سافر هو نفسه معهم الى صقلية . واما البطريرك ارميا فقد كان امره البابا بان يسافر قبل الجميع لينبه طائفته لكي تتأهب لمساعدة عساكر الفرنج وارسل صحبته الكردينال غوليلمو لتصديق الامور . ففي اليوم الاول من كانون الثاني سنة١٢١٥ تهيأ البطريرك للسفر ، وفي اليوم الثاني كُتبت الرسالة البابوية واستلمها ، وودّع البابا وآباء المجمع ، وفي اليوم الثالث ركب البحر .

اقام البطريرك مدة في رومة كان بها موضوع اكرام ومحبة الشعب الروماني من عامة وخاصة الذين كانوا يتسابقون الى التبرّك بلثم يده وطلب صلاته . فقد عَظُمَ قدرهُ في نفوسهم ، وارتفعت منزلته في عيونهم لما تجمّل به من الصفات الحسان والخلال الفريدة . وكثيراً ما كانوا يأتونه بالمرضى والاعلّاء ليصلّي عليهم .

وهذا مستهل رسالة البابا اينوشنسيوس الثالث الى البطريرك ارميا التي بها يثبّت كرسي البطريرك في كنيسة سيدة يانوح وكراسي الاساقفة ، ويمنح البطريرك الدرع المقدس ويثبت له عوائد الكنيسة الانطاكية ، ويشير اليه بأن يستعمل حلل التقديس اللاتينية الخ .

اينوشنسيوس الاسقف

عبد عبيد الله

« الى الاخوة المكرمين ارميا البطريرك المقدم والمطارنة والاساقفة والى الابناء الاعزاء رؤساء الاديار والاكليروس والشعب الماروني السلام .

« ان جودة الحكمة الالهية التي لا تفرغ ولا تحصى ولا يعتريها تقلب هي تدبر على الوجه الاكمل وتسوس هذا العالم الزائل وحال جنس البشر الذي يذهب الى التلاشي . . .

« وانت ايها الاخ البطريرك لما كنت سابقاً في مدينة طرابلس مع قوم من مطارنتك اعني يوسف مطران مسار اسيا وثاودورس اسقف كفرفو وجمع كبير من كهنة وجمهور كثير من الخاضعين لك من تلقاء نفوسهم . فامام بعض اساقفة

ورهبان وشمامسة المدينة وشعبها حلفت واياهم عن انفسكم وعمن يتعلق بكم على هيئة الصورة التي بها يتعهد المطارنة بالطاعة للكرسي الرسولي ...

« ثم اننا نثبت كراسي المطارنة والاساقفة الآتي ذكرهم بسلطاننا الرسولي وناموهم بالخضوع لكرسي سيدة يانوح ... الخ »

« كتب في لاتران في الثاني من كانون الآخر سنة ١٢١٥ » (١

وقد اتحف البابا البطريرك ارميا بعكاز وصليب صدر وتاج وخاتم وبعض حلل وملابس بيعية مما تستعمله الكنيسة الرومانية. امّا درع الرئاسة Pallium فكان البابا أرسله للبطريرك سنة ١٢١٣ ، قبل وصوله الى رومة. ولم يحظ به الّا بعد رجوعه منها الى جبل لبنان سنة ١٢١٥ .

واما امر الاحتفال الذي جرى للبطريرك ارميا بعد عودته من رومة فكان نادر المثال . ففي شهر اذار سنة ١٢١٥ (٢ . وصل البطريرك الى طرابلس فخفّ للقائه جمهور كبير من امراء ومقدّمين واساقفة وكهنة وعوام ينشدون ويهزجون احتفاء بالبطريرك مصرّحين عن اتحادهم بكنيسة رومة وخضوعهم لرؤسائها . وفي حفلة حافلة ألبس القاصد البابوي البطريرك الرداء الحبري ، اي البساليوم ، بحضرة ٢٥٠ نفساً جددوا الأيمان المحرجة بدوام الاتحاد بالكنيسة الرومانية ، فتحقّق عندئذٍ القاصد الرسولي ، ومن شهد هذا الاحتفال من اساقفة ومرسلين وكهنة لاتينيين ، تملق الشعب الماروني بالكرسي الرسولي وغيرة بطريركه القديس .

(له صلة)

---

١) نقلاً عن تاريخ الطائفة المارونية للبطريرك اسطفان الدويهي ص ٢٦١

٢) قال لاكويان (Le Quien) في حسابنا سنة ١٢١٦ لان المجمع اللاتراني عقد سنة ١٢١٥ وهو سافر في ٣ كانون الآخر.

الخيط العلوي !

عن يورگنسين الكاتب الدانيمركي

في صباح من ايام ايلول ، وقد لمت قطرات الندى فوق اخضرار البراري ، كنت ترى خيوط عنكبوت فضيّة تتمايل كالحرير الشفاف في مهاب الرياح. كانت تأتي من بعيد، وتذهب الى بعيد...

وعلق احد هذه الخيوط برأس شجرة عالية ، فانحدر عليه الطيّار ، وهو عنكبوت صغيرة مشوبة السواد بالاصفرار ، فترجّلت عن مطيّتها ونزلت باحثة في تلك الجهة.

غير ان المكان لم يلائم ذوقها ، فتأملت طويلاً واستكشفت ، ثم نسجت خيطاً جديداً ، وسارت عليه نحو علّيقة كبيرة رأت فيها عدداً من الميدان المشتبكة كافياً لنسج بيت فخم. فباشرت العمل مكلّفة الخيط الاول ، الذي انحدرت عليه من الشجرة ، ان يرفع زاوية قصرها العليا .

قصر كبير جميل امتاز عن سائر قصور العناكب ، لا بالفضاء عالق ولا بالارض لاصق ... كذا كان يظهر للناظر المتعجب ، لان العين المجرّدة لم تكن لتقوى على تمييز الخيط القديم العالق بالشجرة والذي كان يرفع هذا القصر.

ومرّت الايام ... واخذ الذباب يقلّ ، فاجبرت العنكبوت على تمديد اشراكها . فتوصلت — والفضل للخيط العلوي ! — الى توسيع قصرها عرضاً وارتفاعاً ، واكتنفت بجريرها الدقيق اطراف السياج . وفي ايام تشرين ، اذ كانت الشمس تُرسل اولى اشعتها على تلك الاشواك المترطّبة بالندى ، كان قصر العنكبوت يظهر مطلياً بالفضة اللمّاعة ، مزيّناً بحب اللؤلؤ البرّاق.

ولم تكن صاحبته لتجهل قيمة عملها الجميل ، بل كانت معجبة بقصرها حتى الكبرياء . فهي لم تبقَ حشرةً صغيرة عالقة في مهابّ الرياح بخيط دقيق ، بل اصبحت الآن عنكبوتاً خطيرة تغدو وتروح مختالةً في قصرها الواسع الممتدّ على السياج طولاً وعرضاً واتساقاً ...

في صباح مرطب الاعشاب ، افاقت العنكبوت الخطيرة باكرًا ، على غير عادتها ، والغضب يرجف قوائمها العديدة . دارت مهتمةً في انحاء القصر ، تفتش عن خلل موهوم ، وتبحث هل يلزمه اصلاح او ترتيب . هزت كل خيط بمفرده لترى موضع خروجه ونقطة التصاقه برفيقه ... وعلى الرغم من تحقق المتانة والكمال في عملها الانيق ، ظلت غضبى لا تقارب .

ولما انتهت الى الزاوية العليا الخارجية ، لاحظت خيطاً غريباً انكرته كل الانكار . كل الخيوط السابقة كانت تثبجه من مواضع مألوفة الى اماكن معروفة ، والعنكبوت كانت عالمة بنقاط اتصال فروعها المتعددة ، الا هذا الخيط العجيب ، فانه لم يكن ينتهي بنقطة منظورة ...

عند ذاك ، وقفت على ارجلها ، ونظرت الى العلاء بكل عيونها ، فلم تفهم معنى لهذا الخيط الذي كان يظهر صاعدًا الى الغيوم دون جدوى .

— « يا له من خيط احمق ! »

صاحت العنكبوت ، وقد بلغ بها الغضب اقصى درجاته . وفي غضبها ، نسيت انها ، هي ذاتها ، نزلت في صباح من ايام ايلول على ذاك الخيط . ونسيت ايضاً منفعته العظيمة ، اذ جعلته « خيط الزاوية » ، ليرفع قصرها العجيب الغريب .

نسيت كل هذا ، ولم تكن ترى الا ان في ذاك المكان ، « خيطاً احمق » لا ينفع لشيء ، ولا يتصل بشيء ، بل يصعد بلا فائدة نحو الغيوم ...

— « فليسقط هذا الخيط ! »

وبضربة واحدة قطعته بسرعة البرق .

وفي الحال ، تزعزع اثرها الجميل وتداعى بناؤها الفخم ، فهبط قصرها الفضي الى الحضيض .

وعندما افاقت من هول السقطة ، كانت تتململ تحت اشواك الملقة ، وعلى رأسها نسيجها المتراكم ، وقد اصبح خرقة من الاوساخ قذرة .

***

ثانية واحدة كفت لتخريب عظمة هذا القصر الفني ... وما ذاك الا لان صاحبته نسيت منفعة الخيط العلوي ...

جولة في المجلات

الحضارة المصرية القادمة – الاتفاقات الاوربية وقضية الشرق العربي – كساد التجارة الخارجية في اوربة – اهم المقالات الشرقية في مجلات الاستشراق

الحضارة المصرية القادمة

تقوم في مصر، من مدة ليست بالقصيرة، مناظرات تشتد وترتقي حول الحضارات المختلفة من فرعونية، او مصرية قديمة، وعربية، واوربية، وما يجب على مصر اتخاذه منها دستوراً في ادبها وفنها وسائر مظاهرها الاجتماعية. وان من يطالع الجرائد والمجلات الادبية ويرى فيها الابحاث المتعددة في الموضوع من مثل «الادب الفرعوني» او «الادب القومي»؛ و«العروبة» ومختلف مواضيها؛ و«التجديد» و«الثقافة المصرية» وما الى ذلك، يتحقق ان المناحة قوية، وان الاحزاب منظمة، وان كثيراً من الحبر والورق يُنفق جزافاً، لان سنن الاجتماع، وضروريات الحياة تعمل في ملاشاة حضارة او إقرار اخرى ما لا تعمله المجادلات الصحفية والمناظرات الادبية.

هذا وقد رأت مجلة الهلال (ابريل ١٩٣١، ص٨١٧–٨٢٧) ان تستفتي بعض كبار الادباء المصريين في هذا الموضوع فتعلم آراءهم في حل «تكون الحضارة المصرية القادمة فرعونية ام عربية ام غربية؟» فجمعت اجوبة عديدة رأينا ان ننشر منها شيئاً من جواب الدكتور طه حسين لانه اقرب من غيره الى الالمام بالموضوع من اكثر اطرافه، وأميل الى اظهار محاسن ومساوئ كل من الحضارات المذكورة. قال:

فاذا لم يكن بد من ان يكون لي في هذه المسألة رأي فهذا الرأي لا يصور الا ما أرى انه مثل اعلى اتمنى لو نوفق الى تحقيقه. فمن الحضارة المصرية القديمة اشياء قد ماتت ولا سبيل الى احيائها الا من طريق الدرس والبحث العلمي التاريخي كالدين واللغة والنظم السياسة والاجتماعية فما اظن احد من اشد الناس إلحاحاً في حب هذه الحضارة ونصرها يتمنى لمصر ان تصطنع ديانة الفراعنة ولغتهم ونظمهم القديمة في السياسة والاجتماع. ولكن من هذه الحضارة

ما بقي ولا بد من بقائه والخير كل الخير في ان نعنى به ونجد في ان يكون له في حياتنا اقوى اثر ممكن وهو الفن ، فلست اظن ان احداً من الذين يلحون في انكار تلك الحضارة القديمة يكره ان يعنى المصريون المحدثون بفن المصريين القدماء فيسيغوه ويجددوه ويستخلصوا منه ومن شعورهم الحديث ما يصور حياتهم الجديدة دون ان يقطع الصلة بينهم وبين ماضيهم الفني الذي لا شك في انه مجيد .

ومثل هذا يمكن ان يقال في الاساطير واحاديث الناس التي لا تخلو من فكاهة وعظة وعبرة والتي لا افهم لم لا يستغلها الشعراء والكتاب على نحو ما يستغل الشعراء والكتاب في اوربة احاديث اليونان والرومان واساطيرهم . فانت ترى ان احياء الحضارة المصرية برمتها لا سبيل اليه ولا خير فيه ولكن الانصراف عن هذه الحضارة برمتها اثم في حق الفن وفي حق مصر الحديثة نفسها .

وكثير جداً من عناصر الحضارة العربية لا خير في بقائه ولا سبيل اليه كالنظم السياسية وكثير من النظم الاجتماعية ، ولكن عنصرين اساسيين من عناصر هذه الحضارة لا سبيل مطلقاً الى التخلص منها ، ومن المحقق ان محاولة هذا التخلص إثم وعبث في وقت واحد . فالدين العربي واللغة العربية مقومان اساسيان للحياة المصرية الحديثة سواء اراد الناس ام لم يريدوا ، واذن فحظ الحضارة العربية من حياتنا المصرية كحظ الحضارة المصرية القديمة ندع بعضها ونستبقي بعضها ونحن لا نختار ذلك بل نكره عليه .

فاما الحضارة الاوربية فلست ارى رأي الذين ينكرونها او يتهمونها بالشر والفساد والاغراق في حب المادة ، فليس شيء من هذا صحيحاً ، وانما الحضارة الاوربية كغيرها من الحضارات لها نواحيها المختلفة وفيها الخير والشر وفيها ما ينفع وما يضر . ومهما نفعل ومهما نحاول فسنأخذ من هذه الحضارة كل ما نحتاج اليه سواء في ذلك ما يمس حياتنا العقلية وما يمس حياتنا المادية . ولك ان تطلب الى من شئت من اوساط الناس ان يعدلوا عما فرضته عليهم الحضارة الاوربية من نظم التجارة والصناعة والاقتصاد والتصرف في حياتهم اليومية الى ما كان يحبه القدماء المصريون او العرب من ذلك فلن تجد منهم الا اعراضاً

وانصرافاً ولعلك تجد منهم مع ذلك ضحكاً لا يخلو من سخرية واستهزاء . وقل مثل ذلك في الحياة العقلية فانت مكره الآن على ان تفكر كما يفكر الاوربيون لا كما كان يفكر المصريون القدماء ولا كما كان يفكر العرب . ولو انك ابيت الا ان تفكر كما كان يفعل اولئك وهؤلاء لانقطعت الصلة بينك وبين اوربة ولضاقت بك الحياة على اختلاف فروعها . واعيد الآن ما قلته غير مرة من ان من اشد النكبات على الناس ان تحاول تطبيبهم بطب ابن سينا او الرازي معرضاً عن باستير او غيره من علماء اوربة . ومثل هذا يمكن ان يقال في الفلسفة وفي العلم وفي الادب . فالمثل الاعلى فيما اعتقد هو ان نحتفظ من الحضارة المصرية القديمة بما يلائمنا وهو الفن ، ومن الحضارة العربية بالدين واللغة ، وان نأخذ من الحضارة الاوربية بكل ما نحتاج اليه ، وليس في هذا شر ما دمنا نحتفظ بشخصيتنا المصرية فلا تفسد علينا هذه الحضارة الاوربية حياتنا على اننا امة لها مقوماتها الخاصة .

الثقافات الاوربية ونفسية الشرق العربي

ويقرب من الموضوع ما نشرته مجلة « الحديث » الحلبية (نيسان ١٩٣١ ، ص ٢٦٢) (١ من جواب الاستاذ محمود عزمي عن عدة اسئلة ثقافية ومنها : « اي ثقافة اقرب الى نفسية الشرق العربي ؟ الثقافة الافرنسية ، ام ثقافة الجرمان ، ام ثقافة الانكلوسكسون ؟ » فاجاب :

ادين بأن بلادنا ، بلاد الشرق العربي ، من فئة البلاد المطلة على البحر الابيض المتوسط والتي كان لها نصيب وافر في تهيئة حضارة هذا البحر التي كانت حضارة العالم كله . تفاعلت الحضارة المصرية والحضارة الفينيقية والحضارة الاسلامية العربية والحضارة اليونانية والحضارة الرومانية واخرج هذا التفاعل حضارة الغرب التي تسود العالم اليوم ولهذه الحضارة ، في عصرنا ، ثقافات تنمت احداها « بالثقافة اللاتينية » وثانيتها « بالثقافة الجرمانية » وثالثتها « بالثقافة

١) نشير ، بهذه الفرصة ، الى ان المجلة المذكورة نقلت في عددها المذكور ، القسم الاول من مقال حضرة الاب توتل اليسوعي في « حي بن يقظان وفلسفة ابن طفيل » الذي نشرناه في عدد كانون الثاني ، فاشارت الى الكاتب دون ذكر « المشرق » . . .

الانكلوسكسونية » ولما كانت الثقافة اللاتينيـة هي التي تولدت من ذلك التفاعل بين الحضارات القديمة التي كان لبلادنا فيها نصيب كبير ، فاني اعتقـد ان اقرب الثقافات الينا هي الثقافة اللاتينية.

الثقافة الانكلوسكسونية تتميز بروحها « المادية » المتطرفة ، والثقافـة الجرمانية تتميز بثقل روح غورها في البحث ، وكلا الامرين بعيدان عن الخُلق الشرقي العربي ، فنحن لا نزال نحنّ الى « المعنويـة » ولا نزال نحب تدقيق البحث « سطحاً » لا « عمقاً ».

كساد التجارة الخارجية في اوربة

ادلينا في « صحيفة التجارة والصناعة » المصريـة (فبراير ١٩٣١ ص٢٠٩) على بحث في كساد التجارة الخارجية في اوربة ومظاهره المختلفة، رأينا من المفيد نقل شيء منه :

كان لضعف حركة الاتجار في الاسواق الخارجية العالمية ، الناتج عن التدهور الذي عمّ جميع الاعمال المالية ، اثر بيّن في تجارة اوروبة الخارجية فقد قلت قيمة واردات الدول الاوروبية في جملتها خلال التسعة الاشهر الاولى من عام ١٩٣٠ بمقدار ١٢ او ١٣ في المائة عن قيمة الواردات في التسعة الاشهر المماثلة لها من عام ١٩٢٩ ، اما الصادرات فقد هبطت بمقدار ١١ او ١٢٪ ومن هـذا يتضح ان الصادرات كانت احسن حالاً من الواردات والسبب في هذا راجع اولاً الى ان اسعار الواردات كانت اكثر انحطاطاً من اسعار الصادرات وثانياً لان الكساد في الاسواق الداخلية جعل الامم تعتمد جل الاعتماد على تجارة الصادرات فنتج عن هذا الكساد ضعف في تجارة الواردات .

ثم نشرت المجلة مقابلة بين تجارة اوربة الخارجية في السنوات ١٩٢٨ و١٩٢٩ و١٩٣٠ ، وانتهت الى الملحوظات التالية :

تدهور التجارة عام ١٩٣٠ عن مركزها عام ١٩٢٩

اذا قارنا تجارة اوروبة الخارجية في عام ١٩٣٠ وتجارتها في عام ١٩٢٩ وجدنا ان كساد التجارة عام ١٩٣٠ شديد ظاهر الاثر وانها عام ١٩٢٩ كانت على وجه العموم اكثر نشاطاً وحركة، واذا ما قارناها بالتجارة الخارجية في عام ١٩٢٨ كان

العجز في هذه السنة اقل من العجز في عام١٩٢٩ .ويمكن ملاحظة هذه الظاهرة بوجه خاص في تجارة الولايات المتحدة اذ بلغت تجارتها الخارجية عام١٩٢٩ درجة لم تصل اليها تجارة اوروبة (ففي تسعة اشهر من عام ١٩٢٩ زادت صادرات الولايات المتحدة بمقدار ٨٪ كما زادت وارداتها بمقدار ٩,٤٪ عن صادراتها ووارداتها في نفس المدة من عام ١٩٢٨ في حين ان نسبة ما اصابته اوربة من زيادة في صادراتها ووارداتها كانت ٣٪ و ١,٥٪ على التوالي).

التدهور في كمية التجارة اقل منه في قيمتها

كان الانحطاط،الذي منيت به الاسعار بوجه عام وعلى الاخص اسعار المواد الخامة عاملاً عظيماً جداً من العوامل التي ادت الى قلة الارباح وهبوط المكاسب وقد دل الاحصاء على ان اسعار الجملة خلال المدة من يناير الى سبتمبر سنة ١٩٣٠ قلت بنسبة ١٠٪ عن اسعارها خلال المدة المماثلة من العام السابق وهاك نسبة انخفاض الاسعار في المائة في بعض دول اوروبة :

فرنسة نسبة انخفاض الاسعار فيها	٨ ٪
سويسرة	٩ ٪
الممالك المتحدة البريطانية	١١٪
ايطالية	١٣٪
الولايات المتحدة	٩ ٪

من هذا يتضح ان التجارة الخارجية قد هبطت في كميتها اكثر من هبوطها في قيمتها.

وقد جاء في احد التقارير الالمانية ان اسعار صادراتها في التسعة الاشهر الاولى من سنة ١٩٣٠ كانت اقل من اسعارها في المدة المماثلة من السنة السابقة بمقدار ٢½ ٥٪ وان اسعار الواردات انخفضت بمقدار ١٢٪ — كذلك بلغ نقص اسعار الصادرات في انكلترة ٢½ ١٥٪ واما اسعار الواردات فهبطت ٢½ ٢٪ فقط ، وفي الولايات المتحدة بلغ هبوط اسعار الصادرات ٧٪ واسعار الواردات ١٧٪ .

اهم المقالات الشرقية في مجلات الاستشراق

مجلة باريس La Revue de Paris, 1° *Avril 1931*

Lucien de Vissec, *La Turquie et les minorités*, p 661-685.

تركية والاقليات

هي مقالة تظهر في مجملها ميلاً الى تركية ، ولكنها شديدة اللهجة صارمة الحكم في ما خصّ ما قامت به الحكومة التركية وما ستقوم به من الجور في معاملة الاقليات. فان الاتراك ، بينا يجتهدون في التشبه باوربة المدنية ، تراهم يبذلون قواهم في التخلص من الاوربيين . ويذكر الكاتب انه لم يبقَ من الاطباء الفرنسويين في استانبول الا اثنان ملحقان بالمستشفى الفرنسوي بناء على مقرّرات معاهدة لوزان . . هذا ولو كان للاجانب الحقّ بمساواة الاتراك، في ما لو اعتنقوا الجنسية التركية ، لكان للمشكل حلّ مقبول. ولكن هذا الحلّ لا يفيد شيئاً لما تأصل في قلوب الوطنيين من بغض الاجانب لاسيا الارمن واليونان واليهود. وان للحكومة واسطة عجيبة في معرفة المنتمين الى الاقليات، فانها تستند في ذلك الى الولادة ، وتفهم بالولادة ديانة الشخص الاصلية ، وهي طريقة من الغرابة بمكان في حكومة تدعي انها علمانية.

اما اذا بحثنا في جل عرف الاتراك ان يسدّوا الثلم التي احدثوها بتطبيق هذه السياسة في حق الاقليات ، فاننا نتحقق الجواب السلبي في آراء جميع الاوساط المتصلة بتركية ، وفي جميع المظاهر التي يراها من يجول في تلك البلاد. كما انه يرى ، وسط تلك الانقلابات العديدة ، مؤسسة واحدة لا تزال على ازدهارها السابق الا وهي عادة « البخشيش » . ومهما يكن من امر ، فان عمل الغازي العظيم واصلاحاته الجبّارية التي لا ينكر احد اهميتها ، لا تزال مدعاة لكثير من الاصلاح ايضاً ، بل يمكن القول انها لا تزال عرضة للانقلاب. وعلى الجملة فان تركية لا يمكنها ان تتصرف دائماً دون ضرر عن معاونة الاقليات.

شذرات

الصرصور والنملة

كثيراً ما قرأنا مثل لافونتين وغيره عن الصرصور والنملة ، وكثيراً ما اعجبنا بصبر النملة وحذرها ، وضحكنا من كسل الصرصور الشحاذ . اما الحقيقة فباينة لذلك ، لانه ليس الصرصور يأتي طالباً من النملة شيئاً يأكله ، بل النملة تسير نحو الصرصور فتطلب ما تشربه . وقد لاحظ طويلاً هذا الامر العالم الفرنسوي هنري فابر ، من اشهر مراقبي الحشرات ، فكتب ما يلي :

ان وجود العلاقات بين الصرصور والنملة حقيقة لا شكّ فيها . الا ان هذه العلاقات على عكس ما يخبرنا به اصحاب الامثال . فان الصرصور لا يطرق باب النملة في طلب الرزق حالقاً عين الحيوان بان يفي الفائدة مع رأس المال ، ولكن النملة ، اذا اشتدت بها الحاجة ، تذهب الى الصرصور المغني ، فتسرقه بطريقة معيبة .

في ايام تموز ، في ساعات الهاجرة المحرقة ، يؤلم العطش النملة فتهيم مفتّشة عبثاً في الازهار الذابلة عمّا تروي به غليلها ، بينما الصرصور يغني فرحاً . وان لغنائه سبباً مشروعاً،وهو انه ، بواسطة حمته الدقيقة الحادّة الرأس ، يثقب قشرة الاغصان اللدنة فيمتصّ ما فيها من المائية المحيية فينصرف الى لذة الشرب والغناء .

حينذاك يحوم حوله العطاش من الحشرات،وقد شعروا باكتشاف تلك البئر بما رأوه من النقط المتسرّبة من بين قوائم الصرصور ، فتجتمع الزنابير والذباب والنحل والنمل وتكتفي اولاً بلحس ما يسيل على الغصن من تلك المائية . ثم يدفعها الشره فتتقدم رويداً رويداً ، ويكون اكثرها جرأة طائفة النمل ، فتسير صغارها تحت بطن الصرصور الذي يشفق عليها ويرفع قوائمه مفسحاً لها الطريق الى ان يكثر عددها فتنصرف الى مقاومة المنعم عليها ، فتحدق به من

كل جهة بعضها يعضّه بقوائمه ، وبعضها يشدّ بجناحيه ، وبعضها يحاول نزع حمته التي تسحب الماء من قشر الغصن . حتى اذا تضايق الصرصور ، حرّك جناحيه وطار مبرزاً باحتقار على النمل المتجمع . وهكذا نرى ان الحقيقة الواقعية تناقض تخيلات الشعراء !

الساعة النباتية

الساعات متعددة الانواع ، واشهر المعروف منها الساعة المائية ، والساعة الرملية ، والساعة الشمسية ، ثم الساعة المعدنية الميكانيكية الحديثة . وقد اتحفتنا مؤخراً احدى المجلات العلمية بذكر نبتة عجيبة دعتها «الساعة النباتية» .

هي نبتة من النوع المعروف بأبوبرجيس (*sainfoin*) متعددة الورق ، وكل ورقة منها مقسومة الى ثلاثة فروع يتساوى المتطرفان منها بالحجم ، ويكبرهما الاوسط بنحو ٢٥ مرة . وقد راقب هذه النبتة احد العلماء فرأى ان الفرعين الصغيرين لورقتها يدوران على ذاتيهما ليلاً نهاراً ، صيفاً شتاء ، بطريقة ان دورتهما تتمّ بمدة دقيقة واحدة . اما الفرع الاكبر من الورقة فيتأثر بالنور والحرارة ، فاذا أشرقت الشمس اخذ بتغيير وجهته كل ساعة فينحني ويرتفع باطراد منظم ، حتى اذا توسطت الشمس الفلك ، اخذه ارتجاف ظاهر كأنه يعلن وقت الظهيرة . وهذا ما دفع العلماء الى ان يدعوا هذه النبتة العجيبة بالساعة النباتية .

اما ماركة هذه الساعة فهي الطبيعة ، واما معملها فحقول بلاد البنغال حيث تُعطى مجاناً لمن يطلبها . . .

أزمة الطربوش

من الازمات الحاضرة المتعددة ما يجوز ان نسميه أزمة الطربوش ، فان لباس الرأس هذا دخل في موقف حرج لا نعرف كيف يخرج منه . فبينما يطرحه الاتراك ومن جاراهم كلباس قديم فيستبدلون به البرنيطة مدّعين التقرب بواسطتها الى مدنية الغرب ، يطرحه بعض « الوطنيين » في سورية كلباس حديث دخيل يجب ان تُستبدل به الكوفية الرامزة ، في عرفهم ، الى « الوطنية » العربية

الصحيحة . وهكذا بينا يسير بعض الشرقيين الى الامام يلذ للبعض الآخر الوقوف على الربوع والتلفت الى الوراء . وقد لفظ القوم مؤخراً في دمشق وحلب بازمة الطربوش ، وتناقلوا ما قام به بعض الطلاب من الحكم بالحريق على كمية من الطرابيش وتنفيذ هذا الحكم في الساحات العمومية ، وقد نشرت جريدة « التعاضد » الدمشقية (٣ نيسان ١٩٣١) اقتراحاً لعمل لباس شرقي للرأس تنقله على سبيل التفكهة ، قالت :

الى الرسامين ، والخياطين ، وارباب الذوق السليم ، في العراق ، ومصر ، وسورية الجنوبية والشمالية ، ولبنان ، وكافة الاقطار العربية .

الى هؤلاء جميعاً ، تعلن شركة المحاصصة التجارية الاقتصادية في دمشق انها تضع جائزة قدرها ثلاثمائة ليرة سورية ، تبرع بها فخامة رئيس الحكومة السورية ، لمن يصنع لباساً للرأس ويحوز القبول لدى اللجنة التي تألفت خصيصاً لهذه الغاية ، على ان يكون لباس الرأس متفقاً والشروط الآتية :

١ً : ان يكون اللباس من مصنوعات البلاد .
٢ً : ان يكون شكله جميلاً .
٣ً : ان يكون فيه رمز عربي .
٤ً : ان لا يمنع المسلم من الصلاة .
٥ً : ان يقي الرأس من الحرارة والمطر .

وآخر حد عينته اللجنة للمسابقة آخر شهر نيسان . فمن اراد الاشتراك في المسابقة فليرسل اختراعه الى شركة المحاصصة التجارية الاقتصادية معنوناً باسم « لجنة لباس الرأس » ، وان يكون توقيعه مستعاراً في الكتاب الذي يرسل فيه اختراعه ، على ان يوضح المسابق اسمه المستعار وعنوانه في مغلف آخر مختوم ، وشركة المحاصصة لا ترى ما يدعوها الى استنهاض همة العاملين من اصحاب الذوق السليم ، وكل منهم مقدر حاجة ابناء البلاد الى لباس جديد للرأس يتفق مع ذوق السوري وتقاليده وعاداته ، والله الموفق الى ما فيه خير الوطن .

محصولات مناطق الانتداب سنة ١٩٢٩

من النشرة الدورية لبنك سورية ولبنان الكبير (تابع)

المواشي

زاد عدد الاغنام في سورية فانتقل من ١ ٩٠٤ ٠٠٠ رأس الى ٢ ٢٣٩ ٠٠٠ رأس.

وقد بلغت المواشي المعروضة في سوق حلب، وهي اعظم سوق لهذا النوع في سورية، ١ ٠٧١ ٩٦٥ رأساً يقابلها في سنة ١٩٢٨، ١ ٠٧٩ ٢٨٥ رأساً. وتمثل رؤوس الغنم ٨٠ ٪ من هذا المجموع.

وأحصي في جبل الدروز ١٣٠ ٥٦٠ رأس غنم ومعاز، يقابلها ١٠٠ ٠٠٠ رأس في سنة ١٩٢٨.

وتزيد انه في سنة ١٩٢٩، أصدر خصوصاً الى بلاد اليونان وفلسطين ومصر ٢٥٠ ٢٤١ رأساً منها ٢٢٧ ٠٠٠ رأس غنم.

الزيتون

كانت محصولات الزيتون من افضل ما يؤمل، فانتقلت من ٤٠٢ ٨٢٩ كنتالا، في سنة ١٩٢٨، الى ٨٥٥ ٦٥٢ كنتالا، زائدة اكثر من الضعف. والفضل في هذه النتائج الحسنة عائد الى المظاهر الجوية التي كانت موافقة كل الموافقة في جميع مناطق الشواطئ، بينما كانت مغروسات الزيتون في الداخلية تحتفظ تقريباً بمحصولها الحسن الذي وصلت اليه في السنة السابقة. ثم ان مساحة الارض المغروسة زادت زيادة محسوسة فانتقلت من ٦٩ ٩١٦ هكتاراً الى ٧٤ ٨٤١ هكتاراً، وكان الفضل في هذه الزيادة عائداً خصوصاً الى جهود اصحاب المغارس في سنجق الاسكندرونة.

اما طريقة استهلاك هذا المحصول البالغ ٨٥٥ ٦٥٢ كنتالا فكانت بان أرسل منه ٧٤٣ ٥٣٥ كنتالا الى المكابس فتحولت زيتاً وحُفظ ما بقي وهو ١١٢ ١١٧ كنتالا ليُباع زيتوناً.

الفواكه

وافقت العوامل الجوية بساتين الفواكه والكروم في سورية ولبنان فاتت بالاجمال بنتائج مقبولة.

وكان من حظ منطقة دمشق ان يزيد محصولها على محصول السنة ١٩٢٨. فارتفع محصول المشمش من ٢٣٠٠٠٠ كنتال الى ٣٠٠٠٠٠ كنتال، ومحصول العنب من ٤٥٠٠٠٠ كنتال الى ٥٠٠٠٠٠ كنتال. ونلاحظ الزيادة نفسها في محصول التفاح والاجاص والجوز واللوز.

اما في لبنان فقدّر محصول الليمون بـ ٤٠٠٠٠٠ كنتال. واستفاد اصحاب هذه المحصولات من افتتاح السوق الروسية التي اتت موافقة لتسهيل تصريف الليمون ورفع سعره. وكان من حسن محصول الليمون الحامض ان أُصدر منه ٧٨٨٠٠ كنتال. وكان محصول العنب احسن في البقاع منه في جبل لبنان ولاسيما لبنان الشمالي. وقد قُدّر مجمل محصول العنب بـ ٤٠٠٠٠٠ كنتال.

غراسة النصب والمشاتل

اننا نلاحظ تقدّماً مهماً في تنمية المشاتل والمغارس في جميع مناطق الحكومات.

فان المشاتل الحكومية في سورية، ومركزها حمص وحماة، قامت بتلبية طلبات المزارعين المتزايدة يوماً عن يوم. وفي سنجق الاسكندرونة وحده رجال الادارة والافراد جهودهم في زيادة المساحات المغروسة زيتوناً وفستقاً. فلقح نحو ٧٠٠٠ شجرة من الفستق البري، وبلغت مساحة الاراضي المغروسة جديداً بالزيتون ٥٥٧ هكتاراً. وقدّمت مشاتل الحكومة لا اقلّ من ١٦٠٠٠٠ نصبة من اشكال مختلفة.

وتحقق سكان جبل الدروز المنافع الجليلة التي يمكنهم الحصول عليها من زراعة لا تكلفهم كثيراً من المشاقّ، فطلبوا من مشاتل حكومتهم عدداً كبيراً من النصب، وغرسوا في السنة ١٩٢٩، نحو ٦٠٠٠٠ شجرة منها ٢٥٠٠٠ من الاشجار المثمرة.

ويمكننا القول نفسه عن تقدّم هذه الحركة في بلاد العلويين وفيها مشتلتان

للحكومة . وجُرّب فيها غرس الزيتون الايطالي وهو نوع يُقال ان محصوله اوفر من محصول الزيتون البلدي . فاهتمت الحكومة بذلك ، كما انها اهتمت بتعزيز زراعة الفستق بمعاونة الافراد من اصحاب الاملاك . وبلغ المغروس من النصبات الجديدة في بلاد العلويين في سنة ١٩٢٩ ، عدة مئات من الآلاف من ذلك ١٥٠٠٠٠ شجرة توت وما يُعادلها من الاشجار المثمرة.

اما في لبنان فحوّلت الادارة جهودها الى توسيع مناطق الزيتون وتجديد الكروم. فاستحضرت لا اقلّ من ٦٠٠٠٠ نصبة زيتون من ايطالية ، واعطت المزراعين باسعار متهاودة نحو ٥٠٠٠٠ نصبة عريش . وقدّمت مشتلة فرن الشباك اكثر من ٦٠٠٠٠ نصبة من اشجار مختلفة .

الصناعة

الزيوت

كان من نتيجة زيادة محصول الزيتون زيادة مضاعفة ان زاد كذلك محصول الزيت الخارج من المكابس السورية واللبنانية فبلغ في سنة ١٩٢٩ ، ١٩١٥٠١ كنتال ولم يكن في السنة الفائتة الا ٩٥٦٩٦ كنتالاً . وبلغ محصول لبنان وحده في هذا الرقم الاجمالي ٦٧٠٠٠ كنتال يقابله ١٦٠٠٠ كنتال في السنة السابقة.

وأُصدر من هذا الزيت ٢٥٤٨ طناً يقابلها ٤١٠ اطنان في سنة ١٩٢٨ . وكانت فلسطين اهم البلاد المشترية فاستوردت ١٢٤٧ طناً بلغ ثمنها ٤١٣٨٠٩ ليرات لبنانية سورية .

ونشير هنا الى ان الشركة الصناعية في مناطق الانتداب قد انتهت في اللاذقية وحارم من بناء معاملها لاستخراج الزيت من نوى الزيتون وفضلاته بواسطة سلفور الكربون . وقد باشرت هذه المعامل اشغالها في الوقت الحاضر.

الصابون

تستهلك سورية كل سنة من الصابون البيتي ما تقدر قيمته بـ ٩٠٠٠٠٠ ليرة لبنانية سورية . وان محصول الزيت يؤثر في صناعة الصابون البلدي الذي يقوم بثلثي هذه المستهلكات او بثلاثة ارباعها . اما ما بقي فيُستورد من فرنسة او من فلسطين . واهمّ المصابن البلدية هي في انطاكية وحلب وخصوصاً طرابلس

التي فيها نحو ثلاثين مصبنة تشغل نحو خمسة آلاف شخص بين عامل وصانع وتاجر.

ويعدّل محصول الصابون في سنة ١٩٢٩ بـ ٢ ٥٠٠ ٠٠٠ كيلوغرام منها نحو ٥٠٠ ٠٠٠ كيلوغرام أُصدرت الى ما بين النهرين وتركية ومصر .

الحرير

تقدّمت المحصولات الحريرية سنة ١٩٢٩ بفضل الجهود التي بذلتها الحكومات والافراد، فبلغت محصولات الشرانق ٣ ٤٦٠ ٠٠٠ كيلوغرام ، يقابلها ٣ ٣٥٠ ٠٠٠ كيلوغرام في السنة ١٩٢٨ . وهذا على الرغم من تقلّبات الطقس في الربيع تقلّبات بلغ ضررها الاشدّ في مناطق الشاطئ.

وتُقسم هذه المحصولات كما يلي :

	كيلوغرام
قيمة الشرانق المستعملة في الكراخين (٨٥ الى ٩٠ كرخانة كلها لبنانية تقريباً)	١ ٧٣٥ ٠٠٠
قيمة الشرانق المختقة في مخانق لبنان	٦٩١ ٠٠٠
« « « « « بلاد العلويين	٢٣٤ ٠٠٠
« « المحلولة حريراً عربياً في بلاد العلويين	٢٠٠ ٠٠٠
« « الحاصلة في دولة سورية	٥٨٠ ٠٠٠
« « المحفوظة في سبيل التبزير	٢٠ ٠٠٠
	٣ ٤٦٠ ٠٠٠

اما قيمة بزور القزّ المستوردة الى مناطق الانتداب او المنتجة فيها والمهيأة للتفقيص في سنة ١٩٣٠ ، فتقدّر بـ ١٢٤ ٩٧٥ اوقية يقابلها ١٢٤ ٠٢٤ اوقية في سنة ١٩٢٩ . وان ٩٩ ١٠٧ اوقيات من هذه البزور تصدر من المتامل الفرنسوية .

صناعة النسج

لقد اغتنت صناعة النسيج الحلبية في سنة ١٩٢٩ بعدّة مؤسسات جديدة للنسيج العصري ، وان نجاح هذه الاعمال سيجرّ دون شك تجدّداً مطرداً في هذه الصناعة المهمّة .

وتقدّر المنسوجات في منطقة حلب بـ ١٠٤ ٥٠٠ قطعة من المنسوجات القطنية ، و ٧٦ ١٥٠ قطعة من الاطلس ، و ٦٩ ٣٥٠ قطعة من الغباني .

ونسجت معامل دمشق ١٥١٠٠٠ قطعة قطنية ، و ٨٦٠٠٠ قطعة أطلس، ٩٣٥٠٠ قطعة من النباني . وقد أنشئ في دمشق كما أنشئ في حلب معامل جديدة لنسج الحرير والقطن والصوف تديرها محركات كهربائية او محركات على المازوت تُستبدل بانوال النسج القديمة.

وقد أنشئ قرب طرابلس فبركة جديدة باشرت اعمالها وهي تعمل خيوط القطن مستعملةً ما ينتج من القطن في البلاد ، شاغلةً اربعمائة عامل . وآلاتها غاية في الدقة والكمال تبلغ قيمتها نحو ٢٠٠٠٠٠ ليرة لبنانية سورية.

فيمكننا التأكيد اننا نشهد الان في مناطق الانتداب حركة صناعية نسجية عصرية ستؤول ليس فقط الى تجديد الصناعات القديمة في القريب العاجل ، بل الى اجابة كل ما يجدّ من مطاليب السكان.

الجلود والدباغة

ان صناعة الدباغة المحلية من اجلى الصناعات مظهرًا في التوسّع والتقدم منذ بضع سنوات وان اكثر الدباغات ، في يومنا هذا ، تستعمل آلات حديثة تامّة لاسيا في دمشق ، مما يسهّل على السوق الوطنية ان تحدّد مستورداتها . وفي سنة ١٩٢٩ قدّمت دبّاغات دمشق نحو ثلث المطلوب من الجلود المدبوغة للفرعة ونحو نصف المطلوب من جلود النعال.

وكان مجمل ما دبغته دبّاغات حلب ودمشق نحو ١٥٠٠٠٠ من جلود الماعز والغنم و ٨٥٠٠ من جلود البقر و ٦٥٥٠ من جلود الابل

واصدرت مرافئ سورية ولبنان ١٢٣٤ طنًا من الجلود غير المدبوغة البالغة قيمتها ٩٦٥٠٠٠ ليرة لبنانية سورية ، الى ايطالية والولايات المتحدة خصوصاً.

النقليات

ان شركة السيارات على الطرق الشرقية المعروفة باسم « الاوتوووتيير » والتي أشرنا الى تأسيسها في نشرتنا السابقة ، قامت بتأمين حركة نقليات يومية للمسافرين بين بيروت وطرابلس واللاذقية وحلب. وقد انشأت هذه الشركة ، مدة السنة ، خطوطاً جديدة من بيروت الى حيفا ، ومن بيروت الى دير الزور والموصل الا ان هذا الخطّ الاخير لا يُسافر عليه الا مرة في الاسبوع

مطبوعات شرقية جديدة

R. P. Dhorme, O. P.: Langues et écritures sémitiques. [*Etudes sémitiques, I*] *Geuthner*, 1930, II-74 *pp. gr.* 8°.

اللغات والخطوط السامية

ان حضرة الاب دورم ، استاذ اللغة الاشورية في المعهد الكتابي في القدس الشريف ، من علماء العبرية ومن افاضل المستشرقين ؛ وقد اعدّ المواد لتأليف عنوانه : « اللغة العبرية في مختلف العصور » عزم على ان يبدأه بفصل تمهيدي في اللغات والخطوط السامية على وجه الاجمال . ولما طال البحث في هذه المقدّمة ، رأى نشرها على حدة في الكرّاس الحاضر ، لتدريب وفائدة طلّاب اللغات السامية ولاسيما المبتدئين منهم . فافتتح بها مجموعة « الدروس السامية » الجديدة التي أسسها حضرة الاب نفسه .

بعد ان يلقي المؤلف نظرة اجمالية على تقسيم اللغات السامية وفروعها ، يصفها واحدة واحدة مبتدئاً بالاكدية (البابلية والاشورية) ، فالامورية ، فالكنعانية ، فالفنيقية مع ما تفرّع عنها من القونية اي القرطاجية ، فالعبرية ، فالارامية القديمة ؛ ثم اللغات الارامية الحديثة كالنبطية ، والتدمرية ، والكلدانية والسريانية ؛ ثم ينتقل الى لغات الجنوب فيصف القديمة منها كالحميرية والمعينية ، ثم ما استجدّ بعدها كاللحيانية ؛ والثمودية ، والصفوية ؛ وينتهي بالحبشية وفروعها ، فالعربية . ويخصّ المؤلف فصلاً كاملاً بمميّزات اللغات السامية العامّة ، دون ان يتبسّط في درس الفروق التي تميّز كل فرع منها من غيره ، وهي فروق مرّ عليها مرّاً سريعاً في الوصف السابق . وينهي الكتاب بلمحة تاريخية في اللغات السامية فيدرس نشأتها وحياتها وازدهارها واندثارها ، فرعاً فرعاً .

وان ما في الكتاب من المعلومات الكثيرة ، وذكر المآخذ المتعدّدة ، والوقوف حتى على احدث التآليف في الموضوع يجعله ذا فائدة جليلة لمن كُتب من

اجلهم ، فيمكن ان يُستعمل كتاباً مدرسياً لدرس تلك النصوص على ان يتمّه المعلّم بشروحه الشفوية . وقد جعله المؤلف مطابقاً لنظام التعليم في المعهد الكتابي بما اكثر فيه من الحواشي المشيرة الى ابحاث واوصاف كتب ظهرت في «المجلّة الكتابية» . على انه مفيد لجميع طلّاب اللغات السامية ، واني اتمنى ان يقوم احد من علماء العربية ، فيعرّب الكتاب او يستفيد منه فيؤلف ، باللغة العربية ، رسالةً في هذا الموضوع يردفها بالجداول التصريفية ولوائح الخطوط السامية [1] .

س . ر .

---

١) وهذه بعض ملاحظات ثانوية من المفيد العمل بها :

في الصفحة ٢٨ ، الحاشية ١ : ورد Eurdek-Turnu والصواب : Eurdek-Burnu ، وورد ايضاً لفظة « عافِص » وهي غلط، وصوابها : « آفس »

في الصفحة ٥٣ : ورد *Qurân* ، والصواب : *Qur'ân*

في الصفحة ٣٤ : نلاحظ ان اللغة النبطية مختلفة اختلافاً يُذكر عن التدمرية .

في الصفحة ٣٦ و ٣٨ : ليس من الصواب القول ان الخطّ السرياني متفرّع عن الخطّ التدمري ، بل قد يكون الصواب عكس ذلك . وعلى كل حال فان هذين الخطّين متفرّعان عن خطّ اصلي واحد . وهو كل ما يمكن الجزم به اليوم .

وكذلك نلاحظ بعض النقص في ذكر المآخذ نشير اليه في ما يلي :

في الصفحة ٦ ، الحاشية ١ : نشر بروكلمان مجلداً آخر في مجموعة *Porta linguarum orientalium. t. XXI* بعنوان :

Kurzgefasste vergleichende Grammatik der Semitischen Sprachen, 1908.

في الصفحة ٢٦ ، الحاشية ١ : مما يجدر بالذكر ايضاً :

Kraeling, *Aram and Israel*, 1918.

في الصفحة ٣٣ ، الحاشية ٤ : يحسن ان يذكر ايضاً :

Schulthess, *Das Problem der Sprache Jesu*, 1917.

في الصفحة ٥٤ ، الحاشية ١ : ينبغي ان يُذكر كتاب ديران وشيخو ، وغراماطيقها مع المنتخبات امّ من غراماطيق بلو ، وهو مخصّص للطلّاب كذلك .

في الصفحة ٥٥ ، الحاشية ٢ : نرى ان المآخذ الخاصّة بالرقيم المثلّث اللغة (السرياني واليوناني والعربي) الراقي الى القرن السادس ، غير كافية .

هذا وقد تركنا ذكر الكثير من الملاحظات القليلة الاهمية .

A. Kammerer : Pétra et la Nabatène. *L'Arabie Pétrée et les Arabes du Nord dans leurs rapports avec la Syrie et la Palestine jusqu'à l'Islam.*

Texte (*avec 7 planches, 4 cartes, 74 fig.*) *XIII-630 pp. gr.* 8° 1929.
Atlas. 152 *pl.* (*reprod., cartes, plans, photogr. etc.*) 1930.
Paris, Geuthner, 300 *f*.

بترا (سلع) وبلاد النبط

مؤلف هـذا الكتاب ، السيد كامرير ، من رجال الادارة والسياسة الفرنسويين ، اقام سبع سنوات في مصر ؛ وقد عُرف ببحث قيّم في تاريخ الحبشة القديم توّجهُ معهد فرنسة سنة ١٩٢٧ ، وله ايضاً عدة آثار على بلاد الحبش منها ما هو قيد التأليف ومنها ما هو تحت الطبع في مكتبة غوتنير .

وقد قام ، سنة ١٩٢٤ ، برحلة الى بترا توفق فيها كل التوفق ، فدُفع الى درس تاريخ النبط وعرب الشمال ، درساً اوصله ، بفضل ما خُصّ به من مقدرة على العمل نادرة وسرعة في الفهم والاستنتاج ، الى خوض موضوع قد يتردّد في خوضه المستشرقون الاختصاصيون . فهو يعرض لنا ، في مشهد اجمالي ، مع المآخذ التامة ، كل ما يُعرف ، ليس عن النبط ومملكتهم القصيرة الاجل ، وبترا عاصمتهم العجيبة فحسب ، بل ايضاً عن علاقاتهم مع فلسطين وسورية الجنوبية ، من عهد موسى الى عهد محمد . حتى ان المطالع يسأل نفسه معجباً كيف يمكن لرجل ، مهما كان ذكياً ، ان يجمع كل هذه المعلومات والوثائق الجنسية والتاريخية والاثرية ، على كونه غير مستشرق . وان السيد دوسّو (Dussaud) نفسه ، استاذ المؤلف وصديقه — وقد نشر هـذا صورته مع صورة الاب جوسّن (Jaussen) من دومنيكيي القدس الشريف — لا يألو مستغرباً هذه المهارة .

من الحقّ ان في الكتاب بعض الابحاث المجاورة للموضوع من التي لا يذكرها الاختصاصيون في تأليف كهذا ، كتاريخ الابجدية الفنيقية وما يلحق به من المناظرات وقد ذكره المؤلف في معرض القول ان الابجدية النبطية

(السابقة الابجدية العربية) تتفرّع عن الفنيقية (ص ٤٤١–٤٤٦)[1] . على ان هذه الزيادات ، وان تكن خارجة عن الموضوع بحصر المعنى ، فانها لا تضرّ جمهرة القرّاء الذين كُتب المؤلف من اجلهم ، بل انها تزيد في اللذة والفائدة ، وكذلك تزيد في اللذة والفائدة ايضاً كثرة الصور والرسوم – حتى اننا نرى بينها صورة بطلك ! – والخرائط ومنها اثنتان رسمها خصوصاً للكتاب السيد هوتن (Hutin) رسّام وزارة الخارجية ، فتضاعف قيمة المجلد خصوصاً لمن ليس لديه مكتبة واسعة لمثل هذا الابحاث . واخيراً يمكننا القول انه لو شاء احد الشرقيين ان يؤلف تاريخ النبط لرأى في هذا الكتاب جميع ما يلزمه من المعلومات ، بل اكثر مما يلزمه . س . ر .

Robert Montagne : Les Berbères et le Makhzen dans le sud du Maroc. *Essai sur la transformation politique des Berbères sédentaires (groupe Chleuh) in-8° XVI-426-XV. 1930. Prix : 75 f°. Paris, Alcan.*

البَرْبر والمخزن في جنوبي مراكش

هذا المجلد الضخم نتيجة ابحاث طويلة وثمرة رحلات وانتقالات قام بها المؤلف مدى السنين الطوال وغايته درس المراحل التي انتقل بواسطتها البربر المتحضّرون من تنظيم حكمهم الديموقراطي الجمهوري القديم الى نظامهم الحالي الذي يخضعهم جميعاً لسلطة الفرد . فدرس جنوبي مراكش لان هذا التطوّر يظهر فيه احدث عهداً واقلّ تماماً منه في غير مكان . ولما كانت الوثائق الخطية لمثل هذا البحث التاريخي لا تكاد توجد في مراكش القديمة ، وجب على الباحث ان يتنقل بنفسه في تلك الانحاء فيجمع ما لا يزال يتداول الشعب من شهادات التقليد القديم . وقد قام بمهمّته بعناية ودأب يُشكر عليها ، ولكن نتائجه

---

١) ويجدر بنا ان نشير الى بعض الاصلاحات اللازمة ، من ذلك ص٣ : يجب ان يُكتب Flav. Josèphe – ص٩ : ان الاب جرمر دوران P. Germer-Durand من الآباء الصعوديين لا الدومنيكيين – ص١٠ : ورد « *Chronicon pasquale* » والصواب *pascale* – ص٣٩٤ : يجب ان يُكتب « بَعلة » « *baalat* » – ص ٤٣٠ : تحرّف فيها اسم Chwolson فصار Chwolsohu – يظهر من كلّ ذلك ان المؤلف ليس من المستشرقين .

كانت احياناً ابعد من ان تشجعه على مداومة العمل . فان البربر ترددوا دائماً بين الفوضى القبلية نوعاً ما من الترتيب ، واستبداد حكم المخزن في مراكش، وهو الحكم المدّعي النظام . هذا وان فرنسة تعهدت بان تجعل النظام والعدل يسودان تلك الحالة . وهو تعهد صعب التحقيق اذا انتبهنا للسوابق التاريخية في تلك البلاد ، وللغرائز الفوضوية التي فُطر عليها ذاك الشعب. ه. ل.

Fr. Gabrieli: Il concetto della ʿasabiyyah nel pensiero storico di ibn Ḥaldûn. [*Estr. dagli Atti. d. Reale Accad. d. Scienze di Torino. vol. LXV.* 1930].

مدلول « العصبية » في فكرة المؤرخ ابن خلدون

هو بحث دقيق يدرس فيه المؤلف ذاك الدور المهمّ الذي يجعله ابن خلدون « للعصبية » في تأسيس الممالك وحياة الدول . فيحلّل « العصبية » الى عناصرها، ويشرح كيف تتفق وتتّحد بالعامل الديني ، مطبّقاً النتائج على الخلافة وغيرها من مختلف الدول الاسلامية ، كما اشار الى ذلك ابن خلدون . فيبيّن ان الكاتب العربي كان متفوّقاً ليس على محيطه القريب فحسب ، بل على مجمل عصره . ثم يُشير من طرف خفي الى ان الفضل يعود الى مستشرقي اوربة في اظهار قيمة « المقدّمة » وتنبيه الشرقيين اليها. هذا وفي الصفحة ٤١٨ ، السطر ٣ ، يلزم ان نقرأ « عبيد الله » بدل « عبد الله » . ه. ل.

Alexius Petrani S. Th. D. : De relatione juridica inter diversos ritus Ecclesiae catholicae. *Taurini, Marietti, in-8°*, 1931. X-106 *p. Lire* 16.

العلاقات الشرعية بين طوائف الكنيسة الكاثوليكية

هوذا كتاب صغير وافر الاهمية للكاثوليك العائشين في الشرق عامّةً ، وللكهنة خاصة . وغايته ان يبين القواعد والاصول الحقوقية التي تجري بموجبها العلاقات الشرعية بين الطوائف الكاثوليكية المختلفة .

يبدأ بلائحة طويلة في المآخذ يسرد فيها كتباً عديدة تختلف قيمة وفائدة للموضوع . وقد وددنا ان نرى بينها ذكر القواميس الكبيرة التي تظهر حالياً

في مكتبة لتوزي (*Letouzey*) محتوية على مقالات ممتعة وابحاث دقيقة في الشرق ؛ وبعض المجلات الوافرة المعلومات «كاصداء الشرق» (*Echos d'Orient*) وما شاكلها ؛ وخصوصاً ملخصات اعمال المجمع الفاتيكاني مع الشروح الملحقة في المجلدات الاخيرة من مجموعة مانسي (*Mansi*) ، وكلها تختص بالموضوع المذكور .

وبعد ان يلقي المؤلف على نشأة الطوائف نظرة قصيرة وافرة الايجاز والاقتضاب حتى انها تخل ببعض الحقائق لكثرة ما تلخص من المعلومات في القليل من الالفاظ ، يبدأ بالقسم الاول فيدرس المسائل الشخصية : الحبر الاعظم وسلطته العليا على جميع الطوائف ، وتدخلاته ، وقراراته ؛ ثم ابناء الطوائف وانتقالهم من طائفة الى اخرى ، ورعاتهم الشرعيين . وفي القسم الثاني يدرس قوانين القيام بتوزيع الاسرار وقبولها بالنسبة الى الاشخاص في الطوائف المختلفة .

هذا وقد يخالف المطالع رأي المؤلف في بعض الامور الثنوية ، ولكن لا يسعه الا الاقرار بانه ألف كتاباً مفيداً رزيناً ، مبنياً على الكثير من الاسانيد ، دالاً على مقدرة صاحبه . على ان فيه من الاحكام الجازمة ما يُستغرب احياناً ، من ذلك زعمه (في الصفحة ٥) « ان الموارنة غيّروا الطقس الانطاكي كل التغيير تقريباً » . وان من يتصفح كتاب القداس وكتاب الرتب الخبرية المارونيين ، لا يقرّ قطعاً بصحة هذا الزعم ؛ وحسب المؤلف ان يقرأ ما كتبه المونسنيور ديب في مقالة « الموارنة » المنشورة في « معجم اللاهوت » ، او ما كتبه البطريرك الرحماني ذاته في كتابه على « الطقوس الشرقية والغربية . » من ذلك ايضاً ما قاله في الصفحة ١١ «ان البابا بولس الخامس « أمر » (*jubet*) البطريرك الماروني بالرجوع الى العادات القديمة . » مع ان النص الاصلي يذكر ان البابا «سمح» وهذا هو النص : « *expedire duximus per Apostol. Sedem tibi permitti ad pristinas consuetudines fideles ... reducere.* »[1] . واذا وصل المطالع

---

١) اطلب Anaissi, *Bullarium Maronitarum*, p. 120

الى الصفحة ٤٩ ، يسأل نفسه طويلًا عن ذاك الشرق المسيحي الـذي ليس فيه نائب رسولي ولا مدبر . وهو لا يمكن ان يكون سورية وفيها اللاتين يتبعون نائب حلب الرسولي (وهو في الوقت نفسه نيافة القاصد) ؛ ولا مصر التي فيها مدبرون ونواب رسوليون ؛ ولا القسطنطينية ، ولا العراق ... ومهما يكن من أمر فان هذه النواقص وما شاكلها لا تضير قيمة الكتاب الاجمالية .

الاب مونجان اليسوعي

Clemen (Carl) : Religionsgeschichte Europas.
II^er Bd. Die noch bestehenden Religionen [*Kulturgesch. Bibl. II,2*] *Heidelberg*, *Winter*, 1931, *VII-335 pp. in-12°, 23 fig.*

تاريخ الديانات في اوربة

يذكر قرّاؤنا الكرام ما قلناه عن المجلد الاول من هذا الكتاب (المشرق ٢٧ [١٩٢٩] : ٢٣١) الخاص بدرس تاريخ الديانات في اوربة . وها قد ظهر الجزء الثاني يدرس فيه المؤلف: ١ً اليهودية ؛ ٢ً النصرانية القديمة ، واليونانية ، واليونانية الحديثة وتطوّر « الارثوذكسية » الحديثة ؛ ٣ً النصرانية في القرون الوسطى والكثلكة الرومانية حتى ايامنا ؛ ٤ً النصرانية الحديثة وحركة الاصلاح البروتستاني ؛ ٥ً الإسلام في اسبانية وايطالية وروسية الجنوبية وبلاد البلقان ؛ ٦ً ديانة اللاما ، وكل ذلك في اوربة.

وليس لنا ما نزيد على رأينا السابق فان حصر الديانات ضمن نطاق اوربة لنقص مهمّ في نظرنا . اما المآخذ فانها وُضعت من اجل الالمان خاصة ولاسيما البروتستانيين منهم . ثم اننا لا نرى نوع الخدمة التي يؤدّيها هذا الكتاب ، في ما خلا رغبة بعض الافراد في معرفة شيء خاصّ بنقطة خاصّة . وهذا بعيد عن الافكار العامّة التي كان من المستحيل الخوض فيها.

س . ر .

J. Daridan et S. Stelling-Michaud : La peinture Séfévide d'Ispahan. Le palais d'Ala Qapy. *in-4°, 24 pp. et 21 planches hors-texte,* 1930. *Paris, Les Beaux-Arts.*

فنّ التصوير الصفوي في اصفهان

الدولة الصفوية دولة فارسية بدأ ملكها في القرن السادس عشر ، وقد وطّد امراؤها الأول الامن والطمأنينة في البلاد مما نجم عنه ازدهار عجيب في الفنون الجميلة حتى غدت اصفهان ، على عهد الشاه عبّاس (١٥٨٥—١٦٢٩) ، على قسط وافر من التزيين ، وفيها التصاوير التي يدرسها المؤلفان درساً دقيقاً ، فيحلّلان عناصر ذاك الفنّ المدعوّ بحقّ فنّاً مدرسياً . وان ما في المجلد من الرسوم الضرورية يزيد قيمة الكتاب . ج. ل.

E. Levi-Provençal : Documents inédits d'histoire almohade. [*vol. I des textes arabes relatifs à l'histoire de l'Occident musulman*] *vol. in-8°, XII, 276+152 pp. Paris, Geuthner,* 1928. *texte arabe, traduction, glossaire, indices, fac-similés et cartes, Prix :* 125 *f°.*

وثائق لتاريخ الموحّدين لم يسبق نشرها

هي ثلاث سلاسل من الوثائق منشورة بنصوصها وترجمتها ، وقد قابلها المؤلف على الاصل اثناء ابحاثه في الاسكوريال سنة ١٩٢٤ ، فلاقى صعوبات جمّة ولكنه تغلّب عليها لحسن الحظّ . وافضل هذه الوثائق في السلسلة الثالثة وهي تاريخ للموحّدين كتبه احد البربر من اهل مراكش ، وهو شاهد عيان عاش اثناء الحوادث التي كتب عنها ، وشاهد امين ، كما يظهر . ج.ل.

Julien Weill : La Judaïsme. *in-12°, 241 pp. Prix : 15 f°, Paris, Alcan.*

اليهودية

هو جزء من سلسلة عنوانها « الديانات » ظهر فيها سابقاً كتاب عن البروتستانتية . على ان الكتاب الحاضر اوضح وارزن من السابق . يهتمّ الكاتب اولاً بنشأة اليهودية ، ثم يدرس اليهودية العصرية ، ويشير الى مجاريها المختلفة ، فيودّ ، مع الكثيرين ، لو كان لليهود سلطة دينية مركزية « تلين من تصلّب الشريعة الربّانية التي تظهر متأخرة في بعض النقاط ، وتعود فتستعمل التوراة

نظاماً حياً كما كانت في الماضي ، وتحل المشاكل العملية المستعجلة التي لا يمكن للحاخامين المنفردين ان يحلوها كل من جهته » (ص ٢٣١) وفي الفصل الرابع عشر يدرس حالة اليهودية تجاه النصرانية ، وهو من اجدر الفصول بالانتباه والذكر . ج. ل.

Islamica, *vol. IV, fasc.* 5 (1931)

مجلة اسلاميكا : الجزء الخامس من المجلد الرابع (١٩٣١)

نشير ، في هذا الجزء ، الى مقالين مهمين : الاول يرجح انه كان لنصارى العرب قبل الاسلام نصوص عربية من الكتاب المقدس يتلونها على الاقل في الحفلات الطقسية . والثاني يجمع مقاطع عديدة من الشعر العربي القديم ورد فيها ذكر السُم ويدرس معنى السُم وكيفية استعماله عند العرب الاقدمين . ه.ل

G. Courtillier : Les Anciennes Civilisations de l'Inde. *vol. in-16. Paris, A. Colin. Prix, relié :* 12 *f*. *broché :* 10 *f*. 50.

المدنيات القديمة في الهند

يقوم المؤلف ، منذ احدى عشرة سنة ، بالقاء محاضرات في كلية ستراسبورغ على العلوم السنسكريتية والهندية . فلم يكن اجدر منه بان يبسط للشعب المتنور نتيجة التنقيبات والابحاث التي قام بها علماء الهنديات حتى يومنا . فعرض ذلك باسلوب سهل وانشاء واضح متجنباً كثيراً من التحشيات العلمية المحضة ، راغباً في تهيئة طالب الهنديات الى درس المؤلفات الخاصة الواسعة ، وفي اطلاع طالب التاريخ العام على تاريخ تلك الناحية المهمة من العالم . وفضلاً عن ذلك فان لكتابه صفة حالية مهمة ؛ لانه ، وان يكن يختتم بالقرن السادس اي قبل الفتح الاسلامي ، فهو يشرح اموراً كثيرة لمن يلاحظون الحركة الهندية الحالية ويرون فيها يقظة وطنية لا تزال الاسرار تكتنف مستقبلها الغامض . وذلك لان الروح الوطنية الهندية لا يمكن ان تُفهم كما هي ، الا اذا درس ماضي تلك البلاد وما يحتوي عليه من التعاليم والمبادئ المهمة التي لم يزل الوطنيون يستقون منها .

تاريخ دراسة اللغة العربية بأوربة

تأليف يوسف جيرا

مطبعة الشباب ، مصر ، ١٩٢٩ – ٥٣ صفحة كبيرة

هو بحث في مبدأ ظهور دراسة اللغة العربية باوربة ، وتراجم بعض مشاهير المستشرقين ، وقد اراده مؤلفه « وافياً » فاتى مقتضباً كل الاقتضاب احياناً ، من ذلك انه اوجز جداً في ذكر اسباب الاستشراق ، واهمل عدداً وافراً من كبار المستشرقين ، وكان من السهل ، سدّ هذه الثلم لو اطلع على كتاب المرحوم الاب شيخو في « الآداب العربية في القرن التاسع عشر » الحاوي المعلومات الجمة عن نهضات المستشرقين وجمعياتهم واعمالهم وتراجم افرادهم . ولكن المؤلف لم يعرف هذا الكتاب الاساسي كما يظهر من مقدّمته (ص ٤). الّا ان له فضلاً بنشره صور بعض المستشرقين ورسوم بعض اشكال للحروف العربية التي كان يستعملها قدمازهم . وهو ، في كل ذلك ، يمدّ موادّ حسنة لا بدّ من اتمامها لتأليف كتاب شامل في الموضوع. ف.ا.ب

مختارات المقتطف

جمعها وبوّبها حنا خباز

مطبعة المقتطف والمقطّم ، مصر ، ١٩٣٠ – ٢٨٠ صفحة متوسطة كبيرة

من يتصفّح هذا الكتاب يطّلع على تطوّر العلم في الثلث الاول من القرن الحاضر ، فيدهش للخطوة الواسعة التي خطاها العالم في جميع المظاهر العلمية ، يلمس ذلك من خلال هذه المقتطفات التي انتخبها الاستاذ حنا خباز من مجلّدات المقتطف (من السنة ١٩٠١ الى السنة ١٩٣٠) وقسمها على ثلاثة ابواب : العلوم الطبيعية وفيها : الطبيعيات ، والكيمياء ، والفلك ، والكهربائية ، والاشعة ، والجيولوجية ؛ والعلوم البيولوجية بفروعها الثلاثة : النبات ، والحيوان ، والانسان ؛ وعلوم تطبيقية تشمل الاركيولوجية او علم الآثار ، والمواصلات ، والمخاطبات . وقد جعلت إدارة المقتطف المجلّد جزءاً ثانياً « للعلم والعمران » وقدّمته هدية لقرائها عن سنة ١٩٣٠ .

إقرأ وفكّر

بقلم الارشمندريت انطونيوس بشير

مطبعة العرب للبستاني ، مصر ، ١٩٣٠ – ٢٧٢ ص متوسطة – الثمن ١٥ غروش مصرية

مجموعة مقالات قصيرة اكثرها مفيد ، وبعضها تافه ، ولكنها كلها معروضة بتعبير بسيط مقبول ، واسلوب من التفكير اقرب الى التسطح منه الى التعمق ، ولهذا اتت بعض آرائها مبتسرة وبعض احكامها بحاجة الى النضوج ، من ذلك الفصول المعنونة « الماريون » (ص ٢٦) ، و « الطلاق » (ص ٧١) ، و« حقوق الانسان » (ص ١٦١) وهي الى منشورات الجرائد السيّارة اقرب منها الى موضوعات الكتب الجديرة بالحفظ . على ان اكثرها يفيد من حيث انه «يُذكّر المطالع بما عرفه ونسي ان ينتفع به ، وذلك حسب المؤلف .»

كتاب التيسير في القراءات السبع

تأليف ابي عمرو بن عثمن بن سعيد الداني

عني بتصحيحه اوتو برتزل – استانبول ، مطبعة الدولة ، ص ١٥ + ٢٢٨ متوسطة

مؤلف الكتاب من مسلمي الاندلس وُلد سنة ٣٧١ للهجرة (٩٨١م) وقد ترك عدة كتب منها هذا الذي جمع فيه كل ما تجب معرفته عن القراءات السبع القرآنية . فاهتم به المستشرق برتزل ونشره مستندًا الى ست نسخ وصفها في المقدّمة . اما الكتاب نفسه فيبدأ بمقدمة في ٧٢ صفحة عن طرق كتابة النص القرآني ولفظه ، في القراءات السبع ، لاسيما ما اختصّ بالهمزات ، والفات المدّ ، والتشديد وغير ذلك . ثم يتتبع المؤلف القرآن كله سورة سورة وآية آية فيذكر الخلاف فيها بين القرّاء على ان كل هذه الخلافات قليلة الاهمية ، لانه بعد ان أمر عثمان بإبادة النسخ القديمة من القرآن ، لم يتجاوز الاختلاف بين النسخ الحديثة بعض الحروف والتصحيف في الالفاظ ، وكل ذلك ناتج عن نقص المخطوطات القديمة التي لم يكن يهتم فيها بتنقيط الحروف ولا بالتمييز بين الالف والهمزة . ودونك بعض الامثلة على القراءات المختلفة : « يُغفر » و « تُغفر »

(٢ : ٥٨) « بُشرًا » و « نُشرًا » و « نَشرًا » (٧ : ٥٧) « ساحر » و « سحّار » (٧ : ١١٢) « نَشرِكم » و « يَنشرِكم » او « يسيّركم » (١٠ : ٢٢) « سكرى » و « سكارى » (٢٢ : ٢) « كبير الاثم » و « كبائر الاثم » (٤٢ : ٣٧) « ظَنين » و « ضَنين » (٨١ : ٢٤) وما شاكل من الخلافات التي لا تكاد تؤثر شيئاً في المعنى الاجمالي . هذا وقد اهتمّ بالطبعة غاية الاهتمام ، فأشير الى المصادر من القرآن بكل دقة، والى روايات المخطوطات، فبرز الكتاب بمظهر جميل واضح ، فننصح من يهتمهم هذا الموضوع باقتنائه . ه . ل .

لمحة في تاريخ خلدة وكنيستها

بقلم ابرهيم نعوم كنعان

مطبعة جدعون ، بيروت ، ١٩٣١ — ٢٤ صفحة متوسطة صغيرة .

كرّاسة صغيرة لخّص فيها المؤلف تاريخ مدينة خلدة القديمة الواقعة على شاطئ البحر بين صحراء الشويفات والدامور ، وتاريخ كنيستها العجائبية المشهورة في تلك الانحاء ، واضاف الى ذلك ذكر بعض العجائب التي عرفها بنفسه او سمع عنها ؛ على انها لا تزال صحتها القانونية مفتقرة الى موافقة ذوي الاختصاص . اما ما يورده من النظريات في شرح العجائب على الاطلاق (ص ١٤—١٧ و٢٣—٢٤) فاكثره ملقى على عواهنه واقلّ ما يقال فيه ان يُحمل على حسن النية . وقد قال (ص ١١ ، السطر الاخير) ان الامير بشيرًا « نهض بعسكره من بيت الدين » سنة ١٧٩٣ ، والصواب انه لم ينهض من بيت الدين لانه لم يكن بناها بعد ، بل كان لا يزال مقيماً في دير القمر . ف . ا . ب .

* الاحوال الشخصية * هو المقال الممتع الذي نشرناه تباعاً في « المشرق » ، لحضرة الخوري بطرس غالب ، طبعه مؤلفه الفاضل على حدة ، فأتى في ٤٤ صفحة ، جامعاً كل ما تهمّ معرفته طلّاب هذه الابحاث .

* برنامج جمعية طوبيا البارّ المارونية عن سنة ١٩٣٠ * وهي الجمعية المؤسسة في بيروت سنة ١٨٨٣ ، وغايتها دفن الموتى الفقراء المهمّلين ، وادارة المكتبة المارونية ، وقد أُلحق بها « فرع اسعافي مستقلّ » لمساعدة الاخوة العاملين في المرض او الفقر .

اهم حوادث الشرق في شهر

١٥ اذار — ١٥ نيسان ١٩٣١

لبنان وسوريا — افتتح المجلس النيابي اللبناني في ١٧ اذار دورته العادية.

* فشلت مساعي المطران خريستوس ، في التوفيق بين حزبي البطريركين ارسانيوس والكسندروس ، فتحقق انه لا يمكن حلّ الازمة حلًّا سلمياً.

* بدأ اهالي بيروت منذ ٣٠ اذار بمقاطعة شركة الجرّ والتنوير مقاطعةً سلمية ، فامتنعوا عن ركوب الترام وعن انارة منازلهم بالكهرباء ، احتجاجاً على غلاء الاسعار . وبعد نحو اسبوعين ، اقتدى بهم اهل دمشق فقاموا يقاطعون الشركة في مدينتهم ايضاً. ولا يزال الجميع ماضين في المقاطعة.

جبل الدروز — احتُفل في ١٢ نيسان بعيد الاستقلال احتفالًا عظيماً.

فلسطين — قررت الحكومة منع اليهود من الجلوس على عتبات البيوت المجاورة للبراق.

* نشر الحاخام روزنفلد منشوراً يدعو فيه الجميع الى التصافي والعمل على تعمير الخراب.

* اخذت المحصولات الروسية تتدفق حتى كادت تغرق السوق الفلسطينية.

مصر — لا يزال الوفديون والدستوريون ماضين في معاكسة اعمال الحكومة ، لاسيما وقد اقتربت الانتخابات ، فأخذ مصطفى النحاس باشا ومعاونوه يجرّبون زيارة الاقاليم وعقد الاجتماعات لمقاطعة الانتخابات ، الّا انهم لا ينجحون في الكثير من تجرباتهم. اما الانتخابات فستبتدئ في منتصف ايار.

الحجاز — سمح الملك ابن سعود لشركة المانية بأخذ مناظر الحجّ والاماكن المقدسة في الحجاز.

* عُقد بين الحجاز والعراق في مكة (٨ نيسان) معاهدة صداقة وحسن جوار وبروتوكول تحكيم ، ومعاهدة تسليم مجرمين (٩ نيسان).

المشرق

حزيران ١٩٣١

عبرة المنظار

في

نظام الكون

بقلم القس عبد المسيح زهر

اذا أطلق المرء لرائد طرفه العنان وأرسله يتأمل هذا الكون غير المتناهي ، رأى فيه نظاماً كاملاً بديعاً لا يعروه اختلال ولا يلمّ به تشويش . فاذا كان في الكون نظام ، وجب ضرورة ان يكون لهذا النظام منظم ازلي سرمدي قدير يرعاه ويعتني به ؛ ولولاه لدثر وتلاشى .

في الكون نظام كامل

ما اعظم العجب الذي يستحوذ على المرء لدى نظره الى القبّة الزرقاء ، ورؤيته الكواكب الكثيرة المرصّعة في كبدها ! فاذا تأمّل المتأمل كثرتها وتفاوتها في الضياء واللمعان والوبيص ، وأنعم النظر في اختلاف الوانها ،

وعرف سرعة سيرها ودورانها ، زاد عجبه ؛ وذلك لانه يرى في هذه العوالم دلائل جلية واضحة على حكمة وفطنة وقدرة لا يسبر غورها ولا يدرك كنهها ، والفى فيها نظاماً يشفّ عن منعة عقل موجده وعظم مبلغ قدرته غير المتناهية ، وقام في نفسه من اجل ذلك فكر بل افكار تستغرقه بكليته ، وتستوعب مداركه ، وتحمله على قضاء اشدّ العجب من عظمة المنشئ الاعظم والمبدع الاكبر الذي انشأها وابدعها « اذ بعظم جمال المبروءات يُبصر فاطرها على طريق المقايسة . »[1] فيا ايها الانسان الضعيف ، الذي يقع في خلده انه شيء ، انك تقف حائراً امام هذه العوامل المحدقة بك ، وتدهش من قوتها وفعلها ، والنظام الذي تتبعه في سيرها وتنقلها وحركاتها ، « فهلا تتفهم كم منشئها اقوى منها ؟ »[2]

على ان رؤية السماء ليلاً طالما شحذت قرائح الشعراء ، وألهمت عقولهم تلك الاقوال الجميلة ، وأثارت في القلب البشري عواطف التعظيم والتمجيد والتقديس لبارئها . فالمرء من عادته ان يملّ من تكرار النظر الى الشيء ، بيد ان النظر الى السماء لا يُملّ ؛ بل كل نظرة اليها تسمو بالناظر الى ما وراء الطبيعة ، اي الى عالم الوجود والارواح . قال اللورد بيرون (Byron) الشاعر المشهور : « عند انتصاف الليل تكون القبة الزرقاء مرصعة بالنجوم ، فكانها حينئذ جزائر انوار في وسط هذا المحيط القائم فوق رؤوسنا . فمن يتأملها ويعرج بنظره على الارض ولا يشعر بحزن وكآبة ؟ »

فمتى سقط قرص الشمس ودبّ الشفق الاحمر في حاشية الافق ، نرى اذ ذاك عيون الكواكب تطلّ علينا من كبد العلياء ، ومهما تصرّم الشفق ودجا الليل ظهرت النجوم منصوبة فيها كالمصابيح المتّقدة ، وشرعت تسبح في اجواز الفضاء كانها كتائب مكتّبة زاحفة الى ساحات القتال كل برج ككتيبة عليها نجم قائد يفوق اصحابه ضياء ولمعاناً . فيا لله ما اجمل وابهى هذا المنظر ! « السماوات تنطق بمجد الله والجلد يخبر بعمل يديه . »[3]

ان المسافر او السائح او النافض السائر في الارض لينفض الاماكن والبلاد

---

١) حك ١٣ : ٥ ٢) حك ١٣ : ١٤ ٣) مز ١٨ : ١

وينظر جميع ما فيها ويعرفه ، اذا اوغل في مجاهل افريقية مثلاً او آسية ، قضى العجب من كبر الارض واتساع هذه السيارة الصغيرة التي نسكنها. ولكن ما يكون عجبه ودهشه اذا عرف ان حجم المشتري يكبر حجم الارض ١٢٣٤ مرة ، وان حجم ابط الجوزاء (Bételgeuse) يكبر حجم الشمس ٣٠٠ مرة ، وحجم الارض ٢٧,٠٠٠,٠٠٠ مرة ، وان قلب العقرب (Antarès) يكبر الشمس ١١٣,٠٠٠,٠٠٠ مرة ، والارض ٣٧,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠ مرة ، وانه يبقي ١,٢٧٠,٠٠٠ ارض مثل ارضنا لتساوي حجم الشمس ، وان الشعرى العبور (Sirius) تكبر الشمس ثلاث عشرة مرة ؟ فلولا النورُ المنبعث من الكواكب لما اخذتها العين بالرغم من كبرها ، ولا وقع عليها البصر ، ولا استطاع الفلكيون قياس ابعادها ومعرفة شرائع سيرها في افلاكها . على ان الابعاد القائمة بيننا وبين الكواكب لا تقاس بالاميال بل بالسنين . من المعلوم ان النور يقطع في الثانية ٣٠٠,٠٠٠ كيلومتر ، ومع كل هذه السرعة فلا يصل الينا من الشمس الا في ثماني دقائق . وبناء عليه فان سنة النور عبارة عن ٩,٤٥٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠ من الكيلومترات واكثر . فاذن ماذا تكون المسافة التي بيننا وبين الشعرى العبور التي يصل الينا نورها في ثماني سنين ونصف سنة ، او بالحري المسافة التي بيننا وبين النجمة القطبية من بنات نعش الصغرى التي لا يصل الينا نورها الا في ٤٥ سنة ؟ وقد ذهب هرشل الى ان نور النجوم البعيدة لا يصل الينا في اقل من مليون سنة.

عدد النجوم . اجمع الفلكيون على ان العين تستطيع ان تبصر نحو ستة آلاف نجم ، وقد تمكنوا من احصاء ٧,٦٠٠ نجم بالعين المجرّدة . ولكن العين لا ترى سوى نصف قبة السماء ولا تاخذ الكواكب التي في حاشية الافق. فاذن العين المجرّدة لا تبصر سوى الفين او الفين وخمسمائة نجم . بيد ان من يتنقل في الارض من مكان الى مكان ويستطيع روْية الفلك كله يتمكن من روْية ٦ الاف نجم . فيرى ٢٠ من الكبر الاول و٥٣ من الثاني ، و١٥٧ من الثالث ، و٥٠٦ من الرابع و١٧٤٠ من الخامس، و٥١٧٠ من السادس. واما ذوات الكبر السابع فهي قليلة جدًّا ولا تتاح روْيتها الا لمن كان حديد البصر.

ولكن شتان ما بين ما تراه العين المجردة وما يُرى بالمرقب. ففي اواسط الجيل الماضي نظم جروم ده لالند لائحة وضمنها ٤٨,٨٠٠ نجم . وفي سنة ١٨٦٣ اوصلها ارجلندر (Argelander) الالماني مدير مرصد بُن (Bonn) الى ٣٢٤,٢٠٠ . ثم اوصلوها في سنة ١٨٦٥ الى ٥٠٠,٠٠٠ وانتهوا الى الكبر التاسع ووقفوا. واما اليوم فبفضل آلات الرصد والمجاهر والمراقب المتقنة فقد وصلوا الى الكبر الحادي والعشرين واستطاعوا احصاء ستمائة مليون من النجوم ، بل ان هرشل عدّ بمرقبه اكثر من ١٨ مليوناً في المجرّة فقط. وقد ذهب اللورد كلفن (Kelvin) وهنري بوانكاره الى ان النجوم التي ترى بالمرقب تبلغ المليار ، فضلاً عن ركام النجوم كركام الثريا والمجرّة والجاثي (Hercule) ، وعن السُدم اي هذه السفع البيضاء التي هي عبارة عن نوى غازية متخلخلة كل التخلخل متباعدة الذرّات باردة جدًا لان الحرارة لا تتولد الا متى تزاوجت الذرّات وتصادمت تصادماً متواصلاً . وقد عرف العلماء الفلكيون الى اليوم نحو اربعة آلاف سديم . ونزيد على ذلك المذنبات [1] والنيازك والرجوم. فهذه الكواكب الكثيرة العدد ، والسيارات واقمارها ، والمذنبات والسدم والنيازك والرجوم كلها تسبح في كبد السماء وتسير بنظام عجيب لا يطرأ عليه اختلال بالرغم من اختلاف حجومها وتفاوت سرعتها وتباين مدد دورانها في افلاكها . فالارض مثلاً تدور على نفسها دورة كاملة في ٢٤ ساعة بسرعة ٤٦٥ مترًا في الثانية ، فينتج من هذه الدورة تعاقب الليل والنهار ، وتدور حول الشمس دورة اهليلجية سنوية طولها ٩٣٦ مليون كيلومتر بسرعة ٢٩ كيلومترًا و ٧٦٠ مترًا في الثانية ، فينشأ عنها اختلاف الفصول . والشمس تدور على نفسها دورة

١) عرف الفلكيون الى الان نحو ٣٠٠ مذنب. منها ستون تدور دورة اهليلجية في اوقات معلومة ، وهي تابعة لنظامنا الشمسي. ومنها ما ينجز دورته في ثلاث سنين واربعة اشهر كمذنب إنك (Encke) الذي ظهر في شهر آب سنة ١٩١١ . ومنها ما ينجز دورته في ست سنين وتسعة اشهر ونيّف كمذنب ولف (Wolf) الذي ظهر في شهر شباط ١٩١٢ . ومنها ما يحتاج الى ٧٦ سنة وبضعة ايام كمذنب هالي الذي ظهر في نيسان ١٩١٠ ، وسوف يظهر في سنة ١٩٨٦ . اما اذناب هذه المذنبات فطويلة جدًا فمنها ما يبلغ ٣٠٠,٠٠٠,٠٠٠ كيلومتر كالمذنب الذي ظهر سنة ١٨٤٣

كاملة في مدة ٢٥ يوماً وتسير متجهة الى جهة برج النسر الواقع بسرعة ٢٠ كيلومتراً في الثانية . والسيارات التابعة لنظام شمسنا تدور ، والمذنبات تدور، وكل ما في الكون يتحرك ويسير ويدور ، وما من شيء ثابت. على ان سرعة النجوم في الثانية تقدّر من الثلاثين الى الخمسين كيلومتراً ، ولكن بعضها يقطع ٢٢٥ كيلومتراً بل ٣٥٠ ، مثاله السماك الرامح الذي مبلغ سيره السنوي ١٣,٠٠٠ مليون كيلومتر. غير ان سرعته عند دنوّه من الارض تهبط الى ٢٧١ كيلومتراً. ثم ان الشعرى العبور تبتعد عنا كل يوم ٢,٨٠٠,٠٠٠ كيلومتر ، وبعدها عنا ٨١ تريليون كيلومتر. وكذلك سيارة نبتون التي اكتشفها (Le Verrier) تدور حول الشمس في ١٦٤ سنة و ٢٨٠ يوماً واربع ساعات. فاي نظام اعجب من هذا النظام!

واذا صرفنا بصرنا عن السماء وعجائبها وصوّبناه الى الارض متأملين المواليد الثلاثة اي المعادن والنبات والحيوان ، رأينا هناك ايضاً ما يحيّر الالباب ويخلب القلوب. فالمولود الاول يتناول الشمس والقمر والقسم الاكبر من الارض ويحيي اخويه ، ويضمن لهما الدوام والبقاء ، ولولاه لما عاش النبات والحيوان . على ان الثقل مثلاً والضغط الهوائي يؤثران في حياة الاثنين . ولما كان الثقل مناسباً لحجم الارض نتج من ذلك ان زيادته ونقصانه يعملان في الانسجة التي تتركب منها الاجسام الحية ، وفي العضلات والدم الذي يسقيها ويحييها بذهابه وايابه . ولولا هذا لباد المولودان او احتاجا الى تغيير يدخل على آلاتها . فاذن الشمس والقمر والجبال والرمال والصخور والسهول وكل ما في الكون يؤثر في حياة النبات والحيوان والانسان.

فاذا انطفأت الشمس ، سراج النهار ، يوماً — وهذا امر لا بد منه بعد ملايين من السنين لا يعلم احد مقدارها — اضمحلّت الحرارة ، وامتنع بخار الماء ، وانحبس المطر ، وانقطعت الانهار والعيون ، وشمل البرد الارض بردائه الصفيق ، وهلك كل حي لان لا حياة بلا حرارة . فالارض اذن محتاجة الى الشمس ولا تستطيع العيش بدونها . ثم ان للقمر تأثيراً وعملاً في الارض. أليس هو العامل في ارتفاع المدّ وانحسار الجزر ؟ فلولا هذه الحركة ولولا امتزاج الهواء بمياه الابحر لانقرض سكانها وبادوا من عند آخرهم.

وكذلك يحتاج النبات والحيوان كل منهما الى صاحبه . فالحيوان محتاج الى النبات ، والنبات محتاج ايضاً الى الحيوان ولا غنية له عنه ، اذ ان الحيوان يستنشق من الهواء الاكسيجن[1] الذي يمجه فيه النبات ، وينفث الحامض الفحمي من رئتيه الى الهواء ، فيستنشقه النبات وينمو به . وعلى هذا النحو لا يزال كل منهما نعم العون على نمائه وصيانة حياته . ولكن لما كان الانسان ملك الخليقة واشرف الكائنات قدراً واكملها جسماً وعقلاً ، خُلق واتى الى عالم الوجود بعد خلق النبات والحيوان ، وتسلط عليهما وسخرهما لخدمته وحفظ حياته . « وليتسلط على سمك البحر وطير السماء والبهائم وجميع الارض وكل الدبابات الدابة على الارض . وقال الله : ها قد اعطيتكم كل عشب يبزر بزراً على وجه الارض كلها وكل شجر فيه ثمر يبزر بزراً يكون لكم طعاماً . » (تك ١ : ٢٦ و ٢٩) قال منسبره : « ان الانسان رب « الطبيعة » وقيمها يتخذ من المواليد الثلاثة الكنّ الذي اليه يأوي ، والثياب التي بها يتدثر ، وادوات الزينة التي بها يتجمل ، والاطعمة التي بها يتغذى ، والروائح الطيبة التي يشمها ، والادوية والعقاقير التي بها يعالج ادواءه ، والقوة التي ترجع اليه نفسه بعد الاعياء ، ويتخذ منها ادوات عمله ومواد اختراعاته ، ويستخدم بها قوى عقله ويرضي اميال خياله وحواسه . . . بل في طوقه ايضاً ان يكتشف القوى الكامنة في الطبيعة وينتفع بها ، ويستخدم الكهرباء بريداً سريعاً لنقل فكره ؛ وبواسطة هذا العامل (الكهرباء) وواسطة البخار زاد قوته على العمل اضعافاً . »[2]

فمَن غير الانسان فتح خزائن الطبيعة ، واستخرج دفائن كنوزها ، واستشف خفايا اسرارها ، واطلع على غوامض رموزها وآثارها ؟ فهذا المخلوق الصغير

---

١) ان الهواء المحدق بنا من كل جانب مركب من ٢١ جزءاً من الاكسيجن ، و ٧٩ جزءاً من الازوت . وفضلاً عن ذلك فانه يتضمن شيئاً من الارغون *argon* ، ومن *néon* ، ومن *krypton* ، ومن *xénon* ، ومن الهليوم *hélium* . وكل هذه النازات قد اكتشفها العلماء في اواخر الجيل الماضي . ويعود الفضل في ابطال اعتقاد الاقدمين كون الهواء من العناصر الاربعة الى العلامة Lavoisier الذي شرح وبيّن ان الهواء مركب من عنصرين اصليين ، وان التنفس عبارة عن احتراق اذ ان عمل الهواء في اضرام النار عين عمله في اضرام الحياة .

٢) P. Monsabré, *Confér.* 1871.

الكبير ، والشريف الحقير اصبح ، بفضل عقله ، ربّ الطبيعة وقيّمها يسخرها في ما يشاء ويستخدمها في خلق ما لم تخلق . اما انه اتخذ له خيلًا ومراكب ليست من حيوانها ، ونارًا ليست من جذلها وعيدانها ، واضواء ليست من شمسها وقمرها ؟ فلو لم تكن المعادن والنبات فانّى كان له ذلك ؟ اذن المعدن الركن والقوام ، والنبات والحيوان الكمال ، والانسان القيّم المسلّط على هذا البناء ، فاذا تضعضع البنيان بقيت الاركان ، وان خرّ سقفه تداعت الجدران. فلا غرو اذن ان قلنا ان الشمس والقمر والارض والمعادن والنبات والحيوان خلقت لمنفعة بني الانسان . فالارض والماء والهواء لا بد منها لحياة النبات ، والارض والماء والهواء والنبات لا بد منها لحياة الحيوان ، والارض والماء والهواء والنبات والحيوان لا بد منها لحياة الانسان الذي زانه الخالق ، عزّ وجلّ ، بالعقل والفهم والاختيار . فالكون كله مسخّر لخدمته وتحت قهره ومشيئته.

ولكن اذا نظرنا بعد اجمال القول الى جسد الحيوان ، وتاملنا اعضاءه ووظائفها ، ودققنا النظر في ما بينها من التعاون والتكافل والتناصر وحسن الاتقان والرونق المعجب والجمال ، اضطررنا بالرغم منا الى القول بوجود صانع حكيم قدير ، صوّر فاتقن ، وركّب فاحسن ، وبيّن لخلائقه قوته وحكمته واعلن . فهذا الانسان الصغير الجامع في شخصه خواصّ المواليد الثلاثة لا عجب اذا تميز عن المواليد عينها وفاقها بعقله وذكائه وارادته واختياره ودينه وتقواه وحسن اخلاقه ، وتوصّل بها الى معرفة ربه وخالقه ، واستخدام الخلائق في منافعه ؛ بينما اننا نرى الحيوان يبصر الشيء المصنوع ولا يستطيع نسبته الى صانعه ، والعمل المتقن ولا يقدر على ادراك ما فيه من حسن الصنعة والاتقان. واما الانسان ، وان جاهلًا اميًا ، فاذا ابصر الشيء المصنوع الذي لا عهد له بمعرفته ، وامعن النظر في اجزائه واقسامه ومادته وآلاته ، وتامل صنعته وكماله انتقل للحال بفكره الى صانع حاذق وقين ماهر ، ونسب اليه اجادة عمله واتقان تركيبه . ثم اذا نظر الى الكون الذي يقع تحت بصره وتدبّر عجائبه انتقل بفكره الى فاطره وموجده ، وايقن ان الكل عمله وصنع يديه . فاذا كانت الآلة الحقيرة يظهر فيها اثر صنعة صانعها ، افلا يظهر اثر الصانع الاعظم

مثبتاً في يد الانسان التي تنقبض وتنبسط متى اراد ، او في اذنه. وصماخها وصحنائها وقوتها على ادراك الاصوات ، او في العين وشبكتها وكثرة عروقها الدقيقة كل الدقة وحسن انتظامها وتقاربها وتجاورها ؟ فهذه الشبكة الحاوية في الميليمتر المربع من ٣٠ الى ٤٠ الف عرق تبصر في الثانية ٥٠٠ تريليون من موجات النور المنعكسة. فاي اتقان اعظم من هذا الاتقان الموجود في شبكة العين التي ترى وتميز الالوان والاشكال والانوار الباهرة والضعيفة ! فنيوتن بعد تامله مليًا آلة البصر قال: « او هل يجهل صانع العين معرفة شرائع النور والبصر ؟ »

هذا وانّ آلة الرؤية في كثير من الحشرات عبارة عن مجموع اعين ذات اشكال مربّعة او مسدّسة متقاربة متلاصقة في اتمّ النظام واكمل الاتقان . فالذبابة لها نحو من اربعة آلاف عين من هذه الاعين الصغيرة ، وللفراشة ام دود القز نحو ستة آلاف ، ولغيرها نحو ١٢ الفاً ؛ وبهذه الاعين كلها ترى الخطر المحدق بها من كل جانب فتهرب منه وتجتنبه.

ثم ان آلة السمع لها عجائبها ايضاً . ففي الصماخ انبوب منطوٍ يشبه صدفة الحلزون مشتمل على جليدات ، والجليدات مشتملة على نحو ستين الف عرق . وكل هذه العروق ممتدة كالاوتار ، وكلها متفاوت في الكبر والصغر ، والطول والقصر . ومن حدث صوت او حسيس اضطربت هذه العروق واهتزّت هذه الاوتار وادرك السامع ذلك الصوت او الحسيس . بل من يستطيع ان يفهم القوى المودعة في المعدة ويدرك كيف تهضم الاطعمة ؟ فكيف يتحول الطعام فينا دماً حاوياً هذه الكريات الحمراء البالغة في الانسان ٥,٦٠٠,٠٠٠ في الميليمتر المكعب ، الناقلة الاكسيجن الى انسجة البدن ، والكريات البيضاء الواقفة على الدوام بالمرصاد لجراثيم الامراض تقاتلها وتدفع اذاها ؟ ثم ان في المعدة خمسة ملايين من الغديدات يتحلّب منها العصير المعدي ويمتزج بالاطعمة والاشربة ليجعلها دماً جيداً صالحاً لغذاء الجسم ، يتجدّد في الرئتين ويتخلص مما علق به من موادّ فحمية او مائية او ليمفية بواسطة الهواء الحامل الاكسيجن ، فيكتسب بعد السواد لونه الاحمر القانئ الجميل . فالهواء والدم يمرّان بالتخاريب الرئوية البالغة ١,٨٠٠ مليون على الدوام وبلا انقطاع طول العمر . واعجب من ذلك العروق

الشعرية الدقيقة كل الدقة الممتدة في الجسم كله الناقلة اليه الحياة والنماء بواسطة الدم . فاذا غرزنا ابرة في جسمنا قطعنا مئات منها . وماذا نقول عن الخلايا البالغة نحو ٨٠٠ مليار ؟ بل في الجسم البشري نحو ٨٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠ من اجزاء مختلفة مركبة كلها يعمل في اتم الاتفاق ، فضلاً عن الحيوان والنبات وما فيهما من العجائب .

هذا النظام عمل عقل

ان هذا النظام العجيب السائد في الكون بين اجزائه كلها الكبيرة والصغيرة ، والشريفة والحقيرة ، صادرٌ ولا ريب عن عقل فائق كل وصف وادراك . فكل من أوتي سلامة العقل وصحة التمييز وسداد الحكم على الاشياء توصل بسهولة الى هذه النتيجة . ولكن اذا كانت ظلمة الشهوة تحول دون النظر الى هذا الكون البديع لتأمل محاسنه ضلّ المرء عن هذه الحقيقة وتجاهلها . ولسنا نقول : جهلها ، لان الانسان لا يستطيع ، لما فيه من العقل ، جهل امثال هذه الحقائق . اما اذا كان مريض العقل فحكمه يكون مريضاً ؛ لان العقل السليم لا يستحيل عليه معرفة مدبر الكون حين اذ يرى ما فيه من النظام . واقامة البرهان اذ ذاك سهلة عليه جداً لا تكلفه مشقة عظمى ؛ وذلك لان كل عمل متقن الصنع مركب من اجزاء متباينة ، واضداد متجاورة متناسقة جارية على وتيرة واحدة ونظام كامل متبع ما طرأ عليه خلل قط منذ الوف بل ملايين من السنين لا يعلم عددها احد الا الله وحده ربّ الزمان وسيد الاكوان ، لا بدّ ان يكون له من باب الضرورة علة مدبرة ترعاه وتحفظه وتحوطه .. وقد رأينا اتقان هذا النظام في عالم الكواكب ، والمواليد الثلاثة ، وجسم الانسان . فلو لم يكن لهذه العوامل العديدة المتباينة المتجاورة المتقاربة المتصاقبة المنتشرة في فضاء السماء وآفاق الارض سائس حكيم ، ومدبّر عليم يسوقها الى غايتها ، ويحفظ لها كيانها لتلاشت ودثرت ضرورة وبلا محالة .

اننا نعجب من تركيب عين واحدة ، واذن واحدة ، وجسم واحد ؛ ولكن ماذا يكون عجبنا اذا تاملنا عالم النبات ودققنا النظر في انواعه

الكثيرة ، وعالم الحيوان واصنافه المتنوعة ، وعالم الانسان وافراده المختلفة . ففي عالم الحيوان اكثر من ١٠٠,٠٠٠ صنف ، وفي عالم النبات اكثر من ذلك بما لا يقدر . فمن يستطيع احصاء كل صنف من الاصناف الدائرة والباقية والآتية ، وذلك منذ الوف وبعد الوف من السنين ؟ هذا وان العقل والعلم والاختبار يدلنا على ان الخلائق الحية ، موجودة كانت او مفقودة ، مركبة من اجزاء او بالحري من ذرّات متعددة ما اتت ولا تأتي ولن تأتي الى عالم الوجود من تلقاء نفسها ، بل كلها او بالاحرى كل فرد منها احتاج الى مبدع ومصوّر كله عقل وقدرة ليكوّن اجسامها من موادّ واضداد واجزاء متعددة ، ويعطيها اعضاءها المعدّة للنفس ، ولجذب الطعام ثم لهضمه ثم لدفعه ؛ ويهب لها اعصابها وعضلها وعظامها وعروقها وشرايينها واوردتها وقوتها على العمل . فهل يا ترى هذا المجموع العجيب وجد وحده بلا فعل عقل ؟ اليس هذا القول ضرباً من المحال بل حماقة الحماقات ؟ ان ڤولتر كان يتحاشى مباحثة الماديين وملاجّتهم ، ويقتصر على دفع اقوالهم وتزييف براهينهم بقوله : «املأوا كيساً تراباً ثم اجعلوا هذا التراب في برميل وامخضوه زمناً طويلاً فيخرج من البرميل تماثيل ونبات وحيوان .»

فمن من المعطّلة يجسر على القول : ان ساعة مثلاً ، او آلة تصوير ، او ابرة وجدت وحدها بلا صانع ؟ مع ان الساعة او آلة التصوير آلاتها اقل عدداً من آلات الاذن او العين . فاذا كانوا لا يجسرون على المجازفة في بتّ امثال هذه الاحكام ، فكيف يجازفون في قول اغرب من هذا القول ، ويدّعون ان ساعة هذا الكون ، التي مضى عليها الوف وملايين من السنين وهي جديدة ، وُجدت بلا صانع ؟ واذا كان الاتفاق الاعمى الذي ينسبون اليه خلق العالم لم يستطع منذ اجيال طويلة ان يوجد بيتاً بل كوخاً حقيراً ؛ فكيف اذن يعتقدون صحة ما يقولون ؟

بقي ان العالم صنع الله علّة العلل ورب المنظورات وغير المنظورات . فاذن لقد سفه القائلون : لا اله . قال الجاهل في قلبه لا اله ، واما الحكيم فيقول : ان في الكون الهاً حكيماً قديراً اوجد الاشياء من العدم ويحفظها على الدوام ويدبّرها ويحوطها بعنايته ، له المجد والعزة الى ابد الآبدين .

أمالي السنة : ٨

كلمة « توراة »

بقلم حضرة الاب ا. س. مرمرجي الدومنيكي

١

اصل معناها

مما لا ريب فيه ان اصل كلمة « توراة » ليس بعربي بل عبري . الا ان بعض القدماء من اهل المعاجم العربية تمحلوا ، حسب عادتهم المعهودة ، ردّها الى اصل عربي . ودونك ما انتجت مخيلتهم الخصبة : جاء في لسان العرب [1] ما هذا نصه : « التوراة عند ابي العباس تفعلة، وعند الفارسي فوعلة. قال: لقلة تفعلة في الاسماء وكثرة فوعلة... التوراة من الفعل تفعلة ، كأنها اخذت من اوريت الزناد ووريتها . وورد في «صبح الاعشى »: [2] « قال ابو جعفر النحاس في « صناعة الكتّاب »: وهي (اي التوراة) مشتقة من قولهم : ورت ناري ووريت واوريتها ، اذا استخرجت ضوءها . لانه قد استخرج بها احكام شرعة موسى (ع) وكان النحاس يجنح الى ان لفظ التوراة عربي . والذي يظهر انه عبراني معرّب ؛ لان لغة موسى (ع) كانت العبرانية ؛ فناسب ان تكون من لغته التي يفهمها قومه . »

فان كانت عبرية فمن ايّ فعل مشتقة ؟ الكلمة في هذا اللسان « *Tôrah* » اسم مشتق من وزن « أفعَل » المزيد وهو « *Hôrah* » وثلاثيه « *Yarah* » . وقد جاء هذا الثلاثي بمعنى « القى القرعة » في سفر يشوع بن نون (١٨ : ٦) وبمعنى « رمى السهام » في سفر سموئيل الاول (٢٠ : ٣٦) و« دلّ » (قضاة ١٣ : ٨) و « اوصى ، علّم » (خروج ١٥ : ٢٥) من ذلك جاءت « *Tôrah* » بمعنى

١) لسان العرب ، ج ٢٠ ، ص ٣٦٨

٢) القلقشندي : صبح الاعشى ، ج ١٣ ، ص ٢٥٤

« التعليم » والوصيـة » والشريعة » . ويظن ويلهوزن وغيره ان اول استعمال « Yarâb » كان للـدلالة على القاء القرعة والسهـام او الازلام في الهياكل ، لاستنباء ارادة الآلهة . وعليه فمدلول « Tôrâb » القديم كان طلب معرفة مشيئة الله وتدابيره ؛ مما كان على الكهنة ان يعلموه للشعب.

وتجاه هذا الاصل العبري ، اصول في غير العبرية من الالسن السامية . ففي الآرامية الكتابية نجد « Aurî » علّم ؛ وفي الحبشية الجعزية « H'arawa » القى ؛ وفي الحبشية الاحرية « H'arî » اعلام ، خبر ؛ وفي الأكدية « Arû » قاد ، و « Tarû » شريعة ؛ وفي العربية القرآنية « روى ورأى »

ذكر « توراة » في عهدي الكتاب المقدس

« Tôrâb » تطلق عند اليهود على كتب موسى الخمسة . وقـد سميت هكذا الآن اغلب مضمونها تشريعي . ومن اسمائها ايضاً : « Tôrât Elôbim » « Tôrât Yahvé ؛ sêfer Môsê ؛ Tôrât Môsê » . والربانيون يدعونها : « Miqra » قراءة ؛ و « hamîsah humsê battôrâb » خمسة اخماس الشريعة .

والاسكندريون ، ارباب الترجمـة السبعينيـة ، اطلقوا عليهـا لفظة « Pentateukos » اليونانية ، المركبة من « Penta » خمسة و « teukos » الغلاف او الكيس الذي كانت تحفظ فيه الكتب . وذلك ان « التوراة » لم تكن قديماً مقسمة ، بل مكتوبة في مجلة او لفافة من رق او غيره ، في غـاية الطول ؛ ولطولها هذا ، قسموها الى خمس قطع متعادلة ، او تكاد ، وضعوا كلًّا منها في غلاف . ولهذا سميت « Pentateukos » الخمسة غلف او اغماد .

هذا واعلم انه لا اليهود الفلسطينيون ، ولا الاسكندريون ، ولا غيرهم ، اطلقوا اسم « Tôrâb » او « Pentateukos » على جميع الاسفار المقدسة أو العهد القديم كله .

فعنـد اليهود كانت الكتب الالهية مقسومة الى ثلاثة اقسام كبرى هذه اسماؤها : « Tôrâb » الشريعة ؛ « Nebiyim » الانبياء ؛ « Ketûbim » الصحف . وتجد هذا التقسيم منذ ١٣٠ سنة ق.م. في مقدمة يشوع بن سيراخ لمجموعة امثال

جده .. وقد ورد ذكر هذه الاقسام في انجيل لوقا (٢٤ : ٤٤) لكن عوض « الصحف » هناك اسم « المزامير ».

وكل كتاب من الكتب المنزلة يسميه اليهود « *séfer* » سفر ، كما ورد في اشعيا (٢٩ : ١٨) ودعوا المجموعة كلها باسم شامل بصيغة الجمع « *Hassefārim* » الاسفار ، كما يرى ذلك في دانيال (٩ : ٢) واما العنوان الرسمي المحلّى به المجموع كله فهو هذه اسماء الاقسام الثلاثة المذكورة . وقد اخذوا الحروف الاولى من تلك الكلمات الثلاث وصاغوا منها لفظاً واحداً وهو «תנך» = «*Tanaḫ*» (بلفظ الكاف مثل الخاء) وهذا الاسم المتداول في كلامهم حتى اليوم ، ولا تسمع واحداً منهم يسمّي الاسفار كلها «*Tōrāh*»[1] (احفظ هذا).

اما ما اطلقه المسيحيون ، من يونان ولاتين ، على كل كتاب منزّل ، فهو « *Biblos* » او « *Biblisu* » كتاب او سفر ، المأخوذ من « *Bublos* » (*papyrus* ، بردي) لان الكتب كانت تخط غالباً على البردي . وهذا ما يقابل « *sifer* » العبرية . وعليه سميت الاسفار الالهية « *Biblia* » تجد لها ذكراً في سفري المقابيين ، في السفر الاول (١٢ : ٩) « *Ta biblia ta agia* » (الكتب المقدسة) . وفي السفر الثاني (٨ : ٢٣) « *E iera biblos* » (الكتاب المقدس) .

من اليونانية انتقلت الكلمة الى اللاتينية . لكنها ، مع الزمان ، بعد ان كانت جمعاً مجرّداً ، اضحت مفرداً مؤنثاً . وعلى هذه الصورة دخلت جميع اللغات الفرنجية الحالية « *bible, biblia* »

في الكنيسة الكاثوليكية تقسم الاسفار المقدسة « *Biblia* » الى قسمين كبيرين . يدعى اولهما « العهد القديم » الشامل كتب اليهود كلها ، والاسفار القانونية الثانية . وثانيهما « العهد الجديد : « *ai graphai* » الكتب ؛ وفي اللاتينية « *scriptura* »[2] اما المفرد « *e graphé* » (الكتاب) فيدلّ على

---

١) زيادةً في التحقيق سألنا حضرة الاب دورم ، مدير مدرستنا ، وبعض اساتذة الجامعة العبرية القدسية ، وغيرهم من المتضلعين من العبريات ، فكان جوابهم تصويباً لفكرنا .

٢) راجع الآيات الآتية : متى ٢١ : ٤٢ ، ٢٢ : ٢٩ : لوقا ٢٤ : ٣٢ : يوحنا ٥ : ٣٩ : اعمال ١٨ : ٢٤

نصّ خاصّ (لوقا ٤ : ٢١) ووردت احياناً باسم « *graphai agiai* » (الكتب المقدسة) (رومة ١ : ٢)

وقد ذكر فيه ايضاً الاقسام المهمة للعهد القديم ، مثل الشريعة « *Nomos* » والانبياء ، والمزامير (لوقا ٢٤ : ٤٤) او الشريعة والانبياء (اعمال ٢٨ : ٢٣) او الشريعة (اعمال ١٢ : ٢٤) [1]

« توراة » في القرآن وكتب تفسيره

هذه اللفظة كثيرة الورود في المصحف . ودونك بعض الآيات القرآنية مشفوعة بنصوص اشهر المفسرين:

سورة آل عمران ٢ : « وانزل التوراة والانجيل من قبل هدًى للناس . »

الطبري [2] جزء ٣ ، ص ١١١ : « يعني بذلك جلّ ثناؤه : وانزل التوراة على موسى ، والانجيل على عيسى من قبل الكتاب الذي انزله عليك . . . كما انزل الكتب على من كان قبلهما . »

عمران ٤٨ : « يعلّمه (لعيسى) الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل »

الطبري ٣ : ١٨٩ : « يعلمه « الكتاب » وهو الخط الذي يخطه بيده ، « والحكمة » وهي السنة التي نوحيها اليه بغير كتاب ، « والتوراة » وهي التوراة التي انزلت على موسى ، كانت فيهم من عهد موسى ، « والانجيل » انجيل عيسى ، ولم يكن قبله . »

---

١) في شأن كل ما بسطناه في هذا القسم من المقال ، اطلب المصادر التالية :

F. Brown *etc*, *Heb. et Engl. lex. p 434 et 435.*

Elmaleh, *Dic. heb. fran. c. 648 et 1681.*

Hastings, *Dict. of the Bible, t.I, p. 285 ; t.III, p. 64.*

Vigouroux, *Dic. de la Bible t.I, c. c. 1775-76 ; t.V, c. 50.*

» *Manuel biblique t.I, pp. 1-3 ; 298.*

H. Hoepfel O. S B., *Introductionis in sacros utriusque Testamenti libros compendium. Vol. II p. 1.*

٢) ابو جعفر محمد بن جرير الطبري : كتاب البيان في تفسير القرآن .

في القرآن كلمة اعم من لفظة «التوراة» وهي «الكتاب» فهي تارة تدلّ على الوحي من باب الاطلاق ، واخرى على التوراة وحدها ، ومرة على الانجيل بمفرده ، وطوراً على كليهما معاً ، وطوراً آخر على القرآن. وهاك بعض الايات والتفاسير المبيّنة لذلك:

سورة البقرة ٢٧ : « ولقد آتينا موسى الكتاب »

البيضاوي [1] ٢٧ : « اي التوراة »

عمران ٦٥ : « يا اهل «الكتاب» لما تحاجون في ابراهيم وما انزلت التوراة والانجيل الا من بعده . »

الطبري ٣ : ٢١٥ وما يليها : « يا اهل الكتاب » يا اهل التوراة والانجيل . « وما انزلت التوراة ، والانجيل الا من بعده » ... فكانت اليهودية بعد التوراة ، وكانت النصرانية بعد الانجيل . »

مائدة ٤٨ : « وانزلنا اليك الكتاب مصدقاً لما بين يديه من الكتاب »

الكشاف [2] ١ : ٢٥٨ : « فان قلت: اي فرق بين التعريفين في قوله: « وانزلنا اليك الكتاب» وقوله : « لما بين يديه من الكتاب » قلتُ : الاول « تعريف العهد » لانه عنى به « القرآن » ؛ والثاني « تعريف الجنس » لانه عنى به « جنس الكتب المنزّلة . »

بقرة ١١٣ : « وقالت اليهود ليست النصارى على شيء . وقالت النصارى ليست اليهود على شيء ، وهم يتلون « الكتاب »

الكشاف ١ : ٧٠ : « وهم يتلون الكتاب « الكتاب » للجنس »

عمران ٧٨ : « وان منهم لفريقاً يلوون السنتهم بالكتاب ، لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب . »

الطبري ٣ : ٢٣١ : « يلوون « يحرّفون » السنتهم بالكتاب « الوحي » لتحسبوه من الكتاب « الوحي »

---

١) القاضي ناصر الدين البيضاوي : انوار التنزيل ، في اسرار التأويل.

٢) جار الله محمود بن عمر الزمخشري : الكشّاف عن حقائق غوامض التنزيل ، وعيون الاقاويل في وجوه التأويل.

على ان القرآن قد ذكر من الكتب المنزلة ، ما عدا التوراة ، « الزبور والانجيل » :

النساء ١٦٣ : « وآتينا داود زبوراً »

الطبري ٦ : ٢٠ : « انه اسم الكتاب الذي أوتيه داود ؛ كما سمّى الكتاب الذي أوتيه موسى « التوراة » ؛ والذي اوتيه عيسى « الانجيل » ؛ والذي اوتيه محمد « الفرقان »

مائدة ٤٦ : « وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم مصدقاً لما بين يديه من التوراة وآتيناه الانجيل ، فيه هدًى ونور . »

الطبري ٦ : ١٧١ : « وانزلنا اليه كتابنا الذي اسمه الانجيل »

« توراة » في كتب المؤلفين المسلمين

لا يفهم من المعاجم القديمة ماذا يعنى بالتوراة وما تتضمنه . ففي اللسان والتاج وغيرهما لا شرح لها . على ان بعض المصنفين المطلعين على الاديان الاخرى ، وبعض المفسرين العصريين قد اتوا بشيء من الايضاح عنها . من ذلك ما جاء في كتاب صبح الاعشى ، للقلقشندي (جز ١٣ : ص ٣٥٣) : « وكتابهم (اي اليهود) الذي يتمسكون به « التوراة » وهي الكتاب الذي انزل على موسى (ع) وهو اول منزل على بني اسرائيل سمّي كتاباً ؛ اذ ما قبلها من المنزل انما كان مواعظ ونحوها . » ثم ورد في الصفحة التابعة من السفر المسفور :

« واعلم ان التوراة على خمسة اسفار :

اولها : يشمل على بدء الخليقة والتاريخ من آدم الى يوسف (سفر التكوين)

ثانيها : فيه استخدام المصريين بني اسرائيل وظهور موسى الخ . (الخروج)

ثالثها : كيفية تقريب القرابين على سبيل الاجمال . (الاحبار)

رابعها : فيه عدد القوم وتقسيم الاراضي . (العدد)

خامسها : فيه احكام التوراة بتفصيل المجمل . [1] (تثنية الاشتراع)
دونك الآن قولاً لاحد المفسرين المصريين ، وهو محمد علي الهندي ، في كتابه « *Holy Qurân* » (ص ١٤٠) [2]

« Taurât » is the name given to the books of Moses, or the *Pentateuch*, and hense, its correct rendering is hebrew word *Tôrâh*. The *Taurât* does not signify *the Old testament*, because the letter is the name of the whol collection of the books of Israelite prophets, and include the *Taurât*, the *Zabûr* and other books. The word *Kitâb* conveys, however, a more general significance, and signifies sometimes the *Old Testaiment* and sometimes the *Bible*.[3]

آراء بعض المستشرقين في الموضوع

PÈRE LAMMENS s. j. [4] :

« Parmi les livre' sai.ts, on accorde (dans le Qoren) une mention speciale à la *Taurât* ou *Pentateuque* des Juifs.

« Parmi les livres révélés et présentés comme tels, seul le *Pentateuque*

---

١) راجع ايضاً : تاريخ ابي الفداء (جزء ١ ص ٨٧) وكتاب « الملل والنحل » للشهرستاني (ص ١٦٣) ؛ وتقع في « صبح الاعشى » ايضاً (جزء ١٣ ص ٢٧٣ وما يليها) على كلمة عن الانجيل ، يعرف منها ما هو في نظر هولاء المصنّفين المسلمين . وفي خلالها ذكر « التوراة » بما يلي : « . . . وكتبوا عدد الكتب التي يجب قبولها ، والعمل بمقتضاها . وهي عدة كتب منها ، الاناجيل الاربعة المتقدمة الذكر ، و« التوراة » التي بايديهم (اي المسيحيين) وجملة كتب من كتب الانبياء الذين قبل المسيح (ع) كيوشع بن نون ، وايوب ، وداود ، وسليمان (ع) وغيرهم» (اذن «التوراة» في نظر هذا المسلم ونظر المسيحيين الناقل عنهم، كتاب متميّز عن كتب الانبياء الذين قبل المسيح ، وباولى حجة عن الانجيل. فاحفظ ذلك لوقته) .

٢) هو مولوي محمد علي ، الزعيم المسلم الهندي ، المتوفى حديثاً في لندن : وقد نقلت رفاته الى القدس ، فدفنت في جوار الحرم الشريف . وهذا عنوان مؤلفه بالانكليزية :
Holy Qurân. Containing the arabic text with english translation and commentary.
Lahore India.

٣) انظر ما يتبع ، في عين الصفحة من السفر المذكور ، ترَ ماذا يعني بالانجيل.

٤) Lammens s. j, *L'Arabie occidentale avant l'Hégire (Les chrétiens à la Mecque) p. 56. — L'Islam p. 56.*

(Taurât), le Psautier et l'Evangile sont spécifiés par leur nom dans le qoran.»

GOLDZIHER (١ :

« Mahomet a accueilli, quelqu'en fut la nature, les apports que lui fournissaient les contacts superficiels auxquels l'amenait son commerce, et il les a le plus souvent, mis en œuvre sans aucun ordre.»

MONTET (٢ :

« Il est absolument certain qu'il (Mahomet) n'a jamais eu entre les mains les livres sacrés des Juifs et des chrétiens »

KASIMIRSKI (٣ :

« Et il (Mahomet) ne possédait des Ecritures qu'une connaissance fragmentaire, telle qu'on la puise dans les entretiens et par ouï-dire.»

ان هذين المستشرقين « Kasimirski و Montet » قد ترجما القرآن الى الفرنسية . وقد ادّى الاول كلمة « توراة » دائماً بلفظة « *Pentateuque* » ؛ والثاني بلفظ « *La loi* » ؛ ولم يعبّرا عنها قط بعبارة « *ancien testament* » او بكلمة « *La Bible* » . اما « الكتاب » فترجمته إمّا « *Ecriture* » وإمّا « *Bible* » . فاحفظه .

---

١) Goldziher, *Le dogme et la loi de l'Islam.(Trad. fran. de* F. Arin) *p.* 12.

٢) Montet, *Mahomet. Le Coran, p.* 29.

٣) Kasimirski, *Le Coran. Introduction, p.* XXX.

(للبحث صلة)

ربلة وآخر ايام اورشليم

بقلم الامير موريس شهاب
امين دار الآثار اللبنانية

١

سبق لي ونشرت شيئاً على صفحات المشرق عن قادش ، ذلك الحصن المنيع ، الذي طالما وقف في وجه الجيوش المصرية من منتصف الالف الثاني حتى القرن الثالث عشر قبل المسيح . اما اليوم فسانتقل بالذكر الى بضعة كيلومترات جنوبي قادش ، حيث مثلت مدينة ربلة دوراً هاماً في أواسط الالف الاول قبل المسيح .

انقراض دولة الاشوريين

بلغت مملكة الاشوريين في القرن السادس ذروة المجد ، اذ انتشرت سطوة ملوكهم على القسم الاكبر من الشرق الادنى . فامتدت اراضيهم من جبال ايران حتى شلالات النيل وشواطئ البحر الاسود . وقد دانت لهم الممالك ، ومشت في ركابهم ، واصبحت نينوى محجّ الشعوب يؤمونها تحت عبء الاحمال الثقيلة تتبعهم قوافل لا اول لها ولا آخر مثقلة بالهدايا النفيسة لملك اشور الاعظم . وكان هذا الملك يفتخر بانه دوّخ الارض وغيّر شكلها ، فنقل الكلدان الى السامرة ، واهل السامرة الى ضفاف الخابور والى بلاد الايرانيين ، واشبع القربان من لحوم الاعداء ، بعد ان سلخ جلودهم ونشرها على اسوار مدنهم . ولم يكن لملك أشور من لذة اعظم من تقطيع اعضاء الاسرى ، وهم احياء ، او من تحويل الساحات العمومية الى غابات بشرية غرست فيها الاجسام على الاوتاد .

وكأن ملوك أشور في اواخر عهدهم بدأوا يتمدّنون شيئاً فشيئاً بعد احتكاكهم بمدنية الكلدان السامية . فأخذ احدهم ، اشور بانيبال ، يعزز الآداب والفنون ويخزن في قصره اللوحات التاريخية والدينية ، حتى هوت مكتبته انفس ما عرف في زمانه من العلوم، وازدانت قصوره بادق ما وصل اليه الفن الاشوري من النقوش والرسوم . ولكن ابى القدر الا ان يحقق فيه المثل السائر : على الباغي تدور الدوائر . فاتاه الويل من حيث لا يدري ، وتدفقت على مملكته من الشمال قبائل السيثيين فاغرقتها في بحر زاخر من البرابرة انتشروا في جميع انحاء المملكة فضعضعوا اركانها . وكادت نينوى تسقط بين ايديهم ، ويعملون بنفائسها السلب والنهب ، ولكنها لم تك سوى عاصفة هبت على حين غرة . ثم تفرق شمل السيثيين في ارجاء تلك المملكة الواسعة ، بعد ان وصل قسم منهم الى حدود مصر

حسب الاشوريون انهم نجوا من ايدي القدر ، فعادوا الى بطشهم . ولكن تلك الغزوة افاقت الشعوب المغلوبة من سباتها ، وخطت في اعينهم من قدر الغالب ، وقد اوشك ان يكون مغلوباً . وكان ملك اشور قد اقام نائباً عنه في بلاد الكلدان الملك نابوبولصر ، وارسله يوماً لمحاربة غزاة اتوا مملكة اشور من جنوبي بلاد الكلدان . وكأن نابوبولصر رأى انه قد حان له انتهاز الفرصة والحصول على الاستقلال التام في منطقته ، فاتفق مع الاعداء ، وارسل يستنجد بسياكسار ملك الماديين، وهم من شعوب البلاد الايرانية واعداء الاشوريين الالداء، فانجده سياكسار، وحدوده قريبة من عاصبة الاشوريين، فهاجم نينوى وحاصرها . وما وصل الخبر الى فرعون مصر نكو الا جند الجنود وهاجم البلاد السورية فلم يردعه رادع، بل اتفق مع الفينيقيين فكانوا له عوناً متيناً على احتلال البلاد . ولم يقف بوجهه الا يوشيا ملك يهوذا ، لانه كان قد حلف يمين الوفاء لملك اشور .

يوشيا ملك يهوذا حليف الاشوريين

اما نكو فلم يعبأ بمقاومة الملك يوشيا بل تابع سيره زاحفاً ، وكتب اليه : « مالي ولك يا ملك يهوذا لست آتياً اليوم لاحاربك انت ، انما لاحارب بيتاً

انا على خلاف معه ، الله امرني بالاسراع فلا تقف بوجه الاله الذي يرافقني لئلا تهلك. » (سفر الايام الثاني ٣٥ : ٢١)

ولكن أنّى ليوشيا ان يسمع خطاب الفرعون ، وهو يخشى بطش الاشوريين اكثر من وعيد مظاويهم بالامس . فحشد الجند وساقه من بلاد يهوذا الى بطاح مجدّو ، وهي قرب اللجون في مرج بني عامر . فالتقت جيوش يهوذا بالجيوش المصرية ، وحاولت عبثاً ايقافها عن زحفها الى الشمال . وقد اصيب يوشيا في خلال المعركة بسهم قاتل ، فارتدّ جنده القهقرى ، وتابع الفرعون طريقه غير ملتفت الى هذا العدوّ ، وقد سلخ عنه فرقاً مع قائد وجهها لاحتلال بلاد يهوذا . ولم يمض على معركة مجدّو الوقت اليسير حتى خضعت البلاد السورية من دانيها الى قاصيها لفرعون مصر وامتثلت لامره ، فحصّن القلاع الشمالية في جهة جرابلس - كركميش ، وعاد الى البقاع حيث اقام لنفسه معسكرًا في ربله . وما كاد الفرعون يحلّ في ربلـه حتى امّت معسكره وفود سورية جمعاء من اراميين وفينيقيين وعرب . وودى الفرعون ان يهوذا ، بعد قتل مليكه ، اتخذ لنفسه ملكاً يوآحاز بن يوشيا ، وما ذلك الّا دليل على ان اهل البلاد لا يزالون قائمين على عدائه . فارسل حالًا الى اورشليم احد قواده ، فنزع الملك من يوآحاز واقام بدلًا عنه صنيعة له يوياكيم اخا يوآحاز ، وساق الملك الخليع الى مصر اسيرًا .

هذا ما جرى من الحوادث في سورية . واما في مملكة اشور فما زال سياكسار يشدّد الحصار على نينوى ويقطع عنها الزاد ، حتى يئس ملكها من الخلاص ، وابى لعزة نفسه ان يستسلم لعدوّه فاضرم النار في قصره وهلك فيه مع بعض خواصه .

وقد استولى الماديون على نينوى سنة ٦٠٨ ، فاحرقوا معابدها وسلبوا كنوزها ودمّروا حصونها وذبحوا اهلها ، وتركوها قاعاً صفصفاً وقد ابادوها من حيّز الوجود . وبعد مرور قرنين من تسليمها ، مرّ بها جيش من الاروام ، ولم يخطر له ان نينوى مقرّ السيادة والبطش كانت على مقربة من معسكره .

وبعد زوال ملك الاشوريين اقتسم بلادهم سياكسار ونابوبولصر ، فحكم الماديون جهات اشور وقسماً من اسية الصغرى . وجُعلت بلاد الكلدان وسورية تحت سيطرة ملوك بابل . ولم يستقرّ الملك لنابوبولصر الا اوفد سريعاً الى البلاد

السورية ولده نبوكدرصر ليكف يد المصريين عنها لانهم في نظره عبيد لسلطنته كما كانوا عبيداً لسلطنة بعض ملوك اشور.

بنو يهوذا بين المصريين والكلدان

واما بنو يهوذا فانقسموا ، من الوجهة السياسية ، الى قسمين . كان القسم الاكبر منهم يميل الى محالفة المصريين ومعاضدتهم ، وقسم صغير يمثله ارميا النبي يتشبث بعدم معاندة الكلدان وبالخضوع لنبوكدرصر. واوشك ان يكون ارميا النبي وحيداً في رأيه ولم يمنعه ذلك عن التصلب به وانذار الملك والشعب بضرورة الطاعة لمشورته. واظهر ارميا في دفاعه عن رأيه ونبوته شجاعة نادرة اذ ان اعداءه، وخاصة الكهنة منهم والمتنبين، ادّعوا انه يرمي الشقاق في الشعب ويدعي النبوة كذباً وبهتاناً ، واضطهدوه حتى انهم حاولوا قتله « وقبض عليه الكهنة والانبياء وكل الشعب وقالوا لتموتنّ موتاً » (ارميا ٢٦ : ٥). فاجابهم ارميا بصراحته المعتادة : « هاءنذا في ايديكم فاصنعوا بي كما يصلح ويحسن لديكم . لكن اعلموا يقيناً انكم ان قتلتموني تجعلون دماً زكياً عليكم وعلى هذه المدينة وعلى سكانها لان الربّ ارسلني حقاً اليكم (ارميا ٢٦ : ١٤—١٦) . ولم ينجُ ارميا من ايديهم الّا بعد ان توسّط العفو عنه رجال من شيوخ الارض ، وحماه أحيقام بن شافان.

وكان ارميا يلوم الشعب لتركه عبادة خالقه قائلاً : « على عدد مدنك كان عدد آلهتك يا يهوذا وعلى عدد شوارع اورشليم نصبتم مذابح للخزي مذابح لتقتروا للبعل » (ارميا ١١ : ١٣). ويقول ايضاً « هل يغيّر الكوشي جلده والنمر حينئذ تقدرون انتم ان تصنعوا الخير وانتم معتادون الشر » (ارميا ١٣ : ٢٣) .

ثم ينتقل ارميا من لوم الشعب الى الاسف على مصيره وانذاره بقرب القصاص الالهي فيقول : « من لرأسي مياه ولعيني ينبوع دموع فابكي نهاراً وليلاً على قتلى بنت شعبي » (ارميا ٩ : ١) او انه يقول باسم الاله « اجارحٌ ملوّن الريش ميراثي لديّ فالجوارح عليه من كل جهة هلمي تجمعي يا جميع وحوش الصحراء تعالي الى الأكل . رعاة كثيرون قد افسدوا كرمي وداسوا نصيبي

وجعلوا نصيبي الشهي قفراً خرباً . جعلوه خراباً خراباً ينتحب اليّ . (ارميا ١٢ : ٩—١١) . وكان ارميا يعني بقوله الجوارح ووحوش الصحراء شعوب الكلدان والشعوب المجاورة ليهوذا ، وهي تتربص الفرص للانقضاض عليه ، ومنها امون وموآب وادوم . ولم يكتف ارميا بالتلميح الى الاعداء ، بل انه كان يشير اليهم بصراحة فيقول للشعب : هاءنذا اجلب عليكم امة من بعيد يا آل اسرائيل . . . امة قوية ، امة قديمة . . . جعبتها كقبر مفتوح . كلهم جبابرة . . . يأكلون كرمك وتينك ويدمرون بالسيف مدنك الحصينة (ارميا ٥ : ١٥—١٧) « هوذا صوت سمعة قد وفد واضطراب عظيم من ارض الشمال ليجعل مدن يهوذا دماراً مأوى لبنات آوى (ارميا ١٠ : ٢٢) « قد اشرف من الشمال شرّ وحطمٌ عظيم . هاءنذا ادمّر الجميلة المترفة بنت صهيون » (ارميا ٦ : ١—٢) « ساجعل يهوذا كافة في يد ملك بابل فيجليهم بابل ويقتلهم بالسيف . واجعل كل ثروة هذه المدينة وكل تعبها وكل نفائسها وكل كنوز ملوك يهوذا في ايدي اعدائها فينتهبونها ويأخذونها ويذهبون بها الى بابل » (ارميا ٢٠ : ٤—٥) .

انتصار نبوكدرصر على المصريين قرب كركميش

وطالما ناشد ارميا بني وطنه ليردعهم عن تعليق الآمال على المصريين ، فكان يصف جيش المصريين الزاحف فيقول عنه « من هذا الذي يطغى كالنيل وتلتطم امواجه كالانهار . مصر كالنيل تطغى وكالانهار تلتطم امواجها وتقول اطغى واغشى الارض وادمر المدينة والساكنين فيها . » (ارميا ٤٦ : ٧—٨)

ولكنه لا يرفع شأن هذا الجيش الا ليظهر لاهل يهوذا ان المصريين مع كل ما عندهم من السطوة والمقدرة لن يتمكنوا من التغلب على نبوكدرصر . فكيف بهم وهم شعب صغير لا قوة له امام جبروت الكلدان . وكان يصف لشعبه انكسار المصريين وخذلهم قرب كركميش فيقول عنهم « هيئوا المجنّ والمجنب وازحفوا للقتال . شدوا على الخيل واركبوا ايها الفرسان وانتصبوا بخوذكم . اصقلوا الرماح والبسوا الدروع . ما بالي رأيتهم قد فشلوا ونكصوا الى الوراء . قد كسر جبابرتهم وانهزموا انهزاماً ولم يلتفتوا . . . الخفيف لا يهرب والجبار لا يفلت . في الشمال بجانب نهر الفرات عثروا وسقطوا » (ارميا ٤٦ : ٣—٧) . (للبحث صلة)

رحلة من حلب الى الصالحية

بقلم الاب توتل اليسوعي

في ربيع سنة ١٩٣٠ ، قطعنا مفاوز البلاد ومسافاتها ، بين حلب والصالحية على الفرات ، وساعدتنا الظروف على حطّ الرحال ، تارة عند اهل الحيضر ، في دير حافر ودير الزور والميادين والصالحية ، وطوراً عند اهل الوبر ، في بيوت الشعر وعند كثبان الرمال الموارية انقاض المدن القديمة . وتعرفنا الى بعض الاهلين واستخبرناهم الاخبار ، وانكشفت لنا مناظر تلك البقاع المجهولة فاوقفتنا على اطلالها وانجادها وحزونها . ومن رمال البادية عدنا الى بيروت ، فالمكتبة الشرقية ، حيث المؤلفات العديدة ، على بلاد حلب والزور والجزيرة والفرات ، من حديث وقديم وعربي وافرنجي . وهي كالكنز الدفين والمعدن الثمين ، فاقبلنا على استخراج دررها واستنباط موادّها واعتمدنا عليها في الكلام

وان الموضوع لشهيّ ، في هذه الايام ، وأنظار الناس محوّلة الى بلاد الفرات : في الاشهر الماضية تمّت بناية جسره الكبير في دير الزور ، وفي الآونة الاخيرة اشرأبت الاعناق الى الجزيرة ولا تزال مشرئبة اليها حتى الآن ، مستقبلة الرياح الحاملة بخار النفط والبترول . فمن اين يأتي ؟ وعن اي طريق ؟ والى اي مصب ؟

على ممرّ الانابيب ، سوف يمتدّ خطنا الحديدي ، الواصل بين البحر المتوسط والفرات الاوسط . وهناك مجاهل من تلال حوت آثار مدن داثرة ، وطوايا تاريخ عريق في القدم ، تختلف عليها البعثات فتجري فيها الحفريات وتستكشف غوامضها وتستقرئها اخبار السلف ، فتهتدي بها متبعةً على مجاري الفرات

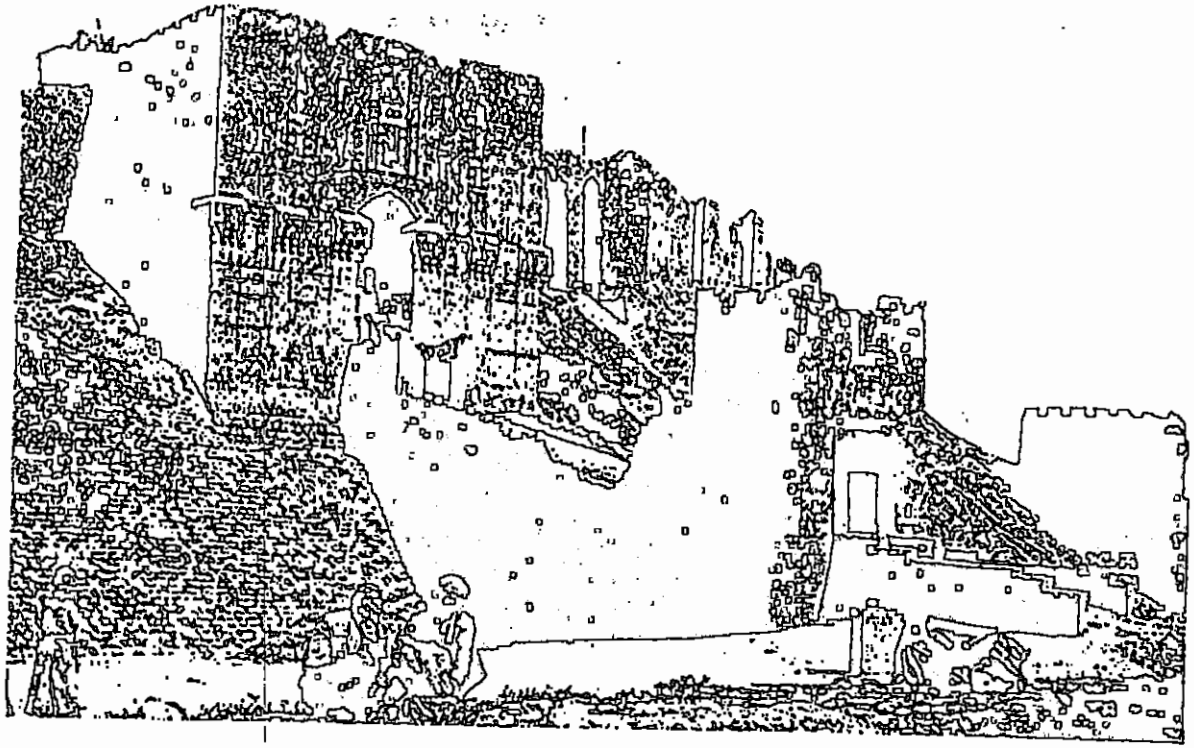

قلعة حلب

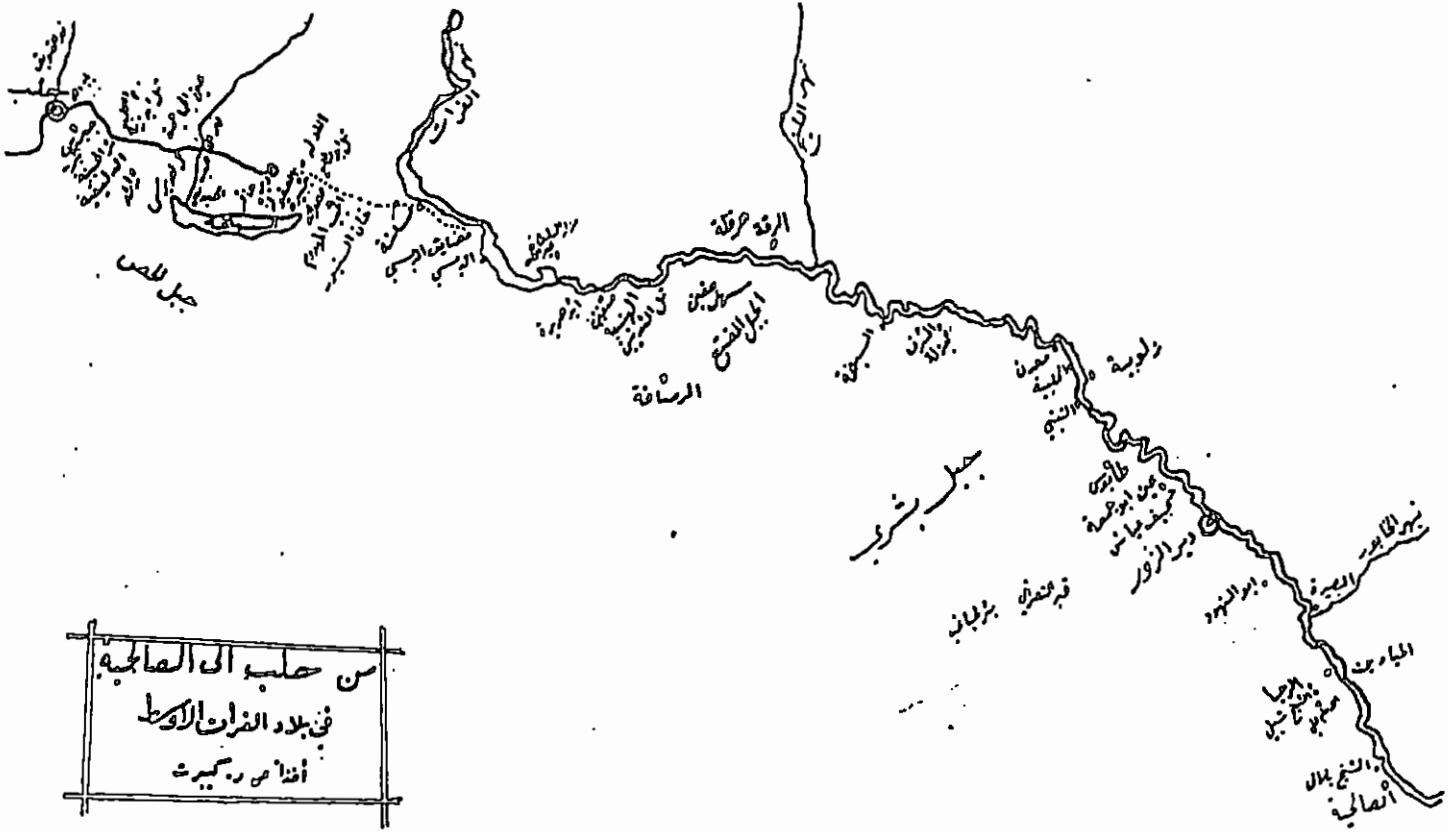

خارطة رحلة من حلب الى الصالحية

كسينوفون في رحلاته ، والاسكندر في فتوحاته ، وآثار المستعمرات الرومانية، والوقائع العربية بين الانجاد والبطون والقلاع والحصون.

فلا اقل من ان نلتفت الى النتائج التي بلغ اليها الرواد والمنقبون ، فنشارك اهل العلم بافراحهم ومغانمهم فيما يكتشفون ، ونهتمّ بعاديات بلادنا ، ليس فقط كالتجار ولكن كالعقلاء المشغوفين بالمعقولات ؛ فندرس معانيها ، وننظر اليها نظرة الابناء الحرصاء على ارث الجدود وآثارهم .

هذا والبحث في احوال تلك البلاد يمهد السبيل لوضع الكتب الجغرافية المدرسية ، والناشئة لا تزال بمسيس الحاجة اليها ؛ وقد يأتي الكثيرين من القراء ، بفوائد يجهلونها ، وهم في الغالب يعرفون عن بلاد مصر واوربة واميركة اكثر مما يعرفون عن بلاد سورية الشمالية وما بين النهرين. وان ما نود الكلام عليه لبرنامج واسع النطاق. ولا بدّ ان نكتفي منه ، اليوم ، بوصف رحلتنا على جناح السرعة ، والله الولي بالحلّ والترحال.

« على باب الله »

« باب الله » موضع في ظواهر حلب ، كان محطة المسافرين الاولى عند خروجهم من الشهباء نحو الشرق . وسار عندهم المثل « ذهب على باب الله » ، اي سافر في طلب الرزق . ومن تلك الناحية ، تمتدّ الطريق الى الفرات ودير الزور وبغداد .

وكانوا من اقل من عشر السنوات ، لا يقدمون على الرحيل منها الا بالعدد والعديد ، فتسير القافلات ، في المواسم المعهودة ، مزوّدة بجميع ما يحتاج اليه المرء لقطع البيداء وردّ هجمات اللصوص . وكان المسافرون يخرجون قبل الفجر من « الخان » ، فتستيقظ احياء البلدة لمرور الخيل والجمال ، ولخلخلة الجلاجل في الازقة . فيهرع الاولاد ويشرفون من نوافذ البيوت على موكب الراحلين . اما اليوم ، فرحيل ، ولكن لا خلخال ولا جلجال ؛ انما هو بوق السيارة يبوّق فيفاجئ الجمّال والبقّال في الاسواق ويستفزّ الكسالى النائمين.

وركبنا ستةً في سيارة فورد : اربعة انفار مسافرون ، والسائق ، والجندي الافرنسي

المعهود اليه بمرافقة البريد ؛ ومعنا ايضاً ، عدا امتعتنا ، اكياس مجيديات صدرها بعض التجار لكساد سوقها في حلب ، وهي لا تزال رائجة في البادية ، والعرب لا يقبلون الا المعدن الرنان نقوداً . اما زادنا فليس باكثر مما يتزود به راكب القطار الحديدي لسفرة نهاره .

خرجنا من حلب ، والقلعة على يميننا : لو اتيح لنا ، آنذاك ، ارتقاء تلها المهيب ، والصعود على مأذنتها ، لمتعنا نظرنا بما يتمتع به نظر البحار اذا تسلق ذروة الصاري واستكشف الافق ، ضارباً بمرامي النظر ، معدل المساحات في وجهه . امامنا سهل واسع الارجاء ، قاتم الالوان ، في خلاله بساتين الزيتون والفستق ، ومن ورائه تربة حمراء ، اسبلت عليها الحقول المزروعة حلة خضراء ، ومن بعدها بقاع جرداء تلألأت على جانبها القبلي سبخات الجبول ومالحها البيضاء المنعكسة عليها اشعة شمس الصباح . وابعد من ذلك ، نحو الشرق بشمال ، وادي الفرات الساقي اعالي الجزيرة ، المتقارب الى سورية الشمالية تقارب الرفيق ، كأنه يحدثها بآمال زيارته اراضيها ، واحيائه يورها . وهيئة ذلك السهل اشبه بالبحر الهادئ المتموج بموجات بعيدات المدى ، تشقه الطريق السلطانية ، بين صعود وهبوط الى ما وراء دير حافر

الى دير حافر

توجهنا نحو الشرق ، وقطعنا البساتين والكروم ، وحقولاً مزروعة ولكنها جدباء ، عطشى ، لان المطر الذي سيسقط في نيسان لم يكن بعد قد انعشها . هوذا ، في جوارنا ، آثار نيرب القديمة ، ثم جبرين . فتلظى مرجل السيارة وزمجر ، ونحن نرتقي من علو ٣٩٨ متراً الى ٤٧١ متراً فوق سطح البحر . واشار ميزان السرعة الينا بعدد الكيلومترات فاذا هي ستون ثم سبعون بالساعة . ويمكننا ان نواصل السفر بسير اسرع ، لولا وجود العمال المشتغلين في تعبيد الطريق ، واتقاؤنا وقوع المكروه . قطعنا محلة بئر الحسينية والدليقية وابوزنة ، وسرنا ، وعلى يسارنا تل الطيارة ، وام العمل ، وعلى يسارنا انقاض السفيرة ، وضيعة تريكية ، وراشد ومن ثم منخفض من الارض ، ومستنقع تنساب فيه ،

بين الحصى ، مياه عين الجماجمة ثم نهر الذهب . هذه البقاع كانت خصيبة ، عامرة ، آهلة ، في الزمان القديم ؛ لان طبقاتها تحت الارض تحوي من المياه ما يكفي مؤونة ريّ الارياف الواسعة . اما اليوم ، فقد غار ماؤها ، وسكتت طيورها ، وسكنت الحركة في حقولها . هناك مسافات خفق عليها لواء الوحشة فلا يقطنها انسي ولا جني ولا يرى فيها الا بعض الجمالين يسوقون جمالهم ويأتون باللبن والحليب والبيض فيبيعونها في حلب . اليك فرقة من مشاة العسكر السنغالي مع عدتها الحربية للمناورات العسكرية هذا خان القويرس ، وتل الحميمة[1] . واليك دير حافر . وهي محطة البريد الاولى بعد حلب . سلم المأمور كيس المكاتيب . ونظر السائق الى السيارة فاذ باحد دواليبها مفزور ، فهب لتصليحه . وما اكثر ما سوف يعود الى تصليحه طيلة الطريق ، لان علة الفزر هي مسمار انغرس في لحم المطّاط وظل على مدى ساعات يشكّ مصران الهواء ويعذبنا ، الى ان كشفنا عليه وقلعناه بعد تأخيرنا ساعات على الطريق . لكني لم آسف على الارباع الساعة الطوال التي كنا نقضيها في البادية ريثما يتم تصليح الدولاب كلما انفزر ، لانها كانت فرصة سانحة لتمتيع النظر بمشاهد الصحارى ، والتحدث تارة الى رعيان الغنم ، وطوراً الى العرب سكان بيوت الشعر .

وها اني نزلت اطوف قرية دير حافر . فيها سوق وجامع ومدرسة ومقبرة ؛ وبيوتها مبنية بالطين واللبن ، وماؤها غزير في ابيرة عمقها متراوح بين الاربعة والخمسة امتار . سكانها مسلمون الا رجل واحد ارمني يتعاطى فيها الحدادة والخبازة وله حانوت فيه شتى البضائع . رأيت ولداً حاملاً كتابه في خرجه الصغير ، فسألته :

— الى اين يا ولد ؟

— الى البيت .

— والمدرسة ؟

---

١) راجع خارطة هرتزفلد في الكتاب : الرحلات الاثرية لمؤلفيه ساره وهرتزفلد *Archäologische Reise im euphrat und Tigris Gebiet von* F. Sarre *und* E. Herzfeld, *Berlin*, 1911.

— انتهت ، اتينا الشيخ فصرفنا لعدم حضور عدد التلامذة الكافي.

فسألته الذهاب وايله الى استاذه. فمضينا ولحق بنا غيره من الاولاد ، وسرنا في طرقات الضيعة ، ضيقة ، ملتوية. وكنا نكشف على داخل البيوت وهي في الغالب متلاصقة الجدران ، ملتحمة الحدود ، غرفها للبشر ، وعرصتها للبهائم من بقر وجمال وغنم ودجاج. دخلت المدرسة ، فاذا الشيخ « المغربي » جالس على انفراد في الصدر ، وتلميذان قاعدان بالقرب من الباب ، يكتبان ، بينما سائر الاولاد سراحى مراحى على الطرق . نهض الشيخ مرحباً . فسألته :

— اين التلامذة ؟

— في المنتزه.

— لا بد انهم مجتهدون ناجحون ؟

— بلى . وها ان اثنين منهم على وشك ختم الكتاب .

وانقضى اسبوعان ، ومررنا بدير حافر إياباً . فاستوقفني احد الاحداث وقال :

— اليوم حفلة الختام في القرية ، تفضل وانظر.

فمشينا ، فاذا باهل الضيعة قد التأموا في فناء دار كبيرة ، والرقص والدبك قائم على قدم وساق ، بين الرجال والشبان ، والنساء اجمعهن سافرات يلتهين بالحديث ، واصابعهن تغزل الصوف ، والشيخ ، معلم مدرسة القرية ، يفاخر بتلميذيه خاتمي الكتاب.

وكان في ساحة القرية رجل من اعيانها فحدثني عن ماضي المدرسة وقال : كان لنا استاذ راقٍ ، فلم يتفق والاهالي فهجرنا ومضى . ويا ليت من يسعى لنا بانشاء مدرسة تعلم ، مع القراءة والكتابة ، الحساب واصول اللغة الافرنسية.

على طريق « الشول »

تركنا الجادة وتوغلنا في صحراء لا طريق فيها ، سوى آثار دواليب السيارات والمركبات ، المرسومة على الرمل بخطوط متشابكة . وربما تشعبت تارة الى اليسار وطوراً الى اليمين والتبس امرها ، فعنيت السلطة باقامة كثبان من الرمل

زهاء كل مئة متر ، هداية للسوّاق . ان مسالك الشول منها للشتاء ومنها للصيف . فطريق الصيف تجانب الفرات وتختصر المسافات ، وطريق الشتاء تتجنب المهابط والوديان وترقى التلال توقياً من الوحل . سرنا على تلك الرمال بسرعة معتدلة خشية ان نتهوّر في هاوية او نعثر بمرتفع ليس بالحسبان . لقد اخذت ادارة النافعة السورية تسعى بمدّ الجسور على الغدران التي تجفّ في الصيف وتتحول في الشتاء الى سيول عرمة ، ومهدت السبيل للسياحة بوضع انصاب حجرية نقشت عليها اسماء الامكنة المتصلة بالطرق ؛ وصارت توصف الطريق كلها شيئاً فشيئاً ، آخذةً بالاقسام القريبة من محطات المسافرين ؛ والعمل متواصل في تكملة تلك الشعب حتى تتم الطريق بين حلب والجزيرة .

ان من الصحراء مسافات شاسعة لا نعرف اسماء مواقعها المهمة الا بسؤال الربان عنها ، او بالاحرى بمطالعة ما كتبه عليها الرواد . اليك محلة العقولة ، واللاله ، ومعداته ، والجبيرة ، وتل ابو مطلع ، والجب المهدوم ، وخان السنيور . ومن ثم تنحدر الطريق من علو ٣٦٠ متراً الى ٣٠٨ ، حتى تبلغ مسكنة في علو ٢٣٢ . وقفنا . سلم موظف البريد المكاتيب . ولم ندخل الخان ، بل هناك حوانيت بنيت على طراز المدن في واجهة الطريق ، وفيها الحاجيات من اكل وشرب ووقود . من محطة المسكنة تتشعب الطريق جنوباً وتوصل الى اسكي مسكنه ، ذات المأذنة العالية على الجبل . اما نحن فواصلنا السير نحو الغرب ، وما عتمنا ان دخلنا مضايق الدبسي الملتوية كالافعى على جانب الفرات . وزمّر السائق خشية ان يفاجئ في كوع الطريق سيارة او قافلة . الارض والاكام حولنا بيضاء كلسية ، تنعكس عليها اشعة الشمس فتؤذي العيون ، وتمرّ عليها السيارة فتثير الغبار غيوماً . الفرات قريب ، وهو خفيّ عن العيون . حطت بنا السيارة على باب خان ابي هريرة . فشربنا ماء الفرات وواصلنا السير ، وعلى يسارنا مزار وهو قبة مبنية على جبل . وعند منحدر الجبل تتفرع الطريق فرعين ، احدهما يؤدي الى الرصافة جنوباً ، والآخر يلازم مجاري الفرات بعيداً عنها في اعالي الانجاد . في هذه الانحاء تعين خارطة هرتزفلد محلة الهنيدية ، وتل الثديين ، والمنيطر وهو في مستوى ١٦٧ متراً فوق سطح البحر . وهناك على مجرى الفرات ،

موقع خان الحلم ترده السيارات في الصيف وتتنحى عنه جنوباً في الشتاء ، في مرتفعات الجبل المضبع .

هذه قلعة سورية[1] ، وتلك محلة ابو قبي ، ومنها المشرف على الفرات وعلى البساتين الممتدة على جانبيه ، وهناك يتفرع النهر فروعاً وتسمى الاراضي زوراً . وعلى بعد من شاطئ الفرات الشمالي انقاض هرقة . ومنها الى الرقة مسافة قصيرة .

الرقة واقعة قريباً من الفرات ، في منتصف المسافة الممتدة بين هرقلة وبين نهر البليخ ، ساعد الفرات الايسر . من لنا بطائر يحملنا في جو تلك الانقاض ، ويحلق بنا عليها فنمتع النظر بآثارها . ولكن لا بد من الرحيل والاسراع لان رطوبة الاصيل انتشرت في الصحراء . سلمنا نفرين من فرسان الجندرمة بريد الرقة ، وواصلنا السير في الشول . والمخيلة تحدثنا بايام الروم وعساكرهم وهارون الرشيد وعزه ، اذ كان عمال البريد يمسحون البلاد حاملين اخبار الاقاليم واوامر الخليفة الى عماله .

تركنا اراضي الرقة وخضنا سهول صفين الشهيرة بالمعركة التاريخية التي اشتعلت نيرانها بين معاوية والي سورية وعلي بن ابي طالب في السنة ٦٥٧ م . وانفزر مطاط الدولاب مرة اخرى وعطشنا ، فتحول بنا السائق الى بيوت الشعر المضروبة هناك وهي لعرب الخميس . فاضافونا وأقرونا الزبدة والشنانة .

سألتهم : هل لاولادكم معلم ؟

قالوا : كانت الحكومة قد عينت لنا معلماً ، فاقام بيننا مدة ثم مضى .

لقد مالت الشمس على المغيب . حي يا سائق ! وطارت السيارة بسرعة وفطنة . ومررنا بالقرب من نصب شادته الحكومة هداية للمسافرين ، وعليه كتابة ، وتحتها صورة سهم موجه الى الشمال . فقرأنا هذه الكلمات : طريق الصحراء . وقرأها السائق بصوت سمعناه ، فكان كصوت الطفل اذا نادى امه وقد اشعر بقرب وقوع الخطر . الصحراء ! ارض التيه والعطش ، مسرح

---

١) راجع خارطة هرتزفلد .

الوحوش الضواري ، ومهبط الظلام واللصوص. حيٌّ يا سائق ! واخذت السيارة تنحدر من اعالي الآكام على طريق مكوّعة كانها في جبل لبنان ، وما هي دقائق الا ونحن في محطة السبخة وهي كثيرة الوحل في الشتاء. وقد اخذت الحكومة تمتني بعد طريق على اقبية ، تخترقها الاقنية وتصرف المياه عند سقوط المطر. بالقرب من السبخة محلة فيها نبع تدعى النخيلة .

استقينا وواصلنا السير . هناك يفيض الفرات ويروي واحات ، منها الزور الجبلي وزور شمر . ثم جزنا محلة العجيرة ، وقطعنا جزلة وبئرها ، والخميسية ومنها طريق الى مفاضة الفرات ، وناحية معدن ، ودرب الواوي ، والكسوبي، قريباً من الخابومة ، حيث المياه تجتمع في مجرى واحد ، متوجهةً الى الغرب ، ملتوية بين الحلبية والزلوبية وبين محلة الشيخ شبلي ، وتارة تنقسم عن حويقة ، وطوراً تجتمع قريباً من قرية التبني . هناك تنحدر الطريق الى مستوى ٩٥ متراً فوق سطح البحر ، ثم ترتفع مرتقية التلال المتاخمة انجاد جبل بشري . في ذلك الموضع يتحوّل مجرى الفرات من مهده القديم الى الشمال ، فيترك من بعده تربةً تتقشر قشوراً عند جفافها تحت اشعة الشمس الحارة . اليك نبع ماء واشجار وهذا الموضع يسمى مريم . ومن ثم محلة طابوس ، وعين ابي جمعة في علو ٦٠ متراً ، ومن بعد مرتفعات فيها موضع يسمى حجيف ماء عياش . واخيراً قطعنا جسراً وما هي عشر دقائق الا دخلنا دير الزور .

من دير الزور الى الصالحية

قصدنا الى الصالحية بمعية السيد المطران خودباش ، والاباء الافاضل الياس سالم ، خوري السريان الكاثوليك ، ويوسف جنانجي خوري الارمن الكاثوليك ، وجوستينيان الكبوشي ، والسيد ابراهيم جنانجي شقيق الخوري يوسف. سلكت بنا السيارة طريق بغداد ، فاجتازت جنوبي المدينة ومرّت بدار المكس. فقاطعنا احد رجالها سائلاً : الى اين ؟ فاجابه السيد ابراهيم « كزدره » ، ومعناها عندهم دورة او تنزيهة . صعدت الشمس الافق فلذعتنا باشعة كانت حرارتها تتنابنا مع برودة الصباح فتنعش البدن . لا فرق بين ما نراه في الصحراء اليوم

حلب كنا رأيناه بالامس ، الا اننا في سهل واسع ممتد على جانب الفرات ، يناهز عرضه الاثني عشر كيلومتراً بين شاطئ النهر والجبل . لما طغى الفرات وطاف طوفانه سنة ١٩٢٩ غمر هذه الاراضي ورواها . فزُرع بعضها قدرةً وما زالت اعشابها الى يومنا مرعى للمواشي . وفي سابق الزمان كان الفرات يسقي اسفل الجبل ثم « ازور » وغير مجراه ، وترك بينه وبين الجبل السهل المذكور . سفوح الصخور تلمع في الشمس من بعد كانها قطع الكافور وشقاقها تحوي اعشاش الطيور . سرنا ثلاث ساعات في السيارة ، فبلغنا انقاض البصيرة القديمة ، وحططنا في الميادين بين ارياف آهلة مزروعة وموقعها عند التقاء الخابور بالفرات .

في الميادين اقام الدنادشة بعد جلائهم عن بلاد بعلبك . بلغهم خبر قدومنا فوفدوا الينا مسلمين مستقصين انباء بيروت ومن فيها من باقي آلهم ، وقد تعرفنا اليهم ابان زيارتنا سجن الرمل .

على بعد ساعة من الميادين قلعة الرحبا ، فزرناها ، وزرنا في جوارها « مقام علي » ، واشرفنا على محلات عين علي ومزار الشيخ ابن مالك والشيخ سراج الدين والشيخ شبلي .

وضاق بنا السهل بين الفرات والجبل ، جنوبي الميادين ، فتوقلنا الهضاب وحولنا السير نحو الصالحية الى الشرق ، فوصلناها ساعة قبل الظهر . فاستقبلنا السيد نودي الافرنسي ، احد رجال البعثة الواقفين على اعمال الحفريات ، وجال وايانا في آثار المدينة القديمة « دوره اوروبس » . وهذه هي ابعد محطة بلغت اليها رحلتنا على شاطئ الفرات .

السوريون في فرنسة

في القرنين السادس والسابع للمسيح

بقلم الاب لامنس اليسوعي

٢

الله من واجبات حسن الادارة والسياسة في الدولة مساعدة تجارتها في الخارج ، والعمل على اقرار الثقة في اعتماداتها الوطنية . ولم يعدم السوريون هذه المساعدة في احتلالهم السوق الميروفنجية . فانه ، مهما انتقدنا على الامبراطورية البيزنطية كثرة ضرائبها وشدّة جباتها ، فلا يسعنا الا الاقرار بالحماية التي كانت تشمل بها رعاياها في الخارج . اذ كانت تعتبر التجّار منهم كالمدافعين عن الفكرة الامبراطورية وناشري النفوذ البيزنطي . ثم ان المشاكل النقديّة وتقلبات العملة لم تكن ، في ذاك العصر ، اقل تأثيراً حيوياً منها في عصرنا . وقد كان لبيزنطية ، في هذه النقطة ايضاً ، مركز سامٍ متميز عن مركز سائر الشعوب بفضل ما كانت تبديه دائرة المالية فيها من الدقة وحسن الادارة . وانه لمظهر عجيب في التاريخ العالمي ان تكون تلك الامبراطورية لم تتأخر مرة واحدة مدة ثمانية قرون عن دفع ما عليها . واذا كانت الثقة باعتماداتها عظيمة في الخارج ، وكانت عملتها جارية في كل مكان . وفي جميع المعاهدات والاتفاقات المعقودة بينها وبين غيرها من الدول ، كانت سياستها الامبراطورية تحتفظ باحتكار سكّ العملة الذهبية احتفاظها بحق قيصري . حتى ان دولة الساسانيين ذاتها ، عدوّتها التاريخية ، كانت تقرّ بهذا الحقّ وتخضع لهذا الشرط . فكان ذاك الانتصار المالي يعزّي قياصر القسطنطينية عن انكساراتهم الحربية ، فيفتخرون بانهم لا يزالون السائدين على العالم .

وكم كانت مفضلةً هذه السياسة الثابتة المستديمة على التجّار السوريين ،

وسط الاضطراب المالي العامّ الذي ولي الاكتساحات البربرية . فان الصيارفة والتجار السوريين كانوا الحاصلين وحدهم على العملة الجارية في العالم كله. فكانت الثقة كلها فيهم والحركة الصيرفية متجهة الى مؤسساتهم . وهل كان بامكانهم الا يستفيدوا من ذلك . على ان الغاليّين كانوا ينظرون الى تلك الحالة من جهة معاكسة ، فيتذمّرون منها ويحتجون على المضاربات والتلاعبات المالية التي يقوم بها السوريون . ونحن نقول القول نفسه اليوم عن الاميركيين والهولنديين والانكليز الذين يهزأون باحتجاجاتنا ، وينسبوننا بدورهم الى روح التسلّط وحب السيادة على الكون . وان المؤرخ يخطأ خطأً فظيعاً اذا بنى احكامه على شهادة فريق واحد . وبايّ حقّ يمكنه ان يفرض التجرّد الانجيلي في قوم هجروا اهلهم وبلادهم في سبيل الربح والثروة ؟

واني ارى احد كهنة مرسيلية في القرن الخامس ، المدعوّ سلفيانوس ، يقع عن غير قصد في هذا الخطأ المشار اليه . فيسمعنا لا صوت الاخلاقي المسيحي فحسب ، بل احتجاج الوطني الغالي ايضاً . وان هذه الصفة المزدوجة كانت ابعد من ان تحمله على الرفق والعطف . فهو ينقضّ ، في احد احتجاجاته الشديدة اللهجة ، على مساوئ الاخلاق وارباب المفاسد ، فينحي باللائمة على الغاليين والفرنج ، ويصل الى السوريين « الذين احتلّوا بجمهورهم جميع المدن »

« *Syrorum turbas qui majorem ferme civitatum universarum partem occupaverunt.* »

وذلك دون ان يميز او ان يجتهد في التمييز بين السوريين وسائر الشرقيين. ومن الصعب الاعتقاد بان السوريين وحدهم كانوا يحتلّون مدن غالية . ولكن مهما يكن من أمر فان سلفيانوس يتّهمهم جميعاً بانهم لا يفتكرون الا بالدسّ والكذب والخداع ؛ وانه ليس من اعمالهم ومآتيهم ما يمكن نسبته الى التجرّد والاخلاص ؛ « وانهم يعتبرون كلاماً ضائعاً كل ما لا يفيد مصالحهم .»[1]

si non perire admodum verba autumant quæ nihil loquentibus prosunt.»

وهو ينسب الفرنج ايضاً الى الخيانة والمكر والخنث ؛ وكل القطعة على هذه

١) مجموعة الآباء اللاتين ، لبن ، المجلد ٥٣ ، العمود ٨٧

الوتيرة من الاحكام القاسية التي تظهر ان الاخلاقي المرسيلي لم يكن ليتحفظ في اطلاق كلماته . ومما لا شكّ فيه ان سلفيانوس عاشر بعض السوريين فابغضهم جميعاً . ولكن ما يهمّنا خاصة هو شهادته عن اهمية الجوالي السورية اذ ذاك ، وانتشارها في انحاء غالية . ومن المرجّح انه كان في مرسيلية ، وهي ميناء الشرق ، جالية مهمة . وفيها قد يكون سلفيانوس عرف السوريين . ولو ترك هؤلاء مذكراتهم لعرفنا كيف كان اصحاب المكوس وارباب الجمارك المرسيلية يعاملون مهاجري الشرقيين . ونحن نعرف مهاجراً فقد قسماً كبيراً من بضاعته ، وكان وسقاً من الزيت ؛ ونعرف انه شكا من تلك الظلامة وطلب تحصيل حقّه ؛ ولكننا لا نعرف هل نال ما طلبه .

التأم في نربونة ، في اواخر القرن السادس ، مجمع نرى في خلاصة اعماله ذكراً لليونان والسوريين بين الشعوب القاطنة الجهة النربونية من بلاد غالية . وان هذا الذكر يفيدنا ما تحقّقناه سابقاً من وجود جوالي السوريين وتنظيمها كشعب او جماعة مقرّرة . ويفيدنا ايضاً اهمية هذه الجوالي من حيث عددها ونفوذ ابنائها . والا لما فهمنا اهتمام المجمع النربوني ، وهو يسنّ الشرائع لجميع المؤمنين ، بان يسميهم خاصة الى جنب «القوط والرومان» ، اهمّ العناصر التي كانت تؤلف جمهور السكّان في غالية الجنوبية . ونرى ايضاً بارتياح ان المجمع ميّز بين اليونان والسوريين ، فنأسف الّا يكون كتّاب الغاليين لجأوا دائماً الى هذه الطريقة في التمييز . وهم لو فعلوا لتجنّبوا كثيراً من التشويش والابهام ، ولأمكنونا من ان نعطي ما لقيصر لقيصر ، وما للسوريين للسوريين بكل عدالة وانصاف .

كان يجري في تلك الجوالي السورية حوادث غريبة منها ما يقرب من نوع الروايات يختلط فيها الهزل بالجدّ ، ولا يكون افضل دور فيها من نصيب الوطنيين الغاليين . من ذلك ما جرى للسوري أوفرون الذي كان مقيماً في بوردو في منتصف القرن السادس ، قبيل عقد المجمع النربوني . ووجوده هناك يدلّ على ان للسوريين موهبة خاصة في فهم الجغرافية التجارية ، واكتشاف مراكز الاعمال الرابحة ؛ فانهم بعد ان نزلوا مرسيلية ، وانتشروا في وادي

الرّون ، وصلوا الى مينـاء بوردو ومنها الى وادي الغارون . كان اوفرون المـذكور قد حصل ثروة طـائلة ؛ فاراد اسقف بوردو ان يدخله في رجال اكليروسه. ولم يكن للسوري ادنى استعداد يدفعه لقبول الدرجات الكهنوتية ، ولا يشعر باقل ميل الى الحياة الاكليريكية. على ان هذا لم يمنع الاسقف من الزعم انه اعرف من الرجل بدعوته الدينية ، وغايته ، في كل ذلك ، ان يصل الى ثروته الطائلة ، كما يقول غريغوار التوري (*inbiens facultatem ejus*) . فنجح بان قصّ شعر اوفرون كي يعدّه لقبول الدرجات . فما كان من هذا الا ان هرب من المدينة مدة ، ولم يرجع اليها حتى عاد شعره فنبت وطال.

على ان مصيبته لم تقف عند هذا الحدّ. كان عنده ذخيرة من بقايا القديس سرجيوس . وهو قديس مشهور في سورية يضـارع القديس جرجس في سعة الذكر . يشهد بذلك انتشار اسم سركيس ، وهو تصحيف سرجيوس ؛ وان بني تغلب كانوا يتقدّمون للحرب ، وامامهم لواء القـديس ؛ وأنه بنيت على اسمه مدينة سرجيوپوليس التي حفظت آثاره ، وهي المدينة التي كان يدعوهـا العرب الرصافة ، وموقعها شمالي بلاد تدمر ، قرب الفرات . فحـدث يوماً ان شبّت النار في الحي الذي كان يسكنه اوفرون في بوردو ، فالتهمت المنـازل جميعها إلّا بيت السوري المذكور . فانتشر الخبر ان ذخيرة القـديس سرجيوس المذكور تجعل حاملها سالماً من جميع المخاطر ، فاغتنم اعداء اوفرون تلك الفرصة، وابلغوا الخبر ارباب السلطة في المدينة فانتزعوا منه ذاك الكنز الثمين.

وهاكم في ما يلي مظهراً آخر من مظاهر الهجرة السورية في غاليـة . ان جميع السوريين لم يسعدوا بالحصول على الملايين كاوفرون المذكور ، ولكنهم لم يفقدوا صفاتهم الاصلية وعاداتهم الشعبية لاسيما حبّ الضيافة الذي شهرهم في بلادهم وحفظوا تقاليده المجيدة حتى في ارض هجرتهم ، كما نرى في سيرة القديس كولومبان . كان الملك تياري الثاني قد نفاه من ارضـه ، فوصل مع رفاقه الى اورليان . ولم يكن احد من سكان المدينة يجسر فيأويه في بيته او يحسن عليه بقطعة خبز ، خوفاً من الملك . فجعل القديس ورفـاقه يهيمون حزانى في اسواق المـدينة ، حتى صادفتهم امرأة سورية . فشعرت بجيرتهم ،

وسألتهم من هم وماذا يريدون . فاجابوها انهم غرباء مطرودون ، وانهم عبثاً كانوا يطرقون جميع الابواب . فقالت السورية « ادخلوا ، يا سادتي ، بيت خادمتكم لتجدّدوا قواكم . فانا ايضاً غريبة ، أتيت من بلاد الشرق البعيدة » «ex longinquo Orientis solo» . فتبعوها فرحين واستراحوا في بيتها بينما كانت تعدّ لهم الطعام . وقد صادفوا في البيت شيخاً اعمى عرّفته اليهم قائلة : « هو زوجي ، وهو ايضاً سوري المولد «ex eodem genere Syrorum sicut et ego.» وانا ارافقه في كل مكان منذ فقد نور عينيه من سنين طويلة « quem per multorum curricula annorum luminibus privatum trabo.»[1]

ولم ترد المرأة الصالحة ما يمكننا فرضه وهو انها كانت تقوم بنفقة البيت من عمل يديها . أوَ ليس في هذا غاية اللطف ومنتهى الفضيلة والبساطة ؟

وقبل هذا الحادث ببضع سنوات ، زار اورليان الملك غونتران ، فتلقته الجالية السورية بالابتهاج ، وسارت للقائه رافعة اعلامها وراياتها ، منشدةً الاغاني والاهازيج ، هاتفة بلغتها الاصلية اي اللغة السريانية . وكان السوريون ، مع حفظهم هذه اللغة ، يصطنعون في معاملاتهم التجارية اللغة اليونانية ، دون ان يهملوا اللغة اللاتينية التي كانت قد صارت لغة البلاد . فيظهرون من ذلك العهد ، استعداداتهم العجيبة لحفظ اللغات المختلفة . اما في استقبال الملك غونتران ، فتكلموا ، كما قدمنا ، لغتهم الاصلية التي كانوا يتحادثون بها في مجتمعاتهم الخاصة ، وانشدوه دون شك قطعاً مأخوذة من تراتيلهم الطقسية .

تدلّ هذه الحوادث على انه كان في اورليان ، كما رأينا في مرسيلية ونربونة ، جالية سورية وافرة العدد . وهي تُذكر الى جنب لاتين اورليان ويهودها ، فتؤلف احد العناصر الثلاثة المهمة في سكان البلدة . وتراها منظّمة ، مستقلة محافظة على لغتها وعاداتها . . . وعليه فلم يبالغ كثيراً سلفيانوس اذ صوّر السوريين يحتلون اكثر المدن الغالية « majorem partem universarum civitatum » .

ولم يكن مهاجرو السوريين ليصرفوا اهتمامهم عن ليون وهي من كبرى حواضر غالية . واننا نرى الرُقُم تذكر ، قبل سقوط الامبراطورية الغربية ،

١) مجموعة الآباء اللاتين ، لمين ، المجلد ٨٧ ، ص ١٠٣٥

ان في ليون جالية شرقية مهمة. وليس هناك ما يدفعنا الى الظنّ ان هذه الجالية اضمحلت بعد الاكتساحات البربرية . ونحن نرى ايضاً في الرُقم الليونية اسماء نساء سوريات تزوّجن برجال من قدماء الجند الروماني. وقد اكتُشف في انكلترة لوحة تعلو قبر امرأة غالية زوجة رجل سوري . وكذلك احدى قبريات ليون تذكر رجلًا اسمه قسطنطين ، اصله من مدينة جرمانيقية ، وهي مرعش الحالية. وتذكر قبرية اخرى اسم ك . فاليريوس انطيوخوس ليبانيوس ، وهو اسم ، على هيأته اللاتينية ، يدل على اصله السوري ، بل اللبناني على الارجح . ولعل صاحبه كان من فنيقية اللبنانية ، تلك المقاطعة التي كانت تشمل حمص ودمشق وانتيلبنان ، دون ان يدخل فيها لبنان المعروف . وبواسطة الرقم الليونية نقف على وجود رجل يدعى يوليانوس اما اسمه السوري الاصلي فهو تيم بن سعد . وقد كان من اعيان بلدته كَنَتا ، وهي اليوم قنوات في جبل الدروز . ثم جاء ليون وانصرف للتجارة في منطقتها حتى اصبح يملك عدّة معامل ودوائر تجارية في وادي الرون ، وكانت علاقاته تمتد حتى مقاطعة اكيتانية . وفي العصر نفسه ، على عهد الامبراطورية الاولى ، تتحقق وجود سورية في بيزانسون ، رتمت على نفقتها هيكل هرمس وأروقته . وفي العصر الميروفنجي ، لم يتأخر مهاجرو السوريين عن مساعدة المعابد المسيحية ، ويرى غيلزر (Gelzer) ان بعض كنائس الفرنج مدينة بافضل ما في كنوزها لسخاء — او كما يقول الاستاذ الالماني — « لرساوس ضير التاجر السوري . » ولا شك في ان كثيرًا من الآثار الفنية في كنوز كنائس القرون الوسطى شرقية الاصل. وقد كان المثري أوفرون المذكور سابقاً من كبار المحسنين لكنائس بوردو . وسنرى غيره من السوريين يغارون كثيرًا على المناصب الاكليريكية ، غيرة لم تكن دائماً مجرّدة .

وان العبادة المسيحية تذكر دائماً للسوريين استعمالهم صورة المصلوب ؛ لا الصليب الراقي الى فجر النصرانية ، بل تمثال المسيح المعلق عليه . فاننا لا نتحقق وجود المصلوب ممثلًا على الصليب ، قبل القرن السابع ، الا في سورية ، ومنها نقلها المهاجرون الى كنائس غالية. وقد بيّن ذلك الاستاذ بريهيه

(Bréhier) بما ليس بعده زيادة لمستزيد ، ولا يتحمل النقض ولا النقد .

وكان في مدينة تور ايضاً جالية سورية في عصر الميروفنجيين . نشعر بذلك اذا ما تصفحنا كتابات غريغوار التوري ، وهي مجموعة ثمينة لا بدّ من درسها لمن اراد ان يدرس انتشار الشرقيين في ذاك العصر . ويظهر ان مؤرخ الفرنج هذا قد عاشر السوريين مدة طويلة ، فهو يذكرهم دائماً ، ويقرّ بان احدهم ساعده على ان يترجم الى اللاتينية قصة اصحاب الكهف او السبعة النائمين في افسس ، التي كانت منتشرة كل الانتشار في بلاد الشرق . ومن عجيب الاتفاق انه بينا كان غريغوار التوري يُدخل ، بمعاونة احد السوريين ، تلك القصة الى الآداب الغربية ، كان محمد يترعرع في مكة ، فسمعها هو ايضاً من تجار السوريين وتأثر بها تأثرًا شديدًا حتى انه لم يتردّد في ادخاله قرآنه في ما بعد ، جاعلًا منها برهاناً قاطعاً على عقيدة قيامة الاموات .

يذكر المؤلف تيودوريطس[1] ان جميع حوانيت رومة كانت تعرض ، بين سلعها ، دُمى تمثل القديس سمعان العمودي الانطاكي الشهير . على اننا نجهل هل ادخل السوريون هذه العادة في غالية الميروفنجية . ولكن هاكم شاهدًا غريباً على ما اتصفت بهم جاليتهم في باريس من روح الجرأة والاقدام .

في بوردو ، لم يكن للثري أوفرون السوري الّا ان يشاء فيرقى الدرجات الاكليريكية ويرث كرسي اسقف تلك المدينة . اما في باريس فاننا نرى احد مواطنيه المدعوّ اوسابيوس يطمح الى الاسقفية ، فيشتري اصوات الناخبين الذين لم يتردّدوا في قبض ماله ، واناله ما شاء . ولم يستقرّ به المركز ، على قول غريغوار التوري ، حتى صرف جميع موظفي الكرسي الاسقفي وابدل بهم مواطنيه السوريين . وهو عمل في النهاية من الجرأة لا نعرضه هدفاً للاعجاب ، ولكنه يدلنا على ما وصل اليه السوريون من النفوذ والتأثير وما اختصوا به من الحركة والاقدام في فرنسة في القرنين السادس والسابع .

هذا ويجدر بنا ان لا نقف عند هذا المشهد . فانه ، وان لم تكن اعمال السوريين في فرنسة مرتفعة دائماً الى الغايات النبيلة — ولا عجب في

[1] الآباء اليونان ، لمين ، المجلد ٣٢ ص ١٤٧٢

ذلك ! — فيجب الّا تنسى الخدمات الجليلة التي ادّوها لبلاد هجرتهم في اوائل القرون الوسطى ، عصر القلاقل والاضطرابات . وان جميع الشعوب التجارية والمستعمرة ، بينا تفتّش عن مصالحها الخاصة ، وتسير لتحقيق منافعها الشخصية ، نراها تعمل ، من غير ان تشعر احياناً ، على ادخال الحضارة واقرار المدنية ، وتعزيز العلاقات النافعة بين الشعوب . لما تقرّر من انه لا تتلاقى مدنيتان الّا تأثرت كل منهما بالاخرى فاستفادتا جميعاً . ويصف لنا سيدوان اپولينار سيدة غالية تحلّ مردنها على طريقة السوريّات ، وتخالف في نولها بين خيوط الذهب والحرير المستورد من بلاد الشرق . وكذلك كان لسورية فضل اطلاع فرنسة على القطن الذي لم تصدره مصر الّا بعد ذاك بزمن طويل .

رأينا ان سلثيانوس بعيد من ان يظهر العطف على مهاجري السوريين . ولكنه بعيد كذلك ، مع معاصريه من الغاليين ، من ان يظهروا اعتباراً لاسيادهم البرابرة الذين باتحادهم مع العنصر السلتي ولّدوا الشعب الفرنسوي الحاضر . اما السوريون في فرنسة فكانوا يمثلون اذ ذاك العنصر المتمدّن الراقي ، فخفّفوا بذلك من غلواء البربر وارقفوا نوعاً ما تقدّم البربرية . وكانوا اقرب الى الغاليّين ، من هؤلاء الى قبائل الجرمان المكتسحين ؛ فعملوا على تمريد الفرنج والقوط والبورغوند حياة الهدوء والرخاء ، حتى لطّفوا اخلاقهم ومدّنوهم . ثم ان تجّار السوريين ، وان لم يكونوا من غواة الاعمال العقلية ولا الفنانين ، فقد أخروا انحطاط الثقافة اللاتينية القديمة ؛ وعملت جالياتهم على حفظ اللغة اليونانية في بلاد غالية ، بل على تقدّمها ايضاً . اما ما افادوه الغاليين من حيث التأليف فلا يمكن ان يكون توقف على قصة اصحاب الكهف . وان جميع ما ذكرناه ، حتى تدخلهم في الشؤون الكنسية تدخلاً كثير الجرأة بعض الاحيان ، يظهر ان السوريين لم يحصروا حركتهم في محيط التجارة فحسب وقد قال بريهيه (Bréhier) « انهم اتوا الغرب بنظريات جديدة فادخلوا الى غالية ، بفضل نفوذهم ، طرق الشرق في هندسة البناء الدينية ، وفي التصوير والرسم ، وعمل الايقونات ، بل في الافكار الدينية ايضاً . » وان هذه الخدم لجديرة بان تُذكر فتُشكر .

البيتو اللبناني

بقلم انطوان باز
المهندس من المكتب الافرنسي في بيروت
ومن مدرسة الكهرباء العليا في باريس

١

لا ريب في ان نجاح كل دولة متوقف على حسن سياستها ، ونشاط زراعتها ، وازدهار صناعتها ، ونموّ تجارتها . . فما كان يا ترى نصيب لبنان وسورية من ذلك قبيل الحرب ؟ شيئاً قليلاً لم يكن يكفي لنجاحهما وسعادة اهليهما . يقولون ان سهولنا ، بمحصولاتها ، طالما كانت مؤونةً لبلاد الرومان ، وان صنّاعنا من نحّاسين وحيّاكين ونحّاتين طار صيتهم في المشرق والمغرب ، وان الفينيقيين كانوا لتجّارنا اجدادًا واسلافاً . . . ان ذلك لصحيح . غير ان وجود الزارع والصانع والتاجر لا يكفي لتقدم الزراعة والصناعة والتجارة ، لا سيما في عصر تسربت فيه العلوم الى كل من تلك الصناعات فقلبتها ظهرًا لبطن .

ولنا شاهد على ضعفنا ما قاساه لبنان وقت الحرب من الضيق ، اذ سدّت عليه طرق الغرب برًّا وبحرًا . لذلك لم يأتِ عهدُ الاستقلال حتى سادت بيننا فكرة مهمة ، الا وهي تحسين صناعاتنا الوطنية وتشجيعها ايًّا كانت ، فيخفّ الوارد الينا ان لم يزد الصادر منا . وعلى اثر ذلك اوجدت في حلب والشام ولبنان معامل شتى للنسج ، واستقطار الكحول ، وعمل القرميد ، وما شاكل .

وهال البعض ما يحرق في بلادنا من الزيت والبترول سواء كان للنور ام للقوى المحركة فعمدوا ، اسوةً ببلاد الغرب ، الى استثمار الشلالات الطبيعية ، فكان مركز زحلة الكهربائي وقوته ثلثمائة حصان ، ومركز نهر الكلب لشركة كهرباء جونية وضواحيها .

ولعم ما صنع في هذا الصدد ، في لبنان ، ما قام به اهل الشمال من الاعمال همة الحبر الجليل المفضال المطران انطون عريضه ، اسقف مدينة طرابلس . وانه ليسرنا ان ننشر ، في صدر مقالنا هذا ، رسمه الكريم ، اعترافاً بفضله على الحركة الصناعية التي اوجدها في البلاد من مشروع قاديشا لانارة طرابلس وكل منطقة الشمال ، الى مشروع نهر ابو علي ، الى مشروع السيمنتو في شكا ..

تأسيس مشروع السيمنتو

كثر البناء في لبنان وسورية ، فقامت الدور والبنايات الفخمة على انقاض ما تركته الحرب من الخراب مما جعل بعض الاجانب يقول معجباً : « ينبت البناء هنا كالعشب » . ومن المعروف اليوم ان السيمنتو ، او الترابة الصناعية ، من اهم مواد البناء لاستعماله في البطون المقوى ، والبطون البسيط ، والورقة وغيرها ، عوضاً عن الطين الكلسي . وقد شاع استخدامه لعمل انابيب المياه ورصف الطرق الخ . ومنه تعمل اليوم العواميد المبرومة لمد الاسلاك الكهربائية .

وان لم يكن ليعم استخدام السيمنتو عندنا فاستعماله للبناء كاف لان تبلغ مقطوعيتنا منه ، في كل سنة ، ما يقارب المائة والخمسين الف طن . لذلك راجت تجارته في وقت وجيز ، فربح المتجرون به اموالاً طائلة . ويا حبذا لو اتفقت تلك المنافع الشخصية مع المنفعة العمومية . وكيف يكون ذلك وهذه الكمية من السيمنتو تستورد كلها من الخارج على حساب الطن عشر ليرات سورية — مما يعادل سنوياً مليون وخمسمائة ليرة سورية ! !

ومن لا يستكبر هذا الخلل الاقتصادي اذا عرف ان السيمنتو ما هو الا اجزاء متناسبة من « الحوارة » او التربة الدلفانية ، والتربة الكلسية ، تمزج دقيقاً وتخبز في افران مخصوصة . وهل يخار بلد من هاتين المادتين ؟

وقد شعرت فلسطين من قبلنا بهذا النقص فاوجدت لها معملاً للسيمنتو يكفي لسد حاجاتها .

اما اول من سعى في هذا المشروع ، في لبنان ، فهو سيادة المطران

انطون عريضه كما جاء في رسالة له قال :

« ورأينا من مصلحة البلاد ان نحذو حذوَ جارتنا فلسطين اذ اوجدت لها معملاً جيداً للترابة الصناعية . ولمّا لم نرَ من اقبل جدّياً على هذا المشروع من المواطنين ، اخذنا ندرسه ونهتم باظهاره الى حيز العمل . وكان بودّنا ان يكون المشروع كله وطنياً ، واذ لم نتوفق الى ذلك وخشينا مزاحمة الاجانب اضطرنا الامر ان نشرع بهذا العمل مع شركة افرنسية تدعى « شركة الدروس والاسلاك الكهربائية » . . .

وتفاصيل الحال هو ان المهندس فرنان شيرونه كان قد اتى الى طرابلس ليشارف على اعمال قاديشا ، فكلفته شركة الدروس والاسلاك الكهربائية ، في باريس ، ان يدرس لها في البلاد مشاريع جديدة ، فعرض على سيادته مشاركة اللبنانيين في مشروع السيمنتو ، فكان من ثمّ اتفاقية اولى .

وما عاد السيد شيرونه الى باريس واعلم شركته بما حاز وبمستقبل المشروع الجديد حتى ارسلت من قبلها السيد شكس ، المهندس الخبير بعمل السيمنتو ، وكلفته درس المشروع ملياً من الوجهة الفنية والاقتصادية معاً . وما قدم هذا حتى بدأ بالدرس والتنقيب عن الصالح من التراب . فاعجبته تربة الاراضي الممتدة على شاطئ البحر قرب قرية شكا ، في جنوبي طرابلس ومعظمها من « المارن » وهو في علم طبقات الارض مزيج من الحوّارة والكلس . وقد سُرّ لوجود تلك المواد الاولية على مقربة من البحر والطريق العمومية ، تسهيلاً للمواصلات خصوصاً في نقل الصادر من السيمنتو .

ومكث السيد شكس في البلاد زهاء اربعين يوماً ما انفكّ يدرس في خلالها تفاصيل المشروع حتى عاد الى فرنسة فقدّم للشركة التي انتدبته درساً وافياً مقدرًا تكاليف العمل بمبلغ ماية وثمانين الف ليرة عثمانية ذهب .

وعلى اثر ذلك عاد السيد شيرونه الى البلاد مفوضاً بشراء الارض اللازمة في شكا وجوارها . وقد تمّ ذلك بعد ما بذلت الشركة في سبيله كل غالٍ وثمين ، اذ ان البعض من اصحاب الاملاك احبوا اغتنام الفرصة فتظاهروا بعدم البيع او طلبوا اثماناً باهظة . ومما زاد في الطين بلة مساعي الشركات المزاحمة ،

فذهبت اتعابها ضياعاً.

***

وسافر سيادته الى باريس مع بعض المكتتبين من الوطنيين. فجرت هنالك الاتفاقية الاخيرة، وقد جددت فيها بعض النقاط منها ان يكون مركز الشركة في لبنان. ثم وضع قانون الشركة وجعل الاكتتاب على الوجه الآتي: يقسم رأسمال الشركة الى ستة وثلاثين الف سهم، نصفها للوطنيين والنصف الآخر للاجانب، فتكون قيمة السهم الواحد خمس ليرات عثمانية. واهم المساهمين من الوطنيين هم:

سيادة المطران انطون عريضه	١٤٨٣٧ سهماً
السيد رشيد عريضه	١٣٠٠
« رشيد كيروز	٦٠٠
« المهندس البر نقاش	٢٤٠
« عزيز نادر	٢٠٠
« اميل ناصيف	٢٠٠

اما من الاجانب فهم:

بنك جنيف	١٢٠٠٠
شركة المشاريع الصناعية اللبنانية السورية	٤٠٠٠
شركة الدروس والاسلاك الكهربائية	١٥٠٠ الخ

اما الاسهم التي اكتتب بها سيادته فلمنفعة الاهلين يشترون منها ما يستطيعون اذ ان الغاية من تأسيس هذا المشروع انما هي مساعدة الوطنيين على الاستفادة منه.

ولما تم الاكتتاب ودفع ربع الرأسمال، دعي المكتتبون الى اجتماع عام في حي الشانزليزه في باريس، فعرض عليهم قانون الشركة فوافقوا عليه. ثم ألفوا مجلس ادارة الشركة فكان للفرنساويين: الكولونل بول ده والبارون ريل والسيد غبريال ارنو والسيد فرنان شيرونه والسيد مولون والسيد كوس المدير الثاني لبنك جنيف.. وكان للبنانيين سيادة المطران عريضه والمهندس

سيادة المطران انطون عريضه
صاحب الفضل الاكبر بتحقيق مشروع السيمنتو في شكا

السيد شكس (Chaix)
المهندس الخبير بعمل السيمنتو ورئيس معمل شكا الوطني

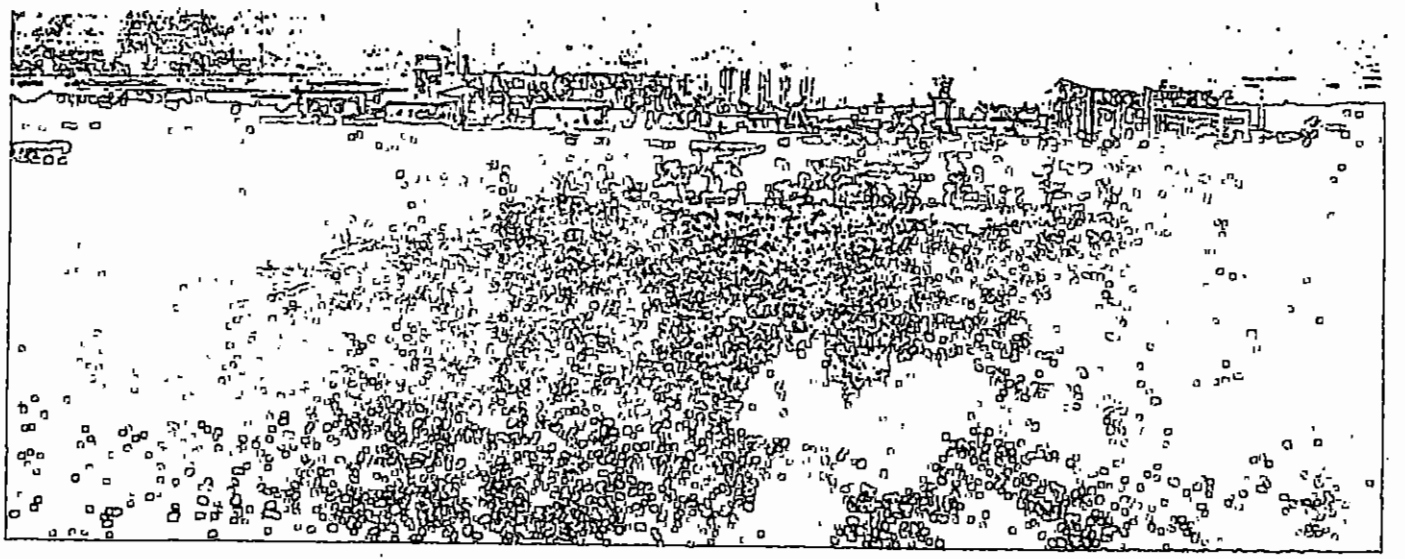

منظر عمومي لمعمل السيمنتو الوطني في شكا

البر نقاش والسادة جورج صعب ورشيد كيروز واميل صعب وعزيز نادر.

ولما تم تأسيس الشركة ، اجتمع اعضاء المجلس فاختاروا الكولونل ده رئيساً ، وعضوين مفوضين هما سيادة المطران انطون عريضه والسيد غبريال ارنو. ثمّ كلف المهندسان بلنشه وشكس لشراء الادوات اللازمة وعمل الخرائط ومراقبة الاشغال . وتكلف الاستاذ الفرد نقاش تقديم القانون الى المراجع القانونية في لبنان وطلب الترخيص به وتسجيله. فتمّ ذلك واعطى رئيس الجمهورية اللبنانية قراراً بالترخيص بتاريخ ٣١ ك ٢ سنة ١٩٢٩

اما ارباح الشركة فستوزع على الوجه الآتي :

تحفظ خمسة بالمائة من الارباح الى الشركة ، ويعطى للمكتتبين فائدة ستة بالمائة عما دفعوه من المال . والباقي يعطى منه ٦٥ بالمائة للمكتتبين ايضاً ، وعشرة بالمائة لمجلس الادارة ، و ٢٥ بالمائة للاسهم التأسيسية.

***

تلك لمحة تاريخية عن كيفية تأسيس هذه الشركة التي قامت باعمالها بهمة ونشاط ، رغم ما لقيته من المصاعب والمشاكل . وسوف تخرج في الشهر القادم اول عيناتها من السيمنتو الوطني اللبناني.

وقد ساعدني الحظ بزيارة معمل الشركة ، وهو في حالة البناء ، وكنت وقتئذٍ بمعية بعض اساتذة الكلية اليسوعية وتلامذة صف الفلسفة . فاستقبلنا السيد شكس بوجه بشوش وصدر رحيب هو وعقيلته الفاضلة ، مما دل على مكارم اخلاقهما : وقد ابى المهندس الخبير الا ان يرافقنا بزيارتنا ، رغم اشغاله المتراكمة ، فسار وايانا شارحاً تنسيق الاعمال ، مبيناً ما اعترضه من الصعوبات في تحقيقها ، لكنه ناظراً الى المستقبل باعين ملؤها الامل.

وشاء ان يختصني ببعض التعليمات الفنية استبقيها للعدد القادم شاكراً له . وانني تبياناً لفضله واقراراً بمقدرته في الفن استميحه نشر رسمه الكريم ، وهو ينمّ عن قوة في الارادة وهمة وثبات في العمل . . .

(للبحث صلة)

دلبتا

نبذة تاريخية

للخوري بطرس روفائيل

الفصل الخامس

كنائسها واوقافها (تابع)

وفي سنة ١٧٦٥ انتخب الاهلون ابا جرجس ابن الحاج عطا الله روفائيل وكيلًا على الكنيسة ، اذ توسّموا فيه الهمة والحنكة والدربة ، والتمسوا من البطريرك طوبيا الخازن منشورًا لطلب الحسنات ، وتعاهدوا على انه في كل عام يدور احد وجوه القرية لجمع الصدقات ويسلّمها الى الوكيل المذكور لينفقها على تتميم الكنيسة. فنهض ابو جرجس لمباشرة وكالته واستقدم البناء نعمة بُطيش من مزرعة كفردبيان فواصل العمل حتى تم سنة ١١٨٠ هجرية ، كما يُنبئ التاريخ المحفور على حجر موجود للآن داخل المشكاة فوق عتبة الباب القبلي الجديد . وفي سنة ١٨٦٧ نظم الخوري فرنسيس الشمالي[1] ، بناء على طلب الخوري يعقوب الحاج ، تاريخًا مسيحيًا مطابقًا للتاريخ الهجري ، فنُقش على قطعة من الرخام فوق عتبة الباب الشمالي وهذه حرفيته :

يا حُسنها بيعةً لله قد رُفعت فيها المُقطّع شَهمٌ يحرسُ البلدا
يعقوب في مجده يدعو بساحتها اني شهيدٌ ونخل النصر لي شهدا
فاصغوا لمن قال حقًا في تأرّخها لا ترهبوا من فريق يقتلُ الجسدا (٢

فالقارئ المنتقد يرى ان الناظم اهمل في حسابه سنتين فجعل سنة ١٧٦٤ مسيحية موافقة لسنة ١١٨٠ هجرية والحقيقة هي سنة ١٧٦٦ .

---

١) سيم اسقفًا على مدينة حلب باسم جرمانوس سنة ١٨٩٢

٢) الخوري بشاره الشمالي : نظم اللآلئ للحبر الشمالي ، ص ١٦٩ . روى المؤلف ان التاريخ نُظم سنة ١٨٤٧ لا سنة ١٨٦٧ كما كتب الخوري منصور .

تمت بناية الكنيسة فجاءت فسيحة بالنسبة الى تلك الايام والى حالة القرية ، طولها نحو ٢٠ متراً ، وعرضها ١٢ متراً . وفي غضون ذلك سيم الوكيل النشيط كاهناً في شيخوخته اي بعد سنة ١٧٨٠ ، ودُعي الخوري بطرس . وفي سنة ١٧٨٥ كرّس الكنيسة المطران جبرائيل مبارك ، رئيس اساقفة بعلبك . وسنة ١٧٩١ تبرّع مرعي الحاج ، جدّ البطريرك يوحنا الحاج ، بنفقة قبة الجرس ؛ واوصى الخوري بطرس روفائيل ولده يوحنا ، الذي كان آنئذٍ في رومية تلميذاً في مدرسة الطائفة ، بجرس ، وصار استجلابه بواسطة بطريرك السريان ميخائيل جروه كما يظهر من كتابٍ من البطريرك المذكور الى كهنة رعية دلبتا مؤرخ سنة ١٧٩٥ [1] . ولم يكن نقل الجرس من رومية الى لبنان بالامر السهل اذ

---

(١) يجدر بان نثبت نصّ هذا الكتاب لزيادة الافادة :

« البركة الرسولية تشمل حضرة ولدينا العزيزين الخوري بطرس والخوري الياس الاكرمين باركهما الرب الاله بأتم بركاته العلية امين .

« بعد اهداء البركة السموية وبليغ الشوق الى محبتكما نخبركم قد حضر لنا مكتوب نحاز امس من حضرة ولدنا الخواجه يوسف حمصي بقبرص وبه أعلمنا انه وجّه الجرس الى بيروت تحت يد حضرة ولدنا الخواجه موسى سمنه لزم انا اعلمناكم حالاً حتى لا تتعبوا بان ترسلوا الى قبرص لاجل حضور الجرس المذكور كما اتفقنا معكم سابقاً وحساب الجرس المذكور وكلفته تروه مفنداً بجانب هذا المكتوب فن التفنيد المرقوم يتضح لكم بان باقي لنا تسعة وعشرون غرش واربعة فضة ما عدا الكلف والمصاريف التي للان لم يأتينا علمها كما نحن واضحون ذلك جلياً في قائمة التفنيد الموردة بجانبه واما كلف الجرس الى بيروت وفي بيروت ايضاً يجب انكم تدفعوها الى ولدنا الخواجه موسى سمنه فالمراد احضرا الى هنا واصحبا لنا معكم غرش ٢٩ وفضة ٤ المرقومة اعلاه الباقية من ثمنه وكلفته الى ليكورنا وجيبوا معكم ايضاً ثلاثين غرش تحت حساب باقي الكلف ما عدا كلفته من قبرص الى بيروت وفي بيروت كما حررنا واذا حضرتم الى عندنا مع الدراهم تسلمكم مكتوب منا الى حضرة ولدنا الخواجه موسى سمنه المذكور لتتسلموا من عنده الجرس ولا يلزم لكما تحريج ازود والبركة تشملكما » مكان الختم اغناطيوس ميخائيل

بطريرك السريان الانطاكي

والى جانب الكتاب المذكور وضع البطريرك « بيان قائمة تفنيد ثمن ومصاريف الجرس الذي لضيعة دلبتا الى حد ليكورنا وذلك بموجب تحرير حضرة الاب يوسف عجلوني برومية

كان في نية وكيل الكنيسة ان يُسيّر الى قبرص رسولاً لاستحضاره ، غير ان حسن الحظ خدمه فوجد من اعتنى بايصاله الى لبنان .

وفي سنة ١٨٠٣ ، اهتم وكيل الكنيسة بطرس التحومي بتبليط الخورس وكنيسة النساء [1] وفي سنة ١٨٠٨ بُدئ بحفظ القربان المقدس في بيته ، وذلك بعناية الاب منصور الفرنسيسكاني الذي اتى دلبتا من دير حريصا لنشر غفران اليوبيل ومكث فيها مدة ثمانية ايام يعظ ويرشد ، وكان يحتفل بزياح القربان في كل مساء ويحث الشعب على زيارته وعبادته ، وكانت صابيّة شقيقة الخوري عبدالله الحتّوني عائشة بتولاً فخصّصت نفسها لملاحظة الكنيسة وخدمة القربان ، ولبثت مواظبة على عملها هذا الحميد الى وفاتها في سنة ١٨٣٥ . ومنذ ذلك الحين لا يزال القربان محفوظاً في بيته مكرّماً من الاتقياء ، ومخدوماً بدون انقطاع الى الآن . وفي سنة ١٨٢٥ باشر وكيل الوقف الياس مراد بناء المدافن المسماة « الخشاخيش » في ساحة الكنيسة الشمالية ، وكرّسها في السنة التالية

بمكتوبه المحرر سنة ١٧٩٤ » . ومن هذا البيان يستفاد ان وزن الجرس ٤٤٤ ليبره ، وثمنه « ١٠٣ سنوت ، و٨ جوليه » .

وعلى قفا هذا الكتاب تقرأ ما يأتي :

« سبب تحريره .

« انه في الثامن عشر من شهر شباط لسنة ١٧٩٥ حضر لمندنا حضرة ولدنا الخوري بطرس رافايل من دلبتا ودفع لنا التسعة وعشرين غرش واربعة مصاري الفاضلة من ثمن وكلفة الجرس الى ليكورنا لان المائة سنوت وصلتنا سابقاً كما مرقوم في مكتوبنا هذا واما باقي كلف الجرس من حين طلوعه الى ليكورنا ووصوله الى قبرص وتنزيله الى البحر فن كون ما وصلنا بعد من الوكلاء الذين حضر عن يدهم اعلام عن ذلك . فلذلك دفع لنا ولدنا الخوري بطرس المذكور اعلاه تسعة عشر غرش على الحساب المذكور ولاجل البيان جرينا ذلك ومن بعد اعلام الوكلاء لنا عن المصاريف فان زاد شيء عن التسعة عشر غرش فأخذه من الخوري المذكور وان نقص شيء ندفع له اياه حرر في ١٨ شباط سنة ١٧٩٥ » .

١) هاك اسماء وكلاء الكنيسة واوقافها : الخوري بطرس روفائيل (١٧٦٥–١٧٩٤) – بطرس التحومي (١٧٩٤–١٨١١) – الياس مراد (١٨١١–١٨٤٨) – كنعان ديب (١٨٤٨–١٨٨١) – الخوري منصور الحتّوني (١٨٨١–١٩٠٨) – الخوري اسقف بطرس ديب (١٩٠٨–١٩١٧) – الخوري لويس الحتّوني (١٩١٧–١٩٣٤) – يوسف ابي حاتم من ١٩٣٤ الى يومنا .

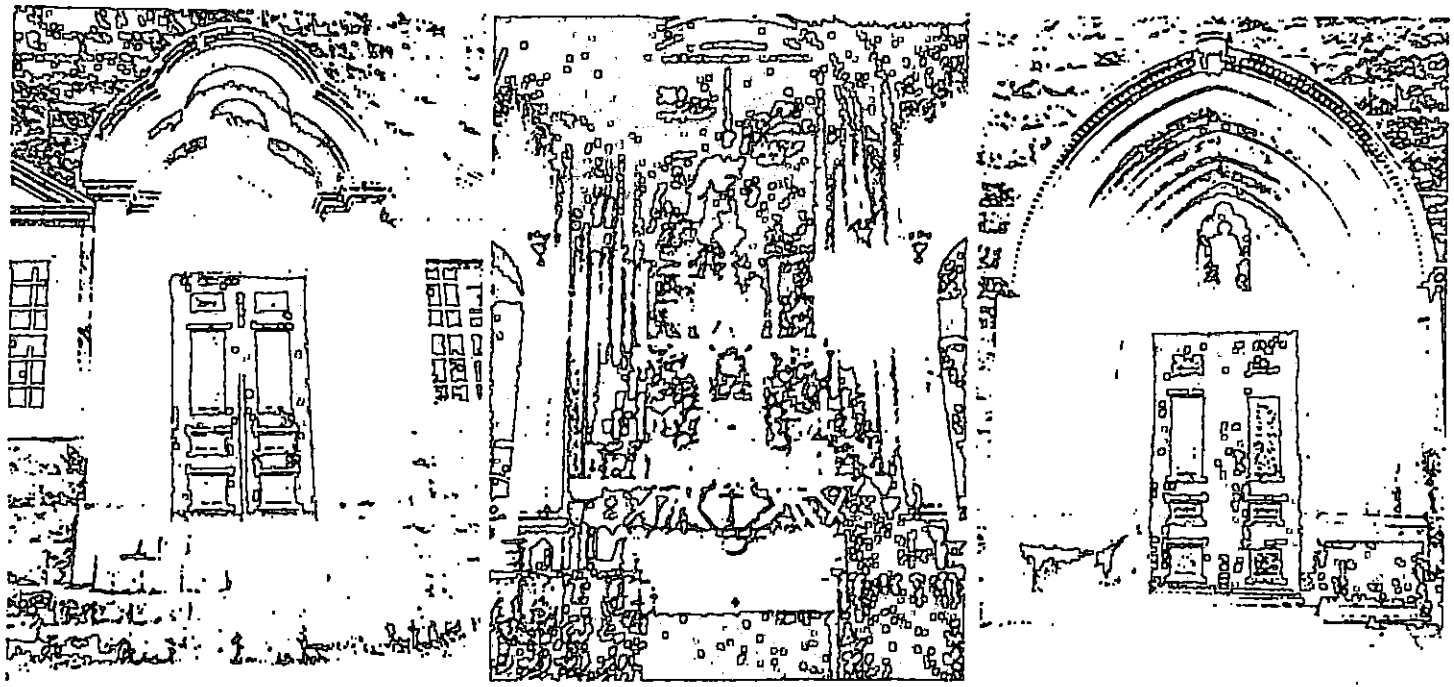

باب الكنيسة القبلي

مذبح مار يعقوب

باب كنيسة النساء

المطران انطون الخازن ، رئيس اساقفة بعلبك . واشترى الخوري يعقوب الحاج سنة ١٨٣٣ تاج عود من الرخام منقوشاً نقشاً جميلاً على الطراز اليوناني الروماني وُجد مطموراً في احد البساتين بجوار نهر ابرهيم ، وهو من بقايا تلك الهياكل الوثنية المكرّسة لعشتروت-الهة الحب ، وبعد ان وُضع لقيام بيت الدنس اصبح في بيت الله اناء لماء الحياة الروحية ، اذ انه نُقر جرناً للمعمودية وهو باقٍ الى يومنا وقد كرّسه في سنة ١٨٣٤ المطران انطون الخازن .

وقد تعدّى اللصوص مرّتين على الكنيسة في سنة ١٨٤٠ وسنة ١٨٧٥ ، وسلبوا في كل مرة ما كان ذا قيمة ثمينة من الذهب او الفضة كآنية القداس ، وشماع القربان ، وحُقّة القربان ، وقناديل ومباخر من الفضة والملبة المتضمّنة ذخيرة مار يعقوب ، وقد أُجري تفتيش وتحر فلم يُرَ للسارقين أثر . ولما شاخ الياس مراد واصبح عاجزاً عن القيام بواجبات وكالة الوقف استعفى ، فعُيّن مكانه سنة ١٨٤٨ كنعان ديب . وكان هذا قد أخذ فنّ التصوير الزيتي عن عمّه الخوري موسى ديب ، رئيس دير سيدة الحقلة ، فرفع الصور الموجودة في الكنيسة ووضع صوراً جديدة عملها على كيس الوقف[1] ، وفي سنة ١٨٧٣ شيّد خزانة الكنيسة ، اي السكرستيا ، في الجهة القبلية . واشترى المطران يوحنا الحاج سنة ١٨٧٦ ، من مال الكنيسة ومن تقادم كهنة القرية ، بيتاً للقربان من الرخام الناصع الجميل منزّلٌ فيه قطع من الرخام الملوّن ، وهو الى يومنا على المذبح الكبير . وسنة ١٨٨٠ بُلّط الخورس بالرخام وغُطّيت بالرخام ايضاً المذابح الثلاثة التي فيه ، وقد بلغت نفقة هذه الاصلاحات ٦٧١٠ غروش ، قدّم منها سكّان القرية وكهنتها ٥٤٠٢ ، ودفع الباقي من صندوق الوقف . وفي سنة ١٨٨١ اقيم مذبح جديد على اسم العذراء ، وأُتي بدرابزون الخورس ،

---

١) قد انجز المرحوم كنعان ديب لكنيسة مار يعقوب سنة ١٨٤١ صورة مار روكز ، وسنة ١٨٤٨ صورة الحبل بلا دنس ، وسنة ٨٥٥ صورة مار الياس وصورة القديسين الرسولين بطرس وبولس ، وهذه الاخيرة بيعت سنة ١٨٨٩ لاحدى كنائس بلاد جبيل ، ووُضع مكانها صورة للمصور الشهير دارد القرم ؛ وسنة ١٨٥٩ صورة مار جرجس ، وسنة ١٨٦٠ صورة مار يوحنا المعمدان على باب بيت المعمودية ، وسنة ١٨٦٨ صورة مار يوسف .

ويوشر بناء القبو الذي وراء الكنيسة شرقيها . وسنة ١٨٨٢ بُلطت بالرخام كنيسة الرجال ، وشُيّدت مدرسة للصبيان فوق السكرستيا.

كان باب الكنيسة القبلي حقيرًا صغيرًا ، وسبب ذلك انه لما شُيدت الكنيسة كانت الجهة القبلية منها غابة كثيفة ليس فيها من البيوت الّا القليل، فأُهمل اتقان هذا الباب ووجّه الاعتناء الى تحسين باب الجهة الشمالية التي كانت وحدها عامرة .

ولما كثر السكان وقطنوا في كل انحاء القرية اصبح اكثرهم يدخلون الكنيسة من الباب القبلي ، فعزم على تغييره وكيل الوقف ، الخوري منصور ، فاستقدم النحّات سليم مرجان من بيروت واطلعه على رسم المشروع وهيئته ، فاخذ النحّات في العمل وانهاه سنة ١٨٩١ ، فجاء باباً جميلًا فخماً يندر وجود مثله في كنائس لبنان يسترعي انظار الزائرين ويُدهشهم . وجدّد النحات سنة ١٨٩٣ باب كنيسة النساء فجاء جميلًا ايضاً ومتقناً ، غير انه دون الاول فخامة. وغيّر هيئة مذابح الخورس الثلاثة فاقامها على طراز الباب القبلي بالحجر الابيض المصقول والمنقوش ، وكانت نهاية العمل سنة ١٨٩٤ ، وبُني سنة ١٨٩٦ على سطح القبو القائم وراء الكنيسة مدرسة للصبيان كبيرة واسعة ، وكانت النفقة على الاهلين والوقف . وسنة ١٩٠٦ هُدمت قبة الجرس واقيم غيرها على طراز جديد بالحجر الابيض النظيف ، وفيها جرسان. وشُيّدت في السنة ذاتها مدرسة للبنات في « قاطع الشميس » بالقرب من الكنيسة ، عوضاً عن المدرسة القديمة التي كانت في « قاطع الضلّيل » .

ومن العادات القديمة ان تكون مدافن الكهنة في داخل الكنيسة . قال الخوري منصور : « قد جعلوا في كنيستنا اربعة مدافن في اربع زوايا كنيسة النساء اي في كل زاوية مدفن واحد وكانت تُستعمل لدفن الكهنة اللهمّ الّا مدفن الجهة الشمالية الذي يلاصق المضادة البحرية وقد ذكر هذا القبر المرحوم الخوري يعقوب الجميّل في حاشية بخطّ يده علّقها في آخر نبذة الخوري يعقوب الحاج الذي مرّ بك ذكرها يقول فيها هكذا « ان المرحوم الخوري يعقوب الحاج برح من باله ان يذكر الثلاث أشوار التوت الذين فوق دارة الكنيسة

الشمالية فهؤلاء من املاك ابي حنا اسعد روفائيل من سلالة ابي فرح بطرس فعند توفي ولده البدوي دفنوه في كنيسة النساء قرب الضادة الشمالية واعطى للكنيسة ثمن القبر المذكور الشورتين التوت الذين فوق ساحة الكنيسة ولما توفي اخوه حنا اسعد كان صار المنع عن دفن العوام في الكنيسة من مطران الابرشية فدفنوه في مدفن خصوصي في ساحة الكنيسة القبلية واعطى الورثة للكنيسة الشورة التوت الثالثة الذي فيها الطريق للكنيسة[1]». ولما كانت الاسباب الداعية الى منع الدفن في داخل الكنيسة وجيهة مهمة، حُوّل القبو الملاصق للكنيسة الى مدافن للكهنة، واول من قُبر فيها الخوري يعقوب الجميّل الذي توفي سنة ١٨٩٢.

ولم يكن لكنيسة مار الياس القديمة اوقاف . اما كنيسة مار يعقوب فلها املاك كانت قبل الحرب ذات دخل غير يسير ، واول من وقف لها الارزاق الخوري يعقوب الحصروني الاول ، وقد روى كيفية ذلك الخوري يعقوب الحاج في نبذته المذكورة اعلاه قال : « ان الخوري يعقوب المتوفى كان له ولد انتُخب عوضه كاهناً في الضيعة وفي ايامه صار الشروع في تأسيس الكنيسة وحدث اختلاف بينه وبين البعض من اهالي الضيعة بدعواهم ان الارزاق المتروكة عن ابيه هي للكنيسة فتقاضيا في ديوان السيد الذكر البطريرك اسطفان الدويهي فمن بعد الفحص المدقق فما وجد رسم ولا حجة مسطّرة باسم الوقف بل جميع الارزاق مشترية من مال الخوري يعقوب الاول الذي هو اب الخوري يعقوب الثاني فحينئذٍ حكم المرحوم البطريرك المذكور بان جميع الارزاق هي ملك الخوري يعقوب المرقوم يتصرّف بها من دون مُعارض ... وبعد ان تسلّم الخوري يعقوب الحكم من غبطته فمن ذات خاطره اوقف نصف ارزاقه الى الكنيسة بموجب صكّ وقسمها مناصفة[2] » . ومنذ ذاك الحين اخذ سكّان القرية من كل العيال يقفون بعض ما يملكون ، وقد ذكر ذلك الخوري منصور في نبذته فقال : « واقتدى بالخوري يعقوب الاول ولده الخوري يعقوب الثاني ثم الخوري بطرس روفايل واخذت من بعدهم الأملاك والارزاق تتوارد وقفاً الى الكنيسة تقريباً من كلّ العيال تخصّ منها عائلة بيت مراد

١) السجل ص ٢١ و٢٢ ٢) نبذة الخوري يعقوب الحاج عدد ٢ و٣ و٦ و٧ و٨

وعائلة بيت روفايل وبيت الحثوني[1] » . وسنة ١٨٥٠ اتفق الخوري يوحنا الحاج والخوري يوحنا زوقائيل على ان يهب هذا الاخير للخير ما كان عنده من الاملاك فوقفها جميعها لكنيسة مار يعقوب وخُصّصت الحجرات التي كان يقيم فيها مدرسة لتعليم اولاد القرية كما سنذكر ذلك في ترجمة هذا الكاهن الفاضل[2]

٢ كنيسة سيدة النجاة

لما توفي الخوري يعقوب لاوندوس الحثوني سنة ١٨٦٤ ، اتفق ورثته ، وهم اولاد عمه ، على حبس ما خصّهم من الارث في سبيل الله . وقد فاق الجميع همّة وغيرة احدهم المدعو باخوص . كان هذا عاقرًا فوجّه عنايته كلها الى هذا الامر ، ورغب في ان يجعل هذه التركة مدرسة لاولاد القرية ، فاستشار الطيب الذكر المطران يوحنا حبيب ، وكان آنئذٍ كاهنًا مقيمًا في دلبتا ، فحبذ فكرته كثيرًا ونشّطه . وفي سنة ١٨٦٥ وقّع باخوص واخوته صكًا فيه يعلنون انهم وقفوا طوعًا وعن رضى لفقراء دلبتا ، ومن بعدهم لفقراء الطائفة ، ما تركه لهم عمهم اي بيته والرزق الذي حوله وطلبوا ان يُبنى هناك كنيسة على اسم السيدة يخدمها كاهن يعينه مطران الابرشية ، ومدرسة لتربية الاحداث بخوف الله وتعليمهم واجبات الدين المسيحي والقراءة السريانية والعربية . فشعر مطران الابرشية يوحنا الحاج ، بالفائدة الناجمة عن هذا العمل ، لاسيما للذين تبعد عنهم كنيسة الرعية ، فصدّق الصك ورسم ان يسمى البيت المتروك كنيسة سيدة النجاة ، واجاز تقدمة الذبيحة الالهية فيها وتوزيع الاسرار ، ما عدا سرّ العماد والتناول الفصحي واقامة القداس في عيد شفيع كنيسة الرعية الواقع في ٢٧ تشرين الثاني . فشرع باخوص منذ ذاك الحين يرمّم البيت ويُحسّن هيئته حتى جعله معبدًا لائقًا ، ولم تقف حميّته عند هذا الحدّ بل اخذ يبتاع الاملاك المجاورة والآنية الكنسية اللازمة حتى بلغ ما دفعه من ماله في وجه هذا المشروع المبرور نحو ثلاثين الف غرش . واقام وليًا على هذا الوقف ، برضى

---

١) النبذة التاريخية ص ١٠٦ وما يليها .

٢) النبذة التاريخية ص ١٠٦ وما يليها . السجل ص ٢١ و٢٢

مطران الابرشية ، المرحوم الخوري منصور الحتوني[1] . ولكي يحقق الوكيل المذكور نية الواقفين بدون ابطاء سأل الخوري يوسف الجميّل ، رئيس جمعية « الراهبات المريمات » ، ان يرسل راهبة الى دلبتا لتهذيب بناتها وتعليمهنّ القراءة والخياطة . فاجاب الرئيس الطلب وعيّن لهذه المهمة الراهبة التقية مارينا البكفاويّة ، فحضرت وجمعت التلميذات في البيت الذي اشتراه باخوص للوقف من روحانا بو بسترس في مكان الكنيسة الحالية ، وبدأت في تتميم واجبات وظيفتها ، وكان ذلك سنة ١٨٦٥ . غير ان عدوّ الخير كان ساهراً فحرّك البعض من السكّان فعاكسوا المشروع وارادوا خرابه واغلقوا المدرسة ، فجاء الخوري يعقوب الحاج وتكفّل للراهبة بمحل لاقامتها وللتعليم ، واعدها بكل قواه حتى وفاته سنة ١٨٧١ ، وبعد ذلك شاء الله ان يمتحن باخوص فاصاب زوجته داء عضال جعلها طريحة الفراش مدة ١٨ سنة ، عاجزة عن كل حركة ، فانفق عليها ماله بدون جدوى ، فتوفيت سنة ١٨٨٨ واما هو فعاش بعدها مدة وتوفي سنة ١٨٩٧ . ولما كان سليم القلب صالح الاعمال محسناً الى الكنيسة ، رقّاه المطران يوحنا الحاج الى درجات المرتّل والقارئ والشمداني في كنيسة دير سيدة الحقلة في ٢٧ تموز من سنة ١٨٦٩ ، كما يُستفاد من شهادة ترقيته[2] . وكان في نيته ان يقيم في المكان الموقوف منه عوضاً عن المعبد الذي زمّمه كنيسة جديدة ، فشيد منها الحائط القبلي وقسماً من الشرقي الغربي ، انما حال دون انجازها قلة ذات اليد ، فدفعت الغيرة الخوري منصور فأخذ على عاتقه تتميم هذه المهمة من ماله الخاص ، وباشر العمل سنة ١٨٩٢ ، واكمله سنة ١٩٠٠ . وبعد ذلك شيّد سكرستيا بنى لنفسه في داخلها مقبرة لم يجعل حقّ الدفن فيها الّا لمن كان كاهناً من صُلب اخيه . وهذه الكنيسة لا تزال تؤدي للقسم الاعلى من القرية خدماً جلى في ممارسة واجباتهم الدينية[3] .

---

١) السجل ص ٩٧ وما يليها .
٢) السجل ، ص ١٠٠ وما يليها .
٣) النبذة التاريخية ، ص ١١٩ وما يليها .

(له صلة)

البطريرك ارميا العمشيتي

بقلم الخوري يوسف العمشيتي المرسل البطريركي

٣

واستمرّ البطريرك يسوس الكرسي الانطاكي بغيرته وحكمته المشهورتين خمس عشرة سنة بعد عودته من رومة ، الى ان انتقل الى رحمة الله ، في دير سيدة ايليج في ميفوق سنة ١٢٣٠ . بعد ان اقام مدة في دير سيدة يانوح ، في جبة المنيطرة ، في بلاد جبيل.

وممّا يلفت النظر الى هذا الرجل البار اقوال مؤرخي حياته الثقات ممن تسامو عقلاً وفضيلة وآداباً وعلماً ودقة كالبطريرك اسطفان الدويهي والمطران جبرائيل القلاعي ، وامثالهما ، ممن يركن اليهم ويرجع في الامور الى قولهم.

قال حجة المؤرخين البطريرك اسطفان الدويهي في سلسلة البطاركة :

نشأ البطريرك ارميا العمشيتي في قرية عمشيت من بلاد جبيل . وكان رجلاً باراً ذا غيرة جزيلة جعل مقامه في قرية يانوح . ودخل رومية بنفسه وحضر المجمع الذي انعقد في لاتران في ايام البابا زخيا الثالث. وسنة ١٢١٥ رجع الى دير سيدة يانوح وفي سنة ١٢٣٠ انتقل الى رحمة الله برائحة القداسة في دير سيدة ميفوق .

قال الطيب الذكر المطران يوسف السدبس في تاريخ سورية ، في بطاركة الموارنة في القرن الثاني عشر فصل ٢ عد ٨٥٨ :

« روى البطريرك اسطفان الدويهي وابن القلاعي : ان البطريرك ارميا العمشيتي كان يوماً يقدس بحضرة البابا زخيا الثالث. ولما انتهى الى رفع القربان رفعه وبقي معلقاً فوق رأسه . فعظّم البابا قداسته ، وامر بنقش صورة هذه الآية على جدار الكنيسة . ثم استتلى الدويهي قوله :« وبقيت هذه الصورة

الى ايامنا في كنيسة القديس بطرس القديمة . ولما اعتراها التغير بتمادي الزمان أمر بتجديدها البابا زخيا الثالث عشر في سنة ١٦٥٥ . على ما كانت اولاً . والى ذلك اشار ابن القلاعي في زجليته عن المجامع:

« في رومية قدس قدّاس وقفت الشّيله فوق الراس
والبابا كان بجانب الكاس وعينه تنظر الاسرار »

وروى هذا الحادث ايضاً المطران داود بن جوسلين الحدشيتي ، اسقف زاوية رشمين : «انه سنة ١٢١٣ سافر ماري ارميا لرومية ، ولما اقام القداس وقفت الشيله بين يديه بقوة الروح القدس . ولما رأى البابا هذا الامر المستغرب تعجب وصدق قوله وكرازته واعطاه التاج والخاتم .»

هذا وزيادة للفائدة ننشر ما ذكره ابن القلاعي عن البطريرك ارميا في زجليته المشهورة قال:

ملك جبيل صار في الاطراف يحارب مع هولاي الاشراف
ولكن من الحرم كان بيخاف ومن ترعزع الايمان
طلب البطرك ارميا وقال له نحن اليوم احيا
حروم البابا ليس هي اشيا نادلها لكلمة انسان
قوم احتال في شعب مارون وانت بوحدك ارفي القانون
وانا راضي اكون مدبون وانفق ما تتاز الآن
ادخل لروميه في حركه وحل الحروم وهات لنا بركه
راكون انا رايك شركه في الملك والايمان
قال له طوع امر المخدوم برجع امشيت اعلم القوم
ورتب من يخدم في الصوم وبعفي بطوعك ما اخان
قال ما عاد لك رجعه لان المراكب تروح سريعه
الرعيه انا بسعى وشمالك حاضر الان
سافر البطرك في ذاك الليل لا لابس ولا راكب خيل
ولا ودع من تلك الجيل ولا وصّى له في انسان
شماس معه كان من هايل في حضنه كتاب الانجيل
وشحيم صغير لحف التحميل تراه الناس حافي عريان

دخل رومية بزي شحاد وخاطب البابا والاسياد
وقد عرفوه تلك القصاد وقالوا بطرك جبل لبنان
بكى البابا لما نظره وترع منه غارته وستره
وسأله من اين جاء خطره ومن اين تشلّح وهو عريان
شال أوراه كتاب الانجيل وقال هذا اوعاني خليل
واستحييت من شرفه تبجيل انظر قدمك في الطمثان
واتبارك من اقدامك واخضع واسجد قدامك
طامع اموت واحيا امامك ولا جادل في نقل انسان
وشعبي قدامك خاضع ومن تحت اقدامك طايع
وكل ما تأمر له سامع لاجل الاعتقاد والايمان
مبعوث وجيت زاير قدمك واعيش من تحت حافر فرمك
تايب يدوع دعيت نفسك انعم عليّ في احسان
خليفة بطرس لا تمقد وتطرد من حولك ساجد
من تقدم لقدمك ليس تبعد وتبعث تايب للنيران
ان كنت اخطيت انا تايب وقاصد ليس راجع خايب
واجب على قدمك واجب تسح الدمع من الاعيان
بكى البابا ومن حوله لما افتهموا قوله
قالوا قديس نحضر له وفعله ينبينا الآن
عار بطرس صد الشماس وبدا البطرك في القداس
وقنت الشيله فوق الراس والبابا ناظره في الاعيان
نقر في البطرك وقال له اقبل يخلصك من مجد الباطل
جاوبه على يدك تنزل انا خاطي من اثامي فزعان
نظروا اتضاعه باقماله طلبوا تضرع في حاله
وكلما طلب منه نالو وصار عنده سرور وفرحان

وفي الختام :

الف ومايتين وثلاثين عام البطريرك ارميا تنيّح ونام
وفي ميذوق قبره اعلم حافظ السنّة والايمان (١)

---

١) نقلًا عن المجلة البطريركية لصاحبها ومحررها حضرة الاب العالم بولس قرألي (الجزء التاسع صفحة ٦١٠-٦١٢)

مجموعة صور قديمة منها صورة البطريرك ارميا العمشيتي

S. Hieremia
Patriarcha Antiochena

البطريرك ارميا العمشيتي

ان صورة البطريرك ، التي صدّرنا بها هذه الترجمة ، نقلناها عن إطار يحتوي على رسوم كثيرة قديمة :

اولاً رسم البطريرك ارميا المشيتي ، وتحته كتابة بحروف سريانية ولاتينية: ܐܪܡܝܐ ܦܛܪܝܪܟܐ ܕܐܢܛܝܟܝܐ

S. Hiermia Patriarcha Antiocheno

ثانياً رسم دير في سفح جبل سينا ، حيث تسلّم موسى لوحي الوصايا ، ويوجد رفات القديسة كاترينا . وتحته هذه الكتابة :

Monistero a pie del monte Sinai dove Mose priglio le tavole della Legge, e dove giace il corpo di S. Catterina.

ثالثاً رسم الشهيدين بطرس ومرشلينوس ، وتحته هذه الكتابة :

Clementi XI. Pont. Max. Fundatori. Monachi. Maronitæ Montis. Libani. ordinis, S. Antonii Magni Grati. Animi. Ergo.

رابعاً اسم دير الشهيدين المنوّه بهما ، وتعلوه هذه الكتابة :

Forma del Monistero de SS. Pietro e Marcellino Fondato in Roma da N. S. PP. Clemente XI per. li Monaci Maroniti Lanno 1707 genaio 16.

خامساً رسم القديس يوحنا مارون ، وتحته كتابة بحروف سريانية ولاتينية ܝܘܚܢܢ ܡܪܘܢ ܦܛܪܝܪܟܐ ܕܐܢܛܝܟܝܐ .

S. Jo. Marone Patriarca Antiocheno

سادساً رسم اول دير أسسه القديس انطونيوس الكبير في برية الاسقيط في مصر دون باب يشرف على البحر الاحمر ، ويصعد اليه بجبل .

Forma del primo Monistero fondato da S. Antonio Abate senza porta, nel deserto della Tebaide donde si vede il mar Rosso.

وبمناسبة ذكر دير الشهيدين بطرس ومرشلينوس الذي اسسه السعيد الذكر اكليمنضوس الحادي عشر سنة ١٧٠٧ ، وسلمه لرهبانية القديس انطونيوس ، اذكر هنا ما قاله لي احد اباء الرهبانية الافاضل الطيب الذكر المرحوم الاب طانيوس

المشمشاني ، وكان مدار حديثنا البطريرك ارميا العمشيتي وامر الاعجوبة المنوّه بها ، فاجابني رحمه الله انه كان عندهم في الدير المذكور صورة البطريرك يقدم الذبيحة الالهية وارتفاع القربان فوق رأسه بحضرة البابا زخيا الثالث ، في اطار كبير رسم ريشة اشهر المصورين .

واما امر الخلاف الذي وقع بين كتبة هذا العصر بسبب الكتابة التي عثر عليها العلامة المطران اسطفان عواد في كتاب الاناجيل القديم ، الموجود الان في المكتبة الماديشية في فيرنسة ، فقد فصل بفضل واجتهاد حضرة القس طوبيا العنيسي الذي اكتشف صاحب هذه الكتابة ، وهذه صورتها مترجمة عن السريانية بحروفها :

« في سنة ١٥٩٠ يونانية في اليوم التاسع من شباط اتيت انا الحقير ارميا من قرية دملصا المباركة الى دير سيدتنا القديسة مريم بيفوق في وادي ايليج الى سيدنا بطرس بطريرك الموارنة ورسمني بيديه المقدستين مطراناً على دير كفتون المقدس الذي على ضفة النهر وبقيت هناك اربع سنين وكان سكان الدير المذكور: الراهب حزقيال ورفيقه الراهب اشعيا والراهب دانيال والراهب يشوع ورفيقه ايليا والراهب داود واثنين وثلاثين راهباً آخرين. وبعد انقضاء السنين الاربع طلبني امير جبيل والاساقفة ورؤساء الكنائس والكهنة والقوا قرعة فاصابتني وصيروني بطريركاً في دير حالات المقدس ثم ارسلوني الى رومة المدينة العظمى وتركت اخانا المطران توادورس يدير الرعية ويهتم بشؤونها ٢٢ (الجامع المفصل للمطران يوسف الدبس ص ١٩٧)

واذ لم يذكر الدويهي في سلسلة البطاركة غير اسم البطريرك ارميا العمشيتي، نسب كتبة الاعصر المتأخرة الكتابة المذكورة اليه . مع انها كتابة ارميا الدملصاوي عينه الذي انتخب بطريركاً في دير حالات سنة ١٢٨٢ ، بعد انتخاب البطريرك العمشيتي بثلاث وثمانين سنة . وقد فاتت الكتبة المذكورين معرفة بطريرك آخر بهذا الاسم فاخذوا في شعاب الرجم وضربوا في اودية الحدس والتخمين ، كما قال مكتشف هذا الاثر التاريخي الذي زال بعده كل اشكال وغموض . وقد اتى المذكور بما اثبت هذه الحقيقة بمستندات تاريخية لا موضع

فيها للشبهة ، نقلاً عن سجلات مملكة اورشليم للمؤرخ دوريخت.

« في قلعة انفه (Nefin) ، سنة١٢٨٢ ، القريبة من طرابلس اجتمع امير انطاكية وحاكم (Comes) طرابلس والشهود الموقعون في ذيله وصرحوا قائلين ان غويدن صاحب جبيل المهيّج من معلم الهيكل غويلم دي بوجويك حاول ثلاث مرات الاستيلاء على مدينة طرابلس . وبين الشهود الذين وقعوا على الصك يوجد اسم بطريرك الموارنة هكذا : الاخ ارميا بطريرك الموارنة والاخ ابراهيم رئيس اساقفة رشمين »[1]

وقد ورد في تاريخ جزيرة قبرس للمؤرخ دي فاس لاتري : في ١٨ شباط سنة ١٢٨٢ في حصن انفه (Nefin) بالقرب من طرابلس ، كُتب صكّ امام المسجل بحضرة امير انطاكية وبحضر شهود كثيرين على المحاولة الثلاثية التي حاولها غويدن صاحب جبيل بتهييج معلم الهيكل لانتزاع طرابلس من يد امير انطاكية ... وهنا عدّ اسماء الشهود الكثيرين حتى بلغ اسم البطريرك ارميا فقال : الاخ ارميا بطريرك الموارنة ، ورفيقه الاخ ابراهيم رئيس اساقفة عرقه. والاخ يوحنا رئيس اساقفة رشمين ...

توفي البطريرك ارميا الدملصاوي سنة١٢٩٧ . وهو الذي ارسله امير جبيل والشعب الى رومة كما تقدم القول.

ويستفاد من الكتابة السريانية بخط بطريركنا العمشيتي على كتاب الاناجيل المختص به — وهو الكتاب الثاني من الكتب السريانية التي ذكرها اسطفان عواد في كتابه «فهرست المكتبة المادبشية» عدد ٢— بان الراهبتين ساره والراهبة الاخرى كانتا ابنتي داود انقطعتا لعبادة الله محصّنتين في احدى قلالي الدير ، ثم استحبستا في دير مار سركيس حردين . وقد كان عند الموارنة امثال هاتين الحبيستين مثل كودا ومارانا راهبتي القديس مارون[2]

---

١) يوقع البطريرك امضاءه بلفظة اخ لمخاطبته الفرنج الذين هم اخوته بالايمان .

٢) قال العلامة اسطفان عواد ، بعد ايراد هذا الخط ، انه كان بالقرب من حردين ديران قديمان جدًا حذاء كنيسة القديس سركيس . احدهما كان كرسيًا بطريركيًا مدة من الزمن ومقامًا لرهبان كثيرين من الموارنة . والثاني ديرًا للراهبات ، وبقي الديران الى سنة

اما صور الكتابة فهي اولًا : «انا عبد المسيح ارميا البطريرك وقفت هذا الكتاب وما تركه داود ويوسف لديري وقفاً مؤبداً . وكل من اخذه كان ملعوناً من الله ومن كهنته»

ثانياً في الصفحة ٢٦ من الكتاب المذكور ما تعريبه عن السريانية :«قد استراحت وانتقلت من هذه الحياة عالم الشرور الى العالم الآخر المفعم بالسرور الراهبة ابنة داود يوم الجمعة في اليوم السادس من تشرين الثاني سنة ١٥١١ يونانية (١٢٠٠ م) »

ثالثاً في صفحة اخرى ما تعريبه : « قد استراحت الراهبة سارة بعد عشرة اشهر من تحصنها يوم الاحد في الثامن من آب . فلتكن اهلًا للذكر الصالح لانها تعبت كثيراً في دير القديس سركيس مع باقي الراهبات اولاهنَّ الله السلام والراحة مع العذارى الحكيمات »

وقصارى ما نقول ان البطريرك ارميا الممشيتي كان رجلًا قديساً غيوراً على الايمان الكاثوليكي ، فكان يستميل اليه قلوب سامعيه لا بتعاليمه وارشاداته فقط ، بل بمثله الذي كان يحدث في القلوب اشدّ تأثير . ولئن فاتتنا امورٌ كثيرة من اعمال هذا الرجل البار ومعرفة دقايق حياته ، فليس عجباً ، وقد اتلفت تصاريف الزمان ما كان من الآثار مع اضطراب الاحوال السياسية وتقلب الحكام والولاة في تلك القرون .

١٤٥٠ . وبطريرك الرهبان والراهبات الديرين لتوالي صروف الدهر (المطران يوسف الدبس : الجامع المفصل عدد ٣٣ ، ص ٢٠٥)

الرسالة الحاتمية

فيما وافق المشي في شرح كلام ارسطو في الحكمة

نشرها عن مخطوطتي المكتبة الشرقية (بيروت)
فؤاد افرام البستاني
استاذ الآداب العربية في كلية القديس يوسف

نشرة ليبسيك عن نسخة استانبول

بعد طبع ما تقدّم، كتب الينا حضرة المستشرق الفاضل الاستاذ اغناطيوس كراتشقوفسكي (Kratchkovsky)، من لينينغراد، ان مجلة «الاسلاميات» (Islamica) التي تصدر في ليبسيك، نشرت، سنة ١٩٢٦، صورة شمسية لنسخة من الحاتمية مع ترجمتها الالمانية بعناية المستشرق ريشر (O. Rescher). فرجعنا الى المجلة المذكورة، واذا فيها صورة الرسالة على غاية ما يكون من الوضوح، وهي مأخوذة عن نسخة موجودة في استانبول[1]. وفي هذه المدينة بضع نسخ للرسالة منها النسخة التي بُنيت عليها طبعة الجوائب المتقدّم ذكرها. اما نشرة ليبسيك فذات ٢٦ صفحة، تشتمل على ٩٨ مقابلة، وهي تقرب في ترتيب اكثر الفقرات من طبعة الجوائب. اما مظهرها فأشبه بمظهر المخطوطة ٣٤٢ في المكتبة الشرقية، من حيث كتابة النثر بحرف صغير والشعر بحرف كبير جميل مضبوط بالشكل. ولكن لا مقدمة فيها، [illegible] مقابلة رأساً بعد «بسم الله الرحمن الرحيم»، وتنتهي بـ «كملت الرسا[illegible] بحمد الله وعونه وحسن توفيقه. الحمد لله وحده وصلواته على نبيّه سيّدنا محمد وآله وصحبه وسلّم. حسبنا الله ونعم الوكيل»، دون ذكر الناسخ ولا تاريخ النسخ.

هذا وقد طالعناها فاستفدنا من الاختلافات القليلة التي توردها، وذكرنا المهمة منها في الحواشي مشيرين الى النسخة بحرف ل، شاكرين لحضرة الاستاذ كراتشقوفسكي عنايته واهتمامه.

(١ O. Rescher, *Die Risâlet el-Hâtimijje* [*Islamica, II, 3 (1926) p. 439-473*.]

٢٧ قال ارسطو

الكلال[1] والملال يتعاقبان[2] الاجسام لضعف آلة[3] الجسم[4] لا لضعف آلة الحس[5].

[١٦ و] قال المتنبي

واذا الشيخُ قال: «أُفٍّ!»، فما ملّ
حياةً؛ وانما[6] الضعفَ مـلّا.

٢٨ قال ارسطو

الانسان شبح نور[1] روحاني ذو عقل[2] غريزي، لا ما تراه العيون من ظاهر[3] الصورة.

قال ابو الطيب

لولا العقولُ، لكان أدنى ضَيغمٍ أدنى الى شرفٍ من الإنسانِ.

٢٧ هي الفقرة ٢٨ في ق ول، و٤٦ في ت.
١) في ق: الكلام ٢) في ق: يتعاقبان على.
٣) سقطت في ت. ٤) سقطت في مم. اما ل فاسقطت: «لضعف آلة الجسم لا»
٥) في ت: الحسن. ٦) في ت: ولكن.
والبيت هو ٣٧ من القصيدة المذكورة في الفقرة السابقة (د: ٤٣٠)

٢٨ هي الفقرة ٥١ في ت، و٩٥ في ق، و٣٤ في ل
١) سقطت في ت. وفي ل: النور الروحاني.
٢) ذو عقل: كذا في جميع الاصول الا م ومم فاوردنا: ووعقل.
٣) في ل: ظاهرًا.
هو البيت الرابع من قصيدة في مدح سيف الدولة مطلعها:
الرأي قبل شجاعة الشجعانِ هو أوّلٌ، وهي المحلّ الثاني (د: ٤٣٩ – الروائع ١٢: ٤٨)

٢٩ قال ارسطو

النفوس البهيميّة مساكنة الاجسام الترابية ، ولذلك[1] يصعب عليها مفارقة اجسامها . والنفوس الصافية بضدّ ذلك .

[١٧ق] قال ابو الطيب

إلفُ هـذا الهواء أوقع في النفْـ ـسِ[2] أنّ الحِمام مُرُّ المَـذاق

٣٠ قال ارسطو

يقبح[1] بذي الجدة[2] ، ان يفارقه الجود ، لانهما اذا اعتدلا كان[3] اعتدالهما كالشيء الواحد ، ويحويهما اسمان .

قال المتنبي

والغِنى في يـد اللئيم قبيحٌ قدرَ قبح الكريم في الاملاقِ .

---

٢٩ هي الفقرة ٩٦ في ق ، و٣٥ في ل . اما ت فلم ترد فيها الفقرة .
١) في ق ول : فلذلك . ٢) في ق ود : في الأنفس .
والبيت هو ٣١ من قصيدة في مدح ابي العشائر الحمداني مطلعها :
أتُراها لكثرة العُشّاق تحسب الدمعَ خِلقةً في المآقي !
(د : ٢٤٥ – الروائع ١١ : ٢٥)

٣٠ هي الفقرة ٤٠ في ت ، و٣٦ في ل . اما ق فلم تذكرها .
١) في ت : قبيح . ٢) في ت بذي الجوده .
٣) في ت : كانا كشيء واحد ، ويحق بها اسمان .
والبيت هو ٣٤ من القصيدة المذكورة (د : ٢٤٥ – الروائع ١١ : ٢٥)

٣١ قال ارسطو

العاقل لا يساكن شهوة الطبع لعلمه بزوالها ؛ والجاهل يظن انها خالدة[1] له ، وهو باقٍ عليها . فهذا يشقى بعقله ، وهذا[2] ينعم بجهله .

[١٧و] قال ابو الطيب

ذو العقل يشقى ، في النعيم ، بعقله ؛
واخو الجهالة ، في الشقاوة ، [3] ينعمُ .

٣٢ قال ارسطو

الصبر[1] على مَضَض السياسة[2] يُنال[3] به[4] شرف الرئاسة[5] .

قال المتنبي

لا يسلم الشرف الرفيع من الاذى حتى يُراقَ على جوانبه الدمُ !

٣١ هي الفقرة ٦١ في ت ، و٦٣ في ق ، و٣٧ في ل .
١) في ت : باقية وهو باقٍ . ٢) في ل : وذاك .
٣) في ت : بالشقاوة .
البيت هو ٧ من قصيدة في هجاء ابن كَيَغْلَغ ، مطلعها :
لهوى النفوس مريرةٌ لا تُعلم ! عَرَضاً نظرتُ ، وخلتُ أني أسلَمُ !
(د : ٦٢٠ — الروائع ١١ : ٢٢)

٣٢ هي الفقرة ٦٢ في ت ، و٦٤ في ق ، و٣٨ في ل .
١) في ت وق : بالصبر . ٢) في ت : الرياسة . وفي ل : الزمان .
٣) في ت : تنال . وفي ل : تبال ، وهو تصحيف .
٤) سقطت في ق . ٥) في ت ول : النفاسة .
والبيت هو ١٠ من القصيدة المذكورة (د : ٦٢٠ — الروائع ١١ : ٢٢)
وقد اضافت ل البيت التالي وهو :
ومن المداوة ما ينالك نفعه ومن المودّة ما يضرّ ويؤلم
دون ان تذكر حكمة ارسطو الموافقة له ، وستأتي في الفقرة ٨٢

جولة في المجلات

بين النحت والتعريب – اهم المقالات الشرقية
في مجلات الاستشراق

بين النحت والتعريب

ينشر احد ادباء المصريين ، في مجلة المجمع العلمي العربي الدمشقي ، سلسلة مقالات بعنوان « ادبنا القومي » ، وبتوقيع « باحث » ، يلخّص فيها بعض الآراء المصرية في الادب ، ويدلّ على موقف ارباب المذاهب المختلفة من اللغة والمصر في مصر خاصةً . وقد وقفنا له في العدد الاخير (آذار – نيسان ١٩٣١ ، ص١٥٧ . . .) على كلام في وسائل ترقية العربية ، والسير بها الى مجاراة العصر وعلومه ؛ وفي ما يراه بعض الادباء من ضرورة النحت والاكتفاء به وسيلة الى ذلك ، وما يردّ عليه غيرهم من قصور هذه الوسيلة ، ووجوب الالتجاء الى التعريب ، اي ادخال الالفاظ الاجنبية الى اللغة بعد ان تتكيّف بالصيغ والاوزان العربية . وهذا كلام الكاتب الاديب ، بعد ان ذكر موقف اللغة من مظاهر العلم العصري (ص: ١٥٩-١٦١)

واذن لا بد من حلّ ، وهذا الحلّ لا يمكن ان يكون الا باتخاذ احدى طريقتين لا ثالث لهما : اما العياذ بالنحت والاشتقاق وما اليهما من الوسائل الى مطّ اللغات حتى تصيب طرائف المعاني . واما الالتجاء الى التعريب بعد صقل الالفاظ الاجنبية وتسويتها حتى تستقيم اللهجة العربية . وذهب قوم من افاضل العلماء الى هذا ، وخالفهم جماعة من انداد هم الى ذاك . ومن ذلك اليوم نشأ في هذه البلاد ما يدعى بالقديم والجديد ، ونجم من يدعون انصار القديم ومن يدعون أنصار التجديد .

نعم ، لقد اتسع بعد هذا معنى القديم ومعنى الجديد اذ اصبح الى تناوله

فقه اللغة . يتناول الادب في تصرفه واساليبه ومطالبه والغاية منه وغير ذلك، ولهذا شيعة وانصار ، ولهذا شيعة وانصار . . .

اسلفت عليك ان الخلاف قد انبعث بين من يقولون بالاجتزاء بالنحت والاشتقاق وما اليهما ، وبين من يذهبون الى التعريب . وقامت المناظرات بين الفريقين ، وعقدت المحافل لشهود الجدل والحوار . فكانت اظهر حجة لهؤلاء ان اللغة العربية قد انقبضت من مئات السنين عن اسباب الحضارة ، ولم تشهد هذه العلوم الحديثة ولا عهد لها بهذه الوسائل التي يطلع علينا الغرب بها كل حين . فليس من المعقول ان نصيب فيها ما يغني في كل ذلك.

ومن المسلم به اننا في علومنا واسبابنا في الحياة انما نعيش عيالًا على الغرب، وعنه نأخذ ومنه نستمد وبه نقتدي فلا محيص لنا عن التعريب . على اننا لا نكون مبتدعين اذا نحن عمدنا الى التعريب . فلقد اضطر اليه سلفنا العظام في انضر عصور اللغة العربية وازكى اياها ، اضطروا اليه في صميم العصر العباسي حين اريدوا على نقل علوم اليونان وآداب الفرس الى لغة الكتاب العزيز ، ولست تشق كتاباً ترجم او ألف في ذلك العهد في منطق او فلسفة او طب او هندسة او فلك او غيرها ، الا رأيته قد سلك ، في كثير من المواضع، سبيل التعريب .

وابلغ من هذا أن العرب في جاهليتهم على غنى لغتهم الهائل وعلى انهم كانوا أجهل خلق الله بالعلوم والفنون ، لم يتحرجوا من ان يقترضوا كثيراً من الالفاظ الفارسية والحبشية وينظموها في صميم العربية.

وكان من ابلغ حجج الآخرين ان التعريب لا يجوز الا للعرب . فهم وحدهم الذين يملكون ان يدخلوا في لغتهم ما شاؤا وان ينفوا عنها ما أرادوا. فكل دخيل بعدهم لا يمكن ان يقال انه من لغة العرب.

على ان السابقين في العصر العباسي وما وليه اذا كانوا قد اضطروا في سبيل الترجمة عن بعض مصطلحات العلوم الى ايراد كلمات اجنبية فما كان ذلك ليدخلها في لغة العرب ، بل انها ما زالت تعتبر من لغى اجنبية.

ثم ان العباسيين قد استطاعوا ان يترجموا بالعربية الصحيحة الخالصة علوم

اليونان ، وبديه ان وقوع طائفة يسيرة من المصطلحات الاعجمية فيها لا يخرجها عن عربيتها . اما نحن فاذا طرقنا اليوم هذا الباب فسنجد في كل عشر كلمات واحدة عربية وتسعة معربة ، او على الصحيح اعجمية ، اما لانه ليس في لغة العرب ما يدل على المعنى الحديث ، واما باستسهال الناس للتعريب عن طول المراجعة والتنقيب ، وفي هذا القضاء كله على لغة الكتاب الكريم.

ويرى هذا الفريق من العلماء ان في ابواب النحت والاشتقاق والتجوز متسعاً لكل ما يعرض لنا من معنى حديث وزادوا على هذا انه اذا تعصت لغة العرب عن اداء معنى طريف بعد ان تفر كل تلك الابواب ، وتنفد الحيل والوسائل ، فواجب ان يلجأ الى مجفوات اللغة وما لم يعد يستعمل من مفرداتها فيطلق على ذلك المعنى ، وبذلك نؤدي الغرض من جهة ، ونبعث ميت العربية من جهة اخرى .

اما نتيجة هذه المناظرات الطويلة وفائدة اللغة منها ، فظاهرة في ما يلي :

ثم يحتدم الجدال ، ويستحر الطعن والقتال . ثم اذا الزمن يكر ، واذا الليالي تفر ، واذا اللغة في انقباضها ، واذا المعاني الحديثة ما زالت في اضطرادها ، لا تستدركها على رأي انصار القديم ، ولا تلحقها على رأي اصحاب الجديد .

وعندنا ان الطريقين لازمان ، وكتّاب العربية مدفوعون اليهما جميعاً بدافع الحاجة الملحّة ، واهم مهما اطالوا الجدال ، سيضطرون يوماً ما – وهذا اليوم قريب – الى الاخذ بالاساليب العملية فينحتون ويعرّبون على السواء ، متأسفين على وقت اضاعوه بالمناظرات العقيمة . . .

اهم المقالات الشرقية في مجلات الاستشراق

الروح الدولي — L'esprit international, 1 *janvier 1931.*

A. Papanastasiou, *La première conférence balkanique, p. 3-33*

اول مؤتمر بلقاني

عُقد في اواخر السنة الفائتة (٥–١٢ تشرين الاول) ، في مدينة اثينة ، اول مؤتمر بلقاني . ولم يكن فيه للدول ممثلون رسميّون سياسيّون ، ولكن

اعضاء الوفود اجتمعوا برضى حكوماتهم . وفي الجلسة الاخيرة اقرّ المجتمعون قوانين مؤسسة بلقانية دائمة (مؤتمر سنوي بعمدته ولجنته الادارية) غايتها العمل على التقريب بين الدول البلقانية الستّ ، وهي البانية ، وبلغارية ، وتركية ، ورومانية ، ويوغوسلافية ، واليونان ، في ما خصّ الاقتصاد ، والسياسة ، والدروس . ولكل دولة الحقّ بان توفد ٣٠ عضواً ، مع ممثلين سياسيين يشهدون الاجتماعات ويكون لهم الحق بالتكلم . وقد كان كاتب المقال رئيس المؤتمر المذكور ، فشاء ان يُظهر غاية المؤسسين ويلقي نظرة اجمالية على المناظرات ، ويبيّن مبلغ تأثيرها . وان اهمية المؤتمر تنتج اولاً عن انه وُجد ، وعقد جلسات قانونية ، ثم عن انه مهّد السبيل للتفاهم بين تلك الدول المتباينة الغايات ، واخيراً عن انه انشأ مؤسسة دائمة ، وستعقد مؤتمرها القادم في الاستانة .

الشرق العصري Oriente moderno, *mars 1931.*

A. Giannini, *La costituzione della Transjordania, p. 117-131*

دستور شرقي الاردن

يجمع الكاتب بدقته المعتادة جميع المعلومات الضرورية للاحاطة بتنظيم امارة شرقي الاردن . فيذكر كيف أنشئت ، ويحدّد علاقاتها بالدولة المنتدبة ، ذاكراً اتفاق القدس (٢٠ شباط ١٩٢٨) وما يعيّنه من سلطة الامير والسلطات الأخر . ثم يلاحظ ان الدستور شحيح بتوزيع الحرية على سكان تلك البلاد واكثرهم من البدو ، حتى يمكن القول ان الانتداب في شرقي الاردن اوسع سلطة منه في اي مكان آخر ، فهو المهيمن على جميع الدوائر ولا يحدث شيء الا بمعرفته واذنه .

شذرات

ازمة الحج الى مكة

هي ازمة محسوسة تجلت بنقص مهم في عدد الحجاج الى مكة هذه السنة، فلم يتقيد من المصريين بذاك الواجب الا ثلاثة آلاف شخص حتى اواخر آذار. واذا عرفنا ان تجارة مكة وما جاورها لا تعيش الا من موسم الحج ، واذا عرفنا أن الحجاج ، فضلًا عن قلة عددهم ، لم ينفقوا الّا في حاجاتهم الضرورية ، ادركنا مبلغ الازمة الاقتصادية الآخذة بخناق تلك البلاد. هذا وان الحكومة نفسها تعاني ضيقة مالية شديدة مما دفع ابن سعود الى رفع رسوم الجمارك . ولكن هذا الحلّ لم يأتِ بالفائدة المقصودة.

أزمة السكر

ولما كان الحديث حديث أزمات ، نشير الى انه بين الازمات المتعددة المكوّنة الازمة الشاملة التي يئن منها العالم اجمع ، يلزم ان نخصّ بالذكر أزمة السكر، وقد طالما فتّش علماء الاقتصاد عن اسبابها في هذه الايام الاخيرة ، فتساءلوا هل هي نتيجة زيادة الانتاج ام نقص الاستهلاك ؟ واننا نرى السببين يتضافران على هذا الامر، فان الكميات الوافرة من السكر تتراكم كل سنة في المعامل فتثقل السوق العالمية . وان اوربة التي لم تكن تصدر ، لثلاث سنة خلت ، الّا ٨ ملايين طنّ ، نراها تصدر اليوم ١٠ ملايين ، بزيادة مليوني طنّ كل سنة يضافان الى الملايين الكاسدة في السنوات السابقة.

وقد جرّب بعض الاقتصاديين مداواة هذه الازمة ، فعرضوا تقليل انتاج السكر وتخفيف اصداره ، حتى تتساوى الكمية المستهلكة والكمية المنتجة. ورأى غيرهم ان الدواء يكون بزيادة الاستهلاك ، وهو ضعيف كل الضعف في ثلاث من الدول الكبيرة : روسية ، والصين ، والهند ، وسكانها جميعاً نحو من مليار . فاذا بدئ بدعاية شاملة في تلك البلاد ، وزاد استعمال كل شخص

منها عدة كيلوات من السكر سنوياً ، تكاثر الاستهلاك العالمي لهذا الصنف.

على ان هناك تأثير الازمة العالمية في اشتداد هذه الازمة الخاصة . فاذا ما اخذت الاولى بالانحلال لا شك ان الثانية تتبعها في ذلك.

الدول المشمولة بالانتداب الفرنسوي

وضعت دائرة عليا في المفوضية الاحصاء التالي :

تعتبر مساحة الدول الشرقية المشمولة بالانتداب الافرنسي ١٥٠ الف كيلومتر مربع منها ١٢٧,٠٠٠ كيلومتر مربع اراضي دولة سورية ، و١٠,٥٠٠ كيلومتر مربع اراضي الجمهورية اللبنانيـة ، و ٦,٥٠٠ كيلومتر مربع اراضي الدولـة اللاذقانية ، و ٦,٠٠٠ كيلومتر مربع اراضي دولة جبل الدروز.

اما السكان ففي سورية ١,٦٢٠,٠٠٠ ؛ وفي لبنان ٨٠٥,٠٠٠ ؛ وفي دولة اللاذقية ٢٨٣,٠٠٠ ؛ وفي جبل الدروز ٦٠,٠٠٠

ويؤلف اهالي القرى ٦٢ في المئة من هذا المجموع ، واهالي المدن ٢٥ في المئة والقبائل الرحل ١٣ في المئة.

وتعتبر مساحة الاراضي المعدة للزراعـة ١,٣٥٠,٠٠٠ هكتار في سورية ، و ٢٠٠,٠٠٠ هكتار في لبنان ، و ٢٥٠,٠٠٠ هكتار في دولة اللاذقية.

الطيران والنسور

اذاع روتر حديثاً للبرنس بيسكو قال فيـه انه يُطرىَ كثيراً الطيران ليلاً في جوّ الهند ، نظراً لشدة الحرّ والاستهداف لهجمات النسور نهاراً. وقال : ان طيارتنا انقضت عليها النسور مرّتين في خلال بضع ساعات : ففي المرة الاولى هاجمت الطيارة من الامام ودخلت الى وسط المحرك ، وذلك على مقربة منّ الله اباد ؛ وفي المرة الثانية انقضّ النسر من علوّ شاهق بينما كانت الطيارة على ارتفاع ٦,٠٠٠ قدم ، وكان انقضاضه هائل القوة الى حدّ انه ثقب جانح الطيارة المعدني ثقباً كبيراً . وكان ذلـك سبب الكارثة التي نزلت بالبرنس بيسكو وزملائه.

مطبوعات شرقية جديدة

Joseph Schacht : Der Islam mit Ausschluss des Qoràns [*Religionsgeschichtliches Lesebuch n° 13, 2te erweiterte Auflage*] 1931. *J. C. B. Mohr* (*Paul Siebeck*). *Tübingen.*

نصوص لدرس الاسلام

هي نصوص جمعها الكاتب ، وترجمها الى الالمانية ، تسهيلاً لدرس الاسلام. وقد اختارها من تآليف الائمة المشاهير من قدماء ومحدثين ، من حسن البصري حتى طه حسين. الا انه لم يختر شيئاً من القرآن ، لانه يعتبر نصوصه معروفة مشهورة. والمنتخبات تسهّل على الدارسين فهم ميزات الدين الاسلامي كالحديث ، والشريعة ، والعقائد ، والتصوّف ، وما الى ذلك. وقد خصّ الكاتب الفصلين الاخيرين بمختارات من تآليف المصلحين كالوهابيين ، والمصريين امثال السيد امير علي والشيخ محمد عبده . وكل النصوص مأخوذة عن افضل الطبعات ، مذيّلة بحواشٍ قليلة ولكنها ثمينة ، ملحقة بفهرس كامل . فيجدر بنا والحالة هذه ان ننصح بمطالعة هذا الكتاب المفيد حتى للاختصاصيين. ه. ل.

Martin Plessner : Die Geschichte der Wissenschaften im Islam als Ausgabe der modernen Islamwissenschaft[*Philosophie und Geschichte, n° 31*] 1931, 36 *pp. in-8° Prix* 1m, 80, *J. C. B. Mohr* (*Paul Siebeck*) *Tübingen.*

نصيب العلم العربي في تاريخ العلم العام

غاية صاحب هذه المحاضرة ان يبرهن بالامثلة اننا نستفيد فائدة جليلة اذا درسنا المؤلفات العلمية التي تركها علماء المسلمين القدماء ، واستعنا بما فيها لتأليف تاريخ عام للعلم . وذلك انه لم يبقَ من بعض المؤلفات اليونانية والرومانية الا ترجمات عربية ، وكذلك في ما خصّ تاريخ بعض الاقاليم او بعض العصور وجغرافيتها ، فليس لدينا عنها الا ما نعرفه عن طريق تآليف العرب.

ه. ل.

A. Sékaly : Le problème des Waqfs en Egypte. [*Extrait de la Revue des études islamiques*, 1929, *cahiers I-IV*] *Paris, Geuthner.*

مسألة الاوقاف في مصر

هذا بحث تامّ دقيق في موضوع مهمّ طالما اثار المناظرات الحامية في مصر. وكان أخراها سنة ١٩٢٦—١٩٢٨ ، فقام اعداء الاوقاف يحاربون شرعية المؤسسة نفسها شاكين في اصلها الديني . وهذه المناظرة الشديدة هي التي تهمّ صاحب الكتاب خصوصاً ، فيتبسط في الكلام عليها ، عارضاً اقوال اعداء الاوقاف والمدافعين عنها ، ذاكراً نشأة هذه المؤسسة ، وتطوّراتها ، وتقلباتها ، وفوائدها ومضارّها ، مشيراً الى تأثير النظام البرلماني فيها ، خاتماً بالقاء نظرة على حالة الاوقاف الحاضرة في مصر. ج. ل.

Abraham Baumkoller : Le mandat sur la Palestine. *gr. in-8° de 254 pp. Prix : 35 f^s. Paris, Rousseau et Cie*, 1931.

الانتداب على فلسطين

قام المؤلف ، وهو من دكاترة الحقوق ، بهذا الدرس الدقيق راغباً في توضيح الانتداب على فلسطين وما اتصف به من التعقّد ؛ لانه ، فوق ما تمتاز به سائر الانتدابات من الاهتمام بالارض وسكانها ، يختصّ بصعوبة ذات بال بشأن المركز القومي اليهودي ، فيظهر عنصراً غريباً من عناصر الحقوق الدولية بعد الحرب الكونية. وقد استند المؤلف في درسه الى النصوص المرعية ، والى شروحها وتآويلها الرسمية ، مما جعل لكتابه قيمة خاصة . وهو يبدأ بتوطئة عامة في الانتدابات ؛ وينتقل ، في القسم الاول ، الى درس المظاهر التاريخية والعنصرية الشعبية المتعلقة بالانتداب الفلسطيني ؛ فيصل ، في القسم الثاني ، الى تأسيس الانتداب المذكور وتطوّراته القضائية ، فالى ترتيبه ونظام تنفيذه . هذا ، وان كان من الحقّ ان التطور النهائي لذلك الانتداب يصل الى خلق وطن مزدوج ، فيبقى علينا ان نسأل هل تلك الحالة طبيعية ، وهل هي قابلة للحياة ؟ هو سؤال لم يُجب عنه المؤلف ، لانه لم يطرحه في كتابه. ج. ل.

Stephan Loesch : Epistula Claudiana der neuentdeckte Brief des Kaisers Claudius von Jahre 41 n. Chr. und das Urchristentum. *Eine exegetisch-historische Untersuchumg. in-8°, 48 pp. Prix: 3m,60. Bader'sche Verlagsbuchhandlung, Rottenburg a. Neckar (Württ.)*

رسالة كلوديوس الى اهل الاسكندرية

ان رسالة الامبراطور الروماني كلوديوس الى الاسكندريين المؤرخة في السنة ٤١ للمسيح من اهمّ الآثار التي حفظتها لنا اوراق البردي . وقد اثار نشرها سنة ١٩٢٤ مناظرات عديدة بين العلماء فزعم بعضهم انها اولى الشهادات عن الملع الذي نشأ في الاوساط اليهودية والمتهوّدة على اثر اظهار الدعوة النصرانية . وعاكسهم البعض الآخر . فلخص المؤلف هذه المناظرات بوضوح تامّ ، واشار الى المآخذ المختلفة ، في القسم الاول من تأليفه . وفي القسم الثاني ، عرض تأويلًا جديدًا لبعض تعابير الرسالة من التي لم يُتفق على تأويلها حتى اليوم ، بانيًا رأيه على مقابلات لغوية في تطوّر مدلولات الالفاظ بطريقة لا تقبل الجدل في نظرنا . فيكون ان ذاك « الضرر الوبائي الذي يهدّد العالم » ، ان لم توقف في الاسكندرية دفعات اليهود « القادمين من سورية ومصر » ، ليس الايمان المسيحي المختمر في قلب اليهودية ، بل الفوضى والاغتصابات الناتجة عن حركة قوية ضد الشعوب السامية

ر . م .

Axel Moberg : Eine syrische Masora - Handschrift in der Universitäts - bibliothek zu Lund. *in-8°, 18 pp. Lund, Haekan Ohlsson* 1928.

Du même : On some fragments of the book of Timotheos Ailuros against the synod of Chalcedon with two facsimiles. 14 *pp. in-8° et 2 facsimilés. Même librairie et même date.*

مخطوطة سريانية في مكتبة كلية لوند

لا يزال الاستاذ موبرغ يبذل اهتمامًا جديرًا بالثناء باظهار كنوز مكتبة كلية لوند . وقد دخل مؤخرًا في تلك المكتبة نسخة خطية من الماسورة السريانية تاريخها سنة ١٥١٦ يونانية (١٢٠٤—١٢٠٥ م) ، وهي مخطوطة ثمينة لا يُعرف منها الّا نسخ قليلة نادرة . ويزيد في قيمتها كونها كثيرة الشروح .

فوصفها المؤلف وصفاً دقيقاً يعود بالفائدة الجمّة على الاختصاصيين . ووقف في المخطوطة نفسها ، التي كان اكتشف فيها سابقاً آثاراً من كتاب الحميريين ، على صفحتين من كتاب تيموثاوس الايليوس ضدّ المجمع الخلقيدوني . ومن حسن الحظّ ان هذا المقطع قسم من بعض صفحات ناقصة في نسخة المتحف البريطاني الموسومة بالعدد ١٢١٥٦ . وقد نشر المؤلف صورة المقطع المذكور في آخر الكرّاس .

ب . م .

Cursus scripturae sacrae auctoribus R. Cornely, I. Knabenbauer, Fr. de Hummelauer aliisque Soc. Jesu presbyteris. Commentarii in librum Tobit, *auctore* Romualdo Galdos s. j. 1 *vol. in*-8°, *XX*-350 *pp.*, *Paris, Lethielleux*, 1930.

تفسير سفر طوبيا

تزداد هذه المجموعة ، بعد انتظار طويل ، بمجلّد جديد خُصّ بشرح سفر طوبيا الذي قلّما شرحه العلماء حتى اليوم ، فاتى على غاية ما يُرام من الدقة والوضوح . وقد قدّم المؤلف عليه بحثاً صرف فيه همة خاصة الى المسائل التمهيدية ولاسيما مسألة العلاقة بين سفر طوبيا المذكور واسطورة احيقار ، وحضرة الاب غالدوس يقرّر وجودًا تاريخياً لشخص اسمه احيقار كان كاتباً يهودياً في بلاط الملك سنحاريب .

ب . م .

Harry Elmer Barnes : La genèse de la guerre mondiale. Introduction au problème des responsabilités de la guerre. *Traduit d'après l'édition américaine par* L. Laurent. 1 *vol. in*-8° *de* 555 *pp. Prix* : 30 *f*, *M. Rivière, éditeur, Paris*, 1931.

نشأة الحرب العالمية

هو اتم كتاب واوفاه وثائق ظهر في اميركة عن اصول الحرب العالمية . نال رواجاً مهمّاً حتى رأى الاستاذ لوران ان يترجمه الى الفرنسوية . وقد امتاز به المؤلف ، وهو استاذ التاريخ العمراني في جامعة سميث ، بانه قام بدرس وضعي تام لجميع الاسباب البعيدة والقريبة ، الصريحة والضمنية ، التي ادّت الى تلك المجزرة الهائلة ، وحلّل تحليلاً دقيقاً سياسات الدول : فرنسة وروسية والمانية والنمسة وانكلترة وصربية ، فعرضها جليّة واضحة . ولا عجب ان

لا توافق بعض الصفحات الافكار التي كانت جارية مدة تلك الحرب . لان المؤلف اراد ان يستخلص الحقيقة ناصعة من الاوهام التي تغلفها ، وهو يرى ان معرفة الحقيقة كاملة ، التي تنتج العدالة كاملة ، هي وحدها تضمن في اوربة سلاماً نهائياً .

P. Marty : Les Zaouias marocains et le Makhzen. [*Extrait de la Revue des études islamiques*, 1929]. *Paris, Geuthner.*

الزوايا المراكشية والمخزن

هو بحث مختصر في الطريقة الجارية في مراكش لتسليم السلطة الدينية او «البركة» من رجل الى آخر ، ولتسليم ادارة املاك زاوية ما واستثمارها . وفي الظروف التي يتدخل فيها المخزن . والمؤلف يعدّدها كلها ، ويردف الكتاب بذيل فيه بعض الوثائق والمستندات .

J. Calvet : Le renouveau catholique dans la littérature contemporaine. *in-8°*, 397 *pp.* 1931, *Paris, Lanore.*

التجدد الكاثوليكي في الآداب العصرية

نستقبل هذا الكتاب بكل ارتياح ، لانه ، فضلاً عن كونه يجمع المظاهر المتعدّدة لحركة مباركة قد لا يعرفها الكثيرون ، يولي المطالع املاً حياً ويؤثر فيه تأثيراً صالحاً اذ يرى التجدّد الكاثوليكي ظاهراً في شخصيات بعض المؤلفين الفرنسويين وآثارهم التي تتبعها الكاتب وهو من مؤرخي الادب ونقّاده المعروفين . فننصح الادباء جميعاً باقتناء هذا الكتاب ، وكذلك نشير على ارباب التعليم بوضعه في مكاتب طلّابهم .

J. Calvet : Un artiste chrétien, Joseph Aubert 1849-1924, 4° *de* 207 *pp. illustré*, 1926, *Paris, Lanore.*

جوزف أوبر الفنّان المسيحي

هذا ايضاً من آثار المؤلف نفسه ، خصّه بفنان مسيحي اشتهر بتقواه وحب عمل الخير ؛ فظهرت شخصيته في اعماله الفنية التي نشرتها بين الجمهور تصاوير برّون ، فتذوّقوا ما فيها من صفاء في الفكرة واتقان في العمل . وان يكن هذا الفنّ دينياً فليس ذلك بالمواضيع فقط ، بل ايضاً بالصناعة نفسها وبما تثيره من العواطف السامية .

ج . ل .

الاصول العربية لتاريخ سورية في عهد محمد علي باشا

تولى جمعها ، وضبط قراءتها ، ووضع فهارسها الدكتور أسد رستم

المجلّد الثاني : الاوراق السياسية لسنة ١٢٤٨–١٢٥٠ ه . – ١٧٥ ص ، كبيرة ، المطبعة الاميركية ، بيروت ، ١٩٣١

تكلمنا في «مشرق» السنة الفائتة (٢٨ [١٩٣٠] : ٥٥٦) عن المجلد الاول من هذه المجموعة القيّمة فاثنينا عليه بما يستحق من الثناء . وها هو المجلد الثاني نرى فيه الاسلوب ذاته بما اشتهر به من نقد تاريخي ودقّة علمية ، وهو يحتوي على الاوراق السياسية لسنة ١٢٤٨–١٢٥٠ هجرية (١٨٣٢–١٨٣٥م). على ان جميع الاوراق المنشورة لا تنحصر كلها بالسياسة ، بل هناك تذاكر سفر (عدد ١٥٢) ، ووصل باجرة كديش (عدد ١٥٥) ، وحجة بعتق رقيق (عدد ٩١) ، ومراسلات ودّية (عدد ١٠٨) ، ووثيقة بالتزام ملحمة او مسلخ (عدد ١٢٢) ، واذن باعادة بناء كنيسة (عدد ١٢٧) . وبين ذلك ورقة غريبة (عدد ١١٧) تذكر زووقاً يرفع علم دير الكرمل ويطلب اعفاءه من النخرة ، والورقة عدد ١٤٨ تحلّ خلافاً حول كنيسة الصعود في جبل الطور. ولا شك ان اهم الاوراق المذكورة تلك التي تتعلق بثورة فلسطين فتدلّ على ما احدثته هذه الثورة من القلق للمصريين . وقد رتّب الاستاذ رستم جميع الاوراق حسب تاريخها ، ونشرها كما هي بالاصل دون «اصلاح» ، وهو الاسلوب العلمي الدقيق . اما انشاؤها فيدلّ على ما كان عليه القوم ، حتى في الدواوين والادارات الرسمية ، من قلة الاهتمام بالقواعد العربية. ه.ل.

في الزواج المسيحي

رسالة عامة للاب الاقدس البابا بيوس الحادي عشر

ص ٥٤ ؛ ق ٨ ؛ بيروت ، المطبعة الكاثوليكية ، اذار ١٩٣١

عربت ادارة البشير هذه الرسالة تعريباً متقناً قيماً ، وطبعتها بحرف «المشرق» وحجمه ، ونشرتها على قراء اللغة العربية ، شعاع نور يضيء ظلمات

السبيل في وجه السائرين على طريق الحياة ؛ عسى ان تكون دستوراً للابوين في القيام بواجباتهما المقدسة امام الله وتجاه الضمير . والطبعة مبوّبة ابواباً يسهل الولوج منها الى قلب الموضوع. فهي تبسط المبدأ والاساس في تعاليم الكنيسة في سرّ الزواج ، وتنبه الى خيرات الزواج الحقيقي ، الا وهي اولاً الاولاد فتصف منزلة الوالدين وواجباتهم في تربية ابنائهم . وثانياً الامانة الزوجية وما تقتضيه من الوحدة الكاملة والحبّ المتبادل بين الزوجين ، فتتخطى من ثمّ الى الكلام في نظام المحبة، والى السر الالهي الغير القابل الانفكاك وفي ما يؤديه من النعم للزوجين . وتتناول الكلام على الاضاليل المضادّة للتعليم المتعلق بالزواج ، وعلى الرذائل التي تفسد الحياة الزوجية ومصادرها وعواقبها الهائلة ، وعلى ما تؤدي اليه من الخطأ ضدّ الاولاد والاعتداء على حياة الجنين في احشاء امه . ذلك ما لا يبرّره تحسين النسل مهما تشدّق الضالّون . وقد كشف الاب الاقدس القناع عن فساد اقوالهم في ما علّموه على الامانة الزوجية ، والحرية المحرّمة ، وتحرير المرأة الموهوم ، وفي تكرانهم كون الزواج سرّاً ؛ ونبه الضمائر الى اخطار الزيجات المختلطة وازدياد الطلاق وسهولته ، وردّ على الاعتراضات المناقضة عدم انحلال وثاق الزواج ، وشجب الطلاق وعواقبه. ومهد السبيل الى استئصال هذه العادات الرديئة ، وذلك باحياء الاحترام الواجب للزواج في انعام النظر برسمه الالهي واستمطار النعم الالهية عليه بسيرة مسيحية حقيقية ، والانقياد لتعاليم الكنيسة والطاعة لاوامرها . فيجب اذاً ان تعلم قواعد الزواج بغيرة وفطنة ليشترك الزوجان في العمل مع النعمة السرية ، ويستعدا للزواج الاستعداد الواجب ، فيعرفا كيف يتغلبان على العقبات الاقتصادية التي تحول دون تتميم واجباتهما . وان التعاون بين الكنيسة والحكومة لا بدّ منه لصيانة حقوق سرّ الزواج المظيم . وختم الاب الاقدس رسالته بالنصائح الابوية مستمطراً النعم والبركات على الجنس البشري . فنثني على همة ادارة البشير في تعريبها وطبعها ونشرها هذا الاثر الجميل ، ونرجو من المسيحيين اجمعين ، بل من كل قراء العربية، ان يقتنوه ويحفظوه في عيالهم كدواء ضد الاضاليل العصرية لان فيه كلمات الحياة.

ف . ت .

المسيح في الجسمانية

المطبعة الكاثوليكية ، ١٩٣١ — ١٨٠ ص . متوسطة — الثمن : ٢٥ غ . ص .

مؤلف صغير الحجم عظيم الفائدة يحتوي اربعة عشر تأملاً في الآلام التي عاناها القلب الاقدس في بستان الزيتون ، على ما الف التأمل فيها اعضاء شركة « الساعة المقدسة » بكل انحاء المعمور . ويتقدم التأملات نبذة في عبادة « ساعة السجود المقدسة » . وقد جاء الكل مطبوعاً باذن صاحب الغبطة السيد البطريرك الانطاكي الماروني ، منقولاً الى العربية بعبارة انيقة بسيطة ، مما يجتب الصلاة العقلية الى كل المؤمنين ويدربهم عليها وليس من يجهل مكانتها في الحياة الروحية . وتسهيلاً لانتشاره جعل ثمن النسخة منه ٢٥ غرشاً سورياً ، فنحث الجميع على اقتنائه والاستفادة منه . ش . ا .

طريق الخلاص

رسالة رعائية وجهها صاحب النياقة القاصد الرسولي السيد فريديان جيانيني الى الاكليروس والشعب اللاتيني في نيابة حلب الرسولية ، بمناسبة الصوم الاربعيني لسنة ١٩٣١

من الميزات الجوهرية التي تفرق بين العهد القديم والعهد الجديد ان الاول يعلق المواعيد المتنوعة الجذابة بالسعادة الزمنية على الثبات في الايمان الحق ، وحفظ الشريعة الموسوية . اما الثاني فلم يجدد تلك المواعيد بل افهم غالباً مؤمنيه بالا يتوقعوا في هذه الحياة الا المصائب والمحن ، وينتظروا الثواب على تعلقهم بالايمان وحفظهم الوصايا بعد مماتهم في الملكوت السماوي .

هذه هي القضية التي تبسط بشرحها ممثل الكرسي الرسولي . وهي تنال من سويداء القلوب ، بما لها من الوقع الحالي تجاه التيار الدافع الى ارتشاف ملاذ الدنيا ونسيان الآخرة . قد نسمع المسلمين يرددون ان دينهم يكسب لهم سعادة الدارين ، وان في قولهم هذا ، لا فرق بين اليهود وبينهم ولم يأتوا بشيء جديد . فيا ليتهم يقرأون هذه الرسالة فيجدوا فيها الجواب على ما يتهمون به الدين المسيح من مناقضته الطبيعة البشرية ، ويعرفوا اين طريق الخلاص . ف . ت .

طرق التجارة في الشركات

تأليف توفيق نان رويس ، مفتش القلم التجاري بوزارة المعارف العمومية

الطبعة الثانية ؛ ص ٢٠٤ ؛ ق ٨ ؛ مطبعة الاعتماد بمصر ١٣٤٨–١٩٢٩

يشتمل هذا الكتاب على اهم المسائل الفنية والقانونية الخاصة بالشركات التجارية ، وهو موضوع بطريقة مختصرة باسلوب مدرسي ليسهل على الطلاب استذكار ما القي عليهم في التعليم التجاري . صدّر المؤلف الكتاب بالملاحظات العامة ، وفيها اوضاع الاصول التجارية في تعريف الشركة وانواعها ، ودوّن موادّه في ستة فصول وملحقين . فالفصول تبحث في الشركات وشروطها وبطلانها،وتوضح محتوياتها وصور عقدها او حلّها او تعديلها ؛ وما بين الشركات ميز المؤلف شركات التضامن والتوصية البسيطة والمحاصة (وهي الشركة بدون عنوان ، ولا رأس مال للقيام بعملية او عمليات معيّنة ، يتفق عليها شخصان او اكثر) وشركة المساهمة المحدودة (التي اطلق عليها القانون الانكليزي لفظة «ليمتد» وهي لا تعنون باسم احد الشركاء. وانما يطلق عليها الغرض المقصود منها كعنوان لها ، ويكون فيها الشركاء غير ملزمين في الخسارة الا بقدر سهامهم فيها) وجال من ثم بالبحث في محاضر الجلسات الخاصة بالشركات المساهمة وبشركات التوصية بالاسهم . وادخل خلال هذه الفصول تمارين مفيدة يمتحن بها الانسان نفسه على ما تعلمه في الفصل السابق . اما موادّ الملحقين ففيها قرارات مجلس الوزراء الخاصة بالشركات المساهمة ، وصورة المرسوم والعقد الابتدائي والنظام الخاصّ بشركة مصر للنقل والملاحة . والكتاب مطبوع طبعةً انيقةً ، وهو سهل المراجعة بفضل تقاسيمه وعناوينه ؛ فلا عجب ان اقرّته وزارة المعارف العمومية المصرية في مدارسها التجارية . فنهنئ عليه المؤلف ونرجو له رواج كتابه في المدارس.

ف . ت .

اهم حوادث الشرق في شهر

١٥ نيسان — ١٥ ايار ١٩٣١

روسيا والشرق اهدى صاحب القداسة الحبر الاعظم وسام المهاز الذهبي الى صاحب السمو سيدي احمد باشا باي تونس تقديراً لما ابداه سموه من المحافظة على حرمة الدين المسيحي في مملكته.

لبنان وسورية قام فريق من مسلمي طرابلس بمظاهرة احتجاج على فظائع الايطاليين المزعومة في طرابلس الغرب. فاصطدموا برجال الدرك ، فقُتل دركي وأُصيب زهاء عشرة جرحى . والتحقيق جارٍ مجراه .

* تتوالى المناوشات بين عشيرة الموالي وعشيرة الحديديين من عرب بادية سورية . على ان السلطة تبذل المساعي لاصلاح ذات البين.

* احتفل في ٢٣ نيسان بتدشين جسر دير الزور الذي اقيم على ساعد الفرات الكبير ، وهو يتألف من ٣ قناطر كبيرة. ويبلغ طوله ٤٥٠ ١/٢ متراً.

* اعترف بطاركة الاستانة والاسكندرية واورشليم بصحة انتخاب السيد الكسندروس بطريركاً للطائفة الارثوذكسية . ولكن هذا الاعتراف لم يحلّ شيئاً من الازمة لانه لم يرضِ الفريق الآخر ، ولا يزال المنتخبان بطريركين كلٌّ في منطقته.

* لا تزال مقاطعة شركة الكهرباء والجرّ على حالها .

مصر تنزل الخديوي عباس حلمي للملك فؤاد عن حقوقه في العرش المصري.

* بوشرت الانتخابات النيابية ، فكان الاقبال عليها لا يقلّ اجمالاً عنه في ما سبق . وقد فاز حزب الحكومة على رغم معارضة الوفديين والاحرار الدستوريين ، فلجأ هؤلاء الى الاحتجاجات والخطب.

تركيا تمت الانتخابات النيابية وقد احرزت الحكومة اغلبية مطلقة . واعيد انتخاب مصطفى كمال باشا رئيساً للجمهورية.

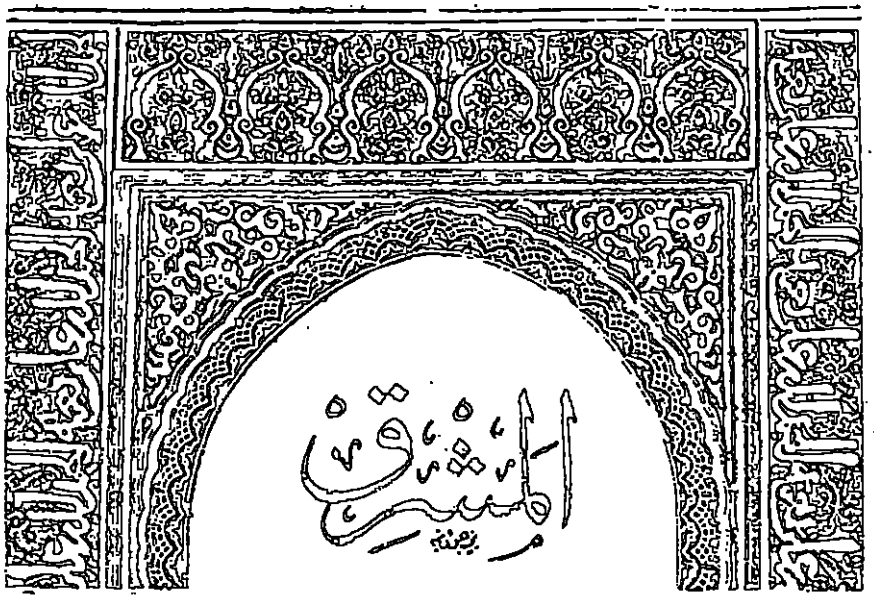

تموز ١٩٣١

اسرة القديس يوحنا الدمشقي

بقلم الاب لامنس اليسوعي

في ١٨ و١٩ نيسان الفائت ، احتفل احتفالاً باهرًا بتدشين مبنى جديد على اسم القديس يوحنا الدمشقي ، اقامه الآباء اليسوعيون في المحلّ الذي كان يسكنه القديس في دمشق . فرأينا ان نورد شيئًا عن اسرة ذاك القديس العظيم الذي يعدّ بحقّ عنوان فخر ومجد في الكنيسة الشرقية .

في الايام الاولى من شهر اذار سنة ٦٣٥ ، وصل العرب بقيادة خالد ابن الوليد الى ابواب دمشق ، فبدأوا حصارها . وضيّقوا عليها مدة ستة اشهر ، حتى ايلول من السنة نفسها . وكانت الحامية البيزنطية من جنود الامبراطور هرقل قد تركت المدينة هاربة في شهر آب . فلم يبقَ للدمشقيين الا العمل على مصالحة المحاصرين .

فاوفد المسيحيون للمخابرة بالصلح اسقف دمشق ، يعاونه رجل اسمه

منصور بن سرجون كان ، دون شك ، اوجه سكان المدينة[1] ؛ وكان سلفاؤه يتعاقبون ، منذ امد مديد ، في مناصب الادارة لاسيما المالية منها. وكان منصور نفسه يدير الشؤون المالية في دمشق منذ اواخر سني الامبراطور موريس (٥٨٢–٦٠٢) . وقد زعم فون كريمر انه من اصل يوناني ، ولكنه لم يدعم زعمه بالبراهين ؛ ومن الظاهر ان اسمه لا يؤيد هذا الزعم ، فهو عربي النصف ، سرياني النصف الآخر . اما ما يمكننا تأكيده فهو ان منصور بن سرجون كان من اقدم أسر دمشق ، وانه كان يستحق لقب « المسيحي كلّ المسيحي » الذي ينعته به المؤرخ اليوناني تيوفانوس . ولم يكن منصور هذا الا جدّ اللاهوتي الشهير القديس يوحنا الدمشقي[2] .

وقد أيد منصور وطنيته بذهابه ، مع الاسقف ، لمخابرة العرب الهاجمين على المدينة ، والتداول معهم بشأن الصلح . ساعده في ذلك اطلاعه الواسع على لغة العرب وعاداتهم ، ومعرفته حالة مدينته وسكانها معرفة لم يكن ليجاريه فيها احد ؛ فكان افضل من يوفد لمثل تلك المهمة الدقيقة . واذ بدأت المناقشات في شروط التسليم ، اظهر منصور كل مقدرته واستعان بجميع مواهبه ليخفف عن عاتق وطنيه مبلغ الغرامات المالية . وقد نجح في ذلك كل النجاح .

ولا شك انه ، في تلك المناسبة ، قابل ، للمرة الاولى ، يزيد اخا معاوية الخليفة المقبل ، الذي كان من مشاهير قوّاد العرب اذ ذاك . فأثرت في يزيد كل التأثير مهارة منصور وبلاغته ، وخصوصاً تضلعه من الشؤون المالية . فلم يعيّن والياً على منطقة دمشق حتى سلّمه ادارة الاموال . على ان يزيد لم يهنأ طويلاً بولايته فمات

---

١) في ما خصّ مآخذ هذا المقال ، نحيل قرّاءنا الكرام الى كتابنا في « معاوية » : « *Etudes sur le règne du calife omaiade Mo'âwia I, Beyrouth, 1908* » الصفحات ٢٥٦ ، ٢٨٤–٢٩٦

٢) كان احد منازله قائماً في بستان القطّ . راجع ابن عساكر : تاريخ دمشق (مخطوطة المكتبة الظاهرية) ٧ : ٢٨ – والمجلة الاسيوية *Journal asiatique, 1896, 1° partie p. 576.*

بالطاعون بعد سنة ، وخلفه اخوه معاوية . فاقرّ منصوراً بمنصبه ، واستفاد من مهارته التي سرعان ما اعادت النظام في الشؤون المالية وقد كانت تضعضعت طبعاً على اثر الفتح .

وعندما عُيّن معاوية والياً على بلاد الشام بكاملها ، وسّع صلاحية منصور حتى شملت جميع منطقته . ولما كان معاوية نفسه متحدّراً من اسرة اشتهرت بالتجارة والمعاملات النقدية ، كان يدرك حق الادراك اهمية الادارة المالية ويقدر مهارة ماليّه منصور وذكاءه حق قدرهما . وزاد في ذلك انه كان بحاجة دائمة مستمرّة الى المال لتحقيق مشاريعه العظيمة التي بدأ بالتفكير بها منذ ذاك الحين. ولم يكن ليجد بين رجاله من العرب من يقدر على القيام مقام الدمشقي، ولا مقام غيره من وطنيه . ولهذا ظلّ جميع اصحاب المناصب من المسيحيين في مراكزهم ؛ وظلّت اللغة اليونانية وحدها لغة دوائر ديوان الدولة . ولم يلبث معاوية ان عيّن منصوراً مديراً لديوان الجبايات وحساب الجيش . فكان كأنه عيّنه وزير المالية والحربية ، وهما الادارتان الوحيدتان اللتان اهتمّ بهما العرب . ولم يكن غير منصور ليفهم طريقة تنظيم تلك الدوائر المتشعبة ، فكان عليه ان يسهر على جباية الضرائب ، واعالة الجيوش ، وترتيب ذخائرها وعُددها المختلفة ، وبناء السفن وتهيئة الاسطول ، عندما شاء معاوية مباشرة الحرب البحرية في الاسلام. وعندما بويع لمعاوية بالخلافة ، سنة ٦٦٠ ، غدا منصور ، وهو المطّلع على جميع المفاوضات ، الواقف على اسرار الدولة ، الوزيرَ الاول في السلطنة العربية . فاصبح لا مدير المالية السورية فحسب ، بل وزير مالية الخلافة باسرها يهتمّ بتموين الجيوش البرية والبحرية .

وما زال في ذاك المنصب المهمّ حتى آخر حياته . وقد كان في زمن الشيخوخة ، اذ اولاه معاوية ثقته . ولكن ليس لدينا ما يدلّ على انه ادرك آخر خلافته التي طالت حتى سنة ٦٨٠ . وعند وفاة منصور خلفه ابنه لا في وظيفته فحسب ، بل في ثقة الخليفة ايضاً . وقد برهن معاوية عن هذه الثقة برهاناً جلياً ، اذ شعر بدنوّ اجله ، في غياب ابنه يزيد عن الشام وكان قد سمّاه ولي عهده ، فشاء ان يعين مجلس وصاية يدير شؤون الدولة بعد وفاته حتى وصول

ابنه يزيد ، فألف المجلس وجعل فيه ، مع عضوين مسلمين ، وزيره الاول وخادمه الامين ابن منصور الدمشقي النصراني.

اما علاقة الخليفة يزيد بابن منصور فلم تكن جديدة ، لانهما كانا قد نشأا معاً وتربيا معاً . واذ كان يزيد لا يزال ولي عهد ، كثيراً ما كان يهرب من رسميات قصر الخضراء مبتعداً عن نظر ابيه القاسي ، فيلجأ الى منزل الدمشقي الكائن في بستان القطّ والذي كانت ساحته الواسعة تجاور السور جنب باب كيسان . فكان يلتقي هناك بصديقه الاخطل ، الشاعر الكبير ، فيلهوان مع ابن منصور ، ويشتفون الآذان بسماع الموسيقى الراقية ، ويرتشفون من أكواب الذهب خمر لبنان الذهبي . فلا عجب ان يكون يزيد ، وقد اصبح خليفة ، وضع كل ثقته بوزير اليوم وصديق الامس ، فادرك هذا نفوذاً كبيراً لم ينقطع الا بما فاجأ الخلافة من وفاة يزيد ، في تشرين الثاني سنة ٦٨٣.

بعد وفاة يزيد ساد عصر الفوضى . اذ بويع بالخلافة لمعاوية الثاني ، وكان قليل الصحة مستديم العلة ، فعيّن ثلاثة يشرفون على الادارة ، ومن هؤلاء الثلاثة كان ابن منصور الدمشقي . ثم تنزّل الخليفة عن العرش ، فبويع مروان الاول الذي ملك عشرة اشهر قضاها بالحروب قامعاً الثورات ليستعيد الشام ومصر . ومن الواضح ان النفوذ الاكبر في تلك الحالة كان لرؤساء الجيش . على ان الدمشقي احتفظ بمركزه وتأثيره ، لاننا نراه لا يزال في وزارة المالية حتى آخر خلافة عبد الملك بن مروان (تشرين الاول ٧٠٥) .

وكان قد اخذ بعض التغيّر يدخل عقلية الخلفاء ، منذئذٍ ، فمالوا الى « تعريب » جميع اداراتهم ، وقوي تعصب الفاتحين العنصري والديني حتى اصبح مما لا يُطاق ان يحكم الدولة رجل مسيحي . فاخذوا بادخال اللغة العربية ديوان الحسابات ، حتى رقي الوليد العرش ، وهو من كبار المتطرّفين بالوطنية ، فانتزع من ابن منصور الدمشقي ادارة المالية ووزارة الدولة ، وعيّن مكانه رجلاً عربياً من اتباعه ومريديه .

وكان يترعرع اذ ذاك ، في بيت الدمشقي ، ولده يوحنا الذي كان له ان يخلّد اسم اسرته ، وان يصبح مظهر مجد وفخر للكنيسة الشرقية . على اننا لا

نعرف تاريخ مولده ، كما اننا لا نعلم شيئاً يُذكر عن حوادث شبابه ، سوى انه أنشئ تنشئة ممتازة ، فتعلم على مشاهير علماء عصره ، واتقن منذ يفاعته جميع العلوم والفنون الدينية والمدنية حتى الموسيقى. وتضلع من اللغات الثلاث : الارامية ، التي كانت لغته الاصلية دون شك ، واليونانية ، والعربية. وان تآليفه تشهد له خير شهادة بتضلعه من العربية . اما تاريخ وفاته فلا يمكننا تحديده بتدقيق ، ونحن نعلم انه لم يعش حتى ما بعد السنة ٧٥٣ ، بل نرجح انه توفي نحو السنة ٧٤٨ ٧٤٩.

تبع يوحنا في اول عهده مهنة اسلافه في ادارة الشؤون المالية ، مستفيداً من اختبارات ابيه ونصائحه ؛ فحذا حذوه في ذاك المنصب حتى خلافة هشام (٧٢٤—٧٤٣) ، فاستعفى ، واعتزل الاعمال . وما هي مدة قصيرة حتى ودّع العالم وانصرف الى الروحيات ، مختلياً في دير القديس سابا نواحي في القدس . وهناك اخذ باتمام تلك المؤلفات النفيسة التي جعلت من القديس يوحنا الدمشقي اغزر كتّاب الشرق ، على تنوّع مؤلفاته من فلسفة الى لاهوت ، الى شعر ، الى خطابة ، الى تاريخ .

وبعد وفاته ، لا نعرف احداً اشتهر من تلك الاسرة الشريفة التي اخرجت ، مدة ثلاثة ارباع القرن ، افضل الوزراء للدولة العربية.

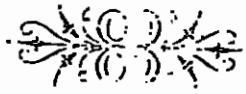

ربله وآخر ايام اورشليم

بقلم الامير موريس شهاب
امين دار الآثار اللبنانية

٢

المصريون يحثون بني يهوذا على الوقوف في وجه نبوكدرصر

واما نبوكدرصر « فسيقدم كتابورَ بين الجبال ومثل الكرمل عند البحر » (ارميا ٤٦ : ١٨) و « مصر عجلة بارعة الجمال . قد خرج عليها الزنبور من الشمال . وكذا مستأجروها (*mercenaires*) في وسطها كعجول مسمنة . قد ولوا وهربوا جميعاً ، ولم يقفوا ، لانه قد حلّ بهم عطبهم وقت افتقادهم . صوتها كالحية يسري لانهم زاحفون بجيشهم وآتون عليها بفؤوس كحاطبي الاشجار » (ارميا ٤٦ : ٢٠-٢٢) « هاءنذا افتقد . . . فرعون وجميع المتوكلين عليه . واجعلهم في ايدي طالبي نفوسهم في يد نبوكدرصر ملك بابل وايدي عبيده . »

ولم يكتفِ ارميا بحثّ الشعب على ترك المصريين . بل طلب من باروك ان يكتب في درج كتاب نبوّته وان يتلوه على الشعب في بيت الربّ . ففعل باروك واخذ الرؤساء منه الدرج ، وتلوا منه قسماً على الملك يوياقيم وكان جالساً « في بيت مشتاه والكانون امامه متقد » . فشقّ الملك الدرج ، والقاه في النار حتى فني . فاعاد ارميا املاء فحوى الدرج على باروك ، فكتب ذلك باروك في درج ثانٍ . وقال له ارميا : « تقول على يوياقيم ملك يهوذا هكذا قال الرب انك قد احرقت هذا الدرج قائلاً لماذا كتبت فيه وقلت ليأتينّ ملك بابل وليدمرنّ هذه الارض ويخليها من الناس والبهائم . فلذلك هكذا قال الرب على يوياقيم ملك يهوذا انه لا يكون له من يجلس على عرش داود وتكون جثته مطروحة للحرّ في النهار والقرّ في الليل » (ارميا ٣٦ : ٢٩—٣٠) وقد تجاسر وقال له ايضاً : « انه لا يُلطم عليه آهاً يا اخي او آهاً يا اختي ، ولا يُلطم عليه آهاً واسيداه او آهاً واجليلاه . بل يُطمر طمر الحمار وهو ممزّقٌ مطروح

بعيداً عن ابواب اورشليم» (ارميا ٢٢ : ١٨—١٩)

وبينما كان انبياء اورشليم يضيعون الوقت في الجدل على اي الطرق احسن: محالفة مصر ام الخضوع لنبوكدرصر ، كان ابن ملك بابل يتقدّم بجحافله غازياً البلاد ، وناشراً فيها لواء بأسه. وكأن قدوم جيوشه أثّر في ذهن ملك يهوذا ، فلم يجرأ على مقاومته . وقفل نبوكدرصر راجعاً الى بلاده بعد ان تأكد خضوع البلاد لسطوته . ولكن كيف يرضى ملوك مصر بهذا الخضوع وكيف يقبلون على انفسهم جيرة ملك جبار كملك بابل ؟ الم تحنكهم الايام فيعرفوا خطر هذا الجوار . لو كانت حدود بابل مثلاً عند كركميش ، شمالي سورية ، او عند مجدّو ، شمالي بلاد اسرائيل ، لسهل الامر عليهم . لان البلاد التي تقوم بينهم وبين سلطنة بابل تكفي لجعل حاجز يمنع عبور الجيوش الكلدانية او يؤخرها ، ريثما تتهيأ مصر للدفاع عن كيانها . ولكن انّى لهم ذلك والمدوّ في جهات غزة على ابوابهم. فاذا غُلبوا على امرهم في معركة ما ، اصبح العدو بعد المعركة في عقر دارهم . وما هي القفار التي بينهم وبين غزة ؟ ألم تجتزها جنود الفراعنة غير مرة ، مهما كانت عليه من الصعوبة ، أوَ لم تجتحها شعوب الرعاة ، ثم جنود اشور لاحتلال البلاد المصرية ؟ ولذلك فلن يهدأ للفرعون بال ما دامت الشعوب السورية هادئة تخضع لبابل خضوعاً تاماً . ولذا كان الفرعون دائماً يحرّضها على طرد الكلدان من بلادها ، ويحثها على الثورة، واعداً اياها بنجدتها على طاغيتها ، وبارسال الجنود المصرية للحماية عنها . وكيف لا يُخدع ملك اسرائيل بهذه الوعود ، وهو صنيع الفرعون ، ومصر على مقربة منه. اما بابل فبينه وبينها بلاد واسعة تهبّ معه مقتدية به وتقوم على البابليين.

نبوكدرصر يشوتي على اورشليم للمرة الاولى

ولم يتمد نبوكدرصر من البلاد حتى ظن يوياقيم ان الوقت قد حان ، فنادى شعبه للثورة ، غيرَ مبالٍ بنصائح ارميا النبي ولا بوعيده. وما وصل خبر ذلك الى بابل الا اوفد نبوكدرصر سريعاً احد قوّاد ابيه لخنق الثورة في مهدها . وحين رآها تتفاقم وتكاد تنتشر في البلاد المجاورة طار اليها بجنده .

فما وصل الى قرب بلاد يهوذا الا كان يوياقيم قد توفي ، وقام مكانه ولده يوياقين . ولكن لم يطل عهده في الملك ، وقد قال فيه ازميا انه لو كان خاتماً بيد الرب اليمنى لنزعه منها ، وقال ايضاً معبّرًا عن افكار الله: «وجعلتك في ايدي طالبي نفسك وايدي الذين تفزع من وجوههم وفي يد نبوكدرصر ملك بابل وايدي الكلدانيين . وقذفتك انت وامك التي ولدتك الى ارض اخرى حيث لم تولدا و هناك تموتان ... هكذا قال الربّ اكتبوا هذا الانسان عقيماً رجلًا لا يُفلح في ايامه ولا يفلح من ذريته احد يجلس على عرش داود ويتسلط على يهوذا من بعد» (ارميا ٢٢: ٢٥ و ٢٦ و ٣٠)

وما مضى على حصار اورشليم زمن، وعلى تبوء يوياقين العرش ثلاثة اشهر ، الّا دخل الكلدان اورشليم وقبضوا على ملكها وعلى كبار المملكة ، فساقوهم جميعاً مكبّلين الى بابل بعد ان اعملوا النهب والسلب في المدينة، وسطا نبوكدرصر على كنوز الهيكل ونهب انفسها. فلم يبقَ في البلاد زعيم الا سيق الى بابل ، وترك نبوكدرصر في القدس احد احفاد يوشيا، ودعاه صدقيا، وملكه على البلاد.

ارميا يحذر الشعب من الثورة على ملوك بابل

ولكن هل يقبل شعب ذو عقيدة ان يهان ويُذلّ ، وما تعمل الغلبة في نفس المغلوب اذا كانت هذه النفس شامخة ابيّة ، وهي تعتقد ان سلطة علوية انزلت بها العقاب حيناً ولكنها لن تتخلى عنها . فكيف يقبل بنو يهوذا الذلّ والهوان وهم على اعتقاد صميم انهم الشعب المختار ، وان ربهم لن يتخلى عنهم ابدًا ، وقد قطع على نفسه العهود . وعلامَ يدلّ توقف المصريين عن نجدتهم ؟ أليس من مصلحة مصر ان تكون لهم عوناً ؟ فان لم تتمكن من ذلك هذه المرّة افلا تنجدهم في غيرها ؟ وكيف لا يتحمّس الشعب للاخذ بالثأر ، وقد رأى ما جرى بسطوة الأشوريين وكيف زالت بسرعة عجائبية ؟ خاصة وان المنفيين كانوا على صلة دائمة بهم ينذرونهم دائماً بقرب العودة الى البلاد ويشجعونهم ضد الكلدان . وكان جميع انبياء يهوذا يبشرونهم بقرب الفرج ويقوّون عزائمهم . فعبثاً حاول ارميا ان يردعهم عن ذاك الغرور ويقنعهم ان الضربة

ستكون هائلة اذا صدرت منهم اقلّ بادرة. وكان ارميا يكتب للمنفيين: «ابنوا بيوتاً واسكنوا واغرسوا جنات وكلوا من ثمرها . اتخذوا نساء ولدوا بنين وبنات... واكثروا هناك ولا تقلّوا. واطلبوا سلام المدينة التي اجليتكم اليها ، وصلوا من اجلها الى الربّ فانه بسلامها يكون لكم سلام» (ارميا ٢٩: ٥و٦و٧)

وكان يصيح بالشعب الباقي في اورشليم: «والآن قد جعلت جميع هذه الاراضي في يد نبوكدرصر ملك بابل. . . والامة والمملكة التي لا تتعبد لنبوكدرصر ملك بابل وكل من لا يجعل عنقه تحت نير ملك بابل فاني افتقد تلك الامة بالسيف والجوع والوباء» (ارميا ٢٧ : ٦ و ٨)

وكيف لا يشكّ الشعب في صدق ارميا ، وهم يرونه يدافع عن الكلدان هذا الدفاع ؟ والشعب دائماً عدوّ مصلحته لا يخضع الا لمن يشجعه في غروره . فساء ظنّه في ارميا . وكاد مراراً يفتك به ، وكم تمنى ذلك من عانده من الانبياء ، وكم من مرة حرضوا الشعب على قتله !

وقد تأثر صدقيا من حماس شعبه وجعل يميل لارضائه ، ولو كان صنيعة ملك بابل . لانه صعب على المرء ان يظن منه الشعب خيانة وطنه لمصالح شخصية . ولكن الملك صدقيا كان يدعو اليه ارميا النبي سراً ويرسل اليه من يستشيره عن الاحوال وعن الخطة السياسية الواجب اتباعها . وقد قال له ارميا يوماً بصراحة: «انك ستُجعل في يد ملك بابل» (ارميا ٢٧ : ١٦)

نبوكدرصر ينكب اورشليم للمرة الثانية

وما زال الفرعون المصري ينفخ روح الثورة في البلاد السورية حتى قام القسم الاكبر منها على الكلدان . وكان نبوكدرصر قد تبوأ عرش بابل فحشد جيشاً عرمرماً وحمل به على سورية . وعند وصوله الى ربله ، عسكر فيها حيناً ليستطلع اخبار الثورة وهو حيران في اي الشعوب يهاجم اولاً ، وقد رأى انه يحسن به ان يبدأ بضرب الثورة في قلبها ، وما قلبها الا اورشليم ، فاذا استولى عليها تمكن من التوغل جنوباً لقطع المواصلات بين مصر وحلفائها من الشعوب القاطنة شرقي الاردن ، ومن الفينيقيين واهل مملكة صور .

فما صحت له العزيمة الا قام بجيوشه يرمي نطاق الحصار حول اورشليم واهم بلدان يهوذا . وقد دافع اهل اورشليم عن مدينتهم دفاع الابطال . ولكنهم لم يتمكنوا من منع الحصار وخرق نطاقه . وكان ارميا يلح دائماً على الشعب بالتسليم للكلدان حتى نفرت منه الكهنة والانبياء وازداد الظن بخيانته . وفي خلال حصار الكلدان لاورشليم، ارسل صدقيا يطلب من ملك مصر ان اپريس يبر بوعوده ويعطيه « خيلاً وشعباً كثيرين » (حزقيال ١٧ : ١٥) . ولبى ملك مصر طلبه ، فدرى نبوكدرصر بمجيء الجيش المصري ورفع الحصار حيناً عن اورشليم . فانتهز ارميا الفرصة للخروج من اورشليم ، وبث دعوته في بلاد بنيامين . ولكن حرس باب المدينة ظنوه خارجاً لمخابرة الكلدان فقبضوا عليه وزجوه في السجن ، ولم ينجُ من العذاب الا بواسطة الملك صدقيا بذاته . اذ انتشله من سجنه وامر ان تطلق له حرية الاقامة في ساحة السجن ، وامر له بالطعام في اشد ايام المجاعة .

وعاد الكلدان الى حصار اورشليم يضيقون عليها ويدكون حصونها، فاستشار صدقيا ارميا سراً وسأله رأيه في التسليم فاجابه ارميا : « ان خرجت الى رؤساء ملك بابل تحيا نفسك وهذه المدينة لا تحرق بالنار وانت واهل بيتك تحيون . . فقال الملك صدقيا لارميا : « اني اخاف من اليهود الذين هربوا الى الكلدانيين ان اجعل في ايديهم فيسخروا مني » (ارميا ٣٨ : ١٧ و ١٩)

وكان ارميا يقول للشعب : « ان قتلتم جميع جيش الكلدانيين الذين يحاربونكم وبقي منهم رجال قد طعنوا هولاء يقومون كل واحد في خبائه ويحرقون هذه المدينة بالنار .

« ان هذه المدينة ستُجعل في ايدي جيش ملك بابل فيأخذها فقال الرؤساء للملك ليقتل هذا الرجل فانه انما يرخي ايدي رجال القتال الباقين في هذه المدينة وايدي جميع الشعب » (ارميا ٣٨ : ٣ و ٤)

وبعد سنة ونصف من ابتداء الحصار « فتحت المدينة ودخل كل رؤساء ملك بابل . . . فلما رآهم صدقيا ملك يهوذا وجميع رجال الحرب هربوا وخرجوا من المدينة ليلاً . . . فجرى جيش الكلدانيين على اثرهم فادركوا صدقيا في

صحراء اريحا فاخذوه واصعدوه الى نبوكدرصر ملك بابل في ربله بارض حماة، فتلا عليه القضاء . وذبح ملك بابل بني صدقيا في ربله على عينيه وذبح ملك بابل جميع اشراف يهوذا. وفقأ عيني صدقيا واوثقه بسلسلتين من نحاس ليجيء به الى بابل. واحرق الكلدانيون بيت الملك وبيوت الشعب بالنار وهدموا اسوار اورشليم . وسائر الشعب الذين بقوا في المدينة والهاربين الذين هربوا اليه وسائر الشعب الذين بقوا اجلاهم نبوزرادان رئيس الشرط الى بابل . اما شعب المساكين ممن لم يكن لهم شيء فتركهم ... في ارض يهوذا واعطاهم كروماً وحقولاً في ذلك اليوم.» (ارميا ٣٩)

هذا ماكان من امر اورشليم وقد اصبحت في يد الكلدان قرية لا يبالي بها ولا يخشى منها . ولكن انّى لشعبها الحيّ ان يفقد امله بالنصرة وهو دائماً يؤمل بالفرج ؟ وكان ارميا يعده به اذ يقول : « لا تخف يا عبدي يعقوب يقول الرب فاني معك وسافني جميع الامم التي دحرتك اليها واما انت فلا افنيك بل اؤدبك بالانصاف.» (ارميا ٤٧ : ٢٨) او يقول « اسرائيل غنم مشتتة قد طردته الاسود . اولها ملك اشور افترسه واخرها نبوكدرصر هشم عظامه . لذلك هاءنذا افتقد ملك بابل وارضه كما افتقدت ملك اشور واعيد اسرائيل الى مرتعه فيرعى في الكرمل وباشان وتشبع نفسه في جبل افرائيم وجلعاد.» (ارميا ٥٠ : ١٧ — ٢٠)

ويقول ايضاً « ان بابل كأس ذهب بيد الرب تسكر كل الارض . من خمرها شربت الامم ولذلك تدلهت الامم . بغتة سقطت بابل وحطمت . ولولوا عليها . خذوا بلساناً لوجعها لعلها تشفى . قد عالجنا بابل فلم تشفَ . اهجروها ولنذهب كل واحد الى ارضه ... الرب ابدى برّنا فهلموا نخبر في صهيون بعمل الربّ الهنا.» (ارميا ٥١ : ٧—١٠)

صدقت ببابل اقوال ارميا اذ انها دمّرت وهجرت ولم تزل ارضها مهجورة، ومركزها مجهولاً حتى ايامنا ، حيث اعادتها الحفريات الى حيّز الوجود . ولكن فلنعد بالذكر الى سهول البقاع ، ولنلق نظرة على الآثار التي تركها نبوكدرصر في ضواحي ربله عند مروره بها .

(للبحث صلة)

في قداسة الكنيسة

للاب ارمند اودين ، احد كهنة رهبنة قلب يسوع الاقدس*

١ً ما هي القداسة الواجب ان تمتاز بها كنيسة المسيح ؟ – ٢ً هل توجد هذه القداسة ، في الكنائس المنفصلة عن الكثلكة ؟ – ٣ً وجودها وسطوعها في الكثلكة. – ٤ً ردّ الاعتراضات .

١

ما هي القداسة التي يجب ان تمتاز بها كنيسة المسيح ؟

من اشرف واهم العلامات التي اراد الله ان تمتاز بها الكنيسة الحقيقية ، عن كل ما سواها ، القداسة ؛ لان الكنيسة ليست الا جماعة اقيمت لتكميل عمل فداء البشر ، وهو العمل الذي نزل ابن الله من السماء لاجله ، وتجسد وبذل ذاته ضحيّة عنه ، وبالتالي قد اقيمت لتعليم الناس الصراط الذي يوصلهم الى الخلاص ، ولتطهير انفسهم من نجاسات الخطايا ، ولصيرورتهم اعضاء حيّة لذلك الجسد السرّي ، الذي رأسه هو المسيح . وكيف تقدر الكنيسة على تحصيل تلك الغايات ، ان لم يكن الروح القدس حاضرًا فيها ، ومزاولًا قوته بتلك المواهب الالهية والمفاعيل العجيبة التي نعبّر عنها بقولنا : ان الكنيسة هي مقدسة . فان هذه العبارة تدل على شيء مفرز من كل ما هو دنس وذليل ، وعلى شيء متحد بالله اتحادًا وثيقًا وجزيل الافادة لتمجيده تعالى ، ولحثّ الناس على محبته وعبادته . فلا شكّ اذن في ان المسيح اراد ان تكون كنيسته مقدسةً ، وهذا ما يؤكده رسوله حيث يقول : « ان المسيح احب كنيسته ، وبذل نفسه عنها ، ليقدسها ويطهرها ، فتكون له كنيسةً مجيدةً ، لا عيب فيها ولا دنس ، بل هي مقدسة وجميلة » (افسس ٥ : ٢٥–٢٧)

ونعلم ان المخلص نفسه ، في اثناء صلاته لاجل تلاميذه ، بعد العشاء السرّي ، سأل اباه السماوي ان يقدّسهم ويصونهم من كل شرّ ، ويجعلهم واحدًا في محبته (يو : ١٧) واعتبر ايضاً ما قاله لهم قبل ان يفارقهم بصعوده

*) صحح عبارته ، وعني بنشره القس اسطفان فرحات اللبناني .

الى السماء ؛ ها انا معكم على الدوام ، الى انقضاء العالم . فان هذه الكلمات تتضمن وعداً منه عزّ وجل ، بان يعطي كنيسته ، في كل زمان ، جميع المواهب الروحية اللازمة لها ، لتقوم بمهمتها . فتبلغ البشر الى الخلاص الابدي. واكثر هذه المواهب ضرورةً هي القداسة . فان الله اذاً يريد ارادةً صريحة ومطلقة ، ان تتلألأ كنيسته دائماً بهاء القداسة.

واذن ما هي هذه القداسة التي لا يجوز ان تخلو من جمالها بيعة الله المسيح؟ هل نتصورها منافيةً لكل عيب في المؤمنين ، حتى يصبحوا اشبه بالملائكة منهم بالبشر ؟ كلّا ، فان وجود جماعة كهذه على الارض ، لا يمكن الا باحدى المعجزات العظيمة التي يقدر الله على اجرائها . ولم يعد الله بمثل هذه الاعجوبة ، بل ولم تكن لازمة لبلوغ غاية الكنيسة . وتاريخها يشهد بان اعضاءها ، لم يكونوا قط كلهم قديسين ، فتمّ فيها بذلك ما تنبأ به مؤسسها الالهي ، بمثل الشبكة الملقاة في البحر ، والجامعة بين جيّد السمك ورديئه (متى ١٣ : ٤٧–٤٩) وبمثل المذارى اللواتي كان بعضهنّ حكيمات ، والبعض الآخر جاهلات (متى ٢٥ : ١–١٣) ورعاة الكنيسة انفسهم لم يزدانوا جميعاً بالقداسة ، بل سمح الله بان تكون عيوب وشكوك في كل مراتب السلطة الكنسية ، كما سمح بسقوط احد الاثني عشر رسولاً .

لكن القداسة الكافية لتميز كنيسة المسيح هي التي يبين لنا وجودها في جماعة النصارى الأولين كتابُ اعمال الرسل ؛ وتراها قائمة بثلاث صفات : اولاها : محافظة الرسل على تعليم يسوع المسيح ، وسعيهم في اقتياد الجميع الى قبوله واتباعه . ثانيتها : ازدهار اجمل الفضائل واعجبها في عدد كثير من المؤمنين ، وهذا بتأثير كلام الرسل في قلوبهم . ثالثها : اجراء الله ما كان لازماً من المعجزات تأييد كلام الرسل ، واعلان صحة تعليمهم . فحيثما ظهرت لنا هذا المحامد متقارنةً في اي جماعة كانت ، وجب علينا القول : ان هذه الجماعة هي مقدسة ، اي انه تعالى يعضدها ويعمل فيها ، وانها تفيد الناس وتعينهم على ان يصيروا صدّيقين في هذه الدنيا ، ومغبوطين في الاخرى . هكذا نرى في كتب الآباء الاجلاء انهم فهموا قداسة الكنيسة . فانهم برهنوا عليها تارة

يذكر تعليمها الذي لم يزل تعليم المسيح بعينه ، غير ممزوج بشيء من الآراء البشرية ، والاضاليل الوخيمة ؛ وطوراً بمديح ما يلمع في الكنيسة من فضائل الكثيرين من ابنائها على اختلاف ما عاشوا فيه من الازمنة والبلدان وسائر الظروف ؛ وحيناً بتبيان ما صنعه الله ، ولا ينفكّ عن صنعه ، من الآيات المتنوّعة تأييداً لتعليم الكنيسة ، وتمجيداً لبعض بنيها ، الذين بلغ ايمانهم وطهارة سيرتهم اسمى درجة . فاذاً ، ان هذه الادلة الثلاثة هي التي نعدّها شروطاً لازمة ليجوز القول عن جماعة انها مقدسة ، وبالتالي نطلب ان نشاهدها محققة في المجتمع الذي يعترف بكونه كنيسة المسيح الحقيقية.

٢

هل توجد القداسة في الكنائس المنفصلة عن الكثلكة ؟

قد مرّ بك ان القداسة ، التي يسوغ ان نتطلبها في كنيسة المسيح ، تقوم بتلك الصفات الثلاث المذكورة ، وذلك تمييزاً لها عن غيرها . فان كان الامر كذلك ، فايّ اثر للقداسة يظهر لنا في الكنائس التي انفصلت عن الكثلكة ؟

على ان بعضها قد غيّرت تعليم المسيح ، وبدلته ، او خلطته بآراء جديدة ، صار بها مذهبها مختلفاً جداً عما اعتقدته كنيسة القرون الاولى . وهذا العيب يظهر خاصةً في الشيع البروتستانية التي تأسست على مبدأ حرية الفرد في تأويل الاسفار الالهية ، مع رفض التقليد والسلطة الكنسية . ولا يخفى على احد ما اتى به هذا المبدأ من الثمار الوخيمة . فان متبعيه انقسموا الى بدع لا يُحصى عددها ، وانتهى بعضهم الى انكار اهمّ الحقائق الدينية ، او الارتياب فيها . فواضح اذن ان الكنائس البروتستانية لم تحافظ على تعليم المسيح ، واذن فليست مقدسة .

غير ان هذا الحكم ، لا يقع على الكنائس الشرقية التي تسمى ارثوذكسية وتفتخر بثباتها في الايمان بكل ما اعتقده مؤمنو الاجيال الاولى . ولكن بأي طريقة نرى تعليم المسيح محفوظاً في تلك الكنائس ؟ هل يدرسه كهنتها حتى يتضلعوا منه فيتمكنوا من تهذيب الشعب فيه ؟ او هل يعتني رعاتها بصيانة رعيتهم من ضرر الجهل الديني ؟ وهل يثابر خوارنتها على ارشاد بنيهم

الروحيين بالمواعظ الخلاصية ؟ وهل يقوم فيها بعض اصحاب العلم والغيرة لمناصبة التعاليم الفاسدة التي يسمى البروتستان والزنادقة في نشرها، محاولين تقويض اركان الايمان المسيحي ؟ فليجاوب عن هذه الاسئلة المطلعون على حقيقة احوال الكنائس الشرقية . ونخاف جداً ان كل قارئ ملمّ بما يبيّنه التاريخ ، وما يعرضه على انظارنا الاختبار اليومي ، يُضطر الى الاعتراف بان ذلك كله ينقص الكنائس المنفصلة نقصاً يُرثى له جدّ رثاء . فليس التعليم الالهي اذاً محفوظاً فيها ، الا كحرف مهمل يُكتب ولا يُقرأ.

هذا ما يجب قوله ، بالرغم من اسفنا الشديد ، في الصفة الاولى المستلزَمة، لتحسب احدى الكنائس مقدسة . وماذا نقول الآن في الصفة الثانية ، وهي سطوع الفضائل العجيبة في قوم من ابناء تلك الكنيسة التي تدّعي بكون مؤسسها هو المسيح . وهنا ربّ معترض يزعم ان البحث متعذر في هذا الموضوع، لان الفضيلة تستتر في بواطن النفس ، فلا يقدّر درجتها سوى الله الذي يبدو له كل خفي . فنجيب مقرّين بعجزنا — في الغالب — عن تقدير درجات الفضيلة، فربما ارتقى منها الى سموّ فائق من لم يلتفت احد اليه . ولكن للفضيلة علامات ، كما للرذيلة ، تكفي لتمكننا من التمييز بين اصحابها ، ومن معرفة ما اذا كان في جماعة ما عدد كبير ممن يتلألأ فيهم كمال التقوى وطهارة السيرة. فاذا استفهمنا التاريخ عن احوال الكنائس المنفصلة ، فبماذا يجيبنا ؟ وكم قديساً ظهر فيها ، منذ آن انفصالها ؟ نعم ان القديسين كثروا قديماً في الاقطار التي تسود فيها اليوم المذاهب الغير الكاثوليكية ، فيجوز للانكليز مثلاً ان يفتخروا باجواق النسّاك التي ازهرت في جزيرتهم حين استحقت ان تلقب بجزيرة القديسين . وكذلك للالمان ان يذكروا ويعظموا نموذجات القداسة العجيبة التي ازدانت بها بلادهم ، في القرون الوسطى . واكبر فخر ايضاً للشرقيين ، ان يكونوا ابناء تلك البلاد الشريفة التي وُلد فيها قدوس القديسين ، وامه الكلية الطهارة ، ورسله ، وغيرهم عدد كبير من الشهداء ، ومعلمي الكنيسة والرهبان والنساك الذين طار صيت محامدهم في كل العالم ، واعتادت كنائس الشرق والغرب ان تكرمهم وتستشفعهم ، ولم تزل فيها كتب اولئك الآباء

الشرقيين محفوظة ومعتبرة جداً ، فتروق المكبين على مطالعة الدروس اللاهوتية العالية ، وهم آباؤنا في الايمان الذين خلدوا مجد اسمائهم بما جاهدوا به من التيقظ والتجلد ضد مساعي المبتدعين ، فما اجزل الشرف واحسن البهاء اللذين اكسبك اياهما قديسوكِ القدماء ايتها الكنيسة الشرقية ! ان هذا المتاف لهو بفم كل من يراجع تاريخ تلك الازمنة البعيدة سواء كان شرقياً او غربياً. غير ان هذا التعجب يقترن بامرّ التأسف لدى مقابلتنا بين تلك الحوادث الماضية ، وبين الحالة الحاضرة . فاننا نرى الآن العقم حيث كان الخصب ، والجمود حيث كانت الحياة . فتزر عدد القديسين هناك ، وقد كانوا كثيرين ، في القرون الاولى . فمن له ان يتأمل هذا التغيّر الغريب دون ان يعتريه الحزن والغمّ ! وكأني به يسأل نفسه : لماذا ضعفت الحياة في تلك الكنائس التي ظهر فيها قديماً كمال النضارة، وملءُ النضارة ، وكيف اصبحت ، ايتها الكنيسة اليونانية ، قاصرةً عن توليد قديسين كثيرين ، ينضمون الى صفوف ابنائك الذين أعلوا شأنك في العصور الاولى ؟ فاي متى يا ترى ابتدأت حالة العقم هذه المكدّرة ؟ أليس في أوان الانشقاق ؟ بلى ! ، لان اليوم الذي ادّعت فيه الكنائس الشرقية باستقلالها عن الكرسي البطرسي ، انما هو بدء تضاؤل القداسة ، وقد كان ابطالها من قبل كثيرين ، ككثرة الثمار الجميلة على غصون الاشجار.

وماذا نقول الآن ، اذا أجرينا الكلام على الاسرار المقدسة التي وضعها يسوع المسيح في كنيسته كاقنية روحية تجري بها نعمه الى انفس المؤمنين ؟ اننا نلاحظ ، من هذا الوجه ايضاً ، فرقاً عظيماً بين الكنائس الشرقية وشيع البروتستان. فانه من اشنع اضاليل هذه الجماعات أنها نبذت اغلب تلك الاسرار الجليلة ، وبالجهد حافظت على السرّ الذي هو اشد مما سواه ضرورةً للخلاص الابدي ، اعني به العماد . ويظهر ايضاً ان قوماً من البروتستان قد غيروا طريقة العماد تغييراً يحول دون صحته.

فلله الحمد والشكر على انه لم يسمح بان يصيب مثل ذلك الكنائس الشرقية . وخاصةً الكنيسة اليونانية ، التي لم يرتب احد حتى اليوم في صحة

عمادها ، وكهنوتها ، وباقي اسرارها . ولكن هل يكفي وجود هذه الاسرار ، في جماعة ، ليسوغ القول ، انها جماعة مقدسة ؟ كلا ! لان الاسرار وان كانت دائماً بذاتها أدوات المية ، قادرة على تقديس النفوس ، فانها مع ذلك لا تقدّس سوى من يقتبلها بحسن الاستعداد . ومن ذا الذي يحصل على هذا الاستعداد الجيد الا من تعلم ان يُحيي الايمان في نفسه ، وان يطهّر قلبه بالندامة . ولا يخفى ان هذا التأهب ضروري ، خصوصاً لقبول سر التوبة . فان حلّة الكاهن ، لا تفيد شيئاً من لم يحرّك نفسه على بغض جميع خطاياه المميتة ، وكيف يُرجى ان يستعدّ لذلك من لم يتعلم شيئاً من المبادئ الدينية ، وهو لم يُلقَ عليه قط ارشاد روحي ، فلا يدري ما هي الندامة ، ولا يخطر في باله وجوبها ، ولم يتعوّد الا تلاوة بعض نوافل روحية وعبادات ظاهرة ، كرسم اشارة الصليب ، وانحناء الرأس ، وما اشبه ذلك . فاي ثمرة يمكن ان يجنيها هذا المسكين من اعترافه ، ومن حلّة الكاهن ؟ واحسرتاه ! ! ان هذا الجهل والعمى لهما حالة اغلب المنفصلين ، فنتيجة ذلك واضحة بقدر كونها مؤلمة ومزعجة . اي ان ما يقبلونه من الاسرار لا يكاد ينفع لتقديس انفسهم ، ولخلاصهم الابدي .

بقي ان نتكلم عن المعجزات في الكنائس المنفصلة عن الكثلكة ، فهل يجري فيها شيء من ذلك ، وتاريخها ساكت عن هذا الامر ؟ اللهم الا بعض حوادث خارقة العادة ، قد نشر خبرها . ولا ننكر احتمال صحتها الا اننا نتمنى ان يُجرى ، لكل واحد منها ، تحقيق مدقّق . وان ثبت ان هناك آيات حقيقية ، نقول ان الله صنعها جزاء لفضل بعض الذين يعبدونه في تلك الكنائس بسلامة النية ، كما نزعم انها حال كثيرين . ولكن هل تكفي حوادث قلائل كهذه اعلاناً لقداسة مذهب من قمت على يدهم ؟ كلا . فانه سبحانه وتعالى ، يوزع مواهب نعمه كيفما شاء وحيثما اراد ، فلا بأس اذن في ان يغدق منها شيئاً على بعض خدامه المستقيمي النية ، وان كانت الكنيسة التي ينتمون اليها منفصلةً عن تلك التي انشأها يسوع المسيح ، وهم بذلك غير دارين .

(له صلة)

أمالي السنة : ٨

كلمة « توراة »

بقلم حضرة الاب ا. س. مرمرجي الدومنيكي

٢

ورود « توراة » في الكتب والمعاجم العربية

قال الاب شيخو اليسوعي : [1] « واخصّ ما عرفه العرب في الجاهلية من الكتب المنزلة « التوراة والزبور والانجيل » فقالوا في التوراة التورية ايضاً ؛ وهي كتب موسى الخمسة اي : التكوين ، والخروج ، والعدد ، والاحبار ، وتثنية الاشتراع . « ثم اطلقوها على اسفار العهد القديم اجمالاً . » وقد وردت الكلمة في الشعر القديم ، قال السموأل :

وبقايا الاسباط اسباط يعقو ب دارس « التوراة » والتابوت .

ا) المعاجم المطلقة « توراة » على اسفار موسى « لا غير »

1 Freytag, *Lex. ar.-lat.*

« التورية التوراة = *Lex mosaica.* »

2 Lane, *VII-VIII*, 3052.

« التوراة = *the book of the law revealed to Moses.* »[2]

ب) المعاجم المطلقة « توراة » على اسفار موسى ، ثم على العهد القديم كله

١ عبد الله البستاني : « البستان » :

« التوراة : ويقال التورية : اسفار موسى الخمسة . . . وقد اطلق على العهد القديم كله . »

---

١) الاب شيخو : النصرانية وآدابها ، ص ١٨٢ وما يليها .

٢) غير خاف على اديب ان هذا المعجم مجموعة اشهر واوسع المعاجم العربية . فلو كانت « توراة » تطلق على شيء آخر في هذه الاسفار ، لكان لا محالة ذكره .

٢ الشرتوني : « اقرب الموارد » :

« التوراة : اسفار موسى الخمسة . . . وتطلق على العهد القديم كله . »

٣ الاب لويس معلوف اليسوعي : « المنجد » :

« التوراة او التورية : اسفار موسى الخمسة — العهد القديم كله . »

ت) المعاجم المطلقة « توراة » على اسفار موسى — والعهد القديم كله — والعهدين معاً

١ بطرس البستاني : « محيط المحيط » :

« التوراة او التورية : اسفار موسى الخمسة . تطلق على العهد القديم كله « وربما » (اذن في الامر شك) اطلقت على مجموع العهدين . »[1]

٢ الاب بلو اليسوعي : « الفرائد الدرية » :

« التوراة او التورية = *Loi mosaïque, Bible* »

ث) المعاجم الفرنسية - العربية ، المؤدّية كلمة *Bible* « بالكتاب المقدس » ولا « بالتوراة »

١ E. Bocthor, *Dict. fran.-arabe* :

« الكتاب ، العهد العتيق والجديد = *Bible* »

٢ محمد النجاري : « معجم فرنسي - عربي » :

« الكتاب المقدس = *Bible* »

---

١) ليس في حوزتنا « دائرة المعارف » للبستاني ، لنتبين ما جاء فيها في صدد « توراة » . [المشرق] — راجعنا الدائرة المذكورة فاذا فيها ما يلي بعنوان : « توراة *Pentateuque* » « لفظة عبرانية معناها شريعة او ناموس والمراد بها في تقسيم اسفار الكتاب المقدس اسفار موسى الخمسة ويسمّيها اليهود بالناموس او ناموس موسى . وهي سفر التكوين وسفر التثنية وقد مرّ ذكرها وسفر الخروج وسفر اللاويين او الاحبار وسفر العدد وسيذكر كل منها في بابه واسم هذه الاسفار عند الافرنج مأخوذ عن لفظة يونانية مركبة معناها الاسفار الخمسة . وربما استعمل النصارى التوراة للدلالة على مجموع العهد القديم وعلى العهدين ايضاً من باب تسمية الكل باسم البعض . » ثم يتابع الكاتب الكلام ، على ان التوراة اسفار موسى وحدها ، لا الكتاب المقدس بكامله كما هو واضح في شرحه وفي خاتمته اذ يقول : « واما الكتاب المقدس عموماً فسيأتي الكلام عنه في باب الكاف بالاستيفاء . » (دائرة المعارف المجلد ٦ ، الصفحة ٣٦٤)

ج) المعاجم الفرنسية – العربية ، المؤدّية كلمة *Bible* « بالكتاب المقدس ، والتوراة »

١ الاب بلو اليسوعي: *Dict. fr.-arab.* :

« التوراة ، الكتاب المقدس = *Bible* »

٢ يوسف حبيش : *Dict. fr.-ar.* :

« التوراة ، الكتاب المقدس = *Bible* »

٣ : Gosselin, *Dic. fr.-ar.*

«التوراة ، الكتاب المقدس = *Bible*»

« توراة » في استعمال المبشرين البروتستانت

نورد مثالًا لذلك ما جاء في كتاب « ميزان الحق » للدكتور فاندر ص ٥٦ : « ينقسم الكتاب المقدس في الغالب الى قسمين: العهد القديم ، ويتضمن الاسفار المقدسة القانونية عند الامة اليهودية ... والعهد الجديد ، وقد كتب باللغة اليونانية . اما اليهود فلا يؤمنون الا بواحد منهما . اما نحن المسيحيين فنؤمن بالعهدين كليهما . ولكن القرآن يشير الى الاسفار المقدسة جميعها بكتاب واحد وهو الكتاب المقدس ، مع انه يذكر له ثلاثة اقسام وهي « التوراة » والزبور والانجيل .

ويقسم اليهود اسفارهم او كتبهم الى ثلاثة اقسام وهي : الناموس والانبياء والمزامير ، كما يظهر من بشارة لوقا (٢٤ : ٤٤) وهذا التقسيم يرجع عهده الى سنة ١٣٠ ق.م. (وفي الحاشية : انظر مقدمة يشوع بن سيراخ لمجموعة امثال جده) [1] وفي الوقت الحاضر يسمي اليهود القسم الثالث « الصحف » وبالنسبة لكونها تبتدئ بالمزامير يدعوها القرآن والانجيل « الزبور ».

---

١) دونك ما جاء في مقدمة ابن سيراخ « بل ان الشريعة والنبوات ، وسائر الاسفار...» وهذا هو التقسيم الذي يرقى الى ١٣٠ سنة ق.م. اما التقسيم الآخر الوارد فيه ذكر المزامير ، فهو من العهد الجديد.

ويدعو القرآن القسم الاول « توراة » هي معدولة من الكلمة العبرانية مع تغيير طفيف في اللفظ . « وقد يطلق المسلمون » هذا الاسم على الكتاب المقدس كله بالنسبة الى كونه يبتدئ بالتوراة »

***

فبعد سرد هذه الشواهد والامثلة العديدة المختلفة المصادر[1] ، يسوغ لنا ان نستخرج النتائج التالية :

١) لم يطلق اليهود اسم « التوراة » الا على كتب موسى الخمسة . وقد وردت بهذا المعنى المحصور ، لا بغيره ، في العهدين ، القديم والجديد . والاسم الشامل كل الكتب المقدسة عندهم هو *Hassefarim* اي الاسفار ، والعنوان الرسمي للمجموعة كلها هو ، ليس اسم واحد ، بل اسماء الاقسام المذكورة : « *Ketubim, Nebiyim, Tôrâh* » ، كما يرى ذلك في اية نسخة من العهد القديم باللغة العبرية . وفي الاستعمال ينوب عنها الكلمة المركبة من الحروف الاولى من هذه الاقسام الثلاثة وهي (*Tanah*, תנך) واما في العهد الجديد ، فاسمها العام ليس « التوراة » بل « الكتب ، او الكتب المقدسة . »

٢) عند اليونان وعند اللاتين ، لم يأتِ لفظ « *Pentateuchos* » او « *Pentateuchus* » الا مقابلاً لكلمة *Tôrâh* ، اي بمعنى اسفار موسى الخمسة لا غير . واما الاسم الشامل العهدين عند الغربيين ، قديماً وحديثاً ، فهو « *Biblia* » .

٣) الظاهر من كلام الاب شيخو وغيره ان كلمة « توراة » اطلقت عند العرب قبل الاسلام على « العهد القديم كله » . بيدَ ان شعر السموأل الذي استشهد به ، ان كان حقيقة من قبل الاسلام ، لا يثبت من ذلك شيئاً البتة ، لانه لا يُعرف منه ما معنى التوراة ولا ما تحويه .

٤) الناجم من نصوص مفسّري القرآن ان كلمة « الكتاب » الواردة كثيرًا في المصحف هي ذات معانٍ مختلفة ، اولها : الوحي او التنزيل او كل

---

١) وقد أكثرنا منها تعمدًا ، لدفع تقوّل من يتّهمنا باننا « نتكر الامور ولا نستشهد عالمًا ولا كاتبًا ولا ولا ولا »

سفر سماوي . ثانيها : التوراة وحدها ، اي كتاب موسى . ثالثها : الانجيل بمفرده ، اي كتاب عيسى ليس الّا . رابعها : التوراة والانجيل ، اي الكتابان المذكوران وحدهما دون افتراض ان كلًّا منها يحوي عدة اسفار من العهدين . خامسها : الزبور ، اي كتاب داود لا غير . سادسها : القرآن ، اي كتاب محمد دون سواه .

٥) من قرائن آيات القرآن يُستدلّ على ان « التوراة » مطلقة على كتاب واحد قائم بذاته قد انزل على موسى ، كما انزل الانجيل على عيسى ، والزبور على داود . ولا يظهر منه انها تشمل اسفار العهد القديم ، او العهدين معاً . « فالكتاب » يشمل « التوراة » كما يشمل الكل جميع الاجزاء ، اما « التوراة » فلا تشمل « الكتاب » لانها ليست الا جزءاً من اجزائه .

٦) في عرف علماء المسلمين لا تأتي « التوراة » الا بمعنى اسفار موسى الخمسة ، كما استبان ذلك من المنقولات عن الشهرستاني وابي الفداء والقلقشندي ، ولاسيما من تفسير مولوي محمد علي الهندي .

٧) الناجم عن تحقيقات المستشرقين المتفرّغين للاسلاميّات ان ابا القاسم لم يقف قط على الكتب المنزّلة ، لا اليهودية ولا المسيحية . والذي عرفه من اسماء بعضها ومضموناتها لم يتوصّل اليه الا بالسماع عن طريق الحكاية والرواية المأثورة عند العامّة . وهذا سبب الاختلافات والمناقضات التي في المصحف في شأن بعض الامور والحوادث التاريخية المنقولة عن العهدين القديم والحديث . ومن رأي هؤلاء المحققين ان « التوراة » في القرآن لا تعني الا ما يقابل « *Tôrâh* او *Pentateuque* » اي كتب موسى الخمسة ، ولا العهد القديم كله ، وباولى حجة لا العهدين معاً ، او الكتاب المقدس ؛ ومن هنا تنكشف لك قيمة الآراء الباقية المدعية ان التوراة تعمّ العهد القديم او العهدين معاً .

٨) وعليه نقول ان المبشرين البروتستانت قد افرطوا في التخريج طبقاً لمآربهم ، اذ نسبوا الى ابي ابراهيم وكتابه واتباعه ما لم يقولوا به قط ، كما رأيت مما تقدم . هذا ولو فرض ان المسلمين — كما يدعي صاحب ميزان الحقّ — « قد يطلقون » (و« قد » حرف تقليل) ، كلمة « توراة » على الكتاب المقدس

كله ، فهل ينجم عن ذلك تحتم اتخاذ كلامهم دستوراً لعمل المسيحيين ؟ ومتى يا ترى كان المسلمون للنصارى اساتذة في علم من العلوم ، ولاسيما في علوم دينهم ؟ او ليس بالعكس ان المسيحيين السريان ، شرقيهم وغربيهم ، كانوا ، قديماً وحديثاً ، اساتذة ومرشدين للمحمديين ؟

٩) اما المعاجم الحديثة التي اوردنا نصوصها ، دون خشية ولا مواربة ، فنقول فيها : ان التي لا تطلق « التوراة » الّا على كتب موسى الخمسة ، ولا تؤدي « *Bible* » الا « بالكتاب المقدس » قد اصابت كبد الصواب ، وتابعت كبار المحققين من شرقيين وغربيين . واما التي سمّت بها العهد القديم كله ، فقد توسعت في القضية توسعاً « لا يظهر انه مدعم ببرهان دامغ » . واما التي شملت بها العهدين معاً ، فنكبر الظن بانها قد استندت الى ما جرى على السن العامة في سورية ، وغيرها من البلاد ، ولاسيما على ألسن البروتستانت ، كالسبتيين الذين يهتمون بالعهد القديم اهتماماً ينسيهم الجديد .

١٠) لكن ما يقضي بالعجب ، ويدلك على ان هذا التوسع مفرط فيه هو انه ، عند كل المسيحيين سواء كانوا من الكاثوليك ، ام من البروتستانت ، ام من الارثوذكس وغيرهم ، لا نظن انك تجد مجموعةً من اسفار العهدين عملاً بعنوان « التوراة » عوض «الكتاب المقدس» . هذه المخازن البروتستانتية التي يباع فيها الكتاب العزيز ، المطبوع بلغات شتى ، فانك لا ترى فيها على واحدة من نسخه ، باي لغة كانت ، عنوان « التوراة » ، بل على كل منها « الكتاب المقدس » . كذلك قل عن الترجمات العربية الحديثة ، من مثل اليسوعية او الدومنيكية او غيرهما ، فانها جميعها ، على اختلاف طبعاتها وحجمها ، ليس لها عنوان « التوراة » ، بل « الكتاب المقدس » ؛ مع انه كان الاوفق والاسهل ان تعنوَن « بالتوراة » ، لكونها كلمة واحدة ، مفضلة على الكلمتين ؛ او فلا اقل من اننا كنا نرى العنوانين مستعملين دون فرق . لكن هذا لا وجود له ؛ ولماذا ؟ أليس لان « الكتاب المقدس » هو العنوان الرسمي المقبول . و « التوراة » كلمة عامية جرت على بعض الالسن ، ونقلتها طائفة من المعاجم دون تثبت ؟ وهل من معجم خالٍ من الكلام العامي ، غير المدقق

فيه ؟ [1].

بعد ان علمت كل هذه الحقائق ، ألقِ نظرةً على هذا القول الصادر « كعقيدة محدّدة » عن « كاتدراء العصمة الالسنية » في بغداد : « جاءت « التوراة » عند اليهود بمعنى اسفار موسى . » ثم اطلقت بعد ذلك على اسفار الانبياء وجميع الكتب المنزلة عندهم » (! ! ؟) ولما جاء النصارى (؟ !) اطلقوها على اسفارهم (؟ !) لانهم يعتبرون اسفار اليهود واسفارهم كتاباً واحداً مقسوماً الى عهدين قديم وجديد . وهذا رأي علماء المسلمين (! ؟) وعلماء النصارى (؟ !) اذ عرّفوا التوراة بالكتاب ، والكتاب بالتوراة » (؟ !)

فلك ايها القارئ اللبيب ، بعد المقابلة بين تحقيقات وتدقيقات العلماء التي بسطناها لك ، وبين هذا الكلام الابتر ، ان تبرز حكمك النزيه ، نابذاً الغثّ ، ضانّاً بالسمين [2].

---

١) من لا يدري ان اهل المعاجم ينقلون ، مرات ليست بقليلة ، بعضهم عن بعض ، دون كفاية تدقيق . وهذا ما لا يزال يندّد به الاستاذ العلامة حضرة الاب انستاس مارى الكرملي الحافي ، صاحب مجلة لغة العرب . ومن اقواله المأثورة : ان واضع « محيط المحيط » قد نقل دون تروٍّ عن فريتاغ ؛ وان « اقرب الموارد » ما هو الّا نسخة مشوّهة عن « محيط المحيط » ؛ وان « البستان » نسخته الثانية المسوخة ؛ وان جميع قواميس البسوعيين ، والسوريين ، والمصريين مشحونة اغلاطاً ، فليست بحرية ان يستند اليها ، بل ان ترمى عرض الحائط ! ! ! اللهمّ الّا . . . « ذيل لسانه » او « معجمه الكبير الشهير » . لكن اين هو ؟ أفي عالم الانس ، ام في عالم الجن ؟ لا يأتيك بالجواب الا ضربت من عثاريتها .

٢) هذا المقال مقالنا ؛ وقد رأيته ، كمألوف عادة هذه المجلة ، وعلى مثال سابقيه ، مصدّرًا باسمنا ، لا للافتخار ، بل لتحمل التبعة ؛ فهو اذن « وحده لا غيره » حريّ ، في صدد كلمة « توراة » ، بان يُعزى الينا . فلتفهم ذلك احدى نشرات الزوراء ، الطنونة ، الخشنة ، البذيئة ؛ تلك التي جحدت الاصل الآرامي ، السرياني ، الماروني ، اللبناني النبيل ، معتدة شرفًا لها ان تكون مُلصقة باهل الإبل والدِمَن . لكن لله درّ ابي القاسم الآتي بهذا القول : « انا خلقناكم اطوارًا ! » وان هي اصرت على انكار « مارونية ولبنانية » صاحبها فهناك من يتحدّاها ان تثبت بالدليل التاريخي ، مبينة على صفحاتها للجمهور ان هذا الرجل « راسخ العرق في البدوية » ، وانه « اصيل ، لا دخيل الآباء في عراقنا . »

دلبتا

نبذة تاريخية

للخوري بطرس روفائيل

الفصل الخامس

كنائسها واوقافها (تابع)

٣ً دير مار انطونيوس البدواني

في اسفل القرية ، في الناحية المسماة « الوادي » ، يرى الزائر ديراً جديداً مسقوفاً بالآجر للرهبانية الحلبية على اسم القديس انطونيوس البدواني ، وحوله املاك له من بيوت للشركاء بالمساقاة ، واراضي توت وفواكه وكروم واحراش. كان المكان المذكور في بدء الامر بُقعة بائرة فاشتراها الخوري انطون الحاج[1] واصلحها وحرثها وغرس فيها توتاً ، وبنى بيتاً لتربية دود الحرير ، وبقربه حجرةً صغيرة معقودة بالحجارة طولها اربعة اذرع ، جعلها معبداً يقيم فيه الذبيحة الالهية عند الاقتضاء . ونصب على المذبح صورة القديس انطونيوس البدواني. ولما توفي سنة ١٨٢٧ ، أهمل ورثته المحلّ ولم يحفلوا به ، فخرب البيت واندثر، ولم يبقَ قائماً من البناء الّا الحجرة . ففي سنة ١٨٦١ ، استولى على امرأة موسى سركيس مخلوف المخاض وتعسرت ولادتها كل التعسر حتى يئس الحاضرون من خلاصها ، فلما رأتها والدتها في حالة الخطر اخذت تصلي وتتوسل الى الله بحرارة ان يمنّ على ابنتها بالشفاء ، واذ هي كذلك خطر ببالها الحجرة التي كانت معبداً ، وكانت قريبة من بيتها ، فقامت مسرعة لزيارة القديس انطونيوس وبيدها سراج لان الامر كان في الليل فوضعت السراج مضيئاً على المذبح وشرعت تسأل الله شفاء ابنتها بشفاعة القديس ، فاستجاب الله طلبتها ، ولما

---

١) وُلد نحو سنة ١٧٧٠

رجعت الى بيتها كانت ابنتها قد ولدت . فذاعت هذه الحادثة بين سكان الجوار فصاروا عند وفود الطوارئ ، يهرعون الى ذلك المعبد الحقير مُسرجين سرجاً يَدعونها على المذبح ومستغيثين بالقديس فينالون شفاعته[1] . واننا لذاكرون على سبيل المثل واحدة من تلك الكرامات : كان لترنسيس حنا منصور ولد مرض ، وهو طفل ، حتى اشرف على الموت ويئس الطبيب من شفائه ، وابى معالجته ، فحمله ابوه على ذراعيه الى ذلك المعبد ووضعه امام المذبح واخذ يبتهل الى القديس ، فتعافى الولد ببرهة وجيزة . فزادت هذه الحوادث المكان سمعةً ، وحملت المؤمنين على ان يقدّموا دراهم ويلقوها على مذبح القديس ، وكان موسى سركيس الذي نال خلاص امرأته في مخاضها يتردّد الى المعبد لقربه من بيته ويجمع تلك التقادم حتى اصبحت كمية غير يسيرة ؛ فأطلع الخوري يعقوب الحاج على الامور الغريبة التي اشهرت هذا المكان واثبت له صحتها ، فاستلم الخوري يعقوب المال المجموع واوعز الى موسى ان يحفظ عنده تبرّعات المؤمنين وبدأ يحتفل بالذبيحة الالهية في الحجرة كل سنة في عيد القديس الواقع في ١٣ حزيران، فيتوافد جمع غير قليل من دلبتا وشنتير وجوارهما لحضور الذبيحة تحت خيمة من اغصان الاشجار يقيمونها لضيق المعبد ، وكان البعض يمتنع عن الاشغال الخدمية يوم العيد ولا تزال هذه العادة مرعية الى الآن . وفي سنة ١٨٦٥ بنى الخوري يعقوب كنيسة على اسم القديس انطونيوس والقديس الفونسيوس دي ليكوري الذي كان متعبداً له في محل مرتفع عن الحجرة نحو ٥٠ ذراعاً ، واستحضر سنة ١٨٦٨ من رومية ، بواسطة المطران امبروسيوس نطين ، صورتي يد من نوع الزيت احداهما للقديس انطونيوس والاخرى للقديس الفونسيوس وعلّقهما فوق المذبح ، وكان ثمنهما ٢٤٠٠ غرش . ولما توفي سنة ١٨٧١ اوصى لهذه الكنيسة بكل ما له من الكتب والآنية الكنسية ، ومن ثم اخذ سكان دلبتا يحذون

---

١) قال الخوري منصور في النبذة التاريخية : «كان يبقى السراج موقوداً حتى فروغ الزيت منه مع ان الحجرة معرّضة جداً للرياح والعواصف حتى ان الفتيلة كانت تبقى دون ان تأكلها الهوامّ والوحوش البريّة . قيل ان ذات ليلة اتى ثعلب ليأكل فتيلة سراج فمات حالاً قرب السراج» .

حذوه ، فوقفوا بعض ما لهم من الاملاك . وفي السنة عينها شاء المطران يوحنا الحاج ابن الخوري يعقوب ووارثه ان يعهد في خدمة الكنيسة واملاكها الى القس مارون ووقائيل الدلبتاوي من الرهبانية الحلبية ، فانصبّ هذا على حراثة الارض وغرس كروماً تحت الكنيسة وعقبه في الولاية سنة ١٨٧٥ القس لويس فرج باسيل الدلبتاوي من الرهبانية الحلبية ايضاً فابدى غيرةً حميدة واشترى جرساً من تبرّعات المؤمنين وحرّض اهل دلبتا على الاحسان الى الكنيسة فقطعوا[1] وسمى سنة ١٨٩١ لدى البطريرك يوحنا الحاج ليسلم الى رهبانيته الكنيسة وما لها من الاملاك ففاز ببغيته ، ورضي البطريرك . وعندئذ شيد القس لويس انطوشاً لسكنى من يخدم الكنيسة . ولما كانت سنة ١٨٩٣ اهتم الرهبان الحلبيون الدلبتاويون لنقل الدير الى حيث هو الآن فتمّ بنيانه سنة ١٩٠٢ ، وهذا الدير مبني على الطراز الحديث بالحجر الابيض النظيف مسقوف بالقرميد. وباشر المذكورون سنة ١٩٠٤ اقامة الكنيسة الحالية بقرب الدير ، وهي ايضاً مسقوفة بالقرميد طولها ١٥ متراً وعرضها ٨ امتار[2] . واما اليوم فقد فقدَ الدير سكانه ، واصبح من سوء الحظ خاوياً خالياً ، ولم يبقَ واحد من العشرة الرهبان الدلبتاويين في قيد الحياة . وخربت اراضيه بيوت الشركاء في ايام الحرب الكبرى .

٤ً دير سيدة الحقلة

ان دير سيدة الحقلة هو وقف لعائلة ديب من دلبتا ولها عليه حقوق الولاية ، تسكنه راهبات تابعات لقانون رهبان القديس انطونيوس ، متقشفات جداً في مأكلهنّ ، فيقضين اغلب ايام السنة في الصيام والقطاعة ، وفي لبسهنّ فيتّشحن بثوب من الصوف او القطن الاسود، ويتمنطقن بزنار من الجلد ويمشين بلا حذاء ولا جوارب عند تقربهنّ اليومي الى المائدة المقدسة حتى في ابرد ايام الشتاء ، ويمكثن اكثر ساعات النهار في الكنيسة منقطعات الى الصلاة والتأمل ومن

١) النبذة التاريخية ص ١٢٨ وما يليها .
٢) عن سجل الدير المذكور .

اكبر واجباتهنّ اليوميـة ، تلاوة الفرض الطقسي الماروني « المطوّل » باللغـة السريانية حسب الساعات من الصبح الى النهار الى العصر الى المساء الى الليل ، وذلك بالانغام والالحان المألوفة وزد على ذلك تحصّنهنّ فلا يسمح لهنّ بالجولان خارج ارزاق الدير القريبة.

وقد ابدت العذراء مريم عناية جزيلة بكنيسة هذا الدير ، فجادت فيها بنعم غزيرة وعجائب عديـدة خصوصاً على من كان عاقراً او خُولط في عقله. فذاع صيت المكان ويقصد اليه الزوار المؤمنون من كل انحاء لبنان بل من حلب والشام وفلسطين. وداخل السور المحصّن بعض غرف لقبول النساء المتوهات تهتمّ بهنّ الراهبات كل الاهتمام في الخدمة والاكل والتنزه فيخرج اكثرهنّ معافىً.

ولهذا الدير ديران اخران ملحقان به وتابعان له وهما دير المخلّص في دلبتا ، المدعوّ « دير الغص » ودير سيدة مستيتا قرب جبيل.

بُني دير سيدة الحقلة سنة ١٦٧٠ بعناية القس يوسف اصاف. اما المكان الذي شُيد فيه فوقفه ابو يوسف الياس ديب وقد كان له في بدء الامر بعض الاختلاط مع وقف مار عبدا المختصّ بعائلة اصاف ويثبت قولنا بعض الوثائق القديمة التي ترى فيهـا احياناً رؤساء الوقفين من عائلة اصاف ، واحياناً رئيساً واحداً من عائلة اصاف على الوقفين[1] . وقد عثرتُ في كنيسة الدير المذكور على براءتـين الاولى من البـابا اكليمنضوس العاشر مؤرخـة في ٢٤ تموز سنة ١٦٧٥ ، فيها يمنح مذبح العذراء مريم « في كنيسة رهبان مار عبدا التابعين لقوانين مار انطونيوس انعام المذبح الممتاز على مدة عشر سنين » ، والثانية من البابا اينوشنسيوس الثاني عشر مؤرخة في ٣٠ تموز سنة ١٧٠٠ فيهـا يمنح جميع المؤمنين غفراناً كاملاً ، اذا ما اعترفوا وتناولوا القربان وصلّوا على نيـة الحبر الاعظم وزاروا بعبادة « كنيسة سيدتنا العذراء مريم في دير رهبان مار انطونيوس

---

١) سجلات البطريركية المارونية ، المجلد الثاني صفحة ٦٧. ترى في وثيقة مؤرخة سنة ١٦٧٢ الخوري يوسف اصاف رئيساً على دير سيدة الحقلة ، والخوري متوق اصاف رئيساً على مار عبدا. وفي وثيقة مؤرخة سنـة ١٦٨١ ترى الخوري يوسف اصاف « رئيس الديرَين مار عبدا والحقلة ».

المسمّى سيدة الحقلة في يوم عيد انتقالها الواقع في ١٥ آب وذلك من عشية العيد عند العصر الى يوم العيد عند غروب الشمس » وهذا الانعام معطى ايضاً لمدة عشر سنين فقط . وكان يقيم في قسم من الدير رهبان ، وفي القسم الاخر راهبات حسب عادات الاديرة القديمة ، فالراهبات ينقطعن الى الاشغال الداخلية والرهبان يعكفون على شغل الارض واستثمار الاملاك بعد تتميم الواجبات الروحية والرهبانية . وسنة ١٧٣٦ قدم المنسنيور يوسف السمعاني من رومية ليترأس المجمع اللبناني باسم الحبر الاعظم وقد اجتهد كثيراً في فصل اديرة الرهبان عن اديرة الراهبات ومما صار الاتفاق عليه امامه وبتصديقه هو ان « الخوري بطرس الريس وباقي رهبانه في دير الحقلة يشتركوا مع رهبان دير البقيعه[1] الخوري صابر ورهبانه وبرضى المذكورين يكونوا الديرين ديراً واحداً ويختص دير الحقلة بالراهبات ودير البقيعة للرهبان تحت يد رئيس واحد ويتدبروا الراهبات بموجب رسوم وقوانين الراهبات ويتدبر دير البقيعة بموجب رسوم وقوانين الرهبان لا تغيير ولا تبديل . كان ذلك برضى حضرة المشايخ الخوازنة اولاد ابو نوفل المكرّمين حكام الديرين[2] » .

غير ان هذا الاتفاق لم يوضع حالاً في حيز العمل بل وجد امامه عقبات شاقة وتأخر تنفيذه الى ما بعد انتهاء مجمع اللويزة . ولما كانت سنة ١٧٤٤ توفي القس بطرس المشمشاني رئيس الدير ، فخلفه القس بطرس ديب وهو اول رئيس من عائلة ديب ، فكد وجد في تكثير موارد الدير وزيادة املاكه ، فنجح النجاح التام وبنى ١٧٦٥ كنيسة الدير الحالية ، بمعاونة القس يوسف باسيل المعرابي . ونال من الامير يوسف شهاب سنة ١٧٦٦ ، مزرعة مستيتا ، كما ستذكر

١) دير البقيعة يُعرف الان بدير مار روحانا قرب قرية دلبتا .

٢) سجلات البطريركية المارونية المجلد الثاني صفحة ١٦٦ : قد امضى صك الاتفاق المذكور « المنسنيور يوسف السمعاني قاصد قدس الحبر الروماني والكرسي الرسولي المقدس . الحقير في الرؤساء عبدالله مطران مدينة بيروت . الفقير اليه تعالى المطران اغناطيوس شرابيه . الحقير في الكهنة توما اللبودي اب عام رهبان مار انطونيوس اللبناني . الخوري بطرس رئيس دير الحقلة من مشمش . الخوري صابر رئيس دير البقيعة من مقلين . القس حنا الراهب من دلبتا . . . انطانيوس الخازن . سليمان الشدياق الدحداح » .

ذلك في ترجمته في غير هذا المكان وفي تلك السنة عينها ألحق الامير يوسف بدير الحقلة دير مار دوميط البوار ، وذلك اكراماً للقس بطرس ديب الذي كان له في عينيه حظوة كبرى . وقد جاء في وصية القس بطرس المذكور انه اخذ «مار دوميط ومستيتا من سعادة الامير يوسف شهاب المحترم وان المواضع المذكورة باسم سيدة الحقلة وهم لها مثل المفيل التي في وطا الجوز وما قام هل مطرح المذكور الا من رزق سيدة الحقلة ووقفها ونذوراتها وبسعي رئيس دير السيدة القس يوسف باسيل وبسعي الخوري بطرس وبتعب رهبانها والموضع المذكور صار ملك من بعض املاك السيدة المذكورة مثل التوت الذي قدام مقامها ، وكان اخذ المطارح بسعي حضرة وندنا المرحوم الشيخ منصور الدحداح وقرايبه[1] » . غير انه وقع سنة ١٧٦٨ خلاف بين رهبان دير سيدة الحقلة واكثرهم من دلبتا ، ورهبان دير مار دوميط واغلبهم من عائلة ضو . فانقسم هؤلاء عن اولئك ورُفعت شكوى الى البطريرك يوسف اسطفان الذي اصدر سنة ١٧٧٣ حكماً بالانفصال .

وقد حدث في دير سيدة الحقلة سنة ١٧٦٧ حادث كان داعياً لتمجيد العذراء مريم ولتوفير اموال الوقف ، وهوذا الخبر ملخصاً عن تاريخ المقاطعة الكسروانية : انصدع جرس الدير بينما كان يقرعه القس سركيس العشقوتي[2] فاستولى على الراهب حزن شديد لانه سبَّب هذه الخسارة الجسيمة فخطر بباله ان يتوجه الى اوربا ويجمع الصدقات ويُعوّض الدير من الضرر الذي اصابه ، فعرض فكرته على رئيسه القس بطرس ديب ، فرضي بها . وبعد ان نال من البطريرك اجازة بالسفر نزل الى بيروت فوجد سفينة على اهبة الرحيل الى النمسة فسأل ربانها ركوبها فلبى طلبه بعد ان اطلع على مقصده الحميد وتوسم فيه الصلاح والتقى ولما بلغت السفينة المرفأ سار الراهب الى ڤيانا العاصمة ، واخذ يجول فيها ويمدّ كفه مستعطياً . ولما كان يجهل لغة البلاد كان الناس يتبرعون

---

١) سجلات البطريركية المارونية : المجلد الثاني صفحة ٧٠٦

٢) ان القس سركيس هو من عشقوت من عائلة عطا الله المعروفة الآن « ببيت الشدياقية » قدمت هذه العائلة من يحشوش غير ان اصلها الاول من يانوح .

بالحسنات لمجرّد نظرهم اليه اذ كان يبدو على وجهه دلائل التقشف والتواضع والورع وفي تلك الاثناء اعترى ابنة الملكة ماريا تريزيا[1] مرض ثقيل اعيا الاطباء ، فتقدم احد الموظفين في البلاط الملكي واعلم الملكة بوجود كاهن شرقي في المدينة ، عليه امارات النسك والقداسة واشار عليها بان تدعوه ليصلي في غرفة ابنتها عسى الله يمنّ عليها بالشفاء بواسطته ، ففعلت وما انتهى القس سركيس من الصلاة حتى شعرت المريضة بتحسن وما لبثت ان تعافت فما اعظم ما كان انذهال الملكة من هذه العجيبة وما كان اشدّ فرحها ، فاستحضرت الراهب واستوضحته سبب مجيئه الى بلادها ، فاخبرها بالامر بصراحة وسذاجة. فتأثرت وامرت ان يعطى كل ما يرغب من الآنية الكنسية على نفقتها . قال صاحب تاريخ المقاطعة الكسروانية : فطلب القس سركيس اولاً جرساً فاخذه وكان جميل الصوت جداً « وحتى الآن لم يوجد مثله في الشرق كله في رياقة رنّته المطربة الشجية المشتقة اذان سامعيها وصداه يميل بسامعه للترنح والترنم[2] ثم صنع عدة كاسات منها ما هو غريب الصناعة والظرافة وشماعين ثمينين جميلي الصورة وجملة بدلات وغفارات منها هو غالي الثمن محكم النسج[3] وبيت جسد من الصناعة المعتبرة والهندسة الجميلة[4] وشماعدين وصوراً معتبرة وخلاف ذلك من الاواني الكنسية وارسل الجميع قبل حضوره وقد جمع كمية وافرة من

---

١) قد تكون المريضة ماري انطوانيت ، زوجة لويس السادس عشر ، ملك فرنسة . وُلدت سنة ١٧٥٥ وتوفيت سنة ١٧٩٣ .

٢) انصدع هذا الجرس من سوء الحظ سنة ١٨٨٩ ، بنزول صاعقة انقضّت عليه وعلى خورس الكنيسة ، ولا تزال آثارها ظاهرة الى يومنا ، وقد عُهد الى بني نقاع من بيت شباب ان يصبّوا جرساً غيره .

٣) لا يزال قسم من هذه الامتعة موجوداً في الدير .

٤) ان باب هذا البيت المقدس من الفضة المحض ، طوله نحو نصف ذراع ، وعليه كتابة باللغة الالمانية القديمة مؤرخة سنة ١٧٧٠ ، تتضمن اسماء بعض المحسنين يطلبون الصلاة والذكر الدائم في الذبيحة . وهذه الكتابة مغطاة بصفيحتين من الفضة ايضاً عليهما كتابة بالكرشوني نقلها بحروفها : « سيدة الحقلة وقف الدير ، سنة ١٧٧٠ ، انا العبد الحقير القس سركيس المشقوقي ، مترجي فضلكم بالصلاة والقداس الى المحسنين اليك »

الدراهم غير انه قد عاجله المنون ودُفن هناك واضحى المال المجموع منه غير محصّل »[1] . وقد وقفت على اعلام من البطريرك يوسف اسطفان يتعلق بهذا الموضوع ، وهذه حرفيته : « انه متوجه الى فيانا مدينة قيصر الملك المظفر ولدنا العزيز القس يوسف ذيب نائب حضرة ولدنا الاب موسى رئيس دير سيدة الحقلة المكرّم لكي يداعي على متخلفات المرحوم اخيه القس سركيس المشقوقي الذي كان راهب في الدير المذكور فالقس يوسف المشار اليه متعاطي فيما يخصّ درجته من تقديس الاسرار وحل الاوزار غير محروم ولا مربوط ولا ممنوع ولذلك قد اصحبناه بهذه الباطنتا شهادة بيده ليكون مصدقاً عند الجميع من الابناء المسيحيين المباركين الموجودين في كل بلد ومكان تحريراً في ١ نيسان سنة ١٧٨٨ مسيحية »[2] .

وفي سنة ١٧٦٨ رفع كهنة دير سيدة الحقلة ، وعددهم ١٢ ، عريضة الى الحبر الاعظم اكليمنضوس الثالث عشر يطلبون فيها ان يمنح المذبح الملكي في كنيسة ديرهم « اتمام المذبح المتاز » وذلك مؤبّداً فتنازل واجاب الملتمس ببراءة لا تزال موجودة في الدير .

ولما الغى البابا بيوس السادس ، سنة ١٧٧٩ ، جمعية الراهبة هندية المسماة « اخوية قلب يسوع الاقدس » خرجت الراهبات من دير بكركي ، فاقامت هندية مدة عند انطون الجاماتي في عينطورا . ولما انتخب المطران يوسف التيان بطريركاً امر بنقلها الى دير سيدة الحقلة ، فقضت فيه سنيها الاخيرة بالتربة والدموع والتقوى ، وتوفيت فيه سنة ١٧٩٨[3] . وفي سنة ١٧٨١ ، تولى الخوري موسى ذيب ، المصوّر المعروف ، رئاسة الدير خلفاً لعمّه . وبنى سنة ١٧٩٧ في خراج دلبتا في المكان الموقوف من ابناء عائلته ديراً جديداً باسم المخلص ، ويسميه الاهلون « دير العفص » ، وعين فيه رهباناً لحراثة الارض . ثم حدث

---

١) الخوري منصور الختوني : المقاطعة الكسروانية ، ص ١٨٤ و١٨٥

٢) سجلات البطريركية المارونية : المجلد الثاني ، ص ٨٤٧

٣) سجلات البطريركية المارونية : المجلد الثاني ، ص ٧٣١ و٩٢٧ و٩٥٨

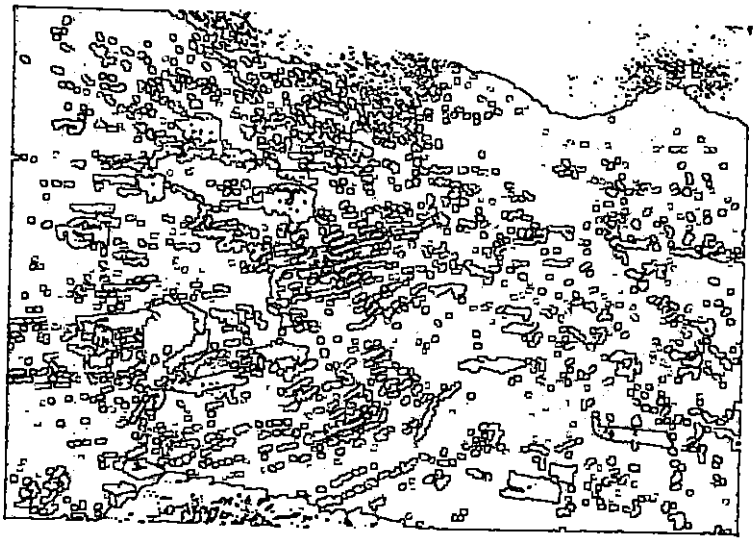

دلبتا من الجهة الشرقية

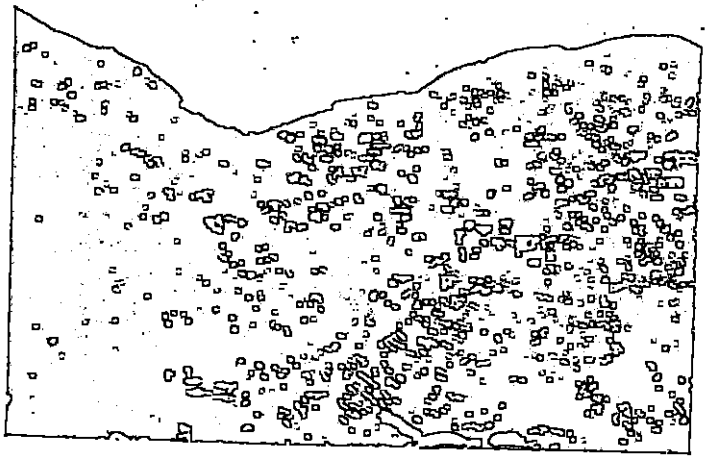

مدخل دلبتا من جهة غزير

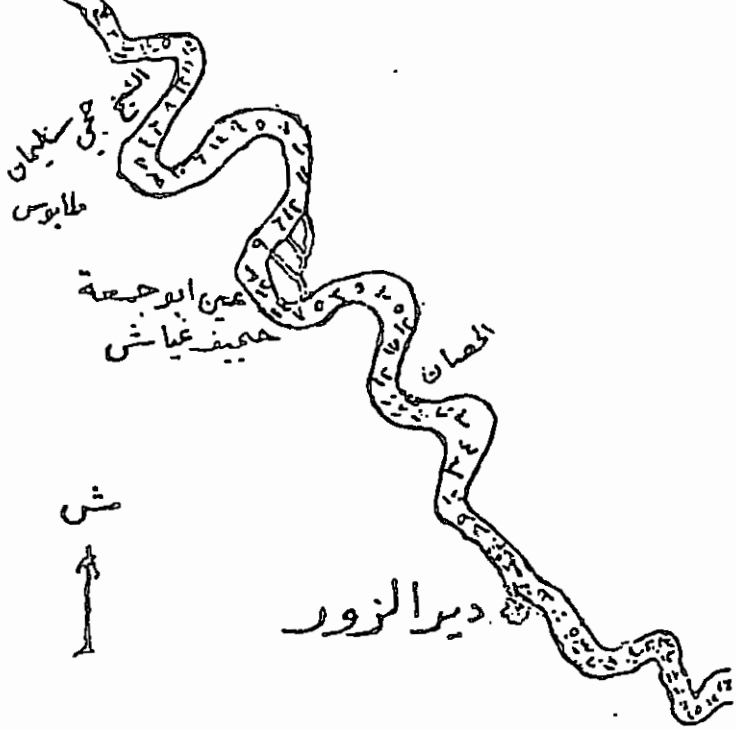

اعماق الفرات في جوار دير الزور

من الدير الى الشمال ، الارقام تدل على عدد الاقدام (القدم الانكليزية تراوح ٣٠ سنتيمترًا) في ايام هبوط المياه سنة ١٨٤٠ ومن الدير الى الجنوب على عددها ايام ارتفاع المياه سنة ١٨٣٦

دير الزور القديمة

تشويش واختلاف في الدير في ايامه ، فاوقفه عن استعمال الوظيفة البطريرك يوحنا الحلو ، وسمّى وكيلًا على الدير بدلًا منه الخوري يوسف راجي الخازن . وفي تلك الاثناء حزم البطريرك ، بالاتفاق مع القاصد الرسولي لويس غندولفي ، على تحويل الدير الى مدرسة اكليريكية للطائفة غير انه قد حال دون تحقيق هذه الفكرة حينئذ[1] . وفي سنة ١٨١٨ التأم مجمع اللويزة وحتم بان يكون دير سيدة الحقلة لسكنى الراهبات ، ودير سيدة مستيتا للرهبان . وارجع الخوري موسى ديب وكيلًا على دير سيدة الحقلة ، وسمى رئيساً على رهبان دير مستيتا القس طانيوس التحومي[2] . وبعد ذلك قرّر لعائلة ديب حقّ الولاية على الدير وملحقاته وقد اثبت الكرسي الرسولي اعمال هذا المجمع في السنة التالية اي سنة ١٨١٩ . وبعد وفاة الخوري موسى سنة ١٨٢٦ ، وقعت مخاصمات وانشقاقات اضرت باحوال الدير . ولما انتخب المنسنيور يوحنا ديب رئيساً في اوائل هذا الجيل ، اراد ان يجدّد كل قديم في بنايات الدير واملاكها ، فانجز قسماً من ذلك القسم والقسم الآخر حالت دون تحقيقه الحرب الكونية ، كما تقدمنا وذكرنا ذلك في غير هذا المكان . وبعد ان توفي سنة ١٩٣٠ ، انتُخب خلفاً له الخوري اسقف بطرس ديب الذي يبدي كل اجتهاد في انماء وقف اجداده ، كلل الله بالنجاح مساعي كل عامل للخير .

١) سجلات البطريركية المارونية : المجلد الثاني ، ص ١٠٤٦ و١١٤٢ . جارور البطريرك يوحنا الحلو عدد ١١ و٢٨ و٣٩ و٥٤ و١٠٠ و١٨٨ و٢٦١ الخ .

٢) سجلات البطريركية المارونية : جارور البطريرك يوحنا الحلو عدد ٣٥٢

(لها بقية)

عروس الصحراء دير الزور

بقلم الاب توتل اليسوعي

قدمنا اليها ساعتين قبل نصف الليل ، والهلال اسدل عليها غشاء نور شفّ عن البنايات ، فموّه بخطوطه المدينة تمويهاً ، ولم نرَ منها اكثر مما يراه الانسان من المرأة المبرقعة ، الملتحفة بازارها الفضفاض . كان السبات قد عمّ الاحياء ، فهدوء وسكينة ، الا في جوار دار البريد ، حيث بعض التجار يستعجلون توزيع المكاتيب التي حملتها السيارة ، وايانا ، من حلب .. وهناك مقهى يقضي فيه الناس اواخر ساعات السهر قبل انقضاء الهجعة الثانية من الليل . ثم حرس من انفار الجند ، ووقع خطوات طارق يعود الى منزله . الهواء هواء اذار ، بين شتاء وربيع ، بليل ، رطب ، مخضل بماء الفرات ونفثاته . الفرات ! يا ما اهيب سيره تحت النجوم ! وهو يبصّ بصيصاً اذ تعكس مياهه اشعة انوار السماء .

بتنا ليلتنا في بيت من بيوت كرام المسيحيين ، وما صاح الديك الا هبت عروس الصحراء من رقادها ، فأسفرت عن وجه وضّاح وهالة ذهبية : هي مدينة دير الزور ، وبساتينها ، ومنتزهاتها ، وثكنات عسكرها وحكامها ، واروقة ازقتها واسواقها . ظهرت مطوقة بالرمال ، مقلدةً جيدها باشعة الشمس المنعكسة عليها ، لابسةً جلباباً ولا جلباب العرائس . تحركت فاحتذت الخلاخيل ومشت : وهو رغاء وهو ثغاء ؛ غنم الموصل يتوقع على ضفاف الجزيرة تجهيز الزوارق لعبر المياه الى ارض الشامية ؛ وفرقة جيش الهجانة تتأهب للرحيل الى منطقة الحسجة لاحتلال الاراضي التي تخلى عنها الأتراك لبلاد الانتداب . ومئات

العمال يتزاحمون على الطريق المؤدية الى ورشة الجسر الاكبر. فُتحت الحوانيت واقبل الناس على اشغالهم وخرج ضباط الجيش الافرنسي وعسكره الى اعمالهم. ومضينا الى الكنيسة نصلي قبل اخذنا بزيارة الرعية المسيحية وتفقد شؤونها ودعوتها الى الرياضة الروحية.

دير الزور مدينة عريقة في القدم ، وآثارها طوامس تحت بناياتها ، ولا بد ان يساعد الزمان على كشفها . اما اليوم ، فالمراجع الى معرفة احوالها هي الاخبار التي يتداولها السكان ، مع ما يذكر عنها في سجلات الحكومة الحالية والسابقة ، ومع اقوال الرواد فيها ، ومرامي التاريخ اليها في سياق الحديث على الحوادث الخطيرة التي جرت على شواطئ الفرات الاوسط . فمنها نستقي تطبيقاتنا في الكلام على اسمها وموقعها، وعلى احوالها في حكم مشايخها العرب ، ثم في حملة عمر باشا عليها ، وتوطيد اركان السلطة العثمانية فيها ، الى ان دخلت حياتها الجديدة في ظلّ الانتداب الافرنسي.

اسم البلدة وموقعها

عدّوا لها لا اقل من عشرة اسماء ! فايّ اسم احق بان تعرّف به ؟ في سنة « المشرق » العاشرة (١٠ [١٩٠٧] : ٤٨٨–٤٩٢) نشر حضرة الاب انستاس الكرملي مقالًا على اسماء الدير ومعانيها حديثاً وقديماً ، فقال ما خلاصته: انهم سموها دير الزور نسبةً لاشجارها ، واشتق لفظة الزور من زأر وقال : زأرة الاسد اجمته ، والزأرة الاجمة ذات الماء والحلفاء والقصب . وقال ايضاً انهم سموها « دير الشمار» بتخفيف الميم ، والشمار في العربية الشجر الملتف ، ولمثل هذه العلة سموها ايضاً دير العصافير وهذه لا تكثر الا في مواطن الاشجار . وقد وافقه على هذا الرأي بعض المستشرقين الذين ترجموا الى لغتهم دير الزور بمعنى دير شجر الطرفا او الاثل (*Tamaris*) . وقد يوافق موضع دير الزور الحالي اسم دير الرمان ، الذي ورد في معجم البلدان لياقوت ، القائل : دير الرمان مدينة كبيرة ذات اسواق للبادية بين الرقة والخابور تنزلها القوافل القاصدة من العراق الى الشام.

وصمع كاتب هذا المقال احد مشايخ الدير الحاليين يقول: رُوي عن الفاتح تيمورلنك انه قدم الدير ووجد فيها عذارى عابدات فلم يمتهن باذى ؛ وينسب اسم البلدة الى انها كانت في الحقيقة ديرًا . وقال ايضاً قد يكون اضيف اسم الزور الى الدير نسبة الى زيارته من الناس ، او لازورار الفرات في ذلك الموضع ، وهو ينشقّ الى شطرين فيحتنق « الحويقة » بذراعيه ثم يعود فيجمع مياهه عند خروجه من الدير . وقد سبق الاخطل ووصف الفرات بالازورار في جريه من جبال الروم المطلّة عليه حتى يشقّ بلاد العراق ، فقال :

مستحفرٌ من جبال الروم يستره منها اكافيف فيها دونه زورُ (١

ويقال ان اول ما ورد اسم الدير في المؤلفات العربية كان عن لسان ابي الفداء سنة ١٣٣١ م ، فسماها دير بصير . وقال: كان فيها سدّ فهُدم بفيضان الفرات . ويرى المستشرق موسيل ان دير بصير المذكور انما كان موقعه في البصيرة الحالية . والله اعلم ! على ان تنوع اسماء الدير ، بثبات المضاف وتغيير المضاف اليه ، قد يكون دليلًا على ان اسم البلدة الاصيل هو دير او ما شابهه لفظًا ، فاخذه العرب ونطقوا به باللفظ الاقرب مبنى ومعنى من لغته الاصلية فقالوا الدير . ولما كانت هذه الكلمة دالة على اعلام كثيرة ، ميزوا بينها وبين غيرها بما الحقوها به من مضاف اليه . ولعل البحث على اسم البلدة القديم يمكننا من معرفة الاصل الذي صاغ منه العرب كلمة « الدير » :

قال بطليموس في كتاب الجغرافية (٢ : ان حدود بلاد العرب المقفرة هي في الشمال نهر الفرات . ودوّن لائحة المدن الواقعة على ذلك النهر ، فذكر « تفساخ وبيرثه وجادرثه . . . وادّاره » . فاي الاسماء كان في سابق الزمان اسماً لديرنا الحالية ؟

تناقش الموضوع الابوان الفاضلان انستاس الكرملي ولامنس اليسوعي (المشرق ١٠ [١٩٠٧] : ٤٨٨-٤٩٢) فارتأى الاول رأي من قال انها ليست

١) المستحفر : السريع الجري ؛ الاكافيف : المناكب ؛ الزور : الميل (طبعة صالحاني ١٠٢)

٢) طبعة مولر ، ١ ص ١٠١٤

الا « تفساح » القديمة التي جاء ذكرها في التوراة (٣ ملوك ٤ : ٢٤) . وفي وصف كسينوفون لرحلة العشرة الآلاف وبطليموس وغيرهم . وذهب ابعد من ذلك فقال : ان بني ارم ابدلوا هذا الاسم باسم آخر يناسبه معنى ويخالفه مبنى ، فانهم نقلوا الى لغتهم كلمة « تفساح » بلفظة « صندوخياء التي معناها الارض العطشى الخ ... » وردّ عليه حضرة الاب لامنس مبيناً ان تفساح ليست في موضع دير الزور وقد كانت ، على ما رواه الاقدمون ، غير بعيدة عن حلب ومنبج والبيره او بيرجيك . واحتج لرأيه باحدث ما كتبه الاثريون والجغرافيون . وجاءت منذ تلك الايام مؤلفات موسيل وهرتزفلد وغيرهما ، وكلها تنفي كون تفساح القديمة هي دير الزور الحديثة .

ومال الالماني ريتر الى تعيين برثه التي ذكرها بطليموس موضع دير الزور ، وقال غيره انها قد تكون « اداته » او « اداره » المذكورة سابقاً . . وقد يرجح مولر وفليشر وهرتزفلد انها كانت Ἰτάβη وهي التي جاءت مشوهة باسم درته في لوح بوتنجر وعند صاحب الجغرافية الراقني . واصل اللفظة بالآرامية والعربية واضح فهو جُبّة اي غنم وبالعربية « جديرة » او حظيرة . وهو موافق تمام الموافقة لموضع دير الزور ، وهي المحطة الكبرى للغنم في اجتيازه من الجزيرة الى سورية .

وقد يؤيد هذا الرأي ما قاله بطليموس عن موقع «جديرته» المناسب لموقع دير الزور باربعين درجة وعشر دقائق طولاً ، و ٣٥ درجة وعشرين دقيقة عرضاً شمالي الكرة الارضية .

الدير على عهد القبائل

ان آثار المدن الباقية الى يومنا في بلاد الفرات الاوسط دليل على عمرانها في العهد الروماني والعربي . ولا بد ان بلدة الدير ، الواقعة على بعد يوم من قرقيسية ومصب الخابور ، ويومين من الرقة قاعدة هارون الرشيد ، كانت مزدهرة في القرون الوسطى . ولكن ليس بين يدينا دليل واضح على حالتها سوى ما نعرفه عن حسن مركزها للمواصلات بين بلاد الجزيرة وبلاد الشام . وطرأ

عليها ما طرأ على امثالها من حوادث الخراب من جراء الحروب وحملات التتر على البلاد السورية في القرن الخامس عشر . الى ان اقفرت البادية على شواطئ الفرات ، وانقطع حبل الامن ، وتحول مجرى التجارة الى الهند عن طريق بحر قزوين شمالاً او عن طريق الاسكندرية[1] جنوباً . وشلت اليد العاملة في مشاريع الري والزراعة فقفرت الرمال المدن الخالية من سكانها ، وطغى الفرات ، وسد باوحاله الاقنية التي اصطنعتها ايدي البشر منذ عهد اشور وبابل وتغيرت سحنة البلاد : كانت سابقاً اشبه بجنة عدن فامست مسرحاً للنعام وميداناً لحروب القبائل وغزواتها . ولم يعن العرب بعمرانها ، وهم يفضلون سكنى الخيم على البيوت . وقلما يخافون سقوط الامطار لمدة مديدة ، ويكتفون بظل الخيمة وقاية من الشمس . فاذا سئموا المقام في ارض اقلعوا منها ورحلوا الى غيرها طبقاً لاحتياجات المواسم[2] . وابن البادية شامخ ، صلف ينظر بعين الاحتقار الى سكان البيوت ويستضيق العيش ضمن جدرانها[3] . فلا عجب ان تقهقرت مدينة الدير في ايام العرب . على ان مركزها على مخاضة الفرات جعلها محطة لشيوخهم . كانوا يقيمون فيها ويراقبون منها حركة الاسفار ويضربون فرائض الخفرة والمكوس على المسافرين . وهم على ذلك ملتزمون بدفع الضرائب للسلطان . بلغت الينا اخبار ذلك العهد عن الرواد الذين قطعوا بلاد الزور وتركوا لنا وصف رحلاتهم ، ومن اقوالهم يتاح لنا ان نعرف البلدة كما شاهدوها في القرون الاخيرة .

في السنة ١٥٧٤ حط فيها روفلف (L. Rauwolff)[4] الطبيب والعالم النباتي الالماني ، وهو مسافر على الماء من بيرجك الى فالوجه . فوجدها بلدة « صغيرة » يحكمها الاتراك . تقدم اليه منها رجال نزلوا في سفينته واتوا بها الى الشاطئ فوق طريق العبر . وكانت بيوتها متلاصقة في تل على الضفة اليمنى

---

١) راجع مقال كاروترس (D. Carruthers) في الجريدة الجغرافية الانكليزية ١٩١٨ ، ص ١٥٨ ، على طريق القافلات من حلب الى البصرة .

٢) راجع ساخو (Sachau) في كتابه على سورية وما بين النهرين ، ص ٢٦٥

٣) راجع اوپنهايم : من البحر المتوسط الى خليج فارس ، ٢ ص ٥٠

٤) راجع ريتر ، الجغرافية ، ١٠ ص ٦٩٢

تحيط بها جدران وخنادق . اقام فيها روقلف ثلاثة ايام قبل ان يؤدي فرائض المكوس . وصف سكانها فقال انهم اقوياء البنية والاعضاء ، شعرهم اسود قاتم ، واخلاقهم مهذبة تستأنس بالغريب . كانت محصولاتهم الحنطة والشعير ، والقطن والذرة ، وكانت بساتينهم حافلة بانواع الفواكه من قرع وبطيخ وغيرها وهذه تباع باسعار بخسة جداً . وهناك ايضاً شجر النخل والليمون والبرتقال . وكان موظف المكس رجلاً ارمنياً . وكانت مخاضة الفرات من جانبي الحويقة قليلة العمق ، فتلجئ اصحاب الزوارق الى تخفيف حملها لئلا تتوحل في الرمال . وهناك نوع من الشجر اشبه بالصفصاف ويسميه السكان « غرباً »[1] ، وقد ينتشر في الساحل وينمو بكثرة ، وقلما يرتفع عالياً .

وفي ١٦ نيسان من السنة ١٦٩٦ ، وصل الى الدير الاب يعقوب ڤيلوت (Villotte) ورفيقه ، اليسوعيان وكان قد ابحر من القسطنطينية في ٣١ كانون الثاني ، ومر بفاليولي في ٣ شباط ، وبجزيرة رودس في ١٠ منه ، وبقبرس في ٢٦ منه . ووصل الى طرابلس الشام في ٦ آذار ، وفي ٢١ منه الى حلب ، وكانت باوج عزها . وغادرها الاب ورفقته قاصدين الى اصفهان عن طريق البادية . فتكبدوا مشاق الجوع والعطش ووقعوا في ايدي اللصوص ، واضطروا الى حط رحالهم في دير الزور . قال الاب ڤيلوت (ص ٣٦٤) : بعد السير الحثيث هرباً من البدو ، بلغنا الدير ، وهي قرية حقيرة واقعة على شاطئ الفرات يحكمها باسم السلطان احد بكوات العرب ، ويبسط سلطته على هيت والدير وعانة وسائر شواطئ الفرات الى بغداد ، ويتقاضى ديناراً ذهباً على كل من المسيحيين المجتازين دير الزور . وكان مرافقاً للاب فيلوت دليل له معارف بالدير ، فلم يدفع عن الاب ورفيقه للبك الا دوكاً واحداً ومهد لهما سبيلاً للراحة من اعناء السفر . وفي الثامن عشر من نيسان خرجوا من الدير نحو الساعة الثالثة بعد الظهر ولم

---

١) ما زال هذا الشجر كثيراً في الدير الى يومنا . عرضنا اوراقه على استاذ النباتيات في معهدنا الطبي الافرنسي فسماه *Populus canescens* من نوع *Salicinée* ، وقد يصلح ثمره حشواً للفرش والمخدات .

٢) راجع اسفار احد المرسلين ص ٣٦٤... *Voyages d'un Missionnaire, Paris, 1730*

يقطعوا مسافة بعيدة الا خرج العرب عليهم وسلبوهم.

وفي السنة ١٨٠٩ ، وصف روسو ديرالزور في كتابه على « باشاوية بغداد » فقال انها قرية خاملة الذكر فيها بعض بيوتات العرب . وكانوا بالظاهر خاضعين لباشا بغداد ، وبالحقيقة مستقلين . وكانت البلدة آنذاك تحت التأثير الذي نالها من حملة سعود بن عبد العزيز الوهابي عليها سنة ١٨٠٧ [1] .

وفي ١٥ ايار ١٨٣٦[2] وصل الى دير الزور منحدرًا على النهر من بيرجك الكولونيل تشسنه الانكليزي، وهو اول من خاض مياه الفرات بمركب بخاري، على امل ان يفتح الممرّ بحرًا من الهند الى البحر المتوسط على طريق بيرجك فانطاكية فالعاصي . ووافق مروره بالدير زحف الجراد عليها . ووجد في انحائها نوعاً من الحمر استعمله وقودًا في سفينته البخارية ، ونعت ذلك الساحل بالارض السوداء ، نسبة لسواد الاسفلت فيها. ولم يلاقِ من العرب القاطنين شاطئ الفرات في بلاد الزور الّا كلّ ولاء وصداقة. ووصف المدينة فقال[3] : ان الدير القديمة تحوي زهاء الف بيت مبنية على تلّ عالٍ ، بشكل المخروط ، مرتفعة على جانب الفرات الايمن ، تجاه طرف الحويقة الشرقي ، الواقعة بين النهر وبين الترعة ، وهذه الترعة فُتحت لتخفيف شدة مياه الفرات في سرعتها نحو الشرق وهي محكمة الحفر ، صالحة للملاحة. فاجتازها من غير ما عقبة .

وارسل الكولونيل تشسنه من الدير رسالة الى حلب ، مبشرًا بوصوله الى تلك المحطة بالسلامة . وسجل ابان رحلته على الفرات اغوار المياه وقاس اعماقها ودوّنها في الخارطة التي رسمها للنهر واشفع بها مؤلفه الكبير على الرافدين . وقد نشرنا ما اخذناه من تلك الخارطة في بلاد الزور، وعرضناه عسى ان يستفيد منه من ليس بوسعه مراجعة الخارطة الاصلية.

---

١) موسيل: الفرات الاوسط ، ص ٢

٢) ويتر : جغرافية ، ١١ : ٦٩٢

٣) راجع تشسنه: رحلة دجلة والفرات Col. Chesney, *Expedition for the Survey of the Rivers Euphrates and Tigris. London, 1850.*

عمر باشا الكرواتي

في ذلك العهد، كانت «الدولة العلية» صاحبة السيادة على البلاد، لكنها لم تخضع الاهلين الا حيث كان جيشها مظفراً قوياً . وقد طالما تكبدت المشاق في كبح جماح العرب ، وهم يقطعون طرق البادية بين الشام والعراق ويمنعون الحجاج عن زيارة الحرمين ، ويغزون الموظفين ابان رحلاتهم من الاستانة الى بغداد لاستلام مقاليد الحكم فيها. وكانت دير الزور من المحطات التي استقل فيها العرب او كادوا لرفع لواء العصيان على تركية . فعقد الباب العالي العزائم على استئصال شأفة الفتن.

في اواخر السنة ١٨٥٨ ، لو اشرف سكان الدير من اعالي الاكمة المبنية عليها مدينتهم لرأوا عن بعد ، نحو الغرب ، جمهوراً كبيراً اشبه بالجيش المعظم ، وقد طارت على رؤوسه اشعة الآلات الموسيقية النحاسية وتصاعدت من صفوفه الالحان الحربية المهيجة . من كان الآتي من الصحراء وما كان مقصوده ؟

هو عمر باشا ، وقصده فتح الدير.

ولد هذا القائد سنة ١٨٠٦ في كرواتيا من اعمال النمسة[1] وتمعمد في الكنيسة اليونانية الغير الكاثوليكية ، وساقته الايام من قريته الى الخدمة العسكرية، الى التوظف في الجيش التركي، الى جحود ايمانه واعتناقه الاسلام ، لا عن يقين ولكن طمعاً بالتقدم في المراتب. وساعده الحظ فتزلف الى السلطان عبد المجيد وحظي برضاه ، فعهد اليه بقيادة الجيش ورفع الى رتبة سردار ، واشترك في حرب القرم ونال رتبة باشا بغداد ، فسافر اليها عن طريق حلب والبادية . وكان شجاعاً ، طموحاً الى العظائم ، مغواراً ، توّاقاً للبذخ والفخفخة . وقد اخذ على عاتقه مهمة تأديب العرب .

في ٢ كانون الاول سنة ١٨٥٨ خرج من الشهباء وامامه ٥٠٠ فارس من سوريين واكراد، وبمعيته قافلة عدتها ٦٠٠ جمل، وحملت الحريم والعسكر والضباط

---

(١) راجع مجلة المراسل *Le Correspondant* ١٨٩٥ : ١٨٠ ، ص ٢

والموظفين . وكان ما بين هؤلاء علي باشا الشركسي ، وابراهيم باشا البولوني اليهودي الاصل ، واسكندر باشا المعروف بالكونت ايلنسكي ، وشبلي باشا زعيم الدروز سابقاً ، وكان عمر قد اسره ابان حملته على جبل لبنان ، واليهودي سيتر جولدشتين . وكان على رأس القوم صفّ من الجنود يعزفون بآلات الموسيقى النحاسية . وكان غرض عمر باشا من هذه المظاهرة ان يلقي الهيبة في قلب سكان الدير فيطيعوه في كل ما يفرضه عليهم من الضرائب.

ولكن ما رأى سكان البلد الخملة وما سمعوا اصوات الابواق الا ذعروا ودخلوا بيوتهم وتحصنوا فيها ، وامتنعوا عن قبول الباشا التركي . وكان عسكر الباشا بحاجة الى الطعام والشراب والذخيرة ، فما ان عرفوا المجال واسعاً حتى هاجم بعضهم البلدة ودخلوها عنوة واعملوا فيها السيف ، بينما كان غيرهم من الفرسان يطوفون الانحاء ويحولون دون قدوم البدو لنجدة سكان البلدة . وكان غيرهم من الجنود واقفين في حراسة الحريم والامتعة.

وقدم الباشا بذاته امام الدير ، واذا باحد ابوابها قد فُتح وخرج منه شيخ يجرّ وراءه سلسلة من الناس التاعسين وهم عزل يطلبون الامن.

فآمنهم عمر باشا ، وردّ العسكر عن البيوت وضرب على السكان الاتاوة ، واسر منهم سبعين فاقتادهم معه الى بغداد عن طريق الصحراء ، ليجعلهم بين العرب عبرة لمن اعتبر . وقيل ان اربع مئة من السكان ماتوا في تلك الوقعة . وهدأت البلاد بعد سفر عمر باشا . وخيم الامن عليها . انما تلك كانت طرق التأديب على ايام الاتراك.

اما سائر حوادث واخبار البلدة فسوف نقف عليه في المقال الآتي.

تسعير القوة الكهربائية

بقلم الاب يوسف بأنيوا اليسوعي
استاذ الكهرباء في مكتب الهندسة الافرنسي

امّا لمسألة وافرة الصعوبة مسألة تسعير القوة التي تولّدها شركات توزيع الكهرباء . لان ما في الامر من الدقائق والاعتبارات الثانوية ، التي قد تظهر دون اهمية لجمهرة الناس ، يؤثر في التسعير فيرفع سعر البيع لا ضعفاً او ضعفين فحسب ، بل عشرة اضعاف احياناً . ولهذا رأينا من المفيد ، في الظروف الحاضرة ، ان نلقي نظرة اجمالية على هذه المسألة المهمة .

ولنلاحظ اولاً ان عوامل مختلفة ومتباينة تؤثر في تسعير القوة الكهربائية ، واقرار ثمنها ؛ وهي ، على اختلافها ، ترجع الى امور اربعة :

١ — نفقات توليد القوة الكهربائية .

٢ — مراقبة السلطات العامّة .

٣ — مزاحمة الطرق الخاصة التي قد لا تكون كهربائية . فان الناس يمكنهم ان يستنيروا ، ويستدفئوا ، ويستمدّوا القوة بواسطة البترول[1] .

٤ — الرأي العام .

ولا يخفى ان اهم هذه العوامل ما يستلزمه توليد القوّة من النفقات ، وهو ما نختصّ بدرسه في مقالنا هذا . فضلاً عن كونه يؤلف حدّاً ادنى لا يمكن تجاوزه في تسعير المبيع . وقد قصدته وحده ، عندما تكلمت عن الصعوبة الوافرة

---

١) وقد نشر مؤخراً السيد مارسل دي كونينك (M. Marcel de Coninck) ، في هذا الموضوع ، اعتبارات كثيرة الفائدة على غرابتها .

في درس هذه المسألة ، وذلك لما يتطلب تقدير هذه النفقات من الانتباه للعوامل المختلفة .

لنأخذ وحدةً للقوة الكهربائية الكيلووات المستهلك في الساعة (KWH) وهو ما يعادل تقريباً القوة الكافية لانارة قنديل ذي خمسين شمعة مدة عشرين ساعة متتابعة . فاذا اردنا تسعير نفقات هذه القوة ، لزمنا ان نعتبر ثلاثة عوامل او موادّ هي :

١ — نفقات الادارة .

٢ — فائدة الاموال المستعملة ، وقيمة استهلاك الآلات .

٣ — نفقات توليد القوة .

نفقات الادارة

لا يخفى انه يلزم الشركة عدد كبير من الموظفين والعمال للقيام بجميع الاعمال الادارية كاستقبال المشتركين ، وقراءة العدّادات ، وفحصها ، ومراقبة الاعمال ، وتنظيم اللوائح ، وقبض المال ، وضبط الحسابات ، وعمل السجلات الى غير ذلك . . . ولربّ قارئ لا يتمعّن في الامر يقول : « كل هذا حسن ، فهو يعادل كذا وكذا في كل كيلووات مبيع ! » فنجيبه ان هذا التقدير على جانب من الخطأ ، ومن الحقّ والانصاف اصلاحه . فان نفقات الادارة لا تزيد او تنقص بزيادة البيع او نقصه ، بل هي ذاتها لكل مشترك ، سواء كان من كبار المستهلكين او ممن لا يستعملون الكهرباء الا في ساعات معدودة . اذ ان من يقرأ ٤٠٠٠ كيلووات على العدّاد لا يصرف وقتاً اطول من وقت من يقرأ كيلوواتاً واحداً او اثنين مثلاً . وعليه يجب ان توزّع هذه النفقات بالمساواة على جميع المشتركين مهما كان مقدار استهلاك كل منهم .

ولكن ، لمّا كانت العادة في تسعير القوة الكهربائية ان يقرّر السعر بثمن الكيلووات ، نرى الصعوبة ظاهرة في توزيع نفقات الادارة . فنجد ان المشترك الفقير الذي لا ينير الّا القنديل او القنديلين فلا يصرف الّا الكمية القليلة من القوة ، عليه ان يدفع ثمن الكيلووات غالياً جدّاً لانه يضاف اليه

نفقات الادارة التي ذكرناها والتي توزّع ، والحالة هذه ، على عدد قليل من الكيلووات . ولهذا يظهر سعر الكيلووات باهظاً لجمهرة الذين لا يتمتعون في الامور على كونه عادلاً لما تقدّم شرحه من الاسباب . وعلى المبدأ نفسه نجد ان المشترك الكبير الذي يستهلك الالوف من الكيلووات يشتري الكيلووات بارخص مما يشتريه الاول ، لان نفقات الادارة توزّع على هذا العدد الكبير فلا تكاد تؤثر في سعر الكهرباء الصرف . ومن المعلوم ان هذه القسمة لا تجري على كل كيلووات بمفرده ، لان هذا الامر من الصعوبة بمكان ، بل يُقسم المشتركون الى درجات مختلفة ، فيخفّف لهم سعر الكيلووات كلما زاد معدّل استهلاكهم . ولا يخفى ان المشترك البسيط الذي لا ينير الّا القنديل او القنديلين فلا يدفع الا بعض فرنكات بالشهر ، لا يفيد الشركات كثيراً . واذا طُبّق عليه توزيع النفقات التي ذكرناها بكل انصاف ، فأُضيف الى تعرفة ما يستهلكه من الكهرباء ما يعود عليها بحقّ من نفقات الادارة ، لعلا صياحه ، وترافع ضجيجه ، واعتقد انه مُجحف بحقّه . وعليه فان ما تقبضه الشركات من هذه الطبقة من المشتركين اقلّ من ان يفي بنفقاتها .

فائدة الاموال وقيمة استهلاك الالات

قد لزم الشركة ذات الامتياز ، في انشاء مؤسساتها ومعاملها ، ان تمدّ طول الشوارع خطوطها الضخمة والدقيقة ، التي استهلكت الاطنان العديدة من النحاس ؛ فضلاً عمّا قامت به الشركة من النفقات الكثيرة . وقد دفعها كل هذا الى طلب رؤوس اموال من الانصاف ان تدفع لاربابها الفائدة العادلة . ثم ان الآلات التي تستعملها ليست بخالدة ، فهي تخلق وترثّ شيئاً فشيئاً ، فيجب تجديدها المرّة بعد الاخرى . فان محرّكاً من نوع ديزل (*Diesel*) مثلاً يسير مدة ١٥ سنة ، فيكون الواجب على ادارة حكيمة ان توفّر كل سنة قيمة مقرّرة حتى يمكنها تجديد المحرّك المذكور ، بعد تلك المدة ، دون استهلاك رأس مال جديد . فضلاً عن ان تقدّم الصناعة كثيراً ما يدفع الشركة الى تجديد بعض آلاتها قبل انتهاء عملها .

وهنا ايضاً ليس من العدل ان توزع هذه النفقات بطريقة متساوية على كل كيلووات بمفرده ، بصرف النظر عن مستهلكه وزمن استهلاكه . وهذا ما سيتضح للقارئ العزيز.

لنفتش اولاً عما يدفع الشركة الى تعيين القوة في منشآتها . هل تستعمل آلات ذات ٥٠٠٠ حصان ام ١٠٠٠٠ ام ١٥٠٠٠ ؟ ام ما فوق ذلك ؟ ولا يخفى ان فائدة الاموال وقيمة الاستهلاك تزيدان بزيادة هذه القوة . كما انه لا يخفى ان مولدات المركز الكهربائي لا تشتغل كلها ، دون توقف ، مدة اربع وعشرين ساعة في اليوم . فان هناك من الاوقات ما يكون فيه استعمال الكهرباء قليلاً جداً ، مثل النصف الثاني من الليل ، او وقت فرصة الظهر مثلاً ، اذ يكون طلب المجرى الكهرباء بحكم العدم تقريباً . وبالعكس فان من الاوقات ما يكون فيه الطلب شديداً مثل وقت الغروب في الشتاء او نحو الساعة السابعة عشرة ، فان جميع القهاوي اذ ذاك ، والمنازل ، وواجهات المحلات ، والاعلانات المنورة ، كلها تتطلب المجرى الكهربائي بالحاح بينما تكون المعامل والفبارك لا تزال دائرة فتتطلب من جهتها ايضاً القوة المحركة اللازمة لآلاتها . وعليه فتكون المولدات في المركز على ازيد ما يكون من الحركة . وان الكمية المطلوبة في هذه الساعات من النهار وهي اقصى ما يصل اليه الطلب ، هي التي تدفع الشركة لتعيين قوة منشآتها فتجعل حدها الادنى كافياً لتلبية الطلب المذكور . وهذه الساعات تدعى ، بلغة تلك الصناعة ، الساعات الدقيقة (*heure de pointe*) مقابلةً بالوقت الذي لا يكاد احد يطلب فيه المجرى الكهربائي ، والذي يدعونه الساعات الفارغة او الجوفاء (*heures creuses*) .

ولنفرض الآن اثنين من المشتركين يطلب اولهما كمية كبيرة من الكهرباء يستعملها في الساعات الدقيقة . فيجب على الشركة ، والحالة هذه ، ان تلبي طلبه مهما كلفها الامر فتزيد عدد مولداتها ، منفقةً في ذلك زيادةً في رأس المال المستعمل ، على كون هذه المولدات الجديدة لا تفيد الا المشترك المذكور فتدور ساعات قليلة كل يوم . اما الثاني فيطلب من الشركة كمية كبيرة كذلك ، ولكنه يستعملها لتعبئة خزاناته ، في النصف الثاني من الليل ، اي في تلك

الساعات الجوفاء التي تقف فيها آلات المركز او تدور على غير فائدة. فيكون طلبه فرصة مناسبة للشركة فتزيد ارباحها ، دون ان تغير شيئاً مهماً في آلاتها ولا في تنظيم ادارتها .

واذن فيكون من العدل والانصاف ان يُضاف فائدة المال المستعمل وقيمة الاستهلاك على ما يدفعه المشترك الاول دون المشترك الثاني.

واذن فان المادة الثانية من المواد التي يجب النظر فيها لتسعير القوة الكهربائية ، لا يمكن توزيعها متساوية على كل كيلووات ، ولكن يجب الانتباه في ذلك الى ترتيب الاستهلاك وساعته اي الى زمن الاستهلاك. ولا يظن المطالع ان هذه التغييرات لا تؤثر الاثر المهم في الاسعار فان المشترك الذي يستهلك كمية عظيمة في الساعات الجوفاء قد يدفع احياناً ، عن ثمن الكيلووات، عشر ما يدفعه المشترك الذي يستهلك كمية قليلة في الساعات الدقيقة او اقل من العشر . اما كيف تميز هذه الفروق فان الشركات تستعمل عدادات مخصوصة ذات تعرفتين او ثلاث ينظر فيها الى عامل « الزمن » المشروح اعلاه . وتتغير طريقة التأشير في الوقت المطلوب اما بواسطة ساعة موضوعة ضمن العداد او بواسطة تموجات يرسلها المركز الكهربائي (وهي طريقة حديثة للتأثير عن بعد خاصة بشركة عمل العدادات) .

نفقات توليد القوة

وهي تشمل ثمن الوقود ، والزيوت ، ونفقات الموظفين الفنيين ، والسهر على الآلات . وكلها تتناسب مع القوة وتوزع متساوية على كل كيلووات ، الا الحسم الذي يخص به من يستهلك كمية كبيرة من المجرى . لانه اصبح في حكم المقرر اليوم ان نفقات توليد الكهرباء تقل كلما ازدادت اهمية المركز الكهربائي.

وانه من السذاجة بمكان ان نعتقد ان نفقات التوليد تؤلف القسم الاهم في سعر الكيلووات . فقد ظهر ، من لائحة نشرها السيد دروَن(Drouin) وهو من اشهر الاختصاصيين في مسألة المراكز الكهربائية ، ان نفقات توليد

الكهرباء في المعامل التي قوتها نحو ٨,٠٠٠ حصان لا تتجاوز قيمة غرش سوري واحد في الكيلووات بالساعة ، وكثيراً ما تنحط عن ذلك . واذن فان ما يؤثر في ثمن الكيلووات بالساعة فيزيده ، هو المادة الاولى من التسعير ، وخصوصاً الثانية وهي فائدة المال وقيمة الاستهلاك .

هذه اهم العوامل التي تؤثر في تسعير القوة الكهربائية ، واليها يجب النظر في كل مسألة من هذا النوع . ولكن كيف يمكن تطبيقها عملياً ؟

ان الغاية المتوخاة ، او المثل الاعلى في ذلك ، ان تكون اللائحة المطلوب دفعها محتوية على معادلة مثلثة تعين قيمة كل من العوامل الثلاثة في ثمن الكيلووات بالساعة في شهر مفروض ، فتظهر على الوجه التالي :

كذا		كذا		كذا
ثمن الكيلووات بالساعة =	نفقات الادارة +	فائدة الاستهلاك +	نفقات التوليد

ولكن هذه الطريقة من الغرابة بحيث لا يُتصوَّر امكان القيام بها . وكم من الوقت الثمين يُضاع في تحقيق اجزائها ؟ وكم من الاحتجاجات يرفع المستهلكون على استعمالها ؟ فضلاً عن انه يلزم لفهمها وادراك قيمة العوامل فيها ان يحضر جميع المشتركين دروساً ليلية في الموضوع مدة ثلاثة اشهر

وعليه يجب التسهيل والاختصار . فيبدأ أولاً بوضع فرق بيّن بين التنوير والقوة المحركة . فان التنوير يطلب خصوصاً في الساعات الدقيقة ويتطلب قليلاً من القوة . فيمكن رفع تسعيره مع الاحتفاظ بالحسم لكبار المستهلكين . اما القوة المحركة فتستعمل خصوصاً بالنهار وبنظام معروف ، فضلاً عن كونها تستهلك كثيراً من الكهرباء . واذن فمن الحق ان يجعل سعرها اخف من سعر النور بكثير .

ولكن كيف يمكن تمييز استهلاك الكهرباء للنور من استهلاكها للحركة ؟ في زمن مضى كانوا يحملون المستهلك على انشاء مجريين مختلفين واستعمال عدادين ايضاً : واحد للنور ، وآخر للقوة المحركة . اما اليوم فاصبح من المضحكات الاخذ بمثل هذا الاسلوب المتأخر .

ولذا قام بعض المهندسين باعمال مراقبة واحصاء دقيقة في جميع الاوساط

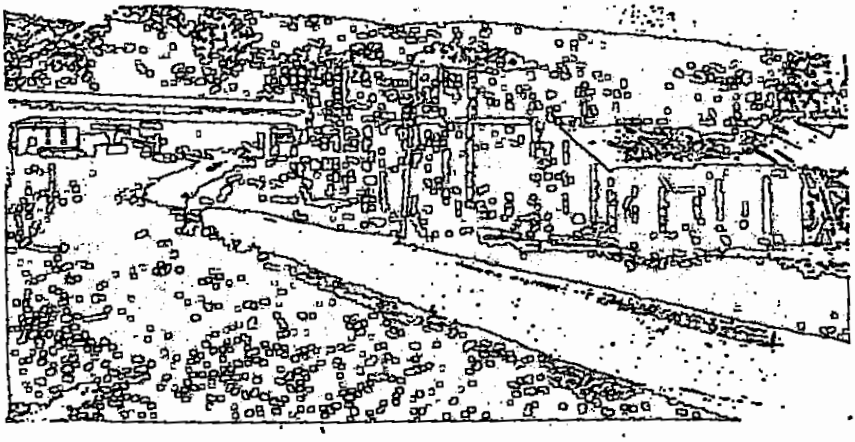

الرسم ٩ : منظر المعمل ، مأخوذًا من جهة طرابلس ، ووراءه الجبال « الدلقانية »

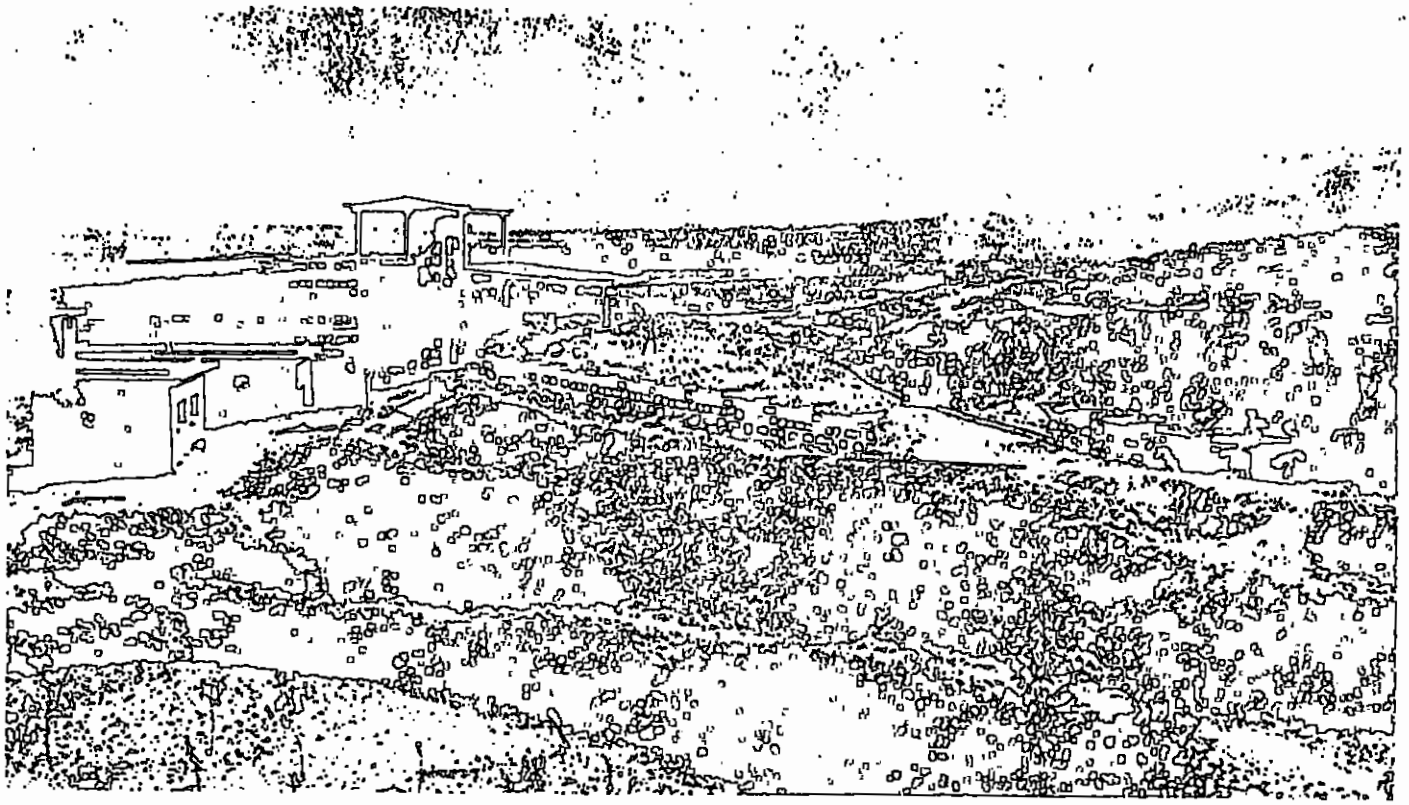

الرسم ٢ : مقلع الحجارة الكلسية ، شرقي الموصل ، وفي وسطه « المكسرة »

مكنتهم من تقدير الاستهلاك النوري في منزل معروفة اهميته ومساحته وعدد غرفه ، في فصل من السنة معروف ايضاً . وعليه غدا من السهل ان يقدّر الانسان قيمة استهلاك النور على كمية الاستهلاك الاجمالية ، فيعرف ما يدفع على سعر التعرفة الاولى ، وما يدفع على سعر التعرفة الثانية . وفضلاً عن ذلك يمكن المستهلك ان يستعمل عدّاداً ذا ثلاث تعرفات ، فيستفيد من جميع التسهيلات .

وقد نشر مؤخراً السيد ماليغاري (Mr Malegarie) مدير الشركة الباريسية لتوزيع الكهرباء المعروفة بشركة C. P. D. E. احصائيات مهمة مكنته من تنظيم التسعير المتعدّد المطبّق حالياً في تلك المدينة ، حيث يدفع المشترك نحو ١٠ غروش لبنانية سورية ثمن الكيلووات المستعمل للنور ، ونحو ٥ غروش ثمن الكيلووات المستعمل لسائر الحاجات (كمراوح الهواء ، والمكاوى ، وغيرها من الادوات المنزلية) ، ويدفع غرشاً ونصف الغرش ثمن الكيلووات المستهلك في الساعات الجوفاء .

وغنيّ عن البيان اننا ننشر هذه الارقام على طريقة التمثل والاستشهاد ليس غير ، مشيرين الى ان توزيع الكهرباء في باريس من السعة والانتشار بحيث يمكن لشركتها ان تنزل اسعارها . وهو ما لا تتمكن منه المدن الصغيرة او التي لا يكون فيها التوزيع على غاية الاتساع .

وقد رأينا نشر هذه المعلومات لنساعد قرّاءنا الكرام على ان يتجنبوا تعميم بعض ما يسمعون من الاقوال والاحكام تعميماً يجحف دون شك بالحق والانصاف .

لبناني مجهول

الاخ ساروفيم ڤكتور (١٨٧٩-١٩٢٢)

من اخوة المدارس المسيحية «الفرير»

بقلم ا. م. ب.

١

مقدمة

سماء شرقنا العزيز سماء رائعة الجمال ، صافية الاديم ، كأنها مرآة تنعكس فيها متجلية كمالات الحق سبحانه في خلائقه. بهاء نور الشمس ، ونقاوة اديم السماء ، واعتدال الطقس ، وصفاء الليالي المقمرة المرصعة بما لا يُحصى من النجوم والكواكب ... تجعل لشرقنا العزيز قيمة لا نقدرها قدرها ، ما لم ننأ عنه مرغمين او مختارين.

هذا واذا انتبهنا لما ثبت من تأثير احوال البلاد في نبوغ اهلها ، رأينا هذا التأثير بالغاً شأوه في وطنينا اللبنانيين ، اذ نبغ منهم في كل عصر من يفتخر بهم ويُهتدى بهديهم من رجال سيف وقلم وسياسة وادارة وصناعة وتجارة.

لكنّ هناك فئة من اللبنانيين لم يُبعثوا من زوايا النسيان . ولا غروَ ، فانهم قضوا حياةً خفية ، على مثال مخلّص البشر فادينا الالهي ، ولاسيما من كان منهم قد انضووا تحت لواء رهبانية أجنبية المنشأ . فعُرفوا كأجانب بلباسهم وظواهرهم ، فظلّوا مجهولين.

ومن هؤلاء الافاضل المجهولين : رشيد بن يوسف عطاالله ، او الاخ ساروفيم ڤكتور من اخوة المدارس المسيحية . فقد أجبت ، بداعي المحبة وعرفان الجميل ، ان اقدمه مثال صلاح واجتهاد ، لابناء وطنه الكرام بنوع خاص ، وللناطقين بالضاد باسرهم ، وقدوة للاساتذة والمهذّبين ومحبي اللغة العربية والمعجبين بها.

حياته

اصل اسرته

عائلة عطاالله شوفية لبنانية محضة . ووالدا الاخ ساروفيم ، يوسف عطاالله وروجينا نصرالله ، من قرية عين كسور بالقرب من عبيه . وهناك بين الخضرة والمناظر الجميلة التي يمتدُّ النظر فيها الى البحر وبيروت عاصمة لبنان ، وسهل خلدة والدامور حتى صيدا ، هناك رأى النور رشيد بن يوسف عطاالله سنة ١٨٧٩ . وسكان عين كسور وعبيه ، مزيج من النصارى والدروز ، وقد اشتهروا بالاتفاق التام والوئام المتواصل .

وفي عبيه ، على الرغم من وجود مدرسة الاميريكان ، لم يرسل والدا رشيد كبيرهما الا الى المدرسة الكاثوليكية ، حرصاً على ايمان حبيبهما ورغبة منهما في حفظه بقربهما نظرًا لقرب المدرسة من البيت .

ولسبب تجهله ، هبط رشيد مع أسرته سنة ١٨٩٢ الى بيروت ، مدينة العلم ، وميدان العمل الفسيح ، اذ ذاك كما هي اليوم . وهنا اتسع المجال للفتى رشيد ، فنال ما كان يتمناه من السهولة في اكتساب العلوم والتدرُّب على الفضيلة .

فتوته (١٨٩٢ — ١٨٩٤)

ويظهر ان رغبة رشيد في احراز العلم كانت من جملة الاسباب التي حدت بالوالدين الى استيطان بيروت ، غير حاسبين للنفقات والاغتراب عن القرية المحبوبة حساباً . اذ لم يبلغوا المدينة الّا سعيا له في مدرسة خليقة بذكائه واجتهاده ، بها يتمّ لهما ما علقاه من الآمال على فلذة كبدهما . فلم يجدا اقرب الى رغائبهما من مدرسة جمعية القديس منصور دي پول الخيرية ، القائم بادارتها اخوة المدارس المسيحية ، الذين عُرفوا بالغيرة والمقدرة على تهذيب الاحداث ، وحسن الاسلوب في تلقين العلوم .

في بيروت

دخل رشيد المدرسة برغبة ونشاط ، ممزوجين برهبة وحياء ، شأن الصغار الذين لم يروا بعد الّا مدرسة القرية بحجرتها الوحيدة ، او سنديانة القرية وظلها الوارف. فهاله عدد التلامذة وكثرة الصفوف . لكنّ ثوب الاساتذة ولطفهم ، والنظام والسكون السائدين ، أثرت في نفسه ، وازالت عنه الاضطراب.

وكان ما تعلّمه من العربية كافياً للفت الانظار اليه ، لحسن القائه وسرعة خاطره ، ورنّة صوته العذبة ، والوقار الممزوج بشيء من التصنّع ، البادية آثاره في شخصه . لكنه كان مقصراً باللغة الافرنسية ، لا يكاد يفهم ما يُقال له . أما ما اتصف به من العزم والنشاط فذلّل امامه كل الصعاب . فسار في دروسه احسن سير. فقوّم بزمن يسير ما اعوجّ من لفظه في الافرنسية حتى أصبح ينطق بها كأحد ابنائها الخلصاء ، وكثيراً ما ظنّه الافرنسيون أحد مواطنيهم.

الدعوة الالهية

وسرعان ما ادرك الفتى رشيد ، بذكائه الحادّ ، أنه لم يخلق لامور هذه الدنيا ، لشدة كرهه لملذاتها الزائلة ، وميله الشديد للتقوى واعمال البرّ ، وخوفه من المهاوي واسباب الفساد التي كان يشاهدها كل يوم ، ولا سيما ما رآه في اساتذته الاخوة الافاضل من الغيرة والصلاح ، وتقديره عملهم التهذيبي الشاق حقّ قدره . فلذا أخذ يسير سيرة مثلى ويطيل صلواته ويمارس الاسرار بتواتر . واخيراً بعد استشارة الرب في داخله واصغائه لصوته تعالى يدعوه كصموئيل في الهيكل ، ليتكرس له وحده ، توسّل الى استاذه ان يسهّل له سبيل الانضمام الى الرهبانية التي كانت تزداد قدراً في عينيه .

فاكبر والد رشيد الامر وظهر استياءه ، وتصلّب بعدم السماح له . وحاولت الوالدة صدّه بدموعها وبكلامها الممزوج بالتوبيخ ، ناسبة اليه قساوة القلب وعدم حبه لوالديه ، اذ آثر الابتعاد عنهما على السكنى مع مصدر حياته، وأحب الناس اليه . وثار ثائر الوالدين لمجرد الفكر انه ستفلت تلك الدرّة

الثمينة من ايديهما ، ويخسرانه ، على زعمهما ، خسراناً ابدياً .

لكنه فات الوالدة الحبيبة ان الله أولى أن يُطاع ، وانه تعالى مالك مقاليد القلوب . . . واخيراً غلب الايمان الحيّ ، الحب الوالدي ، وحنى والدا رشيد الرأس امام المشيئة الالهية الداعية . وعدّا ذلك بحق شرفاً لهما وواجباً يقتضي القيام به . فسافر رشيد الى بيت لحم ، حيث هو دير ابتداء الاخوة ، وهو لم يتجاوز السابعة عشرة من عمره .

الراهب

كلمة راهب مشتقة في لغتنا العربيـة من رَهِبَ اي خاف وتخشع . وفي اللغات الاوربية المشتقة من اللاتينيـة تفيد الاعتصام والاتحاد (*relicr*) . اذ ان كليهما يدلّ على التشبُّث والارتباط . وان الرهبة ، ولاسيما الرهبة البنوية الصادرة عن الحبّ وتحاشي ما لا يروق المحبوب ، توثّق عرى المحبة وتفيـد الاتحاد . وهذه هي لا سواها ، تلك الرهبـة التي يسير بحسبها الذين تكرسوا لخدمة الله في الرهبانية .

وما اسخف ما يتشدّق به البعض من ان الانضواء تحت لواء القانون الرهباني المقدس والصارم ، متسبّب عن احتياج أو هرب من الفقر وطلب للراحة وعيشة الكسل المقوت . وانا لا اعرف أحداً ينصب ويتعب اكثر من الرهبان ، ويشهد بذلك كل عاقل خبير .

فرشيد عطاالله لم يكن مُعوزاً ، ولا محتاجاً الى الالتجـاء الى دير ليعيش فيه . بل بعكس ذلك ، كان يرى الدنيا تبسم له وتبشره بمستقبل يُحسد عليه . لكنه أنصت الى التعاليم الالهية الخفية ، التي كانت تناجي نفسه . فلبى النداء الالهي ، وهو غـير جاهل ان الراهب ، ولاسيما الصالح ، هـدف لنبال من لم يُعطَ لهم ان يدركوا اسرار النعمة الالهية . فكلهم عيون عليه يجسمون خطأه اذا زلّ ، او خيل لهم انه زلّ ، ويغمطون حقه من الثناء مهما احسن العمل . وما ذلك سوى تدبير ابليس بقصد جذب الراهب الى العودة الى عالم الاباطيل وصدّه عن مواصلة السير في سبيل النعيم الدائم . . .

وعلى كل فالراهب شهيد. واستشهاده، وان بطيئاً، فهو أليم طويل المدى... وقد دُعي رشيد عطا الله للسلوك في منهج هذا الاستشهاد في الحياة الرهبانية، فكان شهيد الواجب، والطاعة المذلّة للكبرياء، شهيد الصفّة الملائكية !! وقلّ من يفقه معنى هذا التبتّل ان لم يكن فيه روح الـه الطهر، وعفاف سلطانة البتولين مريم ام الله، شهيد الفقر الاختياري، والازعاج الناتج عن العجز عن التصرّف بما يشاء وكما يشاء؛ وبكلمة جامعة شهيد الامانة على النذور التي ابرزها.

عرفت الاخ ساروفيم سنين عديدة، وكنّا اذ ذاك في ربيع الحياة، وميعة الشباب. فتعلّمت منه، رحمه الله، معنى العفاف رغم هيجان الاهواء، ومعنى الطهر إبّان معركة تجارب هذا العالم الفاسد... فكان مُحلّقاً في عالم الارواح والطهارة البتولية، مثابراً على الجهاد الروحي، الذي تترامى امامه الضحايا العديدة، جُبناً وضعفاً. ومن كانت نفسه تفيض طهراً، ويضوع عطر عفافه شذى طيباً، لا يقوى الا ان يُشرك بكثره الآخرين. فلذا نرى الاخ ساروفيم يكتب في جملة النصائح للعطلة المدرسية:

« اياك والكتب الرديئة فهي آفة العقل والقلب. اياك والاصحاب الارديا. فانهم رُسل الشيطان. لا تنم وضميرك ملطّخ بخطيئة. قبل النوم افحص ضميرك واندم على سيّئاتك. أذكر انك دائماً في حضرة الله، فاياك ان تهين جلالته المقدسة بارتكابك الخطيئة... »

وحتى يومنا هذا لم يزل تلامذته، وهم كثيرون، ولاسيما الذين كانوا منتمين الى اخوية العذراء التي كان هو رحمه الله مدبّرها، يسمعون من صوته الرنّان الرصين ما كان يردّده عليهم: كونوا اعفّاء تكونوا اقوياء وشرفاء وتُسعدوا وايضاً: من كان له الربّ حارساً فمبثاً تحيق به الشرور، وتساوره جيوش البلاء، لانه على صخرة لا يتزعزع وفي معقل لا يطمع به طامع..

في بيت لحم

اسم عذب على قلب كل مسيحي ، يُنتقل بالفكر ، عند ذكره ، الى تلك البقعة المباركة ، مهد الديانة وأقدس الارضين . بيت لحم الجميلة ، والطيبة المناخ ، قائمة على منحدر اكمةٍ تعلو عن سطح البحر ٨٣٠ متراً .

يرى الوافد اليها من القدس ، بناء مستطيلاً في اعلاها ، ينتهي بما يشبه فُلكاً ، هو كنيسة مركز شركة الطفل يسوع الرئيسية ، والبناء هو دير ابتداء اخوة المدارس المسيحية ، تحيط به روضة غناء ، تُطلُّ على جبال فلسطين وشرقي الاردن ، وبحيرة لوط او البحر الميت ، وآكام بادية التيه اي طريق مصر ... وقد نُصب منذ قليل تمثال الطفل يسوع فوق برج يعلو ٢٤ متراً عن سطح الارض ، فيرى بلونه الذهبي كمنارة تُرشد الوافدين الى مدينة داود .

بنى هذا المعهد المرحوم الاخ ايفكر (Fr. Evagre) ذلك الشيخ الباسم ، والافرنسي الشرقي ، لا بل الفلسطيني اللبناني ، الذي أحبَّ شبيبة بلادنا وطقوسنا الشرقية الجميلة الى حد انه كان يتعصب لها ، ويعدُّ المعتدين على عوائدها وتقاليدها وحقوقها ، لصوصاً اغبياء ، حتى ولو كانوا من بني قومه .

هناك في بيت لحم ، استقبل الاخ ايفكر الفتى رشيد عطا الله ، وكان له كما كان لكلّ من تثقفوا في ذلك المعهد ، أباً حنوناً ، يُنسي أو يعزي المبتدئين الجدد عن حنان الوالدة الحبيبة . فيعطف على الصغير ويتبناه ؛ « اذ من دأب الشيخوخة ان تحنو على الطفولة ، لانها ترى ذاتها ، بانعكاس نور الحداثة ، فكأنها عادت هنيهة الى سالف عهد محبوب »

(له صلة)

السمنتو اللبناني

بقلم انطوان باز
المهندس من المكتب الافرنسي في بيروت
ومن مدرسة الكهرباء العليا في باريس

٢

نظرة فنية

١ كيفية استحضار السمنتو

قلنا ، في مقالنا الاول ، ان السمنتو اجزاء متناسبة من المدر او التربة الدلنانية والتربة الكلسية ، والنسبة العادية ٢٢ جزءاً من الاولى الى ٧٨ من الثانية . فالارض الواقعة في جنوبي شكا ، والخاصة بشركة السمنتو اللبناني ، هي مزيج من هاتين المادتين بنسبة ٣٠ الى ٧٠ تقريباً ، يُعرف في علم الجيولوجيا « بالمارن » . فلو استعملت تلك المادة على ما هي لجاءت بالسمنتو المسمّى « بالطبيعي » ، لا بالسمنتو المعروف او « الاصطناعي » . لذلك وجب خلطها باللازم من التربة الكلسية ، وهذا سهل لوجود ارض ثانية ، شرقي المعمل ، كلسية محضة .

ويُجرى مزيج التربتين اما بالطريقة الناشفة ، واما بالطريقة المبلّلة . فالاولى تحول كلًّا من المواد الاولية دقيقاً ناعماً ، يُمزج جيدًا ثم يُشوى في الافران المخصوصة . والثانية تُذوّب المدَر ، اي « الدلنان » ، في الماء ليدير وحلًا رائباً ، ثم يُسحق مع اللازم من الاحجار الكلسية فيخرج معجوناً ناعماً يُرسل الى الافران . وتُفضَّلُ اليوم الطريقة الثانية ، وان استلزمت زيادةً في المحروق ، لانسجام ما تأتي به من السمنتو .

المادة المدرية

يُعمل السيمنتو في شكا بالطريقة المبلّلة ، بان يُستورد « المارن » من الجبل الجنوبي ، على مسافة كيلومترين تقريباً ، بواسطة « الكميونات » السيّارة . وقد بلغ ما يُستورد الآن في كل يوم ٣٠ كميوناً ، اي ما يوازي ١٥٠ متراً مكعباً .

تصل العجلات السيّارة من المقلع بطريق مخصوصة في الجبل ، ثمّ بطريق بيروت - طرابلس ، فتفرّغ محمولها في حوضين واسعين يُعرفان بالمروب (*délayeurs*) ، قطر الواحد منها ستة امتار . ثم يُضاف الى « المارن » ٢٥ بالمائة تقريباً من الماء ، ويُحرّك بجراث ذي اسنان ، يدور حول محور عودي ، فيروب المدر وما معه من الكلس ، وترسب باقي المواد كالصوّان فتستخرج من حين الى حين بواسطة الناعورة ويُرى في الرسم ١ ، الى يمين الطريق ، الخيمة المظلّلة « للمروب » .

تُرفع الروبة بمضخات مخصوصة الى حوض يعلو « مسحقة دوارة » (*broyeur rotatif*) ، قرب كير جامع للحجارة الكلسية . ثم تُنزل كلتا المادتين في المسحقة ، بعد تعديل نسبتهما ، فتخرج معجوناً ناعماً ، تُعدّل نسبته ثانيةً اما باضافة معجون كلسي ، واماً بزيادة روبة دلفانية . وبعده يُرسل ذلك المعجون الى ستة احواض من السيمنتو ، قطرُ الواحد منها ستة امتار ، وعمقه احد عشر متراً ، فيبقى فيها ، قبل انزاله في الفرن ، ريثما يحلّل كيماوياً لتعديل نسبة المدر الى الكلس مرة ثالثة .

اماً ما تستهلكه « المسحقة » من القوة فهو ٣٢٥ حصاناً

المادة الكلسية

تستخرج تلك المادة من المقالع ، شرقي المعمل ، على مسافة ٤٠٠ متر تقريباً ، بشبه حجارة بيضاء تنقلها العجلات الحديدية الى « المكسرة » (*concasseur*) (انظر الرسم ٢) ، فتحولها حجارة صغيرة ، تُنقل الى المعمل على حبل جرّار (*cable téléférique*) وهو حبلٌ من الفولاذ ، موصول الطرفين ، ممدود بين المقلع والمعمل ، على بكرات دوّارة ، فوق اعمدة مخصوصة . ويلف

هذا الحبل على خنزيرة ، في المقلع ، اذا دارت ، مشى الخطُّ كلـه على ذاته بسرعة مترين ونصف في الثانية.

تُعلَّق في الحبل سجلات المكسّر من الاحجـار ، واحدة كل خمسين متراً ، كما يُرى في الرسم ٣ ، فـاذا وصلت الى المعمل ، انقلبت لـذاتها فوق كير « المسحقة » ، ثم عادت الى المقلع ، بحركة الحبل الدائمـة ، فمُلئت ثانياً وهلمّ جرّاً . . .

وقد بلغ ما يُستخرج من الكلس ، بهذه الطريقة ، ٧٥ متراً مكعباً في اليوم اي ما يقابل المائة عجلة . وهذه الكمية موازنة لما يُستخرج من المارن.

والمدهش في ذلك حركة الحبل « الجرّار » خصوصاً وان قوته زهيـدة لا تتجاوز الثلاثين حصاناً.

الفرن الدوّار (*Four rotatif*)

وقبل انزال المعجون المخزون في الاحواض الى الفرن ، يُرسل اليه ، من اسفل الحوض ، تيّار من الهواء المضغوط فيمزجـه جيداً. ثم يؤخذ منه انموذج يُحلّل كيماوياً لمعرفة نسبة الكلس الى المدر ، فان نقص شيء من احدى هاتين المادتين اضيفَ اليـه وارسل المعجون الى الفرن الـدوّار كي يخرج منه « تربة اصطناعية . »

ويُرى الفرن ، في الرسم ٤ ، بشكل انبوبة ضخمة من الصفائح الحديدية ، مرتكزة على كلل فولاذية تدور فوقها . وطولُ الفرن هذا ٦٢ متراً ، يديره محرك كهربائي قوتـه ٤٠ حصاناً ، بواسطة اضراس فولاذية لتخفيض عـدد دوراته من سرعة ١٤٠٠ الى سرعة ٤٠ دورة في الدقيقة.

اما داخل الفرن فملبسٌ بالقرميد الناري ، لخزن الحرارة فيه . وطريقـة تحميته بان يُرسل من اسفله غبـار من الفحم الحجري ، يطـيّره ، بعيداً في الفرن ، تيارٌ من الهواء تقذف به مروحة مخصوصة . وقصـد استعمال الهواء ليس ارسال الغبار فقط ، بل سهولة اشتعال الفحم ايضاً ، اذ ان الاشتعـال ، كما لا يخفى ، لا يتمّ الا بوجود الاوكسيجين وهذا مكوّن للهواء.

يحترق التيار الفحمي ضمن الفرن ، من اسفل الى اعلى ، ثم يخرج في ١٣

غرفة تعرف « بغرف الغبار » ، يترك فيها ما يطيره من السيمنتو ، فيبقى دخاناً يخرج في المدخنة . ويسهل صعود الدخان في المدخنة بواسطة مروحة قوتها ٨٠ حصاناً .

مسحنة الفحم (*Pulvérisateur à charbon*)

اما الفحم اللازم، وكميته تعادل العشرين والثلاثين بالمائة من كمية السيمنتو المستخرجة ، فيستورد بطريق البحر ، ويُخزن في رواق مخصوص . ويُحصل عليه دقيقاً ناعماً بواسطة « المسحنة » ، بعد ان يكون قد فقد رطوبته ضمن آلة منشفة ، وقوة المسحنة هذه ٦٥ حصاناً .

مبرّدة السيمنتو (*refroidisseur*)

واذا رجعنا الى معجون السيمنتو ، وتبعنا سيره في الفرن ، رأيناه يتقدم رويداً رويداً بحركة البرم ، وانحدار الفرن ، فترتفع حرارته ، فينشف ثم يزيد حماوةً الى ان يبدأ بنوع من الذوبان فيتحول « ترابةً اصطناعية » . وقد تبلغ حرارته ، اذ ذاك ، نحو الالفي درجة سنتغراد . . ولا يجوز استخراجه من الفرن على تلك الحالة ، بل يجب تخفيض حرارته نوعاً ضمن « المبردة » وهذه كناية عن انبوبة ثانية ، طولها ثمانية امتار ، ملاصقة للفرن ، يخرج فيها السيمنتو فيبرد .

مسحقة السيمنتو (*Broyeur à ciment*)

يخرج السيمنتو من المبرّدة بشكل احجار ، رمادية اللون ، تعرف « بالكلنكر » (*clinkers*) ، فيأخذها « جسر سيّار » (*pont roulant*) فينشرها في باحة فسيحة ، حتى اذا بردت ، اخذها ثانية وجعلها في كير المسحقة ، فيضاف اليها ٢ او ٣ بالمائة من الجصّ (الجفصين) ثم تسحق فتخرج « ترابة اصطناعية» تُخزن في احواض مخصوصة او تعبأ في الاكياس . امّا قوة المسحقة فتقارب الاربعمائة والخمسين حصاناً .

الجسر السيار

يسير هذا الجسر على خط حديدي فوق قناطر باحة « الكلنكر » ، غربي الفرن . ويبلغ طوله عشرين متراً ، ومحموله ٣٠٠٠ كيلو ، وقوته ٨٠ حصاناً .

يسير بقوة السيار الكهربائي بسرعة مترين ونصف في الثانية اي تسع كيلومترات في الساعة.

٢ توابع المعمل

وخلا ما جيء على ذكره من الآلات ، ففي المعمل ابنية وآلات شتى زادت باكلاف المشروع ، نكتفي بتعداد البعض منها :

المكتب والادارة

يرى الداخل الى معمل السيمنتو اللبناني بناية للحاجب لجهة الجنوب ، وتجاهها الادارة ، وفيها غرفة لرئيس المحاسبة ، واخرى للمحاسبين . وغرفة للمدير الثاني ، وغرفة المختبر الكيماوي.

بنايات السكن

وقد بني ، تجاه المعمل من عن يمين طريق العربات ، منزلان للسكن . الاول للمدير الثاني وعائلته ، والثاني للمهندس الكيماوي.

احواض الماء

ولما كان الماء الماعدَ الذي لا غنى عنه في عمل السيمنتو فقد بني له حوضان عاليان سعة الاول مائة متر مكعب ، تستخدم مياهه لتذويب المدر ، وتبريد الآلات ، وسعة الثاني ثلاثون مترًا مكعبًا يُملأ بمياه الشرب فتوزّع في مختلف الابنية . وتؤخذ تلك المياه من ينبوع يسيل ضمن المعمل فترفع الى الحاووز بواسطة مضخة كهربائية. اما مياه المعمل فتستقى من النهر. ويرى في الرسم ٣ ، على اعمدة عالية من السيمنتو ، الحوض الاول وتحته الثاني.

الرصيف (*Jetée*)

وقد اضطرت الشركة الى بناء مرسى ، يتقدم في البحر طويلًا ، تسهيلًا لشحن الصادر ، وتفريغ الوارد من الفحم والجصّ وغيرهما.

مراكز التحويل الكهربائية

ويُرى في الرسم ٥ بناية لتحويل المجرى الكهربائي اللازم من توتر ٣٥٠٠٠

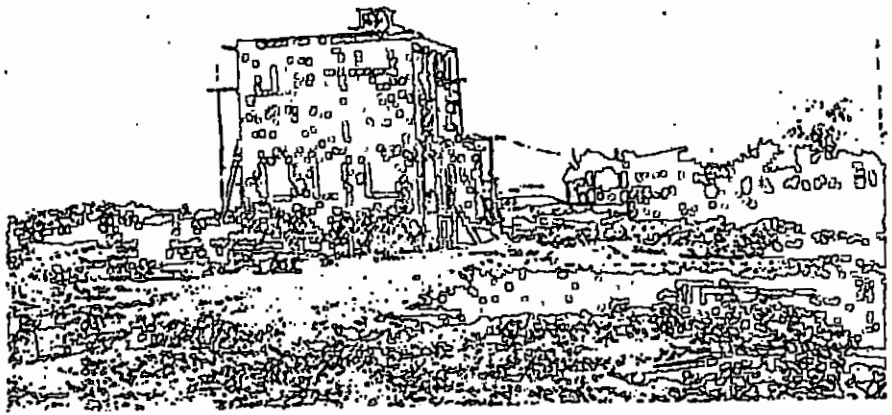

الرسم ٥ : مركز التحويل الاكبر ٣٥٠٠٠/٣٠٠٠ ڤولت

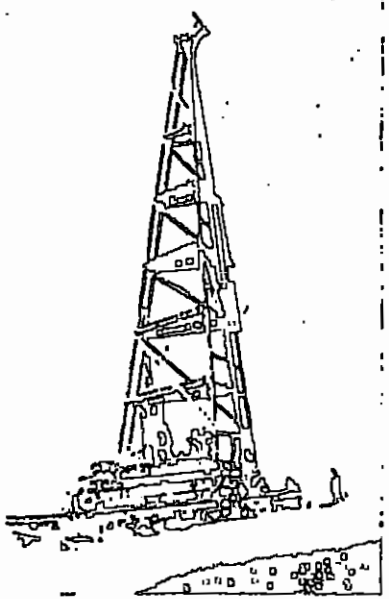

الرسم ٦ : المفصلة لغرز العواميد من البطون في الارض كأساس للبناء

الرسم ٧ : حفلة القداس يوم ١٢ حزيران ١٩٣١

من اليمين الى الشمال : سيادة المطران انطون عريضه ، فالسيد ارنو ، فالسيد شكس ، فالسيد سيلر

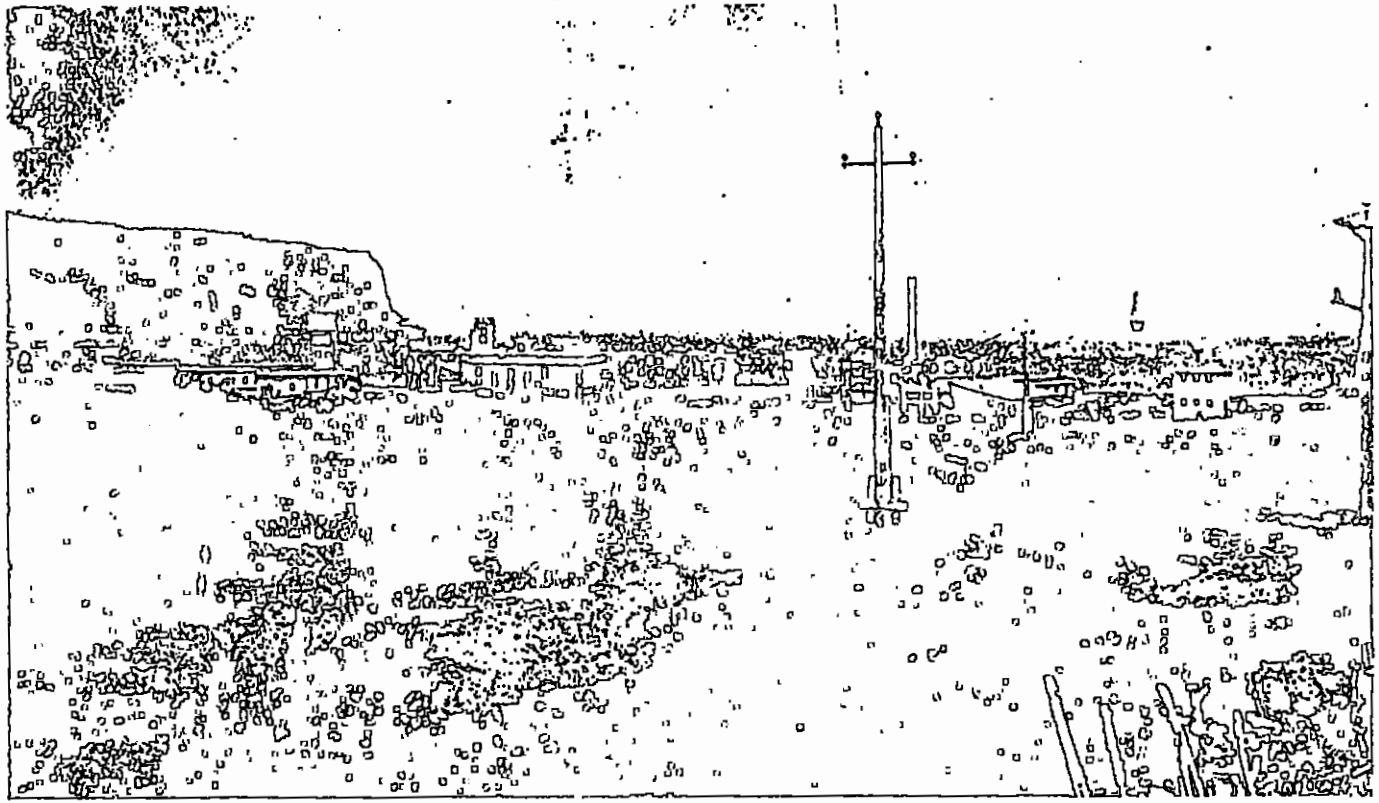

الرسم ٣ : منظر عمومي للمعمل ، من جهة الشرق ، يُرى فيه احواض الماء والفرن الدوّار ، والمدخنة ثم من عن اليمين « الحبل الجرّار » ينقل عجلةً من الحجارة الكلسية ، وبقربه الاسلاك الكهربائية بتوتّر ٣٠٠٠ فولت

الرسم ٤ : الفرن الدوّار ، يدور بحركة الاضراس في الوسط وهو مسنود من اطرافه الى كلل فولاذية

ڤولت الى توتّر ٣٠٠٠ ڤولت . وقد اقيم ايضاً بناية ثانية لتحويل قسم من القوة من توتّر ٣٠٠٠ ڤولت الى ٣٨٠ او ١١٠ لادارة المحركات الصغيرة والانارة.

مركز التصليح (atelier)

ولم تغفل الشركة بناء مركز التصليح ، غربي المعمل ، جهّزته باحدث الماكينات منها مخرطة للحديد طولها ستة امتار ، ومخارط صغيرة شتى ومقدحة باعها متر ونيف ، ومقشطة بطول ٢٣٠ سنتيمتراً الخ . . تدور كلها بواسطة محرك كهربائي قوته ٣٠ حصاناً.

المخزن

ولا يجوز ان ننسى مخزن المعدّات وراء مركز التصليح وفيه كل ما يحتاج اليه من محركات ، ومحوّلات كهربائية ، وشريط فولاذي او نحاسي ، وحدائد وغيرها . ولقد عجبت لمّا اخبرني السيد شكس ، مدير المعمل ، ان قسماً من المحركات الكهربائية التي في المخزن ، أُرسلت الى الشركة بدون ثمن كضمانة على المحركات المشتراة والمجهزة بها آلات المعمل . وتبقى تلك المحركات تحت تصرف الشركة مدة الضمانة بكاملها اي سنتين . وهذا الشرط مما يرفع من سمعة البائع ، اذ يدلُّ على ثقته التامة بجودة بضاعته.

***

ولا نغالي اذا قلنا أنّ كلّ تلك الاعمال كلّفت الشركة نفقات فادحة . يشهد بذلك ما لاقاه المهندسون من الصعوبات عند تحقيق الاعمال . فقد عثروا ، في حفر اساس الابنية ، خصوصاً في القطعة الغربية ، على ارض كثيرة المياه ، قليلة القوة . فاضطروا الى البناء على « الاوتاد » (*pilotis*) بان تُغرز في الارض ، الى ان تصل الى الارض اليابسة ، اعمدة من البطون المسلّح طولها اربعة امتار او اكثر وقطرها ثلاثون سنتيمتراً. وطريقة غرز الاوتاد ان يُضرب على رأسها ، بواسطة ثقل من الحديد وزنه الفا كيلو ، يقع عليها من عل . ورفع الثقل يُجرى بقوة البخار ، فوق مشنقة من الخشب تعرف بالمقصلة (*guillotine*) ترى في الرسم ٦ .

***

٣ القوة الكهربائية

يُستنتج مما ورد عظم مقدار ما يحتاج اليه معمل السيمنتو من القوة ، اذ ان مجموعها يناهز الالف والمئتي حصان ، كما هو مبيّن ادناه :

محرّكات « المروّب »	٣٠	حصاناً (تقريباً)
محرّك المسحقة	٣٢٥	
« المسحقة للفحم	٦٥	
« الفرن الدوار	٤٠	
« المبرّدة	٤٥	
« مروحة المدخنة	٨٠	
« المسحقة للسيمنتو	٤٢٥	
« الجسر السيّار	٨٠	
« مركز التصليح	٣٠	
« الحبل الجرّار	٣٤	(تقريباً)
المجموع	١١٥٠	حصاناً

هذا عدا محرّكات المضخّات للماء ونقل الروبة الدافانية ، ومحرّكات الهواء المضغوط ، ومحرّك المكسرة في المقلع . وعدا القوة الكهربائية المستعملة للتنوير . ويزيد هذا العدد طبعاً عندما توسّع دائرة اعمال المعمل بزيادة فرنٍ ثانٍ قرب الاول ، كما هو مأمول ؛ فيصبح منتوج السيمنتو في كل سنة ١٢٠ الف طن عوضاً عن الستين الفاً . . وعلى كل فان ما يحتاج اليه المعمل حالياً يناهز ، في بعض الساعات ، الاثني عشر الف حصان !

* * *

تستمدّ تلك القوة كلها من مركز نهر ابو علي ، بشكل مجرى كهربائي ذي ٣٥٠٠٠ ڤولت ، تنقله الاسلاك الكهربائية الممدودة بين المركز والمعمل فوق اعمدة من البطون . يصل التيّار الكهربائي من عن يمين الرسم ٥ الى « مركز التحويل » وهو مجهز باللازم لوقاية الاشخاص والآلات من خط المجرى والصواعق . فيه محوّلان قوة كل واحد منها ١٢٠٠٠ كيلو ڤولت امپار اي اثنا عشر الف

حصان تقريباً . وقلّ ما يُستعمل المحوّلان معاً فيبقى احدهما لوقت الحاجة ، فيما لو تعطّل الاول بحادث ما . ويكون التحويل ، كما رأينا ، من توتر ٣٥٠٠٠ ڤولت الى توتر ٣٠٠٠ ڤولت يُستعمل لادارة المحركات الضخمة ، بواسطة حبال كهربائية ، قويّة الغلاف ، مدفونة في الارض .

اما مركز التحويل الثاني فيحتوي على محوّلين من ٣٠٠٠ الى ٣٨٠ ڤولت ، قوة الواحد منهما ٥٠٠ كيلو ڤولت امپار ، يستخدمان لادارة المحركات الصغيرة . وفيه ايضاً محوّلان صغيران ٢٠ كيلو ڤولت امپار يُستخدمان للانارة بتحويل المجرى من ٣٠٠٠ الى ١١٠ ڤولت .

واذا عدّلنا ما يصرفه المعمل من الكهرباء سنوياً وجدنا ما يقارب العشرة او الخمسة عشر مليوناً من الكيلووات ساعة . وقد سمعنا ان شراء هذه الكمية من شركة مشروع نهر ابوعلي تمّ على معدّل الكيلووات الواحد بقرش سوري ونصف القرش .

* * *

هذا ما تمكنا من معرفته عن اعمال شركة السيمنتو اللبناني واننا لمدينون بكثير من النقاط والارقام الى مدير المعمل السيد شكس (Chaix) ، وهو الذي تكرّم علينا بالرسوم المنشورة ، واكثرها مأخوذ اثناء بناء المعمل . واننا لنرجو منه عفواً عمّا قد يكون فرط منّا من الغلط في الارقام ، فما قصدنا الّا ان نبين ما توصّلت اليه همم الوطنيين ، بمساعدة الاداريين والفنيين من الفرنسيس .

ويسرّنا ان ننشر ، في ختام مقالنا هذا ، رسم حفلة القداس التي جرت في المعمل يوم الجمعة ١٢ حزيران ، برئاسة سيادة المطران انطون عريضة ، وحضور مفوض الشركة السيد ارنو (Arnou) ومدير المعمل السيد شكس ، والمدير الثاني السيد سيلر ، وجمع كريم من اعضاء الشركة وانصارها .

وقد وصلتنا ، ونحن نكتب هذه الاسطر ، دعوة خصوصية الى حفلة التدشين الرسمية التي ستُجرى يوم السبت القادم ، ٢٧ حزيران في شكا . ولنا ملء الامل بان تلك الحفلة سوف تضم قوماً غفيراً من لبنانيين وسوريين واجانب ، يحيّون ، في ما شيّدته الشركة ، النهضة والعلم والنبوغ . . .

جولة في الجهوت

عبادة ادونيس ومكتشفات رأس شمره –
كلمة في المدارس

عبادة ادونيس ومكتشفات راس شمره

عبد الفينيقيون ادونيس بين سائر الهتهم، وتعلموا عبادته من الكلدانيين ومن المصريين، مقتبسينها عن عبادة اولئك لعشتاروت، وهؤلاء لاوزيريس. وقالوا ان عشتاروت « الالهة العظيمة » شُغفت بحب « ادون ادونيم » او ربّ الارباب. وحدث، في زعمهم، ان خنزيرًا بريًا قتل ادون ادونيم، فتحولت جثة القتيل الى جذع شجرة الصنوبر، الى ان سمت عشتاروت فانتشلتها من مخالب المنون. وكانوا يعقدون الحفلات « الادونية » الكبرى مرتين في السنة، فيذكرون موت ادونيس في اول الصيف، وقيامته في اول الشتاء؛ تارة بالبكاء والنحيب، وطورًا بالفرح والتهليل.

ولهذه الاسطورة مثال في قصة اوزيريس وايزيس الإلهين المصريين: قُتل اوزيريس بيد اخيه قتلًا فظيعًا، ووُضع في تابوت وطرح في البحر، وحُمل على الموج الى بيبلوس (جبيل)، فتعلق بين اغصان الطرفاء، وتجسم فيها، وصار في حوزة ملك بيبلوس. وجاءت من مصر ايزيس امرأة اوزيريس، فعرفته وهو في الخشب، فطلبته من ملك بيبلوس، وحصلت عليه. والمشابهة بديهية بين ادونيس الفينيقي واوزيريس المصري؛ وبين ايزيس المصرية وعشتاروت الالهة الفينيقية، الكلدانية الاصل. وان تلاقي الاله المصري والالهة الكلدانية في ارض سورية ولبنان لَرمزٌ لاحتكاك الشعبين الكبيرين البابلي والمصري في بلادنا. وكانت تطورات عبادات الفينيقيين المقتبسة عن جيرانهم مجهولةً جدًّا لقلة ما كان يشعّ على ظلماتها من مكتشفات الآثار، الى ان جرت حفريات رأس شمره فبرز للنور تعليمات جديدة على ديانة الفينيقيين، تكلّم السيد ثيرولو عليها في جريدة « العلماء » الفرنسوية (نيسان ١٩٣١، ص ١٧١) فقال:

رأس شمره واقعة شمالي فينيقية على مئتي كيلومتر من بيبلوس، على شاطئ البحر تجاه قبرس. جرت فيها حفريات مرّتين فاسفرت عن اشياء

كثيرة ، دالة على تأثيرات مختلفة ، اعني : بابل ، ومصر ، وآسية الصغرى ، والبلاد الميقينية او اليونانية القديمة ؛ وعلمتنا انه كان هناك ، في اواخر الالف الثاني قبل المسيح ، مركز تجاري خطير ، متصل بسائر البلدان المجاورة. فقد وجدوا في راس شمره طائفة من مكتبتها القديمة ، وهي كسائر المكتبات البابلية ، مكونة من الواح الآجر ، المنقوشة باحرف مسمارية . على ان تلك الكتابة ليست غامضة ، مقاصة القراءة ، باكتظاظ علاماتها وكثرتها ، شأن الكتابة البابلية القديمة ، بل هي كتابة مسمارية بسيطة جداً ، مركبة من ثمانية وعشرين حرفاً ، ضمت في ابجديتها لغة الفينيقيين بكمالها . ومن المعلوم ان اللغة الفينيقية شديدة الشبه باللغة العبرانية.

وان زهاء اثني عشر لوحاً من هذه المجموعة حوت قطع ملحمة ميتولوجية ، او مأساة جرت حوادثها في عالم الآلهة ، ومن مواقعها الفصل التالي : ألين ابن البعل قضى نحبه . كيف مات ؟ ان الامر لمجهول لان ظلائع الحادثة لا تزال غامضة ... ولكن من الاكيد الثابت ان ألين مات ، والطبيعة باجمعها تتألم لوفاته : انقطع حبل الحياة في العالم ، وامسكت السماء مطرها فاجدبت الاراضي ، وشحت مياه الانهار وجفت غدرانها ، وتوغلت الوحوش الضارية في ظواهر المدن.

وكان الآلهة العظام ، المالكون في السماء ، على بصيرة من الحقيقة ، وهي ان « موت » هو قاتل ألين . فاوفدوا من طرفهم الهة ، وانما هي شقيقة ألين المتوفى ، فقصدت الى «موت» وسألته بالحاح ان يرد لها اخاها. وحاول « موت » التبرؤ من الجريمة ، ورمى عهدتها على غيره ، وقال انه مستعد ان يقوم مقام الذي قضى نحبه . وقال : « ان كان ولا بد من ان انزل في اعماق الارض لاطلب نسمة الحياة التي ستحيي الانسان وتكسو الحقول خضرة ونضارة ، فسوف انزل فيها . وبفضلي سوف تتفشى الصحراء بالاحجار الكريمة وتحمل الرعايا في الارض المزروعة التي كانت الاسود قد احتلتها »

ولكن هذه الكلمات الرائعة لم تهمد غضب الالهة ، فنادت بالويل والثبور ، وصممت النية على الاخذ بثأر اخيها . فهاجمت اولاً قطعان « موت » وفتكت

بها ؛ ثم أغرت كلباً على نعاجه وكلباً على حملانه . وبعد ان بدّدت القطيع حملت على « موت » نفسه ، فقبضت عليه وشقته شطرين بمنجلها ، واحرقته بالنار ، وطحنته بين حجري رحى ، ونثرت رماده في الحقل .

وصورت هذه الخطط طبيعة « موت » الحقيقية . فهو الاله الراعي ، وهو اله النبات ، بل هو النبات بالذات . و« موت » هو السنبلة المحصودة لصنع الخبز ، وهو حبة القمح المحفوظة والمحتوية في غلافها الناعم ذرّة الغلات المستقبلة .

ووجوه المقابلة والمشابهة بين اسطورة « موت » الذي يعود الى الحياة واسطورة ادونيس ظاهرة ، وضاحة . على ان هناك فرقاً بين الاثنين : فالاول انقلب الى سنبلة والثاني تحول الى شجرة ، ولماذا ؟ قال السيد ڤيرولو :

ظهر اله النبات في رأس شمره بهيئة السنبلة او حبة القمح ، فاصطبغ بلون بلاده لأنّ رأس شمره واقعة في وسط سهل واسع خصيب ، مخصص لزراعة القمح . اما في بيبلوس فالنبات عزّه بالغاب والاحراج ، فلذلك ظهر فيه اله الحياة بهيئة الشجرة . وهناك وجوه التشابه : ان ألين هو خصم موت ، فيأمر السحاب والرياح والمطر ؛ وهو اله الشتاء الذي ترافقه الوحوش الضارية وما بينها الخنازير الثانية . وما ان ذكر الخنزير ظاهر في اسطورة ادونيس فانه هو الذي فتك به في غابة بيبلوس لما لبس شمار الصياد .

والنتيجة هي انه بفضل الواح رأس شمره الراقي عهدها الى القرن الثالث عشر قبل المسيح تمكن العلماء من الحصول على وسائط جديدة لدرس اسطورة ادونيس وما شاجها من الاساطير الميتولوجية ، فليست من القصص التي تحدث بها البشر ابًا عن جد بالكلام فقط بل كانت ثابتة الاوضاع ، مدوّنة بالكتابة منذ عهد رعمسيس . ومنها يتضح ان الشعر نشأ ايضاً بين الفينيقيين وقد نوّه به كتبة الاساطير في العهد الروماني . وان اضفت الى هذه التعليمات ما اظهرته حفريات رأس شمره عن اصل الابجدية الفينيقي الصميم ، وعما يرجى منها من الايضاحات والفوائد الجديدة ، تحققت صدق من اطرأ اهميتها .

كلمة في المدارس

قال صاحب مجلة المعارف (ص ٤٧٣) :

« سألنا سائل عن اكبر المدارس البيروتية واعظمها تأثيرًا في الشرق واوفرها

طلبة فنجيب ان الجامعة الاميركية هو [كذا] اكبر مدارس الشرق فيها من الطلبة بهذا العام ١٥٢٥ كما ورد في احصاء الكلية الخ ...»

وأنا وددنا لو اتيح للزميل العزيز ان يكمل تعليقاته بمطالبة صفحة نشرة افرنسية تظهر في كلية القديس يوسف اربع مرات في السنة وعنوانها : اخبار الشرق «Relations d'Orient» فقد عُرض فيها (نيسان – حزيران ، ص ١٢٦) جدول قُوبل فيه بين احصاءات الكليتين الاميركية واليسوعية ، واليك الصفحة :

الدارسون في الجامعتين البيروتيتين سنة ١٩٣٠–٣١

	الكلية اليسوعية		الكلية الاميركية
بحسب الاديان	١٧٧٦	المسيحيون الكاثوليك	١١٧
	٨٥٨	المسيحيون الغير الكاثوليك	٦٥٤
	١٠٠	الغير المسيحيين	٧٥٤
بحسب البلدان	٢٥٣٢	لبنان وسورية	٦٢٧
	٣٧	سائر بلاد آسية	٦٦٧
	٣٣	افريقية	٦٨
	٨٨	اوربة	١٠٦
	٤٤	اميركة	٥٧
المجموع	٢٧٣٤		١٥٢٥

وهذا الاحصاء من طرف الكلية الاميركية يشمل تلامذة المعاهد العليا والاستعدادية والابتدائية والمعهد الموسيقي ؛ اما من طرف الكلية اليسوعية فيشمل تلامذة المعاهد العليا والتعليم الثانوي ، والتعليم الاستعدادي ، والتعليم الابتدائي .

وبين ٢٧٣٤ تلميذ يترددون على معاهد الآباء اليسوعيين في بيروت زهاء ثلثهم يتلقون التعليم مجاناً . وعبء تعليم الفقراء والجهّال اتخذته الرهبانية اليسوعية على عاتقها بواجب قوانينها . على ان لهؤلاء بنايات خاصة ، لانه من الصواب والعدل ان تنال كل فئة من الطلاب التعليم الموافق لها ، وفي البيئة المناسبة لحالتها الاجتماعية . هذا في بيروت ، اما في خارجها فاليك بعض احصاءات مدارس الارسالية اليسوعية ، وطائفة عظيمة من تلامذتها تتلقن العلم مجاناً :

في لبنان	٧٤٦٢		
في سورية	٣٨١٨		
في حوران وجبل الدروز	١٧٥٠		
في بلاد العلويين	٣٧٢		
المجموع	١٣٤٠٢	المجموع العام	١٦١٣٦

ف . ت .

شذرات

مكتشفات جديدة في جبيل

اعلن السيد رنه دوسو في مجمع الآثار والآداب بباريس انه تناول رسالة من السيد موريس دونان مدير حفريات جبيل فيها ان قد تمت هناك حفريات مهمة لكشف سور المقبرة القديم ، فوجد العملة مجموعة خطيرة من النقود الفضية تحتوي على ١٤١ قطعة يعود تاريخها الى زمن الاسكندر المقدوني ، و٢١٩ قطعة ضربت في جبيل ، وعليها اسماء بعض ملوكها الفينيقيين ؛ وفريق من هؤلاء الملوك كانت اسماؤهم لا تزال حتى الآن مجهولة.

المياه في الحجاز

درس المستر توتشل ، المهندس الاميركي الاختصاصي بالمياه والمعادن ، المنطقة الحجازية الواقعة بين وادي فاطمة وجدة وضواحي جدة الساحلية ، وقدّم الى ابن سعود تقريراً ضافياً نشرته جريدة «امّ القرى» المكية (٢٩ ايار ١٩٣١)، مفاده انه يمكن الانتفاع من عدة آبار منتشرة في تلك المنطقة ، بعضها عذب الماء كبئر الباشية في وادي ام السلم ، وبعضها مالحه كبئر ام الصابون على مسافة ٢٠٠ متر من البئر السابقة . على ان الامل بوجود آبار ارتوازية يفور منها الماء بواسطة الضغط ضعيف جداً ، لان الصخور البركانية التي تكوّن الحواجز الضاغطة في الآبار الارتوازية ، قد تكسرت والتوت وتشققت في العصور الغابرة. ولكن هذا لا يمنع وجود مياه غزيرة في بعض الانحاء ، كوادي ام السلم ، يمكن استخراجها بسهولة بواسطة طلمبات او مضخات ثابتة ونقّالة . وقد اشار المهندس بان يُنشأ في ذاك المحل « بساتين صغيرة تتوسع شيئاً فشيئاً عند معرفة مقدار الماء الموجود هنالك على وجه الحقيقة . »

وكذلك ذكر المهندس ان في وادي فاطمة مياهاً غزيرة ايضاً يمكن « استحصال مقدار كبير منها لاجل الاستفادة منه في الزراعة بواسطة حفر آبار متعددة ، والآبار التي ستكون اكثر فائدة هنا هي التي تحفر في اسفل الصخور،

وعلى الارجح ان ماكنات الثقب وحدها هي التي تقدر على هذا العمل. ويمكن كذلك زيادة هذه المياه بواسطة تنظيف الينابيع الموجودة وبحفر قنوات على خط مجرى المياه. اما المزروعات المفيدة اكثر من غيرها في هذه الاراضي فهي على ما اظن النخيل والبرتقال والليمون والنارنج والقطن (احسن نوع منه) واليوكالبتوس وشجر الخيزران والفول والجوز والبطاطس.»

مضار المراهنات

يندر ان تخلو جريدة من حوادث مساوئ القمار ومضار المراهنات وما يكون عنها من يأس قد يؤدي الى الانتحار. واليك ما قرأناه منها مؤخرًا في «البشير»:

حاولت السيدة خديجة بنت علي موسى الانتحار بطعم الفار لان زوجها علي مرمر هام بسباق الخيل، واضاع فيه كل ما كان، وزوجته المذكورة، حصلاه من مال تتعب ايديهما. ولا تزال هذه السيدة تحت المعالجة وقد باشر رجال الشرطة التحقيق. فعسى ان يكون في هذا الحادث عبرة.

المسلمون يؤذنون بالراديو

ذكرت مجلة الكلمة النيويوركية (حزيران ١٩٣١: ٢٤٤) ما يلي:

لم يقف مصلحو الاتراك عند حد اصلاحاتهم السياسية والاجتماعية بل اخذوا يدخلون الفنون والاختراعات الحديثة في حياتهم وطقوسهم الدينية. كان المسلمون منذ ظهور الاسلام حتى الآن يستخدمون التأذين في الدعوة الى الصلاة في اوقاتها الخمسة. وكان المؤذنون، في المدن الكبرى، يضطرون الى تسلق السلالم اللولبية الضيقة الشاهقة في المآذن ليقوموا بواجب التأذين. اما الآن فقد شرع مسلمو اسطنبول من الاتراك المصريين يتقاضون عن المؤذنين الكثيرين مؤذن واحد يجلس في غرفة خاصة تحوي محطة راديو ذيّاعة، فينادي هذا الشيخ امام الآلة بالأذان وهي تذيعه على تموجات الهواء الى آلات الراديو التي نصبوا واحدة منها في راس كل مأذنة من المآذن وهذه الآلات تذيع صوت المؤذن في كل حي الى كل بيت؛ ويتقاضى عن كثرة المؤذنين ومتاعبهم الجمة.

مطبوعات شرقية جديدة

Becker (C. H.): Das Erbe der Antike im Orient und Okzident. *42 pp. 8° Leipzig, Quelle u. Meyer.* 1931

ارث العصور القديمة في الشرق والغرب

هي محاضرة نفيسة القاها الدكتور بيكر، احد مشاهير علماء الاسلاميات، في برلين في ١٨ اذار الفائت. توسّع فيها في ما كان عرضه من الآراء في الجزء الاول من «ابحاثه الاسلامية» «*Islamstudien*» (ص ٣٤) الذي ظهر سنة ١٩٢٤، والذي سيظهر جزؤه الثاني قريباً. فاعاد النظر فيها وزادها حججاً وبراهين. اما هذه الآراء فتدور حول سؤالين مهمّين: ١ً اي تأثير يعود لإرث العصور القديمة في تاريخ الاسلام ومدنيته من جهة، وفي تاريخ الغرب ومدنيته من جهة اخرى؟ ٢ً ما هي اسباب النتائج المختلفة في هاتين الجهتين؟

اما السؤال الاول فجوابه ان ذاك الارث القديم اليوناني ظهر تأثيره في المنطقتين: في رومة اولاً اذ دخلتها الثقافة اليونانية قبل ان وصل اليها تأثير الشرق والمسيحية. على ان تلك الثقافة لم تكن لتخلو من مسحة شرقية، لان المقصود منها عصرها الممتد من الاسكندر الى اغسطوس قيصر. وكذلك القول عن تأثير الثقافة اليونانية في الشرق فهو من المقرّر لما اختصت به تلك الشعوب من ماضٍ عريق بالثقافات المتتابعة. وقد أثرت هذه الثقافة اليونانية - المسيحية في الاسلام، فدخلته من دون ان يشعر احياناً، وظهرت بأجلى مظاهرها على عهد المأمون اذ كثرت الترجمات عن فلاسفة اليونان، حتى ان الاسلام نفسه أثر من هذه الناحية في المذاهب الغربية.

واما السؤال الثاني فجوابه انه في الشرق لم يفترق الدين والعلم في شيء، بل كانا دائماً يؤلّفان وحدة متجانسة لا تتجزأ. ولم يكن القوم بحاجة الا الى مبادئ واصول الفلاسفة والاطباء، فصرفوا النظر الى العلميات عن «الادب» الصرف وكل ما كان يمتّ بصلة الى الادب في ذاك الارث القديم. اما في الغرب

فكانت الحالة على عكس ذلك خصوصاً في عهد النهضة (Renaissance) . وعليه فلا غرابة اذا اختلفت النتائج . هذا وان على الغرب اليوم ان يفيد بما وصل اليه ابناء الشرق وهم يتبرّون في الوقت الحاضر جارين في حلقة المدنية الغربية .

فيظهر مما تقدّم ما تتصف به هذه النظرات من الغنى الفكري . على انها تتجاوز الحدّ احياناً فيغفل المؤلف ، في ما خصّ فنّ البناء والنحت وما اليه ، ذكر المذاهب الفنية القديمة في بابل واشور ، واسية الصغرى ، وسورية - فينيقية . واننا اذا سألنا لِمَ انقرض هذا الارث الثمين ، كان الجواب واضحاً وهو ان الاسلام كان سبب ذلك .

هذا وان المؤلف ، وهو وزير الدولة الالمانية الجديدة ، قد نشر عدّة رسائل في مواضيع التربية والتهذيب دلّت على ما اتصف به من وفرة المعلومات وسعتها ليس فقط في محيط الابحاث الاسلامية بل في محيط الثقافة العامة والتاريخ ايضاً .

س . ر .

Weickert (Carl) : Typen der archaischen Architektur in Griechenland und Kleinasien. 199 *pp. gr in-8°, Augsburg, Dr Benno Filserverlag. R. M.* 24.

هندسة البناء القديمة في بلاد اليونان وآسية الصغرى

هذا تأليف اجمالي جامع قدّمه صاحبه في مونيخ أطروحةً لنيل شهادة الدكتوراه في الفلسفة ثم نشره دون تغيير ، على ان يعيد فيه النظر فيوسّع كل بحث منه ويتعمق فيه على حدة . ولهذا يظهر الكتاب ، دون صورة ولا رسم ، اطاراً او هيكلاً مرتباً يبحث فيه المؤلف عن هندسة البناء القديمة في بلاد اليونان واسية الصغرى مبتدئاً بأعرق العصور في القدم ، مصوّراً مظاهر تلك الهندسة وتطوّرها بدقة وايجاز ، حتى يصل الى القرن السادس قبل المسيح . ونظريته الاولية أن تلك الهندسة ، على كونها تمتّ بصلة ما الى الهندسة القديمة التي تقدمتها في اقريطش المينوية ، تظهر مستقلة نوعاً ما حتى تبلغ في الصروح الدينية والمدنية درجة من الاستقلال تدلّ على ما خصّت به بلاد

اليونان واسية الصغرى من الابتكار والشخصية . هذا ولا يُعرف الشيء المهم عن هذا الفن في العصور القديمة الا انه منذ القرن السابع ق.م. — وهو القرن الذي بدأت فيه الهندسة الشرقية تؤثر في الهندسة المدروسة في الكتاب — بدأت دلائل تلك الهندسة تظهر شيئاً فشيئاً الى ان تمّ ازدهارها في القرن السادس حتى انه يمكننا قسمة هذا القرن الى حقبتين يبدو تقدم الثانية واضحاً على الاولى ، وذلك قُبيل ازدهار الهندسة اليونانية.

فنتمنى للمؤلف ان يتابع هذه الابحاث التي حدّدها بدقة على اتساعها فتزداد فائدتها. بل انه يكفي لزيادة الفائدة ان يردف كتابه الحاضر بمجموعة رسوم وصور تمثل الانواع الهندسية التي تكلّم عنها. س. ر.

Kirsch (Dr Johann Peter): Kirchengeschichte. *Erster Band.* Die Kirche in der antiken griechisch-roemischen Kulturwelt. 1 *carte*, XX-876 *pp.* 1930. *Prix, broché M.* 25,50. *Freiburg im Breisgau, Herder.*

تاريخ الكنيسة : المجلد الاول

يسرّنا ان نعلن ظهور الجزء الاول من هذا التاريخ الجامع الذي ستظهر عن قريب اجزاؤه الثلاثة الباقية . وهذا الجزء ينتهي في آخر القرن السابع ، ويشمل تقدم الكنيسة في الامبراطورية الرومانية الوثنية ، ثم في الامبراطورية المسيحية. ويهتم المؤلف ، الى اهتمامه بالتاريخ الخارجي ، بما هو جدير بالاهتمام ، اي حياة الكنيسة الداخلية من حيث العقائد ، والنظام الكنسي ، والفن الديني ، واللاهوت ، وحياة الكنائس الخاصة . هذا الى عناية ممدوحة في سرد المآخذ والاسانيد وعمل الفهارس والجداول ، عناية يُشكر عليها المؤلف ، كما يشكر الطابع لما صرفه من الجهد في اظهار هذا المجلد النفيس. ج.ل.

Zehn Bilder aus d. altorient. Sälen des Vorderasiat. Mus. z. Berlin. 10 *cartes postales et courte descript. Berlin*, 1930, *H. Schoetz et Cie.*

مجموعة صور اثرية

هي مجموعة عشر صور مأخوذة عن محتويات غرف الآثار الشرقية القديمة في متحف آسية الصغرى في برلين ، وغايتها افادة جمهرة القراء ولا سيما زائري

المتحف المذكور عن قيمة تلك الكنوز . والصور تمثل : ١ً طريق الطواف الكبرى في بابل (من السنة ٥٧٠ ق.م.) ؛ ٢-٧ً باب إشتار (من التاريخ نفسه)، وردهة العرش (من التاريخ نفسه ايضاً) ؛ ٨ً واجهة اشور البرتية (نحو السنة ٢٠٠ ب. م.) ؛ ٩ً سلسلة مسلّات اشور (من ١٣٠٠ — ٦٤٠ ق. م.) ؛ ١٠ً مسلّة اسوهادون (٦٨٠-٦٠٩ ق. م.) التي اكتُشفت في زنجرلي في سورية الشمالية. وهي على غاية ما يمكن من الاتقان تفيد فائدة جزيلة من لا يمكنه زيارة المتحف المذكور. س. ر.

Sinaïski (Vasili) : Théorie de la chronologie ancienne. [*Epistolae et logistorici n°* 9-11] *in*-8°, 42 *p. Riga*, 1931.

نظرية عن التوقيت في العصور القديمة

ذكرنا سابقاً (المشرق ٢٨ [١٩٣٠] : ٥٥٤) نظرية المؤلف في طريقة التوقيت في العصور القديمة . وهو يعود الى المسألة نفسها فيدرس ما كتبه العلماء في الموضوع ويستعين بطريقة التوقيت الرومانية ليبرهن عن نظريّته التي شرحناها شرحاً كافياً في ما سبق.

D. Tostivint : Le problème des chronologies antiques. La Babylonie. 101 *pp.* 8°, *Paris, Geuthner*, 1931.

معضلة التوقيتات في العصور القديمة — التوقيت البابلي

وهذا ايضاً كتاب في معضلة التوقيت القديمة . كان المؤلف درس الموضوع مدة طويلة في ما خصّ توقيت التوراة ، ثم قابل بينه وبين طرق التوقيت القديمة من مصرية وشومرية وبابلية وهندية وصينية ومكسيكية الخ . . . ثم ترك ابحاثه حيناً حتى قرأ يوماً في نقد للاب كوندَمن (P. Condamin) اليسوعي، ظهر في مجلة «الابحاث عن العلم الديني» (*Recherches de Science religieuse*) سنة ١٩٢٦ ، ان الاب كوغلر (P. Kugler) اليسوعي (وهو من مشاهير علماء الفلك واساتذة الاشوريّات) يعيّن عهد الملك حمورابي بين السنوات ١٩١٨— ١٩٠٥ ق. م. ، فتحقق المؤلف ان هذه الارقام توافق كل الموافقة الارقام التي كان قد توصّل اليها من جهته في تعيين عهد ابراهيم الخليل ، معاصر الملك البابلي . ومن ثمّ عاد الى ابحاثه السابقة بحرارة واهتمام مجدّدين ، ونشر هذا

البحث يجرّب فيه طريقة لقياس ذاك التدقيق القديم، مستمينًا بما قام به من تأويل الشاعر والمؤرخ بيروز (Bérose) ، وما وجد من الرقم المسمارية على موشور محفوظ في متحف اكسفرد . وهو يؤيد طريقته السابقة ويؤمل ان يتابع العمل اذا ما تبع العلماء آراءه. ولكن ، لسوء الحظ ، ليس في العالم من يقنع بانه، عند ما يشير بيروز او الرقم المسمارية الى ملايين السنين التي تقدّمت الطوفان ، يجب ان تعتبر هذه السنين مدات قصيرة لا تتجاوز احداها الثلاثين يوماً! س. ر

G.-R. Tabouis: Nabuchodonosor et le triomphe de Babylone. 123 *pp. in* 8°, 20 *fig. et* 18 *illustr.*, *Paris*, *Payot*, 1931.

بختنصّر وانتصار بابل

عُرفت مؤلفة هذا الكتاب ، السيدة تابوي ، بكتاب سابق توّجته الاكادمية الفرنسوية ، وكان عنوانه: الفرعون توت عنخ امون « *Le Pharaon Tout Ank Amon.* » . فدفعها هذا التوفق في موضوع كان ولا يزال من اهمّ واجذب موضوعات الحفريات المصرية الكبرى ، الى الاخذ بموضوع آخر لا يقلّ عن الاول اهمية وفخامة اذ يدور حول احد عظماء ملوك الشرق القديم ، حول بختنصّر العظيم ، سلف مشاهير القوّاد وعظماء الملوك كالاسكندر ويوليوس قيصر ونابوليون . اما عدة السيدة للخوض في هذا الموضوع المهمّ فكانت ما حصلته من المعارف في مدرسة اللوفر ، ثم اثناء مطالعاتها الكثيرة . على ان الحفريات المصرية وقراءة الرقم المسمارية جدّدت كثيرًا من معلومات المؤرخين وصوّرت فيها كثيرًا ايضاً ، فكان من السهل اذًا تأليف كتاب يطبع بطابع النقد والرزانة ، وان لم يتمكن المؤلف من الاستناد مباشرةً الى تلك الآثار المكتشفة ، اذ ليس لكل انسان ان يكون من علماء الاشوريات.

ولكن مما يؤسف له ان السيدة المؤلفة لم تكتفِ بملخص تاريخي ، بل ارادت ، في زعمها ، ان تملأ كتابها بالحياة والحركة فجنحت بالموضوع من محيط التاريخ الى مجال الروايات والاساطير. لا شكّ في انها استقت كثيرًا مما وصلت اليه من الكتب التي سردت اسماءها في آخر مجلدها ، فاكثرت من ذكر المآخذ، وعدّدت الاستشهادات الطويلة احيانًا ، فجعلت لكتابها مسحةً علمية ،

ولكن كل هذا لا يغيّر في شيء صفة تأليفها المذكورة اعلاه . هذا وللسيد غبريال هانوتو (Hanotaux) العضو في الاكاديمية الفرنسوية ان يقول ، في المقدّمة التي كتبها للكتاب حاثاً الناس على مطالعته : « اكسروا القشرة تجدوا الجوزة » « *brisez l'écaille, trouvez la noix* » ولكن ليس للقشرة ولا للجوزة قيمة ما في نظر المطالع المدقّق . اما القشرة فماثلة بذاك الاسلوب المتكلف فيه ، الجانح ابداً الى النوع الروائي ، المشبه قربة فارغة لا يفتأ صاحبها ينفخها دقيقة فدقيقة ، فيجهد القارئ ويزعجه . واما الجوزة فلم تحسن المؤلفة استخراج لبها ، بل حصرتها ببعض الشواهد وبسرد لائحة المآخذ ، فظهرت متكسّرة منسحقة تحت ثقل القشرة وضغطها . وان تأثير القشرة هذا يتجاوز المعنى الى صوغ التعابير فيبدو الانشاء متكلفاً مضطرباً كما في هذه الجملة مثلاً (ص١٣٥) : « *Dans son petit lit étroit, qui dresse son dur coucher, haut sur des pieds de lion, Nabuchodonosor dort encore !* » بل في بعض التعابير اغلاط نحوية ، من ذلك ما جاء في الصفحة١٤ الحاشية ١ ؛ وفي الصفحة ٣٦ حيث قالت : « *elles s'étaient disputées* » والصواب « *disputé* » . وغيره كثير .

ثم ان الفصل المختصّ « باشتار » ، وهو ثمرة المطالعات الحديثة ، خارج بكامله عن الموضوع . ولعلّ الكاتبة وضعته خصوصاً لتجذب من يميل من القرّاء الى تذوّق ذاك النوع من الفنّ ، وقد يكونون كثرًا لشدة ما يؤثر النوع الروائي في عصرنا على جمهرة المطالعين.

س . ر .

Litterae orientales, *Heft* 46, *April* 1931. *Otto Harrassowitz, Leipzig.*

مجلة الآداب الشرقية : نيسان ١٩٣١

في هذا الجزء ، وهو الثاني من السنة الحالية ، نظرة اجمالية في الآداب الفارسية منذ السنة ١٥٠٠ حتى السنة ١٩٠٣ للاستاذ سيمينور . ثم ذكر وفاة نولدكه للاستاذ بروكلمان ، ووفاة اميل كِبس للاستاذ إركس ، ووفاة زيمرن للاستاذ ويساخ . وقد خصّ القسم الثاني بالاشارة الى المطبوعات الجديدة المتعلقة بالشرق الادنى والاقصى.

الذخائر السنية

مجموعة مناشير ونشرات غبطة البطريرك الماروني ماري الياس بطرس الحويك

مطبعة المرسلين اللبنانيين. جونية ١٩٥٣ (ص٩١٨ ، ق ٨)

في ٦ كانون الاول سنة ١٨٩٩ ، رُفع سيادة المطران الياس الحويك رئيس اساقفة عرقة الى المقام البطريركي. وفي اول شباط اصدر رسالته الاولى الى الشعب الماروني ، اعرب فيها عما كان يختلج في قلبه من الافكار والمقاصد تجاه الواجبات التي القي عليه حملها في عهدنا العصيب . فانه صمم النية على التآزر بمساعدة الاساقفة ، والسير في تقفي اثار البطاركة الاقدمين بالمحافظة على الايمان الكاثوليكي وتعزيز الطائفة الكريمة ، وطلب من الاساقفة السهر على حظائرهم ، ومن الكهنة الغيرة على خدمة الرعايا ، ورمى بنظره بعيداً الى مستقبل الاكليرس فلفت النظر الى واجب الاهتمام باتقان المدارس الاكليريكية ، وانشاء الاخويات والجمعيات ، ودعا الشعب اليه اباً وراعياً ومعزياً في كل ساعة واستحثه على التمسك بالدين وعلى ممارسة الاعمال الصالحة ، واخلاص التعلق بالكنيسة الرومانية ، والخضوع للحكام المدنيين. وكان هذا البيان برنامجاً لما امل البطريرك تحقيقه في خدمة الله والنفوس.

ومضى على صدور ذلك البرنامج زهاء اثنتين وثلاثين سنة ، تعاقبت فيها الحوادث الشهيرة والنتائج الخطيرة ، وكان للبطريرك فيها شأنه ومهمته التاريخية ، فبرزت فيها شخصيته وتجلت صفاته . وهذه الشخصية والصفات والحوادث والشؤون سوف تكون مادة لكتبة التاريخ الحالي . ولكن من اين المرجع اليها ؟ ومن يوقفنا على تفاصيلها ؟

انما هي اثار البطريرك ذاته وما اقرب مواردها في هذه المجموعة الواضحة التي عُني بتنسيقها حضرة الاب فيليب السمراني ، وطبعت على نفقة الخوري الاسقفي بطرس حبيقة وجمعية الرسالة اللبنانية . وفيها نرى الابحاث في اصلاح الرهبانيات (ص ٤٠ ، ١٢٩) والاكليروس (ص ٣١٣ - ٨٥٦) — آفات العصر : الماسونية (ص ٦٠٩ ، ٩٠٠) المقامرة (ص ٩٠٤) — الحرب الكونية (ص ٤٨٥ ،

٨٨٤ ، ٨٨٥) ــ آفة الجراد (ص ٨٣٩) الهواء الاصفر (ص ٨٦٦) ــ تطويب شهداء دمشق الموارنة (ص ٦٦٨) الخ...

فنثني على الهمة الشماء التي دفعت الى القيام بهذا المشروع الجميل ونتمنى للكتاب ان يكون في بيوت المؤمنين عموماً ، وفي مكاتب الاكليروس خصوصاً وان يعقبه من الكتب التي تحفظ للسلف آثار الخلف المجيد في سائر الطوائف المسيحية. وهذا الكتاب هو الثاني من نوعه بعد رعائيات القاصد الرسولي التي ظهرت سنة ١٩٢٩. ف. ت.

على بساط الريح

لفوزي المعلوف

١٤٢ صفحة متوسطة ، مع ١٦ صورة ملوّنة و١٤ رسماً رمزياً – مطبعة الفنون ، سان باولو البرازيل ، ١٩٣٠

هي قصيدة عمرانية فلسفية ذات اربعة عشر نشيداً لفقيد الادب المرحوم فوزي المعلوف ، كانت قد نشرتها مجلة الجالية البراريلية بعنوان « شاعر في طيّارة » . ثم اعاد الشاعر نظره فيها فاصلح منها ، واضاف بيتين الى كلٍّ من اناشيدها عدا الثلاث الاخيرة ، اذ حالت وفاته دون ذلك . فترك الاثر تحفةً ثمينة الادب العربي. فقام بعد وفاته من اهتمّ بنشره بعنوان « على بساط الريح » فظهر ، في ريو دي جانيرو ، في ثلاثة مجلدات بثلاث لغات: العربية والاسبانية والبرتغالية. وكلها بحجم واحد ومظهر واحد ، ذات ورق ممتاز وحرف ملوّن بالاحمر على الورق الرمادي القاتم في النص العربي ، وبالاسود على الورق الرمادي المصفرّ في الترجمة الاسبانية ، وبالاسود على الورق الاخضر في الترجمة البرتغالية. كل هذا يزيّنه صور ملوّنة تتقدم الاناشيد وترمز الى اهم فكرة شعرية فيها ، وهي من ريشة المصوّر الروسي ألي ايغناتوفتش (Ally Ignatovitch) تنتسب الى النوع الرمزي المستند الى مزج الالوان القوية وخلط المشاهد الرائعة حتى الغرابة احياناً ، وقد يميل بعضها الى النوع التكعيبي الحديث . وقد جعلت عناوين الاناشيد ضمن رموز موحّدة اللون رسمها الرسّام البرازيلي سيت (Seth)

فاتت اكثرها على غاية من اللطف والموافقة ، ولا شك انها تفوق الصور الاولى دقة وحسن ذوق. وفي صدر كل من الكتب الثلاثة آخر صورة للشاعر الفقيد ، يتلوها مقدمة واسعة بقلم الشاعر الاسباني فرنسيسكو ڤيلاسباسا (Francisco Villaespesa) هي الى الشعر والعاطفة اقرب منها الى الانتقاد ؛ وهذا الشاعر نفسه هو مترجم القصيدة الى لغته الاسبانية ، اما مترجمها الى البرتغالية فهو الشاعر البرازيلي ڤنتوريللي سوبرينو (Venturelli Sobrinho).

فوزي المعلوف من شعراء العصر الافذاذ الذين تعادلت في شخصياتهم عناصر الشعر ، فارتفعت بهم الى درجة سامية من الفنّ والابداع. شعور رقيق حسّاس ، وخيال فسيح جوّال ، وذوق لطيف يأخذ من الرزانة بقسط وافر. هي شروط الشعر الاساسية ، وهي ما نراها متجلية في تلك الانشودة البديعة ، بل في ذاك الاثر الفني الرائع «على بساط الريح» . هـذا الى بصر في العمران وسننه ، ورأي في الاجتماع وشرائعه ، وفكر في الحياة الحاضرة وظواهرها ، نظرات من الحقّ انها صادرة عن شاعر ، ولكن من الحقّ ايضاً انها قرنت الى روعة الشعر دقة التفكير.

قد يرى الناقد في الآراء بعض الاجمال والتطرّف ، وقد يلمس في مظاهر الشعور بعض الانحراف الى التشاؤم ، وقد يرى في مشاهد الخيال شيئاً طفيفاً من التطوّح ، وقد يودّ لو ابدل ببعض التعابير ما كان اقرب منها الى الكمال ؛ ولكنه لا يسعه الا الاعجاب بتلك الموهبة الفنية الفائقة في القصيدة كلها ، ولا يمكنه الا الانحناء باحترام امام ذاك الاخلاص للفنّ المتجلّي في كل مقاطعها . وهو يعجب وينجذب ويسكت واجماً آسفاً ان تكون حياة الخلود استأثرت بشاعرنا قبل ان نملأ منه اعيننا في حياتنا الفانية[1].

ف.١.ب

١) قد يسعدنا الحظّ فنعود الى درس هذه القصيدة خاصّة ، ودرس شخصية الشاعر الفقيد عامّة.

الفضيلة الملثمة

لواضعها وناظمها ادوار مرقص

١٦ صفحة متوسطة – مطبعة الرغائب ، اللاذقية ، ١٩٣١ – الثمن: ١٠ غ . س .

قصة عربية شعرية نظمها ، على بحر واحد وقافية واحدة ، الاستاذ ادوار مرقص ، « والقاها عن ظهر قلب في حفلة ادبية خطابية باللاذقية السبت ليلاً ٦ حزيران ١٩٣١» ، وقد ضمن حوادثها الروائية مغازي جمة في الادب والاجتماع .

المطران يوسف فريفر ، كفرحي

للاب بطرس نصرالله

٤٠ صفحة صغيرة – مطبعة المرسلين اللبنانيين ، جونية ، ١٩٣١

هي محاضرة واسعة في حياة المطران فريفر وآثاره القاها حضرة الاب بطرس نصرالله في نادي اخوية القديس يوسف المارونية في بيروت ، ثم طبعها على حدة .

نشرة مدرسة الحكمة المارونية

٤٨ صفحة متوسطة – المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ١٩٣١

هو الجزء الاول من نشرة جديدة رأت ادارة مدرسة الحكمة المارونية اظهارها مرتين كل سنة ، باللغتين العربية والفرنسوية ، حاملة اخبار ما يجري في المدرسة ، وما يجول في خواطر المتخرجين من ذكريات ، فتكون صلة بين التلامذة القدماء والحاليين .

المرآة الجلية في الحياة الكهنوتية

بقلم الخوري يوسف الممشيتي

هي حياة المرحوم الخوري بولس يزبك الممشيتي ، الوكيل البطريركي ، مع ما اتصف به من التقوى والغيرة وحسن التدبير تظهر واضحة معجبة في هذه المرآة الجلية .

* قانون حزب التمثيل الصالح * – ٢١ ص . متوسطة ، المطبعة الكاثوليكية ، ١٩٣١ ، ثمنه : ٢٥ غ . س . – وضعه الاستاذ يوسف الغلبوني ، رئيس الحزب ومدير تمثيله ومندوبه تجاه الحكومة . اما غاية الحزب فهي « محاربة التمثيل الخلاعي ، والسينما المفسد ، والمطبوعات الرديئة »

اهم حوادث الشرق في شهر

١٥ ايار — ١٥ حزيران ١٩٣١

لبنان وسورية سافر المندوب السامي السيد هنري بونسو الى باريس لاعطاء تقريره السنوي عن حالة البلاد المشمولة بالانتداب الفرنسوي.

* افتتح في ١٥ حزيران معرض صناعي في مدرسة الصنائع والفنون في بيروت ، عرضت فيه نماذج عديدة من الصناعات الوطنية.

فلسطين صدر حكم مجلس الملك الخاص في لندرة بشأن مشكلة البراق بين العرب واليهود ؛ وكان اهم ما جاء فيه انه أقرّ للمسلمين بالملكية والحق العيني في البراق والرصيف القائم امامه ، ولليهود بحقّ الصلاة والعبادة وجلب ما يحتاجون اليه في ذلك من الامتعة والآنية . ومنع المسلمين من اقامة حفلات الذكر في اثناء قيام اليهود بالصلاة ، ومنعهم من انشاء اي بناء وهدم او تعمير اي بناء من ابنية ساحة الحرم ومحلة المغاربة المجاورة للجدار ... وقد قابل العرب هذا القرار بالسخط الشديد .

مصر تمت الانتخابات البرلمانية لاعضاء مجلسي النواب والشيوخ ودلت اكثريتها على فوز باهر للحكومة الحاضرة . ووقع الملك مرسوماً بتعيين ستين من الاعيان في مجلس الشيوخ . واعلن موعد افتتاح البرلمان في ٢٠ حزيران.

* اصدرت الحكومة لائحة الى المحاكم الشرعية كافة حظرت فيها على القضاة سماع اي دعوى طلاق لغير المسلمين في القطر المصري .

شرقي الاردن توفي في عمان الملك حسين الاول ، ملك الحجاز السابق ، ووالد الملكين فيصل وعلي والامير عبد الله على اثر اصابته بالانفلونزا . وقد نقل جثمانه بموكب عظيم الى القدس الشريف حيث دفن في الجامع الاقصى.

تركية في برقيات انقرة ان قد وقعت معارك شديدة بين الثوار الكرد والجيوش الايرانية ، بجوار الحدود التركية في جهات بايزيد .

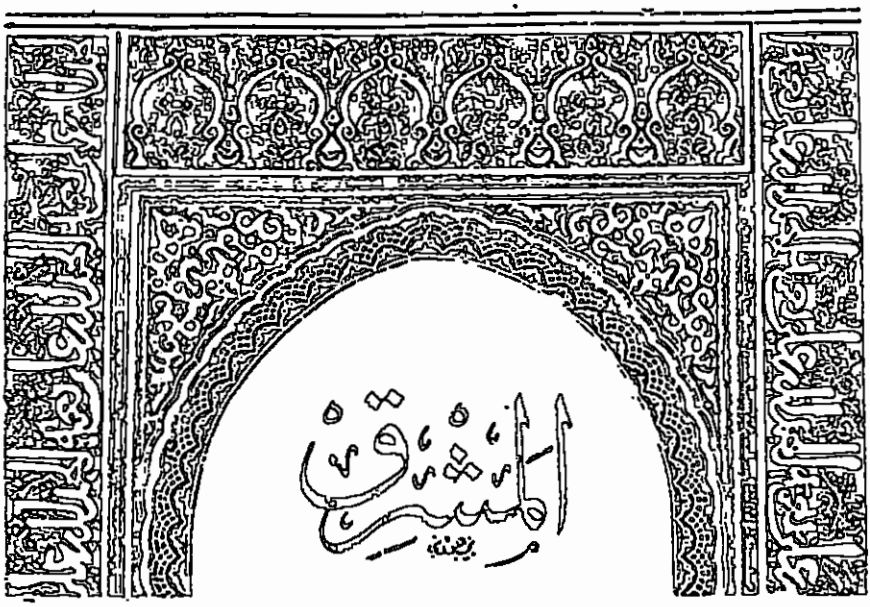

آب وايلول ١٩٣١

متّى صاحب الانجيل الاول

بقلم الاب انطون صالحاني اليسوعي

حياة متى

المدعوّ «متى» في الانجيل الاول (متى ٩:٩) هو ذاته الذي يسمّيه مرقس (٢ : ١٤) «لاوي بن حلفى»، ولوقا (٥ : ٢٧) يدعوه «لاوي». والدليل على ذلك هو انه، في الثلاثة الاناجيل المشار اليها التي تذكر دعوة يسوع لمتى او لاوي، ورد جوهر الحادث ذاته وظروفه ونوع التعبير عنه؛ ولا نجد فيه اختلافاً الا في اسم الرجل الذي دعاه يسوع ليتبعه. يتضح ذلك لكلّ من يطالع هذا الخبر في الاناجيل. فالحادث جرى في مدينة كفرناحوم ويعبّر عنها متى الانجيلي بقوله ان يسوع «ركب السفينة واجتاز العبر واتى الى مدينته» (متى ٩:١) يريد بالكلمة «مدينته» كفرناحوم. لان يسوع كان انتقل من الناصرة الى كفرناحوم عندما ابتدأ حياته العمومية، كما يؤكد ذلك متى (٤:١٣) «وترك الناصرة وجاء فسكن

في كفرناحوم التي على شاطئ البحر » . ويصرّح مرقس (٢ : ١) بأن يسوع كان اذ ذاك في كفرناحوم . والانجيليون الثلاثة يذكرون شفاء المخلّع ، قبل دعوة يسوع لمتى او لاوي . ويتكلمون عن المأدبة التي صنعها الرجل بعد دعوة يسوع له ، وعن تذمّر الكتبة والفريسيين من ان كثيرين من العشارين والخطأة اتكأوا مع يسوع في هذه المأدبة ، وعن جواب يسوع بقوله : « لا يحتاج الاصحاء الى طبيب لكن ذوو الاسقام فاني لم آتِ لادعو صديقين بل خطأة » (مرقس ٢ : ١٧ ولوقا ٥ : ٣١ و ٣٢ ومتى ٩ : ١٢)

فمن كل ذلك يتضح ان الاناجيل الثلاثة تذكر الحادث ذاته ، وان الذي يُسمى « متى » في الانجيل الاول ، اي انجيل متى ، يُسمى في الانجيل الثاني ، اي انجيل مرقس ، « لاوي بن حلفى » ؛ وفي الانجيل الثالث ، اي انجيل لوقا ، يُسمّى « لاوي العشار » .

قد بينا ، بمقالتنا في نسب المسيح [1] ، ومقالتنا عن مرقس صاحب الانجيل الثاني [2] ، ان اليهود كثيراً ما كانوا يتخذون لهم اسمين الواحد عبراني ، والآخر يوناني او روماني . او اسمين عبرانيين الواحد يكون اسم العلم الشخصي ، والآخر الكنية مثل « يوسف برسابا » ، « يوسف المسمّى برسابا الملقّب البارّ » (اعمال ١ : ٢٣) . و « يوسف برنابا » ، « يوسف الذي لقّبه الرسل برنابا الذي تاويله ابن العزاء اللاوي القبرسي الاصل » (اعمال ٤ : ٣٦) ونجد في سفر المكابيين الاول (٢ : ٢-٥) ان كل واحد من اولاد متتيا الخمسة كان له اسمه ولقبه : « يوحنا الملقّب بكدّيس ، وسمعان المسمى بطتّي ، ويهوذا الملقّب بالمكابي ، واليعازار الملقّب بأواران ، ويوناتان الملقب « بأفوس » . وكذلك عند العرب والسريان مثل « ابن العبري » وهو « غريغوريوس ابو الفرج بن اهرون الطبيب الملطي المعروف بابن العبري » صاحب مختصر تاريخ الدول .

فايّ الاسمين ، متى ام لاوي ، كان الاسم الاصلي للرجل الذي دعاه المسيح ليكون له رسولاً . نظنّ ان الاسم الاصلي كان « لاوي » كما ورد في مرقس

١) المشرق (٢٦[١٩٢٨]: ٤٨١ و٥٦١)
٢) المشرق (٢٧[١٩٢٩]: ٥٦١)

ولوقا. اما الاسم « متى » فقد تغلّب على الاول ، فأُعطي له بعد اتباعه يسوع ؛ ومعناه « عطا الله » او « هبة الله » وهو يشير الى النعمة التي نالها اذ دعاه يسوع. والبرهان لدينا هو انه في الآية (متى ٩:٩) هذه العبارة « اسمه متى » هي في اليونانية λεγόμενος اي « المدعوّ » كما قيل عن يسوع « الذي يدعى المسيح » (متى ١ : ١٦) او « الذي يقال له المسيح » (متى ٢٧:١٧و٢٢) ، وكذلك في اسم الرسول بطرس « سمعان المدعوّ بطرس » (متى ١٠ : ٢) . فكما ان اللفظة « المسيح » ليست الاسم الاصلي ليسوع ، وكما ان « بطرس » ليس الاسم الاصلي لسمعان بن يونا ، كذلك الاسم « متى » ليس الاسم الاصلي للاوي العشار. ولهذا نرى مرقس ولوقا ، عند ايرادهما دعوة يسوع لمتى ، يسميانه باسمه الحقيقي لاوي . اما بعد اتباعه ليسوع فغلب عليه الاسم « متى » ، حتى انه فيما بعد ذكر الاسم متى دون الاسم الاصلي لاوي ، كما نجد ذلك في انجيلي مرقس ولوقا لدى ذكرهما اسامي جميع الرسل (مرقس ٣ : ١٨ لوقا ٦ : ١٥ واعمال ١ : ١٣). وقد لاحظ اوسابيوس [1] ان مرقس ولوقا عند ايرادهما مجتمع الرسل يذكران اسم متى سابقاً في الرتبة ، اما متى(١٠ : ٣) فتواضعاً منه يذكر اسمه بعد اسم توما اي ثامناً في الرتبة ويصرّح بانه كان عشّارًا. وفي اعمال الرسل هو الثامن في الرتبة .

اما وظيفة العشّار هذه فلا يُستنتج منها ان متى كان متوظفاً عند الحكام الرومانيين كما ذكرنا ذلك خطأً في مقالتنا « رسل المسيح الاثنا عشر » [2] لان كفرناحوم كانت في ولاية هيرودس انتيباس اليهودي ، وكان متى في تلك المدينة من متوظفي جمع المكس من صيد السمك ومن التجارة المتبادلة بين سورية ومصر والمجتازة بكفرناحوم.

وربّ مستفيد يسأل: هل سبقت معرفة متى ليسوع قبل ان يدعوه ليتبعه ، كما يُخبَر عن اندراوس ويوحنا انهما مكثا يوماً عند يسوع (يوحنا١ : ٣٥-٤٣) ؟ فنجيب ان الاناجيل لم تذكر شيئاً من ذلك عن متى. ولكن من المحتمل والاقرب الى الحقيقة ان يكون متى قد عرف يسوع قبل دعوته وتتلمذ له ، وانه كان

١) اوسابيوس : البينات الانجيلية ك ٣ ، ف ٥ (الآباء اليونان لمين المجلّد ٢٢ العمود ٢١٦)
٢) المشرق (٢٧ [١٩٢٩] ٢٤٣)

منتظراً دعوة يسوع الرسمية لكي يترك كل شيء ويتبعه، كما حدث قبله لبطرس واندراوس ويعقوب ويوحنا . ولعل متى كان قد سمع وعظ يوحنا المعمدان ، وتاب على يده واعتمد ، كما فعل كثيرون من العشارين (لوقا ٣ : ١٢)

وعلى كل فان لاوي بن حلفى[1] كان قد سمع اشياء كثيرة عن يسوع المعلم العظيم ، وكان مستعداً ليتبع طريق الملكوت الذي كان يبشر به . فعندما سمع هذه الكلمة « اتبعني » ، ترك كل شيء وتبعه فرحاً . واذ ابتدأ حياةً جديدة اتخذ له اسماً جديداً يشير الى النعمة العظيمة الموهوبة له فتسمّى متى او يكون يسوع سماه متى . واراد ان يُظهر فرط ابتهاجه بدعوة يسوع له ، فصنع مأدبة ضمّ اليها شركاءه في وظيفة جمع العشر ، ودعا الى الوليمة يسوع وتلاميذه .

ان متى ، بعد دعوة يسوع له ، لم يعد يُذكر الّا في قائمة الرسل الاثني عشر التي وردت في الاناجيل ؛ ويكتفي كتاب اعمال الرسل بذكر اسمه في معشر الرُسل دون ان يذكر شيئاً عن حياته او عن رسالته . وينبئنا التقليد انه عاش عيشة قشفة ، وامتنع دائماً عن اكل اللحم . ولا نعلم شيئاً اكيداً عن كرازته ، سوى انه اشتغل في الرسالة والتبشير مدة ليست قليلة قيل انها ١٥ سنة في ارض فلسطين ، قبل ان ينتقل الى غيرها من البلاد .

صحة الانجيل الاول (انجيل متى) وقدمه

ان التقليد القديم المتواصل ، منذ اواخر القرن الاول للمسيح ، قد عرف

---

١) ان البعض ظنوا ان لاوي بن حلفى كان اخاً للرسول يعقوب بن حلفى . الا ان رأيهم هذا ضعيف جداً . فلو كان ذلك لكان ذكره الانجيل اما بذكر لفظة اخوين ، واما بضم الاسمين معاً ، كما فعل بخصوص الاخوين بطرس واندراوس ، والاخوين يعقوب ويوحنا ابني زبدى (متى ٤ : ١٨ و٢١ ، و١٠ : ٢ و٣) « ويعقوب بن حلفى ... ويهوذا اخا يعقوب » (لوقا ٦ : ١٥ و١٦) . ان الاسم حلفى كان شائعاً بين اليهود ، فلا عجب ان يكون رسولان ينتسبان الى ابوين مختلفين مسميين حلفى . ثم ان يعقوب بن حلفى هو احد الاربعة المسمين اخوة الرب ، وهم يعقوب ويوسى وسمعان ويهوذا (متى ١٣ : ٥٥ ومرقس ٦ : ٣) فلو كان لاوي بن حلفى اخاً ليعقوب لكان المسمون اخوة الرب خمسة لا اربعة كما ذكر الانجيل .

الانجيل الاول واقرّ به واقتبس منه آيات عديدة ، بعضها أخذ حرفيًا . يؤيد ذلك ما جاء في كتابات الآباء الرسوليين ، وآباء الكنيسة الذين اتوا بعدهم :

شهادات الآباء الرسوليين

ان اقدم الآباء الرسوليين المعروفين الذين سلمت كتاباتهم او بعضها من الضياع هم برنابا ، والقديس كليمنت البابا ، والقديس اغناطيوس الشهيد اسقف انطاكية ، والقديس بوليكربوس الشهيد اسقف ازمير ، وكتاب تعليم الرسل المسمّى «ديدكه» . فهؤلاء عرفوا الانجيل الاول ، انجيل متى ، وذكروه في كتاباتهم مستشهدين به ليؤيدوا تعليمهم ، وهكذا بيّنوا قدمه واعترفوا بصحته .

١ً قال برنابا[1] في رسالته (٤ : ١٤) مشيرًا الى الكتاب المقدس، اي انجيل متى ، لقوله «كما كُتب» ؛ لانّ هذه العبارة في اليونانية تعني الكتب المقدسة . قال : «كما كُتب ان المدعوّين كثيرون والمختارين قليلون» . فهذه العبارة هي موجودة حرفيًا في انجيل متى ٢٠ : ١٦ و ٢٢ : ١٤

وقال ايضاً برنابا في رسالته (٥ : ٩) عن المسيح انه اختار الرسل ليبشروا بالانجيل : «لكي يُعلن انه لم يأتِ ليدعو صدّيقين بل خطأة» وهذه الآية هي مأخوذة حرفيًا من انجيل متى ٩ : ١٣

٢ً القديس كليمنت البابا . قال في رسالته الاولى الى اهل قورنثية (٤٦ : ٨) : «اذكروا اقوال يسوع ربّنا : الويل لذلك الرجل . قد كان خيرًا له لو لم يولد من ان يُشكك احد مختاريّ . كان اجدر له لو عُلّق في عنقه

---

١) ان كثيرين من القدماء ، وبعض علماء عصرنا ، نسبوا هذه الرسالة الى برنابا ، رفيق القديس بولس الرسول في التبشير . ولكن الارجح اليوم عند اصحاب النقد انها ليست له ، بل لرجل مسيحي من الاسكندرية كتبها في اواخر القرن الاول للمسيح ، وكتبها بعد خراب اورشليم كما يتضح من نص الرسالة (١٦ : ٤) . والارجح ان برنابا، رفيق بولس، توفي قبل هذا الخراب . ثم ان ما يقال في هذه الرسالة عن العهد القديم لا يمكن ان يقوله برنابا رفيق بولس . وجاء في الرسالة (٩ : ٦) ان جميع السوريين كانوا يختتنون ، خلافًا لما ورد في كتاب يوسيفوس فلافيوس (الاثار اليهودية القديمة ك ٨ ، ف ١٠ ، عدد ٣) من ان اليهود وحدهم في فلسطين كانوا يختتنون . ولا يصدّق ان برنابا ، رفيق بولس ، كان يجهل ذلك . ومن ثم فالرسالة المنسوبة اليه ، وان قديمة جدًّا ، ليست له .

حجر الرحى وزُجّ في لجة البحر من ان يُفسد احد مختاريّ ». وهذا الكلام مُقتبس من انجيل متى ٢٦: ٢٤ و ١٨: ٦

٣ً القديس اغناطيوس ، اسقف انطاكية ، في رسالته الى اهل افسس (١٤: ٢) قال ، اخذًا عن انجيل متى (١٢: ٣٢): « تُعرف الشجرة من ثمرها ». وفي رسالته الى اهل ازمير (١: ١) قال مشيرًا الى انجيل متى(٣: ١٥): ان يوحنا عمد يسوع « لكي يُتمّ كل برّ ». وقال ايضاً في الرسالة ذاتها (٦: ١) مستعملاً كلام يسوع في انجيل متى (١٩: ١٢): « من استطاع ان يحتمل فليحتمل ». وفي رسالته الى القديس پوليكربوس اسقف ازمير (٢: ٢) قال اغناطيوس مردّدًا كلام يسوع في انجيل متى (١٠ : ١٦) : « كن حكيماً في كل شيء كالحية ووديعاً كالحمامة »

٤ً القديس پوليكربوس، اسقف ازمير، في رسالته الى اهل فيلپي (٢: ٣) قال : « لا تدينوا لئلا تُدانوا... بالكيل الذي تكيلون به يُكال لكم» . « طوبى للمساكين وللمضطهدين فانّ لهم ملكوت السماوات » فهذه الآيات هي مأخوذة من انجيل متى ٧: ١ و٢ و٥: ٣ و١٠

وقال پوليكربوس في الرسالة ذاتها (٧: ٢) : « متوسّلين الى الله مراقب الجميع لكي لا يُدخلنا في تجربة كما قال الرب ان الروح مستعدّ واما الجسد فضعيف » . وهذه الآية هي من انجيل متى ٢٦: ٤١

٥ً كتاب تعليم الرسل[1] : ان الاثر الكتابي اليوناني المسمى «ديدكه»، اي تعليم الرسل ، اقتبس آيات عديدة من انجيل متى دون ان يذكر اسمه . وبعض هذه الآيات نُقلت حرفيًا . وها نحن نبيّن ذلك :

« فاما طريق الحياة فهي اولًا ان تحبّ الله الذي خلقك . ثانياً أن تحبّ قريبك كنفسك ، وان جميع الاشياء التي لا تريد ان تُصنع لك فلا تفعلها انت

---

١) يرتقي ظهور هذا الكتاب « ديدكه » الى ما بين السنتين ٨٠ و٩٢ بعد المسيح . راجع في مجلة المشرق (٢٩ [١٩٣١] : ١-٩ و٩٢-٩٩) وصف هذا الاثر الكتابي اليوناني النفيس . وقد نقلناه الى العربية ثم طبعناه على حدة تعميماً للفائدة . فيمكن اقتناؤه من مطبعتنا الكاثوليكية .

ايضاً الى آخر . وتعليم هذين القولين هو باركوا الذين يلعنونكم وصلّوا لاجل اعدائكم ، صوموا لاجل مضطهديكم ، لانه لا فضل لكم اذا كنتم تحبون محبيكم ، فانّ الامم لا تفعل الا هذا عينه . واما انتم فأحبوا مُبغضيكم فلا يكون لكم عدوّ . . . اذا ضربك احدٌ ضربة على الخدّ الايمن فحوّل له الآخر ايضاً فتكون كاملاً . اذا سخّرك احدٌ ميلاً واحداً فاذهب معه اثنين . اذا اخذ احد ثوبك فأعطه الرداء ايضاً . واذا اخذ احدٌ منك ما هو لك فلا تطالبه ، اذ لا تقدر . كلّ من سألك فاعطه ولا تطالبه لانّ الربّ يريد ان نعطي الجميع من مواهبنا الخاصة . . . ولا يخرج من هناك حتى يوفي الفلس الاخير » (تعليم الرسل ١ : ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥) . راجع متى ٢٢ : ٣٧-٣٩ و ٧ : ١٢ و ٥ : ٤٤ و ٤٦ و ٤٧ و ٣٩—٤٢

« كن وديعاً لان الودعاء يرثون الارض » (تعليم الرسل ٣ : ٧) . راجع متى ٥ : ٤

« عمدوا باسم الآب والابن والروح القدس في ماء حيّ » (تعليم الرسل ٧ : ١) . راجع متى ٢٨ : ١٩

« لا تصلّوا كالمرائين بل كما اوصى الربّ في انجيله بان تصلّوا هكذا : ابانا الذي في السماء ليتقدس اسمك ليأتِ ملكوتك لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الارض . خبزنا كفافنا أعطنا اليوم واغفر لنا ذنبنا كما نغفر نحن ايضاً للمذنبين الينا ولا تدخلنا في تجربة لكن نجنا من الشرير لان لك المجد والقوّة الى الابد » (تعليم الرسل ٨ : ٢) . راجع متى ٦ : ٥ و ٩—١٣

« ان الربّ قال لا تعطو القدس للكلاب » (تعليم الرسل ٩ : ٥) راجع متى ٧ : ٦

« اذكر يا رب كنيستك . . . واجمعها من الارياح الاربعة مقدسة الى ملكوتك الذي اعددته لها » (تعليم الرسل ١٠ : ٥) . راجع متى ٢٤ : ٣١

« اما من جهة الرسل والانبياء فحسب امر الانجيل هكذا اقبلوا كلّ رسول يأتي اليكم فاقبلوه كالرب » (تعليم الرسل ١١ : ٣ و ٤) . راجع متى ١٠ : ٤٠

« كلُّ نبيّ يعلّم بالحقّ ولا يعمل بما يعلم فهو نبيّ كاذب » (تعليم الرسل ١١ : ١٠) . راجع متى ٥ : ١٩

« كل معلم حقيقي مستحقٌ هو ايضاً نظير الفاعل طعامه » (تعليم الرسل ١٣ : ٢) . راجع متى ١٠ : ١٠

« وتجنّبوا بعضكم بعضاً لا بغضب بل في سلام كما لكم في الانجيل وكل من يتعدى على آخر لا يكلمه احد ولا يسمع كلمة منكم حتى يتوب » (تعليم الرسل ١٥ : ٣) . راجع متى ١٨ : ١٥–١٧

« اما صلواتكم وصدقاتكم وجميع اعمالكم فافعلوها هكذا كما عندكم في انجيل ربّنا » (تعليم الرسل ١٥ : ٤) . راجع متى ٦ : ١–٧

« اسهروا لاجل حياتكم لا تكن سُرُجكم مُطفأة ولا احقاؤكم محلولة بل كونوا مستعدين لانكم لا تعرفون الساعة التي فيها يأتي ربّنا » (تعليم الرسل ١٦ : ١) . راجع متى ٢٤ : ٤٤

« في الايام الاخيرة يتكاثر الانبياء الكذبة والمفسدون والغنم تتحوّل الى ذئاب ، والمحبة تتحوّل الى بغضة . وعند تكاثر الاثم يبغضون بعضهم بعضاً ويُسلمون بعضهم بعضاً ، وحينئذٍ يظهر مضلّ العالم كانه ابن الله ، ويصنع آيات وعجائب والارض تسلم في يديه ويصنع آثاماً لم تجر قط منذ الدهر . وحينئذٍ يأتي الناس الى نار التجربة وكثيرون يعثرون ويهلكون ، والذين يصبرون في ايمانهم يخلصون من اللعنة نفسها . وحينئذٍ تظهر علامات الحق : اولاً افتتاح السماء ، ثانياً صوت البوق ، ثالثاً قيامة الموتى . . . يأتي الرب وجميع القديسين معه . حينئذٍ ينظر العالم الربَّ آتياً على سحب السماء » (تعليم الرسل ١٦ : ٣–٨) . راجع متى ٢٤ : ٩–١٣ و ٣٠ و ٣١

فجميع هذه الآيات التي اوردناها من كتاب تعليم الرسل ، والتي توافق بوضوح لا مزيد عليه آيات انجيل القديس متى ، تُثبت قدم هذا الانجيل وصحته .

٦ ولدينا شهادة اخرى لاحد الآباء الرسوليين پاپياس ، اسقف هيراپولس في آسية الصغرى [1] . وهذه الشهادة تهمنا جدًّا لان پاپياس لم يكتف بان ذكر

(١) كتب پاپياس في اوائل القرن الثاني للمسيح .

الانجيل الاول ، بل امتاز عن سائر الآباء الرسوليين بان ذكر اسم كاتب هذا الانجيل ، القديس متى الرسول . وقد حفظ لنا شهادته اوسابيوس[1] وهي: «ان متى كتب باللغة العبرانية الاقوال الالهية التي فسّرها كلٌّ حسبما استطاع» . وقد ارتأى اصحاب النقد بعضهم بدون تردُّد ، وبعضهم بدون تأكيد ، ان پاپياس شهد بذلك حسبما علم من يوحنا الكاهن[2] كما شهد لانجيل مرقس . وكل الذين ذكروا ودرسوا نص پاپياس فهموا بهذه العبارة «اقوال الربّ» ليس فقط خطب المسيح بل اعماله ايضاً اي الانجيل بكامله .

آباء الكنيسة الاقدمون

اذا تصفّحنا تآليف آباء الكنيسة الذين خلفوا الآباء الرسوليين كالقديس يوستينوس الشهيد ، والقديس ايريناوس ، وترتليانوس ، واوريجنس ، وكليمنت الاسكندري ، والقديس قبريانوس الشهيد ، رأيناهم ، بايرادهم آيات الانجيل المنسوب الى متى الرسول ، يؤيدون ان هذا الانجيل كان معروفاً في ايامهم كاملاً ، كما نعرفه نحن اليوم .

١ً يوستينوس . ان القديس يوستينوس ، اذ يستشهد باسفار الكتاب المقدس ، يورد آيات لا توجد الّا في انجيل متى فيذكر هذا الانجيل في اكثر من ١٣٠ موضعاً من تآليفه . والآيات التي يذكرها ياخذها من جميع اجزاء هذا الانجيل . وهذا دليل واضح على ان انجيل متى كان كاملاً في ايام يوستينوس ، حتى في ما يخصّ طفولة يسوع المسيح .

من مدافعة يوستينوس الاولى (٣

في العدد ١٥ من مدافعة يوستينوس الاولى ، ذكرت آيات متى ٥ : ٢٨و٢٩

---

١) في تاريخه الكنسي ٣ : ٣٩ (الآباء اليونان لمين ، المجلد ٢٠ العمود ٣٠٠)

٢) ظن البعض ان يوحنا الكاهن هو يوحنا الرسول . الا ان الرأي الارجح والمقبول اليوم عند اصحاب النقد ان يوحنا الكاهن هو غير يوحنا الرسول ، فيوحنا الذي يشير اليه باپياس كان معاصرًا وصديقاً لپوليكربوس . ولعلّ يوحنا هذا كان تلميذًا ليوحنا الرسول .

٣) الآباء اليونان لمين ، المجلد ٦

و٣٢ و١٩: ١٢ و٩: ١٣ و٥: ٤٦ و ٤٤ و٦: ١٩ و١٦: ٢٦ و٦: ٢٠ و٥ : ٤٥ و٦: ٢٥ و٢٦ و٣٣ و٢١ و١ .

وفي العدد ١٦ من المدافعة ذاتها ، ذكر يوستينوس آيات متى ٥: ٢٢ و٤١ و١٦ و٣٤ و٣٧ و١٩: ٦ و١٧ و٧: ٢١ و٢٤ و١٣: ٤٢ و٧: ١٥ و١٦ و١٩

وفي العدد ١٧ من المدافعة ذاتها ، اتى يوستينوس بآيات متى ٢٢: ١٧ و١٩ و٢٠ و٢١ .

وفي العدد ١٩ ، اقتبس يوستينوس آيتي متى ١٩: ٢٦ و١٠: ٢٨

وفي العدد ٣٣ ، من المدافعة ، ذكر آية متى ١: ٢١

وفي العدد ٣٨ ، ذكر آية متى ٢٧: ٣٩ و٤٠

وفي العدد ٦٣ ، اتى بآية متى ١١: ٢٧

من محاورة يوستينوس مع تريفون اليهودي (٢)

في العدد ١٧ ، ذكر متى ٢١: ١٣ و٢٣: ٢٣ و٢٧

في العدد ٣٥ ، ذكر متى ٧: ١٥ و٢٤: ١١

في العدد ٤٩ ، ذكر متى ٣: ١١ و١٢ و١٧: ١٢

في العدد ٥١ ، ذكر متى ١١: ١٢-١٥

في العدد ٧٦ ، ذكر متى ٨: ١١ و١٢ و٧: ٢٢ و٢٣

في العدد ٩٣ ، ذكر متى ٢٢: ٣٧ و٣٩

في العدد ٩٩ ، ذكر متى ٢٦: ٣٩

في العدد ١٠٠ ، ذكر متى ١١: ٢٧ و١٦: ٢١

في العدد ١٠٣ ، ذكر متى ٤: ١٠ و٢٦: ٣٩

في العدد ١٠٥ ، ذكر متى ٥: ٢٠

في العدد ١٠٧ ، ذكر متى ١٢: ٣٩

في العدد ١١٢ ، ذكر متى ٢٣: ٢٧

في العدد ١٢٠ ، ذكر متى ٨: ١١ و١٢

---

٢) الاباء اليونان لمين ، المجلد ٦

في العدد ١٢٢ ، ذكر متى ٢٣:١٥

في العدد ١٢٥ ، ذكر متى ١٣:٣ و٤:١٠

في العدد ١٤٠ ، ذكر متى ٨:١١ و١٢

٢ً تاتيانوس . ان تاتيانوس ، تلميذ القديس يوستينوس ، في كتابه الذي ألفه بالسريانية وسماه دياتسارون [1] ، عمد الى انجيل متى فسبكه مع انجيل مرقس ولوقا ويوحنا ، ونظم انجيلاً واحداً ، متتبعاً حياة سيدنا يسوع ، منذ ولادته الالهية الازلية والحبل به بقوة الروح القدس وطفولته وبشارته الى موته وقيامته وصعوده الى السماء . وهكذا ثبت عندنا ان الاناجيل الاربعة القانونية، ومنها انجيل متى الرسول ، كانت في ايام تاتيانوس ، اي في اواسط القرن الثاني للمسيح ، موجودة كاملة كما هي الآن بين ايدينا .

٣ً ايريناوس . كان القديس ايريناوس تلميذاً للقديس بوليكربوس . ففي كتابة ضدّ المرطقات [2] (ك٣ ف ١) صرّح بان متى كتب الانجيل ، قال « ان متى كتب عند العبرانيين بلغتهم اذ كان بطرس وبولس يبشران في رومية ويؤسسان الكنيسة »

٤ً كليمنت الاسكندري . اليك قوله عن انجيل متى [3] : « اوّل انجيل كُتب كان الانجيل الذي اثبت نسل المسيح وهو انجيل متى الذي بدوه : كتاب ميلاد يسوع المسيح »

٥ً اوريجنس . قال اوريجنس في شرحه انجيل متى [4] : « في ما يخصّ الاناجيل الاربعة المقبولة وحدها بدون خصام في الكنيسة جماء التي تحت السماء قد علمت من التقليد ان الانجيل الاول كتبه متى الذي كان قبلاً عشّاراً ثم

١) طُبع هذا الاثر النفيس عن نسخة عربية قديمة عني بنشرها في مطبعة البروباغندا برومية سنة ١٨٨٧ العلّامة السيد اوغسطين شياسكا . والنسخة العربية نُقلت عن السريانية ، نقلها في القرن العاشر للمسيح ابو الفرج بن الطيب . والنسخة السريانية عرفها وشرحها القديس افرام ، مصباح الكنيسة السريانية .

٢) الاباء اليونان لمين المجلد ٧ ، العمود ٨٤٤ و٨٤٥

٣) تاريخ اوسابيوس الكنسي ك ٦ ف١٤ (الاباء اليونان لمين ، المجلد ٢٠ ، العمود ٥٥٣)

٤) الاباء اليونان لمين ، المجلد ١٣ ، العمود ٨٣٩

صار رسولاً ليسوع المسيح ، وكتبه في اللغة العبرانية لاجل اليهود المرتدين الى الايمان. والانجيل الثاني هو لمرقس. فهذا دوّن بالكتابة ما كان شرحه بطرس. ولهذا السبب يقول عنه بطرس في رسالته الكاثوليكية انه ابنه «تسلم عليكم الكنيسة التي ببابل ومرقس ابني»[1]. والانجيل الثالث هو للوقا كتبه لاجل الامم وقد وصّى به بولس . ثم انجيل يوحنا .»

شهادة الهراطقة

ليس فقط الآباء الرسوليون ، وآباء الكنيسة الذين اتوا بعدهم ، يشهدون بحقيقة انجيل متى ، لكن ايضاً الهراطقة الذين ظهروا قبل القرن الثالث للمسيح فحرّفوا او فسّروا الكلام بغير معناه الحقيقي اثباتاً لبدعهم ، وحاولوا ان يدعموا اضاليلهم ببعض آيات انجيل متى . وهكذا اعترفوا بحقيقة هذا الانجيل:

١ً فالمرطوقي باسيليد[2] الذي ظهر في آخر حياة يوحنا الحبيب ، رغبة منه في تأييد مبداه من الاناجيل، يذكر انجيل متى الآية ٧:٦ «لا تعطوا القدس للكلاب ولا تلقوا جواهركم قدام الخنازير لئلا تدوسها بارجلها وترجع فتمزقكم» يعني بالجواهر الذين هم من حزبه وبالخنازير والكلاب الذين يقاومونه.

٢ً وفالنتين[3] الذي عاش في القسم الاول من القرن الثاني يدعم تعليمه المرطوقي بآيتين من انجيل متى ٥:١٨ و١٩ و١٩:٢

٣ً ايزيدور بن باسيليد المرطوقي[4] يورد آيتين من الفصل ١٩ من انجيل متى.

٤ً وكذلك سردو المرطوقي[5] الذي عاش في القرن الثاني للمسيح ، اورد جزءاً من خطاب يسوع المسيح على الجبل (متى ٥:٢٢ و٣٨—٤٠).

٥ً وكذلك تيودوت ومرقيون المرطوقيان كثيراً ما يذكران في تعاليمهما انجيل متى.

---

١) رسالة القديس بطرس الاولى ٥:١٣

٢) القديس ايفانيوس: ضد المرطقات: المرطقة ٥٤ العدد ٥ (الاباء اليونان ٤١:٢١٣)

٣) ايريناوس : ضد المرطقات ك ١ ، ف ٢ عدد ٢ (الاباء اليونان لمين ٧:٤٦٩)

٤) كليمنت الاسكندري : *Stromata* ، ك ٣ ف ١ (الاباء اليونان لمين ٨:١١٠٠)

٥) تيودوريت في مختصر المرطقات ، ك ١ ف ٢٤ (الاباء اليونان لمين ٨٣:٣٧٣)

فكل هؤلاء المراطقة، بالتجائهم الى انجيل متى، اعترفوا بوجوده في ايامهم وسلطانه ككتاب موحى به . ولهذا قال القديس اوغسطينوس [1] مخاطباً المرطوقي فوست (ك ٢٨ ف ٢):

« عندما تُتلى قصة ميلاد المسيح بكاملها تعترض انت حالًا وتقول ان القصة ليست لمتى ، بينما الكنيسة جمعاء بسلسلة ثابتة متسلسلة من عهد الكراسي الرسولية الى كراسي الاساقفة في ايامنا تعترف بانها لمتى . »

وقال ايضاً اوسابيوس [2] في تاريخه الكنسي (ك٣ ف ٢٥) : « اعتبر انجيل متى من الاسفار القانونية التي لا ريب في صحتها . »

نسخة انجيل متى الآرامية

ان متى كتب انجيله اولًا في اللغة الآرامية اي العبرية التي تكلم بها اليهود على عهد المسيح . ولم تكن بعد تعددت نُسخ هذه النسخة الارامية ، لما تبدَّد المسيحيون بسبب الاضطهاد الذي ثار عليهم . وكان تبدّدهم امتثالًا لوصية السيد المسيح [3] ، فانتقلوا الى ما وراء الاردنّ في بقعة العشر المدُن ، والى اماكن اخرى ، وامتزجوا مع المتنصرين من اليونان . وشيئاً فشيئاً التزموا ان يلتجئوا الى اللغة اليونانية ، حتى في الامور الدينية ، فاستعملوا الترجمة اليونانية لانجيل متى . وهكذا مع تمادي الزمان أُهملت النسخة الاصلية الآرامية ، وفُقدت لعدم امكان استعمالها في الكنائس اليونانية . فان اقدم الآباء الذين ذكروا انجيل متى نراهم يذكرون النسخة اليونانية . ومن ثم انتشرت منذ اواسط القرن الاول للمسيح نسخة انجيل متى اليونانية كما هي في ايامنا .

في اي سنة كتب متى انجيله

ان اصحاب النقد لا يتفقون على تعيين الزمن الذي كتب فيه متى انجيله . لانّ آباء الكنيسة ذهبوا في ذلك الى آراء مختلفة : فرأي الاقدمين من الآباء هو ان كتابة انجيل متى سبقت كتابة سائر الاناجيل ، وهذا لا ريب فيه .

---

١) الاباء اللاتين لمين المجلد ٤٢ ، العمود ٤٨٥

٢) الاباء اليونان لمين المجلد ٢٠ ، العمود ٢٦٨

٣) متى ٢٤ : ١٥ - ٢١

هكذا ارتأى ايريناوس[1] ، واكليمنضوس الاسكندري[2] ، واوريجنس[3] ، واوسابيوس[4] ، وابيفانيوس[5] ، واوغسطينوس[6] ، ويوحنا فم الذهب[7] ؛ ومن رأيهم هذا يمكن ان نعرف زمن كتابة انجيل متى. وذلك بالمقابلة مع انجيل مرقس ، اذ اننا يقيناً ان انجيل مرقس هو الثاني في الكتابة . وقد قال اوسابيوس[8] ، مردّداً قول ايريناوس «ان متى نشر الانجيل عند العبرانيين مكتوباً بلغتهم اذ كان بطرس وبولس يرومة يبشران ويؤسسان الكنيسة» . وقد عين البعض لكتابة انجيل متى السنة ٤٢ للمسيح . اما القديس ايريناوس فانه مع قوله ان انجيل متى هو الاول في الزمن ، يظهر انه يؤخر كتابته الى زمن وجود الرسولين بطرس وبولس معاً في رومية. وهذا لم يحدث الا بعد السنة ٦١ للمسيح.

ويمكننا ان نوفق بين الرأيين بقولنا ان النصّ الآرامي كُتب في السنة ٤٢ ، وان الترجمة اليونانية كُتبت بعد السنة ٦١ ، ولكن قبل خراب اورشليم الذي تمّ في السنة ٧٠ للمسيح . لانه لو كانت كتبت بعد هذا الخراب ، لكان ذُكر فيها ما يُشير اليه ، الّا اننا لا نرى في انجيل متى ما يشير الى ان هذا الخراب كان قد تمّ ، بل انه مزمع ان يتمّ.

في اي مكان كتب متى انجيله

ان جميع الآباء الذين تكلموا عن كتابة متى الانجيل الاول بين الاناجيل ، وعن زمن كتابته ، وعن غايته في الكتابة ، قد اكدوا انه كتبه باللغة العبرانية للعبرانيين ، وقبل ان يفارق البلاد الفلسطينية ليبشر في غيرها من البلدان .

١) في كتابه ضد الهرطقات ٣ : ١ (الاباء اليونان المجلد ٧ ، العمود ٨٤٤)
٢) في تاريخ اوسابيوس ٦ : ١٤ (الاباء اليونان المجلد ٢٠ ، العمود ٥٥٢)
٣) في شرحه متى (الاباء اليونان المجلد ١٣ ، العمود ٨٢٩)
٤) تاريخه ك ٣ ف ٢٤ (الاباء اليونان المجلد ٢٠ ، العمود ٢٦٥)
٥) الهرطقة ٥١ : ٥ (الاباء اليونان المجلد ٤١ ، العمود ٨٩٣)
٦) في اتفاق الاناجيل ك ١ ف ٢ (الاباء اللاتين المجلد ٣٤ ، العمود ١٠٤٣)
٧) في شرحه متى : العظة ٤ ع ١ (الاباء اليونان لمين المجلد ٥٧ ، العمود ٣٩ و ٤٠)
٨) في تاريخه ك ٥ ف ٨ (الآباء اليونان لمين المجلد ٧ ، العمود ٤٤٩)

فيكون اذًا قد كتبه في فلسطين. وقد قبل هذا القول معظم الناقدين الحديثين، وزادوا ان هذا الانجيل كتب في اورشليم.

لمن كتب متى انجيله

ان اقدم الآباء في كلامهم عن انجيل متى يقولون انه كتب لاجل اليهود. فهذا ايريناوس[1] قال «ان انجيل متي كُتب لاجل اليهود». فان هؤلاء كانوا يرغبون جدًا ان يُبيَّن لهم ان المسيح كان من نسل داود. واذ كانت رغبة متى في ذلك اشدّ من رغبتهم، اجتهد بكل الطرق ان يبرهن لهم ان المسيح هو من نسل داود، ومن ثم ابتدأ انجيله بايراد نسب المسيح. وفي كتابه ضد الهرطقات (ك ٣ ف ١)[2] عيّن المتنصرين من اليهود. ويوضح اوريجنس[3] اللفظة «اليهود» بقوله: «ان متى كتب انجيله للذين آمنوا من اليهود» وقال اوسابيوس[4]: «ان متى بعد ان بشر العبرانيين بالايمان وازمع ان ينتقل الى امم اخرى كتب انجيله بلغته الوطنية معوّضاً هكذا بالكتابة عمّا كان ينقصهم من التبشير لدى حضوره». ويتفق مع اوسابيوس القديس ايرونيموس[5] بقوله: «ان متى، وهو لاوي وكان عشارًا وصار رسولًا، هو اول من كتب في اليهودية بالفاظ عبرانية انجيل المسيح لاجل الذين آمنوا من اهل الختان»، ولا يُعرف بالتأكيد من نقلها الى اليونانية. ويوحنا فم الذهب[6] في عظته الاولى في شرح انجيل متى يؤكد الحقيقة ذاتها ان متى اذ تقدّم اليه الذين آمنوا من اليهود وطلبوا اليه ان يترك لهم بالكتابة ما كان قاله لهم شفاهاً، كتب الانجيل بالعبرانية الحديثة اي الآرامية.

براهين داخلية من الانجيل

ان جميع شارحي الكتاب من الكاثوليك، وكثيرين من البروتستانت،

---

١) شذرات الكتب المتقدمة الشذرة ٢٩ (الاباء اليونان المجلد ٧، العمود ١٣٤٤)

٢) (الاباء اليونان المجلد ٧ العمود ٨٤٤)

٣) في شرحه انجيل متى (الاباء اليونان لمين المجلد ١٣، العمود ٨٢٩)

٤) في تاريخه ك ٣ ف ٢٤ (الاباء اليونان لمين المجلد ٢٠، العمود ٢٦٥)

٥) في كتابه عن المشهورين من الكتبة ف ٣ (الاباء اللاتين لمين المجلد ٢٣، العمود ٦٤٣)

٦) راجع مين: الاباء اليونان المجلد ٥٧، العمود ١٧

قبلوا شهادة التقليد الكنائسي وأيدوها ببراهين مأخوذة من الانجيل ذاته.

ان ما يحتويه انجيل متى يدلّ على انه كُتب لاجل أناس من اصل يهودي قاطنين اليهودية وقد آمنوا بالمسيح . لانه لو كان متى قد كتب ، لا لاجل اليهود ، بل لاجل الوثنيين ، لكان سلك طريقاً غير التي سلكها ولما كان اجتهد في تبيان كون يسوع هو المسيح المنتظر من اليهود ، وانه ابن داود ، ومن ثمّ يبتدئ انجيله بنسب المسيح انه ابن داود ابن ابراهيم . ويبيّن تحقيق النبوات فيه فيهتم دائماً بذكر العهد القديم ، واتمام النبوات بمثل هذه العبارة « وكان هذا كله ليتمّ ما قيل من الرب بالنبيّ القائل » (متى ١ : ٢٢ و٢ : ١٥ و١٧ و٢٣ و٤ : ١٤ و٢٧ : ٩ الخ)

وزد على ذلك ان متى لم يرَ من الضروري ان يوضح لقرائه بعض عادات اليهود ، كما فعل مرقس ولوقا اللذان كتبا للمرتدّين من الوثنيين. فيذكر غسل اليهود ايديهم قبل الأكل دون شرح (متى ١٥ : ٢) يتضح ذلك اذا قابلناه بمرقس (٧ : ٣ و٤) ، ويكتفي متى (٢٦ : ١٧) بذكر يوم الفطير بدون شرح خلافاً لمرقس (١٤ : ١٢) ولوقا (٢٢ : ٧) . ويذكر متى (٢٤ : ١٥) « المكان المقدّس » و « المدينة المقدسة » (متى ٤ : ٥ و٢٧ : ٥٣) وهي عبارة تُرضي اليهود. ويضع العشارين في درجة الوثنيين « فليكن عندك كوثني وعشّار » (متى ١٨ : ١٧). وفي كلامه عن الفرنسيين يثبت طعن يسوع فيهم طعناً مؤلماً (متى ٢٣ : ١—٤ و١٥—٣١) ولو كان كتب لليهود الغير المؤمنين بالمسيح ، لما كان كتب هكذا.

اما بعض الشروح مثل « عمانوئيل اي الله معنا » (١ : ٢٣) و« الجلجلة الذي هو موضع الجمجمة » (٢٧ : ٣٣) و« ايلي ايلي لما شبقتني اي الهي الهي لماذا تركتني » (٢٧ : ٤٦) فتنسب الى ناقل عبارة الانجيل من الآرامية الى اليونانية. وكذلك القول عن الاسم بطرس عوض كيفا ، فالمترجم اليوناني فضّل استعمال الاسم بطرس الذي كان كثر وعمّ استعماله بين المسيحيين مع تمادي الزمان.

ثم ان متى يبين في يسوع الصفات المختصة بالمسيح في العهد القديم ، اي انه الملك ، والمشترع ، وصانع المعجزات ، والكاهن الاعظم.

فكل ذلك دليل واضح على ان متى كتب لاجل اليهود المؤمنين بالمسيح.

الطول في اللغة

بقلم سالم خليل رزق

١

طال الشيء يطول طُولاً : امتدَّ ، نقيض قصر ؛ ومثله استطال استطالة ، واستأخذ الشعر ، وأزِجَ العشب أزَجاً ، وأنَكَ البعيرُ ، وبَذَخَ الجبل ـَ بَذَخاً فهو باذخ ج بواذخ ، ويقال على المجاز عزٌّ باذخ ، وشرف شامخ . وابلَولى العشب ، وابهارَّ عليه الليل ، وتَلِع عنقُهُ تَلَعاً فهو اتلع وتليع ، وجَارَ النبات ، واجرهَدَّ الليلُ والطريق ، وحَرْجل الشيء ، وحُشَّ ظهر الجمل ، وخَبَّ السفي والنبات ـُ خَبّاً ، واستَرْأَلَ النبات (تشبيهاً له بعنق الرأل) ، وارتفع النهار ، وأرْقلت النخلة ، وتروَّح النبت ، وزَخَرَ النبات ، وأَزْرع الزرعُ ، وسَمَق النبات ـُ سَمقاً وسُمُوقاً فهو سَمِق وسامِق ، قالت صفية الباهلية :

كنا كغصنين في جرثومة سمقا حيناً باحسن ما تسمو له الشجرُ

وقال احمد شوقي يخاطب النيل :

وصلاة مريم فوق زرعك لم يزل يزكو لذكراها النباتُ ويسمُقُ

وشَجِع شَجعاً فهو اشجع ، واشمخرَّ الشيء ، وشوهت عنقُهُ ، وصَبَغَت عضاته ، وصَدِيَ الشيء يصدى صدًى ، وصاحت النخلة تصيح ، وضَرَبَ الليلُ ، وأظلمت النخلة ، وطَمَا النبتُ يطمو طُمُوًّا وطمى يطمي طَمْياً ، وتطاول عليهم الصمر ، قال الأُبَيْرد اليربوعي :

تطاول ليلي لم اغمضْ تغلّباً كأنّ فراشي حالَ من دونه الجمرُ

وطارَ الشَّعَر وتطاير الشيء ، وظلَّ ، واعتمَّ الشاب وعَمَّ ، وتعفَّر النبات ،

وغلا به عظم، وتكفّى النبات، ومَتَع مُتُوعاً الشيء، ومدّ النهار، وامتدّ بهم السير وامتدّت به الطّة، وعادى به السفر، ومَطِيَ الشيء يمطى مَطاً، ومَقَد الرجل والنبات وكل شيء، ومَلَّ على فلان السفر وامل عليه، ونَمَع الشيء نُمُوعاً، وانتشر النهار، ونَشَصت سنّهُ، وانتصى الشعر، وناف البعير يَنُوف نَوْفاً، واستودف النبات، ووَرِم النبت، واتّسع النهار، ووفى الشيء يفي وَفَاء ومنه يقال «مات فلان وانت بوفا» اي بطول عمر.

وقد أبَل العشب ـِ أُبُولًا : طال فاستمكنت منه الابل، واستأسد النبت: انتهى في الطول وبلغ غايته، وانتصر اذا طال وكثر والتفّ، وائتلغ العشب : عظم وطال، وبَسَق النخل وغيره : طال ـ والشيء بُسُوقاً : تمّ طولُهُ، وتَلُع ـُ تلاعةً : طال، واجثالّ النبتُ : طال وغلظ والتف، وجَثَم الزرع : ارتفع عن الارض شيئاً واستقلّ نباته فهو جَثْم وجَثَمٌ، وجَيِد الغلام يَجَاد جَيَدًا : طال عنقه وحسن فهو أجيَد ج جُود، وقد يوصف العنق نفسُهُ بالجيَد فيقال عنق أجيد، وحَبَت الشراسيف حُبُوًا : طالت وتدانت، وأخرفت الذرة : طالت جدًا، ورَجا الثوبُ رَجوًا : سبغ؛ قيل لاعرابي «بمَ تعرف حمل شاتك؟» قال: «اذا استفاضت خاصرتها ودجت شعرتها» اي وفت فسترتها، وأدْفى الظبي اذا طال قرناه حتى كادا يبلغان عجزه، واستدام السفرُ : طال عهدُهُ، وذمى الرجل يذمي ذَماءً : طال مرضه، وذال الثوب يذيل ذَيْلًا: طال حتى مسّ الارض، ورَوِقَ يَرُوق رَوَقاً: طالت اسنانُهُ، وزَمخر العشبُ: برعم وطال، وزَها النخل : طال، وسَجِح الخد ـَ سَجَحاً وسَجاحة : سهل ولان وطال في اعتدال وقلّ لحمُهُ، واسجَوَرّ النبات: طال وانبسط، وسَحُقت النخلة : طالت، واستخطر الرجل : طال، وسَبَق سَبَقاً : طال في الحناء، وسالت الغرة: استطالت وعرضت، وأشبى الشجر اشباء : طال والتفّ غضوضة ونعمة، وشَدَخت غرة الفرس شدْخاً وشدُوخاً : انتشرت وسالت سفلًا فلأت الجبهة ولم تبلغ العينين وقيل غشت الوجه من اصل الناصية الى الانف؛ وشاك لحيا البعير : طالت انيابه ومثله شوّك لحياه، وصاح العنقود : استتمّ خروجه من اكمته وطال وهو في ذلك غضّ، وضفا الثوب : سبغ اي تمّ فطال الى

الارض ، وطَوِل البعير يَطْول طَوَلًا : كان في مشفره الاعلى طول ، وعَنِق الرجلُ عَنَقًا : طال عنقه وغلظ فهو اعنق وهي عنقاء ، وعنقت كرافير النخل : طالت ، وأعنق الزرع : طال وخرج سنبله ، واغدودن الشعر : طال وتمّ ، وغَضِفَت الاذن : طالت واسترخت وتكسرت خلقة فهي غضفاء ، وتفرعن النبات: طال وقوي ، وقَصِفَ النبت قَصَفًا : طال حتى انحنى من طوله ، وتقاعس الليلُ : لم يبرح طولًا ، قال النابغة :

تقاعس حتى قلت ليس بمنقضٍ ، وليس الذي يرعى النجوم بآيبِ

وكَثَا الزرع : غلظ والتفّ — والنبتُ : طال وكثف وغلظ — واللحيةُ: طالت وكثرت وكذا اكثأت اللحية وتَكَهَّلَ النبات : تمّ طوله ، واكتهل : تمّ طوله وظهر نَوْرُه وشمله ، ومَتَح النهار: طال وامتد لغة في متع ، ومُشِقت الجارية مَشْقًا : طالت مع رقة ويقال تمّ خلقها وحسنت ، وقدٌّ ممشوق: طويل مع رقة . امتطل النبات: طال والتفّ وعبارة اللسان التفّ وتداخل ، وامتطَ الحبلُ : انجرد وطال ، وامتط النهار : ارتفع اي امتدّ وطال ، وانتصى الشعر : طال — والجبلُ والارض : طالا وارتفعا ، وهَدِبت العينُ : طال هدبها — والشجرة: طالت اغصانها وتدلّت من حواليها وكذا أهدبت الشجرة . وهَدَر العشب كالمرفج ونحوه هدورًا وهديرًا : طال جدًّا وعظم وكثر وتمّ — والارضُ هديرًا : انتهى بقلها طولًا ، وهَيْكَلَ الزرعُ : غا وطال ، واولغ العشبُ : طال وعظم .

واتهلّ الشيء واتألّ : طال واشتد ، وتطاول : اظهر الطُول او الطَول ، وأَتَمّ النبت : اكتهل ، وجُنّ جُنونًا : غلظ واكتهل ، وأخجل الحمض : طال والتف ، وسَطِع الرجل ـَ سَطَعًا: كان اسطع اي طويل العنق ، ويرادف هذا قولهم : عَيِطَ الرجل يَعْيَط عَيَطًا اذا كانت عنقه طويلة فهو أعيط وهي عيطاء ، وقَمِد قَمَدًا اي كان طويل العنق وقيل ضخم العنق في طول ، وعاطت العنق تعوط عَوْطًا وتعوّطت: طالت ، وكذا عاطت تعيط عَيْطًا . واسلَهَبّ الفرس اسلبابًا : كان سَلْهبًا ، ومنه قول الاعرابي في صفة الفرس : « واذا عدا اسلهبّ ، واذا قِيد اجلعب ، واذا انتصب اسلأبّ» . والسلهب من الخيل الطويل

على وجه الارض يقال فرس سلهب وخيل سلاهب . وعَطِف الرجل عَطَفاً : كان فيه عَطَف اي طول اشفار ، وقَوِد الفرسُ وغيره يقوَد قَوَدًا : طال ظهره وعنقه فهو أقود وهي قوداء ، ومَغَنَ مَغْناً ومُغُونًا : كان طويلًا ، ونَسَت المرأةُ نَسْطاً ونُسُوعاً : طال ظهرها او سنّها ، وأَهْيَق الظليم : صار هَيْقاً اي طويلًا وسمي الظليم هَيْقاً لطوله ج اهياق وهُيُوق .

التطويل

طوَّل الشيءَ تطويلًا : جعله طويلًا ، ومثله أطاله إطالة وأطوله إطوالًا ، وقد ازَّجَ البيت اذا بناه وطوَّله ، وتأزَّم القومُ دارهم : اذا اطالوا الاقامة بها . وبَسَقَ عليهم اي طوَّل ، وخَرِر خَرَرًا : سكت طويلًا ، وذَيَّل ثوبَه : طوَّله ، ورَازم الدارَ : اقام بها طويلًا ، وأَرْمَلَ الحبل : طوَّلهُ ، ورَازم الدارَ : اقام بها طويلًا ، وأَرْمَلَ الحبل : طوَّلهُ ، وأَسَال غرار النصل اذا اطاله واتمّهُ ، وأَشَبَّ الله قِرنه : اطال عمره ، وهو من الكنايات لانه اذا شبَّ قِرنه وهو مساوٍ له في السن شبَّ هو ايضاً ، ويقال لمن يدعى عليه «لا اشبَّ الله قرنك» اي لا اطال عمرك . وشَرْعَب الاديمَ : قطعه طولًا وشَطَبت المرأةُ الجريد : شقّته طولًا لتعمل منه الحصير ، وشوَّط الرجلُ : طال سفره ، واشاد البنيانَ : طوَّلهُ ، وصمت المتكلم ـُ صَمْتاً وصُمَاتاً وصُمُوتاً : اطال السكوت ، وطرمَحَ بناءه : طوَّلهُ ومثله طنّه الشيءَ ، وطوَّدَهُ ، وقد عزَّب الرجل اذا اطال الغيبة ، وفدّن البناءَ اذا طوّله . وقَدَّ الشيءَ ـُ : قطعه مستطيلًا او شقّه طولًا ، وقَنْطر علينا : طوَّل واقام لا يبرح . وتلقَّب الانسانَ والحيوانَ : طرده طويلا يقال : تلقّبني الدهر وتلقبتهم الاسفار ، ومتَّع الشيءَ : طوَّله — والله فلاناً عمّره اي اطال عمره ، ويقال : «ابقاك الله وامتع بك اي اطال عمرك» ، ونبلاء الكتاب يكتبون بها الى الاتباع والادنى ولا يكتبون بها الى الاكفاء والاعلى . ومدَّ اللهُ عمرَهُ : اطاله — وفي غيّه : امهله وطوَّل لهُ — والحرفَ : طوّله ، ومرّد البناء : طوّله وملّسهُ ، ومَغَط الشيء : مدّه يستطيله يقال مغط الحبل وخصَّ بعضهم به الشيء اللين كالمصران ، وملّاه اللهُ

عمره تمليةً : اطاله ومتّعه به — وجيبَهُ : متعه به واعاشهُ معه طويلًا ، ومُلِيَ فلاناً : أعيش معه ملاوة فبقي ممتّعاً به ، واملاهُ اللهُ عمرَه : اطالهُ ومتّعه به ، واملى له في غيه : اطال له — واللهُ الظالمَ : امهله وطوّل له ، وتنفّس الرجلُ : اطال ومنه : « لقد ابلغت واوجزت فلو كنت تنفست » اي اطلت ، وتنفّس الصُعَداء اي تنفساً طويلًا من تعب او كرب ، وهزّ النباتَ الريحُ والريّ : حركاه واطالاه ، وواتن القوم دارهم : اطالوا الاقامة فيها .

الطويل

الطويل : ذو الطول ج طِوال وطِيال وهي طويلة ج طويلات ، وكذلك الأَزِب والآزب والأزيب والتـارُ والتليع (من الرجال) والجَـرب والجُنشوش والجِلْحَبُ (الرجل الطويل القامـة) والجُلاديح والجِلعـاب والجُنبُخ والخرانف والخِناب والخِنْب والأَذَبُ والمُرطِل والزُخريُّ والسبط ج سِباط يقال هو سبط اليدين وسبط الجسم ، والسُباطر والسِبَطر والسَيْطَرُ والسِبَنـدى ، والسيخف والسِيَخفُ (من النصال والرجال) ، والمُسحُلان والمُسحُـلانيُّ (من الشبان) ، والمُنسرب والسَرجَمُ والسَرَعرَع والسَفلَج والسَلِبُ والسَلهم والسَلهج والمَسُوك والسَندريُّ والسِنطيل والسَنبع والأسنع والشَجب والأشجع والشَجَم والشَحشار والشَحشَح والشَحشان والشَوذب (الطويل النجيب من كل شيء) والشَرجب والشَرجع والشَرحب والشَرعب والشَرمَح والشملَع والشمنوم والشمنلـع ، والأشفَع والشمَردَل والشمطوط والشِيقُ والشَقمق ، ومن سجعات الاساس : « ما خُلق الشقمق الا لينادى بيـا احمق » ، والشُنحُوط والشَنحَف والشِنَحف والشَنحَب والشِنَخف ج شناخف وشِنَخفون ، وقال الشاعر :

واعجبها فيمن يـوج عصابةً من القوم شنخفون جدّ طوال

والشِنخاف والشِنعَم والأشنَق : يقال عِرق اشنق ، والأشوق والشَيحان والصُمَاديُّ : يقال جمل صُمادي وناقة صُمَادِيَّة ، والصاعد يقال عنق صاعد قال بعضهم :

واسدُدْ بندب خلة خلّى بنا قد لا تُسدّ الى زمان صاعد

والصَمل والصَيهَد والطُرحوم والطِرماح والطِرمّاح والطُرموح والطِرّيم والعلاط

والطوط والطيط والمرتدل والأعطُّ والمعالسُ والطيان والمهج والمهوج والعمرد يقال ذئب عمرد وسبسب عمرد ، والمُرود والمُدّان والمندل والمنشط والمنشطُ والموهق (للمذكر والمؤنث) والأغين والمفرع والمقرعج وفي اللسان المقزعج بالزاي، والمقاسب ، والقلمسُ والقلمسُ والقندد والقندل والقنور والقهنب والقهنبان والقياقُ واللهوف والملواح والماتع والمديد يقال فلان مديد القامة ، قال الشاعر :

فتترك خلفها خطاً مديداً بوجه البحر يمكث مستبينا

وايضاً :

واعزّ الامصار مرٌ قصير تحت ظلّ من السيوف مديد

وايضاً :

لست انسى يوماً تفيأت فيه وارف الظلّ من ذراك المديد

والمَمن والأمقُ وهي مقّاء يقال رجل أمقّ وفرس أمقّ ، ووجه امقّ : طويل كوجه الجرادة ، قال امرؤ القيس :

ألم انضر المطيّ بكل خرق أمقّ الطول لماع السراب

وقال المتنبي :

وامقّ لو خدت الشمال براكب في عرضه لأناخ ، وهي طليح

والمَيلع والينخوب والنطنط والنطناط والهرجاب والهرجبُ والهرطال (وفي اللسان الرجل الطويل العظيم الجسم) والمتيسع والوارد يقال فلان وارد الارنبة اي طويل ، الانف وشعر وارد اي يرد الكفل بطوله.

الطويل من الرجال

والأططُ : الطويل من الرجال وهي ططاء. وكذلك البتع والبخنُ والبطارق والتليع يقال رجل تليع وعنق تليع ، والتميم والخيقُ والأخدب والسوحق ، والأسحلان (خاص بالشاب تقول شاب اسحلان اي طويل سبط الشعر افرع وكذلك صبية اسحلانية ومثله شاب مُسحلانٌ ومُسحلانيٌّ) والسرياح والسرناف والأسقعُ والسكبُ والسلاجم والسلنطاع والسلهب ج سلاهب وسلاهبة ، والسمروت والسيقُ والشبحان ، والشرمحيُّ والشرمحُ (الرجل الطويل القوي)، والمشطوب والشوقب والشنساب والشنقاب والمشمخرّ والصلهب والصيهبُ ، والضبغطري والضباب والضمت (الرجل الطويل التام وقيل الطويل المضطرب) ،

والطُّبول (الرجل الممتد القامة الطويل العنق) ، والبِلْطَوْس والأَلْهَب والبِمْرِط والمُمْرُط والبِدَفْل والفَيْهَق والفِرْضاخ والقَلْهبان والبَنْخُور والمَغْن والمِغْن والمِغْنُ والممشوط (الرجل فيه طول ودقة) ، والناغط ج نُغُط ، والمُتَمَهِّل ، والمِبِلُّ والمَجْهاج والمَديد والمُرجول ويقال رجل طويل الباع اي الجسم ، وطويل النجاد وهو من باب الكناية لان طول النجاد يستلزم طول القامة قال المتنبي :

طويل النجاد ، طويل العماد ، طويل القناة ، طويل السنان

ويسمى الرجل الطويل « ابن بُحَيْنَة » والأَبدح.

من الابل

والجَلْعابة من الابل والجَلْعبى والجَلْعباء : ما طال في هوج وعجرفة ، والجَمَّة : الناقة الطويلة ، والدَّجرجاة : المنبسطة على الارض ، والرَّزوف : الطويلة الرجلين الواسعة الخطو ، والسُّباعِيُّ : الجمل العظيم الطويل ، والسَّرمط والسُّرامِط والسَّرَوْمط والسَّرْمَطيط والمُسَرْمط : الطويل ، والسِّطاع : الطويل الضخم ، والأُسطوان : الطويل العنق المرتفع ، والسَّقْطرى والسَّقْطريُّ : اطول ما يكون من الابل والرجال ، والمُسَقْطِلُ : الطويل منها ، وناقة شَوْدح : طويلة على وجه الارض ومثلها الشَّرْذح ، والشَّرْجع : الطويلة ، والشِّرْداح : الطويل العظيم ، والشِّرْواط : ما كان طويلاً وفيه دقة ، وناقة شمشمانة : طويلة حسنة ، والشَّقُور : الناقة الطويلة تشقر بقوائمها اذا أُخذت لتركب ، والشَّنَاح والشناحي والشناحيُّ والشناحِيَة : الجمل الجسيم الطويل وهي شناحية ليس غير ، والقَشْعَم : الجمل الشديد الطويل ومثله العَرَنْدس يقال بعير عَرَنْدس وناقة عرندس وعَرَنْدسة ، والعَلَطَبيس : الشديدة العالية . والبِأيان : المشرفة ، والعَلاة : المشرفة الصلبة يقال ناقة علاة الحَلْق ، والفَهِق : الطويل من الابل ، والقَرْواح : الناقة الطويلة القوائم ، وكذا القَأْرص وهذا الحرف خاص بالاناث ج قلائص وقِلاص وقُأص وقُأصان ، والنِياف من الابل : الطويل في ارتفاع يقال جمل وناقة نِياف وامرأة نياف : تامة الطول والحسن ، والهَجْهاج البعير الطويل ، والمِرْجاب الطويلة على وجه الارض ، وجمل هَيْضَلٌ : ضخم طويل عظيم وهي هيضلة.

من الخيل

والسَّلْهَبُ من الخيل : الطويل على وجه الارض يقال فرس سلهب وخيل سلاهب ، والشَّرْحطة : الطويلة ، والشَّدِف من الخيل : الطويل العظيم السريع الوثبة ، والمشذَّب : الطويل ليس بكثير اللحم استعير من الجذع المشذب ، والاشقُّ : الطويل ، والشَّيْظَم : الطويل الجسم والفتي من الخيل والابل وهي شيظمة وقد اجتمعا في قول عنترة :

والخيلُ تقتحم الغبار عوابساً ما بين شيظمة واجرد شيظم

وفرس شَنَاص وشَنَاصِيٌّ : جواد طويل شديد ، والشناصية : الفرس الطويلة الشديدة النشيطة ، والشَّوْهاء التي في راسها طول وفي منخريها وفمها سعة ، وفرس صَقِل : طويل الصُّقلين ، والصَّقَل طول الصقلين في الفرس ، وقد طَنِب الفرسُ اذا طال ظهره وطالت رجلاه في استرخاء فهو أَطنب وهي طنباء ، والطِنْر : الفرس الطويل القوائم الخفيف ، والمُرْيان : المقلَّص الطويل ، والمُقَاص : المشرف المشتر الطويل القوائم ، وفرس قُوقٌ : طويل القوائم ، ونَشَاصِيٌّ : مشرف الاقطار ، والمُذْلول : الطويل الصلب ، وفرس هَيْكل : مرتفع ، واليَعْبوس : الفرس السريع الطويل وقيل الجواد السهل في عدوه . والسُّرْعوف : الفرس الطويل ايضاً وكذا السُّلاجِم والذَّعبوب والشُّنْقُبُ والقَيْداق .

من النبات

والأَرْعل من النبات : ما طال وانثنى ، والرَّقْلة : النخلة الطويلة التي تفوت اليد ج رَقْل ورِقال ورَقَلات ، ونبات مُسْتَرْوِضٌ : تناهى في طوله وعظمه ، والزَّمخر : الطويل من النبت ، ونخلة سحوق : طويلة ج سُحُقٌ ، والسُّنحوق : النخلة الطويلة ج سماحيق ، والسَّنِمُ : النبت المرتفع الذي خرجت سنمته اي نَوْره ، شجرة سَهْوَق : طويلة الساق ، والشأشاء : النخل الطوال ، والصادية النخلة الطويلة التي لا تشرب ج صوادٍ ، والطَّرِيقة : النخلة الطويلة وقيل اطول ما يكون من النخل بلغة اليمامة ج طَرِيق ، ونخلة مُطامة : مشرفة على ما حولها اطول من سائرها ، والهُلَبة : النخلة الطويلة ، ونخلة عَمّاء : طويلة ج عُمٌّ ، وكذلك نخلة عَمِيمة ، ونبت يعموم ، ونخلة عَوَان وعَوَانة وعَيْدانة ج عَيْدان ،

والقِرْواح : النخلة الطويلة الملساء ج قراويح وقراوح ، والقَضْبُ : كل شجرة طالت وسبطت اغصانها ، وشجرة قنواء : طويلة ، والكَوْكَبُ : ما طال من النبات ، والوَلَخ من العشب : الطويل ويقال أَوْلخ العشب اذا طال وعظم .

من الاعناق

والتَلِيع : الطويل العنق ومثله الأَتْلع وهي تلعاء ، والتَلَع والتلاعة طول العنق ، وقد اتلع الرجل اذا مدّ عنقه متطاولاً ومنه حديث علي : « لقد اتلعوا اعناقهم الى امر لم يكونوا اهله فوقعوا دونه » . والجِرْواط مثل التليع ، والجِنْداء : الطويلة العنق الحَسَنَةُ لا يُنعت به الرجل ج جُود ، وكذلك الجِنْدانَة : الحسنة الجيد ، والخَرُوج : من صفات الخيل وهو الذي تطول عنقه فيتناول بطولها كل عنان جُعل في لجامه والانثى خروج ايضاً ، قال الشاعر :

كل قبّاء كالمراوة عَجْلى وخروج تنتال كل عنان

والخَيْطاء : النعامة الطويلة العنق ج خِيط ، والدَفواء : الناقة النجيبة الطويلة العنق ، والرَعْشاء : الطويل العنق من النعام وغيرها ، والسَطْعاء : الطويلة العنق وهو أَسطع تقول سَطع يَسْطَع سَطَعاً اي كان اسطع ، والأَسْطُوان : الجمل الطويل العنق المرتفع ، والمِسْمَرُ : العنق الطويل ، والسَقْعاء : الناقة الطويلة العنق ، وعنق شجعم : طويل مع عظم ، والشِراعِيُّ من الابل الطويل العنق وهي شراعيّة وشِراعِيةٌ ، وعنق صاعد : طويل ، ومصلات العنق : المنجرده البارزه ، وهو صِنْتِلُ الهادي : اي طويله ، والسَأْق : الطويل العنق ، والعُطْبُل والعُطْبول والعُطْبُولة والعَيْطَبُول : المراة الفتية الجميلة الممتلئة الطويلة العنق ج عطابِل وعَطابيل ، والعَنَط : طول العنق وحسنه ، ورجل مُعْنِق : طويل العنق ، والعَوْهَجُ : الطويلة العنق من الظلمان والنوق والظباء ، والأَعْيَطُ : الطويل الراس والعنق ، والعيطل : الطويلة العنق في حسن ، والقَمَلَّط : الطويل العنق ، والقُمَاوط : الرجل الطويل العنق ، والقَأْداء من النوق : الطويلة العنق ، والأَقْمَد : الطويل العنق وقيل الضخمها في طول ، والقُمُدُّ والقُمُدَّة والقُمُدانِيَة والقَمْداء : الطويلة العنق وقيل الضخمتها في طول ، والمَرْمريس : الطويل من الاعناق ، والنَجُود من الابل والأَتْن : الطويلة العنق ، والناسع : العنق الطويل ، والأَهْيق : الطويل العنق .

الطويل من الشعر

والخَذَبُ : الطويل من الشعر ، والدجوان من الشعر : السابغة الشعر ، والرَّفال من الشعر : الطويل : والرَّسلة : المراة الطويلة الشعر في ساقيها ، والمُراسِل : المراة الكثيرة شعر الرجلين الطويلته ، والرَّبَب : كثرة الشعر وطوله ، وشعر سِبَطْرٌ : طويل ، والشعر المسدَّل : الكثير الطويل ، والعَثْوَة : اللمة الطويلة ج عُثًى ومنه قيل : شابت عثى الارض اذا هاج نبتها ، والمافي : الطويل الشعر ، والمِفاه : الشعر الطويل الوافي ، وقد اعنونس ذنب الناقة اذا وفر هلبه وطال ، وشعر غَدَوْدَنٌ : كثير ملتف طويل ، واغدودن الشعر طال وتمّ ، والفينان : الحسن الشعر الطويله وهي فينانة ، ورجل قُشابِر اللحية وقِشابرها اي طويلها ، والتُّزُعة قيل هي ما ارتفع من الشعر وطال تقول : خذ من قنازع شعرك ، واللِمة : الشعر المجاوز شحمة الاذن فاذا بلغت المنكبين فهي جُمّة ج لِمَم ولِمامٌ ، والوارد : الشعر المسترسل الطويل يقال شعر وارد اي يرد الكفل بطوله ، وفلان موفَّر الشعر اي كثيره طويله ، والوَفْرة : الشعر المجتمع على الراس او ما سال على الاذنين منه او ما جاوز شحمة الاذن ثم الجمة ثم اللمة ؛ والوَمْفة : الشعرة الطويلة .

الذنب الطويل

والأذنب : الطويل الذنب ، والمِذنب : الذنب الطويل ، والذَّيال : الطويل الذيل ومثله المُذَيَّل والمذيال (للمذكر والمؤنث) والرِفَل : الطويل الذنب من الخيل — والطويل الذيل من اللباس ، وكذلك الرِفَن للطويل الذنب من الخيل ، والعَنَس : الناقة التي اعنونس ذنبها اي وفر هلبه وطال ، والعَنَيْل : الطويل الذنب من الظباء والوعول .

الطويل الساق

والأزَجُّ : الرجل الطويل الساقين ، والأسوق : الحسن الساقين الطويلهما وهي سوقاء ج سُوق ، والسُّوَاق : الطويل الساق ، والسَّهْوَق : الطويل الساقين من الرجال ويستعمل لغيرهم .

الانف الطويل والطويله

والأَخطَم : الطويل الانف ومثله الخُرطمان والأرغن والسلمام والسَّاقمُ . وتقول: فلان شِراع الانف اي طويله ممتده ، والأشرَع: الانف الذي امتدت ارنبته ، والنارض : الانف الطويل.

الاذن الطويلة والطويلها

والأذْنان : العظيمة الاذنين الطويلتهما ، والجَدْلاء : اذن طويلة ليست بمنكسرة وقيل كالصمماء الا انها اطول وقيل هي الوسط من الآذان ، والأخطل : الطويل الاذنين المسترخيهما ، والسَّبْتاء : المنتشرة الاذن في طول او قصر ، والشرفاء : الاذن الطويلة القوف وهو اعلى الاذن وقيل مستدار سنها.

الطويل الظهر

والحَبَرْكى : الطويل الظهر القصير الرجلين ، والسَّجَحاء : الطويلة الظهر ، والسَّمْحَجُ : الطويل الظهر من الخيل والاتن ومثله السمحاج ؛ والسناب والسنابة : الطويل البطن والظهر ، والمقروري: الطويل الظهر ومثله جمل أقرى ، وناقة قَيْدود .

الطويل الضرع

والبَسُوق : الطويلة الضرع من الشاء ومثله المِساق ، والخَطلاء : المرأة الجافية الطويلة الثديين ، والطُرْطُبَة والطُرْطُبَّة والطُرْطُبانِيَّة : الطويلة الضرع من الناس والحيوان ، والطُرْطُب والطُرْطُبُ الثدي الضخمُ الطويل المسترخي ويقال للواحد طُرْطُبي فيمن يؤنث الثدي ، والهَضْلاء : المراة الطويلة الثديين.

الحبل الطويل

والشَطَنُ : الحبل الطويل يستقى به وتربط به الدابة ج اشطان ، وصف اعرابي فرساً لا يُحفى فقال « كأنه شيطان في اشطان ». والطُنُب : حبل طويل يُشدّ به سرادق البيت او الوتد ج اطناب وطُنَبَة ، والطِوَل والطِيَل والتِطْوَلُ : حبل طويل تشد به قائمة الدابة وقيل تشد وتمسك طرفه ، وقيل تربطه الى وتد وترسلها ترعى فيه،يقال: «ارخى طِوَل فرسه » والمانُ: الحبل الطويل ، والمريرة: الحبل الطويل الدقيق وقيل الشديد الفتل.

(للبحث صلة)

يا له وائتاد

بقلم حضرة الاب ا. س. مرمرجي الدومنيكي

١

في ردود مجلة « لغة العرب » على مقالاتي علل شتى : منها ما ينوط بنطس اطباء الادمغة ؛ ومنها ما يرجع الى دواوين الاصلاح ؛ وغيرها ما يعود الى الالسنية . فاعمد الى معالجة العلة الاخيرة ، تاركاً البقية الى من يهمهم الشأن.

تدّعي هذه المجلة النازية في ربوع العلم الحادثة اني ، عند نقدي بعضاً من آرائها ، ارميها بسهام التهكم والازدراء. لكن عليها ان تنعم النظر في انجيل مار متى (٧:٥) وتراجع «كتاب الامثال» لابن الاحدب الطرابلسي (بيروت: جزء ١ ، ص ٢٣٩ س ٢١)

هذا ، وافيد القراء الكرام ان هذه المجلة قد اقرّت ، في الايام الاخيرة ، بعجزها واتخذالها فانهزمت ، على الطريقة البدوية ، شرّ هزيمة ، من ميدان الحرب العلمية ، لائذة بالبيداء وطنها ، ظانّة انها في مأمن من كل هجوم. فبخٍ بخٍ بهذه البسالة الادبية والعلمية ! انها بالحق لبدوية. اما انا فاذ كان لا يهمني ردّها عليّ ام عدمه ، فسأواصل — دون الحاجة الى الاستعذار من صاحبها البتة — تشهير اغلاطها ، كلما سنحت الفرصة تقريراً للحقيقة ، واثباتاً بان ليس كل ما يرد فيها « وحي من السماء ، لا يقدر الملائكة ولا الانس ولا الجن ان يأتوا بمثله ، وان كان بعضهم لبعض ظهيراً» على ما يتصوره بعض المتهوّسين المغرورين في عراقنا.

الآن اوجه الخطاب اليك يا حضرة المتستر بحجاب هذه الاحرف (ب م م)[1] ألا قل لي، من انت ؟ أبشرٌ انت ؟ وان كنت رجلاً من البشر حقيقيًا ، أمسلمٌ انت ام نصراني ؟ ابرز اذنيك ، لاعرف هل انت ليث ام... ثعلب... ام ؟ تتهمني « بالحمل على الآيات القرآنية »[2] اي التهجم عليها فان كان لك شرف وشجاعة ، هاجمني وجهاً لوجه ، دون التخفي تحت ستار الحروف المستعارة . ان كنت من المؤمنين بالقرآن ، ومن اهل الغيرة عليه ، فاظهر نفسك . ألا أنشئ مقالاً أبيّن فيه كيفية تهجمي على المصحف ، وذيّله بتوقيعك الصريح . وبعد ان يشهد ، كتابةً ، على صحة وجودك ، وانتساب المقال اليك ، اشخاص ذوو ذمة وانصاف ، في دواوين البطريركية الكلدانية ، والمطرانيتين السريانية والارمنية الكاثوليكية في بغداد ، ابعث بالمقال المذكور ، مع الشهادة عليه ، الى هذه المجلة الزاهرة . وبعد ان تنشره واطلع على الحقائق كما هي ، حينئذٍ اجيب بما اراه ملائماً .

على كل حال اعلم — ان استولى عليك جهل ، او خامرك في الامر شك — اني مسيحي كاثوليكي . وحسب ايماني وصفتي هذه الشريفة ، « لا اوقن بمحمد نبيًا ، ولا بقرآنه كتاباً منزّلاً » . انما المصحف في نظري « كتاب بشري » مثل بقية الاسفار ، وهو من الآثار اللغوية العربية « لا غير » . ولي الخيار — دون امتهانه ، اذ ما الداعي لذلك ؟ — ان ارتئي فيه ، من الباب العلمي اللغوي ، « ما تحملني عليه الادلّة العلمية . »

فالى ان تقوم بمطلبي ، ايها المتستر ، اقول — غير خاشٍ في القول لومة لائم — ان هذه الحروف (ب م م) « مختلقة صرف الاختلاق »[3] اذ انها لا تدلّ على شخص موجود ؛ وان هي دلّت على احد ، فهذا الادمي ليس سوى

١) لغة العرب ج ٦ ، س ٩ ، ص ٤٧٢ .

٢) لغة العرب ، في الموضع عينه .

٣) لا يستغرب في « لغة العرب » الوضع والاختلاق . فان احد العلماء قد قال عنها : « انما تسبين بصراحة واخلاص... » وغني عن البيان ان في ذلك ما فيه . ومن اختلاقاتها ذاك المخطوط المهود الملفّق ، المتخيّل فيه اثبات نزول « احدى الطرائق النسكية » من « الطريقة الخضرية » « بيّنات ومستندات قديمة... عربية... بدوية » الخ...

صيحة او آلة صماء ، متخذة لنيل المآرب . اذن ليس هو بطارح السؤال على المجلة النازية ، بل ان ملقيه الحقيقي — كبقية الاسئلة المتظاهر طرحها للرد علي — ان هو الا « صاحب هذه المجلة » ، « السائل والمجيب معاً » . ودليله اوضح من الشمس في رائعة النهار . فان للسؤال والجواب انشاء واحداً ، لهجة واحدة ، روحاً سامياً واحداً [1] .

فان كان الامر كذلك ، كان حضرة صاحب المجلة هو الموافق على ما جاء في السؤال ، « ومن ثم المسؤول عنه » ؛ وهو عينه الذي تظاهر بالغيرة والشهامة على القرآن ، فقام لنصرته ، مستلاً سيف قلمه البتار لطعني « بجريمة التهجم » على . . . « كتابه المقدس » ! !

واذ كان الشيء بالشيء يذكر ، يخطر على بالي انه يوم صدرت تلك « القصيدة السمجة » في احدى نشرات بغداد الاسلامية العمياء بعمى التعصب الذميم ، مهينة السيد المسيح ، ربنا لاسمه السجود ، لم يكن من حضرة الاب انستاس ماري دي سنت ايلي الكرملي الحافي المرسل الرسولي الا ان لازم السكوت العميق ، ولم يكتب ولو كلمة واحدة ، رداً على تلك الشتيمة الشنعاء في مجلته . . . الكاثوليكية . . . اما الرد على تلك « القصيدة الوقحة » فقد قامت به — والحمد لله — لا في بغداد بل في بيروت — جريدة « البشير » الغراء المشهورة بمواقفها الشجيعة النبيلة ، للذب عن حرمة الدين الكاثوليكي القويم . فسقياً ورعياً لاهل الغيرة الرسولية ! وخزياً لاولي الجبانة والمصانعة الشائنة !

فاذا كانت هذه حالة هذه المجلة ، وكان هذا جبن صاحبها في ما يخص الدفاع عن دينه ، وكان هذا تظاهره للانتصار لما كان الاولى به ان يقاومه ويدحضه ، وكان هذا تذبذبه وتبصبصه لاعداء ديننا ، ولعصابة الملاحدة الذين زعيمهم في العراق « صديقه الحميم !!! » جميل صدقي الزهاوي الكردي ؛ اجل اذا كانت هذه الحالة حالته الملومة ، فما تكون يا ترى مسؤوليته ؟

***

---

١) ومن قرأ ذلك ، وكان من المتادين مطالعة هذه المجلة ، وطريقتها المعيبة الشائنة ، ظهر له ، لاول وهلة ، حقيقة ما ابديه .

٢

بعد هذا البيان آتي الى الردّ والنقد.

وقف صاحب المجلة النازية على مقالي في اصل كلمة «هيكل»[1] وهو دحض لرأيه ؛ فوقع في حيص بيص . واذ شقّ عليه الاقرار بغلطه صراحةً ، اخذ يتملّل باني أثّر منه. ولما افحم بالبراهين الدامغة التي اوردتها تبياناً بان اصلها «شُمَري» تشبّث بالقاء الملام على صاحب المعجم الاشوري - الفرنسي . فردًّا على هذا اقول : انه في جوابه الاول[2] ابدى الرأي كانه رأيه الخاص ومن مكتشفاته العجيبة. فجاء بما هذا حرفه: « كلمة هيكل سامية الاصل. وهي كذلك او ما يقاربها لفظاً ومعنى في الارمية والعربية والحبشية والاشورية. . . » لكن لما ضيّقت عليه مقالة « الى ساتسنا الامكح المتيّوبل » التي نشرت في جريدة «العراق» البغدادية ، بقلم صاحبها الذي دعاه حضرة الامام « الكاتب الارمنية بحروف عربية » ، اقرّ حينئذ بانتحاله اي بسرقته ذاك الرأي . فقال في جوابه الثاني[3] : « ان ما ذكرناه عن اصل هيكل « فليس لنا» انما هو للعلّامة انطوان صوبين ، احد اعضاء الجمعية الاسوية . . . »

فان كان القول « ليس له » فلِمَ لم يذكر « مصدره وقائله » من البداية ، بل نسب الى ذاته « ابوّته الشرعية » وهو بالحقيقة منتحله ، بطريقة الغزو البدوية ؟ على كل حال انه لم يعد يجسر الادّعاء بان اصل « هيكل » عربي ، وان الكلمة مركبة من « حَيْ وجَلْ» وهذا برهان كافٍ على انه القم الحجر.

اما في شأن اصل كلمة « الحواريين » فقد بينت الحقيقة[4] ؛ فلا موجب بعد الى الاعادة ؛ ولكل امرئ الخيار في ان يصدق وان لا يصدق.

اما عبارات القرآن التي سردتها في مقالة « طريقة في العلم معيبة[5] » فاني لم اقع عليها في كتاب « الهداية » كما اتهمني الامام المتحجب بحجاب الحروف

---

١) المشرق (٢٩[١٩٣١]٨١٠٠٠)
٢) لغة العرب ج ٦ س٧ ص ٢٩٢
٣) لغة العرب ج ١ ، س ٨ ص ٥٨
٤) المشرق (٢٩[١٩٣١]٣٤٩)
٥) المشرق (٢٩[١٩٣١]٣٤٠)

المختارة . وذلك لسبب بسيط وهو اني لا املكه ، ولم اسمع باسمه سابقاً . هذا ونصوص القرآن موجودة في القرآن عينه ، وهو مصدرها الاصلي ؛ فما الداعي الى استمدادها من غيره ؟ وهل يا ترى اذا اورد مصنف بعض الآيات من الانجيل الطاهر ، يقال عنه انه سرقها من كتب الآباء والواعظين ، لانها جاءت فيها ؟ وكذا القول في وقوفي على التباين الواقع بين هذه النصوص وقواعد النحو ، فان ذلك معروف من القرآن ذاته ، ومن اسفار مفسّريه الذين حاولوا ، منذ القديم ، ان يجدوا لها مسوّغاً بالتخريج والتأويل . وهل من عجب في ان اعرف هذه الامور وانا أُدرّس ، منذ سنين ، القرآن واترجمه وافسّره لطلاب العلم في معهدنا ، مما اضطرني الى ان انقّب فيه وفي مؤلفات اشهر شرّاحه ؟ ومن وصل الى العين ، اتراه يفتقر الى الجداول النائية ، ككتاب الهداية وغيره ؟ فليعلم اذن ذلك ذوو النيّات السيئة ، وليجبنوه في عقولهم

دونك الآن كلمة عن « الداوية »[1]

عرف من قرأ مقالتي اني أوثر القول بان اصلها من « Dâwayyâ » السريانية ، وانكر كل الانكار انها من « Templiers » الفرنجية . فهل انتحلتُ ذلك من معجم « پاين سميث » كما يرميني به الخصم ؟ ان من ينتحل او يسرق سرقة ادبية هو ذاك الذي يستلّ عمودين كاملين من معجم ڤيگورو، دون ادنى ذكر للمصدر ، مدعياً ان ذلك من نتاج قريحته الوقّادة[2] . واما من يحيل القارئ — في حاشية مقاله — الى معجم « پاين سميث » مع ذكر الجزء والعمود[3] — كما فعلت انا — فذاك ليس بمنتحل بل هو هو الامين في النقل ، والمراعي جانب الحقّ . هذا ، وكيف اكون منتحلاً رأي « پاين سميث » القائل — حسب توهم الخصم — ان اصل الكلمة «عربي»[4] ، وانا اجاهر بانه «سرياني» ؟ احيل حلّ هذا المشكل العويص الى اهل المنطق والذوق السليم . على ان النقطة المهمّة في القضية ليست ما جاء في المعاجم ؛ فان ما تحويه هذه الاسفار

---

١) المشرق (٢٩[١٩٣١]٢٤٢ . . .) ٢) المشرق (٢٩[١٩٣١]٢٢٤ . . .)
٣) المشرق (٢٩[١٩٣١]٢٤٦) حاشية ٦ ٤) لغة العرب ج ٥ س ٩ ص ٢٨٩ سطر ٩

مستمدّات على علاتها ؛ ولم تتصدّ لتأصيل اللفظة ؛ انما اكتفت بسرد المتقابلات في اللغات المختلفة . لكن المهمّ هو ان الفرنج والسريان قد اتفقوا في تسمية الميكليين « فقراء » كل قوم في لغته ؛ كما اتضح من الشواهد التأريخيـة التي استشهدت بها . وهذا ما قد قيّض لي بالبحث الوقوف عليه ؛ وما قـد تعامى الخصم عن رؤيته ؛ وشقّ عليه الاقرار به . ان « باين سميث » — الـذي نقل عنه القسّ منا ، دون تحقيق — مع ايراده الكلمـة بلفظ « Dêwâyê » يشكّ ويتردد في هذا التحريك ، مفضّـلًا عليه لفظ « Dâwayyâ » [1] الموافق كل الموافقة لقواعد اللغة السريانية المتطلبة ان الاسماء والصفات المنتهية بـ (ܝܐ Yâ) اذا كانت من الافعال الناقصة تجمع على وزن « Fâ'layyâ » مثال ذلك ، من الاسماء : ܡܪܝܐ (ربّ) جمعه ܡܪܝܝܐ « Mârayyâ » (ارباب) ومن الصفات : ܛܠܝܐ (ضالّ) جمعه ܛܠܝܝܐ « Tâ'ayyâ » (ضـالّون) ؛ ܕܘܝܐ (فقير) جمعه ܕܘܝܝܐ « Dâwayyâ » (فقراء) [1] . فالناجم من هذا ان صيغة « Dewâye » تحريف بحت ، صدر من جهل النسّاخ ، كما نوّه بذلك المحققون [2] . اما تشديد الياء ، فهو من مطلّبات قواعد السريانية الشرقية ، فضـلًا عن ملاءمته لروح بقية اللهجات الارمية ، وسائر اللغات السامية . فان الفتحة تشدّد الحرف الذي

(١ Payne Smith, *Tes. syr. t. I, c. 829.* وهذا نصه اللاتيني الظاهر منه شكّه وتردده : « *Dizerle scriptum est* ܕܘܝܐ *ib. 470 ; alias scriptissem* ܕܘܝܐ = *pauperes cum* Bernst. *et* Raediger *in suis chrestb.* » اما جهلًا وقد ترجمها الخصم ترجمة سقيمة ، واما عمدًا ؛ وهذا تعريبه : « وقد كتب عنها مطوّلًا في رسم دوبي ، فيه ص ٤٧٠ . وقـد كتبها دوبي (بالامالة المفخمة) الفقراء مع برنشتين وروديجر في منتخباتها . » (ل . ع ج ، س ؛ ص ٢٨٩) اما الترجمة الصحيحة فها هي ذي : « وقد كُتب بوضوح (ܕܘܝܐ *Dêwâyê*) في عين الكتاب المذكور وجه ٤٧٠ . « ولولا ذلك » لكنت (انا باين سميث صاحب المعجم) كتبتُ (ܕܘܝܝܐ *Dâwayyâ*) اي « فقراء » على مثـال (ما فعل) برنشتين وروديجر في منتخباتها . »

(٢ Mingana, *Clef de la langue araméenne, Mossoul, pp. 124, 125, N° 381,* 2° ; 282, 2°.

(٣ Brockelmann, *Lex. syr. p. 143*

تاريخ ابن العبري السرياني ، نشر الاب بيجان اللازري ، الصفحات : ٣٧٠ و٣٧٣ و٣٧٤

يتبعها اذا كان متحركاً[1]. والتشديد ولفظ الزقاف « فتحة مشبعة » كان جارياً في فلسطين ولبنان وسورية ، قبل وبعد انتشار اللفظ الغربي فيها . والى اليوم — رغماً عن استعمال اللهجة الرهوية في الطقوس ، عند الموارنة والسريان — نجد دليلاً ، في اسماء الامكنة ، على ان اللهجة الشرقية او الارامية الاشد ملاءمة لروح اللغات السامية قديمةٌ فيها ، اذ يقال ، بالفتح المُشبَع والتشديد : راشيَّا ، حاصبيَّا ، بكفيَّا ، ولا يقال : رُوشايُو ، حوصبايُو ، بكفايُو .

اما في شأن « الاسبتارية » فانهم ، وان كانوا معاصرين للهيكليين ، فالظاهر ان التاريخ لم يذكر انهم سمّوا «فقراء» لا في الفرنجية ، ولا في السريانية ، ولا في العربية ؛ بخلاف الهيكليين الذين دعاهم الفرنج والسريان بهذا الاسم ؛ والمسلمون عرّبوه عن السريانية ، فقالوا في « Dâwayyâ » « داوِيّة » . والتشديد في « داويّة » ليس للنسبة الى « دَاوٍ » المدعي الخصم انها تعريب « Temple III » بل انها من لوازم صيغة الجمع في كلمة « Dâwayyâ » . والقول بان «الداويّة» «لم ترد في كل النسخ بهذه الصورة» لا يصدّق الا بنصّ صريح واردٍ في كتاب حقيقي ، لا في « نسخة وهمية يشعوذ بها بعضهم » بالقول : « كان عندنا نسخة قديمة كاملة » !! واذا كان لهذه الصور حقيقة ، فلِمَ لم ترد في النسخ التي اعتمد عليها ناشرو « الصليبيات » بالعربية ؟ ولِمَ لم يثبتوا في مجموعتهم الصورة الاقرب الى « Templiers » مثل « التاملية » بل انهم استعملوا في كل موطن « الداويّة » وحدها ؟ فليعلم اذن الملفّقون ان العلم في عصرنا « لا يوقن الّا بما يراه بعينيه ، ويمسّه بيديه » .

هذا وان الاغلاط الواردة في كل عدد من المجلة الغازية لكثيرة هذه الكثرة حتى انه لو اراد المرء تتبعها ، لاقتضى عدة مقالات في كل عدد من « المشرق» . لكن لا حاجة الى ذلك . انما اجتزئ ، في هذه الفرصة ، بلفتِ النظر الى احد آرائها الفائلة ؛ مما دلّ على قلّة بضاعة صاحبها في السريانية ؛ فان معرفته ، كما يظهر ، لا تتجاوز كيفية كشف الكلمة في المعاجم .

***

(1) Mingana, *op. cit*, *p. 9*, *N° 16*.

سلوقية : تمثال الاله – النهر

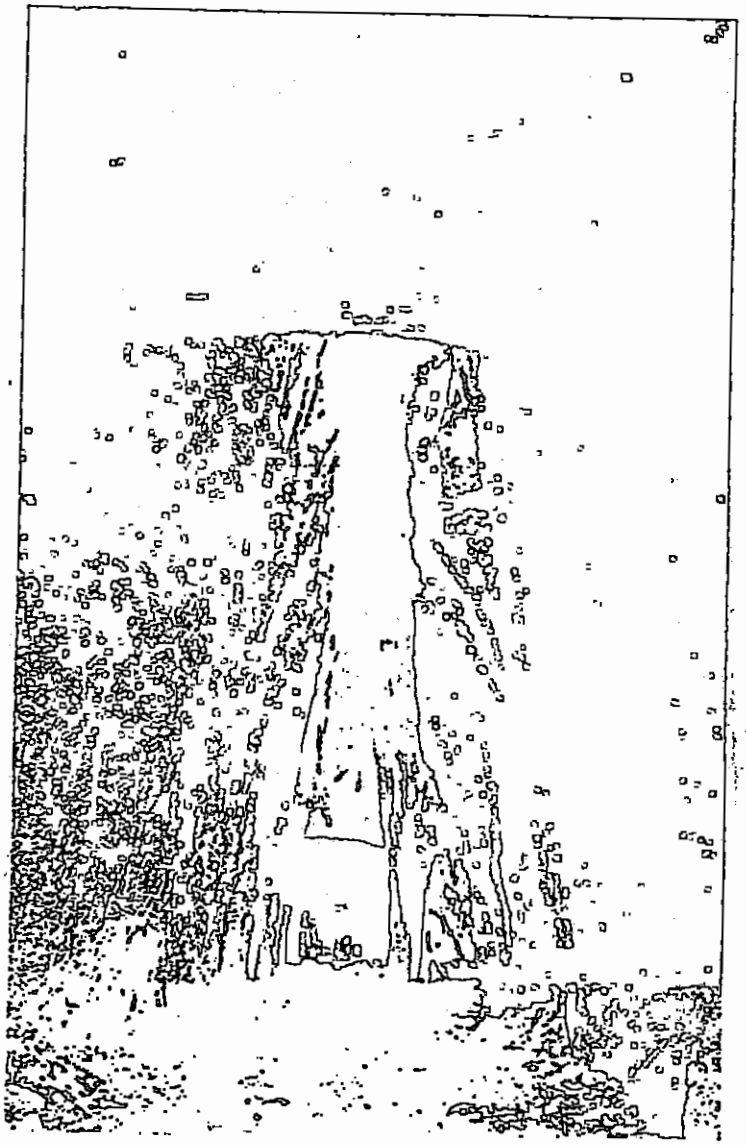

ـلوقية : القناة الجارية في الفق

بَتْرَا ، قَمَايَا ، كَشْيَا

وقعت في الجزء ٢ ، السنة ٩ ، الصفحة ١٣٣ ، من المجلة الغازية ، على هذا الكلام الذي وجّهه الى صاحبها حضرة صاحب المعالي السيد غنيمة ، وزير مالية العراق الاسبق ، ونائب نصارى بغداد في المجلس النيابي . قال : « وورد في الصفحة عينها في الابيات « قمايا » . وقد شرحتموه في الحاشية ٨ . واعتقد ان هذا الحرف الارمي يدلّ على معنى المقدّم ، كمقدّم السفينة . لاني سمعت القرويين من الارمنيين يقولون « بترًا وقمايا » بمعنى الوراء والامام . وليس لي متسع في الوقت لتحقيق المعنى . فربما توفقون له . » انتهى كلام وطنينا السري ، الكاتب الاديب ، والسياسي الاريب . فكان جواب صاحب المجلة ما يأتي : « نعم « بترًا » بالارمية معناها الخلف والوراء . وربما كان هذا المعنى معروفاً ايضاً عند السلف . لاننا نقول : بتر الذنب (كعلم) انقطع . فلا جرم ان البتر كان يفيد الذنب ، اي الذيل والخلف والوراء . ومنه ايضاً الابتر : المقطوع الذنب ، والذي لا عقب له . وضدّ « بترًا » الارمية « قودًاما » . واما « قمايا » فتعني هذا المعنى في النبطية العامية . اما في الفصحى ، فلا اثر لها . اذن لا نظن ان « القمايا » في البيت المذكور يعني مقدّم السفينة . ولو فرضنا ان الجاحظ تلقى اللفظ عن عوام النبط ، يبقى ان لا معنى للمقدم يوجّه توجيهاً مقبولاً سياق البيت . اذ المطلوب هناك معنى يدل على عاقل ، لا على غير عاقل . »

بعد ايراد هذه الاقوال ، ابدي رأيي في القضية ، وان شقّ على حضرة الامام ان القي عليه درساً في نحو اللغة السريانية ، « لغة سلفه الصالح » ، لكن قصد احاطة القارئ علماً بالامر من جميع اطرافه ، افيده ان كلام السيد السري غنيمه بك يدور على بيت وجده في جملة اشعار واردة في رسالة للجاحظ ، عنوانها « ذمّ القوّاد » نشرها حضرة اللوذعي المدقق الدكتور داود بك الجلبي الموصلي ، في الجزء ١ ، السنة ٩ ، من مجلة لغة العرب . ودونك البيت المذكور :

« إنّ « القَمايَا » شاهدٌ لي بالهوى وكذا الكشيا « عنده » برهان »

فشرح حضرة الامام العلامة « القَمَايَا » في الحاشية . بما يلي : « لعلها « القنايا » وهو بالارمية الكسب ، والقازب اي التاجر الحريص مرة في البحر ومرة في البر . » وفسّر « الكشيا » بقوله : « لعلها « الكُسيّا » بتشديد الياء ، اي « المخفي » باللغة الارمية . وقد استعملت هذه الالفاظ الارمية ، لان اغلب البحّارين يومئذٍ كانوا من الناطقين بهذه اللغة . »

اما رأيي فهو الآتي :

كلمة « بَترَا » أرمية سريانية تأتي بمعنى الخلف ؛ لكنها ليست بمشتقة من فعل (ܒܬܪ ، btar) بمعنى قطع ، مقابلةً للفعل العربي : بَتر ، قطَع ؛ او بَتِر ، انقطع . واول سبب هو ان ليس في السريانية ، ولا في غيرها من اللغات او اللهجات الآرامية ، فعل (btar) بمعنى قطع او انقطع ، كما هو الشأن في العربية والعبرية . اما (ܒܬܪܐ bâtrâ) هذه ، فاصلها (ܒܬܪ batar) بمعنى الظرف « وراء » . الا انها ليست صيغة اصلية ، بل هي مركبة من لفظة (ܐܬܪܐ او ܐܬܪ atrâ, atar) ومن حرف الجرّ (ܒ b,) . وتنظر اليها الكلمة العربية « بأثر » المؤلفة هي ايضاً من الاسم « أثر » وحرف الجرّ « با » . وكيفية وصول الكلمة السريانية الى هذه الحالة هي انه — كما لا يخفى على من له اطلاع على اسرار اللغات السامية — ان في السريانية اربعة احرف مجموعة في كلمة (ܒܕܘܠ bdôl,) يدخل كل منها على اللفظة ؛ فان كان اول هذه متحركاً ، بقي الحرف المذكور ساكناً ؛ وان كان اولها ساكناً ، تحرك الحرف بفتح . اما اذا كان اول الكلمة همزة متحركة ، لا سيما بفتحة ، فلسهولة اللفظ وعذوبته ، تنقل حركة الهمزة الى هذا الحرف ؛ وتستحيل الهمزة الفاً ساكنة [1] . وهذا ما جرى في لفظة (batar) فان اصلها (ܐܬܪܐ atrâ) ؛ حرفت فصارت (ܐܬܪ atar) ؛ دخلت عليها الباء ، فاصبحت (ܒܐܬܪ b'atar,) ؛ انتقلت حركة همزتها الى الباء ، فلفظت (ܒܬܪ batar) ؛ ولكثرة الاستعمال ، جاز حذف الفها بالكتابة ، فقام مقامها الزقاف او الفتحة المشبعة ؛ فقيل (ܒܬܪ

1) Mingana, *op. cit*, *pp.* 24,25.

bâtar,) ؛ ومن هذا الظرف صيغ اسم وهو (ܒܬܪܐ bâtrâ) اي الخلف والوراء .»[1]

الناجم من هذا ان ليس في كلمة (bâtar او bâtrâ) ادنى معنى للقطع او البتر . واذا ثبت هذا ، فكيف يمكن مقابلة « بَتْرًا » السريانية بـ « بَتَرَ الذَّنَب » ؟ وكيف يسوغ القول بان « البَتر يفيد الذنب » ؟ او ليس بالاحرى ان هذا التأويل ، تأويل الامام الاعظم ، هو الاولى بان يوصف « بالابتر » اي « مقطوع الذنب » ؟

اما « قايا » السريانية الدارجة ، فهي تخفيف (قَدْمَايا ، ܩܕܡܝܐ)[2] السريانية الفصيحة ، وما هو ضد « بترا » ليس « قُودَاما » كما توهم حضرة الاستاذ[3] . وكلتا الكلمتين السريانيتين ، الفصيحة والدارجة ، تدل لا على « غير عاقل » اي مقدّم السفينة ، او القسم المقابل مؤخرها ؛ بل على « عاقل » اي الرجل المقدّم ، او الرئيس ، او الربّان . ولذا فلا حاجة بعد الى ان يُفترض ، افتراض الاستاذ الكبير ، ان « قايا » ربما تكون « قنايا » او الكسب او ما اشبه ذلك . »

اما « الكشيّا » او « الكسيّا » فهي ارمية سريانية ايضاً ؛ بيد انها ليست (ܟܣܝܝܐ Ksayyâ) بل (ܟܣܝܐ Kasyâ)[4] لان الصيغة الاولى جمع ، والثانية صيغة افراد . وكلتاهما للعاقل ، مثل « قَايَا » على ان سياق الكلام يتطلّب صيغة الافراد ، لا الجمع ؛ لان كلمة « عنده » العائدة الى « الكسيّا » تدلّ على المفرد المذكر ، لسبب ضمير الغائب المتصل بـ « عندَ » ، وهو « الهاء » .

---

١) القس منّا : دليل الراغبين الخ ، ص ٨٤ و٨٥

٢) عين المعجم ، ص ٨٥٨

٣) (ܩܘܕܡܐ qûdâmâ) مصدر (ܩܕܡ qaddêm) ومعناه تقدم وتقدّم (دليل الراغبين الخ ، ص ٦٥٧) ، اما ما يأتي خلاف « بَتْرا » فهو « qudmâ » ، وقد وجد حضرة الامام في معجم القس منّا ، ص ٥٨ ، ما يلي : ܒܬܪܐ (bâtrâ) الوراء ، خلاف ܩܘܕܡܐ (qudmâ) ، فضلّ متوهماً اياها « qûdâmâ » لعدم مكنته حتى القراءة . اما (ܩܘܕܡܐ qudmâ) فاكشف عليها في عين المعجم ص ٦٥٨ ، تجد هذا « ܩܘܕܡܐ » : « قدّام ، (ضد وراء) ، أمام » فتأمل .

٤) Mingana, *op. cit. p. 125, N° 381, 1°.*

وعليه يسوغ الاستنتاج بان « قَمَايَا وكَنْيَا » مطلقتان ، في البيت الوارد اعلاه ، على رجلين موظفين في السفينة ، اولهما : « القمايا » اي الربّان ؛ وثانيهما : « الكَنْيَا » ؛ وهو مجريّ يظهر ، من اسمه ، ان وظيفته تفرض انه كان يشتغل في داخل السفينة « مخفيًا » غير ظاهر للعيان ، وقت قيامه بمهمته ؛ على مثال « الوقّاد » في « البواخر » في عصرنا هذا ؛ خلافاً للربّان « القَمَايا » الذي يقف او يجلس في موضع بارز من السفينة . وهكذا يوجه — حسب مشترط الامام الاكبر — توجيهاً مقبولًا سياق البيت . اذ المطلوب هناك معنى يدل « على عاقل ، لا على غير عاقل » ويكون مراد قائل البيت : « ان جميع موظفي السفينة يشهدون له ، من اولهم الى آخرهم ، من الربّان الى الوقّاد ، من « القَمَايا حتى الكَنْيَا . »

هذا رأيي : واملي انه يلفت نظر صاحب المعالي العالي ، نظر السيد غنيمة الذي يوسف غاية الاسف على ان السياسيّات قد حالت دون مزاولته العلميات ؛ ثم نظر السيد الجلبي ، الدكتور المحقق المعتق الذي حذق في استخدام آلات العلم ، حذقه في استعمال آلات الطب ؛ واخيرًا حتى نظر الاستاذ العلامة صاحب المجلة الغازية . ومما يشفع فيه انه ليس بآتٍ من اجنبيّ عن حضراتهم الكريمة ؛ بل موجّه من آرامي ، سرياني ، عراقي ، وان سكن اليوم بيت المقدس ، الى الاستاذ الامام الاجل الاب الآرامي ، السرياني ، الماروني ، اللبناني ، البحرصافي ؛ والى حضرة صاحب المعالي العالي ، السيد الآرامي ، السرياني الشرقي ، او الكلداني العراقي ؛ والى حضرة الدكتور النطاسي الموصلي ، الذي لا اتخيّل اصله غريباً عن العراق ؛ فهو اذن — اذا عمقنا في ارومته — وجدناه آراميًا ، سريانيًا ، أشوريًا . هذا بمعزل عن ان اللغة الارمية السريانية هي لغة آبائنا واجدادنا الكرام ، اولي السؤدد والمجد الاثيل ؛ وهم « سَلَفُنا الصالح » . فمن النجابة وكرم العنصر ان لا ننكر لغتنا واصلنا العريق في القدم ؛ اذ « من انكر اصله ، فلا اصل له . »

المعهد الكتابي - الاثري الفرنسي في القدس الشريف ، ١٦ — ٦ — ٣١

الاب مرمرجي الدومنيكي

انطاكية والبابا

بقلم الاب لامنس اليسوعي

اذا عُدّت المدن ذات التاريخ المجيد والشهرة العالمية، كانت انطاكية بين الستة الاولى منها ، فاحتلّت مركزاً عالياً الى جنب اورشليم، وروما ، واثينة ، والقسطنطينية... وان تاريخها يلخص عدة قرون من تاريخ سورية العامّ ، بل من تاريخ الشرق الادنى ، اذ كانت عاصمته مدة نحو الف سنة.

مدينة عجيبة بين المدن العريقة في القدم بما ازدانت به من موقع جميل على ضفاف العاصي ، ومن مساحة تبلغ ١٠٨٠ غلوة (كانت الغلوة تعادل ١٧٨ متراً) مربعة ، ومن سكان يتراوح عددهم بين الثلاثمائة والاربعمائة الف ، ومن آثار فخمة ومن شوارع فسيحة تحيطها الاروقة وتزينها التماثيل العديدة.

ولم تحرم انطاكية التذكارات الدينية الشائقة . ففيها دعي اتباع المسيح « بالمسيحيين » لاول مرة ، وفيها اقام القديس بطرس كرسيه الاول ، وقد قرن تاريخها اسمي القديسين الرسولين بولس وبرنابا. ثم اصبحت مدينة القديسين والشهداء والبطاركة العظام ، امثال يوحنا الذهبي الفم ، ومقام آباء الكنيسة المشاهير ، ومركز المجامع والمناظرات اللاهوتية . وفي بلاد انطاكية تنسك القديس مارون ، ومن انطاكية سار المرسلون الاولون الذين نصّروا اهالي لبنان.

وكانت انطاكية ايضاً مركزاً مهماً للحركة الفنية في القديم ، حتى ان مذهبها الفنيّ أثر كل التأثير في الفنّ البيزنطي ، وبواسطته ، في الفنّ الاوربي في القرون الوسطى. فاي مدينة في العالم جمعت ما جمعته انطاكية من دواعي

الفخر واسباب العزّ والمجد ؟

* * *

على ان هذه المدينة العجيبة ، الغنية بتذكاراتها ، الفخمة بآثارها ، دخلت في حيّز النسيان منذ نحو سبعمائة سنة ، منذ جلا عنها الصليبيون ، وكانوا قد عملوا نوعاً ما على اعادة شيء من رونقها التالد . اما في عصرنا فلا تكاد ادلة السياح ، كدليل بديكر ودليل جوان ، تخصّ بها بعض الصفحات.

ولهذا اراد الليوتنان - كولونيل پول جاكو ان يثأر لانطاكية من اجحاف العصر بحقها ، ويلفت اليها نظر السياح والروّاد. وكان قد نشر ، منذ سنتين ، كتاباً في « دولة العلويين» نال رواجاً سريعاً ، فاستحق مدالية ذهبية من الجمعية الجغرافية في فرنسة ، وأُعيد طبعه ثانية وقد وصفناه بما يستأهله ، حال ظهوره لاول مرة[1] . فاستأنس المؤلف بهذا النجاح ، وتابع خطّته الحميدة ، فنشر مؤخراً كتاباً جديداً في انطاكية ومركزها في السياحة[2] ، ظهر في ثلاثة مجلدات متوسطة الحجم ، يزينها اكثر من ١٠٠ صورة مطبوعة على حدة ، وعدد كبير من الرسوم ، وخطط المدن والآثار ، والخرائط المفصلة مع خريطة كبيرة تاريخية أثرية مثلثة الالوان تشمل سورية الشمالية كلها (مناطق حلب واسكندرونة واللاذقية) . فيزيد كل هذا قيمة الكتاب زيادة مهمة ، ويدلّ على ما امتازت به المطبعة الكاثوليكية ، في بيروت ، من الدقة الفنية والاتقان المستوفي جميع شروط الكمال.

غاية الكاتب ان يضع أولاً دليلاً لمريدي السياحة ، وهو ما يشير اليه عنوان الكتاب . ولذا دقق في وصف الطرق ، وفي تعيين المسافات بالمقياس المتري ، وفي الاشارة الى كل ما يراه المسافر في طريقه. حتى ان المطالع يشعر بان المؤلف جال بنفسه في تلك الانحاء ، وتفقد مختلف جهاتها قبل ان وصفها وصف

---

١) المشرق (٢٧[١٩٢٩]٦٦٢)

٢) Lieutenant-Colonel Paul Jacquot, *Antioche centre de tourisme. 3 vol. in-12, 640 pp — Imprimerie Catholique, Beyrouth - Mai 1931.*

وعنه اخذنا صور هذا المقال .

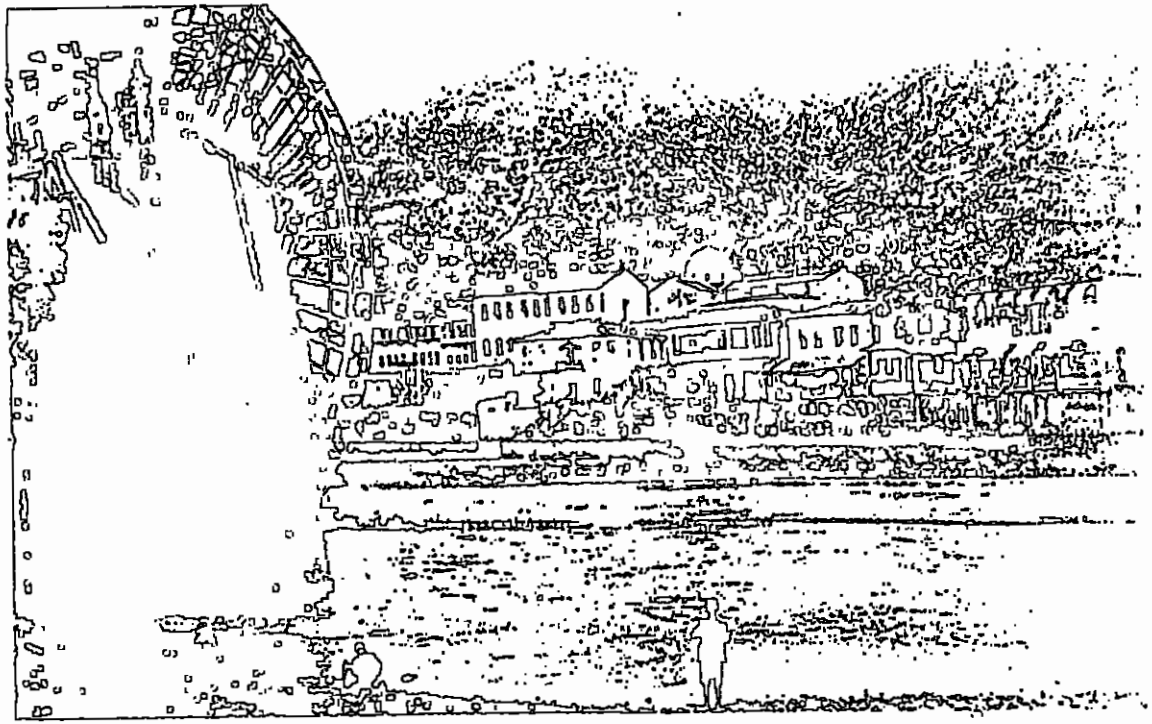

انطاكية : دولاب ناعورة على العاصي

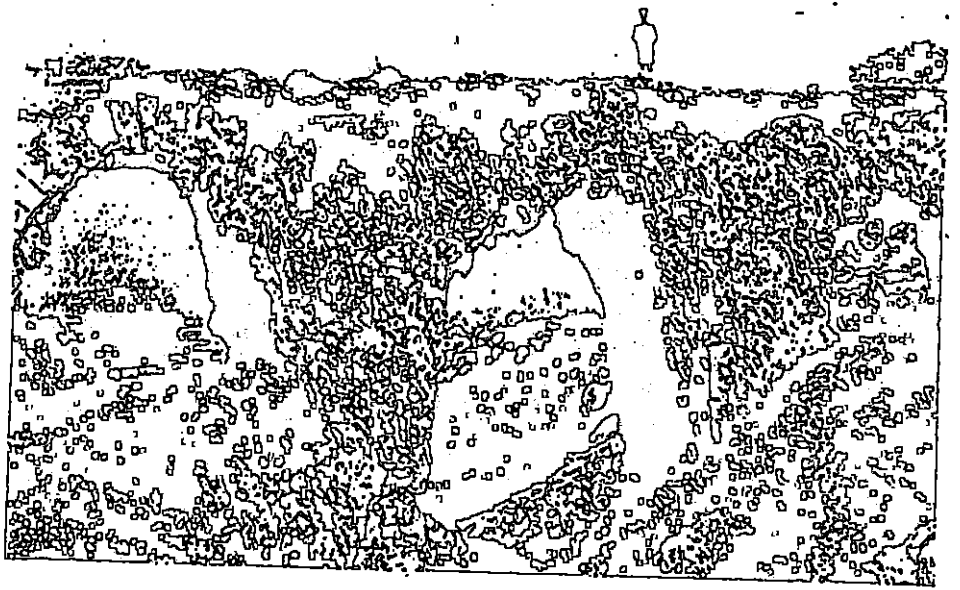

انطاكية : تناظر تراجان

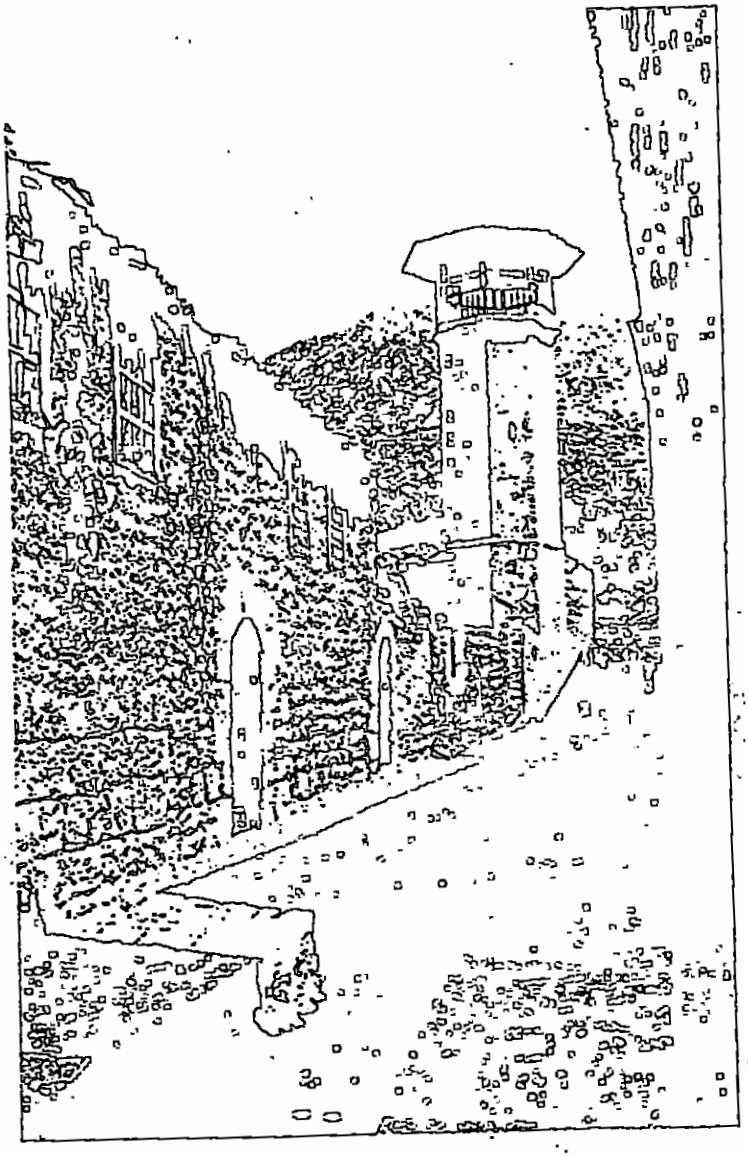

انطاكية : شارع النقيب

انطاكية : ابواب الحديد

رسّام ومخطط خبير. ولم يتراجع امام ذكر كل ما ينفع السائح الغريب ، فالقى اليه بعدة نصائح يقوم بها في معاملاته مع السكان فيجتنب الخلاف وسوء التفاهم.

على ان الكاتب لم يكتفِ بوضع دليل للسياح خاصة ، بل فكر بجميع من يقرأون كتابه ، غير السياح ، من هواة التاريخ والجغرافية والاثريات وعلم السُلالات البشرية. ولا يخفى ان في تلك الناحية ، ناحية انطاكية ، على حدود سورية وبلاد الاناضول ، مزيجاً عجيباً غريباً من السلالات والشعوب ، فهناك السوريون والعرب والاتراك والارمن والتركمان والاكراد والعلويون وغيرهم ... يقابل هذا المزيج مزيج آخر من الشيع والبدع لا يقل غرابة عن الاول، نكتفي منها بذكر النصيريين ، واليزيديين ، واتباع الشيعة علي - الهي وما شاكل . ومن جبال انطاكية الشمالية ، خرج الجراجمة او المرَدة الذين رافق اسمهم منشأ الشعب الماروني. اما اصل هؤلاء المرَدة فلا يزال سرًّا من اسرار علم السلالات البشرية ، رغم ما أُهرق من الحبر وسُوّد من الورق حول الموضوع. وحتى الآن لا نعلم هل كانوا يمتّون بصلة الى الاكراد ، سكان تلك الجهات في يومنا الحاضر ؟ بل اننا لا نعلم هل كانوا مسيحيين ؟ ومن ايّ شيعة كانوا ؟ كلها اسئلة لا يمكن الجواب عنها بسهولة.

ولما كانت تلك الجهة تؤلف الحد الفاصل بين سورية وجاراتها من المناطق ، فقد اصبحت نقطة خلاف دائم بين الشعوب المتتابعة منذ البابليين ، فجرت فيها المعارك الحاسمة التي كثيرًا ما كانت تقوّض عروشاً وترفع غيرها ، وتلاشي دولًا وتُنشئ اخرى . ولا تزال نرى في ايامنا الآثار المهمة للقلاع والحصون التي انشأها الصليبيون والمماليك [1] كحصون بغراس ، وقُصير ، ودارباك ، التي تمكن المقابلة بينها وبين حصون بلاد العلويين. هذا وان صفة المؤلف العسكرية دفعته الى التوقف عند هذه الآثار ، فوصفها في صفحات تظهر من اوفر اقسام الكتاب جمالًا وحياةً ، زينها بعدة رسوم واضحة . نذكر من ذلك الفصل الذي يبحث فيه المؤلف في كيف نظّم الصليبيون طرق الدفاع عن امارتهم في

١) ورد خطأً في الصفحة ٢١٠ ان ابن حوقل كان يعيش في عهد المماليك . والصواب انه تقدّمهم بما لا يقلّ عن مائتي سنة.

انطاكية (ص٢٨٨وما تبعها) . اما قبل الصليبيين ، فكان الرومان والبيزنطيون قد اقاموا المنشآت العظيمة للدفاع عن انطاكية . فكانت الاسوار تتسلق الجبل المطلّ على المدينة من جهة الجنوب ، وترتفع الى علوّ ١٨ مترًا بسماكة ٣ امتار ، وكان فيها ٢٤,٠٠٠ شرفة . اما دائرة الاسوار فكانت تبلغ ١٥ كيلومترًا . ولم يبقَ منها اليوم الّا بعض الخرائب المبعثرة . ولا عجب فان الاهلين استعملوها استعمالهم المقالع ، فاستلّوا حجارتها ليبنوا منازلهم . على ان اثر السور لا يزال ظاهرًا ، ويمكن السائح ان يتبعه على طوله ، دون انقطاع ، دائرًا حول المدينة ، كما فعلنا سنة ١٩٠٣ . وفي مكان منه ينحدر الحائط انحدارًا هائلًا على طول الجبل . فيدهش الناظر ويقف سائلًا : بايّ اعجوبة من اعاجيب فنّ التوازن ، تمكّن المهندسون من اقامة هذا البناء الضخم ، ومن حفظه مدّة قرون عديدة ، على ذاك الشفير الهاوي في منطقة كثيرًا ما تهزّها الزلازل ؟ . . .

***

من ذكر انطاكية ذكر دفنة التي يسمّيها العرب تارةً باسم غريب هو « بيت المال » ، وطورًا باسم أغرب هو « بيت الماء » . تبعد انطاكية عن دفنة نحو الساعتين ، ولهذا كان اليونان والرومان يسمّونها : « انطاكية قرب دفنة » ليميزوها عن غيرها من المدن التي كانت تُسمّى « انطاكية » وهي عديدة نعرف منها لا اقل من اثنتي عشرة . وكانت دفنة اهمّ معبد لوثني انطاكية ، تقوم فيه الهياكل البديعة على اسم جوبيتر وغيره من الهتهم . وكانوا يقصدونه جماهير قصدهم اماكن اللهو والمسرّات ، فيجتمعون هناك في مسارح الطبيعة الفتّانة ، وسط غابات الدفلى ، الى جانب الشلالات المتراحة القاذفة بالمياه المزبدة ، متهافتين على ما لا يليق ذكره من اساليب الملاهي المخجلة التي لم تكن الديانة الوثنية لتحرّمها . ولم يبقَ اليوم من كل هذا الا المشهد الطبيعي : غابات الدفلى ، والشلالات المزبدة التي تنحدر مياهها في الوادي فتصبّ في العاصي . اما الهياكل ، والميدان ، والقناطر ، والتماثيل التي كانت تزين الغابات ، فاضمحلّت كلها . وكذلك اضمحلّت تلك الكاهنة المتنبئة التي كانت تقود الى دفنة الالوف من الحجّاج السذّج البسطاء .

وقد استفادت المدينة من تلك المياه ، فاقتادت اهمّ الشلّالات من معينه ، واستعملته لتوزيع ماء الشرب على السكّان ، وتوليد القوّة المحركة والنور الكهربائي .

في انطاكية جامع مشهور يزعمون ان فيه قبر حبيب النجّار [1] . اما حبيب هذا فيزعم مؤلفو المسلمين انه كان تلميذاً لحواريّي عيسى ، سمع مواعظهم فدان بدينهم ، وقد يكون هو ذاك الرجل المجهول الذي يذكره القرآن (٣٦: ١٢) فيقول : « وجاء من اقصى المدينة رجلٌ يسعى » . ويرى المطالع قصته في كتب تفسير القرآن ، كتفسير الطبري وتفسير البيضاوي . وقد سمّي باسمه الجبل المطلّ على انطاكية فدعي جبل حبيب النجار ، وهو ما كان يدعوه الاقدمون « سيلبيوس » .

***

على ٢٥ كيلومتراً من انطاكية ، تقع سلوقية ، ميناء انطاكية منذ القدم ، وقد قامت اليوم في مكانها تقريباً السويدية ، وهي قرية كبيرة سكانها من العلويين ، مع عدد مهمّ من الروم الارثوذكس . وهي تستحقّ الزيارة لما خُصّت به من موقع جميل قرب مصبّ العاصي ، ومن مياه غزيرة تجمل الخصب في تربتها ، والخضرة في جميع جهاتها ، حتى ان الناظر الى بيوتها ليراها غارقة وسط الشجر والنبات .

أسست سلوقية في العصر الذي أسست فيه انطاكية . ولكن لم يبقَ منها الا ما يراه المسافر من آثار الميناء الماثلة ببعض البلاط في الارصفة حيث كانت ترابط السفن ، وحيث ركب البحر رسل السيد المسيح . وفي وسط حقل من التوت ، يرى السائح تمثالاً من الرخام الابيض اكبر من القياس الطبيعي . الا انه مشوّه بتحطيم اعضائه لسوء الحظّ ، وقد زاد تشويهه اليوم على ما كان عليه اذ زرناه سنة ١٩٠٣ . وهو يمثّل ، بلحيته ، وقدره ، اله النهر العاصي . وهكذا كان الاقدمون يمثّلون آلهة الانهر .

---

١) ليس معنى اسمه بالفرنسوية : «l'ami du charpentier» ، كما ترجمه المؤلف (ص ٢٩٢) ، بل « Habib le charpentier »

ومع كون ذاك التمثال ليس من آيات الفن، فهو لا يخلو من دقة صنع تُظهر عليه الطمأنينة مقترنة بالقوة والعزم.

على ان اهمّ اثر في سلوقية ، في نظري ، هو ما يدعونه «بالدهليز» . و«الدهليز» قناة محفورة في الصخر ذات تاريخ عجيب لا بأس بذكره : يُطلّ على سلوقية من الشمال ومن الشرق جبل موسى . فكان انه بعد امطار الشتاء المتواصلة ، يتألف ساقية جارفة تنحدر من جهات ذاك الجبل ، وتهبط على المدينة مجتاحةً ما تصادفه ، حاملةً ما تمرّ به الى الميناء ، ملقيةً كل ذلك في البحر . فكانت خطرًا دائمًا لا على المدينة فحسب بل على المرفأ ايضًا،لانها كانت تعمل على طمره بما تلقي في البحر من الركام . فرأى الرومان ان يحوّلوا وجهة ذاك السيل بان يحفروا له في الصخور مجرًى جديدًا . وكان ذاك العمل الذي قد يُعدّ بحق اعظم أثر جبّاري تجرّأ على القيام به مهندسو الاقدمين. فبدأوا الشغل في اول الوادي بان شيّدوا سدًّا مهمًا كان من شأنه ان يكسر من حدّة ذاك السيل . ثم شاؤوا تصريف تلك المياه ، فنقبوا في الصخور العالية المرتفعة من ٦٠ الى ١٢٠ مترًا نفقًا بلغ طوله ١٣٨٠ مترًا ، وعرضه ٦ امتار. ويرى المنقّب حتى اليوم في عدة اماكن من جهات النفق ، محفورةً في الصخر ، اسماء الفرق الرومانية التي اشتغلت في ذاك العمل الجبّاري ، مع ذكر اسماء قوّادها.

فكان من نتيجة هذا النفق العجيب ان بعُد كل خطر عن المرفأ وعن المدينة . فروّض ذاك السيل الجارف ، وحوّلته حكمة الرومانيين الجريئة الى مجرى نافع يوزّع مياه الشرب على اهل سلوقية . وفي الشتاء كانت المياه ، على كثرتها وازدحامها ، في النفق ، تصبّ في البحر فتسهّل الصلة بين المرفأ الرسمي والرصيف المتقدّم . ولا يزال الاعجاب بهذا الاثر الهندسي عظيمًا حتى في عصرنا ، على رغم تقدّم العلوم الحِكَمية من نظرية وعملية . ومن عوامل هذا الاعجاب دقة الحفر في صخر كلسي صلب على طول ما يقرب من كيلومتر ونصف ، وانتظام جهات النفق العمودية الملساء دونما نواتئ ولا احافير ، كانها صُقلت بفارة النجار . فاذا زار السائح هذا النفق ، وتحقق ما قام به مهندسو القدماء في سبيل الخير العام ، شعر بمدنية راقية مهتمة بالترتيب والدقة حتى في

اصعب مشاريعها ؛ وراح ، عن غير قصد منه ، يقابل بين هذا العمل الفني التام الهادئ ، وما يقوم به مهندسونا الحاليون ، في انفاق السكك الحديدية مثلاً ، من اعمال الهدم والتدمير بواسطة ما لديهم من المدمرات والمتفجرات .

***

طال كلامنا على ذاك « الدهليز » ، لانه يمثل بكل وضوح مدنية الرومانيين القديمة ؛ بل قد يمثلها باوفر وضوح مما تمثلها به هياكل بعلبك ، واعمدة تدمر . ولا ننسَ ان الرومانيين كانوا اول من اختطّ الطرقات العمومية في سورية ، وان كثيراً من الجسور التي بنوها لا تزال قائمة ، بينا لا يمكننا تعداد الجسور التي بناها مهندسونا في النصف الاخير من القرن الماضي والتي تفككت قناطرها وسقطت بعد حياة قصيرة ...

يُطل على السويدية ، من جهة الجنوب ، الجبل الاقرع الذي دعاه الاقدمون باسم « كاسيوس » ، وهو ذو قمة دقيقة ترتفع الى علوّ ١٨٠٠ متر وليس من الضروري ان نسير بالمطالع الى ذاك المرتفع ، بل نفضّل ان نحيله الى كتاب الليوتنان الكولونيل جاكو ، ومن الصعب ان يجد دليلاً اوفر معلومات ، واحسن عشرة .

يسأل المؤلف نفسه في آخر كتابه (ص ٦٠٥) : « هل يمكننا ان نسرّ ، في وقتٍ معاً الشعراء ، والمؤرخين ، والجغرافيين ، والاقتصاديين ، والحربيين ؟ » اما نحن فنجهل هل نجح في هذه الغاية المتعددة الدقيقة . ولكننا نرى انه جرّب النجاح ، فنهنئه على هذه الجرأة . ويمكننا التأكيد ان المؤلف يسرّ من شاء الفائدة واللذة من المطالعين ، ومن شاء ان يسير وراء دليل امين على شرط ان يحيي امامه الماضي المجيد . من هذه الجهة ، نرى المؤلف نجح كل النجاح ، فاعاد الى الحياة انطاكية العصور القديمة والوسطى ، واثار في صدر المطالع رغبة شديدة تدفعه الى قضاء مدة الحرّ بين غابات الامانوس والجبل الاقرع .

احدث الآفات

للنفوس والاجسام

للحكيم امين الجميّل

هي امس كانت اشجار الليمون ، بخضرتها الدائمة ونضارة ازهارها مع عطر اريجها ورونق ثمارها ، احلى حلية لجناتنا واجمل زينة لارضنا. ومن نحو عشر سنين اخذت تلك الزينة بالتلف وتحوّلت تلك الاغراس الباسقة الى عيدان يابسة ، والثمار الذهبيّة الى كُرَيّات مصرصرة قذرة أولى بالمزابل مما هي بالموائد.

لان حشرةً[1] دقيقةً ذميمةً حلّت فيها وفتكت بها فتكاً.

وليسمح القارئ ان نسأله رأيه بأناس قُدّر انهم عرفوا منذ البدء هذه الحشرة وادركوا اضرارها وسبل اتقائها ، ولم يُنذروا بالخطر ولم يفعلوا شيئاً لتلافي الضرر ؟..

ان هذه المقدّمة ما هي الا صورة لما نحن عليه من أخطار ادبيّة وأخلاقية ، وأضرار مادّية ، واوبئة حقيقيــة ، تُفني النفوس والاجسام على السواء ، ولما يجب من سهر وحيطة.

عاد الينا في القرن الماضي من اوربــة كما جاءنا من اميريكة الكثير من علم اساتذتهما وفضائل المرسَلين ونشاط التجار وصناعة العمال. وليتهما اقتصرتا على هذه الواردات وعلى الآتين بها ، ولم يختلط الشوك بالورد ويتسرّب الذئب الى حظيرة الغنم.

---

1) حشرة تُسمّى بالافرنسيّة : *Cochenille noire de l'oranger*

الخلاعة ، الدعارة

ليس شيء يكاد يجدونا الى الاسف على سرعة اضمحلال الحجابات والشمريات والمبالغة في التصوّن الّا تهتّك اليوم والتبذّل المتفاقم كلّ يوم.

كان زواج الاجداد والآباء في عزّ الشباب ؛ كانت العقليّة ان البنين اكبرُ نِعَم الله وقوّةُ الأُسرة والوطن ، وان اعظم قيمة للارقام ما جاء يدلُّ على عدد الاولاد . فلم تكن البلايا النفسيّة ولا الامراض البدنيّة (الزُّهريّة) الفاصّة بها العيادات والمآوي والمستشفيات ، اذ لم تكن اتتْ من وراء البحار بناتُ الغناء والبغاء والرقص والهوى ، وفُتحت بيوت الفجور وسائر ما هو من الفساد والإفساد . استشارتني بالامس احدى هذه الفتيات فعجبتُ كيف، على غضاضة شبابها وحداثة سنّها ، انهكتها العلّة بل العلَل . فقلتُ لها : وما هذه المعيشة وما هذا التهتّك والمقدار الذي تشربينه من المُسكر ؟ فأجابت : معاشي ! فسألتها وكيف ذلك ؟ فزادت : ان أُجرتي على قدْر ما استهوي من الحضّار واستغوي من الزبائن واسقي من الاقداح .

اذًا بنسبة ما تصبُّ من السموم تُنقَد من الفلوس . . . !

وهل من حاجة الى التذكير ان بالخمر الدعارة ، وبالدعارة علَل الشبيبة : من الشلَل ، الى العمى ، الى الجنون ، الى الآلام المبرّحة ، والف بليّة ، الى إسقاط الاجنّة ، والبلاهة في السلالة وعاهات البنين وسقام الشيخوخة ، وضروب الاذى في جسم او عقل المُبتلى .

المراهنات ، القمار

اجدادُنا كانوا من اجوَد الفرسان ، وخيلهم شهرتُها بين الخيول . رأيناهم لخمسين سنةً خلَتْ يتبارون في الميدان مباراةً كلّها حماسة وعياقة وكياسة ، لا يطمحون الّا الى إعجاب الجماهير المتألّبة مباهين بجمال خيلهم وإتقانهم لضرب الجريد . وكانت السهرات تُقضى بالتحدُّث بالسياسة (وكل لبناني « سياسيّ ») وأُمور الاملاك والزراعة ونوادر او قصص الاقدمين ولطائف الاسبقين ، وتُصرَف

اوقات الفراغ في الرياضة من «قيمات» وحكم وقفز وصيد او مباراة بالرجل، غير مفكرين بربح غير الفوز المعنوي، ولم تكن قط مراهنات درهمية. ندرت بينهم الالعاب الجلوسية التي نزذلها باسم الصحة الرذل كله لما يأتي من الاسباب. اما الميسر، وبالدارج «القمار»، فجاء على يد بعض الصيال البيروتيـة، ففشا كوباء في السيدات والرجال.

والمصيبة ان طرق الشر، مع ميلنا الفطري اليه، تجدها ابداً رحبة غرارة فيؤمها الكثيرون. والحكومة التي من واجبها، فضلاً عن عهودها لجمعية الامم، احترام الاديان، لم تحفل قط بتحريم القرآن ولا بجرم بطرك او مطران، وكأنها قد ذهلت كلها عما بهذا التحظير من حكمة واقتصاد بالمال والزمان ورفاهية وعافية. وربما ظلت «معالي» الوزارة تتابع الجوائز لمراهنات الخيل مع انها، كصيد الحمام، الميسر بعينه! وهي، التي تلكأت عن الإنفاق على مجمعها العلمي الوحيد فأقفلته[1]، وبالخصوص من أعمال الري – وهي قبل كل شيء – والتحريج ومناهضة البعوض والامراض وسائر ضروريات الصحة والعمران، لم تبخل بهذه الجوائز. وهل ننسى ان المجلس النيابي وافق على كل هذه الضرائب. والحكومة تنظر ولا تبصر ان هذا الميسر الجديد (المرمح وصيد الحمام) «رجس من عمل الشيطان»، يذهب براحة الأسر مع أجرة المنزل وخبز البنين وصدق المستخدَمين وأمانة الموظفين. وكثيراً ما نقرأ في الجرائد كيف ادّى الى اليأس والانتحار.

أليس كل ذلك الضلال بعينه، اذ أية فائدة لجواد يسرع عن ندّه ببعض خطوات او يطيلها بزيادة بعض سنتيمترات ونحن في عصر السيارات والطيارات؟ بحياتكم اي ربح للأمة من البراعة في قتل حمامة؟ ان الربح في كل المراهنات – وأخطره ما يقع في الابتداء – انما هو الخسارة بعينها وهو البطالة بذاتها: والبطالة أم الرذيلة.

---

١) تأمل ان المواخير الشاغلة قلب العاصمة والفاتحة ابوابها على السكة مباشرة لم يقفل منها واحد. بلدية بيروت تصب المال في لجة البحر بدون لزوم، كما بدون حساب، لما سمته «الكورنيش» ولم تكترث لنقل المواخير لجة البلايا ولم تنفق لذلك بارة.

الاسراف ، البذخ

وُلد الانسان ، وبالخصوص الشرقي ، طماحاً الى الظهور ، مُوجِدًا لنفسه احتياجات هي التوافه بالذات ان لم تكن المؤذيات ، منهـا التبغ مثلًا ، حتى ركوب السيّارات للكثير من الناس في اكثر الاوقات . او ما هو ذلك بعينه ركوب «الخواجا جوزف» الذي اذا همَّ «لقتل وقته» وقصد الى نهر الكلب للنزهة، ركب سيّارةً فخمةً وسار بسرعة هائلة تجعلك تظنه طبيباً يجدُّ لإسعاف جريح ينشبُ دمه ، آنفاً من ركوب عربةٍ تجرُّها خيلُ بلاده الجميلة المتنذية من شعير ارضه ، عربةٍ شغلتها يدُ ابناء قومه وتمكنه من ان يتمتَّع مليًا بمشاهد بلاده الفتّانة ومناظرها الفريدة.

ولم نكن لنطرق هذا الباب لولا ما ينجم عن التبذير من هموم وارتباكات تُميتُ الوجدان والامل والرفاهية فالعافية: بَعُدتْ سنّ الزواج او احجموا عنه ؛ نظروا الى الطفل في البيت كما الى غولٍ او حيَّة ، فلجأوا لتلافيه الى طرائق ملتوس وأرتان التي انزلت عليه غضب الله . مع ان الولد اشرف ما في نظر السماء ، واثمن ما في الارض.

زار يوماً دير بحرصاف (بكفيا) سيّدان كبيران: المطران بطرس البستاني والمطران يوسف الدبس وتهافت الناس لتحيتهما ؛ ودار الحديث على المهاجرة الى اميركة وكانت في اوائل عهدها . ففسّرها الحبر البستاني بتزايد السكّان فضيق المكان فردّ بعض السامعين بان بلادًا لا تضيق بظرف عشر سنين على قومٍ يقطنونها منذ الخليقة . وهي ان ضاقت فلاتساع ضروب الإنفاق والحِنَ والبذخ والانصراف الى الفضوليّات . وهل ضاقت ارضنا عن قبول المهاجرين من ارمن وغيرهم على الرحب والسعة وفي اصعب الايام واحرج الاحوال ؟

ومنتهى المصيبـة انّا في كل هـذا الاسراف لا ننظر الا الى الذات والملذات ، ولا نفكر بمـا حقّ للرحمة او واجب الخـير العامّ من كرم وإنفاق.

المخدرات ، المسكرات

من افيون ومورفين وحشيش وكوكايين. وشيخها وابدًا فتاها الكحول من وسكي وكونياك وقس عليهما. جميع هذه حيّاتٌ بنات افاعي يجب خنقها في مهدها. فهي متى تأصلت في بلد او في جسم استحال استئصالها: المرّةُ تأتي بالمادة والمادة تصبح ملكةً تملك الحواسّ والعواطف. والخبرة على ذلك اقوى برهان. ومن الواجب في هذا المقام التنويه بفضل جمعية الأمم . وهي ، ما عدا حربها للحروب ، تناهضُ الآنَ الشرور المعنويّة كما الاوباء البدنيّة. فتكافح الاتجار بالأعراض اي ما سنوه الرقيق الابيض، والمخدّرات وما هو من نحو هذه الآفات.

* * *

ان ما تقدّم من شرورٍ واخطار يقضي على الجميع بعمل سريع يقوم به كلٌّ في نطاقه ما اطاق.

قد استشفَّ القارئُ اللبيب بدون ريبٍ في اثناء هذه اللمحة خطّة المقاومة. فبقي ان نخصّها بشيء من العناية والإسهاب الجديرة بهما.

غنيٌّ عن البيان ان اساس كلّ صلاح وإصلاح هو في البيت والمدرسة . في اصيلة تنشأ المبادئُ وترسخ النيّات ، وفي المدرسة يتمُّ صرحُ بناء التربية العظيم. فلا يبقى الا الاحتفاظ والازدياد بما وراء المدارس من عشرات طيّبة وجمعيّات صالحة وأنديةٍ خيرٍ وأدَب وامثالٍ صالحة. والمثل قوة عجيبة بقدر ما هي ذات لطف ورفق. ولا بدَّ لنا من ذكرٍ خاصّ لامرٍ خطيرِ الشأن وهو أندية الرياضة البدنيّة. فما اجمل ان يتبارى شبانُنا بعزمٍ وانتظامٍ وكياسةٍ في ميدان «الفوت بول» (كرة القدم)، وافضل منه «التنس» ، ومن حولهم صفوفٌ كثيفةٌ من اهل واصدقاء ومتفرّجين يصفّقون ويهتفون، غير ناظرين الى ربح محرَّم دنيء، كما في مرمح او مصاد للدراهم اي للحمام! ما افيد ان يتمرّنوا منذ الصغر على الألعاب ويكتتبوا في اجواق «السكوت» ، الكشافة ، الواجب تنشيطها وتعميمها!

ان التوفر على تطهير المحيط والجو الذي فيه نعيش لمن اقدس الواجبات. فانه للآداب غازات خانقة ووسط فاسد سام. ومن العمل ما لا يحتمل ادنى إمهال او إهمال كتطهير قلب العاصمة. وهل يجوز ان يبقى قلب مدينة الكليات والجامعات بيئة مواخير وخمامير، وان يُشاد في كل زاوية «مقمرة»، وان يصبح نهار الاحد، لا يوم الرب والاستراحة، بل يوم المراهنة والمجازفة؟

ما فكرت بهذا الموضوع ولا كتبتُ فيه سطراً حتى تجلت لي حكمة رائعة للصديق الكريم امير الشعر وفيلسوفه شوقي:

وانما الأُمَمُ الاخلاقُ ما بقيتْ فان همُ ذهبتْ اخلاقُهم، ذهبوا

فلم يبقَ قط ريبٌ الآن في نقص المواليد عن الوفيات في فريق كبير من الناس والسير الى الانقراض؛ ولما كان خيرُ البرّ عاجله، وافيدُه اعمّه، وانجعُ المعالجة اعجلها نعتبر هذا الاصلاح عملاً حكومياً اكثر منه فردياً.

ان الاصلاح عن طريق العيلة والمدرسة لعملٌ لازمٌ محتوم شريف خطير، ولكنه يستوجب اجيالاً والوفاً بألوف من العاملين؛ ولكنه اذا تولاه حاكم نشيط غيور وحكومةٌ حكيمةٌ اصبح حاصلاً في الحال.

بدقيقةٍ أُوقِفَ تيّار المسكرات في كل الولايات المتحدة وآفة الحشيش الفاشية في القطر المصري؛ وبغطّة قلم قضى موسوليني على الكثير من المحرّمات والمنكرات. هذا ما ينبغي لحكومتنا ان تحققه حالاً وبدون تردُّد كما طلبتُ بإلحاح، وان على غير جدوى الى الان، في لجنة الاصطياف والاقتصاد، عن القمار والمراهنات وسائر الموبقات، اي قبل ان تتأصل فيستحيل اقتلاعها.

فان يفعل اولياء امرنا فهم اصحاب الفضل العظيم والاجر العميم؛ وان لم يفعلوا فهم — امام التأريخ، امام الله الديّان — الجناة على امّتهم ووطنهم لا سواهم، اجل لا سواهم!

انتصار الكنيسة

في المجمع الافسسي سنة ٤٣١

بقلم الاب يوسف نادر الانطوني

توطئة

توافق السنة الحاضرة ١٩٣١ التذكار المئوي الخامس عشر للمجمع المسكوني الثالث، المنعقد في افسس، مدينة سيدتنا مريم العذراء وتلميذها الحبيب يوحنا الرسول. فهذا الحادث خطير الشأن في التاريخ الكنسي العام، وممتلئ من افادات شتى بعضها لاهوتية وبعضها نسكية، ثمينة جدًا لمن يطالع بصدق النية تاريخ المجمع الافسسي. فلذلك تحتفل الكنيسة الكاثوليكية بمزيد الفرح والفخامة بتذكار ذلك الحادث الهام، عملًا برغبة سيدنا الحبر الاعظم بيوس الحادي عشر المالك سعيدًا (رسالة ٢٥ كانون الاول سنة ١٩٣٠). وقد انبأتنا الجرائد ان الطوائف الشرقية الكاثوليكية لبّت هذا الطلب الشريف، واقامت وستقيم احتفالات تذكارية بهيجة منها اجتنت اثمارًا روحية شهية لا تقدر قيمتها.

فبهذه الفرصة الهمنا الرب ان ندرس عن كثب هذا الموضوع النفيس من وجهته التاريخية واللاهوتية والنسكية، مستندين الى اصدق الاسانيد التاريخية التي تركها لنا المؤرخون المبرّزون المعاصرون للمجمع الافسسي خاصة، فرغبنا تدوينها على صفحات مجلة «المشرق» الغراء تعميمًا للفائدة.

* * *

في اوائل القرن الخامس، دخلت كنيسة القسطنطينية في طور جديد يُرثى له. كان قد جلس على كرسي هذه الكنيسة، بعد نفي القديس يوحنا فم الذهب († ٤٠٧) عمود الكنيسة ومصباح الحق وبوق المخلص، ارساقيوس

(† ٤٠٥) وكان رجلاً ضعيفاً خسيساً ، ثم القديس اتيقوس[1] († ٤٢٥) الذي كان في بادئ الامر احد خصوم الذهبي الفم، وبعدئذ جاهر بفضائل سلفه القديس، واشتهر بمساعدته للفقراء ، وتأليفه كتاباً سبق فيه ورذل البدعة النسطورية. ثم سيسينيوس الذي ما ظهرت قداسته لدى الجميع حتى مات († ٤٢٨) .

١

في سيرة نسطور وظهور بدعته في القسطنطينية

بعد وفاة سيسينيوس ظلّ كرسي القسطنطينية فارغاً نحو ثلاثة اشهر ، في اثنائها كان البعض يطلبون اسقفاً الكاهن فيلبوس ، وغيرهم برقاوس . لكن الملك تودوسيوس الثاني استحسن انتخاب كاهن غريب عن الاكليروس القسطنطيني ، تخلصاً من حيل المرشّحين الى الاسقفية ، كما ذكر سقراط المؤرّخ فوقع نظر الملك وحاشيته على نسطور.

ولد نسطور في جرمانيقية[2] ، وتربى في انطاكية ، حيث تعمد منذ صغره. ولما شبّ مارس السيرة الرهبانية في دير مار اوبربيوس في نواحي انطاكية ، ورسمه اسقفها تودوطس قسّاً ، وعيّنه معلماً للموعوظين ليلقنهم مبادئ الايمان ويناضل عنها ضدّ الهراطقة ، فاظهر نفسه غيوراً ضد جميع اعداء الدين القويم المنتشرين يومئذ في الشرق اي الاريوسيين والابوليناريين والاوريجانيين . وكان يتباهى بالانشغاف بمار يوحنا فم الذهب والاقتداء به. اجل انه كان جميل الصوت طلق اللسان ، لكن فصاحته كانت فارغة ولم يقصد منها سوى استرضاء الشعب ومداهنته . فبلغ مسامع الملك صيت فضيلته وعلمه ، فانتخبه اسقفاً على القسطنطينية . ولما بلغته اوامر الملك توجه الى العاصمة بصحبة امين اسراره الكاهن انستاس ، وزارا بطريقهما تودورس[3] المصيصي الذي اخذ عنه نسطور التعاليم الكفرية التي اذاعها بعدئذٍ ، كما يزعم بعض المؤرخين.

١) Cf. acta S.S. Boll., édit. Palmé, 8 jan. ٢) التي تُسمى اليوم مَرْعش.

٣) توفي سنة ٤٢٨ بحضن الكنيسة الكاثوليكية . شجب هراطقة الابوليناريين ، لكن لسوء الحظ وضع في كتبه ، التي حُرّمت بعد موته ، مبادئ البدعة النسطورية ..

عند وصول نسطور الى عاصمة الدولة الرومانية الشرقيـة ، سيم اسقفاً في العاشر من نيسان ٤٢٨ ، فبلّغ الاساقفة الحاضرون البابا مار شلستينوس ، ومار كيريلس الاسكندري خبر رسامته . فارسل اليه كلاهما رسالة بها يهنئانه على هذه النعمة الشريفة . وفي اوائل اسقفيته ابدى علامات الغيرة الرسولية لتعليم الشعب ومحاربة اعداء الايمان . لكن ، يا لـلاسف ، لم تثبت هذه الافراح كثيراً لانه كما قال مار كيريلس الاسكنـدري[1] : « انتُخب نسطور نعجةً فوجد ذئباً . عُدَّ راعياً صالحاً فاصبح اقسى من الوحوش الضارية . » ولا يختلف عن مار كيريلس معاصره الشهير مار منصور الليريني اذ يقول : « ان نسطور التعيس من نعجة انقلب ذئباً وشرع يمزق قطيع المسيح » .

من مستهلّ اول عظة القاها نسطور ، اطلع على طبعه اثقب السامعين عقلاً ، لانه قال مخاطباً الملك : « مولاي اعطني المسكونة مطهّرة من الهراطقة أعطك السماء جزاء ؛ لاشرِ معي الهراطقة الاشرِ معك الفرس . » راقت هذه الكلمات لبعض الجهال ، مبغضي الهراطقة . لكن العقلاء اكتشفوا من معانيها رجلاً طائشاً طموحاً الى المجد . وبعد مرور خمسة ايام على ارتقائه كرسي الاسقفية ، امر بهدم كنيسة كان يجتمع فيها الاريوسيون سرّاً ، فقطع هؤلاء املهم واضرموا فيها النار حتى انتشرت الى البيوت المجاورة وجعلتها رماداً . ان هذا العمل الفظيع حمل الهراطقة والكاثوليك نفسهم على ان يلقبوه حرّاقاً . ولم يلبث ان اضطهد «الاربع عشريين» اعني بهم المحتفلين بعيد الفصح في الرابع عشر من القمر ، حسب تقليد اليهود . فكل هذه الحوادث والشرور سببت فتناً شنيعة في نواحي ميلاط وسرديس حيث قُتل اشخاص كثيرون . وقد لاحظ هذا المؤرخ سقراط فقال : « ومن المؤكد ان تلك الخطـة التي تبعها نسطور تخالف عادة الكنيسة معلّمة الحق والاستقامة » .

وان اضاليله الكفرية قد انتشرت بين الشعب حتى استحبها السخيفو العقول والقليلو الحكمة . واقتدى بمثله انطونيوس اسقف جرما التابعة لبطريركيـة القسطنطينية ، واخذ يعذب المقدونيين مدعياً انه تبع في ذلـك نوايا بطركه

(١) *Ac. S. S. vita S. Cyril. Alex.*, 28 jan.

واوامره. فعاملهم معاملة بربرية لا تطاق، حتى هاج عليه الشعب اخيراً وقتله. فعندئذ استنهز نسطور هذه الفرصة وبالغ في اضطهادهم. فنال امراً من الملك به نزع عنهم الكنائس الخاصة بهم في القسطنطينية وقوزيقا وبلاد الملبونطس. وبخلاف ذلك اظهر حلماً خاصاً للبلاجيين، واكرمهم تابعاً تعليمهم قلما يكون بشأن الاختيار المطلق، واذن لهم بالاشتراك في الاسرار الالهية. ولما علم الملك حقيقة امرهم امر بطرد يوليانوس وثلاستيوس وتباعهما من العاصمة. فتشكى من ذلك الامر ثلاستيوس الى نسطور الذي ارسل اليه رسالة تعزية لم يخجل ان يشبه فيها القصاصات الصوابية المنزلة بهذا الكافر ورفقائه بعذابات الرسل والشهداء، ويطلب منه عون تضرعاته، لا بل يحثه ان يقيم دعوى على الكاهن فيلبوس، الذي عند تبليغه الشكوى، حضر ليدافع عن نفسه. اما ثلاستيوس فلم يحضر الجلسة التي عينها نسطور لمحاكمة ذلك الكاهن لعلمه ان لا حجة له عليه.

اذاً ما هو يا ترى الداعي الحقيقي لتلك الشكوى؟ ان الكاهن فيلبوس كان من اخصام نسطور الذين وبخوه جهراً على اضاليله، ورفضوا الاشتراك معه بالقدسيات، لان نسطور وضع في المسيح اقنومين: الاول اقنوم الانسان يسوع المسيح، والثاني اقنوم الله الكلمة. ومن هذا المبدأ الفاسد استنتج ان المسيح ليس الهاً، بل هو انسان مرتبط بالله ارتباطاً ادبياً اشدّ خلوصاً منه بغيره. وان مريم العذراء ليست ام الله بل ام انسان بسيط يدعى المسيح به ارتبط الله الكلمة.

ان هذه الاضاليل لثقيلة جداً لابادتها سرّ التجسد، ولاهوت المسيح، والامومة الالهية للبتول المجيدة. ولذلك لم يتجاسر نسطور، في بادئ الامر، ان يوضحها تماماً بل شرع يبثها بكلام مموّه غامض متناقض. فكلف الكاهن انستاس الانطاكي ان يطرح تعليمه على مسامع الشعب، فاستجاب هذا الكاهن طلب نسطور، والقى عظة فيها عرض هذا القول: «لا يدعُ احد مريم امّ الله لانها كانت امرأة، ومن المستحيل ان يولد الله من امرأة». فما فاه بهذا الكلام حتى اضطرب الشعب، واستشاط غضباً محتجاً على هذا التعليم الجديد. وعلامة كافية لسخطهم هو ان كثيرين من اكليريكيين وعلمانيين رفعوا دعوى على

الكاهن انستاس الوقح . واول من قاوم هذا الكافر هو اوسابيوس المتعاطي يومئذٍ مهنة المحامي ، والمسقف من ثمة على دوربليا . وما اشد الغم الذي ألمّ باكليروس القسطنطينية ! وما اعظم الاضطراب الذي عمّ قلوب شعبها الجزيل الورع! اما نسطور فلم يتأثر من ذلك ، او يغير افكاره الكفرية ، بل شرع يدافع كل المدافعة عن انستاس كاهنه . وفي العظة التي القاها في عيد الميلاد سنة ٤٢٨ حسب رأي المؤرخين ، اصرّ على ضلاله قائلاً: « ان من يدعو البتول ام الله يُثبت خرافات الوثنيين الذين كانوا ينسبون امهات لآلهتهم . »

٢

في محاربة البدعة النسطورية في القسطنطينية والاسكندرية وروما

من شرّفهم الرب تعالى بمقاومة نسطور وشجب كفره ؟ من أهلتهم ام الله المجيدة لاحتمال الاضطهادات حبًا بالايمان المستقيم ؟

في القسطنطينية اشتهر رهبانها الافاضل بتمسكهم المتين بتعليم الكنيسة الجامعة . فلما بلغهم خبر تلك الاضاليل لم يسرعوا لتصديقه ، فذهب البعض منهم الى نسطور عينه، يترأسهم الانبا باسيل والقارئ طلاس، واخذوا يستفهمونه بهذا الشأن . اما الكافر فبادر حالاً وقبض عليهم وطرحهم في سجن الدار الاسقفي حيث اذاقهم كاس العذابات والاهانات . وبعد مرور عدة ايام ، اطلق سبيلهم واكد لهم انه يعتقد ان ابن الله الاب الازلي وُلد من العذراء ام الله . وما كان ابعد هذا التأكيد عن الصدق !

وفي تلك الايام اضاء عاصمة الشرق كوكب منير باستقامة ايمانه وحسن سيرته ، ألا وهو القديس برقلوس († ٤٤٧) تلميذ الذهبي الفم ؟ ان هذا القديس كان قد سُقّف على كرسي قوزيقا . لكن اهالي هذه المدينة لم يقباره بينهم لاتباعهم البدعة الاريوسية ، فاضطر ان يمكث في القسطنطينية ويفيد شعبها بمثله ووعظه حتى استحقّ حبه واعتباره . ثم ان نسطور نفسه دعاه ليلقي بحضوره ميمرًا في عيد البشارة . فلبى القديس طلبه : واستنهز هذه الفرصة الثمينة ليناضل عن تعليم الكنيسة الكاثوليكية بشأن سر التجسد . فالقى

ميمرًا بليغاً لا يزال محفوظاً الى الآن ، ويلذ لنا ان نسمع انفس ما ورد فيه :

« لقد جمعتنا الآن ، في هذه الكنيسة ، ام الله القديسة مريم البتول . فذلك الكنز الطاهر كنز البتولية اصبح فردوساً روحياً لآدم الثاني ومعملاً لاتحاد الطبيعتين ... حقاً ان الله اخذ الطبيعة البشرية ، وان كان الوثنيون يستهزئون بهذه الاعجوبة . لهذا يصرخ بولس قائلاً : « اما نحن فنكرز بالمسيح مصلوباً شكاً لليهود وجهالةً للامم » (اق ١ : ٢٣) فالذي كان ، حسب طبعه ، غير قابل الآلام اصبح ، برحمته ، خاضعاً لآلام كثيرة... ان المسيح لم يصر فقط الهاً بسبيل التدريج ، حاشا ! لكن بما انه كان الهاً كما يعلمنا الايمان تحنن علينا وتجسد . نحن لا نكرز بانسان متأله ، بل نعترف بالله المتجسد . فيا ايها اليهودي ، ان من افتدانا ليس هو انساناً محضاً . اذ كان الجنس البشري بأسره مثقلاً بعبودية الخطيئة ؛ لكنه ، ايها المنوي ، ليس باله فقط خالٍ من الطبيعة البشرية ، اذ كان له جسد . فان قلت ، ايها الهرطوقي ، ان في المسيح اقنوماً مختلفاً عن اقنوم الله الكلمة انكرت الثالوث ، ووضعت حسب رأيك اربعة اقانيم في اللاهوت . فلتحسم اذن كل مناقضة ، ولترتشد بتعليم الاسفار الالهية لنربح الملكوت السماوي بالمسيح ! »

فما انتهى القديس برقلوس من عظته حتى تهلل الشعب فرحاً ، وعم التصفيق . اما نسطور فازداد استياء واضاف كلمة على هذا الميمر بها يبذل الجهد في اثبات بدعته . . . فمن هذا الحين لم يحضر الشعب وكثير من الاعيان الحفلات الكنسية ، وقسم من الكهنة انفصل جهراً عن شركة اسقفهم ، واهمله اقدس رؤساء اديرة القسطنطينية ورهبانها خاصةً ، وهو القديس دَلماط († ٤٤٠)

. ان هذا البار كان من اشرف أسر الدولة ، ترك حمل السلاح ، وانخرط مع ابنه فوستوس في السيرة الرهبانية . فاشتهر بفضائله النسكية واستحق ان يبين له الرب ، بنور سماوي ، الشرور العظيمة التي ستنجم من تعاليم نسطور . فلذلك حينما اتى نسطور ليزوره في قلايته ، قال له بجرأة : « اذهب بسلام ! انني لن اقبلك حتى ترذل اضاليلك » فاضطر الزائر ان يرجع على عقبه مخجولاً ، واخذ القديس ينبه رهبانه قائلاً : « حذار ، يا اخوتي ، لقد اتى هذه المدينة وحش ضارٍ سيجرح بتعليمه كثيراً من الناس . »

وماذا فعل نسطور لينتقم من خصومه ؟ حشد مجمعاً فيه حطّ وحرم الكهنة والرهبان والعلمانيين الذين قبحوا بدعته ودافعوا عن تعاليم الكنيسة ؛ وشرع يبثّ مياهره الكفرية خارج ابرشيته ؛ فانتشرت في بلاد مصر ، وانسلّت في

اديرتها ، وهاجت رهبانها اي هيجان .

فاختار الرب من آباء مصر رجلاً ليمزق حجاب هذه البدعة الجديدة ، وهو كيريلس اسقف الاسكندرية ، خلف مار اثناسيوس الشهير بفضيلته وعلمه ، بشجاعته وغيرته ! لما علم هذا الاب الابر بمفاسد التعاليم النسطورية ، بادر وكتب الى الرهبان المصريين رسالة نفيسة فيها يثبت سر التجسد ببراهين كتابية قاطعة ، ويحثهم على رذل الهرطقة الجديدة ؟ وبعد قليل من الزمن ، أذيعت مياسر نسطور في رومية نفسها ، فاطلع عليها الحبر الاعظم البابا شلستينوس الجالس يومئذ على السدة البطرسية . فحزن جداً وكتب الى مار كيريلس رسالة فيها يستفهمه عن صحة نسبة هذه الاضاليل الى نسطور .

وفي تلك المدة كانت انتشرت في القسطنطينية رسالة مار كيريلس الى رهبان مصر ، ومن مطالعتها اكتسب الشعب والاكليروس فوائد جمة ، فكتبوا رسالة شكر الى مؤلفها القديس الغيور . ثم ان مار كيريلس دعا كل اساقفة مصر ليقرروا الخطة الواجب اتباعها لشجب الهرطقة ، فاستحسن القديس ان يحرر اولاً رسالة الى نسطور نفسه فيه يذكر الاضاليل المذاعة باسمه ويدعوه الى رذلها ، فصنع ما قرره وبعث اليه رسالة في اواخر تموز سنة ٤٢٩ ، فاجابه جواباً مراً . وفي الوقت نفسه كتب نسطور رسالة الى البابا مار شلستينوس ليستجلبه اليه ، يسرد فيها ما بذله من الجهد ليطهر ابرشيته من الهراطقة الذين كانوا معززين في عهد سلفائه ... ثم يعرض على قداسته كيف قاوم الذين لا يشمئزون من تسميتهم واعتقادهم ان مريم العذراء هي امّ الله والمولود منها هو الله حقاً ؛ ومع هذه الرسالة بعث نسطور بقية مؤلفاته بشأن سر التجسد مختومة باسمه . فما اطلع عليها الحبر الاعظم حتى تأكد كل التأكد ان نسطور هو مُبدع جميع تلك الاضاليل ، فاخذ يفحصها ليحكم بشأنها حكماً رسمياً وامر بنقلها الى اللغة اللاتينية ؛ وعملاً بنواياه النبيلة ، كلف مار لاوون ، رئيس شمامسة الكنيسة الرومانية ، صديقه الانبا يوحنا كاسيانوس المتضلع من اللاهوت والآداب اليونانية ان يؤلف بحثاً عن سرّ التجسد فيه يشجب البدعة الجديدة . فلبى بطيبة خاطر هذه الدعوة ، وألّف كتاباً نفيساً قسمه الى سبعة اسفار

انجزها قبل التئام المجمع الافسسي . وفي ابان ذلك التجأ الى القسطنطينية بعض اشرار من الاسكندرية كان قد حرمهم اسقفها النشيط لقبائحهم ، فاستخدمتهم نسطور آلة ليشنع صيت القديس ، وحملهم ان يرفعوا شكوى ضده الى نسطور نفسه والى الملك ... فلما علم مار كيريلس بهذا الامر حرر الى نسطور رسالة اخرى في شهر شباط سنة ٤٣٠ ، يظهر لـه فيها انه لا يجهل التهم المقذوف بها ولا المتهمين ، ويقول انه حرم واحداً منهم لانه ظلم عُماة وفقراء ، وآخر لانه استل السيف على امه ، وآخر لانه سلب ذهباً وخادمة ، وله صيت ردي . لكن القديس لم يُطل الكلام عن هؤلاء الثلابين ، بل حثّ نسطور حثّ الاخ على اصلاح مذهبه واتباع تعليم الاباء القديسين ، وذلك لملاشاة الشكّ الذي سببه ، ولتوطيد روح الامان بين الكنائس و لاتحاد بين رعاتها . فاجاب نسطور كيريلس جواباً اشد مرارة وغيظاً من الجواب الاول ، قائلاً له ان يهتم بشؤون كنيسته ، ويحسن مطالعة الآباء الاقدمين ، لانه لم يدرك قوة تعاليمهم . فلما لاحظ القديس ان نسطور يستند الى سلطة الملك وله نفوذ عند حاشيته ، حرر الى تودوسيوس واخواته رسائل مطولة فيها يسرد تعليم الكنيسة بما يخصّ سرّ التجسد . وكتب الى الاكليروس القسطنطيني يشجعه على الثبات في الايمان المستقيم ثم يذكر زعم نسطور انه لم يرَ شعبه منوّراً وذلك بذنب سلفائه ، ويصرخ قائلاً :

« ايا ترى نسطور افصح من يوحنا ، او احذق من الطوباوي اتيقوس ؟ لمَ لا يعترف بصدق انه يُدخل تعليماً جديداً ؟ ؟ ان شاء السلام فليكتب صورة ايمان كاثوليكي صادق ، وليرسلها الى الاسكندرية ، وانا من جهتي اكتب انه لا يجب ان تتعب اخوتنا الاساقفة لاننا نعلم ان لكلامه معنى حسناً . لكن ان اصرّ على ادعائه فلا يبقى لنا سوى مناقضته بكل قوانا . »

اخيراً كتب مار كيريلس الى مار شلستينوس رسالة فيها يطلعه على مجرى الحوادث ، وعلى رسالته الى الرهبان ، ورسالتيه الى نسطور ، ويذكر الضرورة الماسة التي الزمته مقاومته الى ان يقول : « اننا لم نشأ قطع شركتنا معه جهراً قبل ان نعرض هذه الاشياء لقداستكم ؛ فتنازلوا اذن وصرحوا لنا رايكم ليكون لنا دستوراً ، ونعرف هل يجب مواصلة الاشتراك معه او تبليغه

ان الكل سيتركونه ان اصر على آرائه . » واضاف الى هذه الرسالة ذيلاً فيه حصر الاضاليل النسطورية في اربعة بنود.

ولما استلم البابا مار شلستينوس جميع هذه الاسانيد ، عقد مجمعاً في رومية في اوائل آب ٤٣٠ ، وفحص، مع آباء المجمع ، تصانيف نسطور ، فرآها مخالفة الكتاب الكريم والآباء القديسين. فرذل جهراً المذهب النسطوري ، وكتب حالاً الى كيريلس رسالة فيها يمدح حسن معتقده وغيرته وتيقظه ، ويفوّضه بتنفيذ الحكم قائلاً: « انكم بسلطان كرسينا وقائمين مقامنا تنفذون هذا الحكم بقساوة يُعتبَر بها بنوع انه اذا مرّت عشرة ايام ابتداء من هذا التنبيه ولم يرذل تعليمه الكفري بقانون ايمان خطيًا ، ولم يعترف في المستقبل بشأن ميلاد يسوع المسيح الهنا بالايمان الذي تعلّمه الكنيسة الرومانية وكنيستكم والنصرانية بأسرها ، يدبّر قدسكم امر كنيسة القسطنطينية ، وليعلم انه سيكون مقطوعاً من جسمنا على الاطلاق. »

وبلّغ الحبر الاعظم الامر نفسه الى اهم اساقفة الكراسي الرسولية القديمة ، اي الى يوحنا البطريرك الانطاكي ، والى يوفنال البطريرك الاورشليمي ، والى روفس اسقف تسالونيكي ، وفلاڤياني اسقف فيلبي ، ثم كتب ايضاً الى الاكليروس والشعب القسطنطيني يشجعهم على الثبات في الايمان الكاثوليكي ، ويعزي مَن اضطهدهم نسطور ، ويُبطل جميع التأديبات الكنسية التي انزلها بهم نسطور ابتداء من ظهور بدعته. وفي الوقت عينه كتب الحبر الاعظم الى نسطور نفسه رسالة بليغة فيها يكشف له انه مخّص تعاليمه ، فرآها تناقض الايمان الكاثوليكي فحرمها ؛ ويذكره ان رسالتي مار كيريلس الموجهتين له سابقاً تقومان مقام التنبيه الاول والثاني ، ورسالته هذه تنوب عن التنبيه الثالث ، فان لم يرذل بدعته يُقطَع حالاً من شركة الكنيسة الجامعة.

فما استلم مار كيريلس جميع هذه الرسائل حتى اوصلها الى اصحابها بكل امانة . وفي شهر تشرين الثاني سنة ٤٣٠ ، جميع في الاسكندرية اساقفة مصر سعياً وراء تنفيذ اوامر البابا . فاثبت الاساقفة المجتمعون رسالتي مار كيريلس الى نسطور. ثم ارسل مار كيريلس الى نسطور رسالة ثالثة باسم المجمعين الروماني

والاسكندري لتكون بمثابة التنبيه الثالث والاخير ، والى هذه الرسالة اضاف القديس الفيور اثني عشر قانوناً ايمانيا او حرماً فيها تتجلى روح مؤلفها النبيلة لسداد معانيها وبلاغة عباراتها .

فلنسمها الآن نقلاً عن اصلها [1] اليوناني :

ق ١ : ان لم يعترف احد ان عمانوئيل هو حقًا الله ، وعليه ان القديسة البتول هي ام الله لانها وَلدت حسب الجسد كلمة الله المتجسد ؛ فليكن محروماً .

ق ٢ : ان لم يعترف احد ان الكلمة المولود من الله الآب اتحد بالجسد حسب الجوهر ، وانه مع جسده الخصوصي يؤلف مسيحاً واحدًا ، الذي هو معاً اله وانسان ؛ فليكن محروماً .

ق ٣ : ان فصل احد بعد الاتحاد طبيعتي المسيح الواحد ، واصلًا اياهما فقط باقتران شرف او سلطة او قوة ، وبالاحرى لا برباط الاتحاد الحقيقي (الجوهري) ؛ فليكن محروماً .

ق ٤ : ان نسب احد الى اقنومين او جوهرين الكلمات المتضمنة في الاسفار الانجيلية والرسولية او ما قاله القديسون عن المسيح او ما فاه به المسيح عن ذاته ، وطابق بعضها على الانسان المعتبر منفصلًا عن كلمة الله ، وبعضها على كلمة الله الابن وحده كانها جديرة بالله ؛ فليكن محروماً .

ق ٥ : ان تجاسر احد وقال ان المسيح هو انسان ثوفوروس اي حامل الله ، وان لم يقل بالاحرى انه اله حقًا لكونه ابناً وحيدًا بالطبيعة ، بمقتضى ان الكلمة صار جسدًا وشاركنا بالجسد والدم ؛ فليكن محروماً .

ق ٦ : ان تجاسر احد وقال ان كلمة الله الآب هو اله المسيح او ربه ، وبالاحرى لم يعترف انه هو نفسه اله وانسان معاً ، لان الكلمة صار جسدًا كما كُتب ؛ فليكن محروماً .

ق ٧ : ان قال احد ان يسوع بصفته انساناً هو مقوى بكلمة الله ، ونسب اليه مجد الابن الوحيد ، كانه واحد آخر غيره ؛ فليكن محروماً .

ق ٨ : ان تجاسر احد وقال ان الانسان المأخوذ من الكلمة يستحق مساواة

(1) Denziger: *Enchiridion Symbolorum*, n° 113-124.

السجود والمجد وتسميته الهاً مع الكلمة ، لكونه واحداً ضمن الآخر (لانه عند اضافة الكلمة «مع» يفهم هذا المعنى ضرورة) ولم يُكرَّم عمانوئيل بسجود واحد ويؤدّ له مجد واحد حسبما الكلمة صار جسداً ؛ فليكن محروماً .

ق ٩ : ان قال احد ان سيدنا يسوع المسيح مجّده الروح القدس ووهبه قوة غريبة ليقهر الارواح الشريرة ويصنع العجائب بين البشر ، وبالاحرى لم يقل ان الروح الذي به كان يفعل العجائب هو خاصّ به ؛ فليكن محروماً .

ق ١٠ : ان الكتاب الالهي يقول ان المسيح صار حبر اعترافنا ورسوله ، فانه قدم نفسه عنا رائحة مرضية لله الاب . اذن ان قال احد ان حبرنا ورسولنا ليس بكلمة الله عينه منذ صار جسداً وانساناً مثلنا بل هو انسان مولود من امرأة كانه واحد آخر غيره ، او ان قال احد انه قرّب الذبيحة عن نفسه وبالاحرى لم يقل انه قربها فقط عنا لانه لم يفتقر لذبيحة ذلك الذي كان جاهل الخطيئة ؛ فليكن محروماً .

ق ١١ : ان لم يعترف احد ان جسد الرب محيٍ وخاصّ بالكلمة عينه المولود من الله الآب بل ينسبه الى واحد آخر متصل معه حسب الشرف ، فيه فقط مسكن اللاهوت بدلاً من ان يقول انه محيٍ لانه خاصّ بالكلمة القدير ان يحيي كل شيء ؛ فليكن محروماً .

ق ١٢ : ان لم يعترف احد ان كلمة الله تألم حسب الجسد ، وصلب حسب الجسد ، وذاق الموت حسب الجسد ، وصار البكر من بين الاموات حسبما انه حياة ومحيٍ لكونه الهاً ؛ فليكن محروماً .

ما ادق ما لاحظه العلامة بوصويت[1] بهذا الصدد . قال : «في رسالتي القديس كيريلس يتلألأ حقاً روح واحد ومعنى واحد ، وجميع فحواها يتملق بمبدأ واحد قوامه أن شخص الله الكلمة هو شخص يسوع المسيح الانسان عينه لا غير ، فمن هذا المبدأ الموضوع سابقاً يكون لجميع الحرُم تسلسل واضح» (له صلة)

(١ Bossuet: *Remarques sur l'Histoire des Conciles d'Ephèse et de Chalcédoine de* M. Dupin. *Besançon. Edition Outhenin, t. 7. p. 226.*

الرسالة الحاتمية

فيما وافق المتنبي في شعره كلام ارسطو في الحكمة

نشرها عن مخطوطتي المكتبة الشرقية (بيروت)
فؤاد افرام البستاني
استاذ الآداب العربية في كلية القديس يوسف

٣٣ قال ارسطو

الظُلم من طبع النفوس[١]. وانما يصدّها عن ذلك احدى[٢] علّتين[٣][٤]: علّة[٥] دينية[٦] لخوف[١] معاد، او علة سياسية لخوف الانتقام[٨].

[١٩ ق] قال ابو الطيب

والظُلم[٩] من شِيم النفوس. فان تجد ذا عفّةٍ، فلعلّة لا يظلمُ!

٣٤ قال ارسطو

الدنيا تطعم[١] اولادها، وتأكل[٢] مولوداتها[٣].

قال ابو الطيب

ابدًا تَستردُّ ما تهب الدُنـ يا؛ فيا ليت جودَها كان بُخلا!

---

٣٣ هي الفقرة ٥٢ في ت، و٦٦ في ق، و٤٠ في ل.
١) في ت: النفس. ٢) سقطت في مم وت؛ وفي ل: احد.
٣) في ت: خلّتان. ٤) في ق: إمّا.
٥) سقطت في ل ٦) ورد في ت بعد دينية: «وخلة دنيوية سياسة خوف الانتقام.»
٧) في ل: لأجل. ٨) في ق ول: السيف. ٩) في ت: الظلم.
والبيت هو ١٣ من القصيدة المذكورة (د: ٦٣٠ - الروائع ١١: ٢٢)
٣٤ هي الفقرة ٤٧ في ت، و٢٩ في ق ول.
١) في ل: تأكل ٢) في ل: وتطعم.
٣) في ت وق ول: مولودها.
البيت هو ٢٩ من القصيدة في رثاء اخت سيف الدولة المذكورة سابقًا. (د: ٤٣٠)

٣٥ قال ارسطو

اذا كانت الاشياء فاعلة[1] بالطبع، لم تحمد على فعلها؛ لان الشمس لا تحمد على ضوئها [ولا حرارتها][2]

[٢٠و] قال المتنبي

ربّ أمرٍ أتاكَ لا تحمَد الفعّـالَ فيه، وتحمد الأفعالا.

٣٦ قال ارسطو

الجُبن ذِلّة كامنة في نفس[1] الجبان[2]، فاذا خلا[3] بنفسه[4] أظهر شجاعة[5].

قال ابو الطيب

واذا ما خلا الجبان بأرضٍ، طلب الطعن[6]، وحده، والنزالا.

---

٣٥ هي الفقرة ٤٨ في ت، و ٣٠ في ق و ل

١) في ل: تفعل بلا علة

٢) زيادة في ل. وفي ت: على حرارتها ولا على ضوءها. وفي ق: على حرارتها وضوئها.

البيت هو ١٦ من قصيدة في مدح سيف الدولة وذكر خوضه الى ثغر الحدث (٩٥٥) مطلعها:

ذي المعالي، فليَعْلُوَنْ من تعالى! هكذا هكذا! والا فلا لا!

(د: ٤٢٤)

٣٦ هي الفقرة ٤٩ في ت، و ٣٢ في ق و ل

١) في ل: النفس ٢) في م و ل: الحيوان. وفي مم: الحوان.

٣) في ل: خلى ٤) لم ترد في ق.

٥) في ق: الشجاعة. وفي مم: شجاعته.

٦) في ق: الحرب. وفي مم: الطعان.

والبيت هو ٣٢ من القصيدة نفسها (د: ٤٢٦ - الروائع ١٢: ٥١)

٣٧ قال ارسطو

الغلبة بطبع الحياة ، والمسألة[1] بطبع الموت ؛ والنفس لا تحب ان تموت[2] ، و كذلك[3] تحب ان[4] تأخذ الشيء[5] بالغَلَبة لا بالمسألة[6].

[٣١ق] قال المتنبي

من أطاقَ التماسَ شيء غلاباً واغتصاباً ، لم يلتمسه سؤالا.

٣٨ قال ارسطو[1]

ثلاثة ان لم تظلمهم ظلموك: ولدُك ، وزوجك ، ومملوكك[2]. فسبب صلاحهم التعدّي عليهم.

قال المتنبي

من الحِلْمِ ان تستعملَ الجهلَ دونَه ،
اذا اتسعت في الحِلْم[2] طرقُ المظالِم[4].

---

٣٧ هي الفقرة ٥٠ في ت ، و٣٣ في ل ، و٩٤ في ق.
١) في ت: والمسالة ٢) في ق: فكما ان النفس لا تحب الموت. ولم ترد الجملة كلها في ل. ٣) في ق: فكذلك. وفي ت فلذلك.
٤) في ت: اخذ. وفي ل: ان تحيا وأخذ ٥) في ت وق: الاشياء.
٦) لا بالمسألة: لم ترد في ت.
والبيت هو ٤٤ من القصيدة نفسها (د: ٤٣٧)

٣٨ هي الفقرة ٥٣ في ت ، و٦٧ في ق ، و٦٠ في ل.
١) سقطت في م. ٢) في ت وق ول: ولدك وعبدك وزوجتك.
٣) في ت وق: الظلم. ٤) المظالم: ج. مظلِمة: ما يُتظلّم منه ، المعنى: اذا كان حلمك داعياً الى ظلم الناس لك، فمن الحلم ان تعدل الى معاملتهم بالجهل، وهو هنا ضدّ الحلم.
والبيت هو ٩ من قصيدة في مدح ابن طُغج مطلعها:
انا لائمي ، ان كنت وقت اللوائم علمتُ بما بي ، بين تلك المعالم.
(د: ٢١٩)

٣٩ قال ارسطو

اذا لم تَصُنْ[1] بالمال ابناءَ[2] الجنس، وتقتل[3] اعداء النفس[4]، فما المنفعة به؟[5]

[٢٢ و] قال المتنبي

لمن تطلب الدنيا، اذا لم تُرِدْ بها سرورَ مُحِبٍّ[6]، او إساءةَ[7] مجرم؟

٤٠ قال ارسطو

اقبح الظلم حسدك[1] لمبدك الذي تُنعم عليه.

قال ابو الطيب

وأظلمُ أهلِ الظلم مَن باتَ حاسدًا لمن باتَ في نعمائه يتقلّبُ

---

٣٩ هي الفقرة ٤٧ في ق، و٦١ في ل. اما ت فلم تورِدها.

١) في ق: يصن ٢) في مم: ابن

٣) في ق: يقتل به. ٤) في ل: زيادة: فما تضيّمه الأعراض والاغراض.

٥) في ق: بدل «فما المنفعة به؟»: فما يُصنع بالاعراض؟

٦) كذا في ق ول ود. اما م ومم فورد فيها صديق.

٧) في مم ود: ساءة.

والبيت هو ٣٥ من قصيدة في مدح كافور، مطلعها:

فراقٌ، ومن فارقتُ غيرُ مذمَّمٍ، وأمٌّ، ومن يَمَّمتُ خيرُ مُيَمَّمِ.

(د: ٤٩٧)

٤٠ هي الفقرة ٤٨ في ق. اما ت فلم تذكرها. و ل ذكرت منها البيت فقط في الفقرة ٦٢.

١) سقطت اللفظة في مم.

والبيت هو ٣٣ من قصيدة في مدح كافور (سنة ٩٥٨) مطلعها:

اغالب فيك الشوقَ، والشوق أغلبُ، وأعجب من ذا الهجر، والوصل أعجبُ.

(د: ٥٠٦)

٤١ قال ارسطو[1]

ايّام الحياة لا موت[2] فيها، كما ان ايام المصائب لا بقاء فيها.

[٢٣ق] قال المتنبي

لا تلقَ دهرَك الّا غيرَ مكترثٍ ما دام يصحب فيه روحك البدنُ.

٤٢ قال ارسطو

الايام لا تُديم الفرح ولا[1] الترح، والاسف على الماضي تضييعٌ للعقل[2] لا غير.

قال المتنبي

فما يديم سرورٌ[3] ما سررتَ به، ولا يردّ عليك الفائتَ الحزَنُ.

---

٤١ هي الفقرة ٤٩ في ق و٦٣ في ل، الّا ان هذه النسخة اوردت حكمة لا توافق البيت وهي: «اعجز العجزة من قدر ان يُزيل العجز عن نفسه فلم يفعل.» وقد اعادتها في الفقرة ٦٦ منها كما سيأتي. اما ت فلم تورد الفقرة. واما مم فاوردت الحكمة التي توافق البيت في الفقرة التالية، ٤٢، واوردت في ٤١ حكمة الفقرة ٤٣.

١) ورد في م: قال المتنبي. ٢) في ق: لا خوف.

والبيت هو ٣ من القصيدة التي قالها في مصر، اذ اتصل به ان قوماً نموه في مجلس سيف الدولة، ومطلعها:

بمَ التعلّلُ، لا اهلٌ، ولا وطنٌ، ولا نديمٌ، ولا كأسٌ، ولا سكنُ؟

(د:٥٠٨)

٤٢ هي الفقرة ٥٠ في ق. اما ت فلم توردها، واما ل فاوردت الحكمة وحدها مع بيت لا يطابقها في الفقرة ٦٤.

١) في ل: سقطت لا. ٢) في ل: العقل. وفي ق للعمر.

٣) سرور: كذا في ق ود. اما في م ومم فورد: فما تديم سروراً.

والبيت هو ٤ من القصيدة نفسها (د:٥٠٨)

٤٣ قال ارسطو

العشق ضرورة داخلة على النفس، والعاشق[1] جاهل بتلك الضرورة الداخلة عليه[2].

[٢٦و] قال ابو الطيب

مما اضرَّ باهل العشق أنهم
هَوُوا، وما عرفوا الدنيا، وما فَطِنوا

٤٤ قال ارسطو

من صحة السياسة أن يكون الانسان مع الايام، كلما اظهرت سُنَّةً عمل فيها بحسب السياسة.

قال المتنبي

كلما انبت الزمانُ قناةً، ركّب المرء في القناة سِنانا.

---

٤٣ هي الفقرة ٥١ في ق، و٦٦ في ل، اما ت فلم تذكرها.
١) في ق: والانسان. ٢) الداخلة عليه: لم ترد في ق.
والبيت هو ٥ من القصيدة نفسها (د: ٥٠٨)

٤٤ لم تذكر ت هذه الفقرة، ولا ذكرها ل، اما ق فهي فيها ٥٢ الا ان حكمتها وردت مخالفة لما ذُكر في م وهم، فأتت على الوجه التالي:
«كلما اظهرت الايام قناةً، عمد الانسان لها حسب الطاقة سِنانًا.»
والبيت هو ٥ من قصيدة قالها بمصر مطلعها:
صحب الناسُ قبلنا ذا الزمانا، وعَنَاهم من شأنه مثلنا عنانا.
(د: ٥١١ — الروائع ١٢: ٤٦)

٤٥ قال ارسطو

اتعب الناس من قصّرت مقدرته، واتّسعت مروءته[1].

[٢٥ق] قال ابو الطيب

واتعبُ خَلْق الله مَن زاد همُّه، وقصَّر عمّا تشتهي النفسُ وَجْدُهُ.

٤٦ قال ارسطو

أعظمُ الناس محنةً[1] من قلّ ماله، وعظُم مجده[2]؛ ولا مالَ لمن كثُر ماله، وقلّ مجده.

قال ابو الطيب

فلا مجدَ في الدنيا لمن قلّ مالُه؛
ولا مالَ في الدنيا لمن قلّ مجدهُ.

---

٤٥ هي الفقرة ٥٩ في ت، و٤٣ في ق، و٤٩ في ل.
١) وردت الحكمة في ق على الصورة التالية:
« اتعب الناس من بعدت همّته، واتسعت معرفته، وضاقت مقدرته. »
والبيت هو ٩ من قصيدة في مدح كافور مطلعها:
أوَدُّ من الايام ما لا تودّه وأشكو اليها بيننا، وهي جنده.
(د: ٤٨٧ – الروائع ١٢: ٢٧)

٤٦ هي الفقرة ٦٠ في ت، و٤٤ في ق، و٥٠ في ل.
١) الناس محنة: سقطت في ل.
٢) هنا تنتهي الحكمة في ق.
والبيت هو ١٢ من القصيدة المذكورة (د: ٤٨٧ – الروائع ١٢: ٢٧)

٤٧ قال ارسطو

بالغريزة يتعلّق الأدب، لا بتقادم الميلاد[1].

[٣٦و] قال ابو الطيب

وإذا الحلمُ لم يكن عن طباعٍ، لم يُحَلِّم[2] تقادُمُ[3] الميلادِ

٤٨ قال ارسطو

الائتلاف بالجواهر قبل الائتلاف بالاجسام.

قال المتنبي

أُصادِقُ نفس المرء من قبل جسمه، وأعرفها من[1] فِعله والتكلّمِ.

---

٤٧ هي الفقرة ٥٤ في ق، و٥١ في ل. اما ت فلم تذكرها.
١) في ق ول: السنّ.
٢) لم يُحلّم: كذا في م ومم وق ول، اما في د فورد: لم يكن عن
٣) في ق ول: تقدّم.
والبيت هو ١٣ من قصيدة في كافور مطلعها:
حسم الصلحُ ما اشتهته الاعادي وأذاعته ألسنُ الحسّادِ.
(د: ٤٩٩ – الروائع ١٢: ٥٠)

٤٨ هي الفقرة ٤٦ في ق، و٥٢ في ل. اما ت فلم تذكرها.
١) في ل ود: في
والبيت هو ١٠ من قصيدة في مدح كافور، ورد ذكرها في الفقرة ٣٩.

٤٩ قال ارسطو

كلّ ما[1] كان[2] له أوّل تدعو[3] الضرورة [الى][4] ان يكون[5] له آخر[6].

[٢٧ق] قال ابو الطيب

إنمم ولَذّ، فللأمورِ أواخرٌ ابدًا، اذا[7] كانت لهنّ اوائلُ.

٥٠ قال ارسطو

النفوس المتجوهرة[1] تترك[2] الشهوات البهيميّة طبعًا لا خوفًا.

قال ابو الطيب

وترى الفُتوّةَ، والمُروّةَ[3] والأبُوّ ةَ فيَ[4] كلُّ مَليحةٍ ضَرّاتِها[5]؛
هنّ الثلاثُ المانعاتي لذّتي
في خلوتي، لا الخوفُ[6] من[7] تَبِعاتِها.

---

٤٩ هي الفقرة ٥٤ في ت، و٦٨ في ق، و٥٣ في ل
١) في م وهم وت ول: كلّما ٢) لم ترد في ت وق ول
٣) في م وهم: تدعوه. ٤) زيادة في ت وق ول
٥) لم ترد في ق ٦) في ل: آخرًا.
٧) في ق: كما.
والبيت هو ١٢ من قصيدة في مدح القاضي احمد بن عبدالله بن المبين الانطاكي، مطلعها:
لكِ، يا منازل، في القلوب منازلُ، اقفرتِ انتِ، وهنّ منك أواهلُ.
(د: ١٨١)

٥٠ هي الفقرة ٥٥ في ت، و٦٩ في ق، و٥٤ في ل
١) في ت: المجوهرة ٢) في ت: تشرك.
٣) في د: المروّة والفتوّة. وفي ت الفتوّة والابوّة والمروّة.
٤) في ت: عند ٥) لم تذكر ت ول الّا هذا البيت.
٦) في ق: الاثم ٧) في م: في.
والبيتان هما ٨ و٩ من قصيدة في مدح احمد بن عمران، مطلعها:
سِربٌ محاسنه حُرمتُ ذواتها داني الصفات، بعيدُ موصوفاتها (د: ١٩٠)

٥١ قال ارسطو

اذا لم تتصرّف النفس[1] في شهواتها ومراداتها[2]، فحياتها موت ووجودها عدم.

[٢٨و] قال ابو الطيب

ذلّ من يغبط الذليل بعيشٍ، رُبَّ عيشٍ أخفُّ[3] منه الحِمامُ!

٥٢ قال ارسطو

الفرق بين الحلم والعجز أنّ الحلم لا يكون الّا عن قدرة، والعجز لا يكون الّا عن ضعف. فليس للعاجز ان يُسمّى[1] باسم الحليم، وهو عاجز[2].

قال المتنبي

كلُّ حلمٍ أتى بغير اقتدارٍ حُجّةٌ لاجئٌ[3] اليها اللئامُ

---

٥١ هي الفقرة ٢٤ في ت و٧٠ في ق، و٥٥ في ل.
١) في ق ول: النفوس.
٢) في ق ول: مرادها وورد هذا المقطع الاول في ت كما يلي: «اذا لم تتصرف عن النفس شهواتها ومرادها». ٣) في ل: الذّ.
والبيت هو ٤ من قصيدة في مدح ابي الحسن المرّي الخراساني، مطلعها:
لا افتخارٌ الا لمن لا يُضامُ مُدرِكٌ، او مُحارِبٌ لا ينامُ
(د: ١٦٢ – الروائع ١٢: ٤٧)

٥٢ هي الفقرة ٢٥ في ت، و٧١ في ق، و٥٦ في ل.
١) في ت وق: يتسمّى. ٢) وهو عاجز: لم ترد في ل.
٣) في ت: تلتجي.
والبيت هو ٦ من القصيدة المذكورة (د: ١٦٢ – الروائع ١٢: ٤٨)

كنيسة شامات

صفحات تاريخية أثرية

بقلم الخوري يوسف العشي المرسل البطريركي

١

توطئة

اتيح لي ان ازور معظم القرى والاماكن في الابرشية البطريركية لاسباب اقتضتها مهنتي . وشدّ ما كان سروري وارتياحي لدن شاهدتُ ما تركه الاقدمون من الآثار الجليلة ، فكنت اودع مفكرتي بعض ما استحسنه من تراث الاجداد ، وبعض ملاحظات تتعلق بتاريخ البلاد .

ساعدني الحظ هذه المرة ايضاً ان ازور كنيسة شامات الاثرية وألقي عظات الرياضة الروحية فيها بايعاز سيادة النائب البطريركي، المطران بولس عقل ، الذي كان يتقدم الجميع بالمجيء الى الكنيسة لاستماع الارشادات في الاوقات المعيّنة، فكان وجوده بيننا افضل الارشاد، وكان لمثله أشد تأثير في القلوب. واما اقبال القوم على استماع الارشادات من اهل شامات والقرى المجاورة كحصارات وعبادات والراموت الخ فاجاهر به وافاخر بجماسة ابناء قومي وحسن تديّنهم .

لا اشاء هذه المرة ان امرّ بهذه الكنيسة الاثرية دون ان اقول كلمتي فيها ، بعد ان أيدت يدُ الحفر في داخلها وخارجها ما كنا نعتقده من عظم امرها وخطورة شأنها .

بينما كان العملة يحفرون مدفناً للحسنة الذكر سعدى عقل ، والدة سيادة المطران بولس عقل ، داخل الكنيسة ، عثروا على قطعة فسيفساء ، واعمدة كبيرة

ذات اطناف ، واشياء اخرى تتدرّج في الكلام عنها . مع ذكر ما اجرته يد الاصلاح من التجديد والترميم داخل الكنيسة وخارجها ، اثر الحفريات التي عني بها سيادة الموما اليه الذي انفق المبالغ في سبيل هذا المشروع .

انما يحسن بنا قبل الشروع ان نضع مقدمة صغيرة في تعريف القرية المذكورة تمهيداً ، وذكر نتفةٍ من تاريخها ، وبيان قدمها .

١

موقعها

على اكمة مرتفعة مطلقة جهاتها الاربع . لم يحتلها الاقدمون الا لما امتازت به من مناعة موقعها وبسطته واشرافه وطيب مناخها . وهي وسط بلدانٍ اخرى لا تقلّ عنها شأناً في قدمها ، وما كان من امرها فيما مضى . ذات صيغة واحدة في تسميتها كحصارات ، وعبادات ، وبجديدات ، وفي كل هذه الامكنة آثار تدلّ على اهمية مراكزها في عهدها .

قال رينان في بعثته الفينيقية : « واذا رقينا الى اواسط البلاد ، فوق عمشيت ، رأينا ايضاً خرائب الهياكل الوثنية الكثيرة التي اقام على انقاضها الشعب المسيحي المعابد المسيحية . من هذه الخرائب كنيسة شامات التي تبعد عن عمشيت ساعة ونصف . وهي كنيسة مزدوجة فيها آثار هيكل روماني من الطرز اليوني (*ionique*) تشير اليه عمُده من الداخل . ويطو بابي الكنيسة عتبتان : الاولى قطعة ناووس « بسيط » ، والاخرى قطعة ناووس ايضاً حفر فيها رأسا عجل تحيط بهما اكاليل من اوراق الغار . ومذبحا الكنيسة احدهما على اسم القديسة تقلا ، والآخر على اسم القديس اسطفان .

« وبالقرب من كنيسة شامات كنيسة اخرى على اسم القديس ماما ، والقديس ادنا ، وهي مبنية ايضاً على انقاض هيكل وثني . وحول هذه الكنيسة قطع اعمدة وتماثيل وخرائب كثيرة ، مما يُنبئ عن اهمية هذا المحل في القرون الخالية »[1]

(١ Renan, *Mission de Phénicie, p. 233-234.*

ومما زاد هذه البلاد في الاعصر الخوالي حسناً وبهاء غاباتها الكثيفة . فكان حول كل هيكل او معبد طائفة من الاشجار الباسقة تظلله باغصانها الوارفة وتكلله بازهارها العطرة.

٢

اسمها

كثيرة هي الاعلام التي لم يستقص عنها الاثريون في البحث والتنقير ولم يعرها البحاثة نظرةً . او انهم لم يهتدوا لمعرفة اصلها وسبب تسميتها . ومن عداد هذه الاعلام شامات ، فلم يرد لها تعليلٌ او مخرج ممَّن كتبوا عن هذه البلاد ، ولا في معجم الاعلام ايضاً ؛ الَّا العلامة لامنس فقد ذكرها في اثناء كلامه عن النتائج التاريخية من درس اعلام الاماكن اللبنانية في كتابه تسريح الابصار في ما يحتوي لبنان من الآثار [1] قال :

« كنا الى اليوم نشتبه بوجود الهة كان الآراميون يؤدّون لها اكراماً خصوصياً ويدعونها شيا. وقد استلفت اليها الانظار بمقالاته حضرة الاب سبستيان رنزقال، فقد اكتشف بحذقه المعروف اسم هذه الالهة في كفرشيا قريباً من بيروت ، وبيت شاما ، على طريق زحلة الى بعلبك ، وشامات في بلاد جبيل . ونحن نضيف الى ما تقدم اسم بعلشميه في المتن الاعلى . فهذا الاسم الذي يبدأ ببعل هو عندنا من اغرب الاسماء الاولية والاصلية في لبنان . »

ولا باس هنا من ذكر ما جال في الخاطر من امر هذه التسمية ولو على سبيل التخمين والحدس . فلعلّ في ذلك ما يفطّن البحاثة والرحّالة الاثريين الى ما لم نفطن نحن له ولم يدر في الخلد ، فالحقائق هي بنات البحث والتنقيب.

من البيّن ان كثيراً من اسماء الاعلام لم تبقَ على اصلها بسبب ما عراها من تحريف وتصحيف وتغيير وتبديل ، وعليه اضع هذه التسمية موضوع البحث تاركاً لكل حكمه في امرها.

اذا كان شيا احد آلهة الاراميين ، ومنها اتخذ اسم شامات كما ذكر الاب

---

١) جز ٢ ، ص ٢٤١.

الملامة لامنس ، فلا يبعد ايضاً ان يكون اتخذ اسمها من شمار العبرية الاصل بابدال الراء تاء ، كما يحدث في اسماء الاعلام ، ومعناها المرصد ومكان الحراسة والمراقبة مما يطابق موقع هذه القرية لارتفاعه وتسلطه .

وفي نشرة سان لويس الفرنسية ، العدد ١٠٨ سنة ١٩٠٥[1] ان قد اكتشف في دير القلعة في بيت مري كتابة يونانية لاتينية تبيّن عبادة اهل سورية وعلى الخصوص سكان دير القلعة الفينيقيين لابنة جوبيتر المدعوة شيا .

ويستنتج الباحثون من هذا الاكتشاف انتشار عبادة ابنة جوبيتر في الاقطار اللبنانية ككفرشيما ، وبيت شاما ، وشامات الخ .

أو من شامَ اي تطلّع نحوه . او من الشامة اي الناقة السوداء ، او الاثر الاسود في الارض . او من ܫܡܫܐ السريانية : سنبلة الذرة ، وكبة الغزل . او مما يتناقله اهل شامات واهل الجوار صغارهم عن كبارهم :

زعموا انه كان لملك بيبلوس ابنان احدهما يدعى شاه والآخر اسمر . وابنة تدعى حصن . فاسمر وهو الاكبر سكن اسمر جبيل « سمار جبيل » فدعيت باسمه . وشاه وهو الاصغر سكن شامات ودعيت باسمه . وحصن سكنت في قصر على اكمة تجاه قصر اخيها شاه ودعي محل سكنها حصن عار لارتكابها امراً منكراً جرّ عليها عاراً .

اما شاه فمرض مرضاً ثقيلاً فأودى . ولم يجسر احدٌ ان يخبر اباه بموته ، لانه كان سيء الخلق غليظ الطبع . فاتفق يوماً ان فاوض هذا الملك احد وزرائه بشأن ابنه شاه . فاجابه هذا على الفور ، وكان حادّ الفؤاد لطيف الروح :

هبّ النسيم على المصباح فانطفأ

فقال له الملك هل ابني شاه مات ؟ فقال له الوزير انت قلت ايها الملك . ومن ذاك العهد دعيت شامات باسمها الحالي . ولا نتحرى هنا سرد اخبار وقصص الاقدمين فلكلّ جيل احاديثه وتقاليده يتناقلها الخلف عن السلف . بعضها لها اصل كالنواة من الشجرة ، وبعضها مختلقٌ اختلاقاً .

(١ *Bulletin S' Louis, N° 108, 1905.*

٣

قدمها

شأن هذه البلدة الصغيرة الآن شأن غيرها من هذه البلاد . كانت قديماً موطناً لامم كثيرة توالت عليها كالفينيقيين والرومانيين واليونانيين والمصريين الذين تملكوها في عهد السلالة الثانية عشرة . ثم ثبت ملكهم عليها في عهد رعمسيس الثاني ، الذي نرى كتاباته في صخور مضيق نهر الكلب . وغيرهم من الامم كما تؤيد ذلك اخبار تلك القرون ، وتدلّ على بعض هذه الامم آثارهم الباقية الى اليوم كآنية خزفية وزجاجية محطّمة ، وانقاض وردوم وخرائب ونواريس وقبور محفورة في الصخور ، وآبار كثيرة نحو ٥٠٠ بئر ، واعمدة ، ومساند ابواب ، وحجارة كبيرة محكمة النحت مبعثرة . وقد عثر العملة على هيكل عظمي تناهى في كبره فبلغ نحو مترين و ١٠ س . كما ترى في الرسم الاول .

اما المسكوكات النحاسية وقطع الاجر فقد وجد منها كثير ، عند تشييد منازل اهل القرية ، كما يروي شيوخها فلم يكونوا يحفلون بها ولم يقيموا لها وزناً لعدم معرفتهم قيمتها ، فذهبت ضحايا جهلهم . كما انهم لم يكونوا يفطنون للكتابات على الصخور فنحتوا البعض وعدّلوه للبناء ، وتركوا البعض عرضة لعوامل الجوّ فطمست آثار الكتابة فيه .

ولا نتوخى بهذه العجالة كتابة تاريخها حتى نتدرّج في الكلام بالتفصيل عنها . انما يهمنا من امرها ما يتعلق بموضوع بحثنا اي كنيستها وقدمها ، وآثارها ؛ وعليه نتكلم بالاجمال عن عهد تنصرها .

مما لا مرية فيه ان عهد تنصر اللبنانيين يرتقي الى الاجيال الاولى ، ولاسيما سكان الاساكل الفينيقية كجبيل ، وبيروت ، وطرابلس الخ كما حقق ذلك بياجيوس في تأليفه سورية المقدسة ، ولاكريان في الشرق المسيحي . واول اسقف على جبيل كان يوحنا مرقس سقّفه القديس بطرس ، زعيم الرسل ، كما تشهد على ذلك السنكسارات الشرقية اليونانية ، والسريانية المارونية ، والكلندار الروماني ، حيث يذكر في ٢٧ ايار اول استشهاد القديس يوحنا الملقّب مرقس

اسقف جبيل في فينيقية . ولاكرام هذا القديس بُنيت كنيسة جبيل الكبرى.

وفي « سورية المقدسة » انه كان في جبيل هيكل بيزنطي قديم تكرَّم فيه ايقونة عجائبية لسيدتنا مريم العذراء ورد ذكرها في اعمال المجمع الرابع الخلقيدوني ، ولعلها اليوم ايقونة سيدة البوابة العجائبية.

ولما كانت بيبلوس المدينة المقدسة لدى شعوب تلك العصور ، كانوا يحجّون اليها من الاقطار البعيدة مرات في السنة للتيمّن بزاراتها كما تدل على ذلك آثار هياكلها الفخمة ، التي توفق علماء الآثار في اكتشافها ولم يزالوا حتى الآن يواصلون التنقيب عنها ، ولاسيما اهل الجوار كشامات وعبادات وبجديدات وغيرها ؛ لما بين جبيل والاماكن الاخرى من العلائق المدنية ايضاً التي لا يمكن الاستغناء عنها.

فقد كانت هذه المدينة منشأ لكثير من الصنائع ، ولاسيما نسج الكتان والحرير ، وصنع الزجاج ، والادوات والاواني البيتية ، وكل ما يحتاج اليه الفرد من ضروريات المعيشة ؛ وايراد البضائع وتصديرها الى الخارج كما ذكر ذلك رينان في بعثته الفينيقية ، ص ١٥٤.

وهل يعقل ان يلبث اولئك بضلالهم ، اي على معتقدهم الوثني ، دون ان يدينوا بدين مُواطنيهم ورؤسا الامّة او يهتدوا بهديهم بعد ان رأوا من جهاد ابناء جلدتهم في تسجيل حقيقة ايمانهم بدمائهم ما يقنعهم بصدق معتقدهم ؟ كاستشهاد لوسيوس ، وقوادوروس ، واكويلينا احدى عذارى جبيل التي قصفها المغتصبون كغصن رطيب ، وليس لها من العمر سوى ١٢ سنة . وقد اخبر البولنديون في اعمال القديسين ، في اليوم الـ ١٣ من حزيران ، ان نصارى المدينة جمعوا ذخائرها المقدسة ودفنوها بمزيد الاكرام . ثم تعدّدت العجائب على قبرها[1] ويقال ان اصلها من جبيل نصرها اسقفها اوثاليوس ، وهي حديثة السن ، فاضطرم قلبها حبًّا بربها واخذت تدعو مواطنيها الى الايمان المسيحي . فبلغ ذلك مسامع الحاكم ثولوسيان ، فأخذ يلاطفها اولًا لتجحد دينها . واذ يئس اخيرًا من اقناعها ، امر بقطع رأسها . وهكذا قاست الشهيدة الموت الاحمر في سبيل ايمانها وذلك سنة ٣٠٨ .

---

١) الاب لامنس في تأليفه : « تسريح الابصار » جزء ١ ، ص ١٠٥ .

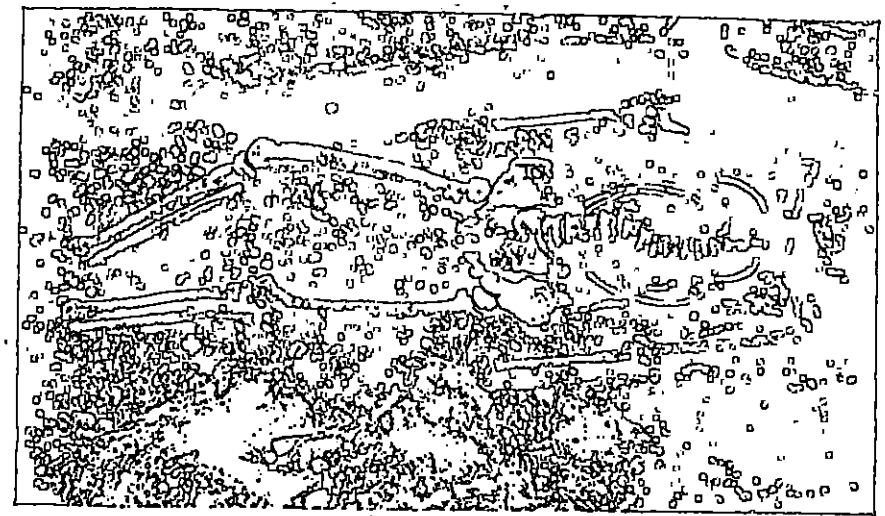

هيكل عظمي

اكتشف في شاهات يبلغ طوله نحو مترين و١٠ س.

البطريرك دانيال الشاماتي

١٢٣٠ ــ ١٢٣٩

وجمل القول ان النصرانية اخذت في الانتشار منذ اوائل القرن الثاني ، وما لبثت ان ظفرت بصبر ابطالها على كل المصاعب ، ودخلت في طور جديد تتدرج بمدارج التقدم والانتصار ، حتى قضت اخيراً على الوثنية وظهرت وحدها منار الانسانية ومرجع سعادتها وراحتها.

٤

بطريركها

تشرفت شامات بحبر من احبار الكنيسة الاجلاء ، السعيد الذكر ، دانيال الاول ، خلف بطريركنا القديس ارميا العمشيتي. ساس هذا البطريرك الكرسي الانطاكي ، بدراية وحكمة عجيبتين.

ورد في المجلة البطريركية ، لمديرها ورئيس تحريرها صديقنا الفاضل الخوري بولس قرألي ، جزء اذار من هذه السنة ، ص ١٦٠ : تابع زجلية المطران جبرائيل القلاعي: « وكان البطريرك يومئذٍ يسمى دانيال اصله من قرية شامات راهب من رهبان وادي علمات وله في قرية رامات قرايب فاخذوه الى عندهم لعظم الفتن واسكنوه قربهم في دير مار قبريانوس كفيفان . انتخب البطريرك دانيال الاول سنة ١٢٣٠ بعد وفاة الاب القديس البطريرك ارميا العمشيتي في دير سيدة ميفوق في وادي ايليج من ابرشية نجبيل . ثم ترك دير سيدة ميفوق لاضطراب حبل الامن فيها بسبب الحروب والفتن في ذلك العهد وسكن دير كفيفان . ثم انتقل من دير كفيفان الى دير مار يوحنا مارون في كفرحي . وفي سنة ١٢٣٦ سكن في دير مار جرجس الكفر الذي يبعد عن شامات مسقط رأسه نصف ساعة . ثم سكن في دير سيدة هابيل. ومنها رجع الى دير مار قبريانوس كفيفان حيث توفي برائحة القداسة سنة ١٢٣٩ . وخلفه البطريرك يوحنا الجاجي [1].

١) ان بطاركة طائفتنا ، قبل ان جعلوا سكناهم في دير قنوبين ، غيّروا مواضع كراسيهم حسب مقتضيات الزمان. لكنهم اتخذوا اخيراً دير سيدة بكركي كرسياً لهم في الشتاء ، والديمان مقراً في الصيف.

ففي سنة ٦٨٥ للميلاد الالهي ، كان الكرسي البطريركي في دير القديس مارون في قرية

٥

كنيستها

كان محل هذه الكنيسة هيكلاً وثنيًا ، شأن الاقدمين في تشييد معابدهم على رؤوس الروابي والاكام ، وامام مخارج المياه كهيكل افقا وسيدة ايليج في ميفوق الذي حوّله مسيحيو الاجيال الاولى الى معبد مسيحي كما حوّلوا غيره من الهياكل الوثنية ، من عهد الملك قسطنطين الذي امر بهدم جميع الهياكل الوثنية في هذه البلاد واقامة المعابد المسيحية على انقاضها . وهذا ما دعا المسيحيين في ذلك العهد الى السكنى في الجبال ، حيث انشئت تلك المعابد . وحسبنا شاهدًا على ما تقدم بيانه ما ذكره الكتاب المقدس عن بني اسرائيل : « واقاموا لهم انصاباً وغابات على كل اكمة عالية وتحت كل شجرة خضراء . » [1]

(لها صلة)

كفرحي ، من اعمال البترون . ثم نقل الى سيدة يانوح ، من اعمال بلاد جبيل ، حيث استمرّ الى سنة ١١٢٠ . ومن هناك نقل لثالث مرة الى دير سيدة ميفوق ، في وادي ايليج ، من اعمال بلاد جبيل ايضاً . ونقل لرابع مرة الى دير مار الياس لحقد ، من اعمال بلاد جبيل ايضاً . وفيه استقر يوحنا اللحقدي صاحب التافور المعروف باسمه ؛ وهو الذي نقل الكرسي لخامس مرة الى دير سيدة هايل من ابرشية جبيل عينها . ثم انتقل لسادس مرة الى دير سيدة يانوح ، في عهد رئاسة بطريركنا القديس المشيتي سنة ١٢٠٩ ، وهو الذي ارسل له البابا زخيا الثالث تلك الرسالة المشهورة التي يسمي فيها الكنيسة البطريركية كنيسة يانوح ويعدد الكراسي التابعة لها (راجع مشرق هذه السنة ص ٢٧٠) .

ثم انتقل لسابع مرة الى دير القديس قبريانوس في كفيفان . وهناك جلس البطريرك دانيال الشاماني الاول خليفة المشيتي القديس ، ونقل الكرسي لثامن مرة الى دير القديس مارون في كفرحي . ومنه لتاسع مرة الى دير القديس جرجس في الكفر من ابرشية جبيل القريبة من مسقط رأسه شامات .

ثم انتقل عاشر مرة الى دير سيدة يانوح ، وهناك اقام يوحنا خليفة البطريرك دانيال . ثم انتقل للمرة الحادية عشرة الى دير سيدة ميفوق ، وهناك اقام البطريرك جبرائيل حجولا الذي توفي شهيدًا .

ثم انتقل للمرة الثانية عشرة الى دير القديس سركيس في حرصين ، من ابرشية طرابلس . واخيرًا انتقل للمرة الثالثة عشرة الى دير سيدة قنوبين ، من اعمال طرابلس .

١) سفر الملوك الرابع ١٧ : ١

الحِيَل والمخارج

في الفقه الاسلامي

بقلم الاب لامنس اليسوعي

يمكننا القول ، دون مجازفة ، ان نصف المسلمين السنيين يتبعون مذهب الامام ابي حنيفة . وهو اكثر المذاهب الاربعة ميلاً الى التساهل والتوسيع . اذ انه يجعل للرأي والاساليب النظرية مركزاً مهماً بين اصول الشريعة ، لا تجعله لها المذاهب الباقية . والمذهب الحنفي يمتاز منها خصوصاً بدقته في درس جميع المخارج من الصعوبات ، وجميع الحلول المخلّصة الانسان من الاثم ، وبميله الشديد الى التعمق في شرح مشكلات الضمير ، وكلها امور على غاية من الدقة والصعوبة يدعوها فقهاء المسلمين بكلمة واحدة هي « الحِيَل » . وقد اشتهر ابو حنيفة في هذا الفن اشتهاراً عجيباً حتى قيل انه لم يكن من صعوبة الا وجد لها مخرجاً ، ولم يكن من مشكل الا وجد له « حيلة » ، ويذكر عنه مؤرخو الفقه من حلول المشاكل ما يجاور الغرائب احياناً وينحطّ الى المهازل والمضحكات احياناً اخرى ، من ذلك الحادثة الآتية التي اثبتها الامام السرَخسي ، من اشهر مريدي ابي حنيفة ، ونحن ، لولا هذا ، لما ذكرناها لانها اجدر بنوادر «الف ليلة وليلة» منها بحوادث الفقهاء . على ان حياة ابي حنيفة ، كما شاء التقليد ان يمثلها ، غنية بامثال هذه الحادثة ، وها هي كما اثبتها السرَخسي عن الخصّاف [1] :

« ان بعض من كان يتأذى منه ابو حنيفة ، رحمه الله ، جرى بينه وبين زوجته كلام ؛ فامتنعت عن جوابه . فقال : « ان لم تكلميني الليلة ، فانت

---

1) كتاب المخارج في الحِيَل الموصوف في هذا المقال ، ص ١٢٥ .

طالق » . فسكتت وامتنعت عن كلامه . فخاف ان يقع الطلاق ، اذا طلع الفجر . فطاف على العلماء ، رحمهم الله ، في الليل ، فلم يجد عندهم في ذلك حيلة . فجاء الى ابي حنيفة ، رحمه الله ، وذكر له ذلك . فقال : « هلّا اتيت استاذك ! » فجعل يعتذر اليه ويقول : « لا فرج لي الا من قبلك . » فذكر انه قال له : « اذهب فقل للذين حولها من اقاربها : « دعوها فماذا اصنع بكلامها ، فانها اهون عليّ من التراب » وأسمعها من هذا ما تقدر . » فجاء وقال ذلك حتى ضجرت ، وقالت : « بل انت كذا وكذا . » فصارت مكلّمة له قبل طلوع الفجر ، وخرج من يمينه .

« وهذه الحكاية اوردها في مناقب ابي حنيفة ، رحمه الله ، وقال انه قال للرجل : « ارجع الى بيتك حتى آتي بيتك فاتشفع لك . » فرجع الرجل الى بيته . وجاء ابو حنيفة ، رحمه الله ، في اثره ، وصعد مئذنة محلّته وأذّن . فظنّت المرأة ان الفجر قد طلع ، فقالت : « الحمد لله الذي نجاني منك . » فجاء ابو حنيفة ، رحمهُ الله ، الى الباب ، وقال : « قد برّت يمينك ، وانا الذي أذّنت ، أذان بلال ، رضي الله عنه ، في نصف الليل . »

وقد عمل على نشر هذه الطريقة ، طريقة ابي حنيفة († ٧٦٣) ، تلميذه ومريده القاضي ابو يوسف المشهور ، مستشار الخليفة هرون الرشيد ، ثم تلميذ ابي يوسف الامام محمد بن الحسن الشيباني المتوفى سنة ٨٠٥ [1] ، صاحب كتاب « المخارج في الحيل » . وهو تأليف نفيس نشر مؤخرًا [2] بعناية الدكتور يوسف شخت ، الاستاذ في جامعة فريبورغ من المانية ، مُردفاً برواية بل بشرح مقتطف من « كتاب المبسوط » للفقيه الشهير محمد بن احمد بن ابي سهل السرَخسي المعروف بشمس الائمة والمتوفى سنة ١٠٩٠ .

وكتاب الشيباني تأليف مهمّ لقدمه وشهرة صاحبه [3] . ولم تخلُ صحة

١) راجع في ما خصّ الشيباني وآثاره تاريخ الادب لبروكلمان :
Brockelmann, *Geschichte der arab. Litteratur, I, 171...*

٢) في مكتبة هنريخ (Hinrich) ليبسيك ، ١٩٣٠ ، في ١٤١ صفحة متوسطة .

٣) راجع ، في ما خصّ هذه الشهرة ، المقدسي : احسن التقاسيم ، ص ٢٢٨ .

نسبته من شكّ ، الا ان الامام السرخسي ، فخر المذهب الحنفي ، دافع عن نسبة الكتاب ، فبدّد الشكوك بما لا مزيد عليه من دقة ووضوح. وذلك ان الحيَل من اختصاصيات فقهاء المذهب الحنفي ، وكل ما ورد في كتاب المخارج يدلّ دلالة واضحة على طرق هذا المذهب . فضلاً عن ان اسمي ابي حنيفة وابي يوسف يردان في كل صفحة تقريباً. والنتيجة ان الكتاب قديم بدون شكّ ، واننا لا نرى مبرّرًا للشكّ في صحته وفي نسبته الى الشيباني. اما الناشر ، الاستاذ شخت ، فقد نشر سابقاً كتابين في الحيَل ، وعرف بمدة ابحاث ايضاً في الامر نفسه [1] حتى غدا اختصاصياً في الموضوع .

* * *

يهتمّ الامام السرخسي ، مستندًا الى امثلة واردة في القرآن ، بان يبرهن عن جواز الحِيَل [2] . ولا يخفى ان الحيل تُفسح المجال واسعاً لما يُدعى بالتقييدات الذهنية او العقلية ، وبمعاريض الكلام . على ان الصعوبة في تعيين النقطة التي تنتهي عندها هذه التقييدات او المعاريض ويبدأ الكذب الصريح ، كما يظهر في « الحيلة » الآتية مثلاً : [3]

« واذا اراد الرجل ان يغيب ، فقالت له امرأته : « كلّ جارية تشتريها فهي حرّة حتى ترجع الى الكوفة » ، ومن رأيه ان يشتري جارية ، كيف يصنع ؟ قال : « اذا حلفته بهذه الصفة ، يقول : « نعم » . فيريها بهذه الكلمة انه حلف على الوجه الذي طلبت ، وهو يعني : نعم بني تغلب او غيره من احياء العرب ، او ينوي بقلبه : واحد الانعام . — فانه يقال نعم ، والانعام هي الابل والبقر والغنم ، قال الله تعالى : والانعام خلقها لكم الآية ؛ فاذا عنى هذا لم يكن حالفاً . » — « فان ابت الّا ان يكون الزوج هو الذي يقول : « كل جارية اشتريها فهي حرّة ؟ » قال : « فليفعل ذلك ، وليمن بذلك كل سفينة جارية ؛ قال الله تعالى : « وله الجوار المنشآت في البحر كالاعلام » ، والمراد السفن . » (اه)

---

١) من ذلك بحثه الدقيق في مجلة . *Der Islam, XV, 211*

٢) راجع ص ٨٧–٨٨ من الكتاب المذكور .

٣) الكتاب المذكور ، ص ١٢٢ .

ويزعمون ان هناك حديثاً يؤكد ان «كل الكذب مكتوب لا محالة الّا الرجل بامرأته وولده ، والرجل يُصلح بين اثنين ، والحرب فان الحرب خدعة.»[1] ونحن نرى ان الحرب لم ترد في هذا الحديث الا تسهيلاً للاقتناع بتحليل الكذب في الحالتين الاوليين ، وهما اجدر بالمناقشة والتحفظ من مسألة الحرب.

ولننتبه الآن الى ان الانسان قد يكون في حالة غضب او غيظ او يأس فيحلف ، عن غير قصد تام ، يميناً غموساً لا يكون له مخرج منها ، ولا يكون له استطاعة البرّ بها . فما يفعل ، وهو بين الحنث والقيام بالمستحيل ؟ في مثل هذا المشكل ، يشعر الحالف بفائدة «حيل» ابي حنيفة التي تأتي فتخرجه من المأزق وتخلصه من الحنث ومن البرّ معاً ، دون ان يُخطئ بشيء في ظاهر الشرع، يحلّ له ذلك بشرط ان يُدخل في حلفه «ان شاء الله» فيخرج من يمينه ايّاً كانت ، كما ورد في الصفحة الثانية: «قال: من حلف بطلاق او عتاق فقال : «ان شاء الله» لم يقع طلاق ولا عتاق . فمن حلفَ بشيء من هذه الايمان فقال : «ان شاء الله» فقد برّ ولم يحنث ولا يقع عليه شيء . ومن حلف بنذر او غير ذلك من الايمان المغلّظة فقال : «ان شاء الله» فقد برّ وخرج من يمينه.»

وتحسن المقابلة بين هذا التحفظ والتخريج ، وقول النابغة :

حلفت يميناً غير ذي مَثْنَوِيَّةٍ

وكذلك قول جرير :

ولا [خير] في يمينٍ غير ذات مخارمِ[2]

وقد ألف ابن دريد كتاباً في الكلمات ذات المعنيين لفائدة من اراد الخروج من يمين حلفها تحت الضغط او التأثير .

على ان نظرية الحِيَل لا تلبث ان تتيه في مجال الحلف فتلحق بالافتراضات الغريبة ، كما في هذه الفتاوى :

«قلت: «ارأيت ان كان حلف لا يكسوه قميصاً ابداً ، فكساه هو ورجل آخر قميصاً ؟ » قال: «لا يحنث». قلت : «أرأيت ان كان حلف لا يلبس قميصاً

---

١) الكتاب المذكور: ص ٨

٢) نقائض جرير ، ٧٥٤ ، العدد ٣

٣) كتاب المخارج ، ص ٦٥

لفلان ابدًا ، فلبس قميصاً لعبدٍ له ؟ » قال ابو حنيفة : « لا يحنث » وقال ابو يوسف : « يحنث . » قلت : « أرأيت الرجل حلف لا يكسو فلاناً ثوباً ، فكسا ابنه او امرأته او عبده او مكاتباً له او مدبّرًا له ، لم يحنث ؟» قال : « لا ! الا ترى انه لو حلف ان لا يبيع من فلان شيئاً ابدًا فباعه من عبده لم يحنث ، وكذلك الهبة بمنزلة الشرى في هذا . »

وقد يصل هذا التدقيق الى مفترضات صبيانية فيصطبغ بصبغة مضحكة كما في هذه « الحِيَل » : [1]

« قلت : « أرأيت رجلًا حلف لا يخرج من باب هذه الدار ابدًا ؛ كيف الحيلة حتى يخرج ولا يحنث ؟ » قال : « ان شاء صعد حائطاً من حيطان الدار ثم نزل الى الطريق او الى دار اخرى فخرج من باب الدار التي نزل اليها ، ولا يحنث . » قلت : « أرأيت رجلًا قال لامرأته : « انت طالق ، ان خرجت من بيتي هذا » ولا نيّة له ، فخرجت من البيت الى الحجرة ، أيحنث ؟ » قال : لا . »

ولنذكر مثلًا آخر يدلّ ، اكثر من الشروح الطويلة ، على ما في نظرية الحِيَل من التسهيل ، وعلى ما تصل اليه احياناً من الغرائب [2] .

« قلت : « أرأيت رجلًا اخذ لقمة ليأكلها وادخلها في فيه ، فقال له رجل : « امرأتي طالق ثلاثاً ان اكلتها . » وقال آخر : « امرأتي طالق ثلاثاً ان اخرجتها من فيك . » ؛ هل يكون في هذا حيلة حتى لا يحنث واحد منهما ؟ » قال : « يأكل الذي حُلف عليه بعض اللقمة ويُلقي بقيّتها ، ولا يحنث واحد من الحالفين . » قلت : « فان لم يفعل . ولكنّ انساناً آخر جاء حتى اخذ اللقمة من في المحلوف عليه ، فاخرجها فالقاها ؟ » قال : « ان القاها ، والمحلوف عليه مطاوع له ، حنث الذي حلف لا يلقيها من فيه ؛ وان اخرجها ، والمحلوف عليه جاهد عليه ان لا يفعل ممتنع بجهده مغلوب على ذلك ، فلا حنث على واحد من الحالفين . »

---

١) الكتاب المذكور ، ص ٧٠ ٢) الكتاب المذكور ص ٧٥-٧٦

هذا قليل من كثير من تطبيقات نظرية الحيل التي اختصّ بها الحنفيون . اما الشافعيون فطرحوها ، في اول الامر ، كلّ الطرح حتى ان البخاري ، وكان من الشافعة ، حرّمها في « صحيحه » بكلام لا يحتمل التأويل . الا انهم عندما نظروا بعد ذلك الى نجاح النظرية وتقدّم المذهب الحنفي ، مالوا عن جفائهم شيئاً فشيئاً ، واخذوا هم ايضاً يؤلفون الرسائل والكتب في الحِيَل . واما الحنبليون فان مبادءهم المضيّقة لم تكن لتسمح لهم بالاخذ بتسهيلات الحيل . وممن ذكرها من مؤلفيهم ابن قيّم الجوزية († ١٣٥٠) فقال انه يمكن الاخذ بالحيل التي تمكّن الانسان من الوصول الى غايته الشرعية بطرق قانونية . وهو كلام لا يفيد شيئاً في الموضوع ، بل هو من نحو القول: ان لصاحب الحقّ ان يطلب حقه بالطرق القانونية . او من نحو ما يعبّر عنه الناس عندما يقولون : « فتح باباً مفتوحاً . » لان الحيل ، من حيث وضعها وتحديدها ، لا تفيد الا من وقع ، عن غفلة او سوء قصد ، في مأزق لا يمكن التخلص منه بالسير على الطرق القانونية العادية ، بل بواسطة « حِيل » المذهب الحنفي التي تخرجه غير آثم في ما خصّ مظهر الشريعة ، لا في ما خصّ الضمير . وهنا يجب الاقرار ان مجاميع الحيل ، التي يضعها الفقهاء امام طالبي الاستشارة ، أبعد من ان تعزّز في هؤلاء روح حرّية الضمير ووضوح الافكار ، بل هي غالباً ما تعمل على تعزيز التحفّظ في التعبير عن فكر الانسان الحقيقي تحفّظاً يشوبه الرياء في كثير من الاحيان . فهي تجتهد في المحافظة على كلام الشريعة تمكّن المستفيد من نقض روحها حسبما شاء ، دون ان يأثم في الظاهر .

***

على ان هذا لا يمنعنا من ان نشكر للاستاذ شخت عنايته في منشوراته ، ومساعيه التي تفيد علماء الاسلاميات في الاطلاع على هذا القسم الغريب من الفقه ، ولاسيما اذا كان المنشور ، كما هو الاثر الذي وصفناه اليوم ، من اقدم الآثار الفقهية منتسباً الى رجل من اشهر فقهاء المذهب الحنفي ، تلميذ ابي يوسف الذي لا يزال ، في تقاليد العامة ، مثال القاضي الفيّاض القريحة ، السريع باعطاء الاحكام الصائبة الغريبة .

دلبتا

نبذة تاريخية

للخوري بطرس روفائيل

الفصل السادس

بعض رجالها المتوفّين

١ً الاب انطونيوس ، اول الحبساء في الرهبانية اللبنانية

ان بكر المحابس التي انشئت في الرهبانية اللبنانية هي محبسة القديس بولا ، قرب دير قزحيا . والثانية محبسة القديس روكز ، قرب دير مار بطرس كريم التين . واول من سكن فيهما من الحبساء ثلاثة توفّاهم الله برائحة القداسة ، وقد عُلّق بشأنهم على روزنامات الاديار التي دُفنوا فيها من الكلمات الوجيزة البليغة ما يُغني عن مُسهب الكلام: « ثلاثة ازهار زيّنت جيد المحابس بل جيد الرهبانية جمعاء وعطّرت بأريج رائحتها الذكية سماء لبنان العزيز بل ثلاثة كواكب سطعت في جوّ الرهبانية فزادت في محاسنها وبهائها بسناء فضائلهم وسموّ قداستهم ... نقدتها يد الله من على موائد المحابس لترصّع بها حلى السماء الخالدة . »[1]

وقد جاء في تاريخ الرهبانية اللبنانية: « ان اول حبيس اقام في محبسة قزحيا وتوفاه الله فيها هو الاب المغبوط انطونيوس الدلبتاوي اصلًا والباني مولدًا » . غير ان صاحب التاريخ المذكور لم يورد شيئاً عن عائلة الناسك ، ولم اتوصّل الى معرفتها من الوثائق التي اطلعتُ عليها . لبس الاسكيم الرهباني سنة ١٧٠٥ من يد الاب العام عبدالله قراعلي ، في دير مار اليشاع ، وهو في سنّ العشرين .

---

١) القس لويس بليبل: تاريخ الرهبانية اللبنانية ، الجزء الثاني ، ص ٢٣٢

دخل المحبسة باذن الاب العام ، في الثلاثين من عمره . وتوفاه الله في ٤ كانون الاول سنة ١٧٢٥ ، غير متجاوز اربعين عاماً . وقد ذكره الاب توما اللبودي في ترجمة الاب عبدالله قراعلي ، قال : « انطونيوس من دلبتا هذا السعيد جاهد في هذه المحبسة جهاداً هذا مقداره حتى من سيرته تيقّنت الرهبان وآمنت فيما خبروا به في بستان الرهبان عن جهاد الاباء الاقدمين وعن الحبساء الاولين وجهاداتهم ومرشدُ هذا السعيد انطونيوس الذي فيما بعد انتقل الى الرب بسيرة مقدسة كان الاب عبدالله قراعلي »[1] . وقد كتب اللبودي عن هذا الحبيس ما كتب لانه عرفه معرفة تامة ، فقد عاشا معاً مدة غير يسيرة في دير قزحيا[2] .

وقد ورد في روزنامة دير قزحيا ، بمناسبة وفاة الاب انطونيوس، ما يأتي :

« انتقل لرحمة الله القس انطونيوس بن مبارك الدلبتاوي وكان حبيساً في وادي قزحيا وهو اول حبيس توفي من هذه الرهبانية بعد ان اقام في المحبسة عشر سنين قضى منها ست سنين يلازم عمل اليد خارج القلاية في الاوقات المعيّنة من القانون الذي رتّبه المطران عبدالله قراعلي منشئ هذه الرهبانية ، والاربع سنين الأُخر اقام حابساً نفسه حبساً تاماً دون ان يخرج من قلّايته الا لتقدمة الذبيحة الالهية في معبد المحبسة . واخبر عن وفاته بيومين قبل حلولها ودُفن في المغارة خلف المذبح الكبير في كنيسة الدير . ان دفنه وراء المذبح الكبير دليل على نشاطه وجهاده وتقشفه وقداسته رزقنا الله شفاعته امين »[3] .

---

١) القس لويس بليبل : تاريخ الرهبانية اللبنانية ، الجزء الثاني ، ص ٢٧٢ و٢٧٣ .

٢) ان الاب توما اللبودي قضى في دير قزحيا سني الابتداء ، وفيه لبس الاسكيم سنة ١٧٠٧ ، وبعد ذلك انتُخب رئيساً عاماً سنة ١٧٣٥ ، ومكث في وظيفته هذه الى سنة ١٧٤٢ .

٣) القس بليبل : تاريخ الرهبانية اللبنانية الجزء الثاني ص ٢٢٢ . ويبدي ورقة قديمة هذه حرفيتها : « في ٤ كانون الاول سنة ١٧٢٥ كانت وفاة القس انطانيوس الدلبتاني الحبيس الناسك المجاهد بعد ان مكث في المحبسة عشر سنين منها ٦ يعمل عمل يد خارج القلاية والباقي مكث في القلاية ما خرج منها قط الا لخدمة الاسرار الالهية ومات موت المترفين في رياسة القس جرجس قشّوع على دير قزحيا بعمر ٤٠ سنة وعرف ساعة موته قبل يومين ودُفن خلف مذبح قزحيا » .

٢ً يوسف الخوري

هو ابن يوحنا الخوري من عائلة الحتوني ، ارسله البطريرك يوسف حبيش سنة ١٨٤١ ، مع فرنسيس ابن الشيخ يوسف ابي جبر الخازن ، الى رومية ليقتبسا العلوم في مدرسة انتشار الايمان. فسافرا بصحبة القس عبدالله الدلبتاوي ، الذي عيّن رئيساً على دير رهبانيته في عاصمة الكثلكة [1] . وقد كتب البطريرك الى الكردينال عميد المجمع المقدس يوصيه بالتلميذين المذكورين قائلاً « نرجو من عواطف جنوكم ان تشملوهما بكثير انظاركم وتحيطوهما بوفور غيرتكم الرسولية ليمكنهما ان يقتبسا العلوم اللازمة بتلك الفائدة المطلوبة ويضحيا فاعلين كافيين لخدمة كرم الرب الهنا » [2] . انكبّ يوسف على الدروس فنجح فيها نجاحاً لفت اليه نظر رؤسائه، غير انه مرض سنة ١٨٤٦ مرضاً عضالاً حتى اشرف على الموت ، فاعتنى به اساتذته اعتناء جزيلاً . ولما صار في دور النقه ، رأى الاطباء انه بسبب اجهاد عقله لا يزال فيه آثار التعب فأشاروا عليه بمغادرة المدرسة والتوجه الى الامكنة الباردة . فشقّ عليه هذا الخبر لانه كان متعلقاً بالدعوة الكهنوتية، وسافر مرغماً الى لندرة ، باذن رئيس المجمع المقدس، وفتح في عاصمة الانكليز مدرسة كاثوليكية يعلم فيها مَن قصده من الطلبة. وما مضت مدة حتى استدعاهُ رئيس الوزارة البريطانية الشهير ، السر روبرت بيل ، فعهد اليه في تعليم ولده اللغة العربية. وبعد ان امتحن الوزير هذا الغريب ورأى ما يزينه من الصفات الحميدة من نقاوة قلب وتقوى ووداعة أعزّه كثيراً وتعلّق به ، وعرض عليه وظيفة في الحكومة ، فأبى يوسف الا المواظبة على التعليم . وفي سنة ١٨٥٠ وكل اليه الوزير السفر برفقة ولده الى مصر وفلسطين وسورية. وبعد ان جال السائحان في تلك البلدان ، رجعا الى لندرة سنة ١٨٥٢ . ففتح المترجم مدرسة ثانية ، وانصرف الى تأليف كتاب باللغة الانكليزية

---

١) سجلّات البطريركية المارونية : اوراق البطريرك يوسف حبيش ، عدد ١١٣

٢) سجلّات البطريركية المارونية : اوراق البطريرك يوسف حبيش ، عدد ١١١ .

يصف فيه رحلته [1] . ثم سأله اباه جمعية القديس فيلبوس ان يلقي في معهدهم دروساً في فنّ الموسيقى ، فمكث عندهم نحو سنة . وبعدها دخل بيتاً تجارياً اشتغل فيه نحو سنتين . وفي تلك البرهة كلها لم ينفكّ يتبصّر في دعوته ويبحث عنها ، الى ان اقنعه مرشدوه بان لا دعوة له في الحالة الاكليريكية. فاقترن بابنة افرنسية سنة ١٨٥٧ ورجع الى بيروت فتعاطى التجارة ونال منزلة كبيرة . توفي وله من العمر ٥٤ سنة فدُفن في بيروت ، ثم نُقلت عظامه بعد ذلك حسب وصيته الى مدفن ابيه الخاصّ ، قرب كنيسة مار يعقوب في دلبتا

٣ً بطرس ابو فرح روفائيل (١

ممّا يجدر ذكره في حياة المترجم انه عثر في ملكٍ له في اغبه ، وهي مزرعة

---

(١) هذا عنوان الكتاب :

Sea Nile, the Desert and Nigritia

Travels in Company with Captain Peel, *R. N. 1851-1852*

Described by

Joseph H. Churi, *maronite of Mount Lebanon*

Published by the author — 31, King street, Holborn, 1853.

قد اطلعني على نسخة من هذا الكتاب حضرة ابن اخيه السيد بولس عبدالله الخوري الخوري ، فاذا فيه على غلافه الداخلي كتابة عربية هذه حرفيتها :

« يوسف يوحنا الخوري عبدالله ماروني من قرية دلبتا من مقاطعة كسروان تلميذ مدرسة البروبوكندا برومية العظمى قدّم هذا الكتاب الى المكتبة . . . تذكاراً وهو تصنيفه عن سفرة عملها في مصر لحدّ بلد العبيد من مصر الى الصعيد وبربر والخرطوم ابن (حيث) يتلاقيا البحران نيل الازرق ونيل الابيض وينصبّا سوية لاراضي مصر وللبحر الوسطاني وكان معلّماً لابن الوزير الاعظم (سر ووبرت پيل) القبطان وايام پيل سنة ١٨٥١ و١٨٥٢ . وفي الكتاب ١٣ غنية مصرية مثلما ينشوها البحرية في بحر النيل » .

(١) بمناسبة ذكر عائلة روفائيل في الفصل الثالث من هذا البحث التاريخي ، ورد على ادارة مجلة « المشرق » الغراء ، بامضاء حضرة الشيخ صالح المخازن ، رسالة لا تاريخ لها ، ننقل عنها حرفياً ما يختصّ بالموضوع . قال صاحب الرسالة بعد الترجمة : « هل من قرابة بين بيت المخازن وبيت روفايل ؟ ذكر الخوري بطرس روفايل في المشرق (١٩٣١ ، ص١٨٤) انه يوجد قرابة بين بيت المخازن وبيت روفايل . واستشهد على ذلك بصك بيع مؤرخ سنة

بين دلبتا ورعشين ، على كنز من النقود القديمة مجموعة في وعاء من النحاس لا يزال موجودًا الى الآن في دير سيدة الحقلة . غير انه لما كان نحاسه قد حتّ استوجب ذلك « دقّه » ثانية من مدة غير بعيدة ، فتغيّر شكلهُ ، وحوّل الى مرجل . وقد رأيته بامّ العين يبلغ عمقه ذراعاً تقريباً ، ويسميه سكان الدير الى يومنا « حلة بيت بو فرح » . فلما صار هذا المال في قبضة بطرس ابتنى بيتاً جاء اكبر بيت في القرية ، واخذ يشتري الاملاك في دلبتا وفي القرى المجاورة .

١٧٨٥ بامضاء الشيخ شيبان الخازن جاء فيه : « هو ان بعنا الى قرايبنا روفايل حصّتنا . . . » وبكتاب توصية من الشيخ بطرس الخازن الى الشيخ بشاره عرب حيث جاء : « نتهي اليكم بخصوص قرايبنا روفايل من دلبتا » ثم قال انه لم يتثبت اذا كانت هذه القرابة ابوية ام بالمصاهرة . . . على انه بعد بحثنا الدقيق في ما لدينا من الاوراق القديمة اتضح لنا خلاف ذلك ، وهو عدم وجود قرابة بين العائلتين لا ابوية ولا بالمصاهرة .

« لان كلمة « قرايبنا » تدلّ في انشاء بيت الخازن واصطلاحهم على من تقيّد في خدمتهم . وهذا واضح لكل من راجع صكوكهم وعندي منها الشيء الكثير . واكتفي هنا بذكر صك من سنة ١٢٨٢ هجرية بامضاء الشيخ خالد الخازن واخوانه جاء فيه : « وجه تحرير الاحرف ان عطينا الى « قرايبنا » طربيه صفير الكرم الذي لنا . . . » وفي اخر الصك « تمّ الرضا منا ومنه بخاطرنا ورضانا ويضلّ « بخدمتنا كجاري اهليته » الذي عندنا وعند اولاد عمنا ويكون معروف ومكرم عندنا » .

« فهذه العبارة تدل دلالة صريحة على معنى كلمة قرايبنا . امّا القرابة بالمصاهرة بين بيت الخازن وغيرهم من العيال فيعبّر عنها بنو الخازن بكلمة « اهلنا » وهكذا تجد في صكوكهم انهم يدعون مشايخ بيت الهاشم وبيت حبيش ودحداح والناهر والدهان باهلنا » اه

وعليه اجيب اني لم أورد ما اوردتُه كحقيقة تاريخية لا ردّ عليها حتى ولا قلت « انه يوجد قرابة بين بيت الخازن وبيت روفائيل » كما يزعم حضرة الشيخ ، بل قلتُ ان « بيدي وثائق تنبئ بقرابة بين بيت الخازن وبيت روفائيل » . فالقارئ المتقد يرى انه يوجد فرق في المعنى بين القولَين ، فالقول الاول يجزم بالتأكيد ، امّا الثاني فيترك بعض المجال للريب .

وعلاوةً على الوثائق المذكورة ومبناها ، ان ما جعلني اميل الى الظن بالقرابة وارجّحها معرفتي بان اصل العائلتين من قرية واحدة وهي جاج وقبل ان اكتب ما كتبته قد خطر في بالي ان كلمة « قرايبنا » قد تكون من اصطلاحات المشايخ ومُجاملاتهم ، فاستشرتُ بعضاً من المشايخ ، وبينهم من هم مشهورون بطول باعهم في معرفة التاريخ الوطني ، فاجابوني ان جدودهم كانوا يستعملون في كتاباتهم الى الاهالي بعض الاصطلاحات مثل « عزيزنا او محبّنا او اعزّ محبينا الخ » غير انهم لم يُطلقوا كلمة « قرايبنا » الا على من متّ اليهم بقرابة . فوقفتُ

فشاع امر الكنز بين الاهالي حتى انتهى الى مسمع الامير ، والي الجبل ، واظنّ انه كان الامير ملحم شهاب[1] .

وفي تلك الايام كان اغلب نواب السلطان في دمشق وطرابلس وصيدا ذوي طمع لا يُحدّ ، لا مأرب لهم سوى سلب الاموال اشباعاً لشهواتهم وارضاء لسياستهم الخرقاء التي احدثت خراباً جسيماً في لبنان . فكانوا يعرضون على الامراء بيع مناصب الحكم في الجبل بالمزايدة ، فكان من تُخلع عليه منهم الولاية على لبنان يحصر همّهُ في جمع المال المفروض عليه من نائب السلطان لقاء استقراره في الوظيفة ، فيتوسّل بكلّ واسطة جائزة ام محرّمة لينال مراده فيرسل محصّلين للاموال يثقلون على اللبنانيين ويضايقونهم ويلحّون باوامر مشدّدة على من يتوسّمون فيهم الغنى في دفع « جانب من المال » . وان أبوا اذاقوهم شرّ عذاب الى ان يرجعوا عن غيّهم . وهذا ما حدث للمترجم بطرس ، فانه ما ذاع خبر اثرائه حتى كان الوالي يرسل اليه مرةً بعد اخرى مَن يفهمه ان يسلم مبلغاً من النقود ولا يتحوّل عنه الرسول حتى يُلبّي طلبه . ولبث بطرس على هذا المنوال الى ان نفدت امواله واضطر ان يبيع ما كان له من الاملاك خوفاً من الجور . فلا غروَ بعد ذلك ان كانت الاموال تتراكم في خزائن

حينئذٍ عند افادتهم هذه . وقد استوضحتُ ايضاً الامرَ حضرة الشيخ سليم الدحداح ، وكلامه حجّة في الموضوع لانه اختصاصي بتاريخ لبنان وله الدروس القيّمة والابحاث الدقيقة في لبنان ورجاله وعياله وعاداته ، فاجابني بما حرفيته : « ان كلمة « قرايبنا » عند المشايخ المسيحيين تدلّ على معناها الحقيقي ، اي وجود قرابة سواء أكانت ابوية ام بالمصاهرة ، انما كانوا يخصّصون ذوي القرابة الابوية بكلمة أبناء العمّ . اما عند المشايخ الدروز فكان الاصطلاح ان يطلقوا كلمة « قرايبنا » على حاملي اسمهم ، وهم من طبقة أدنى من طبقتهم ، كبيت تلحوق ، وبيت عبدالملك ، فان لكلّ من هاتين العائلتين طبقتين »

واما الصك الذي جاء به حضرة الشيخ صالح ليؤيد رأيه فشكوك فيه ولا اعتبار له فيما خص الموضوع لان مضمونه لا ينطبق على وقائع الزمان اذ انه مؤرخ سنة ١٢٨٢ هجرية ، الموافقة لسنة ١٨٦٥ مسيحية . والحال انه بعد نظام سنة ١٨٦٠ لم يبق شيء معمولاً به من امتيازات المشايخ ولا من الاصطلاحات التي تدل عليها عبارات هذا الصكّ . اذاً . . .

وعلى كل حال اننا نشكر لحضرة الشيخ الفاضل الاديب غيرته على خدمة التاريخ .

١) كان والياً من سنة ١٧٢٩ الى ١٧٦٢ .

حكّام الجبل [1] :

ويروى عن المترجم انه جاءه يوماً من الامير ملحم بان يذهب اليه حاملاً « جانباً من المال » ، فوضع المبلغ المطلوب في جراب وتوجه الى الامير ، وكان يوم الاحد ، فلما مرّ بقرية شنعير ، دخل الكنيسة وكانت غاصة بالمؤمنين وترك الجراب على الباب ومكث مصلياً باخبات حتى نهاية القداس ، ولم يخالجه ادنى خوف ان يسرق المال احد المارّين . فهذا مما يدلّ على سلامة طويّته وسذاجة قلبه وعلى استقامة المؤمنين في تلك الايام وضميرهم الحيّ . كانت وفاته بعد سنة ١٧٦١ ، وقد اطلعت على وصيته وهي مؤرخة في تلك السنة ، ولم اعثر على اسمه في الوثائق القديمة التي بيدي بعد تلك السنة . ومن اولاده فرح ، وهذا كان يحسن الكتابة ويُعهد اليه في تحرير الصكوك وحلّ المشكلات في القرية .

٤ الخوري يوحنا روفائيل

ان هذا الكاهن هو ابن الخوري بطرس روفائيل ، الوكيل الاول على اوقاف كنيسة مار يعقوب . أُرسل الى رومية في ايام البطريرك يوسف اسطفان ليتلقى فيها العلوم الكهنوتية ، وكان ذكيًّا مجتهدًا ، فنال قصب السبق على اقرانه . ولمّا انتُخب فيلبوس الجميّل ، مطران قبرس ، بطريركاً خلفاً للبطريرك ميخائيل فاضل سنة ١٧٩٥ ، انتدب القس ارسانيوس القرداحي ليطلب له من الكرسي الرسولي التثبيت ودرع الرئاسة . وفي ٢٧ حزيران سنة ١٧٩٦ ، التأم مجمع الكرادلة تحت رئاسة البابا بيوس السادس ، فثبّت انتخاب البطريرك ومنحه درع الرئاسة . فتلا حينئذٍ الشماس يوحنا روفائيل خطاب الشكر للحبر الاعظم في ذلك المجمع ، بحضور القس ارسانيوس مندوب البطريرك [2] .

١) قيل ان خزانة الامير بشير كانت تحتوي ١٨ الف كيس من النقود الذهبية القديمة ، اخذها معه لما ترك سراية بيت الدين سنة ١٨٤١ . راجع تاريخ الامير حيدر الشهابي ، لناشره نعوم مغبغب ، ص ١٠٤٩ .

٢) الخوري ميخائيل غبريل : تاريخ الكنيسة الانطاكية السريانية المارونية . المجلد الثاني ، القسم الاول ، ص ٦٦٩ و ٦٧٠

ولما احتل جنود بونابرت مدينة رومية سنة١٧٩٦، وأقفلت المدرسة المارونية فيها سنة ١٧٩٧ ، رجع الشماس يوحنا الى لبنان ، وقبل في وطنه الدرجات الكهنوتية . واذ كان في دلبتا صادف فتى قادته اليه العناية الالهية وكانت اعدّت له مستقبلاً باهراً في طائفته وفي لبنان ، اعني به مرعي الحاج الذي رقي الى السدة البطريركية باسم يوحنا . فرعي هذا اختار الخوري يوحنا مرشداً روحياً ، واخذ يقتفي آثاره في طريق الكمال المسيحي ، ويتمرّن على ممارسة الفضائل . فاحبه المرشد واعتنى به كل الاعتناء ، منقطعاً الى ملاحظته وتثقيفه. ولما توسّم في تلميذه النجابة ورجحان العقل والانقياد الى اتباع النصائح الملقاة عليه ، سعى لدى اقاربه ومهم ، فأدخل مدرسة عين ورقة ليتلقى العلوم والتهذيب الاكليريكي ويتأهل رويداً رويداً لقبول الدرجات المقدسة.

وفي ايام البطريرك يوحنا الحلو ، ادّعى بعض المشائخ الخازنيين ان دير مار سركيس وباخوس في ريفون هو من اوقافهم ، وان لا حقّ لعائلة مبارك في الولاية ، ورفعوا شكوى الى المجمع المقدس ، واخرجوا قسراً من الدير المذكور القس فرنسيس مبارك . فعيّن البطريرك الخوري يوحنا وكيلاً على الدير ، فكدّ وجدّ في العمل ومارس وظيفته بكل حكمة وامانة . وبما انه لم يصادف استحساناً من قبل ذوي المآرب ومن قبل المتخاصمين بل قاسى من جرّاء غيرته اهوالاً شديدة وعذابات مفرطة جعلت اقامته في الدير متعذّرة عليه ، غادر المكان كما يتضح من كتاب ارسله في ٢١ ت ١ سنة ١٨١٣ الى البطريرك ، يستدلّ منه ان كاتبه كان ذا جرأة في الكلام وصلابة في الرأي. ومما جاء في الكتاب المذكور هذا :

« نقول ما قاله المثل ومنه تفهموا المعاني ان حالي كحال السمك والماء بعيدة عنه والقلب متعوب والرب يفرج عنه وذلك كافي الى فطنتكم الذكية عن اكماله وحائرين كيف نعمل بهذه الوقعة التي ارتمينا بها ويا ليتنا ما كنا عملنا هذا الخير ولا لقينا هذا الشرّ ومواعيدكم الحضور مثل سقاية الكمون وكلامنا هذا من خرقة التي في قلبنا تنقدوا علينا واسفاه على ترفهنا كيف انقلبت احوالنا في ريفون ومن حين ما دخلناه الى الآن ما رضينا نتعب سرّكم بجباره . . .

(هنا كلمات ممزقة). نلتزم الآن نصدع خاطركم وهو انه يوم تاريخه تركنا الدير وتدبيره وتوجهنا على بيتنا وما عاد لنا رجوع اليه لبعد حلول قدومكم لكوننا قبلنا متاعب ومشقات لا توصف والآن صرنا حاصلين على مخاطرات عظيمة وتحققنا ذلك من جملة اشارات كافية بقا واجب ابتعادنا عن الخطر لئلا نقع به حسب تدبير مطمئن الذمة انّ من احبّ الخطر فيبيد فيه والطاعة تلزمنا بحفظها مع ابتعاد الخطر ونحن من حمد الله حفظنا طاعتكم المقدّسة لحد خطر الموت كما معلوم عندنا وكذلك دبّرنا المطرح على قدر امكاننا وقصر معرفتنا وسلكنا بموجب امركم وتفهيمكم ودبّرنا ناس يسهروا على الدير وقدّمنا اكثر الموايز اللازمة وضبطنا المدخول والمصروف وصار كل شيء متدبّر ووفينا اكثر الديون العتيقة وما بقي الا القليل منها وكل شيء صار مفهوم ما عاد يلزم لها متاعب ونرجو عدم ابراحنا من خاطركم الماطر وبعد لثم اناملكم المقدسة »

وتقرأ في حاشية ما حرفيته : « ومن يمّ الحوادث الواقعة صارت معلومة عند اكثر الناس وخير تعرفوها من غيرنا ولا منا لكوننا نرغب ستره القريب وتقديم المحبة وابتعاد الشرّ ولا نزيد الاضامة لاحد »[1] .

وفي سنة ١٨٢٣، ارتقى السدة البطريركية المطران يوسف حبيش المعروف بتقشفه وزهده وشدته في تدبير الكهنة ، فاظهر اعتباره وحبه للخوري يوحنا ومنحه في تلك السنة نفسها انعامات عديدة جديرة بالذكر ، وسلّمه بذلك اعلاماً جاء فيه ما يلي :

« قد صرفنا حضرة ولدنا الخوري يوحنا روفايل الاكرم بخدمة سرّ التوبة بايّ محلّ وُجد فيه للرجال والنساء والرهبان والراهبات القانونيين والغير القانونيين من دون استثناء وان يحلّ من جميع الخطايا باسم الآب والابن والروح القدس . وأذناه ايضاً بان يحلّ من الخطايا المحفوظة لنا ولحضرة الاخوان المطارين المحترمين فما عدا جحد الايمان ظاهراً والخطيئة المحفوظ حلها من اسقف المكان بنوع خصوصي وليس ذلك من القوانين او المراسيم او المجامع المقدسة ثم صرفناه ان

---

١) سجلات البطريركية المارونية : جارور البطريرك يوحنا الحلو ، عدد ١٦٨ .

يحلّ من سائر الموانع والحرومات والتأديبات الكنائسية المحفوظة فما عدا المحروم والممنوع باسمه او من رئيسه المألوف وذلك في محكمة سرّ التوبة فقط واذنا له ان يكرّس الاواني الذي لا يلزم لتكريسها ميرون وله الاذن ان يقدس في البيوت او في البرية عند الاحتياج ومن يسمع قداسه يوفي الزامه الكنائسي حيث لا تتثلم حقوق كهنة الرعايا . وله ان يشرك في شركة الوردية المقدسة . ويمنح الغفران الكامل للمشرفين للموت بموجب الرتبة المعيّنة من الكرسي الرسولي . كذلك اذناه ان يستعمل اكل الزفر على البياض فقط بايام القطائع والصيامات المعيّنة من الكنيسة واذنا له ان يلبس المرقية في القداس . كذلك اذناه ان يحلّ في منبر سرّ التوبة من موانع الزيجة الناتجة من الاثم وان يفتح من العجز نحو درجة الكهنوت الصادر من زلّة خفية الخ ... »[1].

وقد عرض المترجم سنة ١٨٤٢ على تلميذه القديم ، الخوري يوحنا الحاج ، ان يحوّل له كل ما يملكه من اموال ثابتة وغير ثابتة ، على شرط ان يقدم له هذا الاخير ما يلزم لمعاشه الى حين وفاته ؛ وما يتبقى بعد ذلك يكون وقفاً لخير القرية . فصار القبول من الفريقين . وفي سنة ١٨٤٨ ، جرى اتفاق جديد بين الكاهنين ، فوقف الخوري يوحنا الحاج للبرّ ما كان حُوّل باسمه من الاملاك ، فجعل قسماً منها للكنيسة ، والقسم الثاني لمدرسة القرية ، وخُصّصت الحجرات التي كان يسكنها المترجم مدرسة لتعليم الاولاد ؛ وكانت هذه الاملاك غير يسيرة . وقد جُرّر صكّ الوقف بحضور الخوري يوحنا روفائيل ، فوقّعه بخط يده ، واجاز المشروع مطران الابرشية ، انطون الخازن ، وصدّقه عضو من المحكمة . اما الاملاك غير الثابتة كالآنية الكنسية وثياب التقديس والكتب واثاث البيت من فرش ونحاس وغيرهما فقد احتفظ بها الخوري يوحنا الحاج لنفسه لقاء نفقاته على معاش معلّمه[2] . وكانت وفاة المترجم سنة ١٨٥٠ .

(له صلة)

---

١) عن النسخة الاصلية .

٢) النبذة ، ص ١٠٦ وما يليها ، والسجل ص ٢١ – ٢٢

دير الزور الحديثة

بقلم الاب توتل اليسوعي

١

حكم الاتراك

على اثر حملة عمر باشا الكرواتي[1] ، قبض الاتراك على زمام الامر في دير الزور ؛ وفي السنة ١٨٦٤م (١٢٨١هـ) حضر اليها والي حلب ، ثريّا باشا ، وعهد بادارة شؤونها الى عمر باشا ، قائم مقام عسكرية حلب. واليك ، منذ ذلك العهد ، لائحة الحكام الذين تألبوا في تدبير البلدة ، مع اهم ما حدث في ايامهم الى آخر الحرب العظمى ، عهد خروج الاتراك من الدير :

عمر باشا	سنة ١٨٦٤م (١٢٨١هـ)	حكم ستة اشهر.
خليل بك	١٨٦٥ (١٢٨٢)	انشأ دار الحكومة، وثكنة للجند، ومستشفى.
احمد حلمي افندي	١٨٦٦ (١٢٨٣)	حكم ستة اشهر.
عثمان افندي	١٨٦٦ (١٢٨٣)	
حسني باشا	١٨٦٨ (١٢٨٥)	حكم ستة اشهر ، ومات في الدير.
ارسلان باشا	١٨٦٨ (١٢٨٥)	اخضع القبائل : الجبور، والعقيدات ، وشمر، وعنزة ، والموالي وغيرهم. وجعل المشارة والرقة مركزي قائمقامية والحقهما بلواء الدير ، ومات.
عمر باشا	١٨٦٨ (١٢٨٥)	بنى المكتب الرشدي والمتنزه العمومي.

---

١) راجع العدد السابق من المشرق.

قاسم باشا	١٨٧٦ (١٢٩١)	
حسين باشا الحلبي	١٨٧٦ (١٢٩٣)	
علي باشا الشريف	١٨٧٧ (١٢٩٤)	على ايامه انفصل لواء الزور عن حلب . ثم تعلق بالاستانة مباشرة سنة ١٢٩٧هـ.
حسن باشا الفريق	١٨٧٩ (١٢٩٧)	
محمد رشيد باشا	١٨٨١ (١٢٩٩)	
يوسف طالع باشا	١٨٨٣ (١٣٠١)	
ابراهيم باشا	١٨٨٣ (١٣٠١)	شاد مكتبين : صناعياً واناثياً .
احمد توفيق باشا	١٨٨٥ (١٣٠٣)	رمم ما احدثه فيضان الفرات من الخراب .
حافظ باشا	١٨٨٩ (١٣٠٧)	
صالح باشا	١٨٨٩ (١٣٠٧)	ربط الدير بالسلك البرقي مع حلب والاستانة
مصطفى رفقي باشا	١٨٩٣ (١٣١١)	
اسماعيل زهدي بك	١٨٩٣ (١٣١١)	انشأ عشرين مكتباً في القرى ، والمستشفى والجامع الحميدي في الدير .
احمد شكري باشا	١٨٩٧ (١٣١٥)	مات في وظيفته .
احمد رشيد باشا	١٩٠٠ (١٣١٨)	سعى بمباشرة بناية الجسر الكبير .
حسين محرم بك	١٩٠٢ (١٣٢٠)	
راشد باشا	١٩٠٣ (١٣٢١)	
جمال بك	١٩٠٨ (١٣٢٦)	
جلال بك	١٩١٠ (١٣٢٨)	
علي سعاد بك	١٩١٢ (١٣٣١)	
زكي بك	١٩١٦ (١٣٣٥)	وهو الذي امر بقتل الالوف من الارمن .
عبد القادر بك	١٩١٧ (١٣٣٦)	وهذا ايضاً اجهز على الارمن ، ثم دارت الدائرة عليه فحاكمه الكماليون واعدموه .
حلمي بك	١٩١٨ (١٣٣٧)	

اخذنا هذه اللائحة عن مقال ظهر في المشرق ، سنة ١٩٠٧ ، بقلم السيد عبد الكريم نوري ، استاذ اللغة الافرنسية سابقاً في دير الزور ، وعن تعليمات وافانا بها عن سجلات دير الزور الرسمية شقيقنا السيد جوزف توتل . وقد وقع بين هذين المصدرين بعض الاختلاف في التواريخ وفي ترتيب تعاقب الحكام . وهذا الاختلاف يظهر ايضاً عند المقابلة بين لائحتنا واللائحة التي وضعها المستشرق

موسيل[1] وقد يكون سببه سرعة عزل الحكام عن مناصبهم ، وتبلبل جدول اسمائهم في السجلات الرسمية ، فلا يظهر اسم الباشا مطبوعاً في السلنامه الرسمية الا ويكون قد اخلى المكان لغيره . ومن عدد الحكام الوافر (٢٩) الذين تناوبوا الحكم في مدة زهاء نصف قرن ، يفهم القارئ بعض اسباب جمود تلك البلاد السياسي والاقتصادي على ايام الاتراك . فان تغييراتهم المتواصلة دالة على عدم اهليتهم للقيام بالمهمة المعهود بها اليهم ، او بالاحرى على قلة اكتراث الحكومة المركزية للانحاء النائية ورب حاكم اتى الى دير الزور منفياً وكان في الغالب يجهل لغة البلاد ، فلا يروق له فيها طعام ولا شراب ، وما ان يملأ جيوبه من جباية اموالها حتى يطمح ببصره الى وظيفة غير التي هو فيها ، فيتغير من موضعه بعد اشهر ، شأنَ الولاة على عهد الاتراك سحابة القرون .

حكام الدير من نهاية الحرب الكبرى الى يومنا[2]

في ١١ كانون الاول سنة ١٩١٨ ، اي شهراً بعد انعقاد الهدنة بين المتحالفين ، خرج الاتراك من دير الزور ، فدخلها الامير علي ناصر ، وشكل حكومتها مرعي باشا . وفي ٧ كانون الثاني من السنة ١٩١٩ اتاها القائد الانكليزي الكابتن كارثر ، وبمعيته ضباط وانفار من الجنود ومدرعتان ، واقاموا فيها الى ٢١ كانون الاول سنة ١٩١٩ . في ذلك العهد ، هاجم رمضان الشلاش دير الزور من قبل الحكومة الفيصلية ، واخرج منها الانكليز قسراً ، وحكمها شهرين او ثلاثة . وتولى الحكم في الدير في السنة ١٩٢٠ المتصرفون : مولود باشا المخلص ، ومظهر بك ارسلان ، ومصطفى القنواتي ، والحاج فاضل العبود من اشراف الدير .

وفي ربيع ذلك العام دخل الافرنسيون دير الزور ، وعلى رأسهم الكومندان ترانكا (وهو المستشار الاداري ، حالاً ، ووكيل المندوب السامي موقتاً في الدير) ومعهم مدفعان ، وبرفقتهم الامير محجم بن مهيد شيخ عشيرة

---

١) راجع كتابه على الفرات الاوسط ، ص ٣

٢) عن رسالة للسيد عبدالكريم لوله ، فله منا الشكر .

الجزة مع عشائره . فاستقبلهم الاهلون بالترحيب ، وأيد ترانكا الحاج فاضل في وظيفته.

وفي اثنائها خرج الاتراك من اورفا ، وحملوا على الرقة ، وقاربوا منها دير الزور ، وضربوها بمدافعهم . فانضم عشائر محجم واولاد ابراهيم باشا الى الافرنسيين ، ووقفوا في وجه الاتراك وقابلوهم بمدافعهم .

لكن العرب لم يجمعوا كلمتهم على مصافاة الافرنسيين ، فان عشائر ابوهليل وابو عمر هاجموا معسكرهم وقتلوا الضابط ريشارد . واعاد ابو عمر الكرة وهاجموا مركز الطيارات ، وقتلوا الكابيتن روسي وغيره ، واحرقوا سبع طيارات . فخرج عليهم من حلب الجنرال دي بيوفر بالفين وخمسمئة جندي وأدبهم (تشرين الثاني سنة ١٩٢١)

وتعاقب المتصرفون في الدير بالتتابع التالي: خليل اسحق (١٩٢٢) . الامير خطاب الجزائري (١٩٢٣) — نبيه بك الماردينى (١٩٢٤) — جميل الدهان (١٩٢٦) — نافع المقدسي (١٩٢٨) — ابي الخير الجندي (١٩٣٠) - نسيب بك الخطيب (١٩٣١) . وولي النظام العسكري فيها اذ ذاك الكولونيل دي غران رو ، القائد العام الحالي ؛ والكولونيل اندريا ، الجنرال الحالي ؛ والكولونيل ريبر ، واخيراً الجنرال كاله.

ومنذ زهاء اربعين سنة دخلت بلدة الدير في عهد عمران وتجدد ، قد يوقفنا على تطوراته حديث الرواد المعاصرين عنها ، ومراجعة ما جاء في البلاغات الرسمية .

حديث الرواد المعاصرين عن الدير

في ٢٣ كانون الاول ١٨٧٩ زار الدير ساخو[1] ، الرائد الالماني ، فوصفها قال : الدير مدينة صغيرة ، عدد بيوتها ١٥٠٠ ، واكثرها حقيرة ، وهي مبنية بالحجارة واللبن ، وعدد سكانها يتراوح بين الخمسة والستة آلاف . موقعها على

١) راجع كتابه عن سورية وما بين النهرين ، ١٨٨٣ ، ليبسيك ، ص ٢٦١ وما بعدها ، وينسب ساخو عمار القشلات لارسلان باشا ، اما موسيل فينسبه لعمر باشا .

شاطئ الفرات الغربي حيث ينقسم الفرات . حل بها الخراب عند حملة عمر الكرواتي عليها ، فرتقت فتقها ورممت خرابها وظهرت جديدة كانها حديثة العهد بالوجود . ليس فيها اثر لانقاض تنبيء بتاريخها القديم او باخبار القرون الوسطى سوى بقايا سد حجري ظاهرة في المياه ، جنوبي المدينة وشمالها . ويغلب على الزعم ان انقاض المدينة القديمة لا تزال طامسة تحت بناية الجامع المتوسط البلدة ، وما حوله من المساكن المبنية جنوباً وشمالاً على جانب الفرات . وعلى بعد من هناك ، نحو الجنوب ، بناية ضخمة ، مربعة الزوايا ، فيها فناء ، وطرفها الغربي محاذ للنهر ، هي السرايا . وفيها دار السجن ، وهي على يسار الآتي الى البلدة من الجسر . ومن باب السرايا منفذ الى السوق . اما المدينة الجديدة فمشيدة على جانبي جادة واسعة ممتدة من الشمال الى الجنوب ، غربي المدينة القديمة . فيها خانات ، وبستان واسع ، ودار الحاكم وهي محكمة الهندام على الطراز الاوربي . وابعد من ذلك شمالاً الثكنة العسكرية . اما الكنائس فوقعها جنوبي البلدة بقرب ، ومن ورائها حدود صحراء تدمر واكامها ورمالها الجرداء الماحلة .

كان عدد المسيحيين آنذاك يناهز المئة ، اتوا الى الدير من حلب والموصل . ووجد ساخو في السوق جميع الحاجيات من قمح وشعير وذرة وفحم . . . حتى الخمرة الافرنسية الحمراء . وكان فيها خياط يخيط على النسق الافرنجي .

وكانت الدير في السنة السادسة منذ توطدت فيها اركان السلطة التركية ، فصارت متصرفية مرجعها ولاية حلب واسمها الرسمي الزور . وكانت تشمل البلاد الواقعة بين تدمر والدير وميادين وعشاره وابو كمال والخابور وسنجار ونصيبين وديرانشهر ورأس العين والرقة . وكان تحت حكم باشا الدير : قائمقام في البصيرة ، ومدير في الشدادية ؛ وقائمقام في الميادين ، ومقاطعته تدعى العشارة ، لانه كان مقيماً ، سابقاً ، في المحلة المدعوة بذلك الاسم ، الواقعة جنوبي الميادين على الفرات ، وهي الآن خراب ؛ وقائمقام في البوكمال ، على شاطئ الفرات الغربي ، على بعد خمس ساعات من الصالحية .

وتحصن الاتراك في دير الزور وتسلحوا فيها على البدو ، اعني بهم العنزة في

سورية ، وشمر في ما بين النهرين .

وعند زيارة ساخو الدير ، كانوا يتحدثون باستثمار اراضيها ويحاولون تحضير الاعراب على ضفاف الفرات فيشغلونهم في زراعة الاراضي . ومن وراء ذلك الاستثمار من المنافع الاقتصادية والسياسية ما لا يخفى على بصير ، لانه يقطع دابر الفتن والمشاحنات الناشئة غالباً من حياة البادية من عدم التقيد فيها بنظام اجتماعي متين ؛ ويعود بالخير على البلاد بما يؤديه لها من زيادة محصولات الاراضي المفتوحة للزراعة . واخذوا يضعون اساس مشاريع التحضير ، فشادوا الثكنات العسكرية ، وعمروا في جوارها البيوت للسكنى . ولكن قلة المال في الخزينة حالت دون انجاز المشروع بالنجاح .

ونشبت في غضونها الحرب بين المسكوب والدولة التركية فحولت نظرها تماماً عن مصالح بلاد الفرات واهملت الزور وشؤونه . فعادت لمترهـا لميس ، وهجر العرب جوار الثكنات وتركوا ديارها خراباً بين الرقة والدير .

هذا عن احوال المدينة السياسية والزراعية ، اما عن علاقاتها بسائر الولايات وسبيل الاتصال بها فقد تخطى الى الكلام عليه ، البارون الالماني فون اوپنهايم [1] :

في صيف السنة ١٨٩٣ وصل الى دير الزور عن طريق تدمر ، ووصف قدومه اليها بعد مشاق السفر في بلاد تدمر فقال : نحو الساعة السابعة مساء ، بلغنا قمة الاكام الواقعة بين الفرات والبادية والمنحدرة نحو النهر . فاشرفنا من اعاليها على بساتين البلدة وبيوتها ، وعلى الفرات ومياهه الصفراء . واشعرنا بعاطفة فرح ذكرتنا بفرح العشرة الآلاف لما اكتشفوا البحر بعد تيههم العظيم في بلاد الاناضول . ما اعذب مياه الفرات وما احلاها لمن قضى اياماً واسابيع في مجاهل البادية يتكبد مرارة العطش . وما ابهج منظر امواجها للعيون ! من سخنة الى الدير ، كانت الطريق مطلمة ببقايا هياكل الخيل والجمال التي لم تقوَ على قطع المراحل المقفرة ، فسقطت وهلكت في سيرها ! وها ان منظر المياه والنبات

---

١) راجع كتابه : من البحر المتوسط الى خليج العجم ١ ، ص ٢٢٩

يكهرب اعصاب الخيل والرجال وسرعان ما نسير !

وصل اوپنهايم الى الدير نحو الساعة الثامنة والنصف مساء . فاختار منزله شمالي المدينة ، على شاطئ النهر ، في بستان اخضر جميل وقال: ما الذ الاستحمام بالفرات لمن بلغ منه الحر والعطش مبلغه في الامس ، وكان اذا نضح وجهه بقليل من الماء امتص شاربيه المبتلين حرصاً على بعض القطرات من الضياع . ان الجلوس وشرب الترجيلة على شاطي النهر لنعيم بالنسبة للمشاق التي تكبدناها على طريق الشول .

وفي تلك السنة احصى اوپنهايم سكان الدير كما يلي (٢ : ٣٣٢) من ٦ الى ٧ آلاف فيهم ٧٠٠ مسيحي ، وهؤلاء يزدادون سنة فسنة ، وهم من سائر الطوائف المسيحية المعروفة في الشرق، ولهم كنيستان ، وكان للمسلمين جامعان احدهما حديث البناء بني في العام نفسه .

اية كانت في تلك الايام نفسية السكان في الدير ؟ قد يتاح لنا ان نعرفها مما كتبته عنهم رائدة انكليزية ، المس بل[1] ، زارت الدير في اذار سنة ١٩٠٨ ، على ايام ثورة فتيان الترك ، فتصدت في وصف رحلتها لما سمعته في البلدة عن تأثيرات سياسة حزب الاتحاد والترقي فيها ، وذكرت عناء البلاد وتعبها ومللها من نير الاتراك وتشاؤمها من المستقبل . وقالت: تحدثت الى احد اصدقائي من اعيان المسلمين في الدير عن الحالة السياسية فقال : بلغ احدنا الدعوة الى حزب الاتحاد والترقي فابى تلبيتها وقال : انا صاحب اشغال وهم اصحاب اقوال.

ثم قالت : ان المفكرين من اهل الدير يعتقدون انهم قادمون على عصر فوضى . وقال احدهم ان نظام السلاطين مضى وتلاشى. اما نظام حزب الاتحاد والترقي فوام ضعيف وتحت رماده نار الثورة والاضطراب . والثورة معناها اهراق الدماء . ويا لبني عثمان من الويل والدمار ! واهل السلام والامن يأتيان من اوربة !

---

(١) راجع كتابها « مراد الى مراد »:

G. L. Bell, *Amurath to Amurath* ; *London*, 1911, p. 7-.

فقالت له مس بل : الا قل ان السلام والامن الحقيقي هو الذي تستحوذه البلاد بجهودها.

فقال : وهل من امل ان يرى هذا العهد اولاد اولادي ؟ — اين الوحدة العربية ؟ ان اهل حلب ينظرون الى اهل الدير نظرهم الى الغريب الغير المرغوب فيه ، وكذلك اهل الدير ينظرون الى اهل دمشق ولا وحدة للامة العربية ، اما الاراضي وحالتها فهي مما يرثى له . لي املاك تقدر بخمسة عشر الف ليرة انكليزية وهل يوجد من يشتريها بخمسة عشر الف غرش ؟

***

هذا وان تشاؤم السكان تغيّر الى التفاؤل واخذوا ينظرون الى المستقبل بعين الامل منذ عهد الانتداب الافرنسي. واملهم اشدّ تعلقاً به من سائر سكان سورية ولبنان، لانهم لا ينفكون ساعة يشعرون بانه لولا وجود الجنود الافرنسية في الدير لاغار عليها العرب من كل صوب وفج.

وفي ٨ نيسان ١٩١٢ قدم دير الزور لويس موسيل ، عن طريق البادية ، فاذا هي غير ما عهدناها منذ عهد ساخو وروسو . قال :

الدير واقعة على شاطي الفرات الايمن تجاه حديقة خضراء يربط بينهما جسر ، فيها ست مآذن بيضاء منتصبة وبساتين ، وحقول واقعة شرقيّ البيوت . اما القشلة فهي شمالي المدينة وبالقرب منها معسكر الشركس ، وفي شمالها الصالحية او بساتين صالح باشا . وبنايات البيوت في جانب المدينة الشمالي الشرقي عالية بارزة . وهذه اسماء احياء المدينة : محل الشيخ ياسين ، وابو عابد ، والرشدية ، والجامع الكبير ، والوسط ، وعبد العزيز . وسرايا الحكومة واقعة بين الفرات ومحل عبد العزيز . والجامع العمري قديم وهو في وسط البلدة.

ومن وجوه المسلمين بيت الفتية ، وبيت عبد العزيز ، وبيت خطار . ومرافق الارتزاق للاهلين على الاخص من التجارة . فانهم يبتاعون الصوف ، ويصنعون السجادات والحرامات للفلاحين والبدو ، ويبتاعون سمن الماعز والغنم ويصدرونه للشام ، ويستوردون منها ومن حلب المواد المصنوعة في اوربة ، وعلى الاخص مصنوعات القطن والكتان . ويجلبون من بغداد التنبك والعباء الجميلة .

ويبتاعون في بيرجك «الكلكات» المشدودة فيحملونها قمحاً وشعيراً ، ويركبون الفرات فيبلغون الى الدير فالفالوجه ، في ثمانية او عشرة ايام . وهناك يحملون الحبّ على المركبات او على الدواب ، ويبيعون الكلكات بزهاء مئتي غرش ويعودون الى وطنهم . ومن حين الى حين يبتاعون من العراق السمن او غير ذلك من الموادّ ويحملونها على مراكب شراعية وينتقلون بها من محطة الى محطة فيعرضونها للبيع . ان قطع المسافة ما بين الفالوجه والدير يقتضي زهاء شهرين صعوداً .

وقدّر موسيل عدد السكان باربعة آلاف مسلم و٨٠٠ مسيحي و٢٠٠ يهودي ، في السنة ١٩١٢ .

وكان فيها من الجند ٤٠٠ بغال ، و١٢٠ جندرمة . ومما ساعد على رواج حركة الاشغال في الدير مرور بريد بغداد فيها ، لانه تحول عن طريق الشام الى طريق حلب فالفرات . فكان يقطع المسافة بين الشهباء وبغداد بثمانية ايام . وكان الساعي اذا تأخر عن ميعاد وصوله أُلزم بدفع جزاء نقدي ليرة عثمانية ذهباً . وكان مرجعه الى ملتزم البريد في الدير ، وهذا يقبض ١٠٥ ليرات عثمانية ذهباً تلقاء خدماته . فيسرج الخيل ويرهبها لقطع المراحل بالتناوب سريعاً .

وهذه كانت محطات السفر للمركبات بين حلب وبغداد عن طريق الدير : حلب ، نهر الذهب ، المسكنة ، الحمام ، السبخة ، تبني ، دير الزور ، الميادين ، هيت ، الرمادي ، الفالوجه ، بغداد .

في قداسة الكنيسة

للاب ارمند اودين ، احد كهنة رهبنة قلب يسوع الاقدس*

١ ما هي القداسة الواجب ان تمتاز بها كنيسة المسيح ؟ – ٢ هل توجد هذه القداسة ، في الكنائس المنفصلة عن الكثلكة ؟ – ٣ وجودها وسطوعها في الكثلكة. – ٤ ردّ الاعتراضات .

٣

وجود القداسة في الكثلكة

اول الشروط اللازمة لقداسة جماعة ، هو ان يكون فيها تعليم يسوع المسيح محفوظاً ، ليس على صفحات الكتب فحسب ، بل في العقول والقلوب ايضاً ؛ بحيث يكون مدروساً ومفهوماً جيداً ، وتكون قضاياه بمنزلة قواعد يُعمل بموجبها . فانظر ، ايها القارئ اللبيب ، الى الكنيسة الكاثوليكية واحكم هل هذا الشرط محقق فيها ام لا ؟ انظر ما بذله الاحبار الرومانيون ، منذ القديم الى ايامنا هذه ، من شديد العناية ليمنعوا كل تعليم باطل فاسد عن الانتشار بين المؤمنين . انظر كثرة معلمي اللاهوت ومفسري الاسفار المقدسة ، الذين وقفوا معظم حياتهم على استقصاء الحقائق الموحاة ، وتبيين نتائجها والمحاماة عن صحتها . انظر بأية همة ومواظبة يجتهد الخوارنة في تهذيب الصغار الديني ، وفي صيانة ايمان الكبار بما يلقونه عليهم من المواعظ والارشادات الروحية . انظر عدد المجلات الدينية التي جلّ غايتها تكميل ما احرزه القرّاء من معرفة الامور الالهية ، وتفنيد ما يسمعون او يخطر على بالهم من حجج الاعتراض والارتياب . هذا ما نراه جارياً في الكثلكة في ايامنا اكثر من ذي قبل ، مع ان مصباح العلم اللاهوتي لم ينطفئ قط في حضنها . فاي الجماعات المنفصلة تتجاسر على المقابلة بينها وبين الكثلكة من هذا القبيل ؟ وماذا يجوز ان نطلبه ، فوق ذلك ، لنقول : ان امنا الكنيسة الرومانية حفظت بتمام الامانة على وديعة التعليم الالهي ؟

* صحح عبارته . وعني بنشره القس اسطفان فرحات اللبناني .

ننتقل هنا الى ذكر شيء مما تردان وتفتخر به الكثلكة من جواهر الفضائل المتلألئة في سير قديسيها . فما اكثر هؤلاء عدداً ! وما اسمى درجة الكمال الأدبي التي بلغتها فيهم الطبيعة البشرية ! وما اعجب ما باشروا من الاعمال العظيمة التي تذهل كل من يتصفح التاريخ ، وتحمل كل انسان على الاقرار بها . ومن يستطيع ان يحصي الذين حبسوا انفسهم في الاديرة ليعيشوا هناك عيشة سماوية . والذين خصصوا حياتهم لاعمال المحبة والغيرة ، كمعالجة المرضى ، واسعاف المساكين ، وتربية الاحداث ، اولئك الذين يفنون قواهم في سبيل الخير ، افناء ملموساً . فماذا حملهم عل تلك التضحية بذواتهم يا ترى ، الم يكن حب المسيح ؟ وماذا نقول عن بسالة المرسلين الذين يغادرون اوطانهم المحبوبة واهلهم الاعزاء ، ويتجهون الى اقطار مجهولة ، حيث لا يتوقعون سوى حياة كلها اخطار واتعاب وعوز وشقاء ؛ وربما انتهى بهم الامر الى الموت تعذيباً . هذا ، على ان الامر لا يتوقف عند هذا الحدّ مع هؤلاء الابطال فحسب ، بل كثيراً ما نرى مثله في الكهنة الذين لم يدعهم الله الى الاستشهاد في بلدان الوثنيين والهمجيين . فانهم يضحّون براحتهم وبكل غالٍ ونفيس لديهم في سبيل خدمة الدين الحقيقي ، دون ان يتوقعوا عليها ادنى جزاء ، بل كثيراً ما يغمط الناس نعمهم ، ويبادلونهم الخير بالشر ، ويوغرون عليهم الصدور ، ويقذفونهم بكلام الهزء والسخرية . اما هم فيحتملون ذلك بصبر جزيل ، عملاً بوصية السيد المسيح ، لاسمه السجود : « طوبى لكم اذا عيّروكم ، واضطهدوكم ، وقالوا عليكم كل كلمة شريرة كاذبة . فحينئذٍ سروا وافرحوا . . . » هذا هو سلوك الاكليروس الكاثوليكي . وانه اليوم كما كان في الامس . فمن ينكر ان في هذا دليلاً جلياً على قداسة الكثلكة ؟

لقد اشرنا الى ما كان ، ولم يزل نصيباً لبعض الكهنة والمؤمنين ، من الاضطهاد . فيحسن بنا الّا نضرب صفحاً عما في ذلك من زيادة ايضاح واثبات لقداسة الكثلكة ، ولكونها هي كنيسة المسيح الحقيقية . لذلك نقول :

١ً ان يسوع المسيح نفسه انبأ تلاميذه بان العالم سيبغضهم ويحاربهم بشدة وقساوة ، ويفرغ قصارى جهده ليطفئ مصباح الحق الذي يسعون في نشر ضوئه . واننا نرى ان هذه النبوة لم تزل تتحقق في جماعة الكاثوليك دون سواها ، وذلك من عهد الرسل حتى ايامنا هذه . اذاً فما هذا الا دليل واضح على ان الكثلكة هي الجماعة التي أسسها المسيح ووجّه اليها كلامه ، في شخص تلاميذه الاولين .

٢ً يجب ان تتشبه كنيسة المسيح بمدنها ورأسها ، كل التشبه الممكن. وهذا ما يتمّ بكونها عرضةً للاضطهاد. فان يسوع نفسه كان هدفاً لكراهية العالم ومعارضة الخبثاء ، مع انه لم يأتِ إلّا لخلاص البشر ، والاحسان الى الجميع . وكذلك كنيسته قد تعيّن عليها ان تسعى دائماً الى خير البشر ، ليس الروحي فحسب ، بل الزمني ايضاً . وهي التي تعلّم الناس ان يتحابوا ويتآخوا ويتعاونوا ، وتجتهد في تخفيف اوجاعهم ، وسدّ حاجاتهم ، ومع ذلك لها دائماً خصوم الدّاء ، يتحالفون على اهلاكها. وبمقدار ما يؤيدونها بذلك مماثلة بيسوع المسيح ، يبرهنون على كونها كنيسته الحقيقية.

٣ً ان البغض الذي عنى به السيد المسيح لا سبيل الى تعليله الا بالقول : ان اصله هو روح الكبرياء والخبث الذي كان ابليس اول ابن له . فهذا الملاك الساقط هو الذي يستخدم المنافقين اعوانه كآلات لاضطهاد الكنيسة ، كما حرّك اليهود قديماً على رفض المسيح وصلبه . وقصده هو واحد في كل آن ، اي ملاشاة ملكوت الله. فلماذا لا يضطهد هو وخدامه بقية الكنائس ، كما يضطهدون الكنيسة الكاثوليكية ؟ . أليس لعلمهم ان هذه هي دون سواها ، جسد المسيح السري ، وملكوت الله على الارض ؟

٤ً لان ديمومة الكنيسة ، بالرغم من تلك المحاربة العنيفة ، وما ظهر من الجرأة والبسالة في الوف من الشهداء ، ابناء الكثلكة الذين ختموا ايمانهم بدمائهم ، انما يثبتها اعجوبتان بهيّتان ، لا ينسبهما عاقل الى القوى البشرية ، بل يقرّ ان هناك يد الله القادرة على كل شيء . فالجماعة التي لا تزال هاتان الآيتان تلمعان فيها على مرأى كل انسان ، هي موسومة بختم الهي . واذن

فهي عروس يسوع المسيح الحقيقية . وزد على ذلك ان الله لا يفتأ يجري في الكثلكة معجزات كثيرة تكميلاً لاعلان قداستها . ومن هذه المعجزات ما يحدث في بعض المزارات المشهورة التي اختارها الله لتكون مواضع التقاء للزوّار الاتقياء الآتين اليها من مختلف الاقطار. ولنا من شهادات الكثيرين على ذلك ما ينفي كل مجال للارتياب في صحتها ، وكثيراً ما يجري اطباء ماهرون فحص بعض المرضى ، الذين لم يكونوا ليشفوا من امراضهم بايّ نوع كان من العقاقير ، فيفضي الفحص الى تحقيق كون الشفاء اكيداً وتاماً ، واذن فهو باعجوبة يضطر ارباب العلم الى الاعتراف بها .

وفضلاً عن تلك المعجزات ، ان الله يصنع غيرها ايضاً ، مكافأة لايمان من يستشفعون بعض اوليائه ، الذين يشاء تعالى ان يعلن قداستهم ، ويزيد المؤمنين ثقةً بحمايتهم . ولتحقيق هذه المعجزات قد ألف الاحبار الاعظمون جمعية وكلوا اليها اتخاذ كل ما يستطاع من التدابير المفيدة لابعاد اسباب الغشّ والرثاء . فتارةً يسفر البحث عن عدم ثبات بعض ما فشا خبره من الحوادث العجائبية ، وطوراً بالعكس ، فانه ينتهي بكون الاعجوبة مؤكدة ، بحيث لم يبقَ لانكارها من سبيل . وعدد ما اثبت بهذه الطريقة من الاعاجيب يحصى بالمئات بل بالالوف ، وما زال يزداد كل حين . فما هذا الا ختم الله تعالى المصدّق على بهاء فضائل قديسيه ، وقداسة كنيسته الحقيقية .

٤

رد الاعتراضات

رب قارئ يخال اليه ان ما قلناه عن غيرة المرسلين ، وتفاني من خصّصوا حياتهم لاعمال المحبة ، ليس بكافٍ لاثبات قداسة الكثلكة ، لانه يغزر مثل تلك المفاخر عند البروتستان ايضاً . فانهم نشروا رسالاتهم في نواحي المسكونة كافةً ، لا بل انشأوا من المدارس والمياتم والمستشفيات ما يفوق المؤسسات الكاثوليكية .

نعم ، ايها القارئ العزيز ، انك اذا لم تعتبر سوى كمية المال المنفقة ، وعدد

الابنية وكثرة المستخدمين فيها ، ووفرة ما هنالك من اسباب الرفاهية ، فانت صادق ؛ ان المؤسسات البروتستانية تفوق المؤسسات الكاثوليكية تفوقاً محسوساً . ولكن ، يا رعاك الله ، قابل بين الطرفين ، بالنظر الى ما يمارس فيهما من الفضائل المسيحية ، وخاصةً من التضحيات بالذات والتجرّد عن المنافع الزمنية والتسليات البشرية ، يظهر لك تغلب الكثلكة على تلك لا محالة لان الذين يشتركون في اعمال البروتستان المذكورة قلّما يحركهم اليها روح الكفر بالذات ، وان مساعيهم لا تخلو من التعلق بالاغراض الدنيوية ، وبكثرة المال . ومعلوم ان بالمال جميع اسباب الرغد والهناء ، ومع هذا ، لا سبيل للتضحية وبذل النفس . فهيهات ان يكون في رسالات البروتستان وسائر مشاريعهم شيء يدل على انهم يساوون او يسابقون الكثلكة في القداسة ، بل بالعكس . فان اختلاف الثمار التي تأتي بها كلتا الشجرتين يوضح جلياً ان حياة هذه ، اي البروتستانية ، لا تتعلق الا بالمبادئ البشرية ، اما الاخرى ، اي الكثلكة فلها حياة تفوق الطبيعة ؛ ولا يقدر على اعطائها وصيانتها سوى الروح الالهي ، الذي وعد السيد المسيح بانه يستقرّ ويعمل في كنيسته على الدوام .

الا ان بعض خصوم الكثلكة يعترضون على قداستها قائلين : ان فيها عيوباً تضاهي تماماً ما في سائر الجماعات البشرية من الشوائب . فليست اذن الكثلكة افضل واقدس مما سواها من الجماعات . ولتأييد قولهم هذا يوردون ما يخبرنا به التاريخ عن سوء سلوك بعض الاساقفة والبابوات ، ويشكون عموماً من شائبة الكبرياء ، زاعمين انها هي التي اقتادت الاحبار الرومانيين الى الادّعاء بالرئاسة على الكنيسة برمتها . ثم ينحون باللوم على رؤساء الكنيسة بانهم اعتادوا الفخفخة والرفاهية في عيشهم ، خلافاً للفقر الذي اتخذه يسوع المسيح نصيباً له ، واوصى تلاميذه بالمحافظة عليه ؛ ويذكرون اخيراً ما نجم من المآثر عن سلوك بعض الكهنة والرهبان ، وكان الواجب عليهم ان ينيروا الجميع بضياء قداستهم . فبعد ما جمعوا كل تلك الشكاوي ، كأني بهم يهتفون هتاف المنتصر ويسألون : اين قداسة الكثلكة ؟

فنذكرهم اولاً بما قلناه في القسم الاول من هذا المقال من ان الكنيسة

هي جماعة بشرية ، خلق افرادهـا من طينة آدم ومنائه . واذن فلم يكن ممكناً ، ان يخلوا مما في الناس من الشوائب . وانه ولئن كان علمنا الرسول : « ان المسيح احبّ كنيسته وضحّى بذاته لاجلها ، لتصير جماعة كاملة كليـة الطهر » ، فهذا الكلام يدلنـا على منتهى الكمال الذي تجتهـد الكنيسة في الاقتراب منه . امّا حصولها التامّ عليه ، فلا يكون الا في الحياة الابدية.

ثانياً : نجيبهم ان كثيراً من العيوب والقبائح التي عزاها خصوم الكنيسة الى رؤوسائها واكليرسها قـد برهن التاريخ الحقيقي على عدم صحته . لذلك يجب التميز بين الصحيح منها والملفق تلفيقاً ، ممّا يكتبه اولئك الخصوم بهذا المعنى، او ينقلونه نقلاً عن روايات كاذبة ليس غايتها سوى الافتراء على الكنيسة الكاثوليكية واتهامها بالعار .

ثالثاً : اننا ننكر ما يقـال: ان البابوات يتشامخون ويطمعون في الرئاسة. فان سلطتهم العامة ليست اختلاساً. بل اولاهم اياها يسوع المسيح ، في شخص بطرس الرسول ، الذي انابه عن ذاته ، كما يتضح من المباحث اللاهوتية المتعلقة بصورة الجماعة الكنسية . فكان اذن من الواجب على الاحبار الرومانيين ان يحافظوا على تلك الولاية التي ورثوهـا من بطرس ، وان يدرأوا عنها كل من تعصب ضدها ، من مبدعي الشيع ؛ ولو انهم اهملوا ذلك ، لما كان منهجهم هذا تواضعاً وتساهلاً ، بل جبانة وخيانة.

رابعاً : ان ما ينحي بـه الخصوم باللوم على رؤساء الكنيسة لابتعـادهم عن روح البساطة المسيحية والاقتداء بفقر الرسل ، فما كنا لننكره عليهم ، لو انهم كانوا حصروه في بعض الرؤساء . امـا وانهم اطلقوه على الجميع ، فانه مردود . وبالتالي اننا نحصره في بعضهم ، ممن لا ننكر انهم افرطوا في حب البذخ وسعة العيش . ومع ذلك فقد اتخذوا هذه الوسائط الملموسة من المجد الظاهر ليظهروا سموّ عظمتهم، وشرف مقامهم للغير، فيؤديهم الاحترام الواجب، والاعتبار اللازم. لاسيما وان الكنيسة هي جماعة كبقية الجماعات. واذن فما دام هذا شأنها ، وجب ان تتخذ مثل هذه الوسائط لصيانة سلطـة رؤسائها. وربما كان هذا مبرراً لاولئك الرؤساء طالما كانت هذه غايتهم ، من المجد الظاهر.

غير اننا لا ننكر انه قد وجد بين الاكليروس في خلال بعض العصور ، من استسلم للشهوات والاميال البشرية السافلة ، الا انه لا يمكن لاديب عاقل ان يطلق هذه الحال على كل جماعة الكنيسة . بل لا شك في انه يحصرها في الافراد الذين تورّطوا فيها. اما الشريعة الالهية فلن تزال الكنيسة محافظة عليها شديد المحافظة ، وتنادي بوجوب الامتثال لها ، والاذعان لمبادئها المقدسة. واما تلك العيوب فمهما كثرت وقبحت نشأتها فلا يمكن ان تحجب سطوع فضائل القديسين ، ومحامد الصديقين. ويجب ان لا ننسى ان هذه تفوق جداً قيمة وكثرة ما يبدو منها لاعين الملأ. لان اصحاب التقوى يؤثرون عادةً ان يمارسوا الفضيلة ويباشروا اعمال البرّ خفيةً ، بحيث لا يطّلع على مآثرهم العجيبة سواه تعالى. ومع ذلك اذا اعتبرت ، يا هذا ، ما يرد في تاريخ القديسين من طهارة اخلاقهم ، وجمال اعمالهم ، وغزارة مواهب الروح القدس في انفسهم ، اضطررت الى الاعتراف بان اللآلئ التي ازدانت بها عروس المسيح تفوق ما لم يزل في بعض اعضائها ، من آثار الضعف ، وضروب الفساد ، التي تتلد لا محالة من الطبيعة البشرية الساقطة.

ولا يفتك ايضاً معرفة ما لا تنفك الكنيسة عن بذله من الجدّ في استئصال تلك الغراس الخبيثة. فانها لا تملّ عن تنبيه الضالّين ، وحضّ الخطأة على التوبة ، وتنظيم الرياضات الروحية ، وتحريض المؤمنين على التأملات الخلاصية ، وتنشيطهم في الصلاة وفي فحص الضمير ، وقبول الاسرار . وما هذا كله الا ملح فعّال يميت جراثيم الفساد ، ويصون الحياة الالهية ، في الآنية البشرية الواهنة.

فحبذا لو شاهدنا شيئاً من هذا الاعتناء والاجتهاد في الجماعات الغير الكاثوليكية ، بحيث يجوز الظن ان النفوس ، هناك ايضاً ، تعالج بمثل تلك الادوية الروحية ، لتبرأ من امراضها النفسانية ، وتترقى في سلم القداسة لتصل الى حيث تحصل الكنيسة نفسها على كمالها النهائي ، وتمام اتحادها بعريسها ، ورأسها يسوع المسيح الذي له المجد ، الى الابد . امين !

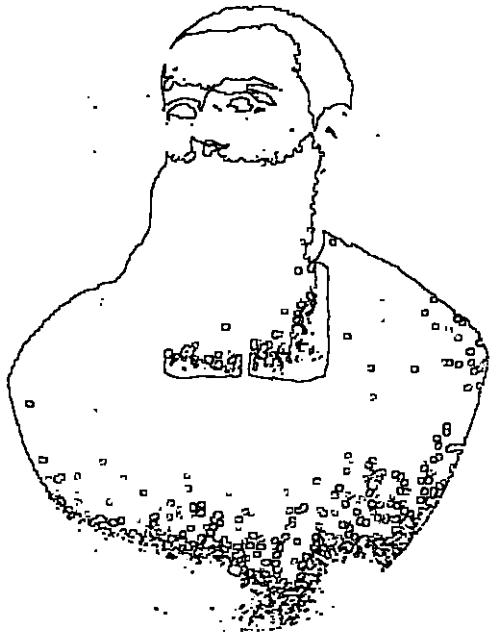

الاخ سارونيم ڤكتور (١٨٧٩ ــ ١٩٢٢)

وقفتَ نفسك للتهذيب ، مُرتقياً ذرى العُلوم ، بعزم صادق الهِمَم
نظمتَ شعراً ، وصُغتَ النثرَ مُنسجماً ؛ أعجِبْ بمنتظم ، أعذب بمُنسجم

ا . ت .

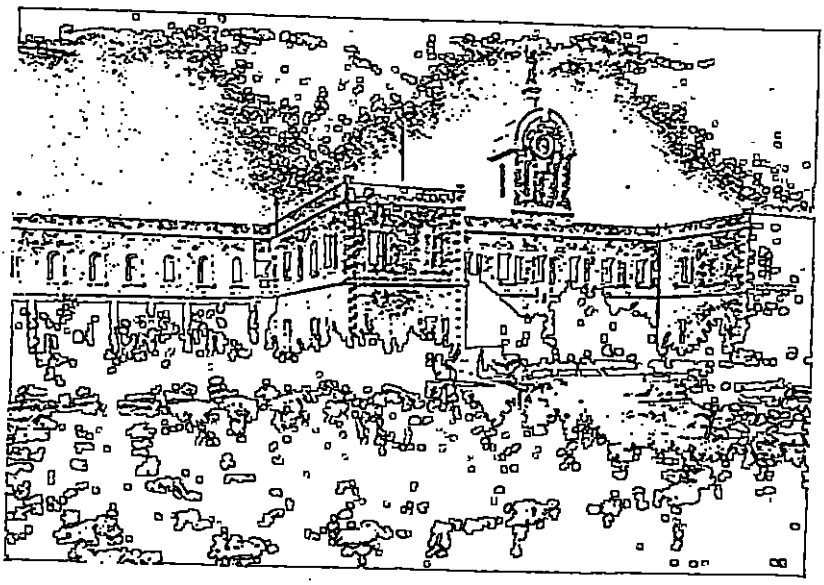

دير اخوة المدارس المسيحية في بيت لحم المخصَّص بطالبي الدخول في الرهبانية

منظر دير الزور من الطيارة العسكرية

بناني مجهول

الاخ ساروفيم ڤكتور (١٨٧٩-١٩٢٢)

من اخوة المدارس المسيحية «الفرير»

بقلم ا. م. ب.

٢

الدروس — الترجمة والتأليف

باشر رشيد دروسه، وانكبَّ على الممارسات الروحية الابتدائية للرهبانية. وقد كان احبَّ الدروس اليه اللغة العربية التي رضعها مع الحليب، فجدَّ في درسها بلبنانيته وميله الفطري. لكنه كان يقدّس الدرس بالنية الصالحة، وبغيرة رسولية تأهباً لمهنته المقبلة. فهو لم يدخل الرهبانية الا ليقدّس نفسه، ويسعى في سبيل خير ابناء بلاده خاصة، والبشرية جمعاء.

ولما آنس من نفسه الكفاءة في الانشاء، باشر ترجمة كتب الرهبانية، التي وضعها المؤسس القديس يوحنا دلاسال، لخير رهبانه. وقد رأيت بعض هذه التراجم للفتى رشيد، فأكبرت ذينك الاقدام والتضحية من لدن شاب ذكي في عنفوان الصبا. فانه لم ينقد للهوى فيترجم أو يؤلف ما يلذّ للشباب، من مآتي الخيال والشاعريّة بل ترجم ليتفهّم اكثر فاكثر معنى الحياة الرهبانية، ويزداد رسوخاً في المعنى الذي اختاره . . . فمن طالع ما ترجمه الاخ ساروفيم الشاب، لا يدري أهو تأليف عربي محض ام ترجمة عن لغة أجنبية، بشير خير لمستقبل باهر.

وكانت نتيجة ذلك ان ازداد الاخ ساروفيم تملّقاً في دعوته، وتسلّح بتقوى مكينة ليظلّ راهباً صالحاً، على رغم ما اعترضه فيما بعد من المصاعب والعقبات. فاحتمل مشقّات الحياة الرهبانية القشفة بشهامة وثبات، لتذرّعه بروح الايمان.

ولولا التديّن الصادق والعفاف الملائكي ، لمبت في رشيد عطا الله روح الكبرياء والخيلاء ، عندما عُيّن مديراً للدروس العربية واستاذاً للبيان في جامعة الاخوة بالقدس ، وهو لم يتجاوز ١٩ ربيعاً.

ولكن فضيلة التواضع عصمته من الزلل ، ومن رذيلة التبجّح . فهو لم يفتخر قط بمعارفه . ومن لم يعاشره ، أو لم يتتلمذ له ، أو لم يقرأ مؤلفاته ، لم يكن ليدرك ان هذا الراهب الوقور الرزين ، يُلمّ بكثير من المعارف واللغات . فقد أدرك من العربية ما قصر عنه كثير من الادباء ، واتقن الافرنسية وآدابها كالمتضلعين منها ، والانكليزية والموسيقى ، والرياضيات . . . لكنه لم يكدّ في الحصول على العلم ، الّا ليقوم بواجباته خير قيام ، وينفع رهبانيته حق المنفعة.

مدير الدروس في القدس

« اسمح لي ان أبدي لك اعجابي بمعارفك الجمة ، فانت أحد أعلام العربية وعارفي اسرارها. » هذا ما وجهه المرحوم الشيخ سعيد الشرتوني اللغوي الشهير، للاخ ساروفيم بعد زيارته معهد الاخوة في القدس ١٩٠٩ .

لم يكن للغة العربية شأن في المدارس الكاثوليكية في فلسطين منذ ٣٥ سنة. وكان معهد الاخوة ، في القدس اكبرها . وقد كانت العادة حينذاك ان ينهي الطالب دروسه في معهد الاخوة ، ثم يدخل المدرسة الانكليزية بالقدس ، ليتمّ دروسه العربية.

فآلم الاخ ساروفيم ان تُعدم جامعته المحبوبة ، ركناً من اركان التعليم الضروري في بلاد عربية.. فكان هو ذلك الركن . فاستلم الصفّ الاعلى ، وأخذ يُلقي دروسه كمن ملك ناصية اللغة وفقه كنهها . فحبّب الى تلامذته لغة أجدادهم. وانقلب وجه الامور. فأصبحت جامعة الفرير عماد اللغة العربية وركنها ، ومحجة الفصحى ، والمدرسة العليا في فلسطين لمن رغب التعمّق في العربية.

وتهافت التلامذه من جميع طبقات الامة وأديانها ، ليرتشفوا زُلال العلم الادبي ، الذي اصبح قريب المنال بفضل حسن اسلوب المدير الجديد .

وقد وضع منهاجاً للدروس العربية ، فريداً في نوعه في ذلك الزمن ، بناه على معرفة القراءة العربية وجودة النطق بها ، وتفهم معنى ما يُقرأ ، وبلوغ ذلك بواسطة اسئلة عديدة واستظهار معنى المفردات ، التي كان يعدّها ذخراً للطالب يُمهد له الكتابة ، لمعرفته الالفاظ ومعناها وعلاقتها أو اتصالها بعضها ببعض .

واني أعزو نجاح الاخ ساروفيم ، الى شديد اعتنائه بالاستعداد على الدروس وتدوينها يومياً في دفاتر كانت للاساتذة انموذجاً ومرجعاً ، لما حوته من التبويب الحسن ، والملاحظات القيمة ، والشروح التي كان يرغب ان يدوّنها التلامذة ، ولاسيما فيما يختصّ بقواعد العربية والتمارين ، وتصريف الافعال .

وقد رأيت تعليقه على كتاب علم الادب للمرحوم الاب لويس شيخو . فاتمّ ما نقص ذلك السفر الجليل ، ودلّ على فهمه التام لعلم بيان العربية ، وما اندر فاهمي هذا العلم ! ودبّت الحميّة في الاساتذة فاخذوا يحذون حذو مديرهم الشاب . فاصبحت الصفوف العربية جنة علم واستفادة ، بعد ان كانت ممقوتة تمضي دون كبير فائدة .

فكنت ترى الاساتذة ، حتى المتقدّمين المحنكين ، لا يأنفون من الاستنارة بمعارف الاخ المدير ، مستوضحين ما كان يظهر لهم غامضاً في اسلوب التعليم الجديد . . .

مرضه — وفاته

اخيراً لم يبقَ لذلك الذهب الّا بوتقة الالم لينقّى من الشوائب . فافتقده الله ، بالقدس ، بداء الصدر الوبيل منذ السنة ١٩٠٨ . فحاول الاستشفاء ، طوعاً لامر الرؤساء ، تارةً في لبنان واخرى في وادي النيل . فلم يجده التنقّل نفعاً . فعاد الى فلسطين حيث رأيته بأم عيني يقاسي الامرّين من داء لا مردّ لفتكاته . ولدى كل نوبة كان يحسب انها مؤدية بحياته ، فيطلب الاسرار الالهية ويقبلها بكل ورع سائلاً اخوانه الصفح عن سيئاته .

ثم قضت مشيئة الله بان يُحمل الى فرنسة ، فسافر ومعه بعض الكتب العبرانية ليزداد تبحّراً في لغة كان درسها سابقاً ، مملّلاً النفس بالعودة الى الارض المقدّسة .

ولكن استحكام الداء لم يترك مجالًا فسيحاً لهذا الامل المنعش . فقاسى فقيدنا الآلام المبرّحة مدة ٩ سنوات كتب في خلالها واصفاً حالته : « أرأيتك لو سقطت قطرة ماء على صخرة مدة سبع سنوات فماذا تظنها تعمل فيها ؟ ايها الحبيب ، الجسم سقام وآلام وحطام ، والقلب همّ وغمّ وكلام ، والفكر حزن وضنك وظلام ، وانا من جرّاء ذلك في هاوية لا يدرك قرارها ولا يستطيع ان ينشلني منها الّا الخالق القدير . . . » على انه درس في غضون ذلك . . . وما عساه ان يدرس ؟ درس ما طالما مارس وعلم بمثله ان يمارس ، درس الصبر . وما اصعبه على من بسم له الدهر مدة ثم رأى تلك البسمات تتحوّل الى تجهّم وعبوسة ؟ وهو الذي كان يكرّر علينا في الظروف الصعبة : « الصبر ! الصبر ! العين لا تقاوم مخرزًا ! » . وقد جنى من تلك المحنة الشديدة فضيلة الاستسلام لارادة الله ، فقال مع يسوع المنازع : « لتكن مشيئتك ، لا مشيئتي ! » ولبث السنة الاخيرة من حياته في تلك الحالة التي اذعن فيها لارادة الله ، ريثما اهاب به داعي ربه فلباه في ٢٢ كانون الاول سنة ١٩٢٢ ، في مدينة مولن (Moulins) في فرنسة ، ولم يرَ الرابعة والاربعين من سنيه .

صفاته

امتاز المرحوم الاخ ساروفيم بجميع الفضائل التي يزدان بها الرهبان فتدفعهم الى اتمام الواجب الذي خصّصوا ذواتهم له من التجرّد والتضحية والطاعة . وكان ابرز هذه الفضائل فيه التؤدة والصمت والتواضع .

كان متروياً رزيناً في كل ما يقول وفي كل ما يصنع . ظهر اثر ذلك في جميع اعماله وتآليفه سواء كان في النثر ، وكتابه « تاريخ الآداب العربية » شاهد لما اتاه من النحت والشذب والصقل ليسلس انشاؤه ؛ وفي الشعر ، ونظمه ، وان قليلًا ، دليل على اخذه بالاعتدال في اي فنّ طرقه من مدح ورثاء ومزح وغيره .

وكذلك كان في كلامه متروياً مقتصدًا ، يألف الصمت ؛ فيزيده وقارًا وهيبةً ليست بالمزعجة . وقد حفظه الصمت من اغتياب الغريب ، ووفّر له

اسباب التفكير وانضاج المشاريع ، وسهل عليه طرق التأملات الدينية ومناجاة الله .

والصمت والتواضع توأمان . ولذا فمن حدث عن عالم صامت حدّث عن عالم متواضع . وما ابعد ما كان حبّ الظهور عن الاخ ساروفيم ! انه مؤلف ، ومع ذلك يبحث الانسان عبثاً عن اسم له على ظهر كتاب . وهذا اشهر كتبه « تاريخ آداب اللغة العربية » يظهر وليس عليه اسم صاحبه ، وذلك بارادة الاخ ساروفيم نفسه . كانت ايام الحرب ، وكنا في الاسكندرية والمرحوم في فرنسة . وكان قد بوشر طبع الكتاب ، وأُخذ بارسال المسودّات الى المؤلف . فأُرسلت « الملزمة » الاولى ، وعلى الصفحة الاولى منها بحرف كبير : « تأليف الاخ ساروفيم » ومضت بضعة ايام واذا بالملزمة تعود من لدن المؤلف وقد شطب على اسمه وكتب تحته : « تأليف احد اخوة المدارس المسيحية » . . . دارت الليالي واذا بمن أُلقيت في ايديهم مقاليد الحلّ والربط الفوا ان الكتاب يضخم جداً ان طبعت كل التراجم المخطوطة ، فتقدموا الى المؤلف بحذف فصل ثم فصل ؛ فكان يصدع للامر رغم معرفته بانه سيُحتاج عاجلاً او آجلاً الى ما يحذفون في تلك الطبعة : وقد حدث ما كان يتوقعه . . . وهو ، فضلاً عن ذلك ، لم يشأ ان تطبع له قصيدة او خطاب او رواية ؛ وان كان طبع شيء فقسراً او على غير علم منه . بيد ان عاطفة الشكر دفعت احد مواطنيه من الاخوة فطبع بعض رواياته التمثيلية منذ سنتين في مجموعة سماها « الذكرى الخالدة » وكان قد سبق ونشر موجز ترجمته في الطبعة الثانية من كتاب « تاريخ الآداب العربية » .

تآليفه

الروايات — الامالي

من عرف ما يقاسيه اخوة المدارس المسيحية من التعب ، والانهماك سحابة النهار وحصّة من الليل بما يؤول لانجاح تلامذتهم ، وممارسة ما تقضيه قوانينهم

الرهبانية ، يعجب كل العجب كيف انهم يجدون مجالًا ما للتأليف ، ولاسيما المسؤولون منهم عن دائرة من دوائر الادارة العامة .

والاخ ساروفيم كان ، مع القيام بتدريس صف البيان ، يهيئ موادّ الامتحانات الشهرية ، ويصلح معظم التحريرية منها ، ويقوم بالامتحان الشفوي . وبعد المدرسة وقبلها كان يطّلع على ما أعدّه كل استاذ ، ويناقشه في ما لا يراه موافقاً ، او يجدّد ما يراه ملائماً . . . ومع كل ذلك لم يحجم عن كتابة ما كان يدله ذوقه السليم الى ايجاده ، اذا لم يُوجد . فأوّل ما قام به كان وضع بعض روايات تمثيلية رأى الحاجة ماسّة اليها ، لفقر العربية بما يلائم ذوق الاولاد ويروق والديهم . ولما كانت اللغة الفرنسية غنية بمثل تلك الروايات ، اخذ عنها ستًّا ، طبعت المطبعة الكاثوليكية اربعاً منها تحت عنوان : الذكرى الخالدة . فمن طالع تلك الروايات لا يمكنه ان يصدّق انها معرّبة ، بل يتأكد انها موضوعة ، لفصاحة عبارتها وتصوير المحيط الذي وقعت فيه كمحيط شرقيّ محض ، لا يشتم منها قط رائحة العجمة حتى في اسماء الممثلين والمدن . .

وقد كان له ملكة نادرة في اللغة ومعرفة مفرداتها ، وميل خاصّ الى اطلاع التلامذة على خصائصها . وقد وضع آمالي للامتحانات في الصفوف ولاسيما العُليا منها ، لم يزل بعضها حتى الآن بين ايدي تلامذته ، والاساتذة الذين علّموا تحت ادارته . ومن هذه الامالي رسائل شتى كان يضعها لغاية مزدوجة : للتدرُّج في صعوبات الاملاء ، وكمثال في انشاء الرسائل ، ومنها نصائح وحكم . وانشاء الاخ ساروفيم من المرسل العالي النمط ، على طريقة الشيخ ابراهيم اليازجي ، وابن المقفع ، وولي الدين يكن ، ومحمد عبده . واقتداءً بالشيخ ابرهيم ، كان الاخ ساروفيم يميل الى استعمال السجع في كتابته ، اللهمّ متى جاء عفوًا وبلا تصنّع . وانت اذا طالعت مقالات كتابه تاريخ الآداب المصدّرة كلها بمقدمة مسجّعة ، او اماليه او رواياته وحتى رسائله ، تعجب باسلوبه وانسجام عبارته ، ورقّة تعابيره ، ورنّة سجعه اللطيفة .

(لها بقية)

البستان

نظرة نقدية

بقلم فؤاد افرام البستاني

طالما تاق ادباؤنا الى معجم عصري واسع ، صحيح ، يصلح ما شاب المعاجم المتقدمة من فساد ، ويرتب ما شوّشها من اضطراب ، ويحذف ما تراكم فيها من حشو وتكرار . فكان لهم « البستان »[1] . ظهر في مجلدين كبيرين ، مطبوعاً طبعاً متقناً على ورق صقيل ، بحرف واضح هو اضخم في المادة المشروحة منه في الشرح. فأهلت به الاوساط العلمية ، واشادت بذكر صاحبه المرحوم الشيخ عبدالله البستاني ، من انقادت اليه اللغة في عصرنا باوابدها وشواردها ، فكان اجدر من يؤلف فيها . على انه لم يدّعِ ان « الكتاب حصين عن انظار الناقدين ، او بعيد عن مرامي المزيّفين »[2]، وليس من عاقل يدّعي الكمال للآثار البشرية. فلا غرابة في ان يرى فيه المطالع المدقق اهمالاً او زيادةً او شروحاً يخالف فيها سائر المعاجم. فان من عرف آراء الشيخ اللغوية ، وطريقته في استقصاء معاني الالفاظ، وما كان يحشي به اسفار القوم آخذاً عليها كثيراً من غلط النسخ والتخريج ، ادرك انه أهمل ما أهمل لسبب وجيه ، وزاد ما زاد لغاية قوية ، وخالف من خالف عن بحث واقتناع. وهذا ما كنا ننتظر ان يبيّنه ، وما كان عازماً ان

---

١) البستان : معجم لغوي، تأليف الشيخ عبدالله البستاني اللبناني – ٢٧٨٤ صفحة كبيرة – المطبعة الاميركانية ، بيروت – ظهر المجلد الاول سنة ١٩٢٧ (المشرق ٢٦ [١٩٢٨] ١٥١) والثاني سنة ١٩٣٠ ، بعد وفاة المؤلف بعشرة ايام . – ثمن كل مجلّد جنيه مصري واحد .

٢) مقدّمة الناشر ، ص ٣ من المجلّد الثاني .

يوضحه في تلك المقدمة التي ارجأ كتابتها الى ما بعد انتهاء الطبع ، والتي حالت المنيّة بينه وبين تدبيجها.

بيدَ ان من الحقّ والواجب ان ندقّق النظر في « البستان » ، فنرى هل امتاز عمّا تقدّمه من اسفار اللغة ، وهل من مبرّز لاجماع الادباء على تقريظه[1] ، والحضّ على اقتنائه ؟

لا يخفى ان المعاجم القديمة على اختلاف عقليـة واضعيها ، وتباين عصور وضعها ، تشترك كلها في شوائب عـدة ذكر منها ستًّا حضرة الخوري بطرس البستاني ، كاتب مقدمة البستان ،[2] وهي: سوء الاختيار للالفاظ وعدم التحرّز من الحوشية والوحشية ؛ عدم التنسيق ؛ التعريف الدوري ؛ التقصير في تعدية الافعال القاصرة ؛ الخلط بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي ؛ اهمـال الالفاظ المولّدة ؛ ونضيف اليها شائبة سابعة وهي القصور في التحديد ، ولا سيما في ما خصّ اسماء النبات والحيوان.

اما البستان فمن انعم النظر فيه، وقابل بينه وبين ما تقدم من دواوين اللغة، تأكد ان صاحبه تجنّب الشائبة الاولى والثانية والرابعة والخامسة ، وشيئاً من سائر الشوائب . فقد تحاشى عن الالفاظ الحوشية والوحشية ، وعن كثير غيرها مما يُشتمّ منه فساد الذوق ؛ ولم يضرّ هذا في سعة القاموس ، بل انك قد تجد فيـه كثيراً من المفردات المأنوسة التي لم تذكرها امّات المعاجم. وقد اجتهد كل الاجتهاد في التبويب والتنسيق فحـذف الحشو والتكرار ورتب الموادّ والمعاني، حتى غدا ذلك من اجلى مزايا الكتاب، ومن ادعى الاسباب الى ترغيب الطالب في تقليب صفحاته. وقد اهتمّ كذلك بتعدية الافعال القاصرة ؛ وبالتمييز

---

١) اثار هذا التقريظ حفيظة بعض من لا يروقهم ان يُذكر غيرهم بلسان خير ؛ فقاموا، بعد وفاة المؤلف ، ينعون على « البستان » اغلاطه ، ويعدّدون هفواته ، بلهجة اقل ما فيها انها تنمّ عن نيّة سيئة ، وادّعاء مفرط ، وحسد يأكل صاحبه — والحسد مفسدة العلم والعلماء! — فيدفع به الى الحطّ من مناظريه والعمل على تقويض شهرتهم العالية . ومن احتاج الى خفض العلماء ودكّ درجاتهم، ليظهر رفعة شأنه ، كان من اقزام العلم ، قصير الباع ، ضئيلاً . . .

٢) يرى المطالع ملخّص الشوائب الستّ في آخر هذا الدرس.

بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي الاصلي والفرعي ، سائراً في ترتيب شروحه على هذا الاسلوب في الغالب.

اما التعريف الدوري فقد خطا خطوةً واسعة في سبيل تجنبه ، فتخلص منه الا ما كان عن سهو. واما الالفاظ المولّدة فقد اهملها بالاجمال ، لا عن سهو او قصور، بل عمداً ؛ لان المعجم في عرفه لغوي محض، فلم يشأ ان يدخل فيه الا الالفاظ العربية الصريحة الدالّة على المعنى الذي عبّر بها عنه العرب الخلصاء. حتى انه أهمل الاوضاع العلمية والفنية القديمة التي امتاز بها « محيط المحيط » ، فكان البستان ، من هذه الناحية، اضيق من معجم المعلّم بطرس. وهو تعصب للغة يضيّق عليها باب النموّ ، وعلينا باب التقدّم في الكتابات العلمية . ولكنّ له وجهاً من العذر، خصوصاً اذا ادركنا غاية المؤلف من الحرص على سلامة اللغة، واذا اعتبرنا ان مثل تلك الاصطلاحات لا يمكن اقرارها الا بسعي لجنة من العلماء ، ولا تثبيتها الا بموافقة مجمع علمي رسمي ، وهو ما لا تزال اليه مفتقرين. ولقد نشط ارباب المطبعة الاميركانية لسدّ هذه الثلمة في البستان وفي غيره من المعاجم ، فعقدوا نيّاتهم على ان يضيفوا اليه ملحقاً يتضمن جميع الالفاظ والمصطلحات الجديدة من مولّدة ومستحدثة ومعرّبة ومنحوتة[1].

واما القصور في التعريف ، وهو الشائبة السابعة ، فالحق يقال ان البستان لم يخلُ منه تماماً . على ان له فضلاً جزيلاً في انه اتمّ الكثير من التعريفات الناقصة قبله، يتضح ذلك لمن يقابل بينه وبين « لسان العرب » مثلاً ، بل لمن يقابل بينه وبين القواميس الحديثة ، وكلها تدعي على صواب بانها اتمت شيئاً من تلك التعريفات .

وعلى الجملة نرى ان « البستان » التي في حينه فوضع حداً للفوضى الناشئة في اللغة ، اذ غربل مفرداتها فرمى بالدخيل والحوشي، وحصر الفصيح منها بين دفتيه ضابطاً اياه بالحركات والاوزان[2]، فاستحق ثقة القوم، وثناء العلماء الاعلام.

* * *

١) وقد اطلعنا على باب الهمزة من هذا الملحق فألفيناه يبشّر بالنجاح.

٢) قد وقع بعض الخلل في هذا الضبط بسبب ما تراكم من الاغلاط الطبعية التي لم يكن

هذا ولا يسعنا الا ان نشير الى تلك المقدمة النفيسة التي قدمها على الجزء الثاني ، حضرة الاب اللغوي المشهور الخوري بطرس البستاني ، نسيب المؤلف وتلميذه. فاودعها ما شاء علمه من آراء ناضجة ، ونظرات دقيقة جديدة في اصل اللغات وطبقاتها عموماً ، وما امتازت به اللغة العربية خصوصاً ، وتعليل الشذوذ فيها ، والقول في ان الاعراب الجاهليين ليسوا في عصمة من الخطأ ، وهو من اطرف ابحاث المقدّمة . ثم اشار الى ما انزل البصريون والكوفيون من النوازل باللغة ، والى فضل قريش عليها ؛ والى انها لم تنتهِ الينا برمّتها ، وهنا تكلم عما ضاع من الشعر الجاهلي وعمّن أُخذت اللغة ، وهل كل ما نقله اللغويون خالٍ من الفساد والنحل. ووصل الى المعاجم فذكر شيئاً عن اشهرها ، وعن واضعيها وزمن وضعها ، ثم تبسّط في شوائبها ، وهو البحث النفيس الذي نقلناه في آخر هذا المقال . وانتقل الى مناسبة الالفاظ للمعاني فجال في ما راعاه العرب من الخفة في تركيب الفاظهم ، وجرّه ذلك الى البحث في طبيعة الحروف وذكر القابها بحسب مخارجها ، وما تحدثه شدّتها ورخاوتها من التفاوت في الالفاظ المتقاربة المعاني ، وانتهى الى خصائص الحروف ، وهو بحث عزيز عليه ، نشرنا له شيئاً فيه سابقاً (المشرق ٢٧[١٩٢٩] ٦٣٤) . هذه بعض ابحاث تلك المقدّمة الجامعة ، وافضل ما نقول فيها انه لو كان اطلع عليها المرحوم الشيخ عبد الله لما كان انكرها ، بل لما كان تردّد دقيقة في توقيعها .

فنحن نستمطر الرحمة تكراراً على ضريح فقيدنا العزيز ، ونشكر لحضرة الخوري بطرس غيرته على اللغة ، كما اننا نشكر للمطبعة الاميركانية اهتمامها بابراز هذا الاثر النفيس الذي سيظلّ منتهى الابحاث اللغوية الى امدٍ بعيد .

يتسنى للمؤلف اصلاحها إبان مرضه . وان من دواعي الاسف ان يقع مثل ذلك في مثل هذا السفر الجليل . ولهذا فنحن نرغب الى من يقوم بادارة طبع الملحق المصري في ان لا يضنّوا بوقتهم على مراجعة مجلّدَي البستان ، وسرد لائحة بالاغلاط يردفونها بالملحق المذكور ؛ فتكون خدمتهم للغة مزدوجة ، وشكر ادبائها لهم مزدوجاً كذلك .

في شوائب المعاجم

لحضرة الخوري بطرس البستاني

يثني حضرة الكاتب على جهود اللغويين القدماء الذين توفّروا على جمع شتات اللغة من افواه العرب الخلصاء ، فيحييهم بعواطف الاجلال . ولكنه لا يرى بدًّا ، في بحثه ، من ان يذكر ما شان معاجمهم من الشوائب ، واهمها ستّ نوردها ببعض اختصار :

الشائبة الاولى : سوء الاختيار للالفاظ وعدم التحرز من الحوشية والوحشية

من المعلوم ان جامعي اللغة كانوا ، اذا ارادوا ان يؤلفوا كتاباً لغويًّا ، يختلفون الى البادية حيث يجتمعون بالقبائل ، فينقلون عنهم ما يروونه لهم من الروايات ، وما يسمعونه من أفواههم من الكلمات في محادثاتهم ومسامراتهم ومناظراتهم ومنافراتهم . وربما كانوا يتابعون الرحلات الى تلك البوادي السحيقة للتحقيق والتثبُّت .

غير انه لا يمكننا ان نجزم بان كل ما اشتملت عليه معاجمهم هو منقول عن القبائل الصرحاء الذين لا منقف في عروبتهم ، ولا مغمز في فصاحتهم . والا ما كنا نرى في تلك المعاجم نحوًا من عشر الفاظها مما لا يسوغ استعماله في الكتابة ، اما لمخالفته للذوق الصحيح ، او لمكانه من الغرابة ، او لتوغّله في الحوشية والوحشية ، الى غير ذلك مما كان دفنه خيرًا من بقائه كالدُّمَّل في جسم اللغة البهيّ . . .

ومما هو جدير بالاسف انه بات من الراسخ في وهمنا ان تلك الالفاظ المستكرهة لا بد من اثباتها في معاجمنا ، والّا اجترحنا افظع جريرة في حقّ لغتنا ، وأفقدناها كنزًا ثمينًا لا يعوّض . ولا نعلم متى تسقط هذه الكلمات المنبوذة من معاجمنا بل من الكتب التي تتداولها ايدي الناشئة . . .

الشائبة الثانية : عدم التمييز

اذا تصفحت احدى موادّ اللغة أيّة كانت ، وفي ايّ معجم كان من أمّات المعاجم القديمة ، انكرت البلبلة السائدة في نمط سردها ، وهالك ان يختلط بعضها

ببعض اختلاطاً يستفظعه كل من يضنُّ بوقته الذهبي . ولم تتمالك عن ان تحكم بان اولئك اللغويين كان همهم الوحيد ان يجمعوا الفاظ اللغة في كتبهم للرجوع اليها لدى الاقتضاء . ولم يمتدّ نظرهم الى من سوف يجيء بعدهم من الاعقاب ممن تضطرهم الحال الى الاستعانة بمثل هذه المراجع اللغوية .

ولو كانت المادة التي تريد تصفُّحها واقعة في صفحة او صفحتين لهان الامر، ولكنها كثيراً ما تستوعب عشر صفحات ونيّفاً ؛ حتى لقد ينفد صبر الباحث عن معنى احدى الكلمات فينقلب والاسف ملء صدره بدون ان ينال وطراً . . .

الشائبة الثالثة : التعريف الدوري

من المقرَّر ان الغاية من تعريف الكلمات الايضاح وازالة الابهام . فاذا كانت اللفظة المفسِّرة لما قبلها في حاجة الى الشرح، او هي اغمض معنى من اللفظة المفسَّرة، اوقعت المطالع في الارتباك . وهذا الخلل قلّما يسلم منه معجم من المعاجم قديمة كانت او حديثة . واكثر ما يقع ذلك عن سهو وغفلة والّا حكمنا بالعجز والقصور على اصحابها الذين هم امراء البيان وائمة اللغة في كل عصر واوان .

والمراد بالتعريف الدوريّ ان تفسّر كلمة باخرى مرادفة لها ، ثم تفسّر الثانية بالاولى ، كانك تفسّر الماء بالماء . ودونك بعض مُثل عليها منها قولهم : تلافى الامر : تداركه . وتدارك الأمر : تلافاه ، وهذا التعريف الدوري لهذا الحرف واقع في جميع المعاجم وهو من الغرابة بمكان .

ومن هذا الضرب قولهم تنجّز الحاجة : استنجحها ، واستنجح الحاجة : تنجّزها . ومنه قولهم الجوّ : الهواء ، والهواء : الجوّ .

الشائبة الرابعة : التقصير في تعدية الافعال القاصرة

متى عرفت ان شيوخ اللغة وائمتها الافذاذ كثيراً ما يرتبكون في تعدية بعض الافعال القاصرة التي ذهلت المعاجم عن ذكر الحروف التي تتعدّى بها الى مفاعيلها ، ادركت ما جناه مؤلفو تلك المعاجم الى اللغة والمتكلمين بها بسبب هذا الاهمال .

ونحن لا يخامرنا ادنى ريب في ان هؤلاء الجهابذة الذين قطعوا مراحل

الحياة ، وهم مكبون على درس اللغة واستنباط اسرارها وغربلة اوضاعها ، حتى أفضت اليهم بمقاليدها وسلّمتهم زمامها ، لم يهملوا ما اهملوه لنقص في معرفتهم اللغوية . وانما وقع ذلك منهم إما سهواً ، او لاعتمادهم على تبحّرهم في اللغة تبحّراً يغنيهم عن تدوين ما ليسوا في حاجة الى تدوينه .

الشائبة الخامسة : الخلط بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي

المراد بالمعنى الحقيقي هنا المعنى الاصلي الذي عيّنه الواضع للكلمة عند استعمالها لاول مرة ، وبالمجازي ما تفرّع عن المعنى الحقيقي لمناسبة بينهما . وهذه المناسبة لا بدّ من وجودها بين المعنيين ، وهي بمثابة الصلة بين العلة والمعلول . فاذا فُقدت هذه الصلة كان للغوي مجال لان يحكم بطروء المعنى الثاني على المعنى الاوّل ، بل كان له سبيل الى القطع بان المعنيين انما استعملتهما قبيلتان لا قبيلة واحدة بعد تفرّق القبائل واضطراب سلسلة الوضع . وما من شيء اصعب على اللغويين من هذه البلبلة في موادّ اللغة ، ولاسيما اذا كانت المادة تشتمل على ثلاثة او اربعة معانٍ متباينة ، وكان لكل معنى فروعه .

وأصعب من كل ذلك ان تكون الفروع متشابكة مختلطة بحيث لا يقوى على ردّ كل فرع الى اصله الا اللغويُّ الضليع الذي ذلّل شكيمة اللغة فلُسَ له قيادها . اما من كان قاصر النظر في الفلسفة اللغوية فانه يتنفس الصعداء قبل ان يتسنى له تفريع الالفاظ وتخريجها تخريجاً منطبقاً على سرّ الوضع ، وموافقاً لمراد الواضع .

ولا بدّ لنا في هذا المقام من ان نبين لشداة العلم ان الصلة التي يجب ان تكون بين كل اصل وفرعه انما هي ذات الصلة الواقعة في المجاز . وهو في علم البيان نوعان : احدهما المجاز المبني على التشبيه ويقال له الاستعارة ، والآخر المجاز المرسل ، وهو ما كان اما من قبيل التضمّن كأن تستعمل الكل في موضع الجزء او الجزء في موضع الكلّ ، او من قبيل الالتزام كأن تستعمل المحلّ بدلاً من الحالّ فيه .

اما المجاز المبني على الاستعارة فمن امثاله قولهم : كلِبَ فلانٌ اذا اكل

كثيرًا بلا شبع واصابه شبه جنون الكلاب من عضّ الكلب الكلِب . وكلِبَ على الامر حرصَ عليه حِرْص الكلب . وكالبه ضايقه مضايقة الكلاب بعضها بعضاً عند المهارشة . وتكالبَ القوم على كذا توثبوا عليه . وتكالبَ الناس على الدنيا اشتدّ حرصهم عليها حتى كانهم كلاب .

واما المجاز المرسل فمن امثاله قولهم بَسَرَهُ اي اعجلـه ، وبَسَرَ النخـلة لقحها قبل اوانها ، وبَسَرَ الدين تقاضاه قبل محلّه ، فقد استعمل الفعل في الاصل لمطلق العجلة ثم خصّصه بالنخلة والدَّين ، فاشتقّ الخاصّ من العـام او استعمل الخاصّ في محلّ العامّ ، وهو من مواضع المجاز المرسل .

بقي ان نرشد الطلّاب الى الخطة التي يجري عليها اللغويون في تمييز الفروع من الاصول وهي انهم ينظرون في كل مـادة الى المعنى المعبّر عن المحسوسات ويعتبرونه اصلًا لما يتفرّع عنه من المعقولات ، لان المتواضعين على اللغة ، عندما وضعوا موادّها ، قدّموا في الوضع الاشياء المحسوسة على المعقولة على ما اقتضته بداوتهم في ذلك العهد . ثم اخذوا ، بعد ان اشرقت في ربوعهم شمس الحضارة ، يحلّقون فوق المادة ويسبحون في جوّ الخيال ، فوضعوا الفاظًا كثيرة للمعاني المجرّدة التي يدركها العقل ولا تقع تحت الحواس ، فكان من ذلـك وثبة مباركة الى العلويّات ، بعد ان قضوا عصورًا في عصور لا يتعدّون المحسوسات . وقد سلف لنا كلام بهذا المعنى في باب سابق . على انه ليس في تمييز المعقول من المحسوس ادنى صعوبة . ولكن الصعوبة في ما لو كان للكلمة معنيـان كل منهما يدلّ على شيء محسوس . فاقوم ضابط لمعرفـة ايهما هو الاسبق ان تنظر الى المعنى الذي قضت الحاجة على البدوي باستعماله قبل الآخر ، فيكون اصلًا له .

ومما لا ريب فيه ان اللغويين القدماء انما اهمـلوا الجري على هذه الخطـة الرشيدة في تنسيق المعاني الاصلية والفرعية ، اما لاعتمادهم على مقدرتهم اللغوية ، او لاقتصارهم على جمع الالفاظ في كتب اللغة حذرًا من الضياع ، معتبرين ان مهمتهم قد انتهت عند هذا القدر . ثم جاء المتأخرون ونسجوا على منوال الاقدمين ، وبقيت هذه الثلمة مفغورة في معاجمنا لان الشرقيين عرفوا بالتقليد ، وعزيز عليهم ان يفكوا نفوسهم من قيوده .

الشائبة السادسة: اهمالهم للالفاظ المولدة

لقد بلغ من حرص اللغويين القدماء على لغة اهل الحجاز وغيرهم من القبائل النازلين في قلب البادية أنهم اعتبروا كل ما تداولوه من الالفاظ كأنه من الآيات المنزلة فاثبتوه في معاجمهم ، وابوا ان يضموا اليه ما كانت تتداوله سائر القبائل ، ولاسيما المجاورة للاعاجم ، كانه من سقط المتاع او كأنه وباء تسري عدواه الى جسم اللغة فيفسده . ولذلك لم نرَ في الاسفار اللغوية كثيراً من الالفاظ التي كان يستعملها اليمنيون والغسّانيون واهل الحيرة وسواهم من القبائل المتحضرة النازلة في اطراف الجزيرة او التي لها خلطة بالامم العريقة في المدنية . فافقدوا اللغة بهذا الاهمال ما لا يحصى من الاوضاع مما كانوا يستخدمونه في الاغراض التي جدّت عندهم في ابان حضارتهم ، ولم يكن للعرب في اواسط البادية ادنى عهد به .

ولولا هذا التقصير ، لما كنا اليوم على ما نحن عليه من العجز الفاحش عن تأدية كثير من المعاني والادوات الحضرية بألفاظ نستخرجها من معدن اللغة نفسها ، جارين في ذلك على الطريقة التي جرى عليها اولئك المتحضرون في ايجاد كلمات حديثة لما جدّ عندهم من المعاني ، بعد انتقالهم من خشونة البداوة الى نعومة الحضارة . فكان عن هذا التقصير ضرر بيّن لا نزال نشعر بجسامته ، ولاسيما في هذا العصر الحافل بالاختراعات والاكتشافات ، الزاهر بآيات التفنن والابداع .

على انهم لو وقفوا عند هذا الحد من التفريط لكانت البلية أخف وطأةً وأيسر محملاً ، ولكنهم أعرضوا ايضاً عن اغلب الالفاظ التي جدّت في اللغة ولاسيما على عهد العباسيين ، بحجّة انها من استنباط المولدين لم تجرِ على ألسنة العرب الخلصاء ، لا في جاهليتهم ولا في صدر الاسلام . . .

فاذا تمثّلت عصر العباسيين بجميع مجاليه الحضرية ، وعرفت ان ابناءه لم يعجزوا عن استنباط كلمات لجميع المعاني والاغراض التي تولدت عندهم ، اكبرت الخطب الذي انزله باللغة ارباب المعاجم لاسقاطهم منها تلك الكلمات

المولَّدة التي لو بقيت لكانت أنفس قلادة في جيد هذا اللسان الشريف .

وها نحن نورد لك هنا شيئاً من تلك الكلمات مما عثرنا عليه في تضاعيف الكتب وليس له اثر في مصاحف اللغة :

فقد جاء في كلام ابن خلدون: الالمام، يريد به الهداية المخلوقة في الحيوان، والوزائع ، يعني بها الضرائب التي يوزّعها الحاكم على الرعيّة . وورد في كتاب الاغاني : ندَّر الرجل وتندَّر اذا جاء بالنادرة . وقد ندَّر بفلان وتنادر عليه اذا جعله مورد نادرته . وفي الثعالبي : تطرَّف بالشيء اذا اتخذه طرفةً وهي الشيء المستملح . وجاء في نفح الطيب: بلاد معتدلة المزاج اي معتدلة الهواء . وورد فيه ايضاً : المقيّدة والمراد بها الدفتر الذي يكتب فيه الرجل ما يمرُّ به تذكرة لنفسه . وقريب من هذا المعنى التذكرة وهي الرقعة يُكتب فيها الشيء ليتذكر ، وقد وردت في خزانة الادب للحموي. ومن هذا النوع المزولة للساعة الشمسية ، ذكرها الخفاجي في ريحانة الالبّاء . والمِقال لما يُشدُّ على الرأس، جاء في شعر لابي فراس الحمداني . وخيال الظلّ للامثلة المشبّحة من وراء ستار .

ومما هو حريٌّ بالاسف ان اولئك اللغويين قد توقّفوا عن ان يثبتوا ايضاً في معاجمهم الفاظاً شتى احدثها المولَّدون فنقلها عنهم الفرنجة الى لغاتهم وشاع استعمالها عندهم . ومن ذلك لفظة (*Alcool*) المأخوذة عن الكحل ، ولفظة (*Almanach*) المأخوذة عن المناخ ، ولفظة (*Carafe*) المأخوذة عن القرّافة ، الى غير ذلك من الكلمات التي تنسبها المعاجم الاوربية الى العرب ولا يقرُّ بعروبتها ارباب المعاجم عندنا.

ونحن نحبس القلم عند هذا القدر لعله يستثير الهمم الوانية الى تدارك ما فات ، واصلاح كل خلل في لغتنا المحبوبة.

قبضاي !

مهزلة ذات فصل واحد

كتبت لتلامذة المدارس

بقلم يوسف تسوب

اسماء الاشخاص

ماكر : رجل لبناني بين الخامسة والثلاثين والاربعين . طويل القامة ، ساحم الوجه ، اسود الشاربين . خفيف الحركة ، براق النظر ، يتلاعب بسيماء وجهه كما يشاء . هو مضيف شجاع .

رفيق : صديق ماكر ، ليس له شخصية محدودة .

نديم : شاب في الثلاثين من عمره ، خفيف الروح ، يدّعي الشعر ، ويحبّ السكر كانه لم يصحُ قط ؛ لا يزال في هزل وضحك .

قطويه : نحوي معلم مدرسة . يبالغ في معرفة قواعد النحو والصرف ، فهو لا يدع عند كلامه حرفاً واحداً دون ان يصحبه بالحركة اللازمة ، حتى في الوقف ؛ وهو يمدّ في صوته ولا يزال ينظر الى الكتب التي وقع عليها نظره .

شجاع (القبضاي) : رجل ربعة مرفوع الشاربين ، بارز الصدر ، يتفخم في كلامه ، ظاهر فيه التصنع .

هائل وهول وهويل : هم ماكر ورفيق وقطويه ، متنكرين .

المسرح

يمثل المسرح بيتاً لبنانياً قديماً في جبل لبنان « دار » فسيحة على جوانبها ابواب بعض الغرف ، وفي صدرها قنطرة تطلّ على سهل فيها صنوبر . وعلى الجدران بندقيات وسيوف وخناجر . يتدلى من سقف الدار قنديل ينار بالكاز ؛ الى الجهة اليمنى مقعد شرقي ، وفي الجهة اليسرى طاولة واطئة عليها رقعة « الداما » وحولها كراسي ؛ وفي زاوية ظاهرة من الدار صندوق كبير ، وقبالته طاولة عليها ابريق فخار ، وكؤوس ، وقناني عرق ونبيذ .

الثياب لبنانية حوالي سنة ١٨٩٠ .

المشهد الاول

ماكر ورفيق

يرفع الستار عن ماكر ورفيق يلعبان « بالداما » ، وكلاهما مفكر في كيفية الانتصار على صاحبه

ماكر : (كانه وجد مخرجاً) خذ هذا ... وهذا ... وهذا ... واحد ، اثنان ، ثلاثة . داما ...

رفيق : (يرمي حجارة الداما وينهض من مكانه ويشعل سيكارة) قد ربحتَ . انك والله لتغلبنا في كل شيء .

ماكر : (يشعل ايضاً سيكارة ، ثم يقترب من رفيق) ما رأيك ، يا رفيق ، بصاحبنا ؟

رفيق : اي صاحب تعني ؟

ماكر : صاحبنا القبضاي شجاع ؟

رفيق : (بشيء من الضحك) شجاع ! صاحب السيف ؟

ماكر : هو بعينه . اتراه كما يقول ؟ ما نزل عندنا الا منذ خمسة ايام ، وقد اتخمنا قصصاً واخباراً . فهو لا يزال يمدح نفسه ويثني على شجاعته وقوته حتى أبرمنا . وما اظنه الا واشجع شيء فيه لسانه .

رفيق : انك لتعجب منه ، واني لاشدُّ منك عجباً . قد كنت عشيره قبل سفره ، وذلك منذ خمس عشرة سنة ، وهو اذ ذاك في عنفوان شبابه . ومع ذلك ، فكان قلبه يطير فرقاً لاقلّ حادث وتلحق رجلاه عنان السماء لاخفى حركة . حتى انه كان اذا جاء الليل يأوي كالطير الى وكره ، ولا ينسلخ عنه الا والشمس في كبد السماء . وما سمعت قط انه خطا خطوة واحدة في الظلام . فلا ادري كيف تغير هذا الرجل .

ماكر : ان في الامر لسراً ، ولا بد لماكر من كشفه ؟

رفيق : لم تدعَ بماكر عبثاً . فانك امكر من مكر واحيل من احتال . ولكن كيف السبيل الى ما قلت ؟

ماكر : عندي في ذلك اقتراح اعرضه عليك لعلنا ننال به ما نريد.

رفيق : هات رأيك لنرى.

ماكر : اني ارى صاحبنا آتياً . فالاوفق ان ندخل هذه الغرفة خوفَ ان يشعر بمؤامرتنا عليه. (يخرجان وبعد قليل يدخل شجاع)

المشهد الثاني

شجاع وحده

يدخل شجاع متقلدًا سيفًا ، وعلى كتفه بندقية صيد. بعد ان يعلق البندقية في احد الجدران، ينظر الى ما يحيط بالبيت من خلال القنطرة والنوافذ ، ثم يقول كانه يريد ان يُسمع كلامه اشخاصاً في جوانب الدار

شجاع : أُفٍ لهذه البلاد ! يجول فيها الانسان يومه وليله ، ولا يرى لا ضبعاً ولا اسدًا. يطوف الغابات والاحراج ، ولا يعثر الا بصغير الطير وحقير الارانب ، لا يكثر فيها الا الصخر الاسود والقمم الجرداء. (بصوت خافت بعد ان ينظر يميناً وشمالًا) اليس من يسمعني ؟ بلى اني ارى نديماً مقبلًا مع رفيق له. (بصوت عالٍ) لله ايامٌ قضيتها بين النمورة والاسود تتصارع واياها ونرميها على الارض اشلاء. (هنا يدخل نديم ونفطويه). اني لا اطيق المكوث في هذه البلاد بين الصخور المحدّدة السوداء والاراضي المجدبة القاحطة ، فلا بدَّ لي من العودة الى الهند والتوغل في غاباتها الكثيفة. هناك تلذ الحياة، وهناك يطيب العيش بين الفيلة والاسود . (ينتشر الظلام قليلًا فقليلاً)

المشهد الثالث

شجاع . نديم . نفطويه

نديم : خفّض من صوتك ، يا شجاع؟ ما هذه الحدّة. أأصمُّ انت يخاطب أذنيه ؟

شجاع : دعني ، يا نديم. فقد ضاقت بي الارض واسودَّ النهار في عينيَّ . اعجب منكم كيف تعيشون في هذه الاماكن ولا تضجرون . كيف لا تستطيلون الايام والليالي ولا وحوش في ارضكم ؟

نفطويه : (يتقعر في كلامه، ويمد بصوته، ولا يدع حركة من حركات الصرف والنحو تفلت منه) حفظك اللهُ ، يا شجاعُ . إنك تلومُ الله على منةٍ نحمدهُ عليها . او تحسبُ أن العلومَ والآدابَ تنتشرُ بين الاسودِ والذئابِ ؟

شجاع : وما العلوم والآداب ؟ ! .. يا لكم من جبناء لا تفتكرون الا بالكأس والملاهي وقتل الاوقات بالمحادثات الفارغة والاشعار السقيمة والقواعد العقيمة . وهذا الحسام ، ان لم تكن الحياة بين المخاطر والمخاوف فلا خير في الحياة .

نديم : كل فتاة بابيها معجبة ! فان كنت انتَ مغرماً بالقنص والصيد ، فاني مغرم بالخمر والقصيد ، وصديقنا هذا مغرمٌ بعمرو وزيدٍ .

شجاع : اني لذكرى تلك الحوادث التي نزلت بي وتلك النابات التي قطعتها ، تكبر لديَّ نفسي ، ويعظم قدري في عينيَّ ، ويشتاق قلبي مغادرة الراحة والجمود وابتغاء المشقة والعناء . اني لا ازال اتصور تلك الليلة الهائلة وانا بين عشرة من اللصوص ...

نفطويه : بين عشرة من اللصوص ...

شجاع : اي نعم بين عشرة من اللصوص ، لا ينصرني عليهم الا صارمي ولا يعضدني الا جرأتي واقدامي .. كان ذلك في الخامس والعشرين من كانون الثاني ، عند الساعة الحادية عشرة ، في غابةٍ مظلمة لا ينفذ فيها نورٌ ولا يسكنها الا وحش او لص . ارتفعت اشجارها في الفضاء وتجمعت اغصانها والتفَّت بعضها على بعض حتى اصبحت كالبناء المرصوص ...

نديم : او كالعريش المنصوب .

شجاع : ... وانا اسير في ظلماتها على جوادٍ ادهم ، مهتدياً بسراج في يدي واذا ...

نديم : بعشرة من اللصوص باغتوك وهموا ان يصرعوك ويقتلوك ويسلبوك . واما انت فاستللتَ حسامك واعملته في رقابهم حتى هلكوا جميعاً . انك اسمعتنا هذه القصة ثلاث مراتٍ ، فهل لك ان تسمعنا غيرها ؟

نفطويه : وربكَ إنها لشجاعةٌ تُذكرُ !

شجاع : او اخبرتك بمصارعتي الاسد وقتلي له ؟

نديم : قد اخبرتنا بهذا وأريتنا جلدَه ، وانشدتنا اذ ذاك قصيدة بشر بن ابي عوانة في وصفه .

شجاع : يا له من موقف مهول ، يقفُّ له شعر الرأس ويجمد الدم في العروق !

(يحتدُّ شجاع قليلاً فقليلاً) وحقك لو رأيته :

يكفكف غيلةً احدى يديه ويبسط للوثوب عليَّ اخرى
يُدلُّ بمخلب ومجدّ نابٍ وباللحظات تحسبهنَّ جمرا

ورأيتني :

وفي يمناي ماضي الحدّ ابقى بمضربه قراع الموت اثرا

ورأيت وقد :

مشى ومشيت من اسدين راما مراماً كان اذ طلباه وعرا

(يسلّ حسامه)

سللت له الحسام فخلت اني شققت به لدى الظلماء فجرا
واطلقت المهند من يميني فقدَّ له من الاضلاع عشرا
فخرَّ مضرّجاً بدم كاني هدمت به بناء مشمخرًا
وقلت له : يعزّ عليّ اني قتلت مناسبي جلدًا وقهرا

نديم ونفطويه : لا فُضَّ فوك ، ولا فُلَّ حسامُك ، يا ابا الشجعان !

شجاع : وربك لو رأيتني ورأيته لرأيت ما يرهبك .

المشهد الرابع

شجاع . نديم . نفطويه . ماكر . رفيق

ماكر : ما هذا ؟ أوَ تصارعون الاسود ؟

نفطويه : إنه ، وهو يخبرُنا بقتله الاسدَ ، فارَ فائرهُ ، فاحتدَّ ، فتهيّجَ ، فغلى الدمُ في عروقه ، فاستلَّ حُسامهُ ، فصاح كأنّهُ يهاجمُ الاسدَ .

ماكر : خفض من حدّتك ، يا شجاع ، فليس من اسود هنا .

شجاع : بئست العيشة هذه ! اما من عُلالة يتطلّل بها الشجاع ؟

نديم : اما من راحمٍ ينوّر علينا في هذا البيت . فقد رفرفت اجنحة الليل .

(رفيق يضيء القنديل المعلّق فوق الخوان في سقف الدار)

ماكر : (يخاطب شجاعاً) احمد نار حدّتك ، يا شجاع ، وانا أُسمعك ما يرضيك .

شجاع : او تصدق في ما تقول ؟

ماكر : او تشكُّ في كلامي ؟

شجاع : لا ، وحقك . ولكن قد غلب عليّ السرور ، فاصبحت لا ادري ما اقول

نديم : (وقد انتهى رفيق من انارة القنديل) نوّر الله عليك ، يا رفيق ، وهداك صواب الطريق ، الى الخمر الرحيق . فقد جمد ريقي في فمي .

رفيق : تأنَّ قليلاً ، ففي التأني السلامة وفي العجلة الندامة .

نديم : وكيف السبيل الى التأني ، والروح تفارقني ان لم تعاجلني بما يردّ الحياة .

ماكر : صدق نديم ، يا رفيق ، فادخل بصديقينا الغرفة واشربوا كاساً من الخمر . فان لي حديثاً أُسرُّه الى شجاع .

رفيق : ولا غروَ انك تَسرّه .

نفطويه : ما اجملَ هذا الجناس !

رفيق : بل ما اجمل تلك الكاس !

نفطويه : وربكَ ، قد اتيتَ بالدرِّ المنضودِ .

نديم : وتركت ابنة العنقود .

نفطويه : وربك راجتْ اسواقُ الفصاحةِ ، يا نديمُ .

نديم : اذ بدت الخمرةُ الوضاحةِ ، يا كريمُ .

نفطويه : قد لحنت . الا ترى أنه يُقالُ « اذ بدت الخمرةُ الوضاحةُ » ، وليس « الخمرةُ الوضّاحةِ » ؟

نديم : ولماذا ، وحقك ؟

نفطويه : لان الخمرةَ في حالة الرفعِ وتابعها يكون مرفوعاً .

نديم : وما الذي يرفع الخمرة وتابعها ؟

نفطويه : يرفع الخمرة أنها فاعلٌ ويرفعُ التابعَ أنه نعتٌ لها .

نديم : وكيف تكون الخمرة فاعلًا ونحن نفطها . للشيطان انت ونحوك ! فما يهمني رفعها وخفضها اذا طاب طعمها .

ماكر : الا تنتهون وتدخلون ؟

رفيق : هيًا بنا .

شجاع : اني انتظر على مقالي الجمر .

نفطويه : افتصدقُ في ما تقولُ ، يا نديمُ ؟ الا يهمُّك ذلكَ ؟

نديم : انه يهمني ما يهم الاعمى طلوع الشمس :

ماذا الـذي يهمني ان قام زيد او قعدْ
او ان ذهبت مـاشياً او راكباً نحو البلدْ
او كان زيد مبتـدا او فاعـلًا سدَّ المسدْ
اوان يكن ذا الاسم يبني م او يكن هـذا يُهد
تصـالح الفعـلان او تنازعا طول الابـد
في النحو لا تقهرني الا تفاصيـل العـدد
وافعل التفضيل ، كم قد شذَّ فيهـا وشرد
وغير هـذي عقـدٌ تبا لهـاتيك العقـدا
ترى بها قواعداً بدون معنى وزبـد
مختومةً جميعهـا : بـ « قس عليه ما ورده » [1]

رفيق : هيًا بنا ندخل ، فان الخمرة الصهباء تنتظرنا ، وقد احمرَّ وجهها وانتشر عبيرها وراق صفاؤها وطاب مذاقها . . .

نديم : وحن القلب الى لقائها :

هيًا بنا ، هيًا بنـا ، قد زال بالخمر العنا ؛
وكل ما فينا غـدا يقول : هيًا للهنـا !
يا خمرةَ الـدنِّ التي تشفي من القلب الضنى ،
قلبي عليل ، يا فتى ، فاسكب من الخمر لنا .

(يأخذ يد رفيق ويهمّ بالدخول . ثم يرى ان نفطويه لا يزال مكانه فيقول له) :

---

١) الياس صالح

ما لك لا تبرح ؟

نفطويه : اني اتيتُ لحاجةٍ ولا بدَّ لي من قضائها.

نديم : الم تسمع ما قيل : اليوم سكرٌ وغداً امرٌ؟

نفطويه : (يخاطب ماكراً) اني في حاجة اليك ، يا ماكرُ ، فهل تسمحُ لي بعرضها ؟

ماكر : (يقترب من نفطويه ويخاطبه بصوت خافت) وما حاجتك يا نفطويه ؟

نفطويه : أُريدُ منك ان تُعيرَني ابنَ عقيل ، فانه قد أُشكل عليَّ بعضُ المسائل، وقد نقَّبت عنها في بقية الكتب ، فلم ارها ، وربما وجدتها فيه.

ماكر : دعنا الآن « وابن عقيل » ، وادخل مع رفيق فانه يخبرك بامر يسرُّك ويسرنا . أُترك النحو ساعة واستعد للهو والضحك.

نفطويه : إني لا ارى ما وراء الحجابِ.

ماكر : انك سوف ترى فادخل مع رفيق ، وبلّل شفتيك بكأسٍ من الخمرة المعتَّقة ، حتى تبسم لك الدنيا وتنتزع عنك هذا الوجه العبوس.

شجاع : أما انتهيت ، نفطويه ؟ فاذهب واختر لك غير هذا الوقت فقد ضاق صدري انتظاراً (يخرج رفيق ونديم ونفطويه)

المشهد الخامس

شجاع وماكر

« يجب ان يمثل هذا المشهد بكثير من الحركة ، وكثير من السرعة . وعلى ماكر ان يتفنن في سيماء وجهه ، فينظر الى شجاع من طرف خفي ، فيضحك منه تارة ، ويظهر له الجدّ تارة ويتبعه من مكان الى مكان حتى لا يدع له مجالاً للراحة »

ماكر : (بعد قليل من السكوت) اما الآن ، وقد خلا بنا المكان ، فاسمع ما اقول لك .

شجاع : اني بجملتي آذان تسمع حديثك.

ماكر : ما خلوت بك ايها الصديق الّا لأمر ، ان بدا حقيراً امام عينيك ، فانه خطيرٌ لديَّ ؛ ولولاك لضاقت بي الارض على رحبها.

شجاع : (على حدة) ارى خلل الرماد وميض نارٍ.

ماكر : ولكن مهما يكن من الامر ، فلست تضيق بـه ذرعاً ، وانت على ما اعهد بك من الشجاعة والقوة.

شجاع : (على حدة) ما عساه ان يكون ؟

ماكر : وقد قيل :

وتعظم في عين الصغير صغارها وتصغر في عين العظيم العظائم

شجاع : ما هذا الامر يا ماكر ؟

ماكر : من خمس سنوات ، حلَّ في احدى الغابات القريبة عصابة من اللصوص اخذت تقطع الطرق ، وتتعرض للمارة . فلا يمرُّ احد الا سلبته ، وان أبى انزلت به الويل . فانتشر الخبر وعمّ الاضطراب ، واصبحنا ولا امن ولا راحة . حتى منَّ الرحمان علينا بالفرج ، فلم يمضِ زمن الا رحلت تلك العصابة عن جوارنا ، ورحل الذُعر والخوف ، ورجعت المياه الى مجاريها فشكرنا الله وحمدناه . ولكن كأنَّ الدهر ابى الا معاداتنا ، فلا ننهض من شدة حتى نهبط في اشدّ منها هولاً ورعباً . . . (سكوت)

شجاع : وما هذه الشدة يا ماكر ؟ . . . (سكوت) ان الله رحومٌ ، فلا تجزع !

ماكر : لو لم يرسلك الله لنا ضيفاً يا شجاع ، لقضيتُ خوفاً ويأساً ، وانقطع حبل رجائي ، واضمحلت آمال حياتي .

شجاع : ما بعد الضيق الا الفرج !

ماكر : ان هول هذا الخبر قد هدَّ عزمي واجمد الدم في عروقي ، فلا تلمني اذا رايتني شارد الفكر بطيء الكلام.

شجاع : خفف من روعك ، يا ماكر ، واعتصم بالله !

ماكر : الا ترى ان هذا الخبر يهدُّ القلب وان حديداً (سكوت)

شجاع : خفض الجأش يا ماكر ، ولا تستسلم للهول والجزع.

ماكر : وكيف السبيل الى رباطة الجأش ، وقد علمتَ ما علمتَ مما سوف ينزل بي .

شجاع : انك لم تعلمني بشيء..

ماكر : او لم اقصّ الخبر عليك. بحقك لا تلمني يا شجاع فقد ضلّ عقلي وشرد عن الهدى ، فلا ادري اين انا . قد عادت تلك العصابة المشؤومة مع زعيمها الماكر ، وهي تحنّ الى السلب وشرب الدماء . قد اكّد لي احدهم ان في ظلام هذه الليلة تهاجم تلك العصابة هذا البيت فتسلب كل متاع وتقتل كلّ حيّ...ما لك لا تنطق ، يا شجاع ، ولا ترقّ لمصابي ؟ فالحيلة الحيلة كيف الخلاص ؟

شجاع : تصبّر، يا ماكر ، واتكل على الله فان كل مفقود موجود ، ولا شيء اثمن من الحياة ، فانجُ بنفسك.

ماكر : املي بك بعد الله ، يا شجاع ، فلا تسمعني هذا الكلام ، ولا تهزأ بي في مصابي :

انت الصديق ذخرتُه للنائبات وللمصائب ،
وجعلته ترساً يردُّ سهام راشقة النوائب.
لا تُخزني ، يوم النوا زل، يا شجاع، ولا تجانب.
انت الشجاع، اذا تصا فحت الاسنة والقواضب ،
ومشى الردى في القوم مث ل الخمر في احشاء شارب ،
اني وضعت النفس بيـ ن يديك، يا ربّ المناقب ،
فارحم فؤادًا يستعيـ ن بصاحب من الف صاحب!
انت الشجاع ابن الشجا...

شجاع : (يقاطعه) هوّن عليك يا صديقي ولا تجزع.

ماكر : اوّاه . انا لم استعن بك لتسمعني كلام السلوى وتشاطرني الاحزان. بل لتنجدني بسيفك الصارم وقلبك الحازم. انا بين يديك ، انجدني بحقك انجدني !

شجاع : (على خدة) ليتني لم احيَ لها. (يخاطب ماكرًا) انهض ، يا ماكر ، وانظر فيما تراه مناسباً .

ماكر: وما ينفع النظر والراي ، اذا لم تنصرني بحسامك ، ولم تنتشلني من

الهوة يساعدك.

شجاع : حسامي وساعدي !! ...

ماكر : ما تقول ؟؟ اتستعمل حسامك وساعدك لنجدتي ؟ آه ! دعني اقبّل يديك يا شجاع (يجثو على ركبته ويأخذ يده) شكرًا لك والف شكر ، يا نجدة البائسين وقوة الضعفاء . قد اثلجت صدري بعد ان احرقته نار اليأس ، وارجعت الى الحياة بعد الموت.

شجاع : انك لو اعلمت رجال المحافظة ...

ماكر : (بقوة) ما رجال المحافظة الا اشباح ، ونحن في غنى عن الاشباح.

شجاع : ولكن اما تخشى كثرة اللصوص ؟

ماكر : فهل اخشى ، بعيد الآن ، قوماً لصوصاً او غزاةً او جنودًا ؟
وانت مناصري ، حامي ذماري وفي يمناك ما يفري الحديدا !
دعني اقبلك في جبهتك يا صديقي.(يقبله)

شجاع : ولكن علامَ عوّلت ؟

ماكر : على ان نقابل اللصوص بجرأةٍ واقدام ، فنردهم خائبين او نبقيهم في قبضة الهلاك . فانتَ لهم داخلًا . واما انا فاكمن خارجاً ، حتى اذا جاؤوا ودخلوا ، جعلناهم فيما بيننا واعملنا السيف في رقابهم . واني لاعلم العلم اليقين انك وحدك كفوء لهم . وما انا الا مساعدٌ انت في غنى عنه . كن متيقظاً ! دعني اتزوّد بقبلة منك ، يا اشجع الشجعان، حتى يتسرّب اليَّ بعض تلك الشجاعة والقوة.

شجاع : ولكن ، يا ماكر ، لن...

ماكر : كن حذرًا ! كن حذرًا ! (يخرج ماكر)

المشهد السادس

شجاع وحده

شجاع : (بعد قليل من السكوت يخاطب نفسه) اللصوص... حسامي... شجاعتي ... قوّتي ... ويلي ! ويلي من ساعة ينتصب لها شعر

رأسي ، ويتمشى لهولها قلبي في صدري ! ما كان اجدرني بالتنكب عنها والاحتراز منها ! ولكن ما الحيلة في لسان كذوب اوقعني في هذه الحبائل ، وسدّ عليّ منافذ الخلاص ؟ ليتك لم تكن يا لساني ! وليتك ذبت في فمي !... انت مجلبة شقائي وسبب موتي ، لم يكفك الاخبار بالعجائب والغرائب حتى ادّعيت لي القوة والشجاعة وانّقت قصص مصارعات الاسود ومهاجمات اللصوص . ويلك ! يا لساني ، ليتك لم تكن ! وليتك ذبت في فمي !... اتى لي الشجاعة ، وقلبي يخفق للنسيم فرقاً ، ويخاف سوادَ الليل ووحشة الانفراد ! ان منظر الدماء يهولني ، والتفكر بالموت يقتلني ، فكيف بي عند بريق السيوف ولمعان الخناجر ! ليتك لم تكن يا لساني ! وليتك ذبت في فمي !... لولاك ، ولولا خرافاتك ، لتملّصت من هذه الورطة وتخلّصت من حبائلها ، واعتذرت بضعفي وعدم دربتي . ولكن ، والقوم يعلمون ما يعلمون ، فكيف السبيل الى النجاة ؟ ان فررت فذلي ، وان ثبتُّ فموتي ؛ ولا خير في الحياة مع الذلّ ؛ وما أبشع الموت في غير اوانه . ليتك لم تكن يا لساني ! وليتك لم تنطق بكذبةٍ واحدة !... ويلي اني ارى خنجرًا يترقّبني ، وعينين تنظران اليّ . اني ارى الموت على قيد خطوة مني . لا . لا . بحقكم ، ارفعوا هذا الخنجر ولا تغرزوه في صدري . اني لم ارتكب ذنباً ولم آتِ اثماً فما تبتغون ؟... خذوا كل شيء واتركوا لي الحياة .. ارفعوا هذا الخنجر ! (يُطفأ القنديل) ويلي ! اين انا ؟ ..

(يقع على كرسي قريباً من الطاولة)

(لها بقية)

جولة في المجلات

مدلول « الادب » في كتب الادب القديمة — نظرة في تدريس الادب — انكلترة تكرّم جان دارك .

مدلول « الادب » في كتب الادب القديمة

كتب الاستاذ مصطفى صادق الرافعي مقدّمة لشرح « ادب الكاتب » للامام ابي منصور الجواليقي ، خصّ قسماً منها بموقف بعض ادباء العصر من تلك الكتب القديمة ، موقف الإعراض والترفّع ، ان لم نقل الكره والاشمئزاز . وتخطى الى ذكر السبب في هذا الموقف ، فاورد نظرات جديرة بالانتباه قادته الى تحديد « الادب » وذكر مدلوله في كتبه القديمة كآثار ابن قتيبة ، والمبرّد ، والقالي ، ومن اليهم . قال (المقتطف : تموز ١٩٣١ ، ص ١٢٠) :

السبب ان اولئك الادباء كلهم ثم من يتشيّع لهم او يأخذ برأيهم ليس منهم واحد ترى في اساسه الادبي تلك الاصول العربية المحضة القائمة على دراسة اللغة وجمعها وتصنيفها وبيان عللها وتصاريفها ومطارح اللسان فيها . والمتأدية بذلك الى تمكين الاديب الناشيء من اسرار هذه اللغة وتطويعها له فيكون قيّماً بها وتكون هي مستجيبة لقلمه جارية في طبيعته مسدّدة في تصرّفه . حتى اذا نشأ بها واستحكم فيها احسن العمل لها وزاد في مادتها واخذ لها من غيرها وكان خليقاً ان يعدّ فيها ويحسن الملاءمة بينها وبين الآداب الاخرى ويجعل ذلك نسجاً واحداً وبياناً بعضه من بعضه فينمو الادب العربي في صنيعه كما تنمو الشجرة الحية تأخذ من كل ما حولها لعنصرها وطبيعتها وليس الا عنصرها وطبيعتها حسب .

ان ادب الكاتب وشرحه هذا للامام الجواليقي وما صُنف من بابهما على طريقة الجمع من اللغة والخبر وشعر الشواهد والاستقصاء في ذلك والتبسط في

الوجوه والعلل النحوية والصرفية والامعان في التحقيق . كل ذلك عملٌ ينبغي ان يعرف على حقه في زمننا هذا ، فهو ليس ادباً كما يفهم من المعنى الفلسفيّ لهذه الكلمة بل هو ابعد الاشياء عن هذا المعنى فانك لا تجد في كتاب من هذه الكتب الا التأليف الذي بين يديك ، اما المؤلف فلا تجده ولا تعرفه منها الا كالكلمة المحبوسة في قاعدة ... وكأنه لم تكن فيه روح انسان بل روح مادة مصمّتة ، وكأنه لم ينشأ ليعمل في عصره بل ليعمل عصره فيه ، وكأن ليس في الكتاب جهةٌ انسانيةٌ متعينةٌ ؛ فثمّ تأليف ولكن اين المؤلف ، وهذا كتاب ابن قتيبة ولكن اين ابن قتيبة فيه ؟

وما اخطأ المتقدمون في تسميتهم هذه الكتب أدباً فذلك هو رسمُ الادب في عصرهم ؛ غير ان هذا الرسم قد انتقل في عصرنا فانا نحن المخطئون اليوم في هذه التسمية كما لو ذهبنا نسمي الجمل في البادية الاكسبريس والهودج عربة بولمان . . .

ومن هذا الخطأ في التسمية ظهر الادب العربي لقصار النظر كانه تكرار عصر واحد على امتداد الزمن . . .

الحقيقة التي يعينها الوضع الصحيح ان تلك المؤلفات انما وُضعت لتكون ادباً لا من معنى ادب الفكر وفنه وجماله وفلسفته بل من معنى ادب النفس وتثقيفها وتربيتها واقامتها . فهي كتب تربية لغوية قائمة على اصول محكمة في هذا الباب حتى ما يقرؤها أعجمي الا خرج منها عربيًّا او في هوى العربية والميل اليها . ومن اجل ذلك بُنيت على اوضاع تجعل القارئ المتبصّر كأنما يصاحب من الكتاب أعرابيًّا فصيحاً يسأله فيجيبه ويستشهد به فيرشده ويخرّجه الكتاب تصفُّحاً وقراءةً كما تخرجه البادية سماعاً وتلقيناً ، والقارئ في كل ذلك مستدرج الى التعرّب في مَدرجةٍ مدرجةٍ من هوى النفس ومحبتها فتصنع به تلك الفصول فيما دُبرت له مثلما تصنع كتب التربية في تكوين الخلق بالاساليب التي أديرت عليها والشواهد التي وضعت لها والمعالم النفسية التي فصّلتْ فيها .

ومن ثم جاءت هذه الكتب العربية كلها على نسق واحد لا يختلف في الجملة فهي اخبار واشعار ولغة وعربية وجمع وتحقيق وتمحيص ؛ وانما تتفاوت

بالزيادة والنقص والاختصار والتبسط والتخفيف والتثقيل ونحو ذلك مما هو في الموضوع لا في الوضع ، حتى يخيل اليك ان هذه كتب جغرافية للغة والفاظها واخبارها اذ كانت مثل كتب الجغرافية متطابقة كلها على وصف طبيعة ثابتة لا تتغير معالمها ولا يخلق غيرها الا الخالق سبحانه وتعالى.

اما الفائدة من تلك الكتب فهي:

ومما تردُّه على قارئها تلك الكتب في تربيته العربية انها تمكن فيه للصبر والمطاولة والتحقيق والتورُّك في البحث والتدقيق في التصفُّح وهي الصفات التي فقدها ادباء هذا الزمن فاصبحوا لا يتتبعون ولا يحققون وطال عليهم ان ينظروا في العربية وثقل عليهم ان يستبطنوا كتبها . ولو قد تربوا في الاسفار وبذلك الاسلوب العربي لتمت الملاءمة بين اللغة في قوتها وجزالتها وبين ما عسى ان ينكره منها ذوقهم في ضعفه وعاميته وكانوا احقّ بها وأهلها .

وذلك بعينه هو السر في ان من لا يقرؤن تلك الكتب اول نشأتهم لا تراهم يكتبون الا باسلوب منحط ولا يجيئون الا بكلام سقيم غثّ ولا يرون في الادب العربي الا آراء ملتويةً، ثم هم لا يستطيعون ان يقيموا على درس كتاب عربي، فيُساهلون انفسهم ويحكمون على اللغة والادب بما يشعرون به في حالتهم تلك ويتورطون في اقوال مضحكة وينسون انه لا يجوز القطع على الشيء من ناحية الشعور ما دام الشعور يختلف في الناس باختلاف اسبابه وعوارضه ولا من ناحية يجوز ان يكون الخطأ فيها ، وهم ابداً في احدى الناحيتين او كلتيهما.

نظرة في تدريس الادب

وقفنا في مجلة «الاخاء» (ايار ١٩٣١ ص ١٧٠) على مقالة للعزيزي شديدة اللهجة في انتقاد اسلوب « التربية والتعليم في شرق الاردن ». وقد رأينا فيها نظرات صائبة في ما خصّ تدريس الادب العربي تنطبق لا على شرق الاردن فحسب ، بل على كثير من البلاد التي لا يزال تلامذتها يعانون حفظ وتفسير ذاك الشعر الغرامي الفاسد المُفسد. قال الكاتب:

الاداب العربية: كيف يدرسونها ؟!!!

ما ذكرت هذا الدرس ولا ذكرت اسلوب تدريسه الا ضحكت حزناً

« وشر المصائب ما يضحك ! » المقرر لدرس تاريخ الآداب العربيـة : كتاب تأليف الاستاذ فلان الخ ! ! ! يجب حفظ كلمات المؤلف نفسهـا ، او كلمات المعلم بعينها ، الحق ان هذا شيء مدهش ! الاغرب ان الاستاذ ، لكي يوهم التلامذة انه قدير ، يقول لهم انه يحفظ الف بيت من الشعر (نفيس جداً) ما هي ؟ غزليات عمر بن ابي ربيعة ، تلك الغزليات السافـلة التي يأخذ الاساتذة الافاضل تلامذتهم بحفظها ، وبتفسيرها .

ثم يذكر فحش امرئ القيس في معلقته ، ويعود الى ابن ابي ربيعة :

اما غزليات ابن ابي ربيعة فلا ارى ابرد منها ؛ والحق اني العن الساعة التي حببت اليّ حفظ بعضها ، لان فيها من نزوات الشيطان ما يكفي لافساد اجيال من الشبيبة . ولقد رأيت بأم عيني شاباً شعلة ذكاء ونشاط جنت عليه اشعار ابن ابي ربيعة فردته خائر القوى ، فاتر العزيمة ، قلق العقلية ، مضطرب الشخصية ، وكثيراً ما اجهدت نفسي لاصرفه عن الانتحار !

فأية فائدة اذاً من تلك المدارس ؟ ومن ذاك الشعر الغرامي ؟

اليست أعظم فائدة نجنيها اننا نحوّل هذه المدارس محلات يتلقّن مرتادوها أصول الغرام الفاحش ! ! ؟

نحن في المدارس نريد ان نجعل التلامذة بعيدين عن كل مـا يثير فيهم الخيالات الدنـسة ! . التربية البيتية معدومة في بلادنا . فلا اقل من ان تكون المدرسة والدروس ملجأ للاخلاق . ان تربيتنا البيتية ، حالتنا الاجتماعية ، جهلنا المطبق ، لا تتحمل الطفرات الجنونية ! !

فما لنا ولحبلى ومرضع امرئ القيس ! ما لنا ولهنيدة ابن ابي ربيعة وسلماه ونعماه و و و . . .

ما لنا ولعبلة عنترة ، وعشيقة طرفة ، وعزة كثيّر ، وبثينة جميل ، وليلى المجنون ؟ ؟ ؟

فهل يصادف صوت الغزيزي اذناً صاغية ؟

انكلترة تكرم جان دارك

افاضت صحف العالم عامةً وصحف فرنسة خاصةً بذكر الاعياد الاحتفالية التي أُقيمت في روان تذكاراً لمرور المئة الخامسة على حريق القديسة جان دارك، الذي جرى في ٣٠ ايار ١٤٣١ وفي ٣٠ ايار ١٩٣١، كانت المدينة تعجّ بالوفود المتألبة لتكريم ذكرى القديسة. وقد لفت الانظار خاصةً الوفود البريطانية التي وصف مظاهرها ريمون اسكوليه في مجلة العالمين (*Revue des Deux Mondes*, 1 *juillet* 1931, *p.* 206...) فقال:

منذ سنة ١٩٠٢، قام الشريف الانكليزي ادوارد كلارك، احد وجهاء مدينة هستنغس، فاشترك بالحفلة التكفيرية، وصاح ضارباً صدره: «اجل! لقد ارتكبنا، نحن الانكليز، خطأً جسيماً بحرقنا جان دارك» وكم من الانكليز قطعوا المانش، منذئذٍ، فاتوا روان ليقوموا بواجب التكفير!... وفي هذا النهار، نرى فرقة من فتيات انكلترة حاملات علماً تظهر عليه هذه الكلمات المؤثرة:

Homage to Saint Joan of Arc,

from England

«اكرام للقديسة جان دارك، من انكلترة!»

ومن الحق ان هذا النهار يختصّ بانكلترة اختصاصه بجان... وها ان سفير بريطانة العظمى في فرنسة، اللورد تيرل، لا يخفي تأثره. اما اساقفة بريطانية فكلهم حاضرون تقريباً.. وها ان الكردينال بورن، رئيس اساقفة وستمنستر، وموفد الحبر الاعظم الخاصّ يصل وسط عاصفة من الهتاف. فيلفت وصوله الانظار حتى ان الناس يكادون ينسون جميع مظاهر الفخامة المتجلّية في تلك الحفلة، فلا يرون الا خلف رئيس اساقفة وستمنستر الذي ارسل جان دارك الى الحريق! وهو اجدر من يقوم بالكفارة!

هوذا الظهر، الساعة التي عُذّبت فيها جان دارك. اخذت الجيوش تسير بانتظام، حتى اذا وصل القوّاد امام محلّ العذاب، حيث ارتفعت كومة الحطب، حنوا سيوفهم محيّين. ثم تقدّم وزير العدلية ممثلاً فرنسة، ومدير روان، وعن جانبيهما الانكليزيان العظيمان الكردينال بورن، واللورد تيرل... وفي الساعة نفسها قرعت اجراس كاتدرائية روان، فاجابتها اجراس فرنسة جمعاء... ف. ا. ب.

شذرات

انتاج الذهب

نشرت «صحيفة التجارة والصناعة» المصرية (نيسان ١٩٣١: ٥٧٦) بعض المعلومات في هذا الموضوع نقتطف منها ما يلي :

منذ سنة ١٤٩٣ ، اي السنة التي بدئ فيها باستخراج الذهب الامريكي ، الى ١٩٣٠ ، ارتفع انتاجه الى ١,٠٤٢,٨٥٠,٠٠٠ أوقية استخرج نصفه او اكثر قليلًا (٥٥٠,٣٥٠,٠٠٠ اوقية) في غضون القرن العشرين . وقد رصد ٥٠٠,٠٠٠,٠٠٠ اوقية من الانتاج العالمي لتكوين الاحتياطي النقدي ، والباقي استهلك في مختلف الصناعات او فُقد او اختفى من الاسواق بكثرة.

وبلغ الانتاج العالمي حوالي ٦٩٠,٠٠٠ اوقية بين سنتي ١٨٠٠ و ١٨٤٠ ، ثم وصل الى ٦,٥٨٥,٠٠٠ اوقية بين ١٨٥١ و ١٨٦٠ ، فالى ١٠,٠٠٠,٠٠٠ اوقية بين ١٨٩٠ و ١٩٠٠ . وبينما كان بعد سنة ١٩٠٠ ؛ ١٢,٠٤٢,٠٠٠ زاد على ٢٢,٠٠٠,٠٠٠ في سنة ١٩٠٩ ، ثم وصل الى اعلى رقم في ١٩١٦ حيث بلغ الانتاج العالمي الى ٢٢,٧١٨,١٥٤ اوقية .

غير ان هذا الانتاج نزل عقب الحرب الى ١٥,٠٤٦,٠٠٠ اوقية في سنة ١٩٢٢ ، ثم عاد فارتفع الى ١٩,٠٠٥,٠٠٠ اوقية ، واحتفظ بهذا الرقم بين ١٩٢٦ و ١٩٣٠ . والمنتظر ان يظلّ كما هو في السنوات العشر المقبلة . حتى تأتي سنة ١٩٤٠ فيعود الى الهبوط ، ولن يتعدى الانتاج عندئذ ١٤,٠٠٣,٠٠٠ اوقية وهي الكمية التي تطلب سنويًا للحاجات النقدية . الا انه يخشى ان تزداد مطالب الصناعات من الذهب في الاعوام المقبلة ، وان يترتب على ذلك عجز فيما تحتاجه النقود سنويًا يقدر بخمسة ملايين اوقية او ستة سنويًا.

والى جانب هذا يلاحظ ما اصاب مناجم الترنسفال من عجز الانتاج ، وهي التي يُستخرج منها الآن حوالي ٥٣,١ في المائة من الانتاج العالمي ، مما

قد يترتب عليه ادخال تعديلات كبيرة في مراقبة الانتاج السياسية لذلك الحجر الكريم .

السيارات في منطقة الانتداب

بلغ عدد السيارات المصرح بها في لبنان ٩٩٥٤ سيارة ، عدا سيارات الجيش . وفي منطقة دمشق ٤٥١٧ سيارة ؛ وفي شمالي سورية مع لواء الاسكندرون ٢١٢٧ وفي اللاذقية ١٥١٤ . فيكون المجموع ١٨١١٢ سيارة .

تقدم الصحافة في سورية ولبنان

لم يكن في البلدان السورية واللبنانية ، سنة ١٩١٩ ، سوى ١٧ جريدة ؛ فاصبح فيها ، في سنة ١٩٣١ ، ١٢٤ جريدة منها ٢٣ جريدة يومية ، و٦٠ جريدة اسبوعية . تصدر سبع منها بالفرنسوية ، و ٦ باللغة الارمنية ، و ٣ باللغة التركية ، وجريدة واحدة باللغة الجركسية ، وبقية الصحف باللغة العربية .

الاقبال على الكثلكة في كورية

جاء في برقيات « فيدس » الواردة من بنغ ينغ ، في كورية ، من اعمال اليابان ، أن هناك حركة عظيمة تؤذن باقبال الاهلين من وثنيين وبروتستانت على اعتناق الكثلكة مما لم يقع له مثيل من قبل في مديرية بنغ ينغ الرسولية . ولقد كانت هذه المنطقة في السابق مضمارًا لمبشري البروتستانت يمرحون فيها بلا منافس ، فأسسوا فيها المدارس ، واقاموا المستشفيات والمستوصفات . ولكن رجال الكنيسة انتبهوا مؤخرًا اليها وبعثوا لها مرسلين اميركيين في السنة ١٩٢٣ ، فاخذ هؤلاء يعملون على اجتذاب النفوس الى الصراط القويم بما وهبوا من نشاط وغيرة ، فكللت اعمالهم بالنجاح رغم ما قام في وجههم من المصاعب . وقد وقع في الصوم الاخير ان قد منح في دار المديرية الرسولية ، من اربعاء الرماد حتى احد الفصح ، ٦٠٠ شاب من الوثنيين سرّ العماد المقدس . وهناك عدد آخر كبير من الكوريين لا يزال يتردد على دار الاسقفية ، طالبًا الدخول في حضن الكنيسة الكاثوليكية .

مطبوعات شرقية جديدة

Edouard Cuq : Etudes sur le droit babylonien, les lois assyriennes et les lois hittites. *VII-522 pp. pet. 4°, carré, avec une carte. Paris, Geuthner,* 1929. 150 *f°.*

ابحاث في الحق البابلي والشرائع الاشورية والشرائع الحثية

هذا كتاب يجدر بكل قاضٍ وفقيه واستاذ وتلميذ في الحقوق في بلادنا ان يجعله في مكتبه . وهو مجموعة ابحاث منها قديم يرقى الى عشرين سنة سلفت ، راجعها المؤلف وحوّر فيها ؛ ومنها حديث ولاسيما ما خصّ التشريعات الاشورية والحثية التي لم تكتشف اسانيدها الا في السنوات المتأخرة . على ان محور الكتاب الحق البابلي المتجلي في المظهر الذي اظهره به ملك بابل الشهير حمورابي معاصر ابراهيم الخليل ، وهو مظهر يفرض ماضياً عريقاً يمتّ الى السومريين ، ولنا على ذلك عدة شواهد . ولا يخفى ان المعروف بقانون حمورابي هو المسلّة الموجودة اليوم في اللوفر والتي اكتشفها جاك دي مورغان في سوس حيث كانت قد نُقلت كسلب من اسلاب الحرب . فاخذ بدرسها والاهتمام بقراءتها الاب شيل (Scheil) الدومنيكي ، مدة ستة اشهر ، نشر بعدها نصّ القانون مع ترجمة لم تحتج منذ ذاك الا قليلاً من الاصلاح . وهذا اثر يكفي وحده لتعزيز شهرة الراهب العالم . وعليه فقد قدّم له المؤلف كتابه هذا بنسبة مرور ٧٠ سنة على ميلاده في سنة ١٩٢٩ .

شُهر المؤلف سابقاً بكتاب في « المؤسسات القضائية الرومانية » يعرفه جميع طلّاب الحقوق ، فاظهر من المقدرة ما يضمن له الخوض بموضوع في الحقوق الشرقية . ثم استعان بافضل المؤلفات في الاشوريات ، وتواريخ الشعوب ومؤسساتهم ؛ فنتج من ذلك ان المطالع يرى في هذا المجلّد النفيس ، الوافر الوضوح ، السهل المطالعة ، كل ما يمكن ذكره ذكرًا يقينيًا في ذاك الموضوع الفسيح . وقد احسن الكاتب بجمعه ابحاثه السابقة ، التي راقت جميع الاختصاصيين من اشوريين وفقهاء ، على طريقة مرتبة تظهر فيها كل مادة على حدة ، جامعة

الى كل موضوع ما يجانسه من النظرات . هذا وان الحق البابلي يُشبه في كثير من الوجوه الحق الروماني ، وقد وُضع ، مثل هذا ، لشعوب متقدّمة في المدنية والترف. اما الحق الاشوري [1] ، ولا ترقى مصادره الاولى الى ابعد من الالف الثالث ق.م. ، فانه يظهر جنائياً كالحق الحثي الذي ترقى مصادره الى نحو السنة ١٥٠٠ ق. م. وغاية كل هذه التشريعات حفظ النظام الاجتماعي.

وان من يدرس من السوريين هذا الكتاب بدقة وامعان ، يستفيد ما يساعده على فهم الكثير من عادات السلف ، تلك العادات التي لم تضمحل كلها في عصرنا. س. ر.

Thomsen (Peter): Palästina und seine Kultur in fünf Jahrtausenden. [*Der alte Orient*, 30] *Hinrichs*, 1931, 8°, 120 *pp.* 8 *fig. et* 16 *planches. Prix* : *M.* 3, 60.

فلسطين ومدنيتها مدة خمسة آلاف سنة

يسرّنا أن نقدم للقراء الكرام هذا المجلد القيّم ، وهو طبعة ثالثة منقّحة ومزيد عليها لكتاب ظهر لاول مرة سنة ١٩٠٩ ، وقد بلغ الالف التاسع سنة ١٩١٧ ، ووصل اليوم الى الالف العاشر ، مزداناً بكل الزيادات الضرورية بعد ان وصلت الحفريات في الشرق الى النهضة الحاضرة.

غاية المؤلف ان يطلع جمهرة المتعلّمين على المدنية الفلسطينية منذ العصر الظرّاني الى عصر العرب . وهو يبدأ بمختصر في تاريخ الحفريات العصرية في فلسطين ، وفي الطريقة التي اتبعها لاقرار التوقيت في مختلف العصور ، وهي طريقة تستند اليوم استناداً كبيراً الى ترتيب الطبقات في الآثار الفخارية . ثم يلج الموضوع فيصف العصر الظرّاني (القديم ، والحديث ، والمقابر ، والطقوس الدفنية ، والديانة الخ ...) ؛ فالعصر البرونزي (منذ السنة ٢٠٠٠ ق. م.) وما يشمل من تنقلات الشعوب ، ونشوء المدن وطريقة تحصينها ، والديانة والعادات ؛ ثم يصل الى العصر الحديدي (منذ السنة ١٢٠٠ تقريباً) فيتكلم

١) لم يمكن المؤلف ان يستفيد من الدروس الحديثة بقلم ايسّر (Eisser) ولاوي (Lewy) بعنوان : *Die altassyrischen Rechtsurkunden von Kültepe.* التي ظهرت في *Mittlgn. d. Vorderas. — aegypt. Gesellsch. t. 33. 1930.*

عن المنازعات بين الاسرائيليين والفلسطينيين ، ومن المدنية المتقدمة في ذاك العصر ؛ وينتهي بالعصرين اليوناني والروماني فيخص فصلاً بكل منهما ، ثم بالعصر البيزنطي المتصل بالروماني.

يدلّ كل هذا على سعة الموضوع واهميته ، وعلى ما بذله المؤلف من الجهود كي يدخله في نحو مائة صفحة . فكان من ذلك انه اكتفى باللمحات الاجمالية ، وبالمزايا الخاصة المهمة ؛ فاستخرج اللُباب من المادة الكثيرة دون ان تثقل عليه. وشاء الاخذ بطريقة مشروعة يضع فيها المدنية الفلسطينية في بيئتها الخاصة ؛ ويقابل بينها وبين ما جاورها من المدنيات خصوصاً في مصر وسورية. فاستفاد ، في ذلك ، من جميع الحفريات والمكتشفات المصرية التي جرت في بيبلوس(جبيل) ، وراس شمراء ، وكركميش ، والمشرفة وغيرها. والقى النور على ماض يمتّ بصلة متينة الى دين اسرائيل ، والى الديانة المسيحية . يزيد قيمة ذلك تصاوير ورسوم جميلة متقنة . ولعلّ الكتاب يروق بعض ادباء العرب فينقله ، او يسير على اسلوبه في ابحاث يمكن لكل مجلة عربية ان تحاضر قراءها فيها مدة سنتين او ثلاثة ، فتفيدهم وتساعدهم على فهم تاريخ تهمّ نتائج تطوّره البشرية جمعاء.

س. ر.

Neugebauer (K. A.): Antike Bronce-Statuetten. 132 *pp. pet.* 4°, 8 *illustr. et* 67 *fig. en pl. phototyp. Berlin, Schoetz u. Parrhysius.* 1921.

التماثيل الصغيرة البرونزية القديمة

اننا جدّ متأخرين في الكلام على هذا الكتيب الصادر منذ عشر سنوات. على اننا نذكره باختصار ، منتظرين طبعته الثانية التي قد تتأخر لانه طبع من الاولى خمسة آلاف نسخة.

موضوع الكتاب التماثيل القديمة الصغيرة المصنوعة من البرونز. وغاية المؤلف ان يقدّم ، لجمهرة القراء حتى لمن يجهل منهم مبادئ علم الاثريات ، مجموعة او دليلاً يقدرون بواسطته قيمة تلك التماثيل الصغيرة القديمة المنتشرة في متاحف اوربة ، والمصنوعة من البرونز في ازمنة مختلفة منذ اوائل تلك الصناعة حتى

اواخر الامبراطورية الرومانية. وبين هذه التماثيل ما يُعدّ بحقّ من روائع الفنّ .

يبدأ المؤلف بتحديد فنّ هذه التماثيل وما يمتاز به عن فنّ التماثيل الكبيرة. ثم يذكر عصرها السابق للتاريخ الذي ينتهي في الالف الثالث ق. م. ، في الزمن الذي ابتدأ فيه العالم الاوربي باستعمال النحاس الممزوج بالقصدير . يمثل هذا العصر ، المدعوّ بعصر البرونز ، الطبقة الثانية في طروادة ، وفنّ جزر اقريطش وميقينية ، وبعض قطع خاصة تظهر فيها المزايا التي تزداد وضوحاً في العصور التالية . يأتي بعد ذلك العصر المعروف « بالهندسي » والعصر « القديم » الذي يظهر مجدّداً في اقريطش ، منذ القرن السابع ق. م. ، وفي جزر البيلوبونيز ، واتيكة ، ويونية ، وفي اغريقية الكبرى (جنوبي ايطالية) . ويليه عصر الفنّ « المدرسي » ، ثم وارثه الفنّ اليوناني الشديد المحاكاة لمظاهر الطبيعة ، ثم فنّ الاتروسك واللاتين ، واخيراً الفن الروماني ، خلف جميع الفنون .

ومما عمل على رواج هذا الكتاب طريقته الواضحة الصريحة واسلوبه السهل ، وهو ما شاءه المؤلف اذ لم يضع كتابه للاختصاصيين ، وما فيه من اللوحات التصويرية المتقنة ، على قلتها.

هذا وقد ادرك المطالع ان المؤلف لا يهتم الا بالفنّ اليوناني ، منذ عصر طروادة واقريطش حتى اواخر الامبراطورية الرومانية . فجاز له ان يسأل: ولِمَ اهمل المؤلف — وهو لم يُغفل ذكر اقريطش القديمة — تماثيل آسية الصغرى ، وفينيقية ، وسورية ، وفيها ما يفوق التماثيل اليونانية جميعها قدماً ودقّة صناعة ؟ ونحن نأمل ان تُسدّ هذه الثلمة الظاهرة في الطبعة الثانية. س. ر.

Gessmann (Hugo) : Die orientalischen Religionen im hellenistisch-roemischen Zeitalter. *Eine Vortragsreihe. Berlin, W. de Gruyter u. C°*, 1930, 8°, 179 *pp.* 58 *fig. et* 1 *carte. Prix : M.* 8.

الديانات الشرقية في العصر اليوناني - الروماني

هي مجموعة محاضرات عن الديانات الشرقية في العصر اليوناني - الروماني كان قد القاها المؤلف سنة ١٩٢٣ . ثم لبى دعوة ربه في اميركة سنة ١٩٢٧ . فاجتهد صهره في قراءة مسوّداتها ، وكانت مكتوبة بالاختزال ، فنقلها ؛ ورأى

احد تلامذته كالينك (K. Galling) ان ينشرها لما فيها من فائدة.

يبدأ الكاتب بتوطئة قصيرة في المتضادات والديانات السرية ، ثم يعرض للديانة المصرية فيتكلم عن اوزيريس وساروبيس وما يتعلق بهما من الاسرار، وعن ايزيس ؛ فمن التوحيد المثلث: اوزيريس وايزيس وهورسيس (اوهرپاقات الاله - الطفل) . ثم ينتقل الى الفصل الثاني ، وهو اطول فصول الكتاب ، فيخصه بديانة شعوب آسية الصغرى ، ويذكر جميع مظاهرها في عصر الحثيين الاولين ، اي في الالف الثاني ق.م. ، فيجاري آراء الجميع اذ يجعل في مقدمة آلهة تلك الناحية « ام الآلهة » القديمة او«الام الكبيرة» ، الاهة الارض وسيدة الطبيعة،مروّضة الحيوانات وموزّعة الخيرات ؛ وقد تردّد ذكرها في عدة اشكال محلية لاسماء الالاهات كاسم« ما » (او بأونه) في كومان، و«ارطميس» في افس، و« عَتَرْغَتيس » في سورية الشمالية. والى جنبها ، فضلاً عن اله الحثيين السموي الاعظم ، يحتلّ الاله الفتى أتيس مركزاً سامياً ، وقد كان لهذا الاله شهرة واسعة في رومية ، وكذلك اشتهر فيها سوبازيوس الذي تجتمع فيه هذا الاله . اما الفصل الثالث والاخير ، وهو اقل الفصول اتقاناً ، فيبحث عن ديانة الايرانيين في الشكل الذي وضعها فيه زرادشت ، فيصف عبادة ميثرا التي انتشرت انتشاراً زاحم المسيحية مدة ، وبين العبادتين بعض الشبه الخارجي . ثم يتكلم عن المانوية .

فيظهر ان الكتاب موضوع لفائدة جمهرة المطالعين بالالمانية وهو ملخص نوعاً ما عن تأليف شهير للاثري كومون (F. Cumont) سماه « الديانات الشرقية في الامبراطورية الرومانية » . وقد كان قصد المؤلف ان يزيد عليه فصلين عن اليهودية والمسيحية ، فحالت المنية بينه وبين اتمام هذا القصد . اما الاختصاصيون فليس في الكتاب ما يفيدهم كثيراً. فان آراء المؤلف ، وبعضها جريء حتى الغرابة ، شخصية محضة. على ان الناشر احسن صنعاً بطبع هذا الاثر لعالم اشتهر طول حياته بدرس تاريخ الديانات ، فلا اقل من ان يطبع كتابه بعد وفاته . هذا وان الصور متقنة مفيدة.

س. و.

R. Chauvelot : Où va l'Islam ? *in-8°, 15 illustr. photogr. et 2 cartes. Editions Jules Tallandier, Paris.*

مصير الاسلام

يقرأ المطالع هذا الكتاب فيشعر انه امام رحّالة يمرّ سريعاً فيخوض موضوعاً فسيحاً يشمل بلاداً كثيرة ؛ فيتكلم عن استانبول ، وحلب ، ودمشق ، والقدس ، والقاهرة ، وفاس ، والصحراء . كل ذلك برشاقة ورونق ، على سرعته ورغبته في الوصول الى الغاية . اما الغاية ، وهي مصير الاسلام ، فمن الصعب ان نراها مقرّرة بوضوح وتحفظ ودقة . وقد قال المؤلف في كلامه على فلسطين (ص ٨٤) : « لا تشكّوا في كون الاسلام صائراً الى التساهل والتفهم والنور والتقدّم ومؤاخاة الشعوب » ونحن نتمنى من كل قلبنا ان يكون كلامه صحيحاً !!!

ج . ل .

André Siegfried : La crise britannique anglaise au XX° siècle. *in-16, 2 cartes et 2 graphiques. Prix : 10 f° 50. Collection Armand Colin, Paris.*

الازمة البريطانية الانكليزية في القرن العشرين

ان كتب الاستاذ سيكفريد ، ولا سيما ما اختصّ منها بالمسائل الانكلوسكسونية ، من اجدر المؤلفات بالثقة ، لما امتاز به صاحبها من التبصّر في درس الموادّ ، والدقة والتحفظ في استخراج النتائج . وهي الصفات التي تظهر في المجلد الحالي اذ يعرض الكاتب للازمة البريطانية التي اعتقدها الكثيرون عرضية سريعة الزوال والتي لا تزال مستحكمة النطاق ، فيحلّلها ويدرس جميع الشروط التي تسمح لانكلترة بالحياة كدولة اقتصادية ؛ ويستنتج انه ، اذا شاءت تلك البلاد البقاء دولة عظيمة ، فعليها ان تحوّر طرق حياتها تحويراً كاملاً . وهي نتيجة على جانب عظيم من الخطورة ولكنها تظهر ما للكتاب من اهمية . على اننا نرى ان ليس من المعقول ان يكون العامل الاقتصادي الوحيدَ في تكوين الازمة البريطانية ، بل هناك عوامل اخرى كان على المؤلف ان يُلمّ بها ، وقد شاء ان يدرس الازمة درساً دقيقاً تامّاً . ولكن في فصله المعنون « الشعب الانكليزي والازمة » معلومات مفيدة مهمّة ، على كونه لم يمسّ الجهة الاخلاقية الا مسّاً رفيقاً .

ج . ل .

Klamroth (Dr Heinz) : Aegypten, das uralte Kultur und moderne Reiseland. *mit 24 Tafelbildern und einer übersichtskarte. VIII et 118 pp. Prix : M. 4,50, broché 3,40. Freiburg im Breisgau, Herder,* 1929.

كتاب عن مصر وثقافتها

عاش المؤلف في مصر مدة طويلة فامكنه ان يراها بعين اجلى من عين السائح المستعجل . وعليه فان المطالع يستفيد عن مصر معلومات كافية في ما خص الحياة الشعبية فيها ، وتاريخها ، ولغتها ، ودينها ، ومواردها . والكتاب جزء من سلسلة غايتها اطلاع الالمان على بلاد العالم المختلفة والشعوب التي تسكنها .

ج . ل .

De matrimoniis mixtis, eorumque remediis ; *auctore* Francisco Ter Haar C. S. S. R. *Taurini-Romae, Marietti,* 1931, *in*-8° *L.* 11.

بحث في الزواج المختلط

لا يخفى ان الزواج المختلط يُحدث الاخطار الجمة لايمان الزوجين وايمان اولادهما ايضاً . فلا عجب اذاً في ان تكون الكنيسة حرّمته اشدّ التحريم فقالت في القانون ١٠٦٠ الذي يورد التشريع القديم : « تحرّم الكنيسة اشدّ التحريم في كل موضع عقد الزواج بين شخصين معمدين يكون احدهما كاثوليكياً والآخر منتمياً الى شيعة هرتوقية او منشقة . واذا كان ثمة خطر فساد على الزوج الكاثوليكي فالزواج اذ ذاك تنهي عنه حتى الشريعة الالهية نفسها » (تعريب البشير) وقد عاد الى الموضوع نفسه قداسة الحبر الاعظم في رسالته العامة الاخيرة « في الزواج المسيحي » فذكر ذاك التحريم الشديد (ص ٣٢ من طبعة المطبعة الكاثوليكية) .

فرأى المؤلف ان ينشر بحثاً ضافياً مدققاً في الموضوع فكان له ذلك في هذا الكتاب ذي المنفعة الجزيلة لكهنة الشرق حيث يكثر الزواج المختلط خصوصاً في المدن .

يبيّن المؤلف في القسم الاول ان شريعة التحريم شريعة قديمة جدًّا لم تفتأ الكنيسة ان تذكّر المؤمنين بها . ثم يبيّن اسباب هذا التحريم ، وكلها تبرّر تمسك الكنيسة بها ، كما تبرّره الحوادث والاحصائيات ايضاً . وفي القسم الثاني

يخوض في التحليلات التي ترى الكنيسة اعطاءها اذ تعتبر الاسباب كافية لذلك، وما تتخذه من الاحتياطات وما تفرضه من الشروط لاعطاء تلك التحليلات. واخيراً، في القسم الثالث، يسرد الطرق التي يجب استعمالها لتقليل عدد الزواجات المختلطة.

فنحن ننصح بالاقبال على هذا الكتاب الصغير الذي يُظهر حكمة الكنيسة في تشريعاتها، ويفيد كهنة الرعايا طريقاً اميناً يسيرون عليه في مشكل من اصعب المشاكل حلاً ومن اكثرها حدوثاً. ي. م.

Annuaire pontifical pour 1931. 960 *pp. à 2 colonnes*, 173 *illustr. Prix : 45 f. Maison de la Bonne Presse, Paris.*

التقويم البابوي لسنة ١٩٣١

ليس من يجهل قيمة هذا التقويم المهمّ، وهو يلقي كل سنة بين ايدي المطالعين، منذ سنة ١٨٩٨، مجلداً ضخماً يحتوي الكثير من الحوادث والمعلومات. وفي هذا الاخير، فضلاً عما اعتدناه في سابقيه، بحث في الطقس الليوني، وفي الكرادلة على عهد الانشقاق، وفي ابرشية دانسيغ، وفي رهبنات النساء المؤسسة في بلجيكة، وفي التقديسات والتطويبات التي حصلت سنة ١٩٣٠.

R. P. Coulet : L'Eglise et le problème de l'autorité. *in*-12, 199 *pp. Prix* : 10 *f*, *Editions Spes. Paris.*

الكنيسة ومسألة السلطة

القى المؤلف هذه المحاضرات في بوردو، فحصل عليها اقبال عظيم دفع ملقيها الى جمعها في هذا المجلد. ولا عجب فان الموضوع يمسّ الظروف الحاضرة في جميع انحاء العالم حيث تأخذ النفوس كلها ازمة السلطة وشرعيتها. والمحاضرات خمس هذه عناوينها : ازمة السلطة، ما تفهمه المسيحية بالسلطة، السلطة في العمل، السلطة في الدولة، السلطة في الكنيسة.

J. Rupp : Découverte de la Chrétienté. *in*-12, 113 *pp. Prix* : 6 *f*. *Editions Spes, Paris.*

اكتشاف المسيحية

كان المؤلف، وهو ضابط فرنسوي، مرابطاً في المانية المحتلة؛ فاخذ يتأمل في ترتيب الحوادث ونظام الكون حتى شعر بتجدّد ديني يحدث في اعماق نفسه

ويدفعه الى تمني الوطن الكاثوليكي الشامل . فكان من ذلك انه كتب الى اصدقائه عدة رسائل جمعت في هذا الكتاب، وكلها تدل على سمو عقل الكاتب وعمق شعوره الكاثوليكي الحي.

M. Besson : Histoire des colonies françaises. *in-8° écu de 410 pp., 16 pl. hors texte. Prix : 24 f^n. Boivin et Cie. éditeurs, Paris.*

تاريخ المستعمرات الفرنسوية

انتج معرض باريس ، هذه السنة ، كثيراً من الكتب في المستعمرات ، وكان من جملتها هذا التاريخ الواسع . وقد نال المؤلف غايته اذ قسم موضوعه الى ثلاثة اقسام : المستعمرات في عهد الملكية (١٨٧ ص) وبين السنة ١٨١٤ والسنة ١٨٧٠ (٤١ ص) وعلى عهد الجمهورية الثالثة (١١٧ ص) . وهو يظهر تتابع الجهود الفرنسوية مدة اربعة قرون وانصرافها الى غاية واحدة . والكتاب سهل المطالعة يسر القارئ وينعشه ، لاسيما عندما يرى ان اكثر هذه الجهود تتابعت في ظل الصليب المقدس . ج.ل.

L. Coquet : Les héritiers de la toison d'or. *in-12, 256 pp. 1931, Maisonneuve frères, Paris.*

ورثة الصوف الذهبي (تاريخ جيورجية)

ينطوي تحت هذا العنوان الشعري تاريخ جيورجية مختصراً في ما خص عهدها القديم حتى بعيد الحرب (ص ٧٤) ، ومفصلاً كل التفصيل منذئذ حتى اليوم . ولا شك في ان الكتاب يفيد الكثيرين بما فيه من الدقة ، وبما يظهر من سعة اطلاع مؤلفه وهو ضابط برتبة كولونيل ، وقد قدمه للقراء الاخوان تارو في صفحات ملؤها الحياة والرشاقة .

ديوان كُثَيِّر عَزَّة

جمعه ونشره الشيخ هنري پيرس

مجلدان : ٢٨٦ و ٤٠٦ ص متوسطة – منشورات كلية الادب بالجزائر ، مطبعة جول كربونل ، الجزائر ١٩٢٨ و ١٩٣٠

ابو صخر كُثَيِّر بن عبد الرحمن الخزاعي شاعر اموي ، اشتهر «بكُثَيِّر عزة» لكثرة تشبيبه بها ، اتصل بخلفاء بني امية ومدح منهم خاصة عبد الملك بن

مروان وابنه يزيد ، وعمر بن عبد العزيز ؛ وتوفي في المدينة سنة ٧٢٣ . جمع شعره من كتب كثيرة الشيخ هنري بيرس (Pérès) الاستاذ بالمدرسة الابتدائية العالية ببُرج الحرّاش « الدار المربّعة » في الجزائر ، ونشره مع شرحه، بعد ان قدّم عليه مقدّمة بالعربية والفرنسوية ذكر فيها ملخّص حيـاة الشاعر وترتيب قصائده ، وسرد اسماء الكتب التي استند اليها في جمع شعره وشرحه . وقد ظهر من الكتاب مجلّدان يليهما مجلّد ثالث . والاستاذ يهتمّ بوضع كتاب مطوّل بالفرنسوية في حياة كثيّر وشعره مع ترجمة ديوانـه ، سيصدر قريباً في مطبعة غوتنير في باريس . فنحن ، بينا ننتظر ظهور الكتاب الجديد ، نشكر للاستاذ همته العالية وجهوده المحمودة في سبيل شاعر قلّما اهتمّ به جُمّاع الدواوين .

ف . ا . ب .

تجديد النظام الاجتماعي

رسالة عامة لقداسة الحبر الاعظم

٥٨ صفحة متوسطة – المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، حزيران ١٩٣١ – ثمنها ١٠ غ . س .

بمناسبة مرور اربعين سنـة على إذاعة رسالة البابا لاون الثالث عشر في « الشؤون الحديثة » (*Rerum Novarum*) نشر قداسة الحبر الاعظم البابا بيوس الحادي عشر هذه الرسالة العامة في تجديـد النظام الاجتماعي والتوفيق الكامل بينه وبين التعاليم الاجتماعية ، تناول فيها مشكلة من اعقد المشاكل العصرية واصعبها حلّاً الا وهي الحقوق والواجبات التي تتعلّق بكل من فريق ارباب رؤوس الاموال وفريق العمّلة ، وبتقام كل من الفريقين تجاه الآخر : وقد قسمها الى ثلاثة اقسام : ذكر في الاول الخـيرات التي صدرت عن الرسالة « في الشؤون الحديثة » ، خيرات تضافرت على العمل في سبيلها الكنيسة والسلطة الزمنية واوباب الشأن انفسهم من راسماليين وعملة ، حتى انه امكن القول ان رسالة لاون الثالث عشر دستور العمال العظيم . وفي القسم الثاني اوضح قداسته سلطة الكنيسة في الشؤون الاجتماعية والاقتصادية ، فحدد حق التملك وابان صفتيه الفردية والاجتماعية وموقف الحكومة منهما ، وانتهى الى رأس المال والعمل

وما لكل منها من حقوق وما عليه من واجبات ، مدققاً في ثلاثة امور يجب اعتبارها لتجديد النظام الاجتماعي وهي: معيشة العامل وعائلته ، وحالة العامل ، ودواعي المصلحة العامة ، وما تتطلب من تأليف النقابات وتعاونها وما شاكل. وفي القسم الثالث ، تناول الحبر الاعظم التغييرات الخطيرة التي طرأت من عهد لاون الثالث عشر وهي تحوّل النظام الاجتماعي وما نتج عنه من النتائج الوخيمة وكيفية العمل لمداواتها ؛ وتطوّر الاشتراكية وتشعبها الى شيوعية عنيفة واشتراكية معتدلة ، وهنا صرّح قداسته ان « الكاثوليكي» و « الاشتراكي » اسمان متناقضان وانه لا يمكن للاشتراكية ان تأتي بحلّ للمشكلة الاجتماعية. ثم اهتم باصلاح الاخلاق والسير على طريقة تستند الى العدالة والى المحبة المسيحية فتقود الطبقات الى الاتحاد الوثيق والتآلف التام.

وقد عرّبت المطبعة الكاثوليكية هذه الرسالة النفيسة عن الاصل اللاتيني تعريباً غاية في الدقة والوضوح ، فاستحقت شكر جميع من يستفيدون من هذه التعاليم السامية ، وكثيرٌ ما هم. ف. ا. ب

مرشد المتحف القبطي

وكنائس مصر القديمة ، والحصن الروماني

تأليف وديع حنا

١٩٦ ص . متوسطة — المطبعة المصرية الاهلية بالقاهرة ١٩٣١

كان المؤلف قد وضع دليلاً مطوّلاً للآثار القبطية في مصر وباشر طبعه ، ثم اعترضته عقبات في سبيل اتمامه فتركه . على ان وزارة المعارف المصرية انتدبته لالقاء محاضرات في الآثار القبطية على مدرسي المدارس ، فانتهز تلك الفرصة ورأى نشر مختصر محاضراته في هذه الرسالة الجامعة الواضحة المزيّنة بعدة رسوم متقنة بالاجمال. بدأها المؤلف بلمحة مختصرة في تاريخ انشاء المتحف القبطي ، وفي الفنون والصناعات القبطية . ثم عرض لكنيسة المعلّقة فخصّ بها ٤٤ صفحة ذكر فيها كل ما تجدر معرفته عن تاريخها وآثارها. اما المتحف فخصّ به القسم الاعظم من الكتاب وقسم شروحه على محتوياته من مخطوطات (ص ٦٤—٨٥) واحجار بما فيها حصن بابليون الروماني (ص ٨٥—١١٠) واخشاب

(ص ١١٠-١١٧) ومعادن (ص ١١٧ - ١٣٤) ومنسوجات (ص ١٣٤—١٥٠) وفخار وزجاج (ص ١٥٠—١٥٨) واخشاب مزخرفة (ص ١٥٨- ١٨٥) وصور (ص ١٨٥—١٩٠) وختم بلمحة مختصرة عن الكنائس الاثرية في مصر . فاتى الكتاب، على لطف حجمه، وافر المعلومات واضح الشروح ذا فائدة جزيلة .

ف. ا. ب.

النتيجة القبطية لسنة ١٦٤٨

يصدرها جرجس فيلوثاؤس عوض

١٢٨ صفحة صغيرة – المطبعة المصرية الاهلية بالقاهرة ، ١٩٣١

هو تقويم عام للسنة ١٦٤٨ للشهداء حسب الحساب القبطي ، وهي السنة التي تبتدئ في ١٢ ايلول ١٩٣١ ، يصدره كل سنة حضرة المؤلف المجتهد الدائب جرجس فيلوثاؤس عوض، ويسميه «نتيجة» جرياً على الاصطلاح المصري. وقد ضمنه هذا العام ، فضلاً عن المعلومات الفلكية والدينية والاثرية والتاريخية والزراعية ، « لمحة تاريخية عن حال الكنيسة القبطية وما هي عليه من التأخر بينا ان النصارى يتقدمون دينياً » . فنثني على همة المؤلف الفاضل ونسأل الله ان يأخذ بيده الى ما فيه الخير العام.

ف. ا. ب.

حياة المطران نعمة الله ابي كرم الماروني

٤٧ صفحة متوسطة – مطبعة المرسلين اللبنانيين ، جونية ، ١٩٣١

توفي المثلث الرحمات المطران نعمة الله ابي كرم في ١١ نيسان ١٩٣١ ، بعد حياة طويلة ملأها آثاراً يعود فخرها على الطائفة المارونية خاصة وعلى الاكليروس الشرقي عامة. وكان قد اختص بالفلسفة ، وبتلك النقطة الدقيقة منها التي تتصل فيها فلسفة الشرقيين بفلسفة الغربيين ، فنقل « نجاة » ابن سينا الى اللاتينية ونقل « مجموعة الردود » للقديس توما الاكويني الى العربية ؛ فافاد مريدي هذه الابحاث من ابناء اللغتين فائدة جزيلة ، وحقق في شخصه مثالاً حياً لاجتماع تينك الثقافتين الممتازتين . فكان من الحق والواجب ان تُذاع ترجمة حياته اقراراً بفضله ، وعبرةً لمن يأتي بعده من ارباب الدرس والاجتهاد.

ف. ا. ب.

اهم حوادث الشرق في شهر

١٥ حزيران — ١٥ تموز ١٩٣١

لبنان وسورية صدر قرار باعتبار المقاييس الشرية مقاييس رسمية.

* عقد في الجامعة الاميركية في بيروت (١٠ - ١٤ تموز) المؤتمر الطبي المصري الرابع. وقد افتتحه وزير الداخلية مستناباً عن رئيس الجمهورية . واشترك فيه بعض الاطباء اللبنانيين والسوريين، وتتابعت فيه الابحاث عن عدد من امراض البلاد الحارة، وعن توحيد المصطلحات العلمية باللغة العربية.

* لا تزال مقاطعة شركة الجرّ والتنوير على مجراها في دمشق. اما في بيروت فانتهت باتفاق روعي فيه جانب الفريقين.

مصر اصدرت وزارة المعارف الى مدارسها منشوراً يحرّم اشدّ التحريم على الطلبة الاشتغال بالسياسة.

* اذاعت وزارة الداخلية بلاغاً شجبت فيه حزب العمال وبينت سوء نزعاته.

* اخذت الهند بالاقبال على القطن المصري، فوجدت مصر بعض التعويض من الخسارة التي لحقت بها بسبب اقفال السوق الاميركية.

شرق الاردن زار الامير عبد الله القطر المصري فاستقبل استقبالاً شائقاً. ثم عاد الى امارته في ٣ تموز

العراق سافر الملك فيصل الى تركية فاستقبله الغازي بنفسه في انكره. وبعد ان جال في بعض الجهات، تابع رحلته الى اوربة.

* احتجّ اهل بغداد على فرض ضرائب جديدة تخوّل البلديات حقّ جبايتها فاقفلت المدينة بضعة ايام منذ ٥ تموز.

فلسطين قرر المؤتمر الصهيوني المنعقد في بال (سويسرة) «ان الصهيونية حركة وطنية... وان غاية الشعب اليهودي ان يستقرّ في بلاده الاصلية التاريخية بواسطة هجرة دائمة لا تنقطع حتى تصبح ارض اسرائيل للشعب اليهوديّ.»

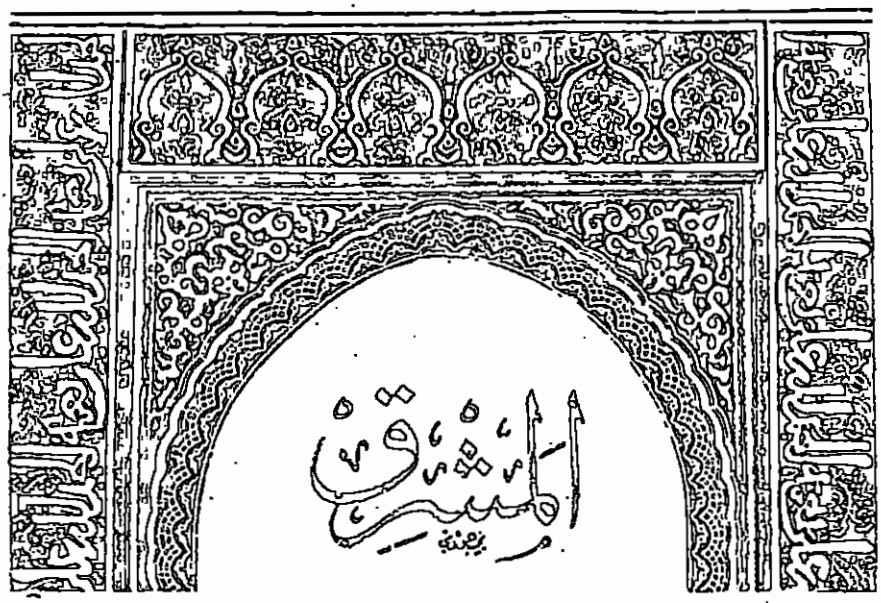

تشرين الاول ١٩٣١

الحفريات الاميريكية

في بيسان

بقلم حضرة الاب ا. س. مرجي الدومنيكي

١

منذ السنة ١٩٢١ جاءت البعثة الاميريكية ، بعثة متحفة جامعة بنسلفانية ، للتنقيب في بيسان. وكان رئيسها في السنتين الاولين الدكتور فيشر ، وكان معاوناً له الاستاذ رو (Rowe) . ولما استقال الاول من الادارة ، خلفه فيها معاونه المذكور ، ولم يزل قائماً بهذه المهمة حتى اليوم بنشاط لا يعرف الملل ، وباقتدار علمي منقطع النظير. وقد وضع حضرة العلامة مدير هذه البعثة كتاباً نفيساً بالانكليزية بسط فيه ما انتجته الحفريات ، مدة هذه السنين ، آخذاً باطراف البحث من الجهة التاريخية والاثرية. وزيادة في الافادة ، وطبقاً للنمط العلمي الحديث ، قد اشفع الدرس

بمختلف الرسوم الممثلة المواقع والاشياء المكتشفة ، فجاء هذا المؤلف كاملاً من جميع الوجوه . وعليه احببنا ان نقتبس ، لقراء المشرق ، اهم المعلومات القيمة ، ونتائج التنقيب الخطيرة المودعة في هذا السفر الجليل ، غير مهملين ما ورد في غيره من المؤلفات او النشرات العلمية الاثرية[1] .

اصل اسم « بيسان »

اسمها الحالي « بيسان » لكنه كان قديماً « بيت شان » ، ولم يتوصل العلماء حتى اليوم الى تحقيق معناه الاصلي بنوع شافٍ . لكن يحتمل كل الاحتمال ان له علاقة شديدة باسم المعبود « الحية » الذي كان يكرم في البلاد البابلية باسم « شخان او سحان » ؛ وقد ظهر من الحفريات ان الموضع كان مركزاً لعبادة « الحية » في فلسطين . وقد لفت النظر حضرة الاب قنسان الدومنيكي الى ان كلمة « شخان » اذا كتبت مقلوبة جاءت بصورة « نخش » . وهو اسم الحية بالكنعانية . وقلب اسماء الآلهة عادة كانت جارية عند القدماء . والمادة (ن خ ش) تظهر دلالتها على الحية في كل تقلباتها في اللغات السامية . وقد ورد اسمها في بعض المواطن من الكتاب الكريم بصورة « بيت شيثان » وقد عُبّر عنها « ببيت السكينة » ، ووجدت في التلمود بصورة « بيشان او بيسان » ،

---

١) هذا عنوان الكتاب الذي لخصنا منه مواد هذا المقال :

Alan Rowe, *The topography and history of Beth-Shan. Phila delphia-University-Press. 1930.*

وفضلاً عن هذا ، يمكن مراجعة المصادر الآتية :

A. Legendre, (*Dic. de la Bible*) *Bethsan. T. I, c. 1738.*

Père Barrois O. P., (*Dic. de la Bible*) *supplément-Beisan.*

Père Mallon S. J., *Biblica* (*Rome*) *de 1922 à 1929.*

Père Abel O. P., *Revue Biblique, 1912, p 409 ss.*

Père Vincent O. P., *op. cit. de 1922 à 1926.*

Père Dhorme O. P., *op. cit. 1927.*

Père Barrois O. P., *op. cit. 1929.*

وبهذه الطريقة نقلت من صورتها القديمة « بيت شان » الى صورتها الحالية العربية « بيسان » .

بيسان الحالية ، واخربة المدينة القديمة

بيسان اليوم بلدة واقعة في شمالي فلسطين ، في نهاية وادي يزرعيل شرقاً . وقد كانت منذ القديم ممرًا للمسافرين بين البحر المتوسط ونهر الاردن .

البلدة الحالية منتشرة على قسم عظيم من المدينة القديمة ؛ وهي واقعة على الضفة الغربية من نهر جالود الجاري شرقي الاردن . تقرب مساحة املاكها من ٢٦,٠٠٠ دونم . وقد بلغ عدد سكانها ، في الاحصاء الاخير ، زهاء ٢٠٠٠ ، منهم ١٧٠٠ مسلم ، و ٢٥٠ مسيحيًا ، و ٤٠ يهوديًا .

والبلدة مركز المنطقة الحاوية ٢٦ ناحية . واغلب سكانها اليوم من نابلس والناصرة ، وبعضهم من مصر والسودان وسورية ومحطة السكة الحديدية في بيسان واقعة على خط دمشق — حيفا . وبقية الناحية كلها في غاية الانخفاض عن سطح البحر المتوسط .

من آثار ابنية المدينة القديمة اخربة عديدة منها الميدان (لسباق الخيل) وهو حوض اهليلجي ، قليل العمق ، فيه ثلاثة صفوف من الدرجات نحو الجنوب ؛ على قرب مستنقع متكوّن من المياه الصادرة من العيون ، وحواليه غابة قصب . وعلى مسافة قصيرة آثار هيكلين .

ومن اخربتها نحو جنوب المدينة القديمة « المسرح » وهو من عمل الرومانيين ، مركب من نصف دائرة ، يُرى فيها آثار المدرّجات السائدة . وقطر دائرته نحو ٦٠ مترًا . وفي الجهة الشمالية المقابلة لنهر جالود مقبرة بيسان ، اكبر مقابر فلسطين القديمة . وقد وجد فيها نماذج قبور من كل العصور : من عصر البرونز الى العصر البيزنطي . وغربي بيسان ، ولاسيما نحو الشمال ، بقايا السور الحجري الذي كان يحيط قديماً بالمدينة . وفي الشمال الشرقي منها مسجد بُني سنة ١٤٠١ ، على بقايا كنيسة بيزنطية . وكان فيها في سابق العهد كنيس لليهود ، الّا انه

لم يوجد له اثر حتى اليوم . ونحو الشمال الشرقي من محطة السكة الحديدية واقع « الخان الاحمر » وهو اليوم خربة ، وكان قد بُني سنة ١٣٠٨ .

اما الأثر الاهم ، في بيسان ، فهو التلّ العظيم المدعو « تلّ الحصن » القائم بين القرية الحالية ونهر جالود . وفي هذا التلّ آثار حصون او قلع متعددة ، شيّدت الواحدة على اخرى ، على توالي الاحقاب ، منذ اقدم الازمان الى العصر العربي .

وهذا التل ، الذي هو موقع المدينة القديمة ، اتخذته البعثة ميداناً لحفرياتها التي لا تزال تواصلها . والى الآن قد توصلت الى كشف تسع طبقات ، كل طبقة حاوية آثار مدينة او قلعة . قاعدة اوطئها زهاء ١٣ متراً ، تحت قمة التلّ . وعلوّ التلّ اليوم ، من جهة الشمال ، نحو ٦٥ متراً ؛ ومن جهة الغرب نحو ٤١ متراً . وقاعدة التل نحو ٢٧٤ متراً على طول المنطقة . ويجري نهر جالود قرب التلّ ، وهو يسيل نحو ١٨٦ متراً تحت سطح البحر ، ونحو ٨٠ متراً تحت قمة التل .

طبقات القلع او المدن

في « تل الحصن »

لم تتمكن البعثة بعد من كشف التلّ باجمه . وعليه فالنتائج التاريخية الكاملة لا تتجلي بوضوح تامّ الّا بعد اتمام الحفريات . الا ان ما اكتشف من التلّ الى الآن يدلّ دلالة كافية على ما كانت عليه من الخطورة هذه المدينة الفلسطينية .

وقد عُدّدت الطبقات ، بدءاً من علوّ التلّ الى اسفله . فالطبقة الاولى هي الاحدث عهداً ، والطبقة التاسعة هي الاقدم . ولم يكشف من الطبقات كشفاً شاملاً ، الا الطبقة الاولى .

ودونك بياناً فيه خلاصة تاريخ الطبقات التسع :

طبقات المدن او القلع في التل	الصور التاريخية الدالة عليها كل طبقة	التأريخ
الطبقة التاسعة	عصر توحتمس الثالث (وجد فيه هيكل كنعاني مخصص بعبادة الاله ميكال رب بيسان . ويحتمل ان هناك هيكلاً لشريكته)	١٥٠١–١٤٤٧ق.م.
الطبقة الثامنة	العصر السابق امنوفس الثالث	١٤٤٧–١٤١٢
الطبقة السابعة	عصر امنوفس الثالث (هيكل كنعاني ، واثر معبد صغير ، غربي الهيكل)	١٤١١–١٣١٤
الطبقة السادسة	عصر سيتي الاول (طبقتان : طبقة سيتي المتأخرة وطبقة سيتي المتقدمة) (هيكل كنعاني)	١٣١٣–١٢٩٢
الطبقة الخامسة	عصر رعمسيس الثاني (هيكلان كنعانيان : الجنوبي للاله «ريشيف» هيكل داجون المذكور في (ايام الاول ١٠ : ١٠) الشمالي للالهة عشتيت (بيت عشتروت الوارد في (١ سموئيل ٣١ : ١٠) وكلاهما بقيا مستعملين الى ازمنة الاسرائيليين المتأخرة اي سنة ١٠٠٠)	١٢٩٢–١٢٢٥
الطبقة الرابعة	عصر رعمسيس المتأخر — العصور : الفلسطيني ، الاسرائيلي ، الاشوري ، الشيتي ، البابلي الحديث ، الفارسي القديم الخ.	١٢٢٤–٣٠٢
الطبقة الثالثة	العصر اليوناني ، اليهودي ، الروماني (هيكل يوناني)	٣٠٢ق.م–٣٢٩ب.م
الطبقة الثانية	العصر البيزنطي (اي الروماني الشرقي المسيحي) (كنيسة مدورة)	٣٣٠–٦٣٦ ب.م.
الطبقة الاولى	العصر العربي ، الصليبي الخ (جامع)	٣٣٦– القرن ١٩

بعد هذا البيان الذي وضعه المؤلف ، نبسط ، تتميماً للفائدة ، بيانه الثاني، وفيه تُرى مقابلة هذه الطبقات بالعصور الاثرية في فلسطين.

العصور الاثرية الفلسطينية	طبقات تلّ الحصن في بيسان
١ العصر الحجري	
ا الحجري القديم	. . .
ب الحجري الحديث	. . .
٢ العصر البرونزي	
ا الكنعاني المتقدم الى ٢٠٠٠ ق.م.	. . .
ب الكنعاني المتوسط ٢٠٠٠–١٦٠٠	. . .
ت الكنعاني المتأخر ١٦٠٠–١٢٠٠	الطبقات: ٩، ٨، ٧، ٦، ٥
٣ العصر الحديدي	
ا الفلسطيني القديم: ١ الفلسطيني ، ٢ الاسرائيلي: من ١٢٠٠–٦٠٠	القسم المتقدم من الطبقة الرابعة.
ب الفلسطيني المتوسط: ١ اليهودي ، ٢ اليوناني من ٦٠٠–١٠٠٠ ق.م.	القسم المتأخر من الطبقة الرابعة والقسم المتقدم من الطبقة الثالثة.
ت الفلسطيني المتأخر: ١ الروماني ، ٢ البيزنطي ١٠٠ق.م–٦٣٦ب.م	القسم المتأخر من الطبقة الثالثة والطبقة الثانية.
٤ العصر الحديث	
ا العربي المتقدم ٦٣٦–١١٠٠ ب.م	الطبقة الاولى
ب العربي المتوسط ١١٠٠–١٥٠٠	الطبقة الاولى
ت العربي المتأخر ١٥٠٠– اليوم	الطبقة الاولى

قبل عصر توتمس الثالث

يرقى وجود السكان ، في منطقة بيسان ، الى العصر الكنعاني المتوسط ، اي بين ٢٠٠٠ و ١٦٥٠ . وذلك في المقبرة التي اكتشف فيها على قبور متعددة ، كل منها متوقف على حجرة مدوّرة ، تحت الارض . يؤدي اليها مدخل ضيق ، وهي مغطاة بحجر كبير . والظاهر ان الاجسام كانت تلقى فيها دون وجهة خاصة ، او نظام معين . وقد وجد بجانب الجثث شيء من الاسرجة الفخارية الكنعانية وغيرها ، لكن لا شيء من الحلى او الزينة ؛ مما دلّ على ان السكان ، في ذاك الطور ، كانوا ذوي مدنية اولية . واما الاوعية الاخرى التي وجدت في بيسان فترقى الى عصر الهكسوس . ذاك القوم الاسيوي السامي الذي دخل مصر سنة ١٦٧٥ ، وقد احتلّ ايضاً سورية وفلسطين . بيد ان احموس الاول طردهم من مصر (١٥٨٠–١٥٥٧) وقضى على حكمهم توتمس الثالث (١٤٦٩) حين كسر جمعاً من القبائل الكنعانية والسوريّة في مدينة مجدّو .

الطبقة التاسعة : عصر توتمس الثالث

وبعد كسرة الشاتر في مجدّو ، يحتمل ان توتمس الثالث ارسل جيشاً احتلّ بيسان ، كما يظهر ذلك من قائمة الكرنك الحاوية اسماء البلاد التي استولى عليها . وقد وجد من الجعلان المنقوش عليها اسم الملك في عدة مواطن من طبقات التلّ . وفي القسم الذي حفر فيه طبقة توتمس الثالث ، اكتشف على بناءين يظهر جلياً ان احدهما هيكل كنعاني . وكلاهما مبنيان باللبن . والجنوبي اوسع الاثنين ، وهو مخصص لاله المحلّ المدعو « ميكال » سيد بيسان . والآخر لقرينته . وقد وقعوا في احدى غرف الهيكل الشمالي على اناء من خزف منقوش على خارجه بنقش ناتئ ، صورة «حية» متمعجة . وهو عظيم الخطورة لدلالته على ان عبادة الاله « الحية » التي كانت منتشرة هناك في عصر الملوك المصريين المتأخرين ، قد كانت متبعة منذ عصر توتمس الثالث . ومن شكل صور الحيّات ذات الصدر الانثوي التي وجدت في التلّ يستدلّ على ان

المعبود كان حية انثى . ولربما كان الالـه المعبود في هيكل توحتمس بصورة حية . ونصب « ميكال » خطير جداً ، لانه يوحي الينا اسم الاله المحلي الذي ذكر لاول مرة في التأريخ ، فضلاً عن انه يقدم لنا شخصاً للاله عينه .

وبمعزل عن النفوذ المصري في بيسان ، زمن توحتمس الثالث ، نرى التأثير الذي اصله من البحر المتوسط . وقد ازهر هنـاك حتى العصر الفلسطيني . وهناك ايضاً بعض الاثر للنفوذ الاشوري الحثي ، لكن لا يعرف بالتحقيق ايًا كان مداها .

الطبقة الثامنة : العصر السابق امنوفس الثالث

عصر هـذه الطبقة متوسط بين عصر توحتمس الثـالث وعصر امنوفس الثالث ، مؤسس الطبقة السابقة ، الذي رقي العرش في مصر ٣٦ سنة بعد موت الملك الاول . فهـذه الطبقة تمثل امنوفس الثالث (١٤٤٧—١٤٢٠) خليفـة توحتمس الثالث وتوحتمس الرابع . وما عدا خاتماً باسم امنوفس الثـاني وجد في المقبرة الشرقية ، لم يجدوا شيئاً مرقوماً من عهد هذا الملك في بيسان . لكن وجد جُعَل جميل عليه اسم توحتمس الرابع . وهذا ما سهّل تعيين تاريخ هـذه الطبقة .

على ان آثار الابنيـة قليلة في الطبقة الثامنة . واما الاشياء الموجودة فيهـا فمنها غرض يخصّ العبادة ، بشكل صفيحة ، مع صورة حية نائتة حواليه . ثم رؤوس تماثيل آلهـة من فخار ، وصور سبع من خزف ، وجعلان فيهـا اسم توحتمس الثـالث ، واختام واسطوانات . واكثر هـذه الاغراض من الطرز السوري الحثي . واسنان وعظام حمار وقرون غزلان الخ .

(للبحث صلة)

انتصار الكنيسة

في المجمع الافسسي سنة ٤٣١

بقلم الاب يوسف نادر الانطوني

٣

في التئام المجمع الافسسي سنة ٤٣١

قد تكون مسألة البدعة النسطورية انتهت انتهاء كنسياً محضاً ، وذلك بحكم البابا المكلف تنفيذه البطريرك الاسكندري ، دون تدخل البطريرك الانطاكي او اسقف آخر. لكن حاشية الملك رأت هذا الاسلوب بسيطاً للغاية ، فاقترح الرهبان الذين اهانهم نسطور التئامَ مجمع مسكوني ، ونسطور نفسه قد استحسن هذا الفكر متأملاً الانتصار بعون السلطة المدنية ونفوذ اساقفة الشام، وشجب كيريلس سنداً الى شكاوى المفترين عليه . فعين ثردوسيوس الملك مدينة افسس ، نهار المنصرة سنة ٤٣١ . وما كان اشد اتكال نسطور على ذاته والثقة التامة بنجاحه ! اذ لم يرتشد بنصائح صديقه يوحنا البطريرك الانطاكي ، الذي دعاه في تحرير وجهه اليه الى الطاعة لحكم البابا والرجوع عن غيه . لكن الكافر ظلّ مصراً على عناده ، كاتباً له: « ان تقابلنا في المجمع الذي نؤمل عقده ، نرتب جميع الامور دون عثرة باتفاق ، وعليكم ان تتعجبوا اقل من غيركم بادعاء المصري حسب عادته. وان شاء الله عن قريب سيُمدَح سلوكنا . » وكتب نسطور ايضاً الى البابا رسالة يقول فيها ان كيريلس يسعى ليتملص من حضوره المجمع المقصود عقده لفحص الشكاوى المتهم بها ؛ وانه متشبث بكلمتي «ام الله» و«ام المسيح».

وحرّر مار كيريلس رسالة الى البابا يسأله فيها عما يجب عمله لو رذل نسطور تعاليمه السابقة ، هل يجب على المجمع الافسي ان يحله او ان يحافظ على الحرم المنزل به ، لانه لم يرجع عن كفره قبل الاجل المضروب له . فاجابه البابا القديس ، في ٧ ايار سنة ٤٣١ ، ان عليه الاقتداء برحمة الله الذي لا يريد موت الخاطئ بل يقبل دائماً توبته ولو كانت بطيئة ؛ ويفوّض في الوقت نفسه البطريرك الاسكندري ان يلاشي مع الاساقفة جميع الاضطرابات التي نشأت في الكنيسة ، وزيادةً عليه يسمي الحبر الاعظم ثلاثة ممثلين سامعين ليحضروا باسمه المجمع الافسي ، وهم الاسقفان اركاديوس وبروجكتوس ورفيقهما الكاهن فيلبوس . وما ابلغ تلك الوصية التي القاها عليهم اذ قال : «

« عند ما تبلغون بعون الله حسب املنا الى المحل الذي تقصدونه وجهوا جميع افكاركم نحو اخينا وشريكنا في الاسقفية كيريلس ، واصنعوا كل ما يستصوبه ؛ نحن نأمركم ايضاً بصيان سلطة الكرسي الرسولي اذ المعلومات المعطاة اليكم تحملكم على وجوب الحضور الى المجمع . . . ومتى طرحت القضايا على بساط البحث ينبغي لكم ان تبدوا حكمكم في الامور المعروضة رافضين كل الرفض ان يتناول الجدل كلامكم . »

وفي الوقت نفسه (٧ ايار) حرّر الى آباء المجمع رسالة قال فيها : « ايها الاخوة الاعزاء . . صلّوا معاً مثل الرسل الذين طلبوا من الله ان يكرزوا بكلامه بثقة ؛ فماذا يجب طلبه لمجمعكم المقدس سوى ان يذيع بثقة كلام الرب ، ويحافظ عما امر بكرازته ؛ وممتلئين من الروح القدس ، تبشرون كلكم بالتعليم الواحد الذي يعلمكم اياه . » وكتب ايضاً الى الملك ثودوسيوس مادحاً غيرته على صيانة الايمان الكاثوليكي حاثاً اياه على قمع المبدعين .

كان الاجل المضروب للمجمع عيد العنصرة الواقع في ٧ حزيران سنة ٤٣١ ، فوصل نسطور الى افسس بين الاولين لقربها من العاصمة ، ورافق الكافر صديقاه الاميران ايريناوس وقنديديان قائد الحراس الملكيين الذي كلفه مولاه حفظ الامن العام في المجمع . ثم وصل الى افسس مار كيريلس مع خمسين اسقفاً ، وبعد عيد العنصرة بخمسة ايام حضر يوتنال البطريرك الاورشليمي مع

اساقفة قسطنطين ؛ اما ممنون ، اسقف افسس ، فقد دعا نحو اربعين اسقفاً من آسية . وحضر ايضاً اساقفة من قبرص وقبادوقيا وبلاد البونطس ، وفلاڤيانوس اسقف فيلبي ، بدلاً من روفس اسقف تسالونيقي المريض ، وبريجسان اسقف قورنثي ، والشماس بسولا من قرطجنة نيابةً عن اساقفة افريقية ؛ وكان مار اغوسطينوس مدعوًا باسمه الى المجمع لكن الرب سبق ونقله الى دار السعادة الابدية († ٤٣٠).

فكان في هذا المجمع نحو مائتي اسقف اكثرهم رؤساء كراسي رسولية مهمة مشهورون بالفضائل والعلوم الكنسية . وانتظر الآباء بصبر عظيم قدوم يوحنا البطريرك الانطاكي واساقفة بلاد الشام وايطالية . ولما طال الزمان ومرض ومات بعض الاساقفة ، قصد ماركيريلس والآباء عقد المجمع في الـ٢٢ من حزيران في كنيسة مظلمة مكرسة للبتول [1] المجيدة .

عُقد في المجمع الافسي سبع جلسات قانونية اشهرها الجلسة الاولى . وكان فيها الاساقفة مصفوفين صفين متقابلين، وتصدر الجلسات ماركيريلس نائب الحبر الاعظم حسب عبارة الاعمال المجمعية . وبين الصفين وُضعت الأناجيل المقدسة منتصبة على عرش ، كانها تدين الكافر الحديث .

الجلسة الاولى العظيمة في ٢٢ حزيران

عند حضور جميع الاساقفة الى المجمع ، عرض باختصار بطرس الكاهن الاسكندري الامور التي سببت التئام المجمع ؛ وقدّم الى الآباء جميع الاسانيد المتعلقة بالبدعة الجديدة ثم بين ممنون ما حدث للآباء من حين وصولهم الى افسس . اما نسطور فانحبس في قصر احيط بعساكر مسلّحين بدبابيس ، فاستدعاه الآباء ثلاث مرات استدعاء رسمياً ليحضر الجلسة المجمعية ، فلم يشأ الحضور اليها متعللاً بعدم وصول البطريرك الانطاكي واساقفته الى افسس . ولما تأكد

---

(١) اشهر الكنائس الافسية هي كنيسة القديسة مريم وفيها عُقدت اهم الجلسات المجمعية ، دُمرت بعدئذٍ لكثرة النكبات التي طرأت على تلك المدينة .

الآباء ، بعد التنبيهات الثلاثة ، عناد نسطور واتكاله على قوة السلاح ؛ تلوا القانون النيقاوي ، وسمعوا قراءة رسالة مار كيريلس الثانية ، فرأوها اجمعين موافقة لتعليم آباء نيقية . ثم قُرئ جواب نسطور على تلك الرسالة الاعتقادية ، وفحص الآباء المذهب الجديد ، فوجدوه مخالفاً لتعليم الكتاب المقدس والآباء فصرخوا بصوت واحد :

« فليكن محروماً من لا يحرم نسطور ! ان الايمان المستقيم يحرمه ! ان المجمع المقدس يحرمه ! فليكن محروماً من يشترك مع نسطور ! نحن نحرم اجمعين رسالة نسطور وتعاليمه ! نحن نحرم اجمعين الكافر نسطور ! ... »

ثم قُرئت رسالة البابا مار شلستينوس ، ورسالة مار كيريلس الثالثة الى نسطور ، واوردت فقر من اشهر الآباء القديسين الشرقيين والغربيين الماحقة المذهب النسطوري ، وحدّد آباء المجمع ان سيدنا يسوع المسيح المتأنس هو اقنوم واحد ، وسيدتنا مريم العذراء هي حقاً ام الله ، لانها ولدت المسيح المخلص الذي هو اله حقّ ، واثبتوا الاثني عشر حرماً المذكورة سابقاً مادحين غيرة مؤلفها القديس ، ثم اصدروا هذا الحكم :

« نحن المدفوعون من القوانين المقدسة ورسالة ابينا الاقدس شلستينوس وشريكنا في الخدمة الالهية اسقف الكنيسة الرومانية ، وصلنا ضرورةً الى اصدار هذا الحكم المحزن بعد سكب دموع غزيرة وهو : « ان سيدنا يسوع المسيح ، الذي جدّف عليه نسطور ، قد حدّد بواسطة هذا المجمع المقدس ان نسطور معدم من كل مقام اسقفي ومقطوع عن كل جماعة كنسية . »

ثم وقّع مار كيريلس اسمه على هذا الحكم مع بقية الآباء .

لقد استمرت هذه الجلسة الشهيرة من شروق الشمس الى غروبها ، اي الى الساعة السابعة والدقيقة الحادية عشرة (وهذا منتهى نهار ٢٢ حزيران في افسس) . ولما علم الشعب الافسي ان الآباء حرموا نسطور وكفره ، شكر الرب وباركه لانه اخزى عدوّ الايمان ، وهنأ سيدتنا مريم العذراء فرحاً لانها سحقت رأس التنين الجهنمي ، وصرخ هاتفاً : « ليحيَ كيريلس الاسقف القديس عاضد الايمان ! ليحيَ هؤلاء الاساقفة الشرفاء المحامون عن لاهوت سيدنا يسوع المسيح والامومة

الالهية لمريم البتول !!».

واوقد الشعب شموعاً ، اذ شرع الليل يُرخي سدوله المدلهمة ، ورافق متهللاً الآباء الى منازلهم بينما كانت النساء تحمل امامهم مجامر محروقة فيها الطيوب الزكية ؛ وعمّ الفرح جميع القلوب وأُضيئت المدينة في تلك الليلة المباركة التي لم يُرَ لها مثيل.

وفي الغد اي في ٢٣ حزيران بلّغ الآباء نسطور صورة الحكم :

المجمع المقدس الملتئم في افسس
الى
نسطور يهوذا الجديد

« اعلم انك لاجل تعاليمك الكفرية ومخالفتك للقوانين ، قد اسقطك المجمع المقدس حسب المراسيم البيعية ، وصرّح انك مُسقط من كل رتبة كنسية. في الثاني والعشرين من شهر حزيران الجاري » .

وعُلقت صورة الحكم في ساحات المدينة ، ونشرها في شوارعها المنادون ، واذيع هذا الخبر في القسطنطينية والاسكندرية وبلاد مصر ورومية بواسطة الرسائل المجمعية . وفي ذلك النهار لفظ بعض الآباء مواعظ نفيسة بشأن سرّ التجسد ، فلنسمع الآن العظة البليغة التي القاها مار كيريلس في كنيسة القديسة مريم على مسمع الآباء والشعب :

« لقد التأم بسرعة مجمع القديسين الذين دعتهم القديسة مريم والدة الله الدائمة بتوليتها ! اني اراها ملتحفة بالنور ! وعليه يمزني فرحاً هذا المشهد ، مشهد الآباء القديسين ، ولو كنت مملوءاً حزناً . (١) الآن تتم فينا هذه الكلمة الداوودية العذبة : « ما احسن واجمل ان يسكن الاخوة معاً »

« السلام عليك اذن، ايها الثالوث الاقدس المحبوب ، الذي جمعتنا باسرنا في هذه الكنيسة المكرّسة لمريم والدة الله !

« السلام عليك يا والدة الله يامريم، يا كنز العالم الجليل ومصباحاً لا وسع لانطفائه، واكليل

---

١) سبب هذا الحزن انضمام بعض اساقفة المجمع الى آراء نسطور، لكن اعظم رجعوا الى آباء المجمع خاصةً حين شاهدوا فظائع الحزب النسطوري.

البتولية ، وصولجان الايمان المستقيم ، وهيكلاً غير فاسد ، يا اماً وبتولاً معاً . بكِ مبارك في الاناجيل المقدسة ذلك الآتي باسم الرب ! السلام عليكِ انت التي احتويت في حشاك البتولي ذلك الذي لا حدّ ولا حصر له ! بكِ ممجد الثالوث الاقدس ومسجود له ! بكِ الصليب مكرم ومسجود على وجه الارض ! بكِ تظفر السماء وتفرح الملائكة وتُهرَب الشياطين ! . . . بكِ مرفوعة الى السماء الخليقة الساقطة ! بكِ تتصل الى معرفة الحق البرايا اجمعها المسترقة للاوثان ! بكِ يُمنَح المؤمنين الماءُ المقدَّس ومسحة الفرح (اي سر التثبيت) ! بكِ تأسست الكنائس في المسكونة كلها وارتدت الشعوب الى التوبة ! . . . منكِ ظهر ابن الله الوحيد نور الجالسين في الظلام وتحت ظل الموت . بكِ تنبأ الانبياء وبشر الرسل الشعوب بالخلاص ! بكِ يقوم الموتى ! وبكِ تسود الملوك بسلطان الثالوث الاقدس ! اي امرىء يقدر ان يصف حقاً مريم التي لا مثيل لها ؟ » (١

لا يسعنا المقام ان نصف بالتدقيق بقية الجلسات ، فنقول انها مراجعة الجلسة الاولى الفخيمة وتثبيتها بعد وصول الممثلين السامين للحبر الروماني ، وقضاء مشاكل تهذيبية .

هذا هو تاريخ المجمع الافسي الشهير ! فيه انتصرت الكنيسة الكاثوليكية اعظم انتصار على ابواب الجحيم .

وهل وصلت يا ترى الرسائل المجمعية الى الملك ثودوسيوس ؟ كلا . لان الامير قنديديان وعساكره كانوا يحجزونها من كل جهة . ولما علم الآباء هذا الامر سلموا الرسائل الى رسول امين تنكر بزي فقير يتسوّل فاخفاها ضمن جوف عصاه ، وبعد وصوله بخير الى العاصمة دخل الى الملك وسلمه اياها . فبهذه الواسطة اطلع ثودوسيوس والاكليروس ثم الشعب القسطنطيني على ما جرى في افس ، وانكشفت مكايد نسطور وخلّانه .

هذا ولقد اعتاد المبدعون ان يستنجدوا غيرهم ويستعملوا جميع اصناف الحيل لبثّ كفرهم . ألم يلتجئ من قبل ضد مار اثناسيوس الاساقفة الاريوسيون وتباعهم الى ملوك الشرق قسطنطين ، وولده قسطنس ، ويوليانوس الكافر ، الذين نفوا القديس من كرسيه سنداً الى تهم اعداء الايمان الشنيعة ومالهم ؟

---

(١) منذ ايام المجمع الافسي زيد على السلام الملائكي : «يا قديسة مريم يا والدة الله صلي لاجلنا » بامر البابا مارشلسينوس المتوفى سنة ٣٣٠ ، وهو من اعظم الاحبار الرومانيين .

ولكن رغم هذه الاضطهادات المرة المتواصلة مدة ١٢٠ سنة ثبت بطل المجمع النيقاوي مضطرماً بنار الغيرة الرسولية على صيانة ايمان الآباء النيقاويين، واعداؤه تبددت كالدخان ، واما القديس فمات مطمئن البال في كرسيه .

وهكذا كان في المجمع الافسي . كان نسطور وحزبه اخذوا يمكرون صفاء الجلسات المجمعية وغايتها ! فطلب الكافر بشدة عضد القوّاد الملكيين اصدقائه وعساكرهم والمدافعة عن حياته وحياة تباعه بقوة السلاح !

ويجب ان لا يأخذنا العجب حين نشاهد يوحنا البطريرك الانطاكي واساقفة المشرق ، اي بلاد الشام ، واشهرهم ثودوريطس اسقف قورش واسكندر اسقف هيرابوليس (منبج) معتصبين لنسطور بعد وصولهم الى افسس ، وعلمهم بنتيجة الجلسة الاولى ! اجل ان هذا الامر شقّ عليهم لزعمهم ان البطريرك المبدع مظلوم، ومار كيريلس وآباء المجمع لم يدركوا معنى تعليمه حق الادراك ، فعقدوا مجمعاً مزوّرًا في منزلهم وحرموا كيريلس وممنون وطرحوهما في السجن واهانوا قصّاد المجمع الافسي .

ويا للعجب من يوحنا : كيف حرمهما دون استدعائهما القانوني ؟ الم يعرف يقيناً ان كيريلس يمثل الحبر الاعظم في المجمع الافسي ؟ الم يسبق يوحنا كما ذكرنا وينبه نسطور الى غلطه ويحثه على اصلاحه وقبول تعليم الكنيسة الجامعة؟

اجل ان سلوك يوحنا يصعب فهمه ! انه كان بعد شاباً ، ويحب نسطور محبة كلية لكونه من الاكايروس الانطاكي . فاندفع للمحاماة عنه بقوة هذا الحب الاعمى واحتيال الامير قنديديان . لكنه لما انتبه الى غلطه ، جاهر بتعليم المجمع الافسي، ورذل هو واساقفته البدعة النسطورية وصاحبها وطلبوا اجمين[2] مصالحة مار كيريلس .

وما كان نصيب نسطور بعد حرمه ؟ حين عرف ثودوسيوس بخبائثه وشرّ كفره ارسله الى دير مار اوبريبيوس ليقضي ايامه فيه بالعزلة التامة . لكن الكافر اخذ يناضل عن آرائه وينشرها سرًا في انطاكية[1] ونواحيها ، فطلب

١) يستثنى اسكندر، اسقف منبج، الذي انزله البطريرك يوحنا عن كرسيه لثباته على عناده في اتباع نسطور ، فارسل الى المنفى . ٢) cf. Evagrius, *Hist. Eccl. Liv. 1, c. 2...*

البطريرك يوحنا نفسه من الملك ثودوسيوس ان ينفي المبدع الى محل بعيد ليحفظ الشعب الانطاكي من اضاليله . فارسله الملك اولاً الى بترا (مُلّع) في بلاد العرب ، ثم الى برية واسيس في بلاد مصر ، وامر بحرق مؤلفاته النفاقية . وقبل وفاته († ١٣٩) اكل الدود لسانه النجس المجدّف على اقنوم المسيح وامّ الله ، وتمزق جسده وفسد .

قيل : ان المبدعين متكبرون ! فهذا القول يطابق نسطور تمام المطابقة ! اذ طار على متن الكبرياء ولم ينتفع لا من نصائح الحبر الاعظم ومار كيريلس ومار دلاط وصديقه يوحنا الانطاكي ، ولا من تهديداتهم القوية ، ولا من التأديبات الكنسية والمدنية المنزلة به ، فمات شر ميتة !

هكذا سقط نسطور المتكبر كما سقط لوسيفوروس من السماء حسب ملاحظة البابا كسوستوس الثالث [1] ، خلف مار شلستينوس . وفي هذا الكافر كما في غيره تمت آية البتول المتواضعة : « شتت (الرب) المتكبرين بافكار قلوبهم . حطّ المقتدرين عن الكراسي . [2] »

---

١) *cf.* Xisti III, *Epist.* 5 *et* 6

٢) انتشرت البدعة النسطورية بعد وفاة زعيمها بين السريان الشرقيين المعروفين بالكلدان ، على يد تلامذة المدرسة الرهاوية واشهرهم ايبا وماري وبرصوم اسقف نصيبين الذين طردهم ريولا اسقف الرها لاتباعهم هرطقة نسطور فزرعوا زؤانها في البلاد الفارسية مؤلفين شيعة يُدعى اصحابها نساطرة ، وهم الى الآن لا يقبلون من المجامع المسكونية الا الاول والثاني ، ويكرمون اكراماً خاصاً نسطور وثودورس المصيصي وديودورس الطرسوسي سابقي الاضاليل النسطورية (*cf.* Assemani, *Bib. Or. IV. c.* 4.)

الطول في اللغة

بقلم سالم خليل رزق

٢

الثوب الطويل

والخَجِلُ : الثوب الطويل الواسع ، والخَطِلُ : الثوب الطويل ينجرّ على الارض ، وقميص سُنْبُلانيٌّ : سابغ الطول ، والمَيْثَلُ : الطويل الثياب ، والقَنْر : الثوب السابغ ، ويقال هذا الثوب انفس الثوبين اي اطولها او اعرضها او امثلهما .

الرمح الطويل

ورمح خميس ومخموسٌ : طوله خمس اذرع ، وشُراعيٌّ : طويل ، قيل هو منسوب الى رجل اسمه شُراع كان يعمل الاسنة والرماح ؛ ومِطْرَح : طويل ، والغابة : الرمح الطويل ، او المضطرب في الرمح ، وفي الحديث : « فتسيرون اليه في ثمانين غابة تحت كل غابة اثنا عشر الفاً » .

النعل الطويل

والسَّأْج : النعل الطويل الدقيق ج سلامج ، والشَّبِصُ : وليس بالعريض (فقه اللغة للثعالبي) ، والمِعْبَلَة : نعل عريض طويل ج مَعابل ، يقال : تكنفتكم غوائله واقصدتكم معابله » والمِنْوَل : نعل طويل ، وقيل سيف دقيق له حدّ ماض وقفاً كهيئة السكين .

السهم الطويل

والخَلْس : السهم الطويل ، والسِّلْطة : السهم الدقيق الطويل ج سِلَطٌ وسِلاطٌ ، ومثله الشِّلْطة ج شِلَط ، والمِرْيخ : سهم طويل له اربع قذذ يقتدر به الفلاء ؛ وفي الاساس : هو سهم طويل ذو اذنين يُغلى به .

الليل الطويل

ليلُ التِمام ، وليلُ تمام ، وليلٌ تامٌ ، وليل تامي : اطول ليالي الشتاء. قال الاصمعي : « يطول ليل التام حتى تطلع فيه النجوم كلها » وهي ثلاث ليال لا يستبان نقصانها من زيادتها ، قال امرؤ القيس :

فبتّ اكابد ليل التا م ، والقلب من خشية مقشعر

والحُسام من الليالي : الداغة الطويلة وهذا في الشر خاصة ، والدُعْسُقَة : الليلة الطويلة ، والليل المرجحن : يراد به الطويل الثقيل لا يتحرك ، والسَرْمد من الليالي : الطويل الدائم ، قال طرفة :

لعمرك ما امري علي بغمة نهاري ، ولا ليلي علي بسرمد

والأقمس : الليل الطويل ، وليل لائل : طويل شديد وقيل اشد ليالي الشهر ظلمة ، ومثله ليل أليل ومُلَيَّل ، والهَوْجل مثل الاقمس.

اليوم الطويل

والطرّاد : اليوم الطويل ، ومثله الطَرِيد ، والمُطَرَّد والمَطَوَّد ، والمَصَوَّد ، والأقوس ، يقال : يوم اقوس ، ويوم مَتَّاح : طويل تام ، يقال ذلك لنهار الصيف وليل الشتاء ، ويوم كظل الرمح اي طويل ضيق.

العام الطويل

وعام مُقيم : طويل ، والسنون القُعْس : الثابتة ومعنى ثباتها طولها.

الزمان الطويل

والفَرَسخ : الطويل من الزمان ، والمليّ : الهويّ من الدهر ، وفي القرآن : « فاهجرني مليًا » اي دهرًا طويلًا . والساعة الطويلة من النهار ، يقال : انتظرته مليًا من الدهر اي زمانًا طويلًا ، والابد والدهر الطويل الذي ليس بمحدود ج آباد وأبود ، ويقال : لا افعل ذلك أبَدَ الابيد ، وأبَدَ الآباد ، وأبَدَ الدهر ، وابدَ الابدية ، وأبَدَ الابدين ، وأبَد الابد ، وابيد الابيد ، والمعنى واحد . وهو تاكيد دوام الامر الذي اتى به . والدَهْر : الزمان الطويل ، ويقال : لا افعل ذلك فلاحَ الدهر ، وقفا الدهر ، وقفيه ، اي طوله

الجبل الطويل

والجَلْس : الجبل العالي الطويل ، قال الهذليّ :

اوفى يطلّ على اقذاف شاهقة جَلْس يزلّ بها الخطّاف والحجل

والرَّعْن : الجبل الطويل ج رُعون ورِعان ، والأرْعن : الجبل ذو الرعان الطوال ، والثِّيق : الجبل الطويل ، والشاقي من الجبال : الجبل الطالع الطويل ج شواقٍ وشقيان ، والعَلَم : الجبل الطويل ، وقيل عام ، ج اعلام وعِلام ، تقول : هو من اعلام الوطن الشاهقة . وجبل صادع : ذاهب في الارض طولًا ، وكذلك سيل صادع ووادٍ صادع ، والعِناب : الجبل الطويل المستدير ، والقاعلة : الجبل الطويل ج قواعل ، والقُنَّة : الجبل المنفرد المستطيل في السماء ، والقائد : الجبل المستطيل على وجه الارض ، ومثله الأقود والمُقَوَّد والقَهْب ، والأيهم : الجبل الصعب الطويل الذي لا يرتقى .

الطريق الطويل

والدَّيسقُ : الطريق المستطيلة ، والمُسْمَدِرّ من الطرق : الطويل المستقيم ، وطريق صادع : ذاهب في الارض طولًا ، والفارزة : طريق ياخذ في رملة في دكادك لينة كانه صدع في الارض منقاد طويل خلقة ، وطريق عميق ومعيق : طويل ، والمَيْلع : الطريق الذي له سندان مدّ البصر .

السفينة الطويلة

والمِرزاب : السفينة الطويلة ، ومثله القُرْقور ، وقيل : القرقور السفينة العظيمة ، والقائق ، والنُّهْبُوغ : السفينة الطويلة السريعة الجري البحرية .

الطويل الضخم

الجَسْرُ : الرجل الطويل الضخم ، ومثله الجظّ ، والجَبْنَم ، والجَنْظريُّ ، والجِدَبُّ ، يقال : رجل جِدَبٌ وجارية جِدَبّة ، والخَرْعَبُ : الرجل الطويل اللحيم ، وامرأة مزَّوْة : طويلة عظيمة الجسم ، والبِجْلَة : الجارية الضخمة الطويلة . وامرأة سَرْهبة : جسيمة طويلة ، والبِطاع : الجمل الطويل الضخم ، والسَّبَوَق : الضخم الطويل من الرجال ، ومثله الصِّنْخِر والصُّنْخُرُ والصُّنَاخِر ، والبِبَمُّ والفَلْيان (وكذلك المرأة يستوي فيه المذكر والمؤنث) ، والفَشْجُ :

الطويل الضخم ، ومثله المُمَد والمَيْهَمِيُّ والتِرْشَبُ (من الرجال) . والمُلَمَّظة : الجارية السمينة الطويلة الجسيمة ، والمُفَـد : الطويل الضخم من كل شيء ، والمُجَنَّع (من الرجال) والمُجَنَّف : الطويل العريض ، والمِرْطال : الرجل الطويل العظيم الجسم ، ومثله المُطَلَّع والمِلْقام (عام)

المضطرب

والخَندقوق : الرجل الطويل المضطرب شبه الاحمق ، والخَلَبَج والخُلابج : الطويل المضطرب الخلق ومثله السَرْطل ، والسَمَرْطل والسَمَرْطول ، والسَنْطَبَة : طول مع اضطراب ، والشُجَنَة الرجل الطويل المضطرب وكذا الشَمَرْطل والشمرطول ، والشِنْعاف : الرجل الطويل الرخو العاجز ، وقد اضطرب الرجل اذا طال مع رخاوة ، والقُتُت : الرجل الطويل المضطرب وكذا العُضْبُ (عام) والقُضْبُ ، والمُتَماحل (من الابل والناس) ، والمُهَلَّك (عام) والنُمْنُع (للرجل) .

الغليظ

والحَبَرْكى : الرجل الغليظ الطويل الظهر القصير الرجلين ، والـدِرْدِحَة : المرأة التي طولها وعرضها سواء ، والمُغَنَّب : الغليظ الطويل ، وكذلك الفُملوج والفِمْليج .

الشديد

والخِنْذيذ : الطويل الصلب ، والسِمَّقد : الطويل الشديد الارطان ، والقِسْيَبُ : الطويل الشديد من كل شيء ، وكذلك الزِيفَنُ والزِيفِنُ .

الخفيف

والشَرْعَبة : الطويلة الخفيفة الجسم ، يقال امرأة شرعبة ، ومثلها الشَرْحة ، ورجل عَشٌ : طويل قليـل اللحم او دقيق عظام اليـد والرجل ، وهي عَشَّة ، والمِسَاق ، والمُسَالِق ، والمَسَلَّق : الطويل الخفيف وزاد القاموس : المشوَّه الخلق .

الدقيق

والسَمَنْع : الرجل الطويل الدقيق ، والشِرواط : الطويل المتشذب اللحم الدقيق ، والشِنْقاب من الارشية والاغصان : الدقيق الطويل كالشُنْقُب والشُنْقُوب ، والطُرْطور الرجل الطويل الدقيق : ومثله الممشوط تقول رجل ممشوط ، والممشوق من القضبان ، والمِخاص من النساء ، والمِجرع : الطويل الممشوق ، والمَيْق : الرجل

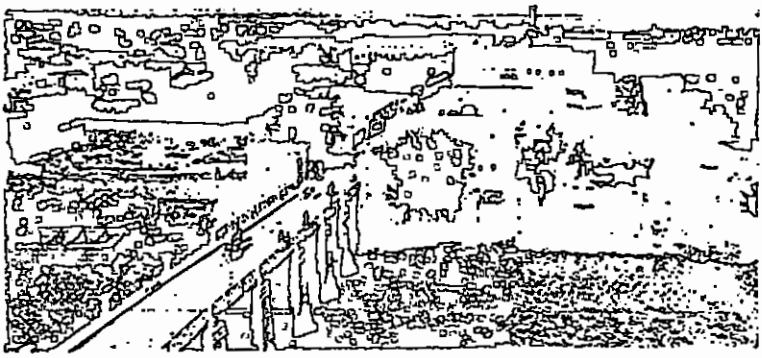

جسر دير الزور القديم الممدود على ساعدة الفرات الصغرى

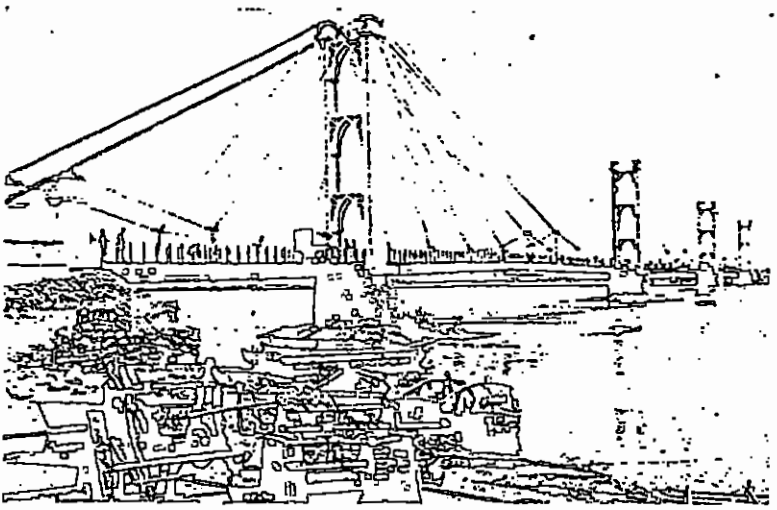

جسر دير الزور الحديث الممدود على الساعدة الكبرى

الطويل الدقيق ،وهي هيقة ، قال البختري الجعدي:

وما ليلى من الهيقات طولاً وما ليلى من الحذف القصار

الاحمق

والخَدِب والأَخدب والمتخدِّب: الاهوج الذي لا يتمالك من الحمق ، والهِقْلُ: الطويل الاخرق ، والأَهوج: الطويل في حمق وطيش وتسرع وهي هوجاء ، وقد هوج الرجلُ هَوَجاً ، وتقول فيه هَوَجٌ اي حمق مع طول ، واهوجه اذا وجده اهوج ، والأَوكع: الطويل الاحمق ، وربما قالوا عبد أَوكع اي لئيم.

المنحني

الاسقف: الطويل في انحناء ، تقول سقِفَ سَقَفاً اي طال في انحناء ويوصف به النعام وغيره ، والإطريح الطويل ، المائل في احد شقيهُ ، والنَّوسَنُ : الطويل فيه جَنَأ اي ميل ، والأَقفَس : كل ما طال وانحنى وهي قَفساء ، والقَهنبان والقَهنَب : الطويل الاجنأ ، والجَنَأ مَيَل في العنق او الظهر ، والاجنأ الذي في كاهله انحناء على صدره وليس بالاحدب.

الطويل الحسن

والأَسحوان : الطويل الجميل ، والسُّرحوب من الرجال : الطويل الحسن الجسم المتناسب الاعضاء ، والسُّرعوف : المرأة الطويلة الناعمة ، والشَّرعبيُّ : الطويل الحسن الجسم،ومثله الشَّطب ج شطوب ، والشَّطبة : الجارية الطويلة الغضة الحسنة ، وجارية شاطة وشَطَّة : بيّنة الشطاط وهو الطول وحسن القوام واعتداله، والشُّمموم والشِّمميم :الطويل المليح للانسان وغيره ، ومثله الشُّنظُب.والشَّوذَبُ : الطويل النجيب من كل شيء ، والمُباهر : الناعم الطويل من الرجال ، ومن كل شيء ، والمَنقَس الناعم الطويل من الرجال ، والمَسنُ : الطول مع حسن الشعر والبياض ، وامرأة عميمة : طويلة تامة القوام والخَلق ، وامرأة وناقة عَيطل : طويلة في حسن ، والقِرطاس: الجارية البيضاء المديدة القامة ، والأَمطيُّ: المستوي القامة المديدها ، ومُشِقت الجارية: طالت مع رقة او تمّ خلقها وحسنت،وجارية ممشوقة : حسنة القوام قليلة اللحم ، وامرأة نياف: تامة الطول والحسن.

القبيح

والطَّرعَبُ : الطويل القبيح الطول ، والسُّنحوج : الطويل البغيض ، والقاق

والقُواقُ والقُوق والقيق : القبيح الطول ، وقيل الطويل مطلقاً .

الطويل جدًّا

والطويل البائن : المفرط طولًا الذي بعد عن قدّ الرجال الطوال، والحَجَوْجى : الطويل الرجلين من الرجال وهي حَجَوْجاة ، ويقال : انه لـداهرة الطول اي طويلُهُ جـدًّا ، والسَّمْطَرى : المتناهي في الطول ، والشَّجَوْجى كالحجوجى ، والشَّمْحَط والشُّمْحوط والشِّمحاط : المتناهي في الطول من الشحط وهو البعد ، وكذلك الطُّوال والمَرْطل والمَرْطيل والمَشَنَّط والقُوق والقاق والقيق (من الرجال الفاحش الطول وهذا عن القاموس) ، والمتاحل (من الرجال الفاحش الطول وهذا عن الاساس) والمُتمِطُ والمُتمِّطُ ، ويقال هو اهوج الطول اي مفرطه ، والمُهَق الرجل الطويل المفرط الطول ج أَمْهاق وهُيُوق .

نعوت اخرى له

والأَزَج : بيت يبنى طولًا ج آزج وآزاج وازجـة ، والأَصِيد : الكثيف الطويل من الهدب ، ونخلة بائنة : فاتت كبائنها الكوافر وامتدّت عراجينها وطالت ، والمُتمئِلُّ : الرجل الطويل المعتدل وقيل الطويل المنتصب لغة في المتمهل ، والجُنانِيُّ : العظيم الجثة الطويلها ، والجميم النبت الذي طال حتى صار كجمة الشعر — والذي طال بعض الطول ولم يتم ، قال ذو الرمة يصف حُمُرًا :

رعت بارضَ البهمى جميماً وبسرة وصماء حتى آنتها نصالها

والخَرْشَبُ : الطويل السمين . والمخروط من الوجوه : ما فيه طول من غير عرض ، والمخروطة : اللحية التي خفّ عارضاها وطال عثنونها وسبط ، والخَنْجم والخَلَنْجَم : الطويل المنجذب الخلق ، والأَدْلم : الطويل الاسود ، وظِمْءٌ مُذَبَّب : طويل يسار فيه الى الماء من بعد فيعجل بالسير ، والمُذالة من الدروع : الطويلة ، ورأس مُرْأَى : طويل الخطم فيه تصويب ، والرَّغْرَع والرعراع : القصب الطويل ، والزَّغْفة والزَّغَفة : الدرع الواسعة الطويلة ، والمُبكَّر : كل شيء امتدّ وطال ، والسَّحُوق من النخل والحمير ما كان طويلًا ج سُحُق ، وحمار سَحُوق : طويل مُسِنّ ، وناقة ساطعة : ممتدة الجران والعنق ، والسطيع : الطويل ، والأَسَطُّ الرجل الطويل الرجلين ، ورجل مُسَمْرَط الرأس : مطوّله ، والسَّمَجَج : القوس

الطويلة ، والسَّلابيج : الدلب الطوال ، والسَّنِينة : الرمل المرتفع المستطيل على وجه الارض ، ورجل مسنون الوجه : مخروطه كأنَّ اللحم قد سنَّ عنه ، والمُشرَجع : المطوَّل ، وثوب شطور : احد طرفي عرضه اطول من الآخر — والشطور من النتاج التي احد طبيَيْها اطول من الآخر — والشَّمْشاع والشَّمْشع والشَّمْشان والشمشانيُّ : الطويل ، ومثله الشُّنْحُوط ، وفرس أشْنَق : طويل الرأس وكذلك بعير شنيق ، وعرق أشْنَق : طويل .

والصَّقْبُ : الطويل الغليظ الغضّ الريان ، ونصل مُطْحَر : مطوَّل ، ورمح مِطْرَح : طويل ، وقالوا كان ذلك يوماً اطول من ظلّ القناة لان القناة توصف بطول الظل كما يوصف ابهام القطاة بالقصر والعرب تزعم ان ظل الرمح اطول ظلّ ، والمَشْنَق والمُشانق : الطويل ليس بضخم ولا مثقل ، قال الفرزدق :

تداركني من هوة من قعرها ثمانون باعاً للطوال المَشْنَقِ

والطَّجَمُ : الطويل من الابل والحمر ، والمُطّ : الطوال من النوق ، والعُمْر : كل مستطيل بين سنّتين ، والعَمُّ : النخل الطوال ، والعَنْدل : الطويل ، والعَنْشَط والعَنَشَّطُ : الطويل ومثله العَنْشَش قال الشاعر :

عنشش تحمله عنششهْ للدرع فوق ساعديه خشخشهْ

والعَنَطْنَط والمُفرِع والقِسْيَبُ (من الرجال) ، والقُشْبَند : الطويل العظيم العنق . والقَنْهَوَر : الطويل المدخول الجلد ، والقَهْقَبُ : الطويل الرغيب ، والقُهْقور : بناية من حجارة طويلة يبنيه الصبيان والناطور على هيئة مخروط ، والقَيْدود واحدة القياديد وهي الطوال من الاتن وغيرها ، ورجل مكوّز الرأس : طويله ، وعود مِشيخ : طويل لين ، وطريق مُتَجَن : ممدود طويل ، والمُتَحَّل : المطول ، وفتنة متحاحلة : متطاولة لا تكاد تنقضي ، والمستنط : الطويل ، والنياف من الجمال : الطويل في ارتفاع ، والهدل : الجمل الطويل المشفر ، والأَيَلُ : الطويل الاسنان ، وهم شُوسٌ وشُنُح وعشانطة واغماء ومُطُط ، ويقال لهم ظلّ النعامة .

الطويلة

والبُهْزُرة : الطويلة من النخل او التي تنالها بيدك — ومن النساء ، وامرأة حوساء الذيل : طويلته ، والخِرْباق : المرأة الطويلة العظيمة ، والسُّرحوب : الفرس

الطويلة قيل توصف به الاناث وصف الذكور وعليه قول عمر بن ابراهيم الانصاري:

قد اشهد الغارة الشعواء تحملني جرداء معروقة اللحيين سرحوب

والسَّنَّجَة : الطويلة ، وكذلك الشجاء والشِمِّة والشوقاء والشَيْحانة ، والصَّماء من النخل ، والطَّهِيَّة من النساء وكذا المَنْشَط والمَنْشَطَة ، والمُنوشة من الاعناق ، والمِنواش من النوق وهي الطويلة في السماء ، والمَنْدلة من كل شيء ، والمَنْقس : المرأة الطويلة المُرقة ، وامرأة عَيْشمة : طويلة ، وكذا المَيْهل والفِلْفاق والقَيْلة والهَيْقة .

وفي فقه الثعالبي : يقال رجل طويل ثم طُوال ، فاذا زاد فهو شَوْذب وشَوْقب ، فاذا دخل في حدّ ما يذم من الطول فهو عَشَنَّق وعَشَنَّط ، فاذا افرط طوله وبلغ النهاية فهو شمطّع وعنطنط وسقمطرى .

الطول

الطُول : ضد القصر وضد العرض ، والبَتَع : طول العنق مع شدة مفرزها ، يقال عنق بَتِيع وبَتيعة اي مفرطة الطول او شديدة ، وتقول في فخذيه بَدَدٌ اي طول مفرط ، والبَلَخ : الطول ومثله الخَدَب ، يقال في لسانه خَدَب ، وخُدبة . وخَيط النَعامة : طول قَصَبها وعنقها ، وقولهم « ذَرْع هذا الثوب كذا » يريدون به طوله كذا اذا ذرع ، والسَنْطلة : الطول ، ومثله الشَجَع والشَطَاط والشَنْئَة ، والشَنَق : طول الراس كانما يُمَد صعداً ومنه فرس مشنوق اي طويل الراس ، والعمى : الطول ، والنَمَط : طول العنق وحسنه ، وقيل الطول عامة ، ويقال لبث اليوم غِرار شهر اى مثال شهر اي طول شهر ، والمطواء اسم من التمطي بمعنى الطول والامتداد . والمَقَق : الطول عامة ، ومثله النَحْبُ والنُسُوع .

. . .

ويقال : طاولني فطُلْتُهُ اطوله ، اي غالبني في الطُول والطَول جميعاً ، فكنت اطول منه .

واطالت المرأة : ولدت اولاداً طوالاً ، وقيل ولداً طويلاً .

وتطاول الرجلُ : تمدّد قائماً لينظر الى بعيد .

دير الزور الحديثة ونهضتها

بقلم الاب توتل اليسوعي

٢

الصحة والتعليم والاشغال العمومية

جاء في بيان الحكومة السورية عن السنين الثلاث الاخيرة (١٥ شباط ١٩٢٨-١٥ شباط ١٩٣١) ان بلدية دير الزور اتمت خلالها الاصلاحات اللازمة للمسلخ، واحدثت عجلات فنية لنقل اللحوم، وزادت في عجلات التنظيفات، واصلحت المجاري العامة، واحدثت اخيراً مجرى عاماً طوله ٣٥٠ متراً يتصل بنهر الفرات فيخلص الاهلين من مياه الامطار والسيول والمياه المتعفنة، وكافحت داء الزهري المنتشر بين المشائر، بالطرق الفنية، وتقدر نسبة انتشار المرض في لواء الدير بثمانين بالمئة من السكان، وذلك لان من العادة عندهم تلقيح الاطفال بافرازات قرحات المصابين ظناً منهم ان هذا العمل يولد فيهم المناعة كما هي في الحال في الجدري، وهذا عين الجهل. وفتحت البلدية شارع الفرات على طول ١٢٠٠ متر من جهة الغرب، و ٣٠٠ متر من جهة الشرق، وانشأت شارعاً آخر بطول ٣٠٠ متر، وعرض كل من هذين الشارعين اثنا عشر متراً؛ ووسعت بقية الشوارع فجعلت عرض بعضها تسعة، وبعضها سبعة ونصفاً والبعض الآخر ستة امتار، وعبدتها تعبيداً جيداً واصلحت ما وجب اصلاحه فيها. ثم قامت بمشروع جرّ المياه فاحدثت في الشوارع اثني عشر صنبوراً ليستقي الاهلون منها بلا عوض، ووزعت المياه في انابيب على المدارس والسجن العام، وزادت في اضاءة المدينة فضاعفت عدد

المصابيح الكهربائية فيها وغرست اغراساً كثيرة في الشوارع والحدائق استفيد منها الفائدة المطلوبة.

وجلبت مطافئ وضعتها في دوائرها ومستودعاتها درءاً لاخطار الحريق ، ومنعت بيع الصوف والسمن في الاسواق والطرق العامة ، فاصبحا يباعان اليوم في محلات خاصة احدثت لهذه الغاية . ووضعت تصميماً لانشاء ميدانين عامين لبيع الحيوانات والاغنام والفواكه والمكيلات ، وآخر لمستودع المواد الملتهبة . وسيتم لها ذلك في عام ١٩٣١.

وبنى الاهلون في لواء دير الزور ، بترغيب رجال المعارف ، ستاً وثلاثين مدرسة . ولفت مركز المدينة المهم انظار رؤساء الارساليات الغربية فعجل نمو عدد السكان في القاعدة تنفيذ مشاريعهم العلمية وها ان الآباء الكبوشيين والراهبات الافرنسيات من لونس لسونيه قد رفعوا على جانب الفرات جدران معاهد سوف تزيد برونق البلدة وتعزز مكانة الدروس فيها.

على ان المشروع الخطير الذي اتمته الحكومة ، مؤخراً ، في الدير ، انما هو الجسر المعلّق الكبير ، وهو حقيق بان يستوقفنا فنمتع النظر بمشاهدته ونصف منافعه في سبيل الامن العام والحركة التجارية.

بني هذا الجسر مكان الجسر القديم الذي كانت الحكومة التركية قد شرعت في انشائه سنة ١٩١٢ عن تصميم يتألف من ١٤ قنطرة طول كل منها ١٠ امتار . وبعد أن وضعت الحرب اوزارها عزمت الحكومة على تشييد جسر جديد ، وبدأت بالعمل في تموز سنة ١٩٢٥ عن تصميم يؤذن باقامة جسر معلّق ذي ممر واحد للعجلات ، وله قنطرة واحدة طولها ١١٢ متراً و٥٠ سنتيمتراً تتصل عند كل الضفتين بقنطرة اخرى طولها ٥٦ متراً و٥٠ سنتمتراً.

وحدث في ايار سنة ١٩٢٩ الطوفان المرم ، فاوقع اضراراً فادحة بما كان قد نجز من العمل واحدث توسيعاً عظيماً في مجرى النهر ولاسيما في الجهة الشمالية فألجأ ملتزمي الجسر الى اجراء تعديل جديد في التصميم الاساسي.

اما الجسر الجديد فيتألف من ثلاث قناطر كبيرة ، طول كل منها ١١٢ متراً ونصف المتر ، تتصل في جانبيها عند كل من الضفتين بقنطرتين صغيرتين.

ومجموع الطول من اول الجسر الى آخره ٤٥٠ متراً و٥٠ سنتيمتراً ، وقد اقيم سدّ الى الضفة اليسرى يقي في المستقبل شر الطوفانات العرمة المشابهة لما جرى منها في السنة ١٩٢٩ . وفي ٢٣ نيسان الماضي احتُفل بتدشين البناية . وهذا الجسر متصل بالطريق العمومية المارة بالحديقة وجسر الساعدة الصغيرة ، المؤدي عمودياً الى شارع دير الزور المخترق البلدة من الشرق الى الغرب.

بالامس كانوا يعبرون الفرات بالكلكات او على القرب المنتفخة ، ولا تسأل عما كان يكلفهم ذلك من التعب والخطر ، وصرف الوقت في تجهيز الرحيل وتدبير الوصول ، فكانت الايام والليالي تنقضي دون نهاية اجتياز الوف الغنم ، والعقبات العديدة تقف في وجه الحجاج والمسافرين . وها ان اليابسة قد ارتبطت باليابسة بين الجزيرة والشامية ، والمواصلات انفتحت للسيارات وللغنم وللجيش بين بلاد الموصل وبلاد الشام عن طريق الدير ، فحبذا المشروع العمراني العظيم.

الحركة التجارية

شكت حكومة الدير في مستهلّ هذا العام (١٩٣١) من قلة ورود الطلب من بلاد الفرنج لمحصولات الدير كالحَبّ والغنم والسمن والصوف . وزادت الاحوال الجوّية الحالة تفاقماً فحالت دون سرعة المواصلات . وبقيت كميات وافرة من المحصولات لا شارٍ يشتريها . وفتك الجراد بالمزروعات الصيفية فتكاً ذريعاً . فحوّل الفلاح نظره عن القطن . وكانت نتيجة زراعة الذرة ذاتها دون المأمول.

على ان حالة الاغنام عوضت بعض التعويض عن الخسارات الزراعية . فان المراعي ارتوت واتت بكلاء كثير ، ولم يشتدّ البرد في البادية فكثر الغنم حتى بلغ مبلغاً قلما زاد عليه ، لان ١٠ بالمئة من الاغنام وضعت صغارها توأمين . وتهافت الحلبيون على شراء السمن فاستوردوا منه زهاء عشرين الف صندوق.

واهملت السوق الاميركية ابتياع الاصواف فسقطت اسعارها : انتجت بلاد الزور اربعة آلاف بالة صوف كل بالة تراهي ١٢٥ كيلو ، فارسل منها الفان الى حلب ، والالفان الباقيان نفدا في سوق الدير ذاتها بين ايدي المنجدين.

يصدرون من الدير الغنم والصوف والسمن والحب والجلود والمصارين المملحة ، وباكورة بعض الخضراوات ، والكمأة ، ويستوردون الاقمشة المنسوجة ، من حريرية وقطنية ، والدخان على اختلاف انواعه والتنبك ، والكحول والمشروبات ، والبترول والبنزين ، والاثمار والخضر ، والبن ، والسكر ، والقمردين ، والزيوت النباتية والمعدنية ، والبلور ، ومختلف المعادن ، وخشب البناء ، والفحم . وهذه المواد تأتي الدير بواسطة كبار تجار حلب ودمشق . ولما كان الهبوط قد حلّ في السوق طول سنة ١٩٣٠ لم تنل الاعمال نجاحها المرغوب .

ولا صناعة في الدير سوى صنع البسط والعباء التي يلبسها البدو . ومما يحول دون نجاح الزراعة عدم استعمال الآلات الزراعية الحديثة ، وليس هناك من املاك واسعة وارياف تصلح للزراعة على مسافات شاسعة ، وخطر الجراد لا يزال دوماً متهدّداً النبات ، وزد على ذلك عادة الربى السائدة بين الفلاحين وعواقبها الوخيمة . واليك اسعار السوق كما كانت في ربيع السنة ١٩٣٠ ، والليرة العثمانية الذهبية ، تساوي ٥٤٠ غرشاً سورياً .

الخبز	الاقة منه (٤٠٠ درهم)	١٠	غرش سوري
اللحم المشفى	〃	٤٥	〃
الخضراوات	〃	٢	〃
الجزر	〃	١	〃
الخس	الاربع خسات	١	〃
البيض	المئة منه	١٠٠–١٢٥	〃
الحليب	الاقة منه	٤–٥	〃
السمن	〃 〃	٧٠–٨٠	〃
القمر دين	〃 〃	٢٠	〃
التين	〃 〃	٤	〃
الملح	〃 〃	٥	〃
الكمأة	〃 〃	١٥–٣٠	〃
الرز	〃	٢٠	〃
الجبن	〃 〃	٢٠٠–٢٥	〃
اللبن	〃 〃	٥	〃
الدجاجة	الواحدة	٤٥–٥٥	〃
اجرة العامل اليومية		٤٥–٥٥	〃

السكان

اذا قابلت بين حالة دير الزور كما وصفناها على ما هي اليوم (راجع سابقاً ص ٥١٤) وبين ما كانت عليه ايام زارها موسيل قبيل الحرب (ص ٦٦٤) ، رأيت البون الشاسع الذي قطعته من مرحلة ، الى مرحلة ، فكان ذلك الفرق عنواناً لخير الآمال في حسن مستقبلها ، ما دام الاهلون خالدين الى السكينة في ربوعها ، وهم متمتعون بالسلم الافرنسي .

رُوي عن احد القواد الافرنسيين انه لما سُئل عن كيفية استرجاع بلادنا الى حالة عمرانها السالف وسمع اناساً يقولون بواجب غرس الاشجار في فيافيها قاطعهم وقال : « قبل غرس الاشجار في الارض اغرسوا فيها رجالاً يعمّرونها . »

ان آفة بلادنا القاتلة هي قلة عدد سكانها . وقد تعكس الآية ، ويصح القول ان كثرة السكان انما هي عنوان حركة الحياة وكثرة موارد الارتزاق . وان من اجلى مظاهر رقي دير الزور نموّ عدد سكانها السريع ، فانهم بلغوا الخمسة والعشرين الفاً ، على ما ترويه الاخبار الرسمية ، ولم يكونوا ليتجاوزوا الخمسة آلاف في اوائل هذا القرن .

لا ادري هل تمكنت الحكومة من اجراء الاحصائية بكمالها ، ولكن لا نخالها تغالي في تقدير عدد السكان كما قلناه لما نعرفه عن المنشآت الجديدة وعن مرافق الرزق المستحدثة الجديرة بان تجذب الاعراب الى دير الزور ، وتوطنهم فيها وقد نوهنا بها سابقاً . واذا تحققت الامال في مد انابيب البترول ، والخط الحديدي بين الفرات وطرابلس عن طريق الدير او في جوارها ، فلا شك ان ربع القرن لا ينقضي قبل ان تبرز عروس الصحراء مزيّنة باحلى ما يستهوي اليها افئدة روّاد الارتزاق ، فيفضلها الكثيرون من ابناء الوطن على بلاد المهجر ومخاطرها ومصاعبها وما فيها من التعصب عليهم .

المسلمون

هم السواد الاعظم من السكان وهم سنّيون واكثريتهم الساحقة من « الشوايا » او الاعراب المتحضّرة . وسخت قدمهم في البلدة فاستطابوا ماءها ، وتمتعوا بظل

سلمها ، وانصرفوا يتعاطون اشغال الزراعة والصناعة البسيطة ، تارةً لحسابهم الشخصي ، وطوراً مسمسرين لتجار حلب وحمص ودمشق ولاهل البادية . وان معيشتهم في بيوتهم لا تزال مصطبغة بصبغة البادية ، في سكناهم ، واكلهم ولباسهم ، الا انهم يستعملون في ذلك ما تيسره لهم حياة المدن من الحاجيات او الكماليات فيبنون البيوت بالآجر ويسقفونها بالاخشاب ، ويأكلون الطبيخ ، ويلبسون اللباس الناعم . ولنسائهم زيّ لطيف اذا ما خرجن وعلى رؤوسهنّ العباءة المطرفة بالقصب والفضة ، المصفحة خدودهنّ على الجانبين بصفائح لماعة يؤيدها « البرقع » غرابة .

ولغة اهل الدير عربية قحة ، تكثر فيها الالفاظ الخاصة بالقبائل ، وبعضها من صميم القاموس فيقولون :

زين	بمعنى جيد	شين	بمعنى بشع
هلحز	» الآن	القاع	» الارض
اللجن	» الطنجرة	القدورية	» الطنجزة
الماعون	» »	الخاشوقة	» الملعقة
المُلاية	» المجلى	الصفري	» الخريف
الثرود	» اللحم	الحبّابة	» الجدّة
عنّينا	» قطعنا الماء	الخاثر	» اللبن
غادي	» هناك	لا تنفت	» لا تنتهر
الدبشي	» الجبس او البطيخ		

ويلفظون الكاف : تش ؛ والقاف : جيماً مصرية .

المسيحيون

ينوّه اسم البلدة باقامة الرهبان فيها ، كما ذكرنا سابقاً ، وهذا الزعم يؤيده التقليد الموروث بين السكان . على ان اثر المسيحيين الاقدمين المتحى منها او كاد ، على عهد العرب . وابعد ما يرقى بنا التاريخ في ذكر اخبارهم لا يتجاوز السبعين سنة . ارسل الينا هذه الاخبار حضرة الاب يوسف جنانجي والسيد الياس نوري ، من دير الزور ، فروينا ها تكملةً لمقالنا ، ولهما منا الشكر .

قد يمثل المسيحيون في الدير ، حالاً ، على التقريب ، سائر الطوائف

المسيحية المتحدة برومة او المنفصلة ، ولكن لا كيان رسمي الا للسريان الكاثوليك ، واليعاقبة ، والكلدان ، والارمن الكاثوليك والارمن المنفصلين ، واللاتين ، والبروتستانت . واليك مفصل احوالهم.[1]

السريان الكاثوليك

اول كنيسة شيدت في دير الزور كانت كنيستهم ، في نحو السنة ١٨٦٥. وهذه لائحة لكهنتها منذ ذلك العهد الى يومنا : الخوري اسطفان تبوني — القس اغناطيوس نوري (مطران بيروت الحالي) — القس ايليا غيد — الخوري يعقوب ملكي — القس اوجين دلال — القس حنا بنابيلي — المنسنيور الياس سالم الحاجب البابوي السري ، المقيم في الدير الى يومنا منذ ١٩٠٨ .

ويعد السريان الكاثوليك حالاً زهاء ثلاثين عائلة ، ولهم مدرسة للاحداث.

السريان اليعاقبة

شادوا كنيسة في السنة ١٩٢٤ ، وهم زهاء ٥٧ عائلة ، وخوريهم الحالي اسمه الراهب الياس آدم.

الكلدان

بنوا كنيستهم سنة ١٩٠٤ ، وهم زهاء ٣٠ عائلة وكان رئيساً عليهم السيد المطران اسحق خودباش.

الارمن الكاثوليك

بنى كنيستهم سنة ١٨٨٥ الاب فرنسيس دكدنيان تلميذ المدرسة الاكليريكية اليسوعية في بيروت. خلفه في رعاية الطائفة القس فارطان اسجبان — القس اكوب فرجيان — القس اسطفان مولوزو — القس بدرس توزي باشي الذي قتله الاتراك سنة ١٩١٦ لسعيه في تخفيف شقاء المهاجرين الارمن.

وفي تشرين الثاني من السنة ١٩٢٣ قدم من حلب الى دير الزور الاب النشيط الغيور يوسف جنانجي ، فوجد الكنيسة خراباً ، فضمّ اليه كرام الرعية وغيرهم من ذوي الاحسان ، وتضافروا على تجديد بناء الكنيسة وفتح مدرسة للاناث وللارمن الكاثوليك في دير الزور حالاً زهاء ٥٣ عائلة. ولهم اخويتان احداهما للنساء باسم الحبل بلا دنس ، والاخرى للشبان باسم قلب يسوع الاقدس.

١) هذه اللائحة ترقى الى ربيع سنة ١٩٣٠

الارمن المنفصلون

... فتحوا لهم كنيسة في احد البيوت ، سنة ١٩٢٤ . وخوريهم اسمه الاب غريغوريوس سركيسيان ، ولهم في البلدة زهاء ١١٥ عائلة .

اللاتين

وفي السنة ١٩٣٠ ، قدم الى دير الزور حضرة الاب جوستينيان الكبوشي يصحبه اخوان مساعدان ، وباشروا بناء دير ، ووضعوا تصميماً لبناية كنيسة ومدرسة ودير للراهبات الفرنسيسكانيات لونس لسونية الافرنسيات . وللاتين زهاء ٢٥ عائلة ، اكثرها عائلات العسكر الافرنسية . ولهم نادٍ كاثوليكي للجيش ، وجمعية الشبيبة الكاثوليكية الافرنسية .

البروتستان

باشروا اعمال ارساليتهم ببناية مستشفى ، وهم ثلاث عائلات ، ولهم قسيس اميريكي وطبيب .

كان عدد العائلات المسيحية قبل الحرب على الاجمال لا ينيف على الخمسين ، فاصبح اليوم يقارب ٣١٣ كما رأيت ، فيكون عدد المسيحيين مقارباً الالف والمئتين من غير احصاء العسكر الافرنسي .

وشهدت دير الزور ايام الحرب العظمى ، مذابح الارمن الهائلة ، وتشتيتهم في رمالها ، واغراقهم في فراتها . ووصف المشرق (٢٠ [١٩٢٢] : ٥٦٢) لشاهد عياني ، حوادث الدير في تلك الايام المشؤومة . ومن جملة من ذهب فيها ضحية الاتراك وقساوتهم الوحشية الاب بطرس اغاجانيان اليسوعي في ٦ ايلول ١٩١٦ .

ومضت الايام ولا يزال ذكر من قُتلوا ملبداً جو المسيحيين الديريين بغيوم الاسف والحسرات . على ان ما نعرفه عن ميتة اخواننا الصالحة وعن صبرهم على الالم والمشقات حباً بالمسيح ، ليبرد حرارة اللوعة عليهم ويداوي جراحات القلوب ببرهم التعزية والسلوان . فنسأل الله ان يقبل دماءهم الزكية ضحية تكفير وطلب ، وينفر بشفاعتهم ذنب من جحدوا ايمانهم لكي يسلموا من السيف ، ويردّ الى الايمان المقدس الغنام الشاردة اعني بها الاولاد والنساء الذين اعتقلهم العرب واضطروهم الى اعتناق الاسلام اضطراراً ، وينوّر قلوب الغير المؤمنين ويفيض غزارة بركاته على سكان البلاد اجمعين .

كنيسة شاماتا

صفحات تاريخية أثرية

بقلم الخوري يوسف العشيتي المرسل البطريركي

٢

٥ كنيستها (تابع)

قد كان للسطوة الدينية فيما مضى نفوذها وتأثيرها في الشعوب مما دفعها الى تشييد المباني الفخمة ، واقامة الهياكل العظيمة ، اجلالاً للقوة العلوية التي كانوا يدعونها الهاً وربّاً . وعليه كان القوم شديد التحمّس في امور دينه . ولا يبعد اذا كان هذا المعبد شيّد لاكرام ابنة جوبيتر المدعوة شيا كغيره من المعابد . ولم يكن يختلف بناؤه او هندسته عن الهياكل القديمة التي اكتشفت في هذه البلاد ، كما تشير الى ذلك آثار البناء القديم والاعمدة الضخمة التي كان يستعملها الاقدمون من يونانيين وفينيقيين ومصريين ورومانيين واشوريين في اهم مشاريعهم ، وعلى الخصوص هياكل الآلهة كآثار رومة ، واثينة ، وبعلبك ، وجرش ، وعمان ، وتدمر ، ودير القلعة ، وبيلوس الخ .

اما امر تحويله الى معبد مسيحي فلا يمكننا البتّ في تعيين زمنه . انما نقول على سبيل الاستدلال ببعض مستندات تاريخية ان تحويله يرتقي الى عهد انتشار صناعة البناء البيزنطية وطريقة الفسيفساء . لكن الزلازل والحروب التي توالت على هذه البلاد هدمت الكنيسة ولم تدع شيئاً على كيانه ، ولكنها تجددت فيما يلوح لي في عهد البطريرك دانيال الاول الشاماتي ، الذي كرّسها هو عينه كما يأتي بيان ذلك . وقد اقتصر بناؤوها على سوقين فقط ، واتخذوا كثيراً من قطع الاعمدة وجعلوها في اساسات البناء ، عملاً بعادة ذلك العصر في البنيان .

ومما شاهدناه ايضاً في هذه الكنيسة لجهة الشرق عمداً في اساس الحنيّة ، تمتدّ اليها الايدي من داخل ومن خارج بواسطة نوافذ صغيرة ضيقة ، كان الاقدمون يتخذونها مستودعاً لاموالهم وما علت قيمته بحفر ثغرة في العمود وسدّها بحجر من جنسه سداً محكماً يمد الشبهة ، ورسم علامة دقيقة لاكتشاف المخبأ . وقد شاهدت نظير ذلك في اماكن عديدة بين الخرائب وردوم الابنية القديمة .

لم تكن هذه العادة مستحدثة . فاننا نقرأ في التاريخ المقدس ان هيكل اورشليم كان مستودع الشعب العبراني . والمسيحيون القدماء ، اقتداء بهؤلاء ، كانوا يودعون ما عزّ لديهم لدى الأساقفة او في الهياكل . وفي التاريخ ان الشعب الوثني كان يودع امواله في الهياكل او عند سدنتها ، كما روى ذلك المؤرخ هارودیان (Herodian) .

ولهذه الكنيسة رواق امامها كباقي الكنائس القديمة في لبنان ، ككنيسة كفرحي ، ومعاد ، ومسرح ، وتولا الخ .

اما آثار الاساسات التي ظهرت بعد الحفر في جانب الكنيسة فليس من المستغرب اذا كانت هذه اساسات المعبد الاصلي ، او اساس معبد آخر ملاصق للكنيسة ، كما قال الاب لامنس .

اما البئر التي وجدت في اثناء الحفر فقد كانت داخل الهيكل القديم ، وهي على هندسة وشكل بئر يعقوب في شكيم « نابلس » ، متسعة القمر ، بعيدة الغور . اما الآن فهي خارج الكنيسة لجهة الشرق .

اما ما وجده الفعلة في اثناء الحفر داخل الكنيسة ، غير الاعمدة الضخمة ، فهو صليبٌ من نحاس بيزنطي الشكل ذو طبقتين لايداع ذخيرة من خشبة الصليب المقدس . عليه من جهة صورة المصلوب في الوسط ، وعن اليمين واليسار صور الانجيليين الاربعة ، متى ، ومرقس ، ولوقا ، ويوحنا . ومن الجهة الاخرى صورة السيدة العذراء في الوسط ، وعن يمينها ويسارها صور اربعة من الانبياء . (الرسم ٢)

وقد عثروا ايضاً على قطعة فسيفساء سلمت من ايدي التخريب (الرسم ٣) .

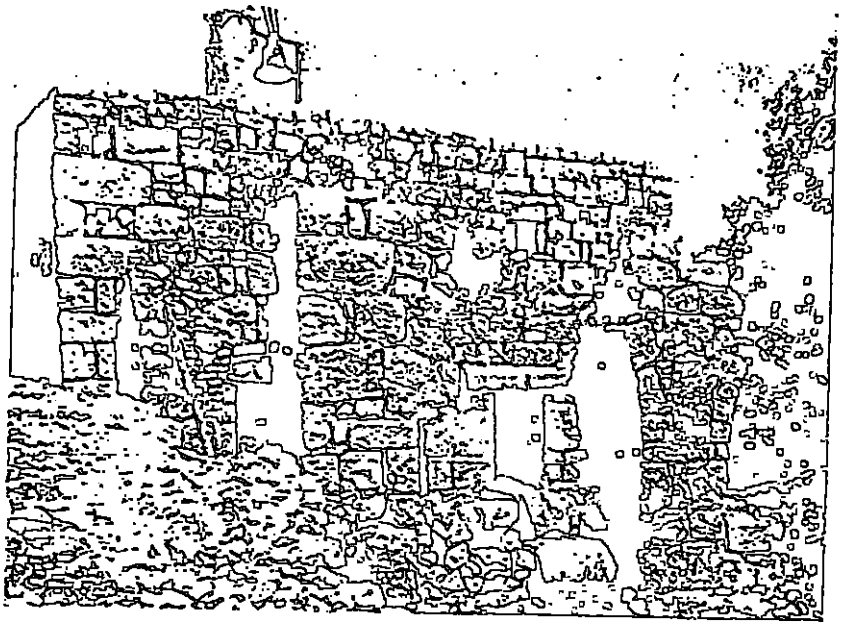

الرسم ١ – كنيسة شامات

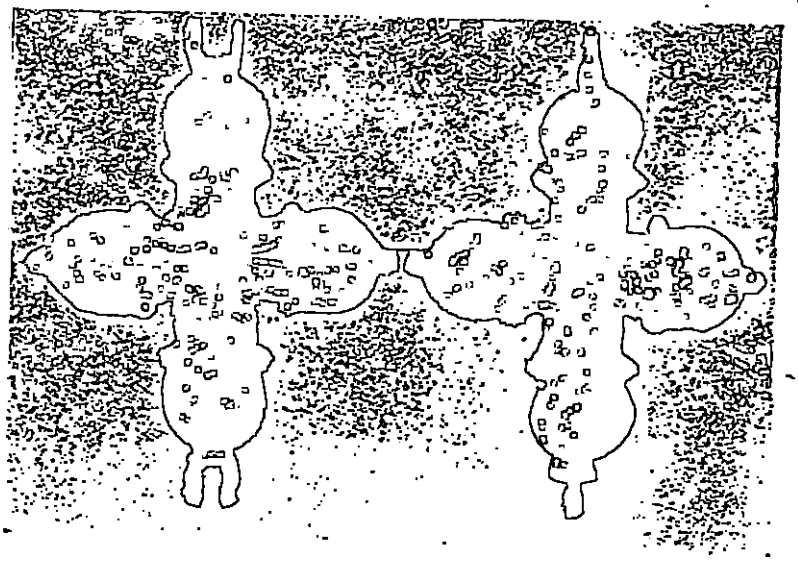

الرسم ٢ – الصليب المكتشف في كنيسة شامات

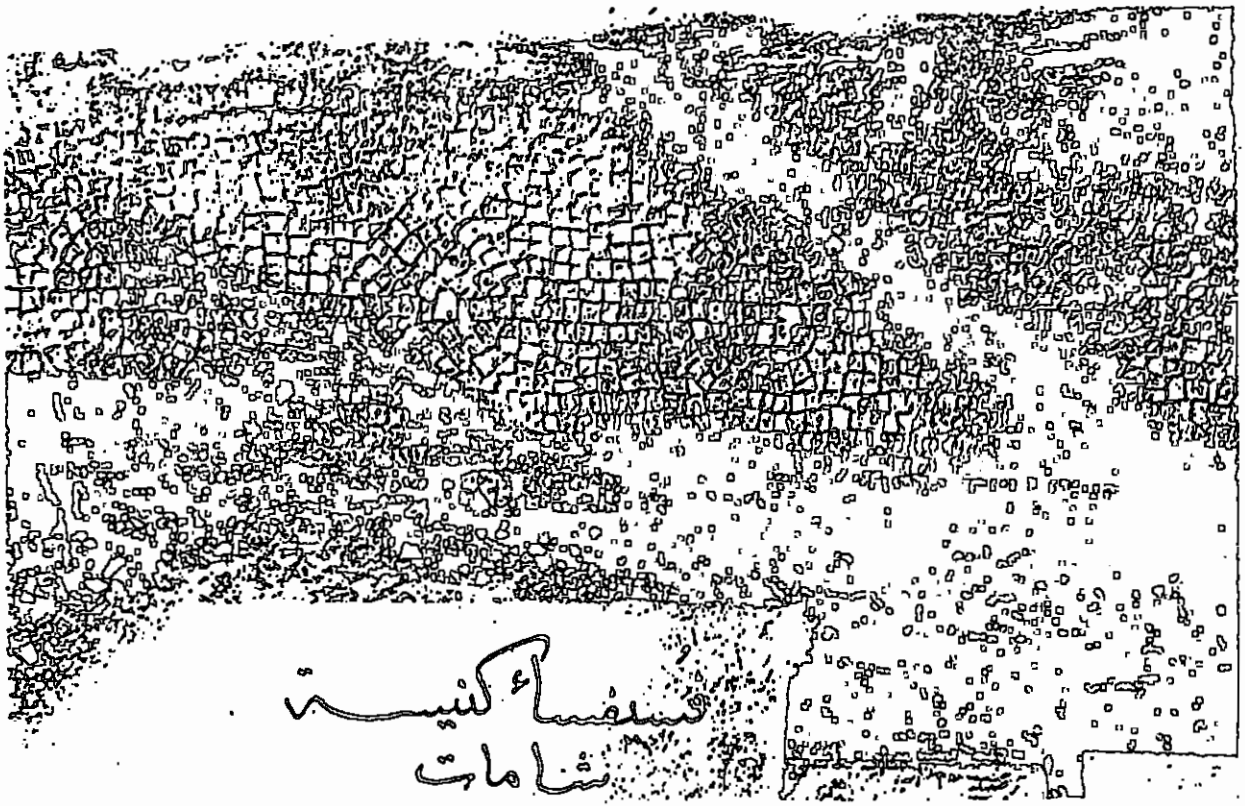

الرسم ٣ – فيفاء كنيسة شامات

وعادة رصف الاماكن المختارة بالفسيفساء عادة بيزنطية قديمة . واجمل ما اكتشف منها فسيفساء الجامع الاموي في الشام ، وفسيفساء كنيسة مأدبا في شرقي الاردن التي ترسم البلاد الفلسطينية بما فيها من قصور وقلاع وبحور وانهر وطرقات واشجار بمختلف الالوان اجمل رسم لم تر العين ادق منه ولا احكم صنعة .

اما آثار الهيكل الوثني الباقية الى الآن فهي الاعمدة ذات الاطناف من الطرز اليوني والدوري داخل الكنيسة وخارجاً عنها ، ومساند ابواب ادخلت في العمار وبعض قطع من الاساسات .

وفي كتابة قديمة على هامش احد الكتب البيعية ، الذي وُجد في هذه الكنيسة ، ان البطريرك دانيال قد كرّس الكنيسة ، وحفر رسم صليب على احد الحجارة في الحائط القبلي تذكاراً لتكريسها . وقد عثر العملة على رسم هذا الصليب بينما كانوا يكشطون عن وجه الحائط المذكور لتجديد تشييده اي طلائه بالشيد .

ويخيّل لي ان الاقدمين اتخذوا هذه الكنيسة معقلاً تحصّنوا فيه في زمن الثورات والحروب ، لمناعة موقعها واشرافه على ما حواليه . لانه اتى على المسيحيين زمن اضطروا فيه ان يتخذوا امثال هذه الكنائس حصناً لكثافة جدرانها ومتانة بنيانها . وليس بدعاً اذا كان الاهلون يدعونها كنيسة الحصن ، كغيرها من الكنائس في الاماكن المرتفعة على رؤوس التلال والآكام التي تصلح للتحصن فيها والدفاع ، ككنيسة الحصن في اعالي اللقلوق ، وكنيسة الحصن في اهدن ، وكنيسة الحصن في جبل ترتج ، وكنيسة الحصن في بشمله ، وكنيسة الوردية في ذوق مصبح .

ومن مميزات كنيسة شامات قبو آخر فوق عقد الكنيسة بسقفه لايواء اللاجئين اليه . وقد اشار الى ذلك الاب لامنس في تأليفه تسريح الابصار قال : ولكثير من كنائس لبنان في داخلها صهاريج . وفي اماكن عديدة ترى الصهاريج خارج الكنيسة . ونوافذ ضيقة مستطيلة في جدرانها بقرب مدخلها . ويستدل بهذه الآثار الهندسية على ان الاهلين كانوا في سالف الاعصار يتحصنون

في الكنائس فتصير لهم الكنيسة شبه قلعة لكثافة جدرانهـا ، فيشربون من مائها ويرمون القذائف من نوافذها [1] .

اما ما يرى من الآبار حول الكنيسة فقد اعتاد الاقدمون منذ ما انتشرت النصرانية ان يبنوا الكنائس ويجروا امامها منابع الماء اويحفروا الآبار ليستحم بها الداخلون . وقد رُسم على الكهنة في بدء الناقور وآخره ان يغسلوا اناملهم طلباً للطهارة وتوقيراً للاسرار [2] .

وقصارى القول ان كنيسة شامات بهيئتها الحاضرة ، تقدم لنا مثـالاً على هندسة الكنائس المسيحية القديمة بجنيتها وسوقيها ورواقها . وامور اخرى لا يساعـدنا ضيق المقام على التكلم عنها . بل يحسن بنا ان نختم المقال بذكر الاصلاحات التي اتاها سيادة المطران بولس عقل خارج الكنيسة وداخلها .

---

١) جزء ١ ، ص ٩٠

ومن اجمل ما شاهدتُ من الكنائس القديمة على الطرز الذي ذكره العلامة لامنس كنيسة السيدة العذراء في طرطوس .

زرتُ هذه المدينة الفينيقية في ٤ آب من هذه السنة وتفقدتُ ما فيها من الآثار كقاعة فرسان الهيكل التي اتخذها المسلمون جامعاً ومكتباً لابناء ملتهم ، وقلعتها القديمة التي يقال انها من بقايا ابنية الفينيقيين ، وخصوصاً كنيستها الجميلة ، القوية البناء ، المتينة المندسة من الطرز القوطي والروماني التي تملأ العين اهابةً لفخامة منظرها وجمال هندستها .

شاد الصليبيون هذه الكنيسة في القرن الثاني عشر ، وفي سنة ١١٨٨ خرّبها صلاح الدين الايوبي لدى استيلائه على طرطوس . وفي سنة ١٢٠٢ قضت على ما بقي منها الزلازل . وفي سنة ١٢١٢ جدّدها الصليبيون . وفي سنة ١٢١٩ قتل الاسماعيليون في داخلها امير انطاكية . اما حجارتها وحجارة السور والقلعة فهي من آثار الفينيقيين .

في داخل الكنيسة سرداب واسع اكتشفه الاثري انلار (Enlart) الذي تفرّد في درس آثار القرون الوسطى ولا سيما الاثار الصليبية الدينية . قضى انلار مدةً في طرطوس درس في اثنائها خواص كنيستها المذكورة . فاخذ رسومها واكتشف عدّة كتابات استدلّ بها على تواريخها .

تشبه هذه الكنيسة في ابراجها وعلامات الحصار فيها التي يصعد اليها بدرج لولبي كنيسة سيدة الوردية في ذوق مصبح التي مرَّ ذكرها . واما الصهريج فهو في داخلها كما تشهد على ذلك انابيب الماء العمودية داخل حنايا الاعمدة لجهة الشمال . وقيل ان في داخلها نفقاً يتصل حتى البحر .

٢) منارة الاقداس جزء ١ ، ص ٥٧

اولاً جعل للكنيسة ساحات متسعة ممهدة مرصوفة بجهاتها الاربع غاية الطواف حواليها بالقربان المقدس واقامة الحفلات الدينية . وللجلوس على مقاعد اعدت خصيصاً ، تحت ظل شجرة سنديان قديمة الايام ، لانتظار اوقات الصلوة .

ثانياً شاد للاهلين مدافن تحت ساحة الكنيسة القبلية محكمة البناء ذات ابواب حديدية . وامام هذه المدافن طريق متسعة مرصوفة على طول حجر المدافن ليسهل المرور فيها .

ثالثاً يعنى الآن بغرس الاشجار في اطراف الساحات حوالي الكنيسة وعلى جوانب الطرقات للتنزه تحت ظلها ولتحسين المناخ ولازديان بيت الله بما امكن من التحسينات الخارجية .

رابعاً يهتم الآن بايصال طريق السيارات الى الكنيسة من خط الطريق العامة . اما من الداخل فلم تدع يد الاصلاح شيئاً لم تحسنه . فقد هدم المذبح القديم الذي كان ركاماً من مجتمع احجار دون نظام وترتيب . وبنى مذبحاً بموجب تقرير الآباء القديسين ومنارة الاقداس ، اي مائدة من حجر طويلة قليلة العرض قائمة على اربعة اعمدة يمكن ان يدار حولها كما نصت على ذلك المنارة المذكورة : يصنع المذبح مربعاً لانه مائدة ويمتد في الطول بين الشمال والجنوب اكثر من امتداده في العرض بين الشرق والغرب لاجل وضع كتاب القداس وحق البخور [1]

وقد ورد في كتاب التكريسات الذي عني بنشره المرحوم رشيد الخوري الشرتوني : يجب دائماً ان يكون المذبح الكبير قائماً بذاته وحوله تصير الزياحات والرتب المرسومة من الآباء . ولاجل ذلك امروا باقامة الحنية حوله من جهة الشرق حتى لا يضايقه الحائط بتقدمه [2] . قديماً كان الاساقفة يجلسون وراء المذبح ووجوههم نحو الشعب وظهورهم نحو الحنية ولم يكن للمذبح قبة او درج بل كان على شكل مائدة كما قال الدويهي [3] وقوله ايضاً في منارة

١) منارة الاقداس للدويهي ١٤٤
٢) كتاب التكريسات ص ١٩
٣) منارة الاقداس ص ١٢٨

الاقداس : وهكذا كان آباؤنا المتقدمون ينصبون لهم مذابح من الخشب خشيةً من الكفرة ، الذين كانوا يشددون عليهم الاضطهاد ، ولا يمكنونهم ان يستقروا في موضع واحد بل كانوا يطردونهم من مكان الى آخر . وحتى الآن لم يزل المذبح الذي كان يقدس عليه القديس بطرس محفوظاً في رومية وهو على مثال القرّاءة . ولما انعقد مجمع نيقية رسم الآباء ان يصنع المذبح من حجر كما كان قبر المخلص للدلالة على استمرار هذه الذبيحة الى نهاية الزمان .

اما سقف الكنيسة وجدرانها فقد طليت بالشيد بعد كشط القديم عنها ، وارضها بُلطت بالحجر الابيض . وحُفر في داخلها مدفنٌ لجهة الشمال للحسنة الذكر سعدى عقل التي كانت اوصت ولدها سيادة المطران بولس عقل ، وشريك حياتها حضرة الاب الفاضل الخوري طانيوس عقل ، وباقي اولادها قبل وفاتها بان يعنوا بامر الكنيسة ويرمّموها ويكفوها ما تحتاج اليه من ادوات واوانٍ وحلل بيعية . وقد اجاب سيادة ولدها وغائب واماني والدته بما اجراه من الاصلاحات داخل الكنيسة وخارجاً عنها كما تقدم القول ، وبما جلبه لها من الادوات الفضية والآنية الكنسية ، والحلل البيعية ، مما جعلها تفاخر اغنى كنائس هذه الجهات . وقد زيّن جدرانها باجمل الصور من رسم اشهر المصورين كصورة السيد المسيح عمل المصوّر الشهير ليونردو دي فنشي .

وقد نصب في هذه الكنيسة مذبحين آخرين لفت اتقانهما النظر : مذبح سيدة لورد في الجهة اليمنى . ومذبح القديسة ترازية الطفل يسوع في الجهة اليسرى . وقد جلب لها جرساً كبيراً ركّزه على عمودين ضخمين مما اكتشفه العملة في الحفر وحرصاً على قدم الرواق امام الكنيسة قد شاء سيادته ان يتدارك ما تداعى للسقوط من جدرانه باستعمال الترابة الفرنجية بطريقة فنية تضمن ثباته .

وقصارى الكلام قد اصبح هذا المحل من اجمل المزارات الدينية في هذه الجهات وافضل المنتزهات لفخامة موقعه واتساع ساحاته يؤمه اهل الجوار على اختلاف طبقاتهم .

الرسالة الحاتمية

فيما وافق المتنبي في شعره كلام ارسطو في الحكمة

نشرها عن مخطوطتي المكتبة الشرقية (بيروت)
فؤاد افرام البستاني
استاذ الآداب العربية في كلية القديس يوسف

٥٣ قال ارسطو

النفوس[1] الذليلة[2] لا تجد ألم[3] الهوان ؛[4] والنفوس[1] العزيزة يؤثر فيها يسيرُ الكلام .

[٢٩ق] قال المتنبي

مَن يَهُنْ يسهلِ الهوانُ عليه ؛ ما لجرح بميتٍ إيلامُ .

٥٤ قال ارسطو

موتُ النفوس حياتُها ، وعدمها[1] وجودها[1] ، لانها تلحق بعالَمها العلوي[2] .

---

٥٣ هي الفقرة ٢٦ في ت ، و٧٣ في ق ، و٥٧ في ل . اما مم فذكرت فيها حكمة الفقرة ٥٤ التالية ، ثم لم تذكر بيت هذه الفقرة ٥٤ . فيكون انما قرنت بيت الفقرة ٥٣ بحكمة الفقرة ٥٤ .

١) في ت وق ول : النفس .
٢) في ل : الدنيئة . ٣) ألم : سقطت في م .
٤) بعد هذا المقطع ورد في ت بدل المقطع التابع : «والنفس الكريمة ترى الاشيا بطبعها» . والبيت هو ٦ من القصيدة نفسها (د : ١٦٢ — الروائع ١٢ : ٤٨)

٥٤ هي الفقرة ٧٤ في ق ، و٥٨ في ل . اما ت فلم تذكرها . واما مم فاوردت الحكمة وحدها في الفقرة ٥٣

١) في ل : ووجودها عدمها ٢) لم ترد في ق ول .
البيت هو ١٦ من قصيدة في مدح بدر بن عمّار مطلعها :
أحُلماً ترى ام زماناً جديدا أم الخَلق في شخص حَيٍّ أعيدا (د : ١٢٢)

قال ابو الطيب

كأنّك بالفقر تبغي الغنى ؟ وبالموت ، في الحرب ، تبغي الخلودا.

٥٥ قال ارسطو

الحسّ قبل المحسوس[1] ، والعقل قبل المعقول.

[٣٠و] قال المتنبي

فقرُ الجهولِ ، بلا قلبٍ[2] ، الى ادبٍ فقرُ الحمارِ ، بلا رأسٍ ، الى رَسَنِ .

٥٦ قال ارسطو

ليس جمال ظاهر الانسان مما يُستدلّ به على حسن فعله وفضيلته[1].

قال ابو الطيب

لا يُعجبنّ مَضيماً[2] حُسنُ بِزّتِهِ ،

وهل يروق[3] دفيناً جودةُ الكَفَنِ !

---

٥٥ هي الفقرة ٥٦ في مم ، و٧٦ في ق . اما ل فذكرت البيت وحده دون حكمة في فقرتها الـ ٥٩ ، على انها اوردت الحكمة في فقرتها الـ ٦١ مقرونة ببيت لا يوافقها ، وهو البيت الآتي في الفقرة ٥٧ ، واما ت فلم تذكر شيئاً .

١) في ق : المحس. ٢) في ق : لب.

البيت هو ٧ من قصيدة في مدح محمد بن عبدالله الخطيب الحسيبي مطلعها :

افاضل الناس اغراضٌ لدى الزمنِ ، يخلو من الهمّ اخلاهم من الفطَنِ .

(د : ١٧١ - الروائع ٢ أ : ٢٥)

٥٦ هي الفقرة ٥٥ في مم ، و٢٨ في ت ، و٧٧ في ق ، و٦٢ في ل .

١) في ت : فضله

وقد وردت الحكمة على شكلين مختلفين في ق ول ، فجاء في ق : « ليس جمال الانسان بنافع له اذا كان ميت الحسّ من العلم. »

وفي ل : « كمال ظاهر الانسان لا تنفعُ له ، وانما كمال طبعه وسجاياه المعوّل عليها. »

٢) مَضيماً : مظلوماً ، كذا في د وق ول . وفي مم : وضيئاً ، وفي ت : مصوناً .

٣) يروق : كذا في جميع النسخ . اما د فاورد : تروق .

والبيت هو ١٥ من القصيدة المذكورة (د : ١٧٢)

٥٧ قال ارسطو

على قدر الهِمَم تكون الهموم .

[٣١ق] قال ابو الطيب

أفاضلُ الناس أغراضٌ[1] لدى الزمنِ ،
يخلو من الهمّ أخلاهم من الفِطَنِ[2] .

٥٨ قال ارسطو

الزيادةُ في الحدّ نقصٌ في المحدود .

قال المتنبي

متى ما ازددتُ من[1] بعد التناهي فقد وقع انتقاصي في ازديادي[2]

٥٧ هي الفقرة ٥٦ في مم ، و٧٥ في ق . اما ل فاوردت البيت في فقرتها الـ ٤١ مقروناً بالحكمة التي وردت في الفقرة ٥٥ من طبعتنا . واما ت فلم تورد شيئاً .
١) في م ومم ول : أعراض . ٢) في ل : الهمم .
والبيت هو مطلع القصيدة المذكورة (د : ١٧٠ — الروائع ١٢ : ٢٤)

٥٨ هي الفقرة ٥٧ في مم ، و٧٢ في ت ، و٧٨ في ق ، و٦٣ في ل .
١) في ق : في ؛ وفي ت : بعدًا في .
٢) في ت : بازديادي ؛ وفي ق ول : في ازديادِ ؛ وفي م ومم ورد الشطر الثاني : « فقد وقع ازديادي في انتقاصِ . »
والبيت هو ٩ من قصيدة في مدح علي بن ابرهيم التنوخي مطلعها :
أحادٌ ام سُداسٌ في أُحادِ لُبَيْلَتُنا المُنوطَةُ بالتنادي
(د : ٨٠)

٥٩ قال ارسطو

اقرب القرب مودّات القلوب ، وان تباعدت الاجسام ؛ وابعد البعد تناءي[1] القلوب ، وان تدانت[2] الاجسام.

[٣٢و] قال المتنبي

وابعدَ بُعدنا بُعد التداني وأقرب[3] قُربنا قُرب البعادِ.

٦٠ قال ارسطو

اذا كان البناء على غير قواعد ، كان الفساد اقرب اليه[1] من الصلاح .

قال المتنبي

فان الجرح يَنْفِرُ[2] بعد حين اذا كان البناء على فسادِ

---

٥٩ هي الفقرة ٥٨ في مم ، و٢٩ في ت ، و٧٩ في ق ، و٤٤ في ل.
١) في ت : تنافر ٢) في ت : تقرّبت .
وقد اوردت ق وَل المقطع الثاني من الحكمة على الصورة الآتية : « وأبعد البعد تنافر التداني . »
٣) واقرب : كذا في م ومم وت وق . اما في ل ود فورد : وقرّب .
والبيت هو ١٤ من القصيدة المذكورة (د : ٨٠)

٦٠ هي الفقرة ٥٩ في مم ، و٣٠ في ت ، و٨٠ في ق ، و٤٥ في ل.
١) في ق وَل : اليه اقرب. ٢) في ت : يفسد.
والبيت هو ٣٦ من القصيدة المذكورة (د : ٨٢) . وقد اوردته ل على هذه الصورة الغريبة :
اذا كان البناء على فسادٍ فأهون ما تمرّ به الوحولُ
اما البيت الصحيح فاوردته في الفقرة ٧٨ بعد حكمة هذا نصّها :
« اذا لم تتجرّد الافعال من الذمّ كان الإحسان اساءةً »

٦١ قال ارسطو

بانفاذِ سهمِ الحزم تُدرَك صحّةُ العزم[1].

[٣٣ق] قال ابو الطيب

مع الحزمِ، حتى لو تعمَّدَ تركَه[2]، لألحقَه تضييعُه الحزمَ بالحزمِ

٦٢ قال ارسطو

الاشياء لاحقة بأشكالها[1]، كما أنّ الاضداد مباينة لاضدادها.

قال ابو الطيب

وشبه الشيء مُنجذِبٌ اليه، وأشبهُنا بدنيانا الطَّغام[2].

---

٦١ هي الفقرة ٦٠ في مم، و٧٣ في ت، و٨١ في ق، و٧٩ في ل.
١) في ق: الحزم ٢) في ت: لو يعود تركه.
المعنى متعلّق ببيت سابق ومفاده ان الممدوح حازم في جميع احواله ومآتيه حتى في تركه الحزم. والبيت هو ٢٢ من قصيدة في مدح الحسين بن اسحق التنوخي مطلعها:
.لامي النوى في ظلمها غايةُ الظلمِ لعلَّ بها مثلَ الذي بي من السُّقمِ
(د: ٧٦)

٦٢ هي الفقرة ٦١ في مم، و٨٢ في ق، و٨٠ في ل. اما ت فلم تذكرها.
١) في م ومم ول: لاشكالها ٢) في مم ول: الطَّمامُ.
والبيت هو ٩ من قصيدة في مدح المغيث بن علي بن بشر العجلي مطلعها:
فؤادٌ ما تسلّيه المُدامُ وعُمرٌ مثل ما تهب اللئامُ
(د: ٩٧)

٦٣ قال ارسطو

لا يجد لذة الحياة من لا يجد لشهواته[1] دَرَكاً[2] ، ولا[3] لامره تصرُّفاً .

[٣٦و] قال المتنبي

من لا[4] توافقُه الحياةُ وطيبُها حتى يُوافقَ عَزمُهُ الانْفَاذَا

٦٤ قال ارسطو

اواخر حركات الفلك كاوائلها ، وانشاء العالم كتلاشيه ، في الحقيقة لا في الحسّ[1] .

قال ابو الطيب

كثيرُ حياة المرء مثلُ قليلها يزولُ ، وباقي عيشه مثلُ ذاهبِ .

---

٦٣ هي الفقرة ٦٢ في مم ، و٣١ في ت ، و٨٣ في ق ، و٨١ في ل .
١) في ت : لشهوته . ٢) في ت : دراكاً .
٣) سقطت في ق ، وجاء في ت : ولا لامر دراكه
٤) في ق : لم .
معنى البيت متعلق بما قبله ومفاده : لا تطيب الحياة للممدوح حتى يرى عزمه نافذاً .
والبيت هو ١٤ من قصيدة في مدح مُساور بن محمد الرومي ، مطلعها :
أمُساورٌ ام قرن شمسٍ هذا ؟ ام ليثُ غابٍ يقدُمُ الاستاذا ؟ (د : ٦٥)

٦٤ هي الفقرة ٦٣ في مم ، و٧٤ في ت ، و٨٤ في ق ، و٨٢ في ل .
١) في ت : الحسن ، وفي ق : بالحسّ .
البيت هو ١١ من قصيدة في مدح طاهر بن الحسين العلوي ، مطلعها :
أعيدوا صباحي ، فهو عند الكواعب ؛ وردّوا رقادي ، فهو لحظ الحبائبِ
(د : ٢٢١)

٦٥ قال ارسطو

من نظر بعين القلب[1] ورأى[2] عواقب الامور قبل مواردها لم يجزع لحلولها[3].

[٣٥ق] قال المتنبي

عرفت الليالي قبل ما صنعت بنا ، فلما دهتني[4] لم تزدني بها علما .

٦٦ قال ارسطو

لحوق البغية في[1] نيل الشهوات[2] صعب ، وأعجز العجزة[3] من لم يفن عمره[4] في طلب الغاية.

قال المتنبي

اذا قل[5] عزمي عن مدى[6] خوف بعده ، فأبعد شيء ممكن لم يجد عزما[7] .

---

٦٥ هي الفقرة ٦٤ في مم ، و٣٢ في ت ، و٨٥ في ق ، و٦٨ في ل.

١) في ت : العقل ، وفي ق : عناء ٢) في م : ورءا ، وفي مم : وراءه.

٣) في م ومم : بحلولها.

وقد اوردت ل حكمة غريبة عن البيت وهي:

« لا غناء لمن ملكه الطمع واستولت عليه الاماني.»

٤) دهتني : في ق : دهتنا.

والبيت هو ٧ من قصيدة في رثاء جدته ، مطلعها :

الا لا أري الاحداث مدحاً ولا ذماً فما بطشها جهلا ولا كفها حلما

(د : ١٧٦ — الروائع ١٢ : ٢)

٦٦ هي الفقرة ٦٥ في مم ، و٣٣ في ت ، و٨٦ في ق ، و٦٩ في ل.

١) لحوق البغية في : لم ترد في ل. ٢) في نيل الشهوات : لم ترد في ت.

٣) في ت : العجز. ٤) في ت : يمن عزمه ، وفي ق : حين عزمه.

٥) في مم وت وق : قل ٦) في ت : هوى

٧) ورد الشطر الثاني في ت على الصورة الآتية : « فما بعد شيء ممكن يجد العزما »

والبيت هو ٣١ من القصيدة المذكورة (د : ١٧٦ — الروائع ١٢ : ٤)

٦٧ قال ارسطو

اول[1] درج الفضل ترك الذمّ ، ثم التناهي في المدح .

[٣٦و] قال المتنبي

ومنّي[2] استفاد[3] النـاسُ كلّ غريبةٍ[4]
فجازوا بترك الذمّ ، ان لم يكن حمدُ .

٦٨ قال ارسطو

من قصّر عن اخذ لذّاته عَدِمها[1] ، وعَدِم صحّة جسمه[2] .

قال المتنبي

ذَرِ النفس تأخذْ وُسعها ، قبلَ بينها ،
فمفترقٌ جـارانِ دارُهمـا العُمرُ[3] .

---

٦٧ هي الفقرة ٦٦ في مم ، و٣٦ في ت ، و٨٧ في ق ، و٧٠ في ل .
١) اول : لم ترد في ل . اما ت فاوردت : لا برح الفضل ترك .
٢) في م وق ول : ومنى ٣) في ت : استمار ٤) في م ومم : فضيلة .
البيت هو ٣٥ من قصيدة في مدح الحسين بن علي الهذاني ، مطلعها :
لقد حازني وَجْدٌ بمن حازه بُعدُ ، فياليتني بعدٌ ، ويا ليته وجدُ ! (د ٢١٨:٥)

٦٨ هي الفقرة ٦٧ في مم ، و٣٥ في ت ، و٨٨ في ق ، و٧١ في ل .
١) في ل : حدمها ٢) في ق ول : حسّه .
٣) العُمر : كذا في د ، وفي م ومم وت وق ورد : عمر . وفي ل عمرو .
البيت هو ٥ من قصيدة في مدح علي بن احمد الانطاكي ، مطلعها :
اطاعنُ خيلًا من فوارسها الدهرُ وحيدًا ، وما قولي كذا ومعي الصبرُ
(د ١٩٥:٥ – الروائع ١٢ :٢٦)

٦٩ قال ارسطو

اذا لم ترفع نفسك[1] عن قدر الجاهل ، رفع الجاهل قدره عليك[2] .

[٣٧ق] قال المتنبي

اذا الفضلُ لم يرفعك عن شكر ناقص
على هبَةٍ[2] ، فالفضلُ فيمن له الشكرُ .

٧٠ قال ارسطو

الذي لا تُعلم[1] عِلّته[2] لا يُوصل[3] الى بُرئه .

قال ابو الطيب

ومن جاهلٍ بي ، وهو يجهل[4] جَهلَه ،
ويجهل علمي انّه بيَ جاهِلُ .

---

٦٩ هي الفقرة ٦٨ في مم ، و٣٦ في ت ، و٧٢ في ل . اما ق فلم توردها .
١) اذا لم ترفع نفسك : كذا في م ومم . وفي ت : من لم يرفع قدره . اما ل فجاء فيها : من لم يرفع نفسه عن قدر الجاهل قدّره عليه .
٢) في ت : عليه ٣) في م ومم : هيئة ، وفي ت : هيبة .
والبيت هو ٩ من القصيدة نفسها (د : ١٩٥ — الروائع ١٢ : ٢٧)

٧٠ هي الفقرة ٦٩ في مم ، و٣٨ في ت ، و٣٥ في ق ، و٧٣ في ل .
١) في ت وق ول : يلم ٢) علته : سقطت في ل . وفي ت وق : بعلته
٣) في ت : يصل . وفي ل تُوَصَّل ٤) في مم : الجهل .
البيت هو ٣ من قصيدة قالها في صباه مفتخراً ، مطلعها :
قِفا تَرَيا وَدْقي ، فهاتا المخايلُ ، ولا تخشيا خُلفاً لما انا قائلُ .
(د : ٢٩)

(له صلة)

دلبتا

نبذة تاريخية

للخوري بطرس روفائيل

الفصل السادس

بعض رجالها المتوفين (تابع)

٥ً الخوري بطرس ديب

هو اول رئيس من عائلة ديب على دير سيدة الحقلة. كان بارًا ورعاً نازعاً الى العيشة النسكية ، وكان يختلف الى محبسة انشأها بقرب الدير لا تزال آثارها قائمة ليومنا هذا ؛ وفيها يقضي الساعات الطويلة في الصلاة والتأمل .. وقد ذاع صيت قداسته وتقشفه فأخذت التقادم والنذور تتوارد الى الدير ، وكثرت املاكه وزادت موارده ، فتمكن من تشييد كنيسة الدير الحالية سنة ١٧٦٥ ، بمعاونة القس يوسف باسيل المرابي ، كما هو محرر في التاريخ المنقوش فوق الباب المختص بالراهبات . وفي سنة ١٧٦٦ نال من الامير يوسف شهاب الوالي مزرعة مستيتا في بلاد جبيل ، وهاك الخبر: ذهب الخوري بطرس الى جبيل قاصداً الى دار الامير يطلب صدقة لمعاش رهبان ديره ، وكانت ابنة الامير في تلك الاثناء طريحة الفراش اعتراها مرض أعيا الاطباء . فأعلم الشيخان منصور الدحداح وسمعان البيطار الامير بقدوم هذا الكاهن وطهارة حياته وقداسة اعماله ، وعرضا عليه ان يدخله مخدع المريضة ويصلي على رأسها لعل الله يمنّ عليها بالشفاء بواسطة هذا الناسك الورع المتقشف . فرضي الامير ، وصلّى الخوري ، وشفيت المريضة. فطابت نفس والدها وزال غمه وفرح كثيراً ، فدخل عليه عندئذٍ الشيخان المذكوران وهنّآه بتعافي ابنته واطمئنان باله ، فاستشارهما في

امر مكافأة الكاهن فاجاباه ان هذا الكاهن من الزهّاد الراغبين عن الاموال، ورهبانه يعيشون من شغل ايديهم ، فاحسن مجازاة الانعامُ عليهم بقطعة ارض يحرثونها. فوقع هذا الرأي عند الامير موقع الرضى ، ووهب الخوري بطرس مزرعة مستيتا الوسيعة ، قرب جبيل ، وشرط عليه في تشييد دير فيها على اسم العذراء مريم . فما لبث الرئيس ان بنى على اسم السيدة كنيسة وديراً ، وعيّن له رهباناً يقيمون فيه ، وألحقه بدير سيدة الحقلة في دلبتا[1] . وفي سنة ١٧٨١ تنزّل المترجم عن الرئاسة لابن اخيه الخوري موسى ، وتوفي سنة ١٧٨٣ في دير مستيتا الذي انشأه ، ودُفن في كنيسته ، وقد جاء في وصيته ما حرفيته : «وجميع ما يُعرف بنا من املاك وغزوس وغير غروس من فضة وذهب ومن كلي وجزئي وحتى شحيمتنا هي الى دير سيدة الحقلة وجميع ما يُعرف بنا هو للدير المذكور ولا يسوغ لنا الرجوع فيما ذكرنا ولا يسمع لنا دعوى بذلك وحرّرنا ذلك بخاطرنا وتمام رضانا من غير رغم ونحن بصحة عقلنا وجسدنا بحضور رهبان ديرنا كهنة ورهبان».[2]

٦ مرعي الحاج

هو احد افراد عائلة الحصارنة من الفرع الذي ينتمي الى الحاج سليمان من آل عوّاد . مات والده يوحنا ، وله من العمر ١٥ سنة ، ولاحتياجه اضطرّ ان يغادر دلبتا ويدخل خادماً في بيروت عند احد الاغنياء المدعو الشربجي من موظفي الامير يوسف شهاب، حاكم الجبل ، وكانت بيروت وقتئذٍ تابعة لولايته. ولما بلغ مرعي أشدّه، اي حوالي سنة ١٧٧٠، استخدمه الامير يوسف. وبعد ان امتحنه ورأى نباهته اكرمه واعزّه وجعله وكيلاً على املاكه في الزلقة وما جاورها ، ووكّل اليه ايضاً المشائخ بنو خازن الخازن تدبير ارزاقهم في النقاش، وضُبيّة ، وحالات . ففوّض مرعي ادارتها الى اثنين من بلدته ، وهما موسى مراد ، وطنوس عيد الحداد ، وعيّن لهما ثلثي دخل وكالته ، وابقى لنفسه الثلث

---

(١) الخوري منصور: المقاطعة الكسروانية ص ١٨٠ - ١٨٢ ، وصكوك دير الحقلة.

(٢) سجلات البطريركية المارونية: المجلد الثاني ، ص ٦.

الآخر . فانالته وظيفته هذه اموالًا جزيلة فـاخذ يبتاع الاراضي والعقارات في بشيمون ، وضبيه ، ودلبتا ، واكثر ما اقتناه في دلبتا كان حول بيته فشاء ان يبني لنفسه مدفناً في رزقه ، وكان رزقه قرب الكنيسة الرعائية. فعارضه بعض الاهالي ، وبينهم الخوري بطرس روفائيل الذي اقام دعوى عليه . وقبـل ان يحكم فيها صدر امر الامير يوسف بجباية مال اعانة من وجهـاء البلاد على حسب عوائد حكام ذلك العصر الذين ينالون الولاية مبـايعةً فيجبون المـال بكل الوسائل ليفوا كُلف الفوز بوظيفتهم، وقد خُصَّ الخوري بطرس روفائيل بدفع خمسمائة غرش ، ومثل هذا المبلغ كان لا يستهان به في تلك الايام . فلما علم مرعي بذلك أوقف الخيَّال الجابي عن المسير ودخـل على الامير ورجاه ان يرفع المبلغ المطلوب عن الخوري بطرس ، فاجابه الامير الى حاجته . فاستكبر الخوري بطرس مثل هذا التصرّف وكفّ عن ملاحقة دعواه ، واخذ على نفسه ملاحظة بناء المدفن اقرارًا لمرعي بالجميل.

وفي سنة ١٧٩٠ استقدم احمد باشا الجزّار الى عكّا الامير يوسف واولاده ومدبّره الشيخ غندور سعد الخوري ، وكان مرعي معهم . فامر الجزّار بشنق الامير يوسف والشيخ غندور ، وبقي مرعي مع اولاد الامير . غير انه لم يلبث ان مرض مرضاً عضالًا لما اصـابه من الهمّ والحزن على موت مولاه والمحسن اليه ، فاستحضر القس لوقيانوس الماروني ، خادم رعيـة عكا ، ورقم وصيّته الاخيرة على يده وهذه خلاصتها : ذكر اولًا الديون التي لـه وعليه ، ثمّ اقام وصيًّا على اولاده اخاه الخوري انطون ، وعيّن مساعدًا له في هذه المهمّة الخوري موسى ديب ، رئيس دير سيدة الحقلة ، وطلب ان يُباع قسم من املاكه لاجل تقديم القداديس لاجل راحة نفسه ، ويُباع ربع ارزاقه في ضبيّة ويُعطى ثمنـه للفقراء او يوزّع ريعه سنويًا عليهم . واما مصوغ ولده يعقوب فاوصى بان يُعطى منه الخلخال لمار الياس انطلياس ، وقرص الطربوش الفضي لكنيسة مار يعقوب في دلبتا ، والزنّار لدير سيـدة الحقلة » . وصرّح بان املاكه تكون لولـده يعقوب ان أتاح الله له حيوة طويلة ، والا فالبيت وما يتبعه من الاملاك يخصّص لانشاء مدرسة لاولاد القرية وامر اخيرًا بان يُباع كل مـا في حجرته في عكّا

من الامتعة والاثاث فيُقدَّم من الثمن اربعون غرشاً الى دير مار الياس في جبل الكرمل ، وعشرون غرشاً الى القس لوقيانوس لقاء اتعابه ، واربعون غرشاً الى كنيسة عكا « والذين يحفرون قبره ويحملونه يُعطى لهم حسب عادة المحل » . توفي سنة ١٧٩٨[1]

٧ً الخوري انطون الحاج

كان اسمه جناديوس ، وهو اخو مرعي المتقدّم ذكره . كان له صوت جميل رخيم مطرب ، فاتخذه في بدء الامر الخوري بطرس ديب ، رئيس دير سيدة الحقلة ، شماساً له ، فتعلم في الدير بعض العلوم والكتابة على القس الياس شمعون المعروف وقتئذٍ بجودة خطّه ، فافلح جناديوس في دروسه . ونحو سنة ١٧٨٦ ، دُعي استاذًا لاولاد المشائخ الخازنيين في قرية عجلتون ، فاحبّه الجميع لحسن آدابه واستقامة سلوكه وعجبوا من جمال خطه . ثم سار مع اخيه مرعي الى الشيخ سعد الخوري ، فوكله بتعليم ولده راجي . وفي تلك الاثناء ، عرض عليه صورة بيورلدي بخط المعلم الياس ادّه ، كاتب وزير صيدا ، المشهور بحسن خطّه وسأله امتحاناً له ان ينقلها فنقل . فجاءت كتابته مثل كتابة البيورلدي كأنها عينها ، فسرّ الشيخ سعد بمهارته واكرمه وجعله كاتب سره . ولما كان ورعاً تقيًّا ، مال عن الدنيا الى الدرجات المقدسة ، فرقّاه المطران بطرس مبارك نحو سنة ١٧٩٠ درجة الكهنوت باسم انطون وجعله كاتباً له . ثم سامه برديوطاً على ابرشية بعلبك ، وكان يعتمد عليه في انجاز الاشغال وزيارة الابرشية . فاظهر دهاء في حلّ المشاكل ، واحسن التصرُّف في علاقاته حتى اكتسب وجاهةً واعتبارًا لدى الجميع . فكان ذلك داعياً في اعين الحساد الى ان يضرموا نار الفتنة بينه وبين رئيسه ، فوشوا به الى المطران وقالوا ان الخوري انطون ساعٍ الى استمالة الرعية ليفتقدك كرسيك ويحلّ محلك ، فوقعت هذه التهمة عند المطران موقع الصدق فداخله الريب . وما درى الخوري بالامر حتى بادر وبرّأ ساحته امام رئيسه واستأذنه في الانخراط في احدى الرهبانيات القانونية ، ثم ترك ريفون ودخل دير طاميش

---

١) النبذة ص ٣٠ وما يليها

سنة ١٧٩٣ . وكان القس سمعان الخازن رئيساً عاماً في ذلك الحين ، ومكث في الدير خمس سنين ، وبعدها استدعاه ثانية المطران بطرس مبارك بعد ان تبيّن له افك الحساد وكذب المفترين ، واسترضاه وزاد في اكرامه ووضع فيه ثقته وسلّمه جباية العشور ومصالح الابرشية الى ان وافى الاجل المطران سنة ١٨٠٧ . فعيّن حينئذٍ المترجم مرشداً لراهبات دير سيدة الحقلة ودير مار عبدا هرهريا . توفي سنة ١٨٢٧ وله من العمر ٥٧ سنة [1] .

٨ً الخوري يعقوب الحاج

ان المترجم هو ابن مرعي الحاج المتقدّم ذكره . توفي والده ، وله من العمر خمس سنين ، ولما مات عمه الخوري انطون كان اناف على الثلاثين فاراد ان يقبل سرّ الكهنوت . وبعد ان درس اللاهوت على الخوري فرنسيس زوين ، رقاه المطران انطون الخازن الى درجة القسوسية سنة ١٨٢٩ ، وسلّمه رعية دلبتا قريته . فاجتهد اجتهاد الراعي الساهر على حفظ خرافه ، واخذ يرشد وينبّه من يرى فيه تهاملاً او جهلاً ، وكان يشرح كلّ يوم احد التعليم المسيحي في الكنيسة امام ابناء رعيته ، ويسأل كل مرة اثنين او ثلاثة من الاكثر وجاهة ان يراجعوا ما فسّره وأوضحه في المرة السابقة تنشيطاً للاميين على الاقتداء بهم ، ويحرّض الجيران المتنوّرين على تعليم جيرانهم الجهّال قواعد دينهم . وكان يُبدي بعض الصرامة نحو المتباغضين والمتخاصمين ، فلا يرضى عنهم الا بعد ان يتصالحوا . ومن اكبر همومه تنبيه الوالدين على واجباتهم العائلية ، فينتهز كل فرصة ليرشدهم الى تربية اولادهم في خوف الله وتعليمهم اياهم امور الخلاص ، وارسالهم الى المدرسة لاقتباس التهذيب والعلوم ، والسلوك الحسن امامهم : قد هابه كثيراً اهل قريته لانهم عرفوه صادقاً جريئاً نزيهاً لا يحابي احداً ، ولم يكن ليضنّ بزياراته للمرضى من ابناء رعيته لاسيما للفقراء منهم . وفي سنة ١٨٣٢ حدث في دلبتا امراض وبائية منها الجدري ، فكان يتردّد الى المصابين ليلاً ونهاراً موزّعاً عليهم الحاجات الروحية والجسدية ، وما يُشرف واحد منهم

---

١) النبذة ص ٢٢

على الموت حتى يُسرع اليه ويقترب منه بدون ما خوف ويزوّده بالاسرار. وفي تلك السنة عينها مرض بالطاعون احد ابناء القرية ، المدعو يعقوب طنوس ، لانه لبس ثياباً لمطعونين اشتراها في بيروت ، وهو غير عالم بذلك ، فزاره حالاً الخوري يعقوب ومنحه الاسرار المقدسة وظل يعوده كل يوم منشطاً مسلياً ويحرّض والدته على التحرّز في خدمته والتيقّظ ويقدّم لهما ما يحتاجان اليه الى ان شفي المريض ونجا الاهلون من المدوى. فهذه الاعمال الرسولية اذاعت طيب ذكره فطلب الامير امين ، ابن الامير بشير شهاب ، من المطران انطون الخازن سنة ١٨٣٥ ان يكون الخوري يعقوب خادم داره في بيت الدين. فما لبث مدة حتى لمعت فيه الفطنة ودماثة الاخلاق ، فتعلق به سكان دار الامير واحبوه حباً شديداً وزاد اعتبارهم له لما رأوا فيه من الهمّة في تتميم واجبات وظيفته الروحية. وكان له التأثير الحسن على مستخدمي القصر فحوّل موضوع محادثاتهم الى الامور المفيدة الادبية والدينية. واتفق ان رجلاً ارمنياً كاثوليكياً من حاشية الامير مرض مرضاً عضالاً ونقه منه ، فمرّ به المترجم وكان ذلك عند العصر فرآه جالساً على باب حجرته تجاه الشمس وبيده سيكارة يتسلى بها. فأمعن النظر فيه ولاحظ ادلة تشير على انحراف جسيم في صحته وبعد ان تجاذبا اطراف الحديث سأله برقّة وحيلة: بنيّ أتريد ان تعترف ؟ اجاب المريض: نعم. وكان بعض الخدم حاضرين فتهامسوا مدمدمين وقالوا : ليس من داعٍ يستوجب مثل هذه العجلة ، فان الرجل قد تعافى فلا لزوم الى ازعاجه الآن. غير ان الكاهن اشار على المريض بان لا يعبأ بهذه الاقوال وسمع اعترافه ثم شعر بان حال المريض زادت سوءاً. وقلقاً واضطراباً فناوله القربان المقدس ومنحه سر المسحة وتلا امامه رتبة المنازعين ، ومكث الليل بالقرب منه ، ولم يفارقه الّا عند الفجر بعد ان فارق الحياة. فانذهل من في القصر من هذا الحادث واجمعوا على الثناء على ذكاء هذا الكاهن الفاضل وغيرته.

وقد مكنته اعماله هذه التقوية من اتمام بعض امور كان يتمنى تحقيقها قياماً بوظيفته الروحية منها ازالة الخلاف الذي كان تفاقم بين الامير امين والبطريرك يوسف حبيش والقاء السلام بينهما.

وفي سنة ١٨٣٧ ، أصدر ابراهيم باشا امراً باعادة الاحصاء في لبنان وذلك لكي يتسنى له ان يزيد عدد المكلفين والضرائب . فكان للمترجم اليد الطولى في ان يجري المدّ في دلبتا بالرفق والانصاف . وفي تلك السنة نفسها ، طلب اقالته من خدمة الامير . وما لبثت ان قدمت عساكر الدولة العثمانية وعساكر الدول الاوربية لمحاربة ابراهيم باشا في لبنان ، فاسفرت المعارك العديدة التي نشبت عن انكسار هذا الاخير ، فعُزل الامير بشير عن ولاية الجبل ، وأرسل الى المنفى مع اولاده سنة ١٨٤٠ ، ونُصب مكانه الامير بشير قاسم . وفي السنة التالية سمّي عمر باشا حاكماً على الجبل ، فقام الكسروانيون ، وفي مقدّمتهم الشيخان الاخوان رُشيد وخليل الدحداح ، وطلبوا ارجاع الامير بشير الكبير او تعيين حاكم مسيحي عوضاً عن عمر باشا ؛ فعهد هذا الاخير الى منيب باشا في معاقبة القائمين بهذه الحركة واصحبه بخمسمائة جنديّ . فاختبأ الشيخان المذكوران في امكنة مختلفة ، ثم التجأا الى دلبتا ومكثا فيها مدة غير يسيرة عند الخوري يعقوب محتجبين عن اعين الناس .

وكتب الامير امين من الاستانة الى الخوري يعقوب سنة ١٨٤٤ كتاباً به يقيمه وكيلاً على داره واملاكه . فقام باعباء هذه الوظيفة بكلّ اخلاص ، مدة سنتين . ثم استعفى وباشر سنة ١٨٤٧ تأسيس اخوية الجبل بلا دنس في دلبتا . فانضم اليها عدد غير قليل من السكّان بفرحة وجيزة ، وقدم للمطران انطون الخازن عريضة فيها يلتمس تثبيت هذه الاخوية وقوانينها ؛ فاجابه المطران الى طلبه وعيّنه مرشداً لها ، فشرع في القيام بما تطلبه وظيفته هذه الجديدة من وعظ وارشاد وسهر وتوزيع الاسرار . وثبت مثابراً على هذا العمل المبرور الى سنة ١٨٦٩ ، فاصيب بداء الفالج واخذ يستعدّ للاقاة ربه . وكانت وفاته سنة ١٨٧١ ، وله من العمر ٧٧ سنة [1] .

---

١) النبذة ص ٢٣ وما يليها .

(له صلة)

الاخ ساروفيم ڤكتور (١٨٧٩–١٩٢٢)

من اخوة المدارس المسيحية « الفرير »

بقلم ا. م. ب.

٣

تآليفه

وقد ترك الاخ ساروفيم عدة آمالٍ ورسائل مطبوعة ، ظهر بعضها في مجموعة « بحر الآداب » المنشورة في مصر بعناية الفرير ، منها تسع رسائل ظهرت في الجزء الثالث من المجموعة[1] تدور حول التهاني والتعازي والنصائح والمعاملات التجارية ، وكلها باسلوب سهل المأخذ ظاهر الطلاوة . وظهر في الجزء الرابع من المجموعة[2] قصيدة مؤثرة في تأبين شاب احتضر في زهرة حياته ؛ و ١٤ قطعة من الامالي تتضمن نصائح ومشورات جزيلة الفائدة .

ومن آثار الاخ الفقيد كتاب صلوات عرّب بعضه ووضع اكثره ، وقدّمه « للناشئة الكاثوليكية » بعنوان « نجوى العابد » ؛ طُبع طبعة ثانية في القدس الشريف سنة ١٩٢٧ . وهو يحتوي على كل ما تتوق اليه النفس المتعبدة من صلوات وابتهالات وتأملات يزيد تأثيرها انها ماثلة باسلوب صحيح لطيف .

شعره

لم يكن الفقيد العزيز يُعنى بالشعر ، مع انه نظم كثيرًا ، ولكن في ظروف خاصة ، وعن اضطرار كجواب عن رسالة شعرية أو مساعدة مبتدئ بالنظم وتشجيعه اذا رآه ميالًا للقريض . وقد كتب الى احد تلامذته : « هل

---

١) بحر الآداب ، تأليف لفيف من الاساتذة (وكالة الفرير – باب سدره ، الاسكندرية) : الجزء الثالث ، طبعة جديدة ، ص ١٧٩–١٩٠ .

٢) بحر الآداب ، ص ٢١١–٢١٢ ؛ ٢٢٥–٢٢٦

لك ان ترثي القريحة بشعرك الشائق» فلما وصله ما جادت به قريحة الشاب، كتب اليه: «لا بأس بما نظمته. لكن احذر من الاستسلام لشيطان الشعر، فالجداجد كثيرة في بلادنا ..» وكتب اليه ايضاً: «لا بأس بما نظمت ابتداء ولكن لا تنسَ ان قرض الشعر ألمية لا يسوغ للعاقل الالتفات اليها الا نادراً.»

وامتاز شعر الاخ ساروفيم بالوصف البليغ الغير المتعسف. يظهر ذلك في موشّح اسماه «المجوس»، يخال لقارئه انه يتبع المجوس في سيرهم وراء النجم العجيب واشرافهم على اورشليم ودخولهم المدينة واضطراب اهلها ولاسيما هيرودوس السفّاح. ومن صفاته رقة العاطفة وصدق الشعور وطبيعة الحنين البارزة في هذه القصيدة التي ننشرها مثالاً من شعره، وهي آخر ما كتب من مولان (فرنسة) قبل وفاته، قال:

حنين منفي

«جادت القريحةُ القريحةُ» ببضعة ابياتٍ، أملاها قلب هاجته عواطف الحب والشوق، للاحباب والاهل والوطن:

يا نسيمَ الصبح، سِرْ نحو الشآمْ، وزُرِ الاحبابَ، وأقرئهم سلامْ.
وصفِ الوجدَ، وما عانيتُهُ يومَ منفايَ، وأسهب في الكلامْ.
نابني الدهرُ بأنواع البلى. سهمُهُ جازَ فؤادي والعظامْ؛
نقضَ العهدَ الذي أبرمتُهُ؛ خانني غدراً، ولم يرعَ ذمامْ.
كنتُ بالامسِ، مع الاحبابِ في رغدِ عيشٍ وصفاءٍ ووئامْ.
وانا اليومَ بعيدٌ عنهمُ ولنا، هيهات! لا يُرجى التئامْ.

يا رعى اللهُ أويقات مضتْ بين اخوانٍ واحبابٍ كرامْ!
لم أذُقْ من بعدهم أُنساً، وقد ماورَت نفسي بلياتٌ عظامْ.
كلّما مرَّ ببالي ذكرهم، سال دمعي كسحابِ الغمامْ.
ودّعت نفسي المنى، مُذ ودّعوا. فرقتي عنهم، وتغريبي حرامْ!

يا ربوعَ الشامِ، لا زال المنا شاملاً اهليكِ طُرّاً، للدوامْ،
عنكِ قد بتُّ اضطراراً، لا رضىً. ذقتُ يومَ البينِ، كاساتِ الحِمامْ.
لسواكِ القلبُ لم يعرفْ هوًى؛ وهوى الاوطان ما فيه مَلامْ.

لن ترالي في فؤادي ابدًا ؛ في في ذكرك ، أشهى من مُدام ؛
نسماتٌ منكِ تحيي مهجتي ؛ ماؤك العذبُ شفاء للسقام ؛

يا أُهيلَ الشام ، لا تنسوا فتى قد غدا ، من شوقهِ ، فوق ضِرام .
اذكروا المنفيَّ ، في دعواتكم ، إذ تصلّون الى ربِّ الانام ،
اذ امام العرش ، في قربانه ، تُصعدون النفس حبًّا واحترام .
اذكروا المنفيَّ في اسماركم ، حيثما يجمعكم أُنس المقام ؛
اذكروهُ ، ان ذكرًا منكمُ بلسمٌ من قلبهِ يشفي الكِلام .
ذكركم لي سلوةٌ في يقظتي ؛ طيفكم يؤنسني وقت المنام .
كلّما هبّت إلينا ريحُكم ، حملَتْ شوقي اليكم والهيام .

ليتَ شعري ! هل إساري صائر لفكاكٍ ، وقيودي لانفصام ؟
هل الى لبنان لي من عودةٍ ، فترى عينايَ هاتيك الاكام ؟
هل ينوب الدهرُ يومًا ، وارى مع مَن فارقتُ ، للشمل التئام ؟
ان يشأ يجمعْ الهي شملنا ، وبرآكم يبلغني المُرام ؛
واذا بالبعد يقضي ابدًا ، فعليكم . وعلى الشام السلام .

تاريخ الآداب العربية

اراد الاخ ساروفيم ان يُدخل شيئاً جديدًا في التعليم العربي، على عهد ادارته في القدس الشريف ، فاخذ يضع فصولًا مختصرة في الادب العربي ، ويلقيها على التلامذة في حين لم تكن مدرسة تعتني بتاريخ الآداب . وما لبث خبر هذه البدعة ، اي تقريب تاريخ الادب العربي من افهام الطلّاب ، ان انتشر في القدس . فتوارد الاساتذة من مدارس عديدة يسألون الاخ ان يسمح لهم بنسخ شيء من فصوله وان كانت في الغالب تتفاً لا لحمة بينها . ثم رغبوا اليه ان يلقي سلسلة محاضرات تكون انموذجاً للاساتذة في التدريس ، ففعل .

على انه لم يكن يفكر اولًا بان يضع كتاب تاريخ اداب ، انما كانت غايته افادة تلامذته ، بكتابة بعض مقالات عن الادب والعلوم والفنون عند العرب . ولكن افتقار لغتنا حينذاك الى مثل هذه الكتب المدرسية ، دفع كثيرين فحثّوا الاخ على مواصلة العمل ، وترتيب ما سبق له فكتبه ، وكان

ذلك سنة ١٩٠٦ . فشمّر ، رحمه الله ، عن ساعد الجد ، وشرع في اعادة النظر في المقالات الافتتاحية لكل عصر، تلك التي جعلها كمحور يدور عليه فنّ تاريخ الآداب ، كما صرّح بذلك هو نفسه في رسالة لاحد تلامذته واصدقائه في ٤ تشرين الثاني ١٩١٤ ، اذ سأله هذا عن كيفية استعمال الكتاب ، فقال ، رحمه الله ، ذاكرًا محتويات كتابه حسب اهميتها :

« المحور الذي يدور عليه فنّ تاريخ الاداب ، انما هو المقالات الانتقادية . وبناء عليه يحسن ان يوجّه المعلم التفات تلامذته اليها ، بمعزل عن التراجم والمنتخبات . غير ان بين هذه المقالات تفاوتاً في الاهمية . فحسب الطالب من المقالة التمهيدية ، التي في صدر الكتاب ، ان يقرأها بتروّ ، دون ان يضيع بها وقتاً . واذا وصل الى « اللغة في الجاهلية» زاد في التروّي والتمعُّن ، بحيث يجيب اجوبة صريحة على الاسئلة التي يهيؤها ويلقيها عليه المعلم . وهذه الاسئلة من الضرورة بمكان ، وبدونها يُخشى على المعلم ان يضيع وقت الطالب . وهكذا يجري في كل فصل من الفصول الخاصة باللغة . واما الفصول الثانوية : كالمؤرخين ، والجغرافيين ، والفقهاء ، والاطباء ... فيُترك الطالب حُرًّا في مطالعتها ، ان شاء ، للفائدة والتفكهة

« وبعبارة جامعة ، يتحتم على كل تلميذ معرفة المقالات الانتقادية معرفة كافية تمكنه من الجواب على اسئلة استاذه . ويطلب ممن رُزقوا ذاكرة حسنة ان يعرفوا عددًا من الشعراء والادباء الذين عاشوا في المدة المعينة . وان استطاع الطالب ذكر لمعة من ترجمتهم ، ونبذة من اقوالهم ، فذلك غاية ما يجوز ان يتقاضاه المعلم . ومهما يكن من مقدرة الدارس ، فلا بدّ ان يتجنب مدرّسه طلب حرفية المقالات ، والّا اصبح درس التاريخ عناء وشقاء وخسارة وقت .

« ثم ان « فهرس المواد » هو بمثابة جدولٍ للكتاب . فمن مطالعته ، يرى التلميذ بلمحة تقسيم تاريخ الاداب الى اطوارٍ مختلفة ، باختلاف احوال اللغة .»

فترى انه عُني بوضع المقالات اكثر من التراجم ، وجعلها الكل في الكل في كتابٍ دعاه في رسالة اخرى، سنة ١٩١٢، «ثمرة تعب اربع سنوات قضيتها في

البحث والتنقيب والتحقيق ، في مؤلفات عديدة ، وذلك ما سبب تطلعي بهذا الكتاب الذي هو زبدة مباحثي في اللغة وآدابها.»

ومتى عرفنا ان كتاب الاخ ساروفيم كان اول كتاب مدرسي شامل ، لم يتمكن فيه المؤلف، رحمه الله، من الانتفاع بالتطوّر الذي طرأ على فنّ تاريخ الآداب منذ ٢٥ سنة ، زال الداعي الى تنديد بعضهم فيه ، ومعاتبتهم اياه لبعض الغلوّ في المديح المصدّر به تراجم بعض الشعراء والعلماء . فلو انتقل هذا البعض الى زمن المؤلف، لأدركوا أنه لطف كثيراً مما كان شائعاً اذ ذاك ، وشقّ طريقاً لم يكن مطروقاً بعد .

فضلاً عن ان المؤلف لم يكتب ترجمة الّا ذيّلها او صدّرها، أو أضاف الى حادث ذُكر فيها، رأيه والوجه الأصوب الذي يراه في الحادث او القول المذكور.

أما في تبويب الكتاب ، فاتّبع الاخ ساروفيم سياق الحوادث التاريخية ، لثلاث غايات: الاولى: ليتعلم الطالب تاريخ العرب ويُلمّ ببعض الحوادث والوقائع المشهورة ولا يظلّ ، في جهل تاريخ الجزيرة وسورية والاندلس والمغرب العربي، على الحالة المعيبة التي كان ولا يزال كثيرون يرتعون فيها . والغاية الثانية : تدريب الطلّاب على فن الانتقاد ، بما يراه في المقالات ؛ ثم تعويده الانشاء المرسل وهي الغاية الثالثة من اتقان وضع الكتاب .

وان أضفنا الى ذلك ان المؤلف كان بعيداً عن مصر ، عندما طُبع كتابه سنة ١٩١٤ للمرّة الاولى ، وانه كان جاور ربّه ، عند ما طبع الطبعة الثانية ، زال عجب من يرون في كتاب الاخ ساروفيم عيوباً كان يمكن تلافيها واصلاحها : كالاغلاط في ضبط اسماء الاعلام ، وتحريف بعض بيوت الشعر ، وعدم الاستثبات الكافي في تواريخ المترجمين ، وضرورة تمحيص بعض الحقائق التاريخية . . .

هذا ، وتتمة لازالة الوهم ورفع الذم عن المؤلف ، رحمة الله عليه ، أذكر القارئ ان الاخ ساروفيم بُلي منذ السنة ١٩٠٦ بداء الصدر الوبيل ، وكثيراً ما كان ينقطع عن الكتابة والتعليم مدةً ، لعارض هائل من علته القتّالة.

(له صلة)

قبضاي !

مهزلة ذات فصل واحد

كتبت لتلامذة المدارس

بقلم يوسف غصوب

٢

المشهد السابع

شجاع . رفيق . نفطويه . نديم

رفيق : من أطفأ هذا القنديل ؟

(يضيء القنديل فيظهر في صدر الدار نديم ونفطويه خارجين من الغرفة وبين ايديهما قنينة من النبيذ ، وقد قبض نديم على معصمها وهما يتجاذبانها) .

نديم : ما قولك في التنازع ؟

نفطويه : التنازعُ توجُّهُ عاملينِ الى معمولٍ واحدٍ .

(وهما يتجاذبان القنينة اقتربا من شجاع) .

نديم : وايّهما الاحق بهذا المعمول ؟

نفطويه : العاملُ الاقربُ .

نديم : اذا فاترك القنينة ، انا هو العامل الاقرب .

نفطويه : (يترك القنينة) ولكن لا بدَّ للعاملِ الآخرِ مما يرضيه .

(يصيح شجاع بين نديم ونفطويه)

نديم : (يصفع نفطويه) خذ هذه ، يا نفطويه ، افترضيك ؟

نفطويه : مكانكَ ، يا لئيمُ ، فانك اهنتني .

نديم : وهل تكبر عن الاهانة ، يا مفعولاً مطلقاً . فانك فضلة في الكلام ، منصوبٌ دائماً للاهانة .

نفطويه : احفظ كلامكَ وإلّا . . .

نديم : وإلّا . . . ؟

(يتضاربان فيقع اكثر الضرب على شجاع)

شجاع : (ينتبه مذعوراً كانه يستيقظ من النوم) اين انا ؟ . . .

رفيق : (يفرق نديماً ونفطويه احدهما عن الاخر وهو يخاطب شجاعاً) : رفقاً بهما ، يا شجاع فانهما لا يدريان ما يصنعان . فان الخمرة قد اخذت منهما كل مأخذ (يخاطب نديماً ونفطويه) افي مثل هذه الساعة ؟ . . . أنسيتما ما نحن فيه ؟

نديم : الم تسمع ما قيل في هذا النحوي :

أحرقه الله بنصف اسمه وخلف الباقي عويلًا عليه ؟

رفيق : (يأخذ نفطويه بيده) هيّا بنا ، نفطويه .

(شجاع يعود الى حالته الاولى)

نفطويه : وحرمة الصرفِ والنحوِ ، لولا رفيقٌ ، لأريتكَ الجحيمَ .

(يخرج نفطويه ورفيق)

نديم : ألم يكفك ما لقيت من هذه ؟ (يريه يده)

نفطويه : (من الخارج) سوف يكونُ لكَ يومٌ تنتصفُ فيهِ .

رفيق : (من الخارج) هيّا ، نفطويه .

نديم : وافقك النحس الشديد ، يا ابا عمرو وزيد .

المشهد الرابع

شجاع . نديم

نديم : (يأخذ كأساً ، ويصبّ فيها خمراً ، ويتأملها قليلًا ثم ينشد) :

يا خمرَ ما اجملكِ ! فيكِ المنا .
فالقلبُ اذ واصلكِ ، نال المنا .
دومي لنا ، دومي لنا ، طول المدى .
إن ترحلي ، يا خمرنا ، حلّ الردى .

(يشرب نصف الكأس ويضعها على الخوان . ثم يقترب من شجاع فينظر اليه ويقول على حدة) :

ارى ان الاسد واقع في اشراك الافكار ، آخذ بالكفارة عن تلك الاخبار ، متأمل في عواقب الكذب ونتائجه ، عازم ان لا يعود بعدها الى الاختلاق والافتخار . فلنُنمه هومه بكأس من الخمر الرحيق . (يقترب من شجاع ويهزّه بكتفه) ما لك ، يا اشجع الناس ، تضرب اخماساً لاسداس ، كانك في نعاس ولا نعاس ؟ هل جاءك شيطان يوسواس ، فزعزع من بنائك الآساس ؟ فان كان ذلك ما في الراس ، فعليك بهذي الكاس .

شجاع : (كأنه مستيقظ من النوم) من يكلمني ؟

نديم : نديم الناي والعود ، وحليف الحظ والسعود ، وصاحب العلم المعقود ، في جيش الخمر المعهود . تلتفّ حواليه الجنود ، بين وقوف وسجود ، كانه الصنم المعبود . فان نزلت بك شدّةٌ كؤود ، واردت الى الفرج العود ، فقف في ظلّ البنود ، واشرب عصير العنقود ...

شجاع : دعني ، يا نديم ، واعفني من سجعاتك .

نديم : اذ ذاك ترى الارض تدور ، بين جنانٍ وقصور ، وقد اخذ منها السرور ، فهي في رقص وحبور ، يستخفّها من الطير الهدير ، ومن الجدول الخرير ، ومن الريح الزمهرير ، ومن الاسد الزئير . وكل هذي الامور ، صدرت ونعم الصدور ، عن هذا الكوب المنير ، الحابس هذا النور .

شجاع : أبٍ لك من احمق !

نديم : او لمثلي تقول هذا ؟

شجاع : لقد ابرمتني بكأسك وعنقودك ، ونورك وزئيرك ، وهديرك وخريرك .

نديم : ما انت اول واحد ابرمته ، لا ، لا ، وحقك لستَ اولَ واحدِ

كم من فتى قد ذاق طعم مدامتي فغدا يدوّم كالغراب الصائد

وان كنت في شكٍّ مما اقول ، فادن هذا الى شفتيك ، تدُرِ الارض حواليك ، وترقص الامتعة بين يديك .

شجاع : دعني ، وحقك ، يا نديم !

نديم : وحق الخمر والشجاعة ، لا بد من هذه الطاعة .
شجاع : اني سكران فلا ترد .
نديم : لك ابوك ، يا احمق ! او لم تسمع ما قال ابو نواس :

وداوني بالتي كانت هي الداء

أو ما قال الاعشى :

وكاس شربت على لذةٍ ، واخرى تداويت منها بها

أو ما قال ابن دريد :

حيناً هي الداء ، واحياناً بها من دائها ، اذا يهيج ، يُشتفى !

أو ما قال المجنون :

تداويت من ليلى ، بليلى ، من الهوى ؛ كما يتداوى شاربُ الخمرِ بالخمر

او ما قال صديقك النديم :

لكل داء يا فتى طِبٌّ له يشفيه ؛
والسكر لا يشفيه الّا خمرةٌ منه وفيه .

فاشرب على بركة الله .

شجاع : دعنا والخمر ، يا نديم ، واصدقني فيما انا سائلك افلا توجس خيفة ؟
نديم : خيفة ! وربك ما خُلقت لاخاف ، وهبْ اني كنت اجبن الجبناء ، وعاشرتك ساعة ، بل دقيقة ، بل ثانيةً ، لكفى . افلست الشجاع الشجاعَ قاتل الاسد في آجامها ، ومهلكَ اللصوص في معاقلها . وكيف يتسرّب اليّ الجبن وانا في قربك مستند الى ذراعك ؟
شجاع : صدقت ولكن . . .
نديم : ولكن ؟ . . . وما تعني بلكن ؟ ارى انك تسخر بي او بلغت بك شجاعتك الى اهانتي ؟ وراسي ، ما خلقت للاهانة :

لا تسقني ماء الحياة بذلة ، بل فاسقني بالعز كاس الحنظل ،
ماء الحياة بذلة كجهنم ، وجهنم بالعزّ اطيب منزلِ !

شجاع : علمَ الله ، ما اردتُ ذلك .
نديم : وايّ شيء اردت ؟

شجاع : لم ارد شيئاً.

نديم : او تستجهلني الى هذا الحدّ ؟

شجاع : ما بال شيطانك اليوم ، دعني فلم ارد شيئاً.

نديم : ان كنت صادقاً فيما تقول فاشرب هذه الصبابة . (يقدم له الكاس)

شجاع : لا تطيب نفسي.

نديم : طابت او لم تطب ، فاشرب ، وحقّ الشجاعة.

شجاع : اعفني ، عافاك الله !

نديم : لا بدّ لك منها ، والا فانت كاذب.

شجاع : (على حدة) اني اعرفُ منك بذلك. (يأخذ الكأس ويخاطب نديماً) : انك تُركبني مركباً صعباً.

نديم : ان الخمر تهوّنه عليك.

شجاع : (يشرب الكأس) قد ظلمتني ، يا نديم.

نديم : انتقم لك الله . اما الآن ، فغنني صوتاً تطيب له نفسي . فقد قيل لي انك شجيّ الصوت.

شجاع : (يتنصّت كانه يسمع شيئاً) الم تسمع كأن شيئاً يتحرّك في هذه الغرفة ؟

نديم : هو الهرّ يتصيد الفار ، او هو الفأر ناقب في الجدار ، فاترك الاثنين وشأنهما وغنّني صوتاً يطربني . ما لك لا تحرّك ساكناً ولا تسكن متحركاً ؟ اكذا تكون الألفة والصداقة. وربك انك تكتمني سرّاً.

شجاع : لا لا وحقك ... ولكن ...

نديم : لكن ... ولكن ... وما وراء هذه اللكن ؟ اراك شارد الفكر ، حائر النظر ، ناصب الاذنين ، كانك تنتظر الصاعقة . وحقك قد صعقتني بسكونك ونكدت على ليلتي ، وعكرت صفاء خمرتي (يريه الكاس) الا يسرّك هذا الوجه الصبيح ؟ الا تشوقك هذه الشمس المشرقة ؟ سرّ عنك يا صاح واجلس اليّ ، وغنّني . اعجب كيف لم تلعب الخمر برأسك ، ولم تدرِ الارض بك ، ولم تبتسم الحياة لك.

شجاع : اني اشعر بالجبال على رأسي .

نديم : فالقها الى الحضيض .

شجاع : وكيف ذلك ؟

نديم : بكأس من الخمر طافحة .

شجاع : انك تسخر بي في مصابي .

نديم : وما مصابك ، يا صاحِ ، اجاءك خبر بموت ابيك ؟

شجاع : لا .

نديم : اماتت امك ؟

شجاع : لا .

نديم : اهُدم بيتك ؟

شجاع : لا .

نديم : اذهبَ عقلك ؟ وربك ، لم تبقَ مصيبة الا عددتها لك . أهكذا تكون الشجعان ؟

شجاع : دعنا والشجاعة يا نديم .

نديم : ماذا ؟ ادعك والشجاعة ؟ انها لاول مرة سمعت منك ما سمعت ، وما كنت تُسمعني في ما مضى الا قولك : لا اخاف الا هبوط السماء على الارض ، او وثوب الارض الى السماء .

شجاع : (بعد ان يصغي قليلاً) الا تسمع ، يا نديم ، حسيساً وحركة ؟

نديم : بلى وربك (على حدة) قد جاءت الساعة (يخاطب شجاعاً) ما عسى ان يكون ذلك ؟

ماكر : (يصيح من الخارج) : يا فاتك ، أجهز عليه ، فانه لا يستحق الحياة . وانتم اتبعوا الفارّين ولا ترجعوا الا برأسيهما . ومن خالف امري فالويل له ثم الويل .

شجاع : اللصوص اللصوص ...

نديم : اللصوص ؟ ... لله ابوهم قد وقعوا بين يديك . حامك ، يا شجاع .

ماكر : (من الخارج) يا هول ، ويا هويل ، أدخلا بصحبتي فلا بد لنا من لقاء هذا الشجاع .

رفيق : (من الخارج) لو نظرنا في هذه الغرفة ...
ماكر : (من الخارج) حطّمْ هذا الباب.
شجاع : قد هلكنا ، قد هلكنا . اين المفرّ ؟
نديم : لا خوفَ علينا ، فانهم لا يتجاوزون عدد الاصابع (يُسمع صوت سقوط الباب)
ماكر : (من الخارج) ادخل وانظر، ونحن في انتظارك.
نفطويه : (من الخارج) قد قضى ماكرٌ نحبَهُ !
ماكر : (من الخارج) لا رحمه الله !
شجاع : ويلي ، يا نديم !
نديم : ماذا ؟
شجاع : كيف السبيل الى الفرار ؟
نديم : ماذا ؟ أشجاع يخاف اللصوص ؟
شجاع : اين حسامي ؟ اين حسامي ؟
نديم : هاك حسامك ، يا شجاع . يا ويلهم من حسامك وساعدك . فانهما لتخلد لك ذكرًا وتسيّر لك اسماً على ممر الدهر (يذهب نحو الغرفة)
شجاع : الى اين يا نديم ؟
نديم : اني ذاهب لاخذ حسامي ، فاني قد تركته في هذه الغرفة .

المشهد التاسع

شجاع وحده

شجاع : اسرع يا نديم فقد هلكنا ... ويلي ... (يدور على المسرح) ترتعد فرائصي خوفاً ... وترتجف رجلاي رعباً .. اين انا ؟ كيف النجاة ؟ . اين المفرّ ؟ .. من يردّ لي الحياة ؟ .. آه ! ربي ! .. ويلي ! .. ويلي ! .. (يختبئ في الصندوق)

المشهد العاشر

ماكر (هائل) ورفيق (هول) نفطويه (هويل) — ثم نديم وشجاع

ماكر : (في ثياب لص) عجباً اما من احد هنا ؟ (يخاطب رفيقاً ونفطويه) تفرّقا في الغرف ، وافتكا بمن تجدانه ، ولا تتركا نساء ولا اطفالاً . . واحذرا شجاعاً ، فقد قيل لي انه ، اذا استلّ حسامه ، لا يثبت امامه الا من ليس له رغبة في الحياة . (يتفقد الدار) لا ارى احداً هنا ، وانا في حاجةٍ الى الدماء . . . الدماء ، الدماء . . . شرب الدماء . لست مفتقراً الى المال ، اني مفتقر الى الرجال ، اروني رجلاً . . . ما هذا السيف ؟ . . سيف شجاع . . اسمه عليه . . .

رفيق : (يصيح راجماً) شجاع ! شجاع !

نديم : مكانكم يا لئام ، مكانكم . الا تهابون شجاعاً ؟

ماكر : افأنت هو ؟

نديم : يا شجاع ، يا شجاع ، اليَّ ! اليَّ !

ماكر : يا احمق ، ان شجاعاً لا يسمع .

نديم : وراسي ! لو سمعك ، لبراك كما يُبرى القلم .

ماكر : لسانك ، يا وغد ، والّا . . . ان حسامي يتضجّر في قرابه .

نديم : لا بدّ ان يأتيك شجاع ، فترى كيف يريق الصوارم .

ماكر : الق حسامك والّا . . .

نديم : (يلقي حسامه) ان تقتلني ، فورائي شجاع .

ماكر : وامامك شجاع . يا اذلّ من وتد . هاتِ يديك .

نديم : وما تصنع بيديّ ؟

ماكر : اصنع بهما يداً واحدة .

نديم : اني افضّل اليدين .

ماكر : هات والّا ... (يقيّده)

نديم : ان السلاسل في يديّ م أيا شجاع ، ولا تسارع
ماذا التأمل في اللقا ء ، وانت للاسد تصارع !
كم من عدوٍ قد قتلـ ت ، وكم شهدت من المواقع !
والسيف في يمناك لم تضرب به الّا وقاطع .

ماكر : صه ، يا خبيث ، اما كفاك ندبة واستغاثة ؟ . . (يخاطب رفيقاً وقطويه) الم ترَيا احداً ؟ . . عجبٌ ، اين فرّ شجاع ؟ . . . ارى خمرًا على هذه الطاولة . فاجلس امامي يا هويل ، واجلس على هذا الصندوق يا هول ، فان لم يكن ناس فكاس .

نديم : أواه ! اواه ! ايا خمرتي ، قد ذاب قلبي عند ذكراكِ
قد متّ ماسورًا ، ولا راحم يصغي لقول التاعس الشاكي .
اين الشجاع ؟ واين صارمه ؟ اين المنا في حسن مرآكِ ؟

ماكر : الا تنتهي ؟ وراسي ان سمعتك بعدها قطعت لسانك . ما لك لا تجلس يا هول ؟

رفيق : ان الصندوق يتحرك .

ماكر : ان عقلك يتحرّك . اجلس .

رفيق : لا ، وحقك يتحرك (يفتح الصندوق فيجتمعون حوله) رجلٌ ، وحقك رجل .

نديم : شجاع في مكمنه . الويل لكم ، ايها اللصوص !

ماكر : (بعد ان يخرج شجاعاً من الصندوق) ما كان ظنّي بك يا شجاع ان تعمد الى الخداع . فقد حسبتُ انك تلاقينا وجهاً لوجه ، وتبرز لنا برزة الابطال ، وكنت اجلّ قدرَك وارفعك عن الخيانة والغدر . فاذا انت تكمن لنا لتأخذنا غيلةً . قد كمن ماكرٌ ، فلقيَ حتفه . وصاح نديم ، فهو في القيود . فخذ سيفك وامتنع ولا تقل ان هائلًا يأخذ غدرًا . ما لك لا تقبض على حسامك ؟ الستُ بكفوء لك ، فتستخفّ بي ؟

شجاع : لا لا ، وربك.

ماكر : ماذا اذن ؟

شجاع : اني لا احسن المسايفة.

ماكر : قد تُحسن المطاعنة بالخناجر . خذ هذا الخنجر ، واثبت.

نديم : ارهم زندك ، يا شجاع . فانهم لا محالة هالكون.

رفيق : انه لا يحسن الطعن بالخناجر ، فاعرض عليه المصارعة.

ماكر : اوَ تودّ المصارعة ؟ فاثبت. (يشمّر عن ساعديه) انه كالصخر الجامد ليس فيه ما يدلّ على الحياة . أَلِمثلِ هذا سار ذكرك وعلا قدرك ؟ لا امّ لك ، يا اجبن الجبناء واكذب الكاذبين . خذها من يدي (يوهم انه يطعنه بالخنجر)

شجاع : (يخرّ ساجداً) رحماك ! رحماك ! حياتي ! حياتي !

ماكر : لا رحمة للخادعين ! خذها. (يقع شجاع مغشيًا عليه) قد أُغمي عليه..

الجميع : (يضحكون) يا له من شجاع !

نفطويه : لا بدّ للرجلِ من الاختبارِ ، كما انه لا بدّ للمبتدا من الخبرِ.

انّ الرجال صناديقٌ مقفّلةٌ وما مفاتيحُها الّا التجاريبُ !

(يسقط الستار)

شذرات

مؤتمر المستشرقين الدولي الثامن عشر

عُقد المؤتمر الدولي الثامن عشر للعلماء المستشرقين في مدينة ليدن (هولاندة) من ٧ الى ١٢ ايلول. وسنوافي القراء الكرام بخلاصة ابحاثه فور اطلاعنا عليها. وقد تقرر عقد الاجتماع المقبل في رومة سنة ١٩٣٤ .

المسافرون والقادمون والمصطافون

وضعت المفوضية العليا احصاء رسمياً عن عدد المسافرين من هذه البلاد ، والقادمين اليها ، والمصطافين ، فبلغ عدد المسافرين او المارّين من البلاد المشمولة بالانتداب الى بلاد العرب ، والعراق ، وفارس ، والبلاد المجاورة لها ، في سنة ١٩٢٩ ٧٨٣١ شخصاً ؛ والقادمين منها خلال المدة المذكورة ٧٣٩٣ شخصاً. وفي السنة الماضية بلغ عدد المسافرين ٨٣٦٦ والقادمين ٧٣٣٤ شخصاً.

وبلغ عدد المسافرين في الستة الاشهر الاولى من هذا العام ٣٩٥٠ شخصاً ، والقادمين خلال المدة نفسها ٤١٥٠.

اما المصطافون فقد بلغ عدد الذين أمّوا البلاد اللبنانية منهم في السنة الماضية قصد الاصطياف ٦٥٦٣ شخصاً ، منهم ١٣١٧ من العراق ؛ والبقية من القطر المصري ، وفيهم عدد قليل من ابناء القطر الفلسطيني . وبلغ عدد الذين قدموا للاصطياف في هذا العام لغاية اول ايلول المنصرم ٣٤٢٠ من مصر ، و١٦٣٠ من القطر العراقي ؛ و٤٩١ من فلسطين ، و٧٦ من شرقي الاردن ، و٥١٥ من مختلف البلاد المجاورة ، فيكون المجموع ٦١٣٢.

وهذا العدد لا يشمل طبعاً ابناء سورية الذين قدموا للاصطياف في لبنان.

الشيك

البراغيث حشرات تؤذي الانسان وتضايقه في كل انحاء المسكونة ولكنها في البلاد الحارة اشد مفعولاً واعظم وطأة . ومنها نوع يدعى « الشيك » يلتصق

بجسم الانسان فيولّد بعض الاحيان حوادث خطرة من الامراض الجلدية.

و« الشيك » لا يكتفي كسائر البراغيث بامتصاص الدم والانصراف ، بل ان انثاه تدخل في الجسم ، اذا ما انتهى زمن اللقاح ، وتبقى هناك حتى تكبر بيوضها وحينذاك ينتفخ بطنها ، حتى ان الحشرة التي كانت لا تتجاوز الميلمتر تصبح كحبة الحمص كبرًا فتولد الورم والحكاك الكثير في الجلد.

ويعيش هذا النوع في الاحراج والعشب اليابس وخصوصاً في الارض الرملية ، ويكثر في شطوط افريقية الغربية. ويفضل « الشيك » قوائم الحيوانات وارجل الانسان فيدخل فيها. وبعد ان يحدث جرحاً صغيرًا يبدأ الوجع والورم المؤلم اذا تركت الحشرة . وعلى ساكني تلك البلاد ان يفتشوا كل صباح في اعضائهم السفلى عن هذا العدوّ الغريب.

عدد السكان في ايطاليا واليابان والصين

اجري في شهر نيسان الفائت إحصاء جديد في ايطالية كانت خلاصته ان عدد سكانها يبلغ الآن ٤٢,١٥٨,٨١٧ نسمة.

واجري ايضاً احصاء جديد في البلاد اليابانية فظهر ان عدد سكانها يبلغ ٩٠,٤٠٠,٠٠٠ نسمة ، وكان سنة ١٩٢٥ يبلغ ٨٣,٤٠٠,٠٠٠

وقد قامت وزارة الداخلية الصينية باحصاء رسمي لعدد سكان الصين على اختلاف اجناسهم واديانهم ومقاطعاتهم فبلغ عددهم ٤٧٤,٧٨٧,٠٠٠ نسمة.

آثار قديمة في شرقي الاردن

من اخبار عمّان ان قد عثر فيها على آثار قديمة منها اباريق فخار صغيرة الحجم جدًّا ، ورأس كبش من فخار يظهر انه كان يستعمل عوضاً عن حنفية ماء يصبّ الماء من فمه ، وله قرنان مفكوفان في جبهته.

وعثروا كذلك على تمثال رأس منقوش على حجر ابيض مشوّه الوجه قليلًا إما من ضربة فأس او من سقوطه من مكان عالٍ ، ويظهر انه يمثل احد الكهنة الاقدمين او احد الفلاسفة.

مطبوعات شرقية جديدة

H. Lamb : La vie de Tamerlan, *traduit de l'anglais par* **Pierre-Jean Robert.** [*Vie des hommes illustres, n° 69*] *Prix* : 15 *f*. *Librairie Gallimard, Paris.*

حياة تيمورلنك

يعرف جمهرة المثقفين تيمورلنك فاتحاً عظيماً قهر السلطان بايزيد ، فاوقف مدة طويلة نمو تلك الامبراطورية التي كانت تتهيأ لفتح القسطنطينية والبروز الى اوربة . ولكنهم قلّما يعرفون بالاجمال من كان ذاك الفاتح ، وكيف نشأ فتوصّل الى مركزه السامي ، وما هي البلاد التي اكتسحها . كلها اسئلة يرون عنها الجواب الشافي في هذا الكتاب ذي الاسلوب الطلي اللذيذ من اوله الى آخره ؛ وهو ترجمة حسنة ، على ما يظهر لنا ، لكتاب انكليزي معروف . هذا وان له مقدّمة يجدر بالمطالع ان ينتبه لها فيعرف ان الكتاب ، على رشاقته ولذته ، ذو قيمة علمية جدّية . ج.ل.

Raymond O'Zoux : Les états du Levant sous mandat français. *in-8°*, 329 *p. Paris, Librairie Larose*, 1931.

دول الشرق المشمولة بالانتداب الفرنسوي

طبع هذا الكتاب في سبيل المعرض الاستعماري جامعاً كثيراً من المعلومات المفيدة . وقد شاء المؤلف ان يكون في كتابه وضعياً غير متأثر بشيء ، فكان له ما شاء . وهو ، بعد ان يبدأ بلمحة جغرافية ضرورية ، يبحث في سكان البلاد ، والنظام الاداري والسياسي فيها ، وحياتها الاقتصادية . والكتاب مزين بثماني صور وبخارطتين كبيرتين .

F. Eygun : Architecture romane. [*Bibliothèque catholique des Sciences religieuses.*] 12° 244 *pp. Paris, Librairie Bloud et Gay.*

هندسة البناء الرومانية (القرون الوسطى)

كتاب واضح كثير الفائدة لما فيه من المعلومات المرتبة ترتيباً حسناً ، يزيده

جمالًا عشر لوحات تصويرية رسمها المؤلف نفسه ، وهو يبدأ في القسم الاول بدرس اصول الفنّ المذكور ، منتقلًا في القسم الثاني الى درس عناصر هذا الفنّ، خاصاً القسم الثالث بذكر الآثار المهمّة وترتيبها حسب مناطق وجودها وعصور بنائها . ثمّ يختم الكتاب بملحقين يخصّ الاول بهندسة بناء الاديار ، والثاني بملحقات الكنائس ، وينتهي البحث بجدول المآخذ. ج.ل.

Massimo Adolfo Vitale : Il cammello ed i reparti cammellati. [*Collez. di opere e di monografie a cura del ministero delle colonie, n° 11*] *in-8° de* 294 *pp.* 46 *illustr. hors page, Pirx : Lire* 25. *Sindacato italiana arti grafiche, Roma.*

الجمل وما اليه

مؤلف الكتاب من ضبّاط المهاريّين اراد افادة زملائه فجمع لهم كل ما يحتاجون اليه من معلومات عن الابل المهريّة وطريقة ترويضها ومعيشتها . يبدأ الكتاب بفصل تاريخي عن الابل عامّة وعن الابل المهريّة خاصة فيدرس ما يخصّ النوعين من شروط الحياة والامراض ودوائها ، وانواع الاغذية ، وطرق التربية وكيفية ترويض المهاري لمساعدة رجال الجيش ، وتنظيمها الى قوافل او فرق عسكرية الى غير ذلك مما يفيد ارباب هذا الفنّ . وقد زيّن الكتاب بعدة صور حسنة بالاجمال. ج.ل.

Georges Goyau, *de l'Académie française* : Missions et Missionnaires. [*Bibliothèque catholique des Sciences religieuses.*] *in-12,* 262 *pp. Paris, Bloud et Gay.*

الرسالات والمرسلون

هو تأليف طريف يدرس فيه الكاتب تطوّر فكرة الرسالات الدينية في مختلف العصور ، فيبيّن ان في الماضي جرثومة هذا الازدهار الحالي . وذلك في صفحات تاريخية أتت في حينها اليوم ، وقد كثرت التآليف عن الرسالات وارباب ، فظهرت اتمّ شروطاً واوفى معلومات من كثير من تلك الكتب. واذا كان لا بدّ من الاشارة الى بعض اقسام الكتاب فاننا نشير الى الفصلين الجميلين المختصّين بالبروباغندا وبفريفوريوس السادس عشر، ففيها معلومات تظهر طريفة للكثير

من القراء . هذا وفي آخر الكتاب ملحقان خصّ الاول بذكر الثمار الاجتماعية والعلمية الناتجة عن الرسالات ، والثاني يذكر تنسيق المرسلين. ج.ل.

Mgr A. Boucher : L'action missionnaire. *in*-12, 224 *pp. Paris, Bloud et Gay*, 1931.

عمل المُرسَلين

يجمع هذا الكتاب خمس محاضرات القاها المؤلف في معهد بيوس الحادي عشر ، مواضيعها : الرسالات وتوجيهات البابا ، اعمال التعليم ، اعمال الرحمة ، الاكليروس الوطني ، المعضلة الاجتماعية. ويردف كل فصل بجدول بالمآخذ.

فيبدو الكتاب نظرة شاملة على اعمال المرسلين المختلفة يفيد الفائدة الجمة من اراد الاطلاع على ما يفعله جنود الكنيسة في اقاصي ارساليّاتهم. ج.ل.

Pierre Lhande s. j. L'Evangile par dessus les mers. La France missionnaire, radio-Sermons 1931. *in*-12, 187 *pp. Paris, Editions Spes.*

الانجيل فوق البحار . فرنسة المُرسَلة

هي العظات التي كان يلقيها حضرة الاب لاند بواسطة الراديو مدة الصوم الكبير هذه السنة ، وموضوعها فرنسة المُرسلة ، وفضائل المُرسلين . وقد زاد عليها الخطيب مقدّمة اذاعها كخطبة الاحد وهي ذات فائدة جزيلة لما جمع فيها من اقوال ساميه وآرائهم في تلك الطريقة . وختم الكتاب بفصل عن البابا امام آلة الراديو . فاضحى الكتاب ذا قيمة جديرة بان تنيله رواجاً كبيراً.

P. Pourrat : Le sacerdoce. Doctrine de l'Ecole française. *in*-18. 143 *pp. Paris, Librairie Bloud et Gay.*

الكهنوت ، عقيدة المذهب الفرنسوي

غاية الكتاب العمل على قيادة الاكليروس الفرنسوي في طريق التقوى والصلاح الى الكمال ؛ فجمع فيه صاحبه منتخبات عدة لكتاب الفرنسويين تُظهر كلها المثال الاعلى للكهنوت ، وقد وزّعها على طريقة وزينة تدور حول كهنوت المسيح ، وكهنوت الكهنة . وبين المنتخبات قطع غاية في الذوق والسموّ بالنفس لكتّاب قليلي الشهرة . وقد فكرنا مراراً ، ونحن نقرأ

الكتاب ، بتطبيقه على بلادنا . فرأينا ، لاسباب لا لزوم لشرحها ، ان نشر هذا المؤلف بين اكليروسنا بل ترجمته الى العربية تأتي بالفائدة الجزيلة ، هـذا اذا تقرّر ان كمال الكهنة وصلاحهم يؤول لمنفعة الشعب وخير البلاد. ج.ل

G. Sagehomme s. j. Répertoire alphabétique de 7000 auteurs avec indication de la valeur morale de leurs 32 000 ouvrages (romans et pièces de théâtre.) *in*-12 *de* 600 *pp. Prix* : 18 *f°. Editions Casterman, Paris.*

جدول ابجدي لسبعة آلاف مؤلف مع الاشارة الى القيمة الاخلاقية في آثارهم البالغة ٣٢,٠٠٠ رواية

مهما ذكرنا عن منفعة هذا الكتاب فـلا نبالغ . لانه يجيب عن سؤال كثيراً ما نسمعه : « ايّ كتاب يمكني ان اقرأ من مؤلفات فلان او فلان ؟ » فيجيبه الكاتب بكل وضوح، عارضاً جميع آثار كل من المؤلفين المعروفين، ذاكراً قيمة كل منها من حيث الادب والاخلاق . وعليه نرى من الضروري وجود الكتاب المذكور في جميع مكاتب القراءة ، وبين ايدي كل من يطلب منهم المطالعون نصائح او احكاماً .

E. Charles : Le catéchisme par l'Evangile, 3 *vol. Prix* : 3,50 + 15 + 20 *f°. Editions Publiroc,* 53 *rue Thiers, Marseillle.*

التعليم المسيحي بواسطة الانجيل

هي فكرة حسنة أن يُستعمل الانجيل للتعليم المسيحي . وقد قام المؤلف بتحقيقها في ثلاثة مجلدات خصّ الاول بالاحداث ، والثاني بالامهـات ومعلّمي التعليم المذكور ، والثالث بالكهنة والمـديرات . وان على من يقومون بالتعليم المذكور ان يجربوا هذه الطريقة الجديدة الموافقـة فيرون انها خصبـة بالنتائج الصالحة ، وان هذه المجلدات جديرة بان تُنشر وتُستعمل .

J. B. David : Comment expliquer la messe aux enfants. *broch. in*-12, 48 *pp. Bloud et Gay.*

كيف يجب ان تشرح ذبيحة القدّاس للاحداث

لما كان من الصعوبة بمكان ان تُشرح ذبيحة القداس لـلاولاد الصغار ، فتّش المؤلف عمّا يسهّل ذلك ، فرأى طريقة موافقة حقّقها الاختبار الطويل وهي

ان يقرأ الصغار وقت القداس ، بصوت عالٍ ، ما يمكنهم قراءته مع الكاهن من الصلوات ، ويقرأوا بصوت خافت الاشارة الى مختلف الرتب في الذبيحة. هذا وفي الكتاب جدول اجمالي يظهر الموافقة بين تضحية السيد المسيح وذبيحة القداس.

النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة

تأليف جمال الدين ابي المحاسن يوسف بن تغرى بردي الاتابكي

الجزء الاول ١٣٤٨ هـ ١٩٢٩م (ص ٤٣٦) ؛ والجزء الثاني ١٣٤٩-١٩٣٠ ص ٤٣٧

مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة ، قطع ٤

هذا كتاب في تاريخ مصر ، مرتب على السنين ، ابتدأ فيه مؤلفه بفتح عمرو بن العاص من سنة ٢٠ هـ (٦٤٠ م) وسار به الى اثناء سنة ٨٧٢ هـ (١٣٦٧م) ، ذكر فيه من ولي مصر من الملوك والسلاطين والنواب ، مع ملوك الاطراف بطريق اجمالي ؛ واتى في كل سنيه على ما وقع من الحوادث المهمة ، وذكر فيها اسماء من توفي من رجالات الاسلام واشار فيها الى زيادة النيل ونقصانه . وهذا ما رفع مكانته في كتب التاريخ العربية فنُقلت اجزاؤه الى اللغات اللاتينية والانكليزية والتركية ؛ وطبع المستشرق جونبل الهولاندي منه مجلدين ضخمين ، والمستشرق وليم بوبر الاميريكي عشرة مجلدات . ولكن الكتاب برمته لم يطبع بعد وهو يشمل اربعة عشر جزءًا بسبع مجلدات ، فاهتمت دار الكتب المصرية بنقل نسخة منه بالتصوير الشمسي عن مخطوط مكتبة آياصوفيا وباشرت طبعه واظهرت منه جزءين : الاول مصدر بمقدمة (٢٨ ص) موقعة باسم السيد احمد زكي العدوي رئيس قسم التصحيح بدار الكتب ، وهو يشمل التاريخ من السنة ٢٠ هـ - ١٤٦ هـ ؛ والثاني من السنة ١٤٧هـ - ٢٥٤ هـ وذيّلت كل جزء منهما بفهارس مفيدة جدًا تستغرق شطرًا وافرًا من الكتاب وهي بالحرف الدقيق ، فيها لوائح الولاة ، والاعلام ، والقبائل الخ ، والاسماء الجغرافية ، ومقاييس النيل ، والغزوات واسماء مصادر الكتاب ، واهم الموضوعات .

جاء في الجزء الاول ، ص ٢٦ ، عند ذكر مؤلفات ابي المحاسن ان لانحتها

نقلت عن تاريخ آداب اللغة العربية لجرجي زيـدان (ج ٣ ، ص ١٨٠) ومن الحق ان يقال ان بروكلمان الالماني سبقه الى وضعها في تاريخه للآداب العربية ، في (المجلد الثاني ص ٤٢) وقال الناشر في الجزء الاول ص ١ ، في الحاشية على السطر ٧ « اول » السبعة » ؛ وفي النسخة المطبوعة بمدينة ليدن « الشيعة » وهو تحريف » ولكن لو امعن النظر في طبعة جونبل لرأى في الحاشية الرابعة كلمة « السبعة » ويردفها A,B,E علامات المخطوطات المنوّه بها ، فلم يصب بتخطئة الطبعة اللاتينية . وقال في الجزء الثاني ، ص ٤٧ ، الحاشية ٢ : وكلمة « شنت» معناها بلد او ناحية وتضاف دائماً الى عدة اسماء . والحقيقة ان شنت في اللغة الاسبانية معناها « قدّيس » ومن المشهور ان كثيراً من مـدنهم تسمى باسماء القـديسين ... وفي الجزء الاول ، ص ٣٢ ، سطر ١٦ ، ترك نصّ النسخـة الفوتوغرافية المعتمد عليها وتبع طبعة ليدن ، وكان الاوفق ان يلازم نشر المتن المعتمد عليه مع الاشارة الى ما يخالفه في غيره من النصوص .

وكنا نود ان نرى في فهارس المواضيع على الهوامش ما يفيـدنا اكثر من هذه العبارة التي يكاد يقرأها القارئ من اول الكتاب الى آخره : « ما وقع في السنة كذا وكذا ... » وهو بغنى عن ان يلفت نظره الى الهامش وعـدد كل سنة من السنين مرسوم في اعلى الوجه . بيد اننا نحبّ ان يُلفت نظرنا الى خروج « ام عيسى ولبابة اختا الامير صالح وعمتا الخليفة للغزو وفاء لنذر نذرتاه» (١ : ص ٣٣٨ ، ١٠) والى قضية خلق القرآن وتعصب المأمون لها والى شخصية الامام احمد ابن حنبل ... وغير ذلك من المواضيع الخطيرة مما يرجى الاشارة اليه عند نشر باقي اجزاء الكتاب زيادةً في قيمة مواده . واني لاعاتبنّ نفسي على مؤاخذتي الناشر بما لا يكاد يُذكر بالنسبة الى ما استحقه من الثناء ، لولا ان مطبعة دار الكتب علّمتنا ان نتوقع منها جمال الفنّ وحسن الاتقان ودقـة النشر العلمي ، فان نوهنا بشاذة فانمـا الشاذة مؤيدة للقاعدة . فنتمنى للمطبعة ولصاحب العزة اسعد براده بك مديرهـا العالم ، التوفيق في انجـاز « النجوم الزاهرة » وغيرها من المؤلفات الخطيرة التي اخذت دار الكتب على عاتقها مهمة نشرها في حماية جلالة ملك مصر فؤاد الاول .

ف . ت .

ابن كبر

بقلم جرجس فيلوثاوس عوض

المطبعة المصرية الاهلية بالقاهرة ١٩٣١ - ٢٠٨ صفحات متوسطة

للمؤلف الفاضل جلد لا يكلّ وقلم لا يملّ تدوين مفاخر طائفته القبطية ، وكثيراً ما وصفنا له في المشرق الآثار المهمة والتآليف المفيدة . وهذا اثر جديد خصه بفيلسوف قبطي شهير نبغ في اوائل القرن الرابع عشر ، وكان قسيس كنيسة المعلقة بمصر وهو شمس الرئاسة ابو البركات ابن الشيخ الاكمل الاسعد المعروف بابن كبر . توفي سنة ١٣٢٣ تاركاً عدة تآليف نفيسة يعرف قيمتها من يطلع على هذا الكتاب الذي بدأه المؤلف بلمحة تاريخية في « ابن كبر » ونشأته ودرسه وانتخابه للقسوسية ، ومنزلته العالية . ثم تكلم عن كنيسة المعلقة في عهد راعيها المذكور ، وانتهى الى مؤلفاته فدرسها اجمالاً وتفصيلاً . وختم بذكر وفاة المترجم له . ف . ا . ب .

الاخت رفقا الريس

بقلم الاب انطونيوس شبلي اللبناني

مطبعة القديس بولس ، حريصا ، ١٩٣١ - ٧٩ صفحة متوسطة

للاخت رفقا ، المعروفة براهبة مار يوسف الضهر (١٨٣٢ــ١٩١٤) ، شهرة واسعة انتشرت في شمال لبنان واوساطه واخذت تمتدّ شيئاً فشيئاً ، لما اجرى الله على قبرها من العجائب . فكان هذا دافعاً لحضرة المؤلف فجمع كل ما وصل اليه من المعلومات عن تلك الراهبة ونشر موجزاً في حياتها على صفحات « المجلة البطريركية » ثم على حدة . واردف الكرّاس بذكر ما جرى بشفاعتها من العجائب ، وزيّنه ببعض الرسوم للاخت المذكورة ، وللدير الذي اقامت فيه ، ولبعض راهباته فاتى كتيباً لطيفاً جزيل الفائدة . ف . ا . ب .

القاموس العامي لمصر وسورية

على مجموعة امثال العوام

لواضعه نجيب نجم كرم

نحو ١١٠ صفحات متوسطة – بيروت ، ١٩٣١

هو كرّاس اشبه بدليل صغير للمصطافين جمع فيه صاحبه اقوالًا كثيرة في لبنان ، ومناخه ، وامتيازات مناطقه ، وغايته ترويج الدعاية الى قصده للاصطياف وزيادةً في فائدة من يؤمّ بلادنا من المصريين، جمع بضع مئات من الكلمات المستعملة بين العوامّ في لبنان وسورية ، ووضع ازاءها ما يقابلها في لهجة العوامّ من المصريين ، فرتّبها على الحروف الابجدية واردفها بعدد من الامثال السائرة على السنة العوامّ ، مستعملًا في ايرادها الترتيب ذاته . وقد خلّل الكتاب بكثير من الصور والاعلانات.

الحايك

١١٨ صفحة متوسطة – بيروت

هي اول شركة لبنانية للنقل والتسفير في لبنان وسورية وفلسطين والعراق، نشرت هذا الدليل ، وفيه كل ما يحتاجه المسافر من المعلومات التاريخية والجغرافية عن اهم مدن الشرق عامة ، ومدن لبنان وسورية خاصةً ، مع ذكر الابعاد بالسيارة ، وتفصيل الطرق ، ومواعيد سفر القطر والمراكب واسعار كل ذلك.

نشرة مدرسة الحكمة المارونية

٥٦ ص. متوسطة – مطبعة المرسلين اللبنانيين ، جونية ١٩٣١

هو الجزء الثاني من نشرة سنة ١٩٣٠–١٩٣١، وهي السنة الاولى لتأسيسها، ظهر بالعربية والفرنسية ملخصاً حوادث السنة المدرسية المنتهية ، وناشراً يوميات الجديدة ، مع بيان المدرسة السنوي.

※ خلاصة اعمال شركة القديس منصور دي بول في بيروت ※ عن السنتين ١٩٢٩ و ١٩٣٠ ، وهما السبعون والحادية والسبعون لعهد تأسيسها في بيروت – ٦٦ صفحة صغيرة – المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ١٩٣١ .

اهم حوادث الشرق في شهرين

١٥ تموز — ١٥ ايلول ١٩٣١

لبنان وسورية — احتفلت الجمهورية اللبنانية في اول ايلول بعيد الاستقلال احتفالاً باهراً. وفي ٢ منه ذهب اركان الحكومة فوضعوا اكاليل الزهر على قبور الشهداء في مدافن الرمل.

* لا تزال المفوضية العليا والحكومات الوطنية تواصل جهودها في تعزيز اقتصاديات البلاد بمساعدة الصناعة الوطنية.

* لا تزال المشكلة الارثوذكسية على حالها بوجود المنتخبين، وقد نشر المكتب البطريركي في اللاذقية بياناً «كرّر فيه رجاءه الى المفوضية العليا بان تضع حداً لذلك باعترافها بالبطريرك ارسانيوس»

* تنصّر ٦١ علوياً من رجال ونساء واولاد في «جنينة رسلان»، وهي قرية على ٢٥ كيلومتراً من صافيتا.

فلسطين — اعتصب العرب احتجاجاً على مستودعات السلاح المختومة في القرى اليهودية. فكان من جراء ذلك بعض المشاغبات في نابلس خصوصاً.

* توفي البطريرك داميانوس، بطريرك الكرسي الاورشليمي الارثوذكسي، فوقع الخلاف شديداً على انتخاب خلف له، وينادي الشعب الارثوذكسي بوجوب التخلص من السيطرة اليونانية وانتخاب بطريرك من الوطنيين.

العراق — قام الملك فيصل برحلة في اوربة فزار بعض الحواضر، وسيرجع الى بلاده في اوائل تشرين الاول.

* ظهر الهواء الاصفر في البصرة ونواحيها في اوائل آب وما لبث ان تفشى تفشياً ذريعاً فبلغ اقصى عدد للاصابات ٩١ وللوفيات ٦٣ في اليوم.

الهند — ابحر غاندي الى لندرة في ٢٩ آب للاشتراك في موتمر المائدة المستديرة.

المشرق

تشرين الثاني ١٩٣١

في اتحاد الكنائس

للاب ازمند اودين ، احد كهنة رهبنة قلب يسوع الاقدس(*)

١

رأي بعض الكتبة في هذه المسألة

كثر بين مفكري عصرنا مَن عبّروا عن رغبتهم في اتحاد الكنائس التي تسمي ذاتها مسيحية ، وتدّعي كل واحدة منها انها كنيسة المسيح الحقيقية ؛ وقد ظهر لبعضهم ان السبيل الى هذا الاتحاد يتمهّد ، ان رضيت كل كنيسة بحصر عقائدها في حدود قانون الايمان ، كما عيّنه آباء المجمعَين العامّين الاولَين ، فيقولون : ان اتحاد الكنائس لا يقتضي توافقها على جميع المعتقدات ، بل يكفي ان يعترف المؤمنون كلهم ببعض حقائق ذات اهمية كبرى في تعليم يسوع المسيح . فلا بأس اذا كان اختلاف آراء في الامور

(*) صحح عبارته ، وعني بنشره القس اسطفان فرحات اللبناني .

الغير المتعلقة بتلك العقائد الرئيسية ؛ كما يعلمنا التاريخ ان الامر كان دائماً في الكنيسة مما لم يخلُ قط دون وحدتها في الثانية القرون الاولى فلماذا لا تكتفي كنيسة الله ، في ايامنا هذه ، بما كان يكفيها في قديم الزمان ؟ واذا بان أنَّ هذا الاكتفاء هو السبيل الوحيد للوصول الى الاتحاد المبتغى ، أفلا يُعدّ واجباً على كل كنيسة ؟ فان وحدة قطيع المسيح لهي خير اعظم واهمّ من المحافظة على قضايا لم يعتقدها كثير من النصارى القدماء ، مع انهم تركوا لنا من امثال الايمان الحي ما لا يفوقه اجمل ما يذكر في سير القديسين .

فلو عوّلنا على حكمة اولئك لاستنتجنا من مبادئهم انه يجب على الحبر الروماني ان يعدل عن ادعائه بالعصمة من كل ضلال ، وبالرئاسة على الكنيسة برمّتها . فانهم يقولون : ان هاتين القضيتين هما مما زادته الكنيسة البابوية في العقائد الاولية ، ومما تختلف فيه الكنيسة عينها عن باقي الكنائس . وكذلك يلزمنا ان نترك قضية انبثاق الروح القدس من الآب والابن ، بحيث يكون كل مؤمن حرًّا ان يعتقد في هذه المسألة بما يحسن في عينه ؛ ويمحي من بيان العقائد الكاثوليكية عقيدة الجحيم بريم العذراء بلا دنس ؛ ولا يبقى على المؤمنين من واجب بالاقرار بوجود المطهر وبالدينونة الخاصة .

٢

تفسير مذهب اولئك الكتاب

علينا اولًا ان نمدح رغائب اولئك الذين يبدو منهم هذا الاعتناء الجزيل بتجديد وحدة الكنيسة . ونوافقهم على ما يقولون من ان هذا التجديد هو امر حسن جدًّا ، يستحق اهتمام جميع المؤمنين بان يبذلوا كل ما في وسعهم لانجازه . وهذا ليس فقط بالنظر الى عظم المنافع التي تحصل للمسيحيين من انضمامهم كلهم الى جماعة واحدة ، ومن زوال الانشقاقات المشؤومة التي خربت حظيرة المسيح ، بل لاعتقادنا ايضاً ان الذين يعيشون خارجاً عن الكنيسة الحقيقية ليسوا في طريق الخلاص الابدي ، وان كان ممكناً ان يخلص بعضهم من ذوي

النيّة المستقيمة ، اي بحيث لا ينسب ضلالهم الى سوء ارادتهم .

ويلزمنا ايضاً ان نثني على غيرة بعض الكتبة المذكورين ، لبثهم روح المحبة والاخاء بين اعضاء الكنائس المختلفة ، ولاجتهادهم في توصية رؤساء الكنائس بالاعراض عن الكبرياء الممقوتة ، التي هم محقون بقولهم عنها انها كانت مبدأ كل انشقاق ، كما هي اصل كل شر .

بقي علينا الآن ان نفحص الطريقة التي يقترحونها ، ويحضون على اتخاذها دستوراً للبلوغ الى الاتحاد المبتغى .

اولاً : هل يجوز للحبر الروماني ان يرضى بالاعتزال عن الرئاسة العامة ، وبالنزول الى مرتبة الاساقفة ؟

اننا نجيب بلا ريب : انه لا يجوز ذلك البتة . لاننا نعتقد ان هذه الرئاسة وضعها يسوع المسيح نفسه ، حينما قلّدها لبطرس ؛ ويريد ايضاً ان تدوم الى منتهى الاجيال ، وان يرثها كل من يخلف بطرس خليفة شرعية . فبناء على ذلك نقول : ان الحبر الروماني يترأس كنيسة الله ، لا بقوة ترتيب بشري يستطيع الناس الغاءه ، بل بارادة المسيح نفسه . فكيف يسوغ له ان ينزل عن مقامه السامي ، دون ان يخالف مشيئة الله مخالفةً واضحة يذنب بها ذنباً عظيماً ، ويجلب بذلك على الكنيسة اسوأ عاقبة ، لان الرئاسة البطرسية ضرورية لصيانة وحدة الكنيسة . كما ان ذلك يلزم الحكومة ، في كل دولة ، لحفظ الجماعة المدنية .

فينتج من ذلك انه ما من اتحاد ممكن بين الذين يصرّون على انكار سلطة البابا والكاثوليك الخاضعين لها . لانهم يحسبونها من عقائد ايمانهم التي لا يجوز الارتياب فيها ، ولا التغاضي عنها ؛ ويظهر من ذلك ايضاً غلط من يتهمون الاحبار الرومانيين بتشامخ وطمع في الرئاسة ، كأن طمعهم هذا الذميم حملهم على الادعاء بالولاية العامة ؛ وصار علة الانفصال بين الكنيسة الغربية والكنيسة الشرقية ، التي أبى اهلها الاعتراف بتلك الولاية الوهمية والمختلسة . فكل من يصدّق هذه الشكايات يظهر بذلك أنه لم يدرك شيئاً من البراهين القاطعة ، التي يثبت بها اللاهوتيون لزوم الرئاسة البطرسية في الكنيسة ودوامها في

الكرسي الروماني دون سواه .

فباطل اذاً ما توهمه بعضهم من امكان اتحاد الكنائس ، يومَ تضحي كل كنيسة بعقائدها الخاصة ، فتكتفي بالحقائق الجوهرية التي يجمع عليها المؤمنون باسرهم . وفضلاً عن ذلك ، نوقن ان الطريقة التي تصورها هؤلاء ليست سوى خيال لن يتحقق في عالم الموجودات . فانهم يزعمون ان عقائد الايمان ليست كلها جوهرية على حد سوى . بل يسوغ للكنيسة التخلي عن بعضها تسهيلاً لارتداد من يستصعبون الاعتراف به ، وليس هذا بزعم جديد ، فان الشيع البروتستانية جرّبت مراراً ازالة اختلافها بتحديد قضايا جوهرية يجب الايمان بها على الجميع . واما الباقي فيكون كل فرد حرًّا في قبوله او رفضه . الّا ان الاختبار قد ابان بطلان تلك الوسيلة ، لان الفرقَ المظنون به بين القضايا الضرورية وغيرها ، مَن له ان يعيّنه ، ويحدّده بحكم يعترف الجميع بصحته ؟ فمن انت ايها الانسان ، كائناً من كنت ، لتميّز في الوحي الالهي ، فتنادي بوجوب المحافظة على جزء منه ، وتجيز للبشر عدم المبالاة بالجزء الآخر ؟ أليست سلطته تعالى متساوية لذاتها في كل القضايا التي حسن لديه ، عزّ وجل ، ان يوحي بها الينا ؟ فان قلنا : ان بعضها يجوز الارتياب فيه ، فعلى مَ نبني وجوب الايمان بالبعض الآخر ؟

٣

رد اعتراض

ربّ معترض يقول : نعم ان السلطة الالهية تساوي ذاتها لا محالة ، اذا اعتُبرت في ماهيتها . غير ان الحقائق الموحاة لا تظهر كلها كمحتواة في الكتاب او التقليد ، بوضوح متساوٍ . فلا بأس ، والحالة هذه ، في تمييزنا بين القضايا التي يجب الايمان بها على كل مسيحي ، لكون الوحي يتناولها جليًّا ، وقضايا أخر تختلف الآراء بها ، ما دام لم يجمع العلماء على ان الله اوحى بها ، وبالتالي ليس الاعتقاد بها واجباً . فعلى الكنيسة ان تقرّ بهذه الحال ، فتمنح ابناءها حرية واسعة نحو تلك القضايا . وهكذا ترجع الى ما كانت عليه في قرونها

الاربعة الاولى ، آمرةً بنيها باعتقاد كل ما يتضمن قانون الايمان ، ومعترفةً بحريتهم نحو باقي القضايا ، حتى تلك التي أقدمت على تحديدها بعد القرون الاولى.

فنجيب : ان الكنيسة لم تحرم قط المؤمنين حرية الآراء في الامور التي لم يُثبت كونها من الحقائق الموحاة ، او مما يرتبط بهذه الحقائق . ومن هذا الباب ما نشاهده في ايامنا هذه من جدال اللاهوتيين في ماهية التقدير الالهي ، وتأثير الله في ارادة الانسان ، وقوة الاسرار الالهية على منح النعمة لمن يتناولها ، الى غير ذلك من المسائل التي يُبحث فيها بتمام الحرية بين اللاهوتيين.

الا انّ هذا البحث نفسه ، واستقصاء العلماء عن الامور الالهية ، قد يؤدّيان الى اكتشاف ادلة تبين ان بعض القضايا لا شك في كونها من الحقائق الموحاة ، او مرتبطةً بها ارتباطاً ضرورياً . فلا يجوز اذ ذاك انكار تلك القضايا ، او الارتياب فيها . ويحدث ايضاً ان الكنيسة ترى ان تحديد بعض القضايا لازم لتكميل وحدة الايمان بين المسيحيين ، ولصيانة ايمانهم بحقائق اخرى ، لا يبعد ان يرتابوا فيها ، اذا ابيح لهم الشكّ فيها . لذلك تعزم الكنيسة على تحديد امور كانت من مواضيع الجدال ، كعدم جواز تكرار العماد الذي اعطاه الهراطقة ، وكون الاسرار المقدسة سبعة ، وكون القداس ذبيحة حقيقية ، وكون الحبل بالعذراء والدة الله بلا دنس الخطيئة الاصلية ، وعصمتها الدائمة من كل خطيئة ، ولو عرضية.

فوالحالة هذه ، هل تستطيع الكنيسة ان تزيل ما فعلته ، وتمنح ابناءها ثانيةً حرية الاعتقاد بتلك القضايا المحدّدة ، او انكارها كيفما شاءوا ؟ كلّا . لان الكنيسة لو فعلت ذلك لاقرّت بان تحديداتها ليست معصومة من كل غلط ، ولا تنفي كل ارتياب عن الامور المحدّدة . وهذا الاقرار يخالف ارادة منشئ الكنيسة ، كلّ المخالفة ، لانه يسلبها ما زيّنها الله به من الامتيازات الشريفة ، فان عصمة الكنيسة في تعليمها ، ووجوب الاذعان التامّ لاحكامها ، هما من الحقائق الموحاة ، التي لم يجز ، ولن يجوز ابداً الشك فيها . وبالتالي لا يمكن ان تحدّد الكنيسة قضية ما اية كانت ، الا وتصير عقيدةً ، يجب الايمان بها ؛ ومهما كان من حرية الآراء في تلك القضية ، قبل تحديدها ، يلزمنا ان

نقول : ان التحديد عينه ازال تلك الحرية . واذن فيمتنع ان يُعطاها المؤمنون ثانيةً . وهذا ما يؤدي بنا الى انكار كون الكنيسة تقدر على استرجاع تحديداتها ، وحلّ المؤمنين من التزام الايمان بما حدّدته . واذن فاتضح ان ليس في وسعنا استصواب الطريق الذي أوصى به الكتبة المارّ ذكرهم للبلوغ الى اتحاد الكنائس .

٤

ما هو السبيل النافع الى الاتحاد ؟

واذن فكيف نستطيع ان نسعى سعياً فعّالاً مثمراً في سبيل اتحاد الكنائس ؟ ان الاسلوب الحسن والمفيد لبلوغ هذه الغاية لا يمكن ان يختلف جوهرياً عما يجري لحلّ نزاع بين شخصين يدّعي كل منهما بحقّ ما ؛ فمن رام ان يفصل بينهما ماذا يفعل يا ترى ؟ ألا يبحث بين سالف الاحوال والحوادث عما يبنى عليه حقّ احد المتنازعين ؟ واذا وجد ما يكفي لاثبات دعوى احدهما ضدّ الآخر ، هل يبقى من نزاع بينهما ؟ او هل يسوغ لهما الا الاقرار بالحق والمصالحة ؟

هكذا نرى كنائس مختلفة تدّعي كل منها بكونها كنيسة المسيح الحقيقية ، فكيف ينتهي بينها النزاع ؟ أبغير البحث عما سبق انفصالها من الحوادث ، وعما احدثه من العلل البعيدة والقريبة ؟ ولعمري ان ذلك لا يتمّ الا بدرس التاريخ باخلاص نيةٍ ، خلواً من روح المحاباة والتعصب ، الذي كثيراً ما يشوب الكتب التاريخية التي ألفها الهراطقة ، وما أغرب ما بلغوا اليه احياناً من الجسارة والقحة في تشويه الحوادث واختلاق الروايات الكاذبة ، قصدَ تحويل التاريخ الى محامٍ عن بدعهم . غير ان التاريخ المدروس ، رغبةً في الاطلاع على الحق ، يعلمنا كيف انشأ المسيح كنيسته ، وما هي العلامات التي شاء ان يميزها بها ، واين كان مركزها ، ومن كان رؤساؤها الشرعيون . ثم كيف افترقت عنها جماعات كانت سابقاً من اجزائها ، فاضحت بانفصالها عينه شيعاً ، اي كنائس كاذبة ؛ ولعمري ان التأمل في المعلومات التاريخية ، بنية مستقيمة سليمة ، يؤدي الى هذه النتيجة في هذا المقال : اي انه توجد كنيسة واحدة ، لها دون غيرها

حقّ الادعاء بانها كنيسة المسيح الحقيقية ، واليها يجب ان يرجع كل من انفصل عنها لاي سبب كان.

وكما قيل بصواب ان الكنيسة لا تخشى شيئاً من قبل الاكتشافات العلمية، بل تتوقع منها تأييداً لتعليمها ؛ كذلك يجوز القول عن الدروس التاريخية ، انه لا يمكن ان ينجم عنها خطر للكنيسة الحقيقية ، لا بل ان تلك الدروس تفيدها افادة عظمى ، وتؤكد صحة البراهين على صحتها.

ثم اننا نزيد كلمةً ، اجابة لمن يظهر له منهجنا هذا مفرطاً في القساوة ؛ كأن التساهل نحو الخصوم هو أليق بكنيسة الله ، فلماذا لا تحذو حذو من قام شجار بينه وبين صاحب له ، فترك لصاحبه شيئاً من حقه ، مع وفرة جلائه ، وذلك ليفي الخصام بطريق الولاء ، فهل احمد من هذا السلوك ؟ غير ان المسامحة والتساهل يحسنان حيثما لا يكون لهما سوى عاقبة خسارة زمنية ، لا بأس بالتضحية بها ، ولقد اعطت الكنيسة الرومانية امثالاً شتى في هذا التساهل . فكم من مرة تخلت عن حقوقها الزمنية لملوك اغتصبوها اياها ؟ ولكن حاشا ان يكون التساهل حيثما تكون الخسارة خسارة العقائد الدينية ، والتعاليم المقدسة ، لانها وديعة وكل الله كنيسته بحراستها. فلو رضيت الكنيسة نفسها بترك شيء منها ، لكانت خائنة منشئها الالهي ، ولاهلكت نفسها باطراح مهمتها.

ففي هذه الملاحظات ما يكفي لاثبات قضيتنا هذه اي: ان اتحاد الكنائس لا يمكن ان يُسعى اليه سعياً نافعاً ، ما لم يكن الحقّ اساساً لكل مفاوضة به ، وما لم يُستمدّ من التاريخ النور الذي يزيل اختلاف الآراء وتناقض الادعاءات . لانه يُظهر ما هي الكنيسة التي وضعها يسوع المسيح ، وامر جميع الناس بالانضمام اليها ، للحصول على السعادة الابدية.

الحفريات الاميريكية

في بيسان

بقلم حضرة الاب ا. س. مرمرجي الدومنيكي

٢

الطبقة السابعة : امنوفس الثالث وما بعده

كان امنوفس الثالث (١٤١١–١٣٧٥) مؤسس مدينة الطبقة السابعة ، لان اسمه يظهر في احد الجعلان ، وفي الختوم والاحراز الموضوعة في الاساس، تحت درجات مذبح الهيكل في تلك الطبقة. وهذا الهيكل قد استعمل حتى زمن الملك «حورمحيب» (١٣٥٠–١٣١٥) وشكله كشكل معابد المقابر ، والمعابد في البيوت الخصوصية. وكلها من عصر امنوفس الرابع ، خليفة امنوفس الثالث.

واحدى الالاهات في هيكل امنوفس الثالث كانت ، دون شك ، الالاهة « عشتريت ذات القرنين» ، لان في المعبد الداخلي نصباً يمثلها. وفي غربي هيكل امنوفس الثالث اكتشف على اهمّ قسم من بناية كبيرة يظهر انها « مَجْدلٌ كنعاني » او « ذو الاربعة الابراج » واساس بناية ملاصقة يمكن انها كانت محل اقامة رئيس البرج المصري . وهذا المجدل كان مكعباً ، ومدخله من الجهة الغربية . وله برج في كل من طرفي بابه.

ومما تهمّ ملاحظته ان في زمن تأسيس الهيكل والمجدل وغيرهما من الابنية كان التأثير الاشد وقعاً في بيسان (فضلاً عن المصري) من الطرز الآتي من نواحي بحر ايجي ، ولربما من قبرس . ويعقبه النفوذ السوري - الحثي .

قبل وفاة امنوفس الرابع (١٣٥٨) خرجت فلسطين خروجاً تاماً من حكم المصريين . والسبب المهم ان افراط الملك في اعمال التعبد جعله يهمل اشغال ملكه . وفي زمن خلفائه ، بقي الامر على ذاك الحال الى عهد سيتي الاول ، مؤسس الطبقة السادسة.

الطبقة السادسة : عصر سيتي الاول

اعاد هذا الملك حكم مصر على فلسطين (١٣١٣-١٢٩٢) في اول سنة من ملكه. وفي اثناء حملته ، بلغ بيسان حيث شيّد حصناً وهيكلاً فوق اخربة الطبقة السابعة. واسم المدينة مذكور على تمثال ابي الهول في هيكله في كورنة في مصر. وقد اقام الهيكل على محلّ هيكل امنوفس الثالث. ولا ريب انه خصّص لعبادة ميكال وعشتريت ، كما يُستدلّ من صور كثيرة وجدت هناك. وتأريخ الهيكل والحصن الملتصق بـه يظهر من خرطوشة وجدت هنـاك وعليها اسم رعمسيس الاول ، ابي الملك سيتي . وقد القيت في آساس البناء ، تحت حيطان وارضية الهيكل . وذكر اسم الملك الاب آتٍ من ان الحملة الفلسطينية تمت وقت كان سيتي مالكاً مع ابيه رعمسيس . وفضلاً عن هذا ، فقد اقام سيتي لذاته نصباً تأريخه اول سنة من ملكه . وفيه يذكر انه قد اخرج الحصن من ايدي الهاجين من شرقي الاردن. وقد وجد نصب آخر للملك سيتي ، في الطبقة الثانية ؛ وقد استعمل في زمن البيزنطيين كقبة باب .

بالحقيقة تقسم الطبقة السادسة الى قسمين متميزين: دعي الأول طبقة سيتي المتقدمة ؛ والثاني طبقة سيتي المتأخرة ووقعوا ايضاً في بيسان على نصب كبير لرعمسيس الثاني ، تاريخه السنة التاسعة لهذا الملك.

الطبقة الخامسة : عصر رعمسيس الثاني

الظاهر ان هذه الطبقة ، كما لاح الآن ، قـد اقيمت على يد رعمسيس الثاني (١٢٩٢-١٢٢٥) في السنة التاسعة من ملكه . وهي تحتوي حصناً منيعاً وهيكلين : الجنوبي منهما قائم على اخربة هيكل سيتي الاول . امـا السور المزدوج الخارجي ، والباب الرسمي الذي على كل من طرفيه برج ، فقد وُجدا في القسم الغربي من الحصن . واما الهيكل الشمالي فقد كان مخصّصاً لعبـادة « البعلة » لانه وجد فيه نصب لاحد المصريين فيه صورة الالاهة الكنعـانية الحربية « عنتيت » ؛ وامام تاج هذه الالاهـة يقرأ : « عنتيت ملكة السماء ، سيّدة جميع الالهة. »

وقد بقي هذان الهيكلان مستعملين على القليل الى زمن الفلسطينيين . ولا ريب انهما مذكوران في العهد القديم . ومما يقابل هذين الهيكلين ما نجده في بعلبك حيث كان ، على عهد الرومانيين ، هيكلان الواحد بجانب الآخر ، الاول مخصص « لبعل » المحل المدعو « المشتري الهيليوبلي » والثاني لقرينته . وفي هذين الهيكلين وجد كثير من الاغراض المعدة للعبادة . واكتشف على قبور مختلفة في المقبرة الشمالية يظهر في جبهها النفوذ الايجي - الاناضولي . مما جاء دليلًا على انه كما كان في عهد الملوك السابقين ، كان في ذاك العهد ، عهد رعمسيس الثاني ، عملة مستأجرون من انحاء البحر المتوسط ، يشتغلون في الحصن ، بزعامة موظفين مصريين ، الى عهد رعمسيس الثالث .

الطبقة الرابعة : العصر الرعمسيسي المتأخر ، الفلسطيني ، الاسرائيلي ، الاشوري ، الكبي ، البابلي الحديث ، الفارسي القديم الخ ...

في اثناء القسم الاول من حقبة الطبقة الرابعة — اي منذ موت رعمسيس الثاني ، سنة ١٢٢٥ ، الى ملك رعمسيس الثالث ، الذي كان من السلالة العشرين ، وقد ملك سنة ١١٩٨ — كان للمصريين السلطة المطلقة التامة على بيسان . الا ان بعد هذا التأريخ هجم على مصر اقوام اصلهم ايجيون واناضوليون ، وفي جملتهم الفلسطينيون وحلفاؤهم . بيد ان رعمسيس الثالث ردّ هجومهم ، وبعد بضع سنوات احتلوا سورية وفلسطين ، لكنهم كُسروا مرة ثانية بقوة الملك . ويحتمل ان يكون ذلك جرى في الجليل . ففي سنة ١١٨٧ يجب ان يتعيّن مجيء عسكر رعمسيس الثالث الى بيسان ونصبهم فيها تمثالًا لملكهم .

بعد وفاة رعمسيس الثالث ، سنة ١١٦٧ ، يظهر ان جيش العملة من البحر المتوسط ، الذين كانوا يشتغلون في بيسان ، منذ عهد امنوفس الثالث والى زمن توحتمس الثالث ، قد استولوا هم ذاتهم على الحصن وملكوه ؛ ثم اختلطوا بالفلسطينيين وغيرهم من الغزاة الذين حاربوهم بادئ الامر .

وقبور هؤلاء العملة المستأجرين تختلف عن قبور العهد الكنعاني المتوسط . فان الاولى مدورة ، والثانية مكعبة . ونواويس هذه القبور اسطوانية الشكل ؛

ولبعضها ثقوب في اسفلها او مؤخرها. يحتمل انها كانت لتصريف سيلانات الاجسام.

نحو سنة ١٠٢٠ كسر الفلسطينيون الاسرائيليين في بيسان، غربي جبل جلبوع، وعرضوا جسد شاول في القلعة. ويظهر ذلك بنوع اجلى في الايام الاول (١٠ : ٨) « وفي الغد اتى الفلسطينيون ليسلبوا القتلى، فوجدوا شاول وبنيه صرعى في جبل جلبوع. فسلبوه واخذوا رأسه وسلاحه وبعثوا يبشرون في ارض الفلسطينيين في كل جهة في بيوت اصنامهم وفي الشعب. ووضعوا سلاحه في بيت الهم وعلقوا جمجمته في بيت داجون » وجاء في سموئيل الاول (٣١ : ١٠) « ووضعوا سلاحه في بيت عشتروت وعلقوا جسده على سور بيت شان. »

ومن هنا يظهر ان عبادة « البعل والبعلة » كانت بعد جارية في بيت شان، كما كانت على عهد رعمسيس الثاني: عبادة البعل في الهيكل الشمالي « لريشف »، وعبادة البعلة في هيكل « عنتيت ». وهذا يدل على ان كلا الهيكلين كانا مستعملين من زمن رعمسيس الثاني الى زمن الاسرائيليين، على اقل تقدير.

الظاهر انه نحو سنة ١٠٠٠، على زمن داود الملك، اخذ الاسرائيليون بيسان من الفلسطينيين. ويمكن ان يُنسب اليه هدم هيكل العشتروت وهيكل داجون. نقرأ في سفر الملوك الاول (٤ : ١٢) « وبعنا بن احيلود في تعناك ومجدو وكل بيت شان التي عند صرتان تحت يزرعيل من بيت شان الى آبل محولة الى ما وراء يُقمعام. » وكان من واجب بعنا ان يقدم الاطعمة لسليمان الملك وبيته مدة شهر كل سنة.

وبعد قسمة ملك العبريين، عقيب وفاة سليمان، في زمن خلفه رحبعام، هجم شيشونك الاول على فلسطين، نحو سنة ٩٢٦ ودخلت عساكره مرج عزدلون ويزرعيل ونهبوا بيسان وتعناك وشونيم ومجدو الخ.

ومن القرن الثامن الى غزو الشيتيين بقيت فلسطين تحت حكم الاشوريين. اما الشيتيون فكانوا قوماً هندياً - اوربيا، من الشمال الاقصى، دخلوا آسية الغربية بين سنة ٦٣٠ و ٦٢٥، مجتاحين اشورية وفلسطين الخ الى ان وصلوا حدود مصر حيث صدّهم الملك بسامتكس الاول. ويقول هيرودوت انهم رعبوا آسية الغربية مدة ٢٨ سنة. لكن المدة الاكيدة مجهولة.

في زمن اليونان والرومان كانت بيسان معروفة باسم سيتوبوليس اي مدينة الشيتيين . بيد ان النسبة هذه ليست با كيدة.

بعد سقوط المملكة الاشورية عبر الملك نيخو المصري في فلسطين سنة ٦٠٨ ، وانتصر على يوشيا ، ملك يهوذا ، في مرج عزرلون وواصل طريقه الى الفرات ؛ ولربما اجتاز في بيسان او ارسل قوات لاحتلالها . لكن انتصر عليه نبوكدنصر الذي كان ابوه نبوبلتر أسس المملكة البابلية الحديثة بعد خراب المملكة الاشورية . وتابع نبوكدنصر انتصاراته فوصل الى سورية وفلسطين.

على ان المملكة البابلية الحديثة لم تدم زمناً طويلاً ، اذ في سنة ٥٣٨ احتل كورش الفارسي بابل ، وأسس الدولة الفارسية القديمة التي شملت بعد ذلك داخل حدودها سورية وفلسطين.

واضمحلت هذه الدولة بظهور الاسكندر الكبير الذي دوّخ بلادها سنة ٣٣٢. وبعد موت الاسكندر، هجم على سورية الداخلية بطلميوس ابن لوكس من مصر ، ثم اضطر الى الانسحاب . لكنه عاد سنة ٣٠٢ واستولى على كل البلاد . وباستيلائه تنتهي الطبقة الرابعة من التل . .

الطبقة الثالثة : العصر اليوناني ، اليهودي ، الروماني

من سنة ٣٠١ الى ١٩٨ ق.م. ظلت فلسطين الا مدة فترات قصيرة — تحت حكم البطالسة . ونحو القرن الثالث ق.م. شيد على التل هيكل كبير لم يُكشف منه باحفار الا على الاسس . وربما كان مدخله من جهة الغرب . وشكله كشكل هيكل افروديت في مصر . ولا يعرف الا القليل ، في بيسان ، من زمن اليونان . فما عدا هذا الهيكل ، وجد قبور . ويعلم ان اهم المعبودات فيها كان ديونيسيوس واسترات.

سنة ١٩٨ ، خضعت البلاد لحكم الملوك السلوقيين ؛ بعد ان سعى الملك انطيوخس ، ثلاث مرات سابقاً ، في ان يستولي بنوع مستمر على فلسطين فلم يفلح الا سنة ٢١٨ حيث احتل بيسان. ويخبرنا يوسيفوس المؤرخ اليهودي ، في «عادياته» ان « تريفون » مغتصب ملك سورية مدة حكم دمتريوس الثاني ،

ذهب الى بيسان في جيش ليقاتل يوناتان ، رئيس كهنة اليهود الذي كان تحت امرته ٤٠ الفاً من الرجال . وبحيلة حربيـة توصل الى قتله . وانتهى حكم السلوقيين في بيسان سنة ١٠٨ ، لما خان ابوقراط القائـد ملكه انطيوخس وسلّم ، لقاء مقدار من الدراهم ، الموقع وما يجاوره الى يوحنا هرقان الزعيم ورئيس الكهنة الذي استولى على السامرة والبيرة.

وبقيت بيسان بيد اليهود الى حين وصول بمبيوس سنة ٦٤ حيث ابتـدأ حكم الرومانيين . وبعد قليل عمرت بيسان في زمن غابينس الوالي الرومـاني الذي جاء البلاد سنة ٥٧ . واضحت مدينة رومانية حرة . ويقال انها اصبحت اعظم من اورشليم سكاناً وتجارةً ، اذ كانت قاعدة المدن العشر التي — مـا عدا بيسان — كانت كلها واقعة شرقي الاردن ، ويمكن ان يكون غـابينس هو الذي بنى المسرح الكبير. وفي سنة ٦٦ ب .م. ارسل نيرون واسبسيانوس لقمع ثورة اليهود في فلسطين. وقضت الفرقة الخـامسة والفرقة التاسعة فصـل الشتاء في بيسان . ويأسف يوسيفوس على ان كثيرين من سكان بيسان اليهود انقلبوا على اخوتهم وانحازوا الى جهة الرومان.

دام العصر الروماني الى سنة ٣٣٠ حين اسس قسطنطين الملك بزنطية قاعدة المملكة الرومانية المسيحية . لكن قبل ذلك العهد كانت المسيحية قد دخلت بيسان : وفيها استشهد كثيرون من المسيحيين في زمن اضطهاد داقيوس(٢٥٠) وديوقلسيانوس . واول مطران سُقّف على المدينة كان بتروفيلس الـذي حضر المجمع الفلسطيني الملتئم سنة ٣١٨ ، وحضر المجمع النيقاوي سنة ٣٢٥.

الطبقة الثانية : العصر البزنطي (الروماني الشرقي المسيحي)

هذه الطبقة بزنطية دامت من ٣٣٠ الى الفتح العربي ٦٣٦ . وقد وجدت فيها بقايا كثيرة من عهد البزنطيين ، منها كنيسة مدوّرة واقعة في قمة التل . وسور عظيم يحيط كل المدينة . وغير ذلك من العاديات . وبواسطة المؤرخين القدماء يُعرف انـه كان في بيسان كنيسة مار يوحنا ، ومعبد الرسول توما . ومعبد القديس بروكبيوس الشهيد ، وكنيسة قديمة في وسط المدينة ، وكنيسة مار

باسيليوس . وكانت بيسان الكرسي المتروبوليتي لفلسطين الثانية (اي الجليل والبيرة) وبقيت هكذا الى زمن الصليبيين حيث نقل الكرسي الى الناصرة.

الطبقة الاولى : العصر العربي ، الصليبي ، الخ

هذه الطبقة دامت من ٦٣٦ الى نحو القرن التاسع عشر. وهي الحقبة التي بنيت فيها الابنية الاخيرة على التل وقد اخذت الحجارة المستعملة فيها من الابنية القديمة . ونقلت المدافن من المقبرة العظمى الى غير اماكن.

عند الفتح الاسلامي اتخذ البزنطيون بيسان موضعاً لحشد العساكر ، قصد وقاية فلسطين الثانية من هجوم الغزاة . بيد ان العرب هاجموا البزنطيين في السهل المغمّر بالمستنقعات ، بين بيسان والاردن . لكن بيسان لم تسقط الا السنة التابعة (٦٣٦) وما استولى عليها المسلمون نهائياً الّا بعد واقعة اليرموك. وكان فاتحوها شرحبيل ، فاتح طبرية وعكا وصور ، ومؤسس جند الاردن.

ويذكر المقدسي ، في القرن العاشر ، بيسان ، مادحاً نخلها ، قادحاً في مائها . ويقول ان جامعها واقع في المساحة حيث يصلي فيه المسلمون الاتقياء .

في عهد الصليبيين ، نقل لقب المطرنية من سيتوبليس اي بيسان الى الناصرة. لكن المدينة وضواحيها اضحت « بارونية بيسان » وكان اول سادتها آدم دي بيتون . شيد معقله على موقع المدينة القديمة في تلّ الحصن.

وفي سنة ١١٨٢ استولى عليها جنود صلاح الدين ونهبوها واحرقوا ما فيها. لكنها عمرت بعد ذلك، وكان حاكماً عليها عز الدين سمح. وزارها ياقوت الحموي سنة ١٢٢٥ ، فقال انها مدينة من مدن الاردن في الغور ، تدعى لسان الارض.

وعدة مرات اقام الملك بيبرس في بيسان معسكره ، حين كان يحارب الفرنج والمغول.

ومنذ القرن الرابع عشر سقطت بيسان في حالة الخمول ؛ ولم يعد لها ذكر في التاريخ . اما في هذا العصر فبفضل السكة الحديدية بين دمشق وحيفا ، تحسنت احوالها ، وهي على الحال التي ذكرناها في بدء المقال.

الحالة الدينية

في بلاد العرب قبل الاسلام

بقلم الاب لامنس اليسوعي

لا يزال المستشرقون يواصلون الابحاث عن وجود العاطفة الدينية في الشعب العربي قبل الاسلام ثم عن عمق هذه العاطفة ؛ وانهم ليبحثون طويلاً في هذا الموضوع. اما القرآن فانه يسم ذلك الشعب بالكفر بكل صراحة ووضوح (في السور ٩ : ٩٨ — ١٠٠ ؛ و٣٠ : ٣ ؛ و٤٩ : ١٤). هذا واننا نفتش عبثاً في ما وصل الينا من آثار الادب الجاهلي عن شعور ديني عميق او مظهر تقوي صحيح. فلا نجد اثراً من ذلك كله في بقايا الشعر الجاهلي ، ذاك الشعر الذي نسبه ارنست رينان الى « العبث وعدم التقوى » فاصاب ، لا كما حصل له اذ نسب القفر الى التدين قائلاً « ان القفر لموحد » فاخطأ كل الخطأ.

الكعبة

واننا نبدأ بحثنا بذكر الكعبة وما كان يجري فيها من مظاهر العبادة. وما الكعبة سوى بناء مستطيل الشكل غير مسقوف في اصله ، كان يستعمل كإطار « للحجر الاسود » وهو اشهر معبودات القرشيين الذين لم يكونوا ليكتفوا بمعبود واحد . وقد رُمّمت الكعبة مرات وأُدخل عليها اصلاحات عدة كان آخرها في القرن السابع عشر فاصبحت مساحتها اليوم اثني عشر متراً في عشرة امتار ، وعلوها خمسة عشر متراً ، ولها باب يعلو مترين عن سطح الارض. ويغطي جدرانها الاربعة من الخارج قماش ثمين يدعى « الكسوة ». اما « الحجر

الاسود» فموضوع في الزاوية الجنوبية الشرقيـة على علوّ متر ونصف المتر عن سطح الارض، غير بعيد عن حجر آخر يسمى «الاسعد». وهـذا الاخير ينال شيئاً من مظاهر العبادة، فيلمسه المؤمنون لمساً، ولكنهم لا يلثمونه كما يفعلون بالحجر الاسود. واذا القينا نظرة عامة على بـلاد العرب قبل الاسلام نرى في جميع انحائها، ولا سيما في الحجاز، على تعدّد العبادات وتنوّع الطقوس المحلية، صفة مميزة شاملة الا وهي عبادة الحجارة الالهية او المؤلهة. كان البدو يدعون هذه الحجارة «بيوت الله» ويعتبرونها مقاماً للالوهية او تماثيل لهـا، يتناقلون ذلك بالتقليد ويتوارثونه دون ان يهتمّ احد منهم بنقد هذه الحقائق او بالنظر في مضمونها. ولما كانت الكعبـة في مكان موافق مستفيدةً من وجود بئر زمزم، التي لم تلبث ان اصبحت بئراً مقدّسة، غدت نقطة مركزية جذبت اليها جماعات من البدو فتحضروا والّفوا مدينة مكة.

عدم وجود الاوثان بالمعنى الحقيقي

على الرغم من خلوّ الجزيرة العربية من نظام مرتب للالهة يُشبه ما نعرفه بالميتولوجيا اليونانية، فاننا نرى في بلاد العرب عدة آلهة ذكوراً وإناثاً نذكر منها المثلث الانثوي اي اللات والعزّى ومَناة، ثم ما يدعونه «بنات الله». على ان علاقات هذه الالاهات بالآلهة لا تزال غامضـة. بل ان الالاهات انفسهنّ لا يظهرن بوضوح تام في مجموع آلهة الجنوب او بلاد اليمن. ويجدر بنا القول ان الحجاز خصوصاً لم يعرف الاوثان بالمعنى الحقيقي، اي التماثيـل المصنوعة او المنحوتة لتمثل الآلهة. وهو ما يشرح لنا سكوت القرآن عن الصور والرسوم الحقيقية؛ لان محمداً، لمّا لم يصادف في الجاهلية ما يثير الخواطر ويهدد التوحيد من تلك التصاوير والاوثان، لم يرَ حاجةً الى القيام عليها ومحاربـة اربابها وتحريمها في القرآن. وذلك ان آلهة العرب كانت بمجملها من الحجارة على اختلاف انواعها وهيئاتها من صخور تائهة، ونصب قائمـة، واعمدة مفردة او متعددة، توالت عليها العوامل الجوية فاكلت منها واثرت فيها تاركةً لها هيئات غريبة قد يشبه بعضها هيئة الآدمي شبهاً بعيداً. وكان من هذه الحجارة ما كان

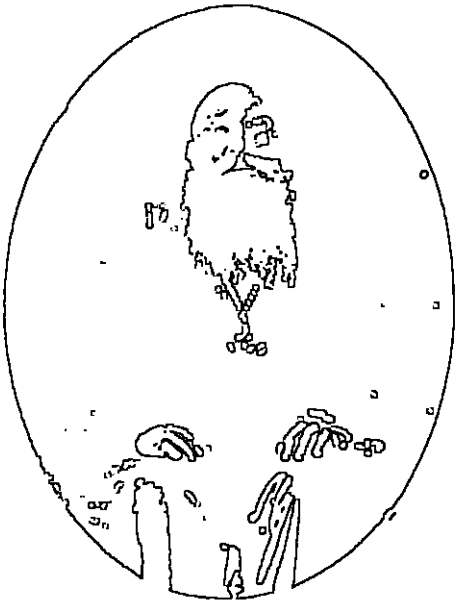

المثلث الرحمات البطريرك يوحنا الحاج

سيادة المطران يوحنا مراد
رئيس اساقفة بعلبك حالياً

سيادة المطران يوحنا الحاج
رئيس اساقفة دمشق حالياً

يظل ناشباً بالارض او عالقاً بالصخر ؛ ومنها ما يُنقل فيوضع ضمن إطار خاص « كالحجر الاسود » ؛ ومنها ما يُكتفى بان يُرفع حوله دائرة من الحجارة ليس غير وكان كثيراً ما يُحفر في جوار « الحجر » او النصب بئر يستقي منها الناس فيشربون ويغتسلون. وقد تكون شجرة قرب المكان فلا تلبث ان تُصبح بدورها مركزاً للالوهية او الهاً متجسماً ، يكرمها القوم فيعلقون عليها اسلاب الحرب ، او الاسلحة المقدَّمة ، او غير ذلك من النذور التي قد تكون خرقةً من قماش او قطعةً من ثوب.

وحول مركز الاله يمتدّ « الحرم » ، وهو مساحة من الارض مقدَّسة حتى لا يُمسّ من يلتجئ اليها سواء كان من الناس او الحيوانات ، بل من الشجر ايضاً فلا يجوز للناس ان يقطعوا غصناً واحداً من شجر الحرم . ولا يظنّ المطالع ان هذه المعابد البرية كانت آهلة بالسكان . لا فانها كانت تظلّ مقفرة اكثر ايام السنة حتى تأتي القبيلة — اذ كان لكل قبيلة او مجموع قبائل آلهة خاصة — فتجتمع فيها في ايام معلومة تُقضى بالاحتفالات ، منها الموسم المعقود في اوائل الخريف ، وموسم اوائل الربيع ، فيقدّم افرادها الضحايا واكثرها من الابل ، ويقومون بالطواف حول الحجر فيلثمونه او يكتفون بلمسه او استلامه في دوراتهم . وكان من واجب الحاضرين ان يقوموا ببعض التطهيرات والتحريمات الطقسية منها انهم كانوا يمتنعون عن الصيد واستعمال الاطياب. على ان الضحية المحرقة التي أوصي بها في التوراة كانت مجهولةً عند العرب. فكانوا يكتفون بصبّ دم الذبيحة — الذي كانوا يبدلون به الحليب بعض الاحيان — على النصب المعبود ، او في حفرة منقورة في اسفل النصب. ثم ينصرفون الى طعام طقسي كانوا يتناولون فيه لحم الذبيحة بعد ان يكونوا قد حلقوا رؤوسهم . حتى اذا تمت هذه الحفلة خرج المحتفلون من حالة الحرم فدخلوا حالة الحلّ فعادوا الى مشاغلهم واعمالهم وسائر مظاهر حياتهم العادية.

ومن تلك الانصاب او الحجارة المؤلهة ما كان يحمل الى ساحة الحرب. وذلك اثناء المواقع المهمة الفاصلة بين القبائل وكذلك كانت تُحمل تلك الانصاب في بعض الاحتفالات الدينية كصلاة الاستسقاء مثلاً التي كانت تُقام زمن الجدب

والجفاف. وكانوا يضعون الحجر المؤلَّه ضمن قُبّة من أدَم احمر تُخرج في موكب من النساء يُحطن بها ويوقّعن التراتيل الطقسية والهتاف الديني على انغام الصنوج. ثم تختتم تلك الاحتفالات بالطواف سبع مرّات حول النصب. ومثل هذه الطوافات كانت تُقام مدّة الحجّ فتقود المحتفلين الى المواقف المختلفة او تصل بين الهياكل والمعابد المتجاورة. ومن عادات العرب الدينية التشوّف الى معرفة المستقبل بواسطة القِداح، اي السهام الخاصة بذلك، يخرجها «الكاهن» امام النصب، فتجيب عن السؤال المطروح بالنفي او الايجاب. وكثيرًا ما كانت تقوم «الكاهنة» مقام «الكاهن» المذكور.

الى هذه العبادات البسيطة العريقة في القِدَم كانت تمتّ عبادة القرشيين الظاهرة في الحجّ الى مكة بما فيه من مواقف في عرفة ومِنى وما اليهما، ومن دورات وطوافات في الصفا ومروة وغيرهما من الهياكل داخل مكة.

وقد احتفظ الحج الاسلامي باشهر مظاهر هذه الاحتفالات القديمة. على انه غيّر فيها بعض الشيء ليجرّدها من صفات الشرك، فالحقها بعبادة الله، وجعل مؤسّسها ابراهيم باني الكعبة.

اما في ما خصّ الحياة الاخرى وخلود النفس البشرية فلم يكن للعرب معلومات واضحة عن ذلك، وهم على ما فُطروا عليه من الاستسلام المطلق للقضاء والقدر. لكنهم كانوا يعتقدون بوجود الجنّ؛ والجن، في عرفهم، مخلوقات غير واضحة التحديد، متوسطة بين الشيطان والانسان، تتزاوج وتتوالد كالناس؛ يخافها البشر لان بامكانها ان تختفي عن عيونهم، ولكنها خاضعة لشريعة الموت.

ومهما يكن من امر تلك المعبودات المتنوّعة، فاننا نرى، في القرن السادس، وهو القرن الذي ولد فيه محمد، ان «الله» اخذ بالبروز شيئاً فشيئاً والسموّ فوق جمهرة الالهة الخاصّة ومجموع الانصاب المؤلهة. لقد ظل العرب يكرمونها جميعاً، ولكنهم بدأوا يعترفون مع اوس بن حجر «ان «الله» منهنّ اكبرُ»

خدمة طقوس العبادة

لم يكن للعرب نظام مقرّر تتدرّج فيه مراتب القائمين بطقوس العبادة على

نحو ما ندعوه اليوم بالاكليروس . بل كان خدمة الهياكل على فئات متنوعة من كهنة ، وسدنة ، وعرافين ، وزاجرين ، وعائفين ، وقائفين ... كان الكهنة او الكاهنات يرجون بالغيب ، ويسألون القداح ، ويقومون باحتفالات الاستسقاء ابتغاء المطر ، يلهمهم في كل ذلك احد الشياطين او الجنّ . اما السدَنة ، جمع سادِن ، فكانوا حفظة الهياكل والمعابد . واما العائفون والقائفون فكانوا يشرحون مظاهر التفاؤل والتشاؤم ، ويفصلون الخلاف في الانساب . وكان العائف يختصّ بشعائر الزَجر ، والقائف يستدلّ بشبه الاقدام وآثارها على النسابة والحاق الابن بابيه . وقد كان المحلّ الاعلى للكاهن فيسمو على هؤلاء جميعهم . بيد ان صفته لم تكن وراثية كصفة السادن . ومن خصائص الكهان ان يسيروا مع الجيوش الى الحرب ، فيرافقوا القبة المشتملة على الالـه ، وان يلجأوا الى الغيب فيطلعوا قومهم على نيات العدو وسير جيوشه . كما انهم يقومون بوظيفة الحكَم او القاضي فيفصلون في الخلافات . وكان العرب يعتقدون في الكاهن ، وخصوصاً في الكاهنة ، قدرة سرية على استنزال المطر ، وزجر الارواح الشريرة ، وشفاء الامراض ، وردّ اللمنات ، والعمل بواسطة اقوال غريبة سرية — كما نرى في حادث بلعام التوراة — على اضعاف العدوّ فيكلّ سلاحه وتشلّ جميع حركاته .

بقي ان نقول كلمة في وأد البنات الذي كثيراً ما جرّ المستشرقون الى الاعتقاد بشموله بلاد العرب ، يستندون في ذلك الى احتقار العرب لبناتهم وعدم الاكتراث لهنّ في اكثر مظاهر الحياة ؛ والى ما ورد في القرآن(١٦ : ٦١) من سؤال بسيط توسّع فيه الشعراء ، ولاسيما الفرزدق ذاك الفخور المدّعي ، في صدر الاسلام . اما الحقيقة فهي ان ليس لدينا ما يؤيد وجود هذه العادة بين العرب ، ما خلا في قبيلة تميم التي قد تكون وأدت بعض بناتها ابان مجاعة شديدة .

اليهود

من المعروف ان اليهود احتلوا واحات الحجاز وقاموا بزراعتها واستثمارها . وقد كان اكثر جواليهم في المدينة حيث كانوا يقومون باهم المصالح والصنائع كالتجارة والصياغة وما شاكلها . ثم سمحوا لبعض العرب — وهم الذين دُعوا

في ما بعد « بالانصار » – بان يقيموا معهم بصفة « موالي » لهم ولكن لما تكاثر عدد هؤلاء الموالي وشعروا بتفوقهم على اليهود ، اخذوا يعملون على الاستقلال بالسيادة . فاخذ البغض يتأصل بين الشعبين حتى ان محمداً ، بعد الهجرة ، قاسى من بغض اليهود ومقاومتهم له ما نرى صداه في القرآن . وكان في الطائف ايضاً جالية من اليهود . اما في مكة فلم يمثل اليهود الا بعض التجار الجوّالين . واما في اليمن فكانوا كثيري العدد حتى توصلوا زمناً الى تأسيس دولة يهودية لم تخلُ حياتها من مواقع دموية بينها وبين نصارى الاقليم .

وكان لليهود حاخامون وهياكل ومدارس وسائر مظاهر النظام مع جميع الآراء والاحكام الخاصة بالدين الموسوي التلمودي ، التي كانت تدفعهم الى الترفع على العرب فيدعونهم « أميّين » نسبة الى الامة العربية ، لا الى الجهل بالقراءة والكتابة كما قد يفهمه البعض حتى في عصرنا ، او نسبة الى عدم وجود كتاب موحى بين ايديهم ؛ وينظرون اليهم من علُ ، على كون اكثر اليهود من اصل اسماعيلي اعتنق اليهودية في بلاد العرب . وقد تأثر اليهود بهذه العاطفة في مقاومتهم للاسلام ومجادلاتهم للمسلمين على ان ذلك لم يمنعهم ان يخوضوا انواع الشعر العربي وينبغوا فيه نبوغ غيرهم من العرب ، منصرفين الى الموضوعات المدنية الصرفة دون ان يخالفوا زملاءهم الوثنيين في اهمال ما يدلّ على كل اثر ديني ، حتى اننا لا نكاد نرى في شعرهم ما يشير الى يهوديتهم . وكان جميع اليهود من المتحضرين ، فلا نرى بين البدو قبيلة واحدة من اليهود ، بخلاف ما كان عليه مسيحيو العرب .

المسيحيون

كان المسيحيون اقل حظاً من اليهود في الحجاز من حيث الاقاليم التي نزلوها ، ومن حيث التعاون الجنسي . فلم تكن لهم تلك الواحات المخصبة التي احتلّها اليهود ولم يكن لهم ذاك النظام المتضامن . على ان النصرانية كانت واسعة الانتشار بين العرب المقيمين على حدود سورية ، ثم في دولة الغسّانيين ، وفي اليمن حيث كانت تقاوم بنجاح اليهودية . وكان يعضدها في منظر البدو نفوذ الدول المسيحية كدولة البزنطيين ، ودولة الحبش ، ودولة الغسّانيين

واللخميين . وهو عضد لم يعرفه الدين الموسوي . فكان في وادي القرى ، ثم على حدود سورية ، كثير من النساك والرهبان يعيشون افرادًا وجماعات متمتعين باحترام البدو واجلالهم كما نرى ذلك في الشعر الجاهلي ، وفي القرآن الذي حفظ صدى تلك العاطفة اللطيفة (في السور ٥ : ٨٥ ؛ و٢٤ : ٣٥ ... ؛ و٥٧ : ٢٧) .

ولا نرى في مكة الا قليلًا من المسيحيين الوطنيين اي من بني قريش . على انه كان فيها عدد لا يُستهان به من نصارى الاحباش تجارًا وعبيدًا .

اما اعمال المسيحيين فكانت تشبه اجمالًا اعمال اليهود منحصرةً بالتجارة وما اليها ، خصوصاً بنقل البضائع بين المدن والواحات واحياء القبائل .

وقد كان جميع هؤلاء النصارى من تبعة البدع القديمة ينتسبون خصوصاً الى الشيع اليعقوبية والنسطورية والى نصرانية الحبش المتأثرة بالمبادئ اليهودية . ويظهر من القرآن (١٦ : ١٠٣ ؛ و٢٥ : ٨) ان محمدًا في مكة كان يرغب في مجالستهم .

على ان معاشرة هؤلاء النصارى المتكلمين لغةً غريبة (القرآن ١٦ : ١٠٥) والذين لا يعرفون دينهم حقّ المعرفة فيختلفون في الطقوس والعقائد (القرآن ١٩ : ٣٥ و ٣٨) لم تسهّل لمحمد اقرار فكره في ما خصّ عقائد النصرانية وقيمتها . فلم يتمكن اولًا من تمييزها عن اليهودية ، ومن تمييز هاتين الديانتين عن ديانة قديمة موحاة . وكذلك القول عن الوهم العالق بتلك الجماعة الصغيرة التي عاصرت النبي ودُعي دينها بالحنيفية ، وكانت موحدة لا من النصارى ولا من اليهود . فاعتقد محمد ، في اول الامر وقبل هجرته الى المدينة ، انه متفق مبدئيًا واصحاب الديانتين الكتابيتين ، حتى انه كثيرًا ما كان يطلب شهادتهم (القرآن ١٦ : ٤٥ ؛ و ٢١ : ٧ وما بعدها) فيرى في اتفاقه واياهم على العقائد التوحيدية برهانًا على صحة دعوته ، ودافعاً ليتابع عمله بين قومه في سبيل انتصار التوحيد . وقد تمنى بكل اخلاص (القرآن ٣٠ : ١) ان ينتصر البيزنطيون على الفرس المشركين . اما في المدينة ، بعد الهجرة ، فتحقق ، على اثر مناظراته مع اليهود ، البون الشاسع بين ما كان يدعو اليه وتينك الديانتين ، فاستنتج سوء النية عند اهل الكتاب جميعاً ؛ واتهمهم ، ولاسيما اليهود ، بأنهم اخفوا عنه كتبهم المقدسة اولًا ، ثم بأنهم حرّفوها فأفسدوا معناها .

دلبتا

نبذة تاريخية

للخوري بطرس روفائيل

الفصل السادس

بعض رجالها المتوفّين (تتمة)

٩ البطريرك يوحنا الحاج

ولد في دلبتا في ١ تشرين الثاني سنة ١٨١٧ ، ودعي مرعي باسم جدّه . وكان والداه مثالاً حياً في العيشة المسيحية والتقوى ولما كبر اختار له مرشداً روحياً ينير عقله ويهذب ارادته الخوري يوحنا روفائيل ، احد تلامذة مدرسة رومية ، فالاعمال الصالحة التي رآها حوله والنصائح السديدة التي سمعها صادفت ارضاً خصيبة فانبتت واثمرت . فما كاد يبلغ ١٣ سنة من عمره حتى صرّح بميله الى الكهنوت ، فأُدخل مدرسة عين ورقة سنة ١٨٣٠ . وفي ذلك الحين وجّه البطريرك يوسف حبيش جلّ اهتمامه الى اصلاح الاكليروس ، فامر بان يزاد على بيان الدروس في المدرسة المذكورة تعليم اللغتين اللاتينية والايطالية فحاز مرعي قصبات السبق بين اقرانه علماً وادباً ، وسيم كاهناً سنة ١٨٣٩ باسم يوحنا . وفي تلك السنة عينها ارسله البطريرك الى بيت الدين ليدرس الحقوق على الشيخ بشاره الخوري ، الفقيه المشهور . وفي سنة ١٨٤٤ تولى القضاء برفقة الخوري يوحنا حبيب في عهد الامير حيدر اسمعيل فكانا يقضيان في دعاوي النصارى خارجاً عن المحكمة . وبعد ان استقال الخوري يوحنا حبيب من القضاء سمّى البطريرك يوسف الخازن المترجم قاضياً للموارنة في ديوان قائمقامية النصارى سنة ١٨٥٢ . ولما توفي الامير حيدر سنة ١٨٥٤ ، تولى الحكم الامير بشير احمد فتنحى الخوري يوحنا عن منصبه بسبب خلاف حدث بينه وبين الحاكم الجديد الذي كان ينزع الى التدخل في امور العدلية ، وتقلد حالاً وظيفة امين اسرار

القصادة الرسولية في ايام السيد برونوني . غير ان الامير بشير احمد طلب سنة ١٨٥٥ الى البطريرك بولس مسعد اعادة الخوري يوحنا الى وظيفته السابقة في القضاء ، فامره البطريرك بالرجوع ، فشقّ عليه ذلك كثيراً لكنه اذعن لارادة رئيسه وسلك مسلك النزاهة والانصاف وعدم المحاباة. فلما رأى الامير استقلال القاضي في اجراء العدل دون مداراة خواطر تهيبه واحترمه احتراماً جزيلاً وتحاشى معارضته . وفي سنة ١٨٥٨ دبّر بعض الامراء واولياء الامر حركة على الامير فكان الخوري يوحنا من المناضلين عنه [1] .

وفي اثناء مذبحة سنة ١٨٦٠ نزل الخوري يوحنا وجميع اعضاء الديوان الى بيروت ، فرأى ما حاق بالمسيحيين من الجور والقتل والسلب والنهب فاحزنه هذا المنظر كثيراً وأهزل جسمه وجعله طريح الفراش. ومع هذا كله لم يكفّ عن المحاماة عن حقوق المظلومين بل اخذ قلمه وشحذ قريحته ووضع كرّاساً وصف فيه تلك الاعمال المريعة ، وبرّأ ببراهين سديدة ساحة ابناء طائفته من تبعة وقوع تلك الفظائع ، وسلم ذلك الكراس مترجماً الى الافرنسية الى السيد سيكابيترا رئيس اساقفة ازمير اللاتيني ، الذي كان موجوداً وقتئذٍ في بيروت، وسأله نشره في الاصقاع الاوربية واذاعة مضمونه على رؤوس الملا ، ليعرف اهل الغرب ما حلّ بمسيحيي لبنان وسورية من الويلات . وكان يعتقد ان ذلك انسب وسيلة لردع الظالمين ومعاقبة المذنبين والتعويض مما حدث من اراقة دماء وتخريب بيوت واحراق كنائس.

وقد شعرت الحكومة العثمانية بسوء عاقبة تدخل اوربة في الامر ، فأوعزت سراً الى عمّالها في الجبل وفي الولايات ان يسعوا لعقد الصلح بين الفريقين على طريقة مضى ما مضى ، ويحرّروا صكاً فيه يتنزّل المسيحيون عن طلب حقوقهم ويسامحون الجناة بالاضرار التي لحقت بهم . فأنشئ الصكّ المطلوب ووقعه موظفو الحكومة وكثير من الامراء والمشائخ واعضاء الديوان ولما عُرض على الخوري يوحنا ابى توقيعه مدلياً بحجج راهنة منها : اولاً ان الصك

---

١) الخوري منصور: المقاطعة الكسروانية ص ٢٢٣ و٢٢٤.

غير مبني على مبادئ العدل والانصاف وعليه لا يرى نفسه ملتزماً لا ذمة ولا شرعاً بامضائه. ثانياً ان ما وقع من المظالم لا بدّ ان يلفت نظر الدول الاوربية فترفق بحال المسيحيين الشرقيين وتأخذ بناصرهم فتى وجدت هذا الصك وعلمت بما حواه ان كذباً او صدقاً تعدل عن التدخل . ثالثاً انه ينجم عن توقيعه اضرار جسيمة تلحق بالايتام والاطفال الذين قُتل أهلهم ، وهو المحامي الشرعي عنهم . رابعاً انه سبق ونشر كرّاساً وصف فيه بتدقيق كل ما جرى فلا يقدر ان يكذب نفسه . فشقّ خبر رفضه كثيراً على اولياء الامر ، فاخذوا يلحّون عليه ويضايقونه فلم يتزحزح عن عزمه . ثم ابانوا له انه قد ينشأ من تمنعه هذا خراب عظيم لان المسيحيين قد تركوا املاكهم واشغالهم وتجارتهم وانهزموا الى الجبال ، ولم يبقَ منهم الا قليلون مختبئين في بيوتهم فاجابهم : « ان الخراب الذي تتوهمون حدوثه فعلى الدولة استدراكه » . قال هذا وهو متأكد في سرّه ان لا مناص له من توقيع ذاك الصكّ غير انه كان يماطلهم عن حكمة وفطنة اذ كان يأمل ان تصل قريباً نجدات اوربية ترفع الضيم فضلاً عن انه كان يرغب في ان يبلغ تسويفه هذا مسامعَ قناصل الدول فيثبت عندهم اصراره في مناصرة الحق واكراهه على التوقيع ، فلا يبقى لهذا الصكّ فائدة تُرجى ان صار البحث عنه فيما بعد .

واذ لم يعد في وسعه المماطلة والرفض وقّع الصكّ بختم جديد غير مستعمل منه فاستشاط خورشيد باشا غيظاً ، وامره بان لا يختم بعد ذلك على ما يُقدّم اليه من الاوراق الا به . فلم يعبأ الخوري يوحنا بكلامه ولم يستعمل قطّ ذاك الختم . وما مرّت مدة وجيزة حتى وفدت العساكر الفرنسوية ، فاجتمع مندوبو الدول للبحث عن كيفية تحصيل حقوق المظلومين فقدّمت الدولة العثمانية حينئذ صكّ المصالحة المذكور فلم يعيروه اهمية بل نبذوه قائلين : « ان قاضي الطائفة المارونية قد رفض رفضاً باتاً توقيعه ولم يختمه إلا مقسوراً[1] » .

وكان قد توفي سنة ١٨٥٨ المطران انطون الخازن ، رئيس اساقفة بعلبك ،

---

١) النبذة ص ٥٠ وما يليها .

فعيّن البطريرك بولس مسعد الخوري يوسف اصاف رئيس مدرسة مار عبدا هرهريا لادارة الابرشية في مدة ترملها . وبقيت هذه الحال الى سنة ١٨٦١ ، فوقع الانتخاب على الخوري يوحنا فسيح اسقفاً في الديمان في ١٥ آب من تلك السنة . فاتخذ المطران الجديد دير سيدة الحقلة محلاً لاقامته ، اذ لم يكن للابرشية كرسي ثابت ولا املاك خاصة . وكان سلفاؤه يقيمون في الاديرة التي لميالهم حقّ الولاية عليها ، فالمطران انطون الخازن ، الذي دبّر الابرشية اكثر من خمسين سنة ، عاش في دير بقلوش الخاص باسرته الخازنية . وكان قبله المطارنة جبرائيل الاول ، وجبرائيل الثاني ، وبطرس ، وثلاثتهم من عائلة مبارك ، سكنوا في دير ريفون الخاص بعائلتهم . غير ان المترجم كان يقضي ، وهو مطران ابرشية ، قسماً من كل عام في الكرسي البطريركي قياماً بما كان يعهده اليه البطريرك بولس مسعد من الامور ، لانه كان يعوّل عليه لما كان عليه من اصابة الرأي في حلّ المشاكل .

وفي ذلك الحين كانت ابرشيته في اسوأ حال ، بعد ان لبثت ثلاث سنين بدون راعٍ ، وحدثت ثورة الاهالي على المشائخ ؛ فباشر حالاً زيارة رعاياه ليصلح ما خلّ ويكمل ما نقص . فاستدعى اليه الخوري فرنسيس الشمالي الواعظ الشهير ، وأرفقه ببعض الكهنة ، فكانوا يتقدّمونه ويهيئون النفوس بالوعظ والارشاد وتوزيع الاسرار . وافتتح زيارته هذه في بلدة مزرعة كفردبيان التي كانت وقتئذٍ من ابرشيته ، وهناك وافاه بعض العرب البدو كان سكّان المزرعة نهبوهم ، فشكوا امرهم الى المطران فأنصفهم وردّت اليهم مسلوباتهم . وفي سنة ١٨٦٢ زار مدينة بعلبك وجوارها وبعد ان فاوض والي الشام مفاوضات طويلة ، نال تنصيب عضوٍ ماروني في محكمة ذاك القضاء ليناضل عن حقوق ابناء طائفته في تلك البقاع .

وكانت غرفته الحقيرة في دير الحقلة محجا لكل اللبنانيين على اختلاف اديانهم فيقبلون اليه من كلّ فجّ وصوب ، لانهم كانوا يعتبرونه ليس رئيس دين فحسب بل قاضياً وحاكماً فيقضي حاجاتهم ويفك مشكلاتهم . ولما صدر الامر بمسح الاراضي في لبنان ، اتفق سكان الشمال وكسروان على معارضة

الحكومة ؛ غير ان المطران يوحنا رأى ان الفرصة موافقة لاجراء المسح لوجود بعض ظروف تساعد على حفظ العدالة والتسوية فطلب مباشرته والبدء به في قرى جرود كسروان . ومن ثم توجه الى مزرعة كفردبيان ولبث ملازماً مأموري المساحة مترصداً تخمينهم ، ليس فقط في قرى ابرشيته ، بل في كل قرى كسروان مدرباً اياهم في اعمالهم كي لا يتجاوزوا العدل والانصاف ، مدافعاً عن حقوق المظلومين ، ومناضلاً عن املاك الاوقاف ، ومسكناً المشاجرات والمخاصمات ، حتى انتهى المسح سنة ١٨٦٥ . وفي آخر تلك السنة ثارت الفتنة بين داود باشا ، متصرف الجبل ، ويوسف بك كرم . فنهض هذا الاخير برجاله وجاء دير مار ضوميط البوار ، فارسل اليه البطريرك بولس مسعد المطرانين يوحنا الحاج ويوسف جعجع ليوضحا له غوائل فعله الوخيمة ويقنعاه بالرجوع عن غيّه ، فلم يرضخ لكلامهما بل شهر الحرب وجرى ما جرى كما يذكر التاريخ .

وقد فكر المترجم منذ السنة الاولى لارتقائه درجة الاسقفية في تزيين بيت الله ، فاستجلب الشيء الكثير من الآنية المقدسة والصور والملابس البيعية والزهور والشماعدين وما هو من نحوها ، ووزّعها على كنائس ابرشيته مراعياً في توزيعه احتياج كلّ منها ومقدرتها المالية . واعتنى في تشييد الكنائس منها كنيسة مار جرجس في صربا فقد اشترى لبنيانها قطعة ارض من وكيل بطريرك الروم الكاثوليك غريغوريوس يوسف كان هذا الاخير اعدّها لاقامة مدرسة لطائفته .

وفي سنة ١٨٧٤ جاء لبنان راساليون انكليز مصحوبون بكتابة من الحكومة العثمانية تؤذن لهم بجرّ ماء نهر الكلب الى بيروت ، فتصدّى لهم اصحاب المطاحن والاراضي خوفاً من الخسارة التي تلحق باملاكهم من جرّاء قطع الماء عنها في فصل الصيف . فمنع ذلك « تعاطي امر الوفاق بينهم المطران يوحنا الحاج واخذ من التجار المذكورين بدل التعطيل الى دير مار يوسف البرج لقاء تعطيل طاحونه ١٢٥ الف غرش له والى دير سيدة اللويزة قدرها والى باقي اصحاب الاملاك كل بقدر ما لحقه من الضرر وربط الوفاق بين الرهبان والشركة باثني عشر شرطاً درجت مع صكوك البيع في سجل المحاكمة بمركز المتصرفية » .[1]

١) الخوري منصور : المقاطعة الكسروانية ، ص ٣٠ وما يليها .

واما همه الاكبر فكان انشاء كرسي لابرشيته فاخذ يُجهد نفسه في هذا السبيل ، فوفّقه الله الى ذلك باقرب وقت فابتاع اولاً املاكاً في لاسا من المشائخ الحمادية المتاولة ، ثم في افقا والمغيرة وقرقوبا ، وفي سرعين وشمسطار في بلاد بعلبك ، وفي الماقورة وبستان العصا ، ثم في الكفور وفتقا والجديدة وعرامون ودلبتا وغزير وجونية ، وفي امكنة غيرها . وقد اشترى كل ما اشتراه من دخل الابرشية ومن التقادم الكثيرة المرفوعة اليه من الذين كانوا يتقاطرون اليه ملتجئين لتدبير امورهم . ولما كانت قرية عرامون واقعة تقريباً في وسط ابرشيته رغب في ان يجعل محل اقامته فيها ، فابتاع سنة ١٨٦٧ دار الشيخ ناصيف الدحداح ، انما حال دون بناء الكرسي فيها دواع صوابية . وفي ١٨٨٠ اشترى دار قعدان بك الخازن فرممها وجعلها لسكناه ولسكنى حاشيته .

وفي شهر نيسان من سنة ١٨٩٠ توفي البطريرك بولس مسعد ، فخلفه المطران يوحنا الحاج ، ونال التثبيت ودرع الرئاسة على يد قاصده المطران الياس الحويك ، في ٢٣ حزيران من السنة عينها . وحينئذٍ خصّ الكرسي البطريركي ببعض الاملاك التي شراها في مدة اسقفيته ، ووقف بعضها الآخر على انشاء مدرسة عليا اكليريكية تقام بجانب البطريركية يدرس فيها المنتخبون من المدارس الاكليريكية الاخرى الشرع البيعي والعلوم العالية ، واختص مدرسة عين ورقة بهبة عودتين مساعدة لها واقراراً بالجميل لانه كان من تلامذتها ، وابقى لكرسي بعلبك ما يقوم بنفقة المطران ومدرسة اكليريكية على سعة[1] . ومن اعماله الخطيرة في بطريركيته تجديد دير بكركي على طراز حديث حتى اصبح قصراً لائقاً بمقام رئيس امة كبيرة ، وشرع في تشييد مصيف جديد في الديمان يبعد قليلاً عمّا بناه البطريرك يوسف حبيش انما لم يُتمّ منه الا قسماً سفلياً : « وقد سعى نائبه المطران الياس الحويك بارشاده فنال تجديد مدرسة الموارنة برومة بفضل السعيد الذكر البابا لاون الثالث عشر[2] ونال ايضاً من فضل حكومة فرنسة ثمانية كراسي لثمانية تلاميذ موارنة يتعلّمون العلوم الكهنوتية

١) المطران يوسف الدبس : تاريخ الموارنة ، ص ٥٥٨ .

٢) أُعلن رسمياً افتتاح مدرسة الموارنة الرومانية ببراءة « *Sapienter olim* » مؤرخة

بمدرسة سان سولبيس بباريس على نفقة الحكومة الافرنسية واشترى ايضاً في القدس بواسطة نائبه الغيور المقدام المطران الياس الحويك داراً يقيم فيها نائب بطريركي يعتني بشؤون ابناء طائفته المقيمين والمترددين الى هناك ». [1]

وكان البطريرك يوحنا الحاج في كل ايام حياته صديقاً مخلصاً للمرسلين اللاتين ، ومحامياً شجاعاً عن مشاريعهم وله في ذلك مواقف عديدة منها موقفه سنة ١٨٩٤ ، لما استدعى البابا لاون الثالث عشر بطاركة الشرق ليستطلع آراءهم في احوال الكنائس الشرقية ، واخص الوسائل الواجب اعتمادها في سبيل اصلاح شؤونها ، واماله المسيحيين المنفصلين الى وحدة الكنيسة ، ووضع قواعد وطيدة وترتيبات راهنة[2] . فاعلن البطريرك ، برسالة الى البابا ، خضوعه التام لكل ما يأمر به الكرسي الرسولي ، وجاهر بحزم ودون مراعاة بشرية بالاعتراف بجميل صنيع مجمع نشر الايمان الذي يسعى من مدة اجيال وراء غاية سامية وهي انماء مجد الله وخلاص النفوس ، واثنى على القصاد الرسوليين الذين استشعروا روح المجمع المقدس ووضعوه موضع العمل ، وعلى المرسلين اللاتين الذين كفروا بذواتهم وضحوا بكل شيء لدن كل ماتة حتى بذلوا حياتهم ايضاً دون نشر نعم الرسالة بين الشعوب . وقد قال : « ليس في الكنيسة لا يونان ولا لاتين ولا ارمن ولا موارنة بل مسيحيون خاضعون لنائب المسيح » . فاستحق المدح والشكر على صراحته وشجاعته ، فكتب اليه الحبر الاعظم في ٧ اذار سنة ١٨٩٥ ومما قال هذا « وانت بصفة كونك الوارث والحارس لايمان وتهذيب اجدادك الذي حفظته طائفتك الكريمة صحيحاً سالماً تستحق اطراءنا ولست تبقي لنا محلاً للريب في انك وان لم تشهد بنفسك الاجتماعات التي عقدناها مع الاخوة المحترمين بطاركة المشرق تسلم بكل الامور التي قررناها ووضعناها في رسالتنا الرسولية التي اصدرناها عقب ذلك وعليه فاننا على المحبة الابوية نعانقك ونعانق

في ٣٠ ت ٢ سنة ١٨٩١ . ١) المطران يوسف الدبس : تاريخ الموارنة ، ص ٥٥٨ .

٢) ان تلك القواعد والترتيبات قد ضمنها الحبر الاعظم في رسالته العجيبة الصادرة في ٣٠ تشرين الثاني سنة ١٨٩٤ المبدوءة بالكلمات التالية : « ان شرف الكنائس الشرقية » (*Orientalium dignitas Ecclesiarum*) .

المؤمنين الذين تحت ولايتك ونريد ان تكونوا على يقين من اننا سنحرص كل الحرص كما فعلنا مراراً من قبل على سلامة صيانتكم ومجدكم...» ومما كتب اليه الكردينال ليدوكسكي ، رئيس مجمع نشر الايمان المقدس ، في ١٨ شباط سنة ١٨٩٥ ما حرفيته : « فهذا الرقيم (المرفوع الى الاب الاقدس) . . . أراه خليقاً برئيس الكنيسة والطائفة المارونية الكريمة التي باتحادها الدائم الصادق بكرسي القديس بطرس المعصوم من الغلط قد حافظت ودافعت في الشرق عن الايمان الكاثوليكي المقدس في كل آونة من تاريخ الكنيسة وعملت على ارجاع الطوائف المنفصلة من ذوي الطقوس الاخرى ولاسيما السريان والروم الملكيين في القرن الحالي . »[1]

وقد كتب من عرف هذا البطريرك من المؤرخين انه « كان ماضي العزيمة عالي الهمة صائب الرأي قد حنكته التجارب العديدة وسبر غور تقلب الايام وعرف مواقع اعمال الرجال وكيفية التصرف في كل المسالك ولهذا لم يحدث في عهده حادث يهم ذكره بل كان السلام والامان مخيماً فوق ضواحي لبنان وقد شهد لهذا البطريرك حتى اخصامه انه داهية عصره وشيخ دهره وقيل انه لم يعثر عثرة كان فيها مغلوباً انما كان الفوز يلازمه في كل اعماله وتصرفاته مع حدة طباعه »[2] ويروى عنه في التدبير ومعالجة الامور مع الحكام والرجال السياسيين نوادر تدل على دهاء مدهش غريب . ومن جالسه رآه متقداً حباً لطائفته ، وعاملاً بكل مكنته على اعلاء شأنها ورفع منارها ، غير هياب من ناوأه او ضاده في ذلك . عاش بطريركاً ٨ سنين ، توفي في ٢٤ ك١ سنة ١٨٩٨ ، وله من العمر ٨١ سنة ، ودُفن في كنيسة كرسيه في بكركي .

١٠ موسى مراد

ان المترجم جعل لعائلته منزلة كبرى فاصبحت من اوجه الاسر في كسروان . لبث مدة وكيلاً على ارزاق الامير يوسف شهاب والمشائخ الخازنيين في ضبيه

١) الخوري ميخائيل غبريل : تاريخ الكنيسة المارونية ، المجلد الثاني ، القسم الاول ، ص ٨١١ و٨١٢ ٢) الكتاب المذكور ، المجلد الثاني ، القسم الاول ، ص ٨٠٣

والنقاش وحالات ، ثم تعاطى تجارة الحرير مع دمشق فربح منها اموالاً جزيلة ، وانصبّ على مشترى العقارات حتى قيل انه امتلك بجدّه وماله نحو مائة « عودة » واصبح من اكبر المتموّلين والملّاكين في مقاطعته . وكان له حظوة كبرى في عيني الامير بشير الكبير ، فجعله صرّافاً على اخيه الامير حسن الذي توفي سنة ١٨٠٨ ولما التأم مجمع الطائفة المارونية المعروف بمجمع اللويزة سنة ١٨١٨ ، اقامه الامير بشير صرّافاً على المجمع المذكور . واذ تأكد ان ولده نجماً صار قادرًا على مواصلة اشغال متجره تنازل له عنها سنة ١٨٣٨ . اما هو فانصرف الى الاعمال الروحية . توفي سنة ١٨٤٧ في الثالثة والثمانين من عمره . وله ايادٍ بيضاء على كنيسة مار يعقوب واوقافها .

١١ الخوري يوسف الشاعر

ان المذكور من عائلة الخويري ، ولد سنة ١٨٣٤ وقضى مدةً في خدمة الخوري يوحنا حبيب الذي كان وقتئذٍ قاضي النصارى . فبعد ان توسّم فيه مخدومه ملامح التقوى والنجابة ادخله مدرسة مار عبدا هرهريا ليتهذّب التهذيب الاكليريكي ويقتبس العلوم . ولما انهى دروسه رجع الى خدمة الخوري يوحنا . وفي سنة ١٨٥٦ رقّي الى درجة الكهنوت بوضع يد المطران يوسف رزق ، وقد استدعاه سنة ١٨٥٩ مطران بيروت ، طوبيا عون ، بمساعي الخوري يوحنا حبيب ، الى وظيفة امين اسراره ؛ فما لبث ان اكتسب نفوذًا عالياً ونال نجاحاً باهرًا في اعماله ؛ فاخذ المطران يعتمد عليه في اتمام اشغاله وانجاز مهامه وعيّنه ، عند سفره الى رومية سنة ١٨٦٢ ، نائباً عامًّا على الابرشية ، فساس النفوس بكل غيرة ، وادار املاك الكرسي بكل امانة ، وفكّ المشكلات المعترضة له بكل حكمة حتى صار له منزلة كبرى ليس عند ابناء طائفته فحسب بل عند عموم الطوائف ومعتمدي الدول .

وبعد رجوع المطران طوبيا رغب في ان يجعله اسقفاً معاوناً له ، وقد سعى كثيرًا في سبيل ذلك ، غير ان الظروف عاكسته فسمّاه نائباً عاماً على الابرشية وقدم عريضة الى الحبر الاعظم بيوس التاسع التمس فيها تثبيت هذا التعيين

ومنح كل الانعامات المتعلقة بهذه الوظيفة وذلك ليمنع كل العراقيل . فاجابه البابا الى طلبه بواسطة مجمع انتشار الايمان ، وهذه حرفية الجواب مسطّرة على العريضة المذكورة : « انه في المواجهة الواقعة في ٢٥ حزيران سنة ١٨٧٠ قد تفضّل بحلم قداسة الاب الاقدس البابا بيوس التاسع وامرني انا المدوّن اسمي ادناه لودوفيكوس جاكوبيني كاتب اسرار مجمع انتشار الايمان المقدس فيما يتعلق باعمال الطوائف الشرقية بان أُعلن انه اجاب التماس سيادته المنوّه به اعلاه ومنح التفويض المطلوب للاب المومى اليه ... [1] » . فسلّم المطران طوبيا الخوري يوسف اعلاماً بوظيفته وارسله ، فزار الابرشية ومنح الاولاد سرّ التثبيت وتمم مقتضيات الزيارة الرعائية من وعظ وارشاد وحل مشكلات وانجاز دعاوٍ وذلك بكل امانة ونشاط حتى شهد الجميع بكفاءته . وبعد وفاة المطران طوبيا ، ارسل البطريرك بولس مسعد من يطوف في المدن والقرى مستفتياً الاهالي لانتخاب مطران جديد ، فنال الخوري يوسف اكثرية الاصوات . غير ان البطريرك امر باعادة الانتخاب لانه يريد ان يقف على هذه الابرشية المهمة كاهناً يعرف لغة اوربية . فلما درى اهل بيروت بنية البطريرك سلّموه تدبير الامر وحذا حذوهم سكّان المعلقة والحدث وبعض الامراء . فعند ذاك اظهر الخوري يوسف من حسن التصرّف ما اعجب الجميع فأعلن انه لا يرغب ولا يحبّ ان ينتخبه احد ، فرقي حينئذٍ الخوري يوسف الدبس الى درجة الاسقفية سنة ١٨٧٢ واما المترجم فترك بيروت ، وجاء دير الكريم ، فقربته دلبتا . وفي سنة ١٨٧٥ عُيّن قاضياً لمحكمة قضاء كسروان فافتقدته هذه الوظيفة كثيرين من اصحابه ومحبّيه . وسنة ١٨٨٣ حكم متصرف لبنان واصه باشا بان لا يكون قضاة المحاكم من الكهنة فعُزل الخوري يوسف من منصبه في محكمة كسروان ، ولم يكن حينئذٍ باقياً من القضاة الكهنة في محاكم الجبل غيره . توفي سنة ١٨٨٨ [2] .

---

١) النبذة : ص ٨٢ . ٢) النبذة : ص ٨٤ وما يليها .

انتهى

وفادة البطريرك يوسف العاقوري

الى مدينة رومية

بقلم الاب توتل اليسوعي

اذ حضرة القس فيلبوس حنا واكد حبيش الغزيري الانطوني عرض علينا رسالة وجيزة عثر عليها بين اوراق اسرته ، وهي مؤرخة في ١١ تموز سنة ١٦٤٦ ، وموقعة ومختومة باسم « الحقير يوسف بطرس البطريرك الانطاكي » ، موجهة الى الشيخ طربيه حبيش ؛ وسألنا رأينا فيها ، واقترح علينا نشرها في المشرق ان كان لها فائدة فتحفظ من ايدي الضياع .

وبعد النظر والبحث فيها استحسنا الاقتراح واليك نص الرسالة مع بعض التعليقات التي سوف تساعد على فك الغازها .

وليس من سبيل الى الشك في صحة نسبة هذا الاثر الى زمانه ومكانه ومؤلفه ، ولون الورق وسمكه وحبره وانشاء الرسالة الشاهد على قدمها . طول البطاقة ٢١ سنتمترًا ونصف وعرضها ١٤ سنتمترًا ونصف واليك نصها :

« البركة الالهية تشمل جناب حضرة ولدنا الشيخ طربيه حبيش ادام الله تعالى شريف وجودكم للدوام

غب اهداكم البركة الالهية ومزيد كثرة اشواقنا لرؤياكم السعيد والسوال عن خاطركم ان شاء الله يا جناب الشيخ تكونوا بكل صحه وتوفيق ونحن ربنا عاطينا صحه زايده فقط نحن مشتاقين اليكم صار ماضي شهرين ما شفناكم نرغب مشاهدتكم . ثم نعرض لجنابكم ما جد عندنا نهار الاحد حضروا لعندنا اخوتنا المطارين وتخطبنا معهم باشيا ماضيه وحاضره وتم راينا معهم ان نبعث الى روميه المقدسة وبلاد الفرنج احد اخوتنا المطارين وهو المطران مخايل مطران طربلوس لاجل بعض اشغال وعند حضوره لداركم يعرض لجنابكم ما به الكفايه ومن يكون لكم الشهره بجميع البلدان وبالخصوص عند الدول بما انكم من اعظم اشراف جبل لبنان وهذا مبرهن عند الجميع ان سطوتكم مشهورة في الشرق والغرب ونحن واخواننا المطارين لنا امل زايد في جنابكم وفضالكم سابقة علينا وعلى عموم الطايفه بالمساعده ومرغوتنا الان من جنابكم ان تصحبوا اخونا المطران مخايل الذي هو متشرف بداركم العامره بكتابه قويه ليكون معروف عند الدول وربنا يقدرنا على مكافاتكم ونحن واخوتنا المطارين

فارضين صله حق ربنا يحفظ لنا وجودكم لانكم ملجا للجميع واخواننا المطارين جدوكم اشواقهم القلبية وتكرار البركة الالهية حرر في ٢١ تموز سنة ١٦٤٦ الحقير

يوسف بطرس

البطريرك الانطاكي »

ما هي الاشغال التي شغلت البطريرك الماروني ومطارينه والجأتهم الى ارسال مطران طرابلس الى رومة وبلاد الافرنج ، والاهتمام بتزويده بكل ما كان يحتاج اليه في تلك الايام لتذليل العقبات بوجهه ؟

قد يتبادر للفكر ، في اول وهلة ، ان المطران سافر لجمع الحسنات ، وهذا ما رآه حضرة الاب بطرس قرألي صاحب المجلة البطريركية في نشره اثرنا هذا في عدد حزيران الفائت. ولم يزد عليه من شرح او تعليق . والامر معقول ومناسب لما نعرفه عن عادة استغاثة المسيحيين الشرقيين باخوانهم الافرنج ابان المحن والضيقات . ومما يرجح صحة هذا التأويل قراءة ما كتبه الدويهي عن السنة ١٦٤٦ المؤرخة فيها رسالة البطريرك يوسف ، قال :

« في سنة الف وستماية وستة واربعين مسيحية انعزل حسن باشا عن ايالة طرابلس . وعاد اليها محمد باشا الارناؤوط . وقام بكوخيته ابن الصهيوني . والحاج قر الدين . وكانت السنة رخصة . ولكن دخل فيها نيسان بارد وكثير المطر . فانضربت شجرية الجوز والكرم والتوت وطلعت مواسمهم ممحلة . حتى ان نصف رطل البزر عمل في بعض اماكن رطلين شرانق . وحكم الطابق البوش والسابقة وقبل هذا الآن كان غلال الزيتون في القسم النصف الفلاح وربع للسلطنة وربع مظلمة . فداروه خراج . وكان ضمان مال طرابلوس وايالتها بثلاثة كرات تورد للسلطنة . فقطعوا على كل فدان وعلى رأس الانسان اربع وعشرين قرش . على ماية الزيتون خمس قروش . وعلى ماية التوت اربعة ونصف فانضامت الرعايا وتشتتوا عن مواطنهم . وخلت بعض ضياع بتمامها . » (١

فلا بد ان تكون تلك الازمة الشديدة حركت الشفقة في قلب البطريرك فكانت مدعاة لارساله المطران مخائيل والتوصية به بيت حبيش لينال بواسطتهم اللقاء الحسن من جانب المحسنين .

على ان المقابلة بين تاريخ الرسالة وبين تواريخ انتخاب وتثبيت البطريرك يوسف بن حليب العاقوري تتخطى بنا الى ابعد من ذلك ، الى مباحث ونتائج

---

١) عن مخطوط كرشوني مؤرخ في ٨ شباط ١٧٩٧ ، اقتنته المكتبة الشرقية حديثاً .

يرتاح اليها الخاطر ، وان لم تكن تضطره الى اليقين في صحة امرها.

من المقرّر ان انتخاب البطريرك يوسف الطاقوري تمّ في ١٥ آب سنة ١٦٤٤، ومن المقرر ايضاً ان التثبيت لم يأته من رومة الّا في ١٠ ايلول ١٦٤٦. فلماذا هذا التباين بين تاريخي الانتخاب والتثبيت ؟

قال الدويهي في تاريخ الازمنة [1] :

« في الخامس عشر من شهر آب (١٦٤٤) تخلف على [البطريرك جرجس عميره] في الكرسي يوسف ابن حليب اسقف صيدا. . .وقدم الى رئاسة الكهنوت مخايل سماده الحصروني على مدينة طرابلس

وفي سنة ١٦٤٥ ارسل قصاده لرومية القس عبد المسيح ابن الطويل الحدثي والشدياق بطرس ابن مخلوف الفوسطاني. . ليطلبان التثبيت وان يكرم بطيع الفرماطيق. . وفي شهر ايلول من السنة الثانية [١٦٤٦] اعطام [البابا] على ما بخاطرهم ، وارسل الى البطرك التثبيت . . . »

فهل يكون تأخر التثبيت مسبباً عن تأخر وصول الوفد الى رومة ؟ كلّا لان الفراماطيق المذكور طبع سنة ١٦٤٥ في رومة [2]. وكتب القس عبد المسيح انه وصل الى رومة في ٢ تموز سنة ١٦٤٥ [3]

وهل يكون سبب التأخر السبب نفسه الذي حال مدة سنتين دون تثبيت البطريرك ابن عميره بعد انتخابه ؟

روى حضرة الاب ابراهيم حرفوش عن كتابة باسم المطران جرجس حبقوق نشرها في المشرق (٥ [١٩٠٢] : ٦٨٩) ان جرجس بن عميرة لما اقيم بطركاً « بعث لرومية القس ميخائيل الحصروني حتى يجيب له تثبيت من قدس الحبر الاعظم من غير شور مشايخ الشعب ومكاتيبهم . وعندما وصل القاصد لرومية فكان هناك ثلاثة مطارين من الموارنة وهم المطران سركيس بن الرز والمطران جرجس ابن مارون من اهدن والمطران اسحاق الشدراوي . . . وعندما عرفوا في المرسال قالوا له : اين مكاتيب حضرة المشايخ بيت الخازن وبيت حبيش وباقي اعيان الطائفة . فقال لهم الحق ولم يقدر ان ينكر قائلاً : « ان

---

١) في المخطوط المذكور.

٢) راجع ديب : الكتبة المارونية ، في « الموسوعة اللاهوتية الكاثوليكية الافرنسية » (١٠ : ١ ، ٦٧) .

٣) راجع الدبس : الجامع المفصل ، ص ٢٠٧

البطرك ما شاور احد لا بيت الخازن ولا غيرهم . فقالوا له : ما يمكن ان يتم لك حال اذ لم تجي مكاتيب المشايخ بيت الخازن وبيت حبيش . فالتزم انه عاود فارغ خايب من التثبيت لعند بطركه . وعند ما تحقق جرجس ابن عميرة ان لم يصير له تثبيت بطركية على ملة الموارنة الا برضا المطارين والاعيان المذكورين اضطر انه اجتهد اجتهاداً جزيلاً على حضرة المشايخ بيت الخازن وبيت حبيش وطيلع منهم مكاتيب ومن المطارين الموجودين عنده في بلاد الشرق وسفر بهم القاصد ثانياً الى رومية حتى جاه التثبيت ».

فينتج من هذه الوثيقة ان اساقفة الطائفة المقيمين آنذاك في رومة اشترطوا على تأييد جرجس عميره في طلبه ان يكون مشفعاً بتوصية كبار الطائفة واعيانها. ولم تمانعهم رومة في اشتراطهم بل جارتهم على رغائبهم.

فيكون من المرجح اذن ان غرض سفر المطران الى رومة كان ، ليس فقط جمع الحسنات ، ولكن ايضاً طلب تثبيت البطريرك يوسف.

وليس كلام الدويهي في ان البابا «اعطاهم على خاطرهم» اعني القس عبدالمسيح ورفيقه لينفي امكان تدخل المطران بالامر، وفي علمنا انه في ٢١ تموز سنة ١٦٤٦ (راجع الوثيقة) كان على اهبة السفر الى رومة . فلما وصل اليها ساعد بنفوذه الشخصي وبتوصية المشايخ التي كانت بين يديه على ازالة العوائق التي كانت تحول منذ سنتين دون تثبيت البابا للبطريرك يوسف . وقد يترجح هذا الرأي اذا كان من ثم اسباب لذاك التأخير.

وهناك حادث آخر تفيدنا معرفته في تعليل هذا التأخير:

في ٥ كانون الاول من سنة انتخابه (١٦٤٤)، عقد البطريرك يوسف العاقوري مجمع حرش ، وفيه عني الاحبار والآباء المجتمعون بنص القوانين التي كانت ترمي الى اصلاح ما وقع من الخلل في النظامات الطقسية القديمة وفي جملة تلك القوانين اعلن المجمع بنوداً غايتها كبح جماح كل من يتعدى السلطة المألوفة المحلية ، ورشق بالحرم الكنائسي الكهنة الاجانب من لاتين وشرقيين الذين يقدمون على سماع اعترافات الموارنة ومناولتهم القربان المقدس من غير تفويض البطريرك ، ونال بالحرم ايضاً الموارنة الذين يقبلون هذين السرين من ايدي هؤلاء الكهنة.

وقد يكون الدافع لوضع هذه القوانين البطريرك ذاته ، فانه كان سبق زمن جلوسه على الكرسي وتهدّد بمثل تلك العقوبات الموارنة الذين يقصدون الى المرسلين للغاية المذكورة . ففرّط ، ورفعت رومة صوتها محتجة ، وارسل مجمع انتشار الايمان رسالة «امر فيها ان يُنذر (*moneri*) بطريرك الموارنة انه ما كان له ولا عليه ان يتعدّى حق الكرسي الرسولي ، ويرشق بالحرم الموارنة عند اخذهم الاسرار من مرسلي ذلك الكرسي. ولذلك ، فلا بد له من ان يستردّ القرار المذكور ، وان يبلغ المجمع المقدس السبب الذي من اجله منع الموارنة عن اخذ الاسرار من ايدي المرسلين وان يرى فيما يفرضه واجب التعويض على الكهنة الذين قد يكونون تأذوا من تلك الحوادث . »

اخذنا هذا النص عن حضرة الاب بطرس ديب في بحثه على مجامع الكنيسة المارونية (١٥٥٧–١٦٤٤) . نشره ولم يخشَ لوم اللائم وقال : هل بلغت رسالة مجمع انتشار الايمان الى البطريرك ؟ ومهما كان من الامر فقد كتب البطريرك يوسف الى الكردينال بربريني ، محامي الموارنة ، ورفع اليه مجدّدا حججه على المرسلين . وتحريره مؤرخ في السنة ١٦٤٥ (١٤ نيسان) تلك التي اوفد فيها القس عبد المسيح ورفيقه لطلب التثبيت . فكانت تلك الاخبار ، ولا شك ، مبعثاً لاثارة الخواطر في الدوائر الرومانية ، ولا عجب ان تكون ابطأت في تلبية طلب التثبيت الى ١٠ ايلول ١٦٤٦ . في ذلك العهد كان مخائيل مطران طرابلس قد تمكن من الوصول الى رومة بعد مغادرته لبنان في اواخر تموز . ولا نخاله الا مستحثاً الدائرة الرومانية في عملها ضاماً سعيه الى سعي القس عبدالمسيح ورفيقه وغيرهم من الموارنة المقيمين في المدينة الابدية حتى نالوا التثبيت .

واذا اصبنا في حدسنا هذا ، ولا نرى فيه ما يخالف المعقول ، فيكون غرض الرسالة التي وجهها البطريرك يوسف بن حليب الحاقوري الى الشيخ طربيه حبيش ان ينال التوصية للحصول على التثبيت البابوي ، وللمساعدة على جمع الحسنات من بلاد الافرنج .

ونحن في غنى عن تبيان ما في وثيقة البطريرك من التنويه بوجاهة الذين أرسلت اليهم .

التذكار المئوي

لتجديد رسالة الآباء اليسوعيين في لبنان وسورية

١٨٣١-١٩٣١

بقلم الشيخ سليم الدحداح

كما يستعين المسافر بالمحطات لمعرفة ما اجتاز من الطريق وما بقي عليه لبلوغ نهاية السفر ، كذلك نستعين بالسنوات والاجيال فانها محطات للانسان في سفره في هذه الحياة الزائلة . فبدء كل سنة هو عيد العائلة ، وعيد الامة التي هي مجموع العائلات . وقد اعتاد البشر ان يخصوا باحتفالات اعظم واجمل السنة السابعة ، كما ذكر الكتاب المقدس ، فدعاها سنة يوبيل ؛ ثم وجدوا ان هذه المهلة قصيرة ايضاً في تواريخ العالم ، فاتخذوا تواريخ اطول مدة ودعوا السنة الخامسة والعشرين يوبيلاً فضياً ، والسنة الخمسين يوبيلاً ذهبيا ، والسنة الخامسة والسبعين يوبيلاً الماسياً . ولكنهم جعلوا اكثر الافراح والاحتفالات مختصة بالاعياد القرنية .

وقد اعتادت الامم ان تحتفل بنوع خاص احتفالاً باهراً بالتذكارات المتعلقة بحياتها السياسية والاستقلالية . وها ان دولة اليونان قد عيّدت من سنتين عيد المائة سنة لاستقلالها ، كما كانت دول اميركة الجنوبية تتابعت من سنوات قليلة بمثل هذه الاعياد . وكذلك قامت دولة فرنسة ، مرشدتنا المحبوبة ، فاحتفلت في السنة المنصرمة بمرور مائة سنة على فتحها مدينة الجه واحتلالها بلاد الجزائر .

اما نحن في سورية ولبنان ، فان كان استقلالنا حديثاً وليس لنا اعياد سياسية نحتفل بها لا قرنية ولا يوبيلية ، فاننا في هذه السنة نحتفل بمرور مائة سنة على رجوع الآباء اليسوعيين بين ظهرانينا . وقد صادف هذا الرجوع زمن الفتح المصري لبلادنا : وكل من له المام بالتاريخ يعلم ان ابراهيم باشا المصري

(جدّ الملك فؤاد الاول الحالي) ، ذاك القائد الشهير ، قد دخل بلاد سورية في اوائل سنة ١٨٣١. فترك قسماً من جيشه محاصراً لمدينة عكّا ، واجتاح بالقسم الآخر منه سائر بلاد سورية ولبنان ، متحالفاً مع اميرنا الشهابي الكبير . حتى اذا فتح عكّا انضمت جميع قواته ، وسار فاتحاً كيليكية والاناضول. وبعد ان اوقفته الدول ، وتُركت له كيليكية وسورية فحكمهما تسع سنوات ، عادت الدولة العثمانية بمساعدة بعض دول اوروبة وحاربته ، واضطرته الى مغادرة بلادنا ؛ فعادت الى الدولة العثمانية في ١٨٤٠ . وهكذا اضمحلّ الفتح المصري الجريء ، ولم يبق منه سوى ما يذكره البعض من آثار عدالة الفاتحين وحبهم لايجاد المساواة بين جميع الرعايا ، الامر الذي لم يكن يعرفه الحكام العثمانيون حينئذٍ . وهكذا تمّ المثل « ما أُخذ بالسيف بالسيف يؤخذ » .

ولكن سنة ١٨٣١ شاهدت حادثاً آخر في سورية ولبنان كان له تأثير فتح جليل، ولكن فتح ديني ادبي لا يزال كائناً حتى هذه السنة ؛ وان شاء الله فانه لن يزول . هذا الفتح السلمي الانجيلي هو ما نعيّد له اليوم عيده القرني .

كلٌّ يعلم ان الرهبنة اليسوعية – وجل الغاية من تأسيسها في النصف الاول من القرن السادس عشر هو مقاومة مؤسسي الاصلاح المزعوم ونشر الايمان الكاثوليكي في كل الاماكن التي ترسل اليها بامر قداسة البابا — كانت قد ارسلت بعض ابنائها الى سورية ولبنان منذ سنة ١٦٢٦ . وبعد ان اقاموا فيها مدة ١٥٠ سنة متفانين غيرةً ، وقائمين بكل اعمال الرسالة في اديارهم في طرابلس ، وحلب ، ودمشق ، وصيدا ، وعنطورة كسروان ، غادروها سنة ١٧٧٤ وفقاً لاوامر البابا . فخلفهم فيها غيرهم من الآباء الفرنسيين من رهبنات وجمعيات غير رهبنتهم .

لكنّ المؤمنين في سورية ولبنان ما زالوا يأسفون على فراقهم، حتى لمّا بلغهم ان الحبر الاعظم اعاد تشكيل تلك الرهبنة الجليلة كما كانت في ما مضى ، بادر وكلاء بطاركتهم في رومية لتقديم العرائض الى الحبر الروماني ملتمسين منه رجوع هذه الرهبنة لبلادهم. واول تلك العرائض مؤرخة في ٢٥ تموز ١٨١٦ وموقعة بتواقيع عديدة منها توقيع المطران جرمانوس حوا مطران حلب الماروني ،

والمطران مكسيموس مظلوم للروم الكاثوليك (وسيأتي ذكره) والاب يوسف السمعاني وكيل الرهبنات المارونية.

واخيراً توفق المثلث الرحمات المطران مكسيموس مظلوم ، السابق الذكر ، واقنع الرئيس العام للرهبنة اليسوعية ان يتولى ابناؤه ادارة مدرسة كان بنيـة طائفة الروم الكاثوليك انشاؤها في عين تراز لتثقيف اكليروسهـا . فأبحر من ليفورنو في ايطالية على مركب يدعى « ارادة الله » (*La Volonté de Dieu*) ومعه الاب مبارك بلانشه الافرنسي، والاب بولس ريكادونا الايطالي ، والاخ هنز الالماني من مدينة هانوفر ، وقد كان طبيباً. وذلك يوم الاحد الواقع في ٩ تشرين الاول ١٨٣١ قاصدين مدينة بيروت وعند وصول المركب الى جونية ، نزل المطران الى البرّ وتوجه الى الزوق عند بطريرك طائفته ، وهو وقتئذ المثلث الرحمات اغناطيوس قطّان ؛ وتابع الرهبان الثلاثة سفرهم مع المركب الى بيروت فنزلوا الى البرّ يوم الاحد ١٣ تشرين الثاني ١٨٣١ ، وهو يوم عيد استانسلاس كوستكا احد قديسي رهبانيتهم الاعاظم وشفيع الشبيبة والمبتدئين.

فتفاءلوا خيراً بهذه المصادفة الحسنة ، وحلوا ضيوفاً في بيت احد وجهـاء الروم الكاثوليك المسمّى ايوب نصرالله حيث استمروا خمسة عشر يومـاً . ولم يلبث ان لحقهم المطران مكسيموس الى محـل ضيافتهم ، ثم توجهوا معه الى عين تراز ، فوصلوها في اوائل كانون الاول سنة ١٨٣١.

وفي شهر حزيران ١٨٣٢ توجه الرهبان الثلاثة الى دمشق فزاروا قبور ابناء رهبنتهم في ديرهم القديم الـذي كان بيد الآباء العـازاريين ، وشاركوهم في احتفالات عيد القديس منصور دي بول . ثم عادوا الى عين تراز . وفي مطلع سنة ١٨٣٣ توفي البطريرك اغناطيوس قطّان ، فانتخب اساقفة الروم الكاثوليك مكسيموس مظلوم السالف الذكر بطريركاً عوضاً عنه . فتوجـه في ١١ نيسان ١٨٣٣ الى بيت الدين للقيام بزيارة حاكم البلاد ، الامير بشير الشهابي الكبير ، وقد رافقه في هذه الزيارة الرئيس الاب مبارك بلانشه.

ولما تحقق الرهبان اليسوعيون عدم امكان انشاء المـدرسة الاكليريكية لتثقيف الاكليروس الملكي ، اخـذوا يسعون في اختيار بلدة ينشئون فيهـا

مركزاً لهم ، فتوجهوا اولاً الى دير مار جرجس في ساحل علما ، حيث كان يقيم البطريرك يوسف حبيش الماروني ، فاحتفى بهم وعرض عليهم مدرسة مين طورا التي كان وقفها احد رهبان الموارنة ، بطرس مبارك الشهير ، وكانت عادت للطائفة المارونية بعد سنة ١٧٢٤ . فشكره الآباء ، لكنهم رفضوا قبولها لزيادة قربها لدير المازاريين ، سيما وقد كان هؤلاء انشأوا فيها مدرستهم الشهيرة التي لا تزال موجودة حتى الآن.

وفي هذه الاثناء ارسل الامير حيدر اسمعيل اللمعي ، حاكم القاطع ، يطلب الآباء لزيارته في جوار الحوز . فتوجه اليه الاب بولس ريكادونا (وكان تعين رئيساً بدلاً من الاب بلانشه) في ١٦ حزيران ١٨٣٣، فاشار اليه ان ينتقي محلاً في املاكه ليبني فيه ديراً . وبعد ان طاف الاب جهات القاطع اختار قرية بكفيا ، فوهبه الامير محلاً شيد فيه ديراً هو الآن دير اليسوعية في بكفيا . وما صنعه الامير حيدر مع الاب ريكادونا صنع مثله الامير بشير الشهابي الكبير مع الاب بلانشه ، فانه اوعز اليه ان يختار محلاً في املاكه في البقاع لتشييد دير فيه . وبعد التفتيش وقع اختيار الاب بلانشه على قرية المعلقة ، فوهبه الامير ارضاً تشيد فيه دير . وقد كان انشاء هذين الديرين : دير بكفيا ، ودير المعلقة ، تقريباً في تاريخ واحد، وهما اقدم اديار الرسالة المتجددة.

في ١٥ آب ١٨٣٤ وصل بيروت الاب ريمون استاف الفرنسوي التبعة ، وقد عُرف في لبنان باسم « ابونا سليمان ». ثم اتى بعده الاب مكسميليان ريلو ، الذي استلم الرئاسة في شهر آب سنة ١٨٣٩ وانشأ دير بيروت القديم ، وقد وصفه في كتابه للرئيس العام بانه « كائن خارج باب المدينة الاكبر وقريب من قصر الحاكم » . ثم تعين رئيساً لمدرسة نشر الايمان المقدس في رومية ، فخلفه في رئاسة الرسالة في بلادنا الاب بلانشه ، السالف الذكر ، فانشأ في دير بيروت مدرسة خارجية منذ شهر تشرين الثاني سنة ١٨٤١ .

وفي سنة ١٨٤٣ أُلحقت الرهبانية اليسوعية رسالتها في سورية ولبنان باقليم ليون كما هي باقية حتى الآن ، وذلك في عهد الرئيس الاقليمي لويس مايلار .

واما الدير الرابع لهذه الرسالة المتجددة فدير غزير ، وهو دار الامير حسن

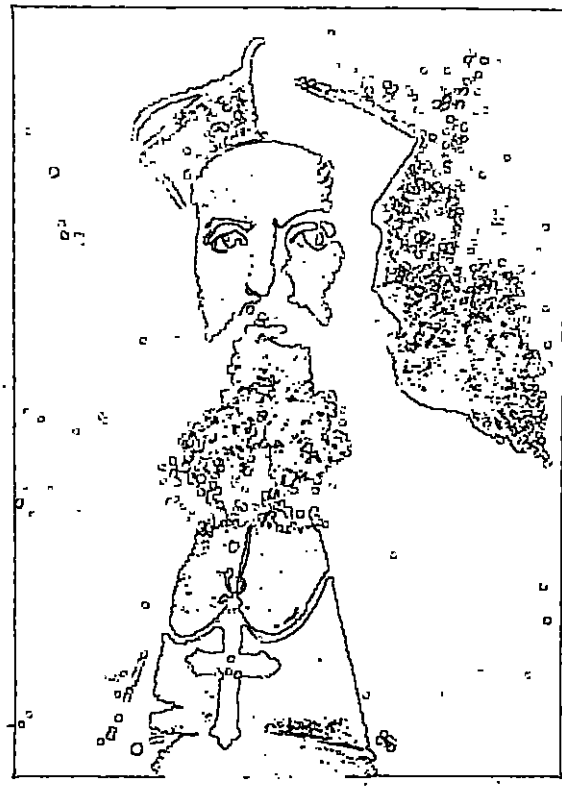

الاب مبارك پلانشه

١٨٠٣ — ١٨٥٩

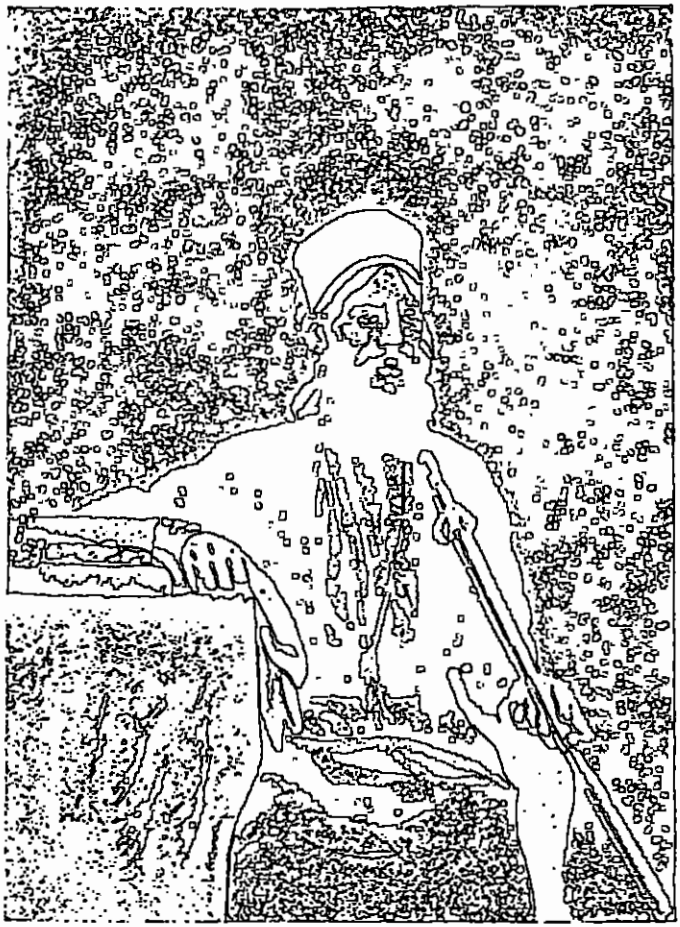

الاب بولس ريكادونا

١٧٩٩ – ١٨٦٣

شهاب ، شقيق الامير بشير الشهابي الكبير ، اشتراه الاب بلانشه ، رئيس الرسالة ، في شهر آب سنة ١٨٤٣ من الامير عبدالله حسن شهاب بمبلغ اربعين الف فرنك . وترأس عليه الاب اوبرمبالسكي البولوني . وقد جعل فيه مدرسة اكليريكية فتحت ابوابها لاول مرة في ١٩ اذار سنة ١٨٤٥ . وبعد ان اضطرّ الآباء لقفلها مرتين لاسباب سياسية في لبنان وفي فرنسة ، فُتحت نهائيًا في تشرين الثاني ١٨٥١ ، واصبحت في سنة ١٨٥٥ مدرسة عمومية فبلغ عدد طلبتها ، في سنة ١٨٥٩ ، ٢٠٠ تلميذ منهم ٨٠ اكليريكيًا.

وهذه المدرسة الغزيرية بلغت شهرةً واسعة . الا ان الاب موتو رئيس الرسالة وجد ان مركز غزير بعيد عن بيروت التي كانت قد اصبحت اسكلة لبنان وسورية ومركزًا تجاريًا وسياسيًا وادبيًا لهذه البلاد ، فاختار محلًا بعيدًا عن مركز ديرهم القديم وانشأ ديرًا جديدًا اكبر واوسع من الاول . وبعد ان طاف اميركة واوروبة مستحثًا كرم المحسنين ، عاد الى بيروت واتمّ البناء . وفي تشرين الثاني ١٨٧٤ فتح ابوابه للطلبة ، ونقل اليه مدرسة غزير الداخلية والاكليريكية ، ومدرسة دير بيروت القديم الخارجية . ثم تخلى عن الدير القديم . وبقي دير غزير مركزًا للآباء ابقوا فيه مدرسة خارجية ابتدائية لابناء القرية ، وجعلوه مصيفًا لرهبان مدرسة بيروت وتلامذتها الغرباء ، واقاموا فيه مدة مركزًا للابتداء لطالبي الدخول في رهبانيتهم.

اما مدرسة بيروت الجديدة التي خلفت المدرستين المار ذكرهما فهي الآن الكلية الشهيرة التي جمعت فروع اكبر جامعات العلوم في الدنيا . فمنها اللاهوت ، والفلسفة ، والطب (١٨٨٣) ، والحقوق (١٩١٣) ، والهندسة (١٩١٣) ، وطب الاسنان ، والصيدلة ، والعلوم الثانوية ، والابتدائية . وقد امتدت بناياتها الشامخة في محلات متعددة يتبعها المستشفى العظيم المشيّد بعد الحرب الكبرى قرب حرج بيروت . وقد احتفلت بعيدها الفضي في سنة ١٩٠٠ ، وبيوبيلها الذهبي احتفالًا باهرًا في سنة ١٩٢٥ . ويتبعها المطبعة الكاثوليكية المشيدة اولًا قرب الدير القديم في بيروت في سنة ١٨٥٣ ، والمنقولة بعد ذلك الى محلها الحالي : وقد أدّت اعظم الخدمات واجلها للغة العربية ولسائر اللغات الشرقية بطبعها

الكتب الفريدة والمديدة ولا نبالغ اذا قلنا انها من اعظم واتقن مطابع العالم. والمكتبة الشرقية التي اسسها استاذنا السعيد الذكر الطائر الشهرة الاب لويس شيخو.

ولست هنا قادرًا على تتبع اعمال هذه الرهبانية الجليلة في مدة قرن كامل في بلادنا اللبنانية والسورية . فان ذلك يقتضي ليس اكثر من مثل هذه المقالة فحسب بل يلزمه المجلدات الكبيرة . وانني اكتفي بذكر ما انشأوه بعد ذلك من الاديرة ، فقد بنوا ديرًا في زحلة (سنة ١٨٤٦) — وديرًا في دمشق الشام (١٨٧٢) — وديرًا في حلب (١٨٧٣) — وديرًا في حمص (١٨٨٢) — وديرًا في حوران — وميتمًا في تمايل البقاع ومرصدًا فلكيًا في كساره سنة ١٩٠٧ — وديرًا في صيدا — وديرًا في دير القمر — وديرًا في عين ابل من جبل عامل — وديرًا قرب قرية منجز (عكار).

انما بعض الظروف وقلة عدد الرهبان اجبرتهم على ترك بعض هذه المراكز ، فغادروا حوران ، ودير القمر ، وصيدا ، والملقة ، وعكار.

ولا اغالي اذا قلت ان رسالتهم هذه اخرجت في هذا القرن الذي انقضى منذ رجوعهم الى هذه البلاد لا اقل من خمسين الف طالب على اقل تعديل ، فضلًا عن حملة الشهادات العليا في اللاهوت والفلسفة والطب والحقوق والهندسة الذين خرجوا من كلية بيروت التي دعاها بكل حق فقيد العلم والدين والوطنية موريس باريس « بمنارة البحر المتوسط » . هذا فضلًا عن الايتام وصغار الفقراء الذين تعلموا الصنائع والعلوم الابتدائية في مدارسهم القروية .

ولا ننسى ان نضيف الى هذا العدد الضخم مجموع التلاميذ الذين تخرجوا في مدرسة مار لويس غزير المعروفة بمدرسة المزار ، ومدرسة مار يوسف في قرنة شهوان الداخليتين ، وقد ازهرتا حينًا من الدهر وكان مؤسساها المرحوم الخوري لويس زوين والمطران يوسف الزغبي من نوابغ تلاميذ اليسوعيين في غزير . وقد ادارهما تلاميذهم ايضًا . وكذلك المدرسة الوطنية الحالية في بعبدات ، فان مؤسسها ومديرها الفاضل من تلاميذ الكلية الكاثوليكية في بيروت . وغير هذه المؤسسات العلمية حتى الكلية الاسلامية العامرة ، فانها قد لبثت مدة

طويلة بادارة احد تلاميذ الكلية اليسوعية . واذا اضفتَ ايضاً عدد التلميذات من كل الطوائف اللواتي يتلقين العلوم في مدارس راهبات قلبي يسوع ومريم — وهؤلاء الراهبات ينتمين الى جمعيتين تأسستا من قبل الاباء اليسوعيين ثم توحدتا في رهبنة واحدة — فانك بلا شك تصل الى مجموع يفوق على الاقل عشرة اضعاف العدد الذي ذكرناه . فضلاً عن انّ كثيراً من المدارس الوطنية كانت ولا تزال بادارة آباء واساتذة افاضل يفتخرون بانهم تلقوا العلوم وفنّ الادارة على اليسوعيين . فمن هنا تتأكد ان لهم اليد الاولى في تعميم العلم في كافة لبنان وسورية .

وتظهر قيمة فضلهم متى عرفت انهم لا يكتفون بنشر العلم فقط بل انهم يجمعون في مدارسهم التهذيب مع العلم . ويلقنون المبادئ الصحيحة مبادئ التربية الحقيقية ، فانهم يحققون في عملهم معنى اللفظة اللاتينية *Education* اي الانهاض . فان هذه اللفظة تعني ، عند اللاتين ، التربية والتعليم بوقت واحد . وكذلك اينما وجدوا فانهم يلقنون تلاميذهم مع التهذيب والتعليم حب وطنهم ودينهم ، والتجرّد للدفاع عنهما . وقد كذبت شواهد الحرب الكونية العظمى ما قاله الملحد رينان : « لن يتمكن تلميذ اليسوعيين من الانتصار على بروسي » فان قاهري الالمان والبروسيين هم فوش وكستلنو وفايول وليوتي وجميعهم من تلاميذ اليسوعيين واقارب رهبان يسوعيين ؛ ولنا الشواهد عندنا في رجالنا فان تلاميذ اليسوعيين ما زالوا في مقدمة محبي لبنان والمتفانين في خدمته والمحافظة عليه ، وقد ابلوا البلاء الحسن في خدمة اللغة العربية ونشرها في جميع اقطار الارض .

واذا علمت ان كثيرين ممن لم يكونوا من تلاميذهم قد كانوا اعضاء في جمعياتهم الروحية او الادبية كالاخويات واندية الشبان الادبية وغيرها ، تحققت انهم من اركان الترقي في بلادنا وان اكثر المتنورين بيننا مدينون لهم بما وصلوا اليه .

ومن منا يمكنه ان ينسى اسم الاب فيوروفيش مؤسس جمعيات الصملة وذوي الحرف والصنائع اليدوية والاب سكوني سيروفيم المرسل الرسولي الذي طاف

انحاء بلادنا مشياً على الاقدام ، فبشر ووعظ وعلّم متفانياً حتى مات اخيراً على الطريق . والاب ميشال مدير المدارس الابتدائية الخارجية في بيروت وجوارها . والاب انجليل مديرها في جبال كسروان وجبيل والبقاع ، والاب لويس بدور الذي كان واقفاً للبروتستان بالمرصاد فيبادر الى مزاحمتهم بالمدارس ، حتى استحق تلك الجملة التي تروى عن لسان احد المبشرين الاميركان الذي كان متوجهاً الى صيدا ، فاجاب سائله عمّا هو فاعله هناك : « انني ذاهب لانشئ مدرستين : الاولى لنا ، والثانية لليسوعيين . لان الاب بدور سيلحقني ولاشك لهناك » . والاب بطرس ماليه ناشر جمعية رسالة الصلاة في بلادنا .

ويجب ان لا نذهل عن ذكر اسم الاب مونو ، مؤسس كلية بيروت ، والاب باليو مهندسها ، واسماء رؤساء الرسالة الآباء نورمان ، وليفيثر الخطيب الشهير ، وبرناردي ولم يكن يقل عنه فصاحة واقداماً ، والفيور الفاضل اب الشبيبة ومرشدها المحبوب لوسيان كاتن ، وقد اشتركت بيروت جمعاء بالاحتفال بدفنه والاسف عليه . ورؤساء الكلية اذكر منهم هنري ، وتردي ، وجبرايل اده ، وغراسيان . وقد رقد اكثرهم بالرب لينالوا الاكليل المعدّ للذين اتموا الجهاد الحسن . وقد اسعدني الحظ بان عرفت اكثرهم . وكذلك اسماء الخطباء الواعظين مونين ، وراي ، وكورديه ، والاساتذة الافاضل دَلمي الذي علّم الفصاحة اكثر من ثلاثين سنة ، وبرونّ الذي مات في شرخ الشباب ، وغوتيه ، ولويزه ، وكوش مؤسس دير حمص ، وغيرهم وجميعهم قد توفوا كذلك تاركين الذكر الحسن لدى تلاميذهم . وان نسيت فلا انسى ذكر الاب لوزيير والاب هنري دي فونكلايه ، وهو مركيز ينتمي لاسرة من اكبر اسر فرنسة ، كان سابقاً قائداً في الجيش البابوي ، وسكرتيراً للكونت دي شامبور المطالب وقتئذٍ بعرش فرنسة ؛ فقصد زوجته واولاده فترهب ثم جاء دير بيروت حيث سيم كاهناً وقضى مدة اكثر من ١٢ سنة ، وهو مثال الطاعة والتجرّد ، وكان رغم شيخوخته يعطي الدروس ويعيش كاحقر الرهبان حتى مات ميتة القديسين .

ولا يسعني ان اذكر جميع من اشتهر من الآباء اليسوعيين في هذه الرسالة فاترك ذلك في ذمّة من يتولى كتابة تاريخ هذه الرهبنة الجليلة . وانما قد

اكتفيت بذكر بعضهم ممن عرفتهم ، ولم اشأ ان اجرح فضيلة تواضع الاحياء منهم فلم اذكر احداً ممن لم يزل في قيد الحياة ، والا لما كنت اتأخر عن ذكر حضرة الاب شانتور رئيس الرسالة الحالي ، والاب دي مارتيراي معاونه في ادارة مدرسة الطب وقد كان سلفه فيها وادى الخدم العظيمة لهذه البلاد ابان الحرب الكبرى وفي بدء عهد الاحتلال ، والاب دي بونثيل رئيس الكلية السابق ورئيس اقليم ليون الحالي الذي تولى رئاسة الاحتفالات بهذا العيد في باريس والذي سيتولى رئاسة الاحتفالات عندنا في بيروت في منتصف هذا الشهر تشرين الثاني، وغيرهم من الآباء الافاضل العاملين كالاب موترد رئيس مدرسة الحقوق ومدير نشرة الكلية العلمية المعروفة بـ *Mélanges de l'Université St Joseph*) ، والاب لامنس مدير هذه المجلة وصاحب التآليف النفيسة في تاريخ بلادنا ، والاب معاوف مدير جريدة البشير منذ ٢٥ سنة ، خادماً المبادئ الصحيحة والآداب العالية .

ولم يكن عمل هؤلاء الآباء مقتصراً على التعليم والتأليف فقط بل انهم قصدوا دائماً مرافقة تلاميذهم في كل سنوات حياتهم ، وكذلك قصدوا تدريب ومعاونة من لم يمكنهم ان يدرسوا عندهم . ولهذا فقد انشأوا الاخويات للنساء وللبنات وللرجال وللشبان وانشأوا الجمعيات الخيرية والادبية في جميع اديارهم وفي القرى التي يزورونها .

وهم الذين انشأوا في بيروت في ٧ ايار ١٨٦٠ جمعية مار منصور دي پول ، وهي اكبر الجمعيات الخيرية عندنا ، وقد بلغت فروعها في بيروت وحدها ثمانية . واقدم اخوية للرجال عندنا هي اخوية الحبل بلا دنس المنشأة في ديرهم القديم سنة ١٨٤٩ .

وانك بالحقيقة ترى جميع الطوائف الكاثوليكية الشرقية في سورية ولبنان مدينةً لهم بعدد كبير من كهنتها واساقفتها ورهبانها وهكذا تجد ان عدم نجاح غايتهم الاولى ، اي عدم تمكنهم من تشييد مدرسة اكليريكية لطائفة الروم الكاثوليك ، كان لخير البلاد وسائر الطوائف . وهكذا بقي ابناء اغناطيوس الجنود الاخصاء لرأس الكنيسة المنظور ، وفقاً لارادة ونية مؤسسهم العظيم ،

فقد اراد تأليف كتيبة من جنود امناء يرسلهم الحبر الاعظم حيث يشاء لمجد الله ولخدمة الكنيسة ، وقد قيل عنهم : « الرهبنة اليسوعية سيف قبضته في رومية وحدّه في سائر انحاء المعمور ». وهكذا اثبت اليسوعيون انهم اينما حلّوا ظلوا سائرين على المبادئ التي وضعها لهم مؤسسهم ، متصفين بالصفات التي عرفوا دائماً بها اي الغيرة الرسولية ، ونشر العلم ، وحب القريب ، والتجرد التام عن الدنيويات ، والطاعة الكاملة لاوامر الحبر الاعظم ، الصفات التي جعلت رهبانيتهم من الجمعيات التي لم تحتج الى اصلاح والتي حملت رئيسهم العام لوران ريتشي على القول عنهم : « فليظلّوا كما هم والّا فلا لا » (*Sint ut sunt aut non sint*) ، وهكذا تمت بحق هذه الرهبانية المقدسة مواعيد السيد المسيح لكنيسته : « وابواب الجحيم لن تقوى عليها » . فان العروش التي كانت قائمة يومَ سقط اغناطيوس دي لويولا في ميدان الوغى جريحاً في خدمة اسبانية ضد فرنسة ، قد بادت ، وتلك الممالك قد تغيّرت وتحولت . واما الكنيسة فهي لا تزال كما كانت ، بل امتدت وانتشرت تعاليمها في اقطار لم تكن وصلت اليها وقتئذٍ ، وذلك بفضل جميع ابنائها ورهبانها وبالاخصّ بمساعي وغيرة وتجرّد جنود اغناطيوس وابنائه الروحيين المدعوّين « بكتيبة يسوع ».

فيحق لنا ان نفتخر بوجود الرهبانية اليسوعية بيننا ، ونشكر جميع ما صنعه ابناؤها في بلادنا ، ونهنئها بعيد تجديد رسالتها في لبنان وسورية المئوي ، ونطلب اليه تعالى ان يداوم الاخذ بيدها وتوفيقها لما به مجده الاعظم ، وخير الكنيسة ، وانتصار رأيها المنظور ، ومنفعة ابناء البشر عموماً .

الشاري الكهربائي

بقلم انطوان باز
المهندس من المكتب الافرنسي في بيروت ومن مدرسة الكهرباء العليا في باريس

تكثر الصواعق في بعض البلدان ، باختلاف السنين ، فتأتي بالاضرار الجسيمة مادية وجسدية . ولكم قرأنا في الصحف والمجلات عن بيتٍ هدمته ، وحصيدٍ احرقته ، ومارٍ في الطريق كهربته ، فسرنا غير مبالين . ولو جمعنا تلك الحوادث بعضها الى بعض لراعنا هول المصاب . فمن احصاءات الولايات المتحدة ان الصاعقة خرّبت ، في سنةٍ واحدة ، من المساكن والابنية العمومية كالمدارس والكنائس وغيرها ما توازي قيمته ٢٢ مليوناً من الدولارات . اما الاشخاص الذين قتلتهم في تلك السنة فخمسة .

وفتكت في فرنسة سنة ١٩٢٩ بمقاطعة الكورز فاهلكت ثمانية اشخاص في يوم واحد ، يوم ٧ اغسطس المشهور فتألفت لجنة من العلماء لدرس اسبابها .

ماهية الصواعق

تخرج الصواعق من الغيوم السوداء ، المستديرة الشكل ، المعروفة بالكيميلوس نمبوس « *Cumulus numbus* » وهذه الغيوم تتكوّن من تبخير المياه السريع ، فتصعد في الجو بسرعة هائلة حتى تعلو احياناً عشرة آلاف متر فوق الارض . ومن تلك الغيوم البَرَد والشؤبوب اي الشتاء النزير يأتي هنيهةً ثم يهدأ . ومن طبيعة الكيميلوس نمبوس انه يحوي على كمية عظيمة من الكهرباء بتوتر مريب يبلغ مئاتٍ من الملايين من الفولت ، في حال ان معظم التوتر الذي بلغ اليه الانسان في المختبرات الحديثة لا يزيد على الخمسة ملايين فولت . فاذا قرب ذلك الغيم من غيوم خفيفة التوتر ، نشبت من شرارة ، بقوة الضغط ، فكان البرق . وان قرب من مكانٍ عالٍ من الارض كانت الصاعقة .. ويستدل على قوة التوتر بطول الشهاب الناري البالغ في البرق احياناً ١٥ الى ٢٠ كيلومتراً .

وقد اثبت العالم فرنكلان ، في القرن الثامن عشر ، تلك النظرية عملياً بان دقّ في الالعوبة المعروفة « بالطيارة » مسماراً معدنياً وتركها تعلو ماسكاً

اياها بخيطٍ مبلّل بالماء. فلمّا قربت من الفيوم خرجت من طرف الخيط الماسك به بعض شرارات جذب كهربائيتها المسمار . ولا نشير على احد باعادة تلك التجربة ، نظرًا لما فيها من خطر التكهرب.

سقوط الصواعق

تنقضّ الصواعق غالباً على اقرب مكان منها كقمم الجبال ، والاعمدة العالية ، والمنازل الشاهقة ، والاشجار الباسقة. ولا يندر ان تسقط فوق الينابيع ، والاودية ، والمعابر ، وسفوح الجبال ، منقادة بطبيعة الارض الجيولوجية « كالفرانيت » ، والمدَر ، « والاردواز » ..

وللحربة الطويلة ، وتُعرف « بالشاري » ، جاذبية خصوصية للصواعق تحليلها ان كهربائية الفيوم تولد ، بالتأثير ، في الاجسام كمية من الكهربائية السلبية. فاذا ولدت هذه في حربة الشاري المسنونة ، تطايرت منها ، فزادت في ايصالية الهواء المجاور ، فجذبت الصاعقة او حلّلتها .

الصواعق والاسلاك الكهربائية

وقد ذهب البعض الى ان الاسلاك الكهربائيـة ، خصوصاً ذات التوتر العالي ، تُكثر الصواعق . وهذا وهمٌ لا صحة له ، كما اثبته البحث الذي قام به مؤخرًا بعض علماء الفرنسيس. فقـد وجد ان معدّل الصواعق في السنة هبط من عدد ٣٠ سنة ١٩١٩ الى عدد ٢١ سنة ١٩٢٨ ، رغماً من انتشـار الاسلاك الكهربائية ..

واذا صحّ القول في ان الاسلاك الكهربائية لا تؤثر في تكوين الفيوم ، وسقوط الصواعق ، فلا ريبَ في انها زادت في خطر هذه. وذلك أنّ الصاعقة ، اذا انقضّت على الاسلاك الكهربائية ، سارت فيها ، وتسرّبت بواسطتهـا الى المنازل والمعامل فكهربت اصحابها.

الشاري

يُتقى خطرُ الصاعقة بواسطة الشاري ، كما هو معروف . وهو على انواع من شاري فرنكلان التاريخي الى شاري ميسيان الحديث ، انما مبدأه واحد الا

وهو جذب الصاعقة ، بواسطة الحربة ، وتبديدها في الارض . وربما زاد الشاري في خطر الصاعقة اذا لم يُحكم تركيبه ، فتتسرب كهربائيتها في جدران المنزل ، فتشتها . لذلك وجب الانتباه الى بعض القواعد الفنية المبينة فيما يلي .

شاري فرنكلين

١ – حربة الشاري العادية

هو اقدم الاجهزة المستعملة لاتقاء الصواعق . اساسه حربة من النحاس ، مقسىً رأسها بالپلاتين ، تحكم فوق عمود من الحديد كما في الرسم ١ . فيركز في اعلى مكان من المنزل ، ويوصل بحبل ثخين من الفولاذ ، والافضل من النحاس ، ينزل في الارض الرطبة . وربما كان الشاري مزدوجاً كما جاء في الرسم ٢ اي ذا حربتين . وبقدر ما يُعلى الشاري يقي من الارض المجاورة ، وقد يبلغ قطرها اربعة اضعاف علو الشاري . فلو افترضنا شارياً يعلو عن الارض ١٥ متراً فانه يحفظ من الصاعقة دائرة من الارض قطرها ستون متراً . وهذا الحساب تقريبي افسدته شواذات كثيرة منها ان الصاعقة وقعت مرةً فوق شجرة على مسافة ثمانية امتار من شار علوه ٣٥ متراً .

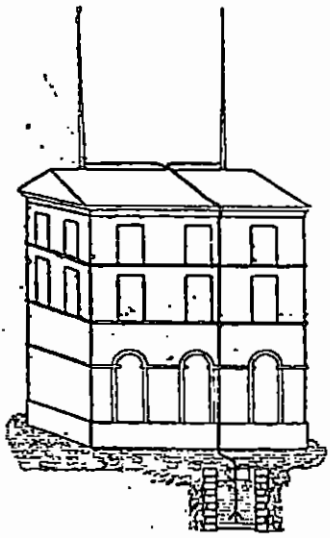

٢ – شاري فرنكلان

وان كان شاري فرنكلان يجذب الصاعقة ، ويضمضها في الارض اذا حسن تركيبه ، فعمله في تحليلها خفيف لقلة ما تفرزه الحربة من الكهرباء .

ثم ان هنالك امراً وهو ان الشاري المذكور ، وان وقى المنزل من الخراب ، فلا يقي سكانه احياناً من الهزة الكهربائية ومعظمها قتّال ، والهزة هذه ناتجة عن تكهرب الانسان بالتأثير .

لذلك استعيض عن شاري فرنكلان بشاري ملسانس وهو ذو حراب ، متعددة الرؤوس ، مخمّس في الرسم ٣ ؛ يوصل بعضها ببعض ، وبالارض الرطبة ، بواسطة شريط معدني يُحيط بالبيت كالقفص

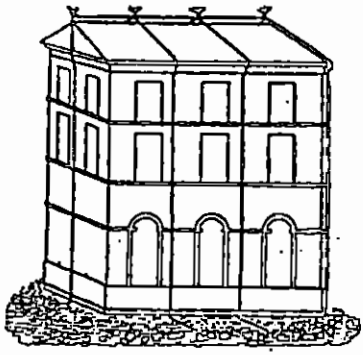

٤ – شاري ملسانس والقفص المعدني

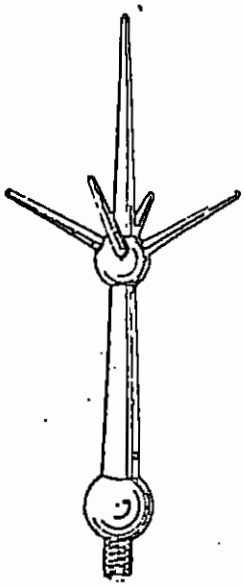

٣ – حربة ذات رؤوس متعددة

(انظر الرسم ٤) . ويُعرف هذا القفص بقفص « فرادي » اذ قد بيّن هذا العالم ان تأثير الكهربائية الخارجية لا يتعدّى الى مَن ضمن القفص .

الشاري الكهربائي

وبحث العالم سيلار عن شار يقي مجالًا كبيرًا من الارض حوله ، دون ان يتجاوز علوه بضعة امتار . فكسا الحربةَ باملاح من نوع الراديوم ، وهو جسم معروف بافرازه اشعة كهربائية مخصوصة تزيد في ايصالية الهواء فيسهل جذب الصاعقة او تحليل كهربائيتها . وخلفه جورج ميتيان فابرز تلك الفكرة الى حيز الوجود بتحقيق الشاري المرسوم (الرسم ٥) المسمى بالكهربائي ، ومنه ما يحمي مسافة ٣٠٠ متر حوله وقد اثبت العلمُ فعل املاح الراديوم فاكتشف ان الاراضي الكثيرة الصواعق ، كبعض الينابيع والاودية ، تحوي على اجزاء مهمة منها . اما مقدارُ ما يُكسى به الشاري من تلك الاملاح فزهيد لا يوازي جزءًا من عشرة آلاف من الغرام للراديوم الصرف .

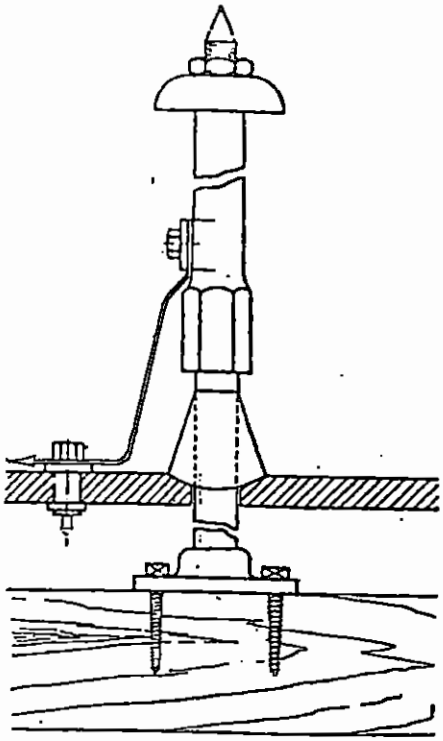

٥ – الشاري الكهربائي مثبتاً في سطح المنزل وفي اعلاه غطاء من البورسلان المكسى باملاح الراديوم

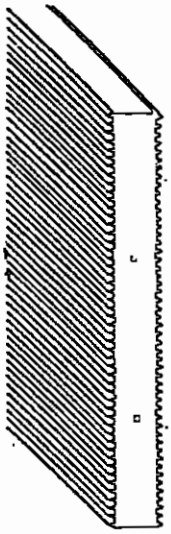

٦ – الشريط المسنّن

بعض القواعد في تركيب الشاري

ومهما يكن من نوع الشاري المستعمل فهنالك قواعد يجب حفظها . اولها ان يكون الحبل المعدني ، النازل في الارض ، من النحاس الثخين ، بقطر سنتيمتر واحد على الاقل فاذا كان رفيعاً لم يكفِ لتصريف التيّار الكهربائي الموجود في الصاعقة وهو يبلغ احياناً مئة الف امپار . ولا يحسن استعمال الحبل الحديدي او الفولاذي لان ايصاليته دون ايصالية النحاس . ويُنتبه ، عند التركيب ، الّا يكون الحبل لاصقاً بجدران المنزل بل محكماً فوق بكرات او فناجين من الزجاج او البورسلان ، خوفاً من ان تتسرّب الصاعقة في الجدران ، اذا وجدت فيها طريقاً سهلاً الى الارض ، فتشقّه كما جرى في سراي بعبدا في لبنان بعد

الحرب . ويُفضَّل اليوم على الحبل الشريط النحاسي المسنن كما في الرسم ٦ .

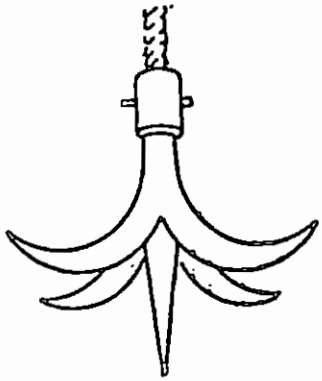

٨ – مأخذ للارض بشكل المرساة

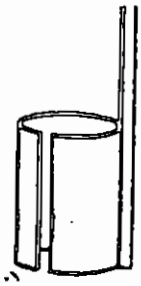

٧ – مأخذ للارض بشكل المبرومة

واهمُّ الامور «مأخذ» الحبل او الشريط من الارض (*prise de terre*). فقد استعمل، حتى الان، صفيحة من الحديد او النحاس، مربعة الشكل او مبرومة كما في الرسم ٧، تُلحم بطرف الحبل ثم تُنزل في الارض الرطبة او في بئر من الماء. ومنهم من استخدم نوعاً من المرساة مصوّراً في الرسم ٨، وكل ذلك فاسد، لا يأتي بالفائدة المقصودة. فكم من مرة حلّت ربطة الحبل بالصفيحة، او انقطعت، فبطل عمل «المأخذ» ولم يدرِ به احد. ولا يعملُ «المأخذ» تماماً الا اذا جاء بين طبقتين من الارض: الطبقة اليابسة والطبقة المبللة.

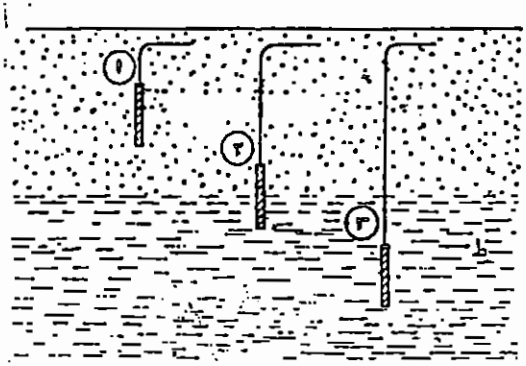

٩ – المأخذ في الارض
١ – في الارض اليابسة
٢ – بين الطبقة اليابسة والطبقة المبلّلة
٣ – في الطبقة المبلّلة

فلو أُنزل مركز ٢ من الرسم ٩ وهبط مستوى الرطوبة او علا فاصبح المأخذ في مركز ١ او في مركز ٣، لبطُل عمله او ضعُف . وقد وضح اليوم ان استعمال البئر «كمأخذ» لا يأتي احياناً بالفائدة، فضلاً عن خطر التسمم الناتج من النحاس لشاربي ماء تلك البئر . لذلك كثر استخدام المأخذ

المصوّر في الرسم ١٠ وهو اسطوانة طويلة من النحاس ، مثقوبة السطوح ، تنزل في الارض نحوًا من ثلاثة امتار حيث الرطوبة الدائمة ، ويُملأ جوفها بالرمل فتطلع به الرطوبة فتزيد في صلاحيتها .

اما وصل هذا المأخذ بالشريط فبواسطة اللولب ، على شرط ان يكون ضمن علبة على سطح الارض تسهيلًا لفحصه .

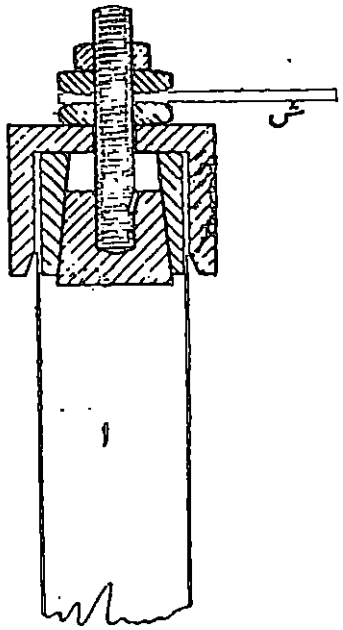

١٠ – المأخذ الحديث :
ا – الاسطوانة المجوفة
ش – الشريط الواصل

تكاليف الشاري الكهربائي

وقبل الختام نرى من المفيد ان نلقي نظرةً على تكاليف الشاري الكهربائي فندوّن بعض الاسعار السائرة في فرنسة :

الحربة الكهربائية من النوع العادي مع اجرة تركيبها	٥٠٠	فرنك	
« من النوع المتوسط «	٩٠٠	«	
« من النوع العالي «	١٦٠٠	«	
الشريط المستعمل لقفص فرادي مع اجرة تركيبه	٢٩	«	المتر الواحد
« المسنن لمأخذ الارض «	٣٥	«	«
« المأخذ » كما في الرسم ١٠ بطول ثلاثة امتار مع اجرة تركيبه	٨٠٠		

الرسالة الحاتمية

فيما وافق المتنبي في شعره كلام ارسطو في الحكمة

نشرها عن مخطوطتي المكتبة الشرقية (بيروت)
فؤاد افرام البستاني
استاذ الآداب العربية في كلية القديس يوسف

٧١ قال ارسطو

حلول الفناء[1] في عظيم الامور[2] كحلوله في صغيرها.

[٣٨ و] قال ابو الطيب

فطَعمُ الموت في أمرٍ حقيرٍ كطعم الموت في أمرٍ عظيمِ

٧٢ قال ارسطو

من كان همّه الاكل والشرب والنكاح فهو بطبع البهائم، لانّ البهائم[1] متى[2] خُلّي بينها وبين ما تريده[3] لا تُفضِل[4] شيئاً[5] غير ذلك.

---

٧١ هي الفقرة ٧٠ في مم، و٣٩ في ت، و٣٨ في ق، و٧٥ في ل.
١) في م ومم: الموت. ٢) في م ومم: الامر.
والبيت هو الثاني من قصيدة قالها اذ قُتلت حجرته ومهرها في انطاكية، مطلعها:
اذا غامرت في شرفٍ مرومِ فلا تقنع بما دون النجومِ
(د: ٢٢٨ — الروائع ١٢: ٤٩)

٧٢ هي الفقرة ٧١ في مم، و٣٩ في ق، و٧٦ في ل. اما ت فلم تذكرها.
١) في ل: لأنّا نعلم ان البهائم، وفي ق: لأنّه
٢) في ق: لو، وفي ل: اذا ٣) في ق ول: تريد.
٤) في ق: لم تفعل، وفي ل: لم تُرد. ٥) شيئاً: لم ترد في ق.
البيت هو ١٥ من قصيدة قالها في صباه مطلعها:
ضيفٌ ألمّ برأسي غيرَ محتشمِ السيفُ احسنُ فعلاً منه باللممِ (د: ٣١)

قال ابو الطيب

ارى أناسًا ، ومحصولي على غَنَمٍ ، وذكر جودٍ ، ومحصولي على الكَلِمِ.

٧٣ قال ارسطو

اللطائف سماوية ، والكثائف ارضية ؛ وكل عنصر[1] عائدٌ الى عنصره [الاول][2].

[٣٩ق] قال ابو الطيب

فهذه الارواح من جوّه[3] ، وهذه الاجسام[4] من تُربه

٧٤ قال ارسطو

النظر في عواقب الاشياء يزهّد[1] في حقائقها[2] ؛ والعشق[3] عمى[4] الحس[5] عن درك[6] رؤية المعشوق[7].

قال المتنبي

لو فكّر العاشق في منتهى حسن الذي يسبيه[8] لم يَسْبِهِ[9].

---

٧٣ هي الفقرة ٧٢ في مم ، و٧١ في ت ، و٩٢ في ق ، و٩٦ في ل.
١) في ت : زيادة : هو ٢) الاول : زيادة في ت وق.
٣) في ت : جوهر ٤) في ت : الاجساد.
والبيت هو ١٢ من قصيدة في رثاء عضد الدولة ، مطلعها :
آخر ما الملك معزًّى به هذا الذي أثّر في قلبه
(د : ٦٠٩ – الروائع ١٢ : ١٩)

٧٤ هي الفقرة ٧٣ في مم ، و٧٨ في ت ، و٩٣ في ق ، و٩٧ في ل.
١) في م ومم ول : ترهد ، وفي ت : يزيد. ٢) في م ومم : فيها.
٣) في م ومم : العاشق. ٤) في ت : عما ، وفي ل : عم.
٥) في ل : الحسن. ٦) في ل : ادراك.
٧) في ت : الروية. ٨) في م : يسبه ، وفي ت : اسباه. ٩) في ت : يسبيه.
والبيت هو ١٣ من القصيدة المذكورة. (د : ٦٠٩ – الروائع ١٢ : ١٩)

٧٥ قال ارسطو

كرهُ ما لا بدّ من[1] كونه عجزٌ في صحة العقل.

[٢٤٠و] قال ابو الطيب

نحن بنو الموتى[2]، فما بالنا نعاف ما لا بدّ من شُربه؟

٧٦ قال ارسطو

اذا كان[1] تناشي[2] الارواح من كرور الايام، فما بالنا نعاف رجوعها الى اماكنها.

قال المتنبي

تبخل ايدينا بارواحنا على زمانٍ هي[3] من كسبه

---

٧٥ هي الفقرة ٧٤ في مم، و٦٩ في ت، و٩٠ في ق، و٩٤ في ل.
١) في ل: منه، وتتابع الآية: جورٌ في الطبع.
٢) في مم وت: الموت.
والبيت هو ١٠ من القصيدة المذكورة
(د: ٩: ٦ – الروائع ١٢: ١٩)

٧٦ هي الفقرة ٧٥ في مم، و٧٠ في ت، و٩١ في ق، و٩٥ في ل
١) كان: لم ترد في ت.
٢) تناشي: كذا في جميع الاصول الا في ق: تلاشي، وفي ت: تناسي
٣) في ت: منّ.
والبيت هو ١١ من القصيدة المذكورة
(د: ٩: ٦ – الروائع ١٢: ١٩)

٧٧ قال ارسطو

[آخر][1] افراط[2] التوقي اول موارد الخوف[3].

[٤١ق] قال ابو الطيب

وغـايةُ المُفرط في سلمه كفاية المُفرط في حربه[4].

٧٨ قال ارسطو

الحيوان أعراضٌ[1] لحوادث الزمان.

قال القائل[2]

والمرءُ من ريب الزمـان كأنه عودٌ تداوله الزعاعُ[3] ركوبُ[4]
عرضٌ[5] لكلّ منيةٍ يُرمى بها حتى يصابَ سوادُه المنصوبُ[6]

---

٧٧ هي الفقرة ٧٦ في مم ، و٧٩ في ت وهي الاخيرة فيها ، و٩٧ في ق وهي الاخيرة فيها ، و٩٨ في ل وهي الاخيرة فيها ايضاً.

١) زيادة في ت وق ول. ٢) لم ترد في ق.
٣) في ت: الحزن. ٤) حربه: سقطت في ل.
والبيت هو ١٧ من القصيدة المذكورة
(د: ٦٠٩ – الروائع ١٢: ٢٠)

٧٨ هي الفقرة ٧٧ في مم، و٢ في ق، و٢ في ل. اما ت فاوردت الحكمة وحدها في فقرتها الثالثة والحقتها ببيت لا يناسبها.

١) في ق: اغراض ٢) كذا في م وفي سائر النسخ: قال المتنبي.
٣) في ق: الرعاة. ٤) في ق: ركوبا.
٥) : ق: غرض ٦) في ق : منصوبا.
والبيتان لم نرهما في ديوان المتنبي.

[٤٢ و] ٧٩ قال ارسطو

على قدر بصيرة القلب[1] يرى الانسان الاشياء ؛ فالسالم العقل يرى الاشياء بحقائقها[2] ، والنفس اللئيمة ترى الاشياء بطبعها .

قال المتنبي

ومن يكُ ذا فم مرٍّ[3] مريضٍ[4] يجد مرًّا به الماء الزلالا

٨٠ قال ارسطو

النظر الى ما يكره الانسان سقم[1] القلب .

[٤٣ ق] قال المتنبي

واحتمال الاذى ، ورؤية جانيـ ـهِ ، غذاءٌ[2] تضوَى به الاجسامُ .

---

٧٩ هي الفقرة ٧٨ في مم ، و٢٧ في ت ، و٧٢ في ق ، و٨٨ في ل .
١) في ق : العقل . ٢) في ق ول : على حقائقها .
اما ت فاوردت فقرة غير المذكورة وهي التالية :
« الجاهل لا يحلو عنده طعم العلم بل يجد له ثقلاً ، كما يثقل على المريض الادوية النافعة ويحلو له في فمه غير طعمها . »
٣) سقطت في ل . ٤) كذا في ت وق ود ؛ وفي م ومم ول : مرير
البيت هو ٣٠ من قصيدة في مدح بدر بن عمّار مطلعها :
بقاني شاءَ ، ليس هم ، ارتحالا وحسن الصبر زمّوا لا الجمالا .
(د : ١٤٢)

٨٠ هي الفقرة ٧٩ في مم ، و٣١ في ق ول . اما ت فلم توردها .
١) في ق ول : يسقم . ٢) في م ومم : عداء ، وفي ل : غداء .
والبيت هو ٣ من قصيدة في مدح ابي الحسين علي بن احمد المرّي مطلعها :
لا افتخارٌ الا لمن لا يُضامُ مُدركٍ او محاربٍ لا ينامُ
(د : ١٦٢ — الروائع ١٢ : ٤٧)

٨١ قال ارسطو

عداوةُ العاقل خيرٌ من صداقة الجاهل.

قال المتنبي

ومن العداوة ما ينالك نفعُه ومن الصداقة[1] ما يضرّ ويؤلمُ

٨٢ قال ارسطو

[استنصار[1] العقلاء ضدّ لتمنّي الجهّال[2]] [3]والحال[4] التي يبكي[5] منها العاقل يحسده عليها الجاهل.

[٤٤و] قال المتنبي

ماذا لقيت من الدنيا ؟ واعجبُهُ[6] اني بما[7] انا باكٍ[8] محسودُ

---

٨١ هي الفقرة ٨٠ في مم ، و٦٥ في ق ، و٣٩ في ل ، الا ان هذه لم تذكر الحكمة بل اكتفت بذكر البيت . اما ت فلم تذكر شيئاً .

١) في ق ول : المودّة .

والبيت من قصيدة في هجاء ابن كيغلغ مطلعها :

لهوى النفوس سريرةٌ لا تُعلمُ ، عرضاً نظرت ، وخلت أني أسلمُ .

(د : ٦٢١ – الروائع ١١ : ٢٢)

٨٢ هي الفقرة ٨١ في مم ، و٦٤ في ت ، و٥٨ في ق ، و٦٦ في ل .

١) في ل : استقصار ، وفي ت : اسطبار ٢) في ت : تمني الجهلا ، وفي ل : ضد الجاهل

٣) المقطع المتقدم زيادة في ت وق ول ٤) في ت : فالماجة ، وفي ل : فالحال .

٥) في ق . يأنف . اما ل فقد ورد فيها المقطع الاخير على هذه الصورة : « التي يبكي العاقل عليها يحسده الجاهل فيها . » وورد في ت على الصورة التالية : « التي فيها تكر العاقل عليها يحسده الجاهل . »

٦) في ت وق ول : واعجبها ٧) في م ومم ول : لما ٨) في د : شاكٍ

البيت هو ٩ من قصيدة في هجاء كافور مطلعها :

عيدٌ بأيّة حالٍ عدت ؟ يا عيدُ ، بما مضى ام لامرٍ فيك تجديدُ ؟

(د : ٥٤٩ – الروائع ١١ : ٣٠)

الاخ ساروفيم ڤكتور (١٨٧٩–١٩٢٢)

من اخوة المدارس المسيحية «الفرير»

بقلم ا. م. ب.

٤

تآليفه

ما قيل في كتاب تاريخ الاداب

كان الاخ ساروفيم في مولان Moulins في فرنسة ، لمـا طبع كتابه . فتناولت الصحف الكتاب بالتحبيذ والاطراء ، والتنـديد والانتقاد المشروع والغير المشروع . فمن قائل كالمقطم وغيره : انه بدعة غير مستحبة وانه نصراني محض ، اي انه وُضع لتحقير الاسلام وكشف معايبه لما يُذكر فيه من الملـل والشيع الاسلامية . كأنَّ ما كتب عن القرآن والحديث والفقه وعلم الكلام عند العرب هو شيء غير تعريف اللغة في كل اطوارها . . .

ومنهم من رأوا فيه تزلفاً للمسلمين ، وتحبيذاً لمعتقداتهم ، وتعريفاً لمراجعهم الدينية المدوّنة . . . حتى انهم حملوا رؤساء رهبانية المؤلف ، بعد موته رحمه الله ، على حذف معظم ما قيل في العلوم الاسلامية ، مما أسف له كثيرون .

لكنَّ السواد الاعظم من الكتبة وارباب الصحف والادباء لم يبخلوا على المؤلف وكتابه ، بعد انتقادٍ مجرّدٍ عن الغاية والانانية والتعصُّب ، بتقـاريظ تشرّف ناسجي بردها ، وتقرُّ بفضل الاخ ساروفيم وبزيّة انشائه ، وتحبّذ عمل من يُتمّ ما نقص من هذا السفر النفيس ، تخليداً لذكر مؤلفه رحمات الله عليه .

اما المؤلف فلم يصله شيء مما قيل في تحبيذ وذم كتابه ، لانه كان بعيداً عن بلاده المحبوبة ، بعيداً عن الملحوظات التي كان يمكن ان تقدم له فيصلح ما شوّه من محاسن تاريخه ، بكر التواريخ المـدرسية . كان يقاسي مضض

الآلام ، متناسياً ثمرة اتعابه وخلاصة معارفه وابحاثه وهديته التي اهداها الى معارفه واصدقائه والناشئة العربية العزيزة.

ونرى من واجبنا ان نذكر هنا قليلاً من كثير مما كُتب في « تاريخ الآداب » مختصرين كلّ الاختصار في التقاريظ الاجمالية ، مهتمين بما يبيّن صفات الكتاب وفضل المؤلف :

قال الاستاذ داود بركات في الاهرام :

« . . . حسن المنهج واضح الطريقة. لم يتبع المؤلف طريقة غيره من مؤرخي الآداب العربية ، ولم يقسم هذا التاريخ الى اطوار ، ملتزماً التاريخ السياسي ، بل افرد لكل طائفة من الشعراء والكتاب والخطباء والفلاسفة والمنشئين والعلماء والاطباء باباً ، ماضياً في الكلام عنهم في كل عصر ، منذ نشأت الآداب العربية ، في حدود التاريخ الى ان اعتراها الاضمحلال . ثم افرد باباً للكلام في النهضة الحديثة ، ولم يغفل ان يؤرخ بعض اركانها تاريخاً حسناً.

« وقد أعجبنا بطريقة ضبط الاعلام ، فهذا امر يقع فيه كثير من الخطأ واللحن ، وفي المدارس على وجه التخصيص ، واعجبنا ايضاً بتفسير الكلمات . والكتاب نافع كل النفع لتلامذة المدارس. وهو لاهل الادب والفضلاء انفع. فنثني على واضعه ، ونتمنى ان ينال ما يستحقه كتابه من الرواج والانتشار. »

وقال المرحوم الاب شيخو اليسوعي ذاكراً الطبعة الثانية ، في المشرق :

« . . . قد تعددت منذ عشرين سنة ، تواريخ الآداب العربية . . . ولكل من هذه الكتب مزايا ونقائص . ولعلّ احسن ما نُشر الى اليوم تاريخ الاداب لاحد اخوة المدارس المسيحية ، فقد وجدناه أحرى من غيره ، ان يودع في ايدي تلاميذ المدارس ، لكثرة فوائده وحسن تبويبه ، وانسجام عبارته ، وتذييله ببعض الحواشي التاريخية واللغوية ، واطلاع المؤلف على المصادر القديمة والحديثة التي ساعدته على انشائه . . . ومن خواصه اعتداله في الحكم عن الكتبة الاقدمين والمحدثين ، دون مراعاة الوجوه في انتقاده . وقد احسن اذ قصر الكلام على الموتى دون الاحياء . على اننا لا ننكر ان هذا الكتاب يحتاج الى تحسين وزيادة تدقيق في بعض التواريخ ، والتلطيف من بعض العبارات

الثنائية الزائدة ، واختصار تراجم بعض المحدثين ، لعدم انطباقها مع سواها . وغاية ما نتمنى ان يصبح هـذا الكتاب كدستور امـين وركن مكين لمعرفة الاداب العربية وتاريخها في المدارس العمومية ، ولاسيما الكاثوليكية . »

وقال الاديب صديق شيبوب في البصير الاسكندري بتاريخ ٢١ دسمبر ١٩١٥ :

«... لا شكّ في ان البحث في تاريخ الاداب ، بحثاً شامـلاً مختصراً مفيداً ، صعب جداً ، لانه يتناول ١٥ قرناً واكثر ... فكتاب تاريخ الاداب العربية سدّ ثلمة واسعة في صرح هذه اللغـة ، كانت ولا تزال موضوع اهتمام المحبين لها العاملين على انهاضها .

« ومن فضائل الكتاب ، انك لا تعثر فيه على كلمة تمسّ الاداب والاديان . وهو في ثنايا سطوره يحُض على الفضيلة ويُظهر جميل تأثيرها ، مشنعاً ما نُظم في المجون .. مما يندى له الجبين ... ولا بدع فالمؤلف مثقف الشبيبة ومهذب اخلاقها .

«ويجدر بنا هنا ان نلفت النظر الى انشاء الكتاب . فقد نسج فيه المؤلف على نمط السهل الممتنع ، مبتعداً عن التركيب المبتذل ، متحدياً حسن الوضع وضبط الانشاء ، مما لا ينفر من مطـالعته اللغوي الاديب ، ولا يصعب على الكاتب تفهم معانيه . وله في الحاشية تفسير لكلماته التي يغلق فهمهـا على المبتدئ ، وشرح وافٍ لمستصعب الابيات .»

ثم اورد بعض مآخذ منها ان المؤلف اغفل ذكر النثر في الجاهلية ومعـارف العرب في ذاك العصر . وانه اهمل ذكر عمر بن ابي ربيعة ، واطال البحث في البدع الاسلامية . واغفل عمداً ذكر الادباء الاحياء . وختم قائلاً :

« ليست هذه المآخذ منقصة من فضل المؤلف او قدر الكتاب ، فاكثرها راجع الى سعة الموضوع وضيق المجال في مؤلف وضع ليكون متـداولاً بين ايدي الطلبة .

«ولو لم يكن فضل المؤلف غير سدّ النقص ، لكفاه فخراً . فضـلاً عن محاسن الكتاب العديدة ، والمصاعب التي يعانيها الباحث في موضوع وعر المسالك

واسع الاطراف بعيد المآخذ ، غزير المواد كتاريخ الاداب العربية.

«فاذا شكرناه، فانما نشكره بلسان اللغة ومتأدبيها الذين اهداهم مثل هذا الكتاب النفيس . واذا اثنينا عليه انما نثني على ادبه الجم واجتهاده . على ان يكون قدوة لغيره من الادباء ، فينشطوا الى مثل عمله المجيد ، جزاه الله بما يجزي به الفاضل الاديب.»

وقال صاحب جريدة لسان العرب بالاسكندرية ، من رسالة ، في ٢٩ يناير ١٩١٦ .

« كتاب موفور الفائدة ، جم النفع ، صحيح اللغة ، نازل من لبها في الصميم . اخذ بمحاسن الفاظها وجزالة عباراتها ، على صحة في تاريخ أئمتها ونوابغها ، وعدالة في الحكم على كبرائها وشعرائها ، وحسن اختيار الاحسن من اقوالهم . ولعمري لو خُيّروا لما اختاروا من ذلك الاحسن سوى ما أثبت لهم ، ولو احتكموا الى شيوخ عكاظ لما حُكم لهم أو عليهم بأعدل مما رأيناه...»

وقال الاستاذ خليل شيبوب ، الشاعر الرقيق ، من رسالة سنة ١٩١٦ :

« لو فُهمت الغاية التي وُضع لها هذا الكتاب ، لما وسمت اللغة كلمة يثنى بها على مؤلفه . فهو انما وضع لتفقيه تلامذة المدارس وتعليمهم « آداب اللغة العربية » . وما آداب اللغة سوى بحر خضمّ . يزخر عبابه ولا يسبر غوره . وروض تضاربت الوان زهوره ، وتشاكلت صفوف ثماره واغراسه . فجاءها المؤلف بصدر رحيب وقلم لبق ، متناولاً منها كثير الفائدة . مشيراً الى قليلها لا يُفضل شيئاً من النزر اليسير ، ولا يتجاوز صبر القارئ في الجم الكثير . وهو اول كتاب خُدمت به المدارس هذه الخدمة الجلى ، وضمنت به اللغة على الناشئة عهد رُقيّ وفتح قريب . »

ويحسن لدينا ان نختم هذا البحث بكلمة للاستاذ فؤاد افرام البستاني كتبها في نقد الكتاب المذكور ، قال :

« من شروط النقد الادبي المنصف ان يضع الناقد نفسه في زمن المؤلف ومكانه ، فينظر في البيئة التي ظهر فيها الاثر المنقود ويدرس ما تقدمه من الآثار في نوعه ، وما رافقه في الظهور ، وما تبعه ؛ ويحدّد الصلة بين هذه

الآثار جميعها فيرى مبلغ تأثر المؤلف المذكور بما سبقه، ومبلغ تأثيره في ما تلاه ، ليعطي كل ذي حق حقه ، فيقرب حكمه من الصواب.

« ونحن اذا القينا نظرةً اجمالية على العصر الذي ظهر فيه « تاريخ الآداب العربية » للمرحوم الاخ ساروفيم ڤكتور ، وما كان فيه من تواريخ الادب ، ومبلغ هذه التواريخ من مقتضيات ذاك الفنّ ، ادركنا قيمة الخدمة التي أدّاها المؤلف لطلّاب المدارس خاصة ولادباء العربية عامة.

« لم يكن ما يذكر من تواريخ الادب العربي ، سنة ١٩١٤ ، الا تاريخ بروكلمان وتاريخ هوار ، وكلاهما قليل المنفعة لادباء العرب اذ ان الاول كتب بالالمانية والثاني بالافرنسية ولم يُعرّبا . اما في العربية فلم يكن ليذكر من هذا النوع الّا كتاب جرجي زيدان ، وهو مؤلف طويل توخى فيه صاحبه الفائدة التاريخية أوّلًا ، فألمّ باكثر ما امكنه من تراجم الادباء ، فكان مرجعاً مفيداً للمشتغلين بتاريخ الادب ولكنه قلّما افاد طلّاب المدارس ، لانصرافه عن الاسلوب التدريسي وما يتطلبه من الابحاث المستندة في اكثرها الى تحليل الآثار وانتقادها والحكم عليها . فينتج ان كتاب الاخ ساروفيم ، بما فيه من حصر القسم التاريخي بتراجم الفحول من الشعراء ، والنوابغ من المفكرين ، وبما تخلله من تجربة في النقد الادبي لا بأس بها في غالب الاحيان ، قد اتى في حينه ، فسدّ ثلمةً واهية في تدريس الادب العربي. ولا يضيره اليوم الا انه ، عند ما أُعيد طبعه لثلاث سنوات خلت ، تُرك على ما كان عليه سنة ١٩١٤ ؛ فأتى متأخرًا عن عصره ، بعد ان كان سابقاً اياه بشوطٍ بعيد. وهي خلّة نراها في اكثر الكتب التي يستأثر الله بمؤلفيها قبل ان يتمكنوا من اعادة النظر فيها ، فتبقى واقفية بينا يسير العصر حولها بالعلوم والفنون ، فتتقهقر بحكم الطبع وتصبح قاصرةً عن الغاية المتوخاة.

على ان هذا القصور في كتاب الاخ ساروفيم يمكن معالجته بسهولة بان يُحذف منه بعض المغالاة في التقريظ ، ويعمّم نقد الآثار فيه ، ويُضاف اليه بعض التراجم ، ويحتفظ كل الاحتفاظ بالمقدّمات والتوطئات الجزيلة الفائدة ، فيصبح افضل كتاب مدرسي من نوعه .»

جولة في المجلات

الكثلكة في الصين – المصطلحات العلمية في كتاب « الحيوان » – اهم المقالات الشرقية في مجلات الاستشراق

الكثلكة في الصين

تأثير المدارس الكاثوليكية في مستقبلها – تقرير كاهن صيني

الاب فيليب ونغ كاهن صيني معروف بسعة مداركه ومصائب آرائه . عهد اليه الكرسي الرسولي العناية بامر زملائه الكهنة الصينيين القانونيين ، فقام بمهمته خير قيام . وقد ساعدته هذه المهمة على استطلاع حال الكثلكة في تلك الانحاء ، والاحاطة بمختلف شؤونها وحاجاتها ، ومبلغ تقدمها ، وذرائع تمهيد العقبات امامها ، وتوقيتها شتى الاخطار التي تتهددها . وقد وضع في جميع ذلك تقريراً رفعه الى شركة « فيدس » البرقية ، فعرّبه البشير (١ ت١ ١٩٣١) ايقاظاً للكاثوليك الناطقين بالضاد على حال اخوانهم في القطر الصيني . قال الاب ونغ :

« اهمُّ شيء يلفت النظر من شؤون الكنيسة الكاثوليكية لهذا العصر في بلادنا الصينية تباينُ جنسيَّات المرسَلينَ الذين يقيمون فيها . فلقد كان جلُّهم من قبل افرنسيين او ايطاليين ، فاصبحوا الآن مزيجاً من نحو ٣٠ امة . ويتبين من الاحصاء ، الذي وضعه اخيراً الآباء اليسوعيون في شانغ هاي ، ان في الصين ٨,١٦٨ مُرسَلاً بين كهنة واخوة وراهبات ، بينهم ١,٤٧٦ صينياً وصينية . والآخرون شتيت من جنسيات متباينة .

وقد بلغ عدد المقاطعات التي انشأها الكرسي الرسولي في هذه البلاد حوالي المئة ، منها ٤٩ مقاطعة أنشئت في السنين العشر الاخيرة ، و ٣٠ من نحو خمس سنين فقط . وهذا برهان على النجاح الباهر الذي تلاقيه الكثلكة اخيراً في هذه الديار .

ولتباين جنسيات المرسَلين في الصين وتوافر عدد الكهنة الصينيين فيهم

عاماً بعد عام أثرٌ ممدوح في ذهنية غير المسيحيين من اخوتنا ابناء هذه البلاد . لان ذلك يبعد عنا التهمة التي يحاول هؤلاء الصاقها بنا وهي اننا نخون وطننا باعتناقنا ديانة الاوربيين ؛ ويبين لهم باجلى برهان ان الديانة الكاثوليكية غير مقتصرة على الاوربيين وحدهم ، ولكنها ديانة المعمور طرًا من جميع النحل والجنسيات .

ومن المقاطعات الصينية التي تزدهر فيها الكثلكة ازدهارًا عظيماً مقاطعة شيهلي المسماة الآن هوبي . فان في هذه المقاطعة ١١ مركزًا دينياً بين نيابة ومديرية رسولية ، و ٦ مراكز اسقفية ، و٣٤٤ كاهناً صينياً ، و٧١٧ الف كاثوليكي صيني ؛ مما يكاد يكون الثلث من مجموع عدد الكاثوليك في الصين كلها البالغ نحوًا من مليونين و ٥٠٠ الف نفس.

وقد اضطُهد كاثوليك هذه المقاطعة اكثر من سواهم في السنة ١٩٠٠ ، اثناء ثورة البوكسر ، وتفوّقوا على غيرهم من ابناء المقاطعات الاخرى الصينية في عدد الشهداء الذين ماتوا منهم لاجل الايمان ، مما جاء مصداقاً للعبارة القائلة : « ان دماء الشهداء هي بذار النصرانية.»

ان جهود المرسَلين في هذه المقاطعة مكنتهم ،رغمَ ما قام فيها من الاضطهاد الذريع ، من تحويل ثمانية اعشار سكانها الى مسيحيين صادقين يبذلون انفسهم في سبيل دينهم . وهذا يشير الى تأهب الامة الصينية لتقبل تعاليم المسيح ، والى اننا ، اذا واصلنا الجهاد في هذا السبيل ، امكننا اجتذاب العشرين الباقين في ولاية هوبي ، بل امكننا اجتذاب كثير من الصينيين الوثنيين في الولايات الاخرى الى حظيرة الدين المسيحي . وهكذا تُصبح الصين بلادًا مسيحية تسود فيها تعاليم الانجيل وفاقاً للمبدأ الذي نعتنقه ونسعى اليه ، وهو ما نعبر عنه بتلك العبارة المشهورة التي نردّدها : « الصين للصينيين ، والصينيون للمسيح » .

ثم انه لا يسعنا الاقتناع بان من في الصين الآن من الكهنة الكاثوليك يكفي عددهم لخدمة الرعايا ومزاولة اعمال الرسالة ، حتى ولو اضفنا اليهم من هناك من الاخوة والراهبات ومعلمي التعليم المسيحي الذين يربي عددهم على اربعة آلاف.

لاننا لو جمعنا كل هؤلاء مع الكهنة لاصاب كلًّا منهم خدمة ما يعادل ٦٩٣ مؤمناً وهداية ١٣٠ الف غير مؤمن . ولو فرضنا ان امرًا صدر على حين غرّة بان يغادر المرسلون الاجانب بلاد الصين ، الامر الذي يعدّ غير بعيد الاحتمال في هذا الوقت ، عندئذٍ يُصبح كل كاهن صيني وطني مضطرًا الى الاهتمام بخدمة ٧٣٤ مؤمناً . واذا اضفنا الى هؤلاء من في المدارس الاكليريكية من المرشحين للكهنوت بعد سيامتهم كهنة ظل العدد غير كافٍ القيام باعمال الخدمة والتبشير . وعلى هذا كان لا بد من التفكير باعداد العدد الكافي من الكهنة الكاثوليك الوطنيين لضمان مستقبل الكنيسة وصيانة كيان الكثلكة في هذا القطر الصيني.

ولا بدّ فوق هذا من الاهتمام منذ الآن بتربية النشْ على مبادئ الآداب المسيحية بتوفير عدد المدارس الكاثوليكية وتجهيزها بالبرامج الحديثة الواقية للشبان من مبادئ الكفر والاباحية وفساد الاخلاق التي تهاجم بلادنا بقوة في هذا العصر.

ان الاحصاء الذي اجري في هذا العام تبين منه ان مدارسنا العالية ١٤٨ فيها ٨,٣٥٤ طالباً ، والثانوية ٣١٩ فيها ١١,٤٩٤ طالباً ، والبدائية ٢,٨٧٣ فيها ٥٦,١٨١ طالباً ، ومدارس الصلوات والتعليم المسيحي ٩,١٠٢ فيها ١٧٠,٣٩٧ طالباً ، وجملة من يختلف الى المدارس الكاثوليكية ٢٤٦,٧٢٠ طالباً. ولا يغربنّ عن بالنا ان نحوًا من نصف عدد الكاثوليك الصينيين هم في سنّ الدراسة . فيكون لدينا الآن نحو مليون منهم في هذا السنّ لا يجدون مدارس كاثوليكية تعمل على تثقيفهم . وهذه الارقام تكفي لتبيان حاجتنا الى هذه المدارس ، وتحمل اصحاب الغيرة على مستقبل الكثلكة في الصين على التفكير في ايجادها سدًّا لتلك الحاجة.

ثم ان بعضاً من رجال الحكومة الجديدة في الصين كانوا وما برحوا يقيمون العراقيل في وجه حرّية الاديان وحرية التعليم محاربةً للمبدأ الكاثوليكي. وقد جاهد اخواننا الكاثوليك في مقاومتهم جهادًا مشكورًا كاد يكلل بالفوز. على انه لا يزال هناك مجال لاطراد السعي حتى تنتفي جميع تلك المحاذير ، فيتوافر

عدد الكهنة وتنمو المدارس الكاثوليكية وتعمل عملها المثمر في جوّ حرّ هادئ مفعم بالآمال والاماني».

المصطلحات العلمية في كتاب « الحيوان »

نشر الاستاذ مصطفى الشهابي، في مجلة المجمع العلمي الدمشقي (تموز وآب ١٩٣١، ص ٥٠١)، طائفة من المفردات العلمية اقتبسها من كتاب « الحيوان »، للجاحظ، فحدّد المعنى الذي استعملها فيه المؤلف وذكر ما يقابلها في كتب ذوي الاختصاص من الفرنج. فرأينا ان ننشرها مجرّدة عن الشرح والتعليق وذكر المآخذ، تسهيلاً لفائدة طلّاب المصطلحات العلمية:

صنف، نوع	variété
قسمة، تصنيف	classification
جنس، ضَرْب، نوع (١	espèce
ضَرب	catégorie, division
نوع (١	genre
عرق	race
تقطيع	morphologie
مجسة	mariement
شمائل	caractères
مشترك	omnivore
توطين	acclimatation (٢
اطول ما يكون، في الفرط	au maximum
تركيب	composition
خاصّة، خاصّية	propriété
طيور قواطع	oiseaux migrateurs
طيور اوابد	oiseaux indigènes
قائلة	sieste

١) يتفق جمهور علمائنا اليوم على تخصيص لفظة « genre » بلفظة « جنس »، ولفظة « espèce » بلفظة « نوع »؛ وبعضهم على ترجمة « variété » بـ « صنف »، و « race » بـ « عرق ».

٢) كان المرحوم الشيخ ابراهيم اليازجي وضع لهذا المعنى لفظة « تبليد »

الاحتفال بتدشين نصب الاب كاتن

اهم المقالات الشرقية في مجلات الاستشراق

حوليات الجغرافية Annales de Géographie, *15 septembre 1931*

M. Clerget, *L'habitation indigène au Caire. Essai de classification géographique, p. 527-543.*

المساكن الوطنية في القاهرة

يبدأ الكاتب مقاله بذكر ما تفيده مصر خاصة والشرق عامة من مظاهر اختبارات الجغرافية البشرية ، وذلك لكثرة ما فيها من اختلاف طرق الحياة ، وتباين درجات الثقافة. ثم ينتقل الى ذكر عقلية الشعب المصري في بناء مسكنه. فالمصري ، على قوله ، لا يهتم الاهتمام الكبير بمنزله ، ولا يسكن منزل الميت ، فهو يصلح فيه قليلاً او كثيراً ، ولكنه لا يهدم الّا في النادر. اما في البناء فيستعمل الطين المجفف بالشمس واللبن ، على كون جبل المقطّم غير بعيد ومن الممكن ان تُستخرج منه الحجارة الكلسية الحسنة ؛ ولكن هذا العمل يكلف تعباً لا يراه المصري لازماً بالنسبة للنتيجة المتوخاة. فاذا استعمل الحجارة فهو يستعملها للضروري من البناء كالجوامع اولاً ، ثم اساس البيوت ، وقد يبني بها بعض جدران الطبقات الاولى من المنازل. وهنا تدفعنا الحقيقة الى القول ان اختيار الحجارة واستخراجها من المقالع وطريقة نحتها لا تدلّ على كثير من المهارة والذوق في المقاولين ولا في البنائين.

وهناك شيء آخر يجدر بالذكر ، وهو ان الخشب النادر في تلك البلاد ، يوجد بكثرة في بناء البيوت ، يستورده البنّاؤون من الخارج ، ويساعد على حفظه المناخ الجاف.

ثم ينتقل الكاتب الى قسم آخر يدرس فيه سلسلة الاعمال التي قام بها البناؤون للتوفيق بين المنازل ومقتضيات المناخ وما اليه من العوامل الجغرافية ، فيذكر قول احدهم من ان جميع اقسام المنزل نُظر في بنائها الى تأثير الحرارة. وهو قسم استوفاه المؤلف درساً ولا سيما في ما خصّ السقف والنوافذ. فدلّ ،

في كل ذلك ، على ان البناء الوطني في مصر يفضل المهندس المصري في السير حسب مقتضيات المناخ.

ويمكننا القول نفسه عن طرق البناء في بيروت ايضاً.

الوثائق الشرقية Archiv Orientalni, *vol. III, n° 2, août 1931*

Josef Dobiaś, *Les premiers rapports des Romains avec les Parthes et l'occupation de la Syrie, pp. 215-256*

العلاقات الاولى بين الرومانيين والبرتيين واحتلال سورية

من اهمّ ما اتاه الرومانيون من الاعمال في حياتهم الطويلة هي انهم الحقوا بهم بلاد سورية سنة ٦٤. اما اسباب ذلك فيردها مؤرخو العصر عادةً الى طمع پومپيوس.

على ان المؤرخ الاثري فرانس كومون قام مؤخرًا وعرض سبباً جديدًا لالحاق سورية ببلاد الرومان ، وهو أن الرومانيين كانوا بحاجة ماسة الى ايقاف تقدّم البرتيين ومنعهم عن الوصول الى البحر المتوسط . هذا وقد كان كاتب المقال قد الف تاريخًا لمقاطعة سورية الرومانية فذكر ان پومپيوس كانت غايته القضاء على القرصنة البحرية ، فبدأ سنة ٦٧ باكتساح قيلقية ثم جزيرة اقريطش ، وانتهى بان اكتسح سورية سنة ٦٤. فلما ظهر رأي كومون، اعاد الكاتب نظره في الامر ، فدرس ، في المقال الذي نحن بصدده ، علاقات رومة بالبرتيين ، وعلاقات هؤلاء بسورية منذ اول اتصالهم برومة حتى الزمن الذي استلحق فيه پومپيوس مقاطعة سورية. وهو درس غاية في الدقة واصول النقد يظهر مثالاً صالحاً لمن يريد من ابناء بلادنا ان يتعلّم كيف يكتب التاريخ.

شذرات

تحفة عربية [1]

ظهر مؤخرًا في المانية تأليف جغرافي عنوانه الخارطات العربيـة يحتوى على ٨٣ خارطة عالمية ، و ٣٦٤ خارطة اخرى جزئيـة ، وضعها العرب قبل القرن الرابع عشر ، وبقيت كلها تقريباً مجهولة حتى الآن مدفونة في مكاتب القاهرة والاستانة ولندن واكسفورد وليدن ولينغراد وبرلين وهامبورج وڤيانة وبولونية .

ولهذا التأليف قيمة علمية ثابتة ، لانه يحتوي على منابع العلوم الجغرافية في الاجيال الوسطى . وقد قدّره حق قدره علماء الجغرافية امثال پنغ وڤاگنر وبنايز وفيلبسون وغيرهم بما أثنوا به على واضعه .

اما الخارطات فقد ظهرت مصوّرة عن الاصل العربي ، واسماء البلدان فيها باللغة العربية ثم بالحروف اللاتينية . وصاحب هذا التأليف الاستاذ كونراد ميلّور هو كاهن كاثوليكي لاتيني دكتور في العلوم الطبيعية ، قـد نشر خارطات قديمة اخرى ذات قيمة كبيرة ، منها مصوّر پوتنگر الموضوع سنة ٣٧٥ م . فهو ذو شهرة عالمية بنشر الخارطات وله اطلاع على كل الخارطات العربية . وقـد وصف في تأليفه منها كل ما تقدّم ذكره من العدد الكبير ، ولا شكّ ان عالماً مثله قدير ان يحكم على ما عرف العرب في الاجيال الوسطى من المدن والانهار والجبال في كل بلاد .

وظهر مع هذا التأليف ايضاً خارطة العالم التي كان الادريسي قد خطّطهـا سنة ١١٥٤ م . في بلاط الملك روجر الثاني الصقلي ، وكانت محفورة على منضدة من الفضة ، غير انها قد تآكلت وفنيت مع الزمان . فجدّدها الاب ميلّور معتمداً على ستة وستين مصوّرًا جغرافياً وجدها في المكاتب المتفرّقة ونشرهـا ملوّنة

---

(١) Konrad Miller, *Mappae arabicae*، ستة اجزاء مغلفة مع خارطة الادريسي بالالوان ثمنها ١٠٠ مارك ، وتطلب من المؤلف وعنوانه : الاستاذ الدكتور كونراد ميلّور ستوت جارت وبرغبرج ستافلينبرجشترازن ٥٤ المانية .

بحجم مترين فجاءت أجمل ما تزدان به جدران المجالس وردهات الاستقبال.

ومما يجدر بالذكر ان الغرب طيلة هذه الاجيال لم يأتِ بشيء من هذا القبيل ، لولا ان ملكاً مسيحياً، روجر الثاني، قد ساعد صديقه الادريسي في تخطيط خارطته العالمية بما يختص باوربة . ويستدل من بساطة رسوم الخارطات انها كانت تستعمل في المدارس ، وان جميع المتعلمين كانوا يدرسونها.

فخلاصة القول ان تأليف الاب الدكتور ميلور يرفع شأن الثقافة العربية في الاجيال الوسطى. وقد وضعه بلغة المانية سهلة المنال. فمن يفهم هذه اللغة يجد في مطالعته فوائد جمة ، ومن فاته التأليف امكنه ان يستعيض عنه بالاطلاع على الخارطة نفسها.

الاب كوبل اليسوعي

اللبن الرائب

قال احد العلماء المسمى باكرت : « لو اخذ المرء كل يوم قدحاً من اللبن الرائب لابعد عنه الموت ! ». وكان قديماً احد الاطباء قد ذكر في احد مؤتمرات باريس ان اللبن الرائب هو علاج خصوصي لمكافحة ذَرَب الاطفال . وقد اطرأ مؤخراً متشنيكوف الشهير استعمال اللبن الرائب كعلاج عمومي في كل الادواء. والامر الذي يستدعي الاستغراب هو ان اللبن الرائب يأتلف مع اغلب المعد ان لم نقل كلها . فمن صفاته الحسنة انه اسهل هضماً من اللبن العادي اي غير الرائب ، ويمكن عدّه بالتالي من الاغذية الشديدة الموافقة في العلل المنهكة ، لانه يزيد التغذية بسبب امكان اخذ مقادير كبيرة بدون خوف التخمة . وهو بالوقت ذاته يعدّ كشراب مدرّ للبول وغذاء فوسفاتي اي مرمم للقوى . ولا نكير انه بسبب طعمه الحمضي قد يؤثره المرضى على اللبن غير الرائب.

ويعتقد متشنيكوف ان السموم التي تتولد في المعى الغليظ من توالد الميكروبات تسمّم البدن بامتصاصها وتسبب تضخماً في النسيج الخلوي يعقبه تصلب الاعضاء ، وبناء على اعتقاده هذا المعزز بالتجارب والابحاث قد ثبت له ان الخمير اللبني الموجود في اللبن الرائب هو من اشد اعداء تلك الميكروبات السامة الكامنة عادة في المعى الغليظ .

مطبوعات شرقية جديدة

C. H. Vosen und Franz Kaulen. Kurze Arbeitung zum Erlernen der hebräischen Sprache für gymnasien und für des Privatstudium Vierundzwanzigste Auflage, *bearbeitet von* **Jakob Schumacher.** *in*-8°, 179 *pp. Prix :* 3,40 *M. Freiburg im Breisgau, Herder und C°,* 1931.

غراماطيق عبراني

هو الغراماطيق العبراني المدرسي المشهور يظهر مجدّدًا طبعته للمرة الرابعة والعشرين . وقد عُني به ، منذ طبعته العشرين ، الاستاذ شوماخر فلم يألُ جهدًا في زيادة الصفات الحسنة التي جعلت للكتاب هذا الانتشار الواسع . وفي آخر المجلد ملحقان يختصّ الاول بالنصوص العبرانية في العهد الجديد ، والثاني بكثير من التمارين والتعابير المفيدة يتبعها معجم كافٍ . كل ذلك بمظهر من الطبع جميل .

Axel Moberg : An-Nasi' in der islamischen Tradition - *in*-8° *de* 54 *pp. Lund, Hakan Ohlssons Buchdruckerei,* 1931.

النسيء في التقاليد الاسلامية

وردت كلمة « النسيء » مرةً واحدة في القرآن (٩ : ٣٧) دون ان يشرحها النبي . ولكن يظهر من الآية السابقة (القرآن ٩ : ٣٦) ان اللفظة المذكورة تتعلق بحساب الايام او ما ندعوه اليوم بالروزنامة . غير ان مفسّري القرآن وارباب الحديث اولوها على تآويل متعدّدة تختلف بعضها عن بعض اختلافاً يُذكر . فقام المؤلف وجمع كل التآويل ، وانتقدها في كتابه هذا . ويظهر ان اللفظة واستعمال « النسيء » اقتبسه العرب من يهود الجاهلية ، كما انهم اقتبسوا في ما بعد عن الآراميين استعمال لفظة « كبيسة » . ه . ل .

Villanova Gerster (P. Thomas O. M. C.) : Familia veteris foederis. *in*-8°, 264 *p.* 1931. *L.* 8. *Casa editrice Marietti, Torino* 118.

العائلة في العهد القديم

القى المؤلف هذه الابحاث محاضراتٍ على مبتدئي رهبنته اولًا ، ثم جمعها

في هذا المجلد قاسماً اياها الى ثلاثة اقسام: العائلة في العهد القديم باعتبار تأليفها، ثم الصلة بينها وبين الله ، ثم علاقتها بمثيلاتها . فجاء الكتاب كامل الابحاث وافي المعلومات، وان لم يكن ذا مظهر علمي ؛ وهو يأتي ، دون شك ، بالفوائد الجزيلة للكهنة وطلّاب الكهنوت ، فيعينهم على مواضيع التأملات والمواعظ. وهو مكتوب بلغة لاتينية سهلة وانيقة معاً. ج. ل.

Schmid (Dr Josef) : Zeit und Ort der Paulinischen Gefangenschaftsbriefe mit einer Anhang über die Datierung der Pastoralbriefe. *gr. in-8° XII-170 pp.* 1931, *Herder. Freiburg im Breisgau* 8 *M.*

زمن ومكان ارسال رسائل القديس بولس

مؤلف هذا الكتاب استاذ تفسير العهد الجديد في دلنكن ، وكان قد ألّف نوعاً ما ، في كتاب سابق على رسالة القديس بولس الى الافسسيين ، بالموضوع الحالي . اما اليوم فقد عاد اليه وخاضه بتدقيق فبين ان رسائل القديس بولس الى الافسسيين والكولوسيين ، والى فيلمون ، والى اهل فيلبي لا ترقى الى عهد أسره الاول في رومة فحسب بل الى زمن اقدم. ثم انتقد جميع الفرضيات التي قُدّمت في سبيل تحديد هذا الزمن هل كان مدة السنوات الثلاث التي قضاها القديس في افسس ام مدة اسره في قيسارية ، فاستنتج ان كلها لا يُستدّ بها، على عكس التاريخ التقليدي. ثم اردف البحث بملحق في تعيين تاريخ الرسائل الرعائية. ج. ل.

E. de Keyser : Le grand péril de la France missionnaire. *in-12, 222 pp. Prix* : 12 *f*. *Paris, Edition Jules Tallandier* 1931

الخطر الاعظم الذي يهدّد فرنسة المرسلة

كتاب رشيق كتبه المؤلف لبعض مناظريه من الذين لا يفهمون بل لا يودّون ان يفهموا مهنة فرنسة في ارسالياتها ، فلا يتأثرون بانتشار ثقافتها ولا يتحمّسون لسعة نفوذها . هذا والكاتب متشائم نوعاً في ما خصّ فائدة كتابه فيقول : « ليست هذه الصفحات الّا ضربتا مطرقة على مسامير صعب انفاذه... » على ان متابعة الضرب على نقطة واحدة قد تؤدي الى شيء من الغاية المتوخاة. ولنا الامل ان هذا الكتاب يبدّد بعض الفياهب في عقول ذوي النيات السليمة الذين يرغبون في ان يروا ويسمعوا ويفكروا.

Histoire des colonies françaises et de l'expansion de la France dans le monde. *t. III*, Maroc - Tunisie - Syria. *par* G. Hardy, R. de Caix, H. Dehérain. 1 *vol. illustré in-4°, Prix, broché* : 150 *f°*. *Plon*, 1931

تاريخ المستعمرات الفرنسوية وانتشار نفوذ فرنسة في العالم
الجزء الثالث : مراكش ، تونس ، سورية

هذا المجلد حلقة من سلسلة تاريخ المستعمرات الفرنسوية المنشورة بادارة الاستاذين غبريال هانوتو ، والفرد مارتينو . وقد ظهر قبله مجلدان خصّا بتاريخ المستعمرات الفرنسوية في اميركة ، وتاريخ الجزائر . وهذا الثالث يتضمّن تاريخ مراكش وتونس بقلم الاستاذ جورج هاردي مدير مدرسة المستعمرات ، وتاريخ سورية بقلم السيد روبر دي كاي الذي عرفناه في بلادنا ، يلحقهما بحث طويل عن الاثر العلمي الفرنسوي في سورية والعجم بقلم الاستاذ دهيرن امين مكتبة المعهد الفرنسوي . يزين ذلك عددٌ عديد من الرسوم السوداء والملوّنة بريش الفنانين بوشور ، وبوسي ، وڤيكير ، وشالون ، ومول ، مما يجعل للكتاب مظهراً غاية في الجمال يرغب الكثيرين في اقتنائه ومطالعته .

ولا يسع المطالع الّا ان يستخلص غاية المؤلف فيرتاح اليها ، وهي عرض نتائج ما قامت به فرنسة من الاختبارات الاستعمارية في مناطق البحر المتوسط ، الدائرة كلها حول تعزيز منطقة الجزائر المهمة . هذا على كون نفوذ فرنسة في تلك المناطق لا يبدأ بالامس ، بل هو عريق في القدم يرقى الى عصر الصليبيين ، بل يصل في بعضها الى زمن انتشار المسيحية التي وصلت الشرق بالغرب فجمعتها في مدنية واحدة . وعندما تتمم هذه المجلدات بتاريخ مصر الذي سيظهر جزؤه الاول قريباً في المكتبة نفسها ، تصبح المجموعة تاريخاً كاملاً للمدنية في مناطق البحر المتوسط . وهو تاريخ جديد مبتكر في بابه يبدأ بالموضوع منذ اصوله البعيدة ثم يتتبع تقدّم المدنية عصراً فعصراً حتى يصل الى الاثر الاستعماري الحالي فيحدّد معناه الحقيقي ، وممهداته القديمة ، ونتائجه المعقولة .

فيذكر ، في ما خصّ بلاد تونس ، ما يتضمّنه مبدأ « الحماية » من اعمال ومؤسسات تدفع العناصر المختلفة الى الاشتراك في المنفعة العامّة مع الاحترام التامّ لتقاليد الشعب ودينه وحريّته .

اما في ما خص مراكش ، فاستحق الذكر الجميل عمل المرشال ليوتي الذي اتم به الاختبارات العريقة في القدم فنجح النجاح الباهر ، وعادل اشهر رجال العمران. واما سورية فتاريخها صلة لتاريخ الصليبيين ، ونتيجة لحماية المسيحيين في الشرق. تظهر فيها الروح الفرنسوية بكل ما اتصفت به من مرونة ولطف وعاطفة قلبية وصداقة متينة وعمل دائب دائم في سبيل المثل الاعلى والخير الانساني الشامل . فكانت لفظة « الانتداب » افضل الالفاظ للدلالة على هذه المعاونة بين الشعبين ، وطريقة « الانتداب » افضل الطرق للوصول الى الغاية المقصودة التي تجعل من الشعب المنتدَب عليه عائلة واحدة تسير واثقة في كنف الشعب المنتدِب الذي يبادلها الثقة ويمحضها الاخلاص ويدربها في نهج التقدم والازدهار . هذا ما ينتج من كلام السيد روبر دي كاي الذي اجتهد في شرح انواع الانظمة المختلفة التي اختصت بها هذه البلاد ، وذلك بكل حرية دون ان يخفي الصعوبات والعقبات التي تلاقيها فرنسة في القيام بواجبها.

بقي ان نذكر بحث الاستاذ دهيرن الذي جمع الجهود العلمية والاثرية التي قامت بها فرنسة في سورية وبلاد العجم ، فاظهر ما تضمنها من التجرد الحقيقي وما نتج عنها من الفائدة العلمية لتاريخ المدنيات القديمة.

M. Besson : La tradition coloniale française. *in-8° de 174 pp.* 20 *planches, Prix, broché* : 20 *f*. *Gauthier-Villars et Cie, Paris*, 1931

التقاليد الاستعمارية الفرنسوية

ان نجاح المعرض الباريسي الاستعماري لفت انظار العالم الى المستعمرات الفرنسوية وقيمتها ، مبرهناً لذوي الشك ان في الطبع الفرنسوي استعدادات مهمة للاستعمار والتمدين . على انه ، فوق ما يحمله زائر ذاك المعرض من المناظر الفنية والبراهين الحسية على تقدم مستعمرات فرنسة في قارات العالم الخمس ، كان من الضروري الدلالة على ان هذا التقدم ليس وليد اليوم بل هو نتيجة عمل طويل صامت يرقى الى الاعصر البعيدة . وهو ما اراد ايضاحه المؤلف فقام يذكر القوم بتلك التقاليد الاستعمارية كاتباً تاريخها ، معدداً الحوادث المتتابعة التي جعلت من فرنسة دولة استعمارية عظيمة ، جامعاً ما تركته من تأثير في عقلية الشعب حتى اصبحت التقاليد الاستعمارية القديمة تقاليد وطنية

ليس غير . هذا وانشاء الكتاب على جانب كبير من حسن الذوق والرشاقة تزينه عدة رسوم جميلة .

Islamica, *vol. V, fasc.* 1. *Leipzig, Asia major*, 1931. *Prix, broché*: 16 *M.*

مجلة الاسلاميات : الجزء الاول من المجلد الخامس

مما يجدر بالذكر في هذا الجزء بحث ضافٍ عن « النسيب » في الشعر العربي القديم وما يختص به من اساليب مقررة لا يتعداها الشعراء ، وعن الدور الذي تمثله المرأة في هذا الشعر ، يؤيد ذلك كثير من الاشارات الى المجاميع الشعرية القديمة . ثم في الجزء نفسه قسم اول لمقال طويل على انواع « الشهادة » في الدين الاسلامي وطرق استعمالها واسمائها . ه . ل .

Annuario della Reale Accademia d'Italia. *II*, 1929-30, *Anno VIII-Roma, in-8°, illustré. Prix : L.* 25

تقويم الاكادمية الملكية في ايطالية

هو عدد السنة الثانية من هذا التقويم الذي يجمع اوفى المعلومات عن اعضاء الاكادمية ، واعمالها المختلفة ، وما تقوم به من منشآت ، واعانات تعليمية ، ومسابقات وجوائز الى غير ذلك من الاعمال المفيدة .

شرح الارجوزة بالرجز

٣ اجزاء — ٤٢٠ ص . متوسطة صغيرة — المطبعة الكاثوليكية ١٩٣٠ و١٩٣١

للمرحوم الاستاذ نجيب فرج الله فياض ولع بالقواعد العربية اكتسبه من مزاولة التعليم زمناً غير قصير ، وهذا الولع دفعه الى نظم شرح المرحوم الشيخ اليازجي للارجوزة ، فاقدم على ذلك وطبع منظوماته في ثلاثة اجزاء تنتهي عند باب « ان واخواتها » . وهو لم يترك مثلاً او شاهداً في الاصل المنثور الا نظمه وكل ذلك بسهولة ووضوح . ومن الاطلاع على كتابه يظهر مبلغ الجهد الذي بلغه في سبيله ، ولو لم تفاجئه المنية لاتم شرح الارجوزة كله كما اتصل بنا .

اما قيمة الكتاب فهي انه لو جاء منذ عشرين سنة على الاقل لاحدث ضجة واثراً عظيمين في عالم التدريس . اما اليوم فقوائده بالاكثر هي للمعلمين وطالبي التعمق والوقوف على جميع الآراء في القواعد العربية . ف . ا . ن .

فتح العرب للشام

تأليف جورج مرعي حداد

المطبعة الادبية ، بيروت ، ١٩٣١-١١٢ ص . متوسطة

ان فتح العرب للشام في القرن السابع لا يزال من مشكلات التاريخ الشرقي. على ان الكتاب الذي نحن بصدده يظهر من افضل الابحاث المكتوبة باللغة العربية في الموضوع المذكور . طالع صاحبه من اجله مؤلفات المستشرقين فاستفاد منها فائدة صالحة. انما اسفنا لانه لم يتمكن من استغلال آثار المستشرق كايتاني في « حوليات الاسلام » . وقد استغربنا منه ان يذكر في لائحة مصادره كتباً لا فائدة منها « كفتوح الشام » للواقدي ، وهو كتاب اشبه بالحكايات ، « وكتاريخ العرب» لسيديلّو واقل ما يقال فيه انه مجموعة خرافات من نوع قصص العجائز . هذا وقد اكد المؤلف (ص ٥٥) « دوام دمشق عاصمة بر الشام رغم تقلبات العروش والامم » ، وهو ما سنبين خطأه في مقال خاص سننشره في «مشرق» الشهر القادم . وكان قد ذكر في الصفحة التاسعة، السطر الخامس ، بعض المؤرخين فلم يعرف ان « اوتيخوس» (او يوتيشوس كما يسميه) « وابن البطريق» اسمان لرجل واحد نشر تاريخه المكتوب باللغة العربية المرحوم الاب شيخو.

ه . ل.

المُشرقيات

نظم المحامي نجيب مُشرق

٢١٠ ص متوسطة ـ مطبعة القديس بولس ، حريصا ، ١٩٣١

سفر جميل المظهر بورقه الصقيل ، وحرفه الزاهي ، وطبعه المشرق ، وصوره العديدة الواضحة ، حوى نحو ١٤٠ متطوعة من الشعر نظمها المحامي المعروف الاستاذ نجيب مشرق في حوادث جرت له او لاصدقائه ومعارفه ، فاراد تدوينها تارة مهنئاً مادحاً ، وطوراً راثياً متحسراً ، وحيناً مداعباً ، واحياناً مجاملاً. وقد نشر الى جنب اكثر القصائد رسوم من قيلت فيهم وبعض الشرح عن سبب النظم وظروفه. فجاء الكتاب من الاسانيد المفيدة لتاريخ بعض الادباء في اوائل القرن العشرين.

ف.ا.ب.

تقويم البشير لسنة ١٩٣٢

تأليف الاب لويس معلوف اليسوعي

٢٤٨ ص متوسطة – المطبعة الكاثوليكية – الثمن: ٢٥ غرشاً لبنانياً سورياً

اصبح من النافل الكلام على هذا التقويم النفيس لما اتصف به من الشهرة الواسعة ، وما لاقاه من الرواج العجيب . ولم يكن هذا الرواج الا نتيجة ما تضمنه من المعلومات المختلفة في التاريخ والجغرافية والاقتصاد والسياسة والادارة والتجارة والفنّ والادب . وقد زاد على ذلك ، هذه السنة ، رسوماً غاية في الدقة وحسن الطبع لاهمّ الآثار العربية كقصر اشبيلية وقاعة الملوك فيه ، ومحراب جامع الحمراء واحد ابوابه واحدى نوافذه ، ومحراب جامع قرطبة ، وباب الفتوح في القاهرة ، وما الى ذلك من روائع الفن العربي . ومما يجدر بالذكر في ابحاثه الجديدة نشره قانون المطبوعات في لبنان ، وقانون الملكية ، ووصف مختصر للقارّات الخمس والدول القائمة فيها ، وجدول مطوّل بمعدل سعر الليرة السورية بالنسبة الى العثمانية الذهبية من سنة ١٩٢١ الى ١٩٢٧ اذ ثبتت السورية على قيمتها الحاضرة . وقد طُبع على ورق صقيل بالاتقان الذي عُرف به . ف . ا . ب .

كتاب الصلاة

المطبعة الكاثوليكية ، ١٩٣١ – ٧١ ص . صغيرة

ذكرنا في مشرق الشهر الفائت (ص ٨٠٠) ان قد تنصر ٦١ علوياً من رجال ونساء واولاد . فكان من الضروري ان يُقدّم لهم كتاب يعلمهم الصلوات الضرورية ويعينهم في واجباتهم الدينية . فوضعت المطبعة الكاثوليكية هذا الكتاب اللطيف محتوياً على جميع الصلوات اليومية مع ذبيحة القداس ، وشرح اهم الاسرار المقدسة ، بلغة سهلة وطبع جميل يزينه رسوم رمزية موافقة جداً .

* كنيسة شامات * المطبعة الكاثوليكية ، ١٦ ص . متوسطة – هي المقالة الاثرية التاريخية التي نشرها حضرة الخوري يوسف العمشيتي في مجلتنا ، رأى ان يطبعها على حدة تعميماً للفائدة .

* الواسطة البهية في القلادة البطريركية * المطبعة الكاثوليكية ، ١٦ ص . متوسطة – وهذه ايضاً من آثار المؤلف نفسه الذي لا يزال دائباً على فائدة بني قومه في تاريخهم وآثارهم ، نشرها ايضاً في « المشرق » . ثم طبعها على حدة ، خاصاً اياها بترجمة الطيب الذكر والاثر البطريرك ارميا العمشيتي .

اهم حوادث الشرق في شهرين

١٥ ايلول — ١٥ تشرين الاول ١٩٣١

لبنان وسورية — قررت المفوضية العليا منع الذين لم يبلغوا الحادية عشرة، ذكورًا واناثًا، من الاشتغال في المصانع وما شاكلها من الاعمال القاسية التي تضر بصحتهم . وفرضت على المخالفين عقوبات صارمة.

* اذاعت وزارة المعارف اللبنانية بلاغاً حذّرت فيه معلمي المدارس الرسمية من الاشتغال بالسياسة المحلية.

فلسطين — كان من جرّاء تدهور الجنيه الاسترليني ان الجنيه الفلسطيني تبعه في ذلك، فنتج شبه شلل في الحركة التجارية زاد صعوبة الازمة الاقتصادية.

مصر — على اثر هبوط الجنيه الاسترليني ، وتجربة بعض الصيارفة التلاعب بقيمة الجنيه المصري ، منعت الحكومة تصدير الذهب من القطر المصري.

* قرر مجلس الازهر الاعلى التصديق على لائحة اجراءات محاكمة العلماء الذين يقع منهم ما لا يناسب وصف العالمية ، وانتداب بعض المدرسين من الخارج للتدريس بكليات الجامع ، واحالة عدد كبير من العلماء وطائفة من مدرسيه الى المعاش لعدم كفاءتهم العلمية.

العراق — القى الملك فيصل ، في مأدبة اقامها للوفود العراقية الآتية للسلام عليه ، خطاباً تاريخيًا الم فيه بتقلبات الاحوال في العراق منذ الهدنة ، وبساعي جلالته في السير بالبلاد في نهج التقدم والاستقلال.

بلاد العرب — من اخبار الجزيرة العربية ان الحدود بين حكومتي اليمن ونجد مقفلة ، وان قوات الملك ابن سعود ضربت على حدود عسير نطاقاً شديداً لكيلا تنتقل قبائل اخرى الى اليمن ، وان قوات الامام يحيى المجاورة للحدود ترقب القادمين والذاهبين.

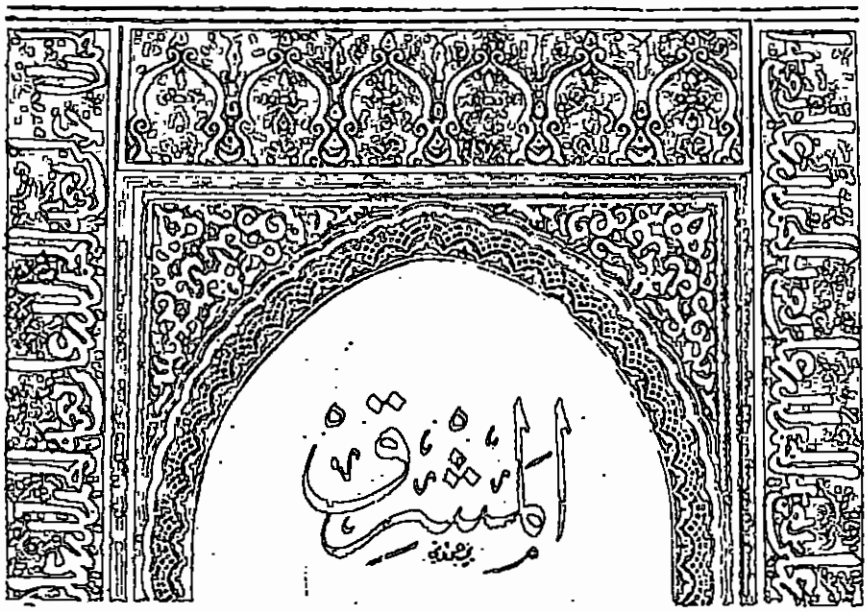

كانون الاول ١٩٣١

عيد التذكار المئوي

لتجديد رسالة الآباء اليسوعيين في لبنان وسورية

١٨٣١-١٩٣١

خطاب حضرة الاب ده بونشيل ، رئيس اقليم ليون

نهار الاحد الواقع في الخامس عشر من تشرين الثاني ١٩٣١ ، ظهرت كلية القديس يوسف بثوب قشيب من الزينة ابتهاجاً بعيد التذكار المئوي لتجديد الرسالة اليسوعية في لبنان وسورية .

وكانت حفلات العيد قد تتابعت منذ اشهر ، فكانت اولاها في بيروت حيث احتفلت الكلية بتكريم اربعة عشر من الآباء والاخوة الطاعنين في السن خدموا الله والشعب في الرسالة مدة خمسين سنة او اكثر . وكانت الثانية في دمشق (١٨ و١٩ نيسان) اذ احتفل بتدشين كنيسة القديس يوحنا الدمشقي التي شيدها الآباء اليسوعيون بالمكان الذي كان فيه منزل القديس ، وشاؤوا ان تكون اثراً تذكارياً لهذا العام اليوبيلي . وكانت الثالثة في باريس (١١ تشرين الاول) في بناية الرسالات الكاثوليكية من المعرض الباريسي العظيم ، حيث اقام حضرة الأب ده بونشيل ،

رئيس اقليم ليون المرتبطة به رسالة لبنان وسورية ، قدّاساً حافلاً ترأسه اسقف باريس المساعد ، وحضره جم غفير من كبار السامة الفرنسيين واركان الجيش البرّي والبحري ، وبينهم السيّد بونسو المفوّض السامي في بلادنا ، وعدد من رجالات الاكليروس الشرقي والجالية اللبنانية والسورية

اما الحفلة الكبرى فكان ميعادها ، في بيروت ، الخامس عشر من تشرين الثاني ١٩٣١ – وقد وصل اول اليسوعيين الى بيروت في ١٣ تشرين الثاني ١٨٣١ – فتوافد المدعوون الى الكلية منذ الصباح . وعند الساعة العاشرة ، موعد القداس الكبير الذي افتُتحت به حفلات العيد ، دخلوا الكنيسة فضاقت جم على رحبها . وقد تقدّمهم من جهة اليمين ممثّل المفوضية العليا ، السيد هلّاو مندوب المفوض السامي ، واوغست اديب باشا ، رئيس وزراء لبنان ، ممثلاً رئيس الجمهورية ، والسيد لافون ، قنصل فرنسة ، وموسى بك نمور ، وزير الداخلية ، ثم المستشارون ورؤساء المصالح والدوائر في المفوضية العليا والحكومة الوطنية . وكان من جهة الشمال قائد الجيش العام ، الجنرال دي بيفو ده غرانزو ، والاميرال دفيل ، قائد الاسطول ، وكبراء الضباط في جيشي البر والبحر ، وقد جلس وراءهم اساتذة المعاهد العليا في كليتنا بيزّاتهم الرسمية ، وبينهم اللجنة الفاحصة لمعهد الحقوق ، فممثلو جمعية متخرجي الكلية ، فاماثل القوم من السادة والسيدات ، فطلبة العلوم العليا .

اما في الخورس فقد جلس الى يمين المذبح ، فوق العرش ، صاحب النيافة السيد القاصد الرسولي في سورية ولبنان مترئساً ، وازاءه من الجهة الاخرى ، صاحب الغبطة السيد اغناطيوس جبرائيل تبوني ، بطريرك الطائفة السريانية ، والسيد افديس ارپاريان ، بطريرك الطائفة الارمنية ، واصحاب السيادة المطران عبدالله خوري ممثلاً صاحب الغبطة بطريرك الطائفة المارونية ، والمطران نيقولاوس القاضي ممثلاً صاحب الغبطة بطريرك طائفة الروم الكاثوليك ، والمطارنة اغناطيوس مبارك ، وباسيليوس قطان ، واغناطيوس نوري ، ويوحنا نازليان ، وديونيسيوس كفوري ، ويوسف جرجي ، ولويس بونديني . ومن بعدهم رؤساء وممثلو الرهبانيات الشرقية والغربية ، ورؤساء المعاهد العلمية ، ورهط غفير من الرهبان ورجال الاكليروس .

واحتفل بالذبيحة الالهية الاب الجليل رئيس الآباء الكبوشيين في بيروت ، تخدمه جوقة المرتّلين من تلاميذ الكلية التي انشدت الصلوات الطقسية موقّعة توقيعاً دقيقاً جميلاً .

وبعد الانجيل ارتقى الاب ده بونئيل ، رئيس الكلية السابق ، والرئيس الاقليمي اليوم ، منبر الكنيسة فتلا رقيماً موجّهاً من وزير الكرسي الرسولي الكردينال پاشلي باسم الحبر الاعظم الى رئيس رسالتنا بمناسبة العيد المئوي ، ثم القى الخطاب التالي تعريبه :

يا اصحاب الغبطة والسيادة

ايها السادة

ايها الاخوة

في الثالث عشر من تشرين الثاني سنة ١٨٣١ ، نزل في ثغر بيروت ثلاثة يسوعيون ، اتوا الشرق ، بعد ست وخمسين سنة ، ليستعيدوا العمل المنقطع ببراءة البابا اكليمنضوس الرابع عشر التي حلّت الرهبانية اليسوعية. وصل الرجال الثلاثة يدفعهم العزم الثابت ويهيب بهم الريب والتردّد . فانهم لم يكونوا ليعرفوا حق المعرفة مقدّرات البلاد ولا عقباتها . حتى انهم كانوا يتردّدون ، بعد خمسة وثلاثين يوماً قضوها على سطح البحار ، في اختيار النقطة التي ينزلون فيها الى البرّ . وكانت تبلغ مسامعهم اخبار الحرب واخبار الهواء الاصفر. الى ان قيّض لهم الاتفاق ، بل دفعهم دافع مفاجئ الى اختيار ثغر بيروت فنزلوا فيه.

كانوا ثلاثة يتطلّبون مدخلاً ويفتّشون عن طريق . اما اليوم فان رسالة الآباء اليسوعيين تعدّ مائة وخمسين عاملاً . وهي تبسط ، من مراكزها المهمة ، في بيروت ودمشق وحلب وقرق خان ، في حمص وطرطوس ، في بكفيا وغزير وزحلة وتمنايل وكاره ، نفوذها المباشر على كثير من القرى المنتشرة فيها مدارس الصبيان والبنات التي يزورها المرسَلون بطريقة منظّمة.

لا يجمل بي ، ايها السادة ، ان اقوم بتقريظ هذا العمل ولا بالمدافعة عنه. ولكن يمكنني ان اجتهد في ذكر ما اتّصف به من الميزات ، اذا ما تتبعت مراحل اتساعه مدة الاعوام الخمسة عشر الاولى . فنرى مرسومة فيه اولاً فكرة ليست من افكار البشر ، ونرى مظاهرَ التقدم مقبولةً بخضوع وتسليم تحت تأثير حوادث ليس فيها من نصيب كبير للمشيئة البشرية ، اكثر منها مطلوبةً بسعي سابق مقرَّر ومتفق عليه . واذاً فيمكننا الاعتقاد ان العمل الذي يظهر امامنا اليوم ثابتاً قوياً هو ، في تركيب اجزائه ورسمه ، ما شاء الله ان يكون.

***

دعا اليسوعيين سنة ١٨٣١ ، السيد مظلوم ، الاسقف الرومي الكاثوليكي ، ليديروا المدرسة الاكليريكية في عين تراز . ولكن لم يكن النجاح مكتوباً

لذاك العمل . وهو حادث عادي ان يحبط مسعى الانسان اولاً كي يعود اليه من جديد. على ان الفكرة الاولى كانت مصيبةً كما سيدلّ المستقبل على ذلك.

ولما لم يشأ الآباء الانتظار دون عمل ، اخذوا يجوبون البلاد مفتّشين عن النفوس ، باحثين عن فكرة عامة تدير اعمالهم . فكانوا يتأثرون بمظاهر الجهل وحالة الاهمال التي كثيراً ما كانوا يصادفون فيها سكان القرى المسيحية. وكان لهم مع المتاولة والدروز ملامسات كانت تدفعهم الى التأمل العميق.

ثم زاروا بلاد حوران . وقد يكونون خلطوا ، في الملامسة الاولى ، بين عناصر جنسية مختلفة ، فخيل لهم انهم يسمعون نداء البدو . وعلى كل فقد بدأوا يشعرون بجاذبية الصحراء . وكيف لا يكون ذلك ؟ والمرسَل لا يمكنه الامتناع عن سماع النداء الغامض الذي يتصاعد من نفوس لم يطلع فيها بعد نور يسوع المسيح .

ستقفل عين تراز . ولكن سيُعاد العمل في المشروع على طريقة لم يفكر فيها سابقاً . وكان من ذلك المدرسة الاكليريكية التي أُنشئت في غزير سنة ١٨٤٣ لا لطائفة واحدة بل لجميع الطوائف الشرقية. فضمنت الحياة للمشروع على هذه الطريقة . ثم ان تلك المدرسة الاكليريكية نُقلت الى بيروت سنة ١٨٧٥، فاصبحت سنة ١٨٨١ كلية بابوية بمعهديها العاليين في الفلسفة واللاهوت.

وهذا ما رسم الميزة الاولى الفارقة للرسالة اليسوعية الجديدة في الشرق . لقد اتى الآباء ليقوموا بخدمة رؤساء الطوائف الشرقية المختلفة، وخصوصاً ليعاونوهم في تهذيب اكليروسهم بواسطة تربية روحية عميقة وثقافة عقلية عالية.

***

اما الميزة الثانية التي خصّتها العناية الالهية برسالة سورية فكانت المعاونة الفرنسوية . وقد كان البشر ، على ما يظهر ، قد فكروا بغير هذا . فان من اليسوعيين الثلاثة الذين نزلوا في بيروت سنة ١٨٣١ ، كان الاول ، الاب ريكادونا ، ايطالياً ؛ والثاني ، الاب بلانشه ، فرنسوياً من مقاطعة غاب ؛ والثالث ، الاخ هنري ، من هانوفر . وكانت الرسالة نفسها رومانية تتعلق رأساً بالرئيس العام . ثم اتى افرنسي آخر هو الاب استاف الذي وصل سنة

١٨٣٣ ، وتبعه سنة ١٨٣٦ الاب ريلّو البولوني . ويحسن بنا ان نشير هنا الى ان هؤلاء الرجال كانوا كلهم شباناً لم يبلغ احد منهم الخامسة والثلاثين . ولعل هذا شرط جوهري للخلق والانشاء .

فيظهر ان الرسالة الجديدة لم تكن فرنسوية خلافاً للرسالة القديمة التي عُهد بها منذ تأسيسها الى اقليم ليون . وكان من جرّاء هذا بعض مصاعب شعر بها الآباء حالاً ، ولكن انتظروا ساعة الرب . وفي سنة ١٨٣٤ ذكر الاب ريكادونا ، ذكره نعمة خاصة من قلب يسوع ، ان قنصل فرنسة سمح للآباء ان يرفعوا فوق اديرتهم الراية الفرنسوية . ولم يمضِ زمن قليل حتى اخذ القنصل والآباء يعملون معاً على حسم خلاف شجر بين بعض الكاثوليك فأدّى بهم الى مخاصمات دموية . وفي سنة ١٨٤٣ ارجع الرئيس العام رسالة هذه البلاد الى مقاطعة ليون التي كانت اجود من غيرها في تقديم الرجال ، والتي كانت تشعر اذ ذاك بقوة محيية تسري في عروقها . وهكذا التحمت حلقات التقليد القديم ، وقد عملت في سبيلها حركة النفوس ذاتها ، كما عملت شريعة التاريخ الخفية في فرض القرارات والاحكام . ومن ذاك الحين اصبحت اللغة الفرنسوية ، الى جنب اللغة العربية ، اللغة الرسمية في الرسالة وفي المدارس .

ثم جاءت سنة ١٨٦٠ بصروفها الهائلة فختمت هذا الاتحاد بالدم المهراق ، وبالنفوس المضحّى بها في سبيل المحبة .

***

بدأت الرسالة بخدمة الكنائس الشرقية ، وبمعاونة دولة فرنسة . على انها لم تشعر بكيانها الشعور التام الا بمؤسساتها في بيروت . لم يقم الآباء اولاً في هذه المدينة ، وقد قلت انهم باشروا تجربتهم الاولى في عين تراز ، ومن هناك تفرّقوا في نواحٍ مختلفة ، مفتشين عن الطريق متردّدين في النظر الى المستقبل . حتى اتى الاب ريلّو ، وكان رجلاً جريئاً من ارباب المآتي العظيمة ، فميّز مركز بيروت وادرك ما سيختصها به المستقبل . على انه عندما استوقفت هذه النقطة من الشاطئ نظر ذاك النسر ، لم تكن الجغرافية وحدها التي هدته الى ذلك . بل كان هناك امر آخر اثر فيه ، وفي الآباء معه ، وفي رؤساء الرهبنة ، وهو

حدث ديني ذو شأن . فان بيروت كانت قد اصبحت المركز المهمّ للعمل البروتستاني . ويجب علينا ، ايها السادة ، ان نتكلم عن هذه الشؤون بكامل الحرية والصراحة والبساطة . فان منشآتنا التعليمية من ابتدائية وثنوية وعالية أسست في بيروت بعد المنشآت البروتستانتية ، وبسبب وجود هذه فيها . وليس في هذه المزاحمة ، بل في هذه المنافسة على الاصحّ ، ما ينفي اللطف والتأدّب ولا ما يوجب الغيظ والكره . وان صِلاتي الشخصية برؤساء الارساليات البروتستانتية لا تجيز لي الشكّ في نبل اخلاقهم ، وسموّ انظارهم ، وخلوص نياتهم . وهل يتمكن المرسل ، دون ان يخون قلبه ، ان ينظر بغير عطف الى رجال ابتعدوا عن بلادهم في سبيل فتح روحي معتقدين انهم يتبعون نصيحة السيد المسيح القائل : « بشّروا بالانجيل جميع الخلائق » . بيد ان البروتستانتية — مهما كانت النيّات — تقدّم انجيلًا ناقصاً محروماً من مزيّته العقائدية ومما يفرضه من تدرّج المراتب ، تقدّم انجيلًا دون عقيدة ولا كنيسة . وهو امر يمثّل للكاثوليك خطرًا مميتاً . لان حياتنا الدينية الكاثوليكية مؤسسة على صحة الايمان بكلّيته الذي تحدّده سلطة الكنيسة فاذا هدمتم هذا ، فاننا نؤكد انكم ، مهما كان من سموّ غايتكم ومهما كان من روحية الدافع لتبشيركم ، تخنقون ، في النفوس الكاثوليكية التي تتبعكم ، الحياة الدينية واهم ما في الحياة الادبية فيكون واجبنا الاضطراري ، والحالة هذه ، ان ننشئ تعليماً كاثوليكيا متدرّجاً يؤيد في ابسط النفوس متانة العقيدة ، ويمكّن في العلوم العالية سلطة الكنيسة العقلية .

اما هل نجحنا في هذا العمل الذي اخذنا على انفسنا القيام به ، فيكفي لنتأكد ذلك ، ان ننظر الى هذا الحفل ، يكفي ان نتأمل جدران هذه الكلية ، ان نجوب مختبراتها ، ثم يمكننا ان نستعيد كلام نيافة الكردينال ، امين السرّ ، في الكتاب الذي قرأته قبيل هذا الكلام اذ يقول : « ان الاب الاقدس لا ينسى ايضاً ذاك العمل العظيم بين سائر الاعمال الذي كان وسيظلّ مجد الرسالة الخالد ، الا وهو انشاء كلية القديس يوسف . فانها لا تهتمّ بالعلوم الدينية فحسب ، بل بسائر العلوم ايضاً . وما هو اعظم من هذا ان الشبيبة ، التي تختلف الى مصدر الدروس ذاك ، مطمئنة الى انها تجد في الدروس

ذاتها لا اعداء ومقاومين بل معاونين ومساعدين للايمان والاخلاق الصالحة.»

* * *

بهذه الميزات الثلاث الشاملة : خدمة الطوائف الشرقية ولاسيما اكليروسها، والمعاونة الفرنسوية ، والدفاع عن الايمان ، تبرز الهيئة الشخصية لرسالة الآباء اليسوعيين في الشرق.

وان جمعية يسوع ، من قِبَل تأسيسها ذاته ، قائمة في طليعة المدافعين عن الايمان . وقد اتت هذه البلاد في سبيل ارسالية جديدة ، مدفوعةً بغايتها الاولى التي رسمتها العناية في جوهرها ذاته . وهذا ما يُنتظر منها في المستقبل ايضاً الا وهو اخلاص للايمان لا يتراخى ولا يكلّ ، وسواء عليها أوَجب المساعدة في تثقيف الاكليروس وتوسيع معارفه ، او تعليم سكّان القرى والارياف البسطاء ، او نقل من لا يزالون في ظلال الموت الى نور الحقيقة الساطع ؛ او حماية كمال العقيدة من مساوئ النقد الملاشي الفاسد او من مخاطر نوع من الدين مضطرب التعاليم ؛ او تثبيت حيوية الكنيسة العقلية فتأييد سبقها وامتيازها في العلوم العالية ، في التاريخ ، في الاثريات ، في الآداب واللغات الشرقية ؛ فان جمعية يسوع تسير في كل هذا منقادةً بالروح العبقريّة التي انشأتها. وليس عليها الا ان تظلّ امينة لفكرة مؤسسها ، ولسلسلة تقاليدها. وهي ، في خلال كل ما تقدّم ، تعطيكم قلبها. وليؤذن لي هنا ان أضيف نبرة شخصية فاقول انكم تكافئونها على ذلك بادلّة وداد غاية في اللطف والصدق والامانة .

ثم شاء الله فصادفت جمعية يسوع الى جنبها ، في عملها هذا ، دولة فرنسة . واننا لسعداء بذلك ، واننا لفخورون ، واننا لعارفو الجميل . واننا نرى في الامر وعداً للمستقبل ، على كونه لم يكن نتيجة مشروع متفق عليه سابقاً . ولكن بما ان ملاءمات نفسية وتاريخية حميمة خالصة كانت تجمع بين روح الامة الفرنسوية وروح الامة اللبنانية ، وبما ان دافعاً روحياً عميقاً كان يحمل نفس الشعب الفرنسوي ، على رغم بعض الظواهر المعاكسة احياناً ، على الاخلاص للايمان الروماني اخلاصاً صريحاً كريماً ، فلنشكر الله جميعاً ، ولنطلب منه ان يبارك معاً فرنسة ولبنان في امانتهما المشتركة للكنيسة.

نصب الاب كاتن

خطاب الاستاذ الفرد نقاش

وكان من مجالي العيد الاحتفال بتدشين نصب فقيد الرسالة اليسوعية المعظم المرحوم الاب لوسيان كاتن ، الذي قضى في هذه الاقطار زهاء نصف قرن كان فيه في مقدمة اليسوعيين دأباً على العمل في سبيل بلادنا . فكان من الحق ان يدشن تمثاله يوم العيد المئوي الفخيم . فانتقل ذاك الجمهور الحافل ، الساعة الثالثة بعد الظهر ، الى المكتب الطبي حيث اقيم التمثال في باحته الواسعة تحف به الاشجار المختلفة . وهو تمثال نصفي نُحت من الرخام الفرنسوي في وادي الرّون بازميل نحّات مسيحي ، ورُفع على قاعدة من الحجر اللبناني الجميل ، فاتى رمزاً لحياة الفقيد العزيز : رجل الكنيسة ، ورجل فرنسة ، ورجل لبنان .

وقد افتتح الحفلة حضرة الاب شانتور ، رئيس الرسالة ومدير المكتب الطبي ، فتلا اولاً برقية من صاحب السعادة سعيد ذو الفقار باشا ، رئيس التشريفات في البلاط الملكي المصري ورئيس جمعية قدماء طلبة اليسوعيين في مصر ، ملؤها عواطف تحنئة وتمنيات وتعبير عن اشتراكه واشتراك زملائه اعضاء جمعية قدماء الطلبة في العيد المئوي ، وبعد ان طوى البرقية القى خطابه . ثم تبعه كل من السادة : الدكتور الشيخ حنا الخازن تكلم باسم المتخرجين من المكتب الطبي ؛ فالاستاذ الفرد نقاش ، مستشار محكمة التمييز ، باسم جمعية المتخرجين في كلية القديس يوسف ؛ فاوغست باشا اديب ، رئيس الوزارة اللبنانية ، باسم الحكومة اللبنانية ؛ فالسيد هللو مندوب المفوض السامي وممثل المفوضية . واننا ننشر في ما يلي تعريب خطاب الاستاذ الفرد نقاش :

سيداتي

سادتي

في حزيران سنة ١٩٢٩ ، بضعة ايام بعد فقدنا من نحتفل اليوم بذكراه ، عبّرنا عن رغبتنا في ان نخلّد اسمه بنصب نقيمه في كلية القديس يوسف . أوَ لم تكن الكلية مجال عمله خاصةً ، أوَ لم يكن من الواجب ان نثبت ذكره هناك ؟ .

ولكن ، وان يكن المكتب الطبي ، بعد منازعات طويلة ، خرج ظافراً فاحتفظ بتمثال مديره السابق ، وان يكن هذا الاطار الاوفر خلوةً اجدر من غيره بتواضع الكاهن ، فان شهرة الاب كاتن لتضيق عنها هذه الدائرة.

وليس من يعجب بان يكون من عرفناه معلماً لا يعادله آخر أثّر مروره في هذا المكان اثراً دائماً . على انه يظلّ في نظر البلاد جماء « المهذّب » الذي عمل بكل قواه على خدمتها. وقد لا يكون بين جميع من انصرفوا الى اعمال التهذيب في لبنان من عادله في حبّ الطلبة لـه واحترامهم اياه في آن واحد . ولهذا امتاد تلامذته القدماء ان يدعوه « بالاب » فحسب ، وهو لقبه الممتاز.

أوَ لم يصرّح لنا بنفسه ، قبل ان يدخل حياة الخلوة والاعتزال في تضايل التي لم يتركها الا لملاقاة ربه ، فقال :« لقد انحصر عمل حياتي بتهذيب الاولاد والشبّان. »

وقد قام بهذه الرسالة ، زهاء نصف قرن بلا كلل ولا اضطراب . فتنقل بين ادارة الدروس ورئاسة المدرسة ورئاسة الرسالة ، وهو في جميع مواقفه يبذر ويستثمر في الوف النفوس الخاضعة لتأثيره العميق ، المبادئ السامية التي كان يعطي في حياته مثالها الصالح.

وكان يقرن بهذه السلطة النافعة لطفاً ورقة يشجوننا حتى الآن ذكر مفاعيلها.

ومن منا لم يشعر — وبعضنا شعر بطريقة فعّالة — بنتائج تأثيره الصالح وبانتشار محبته . ومن لا يذكر العناية التي كان يحيطنا بها جميعاً ، وتلك العاطفة السامية الشجية المتأثرة امام الالم والموت ، وذاك الكلام المحرك الـذي كان يتصاعد من اعماق نفسه.

* * *

وكان للبنانيين ان يكونوا اول المنتفعين بهذا العمل الملآن الواسع النطاق. على ان كثيراً غيرهم من القادمين من قلب الشرق نحو الكلية التي كان يديرها، نحو تلك المنارة القائمة على شاطئ المتوسط ، كانوا يحملون ، في عودتهم ، ذكرى ذاك الوجه المشعّ وذاك التعليم السامي.

وكان من حظّ الكثيرين ممن عرفهم صغاراً ان يراهم كباراً في جمعية

التلامذة القدماء ، وقد اصبح رئيساً لها . فامكنه ان يتابع عملـه ويتبع في تباريح الحياة تلامذته ، او كما كان يحب ان يدعوهم ، « اصدقاءه الاعزاء » . وكان يتذكرهم واحداً واحداً من اولهم الى آخرهم على رغم عددهم المتكاثر وعلى رغم الافتراق والبعـد . فكان يرافقهم بالفكر بين الحوادث والرجال ، فيأخذ نصيباً واسعاً في افراحهم وتقدمهم ونجاحهم ، وفي معاكسات الحياة لهم ايضاً . واذ كانت واجبات المهنة تبعده عن مدينتنا ، كان لا يفتأ يستطلع عنهم ، فيقلق لقلق من كانوا يقاومون صعوبات المعيشة فيلتجئون اليه مدفوعين بعـامل الفطرة . وكأنهم كانوا يشعرون انه قادر على تخليصهم في جميع الاحوال او على الاقل على مساعدتهم .

* * *

قام الاب كاتن بتهذيب عدة اجيال من اللبنانيين مخصصاً جميع قواه لازدهار مواهبهم ، فكان من الطبيعي ، شاء ذلك ام ابى ، ان تفيض شخصيته القوية عن العمل المدرسي ، مهما كانت اهميته ، فترتدي ، في بعض ظروف الحياة ، منحة وطنية شعبية . وهكذا ، دون ان يظهر بمظهر السيـاسة المعروف ، بل بفضل مواهبه العاطفية والروحية ، نراه اخذ ، منذ البدء ، يعمل ويساعد على انشاء اثر من آثار العدالة والايمان ، على خلق لبناننا هذا الذي احبه بكل قواه .

فتذكاراً لهذا الاخلاص العظيم ، وتلبية لرغباته الخفية ، رأت جمعية التلامذة القدماء ، سنة ١٩٢٣ ، ان تخصص من تبرعات اعضائهـا مبلغاً يُحبس ريعه في سبيل كراسٍ مجانية يستفيد منها ابناء من اخنى عليهم الدهر من رفقائنا . فكان انشاء هذا المشروع الذي عُرف « بمؤسسة الاب كاتن » داعياً لعقـد جلسة لا يزال ذكراها في اذهان الحاضرين ، وقد حضرها الاب كاتن نفسه ، فالقى فيهـا خطاباً تضمن اسلوباً تاماً للسير في المشروع . ولا نزال نذكر هـذه الكلمات التي قالها بصوت متهدج يطن في آذاننا حتى اليوم : « اني اقـدم كل قلبي في سبيل شكركم . وانتم اعرف بهذا القلب منذ اربعين سنة . فهو لم يتغير بينـا ارى كل شيء فيّ يشيخ بسرعـة . على اني اشعر ، كلما اعـدت النظر الى وجوهكم المحبوبة ، ان القلب لا يزال لكل منكم ما كان لكل منكم في

الماضي . . كانت محبة تلامذتي ، في المدرسة ، من اقوى دوافعي الى العمل في سبيلهم . وستكون محبة تلامذتي القدماء من اعذب افراحي في ايام عزلتي .»

ومرّت ست سنوات ، قضاها في العزلة والتأملات . حتى كان صباح من ايار سنة ١٩٢٩ ، فاتجه فريق من التلامذة القدماء الى تمنايل ليقوموا بزيارة المعتزل الجليل . وكانت قواه قد اخذت تنحطّ منذ اشهر ، على ان قلبه كان لا يزال ينبض نبضه في ايام الحياة الملأى بالعمل والجهاد . فلما عرف بوصولهم خرج اليهم على رغم تحذير الاطباء . فتدفقت عواطف تلك الشبيبة الحارّة في استقبال عظيم كان شديد التأثير في نفس الشيخ ، فاندفع يخطب فيهم ملقياً كلمات الوداع لانه كان يشعر ، كما قال ، انه ، هذه المرة ، اصبح على باب حياته الخالدة .

وقد فارق العالم بعد ذلك ببضع ساعات تاركاً في سبيل تلاميذه آخر نبضات قلبه .

وهي اعجوبة من عجائب العناية الالهية ان تكون حياة الاب كاتن ، في الزمن الذي قيّض له العمل فيه ، مقرونة بحياة هذه البلاد وحياة شبيبتها . واننا لنفاخر بذلك ، ونشكر الله كل الشكر !

كيف صارت دمشق عاصمة

بقلم الاب لامنس اليسوعي

في سنة ٦٦٠ اجتمع قوّاد الجيش السوري في اورشليم وبايعوا بالخلافة معاوية بن ابي سفيان ، والي الشام منذ عشرين سنة . فلزمه اذاً ان يختار مدينة يقيم فيها رسمياً ، ويجعلها عاصمة الخلافة الجديدة . ولم يكن ليفكر بالمدينة النبوية ولا بالكوفة حيث اقام سلفاؤه ، لان سكان هاتين المدينتين كانوا لا يزالون من مناوئي الامويين ، ومن رجال اعدائهم المخلصين . فضلا عن ان السوريين ، الذين مهدوا العقبات في سبيل الخليفة الجديد فاوصلوه الى اعلى مركز في الدولة ، لم يكونوا ليرضوا بعاصمة خارج بلادهم ، لشدة رغبتهم في ان يحفظوا بين ظهرانيهم مركز الامبراطورية العربية .

هذا ولم تكن تخلو سورية من مدائن مهمة مشهورة بتاريخ قديم مجيد يؤهلها لتكون عاصمة الخلافة ، نذكر منها قيسارية ، ولاسيما انطاكية التي كانت ، قبل الف سنة ، العاصمة الرسمية للمملكة السورية . على انها كانت قريبة جداً من ثغور الروم وواقعة في منطقة لا يفتأ الامن مضطرباً فيها لتعرّضها الدائم لغزوات العدوّ . اما قيسارية فان وجودها على الشاطئ الفلسطيني كان يجعلها عرضةً لهجمات الروم ايضاً ، وكانوا لا يزالون سادة البحر المتوسط .

ويظهر لنا ان معاوية فكر اولاً باورشليم ، حيث بويع بالخلافة . دفعه الى هذا ما لتلك المدينة من الصفات والمزايا التي تخلت عنها سائر المدن المجاورة . فاورشليم يحترمها المسلمون تقريباً احترام اهل الكتاب ، اي اليهود والنصارى ، وهي اول قبلة اتجه اليها الاسلام في اول عهده ، وهي غاية الاسراء ، تلك

الرحلة الليلية التي قام بها محمد ، على قول القرآن (١٧ : ١) . فهذه المزايا هي التي دفعت معاوية ، دون شك ، الى اختيار اورشليم مسرحاً لارتقائه عرش الخلافة سنة ٦٦٠ ، ثم لتأكيده رسمياً تلك البيعة التي بايعه بها جنوده بالاجماع. فاقام فيها السنة الاولى من ملكه ، على الارجح ، لاننا نراه يقبل ، في اورشليم ، سنة ٦٦١ ، في مجلس عام جامع لرؤساء السوريين ، تنازل الحسن بن علي عن مطاليبه ومطاليب سلالته بالخلافة. وقد كانت المدينة النبوية ، مقرّ الخلافة الاول ، قد سقطت في قبضته قبل ذلك . فلو شاء لكان سار اليها فجعلها عاصمته ، شأنَ الخلفاء السالفين. على اننا نعلم ، بواسطة احد مؤرخي السريان المعاصرين ، ان « معاوية رفض ان ينتقل الى المدينة ، مقرّ محمد » .

اما الكوفة ، عاصمة علي ، فلم تكن لتستوقف نظره ، « لان معاوية — كما يقول مؤرخ آخر — بعد ان ظهر على خصومه ، فضّل الغربيين (اهل سورية) على الشرقيين (اهل العراق) ، لما اظهره الاولون من رغبة في النظام ، ومن اخلاص لدعوته . »

ثم ان انتقال علي بعاصمة الخلافة من المدينة الى الكوفة لم يفد مساعي معاوية فحسب ، بل كان تقدماً سياسياً لا يُنكر . فان العراق بوجوده في نقطة مركزية بالنسبة الى العالم الاسلامي اذ ذاك ، وبفضل ما امتاز به من موارد غنية ، وما فيه من سهولة المواصلات ، كان افضل بما لا يُقاس من مقاطعة الحجاز القليلة الموارد الكثيرة العقبات. على ان اختيار الكوفة مركزاً للخلافة كان يستدعي انتقاداً كالذي وُجه الى العباسيين اذ اختاروا بغداد عاصمة لخلافتهم . لان هذا الاختيار يتضمّن التراجع عن الطموح الى الغرب ، والرغبة عن انشاء سلطة قوية في محيط المدنية الغربية. وهو أمر كان يعاكس كل المعاكسة مطامع معاوية ورجاله السوريين ، ورغبتهم ، صريحةً كانت او ضمنيّة ، في ان يؤسسوا دولة مهمة على شاطئ المتوسط . واننا لنتحقق هذه المقاصد اذا ما انتبهنا لما قام به معاوية من المشاريع كانشاء المراكب الحربية ، ورغبته في فتح القسطنطينية . وان هذا الرجل المقدام الذي كان يرسم خطط التوسع الخارجي فيطمح الى بسط نفوذه على ابعد ما يمكن من

مناطق الامبراطورية البيزنطية ، والذي كان يرى في سورية افضل مركز لتهيئة جميع المعدّات التي كانت تتطلبها مشاريعه ، ان هذا الرجل لم يكن ليمكنه التفكير بالرجوع الى جزيرة العرب ولا الى العراق ، حتى ولو لم يحفل باعدائه وخصومه من اهل المدينة والعراقيين ، ولو لم يكترث لنفور السوريين الذين رفعوه الى العرش بعد ان ضحّوا في سبيله بانفس ما لديهم.

فينتج انه ، وان كان معاوية فكر زمناً ما بجعل اورشليم عاصمة له ، لسرعان ما تراجع عن فكره اذ رأى ما يكتنف المنطقة الاورشليمية خاصة واليهودية عامة من صعوبات المعيشة كقلة الخصب ، ووعورة البلاد وانفرادها وبعدها عن طرق المواصلات المهمة المؤدية الى مملكة الروم ، والى العراق الذي لم يكن الخليفة الجديد ليصرف عنه النظر لمحة طرف . كل هذه الاعتبارات صرفته عن القدس الى اختيار مدينة في سورية. ولما لم يكن بامكانه المكوث في انطاكية او في قيسارية ، وقع اختياره على مدينة قريبة من البادية ، بعيدة عن البحر والثغور، فتكون من جهة على اتصال دائم بالجزيرة العربية والعراق، ومن جهة اخرى في مأمن من مفاجآت جيش الروم.

* * *

ولم تكن هذه المدينة سوى دمشق التي عرفها معاوية سابقاً ، اذ كان حاضراً حصار سنة ٦٣٥ الى جنب اخيه يزيد . ثم اقام فيها مدّات متفاوتة اثناء ولايته للشام التي دامت عشرين سنة . فاصبحت دمشق عاصمة للخلافة العربية على عهد الامويين ؛ وظلّت ، بعد سقوطهم ، عاصمة لمنطقة سورية ، والفضل في ذلك عائد لمعاوية.

على ان لدمشق من المركز الجغرافي والمزايا المناخية ما يجعلها جديرة بهذا الاختيار . من ذلك وجودها وسط تلك الواحة العجيبة المعروفة « بالغوطة » ، وقربها من منطقة حوران ذات الغلال الوافرة ؛ ومركزها المتوسط بين البحر ووادي الفرات ، وصلاتها الدائمة مع بلاد العرب . كلها صفات اقتصادية ممتازة دفعت المؤرخ يوستينوس الى تلقيبها باشرف مدينة في سورية *Syriae* (*nobilissima civitas* . اما من حيث النظام السياسي فكانت دمشق قد

انحطّت الى مركز المدن الثنوية فان ارباب الحكم اليوناني والروماني الغربيين، الذين حفظوا في اوربة مركز حكوماتهم ، كانوا يرون دمشق ، الواقعة في الشرق البعيد وراء سلسلتي لبنان ، ابعد من ان تصلح نقطة مركزية لتنظيماتهم. وكان الرومان قد اعطوها لقب «مستعمرة» . ثم حصّنها ديوقليانوس وجعل فيها مخازن للذخائر والاسلحة . واقامت فيها النصرانية مركز اسقفية كان الاول قدرًا وقيمةً في بطريركية انطاكية. على ان النفوذ السياسي ، في منطقة فنيقية اللبنانية ، ومنها دمشق ، كان لمدينة حمص التي طالما نازعت دمشق الاهمية .

ثم ان البيزنطيين ، في عصر الامبراطورية الشرقية ، صرفوا انظارهم عن دمشق الى بُصرى لما امتازت به هذه المدينة من وجودها وسط منطقة حوران الغنية بالمحصولات ، ومناعتها ، ومقدرتها ، وهي القائمة على حدود البادية ، على مراقبة حركات البدو وضبط طرق دخولهم الى الشام . وكذلك اذا طالعنا الشعر الجاهلي فاننا نرى بُصرى تفوق دمشق اهمية وسعة ذكر . اذ كانت آخر المحطات للقوافل المكية ومركز سوق تجارية مهمة ، حتى ان الخليفة عمر بن الخطاب، اذ قدم لزيارة الشام فحلّ في معسكر الجابية ، على مسيرة يوم جنوبي دمشق ، لم يخطر بباله ان يتابع السير الى الشمال فيزور مدينة الغوطة.

كل هذا يشرح لنا كيف ان دمشق ظلت ، حتى قبيل الهجرة ، مدينة ثنوية في المحيط السياسي. وكان من تأثير سلسلة لبنان ان اوقفت عنها تسرّب اللغة اليونانية وما جرّته من عادات وتقاليد ، فظلت المدينة محتفظة اكثر من مدن الشاطئ بصبغتها الآرامية . حتى دخلها الانباط فاحتلوها مدة قصيرة قبيل عصر الميلاد ، فتركوا فيها لغة بلاد العرب وشيئاً من عاداتهم وتأثيرهم. ثم ان هذا التأثير اخذ يتعزز بواسطة المواصلات الدائمة بين دمشق والبادية ، وخصوصاً بينها وبين القبائل العربية الشامية الضاربة في جوار الغوطة ، ولاسيما بعد تأسيس المملكة الغسانية . ثم اخذت هذه المواصلات تزداد سعة واهمية حتى لفتت نظر معاوية ، مع ما قدّمنا من المزايا ، فقرّر جعل دمشق مركزاً لدولته الجديدة وعاصمة للعالم الاسلامي اذ ذاك.

ولم يلبث ان تحقق صواب نظره اذ رأى في دمشق ما لم يكن ليراه في اورشليم او انطاكية او غيرهما من المدن الكبيرة ، من غنى البلاد ووفرة مواردها ، ومن تعلق القوم به واخلاصهم له . فضلاً عن قرب العاصمة من معسكر الجابية حيث جمع جيوشه ، وعن سهولة مواصلاتها مع الجزيرة العربية ؛ ووجودها ، من جهة الشرق ، مراقبةً لطرق الكوفة والعراق ، ولم تكن خمدت فيه بعض نيران الحروب الاهلية التي اضرمتها احزاب علي بن ابي طالب. فاسرع اذاً معاوية الى الاقامة في دمشق ، وباشر بناء قصر دعاه « الخضراء ». وقد لا يكون بنى القصر كله من آساسه ، بل اكتفى بتحسين قصر والي المدينة من قبل الروم ، القائم بجوار كنيسة القديس يوحنا ، التي اضبحت في ما بعد « الجامع الاموي » . وقد دعا عمله هذا كثيراً من قوّاده واشياعه الى العمل بمثله ، فاستولوا على منازل الدمشقيين التي كان قد هجرها اصحابها في هربهم مع جيوش هرقليوس .

على ان خلفاء بني امية ، اذا استثنينا معاوية وعبد الملك ، لم يقيموا في دمشق الا فترات متقطعة. فكان من جرّاء ذلك ان مضت المئة السنة الاولى للاسلام قبل ان تصبح في دمشق جالية تُذكر من الشعب العربي. ولكن هذا لا يمنع ان دمشق اصبحت عاصمة رسمية ، وانه اصبح من واجب الخليفة الجديد ، ايّاً كان محل اقامته ، ان يأتي دمشق ، في اليوم المشهود ، فيبايع فيها بالخلافة.

دير الزور والحالة الاقتصادية

في لواء الفرات

للسيد جوزف توتل

نائب رئيس غرفة الزراعة في لواء الفرات

نشر المشرق في هذا العام (ص ٥١٤-٥٢٢ ؛ ٦٥٧-٦٦٥ ؛ ٧٤٥-٧٥٢) مقالاً واسعاً في دير الزور واسمها وتاريخها واحوالها السياسية والاجتماعية ، فاتى قراءه بتعليمات عزيزة مفيدة كانت كالآثار الثمينة المغشاة تحت وعثاء الزمان وقد نفضت غبارها وبرزت للنور فلفتت نظرنا ، واذا باب الاقتصاد فيها مغلق او يكاد ؛ فرأينا ان نفتحه عسى ان يكون البحث فيه مساعداً على نهضة دير الزور ولوائها

غرفة الزراعة في دير الزور

ولا بد من كلمة ايضاح في تفسير معنى غرفتنا الزراعية . ان غرفة الزراعة في البلاد العامرة تضم صفوة المزارعين المنتخبين من زملائهم ليكونوا الممثلين لمصالح مقاطعتهم الزراعية . أنشئت الغرف الزراعية في فرنسة بتشريع ٣ كانون الاول ١٩٢٤ ، وبموجب ذلك التشريع لها الحق بالمحافظة على استقلالها الاداري ضمن مقاطعتها ، وبالتعاون مع غيرها من غرف المقاطعات المجاورة في سبيل درس وتحقيق المشاريع الزراعية العمومية . وان مهمة الغرف الزراعية الخاصة هي ان تعرض للحكومة المحلية نظراتها وآراءها فيما يخص الزراعة . ولا بد للحكومة من مراجعتها والاستشارة بمشورتها قبل ان تقدم على انشاء المؤسسات الزراعية او اللاحقة بالزراعة كالبيطرية ، والمختبرات الزراعية ، والمصارف الزراعية لمساعدة الفلاح وغير ذلك . ومن الغرف الزراعية تصدر التعليمات المعول عليها

في دوائر الحكومة العليا لوضع التصميمات الادارية الآئل امرها الى انجاح زراعة البلاد . فلها من ثمّ كيانها الشرعي وحقوقها الادبية في الاقتناء ، والتملك ، والاستعارة ، والاعارة ، وفي تدبير الاعمال المشتركة في سبيل المصالح الزراعية . ولها مقامها في نظام البلاد الاقتصادي شأن الغرف التجارية والصناعية وما شاكلها .

وان ما نعهده من اهمية بلاد الفرات وعناصر الغنى فيها من سعة اراضيها ، وخصب مراعيها ، وغزارة مياهها اذا ما حسن ريها ، وكثرت انعامها ، وغير ذلك من موارد الارتزاق لحقيق بان ينهض بهمة مزارعيها ليتضافروا على التعاون في سبيل نجاحها تحت اشراف الحكومة المحلية والدولة المنتدبة .

وقد استفزت الحكومة عزائم سكان منطقة الفرات بافرازها عن سائر المناطق ، واختصاصها ببعض الاستقلال الاداري الداخلي ، فصيرتها لواء من اربعة الوية المنطقة الشمالية ، معهود امره الى متصرف همام ، هو في يومنا صاحب السعادة نسيب الخطيب . برعايته اخذ المزارعون في دير الزور يتعاونون على انشاء ما دعوه بجرأة « غرفة زراعة دير الزور » متفائلين بتقفي امثال البلاد الراقية ، اذا ما ثابروا على التضامن والعمل في سبيل تحقيق الاماني التي سوف تمكنهم في الغد من قطف ثمرة اعمالهم في اليوم . ومن البديهي ان النهضة من حالة الجمود الذي كنا فيه بالامس الى دور الحركة والانتاج الوافر لا تتم بوثبة واحدة وعلى الفور ، ونحن في اوليات محطات السير اليه . على اننا رأينا ان نقف في سيرنا هذا ونمعن النظر في الحالة كما هي عليه في الربع الثاني من هذه السنة ١٩٣١ فنعرض امرها للقراء الكرام . وقد رُفع هذا التقرير الى دوائر الحكومة فاكترثت له ، لكنه لم ينشر بعد رسمياً في غير «المشرق» .

ذكرنا في خلال هذا التقرير بعض المواد الموسومة بقلة المحصول او بعدمه ، لان تلك القلة او ذلك العدم ينبه الى ما يجب الالتفات اليه والعناية به ليكون موسمه في الغد خير مما هو اليوم . وحاشا اللبيب ان يجفل عن ارتياد الاحصائية

ولو جافة ، وعليها الاعتماد في كل تقرير نهائي ، مصيب.

ولنا الامل ان القراء سوف ينظرون بعين الرفق الى هـذا المقال اذا ما علموا قلة الوسائل الموجودة في دائرة الزراعة الحاليـة ، لضبط التعليمات عنهـا وصعوبة تأليفها وتنسيقها ، وغرفتنا في نشأتهـا . على اننا لم نحجم عن وضع بياننا هذا حتى اذا وقف عليه اوليـاء الامر وغيرهم من اهـل العزم والنشاط والهمة ، مدوا يد المساعدة الى هذه البلاد المتعطشة للعمل فعاونوهـا بالرجال الاختصاصيين ، وبالاموال ، وقطفوا ثمار مجهوداتهم اضعاف اضعاف

بيان غرفة زراعة لواء الفرات

عن الربع الثاني من السنة ١٩٣١

١ ــ الحالة الزراعية

المطر

سقط نضيضاً في نيسان ٢ و١١ و١٦ و٢٧ و٢٨

في ايار ٢ و٣ و٦ و٧ و١٢

في حزيران ٤ و٦ و٧ و٩ و١٠

درجة الحرارة

	اعلاها	اسفلها	معدلها
في نيسان	٢٧٫٢٠	١٢٫١٠	١٩٫٧٠
« ايار	٣٣٫٦٠	١٧٫٢٠	٢٥٫٤٥
« حزيران	٣٦٫١٧	٢١٫٥٧	٢٨٫٨٧
مجموعها المعتدل	٣٢٫٢٦	١٦٫٩٩	٢٤٫٦٧

صعود الفرات وهبوطه

ان مستوام المعتاد فوق سطح البحر هو ١٩٤ متراً و ٥٥ س.

كانت غاية علوه في ١٨ نيسان الساعة ١٤ فبلغ ٤ امتار و ٣٣ س ، فوق السطح المعتاد و٤ امتار و٧٦ س ، فوق درجته السفلى في ١٩٣٠.

كانت غاية هبوطه في ١ نيسان الساعـة السادسة فبلغ ٧٠ سنتمتراً فوق سطحه المعتاد.

الانواء وتأثيرها في النبات

كانت الانواء سيئة في ربع السنة الاول ، من قلة المطر ، ولم تتحسن في الربع الثاني ، لكن صعود الفرات الصيفي عوّض كثيراً عن قلة المطر.

حالة النبات الحاضرة والمتوسم بها

الغلال :	المساحة المزروعة	المحصول المأمول
القمح	٦٤٠٠ هكتار	٦٠٠٠ طن
الشعير	٦٥٠ ″	٤٠٠ ″
الجاورس	٢٠٠٠ ″	٣٠٠٠ ″
الذرة	١٠ ″	٣٠ ″
الرز	عدم	عدم
الشوفان	″	″
الالياف :		
القطن(١	٢ هكتار	١ طن
المروع	٣٠ ″	؟
السمسم	٥٠٠ ″	٤٠٠ طن
الدخان (تتن ، تنبك)	عدم	عدم
البقول :		
الفاصولية	٥ هكتار	٣٠ طن المحصول المحقق
الفول	٢٥ ″	٧٥ ″ ″ ″
العدس	٤٠ ″	٨٠ ″ ″ ″
الحمص	عدم	عدم
اللوبية	٨٠ ″	٦٠٠ طن المحصول المأمول
الدرنات :	المساحة المزروعة	المحصول المحقق
البطاطة	عدم	عدم
الفاكهة :		
التوت	٧٥٠٠ غرسة	١٢٥٠٠٠ كيلو
المشمش	٤٠٠ ″	٢٥٠٠ ″
الاجاص	٣٠٠ ″	٢٥٠ ″
الخوخ	٢٢٥ ″	٢٠٢٥ ″
التفاح	١٠٠٠٠ ″	٢٠٠٠٠ ″
الجوز	٣٠ ″	٢٥٠ ″

١) وعدت دمشق بارسال البزور، والمصرف الزراعي بتسليف الاموال، ولم يُنجز الوعد.

الاثمار المقطوفة فجة للطبخ والمصير :

السفرجل	٧٥	غرسة	١٥٠	كيلو
التمر	٦٠	«	٦٠٠	«
الزيتون	٤٠	«	؟	
الكرم	٥٥٥٥	«	٥٥٠٠	«
البرتقال	عدم		عدم	
يوسف افندي	«		«	
الليمون	«		«	
الموز	«		«	
اللوز	«		«	
التين	٢٥٠٠	غرسة	٢٥٠٠٠	كيلو
الرمان	١٥٠٠	«	١٥٠٠٠	«

القطاني :

الفرع الاخضر	١٢	هكتار	٣٥٠٠٠	كيلو
الكوسى	١	«	٢٠٠٠	«
البامية	٣٥	«	١٢٠٠٠٠٠	«
الفرع الاصفر	٢	«	١٢٠٠٠	«
البنادوره	٣٠	«	٨٠٠٠٠٠	«
الباذنجان	٢٠	«	٦٠٠٠٠٠	«
الفليفلة	٦	«	٣٥٠٠٠	«
البصل اليابس	٨	«	٤٠٠٠٠	«
الخيار	٢٥	«	٤٠٠٠٠٠	«
المتي	٤٠٠	«	٥٠٠٠٠٠٠	«

النبات العقاقيري

لم يحصل من الانيسون والكمون والشمرة وغيرها الا ما لا يكاد يكفي مؤونة الحاجة المحلية ، وهذا الصنف حقيق بان يراعى بعين التشجيع والاكتراث. واستوردوا النبات المعروف باسم بيرتر دلماسية (*Pyrethre de Dalmatie*) وعرقه يصلح دواء. وسوف يجربونه في تشرين الاول والثاني الآتيين.

الحشرات والآفات

الحشرة (*cétoine dorée*) اكلت ثلاثة ارباع ورق التفاح وربع اوراق سائر الاشجار، ولم يتسلحوا على هذه الحشرة المضرة بسوى بعض نصائح الدائرة الزراعية.

الفأر

كانت مكافحته في اوائل الشتاء الماضي غير كافية . وبالرغم من العناية التي بذلها مفتش الزراعة، لم يتعلم الفلاح المكافحة الجدية، والحالة بحاجة ماسة الى الاصلاح.

الجراد

حلّ في مساحة تقدر بـ ٢٤٣٥٩ هكتار.

ظهوره كان في البوكمال والميادين من ١٤ الى ٢١ اذار

وفي التل الابيض شمالي الرقة من ٢٥ اذار الى ٥ نيسان

وفي غيرها من الاراضي من ١٤ اذار الى ٥ نيسان

اما تطوره فكان في البصيرة في ٢٣ نيسان وفي التل الابيض من ٥ نيسان الى ١٥ ايار.

وكان تنظيم مكافحته اولاً بالوقاية بفلاحة الارض من ت ١ الى نهاية شباط على مساحة ١٠٢٣٠ هكتار.

وثانياً بالعلاج : فقتلوا من الجراد ٤٠٣ اطنان بواسطة الصفائح الحديدية

٥٤٥	طناً	بالسموم
١٤٩٠	«	بالخنادق
٣٥٥٤	«	بتحويط الحقول بالصفائح
٨٥	«	بلسان اللهيب
٦٠٧٧	«	المجموع

وبالرغم من ابلاء اولياء الامر ذلك البلاء الحسن في تلك الآفة المشؤومة فقد فتك الجراد بـ ٢٣ هكتاراً في البصيرة حيث اتلف ثلاثين بالمئة من المحصولات . واضر باراضي الرقة بعض الضرر لما زحف من العراق وباض فيها. اما سائر اراضي اللواء فلم تتأذ منه.

٢ — تربية الانعام واحصائيات البيطرية

كانت حالة الانعام مرضية على الاجمال . فان قلت المراعي في اراضي الشامية فقد اخصبت بعض الخصب في اراضي الجزيرة.

واليك احصائية الانعام بانواعها في :

	الغنم	البقر	الماعز	الابل	الخنازير
دير الزور	٢١٤٤٠٢	٤٠٤٠	٣٠٨٥٩	٤١٧٨	٣٩
البوكمال	٣٧٤٦١	١٠٠٠	١٦٠٣٩	٥٧٠	
الميادين	٧٠٢١٩	١٤٠٠	١٨٨٦٢	١١٣٤	
الرقة	١٩٨٠٢٤	٢١٠٠	٦٣٠٩٩	١٨٢٩	
المجموع	٥٢٠١٠٦	٨٥٤٠	١٣٣٨٥٩	٧٧١١	٣٩

اما عدد المواشي المذبوحة في مدينة الدير ، في هـذا الربع الثاني لحاجة الاهالي فهي كما يلي :

	الرأس	الثقل الحي	ثقل اللحم
الغنم	٢٩٨١	١٦٥٠٠٠ كيلو	٨٥٠٠٠ كيلو
الماعز	١١٣٤	٣٥٠٠٠ »	١٧٠٠٠
الحملان	٣١٢١	٦٠٠٠٠ »	٣٠٠٠٠
البقر	٨٧	٢٦٠٠٠ »	١٣٠٠٠
الابل	٦	٢٤٠٠ »	١٢٠٠
الخنازير	٨	٤٠٠ »	٢٠٠

ويراقب بيطار البلدية حركة سوق المواشي واعمال المسلخ ولم يظهر في البهائم داء الا السيفيليس في الخيل.

٣ — الري

يوجد في اللواء ١٤ مضخة تتحرك بمرجل ميكانيكي واثنتان تدوران بقوة الخيل. ومن هذه المضخات لا يصلح لكمال العمل الا ٣ من الصنف الاول وواحدة من الثاني . ومعدل قوة المراجل عشرة احصنة . وهناك ٣٨٠ ناعورة دائرة واربعون غيرها على اهبة التجهيز. اما المساحة التي ينالها الري فهي ٦٥٠٠ هكتار.

ومن البديهي ان هذه الحالة سيئة جداً بالنسبة لما يجب ان تكون عليه اذا ما لفتنا النظر الى غزارة المياه ومساحة الاراضي الممكن ريها واعتدال الانواء في وادي الفرات ، الحقيق بان يباري وادي النيل خصباً وخيرات.

ونحن نعلم من آثار هـذه البلاد ، انه كانت فيها ترع تشق ، في قديم الزمان ، رمال الاراضي وتحييها ، الى ان أهمل أمر تعزيلها من تربة المياه

الراسبة فيها بعد كل فيضان فسُدت ، وتقعر مهد النهر وبلغ الفرق بين مستواه ومستوى الاراضي الواقعة على جانبيه خمسة وعشرة وعشرات الامتار . ان تلك العقبات ليست مما يعبأ بها مزارعو البلاد الناهضة ، اما في بلادنا فهي اكأد من ان يذللها الافراد. وقلّ بين السكان من بوسعه بذل النفقات الكافية لشراء المضخات البخارية وتركيبها ومراقبتها وتوظيف مياهها من غير ان يعتور طريقهم بعض العارضات الناتجة عن الضيقة المالية ، وخمول الفلاح ومعاداته لكل تجديد ، وخمود الهمم في تحسين الحالة الزراعية.

وفي نظرنا ان انجع دواء لهذا الداء يكون في التضافر بين المصرف الزراعي والمزارعين على تسليف الفلاح قيمة المضخة البخارية ومساعدته على تركيبها ومراقبتها وتصليحها،مع تجهيزه بسائرالاوائل الزراعية وارشاده الى حسن استعمالها، ليتمكن من وفاء دينه تدريجاً .ولا يسعنا الا ان نلفت نظر الحكومة المحترمة الى هذا الامر الحيوي فمنها نتوقع الاصلاح المنشود ، بمساعدة الدولة المنتدبة.

٤ ــ تربية دود الحرير

نزلت دائرة التوميسارية الزراعية عند طلب غرفة الزراعة الفراتية وارسلت اليها في شهر آذار عشر علب بزر ، وُزّعت على سبيل التشجيع على بعض الراغبين بتجربة الحرير . فكانت النتيجة كما يلي :

علبة الحاج حمود الفجر انتجت ثمانية كيلوات من الشرانق ، ومات كثير من الدود لكونه عرض لمجاري الهواء. علبة نوري الحسن القاسم اتت باحسن النتائج في بادئ الامر الى ان نفد ورق التوت ، فمات الدود جوعاً . وكذلك كان الامر مع محمود الحمد عبود . علبة توفيق الخلف اتلفها النمل والمرض . علبة برهان جابر افندي عوجلت بالتفقيس فلم تجد طعاماً فهلكت. علبة عبدالله القاطع ، لم يحسن معالجتها . كذلك ايضاً علبة خليل سليمان الطعمة ، والحاج خالد الفتية . واعطيت علبة لمدرسة دير الزور الرشدية فاتخذها استاذ الصف الخامس مادةً لدروس الاشياء.

وان تلك النتيجة لتعيسة لكنها افادت اصحاب التجربة خبرة ورغبتهم باعادة التجربة في الموسم القادم وبزيادة العناية بتربية الدود.

استعراض الجيش في دير الزور

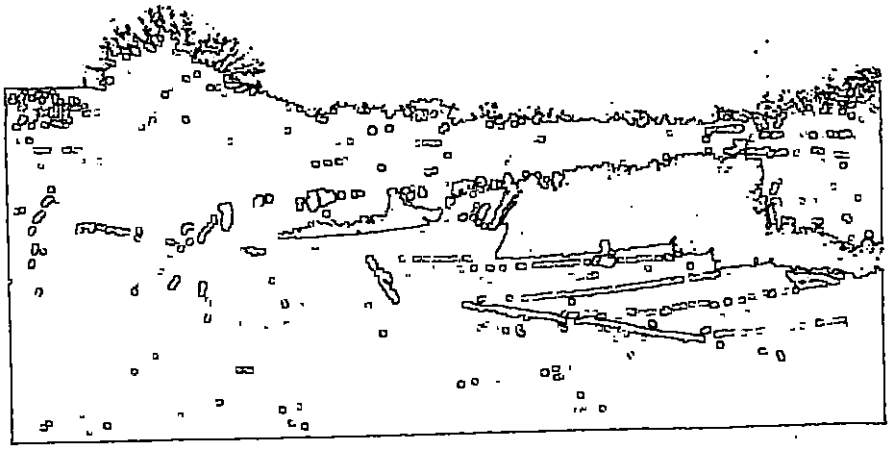

دير الزور: على شاطىء الفرات

٥ ــ الصناعة والاشغال

في لواء الفرات معمل لصنع البلاط وفيه عاملان ومنتوجه اليومي ٤٠٠ بلاطة ؛ ومعملان لصنع الجليد ، وفيهما ٨ عمال ومنتوجهما اليومي ٥٠٠٠ كيلو؛ واربعة معامل للتقطير ، وأحد عشر معملاً للصباغة ، و٢٤ معملاً للخياطة ، و٨ معامل للصياغة ، ومعمل واحد للحلوى والملبس وغيره.

ويستعملون الجص من تربة الاراضي والكلس المطبوخ موادّ في البناء.

٦ ــ التجارة

نال سوق الدير ما نال غيرها من الجمود بسبب الازمة العالمية . ولكن بفضل مركز مدينتنا في ملتقى الطرق بين حلب ودمشق والموصل ، كانت وطأة الازمة اخفّ عليها من غيرها . وان اليد العاملة ربحت من العمل في بناية الجسر المعلّق الكبير ، ومن فتح الطرق وتشييد الدور العمومية وغيرها ، فقصد عمال عديدون الى لوائنا من الخارج ، فافادوا واستفادوا.

ومما ساعد على صفاء الجو في الدير قلة اعتكاره بانواء المصارف التي كانت تتطاير لها الاوراق والاسهم المالية في صعود وهبوط ، منذ الحرب الى يومنا ، بين المارك القديم والروبل والكورون الخ ، كما جرى ذلك في سائر المدن السورية واحدث ما احدثه من الخسارات للتجار . وقد يفرطون عندنا بالاعراض عن الاوراق النقدية . ولا تزال العملة التركية ذهباً وفضة رائجة بين الاهلين دون الورق السوري.

ولكن هناك آفة الآفات وهي الرباء. وقد يفوت الكثيرين الاهتمام بها، ولا بد من لفت الانظار اليها وقاية من شر عواقبها وبعد مراميها ، لئلا تنال بشرها سائر اسواق البلاد . قد يسافر تجارنا الفلاحون الى حلب فيبتاعون البضائع بالدّين او يقترضون الاموال ، وفوائظها تعادل الثلاثين بالمئة. وقد يضيّق المرابون على الفلاحين ويطوقونهم بسلاسل الفائظ المركب سنة فسنة وكل محاصيل الفلاح التاعس تذهب سنويًا في يد المرابي . والفلاح مضطر الى ابتياع بذاره كل عام ، والى غير ذلك من الحاجيات ، ولا يرى له بدًّا من ان يعود الى

دائنه فيطلب المدد بالمال . وكلما تراكم الدين عليه كبلته القيود . وما زالت الحالة تتفاقم ، وربما ادت عقباها الى اسوأ الحالات اذا امسى الفلاح في الفقر المدقع ، واصبح المرابون وخزائنهم فارغة ولا مؤونة لهم على تعبئتها ليستطيعوا من ثمّ ان يدفعوا ما عليهم الى غيرهم من التجار ، فيعمّ الخراب الجميع .

على ان انشاء المصرف الزراعي يبشر بتغيير الحالة ، وهو يدين المزارعين بفائظ ٧ بالمئة . وانشئ ايضاً فرع للمصرف السوري اللبناني في الدير ، فيسلف بفائظ ٦ بالمئة اصحاب الدرجة الاولى ، و ٨ بالمئة اصحاب الدرجة الثانية من التجار .

ولم يعلن ، في الدير ، افلاس تاجر ولا تصفية محل من المحلات التجارية ، لان ذوي المصالح يعمدون الى التسوية بينهم بالتي هي احسن .

حركة الواردات والصادرات في هذا الربع الثاني من العام .

الصادرات :

الصوف	٥٤١	بالة	ثقلها ٥٨٧٢٥ كيلو	والباقي منها	١٢٠٠
السمن	٤٩٠١	صندوق	« ١٤٧٠٠٠ »	« «	٨٠٠٠
الجلد	٦٩٦٩	جلدًا		« «	٦٠٠٠
الغنم	٢٢٥٦				
الخيل (كديش)	٢٢٢				
الخيل للركوب	١٠٤				
البغال	١٠٩				
الحمير	٩				
الجمال	٢				
البيض	١٥٣٧٠٠				
المصارين	٥٣٢٠				
الحب على اختلاف انواعه	٤٥٤٠	كيلو			
القمح	٥٠٢٦٠٠	»			
الجاورس	٣٤٥٦٠٠	»			
الطيور	٥٦٥				

الواردات :

السلع المصنوعة	٩٥	بالة	وقيمتها	١٥٦٧٥٠٠ غرش سوري	
المخردة	١١٥	طرداً	»	٢٥٣٠٠٠٠ »	»
المتنوعات	٧٥	»	»	٨٢٥٠٠٠ »	»
القهوة	١٠٠٠٠	كيلو	»	٤٤٠٠٠٠ »	»
الرز	١٣٠٠٠	»	»	١٤٣٠٠٠ »	»
الصابون	١٤٠٠٠	»	»	٢٢٠٠٠٠ »	»
السكر	٣٠٠٠٠	»	»	٣٣٠٠٠٠ »	»
المسكرات	٦٠٠٠	»	»	١٧٢٧٠٠ »	»
القمردين	٦٠٠٠	»	»	٦٦٠٠٠ »	»
المربى	٣٠٠٠	»	»	٣٣٠٠٠ »	»
الاثمار	٢٢٠٠٠٠	»	»	١٢١٠٠٠٠ »	»
البطاطة	٧٠٠٠	»	»	٣٨٥٠٠ »	»
البقول الجافة	٤٠٠٠	»	»	٤٤٠٠٠ »	»
الزيوت	٧٥٠٠	»	»	١٢٣٧٠٠ »	»
الزفت	٥٥٠٠	»	»	٦٠٥٠٠ »	»
النحاس	٣٥٠٠	»	»	٢٠٦٢٥٠ »	»
الحديد	٥٦٠٠٠	»	»	٥٣٦٢٥٠ »	»
الخشب المنجر	٩١٠٠	»	»	٦٨٧٥٠٠ »	»
الزجاج	؟				
الخشب للبناء	٧٥٠	»	»	٨٢٥٠٠ »	»
الواح الخشب	١٩٠٠	»	»	٢٠٣٥٠٠ »	»
الخشب للنواعير	٧٥٠	»	»	١٤٣٠٠٠ »	»
الفحم النباتي	٢٥٠٠٠٠	»	»	٥٥٠٠٠٠ »	»
العباءات	٧٠	عباءة	»	٥٧٧٥٠ »	»
الحرير	١٥	طرداً	»	٤١٢٥٠٠ »	»
التمر	١٥٠٠٠	كيلو	»	٨٢٥٠٠ »	»
الجلود	٢٠٠	جلد	»	١١٠٠٠٠ »	»
البترول	٣٢٢٧		»	١٠٦٤٩١٠ »	»
البترين	٣٢١٧		»	١٥٣٣٩١٥ »	»
المشروبات الكحولية	٤٧١٩	كيلو	»	٤٧٤٩٦٣ »	»
» »	٤٧٤٦	قنينة			

التبغ	١٠٠٨١	كيلو	»	١٣٩٠٧٨٠	»	»
التنباك	٦٥١	»	»	١٨٠٦٢٠	»	»

***

جاء في سفر التكوين « وكان نهر يخرج من عدن فيسقي الجنة ومن ثم ينشعب فيصير اربعة أرؤس ... منها نهر الفرات » (٢ : ١٠) فذهب من ثم بعض المفسرين الى ان وادي الفرات كان جنة عدن . واذا صح رأيهم فما ابعد حالة هذه البلاد ، كما هي الآن ، عما كانت عليه اذ وصفها الكتاب المقدس بقوله : «وانبت الرب الاله من الارض كل شجرة حسنة المنظر وطيبة المأكل وجعل الانسان في جنة عدن ليفلحها ويحرسها » (تك ٢ : ٦—١٥) . فان كانت حراثة الارض وصية الهية ، لا بد للانسان من حفظها لاكله الخبز ، ولو بعرق جبينه ، في اية ارض احتلها ؛ فما احرانا ، نحن الذين نطأ رمال الفرات وارياقه بان نتبارك من فلاحتها وحراثتها عسى ان يعود لها شيء من بهاء وعنفوان سعادتها الاصلية .

ان الازمة العالمية الحالية المثقلة وطأتها على الجميع ، وخصوصاً على طبقة العمال المحتاجين الى من يشغلهم ويساعدهم على سد رمقهم اليومي تستحثنا على طلب الارتزاق من موارده الطبيعية : انما هي الارض « المرضعة » بني البشر . لقد طالما هجرناها فنقمت علينا عقوقنا وتركتنا نتعلم ، في تيهنا ، بين المشارق والمغارب ، انها تربة اجدادنا ، والكنز الذي لا يفنى ، والاهراء التي لا تنفد غلالها ؛ حتى اذا عدنا اليها ، واحيينا مواتها ، واكلنا خبزها ، وشربنا لبنها ، وتغذينا من لحوم مواشيها ، ولبسنا صوفها ، تمتعنا برغد العيش وهنائه ، ان شاء الله .

ملاحظات

على المقالة في دير الزور

المنشورة في الاعداد السابقة

بقلم صاحب السيادة المطران اثناسيوس نوري

نشبت بحرفها الرسالة التالية ، الموقعة باسم سيادته :

« ايها الاب الجليل توتل المحترم

اما بعد السلام .

قرأنا مقالتكم في مجلة المشرق الغراء عن دير الزور الحديثة ونهضتها واذ رأينا ان فيها اغلاطاً في تاريخها وبعض الاعلام الواردة فيها ، فاحببنا ان نذكرها لحضرتكم حتى تصلحوها في عدد آت

١ً في وجه ٦٦١ سطر ٢٢ ذكرتم الشدادية والصواب الشدّاده ، وفيها كانت مجزرة الارمن زهاء مئة وستين الفاً سنة ١٩١٦ اثناء الحرب الكونية ، وما زالت رفات اولئك الشهداء مبعثرة في اراضي الشدّاده .

٢ً ان عمر باشا الذي تولى متصرفية دير الزور من سنة ١٨٦٨ الى ١٨٧٤ هو الذي امر بجلب اغراس اكثر الاثمار من ماردين وحلب ودمشق حيث لم يكن منها شيء البتة في هذه البلدة ، وكذلك جلب بذور القطاني كالباذنجان والبامية والقرع والمقتي والخيار الخ ، وهذه ايضاً لم تكن معروفة حتى عهده . وفي زمانه وجد نحو خمسة عشر شخصاً مسيحياً فحرضهم على ان يجلبوا عائلاتهم الى دير الزور ، ولما وجد فيها ست او سبع عائلات مسيحية ماردينية وحلبية رغبهم ان يسعوا بطلب كاهن ليخدمهم . فارسل اليهم السعيد الذكر اغناطيوس فيليوس عركوس بطريرك السريان الانطاكي القس سليمان تبوني الموصلي سنة ١٨٧٢ .

ان عمر باشا المجري الفريق عزز المسيحيين جداً فتهافت كثيرون منهم من حلب وماردين والموصل ووظف كل من عرف القراءة والكتابة منهم في دوائر الحكومة .

ولما فصل من دير الزور تعين فريقاً لولاية حلب . قيل انه قبل وفاته استدعى كاهناً واعترف وتناول القربان الاقدس واوصى ان يدفن في المقبرة المسيحية واوصى ابنته ألا تقترن الا بمسيحي .

ولو طالت مدة اقامته في هذه البلدة لجعلها اجمل مدينة في سورية .

٣ً ان اول كنيسة شيدت في دير الزور للسريان الكاثوليك بسعي المرحوم الخوري سليمان تبوني سنة ١٨٧٣ . وفي ٨ ايلول من هذه السنة اقيم فيها اول قداس . ففي سنة ١٨٦٥ لم يكن مسيحي واحد فيها (راجع ص ٧٥١) .

القس ايليا نخيت ، لا غيد (ص ٧٥١)

الورتابيت نرسيس دكدنيان ، لا فرنسيس (ص ٧٥١) .

واني أقمت قسيساً في دير الزور من سنة ١٨٨١ الى سنة ١٨٨٣

بيروت في ١١ تشرين الاول سنة ١٩٣١ .

المطران اثناسيوس

اغناطيوس

نوري »

في تربية الارادة

للاب ارمند اودين ، احد كهنة رهبنة قلب يسوع الاقدس*

توطئة

يولد الانسان ، خالياً من الصفات الحميدة التي يتعلق بها كمال حياته الجسدية ، والعقلية ، والادبية . فيلزمه اذ ذاك ان يكتسب هذه الصفات . على انه لا يكفي لهذا عملُ يوم واحد ، بل لا بدَّ ان يقضي كل مولود من البشر لاحراز هذه الصفات ، مدة طويلة ، مرتقياً بالتتابع الى درجة ما ، من قوة الجسد ، وتنوير العقل ، وحسن الاخلاق . على شرط الا تعوزه معونة من وكل الله اليهم تقوية ضعفه ، وهداية خطاياه المترجرجة ، وإنْ هؤلاء الّا الذين ندعوهم مربي الولد ومهذبيه ، وتربية الولد ان هي الا جملة ما يبذل من المساعي ، ويستعمل من الطرائق لتتولد وتتأصل في الناشئ الخصال التي يصبح بها سالم المزاج ، صائب العقل ، صالح السلوك . وجليٌّ ان في هذا العمل المهمّ فروعاً تختلف كاختلاف القوى ، التي يجتهد المربي في انمائها وتمرينها في الولد ، فترى اهتمام المربين مصروفاً تارةً الى تشديد حياة الولد البدنية بالرياضات الجسدية ، وطوراً الى تغذية ذهنه بمعارف واسعة ومتفننة ، وحيناً الى تمرين عقله على تمييز الحقّ عن الباطل ، والمستقيم عن الملتوي ، ومرة الى تهذيب قلبه لتكون شواعره كلها نقية ونبيلة ، واخرى الى تقويم ارادته وتزيينها بالملكات النفيسة التي يسود بها الانسان الفاضل صاحب الاخلاق الحسنة والنيات المحمودة .

الا اننا — لسوء حظنا — نرى هذا الفرع الاخير ، مطروحاً به عرض الحائط ، في عصرنا الحاضر . على انه لا يقل عدد الوالدين البالغ منهم الجهل هذا الحدّ ، وهو انه لا يخطر على بالهم ان ما يكتسبه ابناؤهم من العلوم ، في المدارس ، لا يكفي لكمالهم وسعادتهم ، ولا يغنيهم البتة عن تلك الفضائل

---

*) صحح عبارته رعي بنشره القس اسطفان فرحات الحاجي اللبناني

التي لا تحصّل الا بتربية الارادة ولقد يشترك في هذا الضلال عينه كثير من مديري المدارس واساتذتها ، متوهمين انهم يقون بواجبهم التهذيبي ، بمجرد اعانة تلامذتهم على توسيع دائرة درايتهم العلمية ، ولا يعنيهم أأخلوا لمرشادهم في سبل الفضيلة ، وتسليحهم ضد الشهوات التي تفسد الفؤاد وتريغ الارادة ، ام حققوا ذلك وقاية لهم من الشقاء والهلاك . فحبذا لو نفعت هذه النبذة الادبية لازالة ذلك الضلال من بعض الذين دعاهم الله لتلك المهمة الجزيلة الشرف والكثيرة الصعوبة ، مهمة تهذيب الاحداث وتقويم ارادتهم . لكن كائناً من كنت ، ايها القارئ الكريم ، يمكن ان تفيدك مطالعة هذا المقال الذي يعرض عليك ما قاله اصحاب الخبرة في هذا الموضوع الشريف : اي تربية الارادة . فان تنبيهاتهم ونصائحهم تساعدك على تكميل ما بدأت به حتى اليوم ، لتجميل نفسك بمزايا الارادة النجيبة . ولا يصعب عليك ان تقتطف من هذا المقال مشورات خلاصية تلقيها على ذويك واصحابك في مناسب الاوقات .

لذلك نقسم هذا المقال الى قسمين : في الاول نبحث عن اثبات اللزوم لتربية الارادة . وفي الثاني نبحث عن تبيان ما يجب فعله ، والمثابرة عليه . لتكون هذه التربية جيدة وغزيرة الثمار ، والله سبحانه هو المنير والهادي الى حيث سداد الكلام وانتفاع القارئ .

١

في لزوم تربية الارادة

نسمع كثيرين يتساءلون : لماذا لم يزل المجتمع الانساني يبعد جدّ البعد عن تمام السلام والراحة ؟ وماذا يعوزنا ، بينما ان العلوم تتقدم ، وتكثر في اغلب البلدان اسبابُ الرغد ، وتنفتح في كل جهة من المعمور مدارس لتأديب الاحداث ؟ فواحسرتاه !!! حقاً ان ذلك كله قلّما يفيد لاسعاد البشر ... ومما نفتقر اليه اشدّ الافتقار هو ان يدرك الوالدون والمربون ما يجب عليهم من الاعتناء بتهذيب ارادة الصغار . لان اهمال هذه المهمة يؤدي الى اوخم التبعات ، كما سنبين ذلك ، شارحين ، من جهة ، سوء الحالة التي تحصل للانسان من وراء

خشونة ارادته ، وقصورها ؛ ومن جهة اخرى ، ما تجلبه تربيتها الحسنة من المنافع التي يفوق ثمنها كل قياس وحدّ .

واذن فتتجلى لك هذه الامور بتمام السهولة ، اذا اعتبرت اولاً ما كان في نيّة الخالق مقام الارادة في حياة الانسان . فان هذه القوة الشريفة هي ، مع العقل ، مختصة بالنفس الروحانية التي يمتاز بها الانسان عن البهائم ، خلافاً لما فيه من القوى الحسية التي يشاركه فيها سائر الحيوانات . اما الفرق بين العقل والارادة ، فهو اننا بالعقل ندرك الحق ، وبالارادة نميل الى الخير ، ونختار بين الطرق التي نحسبها مفيدة لوصولنا الى السعادة . وارادتنا في هذا الاختيار هي حرّة ، كما يؤكده الوجدان ، وتثبته الفلسفة ، وبالارادة يحرّك الانسان سائر قوى نفسه ، ويستعمل اعضاء جسده كما يريد . ولهذا يقال : ان الارادة ، هي — في طبيعة الانسان — المحرك الاول ، الذي يتعلق به ، ويعطيه سائر مبادئ العقل ، غير ان الارادة تحتاج الى ان يهديها نور العقل ، لانها لا تستطيع الاتجاه الى الخير ، الّا اذا ادركه العقل . ولهذا كان من مقتضيات حسن الحياة الادبية أن يسبق دائماً فعل العقل مقاصد الارادة . وان يكون العقل كالدليل الذي يميز الصراط المستقيم ، ويأمر باتخاذه . فتنقاد له الارادة ، وبالتالي جميع القوى التي تحركها الارادة .

ولكن هل يجري الامر ، دائماً ، كذلك ؟ هل نحافظ على هذا النظام الجميل الذي اقامه الخالق بين قوى نفسنا بحيث تختصّ الرئاسة بالعقل الذي تذعن له الارادة ، وتتسلط هذه على جزء طبيعتنا الحيواني ؟ هيهات ان يتمّ هذا في حياة معظم البشر . فاننا نختبر كلّ يوم ان الجزء الحيواني المذكور يحاول اختلاس الرئاسة من العقل ، واستعباد الارادة ، وكان الواجب ان يخضع لهما منقادًا ؛ واذا كانت الارادة غير مسلحة لمقاومته ، يتغلب عليها ويسترقها ، فتسقط من مرتبتها العالية ، وتخسر ولايتها ، وتألف اتباع الشهوات ، فتصير هذه ، في حياة الانسان ، بمنزلة المحرك الاول الذي تتعلق به افعال النفس باسرها . فيا لتعاسة من اضحى كذلك ، اي عبدًا لاهوائه . ويا لانحطاط حياته الادبية وخرابها ! ويا لسوء عواقب هذه المصيبة ! كما في الحياة الحاضرة ،

كذلك في الاخرى ، حيث ينجز قضاء العدل الالهي على مَن شوّهوا صورة الله المطبوعة في انفسهم ، مخضعين الروح للمادة ، ومؤثرين مطاوعة اميـال دنيئة عمياء ، على الامتثال لمشورات العقل ، واتباع قيادته.

ولكي يتجلى لك باكثر وضوح ما في هذه الحالة من الشقاء والـذلّ ، انتبه الى هذه العلامات الخمس التي يجوز ان يُعرف ويميز بها كل انسان ضعيف الارادة ، ضبطت الشهوات على زمام حياته.

اولاً : انك تراه كثير التقلّب بين حالتين متضادّتين . الاولى : الجمود ، او النفور من كلّ جدّ وعمل ، والثانية : التحرّك الشديد ، والتهوّر في الاعمال بلا فطنة ، ولا ترتيب . وعلة هذا التقلب هي ان الشهوات تدفع ، احياناً ، الى العمل كريح عاصفة ، فتنقاد لها الارادة ، غير قادرة على تعديل حركاتها ، واحياناً اخرى ، تنكف عن الهبوب ، فتستمرّ قوى النفس كلها كاجزاء آلـة تلازم السكون ، ما لم يؤثر فيها محرك آخر. وغنيٌّ عن البيان ان كمال الانسان ليس هو في احد ذينك الطرفين ، بل في وسطهما . فمن يعجز عن الوقوف في هذا الوسط ، بل ينتقل دائماً من احد الطرفين الى الآخر ، تكن حيـاته من ثمّ قليلة المنفعة فارغة من كل مشروع مهمّ .

ثانياً : ان من استعبدت الشهوات ارادته ، ينفر من كل اجتهاد وعمل ، وهذا مما يسلب حياته كل افادة ، لان الاجتهاد ، هو شرط ضروري للترقي ، والنجاح في دائرة الاعمال البشرية برمتها.

ثالثاً : من لم تكن ارادته قوية ومُعتقة من تأثير الشهوات ، قلما يقـدر على الاقـدام لتعيين منهجه ، فتراه مرارًا عـديدة متراحاً ذات اليمين وذات الشمال ، متردداً ، ينقصه العزم . ما لم تدفع به قوة من الخارج ، الى احدى الجهتين ، فتقلّ جدًا في حيـاته الاعمالُ التي وطّن النفس عليها بمزاولـة حرية ارادته ، وبناء على بواعث صوابية لديه ، تأملها بعقله.

رابعاً : يحدث كثيرًا ان اصحاب الارادة الضعيفة يحجمون عن اجراء مـا نووه من الاعمال. كأنّ بين النية والانجاز مسافةً شاسعةً يعسر عليهم اجتيازها، وذلك لان ادنى صعوبة تعترضهم تكفي لتخويفهم ، واخماد جذوة نشاطهم ،

وصدّهم عن انجاز ما عزموا عليه ؛ ولهذا مهما كثرت بعد ذلك في حياة بعضهم المقاصد الحميدة يصعب تنفيذها ، لنقص الارادة فيهم ، وبالتالي لضعفها .

خامساً : انه من اصعب الصعوبات على واهن الارادة أن يداوم على ما شرع به من الاعمال ، فيتمه الى النهاية . لان هذه المداومة تقتضي ثبات الارادة ، ومقاومة الملالة التي يحملنا عليها ميلنا الطبيعي الى ايثار الاشياء الجديدة ؛ ومرارًا عديدة ما نصادفه من العوائق فوق ما انتظرناه ، كذلك ما يصيبنا من خيبة بعض آمالنا ، حيث رجونا سريعاً وهيناً ، ومساعدين نشيطين . فمن لم يروّض ارادته على الصبر ، رغماً من كل علل الاضطراب واليأس ، فانه لا يقوى ابدًا على تكميل ما بدأ فيه من الاعمال ، ايًا كان ذلك العمل ، بل يتركه ويشرع في غيره . ثم يعدل عن هذا ، كما عدل عن الاول ، وهكذا الى النهاية . فاي ثمرة يا ترى في حياة كهذه ، يقضي زمانها في مشاريع لا يتوصل الى نهاية احدها ؟ فيتحقق في كل منها قول السيد المسيح له المجد : « ان هذا طفق يبني ، ولم يستطع ان يكمل . »

واليك الآن ، الى جنب تلك الشوائب الحاصلة من ضعف الارادة ، ما يجلبه حزمها من المنافع الثمينة ، وما يضمنه لصاحبه من الهناء والكرامة . فتذكر ما ادهشك ، مثلاً لمّا طالعت الكتب التاريخية ، من مآثر بعض الناس الذين شرفوا اسماءهم ، وخلدوا ذكرهم ، بما باشروه من الاعمال العظيمة والجزيلة الفوائد ، أترتاب في انهم كانوا من ذوي الارادة القوية ؟ تأمل ما كان لهم من التأثير في معاشريهم ، وكم من مرة ارغموا غيرهم على الخضوع لسلطتهم ، وكم كان لآرائهم ومشوراتهم من النفوذ سواء أكان في العقول ، ام في القلوب . وكم انتصروا على ما تعرض لمشاريعهم من الموانع الصادرة ، تارةً من قوى الطبيعة ، وطورًا من نوايا الخصوم ؛ وكم صارت اجسادهم آلات منقادة تمام الانقياد ، لإقضية عقولهم ، وتحريك ارادتهم ، سواء أكانت هذه تفيض على الجسد شيئاً من مكانتها وحزمها ، فتقويه على احتمال الاتعاب التي يعجز عن مقاساتها اغلب البشر ، ام كانوا يواصلون مساعيهم ، رغماً من رزوح الجسد وانحطاط قواه ، غير مبالين بآلامه ، بل مستخفين بفقدان الحياة ، اذا اقتضاه

انجاز مهمتهم . وكم استفاد البشر من نشاط اولئك الابطال الذين وسّع بعضهم حدود العلم باكتشافاتهم البديعة ، وأسس البعض الآخر جمعيات تقصر السنتنا عن الثناء على ما تأتي به من المنافع الغزيرة. وبينما انا مطلعك على هذه المفاخر ، الا يخطر على بالك اولئك الذين استحقوا مدح الجميع ، اعني بهم القديسين ؟ اجل ان جرأة الارادة قد بلغت فيهم درجةً لم نرَ غيرهم ارتفع اليها. فما الذّ واجمل تلك الثمار التي حملتها شجرة ارادتهم البشرية ، حيث انهم بذلوا الاعتناء الواجب في صيانتها وتربيتها ، على ما يقتضيه الشعار الديني والانساني الشريف.

٢

في اسلوب تربية الارادة

انما ينحصر هذا الاسلوب في ثلاثة ابواب من التنبيهات والنصائح ، واليكها :

اولًا : تمرين الارادة.

ثانياً : تحسين حالة الجسد ؛ لئلا يحول تشوّش الاخلاط ، او تهيّج الاعصاب دون نشاط الارادة ، ونفوذها.

ثالثاً : اصطفاء ما يحيط بنا من الاشخاص والاشياء التي تؤثر في حواسنا ، وبالتالي في ارادتنا .

اولًا : كيف نمرّن ارادتنا ؟

لا يغمض عليك شيء مما يلزمنا قوله ، في هذا الباب ، اذا لاحظت كيف تنهج الامهات او من يعاونهنّ على ترويض الاطفال ، سواء في السير ، او في التكلم ؛ فانه جليٌّ ان الطفل ، لو تُرك وشأنه ، لصعب عليه ان يتعوّد المشي بحسن استخدام رجليه ، ولتعذّر عليه ان يتعلم تحريك لسانه وشفتيه كما يستلزمه النطق . فكيف يتلافى المربّون هذا المحذور ؟ انهم يأمرون الطفل بترتيب حركاته الطبيعية ، بحيث يشدّد بعضها ، ويخفف البعض الآخر ويكرّر بعضها ، ويهمل البعض الآخر ، حتى يعوّد اعضاءه التحريك ، كما يلزم ، ليكون مشيه مستقيماً ، ولفظه مفيداً للتعبير عن افكاره.

فقس على هذا المثل ما ينبغي ان نفعل لتصير ارادتنا قوية حائزة على ملء

حريتها ، وقادرة على قمع الشهوات واخضاعها لولايتها . فلا شك ان بلوغك الى هذه الفوائد الثمينة يقتضي ترتيباً لافعال الارادة ، واذن فما هي قواعد هذا الترتيب ؟ هي كثيرة ، اهمها :

١ً الا يكون للارادة محرك سوى العقل الذي يعرض لها ما يلزم قصده من الخير واتقاؤه من الشر . هذا هو النظام الذي اقامه الله في الطبيعة الناطقة ، بحيث تتعلق مقاصد الارادة كلها بأقضية العقل الذي يختص به ادراك الحق وتمييزه عن الباطل . فكلما زاغت الارادة عن هذا السبيل ، ومالت الى ما تحملها اليه الحواس دون حكم العقل ، اعرضت عن الحق ، واتجهت الى حيث الغي ، وفي هذا خراب الحياة الادبية .

ولكننا اذا ما قلنا ان العقل وحده يلزم ان يدبر الارادة ويسددها ، فلا تفهم بذلك ايها القارئ العزيز ، اننا ننفي العوامل الخارجية التي يستخدمها الله لاطلاع عقلنا على ما يريد ان نختاره ، او نمتنع عنه . فان عقلنا نفسه ، اذا كان مستقيم الحكم ، يقضي بوجوب الانقياد لتلك التأثيرات ، التي منها اوامر الرؤساء الشرعيين ايًا كانوا ، ومشورات الناصحين الموثوق بهم .

فيسوغ ان نلخص ما قلناه في شرح هذه القاعدة الاولى هكذا : لا ترض بان يكون فيك فعل ارادة ، الا ما هداك اليه عقلك المطلع على الحق ، سواء أكان عقلك يبصر الحق بقوة ذاته ، ام يرشده اليه من وكلهم الله بقيادتك .

٢ً ان تحذر دائماً من تينك الشائبتين المتضادتين اللتين قلما يسلم منهما واهنو الارادة كما مرّ بك . احداهما : التهوّر ، اي طيش من يقدم على بعض المقاصد قبل ان يتروّى بالكفاية ، فيفحص ويزن العلل التي تدعوه الى اتخاذ هذا السبيل ، او ذلك . والاخرى : جمود الذين لا يقوون على ارجاح ميزان ارادتهم ، فمهما تبيّن لهم من البواعث والحجج ، لا يزالون مترددين الى ان يدفع بهم تأثيرٌ ما من الخارج . فاجتهد في ان تثبت دائماً في الوسط بين ذينك الطرفين الشائبين ، على حد سواء . بحيث لا تقدم على قصد ما ، في امر مهم ، الا بعد التأني والتروي ، فبهما الوقاية من كل عثور ، ولكن حالما يستنير عقلك بالكفاية ، لا تتأخر عن العزم ، واعتد كذلك ان تتحرك من

تلقاء نفسك كشخص ذي حرية فلا تشبه الآلة التي تلازم سكونها ما لم تحركها قوة خارجية ! .

٣ً ان تحترز كذلك من ضعف من يخاف ان يتجاوز العزم الى الفعل . فلا تتأخر عن تنفيذ ما وطّنت نفسك عليه ، الا مراعاة لظروف تدلك على ان الوقت الملائم للعمل لم يحن بعد . فانك بهذه السرعة في الانجاز تمتحن ارادتك من تأثير الاهوال الباطلة ، وتزيدها نشاطاً وحزماً .

٤ً ان تكون ثابتاً في العمل ، صابراً على ما تصادفه في طريقك من العوائق والعراقيل ، فلا تعرض عما شرعت فيه الا اذا وصلت الى كماله . وكائناً ما كان العمل الذي عزمت عليه ، لا تكتفِ ابداً بان تنجزه انجازاً ناقصاً ، بل وطّد نفسك على حب الاتقان ، وعلى كراهية التقصير ، ليس في كبير المشاريع فحسب ، بل في اصغر الامور ايضاً . لان ما توليكه هذه الملكة الحميدة من المنافع يفوق الوصف ، ومن يستسهل التقصير والتغافل في الامور الصغيرة فانه قلما يكون مجتهداً ومدققاً في الخطوب الكبيرة . ولكن هذه الملكة النفيسة لا يمكن اكتسابها ، ولا ثباتها في النفس ، الا بمقاومة دائمة لميل طبيعتنا الناقطة الى الارتخاء والاستراحة . فمهما عوّدت نفسك الجدّ والتدقيق لا تستغنِ ابداً عن مراقبتك ذاتك ، واكراه ارادتك ، لئلا ينبعث الميل العتيق الى الكسل ، فيرجح على العادة المكتسبة ، وتختبر ان هذه المراقبة تصعب في الاشياء الصغيرة والاعتيادية ، اكثر منها في الامور الخطيرة ، حيث نميل طبعاً الى الاكتراث والاهتمام .

٥ً ان تنهج في ترويض ارادتك درجات متتابعة ، مبتدئاً بما هو ابسط واهون ، ومتقدماً رويداً رويداً الى ما هو اثقل واعسر . وهكذا تعود نفسك بالتدريج ما هو الاعظم والاسمى في الفضائل ، حتى تنال المقصود ، واذا روّعك شيء مما تشعر بوجوبه عليك ، لانه يضاد اميالك وعوائدك ويقضي عليك ببعض التضحيات ، فابتدئ بالاقدام على فعل فيه تتميم شيء من ذاك الفرض . فانك بهذا تشجع نفسك على انجاز الباقي ، مثلاً ، ان كان يصعب عليك ان تقهر كل حركات الغضب فيك ، فتكون دائماً وديعاً بشوشاً على حد سواء ، فروّض نفسك على الصبر والصمت في الطوارئ الخفيفة والاعتيادية ، ووطّن عزمك على ان

تحتملها بغير تذمّر ولا تمخض ، فتكون غلبتك هـذه على نفسك خطوةً اولى تتقدم منها الى ما هو اعلى واكمل ، وكذلك من تعوّد البخل وصار صعباً عليه ان يتصدّق بيد سخية ، فليأخذ في الاحسان بشيء يسير من مـاله . ومن ألف اضاعة اوقاته بمحادثات تافهة ، واستصعب ابـدالها باشغال نافعة ، فليكره نفسه على ترك شيء من تلك الملاهي الباطلة ، فارضاً على ذاته كمية معينة من الاعمال الجدية ، فيسهل عليه ان يتدرّج من هذا الابتداء الى اصلاح سلوكه بالتمام .

وهذه النصيحة تفيد خصوصاً المهذبين والمرشدين الـذين يعتنون بترقيـة تلاميذهم في سلم الفضائل لانك ، يا هذا ، ان فرضت على تلميذك منذ البدء أفعالاً متعبة ، على حين انه لم يستعد لمباشرتها ، تراه مستثقلاً ومشمئزاً ؛ لكن اذا رتبت ما أشرت به عليه من افعال العبادة والاحسان والطاعة والصبر وسائر الفضائل الالهية والادبية ، حتى يتقدم دائماً مما هو اسهل الى ما يقتضي جهـداً وكفراً بالذات ، فانك لا تلبث ان تتعجب من مفاعيل هذا الاسلوب الجميلة ، كما واننا نرى ، في تعلم الفنون ، ان حكمة المعلم تبدو بتنظيمه التمرينـات حتى يرتقي التلميذ الى الكمال بدرجات متصلة .

ولا يسوغ ان نختم هذا البحث في تمرين الارادة ، ضاربين صفحاً عما تأتينا به رياضات الحياة الروحية من المساعدة الثمينة لهذا التمرين ، قبل ان نبين ان المؤمن الذي يعكف على التأمل في الامور الالهية ، يزداد معرفة بالخير الاعظم فيضطرم فؤاده حباً به ، مما يقوي جداً ارادته ، ويمدها للرضى بكل تضحية تظهر لازمة لتمجيد الله تعالى ، وللبلوغ الى تمام الاتحاد به . وبهذا التأمل عينه تطلع النفس على حقارة الامور الفانية ، وقوة العلل التي توجب علينـا التجرد منها ، فتسهل من ثمّ مقاومة الشهوات التي تجرّ غالباً الى مطاوعتها ارادة من لم يتسلح بالتأمل لمحاربتها ، واذا ثابرت ايضاً على الرياضة النفيسة المعروفة بفحص الضمير ، ترى بها ما يتغلب على ارادتك من الاهواء ، ويثقفك الاختبار اليومي لتعلم ما هي الاميال التي يلزمك ان تجتهد خصوصاً في اعتـاق ارادتك من تأثيرها ، الذي يفقدها شيئاً من حريتها ويمنعها عن اتباع احكام العقل وحدها في جميع نياتها ، كما بيّنا انه هو اول واجب على من يريـد ان ينجح في تمرين

ارادته . وغنيٌ عن البيان ان الرياضات الروحيـة تنفعنا ايضاً منفعة عظيمة بما تحتوي عليه من التماس المعونة الالهية . وبهذه يتعلق كل ما نستطيع الحصول عليه من حزم الارادة ، وكمال حريتها ، اكثر من تعلقه بالمساعي الانسانية . وقد أبان الاختبار ما لم يزل يوضحه كل يوم ، من ان الطاكفين على الرياضة المذكورة يكتسبون من قوة الارادة ما يبعد جداً سائر البشر عن مساواتهم فيه ، وحسبنا برهاناً على ذلك ما يعرضه لنا تاريخ القديسين من الاعمال التي يدهشنا عظمها وصعوبتها ، ومكنتهم من مباشرتها نعمة الله التي سموا معها بارادة مقتدرة لا يرجفها خطر ، ولا يوقفها مانع ، ولا تزيدها ريح التجارب الا نشاطاً وحرارة .

ثانياً : كيف يلزمنا ان نعتني بحسن حالة جسدنا ؟

ربَّ قارئ يخال اليه ان البحث في هذا الموضوع هو باطل ، وان العناية بحسن حالة الجسد ليست من مستلزمات تربية الارادة ، فيقول :

تقدم ان الارادة القوية تغني صاحبها عن قوة الجسد ، وبالتالي ان لها في الاعضاء تأثيراً يزيدها تصلباً ومقاومة لعلل التعب . فاذا قرّ ارادتك ، يا هذا ، بما مرَّ بك بيانه من القواعد لترويضها ، وحسبكَ ذلك . ولا حاجة لك الى شيء من عافية جسدك . ويؤيد ذلك ما اوردناه مؤخراً من امثال القديسين الذين فاقوا سائر البشر بحزم ارادتهم ، مع انهم قلما اعتنوا باحوال اجسادهم . لا بل انهم عاملوا هذه الاجساد شرّ معاملة ، اضعفوها بالاصوام المتواصلة ، وحرموها كل راحة ، وعذّبوها بالمجالد والمسوح وغير ذلك من ادوات الاماتة الشاقة . وقد علمونا بمثلهم هذا ألّا نعتني ابداً بصيانة الصحة الجسدية ، اذا كنا نود ان نحصل على كمال الارادة .

على ان اول هذين الاعتراضين يحلّ بمجرّد الانتباه الى ان حزم الارادة ، مهما كان كافياً لاغنائنا عن صحة الجسد ، فلا يأتينا هذه المنفعة ، الا اذا اكتسبناه بتربية ارادتنا . وقد يمنعنا عن النجاح في هذه التربية سوء حالة بدننا . فهذا هو المحذور الذي يجب ان نعلم كيف نتلافاه .

اما الاعتراض الثاني المأخوذ من سير القديسين ، فانه يتضمن غلطاً كبيراً . الا وهو الزعم ان خدّام الله هؤلاء الاجلاء لم يقصدوا باماتاتهم تحسين احوال

اجسادهم ... نعم انهم كانوا يضعفون جسداً جزء طبيعتهم الحيواني ، ويمنيونه بتقشفات يظهر انها كانت اجدر لقتل الجسد منها لمعافاته . لكن امتبر ، ياهذا ، انهم بهذه الاماتات توخوا قهر الجسد واخضاعه التام للروح ، وافلحوا في هذا افلاحاً جد عجيب . واذن فهذا ما ينبغي ان يعمله كل من يريد ان يتقن تربية ارادته . ومرادنا ليس بمختلف عن ذلك ، اذ ننادي بلزوم العناية بحسن حالة الجسد ، فاننا بهذه العبارة نعني خلوّ الجسد من كل انحراف يكون له ادنى تأثير سيئ في اعمال النفس ، وخاصةً في نوايا الارادة ، وقد ابان الاختبار ان هذا التأثير المؤذي يحصل من علتين . اولاهما : آفة صحة الاعصاب ، لان حالة الاعصاب تؤثر كثيراً في المخيلة ، ومن اختلال المخيلة تصدر بلبلة في الافكار ، وضلال في الاحكام ، مما يؤول الى تشويش افعال الارادة ، كما نراه في قوم تتقلب ارادتهم في كل دقيقة ، مثلاً كأن يقصدون اغراضاً وهمية غريبة ، فتوهم لهم المخيلة الثائرة ان هذه الاغراض معقولة ومفيدة . وثانيتهما : هي شدة الشهوات التي يصعب على الروح ان يقهرها ، وقد تُنسب هذه الحال الى فرط قوة الجسد ، وغزارة اخلاطه . واذن فالجسم القوي قد يصير حملاً ثقيلاً على النفس ، فتضعف حياتها العقلية والروحية ، بمقدار اشتداد الحياة النباتية والحيوانية ، بزوال التوازن بين جزئي طبيعتنا . ولا يخفى ان صيانة هذا التوازن ضرورية جداً لكمال الانسان الادبي . وهذا ما فهمه جيداً القديسون والنساك ، ولهذا لم يحجموا عن اضعاف الجزء الادنى والاحقر ، مخافة أن يرجح على الجزء الاخر الاشرف . ويقتفي آثارهم كل من يهتم بالمحافظة على كمال حياته الروحية والأدبية ، مجتهداً في استعباد جسده وحبس شهواته في حدود الحلال والصواب .

نعم ان ما يستعمل من الاساليب والاسلحة في هذا الجهاد يختلف بين فرد وفرد ، على مقتضى الظروف ، فليس في مقاصد الله ان يمارس الجميع التقشفات على حدٍ سواء ، ولكن الاستغناء التام عما يكسر من حدة الجسد ، ويكبح جماحه ، فغير مستحب ، خاصةً لمن لا يرضى ان تتسلط الشهوات على ارادته ، مما يؤول الى انحطاط كل الحياة الادبية ، وتورط النفس في الرذائل والقبائح .

وقصارى القول ان من شاء ان تكون ارادته قوية خالصة من ربقة

الشهوات ، وجب عليه ان يقدم لجسده الطعام والشراب اللازمين له ، ضمن دائرة الاعتدال، حتى يجتنب كلا المحذورين اللذين مر بيانهما ، اي الا يحدث في الاعصاب اختلال من جراء الاتعاب المفرطة ، اذا كدّه فوق طاقته ، او من سوء هضم الاطعمة ، او من شرب ما يهيج الاعصاب ، ويحول دون حسن حالة الدماغ ، والا يكون للاهواء الحيوانية من الثوران والسطوة ما يؤول الى ضعف الارادة ونقصان حريتها وخضوعها للجزء الادنى ، الذي يجب ان تسوده .

ثالثاً : كيف يلزمنا ان نصطفي الذي يؤثر في ارادتنا ، سواء كان من الاشخاص او من الاشياء التي حولنا .

ان التنبيهات التي نأتي بها ، في هذا الجزء الاخير من هذا المقال ، هي من الاهمية بمكان ، بحيث تعادل اهمية ما سبق لنا تبيانه . لان الاختبار اليومي يشعرنا بان ما يحيط بنا من المحسوسات يؤثر في ارادتنا ، كاحوال جسدنا ، وليس في وسع الانسان ان يمنع او يغير هذا التأثير ، ولكنه يستطيع ان يختار ، وبالاحرى ان يعين كثيراً من الاشياء التي يعرض بنفسه لتأثيراتها حيثما يعرف انها تزيد ارادته نشاطاً وثباتاً في النيات الصالحة . او يعكس ذلك تضعفها وتميل بها الى الدنايا والمحظورات .

وجلي ان اول ما يؤثر في ارادتنا من الاشياء التي تحيط بنا هو الاشخاص الذين نعاشرهم ونؤالفهم ، ولهذا ننبهك ، يا هذا ، الى من يلزمك ان تبتعد عن مخالطتهم ، لما يخشى عليك من سوء تأثيرهم ، او الى من يفيدك التردد اليهم ، وبعد ذلك نقول شيئاً في مطالعة الكتب واستعمال سائر المحسوسات .

اما الاشخاص فلا حاجة الى ان نكرر هنا ما في كتب الارشادات من التوصيات القوية باجتناب معاشرة السفهاء ، وبصيانة قلبك من السم الزعاف المتدفق من شفاه فاسدي الاخلاق ، فنقتصر على الاشارة فقط بان تحترز ايضاً من مصاحبة ضعاف الارادة ومتقلبيها المائلين الى اليأس والمستسلمين الى التشاؤم ، لئلا يبثوا فيك شيئاً من هذه المضادات لحزم الارادة ، بكلام التمليق والتمويه .

واذن فان الذين ينفعك ان تؤالفهم هم اصحاب النفوس الكريمة والقلوب الحريثة ، والعزائم الحميدة ، المستعدون لبذل كل غالٍ ونفيس في سبيل منفعة

الغير ، ومما يساعدك على تقوية ارادتك اكثر من المحادثات البسيطة ، انما هو استشارة بعض من وضعتهم عناية الله في طريقك ، والذين تراهم قادرين بفطنتهم وجزيل فضائلهم ، ان ينيروا عقلك ويحثوك على المقاصد الحميدة . . فما احسن وما انفس العادة السائدة في المدارس الاكليريكية ، وبعض الجمعيات ! وهي ان يطلب كل واحد مشورات مرشد روحي يفضي اليه باحوال نفسه ، وحركات قلبه ، بما يمكن المرشد من اعطاء النصائح التي توافق طبع ذلك المسترشد ، وتسدد خطاه في سبيل الكمال .

فمن تقلد ارشاد غيره فلا يهمل شيئاً مما في وسعه ، ليصير هو نفسه ذا ارادة قوية كاملة مزينة بجميع الفضائل الادبية ، حتى يستطيع ان يفيض من تلك المياه المحيية — التي امتلأ هو منها — على نفس تلميذه ، وليجعل كلامه جزيل الافادة ، إن بسداد مشوراته وإن بلين جانبه ولطيف مناقبه ، والتوافق الكامل والدائم الذي بين اقواله وافعاله ، فحيثما التقى مرشد متصف بهذه المحامد بتلميذ راغب في الاسترشاد ومنقاد للنصائح ومجتهد في تنفيذها ، حصلت ولا شك الافادة ، وتمّ السرور .

واما مطالعة الكتب فاعتن بصيانة نفسك من الخطر الناجم ، ليس من المؤلفات المفسدة والمضلة فحسب ، بل من الحكايات الخيالية التي تملأ ذهن القارئ اوهاماً باطلة يعتاد سماعها ، ويولع بها مفضلاً اياها على الحقيقة ، فيضيع وقته في تخيلات لا طائل فيها ، واحذر كذلك من الكتب التي تحمل قارئها على ضعف النفس والجبانة كما قلنا عن المحادثات . واذن فطالع كتباً تعرض عليك امثلة الحزم والبسالة والتضحية بالذات ، والصبر الجميل على المصاعب والشدائد ، فان مثل هذه المطالعة تنفع جداً لترغيبك في كل ما هو كريم وحميد ، فهي اذن من افعل الوسائط التي تقوي بها ارادتك وتمدها للاقدام على المشاريع العظيمة وعلى احتمال بلايا هذه الحياة ، والانتصار على تجاربها .

واليك الآن بعض تنبيهات ايضاً ، بخصوص المناظر التي تمتع طرفك بها ، فان لها تأثيراً ليس بقليل في قلبك واخلاقك ، ويصح فيها ما قلناه عن مطالعة الكتب ، اي ان بعضها يفعم العقل من الاخيلة والافكار الباطلة التي لا تخلو

من مفاعيل مشؤومة في الارادة التي تتعوّد الالتذاذ بتلك الاوهام والاحلام ، مع التغاضي عن حقيقة الاحوال والواجبات . هذا اذا ضربنا صفحاً عن المناظر القبيحة ، التي لا حاجة الى القول ان الابتعاد عنها هو واجب مهم ، لان عملها في ارادة من يتعوّدها هو كعمل السم في جسم من يتناوله . ويقال هذا ، خاصة ، عن التمثيل الخلاعي ، وعرض الصور المتحركة البذيئة فوق المراسح ، حيث يتأثر كل حاضر ، ليس مما يقدّم لانظاره فقط ، بل مما يسمعه من الكلام والاغاني ، واصوات آلات الطرب ، وكلما كانت لذة الحواس اشدّ ، كان هيجان الشهوات اقوى ، وتسلطها على الارادة اكمل . فلا غرو اذاً ان تحسب تلك المحالّ التي تتردّد اليها الجماهير لحضور هذا التمثيل من اقدر العوامل على انتشار الفساد في الاخلاق العمومية ، واكثار الجرائم بين ابناء جيلنا التعساء .

فبينما تحترس من تلك المهالك ، لا تهمل مساعدة نفسك ، ومعالجة ارادتك ، بمناظر اخرى نافعة ، لاحياء الشواعر النبيلة ، وانماء الافكار الخلاصية في الذهن ، فانك تستفيد اولاً من المشاهد الجميلة التي تعرضها الطبيعة لانظارك ، في اماكن مختلفة . كالجبال العالية ، والارض المغطاة بالطنافس السندسية ، او حركة امواج البحار ، وما اشبه ذلك ، فان التأمل في مثل هذه الغرائب يرفع النفس فوق دنايا الارض ، ويزيدها استعظاماً لحكمة الخالق ونشاطاً في عبادته . ولقد يفيدك جدّ الافادة ، حضور تمثيل روايات صالحة اخلاقية ، فانها نافعة لتهذيب الارادة ، وكذلك سماع الاغاني والتراتيل الروحية الجميلة ، فكل ذلك مما ينشّط الاحساس ، ويزيد الارادة بغضاً لجميع المنكرات .

لكن افضل ما نستطيع استعماله في هذا الباب هو الاشتراك في الاحتفالات الدينية الشائقة لان لها قوة عجيبة في تشديد القوى العقلية وترغيب النفس في ممارسة جميع الفضائل . كما يحدث خصوصاً حيث يقترن بهاء ازديان الهيكل بجلالة الطقوس والرتب المقدسة ، فلا شكّ ان تلك الكنائس التي تجري فيها هذه الاحتفالات الجزيلة التأثير لهي اشبه بمدارس يتهذب فيها الشعب على الاجمال ، حتى ان الجهال ذاتهم يتعلمون الديانة ، ويتحركون الى السعي في محبة الله ، وتبجيل كل ما يختص بعبادته تعالى .

الرسالة الحاتمية

فيما وافق المتنبي في شعره كلام ارسطو في الحكم

نشرها عن مخطوطتي المكتبة الشرقية (بيروت)
فؤاد افرام البستاني
استاذ الآداب العربية في كلية القديس يوسف

٨٣ قال أرسطو

لا غِنى[1] لمن ملكه الطَّمَع ، واستولت[2] عليه الاماني.

قال المتنبي

أمسيت[3] أَرْوَحَ مُثْرٍ خازناً ويداً ، أنا الغنيُّ ، وأموالي المواعيدُ

٨٤ قال ارسطو

كرور الايام احلام[1] ، وغذاؤها[2] اسقام وآلام[3].

[٦٥ ق] قال المتنبي

هوّن على بصرٍ ما شقَّ منظرُه فانّما يَقظاتُ العين كالحلمِ.

---

٨٣ هي النقرة ٨٢ في مم ، و٦٥ في ت ، و٥٩ في ق ، و٨٣ في ل.
١) في د: غنا ، وفي مم: غنا.
٢) في ت: فاستولت. ولم ترد الحكمة في ل ، بل ورد مكانها حكمة سبق ذكرها في النقرة ٦٥. ٣) كذا في ت و ل و د . وفي م و مم و ق: أصبحت
والبيت هو ١٠ من القصيدة المذكورة (د: ٥٤٩ – الزوائع ١١: ٢٠)

٨٤ هي النقرة ٨٣ في مم ، و٦٠ في ق ، و٨٤ في ل. اما ت فلم تذكرها.
١) في م و مم: اجال. ٢) في م و مم: وغذاؤها.
٣) في م و مم : آلام واسقام.
البيت هو ٣٢ من قصيدة في رثاء ابي شجاع فاتك (سنة ٩٦١) مطلعها :
حتّامَ نحن نساري النجمَ في الظُلمِ ! وما سُراه على خُفٍّ ولا قَدَمِ .
(د: ٥٤٠ – الزوائع ١٢: ٢٩)

٨٥ قال ارسطو

الحيوان كلّه منقلب[1]، وليس من[2] السياسة شكوى بعضه[3] الى بعض.

قال المتنبي

ولا تَشكُ[4] الى خلقٍ فتُشمتَه
شكوى الجريح الى الغِربان[5] والرَّخَم.

٨٦ قال ارسطو

النفس الشريفة ترى الموت بقاء لدَرَكِ[1] النفس[2] اما كن البقاء.
[وهذه[4] حال يعجز الخلق عن دركها.[5]][6]

[٤٦و] قال المتنبي

سبحان خالق نفسي! كيف لذّتها فيما النفوسُ تراهُ غايةَ الألم!.

---

٨٥ هي الفقرة ٨٤ في مم، و٧٧ في ت، و٦١ في ق، و٨٥ في ل.
١) في ل: يتقلّب، وفي ق: متقلب، وفي ت: متل.
٢) في ت: عن ٣) في ت و ق: بعض
٤) كذا في ت و ق و د. وفي ه ومم و ل: لا تشكونّ.
٥) كذا في ت وق ود. وفي ه ومم ول: المقبلن.
والبيت هو ٣٣ من القصيدة نفسها (د: ٥٤٠ – الروائع ١٢: ٣٩)

٨٦ هي الفقرة ٨٥ في مم، و٦٦ في ت، و٦٢ في ق، و٨٦ في ل.
١) في ق: لدركها ٢) النفس: لم تُذكر في ق ول
٣) في ت: زيادة «في» ٤) في ت: فهذه
٥) في ت: دركها ٦) المقطع زيادة في ت و ق ول.
البيت هو ٣٦ من القصيدة نفسها (د: ٥٤١ – الروائع ١٢: ٤٠)

٨٧ قال ارسطو

اذا كان صلاح[1] سقم النفس بالجهل[2]، كان شفاؤها الموت[3].

قال المتنبي

اذا[4] استشفيتَ من داء[5] بداء فأقتل[6] ما أعلّك ما شفاكا.

٨٨ قال ارسطو

من افنى مدّته في جمع المال [خوف العدم[1]][2]، فقد اودى بنفسه الى الفقر[3].

[٤٧ق]

قال ابو الطيب

ومن يُنفق الساعات في جمع ماله مخافةَ فقرٍ، فالذي فعل الفقرُ[4].

---

٨٧ هي الفقرة ٨٦ في مم، و ٦٨ في ت، و ٣٤ في ق، و ٨٩ في ل.

١) صلاح: لم ترد في ت، ولا في ق، ولا في ل.

٢) في ق ول: بالحياة

٣) ورد في ت: كان الموت شفاءها. وفي ق و ل: كان الموت شفاءها.

٤) في ق ول: قد ٥) في م: ذا

٦) في ق ول: وأقتل

البيت هو ١٩ من قصيدة قالها عند وداعه عضد الدولة (سنة ٩٦٥) وهي آخر شعر قاله، مطلعها:

فدًى لك من يقصّر عن مداكا فلا مَلِكٌ اذن الا فداكا

(د: ٦٢١).

٨٨ هي الفقرة ٨٧ في مم، و ٣٧ في ت، و ٣٣ في ق، و ٩٠ في ل.

١) في ل: الفقر ٢) زيادة في ت وق ول

٣) ورد هذا المقطع في ت على الصورة الآتية: «فقد أسلم نفسه الى العدم» وفي ق: «فقد أسلم نفسه للعدم». ٤) في مم: الفقرا

والبيت هو ١٥ من قصيدة في مدح علي بن احمد الانطاكي مرّ ذكرها، ومطلعها:

اطاعن خيلًا من فوارسها الدهرُ وحيدًا وما قولي كذا، ومعي الصبرُ

(د: ١٩٦ – الروائع ١٢: ٢٧)

٨٩ قال ارسطو

أعظمُ ما يوثِّر العاقل[1] إعظامُ ذوي الدناءة.

قال المتنبي

وإني رأيتُ الضُرَّ أحسنَ منظرًا وأهون من مرأى[2] صغيرٍ به كِبْرُ.

٩٠ قال ارسطو

اذا لم تقدر على فعل[1] الفضائل، فلتكن فضائلك ترك الرذائل.

[٤٨و] قال المتنبي

إنّا لفي زمنٍ ترك القبيح به من أكثر الناس إحسانٌ وإجمالُ[2].

---

٨٩ هي الفقرة ٨٨ في مم، و٧٥ في ت، و٣٧ في ق، و٩١ في ل.
١) في ت وق: اعظم ما على النفوس. وفي ل: اعظم ما على النفس.
٢) في ت: يرى، وفي مم: واه، وقد سقطت فيها: ن
والبيت هو ٣٦ من القصيدة المذكورة.
(د: ١٩٩)

٩٠ هي الفقرة ٨٩ في مم، و٦١ في ت، و٥٥ في ق، و٩٢ في ل.
١) فعل: سقطت في ت. ثم وردت الحكمة في ت وق ول بصيغة الغائب فجاء: «من لم يقدر ... فلتكن فضائله ...»
٢) في ل. افضالُ
والبيت هو ٤٥ من قصيدة في مدح ابي شجاع فاتك تقدّم ذكرها، ومطلعها:
لا خيل عندك تهديها ولا مالُ، فليسعد النطقُ ان لم تسعدِ الحالُ.
(د: ٥٣١ – الروائع ١١: ٢٢)

٩١ قال ارسطو

تخليد الذكر في الكتب عمرٌ لا يبيد[1]، [وهو في[2] كل يوم جديد.][2]

قال ابو الطيب

ذكرُ الفتى عمرُه الثاني، وحاجتُه ما فاتَه[4] وفضولُ العيش أشغالُ.

٩٢ قال ارسطو

أعجزُ العَجَزة[1] من قدر [2]أن يزيل العجز عن نفسه فلم يفعل.

[٦٩ق] قال ابو الطيب

ولم أرَ في عيوب[2] الناسِ شيئاً كنقص القادرين على التَّمامِ.

---

٩١ هي الفقرة ٩٠ في مم، و٦٢ في ت، و٥٦ في ق، و٩٣ في ل.
١) في ت: لا يفنى ٢) في: سقطت في ت
٣) زيادة في ت وق ول
٤) كذا في د. وفي م ومم وت وق ول: فاته.
والبيت هو ٤٦ من القصيدة قبلها.
(د: ٥٣١ — الروائع ١١: ٢٢)

٩٢ هي الفقرة ٩١ في مم، و٦٣ في ت، و٥٧ في ق، و٦٦ في ل.
١) في ت: العجز ٢) في ت: زيادة «على»
٣) في مم: عبرن.
والبيت هو ١٦ من قصيدة في وصف حمّى اصابته في مصر (سنة ٩٥٩) مطلعها:
مَلومُكما يَجلُّ عن المَلامِ ووقعُ فعالِهِ فوق الكلامِ
(د: ٥٢٢ — الروائع ١٢: ٤١)

٩٣ قال ارسطو

من أثرى[1] من العدم افتقر من الكرم .

قال المتنبي

ورَبَّ مالٍ[2] فقيراً[3] من مروّته، لم يُثرِ منها[4] كما أثرى من العُدُم .

٩٤ قال ارسطو

عدمُ الغِنى في[1] النفس أشدّ من عدم الغِنى في[2] اليد [والملك][3] .

[٥٠ و] قال المتنبي

والفقر في النفس لا في المال تحسبه ،

ومثل ذاك[4] الغِنى في النفس لا المالِ .

---

٩٣ هي الفقرة ٩٢ في مم ، و٥٦ في ت ، و٤٠ في ق ، و٢٢ في ل .

١) في ل : ارثى . ٢) في ت : مثر .

٣) في ت وق وم ومم : فقير .

٤) منها : كذا في د والضمير عائد الى المروءة ، وفي جميع النسخ : منه .

ربَّ مالٍ : معطوف على مفعول به سابق، فيكون المعنى : ارى صاحب مال ليس له مروءة فيغتني بها كما اغتنى بالمال من بعد فقره .

والبيت هو ١٦ من قصيدة قالها في صباه ، وقد تقدّم ذكرها مطلعها :

نيفُ ألمَّ برأي غيرَ محتشمِ السيف أحسنُ فعلاً منه باللِّمَمِ . (د : ٢١)

٩٤ هي الفقرة ٩٣ في مم ، و٢٦ في ت ، و٣٦ في ق ، و٢٤ في ل .

١) في ت : من ، وورد في ق : عدم غنى النفس .

٢) في ت : من ، وورد في ق : عدم غنى اليد .

٣) زيادة في ت . ٤) في مم : ذلك .

اما البيت فلم نره في ديوان المتنبي ، ولم يذكره من النسخ الا م ومم . اما ت وق ول فقد اوردت بيتاً آخر هو :

غثاثةُ عيشي أن تغثَّ كرامتي وليس بغثٍّ ان تغثَّ المآكلُ .

وهو البيت ١٤ من قصيدة قالها في صباه وقد تقدم ذكرها ، مطلعها :

تِغا تَرَبا وَدْقي ، فهانا المخايلُ ؛ ولا تَخشَيا خُلفاً لما انا قائل (د : ٢)

٩٥ قال ارسطو

ليس من العزم[1] فناء[2] النفس[3] في طلب الشهوات، بل في درك العلم [العلوي][4].

قال ابو الطيب

ومرادُ النفوس أصغرُ من ان تتمادى[5] فيه وان تتفانى[6].

٩٦ قال ارسطو

خوف وقوع المكروه قبل تناهي المدة خَوَرٌ في الطبع.

[٥١ق] قال المتنبي

واذا لم يكن من الموت بدٌّ، فمن العجز أن تكونَ جبانا.

---

٩٥ هي الفقرة ٩٤ في مم و٥٣ في ق. اما ت ول فلم تذكراها.
١) في ق: الحزم. ٢) في ق: قتل.
٣) في ق: النفوس ٤) زيادة في ق.
٥) في م ومم: تتمادى. ٦) في م ومم: تتفانى.
البيت هو ٦ من قصيدة قالها في مصر، وقد تقدّم ذكرها، مطلعها:
صحب الناسُ قبلنا ذا الزمانا وعناهم من شأنه ما عنانا
(د: ٥١١ – الروائع ١٢: ٤٧)

٩٦ هي الفقرة ٩٥ في مم، و٥٤ في ق، و٩٥ في ل. اما ت فلم تذكرها.
وقد ذكرت ل حكمة لا توافق البيت المقصود فورد فيها: «الناس كالنبات يُزرع ويُحصد والارض باقية على حالها.»
البيت هو ٩ من القصيدة المذكورة (د: ٥١٢ – الروائع ١٢: ٤٧).

٩٧ قال ارسطو

[ليس تغيّر مثل][1] تغيّر الاشياء[2] التي[3] ترد[4] غير مطبوعة ، [فانها][5] اشدّ انقلابًا[6] من الريح الهبوب .

قال ابو الطيب

وأسرع مفعول فعلت[7] تغيّرًا تكلّفُ شيء في طباعك ضدّه .

٩٨ قال ارسطو

من كان[1] غذاؤه[2] الاماني مات دون بلوغ[3] مراده[4] .

[٥٣ و] قال المتنبي

يُمَلّلنا هذا الزمانُ بذا[5] الوَعْدِ[6] ويخدعُ عمّا في يديه من النقدِ[6] .

---

٩٧ هي الفقرة ٩٦ في مم ، و٥٨ في ت ، و٤٢ في ق ، و٤٨ في ل .
١) زيادة في ت . ٢) في ت : الافعال .
٣) في م ومم : زيادة « لم » ٤) في ق : هي .
٥) زيادة في ت . ٦) في ت : انتقالا .
٧) في ق : اردت .
البيت هو ٤ من قصيدة في مدح كافور تقدّم ذكرها ، مطلعها :
أودُّ من الايام ما لا تودُّه واشكو اليها بيننا ، وهي جندُه . (د : ٤٨٦)

٩٨ هي الفقرة ٩٧ في مم ، و٦٧ في ت ، و٨٩ في ق ، و٨٧ في ل .
١) لم تُذكر في ق ول . ٢) في م ومم وت : غداوه ؛ وفي ل : عداه ؛ وفي ق : غذته .
٣) لم تُذكر في ل .
٤) في ق : الغاية . ٥) في ت : بذي ، ولم تُذكر في ق بل ورد فيها : بوعده .
٦) في ق : الرفد .
والبيت هو ٣٣ من قصيدة قالها مودّعًا ابن العميد (سنة ٩٦٥) ، مطلعها :
نسيت وما أنسى عتابًا على الصدِّ ولا خَفَرًا زادت به حُمرةُ الخدِّ (د : ٥٨٢)

٩٩ قال ارسطو

اذا لم تتجرّد الافعال من الذمّ[1] ، كان الاحسان إساءة .

قال المتنبي

اذا الجود لم يُرْزَق خلاصاً من الاذى ،
فلا الحمد مكسوباً[2] ، ولا المالُ باقيا .

تمّت الفقرات المذكورة في م ومم وت وق . وقد رأينا في ل فقرة لم تُذكر في ما تقدّم من النسخ فاحببنا اثباتها .

[١٠٠ قال ارسطاطاليس

من صحبة السياسة ان يكون الانسان مع الايام كلما اظهرت منه ما[1] عمل فيها بحسب السياسة .

قال المتنبي

وكلُّ امرىء يولي الجميل مُحبَّبٌ ،
وكلّ مكانٍ يُنبت العزّ طَيِّبُ .]

٩٩ هي الفقرة الاخيرة في م ، وهي ٩٨ في مم والاخيرة فيها ايضاً ، و٥٧ في ت ، و٤١ في ق ، و٦٤ في ل . الا ان هذه لم تذكر سوى البيت مقروناً بحكمة لا توافقه ، وهي : « الايام لا تدع الفرح والترح ، والاسف على الماضي تضييع العقل لا غير . » اما حكمة هذه الفقرة فاوردتها ل في الفقرة ٧٨ منها وهي الموافقة الفقرة ٦٠ من طبعتنا .

١) من الذم : سقطت في ت . ٢) في م ومم : مكسوب .

والبيت هو ٩ من قصيدة في مدح كافور مطلعها :

كفى بك داء أن ترى الموت شافيا وحسبُ المنايا ان يكنَّ أمانيا

(د : ٤٧٢ – الروائع ١١ : ١٢)

١) كذا

والبيت هو ٢٨ من قصيدة في مدح كافور ، مطلعها :

أُغالبُ فيك الشوقَ ، والشوقُ أغلب وأعجبُ من ذا الهجر ، والوصل اعجبُ

(د : ٥٠٥ – الروائع ١١ : ١٩)

تمت الخاتمة

فيما وافق المتنبي في شعره كلام ارسطو في الحكمة[1]

---

١) هذه خاتمة م. وقد وردت الخاتمة في النسخ المختلفة على الطرق الآتية فجاء في مم:
« هذا ما وافق ابو الطيب المتنبي في شعره كلام ارسطو في الحكمة والحمد لله رب العالمين امين.»
وفي ق :
«تمت الرسالة والحمد لله رب العالمين. وصلى الله على نبيه سيدنا محمد وآله الطاهرين. وسلّم تسليماً كثيرا كتبت في شهور سنة اربع واربعين وستمائة (٦٤٤) .»
وفي ل :
« كملت الرسالة الخاتمة بحمد الله وعونه وحسن توفيقه. الحمد لله وحده وصلواته على نبيّه سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم حسبنا الله ونعم الوكيل.»
واما ت فليس فيها خاتمة.

بعد الرسالة اورد الكاتب بعض ابيات من الشعر ومن الجزل نوردها كما ذكرها :

[٥٣ و]

وما من كاتبٍ الّا سيبلى ويُبقي الدهر ما صنعت يداه
فلا تكتب بكفك غير شيء يسرّك في القيامة ان تراه .

كتبتُ ، وقد ايقنتُ ، يوم كتابتي . بأنّ يدي تبلى ويبقى كتابها
وأعلم أن الله يسألها غداً ، فيا ليت شعري ما يكون جوابها ؟

***

قد علقها بيده أذل العبيد ميخائيل ولد [حنا فخر] [1] في ١٥ ذ الحجه ختام سنة ١١٧٤ الف ومائه واربعة وسبعين للهجرة.

***

كتبت ، وقد ايقنت ، لا شكّ ، انني ستبلى عظامي ، والحروف رواتبُ .

[٥٣ ق]

ان الرياسة لا تدوم لواحدٍ ، ان كنت تُنكر ذا ، فأين الاولُ ؟
اصنع من الفعل الجميل مكارماً ، فاذا عُزلت ، فانها لا تُعزلُ .

***

ان بتّ يا صاحِ تحت القتل والتهديد ،
ياتي الفرج ، ويزول الهمّ والتنكيد .
كم من مريض عليه النوح والتمديد
عوفي ، ومات الذي فصّل ثياب العيد !

١) راجع المقدمة ، ص ١٧

تأييد رئاسة الحبر الاعظم العامة

في المجمع الافسسي سنة ٤٣١

بقلم الاب يوسف نادر الانطوني

سبقنا وذكرنا على صفحات « مشرق » السنة الحالية (ص٦١٢ ؛ ٧٢٩) كيف خرجت الكنيسة مكللة بالنجاح في المجمع الافسسي ، رغم الامراء والعساكر المدافعين عن النفاق . والآن يلذّ لنا ان نعتبر مسألة اخرى لا تقل اهمية وصراحة عن انتصار امنا الكنيسة في المجمع المسكوني الثالث الا وهي تأييد رئاسة الحبر الاعظم العامة .

لقد ظهرت رئاسة الحبر الروماني في المجمع الافسسي مؤيدة بمزيد البهاء والعظمة .

سبق المؤمنون في القسطنطينية وبرهنوا عن روح مسيحي حقيقي اصدق من روح اسقفهم ، قبل ان يطّلع البابا على البدعة الجديدة ويقبّحها بسلطانه الاسمى؛ فهبَّ الشعب الحسن العبادة محمولاً بشعور الايمان الحي وجاهر بالمعنى الحقيقي للعقائد الالهية ، وميّزها عما يعاكسها من التعاليم الكفرية المستحدثة . ولهذا السبب نفر من نسطور راعيه بقوة غريزية فائقة الطبيعة ، ولم يخشَ ان يُظهر شدة سروره لبروقلوس المجاهر امام نسطور نفسه بسرّ التجسد ؛ ويستهزئ بشروح نسطور الملبّكة . وقد حدث الشيء عينه في مدينة افسس ، مساء الـ٢٢ من حزيران ، اذ علم الشعب المؤمن بخزي البطريرك الكافر ؛ ولشدة حرارة ايمانه ، ملأ شوارع المدينة فرحاً وهتافاً منادياً : « يا ام الله ! يا أم الله ! »

فهذه الحوادث وما شاكلها حملت علماء اللاهوت النظري على أن يضعوا مبدءاً عاماً بهذا الصدد قوامه ان الشعب المسيحي يقدر بنعمة سماوية خاصة ان يشعر بالمعنى الحقيقي المتعلق بالعقائد الدينية — وان كان لا يخصه تحديدها - ويميزها بعض التمييز عن الاضاليل المناقضة لها ؛ كما ان السلطة الكنسية العليا هي الحارسة الرسمية لجميع التعاليم الايمانية والادبية ، والمفسرة الصادقة المعصومة من الغلط بشأنها .

لكن بجانب صوت الشعب المسيحي المطوّب والدة الله المجيدة ، قد سُمع في افسس صوتٌ آخر شجب البدعة النسطورية شجباً مطلقاً اجتمالياً . وقد رددت المسكونة باجمعها صداه المظيم ، الا وهو صوت البابا مار شلستينوس المعصوم من الغلط ، وقد بادر لسماعه الرعاة ورعاياهم العديدة .

ان مؤرخي المجمع من شرقيين وغربيين قد بيّنوا بالحاح الدور الاول الذي قام به مار شلستينوس في هذه المسألة . فهو سبق وحرم نسطور وبدعته ؛ وكلّف مار كيريلس تنفيذ حكمه الرسولي .

ان العلّامة بوصويت[1] قد احسن اعتبار هذا الموضوع ببلاغته الفتّانة . قال :

« ان في المجمع الافسي ظرفين مهمين للغاية :

«اولها ان البابا حكم بسلطة مطلقة جدًا ؛ لانه كتب الى مار كيريلس بهذه العبارة : « إنكم بسلطان كرسينا ، وقائمين مقامنا ، تنفذون هذا الحكم بقساوة يعتبر بها . » ان شلستينوس يحكم وكيريلس ينفّذ ، وينفّذ بسلطة ، لانه يتصرّف بسلطان الكرسي الروماني . وما كتبه الى نسطور لا يقل قوةً ، اذ يُثبت ايمان مار كيريلس ومن ثمّة يأمر نسطور بأن يطيع التعليم الذي سيلقّنه اياه كيريلس تحت عقاب الحطّ .

« والظرف الآخر هو ان جميع اساقفة الكنيسة اليونانية كانوا مستعدّين للخضوع . فسلطة هكذا عظيمة مباشرة في الكنيسة اليونانية ، وضدّ احد

(1 Bossuet, *Rem. sur l'Hist. des Conciles d'Ephèse et de Chalcédoine. Ch. I.. Rem. 2 et 3.*

بطاركة القسطنطينية ، تصوّر لنا بلا ريب فكرًا كبيرًا بشأن سلطة البابا . انه لقد ظهر رئيس جميع البطاركة : فحطّ بطريرك القسطنطينية ، وشرّف بطريرك الاسكندرية بتنفيذ الحكم . اما البطريرك الانطاكي فلم تخطر على باله قط المخالفة ، وان كان صديق نسطور . ومن الرأي نفسه كان يوفنال البطريرك الاورشليمي. فشلستينوس يصدر اوامره لهم ولسائر اساقفة الكنيسة اليونانية ، وينفّذ حكمه دون مناقضة . . . »

ومن حطّ نسطور من مقامه البطريركي السامي ؟ ليس مار كيريلس من تلقاء نفسه ، لان هذا العمل يفوق سلطته الاعتيادية ؛ كما يكتمل بوصوت ايضاح البرهان السابق زائدًا « للبابا وحده يحقّ هذا السلطان : ليس من سلطان كيريلس ولا بطريرك آخر حُطّ نسطور الذي لم يكن خاضعًا لهما . ان البابا وحده قد فعل ذلك ولم يخالفه احد بهذا الشأن ، لان سلطانه يعم الجميع .

حين تجاسر يوحنا الانطاكي مع مجمعه وحطّ كيريلس وممنون ، اسقف افسس ، ذُمّ ليس فقط لانه اصدر حكمًا ضد اسقف من اساقفة اكبر الكراسي — هذا ما يخصّ كيريلس البطريرك الاسكندري — بل ايضًا لانه حط اسقفين ليس له عليهما ادنى سلطة — وهذا يخصّ كيريلس وممنون معًا (من اعمال الجلسة الرابعة والخامسة) .

فهذان تعدّيان من شأنهما قلب النظام الكنسي باسره حسب قول المجمع الافسي ؛ لكن حين يحكم البابا خاصة في مادة هرطقة ضدّ أيّ اسقف كان وايّ كرسي منصوب عليه ، كل واحد يخضع ولا يرى له سبيلًا للمعاكسة . فهذا دليل ساطع على ان الجميع يعترفون بان الحبر الروماني هو الرئيس العام على الكنيسة . »

حقًّا ان تاريخ المجمع الافسي يقدّم لنا افصح برهان وابلغ مثل بشأن سلطة الحبر الروماني العامة الشرفية والفعلية معًا ، التعليمية والتأديبية كما خوّلها السيد المسيح لبطرس ولخلفائه الشرعيين . ومصداقًا لما ذكرناه ، فلنسمع الخطاب النفيس الذي لفظه الكاهن الروماني فيلبوس [1] في الجلسة الثالثة . قال : « ان

(1) Denziger, n° 112

هذا الامر لا يرتاب به احد ، بل بالاحرى معروف لدى جميع الاجيال ان القديس بطرس الكلي الطوبى زعيم الرسل وهامتهم ، عمود الايمان واساس الكنيسة الكاثوليكية قد استلم مفاتيح الملكوت من ربنا يسوع المسيح مخلص الجنس البشري وفاديه ، وله أُعطيت سلطة حلّ وربط الخطايا . وهو يحيا ويقضي الى الآن ودائماً في خلفائه . »

ما اجمل هذا التصريح الذي فاه به في الشرق احد الممثلين الحبريين ، وفيه صدى قول جميع الآباء الاطهار بشأن الرئاسة البطرسية العامة !

رغماً من الحوادث المرة او المحزنة التي سبقت التئام المجمع الافسي ، ورافقته ، ولحقته ، قد تلألأ بهاء هذا المجمع ، وسطعت سلطته بكونه عُقد باسم الحبر الاعظم ، وتصدَّر جلساته القانونية القديس كيريلس قائماً مقام البابا ، وقد بيّن الممثلون الرومانيون السامون سلطان الكرسي الرسولي الروماني العام .

هكذا دبَّر الروح القدس باشعة انواره القدسية عروسه الكنيسة الكاثوليكية من المؤمنين السُذَّج الى رئيس الرعاة الاعلى ؛ وجعل السفينة البطرسية تمخر بين عباب البدعة النسطورية بمزيد الثقة والطمأنينة . وفي عصرنا هذا كما في العصور الغابرة ، لم يزل هذا الروح القدس نفسه يدير الكنيسة ، ورأسها الاعلى الاب الاقدس المالك سعيداً . هذا هو سبب تعزيتنا على الارض ، واملنا الاكيد بالحياة الابدية .

جولة في المجلات

الحركة العربية القومية

نشأت في ظلام المؤتمرات السرية، وتطورت في حمى التكتم، خشية ان تصبح هدفاً لنقمة الحكام اذا كُشف عنها الحجاب؛ وليس باليسير امر الالمام بالمواد التي تكوّنت منها، فان الاشخاص انفسهم، الذين مثّلوا فيها ادوارهم، لم يفقهوا منها اكثر مما وعوه ضمن دائرتهم الضيقة من حوادث جرت في ازمنة وامكنة محدودة. فلم يدركوا حقيقتها الا مجزّأة. اما مجموعها فمن العسير الحصول عليه بكماله. وهب ان احد الكتبة المصريين تمكن من اخذ الموضوع من سائر اطرافه بمراجعة المكاتب ومجموعات الجرائد، فهو اقرب الى الحوادث زماناً من ان يستطيع تناولها بالنظرات البعيدة المرمى، المدركة العلل في اقصى مصادرها. على ان السيد هارتمان، بفضل تضامه من المسألة العربية، وابتعاده عن هذه البلاد، تمكن من معالجة الموضوع في جوّ صافٍ فتحدث به الى قراء مجلة «الاسلام» الالمانية (المجلد ١٩، الكراس ٣، ص ١٥٨ – ١٦٥)، ولكلامه وقعه الخالي، اذ صحافة اليوم تلفت الانظار الى مسئلة الخلافة ومؤتمرها. قال ما خلاصته:

ان مصدر الحركة القومية العربية الاساسي قد يكون في نفور العرب من الاتراك، بالرغم من الوحدة الدينية التي كانت توجه الاتراك والعرب الى قبلة واحدة. ولا شك ان الباعث الى ذلك النفور الصعب التحديد اتى العرب من الخارج، فتلقنوه من الصحافة الغربية والمدارس الاجنبية. وان كان محمد عبده زعيم تلك الحركة المصري قد سبق ونادى بحب الوطن العربي، فلم تكن شخصية نجيب عازوري، السوري الافرنسي المشرب، اقل تأثيراً في بثّ الدعاية القومية، وهو الذي اسس حزب الوطن العربي سنة ١٩٠٤. وانضمّ اليه بعض السياسيين ومنهم الكواكبي الاديب؛ وكانت غاية الحزب في البدء انشاء مملكة عربية كبيرة مستقلة. ولم يتسنّ لهم ان ينشروا نداءهم في عامة الشعب. ولما حدثت الثورة التركية والانقلاب العثماني سنة ١٩٠٨، تحزبوا ظاهراً للثوّار على السلطان، وفي الحقيقة كانوا يطمحون الى الاستفادة من الدستور في سبيل القومية العربية. وفي السنة ١٩١١، تأسس في القاهرة محفل ماسوني غايته تحرير العرب؛

ولم يختلف كثيراً عن الحزب المذكور آنفاً ، لكنه احتجب في حمى محمد فريد بك التركي واخذ عنواناً له « حزب اللامركزية » . وبينا كان البعض من اعضائه يطالبون بالانسلاخ عن الاتراك ولو بالدخول في حماية بريطانية ، كان نجيب عازوري لا يخفي ميله الى الالتجاء الى فرنسة . وفي غضون ذلك اخذت اهواء العرب المسلمين تتحوّل الى جانب الانكليز .

اما الشخصية البارزة في حزب اللامركزية فكان ، بلا مراء ، الشيخ محمد رشيد رضا الطرابلسي ، لسان حال تعاليم الشيخ محمد عبده الدينية وصاحب ترجمته ومنشئ مجلة المنار الشائعة الصيت في العالم الاسلامي . دخل في خدمة الانكليز ايام الحرب العظمى ، وتقاضى منهم الاموال على ما كتبه في سبيل الحركة العربية ؛ وكتب ما كتب عن اعتقاد شخصي ايضاً ، يشهد له في ذلك ثباته ، الى يومنا ، على مناصرة ابن السعود ، وعلى المطالبة بالوحدة العربية الكبرى ، بالرغم من مجرى الافكار الحالي في مصر ، الدافع بالمصريين المحدثين الى المطالبة بمصر للمصريين فحسب ، لكونهم سلالة شعب الفراعنة وورثة امجادهم .

ولما ظهر برنامج الاصلاحات العثمانية في اواخر كانون الثاني من السنة ١٩١٣ في بيروت ، وتصدت له سائر مدن سورية والعراق ، قام حزب اللامركزية معارضاً له . لم يدعُ الناس جهاراً الى خلع النير العثماني ، وكان ادرى بنفسية الشعب المتمسك باهداب الطاعة الدينية للخليفة ، لكنه اضمر الانسلاخ عن الاتراك ، ولو بالدخول في طاعة الاجانب ؛ فاخذ ينبه ، في الاقاليم والولايات ، الميل الى الانقسام والى المطالبة بالاستقلال الاداري الاقليمي . وساعدته على ذلك حالة البلاد الجغرافية والغريزة العربية الموحية الى السواد الاعظم من العرب ان يضيّقوا حدود بلادهم ليتمتعوا بها دون غيرهم .

اما في مصر فكان زعماء الحركة يراسلون امراء العرب : طالب النقيب في البصرة ، وشيخ الكويت ، وابن السعود ، والادريسي ، ويناشدونهم الاتحاد تحت لواء القومية العربية . وظل الاتفاق والتآخي مخيّماً على الزعماء ما داموا مجاهدين جهاداً سلبياً ، غرضه الانسلاخ عن الاتراك . ولكن لما التقوا في ميدان البحث على مسألة الخلافة انشقوا وتفرقوا . فمال بعضهم الى شريف مكة ، وخالفهم

عنه غيرهم ولم تجاوز مساعيهم ذلك الحدّ.

هل كان ذلك الجهاد في سبيل الاستقلال القومي العربي ، سوى عنوان اتحاد الجماعة ضد الاتراك ، لا غير ؟ ان الجواب عن السؤال متنوّع المواد ، ولا بد من البحث فيه من سائر وجوهه المتعلقة بالزمان والمكان والاشخاص للوقوف على الحقيقة .

كان بعض زعماء الحركة ، ومثالهم الامثل نجيب عازوري ، متأثرين بالعواطف العربية وراغبين في العمل مع الاتراك وفي استحداث سورية وغيرها من البلاد (سوى مصر) على مناصرتهم في سبيل الاصلاح باشتراكهم في مجلس المبعوثان العثماني ، ولكن لم تساعدهم الظروف . ولم تكن النهضة الادبية قد درجت من مهدها في غير البلاد المصرية لتناصرهم على تلقين العامة تلك العواطف الكريمة . ولم يفكروا بانشاء وطن قومي محلي ، خارج عن طاعة السلطان ، شأنَ المصريين القائلين « مصر للمصريين » لان حكومة البلاد السورية لم تعاملهم معاملة الدولة المستعمرة لمستعمراتها ، بل كانت واياهم في الاتفاق في الدين وفي التقاليد الشرقية . فكان موقفهم غير موقف الثوّار العصاة .

اما المتطرفون ، من زعماء الحركة ، فقد شهروا الحرب العوان على سلطان الاتراك ، متهمينه بخيانته الاسلام الخيانة العظمى : واتى منشور الشريف حسين من مكة ترجماناً لهم ، داعياً العرب الى الخروج عن طاعة الاتراك :

واليك نبذ منه نكتبها بحرفها :

« هذا منشورنا العام الى اخواننا المسلمين

ان امراء مكة هم اول من اعترف بالدولة العلية لتمسك سلاطينها بالعمل بالكتاب والسنّة . وما ان الاتراك مزقوا سكان ممالكها ، مسلمهم وذميهم ، فريق منهم بالصلب ، وانواع الاعدام ، وفريق باجلائه عن وطنه ، علاوة على ما اصيبوا به في اموالهم وانفسهم من آفات الحروب ، التي كان للارض المقدسة منها النصيب الاعظم ، كما يُعلم من اضطرار الكثيرين الى بيع ابواب دورهم ودواليبها واخشاب سقفها على سد الرمق .

هذا وقد وصفت احدى الصحف التركية سيرة محمد « بِشرّ السير » وشفعت هذه الجرأة بالغاء قول القرآن «للذكر مثل حظ الانثيين» ؛ وهدمت احد اركان الاسلام الخمس وهو صوم رمضان اذ امرت جند المدينة ومكة والشام بالافطار ، وضربت على يدي شوكة

السلطان المعظم وسلبه حق الاقتدار على انتخاب رئيس كتاب سلطنته فضلاً عن النظر في امور المسلمين وما في هذا من اسقاطهم لشروط الخلافة التي يطالب بها المسلمون . فاصبحت الدولة في يد انور باشا وجمال باشا وطلعت بك يحكمون فيها بما يشاؤون ، فصلبوا في آن واحد كثيرين من عظماء افاضل المسلمين كعمر الجزائري وعارف الشهابي وشفيق المؤيد الخ. ورموا قبلة المسلمين وكعبة الموحدين بقنبلتين من قنابل مدافعهم التي بحصن جياد ، وقمت احداها فوق الحجر الاسود بنحو ذراع ونصف والثانية بنحو ثلاثة اذرع التهبت بنارها استار البيت . . . كل ذلك وغيره ، ما دعا بالبلاد الى المناداة باستقلالها التام».

(في ٢٥ شعبان ١٣٣٤هـ ١٩١٥م)

فمن الحجج الواردة ، برهان واضح على ان عامة قراء المسلمين ما كانت تدري معنى كلمة الوطن في اصطلاحها الحديث المأخوذ عن الغرب ، فخاطبها الشريف حسين باللهجة التي كانت تستطيع الاستئناس بها.

هذا ولكن كيف تضافر المسيحيون مع المسلمين في المطالبة بالوحدة، وعامة المسلمين لا تفقه لفظة الوطن الا بمعنى الوحدة القومية الاسلامية ؟

لا نرى تعليلاً لهذا الحادث الخطير ، غير ان الحركة الفكرية في الزعماء كانت مؤثرة بروح جديدة مصدرها المسيحيون السوريون في اميركة وغير واحد من المسلمين ، انما هي العلمانية في الافكار (*Saekularisierung des Denkens*)

وسارت الحوادث ، ايام الحرب الكبرى وما بعدها ، بالحركة القومية العربية سيراً حثيثاً فسببت فيها تغييرات شتى وناصرت التقاليد والعوامل الدينية على الميل القومي المحض. فانشأت دولة لبنان الكبير مساعدة للمسيحيين ، ووطدت اركان دولة ابن السعود مناصرة للمسلمين ، بينما شخصية فيصل، ومحركها لورنس الانكليزي ، كانت تبرز على المسرح فتغير مشهد الحوادث.

وعند الشدائد تذهب الاحقاد -

كانت المصائب والضيقات والمشقات التي تكبدها المسلمون والمسيحيون في الشام ايام الحرب الكبرى مدعاةً الى التقارب بينهم ، فتقاربوا ؛ ونمت فيهم روح القومية بعد الحرب ، واثارت ، بحكم رد الفعل ، الميل عن الاجانب ، فالتحموا شأن المسلمين والمسيحيين في فلسطين ، والاقباط والعرب في مصر . وتلونت مساعيهم بشتى الالوان ، في مختلف البلدان ، مع تطور الظروف . فكانت

تصطبغ تارةً بالصبغة الغالبة عليها النزعة الدينية ، وطوراً بالصبغة الغالبة عليها النزعة القومية ، وليس لها برنامج ولا تصميم سوى الخروج عن طاعة الاجانب[1] .

وربما عادت الانواء وعصفت واثارت عواطف التجزؤ والانقسام الاصيلة في النفوس ففرقت بين الجماعة ودفعتهم الى العزلة والانفراد وغيبت عن ابصارهم شبح الوحدة القومية ؛ على ان من نظر الى الحركة بمجملها لا يسعه الا الاقرار بانها ليست عرضية ولا محلية محضة ، فلا سورية ولا عراقية ولكن عربية . والا فلا سبيل الى تفسير النهضة الادبية القوية التي نشهدها الآن، وهي مهد ثابت لمجاري السياسة . نعم ان العوامل الدينية لا تزال حية فيها ، ولكن لا يندر ان يوجد بين الكتبة من يعتنق مبدأ القومية العربية بمعزل عن كل معتقد . مثل امين الريحاني وغيره من كتبة اميركة العربية الذين على طول اقامتهم في الغرب ، شعروا ، طبعاً ، بالحاجة الى التعاون بالرابطة القومية ؛ والرابطة القومية في الغرب ، في عصرنا ، تضرب صفحاً عن المعتقد الشخصي ، فاعلنوا تآخيهم مع العرب في الوحدة العربية . وممن حذا حذوهم في الشرق ادمون رباط صاحب كتاب «تطوّر سورية السياسي تحت الانتداب.» على انه بنى مؤلفه على اساس تعليلات تاريخية ضيقة غير ثابتة .

ف . ت

الجزية والخراج

مقالة قيّمة للاستاذ بندلي جوزي المدرّس بجامعة باكو (روسيا) نشرها في « الكلية » (تشرين الثاني ١٩٣١ ، ص ١–١٩) فاتى فيها على براهين تؤيد ما كان ذكره في مقالة سابقة (المقتطف ، ايار ١٩٣١) من الفرق بين « الجزية » و « الخراج » ،

وان كلمة « جزية » كانت تشمل في ايام النبي والخلفاء الراشدين ضريبة الرؤوس وضريبة الاراضي وان كلمة «خراج» لم تكن وقتئذٍ معروفة عند العرب او على الاقل مستعملة عندهم وانهم لما اخذوها عن جيرانهم في العراق استعملوها

---

١) هل الاتحاد في القومية الاسلامية ، ضد الاجانب، سوى مجاراة الذمّيين ، العزل ، القليلي العدد جيرانهم المسلمين على رغائبهم ، دفعاً لما يخشون وقوعه من النقمات فيهم اذا خالفوهم ، وهم الصاغرون»، وليس من يدافع عن ارواحهم واموالهم في الارياف وغيرها من المحلات حيث الاكثرية الساحقة هي للمسلمين ؟ تلك نظرية فات امرها الكاتب الالماني !

مدة طويلة بمعنى الجزية اي للدلالة على ضريبة الرؤوس والاراضي معاً كما يستدل على ذلك من قولهم «خراج الرؤوس» و «خراج على رقاب الناس»، ثم صاروا يستعملونها للدلالة على ضريبة او ايجار الاراضي فقط، كما كان يستعملها سكان العراق وفارس قبل الاحتلال العربي ... وهي التي سماها العرب قبل ان تشيع بينهم كلمة خراج «ضريبة الطعام» او «الطعام» او «ارزاق الجند» وقد وردت هذه الاصطلاحات العربية القديمة مع ما يقابلها في اللغة اليونانية — لغة مصر وسورية الرسمية قبل الاحتلال العربي — في الوثائق القديمة التي عثروا ولا يزالون يعثرون عليها في مدن القطر المصري وهي مكتوبة على البردي بالعربية وحدها او بالعربية واليونانية ويرجع تاريخ بعضها الى سنة ٢٢ هـ. فهي اذن اقدم ما بلغنا من المخطوطات العربية في الاسلام واهم ما لدينا من الحجج التاريخية لتحقق امر الضرائب وجباية الاموال في القرن الاول للاسلام.

ثم ذكر عدداً من الوثائق واستنتج منها:

١ً ان العرب من يوم احتلوا مصر وضعوا على سكانها ضريبتين ضريبة الرؤوس (الجزية) وضريبة الاراضي وان الاولى كانت تؤدى في اغلب الاحيان نقداً وعداً والثانية عيناً من نتاج الارض، وان هذه الضريبة الاخيرة كانت تحمل الى امراء معلومة كهري فسطاط وهري اسكندرية ومصر الوسطى الخ.

٢ً ان ضريبة الطعام كانت تصرف على الجيش المرابط في مصر وما بقي منها كان يحمل الى مدن الحجاز او يباع في محله ثم يرسل ثمنه مع الجزية، او الاصح مع قسم من الجزية الى بيت المال.

٣ً ان جباة المال كانوا — حتى اواخر العصر الاول للهجرة اي حتى بعد الاصلاح الذي ادخله عبد الملك وابنه الوليد على الدواوين وسجلات الخراج وبعد جعل اللغة العربية اللغة الرسمية الوحيدة — من اهالي البلاد اي من الاقباط والفرس والنبط وما ذلك الا لانهم كانوا اعرف باحوال بلادهم واقدر على جمع المال من اخوتهم.

٤ً انه مع انتشار اللغة العربية انتشاراً سريعاً في القطر المصري ظلت اللغة اليونانية واللغة القبطية مستعملتين في دوائر الحكومة الجديدة الى ما بعد مدة

طويلة يعسر تعيينها بالتدقيق . ولذلك اسباب عديدة اهمها ان سجلات الاراضي (الطابو) وبعض الدواوين لم تكن بعد نقلت الى اللغة العربية وان اكثر جباة الاموال من اهل الارض لم يكونوا يحسنون القراءة والكتابة بلغة الدولة الفاتحة .

٥ انه لم ينقض على الفتح العربي مدة طويلة حتى اخذ الفلاح يشكو سوء حظه ويتألم من ثقل الضرائب وطرق جبايتها . وقد عمت هذه الشكوى جميع الاقطار واخذت تظهر حالاً بعد الفتح اي في ايام عمر بن الخطاب نفسه مع شدة سهره على المصلحة العامة ورغبته كما يقول المؤرخون « في ان يرفق باهل الذمة ويحسن اليهم ويوفي لهم بذمتهم وان لا يحملوا فوق طاقتهم ولا يظلموا ولا يعسروا ولا يخسروا ولا يكلفوا مؤنة ولا نائبة »[1]

اما اسباب هذا التذمر والتشكي الذي بلغ في بعض الاماكن ان انتقض الفلاحون على الدولة وعمالها فقاموا بالثورات ، فيردها الاستاذ ، لا الى المبادئ التي نظر اليها الفاتحون في سن الضرائب واكثرها كان صحيحاً عادلاً ، بل الى تطبيق هذه المبادئ سواء أكان ذلك في نظام الضرائب نفسه ، او في طرق جبايتها .

اما في ما خص نظام الضرائب « فان الدولة العربية لم تساوِ بين رعاياها في تأدية الضرائب وطريقة تأديتها . فهي اذن لم تساوِ بينهم في الواجبات والحقوق بل جعلت منهم طبقتين او فئتين : فئة ممتازة تتمتع بالسلطة وسائر الحقوق وتعيش على حساب غيرها ، وفئة تؤدي الجزية وهي صاغرة والخراج عن اراضيها وهو ضعف العشر الذي كانت تؤديه الفئة الصغرى الممتازة ، وليس لها مبدئياً حقوق ولا تأثير على مجرى الامور في الدولة كانها غريبة عنها كما كانت غريبة في عهد البزنطيين والزومان . ولما كانت هذه الفئة اكثر عدداً وارقى حضارة من الفئة الغالبة فانها كانت ولا ريب تتألم من رؤية المظالم ومعاملة الحكومة لها معاملة زوجة الاب لاولاده وكان يزيد في شدة ألمها وقوة سخطها انها لم تكن تتوقع من الامة الفاتحة مثل هذه المعاملة لانها كانت لها خير عون على فتح البلاد[2] ، وكانت تعلق على مجيئها آمالاً حلوة فخابت آمالها ولم تحقق

١) كتاب الخراج ، ص ٤٢ ٢) فتوح البلاد للبلاذري ، ص ٢٥٢

احلامها فاضطرت تخفيفاً لمصائبها ان تدخل في دين الفاتح افواجاً ظناً منهـا ان دخولها في الاسلام يساوي بينها وبين الامة الفاتحة في الحقوق والواجبات فصدق ظنها او كاد في ايام الخلفاء الراشدين لكنه خاب في عهد بني امية الا ما ندر . . .

ثم « ان الحكومة كانت تعمد الى زيادة الضرائب على اهل الذمة كلما احتاجت الى المال ورأت ان دخلها من الجزية والخراج اخذ يقلّ باسلام اهل الذمة ، فقد زيدت في عهد عبد الملك وابنه هشام ومروان الثاني ، ثم في ايام المهدي وعامله موسى بن مصعب الذي ذكر عنه انه « تشدد في استخراج الخراج وزاد على كل فدان ضعف ما تقبل به . » وحبذا لو اكتفوا بذلك بل زادوا على ذلك انهم كانوا يرتشون في الاحكام ويبتدعون ضرائب جديدة لم تكن معروفة في اوائل الاسلام ثم اخذوا يجبرون الناس على حمل الهدايا اليهم ويسخرونهم ويضعون عليهم تكاليف ونفقات كثيرة ، زد على ذلك انهم كانوا يضمّنون جباية الخراج والجزية الى طبقة مطومة من اهل البلاد كما كانت الحال في حكم البزنطيين والرومان . ولا اراني مبالغاً اذا قلت ان ضرر هذه الطبقة على المزارعين والعملة كان اشد من ضرر العمال وسائر اصحاب الوظائف كما يؤخذ من البرديات التي ذكرناها سابقاً وقد اشارت الى بعض اعمالهم المغايرة للقانون والعدل كالمضاربة باسعار الغلة والتطفيف في الكيل وارهاق الفلاح بالسخرة والضرب وزيادة حجم الكيل وعدده الى غير ذلك من ضروب الظلم والاختلاس . فلا عجب والحالة هذه اذا رأينا حال الفلاح تسوء كل يوم فتسوء معها حال الدولة لان الفلاح كان ولا يزال في الشرق عماد الدولة ومصدر قوتها وثروتها بل مصدر حياتها ولا عجب اذا رأيناه يثور احياناً على الدولة وعمالها ويحاول ان يخفف عن نفسه بنفسه ، ولو اردت ان اجمع اخبار انتقاض المزارعين على عمال الدولة وجباة خراجها في جميع انحاء الخلافة العربية لضاق بي المكان . . .

وهناك سبب آخر كان لا بد ان يؤدي الى هذه النتيجة نفسها وهو ان الخراج كان يستوفى في شتى البلاد على طرق مختلفة منها خراج المساحة ، وخراج المقاسمة ، وخراج المقاطعة . والاول اعمها واكثرها انتشاراً في اول عهد الاسلام وهو اقدم انواع الخراج في الشرق وقد وجدته العرب في مصر وسورية

وفلسطين فاقرته على حاله وهو اقرب جميع الطرق الى العدل لولا الزيادات التي كانت تضاف اليه حيناً بعد حين ولولا سوء استعمال العمال وجباة المال وضمّانه او متقبليه كما كانوا يسمونهم في العصر الاول . اما بقية الانواع التي ذكرناها والتي لم نذكر فانها كانت اقرب الى السلب منها الى الخراج ولهذا كان يفضّلها اصحاب الاراضي على غيرها كما يؤخذ من كلام ذكره صاحب « تاريخ الوزراء » وهو ان ابا الحسن بن الفرات املى على كاتبه كتاباً الى وكيل في ضيعته يقول فيه: « استكثر من غلة المقاسمة فانها لنا دون الاكار ، وتوسط في الشتوي فانه لنا وللاكار ، وقلل الصيفي فانه للاكار دوننا. »[1]

وقد وصف ابو يوسف طريقة جبي الخراج كما رآها بعينه فاذا هي كما قدّرناها وتصوّرناها قال رحمه الله : « قد بلغني انه قد يكون في حاشية العامل والوالي جماعة منهم من لهم به حرمة ومنهم من له اليه وسيلة ليسوا بابرار ولا صالحين يستعين بهم ويوجههم في اعماله يقتضي بذلك الذمامات فليس يحفظون ما يوكلون بحفظه ولا ينصفون من يعاملونه انما مذهبهم اخذ شيء من الخراج كان او من اموال الرعية ثم انهم يأخذون ذلك فيما بلغني بالعسف والظلم والتعدي »[2]

فيؤخذ مما ذكرنا لابي يوسف ان طبقة الحلمات او الطفيليات التي كانت تعيش على جسم الفلاح وتأكل منه كانت كبيرة جداً ... وان الذي اولد هذه الحشرات السامة وساعد على انمائها هو ذلك النظام الفاسد الذي اتبعته الدولة العربية من يوم ظهرت الى ان اضمحلت وقد رأينا من الوثائق القديمة التي ذكرناها سابقاً ان هذا الداء العضال اخذ ينتشر بسرعة غريبة حالاً بعد الفتح بالرغم عن محاولة عقلاء وامناء الدولة محاربته والقضاء عليه وما ذلك الا لان العمّال وكبار المتوظفين كانوا مصابين به ولانه كان اغزر موارد ثروتهم التي اصبحت تعدّ بمئات الالوف والملايين.

ثم بعد ان عدّد الشواهد على كل ما تقدم، ختم قائلاً:

فهل يُستغرب بعد الذي ذكرناه من ضروب الظلم والعسف بحياة الفلاح والعامل سقوط الدولة العربية بعد مئتي عام مضت على ظهورها ؟ .

---

١) كتاب تاريخ الوزراء ، ص ٢١٦ ٢) كتاب الخراج ، ص ٦١

شذرات

نصب تذكاري للمطران جرمانوس فرحات

ليس من الادباء من يجهل اسم صاحب الافضال العميمة على النهضة العربية الحاضرة ، المطران جرمانوس فرحات ، الذي ترك من الآثار ما رفعه عن جدارة واستحقاق الى مقدّمة السائرين في طليعة نهضتنا العلمية والدينية ايضاً . فانه كما كان لغوياً ماهراً ، ونحوياً دقيقاً ، وشاعراً مخلصاً ، ومهذّباً يقظاً يعمل بكل قواه على افادة بني قومه مسهلاً لهم اساليب الدرس والتحصيل ، كان رجل دين صالحاً وناسكاً متعبداً يعمل كذلك على تنوير النفوس وترويضها في طرق العبادة المؤدية الى اقصى درجات الكمال في الحياة النسكية . وان لبنان ليذكر له دائماً فضله على رهبانه ، ذكره « بحث المطالب » و« ديوان المطران »

فلا غرو ان تتحفز الشهباء ، وهو ابنها البارّ ، للاحتفاء بمرور مائتي سنة على وفاته (تموز ١٧٣٢) ولا عجب ان يكون الداعي الى ذلك رئيس اساقفة حلب الماروني ، وهو وريث المطران فرحات على ذاك الكرسي .

على ان حلب لا تستأثر بهذا الواجب بل بهذا الشرف الذي ينال كل ناطق بالضاد بتكريم من رفع منار الضاد في عصر خيّم فيه الخمول على اكثر مناطقها ، فقد اتانا من لجنة الاحتفال الحلبية بياناً اذاعته على جميع ابناء اللغة العربية في سورية ، ولبنان ، ومصر ، والمهاجر ، وسائر الاقطار ، للاشتراك بالحفلة الباهرة التي ستُقام في الشهباء في شهر تموز المقبل ، فيُزاح في خلالها الستار عن التمثال المنوي اقامته في باحة الكنيسة المارونية .

فلا نشكّ في ان جميع ابناء البلاد يقبلون عن اريحية على الاشتراك بهذا الاحتفال ، وعلى اكتتاب بنفقات النصب . ولا نخال ابناء لغتنا في الوطن والمهجر ، على اختلاف نزعاتهم وتمدّد طوائفهم ، الّا فرحين طربين لهذه النهضة المباركة التي ترمي الى اذاعة مآثر الجدود وتخليد مآتيهم تحريضاً للخلف على انتهاج مسلكهم والاقتداء بمثلهم .

ذكرى العيد الخمسيني لتأسيس اكليريكية القديسة حنة

اكليريكية القديسة حنة هي المدرسة المعروفة بالصلاحية التي أسسها في القدس الشريف ، سنة ١٨٨٢ ، الطيب الذكر والاثر الكردينال لافيجري بالاتفاق مع المثلث الرحمات البطريرك غريغوريوس يوسف ، وغايتها تثقيف الاكليروس الرومي الكاثوليكي . وقد قامت بمهمتها كما يشهد بذلك وجود كثير من متخرجيها في مقدمة اكليروس الطائفة المذكورة . فرأى اولياؤها ان يحتفلوا بمرور خمسين سنة على تأسيسها . فألفوا لجنة مركزية في القاهرة رئيسها حضرة الارشمندريت فيلبس غرّه ولها وكلاء في الخارج، فاصدرت اللجنة نشرة بالعربية والفرنسوية مصدّرة برسالة انبطة البطريرك كيرلس التاسع ، جعلتها نداء الى تلامذة المدرسة الاقدمين والى اصدقاء القديسة حنة ، طالبةً منهم الاشتراك في اليوبيل باكتتاباتهم وتبرّعاتهم . وقد وعدت اللجنة باصدار كتاب موضوعه تاريخ المدرسة منذ نشأتها ، مع تراجم مشاهير المتخرّجين فيها . فنهنئ المدرسة سلفاً بيوبيلها الذهبي ونتمنى لها مزيد الازدهار .

مركبات ميشلن

هي سيارات ابتُكرت حديثاً في فرنسة لتسير فوق قضبان السكك الحديدية تسع ٢٤ راكباً مع امتعتهم .

وقد وفقت معامل ميشلن بعد تجارب عديدة دامت نحو السنتين الى صنع عجلات من المطاط تلائم الخطوط الحديدية وتحول دون خروج المركبة عنها ، وجهزت بها تلك السيارات التي تسير بسرعة ٩٥ كيلومترًا حتى ١١٠ كيلومترات في الساعة .

وقد وجدت المعامل المذكورة طريقة تكفل عدم ميل السيارة او انقلابها اذا اصيبت عجلة المطاط بعطب .

اعظم جسر في العالم

احتفلت ولايتا نيويورك ونيوجرزي في اواخر الشهر الماضي بافتتاح جسر جورج واشنطون فوق نهر الهدسون بين مدينة نيويورك وولاية نيوجرزي ، وهو فيما يقال اعظم جسر حديدي في العالم . وقد بلغت نفقاته ٦٠ مليون دولار تسدد من الآن الى سنة ١٩٥٠ من الضرائب التي تؤخذ على السيارات والناس الذين يمرون عليه بين الولايتين . وقد استغرق بناؤه اربع سنوات وستة شهور. طول قنطرته الكبرى ٣٥٠٠ قدم،وطوله من قواعده الحجرية في الطرفين ٤٧٦٠ قدماً . وعرضه ١٢٠ قدماً . وفيه ثماني طرق للمركبات والسيارات المختلفة . وعلو قوسه فوق الماء ٢٥٠ قدماً.

عدد السيارات في العالم

يفوق المسجل من السيارات في العالم ٣٥ مليون سيارة . وتبلغ الزيادة في هذا الرقم عما كان عليه في عام ١٩٢٩ ٩٪ وقد اصبح الآن لكل ٥١ شخصاً في العالم سيارة واحدة مقابل ٦١ شخصاً لكل سيارة في العام الماضي.

والسيارات آخذة في الازدياد في كل البلدان . فالنسبة في الولايات المتحدة هي سيارة لكل ٤٥ شخصاً بينما تبلغ هذه النسبة في بقية بلدان العالم سيارة لكل ٢١٦ .وقد كانت النسبة الاخيرة في اوائل ١٩٢٩ ، ٢٤٧ شخصاً لكل سيارة .

كاتدرائية كبيرة في مدغسكر

في ١٨ ايلول الاخير كرس صاحب السيادة المطران دانتن النائب الرسولي في انتسيرابية كاتدرائيته الجديدة في حفلات بهيجة استمرت ستة ايام اشترك فيها جمهور عظيم من الاهلين . وقد اراد المرسلون في تلك المقاطعة من جزيرة مدغسكر تكريس كاتدرائيتهم هذه الجديدة على اسم العذراء مريم شكراً لها على ما جبتهم اياه من النجاح والتقدم في اعمالهم الرسولية لانه ، منذ نزلوا تلك البلاد في ت ١ سنة ١٨٩٩ ، بلغ عدد الذين عمدوهم ١١٨,٦٨٠ والذين باركوا زيجاتهم ١٨,٢٠٥ . والرعايا الكاثوليك على ازدياد متواصل ويقدر ان معدل ازديادهم يبلغ الفي نفس كل سنة.

مطبوعات شرقية جديدة

Koenig (Eduard) : Hebräisches und aramäisches Woerterbuch zum Alten Testament. *X-681 pp.-4° à 2 col. ; 1931 ; 4e et 5e édit. Leipzig, Dieterich. 9 M. relié toile.*

معجم عبراني – ارامي للعهد القديم

ان الاستاذ كونغ ، العالم المشهور باللغة العبرية في مدينة بون يعرض علينا الطبعتين الرابعة والخامسة من معجمه العبراني — الارامي للغة العهد القديم ، الذي ظهر للمرة الاولى في كانون الثاني ١٩١٠ . وكان قد طبع منه اذ ذاك ٣٠٠٠ نسخة (طبع منها كل الف على حدة فحُسبت ثلاث طبعات) نفدت كلها . وقد كان يودّ المؤلف لو أُتيح له ان يُعيد تأليف معجمه فيدخل فيه زيادات ضرورية ، فلم يتسنّ له ذلك . على انه اضاف الى النصّ الاول ملحقاً طبعه على حدة وضمّنه الزيادات المهمّة وذلك في الصفحات ٦٢٦—٦٨١ . ولا يمكننا المقام من الاسهاب على هذه الزيادات التي كثيراً ما تكون تعديلات لبعض المعاني او اصلاحات . هذا وان طريقة المؤلف الشخصية المستندة الى عمل غاية في الدقة مكنته من نشر كتاب — وان لم يطمح الى ان يحلّ محلّ معجم غيسنيوس (Gesenius) الاوسع والاكمل والمتابع الطبعات بعناية بوهل (Buhl) — فانه يسدّ جميع حاجات طالب اللغة العبرية ، اذ يقدم له تحليلاً وافياً لجميع التعابير اللغوية الصعبة ، وشرحاً كافياً لاسماء العلم وما ترمز اليه ، وللملاحظات المعلّقة على هامش متن التوراة ، مع معجم لكثير من المفردات الالمانية — العبرانية ، هذا فضلاً عن رخص ثمنه (٩ ماركات) رخصاً لا يمكن مجاراته .

ولا يسعنا الآن الّا ان نسأل : متى يكون لنا معجم عبراني - عربي ، فان عملاً كهذا يقوم بمقابلة هاتين اللغتين النسيبتين يأتينا بما لا يمكن تقديره من الفوائد ان من جهة الدروس اللغوية وان من جهة التعابير الانشائية .

س . ر .

Hans Gottschalk : Die Madarà'ijjûn. Ein Beitrag zur Geschichte Aegyptens unter dem Islam. [*Studien zur Geschichte und Kultur des islamischen Orient. Heft VI*] *Berlin u. Leipzig* 1931, *Walther de Gruyter und C°*.

المذرائيون

المَذَرائيون اسم لاسرة كان افرادها من اعلى عمّال الدولة اشتهروا في اواخر القرن الثالث واوائل الرابع للهجرة بما قاموا به من الدور المهمّ في مصر ثم في بغداد ، وفي سورية ايضاً . اما اسمهم فهو نسبة الى مذَراء احدى مدن العراق ، كان اصلهم . فكان من همّ المؤلف ان جمع كل ما وجد عنهم في الكتب المتقدّمة من المعلومات وقابل بينها مناقشاً منتقداً . وكانت اهم وظائف المَذَرائيين ادارة بيوت المال ، ولا يخفى ما تدرّه هذه الوظائف المالية من الارباح . فلا عجب اذاً ان بلغت ثروات هؤلاء العمّال المبالغ الطائلة حتى ان اربابهم كانوا ، اذا اخرجوهم من الوظيفة، يأخذون منهم ملايين الدنانير ، فلا يفتقرون. وقد مات اكثرهم قتلاً واغتيالاً . وان من يطالع هذا المؤلف الصغير يتمثل بسهولة ما كانت عليه الحياة في القرن الرابع للهجرة . ه.ل.

M. Meyerhof und J. Schacht : Galen über die medizinischen Namen arabisch und deutsch herausgegeben. [*Einzelausgabe aus Abhandl. der Pr. Akad. der Wiss.* 1931 *Phil.-hist. Klass n° 3*]. *Prix* : 16 *M.*

كتاب جالينوس في « الاسماء الطبية » مطبوعاً بالعربية والالمانية

لا يخفى على احد تلك الشهرة الواسعة التي تمتع بها جالينوس في الطب العربي القديم . فترجمت اكثر آثاره من اليونانية الى السريانية ومنها الى العربية. ومن اشهرها كتابه في « الاسماء الطبية » الذي وصل الينا قسم صالح منه بفضل الترجمة العربية. وهذا الكتاب، مطبوعاً بالعربية مع ترجمة المانية وشروح وتعاليق علمية وافية ، هو ما يراه المطالع في هذا التأليف المفيد. والفضل في ذلك يعود الى طبيب مستشرق هو الدكتور مايرهوف المعروف بآثاره وابحاثه في الطب العربي ، والى الاستاذ شخت من جامعة فريبورغ (المانية) والاستاذ شخت ليس بغريب عن قرّاء المشرق وقد تكلّمنا مؤخراً عن مقدرته وفضله على الآثار العربية القديمة . ه. ل.

Louis Bréhier : L'art en France ; des invasions barbares à l'époque romane. *in*-12 *illustré de XVI planches hors-texte et* 211 *p. Prix* : 18 *f*°.

الفنّ في فرنسة من زمن الاكتساحات البربرية الى العصر الروماني

هذا الكتاب جزء من سلسلة ابحاث في الفنّ الفرنسوي اسمها (*à travers l'art français*) تنشرها ادارة (*La Renaissance du Livre*) . ولم يكن اقدر من المؤلف على الخوض في موضوع صعب دقيق كموضوع اصول الفنّ في بلاد غالية ، وتطوّره حتى العصر الروماني ، مدة ستة قرون متوالية ، على طريقة خرجت عن اصول الفنّ اليوناني – اللاتيني . وهو تطوّر تجلّت مظاهره في الشرق والغرب على السواء . فاخذت الطرق الوطنية وآثار الذوق المحلي تدخل في الفنّ العام منذ انحطاط الامبراطورية . على ان الشرق ، الراقي في المدنية اكثر من الغرب اذ ذاك ، كان اوفر تأثيرًا في تعيين وجهة التطور هذا فأثر في الفنّ بطرقه وعبقريته الخاصة . وهي امور اختصّ المؤلف بدرسها فاشتهر بها منذ السنة ١٩٠٣ اذ اوضح ما كان للجوالي الشرقية في الغرب من نفوذ في اوائل القرون الوسطى ، وهو يوضح اليوم تأثير تلك الجوالي في مجالي الفنّ الغالي .

على انه ، في ايام شارلمان ، توقفت هذه الحركة بداعي الظروف التاريخية . فانتقل مجال العمل الى الاديار الارلندية والاسبانية واللومبارديّة التي اخذت تثقف الناس على روح جديد مستمدّ من درس الآثار القديمة ، لما كانوا عليه من الاعتقاد بان نجاح الهيئة الاجتماعية منحصر بالعودة الى درس آثار الفنّ القديم . فكانت تلك الحركة التي يعرفها المؤرخون باسم « النهضة الشرلمانية » .

هذا وقد انتبه المؤلف للحركتين المذكورتين فاشبعهما درساً وتمحيصاً . وابرز كتابه بما يليق به من جمال الظاهر واناقة الرسوم . ج . ل .

Hans Schmidt : Die Erzählung von Paradies und Sündenfall. *Sammlung gemeinverstaendlicher Vortraege n*° 154. *in*-8° *de* 54 *pp. J. C. B. Mohr, Tübingen*, 1931

حكاية الفردوس والخطيئة الاصلية

يجتهد المؤلف في ان يشرح على طريقة يراها جديدة مبتكرة الفصلين الاولين من سفر التكوين . فيزعم انه يجب التمييز بين حكايتين مختلفتين في اصلهما

وهما : خبر خلق المرأة (التكوين ٢ : ٤–٧ و٢ : ١٨–٢٤) وخبر الفردوس والخطيئة الاصلية (في ما بقي من فصلي التكوين الاولين) . وهذان الخبران ، في نظر الكاتب ، اسطورتان كنعانيتا الاصل وُضعتا لتمجيد الحبّ والزواج . اما فكرة الخير والشرّ الادبي فكانت غير موجودة او على الاقل ثنوية في نظر فلّاحي فلسطين القدماء الذين تخيّلوا هاتين الاسطورتين ، في رأي المؤلف .

لا شكّ ان اجتهاد السيد شميد يدلّ على براعة لا تُنكر واطلاع لا بأس به . ولكن هل من حاجة الى القول ان عمله هذا أبعد من ان يُقنع المطالع ؟؟؟

ب . م .

Abbé Gustave Bardy : Origène. *vol. in-16 de 312 pp. de la collection des «Moralistes Chrétiens». Prix : 20 f. Librairie Lecoffre, J. Gabalda et Fils, Editeurs, Paris*, 1931.

اوريجينوس

تظهر شخصية اوريجينوس ذات ميزة خاصة في تاريخ عصور الكنيسة الاولى . وتستند هذه الميزة الى جرأة آرائه الفلسفية وحماسة غيرته على ايمانه الشديد ، مما يدفع المؤرخ الى الاهتمام بهذه الشخصية والعمل على تقديرها قدرها . فقد عاش حياة عراك وكفاح وان كانت اكثر مجالي هذا الكفاح ظهرت في ميدان الافكار . وقد ظلّ طويلاً ، بعد موته ، مثالاً للمعاكسات والمضادّات حتى حرمت الكنيسة عدداً من عقائده وافكاره . ولا يزال حتى اليوم يستوقف نظر المفكرين وبعض المؤمنين . اما نهجه الاخلاقي ونظريته في الآداب فتستمد من مجمل آرائه ومجالي اهتمامه الدائم . فانه بدأ بارشاد الناس الى الفضيلة ، وممارسة الواجبات الدينية العادية ، والكفاح ضد التجربات ، والهرب من مزالق الخطيئة . ولكنه لم يلبث ان رأى الارتفاع الى ما فوق ذلك ، فشاء ان يرقى بتلامذته الى اسمى قمم الكمال . فكتب في المناجاة وفي الاستشهاد صفحات غاية في السموّ والروعة حتى انه من الصعب ان يقرأها الانسان دون ان يشعر بالتأثر الشديد .

ولهذا رأت سلسلة « علماء الاخلاق من المسيحيين » ان تفرد لاوريجينوس محلّاً بين اعلامها ، فخصّت به هذا الكتاب الذي يتأكد مطالعه ان ذاك الاستاذ يفيد عصرنا ايضاً دروساً صالحة .

A. Dumaine, *ambassadeur de France* : Quelques oubliés de l'autre siècle. *in*-16, *de 373 pp. Librairie du Vélin d'or*, 67 *rue de Seine, Paris.*

بعض المنسيين من ابناء القرن السابق

هؤلاء المنسيون سبعة من ذوي الشخصية الثنوية اذا نظرنا الى مجمل الحوادث التاريخية ، ولكنهم قاموا، كل في مكانه ، بما استحق لهم الذكر وهم: الكونت دي مرسلن ، والكونت دي فوربن ، والقنصل بيير دافيد ، والجنرال البارون دي داماس ، والمرشال دي بورمون ، والمركيز دي كوستين ، وادولف دي بكور . فأحيى المؤلف ذكرهم بفضل ما خصّ به من مقدرة وحسن ذوق يجذب المطالع فتلذّ له قراءة الكتاب . هذا وان الثلاثة الاولين قاموا بمهمتهم في البلاد الشرقية ، وقد ترك الاولان منهم كتابهما في كثير من المكاتب. ج.ل

A Yammine : Dictionnaire judiciaire, politique, commercial.

القاموس القضائي – السياسي – التجاري

للخوري انطون يمين

٢٦٠ صفحة متوسطة – مطبعة جان دارك ، بيروت ، ١٩٣١ – الثمن : ١٥٠ غ. س.

خير ما نعت به هذا القاموس انه اتى في حينه يسدّ ثلمة واهية في عصرنا ، وقد كثرت الترجمات من والى اللغة الفرنسية ، وليس بين معاجمنا القديمة ما يتعرّض بالتدقيق والتفصيل للمفردات القضائية والسياسية والتجارية وما اليها . فيكون قاموس حضرة الخوري انطون يمين ، والحالة هذه ، افضل ملحق لما نعرف من القواميس الفرنسوية — العربية . ومما يزيده ثقة ان حضرة المؤلف طالع من اجله عدداً من المؤلفات الفقهية والسياسية فاقتبس منها ما يصلح من المفردات والتعابير لتعريب شتى الاصطلاحات والعبارات الفرنسوية التي يحتاج الى فهمها واستعمالها كل مشتغل بالحقوق والسياسة والتجارة . فاتى كتابه معجماً شاملاً لا المفردات فحسب ، بل التعابير الاكثر استعمالاً في ما تقدّم ذكره من الفنون . هذا وتتمة للفائدة ذيّله بالقواعد الفقهية المتضمّنة في المائة الاولى من موادّ « المجلة » نشرها باللغتين ايضاً . وقدّم الكتاب «خدمة زهيدة لطلّاب المصالح والاعمال » وهي افضل خدمة تُهدى اليهم في ايامنا هذه. ق. ا. ب.

كتاب الاغاني : الجزء الرابع

لابي الفرج الاصبهاني

مطبعة دار الكتب المصرية ، ١٩٣١ – ٥٤٥ صفحة بقطع كبير

تقدّم في « المشرق » (٢٦ [١٩٢٨] : ٢٩٠ ؛ و ٢٧ [١٩٢٩] : ٣١٧ ؛ و ٢٨ [١٩٣٠] : ٧٧) كلام مطوّل في هذه الطبعة النفيسة وما امتازت به من مزايا علمية كمقابلة النسخ المختلفة ، والاجتهاد في ضبط الاعلام والغريب ، وتحقّق نسبة الابيات الى اصحابها ، والشروح والحواشي الوافية ، وتعليق العناوين الثنوية على الهامش ؛ يبدو كل ذلك في مظهر جميل من حيث الوضوح والترتيب ، وحسن الورق ، وجلاء الحرف ، ورواء الطبع . ولم يكن هذا الجزء ليخرج عمّا تقدّم ذكره من الصفات التي ميزت سابقيه ، فاتى برهاناً جديداً على اهتمام وعناية من يقوم بهذه الخدمة الجليلة للآداب العربية .

وقد جمع الجزء الرابع اخبار ابي العتاهية ، وامية بن ابي الصلت ، وحسّان ابن ثابت ، والاحوص وطُريح ، وحميد بن ثور ، وابن هرمة ، وابن رهيمة ، واسماعيل بن يسار من الشعراء ؛ واخبار فريدة ، وطويس ، والدلال ، وابن مشجب ، وابي سعيد مولى فائد ، وخليج بن ابي العوراء من المغنّين ؛ واخبار غلس ذي جدن ملك حمير ؛ ويونس الكاتب ؛ تخلل ذلك معلومات تاريخية عن غزاة بدر ، وعمّن قتل ابو العباس السفّاح من بني امية . وانتهى بثلاثة عشر فهرساً واسعاً باسماء الشعراء ، ورجال السند ، والمغنّين ، ورواة الالحان ، والاعلام ، والامم والقبائل والارهاط والعشائر ونحوها ، واسماء الاماكن ، واسماء الكتب ؛ والقوافي ، وانصاف الابيات ، وايام العرب ، والامثال ، والموضوعات ؛ وبجدول فيه اصلاح الخطأ .

هذا وقد عثرنا ، اثناء تصفّح الكتاب ، على بعض هفوات ناتج اكثرها عن سبق قلم او تسرّع في التصليح ، فرأينا خدمةً للحقيقة ان نذكر ما لم يُصحّح منها في آخر المجلّد :

صفحة	١٢[١٥]	ورد شيرَوَيه	والصواب شِيرُويه
	١٠٩[٤]	فجَهِدتُ	فجَهَدتُ
	١١٤[١٨]	ومُتَيَّمَ	ومُتَيَّمُ
	١١٧[١٦]	رُزَماً	رِزَماً
	٢١٣[١١]	بابَوَيه	بابُوَيه
	٣١٢[١٠ و ١٦]	التَفِئَة	التَفِيئَة او التَفِيَّة
	٣٣٣[١٢]	القلبَ	القلبُ

وقد ورد في ١١٥[١١] بيت شعر من غناء فريدة وهو :

فلا تَبعَد فكلّ فتًى سيأتي عليه الموت يطرق او يفادي

فشُرحت لفظة « تبعد » في الحاشية بـ« تهلك » وهو صواب . على انه كان يحسن ان يُشار هنا الى التعبير «لا تبعد» وعادة بعض العرب في استعماله للميت تفجعاً عليه وتشبثاً به ، كما ورد في قول مالك بن الريب :

يقولون :« لا تبعد » ، وهم يدفنونني ، واين مكان البعد غير مكانيا ؟

وكذلك ورد في ٣٦١[١٢] : « ونبيذ دوشابي غليظ مسحوري ردي. » . فشُرحت لفظة « مسحوري » في الحاشية بـ« فاسد » . واننا نرى اللفظة مصحّفة في نسخ مصر عن « الجمهوري » الواردة في طبعة حضرة الاب صالحاني (الجزء ١ : ٢٥١[٥]) . و«الجمهوري» : الصبر المطبوخ ، وقيل له الجمهوري لان جمهور الناس يستعملونه اى اكثرهم فيأخذ اخذًا شديدًا . قال ابو عبيد : الجمهوري اسم شراب يُسكر (راجع في ذلك لسان العرب ٥ : ٢٠٠ والمخصص ١١ : ٨١) . وهو اقرب الى المعنى من « المسحوري » الذي يفيد في اللغة : الطعام المُفسد وقد تكون اللفظة تصحيف « سَحوري » نسبةً الى السَحور : ما يُتناول في السحَر . على ان رواية « الجمهوري » افضلها جميعاً .

وما كل هذه سوى هنات بسيطة لا تنقص في شيء من قيمة الطبعة النفيسة ، ولا من شكر ادباء اللغة للقائمين بها .

ف . ا . ب .

تاريخ الحرب العظمى

تأليف كاتب فرنسوي وتعريب ادوار مرقص

المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ١٩٣١–٢٢٢ ص. متوسطة

هو اول كتاب في الموضوع يظهر باللغة العربية ، مختصراً مفيداً ، حسن التبويب ، صادق اللهجة ، مدعوماً بالادلة والشواهد. ألفه ضابط فرنسوي شاهد الحرب عن كثب ولم يشأ ذكر اسمه ، وعرّبه الاديب المعروف ادوار مرقص باسلوب صحيح ، « ضارباً صفحاً عن كثير من التفاصيل التي قد تهمّ ابن فرنسة او ابن اوربة ولكنها قلما تهمّ ابن اللغة العربية» فزاد الكتاب اختصاراً ، ولم ينقصه شيئاً من الوضوح فاتى من افضل ما يطالعه ابناء لغتنا عن تلك المجزرة الهائلة . هذا وقد نشر الكتاب تباعاً في جريدة « البشير » ثم طبع على حدة طبعاً واضحاً بحجم لطيف. ف . ا . ب .

※ دلبتا : نبذة تاريخية ※ المطبعة الكاثوليكية ١٩٣١ ، ٨٠ صفحة متوسطة – هي المقالة التاريخية الواسعة في دلبتا ، وموقعها ومناخها ، واحوالها الاقتصادية ، وسكانها ، وبعض حوادثها التاريخية ، التي نشرها حضرة الخوري بطرس روفائيل على صفحات « المشرق» مدة السنة الحالية ، طبعها على حدة تسهيلاً للفائدة ، ومثالاً للتواريخ الخاصة.

※ كنيسة شامات ※ المطبعة الكاثوليكية ١٩٣١ ، ١٦ صفحة متوسطة – وهذه النبذة ايضاً من منشورات « المشرق » خصّها حضرة الخوري يوسف المشيتي بكنيسة قديمة في شامات من بلاد جبيل ، فدرسها درساً تاريخياً اثرياً زيّنه ببعض الرسوم.

※ اللبناني المجهول : الاخ ساروفيم فكتور (١٨٧٩–١٩٢٢) ※ المطبعة الكاثوليكية ١٩٣١ ، ٢٢ صفحة متوسطة صغيرة – اطلع قرّاؤنا الكرام على شخصية هذا المربي القدير ، والكاتب الضليع ، والشاعر المخلص ، وما قام به من الاعمال التهذيبية وما تركه من الاثار القيّمة وفي مقدمتها « كتاب تاريخ الآداب العربية » . وقد شاء احد اخوته في رهبنة اخوة المدارس المسيحية ان يخلّد ذكراه بهذا الكراس الجميل ، ولا غرو فالاخ الفقيد يُعدّ بين ابناء لبنان الذين شرّفوا وطنهم بالعلم والادب وتهذيب الناشئة.

※ حياة الاخ ايثكر (١٨٣١–١٩١٤) ※ مطبعة المرسلين اللبنانيين ، جونية ، ٢٤ صفحة صغيرة – هو اثر آخر للمؤلف نفسه في حياة مهذّب آخر من اخوة المدارس المسيحية ، كان مجال عمله في فلسطين ، فهذّب ناشئتها ، واختصّ بادارة المبتدئين في الرهبانية المذكورة فاثمرت جهوده الثمار الصالحة ، كما يتأكد ذلك من يطالع هذه النبذة المختصرة الكثيرة الفوائد .

اهم حوادث الشرق في شهر

١٥ تشرين الثاني — ١٥ كانون الاول ١٩٣١

لبنان وسورية — جُدّدت رئاسة مجلس النواب اللبناني للشيخ محمد الجسر ، ونيابة الرئاسة ليوسف بك الزين ، وامانة السر لمسعود بك يونس وهنري بك فرعون.

* انتُخب صاحب النيطة السيد اثيديس بطرس الرابع عشر ارپياريان بطريركاً للارمن الكاثوليك . وقد جرت حفلة تنصيبه في كاتدرائية القديس جرجس المارونية بحضور ارباب السلطات الدينية والمدنية.

* انتهت الامتحانات في مكتب الحقوق الافرنسي ، فنال شهادة المأذونية « ليانس » ٣٣ بينهم آنستان.

* اقيم في بيروت في نادي غرفة التجارة والصناعة معرض للمصنوعات الوطنية.

* حاول نحو مائتي شخص من مدعي الشيوعية القيام بمظاهرة في بيروت فبددهم رجال البوليس واعتقلوا بعضاً منهم.

فلسطين — لا يزال الخلاف مستحكماً بين افراد الطائفة الارثوذكسية بشأن انتخاب البطريرك.

مصر — نفت المصادر الرسمية ما أشيع عن عزم الحكومة المصرية على انتداب من يمثلها في المؤتمر الاسلامي المنوي اقامته في فلسطين.

العراق — نشر مكتب الاستعلامات الصحي الدولي انه وقعت في العراق بين ٨ آب ، بدء ظهور وباء الكوليرا ، و٢٨ تشرين الاول ٢٣١١ اصابة منها ١١٥٠ في لواء البصرة ، و ٤٦٨ في لواء المنتفك ، و ٦٠٦ في لواء العمارة ، و٨٧ في لواء الديوانية. اما الوفيات فقد كانت ١٤٥٠ . وفي تقرير آخر للمجلس الصحي الاعلى للشرق ان الاصابات بلغت حتى منتصف تشرين الثاني ٣٠٠٠ ، والوفيات ٢٠٠٠ .

فهارس المشرق

للسنة التاسعة والعشرين

١٩٣١

فهرس اوّل

لموادّ اعداد السنة التاسعة والعشرين من مجلة المشرق

(الرقم الاسود يدلّ على اعداد المجلة ، والرفيع على الصفحات)

العدد ١ (كانون الثاني) تعليم الرسل الاثني عشر ، بقلم الاب صالحاني اليسوعي (١ : ١-١٠ ؛ ٢ : ٩٢-١٠٠) = مدينة اثامية واهمية اطلالها (مصوّرة) ، بقلم فؤاد افرام البستاني (١٠-١٨) = دولة جديدة في قلب جزيرة العرب ، بقلم الاب لامنس اليسوعي (١٨-٢٥) = الاحوال الشخصية : (تابع) ، بقلم الخوري بطرس غالب (١ : ٢٥-٣٤ ؛ ٢ : ١٢٢-١٢٣ ؛ ٣ : ٢١١-٢٢٢) = حرارة البحار مصدر القوّة : نظرية جورج كلود وتطبيقها العملي (مصورة) ، بقلم انطوان باز (٣٤-٤٢) = حيّ بن يقظان وفلسفة ابن طفيل ، بقلم الاب توتل اليسوعي (: ٤٢-٤٩ ؛ ٢ : ١٠٨-١١٦ ؛ ٣ : ١٨٩-١٩٦) = صفحة من تاريخ الرهبانية الباسيلية الشويرية (تابع) ، بقلم الاب اثناسيوس حاج قب (٤٩-٥٦) = بصاره برّاجه بتشوف البخت ! : حكاية ، بقلم فؤاد افرام البستاني (٥٦-٦١) = جولة في المجلات : المسيحية والمدنية الغربية - الميرون وتقديسه عند الاقباط (ف.ت) . ام المقالات الشرقية في مجلات الاستشراق (٦١-٧٠) = شذرات : آثار من الفيضاء في الاوزاعي . كيف يتزوج بعض المهاجرين . المشمش المجفّف في سورية (٧٠-٧٢) = مطبوعات شرقية جديدة (٧٢-٨٠)

العدد ٢ (شباط) اماني ألسنة : ٦ اصل كلمة هيكل ، بقلم الاب مرمرجي الدومنيكي (٨١-٨٥) = يقظة الفنّ في لبنان : نظرة في معرض التصوير والنقش (مصوّرة) ، بقلم يوسف غصوب (٨٥-٩٢) = دليتا : نبذة تاريخية (مصوّرة) ، بقلم الخوري بطرس روفائيل (٢ : ١٠٠-١٠٨ ؛ ٣ : ١٨٠-١٨٩ ؛ ٤ : ٢٦٥-٢٧٣ ؛ ٥ : ٣٥٦-٣٦٤ ؛ ٦ : ٤٤٦-٤٥٤ ؛ ٧ : ٥٠٥-٥١٤ ؛ ٨ و ٩ : ٦٤٧-٦٥٧ ؛ ١٠ : ٧٦٨-٧٧٥ ؛ ١١ : ٨٢٢-٨٣٣) = خواطر ونصائح : الى اللبنانيين من لبناني وطني ، بقلم الاب لامنس اليسوعي (١١٦-١٢٢) = الرسالة الخاتمية فيما وافق المتنبي في شعره كلام

ارسطو في الحكمة ، نشرها عن مخطوطتي المكتبة الشرقية (بيروت)، فؤاد افرام البستاني (٢ : ١٢٢-١٤٠ ؛ ٣ : ١٩٦-٢٠٥ ؛ ٤ : ٢٧٢-٢٨١ ؛ ٥ : ٢٤٨-٢٥٦ ؛ ٦ : ٤٦١-٤٦٥ ؛ ٨ و ٩ : ٦٢٢-٦٢٢ ؛ ١٠ : ٧٥٩-٧٦٨ ؛ ١١ : ٨٥٤-٨٦٠ ؛ ١٢ : ٩٢٥-٩٢٦) = جولة في المجلات : مؤتمر لامبث . ف . ت .) ذكر التيفوس في الكتاب المقدس . ام المقالات الشرقية في مجلات الاستشراق (١ : ١-١٤٨) = شذرات : نصب الشهداء (مصوّرة) . رسالة الحبر الاعظم في الزواج . الطيران ورجال الدين (١٤٨-١٥٢) = مطبوعات شرقية جديدة : (١٥٢-١٦٠) = ام حوادث الشرق في شهر (١٦٠)

العدد ٣ (اذار) مسألة الشرق : نبذة فلسفية ، بقلم الاب ارمند اودين (١٦١-١٧١) = رحلة الى قنّوبين في جبل لبنان سنة ١٧٢١ : (مصوّرة) ، بقلم القس انطونيوس شبلي اللبناني (٣ : ١٧١-١٧٦ ؛ ٤ : ٢٩٢-٢٩٨) = جيراننا في الشرق الادنى (مصوّرة) ، بقلم الاب لامنس اليسوعي (١٧٦-١٨٠) = العلم الحقيقي يُثبت وجود الله ، بقلم القس عبد المسيح زهر (٣ : ٢٠٥-٢٠١ ؛ ٤ : ٢٥٠-٢٥٨) = جولة في المجلات : الخطبة وما اليها في حمص وجوارها . تأثير الثقافة اليونانية في نثر صدر الاسلام . ام المقالات الشرقية في مجلات الاستشراق (٢٢٢-٢٢٩) = شذرات : الرسالات الكاثوليكية في العالم . الازمة المالية والحكمة البشرية . مجمع يعقوبي (٢٢٩-٢٣٢) = ام حوادث الشرق في شهر (٢٤٠)

العدد ٤ (نيسان) أمالي ألسنية : ٧ اصل كلمة « الداوية » ، بقلم الاب مرمجي الدومنيكي (٢٤١-٢٥٠) = بلاد العرب السعيدة (مصوّرة) ، بقلم الاب لامنس اليسوعي (٢٥٨-٢٦٠) = تواريخ نابوليون بونابرت باللغة العربية ، بقلم عيسى اسكندر المعلوف (٢٨١-٢٩٢) = « كثرة الغلبة » : حكاية ، بقلم فؤاد افرام البستاني (٢٩٨-٣٠٢) = جولة في المجلات : دير القمر على عهد الامير . النور والتدرّن . الكثلكة في انكلترة (ف . ا . ب .) (٣٠٢-٣٠٧) = شذرات : محصولات مناطق الانتداب سنة ١٩٢٩ : الحبوب . القطن . التبغ . الصوف (٣٠٧-٣٠١) = مطبوعات شرقية جديدة (٣١١-٣٢٠) = ام حوادث الشرق في شهر (٣٢٠)

العدد ٥ (ايار) في سماح الله بحدوث الشر الادبي ، بقلم الاب ارمند اودين (٣٢١-٣٣٢) = طريقة في العلم مميزة ، بقلم الاب مرمجي الدومنيكي (٣٣٣-٣٤١) = النوربون في فرنسة ، في القرنين السادس والسابع للمسيح ، بقلم الاب لامنس اليسوعي (٥ : ٣٤١-٣٤٨ ؛ ٦ : ٤٢٢-٤٤١) = البطريرك ارميا الممشيتي (مصوّرة) ، بقلم المتوري يوسف الممشيتي (٥ : ٣٦٤-٣٧٣ ؛ ٦ : ٤٥٤-٤٦١) = الخيط الجاوي ! عن يورگنسين (ف . ا . ب .) (٣٧٣-٣٧٤) = جولة في المجلات : الحضارة المصرية القادمة . الثقافات الاوربية وتنمية الشرق العربي . كساد التجارة الخارجية في اوربة . ام المقالات الشرقية في مجلات الاستشراق (ف . ا . ب .) (٣٧٤-٣٨٠) = شذرات : الصرصور والنملة . السامة النباتية . ازمة الطربوش . محصولات مناطق

الانتداب سنة ١٩٢٩ (تابع) (٢٨٠-٢٨٨) = مطبوعات شرقية جديدة (٢٨٨-٤٠٠) = اهم حوادث الشرق في شهر (٤٠٠)

العدد ٦ (حزيران) عبرة للنظار في نظام الكون ، بقلم الاب عبد المسيح زهر (٤٠١-٤١١) = أمالي السنية : ٨ كلمة « توراة » ، بقلم الاب مرمرجي الدومنيكي (٦. ٤١١-٤١٩ ؛ ٧: ٤٩٨-٥٠٥) = ربله وآخر ايام اورشليم ، بقلم الامير موريس شهاب (٦ : ٤١٩-٤٢٤ ؛ ٧: ٤٨٦-٤٩٣) = رحلة من حلب الى الصالحية (مصوّرة) ، بقلم الاب توتل اليسوعي (٤٢٤-٤٣٣) = السيمنتو اللبناني (مصوّرة) ، بقلم انطوان باز (٦: ٤٤١-٤٤٦ ؛ ٧: ٥٣٦-٥٤٤) = جولة في المجلات: بين النحت والتعريب. اهم المقالات الشرقية في مجلات الاستشراق (ف.ا.ب.) (٤٦٥-٤٦٩) = شذرات : ازمة الحج الى مكة. ازمة السكر. الدول المشمولة بالانتداب الفرنسوي . الطيران والنسور (٤٦٩-٤٧١) = مطبوعات شرقية جديدة (٤٧١-٤٨٠) = اهم حوادث الشرق في شهر (٤٨٠)

العدد ٧ (تموز) اسرة القديس يوحنا الدمشقي (مصوّرة) ، بقلم الاب لامنس اليسوعي (٤٨١-٤٨٦) = في قداسة الكنيسة ، بقلم الاب ارمند اودين (٧: ٤٩٣-٤٩٨ ؛ ٨و٩: ٦٦٦-٦٠٣) = عروس الصحراء دير الزور (مصوّرة) ، بقلم الاب توتل اليسوعي (٥١٤-٥٢٣) = تسمير القوة الكهربائية ، بقلم الاب بلّمبوا اليسوعي (٥٢٣-٥٣٠) = الاخ ساروفيم فكتور (١٨٧٩-١٩٢٣) (مصوّرة) ، بقلم ا.م.ب. (٧: ٥٣٠-٥٣٦ ؛ ٨و٩: ٦٧٣-٦٧٩ ؛ ١٠: ٧٧٥-٧٨٠ ؛ ١١: ٨٦٠-٨٦٥) = جولة في المجلات: عبادة ادونيس ومكتشفات راس شمره. كلمة في المدارس (ف.ت.) (٥٤٤-٥٤٨) = شذرات : مكتشفات جديدة في جبيل. لمياه في الحجاز. مضار المراهنات. المسلمون يؤذّنون بالراديو (٥٤٨-٥٥٠) = مطبوعات شرقية جديدة (٥٥٠-٥٦٠) = اهم احوادث الشرق في شهر (٥٦٠)

العددان ٨ و ٩ (آب وايلول) متى صاحب الانجيل الاول ، بقلم الاب صالحاني اليسوعي (٥٦١-٥٧٧) = الطول في اللغة ، بقلم سالم خليل رزق (٨و٩: ٥٧٧-٥٨٨ ؛ ١٠ : ٧٣٧-٧٤٥) = بيان وانتقاد ، بقلم الاب مرمرجي الدومنيكي (٥٨٨-٥٩٩) = انطاكية والسياحة (مصوّرة) ، بقلم الاب لامنس اليسوعي (٥٩٩-٦٠٦) = احدث الآفات للنفوس والاجسام ، بقلم الحكيم امين الجميل (٦٠٦-٦١٢) = انتصار الكنيسة في المجمع الافسسي ، بقلم الاب يوسف نادر الانطوني (٨و٩: ٦١٢-٦٢٢ ؛ ١٠: ٧٣٩-٧٣٧) = كنيسة شامات : صفحات تاريخية اثرية (مصوّرة) ، بقلم الخوري يوسف المسيتي (٨و٩: ٦٢٢-٦٤١ ؛ ١٠ : ٧٥٣-٧٥٩) = الميل والمخارج في الفقه الاسلامي ، بقلم الاب لامنس اليسوعي (٦٤١-٦٤٧) = دير الزور الحديثة (مصوّرة) ، بقلم الاب توتل اليسوعي (٨و٩: ٦٥٧-٦٦٦ ؛ ١٠: ٧٤٥-٧٥٣) = البستان : نظرة نقدية ، بقلم فؤاد افرام البستاني (٦٧٩-٦٨٣) = في شوائب المعاجم ، بقلم الخوري بطرس البستاني (٦٨٣-٦٨٩) = قبضاي ا مهزلة ذات فصل واحد ،

بقلم يوسف غصوب (٨و٩ : ٦٨٩-٧٠١ ؛ ١٠ : ٧٨٠-٧٩٠) = جولة في المجلات: مدلول « الادب » في كتب الادب القديمة. نظرة في تدريس الادب. الكلترة تكرّم جان دارك (ف.ا.ب.) (٧٠١-٧٠٦) = شذرات : انتاج الذهب. السيارات في منطقة الانتداب. تقدّم الصحافة في سورية ولبنان. الاقبال على الكثلكة في كورية (٧٠٦-٧٠٨) = مطبوعات شرقية جديدة (٧٠٨-٧٢٠) = ام حوادث الشرق في شهر (٧٢٠)

العدد ١٠ (تشرين الاول) الحفريات الاميركية في بيسان ، بقلم الاب مرمجي الدومنيكي (١٠ : ٧٢١-٧٢٩ ؛ ١١ : ٨٠٨-٨١٥) = شذرات : مؤتمر المستشرقين الدولي الثامن عشر. المسافرون والقادمون والمصطافون. الشيك. عدد السكان في ايطالية واليابان والصين. آثار قديمة في شرقي الاردن (٧٩٠-٧٩٢) = مطبوعات شرقية جديدة (٧٩٢-٨٠٠) = ام حوادث الشهر في شهرين (٨٠٠)

العدد ١١ (تشرين الثاني) في اتحاد الكنائس ، بقلم الاب ارمند اودين (٨٠١-٨٠٨) = الحالة الدينية في بلاد العرب قبل الاسلام ، بقلم الاب لامنس اليسوعي (٨١٥-٨٢٢) = وفادة البطريرك يوسف العاقوري الى رومية ، بقلم الاب توتل اليسوعي (٨٢٢-٨٢٧) = التذكار المئوي لتجديد رسالة الآباء اليسوعيين في لبنان وسورية (١٨٣١-١٩٣١) (مصوّرة) ، بقلم الشيخ سليم الدحداح (٨٢٧-٨٤٧) = الشاري الكهربائي (مصوّرة) ، بقلم انطوان باز (٨٤٧-٨٥٤) = جولة في المجلات: الكثلكة في الصين. المصطلحات العلمية في كتاب « الحيوان ». ام المقالات الشرقية في مجلات الاستشراق (ف.ا.ب.) (٨٦٥-٨٧١) = شذرات: تحفة عربية (الاب كوبل اليسوعي). اللبن الراثب (٨٧١-٨٧٢) = مطبوعات شرقية جديدة (٨٧٢-٨٨٠) = ام حوادث الشرق في شهر (٨٨٠)

العدد ١٢ عيد التذكار المئوي لتجديد رسالة الآباء اليسوعيين في لبنان وسورية (مصوّرة) ، خطاب الاب ده بوتيل اليسوعي ، رئيس اقليم ليون (٨٨١-٨٨٨) = نصب الاب كاتن (مصوّرة) ، خطاب الاستاذ الفرد نقاش (٨٨٨-٨٩٢) = كيف صارت دمشق عاصمة ، بقلم الاب لامنس اليسوعي (٨٩٢-٨٩٧) = دير الزور والحالة الاقتصادية في لواء الفرات ، (مصوّرة) ، للسيد جوزف توتل (٨٩٧-٩٠٨) = ملاحظات على المقالة في دير الزور ، بقلم سيادة المطران اثناسيوس نوري (٩٠٩-٩١٠) = في تربية الارادة ، بقلم الاب ارمند اودين (٩١١-٩٢٥) = تأييد رئاسة الحبر الاعظم العامة في المجمع الافسي ، بقلم الاب يوسف نادر الانطوني (٩٢٦-٩٤٠) = جولة في المجلات: الحركة العربية القومية (ف.ث.). الجزية والخراج (٩٤٠-٩٤٩) = شذرات: نصب تذكاري للمطران جرمانوس فرحات. ذكرى العيد الخمسيني لتأسيس الكليريكية القديسة حنة. مركبات ميشلن. اعظم جسر في العالم. عدد السيارات في العالم. كاتدرائية كبيرة في مدغسكر (٩٤٩-٩٥٢) = مطبوعات شرقية جديدة (٩٥٢-٩٦٠) = ام حوادث الشرق في شهر (٩٦٠) = فهارس المشرق (٩٦١).

فهرس ثانٍ

يحتوي اسماء كتبة المشرق ومقالاتهم

ا.م.ب : الاخ ساروفيم ڤكتور (١٨٧٩-١٩٢٢) ٥٣٠-٥٣٦ ؛ ٦٧٢-٦٧٩ ؛ ٧٧٥-٧٨٠ ؛ ٨٦٠-٨٦٥

ابونادر (فارس) : له وصف مطبوعة ٨٧٧

ايلا (الاب شارل اليسوعي) : له وصف مطبوعة ٤٧٨

اودين (الاب ارمند) : مسألة الشر ١٦١-١٧١ – في سماح الله بحدوث الشر الادبي ٢٢١-٢٢٢ – في قداسة الكنيسة ٤٩٣-٤٩٨ ؛ ٦٦٦-٦٧٣ – في اتحاد الكنائس ٨٠١-٨٠٨ – في تربية الارادة ٩١١-٩٢٥

باز (انطوان) : حرارة البحار مصدر القوة ٢٤-٤٣ – السيمنتو اللبناني ٤٤١-٤٤٦ ؛ ٥٣٦-٥٤٤ – الشاري الكهربائي ٨٤٧-٨٥٤

البستاني (الخوري بطرس) : في شوائب المعاجم ٦٨٣-٦٨٩

– البستاني (فؤاد افرام) : مدينة افامية واهمية اطلالها ١٠-١٨ – بصاره براجه ، بتشوف البخت ١ (حكاية) ٥٦-٦١ – الرسالة المسائية فيما وافق المتنبي في شعره كلام ارسطو في الحكمة ، نشرها عن مخطوطتي المكتبة الشرقية ١٣٣-١٤٠ : ١٩٦-٢٠٥ ؛ ٢٧٣-٢٨١ ؛ ٢٤٨-٢٥٦ ؛ ٤٦١-٤٦٥ ؛ ٦٢٣-٦٢٣ ؛ ٧٥٩-٧٦٨ ؛ ٨٥٤-٨٦٠ ؛ ٩٢٥-٩٢٦

كثرة الغلبة (حكاية) ٢٩٨-٣٠٢ – المحيط العلوي ١ (عن يورگنسين) ٣٧٢-٣٧٤ – البستان : نظرة نقدية ٦٧٩-٦٨٣ – وله جولات في المجلات ١٤٤ ؛ ٢٢٥-٢٢٩ ؛ ٣٠٢-٣٠٧ ؛ ٢٧٤-٢٨٠ ؛ ٤٦٥-٤٦٩ ؛ ٧٠١-٧٠٦ ؛ ٨٦٥-٨٧١ ؛ ٩٤٤-٩٤٩ – وله وصف مطبوعات ٧٧ ؛ ٧٩ ؛ ٨٠ ؛ ١٥٨ ؛ ١٥٩ ؛ ٣١٢ ؛ ٣٩٧ ؛ ٢٩٩ ؛ ٥٥٧-٥٥٩ ؛ ٧١٦-٧٣٠ ؛ ٧٩٨ ؛ ٨٠٠ ؛ ٨٧٨ ؛ ٨٧٩ ؛ ٩٥٦-٩٦٠ – وله تعريبات وشذرات متفرقة، وملخص حوادث الشهر في آخر كل عدد.

بلمپوا (الاب يوسف اليسوعي) : تسعير القوة الكهربائية ٥٢٣-٥٣٠

بوتيل (الاب كريستوف ده اليسوعي) : خطابه في التذكار المئوي لتجديد رسالة الآباء اليسوعيين في لبنان وسورية ٨٨١-٨٨٨

پتيكوه (الاب بطرس اليسوعي) : اطلب شبلي (الفس انطونيوس اللبناني)

توتل (جوزف) : دير الزور والحالة الاقتصادية في لواء الفرات ٨٩٧-٩٠٩

توتل (الاب فردينان اليسوعي) : حيّ بن يقظان وفلسفة ابن طفيل ٤٣-٤٩ ؛ ١٠٨-١١٦ ؛ ١٨٩-١٩٦ – رحلة من حلب الى

الصالحية ٤٢٤-٤٢٢ – عروس الصحراء دير الزور ٥١٤-٥٢٢ ؛ ٦٥٧-٦٦٦ ؛ ٧٤٥-٧٥٢ – وفادة البطريرك يوسف الحاقوري الى رومة ٨٢٣-٨٢٧ – وله جولات في المجلات ٦١-٦٨ ؛ ١٤٠-١٤٤ ؛ ٢٢٢-٢٢٥ ؛ ٥٤٤-٥٤٨ ؛ ٩٤٠-٩٤٤ – وله وصف مطبوعات ٧٨ ؛ ٢٢٧-٢٢٩ ؛ ٢١٧-٢١٩ ؛ ٤٧٦-٤٨٠ ؛ ٥٥٦ ؛ ٧٩٦ وله شذرات متفرقة

الجميّل (الحكيم امين) : احدث الآفات للنفوس والاجسام ٦٠٦-٦١٢

الحاقي (ابو علي محمد بن الحسن) : راجع البستاني (فؤاد افرام)

حاج (الاب اثناسيوس ق . ب .) : صفحة من تاريخ الرهبانية الباسيلية الشوبرية (تابع) ٤٩-٥٦

الدحداح (الشيخ سليم) : التذكار المئوي لتجديد رسالة الآباء اليسوعيين في لبنان وسورية (١٨٣١-١٩٣١) ٨٢٧-٨٤٧

رزق (سالم خليل) : الطول في اللغة ٥٧٧-٥٨٨ ؛ ٧٢٧-٧٤٥

روفائيل (الخوري بطرس) : دلبتا : نبذة تاريخية ١٠٠-١٠٨ ؛ ١٨٠-١٨٩ ؛ ٢٦٥-٢٧٣ ؛ ٢٥٦-٢٦٤ ؛ ٤٤٦-٤٥٤ ؛ ٥٠٥-٥١٤ ؛ ٦٤٧-٦٥٧ ؛ ٧٦٨-٧٧٥ ؛ ٨٢٢-٨٢٣

روتزفال (الاب سبستيان اليسوعي) : له وصف مطبوعات ١٥٢ ؛ ٢١١ ؛ ٢٨٨-٢٩١ ؛ ١٩٤ ؛ ٥٥٠-٥٥٥ ؛ ٧٠٨-٧١٢ ؛ ٩٥٢

زهر (انس عبد المسيح) : العلم الحقيقي يثبت وجود الله ٢٠٥-٢١١ ؛ ٢٥٠-٢٥٨ – عبرة للنظار في نظام الكون ٤٠١-٤١١

شبلي (القس انطونيوس اللبناني) : رحلة الاب بتيكوه اليسوعي الى قنّوبين في جبل لبنان سنة ١٧٢١ ١٧١-١٧٦ ؛ ٢٩٢-٢٩٨

شهاب (الامير موريس) : ربله وآخر ايام اورشليم ٤١٩-٤٢٤ ؛ ٤٨٦-٤٩٢

صالحاني (الاب انطون اليسوعي) : تعليم الرسل الاثني عشر ١-١٠ ؛ ٩٣-١٠٠ – متى صاحب الانجيل الاول ٥٦١-٥٧٧

العمشيتي (الخوري يوسف) : البطريرك ارميا العمشيتي ٢٦٤-٢٧٢ ؛ ٤٥٤-٤٦١ – كنيسة شامات : صفحات تاريخية اثرية ٦٢٢-٦٤١ ؛ ٧٥٢-٧٥٩

غالب (الخوري بطرس) : الاحوال الشخصية (تابع) ٢٥-٢٤ ؛ ١٢٢-١٢٢ ؛ ٢١١-٢٢٢

غصوب (يوسف) : يقظة الفنّ في لبنان : نظرة في معرض التصوير والنقش ٨٥-٩٢ – قبضاي ! مهزلة ذات فصل واحد ٦٨٩-٧٠١ ؛ ٧٨٠-٧٩٠

فرحات (القس اسطفان اللبناني) : راجع اوذين

كوبل (الاب اليسوعي) : تحفة عربية ٨٧١

لامنس (الاب هنري اليسوعي) : دولة جديدة في قلب جزيرة العرب ١٨-٢٥ – خواطر ونصائح : الى اللبنانيين من لبناني وطني ١١٦-١٢٢ – جيراننا في الشرق الادنى ١٧٦-١٨ – بلاد العرب السعيدة ٢٥٨-

٢٦٥ – السوريون في فرنسة في القرنين السادس والسابع للمسيح ٢٤١-٢٤٨ ؛ ٤٢٢-٤٤١–اسرة القديس يوحنا الدمشقي ٤٨١-٤٨٦ – انطاكية والسياحة ٥٩٩-٦٠٦–الحيل والمخارج في الفقه الاسلامي ٦٤١-٦٤٧ – الحالة الدينية في بلاد العرب قبل الاسلام ٨١٥-٨٢٢ – كيف صارت دمشق عاصمة ٨٩٣-٨٩٧ – وله وصف مطبوعات ٧٣ ؛ ٧٦ ؛ ١٥٢ ؛ ١٥٥ ؛ ١٥٨ ؛ ٢٢٢ ؛ ٢١٢ ؛ ٢١٥ ؛ ٢٩١ ؛ ٢٩٢ ؛ ٢٩٦ ؛ ٢٩٨ ؛ ٤٧١ ؛ ٤٧٦ ؛ ٨٧٢ ؛ ٨٧٧ ؛ ٨٧٨ ؛ ٩٥٢

لوفنك (الاب جبرائيل اليسوعي) : له جولات في المجلات ٦٨ ؛ ١٤٥ ؛ ٢٢٧-٢٢٩ ؛ ٢٧٩ ؛ ٤٦٧ ؛ ٨٦٩ – وله وصف مطبوعات ٧٣ ؛ ٧٤ ؛ ٧٧ ؛ ١٥٢ ؛ ١٥٣ ؛ ١٥٤ ؛ ١٥٧ ؛ ٢٢٢-٢٢٤ ؛ ٢٢٥ ؛ ٢٣٦ ؛ ٢١٣ ؛ ٢١٥ ؛ ٢١٦ ؛ ٢١٧ ؛ ٢٩٥ ؛ ٤٧٢ ؛ ٤٧٥ ؛ ٥٥٢ ؛ ٧١٣ ؛ ٧١٤ ؛ ٧١٦ ؛ ٧٩٣-٧٩٦ ؛ ٨٧٣ ؛ ٨٧٤ ؛ ٩٥٤ ؛ ٩٥٦

مرجي (الاب ا.س. الدومنيكي) : اماني ألسنية : ٦ اصل كلمة « هيكل » ٨١-٨٥-٧ اصل كلمة « الداوية » ٢٤١-٢٥٠-٨ كلمة « توراة » ٤١١-٤١٩ ؛ ٤٩٨-٥٠٥– طريقة في العلم مبنية ٢٣٣-٢٤١ – بيان واتقاد ٥٨٨-٥٩٩ – الخفريات الاميريكية في بيان ٧٢١-٧٢٩ ؛ ٨٠٨-٨١٥

الملوف (عيسى اسكندر) : تواريخ الامبراطور ناپوليون بونابرت باللغة العربية ولاسيما تاريخ نقولا الترك اللبناني منها ٢٨١-٢٩٢

موترد (الاب بولس اليسوعي) : له وصف مطبوعات ١٥٥ ؛ ٢٢٤ ؛ ٤٧٣ ؛ ٤٧٤ ؛ ٩٥٤

موترد (الاب رينه اليسوعي) : له وصف مطبوعات ٧٤ ؛ ٢١٤ ؛ ٤٧٣

مونجان (الاب يوسف اليسوعي) : له وصف مطبوعات ٢٩٣ ؛ ٧١٤

نادر (الاب يوسف الانطوني) : انتصار الكنيسة في المجمع الافسي سنة ٤٣١ ٦١٢-٦٢٢ ؛ ٧٢٩-٧٣٧ – تأييد رئاسة الحبر الاعظم العامة في المجمع الافسي ٩٣٦-٩٤٠

نقاش (الفرد) : خطابه في حفلة تدشين نصب الاب كتن ٨٨٨-٨٩٢

نوري (المطران اثناسيوس) : ملاحظات على المقالة في دير الزور ٩٠٩-٩١١

يوركنين (يوحنا) : راجع البستاني (فؤاد افرام)

فهرس ثالث

للمطبوعات التي ورد وصفها في السنة التاسعة والعشرين للمشرق

على ترتيب اسماء مؤلفيها

١ — المطبوعات العربية والسريانية الخ

ا

ا. م. ب : اللبناني المجهول : الاخ ساروفيم ڤكتور (٩٥٩) — حياة الاخ ايڤكر (٩٥٩)

آجيا (الاب بشير اليسوعي) : منتخبات ادبية : الجزء الرابع (٧٩)

ابن تغري بردي (جمال الدين يوسف) : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة (٧٩٦)

ابو ذؤيب : اطلب ولفنسون

ابو زهير الاندلسي : امكان التهذيب (١٥٩)

ابي كرم : حياة المطران نعمة الله ابي كرم الماروني (٧١٩)

الاصبهاني (ابو الفرج) : كتاب الاغاني : الجزء الرابع (٩٥٧)

ب

البستاني (بطرس) : ادباء العرب في الجاهلية وصدر الاسلام (١٥٨)

البستاني (الشيخ عبد الله) : البستان (٦٧٩ — ٦٨٢)

بشير (الارشمندريت انطونيوس) : إقرأ وفكّر (٣٩٨)

بيوس الحادي عشر : في الزواج المسيحي (٤٧٦) — تجديد النظام الاجتماعي (٧١٧)

پرترل (اوتو) : اطلب الداني

پيرس (هنري) : اطلب كثير عزة

ج

جمعية طوبيا البار المارونية في بيروت : برنامجها عن سنة ١٩٣٠

جيانني (السيد فريديانو) : طريق الخلاص (٤٧٨)

جيرا (يوسف) : تاريخ دراسة اللغة العربية باوربة (٣٩٧)

ح

الحايك : دليل الشركة للنقل والتسفير (٧٩٩)

حبيقة (الخور اسقف بطرس) : الاحوال الشخصية في الجمهورية اللبنانية (١٥٩)

حدّاد (جورج مرعي) : فتح العرب للشام (٨٧٨)

الحداري (المدبّر لويس الحلبي) : عرف البنفسج في حياة الناسك لورنسيوس الحيمري الديراني (٨٠)

الحسيني (الامير جعفر) : دليل مختصر لمقتنيات دار الآثار الوطنية بدمشق (٧٨)

حنا (وديع) : مرشد المتحف القبطي ، وكنائس مصر القديمة ، والحصن الروماني (٧١٨)

الحويّك (البطريرك الياس بطرس) : الذخائر السنيّة (٥٥٦)

خ

خباز (حنا) : مختارات المقتطف (٣٩٧)

خليفة (امين) : تاريخ سورية قبل الفتح الاسلامي

(١٥٨)

د

الداني (ابو عمرو بن عثمن بن سعيد) : كتاب التيسير في القراءات السبع (نشره اوتو برتزل) (٣٩٨)

ر

رستم (اسد) : وثيقة الدزدار وقضية البراق (٧٨) – قلعة طرابلس الشام (٢٣٩) – الاصول العربية لتاريخ سورية في عهد محمد علي باشا : المجلد الثاني (٤٧٦)

روفائيل (الخوري بطرس) : دلبتا (٩٥٩)

رويس (توفيق نان) : طرق التجارة في الشركات (٤٧٩)

ز

زيدان (عبد الرحمان ابن) : اتحاف اعلام الناس بجمال اخبار حاضرة مكناس (٢١٧)

الزين (احمد عارف) : حقائق ودقائق (٢١٩)

الزيناتي (الخوري الياس) : كيف يتقدّس الاكليريكي (٨٠)

س

سفاده (يوسف) : الوفاء واللقاء (٨٠)

ش

شابو : اللغات الآرامية وآدابها (تعريب انطون شكري لورنس) (٢٣٨)

شملي (القس انطونيوس اللبناني) : حسن علوان الدرزية او الاخت مسيحية الراهبة اللبنانية (٨٠) – الاخت رفقا الريّس (٧٩٨)

شَخت (يوسف) : اطلب الشيباني

شركة القديس منصور دي بول : خلاصة اعمالها عن ١٩٢٩ و١٩٣٠ (٧٩٩)

الشيباني (محمد بن الحسن) : كتاب المخارج في الحيل (نشره يوسف شَخت) (٦٤١–٦٤٧)

ص

الصلاة (كتاب) (٨٧٩)

ض

ضاهر (يوسف ناصيف) : حظيّات لقمان (٢٢٨)

ع

العمشيتي (الخوري يوسف) : المرآة الجلية في الحياة الكهنوتية (٥٥٩) – كنيسة شامات (٨٧٩) – الواسطة البهية في القلادة البطريركية (٨٧٩)

عوض (جرجس فيلوثاوس) : النتيجة القبطية لسنة ١٦٤٨ (٧١٩) – ابن كَبر (٧٩٨)

غ

غالب (الخوري بطرس) : التعليم المسيحي الاعدادي للمناولة الاولى (٢٣٩) – الاحوال الشخصية (٢٩٩)

الغلبوني (يوسف) : قانون حزب التمثيل الصالح (٥٥٩)

ف

فياض (نجيب فرج الله) : شرح الارجوزة بالرجز (٨٧٧)

ك

كثير عزّة : ديوانه (نشره هنري بيرس) (٧١٦)

كرم (نجيب نجم) : القاموس السامي لمصر وسورية (٧٩٩)

كنعان (ابراهيم نعوم) : لمحة في تاريخ خلده وكنيستها (٢٩٩)

ل

لورنس : راجع شابو

م

المجمع المصري للثقافة العلمية : الكتاب السنوي ١٩٣٠ (٧٧)

مدرسة الحكمة المارونية : نشرتها لسنة ١٩٣١

(٥٥٩ و ٧٩٩)
مرقص (ادوار) : ذخيرة المتأدب (١٥٩) — الفضيلة الملتمة (٥٥٩) — تاريخ الحرب الطلمي (تعريب) (٩٥٩)
المسيح في الجسمانية (٤٧٨)
مشرق (نجيب) : المُشرقيات (١٧٨)
مكتبة العرب : ملحق المطبوعات والكتب الموجودة فيها (٨٠)
مكتبة يوسف اليان سركيس واولاده : فهرسها لسنة ١٩٣١ (٢١٩)
الملوف (فوزي) : على بساط الريح (٥٥٧)
الملوف (الاب لويس اليسوعي) : تقويم البشير لسنة ١٩٣٢ (٨٧٩)

ن

نخله (الاب روقائيل اليسوعي) : التحفة لسنة ١٩٣١ (٢٣٩)
نشرة بنك سورية ولبنان الكبير لسنة ١٩٣٠ (٢٠٧)
نصرالله (الاب بطرس) : المطران يوسف فريز (٥٥٩)

ه

الهلال : تقويمه لسنة ١٩٣١ (٨٠)

و

ولفنسون (اسرائيل) : تاريخ اللغات السامية (٢٢٧)

ي

يمين (الخوري انطون) : أنفس ما كتب نابوليون (٢١٩) — القاموس القضائي - السياسي - التجاري (٩٥٦)

٢ — مطبوعات اوربية

Acta conventus Pragensis pro studiis orientalibus anno MCMXXIX celebrati. (153)
Almanach catholique français pour 1931. (77)
Annuaire pontifical pour 1931. (715)
Annuario della Reale Accademia d'Italia II, 1929-1930 (877)
L'Apocalypse; cf. Lavergne o. p.

Bardy (Abbé Gustave) : Origène. (955)
Barnes (Harry Elmer): La genèse de la guerre mondiale, trad. de L. Laurent. (474)
Baumkoller (Abraham) : Le mandat sur la Palestine. (472)
Bayard (Emile) : Les styles coloniaux de la France. (235)
Bocher (C. H.) : Das Erbe der Antike im Orient und Okzident. (550)
Besson (M.):Histoire des colonies françaises (716) — La tradition coloniale française (876)
Bidez (J.):La vie de l'empereur Julien. (74)
Bilder (Zohn): aus d. altorient. Sälen des Vorderasiat. Mus. z. Berlin. (552)
Bouchor (Mgr. A.) : L'action missionnaire. (794)
Bréhier (Louis): L'art en France des invasions barbares à l'époque romane. (954)
Burstyn (Israel): Vollständige Grammatik der Alt-und Neu-hebräischen Sprache. (155)

Caix (R. de): cf. Hardy (G.)
Calvet (J.) : Le renouveau catholique dans la Littérature contemporaine. (475) — Un artiste chrétien : Joseph Aubert (1849-1924). (475)
Cammelli (Giuseppe): cf. Cydonès (Démétrius).
Chapoutier (F.) : Mallia. Ecritures minoennes. (311)
Charles (E.) : Le catéchisme par l'Évangile. (795)
Chauvelot (R.) : Où va l'Islam ? (713)
Clemen (Carl) : Religionsgeschichte Europas. (394)
Coquet (L.): Les héritiers de la toison

d'or. (716)
Coró (F.): Vestigia di colonie agricole romane Gobel Nefusa. (316)
Coulet. L'E lise et le problème de l'autorité. (715)
Courtillier (G.): Les Anciennes Civilisations de l'Inde. (596)
Cuq (Edouard): Etudes sur le droit babylonien, les lois assyriennes et les lois hittites. (708)
Cydonès (Démétrius) : Correspondance. Texte inédit, établi et traduit par Giuseppe Cammelli (154)

Daridan (J.) et Stolling-Michaud (S.) : La peinture Séfévide d'Ispahan. (395)
David (J. B.) : Comment expliquer la messe aux enfants (795)
Dehérain (H.), Cf. Hardy (G.)
Dhorme o. p. : Langues et écritures sémitiques. (398)
Dimier (Louis): La gravure. (235)
Dufourcq (Albert): L'avenir du Christianisme. vol. 1, 2, 3, 4 et 7. (157)
Dumaine (A.) : Quelques oubliés de l'autre siècle. (956)

Ehrle (Fr.) s. j. : Los manuscritos vaticanos de los teologos salmantinos del siglo XVI, edit. espanola del P. Jose M. March. s. j. (152)
Enfroy (L. M.): Antioche. (316)
Eygun (F.) : Architecture roman. (792)

Farmer (H. G.) : Historical facts for the arabian musical influence. (154)
Fulton (A. S.): The History of Hayy ibn Yaqzan by Abu Bakr Ibn Tufail translated from the Arabic by Simon Ockley. Revised with an Introduction. (42-49 ; 108-116 ; 189-196)
Furlani (Giuseppe): Testi religiosi dei Yezidi. (312)

Gabrieli (Fr.) : Il concetto della 'asabiyyah nel pensiero storico di ibn Haldūn. (392)
Galdos (Romualdo) s. j. : Commentarii in librum Tobit. (474)
Gottschalk (Hans) : Die Madarā'ijjūn. (935)
Goyau (Georges): Missions et missionaires.
Grossmann (Hugo) : Die orientalischen Religionen im hellenistisch-römischen Zeitalter. (711)

Hardy (G.) de Caix (R.), Dehérain (H.): Histoire des colonies françaises et de l'expansion de la France dans le monde. t. III. Maroc-Tunisie-Syrie. (875)
Heyberger (Anna) : Jean Amos Comenius (Komensky). (236)
Hitti (Philip K.) : Usāmah's memoirs entitled Kitāb al-I'tibār, edited. (7[illegible])

Islamica, vol. IV. fasc. 4. (315) — vol IV. fasc. 5. (396) — vol. V. fasc. 1 (877)

Jacquot (Le colonel) : Antioche contre le tourisme (600-606)
Jardé (A.): Athènes ancienne. (315)
Jepson (Alfred): Cf. Strack (H. L.)
Jeremias (Alfred) : Muhammedanische Frömmigkeit. (76)
Joran (Th.) : Les manquements à la langue française. (315)
Junge (G.): Cf. Thomson (W.)

Kammerer (A): Pétra et la Nabatène (390)
Kampffmeyer (Dr G.) : Die Anfänge einer Geschichte der neueren arabischen Literatur. (312)
Kaulen (Franz): Cf Vosen (C. H.)
Keyser (E. de) : Le grand péril de la France missionnaire (874)
Kirsch (Dr Johann Peter) : Kirchengeschichte. I. (152)
Klamroth (Dr Heinz) : Aegypten, das uralte Kultur und moderne Reiseland. (714)
Koenig (Eduard) : Hebräisches und aramäisches Woerterbuch zum Alten Testament. (952)
Kraus (Paul): Dschābir ibn Hajjan und die Isma'ilijja. (72)

Lamb (H.) : La vie de Tamerlan. trad. de Pierre Jean Robert. (792)
Lavergne o. p. : L'apocalypse. édit. abrégé. introd., trad. fse et commentaire. (154)
Laurent (L.); Cf. Barnes (Harry Elmer).
Levi-Provençal (E.) : Documents inédits d'histoire almohade. vol. 1 (395)
Lhande (Pierre) s. j : L'Evangile par dessus les mers. La France missionnaire, radio-Sermons 1931. (794)
Litterae Orientales, Heft 45. (232) - Heft 46. (555)
Loesch (Stephan): Epistula Claudiana

der neuentdeckte Brief des Kaisers Claudius von Jahre 41 n. Chr. und das Urchristentum. (473)

March (Jose) s. j.: Cf. Ehrle (Fr.) s. j.
Marty (P.): Les Zaouïas marocaines et le Makhzen. (475)
Massignon (L.) : Annuaire du monde musulman. (155)
Mesurour (A.): La propriété foncière au Maroc. (316)
Meyerhof (M.) und Schacht (J): Galen über die medizinischen Namen arabisch und deutsch herausgegeben. (953)
Moberg (Axel) : Ueber einige christliche Legenden in der islamischen Tradition. (232) — An-Nasi'in der islamischen Tradition. (873) — Eine syrische Masora-Handschrift in der Universitäts - bibliothek zu Lund. (473) — On some fragments of the book of Timotheos Ailuros against the synod of Chalcedon with two facsimiles. (473)
Montagne (Robert): Les Berbères et le Makhzen dans le sud du Maroc.(391)

Neugebauer (K. A.) : Antike Bronze-Statuetten. (710)

Ockley (Simon); Cf. Fulton (A. S.)
O'Zoux (Raymond): Les états du Levant sous mandat français. (792)

Petrani (Alexius) a. th. d. : De relationo juridica inter diversos ritus Ecclesiae catholicae. (892)
Picard (Charles): Les origines du polythéisme hellénique. L'art crétomycénien (74)
Pittard (E.) ; Le visage nouveau de la Turquie (232)
Problèmes (Les grands) internationaux de l'heure présente. (236)
Plessner (Martin): Die Geschichte der Wissens-Chaften im Islam als Ausgabe der modernen Islamwissenschaft. (471)
Pourrat (P.) : Le sacerdoce. Doctrine de l'Ecole française. (794)

Ronsudin (P.) : Les Filles de la Charité. (77)
Robert (Pierre-Jean) ; Cf. Lamb (H.)
Rodenwaldt (Dr G.) : Neue Deutsche Ausgrabungen. (314)
Rollin (Henry) : La révolution russe, 1e et 2e v. (233)
Rothe (Tancrède de): De l'existence de la propriété. (157)
Rousseau (François) : L'idée missionnaire aux XVIe et XVIIe siècles. (235)
Rühl (Alfred) : Vom Wirtschaftsgeist im Orient. (153)
Rupp (J.):Découverte de la Chrétienté. (715)
Ruska (Julius) : Dritter Jahresbericht mit einer wissenschaftlichen Beilage der Zusammenbrüch der Dschäbir-Logende, die bisherigen Versuche, das Dschäbir-Problem zur lösen.(72)

Sagehomme (G.) s. j. : Répertoire alphabétique de 7000 auteurs avec indication de la valeur morale de leurs 32000 ouvrages. (795)
Schacht (Josef) : Der Islam mit Ausschluss des Qorän. (471) — Cf. Meyerhof (M.)
Schmid(Dr Josef): Matthäus und Lucas (234)—Zeit und Ort der Paulinischen Gefangenschaftsbriefe mit einer Anhang über die Datierung der Pastoralbriefe. (871)
Schmidt (Hans) : Die Erzählung von Paradies und Lündenfall. (954)
Schumacher (Jakob); Cf. Vosen (C.H.)
Sékaly (A.) : Le problème des Waqfs en Egypte. (472)
Siegfried (André) : La crise britannique anglaise au XXe siècle. (713)
Sinaloki (Vasili): Théorie de la chronologie ancienne. (553)
Solomon (George) ; Parmi les maîtres rouges. (233)
Stella (L. A.) : Itacia antica sul mare. (313)
Stolling-Michaud (S.) Cf. Daridan (J.)
Strack (H. L.)und Alfred Jepsen: Hebräische Grammatik mit Uebungsbuch. (155)

Tabouis (G.-R.) : Nabuchodonosor et le triomphe de Babylone. (554)
Ter Haar (Francisco) o. s. a. r. : De matrimoniis mixtis, eorumque remediis. (714)
Thomsen (Peter): Palästina und seine Kultur in fünf Jahrtausenden. (709)
Thomson (W.) and Junge (G.) : The commentary of Pappus on book X of Euclid's elements. (313)

Tostivint (D.) : Le problème des chronologies antiques. (533)
Tufail (Abou Bakr Ibn) : Cf. Fulton (A. S.)

Usâmah Ibn Munqidh; Cf. Hitti (Philip)

Vinud (P. M.) o. f. m.:Qoubeibeh Emmaüs évangélique. (76)
Vitale (Massimo Adolfo) : Il caminello ed i ropirti cammellati. (793)
Villanova Gerster (P. Thomas) c.m.c.: Familia votoria foederis. (873)
Vosen (C.H.)und Franz Kaulen : Kurze Arbeitung zum Erlernen der hebräischen Sprache für gymnasien und für den Privatstudium Vierundzwanzigste Auflage, bearbeitet von Jakob Schumacher. (873)

Waddell (L.A.): Egyptian civilization. its sumerian origin and real chronology. (73)
Welckert (Carl) : Typen der archaischen Architektur in Griechenland und Kleinasien. (551)
Weil (Julien): Le Judaïsme. (395)
Willing (Karl) : Methodische Schulgrammatik der hebräischen Sprache. (155)

Yammino (A.): Dictionnaire judiciaire, politique, commercial. (956)

Zoll (c.): Cronache etiopiche. (317)
Zorell(Franciscus) s. j. : Lexicon graecum Novi Testamenti. (234)

فهرس رابع

للمجلات التي ورد ذكرها في باب «جولة في المجلات»

الاخاء (القاهرة) : نظرة في تدريس الادب (العزيزي) ٧٠٣
الاسلام (المانية) : الحركة العربية القومية (هارتمن) ٩٤٠
الجليكوم (ايطالية) : القديس اغوسطينوس والشرق (سالافيل) ٢٢٧ – مختار السيواسي ولاهوت القديس توما (اودنرين) ٢٢٨

البشير (بيروت) : الكثلكة في الصين (الاب فيليب ونغ) ٨٦٥

الحديث (حلب) : الثقافات الاوربية ونفسية الشرق العربي (محمود عزمي) ٢٧٦
حوليات الجغرافية (فرنسوية) : المساكن الوطنية في القاهرة (كليرجه) ٨٦٦

الروح الدولي (فرنسوية) : اول مؤتمر بلقاني (ا. باپانستازيو) ٤٦٧

الشرق المصري (ايطالية) : دستور العراق (ا. جيانيني) ٦٨ – دستور شرقي الاردن (ا. جيانيني) ٤٦٨
الشرق المسيحي (المانية) : ملاحظات ٦٨
الشرق والغرب (القاهرة) : المسيحية والمدنية الغربية ٦١ – الميرون وتقديسه عند الاقباط (توفيق اسكاروس) ٦٥ – مؤتمر لامبث ١٤٠

صحيفة التجارة والصناعة (القاهرة) : كساد التجارة الخارجية في اوربة ٢٧٧
صحيفة الفنون الجميلة (فرنسوية) : قلعة صهيون

في امارة انطاكية على عهد الصليبيين (بول ديشان) ٦٩
الكلية (بيروت) : النور والتدرن (الدكتور نخو) ٤ ٢ – الجزية والخراج (ب. جوزي) ٩٤٤

مجلة الآداب الشرقية (المانية) : احمد تيمور باشا والنهضة العربية (ا. شاده) ٦٨
المجلة الاسيوية (فرنسوية) : ١٤٥
مجلة باريس (فرنسوية) : تركية والاقليات (وسيان دي ڤيسك) ٢٧٩
المجلة الجغرافية (انكليزية) : ٦٩ – الحجاز (الدون روتر) ٢٢٨
مجلة الدروس الاسلامية (فرنسوية) : كتب مدرسية باللغة الكردية (مينورسكي) ٢٢٧
المجلة الطبية العلمية (بيروت) : ذكر التيفوس في الكتاب المقدس (الحكيم امين الجميل) ١٤٤
مجلة العالمين (فرنسوية) : انكلترة تكرم جان دارك (ريمون اسكوليه) ٧٠٥
مجلة العلماء (فرنسوية) : البحث عن الآثار في آسية الغربية والمساعدات الاميركية (كونتينو) ١٤٧ – عبادة ادونيس ومكتشفات راس شمره (ڤيرولو) ٥٤٤
مجلة المجمع العلمي العربي (دمشق) : بين النحت والتعريب (بناحث) ٤٦٥ – المصطلحات العلمية في كتاب «الحيوان» (مصطفى الشهابي) ٨٦٨

المرأة (حريصا) : الخطبة وما اليها في حمص وجوارها (الاب بطرس شامي) ٢٢٣
المعارف (بيروت) : كلمة في المدارس ٥٤٦
المقتطف (القاهرة) : تأثير الثقافة اليونانية في نثر صدر الاسلام (طه حسين) ٢٢٥ – مدلول «الادب» في كتب الادب القديمة (مصطفى صادق الرافعي) ٧٠١
المنارة (جونيه) : دير الفمر على عهد الامير (عيسى اسكندر المعلوف) ٢٠٢
مؤسسة اوجين بيو (فرنسوية) : فيفاء الجامع الاموي (ارستاش دي لوري ومرغريت ڤون برخيم) ١٤٦

نشرة اكادمية لنچي (ايطالية) : التصنيف الجغرافي العربي المنسوب لاسحق بن الحسين (ا. كوداتسي) ٦٩
نشرة مدرسة الدروس الشرقية في معهد لندن (انكليزية) : الزلازل في بلاد فارس (ارنولد ولسون) ٦٩

الهلال (القاهرة) : الحضارة المصرية القادمة (طه حسين) ٢٧٤

وحدة الكنيسة (فرنسوية) : الكثلكة في انكلترة ٢٠٥
الوثائق الشرقية (دانمركية) : العلاقات الاولى بين الرومانيين والبرتيين واحتلال سورية (يوسف دوبياش) ٨٧٠

فهرس خامس

لجميع موادّ السنة التاسعة والعشرين من المشرق

على طريقة حروف المعجم

ا

آثار قديمة في شرق الاردن ٧٩١

ابن طيل: فلسفته في كتابه «حيّ بن يقظان» ٤٢-٤٩ ؛ ١٠٨-١١٦ ؛ ١٨٩-١٩٦

اتحاد الكنائس ١٠١-٨٠٨

احدث الآفات النفوس والاجسام ٦٠٦-٦١٣

الاحوال الشخصية ٢٥-٢٤؛ ١٢٢-١٢٣؛ ٢١١-٢٢٢

الادب: مدلوله في الكتب الادبية القديمة ٧٠١-

نظرة في تدريسه ٧٠٢

ادونيس: عبادته ومكتشفات رأس شمره ٥٤٤

الارادة: في تربيتها ٩١١-٩٢٥

ارسطو والمتنبي ١٢٢-١٤٠؛ ١٩٦-٢٠٥؛ ٢٧٣-٢٨١؛ ٣٤٨-٣٥٦؛ ٤٦١-٤٦٥؛ ٦٢٣-٦٢٢؛ ٧٥٩-٧٦٨؛ ٨٥٤-٨٦؛ ٩٢٥-٩٣٦

ارميا المصيّتي (البطريرك) ٢٦٤-٢٧٢؛ ٤٥٤-٤٦١

ازمة الحج الى مكة ٤٦٩

ازمة السكر ٤٦٩

ازمة الطربوش ١ ٢

الازمة العالمية والحكمة الشرقية ٢٢٠

اسحق بن الحسين وتصنيفه الجغرافي ٦٠٩

الاسراف ٦٠٩

اسرة القديس يوحنا الدمشقي ٤٨١-٤٨٦

اطلال افامية واهميتها ١٠-١٨

اعظم جسر في العالم ٩٥١

اغوسطينوس (القديس) والشرق ٢٢٧

افامية واهمية اطلالها ١٠-١٨

افسس: مجمعها وانتصار الكنيسة فيه ٦١٢-٦٢٢ ؛ ٧٢٩-٧٣٢ — تأييد رئاسة الحبر الاعظم في مجمعها ٩٣٦-٩٤٠

الاقباط: تقديس الميرون عندهم ٦٥

الاقبال على الكثلكة في كورية ٧٠٧

اكليريكية القديسة حنة: ذكر السيد الحسيني لتأسيسها ٩٥٠

امالي السنية: اصل كلمة «هيكل» ٨١-٠٥ ؛ اصل كلمة «الداوية» ٢٤١-٢٥٠ ؛ كلمة «توراة» ٤١١-٤١٩؛ ٤٠٨-٥٠٥

الاموي (الجامع) وفسيفساؤه ١٤٦

اميركة: مساعداتها للحفريات في آسية الغربية ١٤٧ — حفرياتها في بيسان ٧٢١-٧٢٩؛ ٨٠٨-٨١٥

انتاج الذهب ٧٠٦

انتقاد وبيان ٥٨٨-٥٩٩

انطاكية والسياحة ٥٩٩-٦٠٦

انكلترة تكرم جان دارك ٥٠ — الكثلكة فيها ٢٠٥

اوربة: ثقافتها وتنمية الشرق العربي ٢٧٦ — كساد التجارة الخارجية فيها ٢٧٧

اورشليم: آخر ايامها ٤١٩-٤٢٤؛ ٤٨٦-٤٩٣

الاوزاعي: آثار الفسيفساء المكتشفة فيه ٧

ايطالية: عدد سكانها ٧٩١

ب
بترا ، قايا ، كسيا : اصل هذه الالفاظ ٥٩٥
البحار : استخدام حرارتها لاستخراج القوة ٢٤-٤٢
البرتيون : العلاقات الاولى بينهم وبين الرومانيين ٨٧٠
البستان : معجم لغوي ٦٧٩-٦٨٢
بشير (الامير) : دير القمر على عهده ٢٠٢
بصاره براجه بتشوف البخت (حكاية) ٥٦-٦١
بلفاني (اول مؤتمر) ٤٦٧
بلاد العرب السعيدة ٢٥٨-٢٦٥ — الحالة الدينية فيها قبل الاسلام ٨١٥-٨٢٢
بونابرت (نابليون) : تواريخه باللغة العربية ٢٨١-٢٩٢
بيان واتقاد ٥٨٨-٥٩٩
بيان : الخربات الاميركية فيها ٧٢١-٧٢٦ ؛ ٨٠٨-٨١٥
بيكوه (الاب) : رحلته الى قنوبين سنة ١٧١-١٧٦ ؛ ٢٩٢-٢٩٨ ، ٧٢١
ت
تأييد رئاسة الحبر الاعظم العامة في المجمع الافسي ٩٣٦-٩٤٠
التبغ : محصوله في مناطق الانتداب ١٩٢٩ ، ٢١٠
التجارة الخارجية : كسادها في اوربة ٢٧٦
تحفة عربية ٨٧١
التدرّن والنور ٢٠٤
تدريس الادب : نظرة فيه ٧٠٢
التذكار المئوي لتجديد رسالة الآباء اليسوعيين في لبنان وسورية ٨٢٧-٨٤٧ ؛ ٨٨١-٨٩٢
تربية الارادة ٩١١-٩٢٥
الترك (نقولا) : تاريخه لنابوليون ٢٨١-٢٩٢
تركية ١٧٧ — والاقليات ٢٧٩
تسعير القوة الكهربائية ٥٢٢-٥٢٠
التصوير والنقش : نظرة في مرضهما ٨٥-٩٢
التعريب والنحت ٤٦٥
تعليم الرسل الاثني عشر ١- ١ : ٩٢-١٠٠
تواريخ نابوليون بونابرت باللغة العربية ٢٨١-٢٩٢
توراة (اصل الكلمة) ٤١١-٤١٩ ؛ ٤٩٨-٥٠٥
توما (القديس) : لاهوته ومختار السواسي ٢٢٨
التيفوس : ذكره في الكتاب المقدس ١١٤
تيمور (احمد) والنهضة العربية ٦٨
ث
الثقافات الاوربية ونفسية الشرق العربي ٢٧٦
الثقافة اليونانية : تأثيرها في نثر صدر الاسلام ٢٢٥
ج
جان دارك : انكلترة تكرّمها ٧٠٥
جبيل : مكتشفات جديدة فيها ٥٤٨
الجزية والخراج ٩٤٤
الجلود والدباغة في مناطق الانتداب ١٩٢٩ ، ٢٨٧
جيراننا في الشرق الادنى ١٧٦-١٨٠
ح
الحاتي (اطلب الرسالة الحاتية)
الحالة الاقتصادية في دير الزور ولواء الفرات ٨٩٧-٩٠٩
الحالة الدينية في بلاد العرب قبل الاسلام ٨١٥-٨٢٢
الحبر الأعظم : تأييد رئاسته العامة في المجمع الافسي ٩٣٦-٩٤٠
الحبوب : محصولها في مناطق الانتداب ١٩٢٩ ، ٢٠٧
الحجّ الى مكة : ازمته ٤٦٩
الحجاز ٢٢٨ — المياه فيه ٥٤٨

الحجاز ونجد وملحقاتهما ١٨—٢٥
حرارة البحار مصدر القوة ٣٤—٤٢
الحركة العربية القومية ٩٤٠
الحرير : محصوله في مناطق الانتداب ١٩٢٩ ٣٨٦
الحضارة المصرية القادمة ٢٧٤
الحفريات الاميركية في بيسان ٧٢١—٧٢٩؛ ٨٠٨—٨١٥
الحفريات في آسية الغربية والمساعدات الاميركية ١٤٧
حلب: منها الى الصالحية ٤٢٤—٤٢٢
حمص: عادة الخطبة فيها ٢٢٢
الحيل والمخارج في الفقه الاسلامي ٦٤١—٦٤٧
الحيوان (كتاب): المصطلحات الطبية فيه ٨٦٨
حي بن يقظان وفلسفة ابن طفيل ٤٢—٤٩؛ ١٠٨—١١٦؛ ١٨٩—١٩٦

خ

الخراج والجزية ٩٤٤
الخرائط العربية القديمة: مجموعتها ٨٧١
الخطبة وما اليها في حمص وجوارها ٢٢٢
الخلاعة ٦٠٧
خواطر ونصائح ١١٦—١٢٢
الخيط العلوي ٢٧٢—٢٧٤

د

الداوية (اصل الكلمة) ٢٤١—٢٥٠
دستور شرق الاردن ٤٦٨
دستور العراق ٦٨
دلبتا: نبذة تاريخية ١٠٠—١٠٨؛ ١٨٠—١٨٩؛ ٢٦٠—٢٧٤؛ ٣٥٦—٣٦٤؛ ٤٤٦—٤٥٦؛ ٥٠٥—٥١٤؛ ٦٤٧—٦٥٧؛ ٧٦٨—٧٧٥؛ ٨٢٢—٨٢٢
دمشق: كيف صارت عاصمة ٨٩٢—٨٩٧
الدمشقي (القديس يوحنا): اسرته ٤٨١—٤٨٦
دولة جديدة في قلب جزيرة العرب ١٨—٢٥
الدول المشمولة بالانتداب الفرنسوي ٤٧٠ — محصولاتها ٣٠٧؛ ٣٨٨
ديدكه او تعليم الرسل الاثني عشر ١—١٠؛ ٩٣—١٠٠
دير الزور: تاريخها ٥١٤—٥٢٢؛ ٦٥٧—٦٦٦؛ نهضتها الحديثة ٧٤٥—٧٥٣؛ الحالة الاقتصادية فيها ٨٩٧—٩٠٩؛ ملاحظات على ما تقدم ٩٠٩—٩١١
دير القمر على عهد الامير ٣٠٢
الدين: رجاله والطيران ١٥٠ — حالته في بلاد العرب قبل الاسلام ٨١٥—٨٢٢

ذ

الذهب: انتاجه في العالم ٧٠٦

ر

الراديو واذان المسلمين ٥٤٩
راس شمره: مكتشفاتها وعبادة ادونيس ٥٤٤
ربله وآخر ايام اورشليم ٤١٩—٤٢٤؛ ٤٨٦—٤٩٢
رجال الدين والطيران ١٥٠
رحلة الى قنوبين سنة ١٧٢١ ١٧١—١٧٦؛ ٢٩٢—٢٩٨
رحلة من حلب الى الصالحية ٤٢٤—٤٢٢
رسالة الآباء اليسوعيين في لبنان وسورية: التذكار المئوي لتجديدها ٨٣٧—٨٤٧؛ ٨٨١—٨٩٢
الرسالة الحاقية فيما وافق المتنبي في شعره كلام ارسطو في الحكمة ١٢٢—١٤٠؛ ١٩٦—٢٠٥؛ ٢٧٢—٢٨١؛ ٣٤٨—٣٥٦؛ ٤٦١—٤٦٥؛ ٦٢٢—٦٢٤؛ ٧٥٩—٧٦٨؛ ٨٥٤—٨٦٠؛ ٩٢٥—٩٢٦
رسالة الحبر الاعظم في الزواج ١٤٩
الرسالات الكاثوليكية في العالم ٢٢٩
الرسل الاثنا عشر: تعليمهم ١—١٠؛ ٩٣—١٠٠
الرهبانية البانيلية الشويرية: صفحة من تاريخها

٤٩-٥٦
الرومانيون : العلاقات الاولى بينهم وبين البرتيين ٨٧٠
رومة : وفادة البطريرك يوسف العاقوري اليها ٨٢٢-٨٢٧

ز

الزراعة : حالتها في مناطق الانتداب سنة ١٩٢٩ ٢٠٧
الزلازل في بلاد فارس ٦٩
الزواج : رسالة الحبر الاعظم فيه ١٤٩
زواج بعض المهاجرين ٧٠
الزيتون : محصوله في مناطق الانتداب سنة ١٩٢٩ ٢٨٢
الزيوت : محصولها في مناطق الانتداب سنة ١٩٢٩ ٢٨٥

س

ساروفيم فكتور (الاخ) ٥٢٠-٥٢٦ ؛ ٦٧٣-٦٧٩ ؛ ٧٧٥-٧٨٠ ؛ ٨٦٠-٨٦٥
الساعة النباتية ٢٨١
السكر : ازمته ٤٦٩
سماح الله بحدوث الشر الادبي ٢٢١-٢٢٢
سورية : احتلالها والعلاقات الاولى بين الرومانيين والبرتيين ٨٧٠
سورية ولبنان : الصحافة فيهما ٧٠٧
السوريون في فرنسة في القرنين ٦ و٧ للمسيح ٢٤١-٢٤٨ ؛ ٤٢٢-٤٤١
السياحة وانطاكية ٥٩٩-٦٠٦
السيارات في منطقة الانتداب ٧ ٧ — عددها في العالم ٥١؟
السيمنتو اللبناني ٤٤١-٤٤٦ ؛ ٥٢٦-٥٤٤

ش

الشاري الكهربائي ٨٤٧-٨٥٤
شامات : كنيستها ٦٢٢-٥٤١ ؛ ٧٥٢-٧٥٩
الشر : نبذة فلسفية ١٦١-١٧١ — سماح الله بحدوث الشر الادبي ٢٢١-٢٢٢
الشرق الادنى : جيرانا فيه ١٧٦-١٨
شرق الاردن : دستوره ٤٦٨ — آثار قديمة فيه ٧٩١
الشرق العربي : نفسيته والثقافات الاوربية ٢٧٦
الشرق والقديس اغوسطينوس ٢٢٧
شهداء لبنان : نصيبهم ١٤٨
شوائب المعاجم ٦٨٢-٦٨٩
الشيك ٧٩٠

ص

الصابون : محصوله في مناطق الانتداب ١٩٢٩ ٢٨٥
الصالحية : من حلب اليها ٤٢٤-٤٢٢
الصحافة في سورية ولبنان ٧٠٧
الصرصور والنملة ٢٨٠
الصناعة في مناطق الانتداب ١٩٢٩ ٢٨٥
صهيون (قلعة) ٦٩٠
الصوف : محصوله في مناطق الانتداب ١٩٢٩ ٢١٠
الصين : عدد سكانها ٧٩١ — الكثلكة فيها ٨٦٥

ط

الطربوش : ازمته ٢٨١
طريقة في العلم مميبة ٢٢٢-٢٤١
الطول في اللغة ٥٧٧-٥٨٨ ؛ ٧٢٧-٧٤٥
الطيران ورجال الدين ١٥٠
الطيران والنسور ٤٧٠

ع

العاقوري (البطريرك يوسف) : وفادته الى رومية ٨٢٢ ٨٢٧
عبادة ادونيس ومكتشفات راس شمره ٥٤٤
عبرة للنظّار في نظام الكون ٤٠١-٤١١
العراق : دستوره ٦٨ ؛ ١٧٩

العرب (بلاد) ١٨-٢٥ — بلاد العرب السعيدة ٢٥٨-٢٦٥ — حالتهم الدينية قبل الاسلام ٨١٥-٨٢٢ — حركتهم القومية ٩٤٠
عروس الصحراء : دير الزور ٥١٤-٥٢٢ ؛ ٦٥٧-٦٦٦؛٧٤٥؛٧٥٢؛٨٩٧ ٩١١
العلم : طريقة معينة فيه ٢٢٣-٢٤١
العلم الحقيقي يثبت وجود الله ٢٠٥-٢١١ : ٢٥٠-٢٥٨
العمشيتي (البطريرك ارميا) ٢٦٤-٢٧٢؛٤٥٤-٤٦١
عيد التذكار المئوي لتجديد رسالة الاباء اليسوعيين في لبنان وسورية ٨٢٧-٨٤٧ ؛ ٨٨١-٨٩٢

غ

غراسة النصب والمشاتل في مناطق الانتداب سنة ١٩٢٩ ٢٨٤
الغرب : مدنيته والمسيحية ٦١

ف

فارس (بلاد) والزلازل فيها ٦٩
الفرات : الحالة الاقتصادية في لوائه ٨٩٧-٩٠٩
فرحات (المطران جرمانوس) : نصبه التذكاري ٩٤٩
فرنسة : الوريون فيها في القرنين ٦و٧ للمسيح ٢٤١-٢٤٨؛٤٢٢-٤٤١
فسيفساء الجامع الاموي في دمشق ١٤٦
الفسيفساء المكتشفة في الاوزاعي ٧٠
الفقه الاسلامي : الحيل والمخارج فيه ٦٤١-٦٤٧
فلسطين ١٧٩
فلسفة ابن طفيل و« حي بن يقظان » ٤٢-٤٩؛ ١٠٨-١١٦؛١٨٩-١٩٦
الفن : يقظته في لبنان ٨٥-٩٣
الفواكه : محصولها في مناطق الانتداب سنة ١٩٢٩ ٢٨٤

فكتور (الاخ ساروفيم) ٥٢٠-٥٢٦ ؛ ٦٧٣-٦٧٩؛٧٧٥-٧٨٠؛٨٦٠-٨٦٥

ق

القبط : تقديس الميرون عندهم ٦٥
قبضاي ! (مهزلة) ٦٨٩-٧٠١؛٧٨٠-٧٩٠
قداسة الكنيسة ٤٩٣-٤٩٨؛٦٦٦-٦٧٣
القطن : محصوله في مناطق الانتداب ١٩٢٩ ٢٠٩
قايا ، بترا ، كسيا : اصل هذه الالفاظ ٥٩٥
قمر الدين والمشمش المجفف في سورية ٧١
قنوبين : رحلة اليها سنة ١٧٢١ ١٧١-١٧٦ ؛ ٢٩٢-٢٩٨
القوة : استخراجها من حرارة البحار ٢٤-٤٢
القوة الكهربائية : تسعيرها ٥٢٢-٥٣٠

ك

كاتن (الاب) : تدشين نصبه ٨٨٨-٨٩٢
كاتدرائية كبيرة في مدغسكر ٩٥١
الكتاب المقدس : ذكر التيفوس فيه ١٤٤
« كثرة الغلبة » (حكاية) ٢٩٨-٣٠٢
الكثلكة : رسالاتها في العالم ٢٢٩ — في انكلترة ٣٠٥ — تقدمها في كورية ٧٠٧ — في الصين ٨٦٥
الكردية (اللغة) : كتب مدرسية فيها ٢٢٧
كسيا ، قايا ، بترا : اصل هذه الالفاظ ٥٩٥
كلمة في المدارس ٥٤٦
كلود : نظريته في الانتفاع من حرارة البحار لاستخراج القوة ٢٤-٤٢
الكنائس : اتحادها ٨٠١-٨٠٨
الكنيسة : قداستها ٤٩٣-٤٩٨ ؛ ٦٦٦-٦٧٣ — انتصارها في المجمع الافسي ٦١٢-٦٢٢؛ ٧٢٧-٧٢٩
كنيسة شامات ٦٢٢-٦٤١؛٧٥٢-٧٥٩
الكهرباء : تسعير قوتها ٥٢٢-٥٣٠ — الشاري الكهربائي ٨٤٧-٨٥٤

كورية : الكثلكة فيها ٧٠٧
الكون : نظامه عبرة للنظار ٤٠١-٤١١
كيف صارت دمشق عاصمة ٨٩٢-٨٩٧

ل

لامبث : مؤتمرها ١٤٠
لبنان : يقظة الفن فيه ٨٥-٩٢ — الى اللبنانيين من لبناني وطني ١١٦-١٢٣ — نصب الشهداء اللبنانيين ١٤٨ — الصحافة فيه ٧٠٧
اللبن الرائب ٨٧٢
اللغة : الطول فيها ٧٧د-٥٨٨ ؛ ٧٤٧-٧٤٥
الله : العلم الحقيقي يثبت وجوده ٢٠٥-٢١١ ؛ ٢٥٠-٢٥٨ — سماحه بحدوث الشر الادبي ٢٢١-٢٢٢

م

متى : صاحب الانجيل الاول ٥٦١-٥٧٧
المتنبي وارسطو ١٣٢-١٤٠ ؛ ١٩٦-٢٠٥ ؛ ٢٧٣-٢٨١ ؛ ٢٤٨-٢٥٦ ؛ ٤٦١-٤٦٥ ؛ ٦٢٣-٦٢٢ ؛ ٧٥٩-٧٦٨ ؛ ٨٥٤-٨٦٠ ؛ ٩٢٥-٩٢٦
المجمع الافسي : انتصار الكنيسة فيه ٦١٢-٦٢٢ ؛ ٧٢٧-٧٢٩ — تأييد رئاسة الحبر الاعظم فيه ٩٢٦-٩٤٠
مجمع يعقوبي ٢٢١
محصولات مناطق الانتداب سنة ١٩٢٩ ؛ ٢٠٧ ؛ ٢٨٢
المخارج والحيل في الفقه الاسلامي ٦٤١-٦٤٧
المخدرات والمسكرات : مضارها ٦١٠
مختار السيواسي ولاهوت القديس توما ٢٢٨
المدارس : كلمة فيها ٥٤٦
مدغسكر : كاتدرائية كبيرة فيها ٩٥١
مدلول الادب في كتب الادب القديمة ٧٠١
المدنية الغربية والمسيحية ٦١
المراهنات : مضارها ٥٤٩ ؛ ٦٠٧
مركبات ميشلن ٩٥٠
المسافرون والقادمون والمصطافون ٧٩٠
المساكن الوطنية في القاهرة ٨٦٩
المستشرقون : مؤتمرهم الدولي الثامن عشر ٧٩٠
المسلمون يؤذنون بالراديو ٥٤٩
المسيحية والمدنية الغربية ٦١ — في بلاد العرب قبل الاسلام ٨٢٠
مشروع نظام الاحوال الشخصية ١٢٢-١٢٢ ؛ ٢١١-٢٢٢
المشمش المجفف وقمر الدين في سورية ٧١
مصر ١٧٩ — حضارتها القادمة ٢٧٤ — المساكن الوطنية فيها ٨٦٩
المصطلحات العلمية في كتاب الحيوان ٨٦٨
المعاجم : شوائبها ٦٨٢-٦٨٩
معجم البستان ٦٧٩-٦٨٢
معرض التصوير والنقش : نظرة فيه ٨٥-٩٢
مكة : ازمة الحج اليها ٤٦٩
مكتشفات جديدة في جبيل ٥٤٨
مكتشفات راس شمره وعبادة ادونيس ٥٤٤
ملاحظات على المقالة في دير الزور ٩٠٩-٩١١
مملكة الحجاز ونجد وملحقاتها ١٨-٢٥
المواشي : محصولها في مناطق الانتداب ١٩٢٩ ؛ ٢٨٢
مؤتمر بلقاني ٤٦٧
مؤتمر لامبث ١٤٠
مؤتمر المستشرقين الدولي الثامن عشر ٧٩٠
المهاجرون : كيف يتزوج بعضهم ٧٠
المياه في الحجاز ٥٤٨
الميرون وتقديسه عند الاقباط ٦٥

ن

نابوليون الاول : تواريخه باللغة العربية ٢٨١-٢٩٢
النباتية (الساعة) ٢٨١
نثر صدر الاسلام : تأثير الثقافة اليونانية فيه ٢٢٥

نجد والحجاز وملحقاتها ١٨–٢٥
النحت والتعريب ٤٦٥
النسج : محصوله في مناطق الانتداب ١٩٢٩ ٢٨٦
نسطور : خذله في المجمع الافسي ٦١٢–٦٢٢؛ ٧٢٧–٧٢٩
النسور والطيران ٤٧٠
نصائح وخواطر ١١٦–١٢٢
نصب الاب كاتن ٨٨٨–٨٩٢
نصب تذكاري للمطران جرمانوس فرحات ٩٤٩
نصب الشهداء ١٤٨
نظام الاحوال الشخصية : مشروعه ١٢٢–١٣٢؛ ٢١١–٢٢٢
نظام الكون عبرة للنظار ٤٠١–٤١١
النقش والتصوير : نظرة في معرضهما ٨٥–٩٢
النقليات في مناطق الانتداب ١٩٢٩ ٢٨٧
النملة والصرصور ٢٨٠
النهضة العربية واحمد تيمور باشا ٦٨
النور والتدرّن ٢٠٤

هـ

هيكل (اصل الكلمة) ٨١–٨٥

و

وفادة البطريرك يوسف العاقوري الى مدينة رومة ٨٢٢–٨٢٧

ي

اليابان : عدد سكانها ٧٩١
اليسوعيون : التذكار المئوي لتجديد رسالتهم في لبنان وسورية ٨٢٧–٨٤٧؛ ٨٨١–٨٩٢
اليعاقبة : انعقاد مجمع لهم ٢٢١
يقظة الفنّ في لبنان ٨٥–٩٢
اليمن ٢٥٨–٢٦٥
اليهود في بلاد العرب قبل الاسلام ٨١٩
يوحنا (القديس) الدمشقي : اسرته ٤٨١–٤٨٦
اليونانية (الثقافة) تأثيرها في نثر صدر الاسلام ٢٢٥

AL - MACHRIQ

Revue Catholique Orientale Mensuelle

SCIENCES—LETTRES—ARTS

Sous la direction des Pères de la Cie de Jésus

UNIVERSITÉ St JOSEPH

Vingt Neuvième année

1931

BEYROUTH
Imprimerie Catholique
1931

TABLES DES SOMMAIRES

XXIXe ANNÉE 1931

JANVIER

ΔΙΔΑΧΗ ΤΩΝ ΔΩΔΕΚΑ ΑΠΟΣΤΟΛΩΝ : I. (p. 1) *P. Salhani S. J.*

Les Fouilles d'Apamée. (*illustré*) d'après les renseignements du Professeur Mayence. (p. 10) *Mr F.-E. Boustany.*

Un nouvel état dans l'Arabie centrale. (p. 18) *P. Lammens S. J.*

Le statut personnel: III (p. 25) *Abbé P. Ghaleb.*

L'utilisation de la Chaleur des mers. (*illustré*) (p. 34) *Mr A. Baz.*

Ḥayy ibn Yaqẓân et la philosophie d'Ibn Ṭofaïl : I (p. 42) *P. Tauiel S. J.*

Une page de l'histoire de l'ordre basilien chouérite : IV (p. 49) *P. Ath. Hage R. B. B.*

La bonne aventure ! (*conte*). (p. 56) *Mr F.-E. Boustany.*

Revue des Revues : le Christianisme et la civilisation occidentale. — le Saint Chrême et sa préparation chez les Coptes. — Principaux articles orientaux. (p. 61).

Varia : Découverte archéologique à el-Ouzâ'i, près Beyrouth. — Comment on se marie dans l'émigration. — La production des abricots en Syrie. (p. 70)

Bibliographie : (p. 72)

FÉVRIER

Notes de philologie sémitique: VI, origine du mot Haïkal.(p.81) *P. Marmardji O. P.*

Le premier salon libanais de peinture et de sculpture.(*illustré.*) (p. 85) *Mr J. Ghossoub.*

ΔΙΔΑΧΗ ΤΩΝ ΔΩΔΕΚΑ ΑΠΟΣΤΟΛΩΝ : II (p. 92) *P. A. Salhani S. J.*

Dilebta, *monographie d'un village libanais* : I (p. 100) *Abbé P. Raphaël.*

Ḥayy ibn Yaqẓân et la philosophie d'Ibn Ṭofaïl : II (*illustré*) (p. 108) *P. Taoutel S. J.*

Suggestions et conseils d'un patriote libanais. (p. 116) *P. Lammens S. J.*

Le statut personnel : IV (p. 122) *Abbé P. Ghaleb.*

Ar-Risâlat al-Ḥâtimiya : I (p. 132) *Mr F.-E. Boustany.*

Revue des Revues : Le congrès de Lambeth. (F. T.). — Le typhus et la ible.— Principaux articles orientaux. (p. 140).

Varia : Le monument aux Martyrs. (illustré) — L'encyclique du Pape sur le mariage. — L'aviation et les hommes d'Eglise (p. 148)

Bibliographie : (p. 152)

Ephémérides du mois : (p. 160)

MARS

Le problème du mal. (p. 161) *P. A. Audin S. C.*

Une visite à Qannoubin (Liban) en 1721: I (*illustré*) (p. 171) *P. A. Chibli O. S. A.*

Nos voisins du Proche-Orient. (*illustré*). (p. 176) *P. Lammens S. J.*

Dilebta, *monographie d'un village libanais* : II (*illustré*). (p. 180) *Abbé P. Raphaël.*

Ḥayy ibn Yaqẓân et la philosophie d'Ibn Ṭofaïl : III (*fin*) (p. 189) *P. Taoutel S. J.*

Ar-Risâlat al-Ḥâtimiya: II (p. 196) *Mr F.-E. Boustany.*

La Science et l'existence de Dieu : I (p. 205) *Abbé A.-M. Zahr.*

Le statut personnel: V (*fin*) (p. 211) *Abbé P. Ghaleb.*

Revue dee Revues : Les Fiançailles dans la région de Homs. — Influence de la culture grecque sur la prose arabe au début de l'Islam. — Principaux articles orientaux. (p. 223)

Varia : Les Missions catholiques dans le monde. — La crise mondiale et la sagesse humaine. — Un Concile jacobite. (p. 229)

Bibliographie : (p. 232)

Ephémérides du mois : (p. 240)

AVRIL

Notes de philologie sémitique : VII, Origine du mot «Dâwyya» (Templiers). (p 241) *P. Marmardji O. P.*

La Science et l'existence de Dieu : II (*fin*) (p. 250) *Abbé A.-M. Zahr.*

L'Arabie heureuse. (*illustré*) (p. 258) *P. Lammens S. J.*

Dilebta, *monographie d'un village libanais :* III (*illustré*) (p. 265) *Abbé P. Raphaël.*

Ar-Risâlat al-Hâtimiya : III (*illustré*). (p. 273) *Mr F.-E. Boustany.*

Histoires de Napoléon I en langue arabe. (p. 281) *Mr 'Issa Ma'louf.*

Une visite à Qannoubin (Liban) en 1721 : II (*illustré*). (p. 292) *P. A. Chibli O. S. A.*

Chacun chez soi !, conte. (p. 298) *Mr F.-E. Boustany.*

Revue des Revues : Deir-el-Kamar au temps de l'Emir. — L'héliothérapie et la tuberculose. — Le Catholicisme en Angleterre. (p. 302).

Varia : Produits des pays sous-mandat en 1929 : Céréales. — Coton. — Tabac. — Laine. (p. 703)

Bibliographie : (p. 311)

Ephémérides du mois : (p. 320)

MAI

La Providence et le mal moral. (p. 321) *P. A. Audin S. C.*

La probité scientifique. (p. 333) *P. Marmardji O. P.*

Les Syriens en France au VIe et VIIe siècles: I (p. 341) *P. Lammens S. J.*

Ar-Risâlat al-Ḥâtimiya: IV (p. 348) *Mr F.-E. Boustany.*

Dilebta, *monographie d'un village libanais : IV* (p. 356) *Abbé P. Raphaël.*

La patriarche Jérémie 'Amchiti : I (p. 364) *Abbé J. Amchiti.*

Le fil d'En-Haut ! *d'après Jœrgensen*, (p. 372) *F.-E. B.*

Revue des Revues : La future civilisation de l'Egypte. — Les cultures européennes et la mentalité de l'Orient arabe. — Du commerce extérieur de l'Europe. — Principaux articles orientaux. (p. 374)

Varia : La cigale et la fourmi. — Une horloge végétale ! — La crise du tarbouche. — Produits des pays sous mandat en 1929 (suite) (p 380)

Bibliographie : (p. 388)

Ephérmérides du mois : (p. 400)

JUIN

L'ordre providentiel de l'Univers. (p. 401) *Abbé A.-M. Zahr.*

Notes de philologie sémitique : VIII, le mot «Taurat»: I (p. 411) *P. Marmardji O. P.*

Rablah et les derniers jour de Jérusalem : I (p. 419) *Emir M. Chéhab.*

d'Alep à Salihyé (*illustré*) (p. 424) *P.-F. Taoutel S. J.*

Les Syriens en France au VIe et VIIe siècles : II (*fin*) (p.433) *P. Lammens S. J.*

Le ciment libanais : I (*illustré*) (p. 441) *Mr Antoine Baz.*

Dilebta, *monographie d'un village libanais* : V (*illustré*) (p. 446) *Abbé P. Raphaël.*

Le patriarche Jérémie 'Amchiti : II (*illustré*). (p. 454) *Abbé J. Amchiti.*

Ar-Risâlat al-Hâtimiya : V (p. 461) *Mr F.-E. Boustany.*

Revue des Revues : Notes linguistiques. — Principaux articles orientaux. (p. 465)

Varia : La crise du pèlerinage à la Mecque. — Crise du sucre. — Notions sur les états sous mandat français. — L'aviation et les aigles. (p. 469)

Bibliographie : (p. 471)

Ephémérides du mois : (p. 480)

JUILLET

La famille de St Jean Damascène . (*illustré*) (p. 481) *P. Lammens S. J.*

Rablah et les derniers jour de Jérusalem : II (p. 486) *Emir M. Chéhab.*

De la Sainteté de l'Eglise : I (p. 492) *P. A. Audin S. C.*

Notes de philologie sémitique : VIII, le mot « Taurat » : II (*fin*) (p. 498) *P. Marmardji O. P.*

Dilebta, *monographie d'un village libanais*: VI (*illustré*) (p. 505) *Abbé P. Raphaël.*

Deir-ez-Zor (*illustré*). (p. 514) *P. F. Taoutel S. J.*

La tarification de l'énergie électrique. (p. 523) *P. J. Blampois S. J.*

Un pédagogue libanais: Le Frère Séraphin-Victor (1879-1922): I (p. 530) *F. M. B.*

Le ciment libanais (*illustré*) : II (*fin*) (p. 536) *Mr Antoine Baz.*

Revue des Revues : Le culte d'Adonis et les découvertes de Râs Chamrâ. — A propos de collèges. (p. 544)

Varia : Nouvelles découvertes à Byblos. — Les eaux au Hedjas. — Le fléau des paris. — L'appel à la prière par radio. (p. 548)

Bibliographie : (p. 550)

Ephémérides du mois : (p. 560)

AOUT-SEPTEMBRE

Mathieu, auteur du 1er Évangile. (p. 561) *P. Salhani. S. J.*

Notes de lexicologie : I (p. 577) *Mr S. K. Rezk.*

Réplique à la critique. (p. 588) *P. Marmardji O. P.*

Antioche, centre de tourisme. (*illustré*). (p 599) *P. Lammens S. J.*

Fléaux modernes. (p. 606) *Dr A. Gemayel.*

Le triomphe de l'Eglise au concile d'Ephèse: I (p. 612) *P. J. Nader R. A.*

Ar-Risâlat al-Ḥatimiya: VI (p. 623) *Mr F.-E. Boustany.*

L'église de Châmât, notes historiques et archéologiques : I (*illustré*). (p. 633) *Abbé J. Amchiti.*

Les « Ḥial », échappatoires dans le droit musulman. (p. 641) *P. Lammens S. J.*

Dilebta, *monographie d'un village libanais* : VII (p. 647) *Abbé P. Raphaël.*

Deir-ez-Zor moderne : I (*illustré*) (p. 657) *P. F. Taoutel S. J.*

De la Sainteté de l'Eglise : II (p. 666) *P. A. Audin S. C.*

Un pédagogue libanais: Le Frère Séraphin-Victor (1879-1922) : II (*illustré*). (p. 673) *F. M. B.*

Le dictionnaire al-Boustân : notes critiques. (p. 679) *Mr F.-E. Boustany.*

Des défauts des dictionnaires arabes (p. 683) *Abbé P. Boustany*

Qabaday ! , *comédie* : I (p. 689) *Mr J. Ghossoub.*

Revue des Revues : Le sens du mot « Adab ». — Une opinion sur l'enseignement de littérature arabe. — L'Angleterre honore Jeanne d'Arc. (p. 701)

Varia : La production de l'or. — Les automobiles dans les états sous mandat. — La presse en Syrie et au Liban. — Le Catholicisme en Corée. (p. 706)

Bibliographie : (p. 708)

Ephémérides du mois : (p. 720)

OCTOBRE

Les fouilles américaines à Beisan: I (p.721) *P. Marmardji O. P.*

Le triomphe de l'Eglise au concile d'Ephèse : II (p. 729) *P. J. Nader R. A.*

Notes de lexicologie : II (p. 737) *Mr S. K. Rezk.*

Deir-ez-Zor moderne: II (*illustré*) (p. 745) *P. F. Taoutel S. J.*

L'église de Châmât, notes historiques et archéologiques : II (*illustré*) (p. 753) *Abbé J. Amchiti.*

Ar-Risâlat al-Ḥatimiya : VII (p. 759) *Mr F.-E. Boustany.*

Dilebta, *monographie d'un village libanais* : VIII (p.768) *Abbé P. Raphaël.*

Un pédagogue libanais: Le Frère Séraphin-Victor (1879-1922): II (p. 775) *F. M. B.*

Qabaday ! , *comédie* : I (p. 780) *Mr J. Ghossoub.*

Varia : Le XVIIIe congrès orientaliste international. — Voyageurs et estiveurs. — La Chique. — Les populations de l'Italie, du Japon et de la Chine. — Découvertes archéologiques en Transjordanie. (p. 790)

Bibliographie : (p. 792)

Ephémérides du mois. (p. 800)

NOVEMBRE

De l'unité des Eglises. (p. 801) *P. A. Audin S. C.*

Les fouilles américaines à Beisan :II (*fin*) (p. 808) *P. Marmardji O. P.*

La situation religieuse dans l'Arabie préislamite. (p. 815) *P. Lammens S. J.*

Dilebta, *monographie d'un village libanais* : IX (*fin*) (p. 822) *Abbé P. Raphaël*

La délégation du patriarche Youssef el-'Aqouri à Rome. (p. 832) *P. F. Taoutel S. J.*

Le centenaire de la nouvelle mission des Pères Jésuites au Liban et en Syrie. (*illustré*) (p. 837) *Cheikh S. Dahdah.*

Le paratonnerre électrique. (*illustré*) (p. 847) *Mr A. Raz.*

Ar-Risâlat al-Hâtimiya : VIII (p. 854) *Mr F.-E. Boustany.*

Un pédagogue libanais : Le Frère Séraphin-Victor (1879-1922): IV (*fin*) (p. 860)

Revue des Revues : Le Catholicisme en Chine. — Termes techniques tirés le Kitâb al-Hayawân. — Principaux articles orientaux. (p. 865)

Varia : Documents arabes. — Le lait caillé. (p. 871)

Bibliographie : (p. 873)

Ephémérides du mois : (p. 880)

DÉCEMBRE

Allocution prononcée à l'occasion du Centenaire de la mission des Jésuites au Liban et en Syrie. (*illustré*) (p. 881) *P. C. de Bonneville S. J.*

Discours prononcé à l'inauguration du monument du Père Cattin. (*illustré*) (p. 888) *Mr A. Naccache.*

Comment Damas devint Capitale. (p. 892) *P. Lammens S. J.*

Deir-ez-Zor et la situation économique dans le district de l'Euphrate. (*illustré*) (p. 897) *Mr J. Taoutel.*

Quelques remarques à propos de l'étude sur Deir-ez-Zor (p.909) *Mgr A. Nouri.*

De l'éducation de la volonté (p. 911) *P. A. Audin S. C.*

Ar-Risâlat al-Hatimiaya: IX (*fin*) (p. 925) *Mr F.-E. Boustany.*

La Primauté du Saint Père au concile d'Ephèse (p. 936) *P. J. Nader.*

Revue des Revus : Le mouvement du nationalisme arabe — La ǧizia et le naraǧ. (p. 940)

Varia : Un monument à Mgr. Germanos Farhat — Le cinquantenaire du séminaire Ste Anne de Jérusalem. — Les voitures Michelin. — Le plus grand pont de l'univers. — Statistiques d'automobiles. — Une grande Cathédrale à Madagascar. (p. 949)

Bibliographie : (p. 952).

Ephémérides du mois : (p. 960)

المشرق

السنة الثلاثون — كانون الثاني ١٩٣٢

لوقا صاحب الانجيل الثالث

بقلم الاب انطون صالحاني اليسوعي

ما يُعرف عن القديس لوقا

الله

الاسم « لوقا » Λουκᾶς هو مجتزأ من الاسم اليوناني « لوقيانوس » Λουκιανός ، او « لوقيليوس » Λουκίλιος ، او على الارجح من « لوقانوس » Λουκανός . يؤيد ذلك العنوان الذي يُروى في كثير من النسخ القديمة للترجمة اللاتينية المسماة « إيتلا » *Itala* وهو «انجيل لوقانوس»[1] .

---

١) ان هذا الاجتزاء لم يكن نادرًا عند اليونان والرومان . ولدينا امثلة عديدة على ذلك نحو : سيلاس عوض سيلفانوس ؛ زيناس عوض زينودور ؛ ديماس عوض ديمتريوس ؛ ارتيماس عوض اريتميدور ؛ كليوباس عوض كليوباتر ؛ هرماس عوض هرماغوراس ؛ الكساس عوض الكسندر الخ . . . وهذه العادة وجدت في بلادنا السورية قديمًا ، وخاصة حديثًا نحو : جبرا ، جبّور ، جبران عوض جبرائيل ؛ انطون ، طنوس عوض انطونيوس ؛ كابي عوض كبريل ؛ زوزو عوض جوزيف ؛ ليزا عوض اليصابات او إليزابيت الخ .

ورد هذا الاسم « لوقا » في ثلاثة مواضع من العهد الجديد : في رسالة بولس الرسول الى اهل كولسّي (٤ : ١٤) : « يسلّم عليكم لوقا الطبيب الحبيب » . وفي رسالته الثانية الى تيموتاوس (٤ : ١١) : « ومعي لوقا وحده » . وفي رسالته الى فيلمون (٢٤) : « ولوقا معاوني » .

ان هذا الاسم «لوقا» هو اسم صاحب الانجيل الثالث من الاناجيل الاربعة القانونية المقبولة في الكنيسة ؛ كما يشهد على ذلك التقليد الصحيح المتواصل من اوائل النصرانية . وسنبيّن هذه الحقيقة في مقالتنا هذه .

ان لوقا هذا الانجيلي هو غير الشخص المسمّى « لوقيوس » الذي ورد اسمه في اعمال الرسل (١٣ : ١) : « لوقيوس القيريني » ؛ وفي رسالة بولس الرسول الى الرومانيين (١٦ : ٢١) : « يسلّم عليكم تيموتاوس معاوني ولوقيوس » .

وُلد القديس لوقا بمدينة انطاكية قاعدة سورية . يتضح ذلك مما قاله اوسابيوس [١] المؤرخ الكنسي (ك ٣ ، ف ٤) « ان لوقا مولود في انطاكية » . ويؤكد ذلك ايضاً القديس ايرونموس [٢] : « الانجيلي الثالث هو لوقا الطبيب . كان من انطاكية سورية وهو الذي يُثنى عليه في امر الانجيل» (٢ كور ٨ : ١٨) وكان تلميذاً لبولس الرسول . وقد ألّف كتابه في جهات اكائية وبيوسية . روى الحوادث من اول حياة يسوع كما صرّح هو ذاته في بدء انجيله . وروى ما سمعه لا ما شاهده » .

لم يكن لوقا يهوديّ المولد ، بل كان من الوثنيّين . نستخرج ذلك من اقوال بولس الرسول في رسالته الى اهل كولسّي (٤ : ١٠) ، فان بولس بعد ان ذكر ثلاثة من صحبه ومعاونيه ، وهم أرستركس ومرقس ويستُس ، قال عنهم انهم « من اهل الختان » . ثم ذكر ثلاثة آخرين من صحبه ومعاونيه ، وهم أبفراس ولوقا وديماس . فلو كان هؤلاء من اهل الختان ، لكان ذكر ذلك ، او اقلّه لما كان خصّص الثلاثة الاوّلين بانهم من اهل الختان . فلوقا اذاً اتى من الوثنية الى النصرانية ، فيكون وُلد من ابوين وثنيّين . ويكون لوقا وحده ما

١) الآباء اليونان لمين ، المجلد ٢٠ ، العمود ٢٢٠

٢) الآباء اللاتين لمين ، المجلد ٢٦ ، العمود ١٨

بين الانجيليين من اصل وثني. ولا ينفي قولنا هذا ما نجده من نوع التعبير العبراني في بعض العبارات من الانجيل واعمال الرُسل . لان هذا النوع من التعبير يُنسب الى المصادر التي استقى منها لوقا.

يصعب تعيين الزمان الذي فيه اعتنق لوقا الدين المسيحي . لكن يمكننا ان نعرف ذلك بالتقريب . فان لوقا من انطاكية سورية كما سبق لنا القول . فلا نكون بعيدين عن الحقيقة ان قُلنا انه انضم الى النصرانية عند ما دخل الدين المسيحي هذه المدينة . ويُفهم مما قاله ترتليانوس في كتابه[1] ضدّ مرقيون (٤:٢) ان لوقا كان تلميذاً لبولس الرسول. ولعله ارتدّ على يده . ومن ثمّ يتضح لنا سبب الصداقة التي تمكنت بين بولس ولوقا قال ترتليانوس : « لم يكن لوقا رسولاً بل رسولياً ، لا معلماً بل تلميذاً . كان ادنى من معلمه تابعاً للرسول المتأخر اي لبولس بدون شك ».

ونعلم مما قاله بولس الرسول ان لوقا كان طبيباً : « يسلم عليكم لوقا الطبيب الحبيب » (كولسي ٤ : ١٤) . ويؤيد قول بولس اولاً اقوال الكتبة الكنسيين في اوائل النصرانية الذين ذكروا ان لوقا كان طبيباً . ثم ثانياً ما ورد في انجيل لوقا واعمال الرُسل من العبارات المستعملة عند اشهر اطباء اليونان كبقراط وجالينوس ، والوصف الدقيق للامراض الدالّ على ان لوقا كان يعرف الطبّ . وقد اورد شارحو انجيل لوقا واعمال الرسل امثلة عديدة على ذلك . وامتاز لوقا عن سائر الانجيليين في هذا الموضوع . يكفي ان نذكر ما قاله لوقا عن نزاع يسوع في بستان الزيتون . فقد وصف وصوّر لنا هذا النزاع بظروف لم يذكرها غيره من الانجيليين (لوقا ٢٢ : ٤١ ٤٥).

وهنا موضع للسؤال أكان لوقا مصوّراً كما ذكر غير واحد من الكتبة ؟ ان القديس توما الاكويني[2] في كلامه عن التقليد قال : « ومن التقليد نعرف ان الطوباوي لوقا صوّر صورة المسيح الموجودة في رومية » . والتقليد الذي يقول ان لوقا كان مصوّراً كان معروفاً في القرن السادس للمسيح. وذكر ثاودوروس

١) الآباء اللاتين لمين ، المجلد ٢ العمود ٢٩٢ و٢٩٣

٢) في مجموعته اللاهوتية الجزء ٣ ، السؤال ٢٥ ، الباب ٣ ، الجواب على الاعتراض ٤

القارئ[1] (في تاريخه الكنسي ١ : ١) ان اثدوكيا الملكة ، اذ كانت في اورشليم ، ارسلت ، في نواحي السنة ٤٠٠ ، الى بولخيريا في القسطنطينية صورة مريم العذراء من تصوير القديس لوقا . ومهما يكن من الصحة في نسبة بعض الصور الى القديس لوقا فانه من الثابت ان القديس لوقا في كتاباته يظهر بصفات المصوّر اذ يصف لنا الامور كانه يصورها العقل وللعيون .

ذكر القديس ابيفانيوس (في كتابه ضد الهرطقات ٥١ : ٦) ان لوقا كان احد الاثنين والسبعين تلميذاً . والذين اتبعوا هذا الرأي من الكتبة يؤيدون قولهم بانّ لوقا (١٠ : ١) وحده ذكر ارسالية الاثنين والسبعين تلميذاً ، وما اوصاهم به يسوع اذ ارسلهم يكرزون ببشارة الانجيل ، وما تمموه في هذه الرسالة وعودتهم الى يسوع الخ . الّا ان لوقا ذاته في بدء انجيله (١ : ١—٢) ينفي سلفاً هذا الرأي بقوله : « اذ كان كثيرون قد اخذوا في ترتيب قصص الامور المتيقّنة عندنا كما سلّمها الينا الذين كانوا معاينين منذ البدء وخادمين للكلمة » . فاذاً لوقا لم يكن من المعاينين ، ومن ثمّ لم يكن تلميذاً ليسوع في حياته على الارض . وقد سبق لنا القول ان لوقا قد ارتدّ من الوثنية الى النصرانية ، اذ تنصّر اهل انطاكية . ولنا دليل آخر على ذلك وهو ترتليانوس ، (ضدّ مرقيون ٤ : ٢) ، بقوله كأمرٍ ثبت ان لوقا لم يكن تلميذاً ليسوع المسيح . فاكّد ترتليانوس وكذلك ايريناوس (ك ١ ، ف ٢٠) قائلين ان لوقا « رجل رسوليّ » اي معاصر للرسل بعد صعود المسيح الى السماء . وفي قانون موراتوري يقال عن لوقا انه « لم يعاين الربّ في الجسد » .

ان لوقا يُطلعنا على قسمٍ عظيم من حياته اذ يقصّ لنا خدمته للانجيل بالاشتراك مع بولس الرسول في اسفاره وذلك في سنين عديدة . فيبتدئ بالاخبار بصيغة المتكلّم في الفصل ١٦ من اعمال الرسل ، الآية ١٠ ، وكان بولس اذ ذاك في ترواس . « فظهرت لبولس رؤيا ليلاً وقف به رجل مكدوني يسأله ويقول اعبر الى مكدونية وأعننا . فلما رأى الرؤيا طلبنا لوقت ان نسير الى مكدونية موقنين بانّ الرب قد دعانا لنبشرهم . فاقلعنا من ترواس وسرنا سيراً مستقيماً

---

١) الآباء اليونان لمين ، المجلد ٨٦ ، الجزء الاول ، العمود ١٦٥

الى ساموتراكية وفي الغد الى نيابلس ومن هناك الى فيلبي التي هي اول مدينة في ارض مكدونية وهي كولونية فأقمنا بتلك المدينة اياماً» (اعمال١٦: ٩-١٢). ونراه ايضاً في ما بعد ، في تلك المدينة العظيمة مع معلّمه بولس .

ثم ان بولس في سفره الثاني ، بعد ان بشّر اهل فيلبي وتركهم ليبشر في اكائية ، ابقى في فيلبي لوقا ليعتني بالكنيسة التي انشأها هناك وليثبت المسيحيين الجدد بالايمان . فأقام لوقا في فيلبي بضع سنوات بعيداً عن بولس . والدليل على ذلك انه في الفصل ١٧: ١ الى الفصل ٢٠: ٥ من سفر الاعمال،اذ بشّر بولس باكائية لم يعد لوقا يروي الاخبار بصيغة المتكلم كما فعل من الفصل ١٦: ١٠ ، بل بصيغة الغائب فيروي الاخبار عن سمع لا عن بصر: «وبعد ان اجتازا (بولس وسيلا) في امفيبوليس وابلونية وصلا الى تسالونيكي الخ.» الى ان كان سفر بولس الثالث وعزم على المسير الى اورشليم ، فنرى لوقا من جديد من جملة الذين رافقوه. ومن ثمّ في سفر اعمال الرسل (٢٠: ٥) عاد لوقا يروي الاخبار بتفصيل وبصيغة المتكلم : «هؤلاء سبقوا وانتظرونا في ترواس . اما نحن فاقلعنا من فيلبي بعد ايام الفطير، ووافينا في خمسة ايام الى ترواس حيث مكثنا سبعة ايام... ومن هناك توجّهنا الى اورشليم مارّين بأسس وميتلانة وساموس وميلتس وكوس ورودس وباترا وصور وعكا. فاورشليم»(اعمال٢٠: ٥-٧و١٤و٢١: ١-١٦). فانّ لوقا بنوع ايراده اسفار بولس يبيّن جلياً انه شاهد عيانيّ لما يقصّه اذ انه يورد بتفصيل ودقة الامور التي جرت فيسمّي الاماكن التي يمرّ بها برفقة بولس، والاشخاص الذين يتحدّث معهم الرسول ، والخطب التي ينطق بها.

وفي تلك الاثناء قُبض على بولس في اورشليم في الهيكل وسُجن مدة سنتين في قيصرية . ثم أُرسل الى رومية لانه كان قد رفع دعواه الى قيصر . فرافقه لوقا الامين ، وكان شريكه في كل ما قاساه من الاتعاب والمخاطر في هذا السفر خاصةً اذ غرق المركب الذي كانا مبحرين عليه . فقد اخبر لوقا بكل ذلك برواية هي من اجمل الروايات في العهد الجديد (اعمال ٢٧ : ١ - ٢٨: ١٦). قال القديس ايرونيموس(في كتابه « مشاهير الرجال » الفصل ٧)[1] :

١) الاباء اللاتين لمين ، المجلد ٢٣ ، العمود ٦٥٠

ان لوقا رافق تيطس الى كورنتس لجمع الصدقات باسم بولس كما ورد في رسالة بولس الثانية الى اهل كورنتس (٨:١٨-١٩) : « وقد بعثنا معه (مع تيطس) الاخ الذي يُثنى عليه في امر الانجيل في جميع الكنائس . وليس ذلك فقط بل قد اختارته الكنائس رفيقاً لنا في السفر من اجل النعمة التي نخدمها لمجد الرب وابداء نشاطنا »

ثم اننا نشاهد لوقا لآخر مرة في اسر بولس الثاني برومية . وكان ذلك اربع سنوات بعد انتهاء اسره الاول . ففي تلك الاربع السنوات امكن بولس ان يزور اسبانية (رومية ١٥ : ٢٤-٢٨) ، ثم يعود فيزور الكنائس التي كان أسسها في مكدونية واكائية وآسية وغيرها من البلدان ، وفرّق اعوانه ليهتموا بتلك الكنائس . وقُبض على بولس على الارجح في ترواس[1] بمكيدة من اسكندر النحاس وهمنايوس اللذين كان بولس اسلمهما الى الشيطان لتأديبهما (١ تيموتاوس ١ : ٢٠ و ٢ تيموتاوس ٤ : ١٤) . ومن ترواس اقتاد الجند بولس اسيراً الى افسس ، ثم بالبحر الى رومية . فيكون التقى بلوقا في ترواس كالمرة الاولى ، او في احدى المدن التي كان لوقا يبشّر فيها . ومن ثم عزم لوقا على ان يكون بجانب بولس برومية كصديق محبّ يعزّ عليه فراق صديقه ذاك الرسول البطل . يؤكد لنا ذلك بولس في رسالته الثانية الى تيموتاوس التي كتبها في اسره الثاني برومية (٤ . ١١) : « معي لوقا وحده » .

فلماذا اذاً لم يدوّن لوقا في كتابه « اعمال الرسل » ما تمه بولس في السنوات الاربع التي قضاها بين اسره الاول والثاني (من السنة ٦٣ الى ٦٧) . وخاصةً خبر استشهاده . انّ السبب لعدم تدوين لوقا هذه الامور هو انه كان ارسل الى تاوفيلس سفر اعمال الرسل حالاً بعد خروج بولس من اسره الاول وافتراقه عنه

---

١) كان بولس نازلاً في ترواس عند رجل اسمه كربُس . فاذ قُبض عليه بغتة لم يتمكن من اخذ حوائجه فترك عند كربُس رداءه وكتبه وصحف الرقّ . فاذ كان في الاسر ارسل الى تيموتاوس يطلبها : « أحضر معك عند قدومك الرداء الذي تركته في ترواس عند كربُس والكتب وخصوصاً صحف الرقّ ، ان الاسكندر النحاس قد فعل بي شرّاً كثيراً وسيجازيه الرب على افعاله » (١ تيموتاوس ٤ : ١٣ و ١٤) .

للرسالة والتبشير . فلم يتسنَّ له ان يضيف الى ذلك السفر ما عمله بولس في تلك الاثناء ، ولا استشهاده.

بعد استشهاد بولس الرسول في رومية في السنة ٦٧ للمسيح ، لا نعرف شيئاً عن حياة القديس لوقا ولا عن خدمته للكلمة ، ولا اين عاش ، ولا كيف مات . فان التقليد يسكت عن كل ذلك او اقلّه لا ينبئنا عن شيء ثبت. قال ابيفانيوس [1] (في كتابه « ضد المرطقات » المرطقة ٥١ ، العدد ١١) « ان لوقا بشّر في دلماتية وغالية [2] وايتالية ومكدونية ». وقال غيره انه كرز في اكائية وفي مصر . ثم ان القديس غريغوريوس الثاولوغوس النزينزي [3] هو اول من ذكر استشهاد القديس لوقا (في عظته الرابعة ، وهي الاولى ضدّ يوليانوس الجاحد ، العدد ٢٩) .

البراهين على وجود الانجيل الثالث في اوائل النصرانية

شهادة الآباء الرسوليين

ان الكتبة في اواخر القرن الاول المسيح واوائل القرن الثاني قد اعترفوا بوجود الانجيل الثالث من الاناجيل الاربعة القانونية المقبولة في الكنيسة ، اذ انهم كثيراً ما ذكروه في كتاباتهم ، وان لم يصرّحوا باسم صاحبه.

١ القديس كليمنت. ان هذا القديس ، البابا الثالث بعد القديس بطرس ، توفي في السنة ١٠١ للمسيح . ففي رسالته الاولى الى اهل كورنثية (٤٨ : ٤) يشير الى انجيل لوقا (١ : ٧٤ و٧٥) : « نعبده بلا خوف بالبرّ والقداسة جميع ايام حياتنا ».

ويقول في رسالته(١٣ : ٢) : « ارحموا لتنالوا رحمة اغفروا يُغفر لكم . اعطوا.

---

١) الآباء اليونان لمين ، المجلد ٤١ ، العمود ٩٠٨

٢) ان ابيفانيوس يؤكد الاسم غالية وينفي الاسم غلاطية . الا ان الآية التي يذكرها من رسالة بولس الرسول الثانية الى تيموثاوس (٤ : ١٠) ليؤيّد رأيه ، تبطل زعمه ، لان الآية هي « وكرسكاس انطلق الى غلاطية».

٣) الآباء اليونان لمين ، المجلد ٣٥ ، العمود ٥٨٢

تُعطَوا. كما تقضون يُقضى عليكم. كما ترأفون تنالون رأفة. بالكيل الذي تكيلون به يكال لكم ». (راجع لوقا ٦: ٣٦–٣٨)

ويقول ايضاً في الرسالة ذاتها (٤٦ : ٨) : « الويل لذلك الانسان. كان خيرًا له لو لم يكن ولد من أن يشكك احد مختاريَّ. كان خيرًا له لو عُلّق في عنقه حجر الرحى وطُرح في البحر من ان يُفسد احد مختاريَّ ». ان هذا مأخوذ من انجيل لوقا (١٧ : ١–٢ و ٢٢ : ٢٢) : « الويل لمن تقع عن يده (الشكوك) انه خير له لو عُلّق في عنقه حجر الرحى وطُرح في البحر من ان يشكك احد هؤلاء الصغار ». « الويل لذلك الرجل ».

٢ كتاب تعليم الرُسل المسمى «ديدكه». ان هذا الاثر النفيس الذي ظهر في اواخر القرن الاول للمسيح[1] يذكر (في الفصل الاول العدد ٥) : « كلّ من سألك فأعطه ولا تطالبه » راجع لوقا (٦ : ٣٠) : « كل من سألك فأعطه. ومن اخذ مالك فلا تطالبه ».

٣ القديس اغناتيوس الشهيد اسقف انطاكية. عاش هذا القديس في اواخر القرن الاول للمسيح واوائل القرن الثاني. واستشهد على عهد الامبراطور ترايان في نواحي السنة ١٠٧ للمسيح. في رسالته الى اهل ازمير (٣ : ٢) كتب : « امسكوني جسّوني وانظروا اني لستُ روحاً غير جسميّ ». راجع لوقا (٢٤: ٣٩) : « جسّوني وانظروا فان الروح لا لحم له ولا عظام كما ترون لي ».

٤ القديس بوليكربوس الشهيد اسقف ازمير. ان هذا القديس عاش من السنة ٦٩ الى السنة ١٥٥ للمسيح. وكان اسقف ازمير في السنة ١٠٧ للمسيح، اذ ان القديس اغناتيوس في سفره الى رومية حيث استشهد في السنة ١٠٧، كما سبق لنا القول، ارسل له رسالة يوصيه فيها بكنيسة انطاكية. ففي رسالة بوليكربوس الى اهل فيلبي (٢ : ٣) قال : « اذكروا ما علّمنا الرب قائلًا لا تدينوا لئلا تُدانوا. اغفروا يُغفر لكم. ارحموا لتنالوا رحمة. بالكيل الذي تكيلون به يكال لكم. » وايضاً : « طوبى للمساكين وللمضطهدين فانّ

---

١) راجع المشرق (٢٩[١٩٣١]١)

لهم ملكوت السماوات» . راجع لوقا (٦ : ٣٧ و٣٦ و٣٨ و٢٠) : « لا تدينوا فلا تدانوا . كونوا رحماء كما انّ اباكم هو رحيم . بالكيل الذي تكيلون به يكال لكم » . « طوبى لكم ايها المساكين فان لكم ملكوت الله » .

٥ شذرات الكهنة الرسوليين.

(هذه الشذرات هي من اقوال الكهنة الذين سمعوا تعاليم تلاميذ يسوع وتلاميذ الرسل) . في الشذرة ٦ ، القسم الاول ، العدد ١٩ ، يروى : « كما ان الرب انتقم من المصريين الذين عذبوا الاسرائيليين هكذا يصير هنا حسب قول الرب : ألا ينتقم الله لمختاريه الذين يصرخون اليه نهاراً وليلاً . اقول لكم انه ينتقم لهم سريعاً » . فهذه الجملة لا توجد الّا في انجيل لوقا وهي مأخوذة حرفيًّا منه « اتُرى الله لا ينتقم لمختاريه الذين يصرخون اليه نهاراً وليلاً او يتأنى في امرهم . اقول لكم انه ينتقم لهم سريعاً » (لوقا ١٨ : ٧–٨) .

٦ الراعي هرماس (كتب بين السنتين ١٣٩–١٥٤ للمسيح ، وهو شقيق البابا بيوس الاول) . في التشبيه التاسع ، الفصل ٢٠ ، العدد ٢–٣ قال : « ان الذين ينهمكون في اشغال كثيرة مختلفة لا ينضمون الى خدّام الله لكنهم يضلّون ويختنقون باشغالهم . فالاغنياء يصعب عليهم الانضمام الى خدّام الله لخوفهم من ان يُطلب منهم شيء . فمثل هؤلاء يصعب عليهم ان يدخلوا ملكوت الله . وكما انه يصعب على حافي الرجلين ان يمشي على الشوك كذلك هؤلاء الناس يصعب عليهم ان يدخلوا ملكوت الله » راجع لوقا (١٨ : ٢٤) : « ما اعسر على ذوي الاموال ان يدخلوا ملكوت الله . »

فيتضح مما اوردناه من الآباء الرسوليين، سواء أعاشوا في رومية او في انطاكية او في ازمير، انهم كانوا مطلعين على الانجيل الثالث انجيل لوقا . ولا بُدّ ان هذا الانجيل كان انتشر قبل عهد هؤلاء الآباء الرسوليين ، فيكون كُتب على عهد رسل المسيح .

(للبحث صلة)

سورية في زمن الفتح العربي

شعوبها ، لغاتها ، اديانها

بقلم الاب لامنس اليسوعي

كم كان عدد سكان سورية في زمن الفتح العربي ؟ والى اية عناصر مختلفة كانوا ينتمون ؟ واي لغة كانوا يتكلمون ؟ وباي دين كانوا يدينون ؟ اسئلة مختلفة نجتهد في الاجابة عنها في هذا المقال :

هل جمعت سورية، بين حدودها الطبيعية من طورس الى سيناء، في عصر من العصور، عشرين مليوناً من السكان، كما يقول غير العارفين ويتناقله غير المحققين ؟

يؤكد نجيب العازوري في كتابه « يقظة الامة العربية » انه ، في زمن الملك داود ، كان في تلك الزيرة التي تقوم عليها مدينة صور مليون من السكان ، وكانت فلسطين تعدّ خمسة عشر مليوناً . ثم اننا اذا اخذنا بزاعم يوسيفوس المؤرخ اليهودي لَلزمنا ان نجعل في مقاطعة الجليل وحدها اكثر من مليون نفس . وكلها آراء غريبة مجازف فيها ومزاعم لا تستند الى برهان. على ان اغربها واقربها الى المجازفة ما ذكرته مجلة « الهلال » (كانون الثاني ١٩٢٦ ص ٣٥٣ . . .) من انه كان في سورية ، قبيل وصول العرب ، ثلاثون مليوناً من السكان . . . فهل اراد الكاتب ان يعبث فيضاعف العدد الذي ولّدته مخيلة نجيب العازوري ؟ . . وقد اشتهر هذا بكتاباته الثورية وعمله على هياج الخواطر ، ولكنه كان ابعد ما يمكن عن التحقيق التاريخي والبحث العلمي ، فلم يكن ليتحرّج كثيراً في تكثير الاعداد وركم الارقام.

بيد اننا يمكن ان نعتبر، دون ان نُنسب الى المجازفة ، ان فلسطين ، في القرن الاول للمسيح ، قد وصلت الى عدد من السكان قد يكون ضعف

العدد الحالي. اما كل البلاد الشاملة لمقاطعات فلسطين وسورية فقد تكون بلغت، اذ ذاك، السبعة الملايين. وهو عدد مهمّ اذا انتبهنا لمظهر البلاد الجغرافي فقدّرنا المساحة الكبيرة التي تشغلها الجبال الخالية والبوادي المقفرة. ويجب ان لا ننسى انه كان لا يزال، في ذاك العهد، كثير من الغابات الكثيفة المغطية جبال الشمال والوسط. فلم يكن في لبنان خمس سكانه الحاليين.

لا شك ان عاصمة هذه البلاد، انطاكية، كانت قد وصلت الى عدد من السكان لا يقل عن ٣٠٠,٠٠٠ نفس. ويقول اسطرابون ان افامية، وهي ثانية المدن اذ ذاك، بلغ عدد سكانها ١١٧,٠٠٠ وطني، عدا العبيد والموالي. على انني اظن ان قد وقع غلط في هذا العدد، او انه ينطبق لا على مدينة افامية فحسب، بل على كل المقاطعة التابعة لها. وذلك ان خرائب افامية المكتشفة مؤخرًا لا تدل على مدينة كانت تحوي العدد الذي يذكره اسطرابون. ومهما يكن من امر فاننا لا نرى كثيرًا من المدن تقرب من انطاكية في عدد السكان. فان حلب كانت مدينة وضيعة. ثم ليس لدينا ما يبرهن ان دمشق وبيروت تجاوزتا، على عهد الرومان، الخمسين الفًا. ويؤكد اوجين كافنياك (Cavagnac) ان المدن الفنيقية الكبيرة كصيدا ومثيلاتها، لم يتجاوز سكانها حتى في ازهى عصور الازدهار، الثلاثين او الاربعين الفًا. اما قيسارية، وهي اليوم مجموعة خرائب، واورشليم، فمن المؤكد انهما بلغتا ضعف هذا العدد على الاقل. ولكن اذا فحصنا حالة الجبال نرى ان جبال العلويين والجبال اللبنانية تظهر مقفرة اذ ذاك، بالنسبة الى ما هي آهلة به اليوم من السكان الذين لجأوا اليها منذ القرون الوسطى. فنرى ان كثيرًا من هذه الارقام تتقابل فتتعادل تقريبًا، فحيث نقص عدد السكان اليوم كانت زيادة في الماضي، والعكس بالعكس. على ان نتيجة الموازنة تُظهر فضلًا مهما لعدد سكان العصر الروماني على العدد الحالي. ولكنه لا يتجاوز بهم كثيرًا المجموع الذي قدّرناه سابقًا، وهو سبعة ملايين.

علينا الآن ان نسأل: وما هو سبب هذا النقص الحالي في السكان؟ هو ان سورية، بعد عهد الرومانيين، اخذت بالانحطاط شيئًا فشيئًا. بدأ ذلك

في حياتها المادية فاخذت مظاهر رخائها تضمحل رويداً رويداً. بفضل ما انزله بها البيزنطيون من انواع الضرائب ومن طرق جبايتها خصوصاً ، وبفضل الحروب الدائمة مع الفرس التي عملت عملها الفعّال في انقاص عدد السكّان ، كما عملت على خراب القرى الزاهرة التي كانت منتشرة في منطقة تدمر . والى ذلك العهد يرتقي عدد كبير من « الخِرَب » (ج. خِرْبة) التي يشاهد المسافر آثارها المحزنة في شمال سورية ، ومنطقة حمص ، وحوران ، وشرق الاردن ، فتدلّ على ازدهار سالف ، وتسم منطقتها الحاضرة بسمة خاصة من الدثور والتلاشي . وفضلاً عن ذلك فان كثيراً من مدن الشاطئ الفنيقي وانطاكية واللاذقية خرب قسم صالح منها ، في القرن السادس ، بما تتابع عليها من الهزات والزلازل.

اذا انتبهنا الى كل ما تقدم من اسباب الخراب ، رأينا ان الفتح العربي لم يؤثر كثيراً في انقاص عدد السكان من الوطنيين . فان الكتائب الرومية التي انتصر عليها خالد بن الوليد كانت اكثرها مؤلفة من جنود اجانب يحاربون مأجورين . فكان اهل البلاد يقفون وقفة المتفرّج امام تلك المعارك التي لم يكونوا ليروا في نتيجتها اولاً الّا ابدال سيّد بسيّد ودولة بدولة . ثم ان كثيراً من المدن فُتحت صلحاً فلم يصب اهلها كبير عناء . ولكن لا يذهب عن بالنا ان بعض مؤرخي الفتوح من العرب يذكرون في السوريين اذ ذاك ميلاً الى المهاجرة ؛ وفعلاً فان البعض منهم لم يمكنهم العيش تحت سلطة العرب ففضلوا ترك بلادهم . ونحن ، اذا اعتبرنا هذا الامر ، مع ما تقدم ذكره من الاسباب العاملة على مهلها في انقاص عدد السكان في مقاطعات سورية قبل وصول العرب ، ترانا مدفوعين الى القول ان سكان سورية ، في حدودها الطبيعية ، كانوا ، في زمن الفتح العربي ، يبلغون نحو الخمسة الملايين . فاين هذا مما تقدم ذكره من الارقام المركومة جزافاً ؟

***

اما العناصر الجنسية التي كانت تؤلف هؤلاء السكان فمتعدّدة متباينة . ولكن يمكن ردّها جميعاً، بطريقة اجمالية ، الى العنصرين الاصليين في الشعوب السورية ، وهما العنصر الآرامي في الشمال والوسط ، والعنصر الكنعاني -

الفنيقي على الشاطئ وفي الجنوب.

على الرغم من كون الحدود السورية طبيعية واضحة التحديد ، فان هذه البلاد لم تخلُ في عصر من العصور من تسرّب العناصر الدخيلة اليها . فان في الحاجز الشمالي الضخم الماثل بجبال طورس كثيراً من الثغر والمنافذ ، التي كان يدعوها اليونان «بالابواب» او (*Pyles*) والتي دعاها العرب بعدهم «بالدروب». وان الفرات يخفّ ازباده ، ايام الصيف ، فيصبح ممكناً قطعه على الاقدام . اما من الشرق والجنوب فلا تزال مفتوحةً ابواب البادية المترامية الاطراف . هذا فضلاً عن ان كل ما في سورية يثير رغبة الجيران ، وطمع الفاتحين . فهي اقرب طريق تجارية وحربية ، بل هي الجسر الواصل بين آسية الغربية ، وافريقية ، والبحر المتوسط ، فاوربة. والمعيشة فيها اوفر هناء ورخاء ، والمناخ الطف تأثيراً منها على بطائح الاناضول الباردة ، او في بوادي العربية القاحلة . وفيها الزراعة المتقنة تدرّ على اربابها الحبوب والخمر والزيت والازهار والثمار . وفي جبالها يسمو الارز الطيّب العَرف . فكان من حظّ هذه البلاد ان تكون قِبلة هجرة دائمة ، يأتيها الاجانب من جميع الجهات فيملأون الفراغ الحادث في سكانها السوريين الفينيقيين من جرّاء الحروب ، او الاوبئة ، او نتائج الحياة الوافرة الرخاء والسهولة . ولم تكن سورية تتمكن من مقاومة هذا التسرّب . فان الطبيعة شاءت ان تقسمها الى مناطق جغرافية متباينة منفصلة كل الانفصال بعضها عن بعض ، تألف منها في كل عصر مجموعة من الدويلات المستقلة نوعاً ما كل واحدة عن الاخرى ، فكان والحالة هذه من الصعب ان تمتنع على العناصر الغريبة . على انها ، وان لم تقوَ على منع التسرّب الاجنبي ، فانها كانت تستسيغ كل ما يأتيها من الخارج ولا تلبث ان تتمثله ، مؤثّرة في تلك العناصر الاجنبية التي كانت تنتهي ، على غير قصد منها ، بان تتحول الى عناصر سورية . ثم ان مرور الفاتحين المتتابع لهو مظهر من التاريخ السوري نادر المثال في تواريخ الشعوب. فانه يجعل لسورية قسطاً وافراً في جميع المدنيات القديمة، ونصيباً مهماً في جميع الافكار الدينية التي أثرت في العالم كله. كما انه يهيئ البلاد لنوع من العمران عجيب يأخذ من جميع مدنيات الشعوب

بطرف ولا يختص بواحدة منها ، ويعدّ اهل البلاد لمزيّة مهمة طالما شهروا بها ولا يزالون،وهي سهولة اللغات المختلفة على السنتهم ومقدرتهم على النبوغ فيها.

***

يجدر بنا الآن ان نشير الى التأثير المتواصل الذي كان يقوم به العرب على الحدود الشرقية . فان البدو الرحّل او اهل المدر من الرعاة ، كانوا كثيري الاقامة في تلك النواحي حتى ان العنصر العربي اصبح اهم العناصر في سكان تلك المنطقة . منهم خرج النبطيّون في بترا او صُلع ، ومنهم خرج التدمريون اصحاب زينب الزبّاء ، ومنهم خرج بعد ذاك الغسانيون عمّال البيزنطيين على خفارة الحدود العربية . ثم اتى بعد الغسّانيين كثير من القبائل فنزلوا على حدود البادية واخذوا يتحضرون نوعاً ما ، حتى اعتبروا انفسهم سوريين . هذا وقد كانت لغة النبطيين والتدمريين الآرامية .وما بقي من القبائل كانوا يتكلمون لغة عربية ، ولكنها بعيدة نوعاً ما عن لغة القرآن لكثرة ما كان فيها من المفردات والتعابير الآرامية.

اما في المدن الفنيقية القديمة فكانت قد اضمحلّت اللغة الكنعانية القديمة. ثم ادخل الموارنة الى لبنان اللغة الآرامية التي اصبحت لغة الشعب السوري الحقيقية الجارية في احكام معاملاته التجارية في الاسواق المختلفة ، وفي تأدية واجباته الدينية في الكنائس ، من شمال المناطق السورية - الفلسطينية الى جنوبها ، من انطاكية ، عاصمة البلاد ، الى اورشليم فغزّة . اما اليونانية فكانت لغة رجال الادب والوجاهة وارباب المصالح العامة. واما اللاتينية فكانت لغة الجيش والمحاكم. فيكون ، والحالة هذه ، ان برنامج الثقافة التامة في بلادنا السورية في القرن الخامس للميلاد ، كان يشمل اللغات الثلاث الآرامية واليونانية واللاتينية.

هذا وممن كان يسكن سورية من الشعوب اليهود ، فقد كانوا يكثرون خصوصاً في بلاد الجليل في جوار بحيرة طبرية ، وفي الناصرة التي كان اكثر سكانها من الاسرائيليين . وهناك ايضاً السامريون الذين كانوا يزيدون عدداً عن اليهود ويجتمعون كلهم في تلك المنطقة من فلسطين التي سُميت باسمهم ، فدُعيت السامرة . ويروي بعض المؤرخين انهم في القرن السابق للهجرة ،

جهّزوا جيشاً بلغ عدده مائة الف مقاتل، وهاجموا قلعة قيسارية المحصّنة ففتحوها عنوة. على انه لا يمكن قبول هذا العدد من المقاتلة لانه يفرض ان السامريين كانوا يبلغون النصف مليون، وهو اكثر من نصف ما كان عليه سكان فلسطين اذ ذاك، ونحن نعرف ان اكثر هؤلاء السكّان كانوا من المسيحيين. ثم انه كان في شمالي سورية طائفة من المانوية تحميهم شريعة الاسرار والخفايا. ولا يزال منهم بقايا حتى اليوم يعيشون في جبل سمعان ويُعرفون باليزيدية او عبدة الشيطان.

اما ما بقي من السوريين فكانوا ينتمون كلهم الى النصرانية.

ولكن ايّ نصرانية متجزّئة، متقسمة، متفرّعة من بدع القرن الخامس المختلفة! فكان هناك النساطرة، وهم اقلهم عدداً، واليعاقبة، واصحاب المشيئة الواحدة، ثم الارثوذكس. وكان هؤلاء يدعون «بالملكيين» او «الروم» اي الرومانيين لانهم كانوا يتبعون ايمان الامبراطورية الثانية المدّعية اتمام الامبراطورية الرومانية. على انه يظهر ان الملكيين فقدوا الاكثرية بالعدد، خصوصاً منذ حكم الامبراطور هِرقل (٦١٠–٦٤١) لان هذا كان من القائلين بالمشيئة الواحدة ومن اشدّ اصحابها غيرةً وحماسة. وان هذه الانقسامات كانت قد ادخلت في جميع الاذهان التضعضع والغموض وحب المشاحنات، حتى صرفتها عن واجب التفاهم والاتحاد في سبيل خير الامة. فكانت النتيجة ان الفاتح العربي، بعد ان انكسر جيش هرقل، لم يرَ امامه الّا فئات متضعضعة، مضطربة، لا دليل لها ولا قائد، خاضعة دون مقاومة لقبول ايّ استعباد كان.

وكان اليعاقبة، وهم اكثر ارباب البدع عدداً في سورية الشمالية والمتوسطة، في عراك دائم مع غيرهم من سائر المسيحيين. مما دفع الموارنة الى الالتجاء الى جبال لبنان. ثم ان اليهود والسامريين كانوا من جهتهم على خلاف متواصل يؤصله بغض قديم وتمدّه احقاد مجدّدة فتحمل الفريقين على معارك كانت اهول من معارك البدع المسيحية. ولم يكونوا يتفقون الّا على محاربة النصرانية، حيث كان يظهر السامريون باهول ما اتصفوا به من التعصّب الهائج الناهش. فكان منهم، ومن اليهود ايضاً، كثير من الجواسيس يخدمون الفاتح الجديد ويمهّدون امامه العقبات بالخبث والدهاء، لا حباً به، بل بغضاً بالانجيل وابنائه.

الصوم الاربعيني في القرن الرابع

في الشرق والغرب

اي في انطاكية واورشليم والاسكندرية وروما

بقلم نصرالله نصرالله (النبك)

هل وُجد الصوم الاربعيني في القرن الرابع في الكنيسة عموماً ، وفي كنائس انطاكية واورشليم والاسكندرية وروما خصوصاً ؟ وعلى فرض وجوده فكم يوماً كانت مدته ، ما هي نوعية التقشفات الممارسة في ذلك العصر ؟

مسائل جمة نبذل قصارى الجهد في الايجاب عنها معوّلين ، قدر الطاقة ، على مؤلفات الكتبة الكنسيين في ذيالك العصر[1] . لكن قبل الشروع في البحث يحسن بنا ان نقول كلمة عن حالة الصوم في القرون الثلاثة الاولى تتمة الفائدة .

ان اقدم شهادة تتكلم عن الصوم قبل عيد الفصح هي القديس ايريناوس وقد اطلعنا عليها اوسابيوس القيصري من جهابذة مؤرخي القرن الرابع[2] . ويُستدل منها ان الصوم كان يشمل الايام الاخيرة من جمعة الآلام . وعلى رأي العلّامة دوشين (Mgr. Duchesne) انه ، سواء كان هذا الصوم يوماً واحداً او اكثر يجب ان يعتبر متصلاً وغير منقطع . ويتبع ذلك بقول ترتليانس[3] انه لا يعرف

---

١) لنا ملاحظة في فاتحة هذا المقال وهي اننا لا نعوّل على نصوص بعض الكتب مثل: Les Canons d'Hyppolyte, La Constitution Apostolique Egyptienne, le Testament du Seigneur. لاننا لا يمكننا ان نحقق بتأكيد زمان تأليفها .

٢) *Cf* H. E. V, 25 ; *Patrologie Grecque* (Migne) t. XX, col. 501

٣) Tertullien : *De Jejunio*, 2, 13. 14 ; *De Oratione*, 18.

الرسم ١ – الشخص الراكع

الرسم ٢ – رأس عمود مزخرف بنقوش على شكل ورق اللبلاب والكنكر

الرسم ٣ – منظر لقطع الاعمدة المضلّعة المموّجة – وفوقها خط السكة الحديدية – ويُرى في الاسفل الى اليمين قطعة عمود كبيرة رُقّت عليها الكتابة اللاتينية .

الرسم ٤ – الحائط الاقصى لرواق الاعمدة الكبير وفي اسفله ، امام البدوي ، تظهر بعض آثار النيفاء

صوماً فرضته الكنيسة الكاثوليكية غيرَ يوم عيد الفصح ، وذلك حسب المعنى الخاصّ الذي يفهم به كلمة « الفصح » ، اي يوم الجمعة العظيمة . ويشهد ملفان الكنيسة الافريقية ان الصوم كان يشمل فقط الايام التي ارتفع فيها العروس اي يومي الجمعة والسبت حتى صباح الاحد [١] .

وفي القرن الثالث امتدّ الصوم الى جمعة الآلام كلها كما يُستفاد من تصريحات القديس ديونيسيوس الاسكندري [٢] وكتاب *La Didascalie* [٣] . فهذا الكتاب يأمر : « من اليوم العاشر (من القمر) الذي هو الاثنين من الساعة التاسعة الى الخميس تصومون ولا تتناولون سوى الخبز والملح والماء . والجمعة والسبت تنقطعون بتاتاً عن الطعام ولا تتناولون شيئاً . » [٤]

فاذاً حتى النصف الثاني من القرن الثالث ، لم يكن يمتدّ الصوم الّا الى ستة ايام ، ولا نجد اثراً للصوم الاربعيني ، [٥] بل نجد فقط صوماً استعدادياً لعيد الفصح او « صوماً فصحياً » [٦]

ولنصل الآن الى القرن الرابع . فما هو اول تصريح بين ايدينا اليوم

---

١) Cf. Mgr Duchesne : *Les Origines du culte Chrétien*, 2e édit. p. 231.

٢) Cf. *Patr. Gr.* t. X, col. 1277.

٣) Cf. *La Didascalie* par F. Nau p. 116.

٤) *Op. cit.* p. 120.

٥) لا ادري الى ما استند بولنجه لأكتب في تاريخه الكنسي صفحة ٩٥ (Boulanger *Histoire de l'Eglise*, 1928, p. 95) : « ان الصوم الاربعيني قد تمّ استعماله قبل انقضاء القرن الثالث » . ومورّه (Mourret) هو ايضاً يضع مبدأ الصوم الاربعيني في القرن الثاني . (اللائحة الحبرية *Liber Pontificalis* I vol. 129) . فيقول مورّه في كتابه *Les Origines Chrétiennes*, 1914, p. 207 : يُنسب الى البابا تلسفورس (Télesphore) وضع الصوم الاربعيني ، ويُفهَم جذه الكلمات وضع قواعد لهذا الصوم ، لاننا متحققون من قول القديس ايريناوس ان ممارسات الصوم كانت سابقة للزمان الذي عاش فيه هذا البابا ، لكن نسبة هذه الشريعة الى البابا تلسفورس مغلوط فيها (Cf Mgr. Duchesne : *Le Liber Pontificalis* I, p. 129) وقول القديس ايريناوس اوقفا عليه ارسابيوس وروفينوس . ويظهر ان مورّه اخذه من روفينوس الذي اخرجه على غير وجهه .

٦) Mgr. Duchesne, *Origines du culte Chrétien*, p. 231, note 5.

ينبئنا عن وجود الصوم الاربعيني ؟ اهو القانون الخامس من المجمع النيقاوي ؟ [١] وهل يمكن الاستناد اليه في اقرار هذا الصوم ؟

ان البعض من الكتاب استندوا الى ذلك ، كالسيد دوشين الذي يقول في كتابه المذكور ليس لدينا آثار عن الاربعينية (*Carême, Tessaraconta Quadragesima*) قبل القرن الرابع ، فاول نصّ يشير اليها هو القانون الخامس من المجمع النيقاوي ؛ وفونك (Funck) ؛ وفاكندارد (Vacandard) في مقالتين عن الصوم في المعجم اللاهوتي ومعجم العاديات والليتورجية المسيحية[٢] ، ولكلر (Leclercq) في كتابه « تاريخ المجامع » [٣] وآخرين كبولنجه ومورّه وديكرونك (Deconinck) في مقالة في المجلة الكتابية[٤] . ونخصّ بالذكر بين المتقدمين ، القانونيَّين البزنطينيَّين الكبيرين بلسمون ، وزونراس اللذين هما ايضاً يريان في هذا القانون شهادة ناطقة عن الصوم الاربعيني.

على ان غيرهم كسلافيل[٥] الذي تبعه في رأيه المؤرخ الشهير كرومباخر (Krumbacher) ينفون نسبة صحة الصوم الاربعيني الى هذا القانون . فعند

---

١) اليك تعريب هذا القانون حسبما وضعه سلافيل في اصداء الشرق *Echos d'Orient*, Mars 1910 p.63 . «بخصوص الذين حرموا سواء اكانوا اكليريكيين او علمانيين، فالحكم الذي اصدره اساقفة كل مقاطعة هو : شريعة نافذة حسب القاعدة المطردة ان ما قطعه البعض لا يُقبل عند الآخرين . لكن يجب ان يبحث اذا كان الاسقف لم يترك الحرم لصغر نفس او روح خصام او عامل آخر من البغض . فراعاةً لدقة الفحص تبيّن انه يحسن ان يلتئم مجمع مرتين في السنة في كل مقاطعة . وبهذه الذريعة يتهيأ لاساقفة كل اقليم ان يجتمعوا ، فتفحص هذه القضايا كي يتجلى لعيون كل الذين كانوا على رأي الجميع في نزاع مع الاسقف انهم قد حرموا عدلاً ، حتى يستحسن مجمع الاساقفة تخفيف هذا الحكم . فيجب ان يعقد هذان المجمعان : الاول قبل « الاربعينية » حتى اذا ازيل كل صغر نفس تقرب التقدمة الطاهرة الى الله ، والثاني ابّان فصل الخريف . »

٢) *Dictionnaire de Théologie Catholique*, de Vacant, t. II, col. 1728.
Dictionnaire d'Archéologie et de Liturgie Chrétiennes, de F. Cabrol, col. 2141.

٣) Leclercq, *Histoire des Conciles* t. I, p. 549, n. 2.

٤) *Revue Biblique*, 1910, p. 437.

٥) *Echos d'Orient*, Mars 1910, p. 63 sq.

سلاقيل كلمة (Tessaracnota) « اربعينية » تشير الى اليوم الاربعيني بعد الفصح اي الى عيد الصعود ، كما كلمة (Penteconta) « خمسينية » تدل على اليوم الخمسيني بعد الفصح ، اي عيد المنصرة.

وان كان قد تبع الرأي الاول جهابذة من اهل العلم ، فقد يبدو لنا ان الرأي الثاني ادنى الى الصواب (راجع البراهين في اصداء الشرق)[1] . وعلاوة على ذلك ان اصحاب الرأي الاول عندما تعترضهم الصعوبة الناجمة من ترجمة (Tessaraconta) بالصوم الاربعيني ، وهي انه بعد مدة مستطيلة لانعقاد المجمع النيقاوي لم يكن الصوم الاربعيني منتشراً وهذا غير ممكن مطابقته مع شريعة فرضها مجمع مسكوني ، يحاولون ايجاد ترجمة اخرى . ففرنك (Funck) يلتمح ، ببعض التحرّز وبدون الحاح مثلما يقول ، الى تصحيح متأخر . فقد يكون القانون احتوى اولاً على كلمة «خمسينية» ، ثم ان بعض الايدي الطائشة وضعت لنا كلمة « اربعينية » ، وهذا الرأي يشير اليه بلسمون ويفنده.

على انه وان لم توجد في القانون الخامس من المجمع النيقاوي بينة جلية على وجود الصوم الاربعيني ، فذلك لا يدعونا ان ننكر مطلقاً وجود الصوم في النصف الاول من القرن الرابع . لانه ، في هذه الحقبة ، لدينا تصريحات جمة تبرهن لنا وجود الصوم ، وسنوقفك عليها ، ايها القارئ ، فيما بعد. لكن يجب ان تتحاشى عن الغلو الذي لم يتحاماه بعض الكتاب الذين سبق الى وهمهم ان الصوم الاربعيني كان عاماً في الربع الاول من هذا القرن . وكلهم يجمعون على صحة نسبته الى القانون الخامس من المجمع النيقاوي . ومنهم بيثيريدج (Beveridge) الذي ، بعد ان ذكر المقاطعات الكنسية التي مثلت في المجمع النيقاوي ، استنتج : ان الصوم الاربعيني كان ممارساً فيها كلها ، لا بل في العالم المسيحي اجمع. ومودّه يجعل الصوم الاربعيني قبل القرن الرابع . فعلى رأيه ان المجمع النيقاوي وضع كيفية ممارسة الصوم في الكنيسة كلها. وبولانجيه يقول بانتشار الصوم قبل الفصح في الكنيسة كلها في اواخر القرن الثالث.

لكنا قد المنا الى ما يجب فهمه من قانون المجمع . اذاً لا يمكننا التعويل

(١) *Echos d'Orient*, 1910, p. 63 et. 1911 p. 353 sq.

عليه لنبني حكماً على الصوم الاربعيني في مهد النصرانية . فيليق بنا بعد هذا التمهيد المسهب ان نلج الموضوع ونبحث :

١ً هل يوجد صوم اربعيني في القرن الرابع في انطاكية ، واورشليم ، والاسكندرية ، ورومة ؟

٢ً كم كانت مدته ؟

٣ً كيفية ممارسته .

اولا : وجود الصوم

١ – في انطاكية

كثيراً ما يشير الذهبي الفم الى الصوم الاربعيني في مواعظه الاحدى والعشرين الى الشعب الانطاكي (٣٨٧) وفي خطبه عن الاماتة والتوبة (٣٩٥) [١] :

ثم ان كتاب الدساتير الرسولية (*Les Constitutions Apostoliques*) ، وهو من اواخر القرن الرابع ، ينبئ عن عوائد السوريين ، فيقول : « بعد انقضاء ايام الفطاس يجب ان تمارسوا الصوم الاربعيني . » [٢]

٢ – في اورشليم

وجود الصوم الاربعيني في اورشليم يتكلم عنه القديس كيرلس في مواعظه الموجهة الى المتأهبين لقبول سر المعمودية (٣٤٨) [٣] والسائحة اتيريا (Ethérie) [٤] التي أمت الاراضي المقدسة بين السنتين ٣٨٥ و٣٩٦ . ونحن لا نحاول الاسهاب في القول عن هذه التصريحات لاننا سنعود اليها في القسم الثاني والثالث من هذه المقالة .

---

١) Cf. *Homel. XVIII ad Pop. Ant.*, 1 ; *Bareille II*, p. 155. *Homel XVI, ad Pop. Ant.* 6. *Bareille II* p. 145. *Contra Judaeos III*, 4 *P. G.* t. XLIII. *Homel XXX in Gen.* 1 ; *P. G.* t. LIII cal. 273.

٢) Livre V, chap. XIII ; cf Pitra : *Juris ecclesiastici graecorum Historia et Monumenta*, Romae, 1864. p. 279.

٣) Procath. c. IV ; *P. G.* t. XLVIII, col 865.

٤) Cf. « *Peregrinatio* » en appendice à l'ouvrage de Mgr Duchesne « *Les Origines du culte Chrétien* » p. 478 sq.

٣ – في الاسكندرية

اما الكنيسة الاسكندرية فاول بيان نجده فيها عن حقيقة الصوم الاربعيني كقانون يجب اتمامه[1] مأخوذ من الرسائل الفصحية للقديس اثناسيوس ، نحو سنة ٣٣٠

وهل نستطيع ان نورد هذه الشهادة لاوريجانس عن وجود الصوم اذ قال: « عندنا اربعون يوماً مكرّسة للصوم؟ »[2] كلا لكون هذا التصريح لا قوة له ، لانه من وضع روفينوس. فاللفظة العاشرة على سفر الاحبار حيث اخذ هذا النص لم تنتهِ الينا الّا مجدّدة من روفينوس[3] . لكن هذه الفقرة لا تخلو من دلالة على وجود الصوم في عهد روفينوس.

٤ – في رومية

يتبادر هنا ايضاً الى الذهن ان الصوم فيها عريق في قدميه لان البابا لاون (٤٤٠–٤٦١) يعزو ابتداء الصوم الى عهد رسولي فيقول : « حتى تتم الشريعة الرسولية عن الصوم الاربعيني[4] . على ان القديسين لاون وايرونيموس لم يصيبا في حقيقة اصل الصوم. نرجّح ذلك لان آباء كنيسة الاجيال الثلاثة الاولى لم يوردوا كلمة واحدة عن الصوم الاربعيني . وهنا لا نضعف شيئاً من قوة شهادة الآباء لانه مثلما قاله P. de Smedt : « الآباء الاولون يعوّل عليهم في التقليد

---

١) قولنا قانون يجب اتمامه لان الصوم لم يكن يراعي حفظه مسيحيو مصر كما يقتضي ، ولذا نرى القديس اثناسيوس يؤنبهم على هذا التهامل سنة ٣٤١ . »

٢) Cf. *P. G.* t. XII, col. 528.

٣) ويعزى الى روفينوس ايضاً تصحيف شهادة اخرى عن الصوم الاربعيني ، اذا لم يأبه لها القارئ ، ولم يكن ذا المام كاف بالتاريخ ، يظن ان الصوم الأربعيني كان مستعملاً في القرن الثاني . فالقديس ايريناوس في فقرة ارقنا عليها . اوسابيوس (*H. E.* l V, col. XXIV, *P. G.* t. XX, col. 501) يقول البعض (من معلمي الديانة) كانوا يظنون بوجوب صوم يوم واحد . . . وغيرهم اخيراً كانوا يمدّونه الى اربعين ساعة » فروفينوس قد بدّل هذه الفقرة عن غير عمد وجعل الاربعين ساعة اربعين يوماً (*P. G.* t. XX, col 502, note 78.) .

٤) ويقرب من هذه الشهادة تصريح للقديس ايرونيموس *Homel.* IV, 1 ; *P. L.* LIV, col. 238 *Ep. XLI*, n. 3) *ad Marcellam. P. L.* t. XXII, col 475.

الاجتهادي في الامكنة والازمنة التي عاشوا فيها ، لكن ليست لهم سلطة خاصة في الآثار التاريخية . »[1] ورأينا فيما سبق ما الذي يجب ان نفهمه من اللائحة الجبرية التي تعزو الى البابا تلسفوروس وضع شريعة الصوم الاربعيني .

وليس لدينا على كنيسة رومية بيّنات ساطعة عن حقيقة الصوم الاربعيني من كتبة القرن الرابع . على اننا نستطيع الجزم انه كان موجودًا فيها اقله سنة ٣٤٠[2] . ونستنتج ذلك مما عمله القديس اثناسيوس . فانه في لبوثه في رومية في السنة المذكورة وما بعدها لامه الرومانيون لان رعيته كانت تجتزئ بصوم جمعة الآلام فقط ، فتقدّم الى شعبه بانجاز الصوم الاربعيني كاملًا . فاذا كان الرومانيون قد القوا اللائمة على المصريين لاكتفائهم بصوم اسبوع يستنتج ولا مراء ان صومهم كان اطول ؛ واذا كان القديس اثناسيوس امر شعبه ان يكتملوا الصوم اربعين يومًا يُظنّ انه تقدّم الى شعبه فيما شاهده في عاصمة العالم المسيحي .

(للبحث صلة)

---

١) Revue des questions historiques, 1888, t. II, p. 331.

٢) هل يمكننا استنادًا الى فقرة مرقومة على شخص القديس هيبوليت (Hippolyte) وهي : « ويجب ان ينقطع الصوم اذا داخله يوم احد . » ان نستدلّ بوجود الصوم في كنيسة رومة في منتصف القرن الثالث ؟ لا نستطيع ذلك فهذه الفقرة تبرهن بامكان امتداد الصوم الى اكثر من سبتة ، ليس غير .

ابن رشد و« تهافت التهافت »

بقلم الاب توتل اليسوعي

خزانة الفلاسفة العرب المدرسيين

الى المدرسيين او« السكولاستيك » (*Les Scolastiques*) بالاصطلاح الفلسفي التاريخي هم فلاسفة القرون الوسطى . دُعوا بهذا الاسم لمكفهم على الدرس باساليب مخصوصة بمدارسهم ، اصولها التفسير والشرح : في تعليم الصرف والنحو ، والبيان ، والخطابة ، والهيئة ، والفلسفة الارسطاطالية . كيف بلغت الى الافرنج كتب ارسطاطاليس ؟ هل قرأوها بمتنها اليوناني ، او منقولةً الى غيرها من اللغات ؟ هذا مشكل لم يحل بعد بالتمام ، ولكن ما لا ريب فيه ان الفلاسفة المدرسيين الافرنج ، وكبيرهم القديس توما اللاهوتي ، قرأوا ارسطاطاليس على الفلاسفة العرب وبالخصوص على الفيلسوف ابن رشد ، شارح ارسطو الشهير « *Commentator* ».

ان القرون الوسطى كانت عصر الفلسفة العربية الذهبي ، وفيها سطع نور المفكرين العظام كالكندي ، والفارابي ، وابن سينا ، والغزالي ، وابن باجه ، وابن طفيل ، وابن رشد . وهؤلاء بعد ان اخذوا عن السريان المسيحيين معربات مؤلفات اليونان ، اعملوا فيها الروية ودرسوها ودرّسوها وافادوا بها الافرنج ، فحلّوا في تاريخ الفلسفة العام مقاماً لا يزال يعلو ويرتفع في اعين الباحثين في معرفة العلائق الرابطة بين المدرسيين اللاتين والمدرسيين العرب . فلذلك قد اشرأبت اعناق الافرنج من مؤلفي تاريخ فلسفة القرون الوسطى وطلّابها

الى مطالعة كتب الفلاسفة العرب ، ليس فقط في المجلدات اللاتينية الضخمة ، النادرة الوجود ، المستعجم فهمها لما في ترجماتها من المغالط والمغامض ، البعيدة عن الوفاء بما يقتضيه البحث العلمي العصري في النشر ؛ ولكن على قراءتها والرجوع اليها في متنها العربي الاصلي.

ومن هؤلاء الغيُر على رقي العلوم الفلسفية الكردينال اهرله اليسوعي ، وقد قضى اربعين سنة يناشد المستعربين القيام بنشر كتب فلاسفة العرب ، ومثله المرحوم الاب مرسل شوسا اليسوعي ، استاذ الفلسفة المدرسية وجامع موادّ تاريخها . فقد طالما استحثّ همم تلامذته المتضلّعين من اللغة العربية على السعي في بعث مؤلفات فلاسفة العرب الى عالم النور ولكن المنية حالت دون الاستاذ ورؤيته تحقيق رغائبه . على ان فكرته لم تمتْ ، وها انها تتحقق على يد احد تلامذته ، حضرة الاب موريس بويج اليسوعي اذ شرع بنشر خزانة الفلاسفة العرب (*Bibliotheca Arabica Scolasticorum*)

وليس المشروع ليهمّ رجال الفلسفة المدرسية فقط بل عامة المستشرقين ايضاً ، لانهم اذا نسوا او تجاهلوا هذه الناحية من انحاء الادب العربي اهملوا استنباط كنز ادّخره للخلف جهدُ الاوائل ، وقطعوا حلقة من السلسلة الرابطة القديم بالحديث ، فضربوا صفحاً عن اعزّ امجاد العرب.

ولذلك ، لما عرض الاب بويج فكرة نشر خزانة الفلاسفة العرب المدرسيين ، على مؤتمر المستشرقين السابع عشر ، المنعقد في اوكسفرد سنة ١٩٢٨ ، واعلن عزم المطبعة الكاثوليكية على القيام بالمشروع ، واستنجد عليه بتشجيع المؤتمرين ومؤازرتهم ، لم يرَ منهم الا الاستحسان والموافقة باجماع الآراء على رأيه. وكان قد اظهر سنة ١٩٢٧ اول مجلد من « الخزانة » وهو الحلقة الثانية من سلسلتها : كتاب «تهافت الفلاسفة » للغزالي[1] فلفت انظار المستشرقين وحلّ محلًا رفيعاً في وصف المجلات العلمية فأطرأوا كتاباته وحيّوا به طليعة عهد تجدّد في درس الفلاسفة العرب. وها ان الحلقة الثالثة من « الخزانة » ظهرت العام الماضي وهي كتاب ابن رشد « تهافت التهافت » .

١) راجع المشرق (٢٥[١٩٢٧]٦٢٢)

ولما كانت النهضة الحديثة قد استمالت الناس في البلاد العربية الى مطالعة روائع الأدب ليس فقط في الشعر والتاريخ ولكن في الفلسفة ايضاً، وكان حظ لبنان من هذا التجدّد المبارك اوفر من حظ غيره اذ انه خصص سنة كاملة من المادّة العربية في برنامج البكالوريا لدرس فلاسفة العرب، كانه بهذه العناية المفيدة اراد أن يعوّض على مفكري العربية العظام ما نالهم من الحيف من تناسي الايام جهودهم ومحامدهم ، اصبحت كل فرصة للكلام في ذلك الموضوع الخطير، مقبولة وفي اوانها كالزهرة في ربيعها. وقد يستحثنا انتهاز تلك الفرصة، والكتب العربية الحديثة في هذه الناحية من المعارف لا تزال نادرة ، قاصرة ؛ والكتاب الظاهر حديثاً الذي عنينا بوصفه جدير بان يوفى حقه من الاعتبار والدرس.

تهافت التهافت

في السنة ١٠٩٥ اتم الغزالي كتابه « تهافت الفلاسفة » وقد ردّ فيه على ما رآه في تعاليمهم غير موافق للحقيقة . فانكر عليهم قولهم بقِدَم العالم وابديّته وتلبيسهم ، او وضعهم موضع الشك ، ان الله هو خالق العالم وقال انهم ، اذا اعتقدوا وجود العالم منذ القِدَم ، اضطرُّوا الى القول بوجود مبدأين ازليين او الهين . . . الى غير ذلك من المسائل التي بلغت عدد العشرين (راجع قاموس فرنك الافرنسي الفلسفي في مادة « غزالي ») . فلما بلغ مؤلّف الغزالي الى الغرب اضطرب له فلاسفتها ، واشهرهم ابن رشد القُرطبي . فتناول الكتاب وعرضه على محكّ النقد الدقيق وردّ عليه بكتاب آخر ، عنونه « تهافت التهافت » وهو الذي نعنى به الآن.

وسكت الرأي العامّ الاسلامي عن ظهور كتاب ابن رشد وتناساه. وسدل اكثر مؤرخي الآداب العربية حجاب النسيان على اسمه واسماء غيره من ائمة الفلاسفة المسلمين ، ولم يذكره الحاج خليفة الا تلميحاً في سياق كلامه على الغزالي . اما الافرنج فقدروا الكتاب حق قدره ونقلوه الى اللاتينية والعبرية وطبعوه. ولم تظهر طبعته العربية لاول مرة الا في مصر ، في المطبعة الاعلامية ،

سنة ١٨٨٥ . وهيأت ان تفي الكتاب حقه من الاتقان الذي لا غنى عنه لادراك صميم افكار الفيلسوف. وتلت تلك الطبعة طبعات عربية غيرها منها واحدة في المطبعة الخيرية (١٩٠١–١٩٠٢) واخرى لمصطفى البابي الحلبي (١٩٠٤) وما كانت لتروي غليل روّاد الفيلسوف الكبير ، من مطالعته بالسهولة المرغوبة والاسلوب العلمي الكامل . فكانت الحاجة ماسة الى الطبعة التي نحن في صددها .

طبعة الاب بويج

درس الاب بويج العبرية واتقن العربية ، وتضلّع من الفلسفة المدرسية ، واعدّ ترجمة افرنسية لكتاب « تهافت » الغزالي و«تهافت التهافت » لابن رشد ، ومهّد السبيل الى الاحاطة بموضوعه من سائر وجوهه في المقالات التي نشرها في « ابحاث كلية القديس يوسف»(*Mél. Fac. Or.* T. III, VII, VIII, IX)فضلاً عن طبعته لتهافت الغزالي العربية (سنة١٩٢٧). وجال في مكاتب اوربة والشرق مفتّشاً عن المخطوطات الواجب الاعتماد عليها للقيام بمهمته . ولما ادرك مناه طبع كتابه « تهافت التهافت » وهو مجلد ضخم ، قطعه مثمن كبير ، عدد صفحاته ٧٠٠ ونيف ، اظهرته المطبعة الكاثوليكية في بيروت ، خلال العام ١٩٣٠ ، وهو الثالث من « خزانة الفلاسفة العرب المدرسيين » .

صدّره الناشر باربعين صفحة عرّفنا فيها بابن رشد ومنزلته ، وطريقة معالجته المشاكل الفلسفية في ردّه على الغزالي،ومكانة كتابه «تهافت التهافت» في الفلسفة العربية . واثبت حقيقة نسبته الى مؤلفه ، ومال الى تأريخ صدوره قبل السنة ١١٨٠ م ؛ وللكتاب في المخطوطات القديمة شتى العناوين ، فاختار الناشر اسم « تهافت التهافت » دون غيره ، وهو المرسوم على نسخة قديمة والمنقول الينا بالترجمات اللاتينية والعبرية ، والاحرى بغرض مؤلفه ، والاكثر شيوعاً في المؤلفات الموضوعة على ابن رشد .

اما الوثائق التي اخذ عنها الاب بويج متن الكتاب الاساسي فمنها العربية ومنها الاعجمية. فمن العربية المخطوطات ، واهمها ثلاثة في القسطنطينية : الاول

وسمته I (عدد ٧٣٩) في يكني جامع وتأريخه في سنة ١٥٣٧م ٩٤٣هـ، والثاني وسمته A (عدد ١٥٨٢) في مكتبة شهيد علي باشا وتاريخه في سنة ١٥٥٩م ٩٦٦هـ، والثالث وسمته T (عدد ٢٤٩٠) في مكتبة لالي جامع وتاريخه نحو ١٧٠٠م ؛ وغيرها. ومن المطبوعات طبعة القاهرة ١٨٨٥م ١٣٠٢هـ وغيرها، وبعض ما رُوي عن ابن رشد عرضاً وأُدرج في كتب غيره وساعد على اثبات متن «تهافت التهافت».

ومن المصادر الاعجمية الترجمات العبرية فانها على جانب عظيم من الاهمية. وقد تقوم مقام المتن العربي لصدق نقلها وامانتها، ويرقى عهدها الى القرن الرابع عشر، والترجمة اللاتينية القديمة وهي منقولة مباشرة عن العربية... اما غيرها فقد نقل عن العبرية.

هذه الوثائق وغيرها من نصوص «تهافت التهافت» الواردة عرضاً في روايات كتب الفلسفة، راجعها الناشر واعمل فيها الروية ونشر عنها متن الكتاب معلماً في كلّ صفحة من صفحاته بالعلامات التي اصطلح عليها والقارئ كل المواضع المفيد الانتباه لها، باذلاً قصوى الجهد في الكشف على متن الكتاب الاصلي عسى ان يستعيض به القارئ عن نسخته الاولى الضائعة.

ولم يتكلف الناشر مؤونة النشر فقط، بل فتح ايضاً لرواد كتابه مجالاً لمباحث واسعة واخذ على عاتقه ان يدلّهم عليها متقناً فهرست المسائل، مميزاً بنودها بانتقاء حروف المطبعة وتنويعها لفتاً لنظر القراء اليها، ووضع الجداول، هداية الى المقابلة بين «تهافت» الغزالي وردّ ابن رشد عليه، والى معرفة الاعلام واسماء الكتب الوارد ذكرها، واهم القضايا التي عالجها كل من الغزالي (وهي ٨٨١) وابن رشد (وهي ٨١٥) مع قاموس معاني الالفاظ الفلسفية، ولائحة القواعد او الشواذات النحوية الخاصة بابن رشد ومعجم المواد العامّ مرتباً باللغة والابجدية اللاتينية مسهلاً بذلك مراجعة الكتاب لطلابه الافرنج المدرسيين.

اما بعد، وقد تعرفنا الى الكتاب في ظواهره، فهلمّ نكشف على لبابه ونستشع من نبراسه شعاعاً يرشدنا الى البحث في امهات مشاكله. ان مجال مقالنا اضيق من ان نطمح الى استيعاب الموضوع، وهو النقطة المركزية لدائرة العلوم

الفلسفية منذ نشأتها الى يومنا ، ولكن الفرصة سعيدة فمن الحيف ان تفلت.

فحوى الكتاب وموقف ابن رشد تجاه الدين

وقد يمكننا ضمّ العشرين مسئلة الموضوعة على بساط البحث بين الغزالي وابن رشد الى ثلاثة فصول شاملة: اولها يعني امر انشاء العالم (المسئلة ١) والزمان والحركة ، والمصير (٢) ، والبحث في هل للعالم نهاية اولا فنتعمق بمعرفة فاعل العالم (٣) ووجوده (٤) وصفاته (٥) وعلاقاته مع العالم(٦—١٥)، وعلمه وتدبيره (١١—١٤) . اما الفصل الثاني ، فيبحث في النفس وروحانيتها وخلودها (١٨—١٩). والفصل الثالث الاخير يخص المسئلة العشرين بحشر الاجساد . وهناك في الكتاب مباحث شتى في السماوات والافلاك وتأثيراتها في عالم البشر وعقولهم . (١٥—١٧)

وان هذه المسائل لأهم ما يشغل فكر المفكرين ؛ وعليها دار الجدال بين ابي حامد وبين ابي الوليد . ولا شكّ انك لاول نظرة تحيّزتَ الى الغزالي، الإمام الورع التقي ، وقلت لا بد انه مدافع عن الحق، فامسى خصمه خصمك فمقتت ابن رشد وفلسفته.

ولعلّ ناحياً وحدك هذا النحو من التطرّف لان ابن رشد صار على مدى الايام هدفاً للمناقضات ، . كما قلنا ، فلا بد ، اذن ، من كلمة على حقيقة مذهبه الفلسفي قبل الاقبال على قراءته.

قلنا ان ابن رشد اختصّ بدرس الفلسفة الارسطاطالية وشرحها . واننا نعلم ان ارسطاطاليس كان استاذ المدرسيين الاوحد في القرون الوسطى وانهم قرأوه في الغالب على شارحه العربي . فعالجوا مسائل خلق العالم ومصيره وامر الثواب والعقاب في ظل ابن رشد تارة مستأمنينه، وطوراً خارجين عنه ، فتناقشوا في مواضيع اقواله وذهبوا فيها شتى المذاهب، حتى زاغ بعضهم عن الحق والجأوا رجال الدين الى التدخل في امور تعاليمهم الفلسفية والتحذير عليهم شر ما ضلّ من آرائها المفسدة النفوس . كيف لا والبعض من المبتدعين فرّطوا الى ان وضعوا موضع الشك امر وجود الله وخلود النفس والثواب والعقاب ، ناقضين

مبادئ الدين والعقل السليم ، وهم في ذلك محتجون باسم ابن رشد . فجرّوا عليه تبعة الكفر والالحاد ، وهو براء مما يتهمونه به لانه لم يتطرف الى ذلك الحد . هذا ما بيّنه رينان في كتابه على ابن رشد « والرشدية » (*Averroès et l'Averroïsme*) لكنه لم يصح عن ذكرى الفيلسوف العربي وصمة الاقراط بتفضيل المعرفة العقلية الطبيعية على المعرفة المأخوذة من كتب الوحي . وجاء المحدثون ، فاعادوا النظر في فلسفة ابن رشد وتأثيراتها . ومنهم من نحا نحو رينان[1] مثل مونك ودي بوير ؛ ومنهم من خالفه ، كجهرن وأسين بلاثيوس ؛ فانهما نسبا الى ابن رشد تفضيل المعرفة الدينية بالوحي على المعرفة العقلية الطبيعية . وجاء اخيراً غوطيه (Gauthier) ففصل في الجواب فصولاً وقال في كتابه على « نظرات ابن رشد في التوفيق بين الدين والفلسفة » (ص ١٨١) ما خلاصته : يتساءلون كيف كان موقف ابي الوليد تجاه الوحي وتجاه العقل . هل خفض من مكانة الدين او من مكانة الفلسفة ؟ ومضى غوطيه مفتشاً عن الحقيقة لا في اقوال مبتورة عن قرائنها ، متضاربة المعاني ، ولكن فيما رآه مفتاحاً اخذه العرب عن اليونان واقبلوا يفتحون به ابواب الوصول الى التوفيق بين العلم والايمان والفلسفة والدين وانما هو في نظره ، التعليم على « الاقاويل » الثلاثة . وقد يفيدنا معرفته عسى ان نستعين به على قراءة « تهافت التهافت » . قال :

« ان مؤرخي الفلسفة الاسلامية اجمعين ، لما درسوا ، في ابن رشد وسائر الفلاسفة زملائه ، امر العلاقات بين الفلسفة والدين لم يقدروا حق قدرها التصورات الاساسية التي اتفق عليها الفلاسفة العرب اجمعين . ان العرب بعد اليونان قسموا الاقاويل او الاقيسة في الجدال الى ثلاثة انواع ١ً القول اليقيني او البرهان ، وهو المولد اليقين في عقول الفلاسفة عند اخذهم مقدمات القياس المنطقي عن التعليم العقلي ، بغض النظر عن تعليم ديني . ٢ً القول الاقناعي وهو المتوخي رضى العقول التي هي دون عقول الفلاسفة مقدرة وفوق عقول العامة طاقة ، وهم الفقهاء وعلماء الشريعة ومفسرو كتب الدين ، بالقياس الآخذ احدى

---

١) ومنهم فرح انطون في كتابه على ابن رشد وفلسفته . قال (ص ١٢٢) : ان ابا الوليد « يجعل الدين تابعاً وخادماً للعلم يؤوّله كما يشاء ويفسره كما يحب »

قضيتيه من تعليم الوحي،وان هذا القول كافٍ لاقناع الفقهاء وامثالهم. و٣ً القول التصديقي وهو الآخذ مقدمتيه من حالة المخاطب العقلية وعواطفه واستعداده الى قبول النتيجة المرغوب فيها والكافية لحياته العملية وهي ان يصدق قول العلماء والفقهاء والخطباء وشروحهم ويرتاح لها ويعمل بموجبها»[1] .

وقد نبه ابن رشد الى هذا التقسيم في صدر كتاب « تهافت التهافت » اذ قال ان غرضه ان يبين مراتب الاقاويل المثبتة في كتاب التهافت (للغزالي) في التصديق والاقناع وقصور اكثرها عن مرتبة اليقين والبرهان.

فمن ثم يتبين ان ابن رشد نقد الغزالي لا حطاً من مكانة الدين وتعاليمه ورجاله ولكن انتصاراً لمبادئ رآها اساساً لدرس الفلسفة.

وفي جملة ما لام عليه ابا حامد انه حاول تقريب مناهل الحكمة الى عقول العامة فلامه على ابتذاله الفلسفة ، وودّ لو بقيت سلطانة العلوم محصنة في برجها العالي فلا تنصرف اليها الا العقول السامية.

وعسى ان تنجلي لنا الحقيقة باجلى تبيان فنعود ونبحث في مسألة قِدَم العالم ونسمع مناقشة ابي الوليد ابا حامد عليها ، في عدد آتٍ ان شاء الله !.

---

١) راجع المشرق : (٢٩[١٩٣١]١٩١،١٩٢) ، حي بن يقظان وفلسفة ابن طفيل.

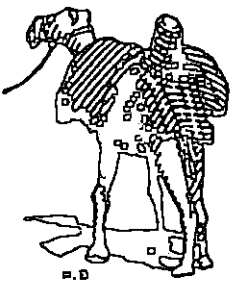

بيروت قبل مائة سنة

اول رسالة كتبها الاب ريكادوتا اليسوعي
بعد وصوله الى بيروت سنة ١٨٣١
عرّبها ونشرها فؤاد افرام البستاني

توطئة

صَحِ يَجُل اليوم في عاصمتنا ، فيُسرع خطاه في شوارعها المزدحمة ، وينقل طرفه في بناياتها الشامخة ، ويتفقّد مؤسساتها العصرية ، فيتحقق تلك الحياة السارية في جميع مناطقها ، ويعجب بتلك الحركة المتزايدة في مختلف اعمالها ؛ لا يمكنه بسهولة ان يتصوّر ما كانت عليه بيروت قبل مائة سنة . مدينة صغيرة ، بل بلدة لا يتجاوز سكانها العشرة آلاف الّا قليلًا يعيشون ضمن اسوار متداعية لا يتّسع محيطها عن الدائرة المحدودة اليوم بالمرفأ ، فباب ادريس ، فنقطة السور ، فالبرج ، فاول حيّ المدوّر . هكذا كانت تظهر بيروت قبل مائة سنة . نعرف ذلك من اقوال المؤرخين ، ومن رسائل مَن زارها من السيّاح اذ ذاك ؛ ومنهم الشاعر الفرنسي المعروف ، الفونس دي لامرتين ، الذي نزل في بيت قائم في الجهة التي ندعوها في عصرنا حيّ مار مارون ، شمالي النادي الكاثوليكي . ولا يخفى ان هذه النقطة هي اليوم في قلب المدينة . اما قبل مائة سنة فكانت بعيدة عن بيروت كما يُستفاد مما كتبه الشاعر المذكور اذ قال انه نزل في « بيت منفرد ، على نحو عشر او خمس عشرة دقيقة عن المدينة » .

اما مظهر المدينة وزيّ اهلها اذ ذاك ، وعاداتهم في استقبال الضيوف ، وطرق معيشتهم ، فتظهر لنا ببعض جلاء من رسالة بعث بها الاب ريكادوتا

اليسوعي الى اخوته الرهبان في رومة ، على اثر نزوله في ثغر بيروت سنة ١٨٣١ . وهو الاثر الذي رأينا تعريبه ونشره اليوم ، بمناسبة مرور مائة سنة على تجديد رسالة الآباء اليسوعيين في لبنان وسورية .

وصل اليسوعيون الثلاثة الى عاصمتنا في ١٣ تشرين الثاني ١٨٣١ ، فاستغربوا كلّ ما رأوه في اسواق المدينة ، وفي ازياء سكّانها ، وفي مرافق حياتهم ، وفي مناظر طبيعتهم ، حتى كانت ملامستهم الاولى للبلاد تُلخص بلفظة « الاستغراب » . ولا عجب في ذلك فان الشقّة كانت بعيدة جدًّا بين حياة الشرق وحياة الغرب اذ ذاك ، حتى كان ذاك البعد كثيرًا ما يجرّ الى المعاكسة . فبينما كان الشرقيون ، اذا دخلوا زائرين احد المنازل ، يخلعون احذيتهم ويحتفظون بعمائمهم ، كان الغربيون يفعلون عكس ذلك ، اي يحتفظون باحذيتهم ويخلعون قبعاتهم . وبينما كان الشرقيون ، اذا جلسوا للطعام ، يبسطون الملاءة او الشرشف على الارض ويضعون فوقه الخوان ، «فصدر» الطعام ، كان الغربيون يأخذون بالعكس ايضاً فيضعون الخوان اولًا ، وعليه الشرشف ، فصحاف الطعام ... الى غير ذلك من الفروق التي قد نستغربها ، نحن اهل البلاد ، في عصرنا هذا ، فكيف بالافرنج قبل مائة سنة .

هذا ولو عاد اليوم الاب ريكادوتا الى بيروت ، لرأى ان اللبنانيين لم يضيّعوا وقتهم طول هذا القرن الكامل ؛ وانهم ، ان يكونوا استفادوا الشيء الكثير من المدنية الحقة والترقي الصحيح ، فقد كان لخلفائه من اليسوعيين في ذلك فضل لا ينكره الّا الغامطون للنعمة المتعامون عن الحقّ ...

الرسالة

وهاك ، في ما يلي ، ما رأيناه جديرًا بالذكر من الرسالة الاولى :

« ... انه ليطول الشرح كثيرًا ان اردت ان اخبركم بكل ما لفت نظرنا من الغرائب عند وصولنا الى هذا العالم الجديد : طبيعة شائقة ، وسماء متلألئة ، وهواء نقي ، ومناخ لطيف ، واراض بور تغطيها الرمال ، وبيوت صغيرة لا تكاد ترتفع عن سطح الارض . لا شوارع ، بل ازقة لا تكاد تصلح الّا

بيروت قبل مئة سنة

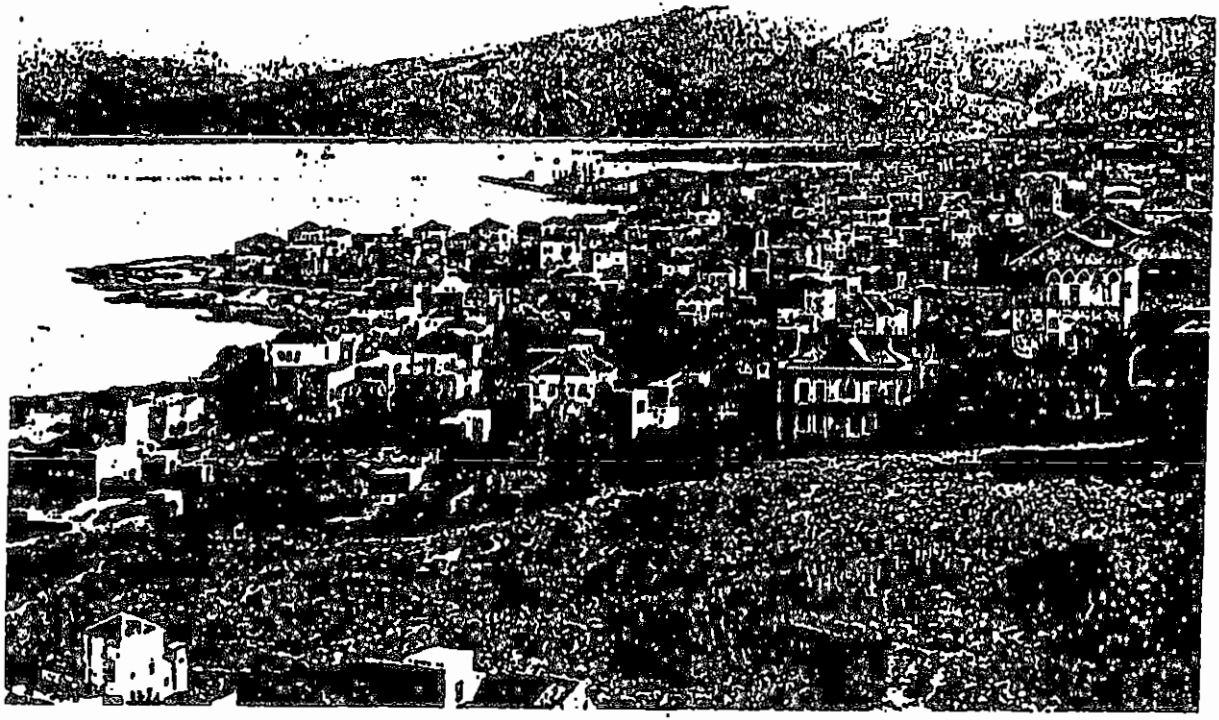

بيروت في الوقت الحاضر

لمرور الجمال . اما السكان فيظهرون بالاردية الواسعة الفاقعة الالوان ، وبالعمائم الضخمة ، والزنانير العريضة ، والقلابين المتدلية حتى الارض ، وبالكثير من الشراريب ، والشرائط ، والريش ، والاقراط المعلقة بالآذان والانوف والشعور ؛ ثم بالخناجر والقدّارات . وهم يحلقون رؤوسهم الّا خصلة من الشعر في قمّة الرأس يتركونها حتى تطول جداً . وكذلك يطلقون لحاهم وشواربهم التي تلفت الانظار بطولها . وهم ابداً عارو السيقان والاقدام حتى الاغنياء منهم . وفي البلاد كثير من الخيل والجمال. ولكننا لم نصادف مركبةً واحدة ، ولا عجلة ، حتى ولا دولاباً .

وهناك ايضاً كثير من الامور الغريبة التي يضيق الوقت عن تعدادها.

ولم نكد نصل الى البرّ حتى دارت بنا حلقة واسعة من العمائم والخناجر والقدّارات . فذكّرني هذا المشهد بما حصل لابوينا مانيلّر وستيلّا اللذين كانا اول المرسلين الى هذه البلاد. فانهما لم يكادا ينزلان ثغر الاسكندرونة ، لابسَين مثلنا الثياب الغربية ، حتى احاط بهما القوم ، وقبضوا عليهما ، وقادوهما الى امام الباشا ، فرماهما في السجن . ثم كان من حسن حظّهما أنهما أُخرجا وأُرجعا الى الشاطئ فشُحنا على مركب انكليزي بعد ان حُرّم عليهما النزول الّا في برّ فرنسة. واني اعترف لكم اننا شعرنا بشيء من الخوف اذ رأينا القوم يحيطون بنا ، حتى ان اثنين من رفقائنا ، احدهما طبيب والآخر مصوّر ، لم يمكنهما اخفاء مظاهر الرعب الذي استولى عليهما.

ولما كان القوم يتبعوننا بكثرة ، اخذنا نسير مطرقي العيون ، مضحّين بالشهوة التي كانت تدفعنا الى التأمّل بالجمال وبغيرها من الغرائب التي كنّا نصادفها لاول مرة . وكنا نقصد ، في سيرنا ، قناصل الدول الاوربية لنوصل اليهم ما كان معنا من رسائل التوصية العديدة.

حينئذٍ تقدّم رجل كاثوليكي ، كان مختبئاً بين جمهور المسلمين ، فصافحنا وطلب منا ان نتبعه الى منزله . وكان قد ادرك من مظهرنا واماراتنا ، اننا نزيد في شيء عن السيّاح الاوربيين العاديّين . ولم يكن ليدور في خلدنا اننا نصادف صديقاً صالحاً كهذا الصديق . . . فتبعنا مضيفنا الكاثوليكي ، وكان

من كبار وجهاء بيروت غنى وكرامة . واسمه ايوب نصرالله ، ينتمي الى طائفة الروم ، ويتولى كتابة سرّ عبدالله باشا ، حاملاً لقب « المعلم » .

واذاع هذا السيد الفاضل بين جيرانه ومعارفه ان اليسوعيين عادوا الى الشرق ، ودعا الى منزله عدداً من الكاثوليك من مختلف الطوائف . اما نحن فكنا ، طبقاً لما أُلقي علينا من التعليمات ، ننتبه كل الانتباه لما يقوم به هؤلاء الزوّار من الواجبات ، كي نقلدهم بدورنا على احسن ما يمكننا . فكانوا جميعاً ، دون ان يضعوا عمائمهم ، يجعلون يدهم اليمين على ركبتهم فعلى صدرهم ، فعلى فمهم ، فعلى جبينهم ، وينحنون حتى الارض تقريباً . وهذه طريقة التحية عندهم . ثم كانوا يجلسون القرفصاء مشبكين سيقانهم على السجاد الدمشقي المفروشة به الردهة .

ونحن كذلك ، اذ دخل ثلاثة خدم حفاة الاقدام ، مرتدين البسة فارسية ذات الوان فاقعة ، فقدّموا لنا في اقداح صغيرة نوعاً من الشراب وافر الحلاوة لم نعهده من قبل . وبعد ذلك اتى احدهم بابريق مملوء قهوة غاية في المرارة ، والثاني بهرم من الفناجين الصغيرة لا يتجاوز احدها نصف البيضة كبراً وهي بدون صحون ، وتقدّم الثالث فكان يملأ الفناجين ويقدمها دون ان يضع فيها شيئاً من السكر . ولم يمض القليل حتى دخل عدد من الخدم يوازي عددنا ، حاملين غلايين طويلة كانت تصل الى الارض . فكانوا يولعونها ، ويسندون كلًّا منها الى صحن صغير موضوع على السجّادة ، ويدخلون طرف ماسورته في فم كل منا ، وهم في ذلك يستعملون يدهم اليمنى فقط واضعين اليسرى على صدرهم علامة الاحترام . وكان بين الغلايين المستقيم والمنعكف على اشكال غريبة . وكان يخدم النساء ، وهنّ يدخنّ ايضاً ، جوار سوداوات او سمراوات . وكنّا حتى الآن قد نجحنا تقريباً بمظاهر الواجبات وطرق المجاملات ، الّا في ما خصّ تشبيك السيقان اثناء القعود ، واستعمال الغليون . فلم نكد ننفخ بضع نفخات حتى شعرنا بدوار قوي دفعنا الى طرح الغليون جانباً ، مما اثار الريبة والاستغراب لدى جميع الحاضرين .

. . . دارت الاحاديث على كل شيء الّا اخبار اوربة او اخبار البلاد ؛

على كثرة المواضيع في هذه الشؤون... ولكن لم يعتبرنا مضيفونا الا كاصدقاء عاذين راجعين من اماكن الاصطياف ، فاقتصروا ، في احاديثهم ، على تعابير المجاملة الجارية : كيف حالك ؟ وماذا تخبرنا ؟ وهم في كل ذلك يستعملون صيغة المخاطب المفرد ، كما هي العادة هنا. وكان من يصل من الزائرين يبدأون بخلع احذيتهم ، بل (بوابيجهم) الحمراء او الصفراء ، على عتبة الباب حيث يتركونها كما فعلنا نحن ايضاً.

... وكم اودّ ان انقل اليكم وصف كل ما حدث في هذا النهار الاول لوصولنا ، وفي ما وليه من الايام ، بل وصف الطعام الذي كنا نتناوله على الارض ، في الفضاء الطلق ؛ وكيف كنا نشرب جميعنا من ناء واحد ، ونمدّ ايدينا الى صحفة واحدة ، فنتناول الواناً من الطعام تظهر في بلادنا غاية في الغرابة. وكيف كنا نضرب كلنا ، من وقت الى آخر ، على صحف الاكل ، ونفني صائحين : « نهارٌ مُبارك ! نهارٌ سعيد ! حفظكم الله ! واعطاكم الصحة وحفظها لكم ! »

شاءت هذه العائلة الصالحة ، عائلة نصرالله [1] ان تضيفنا مدة خمسة عشر يوماً ، تعرّفنا في خلالها ، نوعاً ما ، طريقة المعيشة العربية . وكثيراً ما كانت الاطعمة تعاكس ذوقنا حتى اننا كنا نشمئز منها فنفضّل عدم الاكل. ولم نلبث ان اصابنا في الركب اوجاع مؤلمة كانت نتيجة قعودنا القرفصاء مدة طويلة على الارض فوق سيقاننا المشبكة ...

ومدينة بيروت اسلامية باجمعها على التقريب ، وفيها ثلاثة جوامع. والمشهد الطبيعي في ذاك المستطيل من الارض المتقدّم بين بحرين الطف وابدع من مشهد پوزليپ [2] ... »

---

١) من ذرّية عائلة نصرالله في بيروت السيد سليم القرداحي، سبط المرحوم ايوب نصرالله. اما المنزل الذي استُقبل فيه الآباء اليسوعيون فباعته العائلة . ولكنه لا يزال قائماً على نحو مائة متر ، تحت كاتدرائية القديس جرجس المارونية ، الى ناحية سوق ابي النصر.

٢) پوزليپ : جبل في الجنوب الغربي من نابولي في ايطاليا ، مشهور بجمال مشاهده الطبيعية.

« الوهم في نظرية التطور »

كتاب للاستاذ لويس ڤيالتون

بقلم الاب فليكس سوانيون اليسوعي
استاذ الفلسفة في كلية القديس يوسف

١ الضجة حول الكتاب

كثيراً ما يلهج ارباب البحث اليوم بازمة عارضة لنظرية التطوّر. ولكن هل هي ازمة الموت، ام ازمة النموّ والتقدّم؟ من شاء الجواب عن هذا السؤال فليقرأ كتاب الاستاذ لويس ڤيالتون: « اصل الكائنات الحية؛ الوهم في نظريّة التطوّر. »[1]

لقد احدث هذا الكتاب تأثيراً يُذكر. فقام اعداء « التطوّر » يُعلنون ظفرهم ضاجّين صاخبين. ولم يعد بالامكان اليوم، في عرفهم، ان تُنكر تلك النظرية الحيويّة باسم اللاهوت او باسم ما وراء الطبيعة وحدهما. اذ لم يبقَ لهذا الضرب من البراهين، كما يدّعون، الّا فائدة نوع على وشك الاضمحلال، فائدة بسيكولوجية او تاريخية... فعليهم اذًا ان ينتشوا عن براهين علمية خاصة بالبحث، وعن رجال يمثلون السلطة العلمية في هذه الموضوعات. والحال ان الاستاذ ڤيالتون من نوع هذه السلطات، ومن ضرب هذه البراهين، وهو افضل ما ظهر لهم فتبعوه...

واذًا فانهم اسرعوا الى قراءته في نشوة الظفر، بل اسرعوا في قراءته..

---

١) هذا عنوان الكتاب باللغة الفرنسوية: Louis Vialleton, L'origine des êtres vivants, l'illusion transformiste. *Plon*, 1929 وقد طلبنا الى حضرة الاب سوانيون درسه، فأتانا بهذا المقال الذي بذلنا الجهد في تعريبه تعريباً حرفيًّا. ف.ا.ب.

فتصفحوه دون توقف . ولِمَ التوقف؟ أوَ ليس العنوان الثنوي واضحاً صريحاً ؟ أوَ ليس في الكتاب من التعابير ما يظهر اقوى لهجة واقسى حكماً من ذاك العنوان ؟

علينا بالتأني ، ولا نتسرعنَّ في تكفين نظريّة « التطوّر » بالاستناد الى عنوان ثنوي ، ولا الى الكتاب. ولنبدأ بالقراءة، فالتفهم ، فالحكم بانفسنا ، على قدر الامكان ، على صحة ما يُعرض امامنا.

٢ مصطلحات الاستاذ فيالتون

من بديهيات النقد أنه على الناقد ان يفهم مراد المؤلف في التعبير الذي استعمله .

ومؤلفنا يقول :« نظرية التطوّر وهم. » حسن ! ولكن الاستاذ ڤيالتون يقول ايضاً ان « كلمة التطوّر (transformisme) تدلّ على مذهب حِيَلي (mécaniste) » (ص ٣٦١-٣٦٧) وانها « تدلّ على نظرية ظاهر عجزها عن القيام بما يُطلب عنها » (ص ٣٦٥) لانهـا « تزعم خروج عالم الاحياء من عبث القوى العمياء غير المسيّرة » (ص ٣٦٧) .

هذا وان مدلول الارتقاء (évolution) اقلّ ضبطاً في التحديد(ص٣٣١) . اذ يقول المؤلف. « قد يمكن ان يكون ارتقاء حِيَلي كما قد يكون ارتقاء مُسيَّر (ص ٣٦١) :. ويجب ان تفهم لفظة الارتقاء (في الاستعمال الجاري) على عكس ما تفهم به لفظة التطوّر » (ص ٣٦٣) .

واذاً فيكون ، والحالة هذه ، لا تطوّر، بل ارتقاء في الكائنات الحية ؟

– نعم ! يجيبنا المؤلف.

٣ نظريّة الاستاذ فيالتون الوضعية

ا – الارتقاءات الجزئية في الجماعات السفلى

لا يخفى ان التصنيف الحيوي ، او تصنيف الاحياء ، يتألف من جماعات متدرّجة مراتبها من اعلى الى اسفل ، متصلة حلقاتها بعضها ببعض من الشعبة

حتى النوع الاخير . على ان جميع هذه المراتب لا تظهر بالمظهر نفسه اذا ما اعتبرناها من حيث الارتقاء

اذا اعتبرنا الانواع والاجناس، فيمكننا، بل يجب علينا، ان نُقرّ بارتقاء حقيقي مستديم فيها، اي بان الامثلة (types) القديمة من الاحياء تتطوّر تطوّرات متتابعة متدرّجة.» وان في الطبيعة فئات ، او امثلة من الاحياء، متباينة كل التباين تمثل انواعاً بعينها ، وتكون قابلة للتنوّع دون شك ، بل قد تكون متفرّعة بعضها عن البعض الآخر . » (ص ١٧٥ ثم قابل ما جاء في الصفحات I وII و٣٧٤) .

ويظهر ايضاً ان الاستاذ ڤيالتون يرى ان هذا الارتقاء قد يحصل على طريقة حيلية بحتة ، اي دون ادارة عاقلة، ولا قصد سابق ، ولا غاية.(ص ٣٦٥) بل قد ينتج ذلك بفعل التبليد وبتأثير الظروف الخارجية (ص I وII).

على انه يرى الامر على خلاف ذلك عند ما يخرج من هذه التشعبات القليلة والمحدودة المجال (ص ٣٧٤).

وها نحن نتكلم اولاً على الاصول الاولية.

ب – تعدّد الاعراق (Polygénisme).

لقد وُجد منذ البدء عدد كبير من الامثلة الحية المتميزة بصفات خاصة والمكملة بعضها البعض الآخر حتى تألف منها جميعاً « عالم متميّز كامل اي مشتمل على جميع مراتب القوى والتنوّعات اللازمة لتأمين نشر مقدّرات الحياة افسح نشر.» (ص ٣٤٩) « وقد وجب وجود ما يبدع المواد العضوية ، اي كائنات يمكنها ان تستعمل هذه المادة في غاية غير التجميعات العضوية او الآلية ، وخصوصاً في اعمال الحسّ والحركة.» (ص ٣٦١).«ومما لا شك فيه ان اول عالم حيّ كان كاملاً متنوّعاً .» (ص ٣٦٢)

ج – الارتقاء العامّ

اذا جمعنا بين العلوم المختصة بدرس اشكال وانواع الحيوانات والنباتات المنقرضة يدفع بنا ذلك الى ان نميّز بين الجماعات العليا امثلة ندعوها ترتيبية (types d'organisation) واخرى ندعوها صورية (types formels) . ثم نرى ان الامثلة الترتيبية ، وهي الاولية ، قليلة العدد لا تتجاوز الستين في

المملكة الحيوانية هو كلها قديمة. وقد كان ارتقاؤها - ان كان حصل لها ارتقاء — قديماً وسريعاً. «وان كانت هذه الافراد تتفرّع حقاً عن خليّة اصلية، فان التطوّرات التي لزمت لتسير بتلك الخليّة الى الامثلة تؤلف بالحقيقة ارتقاء عظيماً اسرع بما لا يُقاس من الارتقاءات التي حصلت في ما ولي ذلك من الزمان » (ص ٢٢٩)

اما الامثلة الصورية فانها تقابل العائلات او الاشكال المختلفة التي يمكن ان يتشكل بها مثال ترتيبي من الفئة الاولى. وقد امكنها ان ترتقي على مدة اطول. فظهرت بالتدريج مرتقية شيئاً فشيئاً (ص ٣٠٠—٣٥١) . وهذه الامثلة ، نراها اقلّ تغيّراً من الانواع التي تظهر كانها تطوراتها العرضية (ص ١٧٦—٣٠٦)

وان هذه الامثلة الصورية (التي يدعوها الاستاذ ڤيالتون بعض الاحيان « انواعاً » متوسّعاً بمعنى هذه اللفظة) تدل على جواهر (substances) اي على اشياء «يمكنها ان توجد بذاتها» و«هي كائنات حقيقية . . . واشخاص تسود الاشياء . . . يقابل كل منها فكرة افلاطونية او فكرةً مُبدعة.» (ص ٣٠٦ و٣٠٧) . فايّ غرابة ، والحالة هذه ، في ان يكون لهذه الامثلة ارتقاء كما للافراد ؟

ولكن كيف نشرح اصل هذه المخلوقات ؟

هل خُلقت دفعةً واحدة على ما هي ؟ ام هي نتيجة تطوّرات حصلت لاشكال انقرضت قبل عصرنا فجهلناها ؟ يجيب الاستاذ عن هذه الاسئلة باننا لا نعرف شيئاً ! (ص ٣٧٨) على انه يقول : قد يكون حصل فيها — وهو المرجّح — تحوّل فجائي من شكل قديم الى شكل آخر (mutation). « على اننا لو فرضنا ان كل مظهر من الاشكال الجديدة كان نتيجة تحوّل فجائي في الاشكال القديمة ، فان هذا لا يشترك في شيء مع نظرية التطوّر المدرسية المعروفة. بل يكون ان الطبيعة تستعين بالجوهر الحيّ الموجود سابقاً لتصنع اشكالاً جديدة . ولكن هذا التغيير يكون من الكمال بحيث انه يعادل خلقاً حقيقياً » (ص ٣١٩) . هذا « وان الصورة التي تطرق الذهن حالاً (وذلك كي يتمكن الانسان من تصوّر الارتقاء في ذوات الفقرات مثلاً) هي صورة شهب نارية (تسطع فجأة على شكل حزمة تتفرّع عنها الاسهم المختلفة). ولكن

يجب ان نزيد ان تلك الحزمة النارية تتداخل اجزاؤها بعضها ببعض على طريقة تجعلها تسطع بترتيب في اوقات متتالية .» (ص ٣٤٤).

٤ تقييم نظرية التطور

وبينا الاستاذ ڤيالتون يتبسط في آرائه ، يعرض لنظرية التطور فينتقدها ، في سيره ، على طريقة تجعل عرض النظرية وتفنيدها يتداخلان ويتتابعان دون ترتيب في هذا المجلّد الوافر الغموض والابهام . فهو تارةً يناظر الحيليّين ، وطوراً ارباب الارتقاء النافي القائلين بوحدة العِرق الاصلي . حتى ان هاتين المناظرتين تتداخلان ايضاً على طريقة مزعجة ، وكان من حقهما ان تنفصلان كل واحدة عن الاخرى.

ولم اكن لادخل في دقائق البراهين الفنّية الخاصة لانها اصعب من ان يحكم عليها من ليس من ارباب الاختصاص. ولكنّ البرهانين المهمّين اللذين يفتد بهما الاستاذ ڤيالتون نظرية التطوّر هما مما يدركه جمهور المطلعين، وان سطحياً، على هذه الابحاث. فلو جارينا المؤلف على رأيه ، للزمنا القول ان نظرية التطوّر مدينة في ذيوعها وشهرتها الى سببين مهمّين: «الاول: كونها تحلّ بطريقة بسيطة تفهمها جميع العقول تلك المسألة العويصة العظيمة ، الا وهي مسألة تكوين العالم الحي واصل الانسان.. » والثاني : كون الناس خلطوا بين نظرية التطور ونظرية الارتقاء . » (ص ٣٧٥) فهذا « خلط خفي تحت الالفاظ » (ص ٣٦٠) فنتج عنه ان العلماء أسرعوا في استنتاجاتهم ، فعمّموا ، دون انتباه ، نتائج ما تحققوه في مجال بعض الانواع على مجال الارتقاء العام . (ص ٣٧٤)

اما كون الخلط بين مدلول الالفاظ ، واستعمال القياسات السفسطائية ، والسذاجة في التعميم ، عملت على نشر نظرية التطوّر ، فهو ما اعتقده دون صعوبة . واما كون هذه الامور هي الاسباب المهمة في انحياز بعض العلماء الى هذه النظرية ، فهو ما يمكننا ان نشكّ فيه. لان المشكلة اصعب مما يتصوّرها الاستاذ .

٥ النتيجة

ان كنت قد توفّقت في اختصار افكار الاستاذ ڤيالتون ، فللمطالع ان يحكم على قيمة « الوهم في نظرية التطور » .

هذا وبما ان الاستاذ حصر لفظة « تطور » — ولا نعلم باي حق ؟ — بمعنى الارتقاء الجيلي المرتب الدائم، اصبح من السهل عليه ان يخرق صدر هذا المسكين الاعزل بضربات حسامه البتار . ولا فخر ! فقد اختار ما يوافقه، وجعل «التطوّر» في مركز يهون عليه فيه ان يزيفه ويقضي عليه بل هو يُكثر الاهتمام بالقضاء على ذلك « التطور » الوهمي . . ومَن يهتمّ اليوم ، خارجاً عن محيط الابتدائيين من اشباه العلماء ، بتأييد نظريات داروين وهيكل كما هي بعجرها وبجرها ؟

اما نظرية التطور الغائي (transformisme finaliste) — واني احتفظ بهذه اللفظة لانها ادقّ من لفظة الارتقاء (évolution) — فلا يتركها الاستاذ ڤيالتون فحسب ، بل هو يقدم لها وثائق قيّمة مستندة الى خبرته وتضلّعه من هذا الفن . كما انه يأتي ببعض تحفظات ايضاً منها نظرية تعدّد الاعراق (polygénisme) ونظرية التحول الفجائي (mutationisme) . . . وانني ابعد من ان اتدخل في هذه المناقشات الداخلية . على انني اعترف بان براهين المؤلف في ما خصّ النظرية الاولى ، اي تعدّد الاعراق لم تؤثر بي كثيراً، لانه يظهرها مظهر الحقائق البديهية التي لا تحتاج الى تأييد . . . وهل من الوضوح بالمكان الذي يدعيه المؤلف ان نظام الكائنات الحية كان منذ البدء وافر التمييز ، وان صفة الحسّ كانت معاصرة للحياة النباتية مثلاً ؟

اما ما يحاوله المؤلف من الشروح الرامية الى ما وراء الطبيعة فهو اضعف مما تقدّم واوهى . لان الموضوع يتطلب شيئاً فوق الاطلاع العلمي والنية الصالحة . . .

هذا، وفي نظري انه كي نتمكن من حلّ مشكلة التطوّر، وان حلاً وقتياً، على طريقة مقبولة ، يلزمنا رجل « عالم »، بكل ما في هذه الكلمة من معنى ، اي رجل كاريسطو ، ولكن في عصر اوفر معارف وادقّ مشاكل، يجمع في شخصه ، الى درجة سامية ، علوم الطبيعة وما وراء الطبيعة .

ابحاث تمهيدية لدرس فلسفة العرب : ١

قابلية العرب للفلسفة

بقلم الخوري يوسف فارس ، من اساتذة كلية القديس يوسف

اذا كانت العلوم بالاجمال كسبية ، اي يحوز الانسان عليها بالدرس والحفظ والنظر ، وتتوافر لديه المعارف على قدر اجتهاده وكدّه ؛ فللاستعدادات الغريزية تأثير لا ينكر في اقتباسها ، وللرغبة الطبيعية دور لا يمتهن في احراز القسم العظيم منها . ولولا ذاك ، من يشرح لنا تفوّق هذا في الطب وتأخره في الهندسة ، ولع هذا بالشعر ، ورغبة ذاك في التاريخ ؟

وهذا الميل النفساني ، وهذه القابلية الفطرية ، تتعدّى الافراد الى الجماعات والى الشعوب ، فترى الفينيقيين ميّالين الى المتاجرة والصناعة اكثر منهم الى الفلسفة التي برّز فيها اليونان حتى عدّوا معلمي العالم في هذا العلم . واشتهر الهنود والفرس بالعلوم الصوفية . ونبغ المصريون بالاشغال اليدوية حتى ان ما يُكتشف منها اليوم في الحفريات التي تجري حول قبور الفراعنة يعجز عن مثلها امهر صناعي عصرنا .

فما علينا اذاً لو بحثنا في قابلية العرب للفلسفة ؟ ولا نرانا طارقين باباً لا يُقرع او سالكين طريقاً لا تُوْمّ ، ولقد طالما تكلّم الغربيون عن فلسفة العرب ، ودرس المستشرقون منهم فلاسفتنا . فنقول اذاً : هل هيّأ الله طباع العرب للعناية بالمعارف الفلسفية ، هل لهم في فطرتهم ما يمدّهم لهذه العلوم ، كما لهم مواهب غريزيّة لنظم الاشعار وتأليف الخطب ؟

سؤال يعزّ الجواب عنه بصراحة ، لانّ العقبات تحوم حول الموضوع ، والغوامض التاريخية تحول دون الوصول الى حقيقة امره . لذلك اختلفت فيه آراء النقدة والمؤرخين . فمنهم من يزعم مفاخراً ان الشرق منبع الحكمة كما

هو مبعث النور ؛ وان الشعوب الشرقية ، وفي مقدمتهم العرب ، اول من حمل لواءها وازدان بحلاها . ويدعمون رأيهم بالشواهد التاريخية العريقة القدم والشريفة المرجع . يقرأ في الكتاب المقدس في سفر الملوك (٤ : ٣٠) عن سليمان : « ففاقت حكمته جميع اهل الشرق » ، وبهم يعني العرب لانه ذكر بعض العرب المشهورين بذلك . وهي شهادة سامية في نظرهم لا تصادف امامها غير اليقين ، وعندهم ايضاً دلائل خصبة حسية تسمعها الاذن وتقف عليها العين ، وهي مجموع التصانيف العديدة المسبوكة في قالب الشعر ، او الموضوعة في درر النثر ، التي تجعل للعرب مقاماً رفيعاً وسمعة بعيدة بين الشعوب الذين اشتهروا باقوالهم الحكمية وامثالهم الادبية .

اما الفريق الثاني فيذهب في مغالاة معكوسة ، فلا ينكر على العرب الخبرة فيما يتعلق بالفلسفة فحسب ، بل ينفي عنهم المقدرة على التجريد الفكري . ويقولون ان عقول العرب تغلبت عليها المادة حتى انها لا تستطيع ان تفتكر بغير المحسوس . وابن العبري يصرح في تاريخه «مختصر الدول» ، ناقلاً كلام المؤرخ احمد بن صاعد الاندلسي فيقول : « اما علم العرب الذين كانوا يتفاخرون به فعلم لسانهم واحكام لغتهم ونظم الاشعار وتأليف الخطب اما علم الفلسفة فلم يمنحهم الله شيئاً منه ، ولا هيأ طباعهم للعناية به . »

آراء متناقضة واحكام متنافية تجعل السؤال ، كما سبقنا في القول ، مبهماً ، والجواب عنه صعب المنال عسيراً .

بين هذه الآراء المختلفة يقف العقل طالباً اليقين مفتشاً عن الحقيقة . لهذا قبل حلنا لمثل ذا المشكل الوعر يجب ان نحدد ما نفهم بالفلسفة ، وربّ تحديد يزيل كل ابهام ، ويوفق بين آراء كان سبب تشعبها سوء تفاهم في الاساس .

* * *

اذا فهمنا الفلسفة حسب ما توحيها لنا لفظتها المركبة من كلمتين يونانيتين φιλος « محب » ، وσοφία « حكمة » اي « محب الحكمة » او الحكمة فقط ، لان لفظة φιλος زادها فيثاغورس مدعياً ان الحكمة لا تليق الا بالذات الالهية . فيكون معنى «الفلسفة» الحكمة او الفطنة وسداد الرأي في تسيير الاعمال وسياق

الإقبال نحو غاية ما سامية رفيعة كالشرف والجود والاباء وعزة النفس . حسب هذا التحديد لا شك ان للعرب نصيباً وافراً وارثاً كبيراً من الفلسفة. فشجاعة عنتر ، وكرم حاتم ، ووفاء السموأل ، لا تزال مجداً يعتز به ابناء قحطان وعدنان ، ومثلاً يرويه حتى يومنا بفخار العربي والمعجب به . طبقاً لهذا التحديد يُعذر غلوّ من يرى في العرب أصل الفلسفة . فقبل الاسلام وبعده قد لمعوا واشتهروا بهذا النوع من الحكمة.

وان عنينا بالفلسفة لا الحكمة او الفطنة فقط بل ما نسميه اليوم «الفلسفة العملية» التي تشتمل على المبادي العقلية كنتائج، من دون مقدمات فنية او علمية تأتي بها العقول السامية التي حصلت عليها بالاختبارات الشخصية والملاحظات الفردية، فتؤديها كقوانين وشرائع لسياسة الشعب وسير اعماله ، او كمصادر يرجع اليها الانسان في الاعمال البشرية ؛ فالعرب في الجاهلية والعرب بعد الاسلام كان لهم نصيب وافر في هذا النوع من العلوم ايضاً.

العرب في الجاهلية كانت تعدّ الحارث بن عباد، وزهير بن ابي سلمى، وطرفة، وعدي بن زيد ، وقسّ بن ساعدة ، وامية بن ابي الصلت من كبار حكمائها، فمن يقرأ منتوجات هؤلاء المفكرين يجد عندهم الشيء الكثير من الفلسفة العملية. تلك النصائح والحكم التي ، وان لم تكن تبلغ آخر درجات السموّ ، فهي نافعة لمن يريد ان يعيش بين بني جنسه دون ان يقع في حبالهم ويذهب ضحية اهوائهم ومطامعهم ، وهي رفيعة اي تدفع من يعمل بها الى ان يحيا شريفاً مترّهاً . فمن يقرأ كل هذه الاشعار الحكمية ، ويتطلع على الامثال العديدة التي نبغ في وضعها العرب واشتهروا بضربها حتى أصبحت فرعاً من الادب عندهم، يُقرّ انها ثمرة عقول قادرة على التفكير وجديرة بان تقتبس الفكر «المجرّد» بواسطة التجربة والاختبار . وهذه مزيّة من مزايا الفيلسوف وشرط من شروط الفلسفة . فان كان العرب قد بلغوا هذا الرقي في تدريج العقل قبل الاسلام ، فانهم بنوه على تكرار الايام والسنين ، ومع احتكاكهم بباقي الشعوب ، مهروا في هذا الصنف من الادب ، واضافوا الى اختباراتهم اختبارات جيرانهم من فرس وهنود وغيرهم. فكان لهم دروس لا يستهان بها في معرفة اطباع البشر ،

ونقد معايب النفس وذم اهوائها ، وحض الانسان على ان يتحرى من عيوبه ويتزين بالخصال الحميدة. وللعربي اكثر من بقية الشعوب نظر ثاقب في اكتشاف الفضائل ، واظهار المعايب . لهذا نجد بين منتوجات العقل عند العرب شيئاً كثيراً فيما يتعلق بذم الجهل ومدح العلم، في الصديق الصدوق ، والعدو المداهن، في المرأة والتحذير من مكرها وخداعها، في الانسان وطبيعته الضعيفة المتمردة. مما يشير الى رغبة فطرية وتشوق طبيعي الى مثل هذه الفلسفة التي بلا شك كان منبعها الشرق . فهكذا تظهر لنا مثالاة الذين يُنكرون على العرب كل جدارة طبيعية باشتغال العقل بالمجردات ، وكل مقدرة على الخروج من المادة الى غير المحسوس . فالتاريخ يعلمنا انه منذ القديم كان لسكان الجزيرة اهتمام خاص في الحصول على الحكمة ، ويصور لنا ملكة التيمن آتية من أقاصي بلاد العرب لتسمع حكمة سليمان وتأخذ عنه أسرارها . فاذاً طبقاً للتحديد الذي أعطيناه للفلسفة ، يكون لابناء اسماعيل منها حظ ، ونستطيع ان نقول ان لهم قابلية وافرة لاقتباسها.

* * *

لكن للفلسفة معنى آخر وتحديد اتفق عليه اغلب العلماء فيعرفونها بانها « اسلوب علمي يرد الحوادث والكائنات الى مباديها ومصادرها ، ثم ينقب في اسباب هذه المبادي والمصادر حتى أقصاها.» فان طبقنا هذا التعريف على فلسفة العرب لزمنا الاقرار بانهم مقصرون عن باقي الشعوب في هذه الحلبة وان نصيبهم منها لقليل جداً .

لا نشاهد للفلسفة ، كما حددناها ، من أثر في ما وصل الينا من العصور الجاهلية ، ولا يسعنا ان نقول ان آثارها قد طمست ومتروكاتها قد لعبت بها يد الضياع ، لانه لا شيء يدلنا على امكان وجودها.

نعم بعد الاسلام نشاهد مثل هذه الفلسفة بين العرب ، ولكن من يقف على تاريخها ويطلع على نشأتها في الشرق ، ويتبع سيرها الى الغرب تتضح له اصابة هذه النظرية . ففي التاريخ نعاين العرب يستقبلون هذا العلم بازدراء وغضب ، وتدل الحروب التي عانتها الفلسفة وقاساها الفلاسفة من سائر طبقات

الشيب أنها لم تلاقِ حظوة في عين العربي. ثم اننا نرى ان من برعوا في الفلسفة واعطوها رونقها لم يكونوا من عنصر عربي . فحجة الاسلام الامام الغزالي ، والطبيب الفيلسوف ابن سينا ، والفارابي ، وفيلسوف العرب ابن رشد ، وابن طفيل ، لم يجر في عروقهم دم عربي ولم يولدوا تحت سماء بلاد العرب. فكانوا فارسيّي النشأة وكانوا اندلسيّي المولد . فلاسفة العرب ليسوا من العرب ، بل هم اعاجم ! وان وجد بينهم افراد من العرب احرزوا لهم ذكرًا في ذلك كالكندي ، فانه من باب الشذوذ. ومن تآليف هذا الفيلسوف العربي لم يبقِ الدهر الّا القليل لنحكم على مقدرته ، وقد كانت شهرته خاصة في النقل.

ثم اذا افترضنا ان العرب نبغوا في هذه العلوم ، وكان بينهم ومنهم فلاسفة عظام ، فهذه الفلسفة التي ندّعيها عربية لا تختص بالعرب ؛ ليسوا هم الذين ابرزوها للوجود، بل جلّ ما صنعوا انهم اقتبسوها والاغلب نقلوها عن اربابها اي عن الاغريق. وكان جلّ فخرهم بشروح وتعاليق عنوا في التوفيق بينها وبين العقائد الاسلامية فالابتكارات العربية المحضة قليلة جدًا . ووراء ابن سينا والفارابي وابن رشد نجد افلاطون وارسطو وجالينوس وفرفوريوس وتعاليم المدرسة الاسكندرية . وايضاً في نقل هذه الفلسفة لم يكن الفضل للعرب بل للسوريين وللسريان، لاولئك المترجمين الاطباء آل حنين ، وآل بختيشوع ، الذين كانوا حملة تعاليم اليونان وناشريها في العالم الاسلامي .

وان تساءلنا الآن لِمَ لم تلاقِ الفلسفة حظوةً في عين العربي ؟ لماذا لم ينبغ بها ولم يعطها شخصيّته كما نبغ في غيرها من الآداب ؟ لماذا لا نقول: « فلسفة عربية » كما نقول مفاخرين: « شعر عربي ». لماذا اخيرًا لم يكن لسكان الجزيرة قابلية لاقتباس الفلسفة ، وما الذي أثّر عليهم حتى ابعدها عنهم مراحل واقصاهم عنها فلوات ؟

من فكّر ملياً ذهب يبحث عن السبب ، لا في الدين كما يخال البعض ، لاننا قبل الاسلام لم نشاهد لها من اثر بين العرب ؛ بل في غير ذلك من وضعية البلاد العربية.

السبب، على ما اظن، في البيئة ، فهي لا تشرح فقط الصفات الخارجية التي

يمتاز بها شعب عن غيره ، بل لها تأثير لا يُنكر في الاطباع والاخلاق النفسية. وقد جاهر بهذا الاعتبار علماء كثيرون كابن خلدون ومونتسكيو وغيرهما من الذين وقفوا على آثار البيئة وفعلها في الانسان فقالوا في رأيهم قائلين : « ان الانسان صنيع بيئته فقط ».

وهكذا لو استقصينا عن سبب ولوع الايطالي بالموسيقى وشغفه بالالحان ، لشاهدنا ان سماء ايطالية الصافية الاديم ونجومها البرّاقة الشديدة اللمعان، واعتدال مناخها مع عذوبة مائها ، وبهاء المناظر الطبيعية فيها ، كل هذا كان عاملاً قوياً لاحداثه عند سكانها اميالاً غريزية لهذا الفن الذي يطلب من صاحبه رقة وعذوبة في الاطباع ، فكان الايطالي صورة بلاده الجميلة تدفعه عذوبتها الى الاحساس الرقيق ، والشعور اللطيف الذي يتجلى عنده بلغته الموسيقية وولعه بالغناء.

وفي البيئة ايضاً نجد شرح نبوغ اليونان في العلوم والفنون اجمالاً ، وتفوّقهم في الفلسفة خاصةً . اقليم بلاد الاغريق المعتدل حيث يتوازن الحرّ والبرد ، مناخ البحر المتوسط جعل اليوناني متساوي القوى الغريزية ، وقابلاً لاقتباس جميع المعارف . اما سبب ميله الخاص الى الفلسفة وحبه للاطلاع على الاشياء المجهولة ومعرفة اسبابها فعائد ايضاً الى امر طبيعي . فتح الاغريقي عينه على ما حواليه فشاهد في حضن الطبيعة اموراً مدهشة: رأى العناصر تأتي في بلاده بالمعجزات ، جزر تعوم يوماً على سطح اليمّ ، ويوماً آخر لا يشاهد لها من اثر ؛ جبال تقذف من فيها النار والنفط والكبريت ؛ بروق ورعود ؛ بحر هائج وموج متلاطم . فدفعته محبته الغريزية للعلوم الى حلّ هذه المشاكل وشرح هذه الغوامض ، والبحث عن سببها الاول . فكانت الفلسفة ، ذلك النور الذي اضاء دجور العالم القديم والقرون الوسطى ، ولم تزل حتى اليوم نقتبس من شعاعه.

ومن وقف على موقع الجزيرة العربية ودرس مناخها الطبيعي ، فهم تأثيرها على الاهلين ، على أطباعهم ومزاياهم النفسية.

شمس مهيبة ترسل على الارض اشعتها كأنها من نار فتصهر الاجسام وتجفف العقول . سهول فسيحة من الرمل المحرق لا يعرف الطرف لها من حدّ ، بل اذا تأمل فيها الناظر يخالها تحت أنوار الشمس تارة جنائن غناء تسقيها أنهار من لجين

وينابيع من تبر ، وطوراً يظنّ نفودها وتلالها جبالاً من الذهب وهضاباً من الجواهر والالماس . واذ يقترب تختفي الرؤيا وتتلاشى المناظر ، فيفهم انه كان الموية السراب .

على هذه الارض الجافة قلّما يقع المطر ، ولكن اذا أدمعت السماء وبكت السحب ، جرت الانهار ، وعجّت السواقي ، وكان سيل عرم . ولا يمضي القليل حتى تكتسي الارض التي سقاها المطر ببساط اخضر من العشب والزهر وتصبح واحة غضّة تغرّد فيها البلابل ، ويسمع في مروجها ثغاء قطعان الغنم .

هذا الانقلاب الفجائي ، عدم تعادل العناصر في البيئة ، ولّد عدم توازن في غرائز الاهلين . فنشأ العربي ذا مخيّلة واسعة ، كيف لا وبلاده أرض الخيال ومرتع التصوّرات ؛ ونشأ سريع التأثر له احساس غريب فكان عاطفياً حتى منتهى العاطفة وكان وصّافاً خيالياً . وتأصّلت فيه هاتان القوتان حتى تمرّدتا على العقل ، فلم يستطع ان يستلم زمامهما فكان عدم التوازن العقلي ، حالة لا تصلح للتعاليم الفلسفية . لانه ، وان كانت الفلسفة تتطلّب مخيلة واسعة للنظر الى البعيد واستنباط الافتراضات ، فهي تحتاج خاصة الى ارادة قوية تدفع بصاحبها الى التمحيص والتدقيق ، الى الشغل والتفكير لحلّ الامور الدقيقة ، ولمعرفة اسباب الامور الغامضة . الفيلسوف هو رجل عقل وكدّ اكثر منه رجل احساس وشعور . وهذه صفة لم تتوفّر للعربي المقيم في الفيافي الشاسعة بلاد الخيال والعائش في البيادي القاحلة ، فشغله السعي وراء القوت عن الدرس والتفكير . فكان شاعراً ، وكان خطيباً ، لكنه لم يكن فيلسوفاً .

صوبات العام

المطران جرمانوس فرحات

١٦٧٠ - ١٧٣٢

بقلم فؤاد افرام البستاني ، استاذ الآداب العربية في كلية القديس يوسف

في العاشر من تموز الفائت ، كنت وأحد كهنتنا العلماء الاجلاء نذكر حبراً فاضلاً وعالماً عاملاً قضى في مثل ذاك النهار ، قبل تسع وتسعين ومائة سنة ، تاركاً للآداب العربية آثاراً قلما تركها لها احد اربابها منذ عصر الانحطاط ، ومخلفاً لنصارى لبنان مثالاً حياً اشبه بمثال نساكه القدماء ساكني كهوف الوادي المقدس ، ومعطري ارجاء الارز الخالد. ذكرنا السيد جرمانوس فرحات ، مطران حلب الماروني ، صاحب الفضل العميم على الحياة الرهبانية في لبنان ، وعلى النهضة الادبية الحديثة في انحاء الشرق . ذكرنا اللغوي الماهر ، والنحوي الدقيق ، والشاعر المخلص ، والمهذب اليقظ المتفاني في تسهيل اساليب الدرس والتحصيل ؛ كما ذكرنا الراهب المتقشف ، والكاهن الغيور ، والاسقف الصالح الساهر على نفوس رعاياه . ذكرنا كل ذلك وتوقعنا الاحتفال بمرور مائتي سنة على وفاته في ١٠ تموز ١٩٣٢.

ثم آلمنا ، في هذا الموضوع ، ما نرى من الفرق بيننا وبين الاجانب. وذلك اننا لا نكاد نفتح جريدة اجنبية الّا ونرى الاشارات متتابعة الى التذكارات المختلفة . فهنا يحتفلون بمرور خمسين سنة على ولادة العالم الفلاني ، وهناك يكرّمون ذكرى الكاتب الآخر لمرور مائة سنة على نشر أثره الفلاني ، وهنالك يقيمون تمثالاً بنسبة انقضاء الف سنة على وفاة الشاعر الملهم فلان. . . وهناك ايضاً المخترع ، والفيلسوف ، والمفكر ، والقائد ، والمؤسس ، والطيار. . . حتى اذا اعوزتهم الشخصيات وضاقت بهم الموضوعات الحسية المعروفة ، عمدوا الى النكرات يقيمون منها امثلة ورموزاً جديرة بمجالي تعظيمهم واعتبارهم ،

فكرّموا الجندي المجهول ، واحتفلوا بذكرى المعاهدات ، واقاموا للحرية تماثيل ... اما نحن فتمرّ السنون والقرون على ذكريات عظمائنا ، ولا نكاد نفكّر فيهم . واذا فكرنا فبقصيدة رنّانة ننظم فيها صفات العزّة الالهية ونقلّد بها جيد عظيمنا دون تحفظ ولا احتياط ، او بخطبة طنّانة نرصف فيها القاب التعظيم والتبجيل ونطبّقها على ممدوحنا دون تدقيق ولا تمحيص . حتى نفقد قياس الشخصيات الحقيقي ، ونشرك اعلامنا شركة النبن في نعوت وصفات نكيلها جزافاً لاول مجتدٍ ، غيرَ مستثنين من ذلك احداً ...

هذا الاهمال في تكريم عظمائنا ، بل هذا النوع من الاحتفال بتكريمهم ، هو ما آلمنا ؛ فاردنا ان يكون احتفالٌ بذكرى المطران جرمانوس فرحات ، وان يكون على طريقة تخرج في مظهرها ورمزها وفائدتها عمّا ألفناه من القاء الخطب وانشاد القصائد . واقترنا نفكر كلٌّ من جهته في اعداد مشروع لهذا الاحتفال .

ثم اتت العطلة المدرسية . وألمّ بمحدّثي الفاضل داء شديد مضنك هدّ تلك القوى الجبّارة ، واطفأ ذاك السراج الساطع . ولم تتخلّص النفس من تباريحه الّا منذ ايام ، اذ ارادها الله لواجب اسمى فاستدعاها الى عالم اكمل . فاصبحت ذكرى المطران فرحات اعزّ عليّ ، وواجب الاحتفال بها اعلق بقلبي ، وقد اقترنت بذكرى ذاك الصديق العطوف بل الاب الجليل [1] .

وكان ان الشهباء تحفّزت للاهتمام بالاحتفال ، فكان من نصيبها ان تكون السابقة الى هذا الواجب بل الى هذا الشرف ، ولا غرو فقد كان المطران فرحات ابنها البارّ وراعيها الصالح

ولنا ملء الامل ان ابناء اللغة العربية سواء أكانوا في الوطن او في المهاجر ، لا يتأخرون عن مشاركة ابناء حلب في واجبهم . فيؤلفون اللجان الفرعية ، ويعملون معاً على اقامة التمثال واحياء التذكار ؛ وعلى كل ناطق بالضاد فرض تكريم من رفع منار الضاد عالياً في عصر خيّم فيه الخمول على اكثر مناطقها .

* * *

---

١) هو فقيد العلم والوطنية والتقوى المرحوم الخوري بطرس غالب ، مَن ترى كلمة عنه في غير مكان من هذا العدد .

بيدَ ان لنا كلمة في نوع الاحتفال نبديها بكل اخلاص ، آملين ان يحملها المطالعون ايضاً على محمل الاخلاص نفسه ، رامين الى فكرة نراها ضرورية ونؤمل ان يطبّقها المحتفلون في سنّ منهاجهم ، فيضعون مثالاً سامياً للاحتفالات القادمة — وما سيكون اكثرها في المستقبل ان شاء الله ! — يصرفها عن مباراة الخطباء ومنافسة الشعراء الى درس الحياة درساً دقيقاً علمياً ، واحياء ذكرى المحتفَل به على طريقة تعرّفه الى المحتفلين . فيرونه امامهم واضح المظهر ، جليّ الشخصية ، بشرياً يمكن السير على آثاره ، ومتفوّقاً يجب الاقتداء به . اذ ما الفائدة من وضع كل من اردنا تكريمه فوق البشر لا تصل اليه ابصارنا الّا كليلة ، ولا تطمح الى الاقتداء به نفوسنا الّا عاجزة .

كان المطران جرمانوس فرحات رجلَ دين ، وكان رجلَ علم . فوجب ان يكون درس شخصيته على قسمين اجماليين يتفرّع عن كل منهما مظاهر مختلفة لتلك الشخصية البارزة . ففي رجل الدين نرى الكاهن ، والراهب ، والاسقف . وفي رجل العلم نعرف اللغوي ، والنحوي ، والشاعر . تشمل كل ذلك صفة المؤلف البصير ، والمهذّب اليقظ ، والمُصلح الخبير .

اما الكاهن فله مواعظ وارشادات واعمال تمهيدية لتعليم الرعية وتوريض النفوس[1] ، يحسن باحد كهنتنا الافاضل ان يدرسها جميعاً فيستخرج منها صورة كاملة للمحتفل به ، وبالتالي للكاهن الماروني في ذاك العصر .

واما الراهب فتزينه سيرة نسكية قشفة ، وحياة مطمئنة الى السكون مقضيّة بين الابتهالات والتأليف ، بين فرائض العبادة وواجبات العلم . حياة ساكنة ولكنها مثمرة . ويكفي ان يدرس احد رهباننا العلماء كتاب « المحاورة الرهبانية » او « تعليم الراهب » ، و« مجموع قوانين الرهبانية » حتى يستنتج ما كان عليه ذاك الراهب العامل من بعد النظر وعمق الفضيلة .

واما الاسقف فله اصلاحات وتجديدات روحية ومادية لا تنساها مطرانية حلب ، بل لا ينساها الاساقفة اجمعين . وكم يكون مفيداً لو تفضّل احد سادتنا الاجلّاء فاظهر ما تدل عليه من اهتمام بامور الرعية ، ومن سهر على تهذيب كهنتها ،

[1] من ذلك « كتاب الرياضة » ، و« مختصر سُلّم الفضائل » وغيرهما .

ومن حسن ادارة وكمال ضبط، تلك الارشادات والنصائح البارزة بكل وضوح وجلاء في «التحفة السرّية لافادة المعرّف والمعترف» ، و«فصل الخطاب في صناعة الوعظ» ، و«رسالة تعليم الصلوة العقلية» و«رسوم الكمال» و«رسالة الفرائض والوصايا» .

هذه ثلاثة مظاهر تدور حولها اعمال المحتفل به ومآتيه في محيط الدين ، دالّة على الصفات المختلفة التي تتوافق جميعاً وتتجه كلها الى تمثيل رجل الدين في المطران جرمانوس فرحات.

ويقابل هذه المظاهر الثلاثة ثلاثة مظاهر اخرى تمثّل لنا رجل العلم . ويكون رسمها على نحو ما قدّمناه :

فيُبحث اولاً في صفة اللغوي وما امتاز به من طريقة في قاموسه المشهور ، وفي سائر تآليفه اللغوية «كالمثلّثات الدرية» وما اليها . ولا يكفي في هذا الموضوع ان نقول : ألّف ، وجمع ، وترك. بل يجب ان ندرس كيف ألّف ، وعلى اي طريقة جمع ، وما هي قيمة ما ترك . هل ابتكر شيئاً في آثاره اللغوية ، وهل سهّل درس اللغة ، ام قلّد مقلّدي المقلّدين منذ عصر الانحطاط الى يومه ذاك ؟

على ان المجال اوسع في الكلام على المطران جرمانوس نحوياً ، و«مجث المطالب» لا يزال متتابع الطبعات ، متداولاً في الكثير من المدارس ، يتعمّق في درسه الطلّاب ويستفيد منه المؤلفون . واسلوب الكتاب ، في عصره ، مثال حيّ لما يجب على المؤلفين اتباعه في تسهيل التدريس وتقريب القواعد من فهم الدارسين ، مع صرفها عن الاختصار المخلّ والميل بها عن القوالب الجافة التي تميّز الكثير من الكتب المدرسية . هذا ما ابتدعه المطران من اسلوب في تدريس الصرف والنحو، وان هذين العلمين ليشكران له طويلاً هذه البدعة النافعة . يلحق بذلك ما ألّفه في العروض والقوافي والمعاني والبيان «كرسالة الفوائد» و«التذكرة» و«الفصل المعقود» و«بلوغ الارب» وغير ذلك. مما يجب تحليله ودرسه أثراً اثراً ، فالدلالة على حظّه من التجديد والابتكار.

واما الشاعر «فالديوان» كفيل باظهار صفاته ، سواء أكان من حيث

الموضوعات وما فيها من تجدّد او تقليد وتنوّع او وحدة سياق ، او من حيث الاسلوب وما امتاز به من متانة او ضعف ، من ابتكار او ابتذال . ثم يجرّ ذلك الى درس القوى الشعرية من شعور ومخيّلة وعقل ، وطريقة توازنها وتآلفها في المطران الشاعر.

* * *

هذا وليس درس هذه الآثار بالمستحيل ، اذ ان كلها معروف ، واكثرها معاد طبعه مرّات . فاذا تفرّغ لها عدد من الادباء ، كل في الموضوع الذي يدخل في اختصاصه ، كان لنا مجموعة نفيسة من الدروس النقديّة الممتازة. تخللها بذكر آثار المؤلف الثنويــة من معرّبات ومختصرات ومصحّحات، نُلحق كلًّا منها بالفرع الذي تتصل به . ونقدّم على كل ذلك مقدّمة واسعة في حياة المحتفل بذكراه وصفاته الرجولية. فيكون لنا مجلّد كثير المادة ، جامع الابحاث، مصيب الاحكام.

وكي تتمّ الفائدة ، وتكمل لنا ، على افضل ما يمكن ، شخصية المطران جرمانوس فرحات ؛ يجب ان نردف مجلّد الابحاث هذا بمجلد آخر نضمّنه منتخبات نختارها من آثار المطران المختلفة في جميع الموضوعات التي ساعدتنا على درس مظاهر شخصيته . فتكون رسوماً مختلفة لذاك الرجل الكبير ، ومستندات دقيقة قيّمة لما تقدّم من الاحكام الادبية عليه.

فيكون عملنا ، والحالة هذه ، مبتكرًا في نوعه ، مفيدًا في ابحاثه ، لائقاً بتكريم من وُضع لاجله . وهو ، اذا ظهر بالطبع ، كان حدثاً ادبياً مهماً ، ومثالًا ناطقاً موثرًا في نهج الاحتفالات التكريمية في بلادنا . فضلًا عن انه يكون خاصاً بالمطران جرمانوس فرحات،لا فضفاضاً مضحكاً ولا مقصرًا شائناً. فيمثله في اذهاننا ويحيي ذكراه في قلوبنا اكثر بما لا يُقاس من عشرات الخطب الطنّانة المبتذلة ، ومئات القصائد الرنّانة الجوفاء.

قبر الامير بشير

نبذة للامير موريس شهاب

امين دار الآثار اللبنانية

حين مدة الى اخرى تشير الجرائد اللبنانية الى ذاك الامير الكبير الثاوي في البلاد الغربية ، فتذكر بالخير عهده السعيد ، وتلهج بنقل رفاته ، معدّدةً الاقتراحات على حكومة لبنان ، منوّعة برامج الاستقبال وطرق التكريم والتبجيل . ثم تسكت كأن الامر خرج عن موضوعاتها ، الى ان تثيره فرصة ثانية فتعود اليه كمن ذي قبل . وهكذا دواليك ! حتى بلغت الحملات الصحفية ، في هذا الموضوع ، لا اقل من عشر منذ تخلص لبنان من نير الاتراك فاخذ يفتكر بمفاخره الوطنية . واي مفخرة اجدر بالحرص واحقّ بالتقدير من رفات ذاك اللبناني العظيم !

بيدَ انّ جرائدنا الغرّاء ، في حملاتها تلك ، لم تكد تُشير الى مقرّ الرفات الّا عن طريق العرض والتلميح . فرأيت ، سدًّا لهذه الثلمة ، وخدمةً لمن سيهتم بهذا الواجب الوطني — ويجب على كل لبناني ان يهتم به ! — ان اذكر شيئاً عن ذاك القبر وما يثيره من التذكارات ، وقد زرته لبضع سنوات خلت :

هناك في القسطنطينية ، على ضفاف البوسفور الهادئ ، في حي غلطه ، رقد رقاده الاخير امير كبير كان لحكمه شأن عظيم في تاريخ الشرق الادنى .

هناك ، بعد ان طال حكمه وكاد يدرك الوطر ويحقّق الآمال نفي زمناً عاش فيه حزيناً ، ولكن مكرماً محترماً .

عاش في المنفى ، بعد ان قضى على عرشه واماله انقلاب وزارة . اذ لو طالت رئاسة تييرس للوزارة الفرنسوية ، لربما كان تاريخ لبنان كتب بغير تلك

جولة في المجلات

صوم رمضان ونشأته – فكتور بيرار
والمدنية الحميرية

صوم رمضان ونشأته

جاء في القرآن ، في السورة الثانية (١٧٩–١٨٣) : « يا ايها الذين آمنوا ، كُتب عليكم الصيام كما كُتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون . اياماً معدودات ، فمن كان منكم مريضاً او على سفر فعدة من ايام أُخر وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوّع خيراً فهو خير له وان تصوموا خير لكم ان كنتم تعلمون . شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن هدى للناس وبيّنات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصُمه ومن كان مريضاً او على سفر فعدة من ايام اخر . . . ؛ واذا سألك عبادي عني فاني قريب اجيب دعوة الداعي اذا دعانِ فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون . »

وورد في الحديث اقوال عديدة تؤيد الايات القرآنية وترغب المسلمين بالصيام . فالبخاري ومسلم والترمذي يجمعون في القول ان في شهر رمضان تُفتح ابواب الجنة وتغلق ابواب الجحيم الخ . وفي هذا الشهر يذكر المسلمون الدعوة النبوية وغفران الخطايا وغير ذلك مما اتخذه السيد كونين مادة للتفتيش عن اصل رمضان ، في مجلة الاسلام الالمانية ، (Der Islam: *Zur Entstehung des Ramadân*. *Von* F. Goitein) في المجلد الثامن عشر ، ص ١٨٩ ، فرأينا ان نعرب مقاله موجزاً للقراء بمناسبة ابتداء صوم رمضان في خلال شهر كانون الثاني ، قال :

اجمع المحدثون على القول ان صوم رمضان حلّ بين المسلمين محلّ صوم عاشوراء بين اليهود ، فما هي العلاقة بين رمضان وعاشوراء ؟ ان المسلمين اتخذوا الكعبة قِبلةً لصلاتهم ولم يحدثوا بذلك امراً جديداً ، والكعبة كانت قِبلةً لعبادة العرب في الجاهلية . فهل يكون صوم اليهود في عاشوراء ، او يوم الغفران ، قد فتح السبيل لادخال صوم رمضان بين المسلمين ؟ ان ما جاء في

الآية القرآنية (٢:١٨٢) عن اجابة دعوة الله عباده اذا سألوا عنه ، ووقوع تلك الآية حلقة في الكلام على الصيام ، ادى الى ادماج فكرة الغفران في فكرة الصيام ، فجعلوا الصيام من اسباب مغفرة الخطايا وذهبوا يشبهون رمضان بعاشوراء ويستعيضون عن هذا بذاك .

وقد يؤيد هذا القول ما يعرف عن الظروف التي أسست يوم الغفران عند اليهود، والظروف التي أسست رمضان عند المسلمين . ان اليهود عيّدوا يوم الغفران ذكرًا لاعطاء لوحي الوصايا ، ونزول موسى من جبل سينا ، واعلانه آنذاك ان الله غفر لشعبه . وكثيرًا ما اتى ذلك في التوراة وفي تعليم الربانيين حتى جعلوا يوم الغفران ، وهو تذكار ظهور الله لموسى ، عقدةً لحلقة الحفلات الدينية شأنَ غيره من اعيادهم . ووضع القرآن ايضاً اسباباً ليوم عاشوراء اقامة موسى على الجبل ، وذكر خطيئة الشعب بعبادته العجل الذهبي ، وذكر الغفران الذي ناله له موسى ، وظهور الله تعالى لقائد بني اسرائيل . (٢:٤٨ — ٥٢) « واذ واعدنا موسى اربعين ليلةً ثم اتخذتم العجل من بعده وانتم ظالمون . ثم عفونا عنكم من بعد ذلك لعلكم تشكرون واذ آتينا موسى الكتاب والفرقان لعلكم تهتدون . واذ قال موسى لقومه يا قوم انكم ظلمتم انفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا انفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم انه هو التوّاب الرحيم . واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتكم الصاعقة وانتم تنظرون . » (راجع ايضاً ٢ : ٦٠-٦١ ؛ ٧:١٣٨-١٥٣) وكله بهذا المعنى دليل واضح على ان صوم المسلمين حلّ محلّ صوم اليهود .

وقد يذهب المحدّثون الى ابعد من ذلك ويجعلون ايضاً خلاص اليهود من اعدائهم ، او انتصار موسى على فرعون ، سبباً لانشاء يوم عاشوراء .

حدث ابن العباس عن النبي قال : اني احقّ بموسى منهم . وليس من شأننا التفتيش عن اصل الحديث لكن حسبنا ان يكون مصداقاً للقول ان الاسباب التي وردت في القرآن اساساً لتأسيس الصوم عند المسلمين ، هي التي كانت في اعتبار يهود القرن السابع اساساً ليوم الغفران ، اخذًا عما عرفوه من اخبار موسى .

ولماذا يطول صيام المسلمين شهرًا كاملًا ؟ – ان العرب في الجاهلية كانوا يعتبرون الشهرَ القسم الزمني الوحيد في الحياة الدينية والمدنية فلا عجب ان تكون تلك الوحدة في الزمان صارت مدة للصيام : « ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرًا ... منها اربعة حُرُم . » اما كون صوم عاشوراء صار سبباً لادخال صوم شهر كامل فذلك التطوّر لم يحدث فجأة . وقد تنوّه بذلك الآية « اياماً معدودات » وان امرها لمتاص على الشراح . على ان فصل عشرة ايام من شهر الصوم للاعتكاف قد يضع محطةً للتطوّر بين صوم يوم الغفران وصوم الشهر .

ولم يكن الاعتكاف جديدًا في الاسلام ، فان الجاهليين كانوا « يعكفون على اصنام لهم » (٧ : ١٣٧) لكن الاسلام خصه ببعض التحريات . اما مدته فهي عشرة ايام ، فيها تقع ليلة القدر . ولم يعينوا هل تكون تلك العشرة في الثلث الاول من رمضان ام الثاني ام الثالث . على ان ممارسة عشرة ايام في الصوم « اعتكافاً » ، لا تزال شائعة في العبادة الاسلامية وبها فسروا «الايام المعدودة» الآتي ذكرها في القرآن ؛ هذا وقد حدّد محمد في غير موضع عدد عشرة ايام صيام « لمن لم يكن اهله حاضري المسجد الحرام » «تلك عشرة كاملات » (٢ : ١٩٢)

واعلم ان عدد عشرة ايام للصيام عريق القدم في استعمال الآراميين وهي التي تسبق يوم الغفران عند اليهود ، وهذا اليوم سماه المسلمون عاشوراء او العاشر من الصوم . وأن ما قلناه عن « الايام المعدودات » وعن استعاضة شهر رمضان لمن كان مريضاً او على سفر بعدة من ايام اخر ليذكرنا بالقاعدة المألوفة عند اليهود ، اي انه من الممكن تحويل الصوم من يوم الى غيره . واخيرًا اذا قابلت بين آية الغفران الواردة في الكلام على الصوم القرآني ، والآيات التي جاءت في التوراة بالمعنى ذاته ، كنت على بصيرة من الاسباب الداعية الى قولنا ان رمضان حلّ محلّ عاشوراء .

« واذا سألك عبادي عني فاني قريب ، اجيب دعوة الداعي اذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون » (القرآن ٢ : ١٨٢)

« والتمسوا الربّ ما دام يوجد ، ادعوه ما دام قريباً » (اشعيا ٥٥ : ٦)

وغيرها من الصلوات التي تتلى ايام الصيام .

ف . ت .

ڤكتور بيرار والمدنية الهوميرية

في الرابع عشر من تشرين الثاني الفائت مات ، في فرنسة ، عالم كبير ، واديب مشهور ، ووجيه معروف في بلاده وهو ڤكتور بيرار عضو مجلس الشيوخ ، واحد اعلام اولئك « الادباء » الفرنسويين الذين عملوا على ازدهار الدروس اليونانية واللاتينية ، وبالتالي على تعزيز الثقافة التامة الكاملة ، ما لم يمله شعب من الشعوب .

وُلد ڤكتور بيرار في ١٠ آب ١٨٦٤ ، ودخل مدرسة المعلمين العليا في باريس سنة ١٨٨٤ ثم اصبح عضواً في مدرسة اثينة الفرنسوية فاتجهت به امياله الى درس المدنية اليونانية اجمالاً ، وما تعلق بالمسألة الهوميرية خاصةً حتى اضحى اشهر وادقّ واوثق من تكلّم عنها . ولا تزال مؤلفاته عن هوميروس وآثاره ، ومعاصريه من الفينيقيين مورد كل باحث في هذه الموضوعات المهمة . واليه يرجع الفضل الاسمى لا بتزييف رأي وُلف (Wolf) المنكر هوميروس فحسب ، بل بانكار نسبة هذا الرأي الى وُلف . فبيّن بيرار في كتاب نشره سنة ١٩١٧ عنوانه « أكذوبة من قبل العلم الالماني » (*Un mensonge de la Science allemande*) ان وُلف سرق رأيه ذاك من الاديب الفرنسوي دوبينياك (d'Aubignac) في التأليف الذي ظهر بعد وفاته ، سنة ١٧١٥ ، بعنوان « آراء اكادمية عن الالياذة » (*Conjectures académiques sur l'Iliade*) هذا وقد اطلعنا في جريدة الفيغارو (*Le Figaro*) على بحث قيّم في العالم الفقيد للكاتب هوبر موران (Morand) فرأينا اطلاع قرائنا على اهم ما جاء فيه :

لا بدع ان قلنا أن بموت ڤيكتور بيرار خسرنا ركناً من اركان العلم ، ورجلاً من رجالات الادب ، ما انفكّ منذ نصف قرن يبرز للعالم مولدات العقل اليوناني ، وقد البسها حلةً جميلة ، وذلك بفضل اطلاعه الواسع ، الذي ينمّ عن عقل فيه صائب ، ونفس على العلم غيورة ، وشخصية فردة بنوعها بارزة .

وليس يناه من سمعه يلقي محاضراته القيمة عن اثار هوميروس الادبية ، مبيناً خطأ الذين يزعمون ان المؤلفات المنسوبة لهوميروس ليست بالحقيقة سوى مولدات شعب كامل وثمار قرائح عديدة جمعها النقلة والمنشدون ، وان هوميروس ليس سوى اسم مستعار لغير مسمّى حقيقي . وقد ركّز نظريته على براهين استمدّها من اكتشافات له حديثة واستنتج صحة تلك النظرية من الوجهتين التاريخية والجغرافية .

فبيّن ان الالياذة والاوديسية لم تكونا معروفتين حتى اواخر القرن الفائت الا من مخطوطات بيزنطية كتبت مائة سنة بعد عصر شرلمان . ودامت هذه

الحال حتى سنة ١٨٩٠، وقت اكتُشف في احدى قرى الصعيد مخطوطة يرجع عهدها الى القرن الخامس قبل المسيح ، عليها مقاطع من تآليف هوميروس. ومن الغريب ان تلك الشذرات تطابق مطابقة تامة نصّ المخطوطات البيزنطية المعروفة. فيتضح من هذا الوجه ان التآليف الهوميرية كانت ، ولم تزل ، هي هي منذ ثلاثة عشر قرناً قبل البيزنطيين. ويظهر من وجه اخر ان ما اتى هوميروس على وصفه من اثاث البيوت وزينتها ليس خيالياً بل حقيقة واقعية ، دلت على صحتها الاكتشافات الحديثة. فقد وُجد اناء هيلانة الذهبي ، وخنجر مينلاوس ، وغيرهما من الآثار ؛ وتقرّر بعد الابحاث الدقيقة انها التي وصفها هوميروس بعينها . فلا يمكن اذاً بعد هذا نكران المدنية الهوميرية ، بل يجدر بنا ان نقدر حق رجل توصل من ٨٥٠ سنة قبل المسيح ، الى ايجاد فنّ يتطلّب موهبة عظيمة وعبقرية سامية مما تعجز عنه او تكاد القرائح العصرية.

وقبل ان ينتقل بيرار الى الوجهة الجغرافية ، ابان ان هوميروس كان يستعمل احرف الكتابة لانه ليس محتملاً ان رجلاً مثل هوميروس سليل امة نبغت دون جموع الانسانية طرًا ، كان يجهل الكتابة وقد عُرفت طريقتها من قبل عهده، اذ وُجدت ، في حفريات جبيل ، كتابة ترجع الى السنة ١٢٥٠ ق.ب.

فبعد ان اثبت ڤيكتور بيرار صحة وجود هوميروس ونسبة تآليفه ومعرفته الكتابة ؛ هل نقدر ان نشك في صحة ما حكاه عن البلاد والشعوب ؟ كلا، في عرف ڤيكتور بيرار لان من تتبع الشاعر اليوناني في كل تنقلاته ، كما فعل هو ، لا يسعه الّا التيقّن من صحة ما وصفه هوميروس من الوجهة الجغرافية.

وهكذا تبحّر ڤيكتور بيرار في تآليف الشاعر اليوناني فتضلّع منها وتمكن من ادق حذافيرها وقد دفعته غيرته الى وضع الاوديسة بالافرنسية ، فابرزها بنثر بديع المبنى يكاد يكون شعرًا ، على تحفّظه الشديد في اداء الاصل . وذلك مما يندر وجوده في نقل تآليف كهذه .

كل هذا يدفعنا الى الاعجاب برجل وقف حياته على العلم مجاهدًا ، فقد دافع عن شاعر قديم تفرّد بعبقريته ، وهام من اجله باليونانيين وآدابهم هياماً يُديم ذكراه ، ويعدّه منهم خلودًا للزمن قاهرًا.

نكبة لبنان

منذ اليوم العشرين من الشهر الفائت، وابصار اللبنانيين قاطبةً شاخصة نحو بكركي ، مقرّ شيخهم الجليل وقد ألمّ به مرض مقلق ؛ وقلوبهم متجهة نحو العلاء تسأل العناية الالهيــة ان ترفق بالشعب فتحفظ له ركنه في هــذه الايام العصيبة. وكانت الساعات تتوالى والنفوس تتدافع بين الامل والوجل ، حتى كانت الساعة الثانية من صباح الخميس في الرابع والعشرين من كانون الاول ١٩٣١ ، فتسارع على فم لبنان خبر المصيبة الوطنية ، ومشى في نسيم لبنــان نبأ الفاجعة القومية ، وردّدت اودية لبنان صدى الرزيئة الشاملة ، وقابل ارز لبنان شاعرًا بلوعة ابنائه بفقد ابيهم وعميدهم وركنهم العظيم ، المثلث الرحمات

البطريرك الياس بطرس الحويّك

قضى شبعان من الايام بعد ان ملأها ولبنانَ ، بل والشرقَ الادنى اجمع ، بجلائل الاعمال وعظائم المنشآت ، بعد ان تجشّم المشقات في تكوين هذا الوطن الحديث فجمع حول شخصيته البارزة الملل المختلفة، والنحل المتباينة ؛ فكان الزعيم الكبير والمرجع الوحيد ، لم يهدأ له بال ولم ينم له طرف حتى رخد بين جميع العناصر ووضع الحجر الاخير، كما انه كان واضع الحجر الاول، في صرح الوطنية الحقة. فلا عجب ان اعتبر مأتمه مأتمًا وطنيًا ، فانتقلت السلطتان اللبنانية والمنتدبة برجالها الرسميين مع ممثلي الدول كلهم، الى بكركي للاشتراك بمأتمه العظيم الذي كان اشبه بظفر منه بجنازة . وتألّبت عشرات الالوف بالقلوب الخاشعة والابصار الشاخصة لوداع الراحل الكبير وكلهم يتمنى ان يشبع الطرف من مرأى القديس المسجى على سريره الاخير، فيمكنه ان يقول في المستقبل : رأيت البطريرك العظيم !

لسنا الآن في موقف الرثاء والتأبين ، بل اننا نكتفي بذكر الفاجعة على ان نعود في العدد القادم ، والمجال افسح ، فنصف ما امتاز به شيخ لبنان من الصفات العبقرية ، وما قام به من الاعمال العظيمة.

شذرات

الخوري بطرس غالب

١٨٧٨ — ١٩٣١

بأسف شديد وألم بالغ عميق ، يحمل « المشرق » الى قرّائه الكرام نعيَ من كان ، لبضعة اشهر خلت ، يزيّن صفحاته بالآراء الناضجة والابحاث النفيسة المفيدة . الا وهو فقيد العلم والوطنية والتقوى ، الخوري بطرس غالب. ألمّ به في اوائل الصيف داء مضنك قاسى آلامه المبرّحة مدة خمسة اشهر أظهر في خلالها من فضيلة الصبر والتسليم ما كان مثالاً لعائديه. الى ان كان مساء الحادي والعشرين من كانون الاول ١٩٣١ ، ففاضت روحه الطاهرة ، وقد خلُصت من شوائب هذه الحياة فرجعت كاملةً الى بارئها مصدر الكمال ، بين حزن الاهل الصامت ، ولوعة الاصدقاء البكاء . وكانوا قد تسارعوا لوداع الراحل العزيز ، وهم يتشبّثون بآمال ما كانت لتتحقق. هذا ، والراحل ينظر اليهم بعينين ملؤهما الوداعة والغبطة وقد انعكست عليهما انوار الابدية ، وقبل الاسرار الالهية والبركة الرسولية التي اتاه بها نيافة القاصد ، فسهل عليه ترك هذه الدنيا وهان عنده الانتقال . فكان هادئاً وديعاً صالحاً مفيداً لشاهديه ، كما كانت حياته هادئةً وديعة صالحة مفيدة لجميع عارفيه.

كان الفقيد كاهناً غيوراً متفانياً في سبيل خلاص النفوس ومرشداً بعيد النظر مصيب الحكم ، وصديقاً عطوفاً عاملاً على خدمة من يلجأ اليه جهد المستطاع؛ فبكاه اهله الأدنون ، وابناؤه الروحيون ، وجميع اصدقائه وعارفيه . وكان عالماً واسع الاطلاع ولاسيما في شؤوننا الوطنية ، وكاتباً معروفاً متعدّد المباحث والموضوعات[1] ، ومشيراً حكيماً في الامور الدقيقة ، فبكاه زملاؤه من ارباب

١) من آثار الفقيد العزيز في اللغة العربية : سلسلة ابحاث تاريخية في نوابغ المدرسة المارونية الاولى (المطران بطرس ضوميط مخلوف - البطريرك جرجس عميرة — المطران

اللاهوت والادب والتاريخ ، وهم في عصر اشدّ ما يكونون حاجة اليه . اما «المشرق» ، وقد عرف في الراحل الكريم جميع هذه الصفات ، فكان اسفه شديداً والمه بالغاً عميقاً ، وهو يذكر حسناته ما ذكر آثاره المتعدّدة ، ومساعداته القيّمة، مقدّماً لاسرته الكريمة اصدق التعازي، وسائلاً الله ان يقبل تلك النفس الفاضلة في ابديته الصالحة

حفريات آفامية

يذكر قرّاؤنا الكرام ، دون شك ، ما نشرناه في «مشرق» السنة الماضية (٢٩ [١٩٣١] : ١٠—١٨) عن قدوم بعثة بلجيكية برئاسة الاستاذ ميّانس ، الى موقع افامية ، ومباشرتها اعمال الحفر والتنقيب في اطلال تلك المدينة ، وقد عرضنا لهم يوم ذاك نتائج الحفريات في دورتها الاولى. اما الآن وقد اتمّت البعثة دورتها الثانية في اواخر تشرين الثاني الفائت ، فوجب علينا ان نشير ، وان سطحياً ، الى ما توصّلت اليه هذه السنة.

قابلنا الاستاذ ميّانس ، على اثر رجوعه من منطقة الحفريات ، فاذا هو يطفح حبوراً بنتائج اعماله ، وبما يتوقّع من قيمة تاريخية لتلك المكتشفات . ثم اندفع يحدّثنا عن كيفية سير الحفريات هذه السنة ، وعن المعدّات التي جاءت بها البعثة من آلات مسهّلة للحفر ، وادوات سكة حديد صغيرة اقامتها في ميدان العمل ، وحافلات حديثة لتفريغ التراب ، وموادّ لصنع قوالب الآثار المهمة. ثم

اسحق الشدراوي — ابرهيم الحاقلاني) ، وفي نشأة الديانة المسيحية في لبنان ؛ والحياة النسكية فيه. وتراجم قداسة الحبر الاعظم ، ونيافة القاصد الرسولي ، والمرحوم الاب كاتن اليسوعي والخوري بطرس المكرزل . مع نشر وثائق تاريخية مهمّة . وفصول قانونية قيّمة كالاحوال الشخصية وكلها ظهرت في المشرق والبشير. اما ما طُبع على حدة فمنه : صديقة وحامية (١٩٢٣)، والاحوال الشخصية (١٩٣١) ، والتعليم المسيحي الاعدادي للمناولة الاولى (١٩٣١) ، ومختصر اللاهوت الادبي (بالاشتراك مع الخوري ميخائيل غبريل) . وله في اللغة الفرنسية كتاب : Le Protectorat religieux de la France en Orient, *Avignon Aubanel* وعدة مقالات في مجلة المدرسة الاكليريكية (*Bulletin du Séminaire Oriental*) ، وله بالعربية والفرنسية والسريانية كتاب « المسيح الملك » (١٩٢٦) . فضلاً عن المقالات المتعددة في المواضيع المختلفة المنشورة في جريدة البشير. وقد كان يجيد لغات عديدة ولا سيما اللاتينية والفرنسية والعربية والسريانية.

انتقل الى ذكر ما كلل اتعابهم من نتائج باهرة فعرض علينا رسوماً وصوراً تنطق بقيمة تلك المكتشفات، واهمية تلك المدينة. وقال انه اصبح بامكانه ان يجعل اقامية كلها في متحف عاصمته بروسل، لا بان ينقل اليها الآثار المكتشفة طبعاً — وهذه كلها لا تزال موجودة تحت مراقبة الحكومة السورية واحد امناء البعثة — بل القوالب التي أخذت عن اهمها مع التخطيط الكامل للمدينة.

وكان من اهم مكتشفات هذه السنة تمثال ضخم لجبّار راكع حُفر حفرًا بارزًا في صلدٍ من الحجر مربّع يبلغ ضلعه ١٤٠ سنتيمترًا . (انظر الرسم ١) وكان هذا التمثال قائماً على قاعدة عالية ، كما يعتقد الاستاذ ، فلم يصل اليه مخرّبو تلك الآثار. وقد يكون ظلّ كذلك حتى دهمت المدينة الزلزلة الكبرى سنة ١١٥٢ فتساقطت اركانها . وكان من نصيب التمثال ان سقط على اسفله فتحطّم ما اتصل بالقاعدة منه وغار التمثال في حفرة تراكم فوقها التراب، فطمست آثاره حتى استخرج هذه السنة ، فكان حفظه من العجائب . اما رأسه واعلى صدره ويداه فلا تزال على غاية ما يمكن من الجلاء والبروز ، حتى ان الاستاذ ماياس يقول ان الرأس هو اتمّ ما اكتُشف من نوعه في بلادنا الشرقية من حيث الحفظ والبقاء لا من حيث الجمال ودقة الفنّ.

ومن الآثار المهمة التي اكتشفت هذه السنة ايضاً كتابة لاتينية رُقّمت على قطعة عمود تُرى مدحرجة في اسفل الرسم من جهة اليمين . والكتابة تذكر الامبراطور لوسيوس ڤيروس الذي ملك من السنة ١٦١ الى السنة ١٦٩ للمسيح . واذًا فهي تفيد في تأريخ تلك الاعمدة التي تظهر ، ولا شكّ ، سابقة عهد الامبراطور المذكور

ومن ذلك ايضاً قطع من الفسيفساء الدقيقة الصنع كشفت عنها الحفريات في اسفل الحائط الاقصى التابع لرواق الاعمدة الكبيرة . ويظهر شيء منها في اسفل الرسم ، امام البدوي . اما الرسم الرابع فيمثّل بعض النقوش الموجودة على رؤوس الاعمدة وتمثل اكثرها ورق اللبلاب (*lierre*) والكنكر (*acanthe*) .

هذا ما يمكننا ذكره اليوم بغاية الاختصار. وسنوافي القراء الكرام بتفاصيل المكتشفات بعد ان يقدّم الاستاذ ماياس تقريره المسهب للمراجع العلمية العليا .

مطبوعات شرقية جديدة

Margaret Smith : Studies in earlymysticism in the Near and Middle East. *in-8°, 276pp. Prix* : 12/6. *London, The Sheldon Press.* 1931.

التصوّف القديم في الشرق الادنى والمتوسط

يبحث مؤلف هذا الكتاب في التصوّف القديم في الشرق الادنى والمتوسط. فيبدأ بالتصوّف المسيحي والحياة الرهبانية ، وهو اضعف اقسام الكتاب واوهاها ، ويكفي ان فيه مثل هذا الخطأ الفظيع (ص ٨٦) وهو ان مذهب القديس افرام يجرّ الى الحلولية. ثم ينتقل المؤلف الى التصوّف الاسلامي فيظهر تأثير المسيحية فيه ، ويعرض مذاهب قدماء الصوفيين مترجماً المشهورين منهم ، مبيناً كيف ان الكثير من ارباب الصوفية الذين ساروا من مذهب التوحيد لم يأمنوا المزالق التي اهوت بهم الى الحلولية . والكتاب ، في هذا القسم ، وافي المعلومات دقيق التحليل ، ولاسيما في مذاهب قدماء الصوفيين. ه.ل.

Baron Firmin van den Bosch : Vingt années d'Egypte. *in-12 de 266 pp. Prix* : 15 *f°. Paris, Librairie Académique Perrin.*

عشرون سنة في مصر

من حسن حظّ القرّاء أن يرضى رجل قدير اقام مدّة طويلة في مركز معروف بان ينشر مذكراته وملاحظاته . وهذه حالة المؤلف الذي خدم مصر مدة عشرين سنة في المحاكم المختلطة ، فافاد الادعاء العام فيها بمعارفه ومواهبه القيّمة. وقد اتصل باعظم الشخصيات في مصر ، وتناقش واياهم في عدة مشاكل مهمّة. حتى غدت قراءة كتابه من اللذات النادرة ، ولاسيما عندما يعبّر عن آرائه في امور الامس التي لا تزال حاضرة في جميع الاذهان ، فيلقي احكامه بما لا مزيد عليه من رغبة في الدقّة والتحفّظ . وقد قسم كتابه الى فصول تناول فيها الحياة السياسية ، والحياة القضائية ، والحياة الاجتماعية مع حياة سراة القوم، والفنّ ، والتاريخ. ثم القى نظرة اجمالية على الاقطار المجاورة فخصّ بسورية الصفحات ٢٢٤—٢٣٥. ج.ل.

A. Gruvel : Les Etats de Syrie. Richesses marines et fluviales. Exploitation actuelle. Avenir. *in-8° de 453 pp. avec 56 fig. dans le texte, 28 planches hors texte et une carte dépliante de pêche du golfe d'Alexandrette. Paris, Société d'éditions géographiques, maritimes et coloniales.* 1931

حكومات سورية : موارد غناها البحرية والنهرية ، واستثمارها في الحاضر والمستقبل

قام المؤلف بثلاث بعثات في مناطق الانتداب الفرنسوي ، فدرس ، مع معاونيه ، الشواطئ اللبنانية - السورية ، واهمّ الانهار والبحيرات او البرك . ودوّن معلوماته في هذا الدرس الذي يظهر الاول من نوعه في دقته واتساعه . وفائدته انه يطلع الناس على مورد غنى مهمّ في الشواطئ ، وهو الاسماك . والكتاب يصف كل نوع منها ، ويصوّره ، ويذكر مناطق وجوده . وهو على قسمين : اختصّ المؤلف السيد گروڤيل بالاول والاكبر منهما ، فالقى فيه نظرة اقتصادية شاملة على الشاطئ والمرافئ واعماق البحار ، والاحوال الجوية التي تؤثر في صيد البحر ، وعلى الاسماك وانواعها ومحلات وجودها ، وتأثير فتح ترعة السويس على ما يوجد منها في شواطئ لبنان وسورية ، ثم على الشبكة النهرية ومقدرات الصيد فيها وفي البحار ، واستثمار ذلك في مناطق الانتداب في الحاضر والمستقبل . وترك لمعاونيه القسم الثاني يصفون فيه وصفاً علمياً بعض الانواع كحيّات الماء ، وفصيلة السراطين ، والهلاميات .

وعلى الجملة نرى الكتاب مبتكراً في بابه مفيداً كل الافادة في معلوماته وابحاثه . ج . ل .

P. Hieronymus Engberding O. S. B. : Das eucharistische Hochgebet der Basileiosliturgie. [*Theologie des christlichen Ostens. Texte und Untersuchungen, herausgegeben von der Benediktterabtei St Joseph Coesfeld. Heft* I.] 1931. *Münster, Aschendorff, LXXXIX-89 pp. R. M.* 9.

الصلوة الافخارستية في طقس القديس باسيليوس

ان الآباء البندكتيين الالمان ما فتئوا يواصلون ابحاثهم القيمة في المسائل التاريخية المهمة . وها انهم ، بعد ان انشأ فريق منهم ، وهم بندكتيو ماريا لاخ ، تلك المجموعة العلمية النفيسة التي دعوها *Liturgiegeschichtlichen*

(Quellen und Forschungen) والتي تمثل في عصرنا قيمة لا يُستهان بها من الابحاث الثمينة بادارة حضرة الاب كونيبرت موهلبرغ (Mohlberg) والدكتور ادولف روكر (Rüker) ؛ قام فريق آخر منهم ، وهم بندكتيو القديس يوسف الكوسفيلدي في وستفاليا ، فأنشأوا مجموعة جديدة غايتها نشر النصوص والابحاث التاريخية في الشؤون اللاهوتية والطقسية.

هذا ولا خوف من ان المجموعتين تتماثلان غاية وابحاثاً فتفقد احداهما مبرّرات وجودها . لانه بينما المجموعة الاولى تهتمّ خصوصاً، ان لم نقل فقط ، بنشر النصوص الطقسية ؛ نرى الثانية توسّع مجال عملها من جهة حتى تشمل به اللاهوت اجمع ، وتضيّقه من جهة اخرى فلا تهتمّ الا بالشرق ، بما فيه روسية التي يرمي العلماء اليوم الى معرفتها حق المعرفة . ولا شك ان هذه المجموعة الجديدة المدعوّة «لاهوت الشرق المسيحي» تقرن جهودها بجهود سابقاتها ولاسيما «الشرق المسيحي» (Oriens christianus) و«اصداء الشرق» (Echos d'Orient) فتساعد لاهوتيي الغرب ، وتسهّل عليهم فهم لاهوت الكنيسة الشرقية.

هذا وبين يدينا الآن المجلد الاول من هذه المجموعة يبحث في الصلوة الافخارستية في طقس القديس باسيليوس . وهو بحث لا تخفى اهميته اذا ما عرفنا ان درس اللاهوت بالمقابلة لا يزال في مهده ، على ما اداه من نتائج حسنة صالحة جديرة بان تشجع من يشتغلون بهذه الابحاث ، ومنهم حضرة الاب أنكيردنغ ، مؤلف الكتاب.

يبدأ المجلد بمقدمة ممتعة يعرض فيها المؤلف لمسألة تطوّر ونموّ الصلوة الافخارستية الكبيرة ، وما قدّم العلماء في ذلك من نظريات . ثم يشرح لنا طرق ابحاث المقابلة ، ويدلنا على المصادر المهمة من مخطوطة ومطبوعة . ثم يحلل لنا تحليلاً دقيقاً اهم الشهود المستخدَمين في تأليف النسخ الاربع من كتاب القديس باسيليوس ، التي سيدرسها ويقابل بينها ، وهي النسخ : البيزنطية ، والسريانية ، والآرامية ، والمصرية . بعد ذلك يضع المؤلف بين يدينا ما يمكننا من الحكم على القيمة النقدية في كل من هذه النسخ الاربع ، وعلى قيمة الشهود كلًّا بمفرده ، ومجتمعين الى فئات . ثم يشير الى ما اخذه بعض

المؤلفين وبعض الطقوس عن طقس القديس باسيليوس . وينهي بسؤال مهم وهو: مَن هو مؤلف هذا الطقس المنسوب الى القديس باسيليوس ؟ ولا يخفى على المطالع ان الجواب ليس بالسهل عن سؤال كهذا . اما حضرة المؤلف فيستنتج انه لا يمكن القول ، بحصر المعنى ، ان القديس باسيليوس مؤلف الطقس المذكور . بل هو جامع لآثار وُجدت قبله بمدة طويلة . وقد يكون علّق النصوص الكتابية والشروح اللاهوتية على كتاب قديم قد تمثله اليوم النسخة المصرية لطقس القديس المذكور .

ثم ان المؤلف يخصّص القسم النقدي، الحاوي المستندات، لنشر النصّ اليوناني مقابلًا فيه بين النسخ الاربع : المصرية ، والآرامية ، والسريانية، والبيزنطية . ثم يدرس كلًّا من هذه النسخ درساً غاية في الدقة وكمال النقد .

كل هذا يبدو من مطابع أشندورف في مظهر واضح جميل، ولاسيما في ما خصّ النصّ اليوناني . ا . ج .

J. Célérier : Le Maroc. [*Collection Armand Colin*, 103, *boulevard St Michel.*] 1 *vol. in*-16, 220 *pp.* 3 *graphiques et* 6 *cartes. Prix, broché* : 10 *f*r 50.

مراكش

مؤلف هذا الكتاب استاذ للجغرافية في معهد الدروس العالية المراكشية ، وهو يعيش في تلك البلاد منذ خمس عشرة سنة لم يفتأ في خلالها يزور مناطقها من الريف حتى الصحراء . فهو ، والحالة هذه ، اوثق من يتكلم عن مراكش . ولاشكّ في ان الجغرافيين يقدرون دقته في وصف المنطقة المراكشية ، والاهتمام المتواصل في ايجاد الوفاق بين الجماعات البشرية والبيئة التي تعيش فيها . كما ان غير علماء الجغرافية من القرّاء يسرّون ، دون ريب ، بتصوير تلك الحياة المستندة الى القديم في جميع مظاهرها التقليدية الغريبة . فلا بدّ ، والحالة هذه ، لجميع من يرغبون في زيارة مراكش ، وهي زيارة اصبحت من الامور العادية في فرنسة اليوم ، من الوقوف على هذا الكتاب فيكون لهم دليلًا اميناً ومرشداً ثقة .

E. Foguet: Histoire de la poésie française. V. Nicolas Boileau. *in-12 de 341 pp. Prix : 15 fr. Paris, Boivin et Cie, éditeurs.*

تاريخ الشعر الفرنسوي : الجزء الخامس : نقولا بوالو

وصف « المشرق » سابقاً (٢٨ [١٩٣٠] : ٧٩٢) الجزء الرابع من تاريخ الشعر الفرنسوي منذ النهضة حتى عصر الرومانتيكيين ، وكان قد خصه المؤلف بجان دي لافونتين . وهو اليوم يظهر الجزء الخامس مختصاً بنقولا بوالو . وفضل بوالو ، في الشعر الفرنسوي ، لا بكونه اميراً من امراء الشعر النوابغ ، بل بما امتاز به من حسن الذوق والرزانة وما اليها من الصفات التي جعلت له تلك الشخصية المعتبرة ، والتي يحللها المؤلف بدقته المعهودة فيستنتج ان بوالو رجل اتى في عصره فكان اول من شهر الكفاح الادبي الواجب في الوقت المرافق ، واول من أثار في فرنسة الابحاث حول الفنون الادبية المهمة ، وأدى ، في كل ذلك ، شروحاً معقولة مقبولة . ج.ل.

1 — Chansons populaires grecques des 15e et 16e s. *publiées et traduites par* Hubert Pernot : *Paris, éd. «Les Belles Lettres»*. 1931

2 — Morceaux choisis du Pré spirituel de Jean Moschos. *traduits et annotés par* D.-C. Hesseling. *Paris, édition « Les Belles Lettres»*. 1931

١ — اغاني شعبية يونانية من القرنين الخامس عشر والسادس عشر

٢ — منتخبات من الروضة الروحية لجان موسكوس

هما مجلدان جديدان لطيفان من « مجموعة المعهد اليوناني - الحديث » (*Collection de l'Institut Néo-hellénique*) التي تنشرها جامعة باريس . يتضمن الاول عدة اغانٍ شعبية يونانية ترقى الى القرنين الخامس عشر والسادس عشر ، من التي كان يتناقلها المنشدون المتكسبون فيجوبون بها البلاد مستجدين . وقد نشرها وترجمها الى الفرنسوية السيد هوبر برنو ، فوفر لابناء اللغة اليونانية الحديثة اسباب لذة عجيبة اذ يتذكرون ما سمعوه في صباهم من امثال تلك الاناشيد الشعبية . واعان بترجمته من لا يمكنه ان يفهم معاني تلك الاناشيد وبعضها صعب دقيق .

اما المجلد الثاني فيتضمن « منتخبات من الروضة الروحية » ، اختارها

ونشرها استاذ اليونانية المعروف السيد هيسلنغ ، الذي كان قد سبق ونشر ، في المجموعة نفسها ، تاريخاً للآداب اليونانية الحديثة . وقد قدّم على منتخباته هذه بحثاً ضافياً في ٥٧ صفحة عرض فيه للغة العامة المعروفة « بالكوني » (Koinê) وتأثيرها في انشاء اللغة اليونانية الحديثة . هذا وان حسن الذوق في انتخاب القطع المنشورة ، وسذاجة موضوعاتها ، وبساطة انشائها ، لمن اقوى العوامل على جعل المجلد الصغير شائقاً ولطيفاً للغاية . ي . ك .

E. Saussey : Les mots turcs dans le dialecte arabe de Damas. [*Mélanges de l'Institut français de Damas t. I* (1929)] *in* 8° *de* 55 *pp. Imprimerie Catholique, Beyrouth*, 1929

الكلمات التركية في لهجة دمشق

هذا الكتيب هو في الحقيقة طرفة من الطرف اللغوية الاستشراقية ، اولاً بجدة موضوعه ، ثم بخطورته للتعمق في درس تطورات اللغات العربية الدارجة ، واخيراً بالدقة العلمية الكاملة التي بذلها المؤلف لتوفية المبحث حقه من الايضاح والتحقيق .

الكتيب مقسوم الى اربعة اقسام . في القسم الاول يرتب المؤلف نحو ستمئة من الكلمات التركية الداخلة في لهجة دمشق على شكل جداول ، يحتوي كل منها الفاظاً متجانسة المعنى ، كاسماء الحرف والالفاظ الادارية والعسكرية والتجارية . ثم يرتبها بحسب انواعها الصرفية : الموصوفات ، فالصفات ، فالظروف (*adverbes*) ، فادوات الوصل (*conjonctions*) ، فاسماء الافعال ، فالافعال .

في القسم الثاني بيان التحولات الطارئة على بعض الحروف التركية في تلك الكلمات المندمجة في لغة دمشق الدارجة ، ولا نملك ذاتنا عن التعبير عن دهشنا من طول باع المؤلف ودقة نظره خصوصاً في هذا الباب من كتيبه النفيس ، ولاسيما انه فيه مبتكر ، لا ناقل او منتحل .

في القسم الثالث يستخلص المؤلف من البحثين السابقين بعض نتائج عامة ، مهمة ، منها ان بعض الالفاظ التركية الداخلة في لهجة دمشق غير مأخوذة عن التركية العصرية ، التي ينطق ويكتب بها الادباء الاتراك ، بل عن التركية

القديمة او عن لهجاتها الماضية والحاضرة . ومنها ايضاً ان بعض تلك الالفاظ ، ولا سيما المتعلقة بالتجارة ، ليست في الغالب تركية الاصل ، بل مقتبسة عن الايطالية ، وكذلك قد أخذت عن الفرنسية اكثر تلك الالفاظ المعبرة عن مظاهر التمدن الاوربي ، فلم يؤخذ عن اصل تركي محض سوى الكلمات العسكرية واكثر الالفاظ الدالة على الآلات والثياب والاطعمة والمساكن واثاثها .

في القسم الرابع جدول ابجدي لتلك الالفاظ التركية ، البالغ عددها نحو ستمئة ، وقد كتب كل منها باحرف لاتينية ، زيد عليها ما يلزم من الاشارات الاصطلاحية للتعبير عن كيفية لفظها في لغة دمشق الدارجة ، ثم أضيف مقابلها في الفرنسية ، فالتركية ، مع بيان الاصل الاول غير التركي ، عند اللزوم .

خلاصة القول ان السيد سوسه (Saussey) قد أدى لعلم اللغات العربية الدارجة خدمة جليلة بنشره ذلك المؤلف الصغير بحجمه بقدر ما هو كبير بقيمته .

ر . ن .

اوليات سلاطين تركية

بقلم محمد جميل بيهم

مطبعة العرفان ، صيدا ١٣٥٠ هـ ، ١٩٣١

هو كراس بقطع ١٦ صغير ، عدد صفحاته ٨٠ ، اهداه مؤلفه الى المكتبة الشرقية ، وقد ضمنه ذكر سلاطين بني عثمان من عهد تأسيس السلطنة العثمانية الى عهد سقوطها (ص ٤–٥٥) عرّف فيه كل سلطان باسمه ونسبه ، وتاريخ ميلاده ، وجلوسه ، ووفاته وعما احدثه من « التجدد » ، وقد لا تخلو لفظة التجدد من بعض العبث . . . ان كان من ثم تجدد في مثل ما قال عن السلطان احمد الاول (ص ٢٥) : « انه عدل عن عادة اسلافه قتل اخوانهم عقب المبايعة مكتفياً بسجن اخوانه في القصور » ! . . وقد يؤاخذ المؤلف بروايته بعض الحوادث مجازفة وبغير سند . فقال : (ص ٢١) عن سليمان القانوني انه « منح الاجانب الامتيازات تكرماً وتفضلاً ، والصواب : تدبراً وسياسة » وقال (ص ٢٩) عن مراد الرابع انه « طرد اليسوعيين من القسطنطينية » ولم نرَ لهذا الطرد ذكراً في تاريخ اليسوعيين !!! وقال انه مات من غير عقب ، ولكن روى

المؤرخ حامر انه رزق ولداً دُعي علاء الدين (المجلد ٩ : ص ٢٧٤) وذيل الكتيب يحوي ما قاله الادباء مقرظين المؤلف. ف.ت.

نشرة بنك سورية ولبنان الكبير لسنة ١٩٣٠

المطبعة الكاثوليكية ١٩٣١ ، ف ٨ ، ص ٦٠

تحوي هذه النشرة بيانات البنك على التنظيم السياسي والاداري في البلاد ، وعلى الحياة المالية والاقتصادية والتجارية ، وعلى اعمال الاسعاف والتعليم ، ونظرات اجمالية في احوال الشركات المقفلة وموازنة كل منها للسنة ١٩٣٠ ، وخلاصتها: شركة بنك سورية ولبنان ، ربح : ٣٬٣٣٥٬٣١٦٬١٩٣ فرنكاً - بنك سورية الفرنسوي ، ربح : ٣٣١٬٨٩٥ فرنكاً الاعتماد العقاري لسورية (كريدي فونسيه) ، ربح : ٤٥١٬٧٦٧ فرنكاً - الترامواي والتنوير ، ربح : ٥٬٥٩٨٬٤٩٨ فرنكاً - مرفأ الاسكندرونة ، ربح : ٣٣١٬١٤١ فرنكاً - ترامواي وكهرباء دمشق ، ربح : ٣٬٠٩٨٬٧٦٠ فرنكاً - كهرباء حلب ، ربح : ٣٬٤٠٢٬٥٦١ - راديو اوريان : اظهر تسديد حساب الربح والخسارة اضافة اعتمادية قدرها ٦٦٨٬٦٥٠ فرنكاً - المبردات ومستودعات التبريد في الشرق ، ربح: ١٨٨٬٠٣٦ فرنكاً - اسفلت وبترول اللاذقية ، بلغت الموازنة فيها : ١١٬٢٢١٬٥٦٦ فرنكاً - الفنادق الكبرى في الشرق ، الموازنة فيها عن ١٩٣١ : ٨٬٣٩٤٬٨٣٠ فرنكاً - سكة حديد دمشق - حماه وتمديداتها ، نتيجة استثمارها الصافية ١٣٬٦٨١٬٣٩٩ فرنكاً - مرفأ وارصفة وحواصل بيروت : نتيجة استثمارها الصافية ٣٬٨٥٦٬١٨٤ فرنكاً - مياه بيروت ، نتيجة استثمارها: ١٤٬٨٦٣٬١٣٨.

هذا وفي النشرة معلومات اقتصادية مهمة قد نعود فنأخذ منها شيئاً ، شأننا كل سنة. ف . ت.

* فهرس مكتبة صادر ١٩٣١-١٩٣٢* رهما السنتان الثامنة والستون والتاسعة والستون لتأسيسها . صندوق البريد ١٠ - شارع اللنبي بيروت.

* قائمة مكتبة التوفيق ١٩٣١-١٩٣٢ * السنة الرابعة والعشرين من تأسيسها ، لصاحبها توفيق كبوش. بيروت سوق مار جرجس - مطابع قوزما.

اهم حوادث الشرق في شهر

١٥ تشرين الثاني — ١٥ كانون الاول ١٩٣١

لبنان وسورية — زار السيد بول رينو ، وزير المستعمرات الفرنسوية ، دمشق وبيروت في ٢٨ و٢٩ ت٢ فاستُقبل وودّع بكل حفاوة.

* سيم صاحب السيادة المطران نيقولاوس نبعه مطراناً على الروم الكاثوليك في ابرشية صيداء ، خلفاً للمثلث الرحمات المطران اثناسيوس خرياطي.

* اصدر المفوّض السامي (٧ ك١) قراراً يحدّد عدد نواب سورية المنتخبين والمعيّنين وافتُتحت جلسات المجلس الاستشاري واخذت الاحزاب تهتمّ كل الاهتمام باعداد الانتخابات.

* توفي في رومة (١٥ ك١) البطريرك بولس بطرس ١٣ ترزيان ، البطريرك السابق على الارمن الكاثوليك.

جبل الدروز — زار المفوّض السامي عاصمة الجبل (٤ ك ١) فجرى له استقبال حافل وقدّم له الاهالي عريضة يطلبون فيها ان تكون علاقات جبل الدروز السياسية والادارية مستقلة عن سورية ومرتبطة رأساً بالسلطة المنتدبة.

فلسطين — عُقد المؤتمر الارثوذكسي العربي الثاني ، في يافا ، في ٢٨ و٢٩ ت٢ فكانت خلاصة مقرّراته العمل في سبيل انتخاب بطريرك عربي ، والاحتجاج على تدخّل الاجانب في ذلك وخصوصاً قنصل اليونان ، ومقاطعة كل انتخاب لا يكون فيه نصيب للشعب ، وجمع المال للقيام بنفقات اللجنة التنفيذية.

* عُقد المؤتمر الاسلامي في القدس (٧-١٥ ك١) وغايته الدفاع عن الاماكن المقدّسة ، وانشاء جامعة اسلامية ، ونشر الثقافة الاسلامية ، ومحاربة الالحاد. فقام المعارضون وعقدوا مؤتمراً اسلامياً كبيراً آخر ، غيرَ موافقين على ما يقرّره المؤتمر الاول.

المشرق

السنة الثلاثون — شباط ١٩٣٢

صفحة ذهبية من تاريخ لبنان

البطريرك اللبناني
الياس بطرس الحويك
١٨٤٢-١٩٣١

بقلم الخوري منصور عوّاد عوّاد

١

من الناس مَنْ وُلدوا ليكونوا كبارًا ومن اولئك الناس البطريرك اللبناني الياس بطرس الحويك المغبوط الذكر الطيّب الاثر . فاذا ما رأيت نجماً ساطعاً يتألق في كبد السماء يبشرك برجل عظيم ، يصلح ، ام بمخلص للعالم ، فلا تفتش عن هذا الرجل في هياكل الفراعنة ، ولا في ايوان كسرى ، او في قصر الملك هيرودس ، او على عروش امبراطرة رومية ، بل سر وراء النجم مع قافلة التجار الاسماعيليين فتجد يوسف منقذ مصر ، حدثاً راعي غنم وابن راعي غنم ، في قعر بئر مرميًا حسدًا من اخوته ليقضي فيه

عليه وعلى احلامه[1] ؛ بل سر بقدم ثابتة على خطوات الفتاة الاسرائيلية الوجلة الى شاطئ النيل في مصر، فتلاقي موسى كليم الله طفلاً مطروحاً في سفط عند حافة النهر ليموت مع اطفال العبرانيين بحكم فرعون القاسي الذي لم يعرف يوسف ! [2] ؛ ولا تبحث عن داود ملك اسرائيل وجبار الملوك والشعراء والانبياء في بلاط شاول الملك ، ولا في بيت ابيه مع اخوته ، بل بين قطعان الغنم ورعاته في قفر بيت لحم[3] ؛ واذا غاب عنك النجم في اورشليم مدينة الملوك والانبياء والمواعيد الالهية ، فلا تيأس بل اخرج منها مع الملوك المجوس ويمم بيت لحم فيعود النجم الى ظهوره وتألقه يهدي خطواتك الى سواء السبيل ، ويتقدمك حتى مغارة بيت لحم حيث يقف « فوق الموضع الذي كان فيه الصبي »[4] ، فتجد « طفلاً ملفوفاً مضجعاً في مذود »[5] ، فاركع امامه فذاك ابن الله مخلص العالم !

أجل فلنفتشنَّ عن اعاظم الرجال ، في تاريخ البشرية الديني والدنيوي ، في القرى الحقيرة والبيوت الخاملة حيث تمدّ العناية الالهية في الخفاء الرجال الذين اختارتهم منذ البدء ، قبل انشاء العالم ، ليكونوا في يدها آلة لاكمال مشيئة الله تعالى على الارض بفعل العظائم ! فليس منشأ موسوليني ولا اصل نابوليون الاول او البابا سكستوس الخامس ولا سواهم من اعاظم الرجال الذين اصلحوا البشرية حيث وُجدوا او ظهروا فيها لامعين كشهب السماء ، الّا من هذا النوع في الاغلب ، ومراجعة التاريخ تقنع المرتاب.

في اليوم الرابع من كانون الاول في مغيب سنة ١٨٤٢[6] ، عهدَ كان لبنان مهشماً من تطاحن الجيوش المصرية وجيوش الدولة العثمانية وحلفائها عليه ، عهدَ كانت الحروب الاهلية تمزق احشاءه وتقضي على البقية الباقية فيه من الاستقلال والمجد ، عهدَ كانت الحروب الدينية والنعرات الطائفية والتعصب الذميم قد اخذت تحلّ فيه محلّ الرخاء والاتفاق والاستقلال ، عهدَ كان نجم

١) سفر التكوين ف ١٧.
٢) سفر الخروج ٢ : ٣و٤.
٣) سفر الملوك الاول ف ١٦.
٤) متى ٢ : ٦.
٥) لوقا ٢ : ١٦.
٦) وفي رواية اخرى يوم ١٧ ك ١ ١٨٤٢

الامارة الشهابيـة يتوارى وراء الافق الاحمر غائصاً في بحر من الدم والبغضاء والخصام والمطامع الدوليـة ، غهدَ كانت الآمال باستقـلال لبنان وبقاء النصرانية في هذا الشرق على وشك الخيبة التامة ، كان اللبنانيون يفتشون عن نجم الامير بشير الكبير المنفي فيتطلعون بعيونهم الى ابراجه التي يتنقل اليها بين مالطة والاستانة ؛ ولكن نجم الامير الآفل ما كان ليعود الى الظهور في القريب العاجل كأنه من تلك النجوم التي تظهر كل قرن مرة او كل قرنـين فقط ! وكان من اللبنانيـين من يبحث عن طالع لبنان بـين ابناء الامير او انسبائه، او في الاسرة اللمعية او في اسر لبنان اللامعة كالارسلانية والجنبلاطية وسواها من البيوتات الكبيرة. اما عيون الاكثرية من الموارنة وسواهم في لبنان فكانت متجهـة الى دار البطريركية المارونيـة حيث كان البطريرك العظيم يوسف حبيش قرن الامير الكبير بمواهبه الطبيعية وبعلو همته ، ورفيقـه في مجده. وكانوا يعلقون عليه بقية آمالهم الضائعة في حقهم بالحرية والاستقـلال والطمأنينة في لبنان.

ولكن العناية الالهية كانت قد اوقفت نجم سعد الطائفة المارونيـة ، والطوائف اللبنانية باجمعها ، على مزرعة حقيرة في لبنان ما خالج ذهناً قط في الشرق انها القرية التي يخرج منها المدبّر الذي يرعى الموارنة ، ويُعيد الاستقلال الى لبنان كله ، لا بالسيف ولا بالقوة بل بالعلم والفضيلة.

أجل في اليوم الرابع من كانون الاول سنة ١٨٤٢ وقف نجم العناية الالهية التي لا تترك بشراً ولا تهمل شعباً سواء اكان صغيراً ام كبيراً حتى ولا لحظة عين، واستقر طالع لبنان فوق حلتا فأبصرنا نساءها على ضوء ذلك النجم البعيـد في الافق وراء السحب المتلبدة في الفضاء بين العواصف الهائجة في ذلك الليـل البهيم ، وعلى ضوء سراج الزيت الضئيل تتلاعب بلهيبـه ارياح كانون ، وهنّ بأزيائهنّ اللبنانية الساذجة ، مبتـهلات يبشرن راعي نفوسهنّ ، الخوري بطرس بن عبود الحويّك بان غرّة ابنة طنوس الحويّك خوريته قد وضعت له ولداً ذكراً، وقلنَ له: جعله الله من ابناء السلامة غرّة لجبينك وقرّة لعينيك ! ونحن اليوم قد عرفنا ذلك المولود غرة في جبين لبنان ، عرفناه المـدبّر الذي

اختاره الله ليدبّر الشعب الماروني ، ورجل العناية الذي انتدبته عناية الله ليتم على يده استقلال لبنان الكبير لجميع ابناء لبنان ، بعد نحو قرن . فيعود بواسطته الى لبنان مجده واستقلاله تحت اشراف فرنسة التي عجزت وقتئذٍ عن المحافظة على استقلال الامارة اللبنانية !

ولو أُعطي لاحد ابناء لبنان روح النبوءة في تلك الليلة ، لهتف عند ورود البشرى بذلك المولود الجديد : « وانت يا حلتا ارض « لبنان » لستِ الصغيرة في رؤساء « لبنان » لانه منك يخرج المدبّر الذي يرعى شعبي « الماروني »[1] . فيجلس على العرش الاول الذي اسسه بطرس الرسول في انطاكية ، على عرش القديس اغناطيوس النوري الشهيد ، خلفاً ليوحنا مارون القديس اول بطاركة الطائفة المارونية في لبنان ، خلفاً للعلّامة اسطفان الدويهي ، ويوسف اسطفان الفسطاوي ، ويوسف حبيش بطريرك الموارنة العظيم ، ويعيد الى لبنان استقلاله كاملاً تحميه قوات فرنسة الغالبة ، لا سيف الامير بشير وحده !

غير ان ما لم يُعطَ لآبائنا ان يتنبأوا عليه ، قد تعاقب علينا في تسعين حجة فسمعناه بآذاننا ورأيناه بعيوننا ولمسته ايدينا ، فشاهدنا اصبع العناية الالهية بذلك المولود تتعهده يوماً فيوماً ، وحولاً بعد حول ، من مهده الى لحده ، تُظهر به العظائم وتفتقد على يده الشعب اللبناني وتعيد للبنان بواسطته مجده الخالد القديم كجباله ، العظيم كبحره ، الناضر كأرزه ، البهي كفجره ، الناصع كثلوج قمه !

العناية الالهية تتعهد مولودها طفلاً وصبياً واكليريكياً

حلتا أصغر مزرعة في بلاد البترون ، بل في لبنان . الا انها جميلة الموقع على قمة جبل مستقل تحيط به الاودية من كل جانب ، لا ماء فيها الا ماء الآبار ، ولا يؤمها غير سكانها ، تُرى من بعيد كنيستها ، ويتجاوب صدى جرسها في الاودية القريبة ، فكأنها قرية من قرى الحكايات !

في مطلع عام ١٨٤٣ كان جرس هذه الكنيسة يقرع فرحاً ، وابناء القرية

---

١) متى ٢ : ٦

يطوفون وراءه كاهنهم الخوري بطرس في رتبة زياح عماد ابنه ، وقد دُعي مولوده الياس.

الوالد كاهن تقي جدًّا ، والوالدة خورية اتقى وانقى. يحمل كلٌّ منهما في بردتيه ، بل في نفسه وجسمه ، تقاليد الموارنة اللبنانيين القدماء ابناء الجبال ، اي تقاليد السذاجة والقداسة ، في اكمل معانيهما. ورثوا الفضائل عن آبائهم وجدودهم ، وحافظوا عليها نقية فوق تلك الرابية لا يجرؤ على النظر اليها الا اشعة الشمس في النهار ، وضوء القمر في الليل.

الناس يظنون ان الذي يتربّى في محيط كبير ، كبلاط ملك او حاشية امير او في ظلال عالم علّامة او سياسي محنك ، يدبّ ويشبّ على روح عالية كبيرة ، فيتهيأ لمستقبل مجيد كبير. ولكن طرق العناية الربانية غير طرق البشر! فتحت كنف والدة قديسة ووالد قديس ، في الفقر القروي اللبناني التامّ ، نشأ الياس الحويك. وما ان بلغ الادراك حتى شرع والده يعلّمه السريانية والعربية بعناية ، شأنه في ذلك تجاه ابنه شأنه تجاه جميع اطفال القرية. وفي ذلك العهد كان الكاهن في القرية يعيش من المذبح ، اي من صدقات المؤمنين. وكان كل همه الاعتناء بنفوس ابناء الرعية ، وبتهذيب اولادهم وتعليمهم اصول العربية والسريانية ، ولا سيما خدمة القداس وصلاة الخورس ؛ مدرسته ساحة الكنيسة يلتف الاولاد حوله حلقة تحت سنديانة الكنيسة ، تلك السنديانة القديمة الايام . وكان الكاهن مرجع المزرعة او القرية في جميع الشؤون ، والسيد المطاع في كل امر!

كانت نفس الياس التقية طمّاحة الى الكمال منذ صغره ، ونفس ابيه كانت اكثر طموحاً. فالخوري بطرس كان يريد ان يعلّم ابنه الياس لانه احسّ ان فيه ميلًا الى الكنيسة وخدمتها ، فحدّثته نفسه ان يجعله خليفة له في الخورنية ولم يتجاوز طموحه الى اكثر من ذلك . والولد شعر بحسّه الطفولي ان اكثر الناس اكراماً في المزرعة ، ونفوذًا ، واقربهم الى الله كان الكاهن. فمال منذ صغره الى الكهنوت ، والعناية الالهية تستخدم هذه الفطرات العملية جاذباً تجتذب به الى غاياتها السامية امثال هذا المولود الجديد!

تقوى في والدته ترافقها ليلاً ونهاراً ، تقوى في والده تظهر في فعله وفي قوله وفي لبسه ، لاجل واجباته الكهنوتية ، مالت به الى الكهنوت فآنس من والده ميلاً الى تحقيق تلك الرغبة ، وآنس الوالد استعداداً في الولد فما كان منه الّا ان سعى فوضعه في مدرسة مار يوحنا مارون.

غير ان مولود العناية لم تطل اقامته في تلك المدرسة التاريخية التي تشرّفت بان اقام فيها اول بطريرك على الملة المارونية ، اي القديس يوحنا مارون . لان تلك العناية سدّت في وجهه ابواب هذه المدرسة لتفتح امامه ابواب مدرسة اكبر واعظم. وذلك بان انهار جانب من مدرسة مار يوحنا مارون فلم يعد بالوسع ان يكون الياس فيها. فاتجهت انظاره ، وكان قد اتقن العربية والسريانية ، الى مدرسة الآباء اليسوعيين في غزير. وكانت هذه المدرسة قد اشتهرت وقتئذٍ كأكليريكية. ولكن من اين له الوصول الى تلك الاكليريكية ، ولا مال معه مما يُستلزم في بادئ الامر ، ولا واسطة تعرّفه الى آباء المدرسة ؟ ! ان له كل شيء من الله ما دامت العناية الالهية هي التي تدبّره ، افليست هي التي سمحت ، فانهار جدار من مدرسة مار يوحنا مارون ، فاقفلت في وجهه ابوابها ؟ بلى وهي التي الهمت احد ابناء حلتا ، وقد كان خصماً للخوري بطرس الحويك فجاء وعرض عليه ، حبّاً وكرامةً وعفواً دون ان يكلّفه احد ، المالَ اللازم لايفاد الياس الى مدرسة غزير. هذا ما كان يرويه عن نفسه بطريرك العناية الالهية ، الياس الحويك ، لي ولسواي مرّات.

انكبّ الياس على الدرس في اكليريكية الآباء اليسوعيين في غزير ، التي دخلها عام ١٨٥٩ ، فاقتبس الافرنسية واللاتينية واليونانية من اللغات ، واما من العلوم فالرياضيات والفلسفة . وما كان يجاريه في حسن السيرة والطاعة والاجتهاد من رفاقه رفيق ، بل كان آية في الذكاء والنجاح والتقدم.

وتاقت نفسه الى ما هو اسمى ، فكان يسمع برومية وبكليات رومية الاكليريكية ، فاحب ان يتخرّج في اللاهوت على اساتذتها ليفيأ بظلّ خليفة القديس بطرس ، نائب المسيح ، ويشبع روحه من روح الكنيسة الرومانية وسعة صدرها وحبها لجميع الناس على السواء وغيرتها على خلاص العالم كله .

تاقت نفسه الى رومية ولم يكن ذلك التوقان الا نفحة قدسية علوية نفختها في قلبه العناية الالهية !

أجل ان الياس قد سمع من احد رفاقه الذين ساقتهم العناية الربانية ذاتها الى مدرسة غزير لاكمال دروسهم ، وقد كان في رومية وغادرها انتجاعاً للصحة في لبنان ؛ سمع ان للموارنة في مدرسة مجمع نشر الايمان المقدس كراسي مجانية ؛ وان هنالك رجلاً مارونياً يُدعى متى شهوان من غوسطا يدرّس اللغات الشرقية . فعمد الى طريقة قد يعتبرها الناس صبيانية ، وبعض رؤساء المدارس مخالفة لقانون المدرسة ، وهي انه كتب الى نيافة كردينال المجمع في ذاك الوقت يلتمس منه ان يقبله في عداد الاكليريكيين ليكمل دروسه في كلية المجمع ذاته . وبعث بالاستغاثة الى نيافة الكردينال بواسطة الاستاذ متى شهوان عينه ، وكتب الى هذا ايضاً يترجاه بصفته المارونية ان يتوسط له بذلك لدى نيافة الكردينال وحيث يلزم . وظنّ ان الامر يبقى سراً من الاسرار اذ كان قد احتاط له وفطه خلسة عن جميع الناس حتى عن الرؤساء ، فاذا به يفتضح امره اذ ورد اليه الجواب بواسطة رؤسائه في مدرسة غزير ، وبواسطة المغبوط الذكر البطريرك بولس مسعد . فاستدعاه هذا في الصيف وعاتبه بحابة صدر وفكاهة ابوية قائلاً : صرت تكاتب الكردلة رأساً دون ان تسأل عنا ! ثم في الحال امره ان يستعدّ للسفر الى عاصمة الكثلكة لاكمال دروسه اللاهوتية ، وعبثاً بُذلت الجهود لارجاعه عن قصده بالمخاوف التي خُوّف بها من حيث رداءة المناخ في رومية ، وغير ذلك من المصاعب الجمة .

شخص الياس الى رومية في اوائل حزيران ١٨٦٦ . وصرف في كلية مجمع نشر الايمان المقدس ، تحفّ به العناية الالهية اربع سنوات انتهت في حزيران من سنة ١٨٧٠ ، وقد كللته بنجاح باهر وهو اكليل الملفنة بعد ان كانت رافقته طيلة الاربع السنوات بنجاح قلّ نظيره ، فكان المثل الاعلى لجميع تلامذة تلك الكلية الجامعة بين جدرانها من كل ابناء البشر من مشرق الشمس الى مغربها ، سواء اكان في الفضائل الكهنوتية او في العلوم الكنسية او في النشاط والنجاح . واما الملفنة فقد احرزها بتفوّق في اللاهوتين النظري والادبي ، وفي الحق القانوني

والتاريخ الكنسي، ما خلا اتقانه اللغتين الايطالية والعبرانية.

في كلية المجمع كان رفيقاً لنحو الف طالب اكليريكي اجتمعوا في عاصمة الكثلكة من جميع انحاء العالم ، فكانوا هنالك كأنهم معرض الشعوب في الالوان والعادات والاخلاق والتهذيب والفطرة. فأثر فيه ذلك تأثيراً شديداً جعل روحه كاثوليكية ، اي جامعة لكل انسان لا تقف عند الفوارق واختلاف الدين او الطقوس او القومية!

الكاهن

كان آخر من رُفعوا الى الدرجة الاسقفية في الطائفة المارونية باختيار البطريرك المعظم يوسف حبيش وبوضع يده، المطران يوسف جعجع، رئيس اساقفة قبرس الطيب الذكر والممدوح الاثر . وقد كان ذلك الحبر القديس ممن مثلوا الطائفة المارونية في المجمع الفاتيكاني الذي انعقد في رومية سنة ١٨٦٩، وكان لا يزال في عاصمة الكثلكة . فهو الذي رقى الاكليريكي الياس الحويك الى درجة الكهنوت المقدسة في ٥ حزيران سنة ١٨٧٠ وكأنه عندما وضع عليه يده ونفخ فيه قائلاً « اقبل الروح القدس » نفخ فيه ايضاً من روحه تلك الطاهرة ومن ايمانه الحيّ ومن جرأته ومن فضائله الاسقفية النادرة المثال ومن تمسكه بتقاليد الطائفة المارونية المقدسة وتعلقها برومية ، لان المطران جعجع كان واعياً قديراً لا يزال ابناء ابرشية قبرس يحجون الى قبره حتى يومنا ويطلبون شفاعته الفعالة. وقد كان يحمل في نفسه جميع التقاليد المارونية التي ورثها عن آبائه وجدوده المقدّمين في قصبة بشراي جارة الارز الخالد وحارسة وادي قاديشا وادي القديسين والبطاركة!

في ٩ آب ١٨٧٠ ، آبَ الخوري الياس الحويك الى وطنه لبنان . فما كاد ينتهي اليه حتى دخلت جيوش ايطالية رومية في ٢٠ ايلول من السنة نفسها ، مغتصبة ملك البابا الزمني . فكان الحويك آخر شاهد من الشرقيين على ذلك الملك. وحالما درى بما جرى تأثر كثيراً ، ونسب الى العناية الالهية أوبته قبل وقوع الحدث التاريخي الذي احزن كل كاثوليكي في العالم أجمع.

بامر البطريرك بولس مسعد ، انصرف الخوري الياس الحويك ، بعد شهرين

من رجوعه، الى التدريس في مدرسة مار يوحنا مارون الاكليريكية. فكان راعياً ومرشداً واستاذاً للعلوم اللاهوتية وأباً غيوراً. فاحبه الطلبة كثيراً كثيراً وشعروا في عهده بحياة جديدة اكليريكية ما كانوا ذاقوا قط من قبل طعمها . فسر رئيس المدرسة منه في السنة الاولى ، وألقى عليه كل هنه. ولكن عاطفة من الخوف على مركزه ان يسلبه اياه الحويك بنشاطه وغيرته وعلمه تملكت منه ، وساعدها روح اقتصادية تبلغ الشح بل البخل ، فما كان منه في بدء النصف الثاني من السنة الثانية ، الا ان أثار في بعض الطلبة روح التذمر والتمرد على الاستاذ الخوري الحويك ، بحجة انه لا يحسن التدريس ، وان اساليبه غريبة حديثة لم يألفها ذلك المعهد الاكليريكي ، الى غير ذلك من الحجج الواهية . ثم اغتنم الرئيس تلك الفرصة، فصرف التلاميذ الى بيوتهم وقد غنم ربحين اولهما: انه تخلص من اجرة الخوري الياس في الاشهر الباقية من السنة المدرسية . وما كانت تلك الاجرة بالشيء الذي يكفي الكفاف، غير انها كانت ذات قيمة في عين الرئيس وتجاه عوز الخوري وفقر بيته ! وثانيهما : انه تخلص من نفوذ الخوري الجديد وأمن مزاحمته على منصب الرئاسة . وظن ان ذلك كان كافياً للخفض من شأن الحويك الملفان.

بيد ان العناية الالهية التي كانت تدبر مترجمنا هي التي دبرت ما توقع ليوضع ذلك السراج على منارة الطائفة فتستنير به ، لئلا يظل تحت مكيال المدرسة الاكليريكية في مار يوحنا مارون. فلا يبصر نوره الا نفر قليل عشي بصره.. فيبهره النور الوضاح !

درى المغبوط الذكر البطريرك بولس مسعد بما حدث . فادرك بثاقب علمه وطويل خبرته وحنكته سر الامر . فاستدعى الخوري الياس الحويك الى الكرسي البطريركي في الديمان اثناء صيف سنة ١٨٧٢ وقال له : « تعال اليّ وابقَ الآن عندي» فاقام الحويك في الكرسي البطريركي منذ ذلك الحين الى وفاته ستين حولاً ! والبطريرك بولس مسعد كان من اعاظم البطاركة الموارنة ، جلس على السدة البطريركية ستة وثلاثين عاماً . وكان كجميع بطاركة الموارنة العظام ، بعيد النظر ، قديساً ، اباً للطائفة جميعها ، لاينظر الى احد من ابنائها

نظره الى رجل غريب يفتش عن الذكي والفضيل واللامع ايًا كان ليقلده المهمة التي يستطيع ان يقوم بها حق قيام . فلم ينظر الى حلتا ، ولم يقل انها مزرعة حقيرة ، ولم يلتفت الى ان الحويك لم تكن له عزوة قوية ولا نفوذ اسرة ولا هو ابن دير القمر او اهدن او بشراي او زحلة ليرضي ابناء بلدته باختياره اياه لمنصب عالٍ . بل نظر الى الكفاءة في الفضيلة والعلم ورآهما في الخوري الياس الحويك فاختاره ليكون كاتباً لاسراره ، ومحامياً لدعاوى الزواج في ديوانه .

كان البطريرك الحويك يروي هذه الامور بسذاجته المعروفة الخاصة به ، وينسبها جميعها الى العناية الالهية قائلاً ان الله يستخدم غالباً ضعف البشر للوصول الى غاياته الكاملة القدسية التي لا ندرك اسرارها في هذه الحياة، ولكننا نشعر بها اذا ما تأملنا بمفاعيلها العجيبة الغريبة .

قضى الخوري الياس الحويك ، وهو كاهن ، في خدمة البطريرك مسعد سبعة عشر عاماً نوجزها بكلمة وهو انه كان عين البطريرك في كل شيء . فكان له كما كان يوسف لفرعون في الاشغال والاخلاص والامانة ، وكما كان يوسف ليعقوب في المحبة والاحترام . فارتاح ذلك الشيخ في آخر ايامه الجليلة واتكأ على ذراع الياس . فصار الخوري الياس الحويك في الطائفة والبلاد كأنه هو البطريرك، انما لم يبطر ولم يستبد، ولا خفض من مكانة البطريرك في شيخوخته، ولا استغل نفوذه لدى سيده لنفسه او لاهله، ولا خان سيده حتى ولا في اصغر الامور . واذا قلنا عنه انه كان البطريرك قدرنا كم كان البطريرك مسعد يثق بكاتم سره، بعلمه وفضيلته بامانته واخلاصه وباقتداره . وما عاد يجوز ان نذكر للحويك في تلك الحقبة اعمالاً بخصوصية تميزه عن البطريرك مخدومه . بيد اننا نذكر نتفاً من حياته تلك لتعرف امانته وفضيلته فيها ايضاً . فانه ما كان يستسلم مع الغضب ، ولا مع الحدة ، ولا مع الشدة اذا ما غضب او احتدم غيظاً او اشتد بحق مخدومه البطريرك في شأن من الشؤون سواء كان تجاه المرؤوس او تجاه الحكام الزمنيين او تجاه اي مرجع آخر . فعند ما كان يشتد سيده ، ويكلفه بكتابة امر شديد اللهجة ، او انزال عقوبة قاسية او وضع تقرير تشتم منه رائحة الغضب او الخروج عن الاعتدال اللازم للرؤساء ، ولاسيما

لبطريرك جليل عالم كالبطريرك بولس مسعد ، كان الحويك يتوقف عن الصدوع بالامر متوارياً عن انظار البطريرك ، او مجاهراً امامه بكل خضوع ودعة وجرأة بانه لن يكتب ذلك الامر باسم البطريرك تلافياً للعواقب التي لا تتفق مع كرامة البطريركية ولا مع كرامة البطريرك . وكثيراً ما كان يكلفه سيده امراً فيكتب خلافه . ويأتي اليه بعد حين ، عند ما يكون هدأ روعه وسكن جأشه ، فيقول له جاثياً على ركبتيه: « ان واجب الامانة والاخلاص لغبطتكم قد اضطرني ان اضع الجواب على هذه القضية بهذه الصيغة التي، وان كانت تخالف لما امرتموني به او لما ارتأيتم وضعه في مجمع اساقفتكم، فانها اقرب الى عواطف قلبكم الكبير والى ما تقتضيه مهام مركزكم الخطير». فيتأثر البطريرك العظيم باخلاص الحويك ومقدرته ويعمل برأيه معرضاً عن رأي السادة الاساقفة جميعهم في ذلك الامر . وما ذاك منه الا لمقدار ثقته بعلم الحويك واختباره وصدقه وترفعه عن كل غاية في خدمة البطريركية .

ومن امثلة استقامته في الديوان البطريركي أنه كان لاحد ابناء بلاد البترون ، بلاده ، دعوى . وكان يشكو ويتذمر على مسمع من الملاء بانه لا يقدر ان يصل الى غايته بحكم لمصلحته . فأشير عليه بالالتجاء الى الخوري الياس الحويك ليوصله الى مأربه ولو عن طريق المال . فاجاب: « لحاه الله اني التجأت الى هذه الواسطة فما استفدت شيئاً ، فهو لا يتزحزح عن قصده كالصخر لا يلين ولم يقبل مني ما عرضت عليه من المال الكثير» اما حكاية الرجل فانه دخل يوماً الى غرفة الخوري الياس في بكركي ، واقفل الباب وراءه . وجلس امام الخوري واخرج كيس نقوده وكان ممتلئاً بالذهب الوهّاج وقال له : خذ ما تشاء بل خذ هذا الذهب كله واحكم لي . فأجابه الخوري الياس بابتسامة ورزانة: «أرجع كيسك الى عبك » . لاني اذا اخذت منك مالاً واعطيتك حقك تسبني وتقول : قد باعني حقي بيعاً، واذا حكمتُ عليك تقول: اخذوا مالي وحكموا عليّ . واذا حكمتُ لك بالظلم تقول : باعوا ضمائرهم ، وانا اشتريتها بمالي . فالاصح ان يبقى مالك لك ونحن نجري العدل . فاذا كان الحكم في جانبك فزت بحقك دون ان تخسر عليه من مالك . واذا لم يكن في جانبك تعلم اننا حكمنا ضميرنا ولم

يؤثر فينا لا شفاعة ولا مال..

هذا مثال من اعمال الخوري الياس الحويك في بكركي ، يُستدلّ منه مع صغره ، على معرفة من هو ذلك الكاهن. فقد كانت تجري له كل يوم حوادث من مثل هذا . وكان لامعاً لامعاً فتبلّج نوره في البطريركية . فما كان يظهر غيره فيها مع وجود الاساقفة الاجلاء. بيد انه لم يحسده احد لان لمعانه كان يشرق بواسطة البطريرك. فكان البطريرك كأنه شهاب مشع تُرسَل من خلاله اشعة ذلك السراج الوهّاج الذي كان يصل كل شيء. لسؤدد البطريركية وكرامة البطريرك ذاته ويمتد كل كرامة لشخصه كأنها سرقة يجب ان يعيدها الى صاحبها البطريرك !

هنالك العناية الالهية التي اصطفته عرّفته الى جميع اهل البلاد من اي طائفة ومذهب ومنزلة كانوا . ولم تقف معارفه وخدماته على الطائفة المارونية فحسب . والعناية الالهية هكذا تعدّ الرجال لاعاظم الشؤون بتهيئتها اياهم رويدًا رويدًا في مختلف المهام فلا يشعر الرجل منهم الّا وقد صار عظيماً ، بل يصير زعيماً وعظيماً وقائدًا ومصلحاً ولا يدري بذلك ، اذ لا يصل الى تلك المنزلة بحكم الطفرة بل بقوّة التدرُّج غير المحسوس.

اما كم كان الخوري الياس الحويك يستخدم نفوذه لدى البطريرك ومقدرته للقيام بالاعمال الخيرية وخدمة الناس في مصالحهم ، والفقراء في فقرهم ، والاحداث لتهذيبهم ، والمظلومين لرفع الظلم عنهم ، فحدّث عنه ولا حرج . ان مجلدًا ضخماً لا يكفي لذلك. فحسبنا ان نقول ان البطريرك محمد عرف بكاتم سره الفضائل الكهنوتية العالية والعلم الكنسي الراسخ والمقدرة الادارية النادرة المثال والاخلاص والامانة للطائفة والكنيسة الكاثوليكية وللحبر الاعظم وللبنان . فرقّاه الى الدرجة الاسقفية في ١٤ ك ١ سنة ١٨٨٩ وجعله مطراناً شرفيًا على عرقا ونائباً روحيًا له . فكان ذلك العمل المجيد من البطريرك بولس محمد العظيم مسك الختام في حياته الطويلة الممدوحة. وقد رقد رقاده الاخير مع البطاركة سلفائه القديسين بعد ان خلّف الطائفة والوطن حبرًا سيكون له بعد حين خير خلف يتمّ على يده اعظم خير الطائفة والوطن. (لها صلة)

انتخاب بطاركة الموارنة

بقلم الشيخ سليم الدحداح

معلوم ان الانتخاب هو الطريقة المتبعة في الكنيسة المقدسة للوصول الى الرئاسة العليا . هكذا جرت العادة ، واقرّت القوانين ، بخصوص الاحبار الاعظمين الرومانيين ؛ وهكذا ايضاً جرت منذ القديم في ما يتعلق بالكراسي البطريركية الشرقية .

وقد كان يجري هذا الانتخاب في كنيستنا المارونية من قبل الاكليروس؛ ثم شاركهم الشعب في ذلك . وقد تغلّبت عادة اشتراك العوام حتى ان الكرسي الروماني المقدّس اجازها عمليا ؛ اذ انه رفض بعض الاحيان تصديق انتخاب البطريرك والانعام عليه بدرع الرئاسة ، عندما كانت اوراق الانتخاب تظهر خالية من تواقيع بعض عائلات من اعيان البلاد[1] . الّا ان امر مداخلة العوام واشتراكهم في انتخاب البطريرك والقبول به من قبل رومية لم يكن الّا من قبيل التساهل وخوفاً من شرّ اعظم .

ولما كثر عدد الاكليروس الماروني المتعلم في المدرسة الرومانية،وتحقق لدى الطائفة وجوب تنظيم هيئتها ، التمس البطريرك والرؤساء واعيان الشعب من الحبر الاعظم عقد مجمع لتهذيب احوال طقوسها ونظاماتها وترتيب امورها بصورة قانونية . فاوفد الحبر الاعظم اليهم بصفة قاصد وسولي احد رجال بلاطه ، وهو الماروني العالم الشهير يوسف سمعان السمعاني الحصروني ، فجاء لبنان . وبعد

---

١) انظر تاريخ الدويهي عن بطاركة القرنين السادس عشر والسابع عشر – وراجع ايضاً المشرق (٢٩[١٩٣١] ٨٢٤ و٨٢٥)

المداولة مع بطريرك واساقفة الطائفة واعيانها عُقد المجمع اللبناني في دير السيدة، في لويزة ، من اعمال كسروان ، المختص بالرهبنة اللبنانية الحلبية ، وصار الاتفاق على تنظيمات وترتيبات اصبحت منذ ذلك الوقت، وبعد ان صدّقها الحبر الاعظم ببراءة خصوصية مؤرخة في ١ ايلول ١٧٤١ ، دستور الطائفة المارونية.

وقد طُبعت اعمال هذا المجمع في اللغة العربية ، اول مرة ، في اواخر القرن الثامن عشر في مطبعة الشوير للروم الكاثوليك . فلم تقرّ رومية هذه الطبعة ، لانها مختلفة جداً عن النسخة اللاتينية الموجودة في رومية والموقع عليها من آباء المجمع ومن الاعيان والنبلاء الذين وجدوا فيه.

ولما كان الاختلاف بين ذلك النصّ العربي والاصل اللاتيني منشأً للاختلافات بين البطاركة واساقفة الطائفة وبين المجمع الروماني المقدس ، امر هذا المجمع في سنة ١٨٢٠ بطبع تعريب النسخة الموجودة عنده الموقعة رسمياً من القاصد الرسولي وسائر المشتركين في المجمع اللبناني المشار اليه . واخيراً توفق المثلث الرحمات المطران يوسف نجم ، النائب البطريركي الشهير ، الى ترجمة اعمال المجمع عن النسخة الاصلية الرسمية الى اللغة العربية ، واصدرها في كتاب كبير طبعه في مطبعة الارز في جونية سنة ١٩٠٠ .

والحق يقال ان عهد تلك الاختلافات الناشئة عن اختلاف النصّ لم يتجاوز القرن الثامن عشر . وقد اشتهرت خصوصاً في مدة البطريرك سمعان عوّاد (١٧٤٣ ١٧٥٨) ، والبطريرك يوسف اسطفان (١٧٦٦-١٧٩٣) ، مع ان البطريركين المشار اليهما كانا من تلامذة مدرسة رومية ، واولهما كان عيّنه الكرسي الرسولي تعييناً على اثر اختلاف مشهور بين الاساقفة حين الانتخاب ، وسيأتي ذكره.

ومنذ بداية القرن التاسع عشر ، تغيّرت الاحوال ولم يعد المجمع الروماني المقدس يرى موجباً لتدخله كما في عهد البطريركين السالفي الذكر . واخيراً فان نشر الطبعة الاخيرة العربية قطع كل سبيل للخلاف ، واصبح رؤساء الطائفة عالمين بحقوقهم وبواجباتهم ازاء الطائفة وازاء المجمع الروماني.

ولنعد الآن الى الانتخاب البطريركي.

حصر المجمع اللبناني حقّ انتخاب البطريرك بالاساقفة فقط ، كما ان انتخاب الحبر الروماني رئيس الكنيسة ، مختصّ بالكرادلة وحدهم . وحظّر مداخلة افراد الشعب والكهنة والرهبان بصورة قطعية . وجزم ان هذا الانتخاب يقع كتابةً من قبل الاساقفة والمطارنة الموجودين في محلّ الانتخاب . ومن كان منهم غائباً لا يحقّ له ارسال رأيه لا بطريقة التوكيل ولا خطاً مع رسول .

واشترط اجتماع ثلثي اصوات السادة الحاضرين ليتمّ الانتخاب ، والا فانه يُعاد . وحتّم على الاساقفة والمطارنة الحاضرين بعد موت البطريرك في محلّ وفاته (ان كان قد توفي خارج الكرسي) ، او في الكرسي البطريركي ، ان يباشروا ، برئاسة اقدمهم رسامةً ، اعمال الانتخاب في اليوم العاشر من وفاة البطريرك . ولكنه لم يعيّن لهم وقتاً لنهاية الانتخاب ، اي انه لم يحتّم عليهم بانجاز اعمالهم وبالمناداة بالبطريرك الجديد ضمن وقت معلوم . كذلك لم يعيّن وقتاً لمداخلة الكرسي الرسولي الروماني في قضية الانتخاب . فمن هذا السكوت في النصّ ، ومما حدث في الانتخابات التي جرت منذ سنة ١٧٣٦ حتى الآن ، يمكننا الجزم بان المجمع الروماني المقدّس لا يتدخل في الانتخاب الّا بعد ان يرفع اليه الامر السادة المجتمعون للانتخاب وأثبت هذا بالبرهان :

فقد دام فراغ الكرسي البطريركي الماروني ١٦ يوماً بعد وفاة البطريرك سمعان عواد ، من ١٢ الى ٢٨ شباط ١٧٥٦ . ودام ٢١ يوماً بعد وفاة البطريرك طوبيا الخازن ، من ١٩ ايار الى ٩ حزيران ١٧٦٦ . ودام اربعة اشهر و١٨ يوماً بعد وفاة البطريرك يوسف اسطفان ، من ٢٢ نيسان الى ١٠ ايلول ١٧٩٣ . ودام ٢٦ يوماً بعد وفاة البطريرك مخايل فاضل ، من ١٧ ايار الى ١٢ حزيران ١٧٩٥ . ودام مدة شهرين و٢٦ يوماً بعد وفاة البطريرك يوسف حبيش ، من ٢٣ ايار الى ١٨ آب ١٨٤٥ واخيراً انه قد دام ١٣ يوماً بعد وفاة البطريرك يوحنا الحاج ، من ٢٤ كانون الاول سنة ١٨٩٨ حتى ٦ كانون الثاني سنة ١٨٩٩ .

فمن هذا يتضح ان الاساقفة الذين اجتمعوا لانتخاب بطريرك على طائفتنا ١٢ مرّة ، منذ انعقاد المجمع اللبناني حتى عهد فقيدنا العظيم البطريرك الحويك ،

لم يتقيدوا سوى ٤ او ٥ مرات فقط بمدة العشرة الايام التي تملكت على عقول واوهام ابناء هذه البلاد من موارنة وغيرهم . ومن هذه الارقام يتضح عدم وجوب هذه الضجة العظيمة ، وتلك الحملات الشديدة التي حملتها الجرائد ، وتلك المخاوف المريعة التي كانت تستولي على البعض من جراء بقاء المجمع الانتخابي منعقداً في بكركي بضعة ايام بدون ان تحصل النتيجة . ولا سيما ان الفرصة التي انقضت بين ٢٤ كانون الاول ١٩٣١ ، يوم وفاة البطريرك ، و٨ كانون الثاني سنة ١٩٣٢ ، وفيه صارت المناداة بضبطة ابينا الجديد مار انطون بطرس عريضة بطريركاً على انطاكية وسائر المشرق ، لم تتجاوز الـ ١٥ يوماً . قاتل الله العجلة والهوس والغرض الاعمى !

وكأني بهؤلاء الكتبة والمتهوسين يتصورون ان نتيجة الانتخاب بسيطة لا اهمية لها ، ولا مسؤولية فيها امام الله والناس على هؤلاء المنتخبين ! فقد نسوا انه يتوقف على انتخاب هؤلاء السادة مستقبل طائفة ، وخير او ضرر شعب بأسره مؤلف من طوائف لبنان اجمع ! لو كُلّف احدهم مسألة شخصية تتعلق بفرد ، لكان اهتمّ بها وقضى في درسها عشرات من الايام ، ومع ذلك فانه يوجب على ١٥ رئيساً ان يبتوا بخلال يوم او يومين في رئاسة طائفة ومركز يعدّ اكبر مراكز لبنان ، بل اكبر مركز نصراني في الشرق !

وقد نسي هؤلاء الصارخون انه في عهد قريب جدًّا منا قد توفي بطريرك الروم الكاثوليك فبقي فراغ الكرسي ٤٤ يوماً (٢٥ تشرين الاول الى ٨ كانون الاول ١٩٢٥) حتى اجمعت كلمة اساقفتهم على انتخاب غبطة السيد البطريرك الحالي . وكذلك لما توفي بطريرك السريان الكاثوليك في ٧ ايار سنة ١٩٢٩ دام فراغ الكرسي البطريركي عندهم ٤٨ يوماً ، الى ان تيسر للسادة الاساقفة انتخاب غبطة بطريركهم الحالي . ولم تقم قيامة الجرائد عندهم ، ولم يحدث مثل هذه الضجة .

وقد رأيت ان المجمع الروماني المقدس لم يتدخل في كل هذه الانتخابات السابقة الا لتصديق اوراق الانتخاب ، وارسال درع الرئاسة الى المنتخب ، بعد اتمام كل الشروط القانونية . ولم يستعمل الكرسي الرسولي المقدس حقه بتعيين

البطريرك سوى مرة واحدة ، منذ انعقاد المجمع اللبناني حتى اليوم . وذلك انه لما توفي البطريرك يوسف الخازن (ضرغام) ، في ١٢ ايار ١٧٤٢ ، اختلف الاساقفة وانقسموا . فاقام اكثريتهم الاسقف الياس محاسب بطريركاً . وحمل الفرض مخالفهم المطران طوبيا الخازن الى الاتفاق مع اسقف سرياني كاثوليكي ، وسيامة اسقفين جديدين من مريديه ، فاتفقوا على عقد مجمع وانتخابه بطريركاً . وارسل كل من السيدين الياس وطوبيا اوراق انتخابهما الى رومية ملتمسين تصديق الانتخاب . وبعد الفحص الذي اجرته رومية ، بواسطة رئيس عام رهبان مار فرنسيس في القدس الشريف ، اصدر الحبر الاعظم امره بالغاء الانتخابين ، وامر بتعيين سمعان عواد ، مطران دمشق ، بطريركاً للطائفة المارونية ، وذلك في ٦ آذار سنة ١٧٤٣ . فخضع له المنتخَبان والطائفة كافة من رؤساء ومرؤوسين . ولم يُعد احد منهم هذا الامر تدخلاً اجنبياً ، لان سلطة الحبر الاعظم في الكنيسة الكاثوليكية هي سلطة عامة شاملة ، كاملة ، غير مقيّدة بشرط ولا بزمان ولا بشخص . فلا يمكن للانسان او لقوم ان يظلّوا كاثوليكيين ويستقلّوا عن احبار رومية ولقد علمتنا تجارب غيرنا ان الاستقلال عن رومية هو الاستعباد للسلطة الزمنية .

ويرى القارئ الكريم ان الكرسي الرسولي المقدّس لم يتدخل في الامر ، الّا بعد ان رُفعت اليه القضية وطُلب منه تصديق الانتخابين المزعومين . . .

والآن ، وقد رأينا آباء كنيستنا ورعاتنا الجزيلي الاحترام مجتمعين منذ اليوم الثالث من كانون الثاني الحالي برئاسة اقدمهم سيامةً ، الحبر الجليل المطران يوحنا مراد ، رئيس اساقفة بعلبك ، لانتقاء خلف صالح يحيي آثار سلفائه المبجّلين ، ويكتمل تقاليدهم ويسير على آثارهم ، فاننا نشكر الله تعالى على ان اجتماعهم لم يطل امده .

نعم قد تفرّقت كلمتهم فيه اولاً ، فذهب بعضهم الى وجوب تولية اقربهم الى مرافقة الفقيد العظيم . مَن كان هذا قد رباه صغيراً وسامه كاهناً وعيّنه كاتباً لاسراره ، ثم رفعه الى الدرجة الاسقفية السامية ، واعطاه لقبه الاسقفي ، وسلّمه كافة اعمال البطريركية فقام باعبائها تحت ادارته خير قيام ، فكان رفيقه

وساعده الامين مدة ٣٣ سنة وهو مثـال الضاف. والتجرّد والاقـدام والتقوى وجامع كل الصفات المطلوبة في الرئيس الديني ، فضلًا عن طول الاختبار والعلم الواسع والوداعـة . وذلك لاعتقادٍ منهم انه اقدر من غيره على متـابعة آثار السلف وحفظ تقاليد الطائفة . الّا ان اكثرهم ارتأوا اختيار حبرٍ عُرف بالحزم والثبات والاقدام فضلًا عن خبرته الطويلة وكان قد ابتدأ حياته العمومية على عهد السيد البطريرك يوحنا الحاج ، واشتهر في ابرشيته الشاسعة بالاعمال الخيرية والعمرانيـة . فساير المرشح الاول ومشايعوه حزب الاكثرية مظهرين التجرد الحقيقي ، واتفقت كلمتهم اجمعين على المناداة بغبطـة السيد البطريرك انطون عريضة بطريركاً مارونياً على انطاكية وسائر المشرق[1] . فترفع لمقامـه السامي التهاني القلبية ، راجين له عهداً سعيـداً ، وعمراً طويلًا ، ونهنئ السادة الاحبار لاتفاقهم وحسن اختيـارهم ، ونهنئ الطائفة باحبـار مثل هؤلاء السادة ، فيحقّ لها بكل صواب ان تفتخر متمثّلة بقول الشاعر :

اذا سيّدٌ منا خلا ، قام سيّدٌ قؤولٌ لما قال الكرام ، فعولُ .

نقف الآن عند هذا الحدّ . وسنعود في فرصة ثانية الى الكلام عن انتخاب بعض البطاركة السابقين في القرن التاسع عشر ، وما جاء في بعض التواريخ ، وفي مذكرات بعض الرجال السياسيين عنها .

---

١) وُلد غبطته في بشرّي في ٢ آب ١٨٦٣ . ودخل سنة ١٨٧٩ مدرسة مار يوحنا مارون . وفي اواخر سنة ١٨٨٦ ، أُرسل الى باريس حيث درس في مدرسة سان سولبيس الفلسفة واللاهوت وما اليهما من العلوم . رقي الى درجة الكهنوت في ٢٨ ايلول ١٨٩٠ . وبعد عودته الى لبنان ، عُيّن كاتباً مسجّلًا في الكرسي البطريركي في آذار ١٨٩١ ، ثم جُعل محامياً للزواج وفاحصاً للكهنة . وفي ١٨ حزيران ١٩٠٨ سيم رئيس اساقفة طرابلس . فادار الابرشية نحو اربع وعشرين سنة بغاية العناية والغيرة والتجرّد . الى ان انتُخب بالاجماع بطريركاً على مدينة الله انطاكية وسائر المشرق وراعياً للطائفة المارونية ، في ٨ كانون الثاني ١٩٣٢ ، وصار تنصيبه بمزيد الابهة والجلال نهار الاحد الواقع في ١٠ من الشهر المذكور .

عزاء وهناء

قصيدة القاها الخوري حنا طنوس المادي في حضرة صاحب النبطة البطريرك الجديد . قال :

يا صاحب النبطة ، ان ارتقاءكم الى السدّة البطريركية المقدسة سرّ جميع القلوب ، الا انه لم يخفف شيئاً من حزنكم على فقيد الوطن المظيم ؛ لذلك رأيت من الواجب ان اعزيكم قبل ان اهنئ الطائفة بغبطتكم . فقلت :

١

يا جلالَ الخلودِ بعد الجهادِ ... في سبيلِ الورى ورب العبادِ
مَلَكٌ أم رسولُ ربك هذا ... غادرَ الأرزَ ، فارتدى بالحدادِ ؟
املاكٌ ، وهل يموت ملاك ، ... وهو روح تنزّهت عن فسادِ ؟
ارسول يغيب عنا ولا ... تنهدّ حزناً رواسخ الاطوادِ ؟
ام إلياً بمركبٍ من لهيبٍ ... عبرَ الجوّ مصعداً بانتقادِ ،
فتلظّى وقيدُهُ ، واكتوت من ... شرر النار سائر الاكبادِ .

يا شهيداً على عناية ربٍّ ... غمرته بالسعد والاسعادِ ،
حضنته من مهده يتهادى ... في حِمى امّه بكل اتّادِ ،
ارضعته لبان طُهرٍ نقيٍّ ... وسقته ماء التقى والرشادِ ،
صوّرته ملاك طهرٍ وحبٍ ... ورسولاً عينَ الهدى والسدادِ ،
سهرت حوله كأمِّ رؤومٍ ... درأت عنه عاديات الموادي .
كان مثل السميّ حزماً وعزماً ... ونشاطاً ـ وغيرةً في الفؤادِ .
نصرته في كل امر خطير ؛ ... حبّته الى اشدّ الاعادي ،
أيدته في كل معضلةٍ حلّت ، ... فحُلّت طبق الرضى والمرادِ .
عاش ما عاش ربّه ، بطريركاً ... ناهجاً منهج الاله الفادي .

يوم إلياسَ كان يوماً رهيباً ... مثل يوم القضا بهول احتشادِ ،
ماتم لم نجد له ندّه ، اذ ... لم يكن للفقيد من اندادِ ،
حشدَ الخلق في بكركي ، كباراً ... وصغاراً ، من كل قُطر ونادِ .

دول الارض شاركتنا بخطب ، والبرايا تجللت بالسوادِ .
لو وجدنا له ضداً ، لقلنا : فقده أدمى اعينَ الأضدادِ .
صحبت مجده العنايةُ حقاً من مهاد الصبا الى الالحادِ .

٢

ان إلياس لم يَمُتْ ، فهو حيٌّ بفعالٍ تجلّ عن تعدادِ .
عاش في شخص من يمثله طهراً ، ورأياً ، وقوةً في اعتقادِ ،
ورجاء يزحزح الجبل الشاهق من مرتقاه حتى الوادي ،
واعتماداً على العناية نادى : لا على النفس ، بل عليها اعتمادي ،
وانعطافاً على الرعية يُزري بانعطاف الآبا على الاولادِ ،
وثباتاً في الرأي للحقّ ، لا يرتدّ عنه ، ولو بطعن الحدادِ ،
وسخاء في بذل ما يقتنيه ، إيهِ ! لله درُّه من جوادِ !
في سبيل الشقاء والدين ، لا الجاه ، وهذي من خطة الزهّاد .

يا هنانا بسادةٍ شرّفونا بوفاق مُتزّهٍ وودّادِ ،
ادركوا رأي شعبهم ، فاستخاروا بطريك الارواح والاجسادِ .
عرفوا ما علاقةُ الدين بالدنيا فوافى صوت الضمير ينادي :
خلّصوا شعبكم من الجوع ، اذا شئتم نجاء له من الالحادِ .
فاستخاروا حبراً جريئاً ، غيوراً ، مستنيراً ، ذا دربة واقتصادِ .
بهرتهم مآثر الحبر لما ضاء بالكهربا شمال البلادِ .
وارتهان الصليب جوهرة باتت تلالي في عقد جيد الايادي .

يا بشرّي ، قد حزت مجداً اثيلاً راسخاً في العلى الى الآبادِ .
فهنيئاً لاسرة انجبته في سماء عريضة الامجادِ .
يوم انطون كان يوم انتصارٍ وابتهاج كعيد بعث الفادي .
فيهم الياس قام حياً ونادى : يا سرور الاجداد والاحفادِ .

رشّحَ الربّ من رشح الشعب ، فامضى احبارنا باتحادِ .
الف حمدٍ معطّر بأريج من ثناء لنخبة الاسيادِ .

قصة البدو قبل الاسلام

بقلم الاب لامنس اليسوعي

يقسم سكان جزيرة العرب الى فئتين : البدو او الرعاة الرحل ؛ والحضر ، وهم ، في اكثريتهم ، من البدو الذين استوطنوا المدن والقرى فتحضروا . وليس من فرق بين الفئتين في ما خص اللغة والعادات والديانة ، فكلها واحدة سواء في ذلك البدو والحضر . ويقيم هؤلاء في مناطق خصّتها السماء ببعض الخصب الدائم ، فميزتها عن سائر مناطق الجزيرة ، فألفت ما ندعوه اليوم « بالواحات » ؛ ومنها اماكن قليلة يزدحم فيها السكان حتى يمكننا تسميتها « بالمدن » كالمدينة او يثرب ، ومكة ، والطائف . اما مدينة جدّة ومرفأها (وهي تعد اليوم نحو ٣٠,٠٠٠) فلا ترقى الى زمن الهجرة .

كان البدو في الجاهلية يؤلفون الاكثرية الساحقة من السكان ، كما لا يزالون حتى عصرنا على التقريب ، فيعادلون ٨٣ ٪ من المجموع العام . وهم الذين قبلوا من حضر الحجاز ، دون حماسة ولا اندفاع ، شريعة الاسلام . فوجب عليهم ان يمدّوا برجالهم الجيوش المسيّرة للفتح العربي ، الى ان اتسعت الفتوحات وأجبرت الشعوب المغلوبة من سوريين ، وفرس ، واتراك ، وبربر ، على الحلول محل البدو في الصفوف المحاربة . فيهمنا اذاً امر البدو لانهم كانوا المادة الاولى في جيوش الفتح ، وخصوصاً لانهم حفظوا حفظاً تاماً ، المثال والخلق المختصّين بالشعب العربي . ولا يمكننا القول نفسه عن حضر الحجاز . لانهم ، على رغم ما كان يجدّد عناصرهم من البدو الطارئين عليهم من الصحراء ، كانوا لا يخلون من

التأثر بالمؤثرات الاجنبية ، بل كان يتسرّب الى عروق الكثير منهم دم غير عربي تظهر آثاره بما لا سبيل الى انكاره . فكانت الطائف قريبة الى اليمن . اما مكة فكانت قد اصبحت وسطاً متعدّد المظاهر لا صبغة حجازية له ، يؤمه تجار الخارج ، ويقصده النخاسون بعبيدهم خصوصاً من بلاد افريقية . وكان في مكة طارئة من الاحباش . واما المدينة فكانت نصف يهودية ، وقد احتلّ ابناء اسرائيل اكثر واحاتها ان لم نقل كلها . هذا ولم يكن شيء من هذه المؤثرات الخارجية يفعل في البدو ، وقد حمتهم قفارهم من الاجانب ، ومنعهم انفرادهم عن تسرّب العادات الغريبة .

وصف العرب

ما هي صفة العربي ؟

ونحن اذا قلنا « العربي » و « العرب » نقصد البدو وحدهم ، لا سكان ما جاور الجزيرة العربية من المناطق كسورية ومصر والعراق ، تلك الشعوب التي نجح فاتحو العرب في اجبارها على التكلم بلغتهم ، ولكنهم لم يعرّبوها الّا سطحياً .

واذاً ما هي صفة البدوي العربي ؟

وكيف دُفع ذاك الشعب ، الذي كاد يكون مجهولاً في العالم القديم حتى قبيل الهجرة ، الى الدخول في مجرى الحوادث العظيمة وتمثيل ذاك الدور المهمّ على مسرح التاريخ ؟

قال رينان : « ليس من خطأ اعظم من ان نتصوّر العرب قبل الاسلام امة جلفة ، جاهلة ، مأخوذة بالخرافات . » وقوله على صواب . فان العرب شعب متفتّح الذهن لقبول المعارف على اختلاف انواعها . حتى ان من يصادف البدوي لاول مرة ، يرى فيه ، على رغم مظاهره الجافية ، صفات متعدّدة تميّزه عن افراد القبائل المتأخرة ، او الاقوام البربرية . وان يكن للصحراء المقفرة من فضل فهو ظاهر في خلق البدوي واشهر صفاته الخُلقية . وهذا امر جدير بالانتباه . فان الصحراء بمناخها الشديد ، واحوال معيشتها الصعبة ، والمشاقّ العديدة التي

تحتلها سكانها ، وبيئتها القاسية ، تقتل دون شفقة كل طفل ضعيف البنية بل كل فرد لا يقوى على مقاومة تلك العناصر ، فتنتج شعباً متحفزاً ، يمثله البدوي بما يبدو فيه من هيئة العزم ، ومظهر الرجولية.

اضف الى ذلك الموافقة والدقة في اجوبته الصريحة المسكتة ، والسهولة اللائقة التي يتصف بها اذ يستقبل اضيافه،فلا يتردد ولا يتلعثم... يتأمل الباحث هذه الصفات فيشعر بشيء من جلال الصحراء يجلبب ذاك البدوي الظاهر بمظهر حفيد شيوخ الاقدمين المذكورة مآثرهم في العهد القديم.يعزز ذلك كل شيء في مظاهر البدوي حتى تلك الثياب الخلقة المؤثرة ، وتلك الشمائل الدالة على الرزانة والجلال ، وتلك التعابير الحكمية.وقسمات وجهه الجامعة بين التحفز والهدوء، المتقطعة بغضون كأنها من آثار نار محرقة . . . هذا البدوي ، اذا نُقل الى بيئة اوفر مرافق من بيئته الصحراوية ، يستطيع بسرعة ان يتمثل كل ما تفاخر به من رقيّ وتقدّم ، وكل ما تمتاز به المدنيات العصرية من مظاهر واختراعات. وهو ما حدث للشعب العربي ، آخر من ظهر من الشعوب الشرقية على مسرح الثقافة. واننا نذكر ، بطريق العرض ، الامبراطور الروماني فيلبوس العربي ، من عرب سورية في حوران ، وزينوبيا الزبّاء ، وما تُرك من آثار البدو في تدمر وصُلع (بترا).

اللغة العربية والشعر العربي

منذ القرن السادس للمسيح ، نرى الشاعر يحتلّ ، في القبائل العربية ، مركزاً سامياً الى جانب سيد القبيلة و«الكاهن» او العرّاف. ويُعتبر الشاعر كالكاهن متصلاً بشيطان خاصّ يلهمه آياته البيانية.ويحيط به جماعة من الرواة والتلاميذ ينشدون اشعاره حتى يصبحوا بدورهم من الشعراء . ينتج مما تقدم انه كان للبدوي، من ذاك الحين ، لغته الوطنية يستعملها آلةً مرنة في التعبير عن الموضوعات الادبية . وكانت تلك اللغة جديرة بان تُصبح يوماً ما آلة للتعبير عن العلوم المختلفة . وفعلاً فانها اصبحت كذلك في بغداد على عهد العباسيين.

ومن صفات ذاك البدوي الأمي انه كان يحب الشعر حباً فائقاً ويستعمله

منشيداً وناظماً . ولم يكن ليحتكره دون النساء ، فقد حفظت لنا تواريخ الادب اسماء عدد وافر من الشواعر جارى بعضهنّ اشهر الشعراء . اما ميزة ذاك الشعر الجاهلي ، فاننا اذا درسنا الآثار القديمة التي وصلت الينا عن طريق تقليد ادبي لم يصادف من النقد الا القليل ، والتي ترقى في مجمعها الى مائة سنة قبل الهجرة ، والتي حُوّر بعضها دون شك في العصر العباسي الاول ، نتحقق ان الشعر الجاهلي ذو صناعة نظمية راقية ، وذو اجر عروضية متنوعة . على انه يظهر مركزاً في قالب لا يتنوّع ، محصوراً ضمن اطارات صلبة شديدة تضغط على الالهام الشخصي فتكاد تخنقه . وفي ما عدا ذلك ، فالشعر العربي يبدو غنياً بالتعابير الحكمية ، طافحاً بمظاهر العزم وعوامل الاهواء ، اكثر منه جامعاً للافكار والمعاني . وهو على قسط وافر من التصوير الحسي والفة الايقاع ، ومن التعابير الجامعة المتنوعة خصوصاً . على انه فقير ، في مجمله ، بوصف العواطف الرقيقة ، وباستعمال الصور المبتكرة المثيرة للافكار والمعاني ، وخصوصاً بالاشارة الى الآثار الدينية والاخلاقية . فكأن الشعراء يخلون كل ذلك جانباً ، او كأن القالب الشعري التقليدي لا يتسع لمثل هذه الامور . حتى ان الجاحظ لا يرى شيئاً ، في ذاك الشعر ، مما لم يُستعمل في الآداب الاجنبية .

وعلى الجملة نرى الشعر العربي يعنو للمقاطع الخطابية حتى لا يكاد يثير الشعور الرقيق ولا يدفع السامع والمطالع الى التأملات العميقة والتذكارات الشائقة . فهو يكتفي بتصوير الحياة الخارجية التي يتقلب فيها البدو ، على فقرها بالمرافق المختلفة والمظاهر المتنوّعة . فيصوّرها الشعر تصويراً عجيباً بدقته ، وشدة تحقيقه ، ووحدة سياقه على طريقة قد تصبح مملة مضجرة كوحدة الصحراء ، وكوحدة القافية الاجبارية في القصيدة مهما بلغ طولها . والبدوي الشاعر يجتهد في ان يُثير ، باستعمال الكلمات الوضيعة ورصفها ، ما تثيره اشكال الموصوفات والوانها . وهذا ما يجعل لذاك الشعر صفة خاصة تمنعه من ان يحتمل الترجمة الى لغة عصرية ، واذا تُرجم فقد خسر الكثير من ميزاته ان لم نقل كلها .

على انه كان من المنتظر ان ينجح البدوي في فنّ آخر من الفنون الادبية .

فان لغته الموسيقية ، ودقة ملاحظاته ، مع ما فُطر عليه من شدة الاهواء ، وحب الاستقلال حتى الفوضى ، اناله الصفات المهمة ، بل الشروط الاساسية للخطابة. ولكن التنظيم الاجتماعي والسياسي الضعيف في العصر الجاهلي لم يكن ليوجد له المجال المتسع لتطبيق هذه الشروط . اما في الاسلام ، فان استبداد العباسيين كان يقتل كل فكرة استقلالية ، فيخنق في المهد كل نزعة الى الخطابة العالية.

هذا واذا اعتبرنا ان اللغة تنمّ عن نفس الشعب ، وروح الامة ، فنستنتج من تقدم اللغة العربية اذ ذاك وتطوّرها نحو الكمال ما يمنعنا من وضع العرب الجاهليين موضع الاقوام الهمجية والشعوب المتأخرة في الرقي والتقدم.

اخلاق العرب

هذا ما خصّ المزايا الادبية . اما صفات العرب الخلقية فيحتاج حكمنا فيها الى شيء من التحفظ ، لانها لم تكن على مستوى واحد والصفات الادبية. وان حبّ الحقيقة والانصاف يدفعنا الى الخفض من حماسة بعض الاوربيين من الذين تحملهم الرغبة في كل عجيب غريب ، ويحدو بهم الميل الى موضوعات الاعجاب والاستغراب ، فيندفعون في تصوير البدوي جامعاً لمكارم الاخلاق ، ومحاسن الشمائل ، ممثلاً في شخصه شروط الكمال البشري لا اكثر ولا اقل فيسيئون الى الحقيقة ويضلّون طلابها . فنرى من واجبنا اذاً ان نُنعم النظر في الموضوع فنقوّم ما اعوجّ من تلك الاحكام، وننتقد تلك الصورة الخلّابة التي صوّر بها بعض المستشرقين البدوي الجاهلي ، فرفعوا الى منطقة المثال الاعلى من يمثل افضل تمثيل العنصر البشري المادي بما فيه من قوة انانية ، وعمل دائب على تحقيق رغباته الارضية . فقال رنان مثلاً : « اني لا اعرف هل يشتمل تاريخ المدنية القديمة على مشهد الطف ، واحبّ ، واوفر حياة ، من مشهد الحياة العربية قبل الاسلام ، كما تظهر لنا خصوصاً بهذا المثال الجدير بالاعجاب ، الا وهو عنتر.» وقد جاء تين على اثر لامرتين ، فشبّه عنتر باشهر ابطال الاقدمين. اما عذر رينان ففي اطلاعه السطحي على الآداب العربية . واما لامرتين وتين

وغوستاف لوبون فكانوا يجهلون حتى الابجدية العربية . ولم يهتم رينان ، في تسرّعه وميله الى التوسيع اللفظي ، بالبحث عمّا تتضمنه من حقيقة تاريخية اساطير عنتر وحاتم طيّ ومجمل الحوادث القصصية في « ايام العرب » التي كان يخترع اكثرها قصاصو بغداد والكوفة ليمجدوا اجدادهم من قدماء البدو .

واننا نرى صفة واحدة تتفرّع عنها جميع نقائص البدوي وتلخص، كل ما كان ينقص ذاك الرجل من المزايا الخلقية ، الا وهي صفة الفردية . البدوي رجل فردي (*individualiste*) ولهذا لم يرتقِ قط الى مستوى « الحيوان الاجتماعي » فيؤلف نظاماً سياسياً واجتماعياً ثابتاً . وقد لاحظ هذا الامر المفكر ابن خلدون ، فشرحه في صفحات من مقدمته ، لا تقوى عليها كرور الايام ؛ مبيناً في فصوله الخالدة « ان العرب ابعد الامم عن سياسة الملك » « وان العرب اذا تغلّبوا على اوطان عامرة اسرع اليها الخراب . » هذا وتاريخ الخلافة ظاهر واضح ، وهو كفيل بتبيان هذه الحقيقة . بدأت حركة الفتح العربي فافادت البدو بان نزعتهم من بيئتهم المملة المظاهر، فصرفتهم عن تأثيرها الحاطّ المثبط القوى . فاندفعوا الى الغزو والاكتساح . ولكنهم لم يشتركوا بشيء في تنظيم الدولة العربية ، وانالة الخلافة ما ساعدها في حياتها ودوامها . فقام السوريون بتنظيم الخلافة الاموية ، كما اشتغل الفرس بتأييد الخلافة العبّاسية . فدامت الدولة على رغم ما ظهر فيها من الشغب والخروج على السلطة ، مدة طويلة ، بفضل هؤلاء الاجانب .

هذا وان تلك الصفة « الفردية » وحدها تشرح ما نراه في البدوي من عدم الاخلاص للمصلحة العامة المشتركة . بل من جهل بهذه المصلحة العامة ، وما تتحققه في خُلقه من خلوّه من عواطف الشفقة والرحمة، بل من عواطف الانسانية . . . وفضلاً عمّا في فطرته من النزعات الفردية، فان طبيعة الصحراء الخشنة ، وحياتها الشظفة ، تزيد هذه النزعات قوة واستحكاماً . فتدفعه الى المعيشة المنزلة منفرداً باعضاء اسرته ، يغالب جيرانه على ماء البئر النزر ، وعلى عشب المرعى الضئيل ، باذلاً جهده في تحقيق حياة ماشيته المتعلقة بها حياته وحياة اهله .

يتصف البدوي بنقائص الفطرة الفردية جميعها ، كما انه يتحلى بفضائلها

القليلة المضطربة المتقلقلة التحديد وهي : الثقة بالنفس ، والعزم القاطع الجازم ، والانانية الشديدة ، وشدة النهم واشتهاء مال الغريب . على ان هذه الصفات التي كانت تدفع البدوي الى الاتكال على نفسه وجدها في تلك العزلة الموحشة ، والى الاستخراج من قواه الفردية كل ما يُمكن ان يُستخرج منها ، منعته من نقيصتين مهمتين في اخلاق الشعوب والافراد ، الا وهما : الكسل او التواكل ، والهوان او التذلل .

الضيافة

قلنا عن البدوي انه اناني ، لا يمكنه التجرّد عن المصلحة الفردية ، بعيد عن عواطف حب القريب والتضحية بالنفس . ولكنه ليس بالقاسي الجافي الاخلاق . فانه يبعد البعد كله ، بل تمنعه فطرته ، عن سفك الدماء ، لا اجابةً لداعي عواطفه الرقيقة ، بل لانه يخاف نتائج القتل الوخيمة كما قرّرتها تلك الشريعة الهائلة ، شريعة « الثار » التي لا مردّ لاحكامها ، والتي كان يعتبرها البدوي اقدس انظمة القفر ، بل ديانةً بنفسها على ما تفرضه من واجبات صعبة قاسية لم يكن يمرّ بخاطر الموتور ، أيًا كان ، بان يتخلص منها . والموتور الواجب عليه طلب الثار كان اقرب الناس الى القتيل . اما اذا امكن البدوي تجنّب اهراق الدماء ، فلم يكن ليتأخر عن سلب الغريب ، ولاسيما ان كان هذا مسافرًا لا جوار له يلتجئ اليه ، ولا ولاء يمتّ به الى احد من افراد قبيلة المعتدي . يفعل البدوي ذلك فلا يستشعر ندماً ولا يؤخذ بشفقة . فان مال الغريب ، وان عربياً ، اذا لم يدفع عنه « جارٌ » من اهل القبيلة ، مالٌ مستاغ لا ربَّ له ، بل هو « مال الله » ، كما كان يُقال ، اي عرضة لسلب من فاق غيره بالحذق والاحتيال او بالقوة والبطش . ولا تولّد السرقة العار الا اذا كان ضحيتها رجلًا من اهل القبيلة ، او من جيرانها ، او من مواليها . اما من تبقّى من الناس فعليهم باليقظة والحذر . وهكذا يبرّر البدوي نظرية الغزو وما تنطبق عليه من اعمال السلب والنهب

وفي الاعوام المخصبة ، اذا ماهطلت الامطار غزيرة ، فآنست وحشة البدوي ، وضخمت اثداء قطعانه ، ظهر سليل اسماعيل بمظهر جدّه الشيخ ابراهيم من

الكرم وحب الضيف . فتحول الى سيد شريف يقوم بواجبات الضيافة على غاية من الحفاوة واللطف . ولاسيما ان كان في جواره شاعر يطبق انحاء البلاد العربية بذكر افضاله ونعمه . فيقوم الشاعر اذ ذاك بمهمة الصحافي في عصرنا ، فيقيد الرأي العام بما ينشره ويتناقله الرواة . والبدوي شديد الحس بجمال الشعر وافر التأثر بالثناء ، يعترف بان الشهرة لجديرة بان تُشترى بالذهب .

الشجاعة

من الاحكام الجارية ان البدوي شجاع وكثير الشجاعة ، حتى ان بعض المدققين من علماء اوربة بلغوا بذلك ان نسبوا نجاح الفتوحات الاسلامية الى قيمة البدوي وشجاعته الخارقة العادة . وهو رأي نتردد في النزول عنده ، بل نميل فيه الى كثير من التحفظ . وان من درس بدقة مغازي محمد ، ومعالم حياته الحربية ، يرى اسباب تحفظنا هذا . فلم يكن صاحب الشريعة الاسلامية نفسه ليخدع بمظاهر البدو ولا ليفش عن قيمتهم الحقيقية ، يتضح ذلك لمن يطالع القرآن (٢ : ٢١٢ ؛ ٤ : ٧٩ و٨٦) .. والبدوي ينفر — ولاسيما بعد اختراع الاسلحة النارية — من القتال الا وراء متراس او ملجأ ايا كان . وحيثما نضع نحن الشجاعة الحقيقية ، يرى هو تهوراً لا معنى له ولا فائدة . وهو لا يستعمل من انواع الحرب الا الغزو ، هذا ان امكننا ان نعد الغزو من انواع الحرب . ثم انه في سعيه وراء مادة الحياة ، وقتاله في سبيلها ، يجعل للاحتيال النصيب الاوفى على نحو القول : « الحرب خدعة » . فهو يفضل مفاجأة الخصم وتبييته متشبهاً ، في ذلك ، بالوحوش المفترسة الآهلة بها فيافي بلاده . اما الفرار فيعده البدوي من خطط الحرب . واخيراً نلفت النظر الى امر مهم في ما خص فهم البدوي للشجاعة ، وهو ان البدوي لم يكن ليقدر فضل الشجاعة المغفلة ، شجاعة الجندي المجهول الذي يحارب في الجيش دون ان ينشر احد اسمه ، او يسقط في الخندق دون ان يطبل الشعراء بذكره فيذهب ضحية مجهولة من ضحايا الواجب والشرف . فهذه القيمة الفردية المغفلة لا يقدرها العرب ولا يفهمونها ، وهي ملاحظة مهمة تساعدنا في تحديد «شجاعة» العرب . ويساعدنا على ذلك ايضاً ما نتحققه في عاداتهم الحربية . فانه بينا

يكون النساء نادبات على قبور الموتى، مردّدات: «لا تبعد ايها الخيال الكريم.» نرى الرجال قليلي الحماسة تجاه هذا الرثاء، تلخص عواطفهم بما ردّده كثير من الشعراء. ومعناه: «يا للتعزية النافعة! وهل يردّني الى الحياة بكاء النساء وندب النادبات.» وهي اقوال علينا ان نتدبّرها ملياً، اذا اردنا ان نفهم، حقّ الفهم، عقلية العرب في هذا الموضوع.

الصبر

على ان اشهر فضيلة يتصف بها البدوي، وهي ايضاً من نتائج فطرته الفردية، هي الصبر وانا لنخطئ اذا توهمنا الصبر كما نفهمه بالمعنى العصري، اي صفة سلبية تدفع صاحبها الى التوقف عن رغبة من الرغبات. فان الصبر، عند العرب، صفة ايجابية تفرض تجلّداً شديداً وقوة ارادة مستديمة. بهذا المعنى نرى اللفظة في اللغة القديمة، وبهذا المعنى تظهر لمن تصفّح القرآن (٣: ١٤٠؛ ٨: ٦٦) وهي فضيلة المقاتل في الجهاد، وهي تجلّد دائم بل عراك متواصل لمقاومة الطبيعة المادية، والانتصار على العناصر المناوئة، والتحفظ من وحوش القفار، بل من الاعراب انفسهم، وهم اعظم خطراً من الذئاب والضباع على ماشية البدوي المكوّنة ثروته الوحيدة. وكان من فضيلة الصبر هذه ان اكتسب البدوي خلقاً صلباً كالفولاذ، ولكنه مرن لين يقوى على مقاومة العقبات فتمكن من الرخاء، فضلاً عن الحياة، تحت سماء صاهرة وفي بيئة يضمحل فيها كل شيء ما عدا البدويّ والجمل، رفيقه الامين ومركبه في القفار.

في تلك الاجسام الظاهرة الاحناء، البارزة العظام، التي لا يفتأ يلفحها الهواء الجافّ القاسي، ولا تنفكّ تحرقها الشمس باشعتها اللاذعة، تنفذ الاحساسات سريعة شديدة كرؤوس الحراب. فتدفع البدوي الى ما يمتاز به من الحماسة الفجائية، وبوادر الغضب، ومظاهر الرغبات والشهوات التي لا حدّ لها.

الفوضى

جاء في سفر التكوين (١٦: ١٢) في وصف اسماعيل، جدّ العرب: «ويكون رجلاً وحشياً يده على الكل ويد الكل عليه، وامام جميع اخوته ينصب

مضربه .» هكذا كان اسمعيل : وهكذا يظهر لنا حفيده البدوي في عزلته وانفراده، لا يخطو قيد شعرة عن صفة جده . ولا يزال كذلك حتى يومنا هذا ، ولن يزال في صحرائه التي ان تزال منطقة حرب الجميع للجميع . وما ذاك الا لانه عاجز عن ان يرتفع ، بنفسه ، الى ما فوق فكرة الحي او القبيلة . عاجز عن ان يتصور نظاماً اجتماعياً اوسع وارقى . واذا ارتفع الى شيء من ذلك بمساعدة قوة خارجية ، فلا يلبث ان يرجع الى تقشفاته وتشقباته ، عندما تتركه تلك القوة الخارجية . وسواء كانت هذه القوة نبوغاً سياسياً كنبوغ معاوية الاول ، او حزماً ادارياً كحزم زياد ابن ابيه والحجاج وغيرهما . فيعود البدوي القهقرى الى فطرته الفوضوية .

سيد القبيلة

لقد قيل عن بعض دعاة الديمقراطية المصرية من المتحزبين لثوران الشعب « انهم يرضون بالا يكون احد فوقهم ، ولكنهم لا يرضون بالا يكونوا فوق غيرهم .» وهي صفة ما اشدها انطباقاً على البدوي . كان رئيس القبيلة يلقب في ما مضى « بالسيد » . اما اليوم فقد أبدل به لقب « الشيخ » لان الاول اختص بالدلالة على ذرية الحسين بن علي بن ابي طالب ، حفيد محمد .

وقد سأل الخليفة معاوية يوماً احد اسياد البدو عن الشروط التي يتطلبها القوم في الصحراء من سيدهم فاجاب بقول يجدر بنا ان نُنعم النظر فيه ، وخلاصته : على السيد ان يجعل بيته مفتوحاً للضيافة ، وحديثه لطيفاً ، ولا يتطلب شيئاً ، بل يرحب بالكبير والصغير فيعدهم جميعاً من امثاله . وهي صفات تفرض التجرد والتضحية الدائمة . وقد جمعتها حكمة العامة في امثالها فقالت : « سيد القوم اشقاهم » وقالت ايضاً : « سيد القوم خادمهم .»

اما تعيين « السيد » فتعلق بارادة القبيلة الحرة ، تختار لذلك المقام من تراه لائقاً به ، ناظرة الى القوانين التقليدية في صفات السيد . ومن ذلك ان السلطة كانت تنتقل « كابراً عن كابر » . واذا فاول شروط السؤدد العمر الكامل المزين باختبارات عديدة في احوال الحياة . هذا لان اولئك البدو الديموقراطيين في

كبريائهم ، لم يكونوا ليخلصوا من بعض الادعاءات الارستوقراطية . فكانوا لا يطيقون ان يخضعوا لاوامر شاب لم يحنكه الدهر مهما كانت مقدرته وفضائله . ولنا في لفظة « شيخ » دليل على نفورهم من تولية الاحداث . وقد جرّهم هذا الامر الى النفور من مبدأ الوراثة الدولية ، فانهم كانوا يرفضون كل الرفض ان يتقيدوا بالطاعة تجاه اسرة مسوّدة مهما كان من فضائل السيد المتوفى ، ومهما كانت مزايا ابنائه . وعليه فان السيادة كانت تنتقل من الرجل الى اخيه ، او من العم الى ابن اخيه ، بل كثيراً ما كانت تمرّ من حي الى حي ، او من قبيلة الى قبيلة . حتى اصبح من النوادر المستحقة الذكر ان تعدّ اسماء من نالوا السيادة متسلسلة عن آبائهم فجدودهم . اما سيادة الغسّانيين واللخميين فهي من الامور الشاذة التي فرضها على العرب البيزنطيون والفرس . ولم يكن البدو الخلصاء ليرضوا بهذا الامر . فان انتقال السلطة بطريقة نظامية من الاب الى ابنه ، او ما يعرف بالملكية الوراثية التي أسسها الامويون ، كانت تغضب العرب في كل آن فيثورون على الظلم والاستبداد . ومن هنا يتضح كم كان ذاك الشعب بعيداً عن قبول العادات السياسية المعقولة التي تقرّر السلطة المنظمة ، فتخفف وطأة النزعات الفردية ، وتضبط الغرائز الفوضوية .

الزواج

تبعاً للرسالة البابوية « Casti connubii »

بحث اخلاقي لاهوتي

للاب شرل ابيلا اليسوعي

١

منشأ الزواج من الله وضعاً وطبعاً

توطئة

الله لكلمة الزواج معنيين مختلفين ، وان متتابعين متناسبين . فتدل اولاً على حالة ما وهي حالة المنخرطين في سلك الزواج ؛ وثانياً على ما تنشأ عنه مباشرةً هذه الحالة ، وهو العقد الزواجي.

ثم ان العقد هذا يأتي على ضربين : فهو إمّا عقد طبيعي محض وهذه هي واقعيته اذا ما أُبرم بين شخصين من غير المسيحيين ، وإمّا سرٌ من اسرار البيعة السبعة وهذه هي صفته اذا ما أُبرم بين مسيحيَّين.

على ان التقسيم هذا لا يترتب عليه كون الزواج المسيحي يُمكن فيه الفصل بين العقد والسر . بل كلاهما متلازمان ، لا سبيل الى التفريق بينهما ؛ وانما هما ، على ما سنوضح لك ، حيثيتان لشيء واحد. فالعقد هوَ هوَ السرّ ، والسرّ هوَ هوَ العقد ، ولا يستطيع مسيحيّان ان يعقدا زواجاً صحيحاً ما لم يقتبلا بنفس الفعل سرًّا حقيقيًّا ، ولا ان يقتبلا سرّ الزواج حقيقياً ما لم يعقدا زواجاً صحيحاً.

ومن اهمّ الاسباب في تمييز هاتين الحيثيتين الشيء الواحد أن يتمكن الذهن من حصر النظر ملياً في كل منهما على حدة ، فيستوعب الموضوع تماماً ويفيه حقّه من البحث :

وواقع الحال أنَّ الزواج قبل ان يرفعه سيدنا يسوع المسيح الى مقام سرّ حقيقي ، كان له بين البشر وجود وضعيٌّ وطبيعيٌّ معاً . اما الوضعي فلانه من وضع الخالق ، عزّ وجلّ ، في الفردوس الارضي . واما الطبيعي فلتأصله ، حتى بمعزل عن الوضع الالهي المذكور ، في اسس الطبيعة البشرية . فيكون ، والحالة هذه ، مُنشأ من الله ايضاً ، لانَّ الطبيعة ، بما فيها من الاصول ولها من المقتضيات ، هي ايضاً من خلق الله ووضعه . أجل انَّ الاله الفادي ، اذ اعاد الى الزواج رونقَ وضعيته الاولى وجعله سرّاً ، رقّاه وزاده قداسةً سامية وكمالاً رفيعاً وقوةً تفوق الطبيعة . الّا انه ، جلّت حكمته ، لم ينتزع شيئاً من اركانه الطبيعية . فلم تزل هذه ، ولن تزال ، على ما كانت عليه من قبلُ في كنهها وما يترتب عليه من الاحكام والسنن .

ومن ثمَّ تتضح خطورة البحث في الزواج ، حتى المسيحي منه ، ليس من حيث هو سرٌّ فحسب ، بل من الوجهة الطبيعية على حدة . فمن شأن هذا البحث ان يمهد السبيل للذهن الى تعليل الشرائع الزواجية ، حتى الوضعية ، في كلا العهدين العتيق والجديد ، كما في احكام الحق القانوني ، حتى فيما كان منها تهذيبياً بحتاً . ومَن أحسنَ تعليل السنن أتقن ولا شكَّ فهم مرْدَاها . ومن فوائد البحث المذكور ايضاً تمييز الغثّ من السمين فيما قد تدعي به السلطة الزمنية من الحقوق في الشؤون الزوجية ، مما يتسنى به للعقل السليم ان يحكم عن صواب في صحة او بطلان ما تُقدم السلطة المذكورة على سنّه من القوانين في الموضوع عينه كالاملاق والزيجة المدنية وما شاكلهما .

هذا الذي لم نجد بدّاً من ان نُقدّمه على ابحاثنا التالية ، تمهيداً لها ودفعاً للالتباس في معاني الاوضاع ، لا قصدَ الجزم سلفاً ، بدون ما برهان ، بالحقائق التي اضطرّنا سياق الكلام في توطئتنا هذه الى ذكرها كما لو كانت ثابتةً بذاتها تستغني عن حجج تدعمها . على ان هذه الحجج ستأتي كل واحدة منها في وقتها ومكانها .

واوّل ما يتناول بحثنا هو اصل الزواج ومنشأه : اهو إلهيّ ام بشريّ ، من وضع الخليقة ام الخالق ؟

١ً تعليم الكنيسة في اصل الزواج

الزواج ، على ما حدّه ارباب اللاهوت ، هو عقد به يخوّل الرجلُ المرأة ، وهي اياه ، حقاً شرعياً متبادلًا باتيان الافعال اللازمة لولادة البنين وتربيتهم ، فيتقيّدان معاً بواجب الاشتراك في معيشةٍ ثابتةٍ واحدة[1].

قلتُ : « ثابتة واحدة » نفياً للطلاق ، وتعدّد الزوجات ما دامت الزوجة الاولى حيةً ، طبقاً للشرع المسيحي، على ما سيأتي الكلام مفصّلًا عنه في بابه. على انه ليس في واقع الحال أمةٌ راقيــة ، أيًّا كان دينها ، الّا وتقتضي من الثبات على العقد الزواجي ما لا مندوحة عنه ، إلّم يكن لتحريم الطلاق وتعدّد الزوجات ، ففي الاقل لدفع الالتباس بين ما يعــدّه المتمدّنون زواجاً صحيحاً شرعياً وما هو معروف ومستقبح لديهم من ضروب التخالط (promiscuité) والقران الطليق (union libre) والحبّ المعتّق (amour libre) . وانما محور البحث هنا على الزواج الحقيقي ، هل هو من وضع البشر ام من وضع الله ؟

من وضع الله ، اي ١ً : هل اصل الزواج في شريعة وضعية صريحة سنّها الله ، عزّ وجل ، والزم بها البشر ؟ هذا هو التعليم الكاثوليكي . ثم ٢ً : اذا مــا ضربنا صفحاً عن الوضع الالهي المذكور ، افــلا يبقى الزواج شريعةً طبيعيةً مبنيةً على طبيعة الاشيــاء ، وبالتالي سنّــةً ، هي ايضاً من الله مبدع الطبيعة وكل ما فيها ومنها ، فتقيّد الضمير من قبلــه عزّ وجلّ ، على منوال سائر النواميس الطبيعية برمّتها . وهذا ايضاً يصرّح به التعليم الكاثوليكي ، فضلًا عن الفلسفة الحقّة

قال بيوس الحادي عشر في رسالته العامة « *Casti connubii* » : «انّ الزواج ليس البشر هم الذين وضعوه او اعادوه الى حالته الاولى ، بل انما الله هو الذي فعل ذلك . وانه ليس البشر هم الذين سنّوا شرائعه واثبتوه ورفعوا منزلته ، بل الله مبدع الكون ، والسيد المسيح مجدّد هذا الكون ذاته . فهذه الشرائع

١) راجع Chr. Pesch S. J. *Compend. Theologiæ Dogmaticæ*, tom. IV, p. 254 – Aloys. de Smet, *De Sponsalibus et Matrimonio*, ed. 3ia. tom I, pp. 58-62

اذن لا تتعلق بارادة البشر أيّة كانت ، حتى ولا باي اتفاق يعقده الزوجان نفسهما مخالفاً لتلك الشرائع » [١]

اجل لا نكير « انه وان يكن الزواج بطبيعته قد وضعه الله تعالى ، فان للارادة البشرية نصيبها فيه. وهو نصيب شريف للغاية ، لان كل زواج بمفرده ، من حيث هو اتحاد هذا الرجل وتلك المرأة ، لا يتمّ الا باتفاق كلا الزوجين ورضاهما الاختياري . فان فعل الارادة الحرّ الذي به يسلّم كلٌّ من الطرفين الآخر حقّ الزوجية الخاص ويستلمه منه [٢] هو ضروري لعقد الزواج ، الى درجة انه لا تستطيع قوة بشرية اية كانت ان تقوم مقامه [٣] . على ان هذه الحرية لا يُناط بها الّا الاستثبات مما اذا كان المتعاقدان يريدان أن يعقدا زواجاً حقيقياً وان يعقداه مع شخص معيّن . » [٤]

ويقول البابا ايضاً : « ذلك هو تعليم الكتب المقدّسة . تلك هي تقاليد الكنيسة العامة غير المنقطعة . » [٥]

٢ً شهادة الكتاب المقدس بوضعية الزواج الالهية

ولا غرو فانّ هذا التعليم قد صرّح به الروح القدس في صدر الكتاب المقدس . ثمة لدينا ، في الفصلين الاولين من سفر التكوين ، حديثان عن نشأة الزواج ووضعه من الله تعالى . فالحديث الاول مختصر ينسبه علماء النقد الى النصّ الكهنوتي (*document sacerdotal*) والآخر مطوّل ينسبونه الى النصّ اليهويّ (*document Yahviste*) . [٦]

---

١) ص ٣ من ترجمة الرسالة المذكورة للمطبعة الكاثوليكية ، وهي الترجمة التي نحيل اليها القارئ كلما ذكرنا الرسالة « *Casti connubii* »

٢) راجع الحقّ القانوني العام مادّة ١٠٨١ ، فقرة ٢.

٣) راجع المادّة ذاتها ، فقرة ١.

٤) الرسالة *Casti connubii* ص ٢-٤.

٥) الرسالة ذاتها ، ص ٢.

٦) راجع مقال مانجنو في سفر التكوين ، في قاموس اللاهوت الكاثوليكي لناشريه فاكان ومانجنو ، المجلد الثاني ، ع ١١٨٩-١١٩٥ .

واليك النصين :

ـــ ا ـــ تكوين ١ : ٢٧-٢٨ : « فخلق الله الانسان على صورته ، على صورة الله خلقه . ذكراً وانثى خلقهم . وباركهم الله وقال اثمروا واكثروا واملأوا الارض واخضعوها وتسلطوا على سمك البحر وطير السماء وجميع الحيوان الدابّ على الارض . »

ـــ ب ـــ تكوين ٢ : ١٨-٢٤ : « وقال الربُّ الاله لا يحسن ان يكون الانسان وحده . فأصنع له عوناً بازائه . . . فأوقع الرب الاله سباتاً على آدم فنام فاستلّ احدى اضلاعه وسدّ مكانها بلحم . وبنى الرب الاله الضلع التي اخذها من آدم امرأةً فاتى بها الى آدم . فقال آدم : ها هذه المرّة عظمٌ من عظامي ولحمٌ من لحمي . هذه تُسمّى امرأة لانها من امرىء أُخذت . ولذلك يترك الرجل اباه وامه ويلزم امرأته فيصيران جسداً واحداً . »

وفي انجيل القديس متى (١٩ : ٤ـــ٥) ينسب سيدنا يسوع المسيح هذا القول الاخير الى الله ذاته ولا ينافيه رأي من ينسبه من المفسّرين الى آدم مُلهَماً من الروح القدس ، او الى مؤلف سفر التكوين مُلهَماً ايضاً من الروح عينه .

وعلى كل فظاهرٌ من الآيات الكتابية المذكورة انّ الله ذاته هو واضع الزواج . فهو ، جلّ وعلا ، يتجلّى في الفردوس بنوع يفوق الطبيعة ، كما يبدي حكمه في امر الزواج ، ويصوّره لنا على ما يبتغيه ، ويسنّ لنا سنّته . هو الذي لم يشأ ان يترك ، ولا يوماً واحداً ، اتحاد الرجل والمرأة ، على شاكلة سائر العقود البشرية المحضة ، عرضةً للتقلب والانفكاك ، بل منذ البدء دخل بين المتعاقدين كما يطبّق العهد بينهما على ما رسم في خطته الصمدانية . وهو الذي يحدّد صريحاً غاية القِران ببركته الفعّالة وقوله : اثمروا واكثروا واملأوا الارض . هو الذي يلزم الزوجين بحياة مشتركة ثابتة بين الطرفين وحدهما بدون ما ثالث ، من حيث ان الرجل عليه ان يترك اباه وامه ليلزم وحده امرأته وحدها فيصيران اثنين في جسد واحد [1] .

---

١) راجع Mgr d'Hulst, *Conférences de N.-D.*, 1894, 2e conférence, éd. de l'Enseignement Chrétien, pp. 3-4.

هذا هو مؤدى الآيات المنزلة المذكورة على ما يُثبته التقليد المسيحي المتواصل. بل على ما فسّر السيد المسيح بذاته. فانه بعد ان ذكر في الانجيل نصّ سفر التكوين الذي نحن في صدده، قال مستنتجاً: «فليسا هما (اي الزوجان) اثنين بعد ولكنهما جسد واحد. وما جمعه الله فلا يفرّقه انسان.»[1] والمعنى الصريح انه، وان كان المتعاقدان بشرَين، الا ان الجامع بينهما هو الله والرابطة التي توثقهما هي سنّة الهيّة.

تلك هي حالة القرينين الناشئة ضرورةً عن العقد الزوجي. وقد جاء حدُّها، في كتب الشرع القديم، على ما يلي: «هي الاتحاد الزوجي للرجل والمرأة، بين شخصين اهلين شرعاً، يقيّدهما بحياةٍ مشتركةٍ فردة.»[2] تُرى هل تختلف حالة القرينين، على ما تبدو في التحديد هذا، عنها، على ما جاءت موصوفة في الآيات التكوينية والانجيلية المذكورة، سوى ما في نصّ هذه من الوضوح الذي يكاد يكون فجّاً.

٣ شهادة القرائن الكتابية

ولك ايضاً في قرائن الآيات التي اوردناها آنفاً من سفر التكوين، ما يؤيّد التعليم المسيحي التقليدي في وضعية الزواج الالهية. فما من احد يتلو الفصلين الاولين من السفر المذكور ويعمل الفكرة ملياً في كامل مضمونهما، الّا ويتبين التباينَ العظيم الذي شاء الله، في الخطّة التي رسمها لخلقه، ان يكون بين البشر والبهائم، فيما يتعلق بايجاد النسل وانماء الانواع. فمن جهة نرى قراناً ثابتاً مقصوراً على رجل واحد وامرأة واحدة. ومن اخرى الاختلاط والتنقّل على حسب ظروف انما تطرأ اتفاقاً وعرضاً.

قال موسى: «ان الله، بعد ان ثبّت اسس الارض ورتّب اصولها، اراد ان يُزيّنها فخلق فيها القوى الحية التي امرها ان «انمي واكثري». فكان هذا القول الوجيز قصيداً مستهلّاً، في السهول والاهوية والجبال واعماق المياه، لافراح القران عامةً، وقد سبقت ظهور البشر بازمنة طويلة، من التحام الزهور

١) متى ١٩: ٦.

٢) *Institut.*, I, 9.

بالزهور مستتراً في اجواف كؤوسها المعطرة ، وتلاقي الاحياء المتحركة بينا تتوقع إما الرفيق وإما الرفيقة ، واتحاد الازواج وانماء الحياة ، الى غير ذلك مما يكن باجمعه اسراراً غامضة جليلة ، لما اودعه الله من قدرته التي لا حدّ لها ومن حياته الازلية المحيية . . . »

« على ان السرّ هذا يتسامى على مدى سموّ الحياة في كل كائن . وانما كان الله قد زيّن الارض كيما يعدّها لاقتبال ملكها . فاستحضره ، عزّ وجل ، في ذهنه قائلاً : « لنصنع الانسان ، لنصنعه كي يتسلط . » وقد صنعه على صورته ومثاله عظيماً جميلاً كاملاً الى حدّ ان الاحياء جميعها لم تلبث ان أتت عند قدميه تُقر بسلطته وتُوسم منه بالاسماء التي تلائمها . ومع ان لدى الانسان هذا كلّ ما تقتضيه السلطة فان الله قد رأى وحكم « انه لا يحسن ان يكون الانسان وحده ولا بدّ ان يُعطى عوناً شبيهاً به . . . »

« ترى من اين يأتي هذا العون ؟ — امن الطين الذي خرج منه الرجل ؟ — كلّا — فانّ الانسان لا يكون ، كمثل الله ، المبدأ الوحيد الاول للحياة في ذريّته ، ما لم يُستلّ من عنصره ذاك الكائن البشري المعدّ رفيقاً له . فقال الرب : « نمْ يا ابني نمْ » وعلى اثر قوةٍ خفية الهية ، اضطجع آدم على زهور الفردوس ، وهوجم بسبات سري . وفي اثنائه استل الله احدى اضلاعه وكساها لحماً وانعشها بغير نفسه . فبنى منها المرأة ، خطيبةً للنائم بهيةً نقية . فقامت تنتظر منذهلةً من الحياة الحديثة التي أُعطيتها . . . الى الزفاف ! الى الزفاف . الا استيقظ يا مليك العالم ! — فهبّ آدم من النوم واخذ يشاهد بعينيه تلك التي كان قد بصرّ بها في حلم نبوي فادرك ان له فيها تمام كماله . فهو الذهن وهي القلب . هو الفكر وهي الشعور . هو الجلال وهي الظرف . هو القوة وهي الدعة . هو السلطة وهي الجاذبية . هو باذر الحياة وهي الارض الخصيبة حيث تذرّ الحياة . فأُعجب بها وجعلت تستميله عاطفة الحنان ويستفزّه عامل الهوس . ومن قلبه المفعم حباً جديداً تدفّق القصيد الزوجي المأثور ، الذي به اوحى الى العالم المستقبل ماهية الزواج وشرائعه المقدسة . قال : « هذه عظم من عظامي ولحمٌ من لحمي . هذه تسمّى باسم يُشتق من اسم المرء لانها أُخذت

منه : ولذلك يترك الرجل اباه وامه ويلزم امرأته فيصيران اثنين في جسد واحد . » والى هتاف الحب هذا اجاب الله ببركة منها انبجس الجنس البشري وبها سلطه على الكائنات التي كان قد سبق فباركها وانمى نسلها . قال عز وجل : « اغوا واكثروا واملأوا الارض ولتخضع لكم فتسلطوا على كل ما تحتويه . . . »

« كذا تم الزواج الاول الامثل . . . ذاك هو العقد الزواجي بموضوعه وغايته وسببه ، بما يمكنني ان ادرك الفرق بين البركتين اللتين بهما اشرك الله الاحياء بما له من القدرة لايجاد الحياة . »

« فللنبات والحيوان لم يقل سوى : « اغوا واكثروا » . وحسب . فان الزهرة الساكنة الصامتة تدع ، بدون ما تشعر ، لقاحها ينتثر او يُنتزع منها . والحيوان ينقاد قهراً للنواميس الغريزية التي تدفعه الى ملاقاة رفيقة ما . . . واما الرجل والمرأة اللذان يندفعان بعاملَي العقل والقلب لاختيار شريك لهما في الحياة ، الرجل والمرأة اللذان انما يبذلان الذات عن اختيار وتماماً ، الرجل والمرأة اللذان يعلمان انهما شريكان لله تعالى في عمل الخلق ، الرجل والمرأة اللذان يفقهان الشرف العظيم الحاصل لهما اذ يلدان من هو شبيههما ، الرجل والمرأة اللذان يتكتلان ويتبادلان كمالهما في الجماعة الزوجية ، الرجل والمرأة اللذان لا يرتبطان بوصال حيواني بل بزواج حقيقي ، فاستوجب الله لهما بركة اوسع وارفع شأناً . »

« ومن اجل هذا سمتموه من حين يرفع القرينين البشريين الى اوج الطبيعة ، فيسلطهما على العالم بينا يمدهما بكثرة النسل ويأمرهما بانمائه ، قال : « اغوا واكثروا واملأوا الارض واخضعوها وتسلطوا على سمك البحر وطير السماء وجميع الحيوان الدابّ على الارض . » [1]

وهو الفرق الموصوف بين البهائم والبشر ، الذي جهله التطوريون فضلّوا .

(1 Monsabré, *Exposition du Dogme Catholique*, Carême 1887, 5e Edition, pp. 6-10, 15-16.

(للمقال صلة)

لوقا صاحب الانجيل الثالث

بقلم الاب انطون صالحاني اليسوعي

٢

البراهين على وجود الانجيل الثالث في اوائل النصرانية (تابع)

شهادة آباء الكنيسة

القديس يوستينوس الفيلسوف الشهيد ، في مدافعته الاولى عن المسيحيين التي رفعها الى الامبراطور انطونينوس في السنة ١٥٠ للمسيح[1] ، كثيرًا ما يذكر انجيل القديس لوقا :

في العدد ١٥ : « باركوا لاعنيكم وصلوا لاجل من يُعنتكم » . (راجع لوقا ٦ : ٢٨)

« كل من سألكم فأعطوه ومن اخذ مالكم فلا تطالبوه به » (راجع لوقا ٦ : ٣٠)

« إن اقرضتم الذين ترجون ان تستوفوا منهم فأيّة منّةٍ لكم فان العشارين يصنعون كذلك » (راجع لوقا ٦ : ٣٤)

« كونوا ذوي رأفة ورحمة كما انّ ابائكم هو رؤوف ورحيم » (راجع لوقا ٦ : ٣٦)

في العدد ١٦ : « من ضربك على خدّك فقدّم الآخر ومن اخذ رداءك او ثوبك فلا تمنعه » (راجع لوقا ٦ : ٢٩) . « كثيرون يقولون لي يا رب يا رب

---

١) الآباء اليونان لمين ، المجلد ٦ ، العمود ٣٢٨-٤٦٩

ألم نكن باسمك اكلنا وشربنا وصنعنا القوات . حينئذٍ اقول لهم اذهبوا عني يا فاعلي الاثم » . (راجع لوقا ١٣ : ٢٦و٢٧)

في العدد ١٧ : « كما اوضح المسيح قائلاً : « الذي اعطاه الله كثيراً يُطلب منه كثير » . (راجع لوقا ١٢ : ٤٨)

في العدد ٣٣ : « ها انتِ تحبلين في البطن من الروح القدس وتلدين ابناً ويدعى ابن العلي وتسمينه يسوع فانه يخلص شعبه من خطاياهم » . (راجع لوقا ١ : ٣١و٣٢)

في العدد ٦٣ : « من سمع مني فقد سمع من الذي ارسلني » . (راجع لوقا ١٠ : ١٦)

في العدد ٦٦ : « ان الرسل في شروحهم المسماة الاناجيل قالوا ان يسوع اوصاهم هكذا اي انه بعد ما اخذ الخبز وشكر قال اصنعوا هذا لذكري » . (راجع لوقا ٢٢ : ١٩)

من محاورة القديس يستينوس الفيلسوف مع تريفون اليهودي[1]

في العدد ١٧ : « الويل لكم ايها الكتبة فانكم اخذتم المفاتيح . فانتم لم تدخلوا ومنعتم الداخلين ايها القادة العميان » (راجع لوقا ١١ : ٥٢)

في العدد ٧٦ : « اعطيكم سلطاناً ان تدوسوا الحيات والعقارب وكل قوة العدوّ » . (راجع لوقا ١٠ : ١٩)

« ينبغي لابن البشر ان يتألم كثيراً ويُرذل من الكتبة والفريسيين ويُصلب ويقوم في اليوم الثالث » . (راجع لوقا ٩ : ٢٢)

في العدد ٨١ : « لا يزوّجون ولا يتزوجون بل يكونون مساوين للملائكة بما انهم ابناء الله ابناء القيامة » (راجع لوقا ٢٠ : ٣٥و٣٦)

في العدد ٩٦ : « أحبّوا اعداءكم كونوا ذوي رأفة ورحمة كما هو ابوكم السماوي » . (راجع لوقا ٦ : ٣٥و٣٦)

في العدد ١٠٠ : « ان مريم العذراء اذ آمنت وسُرّت عندما بشرها الملاك

---

١) الآباء اليونان لمين ، المجلد ٦ ، العمود ٤٧٣ – ٨٠٠

جبرائيل بالخبر المبهج ان روح الرب يحلّ عليها وقوة العلي تظلّلها وان المولود منها قدوس وابن الله اجابت ليكن لي بحسب قولك» (راجع لوقا ١ : ٣٥و٣٨)

في العدد ١٠١ : « اذ قال له (ليسوع) احدهم ايها المعلم الصالح اجابه لماذا تدعوني صالحاً ؟ انه لا صالح الا ابي وحده الذي في السماوات » (راجع لوقا ١٨ : ١٨و١٩)

في العدد ١٠٥ : « عندما اسلم الروح على الصليب قال يا ابتِ في يديك استودع روحي» . (راجع لوقا ٢٣ : ٤٦)

فما اوردناه من القديس يوستينوس الشهيد ، وهو من اقدم آباء الكنيسة الذين اتوا بعد الآباء الرسوليين ، نتحقق ان انجيل القديس لوقا كان منتشراً منذ القدم في البلاد البعيدة عن فلسطين ، ومقبولاً بكل اجزائه ، كما هو في ايامنا هذه . اذ ان يوستينوس يقتبس من الفصول الاولى من هذا الانجيل ، ومن الفصول الاخيرة ، ومما هو في الاواسط .

شهادة كنائس غالية

توجد هذه الشهادة في الرسالة التي ارسلتها كنائس ڤينا وليون من اعمال غالية (فرنسة) الى كنائس آسية في السنة ١٧٧ ، وكتبت باليونانية[1] . والمظنون لدى العلماء ان كاتب الرسالة هو القديس ايريناوس ، وكان اذ ذاك كاهناً في ليون ، ثم خلف القديس پوتينوس في الاسقفية على مدينة ليون . ففي هذه الرسالة قصة استشهاد كثيرين من المسيحيين في مدينة ليون . منهم القديس پوتينوس الاسقف والقديسة بلاندين الباسلة وقد خصص كاتبها بالثناء الشهيد ڤيتيوس اپاغاثوس ما قاله لوقا (١ : ٦) عن زكريا واليصابات « انه سار في جميع وصايا الرب واحكامه بغير لوم » . ومن ثم نستنتج ان انجيل لوقا كان انتشر في كنائس غالية في اواسط القرن الثاني للمسيح .

هذا وان البعض ممن تكلموا عن انجيل لوقا قديماً كاوريجنس والقديس

---

١) التاريخ الكنسي لاوسابيوس – راجع الآباء اليونان لمين ، المجلد ٢٠ العمود ٤١٢

ايرونيموس فهموا بهذه العبارة «الاخ الذي يثنى عليه في امر الانجيل» (٢ كور ٨: ١٨) ان بولس يتكلم عن لوقا وانجيله . الا انه ليس اكيداً ان بولس الرسول يتكلم عن لوقا، لان كثيرين من المقدونيين رافقوا بولس في سفره الى اورشليم كما يتضح من سفر الاعمال (٢٠ : ٤). وعلى افتراض ان بولس بقوله «الاخ الذي يثنى عليه في امر الانجيل» اراد شخص لوقا، فمع ذلك لا يمكننا ان نفهم باللفظة «الانجيل» انجيلاً مكتوباً. لانه كلما وردت هذه اللفظة «الانجيل» في رسائل القديس بولس يُراد بها لا انجيل مكتوب بل البشارة والكرز بالانجيل والتعليم الشفاهي كما قال السيد المسيح «اكرزوا بالانجيل للخليقة كلها» (مرقس ١٦: ١٥) وكذلك استعمل بولس لفظة الانجيل: «بحسب انجيلي بيسوع المسيح» (روم ٢: ١٦) . «للقادر ان يثبتكم بحسب انجيلي وبشارة يسوع المسيح» (روم ١٦ : ٢٥) . «أذكر ان يسوع المسيح الذي من نسل داود قد قام من بين الاموات على حسب انجيلي الذي احتمل فيه المشقات حتى القيود كمجرم الا ان كلمة الله لا تقيد» (٢ تيموثاوس ٢: ٨ و ٩) . «ان تبشيرنا لم يصر اليكم بالكلام فقط بل بالقوة ايضاً وبالروح القدس» (تسالونيكي ١: ٥) فتبشيره كان بالكلام . فالانجيل في رسائل بولس هو مرادف للبشارة والتبشير .

ومع ذلك رأي الذين ذكرناهم ان بولس الرسول في هذه الآية «الاخ الذي يثنى عليه في امر الانجيل» يشير الى لوقا وانجيله فهذا الرأي يبرهن اقدمه على انه في عهد اوريجنس وايرونيموس ومن رأى رأيهما كان التقليد الشائع بين علماء الكنيسة ان الانجيل الثالث يُنسب الى لوقا.

شهادة الهراطقة

ليس فقط الآباء الرسوليون في اواخر القرن الاول للمسيح واوائل القرن الثاني ، وآباء الكنيسة في القرنين الثاني والثالث ، شهدوا بوجود انجيل لوقا ، لكن ايضاً الهراطقة في تلك الازمنة شهدوا بذلك كما يتضح مما كتبه ضدهم آباء الكنيسة :

ان ترتليانوس[1] في كتابه « حجة تواصل الاعتقاد على الهراطقة » (الفصل ٥١) قال : « لا يقبل سردون الا انجيل لوقا فقط ولا يقبله بكامله »

وفي كتاب ايريناوس[2] ضد الهرطقات نرى لهرقليون شرح بعض آيات انجيل لوقا (١٢ : ٨ و ٩). فهذا دليل على ان هذا الهرطوقي كان عالماً بانجيل لوقا.

والهرطوقي مرقيون رفض من العهد الجديد كلّ ما لا يوافق آراءه ، ولم يقبل الا بعض رسائل بولس الرسول ، وانجيل لوقا ، بعد ان حذف منه بعض اجزائه . يشهد على عمله هذا غير واحد من آباء الكنيسة منهم ايريناوس وترتليانوس . قال ايريناوس[3] (الهرطقات ك ١ ، ف ٢٧ ، العدد ٢) : « وعلاوة على ذلك بعد ان مزّق انجيل لوقا وحذف كل ما يختصّ بميلاد الرب وكثيراً من تعاليم خطبه مدّعياً انه اصدق من الرسل الذين سلّموا الانجيل ، اقنع تلاميذه وسلّم اليهم لا الانجيل لكن قطعاً من الانجيل » . وقال ترتليانوس[4] (في كتابه ضدّ مرقيون ، ك ٤ : ٢) : « يظهر ان مرقيون اختار (انجيل) لوقا ليمزّقه » .

وزد على ذلك ان يلس الفيلسوف الوثني الذي عاش في القرن الثالث للمسيح ، وحارب الدين المسيحي ، اقرّ بوجود انجيل لوقا وانجيل متى لانه يطعن فيهما بسبب اختلاف نسب المسيح في هذين الانجيلين[5] يُعلمنا بذلك اوريجنس[6] في كتابه ضدّ يلس (ك ٢ ، العدد ٣٢)

وهكذا اضحى الهراطقة والوثنيون شهوداً على ان الانجيل الثالث ، انجيل لوقا ، كان موجوداً في ايامهم . وكان انتشر بين الشعوب المسيحية قبل زمانهم .

متى كتب لوقا انجيله ؟

ان لوقا انشأ انجيله قبل ان يُنشئ سفر اعمال الرسل . نتحقق ذلك مما

---

١) الآباء اللاتين لمين ، المجلد ٢ العمود ٨٩

٢) الآباء اليونان لمين ، المجلد ٧ ، العمود ١٢٩٢ و ١٣٠٨

٣) الآباء اليونان لمين ، المجلد ٧ ، العمود ٦٨٨

٤) الآباء اللاتين لمين ، المجلد ٢ ، العمود ٢٩٢

٥) راجع مقالتنا في نسب المسيح ، المشرق ٢٦ [١٩٢٨] ٤٨١-٤٨٨ و ٥٦١-٥٧١

٦) الآباء اليونان لمين ، المجلد ١١ ، العمود ٨٥٢

قاله في بدء سفر الاعمال (١:١) : « قد انشأتُ الكلام الاول يا تاوفيلس في جميع الامور التي عملها يسوع وعلّم بها » فان عرفنا متى كتب لوقا سفر الاعمال، امكننا ان نعرف بالتقريب متى كتب الانجيل :

ان سفر الاعمال أنشئ او أكمل اذ انتهى اسر بولس في رومية للمرة الاولى. يتضح ذلك من الآيتين الاخيرتين من هذا السفر (اعمال٢٨: ٣٠و٣١): « واقام(بولس) سنتين كاملتين في بيت استأجره وكان يقبل جميع الذين يقصدونه ويبشر بملكوت الله ويعلّم ما يختص بالرب يسوع بكل جرأة ولا يمنعه احد ». هنا انتهى فجأةً سفر الاعمال . وسكت لوقا عمّا حدث لبولس في ما بعد ، وعن أسره الثاني ، وعن موته شهيداً برومية . فلو كان كتب لوقا « سفر الاعمال » بعد استشهاد بولس ، لكان ذكر ذلك لانه اكبر دليل على شهادة بولس ليسوع المسيح . ومن هنا نستنتج ان لوقا كتب او أنهى كتابة سفر الاعمال في السنة ٦٢ للمسيح ، او قبلها او بعدها بقليل. لانه في تلك السنة انتهى اسر بولس لاول مرة . وبما ان لوقا كتب الانجيل قبل « سفر الاعمال » فيكون كتبه في السنة ٦٠ او قبلها بقليل . وهي السنة التي اتفق عليها اكثر مفسري انجيل لوقا .

اين كتب لوقا انجيله ؟

لا يمكننا ان نعرف بالتحقيق اين كتب لوقا انجيله. فالقديس ايرونيموس ، في مقدمته على انجيل متى ، يذكر انجيل لوقا ويقول ان لوقا كتب انجيله في جهات اكائية وبيوسية.

والقديس غريغوريوس النزينزي قال ايضاً انه كتبه في اكائية . اما الترجمة السريانية البسيطة فذكرت انه كتبه في الاسكندرية . والمحدثون من شارحي انجيل لوقا عيّنوا اماكن مختلفة لكتابة هذا الانجيل فمنهم من زعم انه كتبه في افسس . الّا ان هذا الرأي مردود . ومنهم كثيرون عيّنوا رومية . وقال غيرهم انه كتبه في قيصرية فلسطين . واقترب غيرهم من رأي ايرونيموس قائلين انه كتبه في بلاد اليونان او في مقدونية . ومعلوم ان لوقا اقام نحواً

من خمس سنوات في مدينة فيلبي من اعمال مقدونية ، حيث تركه بولس ليعتني بتلك الكنيسة ويثبت المسيحيين في الايمان ، بعد ان بشرهم بولس . لا ريب في ان لوقا ، اذ كان مع بولس الاسير في قيصرية فلسطين مدة سنتين ، (اعمال ٢٤:٢٧) تسنى له ان يستخبر من الرسل ومن تلاميذ يسوع عما قاله وعمله يسوع في حياته على الارض وعما جرى من الامور في اوائل الكنيسة . كما انه اذ كان بمعية بولس برومية ، في اسره الاول مدة سنتين ، تسنى له ان يكتب الانجيل ، ثم سفر اعمال الرسل .

لمن كتب لوقا انجيله ؟

نعلم ان لوقا كتب انجيله وسفر اعمال الرسل لرجل شريف كان ارتدّ من الوثنية الى الدين المسيحي اسمه تاوفيلس وكان صديقاً للوقا ولعله آمن على يده . فيكلمه لوقا في بدء انجيله بقوله « ايها العزيز تاوفيلس » (لوقا ١ : ٣) ، لكنه في شخص تاوفيلس قصد جميع المرتدين من الوثنية الى الايمان بالمسيح . تتحقق ذلك من نوع كتابة الانجيل . فيذكر لوقا في تعريف بلاد فلسطين وعوائد اليهود شروحاً لا فائدة منها للمرتدين من اليهود الى النصرانية مثلاً : « ونزل الى كفرناحوم مدينة الجليل » (٤ : ٣١) . « ارسوا عند بقعة الجرجسيين التي تقابل عبر الجليل » (٨ : ٢٦) . « بيت في الجبل المسمى جبل الزيتون » (٢١ : ٣٧) . « كان من الرامة مدينة اليهود » (٢٣ : ٥١) . « الى قرية اسمها عمّاوس بعيدة عن اورشليم ستين غلوة » (٢٤ : ١٣) . ويرفع نسب المسيح لا الى ابراهيم فقط بل الى آدم ابي الجنس البشري : « ابن آدم ابن الله » (٣ : ٢٣-٣٨) . ويذكر تتميم النبوات في شخص المسيح دون ان يتوقف في ذكره هذا ، كما صنع متى الذي كتب انجيله للمرتدين من اليهود (لوقا ٣ : ٤ و٤ : ٢١ و٢١ : ٢٢) . وعند ما يذكر خطأ متوظفي الامبراطورية يستعمل الفاظاً اخف وطأة دون ان يضحي بالحقيقة التاريخية (٢٣ : ٢٥) . ويهمل ذكر بعض ظروف طفيفة من شأنها ان تتمّ الوثنيين . فعوض ان يستعمل لفظة « الوثنيين » في هذه الآية (متى ٥ : ٤٧) : « وان سلمتم على اخوانكم فقط

فاي فضل عملتم اليس الوثنيون يفعلون ذلك » استعمل لوقا لفظة « الخطأة » (٦: ٣٣ و٣٤) . ويذكر لوقا بطيبة خاطر كل ما من شأنه ان يُرضي الوثنيين ويكسبهم الثقة « فلما رأى قائد المئة ما حدث مجّد الله قائلاً في الحقيقة كان هذا الرجل صدّيقاً » (٢٣: ٤٣ و٤٧) . ويصوّر يسوع لا كالمسيح المنتظر من اليهود كما صنع متى ، لكن كمخلص كل الجنس البشري « وان يُكرَز باسمه بالتوبة ومغفرة الخطايا في جميع الامم » (٢٤: ٤٨ و١٩: ١٠) . وهذا الفكر هو ملخّص انجيل لوقا .

بأي لغة كتب لوقا انجيله ؟

بما ان لوقا كان وثنياً قبل ان يرتد ، ومن اصل يوناني ، ونشأ في انطاكية ، فقد كتب انجيله باللغة اليونانية . وكان متضلعاً من هذه اللغة ، يؤيد ذلك حسن انشائه سواء اكان في كتابة الانجيل او في اعمال الرسل . وكانت اليونانية لغة العالم الروماني . الّا ان لوقا كان له بعض الالمام باللغة الآرامية الشائعة بين اليهود في ايام المسيح لانه كان عاشرهم . فاستخدم هذه اللغة ليستخبر عن حياة المسيح ممن عرفوه وعاشوا معه ، وسمعوا خطبه ، وخاصة من مريم العذراء التي اطلعت لوقا على طفولية ابنها وعن كلما سبق ميلاده او تبعه . ونرى لوقا وحده يؤكد في موضعين من انجيله ان مريم العذراء حفظت في ذهنها وقلبها كل ما يختص بطفولية يسوع : « فكل من سمع تعجب مما قال لهم الرعاة . وكانت مريم تحفظ هذا الكلام كله وتتفكر به في قلبها » (لوقا ٢: ١٩) . « ثم نزل معهما واتى الناصرة وكان خاضعاً لهما وكانت امه تحفظ ذلك الكلام كله في قلبها » (لوقا ٢ : ٥١)

حالة لبنان الاقتصادية

في سنة ١٩٣١

بقلم ابراهيم عواد
من موظفي الدوائر الاقتصادية سابقاً

لم يبقَ بلد في العالم الّا شعر بالازمة الاقتصادية. لكن هذه النكبة لم تكن شديدة الوطأة على البلدان كلها. فانها أثّرت في الدول الغنية، الكثيرة الصناعات، المنتشرة التجارة اكثر بكثير من تأثيرها في الدول الصغيرة المفتقرة الى الصناعات والآلات.

ولقد فتش علماء الاقتصاد في العالم كله عن سبب هذه المحنة، وذهبوا في تعليلها مذاهب شتى. فقالوا سببها كثرة الانتاج، قلة الاستهلاك، تحسين الآلات والاستغناء بواسطتها عن آلاف العمال، احتكار العملة عند اصحاب رؤوس المال، الحواجز الجمركية، اضطرابات الصين، مقاطعة الهند... الى ما هنالك من الاسباب المبهمة.

اما لبنان فشعر بالازمة من بدء سنة ١٩٣٠، ولم تزل في ازدياد الى يومنا هذا. وللازمة عندنا اسباب كثيرة خفية مبعثها في الاغلب خارج بلادنا؛ فالعالم كله جسم واحد مترابطة اجزاؤه بعضها ببعض، فان تألم عضو شعر الجسم كله. وكيف لا يشعر لبنان بالازمة التي وقعت في اميركة؟ والمهاجرون، الذين كانوا يرسلون المال بالآلاف، هم الآن بحاجة الى العمل. لكن هذه الازمة خفيفة الوطأة عندنا بالنسبة الى البلدان الاخرى، حيث بلغ عدد البطالين الملايين. وسببها الموضعي في لبنان يرجع قبل كل شيء الى عسر الفلاح. فالمواسم سيئة جداً. واردأها موسم الحرير الذي كان المورد الاول. ومتى ساءت حالة الفلاح ساءت حالة البلاد كلها، فالفلاحون هم قلب البلاد وحياتها.

ونحن لا ندعي اننا نستطيع درس حالة لبنان الاقتصادية درساً وافياً. بل جل ما نقصد هو القاء نظرة عامة على السنة الذاهبة ، وذكر ما جرى فيها من الاعمال الاقتصادية.

لبنان بلد تتجلى مظاهر العمران فيه بكل مكان . واجمل ما فيه طرقه المتشعبة ، المنسابة بين جباله ووديانه ، والبيوت والفنادق الجميلة المبنية في مدنه وقرى الاصطياف فيه . وهذا العمران دليل على الاقتصاد والحذر ، لا على البذخ . فالارض آمن على حفظ المال من المصارف والمدينين.

ومن اهم الاعمال التي جرت في العام المنصرم : بنيان جسر الدجاج ، والشروع في محطة الطيران في طرابلس ، وترفيت اكثر من ٨٦٢٠٠ متر مربع من الطرقات ، وتصليح اكثر من ١٥٠,٠٠٠ متر بالزفت.

هذا العمران بادٍ خصوصاً في بيروت ، منارة الشرق الادنى وعاصمة لبنان. فانها تستعيد مجدها الروماني وتفوقه . وان من يرى ما يجري فيها من البنايات والطرق ، وما فيها من المعاهد والملاعب والملاهي ، لا يشك ان بيروت هي جوليا اوغسطا السعيدة ، نفسها. اما اهم الاعمال الجارية فيها الآن فهي متحف الآثار ، ودار مجلس النواب اللبناني ، والكورنيش او ذاك الشارع العظيم الذي سيحيطها.

ولا بد ان نجني ثمرة هذه الاعمال ، فهي موجهة قبل كل شيء الى السياح والمصطافين ليرغبوا في زيارة وطننا الجميل.

لذلك سنبدأ اولاً في درس حالة الاصطياف ، ثم الحالة الزراعية والتجارية والصناعية ، واخيراً نلقي نظرة سريعة على حركة المهاجرة في السنوات الخمس الاخيرة.

المصطافون والسياح

لم يكن موسم الاصطياف سيئاً ، على الرغم من قلة المصطافين بالنسبة الى الاعوام الخالية فان اغلبهم كان من الطبقة الاولى . وذلك بفضل الدعاية الواسعة التي قام بها السيد جوزف شمعون ، مدير الدوائر الاقتصادية ، في الجرائد المصرية والعراقية والفلسطينية ، والتي نُشرت باللغات العربية والفرنساوية

والانكليزية والعبرانية.

وقد طبع دليل للاصطياف ظريف الشكل. وشُدّدت المراقبة على الفنادق، فالتحسين فيها محسوس من حيث النظافة، والترتيب، وطرق الـلوى، وكانت الدوائر الاقتصادية في هذا الصيف يقظى على راحة المصطافين وسمعة لبنان واننا ننشر في ما يلي مقابلة بين عدد المصطافين في سنة ١٩٣٠، وعددهم سنة ١٩٣١.

	طريق بيروت		طريق الناقورة		طريق سورية من العراق		المجموع	
	١٩٣٠	١٩٣١	١٩٣٠	١٩٣١	١٩٣١	١٩٣٠	١٩٣١	
ايار	٥٠	٧٤	١٥٢	٧٠	٥٠	٢٠٢	١٩٤	
حزيران	٧١١	٧٧٠	٩٠١	٦٧٤	٢١٥	١٦١٢	١٦٥٩	
تموز	١٣٠٩	١٠٦٨	١٥٧٣	١٣٢٥	٢٦٤	٢٨٨٢	٢٦٥٧	
آب	٥٤٤	٤٦٣	١٣١٢	٨٨٥	٨١	١٨٥٦	١٤٢١	
ايلول	٥١	١٢١	٢٢١	٢٠٧	٦٢	٢٧٢	٣٩٠	
	٢٦٦٥	٢٤٩٦	٤٠٥٩	٣١٦١	٦٧٢	٦٨٢٤	٦٣٢٩	

اما السياح الذين زاروا لبنان في سنة ١٩٣١ فكان عددهم :

في كانون الثاني	١٥٠	في حزيران	١٠
في شباط	٤٢٥	في تموز	٢١٤
في اذار	٩٠٠	في آب	٢١٣
في نيسان	١٨٠٤	في ايلول وت١ وت٢ وك١	١٣٣
في ايار	١٦٤		

اما السياح الذين زاروا لبنان في آب وايلول وتشرين الاول وتشرين الثاني فقد جاؤوا عن:

طريق بيروت:	١١٤	طريق الناقورة:	٧٨
« طرابلس:	٢٩	« خربه:	٤٤

الزراعة

اشتهر لبنان قديماً بغاباته الجميلة واحراجه الكثيفة، فكان مصيد الملوك من فراعنة واشوريين وعبرانيين. وكان يؤخذ خشبه لصنع الهياكل والمراكب. فكما اتخذ سليمان خشب هيكله من ارزه، بنى بعده معاوية اسطولاً من غاباته لفتح قبرس

ورودس، وقبر الاساطيل البيزنطية. لذلك تسعى الحكومة لتعيد الى لبنان غاباته الخضراء التي طالما اعتزّ بها . فكان اول اعتنائها بالمشاتل ؛ ومنها مشتل عاليه. فانه قد قدّم هذه السنة للاحراج في لبنان ما يزيد على ١٠٠,٠٠٠ غرسة.

ثم ان الحكومة تحاول ان تجعل من البقاع اهراء لا لرومة ، بل للبنان . فباشرت في العام المنصرم درس طرق الري في جهات بعلبك بواسطة بحيرة اليمونة . واذا تمّ هذا المشروع ، فان ٩٠٠ هكتار من الاراضي تستقي منها في الربيع ، و ١٠٠٠ هكتار في الصيف.

هذا وان مساحة الاراضي الزراعية في لبنان تقدر بنحو ١٧٢ الف هكتار، مقسمة كما يلي :

الحنطة	مساحة الارض المزروعة			٦٥٬٠٠٠	هكتار	تقدير الغلّة		٥٥٠٬٠٠٠	كنتال
الشعير	»	»	»	٣٢٬٠٠٠	»	»	»	٣٥٠٬٠٠٠	»
القرطمان	»	»	»	١٬٠٠٠	»	»	»	١٠٬٠٠٠	»
الكرمة	»	»	»	١١٬٠٠٠	»	»	»	٢٧٥٬٠٠٠	»
الزيتون	»	»	»	١٣٥٬٠٠٠	»	»	»	٢٥٠٬٠٠٠	»
التوت	»	»	»	١٨٬٠٠٠	»	»	الشرانق بمليونين كيلو		
التبغ والتنباك	»	»	»	٣٬٨٠٠	»	»	الغلة	١٥٬٠٠٠	كنتال
الذرة	»	»	»	١٬١٠٠	»	»	»	١١٠٬٠٠٠	»
السمسم	»	»	»	٤٠٠	»	»	»	٢٬٦٠٠	»
الموز	»	»	»	١٬٠٠٠	»	»	»	٥١٬٠٠٠	»
الاجاص						»	»	٢١٬٠٠٠	»
التفاح						»	»	١٥٬٠٠٠	»
الخوخ						»	»	١٩٬٠٠٠	»
المشمش						»	»	١١٩٬٠٠٠	»

اما غلة البرتقال والليمون الحامض والمندرين فهي قليلة جداً بالنسبة الى العام المنصرم . فطرابلس مثلاً لم تصدر الى انكلترة هذه السنة الا ١٠٠,٠٠٠ صندوق ، على انها اصدرت السنة السابقة ٣٠٠,٠٠٠ صندوق.

الجروع

زراعته حديثة في لبنان ، وهو لم يزرع قبل سنة ١٩٣١ . مساحة ارضه ٢٠٠ هكتار والغلة تقدر بـ ١٠ اطنان . والفضل في ادخال هـذا الصنف الى بلادنا يعود الى المفوضية العليا . واول تجربة اجريت في البقاع .

البطاطة

لا شك ان اصل البطاطة من اميركة عُرفت اولاً في اسبانية ثم في ايطالية وفرنسة وسائر اوربة . وادخلت الى بلادنا ، في اول القرن التاسع عشر ، بواسطة المرسلين الغربيين وقناصل الدول الاوربيـة . واول من جربهـا في بيروت هو السيد جرجوره ضومط الخوري الذي زرعها في بساتينه في راس بيروت . مساحة ارض البطاطة تبلغ اليوم ٤٥٠٠ هكتار وتقـدر غلتها بـ ٢٥٠,٠٠٠ كنتال يصدر كثير منها الى فلسطين .

التجارة

جادت الطبيعة على لبنان بمركز تجاري منقطع النظير . فجعلتـه في مفرق طرق العالم كله ، وعلى شاطئ بحر قد توسط القارات الثلاث الكبرى . هـذا وان استعمال اجدادنا الملاحة ، واحتكارهم التجارة ، وانشاءهم المستودعات في الشرق والغرب ، واستعمارهم اهم الشواطئ ، وبناءهم فيهـا المـدن ، وآثارهم الباقية الى ايامنا ، دفعت علماء التاريخ والاقتصاد لتلقيبهم بانكليز العهد القديم .

واللبنانيون في يومنا هذا ، على الرغم من تضعضع التجارة ، وعلى الرغم من عدم وجود الملاحة الوطنية عندنا ، لم يزالوا على توالي العصور امهر تجار العالم . ويضرب المثل ببراعة التاجر البيروتي .

في الربع الاول من سنة ١٩٣١ ، كانت حالة لبنان حسنة بالنسبة الى غيره من البلدان . ولكن في الربع الثاني ، هبطت الاسعار هبوطاً محسوساً خصوصاً الشرانق ، وقلت الواردات وخصوصاً الصادرات . امـا في الربع الثالث فقـد تزعزعت الحالة ، واضطربت السوق بسبب سقوط العملة الانكليزية والمصرية . لكن هذا السقوط قد افاد التجار في العموم . وهذا الاضطراب لم يزل سائداً

في الربع الاخير من السنة ، فبردت حركة السوق وكادت تفقد الثقة . وعلا سعر الخصم في البنوك الكبيرة من ٥ الى ٨ في المائة ، وفي البنوك الصغيرة من ١٠ الى ٢٠ وازيد ، الى ان توقف كثيرون عن الخصم .

وهذه في ما يلي مداخيل الجمرك الصافية في الاشهر التسعة الاخيرة :

في الربع الاول من سنة	٢٩٣٩	يقارب	٢,٢٥٧,٩٤٠ ليرة سورية
〃 الثاني	〃		٢,٢٩٦,٨٤٠ 〃
〃 الثالث	〃		٢,١٠٨,٦٢٦ 〃

وبلغت زنة البضاعة الواردة الى البلاد المشمولة بالانتداب ، خلال سنة ١٩٣١ الماضية ، : ٦٠٣,٠٠١,٠٠ كيلو بقيمة ٦,٥٠٠,٨٤٠,١٠٠ غرش او ما يقارب ٦٥ مليون ليرة لبنانية ، مقابل ٩٤,٤٢٠,٠٨٣ كيلو بقيمة ٢,١٢٢,٥٠٦,٠٠٠ غرش بضائع صدرت من بلادنا . ويدخل في البضائع الواردة البضائع التي اعيد تصديرها او مرت بالبلاد ، كالجمال والاغنام والادوات الحديدية .

حركة التجارة البحرية

البواخر التي اتت المرافئ اللبنانية - السورية :

في شهر كانون الثاني	١٤٤	باخرة	محمولها	٢٨٨,٣٦٦ طناً
〃 شباط	١٢٩	〃	〃	٢٧٣,٢٥٠ 〃
〃 اذار	١٣٣	〃	〃	٢٨٦,٩٣٣ 〃
〃 نيسان	١٤١	〃	〃	٣٠٨,٢٦٨ 〃
〃 ايار	١٤٦	〃	〃	٣٢١,٨٧١ 〃
〃 حزيران	١٤٧	〃	〃	٣٢١,٨٣٠ 〃
〃 تموز	١٢٨	〃	〃	٢٦٦,٤٧٧ 〃
〃 آب	١٤٨	〃	〃	٢٩٤,٥٦٥ 〃
〃 ايلول	١٣٣	〃	〃	٢٨٠,٢١٧ 〃

اهم هذه البواخر هي البواخر الانكليزية بعددها ومحمولها . ويليها البواخر الطليانية ، ثم البواخر الفرنساوية

ونصف هذه البواخر تقف في مرفأ بيروت ، والنصف الآخر في المرافئ الاخرى .

المراكب الشراعية التي اتت المرافئ اللبنانية - السورية:

في الربع الاول من سنة	١٩٣١	٣٥٣ مركباً	محمولها	١١,٤٥١	طناً
« الثاني	«	٦٦٨ «	«	٣٦,٩٣٧	«
« الثالث	«	٢٩٦١ «	«	٥١,٤٦٦	«

والمراكب التي تركت المرافئ اللبنانية - السورية:

في الربع الاول من سنة	١٩٣١	٣٨٦ مركباً	محمولها	١٠,٤٥٠	طن
« الثاني	«	١,٧٤٠ «	«	٣٩,٠٦٧	«
« الثالث	«	٢,٨٩٣ «	«	٥٠,٠١٦	«

عدد المفلسين من سنة ١٩٢٠ الى آخر سنة ١٩٣١.

في سنة	١٩٢٠	افلاس واحد
«	١٩٢١	لا شيء
«	١٩٢٢	٣ افلاسات
«	١٩٢٣	٣ افلاسات
«	١٩٢٤	٥ افلاسات وتصفية قضائية واحدة
«	١٩٢٥	٣ افلاسات
«	١٩٢٦	١١ افلاساً وتصفية قضائية واحدة
«	١٩٢٧	٩ افلاسات
«	١٩٢٨	٣٧ افلاساً و ١١ تصفية قضائية
«	١٩٢٩	٢٤ افلاساً و ٣ تصفيات قضائية
«	١٩٣٠	٦٦ افلاساً
«	١٩٣١	٤٠ افلاساً

وربّ سائل لِمَ عدد المفلسين في سنة ١٩٣٠ يزيد على عددهم في سنة ١٩٣١ ؟ فالجواب هو ان الازمة العاصفة التي اجتاحت العالم في سنة ١٩٣٠ هزّت اكثر التجار ؛ فمن كان منهم ضعيفاً متزعزعاً وقع ولم يثبت الا الاشداء. وسبب اغلب الافلاسات هذه السنة يعود الى ظروف قاهرة كهبوط الاسعار، وسقوط الليرة الانكليزية والفلسطينية والمصرية . وهذا الهبوط في الاسعار يظهر جلياً

من مقابلة اسعار الاسهم في ١٧ آذار وفي ٢٩ كانون الاول من سنة ١٩٣١.

	١٧ اذار سنة ١٩٣١		٢٩ كانون الاول ١٩٣١
اسهم شركة مرفأ بيروت	٣'٢٠٠		١'١٩٠
« السكة الحديدية	٦٤٥		٤١٠
« الجر والتنوير في بيروت	١'٦٤٥		٥٦٧
« الراديو اوريان	٦٢٠		٤٤٠
« ارزدي باك	٦٤		٢٧
« البنك الجزائري التونسي	٨٣٥		٦٠٢
« بنك باريس وهولاندة	٢'٣٦٠		١'٠٦٥
« اسفلت اللاذقية	٦٦		٢٠
« الهواء السائل	١'٠٩٥	البنك العثماني	٢٩٠
« مياه بيروت	٢'٠١٥		١٩٦٥
« بنك سورية ولبنان الكبير	٣'٠٠٠		٢'٢٠٠
« التبريد	٩٨		٩٠
« كهرباء حلب	٥٥٠		٣٠٠

الصناعة

لبنان مبعث الصناعة . فالفينيقيون هم ناشروها في المسكونة . وقد ضرب المثل بصنعهم للزجاج والارجوان.

على انها كادت تضمحل في عهد الاتراك ، ولم يبقَ منها الّا صناعة الاجراس ، والفخار ، وحياكة الديما ، ومعاصر العنب ، والزيتون ، وبعض معامل للفيالج ، واشغال التطريز والتخريم.

امّا في عهد الانتداب فالصناعة تنهض من جديد - ولقد تنوّعت الصناعات، وكثرت المعامل . وان مدير الدوائر الاقتصادية يسعى جهده لتنشيطها ، فهو لا يزال يتفقد شؤونها ويعتني اعتناء خاصاً بمدرسة الصنائع ، لانها تقدم للصناعة رجالًا ذوي خبرة ، وقد بلغ عدد تلامذتها هذه السنة ٢٦٧ . وكل تلميذ تخرج منها وجد له عملًا في الحال.

وقد اقام مدير الاقتصاد معرضاً صناعياً في مدرسة الصنائع،تحت رئاسة رئيس الجمهورية ، زاره آلاف من الوطنيين والاجانب ، وكانت له نتيجة حسنة جداً.

وعُرضت فيه صناعات وطنية شتى منها : السجاد ، القبعات ، النسج ، السكاكين ، الصابون ، شفرات الحلاقة ، غزل القطن ، اشغال الموبيليا والتنجيد ، عباء الصوف ، الكلسات ، الجلود ، الفراشي ، بلاط السيمنتو ، الفخار ، الاحذية ، الآلات الموسيقية ، التطريز ، الشنتات ، المجوهرات ، الاشغال اليدوية ، السكاير ، العرق والنبيذ ، المكرونة ، الحلويات العربية ، العطورات . الخ .

وفي لبنان اليوم معامل كثيرة للصناعة . هاك اهمها مع عددها :

معامل للبلاط : ٣٠ ، القسم الاكبر منها في بيروت .

معامل غزل الحرير : ٨٣ -- في المتن : ٣٦ ، في الشوف : ١٥ ، في زغرتا : ٤ ، في كسروان : ٣ ، والباقي في الساحل والبقاع والكورة .

معاصر الزيت : كثيرة في مناطق الزيتون . في لبنان الشمالي وحده : ٣٨٣ ، والباقي في منطقة الشويفات .

المدابغ : عدد اهمها : ١٣ ، مراكزها في الدورة ، وزحلة ، وشتوره ، وكفر عقاب .

المصابن : ٢٦ ، طرابلس هي المركز لهذه الصناعة من جهة الانتاج ، ومن جهة جودة الاصناف . فيها وحدها ما يقارب العشر المصابن . وفي كفرشيما : ٥ ، وفي الشويفات : ٥ ، وفي بيروت : ٢ .

معامل لنسج الحرير : في الذوق : ١٤ ، والباقي في بيروت وطرابلس .

تنجيد وموبيليا : في بيروت وحدها ٥٠ معملاً .

معامل للحلاوي : في بيروت : ٩ ، في صيدا : ٢ .

مطاحن : للطحين : اهمها ٥ . للطحين والبرغل : اهمها ٤ . للبهارات : اهمها ١٥ .

معامل الفخار : في راشيا الفخار وحدها : ٣٨ .

معامل الحلويات والسكاكر : في بيروت وحدها : ٢٨ .

صناعة السكاكين : في جزين : ١٢ .

وهناك معمل عريضه اخوان في طرابلس لغزل القطن . ومعمل شركة الترابة الوطنية في شكا .

معامل كلسات وجرسيات ، في لبنان كله : ٦ معامل .

معامل للمعكروني : ٤ في بيروت وحدها . وللسجاير معامل عديدة.

ومن المعامل المهمة معمل شركة الكحول في مجدون . وهناك معامل اخرى للخمر ، والكحول ، والعرق ، في شتوره ، وزحلة ، وبيروت ، وانطلياس، ومعاصر الشوف.

لكن اهم هذه المعامل شركة الكحول الوطنية الصناعية المقفلة التي أسست في تموز ١٩٣١ ، وانشأت معملها في ضواحي بيروت بمحلة الدورة ، وهي تستحق درساً خصوصياً للتقدم الذي يبدو فيها فانها :

انتجت في	تموز	١ ٣٢٨	كيلو
«	آب	٦ ١٤٠	«
«	ايلول	٢٣ ٤٩٠	«
«	تشرين الاول	٩ ٠٣٣	«
«	تشرين الثاني	٢٧ ٠٠٠	«
«	كانون الاول	٣٢ ٠٠٠	«

فيتزايد محصولها كما ترى زيادة محسوسة شهراً عن شهر . وهذه السنة سيتضاعف . وتنوي مديرية الشركة ان تنتج في سنة ١٩٣٢ ، فضلاً عن الكحول ، كمية من الحامض الكربوني ، وزيت الصابون ، ونوعاً من مستحضرات الشعير معروفاً بالدريش (drêche).

بقي ان نقول كلمة في صناعة التطريز والتخريم:

التطريز : صناعة التطريز دخلت الى بلادنا بواسطة الراهبات المازاريات الفرنساويات سنة ١٨٦٠ ، فتعلمتها البنات اليتيمات ونشرنها في لبنان.

كانت اشغالها اولاً يدوية فقط . وفي سنة ١٩٢٣ ادخلت الآلات الى بلادنا ، ولكن الاشغال اليدوية لم تهمل ، وهي تصنع في البيت فليس لهذه الصناعة معامل . وهذه الاشغال تباع في البلاد ، ويصدر منها القليل الى فرنسة ومصر .

التخريم : ودخلت صناعة التخريم الى بلادنا بواسطة رجل اسرائيلي قدم من اوربة سنة ١٨٩٠ . وقبل سنة ١٩١٤ كان يصدر منها الى انكلترة واميركة

ثم الى فرنسة . وعدد المشتغلين في التطريز والتخريم كان قبل سنة ١٩١٤ ، ٨٠٠٠ ونيف . اما الآن فيتراوح بين الـ٥٠٠ والـ٦٠٠ . ويصدر من هذه الاشغال الآن كمية قليلة الى فرنسة ومصر .

* * *

نرى مما تقدم ان الصناعات في لبنان اخذت تنبعث وتنمو . ولكنها تحتاج ككل صناعة في نشأتها الى حماية الحكومة ، والا زاحمتها الصناعة الاجنبية القوية وخنقتها في مهدها .

ان غرّ الصناعات في وطننا يمنعنا عن المهاجرة ويعيد المهاجرين الينا ؛ وقد تأكد اخيراً اخواننا المهاجرون هذه الحقيقة . ترى ذلك من المقابلة بين عدد المهاجرين والعائدين في الاعوام الخمسة المنصرمة .

	المهاجرون	العائدون
١٩٢٧	٦٢٥٠	٤٣٠٨
١٩٢٨	٧٢٨٥	٤٤٢١
١٩٢٩	٦٨٦٦	٤٢٣٩
١٩٣٠	٤٩٣٣	٤٩٣٣
١٩٣١	٢٧٠٧	٣٤٢٣
المجموع	٢٨٠٤١	٢١٣٢٤

يتضح من هذه المقابلة ان عدد المهاجرين يفوق عدد العائدين في السنوات ١٩٢٧ ، و١٩٢٨ ، و١٩٢٩ ؛ ويتعادل العددان في سنة ١٩٣٠ . ثم ان عدد العائدين يفوق عدد المهاجرين بـ٧١٦ شخصاً في سنة ١٩٣١ .

* * *

الخلاصة ان لبنان بلاد فتية غنية بمركزها التجاري ، وارضها الزراعية ، ومستقبلها الصناعي . وليس من سبيل لدفع هذه الأزمة الآن ، فستذهب كما اتت كالغيمة السوداء ، من غير ان يكون لنا في ذهابها يد . ولكننا نستطيع ان نخفف وطأتها ، وذلك بالاقتصاد في المآكل والملابس والمساكن ، وبالاستغناء عن الملاهي . والمخلص الغيور على وطنه من يغار على اقتصادياته اوّلاً .

الصوم الاربعيني في القرن الرابع

في الشرق والغرب

اي في انطاكية واورشليم والاسكندرية ورومة

بقلم نصرالله نصرالله (النبك)

٢

ثانياً: مدة الصوم الاربعيني

كثيراً ما ردّدنا كلمة الصوم الاربعيني، وقد استعملناها بنوع غير دقيق. لان هذا الصوم كانت تختلف مدته باختلاف الكنائس. فعند البعض كانت ثلاثة اسابيع، وعند غيرهم ستة، او سبعة، او ثمانية. ونرى عدة كتبة كنسيين في القرن الخامس يتعجبون من هذا الشذوذ. فهذا سقراط [1] يأخذه العجب من الكنائس اللواتي يمارسن الصوم ثلاثة اسابيع او خمسة عشر يوماً، ومع ذلك يلقبنه بالاربعيني كالكنائس اللواتي كنا يصمن ستة او سبعة اسابيع. والقديس يوحنا فم الذهب هو ايضاً يستغرب مثل هذا التفاوت. اذاً فاننا نبذل منتهى الوسع في بيان عدد ايام الصوم في كل كنيسة، فنشرع في البحث:

١- في انطاكية

في انطاكية، والبلاد التي تخضع لارادتها، كان يمتدّ الصوم الى سبعة اسابيع، ستة اسابيع صوم اربعيني واسبوع صوم فصحي، لانه في انطاكية كانوا يفرزون بين هذين الصومين لاسباب سنذكرها فيما بعد. ويتبين ذلك جلياً من كتابات الذهبي الفم، ومن كتاب (*Les Constitutions Apostoliques*):

(١ H. E. V, 22.

فالاول، بعد ان تكلم عن نهاية الصوم الاربعيني: «ها قد بلغنا الى غاية الاربعينية المقدسة واتممنا سفر الصوم والحمد لله ادركنا المرفأ» ، تابع قوله: «والآن وقد انتهينا الى الجمعة العظيمة يجب ان نضاعف إماتاتنا وتقشفاتنا» [١]

ويقول كتاب (*Les Constitutions Apostoliques*) « ليكن هذا الصوم (الصوم الاربعيني) قبل الصوم الفصحي ... وعند نهاية هذا الصوم (الاربعيني) ابدأوا سنة الفصح المقدسة وفيها ليصم الكل بخوف ورعدة» [٢]

لكن الكنائس الخاضعة للكرسي الانطاكي، بل كنائس الشرق عموماً، كانت تصوم خمسة ايام فقط في الاسبوع. فجميع السبوت – خلا سبت النور – وكل الاحاد ، لم يكن فيها صوم. ولنا على ذلك تصريحات بينة من كتابات في القرن الرابع لا بل قبله . فقوانين الرسل (*Canons Apostoliques*) [٣] تمنع صوم السبت والاحد تحت العقاب، وترى المنع ذاته في « الدساتير الرسولية » [٤]. و(*La Didascalie*) وهو كتاب لمؤلف سوري من النصف الثاني من القرن الثالث ، يمنع الصوم كذلك « لان الذي يحزن نهار الاحد يرتكب اثماً. » [٥] والقديس ابيفانيوس الذي يورد هذه الفقرة [٦] يقول في غير موضع [٧]: «مما يضاد العقل والصواب صيام نهار الاحد . »

ويمكننا ان نضيف الى هذه التصريحات القانون الثامن عشر من مجمع گنگر (Gangres) [٨] ، وقول القديس يوحنا فم الذهب [٩] .

١) *Homel. XXX in Gen.* 1, *P. G.* t. LIII, col. 273 — cf. encore *Homel. XX ad Popul. Antioch.*, *P. G.* t. XLIX, col. 9-10.

٢) *Const. Apostol.* Lib. V, c. XIII ; Pitra, *op. cit.* p. 279.

٣) *Canon* 66, Pitra, *op. cit.* p. 29.

٤) Lib. V, cap. XV ; Pitra, *op. cit.* p. 284 — Liber VII. cap. 23 ; Pitra, *op. cit.* p. 361 — Lib. V, cap. X, 20 ; Pitra, *op. cit.* p. 294.

٥) *Op. cit.* p. 123.

٦) *P. G.* t. XLII, col. 361.

٧) *Expositio Fidei*, XXII ; *P. G.* t. XLII, col. 828.

٨) Cf. Pitra, *op. cit.* p. 491.

٩) *Homel. XI in Gen.* 2 ; *P. G.* t. LIII, col. 92.

فاذاً في الكنيسة الانطاكية سبعة اسابيع صوم ، خمسة ايام في كل اسبوع ، ما عدا الاسبوع الاخير فستة. فيكون المجموع ستة وثلاثين يوماً.

٣ – في اورشليم

الكنيسة الاورشليمية كانت تريد ان تُبلغ الصوم اربعين يوماً اقتداء بالسيد المسيح ، وموسى ، وايليا ، اعظم انبياء اسرائيل . فلذا امتدّ الصوم الى ثمانية اسابيع لانه لم يكن يصام يومي السبت والاحد .

واجلى تصريح على ما تقول بيان السائحة اتيريا[1] وان القديس كيرلس الاورشليمي (*Procat.* n. 4., *Catéchèse*, 15) يعتبر زمن الصوم اربعين يوماً دون ان يشير الى عدد الاسابيع. وهذا هو الذي ورّط مفسّريه في الغلط. فظن توته (Tauttée) ان مدة الصوم اربعين يوماً مقسومة على ستة اسابيع (Migne, *P. G.* XXXIII, 155, 447). وهذا رأي غير راجح لان التقليد الشرقي يمنع صوم الاحد والسبت ، ما عدا سبت النور.

وقد اوردنا نصوصاً كافية عن الكنيسة الانطاكية. فلنتكلم عن كنيسة اورشليم في هذا الشأن . فتصريح السائحة اتيريا الذي اوردناه جلي لا يفتقر الى مراجعة، وهي تعود الى المعنى عينه في مؤلفها مرات عديدة[2]. فهكذا تقول ان الذبيحة تقام باكراً جداً نهار السبت حتى يفطر باقرب وقت الذين كانوا يصومون كل الاسبوع (هؤلاء المسيحيون كانوا يدعون Hebdomadiers). وپلاديوس في كتابه « *Histoire Lausiaque* »[3] يخبر ان الناسك الپيديوس ، الذي كان يقطن مغارة من ضواحي اريحا لم يكن يخفّف من صرامة تقشفاته الا يومي السبت والاحد . ويذكر لنا ايضاً في اورشليم عن الراهب ادولپوس انه لم يكن يتناول طعاماً اثناء الصوم الا السبت والاحد.

فيتلخص مما تقدم ان عدد ايام الصوم في كنيسة اورشليم واحد واربعون

(١ Mgr. Duchesne, *op. cit.* p 478 — Cf. *Les Eglises de Jérusalem : la discipline et la liturgie au IVe siècle*, par F. Cabrol n. So.

(٢ Mgr. Duchesne, *op. cit* p. 480, 481.

(٣ Cf. *Histoire Lausiaque* par Butler, II, 142, 18.

يوماً. لكن كنيسة اورشليم، حسب قول المؤرّخ سوزومين، لم تستمرّ على هذه العادة، فيخبرنا انها في القرن الخامس انقصت صومها الى ستة اسابيع [١]. وقد استمرّت على هذه العادة حتى القرن السادس حيثما اوقفنا بطريركها بطرس (٥٢٤-٥٤٤) [٢]. ولكن على رأي دورثاوس، الذي عاش في القرن الثامن ان الصوم في عهده كان ثمانية اسابيع [٣].

٣ - في الاسكندرية

لم يكن الصوم في كنيسة الاسكندرية يزيد عن ستة اسابيع، يشمل الصوم الاربعيني والصوم الفصحي. يقر بذلك، في القرن الخامس سقراط [٤] وسوزومين [٥]. ولكن اذا عوّلنا على كتاب القرن الخامس وعلى الادلة المستخرجة من رسائل القديس اثناسيوس الفصحية [٦]، نرى ان قد طرأ على الصوم تبديلات في القرن الرابع. واليك ملخص هذه الرسائل عن العلامة دوشين [٧]:

في الاولى منها (سنة ٣٢٩) لا يُذكر الا التهيئة لعيد الفصح بنوع عام دون اشارة البتة الى الاربعينية، ويحدّد ابتداء الصوم يوم الاثنين العظيم. وسنة ٣٣٠ تُذكر الاربعينية التي مدتها ستة اسابيع. لكن الصوم الاتم والاكمل هو صوم الاسبوع العظيم. ومما يتبادر الى الفهم انه في الاربعينية المقدسة كان الصوم في مقدمة الاعمال الاعدادية لعيد الفصح. ولكنه لا يذكر كفرض يستلزم انجازه، ولا كعادة مألوفة عند الجميع. وسواد الشعب الاسكندري كانوا يقصرونه على صوم السبة العظيمة فقط. وفي مدة اقامته في رومية، سنة ٣٤٠ وما يليها، قُرّع القديس اثناسيوس بتراخي رعيته، فشكا من ذلك في رسالة له وجيزة ضمن رسالته الفصحية لسنة ٣٤١ مؤرخة من رومة، وهي موجهة الى صديقه

---

١) *H. E.* VII, 19 ; *P. G.* t. LXVII, col. 1477.

٢) *P. G.* t. XCXV, col. 71-88.

٣) *P. G.* t. LXXXVIII, col. 1788, c.

٤) *H. E.* V, 22

٥) *H. E.* VII, 19.

٦) Cf. *P .G.* t. XXVI, col. 1360.

٧) Mgr. Duchesne, *op. cit.* p. 232, note 1.

سرابيون اسقف (Thumis) الذي كان مفوّضاً ، نيابة عن البطريرك القديس ، بالادارة العليا لكنائس القطر المصري . وسأله بالحاح ان يحثّ المصريين على قضاء فريضة الصوم كاملةً قائلاً انهم يحطون الغير ان يسخروا بهم . ومنذئذٍ اخذ يذكر ، على نوع قانوني ، صوم الاربعينية مع صوم الجمعة المقدسة ، بينما كان يكتب في رسائله السابقة « وقت الصوم » (عن الاربعينية) و«اسبوع الصوم» (عن الجمعة المقدسة) . وفي رسالته الفصحية ، لسنة ٣٤٧ ، يقرّر بنوع واضح ان الذي يسخر بفريضة الصوم لا يحتفل بالفصح ، اي يكون محروماً الى حين ما .

فيلخص مما تقدم ان مسيحيي الاسكندرية كانوا يصومون في منتصف القرن الرابع الستة اسابيع . والحال اننا نتيقن من كتابات القديس اثناسيوس[1] ان رعية الاسكندرية كانت لا تصوم السبت ولا الاحد[2] . فاذاً ايام الصوم لا تزيد على واحد وثلاثين يوماً ان ضممنا اليها سبت النور . وشهادة القديس اثناسيوس صريحة في ذلك : « فاذاً يبتدئ الصوم الاربعيني في اليوم الثالث عشر من Chaménoth . والاسبوع الفصحي المقدس يبتدئ في ١٨ من Charmuthi . واخيراً ينتهي الصوم نهار السبت ٢٣ من هذا الشهر . فاذاً الاحد العظيم يقع في ٢٤ من الشهر Charmuthi هذا »[3] .

٤ – في رومية

ليس لدينا شهادة كافية عن الصوم الاربعيني في القرن الرابع في هذه

١) Cf. *P. G.* t. XXVI. col. 1389. وكذلك قانون القديس انطونيوس يمنع عن صوم السبت والاحد Cf. Dict. Archeol. et Liturg. art. *Fêtes Chrétiennes* par Cabrol, col. 1410.

٢) راجع Deconinck في المجلة الكتابية سنة ١٩١٠ ص٤٣٤ فترى اننا اذا ركنّا الى M. Achelis ، رأينا القديس اثناسيوس يطلب ان يتناول الصوم السبت والاحد ما عدا احد الثمانين . ونحن لا ندري اعول على شيء في زعمه ام هل هذا لكي يبلغ عدد الاربعين كاملاً فيصحح كلمة الاربعينية التي كان يشير اليها القديس اثناسيوس مراراً . و Deconinck يقول ان هذا الكاتب يرجع بالقارئ الى ترجمة المانية لرسائل الفصحية ، ويزيد : « ليس بين يديّ سوى ترجمة Maï » (Migne t. XXVI) ولا اجد فيها هذا المصدر وقد لا تكون ترجمة ماي صحيحة لانها منقولة من السريانية الى اللاتينية بواسطة الايطالية .

٣) Cf. Lettres Festales, *P. G.* XXVI, col 1418 — *P. G.* t. XXVI, col. 1389

الكنيسة . لكننا نستطيع القول ان الصوم الذي كان يمارس في كنيسة الاسكندرية كان ولاشك في الكنيسة الرومانية. لاننا نرى القديس اثناسيوس ، ابان اقامته فيها ، يفرض على شعبه صوم ستة اسابيع . فيسوغ لنا ان نستنتج ان القديس اثناسيوس وضع على شعبه ما كان مستعملاً عند الرومانيين ، لكنه جعله ملائماً للعوائد الشرقية . نقول هذا لا عن يقين وتحقيق بل على سبيل الترجيح . وهذا الرأي ، وان لم يكن جازماً ، لا يخلو من قوة كما يظهر من كتابات القديس لاون في القرن الخامس اذ يقول : « ان صوم اربعين يوماً يتقدم عيد الفصح »[1]. ويقول ڤاكندار (Vacandard)[2] ان شهادة القديس لاون لها قيمتها التاريخية في سنة ٤٠٠ ويتابع قوله : «ان الاربعين التي يتكلم عنها القديس لاون يجب ان لا تُفهم بمعناها الحرفي، لكن بمعنى تقريبي ، لان شريعة الصوم لم تكن مرعية ايام الاحاد». اذاً الصوم في مدينة رومية كان ستة وثلاثين يوماً كما هو في الكنيسة الانطاكية ، لكن مع هذا الفرق انه في انطاكية كان يبلغ السبعة اسابيع اما في رومية فستة.

غير ان سقراط ، بفقرة من تاريخه الكنسي[3] ، يضع امامنا صعوبتين بخصوص الصوم في الكنيسة الرومانية : الصعوبة الاولى قوله انه لم يكن صوم ايامَ السبوت . وهنا نستطيع القول ان المؤرخ اليوناني عزا الى الكنيسة الرومانية ما كان جارياً في كنيسة القسطنطينية وعامة الشرق المسيحي . ولنا على ذلك شهادات صريحة من القرنين الرابع والخامس تبطل ادعاءه .

ففي القرن الثالث ، يقول ترتليانوس ان النفسانيين (psychiques) (ويعني بذلك كاثوليكيي رومية) كانوا يحلون الصوم — وهذا ما يعبّر عنه ترتليانوس باللاتينية (*continuare jejunium*) — نهاري الجمعة والسبت[4] . والقديس

(١ *Homel. VII, de Quadragesimo*, 1 ; *P. L.* t. LIV.

(٢ Dict. Théol. Cath. *loc. cit.* col. 1730.

(٣ *H. E.* V 22, *P. G.* LXVII, col. 634.

(٤ *De Jejunio* c. XXV ; *P. L.* t. II, col 973.

اوغسطينوس يقول[1]: «ان صوم السبت كان قليل الانتشار في الكنيسة، لكنه خاصّ بالكنيسة الرومانية». والقديس امبروسيوس لم يكن يصوم السبت في ميلانو (لان هذه المدينة قد تبعت العوائد الشرقية في اسقفية Auxence سلف القديس امبروسيوس) لكنه عند حضوره الى رومية كان يصوم اليوم المذكور[2].

١) *Epist.* XXXVI, *ad Casulanum* ; *P. L.* t. XXXIII, col. 136 ; Cf. encore *Epist.* LIV, *P.L.* t. XXXIII, col. 199 sq. ; *Epist.* LV, *P.L.* t. XXXIII, col. 204

٢) يجب ان تتقصّ عن اصل هذا الاختلاف في صيام السبوت في الكنيسة الرومانية والامتناع عنه في الكنائس الشرقية، في كيفية فهم السبت عند الشرقيين والرومانيين.

ففي الغرب، وخصوصاً في الكنيسة الرومانية، كان هذا اليوم يُعتبر كسائر ايام الاسبوع فيعامل معاملتها. اما عند الشرقيين فالسبت كانت تعتبر منزلته على نوع ما كيوم الاحد كما يظهر من قوانين الرسل (*Canons Apostoliques* : canon 66°) ومن كتاب «دساتير الرسل» (Lib. II, 59 ; L. VII, c. 36 ; L. VIII 33)

وهكذا نرى عملياً ان الكنائس الشرقية تقيم ايام السبوت الاحتفالات التي هي خاصة بالاعياد والآحاد ففي القطر المصري لم تكن تقام الذبيحة – ما عدا الاعياد – الّا السبت والاحد. وهذه العادة كانت جارية عند رهبان طيبة (Thébaïde) وسِتي (Scété) ونِتري (Nitrie) (Cf. Cassien, *Institut. L.* III, c. II ; *P. L.* t. XLIX, col. 115.)

وكذلك في انطاكية، على عهد الذهبي الفم، لم تكن تُقام الذبيحة الا السبت والاحد واعياد الشهداء. (Cf. *P. G.* t. XLVIII, col. 753, sq.)

ومجمع اللاذقية لا يسمح ايام الصوم باقامة الذبيحة وتذكار القديسين الا السبت والاحد (canons 49° et 51°). والقديس سابا الذي كان يمارس الصوم في عزلة عن ديره من النطاس حتى الفصح لم يكن يتناول سوى السبت والاحد.

والكنيسة اليونانية، في قوانينها المرعيّة، قد حفظت هذا الرسم للسبت. فما عدا انه لا يُصام فيه، لا تُقام الذبيحة الالهية قانونياً في غضون الصيام الا السبت والاحد. اما بقية الايام فتُقام خدمة البروجيز مينا (Messe des Présanctifiés).

وهنا يتبادر الى الخاطر هذا السؤال: ما سبب احترام الشرقيين لنهار السبت؟ فكتاب «الدساتير الرسولية» في عدة نصوص (L. VII, cap. 23 ; Pitra, *op. cit.* p. 361 ; Lib. V, cap. 15 ; Pitra, *op. cit.* p. 285) يشير الى هذا السبب اي ان احترام السبت مبني على اجلالنا لراحة الله فيه بعد خلق العالم. فمن هذه النصوص يتبين ان الرأي الذي يعزو الامتناع (Cf. Pitra, *op. cit.* p. 421 ; Migne *P. G.* t. CXXXVII, col. 169, note 95) عن الصوم نهار السبت الى الاحتجاج على المركيونيين تبدو لنا ارجحيته. فمركيون (Marcion) يدّعي ان اله الانجيل الصالح هو عدو اله العهد القديم العادل (الاله الخالق).

والصعوبة الثانية التي يضعها سقراط هي ان الرومانيين لم يصوموا الا الثلاثة الاسابيع الاخيرة قبل الفصح. ويمكننا القول مع ڤاكندار ان هذا القول لا يخلو من خطأ (Dict. Théol. Cath *art. Carême*, col. 1730). ويقول العلامة دوشين عن هذه الفقرة: «لكن هذا النص يلقي في ذهني بعض الريب لانه يقال فيه ان في هذه الاسابيع الثلاثة لم يكونوا يصومون لا السبوت ولا الآحاد، وذلك شيء لا يتفق مع العوائد الرومانية.»[1]

* * *

يتبين جلياً مما ذكرنا انه لم يكن اجماع تام في عدد ايام الصوم الاربعيني في الكنائس المختلفة، مع اننا نجد كلمة «اربعينية» (*quadragesima*) متداولة فيها، فالاتفاق لا نجده الا في القرون التالية، وهو اتفاق كان يتصل على اربعين يوماً اقتداء بصوم المخلص في البرية[2].

ولهذا يجب علينا ان نناوئ اله العهد القديم الخالق والعادل بترفعنا عن الاشياء المادية. ولكي يقاوم هذا الاله الخالق الذي ابدع العالم في ستة ايام واستراح في اليوم السابع آمراً شعبه الخاص بتقديس هذا اليوم، اوجب مركيون على تلاميذه ان يصوموا هذا النهار (Cf. S' Epiph. *Haeres.* XLII, 3. ; Tertullien, *adv. Marcionem*, IV, 12)

فيحيو الشرق، مناهضة لآراء مركيون الفاسدة، قد اعتبروا السبت كالاحد ورفعوا عنه فريضة الصوم.

وبعكس ذلك اخذت رومية، حيث لم تنتشر تعاليم مركيون، فحدّدت ان يُصام السبت لكي تنفصل الكنيسة أكثر فأكثر عن الجماعة اليهودية ويجلّوا قبر المسيح ويتمدوا ليوم الرب.

(١ *Origines du Culte Chrétien*, p 233, note 1.

(٢ Cf. Mgr Duchesne. *op. cit.* p. 233-234.

(لها بقية)

شذرات

كيف ارتبط الجنيه المصري بالجنيه الانكليزي

اهدت الينا ادارة « الهلال » تقويمها السنوي لسنة ١٩٣٢ (١) ، فالفيناه جامعاً لشتات الفوائد والمعلومات ، منها هذه الشذرة التي رأينا ان تفيد قراءنا بنشرها :

كانت الجنيهات الانكليزية ، قبل الحرب الكبرى ، اداة التعامل بصفة عامة . ولذلك ظل استعمال أوراق العملة — التي كان للبنك الاهلي حق اصدارها — قليل الانتشار . ولهذا السبب بقي مقدارها قليلاً ، فقد بلغ ٢٠٠ ٠٠٠ ٢ جنيه مصري في ٣٠ يوليو سنة ١٩١٤ .

وقد حلّت ببلاد العالم في اخريات يوليو من تلك السنة أزمة مالية . بسبب ما كان متوقعاً من قرب اعلان الحرب ، وامتدّ اثر هذه الازمة الى مصر ؛ اذ طلب اصحاب الودائع سحب اموالهم من البنوك والحّ الدائنون في سداد مطلوباتهم . اما المدينون فذهبوا الى البنوك يلتمسون منها الوسيلة لوفاء ما عليهم .

ولما كانت عملة الذهب اذ ذاك هي العملة القانونية الوحيدة ، خشي الا يكون من الممكن القيام بمطالب بلد استولى عليه الهلع ، فقررت الحكومة أن تحذو حذو البلاد الاخرى ، ففرضت في ٢ اغسطس سنة ١٩١٤ سعراً الزامياً لاوراق العملة ، فاصبحت هذه الاوراق غير قابلة لان تستبدل بالذهب ، وذلك الى اجل .

بقي النصّ الوارد في القانون النظامي للبنك الاهلي القاضي بوجوب ضمان النصف على الاقل من الاوراق بالذهب معمولاً به ، لان كمية الذهب التي كانت متداولة بين الايدي ثم عادت الى خزائن البنك كانت في اول الامر كافية لتغطية ما طرأ من الزيادة على مقدار اوراق العملة التي اصدرها البنك . ثم حدث في نوفمبر سنة ١٩١٤ ان اصبح من المستحيل استيراد الذهب الى مصر لحفظه

---

(١) تقويم الهلال ١٩٣٢ — السنة الثالثة — ١٦٠ صفحة كبيرة مزينة بالصور والرسوم .

ضماناً لاوراق العملة الجديدة التي قضت الضرورة باصدارها ، فرخص للبنك الاهلي بان يودع في بنك انكلترة في لوندرة مقداراً من الذهب يفي بضمان هذه الزيادة.

واذ كان هذا الحق الجديد الممنوح للبنك باصدار اوراق في القاهرة او سحبها مقابل ايداع ذهب في لندرة ، او سحبه ، هو بمثابة اعطاء البنك الحق في تحويل نقود بالتلغراف بقيمتها الاصلية بين القاهرة ولندرة وبين لندرة والقاهرة، فقد ترتب على ذلك ان اصبح للبنك الاهلي مركز ممتاز.

وبهذه الوسيلة أمكن تركيز سعر القطع (الكمبيو) على اساس القيمة الاصلية للعملة ، وأصبحت البنوك تشتري التحاويل وتبيعها بفرق خفيف يقل عن النفقات التي كان يتطلبها سنوياً نقل الذهب الى مصر وتصديره منها وأمكن بذلك اقتصاد مبالغ تذكر.

وفي شهر اكتوبر سنة ١٩١٦ أخطر بنك انكلترة البنك الاهلي بان ضرورات الحرب جعلت تقديم الذهب لضمان اوراق العملة غير مستطاع ، فاستقر رأي وزارة المالية عندئذ على اصدار قرارها المؤرخ في ٣٠ اكتوبر سنة ١٩١٦، الذي بمقتضاه اعفى البنك الاهلي من الشرط المفروض عليه بحكم قانونه النظامي القاضي بان يكون النصف على الاقل من اوراق العملة التي يصدرها مضموناً بالذهب ، واجاز له استبدال الذهب باذونات على الخزانة البريطانية مستحقة السداد في آجال قصيرة.

وكان من أثر ذلك ان تغير نظام العملة في مصر تغيراً كبيراً ، فلم تصبح اوراق العملة مضمونة باذونات على الخزانة البريطانية ، لا تستبدل بالذهب بل تستبدل بالعملة الانكليزية القانونية . وكذلك لم تصبح قاعدة العملة في مصر قاعدة الذهب ، بل قاعدة الجنيه الانكليزي.

ولم يبدُ في اول الامر انه سيكون لهذا التمييز اي اثر في العملة المصرية ، لان قيمة الجنيه الانكليزي كانت مساوية لقيمة الذهب.

ولكن في سنة ١٩١٩ هبطت قيمة الجنيه بالنسبة لدولار الولايات المتحدة، وهي البلاد الوحيدة التي تحتفظ بقاعدة الذهب ، لذلك تغيرت الحال لارتباط

الجنيه المصري كما سبق بالعملة الانكليزية ، فترتب على ذلك ان هبطت قيمة الجنيه المصري بالنسبة للدولار بمقدار يساوي المقدار الذي هبطت به قيمة الجنيه الانكليزي. وقد بلغ هذا الهبوط ثلاثين في المائة في سنة ١٩٢٠. الا انه اخذ ينقص بالتدريج حتى زال تماماً سنة ١٩٢٥ حين قررت بريطانيـة الرجوع الى قاعدة الذهب.

وفي هذا العام اعاد التاريخ نفسه وهبط الجنيه الانكليزي ، والغت الحكومة الانكليزية قاعدة التعامل بالذهب، وهبط الجنيه المصري بالتالي.

التذكار الثوري لاختراع السيكارة

كثرت في ايامنا هذه الاحتفالات بالتذكارات ، وتنوّعت موضوعاتهـا ، فنبّهت الافكار الى كل دقيق وجليل من الحوادث المـاضية ، واخذ البعض يتوقّعون مرور مائة سنة على ايّ شيء كان حتى ينادوا بالتذكار ويدعوا الناس الى الاحتفال . على انه رغم هذا التنبّه الدائم والسعي المتواصل ، لا تزال بعض التذكارات تمرّ دون ان يهتمّ بهـا احد ... ومَن من المدخّنـين ، وهم كثر في بلادنا وفي غيرها ، شعر مؤخرًا بانه مرّ على اختراع السيكارة مائة سنة . ونزيد بالسيكارة اللفافة الورقيـة التي نعهدها لا اكتشاف التبغ الراقي الى زمن قديم . بل مَن من المدخّنـين يتوهّم بان السيكارة المنتشرة اليوم في جميع انحاء العالم اكتُشفت على مقربة من بلادنا. بيد أنها الحقيقة يجب ان تُقال وهي انه عندما كانت الجيوش المصرية تحاصر مدينة عكا ، قبل مائة سنة ، كانت حاجة العساكر الى التدخين تزداد يوماً عن يوم . وكانوا قد حصلوا على كثير من التبغ ولكن دون كبير فائدة لانه لم يكن لديهم من الفلايين ما يساعدهم على استعماله . فكانوا كمن يرى المـاء ولا يمكنه الورود . حتى مرّ بخاطر احدهم ان يلفّ شيئاً من التبغ بقطعة ورق ويدخّن. وهكذا كان ! وسرعان ما أثّر عمله في قلوب رفاقـه فتبعه الجميع، وقد انتشر هذا « المثـل الصالح » في انحاء العالم جمعاء بالسرعة التي نعهدها.

هذا في ما خصّ السيكارة . اما السيكار فيرقى تدخينه الى اقـدم من

ذلك العهد . وقد كان هنود اميركة يستعملونه قبل اكتشاف العالم الجديد .

التذكار الطوي لاختراع اعواد الثقاب

ولا بدّ للسيكارة من عود ثقاب يشعلها ... وكأن الحظ اراد ان يوفق بين الامرين فاخترع اول عود للثقاب ، قبل مائة سنة ايضاً ، في اوائل سنة ١٨٣٢ ، لا في عكا ، بل في شرقي فرنسة ، في مدينة دُوْل من مقاطعة الجورا . على ان الاقدار شاءت ان تُحرم تلك المدينة من ذكر الاختراع المذكور ، فاستفادت منه المانية بصدفة غريبة ، واضحى شرف اختراع الثقاب في التاريخ الرسمي يعود الى نبوغ الجرمانيين . وتفصيل ذلك في حادثة لا بأس بذكرها تفكهةً واعتباراً .

كان في دُوْل ، سنة ١٨٣٢ ، شاب ذو ثماني عشرة سنة يُدعى شارل سوريا (Siuria) . وكان ، لما فُطر عليه من الاستعدادات لفهم العلوم الطبيعية ، يتهيأ للدروس الطبية . فانتبه يوماً ، بينا كان يحضر درساً في المختبر الكيماوي في جامعة مدينته ، لما يمكن استخراجه من مزيج ناري يؤلف على أساس الكلور والهيدروجين . وراح يعدّد الاختبارات في غرفته . فلم تأته اولاً بنتيجة محسوسة سوى انه احرق مرة شراشف سريره ، ومرّة ستائر نافذته وكاد يُحرق المنزل قبل ان تشتعل تلك العيدان الصغيرة التي كان ينجرها من خشب الصنوبر ويغمسها في ذاك المزيج ثم يحكّها على جدار غرفته ، وقد كان دهنه كلّه بالفوسفور . على انه لم يثنه فشل ولا مقاومة ، بل كان يوالي بين الامزجة ويعدّد التجربات . وفي كل مرّة يُدني العود من الجدار بيد ترتجف رغبة ورهبة ... حتى سطعت الشرارة المنتظرة ، ولا انتظار الفرج ، فتألق وجه الطالب المجتهد واسرع جذلاً يحمل الى استاذه ورفاقه نتيجة اكتشافه . فاعجب كل الصفّ . واضحى الاختراع موضوع تسلية يجرّبه الجميع ويبهرون فيه مطارفهم ، دون ان ينتبهوا الى ما وراء ذلك من فائدة تجارية واقتصادية . ثم لم يمرّ القليل حتى تنوسي الامر . الا ان احدهم انتبه لشيء من منفعة الاكتشاف فعمل بعض عيدان كان يستعملها في حاجاته الخاصة . وسمع احد اصحاب الحانات في المدينة

بالامر، فطلب من الطلاب شيئاً من تلك العيدان يعرضها امام زبائنه فيسهل عليهم اشعال غلايينهم . الا ان الزبائن لم يهتموا كثيراً بهذا التجديد فلم يخرج في نظرهم عن محيط الغرابة والتلهي . ولاسيما ان استعمال تلك العيدان كان من الصعوبة بمكان، لانه كان على المستعمل ان يهيئ آنية المزيج والفوسفور فيغمس كل عود بمفرده ثم ينقله من اناء الى آخر . حتى تسطع بعد شيء من الحك تلك الشعلة التي كانت سريعاً ما تنطفئ.

على ان الطالب سوزيا واصل اهتمامه بالامر ، فوفق الى اضافة شيء من الصمغ لذلك المزيج كان من نتيجته ان لصقت المادة الشاعلة بالعود الصنوبري، فاستغني عن الانية . وظهر الاختراع بمظهر جليل. ففكر المخترع بالحصول على براءة حكومية . على ان نفقات العمل ، والقيمة المطلوبة قانوناً ، البالغة ١٥٠٠ فرنك ، كانت مما لا يتمكن اهل الطالب ، وهم من الطبقة المتوسطة ، من التضحية به اجابةً لرغبة ولدهم في امر قد لا ينتج شيئاً. وعليه فقد تراجع الطالب أسيفاً عن تلك الفكرة ، وتناسى نشوة الاختراع ، فاكبّ على دروسه الطبية حتى نال شهادته واقام يطبب الناس في مدينته طول حياته التي كانت طويلة هادئة بسيطة حتى الموز ، لا يعزيه فيها سوى صداقة الفيلسوف اوغست كونت الصدوقة المخلصة.

ولنعد الى تاريخ العيدان. ففي صيف تلك السنة المدرسية عينها ، اي سنة ١٨٣٢ ، زار استاذ الطالب المانية ، وقضى فيها عطلته المدرسية . وكان ، في احاديثه المختلفة عن تلامذته واختباراته الكيماوية ، كثيراً ما يروي ما توصل اليه ذاك الطالب من نتائج مزيجه المذكور ، كان يروي ذلك دون ان يعلق عليه اهمية . . .

وشدّ ما كانت دهشة السكان في مدينة دُوْل ، اذ رأوا بعد اشهر مضت ، عدداً من وسطاء التجارة ومتجولي البائعين يعرضون للشراء ، « اعواد الثقاب الالمانية» وينعتونها « باعظم اختراع في القرن التاسع عشر قام به النبوغ الجرماني . »

وهكذا يُكتب التاريخ عند بعض الناس . . .

مطبوعات شرقية جديدة

Ferdinand Cavallera : Précis de la Doctrine sociale catholique. *Editions Spes, Paris*, 1931. *Prix* : 18 *f*.

مجمل العقيدة الاجتماعية الكاثوليكية

قد يقول البعض ان ليس في الشرق ما ندعوه بالمشكلة الاجتماعية . والصحيح ان هذه المشكلة لا تظهر في الشرق بالمظهر الدقيق الحرج الذي تبدو فيه في بلاد الغرب ؛ لان الشرق لم يصل بعد ، من حيث التطاحن الاجتماعي، الى النقطة التي وصل اليها الغرب. ثم هي لا تبدو على الشكل ذاته هنا لان بلاد الشرق لم تعرف بعد مؤسسات الصناعة الكبرى ولا ما تجرّ اليه من الخلاف بين العَمَلة وارباب العمل. ولكن هذا لا يمنع كون المشكلة الاجتماعية ، بل المشاكل، موجودة في الشرق تبدو في مظاهر الحياة العائلية ، والحياة الاقتصادية ، ولا سيما في ما خصّ العمل والزراعة ، والحياة الوطنية ، فتلقي مسائل دقيقة يجب حلّها على غاية ما يمكن من الصحة ان اردنا حفظ المجتمع من الانحطاط فالتلاشي.

هذا وفي الكتاب الذي نعرض اليوم على القراء حلول دقيقة لجميع المشاكل الاجتماعية المذكورة ، حلول يسندها العقل وينيرها الايمان. وقد قسمه مؤلفه، حضرة الاب كفاليرا، الى اربعة اقسام: ذكر في الاول معلومات تمهيدية اجمالية في التعليم الاجتماعي ؛ وفي الثاني بحث في الحياة العائلية ، وحقوق الولد ، والمسألة النسوية ؛ وخصّ القسم الثالث بالحياة الاقتصادية وحياة ارباب المهن فتكلم على حق الملكية، ورأس المال ، والعمل ، والمبادلة. وانتهى، في القسم الرابع، الى درس مسألة الحياة الوطنية والدُولية ، باحثاً في المجتمع المدني ، وصفة الرجل عضواً من الدولة ، وفي جمعية الامم ، ثم في الكنيسة.

وفي الكتاب من الفائدة الجزيلة ما يدفعنا الى ان نشير باقتنائه على جميع الاكليريكيين الذي يحملهم واجبهم على الاهتمام بالنفوس وارشادها ، وعلى

كل من يجعل لهم مركزهم الاجتماعي تأثيراً في حياة مواطنيهم . فهو صائب الفكر ، دقيق المنطق ، واضح التقسيم ، صريح التعبير الى شيء من السهولة. وقد اشار فيه المؤلف الى كثير من المآخذ التي استقى منها ؛ فاصبح الكتاب، والحالة هذه ، آلة للدرس والعمل تفيد ، فضلاً عمن تقدم ذكرهم ، كل من يهمهم البحث في هذه المشاكل من نوّاب ، وقضاة ، واساتذة ، وكهنة.

الاب مونجان اليسوعي

Henri Bremond : La vie chrétienne sous l'ancien Régime. [*Histoire littéraire du sentiment religieux en France. t. IX*] *in-8°*, 395 *pp. Prix* : 40 *f*. *Paris, Bloud et Gay*, 1932.

الحياة المسيحية في فرنسة على عهد التنظيم القديم (الملكية)

هو المجلد التاسع من « التاريخ الادبي للعاطفة الدينية في فرنسة » ، يخصه المؤلف بالحياة المسيحية على عهد الملكية فيكتمل، على افضل مثال ، المجلدين السابقين في « نظر القديسين الى ما وراء الطبيعة » . وقد تبع المؤلف اسلوباً ترتيبياً مبتدئاً بالعماد وخاتماً بالموت . فاظهر ، في الفصل الاول ، الاكرام الفائق الذي كان يظهره ادباء ذاك العصر لسرّ العماد،دالاً على الفرق بينه وبين عصرنا الحاضر. اما باقي الفصول في سرّ القربان،والذبيحة الالهية ، والعبادة التعويضية، واكرام العذراء ، وصوفية الزواج، وفنّ الموت ؛ فانها تدلّ على اننا لم نخترع شيئاً في زماننا . وغنيّ عن البيان ما امتاز بـه المؤلف الفاضل من رشاقة في الاسلوب وفنّ تلمّ في عرض الموضوعات ، مما جعل الناس يقبلون كل الاقبال على مطالعة كتبه الدقيقة المعاني الصعبة الابحاث. وليس هذا بالفضل القليل ، اذا انتبهنا خصوصاً الى عدد المجلدات الضخمة التي خصها بهذا الموضوع. ج.ل.

F. Pochat-Baron : Le Bienheureux Père Le Fèvre ou Pierre Favre, premier prêtre de la Compagnie de Jésus. 222 *pp. Prix*:12 *f*. *Edition Spes, Paris*, 1931.

الطوباوي الاب لوفيفر

منذ الوقت الذي اقرّ فيه مجمع الطقوس إكرام الاب لوفيفر (سنة ١٨٧٢) فكتب تاريخ حياته اولاً الاب موريل ثم الاب پرا ، لم تظهر

ترجمة بالافرنسية لذاك الطوباوي. ولذا نرى الكتاب الحاضر ذا قيمة مهمة خصوصاً في ما خصّ حياة الطوباوي ، وطرق اكرامه في بلاد الناثوى ، وذكر اقامته في فرنسة وايطالية والمانية واسبانية. وهو كتاب أُلف في سبيل الله وخير عباده ، ولا نشكّ بانه يُدرك غايته في قلوب كل من يقرأونه.

LE CHRIST, encyclopédie des connaissances christologiques publiée sous la direction des abbés G. Bardy et A. Tricot. *vol. cartonné de* 1280 *pp. et illustré de* 400 *reproductions. Paris, Bloud et Gay,* 1932. *Prix :* 40 *f*.

المسيح

هي شبه دائرة معارف جمعت المعلومات العديدة عن السيد المسيح قام بها كثير من العلماء ، فنوّعوا الابحاث وقسموها كما يلي : البيئة الاجتماعية في زمن المسيح ، من رومانية ويهودية فلسطينية. ثم تاريخ المسيح ، ونفوذه في حياة الشعوب الدينية والاخلاقية ، واثره في الفنون والآداب . وكلها امور تجعل الكتاب جديراً بان يوضع لا في مكاتب الاكليريكيين فحسب ، بل على مناضد جميع المفكرين ، فيقوم لهم ، في تكميل ثقافتهم الدينية ، مقام المعاجم اللغوية في تذكيرها الكتّاب بقواعد اللغة.

La Révérende Mère Marie-Thérèse des Anges. 1 *vol. de* 256 *pp. et* 2 *hors-texte, Prix :* 12 *f*. *Bloud et Gay, Paris,* 1932.

الام ماري - تيريز الملائكة

ان شخصية الام ماري تيريز الملائكة شخصية سامية استحقت اعتبار الجميع فخُصّ بها هذا الكتاب الواضح . دخلت في ٤ تشرين الاول ١٨٨٦ ، دير الكرمليات في فونتنبلو . فبدأت حياة العزلة والتجرد والنسيان . الا ان فضائلها اهلتها الى ان انتخبت رئيسة على دير ابرني (Epernay) ثم على دير فونتنبلو نفسه ، فقامت باعباء الادارة بكل ما اتصفت به من حكمة واخلاص . حتى كانت السنة ١٩٠١ ، فقُضي بنفيها مع راهباتها الى سويسرة ، ثم الى بلجيكة حيث قاست ، مدة الحرب الكبرى ، كل ما انزله الالمان بتلك البلاد من شدائد وعذابات . وكانت ، في كل ذلك ، تتفانى في خدمة الجرحى

من الفرنسويين وتساعدهم على الرجوع الى بلادهم. وفي سنة ١٩١٨ رجعت مع راهباتها الى فرنسة ، وبعد مصاعب جمة امكنها ان تؤسس ، على اسم المسيح الملك ، سنة ١٩٢٢ ، دير الكرمل في نوجن على المارن. ولكنها لم تلبث ان نزل بها المرض وطال عذابها، حتى افلتت منه الى ديار الخلود في ٢١ اذار ١٩٣١.

هذه الحياة الجميلة الملأى بالفضائل التي لم تتطلب صاحبتها الا خمول الذكر والتناسي ، هي ما يظهره لنا الكتاب الحاضر الذي ننصح جميع متطلبي الامثلة الصالحة بقراءته ومراجعته.

Almanach Catholique français pour 1932. 480 *pp.* 250 *illustr.* *Prix*: 7 *f*. *Paris, Bloud et Gay.*

التقويم الكاثوليكي الفرنسوي لسنة ١٩٣٢

يمتاز هذا التقويم بما امتازت به اجزاؤه الماضية من درس المظاهر الكاثوليكية في العالم مدة السنة المنصرمة . ثم يزيد على ذلك بحثين مهمين في موقف الكاثوليك من العمل على نظام السلم العام ، وفي البعثات الكاثوليكية في المستعمرات الفرنسوية.

Dahmen (P.) S. J. : Robert de Nobili, l'apôtre des Brahmes. Première apologie 1610. *Texte inédit latin, traduit et annoté. in* 8°, 207 *pp.* 1931. [*Bibliothèque des Missions* ; *Mémoires et documents. vol. III.*] *Paris, Edition Spes. Prix* : 25 *f*.

روبر دي نوبيلي ، رسول البراهمة

لا شك في ان الاب دي نوبيلي من اعظم مرسلي العصور المتأخرة غيرةً وبراعةً ؛ كما انه من اوفرهم ابتكاراً واهتماماً بتلك النظرية القديمة والموافقة الا وهي التبليد، اي الاخذ بعادات البلد الذي يحلّ فيها المرسل. ولكن بما انه كان كثير الابتكار في عصره ، اثارت طريقته واعماله كثيراً من الانتقادات التي جرّت عليه احكاماً قاسية حتى فحص البابا غريغوريوس الخامس عشر طريقته فأقرّها موافقاً . وقد نُشر في هذا المجلد اثران مهمان يمكّنان من الاطلاع على تلك الطريقة في ما خصّ الجدل والمناظرة. وهما كتاب من احد مناظري الاب دي نوبيلي ، وردّ الاب عليه طبعهما الناشر في نصهما اللاتيني وترجمهما

الى الفرنسوية ، بعد ان قدم عليهما بحثاً في ٤٣ صفحة اتى فيه على جميع المعلومات الضرورية. ج. ل.

Abbé Quinet : L'appel du Christ aux pêcheurs d'âmes. En marge du catéchisme. *in* 12 *de* 130 *pp. Prix* : 7 *f*. *Paris, Editions Spes*, 1931.

دعوة المسيح لصيادي النفوس

مؤلف هذا الكتاب مراقب التعليم الديني في ابرشية باريس ، وقد نشر سابقاً عدة آثار قيمة في الموضوع منها « اعداد مدرس التعليم المسيحي » في ٣ مجلدات ظهرت في المكتبة نفسها . اما المجلد الحالي فهو ايضاً يختص بمدرسي التعليم المسيحي ، فيضيف الى كل فصل من فصول ذاك الكتاب دعوة لطيفة من الله يطلب بها مزيد الكمال في الحياة ، كدعوة الكهنة الاولين بعد فصل « قانون الايمان » . والكتاب جزيل الفائدة للمدرسين اذ يسهل عليهم فهم موضوع الدرس، ويعدهم الى الاهتمام كل الاهتمام بالنفوس التي عليهم ارشادها وتدريبها.

يسوع الملك

محاضرات الخوري تيوفانس شار

مطبعة القديس بولس في حريصا ، ١٩٣١ ، قطع ٨ ، ص ٢٥٢

فرحنا عند قراءتنا هذا الكتاب فرح كل كاهن ، بل كل مسيحي ، بتمجيد الرب يسوع فان المؤلف دوّن في محاضراته العشرين خلاصة ما يجب على المسيحيين معرفته من صحة الاناجيل وسلامتها من التحريف ، وميزة الانجيليين الثلاثة الاولين ، وخواص انجيل يوحنا ، واتفاق الاناجيل ، واستعداد العالم لمجيء المسيح . ثم شخصية المسيح واطوار حياته منذ ميلاده الى موته ، وقيامته ، ثم حياته القربانية ومملكته. وكل ذلك باسلوب وضاح ، ينبه الغفلان ويروي العطشان . وحضرة الخوري تيوفانس شار من رجال الوعظ الغُيُر على مصلحة الدين ، العاملين منذ اعوام عديدة في تبشير المؤمنين وتعليم الجهال . وكتابه حقيق بان يوضع في مصاف كتب الوعظ التي يشتهي ان يراها بين

يديه كل كاهن معهود اليه بامر الارشاد والتعليم الديني . وقد انجلت فيه وضاحة واتقان طبع اخوتنا الآباء البولسيين المحترمين. ف. ت.

الكنائس الشرقية البيزنطية

بقلم الاب الياس اندراوس البولسي

مطبعة القديس بولس في حريصا ، ١٩٣١ ، قطع ١٢ ، ص ٢٩٥

وهذا الكتاب ايضاً عنوان لما بلغت اليه مطبعة حريصا من الاتقان في تصوير الرسوم ، وفي جلاء الحروف . وانما هذه ميزة الكتاب الخارجية . اما فحواه فخلاصة تاريخ الكنائس في الشرق. اقول الكنائس لانه، وان لم يذكر بنوع خاص الّا الكنائس اللاحقة بالطقس البيزنطي ، فقد ادى به التفتيش عن اصل كنيسة انطاكية الى الكلام عن الطوائف الشرقية التي يلقب بطاركتها بلقب البطريرك الانطاكي ؛ اما الكنيسة الملكية الكاثوليكية فقد صارت موضوعاً لدرس اوسع اذ انه تناول تاريخها منذ العهد الرسولي الى ايامنا . وان ما يفيد العامة معرفته ، وهو ظاهر في الكتاب ، ان الروم لم يثبت انفصالهم الرسمي عن رومة الا في عهد حديث ، نحو القرن الخامس عشر في الشرق ، وقد يكونون اعرق نسباً بالكثلكة من سائر الطوائف . ف. ت.

ايمان ، علم ، وطنيّة

الجزء السادس من ترجمة البطريرك اللبناني الياس بطرس الحويك

بقلم الخور اسقف بطرس حبيقه

المطبعة الكاثوليكية ، ١٩٣٢–٨٤صفحة بقطع ٨

اعتاد حضرة الخور اسقف بطرس حبيقة ان ينشر كل سنة ، كرّاساً مفيداً باللغتين العربية والفرنسوية يدرس فيه قسماً من حياة المثلث الرحمات البطريرك اللبناني الراحل . وكان قد اعدّ هذه السنة القسم السادس من منشوراته ، اذ فاجأ الموت العميد الكبير ، فاتى ذاك الكرّاس مكرّماً ذكرى الفقيد العظيم. وقد ضمّنه المؤلف نبذة تاريخية في جمعية راهبات العائلة المقدّسة ، فاضاف الى ما تقدّم ذكر مأثرة مهمة من مآثر البطريرك الخالد الاعمال .

الكيمياء العمومية : الفلزات والمركبات العضوية

تصنيف فرج ر. الله ويردى

المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ١٩٣١–٣٥١ صفحة بقطع ٨ ، ٦١ شكلاً وعدة جداول

مؤلف هذا الكتاب استاذ الكيمياء في المدرسة الثانوية المركزية في بغداد ، شعر بحاجة طلّابه وامثالهم الى درس هـذا العلم باللغة العربية ، فاكبّ على التأليف مجتهداً منقّباً دارساً مقابلاً ، حتى تمّ له هـذا الجزء في الفلزات ، اي المعادن العنصرية ، والمركّبات العضوية . فابرزه بمظهر جميـل واضح وانشاء سهل صريح ، يزينـه تنوّع الحروف بتنوّع اهمية الابحـاث ، وكثرة الرسوم والصور والجداول المفيدة . وفي نيتـه ان يكمل البحث في جزء آخر يبحث عن القوانـين والنظريات الكيميائيـة ، وعن اللافلزات . وقد استعان في مهمته هذه باختبار ثماني سنوات في الدرس والتدريس ، وبمراجعة عدة كتب عصرية في الموضوع . ومما يمدح عليه المؤلف انه لم يُستعبد لتلك الكتب ، بل اخذ منها ما يوافق عقلية الطلّاب في العراق ومنهاج الصفوف المنتهية في مدارسه الثانوية ، مضيفاً الى ذلك امثلةً وتمارين مـأخوذة من المحيط الشرقي يسهـل ملاحظتها والقيام بها . وهو يبدأ ابحاثه دائماً بالقسم العملي الاختباري حتى اذا تقرّرت مفاعيل العنصر او الجسم في ذهن الطالب ، اتاه المؤلف بالبحث النظري فكان اسهل فهماً لـه ، واطول حفظاً . وهو الاسلوب التعليمي الصحيح في هذا النوع من المعارف .

هذا ولم تكن خدمة المؤلف للغة العربية باقلّ منها للكيمياء العمومية . فقد بذل اقصى جهده في ايجاد الاصطلاحات العلمية والمفردات الصناعية . على انه يأسف اذ لم يرَ بدّاً من استعمال الرموز على الطريقة الافرنجية « وقتياً ريثما توضع هذه الرموز والاصطلاحات في لغتنا العربية المحبوبة بصورة يتفق عليهـا الجميع . » واننا نتمنى ان هذه الحالة « الوقتية » لا تتخذ صفة الدوام ، بفضل علمائنا ولغويّينا الكرام.

ف . ا . ب .

ذكرى فوزي المعلوف

مطبعة « زحلة الفتاة » ، ١٩٣١–٥٠٩ صفحات بقطع ٨

تقدّم لنا (المشرق ٢٩ [١٩٣١] : ٥٥٧) كلمة في شخصية فقيد الادب المصري ، المرحوم فوزي المعلوف ، اجتهدنا ان نحدّد فيها عناصر شاعريته السامية، وان لم نوفِ تلك النفس حقها لقلة المعلومات اذ ذاك. وها قد اهدى الينا والد الشاعر مؤخراً هذا السفر النفيس،فاتى جامعاً كل ما يتوق اليه الادبا. ومؤرخو الادب من امثال لشاعرية الفقيد ومعلومات عن حياته وآخر ايامه وقد قُسم الى خمسة اقسام خصّ الاول بترجمة الفقيد كتبها على طريقة عاطفية مؤثرة اخوه شفيق المعلوف وسماها « ذكرى اخي» ، نشر فيها شيئاً من شعر فوزي الاخير بخط يده ، واستطرد الى درس بعض مظاهر تلك الشاعرية . وقد أُلحقت الترجمة بذكر بعض اخلاق الفقيد وشيء من آثاره وخطبه ونثره . ثم خصّ القسم الثاني بآراء الكتاب والشعراء في الراحل الكريم . وفي القسم الثالث نشرت تفاصيل مؤثرة عن مرضه ووفاته ، والحفلات التي اقيمت له في الوطن والمهجر . وفي القسم الرابع جمعت اقوال الصحف فيه في المهجر والوطن من عربية واجنبية. ثم خصّ القسم الاخير ، وهو اطول الاقسام،بالتآبين والمراثي الشعرية والنثرية وبرسائل التعزية . واردف الكتاب بفهرسين شاملين . يوضح كل ذلك عدة رسوم للفقيد في مختلف حالاته. فاتى الكتاب من افضل ما يجمع من الآثار حول تلك الشخصية البارزة التي سارع اليها الكمال فنقلها من عالمنا الفاني . وهو مجموعة مآخذ واسانيد لا بدّ منها للنقدة يدرسونها في المستقبل ويستندون الى ما فيها من المعلومات اذ يعمدون الى شاعرية الراحل الكريم فيحدّدون مظاهرها ويصقلون شخصيتها فتزداد جلاء يوماً بعد يوم . واننا نشكر الوالد الاسيف على هذه الهدية النفيسة ، ونجدّد استمطار الرحمة على ضريح فقيد الشعر والادب الغالي.

ف . ا . ب .

* روزنامة سيدة التلة الكتانية لسنة ١٩٣٢ * وهي الروزنامة الشهيرة الكثيرة الفائدة التي يُصدرها منذ عشرين سنة حضرة الاباتي افرام حنين الديراني حاوية جميع الاعياد الغربية والشرقية مع التاريخين المسيحيين والتاريخ الهجري. تُطلب من صاحبها في دير القمر ، ومن محل المواجات خليل حنين واولاده في سوق الجميل ، بيروت.

اهم حوادث الشرق في شهر

١٥ كانون الاول ١٩٣١ — ١٥ كانون الثاني ١٩٣٢

لبنان — انتخب صاحب الغبطة انطون بطرس عريضة ، رئيس اساقفة طرابلس ، بطريركاً على انطاكية وسائر المشرق وراعياً للطائفة المارونية ، في ٨ ك ٢ . وجرى تنصيبه باحتفال عظيم في ١٠ منه.

سوريه — جرت الانتخابات النيابية في ٥ ك ٢ بكثير من الهدوء في جميع الانحاء السورية ، ما عدا دمشق ودوما وحماه . واشتركت فيها جميع الاحزاب ، فكانت النتيجة فوز المعتدلين اذ كان منهم ٤٩ على ٥٤ . يبقى انتخاب ١٥ نائباً في دمشق ودوما وحماه ، وقد أُجل الى موعد آخر.

* كثرت حركات الشغب في دمشق واشترك بها عدد طلاب معهد التجهيز ومدرسة المعلمين بطريقة تخلّ بالنظام ، فطردت وزارة المعارف بعضهم . ثم اقفلت المدرسة . فاحتجّ جميع الطلّاب ومعهم بعض الشعب ، فاقفلت المدينة في ١١ ك ٢ .

فلسطين — لم تتفق الكلمة بعد على انتخاب البطريرك الارثوذكسي الاورشليمي .

مصر — افتتح الملك البرلمان المصري (١٧ ك ١) وقد جاء في خطاب العرش ان الامة قد وجدت في الشكل الحكومي الجديد الراحة والارتياح .

فرنسا — في الجريدة الرسمية انه ابتداء من اول العام الحالي نفذ القانون الجديد المتعلق باستعمال الحروف اللاتينية بدلاً من العربية في المخابرات الرسمية .

الهند — اشتدّ الموقف حرجاً في بلاد الهند وقد اعتقل غاندي ونالابهاي باتل رئيس مجلس الامة (٣ك٢) فكثرت المظاهرات ولكن قمعتها قوّة الحكومة . ووجهت الى رؤساء تحرير الصحف في بومباي انذاراً يقضي عليهم بالّا ينشروا ما يشجع حركة العصيان المدني .

المشرق

السنة الثلاثون — اذار ١٩٣٢

الرُّتَب الكهنوتيّة

في

الطائفتين المارونيّة والسريانيّة

بقلم الخوري اسحق ارملة السرياني

١

توطئة

اطلعت الصحف اللبنانية في وصف الاحتفال التاريخي الشائق الذي جرى صباح الاحد ١٠ كانون الثاني بكنيسة سيدة بكركي، مقام البطريركية السريانية المارونية ، في فرصة ارتقاء السيد الاثيل مار انطون عريضة ، مطران طرابلس ، السامي الاحترام ، الى عرش البطريركية الانطاكية . وقد أُتيح لنا حضور ذلك الاحتفال النادر الذي ازداد رونقه وبهاؤه بحضور قاصد رسولي ، وبطريركين ، وزهاء عشرين مطراناً ، وجم غفير من الاكليرس ، وأرباب المناصب الدينية والمدنية . فخيّل الينا اننا

في كنيسة مار بطرس الكبرى بانطاكية ، حاضرون تتويج احد بطاركتها المتبوطين ، نسمع الاحبار ينشدون الترانيم السريانية الرخيمة ، وهم محتفون بالمنتخب الجليل ، ناشرون بين ايديهم كتباً سريانية قيمة قديمة ، جرياً على عادات السلف ؛ يتناوبون في تلاوة الصلوات ، مشتركين في رتبة جلوس البطريرك الجديد على السدة الانطاكية وتسليمه عصا الرعاية البطريركية.

واذ كنا نتتبعهم في ترنيم الاغاني السريانية الطقسية ، ونقابل ما يقولونه مع ما يقوله اساقفة طائفتنا السريانية في مثل هذا الاحتفال المقدس ، خطر لنا ان نكتب شيئاً عن طقوس الرتب الكهنوتية التي كانت وما برحت جارية في كلتا الكنيستين السريانيتين الشقيقتين بلغتهما وطقسهما وعاداتهما وزيهما واعيادهما واصوامهما . وقبل الشروع في سرد ما عولنا عليه ، رأينا ان نورد كلمة عن اصل الطقس السرياني الانطاكي فنقول :

اصل الطقس السرياني الانطاكي

لا مشاحة ان اول طقس كنسي انما ظهر في اورشليم ، ثم في انطاكية عاصمة الشرق ، باللغة السريانية الشائعة يومئذٍ في فلسطين وسورية كلتيهما ، كما أثبته جميع الكتبة المدققين شرقيين وغربيين[1] . ويتلخص من ذلك ان الملل السريانية الاربع اعني الملكية[2] (الروم) ، والمارونية ، والسريانية الشرقية (الكلدان)[3] ، والسريانية الغربية ، كان طقسها في الاصل واحداً ،

---

١) معجم اللاهوت الكاثوليكي للاب ڤاليه (ص ١٤٠٢) ؛ والمقالة الثالثة من كتاب النصارى للعلامة السيد اقليمس يوسف داود ، مطران دمشق (ص ٣٥) ؛ ومقال البحاثة المدقق الاب لامنس اليسوعي في العدد الاول من المشرق ١٩٣٣ ص ١٤ بعنوان « سورية في زمن الفتح العربي » اذ اثبت مصرحاً : « ان الموارنة ادخلوا الى لبنان اللغة الارامية (السريانية) التي اصبحت لغة الشعب السوري الحقيقية الجارية في احكام معاملاته التجارية . . . وفي تأدية واجباته الدينية في الكنائس . . . من انطاكية عاصمة البلاد الى اورشليم . . . »

٢) اطلق السريان اسم « ملكيين » على اتباع المجمع الخلقيدوني المقدس لان ملوك قسطنطينية كانوا من انصاره. ٣) سمّى البابا اوجانيوس الرابع ، عام ١٤٤٥ ، المرتدين من السريان الناطرة « كلدانا » (المشرق ٣ [١٩٠٠] ٨٢١)

كما كانت لغتها ايضاً واحدة . بيد انه مع تمادي الاحقاب تفرّدت الطائفة السريانية الشرقية بطقس خاص بها ، منذ انفصالها عن الكنيسة الجامعة ، في اواسط القرن الخامس . اما الطائفة السريانية الملكية فقد بدّلت طقسها الانطاكي ، في القرن التاسع او العاشر ، بالطقس البوزنطي اضطراراً او تحبباً او ترفّعاً ، واستخرجته من الاصل اليوناني الى السرياني مثبتةً فيه بعض عبارات او الفاظ طقسية يونانية ، على ما صرّح بلسمون البطريرك الانطاكي الملكي في القرن الثاني عشر ، وكان يومئذٍ قاطناً في قسطنطينية ، فقال : « ان كنائس الملكيين في سورية تبعت في عهده بيعة قسطنطينية في ليترجيّتها » المنسوبتين الى مار باسيليوس ومار يوحنا فم الذهب العظيمين . والّا ، فلو لم تتبعها في ذلك ، لظلّت الى هذا الحين تستعمل طقسها السرياني القديم الذي لا يسع احداً ان ينكر انه اقدم من الطقس اليوناني ، الّا من كان جاهلاً تواريخ الكنائس الشرقية بالمرّة .

بناء عليه بقيت الكنيسة المارونية والكنيسة السريانية الغربية محافظتين اشدّ الحفظ على طقسهما السرياني القديم ، وعلى لغتهما السريانية البحتة الى هذا اليوم . اما طقسهما فهو اقدم من سائر الطقوس البيعية لا في ليترجيتهما المنسوبة الى مار يعقوب[1] فحسب ، بل في صلواتهما القانونية التي تحتوي على الشيء الكثير من مصنّفات الآباء الذين عاشوا في القرن الرابع او الخامس او السادس كمار افرام († ٣٧١) ملفان البيعة الكاثوليكية ، ومار شمعون برصبّاعي الشهيد († ٣٤١) ، ومار ماروثا الميافرقيني († ٤٢١) ، ومار ربّولا

١) قرأنا في مخطوط دير الشرفة النفيس ، المنسوخ عام ١٢٢٤م ، ص ٦٧٢ ، فقرة منسوبة الى مار افرام تفيد ان اول قداس أقامه سمعان الصفا كان اول اربعاء من اسبوع الرسل ، وهذا نصّها : « ܕܐܝܬܝ ܡܘܕܝܢܐ ܡܪܝܡܐ ܕܐܝܬܝ ܚܕܝܢ ܚܕܐ ܕܡܫܝܚܐ ܕܡܫܬܡܥ ܩܕܡܝܗ ܕܫܡܥܘܢ ܟܐܦܐ ܕܐܝܬ ܡܢܗ ܚܕ ... ܕܡܫܝܚܐ ܕܐܝܬ ܡܢܗ ܚܕ ܡܘܕܝܢܐ ܕܡܪܝܡܐ ܕܐܝܬ ܡܢܗ ܚܕ ܡܘܕܝܢܐ » فاذا صحّت هذه الرواية اصبحت ليترجيّة مار بطرس ، التي يعتبرها السريان الموارنة اعتباراً عظيماً ، اقدم من ليترجيّة مار يعقوب عينها . وعلى كل فكلتا الليترجيتين السريانيتين اقدم من ليترجيتي قسطنطينية اليونانيتين .

الرهاوي († ٤٣٥) ، ومار اسحق الانطاكي († ٤٦٠) ، ومار يعقوب السروجي († ٥٢١) الخ.

اما صلوات طقس البيعة اليونانية فاحدث من الصلوات الطقسية السريانية لان معظمها من قلم القديس يوحنا الدمشقي في منتصف القرن الثامن . ومنها ما أُنشئ في القرن التاسع ومبادئ القرن العاشر[1].

وقد حرص السريان الموارنة والسريان الغربيون على طقسهم الانطاكي القديم حرصهم على اثمن تراث واغلى كنز ، بخلاف اخوانهم السريان الملكيين الذين غيّروا ، كما قلنا ، وبدّلوا طقسهم الانطاكي بالطقس البوزنطي. ولولا سطوة ملوك قسطنطينية ونفوذهم ، لظلوا الى هذا الحين يستعملونه بلا ريب.

ولا يُعبأ ببعض الفاظ يونانية تسرّبت في الطقسين السريانيين القحين . فان ذلك لم يحدث الا بعد القرن الخامس ، وفي الكنائس الكبرى فقط ، وفي الاحتفالات المشهودة العمومية كالاحتفال مثلاً بدخول المطران اول مرة الى ابرشيته[2] كي يفهم الشعب عموماً ما يقال . على حدّ ما جرى في الاحتفال بجلوس غبطة البطريرك الانطاكي الماروني الجليل ، اذ لفظ احد الاحبار الافاضل خطاباً فرنسياً وجهه الى ارباب الدولة المنتدبة. فضلاً عن ان السريان في القرون الوسطى كانوا يتسابقون الى درس اليونانية ويبالغون في حذقها ، وينقلون منها عدة تآليف الى لغتهم[3].

وكيفما كان الامر فان الصحف السريانية الطقسية المصونة في خزائن عواصم اوربة وغيرها اقدم واكثر من الكتب الطقسية اليونانية. لان المخطوطات الطقسية الملكية ، سريانية ام يونانية ، لا يمكن ان يسبق عهدها القرن الحادي عشر ، ذلك يوم اخذ الطقس اليوناني قراراً في البيعة الملكية الانطاكية . وناهيك ان الملكيين في سورية يتعذّر عليهم ان يدلّونا او يطلعونا على كتاب طقسي نُسخ باليونانية في سورية ، حالَ كون دور الكتب تحوي الى هذا اليوم

١) النصارى : ٨٥

٢) المنتظفات ٤٥٤ لغبطة السيد البطريرك اغناطيوس افرام رحماني ٣ : ١

٣) اطلب مقالتنا في المشرّق (١٩٢٠ : ٤٩٥ و٥٥٧)

مئات من كتبهم الطقسية في السريانية ، كمخطوطات دير طورسينا ، ودير مار بنطاليمون بانطاكية ؛ ومخطوطات دير القديسة تقلا ، ودير الشاغورة بصيدنايا التي حمل الهوس متولي ذينك الديرين فالقوا جميع صحفهما السريانية الثمينة في التنور واحرقوها باسرها تخوّفاً من ان يغتصبها السريان[1] . ومن هذه الكتب السريانية الملكية ما برح الى يومنا مصوناً في دير الشرفة ، وفي بكركي وقنوبين ؛ وفي دير الآباء اليسوعيين ببيروت ؛ وفي مكتبة غبطة بطريركنا الانطاكي مار اغناطيوس جبرائيل الاول الجزيل الطوبى ، وفي غيرها .

ونضيف الى ذلك كله ان السريان الملكيين في سورية ظلوا يقضون طقوسهم البيمية في السريانية حتى اواخر القرن السابع عشر . بل ان احد كهنة الملكيين الارثذكس في قرية معلولا بقي يقدّس في السريانية حتى اواسط القرن الماضي ، كما اورد العلّامة السيد اقليميس يوسف داود في قصاراه (ص ٣٦) .

ألا يحقّ لنا اذاً ، بل ألا يتحتم علينا بعد هذا ، ان نطرى آباء الطائفتين السريانيتين الشقيقتين ، ونبدي لهم جميع الشكر على ما اتخذوه من الذرائع وما كابدوه من الاعراق والمصاعب صوناً للغتهم الشريفة وضناً بطقسهم الانطاكي الرسولي ؟ بلى ! فقد اوجبوا تدريس السريانية في جميع مكاتبهم ومعاهدهم وأديارهم ، ومنعوا منعاً باتاً قاطعاً تبديل طقسهم وعاداتهم .

هذا المجمع اللبناني الشهير ، الذي عُقد عام ١٧٣٦ في دير لويزة بلبنان ، فانه يكرّر مرات وجوب تعليم السريانية في المدارس . قال في الصفحة ٢٢[2] : «يجب على السيد البطريرك السامي الاحترام ان يعهد الى رجال اكفاء . . . ان يضعوا . . . كتاباً في قواعد اللغة السريانية . . . يعمّ استعماله في المدارس الابتدائية » . وامر المعلّمين (ص ٥٣٥) : « ان يرعوا النظام العامّ فيعلّموا الاحداث في المدارس اولاً القراءة والكتابة في السريانية . . . وقواعد النحو والصرف في السريانية » . وكتب

---

١) خزائن الكتب في دمشق وضواحيها للكاتب الاديب حبيب زيات . والمشرق (٥ [١٩٠٢] : ٩٧ ؛ و ١١ [١٩٠٨] : ٩٦١)

٢) تدلّ الارقام على صفحات الكتاب المطبوع في جونية عام ١٩٠٠ ، نقل السيد يوسف نجم الحميد الاثر .

العلامة البطريرك اسطفانس الدويهي الخالد الذكر في كتاب الشرطونيات (ص١٩٦) قائلاً : « فليتعلم الشمامسة الصغار القراءة السريانية ومطالع الالحان.. مجتهدين في ان ما يقرأونه على الشعب يفهمونه ». اما بشأن الطقس فقد قال آباء المجمع اللبناني (ص ٢٣) ما نصه : « يحظر هذا المجمع المقدس على الرؤساء... وغيرهم اياً كانوا ان يتساهلوا في مسّ الطقس بشيء من الزيادة او الحذف ... ».

وبمثل ذلك حتم آباء الطائفة السريانية في مجمع الشرفة (ص٤٣و٤٤و٢٣٧)[1] الذي عقدوه عام ١٨٨٨ ، موجبين انعاش اللغة السريانية وتعميم معرفتها بحيث لا تخلو مدرسة من مدارس الطائفة من ان تعلمها. وقس على ذلك مسئلة الطقس.

ليت اماني هولاء الآباء النبلاء تتمّ حقيقة . اذاً لانهضوا لغتهم الشريفة من كبوتها ، وأعادوا طقسهم الجليل الى سالف مجده ! ! !

بعد هذا التمهيد ناخذ في البحث عن طقوس الرتب الكهنوتية في كلتا الطائفتين مستندين في ذلك بادئ بدء الى مجموعة العلامة السيد يوسف لويس السمعاني ، التي نشرها في رومية عام١٧٤٩ ، والى شرطونيات السيد اسطفانس الدويهي ، والى اللمعة الوفية للسيد يوسف دريان . والى المجمعين اللبناني والشرفي ، مثبتين اصل تلك الرتب ، ملتمين بما تسرّب اليها مع كرور القرون من الحشو والاضافة.

طقوس الرتب الكهنوتية اجمالاً

يتولى الاسقف دون من سواه جميع الرتب الكهنوتية ، وتُسمى في السريانية ܣܕܪܐ ܡܢܗܪܐ=ترقية ، وܣܡܘܟܐ ܐܝܕܐ=وضع اليد ، وܫܘܬܦܘܬܐ= شرطونية . وكان الاساقفة قديماً يرخصون لرؤساء الديورة ان يرقوا القسوس الى مناصب برادطة وخوارنة وخوريفسقفوسيين. لكن آباء المجمع اللبناني (ص ٣٣٩) الغوا تلك العادة ، وأذنوا لرؤساء الاديار ان يلبسوا التاج ، ويباركوا المذابح ، وحياض المعمودية ويرسموا المرتلين والقارئين فقط . وكانت هذه

---

١) تدلّ الارقام على صفحات الكتاب المطبوع في دير الشرفة ، عام ١٩٢٢.

عادة رسامة رؤساء الاديار للمرتلين والقارئين جارية في الكنيسة السريانية ايضاً، فنسخها آباء مجمع الشرقة (ص ١٧٢).

ولتكميل الرسامات في البيعة السريانية الانطاكية شروط اخصها :

١ً ان يحتفل بها الحبر متوشحاً بحلته كلها اثناء القداس الالهي ، وفي الكنيسة. ولذا يقول: ܐܬܪܝܡ ܟܕܡܐ ܕܡܕܒܚܐ ܘܒܗܝܟܠܐ=ارتقي في بيعة الله المقدسة وينبغي ان يبدأ بالرسامة بعد الرفعة ، قبل تناوله القربان الاقدس.

٢ً يتحتم على المتأهب للرسامة ان يجثو على احدى ركبتيه او على كلتيهما معاً حسبما تتطلب الرتبة التي يُرقى اليها. ويُستثنى من ذلك عند السريان المزمر او المرتل. فانه يظلّ واقفاً.

٣ً يجب ان ينادى باسمه واسم مذبح الكنيسة الكبيرالذي يرتسم عليه.

٤ً ان يرفّ الحبر بيديه على الاسرار وعلى المرتسم ، ويشخص عينيه الى السماء عند تلاوته صورة الرسامة.

٥ً ان يضع يمينه على هامة المنتخَب في الرتب الكبيرة فقط ، ويتلو الصورة . ووضع اليد شرط ضروري لصحة الرسامة ، وهو متسلسل في الرتب الكهنوتية بسلسلة غير منفصمة. ويشير الى ذلك ابونا مار افرام ، صنّاجة الروح القدس ، بقوله : « ظهر العليّ على جبل سينا ووضع يده على موسى وموسى وضعها على هارون . وتسلسل هذا الوضع الى يوحنا المعمدان . ويوحنا وضع يده على المخلص في نهر الاردن . والمخلص وضع يده على رسله »[1] . وكذا شرّاح الاسرار طرّاً وفي جملتهم العلامة الدويهي في الشرطونيات (٢٢٢).

٦ً ان يحتفل بالدرجات الكبيرة يوم احد او عيد بطالة ، كل درجة بمفردها. اما الدرجات الصغيرة فيجوز ان تجري في اي يوم كان ، وبجملتها معاً.

٧ً ان يختم الحبر بيمينه بشكل صليب جبهة المنتخَب في الدرجات الصغيرة.

٨ً ان يرقّي المنتخَب درجة فدرجة.

٩ً ان يناوله الاسرار المقدسة ويحيّيه.

---

١) ܠܐ ܙܕܩ ܠܗ ܠܡܪܝܡ ܐܝܟ ܠܗ ܕܡܕܡ الخ. ܘܡܝܡܪ ܐܝܟ ܕܡܫܚܐ ܠܗ ܠܡܪܝܡ ܡܝܡܪ الخ . وكلا النصين محفوظان في الطقسين معاً.

١٠ ان يكتب في دفتر خاص اسم المنتخَب واسم ابيه ولقبه ووطنه وعمره ومكان مولده ، والبيعة التي يُرسم عليها ، وتاريخ رسامته سنة وشهراً ويوماً . وان يسجّل ذلك بالسريانية كما نصّ مجمع الشرفة (ص ١٦٠) هكذا بما تعريبه : « رقّى الروح القدس فلان بن فلان فلان من مدينة او قرية ... مرتلاً او قارئاً الخ. لكنيسة ... على مذبح ... في مكان ... بيد فلان الاسقف او المطران او البطريرك . في اليوم ... والشهر ... والسنة ... مسيحية . »

وقد ضبط السريان والموارنة الرتب الكهنوتية الاصلية او الاولية ، وجعلوها تسع رتب وفقاً لرتب الاجناد العلوية ، على هذه الصورة :

الملائكة	المزمّرون
رؤساء الملائكة	القارئون
الرئاسات	الرساليون
السلطنات	الشمامسة
القوّات	القسوس
السادات	المتوارنة
الكراسي	الاساقفة
السواريف	المطارنة والجاثالقة
الكواريب	البطاركة (١

قال المجمع اللبناني (ص ٢٨١) : « كل ما عددناه آنفاً من الرسامات او التبريكات ... نامر بحفظه التام بالتدقيق والاجتهاد على حدّ ما ألقاه الينا آباؤنا وعلى ما هو مرسوم في كتاب شرطونية كنيستنا الانطاكية بالسريانية ولا نسمح بان يُغفل شيء منه . »

ثم ان آباء الطائفتين قسموا الرتب الكهنوتية ثلاثة اقسام وهي : الشمّاسية ، والقسيسية ، والحبرية . فالشماسية تشتمل على الدياقونية ، والرسالية ، والقارئية ، والمرتلية . وتشتمل القسيسية على القسيسية ، والبرذيوطية ، والخورية ، والخوريفقفوسية . وتشتمل الحبرية ، او رئاسة الكهنوت ، على الاسقفية ،

١) الدويهي ٩٦ ، وشروح البطريرك يوحنا برّ وهبون (+ ١١٩٣) الخ .

والمطرانية ، والجاثليقية ، والبطريركية . وقد تفرّد السريان دون الموارنة برتبة الجاثليق بعد انفصالهم من الكنيسة الكاثوليكية، وهم يسمونه مفريانا[1]

ثم ان لكلّ من الدرجات رتبة خصوصية : وهي ١ً رتبة المرتّل . ٢ً رتبة القارئ . ٣ً رتبة الرسالي . وهي من الرتب الصغيرة لانها لا تشتمل على وضع اليد بل تُحسب ترقية . وكانت هذه الدرجات فيما سلف تُمنح منفصلة اي بعد فترات بين درجة ودرجة الّا ان يرى الحبر مزيد فائدة في الخلاف (المجمع اللبناني ٢٥٤) وعلى ذلك آباء مجمع الشرفة ايضاً كما نوّهنا.

٤ً رتبة الشماس. ٥ً رتبة القسيس. ٦ً رتبة الاسقف. وهذه الرتب الثلاث هي من الرتب الكبيرة المقدسة، لانها تحتوي على وضع اليد ولا تُمنح الا متقطعة وفي ايام الآحاد والاعياد كما قلنا.

اما رئاسة الشمامسة (الاوخذياقونية) والبرديوطية والخورية والخوريفسقفوسية (والمفريانية) والبطريركية فليست رسامات بل وظائف . ولذا لا تُمنح الا بطريقة التبريك المرسومة في كتاب الحبريات (المجمع اللبناني ٢٨١).

---

١) اطلب مقالتنا في المشرق (٢٢ [١٩٢٤] : ١٨٣) بعنوان « جثالقة المشرق ومفارنة السريان » .

(للبحث صلة)

انتخاب بطريرك مارونى

في القرن التاسع عشر

وتدخل قنصل فرنسة في ذلك

بقلم الشيخ سليم الدحداح

١

عطفاً على مقال سبق نشره في مشرق شباط المنصرم ، نقول ان المسيو اوجين بوجاد انتظم في سلك مأموريات الوزارة الخارجية الافرنسية ، وتولى بضع سنوات اعمال القنصلية الفرنسوية العامة في بيروت ، وذلك بعد خروج الجيوش المصرية من لبنان وسورية وعودة بلادنا تحت الحكم العثماني.

ولا يجهل احد كم كان عظيماً ونافعاً للمصلحة العثمانية قيام اللبنانيين ضد اميرهم ، الامير بشير الشهابي الكبير ، وحلفائه المصريين . وقد كانت ثورتهم بايعاز وتنشيط البطريرك يوسف حبيش ، فسهلت نزول الجيوش العثمانية في جونية ، وساعدت عمل الاسطول الانكليزي . فكانت مكافأة اللبنانيين من قِبَل تركية وانكلترة ان اتحد رجال هاتين الدولتين على خرابهم والغاء استقلالهم والعمل على ايقاع الشرر بهم : اما تركية فكانت تتعمد الغاء استقلال هذا الجبل وامتيازات امرائه ومشايخه ووضعه ، مثل الاراضي المجاورة له ، تحت حكمها المباشر . وكانت انكلترة تساعدها على ذلك نكاية بالموارنة الذين رفضوا قبول حمايتها التي عرضتها عليهم . وفي ذاك الوقت ، اي من سنة ١٨٤٠ يوم خروج المصريين من سورية حتى بداية حرب القريم سنة ١٨٥٣ ، كانت تركية مستسلمة تمام الاستسلام لارادة انكلترة خاصة في ما يتعلق بشؤون سورية . حتى ان انكلترة كانت عينت في بيروت مأموراً سياسياً وخولته

سلطة اكبر من سلطة القنصل العام ليشرف على اعمال السياسة في سورية[1] . ومتى عرف القارئ الكريم ان ممثلي النمسة كانوا — بحسب تعليمات البرنس دي مترنيخ — يوافقون على ما يريده قناصل انكلترة وان ممثلي بروسية لم يكونوا يكترثون لما يجري في سورية فضلاً عن ان دولتهم لم يكن لها شأن في السياسة الكونية ، تبيّن له عظم نفوذ قناصل انكلترة ؛ اذ لم يبقَ امامهم سوى قناصل روسية ، وقناصل فرنسة . فهؤلاء لم يكونوا منقادين لقناصل انكلترة ، انما عدم اتفاقهم بعضهم مع البعض جعل البريطانيين اقوى منهم واكثر نفوذاً .

فالقناصل الروس ما كانوا ليهتموا كثيراً بالموارنة ومصالحهم حتى يعضدوا دائماً قناصل فرنسة ، انما كان ميلهم الغريزي يبعدهم عن الانكليز فيقتربون احياناً كثيرة من سياسة القناصل الفرنسويين . وفي غالب الاحيان كانوا يقفون موقف الحياد بين الفريقين ويقترحون اقتراحات من شأنها التوفيق بين نظريتيهم المتعاكستين . وعليه كان قناصل فرنسة وحدهم ينفردون بالمدافعة اشدّ الدفاع عن قضية الموارنة ، وعن حقوق جميع المرسلين الكاثوليك من اي تابعية كانوا . ومعلوم ان الولاة العثمانيين كانوا مشهورين بالخداع والمراوغة ، ويشددهم قناصل الانكليز في خطتهم . ولما كانوا لا يخافون الا القوة ، كانوا يزدادون تمسكاً بخطتهم عند مشاهدتهم الاساطيل الانكليزية تملأ البحار . فترى من هنا كم كان صعباً وحرجاً مركز القناصل الفرنسويين ولاسيما في تلك المدة التي كانت ترتكز فيها سياسة الملك لويس فيليب على الاتفاق الودّي مع انكلترة ، وتجنب المشاكل الدولية ، حتى ولو كان في ذلك الحطّ من نفوذ فرنسة .

لكنّ الرجل الذي تربى على عزة النفس ، والوطني الحريص على شرف

---

١) هذا المشد هو هنري روز . كان ضابطاً في الجيش الانكليزي البري ، ويُعرف في تاريخ سورية باسم الكولونيل روز . وقد اشتهر بعد ذلك في حرب القرم . ثم قمع ثورة الهند العظيمة في سنة ١٨٥٧ ، وتولى في سنة ١٨٦٠ قيادة الجيوش الانكليزية العامة في الهند . وفي سنة ١٨٦٦ ، دخل مجلس النبلاء باسم « البارون سراتنارن » . وتولى قيادة الجيش العامة في ارلندة حيث قمع ثورة « الفنيان » في سنتي ١٨٦٦ و١٨٦٧ . واخيراً توفي في باريس عن ٨٤ عاماً في سنة ١٨٨٥ ، بعد ان حصل على رتبة فلد مارشال .

علمه وبلاده ، يبقى جسوراً ولا يمكنه تغيير عاداته مهما ضغطت سياسة رؤسائه. وقد اشتهر پوجاد مدة وكالته بالجسارة والشهامة مع المرونة والسياسة. ويكفيك ان تعلم انه ، مع وجود شكيب افندي ، وزير خارجية تركية ، مندوباً سامياً في لبنان وسورية ، وعند مراوغة والي ايالة صيدا وسرعسكر الجيوش العثمانية ، ارسل پوجاد ، بامره الخاص ، قطعة حربية افرنسية الى مياه جونية فانزلت عدداً من بحارتها الى البر ، واستخلصت ترجمانه خليل المدور من ايدي العساكر الاتراك بعد ان ولوا الادبار مع قائدهم ابرهيم باشا[1]. وقد امتدحه الكونت دي مونتالمبر في ندوة النبلاء وطلب من رئيس الوزارة الا يكون هذا المديح الصادر من فم رؤساء المعارضة سبباً لغيظ الحكومة منه. فأكد له رئيس الوزارة انهم مدحوه على هذا العمل الذي فيه حفظ كرامة فرنسة ، وسيكافؤونه بعد ذلك.

* * *

في مدة وجود هذا الرجل في بيروت ، حدثت ازمة بطريركية مارونية ، وحكمت الظروف بتدخله . وقد كان لهذا التدخل نتيجة حسنة جداً . وهو موضوع كلامنا الآن.

ان هذا الرجل ، اي القنصل پوجاد ، وضع في سنة ١٨٦٠ تأليفاً دعاه « لبنان وسورية بين سنة ١٨٤٥ وسنة ١٨٦٠ » ، قسمه الى ثلاثة اقسام. عنوان القسم الاول « مأموريتي في سورية » ، وعنوان القسم الثاني « انتخاب بطريرك ماروني » ، واما القسم الثالث فداره على «سياحة في بادية سورية وداخليتها.» ويهمنا الآن من هذه الاقسام الثلاثة القسم الثاني، وهو انتخاب بطريرك ماروني.

قال المؤلف : « انه منذ الغاء الامارة اللبنانية بسقوط الامير بشير الكبير وانقسام الحكم بين قائمقامي مقام ، احدهما ماروني ، والآخر درزي ، اصبح البطريرك الماروني صاحب اعظم مركز في لبنان . وفيه تتمثل الملة

---

١) كانت تدعى القطعة الحربية المذكورة لايل پول La Belle-Poule ، وهي التي كانت استحضرت جثة نابوليون الاول من جزيرة القديسة هيلانة.

المارونية ديناً وسياسةً :

ثم قال في محل آخر : « لقد مثل البطريرك يوسف حبيش دوراً عظيماً في تاريخ وطنه . لكن هذا الدور لم يكن دائماً مبنياً على معرفة مصالح طائفته الحقيقية. فقد قاده حبه المتطرّف للاستقلال ، مع شفقته على آلام رعيته ، الى الثورة في سنة ١٨٤٠ على السلطة المصرية ، ومساعدة الحملة الانكليزية العثمانية. لكنه سرعان ما تبيّن له سوء عاقبة عمله . وكثيراً ما يحدث ان النفوس السريعة الاندفاع توقعها في الشرّ والخطأ رغبتُها في حبّ الخير ؛ ومتى ظهر لها غلطها ، فان الندامة تتخذ لديها شكل المجازاة الصارمة التي توجبها على نفسها. وعلى هذا النهج فان البطريرك يوسف حبيش لم يتسامح قط مع ذاته فاستمرّ في يأس عظيم منذ ثبت له انه لم يُدرك مصالح طائفته الحقيقية . »

وكلّ يعلم ان هذا البطريرك ، وهو مؤسس عظمة الكرسي البطريركي ، قد توفي في عنفوان امره حين بلغه سوء مصير حوادث الجنوب ، في ٢٣ ايار سنة ١٨٤٥ ، ولم يكن تجاوز الثامنة والخمسين من عمره ، بعد ان ادار شؤون الطائفة مدة ٢٢ سنة وكانت وفاته في قنوبين ودُفن هناك.

ثم اضاف المؤلف بعد عدة صفحات ، قائلاً : « لما توفي البطريرك يوسف حبيش ، كان المطارنة الموارنة متوزّعين في انحاء لبنان ، ومختلفين رأياً في ما يتعلق في محل انعقاد مجمعهم الانتخابي . فقد كان منهم في دير قنوبين ثلاثة وهم النائب الروحي[1] ، والنائب الزمني ، واسقف طرابلس[2] . ومن رأيهم وجوب عقد المجمع واجراء الانتخاب هناك وفقاً لاحكام المجمع اللبناني . ولاسيما وقد اجتمع مشايخ واعيان الجهات الشمالية ، ملحّين باجراء الانتخاب هناك ، مصرّين على منعهم عن مبارحة قنوبين ، ومعلنين بعدم اعترافهم باي انتخاب يحدث خارجاً عن قنوبين . فخاف هولاء الثلاثة على محتويات الكرسي من النهب ، اذا هم بارحوه.

١) النائب الروحي هو المطران بولس مسعد الذي سيم اسقفاً سنة ١٨٤١

٢) النائب الزمني هو المطران سمعان زوين. اما مطران طرابلس فكان يدعى بولس كساب ، سامه البطريرك يوسف حبيش اسقفاً على طرابلس خلافاً له ، منذ سنة ١٨٢٦ .

«وكان موجوداً في كسروان كلٌّ من السيد يوسف الخازن مطران الزوق[١]، وابن عمه مطران دمشق انطون الخازن[٢]، والسيد فيلبوس حبيش، شقيق البطريرك المتوفى، ومطران جزين[٣]. وكانوا يرغبون اجراء الانتخاب في دير بكركي نظراً لمشقة السفر الى قنوبين، وبسبب الظروف السياسية الحاضرة. وكان مطران صيدا يماثلهم في رغبتهم هذه[٤].

«اما مطران عكا شرفاً الذي كان قائماً بوكالة ابرشية بيروت[٥]، ومطران قبرس[٦]، فانهما كانا في الظاهر يقولان باستعدادهما لاتباع رأي الاكثرية. الا انهما، في باطن الامر، كانا يرغبان اجراء الانتخاب في كرسي قنوبين

«وكان رئيس اساقفة اللاذقية شرفاً موجوداً في رومية[٧].

«ولما طال امد الخلاف واستفحل الامر، خشي القاصد الرسولي سوء النتيجة. ولما كان يعرف شخصياً قنصل فرنسة العام في بيروت (اي مؤلف الكتاب) منذ وجودهما معاً ردحاً من الزمان في اللاذقية، فقد حرّر له يدعوه لزيارته في مركز القصادة في الزوق للمداولة في ما يجب عمله، حسماً لهذا النزاع بين

---

١) الصواب انه مطران دمشق، وكان يقيم في زوق مكايل لانه كان في الوقت ذاته رئيساً لدير البشارة فيها.

٢) الصواب: مطران بعلبك. والمطران انطون هذا كان قد سيم اسقفاً منذ سنة ١٨٠٥، واستلم ابرشية بعلبك منذ سنة ١٨٠٨، وكان شيخ الاساقفة سناً وسيامة.

٣) يريد به رئيس مدرسة عين ورقة، المطران يوسف رزق من جزين، ورئيس اساقفة قورش شرفاً.

٤) مطران صيدا كان حينئذٍ المطران عبدالله البستاني، سيم اسقفاً منذ سنة ١٨١٩، فكان ثالث الاساقفة سيامة.

٥) هو المطران طوبيا عون. وكان سيم اسقفاً من يد البطريرك المتوفى في سنة ١٨٤١، في وقت واحد هو والسيد بولس مسعد، والسيد فيلبوس حبيش.

٦) هو المطران يوسف جعجع أصغر الاساقفة حينئذٍ سناً وسيامة، لانه ولد سنة ١٨٠٨، وسيم اسقفاً سنة ١٨٤٤.

٧) هو المطران نقولا مراد من عرامون كسروان. سامه رئيس مجمع نشر الايمان في رومية اسقفاً سنة ١٨٤٣. وقد نسي المؤلف ان يذكر بين الاساقفة اسم مطران حلب، وقد كان يدعى المطران بولس اروتين، من حلب. كان قد سيم اسقفاً منذ سنة ١٨٢٩.

الاساقفة الموارنة . والقاصد الرسولي كان اسقفاً اسباني الاصل يدعى السيد ڤيلارديل، وكان عنوان اللطف والدعة ، رخيم الصوت ، شديد التقوى والغيرة .»

فلبّى القنصل پوجاد دعوة القاصد الرسولي ، وامتطى جواده يرافقه قوّاصه وخادمه . وكان جميعهم مسلّحين وجاؤوا قرية زوق مكايل ، فوصلوا دار القصادة الرسولية ، في المحل المعروف فيها باسم التراب ، عند الغروب . فأثر في القنصل ما سمعه من قرع اجراس كنائس اديار الزوق والقرى المجاورة التي كانت اصداء الوديان تردد نغماتها . وذلك ايذاناً بصلوة التبشير عند غروب الشمس . خصوصاً وقد كان مضى عليه سنوات عديدة ، وهو محروم من سماع مثلها ، لوجوده في مدن اسلامية يمتنع على النصارى استعمال الجرس فيها .

فاستقبله القاصد بكل حفاوة . وكان عنده رئيس رسالة سورية لليسوعيين، الاب مبارك پلانشه الشهير . فقضى السهرة مع نيافة القاصد ، والرئيس اليسوعي، يتبادلون الحديث في مسألة انتخاب البطريرك، وقد تبيّن لهم ما يقوله هنا بالحرف الواحد :

« كان الرأي العام في الطائفة المارونية مجمعاً على مرشحين اثنين يعتبرهما اكثر اهلية من سواهما من الاساقفة لتسنّم المنصب البطريركي ، بعد السيد الذكر البطريرك يوسف حبيش . وهما المطران بولس اسقف طرسوس شرفاً ، الذي كان نائبه الروحي ، والسيد يوسف الخازن . ينتمي الاول الى عائلة من الفلاحين في جبل كسروان . كان قد أرسل الى رومية ، وتلقى بعض الدروس في مدرسة مجمع نشر الايمان ، ثم عاد فانهاها في مدارس الجبل . وقد كان له نفوذ عظيم جداً على البطريرك المتوفى ، وكان له حزب كثير العدد خاصة في جهات شمالي لبنان التي كان يقيم فيها البطريرك المشار اليه . اما الآخر ، اي السيد يوسف الخازن ، فهو من عائلة تُعدّ من اشهر الاسر اللبنانية . فنظراً لثروته ، ولكثرة عدد اعضاء عائلته ، ولقوة حزبه ، ونفوذ ذويه ، ووجوده على رأس ابرشية مرغوب فيها ، كان اقرب الى النجاح من مزاحمه . الا ان سكان طرابلس وجبة بشري كانوا شديدي العداوة له ، لخوفهم من هجره قنوبين اذا توّلى للبطريركية .»

وعند الصباح حضر القاصد والقنصل القداس الالهي الـذي اقامه المرسل اليسوعي في معبد القصادة . وبعد ان تناولوا الطعام ، حضر لزيارة القاصد كل من السادة يوسف الخازن ، وفيلبوس حبيش ، واسقف جزين ، واسقف صيدا . فقدمهم نيافته الى حضرة القنصل . ثم اخذوا يتبادلون الحديث ، ويبدي كل منهم رأيه . فاثبت لهم السيد يوسف الخازن بان المجمع اللبناني لا يوجب حتماً اجراء الانتخاب في كرسي قنوبين . واخـذوا يتباحثون في امر التوفيق بين مطاليب فريقي الاساقفـة . وكان القاصد والمرسل اليسوعي يجيدان التكلم بالعربية ويتذاكران معهم بكل سهولة . اما القنصل فكان يفهم حديثهم ، ولكنه لم يكن يتكلم العربية . فكانا يقومان بالترجمة بينه وبين الاساقفة. «وكان المرسل اليسوعي مرتدياً ملابس كهنة الموارنة ، وعلى رأسه عمة سوداء مثلهم» (يقصد بذلك ما تدعوه طابية).

اخيراً اقترح القنصل عقد المجمع الانتخابي في دير ميفوق خاصة الرهبـانية البلدية ، لوجوده في نقطة متوسطة المسافة بين بكركي وقنوبين . وتعهـد للسادة الحاضرين بانهم اذا وافقوه وذهبوا مع الاب پلانشه الى دير ميفوق ، فانه يذهب الى كرسي قنوبين ، ويرسل لهم الاساقفة الثلاثة الموجودين هناك. فقبل جميع السادة الزائرين هذا الاقتراح ، وشكروه على غيرته.

فنهض بعد قليل ، وودّعهم عائداً مع افراد حاشيته الى بيروت ، بعد ان وعدهم بالرجوع الى زوق مكايل لزيارة السيد يوسف الخازن في دير البشارة ، في اول يوم من شهر آب سنة ١٨٤٥.

وفي الوقت المعين عاد القنصل پوجاد الى الزوق ومعه ترجمانه ، وقوّاصان ، وطاهٍ ، وعدد من المكارين . وبعد ان استراحوا يوماً عنـد المطران يوسف الخـازن ، في دير البشارة ، سافر القنصل وحاشيته ، ومعهم السادة البستاني ، وعون ، وجعجع ، ورزق ، وانطون الخـازن ، والاب پـلانشه اليسوعي ، قاصدين قرية عمشيت . فوصلوهـا مساء وحلوا ضيوفاً مكرّمين على المرحوم مخايل طوبيا زخيا الشهير ، فاحسن ملتقاهم وضيـافتهم . وفي الصباح نهض السادة الاساقفة الخمسة والاب اليسوعي ، فامتطوا خيولهم وذهبوا صعوداً في

طريق دير ميفوق . وبعد ذهابهم ، نهض القنصل وحاشيته فامتطوا بدورهم خيولهم وتوجهوا في طريق الساحل نحو مدينة طرابلس .

اما السيدان يوسف الخازن ، وفيلبوس حبيش ، فقد غادرا الزوق بعد الاولين بيوم متوجهين رأساً الى دير ميفوق ، بدون ان يعرجا على عشيت .

وهاك ما وصف به القنصل ثلاثة من الاساقفة الخمسة الذين رافقوه الى عشيت فيقول عن المطران عبدالله البستاني : « انه شيخ قصير القامة لكنه لم يزل في همة الشباب . وهو كثير النشاط ، ومحب المزاح . فما تحت هذه الظواهر ، كان يختبئ طبع حديدي سخر بالمخاطر العديدة ولم يحفل بها . »

وعن المطران يوسف جعجع : « لا يختلف ظاهره عن ظاهر فلاح بسيط . فكان لاول وهلة يظهر لك كانه ساذج ، الا انه بعد قليل من التأمل كان يسحرك بلطفه وبما تراه من مخايل الذكاء على كامل هيئته . »

وعن المطران طوبيا عون : « عيناه صغيرتان لكنهما ممتلئتان لطفاً وذكاء وصدقاً . انه من اعظم الرجال الذين قابلتهم في الشرق : لا يتكلم الا اللغة العربية ولكن عقله السامي جعله يُدرك النبوغ الاوروبي ... وانني قليلاً ما رأيت مجتمعاً في شخص واحد ، وبدرجة واحدة ، ما وجدته فيه من البساطة واللطف والثبات والتعقل وعزة النفس والتواضع المسيحي ! ... »

(لها بقية)

لماذا افتتح العرب سورية

بقلم الاب لامنس اليسوعي

في الرابع عشر من شهر ايلول سنة ٦٢٩، حمل الامبراطور هرقل الى اورشليم ، باحتفال لا مزيد عليه ، ذخيرة الصليب المقدس التي كان قد استعادها من الفرس . فكان ذاك اليوم يوم مجد باهر وظفر عظيم للنصرانية جمعاء . ولا يزال المسيحيون حتى الآن يعيدون ذكراه بالاحتفالات التي يقومون بها في عيد ارتفاع الصليب ، وبالنيران التي يضرمها اللبنانيون كل سنة بامانة مؤثرة فتندلع السنتها على قمم جبالهم المتنابهة.

وكانت افراح العيد لم تنته بعد ، عندما وصل الخبر الى هرقل ان رجال الغلائع من فرسان البيزنطيين ردّوا هجمات بضعة آلاف من شُذّاذ البدو فارجعوهم الى الوراء في محلّة مُوتة ، على مدخل البادية السورية ، الى الزاوية الجنوبية الشرقية من البحر الميت ، قرب المكان الذي تقوم فيه اليوم بلدة الكرك (شرقي الاردن).

كانت تلك الشراذم قد اتت من المدينة التي كان قد هاجر اليها محمد ، منذ سبع سنوات (٦٢٢) فاخذ يعمل فيها على جمع القبائل العربية تحت راية الاسلام . على ان تلك الحملة المضطربة العديمة التنظيم لم تأتِ بنتيجة . وكأن محمداً سبق وادرك عقم عاقبتها ، فامتنع عن مرافقة رجالها ، هو وابو بكر وعمر وكبار الصحابة.

وبعد ان مضى سنتان على فشل العرب في مُوتة ، اراد النبي ان يقود بنفسه الثلاثين الف عربي الذين جمعهم اذ ذاك . فسار بهم حتى موقع تبوك . فوقف

لا يجسر على التقدّم ولا على المخاطرة بتخطّي الحدود السورية . ولم يلبث ان رجع ادراجه مع رجالـه ، ولمّا يستلوا سيوفهم من اغمادها . هما تجربتان عقيمتان شاء بعض المستشرقين ان يستقاوهما فيستنتجوا ان محمّداً فكّر طويلاً ، او على الاقل ، اراد ان يباشر فتح الشام اما الحقيقة فتختلف عن ذلك كما سنرى .

قد يذكر المطالع الكريم اسم الروائي الفرنسوي هنري دي بورنيه ، مؤلف رواية وطنية كثيراً ما مُثلت ، وهي « ابنة رولان » . فان للمؤلّف نفسه رواية تمثيلية شعرية اخرى دعاها باسم « محمّد » ، وقدّمها سنة ١٨٨٨ للمسرح الفرنسوي «Théâtre Français» فقبلتها لجنة التمثيل في المسرح المذكور في ١٨ حزيران من تلك السنة . على انها لم تمثّل قطّ ، لأن المراقبة الفرنسوية منعتها ، لما كان من تدخّل السلطان عبد الحميد نفسه . وعلى اثر ذلك ارسل السلطان الى باريس (على قول مصدر شبه رسمي في جريدة الطان : ١ نيسان ١٨٩٠) « معبّراً عن وداده الفائق للرئيس كارنو ، ولحكومته ، ولفرنسة » .

في الفصل الثالث من هذه الرواية ، يفرض هنري دي بورنيه ان العساكر البيزنطية مشت على المدينة . فيبلغ الخبر محمّداً ، فيهيج اذ يرى جزع رجاله ، ويقرّعهم قائلاً :

الروم على مقربة منا ؟ لقد كنت اظنّهم ابعد من ان نصل اليهم . . .
ان سائر اعدائنا من فرس ومصريين ،
قرّرت ما سيؤول اليه مصيرهم في خططي السابقة :
انني ارى ، تحت السماء ، افضل من المدينة ، وافضل من مكة ،
انني ارى شبه الجزيرة الايطالية وشبه جزيرة اليونان .
ارى آسية تُفتح على اثر بضع معارك ،
والقسطنطينية ، هناك ، مفتاح اوربة ،
ثم اسبانية التي يحجبها اوقيانوس مزدوج ،
ثم اعماق اوربة القاتمة !
الى هناك يجب الذهاب ، والى هناك سنذهب ،
فنضرب بمراكبنا الشامخة تلك البحار الباردة ،
ونفتح ذاك العالم الفسيح امام خيولنا المعوّدة الحروب .

هذا هل الاسلام ، وهذا ما سأباشره بنفسي.(١

يرى المطالع ان الروائي قد وسّع ، على غير قياس، ميدان بطله في التاريخ والجغرافية . على اننا لا نشاحن شاعراً في شعره ما دام بعض المستشرقين ، من الذين يأخذ الناس بقولهم ، جروا على الطريقة نفسها فنسبوا الى محمد ما نسبه اليه دي بورنيه ، على الاقلّ في ما خصّ سورية . وهو خطأ يتحققه من يمعن النظر في مقالنا فان الافق السياسي الذي رمى اليه صاحب القرآن لم يتجاوز قطّ حدود جزيرة العرب . يوافقنا على ذلك العالِم الاسلامي المعروف، الاستاذ سنوك هورغروني ، عضو المجمع العلمي الدمشقي . فانه القى ، في هذا الموضوع ، محاضرةً هولندية ظهرت ترجمتها الفرنسوية في مجلة العالم الاسلامي في باريس بعنوان « الاسلام ومشكلة الشعوب »(٢ . وها اننا نذكر ما جاء فيها ماسًّا موضوعنا الحالي ، قال : « لقد اظهر محمد دعوته كرسول مبعوث من الله ، لا للبشرية جمعاء ، بل للعرب وحدهم ... وان الفتوحات التي نكاد نراها عجيبة كانت ، في القسم الكبير منها ، نتيجة تلك الصدمة القوية التي اثّرها محمد في قوى الاعراب المجتمعين تحت لوائه . ولكنها نتيجة لم يكن هو نفسه ليتوقّعها ، ولم تكن لتصدر عن تنفيذ خطّة قد سبق فقرّرها.» وهو قول يعبّر ، كما يرى المطالع ، عن النظرية نفسها التي عرضناها وبرهنا عليها غير مرة.

* * *

اما تلك الخطّة ، ان كان هناك من خطة في الفتوحات الاسلامية ، فلا تظهر في مجالس شورى الخلفاء الّا عدة سنين بعد وفاة محمد . واما فتح سورية فقد بدأ وتتابع واتّسع عن غير توقّع من الفاتحين ، بل نكاد نقول عن غير قصدٍ منهم . فلم يفيقوا من نشوتهم الّا وهم اصحاب البلاد التي شاؤوا اوّلاً ان يغزوها فينهبوها . ثم يعودون الى مقرّهم دون ان يفكّروا بالاقامة فيها

(١ Henri de Bornier, *Mahomet*. Acte III, sc. 5

(٢ Snoucke Hurgronje, *L'Islam et le problème des races*. [Revue du monde musulman. vol. 50, 1922, p. 1-27]

تبوك : مضارب بدوية

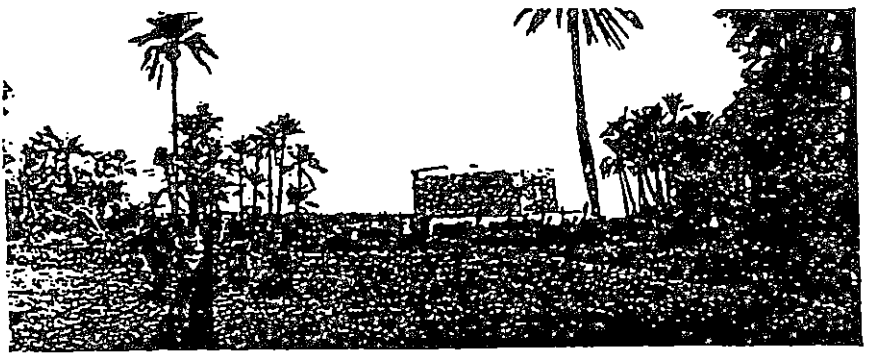

تبوك : منظر بئر

تبوك : منظر نخيل

وبسط سلطتهم عليها. ولا يعني هذا أنهم لم يهتموا بالأمر ، ولم يستفيدوا من استيلائهم على سورية ...

هذا ولا شكّ ان التاريخ العربي التقليدي ابعد من ان يقبل هذه النظرية ، وابعد من ان يُقرّ بوجوب هذا التحفظ في احكامه المتداولة. فهو يتبسط في الكلام على مجلس حرب ترأسه ابو بكر في المدينة فبحث في وجوب اقرار خطّة للفتوحات وتوزيع مهامّ تنفيذ هذه الخطّة ، الى غير ذلك من الاساطير التي يظهر فسادها لمن تعمّق في درس مقدّمات فتح الشام ، فظهر له مرجّحاً ان البدو المكتسحين ساروا الى مناطق سورية وفلسطين دون ان يستشيروا الخليفة الاول . وهو برهان جديد على ان محمّداً لم يفكّر قطّ بوضع خطّة لهذا الأمر ، ولم يترك لخلفائه اقل وصية في الموضوع.

يُخطئ اكثر مؤلفينا في شرح هذا الحادث التاريخي اولاً لأنهم يأخذون دون تمحيص بروايات مشكوك فيها ، وثانياً وخصوصاً لأنهم لا ينتبهون الانتباه الكافي لدرس نفسية العرب . فالعربي الحقيقي ، اي البدوي ، صاحب المضرب ورفيق الجمل ، ابعد الناس عقلية واستعداداً عن المكتسح الفاتح . قال اسطرابون ان البدو من « اضعف المقاتلة ولكنهم من امهر التجّار.»

ثم ان درس الحياة الجاهلية يدلّنا على ان البدو لم يعرفوا من الحرب الّا مظهرها القديم ، اي الغزو بما يجرّه من سلب ونهب وهرب وقد تقدّم لنا الكلام[1] على صفة تلك الغزوات البدوية التي تبعد البعد كلّه عمّا نعرفه للحروب والمعارك من مظاهر وشروط . فالغزوة غارة شعواء مضطربة ، تثير كثيراً من الضجة ومن الغبار ، ومن دخان البارود ايضاً في العصور المتأخرة . ولكنها قلّما تسيل الدماء . بل ان من شروطها ان يتوصل الغازون الى سلب ما يريدون دون ان يقتلوا احداً . فيسوقون القطعان ولا غاية لهم الّا الهرب قبل ان يلحق بهم اصحاب المال. يقومون في ذلك بكل ما أوتوه من اساليب الاحتيال والمفاجأة والبيات ورعب العدوّ ، ليس غير . اما اذا تجاوزت تلك

---

١) راجع مقالنا السابق في « نفسية البدو قبل الاسلام » المشرق (٣٠[١٩٣٢]١٠١)

الحركات الى اهراق الدمـاء فلا يكون ذلك عن قصد او تعمّد ، بل عن صدفة يأسف لها الغزاة انفسهم ، اذ يكونون قد اجابوا بوادر الغضب والحدّة فخرجوا موقّتاً عن عادتهم المعروفة متحوّلين من نهبة محتالين الى محاربين حقيقيين. هذا ما يقوم به العرب من الغزوات. واننا نتأكد ذلك اذا انتبهنا لما كان يوصي به محمد نفسه رجاله ، قبل سيرهم الى المواقع، وهو لا يكاد يختلف في شيء عما اوصى به ايضاً قبيل وفاته . وملخّصه : « سيروا بكل تحفظ حتى لا تثيروا الشبهات . اختبئوا في النهار ، وتقدّموا في الليل ، وبيّتوا العدوّ عند السحر . تقدموا بالغزوة ثم ارجعوا بالسرعة ذاتها . »

هذا ولا عجب ان تكون سورية اثارت مطامع اهل الحجاز « بلد الجدب والفقر والضيق »[1]، فاتجهوا اليها بابصارهم الطامحة ، ورغبوا في خيراتها التي تنقلهم الى الرخاء ، فضلاً عن سدّ الجوع وتسهيل المعيشة. كيف لا ، وهي كما يسميها انتهم ، بلاد « الخمر والخمير ، والامر والتأمير ، والديباج والحرير. »[2] بل هي خير البلاد في نظرهم. كما يُستنتج من حديث قديم يرفعه بعضهم الى محمد نفسه فيقول « قُسم الخير عشرة اعشار: فجعل تسعة اعشار في الشام ، وعشر في سائر الارض. وقسم الشرّ عشرة اعشار : فجعل عشر بالشام وتسعة اعشار في سائر الارض. »[3]

وعلى هذا المنوال كانت معيشة سلفاء البدو منذ القديم . فان الاخبار المدوّنة في التوراة وما اليها من اسفار العهد القديم تدلّنا على ان العمالقة والمديَنيين كانوا يتهافتون على سهول فلسطين المزروعة ، زمن الحصاد ، تهافت الجراد وعندما كان البدوي يفشل في الغزو ، كان يلوذ بالفرار مسرعاً الى صحرائه حيث لم يكن احد ليتمكن من اللحاق به . وهذا ما دفع كتبة اللاتين الى القول « ان بلاد العرب تعيش من النهب ». مما يدل على ان الغزوات كانت قد اصبحت حالة الشعب الطبيعية ومرفق المعيشة الاعتيادي . حتى ان

١) الاغاني ١٤ : ١٥٦
٢) الاغاني ١٩ : ٩٥
٣) ياقوت ٣ : ٢٤٠

حاتم طيّ ، اكمل مثال للجود والكرم عند الجاهليين ، كان ، اذا تكاثر عليه الاضياف وعجز عن قراهم ، صرفهم الى « ما بعد الغزوة المقبلة.»

هكذا كانت حالة العرب عندما اتى الاسلام فاعلن ان جميع المؤمنين اخوان مجتهداً في اقرار السلام بين القبائل المختلفة . فكان من نتيجة ذلك ان الغزوات ، وان لم تنتفِ تماماً ، اصبحت اضيق نطاقاً من ذي قبل ، واقلّ من ان تقوم بحاجات العرب الذين كانوا قد تعوّدوها طريقةً سهلة لكسب المعاش . فكان محمد بنسخه الغزو بين المؤمنين ، واقراره السلام الاسلامي في انحاء الجزيرة ، حمل البدو ، من غير ان يقصد ، على الطموح الى ما جاورهم من البلاد آملين بان يغزوها يوماً ما وينهبوا منها ما كان يحرّم عليهم نهبه في بلاد المؤمنين .

وبهذا المعنى وحده يمكن القول ان محمّداً اعدّ العرب لفتح الشام.

* * *

وقد جرّب بعض المستشرقين ان يشرحوا الفتوحات العربية على غير ما قدّمنا، فلجأوا الى فكرة الشعبية وعقلية العنصر ، وزعموا ان بدو الحجاز أتوا سورية كي يحرّروا قسماً من وطنهم كان يئنّ « تحت نير الاجنبي » (دي غويه).ولا يخفى ما في هذا الشرح من الخطأ والوهم ، لاننا ننسب به مجاناً الى بدو الجاهلية نظريّات عصرنا المترعزعة في العناصر البشرية ومعلوماتنا المضطربة عن عقليات الشعوب وقومياتها ، ولم يكن اذ ذاك شيء من ذلك . فان مدلولات الوطن والشعب والقومية وما اليها من المجرّدات لم تكن لتفقهها عقلية الاسماعيليين المادّية ، ولم يكن ليهتمّ بها اولئك البدو ، وهم اقرب الامم الى العمليّات ، واعلقهم بالفرديّة . هذا ما جرّ الى الخطأ المستشرق دي غويه (de Gœje) الذي كان لغوياً اقدر منه مؤرّخاً. يتّضح ذلك لمن يقابل بين رسالته « في فتح سورية » ومنشورات كايتاني (Caetani)

وفي هذا الموضوع ، كما في غيره مما يتعلّق بالعرب والاسلام ، علينا ، قبل كل شيء ، ان نفتح القرآن فنطلع على ما كان يراه عرب الربع الاول من القرن السابع في ما خصّ فكرة « العنصر » او « الشعب » .

يؤكد القرآن وحدة النوع البشري، ولا تأثير عنده ، في الموضوع، لحادثة برج بابل. فهو ، وان ذكر «اختلاف الالسنة والالوان» فانما يذكره «آية» اي اعجوبة من اعاجيب الله الذي يحبّ التنوّع في الوحدة. فيقول: «ومن آياته خلقُ السموات والارض واختلافُ السنتكم والوانكم ان في ذلك لآيات للعالمين» (٣٠: ٢١) ثم هناك نصّ آخر يوفق بين تلك الوحدة الاصلية الاساسية وهذا التنوّع العرضي ، فيقول : «يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا. ان اكرمكم عند الله اتقاكم. ان الله عليم خبير» (٤٩: ١٣). ولم تكن هذه العقيدة القرآنية لتحول ، بعد اتساع الفتوحات ، دون ظهور روح عربية مسيطرة بنت سياستها على عكس ما جاء في هذه الآيات. فاخرجت العقلية البدوية من جمودها وانفرادها القديم ودفعت بها الى قومية عربية لم تكن لتعرفها زمن الجاهلية. فكانت هذه القومية نتيجة اتساع الفتوحات وتسلّط العرب لا سبباً للفتح كما يزعم بعض المؤلفين. وكان من تأثير هذه القومية المتطرّفة ان اثارت احتجاجات الشعوبيين، وهم متنوّرو المسلمين من غير العرب، فقاموا يجاهدون ويطالبون مدة طويلة حتى حصلوا على المساواة بينهم وبين الجهّال من البدو . فكان من نتائج تلك القومية العربية العمياء ان جعلت ، حتى بين المسلمين انفسهم ، اقليّةً سياسية تطالب بحقوقها الى جانب الاقليات الدينية كالمسيحيين واليهود وغيرهم.

ولنسأل الآن كيف كان يعتبر عرب الحجاز وما اليه من الجزيرة اهل سورية ، رعايا الامبراطورية الشرقية ؟

كانوا يعتبرونهم «روماً» اي بيزنطيين ، لا عرباً كما يريد بعض المتأخرين ان يجعلهم . من الحقّ ان عدداً من القبائل العربية الاصل كانت قد نزلت ، قبل قرون عديدة ، في البوادي المقفرة المتابعة بين الفرات ووادي العاصي المتصل بمنخفض الاردن . فكانت تتكلم لغة مزيجة من السريانية والعربية عليها مسحة الارامية ، حتى عصر الفتح ، فاطلعت على عربية قريش ، وهي لغة القرآن ، واخذت باستعمالها . ولهذا لم ينبغ احد ، قبل الاسلام ، من شعراء هذه القبائل السورية العربية الأصل . ولكن من الحقّ

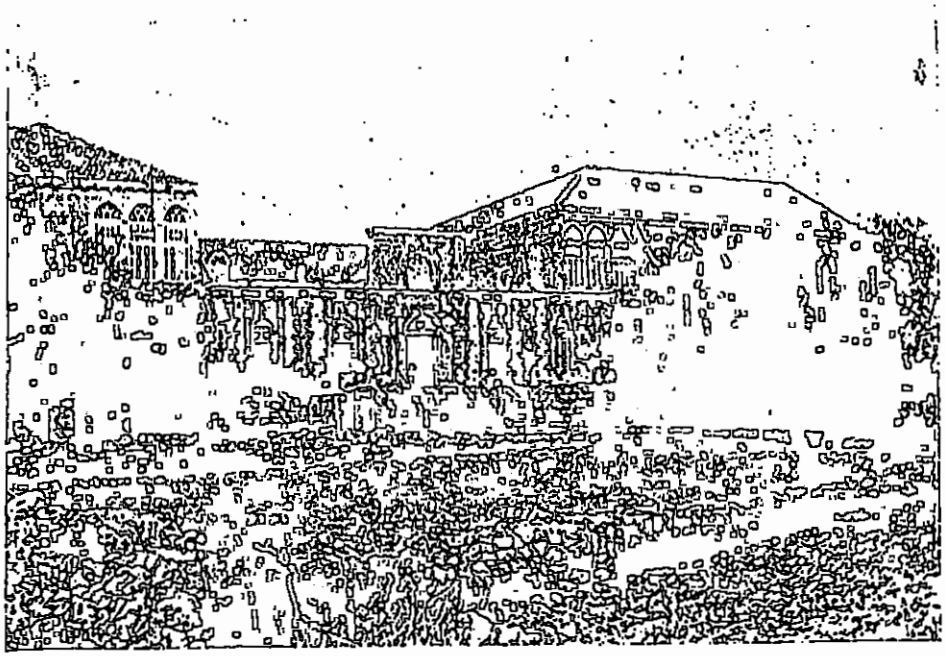

الدير الرئيسي لجمعية راهبات العائلة المقدسة المارونيات ، في عبرين (لبنان)

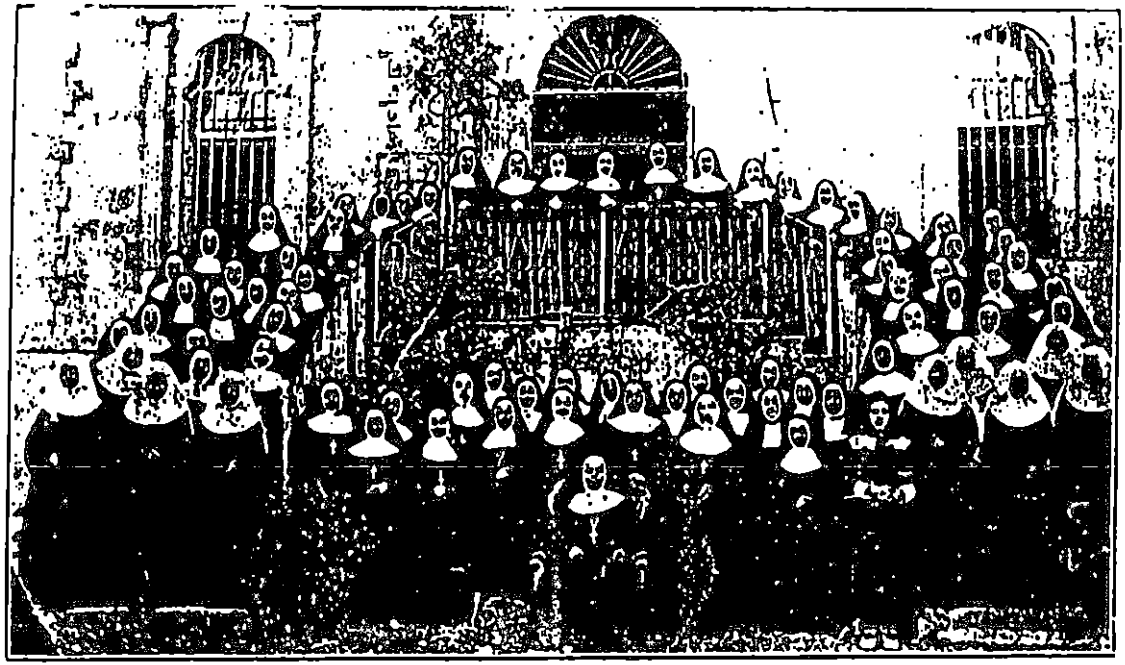

مجموع راهبات العائلة المقدسة المارونيات سنة ١٩٣٦

أيضاً ان بدو الحجاز لم يهتموا في عصر من العصور ، بل لم يظهر انهم شعروا بما كان من القرابة بينهم وبين تلك القبائل التي كانوا يخلطون بينها وبين غيرها من سكان سورية ، فيسمونهم جميعاً « اهل الشام ».

واذا انتقلنا الآن الى عرب سورية فتساءلنا كيف كانوا بدورهم يعتبرون بدو الحجاز ، فنرى انهم كانوا يترفعون كل الترفع على سكان جزيرة العرب، ويبذلون جهدهم في ان يبعدوا عن بلادهم السورية « قمل الحجاز » ، و « حرشة الضباب وأكلة اليرابيع » كما كانوا يدعونهم تهكماً واحتقاراً . ولم يكن عرب سورية اذ ذاك بارغب من عربها اليوم في ان يروا اهل الحجاز يتدخلون في شؤون بلادهم . فكانوا يقومون بما طلبته اليهم الادارة البيزنطية من حفظ الحدود السورية ، والسهر على الامن في البادية ، ومراقبة مرور القوافل والقبائل البدوية.

* * *

هذا بالاجمال موقف سورية من بدو الحجاز، وموقف هؤلاء من سورية عند الفتح الاسلامي . والخلاصة ان العرب جاؤوا ، في النصف الاول من القرن السابع ، فغزوا سورية لأن البيزنطيين اهملوا حراسة حدودها . وانهم ظلوا مقيمين فيها لأن البيزنطيين لم يقووا بعد ذلك على طردهم منها. على هذه الطريقة، ولهذا السبب افتتح العرب سورية . اما ما يُقال في ذلك غير ما تقدم فهو إمّا نظرية متطرّفة لا تستند الى برهان او بلاغة خطابية جوفاء.

صفحة ذهبية من تاريخ لبنان

البطريرك اللبناني
الياس بطرس الحويك
١٨٤٢-١٩٣١

بقلم الخوري منصور عوّاد عوّاد

٢

الاسقف

ان المدة الطويلة التي قضاها الحويك في المقر البطريركي ، سواء أكان كاهناً او مطراناً ، اكسبته بشؤون الطائفة المارونية الداخلية والخارجية وحاجاتها وما يستلزم لبنان في اموره السياسية والادارية والاقتصادية خبرة عزّ نظيرها عند سواه . فما ازف الوقت المناسب ، ودقّت ساعة العناية ، وازدادت الثقة به بالاسقفية التي ارتقى اليها ، حتى شرع يحقّق افكاره الاصلاحية دون دويّ ولا طنين بل بهدوء ورباطة جأش كعادته .

عرف باختباره الطويل ان كثيراً من الفتيات اللبنانية لا يزلن محرومات من التهذيب الضروري الذي يرفع مستواهنّ الى المقام اللائق بهنّ والواجب لهنّ ، وعرف ان اساس التربية العائلية هو المرأة، فاذا كانت هذه مهذبة امكنها ان تهذب الناشئة اللبنانية ولاسيما المارونية تهذيباً ضرورياً للدنيا وللآخرة . ورأى ان من انفع الوسائل لذلك انشاء جمعية من الراهبات الوطنيات ، لا المحصّنات او المحبوسات المنقطعات عن العالم الى الحياة النسكية في صوامعهنّ كما كان المألوف في الطائفة والشرق حتى ذلك العهد ، بل بجمعية من الراهبات اللواتي يخصصن لخدمة الفتاة في العالم بحياة تجمع بين الكمال الروحي في التأمل والصلاة ، والحياة الروحية قيد النذور والقوانين الرهبانية ، وبين الكمال العملي بخدمة القريب وتعليم

الفتاة وترويضها في امور الدين والآداب ، وبالمعيشة في وسط العالم مع التمتع بالروح وبطريقة الحياة عن كل ما هو عالمي.

وتقرّر لديه ان الشعب الماروني لا يترقى ولا يبقى الدين الكاثوليكي تراث الجدود الثمين بل الاثمن راسخاً فيه رسوخ جباله الا بتهذيب اكليروسه التهذيب العالي الكامل ، وما ذلك الا لان الكهنة هم قادة الشعب ورعاته . فاذا كان القائد قديراً مدرّباً عالماً واذا كان الراعي جديراً برعاية الناس لاسيما النفوس ، استطاع ان يقود رعيته الى المراعي الخصيبة فينيرها بعلومه ويرشدها بسديد آرائه ويشبع قلوبها بفضائله ويستميلها بمثله الصالح الى الفضيلة والى الله.

وادرك ان الطائفة المارونية منذ أقفلت مدرستها في رومية في مستهل القرن التاسع عشر ، بحلول جنود نابوليون الاول فيها اثناء احتلاله للمملكة الرومانية البابوية ، خسرت قوة عظيمة لان طلبة تلك المدرسة هم من الذين رفعوا المستوى اللبناني واخص منه الماروني الى رقيه ومجده الحقيقيين وجعلوا من الطائفة المارونية في الشرق حديقة غنّاء زاهرة بالعلوم. ففكر في ضرورة ارجاع تلك المدرسة القديمة الى الوجود.

ولهذا ما ان انتدبه الخالد الذكر سلفه البطريرك يوحنا الحاج ليذهب الى رومية في ٢٨ نيسان سنة ١٨٩٠ لتأدية فروض الطاعة والخضوع بالنيابة عنه لقداسة امام الاحبار البابا لاوون الثالث عشر ، ولطلب درع الرئاسة وبراءة التثبيت عملاً بما ترسمه الواجبات الكنسية التقليدية، حتى كاشفه بافكاره؛ ففوّض اليه ان يسعى لتحقيق تلك الافكار السامية وخاصة فكرة تجديد المدرسة المارونية ، التي كان قد سعى قبله وراء تحقيقها بطاركة الطائفة وبعض احبارها اذا توفقوا ، ثم قلده السلطة اللازمة لتلك المساعي الخطيرة.

فما ان اتم مهمته في رومية وبعث بالدرع والبراءة الى السيد البطريرك حتى تخلف في عاصمة الكثلكة وشمّر عن ساعد الجدّ في سبيل احياء المدرسة المارونية القديمة الشهيرة وبعثها من لحدها. فتوفق جد التوفق باكتساب عطف قداسة البابا ومساعدته وتزوّد باجازة منه ومن مجمع انتشار الايمان المقدس بل بتوصيات تدلّ على مبلغ ثقة السدة الرسولية به ثم توجه الى فرنسة بلاد الاحسان،

وقبلة الموارنة في كل عصر وخاصة منذ عهد الملك القديس لويس التاسع ، فزار الشعب والرؤساء والحكومة. فاعجب كرادلة فرنسة واساقفتها بتجرده وسعة نظره ، واحبه شعبها لدعته وفضائله ، وقدّره رجال الحكومة قدره لصدقه وصراحته وسعة اختباره وصدق نظرياته السياسية والادارية . فاقنع الحكومة بوجوب التعويض على الموارنة عما أُنزل بمدرستهم الرومانية القديمة من الخراب بسبب احتلال الجيوش الافرنسية عند ما احتلوا رومية في مطلع القرن ، وخاطب الشعب والاساقفة واطلعهم على حاجة الموارنة الى مدرسة عالية تهذّب اكليروسه في عاصمة الكثلكة وكان يجول من رعية الى اخرى ، ومن ابرشية الى ابرشية ، يلازمه في اسفاره الخوري بولس بصبوص ويرافقه شاهدًا على عزة نفسه وتجرده واتعابه الشاقة ، يمدّ يده الى جمع التبرعات قائلًا للشعب الافرنسي : ان الشعب الذي يرسل بنيه الى جميع اقطار المسكونة لتهذيب العالم ورده الى الدين الكاثوليكي لا نخجل ان نمدّ اليه يدنا ليجود علينا بماله احياء لمدارسنا ومشاريعنا التهذيبية. لانه شعب متعود البذل في سبيل الكنيسة والله والعلم ، ونحن لنا دالة خاصة على فرنسة حيث ان الشرق يلقب الشعب الماروني بفرنسة الشرق وما ذلك الا لارتباطنا برابطة حسب قديم لا تنفصم ، مع هذا الشعب النبيل.

فلبته الحكومة الافرنسية باريحية اذ عيّنت للطائفة المارونية ثمانية كراسٍ مجانية لثمانية اكليريكيين في مدرسة سان سولبيس الطائرة الشهرة في باريس ، ومهدًا في قصر ليكسومبورغ ليقيم فيه الموارنة نزلاء باريس واجباتهم الدينية. ولباه الشعب باكثر اريحية وسخاء فجمع مبلغًا لا يُستهان به لتجديد مدرسة رومية. وكان يبعث بالتبرعات الى مجمع انتشار الايمان او الى قداسة البابا رأسًا حرصًا على حسن سمعته لئلا يُقال او يُظن انه يجمع لنفسه او لينتفع بشكل من الاشكال. وهذا كان من الامور التي زادت اعجاب البابا به، ومجمع انتشار الايمان واساقفة فرنسة وكرادلتها تقديرًا له وغيرة على اسعافه. وكان للاوون الثالث عشر نظر خاص عليه، وارتبط بصداقة متينة مع كردينال روان وكردينال باريس وسواهما من الرجال العظام. وما ان رأى الحبر الاعظم البابا لاوون ذلك

التجرد والاخلاص والمقدرة حتى امدّه بمساعدة فعالة غير مكتف بالاعجاب والتقدير. وبادرت الطائفة المارونية كلها برؤسائها ورهبانياتها وشعبها وامدته بمبلغ غير قليل من المال يوازي نصف ما جمعه في الغرب لتجديد المدرسة المارونية، فتوفق الى احياء المدرسة وايجاد الايراد اللازم لمعاش نحو خمسة وعشرين تلميذاً فيها يتعلمون مجاناً على نفقتها. وتمّ له ذلك ببراءة بابوية مؤرخة في ٣٠ تشرين الاول سنة ١٨٩١، بُعثت بها المدرسة القديمة من لحدها بجميع حقوقها وامتيازاتها وامتيازات طلابها.

وفي الوقت ذاته سعى السعي الجدي لانشاء جمعية راهبات العائلة المقدسة المارونيات وتوفق. وله في هذا المسعى الاخير الكثير الخطورة تقارير عديدة ومباحثات مع رؤساء مجمع انتشار الايمان ومع البطريرك الاورشليمي وقتئذٍ على اللاتين، ومع سواهم من كبار الدين ليس هنا مجال ايرادها، بل يكفي الالماح اليها.

وفي تلك الاثناء اسند اليه البطريرك يوحنا الحاج مهامّ عديدة خطيرة الشأن فقام بها خير قيام: منها ما كان تجاه الحبر الاعظم، ومنها ما كان تجاه الحكومات الزمنية كرئاسة الجمهورية الافرنسية وامبراطور النمسة فرنسوا جوزف وسلطان بني عثمان في الاستانة، وقد فاز من هذا في مدة اقامته في الاستانة بمساعدة مالية ذات شأن لمدرسة رومية، وحظي من ولي عهد النمسة بقصره في مدينة تيفولي ليكون مصيفاً لتلامذة المدرسة، وقد بقي كذلك الى امد غير بعيد منا. وحضر من قبل الطائفة المارونية مجمع البطاركة الشرقيين في رومية، والمجمع القرباني الاول في القدس. وكان حيث نزل وأتى وجد يغتنم الفرصة للاهتمام بشؤون طائفته وبلاده سواء كان من الوجهة الدينية او الاجتماعية والسياسية او الاقتصادية باقواله وتقاريره وافعاله بكل تجرد واخلاص وجرأة ووضوح وخبرة عملية عزّ نظيرها. فانفتح بتلك المهام امامه أفق جديد متسع وعرف اكبرَ اكابر العالم، ولاسيما ممن لهم علاقة مع الطائفة والبلاد فازدادت معارفه وعظمت منزلته وعرفه الذين لهم كل التأثير في ادارة دفة الكنيسة او دفة السياسة العالمية، وصاروا يعطفون عليه ويميلون اليه ويقدرونه قدره. ولاجل

هذا كان يتوفق في مهامه بسرعة غريبة ما كان يحلم بها من عالجوا تلك الشؤون عينها قبله . ومن الامور التي توفق فيها اثناء عودته من رومية ومصر في مروره على القدس سنة ١٨٩٥ انه اشترى داراً فسيحة لنزول الزوار الموارنة فيها صارت مركزاً لوكيل بطريركي في القدس الى يومنا هذا ، لانه انف ان تبقى الطائفة المارونية في فلسطين محرومة من مركز يؤمه الزوار من ابناء الطائفة وان يكون الموارنة اجانب اغراباً في القدس وهم اقرب الناس جواراً الى المدينة المقدسة ، وكان لهم فيها مزارات في كنيسة القيامة وسواها من اقدس المزارات فضلاً عن الرعية الكبيرة والعقارات الواسعة .

وبأمر البطريرك يوحنا الحاج زار ابناء الطائفة المارونية المنبثين في جميع انحاء القطر المصري وذلك اثناء عودته من اوربة . فلبث بينهم يتفقد شؤونهم ويعنى بامورهم الروحية افضل عناية فاحبوه كثيراً وعرف ما يحتاجون اليه فثبت له انه لا بدّ من انشاء نيابة بطريركية في مصر لتعنى بامورهم عن قرب وبصورة دائمة .

ان ذلك الفوز السريع في مشاريع الاسقف الغيور الناهض وتلك المساعي المختلفة المشكورة والتقارير المسهبة المشربة بروح المحبة للشعب اللبناني والعطف عليه ، المسبوكة بقالب الحكمة والسداد والاخلاص والتجرد التام . وذلك التعرّف الى كبار الدين والدنيا قد وجّه اليه انظار قداسة البابا لاون الثالث عشر العظيم ، فاستدعاه شخصياً سنة١٨٩٧ الى رومية وعهد اليه بادارة المدرسة المارونية التي احياها بجده ونشاطه وغيرته ، اذ تحقق لقداسته ان ما من احد يستطيع ان يتعهد ذلك المعهد في اول نشأته بالغيرة والحب والعناية كالمطران الياس الحويك الذي عرف ان يجدده بمساعيه المشكورة ومتاعبه الممدوحة وسهره الدائم . فكان في تلك المدرسة اباً ومرشداً ومديراً ومدبراً عائشاً بين التلاميذ كأنه تلميذ . ومما يروى عنه فيها انه كان اذا اهدى اليه احدهم تفاحة او طيراً او قطعة حلوى لا يرضى ان يأكلها وحده بل يقسمها مع تلاميذ المدرسة اثناء الطعام على المائدة فكان معهم كاصغرهم سناً لا يشعر احد بوطأة رئاسته . فاصطلح جميع ما كان مختلاً في المدرسة قبل استلامه اياها وبشرت بمستقبل

باهر، واتضح ان الحويك اينما حلّ يكون سيد المقام بعلمه وفضيلته وحكمته وحنكته وطول اناته.

ان المطران الياس الحويك قد ترك آثارًا كتابية في تقاريره الدينية الى المراجع الكنسية العالية والمراكز الدينية السامية لا تزال محفوظة تدلّ جميعها على خصب حياته الاسقفية بجلائل الاعمال العائدة بالخير الحقيقي والروحي والزمني على الطائفة والبلاد. ولو كنت ادوّن الوقائع والحوادث اليومية من حياة البطريرك الحويك العظيم لما كفاني مجلد ضخم لسرد ذلك، وانما انا اشير بهذه اللمحة اشارة الى مآتي ذلك السيد السامي، ناظرًا الى الاحداث التاريخية في حياته نظرة اجمالية، آخذًا منها ما يؤيد الفكرة العمومية المقصودة من هذه المقالة وهي تخليد كلمة في حقيقة عظمة البطريرك الحويك وفي سر تلك العظمة.

قال بعضهم يوم ارتقى الى السدة البطريركية المغبوط الذكر البطريرك يوحنا الحاج، وبعث بالمطران الياس الحويك الى رومية لتقديم الطاعة للحبر الاعظم واستجلاب درع الرئاسة وبراءة التثبيت، وللسعي في سبيل تلك المهام التي اشرت اليها، ان البطريرك يريد ان يبعد الحويك عن بكركي ليغير سياسة البطريركية التي كان يديرها الحويك باسم البطريرك مسعد، واعتقد الكثيرون ان البطريرك باعتماده على تلك الخطة تغير على الحويك او انه غير راض عنه. بيد ان الحقيقة هي غير ما يتوهم الناس وفي سوى ما يبنونه على الظواهر ويعلقونه على الاقاويل. ان البطريرك يوحنا الحاج الثاقب النظر البعيد الهمة العميق النور، كان اعرف الناس بشهرة الحويك فرأى ان سفره الى رومية يكون خير الطائفة والبلاد ولازدياد معارفه الشخصية واختباراته، فكان آلة في يد العناية الالهية التي ارادت ان تكمّل الحويك وتجعله صالحًا للبطريركية المارونية ليخلف البطريرك يوحنا الحاج ويكون صلة بين القرن التاسع عشر والقرن العشرين، وتتحقق بواسطته جلائل الامور. فالخبرة التي اكتسبها في لبنان طيلة اقامته في البطريركية لم تكن كافية في الشؤون الخارجية الواجبة للمعاطاة مع اساطين السياسة في فرنسة والاستانة، وكبار رجال الدين في رومية وغيرها ولاسيما مع امام الاحبار.

ومن اسباب فشل بعض الرؤساء في الادارة الكنسية او المدنية ، وخاصة في شرقنا ، الطفرة في تقلد الوظائف دون المرور في جميع ادوار السلك الاداري للتمرن والتعرف على الناس.

ان الطفرة قد تجوز احياناً مع التوابغ ، ولكنها غير محمودة حتى في هذه الاحوال ، لان النابغة يكون نابغة في فنّ او في امر واحد اما سياسة الناس ان في الدين وان في الدنيا فلا بد لها من نبوغ في جميع الشؤون . وما ذلك الا لان الرئيس يكون مرجعاً لطبقات من الشعب مختلفة العقول والتهذيب والمقدرة والرقي والحاجات فيلزم لاداراتها من يكون قد تقلب في مناصب عديدة وتمرن على جميع الشؤون الاجتماعية،ليستطيع ان يفهم حاجات المرؤوسين وعاداتهم واخلاقهم وميولهم ، شأنه في ذلك شأن ربان السفينة الذي لا يُقلد وظيفة الربان منفرداً الا بعد ان يكون تمرن تحت يد ربان ماهر سنوات واجتاز البحار مراراً في هدوئها وفي هيجانها وعواصفها ليصير خبيراً بطرقها مستحقاً ان يؤتمن على ارواح الناس وعلى اموالهم !

كان الحويك يشعر بالمقاومات والمضادات في الاقوال والافعال منذ كان كاهناً الى ان صار اسقفاً . غير انه ما كان يظهر غضباً ولا يُبطن حقداً ، بل كان يتجاوز عن هفوات الناس ويستفيد منها ويرى بها اصبع العناية الالهية ويتوقع من ورائها نتيجة لا ينتظرها البشر ولا يحسبون لها حساباً . ولهذا ما رأيناه في حياته مشتغلاً بالانتقام من احد ولا بالدفاع ضد احد من مناوئيه، بل كان دائماً متبسماً يقول : « الله يدبّر . دعوا العناية الالهية تشتغل وحدها فهي التي دبّرت ما جرى لخير ما كنا نعرفه ولكن سنلمسه بايدينا غداً . » وهكذا كانت تحقق العناية الصمدانية آماله وايمانه بها.

فما اجمل طرق العناية الالهية انها كلها حكمة وسلام . فهي تستخدم في اكثر الاحيان ضغائن الناس وقصر نظرهم لتتوصل الى غاياتها وتمد رجالها في السكينة ليوم العاصفة ، وفي العاصفة ليوم الطمأنينة ! « فتحصد من حيث لم تزرع وتجمع من حيث لم تبذر ! »[1]

(لها بقية)

[1] متى ٢٥ : ٢٤

الذهب في مناجمه وخاصة في سورية

بقلم مرتن جير

السيد مرتن جير مهندس اختصاصي بالتعدين ، زار عدة مناجم ذهبية في اوربة واميركة ، واشتغل في بعضها ، فجمع الى درس عميق خبرة طويلة . وقد قدم مؤخرًا فدرس مناجم الذهب السورية في ناحية انطاكية . والقى المحاضرة التالية في نادي الشبيبة الكاثوليكية ، فرأينا ان نأخذ منها ما يكون تبصرة وتفكهة للقراء الكرام .

١

تختلف الامم في تسمية الذهب وتلقيبه وطرق تكريمه ، ولكنها تتفق جميعاً على جعله قبلة المساعي الاقتصادية ، وملك المعادن كلها .

والذهب معدن شديد اللمعان ، قوي متين ، اكثر المعادن مرونة حتى انه يُتوصل بتطريقه الى ان تُجعل منه عشرة آلاف رقاقة احداها فوق الاخرى فلا تتجاوز الميليمتر الواحد سماكةً . يبلغ ثقله النوعي ١٩,٣ . وتصهره الحرارة ، اذا بلغت ١٠٣٥ درجة . اما اذا زادت الى نحو ٢٥٠٠ درجة ، فيبدأ الذهب المصهور بالتصعُّد على شكل بخار اخضر جميل . ويرى العلماء ان في الشمس كميات وافرة من الذهب على تلك الحالة .

ولكن اين نجد الذهب على الارض ، وما هو اصله ، وكيف يُستخرج ؟ هذا ما سنتكلم عليه قاسمين بحثنا الى قسمين : نصف في الاول حالة الذهب في مناجمه . ونبحث في الثاني عن امكان وجود المناجم في سورية ، وعن مركز الذهب في الصناعة وما اليها .

الذهب في مناجمه

الذهب في العصور القديمة

اقدم ما وصل الينا من اخبار الذهب واجدرها بالثقة هو ، دون شك ، ما نراه في عاديات المصريين فان الفراعنة القدماء يتكلمون عنه في آثارهم ،

فيذكرون البعثات التي كانوا يرسلونها الى ما وراء شلالات النيل ، الى داخل بلاد السودان ، لتستجلب لهم الذهب ، والعاج ، والاخشاب النادرة الثمينة ، والعبيد . ولم يكن الذهب ، في ذاك العهد ، من النقد ، بل كان معدناً شريفاً مقدساً تؤخذ منه حلي الملك وكبار رجال الحاشية . وبعد ذلك اخذت مصر باستيراد الذهب من مناجم الجبل القائم بين البحر والنيل الذي يمتد الى ابعد من بلاد السودان ، الى اراضي الحبشة الغنيّة بالمعادن الذهبية وخصوصاً ما كان منها حول بحيرة رودولف.

ولم تخصّ الطبيعة تلك البلاد وحدها بالذهب ، بل اننا نرى مناجمه منتشرة في العالم القديم ، في بلاد العرب ، وآسية الصغرى ، وبعض انحاء اوربة . اما في مصر فقد قامت مصلحة الآثار الجيولوجية بالتفتيش عن مناجم الذهب القديمة، فاكتشفت نحو العشرين منها ترقى الى العهد الفرعوني . واكثره متروك بسبب سوء المناخ وقلة الماء . وقد كانت كلها مفتوحة للاستثمار يشتغل فيها اسرى الحروب ، والعبيد ، والمجرمون المحكوم عليهم بالاشغال الشاقة . وكانت الحكومة في ذاك العهد تفرض على كل عامل ان يستخرج ملْ قفّة من ذاك التراب الذهبي، فينال قطعة من الخبز الجافّ وبصلةً وقدح ماء.وان لم يستخرج المطلوب لم ينل المرغوب . فكان الجوع والسوط من افضل وسائل استثمار المعادن في ذاك العصر ... وقد تحققت ذلك بنفسي ، اثناء تنقّدي منجم الزمرّد القديم في ساقط الذي ظلّ عرضة للاستثمار حتى عهد البطالسة ، فرأيت في زاوية احد الانفاق ، السلاسل التي كانت تربط العبيد والعملة المشتغلين باستغلال المعدن في تلك العصور المظلمة.

واذا ذكرنا التفتيش عن المعادن الثمينة ، يجب ان نفرد ذكرًا خاصًا للفينيقيين، وهم اشهر من سار وراء الذهب ، والأنك ، والعنبر وما الى ذلك . فاتقنوا استخراج الفلزات ، وطرق استغلالها ، وتحويلها الصناعي ، والمتاجرة بها . وكانوا يسيرون في مراكبهم فيجربون البحار ، ويطوفون البلاد حتى ما وراء اعمدة هرقول ، فينزلون في شواطئ اسبانية في بسكاي ، وريو تنتو ، وهويلفا ، فينقلون هناك ما كانوا يجمعونه من الرواسب الذهبية في تلك

المناطق ، ويستخرجون ايضاً الذهب العرقي وفلزات النحاس . وكانوا يغسلون معادن الأنك على شواطئ بريطانية من فرنسة ، وفي الكورنوايل من بلاد الانكليز . اما العنبر فكانوا يطلبونه من بلاد البلطيك فيشترونه من سكان الشواطئ حول كونيغسبرغ . ثم يعودون الى بلادهم فيعرضون محصولاتهم في اسواق مدنيات آسية الراقية.

وكانوا ، لكثرة اسفارهم واتساع رحلاتهم ، قد توصلوا الى معرفة صفات الشواطئ وميزات الاقاليم في العالم القديم . فلم يكونوا يجهلون جزيرة من الارخبيل ، ولا مرفقاً من مرافق التجارة ما وراء الهلسبنطس . بل كانوا كثيراً ما يصلون الى بلاد كولخيدة ، في آسية الصغرى ، فيشترون الذهب الذي كان سكانها يستخرجونه بواسطة جلود الغنم. وذلك بان يغسلوا على هذه الجلود الرمل الذهبي الكثير في انهر تلك البلاد فينحدر الرمل مع الماء ، وتعلق ذرات الذهب بقطع الصوف . ومن هنا نشأت اسطورة الصوف الذهبي الشهيرة (*La Toison d'or*). ولا يأخذنا العجب من تلك الطريقة في استخراج الذهب ، فاننا لا نزال نستعملها حتى في عصرنا ، اذا توافرت لدينا ذرات الذهب المختلطة بالرمال، فلا نرى واسطة الّا غسل تلك الرمال على جلود الغنم حتى تعلق الذرات بصوفها . ثم نحرق الصوف ونستخرج الذهب من رماده . واذاً فليس من جديد تحت الشمس.

وان من يتفقد المناجم القديمة يرى ان سلفاءنا لم يغفلوا طريقة كانت ممكنة في عصرهم الّا استخدموها . فهناك الانفاق الكثيرة ، واللوحات الصخرية ، والآبار العميقة المستطيلة، وما الى ذلك من الاشغال الدالة على اتساع المعلومات بشأن استغلال المناجم ، وتطبيقها تطبيقاً عملياً يشهد بتقدم المصريين ، والفنيقيين ، واليونان ، والرومان ، والغاليين . ولا سيما اذا انتبهنا لقلة الوسائط الفعّالة اذ ذاك ، وضعف الادوات وصغر الآلات وعدم وجود مواد الانفجار المستخدمة في عصرنا.

وقد وقفت بنفسي على كثير من هذه المناجم تحققت فيها دقة الاقدمين وخبرة متولي استغلالها في عهدهم . واني لا ازال اذكر مناجم الرصاص الفضي

في لوريوم التي كانت تستظلها مدينة أثينة،فتستخرج منها الفضة اللازمة لمسكوكاتها. وكثيراً ما كان ارباب تلك المناجم يشترون العبد الغالي الخبير بالاستغلال بثمن فاحش لم يكن ليقلّ عن ثلاثمائة وزنة من الفضة ، فيولونه ادارة المنجم. ونحن اذا قدرنا مبلغ ذاك الثمن بعملتنا الحاضرة رأينا ان الوزنة الفضية في اثينة كانت تعادل نحو١٤٠٠ ليرة لبنانية سورية، فيكون ثمن ذاك العبد ٤٢٠,٠٠٠ ليرة لبنانية سورية.

ولا ازال اذكر كذلك مناجم الذهب في تلسوس . وقد اشار اليها اسطرابون او هيرودوت في قوله : كان الفنيقيون يستخرجون الذهب من مكان تجاه سوموطراس بين إينيرة وكينيرة . فسرت الى هناك ، ودرست تركيب طبقة الارض فرأيت فيها عروقاً من الكوارتز الذهبي . فاستخرجت امثلة منها وحلّلتها فاعطى الطنّ نحو ١٨ الى ٢٠ فرنكاً ذهبياً . وهو معدّل ظهر قليلاً اذ ذاك ، فتركنا المشروع لاسباب اقتصادية صناعية وسياسية ايضاً.

* * *

يعتقد الكثير من الناس ان المناجم في البلدان القديمة قد نفدت ، وان ليس من ذهب صالح للاستخراج الّا في البلاد البعيدة كمناطق اميركة ، والترانسفال ، واوستراليا ، وما اليها . وهو وهم كثير الانتشار كما سنبين.

ان يكن من الثابت ان استخراج الذهب من منجم ما يضعف هذا المنجم حتى ينفد ما فيه ، فليس ثابتاً كذلك ان ما استخرج من مناجم العالم القديم استنفد كل ما فيها . يتضح الامر اذا انتبهنا اولاً لكمية الذهب المستخرج حتى القرن الخامس عشر . فان ما كان منه موجوداً سنة ١٥٠٠ ، في العالم القديم ، لا يمثل الّا جزءاً واحداً من اربعين مما هو عليه اليوم . فهل من المعقول ان الشعوب القديمة ، كي تصل الى هذه النتيجة الضئيلة بالنسبة الى كمية الذهب الحالية ، قد استنفدت مناجم اوربة ونصف افريقية وآسية ؟ اني لا اعتقد ذلك . بل ارى انه لا يزال في بلادنا الاوربية ، وهنا في سورية ، مناجم صالحة للاستغلال . اقول هذا عن تيقّن واختبار . وسأتكلم عمّا نراه خاصة في سورية من مناجم ذهبية ؛ لا كما يتكلم احد الغواة عن غريبة

معدنية ، او حدث جيولوجي ، او عن اكتشاف ففكه لا مستقبل لـه ولا اهمية في نظر ارباب الصناعة . ولكن سأتكلم عن ذلك كلامي عن حقيقة واقعية ومنجم صالح الاستغلال، يُشبه في تكوينه الجيولوجي كثيراً من المناجم التي اشتغلنا فيها واستخرجنا منها عدداً كبيراً من السبائك الصفراء البرّاقة ، فارسلناها الى المصارف لحساب شركائنا في ذاك الاستغلال.

هذا وان مناجم العالم القديم ، وان لم تبلغ مبلغ مناجم اوستراليا واميركة سعةً وغنىً ، فانها لا تزال تأتي مستغليها بفائدة لا يُستهان بها ، اذا ما قاموا باعمال منظّمة مرتّبة في ظلّ شريعة متساهلة ، مستندين الى الوسائط المالية والصناعية والفنية التي يستند اليها مستغلّو المناجم الجديدة . وان تكن مناجمنا القديمة مهجورة ، فليس سبب ذلك فقرها الطبيعي او صعوبة استغلالها ، بل ما نشعر به من مجرىً غريب يدفع بابناء العصر الى المخاطرة والمجازفة في البلاد الجديدة ، التي قد يعودون منها ، بعد وقت قصير ، وقد وافتهم الحظّ فربحوا الثروات الطائلة . وهذا ما لا يتوفقون اليه في العالم القديم بفضل ما فيه من التنظيمات والترتيبات التي قد تضيّق بعض الاحيان على ارباب العمل مجال سعيهم ومجازفاتهم.

الذهب في المناجم البعيدة

ليس بالامكان ان اتكلم على جميع المناجم المنتشرة في العالم ، فان كلًّا منها يتطلّب درساً برأسه . ثم ليس من المعقول ان اعرفها جميعها . فقد زرت كثيراً منها ، ودرست بعضها . فامكنني ان احادثكم عما رأيته بنفسي ، واني لشاعر بان الانسان كلّما درس وتعمّق واختبر ادرك قلّة معلوماته وفقر معارفه بالنسبة الى حقيقة الامور.

نرى الذهب في الطبيعة على مظهرين اجماليين تُردّ اليهما جميع مظاهره الثنوية :

الذهب الراسبي المتعلّق بالرواسب الرملية في الشواطئ خاصّة ، او في الاماكن التي كانت شواطئ . والذهب العِرقي البارز في عروق الكوارتز مع

شيء من فلزات الحديد وغيرها من المعادن.

في ألاسكة ، وفي المناطق الشمالية القريبة من بلاد كندة ، وفي كولومبية البريطانية ، يرى المعدّن الواحاً عظيمة فسيحة من الرواسب الذهبية في الاودية وشواطئ الانهار وخصوصاً كولومبية ريفر ، وطومسون ، وفرازر وغيرها . ولا يرقى عمر هذه الرواسب الى ما وراء العصر الجليدي الأول ، بل يتنقل اكثرها بين هذا العصر والعصر الجليدي الثالث.

وعندما تظهر الطبقة الصخرية في مجرى النهر او الساقية ، او في قعر الوادي ، وعليها الخطوط الرملية ممزوجة بالدقائق الكوارتزية ، محتوية بعض اكاسيد الحديد ، او المغناطيس وما شاكل ، يسرع المعدّنون الى غسل تلك الرمال وتنقيتها فيستخرجون دقائق الذهب.

فاذا تمّ لهم ذلك وتحقّقوا ، على التقريب ، معدّل مستخرجات الطنّ من تلك الرواسب ، اسرعوا الى اول مركز رسمي لتسجيل استغلال المناجم . فبرهنوا عن صلاحية اكتشافهم ، واستحصلوا على الترخيص بمباشرة العمل ؛ وهو ما يُعرف برخصة « *placer claim* » . ثم يهتمّون بالتفتيش عن شركاء يساعدونهم في تحقيق المشروع ، ويأخذون باعداد المؤونة والذخرة ، فيشترون شيئاً من الفاصوليا والطحين والشاي والسكر والتبغ ، والمعاول والمجارف وغيرها من الادوات ، يجمعونها حزماً متينة فيحملونها راجعين الى مركزهم في المنجم المكتشف.

وسرعان ما يقيمون كوخاً يسعهم وادواتهم . ثم ينصرفون بنشاط لا يعرف الملل الى غسل الرواسب الذهبية ، يوالون ذلك طول الصيف حتى تسقط الثلوج الاولى . ومنهم من يقضي فصل الشتاء القاسي في تلك البلاد الشمالية ، لا بغسل الذهب المتعذّر اذ ذاك ، بل باصطياد الحيوانات ذوات الفرو . فتكون فائدتهم مزدوجة . على ان كثيراً ما يصيب بعضهم المرض الناتج عن كثرة الذهب ، الا وهو اللعب . فيقضون اياماً وليالي حول طاولات يبذرون عليها ما كانوا قد تعبوا ونصبوا في الحصول عليه . وليس بالنادر ان يرى اللاعبون على طاولاتهم ، الى جنب الاوراق والكوم الذهبية ، عدداً من المسدّسات

المحشوّة ينظر اليها الخاسر والرابح بقلق ورعبة...

ولا يطول عادةً استثمار تلك المناجم . لأن المشتغلين فيها يكونون من ذوي المطامع فلا يرضون بالقليل من الارباح. وهم اذا ما قلّت فائدة المستخرَج، او اذا لم يتمكنوا من بيع ما يستخرجونه بثمن مقبول، ضجروا من الاقامة في تلك الاصقاع، فجمعوا ما تيسّر لهم، وعادوا الى اوطانهم، تاركين المنجم، ولا ربّ له، عرضةً للمحتلّ الجديد.

وعلى الغالب يكون هذا المحتلّ من الصينيين المفطورين على الدأب والصبر . فيدخل المنجم المتروك، ويسكن في كوخ من تقدّمه بعد ان يصلح منه . فيعيد غسل الرواسب، جامعاً ما تساقط عن مائدة الرجال البيض من الفتات . فيجدّ مكتنفاً بالصمت والاسرار حتى لا يعرف احد ما يستخرج وما يربح . واذا سُئل عن شيء، اجاب بهمّ وتعب : «اني لا اكاد اعيش الّا بالمشقة . فانا لا انال ٢٥ سنتاً او شلناً بالنهار.»

هذا ولا ينال مراقبو المناجم الرسميّون من الرجل الصيني اكثر ممّا تقدّم صراحةً ووضوحاً . فلا يتوفّقون لمعرفة حقيقة ارباحه على طريقة من الطرق . فان ارباب الحانات واصحاب الحوانيت لا يرون بين يديه شيئاً من الذهب الّا في ما ندر . وعليه فلا يمكن احد ان يقدر دخل المنجم الذي يستغلّه . الى ان يأتي يوم فيسيّر فيه الصيني، مع رفيقه الامين المخلص، سبيكة من الذهب الخالص تقطع حواجز المراقبة، فتدخل بلاد الصين دون ان تراها عين او تلمسها يد...

وقد توقفت حتى الآن عند وصف المنجم الصغير الذي يعدّن الانسان فيه مترين مكعّبين في النهار على الاكثر . ولا تتجاوز مساحته ٢٥٠ قدماً في ١٠٠ قدم . فيتركه بعد ان يستخرج منه ما تساعده السهولة على استخراجه . حتى اذا كثرت هذه المناجم المتروكة، فكّر في استغلالها ارباب الرساميل القويّة فدرسوا منها العشرات على خطّة واحدة مستعينين بالمهندسين الاختصاصيين. فاذا اتمّوا تصميم المشاريع، بُوشر العمل . ويكون أوّله بان تُبنى الخزّانات في مجاري الأنهر والسواقي، فتُنشأ الشلالات الاصطناعية، ويؤتى بالمحرّكات

البخارية القوية التي تدفع نوافير الماء بقوة هائلة على الرواسب المتراكمة فتحلل اجزاءها وتفرز الحصى من الرمال من التراب . ثم يجرّ كل ذلك في السواقي الناتجة عن تلك النوافير الى احواض فسيحة تركز فيها تلك السوائل فيرسب في قعرها الذهب ، وتتصرف المواد الباقية في منافذ مختلفة استدارة وعلواً باختلاف المادة الخارجة .

وعلى هذه الطريقة يمكن المستخرج ان يغسل في الستة الاشهر ، وهي مدة فصل العمل هناك ، من ١٥٠,٠٠٠ من ٢٠٠,٠٠٠ متر مكعب من تلك الرواسب . وكثيراً ما كان المتر المكعب الواحد يأتي بنتيجة ذهبية تعادل الدولار في ناحية كريو من شمال كولومبية البريطانية .

هذا وان للاميركيين مبدأ يطبقونه في تلك البلاد القصية ، القليلة العمّال ، والغالية الاجور ، وهو مبدأ الاستغناء على قدر الامكان عن اليد العاملة ، وشغل الآلات جهدها . وهم على الغالب ينجحون ، فيعمل الرجل منه ما يعمله العشرة من غيرهم .

وقد حان لنا الآن ان نوجه نظرنا ناحية سورية ، فترى هل يمكن ان نؤمل لذهبها مستقبلاً يُشبه ، وان عن بعد ، ما ذكرناه من حالة بلاد الذهب الاميركية . نقول ذلك بطريقة نسبية كما لا يخفى . على ان المقصود هو ان نعرف هل يمكن استخراج الذهب من سورية على طريقة صناعية علمية تؤمن للناس نتيجة مقبولة ، اذا ما وضعوا في ذاك المشروع شيئاً من اموالهم .

(للبحث صلة)

الزواج

تبعاً للرسالة البابوية « Casti connubii »

بحث اخلاقي لاهوتي

للاب شرل ابيلا اليسوعي

منشأ الزواج من الله وضعاً وطبعاً

٢

٤ً اصل الزواج في زعم التطوريين

يزعم التطوّريون انّ الانسان نفسه هو من سلالة جدّ حيواني ، ولم يبلغ فطرته الحالية الا بعد ان تقلّب طويلاً راقياً من نوع الى ما هو اعلى منه . وطبقاً لهذه النظرية يدّعون ايضاً انّ الزواج ، على ما تعهده الامم المتمدنة ، انما هو احدى المراحل التي يجتازها النوع البشري في تطوّراته المتواصلة . فبعد ان كانت صلات الرجال بالنساء على مثال صلات الحيوانات ذكوراً واناثاً ، تطوّرت هي ايضاً فاجتازت عدة مراحل منتقلة من القران الطليق الى القران الوقتي ، فالى الخطف ، فالى شراء الزوجة ، فالى تعدّد الازواج ، فالى تعدّد الزوجات ، فاخيراً الى الزواج الموحّد الثابت[1] .

هذا فيما يتعلّق بالماضي . واما المستقبل فيقولون انه سوف لا يختلف عن الماضي ؛ بل ، بعد ان بلغت البشرية حدّ الزواج الحقيقي ، تواصل السير الى الامام والرقي على تمادي الازمان .

وقد تعجب من هذا وتقول : ان التقدم الذي ينشدونه ويبشرون به ،

---

١) راجع de Smet في المحل المذكور ص ٦٢ – ٦٨ .

ولاسيما ما شرع يتمّ منه فعلاً ، كالطلاق وما لا يخجل البعض ان يبرّره من الحب الطليق وخرق حرمة الزواج الحقيقي وغيرذلك من ضروب الخلاعة المختلفة، انما هذا كله هو اشبه بالتقهقر منه بالرقيّ ، لانه عودٌ الى المراحل الهمجية الاولى ، الى وقت فيه كان الانسان ، على زعمهم ، اقرب الى اجداده البهائم منه الى الامم العريقة في الحضارة.

فيجيبونك : لا بأس فانّ التطوّر من نفس طبعه ينفي الثبوت . فلا يمكن ، والحالة هذه ، ان تقرّ نواميس القران على قرار . فالزواج يتبع الاخلاق ، والاخلاق ايّةً كانت ، في الجماعات الراقية ، هي التي تحدّ ، بمنطوق الشرائع المسنونة لكل زمان ومكان ، مراحل التقدم . ومن ثمّ فالعدل والصلاح انما تُقرّهما الشرائع المدنية ، مهما كانت صبغتها ، لانها تُعبّر عن الافكار والمبادئ السائدة في بلاد معينة ووقت معيّن .

وعليه فان اشكال القران التي ذكرناها آنفاً ، والتي يدّعون هم ان الانسان تدرّج فيها قبل ان يعمد الى الزواج الحقيقي ، كانت باجمعها ، وكل واحد منها بدوره ووقته ، معقولةً مشروعة في عرفهم . بل قد تكون كذلك كلها معاً في آنٍ واحد ، وان في امكنة مختلفة من المعمور ، على حسب درجة الحضارة التي بلغ اليها سكان كل بقعة بمفردها [1]

ولا عجب . فان الله في زعمهم لم يدخل البتة في امر وضعية الزواج ولم يقيّده ابداً بشريعة ما وضعية ولا طبيعية ، بل البشر هم الذين استنبطوه وحدهم واصطلحوا عليه من تلقاء انفسهم . فتكون النتيجة المبنية على هذا المبدأ الاعرج عوجاء ولا مشاحّة ، الّا انها بديهية . ومؤداها أن الزواج منوط بالبشر دون سواهم . فلهم ان يُلغوه ويحوّروا سننه على ما يطيب لهم.

قال بيوس الحادي عشر : « فلكي نبتدئ بمصادر هذه الشرور نقول ان اصلها الاهم هو زعمهم ان الزواج لا بارئ الطبيعة وضعه ولا السيد المسيح رفعه الى مقام سرّ حقيقي ، بل انما البشر قد اخترعوه . ويؤكد بعضهم انهم ،

---

(١) راجع D'Hulst, *Carême 1894, 1re conférence*, édition de l'Enseignement Chrétien, p. 9.

في الطبيعة ذاتها وفي نواميسها ، لم يجدوا شيئاً من امر الزواج ، بل انما عثروا على قوة توليد الحياة ودافع قويّ الى شفاء غلّتها على اي منوال كان . على ان غيرهم يقرّون بان في طبيعة الانسان بعض اوائل واشباه جراثيم للزواج الحقيقي ، من حيث انه لولا ارتباط الناس بوثاق ثابت ، لما كانت كرامة الزوجين والغاية الطبيعية من ولادة البنين وتربيتهم قد عُني بهما عناية وافيـة . غير ان هؤلاء ايضاً يعلمون ان الزواج نفسه ، بما انه لا ينحصر ضمن نطاق هذه الجراثيم ، فلاسباب مختلفة طرأت عليه معاً ، قد اخترعه عقـل البشر وحده وانشأتـه ارادتهم وحدها . »[1]

تلك هي مصادر اضاليل اعداء الزواج . واما عواقبها فاليك وصفها ، على ما ورد في الرقيم الحبري :

« امّا مبلغ تورُّط هؤلاء في الضلال وانحرافهم الشائن عن طرق الاستقامة فقد اضحى ثابتاً بما بسطناه ، في رسالتنا هذه ، عن مصدر الزواج وكنهـه ، وعن الاغراض والخيرات التي فيه . واما كون هذه الاقاويل وبيلة للغاية فانه يتضح من النتائج التي يستخلصها منهـا المدافعون عنهـا انفسهم . فاذا كانت الشرائع والرسوم والآداب التي تُنظِّم الزواج مصدرها ارادة البشر وحدهـا ، فلهذه دون غيرهـا يمكن ويجب ان تخضع ؛ وبالتالي يمكن ويجب ان تُسَنّ وتُحوَّر وتُلغى على حسب هوى الانسان ووفقاً لتقلبات الامور البشرية . امـا القوة النسلية فبما انها ترتكز على الطبيعة عينها فهي اقدس من الزواج واوسع مدًى منه ، ومن ثم يجوز استعمالها على الدواء خارجاً عن حصن الزيجـة كما في داخله ، وذلك حتى باهمال اغراض الزواج ، اي كأنَّ خلاعـة البغي تتمتع ، او تكاد ، بذات الحقوق التي تتمتع بها الامومة العفيفة التي للزوجة الشرعية .

« واعتمادًا على هذه المبادئ ، قد توصل البعض الى استنباط اشكال من الزيجات جديدة توافق ، على زعمهم ، مقتضيات النـاس والازمنة الحـاضرة ، ويشاؤون ان تكون انواع زيجة جديدة : فمنها الزواج الموقت ، ومنها الاختباري ،

---

١) الرسالة *Casti connubii* ص ١٩ .

ومنها الودادي . ويدّعون ان لكل من هذه الانواع حرّية الزواج تامةً وحقوقه كلها ، ولكن مع الانعتاق من الرباط غير القابل الانحلال ومن ولادة البنين ، ما لم يحوّل الفريقان اشتراكهما في المعيشة ومساكنتهما فيجعلاه زواجاً شرعيًا . »

« بل من الناس من يريدون ويُلحّون ان تُقرّر بالشرائع تلك الغرائب الفظيعة ، او على الاقل ان يكون لها عذر في ما عمّ من عادات الشعوب ونظاماتها . فكأنه لا يخالجهم بعض الظنّ انّ امورًا كهذه ليست على شيء من ذلك الرقي العصري الذي يباهون به تلك المباهاة ، بل هي مفاسد معيبة تُخضع ، بلا ريب، الأمم الراقية ذاتها لما تألفه بعض الشعوب المتوحّشة من الاعمال البربرية . »[1]

٥ً تأصل الزواج في الطبيعة

اما الحقيقة فبخلاف تلك الاقاويل الغريبة . فانه ليس فقط من الايمان أنّ الزواج من وضع الله عزّ وجل ، كما بيّنا سابقاً ، بل لو ضربنا صفحاً عن اي شريعة وضعية، سواء أكانت موسويّة أم مسيحية، ولو فرضنا انه تعالى لم يدخل قط في امر قران الرجل والمرأة كيما يُفصح لنا عن رأيه ومشيئته فيما يتعلق به، لو اعتبرنا الكتاب المقدّس والتقليد المسيحي لا وجود لهما البتة ، لما زال الزواج مُنشأً من الله ، لانه حتى في حالة الفرض المذكور، لا يزال مُنشأً من الطبيعة.

والمعنى ان الزواج مرتكز على طبيعة الانسان . فهي التي تقتضي وتُحدّد شرائعه . ولا شك ان شرائعه هذه يستطيع العقل البشري سبيلًا الى معرفتها فتُقيّد الضميرَ على نحو سائر الشرائع الطبيعية.

٦ً اصل الزواج ظاهره اغراضه

وقبل ان نبسط الادلة العقلية التي تدعم قولنا هذا ، لا بدّ من كلمة وجيزة في المبدإ الاساسي الذي تستند اليه . وهو انّ مسألة اصل الزواج مرتبطة كلّ

---

١) الرسالة عينها ، ص ١٩ – ٢٠

الارتباط بمسألة غائيّته . ومن اهم ما أدّى بالتطوريين الى ضلالهم تغاضيهم عن الغائيّة هذه . فانما ضلوا عن حقيقة اصل الزواج لانهم لم يدركوا كنه اتحاد الرجل بالمرأة ، ولم يدركوه لانهم تغاضوا عن اغراض الطبيعة منه.

ولا غرو فمن المبادئ الفلسفية المأثورة . أنّ « الفاعلية تتبع الكيان » (*Operari sequitur esse*) وما ضرّ هذا المبدأ انه قديم قد يقول عنه البعض ان الدهر اكل عليه وشرب ، فلا سبيل الى صاحب العقل السليم ان لا يسلّم بمنطوقه . ومؤدّاه أنّك ان شئت ان تقف على حقيقة شيء وطبيعته فعليك ان تمعن النظر في غايته ونزعاته ، وانما هذه تشفّ عنها فاعليته اي ماهية الافعال الخاصة به لانها هي التي تنوّعه.

وخلاصة القول ان اصل الزواج وغائيّته هما حقيقتان مرتبطتان متلازمتان. فان كانت الاغراض ، التي عينتها الطبيعة لاتحاد الرجل والمرأة ، هي بغنى عن الزواج الحقيقي ، جاز لهما ان يقترنا بمعزلٍ عنه . والّا اي ان كانت هذه الاغراض لا تُحقّق الا به وداخل حصنه ، تحتّم عليهما ، بقوة الطبيعة عينها ، ان يتقيّدا به ويخضعا لسننه ، اذا ما شاءا الاتحاد.

وواقع الحال ان الاغراض المذكورة تستوجب الزواج الى حدّ ان من أهمل سننه او استخفّ بها او اتى ما يخالفها فقد اتى نقيض ما تقتضيه الطبيعة الانسانية وتستوجبه ، من جهة، فطرةُ الافراد صيانةً لكرامتهم ، ومن جهة اخرى ، حياةُ النوع البشري ذاته ، لئلا يؤول الامر به الى التلاشي والاندثار ، فيعود باجمعه الى العدم[1].

هذا ما سنبينه فيما يلي بادلة ثلاثة :

٧ الادلة على تأصل الزواج الخفي في الطبيعة

ا – صيانة الكرامة البشرية في القرينين

معلوم ان اتحاد الرجل والمرأة ينشأ عن قوة خاصة ، غريزية في كل بشر ،

---

١) راجع Dictionnaire Apologétique de la Foi Catholique, art. « *Mariage et Divorce* », par Castillon, tom. III, col. 88.

تدفع كلًّا من الجنسين نحو أخيه . واول ما ترمي اليه هذه القوة ويشف عنها معاً ، هو الحدُّ الاول الذي تنتهي عنده حركتها ، اعني به التقارب الجنسي . تلك هي غاية القران الاولى وانما هي ، على ما سترى ، واسطة لغاية اسمى منها بدرجات .

ولكن قبل ان نتعدّاها ونرتقي بالبحث الى ما هو ارفع منها شأناً ، يجدر بنا ان نستثبت مما اذا كان يمكن تحقيقها خارجاً عن حصن الزواج الحقيقي ، دون ان ينحطّ الرجل والمرأة عن كرامتهما . وبعبارة اخرى هل يُبقي لهما القران الطليق وما يشاكله من المخالطات المتنقّلة ، شيئاً من المنزلة السامية التي تستوجبها فطرتهما العاقلة ؟

لعمري ان القران الطليق وسائر الصلات التي تجري مجراه ، من شأنها ان تهبط باتحاد الرجل والمرأة الى ما هو اسفل من علاقات البهائم بالبهائم .

تأمل في الحيوان . فانه لا عقل له يُرشده ولا ارادة له تدبّر أمره . وانما ينقاد لفطرته العمياء . ومع ذلك لا يعهد جنساه الى المواصلة ولا يطمحان اليها الا لداعي النسل وانما النوع ، ما لم تكن تربية الانسان له او لاحد أسلافه أفسدت جبلته . والسبب في ذلك ان قوة النسل فيه هي التي تُعدّل حركاتها بذاتها .

واما الانسان فبالخلاف . خصّته الطبيعة بالعقل والارادة . فبالعقل يدرك النظام وما يقتضيه من المقدار وظروف الاشخاص والكيفية والزمان والمكان . وبالارادة يقوى على مطابقة اعماله للنظام ومقتضياته . فليست اذن القوة الغريزية العمياء هي التي تُعدّل فيه ذاتها بذاتها ، بل انما قد وكل جابل الطبيعة هذا الامر الى العقل والارادة .

وغني عن البيان ان هاتين القوتين العاقلتين الروحيتين انما تقوم كرامة الانسان وشرفه بهما ، ومنهما رفعته فوق عالم البهائم وسيادته على سائر الخلائق المنظورة .

فاذا اعتبرنا هذا من جهة ، وعلمنا من أخرى كيف تُرهق القوة النسلية من ينقاد لها عن عمى ولا يدأب في قمع حركاتها ، تيقّنا ايضاً ان القران الطليق

انما مآله اطلاق الحرية تامةً للخلاعة والفحش ، فتسود الفوضى في المركّب الانساني ، حيث لا مكنة بعد للقوى العليا ان تراقب السفلى ولا ان تُلزمها حدّها ، فيُمسي ابن آدم كما لو كان فعلاً عديم العقل والارادة ، تخلّى عنهما لنزعاته الحيوانية فتخلّى ايضاً بنفس الفعل عن كرامته ومقامه الاعلى بين الكائنات المحسوسة.

ويا ليت الفوضى الموصوفة لا تتسرّب من الافراد والى الجماعات ، على ما نرى لسوء الطالع في واقع الحال ، مع كوننا نعلم حق العلم ان الناس عموماً يمقتون ، في الاقل مبدئياً ، كل ما جاء منحرفاً من حركات القوة المذكورة ، ويحسبونه امراً شائناً ، بل نراهم يسترون حتى ما جاء منها مطابقاً للنظام منحصراً في حصن الزيجة الشرعية ، مما يدل جلياً على ان الحياء طبيعيٌ في البشر.

واذا كان البشر منتشراً بينهم فساد الاخلاق ، بالرغم من رسوخ مبدأ الحياء في البابهم عرماً ، فكيف بهم لو نبذوه ؟ أوَ لا ينبذونه تماماً لو أقنعوا أنّ سُنة الزواج ليس الخالق وضعها ولا هو أسسها على الطبيعة ، بل انما هي ، على ما يدّعي بعض اشياع الحبّ الطليق ، وهمٌ باطل عالقٌ في الاذهان . أم لا يُمسي اذ ذاك المجتمع البشري كما لو كان مؤلّفاً من طوائف السباع ، بل احطّ منزلة.

قال الاب كوله : « ان كان من نزعة غريزية تُعرّض بالانسان للانحطاط عن المقام الرفيع الذي تقتضيه له جبلته ، من حيث هو عاقل حرّ ، فتؤول به الى درجة الحيوان الصرف ، فهي لا محالة تلك التي تدفع المرء والمرأة الى ان يتكتلا .

« فانه لما كانت غايتها ضمان البقاء للنوع ، فقد اضحت اثقل النزعات كلها ارهاقاً للانسان ، بعد تلك التي تميل به الى حفظ الكيان الفردي.

« على انها ايضاً اشدُّها عمى وأنانيّةً وفظاظةً وتقلباً . قوامها انجذابات واندفاعات لا نصيب للعقل فيها . فلا تلبث ، حالما تُحرَّر من التقيد بالضبط والترتيب ، ان تصير من اهول عوامل العسف والهوش والفوضى.

« فاذا ما أُطلق لها العنان فانها تدعُ الحيوان الوحشي يسرح ويمرح في

الانسان بعد ان كان العقل يقيّده ويقوده ، فتخنق فيه عواطف الرقة والحياء والنبل والرفق . وبما انها من طبعها عادمة القرار متقلّبة ، لا تشعر بما ليس اياها ، وما من ضعف ترأف به ، ولا من ضيقة تكترث لها ، ولا من وعد تراعي حرمته ، ولا من واجب تعتبره ، ولا من تبعة تخشاها ، وقصارى القول بما انها لا شيء يهمها ولا احد ، فانها تدفع من تمكنت منه الى ان يطأ برجله، بدون ما شفقة ، كل ما قام دونها حاجزاً.

« ومع ذلك كله فلا سبيل الى النكران ان هذه القوة العنصرية المريعة الى حد ما وصفنا ، هي من اثمن ما كمن فينا من شكلها ، راقدًا او هائجًا ، بل هي اهمّ ما ينبغي ضبطه كيما يُستخدم في سبيل البشرية ، بدون ما مجازفة بكرامة بني الانسان ، بل بحياة مجتمعهم .

« افلا يكون ، والحالة هذه ، من ابدع مآتي الوضعية الزوجية انها قد جمعت نوعاً ما ، بين اليقظة الاولى لهذه النزعة الغريزية ، الهائلة عاقبة والعظيمة شأناً ، وبين ما تأصل في القلب من عواطف الرقة والتفاني وبذل الذات تماماً وحتماً ، مما لا بد ان يُبنى عليه الزواج اصلًا وأساً ، — وأنها ايضاً قد أناطت شفاء علّة هذه القوة بما تنصّ شريعة الزيجة من الترتيبات والفرائض والمناهي، — وانها اخيراً قد قيّدتها بالخضوع لوضعية اجتماعية ، تقتضي من الانسان كل ما يستطيع ان يجود به من الحب وبذل النفس والامانة ؟

« فاذا ما جاء الميثاق الزواجي البات ، يستر هذه القوة عن اذى سرعة تقلّبها الفطرية وتغييراتها المدهشة المقلقة ، فأنيطت بانبل الغايات وارفعها شأناً ، تلك التي تقتضي من الثبات اشدّه وتجرّ من التبعات أبهظها ، واقتيدت متلينةً تهاب الضعف والقدرة في غير صاحبها ، واضحت كانها اكتسبت مزية روحية من نفس الغايات الشريفة التي ظلّت تتقيد بها ، فعندئذٍ لا تحول دون ذاك النمو الروحي ، الذي لا مندوحة للمرء عنه ، ما دام يبتغي ان يسود فيه الروح على الجسد والانسان على الحيوان . » [1]

(١ Coulet, *L'Eglise et le Problème de la Famille*, « Editions Spes », Paris, tom. 2, pp. 34-36.

(له صلة)

مشاكلنا الادبية الحاضرة

وصلتها بالادب الغربي

بقلم فؤاد افرام البستاني
استاذ الآداب العربية في كلية القديس يوسف

١

القديم والجديد — الوحدة في الشعر العربي القديم

توطئة

زمنٌ كان يعتقد فيه جمهور العرب ، بكل سذاجة واخلاص ، ان لا بلاغة خارج لغتهم ، « سيدة اللغات واشرفهن مكاناً واحسنهن وضعاً » ، وان لا فصاحة « للاعاجم الطبطبانيين » ، وان لا ادب يستحق الذكر الا « لابناء الضاد » . وانقضى عصرٌ كان يتساءل فيه ادباء العرب ، بكل جد ورزانة ، هل في الامكان وجود شعر اعجمي يضاهي شعرهم جزالةً وفصاحة ؟ . وكاد يضمحل عهدٌ يدعي فيه نقدة العرب ، بكل ايمان وجرأة ، ان آدابهم اغنى الآداب جمعاء ، وان لغتهم بحر خضم عظيم تصب فيه سائر اللغات . . . . فاصبحنا اليوم واذا بالاديب الحقيقي يترك هذه القوالب التقليدية للشعراء يمرنون على نظمها قرائحهم الجامدة اذا ما اعوزتهم الموضوعات ، وللخطباء يقرعون بها المنابر في الاحتفالات فيسترقون التصفيق من « حاملي لواء اللغة ورافعي منارها » . يترك كل ذلك لمبتغليه من غارين ومغرورين ، ويميل الى درس الآداب درساً موضوعياً يترفع عن التعصب والانتقاص ، ويجتهد في الوصول الى الانصاف على قدر الامكان ، فينيل كل

ذي حقّ حقّه دون زيادة ولا نقصان. وهو ، اذا فاضل بين ادب وادب ، ولغة ولغة ، محّص وقابل ووازن ، فاعطى ما للعرب للعرب ، وما للاجانب للاجانب.

على اننا نرى بعض ادباء العصر ، في سعيهم المشكور لتخلّص من تلك الاحكام السابقة ، يقعون في النقطة المعاكسة ، فلا يرون شيئاً صالحاً عند العرب ، ولا شيئاً فاسداً عند غيرهم . تلك شريعة ردّ الفعل تنقلهم من تطرّف الاقدمين الى تطرّف حديث قد يكون اسوأ مغبّة واوخم نتائج . فلا يندر ان نراهم ينصحون ادباء العربية بالانصراف عن فنون ادبهم من قديم وحديث الى النقل والتعريب والسير على اساليب الغرب . وهم في دعوتهم هذه لا يقفون عند حدّ ، ولا يأخذون باحتياط ، ولا يهتمّون بما عساه يفيد وبما عساه يضرّ من تلك الآداب الغربية عنّا . بل يكتفون بان يقابلوا بين الادب الغربي وبين ما عرفوه من ادب العرب — وقد يكون ما عرفوه قليل الخطر ضئيل القيمة — فيحكمون على الاول بالجمال والكمال وعلى الثاني بالقبح والنقص ، يحكمون على الاول بالابتكار والحركة ، وعلى الثاني بالتقليد والجمود . فيحملون على ما في ادبنا من اساليب ، دون تمييز ، ويأخذون بما في ادب الغرب من طرق ، دون تحفّظ كذلك . ومما يؤسف له ان اكثر ادبائنا هؤلاء مخلصو العقيدة ، غيورون على مصلحة اللغة . على ان الغيرة والاخلاص لا يكفيان ، ولم تكن النيّة الحسنة وحدها لتُصلح من ادب او تُجدّد من لغة .

وقد دفع افتتان هذه الفئة بتقليد الادب الغربي مناوئيهم من ارباب المذهب الاول الى الثبات في مواقفهم والجمود في مراكزهم ، خوفاً من هذه الحملة التي تصوّروها مدبّرة مسيّرة على الادب العربي . فكان من ذلك ان مضى كل فريق في آرائه وآثاره ، يعدل حيناً ويتطرّف احياناً . وتزيد الشقة ، على كل حال ، بعداً وخلافاً . الى ان افقنا ، واذا في ادبنا مشاكل عدّة منها ما يمسّ موضوعات التفكير والتأليف ، ومنها ما يمسّ طرق التعبير واساليب الاداء ؛ منها ما كان قديماً فزاد تعقيداً والتباساً ، ومنها ما نشأ حديثاً فاضاف الى ما تقدم صعوبةً واشكالاً .

هذا ومعلوم ان مجالنا اليوم لأضيق من ان يتسع لذكر تلك المشاكل جميعها. فنترك جانباً كل ما يمت بصلة الى موضوعات الايجاد واساليب التأليف مما يُعرَف بالادب الانشائي او « بالادب » بحصر المعنى . ونكتفي بما يمس النقد الادبي ، واسلوب البحث في تلك الآثار الادبية. ونكتفي اليوم من هذا ايضاً بظاهرين : اولهما مشكل عتيق زادته الصلة بادب الغرب تعقيداً والتباساً ، اعني به النزاع بين القديم والجديد . وثانيهما مشكل حديث تولد عن المقابلة بين ادبنا وادب الغرب ، وهو الوحدة في الشعر العربي القديم.

القديم والجديد

ان النزاع بين القديم والجديد عريق في القدم . فهو النزاع التقليدي بين الماضي والحاضر ، وبين الحاضر والمستقبل. بين الشيوخ والشبان ، وبين الآباء وابنائهم ، في طرق العيش واستخدام مرافق الحياة . وكذلك في النظر الى مظاهر الهيئة الاجتماعية ، والادب منها . وان يكن هذا النزاع لم يظهر شديداً في عصور ادبنا الاولى ، فلأن الشرقي ، وخصوصاً السامي ، مفطور على التقليد ، يصعب عليه ان يترك سبيلاً مطروقاً اختطه جدوده وسهله آباؤه الى الاندفاع في سبيل لا يعرف اين ينتهي . وعليه فلم يشعر بحاجة الى السير على اسلوب غير الذي سار عليه سلفاؤه . وهو اذا اتى الجديد ، فانه يأتي عمله إمّا تقليداً لأمر خارجي رآه ، فتأثر به ، فتبعه كما كان يتبع غيره ، او إجابةً لداعٍ عنصري غريب قام به احد ادباء العربية من غير العرب . ولهذا نرى ان دعاة التجديد في الاعصر القديمة كانوا من غير العنصر العربي ، كابي نواس وبشّار الفارسيَّين في محيط الادب ؛ والفارابي التركي في مظاهر الموسيقى ؛ والفارابي ايضاً وابن سينا الفارسي في مجالي الفلسفة واساليب التفكير.

هذا في ما خصّ النزاع بين القديم والجديد على الاطلاق . اما نزاع ادباء عصرنا فهو مبنيٌّ ايضاً على التقليد . . . فبينا يقلّد انصار القديم او المحافظين طريقة القدماء من العرب ، يقلّد دعاة الجديد او المجدّدين طريقة الغربيين ؛ على الرغم من ان هذه الطريقة ، في حدّ ذاتها ، قديمة في الادب الذي اقتبست

منه . وليس فيها من الجدّة الّا انها جديدة في الادب العربي في نظرة المحافظين ، وفي نظر المجدّدين ايضاً ، اذا ما قارنوا — وقد فعلوا — بينها وبين ما يرونه من الاساليب في الادب الغربي . واذاً فالجدّة هنا امر نسبي يخاف منه بعض مناصري الادب القديم فيحاربونه تجديداً مضراً ، ويؤخذ به بعض دعاة الجديد فيبشرون به تجديداً نافعاً . وقد لا يكون بين اكثر المحاربين والمبشرين من درس عن تعمّق وتبصّر قيمة هذا « التجديد » بحد نفسه وما يستند اليه من اساليب ، وقيمته بالنسبة الى الادب العربي.

وعلينا ان نقف قليلاً امام لفظة التجديد فنجتهد في البحث عما تنطوي عليه من المنافع او المضارّ:

لا خلاف في ان المجدّد او الجديد في الامور المادّية يكون غالباً على كثير من المنفعة . فالبيت الجديد افضل من البيت القديم ، والمركبة الجديدة احسن من المركبة القديمة ، والحكومة الجديدة قد تكون في نظر العامّة انفع من الحكومة القديمة . وما ذلك الّا لأنهم يختبرون منافع الجديد ، او هم يتفاءلون بجدّته دون ان يختبروا شيئاً منه . غير انه على الادباء الّا يؤخذوا بهذه المشابهة اللفظية بين بيتٍ من الحجارة جديد وبيت من الشعر جديد . فقد يكون التجدد النافع الجميل اللذيذ في الامور المادّية والمدنية ضارّاً قبيحاً تافهاً في امور العلم والادب[1].

ان مبدأ ارخميدس في الاتقال قديم ؛ فهل يكفي ان نرى مبدءاً جديداً لنتملق به تاركين ذاك القديم لكونه قديماً ؟ وهندسة اقليدس قديمة ؛ فهل تكفي جدة هندسة اينشتين مثلاً لاقرارها محل الاولى ؟ وهكذا القول في الشؤون الادبية ايضاً . فان وصف امرئ القيس للفرس قديم ؛ فهل يكفي ان تكون قصيدة في الموضوع نفسه جديدة لتصير افضل من ذاك الوصف القديم ؟ وكتاب « ايها الولد » للغزالي قديم ؛ فهل يكفي ان نرى نصائح والد عصري لولده حتى نفضلها على ذاك الكتاب القديم ؟ هذا فضلاً عن ان قصيدة امرئ.

---

١) راجع في هذا الصدد ملاحظة محمد احمد الغمراوي : النقد التحليلي لكتاب في الشعر الجاهلي ، ص ٢٠-٢١

القيس كانت جديدة بالنسبة الى ما تقدمها ، وكتاب « ايها الولد » كان جديداً بالنسبة الى ما سبقه . ومن البديهي اننا لا نعني بذلك الجدّة في تاريخ الظهور او العمر ، بل الجدّة في القيمة الادبيـة من ابتكار الموضوع وعرض المعاني واسلوب التعبير ، والّا لما كان من معنى لبرهاننا ، اذ لا يبرهن الانسان عن ان الاول سبق الثاني والثاني سبق الثالث . . .

هكذا نفهم القِدَم والجدّة ؛ وهكذا فهمها ادباؤنا المتقدّمون . فقال ابن رشيق : « كل قديم من الشعراء فهو مُحدثٌ في زمانه بالاضافة الى من كان قبله . »[1] وقال ابن قُتيبة : « لم يقصر الله الشعر والعلم والبلاغـة على زمن دون زمن ، ولا خصّ قوماً دون قوم . بل جعل ذلك مشتركاً مقسوماً بين عبـاده في كل دهر ؛ وجعل كلّ قديم حديثاً في عصره . »[2]

فاذا اقررنا نسبيّة الجديـد والقديم ، والوهم المأخوذ بـه العامّة وبعض الادباء ، اذ يقارنون بين المرافق المدنيّة والامور الادبية ، فيلصقون ، خطأً او عن غير قصد ، النفع بالجديد والضرر بالقديم ؛ فاننا ننتقل الى ما أثرت في ادبنا نظرية التجديد المزعومة ، وما جرّت اليه من مقارنات بين الادب العربي والادب الغربي لم يتوحّد فيها الموضوع ففسدت النتائج .

اول ما أُخذ به المجدّدون انهم رأوا خلافـاً بين ادب الغرب وادبنا ، فراحوا ينعون على ادباء عصرنا التقليد ويدفعونهم الى التجديد . وما تجديدهم ، كما قدمنا ، سوى تقليد ، لا تقليد الاقدمين من العرب ، بل تقليد الاجانب . واذاً فهم متفقون والمحافظين روحاً وطريقـةً ، وان اختلفوا موضوعاً . ولا يستنتج من هذا اننا من اعداء التجديد . لا ! ولكننا من اعداء استعمال هذه الكلمات التي تُطلق جزافاً دون ان تدلّ على شيء واضح مقرّر ، في اذهان « القدماء » ولا في اذهان « المجدّدين » ، ومن الصعب ان تـدلّ على شيء واضح مقرّر ، وهي على ما اشرنا اليه من النسبيّة والتقلقل . . .

اما وقـد رددنا نظرية « التجديد » العصري الى اصلها من تأثير الادب

---

١) ابن رشيق : العمدة – في مقالات علم الادب ٢ : ٢١٤

٢) ابن قتيبة : الشعر والشعراء – في مقالات علم الادب ٢ : ٢١٥

الغربي ، فيمكننا ان نتخطى الى ظاهرة ثانية لهذا التأثير أخذ بها عدد من النقّاد ، واستندوا الى التجديد ايضاً ، فكان لهم آراء تمسّ الوحدة في الشعر العربي القديم.

الوحدة في الشعر العربي القديم

اطلع بعض ادبائنا على ما في الادب الغربي من وحدة في التأليف ، متماسكة الاجزاء جليّة المظهر ، بارزة بوحدة الموضوع ، ووحدة التنسيق ، ووحدة التعبير . فشعروا بروعة الجمال في ذلك ، وما الجمال الّا تناسق الاجزاء واتحادها في تنوّعها ، وراحوا يقابلون بين هذه الوحدات الواضحة البارزة على اكمل ما يكون وما في شعرنا القديم من اضطراب بدا لهم بيّناً ظاهراً . فحكموا على الشعر العربي القديم بعدم الوحدة ، وقالوا يجب ان نتركه ونجدّد

اما دعوتهم الى التجديد ، اي الى نهج طريقة في الشعر العربي تتصف بوحدة تامة على نحو ما حدّدناه ، فأمر ممدوح يستحقّون عليه كل ثناء . واما اطلاقهم الحكم على الشعر العربي القديم بعدم الوحدة فمجازفة تنكرها الرزانة والتثبت . بل هو حكم جائر مبني على فساد في المقارنة ولد فساداً في النتيجة . قارنوا بين مظهرين مختلفين لبيئتين متباينتين فوجب ، ولا بدّ ، ان يؤدّي ذلك الى نتيجة متقلقلة مضطربة . اخذوا من جهة تأليف « مؤلّف » سار على قوانين انشائية مقرّرة ، فولد رائعةً تطابق في جميع اجزائها ما اثبته علماء الادب عن وحدة التأليف ، فكان لنا قطعة فنية كأندروماك راسين ، او بجيرة لامرتين ، او مثل من امثال لافونتين او مقطع من مقاطع سوللي برودوم ؛ واخذوا من جهة اخرى زفرة « شاعر » لم يكن على شيء من الثقافة الكتابية تأثر بمنظر اطلال تركها الحبيب ، فانشد قطعة ادبية لا تقلّ روعةً عما تقدم ذكره من آثار الادب الغربي ، وان كانت لا تطابق ما عرفناه بوحدة التأليف . وقد ندعو هذه القطعة معلّقة امرئ القيس او معلّقة طرفة او غير ذلك من الشعر الجاهلي.

اذاً فساد النتيجة في كون الادب الغربي ذا وحدة يجب الاخذ به ، وفي

كون الادب العربي القديم لا وحدة فيه يجب طرحه ، ناتجٌ من فساد المقارنة بين شاعر مثقف « يؤلف » وشاعر لا ثقافة له « يُنشد ».

لا نكير ان ليس في معلقة امرئ القيس مثلاً وحدة تأليف بالمعنى الذي قدّمناه . ولكن لو تعمق في درسها الثائرون على الادب القديم ، لرأوا فيها وحدة حقيقية طبيعيّة اكثر منها تأليفية ، بديهيّة اكثر منها صناعية ، وهي وحدة الشعور او وحدة التذكار.

يقف امرؤ القيس ، او غير امرئ القيس ، على رسوم واطلال تدفعه الى البكاء اذ يتذكر من كان فيها من الاحبّة ولا غرابة في ان تذكار الاحبة المنبعث عن مشهد الاطلال يدفعه الى تذكر ما كان يقضيه من « الايام الصالحة » مع اصحاب تلك المنازل المهجورة . وتذكار تلك الايام يدفعه الى وصف ما كان يقوم به فيها من الصيد لارضاء حبيبته وصواحبها . واي غرابة في ان وصف الصيد في يوم ماطر كثير الصعوبات — وهو اعلق بالذاكرة من يوم صيد لا صعوبات فيه — يدفعه الى وصف المطر ووصف الجواد !.. وفي كل ذلك وحدة شعورية او تذكارية يلمسها كل من تعمق في درس اكثر المعلقات وما اليها من الشعر الجاهلي « المطبوع » ، وان كانت لا تطابق الوحدة المعروفة في الادب الغربي . فهذه وحدة موضوعية (objective) تختص بالتأليف نفسه على الاكثر ؛ وتلك وحدة نفسية داخلية (subjective) تختص بشعور المنشد . وكون القوانين الادبية العصرية لا تشير الى هذه الوحدة الشعورية النفسية لا يكفي لنحكم بعدم وجودها في الادب العربي القديم ، ومن ثمّ بوجوب اطراح هذا الادب.

اما سبب الخلاف بين الوحدتين فناتج من ان قوانين التأليف وقواعد الانشاء مقرّرة عند الافرنج ، وان الشاعر منهم يعرفها ، فاذا نظم ، تمتزج شخصية « الشاعر » فيه بشخصية « المؤلف » . ونحن نرى شيئاً من هذه الوحدة الخارجية في الشعر العربي ، حتى القديم منه ، عندما كان شاعرنا « يؤلف » اي عندما كان يعمل في سبيل غاية محدودة «فيصنع» قصيدة غائية ، نشاهد ذلك في رائية الاعشى مستنجداً بشُرَيح بن السموءل ، وفي ميمية الحطيئة واصفاً

الضيافة البدوية ، وما يشبهها .. ويجرّنا هذا الى تنويع الشعر القديم بالنظر الى الوحدة فنميّز فيه ثلاثة انواع: اولا الشعر « المطبوع » نقصد به الشعر الذي كان يقوله صاحبه بديهةً اي دون تكلّف، على اثر عامل نفسي دفعه الى اصطاد زفرة لتذكار عهد مضى ، وهو ذو الوحدة الشعورية التي تقدّم ذكرها . يقابله النوع الثاني وهو الشعر « المصنوع » الذي كان « يصنعه » صاحبه لغاية خارجية كالمدح او الهجاء ، او لغاية نفسية كوصف الهوى فيسير بـه على اسلوب من تقدّمه من تعدّد الموضوعـات ، فيقلّ فيه الابتكار ويشذّ غالباً عن الوحـدة الشعورية ، دون ان يتصل بالوحدة الخارجية البارزة في الموضوع الواحد. حتى اذا توحّدت غاية المؤلف ، كما رأينا في قصيدتي الاعشى والحطيئة ، كان لنا النوع الثالث من الشعر ، وهو مصنوع ايضاً ، ولكنه على قسط وافر من الوحـدة العصرية.

* * *

هذه نتيجة فاسدة جرّ اليها فساد المقارنة السطحية بين الادب العربي والادب الغربي . وهذه المقارنة هي اساس الدعوة الى التجديد كما قدّمنا.

وهناك ايضاً عدّة نتائج لهذه المقارنات ، منها ما يمسّ وجود الملاحم عند العرب ، ومنها ما يمسّ وحدة القافية في الشعر العربي . ومنها ما يتعلّق بالشك في الشعر الجاهلي ، ومنها ما يهتمّ بتدريس الشعر الغزلي ، ومنها ما يقرّر وجوب الاخذ بترجمة القطعة الادبية مقياساً لقيمتها الفنية . وكلها يكتنفها الفساد من اكثر جهاتها ، مما قد نعود اليه في مستقبل قريب ، ان شاء الله !

الصوم الاربعيني في القرن الرابع

في الشرق والغرب

اي في انطاكية واورشليم والاسكندرية ورومة

بقلم نصرالله نصرالله (النبك)

٣

ثالثاً : كيفية ممارسة الصوم

ان تباين الكنائس المختلفة في ممارسة الصوم كان اعظم منه في عدد الايام. وعليه يجب ان نبذل قصارى الجهد لبيان كيفية ممارسة الصوم عند كل من هذه الكنائس ، تابعين الخطة التي تبعناها حتى الآن.

وقبل الشروع في هذه الناحية من الموضوع ، يحسن بنا القول ان الكنائس التي كانت تدمج الصوم الفصحي بالصوم الاربعيني ، والتي كانت تفرز احدهما عن الآخر، كانت تمارس تقشفات اشد صرامةً في الصوم الفصحي، ولا سيما اليومين الاخيرين منه اي الجمعة والسبت. وسبب ذلك انه لم يكن غير الصوم الفصحي في مطلع القرن الرابع (وهو يمتدّ الى يومين او اربعين ساعة او اكثر حسب الكنائس) وهي الايام التي اشارَ اليها المخلص في الانجيل: «ومتى ارتفع العروس عنهم فحينئذٍ يصومون».

وعليه وجب علينا في هذا الدرس ان نذكر التقشفات المتممة في الصوم الاربعيني وفي الصوم الفصحي في كل كنيسة.

والتقشفات التي تخصّ الطعام على نوعين: منها الامساك عن الطعام الى وقت محدود من النهار ، ومنها الامتناع عن اكل بعض الاطعمة.

٥ – في انطاكية

كان يُقتصر على وجبة واحدة في النهار ، وحسب عدة نصوص من الذهبي الفم تكون هذه الوجبة عند المساء[١] . لكن *La Didascalie* ينصّ على ان الصوم ليس الزامياً الا الى الساعة التاسعة اي الثالثة بعد الظهر[٢] . على ان هذا التصريح لا ينقصّ من شهادة الذهبي الفم : ١ً لان موضع تأليف هذا الكتاب لا يُعرف بالتحقيق، وهل هو يتكلم عن عوائد انطاكية او عن غيرها ، فجلّ ما نعلمه ان كاتبه كان اسقف بلدة كبيرة من سورية العليا[٣] . ٢ً لإمكان تبدل العوائد على مرور الزمن . واما تصريح « الدساتير الرسولية »[٤] فلا يسعنا ان نتحقق منه ، حسب ظننا ، ساعة الوجبة المحددة ، اقله الذين كان الصوم عليهم اجبارياً لانه غير واضح.

اما الصوم المتبع في جمعة الآلام (الصوم الفصحي) فلم يقع فيه شيء من التبدل حتى الخميس بعد الظهر، وفي اليومين الاخيرين منه، فالمشهور ان المسيحيين كانوا يبالغون في التقشفات ، فيمتنعون عن كل طعام من مساء الخميس حتى فجر الاحد. وكذلك يتبيّن جلياً من نصّ « الدساتير الرسولية » : « الجمعة والسبت تمتنعون بتاتاً عن الطعام مواصلين الصوم حتى صياح الديك من ليلة الاحد »[٥] ومن *La Didascalie* : « الجمعة والسبت تصومون صوماً كاملاً ولا تذوقون طعاماً البتة . اجتمعوا كلكم ، لا تستسلموا للنوم ، احيوا الليل في الصلوات والتضرعات وقراءة الانبياء والانجيل والمزامير بخوف ورعدة وتوسلات غير

١) *Homel. IV ad Pop. Ant.* ; Bareille, II vol. p. 53 — *Homel. IX ad Pop. Ant.* 6 ; *P. G.* t. XLIX col. 68 — *Homel. X sur la Pénitence* 1 ; Bareille II vol. p. 274. — Cf. S' Basile, *De Jejunio, homel. I*, 10 ; *P. G.* t. XXXI col. 181.

٢) *Op. cit.* p. 120.

٣) Cf. Tixeront, *Précis de Patrologie*, p. 123.

٤) Lib. V, cap. 18 ; Pitra, *op. cit.* p. 288.

٥) Lib. V, cap. XVIII, XIX ; Pitra, *op. cit.* p. 288 — Lib. V, cap. XV ; Pitra, *op. cit.* p. 284.

منقطعة الى الساعة الثالثة من الليل الذي يلي السبت، فحينئذٍ تنهون صومكم»[١] وهذا القول يعاد مراراً في الصفحات التالية.

ويلوح لنا ان الصومين الاربعيني والفصحي في الكنيسة الانطاكية كانا يمارسان بصرامةٍ متماثلة من جهة القطاعة. ففي الجمعة المقدسة، كان المسيحيون ينقطعون عن كل مأكول سوى الخبز والفواكه اليابسة وهذا ما يدعى (*Xérophagie*)[٢] والاطعمة المحظورة هي اللحم، والسمك، والبيض، والحليب، والسمن، والجبن، والخمر، والزيت. واننا نستدلّ من نصوص يوحنا فم الذهب ان الانطاكيين في عصره كانوا يمتنعون عن جميع هذه الاطعمة: لحم الطيور والاسماك (*Homel. III ad Pop. Ant.* 5, *P.G.t. XLIX*, col. 53) ولحم الانعام (*P. G. t. XLIX*, col. 53) «وبكلمة لحم، يقول ثاكندار، يفهم الآباء عادة كل ما يؤلف الحياة الحيوانية وكل ما يخرج منها. فالبيض والحليب وكل ما يُستخرج منه كانت ولا بد مشمولة تحت هذه التسمية»[٣]. لنطبق هذا المبدأ على الكنيسة الانطاكية. وحسب قول الذهبي الفم ان الانطاكيين كانوا يمتنعون ايضاً عن الخمر والزيت[٤].

وهذا النظام هو الذي كان مرعياً عند عامة الانطاكيين. مع ذلك كان يوجد من يقتصرون على تناول الخبز والماء فقط[٥].

٢ – في اورشليم

ليس لنا شهادات صريحة تبين الوقت الذي كان فيه مسيحيو اورشليم يتناولون وجبة الصوم فالقديس ابيفانيوس يقول[٦] ان الصوم لا ينتهي الا عند

(١ *Didascalie* p. 120.

(٢ *Const. Apost.* Lib. V, c. XVIII ; Pitra, *op. cit.* p. 288.
القديس ابيفانيوس يفهم *xérophagie* بالامتناع عن كل مأكول ما عدا الخبز والملح والماء (*Haeres. L.* III. *Expos. Fidei* c. XXII ; *P. G.* t. XLII col. 828)

(٣ *Dict. Théol. Cath.* art. Carême, col. 1733.

(٤ *Homel. IV, ad Pop. Ant.* 6 ; *P. G.* t. XLIX, col 68. – *Homel.* 6e *sur la pénitence* ; Bareille p. 274.

(٥ St J. Chrys. : *Homel. IV, ad Pop. Ant.* 6 ; *P. G.* t. XLIX. col. 68.

(٦ *Exp. Fidei*, c. XXIII, *P. G.* t. XLII, col. 829.

المناه . ولكن لا ندري هل هو يتكلم عن عادة وطنه (لانه فلسطيني نشأ في فلسطين وسُقف على قبرس) او يخبر عمّا كان يجري في ابرشيته . واتيريا لا تشير في سياحتها الى هذا الموضوع. نعم انها عند ما تتكلم عن « *stations* »، اي صوم الاربعاء والجمعة ، تقول ان الصوم كان ينتهي الساعة التاسعة [١] . افيمكننا ان نستنتج ان شريعة الصوم الاربعيني هكذا كانت ؟ لا يبدو لنا ذلك لانه ، كما يقول العلامة دوشين، « ان صيامات « *Stations* » لم تكن من الصيامات الكبرى ولم يُجاوز فيها الساعة التاسعة » [٢].

والكنيسة الاورشليمية كالكنيسة الانطاكية كانت تنهي الصوم الفصحي الاحد صباحاً [٣].

وبخصوص القطاعة ، كان جارياً حسب قول القديس كيرلس الامتناع عن اللحم [٤] ، ومن ثمّ عن البيض والحليب وكل ما يُستخرج منه ، حسب التنبيه الوارد سابقاً. واخيراً عن الخمر [٥] . وان اتيريا في سياحتها تشير الى القطاعة ، والقطاعة التي تتكلم عنها هي التي يعمل بها فئة من المسيحيين المغالين بالتقشفات والذين يدعون Apotactites ، لا عامة المسيحيين ولذا لا يمكننا ان نجعلها عادة مألوفة عند الجميع . وهذه القطاعة كانت تقتصر على الطحين والماء وتمنع الخبز والزيت والفواكه [٦] .

٣ – في الاسكندرية وروما

يتعذّر علينا التبسط في التفاصيل الدقيقة عن كيفية الصوم والقطاعة في

---

١) Cf. Dom Cabrol : *Les Eglises de Jérusalem*, p. 135.

٢) Cf. *Les Origines du culte Chrétien* p. 219.

٣) S. Cyrille de Jérus. *Catech. XVIII*, n. 17 ; *P. G.* t. XXXIII, col. 1037.

٤) *Catech. IV* ; *P. G.* t. XXXIII, col. 1010.

٥) *Catech. IV* ; *P. G.* t. XXXIII, col. 490. لكن منع شرب الخمر على الطعام حسب قول فونك (Funck) كان امراً مندوباً لا واجباً ، وبهذا يفسّر اقاويل الآباء كالقديس كيرلس الاورشليمي والقديس باسيليوس وغيرهم.

٦) Cf. Mgr Duchesne : *Les Origines*. p. 471-482. – Cabrol, *Les Eglises de Jérusalem*, p. 138.

هاتين الكنيستين ، اذ ليس لدينا بيانات اكيدة مأخوذة من القرن الرابع ولربما يأتينا بعض المتبحرين في علم التاريخ الكنسي فيميط النقاب عن هذه الحقيقة. لكننا نستطيع القول ان القطاعة كانت تتناول لحوم الانعام واصناف الحليب.

اما لحوم الطيور والاسماك فلا يمكننا ان نبت بمنعها ، لان الكثيرين كانوا ، حسب قول سقراط ، ياكلونها [1] ، لان لحومها لا تعتبر كلحوم سائر الحيوانات منافية الصوم. وذلك لان السمك يعيش في الماء ، والطيور ، كما جاء في سفر التكوين ، اصلها مائي.

وايضاً لا يمكننا ان نحدد ساعة تناول وجبة الصوم اهي التاسعة ام بعد غروب الشمس. فان القديس ابيفانيوس يقول: « ان ستة ايام الآلام تسمى *Xérophagie*. لان جميع الشعوب تقتصر فيها على المآكل الجافة ولا يؤكل الا عند المساء [2]... » لكن تصريح هذا القديس شامل كنائس كثيرة فلا يسعنا تخصيصه باحداها.

على انه يمكننا الجزم بامتناع مسيحيي رومة عن الطعام الجمعة والسبت حتى فجر الاحد ، حسب نص ديونيسيوس رئيس اساقفة الاسكندرية في رسالته الى باسيليد [3]. وبخلاف ذلك في الكنيسة الاسكندرية كان الصوم ينتهي في صلاة غروب السبت المظيم حسب تصريح القديس اثناسيوس [4].

لقد عرفنا بوجه عام عوائد كل كنيسة ولم نتكلم عن التقشفات الخاصة التي كان يمارسها بعض فئات من المؤمنين مثل الـ « Hebdomadiers » الذين تكلمت عنهم اتيريا [5] والذين كانوا يصومون كل ايام الاسبوع دون طعام البتة . والـ « Apotactites » الاولى كانوا في مدار السنة كلها لا يتناولون الا وجبة في النهار ، وذلك عندما يأكلون. ومن كان من الاولين لا يستطيع صوم الاسبوع بكامله كانوا يفطرون يوم الخميس ، والبعض يأكلون كل

---

١) *H. E.* V, 22.

٢) *Exp. Fidei*, c. XXII, *P. G.* t. XLII, col. 828.

٣) Cf. Pitra. *op. cit.* P. 541. وهذا التصريح من ديونيسيوس يرينا سبب اختلاف المؤمنين في اختامهم الصوم السبت مساء او الاحد صباحاً، وذلك وقت قيامة المسيح. فالبعض كانوا يرتأون ان المخلص قام بعد غروب شمس السبت ، وغيرهم يعتقدون انه عند غلس الاحد.

٤) *Lettres festales* ; *P. G.* t. XXVI, col. 1389.

٥) Cf. *Les Origines du culte Chrétien*, p. 481-482.

يومين[١] . وكان كثير من هؤلاء الابطال لا في اورشليم فحسب ، بل في كل كنيسة . فالقديس ارغسطينوس يخبرنا عن شخص طوى الاربعينية بكاملها دون طعام[٢] . وكذلك القديس ايرونيموس[٣] والقديس ابيفانيوس[٤] ، والقديس يوحنا فم الذهب[٥] .

وما عدا هذه التقشفات التي اشرنا اليها بما يتعلق بالطعام ، يوجد غيرها كانت مألوفة بين المسيحيين عامة – وبقولنا عامة نميز بعض فئات كالموعوظين الذين لهم عوائد خاصة .

فمن هذه الاعمال نخص بالذكر عفة المتزوجين ، والاحجام عن الاعراس ، ومنع المآدب والولائم ، والانقطاع عن الالعاب العامة وحضور المراسح ، والتوقف عن متابعة الدعاوي الجنائية ، والحكم بالموت .

فعفة المتزوجين قد حرض عليها القديس تيموثاوس الاسكندري[٦] والقديس باسيليوس[٧] والقديس اوغسطينوس[٨] . اما الاعراس فقد نهى عن اقامتها مجمع اللاذقية Laodicée في قانونه الثاني والخمسين . وفي ٢٧ مارس سنة ٣٨٠ اذاع غراسيانوس وثاودوسيوس[٩] شريعة يأمران بها بتأجيل اجراء الدعاوي الجنائية في الاربعينية السابقة للفصح[١٠] .

والى هذه الاعمال يمكننا ان نضيف غيرها كالعزلة والصمت التام ، واسعاف البائسين ، والاعمال الصالحة والصلوات[١١] .

بقي لنا كلام وجيز عما يفسخ الصوم وعن الشخص المكلف به . فنجتزئ

(١ Cf. Dom Cabrol. *Les Eglises de Jérusalem* p. 135-136.

(٢ *Epist. XXXVI, ad Casulanum* 19 ; *P. L.* t. XXXIII, col. 1481.

(٣ *Epist. XXIV*, n° 4.

(٤ *Expositio Fidei*, 22.

(٥ *Homel. IV ad Pop. Antioch.*, Bareille II, p. 53.

(٦ *Rép. Canoniques* ; *rép. XXXIV*, Pitra, *op. cit.* p. 637.

(٧ *De Jejunio, homel.* 1 ; *P. G.* t. XXXI, col. 184.

(٨ *Serm. CV, CVIII, CIX, CX.*

(٩ *Cod. Theod. L. IX*, titr t. XXXV, leg. 4.

(١٠ Cf. *Dict. Archéol. et Liturg.*, art. Carême, par Vacandard col. 2151-2152.

(١١ Cf. *Dict. Arch. et Liturg.*, art. Jeûnes par Dom Cabrol, col. 2491

بايراد ملخص ما جاء في معجم العاديات والليتورجية المسيحية.

يقول كابرول ان الصوم هو الامتناع عن كل طعام. ففي احقاب الكنيسة الاولى كان الصوم يُفهم بالاطلاق ويقتضي الامتناع عن كل شراب حتى عن الماء غالباً . ويجب ان نتذكر ان الذبيحة الالهية كانت تقام ابان الصوم عند المساء ، فالذين يتناولون كانوا ينقطعون عن كل طعام الى هذا الوقت . ولدينا نصوص تبرهن على انه يجب الامتناع عن كل مشروب ، كما عن كل مأكول ، في الاربعينية وايام الصيامات الكبرى[1] «وكانت صرامة الصوم والقطاعة في الاجيال الاولى ، على قول ڤاكندار ، شديدة حتى اننا نستطيع ان نتساءل هل كان جميع المؤمنين يستطيعون احتمالها . فبدئياً كانت شريعة ملزمة كل شخص معتمد، وفي القديم لم يُعفَ منها لا العملة ولا الشيوخ ولا الاولاد اقله الاحداث[2]. » هذا مبدئياً، لكن عملياً كان يوجد بعض التفسيحات كما يتبين من بعض نصوص قول الدساتير الرسولية : « الجمعة والسبت لا تتناولوا طعاماً البتة . . . وان عجز البعض عن تحمل هذه المحنة فليصوموا اقله من السبت حتى الاحد . »[3] وكذلك يقول القديس تيموثاوس الاسكندري مستنداً الى هذا المبدأ ان الصوم رسم لتذليل الجسد[4] فعندما يكون الجسد مذللاً في المرض فلا حاجة به الى الصوم والقطاعة. وهكذا نرى هذا الاسقف القديس يعفي الشيوخ (Rép. 33e., Pitra, op cit p.637) والمرضى (Rép, 10e, Pitra, p. 632) والنساء المرضعات (Rép. 31e, Pitra, 31e, op. cit p. 637) وجميع الذين يتعذر عليهم الصوم (Rép. 8e, Pitra, p. 631)

هذا ما تمكنا من الوقوف عليه في هذا الموضوع. وليعذرنا القارئ ان لم نستطع ايفاءه حقه ، وذلك لعدم وجود مصادر كافية لدينا توقفنا على جميع اطراف هذا البحث الدقيق الواسع.

(١ Cf. *Dict. Arch. et Liturg.*, art. Jeûnes, par Dom Cabrol, col. 2485.

(٢ Cf. *Dict. Arch. et Liturg.*, art. Carême, par Vacandard, col. 2151.

(٣ *Const, Apost.*: *L. V, C. XVIII, XIX* ; Pitra, *op. cit* p. 288.

(٤ *Sa 8e réponse canonique*. Pitra, *op. cit* p. 631.

من بين حروف النافذة

مشاهدات وتأملات

القس اسطفان فرحات اللبناني

٢

وكان الصباح ايضاً ذات يوم، لما عدت فجلست الى نافذتي المذكورة. اتبين ما يحكي ان اتبينه من الذين يتسنى لي ان اراهم حينئذٍ. كما رأيت غيرهم من قبل، بحيث تتولد لي من هذه المرئيات، لذة التفكير في جميع ادوار هذه الحياة الدنيا، فأسرّي بذلك عني بعض ما بي في وحدتي، من سوء وضجر.

فبينا انا مجهد حافظتي، في استرجاع ذكرى الساعات الخاليات، ومستسلم الى تيار النفس الطماحة الى التعرّف، الى طباع كل من يمثلي ادوار رواية هذه الحياة، فوق مسرح هذا الوجود العجيب. واذ بصوتٍ مستعطٍ، قد خرق اذني فوصل الى صميم فؤادي، حتى كاد يبكيني عليه رحمة وشفقة. وهو رجل، عليه اهدام بالية، يخال للرائي ان اعوامه قد نيفت على الاربعين، قد تملكه الجوع، ونال منه الظمأ، يحتقب كيساً وعى فيه فضلات المحسنين اليه. وبيده عصاً يستدل بها على سواء السبيل. وذلك لان الطبيعة، أبت الّا ان تعامله بالجور والظلم. فقد افقدته نور بصره، فامسى عمياً عنها، محروماً لذة مرأى جمالها الرائع، ولكنها قد عوضته من ذلك نور البصيرة، فكان يستعطي اخوته البشر، كسرة خبز، او بعض دريهمات، يبتاع بها، ما يسد به الرمق، ويزود به عنه الطوى، فاستوقفته تحت نافذتي، وقمت الى درجي وجئته بما استطعت ان اتخلى عنه، وهو بعض دريهمات، يعتان بها على شراء ما يمسك به النفس. فما ان نفحته بها، حتى اطلق لسانه بالشكر لي والثناء عليّ بعبارات كانت تخال اليّ انها صادرة من صميم فؤاده، الذي كوته الفاقة بنارها المحرقة، وسطت عليه ذئاب الحاجة القصوى، حتى اوشكت ان تمزقه بانيابها الحادة،

وما زال يدعو الى الله ليغزر بركاته عليّ ، حتى وصل من تسياره ، الى باب احد الاغنياء ، الذي قد انعمت عليه الطبيعة بمالٍ وفير ، وما زالت تزيده ، حتى بطر في سعة عيشه وغرق في بحر ترفه وملذاته ، فتعامى عن معرفة الاخاء ، واستهتر في ازدراء البؤساء . فامسى ، والحالة هذه ، هدفاً لالسنة الناقدين ، فلا يكاد يراه من الجانب الواحد احد ممن تعرفوا اليه ، وخبروا طويته ؛ ويرى من الجانب الآخر ذلك الفقير البائس يستندي اكفّ ذوي المروءة والمعروف ، بكلام يفتت الاكباد حزناً ، حتى يتمنى لو ان الطبيعة كانت عدلت بين الاثنين بتوزيع الحظوظ ، فوهبت ذلك الفقير نور البصر ، فوق ما وهبته من نور البصيرة . وهذا الغني نور البصيرة ، فوق ما وهبته من نور البصر . اذن لما كنا نرى ان ذلك يكبو في شظف العيش ، وهذا يمرح في بحبوحته . بل كان لذاك استطاعة ان يحصّل عيشه ، ويأكل لقمته مريئاً ، لما اوتيه من ذكاء وفطنة وطيب سريرة ، دون ان يزعج الخواطر ، بصراخه واستعطائه على هذا الشكل ، الذي يلج القلب ، ويكوي الفؤاد . ولكان لهذا اعني الغني — ان يتزكى من ماله ، ولا يولي من يقرع بابه لعوز او فاقة ، قرع العصا . بل كان كلما سأله سائل اعطاه ، وكلما مرّ به بائس آساه . لانه يستطيع ان يتبين حالة البائس برأي العين ، ويشعر باضطراره الى بعض ما يمسك به نفسه .

واذن فقد كان وصول هذا الفقير الى باب الغني المذكور ، مدعاةً لان يُريني ما تأباه المروءة والسخاء ، وينكره الاحسان ، وينفر منه العطف ، وتستهجنه الشفقة ، وتمجه الانسانية . فما كاد يقرع عليه بابه ، ويطلب منه احساناً ، حتى ظهر عليه بملابسه الفاخرة ، متشائماً بصباحه ، بادياً علامة الاشمئزاز من مرأى اطماره البالية . ثم احتدم عليه غضباً ، ورفع عقيرته عليه بالتقريع والشتم . واذن فكان ان ذهب هذا الفقير متعثراً في اذيال الخيبة ، كما ذهب نظراؤه عن باب ذلك الغني ، وقد انهم الحزن قلبه حتى طفح به فتدفقت فضلاته من عينيه ، وهو يسأل الله ان يلين قلوب اخوته البشر الموسرين ، على ذوي الفاقة ، بكلمات تصحبها تأوهات تقطر حزناً ، وزفرات ملؤهنّ الاسى والشجو . قائلاً : اللهم انت موئل البائس ، ومرجع اليائس ، اليك ارفع

تضرعاتي ، لكي تعدل في توزيع الحظوظ . لانك مصدر العدل ، ومنبع الرحمة والاحسان . وما زال ينطق بمثل هذه العبارات فتخرق الفضاء الى الخالق الاسمى ، حتى توارى عني ، وراء احدى البنايات الفخمة . الا ان صدى صراخه وتضرعاته ، لم يزل يرنّ في اذني ، ومثاله مصوّر نصب عيني ، فلم يسعني ، والحالة هذه ، الّا ان ذرفت دمعة لم اعلم ما هي ، ولا ماذا استيها ، ادمعة حنان على الفقير ، ام دمعة خوف من القدير ؟ ام هي تلك الدمعة التي يستذرفها المرء عند ما يرى مثل هذه المأساة المحزنة ، بحيث لا يتمالك ان يحجبها عندئذٍ ضمن مآقيه . وكيفما كان من امرها ، فاني اعلم انها دمعة ، يرشحها القلب المكلوم ، وان لم يتعمد ذلك ، بل تكاد تكون في الانسان طبعاً ، فهي كالعصير الذي تنضحه الجفنة عند ما تقلّم . واذن فهي في الجفنة دمعة القلم ، وفي الانسان دمعة الكلم . فقلت : كفاني ما رأيت في هذا الصباح ، مما اثار شجوني ، وضرّم في فؤادي نار الاسى . فاخذت يراعتي ، وخلوت بنفسي ، وكتبت لك ، ايها القارئ الكريم ، هذه الكلمة التي تقرأها الآن ، وهي تكاد تكون صورة مصغّرة لهموم الفقراء البائسين ، اللهم من دون العمى ، مع الكثيرين من الاغنياء في هذه البلاد ، الذين لم يفهموا للرحمة معنى ، ولا للشفقة اسماً .

قلت الكثيرين ، ولم اقل الكل استثناء لبعضهم ، الذين ما زالوا يرؤفون بالبائس ، ويعطفون عليه ، يؤلمهم بكاؤه ، ويلعجهم صراخه . فلهؤلاء الاقلية ، الف شكر واحترام . ويا ليت جميع البشر يعلمون انهم كلهم اخوة ، اذاً لما كنا نسمع مثل هذا الصراخ الذي يستذرف العبرات ، ويدمي الافئدة . وانهم بالحقيقة لكذلك ، لو كانوا يدرون . لانهم جبلوا من طينة واحدة ، وهم من خلق واحد ، وهو القدير ، وقد دعاهم المخلص اخوة : كلكم اخوة . ولكن قد اظلمت قلوب الكثيرين ، وخلت من كل مسكة من الحنان على الفقير . وصمّت آذانهم عن سماع صراخه المرّ .

واذن فهؤلاء هم الذين يصدق فيهم معنى قول المخلص : لهم اعين ، ولا ينظرون ، وقلوب ، ولا يفهمون ، وآذان ، ولا يسمعون . ومن تحقق فيهم معنى هذا الكلام المقدس ، كانوا ، ولا شك ، مرذولين من الله ومن الناس .

جولة في المجلات

الحج الاحمر او الرباء البلشفيكي في مكة –
اهم المقالات الشرقية في مجلات الاستشراق

الحج الاحمر او الرباء البلشفيكي في مكة

جاء في مجلة الجمعية الالمانية للمعارف الاسلامية في برلين ، (يناير ١٩٣٢ ، ص ١١٢) ، بتوقيع اياس إسحاقي عضو مجلس الشورى الاسلامي المسكوبي العام الخ . . .

في العام الماضي ، على ايام قربان بيرم ، اخذت لجنة أوديل اورال تحمل حملاتها محتجة على الاضطهاد الذي اوقعته الحكومة البلشفية بالدين الاسلامي . وان هذه المسألة لا تهم المسلمين القاطنين في ربوع البلاد المسكوبية فقط ، ولكن سائر المسلمين الذين سكنوا البلاد المسكوبية على العهد القيصري وتشتت شملهم في انحاء العالم بعد سقوط الامبراطور . ففكرت اللجنة المذكورة ان تتناصر وسائر اللجن الاسلامية المكونة في معسكر المهجر وتشد بها الازر لتقاوم الشيوعية ؛ وعزمت على ارسال وفد الى مكة من قبلها ، ومن قبل سائر اللجن الاسلامية ، غرضه تنبيه الرأي العام الاسلامي في العالم الى حالة اليأس الواقع فيه المسلمون في بلاد السوفيت . ودار الحديث بينها وبين ممثلي اللجن الاسلامية في البلاد الاجنبية ، وحالت الظروف دون نجاح المقصد برمته ، فاخذت لجنة أوديل اورال على عاتقها وحدها ، مهمة العمل في سبيل المطلوب ؛ ولما لم يكن بوسعها ان تقوم بنفقات بعثة رجال مندوبين من طرفها الى البلاد الاسلامية ، قصرت جهودها على مواصلة حملتها بطرق البريد والبرق فحسب .

فما عتمت ان اثمرت مساعيها ، وكثر عدد الذين عطفوا عليها من زعماء الدول ، ومنهم البابا ورئيس اساقفة كنتربري . وتصدّت الصحافة الاوربية لتلك العواطف فشجعت اللجنة على مواصلة عملها ، وحولت انظار العالم الى المسألة الدينية في بلاد السوفييت ، فاضطرت البلاشفة الى تخفيف وطأتهم على جبهة قتالهم ضد المسلمين : كانوا قد اغلقوا بعض المساجد ، فرجعوا وفتحوها ، وكانوا قد نفوا الى سولوفكي بعض رجال الدين المسلمين من علماء ومؤذنين فاطلقوا سراحهم وردوهم الى ربطهم .

ولم يقف البلشفيك عند ذلك الحد ، فمضوا ينهكون قوة اجتماع لجنة اوديل اورال بالوسائل الغير المعتادة . واليك مثلًا على ذلك ، البلاغ الذي اصدره من الحجاز مراسل الملي يول (Milli Yol) :

في ايام الحج الكبرى في مكة ، نُشرت اعلانات الاحتجاج على سياسة البلشفيك المناوئة للاسلام ، ووزعت في البلد بين الحجاج ، بعناية لجنة اوديل اورال . فاثرت تأثيرًا شديدًا في نفوس المسلمين ، حتى صارت سبباً لاقامة حفلة دينية امام الكعبة سألوا فيها الله النجدة على اعداء المسلمين ، وعقدوا العزائم ، عند ختام الصلاة ، على ان يطلبوا من ابن سعود حارس الحرمين القبض على ناصية الامر وردّ هجمات السوفييت عن الدين الاسلامي في بلاد المسكوب .

وفيما هم يتحادثون ويتشاورون اذ بصوت صفير متواصل ، وعجيج سيارة تخترق ازقة مكة ، وعليها الاعلام الحمر المصورة فيها المطرقة والمنجل شعار الشيوعية . وكان يركبها نفران احدهما في منتصف العمر وهو « ناظر توراكولوف » ممثل السوفييت في الحجاز ، وعضو الكومينترن (دائرة الشيوعية الدولية) واحد اركان الجوبيو (بوليس الدولة السياسي) ؛ والآخر « ابو راشد قاضي ابراهيموف » عضو في الادارة الدينية الاسلامية على عهد القيصر . جاء السيد توراكولوف ليقوم بفرائض الحج كسائر المسلمين ، فاشترك بالصلاة العامة ، وكل مراسيم الزيارة ، وسافر من ثم الى المدينة وصلى امام قبر النبي . وتحدث في مكة وفي المدينة الى اعيان الحجاج من سكان جاوى والهند وتونس والجزائر . . . وكلمهم عن سياسة الانكليز نحو المسلمين في الهند ، وعن

سياسة فرنسة نحوهم في تونس وفي الجزائر ، وعن سياسة هولاندة نحوهم في جاوى ، وذمّ تلك السياسة وسوّد صحائفها ، واعرب عن آماله بان مسلمي تلك البلاد باستنادهم الى الدولة السوفيتية ، سوف يخلصون عنهم ، قريباً ، نير الاجانب ؛ وفتح حقائبه ووزع مالاً كثيراً ليُصرف في البلاد المذكورة آنفاً سدّاً لحوائج الديانة الاسلامية فيها.

ولما سُئل ممثل السوفيت عن اخبار الاضطهاد الديني في بلاد المسكوب ، قهقه وقال : انما هي اراجيف واكاذيب ينشرها الفرنسيس والانكليز تحاملاً على البلشفية . وسُئل ايضاً: ما بال الحجاج الروس انقطعوا عن زيارة الحرمين ، وقد كان عددهم عديداً في الماضي . فاجاب على البديهة : ان هؤلاء الحجاج لا يمكنهم السفر من روسية الا عن طريق البحر وان المضايق ، الدردنيل والبوسفور ، والقسطنطينية ذاتها لا تزال في يد الانكليز والفرنسيس ، فلا سبيل الى عبور البحر لسفينة تحمل الحجاج . ولم يكن الامر كذلك في الماضي لما كانت المضايق في قبضة تركية . . .

فتصوّر كذب البلشفيك وبهتانهم !

وعلى هذا النسق ينصبون فخاخهم ليصطادوا المسلمين حتى في بلاد الحج ، فلا تسأل من سعيهم ودسائسهم في سائر البلاد العربية ، ويا ليتنا لم نخبر عنهم الا ما يبلغ الينا من مكائدهم في البلاد البعيدة عنا ، ولكن حوادث البوليس اليومية،وجميع الاضطرابات في سورية ولبنان منذ سنوات عدة ، تشهد ان لمندوبي الشيوعية يداً فيها ، ونشرت الجرائد في حينها اخبار العلاقات بين السوفيت وبين هذا او ذاك من الثوار (١) . وقد اهمّ اولياء الامر للخطر الحقيقي المهدّد راحة البلاد من دسّ سمّ الشيوعية في قلوب الشعب ، والاستفادة من كل ساعة لاثارة العامة على ارباب الرساميل ومحافظي النظام وتلوين حزب المتطرفين من اهل السياسة بلون الوطنية الصادقة ومناصرة الدين. فنتمنى ان تبلغ الى الناس اخبار دعاة البلشفية في مكة والمدينة ، فلا ينخدع الجهال باقوال الكذبة ولا يغتروا بزورهم.

ف . ت .

---

١) راجع المشرق ١٩٢٨ ، مجلة المجلات : ابن عنا سادول ، ص ٦٦

اهم المقالات الشرقية في مجلات الاستشراق

الآداب الشرقية LITTERAR ORIENTALES. *Heft 49, Janvier 1932* – Leipzig, Otto Harrassowitz

في هذا الجزء بحث مهم للاستاذ وسندونك (O. G. von Wesendonk) في استعمال اللغة الآرامية على عهد الدولة الفارسية القديمة . وهو يستند في ذلك الى قطع البردي الآرامية المكتشفة في إلفنتين (مصر) والراقية الى القرن الخامس قبل المسيح . يبحث الكاتب في كل ذلك ويبين ان الآرامية كانت مستعملة في المملكة الفارسية منذ عهد داريوس.

الاكروبول L'ACROPOLE, *revue du monde hellénique*, t. VI. 3, juillet-sept. 1931

يتضمن هذا العدد مقالة مفصلة عن مسألة قبرس قد تظهر ذات وجهة خاصة لبعض المطلعين ، ولكنها مفيدة بما فيها من المعلومات الدقيقة عن احوال تلك الجزيرة (ص ٢١٨ ـ ٢٢٨) ومما يستحق الذكر ثبات القبرسيين في مطالبتهم التي بدأوا بها منذ السنة ١٨٧٨ ، ولا يزالون يغتنمون الفرص للعودة اليها . ثم هناك تبسط مفيد في اسباب هذه المطالبات وطريقة الوصول الى تحقيق شيء منها.

آسية الفرنسوية L'ASIE FRANÇAISE, *Décembre 1931*

J. de la Roche, *Notes sur les débuts de notre occupation du territoire des Alaouites.*

معلومات عن العهد الاول لاحتلالنا بلاد العلويين

كاتب هذا المقال اول حاكم فرنسوي للاذقية ؛ وضع فيه ذكريات شخصية مفيدة ولذيذة عن عهد كان الجميع يرونه من خلال اجمل الالوان وازهاها.

Lieutenants de Pindra d'Ambelle et de Brébisson, *Les cavaliers druses et leurs chevaux.*

فرسان الدروز وخيولهم

هو درس دقيق مستوفي الشروط ، قام به ضابطان من الاختصاصيين بالموضوع فافادا كل الافادة.

مطبوعات شرقية جديدة

Le diwân d'al-Ḥallâǧ, *essai de reconstitution, édition et traduction par* **Louis Massignon** - *Extrait du Journal Asiatique, Janv.-Mars* 1931 - *Paris, Geuthner*, 1931.

ديوان الحلّاج

بعد ان نشر المؤلف ذاك الأثر الفخم في حياة الحلّاج (اكثر من ١٤٠٠ صفحة) اخذ يتتبّع جميع متروكاتـه ، فطبع سابقاً ما ورد عنه من الفقرات النثرية ، وها هو اليوم ينشر ديوانه الشعري . وقد جمع مقطّعاته المتفرّقة من نحو مائة مؤلّف بين مخطوط ومطبوع ، واشار الى مصادرهـا جميعاً ، وذكر اختلاف الروايات فيها ، ونقد صحة نسبتها ، مقرّاً البعض ، نافياً الآخر . حتى ان من يطالع هذا الديوان لا يتمالك الاعجاب بالاستاذ ماسينيون وبمـا اظهره من التضلّع والاطلاع في اقراره تلك النصوص الصوفية المحفوفة بالغموض ، وخصوصاً في الترجمة الفرنسوية التي اردفه بها . وان المطالع ، اذ يقف على المقاطع الشعرية التي يوضح بهـا الحلّاج اتحـاده بالله بل معادلته لـه (في الصفحات ٤٦ ، ٥٢ و ٧٧ ، ٨٢ . . .) يفهم الاسباب التي دفعت بالمجلس الاسلامي الى ان اصدر ذاك الحكم على الصوفي فصُلب ثم أُحرق في بغداد سنة ٩٢٢ . ه . ل .

Max Freiherr von Oppenheim: Der Tell Halaf. Eine neue Kultur im ältesten Mesopotamien. 131 *fig.*, *pl. dont* 3 *color.*, 2 *cartes*. 8° *de* 276 *pp. Leipzig, Brockhaus*, 1931.

مدنية جديدة في بلاد ما بين النهرين القديمة

يعلم قرّاؤنا الحلبيّون الذين زاروا متحف مدينتهم ان فيه عـدداً كبيراً من الآثار المهمّة الجزيلة الفائدة لدرس تاريخ سورية الشمالية وفنّها وديانتهـا . وقد اكتشفت هذه الآثار قرب رأس العين ، على الخابور ، في تلّ يُعرف اليوم بتلّ خلف . وقـد كان البارون اوپنهيم — مَن عرفه كثير من السوريين ، حتى قبل الحرب ، رائداً وسياسياً — بدأ سنة ١٩١١ بحفريات كانت تعـد بالنتـائج الحسنة . غير انها اوقفت زمن الحرب ، وجُمعت الآثار المكتشفة

فوُجِئت في المنزل الذي كانت تسكنه البعثة في تلك الجهة . ثم حصل مع الاتراك من المطارك ما هدم المنزل ، ودفن جميع المكتشفات . الى ان كانت السنة ١٩٢٧ ، فشاءت السلطة الافرنسية ان تسمح للبارون بمتابعة اعماله وفقاً لشروط تُقسم بموجبها الآثار المكتشفة والتي ستُكتشف بين الفريقين . فباشر البارون اعماله مستخرجاً ما دفنته القنابل ، مفتشاً عن القطع الضائعة ، ومتابعاً الحفر . حتى انهى مهمته فقسم الآثار بينه وبين متحف حلب ، وزاد المتحفَ ايضاً قوالب عمّا دخل في حصّته هو من الآثار . فيمكننا ، والحالة هذه ، ان نعتبر كتاب البارون المذكور دليلًا الى زيارة اروقة متحف حلب القائم اليوم في بنايته الجديدة . اما الآثار التي كانت من نصيب البارون ، مع قوالب الآثار المحفوظة في متحف حلب ، فقد نُقلت الى برلين وأُقيم لها متحف خاصّ دُعي متحف تلّ خلف (*Tell-Halaf Museum*) أسسه البارون نفسه وفكّر بانشاء اعتماد خاصّ يُرصد للابحاث المُقبلة في الموضوع . وهي فكرة صُرف الاهتمام عنها ، في زعم البعض ، فدخلت في خبر كان ، بسبب الازمة العالمية الحاضرة ، بل يُقال ان تلك الآثار نفسها ستُباع في المانية او في اميركة . . .

ومهما يكن من امر فان خرائب التلّ الممتدّة على مساحة لا تقلّ عن ستّين هكتارًا ، ترتفع الى علوّ ٢٦ مترًا عن سطح الخابور . وكان قائماً عند هذا التلّ برجٌ ، ثم قصر اشوري ، ثم قصر للسكن وهيكل . وقد ميّز الاختصاصيون في تلك الآثار ثلاثة عصور مهمة لا يزال تحديد زمانها عرضة للحدس والتخمين ، على الرغم من ان الرائد الالماني الشهير هرزفلد (Herzfeld) عرض في الموضوع نظراتٍ اعتبرها يقينية ، فاخذ بها البارون دون تردّد . هذا ولا يتسع لنا المجال للتدقيق في الامر فان ذلك يتطلب كرّاساً كاملًا تستند فيه الابحاث الى الرسوم والصور . واننا نشير ، كتكملة لآثار التلّ المذكور ، الى انه في جبلة البيضا ، الى شمال تلّ خلف ، اظهرت الحفريات آثارًا اقدم من الاولى . ولكن هنا ايضاً بالغ العلماء في تأخير عهدها .

والكتاب رخيص الثمن يباع بـ ١٤ مركاً فقط ، وهو حسن التجليد قويّه ، جميل الصور عديدها . فننصح جميع الحلبيين وسائر السوريين الذين

يهتمون باقاضي بلادهم ، ان يشتروه ، ويطلعوا عليه ، وان لم يكن ذلك الا لدرس ما في اوروقة متحفهم من الآثار المختلفة من البرونز والعاج والذهب وغيرها وكلها مصورة في الكتاب. س. ر

André Bonnichon : La conversion au Christianisme de l'indigène musulman algérien et ses effets juridiques. *in-8° du 153 pp. - Librairie du Recueil Sirey, Paris,* 1931.

تنصّر المسلم الجزائري ، ونتائجه الحقوقية

امر معلوم عن الاسلام ان الدين والشريعة يكوّنان فيه عنصراً واحداً حتى ان لفظة شريعة تُطلق على قواعد معاملات العباد نحو خالقهم ، ومعاملاتهم فيما بينهم على حد سواء . فكان من موجبات هذا المبدأ ان كل من لا يدين بالدين المحمدي يكون خارجاً عن الشريعة الاسلامية غير خاضع لها ، بل لشريعته الخاصة . الّا ان السلطان الاسلامي لم يعترف قط بذلك في وقت من الاوقات ، بل اخضع سائر الطوائف الغير المسلمة ، ومنها الطوائف المسيحية ، للشرع الاسلامي باعتبار هذه الطوائف اهل ذمّة . وهو امر كان من مقتضيات السلطان الاسلامي . فاذا كان السلطان في بلاد مسلمة لسلطة غير اسلامية ، فهل يبقى الامر على حاله ام يتحتّم الرجوع الى الاصل ، وهو عدم الخضوع للشريعة ذات الصبغة الدينية ، الّا من قِبَل تباع الدين الاسلامي ؟

هذه مسألة ليست نظرية فحسب ، بل لها وجهها العملي . وهذا الوجه العملي ظهر في بعض البلدان الاسلامية الواقعة تحت سلطة الدول الاوربية كبلاد الجزائر وغيرها . ففي هذه البلاد ، لايّ شريعة يخضع المسيحي او المسلم الذي يعتنق النصرانية ، وقد اصبح المتنصرون في الجزائر عديدين ؟

سعت السلطة الفرنسوية في ان تحدّد اختصاص القوانين ، فقررت منذ آن بعيد ان المسلمين يبقون خاضعين للشريعة الاسلامية ، وان اليهود يُعتبرون افرنسيين تابعين للقانون الافرنسي ، وان المسلم الذي يتجنس بالجنسية الافرنسية يضحي تابعاً للقانون الافرنسي ايضاً . ولكنها لم تنتبه لحالة رابعة هي الحالة التي ذكرناها : حالة الجزائري المعتنق الدين المسيحي والغير المتجنس بالجنسية

الافرنسية . فلأي شريعة او قانون يخضع ؟ اي قانون او شريعة يحدّد حقوقه وواجباته ؟

هذه النقطة هي موضوع البحث في كتاب السيد اندره يونيشون . ولا تخفى صعوبة حلّها . وقد قسم السيد يونيشون مؤلّفه الى خمسة ابواب فصّل فيها المسألة تفصيلاً دقيقاً ، لا يتسع لنا المقام لشرحه في كلمتنا هذه. وهو ينمّ عن مقدرة حقوقية ، وملكة تامة للقضية المبحوثة . والنتيجة التي توصل اليها المؤلّف هي انه يجب على السلطة الافرنسية ان تتخذ تدابير لأجل وضع قانون خاصّ للمتنصرين الجزائريين . وبانتظار هذا القانون ، يرى المؤلف انه يجب ان يطبّق عليهم القانون الافرنسي.

اميل تيان
استاذ في معهد الحقوق الافرنسي ببيروت

E. B. Allo, O. P. : Plaies d'Europe et baumes du Gange. 237 *pp. Prix* : 15 *f*. *Les éditions du Cerf. Juvisy.*

جراحات اوربة وبلسم الگانج .

مؤلف هذا الكتاب استاذ العلوم الدينية في جامعة فريبورغ (سويسرة) ، راقب حركة بعض المعاصرين من مؤلّفي اوربة ، اذ يدّعون انهم اكتشفوا في تصوّف الشرق الاقصى بلسماً للجراحات الحاضرة . والغريب أنهم يعرضون ، ذلك باسم تاريخ الديانات فيؤخذ بها غير المتضلّعين من القرّاء. وهم يتعرّضون ، في ابحاثهم ، لاكثر الكنائس المنفصلة عن الكثلكة ، مقابلين بينها وبين ما يرون في الهند من الكمال الصوفي . فاراد المؤلّف ان يصلح من تلك المزاعم ويحذّر المطالعين ممّا تحويه من المغالط والمزالق . لا شكّ في ان الهند التي يعجب بها هؤلاء المؤلفون جديرة بالاهتمام ، لأنها كانت لمناطق الشرق الاقصى ما كانته اليونان لبلاد اوربة . ولكن اي هند يقصدون في ابحاثهم ؟ اهي الهند التقليدية البرهمية والبوذية ، وهي هند نظريّة مجرّدة عن الامور الواقعية ، أم الهند الشعبية الحقيقية التي لا تزال ، علم رغم تعاليم الاولى ، متعلّقة تعلّقاً مادياً غريباً بالوثنية وما اليها من خرافات واوهام ؟ وهو تمييز وافر الاهمية يحوّر نقطة

البحث كل التحوير . فانّ افضل ما في هذه الهند من عناصر سامية ، عندما تتجه نحو التفتيش عن الاله الواحد ، تكون ابعد من ان تفيدنا شيئاً ، بل انها تشعر بعاطفة حسد نحو الانجيل وابنائه . وهكذا تُصبح تلك البلاد ، التي كثيراً ما يعرضونها غريبة عجيبة ، معروفة لدينا هيّنة الخطر علينا . وعلى الجملة فالكتاب حسن الاسلوب والترتيب ، متين التفكير ، يلفت النظر لكونه افضل ما أُلف في الموضوع واجدره بالقراءة والنشر. ج. ل.

Hérédités et races - *Groupe lyonnais d'études médicales, philosophiques et biologiques. XI-278 pp. Prix : 15 f^c. Les éditions du Cerf à Juvisy.*

الوراثات والعناصر البشرية

تألفت ، لستة اعوام خلت ، لجنة من مفكري مدينة ليون غايتها التعاون والتضامن في الابحاث العلمية ، فتدرس كلّ سنة موضوعاً واحداً مهماً وتجتهد في ان تعرضه على اكثر ما يمكن من الدقة والوضوح . وامامنا اليوم المجلّد الجامع ابحاث السنة ١٩٢٩ــ١٩٣٠ ، وفيه عشرة ابحاث تدخل كلها في موضوع الوراثة وما اليه من طرق الوراثة وانظمتها ، ووراثة الاخلاق ، والوراثة والأمراض ، وعلم النفس ، والعمران ، والادبيّات ، والعناصر البشرية السابقة لزمن التاريخ والحالية ، والمشكلة الحيويّة والنفسية في الشعوب ، والمشكلة الاجتماعية والعنصرية ، ثم البحث في الجنس البشري . وكلها ابحاث من الخطورة بمكان كما يظهر من تعداد عناوينها ، قام بها اختصاصيّون مشهورون فبرزت بوضوح ودقة وترتيب لا مزيد وراءها ، وهي منصرفة في جميعها الى نظرية تليق بالشخصية الانسانية. ج. ل.

Anatole de Monzie : Petit manuel de la Russie nouvelle. *Edition revue et corrigée. Paris*, 1931. *Firmin-Didot et Cie. Prix :* 10 *f^c.*

كتاب صغير عن روسية الجديدة

طالما رغب المؤلف في ان يُكتب عن مناطق اوربة الجديدة ادلة دقيقة الدرس واضحة التأليف على طريقة ادلة بديكر المشهورة ، راجياً بذلك ان

يقوم الاختصاصيون باصلاح ما تسرّب من الخطأ الى الجمهور عن طريق الكتبة القليلي الاطلاع . فكان له ذلك في ما خصّ روسية الجديدة ، اذ باشر بنفسه تأليف هذا الدليل وقال خاتماً : « ارجو ان اكون بذلت جهدي بعمل واحدة من تلك المسودّات التي يكتبها الانسان بروح المسالمة والطمأنينة فيأتي المستقبل فيحرّرها من الاخطاء ويبيّضها . »

وقد بدأ كتابه باظهار الاسباب القديمة للثورة ، منذ عهد كاترين الثانية . ثم لخّص تاريخ روسية بين سقوط الامبراطورية وحكم السوفييت ، وما جرّ اليه من حروب اهلية ، فاقرار النظام الحالي . بعد ذلك خصّ قسماً ثانياً بجغرافية البلاد الطبيعية والادارية اردفها ببحث في الحالة الاقتصادية . وهو يرمي في كل ذلك الى ان يصف الحالة كما هي ، ولا يهمّه ان يحكم عليها او يستنتج منها . فيرى ان الثورة الروسية ، على كونها ظهرت جديدة في تلك البلاد ، قد استندت كثيراً الى ما تقدّمها من الظواهر . وهو لا يريد ان يشعر نحوها بالخوف ولا بالبغض . ولكنه لا يتمالك من القول (ص ٣٠٧) ان اضطهادها للاديان ذاك الاضطهاد الغريب ، وتضييقها على الحرية الشخصية ذاك التضييق الجائر ، يحيّر جميع المعجبين بها المتساهلين معها ، فيزلزل موقفهم . . .

ج . ل .

Musée national syrien de Damas, *édité à l'occasion de l'Exposition coloniale et des pays d'Outre-mer*. in-8°, 1931, *Damas, imprimerie Fato-el-Arab*.

المتحف السوري الوطني الدمشقي

تقرّر انشاء هذا المتحف في دمشق منذ السنة ١٩١٩ . وأفرد له محلّ لائق في المدرسة العادلية . ولكنه لم يصبح ذا اهمية تذكر الّا في السنة ١٩٢٥ . ونعمّا فعل ناشر هذا الكتيّب فانه سرد ما في المتحف من الآثار الثمينة التي نرجو ان تزداد عدداً وقيمةً ، فيزداد الكتيّب فائدة ولذة في طبعة ثانية .

الاسرة المسيحية

للسيد فريديان جيانيني

بيروت ، المطبعة الكاثوليكية ، ١٩٣٢

هي الرسالة الرعائية ، التي وجهها ممثل الحبر الاعظم بيننا ، الى الاكليروس والشعب اللاتيني في نيابة حلب الرسولية ، بمناسبة الصوم الاربعيني.

لا يخفى ان العائلة هي العنصر الاولي للمجتمع البشري ، وهو الذي يتهدده الثوار واخصهم البلشفيك في زماننا . فانهم يرخون قيد الزواج ويجعلون الاتحاد الزوجي عقيماً ، ويحولون دون تربية البنين على يد ابويهم التربية الدينية اللازمة . فارسل البابا بيوس الحادي عشر في ٣١ كانون الاول ١٩٢٩ براءةً شأنها تربية الاحداث ، وفي ٣١ كانون الاول ١٩٣٠ براءةً اخرى موضوعها الزواج المسيحي. فاستنبط القاصد الرسولي من هاتين البراءتين ومن غيرهما هذه الرسالة التي دعا فيها المؤمنين الى التمسك بالمبادي القويمة والتعليم الكاثوليكي فيما يخص الاسرة ، واستحثهم على اقتفاء مثال العائلات الاعلى اعني العائلة المقدسة في الناصرة.

ف. ت.

تفسير المنار

تأليف السيد محمد رشيد رضا

الجزء العاشر : ٢٠×٥٩١ ص . بقطع ٨ – مطبعة المنار ، مصر ، ١٩٣١

هو الجزء العاشر من تفسير القرآن المعروف « بتفسير المنار » ، اوله الآية ٤١ من السورة الثامنة (الانفال) وآخره الآية ٩٣ من السورة التاسعة (التوبة). وقد وصفنا الجزء السابق منه في المشرق (٢٧ [١٩٢٩] ٣١٥) فليُراجع ، لأن ذاك الوصف ينطبق على الجزء الحالي ايضاً . فان المفسر لم يغيّر شيئاً في اسلوبه العام ، وهو الاسلوب المنسوب الى الشيخ محمد عبده والسلفيّة . ويرى المطالع في هذا الجزء كثيراً من الملاحظات والآراء والاحكام مركومة جزافاً ولا صلة قريبة بينها وبين النصّ القرآني ، كالمقالات السياسية والقومية والحملات على الاجانب . واغرب من كل هذا ذاك الميل الساذج المفكّه للتوفيق بين

القرآن واحدث الاكتشافات العلمية البصرية التي لم تكن لتمرّ بخاطر النبي ، ولم يكن ليتوهم امكان وجودها. وفي الكتاب فهارس عديدة حسنة . ويأمل المؤلف انها تفسيره في اربع او خمس سنوات. ه. ل.

قصص وادب وفكاهة

عنيت بنشره ادارة الهلال

١٤٣ ص . كبيرة – مطبعة الهلال مصر ، ١٩٣١

مجموعة فكاهية مسلّية بما فيها من قصص ونكات ونوادر عن بعض الادباء ، تزينها الصور العديدة . والقصص على قسمين : بعضها معرّب عن اللغات الاجنبية من انكليزية وفرنسية وفارسية ، وبعضها موضوع رأساً بالعربية. وقد روعي في اكثرها متطلبات المحيط الشرقي قديماً كان او حديثاً . فاتى الكتاب عملاً مشكوراً لتعزيز فنّ القصص القصيرة ، او الحكايات، في الادب العربي . ولاسيما بما فيه من التحليل الدقيق ، ووصف العواطف المتضاربة . الّا ان هذا التحليل قد لا يكون ذا غاية واضحة في بعض الاحيان ، وقد تشذّ غايته ، في احيان اخرى ، عن غاية « الهلال » الروحية السامية التي وضعها نصب عينيه ، في مطلع سنته الجديدة ، فقال : « ان الهلال يطمح – بين ما يطمح اليه – ان يكون احد حاملي رسالة التجديد الروحي . فهذا في نظرنا أمس ما يحتاج اليه عالمنا المريض من صنوف العلاج في هذه الايام العصيبة.»[1]

تقويم كنيسة السيدة الكبرى في بيت شباب لسنة ١٩٣٢

طُبع بعناية ابراهيم نجا ابو كحله العنيسي

نحو ٢٠٠ ص . متوسطة – مطبعة الدبور ، بيروت ، ١٩٣١

هي السنة الاولى لهذا التقويم المفيد عُني بنشره وكيل وقف الكنيسة فجمع فيه، الى جانب ايام السنة، معلومات تاريخية عن لبنان عامة ، وبيت شباب خاصة ، وعن سورية ، ودولة العلويين ، وجبل الدروز . واردفها بحكايات

١) الهلال : السنة ٤٠ : العدد ١ (نوفمبر ١٩٣١ ، ص : ١١)

وفكاهات ، وشذرات ، وابيات شعرية يطالعها القارئ بارتياح . وقد ارصد ريع التقويم لمساعدة الكنيسة المذكورة.

ذكرى الفؤاد

١٤ × ٩٦ ص . متوسطة – مطبعة المرسلين اللبنانيين ، جونية ، ١٩٣١

مجموعة مؤثرة تحمل بين صدورها تنهدات أب مسكين ، وأنات امّ ثكلى ، فُجعا بولدهما في الثلاثين من عمره ، وفي بلاد الغربة. فسالت دموعهما حتى اسالت الدموع ، وتفطر قلباهما حتى تفطرت لهما القلوب . هو المرحوم الدكتور فؤاد جمجع الطبيب العسكري العراقي لموقع البصرة ، قضى على اثر صدمة سيارة فاسف عارفوه على ذكائه وعلمه وتقواه . وقد جُمع في هذا الكتيب نبذة عن حياته واخلاقه ، وما قيل في مأتمه من المراثي، مع ما أرسل الى والده من كتب التعزية التي نؤمل ان تقع بلسماً مسكناً على جرحه الدامي.

ف. ا. ب.

عاطفة حبّ واخلاص

٣٠ ص . صغيرة – مطبعة دير سيدة المونات (جبيل) ، ١٩٣٢

هي قصيدة متعدّدة الاناشيد رفعتها مطبعة دير سيدة المونات جبيل (لبنان) الى قدس الاب مرتينوس طربيه، الرئيس العام على الرهبنة اللبنانية، والى قدس الاب اغناطيوس التنوري، تهنئةً بايابهما للمرة الثالثة من عاصمة الكثلكة. وقد تفننت المطبعة بتنسيق المقاطع الشعرية والنقوش على طرق مختلفة دلّت على عنايتها واهتمامها.

* قائمة مطبوعات مكتبة الهلال * بالفجالة ، بمصر لصاحبيها ابراهيم زيدان وولده. لسنة ١٩٣٢ - ١٩٣٣ . احتوت الكثير من الكتب الادبية والعلمية والتاريخية والدينية . . .

* قائمة مطبوعات دار الهلال * جدول خاصّ لما ظهر بالطبع في دار الهلال ، لمؤسسه المرحوم جرجي زيدان او لغيره من الادباء . وكلها تقريباً من الكتب المصرية.

* فهرس مكتبة المنار * فهرس عامّ لمطبوعات المنار واكثرها من الكتب الدينية الاسلامية . العنوان : دار المنار ، مصر.

اهم حوادث الشرق في شهر

١٥ كانون الثاني — ١٥ شباط ١٩٣٢

لبنان — تمّ احصاء سكان الجمهورية اللبنانية جميعهم في اقل من يوم واحد ، في ٣١ ك٢ ، من الساعة السادسة صباحاً الى منتصف الليل. اما النتيجة فلم تُعرف بعد لأن الحكومة مهتمة بالتحقيق عن كيفية سير العمليات.

* توفي مفتي الطائفة الاسلامية في بيروت الشيخ مصطفى نجا في ٣١ ك٢. وانتخب مكانه الشيخ توفيق خالد.

* زار البطريرك الماروني المفوض السامي في بيروت ،فاستقبل استقبالاً فخماً.

* زار لبنان اسماعيل صدقي باشا،رئيس الوزارة المصرية ، قادماً من فلسطين فحلّ ضيفاً على فخامة المفوّض السامي ليلة واحدة.

سورية — توالت حوادث الشغب والاضراب في حلب ودمشق. فاصدر المفوض السامي قانوناً جديداً يفرض عقوبات شديدة على مقلقي راحة الناس والمخلين بالامن العام . وقد أُلغيت حفلة عيد الفطر الرسمية في سراي دمشق.

جبل الدروز — في ٢ شباط وصل الى السويداء الجنرال ماسيت ، حاكم جبل الدروز الجديد بدلاً من الجنرال كليمان غرانكور المستقيل.

مصر — عُقد مؤتمر الصحافة اللاتينية في القاهرة بدعوة من « الاهرام » فاشترك فيه نحو ٦٠ عضواً. وبعد ان فرغوا من اعمالهم ، زاروا لبنان وسورية.

تركيه — اصدرت الحكومة التركية قانوناً بمجازاة كل من يدرس اللغة التركية بالحروف العربية سراً كان او جهراً.

* بُدئ في ٢٢ ك ٢ بتلاوة القرآن ، لاول مرة ، باللغة التركية.

الهند — لا يزال الموقف حرجاً ، وقد تفاقم حكم الارهاب ، وتكاثر عدد المعتقلين ، واخذت المعارك تنشب بين البوليس والجمهور.

المشرق

السنة الثلاثون

نيسان ١٩٣٢

في اتّهام الكنيسة بالاستبداد

للاب ارمند اودين ، احد كهنة قلب يسوع الاقدس (الناصرة)*

كثيراً ما نسمع بعض الناس يتشكّون من استبداد الكنيسة الكاثوليكية بقوانينها واحكامها . وليس هؤلاء المتشكون من خصوم الكثلكة فحسب ، بل من ابنائها ايضاً . ولا عجب بذلك ، اذ ان استثقالهم بعض الشرائع الكنسية ، التي تحصر حرية تصرفهم في امور مختلفة ، قد جعلهم لا يدركون الدواعي الصوابية والغايات الضرورية التي سُنَّت تلك الشرائع لاجلها .

فيفيد اذاً فحص تلك الامور التي توهم ذاك البعض ان الكنيسة تحرمهم فيها ما يحقّ لهم من استمتاع في الحرية . فان كنت منهم ، ايها القارئ الكريم ، ارجو منك ان تطالع هذا المقال باخلاص وتروٍّ ، عساك تجد فيه ما يوضح لك ان روح الحكمة والاهتمام بخير المؤمنين هو الذي ارشد الكنيسة

* عني بتصحيح عبارته ، ونشره القس اسطفان فرحات اللبناني

المقيمة الى سنّ تلك الشرائع التي توهّم فيها اولئك عيب الاستبداد والاغتصاب.

١

لماذا تمنع الكنيسة الكاثوليكية ابناءها عن الزواج من غير الكاثوليك ؟

نعم ان الكنيسة الرومانية المقدسة ، منذ زمان بعيد ، دوّنت في قوانينها تحريم هذا الزواج المختلط . وهي لا ترضى ان تأذن به الّا اذا احوجت اليه بواعث مهمة ، وتأمر رعاة النفوس ببذل جهدهم في اقناع المؤمنين بالامتناع عن هذا الزواج . وهذا مما يستغربه الكثيرون . ولكن طالما اوضح الذين تقصوا في درس هذه المسألة ان الزواج المختلط يجلب عواقب مكروهة ، فيها ما يكفي لتبرير خطة الكنيسة ، في هذا الامر ، من ذلك الاتهام.

فاعتبر اولًا ان المحبة المتبادلة بين الزوجين هي من اهمّ واجباتهما ، ومن الزم الشروط لسعادة عيشتهما ، وهي صعبة على اللذين يختلف مذهبهما . لان هذا الاختلاف كثيرًا ما يحدث المجادلات العنيفة ، والتنافر ، واستثقال المساكنة ، وربما حمل احد الزوجين على اغاظة الآخر بابداء ازدرائه بالامور التي يحبها — هذا الآخر — مقدسة ويكرمها كالهية . كما يحدث مثلًا اذا استهزأ بروتستاني بتعبد الكاثوليكي لوالدة الله مريم ، واثار القديسين ؛ او اذا تهكم ارثوذكسي بالحبر الروماني الذي يجلّه كل كاثوليكي ، ويحترمه كنائب السيد المسيح . وقد يستقبل احد الزوجين في البيت بعض معارفه من تباع مذهبه فيتحادثون في الامور الكنسية او الدينية ، بغير مراعاة لاحساسات الزوج الآخر ، فيستاء هذا كل الاستياء ، وربما تولّد في قلبه من الحقد والبغض ما يحمله على مفارقة قرينه . على انه لا تنحصر في ذلك مضارّ الزواج المختلط فحسب ، بل من تبعاته المخشاة ايضاً انسلاخ الكاثوليكي عن الكنيسة الرومانية وخسران ايمانه . وذلك يكون ، لا محالة ، إمّا مما يسمعه من قرينه من انتقاد الكثلكة ، والاعتراضات على تعاليمها ؛ واما من استصعابه الثبات في دين يرى انه علة خلاف بينه وبين قرينه الذي يرغب في ارضائه ؛ واما مما

يبديه هـذا القرين من العذابات والتجارب لقرينه ، قصدَ اقتيـاده الى تغيير مذهبـه . أفتحسب هذه الاخطار امرًا طفيفاً لا ينبغي المبالاة به ، ام تعترف بان الكنيسة أصابت كل الاصابـة في اهتمامهـا بمنع المؤمنين عمّا يجلب عليهم نتائج سيئة كهذه ؟

ماذا تقول ، اذا زدنا على ذلك اعتبارًا آخر قـد يحدث لبني الزوجين المختلفي المذهب ، فانه لا يخفى ان تربيـة الاولاد الحسنة تقتضي تهذيبهم في الدين الحقيقي . وهذا الشرط الجوهري قلّما يرجى ان يتمّ حينما كان احـد الوالدين منفصلًا عن الكثلكة ، بل يخشى كثيرًا ان يرفض تربية بنيه الّا في دينه هو . وزد ايضاً ان الوالدين لا يكادان يقدران على القيام بواجب التربية قياماً جيـدًا ، ان لم يكن بينهما محبة ووفاق ، وهـذان يصعب وجودهما بين شخصين لا يتحدان في الايمان وفي طرق العبادة .

فحسبك هـذا التبيان الموجز ، لتفهم ان الزواج المختلط هو مجلبة شرور عظيمة ، واذن فـلا عجب اذا استكرهتـه الكنيسة المقدسة ، واستعملت سلطتها السامية لمنع المؤمنين عنه .

٢

لماذا لا تسمح الكنيسة لنا بالاشتراك في صلوات غير الكاثوليك ، وباستماع مواعظهم ؟

ربما تستغرب هذا النهي ، ايها القارئ الكريم ، وتلفيه مضادًا لروح المحبة والتساهل الذي ينبغي ، على رأيك ، ان تردان بـه كنيـة المسيح . ولكن تأمّل قليلًا في النسبة التي هي بين الكنيسة الحقيقية والجماعات الدينية المنفصلة عنها ، ترَ بسهولة ان هـذه القوانين عادلة وكليّة الصواب ، ولا اثر فيهـا للاستبداد . لان الكنيسة الكاثوليكية توقن انها ، وحدها ، كنيـة المسيح الحقيقية ، وان الكنائس الاخرى التي انسلخت عنهـا بالتمرّد على سلطتها ان هي الّا شيع غير شرعيّة . واعتبر ، من جهـة اخرى ، ان من يشترك من الكاثوليك في احتفالات غير كاثوليكية يُظهر انه متحد مع اصحابها في عبادة الله . لكن هذا الاتحاد بالذين عصوا السلطة الكنسية هو اغاظة الله تعالى .

كما بانه يجري في كل جماعة مدنية مثلاً: اذا انفصل قوم عن الحكومة الشرعية ، واقاموا حكومة جديدة ، أفهل يجوز لك ان تخضع لهذه الحكومة ، او تشترك في اجتماعات الذين يتبعونها ؟ كلّا ، فانك اذا فعلت ذلك شاركت اولئك في عصيانهم ، وصرت مذنباً مستوجباً القصاص لدى الحكومة الشرعيّة. كذلك اقام الله سلطة روحية واحدة لتدبير جميع المؤمنين في الامور الدينيّة ، وهي السلطة البطرسيّة التي يخضع لها الكاثوليك ، فكيف يباح اذاً للكاثوليك ان ينضموا ، في الافعال الدينيّة ، الى الذين عصوا هذه السلطة ؟ فبكلّ عدلٍ وصواب تنهاهم الكنيسة عن هذا الانضمام ، اي عن مشاركة غير الكاثوليك ، ايًّا كانوا في الطقوس الالهية.

وزدْ على ذلك ان هذه المشاركة لا تخلو من خطرٍ على المؤمنين ، لان هؤلاء ، اذا أُذِنَ لهم بالاجتماع مع غيرهم ، لا يبعد ان يتوهموا ان الفرق الذين بينهم وبين المنفصلين هو عرضي فقط ، فلا يهمّ اذاً ان يكون هؤلاء من اعضاء الكثلكة ، ويعبدون المسيح خارجاً عنها . ويحتمل ايضاً ان يوجد في صلوات المنشقّين عبارات منافية لبعض العقائد الكاثوليكية . واذن فمن الواضح ان الاشتراك في مثل هذه الصلوات يكون مجلبة شكٍّ لكثيرين من الكاثوليك ، ولاسيما البسطاء منهم ، فيفترون في الدين رويداً رويداً ، وربما أمسوا ملحدين.

٣

لماذا لا تسمح الكنيسة للمؤمنين بقراءة التوراة التي طبعها البروتستان ؟

الجواب ان الهراطقة كثيراً ما زيّفوا نصوص الكتاب المقدس ، قصدَ ان يجدوا فيه اسنادًا لاضاليلهم ، ويمحوا منه ما يضادّ آراءهم. فمن يضمن لك ، يا ترى ، ان هراطقة عصرنا لا يتذرّعون بالوسيلة عينها لاغراء الذين يأخذون الكتاب المقدس من ايديهم ؟ فالخطر اذاً موجود ، واذن فمن الواجب على الكنيسة ان تعتني بابعاده ، وتمنع المؤمنين عن مطالعة نسخ التوراة التي نشرها البروتستان ، ولهذا قد سنّت ان لا تُنشر ، ولا تباع بين المؤمنين ، اية ترجمة كانت للكتاب المقدس ، ما لم يكن نظر فيها الاساقفة الذين هم كفوء لصحة التراجم ، وامرت ايضاً ان تلحق بكلّ ترجمة حواشٍ تفسّر النصوص الصعبة

الفهم ، لئلا يؤوّلها البسطاء تأويلاً فاسداً يُفضي بهم الى اغلاط جسيمة في عقائد الايمان ، او في الامور الدينيّة.

فاذا يظهر في كل ذلك من روح الاستبداد ؟ وما هو اصل تلك القوانين ؟ أهو غير اهتمام الكنيسة بصيانة المؤمنين من الاضرار الروحية التي قد تصير قراءة التوراة مجلبة لها ، لاحد السببين المذكورين : اعني التراجم العائبة ، والتأويلات الغير الصحيحة ؟

٤

على مَ تبني الكنيسة ادعاءها بانه يحق لها وحدها السيطرة على المدارس ؟

لا تظن ، ايها القارئ الكريم ، ان في نيّة الكنيسة حصر حرية الذين يريدون ان يفتحوا مدارس ، او ان يدرّسوا فيها ؛ ولم يقل قط البابوات والاساقفة ان تعليم اللغات ، والحساب ، ونواميس الطبيعة ، والطب ، وحركات النجوم ، الى غير ذلك من العلوم البشرية ، يجب ان يناط بالسلطة الكنسية ويتعلّق باحكامها . ولكن لا تقتصر مهمّة الاساتذة على القاء تلك العلوم ، التي لا ارتباط بين نتائجها وبين الحقائق الفائقة الطبيعة ، بل يُطلب منهم ايضاً ان يعلّموا الآداب والتاريخ . وجليٌّ ان ما يندسّ من الاغلاط في هذين العلمين لا بدّ من ان تتبعه نتائج مشؤومة ، اعني لغو بعض القضايا الادبية والدينية التي لا بدّ من الاقرار بها لصيانة حياة الانسان الروحية وبلوغه الخلاص الابدي . ومن امثال هذا ما يحصل اذا انكر معلمُ آداب وجوب عبادة الله ، او اذا ضرب صفحاً عن كل ما يجب على الانسان نحو خالقه ، او اذا حذف مدرّس التاريخ جميع الحوادث العجائبية ، التي فيها براهين على صحة الدين النصراني ، وحقوق الكنيسة الكاثوليكية . فهل يجوز لهذه ، اي الكنيسة الكاثوليكية ، ان تتغاضى عن هذا الخطر المهدّد ابناءها الاحداث ، الذين يُضلّهم اساتذتهم ويخسرونهم الايمان ؟ كلّا ، ثمّ كلّا ، فان يسوع المسيح أتاها لتعلّم جميع الامم في الامور التي تختص بمعرفة الله ، وعبادته ، ويتعلّق بها خلاص النفس . فيكون اذن من اقدس واجبات الرؤساء الكنسيين ان يراقبوا المدارس التي يتردّد اليها اولاد كاثوليكيون ، وان يمنعوا الوالدين المؤمنين عن ارسال بنيهم الى المدارس

التي لا يخلو فيها التعليم من خطر على فقد ايمان التلامذة وآدابهم ، وان يفحصوا الكتب الادبيّة والتاريخية المستعملة في تلك المدارس ، فيعلنوا عدم جواز مطالعة تلك الكتب التي تتضمن اغلاطاً ضدّ الايمان وقواعد الآداب السليمة.

وينطبق كل ما قلناه عن علم الآداب ، على الفلسفة . لانه لا يخفى ما يوجد من التطرّف والارتباط الوثيق بين المذاهب الفلسفية والعقائد الدينيّة ، ولاسيما ان اضاليل الفلاسفة تقوّض اركان الدين ، وتلقي باصحابها الى مهاوي الزندقة ، واباحة المنكرات.

أفتزعم ، بعد ما تقدم ، ان رعاة النفوس يتجاوزون حدود مهمتهم المقدسة ، حينما يرفعون صوتهم عالياً لتنبيه المؤمنين الى الاحتراز من خطر تلك المذاهب القبيحة ، ونهيهم عن قراءة الكتب التي تنشرها ، ودخول تلك المدارس التي تجرّع تلامذتها هذا السمّ الناقع ؟

فحسبك هذه الملاحظات البسيطة ايضاحاً لصواب ما فعلته الكنيسة حتى اليوم ، وما قررته في قوانينها من الشرائع لصيانة انفس الاحداث من الاضرار العظيمة التي تجلبها المدارس والكتب ، حيثما اختلط تعليمها باضاليل مهلكة ، في الموادّ الادبيّة ، والتاريخية ، والفلسفية.

٥

لماذا يريد الحبر الروماني ان يخضع لسلطته الاساقفة ، والمؤمنون باسرهم ، ويأمر الكهنة باستعمال كل الوسائط الممكنة لاجتذاب اعضاء الكنائس الاخرى الى حضن الكثلكة ؟ أفليس هذا النهج دليلاً على روح الكبرياء والطمع السائد في الكنيسة الرومانية ؟

هذا حديث قوم من الجهّال والمفترين يرسلونه مع هبّات النسيم ، فيلتقطه كثير من الاغبياء ، الذين لم يدرسوا قط مسألة الخلافة البطرسية . امّا انت ، ايها القارئ الكريم ، فلا احسبك محتاجاً الى تكرار البراهين القاطعة التي تثبت حقيقة هذه الخلافة . فالبابا موقن ، كما نحن موقنون ، انه هو راعي جميع المؤمنين ، بناء على الكلام الذي وجّهه السيد المسيح الى بطرس : « انت الصخرة ، وعلى هذه الصخرة سأبني كنيستي .. واعطيك مفاتيح ملكوت السموات... ارعَ خرافي ، ارعَ غنمي . » فاسألكَ ، يا رعاكَ الله : ما هو

واجب الراعي الذي يرى بعض خرافه قد خرج من حظيرته ، وبذلك امسى عرضةً لطمع اللصوص وانياب الذئاب ؟ أليس هو ان يبذل جهده في ارجاعه الى الحظيرة ، اقتداء بابن الله ، ممن وصف نفسه بمثل الراعي الشفيق الذي ترك التسعة والتسعين خروفاً ، وسعى في طلب الضالّ ؟ واذن فهذا ما يفعله الحبر الاعظم من المساعي في سبيل اتحاد الكنائس ، وزوال الانشقاقات ، لانه عالم بان هذا الاتحاد لا يمكن تحصيله الّا بخضوع الجميع لمن عيّنه الله رئيساً عاماً على المؤمنين. ولهذا يرغب في ارتداد المنفصلين الى هذا الخضوع الواجب .

فمَ استدللت على ان ارادته هذه تصدر عن الكبرياء وحب الارتفاع ؟ أفهل تتهم بالكبرياء ابا العائلة ، اذا كان يعتني بارجاع ولده الذي عصى سلطته ، وغادر بيته ؟ وهكذا البابا ، فهو ابو جميع المؤمنين ، وان فؤاده يتفتت شفقةً على حال الذين انسلخوا عن وحدة الكنيسة . ولهذا يهتمّ باتخاذ كل الوسائط النافعة لارجاع اولئك الخارجين. ويحذو حذوه المرسلون ، وسائر الكهنة ، الذين يعيشون في بلاد المنفصلين ، فانهم يتفانون في سبيل ارجاع اولئك الى حضن الكثلكة رغبة في خلاص نفوسهم ، لا طمعاً في الاغراض الزمنيّة. ومن محض الافتراء اتهامهم باتخاذ الحيل لمخاتلة البسطاء ، واستمالة الناس بالوعود الكاذبة ، وما اشبه من الوسائل الغير الحميدة . فانهم يعملون الحق ، وينيرون الاغبياء ، ويحرّضون سامعي كلامهم على الاهتمام بخلاص نفوسهم . واذن فايّ مبدأ لمساعيهم هذه ؟ واية قوة تنعشهم وتحركهم ؟ أهي غير المحبة التي من اعمالها الاجتهاد في تهذيب الجهّال ، وهداية الغاوين الى سبيل الحقّ ؟ وهذه المحبة عينها هي التي حملت الرسل ، في كل آن وأين ، على المخاطرة بانفسهم ، ومكابدة المتاعب ، ومقاساة الشدائد ، لتنصير العالم الوثني ، عملاً بقول السيد المخلص : « اذهبوا وتلمذوا الامم » . أوَليس معنى ذلك ارشاد الناس الى الدين الحقيقي ؟

واذن فمن محض الافتراء اتهام الكنيسة بالاستبداد ، ورئيسها وكهنتها بحبّ السلطة . فانهم يواصلون العمل الالهي الذي بدأه المسيح نفسه ، ورسله الاطهار على الارض.

صناعة الحجر في لبنان

نبذة

بقلم انطوان باز
المهندس من المكتب الافرنسي في بيروت
ومن مدرسة الكهرباء العليا في باريس

الرخام

حجرٌ كلسي طبختهُ الاجيال فجاء سكّري المكسر ، جميل المنظر ، خصوصاً اذا صقل فاصبح وجهه لمّاعاً كالزجاج !

اكثر الرخام الابيض ، ومنه ما اشتدّ بياضه فاستُخدم للنقش ، او ازدانت به صحون المنازل والقصور ، ومن الرخام ما تضلّع بالازرق او البرتقالي او الاسود ، فكان له رونقه وبهاؤه .

ومن الاحجار الكلسيّة المرمر ، وهو كثير في بلادنا ، واشدّ صلابة من الرخام ؛ ولونه ابيض ممزّج بالبرتقالي .

امّا الغرانيت فهو حجرٌ بركاني شديد الصلابة استخدمه الاقدمون فعملوا منه تلك الاعمدة الضخمة السوداء المنتشرة في سواحل فينيقية .

مظاهر الصناعة في بلادنا

كانت بلادنا قبل الحرب تستخدم في البناء الحجر الرملي ، والحجر الكلسي العادي ، وفي وسط الدور ، المرمر او الرخام ، تستورده من ايطالية ، بقياسات مختلفة . ومهما كان الحجر المستعمل ، فانه كان يكسر ويساوى بالمطرقة والازميل . امّا جليُه فكان يتمّ بان يجعل الحجر منه فوق الآخر ، فيحكّ عليه بواسطة الرمل والماء ، وهي طريقة اولية تستغرق وقتاً طويلاً ولا تأتي باللمعان الكافي .

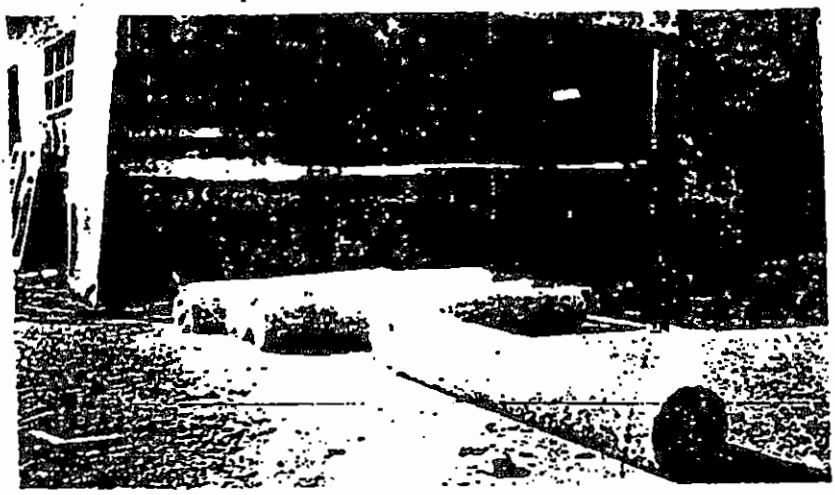

الرسم ١ – بعض الاعمدة المرمرية قبل شغلها

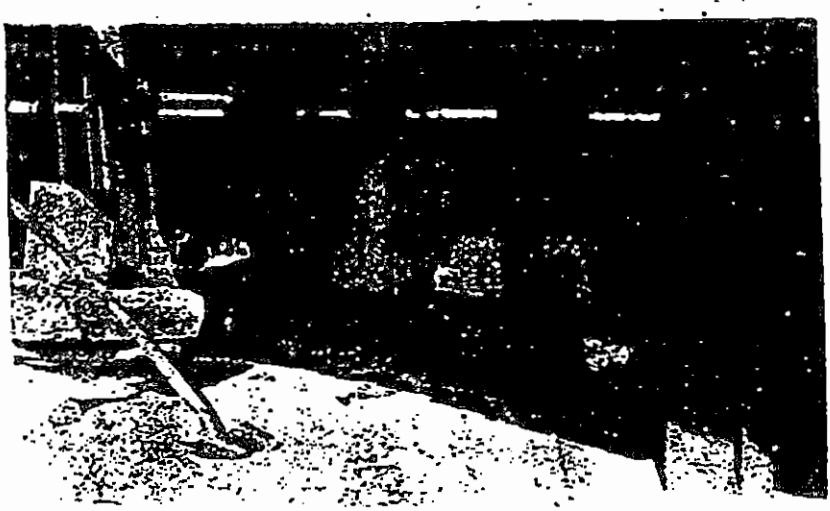

الرسم ٢ – آلة النشر

الرسم ٣ – آلة الجلي

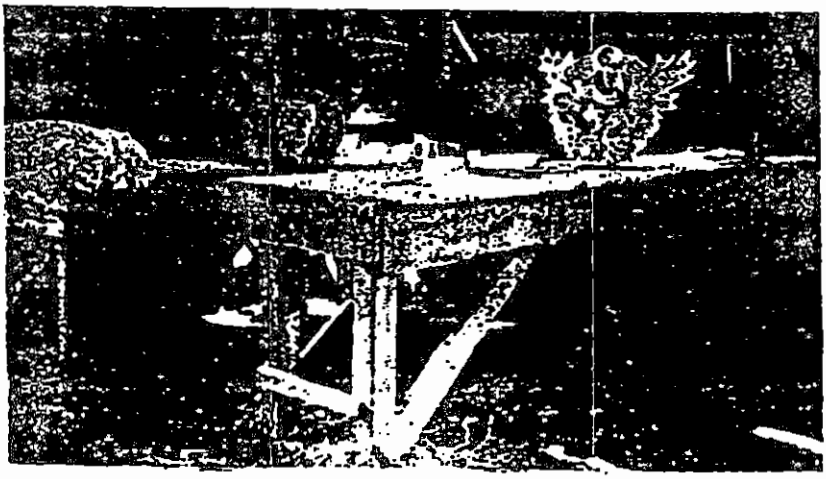

الرسم ٤ – بعض الآثار المنحوتة

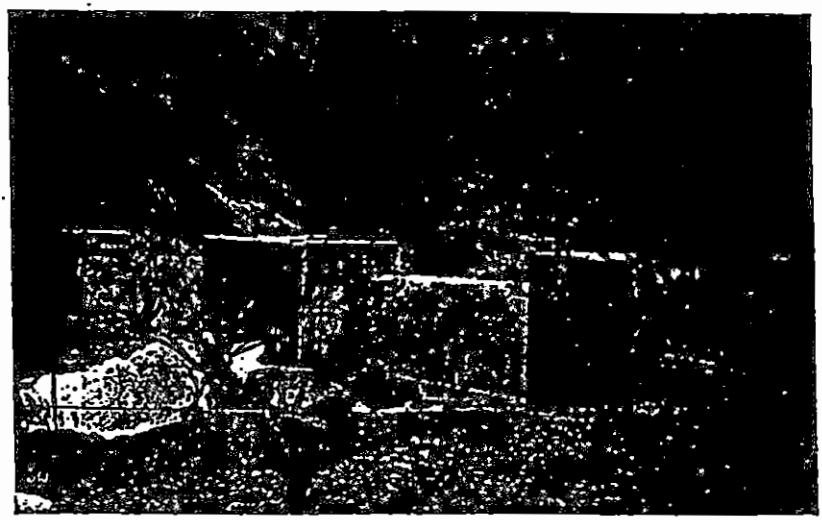

رسم ٧ – منظر للسد يتدفق عن سطحه ما يفيض من المياه

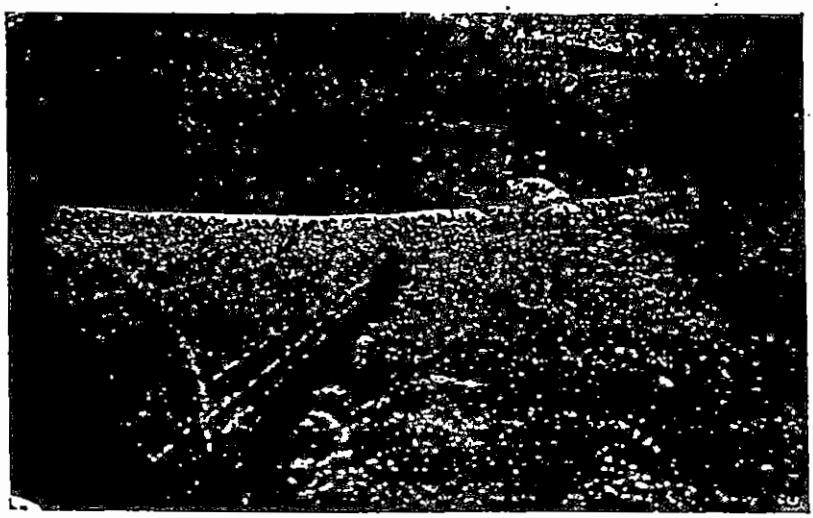

رسم ٩ – منظر لقسم من القناة بعد عملها

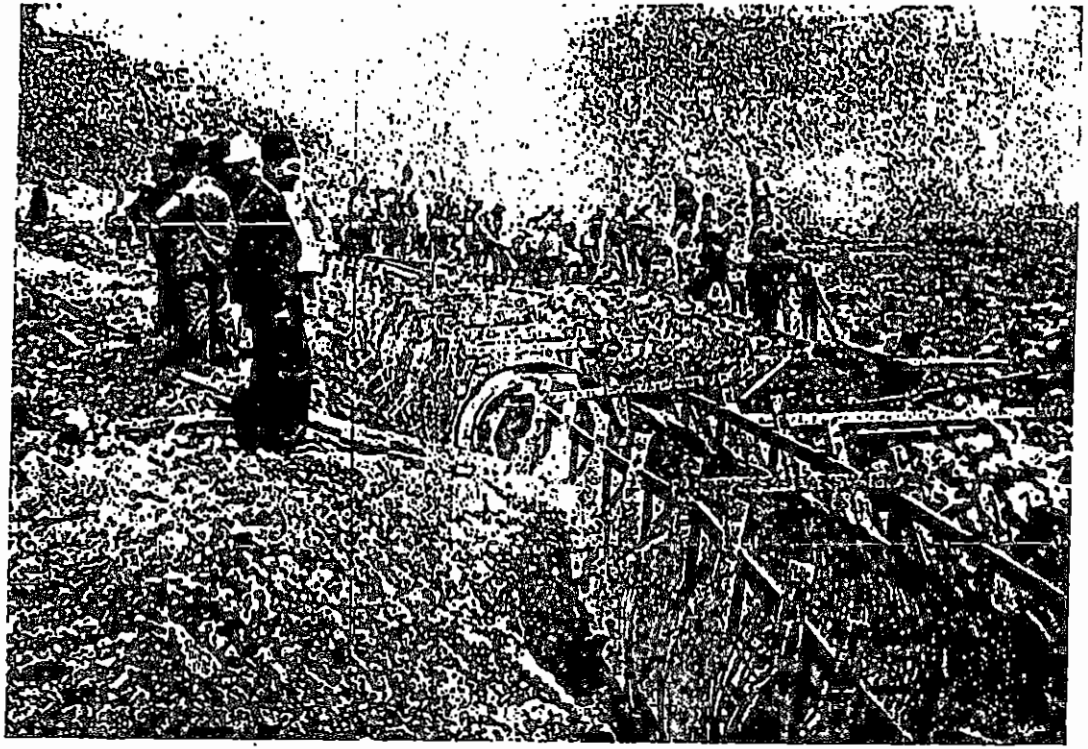

الرسم ٨ – قسم من القناة عند عملها

وكان وقتئذٍ في بيروت ولبنان بعض المتخصصين بصناعة المرمر والرخام ، يقطعون الصفائح منها بمنشار يحركه عاملان متربعان على الارض ، ويجلونها بالطريقة المارّ ذكرها . وكأن هؤلاء الصنّاع قد اختصوا باعمال القبور ، فجاؤوا ناحتين الصلبان والتماثيل والآيات ، كل ذلك بالازميل والمطرقة.

وبقي هؤلاء الاختصاصيون الى اليوم متمسكين بطرقهم ، الى ان قام البعض من الوطنيين ، فجاؤوا بالمعامل الحديثة لصناعة الحجر على اختلاف انواعه.

* * *

عرف الجميع مصنع السيد عريضه على مقربة من جسر بيروت ، بين الطريق بين بيروت وجونيه . وقد اشتهر هذا المصنع بالبحث عن الحجارة الوطنية من مرمر ورخام وغيرهما.

زرته لاول مرة في الصيف الماضي ، لما سمعت من همّة اصحابه . فدهشت بما رأيته فيه من انواع الحجارة ، وهي لو ابصرتها مرميّةً في جبال لبنان ، لمّا قدّرت انها تأتي بتلك الصفائح الجميلة اللمّاعة !

وتوسّمت في احد اصحابه كثيراً من الاماني. فنشّطته ووعدته بالعود قصدَ كتابة مقالٍ في مجلة «المشرق» ، وهي تُعنى ، هذه السنة خاصّة ، بذكر الصناعات الوطنيّة . ثمّ مضت الايام ولم يتسنَّ لي الرجوع حتى الخامس عشر من الشهر الفائت ، اذ عرفت ان المصنع سوف ينقل الى طرابلس ، ليتمكن السيد عريضه من التحسين فيه.

قطع الحجارة

تقطع الحجارة في المقلع بواسطة المطرقة والمغل ، وكثيراً ما يستعان بالموادّ المتفجرة تُجعل في شقوق الصخور ، فاذا انفجرت تطايرت الاحجار او شقّت بعضها عن بعض . ويستخدم اليوم في اوربة « المقطع البنوماتيكي » وهو كناية عن ريشة معدنية صلبة يُحركها الهواء المضغوط رواحاً ومجيئاً ، فتعمل في الصخر ثقوباً عميقة. وتستخرج الحجارة بان يُعمل بالمقدح ثقوباً الواحد تلو الآخر

على شكل دائرة او مربّع ، ثم تُجعل في احداها المادّة المتفجرة ، فيقلع الحجر بالشكل المطلوب.

وتلك الطريقة سريعة جدًّا انتشرت اليوم حتى في بلادنا ، فاستخدمها كثير من اصحاب المشاريع كشركة الجرّ والتنوير في بيروت في تقريغ نفق قناة الصفا في لبنان.

ويعمل المقدح البنوماتيكي بجميع القياسات على شكل مدسّ يمسكه العامل ، ويحرك ريشته تيّار من الهواء المضغوط.

النشر

فاذا قطعت الحجارة في المقلع وتساوت سطوحها قليلًا بواسطة الازميل ، جيء بها الى المعمل فنشرت ، على ضخمها ، صفائح . والمنشرة هذه كناية عن مركز يُجعل عليه الحجر ، وتحكم فوقه المناشير يبعد بعضها عن بعض بقدر ما يراد ان تكون ثخانة الصفائح من البلاط . ويسهل النشر بان يسقى الحجر بالماء مستديماً ، والّا حميَ المنشار وتعطل . ويمثل الرسم ٢ آلة النشر في معمل السيد عريضه تنشر حجرًا ضخماً ، فتحوله الى عشرين صفيحة.

وتُحرّر اطراف الصفائح بمنشار ثانٍ مستدير الشكل ، لم تتمكّن من رسمه ، يستغرق نحوًا من خمسة احصنة من القوة.

الجلي

ومهما كان الحجر جميلًا فلا يظهر رونقه الّا اذا جُلي وجهه فاصبح كالزجاج لمّاعاً . يُستعمل لذلك آلة (انظر الرسم ٣) اساسها محورٌ عودي ، يُجعل في اسفله طبقٌ مستدير ، تحكم فيه حجارة صغيرة من الخفّان . فاذا تحرّكت الآلة برَمَ الطبق يميناً وشمالًا ، فحكّ الخفّان صفائح البلاط فجلاها . والعملية تستلزم كميّة من الماء تخفف من عمل الخفّان وتذهب بالمتناثر منه . امّا القوّة اللازمة لتحريك تلك الآلة فلا تبلغ الثلاثة احصنة.

النحت

وعني المصنع ايضاً بالنحت يُجرى على الطريقة الحديثة بواسطة الازميل

البنوماتيكي . ويُرى في الرسم ٤ بعض النحوت لم تتمّ بعد، وقد رأيت اثناء زيارتي المصنع ضريحاً من المرمر والرخام ضمنه تمثال لأحد قوّاد الجيش اللبناني متقن الصنع ، لم اتمكن من تصويره .

* * *

تلك نظرة في صناعة الحجر لم يتسنَّ لي الوقت للتوسع فيها ... امّا الذي لا بدّ من بيانه فهو انه ، مهما تطورت طرق البناء بتقدم صناعة البطون والقرميد ، فلا يزال للحجر مقامه منحوتاً ومشغولاً ! واذا اهمل في البناء الخارجي فما هي الّا مسألة اقتصادية . كيف لا وقد قامت على الحجر ، ضخماً كان او نحيفاً مشغولاً ، شهرة الاقدمين ، من آثار تدمر وبعلبك الى آثار اثينة ورومة !

واذا كان لبنان لا يحتوي على الحجارة الثمينة كالرخام ، ففي جباله كثير من المرمر والحجارة الكلسية المتنوّعة الاشكال التي اذا صقلت كان لها رونقها وجمالها . وهذا ما يقوم بـه اليوم بعض الوطنيين ، وفكرتهم استخراج درر لبنان من صخوره الصمّاء .

الزواج

تبعاً للرسالة البابوية «Casti connubii»

بحث اخلاقي لاهوتي

للاب شرل ابيلا اليسوعي

منشأ الزواج من الله وضعاً وطبعاً

٣

٧ الادلة على تأصل الزواج الحقيقي في الطبيعة (تابع)

ب – وجوب الحب المتبادل والتعاون في الزوجين

على ان ثمة ، علاوة على الغاية المذكورة ، غاية اخرى اسمى منها بطبقات . ألا وهي الحب المتبادل والتعاون اللذان لا غنى عنهما للزوجين ، من حيث صالحهما الشخصي وصالح بنيهما .

ولستُ اقول انّ وجودهما اكيد مقرّر في كل زواج حقيقي . فقد تحول دون تحقيقهما عوامل مختلفة ، أخصها سوء التربية وتسرُّع احد القرينَين او كليهما الى الاوتباط بالزيجة بدون ما تبصر من قبل .

قال سيدنا البابا : « لا يمكن الانكار ان الاسّ الوطيد للزواج الهني . واسباب الخراب للزواج التعس تنشأ وتوضع في قلوب الفتيان والفتيات منذ زمن الحداثة والشبوبية . لان الذين كانوا قبل ان يتزوجوا لا يسعون الا وراء ما يتعلق بشخصيتهم ومصالحهم الخاصة ويستسلمون الى شهواتهم ، يخشى عليهم ان يبقوا في حالة الزواج على ما كانوا عليه قبلها ، وكذلك ان . . . يحصدوا ما يكونون قد زرعوا ، أعني ان يكون نصيبهم بين جدران بيوتهم الحزن والبكاء والازدراء المتبادل والنزاع والاختلافات والملل من الحياة المشتركة . . .

« اما الاستعداد القريب للزواج الصالح فيقوم خصوصاً بالاجتهاد في اختيار الزوج ، اذ عليه يتوقف كثيراً ان يكون مستقبل الزواج سعيداً او غير سعيد . فان احد الزوجين يمكن ان يكون منه للآخر امّا عضد عظيم للحياة المسيحية في حالة الزواج وامّا خطر عليها وعائق لها ... فعلى طالبي الزواج ان يعمدوا الى التبصُّر ملياً قبل اختيار الشخص الذي سيقيّدون من بعد بالعيشة معه على الدوام ... واخيراً لا يهملوا الطلب الى والديهم ان يدلوا اليهم ، في شأن انتخاب الزوج ، بما تملي عليهم الفطنة من النصح ... »[1]

فاذا ما روعيت هذه النصائح ، تسنى للزوجين الوفق والحب والتعاون ، لان الزواج المشروع موجّه من طبعه نحو تحقيق هذه المزايا بل نحو انمائها على مدى الايام ، ولاسيما اذا كان القرينان متصفين بتقوى الله متكلين على عونه تعالى وخصوصاً على نعمة سرّ الزيجة ، التي سيأتي الكلام عنها في مقال آخر .

اما القِران الطليق فانّى له ان يضمن الائتلاف والتعاون للقرينين والسلام للعائلة ، واسّه الانانيّة والشهوة ، وقوامه حرية الانفصال وعدم الثبات في المودّة . او ليس السبب في تسميته طليقاً كونه ، في عرف مروّجيه ، يحرّر الرجل والمرأة من كل ما من شأنه ان يوحّد قلبيهما ؟

أوَ لا يُمتهَن الحب البشري الصحيح النبيل ويُدنَّس فظيعاً بان يُحصر بتمامه في قضاء الوطر للشهوة الحيوانية ، كما لو لم يكن بتاتاً ، في شعور الزوجين ، غيره مما هو اعلى منزلة واشرف منزعاً ، مما هو صميم في الانسان متأصل في ذات روحه ، من مودّةٍ مضطرمة لا شفاء لغليلها الّا ببذل النفس في سبيل الشريك في الحياة والاعباء ، وحنانٍ في غاية الرقة لا يرضى الّا بان يكون بينهما كاملاً دائماً ، وانشغافٍ يدفعهما الى التفاني بدون ما تجزئة ولا انقطاع ، ورغبة شديدة في ان يُخلّدا كيانهما بذريةٍ صالحة لهما . فاين من هذا كله الحبُّ الفيزيولوجي الصرف الذي شاء ناقضو الزواج ان يحصروا فيه كل ما يكنّه قلب القرينين من عواطف المودة الصادقة .[2]

١) الرسالة *Casti connubii* ص ٤٦ – ٤٨

٢) راجع كوله في المحلّ ذاته ، ص ٤٠ – ٤٥

ت – غايةُ الزواج العليا في ايلاد البنين وتربيتهم

على انَّ الحب المتبادل والتعاون ، مهما علا شأنهما ، انما هما واسطةٌ توّصل الزوجين للبلوغ الى غاية هي اسمى غايات الزواج واشرفها واهمها ، ألا وهي ايلاد البنين وتربيتهم ، مما لا ينكره عاقل.

قال الحبر الاعظم : « اوّل خيرات الزواج النسل...

« امّا كون هذه منّة عظيمة من الله وخير كبير للزواج فيظهر جليًا من منزلة الانسان وغايته القصوى . فان الانسان يفوق سائر الخلائق المنظورة حتى بسموّ طبيعته العاقلة وحدها . أضف الى ذلك أنَّ الله يريد ان يولد الناس لا ليوجدوا فقط ويملأوا الارض ، بل بالاحرى ليصيروا عبيده ويعرفوه ويحبّوه ، فيتمتّعوا بالسعادة الابدية في السماء . وهذه الغاية ، من حيث انَّ الله رفع الانسان بنوع عجيب الى نظام فائق الطبيعة ، تفوق كل ما رأته عين وسمعت به اذن وخطر على قلب بشر[1].

« ومن ثمَّ يتبيَّن بسهولة ان الاولاد الذين يُخلَقون بقوة الله ضابط الكل وبمشاركة الوالدَين ، هم عطية عظيمة تمنحها جودة الله ، وثمرة للزواج زكية.

« وليعلم الوالدون المسيحيون انهم لم يُعَدّوا لتكثير الجنس البشري وحفظه على الارض فقط ، او لتربية عباد للاله الحقيقي أيًا كانوا فحسب ، بل ليُقيموا لكنيسة المسيح نسلًا ورعية مع القديسين واهل بيت الله[2] ، حتى يزداد نموًا مع الايام الشعب المخصص لخدمة الله ومخلّصنا يسوع...

« فاذا تأمّلت ذلك الامُّ المسيحية الحقّة ، تُدرك دون ريب أنَّ كلام فادينا قد قيل عنها ، بمعنى اسمى وشديد التعزية ، « المرأة حين تلد تحزن... لكن اذا ولدت الطفل لا تعود تتذكر شدّتها من اجل الفرح ، لأنه قد وُلد انسان في العالم »[3] بل تتفوّق على آلام مهنتها الوالدية واتعابها واعبائها ، فتفتخر

---

١) كورنتس ١ : ٢٨

٢) افسس ٢ : ١٩

٣) يوحنا ١٦ : ٢١

بالرب باكليل البنين المجيد ، الذي يكلل رأسها .» [1]

ولكن قل لي ، رعاك الله ، اين هي الواسطة الفعّالة المثلى ، الضامنة تحقيق هذه الغاية العليا ، التي تتوخاها الطبيعة وخالقها من قِران الزوجين ؟ أين تتيسر اسبابها على احسن منوال وافضل اسلوب ، طبقاً لما تقتضيه الفطرة البشرية وجوباً وتتمناه استحساناً ؟ أفليس في الزواج الحقيقي المشروع ؟ أوليس ثمة فقط يتسنى للناس ان يتفوقوا ، بتجديد الحياة متواصلاً ، على ما يُلحق بهم الموت من الخسارة كلّ ساعة وكلّ دقيقة ؟ ام ليس ثمة فقط تُعزّز تربية البنين ، بتعاون الاب والام الطبيعي ، فينشأ للمجتمع اعضاء عديدون يصلحون صحةً وذكاء وادباً لخدمته والسير به في معارج الفلاح بضروبه جميعاً ؟ أمّا القِران الطليق أفلا يؤول ، من ذات طبعه ، الى تلاشي النوع وانقراضه تماماً سريعاً ؟

يدلّنا الاختبار ان الصِلات العارضة المتنقلة هي غالب الاحيان عقيمة لا ينتج عنها ثمرة . وكذا قل عن القِران الطليق مهما قيل انه يختلف عن الصلات المذكورة . فمن اهمّ اسباب العقم ، بعد تعدّد الرجال للمرأة الواحدة ، هو تنصّل المرأة من اعباء الحبل وهمومَ الامومة وآلامها . ولا عجب فيما اذا كان هذا هو استعدادها اكثر الاوقات في حالة القِران الطليق . ذلك لعدم وجود رابطةٍ ادبيّة توثق زوجها بها وتُلزمُه جانبها . فتخشى دائماً ان يخونها ، بل ان يخطر بباله هجرها في نفس الساعة التي بها تكتنفها اخطار الولادة وارجاعها وعواقبها . ومن ثمّ نادرًا ما ترضى بان تصير امًّا ، بل تحول دون ذلك بكل ما لديها من الذرائع ، ولا تسل عمّا يستنبط منها عقلها المذعور من اهوال الولادة .

ولو فرضنا جدلًا وسلّمنا حيناً ان النسل ، في حالة القِران الطليق ، يأتي فعلًا ، على ما تفرض الطبيعة ، لبقي المولود في الغالب على كاهل الامّ وحدها ، مهجورًا واياها من أبٍ لم يدفعه الى القِران المذكور سوى قضاء الوطر للشهوة الانانيّة ، بدون ما حسابٍ لعواقب ما اتاه من العمل ، مهما كانت خطيرة .

---

١) الرسالة *Casti connubii* ص ٥ – ٧

والحال انّ الوالد والوالدة يجب ان يتكاملا ، ليس فيما يتعلق بولادة البنين فحسب ، بل بتربيتهم ايضاً.

فظاهرٌ ان الطفل ، بخلاف صغار الحيوان ، هو ذو نموّ بطيءٍ للغاية ، تمرّ عليه سنوات قبل ان يبلغ جسمه وعقله وارادته الى الحدّ الذي يستغني به عن التربية والتهذيب . وظاهرٌ ايضاً ان خالق الطبيعة انما قصد بذلك أن يبقى الابن في عهدة أبويه وعلى تبعتهما طويلاً . فانه قد شاء ، عزّ وجلّ ، ان يشتركا في حماية ضعفه وتخريج عقله وتثقيف ضميره كما اشتركا في ايجاده حياً.

جاء في الرسالة البابوية : « انّ خير الاولاد لا يتم بولادتهم ، بل هناك خير آخر ينبغي الاهتمام به ، وهو يقوم بتربية الاولاد التربية المقتضاة . وفي الحقيقة لو أنّ الله الكلي الحكمة لم يخوّل حقّ التربية ويفرض واجبها على الذين اعطاهم قوّة الانسال وحقّه ، لما كان اعتنى بالولد المولود بل بجميع الجنس البشري العناية الكافية . فانه لا يمكن ان يخفى على احد أنّ الاولاد لا يمكنهم ان يهتموا لانفسهم فيكفوها ما تحتاج اليه ، حتى في ما يتعلق بالحياة الطبيعية . فكم بالاحرى في ما يختصّ بالحياة الفائقة الطبيعة . بل انهم يحتاجون سنين عديدة الى ان يساعدهم غيرهم ويرشدهم ويربّيهم . ومن الواضح الجليّ أنه ، بامر الله وايعاز الطبيعة ، يرجع اولاً حق تربية البنين وواجبه الى اولئك الذين باشروا عمل الطبيعة بالولادة ، ثم حُظر عليهم تحظيراً ان يعرضوا العمل المباشر لخراب اكيد بتركهم اياه غير متمم . على انّ هذه التربية الضرورية جداً للاولاد قد روعي امرها على احسن ما يمكن في الزواج الذي به يرتبط الوالدان ارتباطاً لا ينفصم فلا يزالان مستعدّين العمل معاً والتعاضد »[1].

قال السيّد بونوملي اسقف كريمونا في مؤلّف له عن الطلاق : « لا بدّ من اثنين لإثبات الحياة ولا بدّ ايضاً من اثنين المسير بها الى حيث تنتفر تماماً . فما من الاب وحده سوى سطوة جافية الى حدّ الافراط وعقلٌ ابرد من الثلج وقوّةٌ ثقيلة مرهقة . وما من الأمّ وحدها سوى حبّ بدون ما حدّ معقول ، ولينٍ بدون ما ضابط ، ورقّةٍ بدون ما مقوّم . فكلاهما مجتمعَين لا غنى

---

١) المحل ذاته ص ٧

عنهما للتربية. وقد جمعت الطبيعة بينهما ووحّدتهما على نحو عنصرَين يتكملان فينبلج منهما في روح الولد النور والحرارة.»[1]

ولست اجهل ان بعض المعاصرين من منتحلي علم الاخلاق يعدون الزوجين بان تحلّ الحكومة محلّهما ، فتأخذ على عاتقها تربية بنيهما ، فينفسح لهما المجال الى الانقياد لعمى نزعاتهما الغريزية على ما يمنّ ويطيب لها . فاليوم قِران وغدا فراق ، وكذا الى ما شاء الله ، ما دام ليس من رابطة ادبيّة توثقهما ، ولا من مهمّة عائليّة يتقيّدان بها.

ولكن تُرى هل في مكنة الحكومة ، اذا ما تعهّدت تربية البنين ، ان تمنعَ النساء من الالتجاء الى كل الوسائل التي تحول دونَ ايلادهم ، ولاسيما اذا ما أُقنعنَ ان الغاية من وجودهنَّ في العالم عموماً ، وقِرانهنَّ خصوصاً ، انما هي التنعّم والتلذّذ ؟ اوَ ليس هذا هو المبدأ الكاذب الذي يستند اليه مذهب القِران الطليق ؟

ثم هَبْ ولادتهم امرًا اكيدًا واقعاً . أفلا يبقى ان الحكومة ، مهما نشطت ومهما كان لها من القدرة ، لا يمكن أن تقوم مقام الاب والام لدى البنين ؟ وان فرضنا أنَّ موظّفيها هم أنزه خلق الله واشدّهم اعتصاماً بالواجب وتفانياً في سبيله ، فهل تستغني العائلة ، بسطوتهم الرسمية ونشاطهم المأجور ، عمّا رسمت الطبيعة على محيّا الاب من سمات السلطة ، وعمّا نفثت في قلب الامّ من عواطف الحب والحنان ؟ والى مَ يؤول الامر بالبشرية اذا ما امست تجهل من الشعور الجبلّي حتى اعذبه واشدّه واعرقه في القلب ، اعني به حب الاب والام لبنيهما ، الذي يسري مع الدم في عروقهما ؟ قد قيل عن الذئاب انها تفترس بعضها بعضاً . ولكن لم يُسمع قطّ انَّ الانثى منها تخلّت يوماً عن مولودٍ لها . فما بال متفلسفينا يحاولون ان ينتزعوا من افئدة الامهات في البشر ما ركّزته الطبيعة ووطّدته حتى في قلوب إناث الوحوش ؟[2]

(لها بقية)

١) ذكره برنبره في المحل ذاته ، ص ٨١

٢) راجع كرله في المحل ذاته ، ص ٤٥ – ٤٩

انتخاب بطريرك مارونى

في القرن التاسع عشر

وتدخل قنصل فرنسة في ذلك

بقلم الشيخ سليم الدحداح

٢

تتمة

ولنعد الآن الى القنصل فانه لدى وصوله الى طرابلس حلّ ضيفاً على ڤيس قنصل فرنسة هناك ، وبقي عنده يومين . وقد زاره فيها اخوان من أسرة كسفليس ، وهي يونانية الاصل من جزيرة كورفو ، وكانا متولين قنصليات بقية الدول المسيحية في طرابلس ، بنوع ان الجنينة القائمة امام بيتهما كانت حافلة باعمدة اعلام هذه الدول اكثر منها بالاشجار المثمرة . وقد اسهب في الكلام عنهما وعن عائلتهما ووصف ملابسهما الاعتيادية والرسمية ، ووصف خاصةً جمال قرينة احدهما التي قال عنها «انها بالحقيقة ملكة الجمال وانه لم يجد مثيلةً لها في انحاء لبنان وسورية الّا مدام كتفاگو ، قرينة ڤيس قنصل فرنسة في حيفا ». وقد قال عن هذه الاخيرة «انها بالتأكيد ملكة حقيقية مزدانة بالحرير والكشمير والجواهر ، وعلى محياها هيئة اجتمع فيها الحياء المسيحي مع جزع الحريم بنوع بديع.»

ثم ترك طرابلس ، وصعد تصحبه حاشيته الى جبال الجبّة ، فوصل كِسي قنوبين ، حيث لقيه الاساقفة الثلاثة ، يحيط بهم مشايخ الجهات الشمالية . وقد خصّ منهم بالذكر شيخ بشرّي الشاب (ولم يبيّن اسمه) ، والشيخ شبل من مشايخ بشرّي وقد نسب اليه الخداع واختلاق الدسائس ، والشيخ بطرس

كرم[1] من اهدن ، ومعه ولداه مخايل ويوسف . وحال وصوله ابتدر الاساقفة والمشايخ بخطاب طويل بيّن لهم فيه سوء عاقبة تأخير الانتخاب البطريركي ، وانه حبّاً بفضّ الخلاف قد اقنع الاساقفة الذين كانوا يطلبون اجراءه في كسروان بالحضور الى دير ميفوق الكائن في بلاد جبيل ، لانه في نقطة متوسطة بين كسروان والجبّة ؛ وانه يتأمل منهم ، اي الاساقفة الثلاثة ، ان يتبعوا مثل اخوانهم ويقنعوا من كلامه فيوافوهم الى ميفوق حيث يصير اجتماعهم وانتخاب البطريرك . وبعد مبادلة الاحاديث والبراهين بينه وبين الاساقفة وكبار المشايخ ، ولمّا ظهر له ان اكثر ما يمنع الاساقفة عن مبارحة قنوبين هو خوفهم من نهب هذا الكرسي من قبل مشايخ بشري ، تعهّد لهم بانه يبقى هو مع حاشيته محافظين على الكرسي وموجوداته . حينئذٍ اقتنع الاساقفة والشيخ بطرس كرم الذي ساعده كثيراً ، وقام النائب الروحي فسلّمه مفاتيح الكرسي والخزنة البطريركية ، ثم سافر في الغد مع رفيقيه النائب الزمني ومطران طرابلس الى دير ميفوق . فبقي القنصل واستبقى المشايخ عنده .

فظلوا في ضيافته في الكرسي يومين ، ثم ودّعوه بعد ان وعدهم بردّ الزيارة . وبعد ذلك توجّه الى بشري فاستُقبل هناك بكل حفاوة ، وزار الارز ومعه اكثر من ثلاثين شيخاً ووجيهاً . واذ هم موجودون هناك وصل سيّاح من الانكليز ، وعلى رأسهم احد كبار اللوردة المشهور باسم المركيز دي سليكر ، فانزلهم القنصل في ضيافته . ومن هناك توجّه الى اهدن ، فحلّ ضيفاً كريماً على الشيخ بطرس كرم . وهنا يسهب القنصل في وصف دار الشيخ وحسن ضيافته وكرم اخلاقه ، ويذكر ان له ابنين : مخايل ، ويوسف . فيطرئ هذا الاخير مادحاً شجاعته وحسن خلاله ، ويذكر ان اباه كان يعتمد عليه ويرجو ان يكون خلفه . وامّا مخايل الاكبر فيقول عنه « انه كان طمّاعاً ينتظر وفاة والده بفروغ صبر ليخلفه ، وحسوداً دنيّ الاخلاق يحقد على اخيه يوسف بسبب تفوّق هذا الاخير عليه ؛ وانه كان يرغب في احراز السلطة بايّ صورة كانت ،

---

١) قد غلط المؤلف بكتابة اسمه ، فانه ذكره في هذا الفصل ٦ او ٧ مرّات ، وفي كلٍّ منها يذكره باسم « الشيخ بطرس كرامه » . وهو سهو واضح ، فاصلحت اسمه .

وهو مستعدّ لبيع شرفه ودينه للوصول الى تلك السلطة»[1]. ويذكر القنصل ان من عوائد هذا الشيخ الوجيه استقبال كبار السيّاح في داره[2]

وقد قضى القنصل ليلته في دار الشيخ بطرس. وعند الصباح وصله رسول يحمل اليه كتاباً من المجمع الاسقفي في ميفوق، يخبره فيه الاساقفة انهم لدى اجتماعهم جميعاً في ميفوق باشروا اعمال الانتخاب. ثم رأوا الانسب اجراءه في قنوبين حسماً لكل نزاع، وحتى لا يبقى لاهالي جبّة بشري وجه للاعتراض. فقرروا القيام من ميفوق والمجيء الى قنوبين، وانهم حال خروج حامل التحرير من دير ميفوق قد بارحوه هم ايضاً قاصدين قنوبين.

فقرأ القنصل هذا الكتاب على الشيخ بطرس ونهض حالاً، فعاد بمن معه الى قنوبين. فوصل الكرسي في حال وصول جميع الاساقفة، وفي مقدّمتهم المطران انطون الخازن، وهو مرتدٍ جبةً حمراء بصفته شيخ الاساقفة. وكان بمعيتهم حضرة الاب بلانشه اليسوعي.

فالتقاهم القنصل ورفاقه بكل احتفاء وهنأوهم على اتفاقهم، وبعد ان تناولوا طعام العشاء انفصل عنهم، داعياً لهم بان يتوفقوا ايضاً في الاجتماعات التي سيعقدونها منذ صباح اليوم التالي الى الوصول الى انتخاب بطريرك يسير على تقاليد البطاركة الراحلين. وفي اليوم التالي، وهو الثامن عشر من شهر

---

١) ويقول عن مخايل هذا انه كان على اتفاق تام مع الخدّاع الشيخ شبل من مشايخ بشري. ويُضيف انه كان يوجد هناك، اي في جوار بشري، قسٌّ اسمه نعمة الله أُخرج من حضن الرهبانية البلدية لسوء تصرفاته وفساد اخلاقه، وكان صديقاً للشيخ شبل وللشيخ مخايل اللذين كانا، بالاتفاق معه، يدسّان الدسائس احباطاً لسعي القنصل ومنعاً لاتمام الانتخاب. ـ ولم يصرّح القنصل المؤلّف لا باسم عائلة الشيخ شبل، ولا باسم عائلة الراهب المطرود المكّار. اما الشيخ مخايل بطرس كرم فهو والد البكوات الثلاثة بطرس واسعد وسليم الذين مثّلوا دوراً في ما بعد في عهد متصرفية لبنان الممتازة.

٢) لقد اخطأ حضرة الاب اسطفان قريحه البشعلاني، في كتابه عن لبنان ويوسف كرم، اذ ذكر ان ولي عهد الملك لويس فيليب زار الشيخ بطرس، ظاناً ان لقب «جوانفيل» يختص بولي العهد، فخلط بين الاخوين. والحال ان الذي اتى الى الارز وحضر في امدن قران احدى بنات الشيخ بطرس سنة ١٨٣٦، هو البرنس دي جوانفيل ثالث ابناء الملك، لا ولي عهده الملقب بالدوق دورليان.

آب ، احتفل رئيس المجمع ، المطران انطون الخازن ، باقامة القداس الالهي . وبعد القداس تناول السادة طعام الصباح منفردين ثم اجتمعوا في الكنيسة وقفلوا الابواب وباشروا اجراء الانتخاب . وساد السكون في الكرسي البطريركي . وامّا القنصل فقد اجتمع بالاب بلانشه في غرفته واخذا يتبادلان الاحاديث عن حوادث اوربة ، وعن الآداب الفرنسوية ، والمجادلات الفلسفية والاجتماعية التي كانت قائمة في ذلك العصر في فرنسة . وظلّا كذلك حتى الساعة الثانية بعد الظهر ، فسمعا حينئذٍ بغتةً اصوات التراتيل والصلوات صاعدة من الكنيسة . وفُتِحت ابوابها ، وقرعت الاجراس ، فاسرع القنصل والاب اليسوعي الى جهة الكنيسة ، فرأوا جميع الاساقفة خارجين باحتفال ، وعلى رأسهم السيد يوسف الخازن . فدخلو قاعة الاستقبال حيث تبعهم القنصل والاب بلانشه . ولمّا فرغوا من التراتيل ، وكانوا قد اخذوا مراكزهم من عن يمين ويسار السيد يوسف الخازن ، تقدم رئيس المجمع المطران انطون الخازن ، وقال بصوتٍ عالٍ ، باللغة الايطالية ، ما تعريبه : « يا حضرة القنصل هوذا بطريركم (مشيرًا الى السيد يوسف الخازن) فانكم انتم الذي عملتموه ! »

فتقدم القنصل والاب بلانشه من السيد البطريرك يوسف الخازن واخذا بركته ، وقدّما له التهاني ، ثم هنّأا آباء المجمع على اتفاقهم وحسن اختيارهم .

وبعد برهة انسحب القنصل والاب اليسوعي الى خارج الكرسي وابتعدا عنه مسافة بضع دقائق ، وجلسا على ربوة هناك غير منظورة من الكرسي . واخذا يتحدثان تاركين الوقت اللازم للسيّد البطريرك الجديد وللاساقفة لاجل الراحة ، واتخاذ كافة التدابير اللازمة استعدادًا لحضور المهنئين من اهل الجوار . وكان القنصل والاب بلانشه بغاية السرور من النتيجة التي وصلا اليها ، والاب المشار اليه ينسب كل اسباب النجاح لتدخل القنصل . فاجابه هذا مازحاً : « أرأيت يا حضرة الاب كيف ان الفلسفة واستعمال العقل بامكانهما خدمة الدين والمساعدة على فوزه . »

وطالت خلوتهما في ذلك المكان الذي كانا يتمتعان منه باجمل المناظر . وهما كذلك، واذا باصوات صياح وقتال وطلقات نارية واغاني حماسية . وكانت

الساعة الرابعة فنهضا للحال متوجهين ناحية الكرسي ، فنظرا من بعد مئات من الاشخاص مسلحين بعضهم بالعصي وبعضهم بالسكاكين واكثرهم بالبواريد هاجمين حتى دخلوا الكرسي وتفرقوا فيه. فوصل القنصل والاب بلانشه ودخلا في اثرهم فرأياهم داخلين الكنيسة ، وقاعة الاستقبال ، وغرف البطريرك والاساقفة . فصاح بهم القنصل وظلّ يخترق صفوفهم حتى دخل غرفة السيد البطريرك . وكان المتمردون قد نزعوا الطانية عن رأسه ، ومسكوه بشعره . فلما رأى البطريرك القنصل ، سلّمه حالًا خاتم البطركية . وكان يجاوب هؤلاء الغاشمين بكل لطف قائلًا : « اهكذا تتطاولون على رئيس طائفتكم ؟ »

فهجم القنصل ووقف بين هؤلاء الافراد والسيد البطريرك. فكان حاجزًا مانعاً الوصول اليه ، وصار يضربهم بيديه ويصيح بهم ويتهددهم وينذرهم بسوء عاقبة عملهم ، وكان الاب بلانشه من جهته يجري مثل ذلك. وكان كل من التراجمة والقوّاصة والطاهي والخدم والمكارين ، حاشية القنصل ، يدافعون عن الاساقفة ويضربون الهاجمين ويضيجون بهم .وكان القوّاصة مصوّبين الاسلحة النارية على هؤلاء المجانين ومنتظرين الاشارة من القنصل لاطلاقها واخيرًا تمكنوا من بعد ساعة واكثر من اخراج تلك الجماهير من الكرسي ، ورغماً من كثرة عدد الهاجمين وانواع التعدي التي قاموا بها لم يحصل تلف انفس ، فأخذ الشمامسة والخدم بالاعتناء بالسادة . امّا القنصل فانه رغماً عن تعبه قد امتطى جواده والتفت الى رؤساء تلك الجماهير قائلًا لهم : « ها انني متوجه الى طرابلس ، ومنها لبيروت ، وساعود ومعي نجدة قوية للاقتصاص منكم ، فاجعلكم عبرة لمن اعتبر ، وحينئذٍ تعلمون نتيجة التعدّي على البطريرك واهانة ممثل دولة فرنسة . » وظلّ سائرًا حتى قرية بريسات . ففي هذا الوقت كانت قد هدئت الخواطر وفهم اولئك الهاجمون رداءة عملهم ، وخافوا النتيجة فلحقوا بالقنصل واحاطوا به واخذوا يترجّونه ويترامون على اقدامه ، ويطلبون منه ان يعود الى الكرسي متعهدين له بالعودة معه حتى يلثموا ايدي البطريرك والاساقفة ويطلبوا منهم السماح والمغفرة . اخيرًا بعد رجاء طويل ، وبعد صراخ الاستغاثة والبكاء والنحيب من هذا القوم ، رضي ان يعود معهم. فساد حينئذٍ

الفرح بينهم واخذوا يحدون باسم القنصل . ولمّا وصلوا الى الكرسي اخذوا يصيحون باسم البطريرك يوسف الخازن والاساقفة . ولمّا اطلّ البطريرك عليهم ، جثوا راكعين في ساحة الكرسي ، وطلبوا منه المغفرة مظهرين الندم على ما بدا منهم . فباركهم وقال لهم انه قد غفر لهم اكراماً للقنصل . وبعد ان لثموا ايدي البطريرك والسادة والقنصل والاب بلانشه ، انصرفوا وذلك بعد غروب الشمس . وقد حسن لدى القنصل حينئذٍ ان يُرسل تحريراً الى الشيخ بطرس كرم في اهدن يخبره بنتيجة الانتخاب ، ويطلب اليه الحضور مع رجاله صباحاً احتياطاً لكل مفاجأة.

وكان قد استولى التعب على القنصل وبُحّ صوته تماماً ، وكانت ثيابه ممزّقة ، وكذلك كانت حالة جميع السادة والاب بلانشه وتراجمة القنصل وحاشيته ، فاخذوا قسطهم من الراحة ثم ناموا غير مصدّقين بخلاصهم بتلك الصورة . وعند الصباح ، بينما كان القنصل وجميع سكان الدير حاضرين ذبيحة القداس التي قام بها غبطة السيّد البطريرك ، وعند رفع الكاس ، سُمعت طلقات نارية واهازيج مثل التي كانت جرت في اليوم السابق . فتابع البطريرك اكمال الذبيحة بدون سرعة ولا تأثر . ولمّا اعطى البركة الاخيرة وخلع الملابس الحبرية ، طلع على السطح مع لفيف سكان الدير فنظروا من جهة نحو ١٥٠ رجلاً مسلّحين ، ومعهم الشيخ شبل والشيخ مخايل بطرس كرم ، وكانوا مظهرين على ذواتهم انهم حاضرون لتهنئة غبطته وللمحافظة على الكرسي . وقبل ان يصلوا الى الكرسي سُمع عن بُعد طلقات نارية واهازيج حماسية ، وبعد قليل وصل قوم آخرون ، وهم رجال اهدن وعلى رأسهم الشيخ بطرس كرم وابنه الشيخ يوسف ، ودخل القومان معاً الى الكرسي. فتقدّم الشيخ بطرس وابنه والاهدنيون ، وهنأوا غبطته والاساقفة ، وسألوا القنصل ماذا يأمر . فاختلى القنصل بالشيخ بطرس ، واوقفه على ما جرى في اليوم السابق . وبعد ان تداول البطريرك الجديد وكافة الاساقفة ، اتفقوا على مغادرة قنوبين مع القنصل والاب بلانشه . فطلب القنصل من الشيخ بطرس ورجاله المحافظة عليهم في الطريق . وبعد ساعتين نهض

البطريرك والقنصل والاساقفة جميعهم والاب بلانشه ، وقد احاط بهم الشيخ بطرس وابنه يوسف ورجال اهدن بالسلاح الكامل ، وغادروا قنوبين مجيئاً الى كسروان . ولما دخلوا اراضي بلاد جبيل ، عاد اكثر الاهدنيين الى بلادهم ، وظلّ الموكب البطريركي متابعاً سيره حتى زوق مكايل . فكان في انتظارهم الامير حيدر اسمعيل ابي اللمع ، قائمقام النصارى ، ومعه اربعمائة فارس وعدد كبير من المشايخ الخوازنة اقارب البطريرك وسائر مشايخ كسروان ورجالهم . واخذوا باطلاق العيارات النارية واجراء الالعاب وغناء الاهازيج المفرحة ، ولما وصلوا دير البشارة ترجّل البطريرك ، وكافة افراد الموكب ، وبعد ان استقرّ بهم المقام تقدّم القائمقام والمشايخ وهنأوا البطريرك وقدّموا عبارات الشكر للقنصل وللاب بلانشه .

وهكذا تمّ انتخاب البطريرك يوسف الخازن بعد وفاة سالفه بمدة ٨٦ يوماً[1] . ولم يتدخل المجمع الروماني المقدّس ، لان اعضاء المجمع الانتخابي لم يراجعوه بالامر .

اما القنصل فعاد في اليوم التالي الى بيروت ، وبعد مضيّ مدة ، ورده من السيّد البطريرك تحرير كله عبارات شكر وثناء ، ومما قاله فيه :

« انك بالرغم من اشغالك العديدة تركت مركزك وحضرت الى قنوبين وحافظت على الديمان فوقيته من النهب واستمريت ٢٢ يوماً متحملاً جميع انواع التعب ، فمكّنتنا من عقد مجمع الانتخاب الذي رفعنا الى هذا المقام البطريركي عن غير استحقاق منا ومتّعتنا بحمايتك وعدتَ بنا الى كسروان حيث نحن عائشون بكل امان مع اخواننا الاساقفة . »

كذلك ورد القنصل المشار اليه تحرير من المؤرّخ والخطيب الشهير گيزو ، وزير الخارجية وقتئذٍ في فرنسة ، يقول فيه :

« بمناسبة قرب نهاية مأموريتك في سورية يلذّ لي ان اجدّد لك عبارات محظوظية حكومة جلالة الملك لما اظهرته من الثبات والحذق بمدافعاتك عن

---

١) لم نعلم اين وجدت مجلّة « المنارة » ، التي تصدر في جونيه ، ا في عدد شهر شباط من هذه السنة ، ص ١٦١ ان البطريرك يوسف الثامن الخازن ، موضوع كلامنا هنا ، قد انتُخب بعد ٣٦ يوماً من وفاة سالفه ! !!

المصالح المهمّة التي ألقيت لعهدتك . ان حُسن مداخلتك في انتخاب البطريرك هي من اهم الخدمات التي قدّمتها لمنفعة سكّان لبنان المسيحيين.»

ولمّا انتهت مأموريتـه في بيروت ، سافر الى فرنسة ، وبمروره في باريس قابل وزير الخارجيـة المشار اليه ، فسأله هذا: «هل البطريرك رجـل المعي ؟» (*Est-il un homme d'esprit?*) فاجابه القنصل: «لا اعلم هل في الشرق كله رجل يصحّ فيه القول انه المعي (*Un homme d'esprit*) بالمعنى الذي نفهمه في اوربة. في الشرق يوجد رجال اذكياء جدًّا ، وحائزون على صفات متنوّعة وعديـدة بدرجة فائقة . لكن لا يوجـد عند هؤلاء الرجال نظرات عامّـة ولا سعة الحكم ولا الخاصّة الفلسفيـة التي تفقه الروابط بين الامور ، وبالاختصار ليس لديهم تلك الصفات التي تشكّل ما نسمّيه في اوربة الرجل الالمعي . » فاجابه وزير الخارجية المومأ اليه: «لكنّ انتخابه في كل حال عمل استاذ خبير ، يحقّ لك الافتخار به.»

وكان هذا الجواب الصادر من رجلٍ مثل گيزو اكبر شهادة على مقـدرة القنصل المؤلّف.

وقد روى الخوري منصور الحدتوني في « المقاطعة الكـروانية » حادثة هذا الانتخاب ، الا انـه وهم في بعض تفاصيلها . اما القنصل فهو شاهد عياني ، وقد كتب عما رآه بذاته. وهنا ختم القسم الثاني من تأليفه المنوّه به.[1]

وهذا الانتخاب هو الاخير الذي جرى في قنوبين او الديمان . وامّا ما تبعه من الانتخابات في ١٢ تشرين الثاني سنة ١٨٥٤ ، و ٢٨ نيسان ١٨٩٠ ، و ٦ كانون الثاني ١٨٩٩ ، و ٨ كانون الثاني ١٩٣٢ ، فقد تمّت جميعها في كرسي بكركي في كسروان.

---

١) ان عهد بطريركية السيد يوسف الخازن لم يتجاوز التسع سنوات والشهرين. وبعد وفاته اجمعت آراء السادة الأساقفة على انتخاب مزاحمه القديم ونائبه الروحي السيد بولس مسعد ، فمكث بطريركًا ٣٥ سنة وخمسة اشهر مثل فيها دورًا سياسيًّا ودينيًّا مشهورًا ، وتوفي في ١٨ نيسان سنة ١٨٩٠.

الذهب في مناجمه وخاصة في سورية

بقلم مرتن جبر

٢

تتمة

الذهب في سورية

من زبائن الصاغة والجوهريين في انطاكية بعضُ الفلاحات والقرويات يأتين من ضيعة مجاورة للمدينة ، فيقصدنَ توًّا مراكز الصياغة لا لشراء المجوهرات والحلي ، بل لبيع ما يحملنه من مسحوق الذهب البالغ احياناً عدة غرامات. فيأخذه الصائغ وينقد صاحبته كمية تُذكر من المال . ومن المعروف المشهور هناك انه يكفي القروية ، كي تستخرج ذاك الذهب ، ان تغسل تراب احدى السواقي الجارية بالقرب من قرية العاقلية ، في ضواحي انطاكية ، فتفرز دقائق الرمل من الحصى في بركة ماء ، ثم تأخذ الرمل الراسب الثقيل فتبسطه على لوحة متحدّرة قليلًا وتصبّ عليها الماء شيئاً فشيئاً فيذهب الرمل ، وتبقى عالقةً باللوحة ذرّات ثقيلة صفراء برّاقة ، هي ذرّات الذهب. وهي التي تجمعها القروية برأس السكين ذرّة ذرّة ، جادّة مجتهدة في الغسل والفرز والجمع حتى يحصل لها عدة غرامات ، فتحملها فرحة الى صاغة انطاكية. فيدفعون لها ثقل ذرّاتها ذهباً، اي انهم يشترون بالليرة التركية الذهبية ثقلها من تلك الذرّات.

ولا تظنّوا ان الصائغ يخسر بتلك العملية . فان الليرة التركية لا يعادل عيار ذهبها الخالص الّا ٩٠٠ الى ٩١٦ من الالف . اما تلك الذرّات والدقائق فكثيراً ما يبلغ عيارها ٩٥٠ الى ٩٨٠ من الالف من الذهب الخالص . وعليه يكون ربح الصائغ من ٥٠ الى ٦٤ في الالف.

وقد زرنا مؤخراً قرية العاقلية وفحصنا ترابها ، فاذا هناك منجم حقيقي من الذهب الراسبي الذي قدّمنا الكلام عليه . وهو يشبه شبهاً غريباً ما فحصناه من المناجم المهمة.

تقع طبقة هذا المنجم على ضفتي ساقية تجري في الوادي الواصل بين جبل الأمانوس ونهر العاصي . وقد يرقى عمرها الى العصر الجليدي الثاني ، وهو عصر قليل الظواهر في شمال سورية .

اما تكوين تلك الارض فناتج دون شكّ عن تراكم الموادّ المختلفة التي اثارتها وجرّتها الظواهر العنصرية فكوّنت اوّلاً طبقة من الرمال الخشنة ، يليها طبقة تكثر فيها العناصر الكوارتزية ، ثم طبقة رقيقة من الرواسب خالية من الصوّان ، واخيراً طبقة الارض الزراعية الحالية . وكل ما في هذه الارض من العناصر يرتكز الى لوحة صخرية جبسية المادّة على الغالب ، كثيرة العروق المنتظمة تتبع سيراً واحداً من الشمال والشمال الشرقي الى الجنوب والجنوب الغربي بانحناء تبلغ زاويته من ٢٠ الى ٢٣ درجة .

ولا شكّ ان ما رأينا فوق تلك الطبقات الراسبية من عروق الكوارتز المعدني مخلوط فيه كثير من العناصر الذهبية والحديدية المغنطة ، والرصاصية ، وما الى ذلك ، مما يظهر اذا ما غُسلت رمال تلك الطبقة غسلاً متقناً كاملاً . واثناء فحصنا تلك المحلّة عثرنا على آثار اشغال قديمة تدلّ على ان ذاك المنجم لفت انظار السلف فاستغلوه في عصور متقدّمة جداً .

وقد شئنا ان نختبر بنفسنا كمية الذهب الممكن استخراجه فغسلنا شيئاً من طبقة الرمل والحصى ، فكان لنا من ٥ الى ٧ الى ١٠ غرامات في المتر المكعّب . وهو قدر لا بأس به ، والمنجم في حالته الحاضرة . اما ما سيؤول اليه فهو سرّ المستقبل .

* * *

لننتقل الآن الى ذكر النوع الثاني من الذهب المعدني وهو الذهب العرقي الذي نستخرجه من الصخور او الفلزات المختلفة المشتملة عليه .

واشهر هذه الفلزات فلز الكوارتز الذهبي . وهو لا يكاد يختلف ، بظاهره ، في شيء عن انواع الكوارتز المعروفة . ويكون الذهب مختفياً في داخله على الغالب ، الّا في ما ندر ، فيبدو الذهب على ظواهر الكوارتز في امثلة قليلة محفوظة في المتاحف او المختبرات او المجاميع الخصوصية ، او عند

بعض الناس يستعملونها اعلاناً لمشروع ذي خطر ومجازفة ، وتمويهاً على السذج فيدفعونهم الى مناصرة ذلك المشروع.

اما الخبيرون بامور التعدين ، المطّلعون على ميزات الفلزات والمعادن ، فلا تغرّهم الامثلة اللمّاعة ولا المناظر البرّاقة. لانهم على يقين من قيمتها الحقيقية . وهم متأكدون انه اذا امكن استخراج ٢٠ او ٣٠ غراماً ذهبياً من الطنّ ، فذلك ان المنجم صالحٌ موافق للاستثمار . وهم لا يطمعون بما وراء ذلك.

ولنعد الآن الى الكوارتز الذهبي . فهو ، وان لم يختلف اختلافاً يُذكر عن سائر انواع الكوارتز ، فان انواعه تتباين بتباين البلاد ، بل بتباين المناجم في البلد الواحد . فيصطبغ بالوان متنوّعة ، ويتصف بترتيب في طبقاته وخطوطه ومقادير اجزائه قد تكون شديدة الاختلاف حتى ان الخبيرين انفسهم لا يتمكنون من الحكم لدى فحص مثالٍ واحد . ولا واسطة دقيقة لمعرفة قيمة المثال الكوارتزي الّا التجربة والتحليل بالطريقة الجافّة ، والصهر ، والقطع وفحص الرقائق ليتحقّق المختبر ذرة الذهب فيها . وفي ما عدا ذلك ، يلزم الخبير ان يحافظ على الاحتياط والتحفّظ التام في حكمه على قطعة من الكوارتز يراها لأول مرّة.

وكثيراً ما يكون الكوارتز محتوياً على معادن ومزيجات رصاصية او نحاسية او كبريتية تصبغه بالوان تميل الى الاخضر او الى الازرق او الى الاحمر. ولكن مهما يكن من الأمر، فيجب على الخبير اولاً ان يعرض كل ذلك على محكّ المختبر ، فيتبيّن الكوارتز الذهبي من غيره . فاذا تحقّق ذلك امكن معالجة الكوارتز المذكور بالسحق ، او المزج مع الزئبق او مع السيانور ، او بالتركيز.

على ان هناك كثيراً من الفلزات تحتوي على شيء من الذهب، وهي كثيرة التنوّع قليلة مقدار الذهب على الغالب فلا يهمنا امرها . ثم لا يندر ان تروا نوعاً لا تجدون له ذكراً في كتب المعدنيّات ، ولا يعرف قيمته الّا كبار المعدنيين وخبيرو المناجم. فيسمّونه « ذهب الهرّ » . وهو جميل المنظر اصفر برّاق لمّاع . ولكنه لا ينفق عند الصاغة . فهو لا يذوب ، وسرعان ما يسودّ

على النار . وهو ليس من الذهب في شيء . ان هو الّا نوع من الميكا او مزيج من الحديد يؤخذ الذّج ببريقه الشديد، فيشترونه ذهباً خالصاً حتى يصح المثل: «ما كلّ برّاق بذهب!»

الذهب في الصناعة

بعد ان تُستخرج الفلزات الذهبية من مناجمها ، تُحوّل الى معمل حافل بالادوات المختلفة ، فيجرى عليها سلسلة من العمليات حتى يُستخلص منها الذهب الصافي ، كما سنرى . ولا يخفى ان هندسة المعامل ، وتركيبها ، وقوة ادواتها يختلف باختلاف النواحي . ولكن يمكننا ان نجرّد من كل ذلك وصفاً عاماً للمعمل نذكره في ما يلي.

لا يختلف تعدين الذهب في شيء مهمّ عن تعدين سائر المعادن الّا بان فلزاته الصخرية اصلب من غيرها . ولهذا ترى الشغل اليدوي عقيماً في ثقب حجارة الكوارتز . فلا بدّ من استعمال مثقب الهواء المضغوط ، واستعمال نوع شديد منه لا تقل قوته عن عشرة احصنة ، ودوراته عن ٣٠٠ الى ٦٠٠ دورة في الدقيقة.

اما تفكيك الصفائح الصخرية فيكون بواسطة الموادّ المتفجرة كالديناميت وما شاكل . فاذا حصلت الفلزات للمعدّن ارسلها حالًا الى الطاحون.

وطاحون الذهب معمل على غاية من الترتيب حتى ان كل العمليات تجري فيه من تلقاء نفسها . فتصل قطع الكوارتز من المنجم فتفرغ حالًا في اقساع كبيرة تتحرّك في قعرها آلات تفربل تلك الفلزات . حتى اذا كان فيها قطع كبيرة حُولت الى مِكسرة قويّة تكسرها بحجم البندقة او حبة الحمّص . ثم تجتمع هذه القطع الخارجة من الغربال ومن المكسرة في مجرى واحد ؛ تنحطّ اليه ، كل ساعة ، آلة خاصة فتتناول منه مثالًا يُرسل حالًا الى المختبر فيحلّله اربابه فيعلمون ساعةً فساعةً مقدار الذهب في تلك الفلزات ، وهل هو ينقص ام يزيد ، وهل يجب وقف العمل ام التحوير فيه.

وبعد عملية التكسير ، تسير القطع المعدنية نحو مسحقة عظيمة من النوع

الكاليفورني . وهي كناية عن مرجل كبير على شكل جذع الهرم المقلوب ، بُطّن بصفائح من نحاس مفضّض يغلوها الزئبق . وفوق ذاك المرجل مطرقة عظيمة تزن من ٣٥٠ الى ٤٠٠ كيلو غرام فترتفع وتهبط ثمانين مرّة في الدقيقة ، على سندان من الفولاذ ، وسط المرجل ، تقع عليه قطع الكوارتز فتسحقها المطرقة دقيقاً ناعماً . وفي المرجل حنفية تُرسل عند اللزوم كمية من الماء فتحوّل مسحوق المعدن الى منخل في ناحية من المرجل . حتى اذا اخرجت منه ، وصلت الى الصفائح النحاسية المغشاة بالزئبق . فيمتزج الزئبق بدقائق الذهب ، ويترك سائر الدقائق فتهبط الى اسفل .

ولمّا كان ولا بدّ ان بعض الدقائق الرملية لا تتخلّى عن كل ما فيها من الذهب بتلك الطريقة ، نرى في المعمل طريقة اخرى ، وهي مزج ذاك الرمل الذهبي بالسيانور . ويكون العمل بان يُحوّل المسحوق المعدني الى آنية فيها محلول من سيانور البوتاسيوم بمقدار ٠,٦ الى ٠,٨ بالمئة . وبهذه الوسيلة يُستخرج من ٩٠ الى ٩٣ بالمائة من الذهب الباقي في المسحوق بعد عملية المزج الزئبقي . حتى ان التراب او الرمل الخارج من تينك العمليتين لا يبقى فيه الّا آثار لا تذكر من الذهب في كل طنّ .

على ان هذه العمليات المتتابعة لم توصلنا الى الذهب الخالص الذي نتمكن من ارساله الى البنك او الى ادارة سكّ النقود . فيلزمنا اذاً تطهير المزيج ، واستخراج محصول التركيز ، ومعالجة سائل السيانور . واشهر تلك العمليات ما نلخص وصفه ادناه :

كلما تتابع سير الطاحون ، ازدادت سماكة الصفائح النحاسية الحاملة الزئبق . ولا بدّ من ان يراقب ذاك العمل رجل خبير متضلّع من نظريات تعدين الذهب ومتمرّن على العمل ، وحاصل فوق ذلك ، على ضمانات مهمّة من احد كبار المصارف . فهذا الرقيب ، يُضيف عند اللزوم شيئاً من الزئبق في المرجل حيث يختلط بالدقيق المعدني ويخرج معه من المنخل ، فيلتصق بالصفائح ، حتى اذا زادت سماكتها قشطها الرقيب بواسطة نصل من الكاوتشوك فسقط عنها المزيج في اقنية خاصة تجرّه الى صندوق محكم القفل في اسفله جيب من جلد الوعل

يحتفظ بالذهب ، ويترك القسم الكبير من الزئبق فيسقط في الخارج ويعود الى المرجل ليُستعمل من جديد.

وعندما يمتلئ ذاك الجيب يؤخذ فيشدّ بواسطة ضاغطة صغيرة . ثم يُجمع ما يُخرج منه ، فيقطّر بانبيق خاصّ من الحديد. امّا ما يتصعّد من بخار الزيبق فيتكاثف رويداً ويجمع على ناحية . واما الذهب الباقي على شكل دقيق اغبر ، فيُذوّب ويصبّ سبائك يعيّن عيارها بكل دقة في المختبر، ثم تُوجّه نحو البنك او نحو ادارة سكّ النقود.

امّا فلزات الذهب المركّزة فلا يمكن معالجتها في المناجم المذكورة لقلّة ما فيها من الذهب . فتُرسل الى معامل التعدين الاعتيادية ، فيشتريها اربابها ويضيفونها الى غيرها من الفلزات والامزجة كالرصاص الفضي او النحاس الذهبي او ما شاكل.

واما محاول السيانور فترفعه مضخّات خاصّة وتصبّه في آنية فيها رقائق دقيقة من الزنك ، اذا ما صادفها الذهب تهافت وسقط من السائل . ثم تؤخذ هذه الرقائق وتُعالج امّا بالحامض الكبريتي ، او بالتقطير في انبيق خاصّ فيتصعّد بخار الاوكسيد الزنكي الابيض ، ويترك دقيق الذهب الاغبر الذي يُصهر ويصبّ سبائك ، كما تقدّم في العملية الاولى.

***

هذا ما رأينا ذكره من عمليات الذهب الدقيقة الصعبة الطويلة. فاذا سمعتم يوماً ما ان فلاناً من اصحاب الملايين ، سهل عليكم تصوّر تلك الثروة. وانتم اذا حسبتم ذلك ، على سعر الذهب اليوم ، رأيتم ان مليونه يتمثّل بسبيكة ذهبية يبلغ طولها ٢٥ سنتيمتراً بعرض ١٣ سنتيمتراً، وسماكة ١٠ سنتيمترات لا غير ، ولكنها ثقيلة جداً، لانها تزن ٦٢ كيلوغراماً ونصف الكيلوغرام.

صفحة ذهبية من تاريخ لبنان

البطريرك اللبناني
الياس بطرس الحويك
١٨٤٢-١٩٣١

بقلم الخوري منصور عوّاد عوّاد

٣

البطريرك

في اليوم الرابع والعشرين من كانون الاول سنة ١٨٩٨ ، كانت الثلوج تغطّي لبنان بآكامه وسفوحه ، من شاطئ البحر الى اعلى قمة فيه . وكانت سماء لبنان مربدّة قاتمة تجلّلها الغيوم والسحب وقد تجمدت من قرص البرد ، وبدا البحر متجهّماً وجهه ، مسوداً كله، مرعباً منظره لا يظهر منه الا امواجه تتكسر على الشاطئ مزبدة بيضاء تحاكي في ذلك القتام الطبيعي النهاري بقيّة الامل في عيني الرجل اليائس من الحياة ابّان شدة محنته واشتداد قنوطه ! وقد عمّ السكون البلاد بأسرها فلا صوت للطبيعة ، ولا صوت للناس. فهم قد لازموا بيوتهم مختبئين وكان الرعد يختنق عند دويّه كأنه صادر من صدر فيه حشرجة الموت ، فكان الثلج وهو يغطّي ارض لبنان جميعها كأنه كفن اعدّته يد الرب للبنانيّين عظيمين انطفأ سراج حياتهما في ذلك النهار ، بل كانت السحب باربداد وجهها كأنها بساط الرحمة الالهية نُشر على وجه السماء حداداً على الراحلَين الكبيرَين . كان احدهما مجهولاً لدى الناس معروفاً لدى الله ، منقطعاً الى خدمة ربه في صومعة على رأس جبل في محبسة دير مار مارون عنّايا ، وهو الحبيس الاب شربل مخلوف بقاعكفرا الراهب اللبناني الذي عُرف منذ طفوليته بالقداسة وكان قديساً في جميع ادوار حياته الرهبانية. والذي مضى على وفاته ثلاثة وثلاثون عاماً ولا يزال جثمانه محفوظاً الى يومنا هذا كأن روحه لم تفارقه الا منذ ساعات ، بل لا يزال يرشح من جثمانه عرق لا يرشح الا من

اجساد الاحياء! هذا هو احد الراحلين في ذلك النهار، وقد تحدث الناس في عجائبه وعجيب بقاء جثمانه في تلك الحالة الغير الطبيعية حتى هذه الساعة. وهو الذي يُوشر الفحص عن قداسته بطريقة قانونية لتثبيته قديساً وتكريمه على المذابح.

واما الراحل الآخر العظيم امام الله والناس فقد كان البطريرك الماروني يوحنا الحاج الاداري الاوحد، السياسي الفذ، الماضي العزيمة، العامل، النقاد، النادر المثال بنشاطه وعزة نفسه وبراعته في الحكم، الراعي الصالح الذي رعى الملة المارونية نحو تسع سنوات فبلغ بها شأواً عالياً مجيداً قد لا يبلغه غيره في سنوات كثيرة!

وكانت اجراس الكنائس في الطائفة المارونية، من سيف البحر الى ما وراء جبل لبنان الشرقي، تنعي البطريرك باصواتها المختنقة حزناً وألماً وفي رنتها غصة الموت واصوات القبور فتّها فيها الصقيع والهواء المتلبس بضباب الثلوج فظنها الناس مدركة هول المصاب بمن تنعاه مختنقة اللب والصوت عليه!

وكانت العواصف في البحر الى مجال بعيد تحمل في احشائها صدى النكبة الشديدة التي انتابت الموارنة. فأطلّ الموارنة وسائر اللبنانيين معهم من كوى بيوتهم يبحثون في ذلك الفضاء القاتم عن نجم البطريركية. فخاله اكثر الناس في «نجم» كسروان الذي كان يرسل اشعته في سائر البلاد، كأنه نجمة الصبح الصاعدة فوق صنين تبشر بالصباح، ولا غرو فقد كان ألف اللبنانيون منذ قرن ان يروا نجوم البطاركة تبزغ من كسروان، من البطريرك العالم يوحنا الحلو الى البطريرك الفتى يوسف حبيش الى يوسف الخازن فبولس مسعد فيوحنا الحاج. ولكن ما اقصر مدى الابصار البشرية فانظار الناس لها افق ضيق تكون تعساء اذا علّقنا كل آمالنا عليه وعلى ما يبصر الناس منه، وللعناية الالهية افق وسيع بل غير متناهٍ لا يحدّه حدٌ بشري!

ولا يُستغرب افتكار الموارنة بمن يخلف البطريرك يوحنا الحاج ساعة فُجعوا به فهذا مألوف البشر ان يودّعوا الملك الميت: مات الملك، ليحيَ الملك! فالبطريرك الماروني ملك في الشرق ورأس لا تعيش الملة بدونه، فلا يحيا الجسم بدون رأس. لا يُستغربن الامر والبطريرك الماروني هو المرجع الاكبر الاول في حياة البلاد الدينية والسياسية، وللناس كلهم مصالح في الدين والدنيا، وحيث تكون مصلحة

الانتخاب فهناك عقله وقلبه ، بل ان البطريرك الماروني أب للملة المارونية،والابناء لا يستطيعون،اذا مات والدهم،ان يعيشوا ايتاماً اذا كان في وسعهم ان يستعيدوا أباهم الى الحياة ، فبانتخاب الخلف البطريركي يعود ابو الطائفة الى الحياة في شخص خليفته . وهذا سرّ توجه انظار الموارنة حال وفاة بطريركهم الى من يخلفه لا لانهم ينسون او يتناسون السلف العظيم بل لانهم يحبون الحياة ويريدونها اغزر مما كانت في الرأس الجديد حيث حياتهم بكل انواعها ومظاهرها.

فبينا كان اللبنانيون ينظرون الى « نجم » كسروان البهيج ، كانت العناية الالهية قد حوّلت نظرها الى نجم آخر اعدّته للموارنة وللبنان ، الى نجم حلتا المعتجب آنئذٍ في رومية وراء البحار والعواصف ، يبتهج بنوره تلامذة المدرسة المارونية ، دون سواهم ، يبتهجون بـه ولا يقدرونه قدره ولو أُعطي لهم ان يدركوا من كان ومن سيكون ذلك الرئيس لطبعوا عليـه عيونهم وقلوبهم ولما فارقوه قيد لحظة طيلة اقامته بينهم رئيساً عليهم!

حملت اسلاك البرق الى رومية نبأ كارثة الموارنة ببطريركهم يوحنا الحاج؛ فعظم المصاب على المطران الياس الحويك واتجهت انظاره الى السدة البطريركية واخذ يفكر في من يجب ان يخلف ذلـك الطود العظيم الذي غاص في بحر الابدية ويتأمل في عظم المسؤولية التي ستُلقى على كاهله ، ويطلب من الله ان يقيّض لطائفته راعياً حكيماً ، غيوراً ، عالماً ، خبيراً ليسوسها سياسة رشيدة على حسب ما يقتضيه العصر وحاجاته.

كان فكره يجول متنقلاً بين احبار الطائفة يزنهم واحداً فواحداً ليرى من كان كفوءاً لذلك المنصب الخطير السامي والعبء الثقيل . وكان يرى الكفاءة في صديقه المطران يوسف ابي نجم،شأنه في ذلك شأن جميع الموارنة في تلك الايام. وما خطر بباله انه سيكون هو خلف البطريرك يوحنا الحاج ، لانه لم يكن معتقداً بذاته انه افضل من ذاك او من سواه ، ولانـه كان يزعجه كثيراً ركوب البحر في الصيف والبحر صافٍ هادئ ، فكيف بـه وهو وقتئذٍ في ابان الشتاء والعواصف تلو العواصف والاعصار يتبع الاعاصير . وكان الوقت ضيقاً لا يمكنه من الوصول الى مجمع انتخاب البطريرك في الوقت المناسب . كل هذا

جال في خاطره فحسبه دليلًا من الله على انه تعالى لا يريده للبطريركية، فعرضه على مجمع انتشار الايمان المقدس في رومية ليستنير برأيه ويرتشد باوامره ويلقي عن عاتقه عبء المسئولية في ما عزم على عمله بالبقاء في رومية ، فاقتنعه مجمع انتشار الايمان بوجوب الرجوع الى لبنان للاشتراك في انتخاب البطريرك. فظنّ انه بمواجهته البابا لاون الثالث عشر يستطيع ان يتخلّص ويتخلّف في رومية ، فجاء الامر معكوساً. لان العناية الالهية ، التي كانت اختارت شماراً للاون الثالث عشر العظيم نجماً وضّاء ، كانت قد اختارت النجم ذاته طالعاً سعيداً للبنان بالحويك. فما كان من لاون الثالث عشر الا ان امره بالمبادرة الى لبنان. وكأن ذلك الحبر الاعظم الخالد الذكر بفراسته قد قرأ ما سبقت ورسمته العناية الالهيّة للبنان على يد الحويك فصرّح له بتلك الارادة العالية الابوية . فانحنى الحويك ملبياً اشارة من اشارته حكم مطيعاً لرغبته وغادره وغادر رومية متزوداً ببركته الرسولية متيمناً بها ، متّكلًا على الله مرتمياً بين يدي الرب. فحملته انواء البحر وعواصفه ، وهو لا يعي على شيء من شدة الدوار الذي المّ به ، الى ان بلغ لبنان عند مغيب اليوم الرابع من كانون الثاني سنة ١٨٩٩ . وفي صباح اليوم الخامس من الشهر عينه قُرعت اجراس لبنان من اطرافه الى اطرافه تبشّر الموارنة والبلاد بأن قد ارتقى الى السدة البطريركية الانطاكية على الموارنة المطران الياس الحويك باجماع الرأي بين اساقفة الموارنة في ذلك العهد. فاستغرب الناس عند ما رأوا ذلك النجم الذي ما كان احد يفكر فيه، ولم يكتموا استغرابهم !

غير ان الله الذي ربط حظ الموارنة بالسدة البابوية الرومانية شاء ان يبزغ هذا النجم من ذلك الافق العالي الفسيح ليُفهم الموارنة واللبنانيين ان طالعهم معلّق على تعلّقهم بالسدة الرومانية ، وانهم لتلك السدة الرسولية مدينون بوجودهم الديني وثباتهم الاعتقادي وكيانهم السياسي والمدني، وانهم اذا افترقوا عنه او ابتعدوا قيد شعرة يزول مجدهم ويغيب طالعهم !

فمن كان يظن ان جرس الكنيسة في حلتا يوم كان يُقرَع وحده في حفلة تنصير الياس الحويك قبل ست وخمسين سنة كان يدعو اجراس الكنائس في لبنان

لتشاركه في فرحه ، ولو بعد نصف قرن ونيف. ومن كان يتوهم وقتئذٍ ، ولو في الحلم ، ان صوت ذلك الجرس الذي كان يضيع صداه في اودية حلتا المجاورة بعد ان يتجاوب فيها سيضيع بين اصوات اجراس لبنان المترنحة فرحاً في صباح ٥ كانون الثاني سنة ١٨٩٩ ؟ !

ان ما هو مجهول عند الناس لمعلوم عند الله ، وما هو صغير في عيون البشر لعظيم في عينيك يا رب ! ولكن كم سُمع في لبنان على اثر انتشار بشرى ارتقاء الحويك الى كرسي بطرس الانطاكي كلام يشبه كلام نتنائيل « الاسرائيلي الذي لا غش عنده »[1] : « أمن حلتا يخرج راعي الموارنة ؟ ايكون في حلتا شيء صالح ؟ »[2]

أجل هذا كان رأي أكثر الناس يوم ذاعت البشرى بالبطريرك الحويك. امّا رأي العناية الالهية فقد كان غير ما ارتأى البشر. فما احسن الاعتماد على الرب وعلى عنايته الصمدانية وما افقر الاتكال على الناس وعلى نظرهم القصير !

ولما قُرعت الاجراس في كفرحي حيث جلس القديس يوحنا مارون ، اول بطريرك على الطائفة المارونية في لبنان ، كانت غرّة ، والدة البطريرك الياس الحويك ، في كنيسة البطاركة هناك تصلّي حسب عادتها التي واظبت عليها بعد إرمالها ثلاثين سنة في تلك الكنيسة لا تفارقها لا ليلاً ولا نهاراً كأنها حنّة النبية تنتظر في هيكل الرب عزاء اسرائيل[3]. فلم تقطع صلاتها ولا سألت عن اسباب قرع الاجراس. فجاءها من بشّرها بارتقاء ابنها الياس الى كرسي بطرس الانطاكي فقالت : « جعل الله ذلك لخلاص نفسه وخير الطائفة ، وحماه من المجد العالمي . اني اخاف ان يجرّه مجد البطريركية الى المجد الباطل فيضطر ان يتأسف يوماً وهو في ابان العظمة البطريركية على سذاجة حلتا وقداسة الحياة فيها ! فصلّوا لاجله » !

عواطف امّ قديسة ما كان يبعدها عن الله وعن سذاجة حياتها شيء من عظمة هذه الحياة !

الّا اننا نستطيع ان نجاوب تلك الام التقيّة بعد ثلاث وثلاثين سنة مضت على ابنها الياس في البطريركية المارونية ، بعد ان بلغ ابنها اوج المجد في حياته ،

١) يوحنا ١ : ٤٧ ٢) يوحنا ١ : ٤٦ ٣) لوقا ٢ : ٣٦ و٣٧

ولم يبقَ مجال للاستزادة ، بعد ان شاهدنا ادوار ذلك المجد في حياته وفي مماته ، أن لا تخافي ايتها الام التقية على ولدك فانه سيعيش في مجد البطريركية كما كان في حضنك وتحت نظرك في مزرعة حلتا الصغيرة ملاكاً في جسم انسان ساذجاً عن حكمة مقدسة في اقواله وفي اعماله ، لا يزهو ولا يتكبَّر ، ينسب كل حسن فيه وكل عظمة ينالها وكل كرامة تأتيه وكل نجاح يصيبه الى الله وحده والى عنايته الصمدانية ، مغمضاً عينيه عن ذاته كما اغمضها عن المجد والكرامة اللتين كُفّن بهما يوم دفنته التي ما رأى لبنان ، ولا الشرق لها مثيلاً في جميع تقلّبات ايامه ولا دُرج في صفحات تاريخه صفحة شبيهة بتلك الصفحة الخالدة. ألا قرّي عيناً فهذا الولد هو قرّة لعينيك كما دعا لكِ ولوالده نسوة حلتا يوم وضعتِه غلاماً في دُجى ذلك الليل البهيم ليل ٤ كانون الاول ١٨٤٢ !

انا اعتقد ان صلوات تلك الام وسذاجتها وتواضعها وقداستها هي التي اوصلت الياس الحويك الى ما اوصلته. فما اعظم الام التي تصلّي وتكون قديسة ، انها تكون كنزاً للوطن عند الله وعند الناس ، ولا غرو فانّا قد تعوّدنا ان نرى الى جانب كل قديس وكل عظيم امّاً عظيمة وقديسة . فالى جانب القديس اغوسطينوس فخر افريقية ومجد اساقفتها وعمود الكنيسة الجامعة وملفانها ، نرى امه القديسة مونيكا التي ردت اغوسطينوس بصلواتها الى الله فكان منه ما كان ومن كان . والقديس لويس التاسع ملك فرنسة يكاد يحتجب بجلالته وعظمته امام عظمة امه الملكة بلانش ده كاستيل ! وهكذا دواليك كلما تلّينا تواريخ الرجال العظام في الدين والدنيا .

* * *

قد تساءل الناس في ذلك العهد ، ونحن نتساءل معهم اليوم ، ما الذي حمل الاساقفة الموارنة آنئذٍ فانتخبوا المطران الياس الحويك بطريركاً ولم يختاروا المطران يوسف ابا نجم كما كان يتوقّع الرأي العام في الطائفة والبلاد ؟ وما هي الوسائط البشرية التي استخدمتها العناية الالهية حتى توصلت الى غرضها رغم اغراض الناس وظنونهم ؟ ان من امعن النظر في المسألة وحكّم عقله وحكم على الاشخاص كما كانوا وليس كما يريد ، تتجلى له الحقيقة بأجلى مظاهرها .

نظرة الاساقفة الموارنة المجتمعون وقتئذٍ في بكركي الى كفاءة كل منهم ، فوجدوا ان الحويك كان المطران الذي اختاره البطريرك الراقد بالرب ، يوحنا الحاج ، من كان يعرف زمانه ورجاله افضل معرفة ، ليحقق افكاره ومشاريعه الكبيرة فأسند اليه الاهتمام بإحياء مدرسة رومية ، وبانشاء الوكالة البطريركية في القدس ، وبالحصول على كراسي مجانية للاكليريكيين الموارنة في باريس وبتأسيس جمعية راهبات العائلة المقدسة المارونيات. وان الحويك كان عند حسن ظنّ ذلك البطريرك المقدام ، وانه قام بمهمته احسن قيام وفاز بها سريعاً فوزاً لم يسبقه اليه احد قبله ، اذ كان سبق فعُهد الى بعض الاساقفة السعي لتجديد مدرسة رومية مع التفويض اللازم لذلك فلم يفز احد منهم في مهمته. ووجدوا ان الحويك كان اوسعهم علماً واكثرهم اختباراً قد تمرّن بالاسفار ، واحتكّ بكبار الدين والدنيا في الشرق والغرب ، وكان قريباً من قلب الحبر الاعظم بابا رومية لاون الثالث عشر ، وتلميذاً من خريجي جامعة انتشار الايمان المقدس . ورأى المطران ابو نجم المرشح الوحيد الذي كان يزاحم الحويك ، ان الحويك صديقه الصدوق ، ورجل الساعة بعلمه وفضله ، فتناسى شخصيته وبرزت امامه شخصية الحويك لامعة لا تشوبها شائبة ، فقال مع القديس يوحنا المعمدان: « له ينبغي ان ينمو ولي ان انقص.»[1] فآثر ان يتنازل لصديقه من ان يتشبث بذاته ليظلّ السلام سائداً في ربوع الطائفة ولينجو من المسئولية العظيمة في تحمل مشاقّ البطريركية . فالعلم الراجح في الحويك والفضيلة الممتازة ، والاختبار الطويل ، والثقة العمياء التي كانت للبطريرك يوحنا الحاج فيه وفوزه في ما اسنده اليه من المهامّ الخطيرة ، وحكمة وتضحية المطران ابي نجم والرغبة في اجراء الانتخاب البطريركي بدون اختلاف خشية من ازعاج رومية ، كل هذا ألجأ المطران ابا نجم ليقول لاصحابه لا تقترعوا بعد لي ولكن لأخي المطران الحويك فهو افضل مني . قال هذا وفعله امام الجميع ، فكان كبيراً بتنازله وتواضعه ، كما كان كبيراً من قبل بعلمه وفضائله . وكان من وراء عمله ان العناية الالهية اتمت مقاصدها وفازت بن شاءت.

---

١) يوحنا ٣: ٣٠

ان اتحاد الموارنة برومية تظهر نتائجه الحسنة في مثل تلك الظروف لان معرفة الاساقفة اصحاب الحق بانتخاب البطريرك ان اختلافهم قد تكون عاقبته الالتجاء الى رومية للفصل فيه ، ولحرمانهم من حق لهم مقدس اساؤوا استعماله ، تضطرهم الى الاستعداد والتفكير ، والحرص الشديد قبل الاقدام على عمل يخسرهم حقهم او يشير الى انهم ما عرفوا الاستفادة منه . وهم في هذا امثولة لغيرهم من الطوائف الغير الكاثوليكية ، ومثال يُستفاد به منهم لدوام الاتحاد مع رومية .

فبارك الله باتحاد يفيدنا للارض وللسماء وسلام على أرواح اولئك الاساقفة الذين عرفوا ان ينظروا الى مصلحة الطائفة ويفضلوها على مصالحهم الشخصية ، الذين آثروا مجد الطائفة ومجد الكنيسة ومجد الله على مجدهم الخاص . ان اجيال الملة المارونية واجيال لبنان تعترف بجميلهم وتبارك الى الدهر اسماءهم وتخلد لهم ذكرهم . وتباركت العناية الالهية التي تسخر لارادتها العقول والقلوب من كبار الناس وصغارهم !

نظرة الى البطريرك

اذا انت رمقت الكوكب بنظرك تراه كله ، او اذا انت رفعت لحاظك الى لبنان من بعيد وانت راجع اليه من المهجر على ظهر السفينة تشاهده جميعه بعظمته وجلاله يناطح السماء بآكامه الدهرية البيضاء ثلجاً ، ويختلط بسواحله مع البحر وباطرافه المرتفعة مع الافق والفلك العالي . ولكنك اذا دنوت من لبنان بذاتك ووقفت في وادٍ منه او في اي مكان فلا يقع نظرك الا على بقعة منه صغيرة هي الاقرب اليك ، ويغيب الباقي عنك فتصرف الايام وربما الشهور ، تتنقل فيه من بقعة الى بقعة على قدميك او في سيارة لتراه جميعه وتعجز ويعييك التعب . واذا ادناك المنظار المكبّر من الكوكب لا تشاهد منه الا نقطة من بحر لا شيء فيها من جمال ذلك الكوكب السيّار ولا من سنائه ! هكذا يكون حظك من الرجل الكبير الطويل العمر الكثير الاعمال ، اذا انت رمت ان تقرأ سفر حياته جميعه يوماً فيوماً ودقيقة فدقيقة . انك تضيع بين المألوف والتافه من اعماله وبين الخطير والنادر القياس منها فلا تدرس الانسان الكبير بوقائع ايامه كلها ، بل قف على جبل عالٍ من بعيد ، وانظر

اليه جبلًا عالياً بعيدًا عنك فتمتع لحاظك بعظمته وشموخه في الفلك العالي بجمال هضباته وسفوحه واوديته وصخوره ، فتهيّب وتدرك كل حدوده بلحظة عين دون ان ترعج نفسك كثيرًا . واكتفِ بان تقف ببصرك على بعض ما يلفت النظر من ساحر الجمال وجلال الخلق . قف بعيدًا عن الرجل الكبير وادرسه بمجموعه فتراه كله ، وخذ لك من حياته امثلة يكون لك ايٌّ منها انموذجاً في الحياة . اني اعتمدتُ ألّا افعل الا هذا في اللمحة الوجيزة التي اضعها عن البطريرك الحويك . وما عساني اورد في هذه الفذلكة عن رجل عظيم عاش تسعين حولًا تقلّب فيها في جميع المناصب الدينية وقابل اعاظم عظماء الارض من سلاطين وامبراطرة وملوك ورؤساء جمهوريات الى ان صار عميد لبنان فكان للبنان تاريخاً حافلًا بالاعمال الكبيرة وبالمآثر الخطيرة في قرن كامل ؟!

وما عساني اقول عن بطريرك قضى ثلث قرن بطريركاً حدثت في ايامه حوادث خطيرة غريبة من حرب عالمية ومجاعات ونوائب ، ومن سقوط ممالك وقيام أخرى على انقاضها ، ومن زوال سلطنات وامبراطوريات من سفر الوجود الدولي ، ومن رجوع الاستقلال الى لبنان بعد ان فقده ثمانين حولًا ؟!

لهذا اني اعرض لانظار القارئ الكريم هيكل تاريخ الحويك في بطريركيته موردًا خطوط رسمه الجليل خطاً خطاً ، ذاكرًا موقفه من ربّه ، ومن طائفته ، ومن رومية ، ومن فرنسة ، ومن لبنان ، ومن سائر ما يتفرّع عن ذلك .

غير اني قبل ان اشرع في التفصيل استعير القلم العلي السيّال ، قلم الاسقف المجدي الفم والقلم ، الاصيل الرأي ، فخر الاسرة البستانية بحكمته ورقّته واجتماع القلوب على محبته ، المطران اغوسطين البستاني الذي ما عرف احد ان يصوّر البطريرك اللبناني بريشته كما صوّره هو ببراعته الخلّابة فقد صوّر اخلاق البطريرك كلها فاجاد واصاب بل اجاد وبلغ حد الاعجاز وما ترك لمستزيد مجالًا ، وصفه في الكوكب السيّار الذي دوّن فيه حوادث رحلة البطريرك الحويك عام ١٩٠٥ الى رومية فباريس فالاستانة ، قال ص ٢٠ :

« وقصارى الكلام ان غبطة سيدنا وأبينا المطوّب جمع من الكمالات والفضائل ما قلّما يجتمع لافراد الرجال فزيّنها بالمآثر وحسن الاعمال . وهو ،

غرّة الحويك

والدة المثلث الرحمات البطريرك اللبناني الياس بطرس الحويك

حرسه الله ، كما هو معلوم عند الجميع ، شديد الثقة بالله والاتكال عليه ، عزّ ثناؤه ، طاهر الذيل ، طيّب السريرة ، حرّ الضمير ، عزيز النفس ، سخي اليد ، نافذ البصيرة ، قوي الذاكرة ، رائق الذهن ، رحب الصدر ، قرن الفطنة بالشجاعة والعدل بالرحمة ، لا يحابي بالوجوه ، ولا يميل عن قصد السبيل ، رضيّ في كلامه ، صادق في روايته ، وفيٌّ بوعده ، لطيف بمحاضرته ، مهاب في مجلسه ، بعيد عن الغضب ، قريب الى العفو ، أب وديع ، ورئيس حكيم ، ساهر على اعمال وظيفته السامية فلا يُقضى منها عمل ولو طفيفاً الا بعلمه وامره ولذلك يُرى مقامه البطريركي ، الذي ملأه بمناقبه الغرّاء ومزاياه الفريدة ، موضوعاً لاجلال العظماء ولاحترام كرام الناس من كل ملة ونحلة ورتبة ومقام»[1].

هذه صورة البطريرك الحويك منذ ارتقى الى السدة البطريركية سنة ١٨٩٩ الى عهد وصفه الكاتب الالمعي الامين سنة ١٩٠٥. هذه صورته من ذلك الوقت الى وفاته كما عرفتها بذاتي مراراً ، وكما عرفها كل من تقرّب من ذلك الرجل العصامي القديس واللبناني الفذّ. هذه هي صورته كما سمعنا بها ممن عرفوه مطراناً وكاهناً واكليريكياً ، فقد كان كجبل صنين الذي وُلدنا وعشنا ونموت وهو ماثل امامنا ، جبلاً عالياً مهيباً لا يتغيّر ؛ بل كالارز الخالد في لبنان الذي يحيا وينمو ، وتتفيّأ في ظلاله الاجيال والشعوب اللبنانية ، وهو هو كما كان لا يتغيّر في جوهره ولا في نضارته ولا في جماله.

هذه صورة الحويك كما كان في جميع ادوار حياته. وقد رأينا شيئاً منها في ما اسلفنا فقلناه ، وسنرى الباقي في ما سنسرده بالاختصار من وصف حياته ولا سيما في عهد بطريركيته. وقد سبقت فوضعت صورة البطريرك كتابةً ووصفاً كما اعتاد الناس ان يصدّروا تراجم العظماء بصورهم الشمسية !

---

١) راجع الكوكب السيّار في رحلة . . . مار الياس بطرس الحويك . . . الى رومية وباريس والاستانة العلية ، وهو سفر نفيس من انفس ما كتب في الرحلات اجتمع فيه من الفوائد ما ندر ان يجتمع في سواه. كُتب برقة وسلاسة وانسجام اقل ما يقال فيه انه السهل الممتنع ، صفحاته ٢١٢ صفحة ، وهو صفحة مجيدة من حياة البطريرك اللبناني لا غنى لمن يريد ان يتعرّف جيّداً الى ذلك البطريرك العظيم عن مطالعتها كلها. والادب والتاريخ مدينان جما لعلم سيادة المطران البستاني عهد كان لا يزال قساً نائباً عاماً للرهبانية الحلبية اللبنانية المارونية.

القُفّة

حكاية

بقلم يوسف غصوب

١

كانت الباخرة تشق بنا عباب اليم ، وكان صديقي «جوّاب» متكئاً على الدرابزين ، ينظر الى البحر تارة والى الافق أخرى ، ولسانه لا يكلّ ولا يملّ من الثرثرة وسرد الاخبار. فانّه رحّالة لم يترك بلاداً الّا زاره ، ولا قطراً الّا راده . وقد التقط في تنقلاته واسفاره من القصص والروايات ما يملأ المجلدات.

وكان ان التفت التفاتة الى عرض البحر ، فبدت له في الافق البعيد ، تحت اشعة الشمس الجانحة الى الغروب ، جزيرة كأنها مركب عظيم . فصفق بيديه ، واشار الى الجزيرة قائلاً :

ــ اترى هذه الجزيرة في الافق ؟ ان لها ، والله ، لخبراً غريباً . لم تكن منذ خمسين سنة شيئاً معروفاً بل ارضاً خاوية خالية كجزائر السندباد البحري . اما الآن فقد سارت في سبيل التقدم والعمران شوطاً بعيداً . الا تسألني كيف كان امرها ؟

فقلنا له : وهل تدع احداً يسألك شيئاً ؟ فانك لا تفتأ تتكلم.

وكنا قد اقتربنا من الجزيرة بعض القرب ، فظهرت فيها آيات العمران من بنايات عالية ، واشجار باسقة ، وقد اخذت الاشعة الكهربائية تمتد في جنباتها وتنعكس في شواطئها . ثم تابع جوّاب حديثه فقال :

ـــ إنّ قصتي هذه لأشبه شيء بقصص العجائز . على انها صحيحة لا شك فيها ، وقد قرأتها في الكتب ، وسمعتها من سكان الجزيرة :

قيل ، والله اعلم ، انه كان ، غير بعيد من هنا ، على ساحل البلاد اليمنيّة رجل قد اطمأنت نفسه الى الخير ، وانفتح قلبه للشفقة والرحمة . فما كانت تسنح فرصة الّا اغتنمها لسداد عوز او دفع كربة . وكان في سعة من العيش تمكنه من الاحسان والاستسلام لاعمال البر ومساعدة الفقراء والبائسين . وكان قد اخذ على نفسه عهداً ان لا يترك يوماً يمرّ به دون ان يأتي صنيعاً او معروفاً . وقد حفظ من الامثال السائرة شيئاً كثيراً بمعنى :

اصنع جميلًا ، ولو في غير موضعه ، فلا يضيع جميل اينما صُنعا
و من يصنع الخير لا يحرم جوائزه ، لا يذهب العُرف بين الله والناس
و « اصنع جميلًا وارمِ في البحر » الخ .

وقد اشتهر امر صاحبنا حتى اصبح يُشار اليه بالبنان . وانقسم الناس فيه فئتين : فمنهم من اعجب به ، ومنهم من جهله وعدّه من البلهاء . على انه كان في المدينة فئة ثالثة مغرمة به ، وهي فئة الفقراء والمحتاجين . فانه ما كان ليميّز في احسانه بين النوعين .

واتفق يوماً ان هذا الرجل قضى نهاره ولم يتسنَّ له ان يحسن الى احد . فرجع الى البيت حزيناً كئيباً ضيّق الصدر ، كأنما هو ينتظر كارثة او شرّاً . ولما رأته امرأته على هذه الحال اضطربت وقلقت فسألته عمّا به ، فقال لها :

ـــ أرى ان اهل المدينة قد اثروا جميعاً ، فاني لم اتمكن هذا اليوم من اعانة احد .

ـــ انك لا تزال على شنشنتك هذه . ترمي دراهمك من النوافذ ولا تفكر في غدك . ثم تحزن لانك لم تستطع التبذير يوماً واحداً . فسوف يكون لك آخرة تأكل فيها نعلك ! الا تشكر الله ان نعمه قد عمّت حتى اصبح جميع الناس في غنى؟

ـــ ولكن ... والعهد الذي قطعته على نفسي ؟ ..

وجلس الرجل على شرفة في داره تطلّ على البحر . واخذ يدخن «اركيلة» ،

ويفكر في امره مُقطّب الحاجبين كانه يحلّ أزمة عالميـة . وانتبه الى البحر فاذا الامواج في هياج عظيم تعلو وتخفض وتتكسر على الشاطئ وعلى جوانب البيت وتضجّ ضجيجاً هائلاً ، كانما هي نفوس غرقى تطلب النجدة.

وما هي الا هنيهة حتى مرّ امام عيني صاحبنا المثل القائل « اصنع جميـلاً وارمِ في البحر ». فقام لساعته يصفق بيديه وينادي امرأته باعلى صوته قائلاً : « وجدت ! وجدت ! »

فهرولت المرأة خائفة على زوجها ، ظانة انه اصيب بمسّ من الجنّ . فلما صارت بالقرب منه قال لها :

ـــ اسرعي ، اسرعي . هيئي طعام عشرة او عشرين من الرجال وضعي الكل (الطعام لا الرجال) في قفة ، واحكمي سدّها لنلقيها في البحر . اما سمعتِ المثل : « اصنع جميلاً وارمِ في البحر ! »

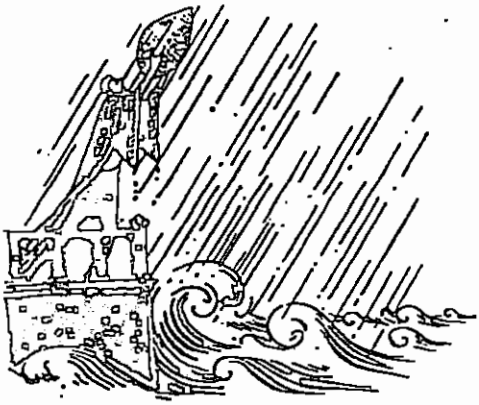

ولما انجزت المرأة عملها اخذ الرجل القفة بكلتا يديه ، ورفعها في الفضاء كانها تقدمة للآلهة ، ثم رماهـا في اليمّ المضطرب . فغاصت ثم عامت ، واخذت تعلو وتسفل مع الامواج حتى غابت عن الابصار . . .

٢

كان في ذلك الوقت باخرة بين ايدي العاصفة تنادي المدد وتطلب النجدة ، ولا من يجيب . فقاومت الرياح ما استطاعت ، ثم انتصرت عليها الرياح ، فانكسرت وابتلعتها المياه ، وانتثر ركابها في اليمّ ، فمنهم من غرق ، ومنهم من حملتـه الامواج على بعض الانقاض الى جزيرة قريبة (وهي هذه الجزيرة التي تراهـا الآن)

ولمّا أشرق الصباح ، وعاد الى الذين نجوا من الغرق روعهم ، هنأ بعضهم بعضاً بالنجاة . ثم نظروا الى الجزيرة ، فاذا هي مقفرة قاحلة ليس فيها الا بعض شجرات لا ثمار عليها ، ولما طال بهم الوقت جاعوا وعطشوا واخذوا يتخوّفون من مغبّة امرهم . وكانوا قد نصبوا عموداً على شكل سارية فوق رابية وعلقوا فيه قميصاً يستلفتون به ما يمرّ من المراكب.

وكان هؤلاء الناس من السيّاح الاميركانيين ذوي الثروات الطائلة . فشقّ عليهم ان يصبحوا بين ليلة وضحاها أُلوبة في ايدي الجوع والشقاء ، وقد كانوا بالامس ملوك العالم لا ينال النظر اعالي رؤوسهم لارتفاعها ، ولا تسهم ثيابهم لانتفاخها بالعظمة والعجرفة. فجلسوا بعضهم قبالة بعض يحاولون التحدّث والهزل ، ولا يصعد من صدورهم الّا التأوّه والتولّه . ثم اخذوا ينذرون النذور . فقال احدهم : انا ان نجوت بنيت كذا وكذا كنائس . وقال آخر : انا ان خلصت من هذه المصيبة شيّدت المستشفيات . وقال غيره : افضل شيء نصنعه هو تعمير هذه الجزيرة ، حتى اذا التجأ اليها غيرنا من الغرقى وجد فيها ما نحن معوزون اليه الآن . وبينا هم كذلك ، اذ بدا في البحر شيء مستدير يرفعه الموج ويضعه ، وهو يقترب من الشاطئ. فوقف الجميع يُحدّقون الى هذا الشيء المستدير ، وقد برقت في عيونهم بوارق الامل . ولم يتمالك احدهم ، فنزع ثيابه ، ورمى بنفسه في البحر ، وسبح حتى وصل الى ذلك الشيء . فاذا هو قفة كبيرة محكمة اللفّ . فاخذ يدفعها امامه حتى صارت عند رفاقه . فاجتمعوا حواليها حلقة وفتحوها . ولمّا وقع نظرهم على الطعام تخاطفوه تخاطفَ الاولاد . ولمّا شبعوا عادت اليهم نفوسهم وابتساماتهم ، وقاموا يتجوّلون في الجزيرة ، وقرروا استثمارها شأنَ الاميركانيين في كل امر. فألفوا شركة وعينوا عدد الاسهم والسندات . واول شيء اجمع الرأي عليه ان يشيدوا مطعماً للغرباء والفقراء يأكلون فيه ثلاثة ايام مجاناً ، يفتّشون في اثنائها عن عمل او خدمة في الجزيرة.

وبينا اصحابنا منهمكون في وضع الخرائط والرسوم ، اذ بدت باخرة تطرز الافق بدخانها ، فصعدوا جميعاً الى الرابية حيث نصبوا الاشارة واخذوا

يلوّحون بتنادبلهم ويصيحون باعلى صوتهم ، حتى انتبه اليهم الربان فارسل الزوارق ...

٣

الاميركان ! وما ادراك ما الاميركان ! قوم سريعو العمل لا يترددون في امر قرروه . لم يمض بضع سنوات حتى اصبحت الجزيرةُ عامرةً آهلة ، يسبح في سمائها دخان المعامل ، وتمج في بطونها المحركات والآلات ، وترسو في مرفأها اضخم البواخر في طريقها الى الشرق الاقصى . وقام في وسط الجزيرة مطعم عظيم يأتيه الناس من كل مكان يأكلون فيه ويشربون مدة ثلاثة ايام مجاناً ، ولا من يسألهم عن اسمهم ولا عن قصدهم.

واشتهرت الجزيرة في الانحاء ، وامتدّ صيتها الى اقطار العالم ، حتى انها كثير من المهاجرين والفقراء. فكانوا يجدون فيها العمل ، وبعض الاحيان الثروة.

٤

وكان ان غمرت البلاد التي منها صاحبنا ابو القفة أزمةٌ شديدة اخذت بخناقها ، فدكّت الثروات واهلكت التجارات ، فكانها الازمة التي يتخبط بها العالم الآن . وقد اقفلت في وجه صاحبنا ابواب الرزق فبات على اشدّ حالات الفقر. وكان اذا مرّ به الذين كان يحسن اليهم يحوّلون عنه وجوههم ويتجنبونه كما يُتجنب الابرص والاجرب . فضاق صدره بل ضاقت الدنيا في عينيه . وكان اذا جاء بيته مساء لاقى من قوارص امرأته ما يزيد في كربته . فانها كانت تواجهه بكلام جاف غليظ ، او تذكره بما كانت تؤدي له من النصح ايام كانا في رغد العيش ومجبوحته ، ليكفّ عن احسانه وكرمه . وأيسر ما كانت تقول له مثل هذه الجمل :

— اين من اكرمت ومن اسعدت ومن دعوت الى طعامك ؟ اين فائدة الصنيع والمعروف ؟ قد استجهلك الناس فذق طعم ما قدمت . وهل بلغ احد ما بلغت من الجنون ، فانك قد اطعمت البحر « اصنع جميلاً وارم في البحر .... » الى غير ذلك.

وسمع يوماً صاحبنا بقصة الجزيرة ، وان موارد الرزق فيها كثيرة . فاعد عدته وابحر وامرأته اليها . ولما وصلاها ذهبا توًا الى المطعم ، فاقاما فيه يأكلان ويشربان ثلاثة ايام . حتى اذا انتهت هذه المدّة ، جاء مدير المطعم وسأل الرجل عما هو عزمه ان يصنع ، فاجاب :

ــ نحن غريبان في هذه الجزيرة ، نفتش عن عمل نعيش به . وما لنا المام بشيء ، لاننا كنا على جانب وافر من الثروة ، ثم افتقرنا.

ــ هل تخدمان في هذا المطعم ؟ فاننا بحاجة لغسّالة ، « وغلام » يقدم الطعام.

ــ يعزّ علينا ان نصل الى هذه الدرجة من الفاقة ... ولكن « ان لم يكن ما تريد فارد ما يكون ! »

ولما اعلم امرأته بالامر ، اخذت تنتحب وتبكي.

وكان لمدير المطعم اولاد صغار ، فدفعت مدامته ثيابهم للمرأة لتغسلها في المطبخ ، فعضّت على جرحها ، وجلست امام « اللكن » تفرك الثياب ، وعقلها شارد ، وقلبها اسود.

ثم حانت منها التفاتة الى الجدار ، فاذا القفة ... قفتها التي وضعت فيها الطعام ، والقاها زوجها في البحر ، معلقة هناك . فتساقطت الدموع من عينيها ، واخذت تشهق كانها ولد صغير.

وكان ان دخلت المطبخ في اثناء ذلك امرأة المدير ، فرأتها على تلك الحال ، فتطيّرت وغضبت وصاحت بها :

ــ يا لكِ من شقيّة ! ما هذا البكاء ؟ اتغسلين ثياب اولادي وتبكين ؟ تبًا لك من امرأة حمقاء ! اغربي من وجهي ... لا رأيت بعد اليوم سحنتك المشؤومة !

فقامت تتعثّر باذيالها حتى اتت زوجها فاخبرته بما كان ، فطيّب خاطرها . ثم قصد المدير ، فاطلعه على ما بدر من امرأته ، واردف قائلًا :

ــ يا سيدي المدير ، ليس الامر كما توهمتْ سيّدتي . فان بكاء امرأتي لم يكن لغسلها ثياب الاولاد ، حفظ الله اولادكم ، ومتّعكم بهم . انما كان

بكاؤها لقفة رأتها في جدار المطبخ، وهذه القفة هي قفتها ، وكان من امرها كذا وكذا...

واخبره بقصة القفة.

فما اتمّ حديثه حتى صاح به المدير:

ـــ او انت صاحب القفة !!!

ثم ارتمى عليه فعانقه وقبّله . ثم جرّه بيده ، وهو ينادي : « هـذا هو صاحب القفة.»

فاجتمع عليهما خدّام المطعم والناس المارّون من هناك ، واخـذوا كلهم ينادون : « هذا هو صاحب القفة » . وصاحبنا مبهوت يفتح عينيـه ، وينظر الى القوم متسائلًا عمّا نزل بهم.

وبعد ان عاد الهدوء قليلًا ، قال له المدير :

ـــ ان الشركـة التي تستثمر الجزيرة كان من امر اعضائها ان قفتـك خلصتهم من الهلاك ... وقد قررت ان تجعل صاحب القفة ، ان وجدته ، غنيًا سعيدًا ومديرًا لهذا المطعم مكافأة له على صنيعه .. والحمد لله قـد وجدناك...

وتابع « جرّاب » قائلًا : غدًا نتزل الى الجزيرة ونشاهد هذا المطعم الذي يدعى « مطعم القفة » ، وقد كتب على جدرانه على شكل رسوم منقوشة في المرمر ، هذا المثل :

اصنع جميلًا وارمِ في البحر.

أبحاث تمهيدية لدرس فلاسفة العرب : ٢

الترجمة والمترجمون

بقلم الخوري يوسف فارس ، من اساتذة كلية القديس يوسف

ما اصدق كلمة فاه بها احد المؤرخين متكلماً عن دور سورية في العالم القديم اذ قال: «كان اهلوها من مدني العالم وحاملي لواء الحضارة الى الشعوب». وان التاريخ ليكشف لنا الستار عن حقيقة هذا الدور متى تصفحناه ، ووقفنا على حياة ذاك الشعب السوري واعماله الخطيرة في سبيل رقي المعمور وتقدمه ، وقرأنا تلك السطور الخالدة التي كتبتها يد الزمان اكراماً لمجد اثيل وذكر لا يموت.

فان كان على شواطئ سورية نشأ الشعب الفينيقي الذي حمل الى اطراف الارض ، على شراع تتقاذفه الامواج ويتقلب مع مهب الريح ، ثمرات روحه النشيطة ، وعلم الامم اساليب الزراعة والصناعة والتجارة ، ووضع تلك الحروف العجيبة التي نجعل منها قوالب لسكب افكارنا ؛ ففي سورية ايضاً عاش من كان لهم الفضل في نشر الفكر اليوناني في الشرق ، في حمل ثمرات عقول فريدة الى مدنية لم تحلم بمثلها من قبل. اعني بهؤلاء المترجمين من سريان وغيرهم الذين استقوا عن الاغريق فلسفتهم وعلومهم ، ووضعوها في اللغة السريانية اولاً ثم نقلوها الى العربية ، لغة الاسلام في العصور العباسية. وسوف نلقي نظرة اولى على التراجم السريانية فنتكلم قليلاً عن قيمتها ، ونشير الى اشهر النقلة اليها. ثم ننتقل سريعاً الى ما يهمنا خاصة ، اي الى التراجم العربية التي نحن في صددها.

التراجم السريانية

كانت فتوحات الاسكندر واسطة لتعارف الغرب والشرق ، واحتكاك مدنيتين عريقتين في القدم والتقدم: حضارة الاغريق التي كانت اذ ذاك في اوج

علاها ، وحضارة شعوب تفتخر بانها مهد الترقي والعمران كالاشوريين ، والفرس ، والهنود ، والسوريين .

لم تكن نتيجة هذا الفتح العظيم منحصرة بان خضع المغلوب صاغراً للغالب مقدماً له الجزية حاني الرأس امام جحافله ، بل دان ايضاً لسطوته المعنوية ومشى تحت شعار مدنيته .

لم يكتف المكدوني المنتصر بان تسيطر بلاده على الاجسام ، لكنه اراد ايضاً ان يمتد تأثيرها الى العقول ، فكان ، كما دعاه التاريخ ، من قادة الفكر البشري .

وبين الشعوب التي اثرت فيها المدنية اليونانيـة وانصبغت زمناً بحضارتها ، نذكر اولاً سورية . فانها عُرفت منذ البدء بمقدرة غريبة على ان تتمثل كل ما تشاهد فيه غذاء حياتها المادية والروحية . فانهـا لم تتعرف الى علوم الاغريق ومعارفهم حتى فهمت ما بوسعها ان تكتسب منها ، واخـذت بكل نشاط تقتبس دون انفة ولا خجل من منتوجات مشاهير اليونان ، وتدرس على فاتحيها آثارهم النفيسة ، حتى بارتهم او اوشكت ، وغـدت بـلاد سورية اغريقية ثانية . ومن العلوم التي اخذتها عن اليونان وبرزت بهـا كانت الفلسفة ، فكان السوريون يشتغلون بهذا النوع مستخدمين لغة اليونان او لغتهم بواسطة المترجمين الذين نقلوا الى السريانية .

ابتدأ عصر ترجمات الفلسفة اليونانية الى اللغة السريانية في القرن الرابع ، وامتدّ الى القرن الثامن .

واول مترجم نعرفه هو بروبوس . فقد كان قسًّا ، يشتغل بصناعة الطب . عاش في اوائل القرن الخامس ، وشرح مؤلفات ارسطو الجدليـة ، وكتاب الإساغوجي لفرفوريوس الفيلسوف . واشتهر خاصة اذ ذاك بين المترجمين سرجيوس الذي توفي بعمر سبعين عاماً في القسطنطينية سنـة ٥٣٦ ، وكان قسًّا وطبيباً ايضاً علّم في مدرسة الاسكندرية ، وكان لتعاليمه مركز سام . وترجم سرجيوس عن اليونان العلوم الالهية والاخلاقية ، والعلوم الصوفيـة ، وشيئاً كثيراً من صناعة الطب .

ولم ينطفئ سراج الترجمة والنقل بعد احتلال العرب لسورية بل ظلّ السوريون منكبين على الشغل بالعلوم اليونانية وخاصة بالفلسفة . فنشاهد في ذاك الوقت يعقوب الرهاوي يترجم الى اللغة السريانية العلوم الالهية والمنطقية ، فيبادر اليه الطلاب من مسيحيين ومسلمين يبغون الوقوف على اسرار الفلسفة ، فيتساءل برهة هل يُباح للاكليروس ان يعلموا اولاد المسلمين دون ان يخلّوا بالشريعة . وهذا يدلّنا على انتشار وشهرة تعاليمه في سورية .

واما حكمنا على قيمة هذه التراجم فنقدر ان نقول انها مطابقة بالاجمال للاصل اليوناني . نقول « بالاجمال » لأن السوريين لم يحكموا تماماً تلك التراجم على كونهم قد تعمقوا باليونانية ، ووقفوا على اساليبها ، واشتهر منهم فيها كثيرون ، حتى ان القديس يوحنا فم الذهب مثلاً كان يعدّ من أئمتها .

انما الوقوف على اللغة وحده ليس كافياً في مثل هذه العلوم ، بل يجب ايضاً على المترجم ان يكون مطلعاً تمام الاطلاع على عقلية وحياة المؤلف ، وخبيراً بعقيدته الدينية التي لها تأثير مهم في الفلسفة . وهذا لم يتوفر كثيراً للسوريين النصارى الذين كانوا غرباء عن ديانة الاغريق ، وبعيدين عن عقليتهم ومعتقداتهم . لهذا يجب ألّا يأخذنا العجب اذا شاهدنا الفريق الاكبر من النقلة في هذا العصر يخطأون في فهم النصوص اليونانية رغم تبحرهم في هذه اللغة ، او يتركون فراغاً عند عجزهم ، ثم احياناً يجتهدون في ان يملأوا الفراغ من عندياتهم . وبما انهم كانوا نصارى ، ومن الاكليروس ، كانوا يلتجئون بالطبع لسدّ الفراغ الى تعاليم النصرانية والى مؤلفات بطرس وبولس وسائر الكتب المسيحية . وقد كانت تدفعهم احياناً عاطفتهم الدينية وعقيدتهم الراسخة الى تمحيص هذه الفلسفة قبل نقلها الى لغتهم ، فلا يقبلون ما كان فيها مماكساً للمسيحية او يعطون ما كان وثنياً منها صبغة مسيحية ، غير عابئين للتصحيف والتحريف . فتصبح في تراجمهم الهة الاغريق العديدة الهاً واحداً سرمدياً ، والقدرُ عنايةً الهية ، ويلبسون رداء مسيحياً كل ما يتعلق بالعالم والابدية والخطيئة . وهكذا تطلعنا تآليفهم على فلسفة يونانية في قالب مسيحي .

التراجم العربية

من تصفح تاريخ دول العرب ووقف على فتوحاتهم ودرس آدابهم تأكد ان السوريين في كل هذا يداً قوية وفضلاً لا ينكر. فهم الذين ، في عهد الدولة الاموية ، هذبوا فاتحيهم وصبغوهم بمدنيتهم ، ومشوا في طليعتهم نحو الفتح والاستعمار ، ومرنوهم في فنون الحرب ، وجعلوا من قبائل الغزاة جيوشاً منظمة ودولة مهابة . وقد عرف معاوية فضل السوريين وفهم انهم وحدهم الحريون ان يكونوا اساس مملكة واسعة ودعائم ملك عظيم ، فقربهم اليه واستفاد من خدماتهم الجليلة . فكنت ترى اذ ذاك المهندسين والبنائين وارباب الحروب والبحريين والكتبة والصيارفة واصحاب الدواوين سوريي الجنس حتى ان اهل الجزيرة اخذوا بالتشاغم ، وخافوا على نفوذهم تجاه هذه السيطرة السورية.

وان لم يبقَ للسوريين في الدولة العباسية ذاك النفوذ الذي عرف لهم ايام الامويين ، وان تكن انتقلت عاصمة العرب من سورية الى العراق ، وحلت بغداذ محلّ دمشق الشام ، فرغم كل هذا نرى دور السوريين لم يتلاشَ ، وتأثير مدنيتهم لم يزُل . فقد كانوا حملة العلوم والمعارف الى العرب وناشريها بينهم.

وبين العلوم الدخيلة التي نقلها السوريون للعرب كانت الفلسفة المأخوذة عن الاغريق . فقد عرفوها بواسطة التراجم ؛ وهي ما نبحث فيه اليوم.

تبتدئ التراجم العربية في اوائل القرن الثامن ، اذ اخذ بعض العلماء السوريين ، تحت رعاية وكنف الخلفاء العباسيين ينقلون تآليف اليونان الفلسفية الى العربية ، معرّفين العالم العربي ، الذي كانت تقتصر معارفه على شعره وعلوم لسانه ودينه ، بأرباب الفكر البشري ، بافلاطون الالهي ، بارسطو المعلم الاول ، بزينون ، وفورفيريوس ، بأساتذة المدرسة الاسكندرية وغيرهم من مفكري اليونان.

شعر العرب في الدولة العباسية ان ما عندهم من العلوم لا يكفي ، وان دولتهم العظيمة التي تمتد الى اطراف العالم لم تزل فقيرة محتاجة الى الرقي العلمي

وانها ، مهما تكن عليه من السطوة المادية والبأس ، لا تستطيع ان تنمو وتتقدم اذا كانت متأخرة في القوى العقلية . فقام خلفاؤهم يسدّون هذا العجز الروحي ، باحثين عن علوم يقتبسون منها ، ومعارف يقطفون من اثمارها . فمدوا يدهم اولاً الى جيرانهم من فرس وهنود ، واخذوا عنهم ما عندهم من موافق . لكن ذلك لم يملأ الفراغ ، الى ان اداروا لحاظهم الى بحر زاخر اغناهم عن مؤونة البحث والتفتيش ، فبادروا يستنجدون باعوانهم السوريين ليكشفوا لهم النقاب عن هذه الكنوز الثمينة . ومن كان كالسوريين يحسن نقل هذه العلوم ؟.. مَن غيرهم يعرف اليونانية والسريانية والعربية ليكون وسيطاً بين العقل اليوناني والعربي ؟

كانت في اول القرن الثامن جماهير النقلة تشتغل بالترجمة الى العربية تحت كنف الامراء ، فيجزلون لهم العطايا ويصلونهم بالكثير ، حتى انه يروى ان المأمون امر لابن حنين نقل ما يكتبه ذهباً . فكان عصر المأمون ، ذاك الامير الذي يصوره لنا التاريخ محاطاً بالشعراء والكتاب جامعاً حواليه الفلاسفة والعلماء مشتغلاً نفسه بالفلسفة ، عصر الترجمة الذهبي . نقلت فيه معظم العلوم الدخيلة عن اليونان وتأصلت الفلسفة في الاسلام .

اما النقلة فلم يكونوا فلاسفة ولا مفكرين ولم يؤلفوا ولم ينشئوا . بل كان السواد الاعظم منهم يتعاطون مهنة الطب التي درسوها على الاغريق . ولما تعمقوا فيها اوصلتهم شهرتهم الى البلاط العباسي ، فقربهم الخلفاء وصاروا اطباءهم الاخصاء . ثم كُلفوا نقل الفلسفة اليونانية الى العربية قلنا « كُلفوا » ، لانهم لم يكونوا مدفوعين من تلقاء انفسهم الى تعاطي الفلسفة ، بل قاموا في عملهم ، لا حباً بالعلم والاستطلاع على اسرار الفلسفة كما فعل السوريون في القرون السالفة ، بل رغبة في الصلات التي لم يكن يبخل بها عليهم الخلفاء .

واول التآليف التي ترجمها هؤلاء الاطباء الى العربية ، بعد كتب بطليموس واقليدوس ، كانت آثار ابوقراط وجالينوس . لانه من الطبيعي ان يبدأوا بتعريف من تساعدهم على فهمه صناعتهم .

هذا ، واذا بحثنا عن حياة هؤلاء المترجمين الاطباء ، وعن اسلوبهم في

الترجمة ، فلا نجد في التاريخ سوى معلومات قليلة لا تكفي لسدّ عوزنا الى الاطلاع . فاننا لا نعلم سوى اسماء وحياة بعض مشاهيرهم ، وبعض الكتب التي وضعوها . فيوحنا ابن البطريق قد ترجم عن افلاطون في اوائل القرن التاسع مؤلفه « Timaios » وعن ارسطو كتاب الحيوانات ، ومختصراً لكتابه في علم النفس ، واحد كتبه في العالم . ونقل عبد المسيح الحمصي عن ارسطو كتاب المغالطات والالهيات .

اما قسطا بن لوقا البعلبكي الذي عاش في القرن التاسع فقد اخذ عن الاسكندر الافروديسي شروحه لطب ارسطو ، وتعليقه على مؤلف ارسطو في « الفساد » .

والذي لا شك فيه ان امهر النقلة كان آل حنين : ابو زيد حنين بن اسحق (٧٧٣–٨٥٣) ؟ رئيس المترجمين ، وابنه اسحق المتوفى سنة ٩١٠ او ٩١١ ، وابن اخته حبيش بن الأعلم . فقد كان لهذه العائلة شهرة واسعة وسمعة بعيدة حتى انه نسب لافرادها شيء كثير ربما لم يكن لهم به يد . وشاع ذكر حنين في ذلك العهد حتى انه لا يكاد يوجد منقول الّا ولحنين فيه عمل ما بالتصحيح او بالتهذيب او بالتفسير . وقد رفعه المأمون الى رتبة رئيس المترجمين ، وكان يجزل له الصلات والعطايا ويعهد اليه بمهمات عظيمة . فارسله على ما يزعمون الى بلاد الروم ليأتيه بالكتب الفلسفية . وقد اقر له معاونوه المترجمون بالتفوّق وسعة الادراك . وكان جبريل بن بختيشوع يدعوه بلقب « ربن حنين » اي : يا معلمنا حنين .

اما ما نقله آل حنين الى العربية فكثير ، تجاوزوا فيه كل العلوم اذ ذاك . وقد يصعب علينا تمييز التآليف التي وضعها حنين ، والتي الفها ابنه او ابن اخته ، انما نعلم ان الاب نقل خاصة ما يتعلق بالطب والرياضيات ، والابن ترجم ما يتعلق بالفلسفة . وكان آل حنين يترجمون رأساً عن اليونانية او يصححون التراجم الموجودة ، او يعلقون عليها . وظلّ المترجمون يشتغلون في النقل حتى القرن العاشر . وبين الذين اشتهروا اذ ذاك نذكر ابا بشر متى بن يونس الذي توفي سنة ٩٧٤ ، وابا زكريا يحيى بن علي المنطيقي المتوفي سنة ٩٤٠ ، وابا علي

عيسى بن اسحق بن الحمار الذي تعرف سنة ولادته وهي ٩٤٢.

اما المورد الذي استقى منه هؤلاء المترجمون فانه صار معلوماً انهم لم ينقلوا رأساً عن فلاسفة اليونان المشهورين كافلاطون وارسطو ، بل عن تابعيهم وشارحيهم ومقلديهم ، مثل تعاليم المدرسة الاسكندرية والارسطوطالية المستحدثة ، وعن فرفوريوس وبلوتارخوس . وهم لم يكونوا يميزون بين المعلم الاول نفسه وبين شارحيه ، او يفرقون افلاطون الالهي عن الافلاطونية المستحدثة المصبوغة بشيء من المسيحية . ولا ننفي ان بعضهم قد يكونون تناولوا تراجمهم عن النص اليوناني الاصلي كآل حنين مثلاً ، فاتساع معارفهم وتبحرهم في اليونانية يمكنهم بسهولة ان ينقلوا تراً عن الاصل الحقيقي . وجل ما نؤكد ان الفريق الاكبر من النقلة ترجموا الفلسفة الى العربية عن النصوص السريانية التي كان وضعها اسلافهم في العصور الماضية ، وهذا اقرب للتصديق ، لان هذه النصوص كانت مع وفرتها سهلة المنال.

يدلّ على هذا انه عندما نقابل مثلاً بين ما ينسبه الاسلام الى افلاطون او ارسطو وبين تآليف هؤلاء في اليونانية نجد ، مع المطابقة الكثيرة ، بعض المناقضة التي تبدو لنا بعينها في الافلاطونية والارسطاطالية المستحدثة او شروح ارسطو وافلاطون بقلم من اتى بعدهم من الفلاسفة . مما يؤكد لنا ان التراجم لم تؤخذ عن مصدر يوناني.

قبل ان نحكم على هذه التراجم ونفهم قيمتها متسائلين هل اجاد اصحابها النقل واحسنوا في تعريف الفلسفة ، قبل ان نطنب في الكلام على علو كعبهم واجادتهم او نذهب في مغالاة معكوسة ونحط من قيمة عملهم ، لننتبه الى امور خطيرة ، الى نقط هامة لا بد للناقد ان يفطن اليها قبل اعطائه الحكم النهائي :

اولاً : ان النقلة لم يكونوا فلاسفة ، كما سبق القول ، ولم يشتغلوا بها رغبة في الشهرة والاطلاع ، بل حباً او بالكسب وارضاء لخاطر الامراء.

ثانياً : ان الاصول السريانية التي اخذوا عنها لم تكن تخلو من اغلاط الفهم ، والنقلة اخذوها كما هي دون تنقيح او تصليح.

ثم ان هؤلاء الاطباء المترجمين لم توقفهم صعوبة الترجمة ، ولم يطلوا ما تعذّر عليهم فهمه ، بل اكتفوا بما ظهر لهم من المعنى لاول وهلة ، فعبروا عنه باللغة العربية غير عابئين احياناً بالمطابقة الدقيقة . وقد اشرنا الى مهمة اسحق بن حنين في تنقيح وتصحيح مثل هذه التراجم .

ورب من يسأل هل بقي شيء من تلك التراجم ؟ فنجيب ان يد الضياع قد اخذت باكثرها . ولا شك ان العرب انفسهم لم يحافظوا عليها ، بعد استخدامها واستغنائهم عنها بشروحهم وتآليفهم .

فالكثرة المطلقة من تلك الآثار قد بادت ، ولم يبق الّا القليل . من ذلك مقالة لقسطا بن لوقا في الفرق بين الروح والنفس يقول فيها ان الروح مادة مفارقة ، مركزها في البطن الشمالي من القلب ، وهي التي تحيي الجسم البشري وتجعله يتحرك ويشعر ، وهذه الروح تتلاشى مع فناء الانسان . اما النفس فبسيطة وغير معرّضة للتغير ولا تفنى عند فنائه ، ومن مزاياها ان تكون بوقت واحد افعالاً متناقضة تمام التناقض ، وان الروح هو الوسيط بين النفس والجسم وسبب تحرّك وشعور هذا .

ومن العجب في تاريخ النقلة الاطباء انه رغم الحياة التي عاشوها في بلاط الخلفاء ، رغم الاكرام الذي حفوا به والعطايا التي اجزلت لهم ، ظلوا على عوائدهم وتقاليدهم محافظين ، ومكثوا في ايمانهم وديانتهم ثابتين . ولا شك ان الخلفاء قبل المأمون وبعده اجتهدوا ان يحملوهم على اعتناق الاسلام . ولكنهم لم يتزحزحوا عن عقيدتهم ولم يشركوا قط بمسيحيتهم ومن طريف ما يروى من هذا القبيل ان المنصور الحّ يوماً على ابن جبريل كي يدين بدين الرسول ، فاجابه معتذراً : « افضل ان اموت على دين آبائي واجدادي . وحيث هم يطيب لي ان اكون ان في الجنة وان في النار » . فضحك الامير وسكت .

هكذا عاش بسذاجة كلية وايمان راسخ متين ، في بلاط خلفاء الاسلام ، هؤلاء الوسطاء بين عقول الغرب والشرق ، واولئك النقلة الاطباء الذين حملوا الى العالم الاسلامي قبساً غدا نوراً بهيّاً ، ونفخوا في مدنيته روحاً انعشتها واسرت في عروقها الحياة .

الرُّتَب الكَهْنوتيّة

في

الطائفتين المارونيّة والسريانيّة

بقلم الخوري اسحق ارملة السرياني

٢

١ طقس رسامة[1] المرتّل

اوّل الرتب البيعيّة الصغيرة عند الطائفتين كلتيهما رتبة المرتّل ، ويقال له ܡܪܢܢܐ او ܡܫܡܫܢܐ بلفظ يونانيّ ، لانه يتولّى التزمير في الكنيسة حين القدّاس والصلاة. ويجب على المتأهّب لقبول هذه الرتبة ان يكون متجاوزاً السنّ السابعة وقد تعلّم القراءة السريانيّة وشيئاً من الالحان. وان يكون بيده صكّ موقّع بامضاء قسّيسه يشهد بولاده من زواج شرعي مسيحي ، يثبت فيه تاريخ عماده وتثبيته ، ويذكر آدابه ودرسه وتعلّمه مبادئ الديانة وتناوله التناول الاوّل. كذا قرّر المجمع اللبناني (٢٥٤) ، ومجمع الشرفة(١٥٤و١٦١).

واذا حان وقت الرسامة لزمه ان يكشف رأسه ، ويقف متكئاً في باب الخورس . واذا كان راهباً وجب عليه ان يتّشح بثوبه ، ويلقي الاسكيم عن رأسه الى منكبيه[2].

امّا الحبر فانه يمنح هذه الرتبة من على المذبح كسائر الرتب ، لا خارجاً عن باب الخورس[3] . ذلك انه بعد رفعة ܡܪܘܡܐ ܕܩܘܪܒܢܐ يغطّي الاسرار بالنافور الكبير ، ويغسل انامله وينشّفها ، ويلبس التاج ، ويمسك المكاز والصليب ، ويستوي على الكرسي في باب المذبح . وبعد هذا يسأل رئيس

١) الرسامة ܣܝܡܬܐ لفظ سرياني يراد به رسم الاسقف جبهة المنتخَب بالصليب ، وقد انتحله العرب واطلقوه على جميع الرتب الكهنوتية ، فقالوا: رسمه الاسقف اي منحه درجة كنسية. ونحن نرى ان لا يُطلق هذا اللفظ الا على الرسامات الصغيرة والثانوية كرسامة المرتّل، والقارئ ، والرسالي ، ورسامة رئيس الشمامسة ، والخوري ، والمفريان ، والبطريرك ، لانها لا تشتمل على وضع اليد.

٢و٣) دريان: ٦١ و٦٢

الشمامسة عن عرابه ثم يقول له بالسريانية: «هل تؤدي عنه الحساب وتكفله.» فيقول: «نعم.» فيأمره الحبر ان يجثو[1]. فيقبل يمين الحبر قائلاً: «ܒܪܟܝܢ ܡܪܝ ܐܒܐ ܕܫܡܝܐ.» فيسمه في جبهته ثلاثاً بشكل صليب قائلاً بالسريانية: «ليباركك الرب الاله» الخ. وعند ذكره اسم كلٍّ من الاقانيم الثلاثة يقول الشعب: آمين[2].

ثم يبدأ الحبر الماروني والسرياني صلاة الابتداء: «اهّلنا ايها المسيح الاله ان نكمّل هذه الخدمة السريّة» الخ. ويكون المتخب خارج الدرابزين جاثياً على الركبة اليسرى[3]. وبعد صلاة الابتداء تقال تسبيحة. ويصلي الحبر الماروني والسرياني: «وطّد يا رب بيعتك المقدسة على الصخرة» الخ. ويتلوها في كلا الطقسين مزمور «ارحمني يا الله» مع عشرة ابيات سريانية اولها ܡܪܝܡܢܝ ܐܠܗܐ ، وتعرف عند الموارنة بوزن ܐܠܗܝ ، يليها ابيات افرامية مسبّقة بآيات المزمور ١٥٠ ، بدؤها ܕܐܠܗ ܕܟܠ ܫܘܒܚܐ[4]، وهي من تصانيف مار افرام كما ذكرنا.

ثم يقدّم رئيس الشمامسة المبخرة للحبر قائلاً في الطقس الماروني: «لنقف بالصلاة والطلبة امام الاه الالهة» الخ. فيضع الحبر بخوراً، ويتلو احد الكهنة في الطقسين الحتاي: «لذلك الرحيم والغزير النعمة». الخ ثم: «تسبحك يا ربّي السماء» الخ وينشد الاكليرس الماروني والسرياني اربعة ابيات بالسريانية بوزن ܐܠܗ ܐܠܗ ، ثم يتلو صلاة العطر: «نسألك ايها الربّ الغزير الرحمة» الخ. ويضيف الشماس الماروني فقط مناداة افرامية: «لنقف كلنا بالصلاة» الخ. يردفها الحبر بصلاة: «ايها الرب الاله القدير» الخ.

ونتنبه ان هذه المقدّمة عمومية لجميع الرتب الصغيرة. فاذا رام الحبر في كلا الطقسين ان يرسم مرتّلاً وقارئاً في وقتٍ واحدٍ او قارئاً وسالياً معاً

---

١) اضرب المجمع اللبناني عن هذين السؤالين، وعن الجثو. ونستنتج من اضرابه هذا ان ذلك حديث في الطقس الماروني، اذ لا اثر له في الطقس السرياني.

٢) اثبت ذلك المجمع اللبناني: ٢٦٢ و٢٦٣، ولا اثر له عند السريان.

٣) لا يجثو المرتل قطعاً في الرسامة عند السريان.

٤) لا يستعمل السريان هذه الابيات، الّا في الرتب الكبيرة المقدّسة فقط.

يُستغنى عن تكرارها . ويُقرأ على اثرها حالًا الفصل من الكتاب الكريم . ويكتمل الحبر الرتبة الاولى الى آخرها . ثم يستأنف الرتبة الثانية او الثالثة ، بدأً من قراءة الفصل من الكتاب المقدّس.

وبعد هذا يتلو احد المنتخبين للمرتلية المزمورين ١٣٢ و ١٣٣ . امّا المنتخب السرياني فيقرأ ايضاً من المزامير ٣١ و ٢٦ و ٨٤.

ثم يضع الحبر الماروني يديه على صدغي المنتخَب ، ويقول : « نسألك ايها الرب الاله ان تصنع نعمتك ورحمتك مع عبدك هذا فلان » الخ . ويقصّ ، كالحبر السرياني ، من شعر المنتخَب اولًا ممّا يلي الرقبة ، ثم ممّا يلي الجبهة ، ثم ممّا يلي الصدغين ، ذاكرًا كل مرّة اسم احد الاقانيم الثلاثة ، ويجاوب الشعب : آمين.

وهذا تعريب صورة الرسامة في كلا الطقسين : « نرسم[1] عبدك هذا فلاناً على المذبح المقدّس مذبح القديس فلان ، من قرية او من مدينة كذا المباركة بسم الآب ✠ : الشعب : آمين . والابن ✠ : آمين . والروح ✠ القدس : آمين . »

وينادي الشمّاس الماروني : « لنقف كلنا للصلاة » الخ . ثم يمسك الحبر يمين المرسوم قائلاً : « اللهمّ الذي بنعمته التي لا تقاس » الخ[2] . ثم يدخل به الحبر الماروني والسرياني الى المذبح ويعلن : « فليمنحك الربّ طهارة الخطوات » الخ . وكانوا في القديم ينطون قدمي المرسوم بحذاء خاصّ قبل إدخاله باب الدرابزين[3] . ثم يدفع الحبران الماروني والسرياني كتاب المزامير الى المرسوم فيحمله على ذراعيه وصدره . ويطوف الموارنة وحدهم بالمرسوم ثلاث مرات في الكنيسة منشدين بنغمة ܩܕܡܝܐ : على راحة يدي الابن الخ. وهذه الجولات الثلاث لا اثر لها في الطقس السريانيّ . وهي فيما يظهر حديثة في الطقس الماروني عينه ، بدليل انّ المجمع اللبناني (ص ٢٦٣) لم يذكر الطواف الّا مرّة واحدة . واذا انتهى المرسوم الى المذبح قبّله وقبّل يمين الحبر ، فيصلّي عليه الحبر : « اقبل اللهمّ بحنوك هذا » الخ . ثم يتناول الحبر في كلا

١) ܢܩܝܡ ܠܟܗܢܐ الخ . لكن الحبر السرياني يقول ܢܩܝܡܝܗ ܠܟܗܢܐ ܕܩܘܪܒܢ بضمير الغائب كسائر صُوَر الاسرار نحو ܢܥܡܕ ܘܢܬܩܕܫ و ܢܬܚܬܡ ارتقى .

٢) هذه الصلاة يتلوها الحبر السرياني ، قبلما يقصّ شعر المنتخَب ٣) دربان ٧٢ .

الطقسين القربان المقدّس ، ويناول المرسوم » ويختم القدّاس .

واعلم ان الخبز في رسامة المرتل لا يسلّمه الدرع ، ولا يلقي البطرشيل على كتفه ، كما نصّ المجمع اللبناني (٣٠٨) . ولذا وجب ان يُنهى عن استعمالها من قبلوا درجة المرتليّة . غير انه يحقّ للمرتل ان يقرأ القراءات من العهد العتيق ما عدا النبوّات ، وان يتلو المزامير وينشد الترانيم في الكنيسة جهرةً حين القدّاس والصلاة . وان يتوشّح بقميص من كتّان او من قماش احمر او ابيض مطرّز بصابان (المجمع اللبناني : ٣٠٩ ، ومجمع الشرفة : ١٦١)

٢ طقس رسامة القارئ

الرتبة الثانية من الرتب الصغيرة رتبة القارئ ܩܪܝܢܐ ، ويقال له ايضاً ܐܢܓܢܘܣܛܘܣ اناغنسطس بلفظ يوناني . ولا يرقى اليها الّا من بلغ السابعة عند الموارنة ، كما حدّد المجمع اللبناني (٢٥٤) ، والرابعة عشرة عند السريان (مجمع الشرفة ١٦١) . ويلزمه في كلا الطقسين ان يبرز صكّ رسامته قارئاً مع شهادة بميلاده وعماده وتثبيته الخ كما ذكرنا في رتبة المرتل . ويواظبته على الخدمة حسب درجته في البيعة التي رُسم عليها . وله المقام الثاني في مراتب الدرجات الصغار عند السريان والموارنة معاً . وله ان يقرأ في الكنيسة جميع القراءات من العهد القديم والنبوّات في القدّاس والصلوات والطقوس . قال المجمع اللبناني (ص٣٠٩ و ٣١٠) ما نصّه : «ان قراءة الاسفار المقدسة انقسمت مع كرور الاحقاب الى خمسة اقسام خصّص كلٌّ منها بدرجة . فالقسم الاول يتقوّم من العهد القديم ما عدا النبوّات . والثاني من النبوّات . والثالث من الرسائل القانونية (القاتوليقيّة ؟) السبع واعمال الرسل . والرابع من رسائل بولس . والخامس من الاناجيل . فللمرتلين القسم الاول . وللقارئين الثاني . وللمرسالين الثالث . وللشمامسة الرابع . ولرؤساء الشمامسة الخامس .» وينبغي ان تتمّ رسامة القارئ كما قال اقليميس الروماني[1] وابن العبري[2] يوم الاحد دون وضع يد .

امّا كيفية الرتبة فيدخل المنتخَب ، وينتصب امام المذبح متردّياً بثوب

---

١) كتاب عهد ربنا ، عدد ٤٥ .

٢) الهدى ، ص ١٠٠ .

المرتل، مكشوف الرأس ومنحنياً ومتكئاً، ريثما ينهي الحبر القداس الى التناول، فيسمه الحبر الماروني في جبهته ثلاثاً كما يرسم المرتل ويبدأ بالرتبة على ما وصفنا في رتبة المرتل ريثما ينتهي الحسّاي والابيات الاربعة والعطر الخ.

وبعد هذا يقرأ المنتخَب من سفر حزقيال (٤٣: ١ــ٧ و٤٤: ١٠ــ١٦)[1].

ويصلّي الحبر الماروني سرّاً ومنحنياً ومتّجهاً نحو الشرق: يا ربّ القوّات السماوية[2] الخ. فيهتف الشمامسة: قورياليسون[2]. وينادي رئيس الشمامسة: «ايضاً وايضاً دائماً وفي كل حين» الخ. ويصلّي الحبر: «اهّلنا ايها الرب الاله ان نكون لك قارئين اطهاراً» الخ. ثم يمسك الشمّاس يمين المنتخَب ويأتي به الى الحبر قائلاً: «نقدّم لقداستك» الخ. وتُختم بثلاث مرّات قورياليسون. وقد تفرّد الطقس الماروني، دون الطقس السرياني، بتلاوة هذه الصلوات وما يتبعها بعد قراءة الفصل من سفر حزقيال ح.

على ان الحبر في الطقس السرياني والماروني يأمر المنتخَب بعد هذا ان يجثو على الركبة الشمال فيضع يمينه على صدغيه قائلاً: «النعمة الالهية[4]» الخ. ثم يرفّ يديه على هامة المنتخَب ويتلو سرّاً: «نطلب منك ونتضرّع اليك ايها الرب الاله» الخ. ثم يلتفت نحو المذبح ويجهر قائلاً: «لانك الاله الراغب في الرحمة والرأفة» الخ. ثم يقول: «السلام لجميعكم.» ويقول الشعب: «ولروحك». ثم يتلو سرّاً: «ايها الاله العظيم الغنيّ بالمواهب» الخ. ويجهر قائلاً: «لنؤدِ لك التسبيح».

ثم يلتفت الحبر في كلا الطقسين الى المنتخَب، ويمسك صدغيه بيديه كلتيهما، ويتلو صورة الرسامة سرّاً: «ايها الاله العظيم الرؤوف يا ضابط جميع البرايا بيديك» الخ. ويجهر: «نعم يا الله نثقّفه» الخ. ويهتف الشمامسة عند الصلاة السريّة متناوبين بنغم شجيّ قائلين معاً: «قورياليسون». اما السريان فيرتلها شماس او شمامسان فقط بالتناوب. وعند نهاية هاتين الصلاتين،

---

١) دريان: من حزقيال ٢٥ و٢٦، ص٧٤.

٢) يتلو الحبر السرياني هذه الصلاة في رسامة الرسالي بعد القراءة.

٣) دريان ٧٤. ٤) لا اثر لهذه الدعوة في رتبة القارئ عند السريان.

يحيك الحبر السرياني والماروني بيمين المرسوم وينهضه عن الارض قائلاً : « ايها الالـه العظيم »[1] الخ . ويلبسه قميصاً ثم حرّاراً[2] . وينشد بالسريانيـة ويتبعه الاكليرس قائلاً : ܩܕܝܫܐ ܠܐܠܗܐ ܕܚܝܐ ܕܠܥܠܡ ܕܥܠܡܝܐ الخ . لمجد واكرام وتبجيل وتعظيم الثالوث الاقدس المساوي بالجوهر الخ. ثم يقول الحبر الماروني فقط : « وشّح اللهم »[3] الخ. ويدفع الى المرسوم كتب النبوّات فيحمله على ذراعيه ويقبّل المذبح ويعين الحبر ويحيّيه المؤمنون. واذا تناول الحبر القربان المقدّس ناوله المرسوم»[4] ايضاً . وبعد هذا يكتمل القدّاس ويصرف المؤمنين.

وقد تفرّد الطقس الماروني بان يضيف الشماس انشودة يوزن ماو افرام : « الرب الذي منح الكهنوت للبشر الترابيين » الخ . ثم ينادي رئيس الشمامسة : « لنقف كلّنا للصلاة » الخ . ويصلّي الحبر الماروني : « اللهمّ يا من منحت يشوع بن نون » الخ . ثم يكون الطواف في الكنيسة ثلاثاً بترتيل ܩܕܝܫܐ واوله ܩܕܝܫܐ ܕܐܠܗܐ الخ . واذا عاد المرسوم الى المذبح قبّله وقبّل يمين الحبر ، فيصلّي الحبر عليه : « نحمدك ايها المسيح » الخ . ثم يتناول القربان المقدّس ويناول المرسوم كما ذكرنا ، ويختم القدّاس.

وزاد الطقس الماروني ايضاً ان الحبر يتوجّه بعـد ذلك الى الشرق ويتلو صلاة الشكر : « نقبل نعمتك ونشكر رحمتك » الخ . وما يتبعها الى الخاتمة : « يا اله الالهة وربّ الارباب » الخ . وصلاة الخاتمة هذه لا اثر لهـا في المجمع اللبناني ، ولا في الطقس السرياني. (لها بقية)

---

١) دريان ٧٥.

٢) المرّار يلبّسه الحبر السرياني للمرسوم ملفوفاً على ظهره بشكل صليب (مجمع الشرفة ١٦٢) . اما السيّد السماني فاكتفى بقوله : ان الحبر يلبس المرسوم قميصاً ومرّاراً ارجوانياً او ابيض. ويضاف في بعض النسخ المارونية ان القارىء بعد ما يتوشّح بالمرّار يقرأ من اشعيا (٢١ و٢٨) على ما ذكر المجمع اللبناني (٢٦٤) وبعـد هذا يقول الشماس : فلنقف كلنا بالصلاة الخ . وذهب العلّامة الدويهي (ص ١١١) الى ان القارىء لا يجوز له ان يتوشّح بالمرّار الّا في الاحتفالات . اما القارىء السرياني فيتوشّح به فوق القميص او فوق ثوبه الاعتيادي كلّما خدم القداس احتفالياً ام بسيطاً .

٣) لا اثر لهذه الصلاة في الطقس الماروني (دريان ٧٦ و٧٧) ولا في الطقس السرياني.

٤) المجمع اللبناني ٢٦٤.

مقدمات لدرس تاريخ الادب : ١

منشأ الآداب العربية

بقلم فؤاد افرام البستاني
استاذ الآداب العربية في كليّة القديس يوسف

١

توطئة

لا يسع المطّلع على التآليف العصرية في تاريخ الادب ، الواقف على اتجاه هذه الدروس في ايامنا ، الّا ان يغتبط بتلك الحركة المباركة التي اخذت تصرف اكثر مؤلّفينا عن الاخذ باقوال الرواة دون تمحيص ، وتلخيص ابحاث القدماء دون انتقاد فهم ، اذا عرضوا اليوم للتراجم ، تساءلوا عن مصادرها الصحيحة ، واهتموا بما يفيده العلم الحديث — او بما سمعوا عن العلم الحديث انه يفيده — من اساليب الشكّ ، والتوقّف ، والفرض ، والترجيح . . . فراحوا يعدّدون « الملاحظات التوقيتيّة » ، و« التحقيقات التاريخية » ، و« البحوث النقدية » لسبب ولغير سبب ؛ كأنهم ارادوا ، قبل كل شيء ، ان يظهروا للمطالع انهم باصول « التحقيق العلمي » آخذون ، وعلى اساليب « النقد الحديث » واقفون . . . وهو سعيٌ محمود في اصله ، وان لم تأتِ منه الغاية المتوخاة حتى اليوم فلتسرّع في استنتاجات اولئك « المحقّقين » اذ يستندون في التاريخ الى نصّ يعكسون معناه عن غير قصد ، او الى قصيدة يفهمونها على غير وجهها ، او الى حجة ادبية ضعيفة في موضوع يجب فيه الاستناد الى اثر

تاريخي ثابت ، او الى غير ذلك من الاساليب التصف علمية ، فيخالون المغالطة تحقيقاً تاريخياً والحلّ البسيط نقداً ادبياً . وما ذاك الّا عن نقص بالاستعداد ، وضيق في التهذيب العلمي ، يدفعهم من جهة الى طرح آراء من تقدّمهم دون استثناء فيقعون بعكس ما نعوه على القدماء المقلّدين ؛ ويحصرهم ، من جهة اخرى ، ضمن المصادر العربية وحدها ، وهي اقل من ان يكتفي بها المؤرخ العصري.

ولكن مهما بلغ من نقص هذه الاساليب او من ضررها ، فانها تبشر بنهضة تتململ في ادمغة مؤلفينا فتخطئ بالضعفاء منهم وجه الصواب اذ يموّهون بالعلم وهم لم يتعوّدوه ، وتسير بالمدققين الى المحجّة الصحيحة فتفيد التاريخ والآداب معاً ، وتستحق شكر الادباء والمؤرخين جميعاً.

واذاً فاننا نرى مؤرخي الادب في عصرنا على فئات ثلاث :

فئة تسير على الطريق السهلة التي اختطّها السلف الصالح وعبّدها الخلف المطيع . فلا توقّف ، ولا تردّد ، ولا حجر ، ولا عقبة ، حتى ليمكن السائر ان يغمض عينيه ويمشي . وهي كثيراً ما تفعل ذلك ، فتتابع سيرها مغمضة العينين ، خليّة الذهن ، مطمئنة . حتى اذا عثرت بعقبة لم تخطر على بالها ، او اصطدمت بصعوبة لم تستعدّ لها ، افاقت مستغربة ، وفزعت الى معدّاتها النقدية العلمية فلم تجد الّا « رُوي » و « يزعمون » . . .

وفئة سمت بالاساليب العلميّة ، فاستفواها التحقيق والتمحيص ، واحبّت التنقّل بين العقبات ، ولم يكن لها من استعدادها ما يخرجها من تلك الطريق التقليدية ، طريق الفئة الاولى . فجعلت تأتي بالحجارة وتلقيها فيها عمداً وبغير ترتيب ، ثم تجتهد في زحزحتها وتقليبها ، مستعملةً المفردات الضخمة ، والتعابير النقدية ، موهمة انها تحلّ الصعوبات الادبية وتدرس المشكلات التاريخية . والحقيقة انها لم تحلّ شيئاً ولم تدرس شيئاً ، بل اخترعت صعوبات لم تكن ، وتوهّمت مشكلات لم توجد ؛ رغبةً منها في الاصطباغ بصبغة العلم والتمويه بطلاء التحقيق التاريخي ، والتظاهر بالحياة ، وان مدة قصيرة ، في جوّ من الانتقاد مصنوع . فكانت النتيجة انها انصرفت عن بساطة الاولين ، ولم

تلحق بتدقيق العلماء المحققين.

وفئة ثالثة ، وهي الاقليـة ، قرنت الاستعداد العلمي الطويل بدقة النظر وصواب الحكم ، فاتضحت لهـا مناهج البحث ، فتركت الطريق السهلة على سهولتها ، بل رفعت منها ما رماه فيها بعض اشباه العلماء ، واخذت في تسهيل ما صعب من الطرق حولهـا . فهي لا تشكّ بامر ثابت لمجرّد الشكّ ، ولا تخترع الصعوبة التاريخية لمجرّد اللذّة في حلّها ، ولا تبني الخرافة الوهمية لمجرّد الفخر في هدمها. وايّة لذّة وايّ فخر في فتح باب مفتوح ! هذه هي الفئة العاملة التي يجب ان يقلّدها المدققون، ويقتفي اثرها المحققون.

* * *

على ان جميع هؤلاء المشتغلين بالتاريخ الادبي ، من اي فئة كانوا ، والى اي مذهب انتموا ، قلّما تجاوزوا اليوم ، في مساعيهم المشكورة على كل حال ، موضوعَ التاريخ ، سواء كان ذلـك في اشخاص الادباء او في آثارهم او في الدول المختلفة . فهم يحصرون غالباً اساليبهم التحقيقية في عصر الاديب الفلاني او الدولة الفلانية او في تاريخية الاثر الفلاني . وقد يسهو بال اكثرهم عن تأثير عامل آخر قد لا يقلّ اهمّيّة عن العامل التاريخي في قدر قيمة الادب ، بل كثيراً ما زاد عليه ولاسيما في العصور الاولى ، الا وهو العامل الجغرافي وما يجرّ اليه.

من الضروري ان نعرف في ايّ عصر عاش الشنفرى مثلاً ، ومن المفيـد ان نعرف هل مات النابغة قبل النعمان ام لا . ولكن من الضروري ايضاً ان نعرف اين عاش الشنفرى ، ومن المفيد كذلك ان نعرف الى اين رحل النابغة بجفواً . . . فليست بيئة الشنفرى اقلّ تأثيراً في شعره من العصر الذي عاش فيه ، وليست البـلاد التي تنقّل فيها النابغـة اضعف مظهراً في قصائده من سني حياته.

هذان مثلان بسيطان للدلالة على اثر العوامل الجغرافية في الادب عامّة وفي الادب العربي خاصّة . ويمكن المطالع ان يعدّد الامثال على ذلك فيتحقق ما اصبح من الثابت المقرّر عند ذوي البحث من أن البيئة تكيّف الانسان بـل الشعوب ، وتسم بسمتها كل ما تولّده هذه الشعوب من آثار مختلفة في الادب

والفنّ وما اليهما . حتى قيل بكل صواب « ان الانسان ابن بيئته.»

ونحن اذا تصفحنا ادبنا المتمدّد المجالي على كرّ العصور ، حتى اقدم مظاهره بل حتى زمن نشأته ، نرى انه تأثّر فوق كل ادب بالبيئة التي نشأ فيها . ثم اننا نرى ذاك الاثر الواضح يتجاوز الادب الى اللغة نفسها فيبدو في تعابيرنا حقيقية كانت ام مجازية ، بسيطة ساذجة ام شعرية فنّية . فاننا لا نفهم حقّ الفهم قول العرب : « سقاك الله ! » « رعاك الله ! » ، ولا ندرك كل الادراك دعاءهم بالخير : « اقرّ الله عينك ! » وبالشرّ : « اسخن الله عينك ! » ولا نشعر بالقرابة بين « النـدى والـكرَم والغيث والجود » ولا بالمعنى الدقيق في « رطّب الله ثراه ! وسقى الغيث قبره ، وبكت عليه الغوادي والرائحات ! » الّا اذا انتبهنا لحياة العرب في تلك الصحراء القاحلة الحارّة ، القليلة المطر والرطوبة ... هذا ولو عاش العرب في بلاد غزيرة المياه ، شديدة البرد ، لعكسوا تعابيرهم دون شكّ وعنوا الجفـاف لقبور موتاهم والدفء والحرارة لاحبابهم ...

هذا قليل من كثير من اثر البيئة الجغرافية في آدابنا وتعابيرنا . وهو مـا سنتوسّع في درسه في هذه المقدّمات التي نراها ضرورية لفهم الادب العربي . فنسدّ ثلمة صغيرة في تاريخ الادب ، ونقوم بخدمة ضئيلة في جنب ما قام بـه مؤرّخو الادب . والله الموفّق للصواب ! (للبحث صلة)

جولة في المجلات

الكشافة والاسلام – بولونية والحجاز

الكشافة في الاسلام

كل يعلم ان الكشافة مؤسسة حديثة وضعها الافرنج ، واخصهم الانكليز ، لتدريب الاحداث على الإقدام والجرأة والشجاعة ، بترويضهم على التمارين البدنية ، وعلى العيشة في البراح والخلاء ، والانتفاع بهم في خدمة البلاد الخ . ولم يخب امرها على السيد مصطفى جواد ، فقد سطّر خلاصة تاريخ نشأتها في مجلة العرفان ، وجعل خلاصته فاتحة لدرس آخر وهو «الفتوّة في الاسلام» . وابى الا ان يرى تشابهاً بين المؤسستين ؛ والكشافة لا تشبه الفتوة اكثر مما تشبه التفاحة النخلة ، وشتان بين شجر بلاد الشمال وشجر بلاد الجنوب . ولعل الرغبة في ربط المخترعات الحديثة بعلائق موشجة اصولها في عصور التاريخ الاسلامي الماضي ، شأنَ من يرون في اخبار تلك العصور بذرة الاختراعات الحديثة ، لعل تلك الرغبة حدت بصاحب المقال الى المقابلة بين الكشافة والفتوّة ؛ والعلاقة بين المؤسستين واهنة ، سطحية . على اننا نأخذ من كلامه عن فتيان الاسلام ما يفيدنا في معرفة اخبار الشيعة ، والعرفان ترجمانهم . تكلم السيد مصطفى جواد على الكشافة ثم قال :

هذا المذهب الحيوي نشأ مثله بعد ظهور الاسلام لتهذيب الاخلاق وتعش النفوس والاغراء بالشجاعة وبث الاخاء بين الناس والدعوة الى الفضائل والتجافي عن الرذائل ، ويعرف عند المسلمين بـ (الفتوة) واصحابها يسمون (الفتيان) جمع فتى . فالفتوة هي استجماع النعوت الكريمة والاخلاق القويمة والطباع السليمة والجرأة والسخاء والكرم في صاحبها (الفتى) .

قال الشريف الجرجاني في التعريفات : الفتوة في اللغة : السخاء والكرم ، وفي اصطلاح اهل الحقيقة : هي ان تؤثر الخلق على نفسك بالدنيا والآخرة .

وقال ابن عربي : « الفتوة » الصفح عن عثرات الاخوان[1] وقال عبدالحميد بن ابي الحديد في (٣ : ٧١) من الشرح في احوال العارفين بالله تعالى « ومنها الفتوة ، قال سبحانه مخبراً عن اصحاب الاصنام : قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم ؛ وقال تعالى في اصحاب الكهف انهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى ، وقد اختلفوا في التعبير عن الفتوة ما هي ؟ قال بعضهم : الفتوة ان لا ترى لنفسك فضلاً على غيرك ، وقال بعضهم : الفتوة الصفح عن عثرات الاخوان ... وقال الحارث المحاسبي : الفتوة ان تنصف ولا تُنصَف. وقال عبد الله بن احمد بن حنبل : سئل ابي عن الفتوة فقال : ترك ما تهوى لما تخشى. وقيل : الفتوة الا تدخر ولا تعتذر. سأل شفيق البلخي جعفر بن محمد الصادق السلام ، عن الفتوة فقال : ما تقول انت ؟ قال : ان اعطينا شكرنا وان منعنا صبرنا ، فقال : ان الكلاب بالمدينة عندنا هذا شأنها ولكن قل : ان اعطينا آثرنا وان منعنا شكرنا » اه كلام ابن ابي الحديد.

الفتيان ينسبون فتوتهم الى الامام علي بن ابي طالب ابي الحسن وكذلك الصوفية فامير المؤمنين قدوتهم وفيه اسوتهم ويؤمنون بانه عليه السلام اب الفتيان وسيدهم واقدسهم . قال ابن ابي الحديد[2] « وما أقول في رجل احب كل احد ان يتكثر به وود كل احد ان يتجمل ويتحسن بالانتساب اليه حتى « الفتوة » التي احسن ما قيل في حدها ان لا تستحسن من نفسك ما تستقبحه من غيرك . فان اربابها نسبوا انفسهم اليه وصنفوا في ذلك كتباً[3] وجعلوا لذلك اسناداً انتهوه اليه وقصروه عليه وسموه سيد الفتيان وعضدوا مذهبهم بالبيت المشهور المروي انه سمع من السماء يوم احد

« لا سيف الّا ذو الفقا ر ولا فتى الّا علي » ...

ولا ادري هل يتفق المحدثون كلهم على صحة تلك الرواية ، وليس من شأننا مناقشة الموضوع فيها ، بل حسبنا الاطلاع على ما قاله المؤلف في الامر وقد يرادف ما جاء على مادة « فتوة » في الموسوعة الاسلامية الاوربية. قال ما خلاصته :

---

١) نور الابصار في مناقب آل بيت النبي المختار. ص ٢٤١

٢) مج ١ ص ٩

٣) ذكر لي الاب انستاس انه كان عنده كتاب في الفتوة

تحولت الفتوة الى اطوار شتى ، ودخل فيها الغناء ، ورمي البندق ، وتطيير الحمام للمسابقة واللهو ، وتأليف كتب في انساب الحمام ، كما ألفوا قبلاً كتباً في انساب الخيل ... فالفتوة كانت تتقلب بين الدين والتعصب والنفع والضرر والاصلاح والفساد . فبعد ما كانت للاصلاح والمؤاخاة والتشجيع اصبحت في زمن الامويين من اللهو والترف والاسراف ، وفي القرن السادس الهجري من التعصب وافساد النظام .

وتمنطقت الفتوة ، خاصةً ، على ايام الناصر بدين الله العباسي (١١٨٨ — ١٢٢٥م ٥٧٥ — ٦٢٢هـ) بنطاق النظام المعهود امره بصاحب الحكم فذكرتنا بفروسية القرون الوسطى ، عند الافرنج ، لما كان صاحب السيادة يخول مواليه بعض الحقوق والامتيازات ويلبسهم الاسلحة ، ويسلمهم السيف الخ . فيؤهلهم للقيام في خدمة الدولة .

وغلبت على الفتوة ، في بعض الانحاء ، نزعة اللهو ، وجردتها من صفاتها الحربية والبستها حلة التصوف المشتبه امره بين الزهد والمتلاعة ، وجعلتها موئلاً لشتى الاغراض السياسية المذهبية ، ومندفعاً لاثارة الفتن ولم تكن اذ ذاك قط اتمائل الفروسية او الكشافة !

بولونية والحجاز

مليحة هي الاخبار التي رواها صاحب المنار (السنة ٣١ ، ص ١٤١ ...) على حسن معاملة دولة بولونية الكاثوليكية لرعاياها المسلمين . واملحها وقوعها في مجلة خص قسم كبير منها ، في عامها الماضي ، بالطعن في المسيحيين وتجريمهم في كثير من الآفات المدنية الاجتماعية الفاتكة في المسلمين . ولو انصف صاحب المنار ، لأقرّ بان حال المسلمين في البلاد الخاضعة لحكم الافرنج ليست دون ما وصفها في بولونية عن لسان المفتي في تلك البلاد . قال :

زار مصر صاحب الفضيلة مفتي المسلمين في بولونية وزعيمهم الديني (الشيخ يعقوب شنكفتش) في طريقه الى الحجاز فلقي من تكريم فضلاء المسلمين وجمعية شبانهم ومن جمعية الرابطة الشرقية ما يليق بزعامته وشخصه الكريم ، وقد ألقى في نادي الخطابة من دار جمعية الشبان المسلمين محاضرة في بيان حال المسلمين في بولونية وما لهم فيها من حرية الدين المطلقة ومن مساعدة الحكومة البولونية الكاثوليكية لهم ما كان موضع الاعجاب والعجب من كل من سمعه .

وذهب السيد محمد رضا الى تعليل هذه المفارقة التي لم تكن لتخطر له ببال قطّ ، ولم يكن ليعلم بامكان وقوعها ، فنسبها الى صدق تديّن البرلونيين المسيحيين فقال :

ان ذلك فوق المعهود من الدول الاوربية وسببه الحقيقي عندنا ان تدين برلونية امتها وحكومتها بالنصرانية تدين عقيدة واخلاص فهو لا ينافي الاتفاق مع المسلمين.

فحسبنا ذلك ردّاً على تحامل المنار وافترائه على النصرانية واحبارها وكهنتها وتباعها . وليعلم ان النصرانية هي التي هذبت العالم ، ونشرت اجنحتها البيضاء على كل قطر ازدهرت فيه المدنية والعمران ، فسطع نور الرقي والعدل حيث سطع نورها ، وتضاءل ضياؤه حيث تضاءل ضياؤها.

هذا وقد يروق صاحب المنار ان يكرر ذكر الرومان ، واليونان ، والعلوم المستحدثة ، والاختراعات ، والطيارات ، والغواصات ، واللاسلكي ، والاوكسجين والهيدروجين الى غير ذلك من مفردات علمية التي يركبها جزافاً فتبدو ضخمة عجيبة لجهّال العامّة وسواد السوقة . . .

ولكن حاشى قراء المنار ان يكونوا منهم ! فلمن يشحن اذاً صاحب المنار مجلّد العام الماضي والمجلّدات التي سبقته بمثل هذه الالفاظ المتكاثرة الضخمة الثقيلة الوطأة في عملة دينية محضة ؟ وما غايته من ذلك الّا ان ينال فرصة من المسيحية فيغمز قناتها وينسب اليها زوراً انحطاط المدنية !

تعال ، يا شيخنا ! واكشف على خارطة الاديان في العالم ، واحكم عنها ، في اي دين من الاديان ازدهر النور والعمران والاخلاق . انظر اقاليم افريقية الزنجية وسوادها القدم ، وبلاد الصحراء القاحلة وسكانها البدو واسألهم بايّ نور يهتدون ؟ وانظر الى بلاد اوربة واميركة ، والى الاقطار القابضة سكانها على ناصية العلوم وعلى زمام الحركة الفكرية في الكون ، واسألهم الى اي لواء ينضمون ؟ ان اللواء الخافق على رؤوسهم انما هو لواء الصليب الذي بعد ان كان آية الذل والعذاب اصبح شعاراً للمجد والفخر رمزاً لانتصار الروح على المادة ، والنور على الظلام.

ف . ت .

شذرات

جريدة عربية في رومية

كثرت حملات الجرائد العربيـة على الحكومة الايطالية منـذ حوادث طرابلس الغرب. فرأت ايطالية ان تدافع عن نفسها بالطريقة ذاتها التي يستعملها اعداؤهـا اي بواسطة الصحافة العربية . فقررت انشاء جريدة مزدوجة اللغـة (بالعربية والايطالية) تصدر في رومية بعنوان «المستقبل العربي» . وستباشر الصدور نصف شهرية ، في ثماني صفحات مصورة . ويكون الفرع العربي فيها مستقلًا عن الفرع الايطالي بمعنى ان القسم الواحد لا يكون ترجمة الثاني . اما مدير الجريدة فنائب ايطالي ، واما صاحبها ورئيس تحريرها فنير اللبابيدي ، وهو من اسرة دمشقية معروفة ، كان يدير جريدة «الحضارة» سابقاً في سورية ، ثم انشأ في البرازيل جريدة عربية - برتغالية .

ومما يستحق الذكر ان «المستقبل العربي» ستكون ثاني جريدة عربية ظهرت في ايطاليـة . اما الاولى فكان اسمها «المستقل» وكانت تُنشر في جزيرة سردينية وغايتها تعزيز السياسة الايطالية في تونس . ولكنها لم تعش طويلًا ، فقضت سنة ١٨٨١ على اثر احتلال الفرنسويين بلاد تونس .

التذكار المئوي لاستشهاد الاب جبرائيل دنبو

مؤسس الرهبنة الانطونية الكلدانية

اتانا من الموصل الاذاعة التالية :

في اليوم الـ ١٥ من شهر آذار سنة ١٨٣٢ ، هوى الاب جبرائيـل دنبو ، مؤسس رهبنتنا ، صريعاً تحت سيف الظلم ، شهيداً لاسم المسيح . وكان هذا الرجل البارّ في حياته المملوءة من جلائل الاعمال قد سعى سعياً حثيثاً ، في جملة الرجال الصلحاء الذين بنوا في الشرق صرح الكثلكة المنيف ، حتى رأى الايمان

الكاثوليكي متلألئاً فيما بين النهرين ، وعلى جبال كردستان العالية.

وقد لبث ذكر اعمال مجدد حياتنا الرهبانية محفوظاً بكل احترام ووقار ، ليس فقط في قلوب ابنائه الروحيين ، رهبان القديس هرمزد ، بل في قلوب عامة ابناء الطائفة الكلدانية . وغنية عن البيان الطاف الكرسي الرسولي المقدس التي شملت هذا الراهب القديس ، نموذج الفضيلة والرسول المتوقد غيرة على خلاص النفوس. وبهذا العون والتشجيع الابويين سار هذا الرسول الغيور ، بتدبر وبذل ذات كاملين ، في مسعاه الخلاصي . ولم تمض السنون القلائل حتى شاهد مساعيه تثمر ثمراً جنياً ورهبانيته تزدهر بحياة نسكية خصبة وتضم تحت قانون مار انطونيوس كوكب البرية رجالاً فضلاء ، بلغ عددهم وهو في قيد الحياة مئة : منهم خمسة مطارنة ، واربعة وخمسون كاهناً ، انتشروا في السهول وعلى قمم الجبال للتبشير والتعليم في تلك الآونة الصعبة.

ولما كانت رهبنتنا الانطونية مدينةً للاب جبرائيل دنبو بحياتها فقد قررت ، اعترافاً بفضله ، ان تحتفل بكل مظاهر الاجلال والابهة بالذكر المئوي لمقتل هذا الرجل البار . فرصدت لهذا الاحتفال التذكاري ثلاثة ايام الـ ١٦ والـ ١٧ والـ ١٨ من شهر نيسان ١٩٣٢ لتصادف وقوع ١٥ آذار في الصوم الماراني.

رئيس لجنة التذكار المئوي
يوسف اديشوع نجار
الرئيس العام على اديرة الكلدان

عن دير السيدة ، القوش : الموصل

فنعم العاطفة عاطفة تكريم شهيد جليل ، ومؤسس فاضل كان بحياته ومماته مثال الرسول الغيور والراعي الصالح . وسيشترك بتلك الاحتفالات لا افراد الطائفة الكلدانية الكريمة فحسب ، بل كل من قدر الفضيلة من جميع الكاثوليك ، ان لم يكن بالحضور فبالعاطفة والشعور.

مطبوعات شرقية جديدة

A. D. Sertillanges O. P. L'orateur chrétien. *Editions du Cerf, Juvisy, Seine-et-Oise. X-439 pp. Prix: 15 f.*

الخطيب المسيحي

هو كتاب يجمع بين اللذة والفائدة وجمال السبك ومتانة التفكير ، فيجدر بكل كاهن ان يجعله في مكتبه. يتحدث فيه المؤلف ، وهو خطيب مشهور ، عمّا يعرفه ويستعمله باسلوب جذّاب يمتلك المطالع في كل صفحة بما يرى في جميع الفصول من ذكر الامور التي شاهدها الكاتب وعرفها بنفسه فعرّفها بدقة وافرة وملاحظات عميقة تدلّ على اختبار طويل واطّلاع واسع . وقد قسم الكتاب الى ثلاثة اقسام : خصّ الاول « بكلمة الله » في حدّ نفسها . وذكر مصادرها . والشروط الداخلية في الخطيب المسيحي كالصلاة والتأمل وما الى ذلك . وعدّد في القسم الثاني الصفات المطلوبة من الخطيب متبسطاً في طريقة الحصول عليها ، كالوقفة ، ونوعيّة التنفس الصالح ، والصوت ، ثم الصفات العقلية كالمخيّلة والشعور وخُلق الواعظ . ثم حصر القسم الثالث باستعمال ما تقدّم في ايصال كلمة الله الى النفوس ، وهي غاية الواعظ السامية ، وفي قواعد هذا العمل من ايجاد وتنسيق وتعبير وحفظ واداء . فلم يغفل عن شيء ممّا يزيد في تأثير الواعظ ومنفعة كلامه . يخلّل كل ذلك بنصائح عملية كثيرة الفائدة للمتمرّنين ، منها ما يشير به في الصفحة ٦٩ ، عند كلامه « عن مسحة الحقيقة والحياة التي تكوّن فنّ كبار الخطباء المبتكرين » وعن الجهد الضروري للوصول اليها ، فيقول : « ان الواسطة كي يتوصّل هذا الجهد الى اكثر ما يمكنه من النتائج الحسنة ، هي ان يظلّ الخطيب يفكر بتحقيق مشروع حديث او رسم خطة جديدة لعمل ما . وهكذا تختمر هذه الافكار من تلقاء ذاتها ... فيتوصل الخطيب الى ما كان يسعى اليه ، اذ ان الانسان لا يجد الّا ما يفتش عنه . فينتج ان السرّ في كل ذلك ان يظلّ الخطيب مستعدّاً لقبول ما يخطر على باله ... »

ي. ك.

Raphael Altamira y Crevea: Histoire d'Espagne 1 *vol. in*-16 [*Collection Armand Colin, Paris. Prix, relié* : 12 *f*.

تاريخ اسبانية

لا شك في ان القرّاء يقبلون على هـذا التاريخ اذا ما عرفوا شخصيـة المؤلف وهو استاذ مشهور في جامعة مدريد، ومعروف في فرنسة ايضاً بمحاضراته التي القاها في «مدرسة فرنسة» (Collège de France) وبابحاثه المتعدّدة في المدنية الاسبانية مما دلّ على تضلّع وبعد نظر وصحة حكم . وقـد اشتمل كتابه هـذا على التاريخ السياسي لتلك البلاد منذ عهد ما قبـل التاريخ حتى اليوم ، وعلى وصف الحياة الاسبانية في مختلف العصور وصفاً دقيقاً حياً . وقد اردفه بذكر الحوادث الاخيرة التي جرّت الى سقوط الملكية وقيام الحكومـة الحاضرة . فاتى جامعاً كل ما يتوق اليه احبّاء الدروس والمطالعات.

Comment juger la sociologie contemporaine. [*Entretiens de Juilly : III.*] *in*-12, 245 *pp. Prix* . 12 *f*. *Editions Publiroc, Marseille.*

كيف نحكم على علم العمران العصري

هذا الكتاب مثال لنوع جديد في التأليف اخذ الجمهور يميل اليه من مدة قريبة وهو عبارة عن موضوع واحد يخوض فيه عدة مفكرين فيلمون بجميع اطرافه ، ويعرضون فيه وجهات نظر متعدّدة. ولا يخفى ما في ذلك من فائدة لان من يقلّب شيئاً على جميع جهاته يفهمه اكثر مما لو رماه بنظرة واحدة، وإن شاملة. موضوع الكتاب الحالي علم العمران. والابحاث فيه نتيجـة «محادثات جويللي» التي ذكرنا شيئاً عنها سابقاً (المشرق ٢٧ [١٩٢٩] ٨٧٣ و٢٨[١٩٣٠] ٧١٦) وهي على جانب عظيم من الدقة والوضوح تتفرّع الى اقسام: في موضوع علم العمران ، وموقفه من الدين والعقل ؛ وفي مركز العائلة في عمران الدولة ؛ وفي هل يجب ادخال علم العمران في البرامج الرسمية . وقـد خُتم الكتاب ببحث لجورج گويو (Goyau) المّ فيه بالتجربة التي قامت بها الحكومـة الفرنسوية فارادت ان تدخل في التعليم الرسمي منهاجاً اخلاقياً مستنداً الى علم العمران . ثم اردف بدرس في العقيدة العمرانية والتعليم العمراني في الخارج.

ج. ل.

L'Art Byzantin. [15e *volume de la collection «La Grammaire des Styles» par* Henry Martin.] 16+23 - 65 *illustrations. Broché*, 10 f°. *Librairie d'Art R. Ducher*, 3 *Rue des Poitevins, Paris*-6e.

الفنّ البيزنطي

هو المجلّد الخامس عشر من مجموعة تلخّص تاريخ الفنّ منذ العصور القديمة حتى القرن التاسع عشر . ولا تخفى اهمية الفنّ البيزنطي في هذا التاريخ العامّ وما كان لـه من سعة الانتشار التي تماثل سعة انتشار الفنّ الوطني في القرن الثالث عشر . وقد تجاوز تأثيره البلاد التي نشأ فيها حتى تجلّت مظاهره في بلاد روسية ، وبروج ، والدانيمرك ، وعلى ضفاف نهر الرين . ولا تندر في فرنسة الآثار الفنيـة البيزنطيّة التأثر ولا سيا في الوسط والجنوب الغربي منها وقد جمع هذا الكتاب ، فضلًا عن درس عناصر الهندسة البيزنطية وتطوّرها ، درساً دقيقـاً للفسيفساء ، والعاجيـات ، والمنسوجات ، والتصاوير وآثار الحفر والنقوش البيزنطية . كل هذا باسلوب غاية في الايجاز وتصاوير وافرة المنفعـة والحسن .

Dr R. Strothmann : Die Koptische Kirche in der Neuzeit. [*Beitraege zur historischen Theologie*, 8] 1932, *VI*, 160 *pp. gr.* 8° *Prix*: *M.* 9, 60. *Tübingen J. C. B. Mohr* (*Paul Siebeck*).

الكنيسة القبطية في ايامنا

ان الاهتمام المتزايد بالكنائس الشرقية في عصرنا يظهر باجلى مظاهره في ما خصّ الكنيسة القبطية . فقد تعدّدت الابحـاث والمنشورات في ذلـك من تقريرات الى ابحاث طويلة (راجع مثلًا بحث الدكتور كليمنس في *Orientalia christiana* بعنوان Dr Clemens, *Glaube und Sakramente der Koptischen Kirche.* وكان آخرهـا الكتاب الحالي للدكتور ستروثمان خصّه بحالـة الكنيسة القبطيـة في العصر الحاضر . وهو درس دقيق يهتمّ خاصّة باحوال الكنيسة المنفصلة فيصوّر الأزمة الشديدة التي تجتازها اليوم . ولكن المؤلف لا ينسى الكنيسة القبطية الكاثوليكية ، فيشير الى ما فيها من حياة جديدة تظهر بمجالي منهضة وانتشار وتنظيم جديرة بالذكر . ويذكر كذلك سائر الكنائس القائمة في مصر من ارثوذكسية وكاثوليكية .

ج. ل.

BIBLIOTHÈQUE PATRISTIQUE DE SPIRITUALITÉ.

Choix d'écrits spirituels de St Augustin, ***trad. par*** **P. de Labriolle.**
Origène : De la prière – Exhortation au martyre, ***trad.*** **G. Bardy.**
Lettres spirituelles de St Jérôme. I, La Doctrine spirituelle, ***par*** **D. Gorce**
Méthode d'Olympe : Le bouquet des dix vierges, ***trad.*** **J. Farges.**
4 vol. in-16 de **8, 12, 10** ***et*** **9** ***f°. Prix ensemble :*** **35** ***f°. Librairie Gabalda et fils. Paris.***

مجموعة روحية من آثار آباء الكنيسة

هي مجموعة جديدة غايتها ان تضع بين ايدي المطالعين منتخبات من آثار آباء الكنيسة المشهورين ، ولاسيما ما كان منها جديراً باحياء الحياة الروحية في النفوس . وقد ظهر من هذه المجموعة حتى الآن مجلدات اربعة من آثار القديس اغوسطينوس ، واوريجينوس ، والقديس ايرونيموس ، ومتوديوس الاولمبي ، وهي تبشر كلها بمستقبل باهر للمجموعة المذكورة بما فيها من اتقان وحسن اختيار . ولا غرو فالمنتخبون من اختصاصي هذا النوع الحائزين على ثقة الجمهور ؛ والمنتخب من آثارهم من اشهر مؤلفي عصورهم . واننا نخص بالذكر المجلد الرابع ، وعنوانه «باقة العذارى العشر» ، فانه من اجمل الروائع الادبية معنى ومبنى سار فيه المؤلف على اسلوب «باقة افلاطون» مطبقاً ذلك على الحياة المسيحية ، مضيفاً اليه ما ازدانت به نفسه الشاعرة من نزعة سامية الى الكمال الروحي . خ . ل .

L'Ouvrage géoponique d'Anatolius de Bérytos (IV° siècle) *manuscrit arabe découvert par le* R. P. Paul Sbath. [*Extrait du Bulletin de l'Institut d'Egypte, t. XIII. Session* 1930-1931] *in-8° de* 8 *pp, le Caire,* 1931.

كتاب الفلاحة لانطوليوس البيروتي في ترجمته العربية

هي مذكرة رفعها حضرة الاب بولس سباط الى المعهد المصري يُشير فيها الى انه اكتشف مخطوطة عربية تتضمن تعريب كتاب الفلاحة لانطوليوس البيروتي . وهو كتاب ضاع اصله اليوناني ، فلا يعرف اليوم الّا بتلك الترجمة التي نشر منها الاب سباط الست الصفحات الاولى . ه . ل .

القرآن

طبعه محمد المهدي الحبابي

المطبعة التجارية الكبرى ، مصر ، ١٣٤٧هـ (١٩٢٨) — ٧١١ صفحة متوسطة

هي طبعة للقرآن بالحروف المغربية على الورق الاصفر المعهود لا تختلف في شيء عن الطبعات المعروفة . الّا انها بُدئت بفصل قصير في آداب التلاوة مأخوذ من آثار طنطاوي جوهري ؛ وخُتمت بفهرس فيه اسماء السور وعدد آياتها ، وكلماتها ، وحروفها ؛ وزُيّنت بصورتين لمكة والمدينة.

القضايا المستعجلة

تأليف جان باز المحامي

المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ١٩٣٢ — ١٤٧ صفحة متوسطة

الاستاذ جان باز محام في مقتبل الشباب ، لم يمض سنتان على انهائه درس الحقوق واخذه شهادة الليسانس ، وها هو الآن يصبح مؤلفاً يتحف مواطنيه ورجال القانون بكتاب موضوعه من اهم المواضيع واشدّنا اليها حاجة: القضايا المستعجلة . ان المرسوم الاشتراعي رقم ٦ الصادر في ٣ شباط سنة ١٩٣٠ قد ادخل في شرعنا اصولاً جديدة باعطائه رؤساء المحاكم البدائية صلاحية لتنظر بصورة سريعة غير خاضعة لطرق المحاكمة الاعتيادية في سائر الاختلافات التي ينجم عن التأخير في فصلها ضررٌ فاحش على احد الخصمين ام عليهما جميعاً. فاحوال كهذه مرتكزة على قواعد شتّى ونظريات عديدة مستوردة كلها من الخارج يصعب على جميع الاشخاص المفوّض اليهم تطبيقها والعمل بها من قضاة ومحامين واصحاب مصالح عموماً — ان يستوعبوها نصاً وروحاً بسهولة تامة. فجاء مؤلّف صديقنا الاستاذ باز بوقته وافياً بالمرام. فهو يفصل بصورة دقيقة وواضحة القواعد الواجب اتباعها في القضايا المستعجلة التي ذكرناها . فهذا مؤلف لا يرى بدّاً من اقتنائه ومطالعته كل رجل من رجال القانون . ولا اظن الّا ان كل واحد منهم يرى في هذه المطالعة فائدة محسوسة . فالاستاذ جان باز قد اخذ

على طاقته، على ما يظهر، ان يقتفي خطة عمه المرحوم سليم باز الذي عمّت مؤلفاته الحقوقية بلاد الناطقين بالضاد فكان ولم يزل لها الفائدة الكبرى في عالم القضاء والمحاماة . فاذا عمد استاذنا الجديد الى اقتفاء اثر عمه وحبس نفسه لخدمة القانون فيمكن لنا ان نبشر لهذا الشاب المجتهد بمستقبل لامع.

اميل تيان

الاستاذ في معهد الحقوق الافرنسي ببيروت

الرحلة الدانتية في الممالك الهوائية : ٢ً المطهر

تعريب لاديفينا كوميديا بقلم عبود ابي راشد

٢٩٢ + ٥٠ صفحة متوسطة – طرابلس الغرب ١٩٣١

تقدّم لنا في المشرق (٢٨ [١٩٣٠] ٧١٦) وصف الجزء الاول من هذه الترجمة العربية لذاك الاثر الايطالي الخالد . وقد تابع المعرّب الفاضل اهتمامه بدقة التعريب ، وتعليق الحواشي والشروح الضرورية . فاهدى الينا الجزء الثاني في « المطهر » . على ان ينشر قريباً الجزء الثالث في « النعيم » . فنشكر لحضرة المعرّب جهده واهتمامه ، مكرّرين ما تمنيناه سابقاً من يُفرد ، بعد ان ينتهي من تعريب الملحمة بكاملها ، درساً وافياً لشخصية دانتي الادبية.

هذا وقد اضاف الى الجزء الحاضر عدداً من رسائل عظماء ايطالية ، وطائفة من اقوال الصحف الايطالية والعربية ، وردته بمناسبة نشره الجزء الاول.

ف . ا . ب.

تاج الدين فيما يجب على الملوك

تأليف ابي عبد الله محمد بن عبد الكريم بن محمد المنيلي

٢٣ صفحة متوسطة – المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ١٩٣٢

عاش المنيلي التلمساني في القرن التاسع للهجرة (القرن الخامس عشر) ، اولاً في بلاد مراكش ثم في بلاد السودان ، وكان فقيهاً مجتهداً حتى عُدّ من

اكابر علماء بلاده في ذاك العصر . وتجاوزت شهرته المغرب ، فكان بينه وبين بعض العلماء مراسلات ومناظرات ، منهم الامام السيوطي ، المقيم في مصر اذ ذاك . ومن تآليف المغيلي رسالة صغيرة فيما يجب على الملوك سماها « تاج الدين » وقف عليها حضرة محمد زيان بن محمد المأمون وزير كشنه فدقق فيها وطبعها في المطبعة الكاثوليكية . وهي على ثمانية ابواب : فيما يجب على الامير من حسن النية ، وحسن الهيئة ، وترتيب المملكة ، والحذر بالحضر والسفر ، والكشف على الامور ، والعدل في الاحكام ، وجباية الاموال من وجوه الحلال ، ومصارف اموال الله.

ف. ا. ب.

فذلكة تاريخية للكرسي الانطاكي الارثوذكسي

من سنة ١٦٧٢ــ١٨٥٠

جمعها شكري خليل سويدان

٥٢ صفحة متوسطة – المطبعة السورية الاميركية ، نيويرك ، ١٩٣١

هي معلومات تاريخية مجموعة من وثائق مختلفة المصادر ، اتت جزيلة الفائدة ، على ايجازها ، لأن العصر الذي تدلّ عليه كان عصر تكوين الروم الكاثوليك في طائفة مستقلة . هذا ولا يخفى ان جميع الحوادث المذكورة معروضة من وجهة الطائفة الارثوذكسية.

ه. ل.

التحفة لسنة ١٩٣٢

١٢٨ صفحة صغيرة ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ١٩٣٢ – ثمنها : ١٥ غ. س.

هي المجموعة التي تصدرها « رسالة قلب يسوع » ، محتوية على مختلف الصور ، والفكاهات ، والروايات ، والاشعار ، والالعاب العلمية ، والالغاز ، تفكهةً وفائدةً للمطالعين.

اهم حوادث الشرق في شهر

١٥ شباط — ١٥ آذار ١٩٣٢

لبنان وسورية — اصدر المفوض السامي قراراً يعيّن فيه موعداً للانتخابات التكميلية في دمشق ، ودوما ، وحماه ، ومنطقة حلب البدوية ، وفي عشائر شمر زور. وذلك في ٣٠ آذار للدرجة الاولى ، وفي ٦ نيسان للدرجة الثانية.

* مُدد الاتفاق الجمركي مع شرقي الاردن ومصر الى سنة تنتهي في ٢٠ آذار ١٩٣٣.

* وصل الى بيروت في اول آذار ملك اسبانية السابق الفونسو الثالث عشر ثم سار توًا الى بعلبك فالى دمشق . ومن هناك سافر الى فلسطين فمصر وقبرس ... وكان حيث مرّ يتحقّق مجالي العواطف الخالصة.

مصر — احتفل في ٥ آذار بالذكرى العاشرة لاعلان استقلال مصر.

* فُصل الدكتور طه حسين عميد كلية الآداب عن مركزه وأُلحق بوزارة المعارف . فاحدث ذلك اضطراباً بين التلاميذ والاساتذة ادّى الى استقالة مدير الجامعة المصرية واضراب الطلّاب . وقد قرر وقف التدريس في كليات الجامعة الاربع حتى ٢٠ آذار.

* وقعت معاهدة صداقة بين مصر واوروغواي.

* اكتشف الاستاذ سليم حسن هرماً رابعاً على مسافة ٢٧٠٠ متر غربي ابي الهول.

قبرس — قررت حكومة الجزيرة ان تمنع بتاتاً من النزول اليها كل شخص لا يكون معه مبلغ ٢٠ ليرة انكليزية ما عدا الذين اصلهم من الجزيرة ومن يحملون ترخيصاً خاصاً من الحاكم.

الحجاز — اشتدت الضيقة المالية حتى ان ابن سعود اضطر الى قبول شروط كان قد رفضها من قبل ، وينتظر ان يتم عقد قرض بريطاني بمبلغ نصف مليون جنيه.

المشرق

السنة الثلاثون — ايار ١٩٣٢

الرهبانية والعلم

بمناسبة التذكار المئوي الثاني لتثبيت القانون الرهباني

١٧٣٢ - ١٩٣٢

بقلم الاب بطرس ساره الراهب اللبناني ، رئيس دير كفيفان

مقدمة

مقالة

وسبع وثلاثون سنة مرّت على نشأة الرهبانية اللبنانية ، فحان لها ان تقف وقفة من قطع شوطاً بعيداً من الحياة ورأى من كوارث الايام وصروف الحدثان ما يرجع به الى نفسه ويفتح امام عينيه تاريخ تلك الحقبة التي جازها ولا اشهى على قلب الرهبانية ، بمناسبة التذكار المئوي الثاني لتثبيت قوانينها من ان تقف وقفة المتأمل لدى كل مرحلة من مراحلها مدة القرنين والنصف تقريباً ، وتنظر بعين الروية الى ما اتته

من اعمال مفيدة في جنب الكنيسة والبلاد ، وما عرض لها من حوادث الدهر ، فتستفيد لذّةً وعبرةً ، وتنشط الى السير في طريق التقدم والنجاح متأثرة خطى افرادها الاماثل الناشرين لواء العلم والعمل والحافل تاريخهم بجلائل الاعمال واطيب الآثار.

ومن اهم تلك المراحل التي قطعتها الرهبانية مرحلة العلم والتعليم . فانها وان كانت غايتها الاولية النسك والتقشف ، كما ارادها عمدة مؤسسيها المثلث الرحمات المطران عبدالله قراعلي ، فهي مع ذلك لم تكن لتهمل العلم وما يرجع اليه من اعمال الرسالة وغيرها من الاعمال الجليلة . على ان مقالنا هذا لا يفسح لنا المجال للاستفاضة في هذا الموضوع الهام لنأتيه من ابوابه ونحيط باطرافه ، فنقتصر على ما اتته الرهبانية من الوجهة العلمية من الخدم في جنب الدين والوطن بفتحها المدارس المجانية ، مستطردين الى ذكر من اشتهر من ابنائها في العلم والتأليف ، ووضع الكتب وترجمتها ، ونسخ المخطوطات القيّمة ، وانشاء المكاتب والمطابع ، الى غير ذلك مما له علاقة بالموضوع.

المدارس الابتدائية

كل يعلم ما شأن المدرسة الابتدائية وما اهميتها ، اذ هي في البناية العلمية حجر الزاوية والاساس الذي اذا كان متيناً قامت عليه البناية ثابتة غير متزعزعة، ففي تلك المدارس يتشرّب التلميذ المبادي الدينية الشريفة وينفتح قلبه الى تلقّن العلوم الاساسية متمشياً على سنن الآداب والتقوى الصحيحة ، فترسخ في ذهنه تلك المبادئ وتكون له عدّة قوية في تنشئته واستدراجه مدارج العلم والترقي في مستقبل الايام . وما اصدق المثل القائل : « العلم في الصغر كالنقش في الحجر » . فهو مصداق لاهمية هذه المدارس وضرورتها . ولذلك رأى مؤسسو الرهبانية ، وهي بعد في مهدها ، الّا يهملوا هذا الواجب المقدس رغم قلة عددهم وفقرهم وتحصنهم في العزلة والتنسك ، فوجهوا الى تلك الغاية النبيلة جميع ما لديهم من الوسائل ، وما عرفوا به من عالي الهمة وشديد الغيرة . ولا غرو ان يكونوا مقتدين بذلك العلامة الشهير الذي اثبت قانونهم للمرة الاولى ،

اي المثلث الرحمات البطريرك اسطفانوس الدويهي . فان هـذا البطريرك العظيم بعد ان اتمّ دروسه في عاصمة الكثلكة ، وعرض عليه اشرف مركز في مدرسة انتشار الايمان ، ابى الّا ان يرجع الى لبنان ، وطنه العزيز ، وان يتخصص لتعليم الاحداث في مسقط رأسه اهدن[1] . على مثاله نسج المؤسسون ولا سيما وقد رأوا ان البلاد كانت في مسيس الحاجة الى تلك المدارس . ومن طالع تاريخ تلك الايام وقف على هذه الحقيقة ، وأقرّ بفضل الرهبانية ونبل غاية مؤسسيها وابنائها الغُيُر على مجد الله تعالى وخير القريب.

واليك صفحة تاريخية تبين لك ما كانت عليه حالة البلاد من كساد العلم في تلك الايام . اننا لا نكاد نرى مدة القرنين السابع عشر والثامن عشر حتى وبعض القرن التاسع عشر ، أثرًا للتعليم والمطالعة في غير دور الامراء والحكام وبيوت الاعيان والمراكز الاكليريكية ؛ والسواد الاعظم من الشعب كان يجهل القراءة والكتابة. وما كنت ترى في القرية ، مهما كثر عدد سكانها ، سوى اثنين او ثلاثة عارفين القراءة . واكثر قراءتهم بالاحرف السريانية التي كانت اكثر اتقانًا وشيوعًا لانها اللغة الطقسية المتداولة . وكانت علامة العالم عندهم انه ينقل بزناره على الجانب الايسر تحت الابط دواة من نحاس ، ليراه الناس ويعرفوا انه « قاري كاتب.»

هذه كانت حالة البلاد من الجهل والافتقار الى مدارس ابتدائية يتمكن فيها الطالب من اتقان القراءة والمراسلات الضرورية وبعض القواعد الحسابية ممّا يستعين به على التصرّف بين الناس ومعاطاة الاشغال التي لا يمكن الاستغناء عنها . فسدًّا لتلك الثلمة وقيامًا بهذا الواجب ، شرع آباء الرهبانية بانشاء المدارس فما شادوا ديرًا الّا همّوا بانشاء مدرسة بالقرب منه لتعليم الاحداث واجبات الديانة الكاثوليكية والقراءة والكتابة باللغتين العربية والسريانية ومبادي علم الحساب . بهذا كانت منحصرة موادّ التدريس وبها كفاية الطالب لقيام معاشه وتقرير حالته في وسط لم يكن يستلزم اكثر من ذلك.

---

١) راجع ترجمة الدويهي : ص ٢١ و ٢٢ و ٢٣ و ٢٤

اما نظام المدرسة فكان واحداً ، مشابهاً بوجه التقريب لبعض مدارسنا الابتدائية الحالية : يأتي الاولاد صباحاً الى كنيسة الدير لسماع القداس ثم يتوجهون مع معلمهم الراهب الى مكان معين يجتمعون فيه ، وفي الضحى يرجعون الى الدير لحضور صلاة المساء . ثم ينصرفون الى بيوتهم بعد ان يزوّدهم معلمهم نصائح غايتها حسن سلوكهم البيتي . يتفيئون في الصيف ظلّ شجرة تكون لهم بمثابة درس ومدرسة . ومن هنا دعيت المدرسة الابتدائية عندنا « بمدرسة السنديانة » . وفي الشتاء يأوون بيتاً معيّناً هو المدرسة ولم يكن من صفوف في التدريس كما هي الحالة اليوم . فان الولد كان يدرس مستقلاً عن سواه من ارفاقه بورقة او بكتاب (لوحده) وقد يتفق ان يدرس اثنان او ثلاثة في كتاب واحد . واول ما يُبدأ به درس مبادئ اللغة السريانية ومتى تمكن الطالب من قراءة الشحيمة يتدرّج الى مبادئ اللغة العربية ، ثم الخط العربي ، والسرياني اذا شاء . ومتى انتهى من قراءة المزامير او من قراءة كتاب يشاكله كالانجيل وغيره ، يُعطى بعض اوراق خطّ مثل مكاتيب وغيرها يتمرّن بها على قراءة الخطوط . ثم يدرس مبادئ علم الحساب وعندئذٍ يصبح كل درسه محصوراً بقراءة الخط والحساب ، ومتى اتمّ ذلك اعتُبر انه انهى دروسه فيخرج من المدرسة ، وقد بلغ اشدّه ، لمزاولة بعض الاعمال او الحرف بحسب حالته ومقامه لاجل تحصيل معاشه .

على هذا النمط كانت تسير المدارس الابتدائية (وعهدنا بها غير بعيد . وما زالت عليه بعضها حتى اليوم في بعض القرى) واذ رأى آباء الرهبانية ان في نظام المدرسة كما شرحنا مشقّة على الاولاد واساتذهم ، في مجيئهم الى الدير وذهابهم منه ، ولا سيما في ايام الشتاء ، قرروا ان تنشأ المدارس في القرى على هيئة الاديار هندسة وشكلاً مقدّمين نفقة البناء من مال الرهبانية . وجعلوا في كل مدرسة كاهنين او ثلاثة بحسب الحاجة يعلم احدهم الاحداث ويكون الثاني مساعداً له ويتعاطى في الوقت نفسه اعمال الرسالة ، ويكون الثالث بمثابة رئيس يهتمّ بشؤون المدرسة وادارتها . وقد سعوا في ان تقام في جنب كل مدرسة كنيسة لاقامة الفروض والصلوات البيعية والخدم الكهنوتية . ووضعوا

هذه المدارس تحت تدبير الرئيس العام مباشرةً .

وما مرّ على نشأة الرهبانية ردح من الزمن حتى انتشرت مدارسها في اكثر انحاء البلاد وما كان عددها بالقليل نسبة الى حالة الرهبانية ومقدرتها وعدد افرادها . ومما يدلنا على غيرة ورغبة المؤسسين ومن خلفهم في انشاء تلك المدارس ، انهم جعلوها لازمة ، كما قلنا ، لكل دير او محل وُهِبوه او انشأوه : وهَبهم البطريرك اسطفان الدويهي دير مورت مورا مهد الرهبانية فاسسوا فيه مدرسة لتعليم الاحداث ؛ تملكوا دير القديس اليشاع النبي في الوادي المقدس ففتحوا فيه مدرسة لاحداث قرية بشري وجوارها ؛ تسلموا دير مار يوحنا رشميا فاقاموا فيه مدرسة ما زالت حتى اليوم ؛ وُقف عليهم دير سيدة اللويزة فبنوا مدرسة بقرب قرية ذوق مصبح لتعليم اولاد هذه القرية ؛ وُهب لهم دير مار انطونيوس قزحيا ، واذ كان هذا الدير بعيداً عن القرى وطرقه صعبة وعرة ، ففتحت الرهبانية مدرسة لاولاد قرية العربه وجوارها كسرعل ، ومدرسة اخرى بين قريتي بان وكفرصقاب ؛ اعطيت دير مار بطرس كريم التين فانشأت فيه مدرسة للقرى المجاورة ؛ تملكت دير سيدة طاميش فخصصت كاهناً لاولاد المطيلب وبيت الشمار وديك المحدي ومزرعة يشوع وغيرها . ومثل ذلك في دير مار الياس شويا ، وسيدة مشموشه ، وقبرص .

وقد رأى آباء الرهبانية ان الحاجة تقضي بانشاء مدارس في المحال البعيدة عن الاديار ، فقرروا ذلك ، وفتحوا المدارس في عكا وصيدا وطرابلس وبيروت ، وبقيت مفتوحة ردحاً طويلاً من الزمن تجاوز اكثر من نصف قرن . ولما اقفلت هذه المدارس لسوء معاملة الحكومة التركية ، انشأ الرؤساء غيرها في القرى الآتية : وادي جزين ، وادي شحرور ، البادية ، الشبانية ، راس المتن ، عين الزيتونة ، المتين ، بكفيا ، بحرصاف ، الفريكه ، بسكنتا ، زحله ، عجلتون ، غباله ، ميفوق ، حوب ، تنورين ، كفيفان ، معاد ، بصه ، جبيل ، قرطبا ، بصرما ، عشاش ، بان ، عندقت (عكار) . ومن هنا نعلم ان انتشار مدارس الرهبانية قد عمّ انحاء البلاد . ولم يكن من عارف للقراءة والكتابة من ابناء القرى التي ذكرناها الّا كان متخرجاً في تلك المدارس .

ومما يدلنا على الاهتمام الجدي بهذه المدارس ان المؤسسين انفسهم كانوا يتولون بذاتهم ادارتها والتعليم فيها . وهذا عمدتهم الاب عبدالله قراعلي تكلف تعليم الاولاد صيف شتاء في مدرسة مورت مورا احدن وفي مار يوسف زغرتا. وهذا الاب جبرايل فرحات الشهير قد تخصص ، وان بعد انفصاله عن رفقته ، لتعليم الاحداث في مدرسة مار يوسف زغرتا. وقد روى لنا تاريخ الرهبانية[1] ان النائب العام الاب جرجس قشوع كتب الى الاب العام مخايل اسكندر الاهدني ، يوم كان في رومية ، يطلب منه ان يرسل اليه كراريس سريانية مطبوعة للاولاد الدارسين في مدارس الرهبانية وهم عدد كثير. ولما خابر المسيو بون ، قنصل طرابلس الفرنساوي ، الاب العام توما اللبودي في شأن افتتاح مدارس ثلاث في عكا وطرابلس وغيرها لقاء مبلغ من الدراهم يقدمه المركيز دي سانتنيان (St Aignan) سفير فرنسة في رومية[2] ، رضي الرئيس العام بهذا الاقتراح وخابر في شأنه السيد النعماني مشترطاً ان تكون الرهبنة مطلقة الادارة في هذا العمل تضع المدارس المنوي انشاؤها حيث تشاء ، وان يكون مرتب ادارة المدرسة لا اقل من ستمائة قرش سنوياً . وقد اصاب الرئيس كل الاصابة بوضعه هذين الشرطين لانهما يضمنان قيام المدرسة وثباتها . ولو تمشت الرهبانية في افتتاح مدارسها فيما بعد على رأي ذلك الرئيس الصائب ، لما كانت اضطرت الى قفل بعضها ، ولما وقعت في مشاكل وعراقيل نشأت عن عدم استدراك مثل تلك الشروط ، وكلفتها بذل الاملاك والاموال !

على انها ، رغم الضائقة المالية ورغم قصر يدها وقلة الاشخاص لديها ، ما زالت جارية على خطة مؤسسيها الاماثل ، باذلة جلّ مجهودها في فتح مدارسها الابتدائية في اكثر انحاء الجبل . وقد تسلّم بعض ابنائها في هذه السنة ادارة المدرسة الخيرية في مدينة بيروت فقاموا بها احسن قيام ونالوا ثناء سيادة راعي الابرشية والاهلين ، واقبل الطلاب عليهم افواجاً.

ولما وضعت الحرب اوزارها ، حوّلت الرهبانية ديرين من اهم اديارها ،

١) تاريخ الرهبانية للاب لويس بليبل: المجلد الاول ، صفحة ١٥٩ عدد ٣٣.
٢) راجع تاريخ الرهبانية ، المجلد الاول عدد ٣٣ ص ٣٣٠.

هما دير سيدة مشموشة ودير سيدة ميفوق ، الى مدرستين ثانويتين تضمان عدداً غير قليل من التلاميذ لدرس اللغتين العربية والافرنسية بفروعهما . ومثلهما مدرستا رشميا وسيدة القلعة . يتخرج الطالب منها ومعه عدة كافية لضمانة مستقبله وتعلمه فناً او صناعة يكسب بها معاشه ومعاش عيلته ويستغني عن وظائف كثُر طلابها وباتت البلاد تئن من باهظ رواتبها . فكانت تلك المدارس بتجهيزها الطالب عدته اللازمة والكافية أنسب لحاجة البلاد وافيد للحياة الاقتصادية التي نحن في اشد الحاجة اليها . على انه قد تقدم بعض طلاب مدرستي ميفوق ومشموشة الى الامتحان بين مئات التلاميذ المتقدمين لنيل شهادة الدروس الابتدائية في الحكومة اللبنانية فكانوا من الفائزين على سواهم . وهم ، ان دخلوا احدى المدارس الكبرى ، برزوا في ميادين الجهاد والنجاح .

والتاريخ اصدق دليل على ان مدارسنا تلك الابتدائية ، وان صغرت في عين الناظر بالنسبة الى غيرها ، فهي مع ذلك تجيء بالفوائد والخدم الجليلة في جنب الدين والدنيا . وحسبنا ان نذكر بعض من تخرجوا فيها وكانوا من المتوجهين البارزين بين قومهم في ذلك العصر واستحقوا ان يشغلوا المقامات العالية في السلطتين الدينية والمدنية : فكان منهم بطاركة مثل البطريرك يوسف الخازن ؛ . . ومطارنة كالمطران اسطفان الخازن الاول والثاني ، والمطران يوسف الدبس الذي كان يقرّ بفضل الاخ مارون البعبداتي عليه لانه اول من سعى في ادخاله المدرسة ، والمطران فيلبوس الجميل ، والمطران اغناطيوس مبارك وغيرهم . ومنهم رؤساء عامون كالاباء عمانويل الرشماوي ، واغناطيوس بليل ، وعمانويل الجميل ، وافرام جعجع ، ويوسف السرعلي ، ومبارك المتيني ، وغيرهم . . . ومدبّرون ووجهاء واعيان ادّوا لبلادهم خير الخدم .

رجال العلم

ولو جئنا نعدد كل من ألّف الكتب من ابناء الرهبانية ونسخ المخطوطات وترجم من لغة الى لغة ودبّج المقالات المفيدة وانشأ المكاتب لضاق صدر هذه العجالة ، فحسبنا ان نذكر من امتازوا بتآليفهم ، ومن تخصصوا لخدمة العلم

والادب . فهذا ناشر لواء لغة الضاد وباعث نهضتها بين ابناء امته وغيرهم من المسيحيين ، البلبل الصداح بخطبه وقصائده الرنانة ، الضابط قواعد العربية ونحوها ببحثه الشهير وواضع احد معاجمها ، المثلث الرحمات المطران جرمانوس فرحات[1] ، من لا يزال ذكره حيًا وتآليفه الكثيرة القيمة خالدة ، وديوانه الذي كان يتغنى به في ذلك الوادي المقدس اشهر من ان يعرَّف . وما زالت اقطارنا اللبنانية والسورية على اختلاف نحلها تفاخر بآثره وتذيع آثاره . وستقيم له الشهباء مسقط رأسه ، في شهر تموز المقبل حفلةً باهرة يُزاح في خلالها الستار عن التمثال المنوي اقامته في باحة الكنيسة المارونية تذكارًا لمئتي سنة مرّت على وفاته (تموز ١٧٣٢)[2] . وهذا زميله ورفيقه في رهبانيته الاب عبدالله قراعلي ومذكّراته التاريخية الثمينة . وشرحه القانون الرهباني وعنوانه « المصباح اللبناني في شرح القانون الرهباني » ومواعظه ومنها نسخة في دير الكريم ، وكتابه الشهير في الفقه الحنفي الواقع في ثلاثة مجلّدات محفوظة في المكتبة البطريركية في بكركي ، وقد نشر شيئاً عنها حضرة الفاضل الخوري يوسف زياده امين السر في البطريركية ؛ هذا عدا اقواله الشجية واناشيده البيعية . وهذا توما اللبودي تلميذ الاب عبدالله وواضع ترجمته[3] ، ومنشئ الرسائل العديدة المفيدة الدالة على فكر ثاقب ونظر بعيد ودقة فريدة ، وهي مع بساطتها تشتمل على فوائد تاريخية جمّة . والاب اروتين الحلبي معرب شرح التعليم المسيحي المعروف (بالكاتيكيسمو رومانو) . والاب يواصاف الدبسي البسكنتاوي ومخطوطاته العديدة ، منها تعريب فلسفة ارسطو والخلاصة اللاهوتية ومؤلف كامل في الفلسفة بجميع فروعها وفي اللاهوت الادبي والنظري ما خلا ما ألّفه في الشؤون الطقسية والحق القانوني ، وكان لاهوتياً ضليعاً وعالماً بذكائه واجتهاده . وهاك ما كتب عنه في سجلات دير مار ساسين بسكنتا :

« قد انتقل الى رحمة الله الخالدة المثلث الرحمات قدس السيد المعظم

---

١) راجع المشرق (٧ [١٩٠٤] ٤٩ . . .)

٢) اطلب عدد كانون الثاني من « مشرق » هذه السنة ص ٤٩ .

٣) راجع المشرق (١٠ [١٩٠٧] ٦٢٥ . . .)

والملفان المفخم الراهب اللبناني الاكرم المطران يواصاف فريد مصره منشئ الراهبات المذكورات ومرتبهن على القانون اللبناني رزقنا الله بركته وكان انتقاله في ٢٦ حزيران سنة ١٧٦٩ » . ويواكيم بلاديوس وكتابه في واجبات الرؤساء الذي لا يقل قيمة عن دستور الرؤساء للاب ثالوي اليسوعي الذي نقله الى العربية الطيب الذكر الاب مبارك سلامه المتيني[1] . وغير هؤلاء من الآباء المتقدمين . امّا المتأخرون فانهم لا يقلون رغبة عمّن تقدمهم في التأليف والتحبير وانشاء المقالات المفيدة ووضع التراجم وترجمة الكتب وطبعها، الى غير ذلك مما له علاقة بالموضوع ولا يتسع المجال لذكره فبالاشارة كفاية.

المكتبة

ولم يكتفِ اولئك العلماء بالاشتغال بالعلم بل تقيدوا بما وضعوه في فرائضهم القانونية من انشاء مكتبة الرهبانية وتنظيمها والمحافظة عليها وجمع الكتب والآثار الخطية اليها. فزار بعضهم عدداً من بلاد اوربة وافريقية كالأندلس والقطر المصري وغيره من الديار الشرقية وجمعوا كتباً خطية ثمينة نادرة ثم عهدوا الى رهبانٍ من ذوي الخطوط الجميلة في اللغتين العربية والسريانية بنسخ المخطوطات من خزائن الاديار والبيوتات واضافتها الى هذه المكتبة . ومن ذهب الى دير سيدة اللويزه ورأى تلك الخزائن التي كانت مملوءة من الكتب عرف ما كان لهذه المكتبة من الاهمية والفائدة حتى ذهب لها صيت في آفاقنا السورية - وهي ، وان اخنى عليها الدهر فذهب بكل كتاب نفيس منها عزّ وجوده ، فهي مع ذلك ما زالت مرجعاً وينبوعاً فياضاً يرده كل من شاء ان يعرف او ان يكتب شيئاً عن حوادث الرهبانية بفرعيها حلبية ولبنانية من تاريخ نشأتها الى زمن القسمة سنة ١٧٦٨ . وما زالت مكتبة دير رومية العامرة تصدع بفضل اولئك العلماء وآثارهم الطيبة.

المطبعة

ومن الخدم التي قامت بها الرهبانية في جنب العلم انشاؤها مطبعتين الواحدة

١) راجع المشرق (٢٠ [١٩٢٢] ٨٥٢)

في دير سيدة طاميش ، والاخرى في دير مار انطونيوس قزحيا . وقد طبعت فيهما عدة كتب باللغتين العربية والسريانية . ونحن نأسف لان ظروفاً قاهرة اضطرت الرهبانية الى بيع الاولى وتوقيف الثانية عن العمل . على انها عادت ففكرت مؤخراً في احياء فن الطباعة بين ابنائها . وخصّصت بعض الاخوة المستعدين لهذا الفنّ ، وجلبت مطبعةً لهم لم يمكنها ضيق ذات اليد من جلب اكبر منها ، وضمتها في مركز الرئاسة العامة لاجل القيام بما تحتاج اليه الرئاسة من طبع الرسائل والمراسيم وغيرها . وقد اصدرت عدداً غير قليل من الكتب العلمية والروحية . وفضل الرهبان في ما خطّوه من الكتب العلمية والطقسية ظاهر لكل ذي بصيرة . وقد وقفت بنفسي على عدة مخطوطات في مكتبة دير كفيفان من يد المرحوم الاب نعمةالله الكفري مؤلف القراماطيق السرياني المعروف .

* * *

ولم تكن الرهبانية لتهمل العناية في ترقية ابنائها بالعلم الصحيح الى المستوى الذي يتطلبه هذا العصر . فانها على رغم ما تتكبده من النفقات الباهظة في جنب الاخوة الرهبان الدارسين ، ورغم ما تراه من الصدود والعقوق من بعضهم ممّن يكونون قد اتموا دروسهم او كادوا ويلغوا اشدهم في التحصيل واستفادوا من الرهبانية دون ان يفيدوها بشيء ، فيقلبون راجعين الى العالم غير مشفقين على اوجاع امّ احتضنتهم وعلمتهم كاعز الابناء ! . فانها على رغم كل هذا لم تدخر وسعاً في تهذيب ابنائها مضحية كل غال ورخيص في هذا السبيل . فكانت ترسل من امتاز منهم الى مدرسة البروبغندا في رومية ليتخرجوا في العلوم اللاهوتية والفلسفية ، او تضمهم في الكليات الكبرى باذلة في جنبهم كل عناية واهتمام فهذه مدرستها في بيروت المنشأة من نحو اربعين سنة بفضل الطيب الاثر الاب مبارك سلامه المتيني[1] ، اول من نال شهادتي الملفنة في الفلسفة واللاهوت في المدرسة الاكليريكية الشرقية في كلية

١) راجع المشرق : المحلّ المذكور

القديس يوسف . وقد ترأس على الرهبانية فنفخ في ابنائها روح النهضة العلمية ، وكان من المتفانين غيرة على مصالحهـا وتعزيز قوانينها ، ففتح تلك المدرسة ليتخرج فيها الرهبـان على حضرة الآباء اليسوعيين الافاضل من تشكر لهم الرهبانية كل الشكر عنايتهم وتفانيهم في جنب ابنائها وتقر بفضلهم وجميلهم مدى الحياة . فان الآباء المتخرجين على اولئك الاساتذة الاعلام هم عدد غير قليل تعتمدهم الرهبانية في اهم شؤونها وإحكام ادارتها.

ومن المفوقين بينهم قدس العلامة المفضال الاب مرتينوس طربيه ، الرئيس العام الحالي ، الحائز على شهادتي الاستاذية في الفلسفة واللاهوت بثناء اساتذته وفاحصيه . وهو الآن باذل جد العناية في تعزيز جانب العلم وتحريض الاخوة الدارسين على التحصيل رغم مـا يصادفون من المصاعب ، غير مدّخر وسعاً في بـذل النفقات على اكثر من مئة راهب دارس في مدرستي بيروت ودير سيدة المعونات ، مركز الرئاسة ، حيث تتقن الدروس العربية والسريانية مع الفلسفة واللاهوت باللغة العربية وتقام الطقوس البيعية باجلى مظاهرها.

هذا بعض ما اتته وتأتيه الرهبانيـة في جنب العلم ، ولم تزل ، بما في صدر ابنائها من غيرة على اقتباس العلوم ورغبة شديـدة في التعليم والتبشير ، مجدّة بان تكون في المستوى الذي يتطلبه هـذا العصر ، اذ تعزز مدارسها وتهذب ناشئتها بالفضيلة الحقة والعلم الصحيح ، فتهيئ لهـا عدة قوية كافية لكي تقف في صفّ الجنود البـلاء المجاهدين في الدفاع عن الحقّ لاجـل خير الكنيسة والوطن.

الصحة في البلاد

ذكرى الامس وعِبْرة اليوم

بقلم الحكيم الشيخ امين الجميّل

قد اخذَت مجلة المشرق الجليلة بوضع سلسلة مباحث من هذا النوع وشرَّفتنا بالحلقة الصحية منها. فتردَّدنا خيفة التكرار في موضوع طالما طرقناه، ثم أطمنا املًا ان بالإعادة إفادة كما بالجديد بهجة وفكاهة.

كُتب للبشريَّة ان تبقى بدًا عرضةً للشدائد، وقُدِّر للانسان ان تُحيط به العِلَل من كل نوع ومن كل صَوب؛ فحُتِّمَ على الجميع ان يُقيموا على الدفاع او الهرَب مستمرّين على الجهاد والسهَر. والعاقل من الافراد والحكومات مَن عمل على نَيل معظم الخير واتّقاء ما امكنه من الويل.

منذ الخليقة ظلَّ مَلِكُ الطبيعة عبدًا لاصغر المخلوقات، فريسة لوثباته، الى ان سطع في الاجيال الحديثة كوكبا جنّر وپاستور.

كان، الى امس، اذا حلَّ الجدري او الطاعون او الهواء الاصفر بأرض فتك الموتُ، واضطُرُّوا الى فصل اقليم بتمامه بحواجز صحيَّة[1]. فكانت افعل على خنق التجارة وقطع الصلات منها على إيقاف الاوباء.

واما اليوم ففي العلم والعمَل انقلاب ليس له مثيل. نفضح العدو في مخبئه ونخنقه في مَهده. نعزل المريضَ لا الاقليم، نعرف الجرثوم باسمه ومقرّه فنسلّط

---

١) كان الحجر يطول الى «اربعين» يومًا، ومنه لفظة «كورنتينا» ويُطلَق على كل مَن وما اشتُبه به.

عليه النار او الادوية القاتلة ونحتاط بالنظافة والتطعيم فنأمن ونطمئن ونسلّم. اذ رأينا ان من الحشرات والطفيليات ما ينقل ويلقح شرّ الاوباء، وبإهلاكها او تداركها هلكت الاوبئة الخاصة بها كالبراغيث (والجرذان) للطاعون، والقمل للتيفوس، والبرغش للبرداء.

ولكن في عزّ هذا الرقي العصريّ العجيب ابن البخار والكهرباء والطباعة والصحافة، ربما نتجت عن هذا التقدّم عينه محاذيرُ عديدةٌ وآفاتٌ جديدة لا بدّ من البحث في امرها لدرء مخاطرها.

جهد القوى

إن سرعة الاتصالات واشتداد تنازع البقاء، لازدياد المطامع وتكاثر النوافل مما لا نلبث ان نجعله من اللوازم، كلُّ ذلك اردى بالمجتمع الى عناء متواصل وهمٍّ متلاحق وهذه حالة، اذا كانت النفس او الجسم عليها، هبطت بقواهما حتى السقام.

قبل خمسين سنةً لم يُذكر اسم ولا مسمّى الانحطاط العصبيّ المشهور بالـ *neurasthénie*، ولم يكن ما هو الآن من ازدياد عدد المجانين والمبتلين بالحالات العصبيّة والعقليّة المضنكة. ولا عجب فانه لم يكن هذا التزايد في الاشغال الجسديّة والانشغالات العقلية. والمجهودات والاضطرابات تزيد الحيوان عينه قبولًا للامراض؛ والجراثيم المرضيّة تصبح في مثل هذه الظروف أشيع وأفتك.

وهنا تظهر بكل بهائها فوائدُ القناعة والاعتدال، وشرُّ الانانية والطمع.

لا جدال في ان العمل ضروريٌّ للانسان نافعٌ لصحته، كما ان البطالة آفة لنفسه وجسمه. ولكن يجب ان يحدّ العمل والاستراحة، يوماً في الاسبوع وليلًا في اليوم، ونحو ثمان ساعات في النهار، مع وجوب تسهيله وتصحيحه. ويقتضي ان يتوافر في محيطه النورُ والنظافة وما تقرّ له العين واساليب تدارك الطوارئ والاسعاف. وليُبعد غيرُ الراشدين والضعفاء وذوي الامراض المُعدية. وإنا نعدُّ بينَ هؤلاء اولئك الفاسدي الاخلاق المتهجمين على الآداب والنظام، المبشرين

بالمبادئ الشيوعيَّة ذات النتائج الهائلة التي تأتي على ذكرها بُعيد هذه العبارة. الويلُ لجماعة العَمَلة واصحاب المعامل اذا لم يَسُدْ في جوّهم روحُ الاخاء الحقيقيّ وصدق العقيدة، ولم يكن في عقليّتهم الايمان والرجاء والمحبة بمثابة قواعد وانظمة. وللقديس بولس، وللاون الثالث عشر، نظريات وتعاليم هي الحكمة بتمامها.

روى صديقان فاضلان أتيا حديثاً من روسية البلشفيكية ان العُسر والضنك فيها على اشدّهما الى درجة انهما عندما يكتبان لاهل لهما هناك (لم يتمكّنوا من الهرب) يُضطرّان الى وضع ورَقة ومغلّف في رسائلهما ليتسنّى لذويهما الجواب! واخبَر قنصل جنرال احدى الدول كان من شهرين قنصلاً في لينينغراد، التي اشتهرت باسم العاصمة بتروغراد وبالاحرى بطرسبرج، انه كان يتّفق له ان يزوره بعض مَن كانوا مِن عليّة القوم ويطلبون منه فنجاناً من القهوة لم يذوقوها من سنتين او ثلاث. وحدّثني احد الرواة انه لم يبقَ هناك مظهرٌ للرفاهية. واليسار فالملابس رثّة والاطعمة قليلة تافهة عسيرة المنال.

ولا يسعنا في هذا المقام الا التنويه بعكس ما تقدّم من فوائد رُسل الألفة والسلام والرفق والحنان اي اعضاء الجمعيّات والجماعات الخيريّة الفاتحين للمستوصفات والمستشفيات القائمين بالمآوي والملاجئ المُذيعين لضروب الإحسان. ومما لا ريب في جزيل نفعه شركاتُ التعاضد والضمان (*assurances*) للطوارئ والامراض والبطالة والشيخوخة والموت عينه.

وليس أعمل لتحبيب العمَل وإجادته وتخفيف عنائه واتعابه من الطموح الى غايةٍ سامية تتشرّف بها المادّة والعمل الوضيع.

واذ نحن في هذا النحو أيجوز ان نصمت عن اللوائح المدرسيّة التي تطول وتتّسع يوماً يوماً حتى اصبحت كثيرة المادّة قليلة الفائدة، ثقيلة الزنة. يطالع الولد كثيرًا ويرسخ في ذهنه القليل، ذاكرتُه تحفظ وعقلُه لا يفقه، يحفظ اليومَ وينسى غدًا؛ يأتونه بالتوافه ولا يدقّقون في الاصليّات، اللوازم.

ان تعليماً كهذا لصبغةٌ زائلة ونفحةٌ عابرة؛ ونصف العلم مضرٌّ. التهذيب والتربية على الآداب والأخلاق والمبادئ قبل الفلكيّات واللوغريتمات!

وفيات الاطفال

انتهينا من أخطار النساء المأجورات التاركات رضيعهنّ لإرضاع الغريب ، فبرز خطرُ الإرضاع الصناعيّ «بالمصّاصة» كأن تقوم البقرة او العنزة في مقام الأمّ . ومن اين لهذا الحليب تركيب كتركيب حليب الامّ ، ومن اين له ان يتدرّج في الكثافة مع قوى الطفل الهاضمة كما هو الامر مع حليب الأمّ . ولهذه الطريقة شائبتان كبيرتان ايضاً : ان مثل هذا الحليب تحتلّه الجراثيم سريعاً ومن المكروبات ما سمّه اهوَل من سمّ الحيّة ، وبالاخص في اقاليمنا الحارّة . وان عُقِمَ بقوة الإغلاء او شدّة الحرارة فهو يخسر تلك العناصر الضروريّة النماء والحياة ؛ ولذلك لُقبت بالتيتامين . فضلًا ان بمثل هذا الإرضاع يُسلَّم غالباً شأن الطفل لخادمةٍ مأجورة . وحنان الامومة لا يُؤجَر ولا يُشترى ولا يُعطى ، فهو من وضع الله وحده .

مسكن المياه

إن للافراد في هذه الديار ولبعض البلديات نهضةً حديثةً حقيقة بكل تنشيط وبمزيد الاستحسان . عُنيَتْ استنباط المياه والاتيان بها غزيرة وافرة . ولكن بملّة ذلك أُنشئت الحياض و « الخزّانات » البيتية ، وتوافرت الازهار والحمامات المنزليّة ، وأُهمل المُستفاض . فكان عن ذلك سكونُ الماء واستنقاعه فتفاقم البعوض الى درجة شديدة الإزعاج كثيرة الاضرار حتى في اعلى الجبال . وكلّ مَن بلغ منا بعض العمر يذكر انه لم يكن شيء من ذلك في لبنان ، ولم تكن تُستعمَل فيه الناموسيّات الا للزينة في بيوت نادرة . وبالطبع انه لم يكن حمّى ضنك ولا برداء . واليوم نحن من ذلك في الضدّ . وفي سنةٍ سبقت بلغت اصابات ابي الركب عشرات الالوف حتى في القرى العاليـة . ولم يكن تُصب به قبلًا الا السواحل ، وفي الفصول الحارّة (فصل البعوض) .

يا للغرابة ان ترى الماء عنصر الحياة والخصب والجمال ، وهو اساس النظافة ركن الصحة ، أداة ازعاج ومرض وموت . ذلك اذا لم يكن وافرًا ونقيًا

وجارياً . قد نادينا بهذه المجلة غير مرة ان « مسألة الري قبل كل شيء » وهي كذلك . ولكن لها قواعد ، فان لم تتقيد بها جاءت النتيجة ويلاً ووبالاً . ونحن اليوم بأشد الضرورة الى الوقاية من دفس الينابيع واستبقاء المياه . ان الدموع الغزيرة التي أُريقت على الشبيبة التي ماتت في الخريف الماضي ، لتيفية سببتها جراثيم دخلت مع الاقذار الى الينابيع لقوم لم يحترموا حرم عيونهم ولم يحتاطوا بالتطعيم ، لم تنضب ولن تجف . ان البرغش سيدهمنا في كل صيف وخريف اذا لم نكافحه كما فعلت جميع الحكومات الحكيمة فتملصت من عذابه وضرره . فينبغي للجميع ان يعملوا بالخطة الصرية من تسييل المياه ووضع الاسماك وصب البترول ، حيث لم يبق خيول ولا تربية اغنام او دجاج منزلية يؤثرها البعوض ويفضل كهوفها ودمها على منازل الانسان النيرة ودمه .

البغاء

الفجور شر الشرور وهو يميت بالمعنى الديني كما بالمعنى الأخلاقي والصحي ، واكرر الصحي ، لانه اصل لعلل وادواء في جميع الاعضاء ، ومن كل الاشكال . وما خلا العذابات المبرحة فان بعض انواع الامراض الزهرية اكبر اسباب العقم وانقراض بعض الأسر . وبعضها يقتل سنوياً في بعض الممالك كل سنة ٤٠٠٠٠ من الناس .

لانحطاط الآداب وضعف التدين ، قد اهملوا العفاف او الزواج في عز الشباب وعكفوا على البغاء ومالوا الى رفقاء البغاء من سكر ومراهنات وتهتك وتفريط وغير ملاذ محذورة محظورة .

هذه هي الحالة . فان نحتفظ بما استفدناه من الماضي ، وان نحتط للمستقبل ، يكن العمر الطويل والهناء الجزيل والنمو المديد . وهل من لا يريد ذلك لقومه وبلاده ؟ وانت يا اخي ، وانت ايتها الحكومة ، ان تريدا فافعلا !

فتح العرب سورية

والجيش البيزنطي

بقلم الاب لامنس اليسوعي

مات نبي الاسلام في ٨ حزيران ٦٣٢ . فنشبت في بلاد العرب ثورة اهلية دامت سنة وعُرفت بحركة « الردّة » ارتدّ فيها كثير من العرب عن الدين الجديد . فقاومهم ابو بكر بشدّة وصرامة . وما كاد يخنق تلك الثورة ، في منتصف سنة ٦٣٣ ، حتى كان قد تألف عدد من شراذم البدو في المدينة وساروا في طريق فلسطين . ولم يكن بين زعمائهم من فكّر بان يستأذن ابا بكر او بأن يسأله رأيه في الامر . ولم يكن ابو بكر ليستمض او ليتأثر من رحيلهم على ذاك الشكل . بل بالعكس فانه رأى فيه مُتنفَّساً لذاك الضغط الفكري وحلًّا موافقاً اذ ذاك ، وقد هاجت الخواطر وحرج الموقف على اثر انتخاب الخليفة الاول ، وما وليه من انتقام دموي شديد لقمع حركة الردّة.

وما عسى ان تصادف تلك الشراذم في مسيرها نحو الحدود السورية ؟ ستصادف دون شكّ حاجزاً كان يظهر شامخاً متعالياً ، حاجز الامبراطورية البيزنطية . ولكن ما وراء هذا الحاجز ؟ لا شيء يستحقّ الذكر سوى تذكار او اسم مشهور قديم هو اسم رومة. فان بيزنطية التي كانت تدّعي بانها تكتمل الامبراطورية الرومانية ، كانت تحتفظ بالاسم القديم . وكان اسم « الروم » لا يزال يؤثر التأثير الشديد في ابناء القفر الساذجين . يبرهن عن ذلك ما نراه من مظاهر هذا التأثير في لغة العرب الحربية من مفردات عديدة « كالبرج »

«والقصر» ... مأخوذة عن لسان اللاتين . وما نراه في القرآن ايضاً من تلميح الى ذاك النفوذ . فان السورة الثلاثين منه تُسمى «سورة الروم» يُشير فيها النبي الى انتصار الفرس على البيزنطيين ، ويتابع : «وهم (الروم) من بعد غلبهم سيغلبون... ويومئذٍ يفرح المؤمنون» . ويعني بالمؤمنين جمهور المسلمين . ومن ذلك ما نتحققه ايضاً في غزوة تَبوك ، وهي الغزوة الوحيدة التي قاد بها محمد رجاله الى جهة الحدود السورية ، فانه ، وهو الكتوم لغاياته الحربية عادةً المتحفظ في ذكر مقاصد غاراته ، تكلّم هذه المرّة واخذ يعدّ رجاله ويهيّئهم قائلاً انه يقودهم نحو الروم . كل هذا يدلنا على ما كان للروم من تأثير في اذهان العرب اذ ذاك . ولكن لنعد الى ذكر الحاجز البيزنطي :

من حِنو الفرات المستدير نحو خليج اسكندرونه في الشمال الى قرب خليج العقبة في الجنوب ، كانت المعاقل والحصون تتتابع على سلسلة مارّة بمنطقة تدمر ، وبادية الشام ، وما وراء الاردنّ . وكل هذه المراكز كانت تقوم بحراسة آبار المياه ، وبالسهر على الطرق المؤدية الى سورية الشرقية . ولا تزال اطلالها الضخمة ، بعد مرور اربعة عشر قرناً ، تثير فينا عواطف الاعظام والاعجاب . اذ لا نعرف غير الصليبيين شعباً امكنه ان ينافس الروم في المصانع الحربية في سورية . ولكن من كان يقوم بحماية هذه المعاقل ؟

كانت الحروب المستديمة المتتابعة بين الفرس والبيزنطيين قد صرفت انتباه بيزنطية عن كل شيء سوى حدود فارس ، ولم تكن لتتصوّر خطراً من جهة العرب ، فرفعت عن الحدود السورية مَن كان يقوم بحراستها من رجال الحفر القليلين ، واستبدلت بهم فرقاً من البدو يقودها زعماء من عرب سورية جعلت لهم إمارة خاصة مركزها الشام ، وهي امارة الغسّانيين . على ان الاكتساحات الفارسيّة (٦٠٨–٦٢٨) قضت على هذه الامارة ، فساد الاضطراب مدّة ، حتى عقد الصلح بين الدولتين المدوّتين . عند ذاك تقدّمت الفرق البدوية مطالبةً باجورها قبل متابعة الخدمة العسكرية . فاجابها الخصيّ امين الصندوق بهذا الجواب المؤلم : «ان الامبراطور الالهي لا يجد مالاً عنده لعساكره ، بل يجد مالاً يطرحه للكلاب !» فكان ذاك الجواب من اقوى العوامل على اثارة الحفائظ ،

وعلى جعل عرب سورية يزدادون كرهاً للبيزنطيين واستعداداً لنصرة اعدائهم الفاتحين ، فيمينونهم باختباراتهم الحربية ومعارفهم الجغرافية والتخطيطية.

وليس من عجب بعد هذا في ان تكون الشراذم العربية التي سارت من المدينة قد مرّت دون صعوبة ولا مقاومة امام الابراج المنيعة ، المتابعة على الحدود ، وهي خالية من الحامية . ولا نستغرب ذلك اذا عرفنا ان السلطات البيزنطية في سورية لم تعر هذا الامر اقلّ انتباه بادئ بدء . لأنها كانت قد تعوّدت مثل هذه الغزوات البدوية التي كانت تنعتها « بحوادث الحدود » . على انه لم يمض القليل حتى التحقت شراذم جديدة بالشراذم الاولى . ولم يلبث عدد الغزاة ان بلغ العشرة آلاف . فازداد النهب واتسعت البلاد المكتسحة . فكان الغزو البدوي المنظم بكل ما يجرّه من خراب ودمار . وكانت جيوش الغزاة تهبّ كالسموم وتتساقط على السكان وقد ملكهم الرعب لتلك المفاجأة ولعدم تمكنهم من الدفاع . حتى تفاقم الخطب فدفع البطريق سرجيوس ، صاحب قيسارية ، الى الخروج من سكينته . فجمع ما وقع تحت يده من العساكر المأجورة ورجال الدرك . وسار في بضع مئات الى تأديب البدو ، وهو يحتقرهم كسائر البيزنطيين. فكان من نتيجة ذلك انه لم يتخذ المعدّات اللازمة ، بل ظلّ مستخفاً بالامر حتى التقى بالعرب ، وقد جمعوا جيوشهم في منخفض العَرَبة غربي البحر الميت . فسحقوا بعددهم الوافر رجال سرجيوس في تلك الوقعة . وهكذا غدت سورية الجنوبية مفتوحة الابواب لاستقبال الغزاة (شباط ٦٣٤).

* * *

وها اننا نرى البدو ضائعين في تلك المدنيّة ، على مئات الكيلومترات من قفارهم ، ولا سلاح لهم الّا سرعة انتقالاتهم وهو افضل ما يتكلون عليه من طرق الدفاع. لأن القفر ، مهما كان بعيداً ، لا يبعد على ابلهم السريعة . فهم اذاً ينهبون ويجدّون في النهب. ينظرون طوراً الى جهة البيزنطيين راقبين ، وتارةً الى ملاجئهم الحصينة في القفار . ولهذا نقول: ان فتح سورية الحقيقي لم يكن بدأ بعد ، بل ان الايام كانت تعدّه شيئاً فشيئاً. وان الباحث ليعتقد لأول

وجلة ان النصر سيكون للبيزنطيين لما يخال عندهم من الفضل على البدو في المعدّات ، وطرق التنظيم ، ورسم الخطط ، والتقاليد الحربية المأثورة عن الرومان . على انه ينبغي ملاحظة واحدة مهمّة تميّز الرومان عن الروم ، وهي ان الاوّلين لم يرفعوا قطّ جيوشهم الخاصة من سورية . اما الروم او البيزنطيون فانهم ، لما احتاجوا الى الجيوش ، خالوا من الكافي ان يعوّضوا عنها بالمعاقل والحصون تقيم بها المقاتلة المأجورة . فاقاموا حول اكثر المدن السورية اسوارًا حصينة بابواب محكمة القفل . وشيدوا في اهمّها قلاعاً منيعة . فكان لهندستهم الحربية تقدّم لا يُنكر . الّا انه لم يكن لتلك الاسوار ، ولا في تلك القلاع ، من الحامية ما يبعث الى الطمأنينة . فان اكثر العساكر كانت مأجورة ، كما قدّمنا ، ولم تكن السلطة لتهتمّ بتنشئة القوّاد وتدريبهم على الحروب والمعارك . وهذا ، مع قلّة عدد المقاتلة والفوضى الغالبة في التنظيمات العسكرية ، اهم ميزات الجيش البيزنطي في سورية في القرن السابع . ومن اجلى مظاهر هذه الميزات انه قُبيل الفتح الفارسي ، كانت انطاكية ، المدينة الكبيرة ، خالية من الحامية .

وبالاختصار فاننا نرى مشكلًا تاريخيًا مهمًّا اذ نتحقّق بلادًا غنيّة كسورية ، آهلة بنحو الخمسة ملايين ، يفتحها بضعة آلاف من البدو في اقلّ من عشر سنوات ! هذا هو المشكل التاريخي ، فما هو حلّه المعقول ؟

كان الجيش البيزنطي يدعى رسميًا الجيش الروماني ، وكان يدّعي انه خليفة ذاك الجيش . فبينا كانت اليونانية لغة الادارة المدنية ، كانت اللاتينية لا تزال لغة الجيش والمعاملات العسكرية . وهنا ايضاً لا نرى سوى مظهر او شعار لا شيء يذكر وراءه . فان الجيش لم يكن وطنيًا ، ولم يكن فيه شيء من ميزات الكتائب الرومانية المؤلّفة من الوطنيين الاحرار . وجلّ ما يُقال عن البيزنطيين انهم كانوا يريدون ان يأمروا ويحكموا مناطق الدولة المختلفة ، ولكنهم كانوا يترفّعون عن القتال . ولم يبقَ اذ ذاك من وجود للخدمة العسكرية الجبرية . فكانت بيزنطية تأذن بالبدل العسكري بل تعزّز انتشاره . ثم كان الشعور كبيرًا ان الولايات ، وقد ثقلت عليها وطأة الضرائب

والجباة ، كانت قد اصبحت تميل الى الانفكاك عن جسم الدولة . اضف الى ذلك ان بيزنطية كانت تخاف من تأليف الكتائب المحلية التي كانت رومية قد استخرجت منها الفوائد الجمة. وكانت ترتعب من خطر ثورة القواد عليها. واذاً فلم يبقَ لها شيء من كتائب الكوماجينيين والقنسرينيين والحمصيين والحورانيين ؛ وكانت قد فقدت المشاة المنتخبين والرماة الحاذقين من التدمريين والايتوريين الذين كانوا يطاونون في ما سلف جيوش الامبراطورية في ساحات الحرب الاوربية والافريقية . كل هذا التنظيم كان قد اضمحلّ ، ولم يبقَ الّا عدد قليل من العساكر المحلية المأخوذة من الولايات . ولكنّ اولي الامر لم يكونوا يعتبرونهم اعتبارهم عساكر الجيوش بل كانوا يستخدمونهم ، كلًّا ضمن منطقته ، للقيام باعمال رجال الشرطة من تعقّب اللصوص وقطاع الطرق ، والسهر على جباية الضرائب . وكان يأمرهم ضبّاط منهم لم يتعوّدوا القيادة ، ولم يمرّنوا على شيء من الاعمال العسكرية . وبالاختصار كانت الدولة لا تكترث لشيء من كل هذا.

من هؤلاء الشرط المحليين ، ومن هؤلاء الضبّاط المدعي الخبرة ، كانت تتألف الكتيبة التي قادها سرجيوس ، صاحب قيسارية ، فدحرها العرب ، كما قدّمنا . ولمّا لم يكن من جيوش بيزنطية منظمة على الحدود ، أُجبر رجال الشرطة السوريون على مقاومة الغزوات العربية ، فقاوموها مدة سنتين كاملتين حتى كانت وقعت اليرموك سنة ٦٣٦ . ولا غرابة ان تكون مقاومتهم ضعيفة ، ولم يؤهّبهم شيء لذلك. ونقول القول نفسه عن الضبّاط الذين كانوا يقودونهم ، واكثرهم من رجال الادارة أُخرجوا فجأة من دواوينهم الى ساحات القتال.

كانت بيزنطية لا تتكل الّا على كتائبها الرسمية ، وتفاخر بها مدعية انها الجيش الامبراطوري . اما في الحقيقة فكانت جيشاً مأجوراً بكل ما تجرّه هذه الكلمة من المعنى . كان ذاك الجيش يؤلف مجموعة غريبة من شذّاذ البرابرة او الاعاجم جُمعوا من المناطق البعيدة التي لم تكن لتخضع بسهولة لحكم بيزنطية . وكان اكثر هذه العساكر من الجبليين كالايزوريين والارمن واهل تراقية ، يُضاف اليهم عدد من صقالبة البلقان ، كانوا من أسرى الحروب

التي قاموا بها على البيزنطيين. واننا نرى الجيش البيزنطي ، في وقعة اليرموك ، يتألف خصوصاً من الارمن ومن العرب المسيحيين . وكلا العنصرين تابع للمذهب اليعقوبي. فهو اذاً يكره الامبراطورية التي كانت تضطهد ارباب هذا المذهب. ولم يكن ليجعلهم في خدمة بيزنطية الّا الوعد باجور عالية والرغبة في مغامرات قد تفيد الكثير من السلب . فكانت ابسط المعاكسات واقلّ الحوادث اهمية كافية لتثير فيهم الفوضى الاصلية الكامنة ، وتصرفهم عن حماية دولة ما كانوا ليمتّوا اليها بصلة متينة . ولهذا نرى ان انكسار اليرموك كان سببه خيانة العرب السوريين ، وثورة الارمن الذين انتقضوا على قوّادهم وسط المعركة ونادوا بامبراطور من رجالهم.

نضيف الى ما تقدّم انه ، في جميع تلك المعارك ، كانت العساكر البيزنطية قليلة العدد للاسباب التي ذكرناها . فكان للعرب الاكثرية في كلّها ما عدا موقعة اليرموك . ذكرت ذلك في كتابي « تاريخ سورية »[1] ، فردّت عليّ مجلة عربية دمشقية ردًّا شديد اللهجة حرّمت عليّ فيه ان أمسّ التقليد العربي التاريخي . على ان هذا التقليد غريب محيّر ولا سيما عندما يتلاعب بالارقام بكل سذاجة. فانه ، في ما خصّ وقعة اليرموك ذاتها ، يجعل تارة اعداء العرب ٢٠٠,٠٠٠ مقاتل ، وطوراً يبلغ بهم الى ٦٠٠,٠٠٠ . ثم ان التقليد نفسه ، بلسان البلاذري في « فتوح الشام » ، عندما يذكر سقوط قيسارية سنة ٦٤٠ ، يجعل في تلك المدينة ٧٠٠,٠٠٠ مدافع و٣٠,٠٠٠ سامري و٢٠٠,٠٠٠ يهودي. ويقول انه كان فيها ٣٠٠ سوق ، وفي كل ليلة كان يقوم بحمايتها ١٠٠,٠٠٠ جندي ! فليتصوّر القارئ عظمة هذه المدينة ، واتساع مساحتها !.. ثم يذكر ان الامبراطور هرقل نفسه لما سار بحملته الشهيرة على الفرس ، لم يمكنه ان يجمع من العساكر الّا عشرة آلاف.

* * *

فُتحت دمشق في شهر ايلول سنة ٦٣٥ . وكان هرقل في شمالي سورية يتمّ مجمع جيش جديد . فتمكن من تأليفه في اوائل سنة ٦٣٦ . واننا

(١ *La Syrie, précis historique, I, 59*

لنعرف كيف تألف هذا الجيش، وما هي العناصر الغريبة المتباينة التي جمعت في تشكيله . فكانت النواة مؤلفة فيه من رجال تعوّدوا الحرب قديماً وانتصروا في معارك الفرس الاخيرة، كانوا يقومون بواجبات الحامية في تراقية والاناضول، فأُخذوا من مراكزهم، وأُضيف اليهم عدّة آلاف من السوريين بعد ان عُلّموا مبادئ الحرب بسرعة كلّية . اما اكثرية الجيش فكانت من الارمن، ومن العرب النصارى الذين توفق هرقل اخيراً الى ارضائهم . فيظهر مما تقدّم ان اللحمة كانت اصعب من ان تكون وثيقة بين جميع هذه العناصر، وكذلك كان الاختلاف دائماً بين الضبّاط من روم وأرمن . لأن التشامخ البيزنطي كان يرى من الطبيعي ان يضحي الاسيويون، من أرمن وسوريين، بانفسهم في سبيل الامبراطورية، ولكنه لم يكن ليتنازل فيساويهم منزلة ورتبة . ومن المرجّح ان الجيش البيزنطي كان يفوق الجيش العربي عدداً اذ ذاك . فانه كان يبلغ على ما يظهر ٣٠,٠٠٠ مقاتل، في حين ان البدو كانوا يعدّون ٢٥ الفاً . وكانت اولى المعارك في جنوبي دمشق، كان فيها الظفر للبيزنطيين . فتراجع العرب الى وراء اليرموك، وهو ساعد شرقي لنهر الاردنّ؛ فلمّوا شعثهم واستعدوا للقاء الروم . وهناك حصلت الوقعة الشهيرة التي أيدت النصر للعرب بفضل ما ظهر من الخيانة المزدوجة في الجيش البيزنطي . بدأ التضعضع في صفوف العرب النصارى الذين لم يكونوا حصلوا على مطامعهم بعد فتراجعوا عن الحرب . ولم يلبث الارمن ان قاموا بالثورة التي اشرنا اليها، فشقّوا عصا الطاعة على القوّاد الروم ونادوا بقائدهم واهان امبراطوراً عليهم . فتضعضع الجيش وتفرّق رجاله حتى انه ثاني يوم المعركة (٢٠ آب ٦٣٦) لم يبقَ ذكرٌ في جهات اليرموك للجيش البيزنطي . وكان ذلك من حظّ البدو، فنالوا النصر في تلك المعركة الحاسمة .

ففتحت امامهم دمشق للمرة الثانية . وتبعت اثرها مدن الشمال . فكانت النتيجة اندحار مؤسسة حربية كانت تتباهى خطأً بالاسم الروماني، وهبوط نظام سياسي هبوطاً لم يكن على شيء من العظمة، فلم يترك مجالاً للأسف حتى بين مسيحيي سورية الذين كان قد مسّ عواطفهم الدينية، وأحفظ أنفتهم

القومية . وفي سنة ٦٤٠ فتحت قيسارية ابوابها بعد حصار شبه دائم استمر نحو سبع سنوات ، وذلك بسبب خيانة احد اليهود . ولم تلبث عسقلان ، القائمة على قمة عالية تطل على المتوسط ، ان فتحت اتفاقاً كما يقول مؤرخو العرب ، وبالحقيقة لفرط الملل والضجر ، فكانت آخر ما وقع في ايدي العرب من المدن السورية .

* * *

لقد اشرنا ، في ما تقدم ، الى الاسباب الكافية لشرح سير الفتوحات العربية في سورية ، وما كان من ابتدائها في وقت وافقتها فيه جميع الاحوال المنصرية . على اننا لم نذكر ما كان اذ ذاك من اضطراب ادارة الامبراطورية ، وضعفها المالي على اثر الحملات المتتابعة التي قامت بها على الفرس . هذا الى ما كان يتصف به هرقل في آخر حياته من قلة الدهاء وعدم الاقتدار ، وكثرة الغرور بالنفس . ثم ما كان من وفاته ، التي وافقت سقوط قيسارية ، وما جرّته من ازمة وراثية أدّت الى هلاك ثلاثة امبراطرة في ظرف شهور معدودة . فكان من هذه العوامل ، في تعزيز تقدم الغزاة ونجاح الفاتحين ، ما كان من تضعضع قوّاد الروم وعدم خبرتهم الحربية ، التي اشرنا اليها سابقاً .

وعلى الرغم من كل هذا ، فلا يزال المشكل قائماً لدينا ، في ما خصّ الحالة الاخلاقية النفسية . فهو ، في هذا المجال ، اظهر منه في السياسة والشؤون الحربية . لم نضرب صفحاً عن ذكر الانحطاط في النظام الحربي البيزنطي ، ولكن ذلك لا يمنع ان ذاك النظام كان يفوق دون شكّ نظام البدو . ولا يُخشى هؤلاء الّا في قفارهم بفضل ما تمدّهم به المناصر الطبيعية . ولم يكن لهم من السلاح اذ دخلوا سورية الّا الرماح والسهام . وفي عصر كانت الخيّالة اعظم الجيوش غناء في المعارك ، نرى الخيول كلّها في جانب البيزنطيين . امّا العرب فلم يكن لهم الّا الجمال حتى ان قوّادهم انفسهم كانوا يركبونها ، وكثيراً ما كان يركب المقاتلان او الثلاثة الجمل الواحد . وهو نقص ظاهر في تنظيم جيوش الفتح ، بخلاف ما قال كريمر (Von Kremer) من ان الجمل كان العامل الاكبر في الفتوحات العربية . وهو قول لا ينطبق الّا على الاقاليم

الصحراوية ، فان الجمل قد يكون سهّل على العرب فتح افريقية وصحارى آسية المتوسطة.

واذا درسنا جميع مظاهر هذا المشكل ، نرى ان اشدّ اعداء الامبراطورية الرومية كان ما دعاه المؤرّخون « بالتعصّب البيزنطي » . فانه نخر اساسات المجتمع والسياسة ، وادخل الانقسام والفوضى في المقاطعات ، وفي الكنيسة نفسها ، ولا سيما في الجيش . ولم يكن السوريون ليغفروا لهرقل اهماله الدفاع عنهم لدى هجمات الفرس . وكانوا يتألمون منذ ثلاثمائة سنة اذ يرون ادارة المملكة تضحّي بهم دون شفقة في سبيل العاصمة بيزنطية ، وفي سبيل اشباع جيش من الموظفين غرباء عن بلادهم متعطّشين الى اموالهم . وهي الحالة نفسها التي كانت تئنّ منها سورية مؤخّراً على عهد الاتراك . وكانوا ايضاً ينعون على دين الحكومة الرسمي ان يبقى آلة للسيادة الزمنية ، فيعمل على اعلاء شأن حكومة كان يئنّ تحت حكمها كثير من العناصر والشعوب المختلفة . ذاك مظهر من تسلّط الشعب اليوناني الذي كان يرغب في ان يسيطر ، في ثلاثة اقسام العالم القديم ، بواسطة الامبراطور والبطريرك ، بواسطة السياسة والكنيسة ، على اجسام تلك الشعوب وعلى نفوسهم ايضاً.

وقد ادّى الغرور بالمسيطر البيزنطي ان خال نفسه قد تحوّل الى شخص مقدّس بل مؤلّه ، فكان يخضع امامه عدد من المتزلّفين والخصيان ..وقد بلغ ان اخذ يذكر ، في مراسيمه ، « ضياء امارته المقدّسة » بل تجاوز ذلك الى التعبير عن « بهاء الوهيته الشاعّ على الكون » . وهل كان بامكان القيصر ، الغارق في هذا الضباب من الغرور والتزلّف ، ان يعير اذناً صاغية لشكاوى الشعب السوري وقد احاقت به التعاسة من جميع الجهات ؟ وبينا كان قوّاد البيزنطيين يتراجعون مندحرين امام البدو ، كان هرقل يغوص في ادقّ المناظرات اللاهوتية ، واعوص المشاكل في الفلسفة النظرية . وكان قد ادّعى بالرغبة في ارجاع الوفاق الديني بين السوريين ، فناصر بدعة جديدة ، هي بدعة المونوتليّة او المشيئة الواحدة ، ونادى بها عقيدة للدولة ، وامياً الى التسيطر على الكنيسة وعلى الضمائر . فكان يعيّن للاساقفة مرشّحه للكرسي البطريركي فينتخبونه ،

حتى اذا ملّ منه او جفاه » حطّه عن عرشه » «والاساقفة في كل ذلك » على قول مصدر تاريخي » يخضعون بحق لمشيئة الامبراطور واختياره » . فكانت النتيجة ان اصحاب الرتب الكهنوتية في الكنيسة الشرقية اخذوا يعتادون الاستعباد للسلطة الزمنية شيئاً فشيئاً مما دفع احد بطاركة ذاك العصر الى القول « يجب ان لا يفعل شيء في الكنيسة مخالف لارادة الامبراطور . » على ان التاريخ يعلمنا انه ليس من مصلحة الدولة ان تستعبد الكنيسة . ولم تنجح هذه الطريقة لا في العصور القديمة ، ولا على عهد نابوليون ، ولا على عهد النظام القيصري خصوصاً . لانها وسيلة للحطّ من شأن الكنيسة وتقويض نفوذها الاخلاقي . وقد ادّت هذه السياسة في سورية الى نتائج وخيمة ، فقسمت ايمان السكان ، ودفعت بالقسم الكبير منهم الى اعتناق بدعة الطبيعة الواحدة . اما السلطة البيزنطية فبدل ان تعمد الى المخالقة وحسن التأثير بالبرهان الصحيح لتردّ الجماهير عن تلك البدعة ، اخذت باشدّ الاساليب تضييقاً ، وابعدها عن العدل والانصاف كإلغاء الحقوق المدنية ، وحجز الاملاك ، والنفي . مما ادّى الى اثارة حفائظ الشعب وتذمّره الدائم . ولم تكن خيانة الجنود الارمنية والعربية في معركة اليرموك التي اشرنا اليها الّا نتيجة هذا الضغط الشديد ، واننا نذكّر المطالع ان اولئك الجنود كانوا من البدعة اليعقوبية المغضوب عليها . . .

فاين الغرابة في ان يكون الشعب السوري ، وقد صوّرنا حالته على قدر الامكان ، قد شاهد ، دون أسف ، تلاشي تلك الدولة التي كثيراً ما اضطهدته ! واين العجب في ان يكون قد رأى في ذلك عقاباً سماوياً لظالميه !

الزواج

تبعاً للرسالة البابوية « Casti connubii »

بحث اخلاقي لاهوتي

للاب شرل ابيلاه اليسوعي

منشأ الزواج من الله وضعاً وطبعاً

٤

٨ ملاحظتان في مدعيات التطوريين

بقي لنا ملاحظتان في شأن مبدأ التطوريين والوقائع التي يستشهدون بها لمذهبهم فنقول :

١ – أما أساس مذهبهم فهو ، فضلاً عن انكارهم لوضعية الزواج الالهية وغائيته الطبيعية ، الافتراض التالي : يزعمون انّ المتوحشين من الناس وهم احطهم تمدناً ، انما يُمثلون لنا ، باخلاقهم واصطلاحاتهم ، الانسان الاقدم الاول . وهو سليل الحيوان اي القرد او احد اسلافه . وعليه فان تاريخ البشرية لمنحصر في وصف تطوراتها والمراحل التي اجتازتها منذ الآدميّ الاول الى عصر التمدّن الحاضر . على ان الأخلاق والاصطلاحات تسير لدى الشعوب سير الصناعة . هكذا كانت في القدم حال متوحشي اوربة ، وهكذا ايضاً هي حال متوحشي يومنا هذا في افريقية واوقيانية . ومن ثمّ فان شئنا ان نستدلّ على ما كانت عليه علاقات المرء بالمرأة يومَ كان البشر يستعملون الحجارة المنحوتة المصقولة آنيةً وسلاحاً ، فما علينا الّا ان ننظر الى العلاقات عينها ، على ما هي جارية في ايامنا لدى الشعوب الهمجية .

تلك هي نظريّة التطوريين الاساسيّة ، على ما شرحها احد زعمائهم ، وهو

جون لُبُكْ ، في مؤلّفه *The Origin of Civilisation*[1].

فاقول : انّ الافتراض المذكور ، مع ما قد ينمّ عنه من حدّة الذهن وتوقده لدى مختلقه ، لا يبرح افتراضاً محضاً ، ليس فقط لا تدعمه الوقائع بل تنقضه صريحاً. فانك لتجد في قلب افريقية قبائل هي ، من الوجهة الصناعية ، احطّ جداً من الاوربيين ، وبالرغم من ذلك تراها ، من حيث اصطلاحاتها وعوائدها وآدابها العائلية ، اسمى مترعاً وادقّ قاعدة من بعض الشعوب العصرية العريقة في الحضارة . أضف الى ذلك انّ دروين نفسه ، مع انحيازه الى مزاعم لُبُكْ ، قد ابدى من التحفظ ما ينفيها ، إلّم يكن جميعاً فبالاقلّ بعضاً . يقول دروين ان الانسانَ سليلٌ لجدّ تربطه القرابة بالقرد. الّا انه درس طباع القرود فوجد منها فئاتٍ كثيرة ليس للذكر منها الّا انثى واحدة ، وفئاتٍ غيرها بالخلاف ، ممّا ينتج عنه في رأيه انّ مذهب القائلين بوجود القِران الخليط في الحالة الطبيعية (اي في ايام الانسان الاوّليّ) بعيدٌ للغاية عن الرجوح[2].

ب — وقد نقّب العلماء كثيراً في اماكن مختلفة عديدة عن احوال معاصرينا من المتوحّشين وعوائدهم وطبائعهم ، وبحثوا عنها بحثاً نزيهاً مدققاً . وممّا حصّلوه ، وهو كثيرٌ ، يُستفاد صريحاً ان القران الخليط لدى الشعوب المذكورة ، إن كان واقعاً فعلاً ، فانما هو لديها امر شاذّ ، لا قاعدة مطردة ، بل هو انحطاط وفساد وخروج عن القياس الاقدم الاوّلي ليس الّا.

هذا ما لم تبقِ مجالاً للريب فيه الشواهد العديدة من كلّ نوع ، التي نشرها العلّامة وستمارك بكتابه «في اصل الزيجة في النوع البشري»[3] وسيادة المطران لروا بكتابه «في ديانة الاوّليين.» فان هذا الحبر العلّامة قد اقامَ خمسة وعشرين عاماً في افريقية ، بينَ جماعات البانتو (Les Bantoucs) وهي لا شكّ من اول الاوليّين ، وقد تفقّد ، بنفسه وبواسطة مرؤوسيه من المرسلين ، البلاد طولاً وعرضاً ، من الاوقيانوس الاتلنتيكي الى الاوقيانوس

١) راجع Fonsegrive, *Mariage et Union libre*, p. 8.

٢) راجع المؤلّف ذاته ، ص ٢٠

٣) Westmarck, *Origine du Mariage dans l'espèce humaine*. — Paris. 1895.

الپاسيفيكي . وكانت نتيجة دروسه الطويلة وتحقيقاته الدقيقة كتابه المذكور.

ومما جاء فيه « انّ الحالة البهيمية المذكورة (اي الحالة الناشئة عن الصلات الجنسية المختلطة المتنقلة) قد لا يستحيل وجودها سابقاً لدى بعض فلول من البشر ، ممن خصّهم الشقاء بهذا الضرب من التعاسة . وعلى كل حالٍ فمما تقتضيه الحكمة ألّا يُنزَل قولُ افتراضيٌ محضٌ كهذا منزلة الحقيقة الراهنة ، ما لم يُتمّم عليه من الوقائع الثابتة المبيّنة ادلة واضحة دامغة . والاكيد هو اننا لا نرى اليوم بتاتاً في اي ناحية من افريقية اثراً للاختلاط المذكور ، اللهمّ اذا ما استثنينا البؤر الواسعة الممتدّة في المنطقتين الشرقية والشمالية . . . حيث نرى ذلك بين قطعان الوعول . واما الآدميّون فبقدر ما يتخطّى الباحث منحدراً بالتأمل نحو الذين وُسموا منهم بسموم دلائل الانسان الاولي ، وكذا هي حالة الزُنيجيّين (les Négrilles) والصّان (les Sâns) ، بقدر ذلك يتّضح له بنوع اجلى ان المبدأ العائلي لديهم هو القاعدة الاساسية الواجبة بدون ما مراجعة للمجتمع الانساني من اوّل نشأته[1] .

٩ نتائج عملية خطيرة

وعلى ما بسطنا الى الآن من الحقائق الراهنة تترتب نتائج عملية ادبية شتى ، نقتصر على اثنتين منها ، لما لهما من الخطورة :

١ — فالاولى مبنية على كون الزواج ، كما سبق لنا بيانه ، عقداً يُبرمه الرجل والمرأة ، ليس عن رغم ولكن عن تحرٍّ واختيار . وهو في الوقت نفسه من وضع الله وحياً وطبعاً ، واصولاً وسنناً . ومن ثمّ ما ورد في الرسالة الحبرية :

« فبالزواج اذاً تتحد الارواح وتأتلف قبل اتحاد الاجساد عينها . وترتبط ارتباطاً اوثق لا بتأثر العواطف او ميل القلوب بل بقرار الارادة الاختياري الثابت . وعن اتحاد الارواح هذا ينتج ، بناء على ما قرّره الله ، وثاق مقدّس لا يمكن مسّه .

(١ Mgr. A. Le Roy, *La Religion des Primitifs*, Pari , Beauchesne, 1909, p. 95

— راجع ايضاً Castillon في مقاله المذكور آنفاً ع ٩١ — ٩٤

« فطبيعة هذا العقد الخاصة به دون سواه تجعله يبعد بعد السماء عن الارض عن اجتماع البهائم الذي تدفعها اليه غريزتها العمياء ، حيث لا عقل ولا ارادة حرّة ، وايضاً عن تلك الزيجات المتقلقلة العارية عن كل رباط حقيقي وصالح ، والخالية من كل حقّ بالعيشة العيليّة.

« فمما تقدّم يتحصّل بنوع اكيد ان للسلطة الشرعية حقاً بان تحظر الزيجات غير اللائقة ، التي تخالف سنة العقل والطبيعة وتحرمها وتعاقب من يُقدم عليها ، بل توجب عليها وظيفتها ان تفعل ذلك[1].»

تلك هي النتيجة الاولى وقد لخّصها الله بالسادسة والتاسعة من وصاياه العشر . قال عزّ وجلّ : « لا تزنِ. ولا تشتهِ امرأة قريبك.»

ب — ثمّ ان ما ذكرناه من كلام الرب في سفر التكوين ، حيث بارك ابوينا الاولين وامرهما ان « اثمروا واكثروا » ، وما بسطناه من الادلة على حقيقة تأصّل الزواج في الطبيعة ، ينجم عنه جليّاً ان ايلاد البنين هو اهمّ غايات الزيجة بل اولها منزلة . وعلى هذه الحقيقة يترتب ما جاء ايضاً في الرسالة الحبرية ، واليك نصّه :

« ما من سبب البتّة ، مهما كان خطيراً ، يستطيع ان يُعيّر ما هو في ذاته ضدّ الطبيعة مطابقاً لها وصالحاً . ولما كان فعل الزواج من طبعه معدّاً لولادة البنين ، فالذين يتعمّدون في مزاولتهم اياه تجريده من هذه القوّة الطبيعية والفاعلية ، يفعلون ما يضادّ الطبيعة ويأتون عملاً قبيحاً ومن ذاته سيّئاً.

« فلا عجب ، والحالة هذه ، اذا كانت الاسفار المقدّسة تشهد ان العزّة الالهية تُبغض اشدّ البغض هذا الاثم الفظيع وانها عاقبته بالموت ، على ما يذكر القديس اغوسطينوس اذ يقول : « حرام وقباحة ان يباشر المرء امرأةً ، حتى لو كانت زوجة شرعية ، حيث يُمنع الحبل بالاولاد . ذلك ما كان يفعله اونان ابن يهوذا ومن اجله اهلكه الربّ.»[2]

---

١) الرسالة *Casti connubii* : ص ٤

٢) القديس اغوسطينوس في زواج الزناة ، كتاب ٢ عدد ١٢ — قابل ذلك مع الفصل ٣٨ من سفر التكوين عدد ٨ — ١٠ وديوان التوبة المقدّس ٣ نيسان و ٣ حزيران ١٩١٦ .

« ولما كان بعض الناس قد مالوا صريحاً عن التعليم المسيحي الذي لم يبرح من البدء الى الآن مؤيداً بالتقليد ، بدون انقطاع البتة ، فقرّ رأيهم ، في الآونة الاخيرة ، بشأن كيفية التصرّف هذه ، على وجوب المناداة جهراً بتعليم غير هذا ، فالكنيسة الكاثوليكية ، التي اليها وكل الله تعالى نفسه ان تعلّم الآداب السليمة الصالحة وتدافع عنها ، بينما هي قائمة بين انقاض خراب الآداب هذا ، رغبةً منها في صيانة عفّة العقد الزواجي من ذلك الوصم المعيب ، ودلالة على المهمّة التي أنابها الله للقيام بها ، ترفع صوتها عالياً بفمنا ، وتعلن مجدّداً ان كل استعمال لفعل الزواج يُجرَّد من قوّته الطبيعية لايجاد الحياة ، هو مخالفة لشريعة الله وسنة الطبيعة ، وأن الذين يقترفون مثل هذا ، يتلطّخون بوصمة الاثم الثقيل . »[1]

واما قول الحبر الروماني المذكور : « لما كان بعض الناس قد مالوا صريحاً عن التعليم المسيحي ... » فهو تلميح ظاهر الى ما نادى به من التعليم الاساقفة الانكليكانيون في الاجتماع الذي عقدوه في لَنبث في شهر آب سنة ١٩٣٠ . وقد وافقت اكثريتهم ، اي ١٩٣ اسقفاً ضدّ ٦٧ صوّتوا بالخلاف و ٤٠ امتنعوا عن التصويت ، على حكم هو نقيض ما كان الى الآن ارباب كلّ المذاهب المسيحية قد اجمعوا عليه او كادوا ، في الموضوع الذي نحن في صدده . وقد كان لهذا الحكم صدى أسفٍ ليس خارجاً عن انكلترة فحسب ، بل في داخلها حتى لدى بعض الجماعات الانكليكانية نفسها[2] .

ولا عجب فان الوعد « لبواب الجحيم (اي الضلال) لن تقوى عليها » انما قد خصّ به المسيح الكنيسة المرتكزة على الصخرة البطرسية .

ولم يجد الحبر الاعظم بدّاً من ان يُوجّه الى الكهنة الانذار الآتي : « وعليه فاننا بما لنا من السلطة العظمى والعناية بخلاص الانفس كلّها ، نُنذر الكهنة الذين يُعنون باستماع الاعترافات ، وسواهم ممّن يهتمّون بخدمة الانفس ان لا يدعوا المؤمنين المسلّمين اليهم يضلّون في شأن شريعة الله هذه الخطيرة

١) الرسالة الحبرية المذكورة ص ٣١ . ٢) راجع مقال الاب بيردو اليسوعي في مجلة *Etudes*, 1930, tome 205, pp.521-529 والمشرق (٢٩ [١٩٣١] ١٤٠) .

للنيابة ، وبنوع اشدّ جدًّا ، ان يصونوا ذواتهم من تلك المزاعم الكاذبة وان لا يوافقوا عليها باي وجه كان.

« وان حدث ، لا سمح الله ، ان احد الكهنة المعرّفين او رعاة الانفس ، اسقط هو نفسه المؤمنين المسلّمين اليه في هذه الاضاليل ، او في الاقلّ ثبتهم فيها إمّا بموافقته عليها وإمّا بسكوته عنها خداعاً ، فليعلمنّ انه سيقدّم للاله الديّان الاعظم ، عن خيانته للوظيفة ، حساباً صارماً ، وليعتبرنّ موجّهاً اليه قول المسيح هذا[1] : « انهم عميان وقادة عميان . واذا كان اعمى يقود اعمى فكلاهما يسقطان في حفرة . »[2]

ولم يكن الاب الاقدس ليجهل ما يعاني بعض ارباب العائلات من العسر في المعيشة والمصاعب التي تعترضهم في القيام بسدّ حاجات ذويهم ، ولا سيما في ايامنا هذه . على ان الواسطة ، اذا ما كانت رديئة من طبعها ، لا تبرّرها الغاية ، مهما كانت صالحة شريفة . ولا سيما ان لمعالجة الحالة المذكورة ، غير الواسطة التي يقبّحها سيّدنا البابا ومثله كلّ ذي عقل سليم مصيب ، ادوية عديدة صالحة ناجعة قد ورد وصفها في الرسالة الحبرية ، فنحيل اليها القارئ اللبيب[3].

ومما لا يسعنا ، في ختام هذه العجالة ، الّا ان نلفت النظر اليه ، علاج لآفات الزواج جزيل الفائدة ، إلّم يأتِ ذكره صريحاً في الرقيم البابوي ، فيكاد يكون مقدّراً تحت كل اسطره ، الا وهو الاعتقاد الثابت ، المبنيّ على الايمان والاختبار والعقل ، ان الدنيا هذه انما هي وادي الدموع ، وان المسيح قد وجّه الكلام الى الجميع بدون استثناء اذ قال في الانجيل : « من اراد ان يتبعني فليكفر بنفسه ويحمل صليبه ويتبعني[4]. » فعلامَ تخرج حالة المتزوّجين عن الحكم هذا ؟

(تمّ المقال الاوّل)

---

١) متى ١٥ : ١٤

٢) الرسالة البابوية ذاتها ، ص ٢٢ — راجع مجمع التفتيش : ٢٢ ت ٢ سنة ١٩٢٢

٣) راجع الرسالة *Casti connubii* ص ٢٨ — ٤٨ ، ولا سيما ص ٤٨ — ٥٢

٤) متى ١٦ : ٢٤

كهرباء القاديشا

بقلم انطوان باز
المهندس من المكتب الافرنسي في بيروت
ومن مدرسة الكهرباء العليا في باريس

القاديشا ينبوع يتدفق من سفوح الارز في لبنان ، فيترقرق عذباً في الوادي المقدس باعثاً في طريقه الخضرة والحياة ... تنضمّ اليه ، في سيره نحو البحر ، ينابيع شتى تزيد في غزارته وتغيّر عليه اسمه: فهو تارة نهر القاديشا ، وطوراً نهر ابي علي ، واخيراً نهر طرابلس حيث يصبّ في البحر.

اخذت اسمه تيمناً شركة آلت على نفسها ان تستدرّ ما فيه من القوى الكهربائية فدعيت شركة كهرباء القاديشا او شركة « القاديشا » . وقد استهزأ البعض ، بادئ بدء ، بما ترمي اليه تلك الشركة ، ظانّين لها الفشل ، فخاب ظنهم اذ قامت باعمالها فجاءت بمركزي بشراي وابي علي وهما يمثلان اليوم اعظم قوة على الماء في سورية ولبنان.

تابعت تلك الشركة اعمالها بالرغم عمّا لقيته في البلاد من برود الهمة ، وقلة الثقة ، وجمود بعض المراجع الادارية ، فظفرت . بل كيف لا تظفر واركانها زعماء الشمال جاهاً وغنى من سيادة المطران انطون عريضه اسقف طرابلس سابقاً ، وبطريرك الموارنة اليوم ، الى مشايخ آل اسطفان وكيروز ، الى حضرة الخوري انطونيوس جمجع صاحب الهمة.

وقد ساعدني الحظ ان زرت مؤخراً ، مع بعض زملائي من اساتذة مدرسة الهندسة ، مركز ابي علي فسررت لما لقيته فيه من الاعمال الخطيرة ، اذ يضاهي المراكز الاوربية صنعاً واتقاناً.

١ً نبذة تاريخية

يرجع تاريخ « القاديشا » الى سنة ١٩٠٩ حيث قام بعض اكابر القوم في بشراي بفكرة استدرار القوى الكهربائية من ينابيع الشمال . نمت تلك الفكرة بين الدرس والمفاوضات . ثم ارسلت اوراق المشروع سنة ١٩١٣ الى استنبول للمصادقة واعطاء الامتياز .. وكانت الحرب الكونية ، فطمرت تلك الآمال ، ولكنها لم تمتها فبقيت حية ، كالزرع تحت الثلوج.

عاد السلم فلم يجد في الوطن الّا رماداً ، وكانت سنو جدّ وعمل في ترميم ما اتلفته الحرب من بيوت اصبحت اطلالاً وبساتين يبست اغراسها او قلت عوزاً ، ومروج لم يبقَ من المواشي ما يرعاها فنبت بها الشوك..

رجعت بالجد الحياة. فعرفت البلاد السعادة بعد الشقاء ، وجاز لها ان تنظر الى ما فوق الضروريات . رجعت فكرة انارة بشراي بالكهرباء ، فبحث اصحابها سنة ١٩٢٢ بمشروع الينبوع المعروف « بنبع مار سركيس » وتكاليفه تقارب العشرة آلاف ليرة سورية . غير ان الدروس الفنية بيّنت افضلية استخدام نهر القاديشا نظراً لما يتركه ذلك المشروع من المدى في توسيع نطاق الشركة ، وكانت الانظار وقتئذٍ تترامى الى ما هو ابعد من وادي بشراي ، الى طرابلس ، الى البحر.

واعطي الامتياز بانارة بشراي وضواحيها فتألفت شركة مساهمة رأسمالها خمسون الف ليرة سورية دعيت بشركة « القاديشا ».

وبسطت للامتياز ، على الاثر ، مسألة انارة طرابلس بالكهرباء. فتقدمت اليها شركة القاديشا نظراً لاهمية ذلك الوسط تجارياً وزراعياً . وكانت الشركة لم تحلم بعد بما اتى بعد الغد من ميناء للطيران ومركز خطير لزيت الموصل.

ولا نأتي على ذكر ما لاقته « القاديشا » من الصعوبات في نيل ذلك الامتياز اذ ارغمت من اجله على انارة بعض الضواحي من لبنان الشمالي وعلى

وضع ضمانة مالية قدرها ستون الف ليرة سورية . فقبلت تلك الشروط بالرغم عن قساوتها ، وبعثت الى فرنسة بلجنة فوضتها بشراء الآلات والمعدات ، وباشرت اعمالها بجدٍ لم يعرف الملل ولا القنوط في ايام تدهور فيها الفرنك ، فلم تجد في احدى المصارف الرسمية عضداً ولا معيناً .

٢ً المراكز الكهربائية

مركز بشراي

بدأت الشركة اعمالها فجاءت بمركز كهربائي قوته ٢٤٠٠ حصان يعرف بمركز بشراي . تدير ذلك المركز مياه القاديشا تجمع في المغارة عند ينبوعها فتسير في قناة مغطاة ، قليلة الانحدار ، تارة في لحف الجبل ، وتارة في نفق تحت الارض ، الى ان تصل فوق وادي بشراي فتجتمع في حاووز سعته ٥٠٠ متر مكعب ، وتصب منه في الانابيب الفولاذية النازلة الى الدوّامات فتديرها . ويرى الزائرون للارز قسماً من تلك القناة والحاووز ، والانابيب تمرّ تحت الطريق الجديدة (انظر الرسم ٣) ومن هنالك منظر مهيب على الوادي والمركز الكهربائي . اما القناة فطولها ٩٥٠ متراً ، وقطعها كافٍ لجرّ ٨٠٠ ليتر من الماء في الثانية ، اي ما يقارب السبعين الف متر مكعب في الاربعة والعشرين ساعة . والانابيب مثبتة في الصخور طولها ٦٠٠ متر وغلاظتها عشر مليمترات تقريباً مع قطر داخلي يتراوح بين الستين والسبعين سنتيمتراً . تقسم هذه الانابيب ، لدى وصولها المركز ، الى فرعين يؤدّي كل منه الى دوّامة قوتها ٤٠٠٠ حصان . والدوّامتان من النوع المعروف « بدولاب بلتون » تشتغل الواحدة منهما لمحور عمودي قدره ٢٨٠ متراً ، وكمية من الماء في الثانية تعادل الاربعمائة ليتر . امّا الماء الخارج من الدوّامتين فيصب في قناة تعيده الى مجراه الاول بلا زيادة ولا نقصان . فتحويله عن المجرى من النبع الى المركز ما هو الّا لاستخدام علوّ الشلال .

تدير كل دوّامة مولّدة كهربائية قوتها ١٠٠٠ كيلو ڤولت امپار لمجرى متناوب توتّره ٥٥٠٠ ڤولت . ويرى في الرسم ٥ مجموع الدوّامة والمولّدة.

يسير المجرى الخارج من المولّدات بحبال كهربائية تحت الارض الى مركز التحويل ، فيُخفض توتّر قسم منه الى ٢٢٠ ڤولت لاستخدامه في المركز نفسه وفي بلدة بشراي ، ويُرفع توتّر الباقي الى ٣٥٠٠٠ ڤولت قصد نقله الى طرابلس وشكا وبعض قرى لبنان الشمالي.

وفي المركز لوحات رخامية ترى في الرسم ٥ جمعت عليها الآلات الكهربائية لوزن المجرى وآلات اوتوماتيكية لتعديل التوتّر وسرعة البرم ، وهما تابعان للقوة المطلوبة . وتعدّل سرعة البرم بتعديل كمية الماء الداخلة على الدوامة . وهنالك آلات اخرى حافظة للماكينات والمحوّلات من خطر المجرى اذا زادت قوته ، وخطر الصواعق فيما لو وقعت على الاسلاك الخارجة وتمشّت عليها حتى المركز.

ويلاصق مركز بشراي بيت تراه في الرسم ٦ بنته الشركة لسكنى رئيس المركز وعائلته.

ومن الاعمال التي اضطرت اليها الشركة طريق قوية المبنى طولها نصف كيلومتر ، وجسر على النهر ، يؤدّيان الى المركز . وكان عمل هذه الطريق سابقاً لبناء المركز تسهيلاً لنقل الادوات.

. . .

يمتاز نهر القاديشا انه مغذّى لا بالامطار بل بما يخور من الثلوج المتساقطة على الجبال . وهذا شأن كل الينابيع الكثيرة الارتفاع كما في سويسرا واوربة الوسطى. فشحائح المياه اذاً ليست في الصيف بل في الشتاء ، وخاصة في اشهر كانون الاول وكانون الثاني وشباط . وحدث ان كمية المياه ، في هذا الفصل ، لم تكف لاعطاء القوة المطلوبة ولا سيما في ساعات تسمى بساعات «الازدحام» يكثر فيها طلب القوة دفعة واحدة ، كما يحدث بين الساعة الخامسة والثامنة مساء . وزاد الطين بلّة معمل السيمنتو اللبناني في شكا وهو يستغرق ، في

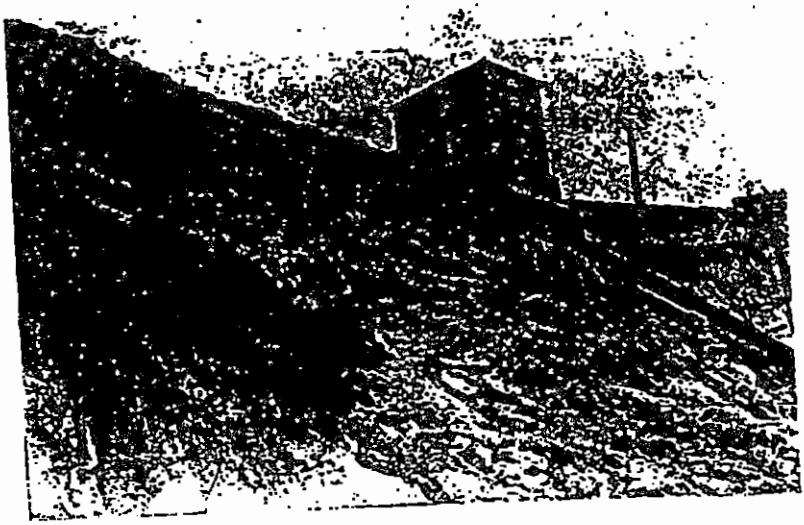

الرسم ٣ – منظر لقسم من القناة والحاووز والانابيب النازلة على المركز الكهربائي

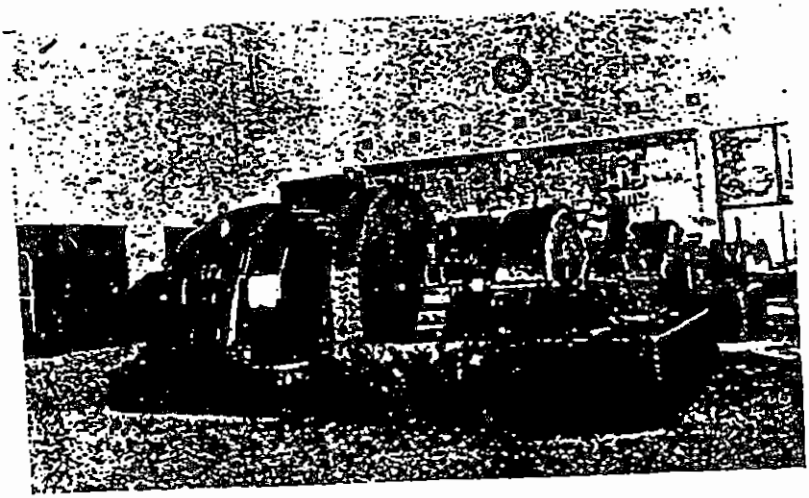

الرسم ٥ – منظر داخلي لمركز القاديشا

الرسم ٤ – داخل منارة الفاديشا

الرسم ٦ – منظر خارجي لمركز الفاديشا

سيادة المطران انطون عريضة ، بطريرك الموارنة اليوم

الشيخ سايد اسطنان

الشيخ رشيد كيروز

زعيما المشروع

بعض الاحيان ، ما يزيد على الخمسمائة حصان ، ولا عجب في ذلك فمن عركات ذلك المعمل ، ما يدور بلا انقطاع ليل نهار[1] . . فتلافياً لذلك وبانتظار المركز الثاني مركز نهر ابي علي ، همّت شركة القاديشا بعمل خزّانات للمياه تخزن الماء في الساعات « الجوفاء » حيث يقل طلب القوة الكهربائية وتفرغه في ساعات « الازدحام » فارتأت ، بعد الدرس ، ان تحوّل مغارة نبع القاديشا الى خزّان عظيم فبدأت بعملها صيف سنة ١٩٣٠ ولم تنته منه الّا في ايلول من الصيف الماضي . وجاءت بخزّانين سعة الواحد منهما الف متر مكعب وهو مقابل لقوة ستمائة حصان مدة ساعة وثلث تقريباً . وراعت الشركة ، في اعمالها هذه ، الوجهة الطبيعية ، فتركت في المغارة العجيب من المستحجرات وانارتها بالكهرباء خدمةً لمصلحة الآثار والاصطياف . واننا ننشر تحت العدد ٤ رسماً لداخل تلك المغارة تُرى فيه المستحجرات على شكل شموع بيضاء . . .

(في العدد القادم مركز نهر ابي علي)

---

١) راجع مقالنا في هذا العمل في المشرق (٢٩[١٩٣١] ٤٤١ . . .)

المصريون في لبنان وسورية

قبل مائة سنة

معلومات وملاحظات

بقلم ابراهيم بك ابو سمرا غانم

١

يوافي هذه السنة التذكار المئوي لدخول المصريين بلادنا بقيادة ابراهيم باشا الفاتح الشهير . وقد نجم عن ذاك الفتح نتائج اجتماعية وادبية وسياسية من حسنة وسيئة ، منها ما اضمحل بجلاء الجيوش المصرية ، ومنها ما لا يزال اثره باقياً حتى اليوم . فرأينا ، بهذه الموافقة ، ان نورد بعض معلومات وملاحظات عن ذاك الفتح نخالها تفيد القرّاء الكرام وتلذّ لهم :

الاستيلاء على لبنان وسورية

بعد ان ظفرت الجيوش المصرية التي كان يقودها ابراهيم باشا واخوه طوسون ، ابنا محمد علي ، بالوهابيين الذين كانوا يُغيرون على البلاد الحجازية ويتعدّون على قوافل الحجّاج ، فكّر محمد علي بانشاء جيش منظّم على الطريقة الاوربية . فعهد بالامر الى الكولونيل سيف الفرنساوي الاصل ، الذي صار فيما بعد سليمان باشا ، فنجح هذا في مهمّته . وقد انشأ ايضاً في الاسكندرية بحرية ، وفتح في القاهرة معملاً لصنع الاسلحة والمدافع وسائر المعدّات الحربية . وقد قام بجميع هذه الاعمال رجال اختصاصيون من الفرنسويين . انما جميع هذه المشاريع اعوزتها الاموال الوافرة واكرهت محمد علي على وضع الضرائب على المصريين الذين ما لبثوا ان شكوا من فداحتها . وكان الفلاحون يساقون

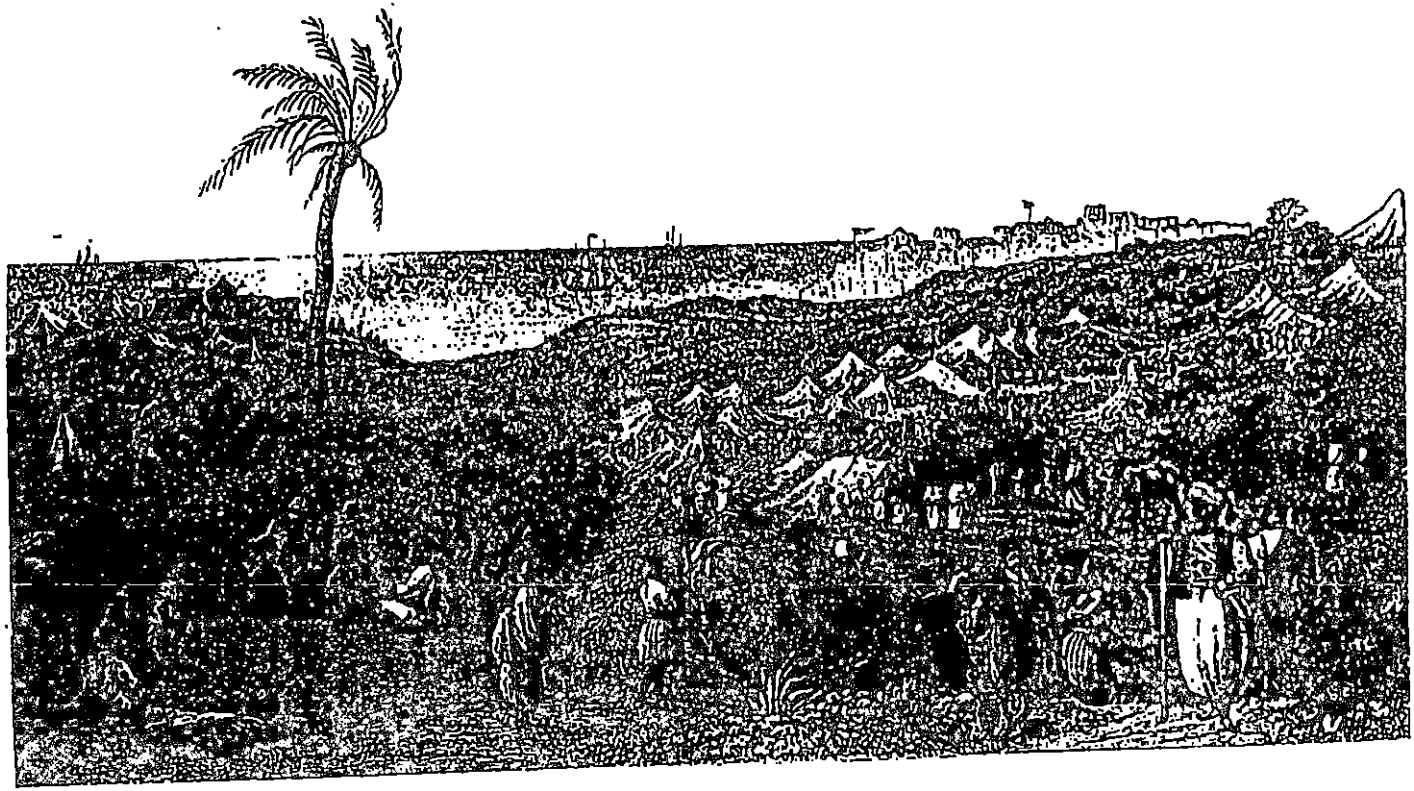

معسكر ابراهيم باشا امام يافا

قسراً إما الى الجندية وإما الى المصانع ، فاقفرت منهم الديار والمزارع ، وفرّ نحو عشرة آلاف شاب الى خارج القطر ويتم معظمهم سورية ، وخصوصاً ايالة عكا التي كان يحكمها عبدالله باشا.

ولما اعان محمد علي الدولة العثمانية في حرب المورا ، اخذ وعداً من الباب العالي باستلام ولاية سورية مكافأةً له . ولكن السلطان اخلف بوعده . ففكر العزيز في ايجاد سبب للاستيلاء على سورية ، فكتب الى عبدالله باشا يسأله ان يُعيد اليه المصريين المهاجرين . فأبى هذا مدّعياً ان المصريين هم ايضاً من رعايا الدولة العثمانية وان لهم الحرية في الاقامة حيثما يشاؤون في البلاد التي تظلّلها اعلامها.

وكان الباب العالي ، قبل بضع سنين ، قد اصدر امراً بفصل عبدالله باشا من ايالة صيدا ، فشفع به محمد علي اجابةً لرجاء الامير بشير ، حاكم لبنان ، فاعيد الى ولايته. وقيل ايضاً انه كان قد اسفه بمالٍ جزيل أرضى به رجال الدولة ، ومعلوم انه لم يكن يتمّ امرٌ في تلك الايام في تركية بدون ان يمثل المال دوره ، فطالبه به ، فابى دفعه . فرأى حينئذٍ ان الفرصة قدسنحت له لتنفيذ ما كانت تصبو اليه نفسه ، ولا سيما ان الدولة كانت في تلك الايام منهوكة القوى خائرة العزيمة بعد المصائب التي حلّت بها إثر ثورة علي باشا ، حاكم يانيا ، وغب ثورة اليونان التي عضدتها فيها فرنسة وانكلترة فنالت استقلالها التام ، بعد ان حكم الاتراك فيها منذ فتح السلطان محمد الفاتح القسطنطينية سنة ١٤٥٣ . وفضلاً عن ذلك فان السلطان محمودًا كان قد بطش بالانكشارية ففقد الجيش العثماني بهلاكهم ما كان باقياً له من القوة والصولة . . .

في الثاني من تشرين الثاني سنة ١٨٣١ ، زحفت الجيوش المصرية برًّا على الاراضي الفلسطينية ، وخرجت في الوقت نفسه العمارة المصرية من الاسكندرية ووجهتها الشواطئ الفينيقية ، فرابطت امام عكا . وتراجع عبدالله باشا امام المصريين الذين كان يقودهم ابراهيم باشا وسليمان باشا الفرنساوي . واستنجد بالسلطان فورده الجواب يستحثه على الثبات ، ويعده بالنجدات . ولكنه لم يفعل بينما كان محمد علي يداوم على ارسال الرجال والاعتدة الحربية الى ولده .

وقد دام الحصار نحو سبعة اشهر أظهر فيها المدافعون عن عكا بسالة فائقة . ولكنهم غلبوا اخيراً على امرهم ، فاستولى ابراهيم باشا على المدينة ، ودخلها ظافراً في السابع والعشرين من شهر ايار سنة ١٨٣٢ بعد ان خسر من جنوده اربعة آلاف مقاتل . وكان المدافعون عن عكا جنوداً من الارناووط والاتراك ، ولو انجدتهم الدولة العثمانية بالقوات لعجز المصريون عن فتحها . ولو كان رجال هذه الدولة ذوي يقظة وتحوّط للطوارئ التي كانت تتهدد سلامة المملكة ، ولو كان السلطان محمود تنبه لخطورة موقع عكا في ذلك الحين ، ولو كان رجال السياسة لهم المام بتاريخ الدول ، لادركوا ان عكا كانت في كل وقت تُعدّ مفتاح سورية ، وانه في الاجيال المتوسطة كان اعظم الفاتحين في الشرق والغرب ، كنيليب اوغست ، وريشار قلب الاسد ، وصلاح الدين الايوبي ، والملك العادل وغيرهم يتنازعون السيطرة على مَعقل عكا ، ولكانوا عرفوا ان نابليون العظيم لما شاء توسيع فتوحاته في سورية فكر اولاً بالاستيلاء على هذه المدينة .

وبينما كان ابراهيم باشا يحاصر عكا ، بعث الى الامير بشير شهاب ، والي لبنان وسيده الاكبر ، يبشره بقدومه ويطلب منهُ ان يوافيه الى حيث هو . فلبّى الامير الطلب وجمع رجال لبنان وجاء بهم معسكر المصريين ، فاستُقبل بمزيد الفرح والابتهاج . ولا يخفى ان نجدة الامير ورجاله اللبنانيين لابراهيم باشا قد جاءت معزّزة لجانبه ومسهلةً لفتوحاته وتوغله في داخلية بلاد الاناضول .

وقبل ان يتمّ الاستيلاء على عكا ، زحف الجيش المصري واحلافه اللبنانيون على المدن الساحلية ، فاحتلّوا صور وصيدا في الرابع عشر من كانون الاول سنة ١٨٣١ ، وفي العشرين منه دخلوا طرابلس . واما دمشق فاستولوا عليها في السادس من شهر حزيران سنة ١٨٣٢ بدون مقاومة .

ولما بلغت الحملة المصرية مدينة حمص ، اشتبكت بالقتال مع العساكر العثمانية التي كانت بقيادة محمد باشا ، والي حلب . وكان عدد العثمانيين خمسة وعشرين الفاً وعدد المصريين عشرين الفاً . فانتصر المصريون ودخلوا المدينة في الثامن من شهر تموز سنة ١٨٣٢ .

ثم تقدم الفاتحون الى بيلان فادركوها في التاسع والعشرين منه ، وكانت قد اجتمعت فيها فلول العساكر العثمانيـة ، فدارت بين الفريقين رحى الحرب . وكان يقود العثمانيين السردار ومشير الاناضول حسين باشا . فكلل النصر هام المصريين . وفي الواحـد والعشرين من كانون الاول ، جرت المعركة الكبرى بين الجيشين المتحاربين في قونيه . وكان رشيد باشا ، المعـدود من اكبر رجال الحرب في تركية ، يقود الجيش العثماني البالغ عـدده نيف وستين الف مقاتل . وكان ابراهيم باشا يقود الجيش المصري ، ولم يتجاوز عـدده الثلاثين الفاً . فتأججت نيران الحرب وحمي وطيس القتال وتصادم الفريقان متلاحمين ، فخرج المصريون منصورين ظافرين ، وولى العثمانيون من امـامهم مدبرين لا يلوون على شيء . وقد اسر العرب الموالون لابراهيم باشا رشيد باشا وجاؤوا به اليه . وبلغ عدد قتلى العثمانيين ثلاثة آلاف رجل ، وأسر عشرة آلاف . وقد جاء هذا النصر اعظم الانتصارات التي حازها ابراهيم باشا منذ زحف على سورية .

ولما بلغت اخبار هذه المعركة دول اوربة ، اهتمت لهـا كل الاهتمام . وامتعضت روسية وانكلترة من فشل الدولة العلية وخشيتا من تقدم المصريين الى الاستانـة ، وتحفزتا للحؤول دون ذلك . فرأت فرنسة التي كانت ترمق الفتوحات المصرية بعين الرضى والارتياح أن تضع حداً لمطامـع محمد علي خوفاً من حرب اوربية طاحنة ، فتداخلت في الصلح بين التابـع الغالب والمتبوع المغلوب ، وعرضت على محمـد علي ولاية سوريـة ، فلم يرضَ وطمع ايضاً بالولاية على الاناضول . وبعد مخابرات طويلة تمّ الرضى على ان توافق الدولة العثمانية على ولاية محمد علي على مصر وكريت ، مع اضافة البلاد السورية وولاية ادنه الى حوزته ، وعلى تجديد ولاية ابراهيم باشا على جدّة ، وعلى منحه لقب شيخ الحرم الملكي الشريف . وقد عقد الصلح في مدينـة قوتاهية في اليوم الرابع من ايار سنة ١٨٣٣ بين السلطان محمود ومحمد علي . وناب البـارون روسين ، سفير فرنسة في الاستانة ، بالتوقيع عن السلطان ؛ وناب ابراهيم باشا

بالتوقيع عن ابيه . وتضمن هذا العقد ايضاً تعهد محمد علي بان يدفع لخزينة الدولة الاموال التي كان يدفعها الولاة السابقون.

اجراآت ابراهيم باشا في سورية

عندئذٍ انسحب ابراهيم باشا بجيوشه من بلاد الاتراك الى سورية ، واخذ يهتمّ بالشؤون الادارية . فغيّر تقسيم المقاطعات والولايات ، واوجد لها ترتيباً ادارياً جديداً . فجعل نفسه حاكماً عاماً وقائداً اعظم . واقام شريف باشا ، احد اقربائه ، والياً على الشام وعلى برية سينا ، ومنحه لقب حكمدار عربستان . ونصب متسلماً على عكا الشيخ حسين عبد الهادي النابلسي . وفوّض الى الامير بشير تولية من شاء من اقاربه على صيدا وصور وبيروت وطرابلس . ولكن لم يلبث ان رجع عن هذه المنحة ، فعزل الامراء الذين ولّاهم الامير بشير على هذه المدن وسلّمها الى بعض رجاله.

ثم سلخ صيدا عن عكا ، وولّى عليها سليمان باشا الفرنساوي . ويا ليت جميع الحكام الذين ولّاهم كانوا على مثال هذا الرجل! لأنه برهن على انه الاداري الحكيم كما برهن على انه القائد الباسل الهمام . وقد جعل حنا بك البحري المسيحي مديراً عاماً للحسابات ، وما زال يرتقي هذا في المناصب حتى نال رتبة امير آلاي . ولما اقام على كل مدينة متسلماً اوجد فيها وظيفة مباشر اناط به ادارة الاموال والحسابات ، والّف ايضاً في كل مدينة عدد سكانها من عشرين الف نفس فما فوق مجلس شورى من اعيان جميع الطوائف ؛ فكان عددهم في الشام واحداً وعشرين من المسلمين والنصارى واليهود ، وفي بيروت اثني عشر وقد ذكر كتاب « حروب ابراهيم باشا المصري في سورية والاناضول » اسماءهم ، فكانوا من المسلمين : عبد الفتاح حماده ، وعمر بيهم ، واحمد العريس ، وحسن البربير ، وامين رمضان ، واحمد جلول . ومن المسيحيين : جبرائيل حمصي ، وبشاره نصرالله ، والياس منسى ، وناصيف مطر ، ويوسف عيروت ، وموسى بطرس.

وكانت قرارات هذه المجالس في المدن تُستأنف الى مجلس شورى عكا ، او مجلس شورى دمشق ، وعند اللزوم كانت تُميَّز الى القاهرة.

وانشأ محاكم مدنية للنظر في القضايا الحقوقية والجزائية ، ومحاكم شرعية لفصل المنازعات المذهبية.

ولا ريب في ان هذه الترتيبات والتقسيمات قد وُضعت عن حسن قصد ورغبة اكيدة من مُوجدها في السير في سبيل الخير العام وتوفير اسباب رُقي البلاد ونجاحها . ولكن يا للاسف لم يمضِ وقت طويل حتى ظهر الخلل في تطبيق هذه التنظيمات ، إمّا عن جهل المأمورين واجباتهم ، واما عن سوء استعمال الوظيفة . فانهم استبدوا كل الاستبداد في الرعية ، فساموها خسفاً وظلماً ، ولم يجدوا باباً لابتزاز اموال العباد الّا ولجوه ولا طريقاً الّا سلكوه . وقد استنبط بعض الولاة اساليب شيطانية للكسب لم تخطر على البال ، فكانوا يتاجرون باللحوم والفواكه ، ويحتكرون الحاصلات ثم يبيعونها بالمزاد العلني ، ولم يكونوا يسمحون لغير الذين اشتروا منهم ان يبيعوا ما عندهم الا بعد ان يفرغ الذين اشتروا من بيع ما اشتروه . وكان المحاسبون والمباشرون الموكول اليهم جمع الاموال يجرون على هذا المنوال . ولقد تطرق ايضاً هذا الفساد الى مجالس الشورى ، فجاء وجودها اكثر ضرراً من عدمه.

كانت الحكومة المصرية في بدء احتلالها البلاد قد اذاعت بين السكان بلاغاً اعلنت فيه عزمها على تخفيف الضرائب عن كواهل الشعب . ولكنها ما عتمت ان اثقلت مناكبهم بضرائب جديدة لم تكن معروفة من قبل ، فوضعت مال الفُردة ، ومال الدخوليات ، واحتكرت حاصلات الحرير ، وتظاهرت بالغاء الاعانات التي كان يتقاضاها الحكام في عهد الحكومة العثمانية. بيد أنها في الحقيقة لم تُلغِها الا لتحدث ما يعادلها او يفوقها ، فوضعت ضريبة خاصة على التوت وكافة الاشجار المثمرة كالزيتون وغيره لا تقلّ عن خمس غلّتها . ولم تُستثنَ منها المغروسات الجديدة ، وهو حيف ضاق الناس ذرعاً عن احتماله فامتنعوا عن غرس الاشجار المثمرة.

اما الفُردة[1] ، وما ادراك ما الفُردة ! فهي الضريبة الملعونة التي حاجت لها الخواطر وتألمت من قداحتها النفوس . وقد كانت عبارة عن مال وضع على اعناق الذكور الذين تجاوزوا الرابعة عشرة من عمرهم الى الستين منه ، وكانت تؤخذ منهم حسب مقدرتهم بنوع انها لا تقل عن خمسة عشر قرشاً على المكلف الفقير ، ولو كان معدماً ومتسولاً في الشوارع يستندي اكف الناس ، ولا تزيد عن الخمسمائة قرش على المكلف الغني . والذي زاد في الطين بلة هو انه لما نقص عدد المكلفين ، إمّا بسبب الوفيات في الحروب او من الامراض واما بسبب المهاجرة الى البلاد القاصية ، أوجبوا على الاحياء دفع المال المتوجب على الذين توفاهم الله او هاجروا . فمن كان في الاصل يدفع مثلاً خمسمائة قرش اصبح يدفع الفاً او الفاً وخمسمائة وهو ظلم فادح .

امّا ضريبة الشونة[2] فكانت عبارة عن تكليف الاهالي تقديم حاجات الجيش من الحبوب والسمن والزيت ، ونقلها من بلدتهم الى اقرب شونة عسكرية ، إمّا على دوابهم او على دواب يستأجرونها بمالهم . ومن تأخر عن الدفع وعن جميع ما كان يطلب منه من التكاليف كان يُلقى عليه القبض ويزج في اعماق السجون ، بعد ان يوسع ضرباً ويُسام جميع صنوف الاهانات والتعزير . وقد ادى الامر بالكثيرين الى الفرار فاقفرت المدن والقرى ، ولجأ الكثيرون الى الجبال العالية يقتاتون باعشاب البرية ، يفترشون الارض ويلتحفون السماء ، ويلعنون دولةً كانوا يظنونها الصديقة الرحومة فاذا هي العدوة الظالمة .

(له صلة)

---

١) لم اهتدِ الى اشتقاق هذه الكلمة ، أتكون تصحيف فريضة ؟ وقد جاء في محيط المحيط للعلامة بطرس البستاني : الفُردة عند المولّدين ضريبة توضع على الراس .

٢) جاء في المنجد للاب معلوف اليسوعي : الشونة مخزن الغلة .

الرُّتَب الكهنوتيّة

في

الطائفتين المارونيّة والسريانيّة

بقلم الخوري اسحق ارملة السرياني

٣

٣ً طقس رسامة الرسالي

الرتبة الثالثة والاخيرة من الرتب الصغيرة رتبة الرسالي ويقال له ܡܫܡܫܢܐ هفودياقن بلفظ يوناني . وسماه المجمع اللبناني شدياقاً . غير ان السيد يوسف دريان اثبت (ص ٧٩) ان استعمال لفظ الشدياق في الطقس الماروني غلط . ولما كان الرسالي ، على ما صرّح المجمع اللبناني (٣١١ و٣١٢) ، لم يزل يُحسَب عند الموارنة (وعند السريان ايضاً) في عداد اصحاب الدرجات الصغار ، كان لذلك غير مكلّف بتلاوة القرض وحفظ التبتّل كما يكلّف الشمّاس والقس ... وله حقّ الانشاح بالبطرشيل . ويلزمه ان يبرز في ديوان الامتحان صكّ رسامته قارئاً وشهادة عماده الخ . ويجب ان يكون بالغاً السنّ الثامنة عشرة عند السريان ، والرابعة عشرة عند الموارنة ، خبيراً بالطقس والالحان البيعيّة ، مدركاً من اللغة السريانية ما به الكفاية . وقد ذكر ابن العبري في كتاب الهدى (ص ١٠٢) ان الرسالي يلزمه ان يتعلّم مزامير داود كلّها ظاهراً .

واذا حان وقت الرتبة ، لزم المنتخَب ان ينتصب داخل باب المذبح لابساً ثوب القارئ ، اعني القميص ، والبطرشيل ، مكشوف الراس منحنياً ومتكتفاً ، ريثما ينتهي الحبر من القداس الى الرفعة . وبعد هذا يغطّي الاسرار بالنافور

ويغسل انامله ويلبس التاج ويمسك العكّاز الخ . ويبدأ بالرتبة كما ذكرنا آنفاً[1] حتى ينادي الشمّاس الماروني: «فلنقف حسناً» الخ . ويصلّي الحبر : « استمع يا رب صلواتنا برحمتك » الخ . ويقولون التقاديس الثلاثة وقانون الايمان على ان هذه المناداة وما يتبعها لا ذكر لها في المجمع اللبناني (ص ٢٦٤) ولا اثر لها في بعض نسخ الطقس الماروني كما اثبت السيد يوسف دريان (ص ٧٩).

اما المجمع اللبناني فقال (ص ٢٦٤) حين يرسم الشدياق يتوشّح بدرع القارئيّة ويقبّل يد الاسقف الجالس امام المذبح قائلاً : بارخمور. فيسمه الاسقف في جبهته ثلاثاً قائلاً : «ليباركك الرب الاله في عداد شدائقة كنيسة القديس فلان» الخ. ثم يتلو صلاة الفاتحة والشمّاس يرتّل : فلنقف حسناً الخ . ورئيس الشمامسة يقود المنتخَب الى الاسقف قائلاً: نقدّم لقداستك الخ . فيأمره الاسقف فيجثو على يسرى ركبتيه ، كما يجثو المنتخَب في الطقس السرياني . ثم ان الحبر الماروني يضع يمينه على صدغي المنتخَب قائلاً : ܠܡܪܚܡܐ ܕܐܠܗܐ النعمة الالهية[2] الخ . ويدقّ بيديه على هامة المنتخَب ويقول سرّاً ، كالحبر السرياني : «اجل يارب اجعله مستحقاً لهذه دعوة الرساليّة» الخ. ويجهر: «لانك الاله رحيم» الخ. ثم يبتتلي سرّاً: «اللهمّ ربّ القوّات المقدّسة السماريّة» الخ. اما الحبر السرياني

---

١) اضرب المجمع اللبناني عن ذكر مقدّمات الرسامة الى الحسّاي ، والايات الاربعة ، والطركمادة السريان والموارنة (دريان ٦٦) مع انه ذكر ذلك في رسامة المرتّل. (ص ٢٦٣) ويُستخلص من ذلك انه ما اضرب عن ذكره الّا لكونه معلوماً ومفهوماً .

٢) ذكرنا آنفاً أن لا اثر لهذه الدعوة في رسامة القارئ ولا في رسامة الرسالي. ونضيف الى ذلك ما اورده السيد يوسف دريان (ص ٣١ و ٣٦ و ٤٤) قال : ان هذه الدعوة ليست الصورة الجوهريّة كما يظنّ غير واحد من الموارنة لانها ليست انشائية او ابتهالية بل اخبارية . . . ومما يزيد ذلك اثباتاً استعمال كنيسة السريان الكاثوليك في الحال ، فانا قد اشتركنا معهم مراراً في رسامة بعض اساقفتهم في دير الشرفة بكسروان وقد نبّه خاطرنا جدّاً ما اجروه منذ بلوغهم الى هذه المقالة نفسها فان احد الشمامسة (الاساقفة ؟) قد تلاها علناً على الشعب عند باب المورس كسائر الكرازات. فلو كانت هذه المقالة هي الصورة الجوهرية للرسامة للزم عن كلّ ما تقدّم انها لم تكن تتمّ عندنا قبل عهد العلّامة الدويهيّ وهي الى الآن لا تتمّ عند السريان ، وهذا محال كما لا يخرب . امّا الذويهي فقال (ص ٢٣٧) ان هذه المقالة . . . هي بدل الصورة فتسمّى في الكتب الالهيّة اوقاتاً صلاة واوقاتاً بركة .

فيتلو هذه الصلاة بعدما يقرأ المنتخَب قراءة أشعيا (٤٤ : ٤ ــ ٧ و ٥٩ : ٢١ و ٦١ : ١ ــ ٣) . على ان السيّد دريان قال (ص ٢١) : ان العلّامة الدويهي وضع هذا الابتهال قبل مقالة التقديم خلافاً لوضعها القديم.

ثم يلتفت الحبر في كلا الطقسين نحو المذبح ويضمّ اصابع يديه كلتيهما كالحلقة ما عدا الابهامين حول الطبق فالكاس ، ثم يتّجه هكذا فيمسك باصابعه عينها صدغي المنتخَب ويصلّي سرّاً : «ايها الاله الابدي ماسح الملوك ومقدّس الانبياء» الخ . ويتّجه نحو المذبح ويجهر : «واغرسه كالزيتونة الغزيرة الثمار» الخ. ثم يقول : السلام لجميعكم . ويقول الشعب : ولروحك. وعندما يصلّي الحبر هذه الصلاة سرّاً ينشد الشمّاس السرياني وحده او الشمامسة الموارنة جميعاً قورياليسون.

ثم يصلّي الحبر الماروني سرّاً : «اللهمّ يامن منح الكهنوت لسبط لاوي» الخ. ويلتفت الى المذبح ويجهر : «ونؤدّي التسبيح والشكر» الخ . وينادي رئيس الشمامسة : «لنقف كلّنا بالصلاة» الخ. ويضع الحبر الماروني عينه يده على الاسرار فعلى هامة[1] المنتخَب ويقول سرّاً : «ايها الرب الاله الحنون العطوف» الخ. ويتّجه نحو المذبح ويقول جهراً : «بنعمة ورحمة ومحبة» الخ. وبعد هذا كله يصلّي سرّاً كالحبر السرياني : «انظر الينا يا ربّ والى خدمتنا ونقّنا من جميع الادران» الخ . ويجهر : «لانك الاله الراغب في الرحمة» الخ.

وبعد هذا يُنهض الحبر في كلا الطقسين المنتخَب عن الارض ، ويضع يمينه على جبهته لا على هامته[2] ، ويعلن في السريانيّة لا في العربية : ܐܬܩܝܡ اي : ارتقى في بيعة الله المقدّسة فلان[3] الخ . فيقول رئيس الشمامسة : «فلان هفوذياقوناً لمذبح الكنيسة الفلانيّة» الخ. فيستلي الحبر : فلان المفوذياقون في الكنيسة الارثذكسية المقدسة التي سبقت فاشتهرت . بسم الآب ✠ فيقول

١) لا يضع الحبر يده الّا على هامة من يترقّى الى الرتب الكبيرة كما ألمحنا.

٢) لا يحلّ للحبر في رسامة الرسالي ان يضع يمينه على هامة المنتخَب ، بل ينبغي ان يسم جبهته باجامه شكل صليب ثلاثاً (المنتخبات للسيّد اغناطيوس افرام رحماني (٣ : ٢٩) .

٣) المجمع اللبناني ايضاً : ٢٦٥ ، والسيّد دريان : ٨٤

الشعب : آمين . والابن ✠ آمين ، والروح ✠ القدس للحياة الابدية »[1] . وعد ذكره اسم كلّ من الاقانيم المقدسة يدم المنتخَب بالصليب او بابهامه ثلاثة صلبان في جبهته . ثم يلبسه هوّاره قائلاً بالسريانيّة : لمجد واكرام وتبجيل وتعظيم الخ ويجاوبه الاكليرس بالمثل . وفي ذلك كلّه يتّفق الطقسان اتمّ الاتفاق . غير ان العلّامة الدويهي اكتفى بقوله ان الحبر يوشّح المنتخَب بالهرّار على رقبته ولم يزد . كأن لبس الهرّار معروف لا يحتاج الى تنبيه . ذلك بان يضعه الحبر على كتف المرسوم اليسرى من ناحية صدره ثم يديره على ظهره ويلفّه تحت إبطه اليمنى وعلى صدره ويلقيه اخيراً على كتفه اليسرى من ناحية ظهره . وبعد هذا يتلو صلاة الشكر سرّاً : «نقبل نعمتك ايها الرب الضابط الكلّ» الخ. ثم يجهر : «ويجد امانك برحمة» الخ. ويدفع اليه شمعة مضيئة ويقول بالسريانية آية داود النبي : انا كالزيتونة المجيدة[2] الخ . ويردف المرسوم قائلاً الآية عينها . ثم يقبّل المذبح ويعين الحبر ويحيّيه المؤمنون . وبعد ان يتناول الحبر القربان المقدس يناول المرسوم ويختم القدّاس.

امّا الطقس الماروني فبعد صلاة الشكر وتسليم المرسوم مصباحاً مضاء ، قرّر ان يطاف به في الكنيسة بالمعانيث ثلاث دفعات كما يُطاف بالمرتّل والقارئ . وعند وصوله الى محلّ القنديل يطفئه ويضيئه ثلاثاً . وعند بلوغه الى باب الكنيسة يغلقه ويفتحه ثلاثاً . وينشد رئيس الشمامسة : ܕܡܪܝܡ ܕܡܪܝܡ ܕܡܪܝܡ ܕܡܪܝܡ الخ . وفي الطواف الثالث يصكّ الناقوس ، ثم يقرأ من اعمال الرسل (٢ ١٦ — ٤٧) . وينادي رئيس الشمامسة : لنقف كلّنا بالصلاة الخ. ويختم الحبر : «يا الاه الالهة وربّ الارباب» الخ. وهذا كلّه لا اثر له في الطقس السرياني كما اشرنا . ويظهر ان احبار الموارنة اضافوه مع تمادي الزمان ازديادًا لرونق الرتبة.

ومن حقوق الرسالي وفروضه ان يخدم في الكنيسة كالواقه ، فيضيء

---

١) قال السيّد دريان (ص٨٤) : ان الشرطونيّة القديمة عند الموارنة تتّفق اتفاقاً تامّاً في تلاوة الماهنب بالتناوب ما بين الحبر والارشدياكن . كالطقس السرياني.

٢) يقول الحبر والمرسوم معاً . دريان ٨٤ في الطقس الماروني.

القناديل ، ويحرس الابواب[1] ، ويكنس الكنيسة ويقرع الجرس داعياً الى الصلاة . ويمسح الاواني المقدّسة وينشفها ويضعها على المذبح . ويقرأ اعمال الرسل والرسائل القانونيّة وسير الشهداء . ويجمع القرابين ويصبّ الماء على ايدي الكهنة والاحبار . ويخرج الموعوظين من الكنيسة بعد قراءة الانجيل[2] . وله كما قلنا ان يملك شمعة مضيئة في القدّاس والدورة[3] . ولا يحق له ان يقرأ من رسائل مار بولس ولا يلتزم بنذر العفّة : والخلاصة ان رتبته في كلا الطقسين السريانيّين تُحسَب من الرتب الصغيرة لا الكبيرة[4] .

٤ً طقس سياميذ[5] الشمّاس اي الدياقُن

اول الرتب الكبيرة المقدّسة في الطقسين رتبة الشمّاس . والشمّاس ܡܫܡܫܢܐ او ܫܡܫܐ لفظ سرياني بحت يُطلَق على خادم الاسرار المقدّسة . ولا يرقّى لهذه الرتبة الّا من بلغ الحادية والعشرين على ما نصّ المجمع اللبناني (٢٥٧) ، او الثانية والعشرين على ما حدّد مجمع الشرفة (١٦٣) .

ويُفرَض على الشمّاس ان يتلو الصلوات القانونيّة في الخورس او على انفراد ومن حقوقه ان يجهّز أواني القدّاس ويضع فيها الخبز والخمر وينشّفها . وينبّه المؤمنين ومَن تحت مرتبته من خدمة الاسرار الى الوقوف والجثو والصمت والترنيم في الكنيسة . وان يقرأ رسائل مار بولس لا الانجيل . وان يبخّر ويلوّح بالمروحة . ويطلق لحيته . وله كذلك باذن الاسقف ان يلقي الوعظ في الكنيسة ويعمّد ويناول . ولكن لا يباح له ان يمنح سرّ التثبيت . وليس

١) الهدى لابن البريّ (ص ١٠٣) .
٢) المقتطفات ٣ : ٢٦ .
٣) مجمع الشرفة ١٦٢
٤) الدويهيّ : ١٩١ ، والمجمع اللبناني : ٢٥٥ ، ومجمع الشرفة : ١٦٢ ، والسّدريان : ٧٨ .
٥) السياميذ ܣܝܡܝܕܐ سرياني يراد به وضع يد الحبر على هامة من يتقبّل الرتب المقدسة . وتعتقد ان لفظ « سيامة » في استعمال العامّة تحريف سياميذ .

له كذلك ان يبدأ بالصلاة العمومية الّا في غياب القسّ ، كما انه لا يرخص له ان يجلس وقت الصلاة ، الّم يأذن لـه الحبر او القس في ذلك [1] . ومتى ارتقى الشمّاس الى هذه الرتبة المقدّسة خُرّج عليه عقد الزواج بتاتاً.

امّا طقس سيامة الشمّاس فيجب اوّل بدء ان يتردّى المنتخَب بالقميص وبطرشيل الرسالي ، وينتصب واقفاً في الخورس من بدء القدّاس الى الرفعة . وحين ذاك يجلس الحبر في الطقسين على الكرسي ويتلو عليه بعض قوانين وبنود دينيّة تسمّى ܐܣܟܘܠܝܘܢ [2] . حتى اذا انتهى من قراءتها استدعى المنتخَب ليرسم صليباً على الكتاب ويثبت اسمه الى جانبه عربوناً لاخلاصه وامانته . ثم يضع الحبر السرياني يمينـه على كتف المنتخَب ويدخله الى المذبح قائـلاً في السريانيّة : « روح القـدس يدعوك لتكون شمّاساً في الكنيسة المقدّسة . » فيجثو حينئذٍ على الركبة اليمين ويتكتّف [3] . ويبدأ الحبر في كلا الطقسين : « اهلنا ايها المسيح الهنا ان تكمّل هذه الخدمة الطاهرة السريّة » الخ . ويردفها بقوله : « زيّن يا ربّ عبدك » الخ . ويترنّم الشمامسة والكهنة بالمزامير والالحان ، وبالابيات المسبّقة بمزمور « ارحمني يا الله » . ويرتّل احد القسوس الحسّاي : « اذلك الذي يجود بنعمته » الخ . ثم : « ايها المسيح الهنا مجمّل الخدمة الروحيّة » الخ فاربعة ابيات بلحن ܐܠܗܐ ܐܠܗܐ . فالمطر : « لوفرة مراحمك » الخ .

ثم ينادي رئيس الشمامسة الماروني منـاداة او باعوثاً افرامياً بـدوه : ܐܡܪܘ ܘܫܡܥ ܡܫܬܘܬܐ الخ . ويصلّي الحبر : « ايها الالـه القدّوس المرتضي بالقديسين » الخ . وقد أُضيفت هنا في بعض النسخ المارونيّة التقاديس الثلاثـة ، وقانون الايمان ، خلافاً للوضع القديم وللمجمع اللبناني . ثم ان رئيس الشمامسة

---

١) المجمع اللبناني : ٢٦٦ و ٣١٢ و ٣١٣ ؛ ومجمع الشرفة : ١٦٣ و ١٦٤ ؛ وشرطونيات الدوجي : ١٢٤ : والمدى لابن العبري : ٩٥ ؛ والمقتطفات ٣ : ٢٥

٢) الدوجي : ٢١٤ ، وفي بعض الصحف المارونيّة ان قراءة الاموليغيا تسبق الرتبة الاولى .

٣) ورد في بعض النسخ القديمة ان التكتّف يكون بضمّ الكتفين الى الظهر ، لا الى الصدر .

يقدّم المنتخَب الى الحبر قائلاً : « تقدّم لقداستك » الخ . فيأمره الحبر ان يجثو على الركبة اليمين ، ويضع يمينه على رأسه ويقول: « النعمة الالهية » الخ. ويقول الشمّاس : « بالسلام الى الربّ نتضرّع » الخ . ويصلّي الحبر سرًّا : « نعم يا رب اجعله اهلاً » الخ . ويجهر : « لانك اله رحيم » الخ . وهذه الصلاة الاخيرة يتلوها الحبر السرياني في رسالة الرسالي.

امّا في الطقس السرياني فبعد صلاة العطر يقرأ الشمّاس كما يقرأ الشمّاس الماروني ايضاً من رسالة بولس الاولى الى طيمثاوس الفصل ١١٦ و ١١٨[1] . اعني (٣ : ٨ ــ ١٥ و ٤ : ٦ ــ ١٠) . ثم يرتّل الحبر السرياني الانجيل من يوحنا (١٢ : ٢٤ ــ ٢٦ و ٣٥ ، و ١٣ : ٣١ ــ ٣٥ ولوقا ١١ : ١٣) ، ويبدأ بالمزمور ١٥٠ يردفه الاكليرس بابيات ܗܘܡܢܐ ܕܐܠܗܐ ܚܝܐ الخ . ثم يصلّي كلا الحبرَين سرًّا : « ايها الربّ اله القوّات » الخ . ويجهر : « واقبل الشمّاس وكمّل عبدك » الخ.

وههنا يدفع الحبر السرياني عكّازه الى رئيس الشمامسة فيقبل هذا يمينه ، ويقبض على العكّاز مرفوعاً عن الارض ، وينتصب في باب المذبح من ناحية الجنوب ملتفتاً نحو الشمال وينادي بصوت جهوريّ : ܠܡܪܝܐ ܕܥܠܡܐ ܕܥܠܡܝܢ[2] الخ. فيأتي بالمنتخَب كفيله الى الحبر ، فيعلن الحبر : ܗܢܐ ܕܢܬܠ الخ. ويردف رئيس الشمامسة : ܗܠܝ ܕܢܩܒܠ الخ. ثم يتلي : ܕܢܬܩܢ ܒܗ الخ ثم يصلّي الحبر سرًّا : « اقبل برأفتك » الخ . ويجهر : « لكي يستحق بعطفك » الخ.

(للبحث صلة)

---

١) الارقام مطابقة للمخطوطات السريانية القديمة التي تحمي فصول رسائل مار بولس بدءاً من رسالته الى رومية . وهكذا اثبتها المجمع اللبناني (٢٦٦).

٢) اشرنا الى هذه الكرازة في حاشية علّقناها على ܠܡܪܝܐ ܕܥܠܡܐ في رسامة الرسالي.

جولة في المجلات

مؤتمر اورشليم الاسلامي – النثر الجاهلي

مؤتمر اورشليم الاسلامي

كتب تيَّاردا (F. Taillardat) في مجلة « آسية الفرنسوية » (L'Asie Française, Février 1932, p. 54-57) بحثاً ملخصاً عن المؤتمر الاسلامي الذي عُقد في ٧ كانون الاول الفائت في القدس الشريف . فذكر اسباب فشله رادًّا اياها الى غاية المؤتمرين المزدوجة : اي البحث في اعادة الخلافة ، وانشاء جامعة اسلامية في القدس تقوم مقام الأزهر .

وقال ان هذه الغاية لم تُعرف حتى هاج الرأي العام الاسلامي على المؤتمرين ، شاكًّا في حسن نياتهم ، ناسباً اعمالهم الى ارضاء الاجانب والرغبة في تحويل العاصمة الاسلامية الى مدينة تحت الانتداب الانكليزي . ولم تكن حكومة من الحكومات الاسلامية المدعوّة الى المؤتمر كافغانستان ومصر واليمن والحجاز ونجد والعراق ، وغير المدعوّة كسائر حكومات الشرق الاسلامي لتنظر بعين الرضى الى انعقاد المؤتمر . وكان يعدّ المسلمين في نفسهم عليه جرائد تركية وبلاد السوفيت خاصّة . وقد نشر الكاتب مقتطفات من هذه الصحف تظهر كلّها معاكسة للمؤتمر ، دالّة على اصابع السياسة الاجنبية الرامية الى السيطرة على المسلمين بواسطة اعادة الخلافة . وختم مقاله قائلاً :

« لقد فشل المؤتمر . وان هو لم يصادف النجاح ايضاً في مسألة انشاء الجامعة ، فلأن هذا المشروع ظهر سياسياً قبل كل شيء غايته نشر دعاية لم تكن لتعزّزها القاهرة ولا مكة ولا استامبول .

« وقد شعر العالم الاسلامي شعوراً غريزيًّا ان مشروع المفتي اذا نجح يرجع به الى الاسلام القديم . ففشل المؤتمر فشلاً تامًّا .

« ونحن اذا طرحنا من المؤتمرين الثانية والثمانين مندوباً المجتمعين من فلسطين ومن شرقي الاردن وكلهم من احلاف المفتي ، لا يبقى الّا نحو الخمسين من مندوبي الاجانب . وفضلاً عن ذلك يجب ان نذكر ان الكثير من هؤلاء ايضاً لا يمثلون الّا شخصيتهم فحسب . وقد بلغ من قحط الرجال يوم افتتاح المؤتمر أن مريديه كانوا يفتشون في جميع انحاء اورشليم عن مسلمين اجانب ليجعلوهم مندوبين عن الانحاء الاسلامية المختلفة . من ذلك الحادث الجدير بالانتباه الذي ذكره ڤيلنسكي (Vilensky) عن مندوب « البلاغ » ،

وهو انه ذهب الى ادارة المؤتمر ليطلب تذكرة للحضور بصفة كونه صحافياً . وشدّ ما كان انذهاله اذ رأى نفسه يترقى حالاً الى درجة مندوب ، ويُعلن باسمه ممثلاً القطر المصري.

« واذا تذكرنا اخيراً ان نحو العشرين من المندوبين الاجانب تركوا المؤتمر بعد جلسته الافتتاحية ، نصل الى النتيجة التالية وهي : ان الرغبات التي نشرها المؤتمر كمقاطعة البضائع والمحصولات اليهودية في البلدان الاسلامية ، وطرح قرار لجنة جمعية الامم في ما خصّ المبكى ، وتأليف جمعية تبشيرية من المرسلين غايتها شرح الاسلام ونشره ، لم يقرّها الّا نحو الثلاثين من الافراد اجتمعوا في جمعية صداقة لا صفة شاملة لها.

« وبعد ان اثار المؤتمر الاسلامي المناظرات الحامية ، ختم جلساته وسط الإعراض العام . فكان فشله تامّاً . ولم يكن بالامكان ان يحدث غير ذلك اذا اعتبرنا التطوّر الحالي في العالم الاسلامي.»

النثر الجاهلي

جاء في مجلة المجمع العلمي العربي (كانون الثاني - شباط ١٩٣٢ ص : ١١٥) بعنوان « آراء وافكار : النثر الجاهلي» وبدون توقيع :

بعد ان سكنت الضوضاء التي احدثها الاستاذ طه حسين حول « الشعر الجاهلي » منذ بضع سنين قامت اليوم ضجة أُخرى حول « النثر الجاهلي » احدثها تلميذه الدكتور زكي مبارك . فقد نشر في جريدة « البلاغ» المصرية منذ حين مقالات بعنوان « النثر الجاهلي » و « نشأة النثر الفني » حرك بها من اقلام كبار كتّاب الادب في مصر فانبروا لتأييده في بعض ما ذهب اليه ومعارضته في بعضه . وقد احببنا ان ننشر خلاصةً من هذا الموضوع الجم الفائدة الطريف الاثر في آدابنا العربية :

افتتح الدكتور مبارك مقاله بهذا السؤال :

« هل كان للعرب نثر فني في عصور الجاهلية ؟ وهل كانوا يفصحون عن اغراضهم بغير الشعر والخطب والامثال ؟ »

واجاب على ذلك مخطئاً اولاً من قال ان العرب قبل الاسلام لم يكن

لهم وجود ادبي ولا سياسي . وقائل هذا القول اما مسلم يرى ان الاسلام هو الذي خلق العرب ونقلهم من الظلمات الى النور ، او مؤرخ يشك في ما اثر عن العرب من الآثار الادبية . ومنهم من غلا فزعم ان عرب الجاهلية كانوا يعيشون عيشة اولية وهذه الحالة لا تسمح لهم بتولد النثر الفني فيهم . وصاحب هذا الرأي هو المسيو مرسيه وشايعه عليه الدكتور طه حسين . ويراد بالنثر الفني ما يلجأ اليه الرجل لاذاعة فكرة او دفع شبهة او ايضاح مشكلة . واستبعد الدكتور مبارك ان يكون للامم التي تجاور العرب كالفرس واليونان وغيرهم نثر فني قبل الميلاد باكثر من خمسة قرون ثم لا يكون للعرب نثر مثله بعد الميلاد بخمسة قرون

قال والدليل على خطأهم في ذلك ان القرآن اشار الى انه كانت لدى العرب كتب تدرس وكتابة تمارس بدليل آية « وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك » فالنثر الفني كان موجوداً ، وكان يُكتب ويتداول وعدم وصوله الينا لا يقتضي عدم وجوده . فهو قد ضاع لاسباب : اهمها شيوع الامية وقلة التدوين في الجاهلية ، وبعد نثرهم عن الحياة الاسلامية التي حدثت بنزول القرآن .

وبعد ان اثبت الدكتور مبارك وجود النثر الجاهلي على هذه الصورة عاد يبحث عن طريق يثبت به كيف كان نثرهم الفني ؟ وما هو أسلوبه ؟ وما هي الاتجاهات العقلية التي كان يرمي اليها كاتبو ذلك النثر في ذلك العصر ؟

فذهب الى ان النصوص المروية كأسجاع الكهان وعظات الخطباء وخطب الوفود لا تكفي لتعيين اساليب النثر الجاهلي . وهي على قلتها مما وُضع في العصر الأموي لاغراض دينية او سياسية او قومية اي بيان فضل العرب . وبعد ان افاض في اثبات رأيه هذا قال : والنتيجة اننا لا نستطيع ان نعطي النثر الفني الجاهلي لوناً نطمئن اليه ما دمنا لم نظفر بنصوص صحيحة منه ، اما ما روي من تلك النصوص فهو منحول مختلق . وهذا الشعر الجاهلي ارتابوا في صحة اكثره مع ان الشعر يسهل حفظه ويمتنى بروايته فكيف بالنثر وهو ليس بهذه المثابة .

فاذا لم تكن النصوص المروية كافيـة في تعيين أسلوب النثر الفني فما هو الشيء الذي يثبت لنا ذلك ؟

اجاب الدكتور مبارك بانه القرآن . وبديهي ان رأيه هذا فيه مفاجأة حادّة يصعب التسليم بها على كثير من الباحثين المسلمين. ولذا تغيّر اتجاه هذا البحث الى المنزع الديني بعد ان كان ادبياً محضاً . فرد على الكاتب طائفة من انبل كتاب مصر امثال الاساتذة محمد عبد المطلب (رحمه الله) ومحمد لطفي جمعة وفريد وجدي . ولا يخفى ان القرآن في اعتقاد المسلمين وحيٌ آلهي ، فكيف يقول الدكتور انه نثر جاهلي.

وقد اجاب على هذا بان اتخاذه القرآن نموذجاً النثر الجاهلي لا يلزم منـه نفي ان يكون القرآن وحياً الهياً كما لا يلزم منه ان لا يكون كذلك. وكل ما يريد اثباته هو ان أسلوب النثر الفني الجاهلي إن فقـدنا نصوصه الاصلية الجاهلية فاننا نراه مصوّرًا وممثلًا في آيات القرآن التي ضربت على غرار ذلـك النثر وهي تعطينا صورةً صحيحةً عنه . لانها نزلت لهداية اولئـك الجاهليين وارشادهم . ولا يمكن ذلك الا بمخاطبتهم بما يفهمون من الكلام والاساليب وقد صرح القرآن بان الرسول لا يُرسل الا بلسان قومه ليبين لهم . ولا معنى لهذا الا ان القرآن مفرغ في اساليب العرب النثرية الفنية حتى يتيسر فهمهم لها فيسترشدوا بها . وكأن الدكتور يقول هذا كل ما أريده من قولي ان القرآن نموذج للنثر الفني الجاهلي . امـا كونه كلام الله لا كلام البشر او بالعكس فليس من مباحث الادب التي نحن في صددها . وقد تهكم الدكتور باستاذه طه حسين الذي قال ان القرآن « لا هو شعر ولا هو نثر وانما هو قرآن » . ثم ختم مقاله بقوله « والخلاصة ان القرآن نثر ، وانـه دليل على ان العرب كان عندهم نثر فني قبل الاسلام . فكان لهم بذلـك وجود ادبي متين قبل ان يتصلوا بالفرس واليونان. وفي هذا قضاء على اوهام من زعموا (ويريد بهم مرسيه وطه حسين!) ان اول كاتب في اللغة العربية هو ابن المقفع الفارسي الاصل ، وان العرب لم يكونوا يعرفون من قبل غير الخطب والاسجاع والامثال. »

ثم يقول الملخص ان الدكتور مبارك عرض بعد ذلك « للزخرف » الانشائي ، فزعم ،

خلافاً لمرسيه وطه حسين ، ان الزخرف عنصر اصيل في اللغة العربية . والاول يراه دخيلاً فيها عن طريق الفرس ، والثاني عن طريق اليونان .

وشاهد زكي مبارك على ذلك القرآن ايضاً فهو مفعم بالزخرف والصنعة المحكمة التي تدل على ان المخاطبين بها وهم العرب يعرفون ما هي الكتابة الجيدة والأسلوب الجذاب . ثم اشار الدكتور الى ان البحث عن زخرف القرآن من اي جهة اتصل به هو بحث خطر : لان الرأي العام الاسلامي لا يسمح بدرس القرآن درساً تحليلياً يبين ما فيه من العناصر العربية الاصيلة والعناصر الدخيلة . . .

ولم يكتفِ الدكتور بما مرّ من امر « الزخرف » بل تعداه الى العلوم العربية كالنحو والبلاغة والعروض والبديع ، فذهب الى انها اصيلة في لغة العرب بدليل وجودها في القرآن ولم تحدث في القرن الاول والثاني كما ظنه مؤرخو الآداب العربية . اذ لا يعقل ان يظهر كتاب كالقرآن بين قوم لم يفكروا في الفصاحة والعروض والنقد وطرائق التعبير ؛ فالقرآن ظهر في لغة تجاوزت طور الطفولة . وارباب المتكلمون بها لم يكونوا من الأمية بحيث وصفوا بل هم متمدون — بثقافتهم الادبية — لفهم ما فيه من قواعد البلاغة واساليب البيان قال : بل انا اذهب ابعد من ذلك فأقرر ان الاسلام كان تاجاً لنهضة علمية وادبية وسياسية واخلاقية واجتماعية في الحدود التي كان يستطيعها العرب .

فالاسلام لا يتصور ان يكون نقل العرب من ظلمات الى نور ، بل من نور الى نور أتمّ لكن نورهم الاول لم تصل الينا صوره المختلفة . لاقى الاسلام من المعارضة آلاف المصاعب افيمكن الاقتناع بانه لم يُقل في معامع تلك المعارضة سوى ما نقل الينا من الخطب والرسائل ؟ اين السنة اليهود والعرب والأشراف من قريش ؟ واين ما قاله الصحابة في الرد على خصومهم ؟ وكل ما نقل الينا لا يصف حياة العرب العقلية فلا بد أن يكون هناك آثار ونصوص اندثرت ولو بقيت لفقهنا اسراراً جمة من حياة العرب العقلية وثقافتهم الادبية ومبلغ « الزخرف » الذي كانوا يزينون به لغتهم .

ثم اشار الدكتور الى ان ضياع آثار الجاهلية كان بالاسلام . وضياع آثار

الاسلام كان يحروب الردة حتى كاد القرآن نفسه يتلاشى لولا ما فعله ابو بكر من جمعه وتدوينه . فلعرب الجاهلية علوم ادبية كانوا يحذقونها قبل ان اتصلوا بالفرس والروم في العهد العباسي : فاذا استكثر المستشرقون ، ومن لفّ لفهم من أدبائنا ، على ابي الاسود الدئلي ان يكون هو اول من فكر في وضع علم النحو فانا استقلّ ان يكون هو المفكر الاول . بل اول من فكر هم عرب الجاهلية الذين عرفوا النحو وغيره من العلوم الادبية . وما قلته اتحمل تبعته والدفاع عنه وارجو ان يكون له اثر في فهم البيئة القديمة التي نزل فيها القرآن والتي سموها خطأ عصر الجهل وهي في رأيي عصر معرفة ونور .

ثم استشهد الدكتور بكلام لابن فارس يتنسم منه انه كان للعرب معرفة بالنحو والعروض واصول اللغة وقواعد الكتابة . وهو على الجملة يرى ان العلوم العربية كانت معروفة قبل الاسلام . وما حققه الدكتور مبارك في مقاليه هذين يمكن تلخيصه هكذا :

١ ــ كان لعرب الجاهلية نثر فني .

٢ ــ زخرف الفن الذي كان في نثرهم اصيل فيه لا دخيل .

٣ ــ آثار النثر الجاهلي ونصوصه لم يصل الينا منها الا النزر القليل المشكوك في صحته .

٤ ــ القرآن هو وحده الاثر العربي الموثوق به الذي صور لنا النثر الفني الجاهلي .

٥ ــ القرآن كما صور لنا نثر الجاهلية دلنا على انه كان لهم حياة عقلية وعلوم لغوية .

هذه تحقيقات الدكتور مبارك كما لخصها كاتب المجلة الدمشقية . وقد نشرناها لندلّ على استعداد بعض الاوساط الادبية في مصر لاثارة الضجات والرغبة في المفاجآت . والّا لما كان في هذا البحث الادبي ما يتطلب تلك الضوضاء ، اللهمّ مسألة القرآن الذي اعتبره الدكتور اثرًا ادبيًا فحسب . على انه تنصّل من التبعة الدينية بافصاحه عن قصده من ذلك كما لخصته المجلة المذكورة . فلم يبقَ اذًا الّا البحث الادبي وليس فيه ما يدعو الى الاستغراب ، ولا ما يبرّر موقف الهجوم الشديد الذي يقفه الدكتور من الباحثين الذين تقدّموه . فانا لا نعرف عالمًا مدققًا قال بانه لم يكن لعرب الجاهلية نثر فنّي ، بل جمهور المحققين على القول انه لم يصلنا عن عرب الجاهلية ما يستحق الذكر من آثار النثر الفنّي . وهذا قول الدكتور في تحقيقه ايضًا .

ثم ان الكاتب يميّز بين « النثر الفنّي الجاهلي » والخطب والامثال . فان اراد بذلك تمييزاً كمّياً اي انه قد يكون من آثار النثر الجاهلي الفني غير الخطب والامثال التي وصلت الينا ، كان على حقّ . وان اراد بذلك تمييزاً كيفياً بمعنى ان النثر يختلف عن الخطب والامثال ، لكان قوله بحاجة الى تحفّظ شديد ، لان الخطب والامثال من نوع النثر ايضاً . وقد حدّد النثر الفني قائلاً : « هو ما يلجأ اليه الرجل لاذاعة فكرة او دفع شبهة او ايضاح مشكلة» وهو تحديد واسع يشمل الخطب والامثال ، بل يشمل اكثر من ذلك حتى انه يتناول جميع انواع التعبير . اما كون تلك الخطب والمواعظ وما اليها من اسجاع الكهان « لا تكفي لتعيين اساليب النثر الجاهلي» فصحيح . بيد انها تدلّ على وجود اساليبها هي في ذاك النثر . ولا يضير هذه الدلالة كون اكثر تلك النصوص موضوعة في العصر الاموي ، كما يرى الدكتور ، فان الواضعين انفسهم ، ان صحّ هذا الرأي ، جروا على امثلة كانت قديمة معروفة .

واما مسألة « الزخرف » فهي من متطلّبات الصناعة الفنية في كل ادب وفي كل لغة . ولا حاجة لان يكون هناك تأثير اجنبي في تلك اللغة ، كما بيّنه الدكتور . واذا تقرّر ان العرب الجاهليين عرفوا اساليب النثر الفني ، وهو ما نسميه «بالانشاد» في المقال التالي ، فقد رجح انهم استعملوا محسّنات هذه الاساليب التي تجمعها كلمة « الزخرف »والتي تظهر من عناصر « الانشاد » كما سنرى . ولكن لا ينتج من هذا انهم استخرجوا قواعد هذا « الزخرف » بما فيه من بديع معنوي ولفظي فاخذوا بتطبيقها في انشائهم كمن يطبّق اليوم مبادئ البيان وقواعد البلاغة . هذا ما يجنح اليه الدكتور ، او على الاقل ما ينسبه اليه ملخّص البحث اذ يجمله بقرّر « ان عرب الجاهلية عرفوا النحو والعلوم الادبية » . وهو تطرّف ظاهر ان اردنا به معرفة العرب لنظريات النحو ونظريات تلك العلوم . لان الجاهليين كانوا في عصر الادب الشفهي الذي قد يبلغ ارقى درجات الفنّ احياناً ، ولكنه يتقدّم ضرورةً عصر الادب الكتابي الذي يتفرّغ فيه العلماء لجمع الآثار القديمة وتجريد الامثلة العامّة منها ، واستخراج القواعد الادبية والعلمية للنثر والنظم . وهو عصر لم يتوفّق اليه العرب الّا بعد الاسلام . مما لا شكّ فيه ان العرب طبّقوا النحو والعروض واصول اللغة وقواعد الكتابة في منشآتهم الفكرية . ولكنهم لم يطبّقوا ذلك عن اقرار سابق لهذه القواعد ، اي لم يدرسوا هذه القواعد اولاً ليطبّقوها . بل جروا على فطرتهم ومبلغ تصوّرهم للفنّ في عصر لم تكن تستعمل فيه الكتابة لتدوين الآثار الفكرية . وكان شأنهم في ذلك شأن جميع ارباب الادب الشفهي من يونان وفرنجة وعبرانيين . فبهذا المعنى ، وبه وحده ، يمكن القول ان الجاهليين « كان لهم معرفة بالنحو والعروض واصول اللغة وقواعد الكتابة . »

هذا في ما خصّ النقطتين الثانية والخامسة من تحقيقات الكاتب . اما الثالثة والرابعة فواضحتان . وان كان للدكتور زكي مبارك من فضل في هذا البحث كلّه فهو اشارته الى ما يفيده القرآن في درس مسألة « النثر الجاهلي » .

وبعد فان لنا في الموضوع رأياً قد يكون في ذكره بعض الفائدة لمن يجرّب حلّ هذه النقطة الناقصة من ادبنا . وما نحن ننشره في المقال التالي .

ف . ا . ب .

حول النثر الجاهلي

آراء وملاحظات في « الانشاد »

بقلم فؤاد افرام البستاني
استاذ الآداب العربية في كلية القديس يوسف

اذا القينا نظرةً على آداب جاهلية العرب خاصةً وآداب جاهليات الامم عامة ، نرى مظهرًا واحدًا لا تكاد تختلف فيه امّتان . وهو تقدّم ما ندعوه بالآثار الشعرية على ما ندعوه بالآثار النثرية .

وعلينا ، قبل كل شيء ، ان نشرح ما نفهم بالآثار الشعرية وبالآثار النثرية :

لقد اعتدنا في زمننا ، زمن الادب الكتابي ، ان نعرض مولّدات الفكر البشري ، من قديم وحديث ، على موازيننا ومقاييسنا الادبية الحاضرة ، فنقسم التآليف الى قسمين متباينين نسمّي الاول منهما « شعرًا » والثاني « نثرًا » . ونضع لكل قسم قواعد مقرّرة وطرقاً محدّدة تفصله عن القسم الآخر ، وتبقيه الى ما شاء الله ضمن تحديده المتّفق عليه . هذا لاننا نقدر اليوم ان نصون تآليفنا من الضياع بواسطة طريقة تقوى على كرور الايام وتقلّبات الاحوال ؛ وهي الكتابة التي تحفظ اكثر الافكار تجرّدًا عن الحسّ والخيال ، وابعد التعابير عن الرنّة والايقاع .

اما في الاعصر القديمة ، في عهد بداوة الشعب ، قبل ان تُعرف الكتابة واسطةً لتدوين الآثار الادبية ، اذ لم يكن بالامكان حفظ مولّدات المؤلّف بين قومه الّا اذا صادفت من قلوبهم وترًا حساسًا ، وعرضت امام انظارهم صورًا خلّابة ، ونالت من مسامعهم مواقع موسيقية ؛ حينذاك لم يكن من مندوحة للمؤلّف عن الالتجاء الى هذه الطرق : العاطفة والخيال والموسيقى ، وهي الشروط الاساسية لما ندعوه في عصرنا « شعرًا » .

فاذا اخذنا اليوم تلك الآثار الادبية القديمة ، وحللناها دون انتباه لاحوال الزمن الذي قيلت فيه ، وعرضناها على موازيننا المادّية ، فسمّينا ما وافق بحورنا منها «شعراً» ، وما خالفها «نثراً» ، نكون قد شططنا في فهم الادب ، لاننا نسبنا نظريات متأخرة من توليد عصر الادب الكتابي الى قوم عاشوا في عصر الادب الشفهي فلم يعرفوا في آثارهم الفنية فرقاً بين الشعر والنثر[1] ، كالفرق المادّي المحدّد الذي نعرفه اليوم.

لم يكن هوميروس شاعراً ولا ناثراً في الياذته ؛ ولم يكن سليمان الحكيم ، وداود النبي ، وسائر انبياء اسرائيل ، والسيد المسيح ، شعراء ولا ناثرين في اناشيده ، ومزاميره ، ونبوآتهم ، وخطبه وامثاله ؛ ولم يكن « شعراء » الجاهلية ، وخطباؤها ، وكهّانها ، شعراء ولا ناثرين في قصائدهم وخطبهم واسجاعهم ؛ ولم يكن النبي محمد شاعراً ولا ناثراً في قرآنه . لم يكن جميع هؤلاء شعراء ولا ناثرين لانهم لم يكونوا ليهتموا بالفرق بين الشعر والنثر . بل كان لهم نوع واحد من الانشاء الفني الادبي ، نوع يؤثر في السامعين فيحملهم على الانتباه ، فالاصغاء ، فالفهم ، فالحفظ الى ما شاء الله ، الا وهو « الانشاد » . كان فنهم إنشاداً ، وهم كانوا منشدين.

ونحن نستعمل لفظة «الانشاد» للدلالة على هذا النوع من الانشاء الشفهي ، او من التعبير الفني ، الذي كان يستند فيه الخطيب او « المنشد » الى عناصر حسّية وخيالية وموسيقية تقرّه في الاذهان معتمداً اولاً على ذاكرته ، ثم على تأثر الحاضرين . هذا من جهة المعنى . اما من جهة المبنى ، فقد كان يستند « المنشد » في آثاره الى اسهل الاساليب البديعية علوقاً بالآذان واقربها الى الموسيقى العامة ، وهي التضادّ والطباق ، والمقابلة بين التعابير والمقاطع ، والسجع خصوصاً . فانّ السجعات كانت بمثابة محطّات انشائية يقف عندها المنشد والسامع فيستريحان ، ثم يتابعان طريقهما : الاول في الالقاء ، والثاني في السماع

١) من الواضح اننا لا نعني بالنثر الكلام العادي الذي يحتاج اليه الانسان في حياته اليومية الاعتيادية من محادثة بني قومه والسعي في سبيل حاجاته ومرافقه ، بل الانشاء الادبي الآخذ باصول الفنّ.

والحفظ . وهناك ايضاً طريقة مهنة لاقرار « الانشاد » وهي تلك الترديدات والمراجعات وما تجره احياناً من انواع التوقف . وكلها اساليب لا يزال يلجأ اليها خطباء العصر ولا سيما المرتجلون منهم .

هذه بالاختصار عناصر « الانشاد » الذي يظهر عند الشعوب على عهد ادبها الشفهي[1] . فيكوّن فنها الادبي السامي ، ويبدو وسيطاً او صلة بين «الشعر» و «النثر» . وقد يكون اصلا لهما فيتفرّعان عنه متوازيين حتى يستقلا كل الاستقلال في عهد الادب الكتابي .

وكل هذه العناصر ظاهرة بجلاء ووضوح في الآثار العربية القديمة ظهورها في ادب الشعوب المختلفة ولا سيما السامية . فاننا نرى كثيراً من المراجعات اللفظية والمعنوية في مراثي ارميا ، وفي نشيد الاناشيد ، وفي المزامير خصوصاً . ومن الامثلة الواضحة على ذلك المزمور الخمسون اذ يعيد النبي داود الفكرة نفسها مرتين على مظهرين مختلفين ، وغايته اقرارها في ذهن السامعين فيقول :

ارحمني يا الله

كعظيم رحمتك وكمثل كثرة رأفتك
امح مآثمي واغسلني كثيراً من اثمي
لأني عارف بآثامي وخطاياي كلها امامي .
لك وحدك اخطأت وامامك الشر صنعت . .

---

١) وقد اهتم كبار علماء التعبير من الاوربيين في عصرنا بهذه المظاهر الانشائية ، ودرسوا نفسيات الشعوب الجاهلية ، وما يوافقها من قوالب الكلام في عهد بداوتها ، والصلة بين الفكر والتعبير وحركة الاعضاء . فنشروا الآراء القيمة في « الانشاء اليدوي » او المحاكاة ، « والانشاء الشفهي » وهو ما دعوناه « بالانشاد » ، و « الانشاء الكتابي » وهو آخر مراحل الادب . راجع في ذلك الكتاب الدقيق النفيس الذي نشره سنة ١٩٢٥ الاب جوس اليسوعي فاحدث ضجة عظيمة في عالم الادب والفلسفة والعلوم الكتابية واسمه :

Marcel Jousse S. J, *Le Style Oral rythmique et mnémotechnique chez les Verbo - Moteurs. Etudes de psychologie linguistique*. Paris, 1925.

وما ظهر عليه من المقالات النقدية خصوصاً في مجلات « الابحاث » (*Etudes*, 1925 (p. 183) et 1927(p.192)) ، و«الحياة العقلية» (*La vie intellectuelle*, 15 juin 1929) ، و «الآداب» (*Les Lettres*, juin 1927)

وللمؤلف نفسه كتاب آخر يحسن الاطلاع عليه وهو : *La pensée et le geste*, Paris, 1927

وفي مواعظ السيد المسيح امثلة عديدة على الطباق والمقابلات الجارية على هذا الاسلوب :

لقد قيل لكم . . . وانا اقول لكم . . .

اما المراجعات اللفظية والاسجاع والوقع الموسيقي وسائر عناصر الانشاد الضرورية ، والتي نعتبرها اليوم من انواع الزخرف البياني ، فكثيرة جداً في آثار العرب القديمة . حتى ان المهلهل قد يراجع الشطر الواحد عشرات المرات في بعض قصائده . وتتحقق الامر نفسه في بعض الاسجاع القديمة . ونلاحظ هنا اننا اذا فهمنا نظرية الانشاد وادركنا عناصرها تماماً ، لم نرَ صعوبة في جعل الزخرف اصيلاً في اللغة العربية ، وهو من شروط الانشاد كما قلنا . وكذلك فاننا نخفف من حملاتنا على الكثير من الآثار الجاهلية ومن انكارنا صحة نسبتها بسبب اتصافها بالحشو او المراجعات او السجعات فتبدو لنا وليدة التكلف والتصنع . وقد تكون في الحقيقة مقصودة الاسلوب لتسهيل حفظها ، وبالتالي صحيحة ثابتة . فتكون مبررات الشك قد تحولت نوعاً ما الى اسباب ترجيح صحة نسبة الأثر المذكور .

ولنا في القرآن افضل الشواهد واتمها على الاسلوب الانشادي بما فيه من انواع الطباق والاسجاع الوافرة ، والايقاع الموسيقي الشجي ، والمراجعات المعنوية واللفظية كما في سورة الرحمن خاصة حيث يتردد مقطع « فبأي آلاء ربكما تكذبان » ٣١ مرة حتى يدخل بالقوة اذهان السامعين فيحفظونه طويلاً . وكذلك القول عما تجره هذه المراجعات من الاساليب كالتوقف البادي مثلاً في اول سورة « الحاقة » واول سورة « القارعة » :

الحاقة . ما الحاقة ؟ وما ادراك ما الحاقة ؟ . . .
القارعة . ما القارعة ؟ وما ادراك ما القارعة ؟ . . .

هذه لمحة اجمالية على عناصر « الانشاد » وطرق مظاهره عند العرب .

بقي علينا الدلالة على ان الجاهليين لم يكونوا يميزون في «انشادهم» بين الشعر والنثر بالمعنى الذي نفهمهما به اليوم :

اجل انهم كانوا يسمّون منشدهم «شاعراً» وانشادهم «شعراً». غير ان هذه اللفظة لم يكن لها من المعنى ما حدّدناها به في عصرنا حتى اصبحت تخالف معنوياً ما كان يُقصد بها، بل اصبحت تضيق عمّا كانت تتسع له. والبرهان على ذلك ان العرب، في عدم تمييزهم بين انواع انشادهم المختلفة، ظلّوا مدّة غير قصيرة يعتقدون ان القرآن طريقة من الانشاد كباقي طرق منشديهم الاقدمين، من اصحاب قصائد وخطباء. وكهّان، الذين كانوا يسمّونهم «شعراء». فاخذوا ينعتون النبي «بالشاعر» تارة «وبالكاهن» اخرى — وهذا النعت الاخير يدلّ ايضاً على عدم تفريقهم بين «الشعر» «والسجع» المنسوب الى الكهّان — نستشهد على ذلك بالقرآن نفسه وقد اشار الى قول العرب المشركين في النبي: «ويقولون: أئنّا لتاركو الهتنا لشاعر مجنون!»[1] او «بل هو شاعرٌ...»[2]

حتى خشي النبي نتيجة هذا الخلط بين القرآن «والشعر» القديم. فعمل على تلافي الخطر معلناً انه ليس بشاعر ولا بكاهن، وان القرآن ليس من الشعر في شيء. فجاءت الآيات: «انه لقول رسول كريم، وما هو بقول شاعر. قليلًا ما تؤمنون، ولا بقول كاهن. قليلًا ما تذكّرون.»[3] — «فذكّر فما انت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون، ام يقولون شاعرٌ نتربّص به ريب المنون. قل تربّصوا فاني معكم من المتربّصين.»[4] وزيادة لتقرير الفرق جعل القرآنُ «الشعراء» مع الذين «تنزّل عليهم الشياطين» وتابع: «والشعراء يتّبعهم الغاوون، ألم ترَ انهم في كل وادٍ يهيمون، وانهم يقولون ما لا يفعلون.»[5] وهناك ايضاً الآية المشهورة: «وما علّمناه الشعر وما ينبغي له، ان هو الّا ذكرٌ وقرآن مبين.»[6] ولنلاحظ هنا أن هذه الآية لا تذكر ان القرآن عكس الشعر، اي ما ندعوه اليوم «بالنثر». فان هذه اللفظة لم تكن معروفة

---

١) ٣٧ [الصافات] ٣٥ — ٢) ٢١ [الانبياء] ٥
٣) ٦٩ [الحاقّة] ٤٠ – ٤٢ — ٤) ٥٢ [الطور] ٢٩ – ٣١
٥) ٢٦ [الشعراء] ٢٢٤ – ٢٢٦ — ٦) ٣٦ [يس] ٦٩

بمعناها الحالي ولا ما تنطبق عليه في عرفنا معهوداً[1].

فتتابع هذه الآيات لاقرار المعنى الواحد يدلّ على الوهم المتمكّن من العرب في ما خصّ اعتبار آثارهم الفنية وتحديد انواعها ، وبالتالي على ميلهم القوي الى الخلط بين القرآن والشعر[2] . نستنتج ذلك ايضاً من بعض الحوادث الفردية بعد الاسلام الدالة على ان الاعراب ظلّوا يخلطون بين ابيات الحكم والامثال الجاهلية من جهة ، وآيات القرآن من جهة اخرى حتى عصر الامويين[3].

والأغرب ان هذا الخلط لم يقف عند اجلاف البدو والجَهَلَة ، بل كان يتجاوزهم الى الخطباء ، وهم علماء المسلمين اذ ذاك. فقد ذكر ابن عساكر[4] حادثة يؤخذ منها ان بعضهم كانوا في اثناء خطبهم على منابر الجوامع وفي مجتمعات المؤمنين ، يوردون احياناً الابيات الحكمية او الامثال السائرة ظانّين انها آيات منزلة.

ومن البراهين على شمول لفظة « الشعر » ما تقدّم ذكره من الآثار الادبية أن العرب لم يكونوا يميّزون بين السجع المنسوب الى كهّانهم وعرّافيهم والرجز الذي اصبح فيما بعد بحراً من بحورنا الشعرية ، بل كثيراً ما استعملوا الكلمتين على الترادف ، كما استعملوا لفظتي « الشاعر » و« الكاهن » مترادفتين ايضاً.

هذا ولعلّ افضل مثال « للانشاد » ، كما حدّدناه ، تلك الخطب القديمة التي تُنسب الى قُسّ بن ساعده والى غيره من خطباء الجاهلية ، والتي يشكّ في

---

١) وانا نخال الدكتور طه حسين اراد هذا الفرق الدقيق حين قال ان القرآن « لا هو شعر ولا هو نثر وانما هو قرآن » وهي الجملة التي تهكّم عليه بسببها تلميذه الدكتور زكي مبارك (راجع الصفحة ٣٧٥ من هذا العدد) . ولم يكن محقاً في ذلك ، على رأينا.

٢) اطلب في موقف النبي من الاعراب ، وفي رغبته الشديدة في اقرار الفرق بين القرآن « والشعر » القديم ، ختام مقال للاب لامنس بعنوان : P. H. Lammens, *Caractéristique de Mahomet d'après le Qoran* [Recherches de Science religieuse, 1930, p. 416-439]

٣) الاغاني ١٦ : ١١ — واطلب ايضاً :
P. Lammens, *le Berceau de l'Islam*, p. 230, note 1.

٤) ابن عساكر : التاريخ الكبير ٥ : ٨٢

صحة نسبتها الكثيرون من ارباب الادب والنقد في عصرنا ، بسبب ما فيها من اساليب السجع والموازنات الصناعية . ونحن نرى ان هذه الظواهر ، المآتية كلها الى اصول « الانشاد » باسباب قوية ، تظهر ، على عكس رأي الشاكين، اسباباً قوية ترجح صحة نسبة تلك الآثار . وسواء أثبتت هذه النسبة أم لا ، فان تلك الخطب تمثل لنا الطريقة القديمة في التأليف الادبي، لأنها ان كانت منحولة ، فلا بدّ من ان يكون صانعوها وناحلوها جروا فيها على امثلة متقدمة مثلت في عرفهم الخطب القديمة . فتكون والحالة هذه صورة امين مفقود . ونحن انما يهمنا درس الاسلوب سواء أظهر في الاثر الاولي ام في صورته :

ندرس هذه الخطب فنتحقق انها تبدأ كلها بالسجع المتوازن . ثم تتسع الفواصل ، في بعضها ، وتتقارب شيئاً فشيئاً في ترتيب وقع النغمات حتى تصبح الجمل مقاطع متعادلة الطول ، متوافقة في موقع النبرات ، فتتحول الى اشطر عروضية تامة، وتتحول مواقع السجع الى قوافٍ سوية ، فينتهي «الانشاد» بالشعر الموزون كما نفهمه في عصرنا. نرى ذلك في خطبة قسّ الشهيرة التي روى قسماً منها ابو بكر على ما يُقال ، ونقل شيئاً منها القلقشندي في صبح الاعشى[1] . ولرواة العرب اختلاف في ترتيبها ناتج عن اهمال بعض فقرها او عن زيادة بعض السجعات . على انها قد لا تبعد في الأصل عن هذا الرسم . نوردها مرتبة على طريقة يظهر فيها اتساع الفواصل وتوازنها واقترابها شيئاً فشيئاً من تفاعيلنا العروضية حتى تتصل بالشعر الموزون ، فيلمس فيها المطالع الصلة او الوساطة بين الشعر والنثر التي قلنا انها من صفات « الانشاد » . قال قسّ :

ايها الناس

اسمعوا وعوا
انظروا واذكروا

من عاش مات من مات فات
وكل ما هو آتٍ آتْ

---

١) طبعة مصر سنة ١٣٣١ هـ . ١ : ٢١٢

ليلٌ داجٌ وضارٌ ساجٌ
وسماءٌ ذات أبراجٌ

الّا ان ابلغ المطاتُ السير في الفلواتْ
والنظر الى محلّ الاموات !

ان في السماء لخبرا ! وان في الارض لعبرا !
مالي ارى الناس يذهبونْ فلا يرجعون ؟
ارضوا هناك بالمقام فاقاموا ام تركوا فناموا ؟

. . .

يا معشر اياد
اين الآباء والاجدادْ ؟ واين المريض والعوّادْ ؟
واين الفراعنة الشدادْ ؟

اين من بنى وشيّدْ ؟ وزخرف ونجّدْ ؟
وغرّه المالُ والولَدْ ؟

اين من طغى وبغى ؟ وجمع فاوعى ؟
وقال : انا ربكم الأعلى ؟

ألم يكونوا اكثر منكم اموالا ؟ واطول منكم آجالا ؟
في الذاهبين الاوّلين من القرون لنا بصائر !

لما رأيت مواردًا للموت ليس لها مصادرْ ، ورأيت قومي نحوها تمضي الاصاغر والاكابرْ ،
لا يرجع الماضي اليّ ولا من الباقين غابرْ ، ايقنت اني لا محالة حيث صار القوم صائرْ !

واننا نلمس الصلة نفسها بين الشعر والنثر في القرآن ، ولا سيما في السور المكية منه ، حيث كانت تتدافع العواطف القوية والتخيلات الشعرية ، ويبذل النبي جهده في اقرار تعاليمه في اذهان العرب . فهناك كثير من التعابير الموزونة البادية اشطرًا سوية ، حسب عروضنا الحالي ، تأتي على الغالب بعد هياج العاطفة ، فتمهد لها الطريق الاسجاع الموسيقية . من ذلك في سورة الزلزلة :

اذا زُلزلت الارضُ زِلزالَها . وأخرجتِ الارض اثقالها . وقال الانسان : مالها . يومئذٍ تحدّث اخبارَها . بانّ ربّك اوحى لها .

وفي سورة الهُمَزَة :

ويل لكلّ هُمَزَةٍ لُمَزَة . الذي جمع مالًا وعدّده . يَحسَبُ أن ماله أخلدَهُ .

وفي سورة تبّت :

تبّت يدا ابي لهبٍ وتب. ما اغنى عنه ماله وما كسَبْ !..

وفي سورة العصر :

ان الانسان لفي خُسْرٍ...

وفي سورة عبس :

قُتل الانسانُ ما اكفرَهُ !

وقد يأتي التعبير الموزون او الشطر العروضي في اول السورة لإيثار شدّة الوقع والتنبيه ، كما في سورة الكوثر :

إنا اعطيناك الكوثر. فصَلِّ لربّك وانحر. انّ شانئك هو الأبتَرْ.

وكثيرة هي المقاطع التي توافق اوزاننا العروضية في القرآن وفي الخطب والاسجاع . واكثر منها المقاطع الموسيقية التي لو نُظر فيها ودُرست من حيث العَروض كما دُرست القصائد الجاهلية ، لأمكن ان توجد لها اوزان لم يفكّر بها الخليل واصحابه . ومن هذا النوع اكثر السور المكيّة القصيرة ، وسورة الرحمن التي مرّ ذكرها.

وكذلك القول عن الامثال القديمة التي تداولتها الالسن في مواقع مختلفة ، والفتها الاسماع ، وصقلها الاستعمال حتى اصبح اكثرها لا يفرق في شيء من حيث توازن النبرات عن اشطر العَروض الحالية . وهذا شيء منها :

ان البغاثَ بأرضنا يستنسرُ !
وعند جُهينة الخبرُ اليقين !
في بيته يُؤتى الحَكَمْ !
ان البلاء موكّلٌ بالمنطقِ !
عند الصباح يحمدُ القومُ السُّرى !
قطعت جهيزة قولَ كلّ خطيبِ
كل فتاةٍ بابيها مُعجَبَهْ !
فان غداً لناظره قريبُ !
الى حيث القت رحلَها امُّ قشمِ !

ان الشقيَّ وافدُ البراجمِ
ايّاكِ أعني فاسمعي يا جارهْ !
انجزَ حرٌّ ما وعدْ !

الى غير ذلك مما يطول بنا سرده . ولو درسنا ما ورد عن قدماء العرب من الامثال والخطب والاسجاع لرأيناها كلّها موسيقية الوقع يمكن ردّ كثير منها الى اوزاننا الحاضرة ، وردّ الباقي الى اوزان جديدة نولّدها بتوفيق جديد بين الأسباب والاوتاد . وان كان الخليل قد اقتصر على خمسة عشر وزناً فلأنه لم يجد الامثلة الكافية من الآثار القديمة لغير ذلك من الاوزان ، فلم يقدر ان يجرّد نما وقف عليه الّا ما جرّده من القواعد والبحور المعروفة . حتى جاء بعده الأخفش فوقف على امثلة « إنشادية » لم يمكنه ردّها الى البحور المقرّرة فحلّلها وقطّعها واستخرج منها بحرًا جديدًا دُعي المتدارك . ولو تتبع هو او غيره كلّ ما وصل من التآليف الانشادية ، لكان لنا اليوم غير ما تقدّم من البحور ، ولادخلنا في هيكل الشعر كثيرًا من الآثار الجاهلية التي يجعلها الادباء في باب النثر ، والتي سمّيناها بمولّدات الانشاد.

وقد تجاوزنا في ايرادها عصر الجاهليين الى صدر الاسلام . لان هذا النوع من الفنّ الادبي لم يختلف في العصرين ، لما اختصّ به العصران من ظروف واحدة كانت تؤثر في الخطيب او « المنشد » فيكيّف كلامه حسب تأثيرها . واهم هذه الظروف ان الكتابة ، على قلّة انتشارها ، لم تكن تستعمل في تدوين الآثار الفنية ، فكان الادب لا يزال في عصره الشفهي . وكانت آثاره لا تزال من نوع «الانشاد».

هذا ما رأينا ذكره من الآراء والملاحظات « حول النثر الجاهلي » . راجين من ارباب النقد ان يحملوها على محمل الاخلاص ، وان ينتبهوا لها ان رأوها جديرة بالانتباه.

شذرات

يوبيل صحافي

اتانا من الاستاذ انطون بك شحيبر ، رئيس لجنة اليوبيل ، ما يلي:

« بمناسبة مرور خمس وعشرين سنة على اشتغال حضرة العالم العامل الاب لويس معلوف في الصحافة بتوليه جريدة « البشير » رأى قادرو جهاده وجوب الاحتفاء بيوبيله الصحافي الفضي فألفوا لجنة من السادة الاتية اسماؤهم مرتبة على احرف الهجاء مع حفظ الالقاب:

ادمون وهبه ، الدكتور اسد رستم ، الدكتور امين الجميّل ، انطون شحيبر ، توفيق حسن الشرتوني ، جرجي نقولا باز ، جورج يزبك ، حليم دموس ، خليل الخوري كسيب ، دعيبس المر ، ميشال شبلي ، نجيب ليان ، يوسف نجا ، يوسف غصوب.

وانتخبوا حبيب طراد رئيساً فخرياً.

وقد باشرت اللجنة المذكورة عملها بتهيئة حفلة ادبية تلقى فيها اربع خطب في مواضيع عمومية تناولها جهاد الاب معلوف وهي: الصحافة ، اللغة ، التعليم ، الاخلاق. (وقد عُيّن موعد الحفلة في ٢٢ ايار ١٩٣٢)

امدَّ الله بعمر المجاهد الكريم لخير الانسانية »

فالمشرق يشترك مع اعضاء اللجنة الافاضل بقدر جهاد المحتفى به ، ويقدم له التهانئ القلبية والتمنيات الصالحة.

وفود الحجاج الى مكة في هذا العام

لم تخلُ الازمة العالمية من تأثير شديد على حركة الحجّاج الى مكة في هذا العام ، وذلك على رغم الدعاية الواسعة التي قامت بها حكومة ابن سعود . ولكن الاوساط المكية تظهر كل تفاؤل بموسم هذه السنة مبشرة بلسان جريدة « صوت الحجاز » ان الحجاج الذين وفدوا عن طريق البحر بلغ عددهم حتى ١١ نيسان (٥ ذي الحجة) ٢٥٦٧٠.

وقد اتى الملك ابن سعود بنفسه الى مكة في غرة ذي الحجة (٧ نيسان). فأدّى فريضة الحجّ واستعرض فرسان الجيش ، وسمع قصائد التهنئة وخطب الترحيب...

سيارات الكويت في شوارع مكة

وقد جاء في «صوت الحجاز» نفسها ، وهي جريدة حديثة تصدر في مكة ، ما يلي : (بتاريخ ٤ نيسان ١٩٣٢) :

قدم الى مكة من الكويت لاداء فريضة الحجّ حضرة السيد عبد الوهاب ابن خلف باشا النقيب عن طريق البرّ على متون السيّارات . ولاول مرة في التاريخ تفد سيّارات الكويت الى مكة ، ويراها الناس سائرة في شوارعها.

وبهذه المناسبة نذكر انه وصل الى علمنا ان حكومتنا السنية اجلت بحث فتح طريق السيارات من العراق الى الحجاز الى العام القابل ، حيث وردت اجابة حكومة العراق على اقتراح حكومتنا في شأن ذلك متأخرة ، وقد ضاق الوقت وقرب انقضاء زمن الحجّ.

قيمة بعض الجبال العالية

اننا لا نتكلم عن قيمة الجبال من حيث تركيبها الجيولوجي وما تحتوي عليه احشاؤها او اراضيها من موارد الرزق،بل من حيث هيئتها الخارجية وجمالها الذي يجذب السيّاح والزوّار . فان الجبل الابيض مثلاً ، وهو اعلى قمة في جبال الألپ ، من اعظم موارد الكسب . فانه استدرج لزيارته سنة ١٩١٣ لا اقل من ١,٠٣٤,٠٠٠ سائح ، زار منهم ٤٠٩,٠٠٠ المنطقة الفرنسوية من الجبل ، و٢٧٥,٠٠٠ المنطقة الايطالية ، و٣٥٠,٠٠٠ المنطقة السويسرية . فلو قدّرنا ان كلّاً من هؤلاء السياح انفق ٥٠ فرنكاً ذهبيّاً فقط ، وهو اقل ما يمكن تقديره لنفقات النقل والاقامة وشراء بعض الحاجات ، لبلغ مجموع النفقات قريباً من ٥٢ مليوناً من الفرنكات الذهبية او ٢٥٠ مليوناً من الفرنكات بقطع اليوم.

فهل يُتاح لنا ان نرى جبل صنين او جبل الارز يباهان شيئاً من ذلك ؟

مطبوعات شرقية جديدة

Jean (Charles-F.) : La religion sumérienne d'après les documents sumériens antérieurs à la dynastie d'Isin (— 2186). *Paris, Geuthner, gr 8° de XVI-255 pp. 32 pl.* 1931. *Prix* : 100 *f*.

الديانة السومرية

قد يكون مؤلف الكتاب معروفاً لدى بعض قرائنا الشرقيين . وهو اب عازاري زار بيروت والشرق ونشر بضعة ابحاث مفيدة في الديانات والآثار الشرقية القديمة منها مؤلفه الكبير المعنون « البيئة الكتابية قبل يسوع المسيح » (*Le milieu biblique avant J. C.*) نشره في مجلدين سنة ١٩٢٣ . وها هو يعرض اليوم لموضوع خاص ولكنه جزيل الفائدة ، لانه يدرس تاريخ الشرق الديني في عصره الاقدم ، وهو موضوع اصبح من الممكن بحثه اليوم بفضل ما اكتشف من الرقم والآثار . ولا يخفى ان بمثل هذه الابحاث يتوصل العلماء الى درس اصول الديانات بين البشر . وعليه فيجب ان نثني الثناء كله على الاختصاصيين بحل الخطوط المسمارية لما يتكبدون من الجهد ، ولما يضعون بين ايدي اللاهوتيين والفلاسفة والمؤرخين من وثائق مهمة قد تكون ظلت مجهولة لولاهم .

يظهر لدينا السومريون ، مخترعو الخط المسماري ، بواسطة كتابات راقية الى الالف الرابع ق.م. وذلك قبل الاكاديين او الساميين من بابليين واشوريين . وقد تكون هذه الشعوب قد عاشت مع السومريين جنباً الى جنب ، ولكن مدنيتها كانت مختلفة عن مدنية الاولين ، ان لم نقل منحطة عنها . وفي اوائل الالف الثالث كان السومريون يحتلون بلاد كلدر السفلى . فغلبهم الاكاديون في القرن السابع والعشرين . وهو اول عصر يذكره الاب جان ، في ما خص الديانة فيسميه « العصر السومري السابق » . ولكن لا تمر ثلاثمائة سنة حتى نرى السومريين ينهضون مع ملكهم الشهير غوديا من تللو فيستعيدون

بلادهم الاولى ويبدأون عصراً حافلاً بمظاهر الازدهار دعي « العصر السومري الجديد » . ولكن سرعان ما يقضي اللاميون على هذه المدنية اذ يكتسحون نحو السنة ٢٣٠٠ ، فيسقطون الدولة الثالثة في أور ويستاقون اسيراً ملكها الاخير المدعو إبي يسين .

يهتمّ المؤلف بهذا العصر المزدوج فيكتب تاريخه الديني بادئاً بتعداد الآلهة، ذاكراً تطورها ، ملخصاً المبادئ اللاهوتية المستخلصة من ذلك . ثم يفرد عدة فصول لذكر طرق العبادة ، والامكنة والازمنة الداخلة في الحرم ، والذبائح وما كان يقوم بالخدمة الدينية من كهنة وكاهنات ؛ ويختم بنظرة في الحياة الدينية والاخلاقية .

هذا ولا يمكننا ان ندخل في دقائق البحث . على اننا لا نشكّ في ان من يطلع من القراء الكرام على المواد المحللة والمستخلصة في هذا الكتاب يشعر بفائدة ولذة حقيقيتين اذ يتنقل في تلك الصفحات الواضحة الحسنة الترتيب، وقد زيّنتها لوحات مشتملة على اكثر من مائة صورة منتخبة معروضة على طريقة تفيد ذوي الثقافة من جمهرة القراء اكثر من فائدتها الاختصاصيين .

ثم ان المؤلف ، وهو من المكلفين القاء الدروس في مدرسة اللوفر ، اعاد نظره في موضوعه في تذكرة قدّمها الى مؤتمر المستشرقين الاخير المنعقد في ليدن في ٩ ايلول ١٩٣١ . وهو البحث الذي ظهر في مجلة البابليات (*Babyloniaca*, t. XII p. 57) يدرس فيه تطوّر الديانة السومرية حتى دولة إيسين ، متحققاً ان هذا التطوّر لا شكّ فيه وهو داخلي يجمع كثيراً من العناصر المختلفة ، يظهر كذلك منذ العصور السابقة للتاريخ حتى انه لا يمكن الباحث ان ينتهي الى شيء واضح ولا ثابت اكيد عن هذه الاصول. س . ر .

Furlani (G.) : La Religione babilonese-assira. *vol. II. I Miti e la vita religiosa. Bologna. Zanichelli, petit 8° de X-434 pp.* 1929. *Prix* : *L.* 30.

الديانة البابلية - الاشورية : الجزء الثاني

تقدّم لنا وصف الجزء الاول من هذا التأليف في بسط الديانة البابلية -

الاشورية (المشرق ٢٧[١٩٢٩] ٧١٤) . وها ان المؤلف يبدأ الجزء الثاني بتواريخ الآلهة والاشخاص الخرافية والاساطير . ثم ينتقل الى الاعتقاد بالقدر والعرافة والسحر والرقى والعزائم . ويهتمّ بعد ذلك بالازمنة المقدّسة والاعياد الدينية والاحتفالات والطقوس واقامة الشعائر والاسرار . ويخصّ فصلًا مستقلًا بالصلاة ، وآخر بالذبيحة ، وثالثًا بالخطيئة . ثم يعرض للدفن والحياة الاخرى فيتبسط في شرحها . ويجمع في الفصل الاخير بعض المعلومات عن سدنة الهياكل والهياكل نفسها ، وعن الاعداد المقدّسة ، واسماء الاعلام المنسوبة الى الآلهة . وينهي كل فصل ، شأنه في الجزء الاول ، بذكر المآخذ المهمّة .

ولكن يؤخذ على كتاب من هذا النوع انه لا يهتم الاهتمام الكافي بتمييز الحوادث في ترتيبها التاريخي . وعدا هذا فالمؤلف ينال غايته ، ولا سيما بالنسبة الى القرّاء الايطاليين ، ولم يكن من السهل عليهم درس هذه الموضوعات في لغتهم .

س . ر .

Dom. Prümmer O. P. : Manuale theologiae moralis secundum principia S. Thomae Aquinatis in usum scholarum. *t. I, editio* 6ª *et* 7ª. *Friburgi Brisgoviae. Herder et Cº.* 1931.

كتاب تعليمي في اللاهوت الادبي

فارق الاب برومر هذه الحياة الفانية في ٩ حزيران ١٩٣١ ، بعد ان ملأ مركزه مدة طويلة استاذًا للحق القانوني واللاهوت الادبي ، وترك نتائج ابحاثه في مؤلفين مهمّين لا شكّ انهما يظلّان بين المؤلفات النفيسة في موضوعيهما . وكان قبل وفاته قد هيّأ طبعة جديدة لكتابه في اللاهوت الادبي وسلّم الجزء الاول منه للنشر . وها هو هذا الذي نعرضه للقرّاء ، وقد قدّمه حضرة الاب اوبرسيبراس (Obersiebrasse) ، زميل المؤلف الراحل ، بكلمة وجيزة ذكر فيها ان هذه الطبعة الجديدة تسير على الطريقة نفسها المعروفة في الطبعات السابقة ، وانها استفادت من قرارات المجامع الرومانية الاخيرة ، ومن المؤلفات المنشورة مؤخرًا .

اما نحن فأشرنا سابقًا (المشرق ٢٦ [١٩٢٨] ٧٠٤ و٢٧ [١٩٢٩] ١٤٩ و٧٠٨)

الى كل ما امتاز به هذا الكتاب من صفات حسنة بما يتوسع فيه من عرض المبادئ ، وحصر نطاق الحوادث الخاصة وطريقة حلّها . وهو يتبع طريقة القديس توما الاكويني في التبسط بشرح الفضائل ، والايجاز بذكر الخطايا ، معتبراً بكل حق ان من يعرف طبيعة الفضائل وطرق استعمالها يحكم بسهولة في شأن الرذائل المنافية لها . وعلى الجملة فالكتاب جزيل النفع للكاهن لا في ما خصّ سرّ الاعتراف فحسب ، بل في واجبات الوعظ والارشاد ايضاً . هذا ولم يتراجع المؤلف عن الاكثار من الشواهد المأخوذة من تآليف القديس توما ، وهو يستشهد احياناً بآثار القديس الفونس دي ليغوري وبغيره من قدماء الاخلاقيين ، دون ان يضرب صفحاً عن محدثيهم . وينتهي هذا الجزء بفهرس ابجدي لجميع المواد يسهّل التفتيش على طلّاب المواضيع المختلفة. ي.م.

Martin Sprengling and William Creighton Graham : Bar-Hebraeus' Scholia on the old Testament. *Part I, Genesis ; Samuel.* [*The oriental Institute of the University of Chicago, Oriental Institute publications, vol. XIII*] *In 4° de XVI-394 pp. University of Chicago Press,* 1931. *Prix* : 10 *dollars.*

تفسير ابن العبري للعهد القديم

كان تفسير الكتاب المقدّس ، في عصر ابن العبري ، افضل واسطة لاظهار مقدرة المفسرين وعلومهم المتنوعة . اذا عرفنا هذا نقدر قيمة هذا التفسير كما قدرها ناشراه ، فأظهرا لطلاب هذه الابحاث كنزاً ثميناً . وقد طبعاه بالاستناد الى مخطوطة محفوظة في الكتبة المديسية في فلورنسة تحت رقم ٢٣٠ ، فنشرا صور الصفحات مع ترجمة انكليزية وحواش وتعاليق نقدية وافرة استندا فيها الى ١٩ مخطوطة اخرى. فاتى عملهما اثراً نفيساً حقق رغبة الكثير من علماء السريانية ، منهم المرحوم الاب شيخو ، وما كانوا يتمنونه من زمن طويل (راجع المشرق ١ [١٨٩٨] ٤٥١) . فاستحقا الشكر الجزيل . والامل انهما يتمّان العمل العظيم الذي باشراه.

ب . م.

Bessoades (M.) : Marie Madeleine. *in-8° de VIII-136 pp. - Casa editrice Marietti, via Legnano 23, Torino* (118) - 1931. *Prix* : 7 *f*.

مريم المجدلية

هي ترجمة جديدة استند فيها المؤلف الى جميع المصادر الانجيلية والتلمودية والتقليدية والى غيرها من كتابات العلمانيين . على اننا لا يمكننا القول انه استعمل في ذلك اساليب النقد التاريخي . وقد يرى انه ليس بحاجة اليها ، وهو يكتب لجمهرة القراء .

Jean Lacau S. C. J. : Précieux trésor des indulgences. Petit manuel à l'usage du clergé et des fidèles. 2e *édit. revue in-16 de XVI-482 pp. Casa editrice Marietti, Torino.* 1932. *Prix* : 15 *f*.

كتاب في الغفرانات

يُقسم هذا الكتاب الى قسمين يعرض الاول منهما لعقيدة الغفران وماهيته وذلك بكل ايجاز ، مفسحاً المجال في القسم الثاني لذكر الاحكام الاخيرة بشأن الغفرانات في ما خصّ الاعمال الخيريّة والتقوية والاخويّات والشركات . مؤلفاً من ذلك دليلاً اميناً سهل الاستخدام وجزيل الفائدة .

R. Plus : Le Baptême dans l'archéologie et l'art chrétien.
Félix Klein : L'enfance du Christ et sa vie cachée.
2 *volumes de la Bibliothèque catholique illustrée à 5 f l'un. Bloud et Gay, Paris.*

١ – المعمودية في الآثار القديمة والفنّ المسيحي
٢ – طفولية المسيح وحياته المستورة

هما مجلدان من مجموعة « المكتبة الكاثوليكية المصوّرة » يمتازان بما امتاز به ما سبقهما من حسن الاختيار ودقة الاسلوب وجمال الطبع . فان كلًّا منهما يلخص اهم ما يفيد المطالع في الموضوع المذكور مزيناً ذلك بعدد من الصور الموافقة ، اكثرها معروف دون شكّ ولكنها مجموعة كلها على طريقة مفيدة متقنة .

L. Dudley Stamp : A Regional Geography. Part V Europe and the Mediterranean, ***with*** **230** ***maps and diagrams. Price*** **6/6,** **1931.** ***Longmans, Green and C°, London.***

كتاب في الجغرافية

هي مجموعة في الجغرافيـة شملت خمسة اقسام آخرها المجلّد الحاضر في اوربّة والبحر المتوسّط . وضعه المؤلّف لطلّاب السنين الاولى في الجامعات او لتلامذة السنين الاخيرة في المدارس الثنوية ، باسلوب سهل واضح موجز مزيّن بالكثير من الخرائط المطبوعة ضمن النصّ . وختمه بعدد من الاسئلة المطروحة في الامتحانات .

ج . ل .

Hugues Vincent O. P. : L'authenticité des Lieux Saints. *in* 12, 119 *pp.* 1932. *Paris, Gabalda et Fils.*

تاريخية الاماكن المقدّسة .

ألّف هذا الكتاب لخدمة الزوّار والسيّاح في الأماكن المقدّسة ، وغايته ان يعرض امامهم معلومات صحيحة عن اشهر تلك الاماكن . وقد قسمه المؤلّف الى قسمين : ذكر في الاوّل ما يُفهم بالمكان المقدّس والبراهين على تاريخيّته ؛ واشار في الثاني الى اشهر هذه الاماكن . فافاد كل الافادة بذكره تعريف الاماكن وميزاتها قبل ان يفحص تاريخية المشهور منها كمغارة بيت لحم ، والجلجلة ، والقبر المقدّس ، وهياكل جبل الزيتون ، وعلّية صهيون ، وهياكل الجليل ، ومعابد العذراء ، ومحلّ استشهاد القديس اسطفانوس .. وغير ذلك من المحلّات التي يدرسها ويدقّق فيها حتى ان المطالع لا ينهي الكتاب الّا وهو من رأي المؤلّف القائل : « ليست الاماكن المقدّسة في فلسطين بالاساطير الصبيانيّة ، ولا بحكايات المضحكين ، ولا باختراعات الجهّال ، ولا بمغامرات اصحاب الغايات » (ص ١١٦) .

ج . ل .

ديوان رامي

نظم احمد رامي

مطبعة فؤاد ، مصر ، ١٩٣١ — ٢٥٥ ص. صغيرة

يجمع الشاعر المصري المعروف ، الاستاذ احمد رامي ، في هذا الديوان كل ما نظمه بين السنتين ١٩١٦ و ١٩٣٠ ، من قصائد ومقطعات تنتسب كلها الى الشعر الغنائي ، وتتفرق متنوّعة من غزل رقيق ، الى وصف حيّ ، الى تلهف مؤلم ، يعدّها من الشباب عاطفة قويّة ، ومن الخيال صورة جليّة جميلة غالباً ، ومن الصناعة اسلوب موسيقي في الكثير من مظاهره . فيتنقّل المطالع بسهولة بين تلك المقاطع . وهو لا يكاد يأسف لمعنىً مبتذل ، او لصورة ناصلة اللون ، او لعاطفة متكلّف فيها ، او لنفس شعري قُطع قبل استتمامه ، حتى تستوقفه القصائد الجديرة بالذكر ، وهي عديدة في هذا المجموع الصغير ، فينسى بها كل ما تقدّم من الهنات. ويشعر بروح الشاعر تتسلسل بين روعة الحب ولوعة الأسى ، تارة تسكن الى « اماني الشباب » فتوقع تذكارات « الحبّ المتبادل » و« الغرام القديم » على « قيثارة الامل » ؛ وطوراً « يحيّرها النسيان » وتتحقق زوال الاحلام ، و« رحيل الجمال » و« هجر القصور » فتنكمش ولا ترى الّا « الوتر البالي » ترهقه « بانغامها السجينة » . وقد تتراكم عليها المصائب ، وتنال منها الاحزان ، فتطهّرها من الشوائب ، وتعوّدها عدم الاهتمام بظواهر الحياة العرضية . حتى اذا «اخذ الشاعر اذنه»

... بالنواح فاصبحت تستعذب الأنات في الأنغام

(وترك عينه للدموع) فاصبحت في الضوء آنسةً وفي الاظلام

ادرك قمّة الشعر الحيّ القائم على الحزن والاسى ، فجنى « نعمة الآلام » ، قائلاً :

الحزن ادّبني وهذّب خاطري وانالني افق الخيال السامي ...

وغرست في قلبي الشجون ، فاثمرت ، وجنيت منها نعمة الآلام.

هذه بعض المظاهر المؤثّرة في الشعر العصري الذي يعرضه علينا اليوم الاستاذ احمد رامي . وقد وددنا لو افرد لمقطعاته الزجلية (ص ٢٢٩—٢٤٩) كرّاساً خاصاً ، وترك الديوان للشعر العربي الصرف.

ف. ا. ب.

ديوان جِران العَود النميري

نشره القسم الادبي من دار الكتب المصرية ،
مطبعة دار الكتب ، القاهرة ، ١٩٣١ – ٦٤ ص . كبيرة

اسم الشاعر عامر بن الحرث النميري ، كان قليل الحظّ من امرأتيه ، فاتخذ سوطاً من جِران العَود (والجران : مقدّم عنق البعير من مذبحه الى منحره ، والعَود : البعير المسنّ) ليضربهما به او ليخيفهما فقط ؛ لأنهما كثيراً ما ضربتاه ، على ما يظهر من قوله في الديوان (القصيدة الاولى) . ولقد جرى له معهما مهاترة ، فقال يهدّدهما :

خذا حذرا ، يا خُلّتيّ ، فانني رأيت جِران العَود قد كان يصلحُ

اي : رأيت السوط قد قارب صلاحه للضرب . فلُقب « بجِران العَود » .

وشعره لطيف انيق ينحو به النحو القصصي ، ويدقّق في الاوصاف على طريقة الشعراء الجاهليين ، مع ابداء بعد الملاحظات الحسنة الموافقة في اخلاق النساء خصوصاً . وقد مال اليه ابو العلاء المعرّي ، ودعاه « بالشاعر المُحسن » (رسالة الغفران [طبعة الكيلاني] ١٢٩) . روى شعره ابو سعيد السكّري من ادباء القرن التاسع . فكان من ذلك ديوان صغير حُفظت نسخته في دار الكتب المصرية فنشرها القسم الادبي في الكتيّب الذي نصفه اليوم . وقد تضمّنت ، فضلاً عن بضع عشرة قصيدة او مقطوعة للشاعر المذكور ، قصيدةً رائية للرحّال ، وهو زميل جِران العَود في اتباع النساء ، وفي احتمال شرّهنّ بعد الزواج . هذا والديوان يبدو بمظهر طبعي غاية في الوضوح والاتقان :

ف . ا . ب .

مختار ديوان علم الدين أيدَمر المُخيَوي

نشره القسم الادبي من دار الكتب المصرية ؛
مطبعة دار الكتب ، القاهرة ، ١٩٣١ – ٦٨ ص . كبيرة

وهذا الكتاب ايضاً من آخر منشورات القسم الادبي في دار الكتب المصرية ، يمتاز بما امتاز به سالفه من متانة الورق ، ووضوح الحرف ، وجمال الطبع ، وضبط الالفاظ التي قد تشكل على المطالع . وقد خُصّ بنشر مختار

من شعر علم الدين أيدُمر المُحيوي التركي من شعراء القرن السابع الهجري (القرن الثالث عشر)، عاش في ظلّ الدولة الايوبيّة وعاصر بعض شعرائها كبهاء الدين زهير، وجمال الدين بن مطروح وغيرهما، وخصّ اكثر شعره بمدح امرائها، جارياً في بعض مدائحه على اسلوب الموشّحات المنتشر في عصره. وقيمة الديوان تاريخية اكثر منها شعرية. ف. ا. ب.

رواية ديك الجنّ الحمصي

المطبعة الحديثة، حلب، ١٩٣٠ — ٦٥ ص. صغيرة

هي حكاية الشاعر عبد السلام بن رغبان الملقّب بديك الجنّ الحمصي «الذي احبّ وقتل وندم ثم مات.» كتبها الشاعر نسيب عريضه مستنداً فيها الى ما يروى من اساطير ديك الجنّ المذكور، والى خياله وعاطفته خصوصاً، ونشرها في مجموعة الرابطة القلمية في نيويورك لسنة ١٩٢١. فاتى عليها السيد ميشال اوبري ووضعها بتصرف في قالب رواية تمثيلية. فان كان لا بأس بالقصّة يتفكّه بها المطالع فيرى شخصية ديك الجنّ المضطربة تظهر حائرة حتى الجنون من خلال خيال نسيب عريضه شاعر الحيرة والقلق، باسلوبه الحافل بالصور والتشابيه المنتق احياناً حتى التكلّف؛ فان الرواية التمثيلية تظهر ضعيفة من حيث اصول الفنّ، على الرغم مما فيها من المواقف الغرامية القويّة، والعواطف الذائبة حتى السيلان التي قد تستخرج الدموع من مآقي جمهرة الحاضرين ولا سيما الجنس اللطيف، ولكنها لا تؤثر شيئاً في معتادي فنّ التمثيل الصحيح، بل قد تؤثر الاثر السيئ بما فيها من تضعضع الوحدة واضطراب نسق الحوادث وكثرة المفاجآت الغريبة ولا سيما في الفصل الثالث. وكأن واضع القصة بالقالب الروائي شعر بهذا النقص فقال في المقدّمة (ص ٣) «لست من الروائيين ولا من مهرة ارباب الفنّ التمثيلي... فارجو من قارئيها وممثليها ان يغضّوا الطرف عمّا يجدونه فيها من التقصير.» ونحن نبلّغ القرّاء الكرام هذا الرجاء... ف. ا. ب.

اهم حوادث الشرق في شهر

١٥ آذار — ١٥ نيسان ١٩٣٢

لبنان وسورية — أجريت الانتخابات التكميلية في سورية (٦ نيسان) فتم بها انتخاب مجلس النواب . وهو يؤلف من ٦٧ نائباً منهم ٥٣ سنياً ، و ٣ علويون ، و ٣ من الارمن الارثوذكس ، واثنان من الروم الارثوذكس ، وواحد من كل من الاسماعيليين ، والارمن الكاثوليك ، والروم الكاثوليك ، والسريان الكاثوليك ، والسريان الارثوذكس ، واليهود.

* احتفلت الرهبانيتان المارونيتان اللبنانية والحلبية بمرور مائتي سنة على تثبيت البابا اكليمنضوس الثاني عشر لقانونهما (٣١ آذار ١٧٣٢).

* سافر نيافة السيد فريديانو جيانيني ، القاصد الرسولي الى رومية

* وصل وفد من قبل عصبة الامم لتحديد التخوم السورية-العراقية.

جبل الدروز — وفقاً لدستور الجبل ، عيّن الحاكم خمسة اعضاء يؤلفون نصف المجلس الحكومي بدلاً من خمسة انتهت مدتهم ، وذلك اعتباراً من ١ نيسان ١٩٣٢ لمدة سنتين.

مصر — عقد مؤتمر الموسيقى العربية من ٢٨ آذار الى ٣ نيسان وقد حضره ممثلون من جميع بلاد اللغة العربية ومن بعض انحاء اوربة وتبودلت فيه الآراء بشأن مستقبل الموسيقى العربية.

* كانت وزارة المعارف قد فصلت الدكتور طه حسين عن مركزه في الجامعة ، والحقته بوزارة المعارف . ثم قرر مجلس الوزراء فصله من خدمة الحكومة ، بحجة تحامله على الدين والآداب العامة.

العراق — اقيم في بغداد معرض عام للزراعة والصناعة افتتحه الملك فيصل في ١ نيسان ، وبلغ عدد زائريه في اليوم الاول ١٢٠,٠٠٠

* ادخل نظام نقدي جديد على قاعدة النقد الاسترليني ورقاً وفضة ، فاستُبدل بالنقد الهندي.

المشرق

السنة الثلاثون — حزيران ١٩٣٢

الرهبنة البندكتية

في فلسطين

بقلم الخوري اسحق ارملة السرياني

بلغ الاب انسلمس شياس لاسال البندكتي ، رئيس الاكليريكية السريانية في جبل الزيتون ، الخامسة والعشرين من حياته الكهنوتية . فعوّل تلامذته وعارفو فضله على الاحتفال بيوبيل كهنوته الفضي في ٢٥ ايار اقرارًا بجميله واعترافاً بجهوده في سبيل تلك الاكليريكية المعروفة باكليريكية مار افرام الملفان ومار بندكتس ابي الرهبان . وصاحب اليوبيل هذا ما كفاه ما صرفه من العناية في تعزيز تلك الاكليريكية وتقويم حياتي طلّابها الروحية والمادّية ، بل أخذ على عاتقه ادارة التعليم العالي في دير الشرفة ايضاً طبقاً لنيّات صاحب الغبطة مار اغناطيوس جبرائيل ، البطريرك الانطاكي ، والسادة الاساقفة الجزيل احترامهم . فرأينا ان نغتنم الفرصة لننشر كلمة عن الرهبنة البندكتية في فلسطين سابقاً وحاضرًا ، نختمها بلمعة عمّا اتاه صاحب

اليوبيل المفضال من جلائل الفعال التي تخلد لغيرته أعذب تذكار على مرور الاجيال .

١

الرهبنة البندكتية في فلسطين سابقاً

لا خلاف في ان الرهبنة البندكتية هي امّ الرهبنات القانونية في بلاد المغرب. فان القديس بندكتس (٤٨٠ – ٥٤٣) اول من احترث تربتها وغرس حديقتها في سبياكو بايطاليـة ، وحوّل بريّتها المقفرة وجبالها الجرداء الى جنات خضراء وغابات شجراء انتجت زهوراً زكية وثماراً حلوة شهية لذّذت ابناء الكنيسة الكاثوليكية بعذب اريجها ، وأبهجت روّاد العيشة النسكيّة بحلو مذاقها ، وأثلجت صدور الأدباء بما خلفته في اديارهـا ومعاهدها من الآثار الكتابية الثمينة والمآثر الدينية والادبية القيمة ، حتى اصبحت تلك الديورة بعبّادها وزهّادها تفاخر السماء بنجومها وسيّاراتها .

على ان مار مبارك او بندكتس أسس في اول امره اثني عشر ديراً أعظمها دير كاسين عام ٥٢٩ ، ونظم لرهبانه قوانين ودساتير محكمة ، واقام في كل منها رئيساً تولّى هو الرئاسة العامة عليها جميعاً . ولم يقف عند هـذا الحدّ ، لكنه انشأ كذلك اديارًا للراهبـات في لحف جبل كاسين ، ونصب شقيقته القديسة سكولستيقا رئيسة عليها .

وما مرّ القليل حتى ازدادت الاديار البندكتية غرباً وشرقاً ، وانافت على الثلاثة آلاف دير بلغ عـدد المنضوين اليها سبعة وخمسين الف راهب وراهبة تجرّدوا قاطبةً للاعمال الصالحة فاعتكفوا على الاصوام والصلوات والمطالعات ، ونصبوا عقولهم لنصرة الدين القويم وخلاص النفوس المشتراة بالدم الكريم ، وبالغوا في ترقية العلوم والفنون معتقدين ان العلوم الحقة الراهنة لا ينالها الّا من استحقر اللذات الدنيا واستأثر بالغاية القصيا . فغدوا نبراساً للفضائل يستضاء به وانموذجاً للمعارف يقتبس عنه . وأحصي منهم سبعة وخمسون الفاً في سفر الابرار القديسين، في جملتهم عشرون حبراً زينوا عرش الخلافة الرسولية الرومانية بسوّ

مداركهم وشريف مناقبهم ، وخمسة ملافنة انعشوا الكنيسة بنفثات اقلامهم ، وعدة اساقفة رعوا قطيع السيد المسيح بحكمتهم وتعاليمهم .

وما بغيتنا في هذه العجالة استيفاء جميع مناقب الرهبان البندكتيين وتعداد مؤسساتهم وأعمالهم بأسرها. لكننا أحببنا ان نثبت كلمة وجيزة عمّا انشأوه من الديورة والملاجئ في فلسطين نستقي معظمها من مجموعة الابآتي الورع بندكتس غريادور منشئ الاكليريكية السريانية في اورشليم، التي نشرها عام ١٩١٢ بعنوان: « اديار البندكتيين القديمة في الشرق »[1] فنقول :

يعود الفضل في تأسيس اول مركز للبندكتيين في اورشليم الى الحبر العظيم البابا غريغوريوس الكبير (٥٩٠ - ٦٠٤) كاتب سيرة مار بندكتس ابي الرهبان. فهو الذي بعث الى الاب فيلبس البندكتي برسوم يأمره ان يستأنف بناء دير البندكتيين بما تركه الاب فروبس سالفه من النقود . وشفع الحبر الروماني مرسومه هذا بخمسين قطعة ذهبية ارسلها الى الاب المومأ اليه انجازاً للعمارة . ودير البندكتيين هذا اورد ذكره السائح انطونان دي بليزانس (de Plaisance) في القرن السادس مصرحاً بان موقعه كان محاذياً الكنيسة يوسطنيان المعروفة بكنيسة مريم العذراء . وكان يشتمل على مأوى فسيح الارجاء يضمّ بين جدرانه تارة ثلاثة آلاف وطوراً خمسة آلاف من الزوّار والفقراء والمرضى ، يتولّى الرهبان والراهبات القيام بأمورهم والتوسعة عليهم . وظلّ البندكتيون يشغلونه حتى السنة ٦١٤ ، اذ دوّخ الفرس المدينة المقدسة وقوّضوا زهاء ثلاثمائة مأوى مع ما قوّضوا من الديورة والكنائس .

وهذا المأوى او الدير البندكتي كان مصاقباً للمأوى الذي شاده فيما بعد كرلس الكبير († ٨١٤) الذي وثق عرى الاتفاق بين فرنسة وهرون الرشيد († ٨٠٩) فأسس في القدس مركزاً لدولته ، ومركزاً آخر للبندكتيين. وابتنى ثلاثة ديورة او ملاجئ ، أخصّها واولها: دير مريم العذراء المشهور بدير اللاتين ، كان موقعه جنوبي شرقي كنيسة القبر المقدّس . اورد ذكره في نواحي السنة ٨٦٥ برنردس السائح بقوله : « حللنا في مأوى الامبراطور كرلس المجيد.

(١ *Les Anciens Monastères Bénédictins en Orient.*

موقعه في وادي يوشافاط . يشتمل على نزل للزوّار الفرنج وعلى كنيسة مبنية على اسم مريم العذراء وعلى « مكتبة » شهيرة واثني عشر مسكناً وعلى حقول وكروم وحدائق » . ويُستنتج من ذكره « المكتبة » ان ذلك الدير كان حافلاً بالمصاحف الثمينة طبقاً لتقاليد البندكتيين ، فكانوا يطالعونها اثناء الفراغ من اعمال الزهد والفلاحة . ثانيها : كنيسة بيت لحم وقد ذكرها ريان (Riant) بقوله : «صادفت في كنيسة بيت لحم خمسة عشر راهباً بندكتياً في عهد كرلس الكبير يخدمون كنيسة مريم العذراء المشهورة يوم ذاك ببيت القديس ايرونيمس » . ثالثها : دير الجسمانية ، وكان البندكتيون ايضاً يشغلونه في عهد كرلس الكبير يحرس ستة منهم كنيسة ضريح العذراء ، وغيرهم يخدمون مأوى حقل الدم ، كما اثبت غير واحد من المؤرخين المعاصرين .

ظلت هذه المراكز الثلاثة في حوزة البندكتيين حتى عهد الحاكم خليفة مصر ، فقوّضها مع ما قوّضه من ابنية المسيحيين عام ١٠١٠ وأراد الرهبان على الجلاء عن فلسطين . لكنه في اوائل القرن الحادي عشر أقبل منهم عدد كبير من امالفيتا يرئسهم القديسان بونون وسيمون البندكتيان . فبونون سار في اول الامر الى مصر وجبل سينا نحو السنة ١٠٢٥ . وأسس ثمَّ ديورة لرهبانه . ثم شخص الى فلسطين عام ١٠٣٥ ورمّم دير بيت لحم وغيره . اما سيمون فقد وصل الى اورشليم عام ١٠٣٠ في عدّة زوّار من ايطالية وحلّوا في دير بيت لحم ، ورمّموا كنيسة العذراء ، او هي كنيسة اللاتين قرب كنيسة القيامة . وقد ذكرها المؤرخ غوليلمس اسقف صور (١ : ١٨) بقوله : « ان تجّاراً من امالفي كانت تصلهم بخليفة مصر صلة حبيّة قدموا الى اورشليم واستأذنوه في انشاء دير للرهبان وكنيسة ومأوى للضيوف والزوّار ومأوى آخر للنساء اللاتي كنَّ يتوافدن زرافات من ايطالية للتبرك . واستحضروا راهبات بندكتيات عهدوا اليهنَّ العناية بامورهنَّ وابتنوا لهنَّ كنيسة على اسم مريم المجدلية عُرفت بكنيسة مريم الصغرى » .

ويتلخص من قول غوليلمس هذا ان تجّار امالفي انشأوا ثلاث كنائس وثلاثة مراكز قرب كنيسة القبر المقدس : اولها كنيسة مريم العذراء ومركزاً

للرهبان . ثانيها كنيسة مار يوحنا ومأوى للرجال . ثالثها كنيسة مريم المجدلية ومأوى للنساء . وتولّى ادارة تلك الكنائس والمراكز رئيس واحد بندكتي كان اسمه في عهد الصليبيين جيرَرْد ، امتاز بوفرة عطفه على البائسين وجزيل اعتنائه بالمرضى . امّا رئيسة دير الراهبات فكانت تدعى يومئذٍ اغنيسا .

وكان موقع كنيسة مريم اللاتينية على ما ذكر غوليلمس عام ١٠٣٠ في حارة النصارى، تجاه باب كنيسة القيامة، على مسافة رمية حجر منها . وقد أثبت بعض الكتبة استناداً الى تقليد سريانيّ قديم ان سيدتنا مريم العذراء الجليلة كانت واقفة في ذلك المكان ، حين آلام ابنها الفادي . وكتب غيرهم انه في السنة ١١٦٠ و ١١٧٠ كان تجاه كنيسة القيامة كنيسة جميلة على اسم مار يوحنا المعمدان ، يصاقبها نزل للزوار والفقراء والمرضى ، وديرٌ للرهبان فيه كنيسة على اسم العذراء ايضاً . وكان مركز هذه الكنائس الثلاث محلّ ما ابتنى الالمان البروتستان كنيستهم في عهدنا .

امّا دير البندكتيين الكبير فقد انشأه في القرن الثاني عشر فرسان مالطة المعروفون باخوة مار يوحنا او فرسان رودس . وكانوا في بداءة امورهم يتبعون قانون مار بندكتس ، تحت رئاسة الاب جيرَرْد البندكتي المذكور ، ويتولون خدمة المرضى ومساعدة المحتاجين ومساعدة الزوّار ، وكانوا يتردّون بثوب أسود مُعلَم بصليبان بيض حين اقامتهم الفروض البيعية . وقد أبلوا بلاءً حسناً في ساحة الحروب دفاعاً عن حقوق المسيحيين وصيانة لكنائسهم واديارهم .

وما عدا ذلك كله فكان للبندكتيين ديرٌ في وادي يهوشافاط عُرِفَ بدير ضريح والدة الله (ستي مريم) . وقد احتجبت كنيسته حتى عام ١٠٩٩ ، فاستحوذ عليها الصليبيون ، وفوّض غودفروا فاتح القدس المجيد ادارتها الى الآباء البندكتيين ، وترأس عليها القدّيس هوجس († ١١٠٩) البندكتي . وانتهى تأسيسها او بالحريّ تجديدها عام ١١١٢ ، وكانت مدبجة باجمل التصاوير ، مزدانة بافخر الرياش واثمن المصابيح ، يحاذيها عام ١١١٥ نزلٌ للزوّار والفقراء والمرضى .

وكان رؤساء دير يهوشافاط يسوسون في عهد الصليبيين عدّة ديورة واثنتي

عشرة كنيسة في نابلس والجليل وسفح جبل الكرمل وطبرية ويافا وصفورية وقيسارية وعكا وصور وصيدا وانطاكية . وكان بعضهم يحرثون بقعة الوادي ويسقونها بمياه عين شيلوحا التي كانت تخصهم ايضاً . ولعل الربوة التي ابتنوا فيها ديرهم المعروف اليوم بدير مار افرام ومار مبارك المطلة على ذلك الوادي كانت تخصهم ايضاً في ذلك العهد .

ونضيف الى ذلك ان تنكريد فاتح انطاكية البطل الشهير لمّا انتهت اليه الولاية على بلاد الجليل ورمّم كنائس الناصرة وطبرية وجبل تابور عهد أمرها الى الرهبان البندكتيين ، واقام جيرَرْد المذكور رئيساً على دير جبل تابور عام ١١٠٠ . وجيرَرْد هذا حضر مجمعاً عُقد في اورشليم في كنيسة القبر المقدس عام ١١٠٢ ، ثم ارتقى الى مطرانية بلاد الجليل وطبريّة في ٢٩ تموز ١١٠٣ بتفويض الحبر الروماني البابا بسكال (÷ ١١١٨) . بيد ان المسلمين استحلّوا ذلك الدير في ٤ ايار ١١١٣ ، واستباحوا اثنين وسبعين راهباً من رهبانه وفتكوا بهم فتكاً ذريعاً . لكنّ البندكتيين عادوا عام ١١١٥ الى ذلك الدير ورمّموه وشغلوه . وحضر بطرس رئيسهم مجمع نابلس عام ١١٦٠ . ونجح دير تابور نجاحاً باهرًا في عهد رئيسه يوحنا (١١٨٠ — ١١٨٣) حتى اذا كانت السنة ١٢٥٥ أُلجئ رهبانه اجمع ان يغادروه كما غادروا ايضاً ديرهم الكبير في وادي يهوشافاط عام ١٢٨٧ ، وارتحلوا الى طرابلس فعكّا . ثم عادوا باسرهم الى مسينة عام ١٢٩١ . وكان ذلك آخر العهد بهم في بلاد المشرق . وظلّ رؤساء دير مسينة يوقعون امضاءهم الواحد تلو الآخر بعنوان « رئيس دير يهوشافاط » زمناً طويلاً .

وعلى أثر ارتحال الرهبان البندكتيين عن القدس استولى السريان على دير يهوشافاط . وكانوا يقيمون في كنيسة ضريح العذراء الصلوات والطقوس السريانية حتى السنة ١٣٩٢ . فاستحوذ عليها حينئذٍ الرهبان الفرنسيسيون . ثم استولى عليها في ايامنا الروم والارمن والسريان والقبط المنفصلون عن الكرسي الروماني المقدّس .

وما عدا اديار البندكتيين ومعاهدهم في فلسطين ، فقد أسسوا ديرًا على

اسم مار بولس الرسول في انطاكية . وكانت كنيسة ذلك الدير تشتمل على ناووس مدبجة ارضه بالفسيفساء . وقد روى غير واحد من المؤرخين ان الاناء المصطفى كان يكتب رسائله في ذلك المكان ويبعث بها الى المؤمنين . وعرفنا من رؤساء ذلك الدير رُبَرت عام ١١٤٠ ، فيطرس عام ١١٦٨ ، فقولك عام ١١٨٣ فبرنردس عام ١١٩٧ . وهكذا تسلسلوا حتى السنة ١٢٦٨ ، ثم تركوه وعادوا الى ايطالية .

اما الراهبات البندكتيات فكنَّ يشغلن دير القديسة حنة ام العذراء مريم (الصلاحية) . وقد شاد فيه الصليبيون كنيسة فخمة وانقطعت اليه بنت بغدوين الثاني ملك القدس عام ١١٣٠ ، ثم انتقلت الى دير لعازر في بيت عنيا . واقتفت آثارها ثاودورا الملكة ارملة بغدوين الثالث . ولما فتح صلاح الدين الايوبي بيت المقدس عام ١١٨٧ ، حوّل تلك الكنيسة الى جامع ، وذلك الدير الى مدرسة ، ثم امتلكها الفرنسيون وولوا عليها الآباء الافريقيين المعروفين بالآباء البيض .

وكان دير لعازر في بيت عنيا يشتمل في القرن الثامن على كنيسة جميلة عُرفت بكنيسة « مفاوضة يسوع تلاميذه » ، وقد استحوذ عليها راهبات مار بندكتس عام ١١٣٨ ، وابتنى البابا قلسطينس الثاني († ١١٤٤) كنيسته عام ١١٤٣ ، بمساعدة فولك ملك القدس . وقد ترأست على الدير الام مَتيلد البندكتية ، وخلفتها الام مليسَّند ، فأغنته بالاواني الذهبية والفضية والحلل الثمينة الفاخرة . وقام بعدها شقيقتها يهوديت ، وخلفتها الام حوّا (١١٧٣ — ١١٧٥) . وفي السنة ١١٨٧ خرج الراهبات عنه قسرًا الى عكّا ثم عُدن الى اوربة .

وكان للراهبات البندكتيات ديران آخران احدهما في انطاكية عام ١٢٦٤ ، والآخر في جبل الاسود تجاه تلك الحاضرة .

على هذا الاسلوب اضطرّ البندكتيون الذين تولوا حراسة الاراضي المقدسة نيفاً وستة قرون ان يتركوا أديارهم وملاجئهم عام ١٢٩١ ويرتحلوا الى اوربة . وناب منابهم اخوتهم رهبان مار فرنسيس .

٢

الرهبنة البندكتية في فلسطين حاضراً

ما برح ابناء الرهبنة البندكتية والملة السريانية جماء يرطبون السنتهم بالاثنية الطيبة على ذلك الحبر الكبير البابا لاون الثالث عشر الحميد الاثر الذي أبدى لهم فرط حبه الابوي فسوغ لهم ان يتولوا كنيسة ابي غوش ، ويبتنوا اكليريكية لابناء الملة السريانية في اورشليم . بناء عليه أوفد قداسته في ٩ كانون الثاني ١٨٩٩ الى القدس الشريف الابوين برنرد وتيودور البندكتيين وفوض اليهما ، طبقاً لمرسومه المؤرخ في ٤ تشرين الثاني من تلك السنة ، حراسة كنيسة ابي غوش ، وهي قرية العنب او قرية يعريم (١ ملوك ٦ : ٢٠—٢٣) البعيدة عن اورشليم ١٣ كيلومتراً على طريق يافا . وكان المسلمون قد استحلوها منذ السنة ١٤٨٧ . وهي كنيسة فخمة تحاكي قلعة حريزة ابتناها الصليبيون على اسم ارميا النبي في اواسط القرن الثاني عشر ، واتخذوها فيما يُظَنّ معقلاً يتحصنون به اتقاء من غارات العدوّ . وهي مربعة الشكل ذات ثلاث اسواق راكزة على اربع سوار مربعة ضخمة . وكانت جدرانها مدبجة بالتصاوير النصرانية والنقوش الرمزية تمحت آثارها على تراخي الايام ، ولم يبقَ منها سوى آثار صورة قيامة السيد المسيح في صدرها . يتوسطها ناووس ينحدر اليه الزائر بدرج تجري فيه عين ماء هي عين قرية عمّاوس (لوقا ٢٤ : ١٣) كما اثبت غير واحد من المؤرخين . وقد عثر البندكتيون في ذلك الناووس على حجر نُقشت عليه كتابة لاتينية تشير الى فرقة عسكرية من الفرق الصليبية كانت تشغل تلك الكنيسة التاريخية الجميلة .

وصل اذاً الابوان برنرد وتيودور الى اورشليم ، وحلّا في نزل الآباء الفرنسيسيين ، ورحب بهما السيد البطريرك لودفيك بياقي ، ومسيو اوزيب القنصل الفرنسي ، وحارس الاراضي المقدسة . وما عتم ان زارا قرية ابي غوش وتفقدا اخربتها وضواحيها وصمما على ترميمها غير مكترثين لما يعترض ذلك من الصعوبات والمتاعب والكلف .

واتفق ان السيد اغناطيوس افرام الثاني رحماني ، بطريرك السريان الانطاكي

الاب السلمس شنيباس لاسال

رئيس دير الاباء البندكتيين والاكليريكية السريانية

زار الاعتاب الرسولية عام ١٨٩٩ ، على اثر ارتقائه الى السدة البطريركية عام ١٨٩٨ ، فالتمس من الاب الاقدس البابا لاون الثالث عشر ان يفوّض الى الآباء البندكتيين ابتناء اكليريكية في اورشليم يتلقى عنهم فيها العلوم الكهنوتية مَن يختارهم الله تعالى للدعوة المقدسة من ابناء ملته السريانية . فما كان من ذلك الحبر الكبير الّا ان تنازل واجاب الى ملتمس البطريرك الانطاكي واصدر رسالة كتب فيها ما خلاصته : « اني احمد الله عزّ وجل واثقاً بان يؤيد مشروعي هذا ويكمله . . . هذه مدرسة خامسة اشيدها حباً لرجوع خرافي في المشرق الى الحظيرة البطرسية » .

بعد هذا يمم السيد رحماني فرنسة ، وزار عدة ابرشيات فيها ، وعرض على نيافة الكردينالين لنجينو وليكو وعلى مسيو دلكاسه وعلى رؤساء الرهبنة البندكتية رغبة الحبر الاعظم ورغبته هو في انشاء هذا المشروع الخطير . فأبدى الجميع ارتياحهم الى هذا العمل المجيد ووعدوه بصرف المساعي للنهوض به . بناء عليه طفق رؤساء تلك الرهبنة المباركة يقصدون مؤمني فرنسة المتازين بالسخاء والمكارم، فجمعوا عام ١٩٠٠ مبلغاً من الاموال ارسلوه الى الاب برنرد المومأ اليه في مشترى الربوة المشرفة على عين شياوحا وعلى وادي يهوشافاط مكان ديرهم القديم . وفي ٢٦ آب ١٩٠١ ، قرّر الكردينال رئيس مجمع نشر الايمان المقدس استناداً الى تفويض البابا لاون الثالث عشر افتتاح الاكليريكية السريانية في القدس . وتم اتفاق الحبر الروماني وكردينال البروبغندا والبطريرك الانطاكي والسفير الفرنسي في رومية على ان يبتني البندكتيون الفرنسيون كنيسة في القدس واسعة متقنة على طراز الكنائس السريانية تقام فيها الصلوات الفرضية والاحتفالات الدينية باللغة السريانية ، ويؤسسون الى جانبها معهداً اكليريكياً يلقنون فيه طلّاب الدعوة المقدسة ما عدا الفرنسية اللغتين السريانية والعربية والطقوس البيعية .

بناء على ما تقدم غادر الاب بنوا غريادور الفاضل عاصمة الكثلكة ، ووصل الى القدس في ٤ ايلول ١٩٠١ حاملاً رسائل التفويض في ابتناء الاكليريكية السريانية وترميم كنيسة ابي غوش . ويقصر اللسان عن وصف ما

عانى هذا الاب الغيور الورع من الاتعاب والمشقات في عنفوان الامر وما عالجه من الهموم والضيقات في سبيل هذا المشروع الجديد . فانه على رغم ما احاق به من الصعوبات لبث كالطود الراسخ لا تزعزعه العواصف ولا تلوي به الحوادث يردّد مرارًا في كلتا حالتيَ عسره ويسره آية داود النبي : «ألقِ على الرب همك وهو يعولك» (مز ٥٤: ٢٣) . ومن ثم جرّد العزيمة على انجاز العمل ، فابتنى في مفتتح الامر غرفاً وان شئت فقل اكواخاً حقيرة من اللبن ثوى بها هو وستة من رهبانه وجعلوا يقضون معيشتهم بتقنعٍ مكتفين بالنزر القليل طبقاً لعاداتهم لا يحرسهم الّا الامل والرجاء كمريضٍ يتجرّع مرارة الدواء طمعاً بالحصول على حلاوة الشفاء . وما كاد ينهي الاب غريادور ابتناء تلك الاكواخ حتى ألجئ ان يقصد فرنسة المحسنة الكريمة في استئناف عمله انجازًا لرغبات ابي المؤمنين والبطريرك الانطاكي . وعاد عام ١٩٠٣ الى اورشليم مجبور الفؤاد لاهجاً بأطيب الثناء على اريحية الامة الفرنسية أمّ المكارم الغراء واجتمع اليه يومئذٍ ستة رهبان جدد فصار عددهم اثني عشر راهباً ، بينهم الاب انسلمس شيباس لاسال الرئيس الحالي . فكتب من فوره الى السيد رحماني يبشره بعقد النية على قبول طلبةٍ من ابناء الملة في الاكليريكية الجديدة . فطفح قلب البطريرك الانطاكي سرورًا وشكرًا وارسل اليه اربعة فتيان كانوا باكورة التلاميذ وصلوا الى القدس في ٢٥ ايار ١٩٠٣ ثم بلغوا خمسة عشر طالباً . واحتفل الخوري موسى سركيس[1] ، النائب البطريركي ، بالذبيحة الالهية اول مرةٍ على مذبح المصلّى الجديد . وتولّى الاب غريادور أمرهم يعطف عليهم عطف الامّ على افلاذ كبدها ويعاملهم معاملة أحنّ الآباء لابنائهم . وعيّنَ لهم أساتذة افاضل تولوا تدريسهم العلوم الابتدائية وفقاً للخطة التي نهجها لهم هو .

واتفق لي اني حججتُ القدس عام ١٩٠٣ ، وانا شماس انجيلي ، وتعهدت تلك الاكليريكية الجديدة فرحّب بي الاب غريادور بابتسامته المعروفة ، وحادثني بعبارات اوعبت قلبي هيبةً واحتراماً . وكلفني ان ألقّن تلامذته المبتدئين بعض

١) نصب اسقفاً على ابرشية حمص وحماة باسم اوسطاثيوس عام ١٩١٢ ، وانتقل الى جوار ربه عام ١٩١٨

الاناشيد السريانية تأهباً لتدشين المعهد البطريركي السرياني في القدس . فقضيت ثم اسبوعاً كاملاً . وعرفت اثناء مكوثي ضيفاً في اكواخ اولئك الآباء الاتقياء انهم يؤثرون التقشف والعزلة ، ويدمنون الصمت والصوم والقنوت لا يهمهم أسكنوا اكواخاً ضئيلة ام اديارًا كبيرة . وصباح عيد انتقال العذراء المجيدة ، استصحبت اولئك التلامذة الى القدس ، وخدمت واياهم اول قداس احتفل به على مذبح مصلى مارافرام حضرة المونسنيور روفائيل جبري النائب البطريركي بحضور مسيو اوغست بوب (Bopp) القنصل الفرنسي الذي اشتهر بوفور غيرته على مصالح البندكتيين والسريان معاً في اورشليم.

ثابر الاب غريادور والاساتذة البندكتيون على تثقيف تلامذتهم الاولين يتجرّعون كاس الضيق المريرة لسبب قلة ذات يدهم ، ويلاحظون انهم في حاجة الى استدرار عوارف المؤمنين الفرنسيين تكميلاً لنياتهم المجيدة. ومن ثم قصد رئيسهم العام الحبر الاعظم البابا بيوس العاشر واستعطفه لانجاز مشروع سالفه فأصدر رسالة مؤرخة في ١٩ نيسان ١٩٠٤ ورد فيها ما شرحه : « اننا نلفت انظار اولادنا المؤمنين الكرام الى تلبية رغائب اولادنا الرهبان البندكتيين المحبوبين في سبيل مشروعهم المبارك في اورشليم ، ونمنح المؤسسين والمحسنين كافة البركة الرسولية . »

ونظرًا لثقة الحبر الاعظم بالاب غريادور عيّنه في ١ كانون الاول ١٩٠٧ زائرًا رسولياً للرهبنات المارونية الثلاث . فأقبل الى لبنان في كاهنين احدهما دومنكي والآخر فرنسيسي ، وجعلوا يطوفون الاديار ديرًا ديرًا ويختلون بالرهبان واحدًا واحدًا عاملين على نجاحهم وتعزيزهم بما يتخذونه من الذرائع الفعّالة تحقيقاً لرغبات ابي المؤمنين . وبعد ان انجز الاب غريادور مهمته عاد الى القدس .

وكان الآباء البندكتيون في تلك الفترة منهمكين في ترميم كنيسة ابي غوش وابتناء غرف لسكنى الرهبان . وما ان واصلوا ذلك العمل الشاق مدة ثماني سنوات حتى قيّض الله لهم ان يدشّنوها باحتفال شائق في ٢ كانون الاول ١٩٠٧ ، بحضور رئيسهم العام وعشرين راهباً من رهبانهم . ونصبوا في زاوية الكنيسة رخامة نقر عليها خلاصة تاريخها وترميمها . واصبحت ابو غوش مذ ذاك

مصيفاً لتلامذتهم السريان يقضون فيها شهري العطلة السنوية . وقد حسّنها الرهبان تحسيناً محسوساً بما زرعوا فيها من ضروب الاشجار وكروم العنب والتين.

على ان الآباء البندكتيين توصلاً الى غايتهم الشريفة في تعزيز مركزهم بجبل الزيتون ، اصدروا منذ ايار ١٩١٢ مجلة في بوردو طفقوا ينشرونها مرة في كل شهرين بعنوان « رسالة البندكتيين السريانية في الشرق» (La Mission Syrienne des Bénédictins en Orient.) ويُثبتُون فيها من المواضيع ما له علاقة بالميترجية الانطاكية والملة السريانية . ولم يحجموا عن استئناف اعمالهم في نجاح الاكليريكية السريانية ، حتى اشتعلت نيران الحرب الكونية عام ١٩١٤ فاضطروا ان يغلقوها ويقصدوا فرنسة وينضموا الى السلك العسكري . وقد ذهب غير واحد منهم ضحية الوطن . وظلّ احدهم وهو الاب منصور متولياً رئاسة او حراسة الدير . اما التلامذة وكانوا ثمانيـة عشر ففريق منهم ، وهم المبتدئون عادوا الى بيوتهم ؛ والفريق الآخر،وهم الكبار ، اقبلوا الى دير الشرفة بامر السيد البطريرك وانجزوا دروسهم وارتقوا الى الدرجة المقدسة .

دارت الايام دورتها ، ووضعت الحرب اوزارها ، وعاد من نجا من غوائلها الى القدس عام ١٩١٩ ، فاتفق رؤساء الرهبنة على تعيين الاب انسلمس شيباس لاسال للنهوض بالعمل الذي بدأوا به لِمَا رأوا فيه من الجدارة والكفاءة .

٣

الاب انسلمس شيباس لاسال

رئيس الاكليريكية السريانية .

ابصر النور في ٦ ايار ١٨٨٤ ، وتلقى العلوم في مدينة پو (Pau) وانضمّ الى الرهبنة البندكتية عام ١٩٠٢ في دير بيل لوك (Bel - loc) قرب بيّون (Bayonne) . واقبل في السنة ١٩٠٥ الى اورشليم ، واكبّ اربع سنوات على درس العلوم اللاهوتية والكتاب المقدس في مدرسة الآباء الدومنكيين . وارتقى الى الرتبة الكهنوتية في ٢٥ ايار ١٩٠٧ .

وعام١٩٠٩ يتم دير الشرفة بصحبه الاب جوليان پوياد، وقضى عشرة شهور

مواظباً على درس العربية والسريانية . وانتهز الفرصة فضبط الاناشيد السريانية على الاصول الموسيقية . ثم عاد الى القدس وتولّى التعليم في الاكليريكية السريانية اربعة اعوام . حتى اذا كانت السنة ١٩١٤ سافر الى فرنسة ، وانخرط في السلك العسكري وضُمّ الى مصافّ الممرّضين . ونظراً لخبرته باللغة العربية عينته الحكومة ترجماناً ، فنهض بتلك الخدمة سنتين كاملتين بكل امانة واخلاص حتى استحقّ ان يكلل صدره بنوط صليب الحرب مكافأة لغيرته وامانته .

وبعد الحرب قفل راجعاً الى القدس ، وقد اناط به رؤساؤه إدارة الاكليريكية الكهنوتية عام ١٩١٩ ، وعهدوا اليه أمرها . فشمّر الاب انسلمس للعمل دون كلال وبالغ في ترقيتها وحصل في زمن وجيز على ثقة صاحب الغبطة البطريرك الانطاكي . فطفق يوجّه اليه طلّاباً من جميع الابرشيّات السريانية ، فنما عددهم وازداد حتى بلغ الخمسين في يومنا .

ولفرط شغفه بالطائفة السريانية ولغتها وليترجيتها القديمة اخذ يبثّ هذا الروح الطيّب في افئدة آباء الرهبنة ، حتى ان بعض اولئك الآباء الافاضل ، وهو الاب بونفنتور اوباك الاسبانيّ الجليل ، احكم اللغة السريانية واتقن ليترجية البيعة الانطاكية وكتب الى الكرسي الرسولي يستأذنه في اقامة الذبيحة الالهية حسب الطقس السرياني اثناء جولة جالها في ابرشية حمص وحماة وبغداد واطراف ما بين النهرين .

وعلى رغم قيام الاب انسلمس بمهامّ الرئاسة في الاكليريكية الاورشليمية صرف العناية في نشر الانغام السريانية مضبوطة على الاصول الموسيقية . وكان الاب جوليوس جنّان البندكتي قد باشر العملَ منذ السنة ١٨٩٧ ، اذ اقبل الى دير الشرفة بتفويض من السيد اغناطيوس بهنام الثاني († ١٨٩٧) واقام فيه زمناً طويلاً يتلقّف الانغام عن كبار التلامذة ويضبطها بالنوط : ثم سافر الى الموصل وماردين في هذا السبيل وعاد الى فرنسة ولم يتهيأ له نشرها اعدّه منها ، حتى اقبل الاب انسلمس والاب جوليان بويّاد الى دير الشرفة كما قلنا . فانصرفا الى مراجعتها وضبطها ، وعوّلا على نشرها في المطبعة الكاثوليكية ببيروت عام ١٩١٤ . بيد ان الحرب الكونية حالت دون انجاز رغبتهما الشريفة ، فسقط

الاب جوليان في ساحة الوغى قتيلاً ، في ١٢ تشرين الاول ١٩١٤ في كران ، ونجا الاب انسلمس وعاد الى القدس . وفي السنة ١٩١٤ نشر مقدمة علمية تاريخية في ٣٠٠ صفحة عن اصل الالحان وفصلها باسمه واسم الابوين جنّان وبرياد . استأنف نشر الالحان باجمعها على الاصول الموسيقية في تلك المطبعة ، حتى اتى عليها بعد تعب جزيل استغرق اربع سنوات ، يعاونه في ذلك كاتب هذه الحروف والاب زكريا ملكي تلميذه . واستهل الكتاب بمقدمة ذات ٢٧ صفحة تستحق الثناء والاعتبار. وبعمله هذا خلف الاب انسلمس للطائفة السريانية مأثرة جميلة ثمينة تشكره عليها شكراً جمّاً على كرور الاحقاب.

وفي نيسان ١٩٢٥ كتب الاب يوسف ربّاني ، النائب البطريركي في القدس ، الى السيد البطريرك رحماني يستقدمه للاحتفال بوضع الحجر الاول لكنيسة مار يوسف في بيت لحم . فاغتنم الفرصة الاب انسلمس ورفع الى السيّد البطريرك عريضةً يتوسل اليه فيها ان يرقّي احد تلامذته ، وهو الشمّاس زكريا ملكي ، الى الرتبة الكهنوتية . فسافر السيد رحماني الى اورشليم مستصحباً السيد اقليميس ميخائيل بجّاش ، والخورفسقفوس انطون قرواني ، وكاتب هذه السطور ، واحتفل بطقس السيامة صباح الاحد ٣ ايار في كنيسة نوتر دام دفرنس احتفالاً شائقاً جدّاً لم نشاهد له مثيلاً . وتولّى الاب انسلمس ادارة الاحتفال والاناشيد السريانية مع جمهور تلامذته على نسق مهيب جميل مؤثر جدّاً . وبعد هذا رقّي صاحب النبطة الاب يوسف ربّاني[1] الى رتبة خورفسقفوس .

وفي نواحي السنة ١٩٢٦ اوعز الكرسي الرسولي الى الاب انسلمس ان يشرف على الرهبنات الرومية الملكية الثلاث مع السيد مكسيموس صائغ متروبوليت صور ، والاب وانيس المرسل اللعازري . فغادر الاب انسلمس القدس الشريف ، واقبل الى لبنان يجول مع رفيقه الاديار الملكية ويبحث بخلاصة ما يعاينه ويسمعه الى الكرسي الرسولي . وعلى رغم تشبّثه بتلك الزيارة الرسولية كان يغدو ويروح الى القدس ، ليطّلع على احوال تلامذته وينشطهم الى مواصلة العلوم الكهنوتية . وبعد ان قام بتلك الخدمة الشريفة ثلاثة اعوام ، ناب منابه

١) ارتقى الى الكرامة الاسقفية على ابرشية حمص وحماة وتوابعها في ٢٩ ك ٢ ١٩٢٨

فيها سالفه في رئاسة المدرسة الاورشليمية اعني الاباتي غريادور الفاضل.

وقد اعرب الاب انسلمس عن عواطف احترامه واجلاله للسيد رحماني الحميد الاثر، فكان يراجعه في صعوباته ويعمل طبقاً لمشوراته. ولما انتقل ذلك الحبر الانطاكي الى جوار ربه في القاهرة في ٧ ايار ١٩٢٩ أبى الآن ان يبدي للراحل الكبير عربون معرفة الجميل، فتوجه من القدس الى يافا في ١٥ ايار مستصحباً بعض الآباء وجمهور الاكليريكيين. وقصدوا الباخرة بيرلوتي التي كانت تقلّ جثمان الفقيد المغبوط ورتلوا هناك باجمعهم صلاة الجناز ثم ودّعوه وعادوا الى القدس. وانضمّ رئيسهم الاب انسلمس وبعض الكهنة الى زمرة القادمين من مصر، واستأنفوا السير الى بيروت، ولفظ في كنيسة مار جرجس الكاتدرائية السريانية تأبيناً بليغاً مؤثراً جداً اعرب فيه باسلوبه الفرنسي النادر عن معرفة الجميل لذلك الحبر الانطاكي النبيل وفاض لسانه بما كان يشعر به قلبه من عوامل الامتنان للسيد رحماني الذي كان السبب في انشاء المعهد الكهنوتي في اورشليم، ووصف مناقبه ومآثره النفيسة والعلمية بعبارات فصيحة بليغة.

وللاب انسلمس مواقف خطيرة في الخطب العلمية والرياضات الدينية التي اعتاد القاءها في عدة معاهد وكنائس واديار لا في المدينة المقدسة فحسب بل في انحاء القطر المصري ايضاً. فهو يختلف الى ذلك القطر مراراً في السنة ويضرم افئدة المؤمنين باجيج كلام الله ويمهد لهم السبل البلوغ الى الغاية القصوى.

كبرت الآمال بنجاح الاكليريكية السريانية في اورشليم على يد رئيسها الاب انسلمس الهمام. ولما استلم عصا البطريركية الانطاكية سيدنا اغناطيوس جبرائيل الاول عام ١٩٢٩، وعوّل على تعزيز اكليريكية دير الشرفة انتدب الاب انسلمس وكاشفه في ضمّ الاكليريكيتين الى اكليريكية واحدة. فما كان من الرئيس الا ان كتب الى الاب العام في الامر. وتمّ الاتفاق اخيراً بين صاحب الغبطة وبينه على ان تخصص اكليريكية القدس بالعلوم الثانوية، واكليريكية دير الشرفة بالعلوم الفلسفية واللاهوتية. وهكذا انتقل كبار الاكليريكيين من القدس الى دير الشرفة في ايلول ١٩٣١. وتولى تعليمهم اربعة من اشهر الآباء البندكتيين علماً وفضيلة يسيرون باجمعهم وفقاً للخطة التي اختطها لهم الاب انسلمس

بالاتفاق مع الحبر الانطاكي ورئيس البندكتيين العام. وجعل مذ ذاك يختلف الى دير الشرفة احياناً يفحص التلامذة ويقف على حالتهم الروحية والعلمية.

وعلاوة على ذلك كله ، فقد كلفه السيد البطريرك ان يجب الى بعض التلامذة روح العيشة النسكية وفقاً لقوانين الرهبنة البندكتية لما يُرجى من ذلك من الفوائد العائدة الى نجاح الملة ورقيها .

وقد خرج من الاكليريكية الاورشليمية حتى اليوم احد عشر قسيساً . وقريباً ان وفق الله ، اعني في حزيران الحاضر ، سيرقي صاحب الغبطة ستة شمامسة من تلامذة الاب انسلمس الى الرتبة الكهنوتية في دير الشرفة .

امّا الآباء الكهنة السريان الذين تولوا تعليم السريانية والعربية في الاكليريكية الاورشليمية تحت ادارة رئيسها الاب غريادور والاب انسلمس الفاضلين فهم : الاب انطون مطلوب (١٩٠٥ — ١٩٠٨) ، والاب عبد المسيح زهر (١٩٠٨ — ١٩١٣) ، والاب بولس سباط (١٩١٣ — ١٩١٤) والاب يوحنا مستكاوي (١١١٩ - ١٩٢٦) والاب زكريا ملكي (١٩٢٦ - ١٩٣٢) والاب يوحنا عزّو (١٩٣٠ — ١٩٣٢) وما برح اولئك الاساتذة وتلامذتهم يلهجون بالثناء على ما تجشمه ويتجشمه هذا الاب الغيور في سبيل تعزيز المعهد الاكليريكي الاورشليمي من الاتعاب والمشقات التي لا يدفعه اليها الا روحه الطيّب وروح رهبنته المجيد .

* * *

تلك عاطفة اخلاص املاها عليّ الولاء والوفاء لاثبت في هذه العجالة بعض مآثر الرهبنة البندكتية ، ومزايا هذا الاب المفضال الذي تربطني به صلات متينة منذ نيّف وعشرين سنة . وقد عرفه تلامذته ، كما عرفته انا ، أباً مفعماً حباً وبشاشة ورئيساً موعباً غيرة ورزانة . فحملهم البرّ البنوي على نشر « نداء » بامضاء احدهم اعني الاب يوحنا مستكاوي ، النائب البطريركي في القدس ، يدعون رؤساء الملة السريانية واكليرسها واعيانها ليشاطروهم ابداء عواطف الامتنان والشكران لهذا الاب الورع التقي . وحسبُه انه فرعٌ من فروع تلك الدوحة البندكتية المباركة التي تفيأ ابناء الكنيسة المقدسة منذ اربعة عشر قرناً بوريف ظلال احبارها وملافنتها المعظمين وقديسيها ورهبانها الصالحين .

الفرنسويون في سورية

في القرنين السادس والسابع للمسيح

بقلم الاب لامنس اليسوعي

تكلمنا في السنة الفائتة[1] على «السوريين في فرنسة في القرنين السادس والسابع للمسيح» مجتهدين في تلخيص ما لا يعرفه اكثر قرائنا عن العلاقات السورية - الفرنسية في ذاك العهد. فاظهرنا كيف طبق الشعب السوري ما ورثه عن اسلافه الفينيقيين من حب الاسفار والرغبة في المغامرات التجارية، فطاف البحار نازلاً بلاد غالية وازدهر فيها حتى حولها، على عهد الميروفنجيين، بين القرن الخامس والقرن الثامن للمسيح، الى مستعمرة اقتصادية متعلقة بسورية.

وقد رأينا اليوم ان نعكس المشهد فنعتبر الوجهة الثانية من الامر، ملخصين علاقات الفرنسويين بسورية منذ ديانتهم بالنصرانية حتى عهد شارلمان او كرلوس الكبير، ذاكرين العوامل التي اثرت في سياسة الامبراطور العظيم الشرقية، وفي علاقاته مع الخليفة هرون الرشيد.

* * *

ان من يمعن النظر في مسطح سيارتنا الصغيرة، ويدقق في درس جغرافيتها التاريخية، لا يلبث ان يتحقق قلة البلدان المثقلة بالتاريخ والشعر والفن. وان المنطقة التي تشمل سورية وفلسطين لمن هذه البلدان القليلة فهي تحتل في ذلك مركزاً خطيراً الى جنب رومة واليونان. وان ماضيها وآثارها ولا سيما آدابها

---

1) راجع المشرق (٣٩[١٩٣١] ٢٤١ و٤٢٢)

الدينية لقسم مهم في ذاك الارث العقلي الذي تتوارثه الشعوب ؛ كما انها هي الوطن الروحي لكل انسان يدّعي الثقافة والتهذيب.

هذا ولو اخذنا بتقويم تاريخي لمدنيتنا الحاضرة فجعلنا نعدّ المدن التي اثرت فيها تأثيراً شمل الكون باسره او كاد ، لما تجاوز بنا العدد الخمس او الستّ من هذه المدن العالمية ولكان من نصيب سورية منها اثنتان شهيرتان هما اورشليم وانطاكية . ويمكننا ان نضيف اليهما مدينة تُحسب بحق مستعمرة سورية ، وهي قرطاجة التي عدّها لويس برتران « من المدن الاربع او الخمس التي كانت عواصم العالم القديم .» وقد كان من عظمة حفيدة صور هذه ان البشرية كانت ، لقرنين قبل المسيح ، تنظر بقلق الى ذاك النزاع القائم بينها وبين رومة ، فتسأل نفسها هل يمكن ان تصبح يوماً ما مستعمرة فنيقية . . .

ان من يزور سورية ويتفقد معالمها ويدرس تاريخها يشعر بانه يفهم اكثر من ذي قبل اصول الجنس البشري واسرار مصيره، بل يشعر بانه اقرب الى الفردوس المفقود . هذا ما يُعبّر عنه بجاذبية الشرق ، وهي جاذبية لا تُنكر . فانها تشرح لنا خمسة عشر قرناً من التاريخ . فنتحقق انها هي التي أثرت في القرون الوسطى واناتها الكثير من المعارف ، وهي التي دعت الى الحركة الصليبية ، وهي التي سيّبت تأسيس الامارات وانشاء المستعمرات الفرنجية في الشرق الادنى . وهي التي انالت « معضلة الشرق » معنًى سامياً اذ ادخلت فيها عنصراً روحياً ارفع من الرغبة في ملكية بترول الموصل ، او السيطرة على طريق الهند، او التسلّط على سكة حديد بغداد . . .

هذا الدافع الروحي نحو الشرق نراه يهيب بالفرنسويين منذ اهتدائهم الى النصرانية . وقد عملت على تعزيزه وتقويته في نفوسهم تلك الحملات الجرمانية التي اكتسحت بلادهم فتركت فيها الخراب وكادت تعيدهم الى حالة الفوضى والشقاق . عند ذاك لفت الغاليون انظارهم نحو الشرق الساطع ، مهد المدنية ومنبع النور (*ex Oriente Lux*) الذي كان لا يزال ، في العالم المتمدّن ، مركز السياسة والاقتصاد والثقافة والدين . ويجدر بنا هنا ان نحدّد ذاك الشرق الذي اتجهت اليه انظار جدودنا . فانهم لم يؤخذوا بالشرق اليوناني - البيزنطي

او الاناضولي حيث كانت قد انتقلت عاصمة السلطة الامبراطورية ؛ بل اتجهوا في ذاك الحين ، اي في فجر القرون الوسطى ، الى ما تدعوه اليوم بالشرق الادنى اي الى سورية.

***

ولنجتهد الآن ، كي نفهم حقّ الفهم طبيعة هذه الجاذبية العجيبة ، في ان نتصوّر ما كانت عليه سورية اذ ذاك — وما قد يمكنها ان تكون عليه غداً . . . وليس افضل من ان نقرأ وصفاً لسورية كتبه ، باللغة اللاتينية نحو السنة ٣٥٠ للمسيح ، الفيلسوف جونيوس[1] . فترك لنا صورة رائعة لبلاد آلفها العمران ، وخصها الله برخاء عجيب ، فرتع سكانها في الترف ما شاؤوا غير مهتمين بما قد يأتي به الغد . وقد عدّد جونيوس « مدائنها التجارية الطافحة بالثروات » و«مدائنها الصناعية كطرابلس وبيلوس ». اما «هليوبوليس (بعلبك) القريبة من لبنان فيعيش فيها نساء عجيبات الجمال يُدعين باللبنانيات » (*quas Libanitidas appellant*) . وهذه حجة لطلّاب « لبنان الكبير » اخشى ان يكونوا قد اهملوها ، عندما طالبوا باستقلال لبنان بحدوده الجغرافية القديمة . وعلى كل فما يؤسف له في هذا الشرق العريق في القدم ان السياسة لا تهتمّ الاهتمام الكافي بالآثار القديمة . وبعد عصر جونيوس بقرنين مرّ الزائر البليزنسي الشهير (l'Anonyme de Plaisance) في هذه البلاد ، فاشار الى جمال اليهوديات الفائق اللواتي شاهدهنّ في الناصرة[2] وقال « انهنّ يشكرن على ذلك مريم العذراء التي يؤكدن انها كانت نسيبتهنّ». وانعد الى جونيوس فترى انه بعد ذكر بعلبك يتابع لائحته بذكر« المدائن الحسنة الجيدة كصيدون(صيدا) وسارپتا(صرفند) وپتوليماس (عكا) ودمشق . » ثم يأخذ بالتفصيل فيشير الى ما اختصت به كل مدينة فكان سبب غناها ، ذاكراً ان صناعة الكتّان مزدهرة في اللاذقية وبيلوس وصور وبيروت ، وصناعة الارجوان في صرفند ، وقيسارية ونابلس ، وان دمشق تصدر الفستق والفواكه المتنوّعة . وفي جميع الانحاء يرى الغنى وسهولة

١) اطلب Ammien Marcellin, XIV, 8

٢) راجع في ذلك رحلته : *Itin. hierosol.* (éd. molinier), 93

العيش يدفعان الى الترف والى تطلّب الملاهي المختلفة ، « وقد اشتهرت انطاكية واللاذقية وصور وبيروت بتقدّم الالعاب في ميادين السباق . » وهنا ايضاً نرى لكل مدينة اختصاصها كما في الصناعة والتجارة . ففي كل منها فئة من اللاعبين يختصّون بنوع من الملاهي ؛ وتختصّ بهم المدينة ، حتى انها تتكفّل عند الحاجة بامداد جاراتها بهم . وهكذا كانت « اللاذقية تختص بالقيّاسين او الذين يُرسلون الخيول في المضمار ؛ وصور وبيروت بالمقلّدين وممثلي المهازل ؛ وقيسارية بالممثلين بالايماء ؛ وبعلبك بالزامرين ؛ وغزة وعسقلان بالمبارزين والمصارعين . »

ولا شكّ ان اخبار هذه السعة في العيش كانت تدفع قدماء الغاليّين الى التفكير الطويل والمقابلة بين حياة ذاك الشعب السعيد وحياتهم هم تحت سماهم المدلهمة بالخطوب ، في بلادهم الآهلة بالخراب على اثر تلك الاكتساحات . هذا ولم يبالغ جونيوس في شيء . نرى ذلك في اقوال غيره من السيّاح والزوّار . فنتحقق انه بينا كانت رومة تنحدر شيئاً فشيئاً نحو الانحطاط ، كانت مدائن الشرق الكبرى كالاسكندرية وانطاكية واورشليم تجمع في احشائها ثروات العالم المتمدن . ولم تكن لتُهمل مولدات العقل وآثار الثقافة . وها ان القديس ايرونيموس ياتي سورية مفتشاً عن مركز موافق يتابع فيه ابحاثه في العلوم المقدسة . وها ان القديس يوحنا فم الذهب يدشّن الخطابة المسيحية الرائعة . وها ان مدارس قيسارية وغزة وصور وانطاكية تنال شهرة عالمية بتدريسها جميع العلوم اليونانية .

واذا القينا نظرة على خارج البلاد السورية نرى ان اثينة وبيزنطية تتنافسان في الحصول على الخطباء والاساتذة السوريين . بينا كان السوريان برفيروس وياميليكوس يبسطان الفلسفة الافلاطونية الحديثة وينشرانها بين المتأدبين . فيبدو لنا ان احفاد الفنيقيين ، مَن قد يخالهم العالم مهتمّين بالشؤون المادّية فحسب ، لم يقصّروا عن الدرجة الاولى في شيء من علوم عصرهم وآدابه . حتى ان رومة تظهر مدينة لهم باميان مرسلان آخر من ظهر فيها من كبار مؤرخي اللاتين . اما بيروت فكفاها فخراً ان اساتذة مدرستها البعيدة الصيت كانوا يمدّون مولدَ قانون يوستنيانوس الشهير .

ثم اننا نرى ، الى جنب هذه المظاهر العقلية ، فناً مبتكراً عجيباً ينمو ويزدهر . فيظهر ابتكاراته في هندسة البناء خصوصاً ، اذ يستقل بجرأة عن التقاليد المتداولة ، فينصرف عن استعمال الملاط والطين ، مستنداً الى نواميس الموازنة وحدها في اقرار منشآته واثباتها الى الدهر . اما في النحت والتصوير فمال الفن السوري ايضاً الى الاستقلال منصرفاً عن التقيد القديم بتمثيل الطبيعة كما هي ، وتصوير الاعضاء المجرد ، ذاك التقيد الذي كاد يحط من شأن الفن اليوناني . فعمل السوريون ، والحالة هذه ، على اعداد الفن المسيحي المزدهر في القرون الوسطى ، وكان لهم الفضل بان بدأوا يحررون الآثار الفنية من ربقة تمثيل العري والاشكال التصويرية كما هي مجردة عن كل تحسين وتجميل . ولم يكن فنهم ضعيفاً غشيماً غير مصقول كما زعم بعض الباحثين . بل ان ما فيه من الاقتصار والاقتضاب المقصودين كان من شأنه ان يجعله لائقاً بالعبادة الروحية وبالدين الانجيلي الذي يعبد فيه الانسان « بالروح والحقيقة » .

واننا نرى في سورية ، منذ القرن الرابع ، اشهر الامثلة للكنائس والابنية الدينية التي اتخذها العالم المسيحي بعد ذاك

هذه اهم العناصر المختلفة التي كانت تلفت اذهان الزوار والسياح فتجذبهم الى سورية في ابتداء القرون الوسطى . فكانوا اذا ما نزلوا شواطئ فنيقية المشعة بالانوار ، يرون انفسهم وقد نُقلوا الى محيط عجيب باهر بسعة العيش وكثرة الترف وازدهار الفن . فيجولون في ساحات واسعة انيقة ، تطيف بها الاروقة الرشيقة ، ويدخلون كنائس فخمة تتمدد فيها الاعمدة ، وترتفع في زواياها الابراج ، وتحيط بها القبور الجميلة . ولا تزال حتى اليوم نشاهد الامثلة على تلك الهندسة السورية في اطلال المدن الخربة المنتشرة في نواحي انطاكية وحلب وافامية ، وجنوبي دمشق ، وفي حوران .

« وان من جال في تلك الشوارع المقفرة ، والساحات المهجورة ، والاروقة التي تتعرش دوالي العنب على اعمدتها المقطوعة ، شعر بعاطفة تشبه العاطفة التي تتملك من يزور بومبي في ايطالية . » وكل هذه الاطلال « تؤلف مجموعاً لا يمكن ان تنتزع منه شيئاً . بل تتحد كل اجزائه وتترابط وتنتسب الى طراز

واحد والى عهد واحد ، هو عهد النصرانية الاولى الممتدّ من القرن الرابع الى القرن السابع للمسيح . »[1] وقد توقّف ازدهار هذا الفنّ الجميل على اثر الفتوحات العربية.

***

هذه حالة سورية المزدهرة التي كانت تصل اخبارها الى غالية ؛ فيقابل بها الغاليون حالتهم الضنكة وما اصبحوا فيه من الشدة منذ دخول الطغمات البربرية بلادهم وتضييقها عليهم في القيام بشعائر دينهم . وكان اكثر المكتسحين لا يزالون على الوثنية ، او انتقلوا الى البدعة الاريانية فكانوا من اشدّ اصحابها غيرة واضطهاداً لمن لم يوافقهم . فجعل الغاليون يتوقون الى زيارة سورية حيث يرون تلك الغرائب التي سمعوا بها ويتمنّون بالاقامة في بلاد تنتصر فيها المسيحية الحقّة ، فيمكنهم التبرّك بالاراضي المقدسة ، والسير على آثار السيد المسيح في الطرقات التي سار فيها ، ومشاهدة اماكن الفداء التذكارية ، وقد قامت في جميعها الآثار الفخمة والكنائس الرائعة البهجة بما زُيّنت به من الذهب والرخام وانواع الفسيفساء.

وكان الشوق يحدو بهم ، كما حدا بلامرتين بعدهم باربعة عشر قرناً ، الى « مشاهدة تلك الجبال التي كان ينحدر منها الله ؛ وتلك القفار حيث كانت الملائكة تتقدّم فتدلّ هاجر على الينبوع الخفي لتجدّد بمائه قوى ابنها المسكين . . . وتلك الانهر التي كانت تخرج من الفردوس الارضي ؛ وتلك السماء حيث كانت الملائكة تُنظر منحدرةً صاعدةً على سلّم يعقوب . »[2] وما هو ان سافر اول وفد ، حتى لحقه جيش من الزوّار عديد فتدافع حتى لا يقوى على ايقافه شيء . وكانت حركة تلك القوافل المتتابعة على مئات السنين.

ولكن كم كانت هذه القوافل غريبة التشكيل متنوّعة العناصر . كانت الوفود تتقدّم من اقصى حدود غالية ، على قول القديس ايرونيموس (*de ultimis Galliae finibus*) وقد كان لمواعظ الملفان الدلماتي الشهير تأثير مهمّ

(١ De Vogüé, *Syrie centrale*, p. 7-8.

(٢ Lamartine, *Voyage en Orient*, 20 mai 1832.

في حثّ سيرها . فانه لم يكتفِ بان دفع سراة الرومانيين الى زيارة الاراضي المقدّسة ، بل دعا الى ذلك ايضاً جمهور اصدقائه التاليين. فكان اولئك الزوّار، اذا ما وصلوا ارض فلسطين ، لا يحجمون عن جولة في سورية بكاملها ، معتبرين ان جميع هذه البلاد قسم من ارض الميعاد . وهكذا كانت خطة التجار التاليين ايضاً الذين كانوا يسيرون في طلب الافاويه والطيوب والحرائر ، وخمرة غزة وصرفند ، تلك الخمرة الفائقة التي تُعدّ بحق خير سابقة لخمرة لبنان الذهبية . وكثيراً ما وصل الزوّار في سفرتهم الى انطاكية ليحيّوا القديس سمعان العمودي الذي كان يعيش منذ ثلاثين سنة على قمة عموده الغريب. وكان القديس المذكور يكلّفهم ان يقرأوا السلام ، من قبله ، حال رجوعهم الى الوطن ، على القديسة جنفياف التي اصبحت فيما بعد شفيعة باريس.

وما لبثت حركة هذه الزيارة ان عمّت جميع طبقات المجتمع فشاهدنا بينهم اساقفة تور وباريس . اما اسقفا أرل ومرسيلية فانهما لجأا الى فلسطين بعد ان طردهما البيلاجيون . وكأنّ امراء الميروفنجيين ارادوا ان يسنّوا لخلفائهم تلك الخطة الصالحة التي سار عليها هؤلاء على اختلاف نزعاتهم ، فجعلوا يرسلون الوفود حاملةً الى الهياكل الفلسطينية التقادم النفيسة الدالة على مبلغ تقواهم وكرمهم الملوكي . ويذكر التاريخ ان الملكة راديغوند طلبت من احد الزوّار ان يأتيها بذخيرة تضمها في ديرها القائم في بواتيه . وسنعود الى ذكر هذه الرغبة الآخذة من القوم في الحصول على الذخائر . اما الآن فيكفينا ان نتحقق ان الشعب بكامله ، ملوكاً ورعيةً ، مرؤوسين ورؤساء ، كان يرمي بانظاره الى البلاد السورية - الفلسطينية. وكان الزوّار ، اذا رجعوا من رحلاتهم ، يأخذون بسرد الاخبار العجيبة والروايات الغريبة عمّا شاهدوا وسمعوا ، معزّزينها بالتذكارات والذخائر . ويتناقل القوم احاديثهم فيتوسّعون فيها ويزيدون عليها، فينشرون في جميع انحاء البلاد فضائل الارض المقدّسة ويثيرون في جميع الافئدة الميل الشديد الى زيارتها. وقد روى غريغوار التوري ، في كتابه (*De Gloria martyrum*) ان حدّثه احد شمامسة تور بعد رجوعه من فلسطين انه شاهد في بيت لحم بئراً كانت العذراء مريم قد استقت منها في ما سلف . فاصبح

في قعر تلك البئر كوكب يتموّج . ومن شاء ان يراه وجب عليه ان يستر رأسه بمنديل . على ان هذه الطريقة ايضاً لم تكن تكفي لرؤية ذاك الكوكب الّا اذا كان الناظر طاهر القلب نقي الضمير . والّا فلا يراه . ثم اكد الشماس التوري انه جرّب خمس مرّات فلم يتوفق الّا مرتين لمشاهدة ذاك الكوكب العجائبي « الذي ظهر في ما مضى لملوك المجوس . »

***

ولما كان عدد المسافرين على تكاثر متواصل ، كان من الضرورة ان يهتمّ البعض بوضع « الادلة » لفائدة الزوّار . وهو برهان يدلّ على ازدياد تلك الرحلات واتساع نطاقها، كما ان ادلة جوان وبيدكر تدلّ في عصرنا على الرغبة في السياحة والجولان . وان اقدم دليل نعرفه هو المنسوب الى بوردو (*Itinéraire de Bordeaux*) . وهو يذكر بكل اقتضاب وجفاف المراحل التي نزلها الكاتب ومحلّات تغيير الخيول وما بينها من الابعاد، وذلك من بوردو ، عاصمة الغارون ، حتى اورشليم ، مارًّا بشبه جزيرة البلقان والقسطنطينية، وبلاد الاناضول .

ومن صفات هذا الدليل ما يظهر انه كُتب خاصة او أُصلح لفائدة زوّار الشرق . وذلك انه ، اذ يصل الى ذكر منطقة فلسطين ، ينصرف عن اقتضابه المعتاد ، فيتوسع في الاشارة الى التذكارات القديمة الموجودة في المناطق التي يمرّ فيها المسافر . ولا يخفى ما لهذا المستند الراقي الى سنة ٣٣٣، من القيمة الثمينة . وانا نحن مدينون لغيرته واهتمامه بمعرفة عدة محلّات جغرافية ذكرها على شواطئ فنيقية ، ولم يذكرها سواه . ومن محاسنه انه يبيّن بكل دقة حدود المقاطعات ، وهو يجعل الحدّ الفاصل بين فلسطين وسورية الى جنوبي الكرمل هذا ولا يظهر ان اصدقاءنا الانكليز عرفوا هذا الدليل ولا استفادوا من هذا المستند المترفع عن كل ميل حزبي ؛ ولا يظهر كذلك ان رجال السياسة الفرنسوية فكّروا بالرجوع اليه ، عندما شاء هؤلاء واولئك تعيين الحدود بين منطقتي الانتدابين .

وهناك ادلة أُخر كدليل القديس اوشر ، اسقف ليون في القرن الخامس ، ولكن هذا لا يهتم إلّا بفلسطين . وهو ايضاً يجعل جبل الكرمل ضمن حدود فنيقية اي سورية .

(المبحث صلة)

محاولات في درس جبران

الجوهر الفرد

في ادب جبران خليل جبران

بقلم امين خالد

١

توطئة

ان رأيت شاعراً من الشعراء ، او عالماً من العلماء ، او نبيلاً في قومه ، او داعياً في امته ، قد انقسم الناس في النظر اليه وفي تقدير منزلته انقساماً عظيماً ، فالفئتان بحبه قوم حق رفعوه الى رتبة الملك ، ودان ببغضه آخرون حق هبطوا به الى منزلة الشيطان ، فاعلم انه رجل عظيم .

المنفلوطي

هذا هو راي الاديب المنفلوطي في آية العظمة . واذا نظرنا الى جبران بهذا الاعتبار كان رجلاً على شيء من ذلك بسبب ما ناله من شهرة واسعة . وحريٌّ بنا ان نتأمل ملياً سرّ هذه الشهرة ، ونعرضها بتروٍّ على محك النقد النزيه لنجلو منها الجوهر الفرد ، ونعرف قيمة جبران الحقيقية .

اجل ، لقد قيل عن جبران انه « الفيلسوف الانساني الكامل » وقيل انه « من اعداء الانسانية » « وانه يكتب ليفسد اخلاق الناشئة » . فغالى محبوه باستعمال الالفاظ الطنّانة ونسبوا اليه ما لم يدر في خلده البتة ؛ واغرق بالنقمة عليه غيرهم ، فاضاعوا كرامته وانكروا مواهبه .

ولكن ايليق بالنابغ ان يحلّه عشّاق مبدأه مكاناً اسمى مما توهله اليه فضيلته ، ام هل يسلّم الوجدان الحي بجحود مزايا الكتاب الحقيقية ؟ !

كلا ! لا هذا ولا ذاك ! انما الحق في ان نفهم عبقرية الرجل القائمة

بالادب الذي ظهرت من خلاله روحه ، ونمحص العناصر التي تألف منها ذلك الادب ، والاتجاهات التي تميل نحوها تلك الروح .

ولئن ادركنا بدرسنا هـذا الكنه الذي قضى الاديب حياته مجتهداً في التعبير عنـه بمختلف الاساليب ، او اشعرنا بالعواطف التي كانت تتلجلج في احشائه ويعتني بتصويرها بابلغ ما اوتي من مواهب الفصاحة والبيان ، كان ذلك ابقى له ولتابعيـه الذين يؤلمهم ان تمسخ صورة المعلم دهشةُ المعجب او غايةُ الخصم ، واحفظ لجوهر النبوغ الذي يعتقد ابناؤه ان اسرار قلوبهم وادمغتهم لن تذهب ادراج الرياح بل يكون لها صدى تنتقده الاجيال وتدرسه الناشئة بامعان وتقدير .

عناصر التأثير في شخصية جبران

نشأ جبران باواخر القرن المنصرم في احضان احدى العائلات المتوسطة التي كانت نفوس افرادهـا الطموحة تحملهم على هجر لبنان الى بلاد الذهب ، بصدورٍ مملوءة نشاطاً وهمة ، واذهانٍ وقّادة تنظر الى ما وراء حجب المستقبل ، فتمتنق الآراء الجـديدة ويقوّيها الاحتكاك الاجتماعي في سبيل التدرج لتقليد مظاهر الحياة في بلاد الخير التي كانوا يعودون منها مغبوطين بتوفيقهم ، معجبين بمعجزات التقدم والاختراعات الحديثة ومبادئ الحرّية . ويرجعون الى قراهم في لبنان ، ويرون انفسهم قد امتازوا عن بقيّة اهـل الضيعة ، فيأخذون بالتبشير بما جاؤا به من الجديد في العادات والاخلاق ، ويصيرون بهذا وسل التأثير في تغيير التقاليد العتيقة ، واتخاذ الجديد ديدناً معشوقاً بكل ما فيه من الزهو والروعة .

ولعمري ! اذا كانت البعثات الاجنبية التي حملت الى لبنان في القرن التاسع عشر مصابيح العلم الحديث والقت رحالها في بيروت ، دماغ الشرق ، قد فتحت عقول الذين تهافتوا على موائدها ، وهيأتها للانتقال من ظلمة الجهل والغباوة الى نور المنطق العصري ودرس الاكتشافات ، واخذت تحـل الجمود العقلي بزيت

التفكير والنقد ؛ فان هذا رغم تبريز الفئة التي حملت مشعل النهضة المصرية وسارت به الى مصر ومن ثم انتشرت في سائر انحاء الشرق الادنى ، ان هذا التنوّر لم يظهر تأثيره في الاخلاق والعادات بشكل محسوس. فاليازجيون وبستانيّو دائرة المعارف واكثر الادباء بذلك الوقت ظلوا يرتدون السراويل الواسعة جداً ، والزنانير المحبوكة ، والصدرية النباني ذات الازرار المدعلة ، والطربوش الاستانبولي الغير المقشش ، وكستك الساعة الحريري الاسود الطويل المعلق في العنق والمتدلي حتى الزنار حيث الجيب المدوّر الصغير الذي طرّزته انامل المخدّرات ذوات الملاءة البيضاء ؛ ويأكلون على الطبق ؛ ويدخنون النليون الذي يحرقونه بالقدّاحة والصوفانة ؛ اي انهم ظلوا شرقيين محافظين في اخلاقهم وعاداتهم . ذلك لانهم نشأوا وترعرعوا في المحيط اللبناني القديم وفي احضان آبائهم الشيوخ الذين لم يعرفوا ما عرفه جبران الفتى من اخوانه الذين تقدّموه بالمهاجرة الى ما وراء البحار وما اكتسبه من العادات والفه من الاخلاق الغربية ، بعد ما بارح لبنان وهو في العقد الثاني من العمر ، وعجينة اخلاقه اللينة مستعدة لقبول كل ما يرتسم عليها من الطباع المكتسبة .

والى اين توجّه جبران تاركاً قصبة بشري ووادي قاديشا ؟

الى مصر ، فباريس ، فبوسطن . ولكن لا ليمكث فيها ردحاً من الزمن ينسيه لبنان وما في لبنان من العذوبة والجمال ، بل ليعود الى لبنان فيودّع القرن التاسع عشر فيه باقامته اربع سنوات كانت آخر مدةٍ قضاها في بيروت ، اذ تلقى دروساً سطحيّة بالنسبة لمبلغ العلم الذي يحصّله الشبّان في الجامعات الكبرى . وهكذا لم يتسنّ لجبران التعمّق في درس مادةٍ ما علمية ولا اجتماعية ، بل ان جلّ ما اكتسبه علق بفطرته واستعداده الحسن في اتجاه اخلاق عائلته ، والمحيط الذي كان مجذوباً نحوه ، والبصيص الادبي الذي اخذه من مدرسة الحكمة الوطنية حيث تلقى دروسه العربية . ولذلك من العبث ان ننتظر من جبران ان يصدر لنا آراء راهنة مبنيّة على حقائق علميّة مدقّق بها . وبالعكس فان ما صقل ذوقه وشحذ شعوره بسياحته في اثينة وفلورنسة والبندقية وباريس واميركة ساعده على اصدار انجرةٍ حارّة من قدرة العواطف والاحساس .

ولكن ما هو حجر المسّ الذي شُحِذَ عليه شعور جبران القوي ؟

أكان رغبته في الذهب الذي كانوا يطمعون به في اميركة بذاك الحين ام غيره من ميول الانسان للاكتشاف او الشهرة او التقوى ؟

او ماذا ننتظر من جبران — وهو في شرخ الشباب — ان يبهره في الغرب وتهوله رؤية ضده في الشرق فيهيج ذلك بفؤاده ويرغي ويزبد شراباً سكبه « بالاجنحة المتكسرة » و « عرائس المروج » و « العواصف » و « الارواح المتمردة » وابقى طعمه حتى في آخر ما انتجت قريحته ؛ في « البدائع والطرائف » و « رمل وزبد » و « والسابق » وكتاب البشارة الجبرانيَّة الذهبي ، « النبي » ، حيث يحسب الكثيرون ان فيما كتبه جبران بعهد الكهولة تطوُّرًا او تغيرًا ، مع ان الجوهر الجبراني واحد ، وان اختلفت الصيغ الفنيَّة التي ظهر بها ذلك الجوهر لمَّاعاً جذَّاباً فافتتنت به قلوب الشباب على الاطلاق ، ولم تنجُ من تأثيره عواطف الشيوخ ، وجُنَّت به الفتيات . فجلس جبران على عرش الافئدة التي اهلها احتكاك الشرق بالعالم الغربي لتلقي ادب الشاب الذي بزغ نبوغه في فجر هذا الاحتكاك ، وشعشع بسمائه حتى الضحى .

اجل ! لم يبهر جبران في العالم الغربي الَّا ما يبهر كل بشريٍ لو كان مكان جبران . فالشيخ الذي جاوز حدَّ الاربعين لو جاء اليوم من ضيعةٍ تبعد مائة كلومتر عن بيروت ، وقضى بها بضعة ايام لقضاء مصالحه الخاصة ، يعود الى بلده فيحدِّث اهله وذويه قليلًا ، وقليلًا جدًا ، عن البنايات الشاهقة والقناطر الفخمة والسيَّارات المفتخرة والاطعمة اللذيذة او الكهربا ؛ ويحدثهم كثيرًا عن الاثواب الشفَّافة والصدور العارية والشفاه الحمراء والزنود الفضَّة والشعر المقصوص المكوَّى . وسائر الازياء والمظاهر التي تأسر القلب والمشاعر لدولة الجسم الناعم اللطيف .

نعم ! يسهب الشيخ الذي جاوز حدَّ الاربعين في الكلام عن كل هذه البهرجات النسويَّة ، حتى امام بناته العذارى ، لانه لا يتمالك عن الحديث لشدة تأثره بكل ما تقدم . قد يذكر الشيخ كل هذا مشفوعاً بعبارات النقمة على الخلاعة واهلها ، ولكنه لا يستطيع اخفاء تأثره ؛ بل يحدِّث ويتكلَّم ويحكي

بجودة خاطر وطيب لسان .

اذا كان هذا شأن الشيخ المنتقل من قريته في الجبل الى بيروت اليوم ، فماذا يتصوّر المفكر من حال جبران ، وهو الشاب الجميل المراهق الذي حملته الاقدار الى باريس في اول القرن الحاضر ، لا ليقيم فيها بضعة ايام فحسب ، بل ليمكث هناك شهوراً طوالاً ؛ ولا لانجاز مصلحةٍ مادية ، بل لدرس الفنّ وسرّ الجمال .

لقد كان من الطبيعي المتحتم ان تختمر في قلب جبران الفتى العاطفة البشريّة الرئيسيّة اى عاطفة الحب — واي حب ! — وان يكون في ذلك الحب قوّة شديدة غير مقتصرة على الانبثاق المادي من فؤاد الشاب ، بل طفرة فائرة تدفع للنهش والالتهام .

كيف لا وقد صادف بالمحيط الغربي جوّاً خارجياً يدفع بهذا الحب الى التمتع الحر المطلق والتلذذ الهيّن المباح .

وقد رأينا انه ترعرع معه في اسرته استعداد لتلقي مبادئ التمدين الحديث والاخلاق الغربيّة .

الحب الجبراني

نعم ! دهش جبران بجسد المرأة الجذّاب وفرح بحريتها في الغرب وحريّة الرجال تجاهها ؛ واختمر بحبها قلبه الشرقي المخلص ، المتعطش الى اللذّة ؛ وعاد الى بيروت ليحبّ فتاة جعلها بعدئذٍ بطلة « الاجنحة المتكسرة » ، وسرد بهذه الرواية البليغة كل ما توقع له مع تلك الفتاة التي دعاها سلمى كرامه .

في « الاجنحة المتكسرة » بسط جبران كل ما اضمره وجدانه من غايات الحب العميق . ولكن جبران كان خاسراً في صفقته ، لان سلمى كرامه تزوجت زواجاً شرعياً بغيره . فولّد عنده هذا النقص في حظه تسامياً نحو الفن ليبثّ العالم مكنونات قلبه الجريح ، ولينفث من بركان عاطفته المتجسمة قذائف النقمة على العقبات الكؤود التي اعترضته في سبيل حبه . ودعائم هذه العقبات

جدران العادات والاخلاق، وحصن الدين والشريعة . ففي سبيل الحب، ولتهديم الاخلاق والعادات الشرقية ، ، ونسف اركان الدين ، وتحطيم قيود الشريعة ، وقفَ جبران فنه الكتابي .

نعم ان حب المرأة هو الذي اوحى الى جبران آيات فنه ، والهمه اسلوبه البديع .

ولكن ما هو الحب الجبراني ؟ وما هو ذلك الفنّ اللذان كانا لعظمة جبران السدى واللحمة ؟ !!

الحب رافق الانسانية منذ البدء ، وسيبقى محور آدابها حتى النهاية . ولكن انواع الحب تختلف بحسب الادوار التاريخية ، ودرجاته تتباين بحسب الشخصيات الادبية .

فمنهم من تغنى بمزامير الحب المجرَّد عن كل دنس ؛ وقد دعوه بالافلاطوني لانه يقتصر على الافتكار والتأمل بشخص الحبيب والمحافظة على كيانه المعنوي بل والجهاد في سبيل طهره وقداسته واسماده ؛ وعمدة هذا الحب التضحية التامّة : وهو موجود في نظريات بعض الفلاسفة ، لانه المثل الأعلى .

ومنهم من اكتفى بوصف التشوّق لمشاركة الحبيب بالفكر والعاطفة المتبادلة والعمل في سبيل الحياة . واساس هذا الحب العدل وغايته غريزة احياء الجنس .

ومنهم من وسّع فكرة الحب الجسدي القاتل الذي يودّ صاحبه لو استعبد كلّ ما بالعالم لاشباع شهوته الشخصية من حبيبه . ومصدر هذا الحب الانانيّة الحرّة المجرّدة ، وغايته اللذة المطلقة .

فالى ايّ هذه الانواع اتجهت عواطف جبران التي نمت في باريس ، بلدة الجمال وكعبة المرأة العصرية ؟

واي حبّ نضج في ريعان صباه واثمر للغته العربية فاكهة قيّمة ، اذ شرح بمؤلفاته ما يسميه «ذاته الوضعيّة» بصدق في القول ، وامانة بالوصف والتصوير . فكان امام المجدّدين بهذا الاسلوب في الادب العربي ، واعطى المثل الاول للشاعر الذي يعمل على احياء اللغة حسبَ رأيه السديد بمقاله «مستقبل اللغة

العربية ». فلم يكن مرآة مدهونة تعكس ما سطع عليها من اشعة المتقدمين في خطة تقليدية ، بل كان كاساً نقية يتلألأ ما فيها من ماء الحياة المعنوية.

ولنسمع جبران يحلّل نفسيّته الخاصة ويعبّر عن رأيه في الحب والحياة:

قال في توطئة «الاجنحة المتكسرة»: « سلمى كرامه هي حواء هذا القلب المملوء بالاسرار والعجائب ، وهي التي افهمته كنه هذا الوجود ، واوقفته كالمرآة امام هذه الاشباح... حوّاء الاولى اخرجت آدم من الفردوس بارادتها وانقياده ، اما سلمى كرامه فادخلتني الى جنة الحب والطهر بحلاوتها واستعدادي.»[1]

سلمى كرامه حبيبة جبران ، ليست فكرة فلسفية عن الجمال بوجه الاجمال، او مثلاً لكل فضيلة واهلاً لكل تضحية ؛ ولا بدراً في تكوين وجهها او خيزرانة في لين قوامها ، او شيئاً مما تغزّل به الشعراء الذين شاقهم الاقتران بامرأة احبوها وحالت الاقدار دون وصالها . بل هي « حوّاء» اي امرأة عارية الجسد لديها تفاحة للاكل. وقد صوّرتها ريشة جبران بسائر الرسوم التي مثّلها بها، فكانت تحفة من تحف الرياضة البدنية في معارضه الذائعة الصيت في بلاد « التنس » ؛ وبطاقة تخجل الفتاة الشرقية من النظر اليها.

اجل ! حبيبة القلب الجبراني امرأة عارية معتوقة من كل ستر حاكته يد التاريخ المدني ، او خيط غزلته الاخلاق والقوانين لتلفّ به عرض المرأة ضناً بالنسل والارث والامن العام.

وهذه المرأة العارية هل هي حواء العقل الباحث عن كيانها ؛ المدقق في حقوقها والعلاقات الحيويّة معها ؟ ؟

كلا ! بل هي « حوّاء هذا القلب » اي حوّاء الميل والشهوة العمياء المبهمة المتراثية « كالاسرار والعجائب » لشدة اطباقها وبعد غورها في اعماق جبران ، او كما كان يقول « في قدس اقداس النفس » .

ولهذه المرأة سرٌّ عجيب . فهي توحي الى القلب الهاماً « يفهم كنه هذا الوجود » . فكل ما ولّدته المرأة في القلب من العواطف هو عقيدة الحق بالكائنات ، بل هو المعرفة التامة.

---

١) الاجنحة المتكسرة – نيويورك ١٩١٢ – ص: ٢-٣

اذن فلسفة جبران عاطفية قلبية نسويّة . وكل ما روي بغير مجهر القلب ، وليس من خلال المرأة العارية ، فهو « اشباح » لا قيمة للتدقيق في شؤونها : فالمقاييس والاوزان والعلوم الرياضيـة والتجريبيـة والمنطق الاجتماعي والحقائق العقلية والسياسة وكل ما بالكون مخيف راعب « كالاشباح » لا يأبه جبران للتقرّب صوبها ، بل يهزأ بها ساخراً ، ولطالما دعاها « بالالغاز والاحاجي » .

ولماذا كل هذا التحكيم والاستسلام لسلطان العواطف ؟ ومن اين اتت هذه الحكمة بل هذه النبوءة الجبرانية ؟

من تأثير حوّاء القلب الجبراني ! واي تأثير ؟ هل كان ذلك تأثير المنظر الخارجي واللمحات الشعرية التي تبهر ابصار المحبين وتخلب بصائرهم ؟ ام كان وقع صوت الحبيب الذي تدوي في اذن العاشق رنّته السحرية ؟ ام كان رائحة انس يسكر بها الصب ؟ ام نعومة لمس ترتعش لها الاعصاب ؟

كلا ! لم يكن شيء من هذه الحواس البتّة !

بل هي « حلاوة » اي لذة فائقة بطيب طعمها .

اجل ! جبران ينادي بحلاوة حوّاء العارية ولذة طعمها . وما هذا سوى الشهوة الجسدية المتجسّمة عند من اوجدت في احشائه تربيته بين ذوات الصدور والزنود العارية استعداداً يجاهر به على رؤوس الاشهاد ، ويصرّح بان الجنّة قائمة بهذا الحب وهذه التفاحة الشهية .

« الجنة ! » : كلمة صغيرة لشيء كبير !!

« الجنة ! » : هي اللفظة التي اعتاد البشر ان يعبّروا بها عن منتهى الغبطة الابديّة والسعادة السرمدية ؛ هذه « الجنة » ، في عقيدة جبران ، قد ادخلته اليها « حوّاء قلبه بحلاوتها واستعداده » اي سلمى العارية بلذّتها هي وشهوته هو .

وهنا لا ينفصل جبران عن نظريّة الاديان السماوية والاخلاق الاجتماعيـة انفصالاً فرعياً فحسب ؛ بل هو يعكس آياتها عكساً اساسياً واضحاً كالشمس في رائعة النهار .

التعاليم الدينية تعتبر المرأة خاطئة ، وتقول ان الرجل الاول طُرد من الفردوس الطاهر ، ونفي الى هذا العالم عندما اكل من تفاحة حوّاء . واما جبران

فيرى ان الجنّة – اي الهناء الابـدي – ليس في الحب المقدّس فقط ! بل في الحب المجرم ، وفي العشق السرّي ، في الفحش ، اذا صدرت ارادة القلب الجـدي بذلك .

جبران هو امام العشّاق المجرمين باسم الميول القلبية والحب . فانه عنـدما حكم القضاء باعطاء سلمى كرامه عهد الزوجية الشرعية الى منصور بك غالب ، لم يقتنع بحبها العذري والمحافظة على العفاف والحشمة والطهارة ، بل تعاهد معها على ان يحبها حتى الموت وان يتلاقيا في محل منفرد . وها هوذا يصف موقفـه تجاهها في الهيكل المجهول القائم «بين تلك البساتين والتلول التي تصل اطراف بيروت باذيال لبنان» في المعبد الصغير الذي حوّلاه الى بيت ملاقاة . «ولم يدرِ باجتماعاتنا السرّية احد سوى الله واسراب العصافير المتطايرة بين تلك البساتين ، فسلمى كانت تجيء بمركبتها الى المكان المدعو بحديقة الباشا ثم تسير الهوينـا على الممرّات المنفردة حتى تبلغ المعبد الصغير فتدخله مستندةً على مظلتها وعلى وجهها لوائح الامن والطمأنينة ، فتجدني منتظرًا مشتاقاً بكل ما في الشوق من الجوع والعطش . . .»

«ولم نخف قط عين الرقيب ، ولا شعرنا بوخز الضمير . لان النفس اذا تطهرت بالنار واغتسلت بالدموع تترفع عما يدعوه الناس عيباً وعارًا وتتحرّر من عبوديّة الشرائع والنواميس التي سنتها التقاليـد لعواطف القلب البشري ، وتقف برأس مرفوع امام عروش الالهية . »[1]

(لها بقية)

---

١) الاجنحة المتكسرة ، ص ١١٣–١١٤

الزواج

تبعاً للرسالة البابوية « Casti connubii »

بحث اخلاقي لاهوتي

للاب شرل ابيلا اليسوعي

٢

الزواج المسيحي او سر الزواج

١

١ً خلاصة ابحاثنا السابقة

ليست وضعية الزواج بشرية وانما هي الهية . هو من الله المشترع وضعاً ، وبهذا يشهد التقليد المسيحيّ ، فضلًا عن الاسفار المنزلة . وهو ايضاً من الله الخالق طبعاً ، وهي النتيجة المنطقية التي تُستخلَص واضحةً جليّة من الاغراض التي عيّنتها الطبيعة ومبدعها ، جلّت حكمته وقدرته ، لاتحاد الرجل والمرأة.

ومن ثمّ فان الزواج عقد حقيقي ، لكن هذا العقد هو فريد في بابه . اجل انه لا ينفي تراضي المتعاقدَين عن تحرٍ واختيار ، بل يقتضيه حتماً ولا يتمّ ولا يقوم بتاتاً بدونه . غير ان احكام هذا العقد هي بمعزل عن مشيئة البشر ، حتى عن مشيئة المتعاقدَين عينهما . وانما واضع هذه الاحكام ومرتّبها هو الله ، عزّ وجلّ ، وهو الذي يقيّد بها كلّ من انخرط في سلك الحياة الزوجيّة ، ولمجرّد ما ينخرط فيها.

تلك هي خلاصة التعليم الكاثوليكي الذي بسطناه سابقاً.

٢ً قداسة الزواج الطبيعي اجمالاً

ومن ثمّ تنجلي منزلة الزواج الرفيعة وقداسته ، حتى إنّه يُعقد بين مسيحيّين. قال بيوس الحادي عشر:

« ان نور العقل وحده ، ولا سيما اذا ما استقصينا بحث آثار التاريخ القديمة ، واستجربنا شعور الشعوب الدائم ، وتحرّينا شرائع الامم وعاداتها ، يُثبت لنا اثباتاً كافياً ، أن في الزواج الطبيعي ذاته شيئاً مقدّساً دينياً ، « لا عارضاً بل فطريًا ، ولا مأخوذًا عن البشر بل مندمجاً في الطبيعة » لان « الله هو مبدعه ولانه كان ، حتى منذ الابتداء ، مثل صورة لتجسد كلمة الله.»[1] فان سمة القداسة التي في الزواج والتي ترتبط ارتباطاً شديدًا بالدين ونظام الاشياء المقدّسة ، تنجم عن مصدره ذاك الالهي الذي ذكرناه سابقاً ، ثم عن غايته التي هي ولادة البنين وتربيتهم لله ، وكذلك ارتباط الزوجين به تعالى بالمحبّة المسيحية والعون المتبادل ، واخيرًا عن وظيفة الزواج ذاته الطبيعيّة ، التي رتّبها عقل الله المبدع ، بعناية فائقة ، لتكون كآلة لنقل الحياة ، بها يُصبح الوالدون كخدّام يخدمون قدرة الله الضابطة الكل.»[2]

٣ً عظمة الزواج المسيحي من حيث هو احد الاسرار السبعة

فاذا كان هذا شأن الزواج اجمالًا ، من حيث كيانه الطبيعي المحض ، فكيف به اذا ما نظرنا اليه من وجهته الفائقة الطبيعة ، على ما يُعقد بين المسيحيين ؟ فمن الايمان ان الزواج في هذه الحالة هو احد الاسرار السبعة ، التي وسمها ابن الله لتقديس الانفس . ومن ثمّ لا بد ان تُضاف الى ما سبق « علّة اخرى لعظمته وهي مقتبسة من السرّ ، تجعل زواج المسيحيين شريفاً للغاية وترفعه الى درجة من السموّ عالية جدًا ، حتى انه تجلّى للرسول « سرًا عظيماً مكرّماً في كلّ شيء.»[3]

---

١) رسالة البابا لاون الثالث عشر *Arcanum* ١٠ شباط ١٨٨٠

٢) الرسالة *Casti connubii* ص ٢١

٣) المحل ذاته – طالع افس ٥ : ٣٢ ؛ وعبر ١٣ : ٤

وبهذه الحقيقة عينها تستهلّ الرسالة البابوية. حيث جاء « ان ما للزواج الطاهر من سموّ الشأن يمكن ، ايها الاخوة المحترمون ، ان يُدرَك خاصة من كون السيد المسيح ابن الآب الازلي ما اكتفى بعد اتخاذه جسد الانسان الساقط بان يدمج الزواج — مصدر العائلة فالجماعة البشرية واساسها — في تلك الحطّة المملوءة حبًّا التي بها انهض جنسنا اجمع من كبوته ، بل اعاد اليه كماله الاصلي كما رسمه الله منذ البدء ، ثم رفعه الى مقام سر حقيقي وعظيم من اسرار الشريعة الجديدة . ولذلك وكّل الى عروسه الكنيسة المقدسة تنظيم هذا السر والاهتمام به من كل وجه.»[1]

وعليه فالزواج المسيحي ليس عقدًا طبيعيا فحسب، بل هو سرٌّ حقيقي. وهو احد الاسرار السبعة التي انشأها المسيح الاله. هذا هو معتقد الكنيسة المقدسة بل العالَم المسيحي باجمعه في كل زمان ومكان ، اللهمّ اذا ما استثنينا اشياع البروتستنت.

٤ً ماهيّة السر اجمالًا

وقبل ان نستجوب الآثار المسيحية التي تدعم تعليم الكنيسة المذكور ، لا بدّ من كلمة تمهيدية اجمالية في ماهية السر ، على ما تُحقَّق في كل من الاسرار السبعة.

فنقول ، نقلًا عن نصوص اللاهوتيين ونصّ كتيّب « التعليم المسيحي » ، ان السرّ هو علامة حسّية فعّالة للنعمة ، رسمها السيد المسيح لتقديسنا.

فالعلامة هي الشيء الذي يدلّ على غيره فيؤدّي الى معرفته . وتكون حسيّة اذا ما وقعت تحت الحواس . مثال ذلك الغسل في المعمودية وهو مما تبصره العين ، وصورة الحلّة السريّة وهي مما تسمعه الاذن.

وليست الاسرار علامات نظرية صرفة بل هي فعّالة ايضًا . فانها ، علاوة على كونها تعني النعمة، تُحدثها او تزيدها[2] فيمن يتقبلها بالاستعدادات اللازمة.

١) الرسالة *Casti connubii* ص ١ — ٢

٢) ان « سرّي الاموات » ، اي المعمودية والتوبة ، يُعطيان حياة النعمة للنفس التي

فهي اذاً علامات تفصل في مقتبلها ما تدل عليه . وبعبارة اخرى هي علل آليّة يستخدمها الله ليخوّلنا النعمة . وعلى هذا النحو تكون وُرَيدة جوقة الشرف علامة نظرية ، لانها تدلّ على ان حاملها هو ضابط في سلك الجوقة المذكورة. واما الحفلة الرسمية التي بها يُعلقها رئيس الجمهورية او ممثله على صدر حاملها ، فهي علامة فعّالة ، اذ بها يُرقيه فعلاً الى درجة الضابط في جوقة الشرف.

امّا النعمة السرية ، التي هي مفعول السرّ ، فانما هي ، في حدّ ذاتها ، النعمة المبرّرة بعينها ، تختلف عنها معنىً لا حقيقة ، على ما يأتيك شرحه حالاً.

فالنعمة المبرّرة هي موهبة تفوق كلّ مقتضيات ومقدرات الطبيعة المخلوقة ، ايّة كانت ومهما علا شأنها ، فتستقرّ في النفس وتتملّك فيها ، فتجعلنا قدّيسين ابراراً ابناء لله بالتبني واخوة للسيد المسيح ، وبالتالي تؤهّلنا للتمتع بالسعادة الابدية التي هي ايضاً فائقة الطبيعة.

اجل ان الابرار ليسوا ابناء الله تعالى الّا بالتبني . فللّه الآب ، من حيث الطبيعة ، ابن وحيد لا يتعدّد ، يلده ولا يمكنه الّا ان يلده منذ الازل ، فيعطيه جوهره بالذات ، بدون ما تجزّ . ولا انقسام ، فهما أقنومان متميّزان الواحد عن الآخر ، وان قائمين بذات الهيّة واحدة . امّا نحن البشر فانما يتبنّانا الله بالنعمة تعطّفاً وتحنّناً ، لا وجوباً ولا ولادةً طبيعية . على انه شتّان ما بين الثريّا والثرى ، وشتّان ما بين تبنّي البشر للبشر وتبنّي الله لهم . فان الموسر المقتدر انما يولي الفقير الحقير ، اذ يتبنّاه ، اسماً وعزّاً وسعةً وميراثاً . ولكن ليس له ان يزيده في صميم كيانه شيئاً . فقد يكون المتبني ابيض اللون صحيح البنية ذكيّاً متوقد الذهن ولا يزال الولد الذي يتبنّاه ، على ما قد يكون قد فُطر عليه ، اسود مسلولاً ابله . امّا النعمة المبرّرة التي بها يتبنّانا الله فهي شيء خفيّ لا محالة ، إلّا انه ، ولا محالة ايضاً ، حقيقيّ واقعيّ

تكون قد فقدتها بالخطيئة . واما الاسرار الحية الباقية فانها تسمى « اسرار الاحياء » لان من يقتبلها يجب عليه ان يكون حيّاً بالحياة الروحية بنعمة الله ، فينال بواسطة هذه الاسرار زيادة على النعمة التي كان مزوداً بها من قبل (طالع التعليم المسيحي الذي نُشر بامر البابا بيوس العاشر ، ترجمة المطبعة الكاثوليكية ، ص ٨٥-٩١)

راهن،» يندمج في كياننا ، فيُجمّله ويُكسبه كمالًا فائق الطبيعة . كيف لا وقد وصفها القديس بطرس الرسول ، مُلهَماً من الروح القدس ، بقوله اننا بها نصير «شركاء في الطبيعة الالهية»[1] ولاجل الحصول عليها يقول الربّ يسوع انه لا بدّ للانسان من ان يولد ثانيةً من الماء والروح القدس[2]. وعن الذين حصلوا عليها فعلًا يقول القديس يوحنا الحبيب في انجيله : انهم «ابناء الله» وانهم «لا من دمٍ ولا من مشيئة لحمٍ ولا من مشيئة رجل لكن من الله وُلدوا.»[3]

اما الفرق المعنويّ ، الذي اشرنا اليه آنفاً ، بين النعمة المبرّرة والنعمة السرّية ، فقوامه بان النعمة المبرّرة التي يولينا اياها السرّ ، ينطوي تحتها حقّ لنيل النعم الفعلية ، اي المساعدات الربّانيّة الخصوصية ، الضرورية لتحقيق الاغراض الخاصّة ، التي من اجلها انشأ المخلّص ، جلّت حكمته ، كلًّا من الاسرار السبعة. فمن يقتبل ، بالاستعدادات الكافية ، سرّ الدرجة الكهنوتية مثلًا ، ينل النعمة المبرّرة مشفوعةً بحقّ لنيل الاسعافات التي تؤهّله للقيام بوظيفة الكهنوت ، على ما تقتضيها كرامتها ومهماتها السامية[4]

٥ً النعمة السرية للزواج المسيحي

واليك تطبيق هذا المبدأ العامّ على سرّ الزواج المسيحي ، في الرسالة البابوية . قال صاحب القداسة :

«ان خير السرّ هذا يحتوي ، ما عدا ثبات الزواج غير المنحل ، منافع اسمى بكثير ، تدلّ عليها اوضح دلالة لفظة السرّ بعينها . فانها ليست لدى المسيحيين اسماً لغوًا فارغاً ، لان المسيح الرب «منشئ الاسرار ومُكملها»[5] ، برفعه زواج مؤمنيه الى مقام سرّ حقيقي تامّ المعنى ، من اسرار العهد الجديد ،

---

١) ٢ بطرس ١ : ٤

٢) يوحنا ٣ : ٢-٨

٣) يوحنا ١ : ١٢-١٣

٤) راجع التعليم المسيحي المذكور آنفاً ، ص ٨٦

٥) المجمع التريدنتيني : جلسة ٢٤

قد جعله بالحقيقة علامةً وينبوعاً تلك النعمة الباطنية الخاصة ، التي بها « يكمّل تلك المحبة الطبيعية المخصصة بالزواج ، ويوطّد وحدته غير القابلة الانحلال ويقدّس الزوجين . »[1]

وايضاً : « ان هذا السرّ في الذين لا يعترضون له بمانع ، كما يُقال ، لا يزيد مصدر الحياة الفائقة الطبيعة اي النعمة المبرّرة فقط ، بل يُضيف اليها مواهب خصوصية اعني امالًا للنفس صالحة ، هي بزار النعمة ، فيزيد قوى الطبيعة ويكمّلها ، حتى يستطيع الزوجان ، لا أن يدركا بالعقل فقط ، بل ايضاً ان يذوقا باطناً ويحفظا بثبات ويبتغيا بارادة فعّالة ويُتمّما فعلًا كل ما يختصّ بالحالة الزوجية واغراضها وواجباتها ، واخيراً يخوّلهما حقًّا بعضد من النعمة الالهية ، يحصلان عليه كلما احتاجا اليه لتتميم واجبات هذه الحالة .

« على انه لما كانت شريعة العناية الالهية في الترتيب الفائق الطبيعة هي ان لا يجني الناس الثمر التام من الاسرار التي يقبلونها بعد سنّ التمييز ان لم يلبّوا نداء النعمة ، فان نعمة الزواج يبقى معظمها وزنةً عقيمة مخبئة في الحقل ، ما لم يستعمل الزوجان قواهما الفائقة الطبيعة ويحرثا زرع النعمة الذي اقتبلاه ويُنمياه . امّا اذا عملا ما يوسعهما فانقادا للنعمة ، فانهما يستطيعان ان يحملا اعباء حالتهما ويُتمّما واجباتهما فيتقوّيان بهذا السرّ العظيم وبه يتقدّسان وكأنهما يتكرّسان .

« فانه ، على ما يُعلّم القديس اغوسطينوس ، كما ان الانسان بالمعمودية وبسرّ الكهنوت يُنتدَب ويُصنَف إمّا للسير سيرة مسيحية وإما للقيام بالوظيفة الكهنوتية ، ولا يُحرَم ابداً عضدهما السرّي ، كذلك على ما يقارب المنوال عينه ، وان لم يكن بالوسم السرّي ، لا يمكن ابداً ان يُحرم المؤمنون ، بعد اتحادهم برباط الزيجة ، مساعدته السرّية ووثاقه . . . »[2]

---

١) المحل ذاته .

٢) الرسالة *Casti connubii* ، ص ١٥-١٧

٦ ضرورة فهم الزواج السري

والحق يُقال ان واجبات الحالة الزوجية ، التي اومأ اليها الحبر الاعظم فيما اوردناه آنفاً من رسالته ، ليست مما يستهان به ، بل لا مبالغة في القول انها حمل لا يقوى الزوجان على القيام به بدون عون خاص من الجودة الالهية . ولنا على ذلك دليل واضح في ان القديس بولس الرسول قد جعل نصب اعين الزوجين المسيحيين اتحاد المسيح بالكنيسة[1] ، كيما يكون لهما مثالاً ، يعكفان على الاقتداء به طيلة حياتهما . وناهيك مما يقتضيه الاقتداء هذا من حب ثابت حتى على البليّة ، ونشاط لا يوقفه مال في سبيل التفاني ، وسخاء وشهامة في تضحية الذات بدون ما انقطاع .

تُرى من اين للحب الطبيعي الصرف ، مهما كان ارادياً روحياً ، ان يولي ائتلاف الزوجين واتحادهما مثل المتانة الموصوفة ، ولا سيما اذا كرّت عليه الاعوام مصحوبة بصروف الدهر ، ذاك محطم الآمال ، وبما لا بدّ ان تولّده الايام من عاهات واتعاب وشدائد واسباب للخصومة والبلبال قد تُعدّ بالمئات والالوف ؟

قال الاب مونسبره : « الحب الطبيعي ينخدع بمحاسن فتّانة ، لكنها سريعة العطب زائلة ، لا تُبقي عليها ابداً يدُ الزمان الجافية . فان التلاف هذا ، الذي يفتك غير راحم بالجمال البشري ، لا ينثني يوماً واحداً عن عمله ، فيمحو الوان الشباب الوهّاجة ويُستنج المياسم ويخدّد الجباه ويصبّ صقيعه على الشعر ويحني الاجسام ويُفني ، واحداً تلو الآخر ، المحاسن التي كانت تجذب القلب بما تحدث به البصر ، فلا يبقى اخيراً امام الناظر سوى صنم مشوّه ، يُثير في القلب الهائم حسرات مؤلمة على انشغاف ، انما اندفع اليه عن جنون فبلغ به حدّ العبادة — الحب الطبيعي ، مهما رُكّز على اسس الوقار والاعزاز ، لا يثبت تجاه ما نُبقّتُ به من نقائص وعيوب ورذائل تنفضح امام اعيننا ، ولم تكن من قبل لتخطر لنا ببال . فنشعر فينا بالطمأنينة قد تزعزعت

---

١) افس ٥ : ٢٥-٢٧

اركانها ، وبالسلام تكتنفه المخاوف ، مما يُفقد قلبنا التمس نشاطه ، فيحدو به الى العدول عن حبٍ كان يعتقده راسخاً فيه ايا رسوخ – الحبّ الطبيعي ، في انسان ساقط قلما يملك اهواءه ، يملّ الانقطاع الى موضوع واحد . وسرعان ما ، لسوء الطالع ، يُحوّله التقلّب وجموح الهوى نحو موضوع آخر ، ينسى لديه واجبه وعهوده . تلك زلة يؤسف لها ، قد كدّرت صفاء الزواج في كل الازمنة . على ان المسيح قدّسه ، ومنذئذٍ نرى النعمة تُكمّل الحبّ . فتفقهه اذ تعلّمه ان ليس من شيء كامل في هذه الدنيا ، وان جمال الله الذي لا حدّ له هو المثال الفرد الذي يستطيع وحده ان يُرضي قلباً طمع بالكمال ، وانّ المرء ، ان لم يحصل على كل ما قد يرغب في التمتع بحبه ، فعليه ان يكتفي بحبّ ما لديه . والنعمة ايضاً تُصفّي نظر الطبيعة فتجعل الآفات مطاقة والاسقام مثيرة للحنان والشيخوخة والشيب خليقين بالوداد – النعمة تولي الحبّ صبراً فتمنطقه بأساً تجاه صدمات النقائص التي قد يسبق للمحبّ ان يعرفها ، كما تجاه التي يُفجعه اكتشافها ، وقد فاته من قبل ان يبلغ الى الوقوف عليها – النعمة تُكسب الحب انصافاً ورحمة ، فتسهّل لنا اليقين اننا ، ان كان لنا من سوانا ما يؤلمنا ، فنحن ايضاً لغيرنا ما يؤلمه ، وان المعيشة المشتركة بين اثنين تستوجب ، اكثر من اي معيشة غيرها ، تطبيق هذا المبدأ الانجيلي : « تعاونوا في حمل اثقالكم » . فتوحي النعمة اليها ، بدلاً من الملامة ، اسباباً للمعذرة ، فتصيّر العذل شورى صالحة ونصحاً سديداً وتنشيطاً عذباً واصلاحاً مستحباً ، وتميل بالقلوب التي تليّنها الى ابدال ستر العفو سهلاً . واخيراً ان النعمة تولي الحب امانةً للواجب ، فتُريه الثباتَ يتجلّى له بنور ساطع ، لا تقوى على تظليله غيومُ المخيّلة المارحة والاهواء الجامحة والغرور والكذب ، فيجد في هذا الثبات شرفاً وافراحاً يحمد عليها الله ، الذي يظلّ هو اميناً ايا امانة ، حتى للذين يهينونه . »[1]

---

١) مونسيره ، ص ٣٩–٤٢

٧ يتزي على الكنيسة من تبرمها باحتقار الزواج

قلنا : ان الزواج المسيحي سرّ مقدّس وهذا هو تعليم الكنيسة . ومما يجدر بالقارئ اللبيب ان ينظر اليه بعين الاعتبار ، ان هذا التعليم السديد ، حتى قبل ان تُبسَط البراهين المؤيدة له ولمجرّد ما يُصرَّح به ، خليق بان يسد افواه الذين يتحاملون على الكنيسة الكاثوليكية ، اذ ينسبون اليها الحطّ من كرامة الحالة الزوجية . فيقولون انها تحتقرها وتحاول ان تكرّهها الى المؤمنين، وقصارى القول ان الكثلكة هي اشدّ الديانات بغضاً وعداوةً للفكرة العائلية . والسبب في ذلك ، على زعمهم ، ان الكنيسة تفضّل البتولية على الزواج وتفرض العزوبة على رهبانها وكهنتها.

ولا نكير البتة ان الكنيسة تجاهر وتعلّم ان الحالة البتولية هي في نظر الله ، ففي الحقيقة إذن ، اكمل من سلك الزواج . جاء في المجمع التريدنتيني ما تعريبه :

« ان قال احد ان الحالة الزوجية يجب ان تُفضَّل على حالة التبتّل او العزوبة وانه ليس احسن واسعد البقاء في التبتّل او العزوبة من التقيد بالزواج ، فليكن محروماً . »[1]

ولم يكن هذا التعليم مستحدثاً في زمن المجمع التريدنتيني ، فانه قديم في كنيسة الله يرتقي عهده الى اوائلها[2] بل الى الرسل[3] والى السيد المسيح بذاته[4] .

---

١) الجلسة ٢٤ ، القانون العاشر – طالع ايضاً القانون التاسع في الجلسة ذاتها ورسالتي البابا بيوس التاسع « *Qui piuribus* » ، ٩ ت٢ ، ١٨٤٦ و « *Multiplices inter* » ، ١٠ حزيران ١٨٥١

٢) طالع رسالة القديس سيريشيوس البابا († ٣٩٨) في تبتّل الاكليريكيين ، والقانون الثالث للمجمع اللاتراني الاول في سنة ١١٢٣ – تجدهما في مجموعة التحديدات لدترنكر ، عدد ٨٩ و ٣٦٠

٣) طالع ١ كور ٧ : ٢٥–٤٠

٤) طالع متى ١٩ : ١١–١٢

غير ان هذا كله لا ينتج عنه ادنى تأييد للتهمة الباطلة التي يوجهها اعداء الكثلكة اليها . فان تفضيل حالة على اخرى لا يترتب عليه البتة احتقار المفضَّل عليها ورذلها ، بل قد تكون هذه في نظر المفضِل جديرةً بالاعزاز والاجلال . وهذا هو الواقع فيما يتعلق بالحالة البتولية والزوجية . فانَّ الكنيسة تؤثر الاولى على الثانية ، الّا انها تُعلي شأن هذه وتقدّسها .

وما افصحَ الوقائعَ عينها ، حيث تجيء كل يوم تؤيد هذا التعليم الحق . فمن جهة كل انسان لم تُعمِ بصيرته الاوهام السابقة لا يسعه الّا ان يُقرّ بل يرى بامّ العين ، ان الفكرة العائلية ، بما لها من الرونق وما تقتضيه من الوحدة والائتلاف والثبات وما منها للمجتمع البشري من الصلاح والفلاح ، لا تزال معزّزةً محفوفةً بالجلالة والوقار ، على قدر ما تسود في محيطها المبادئ الدينية وتُراعى القواعد المسيحية الكاثوليكية . وبالعكس تتداعى اركان العائلة حيث يتناسى البشر الاصول الدينية . فليس الدين الكاثوليكي اذن عدوًّا للعائلة ولا الزواج . ومن جهة اخرى هل من امرىء يستطيع انكار الخدمات الحقة الخطيرة التي ادّاها للبشرية اولئك الذين ، لا عن انانيّة ، ولكن عن حب خالص لله ولبني جلدتهم ، قد انقطعوا الى العذوبة واعتنقوا التبتّل ، فمكّنهم اعتزالهم اباطيل الدنيا من ان يتفانوا بلا حساب في سبيل العلم والحضارة والدين وتهذيب الناشئة واسعاف ذوي العاهات والبائسين ؟ افلا تكون حكمة من الكنيسة ان تفضّل على الزواج حالة الذين تبتلوا من اجل مثل هذه الغايات السامية ، وان كانت لا تقبّح بل تعظّم القران المقدّس .

وعلى كل حال نعود ونقول : ان الحالة الزوجية للمسيحيين انما تنشأ ، بمقتضى التعليم الكاثوليكي ، عن سرّ عظيم مقدّس ، يمثّل اتحاد المسيح الرب بالكنيسة . فحسبُ الذين يعزون الى الكاثوليك الحطّ من كرامة الزواج ، بهذا التعليم وحده ، ردًّا قاطعاً مفحماً[1]

---

١) طالع كولاه ، ص ١٠٥-١٠٧ – ومونبره ص ٢١٢-٢٥٨ .

(للبحث صلة)

كهرباء القاديشا

بقلم انطوان باز
المهندس من المكتب الافرنسي في بيروت
ومن مدرسة الكهرباء العليا في باريس

٢

٢ً المراكز الكهربائية

مركز نهر ابي علي

ما تمّ مركز بشراي حتى تأسست شركة « السيمنتو اللبناني » في شكا ، وهي تصرف سنوياً من الكهرباء خمسة او ستة ملايين كيلوات ـ ساعة. وكان امتياز جرّ مياه نهر ابي علي وتوزيعه على قضائي الكورة والزاوية في قبضة مشايخ آل اسطفان ، فحاول البعض من الشركاء ابتياع امتيازهم هذا وبناء مركز كهربائي يقدّم الى شركة السيمنتو ما تحتاج اليه من القوة ، وهو موردٌ لا يستهان به .

لفت ذلك الموقف انظار مديري « القاديشا » ، خصوصاً وان مشروع نهر ابي علي يأتي من القوة باربعة اضعافِ ما يعطيه مركز بشراي ؛ فلو تركته الشركة لغيرها لضعفت قوتها واستسلمت للمزاحمة والفشل ... لذلك الّفت لجنة فنية لدرس المشروع من الوجهتين العملية والاقتصادية ، وعلى اثر تقرير تلك اللجنة ابتاعت من آل اسطفان امتياز النهر ، فاصبح رأسمالها ٢٧٥٠٠٠ ليرة لبنانية ذهباً. ثم اوفدت الى فرنسة من وقّع مع شركة السيمنتو اللبناني ، معاهدة لتقديم المجرى الكهربائي على مدة سبع سنوات ونصف. وعليه اوصت على المعدّات اللازمة لبناء المركز الجديد ، مركز نهر ابي علي.

تجمع مياه النهر بواسطة سدٍ يُرى في الرسم ٧ ، سديد البناء ، يبلغ طوله ٥٠متراً ويحوي قلبه ٣٥٠٠ متر مكعب من البتون. فتمر في حاووزتترك فيه ما تحمله من الرمال ، ثم تسيرُ في قناةٍ مقفلة من البتون المسلّح طولها ٧٥٠٠ متر ، وفوهتها كافية لتصريف ٢٣٠٠ ليتر من الماء في الثانية الواحدة بانحدار لا يزيد على ٢,٧٥ في الالف . والقناة هذه مستديرة الشكل يعدل قطرها الداخلي بـ ١٣٥ سنتيمتراً .

ويظهر في الرسم ٨ قسمٌ من تلك القناة عند عملها يُرى فيه الجهاز الحديدي. امّا الرسم ٩ فيمثّل قسماً اخر من تلك القناة بعد عملها وهي تنساب كالحية في لحف الجبل . وعلى طول القناة اعمال خطيرة من مثل جدران ساندة ، وغرفٍ للتمزيل ، ومصارف للمياه اذا فاضت . ومن شاهد تلك الاعمال في ذلك الجبل الوعر ادرك ما عانته الشركة للوصول الى المطلوب . ولا بدَّ لنا من ذكر السادة « دانتي » الايطاليين ، الذين التزموا اعمال تلك القناة فقاموا بمهمتهم بهمة ونشاط. وانا لنشكرهم لتقديم الرسمين المذكورين سابقاً وغيرهما من رسوم لم نتمكن من نشرها . اما السادة دانتي فيشتغلون اليوم بصناعة الحجر وخصوصاً الرخام ، ولهم في بيروت ، بشراكة صديقنا الشيخ سليم الخوري ، مصنع لذلك جديرٌ بالذكر .

تنتهي القناة الى حاووزٍ منظم للقوة ، سعته ٢٠٠٠٠ متر مكعب[1]، فتصب منه في الانبوبة النازلة على المركز الكهربائي . ويقع الحاووز قرب بلدة كوسبا امّا الانابيب الخارجة منه فتمرّ تحت طريق العربات الموصلة الى بشراي . وهذه الانابيب من الفولاذ طولها ٨٥٠ متراً ، وقطرها ٨٠ سنتيمتراً ، وغلاظتها لا تقل عن العشر مليمترات (انظر الرسم ١٠) . وقد اخذت الشركة الاحتياطات الكافية لوضع انبوبة ثانية اذا لزم، تكون ملاصقة للاولى ، في القسم الاعلى، على مسافة ٥٥٠ متراً . والمقصود من ذلك زيادة كمية الماء النازلة على الوسط الكهربائي لزيادة القوة .

موقع المركز الكهربائي في وادي ابي علي ، بانحطاط ٢٥٠ متراً عمودياً من

١) لم يتمّ عمل هذا الحاووز بعد .

اعلى الانابيب ، وهو جميلٌ بمحيطه الطبيعي من خضرةٍ وصخورٍ وماء . وانني لا انسى مـا نسيت مطلّه من طريق العربات اذ يظهر في منعطف النهر ، مسنداً ظهره الى الجبال الوعرة. اما طريق العربات هذه فخصوصية للمركز ، قد جاءت، بهمة الاب انطونيوس جعجع ، تضاهي طرقات ادارة النافعة صنعاً واتقاناً . كيف لا وعرضها لا يقل عن الستة امتـار ، وتخطيطها من الطف ما وجد فنياً وطبيعياً ، ومن جدرانها السائدة ما يقارب علوّه العشرين متراً ، اما طولها فـ ٢٨٠٠ متر .

يصل الزائر الى مركز ابي علي فيهوله منظر الانابيب نازلة عليه ، مثبتةً في الصخور . فاذا دخله رأى مجموعاً اول من دوّامـةٍ ومولدة كهربائية قوته اربعة آلاف حصانٍ يدورُ بضخامةٍ وجلال (انظر الرسم ١١) . امّا الدوّامـة فمزدوجة، وهي من النوع المعروف بدولاب بلتون ، تدور بسرعة ٧٥٠ دورة في الدقيقة لضغط ٢٥٠ متراً من الماء وكمية ١٤٠٠ ليتر في الثانية . واما المولدة الكهربائية فقوتها ٣٤٠٠ كيلو - ڤولت - امپـار ، وتوترها ٥٥٠٠ ڤولت . وللمجموع منظّم اوتوماتيكي للسرعة يعدل كمية المـاء النازلة على الدوامة باختلاف القوة المطلوبة .

وقرب المجموع الاول مجموع ثانٍ نظيره رأيته تحت التركيب ، وربّما يكون قد تمّ اليوم . وقد افسحت الشركة مركزاً لمجموعٍ ثالث تقوم بتركيبه اذا اضطرّها اليه الغد .

وكما في مركز بشرّاي نرى في مركز نهر ابي علي من لوحاتٍ لوزنِ المجرى ، ومنظمات للتوتّر ، وكبّاساتٍ يحكم بهـا الواقف على دفةِ المركز على جميع آلاته فيديرها ويوقفها بحركةٍ صغيرة ، ومن محوّلاتٍ كهربائية لرفعِ المجرى من توتّر ٥٥٠٠ ڤولت الى توتّر ٣٥٠٠٠ ڤولت تسهيلاً لنقله الخ ... غير ان مركز ابي علي اكثرُ غنىً ، واتقن صنعاً ، فـلا يستشفّ منه فقرٌ او اقتصاد ؟ هو بكلِ معنى الكلمة مركز عصري يفـاخر المراكز الاوربية . واثباتاً لذلك فاني اعيد تلك العبارة لأحدِ زملائي الاختصاصيين اثر عودته من مركز نهر الصفا اذ قال: « انه لمركز يُستشمّ منه الاقتصاد وهو لا يقارب جودة

واتقاناً مركز نهر ابي علي »

ولم تنسَ « القاديشا » في مركز ابي علي شيئاً من الضروريات او الكماليات كجسر سيَّار لتركيب الآلات ونقلها ، ومركز لتجربة قوة المولدات بواسطة تسخين الماء ، وبيت لسكن رئيس المركز . . . ومما ينتبه اليه ، وهو يدلّ على انتباه الشركة ، سطح المركز وقد عُمل من البطون المسلّح بجسور غليظة خشية انهيار بعض الصخور .

امّا تكاليف المشروع فتبلغ الالفي فرنك لكل حصان وهو مبلغ زهيد نظرًا لما جيء به من الاعمال الخطيرة من سدّ ، وقناة ، وانابيب ، وابنية ، وآلات .

ولمركز ابي علي اهمية كبرى في تنظيم القوة . فان اغزر مياهه في الشتاء ، بنزول الامطار ، خلافاً لمركز بشراي المتغذّي بمياه الثلوج . فالمركزان اذًا يتبادلان القوة الكهربائية من فصل الى فصل ، فيعطي الاول ما ينقص الثاني في الشتاء ويستردّه في الصيف . وهذا ما يُعرف اليوم في اوربة بمبدأ « تبادل القوة » وهو يُستخدم ليس فقط من مركز الى مركز بل من شركة الى شركة ، فتستفيد البلاد من قواها الطبيعية اينما وجدت وفي اي فصل كان .

مركز بلوزا

وبين بشراي وكوسبا مركزٌ لشلّال ثالث يعرف بشلال بلوزا ربّما حققته « القاديشا » يومًا ما .

وعلوّ ذلك الشلال ٧٥٠ مترًا ، ومياهه ٤٧٥ ليترًا في الثانية ، وهو يعطي في ايام الشحائح قوة اربعة آلاف حصان على الاقل .

٣ً الاسلاك والمحوّلات الكهربائية

قلنا أن القوة الكهربائية الخارجة من المولّدات بتوتّر ٥٥٠٠ ڤولت مثلث تحوّل ، سواء أكان في مركز بشراي او في مركز ابي علي ، الى توتّر ٣٥٠٠٠ ڤولت ، قصدَ نقلها . والنقلُ يصيرُ بواسطة جهاز اساسهُ اسلاك ثلاثة ، من النحاس الاحمر ، مرتكزة على اعمدة من البتون المسلّح فوق فناجين مخصوصة

من الزجاج . يخرج الجهاز ، بتوتر ٣٥٠٠٠ ڤولت ، من مركز بشراي الى بزعون وحصرون ، الى الحدث ، الى كوسبا ، الى زغرتا ، فطرابلس . ومن كوسبا فرعٌ يصل الى شكا بطريق اميون كما يظهر في الخريطة ١٢ . امّا غلاظة الاسلاك فـ ٢٩ مليمترًا مربعاً لكل سلك بين بشراي وطرابلس ؛ و ٢٨ مليمترًا بين مركز ابي علي وشكا. ويبلغ طول الجهاز هذا ٦٠ كيلومترًا.

وفوق الاسلاك الناقلة للقوة الكهربائية سلكٌ رابع من الفولاذ يسيرُ من عمودٍ الى عمود قصدَ وقاية الجهاز من عمل الصاعقة . وهذا السلك الواقي ذو اتصالية بالارض الرطبة ، فلو وقعت الصاعقة على الخط لاستلمها السلك وتسرّبت منه الى الارض .

ويُستخدم اليوم مركز ابي علي كمركز قطع ووصل بين الاسلاك توتر ٣٥٠٠٠ ڤولت. وفيه خطط ست: ثلاث منها لطرابلس ، وثلاث لوجهة بلوزا ـ بشراي وشكا ـ بيروت .

وفي طرابلس جهازٌ ثانٍ لتوتر ٥٥٠٠ ڤولت ، ممدودٌ في الشوارع ، تحت الارض ، يوصل الكهرباء الى المحوّلات الكهربائية الثانوية المتفرقة في احياء البلدة . يمتدُّ ذلك الجهاز على طول عشرة كيلومترات تقريباً بشكل حبل غليظ ضمنه ثلاثة اسلاك ثخانة الواحد منها ٢٠ مليمترًا مربعاً على الاقل . والاسلاك الثلاثة مغموسة بمواد غير موصلة كالشمع ونوع من الصمغ ، تقي عمل الاسلاك بعضها على بعض .

وهنالك جهازٌ ثالث للتوتر المنخفض ، ١١٠ او ٢٢٠ ڤولت ، ممدودًا في الشوارع والطرقات لتوزيع القوة والنور على الزبائن ويزيدُ طوله على الخمسين كيلومترًا لطرابلس والقرى .

ومما لا ريب فيه ان اجهزة نقل القوة وتوزيعها تستغرق قسماً كبيرًا من راسمال كل شركة . فلو عدّلنا ما صُرف من النحاس فقط لمشروع القاديشا لوجدنا ما ينيف وزنه على ١٢٥ طناً اي ما يبلغ ثمنه اليوم ، زغم رخص النحاس ، عشرة آلاف ليرة عثمانية ذهباً . هذا خلا الاعمدة والفناجين الزجاجية وتكاليف المدّ وغيره ...

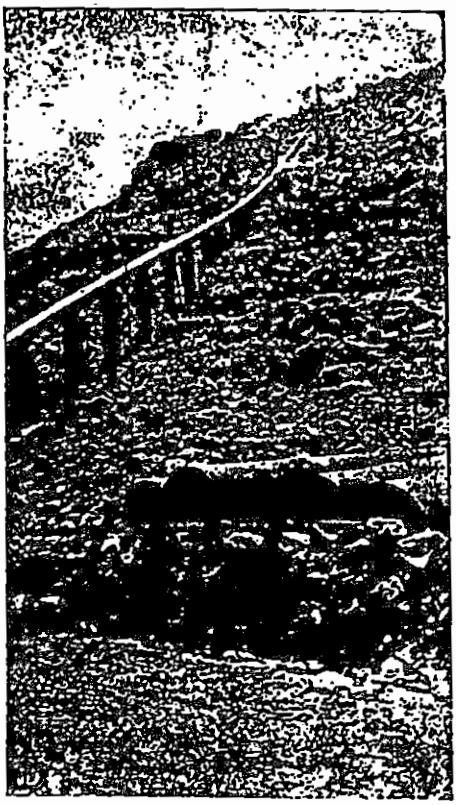

الرسم ١٠ – الحاووز عند منتهى القناة والانابيب النازلة منه على الدوامات

الرسم ١١ – منظر داخلي لمركز ابي علي يرى فيه المجموع الاول وقد جلس امامه من الشمال الى اليمين المهندس ألبر تقاش مهندسا التركيب ومهندس النادي السيد امدروس قالاب جمجع فالسيد تروكاز مدير الامتيازات في وزارة النافعة اللبنانية

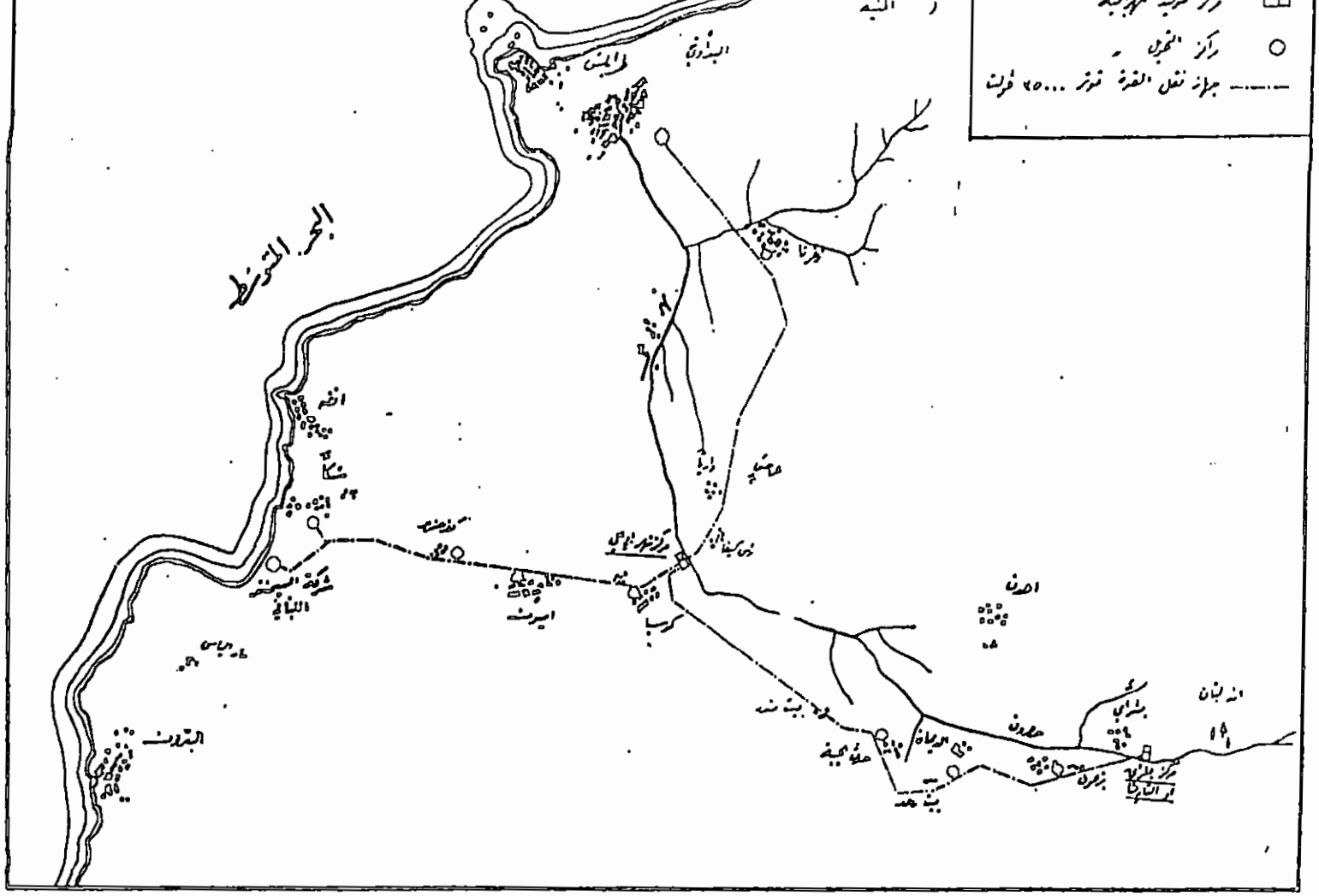
مركز تحويل
مركز التحويل
البحر المتوسط
البترون
شركة السمنت اللبنانية
اميون
كسب
حلوبية
بيت حسن
بيت حسن
بيت حسن
حلدون
بشراي
بزمرين
مركز بشراي
نهر الكلب
انه لبنان
الحدث
الجية
البداوي
المنية
طرابلس
الزهرانية
الزهرانية
الزهرانية

اما مراكز التحويل فعددها عشرة خلا ما في طرابلس من المراكز الثانوية المتفرقة في احياء البلدة وهي مرسومة في الخريطة ١٢ بشكل دائرة سوداء . والمجرى النهائي المستعمل يبلغ توتر ١١٠ ڤولت في طرابلس و٢٢٠ ڤولت في القرى . والقصد من استخدام توتر ٢٢٠ ڤولت في القرى التوفير من غلاظة الاسلاك . فلو استخدم توتر ١١٠ ڤولت للزم مضاعفة الاسلاك ، وهو شيء مكلف خصوصاً في القرى المشتتة المساكن . ولا بدَّ لنا من التذكير انه لا يجوز توزيع الكهرباء بتوتر يزيد على ٢٢٠ ڤولت نظراً للخطر الناجم من استعمال التوتر العالي. وتبلغ قوة مراكز التحويل لشركة القاديشا ٤٥٠٠ كيلو ـ ڤولت ـ امپار اي ما يقارب الخمسة آلاف حصان ، منها ٢٨٥ كيلو ـ ڤولت امپار للقرى ، و٣٠٠٠ لشركة السيمنتو في شكا ، والباقي لمدينة طرابلس.

٤ً المقطوعية

من المعلوم ان المشاريع لا تحيا الا اذا آزرها الاهلون بالتهافت على مصنوعاتها ومنتوجاتها . والمشاريع ، خصوصاً الكهربائية والميكانيكية ، اولى من التجارة بتلك المؤازرة نظراً لضرورة استهلاك ادواتها وآلاتها . فلو بارت صناعة التاجر مثلاً لخسر فائدة ماله فقط ، امَّا الشركات فتخسر فوق فائدة المال مبلغاً يعادل ما تخسره الآلات من جراء استخدامها .

ففي مركزي بشراي وابي علي اليوم قوة كهربائية تبلغ ٣٦ مليوناً من الكيلوات ـ ساعة في السنة. واذا جيء بمركز بلوزا بلغ ذلك العدد ٦٠ مليوناً. اما ما تبيعه «القاديشا» من هذه القوة فسبعمائة الف كيلووات ـ ساعة لسنة ١٩٣٠، عنها ١٣٠٠ مشترك ؛ ومليونين وسبعماية وخمسين الف كيلووات ـ ساعة لسنة ١٩٣١ عنها ٢١٠٠ مشترك . اما مقطوعية ١٩٣٢ فيؤمل ان تكون ثمانية ملايين كيلووات ساعة . ولا شك في ان الايام تقيض لها مقطوعية اوسع خصوصاً لما يلوح في طرابلس من المشاريع العمرانية الجديدة .

تلك لمحةٌ عن اعمال « القاديشا » وهي مثالٌ يُقتدى به . ولا شك في ان تلك الاعمال كانت سبباً لتشجيع بعض الصناعات، فبمثلها تحيا البلاد وبمثلها يفتخر الوطنيون . . .

المصريون في لبنان وسورية

قبل مائة سنة

معلومات وملاحظات

بقلم ابراهيم بك ابو سمرا غانم

٢

تابع الثورات على الحكومة المصرية

بعد ان عاد ابراهيم باشا من انتصاراته على الجيوش العثمانية ، فكر في تجنيد المسلمين جبراً . فشق عليهم ذلك ، ولم يطيقوا صبراً على احتمال هذه الحالة الشاذة ، فثار ثائرهم . وكان اول من نادى بالعصيان اهالي نابلس ومن جاورهم من الانحاء الفلسطينية . وكان قائد الثورة وبطلها الشيخ قاسم احمد النابلسي ، فمشى الثائرون مهاجمين القدس ، واكرهوا حاميتها الى الالتجاء الى القلعة والى برج داود . فلما علم ابراهيم باشا بالامر اسرع بثلاث فرق الى نجدة المدينة ، فدخلها وتحصن فيها . فاتته نجدة من دمشق بقيادة الامير آلاي مصطفى بك ، فكمن لها النابلسيون في مضايق عجلون وبددوها . ولما بلغت هذه الاخبار محمد علي أسرع الى نصرة ولده واسعافه بالمدد ، فجاء من الاسكندرية ومعه خمسة عشر الف جندي . ونزل في يافا وراسل الشيخ قاسم احمد ، زعيم الثائرين ، ليرفع الحصار عن القدس مع الوعد له بالتسليم بجميع مطالبه . فحضر الشيخ الى يافا بعد ان امر مواطنيه بايقاف الحصار . ولما قابل محمد علي اشترط عليه اول كل شيء اعفاء الاهالي من الخدمة العسكرية ، واعلان العفو العام ، والامتناع عن احتكار الحبوب ، والغاء الفردة ، واعادة الضرائب الى ما كانت عليه في زمن عبدالله باشا . فقبل محمد علي بهذه الشروط . وعاد الشيخ قاسم الى القدس ورفع الحصار عن المصريين .

ثم سادت السكينة في البلاد الفلسطينية برهةً . وبينما كان الناس يأملون التمتع بالراحة والسلام وقتاً طويلاً ، اذا بابراهيم باشا يُعيد الكرة على البلاد النابلسية على رأس ستة عشر الف جندي . فسالت الدماء انهاراً ، وانتشر الدمار في كل ناحية ، فهُدمت نابلس وحبرون ، وأُعمل السيف في رقاب سكانها ، والقي القبض على الشيخ قاسم احمد وسيق الى دمشق حيث قُطع رأسه مع رؤوس اربعة من ابنائه وكثيرين من مشايخ تلك البلاد .

وفي تشرين الاول من السنة ١٨٣٤ ، نشبت نيران الثورة في ولاية حلب ، وفي بلاد بعلبك ، وجبل الشيخ . واخذ الثوار يقطعون طرق المواصلات على المصريين ، فلجأ ابراهيم باشا الى الامير بشير لينصره على المناولة ، فلبّى الطلب مسرعاً وسيّر ابناءه الى جهات بعلبك فاخمدوا في الحال ثورتها .

وفي اوائل السنة ١٨٣٥ ، امتدَّ لهيب النار الى فلسطين ، وكليس ، وشمالي حلب ، وادنه . ولكن المصريين اطفأوها بعد ان سفكت دماء غزيرة .

وفي تلك السنة ايضاً امتنع الجوارنة عن دفع الضرائب . فأُرسلت فرقة مصرية لارغامهم على الدفع . ففاجأتها ، وهي معسكرة في احدى السهول ، جيوش وافرة من دروز حوران والنصارى المقيمين بينهم ، ومن عرب عنزه ، وقتلت قائدها الفريق محمد باشا والامير آلاي يعقوب بك ، وشتّتت شملها . ولما بلغت هذه الاخبار المشؤومة ابراهيم باشا ، وكان حينئذٍ في انطاكية اعلم اباه بالامر وسأله ان ينجده بالرجال . فبعث اليه وزير حربيته احمد باشا مع تسعة آلاف مقاتل . ولما وصلوا الى اللجا وتوغلوا فيه اطبق عليهم الثائرون ، وقتلوا منهم ثلاثة آلاف رجل ، وغنموا مدفعين وكمية وافرة من معدّات القتال . وقد قتل في هذه المعمعة امير آلاي وعدد كبير من الضباط . وكان في مقدمة ثوار الدروز احد فرسانهم المغاوير شبلي آغا العريان ، الذي منحته الدولة العثمانية بعد حين لقب باشا وقلّدته متصرفية بغداد .

فهال ابراهيم باشا خبر اندحار عساكره وعجزها عن التغلب على الثائرين . فسيّر الى الامير بشير الرسل يستنجده على قتال الثوار ، وبعث اليه بستة عشر الف بارودة ليوزّعها على المسيحيين مع الوعد بتخفيض الضرائب عنهم واعفائهم

الى الابد من الصخرة . فسُرَّ المسيحيون من هذه الوعود الخلابة ومشوا الى قتال الثوار في حوران ووادي التيم يقودهم امراؤهم ومشايخهم . وقد وقعت مناوشات عديدة بين الجنود المصرية واللبنانيين من جهة وبين الثوار من جهة اخرى في اماكن عديدة كميما ونجما ووادي بكما وشبما . وقد لقي حتفه في هذه المعركة الشيخ فضل الخازن ، والد الشيخ قمدان وجَدّ شهيدي الوطن الشيخين فيليب وفريد . وقدر بعضهم عدد الذين قُتلوا في هذه المعارك بثمانية لاف مقاتل . وقد انتهت اخيرًا بفوز المصريين واللبنانيين . ثم استسلم شبلي العريان فأمّنه ابراهيم باشا واعاد اليه سيفه ، فوعده هذا بتسكين الخواطر .

معركة تزيب

مضت سنتان على هذه الثورات الداخلية انصرفت فيهما الحكومة المصرية الى تنظيم الادارة والعمل في تقديم البلاد . لكنها لم تخطُ خطوة في هذا السبيل حتى عادت الى اعداد الأهبات لكل الطوارئ ، لما علمت ان الدولة العلية التي لم تكن تطيق صبرًا على رؤية محمد علي ، تابعها في الامس ، مرهوب الجانب موفور الجاه ، اخذت ، باغراء بعض الدول الغربية ، تحشد جيوشها وتعد معداتها لاسترجاع اقسام المملكة التي اكتسحها جيش ابرهيم باشا .

وفي شهر حزيران من السنة ١٨٣٩ مشى الجيشان الى القتال ، وكان يقود العثمانيين الصدر الاعظم حافظ باشا وبعض قواد بروسيين احدهم الجنرال مولتك ، الذي اشتهر فيما بعد بقيادة الالمان في الحرب السبعينية ضد الفرنسويين . ويقود الجيش المصري ابرهيم باشا وسليمان باشا الفرنساوي . ودارت بين الفريقين رحى حرب طاحنة دامت يومين ، وانتهت بانتصار المصريين انتصارًا فاق انتصارهم الذي احرزوه في موقعة قونية . ولقد اعتقد الناس ان ابراهيم باشا ، الذي اسكرته خمرة الفوز ، يتابع الزحف على الاستانة فيفتحها ويستولي على تخت آل عثمان . ولكنه رجع عن ذلك ، وبدلًا من السير الى الامام ، تراجع الى الوراء . وكأنه شعر بخطورة موقفه ، لا تجاه تركية ، بل تجاه انكلترة وحلفائها . وبعد ستة ايام من معركة تزيب ، توفي ، في الثلاثين من شهر

حزيران ، السلطان محمود بعلة الصدر . وخلفه السلطان عبد المجيد ، ولم يكن تجاوز السابعة عشرة من عمره . وفي الثالث عشر من ايلول سنة ١٨٣٩ خان الاميرال احمد باشا ، قائد الاسطول العثماني ، دولته ؛ وجاء بالاسطول الى الاسكندرية فسلّمه في الرابع والعشرين منه الى محمد علي غنيمة باردة. فظنّ هذا ان الدهر سالمه . غير ان دول اوربة ، ما خلا فرنسة ، استقبحت عمل احمد باشا الخائن وقامت جميعها تطالب محمد علي برد الاسطول.

وقد قضى محمد علي شتاء سنة ١٨٤٠ ، يتأهب للقتال ويهيئ الاعتدة الحربية التي يرافقها عادةً التضييق على الشعب بالضرائب والتكاليف والتسخير والتجنيد . واول عمل اتاه انه اخذ مال الفُردة مرتين في السنة ، وامر بتجنيد جميع الشبان المسلمين الغرباء الذين كانوا في بلاده من غير المصريين . وقبض ايضاً على التلامذة اللبنانيين النصارى الذين كان اخذهم من لبنان كلوت بك رئيس المدرسة الطبية لتلقي فن الطب فيها.

ولما بلغت هذه الاخبار نصارى لبنان اضطربوا وخافوا ان يكون ذلك مقدمة لتجنيدهم . والذي زاد في قلقهم ومخاوفهم هو ما علموه من ان مركباً مشحوناً ثياباً عسكرية رسا في مياه بيروت . فظنوا انها اعدت لهم فاخذوا يفاوضون الدروز في الثورة على الحكومة المصرية فبلغ ذلك ابراهيم باشا ، فكتب الى الامير بشير يستحثه على الاسراع في جمع سلاح النصارى.

ثورة اللبنانيين

ولما اتصلت اخبار جمع السلاح من النصارى باهالي دير القمر ، والديريون، كما لا يخفى، كانوا دوماً السباقين الى التحمس للدفاع عن المصلحة الوطنية ، عقدوا اجتماعاً في السابع من ايار سنة ١٨٤٠ وتداولوا في ما يحسن عمله . فقرّ رأيهم على مخابرة اهالي البلاد للمفاوضة معهم . وانتخبوا لجنة للتدبير قوامها من الموارنة : ابراهيم عيد البستاني ، وتادر ابي عكر نعمه ، ومنصور مرهج لطيف ، وفارس ثابت ، ويوسف ابو شمعون ، وغندور الكك ، وبشاره الجلخ ؛ ومن الكاثوليك : سلوم الحداد ، وحنا عيسى ، وداود الجاويش ،

وحبيب الصوصه ؛ ومن الدروز : خزوع خبيص ، وحمد الشحاري[1] . فكتبت هذه اللجنة الى اهالي البلاد تدعوهم للاجتماع في دير القمر للمداولة في الخطة التي يحسن السير عليها . فلبّى ابناء الوطن نداءهم وبعثوا اليهم بوفودهم وتحالفوا على ان يكون لهم رأي واحد وكلمة واحدة . ثم طفقوا يبثون الدعوة الى الثورة إلّم تعد الحكومة المصرية عن عزمها على جمع السلاح.

وبعد برهة ارسل الامير بشير عماله لجمع سلاح نصارى المناصف والشحّار. فهاج الديريون ، وجاؤوا حيث كان مأمورو جمع السلاح وطردوهم.

ثم بلغهم ان سليمان باشا خرج من صيدا قاصداً دير القمر لجمع السلاح ، فهبوا الى صيدا لمقاومة العساكر المصرية . وعقبهم في الهياج اهالي بعبدا فهاجوا شرذمة من العساكر المصرية كانت آتية من دمشق الى بيروت واغتصبوا اسلحتها . وكثر اللغط والهرج في البلاد ، وحامت الافكار في كل مكان حول الفتنة . ثم برز للميدان رجلٌ يعدّه التاريخ بطل الثورة الاكبر النافخ في بوقها ، الصائل في حومتها صولات الاسود الاشاوس.

كنت اودّ ان امرّ في الكلام دون ان اذكر اسم الثائر الجديد. ولكن خشيت، ان فعلت، ان اسيء الى الحقيقة التاريخية وانا في موقف المؤرخ. هذا الرجل هو والدي ابو سمرا غانم البكاسيني فانه ما عرف بثورة الديريين ، وهو صديقهم ، الا اخذ منه الحماس كلّ مأخذ مدفوعاً بعامل المروءة والنخوة، وقد شقّ عليه ، وهو ربيب السلاح ، ان يجرد من سلاحه ويساق الى الحرب مكرهاً ليس للدفاع عن مبدأ وطني ، وانما لخدمة دولة استولى عليها حبّ الفتح والغزو مهما كلفها الامر من الاموال والرجال . فجاء الى سواحل بيروت في اوائل شهر حزيران من تلك السنة . وانضمّ اليه احمد داغر المتولي من برج البراجنة ، وطفقا يُغريان الاهلين على العصيان . فتألبت حولهما جموع من برج البراجنة والشيّاح ومزرعة العرب وحارة حريك والتحويطة ، واخذوا ينهبون الطحين الوارد الى بيروت لحاجات العساكر المصرية فاصابوا توفيقاً . وفي احد

---

١) كان الدروز يُقيمون في دير القمر قبل سنة ١٨٦٠ المشؤومة . وكان المشايخ النكديون ذوي الاقطاع فيها . ولكنهم جلوا عنها بعد ذلك بامر الدول التي وضعت نظام لبنان .

الايام هجم على رأس رجاله على بيروت ، وفاجأ ما بين بوابة يعقوب وبوابة الدركي شرذمة من الجند ، وامامها رأس غنم مذبوح. فبدد شملها وغنم منها خمسة واربعين بارودة والخروف . ثم اخذ عدد الثائرين يزيد حتى اصبح مركز الثورة الاساسي في ساحل بيروت. وقد انضم الى رجالها اهالي الشويفات وبعبدا والحدث ووادي شحرور وكفرشيما. فخرجت لقتالهم فرقة من الارناؤوط بقيادة الضابط مجهر آغا ، فلاقاها اللبنانيون الى محلة الاشرفية بقلوب جريئة تخفق فوق رؤوسهم راية مؤلفة من اللونين الاخضر والاحمر تعلوها حربة في رأسها صليب ووقعت بين الفريقين معركة دامية اندحر فيها المصريون ، وقتل ابو سمرا قائدها بيده وغنم حصانه وخمسة آلاف غرش وزعها على الثائرين . ولما بلغ خبر هذا الانتصار اهالي سائر الانحاء اللبنانية ، هبطوا من اعالي الجبال وانضموا الى اخوانهم يتقدمهم امراء ومشايخ اذكر اوفرهم شهرة وهم : الامراء فارس حسن ، ويوسف سلمان ، ومحمود سلمان الشهابيين ؛ وعلي منصور قايدبيه ، وعبدالله شديد مراد ، وعلي فارس ، وبشير احمد ، واسماعيل حسن قايدبيه اللمعيين ؛ والمشايخ فرنسيس حنا هيكل المكنى بفرنسيس ابي نادر والملقب بسردار عسكر النصارى ، وعفيف صالح ، ونقولا خازن ، وشمسين صفا ، وصالح هيكل ، وبشاره فرنسيس الخازنيين ؛ والشيخ عيسى الخوري ، والمشايخ يوسف حمزه ، وبطرس وحنا ابني واكد الحبيشيين ؛ وزعيتر راشد ، وخطار حنا من الدحادحة ؛ والامير خنجر الحرفوش واخوه سليمان من امراء متاولة بعلبك . وبرز من بكفيا الفارس المغوار يوسف الشنتيري المشهور.

وفي السابع من شهر حزيران اجتمع بعض اهالي كسروان والمتن وغير جهات في انطلياس ، واتفقوا على توحيد الكلمة والرأي في العمل ودخلوا الكنيسة ، ووقعوا عهداً يلعنون فيه من يخون المحالفة.

وقد نشر تاريخ ابو سمرا غانم نص هذا العقد وهو بحرفه :

الداعي لتحريره

انه يوم تاريخه قد حضرنا الى ماري الياس انطلياس نحن المذكورة اسماؤنا به بوجه العموم من دروز ونصارة ومتاولة واسلام المعروفين بجبل لبنان من كافة القرى وقسمنا يمين على مذبح القديس المرقوم باننا لا نخون ولا نطابق بضرر احد منا ابداً بل يكون القول

واحد والراي واحد ونحن جمهور الدروز اذا حدس منا وبان ادنا خلل نكون باريين من ديانتنا ومقطوعين من شركة الدروز والخطوط الخمسة وتكون نساؤنا طالقة من السبعة مذاهب ومحرمة علينا من كافة الوجوه وايضاً يشهد علينا القديس مار الياس ويكون خصمنا وقد قنا علينا شيخاً جناب الشيخ فرنسيس ابن جناب الشيخ حنا هيكل الخازن من غوسطا ونحن جمهور النصارة الذين نحون منا يكون مار الياس خصمه ولا يكون له موتة على دين المسيح . حرر في ٨ ربيع آخر سنة ١٢٥٦ الف ومائتين وستة وخمسين صح صح صح

ونصاره ومتاوله واسلام المقر بما فيه

بوجه العموم جمهور الدروز في جبل لبنان

صح انه حضرت المدونة اسماؤهم اعلاه قسموا يمين على مذابح مار الياس بجميعها هو محرر اعلاه والليان حررنا بيدهم هذه الشهادة تحريراً في ٧ حزيران سنة ١٨٤٠ مسيحية

صح كاتبه القس سيريدون عراموني

خادم مار الياس انطلياس انطونياني .

وهجم ابو سمرا برجاله وبمعيته يوسف الشتيري ، على المعسكر المصري المرابط عند الكورنتينا ، وهم يهزجون باغاني الحرب ، فالقوا الرعب في قلوب المصريين ، فهربوا من امامهم مدحورين بعد ان قُتل منهم عدد وافر . ومنذ ذاك الحين اخذ اللبنانيون يهزجون باسم ابي سمرا والشتيري فقالوا :

في سجين في الديري بو سمرا والشتيري

ما التفوش عند السلطان الخ . . .

كل هذه الحوادث جعلت المصريين يقومون ويقعدون . فامر ابراهيم باشا الامير بشيراً ان يستعمل نفوذه في تسكين الخواطر . فاهتمّ الامير بالامر جدّ الاهتمام ، وارسل من قبله الامير بشير قاسم ملحم يسترضي الثائرين فابوا الاذعان ، فاوفد اليهم ثانية الامير ملحم بعبدا ، فلم يفلح في اقناعهم . فارسل ثالثاً ولده الامير امين وطفق يغريهم على الطاعة ويحذرهم من شر العواقب . فاجابوا انهم لا يسلمون الا اذا استجيبت مطاليبهم ، وقد وقعوا اليه كتاباً مؤرخاً في الحادي عشر من حزيران نشره المؤرخ بوجولا الفرنساوي في كتابه المعنون «*Voyage dans l'Asie Mineure*» رأيت من المفيد ترجمته الى العربية وهو :

« انكم لا تجهلون مع الامير بشير المظالم التي يتحملها اهالي لبنان وصنوف الارهاق والضرائب التي يئنون تحت اثقالها . لما تبسطت سيطرة حكومة محمد علي على بلادنا كان اللبنانيون في مقدمة الذين ادّوا فروض الطاعة وقد رافقوا الجيوش المصرية الى محاربة دمشق وساروا الى ملاقاتها في حماه وطرابلس . ولما ثار اهالي صفد ونابلوس والمتاولة ذهب اللبنانيون

بمية الامير بشير وحاربوهم واجبروهم على طاعة الدولة المصرية. وقد اماوا لقاء هذه الخدمات التخلص من الجور والعسف . ولكنهم ساؤوا فالاً وخابوا رجاء وكوفئوا بان جُردوا من سلاحهم واجبروا بعد ذلك على التجند فكان هذا اشد المصائب التي نزلت بهم. واضم اغتصبوا نساءهم وانزلوا جنّ جميع انواع النكال وربطوهنّ الى الاشجار . وقد اوجب عليهم الامير بشير دفع مال الفُرده الذي تقاضاه ايضاً عن الذين ماتوا او هلكوا في الحروب في سبيل المصريين ولما اكتشفوا منجم الفحم الحجري في الجبل الزموا اللبنانيين بتعدينه واكرهوهم على تقديم ادوات العمل بدون ان يدفعوا لهم اجرهم وارسلوا مراقبين يناظرون الاعمال وكانوا يدفعون للعمّلة وللمكارين لنقل الفحم الى بيروت اجوراً زهيدة واكرهونا على دفع باقي المرتبات من جيوبنا وعلى تقديم الاخشاب والاكياس ولم يدفعوا لنا سوى ربع قيمتها وسخرونا بنقلها من قرانا الى المنجم مجاناً . ولو شئنا تعداد جميع هذه المظالم لطال بنا المجال ولوجب علينا ان نسدّ ضربات العصي والاهانات التي انزلوها بنا كما فعلوا بفلاحي مصر . ولا نذكر الاموال التي تقدّمها لامرائنا وللبلوكباشية . ومنذ وضعوا المحجر الصحي الى الان قد اوجبوا على ابناء الجبل ان يقدموا الكلس بثمن بخس وان ينقلوه بدون اجر على دوابهم . وفرضوا ضرائب جديدة على المطاحن وساقوا البنّائين قسراً الى عكا والى المحجر الصحي والى غير انحاء بعيدة بربع الاجر المعتاد واكرهوا الناس على العمل في الاشغال العمومية في المدن والقرى وفي كل مكان حتى اصبحت العيال اللبنانية في اشد حالات الفاقة والاملاق . وشمل الخراب كافة البلاد لنفاد المال والرجال والماشية منها . وعلت الارض ونضب مورد الرزق . وكثيرون من المكارين اهلكوا بغالهم او جمالهم او باعوها بابخس الاثمان تخلصاً من السخرة . وقد استاقوا السواد الاعظم منا الى العمل في منجم الفحم او في خدمة الجيش . ولما أُنزلت باخواننا ومواطنينا اهالي حوران نقم الحرب وسيموا خسفاً وهواناً سلّمتنا الحكومة اسلحة وارسلتنا الى قتالهم فقمنا بهذا العمل مدة سنتين وقد لقي الكثيرون منا حتفهم إما من مشقات السفر او في ساحات القتال وقد تكلفنا فوق هذه الخسائر البليغة نحو الفي كيس . ولما رأينا اخيراً اننا اضعنا اموالنا وفقدنا اولادنا وخسرنا حريتنا وانه لم يبقَ لنا سوى الهلاك واليأس ثار ثائرنا لنتخلص من الجور ونغنم شيئاً من الراحة والحرية فاذا كانت الحكومة تراعي العدالة وترفع عنا نير الظلم ، فاننا مستعدون للتسليم والانصياع الى اوامرها . لاننا لا نطمع من ثورتنا بانشاء دولة وانما جلُّ مرادنا هو ان ننجو من هذا الجور الذي لا يطاق لاننا لا نستطيع ان ندفع سوى مال اميري واحد على املاكنا والجالية . فان قبل التماسنا وارتفع الظلم عن عواتقنا كان لنا مطاليب نرجو تحقيقها وهي : ان يؤخذ منا مال اميري واحد ومال عنق واحد (جالية) وان يجمع المال تحت إشراف عمال انكلترا وفرنسا وبواسطة قناصلهم في هذه البلاد حتى اذا كانت الحكومة لا تقوم بهذه التعهدات بكل دقة يبقى لنا الحق ان نطلب من هاتين الدولتين تنفيذها . واننا سنبقى مرابطين في اماكننا الحالية منتظرين الجواب فان كان بالايجاب افترقنا كلٌّ الى بيته وان كان بالرفض فنحن مؤثرون الموت على الحالة الحاضرة . فلتتدبر السلطة الامر .

(للبحث صلة) عموم اهالي جبل لبنان

كتاب عيون الاخبار

تأليف ابي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري

المجلد الاول (ص ٣٤٤) ، والثاني (ص ٣٧٦) والثالث (ص ٣٠١) والرابع (ص ٣١٥)
مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة ١٩٢٥ – ١٩٣٠ ، قطع ٤ كبير

بقلم الاب توتل اليسوعي

عدّوا لابن قتيبة ٤٧ كتاباً نسبوها اليه. مواضيعها العلوم الدينية في القرآن والحديث والفقه ، والادب والشعر واللغة ، والطبيعة والاخلاق ، والتاريخ ، وغير ذلك مما يشهد لصاحبه بسعة المعارف وغزارة المادة والكدّ الذي لا يعتريه الملل في الجمع والتأليف والتحبير . من جملة تلك الكتب بعضها مطبوع بجزئه او بكماله ، ككتاب الاشربة وادب الكاتب ، والميسر والقداح ، وكتاب فضل العرب على العجم ، وكتاب المعارف ، وطبقات الشعراء ، وكتاب الامامة والسياسة ، وتأويل مختلف الحديث ، والرحل والمنزل ، واللبأ واللبن ، وعيون الاخبار الذي نعرض لوصفه . وان هذا الكتاب موسوعة حوت كل ما كان يحتاج اليه في العصر الثالث الهجري ، رجال الحكم والادب للحصول على الثقافة العامة التي لم يكن لهم غنى عنها . وفي ايامهم كانت المكاتب نادرةً والكتب غير متوفرة الا للقليلين ، فاعزها منزلة تلك التي تكفي عن مراجعة غيرها ، مثل عيون الاخبار . .

وصف المؤلف كتابه في مقدمته فقال انه جمع فيه « المتخير من كلام البلغاء وفطن الشعراء ، وسير الملوك ، وآثار السلف » . فيستطيع المطالع ان يأخذ منها ما يروق له ، فيقوّ ثقافته ، ويتخلص من مساوئ الاخلاق ، ويتروّض على حسن السلوك ، واجادة الانشاء فينال طلبه اذا سأل ، ويردّ اللوم عنه اذا عوتب الخ . . . وفي الكتاب نصائح للخاصة والعامة ، ومواعظ وارشادات فهو « مثل المائدة ، تختلف فيها مذاقات الطعوم لاختلاف شهوات الآكلين » او

كالقاموس المعتمد عليه في الجواب على كل مسألة من المسائل التي كانت تطرح على متطلبي ذلك العصر في مختلف العلوم .

فكأنه خلاصة لمؤلفات ابن قتيبة ، العديدة . وقد قسمه الى عشرة كتب بعد ما افرد عنه كتب الشراب والمعارف والشعر ، وتأويل الرؤيا .

والكتب العشرة مواضيعها : ١ً السلطان ٢ً الحرب ٣ً السؤدد ٤ً الطبائع والاخلاق ٥ً العلم ٦ً الزهد ٧ً الاخوان ٨ً الحوائج ٩ً الطعام ١٠ً النساء .

وكان قد طُبع من عيون الاخبار الكتاب الاول في مصر سنة ١٨٨٢م — ١٣٠٠ هـ ، و ١٩٠٧ م — ١٣٢٥هـ . وطبع بروكلمان الكتب الاربعة الاولى طبعة بمنتهى الدقة (١٩٠٠ — ١٩٠٨) . على ان الكتاب بكامله لم يظهر الا بين ١٩٢٥ و ١٩٣١ وقد قامت بطبعه دار الكتب المصرية مع سائر الموسوعات العلمية والادبية والتاريخية التي عرفت «مشروع احياء الاداب العربية» وذلك في ظلّ حماية فؤاد الاول ملك مصر .

اعتمد النُشار في طبعته على نسختين ١ً نسخة كوبريلي بالاستانة (رقم ١٣٤٤) واجزاؤها كاملة ، ونسخة بروكلمان في الكتب الاربعة الاولى ، وهذه مأخوذة عن نسخة كوبرلي المذكورة ، وعن نسخة اخرى مقصورة على كتابين ، الاول والثاني ، ومحفوظة في لينغراد .

ظهر الكتاب باربعة مجلدات ، مطبوعاً طبعاً انيقاً كما هو معهود في ما تصدره دار الكتب . وقد سبق للمشرق وصف مطبوعاتها كالاغاني ، ونهاية الارب وغيرها . والمجلد الرابع من عيون الاخبار مصدّر بمقدمة واسعة موقعة باسم السيد احمد زكي العدوي ، رئيس القسم الادبي في الدار ، ترجم فيها الكتاب وصاحبه ، وبعد المقدمة روامز الصفائح الاولى للمخطوطات الذي طبع عنها كتاب عيون الاخبار ، واخيراً ، في الزيل فهارس لا يقلّ عددها عن الثمانية فضلاً عن الفصل في الاستدراكات .

لو يؤذن لنا بالاعراب عن رغبة لمثل تلك الموسوعات ، لاشتهينا لها فهرساً للمواد ، مرتباً على الابجدية . وليس الامر بالعسير نسبة للمجهودات التي بذلت بسخاء في وضع فهارس اهميتها دون اهمية فهرس المواد ، مثلاً فهرس القوافي .

قال إبن قتيبة في المقدمة (١ ، صفحة س) :

ان وقفت على باب من هذا الكتاب ، ولم تره مشبعاً ، فلا تقضي علينا بالاغفال ، حتى تتصفح الكتب كلها ، فانه رب معنى يكون له موضعان وثلاثة مواضع . وان مواد الكتاب الواقعة عناوينها في المقدمة (صفحة س ــ ق) اذا رُتبت بالابجدية واشير الى صفحاتها ، لاغنت المطالع عن «تصفح الكتاب كله».

* * *

اخذ مؤرخو الآداب العربية يبحثون على اصلها فيما اقتبسته عن آداب الهند وفارس واليونان والسريان . وان كتاب عيون الاخبار ، الكامل الطبع ، بفضل فهارسه ، واخصها فهرس اسماء الكتب والامكنة والاشخاص ، بسط الطريق لمن يتتبع اثار كل مدنية من المدنيات التي اثر في العرب ، مفتشاً عليها ، واقفاً على تطورات نفوذها فينا .

من امثال ما يمكن الدارس استثماره من هذا الكتاب ، ولا بد من يلفت اليه نظر اساتذة تاريخ الادب العربي ، هو تعليماته عما اداه للعرب احتكاكهم بالهند ، مثلاً . قلت بالهند ، على سبيل اختيار مادة بين عشرات ، لان ما يقال عنها قد يمكن استنتاجه بالطريقة ذاتها عن بلاد فارس ، ومصر ، وفلسطين ، ولبنان ؛ وما يقال على المدن والاقطار قد يصح باولى حجة ايضاً في استثمار اثار الاشخاص والقبائل . وهم عشرات . . . وها اني احاول ان اكشف على تأثير الهند فينا من موسوعة عيون الاخبار . واعلم ان ابن قتيبة ولد في البلاد الواقعة على منتصف الطريق بين الهند وجزيرة العرب . فكان ابوه من مرو ، ومولده في البصرة او في بغداد ، سنة ٨٢٨ م ــ ٢١٣ ه ، وقد نشأ بها وتثقف على رجالها ، وتولى القضاء في دينور بالقرب من همذان في فارس ، واتصل بابي الحسن عبيد الله بن خاقان ، وزير الدولة العباسية ؛ واسرة ابن خاقان الوزيرية شهيرة بالكتب التي جمعتها في دارها والعلماء الذين قربتهم اليها[1] ؛ فتوفرت لابن قتيبة مصادر الدرس والمطالعة والتأليف ، وهو في ايام بلغت الدولة العربية

١) راجع درس اولفا ينتو على الفتح بن خاقان وزير المتوكل *Rivista degli Studi Orientali* 1932, p. 133

اوج عزها ، فامتدت الى اقاصي الافاق شرقاً وغرباً ، واستمدت من عمالها شتى التعليمات عن البلاد التي فتحتها . فما عسى ان تكون تلك التعليمات عن الهند ، وما هي تأثيراتها في العرب ؟ .

ذكر ابن قتيبة بلاد الهند لا اقل من ١٢ مرةً في اسماء الامكنة ، و٣٩ مرةً في اسماء القبائل. فافادنا انها كانت مع الصين والسند عملًا للعراق ، وقد فتحها محمد بن الحكم الثقفي وهو ابن سبع عشرة سنة . ومما لفت نظر العرب اليها ؛ من نباتها : شجر الساج وهو عظيم جدًا وخشبه اسود ، وشجر آخر له ورد احمر مكتوب فيه بياض « محمد رسول الله » (كذا) (المجلد الثاني ص ١٠٠ ، ٩) ، وشجر الكرمة (١ : ١١ ، ١٣) ؛ ومن الحيوان : الكلب ، والفيل ، والاسد ، والحية ، والكركدن ؛ ومن اشكال وطباع هذه الحيوانات اخذوا استعارات وصفوا بها اخلاق الناس . وانتبه العرب لحلى اهل الهند ولباسهم ، (١ : ، ٢٢ ، ١١) واستحسنوا فيهم صناعة السيوف (١ : ٩٤ ، ١٨) واستجلبوا المسك من عندهم (٢ : ٢٨٨ ، ١٧)

واثرت في العرب ، ومن العرب اتصلت بالآداب الغربية الامثال والحكم على اختلاف معانيها ومبانيها ، وهي خلاصة ما وقف عليه العقل البشري من اختبارات الدهور ، فعبر عنه تعبيرًا قليل الكلام كثير المعاني يسمعه السامع فيوعيه صدره ، ويراجعه في قلبه ويستحضره عند الحاجة اليه في تدبير امره في شؤون الحياة ، سواء أكان فردًا من افراد العامة او اميرًا في قومه . وقد يجب كتاب الهند الذي بلغ الينا امره عن قلم ابن قتيبة ان يرتب تلك الامثال والحكم مثلثة « او مثناة » او مشفعة باستعارة تقربها للاذهان فكثيرًا ما يذكرنا باسلوب ابن المقفع وكليلة ودمنة .

وبالاجمال قد يقال عن هذه الامثال والتعاليم انها لا ترمي الى غرض ابعد مما يرجوه الانسان لنفسه في هذه الحياة الفانية من راحة وطمأنينة وتمتع باطايب الدنيا ، والانتصار على الاعداء ، والتفوق على الاقران ، وممارسة الفضائل الطبيعية التي يؤول امرها الى سعادة الفانية كحسن الجوار والضيافة والحلم ، والكرم والصبر وغيرها. فالصوم يمتدح لان فيه اطالة الاعمار (٣ : ، ٢١٨ ، ٣)

وقد يُذكر التبتل عرضاً وعلى سبيل الحديث ، فلم تستفد الآداب العربية والحضارة العربية على ما ترى ، من كتاب عيون الاخبار ، من المدنية الهندية الافكار والعواطف السامية التي ظهرت في متصوفي الاسلام الورعين المتخشعين ، المبتغين اجر الآجلة دون العاجلة.

اليك بعض الشواهد:

من كتاب السؤدد ، في الهمة والخطار بالنفس (١ : ١٥,٢٣١)

« وفي كتاب للهند: ثلاثة اشياء لا تنال الا بارتفاع همة وعظم خطر : عمل السلطان ، وتجارة البحر ، ومناجزة العدو . وفيه ايضاً : لا ينبغي ان يكون الفاضل من الرجال الا مع الملوك مكرّماً او مع الناس متبتلاً ، كالفيل لا يحسن ان يرى الا في موضعين : في البرية وحشياً او للملوك مركباً . وفيه ايضاً : ذو الهمة ان حط فنفسه تأبى الا علوّاً كالشعلة من النار يُصوّبها صاحبها وتأبى الا ارتفاعاً . »

من كتاب الحرب (١ : ١١١'١١)

« وقرأت في كتاب للهند : لاظفر مع بغي ، ولا صحة مع ضم ، ولا ثناء مع كبر ، ولا صداقة مع خب ، ولا شرف مع سوء ادب ، ولا برّ مع شحّ ، ولا اجتناب محرّم مع حرص ، ولا محبة مع زهو ، ولا ولاية حكم مع عدم فقه ، ولا عذر مع اصرار ، ولا سلامة مع ريبة ، ولا راحة قلب مع حسد ، ولا سؤدد مع انتقام ، ولا رئاسة مع غرارة وعجب ، ولا صواب مع ترك المشاورة ، ولا ثبات ملك مع تهاون وجهالة وزراء . »

وايضاً في كتاب السؤدد عن كتاب للهند (١ : ٢٤٨'٦)

« ذو المروءة يكرم معدماً ، كالاسد يُهاب وان كان رابضاً ، ومن لا مروءة له جان ، وان كان موسراً كالكلب وان طُوّق وحلّي »

واليك القصة التي وصلت عن الشرق الى لافونتين الافرنسي فانشأ عليها مثاله على الفلّاحة وجرة اللبن ، ووردت في مجاني الادب تحت عنوان الراعي والجرة (للقليوبي) ١ : ١٠٢

« ان ناسكاً كان له عسل وسمن في جرة ، ففكر يوماً فقال: ابيع الجرة بعشرة دراهم، واشترى خمسة اعتر فأولدهن في كل سنة مرتين ؛ ويبلغ النتاج في سنين مائتين ، وابتاع بكل اربع بقرة ، واصيب بذراً فازرع ، وينمي المال في يدي ، فاتخذ المساكن والعبيد والاماء والاهل ويولد لي ابن فاسميه كذا وآخذه بالادب ، فان هو عصاني ضربت بعصاي رأسه ؛ وكانت في يده عصا ، فرفعها حاكياً للضرب ، فاصابت الجرة فانكسرت وانصب العسل والسمن على رأسه . »

وفي كتاب السلطان تعليمات كثيرة عن المبادئ الهندية في الحكم والسياسة

وتدبير الممالك وكلها تنم عن وجود السلطة في قبضة رجل واحد استأثر بها لنفسه[1] . فتلقينها العرب كان من العوامل التي ساعدت على انقلاب احوال الحكم في دولتهم . فان السلطة ، في بدء الفتوحات العربية كانت رهينة ارادة افراد يتشاركون فيها اعني بهم الزعماء والقوّاد من قريش ، وما مضى قرنان على ذلك الا اصبح الحكم في ارادة رجل واحد مستبد برأيه شأن الخليفة الرشيد او المنصور . وقد يؤدي التوسع في البحث الى ابعد ما توخيناه في هذا المقال من وصف الكتاب . على انه يروقنا ان نلفت نظر القراء الى درس حديث قام به الالماني ريشتر[2] في كتاب وضعه على الاخلاق السلطانية ومثالها الاعلى في العصور الاسلامية الاولى . مهّد فيه الى البحث على فلسفة السلطة عند العرب مراجعاً في ذلك بعض ما كتبه ابن المقفع في الادب الكبير وفي كليلة ودمنة ، والجاحظ في التاج ، وابن قتيبة في العيون ، وابن عبد ربه في العقد الفريد ، واحمد بن ابي طاهر في كتاب بغداد ، مستطرداً من ثمّ في الكلام على ما اتى العرب من تعاليم اليونان في السياسة . وان غرضه انما هو تتبع مجاري الافكار صعوداً الى ينابيعها ، والمعرفة لكل ذي حق حقه في نشأة فكرة السلطان ونظام الملك وآداب السياسة وتطوّرها . فخصّص عدة صفحات في تحليل الكتاب الاول من العيون مقابلاً بينه وبين كتاب التاج وكتاب العقد ، منتقياً عمن له الافضلية في التأثير في غيره . ومثل هذه المباحث اصبح السبيل اليها سهلاً بفضل الطبعات المزيّلة بالفهارس شأن طبعة دار الكتب للعيون.

واخيراً نذكر جوزف هوورفيز المستشرق العلم في كلية فرنكفورت . باشر نشر ترجمة كتاب العيون الى الانكليزية ، في مجلة الاداب الاسلامية[3] المطبوعة في حيدر اباد . لكن المنية حالت دونه ودون انجازه عمله . رحمه الله .

---

١) راجع المجلد الاول ص ٢،٧،١٨،١٤،١٩،١٣ الخ . . .

٢) G. Richter : *Studien zur Geschichte der Älteren Arabischen Fürstenspiegel*, Leipzig, 1932.

٣) *Islamic Culture* 1930-31

بشري مدينة المقدمين

معلومات ومستندات

لاخوري اغناطيوس جمجع

١

جمع حضرة الخوري اغناطيوس جمجم كثيراً من المعلومات عن بشري ، مسقط رأسه ، وطريقة معيشة اهلها وعاداتهم في الافراح والاحزان ؛ مما وقف عليه بنفسه او اخذه عن شيوخ البلدة ، او نقله عن التواريخ القديمة . ولما كانت اكثر تلك العادات قد اضمحلت او كادت تجاه المدنية العصرية ، رأى من المفيد تدوينها ونشرها مستندات متفرقة تفيد من لعله يهتم بتاريخ مدينة المقدمين .

موقعها الطبيعي

موقع بشري عن سطح البحر ١٤٥٠ متراً ، وتبعد عن بيروت ، عاصمة لبنان ، مئة وعشرين كيلومتراً . وقد بهجت السيّاح بمناظرها الجذّابة المختلفة لوناً وموقعاً . وكثيراً ما ردّد بعض هؤلاء انها افضل من سويسرة بمشاهدها الجميلة ، فتراها من الشرق بساطاً اخضر اللون ، جنة فيها بيوت مظللة باشجار باسقة ، محاطة بزهر ابيض فاحمر فاصفر . اما من الجنوب فتبين سقوفها مرتبة بعضها فوق بعض ترتيب حب الرمان . وهي تكتسي في الربيع حلة خضراء تسرّ النظر وتأخذ القلب وتبرز كعروس متشحة بثوب العرس رائحتها تعطر الآفاق من شذى الورد والبنفسج والبيلسان والشقائق وفي الصيف والخريف تمتاز باثمار اشجارها وبرودة مائها . اما في الشتاء فتلبس ثوباً من الثلج ابيض ناصعاً .

ومما يحببها الى الزوار ما يرونه فوق حصرون من جبال تظهر اولاً صغيرة وتزداد صعوداً رويداً رويداً الى ان تبلغ ظهر القضيب ، اعلى قمة في لبنان

اذ يزيد ارتفاعه على ثلاثة آلاف متر . واذا تسلقه المسافر شاهد شرقاً سهولاً تتموج تموج البحر خضرة ، وفي آخرها مدينة بعلبك الشهيرة ، فيسحره المنظر ولا ينتبه الا لخرير مياه الثلوج فيبرد غليله. وفي رجوعه يصل الى قلعة اللصوص فيرى بنظارته قرب غروب الشمس ، جزيرة قبرس وجبالها . وعند وصوله الى الشفق يجد امامه ما سكبته يد الطبيعة من المناظر الخلابة من قرى واشجار وخضرة واودية ولاسيما وادي قاديشا المتدفقة مياهه ، وعلى ضفتيه الطواحين والجنينات والاشجار والبيوت القديمة.

وان مدينة المقدمين مقطوعة عن جوارها ، منفردة . فهي آخر سكن من لبنان القديم ، مبنية في لحف جبل يقيها الريح الشمالية ، معرضة لنور الشمس منذ بزوغها حتى غروبها . فبردها غير قارس ، وابواب بيوتها متجهة للجنوب .

حدودها جنوباً نهر قاديشا ووادية المشهور بصوامعه التي كان عددها ، كما يقال، عدد ايام السنة، وكان يتصاعد دخان بخورها صباحاً كالضباب ؛ وشرقاً نهر نبات ؛ وغرباً نهر الرويس ؛ وشمالاً الجلسة وشير حاطوم . وهي كثيرة المياه فيها نهر قاديشا ، ونبات ، والرويس ، وفي وسطها يشطرها من الشرق الى الغرب نبع مار سمعان المشتهر ببرودة مائه العذب وشلالاتها شلال قاديشا ، ونبات ، وهوة حج فارس. وعيونها عديدة نذكر منها عين البياض، وعين الصل، وعين الشاقوف.

سكانها

كان عدد سكانها اثني عشر الفاً ، يقسمون الى ثلاث طبقات : كهنة ، واعيان ، وشعب . الكهنة كان اعتبارهم اعتبار المسيح ، كلمتهم نافذة ، ولهم الاحترام واول متكأ . وعند مرور الكاهن كان افراد الشعب يحيونه ويطلبون بركته ، وفي وجوده كان حديثهم حديث تقوى واحتشام.

وكان السكان من عناصر مختلفة ، ولكل عنصر زعيم مترفع عن مطاشرة الشعب ، من المقام الاعلى ، يقفون امامه باحترام ويحيونه بالسلام . وفي الاعياد يتواردون الى بيته علامة اقرارهم بالجميل وخضوعهم واحترامهم . اما الزعيم

قطبي الاعتناء برجاله والمحاماة عنهم وسد احتياجاتهم . وكان لـه السلطة ان يقاصّ من اذنب ، ويستخدم من اراد ، لانه هو المرجع والمسؤولية عليه . فالزعماء كانوا على عدد العيال ، لكل عيلة زعيم . وعند الحاجة تجتمع الزعماء وتتبادل الآراء في خير الوطن ، وصون الادب ، والدفاع عن العرض . وعند الحرب على الزعيم ان يقدم الذخيرة ومواد القتال.

ورجال بشري رجال بأس وشغل في الصيف والربيع ، كل واحد يشتغل املاكه . وفي اواخر الخريف ووقت الشتاء ، يتمرّنون على الحرب بالمصارعة والمباطحة ورمي النشاب والرصاص . وكل من اصاب النيشان كان يحمل على الراحات ، ويُترنّم باسمه . وكثيرًا ما كان يُنصب الميدان فتنقسم الخيّالة الى شطرين يتمرّنون على الكرّ والفرّ . يبرز الخيال ويطلب خصمه ، فيتضاربان ويتسابقان . واذا ارتدّ احدهما الى الوراء برز من حزبه فارس يأخذ بثأره ، وغالباً ما كان ينقلب المزح جدًّا ، فيتضاربون ويتقاتلون ، ويخرجون من المعمعة مجروح وثياب ملطخة بالدماء.

اخلاقهم

اهل بشري لينو العريكة محبون للغريب ، بيوتهم مفتوحة للضيافة ؛ ضيفهم مكرم ومعزز يُقدم له الاكل والشرب والمنامة دون ثمن،ولذلك سميت « ام الغريب » . وكل من جاءها وجد الحرية والسلام والاكرام ، حتى اصبحت محطًّا لكل مظلوم طريد .

وكثيرًا ما كان يلجأ اليها امراء آل الحرفوش من بعلبك عندما كانت تطلبهم حكومة الشام فيحتمون في بشري مع عيالهم.

ومن مظاهر كرم البشراويين ومحاماتهم عن الضيف ما يروى عن احد سكان دوما من انه خطف عروساً من قريته والتجأ الى مخائيل المعروف بابي سمان جمجع ، وكان هذا غنيا كريم الاخلاق ، فقال له الضيف :« انا دخيلك قاصد معروفك خوفاً من الامير بشير . » فاجابه ابو سمان :« الضيف معزّز عندنا ، والدخيل يُفدى بالدم . وانا اتعهد لك اني ادفع مائة كيس وكيس

واعلق مائة مخلاية ومخلاية ، واكلك.» فعلم الامير بذلك فارسل الى المضيف قائلاً :« تتم قولك وكل العريس » فكان ما قال وارجع العريس الى اهله بالاكرام . وقد روى هذه القصة الاستاذ فؤاد افرام البستاني في كتابه « على عهد الامير » بعنوان « خطف عروس ».

فهذه المعاملة اكثرت فيها السكان حتى ابتدأ بعضهم بالانتقال فوصلوا الى سهل بعلبك واتخذوا محلات معروفة بضياع البشراوية فعمروا سبع ضيع . ولما فتحت اميركة اخذوا بالمهاجرة.

قوتهم اليومي

قد اشتهروا بالمعيشة القشفة ، فكان اكلهم دفعتين في النهار قبل الظهر دفعة ، وقبل الغروب الدفعة الثانية. اما طعامهم فكان شكلاً واحداً على المائدة ، خلا الزيتون والجبن. وكانوا لا يأكلون اللحم الّا مرة واحدة في الاسبوع ، الا في ايام المرفع المسمّى عندهم « حد الذبيحة ».

اما الصوم فكان خمسين يوماً لا يأكلون فيه لحماً ولا بياضاً . واغلب ايام السنة كانت عندهم قطاعة عن الزفر.

هذه المعيشة سببت لهم عمراً طويلاً ، بعيدين عن الامراض . وما كنت ارى في صباي من مات الا من الشيخوخة ، ولا سمعت بالامراض المختلفة خلا مرض الجدري.

عوائدهم

كانوا يتبعون ، في تأدية الاحترام ، ما قيل في « الكتاب المقدس » ان الله تعالى امر موسى ان يخلع نعليه عند تقدمه الى العليقة المضطرمة نارًا . ولذلك كانوا يخلعون الحذاء من ارجلهم ، متقدمين حفاة ، مطأطئي الرؤوس . ولا يجلسون الى ان يأذن لهم كبير المحل . واذا سمح بالتدخين كانوا يقولون : « دستور يا شيخ » . وعند تركهم صاحب المقام كان رجوعهم وراء الى ان يصيروا خارجاً . اما سلامهم فكان اولاً برمي اليد الى الارض ، ثم وضعها على القلب ، ثم وضعها على الرأس والفم. في الاعياد كان قولهم في عيد الميلاد :

« جيد مبارك » وفي عيد الكبير : « المسيح حقاً قام » واما آخر المرفع فكان كلامهم : « مثلما رقصتم بخير تصومون بخير » . ويقدمون باكورة اثمارهم في كل موسم .

اما النساء فعادتهن تقدمة شيء من عندياتهن وقت زيارة المرضى ، وتهنئة الغائب بالسلامة .

وقد كان محرماً كل التحريم اجتماع الرجال والنساء ، تمسكاً بالتقاليد . فالنساء كنّ ببساطة وحشمة واقتصاد في المعيشة وطهارة وعفاف في الحديث . اشتغالهنّ في المنزل المكب والمغزل وصنع القمصان والكلسات والاغطية . وكن متحجبات لا يظهرن الا وقت الحرب . حينئذ تراهن سافرات الوجوه سادلات الشعور ، مترنمات باغاني حماسية ، فينشطن الرجال باقوالهن وحضورهن . وعند طرح الصوت تهب الرجال لمقاومة العدو وتظهر النساء ناشدة الاغاني . فمن قولهن :

امش على ما قدّر الله والكاتبو ربك يصير
يا ما حلا ! يا ما حلا ! دم الاعادي ما حلا !

فتردد الرجال آخر كلمة . وتتابع النساء :

وسلاحنا أكله الصدى . . .
لا يلتوي فارسكم ولو اثخنته الجراح
والموت عنده احلى احلى من كأس القراح
نساؤكم وراءكم تقاتل بضرب الرماح
اولادكم تقول لكم الموت افضل في القتال
ان مات رجل في الوغى اولاده تحمي الديار
فالعرض عندكم ثمين صونوه ايها الرجال

(له صلة)

شذرات

يوبيل الاب مطوف الصحافي الفضي

كان الاحد الواقع فيه الثاني والعشرون من ايار موعد حفلة اليوبيل الصحافي الفضي لحضرة اخينا في الرهبنة الاب لويس مطوف اليسوعي بمناسبة انقضاء خمس وعشرين سنة على توليه جريدة البشير ادارةً ورئاسة تحرير ، فبرز ممثل كلية القديس يوسف بحلة قشيبة من النباتات والازهار وغصت القاعة بجمهور الادباء وكبار القوم يتقدمهم ممثلو السلطتين واعضاء لجنة اليوبيل.

وفي الساعة الخامسة افتتح الحفلة حبيب بك طراد بكلمة موجزة . وتلاه انطون بك شحيبر بكلمة ترحيب . والقى بعد ذلك الاستاذ جرجي نقولا باز ما عرفه عن سيرة المحتفى به . ثم تعاقب الخطباء الاربعة وهم نعيم بك صوايا وموضوعه « التعليم » ، فالشيخ مصطفى الغلاييني وموضوعه « اللغة » ، فالاستاذ امين الغريب وموضوعه « الصحافة » ، فالدكتور نقولا فياض وموضوعه « العلم والايمان » . وقد تخلّل هذه الخطب الحان موسيقية وختمت بنشيد من نظم الاستاذ نقولا بسترس وتلحين الاستاذ وديع صبرا ، انشدته الآنسة لودي منتى. وبعد ذلك عُلّق على صدر الاب المحتفى به وسام الاستحقاق اللبناني من الدرجة الثانية الذي اهدته اليه الحكومة اللبنانية. فوقف والقى خطاب شكر لطيف.

ومما يجدر ذكره في هذه الحفلة ان لجنة اليوبيل خطت خطوة واسعة الى الامام في ما خصّ انصرافها وصرفها الخطباء عن حرق بخور الثناء الفارغ ونظم التقاريظ الطنانة الى البحث في موضوعات معيّنة جال فيها المحتفى به جولات مستحقّة الثناء فبرهنوا عن لطف ذوق ودقة حسّ، وافادوا الحاضرين والغائبين ايضاً ممن سيطالعون ذلك الكتيّب اللطيف الجميل الذي جمعوا فيه كل ما قيل ووزّعوه في ختام الحفلة.

فنكرر لحضرة الاب المحتفى به تهانئنا القلبية ، ولحضرات اعضاء اللجنة شكرنا واعجابنا.

من خطاب لوجه سعود

يعلم قرّاؤنا الكرام ما حاق بالحجاز هذه السنة من ضائقة مالية وقحط شامل حتى اصبح السكان في كثير من المناطق هدفاً للمجاعة . وقد كان التفاؤل كبيراً بموسم الحج بفضل ما قامت به الحكومة من الدعاية . الا ان الازمة العالمية أثرت في ذاك الموسم تأثيرها في كل مكان ، على نحو ما اشرنا اليه في «شذرات» العدد الفائت. فاخذت بعض الاوساط الاسلامية تلقي التبعة على ابن سعود ، ويتهمه غيرها بنية عقد قرض مع بريطانية العظمى يضحي في سبيله بشيء من كرامة المسلمين.

فقام الملك ينفي هذه التهمة بواسطة وكالاته ، حتى سنحت له فرصة الحج فادب مأدبة لكبار القوم الوافدين من البلاد الاسلامية المختلفة والقى عليهم خطاباً طويلاً اظهر فيه حسن نيّته بلهجة جمعت بين الاباء والتواضع ، والتنصل من تهمة القرض وبسط الحاجة وطلب المساعدة . وقد نشر الخطاب في جريدة «ام القرى» المكية (٧ ذي الحجة ١٣٥٠ — ١٣ نيسان ١٩٣٢) فرأينا ان نقتطف منه ما يلي :

« تولينا الحجاز فقام الناس بين شامت وناقم ومحب وناصح واخواننا المسلمون نقبل منهم كل امر فيه مناصحة على شرط ان يكون في الحق . ومسئلتان لا يمكن ان نقبلهما ، ولو قاتلنا اهل الارض حتى لا يبقى فينا احد وهما : التغيير في دين الله ولو مثقال خردلة ، لانه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق فالكتاب والسنة لا نحيد عنهما ابداً ، الثاني : ان اي امر يلحق استقلال او شرف بلادنا فهذا مستحيل ان نقبله ولو تكلم من تكلم او قال من قال والحقائق مثبوتة ومعلومة وهذا هو الذي يلزمنا ديناً ودنيا.

« كثيراً ما يقولون بعض الناس ليش ما يحط ابن سعود جميات ومحلات دعاية ضد الانكليز او المسكوف ، او الطليان او غيرهم ويدافع عن المسلمين فاحب ان اكشف هذه الشبهة وابين الحقيقة فيها.

« أنا لست من رجال القول الذين يرمون اللفظ بغير حساب ، انا رجل عمل

اذا قلت فعلت ، وعيب عليَّ في ديني ، وشرفي ان اقول قولًا لا اتبعه بالعمل وهذا شيء ما اعتدت عليه ، ولا احب ان اتعوده ابدًا . ماذا يريد الناس مني ؟ يريدون ان اقول واتكلم ثم يهمل جوابي واسكت واي فائدة في القول الذي لا يعقبه فعل ، وهو امر ما اعتدته ، ولم يعتده قومي معي .

« انا لا اقول لصاحب (ام القرى) او غيره قل وتكلم على فلان وفلان ، وانما آمر بالسكوت الى وقت الفعل ، فاذا فعلنا تكلمنا . . .

« هنا رجال نقموا منا لما أعطانا الله اياه ، فسول لهم الشيطان من الوسواس الشيء الكثير ، ولم أرَ احدًا من المسلمين دافع عني ولا مدافعة واحدة ، المسلمون منعوا عن الحرمين الصدقات والاوقاف ، واخذوا يمنعون الناس عن حج بيت الله كله لاجل ابن سعود . فما هو العمل الذي عمله ابن سعود ؟ هل نصب ابن سعود صنماً يعبد من دون الله ؟ هل أباح الخمور ؟ هل أباح الزنى والفجور ؟ هل ترك ابن سعود الاشرار يفسدون في الارض ؟ أم ماذا صنع ابن سعود مما ينكره الشرع ، وتأباه المروءة العربية ؟

« أني والله اخاف الاجنبي مرة واحدة ، وأخاف الذين يدعون الاسلام ثلاثة آلاف مرة وأرجو ان يعذرني المسلمون في قولي هذا ، واني والله صادق فيما اقوله وما تكلمت به . . .

« خاض الناس في القرض الكاذب ولغقوا وأولوا ، وانا أقول « والله الذي لا ربَّ سواه » لم أعمل مع الانكليز ولا مع غيرهم قرضاً ما ، وربما اننا نحتاج ونأخذ سواء من المسلمين او غيرهم ، ولكن اذا وقع فلا يمكن ان يخرج ذلك عن حدود الشرع ، ولا يمكن أن يمس البلاد واستقلالها وما فيها . واذا كان احد من المسلمين ملك او تاجر يريد ان يساعد الحجاز واهله على الوجه المشروع فأنا أقوم معه واساعده .

« واني اقول من كان عنده نصيحة او ارشاد ويريد عرضها علينا فنحن مستعدون لذلك سواء الآن أو في وقت غير هذا بيننا وبينه او امام علماء المسلمين . » .

مطبوعات شرقية جديدة

Henri Bergson : Les deux sources de la morale et de la religion. 4e *édit.* 1932. *in*-8° *de* 346 *pp. Prix* : 25 *f*°. *Paris, Félix Alcan.*

مصدرا الاخلاق والدين

من الصعب ان نشرح على طريقة واضحة هذا المذهب الذي لا يكاد يُمسّ لما في فكرة صاحبه من تملّص وتفلّت ، مع خروج على اصول الفلسفة المقرّرة الثابتة. على اننا نحاول جهد المستطاع ان نقف على ما يمتاز به مذهب برغسون في كتابه الاخير فنقول ملخصين :

ان تيارًا شديدًا من القوة الخالقة يجري في المادّة . ولكنه يتوقّف في كثير من انحائها. فتظهر توقفاته امام عيوننا على شكل انواع حية ، اي بظهور كائنات مميزة . على ان هذا التيّار امكنه ان يجري بعيدًا على خطّ واحد دون ان يتوقف ، فوصلت به القوة الخالقة الى الانسان ، فتجلّت فيه على شكل الذكاء المولّد والحرية الزاهرة.

وان الطبيعة التي جعلتنا عاقلين تركت لنا ، الى حدّ ما ، ان نختار النظام الاجتماعي الذي نرغب في المعيشة ضمنه. على انها اجبرتنا ان نعيش في المجتمع . ولذا فاننا نتحقق وجود قوّة اتجاه دائمة، مثلها في ما خصّ النفوس مثلُ الجاذبية للاجسام ؛ وهي تضمن دوام الاتحاد في المجتمع اذ تميل بجميع الارادات الفردية الى اتجاه واحد . وقد نشأ عن هذه الحالة الواجب الاخلاقي الذي يتبع تطوّر الهيئة الاجتماعية.

كان المجتمع في البدء « مقفلًا » ، كما يقول المؤلف، فكانت التطلبات الاجتماعية، او الميل الاجتماعي، تدفع الفرد ، على طريقة الغريزة ؛ وكان الواجب يجري على شكل الشريعة . ثم كي تتمكن الهيئة الاجتماعية من الحياة ، فتنيل كلًا من اعضائها الثقة الضرورية ، رأت نفسها بحاجة الى اختراع الديانة فاخترعتها . وما الديانة الا من توليد الذكاء القادر على خلق الخيالات الوهمية . وانها لحاجة غريزية في الانسان ان يتطلّب دائمًا معرفة اسباب المظاهر، حتى اذا لم

يتمكن من الوصول الى السبب الحقيقي اخذ بأي سبب كان . والخلاصة ان الواجب ، وما هو الا الضغط الاجتماعي ، وان الديانة الجامدة الواقفة او السلبية يؤلفان المجتمع المقفل . هذا هو المصدر الاول للواجب الاخلاقي والديانة.

وما هو المصدر الثاني ؟ لا يمكن المرور بطريق التوسع من « المجتمع المقفل » الى « المجتمع المفتوح » ، اي من المدينة الى الانسانية جمعاء . وذلك لانهما ليسا من جوهر واحد . على ان النفحة الحيوية التي ولدت المجتمع المقفل تسعى دائماً لتتم تطورها . وبما انها لا تتمكن من السير نحو الكمال بالنوع كله ، تراها مدفوعة الى تحقيق كمالاتها ببعض افراد تخصهم بفضائلها ، وهم الابطال والنوابغ والقديسون ، الذين يؤثرون على جمهرة الناس فيجذبونهم الى التمثل بهم والسير على خطواتهم . وان هذه الجاذبية هي الواجب الخاص « بالمجتمع المفتوح ».

واذا ادرك هؤلاء الفضلاء معرفة انفسهم ، فانهم يصلون الى الحياة الصوفية او الروحانية ، فتكون الديانة المتحركة الفعالة او الايجابية التي تتعاكس والديانة الواقفة كما يتعاكس المجتمعان . وهكذا يمكن الانسان ان يصل الى معرفة وجود الله . وان من يدرس نفوس الصوفيين او الروحانيين يتحقق بينهم اتفاقاً عجيباً في استعمال الصور والتشابيه والتعابير ، على كونهم يجهلون بعضهم بعضاً ولا يهتمون بالجري على الاسلوب التقليدي. ولا يمكن شرح هذا الاتفاق العجيب الا بوحدة الغريزة التي تلهم كلًّا منهم . وليس من علة لها الا الوجود الحقيقي للكائن الاسمى الذي يعتقد كل من هؤلاء الروحانيين انه متصل به.

هذا هو ملخص النظرية التي يبنيها المؤلف مستنداً الى تصوراته وحدها صارفاً النظر عن غير ذلك من الاسانيد المادية . واغرب من كل هذا انه يعلن مراراً ويردد انه لا يتقدم الا في مجال ثابت مرتكز على الاختبار ج.ك.

Maurice Fouchet : Notes sur l'Afghanistan. *œuvre posthume. in-12 de 228 pp.* 1931. *Prix* : 20 *f*. *Paris, Editions Maisonneuve Frères.*

رؤوس اقلام عن بلاد الافغان

قد يكون المؤلف اول وزير فرنسوي في بلاد الافغان . على انه لم يكد

يرجع منها الى فرنسة حتى اصابه مرض فجائي اودى بحياته سنة ١٩٢٤ . وقد جُمع مؤخرًا ما ترك من المعلومات فطُبعت في مجلد مقسوم الى قسمين : يختص الاول بالبلاد وسكانها ، والثاني بتاريخها وسياستها الماضية والحاضرة . وانها لمعلومات كلها مفيدة عن بلاد مقفلة لا يعرفها الا القليل من الاختصاصيين . هذا وان للكاتب اسلوباً جميلًا يضيف اللذة الى الفائدة في كتاب دعي « رؤوس اقلام » مع انه على جانب وافر من حسن التأليف واستخراج المبادئ العامة الراهنة من المعلومات المتفرّقة التي يعرضها عرض الخبير المطّلع ، فيرى ما وراء بهرجة الالفاظ والتعابير الرسمية من الغرائب الاجتماعية والمؤسسات السياسية الوقتية الزائلة التي قام بها ملك اراد ان يستخدم اوربة لتعزيز سلطته في بلاد تعدّ من اشدّ بلاد العالم تأخرًا وامكنها استعدادًا للفوضى. ج.ل.

Christianus Pesh S. J. : Compendium theologiae dogmaticae. *t. I : De Christo, - de Ecclesia Christi, - de Fontibus theologicis. Editio 4ª, - Fribourg en Brisgau,* 1931, *Herder et Cie, XIV-315 pp.*

ملخّص في اللاهوت النظري : الجزء الاول

للاب كريستيان پيش اليسوعي كتاب واسع في اللاهوت النظري ، في تسعة مجلّدات ، ظهر للكثيرين اطول من ان يجعل كتاباً تعليمياً ؛ فطلبوا من المؤلف ان يختصره . فكانت فكرة هذا الملخّص الذي جمع النقاط المهمة في المطوّل المذكور.

على ان المجلّد الاول من الملخص شمل ، منذ طبعته الاولى ، جميع ما في المجلّد الاول من المطوّل تقريباً ، مختصرًا قليلًا من مقدّمات اللاهوت ، زائدًا معلومات عامّة في الدين والوحي والعجائب والنبوّات ، مما كان يفتقر اليه المطوّل . وقد بلغ هذا المجلّد طبعته الرابعة ، وهي لا تفرق في شيء عن الطبعة الثالثة الظاهرة سنة ١٩٢٦ والتي تمكّن المؤلّف من اعدادها قبل وفاته (٢٦ نيسان ١٩٢٥) . وقد وقف على هذه الطبعة حضرة الاب اغوسطين دنيف (Deneffe) اليسوعي الاستاذ في ڤالكنبورغ فلم يغيّر شيئاً كما قلنا . الّا انه زاد في آخر الكتاب (الصفحات ٣٠٤ ــ ٣٠٨) قضية في قيمة شهادة

الكنيسة لارساليتها الالهية ملخصها ان الكنيسة الكاثوليكية تقول بانها الكنيسة الحقيقية الوحيدة ، وتؤيد ذلك ، تأييدها بالعجائب الدائمة ، بانتشارها العجيب وقداستها الواضحة وثمارها الرسولية وثباتها غير المتزعزع . فتكون هذه القضية تجديداً واستثماراً للبرهان المعروف بميزات الكنيسة والمذكور في القضية الثالثة والثلاثين من الكتاب.

وبما انه قد فتح باب الزيادات والتجديدات — وهو باب قد يتسع كثيراً — افلا يجوز لنا الرجاء ان نرى موضوعاً كثيراً ما اهمله اصحاب المطولات عند كلامهم عن الكنيسة وهو موضوع الكنيسة بصفة كونها جسد المسيح الروحي . وهو امر ذو اهمية كافية في نظرنا كي يذكر حتى في الملخصات.

هذا وان قرّاءنا الكرام يعرفون مطبوعات هردر ويدركون كل ما تتصفا به من مزايا الاتقان والوضوح وجمال الطبع.

Les Guides bleus. Syrie, Palestine. *in*-16, 677 *pp*, 13 *cartes*, 55 *plans*. *Paris*, *Hachette*, 1932. *Prix* : 75 *f*.

الدليل الأزرق لسورية وفلسطين

هو اول دليل عام لسورية وفلسطين ظهر بعد الحرب الكونية ، فاشار في تضاعيف اوصافه الى التطوّر المهمّ الذي احدثته السيّارات وتجديد النظام السياسي في هذه البلاد. وكانت اول خدمة قام بها الدليل انه ذكر للمسافر عدداً كبيراً من التسهيلات الجديدة . من ذلك ان الاطلال والآثار المشهورة التي لم يكن السائح ليتمكن من زيارتها ، قبل اربعين سنة ، الّا اذا سافر عدة ايام على الجواد برفقة عدد من البدو ، يزورها اليوم بكل سهولة ، وفي بضع ساعات ، كآثار تدمر او صُلح (پترا) او الاطلال القديمة في العراق (وقد خصّ بها ٦٥ صفحة من الكتاب) . ومن تلك التسهيلات ما يذكره الدليل من المجازات الموصلة الى القرى الجميلة المنظر الحسنة الموقع في جبال لبنان وجبال العلويين . وكلها مرسومة في خرائط واضحة ولكن مختصرة كي لا تزيد في ثمن الكتاب . وهو ثمن قليل جداً (٧٥ فرنكاً) اذا انتبهنا الى ان

في الكتاب ٦٢٧ صفحة و ١٣ خريطة و ٥٥ رسماً.

على ان فضل الكتاب المهم هو قيمته العلمية . فان في هذه البلاد الحافلة بالتاريخ الوقور بل باقدس تاريخ عُرف ، يتطلب المسافر من يشرح له الآثار المختلفة ويؤكد له قيمتها التاريخية واهميتها السامية . وعليه فقد رغب السيد مونمَرْشه (Monmarché) مدير مجموعة « الادلّة الزرقاء » الى عدد من اشهر العلماء هيأتهم دروسهم السابقة وتنقيباتهم المحلية لتأليف دليل من هذا النوع . فكتب حضرة الاب أبيل (Abel) الدومنيكي ، الاستاذ في المعهد الكتابي والاثري في القدس ، مقدمة الكتاب مع القسم الخاصّ بفلسطين . واختصّ الاستاذ ديشان (P. Deschamps) بوصف معاقل الفرنجة وآثارهم . ووصف الاستاذ غبريال آثار تدمر . وقام الاساتذة پييه (Pillet) ومعاونوه بكتابة القسم الخاصّ بالصالحية ـ دورا والعراق ... وقد بلغ عدد الذين تعاونوا في تأليف هذا الكتاب نحو الاربعين عالماً ، فجعلوا منه افضل دليل لسورية وفلسطين من حيث سهولة استقاء المعلومات والثقة الجدير بها . ر.م.

Fr. X. Kortleitner Ord. Praem. : Cananaeorum auctoritas num ad religionem Israelitarum aliquid pertinuerit. [*Commentationes biblicae VI*] *in-8° de* 90 *pp. Œniponte* (*Innsbruck*) *Rausch* 1932. *Prix* : 3 *Marks*.

أثر الكنعانيين في ديانة اسرائيل

تقضي هذه الرسالة ، بالاستناد الى اطلاع واسع ، على مزاعم القائلين بان ديانة الاله الحق عند الاسرائيليين لم تكن الا نتيجة العبادات الوثنية التي كانت منتشرة في القبائل الكنعانية . اما ان يكون كثيرٌ من الاسرائيليين قد جنحوا الى الوثنية فهو ما يشهد به الكتاب المقدّس ، واما ان تكون ديانة اسرائيل نتجت عن تلك العبادات الكاذبة فهو ما يبرهن المؤلف على فساده في عشرة فصول يخوض فيها الموضوع على جميع وجوهه فلا يترك زيادة لمستزيد . على ان المطالع لا يتمالك ان يسأل نفسه : أوَ لا يكون هذا البحث اكثر فائدة لو كتب بلغة عصرية بدل لغته اللاتينية ؟ ... ب.م.

الرسائل الضائعة ورسائل اخرى

تأليف سامي الجريديني

مطبعة الهلال ، ١٩٣٢ — ص ١١٠ ، ق ٨

للمؤلف كتب ظهرت : خواطر في الحقوق والادب ، خمسة في سيارة ، تعريب يوليوس قيصر وهاملت والملك لير ؛ واليك كتاباً سادساً . نصفه الاول معرب عن عشر رسائل قال فيها السيد سامي انه عثر عليها ، صدفة ، في عربة القطار الحديدي وهو مسافر من ليون الى اكس ليبان ، وفيها تحارير يتبادلها فتاتان احداهما في لندن والثانية في باريس . وهي على سذاجة اسلوبها ، ودعة نطقها تنم عن ذكاء وثقافة لا يزدان بها الا بنات الفئة الراقية من بنات الافرنج ، فاحرِ بها مثالاً يقتدي بها شباننا وشاباتنا في الوصف ، وتحليل العواطف ، والنظرات المتيقظة في انحاء الحياة المصرية ... لولا ان المؤلف شوّه وجه كتابه اللطيف ، والقارئ بغنى عن ان يعرف ان القسيس الانكليزي انما هو بشر كسائر البشر وان يكن فيه رجلان ، رجل من لحم ودم ، ورجل يحيا حياة الروح في جهادها المستديم . في الجزء الثاني من الكتاب رسائل لم ينسب المؤلف اصلها الى غيره ، وفيها نظرات جديدة في شرقنا : على مبدأ القومية وميزتها في الغرب ، وحالتها في الشرق ، وهي تكشف عن مطالعة واسعة وخبرة باحوال الغرب واحتكاك متصل بحضارتهم وثقافتهم . ولكن المؤلف تسرّع في استنتاج نتائجه او في تعميمه على الغرب طرّاً ما يكون ظاهرة عرضية من ظواهر الحياة الغربية . مثال ذلك كلامه في قيمة القانون والشريعة (ص٨٣ وما بعدها) تكلم جزافاً على اصل الشريعة الاصيل ، ولم يرده الى مصدره الاولي وهو ارادة سيد الكون ؛ ونحا في معالجته الموضوع الخطير نحو من لا يميزون بين الشريعة الصالحة والشريعة الشريرة . وهذه لا تحسب شريعة حقاً . وان جرى ، في حين من الاحايين ، بعض حكام الغرب على سنة مخالفة للمبادئ القويمة ، وشذّوا ، فليس شواذّهم مما يتخذ قاعدة ثابتة ، فيصحّ من ثم ان يُقال انهم يقدسون الشريعة اية كانت ، صالحة او شريرة ، كما ذهب

الى ذلك المؤلف . وفي الكتاب اقوال على السلطة والحرية لا يسلم بها المنطق الآخذ بمقدماته عن المبادئ الفلسفة الصحيحة ؛ ولا توافق عليها وقائع الاحوال. على ان لغة الكاتب رشيقة وعباراتها مكتظة بمعانٍ تستوقف النظر في مواضيع عصرية حية. ف.ت

الاحنف بن قيس — مطبوعات عبيد اخوان

اهدت الينا المطبعة العربية لاصحابها عبيد اخوان في دمشق ، نشرة فيها لائحة اهم مطبوعاتها الحديثة ، ولفتت النظر خاصة الى المجلد السادس والسابع من تهذيب تاريخ ابن عساكر لانها نشرت من المجلد السابع انموذجاً ، وهو ترجمة الاحنف ونسبه وصفاته واخباره وحكمه وامثاله وتأبينه ورثاؤه . على امل ان يُتاح لنا عن قريب وصف المجلدين المذكورين ، عند دخولها المكتبة الشرقية ، تحيّي في ناشريها النشاط والهمة والغيرة على حفظ آثار السلف والكشف عن كنوزها ، ونتمنى للمطبعة العربية اطراد النجاح. ف.ت.

نشرة الصليبيين

صحيفة شهرية . المطبعة الكاثوليكية . بيروت ١٩٣٢

هي نشرة شهرية يقوم بطبعها باللغة العربية شبان الرهبانية اليسوعية الدارسين اللغة العربية في بكفيا ، تأهباً للتبشير . شركوا فيها مئات الاحداث في المدارس وجندوهم لمحاربة اهواء النفس الامارة بالسوء والتسلح على الشيطان بالمناولة المتواترة ؛ وقد نالوا استحسان الاب الاقدس وعطفه برسوم خاص وجهه اليهم في هذا العام . ف. ت.

سلّم اللسان في الصرف والنحو والبيان

تأليف جرجي شاهين عطيه

الدرجة الاولى : ١٢٢ ص. صغيرة – مكتبة صادر ، بيروت ١٩٣٢

هو كتاب تعليمي صغير في القواعد الاولية يؤلف درجة من خمس تختص الاربع الاولى منها بالصرف والنحو والخامسة بالبيان . وضعها الاستاذ جرجي

شاهين عطيه مستنداً الى خبرته الطويلة في التدريس والى ما يراه موافقاً حالة المصر ومقتضياته. وقد تولت طبعها مكتبة صادر ، فاظهرت حتى الآن هذا الجزء الذي نصفه اليوم.

التذكار المئوي الثاني

لتثبيت قانون الرهبانية الحلبية المارونية اللبنانية

٦٧ ص. متوسطة – المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ١٩٣٢

بمناسبة مرور مائتي سنة على البراءة التي اصدرها البابا اكليمنضوس الثاني عشر في ٣١ آذار ١٧٣٢ يثبت بها قانون الرهبانية الحلبية المارونية اللبنانية وفرائضها ورسومها، رأت رئاسة الرهبانية الحلبية ان تخلد هذا التذكار بكراس جميل المظهر حسن الطبع ضمنته براءة التثبيت المذكورة ، وما يتعلق بها من رسائل مهمة ، ولمحة اجمالية في تاريخ الرهبانية وقسمتها الى حلبية وبلدية وما لها من الخدمات في سبيل البلاد والعلم . فنكرر لها تهانئنا ، ونتمنى ان تظل الاحقاب الطويلة على نموها وازدهارها.

غافر ولبانة

نظم ابي الفضل الوليد

١٦ صفحة متوسطة – مطبعة الحسام ، بيروت ١٩٣٢

هي « منظمة ذات مشهدين » يعني فصلين ، نظمها صاحبها « من اجل مصر » وضمنها عواطف حسنة في الوطنية وما اليها . وقد سار فيها على اسلوب جديد في تنويع القوافي جاعلاً اكثر ابياتها مستقلة كل منها بقافية واحدة على نحو المعروف في بحر الرجز . الا ان هذا الاسلوب يقطع مجرى النفس الشعري احياناً ويؤثر بالرنة الموسيقية غالباً . ولا يمكن الحكم الصحيح على هذا النوع من الروايات الّا اذا اطلعنا على الموسيقى ، وهي العنصر الاكبر في قيمة «المنظمات».

اهم حوادث الشرق في شهر

١٥ نيسان — ١٥ ايار ١٩٣٢

لبنان وسورية — اصدر المفوّض السامي قرارًا اول (٩ ايار) يوقف بـه مجلس النوّاب الى اجل غير مسمى ويحـلّ مجلس الوزراء حلًّا نهائيًا على ان يقوم بالسلطة التنفيذية ، بمساعدة الدولة المنتدبة ، رئيس الحكومة المعيّن بقرار من المفوض السامي ، يؤازره مجلس مديري المصالح العامة . واصدر قرارًا ثانياً (٩ ايار) يعيّن به الاستاذ شارل دباس رئيساً للحكومة.

* تتوالى الاضطرابات في بعض الانحاء السورية بين المنتمين الى كل من حزب المعتدلين والمتطرّفين من نوّاب سورية.

* وصلت الى بيروت بعثة علمية اسوجية من جامعة استوكهلم غايتهـا درس النباتات والزهور والاشجار في بلاد الانتداب.

مصر — نجحت التجربات الاولى المخاطبة بالتلفون اللاسلكي بين مصر وانكلترة.

* القيت قنبلة على ممر القطار الناقل صدقي باشا . فانفجرت قبل وصوله.

* تتسع حركة تبادل المحصولات بين مصر واليونان.

العراق — زار الملك فيصل بلاد فارس فـاستقبله خارج طهران شاه العجم في احتفال باهر.

تركية — طلبت الحكومة منـذ مـدة الى اليهود ان يكتبوا لغتهم بالحروف اللاتينية . فاصدروا منشور عيد الفصح بهذه الحروف .. وقد عارض اليهود الارثوذكس في ذلك . ولكن الشبان عاكسوهم . وصرح الحاخامون لمراسلي الصحف بانهم يريـدون ان يعـاشوا التطور الحديث وانهم سيترجمون التوراة الى اللغة التركية ، ويقيمون الصلاة بهذه اللغة.

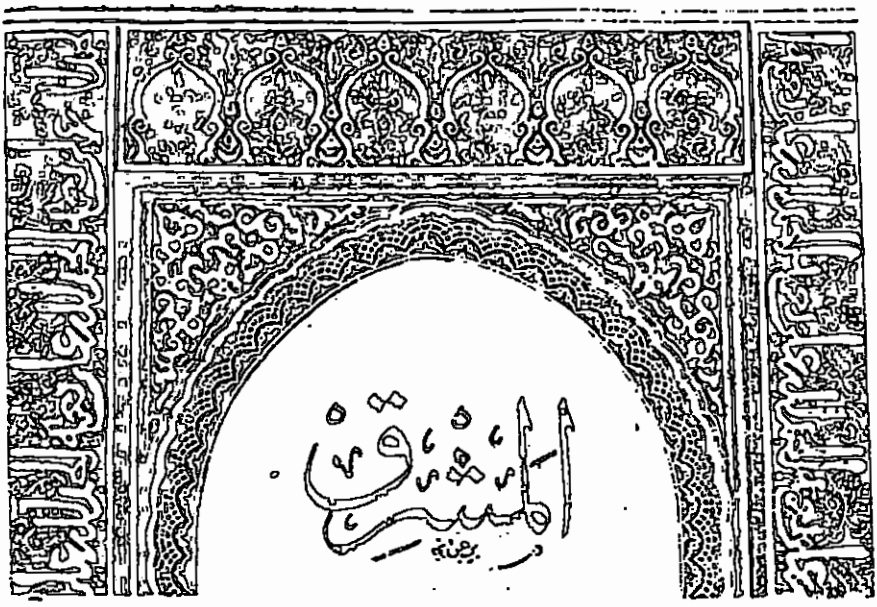

السنة الثلاثون تموز ١٩٣٢

الفرنسويون في سورية

في القرنين السادس والسابع للمسيح

بقلم الاب لامنس اليسوعي

٢

كان كثير من زوّار الشرق ، اذا رجعوا الى بلادهم ، رتّبوا معلوماتهم وألّفوا ، كما يؤلف سياحنا المصريون ، كتباً عن رحلاتهم . غير ان اولئك الزوّار يفضلون معاصرينا بانهم كانوا يقيمون الشهور الطويلة بل السنين احياناً في انحاء الشرق . فلا يخترقون البلاد سريعاً بالقطار او بالسيارة ، بل يسيرون على مهلهم فيتفقدون جميع المناطق ويقفون كلما حسن لديهم الوقوف . اما اليوم فالسيّاح والزوّار مأخوذون بعامل العجلة ولا وقت لديهم لدرس ما يشاهدون . حتى ان الشرق يتأثر من هذه السرعة اذ يرى بها عدم اكتراث لما يقدّم لهم من اساليب الضيافة وحسن الاستقبال ، فيُعرض عنهم ويخفي عليهم اسراره . فيرجعون واذا

بهم لم يدركوا شيئاً من جوهر البلاد الشرقية . لا يظهر الشرق اسراره الا نادراً ، ولا يختص بها الا من اقام فيه طويلاً ، وتدرع بالصبر والجلد على سماع المواعظ المسهبة والخطب الطويلة التي يتداولها حكماء الشرق فلا يملون ، حتى كأنهم اصحاب ايوب ذوو البديهة الفياضة والكلام المتدفق . وان انس لا انس العدد العديد من السيكارات التي دخنتها وفناجين القهوة التي احتسيتها ، وانا اسمع احاديث مشايخ النصيرية ، وامراء الاسماعيليين ، ورعاة اليزيديين ، مضيفي بالامس ، فاعير اذناً صاغية لاقوالهم المسهبة ، ومراجعاتهم العديدة ، وقصدي ان انفذ من خلال هذه المحادثات الى معتقداتهم السرية . ولكن يا للعجب ! اية مهارة ، واي لطف ، بل اية سياسة فطرية كانت تهيب بهؤلاء القوم فيتملصون من اسئلتي الدقيقة ، ويحولون مجرى اتجاهي ، دون ان يمسوا في شيء آداب الضيافة الشرقية . حقاً انهم لمن اقدر الناس واشدهم دهاء ومرونة . انهم لا يجيبونك الى شيء مما تطلب ، وهم مع ذلك لا يحيدون قيد شعرة عن قواعد التهذيب الدقيق .

لدينا كثير من تلك الرحلات اللاتينية القديمة ، وهي ذات قيمة لا تعادل في ما خص علم الآثار القديمة والجغرافية ودرس اخلاق الشعب . على اننا نكتفي بذكر السائحة سيلفية ، او اتيرية ، كما يسميها البعض ، وهي غالية من منطقة اكيتانية سافرت في اواخر القرن الرابع ، وبذكر الاسقف اركولف الذي زار الشرق في اوائل الفتح العربي .

اما رحلة سيلفية فقد اكتشفت من مدة قريبة ، فاحدثت تأثيراً عجيباً في العالم العلمي ، لما اختصت به تلك المعلومات من الطرافة والاستقلال . فان السائحة لم تنقل شيئاً عن القديس ايرونيموس ولا عن المؤرخ يوسيفوس . بل لم تحمل معها الى الشرق الا الكتاب المقدس . وان سفر هذه المرأة ليدل على انتشار الرغبة في زيارة بلادنا اذ ذاك .

كانت سيلفية من نساء الاشراف كما يظهر من الحفاوة التي لاقتها في بلاد الشرق ومن اهتمام ارباب السلطتين الدينية والعسكرية بتسهيل مهمتها . فامكنها ان تقف على الكثير من المعلومات . وقد وصفت كل ما شاهدته في سورية

وفلسطين من مظهر المعابد وحالتها الى هيئة الاحتفالات الطقسية التي كانت تُقام بها ، بدقة ووضعية بالغتين ، دون اهتمام بالتحسين اللفظي او التأثير البياني. وكانت ، قبل ان سافرت ، قد احكمت الكتاب المقدس ، فاصبح همها الاكبر ان تفحص كل شيء فحصاً عيانياً . حتى انها عندما تذكر شيئاً لم تره بنفسها ، تريد قائلة : « هذا ما أخبرت به . »

وهي تقرأ كتابها في الاماكن التي تزورها ، وتناظر ادلاءها — وهم ارشيمندريتو المنطقة - في المقاطع الموافقة من التوراة ، وتبدي آراء تنمّ عن روح جغرافي وعن فهم لموقع الآثار لا يفرق في شيء عمّا نراه عند علماء العصر. وهو يفرق الفرق كله عمّا نتحققه في عقلية لامرتين ، اثناء زيارته لفلسطين ، اذ كان يتعرّف الى الاماكن المقدسة بفضل بديهته وشعوره الفطري . . . فقال : « لا اذكر اني صادفت مكاناً الا خلت ان رؤيته الاولى تقوم مقام الذكرى في ذهني . . . »[1] وهو مبدأ شديد الخطر في علم تحقق الاماكن.

كانت سيلفية قوية الايمان ولكنها لم تكن سريعة التصديق . يظهر ذلك في ملاحظاتها الدقيقة ، ومنها ما خصّ عمود الملح الذي تحوّلت اليه امرأة لوط. فان هذا العمود يشغل افكار السيّاح والزوّار كلهم . اما سيلفية فتصرّح ، دون تردّد ، انه غير موجود . ثم هي تصعد بنفسها جبل سينا ، فتزور كل اديرته . ثم تتابع رحلتها نحو بلاد العجم حتى اقصى حدود السلطة الرومانية ، ناشرة الطمأنينة والسلام . وبينا تقطع الفرات تتذكر بلادها ، فتشبه ذاك النهر ، في ضجته الصاخبة ، بنهر الرون ، ولكنها تريد ان النهر السوري - العراقي اعظم من نهرها.

كتبت سيلفية ومن تبعها من الرحّالة بلغة لاتينية منحطّة تبشّر بما حدث بعد ذلك من تفكك اللاتينية وانفصال اللهجات الرومانية المختلفة . على ان ملاحظاتها الدقيقة وتعابيرها الساذجة كانت جزيلة النفع في شرح مشكل من اهم المشاكل الشرقية ، وهو ماضي سورية وما يتعلق بآثارها القديمة.

ولم يكن فضل الاسقف اركولف ليقلّ عن فضل سيلفية في ذلك . فاننا

(١ *Voyage en Orient*, 23 *oct.* 1932

بواسطته نعرف تاريخ اثرين سوريين عظيمين كثيراً ما نسبها الناس الى العرب ، وهما الجامع الاقصى في اورشليم ، والجامع الاموي في دمشق. اما الجامع الاقصى فقد تأكدنا ان لا صلة بينه وبين الخليفة عمر . واما جامع دمشق فاتضح انه لم يُقسم قط بين المسلمين والنصارى ، كما اعتاد ان يقول بعض المؤرخين مأخوذين برواية ابن عساكر . فهو ليس الا كنيسة القديس يوحنا القديمة أُخذت من النصارى ، على عهد الوليد الاول ، وحوّلت الى جامع .

ومما اتصف به زوّارنا الملاحظة الدقيقة والاكتفاء بجملة واحدة ، بل بكلمة احياناً ، في وصف مدينة بكاملها او شعب باسره . وها انني اختار فصلاً من كتاب الرحالة البليزنسي (l'Anonyme de Plaisance) يصف فيه منطقة تهمّنا جدًّا ، وهي منطقة فنيقية الساحلية ، وقد زارها الكاتب في النصف الثاني من القرن السادس ، فهاله ما شاهده فيها من سرعة العمل وسهولة النهوض على اثر الزلازل العظيمة التي توالت عليها . وكان قد ارسى في طرطوس ، تجاه جزيرة ارواد ، فقال :

« سرنا من انتارادوس (طرطوس) الى طرابلس ، وهي مدينة خربة بسبب الزلازل التي حصلت على عهد الامبراطور يوستنيانوس . ومنها انتقلنا الى تريبريس (انفه) فالى بيبلوس ، وهما ايضاً تقوّضتا على سكانها ثم وصلنا الى بيريت (بيروت) « المدينة الفائقة الجمال » التي ازدهرت فيها مؤخرًا الدروس العلمية . وهي ايضاً كان الزلزال قد اخربها . وقد اكد لنا اسقف المكان ان قد هلك فيها اكثر من ٣٠ الف شخص يعرفهم باسمائهم ، فضلاً عن الاجانب . ومن بيروت سرنا الى صيدا ، وهي خربة ايضاً ، وسكانها جدّ اردياء . من صيدا انتقلنا الى سارپتا (صرفند) وهي مدينة صغيرة ولكنها مسيحية جدًّا . ومن سارپتا الى صور . وفي هذه المدينة رجال اغنياء ، على ان المحيط الاخلاقي منحطّ فيها الى اقصى ما يمكن تصوّره . وفيها كثير من المعامل العمومية[1] لصناعة الحرير والمنسوجات المختلفة . من صور سافرنا الى پتوليايس (عكا) وهي مدينة صالحة فيها كثير من الاديرة الممتازة . »

١) اي الرسمية المختصة بالحكومة

أوَ ليس لذيذاً توزيع هذه الشهادات الاخلاقيـة ؟ بقي ان نعرف الى اي حدّ يمكن ان نعتبر هذه الاحكام مترفعة عن التحامل، واية ظروف دفعت اليها.

منذ القرن الرابع كان الفيلسوف جونيوس قد اظهر لنا سكان فنيقية في سمة من العيش واندفاع الى الملاهي. وها اننا نراهم بعد قرنين، وقد زادت مواردهم بسبب الصناعة الحريرية الحديثة في بلادهم، يزدحمون في مدنهم التجارية الغنية، فلا يصرفون الا الوقت الكافي لترميم منازلهم المخرّبة بالزلزال ولدفن موتاهم المديدين، ثم يعودون الى ما إعتادوه من حياة الترف واللهو. وهناك ملاحظة اخرى في ما خصّ الصفة التي يضيفها السائح البليزنسي الى بيروت قائلاً «انها مدينة فائقة الجمال» تدفعنا الى السؤال: ألم تؤثر هذه الصفة في من اتى بعده وتكلم عن بيروت؟ هذا وان السائح المذكور لا يعطي غير مدينتنا تلك الصفة. حتى ان الاسكندرية لا تتجاوز في نظره نعت «الجميلة».

في القرن الثالث عشر كتب جان دي ويرزبورغ (Wirzburg) الالماني عن بيروت فسماها «الوافرة الغنى»، دون ان يطلع على ما كتبه السائح الاول. وكذلك فعل مواطنه جان بولوز (Poloner) في القرن الخامس عشر اذ دعا بيروت «المدينة القديمة الشريفة» وهو نعت لائق بالمدينة التي اقام تجاهها ذاك الالماني ثمانية ايام لا يتمكن من الدنوّ اليها. وذلك ان العواصف كانت قويّة وهياج البحر شديداً، فصرف المركب اسبوعاً بكامله في خليج مار جرجس، عند مصب نهر بيروت، وهو مضطرب ابداً بين الحياة والموت.

وعندما زار لامرتين، لاول مرة، قمة مار ديمتري في الاشرفية المطلة على بيروت، وشاهد ذاك المشهد البديع المتدرّج على قدميه، لم يتمالك ان صاح: «لم يعطِ الله الانسان ان يحلم بكل الجمال الذي صنعه. كنت احلم بمشاهدة جنة عدن، ويمكنني القول انني شاهدتها.» وهاكم ما يقوله ماكسيم دي كامب (du Camp) وقد نزل بيروت في ١٩ تموز ١٨٥٠ مرافقاً فلوبير، قال[1]: «ان كونشا دورو[2] لحسنة في بالرمة؛ وان خليج نابولي لجميل؛ اما بيروت فلا مثيل لها. لا المدينة نفسها ... بل البرية التي تحيقها، غابة الصنوبر، الطرقات التي

١) Souvenirs Littéraires, I, 494 ٢) اسم خليج بالرمة عاصمة صقلية

تحيط بها اغراس الصبار ، منظر البحر المتوسط ، مشهد قمم لبنان الشجراء وقد رسمت على اديم السماء خيوطها الدقيقة الواضحة. هي عزلة نافعة ورياضة روحية لمن رغبوا في التأملات ، او خدعتهم الآمال ، او جرحهم الوجود . يظهر لي ان الناس يمكنهم هناك ان يعيشوا سعداء اذا ما اكتفوا بالنظر الى الجبال والى البحر . وكم من مرّة ، في ساعاتي المؤلمة ، شعرت بحلم يدفعني الى ان التجئ هناك فادخل تلك الطمأنينة التي توليها مشاهدة الطبيعة.»

على ان سيّاحنا الاقدمين كانوا اوفر ايجازاً من الوصّاف المعاصرين ، ولم يكونوا ليقلّوا عنهم تأثيراً . بل كانوا بكلمة ملوّنة او بتعبير تصويري يوردون ما أثّر فيهم المشهد الاجتماعي او المنظر الطبيعي . وقد ذكروا قبل المعاصرين ذاك « النور المشعّ الذي يتدفّق من سماء سورية.» واني ارى ان قراءة تلك النصوص القديمة لمن افضل المشجّعات . وذلك ان اولئك الكتاب المتواضعين ، حتى اننا نجهل اكثر اسمائهم ، تجرّدوا في كتاباتهم عن كل غاية . فهم لم يفكروا بقرائهم من السوريين ، ولم يرموا الى الخلود ، ولم يفتّشوا عن احداث التأثير ؛ بل كتبوا ما عرض لهم اذ عرفوا البلاد الشرقية . فكان العامل الوحيد اذاً ما في هذه البلاد من حيوية ظاهرة في الشعب وفي الارض.

هذه هي النتيجة التي يمكن استخراجها من انتقادات السائح البليزني وامثاله . فانها تظهر الشعب السوري على جانب عظيم من الصبر والمرونة . فهو لا ينوء تحت النوائب مهما عظمت ، بل على العكس فانها توقظ حيويّته وتدفعه الى العمل . نرى ذلك في تأثير الزلازل الهائلة المتتالية على عهد يوستنيانوس (٥٢٧–٥٦٥) والتي نزلت بسورية زمن كان السوريون يتابعون فتحهم الاقتصادي في بلاد غالية ، فيحتلّون السوق التجارية ، ويرقون عرش مار بطرس في رومة وكرسي اسقفية باريس[1] . فلم توهن قواهم ، ولم تثلم عزائمهم . بل كان ترف ارباب التجارة والصناعة في صور وصيداء ومظاهر ملاهيهم الفخمة تشكك زوّار الاراضي المقدسة من اتقياء الغرب.

وكان هؤلاء يأتون من مقاطعاتهم التي خربتها الاكتساحات البربرية ، فتفاجئهم

١) راجع المشرق (٢٩ [١٩٣١] : ٢٤٧ و٤٣٩)

مظاهر الرخاء المنتشرة في جميع انحاء سورية ، فيخالون انفسهم في جنة فسيحة كما كانوا يقولون (*paradisus*) . ولم يكونوا ليخصّوا هذا النعت بدمشق وحدها ، وهي جديرة به ، بل بغيرها من المناطق ايضاً حتى اليهودية وهي اقل المقاطعات خصباً وخيرات . فكانوا يشيرون في كل مكان الى النخيل الكثير ، وغابات الزيتون ، والكروم المنتشرة . ولا عجب فان الاتراك لم يكونوا قد مرّوا بعد في هذه البلاد . ثم يشير الزوّار الى غزارة الينابيع السخنة والمعدنية في وادي الاردنّ وفي ضواحي طبرية ، ذاكرين كثرة روّاد هذه الاماكن ، وما يتّصفون به من الاخلاق والعادات المعروفة لمتادي مدن المياه المشهورة.

***

على ان اكثر الزوّار كانت تجذبهم تذكارات تلك الارض المقدسة فوق ما كانت تفعل بهم مناظرها الخارجية. فكانوا يخالونها متحفاً واسعاً لا يزال يحتفظ على جميع الآثار الوارد ذكرها في الاناجيل وفي العهد العتيق ، تاركاً اياها في امكنتها الخاصة منذ عهد المسيح بل منذ عهد الآباء الاقدمين. فكانوا يرغبون في مشاهدة كل شيء . وكانت حرارة ايمانهم وقوة تقواهم تتجاوزان الحدود احياناً . حتى ان احدهم ، بينا كان يقبل خشبة الصليب المقدّس في اورشليم ، اغرز فيها انيابه فاستخرج منها قطعةً كبيرة . وكثير غيره كانوا لا يطمئنون الا اذا حملوا معهم التذكارات العديدة من النخيل ، والبلسم النابت في اريحا ، والزيوت ، والمياه المقدّسة . وكانوا يدلّون بعضهم بعضاً على العلّيقة الملتهبة في برية سيناء ؛ وعلى القاعدة التي نُصب عليها العجل الذهبي ؛ وعلى معجن الارملة التي عجنت به للنبي الياس في صرفند ؛ وعلى اجاجين الماء المحوّل خمراً في قانا الجليل ؛ وعلى الكتاب الذي ارسله المسيح الى الملك الابجر في الرها ؛ وفي الناصرة كانوا يطلبون مشاهدة الكتاب الابتدائي الذي تعلم فيه الطفل يسوع الحروف الابجدية ، وكذلك كانوا يرون جسراً كان المسيح يجلس عليه . وهو جسر ثقيل « كان النصارى يرفعونه بسهولة . اما اليهود فلم يكونوا ليتمكنوا من تحريكه . » [1] وكان كل زائر لفلسطين يرجم قبر الجبّار جليات « حتى

(١ Itin. hierosol. 161

اصبح من المستحيل رؤية حجر واحد على دائرة عشرين ميلاً.» وناهيك بكثرة الحجارة في فلسطين !

وانه لمن السهل ان نعدّد هذه الاستشهادات ، ونتفكه بتقدير قيمتها . ولكن ما الفائدة ونحن لا نكتب بحثاً في التفسير ولا درساً في الآثار القديمة وسرعة التصديق بوجودها ! على ان في رحلة الزائر البليزنسي ذكر امر لا بأس بتفكيه القرّاء بالاشارة اليه . كان في ما وراء الاردن دير للراهبات . وكان في هذا الدير حمار تنقل عليه مؤونة الجبسات ، على ان الغرابة في الحيوان الذي كان يرافق الحمار ويحرسه اذ لم يكن كلباً كما هي العادة ، بل اسد كبير هائل المنظر « *terribilis ad videndum* » . وقد أعجب به الكثيرون حتى عُرض على رفيق الزائر البليزنسي ان يشتريه « بمائة قطعة ذهبية » فرفض . وخاف غيرهم من منظره وصولته . ولما اقتربت قافلة الزائر المذكور من الدير « زأر الاسد ، فارتجفت الركائب وبالت الحمير والخيول رعباً ثم وقعت على الارض خاشعة . »

هذا وليس من الحقّ ان نضع تبعة التصديق السريع وسذاجة الاحكام على الزوّار اجمعين . فان منهم من اظهروا مقدرة على النقد كافية ، ولنا بملاحظات الزائرة سيلفية شواهد كافية . واكثرهم بل كلهم ، حتى الجماهير ، كانوا يطلبون المشاهدة ولا يصدّقون الا اذا رأوا دقائق الاشياء . ولكن من الحقّ ايضاً ان اهل البلاد أروهم كل شيء في محله حتى تجاوزوا حدود التقليد بل حدود المعقول احياناً . وليس من السهل ان يوقف الانسان هذا التيار الشعبي الذي يدفع بالغرباء من جهة الى الاطلاع على كل الآثار ، ومن جهة اخرى يدفع باهل البلاد الى اطلاع زوّارهم على كل ما يرغبون . ونحن اذا تحققنا في الاوّلين شيئاً من زيادة الثقة وسرعة التصديق ، فلا يمكننا ان نرى في الآخرين رغبة في الغشّ او ميلاً الى الخداع . لا هذا وذاك . بل هناك عقلية خاصة ترى من واجب الضيافة الشرقية ان لا تترك الزائر تحت تأثير سيّئ . فهي لا يمكنها ان لا تجعل الاجوبة موافقة لرغبة الضيف اذا ما اكثر التدقيق وعدّد الاسئلة عن هذا او ذاك من الامور القديمة . فانه ، ان يفعل ، فقد يرى اجوبة عن كل الشؤون وحلولاً لكل المشاكل . وقد تحققت الامر بنفسي مئات من المرات اثناء

وحلاتي في سورية . واكاد لا اتمالك الآن عن ذكر اسماء السيّاح الانكليز والاميركان واسماء الزائرين البروتستانت من الذين توصلوا باسئلتهم الدقيقة المتتابعة وباستنطاقاتهم الغريبة ، الى ان استخرجوا من ارض فلسطين تقاليد جديدة وتذكارات مقدّسة لم يعرفها احد قبل مرورهم . وليس من النادر في مثل هذه المواقف ان يسرع الترجمان الى معونة الرجل المسؤول فيرتّب الجواب حسب رغبة السائح السائل او الزائر الراغب في ان يرى الامر الفلاني في المكان الفلاني ، فيكون له ما شاء . وهذا امر يطول شرحه ، ويكون من افكه الابحاث ان نكتب فصلًا برمته عن الطريقة التي يشترك فيها السائح والمقيم في الشرق ، دون ان يقصدا بل دون ان يشعرا ، فيتفقان على اختراع التقاليد والمعلومات الجديدة . كما انه من المفكه ايضاً ان نذكر تأثير المترجمين في كل هذه الاختراعات ، وان عن غير قصد منهم . واني في كلامي من الشرقيين اقصد خصوصاً سكان الداخلية ، ولاسيما سكان المناطق الغنية بالآثار التاريخية . واهم ما يشغل فكرهم ان يُحدثوا التأثير الحسن في عقلية الزائر الغريب ولا يهتمهم ان يدفعوه الى الوهم والخطأ فيغلط ويغلط من يأتي بعده من العلماء .

يلحّ عليك العطش ، في مسيرك بين الجبال والاودية الشرقية ، فتطلب من تصادفه فتسأله : هل في المنطقة ماء ؟ فيكون الجواب دائماً بالايجاب . حتى اذا سألت عن المسافة قيل : « شربة سيكارة او سيكارتين » فتمشي ، وتمشي ، وقد لا تجد الينبوع ، وقد تجده على مسافة عشرين كيلومترًا . واي اهمية لهذا الامر في جنب الطمأنينة التي انالك اياها من صادفته . واذا اتاح لك الحظ والتقيت به ثانية فجرّبت ان تدفعه الى الندم ، فانه يجيبك دون تردّد : « أوَ يكون عطشك اخفّ وطأة مما كان عليه لو عرفت الحقيقة ؟ » هذه الطقليسة الخاصة وهذا الاتساع المجاوز الحدّ في مدلول الضيافة وشروطها عملا دون شكّ على زيادة الآثار القديمة وعلى مضاعفة التقاليد المقدسة في فلسطين . وليس من العبث ان يسكن الانسان بلدًا مشهورًا غنيًا بالحوادث التاريخية . ومن اغرب هذه المظاهر ان الصليبيين انفسهم ، بعد ان اقاموا مدة في هذه البلاد ، تحوّلوا الى شرقيين فزادوا في اختراعات من تقدّمهم آثارًا قديمة ومنازل مقدسة في جميع

اتجاه فلسطين ، وزادوا بذلك مهمة الطلاء صعوبةً وعناء . هذا هو البراب الشرقي بعينه وهو امر على الطلاء المدققين ان يتنبهوا له قبل كل شيء اذا ما ارادوا تمحيص الحوادث الجارية تحت سماء الشرق المشتة البراقة !

***

بقي علينا ان نلقي نظرة على مظهر من مظاهر الشرق المهمة الا وهو مظهر الايمان المسيحي والوطنية الحقة الماثل ضمن اطار الحماية الفرنسوية . فاننا يمكن ان نميز فيه اربعة عصور مهمة : عصر شارلمان ، وعصر الصليبيين وعصر الامتيازات الاجنبية ، ثم عصر ازدهار الارساليات الدينية والعلمية والاخلاقية الموافق عصر تقدم المشاريع الاقتصادية في القرن الماضي . وفي هذا العصر الاخير انفقت فرنسة دون حساب من كنوز قلبها وجيبها ؛ وانه ليكفينا ان نذكر حملة سنة ١٨٦٠ ، واقرار القواعد لامتيازات لبنان التي كانت خير مقدمة لاستقلاله .

هذا في العهد القريب . اما في الزمن البعيد فان تدخلات شارلمان وما أدّت اليه من نتائج ادارية وسياسية لم تظهر بعد بالوضوح الكافي . والعجيب في ذلك ان جميع المصادر الشرقية تمسكت سكوتاً تاماً عن هذه العلاقات . ولا يخفى انه لم ينتج عن هذه العلاقات شبه سيادة لشرلمان على الاراضي المقدسة ، ولا تنازلت له الخلافة عن الهياكل الفلسطينية . فان الامبراطورية العربية كانت اذ ذاك في ابان سطوتها تظهر سامية المجد بشخص هارون الرشيد ، ذاك الخليفة المكتنف بالابهة والعظمة الذي خلّدت ذكراه العجيبة في بلاد الغرب روايات « الف ليلة وليلة » . فلم يكن من المنتظر اذاً ان سياسة العرب القومية المتعصبة اذ ذاك تقبل بالتنازل ولو عن قطعة صغيرة من املاكها ، ولو عن جزء ضئيل من سلطتها لتحلّ محله سلطة اجنبية . على ان سياسة شارلمان الجلودة المرنة لم تتثن ولم تتراجع حتى نالت الاذن ببناء الكنائس والاديرة والملاجئ وبانشاء الاملاك والاوقاف اللازمة لاعالتها . ثم كان لشارلمان الحقّ بان يهتمّ بشؤون نصارى فلسطين ، وبان يرسل اليهم الاعانات . ولهذا فاننا نرى موظفين مخصوصين يهتمون بترتيب هذه الاعانات وتنظيم ارسالها . بينما كانت الحكومة

تفرض في بلاد خالية رسوماً خاصة لمونة الاراضي المقدسة . منذ ذاك الحين اخذت العلاقات بين بطاركة اورشليم وملوك الكارولنجيين تتمدد وتنتظم . وان من يعرف اية مراقبة شديدة كان يفرضها العباسيون على مراسلات الاساقفة الخارجية ، حتى انهم سجنوا احياناً بعض البطاركة لانهم كتبوا الى ملوك النصارى دون ان يطلعوا ادارة المراقبة على رسائلهم ، ان من يعرف هذا الامر لا يتردد في الحكم ان الخلفاء اقرّوا ، ضمنياً على الاقل ، هذه الحماية الغربية . وهذه هي الامتيازات نفسها ، مع شيء من التوسع في بعضها او من التضييق في بعضها الآخر ، التي نالها في ما بعد ، من اجل نصارى الشرق ، ملوك الفالوا والبوربون في القرنين السادس عشر والسابع عشر .

ان عزيمة الامبراطور الكبير وغيرته الحبية المثمرة عملتا على حفظ كيان المسيحيين في فلسطين . على ان ذلك لم يكن ليحدث لو لم يُهيأ الرأي العام من مدة طويلة حتى أثّر بدوره في السياسة الكارولنجية .

اما هذه التهيئة الطويلة البطيئة فكانت عمل الزوار والسيّاح الذين تكلمنا عنهم . لقد فهموا بشعورهم المسيحي ، اثناء اقامتهم في الشرق ، ما سيفرضه المستقبل ، وما ستكون واجبات بلادهم تجاه تلك الاراضي المقدسة . فعملوا على تعزيز العلاقات والمفاوضات الرسمية وجمعوا بين مصير سورية ومصير فرنسة . حتى نتج عن هذا العمل الثقل المتمهّل ان دُفع شارلمان الى التدخل سلمياً بشأن نصارى الشرق . فكان تدخله اول مرحلة لبعثة فرنسة التاريخية في سورية ، تلك البعثة التي تتابعت مراحلها في ما بعد . ومما يدلّ على اهميتها ان خيال الشعب الفرنسوي وخيال شعرائه في القرون الوسطى تضافرا على تجميل هذا العمل واحياء ذكراه ، فاقاما من الامبراطور زائراً تقياً ، ثم رفعاه الى مقام فاتح الاراضي المقدسة .

المصريون في لبنان وسورية

قبل مائة سنة

معلومات وملاحظات

بقلم ابراهيم بك ابو سمرا غانم

٣ (تتمة)

ثورة اللبنانيين (تابع)

لقد انتظر الثائرون على غير جدوى رجوع الامير امين اليهم حاملاً البشرى باجابة رغائبهم . ولكن من اين للامير امين ولابيه الامير بشير ان يحققا طلبات اللبنانيين وقد تجافى ابرهيم باشا عن قبول رأيهما مهما كان سديداً . فقد حينئذٍ زعماء الثورة اجتماعاً تداولوا فيه في ما يصلح عملهم فقر رأيهم على قطع الطرق على العساكر المصرية منعاً لها من دخول الجبل . فاختاروا توجيه الامير محمود سلمان الشهابي الى جهة صيدا ، والامير علي منصور اللمعي الى جهة البقاع ، والامير فارس والامير يوسف الشهابيين الى جهة الخازمية ، وابي سمرا الى جهة طرابلس .

واليكم ملخص تلك الحوادث كما وصفها الشيخ طنوس الشدياق في كتابه « اخبار الاعيان في جبل لبنان » :

وفي اليوم الثالث بعد اجتماع رأيهم على قطع الطرق عن العساكر المصرية ، توجه الامير محمود الى جهة صيدا ومعه احمد داغر وبعض انفار . وتوجه الامير علي منصور الى المتن ليجمع رجالاً من هنالك ويسير بهم الى البقاع . وتوجه ابو سمرا الى جهة طرابلس بمائة نفر ابقاهم محافظين في انطلياس ونهر الكلب وجونية . ولما وصل الى غزير تبعه من المشايخ الحبيشية يوسف حمزة وبطرس وحنا ابنا واكد . ثم نهض الى الفتوح بانفار ، فتبعه من المشايخ الدحادحة زعيتر

راشد وجماعته . ثم نهض الى جرد كسروان فغزا اربعة افراس من خيل الامير عبد الله . ثم نهض الى جبة المنيطرة فتبعه المشايخ الحلادية بمائتي نفر من جماعتهم المتاولة ، فانحدر بهم الى جبيل وجمع رجالاً من تلك البلاد ووضع انفاراً في جبيل . ثم نهض الى البترون فلحقه من المشايخ الخوازنة شمس صفا وعساف البدوي ، ومن المشايخ بني صالح خطار قيس ، ومن المشايخ الدحادحة خطار حنا . فوضع في البترون انفاراً ونهض الى اميون ثم الى جبة بشري فارسل اولئك المشايخ الى زغرتا .

ولما بلغ والي طرابلس قدومه ارسل اليه اربعة آلاف عسكري نظامي بمدافع . فالتقاهم وانتشب الحرب بين الفريقين فانكسر ابو سمرا الى ايمال ، وقتل من جماعته سبعة انفار ومن العسكر المصري نحو عشرين نفراً . وعاد العسكر الى طرابلس . وفي اليوم الثالث قصده عسكر طرابلس الى ايمال فالتقاهم بين همه ، فشنّ الغارة عليهم فانكسروا الى طرابلس ، فاعمل اللبنانيون في اقفيتهم السلاح (وظلوا يطاردونهم حتى دخلوا بوابة التبانه) واخذوا منهم مدفعاً بعد ان قتلوا منهم خمسين نفراً وقتل من اللبنانيين نحو عشرين .

ثم سار ابو سمرا الى الضنية فاستقبله المشايخ بنو رعد . وفي الحال جمعوا رجالهم ونهضوا على متسلم الدولة المصرية وقتلوه ، واستلموا مقاطعتهم . فبلغ والي طرابلس ذلك ، فارسل عسكراً لمحاربتهم ، فالتقوه الى قرية سجفه وانتشب الحرب بينهم فانكسر العسكر المصري الى قرية مرياطا وقتل منهم جماعة . ومن الغد رجع اليهم العسكر المذكور ، فانكسروا وتبددوا وقتل منهم ثلاثون نفراً وأسر عشرة رجال . ثم توجه ابو سمرا بالمتاولة الى وادي موسى ، وهناك اجتمع اليه نحو مائة وخمسين نفراً . وقصد متسلم عكار وقتله ونهبه واخذ منه اربعة من خيله وحاصر جماعة من قرية الريحانية على شاطي البارد ثم انهزموا ، فنهب ابو سمرا تلك القرية وانطلق الى جرد عكار . وانفضت جماعته عنه ثم توجه الى مزيارة فاختبأ . وفي تلك الاثناء ارسل متسلم بيروت باخرتين الى اسكلة جونية لالقاء الرعب في قلوب الكسروانيين وسلب ما فيها من الغلال ، ان امكن . فلما علم بذلك سكان كسروان اسرعوا الى جونيه ،

وصدوا المصريين عن اتمام ما قصدوا ، والجأوهم الى الرجوع فارغي الايدي الى المراكب وقد اطلق المصريون المدافع على الثائرين فلم يُصَب باذاها احد . غير انها عطلت بعض القوارب ، وسلبوا سفينة كانت في البحر وعادوا الى بيروت .

وفي غضون ذلك قدم عثمان باشا المصري الى بعلبك بثمانية آلاف جندي . فنهض رجال ثورة المتن مع الامير منصور ابو اللمع من المريجات الى السهل ، وجرت هنالك موقعة هائلة . فانكسر الامير بعسكره لقلته ، وقتل من المتنيين مائة وثمانية عشر رجلاً .

اما اللبنانيون الذين توجهوا الى نهر الاولي فقد حاربهم عباس باشا بجيش وافر العدد . وبعد معركة دامية تشتت اللبنانيون ، وعاد اهالي دير القمر الى بلدتهم . فصفح عنهم الامير بشير ، كيف لا وهم رجاله واخصاؤه واعوانه عند الملمات . فاخلدوا الى السكينة .

واما رجال ثورة سنّ الفيل فقد طاردهم الارناؤوط وهزموهم . ثم مشوا الى قتال رجال ثورة حمانا الذين كان يقودهم الامير خنجر الحرفوش ، فادركوهم تجاه المكلس . وبعد ان ناوزوهم برهة دحروهم وشتتوهم .

لا عجب اذا دحر المصريون اللبنانيين واخمدوا ثورتهم . واما العجب كل العجب ففي فوز آبائنا في بعض المعارك مع قلة ذات يدهم وعوزهم الى المال اللازم للقيام بمثل هذه الاعمال العظيمة ، وافتقارهم الى الذخائر والاسلحة وسائر الاعتدة الحربية .

وقد تاه زعماء الثورة في كل سبسب طالبين النجاة من غضب ابراهيم باشا والامير بشير . بيد ان بعضهم وقعوا في ايدي رجال السلطة فسيقوا الى عكا ومنها الى الاسكندرية فمصر حيث اعتقلوا فيها ، ثم أبعدوا الى سنار في بلاد المغرب . وظلوا هناك الى ان خرجت الجنود المصرية من لبنان والبلاد السورية . وقد كان عدد المنفيين سبعة وخمسين رجلاً اذكر منهم الامير يوسف شهاب ، والامراء حيدر وعلي قايدبيه وعبدالله مراد وعلي فارس اللمعيين ، والمشايخ حمود وقاسم وعباس ناصيف النكديين ، ونقولا وبشاره وولده حصن وروفائيل الخازنيين ، ويوسف الشتيري وصليبي يزبك من بكفيا .

وفرّ الشيخ فرنسيس ابي نادر الخازن الى قبرص ، وفرّ اليها ايضاً الامير اسماعيل ابي اللمع . اما ابو سمرا فبعد ان اختبأ مدة في مزياره غادرها الى دير القديس انطونيوس قزحيا حيث بقي محاطاً بتكريم الرهبان وعنايتهم الى ان طلبه قائد الجيش العثماني الى جونيه كما سيجيء تفصيله .

احتلال عساكر الدولة العثمانية مع عساكر الدول المتحالفة شواطئ لبنان ، واستئناف الثورة

بعد أن ظفر ابراهيم باشا بالجيش العثماني في موقعة نزيب ، اضطربت دول اوربة وخشيت من تقدم المصريين الى الاستانة فيختل بذلك التوازن الاوربي . فعقدت انكلترة وروسية والنمسة وبروسية في مدينة لندرة ، في الخامس عشر من شهر تموز سنة ١٨٤٠ ، مؤتمراً قررت فيه مناصرة الدولة العثمانية على الحكومة المصرية ، واغتصاب ثمرة فتوحاتها وارغام محمد علي على الطاعة للسلطان . لانه لم يكن من مصلحة هذه الدول تعزيز حكومة من وراء نجاحها نجاح دولة فرنسة التي كانت تعضدها بالمال ، وتبعث اليها بالماهرين من رجالها ذوي الاختصاص لادارة شؤونها العسكرية والمالية والزراعية والعلمية والصحية . فكتبت هذه الدول الى محمد علي تُنذره بوجوب اعادة سورية الى السلطان ، فلم يذعن فسيّرت اسطولاً يقلّ جيشاً محارباً بقيادة الكومودور نابيار الانكليزي الى لبنان . فحاصر بيروت التي كان يدافع عنها سليمان باشا ثم احتلت الجيوش المتحالفة جونية في العاشر من ايلول سنة ١٨٤٠ . وكان عدد القوات العثمانية خمسة آلاف وثلاثمائة جندي يقودها والي الدردنيل السر عسكر محمد عزت باشا ، والد عزيز باشا احد ولاة بيروت من نحو اربعين سنة . وكانت القوات المصرية بحسب تعديل بعض المؤرخين ثمانين الف رجل منها خمسة عشر الفاً بقيادة سليمان باشا في بيروت ، وثلاثة آلاف في صيدا ، وخمسة الاف في طرابلس ، وعشرة في بعلبك ، والباقي في كافة الانحاء السورية .

وقد اذاع الكومودور نابيار بلاغاً على سكان سورية ولبنان أترجمه عن

كتاب « القسطنطينية ومصر » للمؤلف سيزار ڤيمركاتي (César Vimercatti) وهو :

« ان بريطانية العظمى وروسية وبروسية والنمسة المتحالفة مع الباب العالي قد عزمت على ازالة يد محمد علي الناصبة عن سورية . وغاية مهمتي هي ان احضكم على خلع هذا النير المكروه .

« ايها السوريون ، اسرعوا الى القيام بواجبكم . لقد صدر خط شريف بوشر تنفيذه في السلطنة العثمانية يكفل لجميع رعايا السلطان حياتهم واموالهم .

« وقد تعهد الباب العالي بواسطة الدول الاربع بتحسين احوالكم لكي تعيشوا في اكثر سعادة واوفر طمأنينة من قبل .

« يا اهالي لبنان الذين اراكم بأم عيني تنوؤون تحت اثقال الشقاء الذي يمكنكم تجنبه . هبوا هبة واحدة وامضوا الى الصوت الذي يعمل على جمع شملكم وعلى اعادة السلام اليكم . ستأتيكم من القسطنطينية مساعدات قريبة مع اسلحة وذخائر حربية . والمراكب المصرية لا تعود من بعد تظهر في شواطئكم لارهاقكم .

« يا جنود السلطان ! . . انتم الذين اكرهتكم الخيانة على هجر اوطانكم وساقتكم الى رمال مصر وسورية المحرقة ان الپادشاه يستحلفكم لتعودوا الى طاعته . اني اعددت بالقرب من المحجر الصحي سفينتين لقبولكم تحت الحماية الاجنبية . واذا قاومتكم عساكر الباشا فالويل لها من غضب اوربة .

« ان سلطانكم يؤكد لكم مع اليمين الصفح عن الماضي مع الوعد بدفع مرتباتكم المتأخرة . هلموا ولا تبطئوا ومن ينضوي من جديد تحت الراية العثمانية تعاد اليه مرتبته وحقوقه .

الامضاء

الكومودور الامير الاي نايار »

لم يذع هذا البلاغ في البلاد حتى اخذ الاهلون يهرعون من اعالي الجبال الى جونية لتقديم الطاعة والتسليم للدولة العثمانية . وفي المساء انيرت المرتفعات اللبنانية بانوار الفرح معلنة ابتهاج البلاد بنجاتها من نير المصريين .

وكتب عزت باشا الى ابي سمرا كتاباً يدعوه فيه اليه ، فلبى الطلب وظهر من مخبإه وجاء على رأس مئات من اللبنانيين الى جونيه ، فقابله الـر عسكر بمزيد الحفاوة والاعزاز ، وسلّمه اربعة الاف بارودة مع ذخائرها ليوزعها على رجاله ونصّبه شيخاً على كافة انحاء لبنان الشمالية ، وامره باستئناف محاربة العساكر المصرية . فسار الى عيناتا وواقع فيها المصريين ودحرهم ، وطاردهم ايضاً في اراضي البترون وجلاهم عنها .

فصل الامير بشير قاسم عمر الكبير من ولاية لبنان، وتنصيب الامير بشير قاسم ملحم مكانه

بعد ان احتلت الدول المتحالفة ارض لبنان، حار الامير بشير في امره، ولم يدرِ ماذا يفعل أيظلّ موالياً للحكومة المصرية ام يستسلم الى اعدائها؟ وبينما هو في التفكير كتب اليه الكومندان ستوفور الانكليزي يُغريه بتقديم الطاعة وبالاعتراف بولاية السر عسكر محمد عزت باشا على مصر وسورية، وبالتسليم للباب العالي مع الوعد ببقاء ولاية الجبل له كما كانت في السابق. وضرب له موعداً لذلك ثمانية ايام. ولما كان الامراء ابناء الامير واحفاده يحاربون في صفوف العساكر المصرية في انحاء متفرقة لم يكن له متسع من الوقت ليعلمهم بالامر، فابطأ في الجواب على دعوة القومندان ستوفور. فاصدر السر عسكر في نهاية المهلة المعطاة للامير امراً بخلعه من ولاية الجبل وبتولية الامير بشير قاسم ملحم مكانه. حينئذ اضطر الامير الكبير الى التسليم للانكليز، فترك بتدين بعد ان عهد الى المشايخ آل حماده في بعقلين، وكانوا من اخص رجاله، بحراسة سرايه ودوره فيها، وجاء صيدا ومنها نقلوه الى بيروت حيث انتظر مجيء اولاده واحفاده. ومنها نقله مركب انكليزي مع كافة افراد عائلته الى مالطه، ولذا دُعي بالمالطي تمييزاً له من سواه من الامراء الذين يحملون اسم بشير. ثم انتقل منها الى بروسه فالاستانة حيث عاش الى سنة ١٨٥٠، ودفن في كنيسة الارمن الكاثوليك.

والامير بشير الكبير تولى الامر في لبنان نيفاً واثنتين وخمسين سنة ملأها من جليل الاعمال وغرّ المآثر ما يخلد ذكره مدى الاجيال، ويا حبذا فكرة الذين قرروا نقل رفاته الى الوطن وجعل قصر بتدين متحفاً تجمع فيه آثاره وتزينه مفاخره. وان ذكرت البلاد نوابغ امرائها كان الامراء فخر الدين المعني ويوسف وبشير الشهابيين اعلامهم قدراً واعظمهم شأناً.

عاقبة قتال اللبنانيين للمصريين ومطاردتهم الى غزة

ولما تولى الامير بشير ملحم الامارة انضمّ اليه معظم الثائرين وواقعوا المصريين في امكنة كثيرة ، فكان النصر تارة في جانب الثوار وطوراً في جانب المصريين . وكان كثير من اللبنانيين كاولاد الامير بشير واحفاده ، اخصّ منهم بالذكر الامراء خليل ومجيد ومسعود وغيرهم من الامراء الشهابيين واللمعيين والمشايخ من ذوي الاقطاع يناصرون المصريين على الثوار . وقد انشطر الخازنيون الى فئتين : الواحدة وعلى رأسها الشيخ كنعان بان ، والد الشيخين صليبي ورشيد والذي كان متولياً مقاطعات الخازنيين الثلاث ، ظلّت موالية للحكومة المصرية ؛ والثانية وعلى رأسها الشيخ فرنسيس ابي نادر كانت مناوئة لها . ولما جرت المعركة الاخيرة بين الثوار والمصريين في جرد كسروان ، ودّع ابراهيم باشا صديقه الشيخ كنعان بان وداعاً مؤثراً ، وانعم عليه بمال جزيل ، ووهبه صندوقة من خشب الابنوس مصفحة بالحديد البديع الصنعة مع عدة من السلاح الثمين ، ولم يزل حفيده الشيخ بان صليبي الخازن محتفظاً بها كأثر نفيس .

وممن بقي على ولاء المصريين المشايخ آل جميّل . ولما غضب ابراهيم باشا على المتنيين وامر بتدمير قراهم ، فبعد ان حُرقت بيت شباب جاءه الشيخان حردان الجميل وفياض عاوان الى المروج حيث كان وقتئذٍ ، وشفعا لديه بقريتهما بكفيا ، فعفا عنها وصينت من الحريق والنهب .

اما الشواطئ البحرية فقد احتلّها الحلفاء على التعاقب ففتحوا قلعة جبيل في الثالث عشر من ايلول ، ثم استولوا على البترون . وفي الـ ١٧ منه دخلوا حيفا ، وفي الـ ٢٤ اخذوا صور ، وفي الـ ٢٦ وقعت صيدا في ايديهم .

وفي ١٠ تشرين الثاني جرت معركة دامية في بحرصاف . وكان يقود الجنود العثمانية والحلفاء والثوار عمر باشا النمساوي الذي جعل سنة ١٨٤١ حكمداراً على لبنان ، والجنرال سليم باشا والجنرال جوكس ؛ وكان يقود المصريين ابراهيم باشا نفسه . فانهزم الى قرنايل ومنها الى البقاع ، ولما بلغ حامية بيروت خبر انكساره وفراره استسلمت في الحادي عشر من الشهر المذكور الى الحلفاء .

اما عكا فقد اطلقوا عليها المدافع من البحر ، وبعد حصار بضعة ايام احتلها النمساويون في الثاني من تشرين الثاني. وكان على رأسهم الارشيدوق فريدريك ابن عم الامبراطور فرنسيس يوسف.

وبعد ان تاوأوا الثوار المصريين في انحاء عديدة من البقاع والاراضي السورية، ظلوا مجدين في أثرهم حتى بلغوا مدينة غزة . وهنا كانت آخر وقعة حصلت بين الفريقين المتحاربين . ثم رجع اللبنانيون الى اوطانهم . واما ابراهيم باشا فبقي متابعاً الهزيمة الى مصر تحدق بجيوشه المخاطر وتحف بها المخاوف في بلاد عقد سكانها الخناصر ، على اختلاف مذاهبهم ، على عداوته . وقد لقي من المحن والشدائد الشيء الكثير ، وفتكت الامراض والاوبئة بجنوده ، وهلك العدد الغفير منهم من نكبات الجوع والبرد والعطش ، وروى بعض المؤرخين ان عدد الضحايا البشرية من المصريين يزيد على عشرين الف رجل.

***

تُرى ما الذي جناه محمد علي من احتلال سورية ؟ لا شيء سوى فقد الرجال وضياع الاموال وخراب الديار ، واحلال الدمار محل العمار.

لقد فشل محمد علي كما فشل معظم قادة الشعوب الذين تسوّل لهم انفسهم وتزيّن لهم المطامع حبّ التوسع واكتساح المدن وتدويخ البلدان للتسيطر عليها واخضاعها، فيُغلبون على امرهم، وتخونهم الحظوظ وينكسون على اعقابهم تاركين وراءهم سلاسل من الويلات والارزاء.

واما بلادنا اللبنانية فقد جنت عليها الحملة المصرية جناية لا تغتفر . ان السياسة المصرية كانت العامل الوحيد في انقسام اللبنانيين على بعضهم ، وفي تأسيس العداوة بين الدروز والمسيحيين . اجل ان التفريق الذي اوجده بينهم ابراهيم باشا ، لما امر بجمع سلاح الدروز وبتسليح المسيحيين ليناصروه عليهم ، كان من وخيم عواقبه توالي الحروب الاهلية بين الطائفتين العزيزتين من سنة ١٨٤١ الى سنة ١٨٦٠ . ولقد أريقت دماء غزيرة ونزلت في الوطن المحبوب نكبات شديدة وبلايا عظيمة وعمّ في الربوع الجنوبية الخراب والدمار . ولكنّ الدول الاوربية وفي مقدمتها فرنسة التي ارسلت عساكرها باسم اوربة

لوضع حدّ لهذه المجازر البشرية ، عقدت اجتماعات عديدة كانت نتيجتها وضع نظام لبنان الذي لقينا بعده الراحة وفزنا بالسلام الى سنة ١٩١٤.

الآثار الحسنة التي تركتها الحملة المصرية في لبنان وسورية

يجب علينا ، قبل اختتام هذا البحث ، ان نذكر شيئاً صالحاً تركت اثره الحملة المصرية في وطننا العزيز من شأنه ان يلطف مرارة الويلات التي نزلت به ويحملنا على نسيان العداء الذي كان لآبائنا نحو المصريين.

ان ابراهيم باشا قد مهّد السبيل لاطلاق الحرية الدينية باصداره الاوامر المشدّدة بمعاملة المسيحيين كالمسلمين في كافة الحقوق والواجبات. وهو الذي اجاز لهم الارتداء بالملابس التي كان يلبسها المسلمون دون سواهم . فالمسيحيون ، ما خلا الذين يقطنون لبنان ، كان محذوراً عليهم لبس الحرير والاعتمام بالعمائم البيضاء او الخضراء او الحمراء وانتعال الاحذية التي هي من هذه الالوان وركوب الخيل والسير في الطريق الى يمين المسلم خصوصاً في المدن الداخلية البعيدة عن لبنان كحمص وحماه.

كانت البلاد يحكمها ذوو الاقطاع ، فكانوا يستبدون بالشعب كاستبداد جميع الولاة والامراء الذين كانت ارادتهم هي القانون . فابراهيم باشا غرس في امصارنا الروح الديموقراطية بتأليفه مجالس الشورى من افراد الشعب ، وبمحاربته روح الفخفخة والعظمة باعطائه المثل الصالح ، اذ كان يظهر بين الناس بمظهر البساطة في لباسه ومعيشته . وقد روى القنصل غيس الفرنساوي في تآليفه ان ابراهيم باشا لما جاء دير القمر نزل في بيتٍ صغير لا ينزل عادة في مثله من كان دونه مقاماً . وانه زار ليلةً الامير بشير زيارة غير رسمية لم يرافقه فيها سوى خادم ، فاضطر الامير ان يردّ له الزيارة منفرداً لا يرافقه احد من رجال مهمته.

وفي عهده طرح الامير بشير واولاده العمائم واستبدلوها بالطربوش المغربي ، وهو الطربوش الذي كان يلبسه محمد علي وابراهيم باشا . ولقد ظلّ اللبنانيون يلبسون الطربوش المغربي الى ان أبدل بالطربوش العزيزي اي الاستانبولي الذي صنع خصيصاً للسلطان عبد العزيز ودُعي باسمه . واما الجند اللبناني فانه لم

يترك الطريوش المغربي ليلبس العزيزي الا في اوائل حكومة واصه باشا ، وابع متصرفي جبل لبنان.

ولم يكن المسيحيون يتمتعون بالحقوق الاجتماعية والوطنيـة ، ولا يتقلدون الوظائف العالية وينالون الرتب والقاب الشرف حتى ساواهم ابراهيم باشا في ذلك بالمسلمين.

وقد تساوى المسيحي بالمسلم في كافة المعاملات والتكاليف ، وألغيت جميع الامتيازات التي كان يتمتع بهـا اقارب الولاة وذوو الاقطاع . وهـذه الحرية الدينية التي تمتعت بها بلادنا قد سهلت السبل لـلاوربيين وخصوصاً للمرسلين منهم الى دخول البلاد وانشاء المدارس في كافة الانحاء ، فكان ذلـك فاتحة عصر جديد لانتشار المدنية والتهذيب.

واما بيروت فهي مدينة للدولة المصرية اكثر من سائر المدن الساحليـة. فبعد ان كانت تابعة ايالة صيدا وعكا ، استقلت بنفسها. واعظم فائدة جنتهـا من حكومة محمد علي هي انشاء المحجر الصحي (الكورنتينا) فيها وبسببـه اكرهت السفن الماخرة في مياه هذا القسم من البحر المتوسط على القاء مراسيها في مرفأ هذه المدينة. فكان ذلك فاتحة تقدمها على ما عداها من المدن الفينيقية ، فظلت متابعة السير في طريق النجاح حتى بلغت الى المنزلة العالية . وقد لقبوها في عهد الاتراك بالدرة الغاليـة في تاج آل عثمان ، واصبحت في ظل الانتـداب الافرنسي عاصمة لبنان وبهجته الفتانة.

لقد كان جبل الامن في سوريا مختلًا قبل الحكم المصري وقـد كانت الفوضى تسود في انحائها فلم يكن يمرّ يوم دون ان يسمع النـاس عن وقوع حوادث القتل والسلب وقطع الطرق. فاصلت الحكومة المصرية اهـل الشقاوة حرباً عواناً وما زالت تناجزهم القتال حتى قطعت دابرهم . وكان الاقدمون يروون امامنا خبراً يصعب تصديقه ولكنه في كل حال يؤيد السمعة التي احرزها ابراهيم باشا في حبه للعدل وهو ان امرأة شكت اليه مرة ان احد جنوده ابتاع منها لبناً وابى ان يدفع ثمنه فامر باحضاره امامه ولما مثل بين يديه سأله عن شكوى الامرأة فانكرها. فالتفت الى الامرأة. وقال: اني سأبقر بطن هذا الجندي

فان ظهر فيه اللبن دفعت لك ثمنه وان بان كذبك قتلتك. قال هذا وامر فشق بطن الجندي فاندلعت امعاؤه وسال منها اللبن[1].

ولقد اولت الحكومة المصرية لبنان فضلا عميماً بقبولها بعض شبان في مدرسة القصر العيني الطبية على نفقتها، فعادوا الى وطنهم بعد اتمام دروسهم يخدمونه بكل اخلاص. واني لاذكر من حضرتني اسماؤهم كالدكاترة يوسف منصور مرهج لطيف، وحبيب الخوري غانم واخويه انطون وسليم، وشاكر يوسف الخوري واخيه امين، وسليم منصور الموشي، وغالب الخوري البعقليني، ويوسف بشاره الجلخ، وفارس نجيم، وابراهيم النجار.

ولما وقعت نكبة السنة الستين جاد المصريون بالمساعدات المادية اسعافاً للمرزوئين وتبرع الخديوي سعيد باشا بخمسمائة اردب من الحنطة.

ولما عرفت الحكومة المصرية مزايا اللبنانيين الحسنة فتحت لهم ابوابها على مصراعيها، فانتشروا في كافة انحاء القطر يتاجرون، يفيدون ويستفيدون بعلومهم ومعارفهم وخبرتهم، فأسسوا المجال التجارية الواسعة وانشأوا الجرائد والمجلات الخطيرة كالاهرام والمقطم والمقتطف والاخبار والهلال والبصير وسائر ملحقاتها، وزاولوا التعليم، وانتظموا في دواوين الحكومة فاحرزوا بصدقهم وجدارتهم المراتب العالية. فمهدوا السبيل لتوثيق عرى الولاء بين الشعبين المصري واللبناني.

---

١) تروى هذه القصة عن كثير من امراء الشرق . وقد ذكرها ابن بطوطة في رحلته (١ : ٢٢٧)

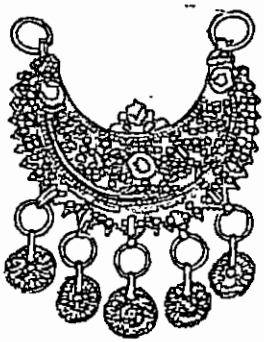

صفحة ذهبية من تاريخ لبنان

البطريرك اللبناني

الياس بطرس الحويك

بقلم الخوري منصور عوّاد عوّاد

٤

موقف البطريرك من ربه

لا أغالي اذا قلت ، وقد اختبرت بنفسي ، واختبر طويلاً غيري اناس ذوو مراتب خطيرة لا يكذبون ولا يمارون ولا يواربون ولهم الفهم السامي والعلم الوافي والفضيلة الراسخة ، ان البطريرك الياس الحويك كان اقرب الناس الى اولياء الله ، ان لم اقل انه كان من اوليائه تعالى !

فقد كان كله لله في حياته الفردية والعمومية ، كان له بكليته في طفوليته عهد كان لا يعرف الا حلتا وكنيستها ، كما كان له عهد صار بطريركاً وبلغ اوج مجده والتفّ حوله لبنان قاطبة . كان لله في سرّه وفي علنه ، في ايام راحته وفي اشد ايام متاعبه . كان لله يوم قابل السلطان عبد الحميد ، عهد كان مظفّر باشا يحاربه تحت لواء الماسونية في لبنان والاستانة ، كما كان لله يوم ازدان صدره بالمجيدي المرصّع ! كان لله يوم كان الناس يموتون جوعاً في لبنان حوله ابّان الحرب الكونية والمجاعة اللبنانية ، ويوم استدعاه جمال باشا الى عاليه لينفيه ، وساعة وقعت عينه على عين ذلك الطاغية ، كما كان له عند ما زار غر فرنسة كليمنصو في باريس ، عهد كان معقوداً فيها مؤتمر السلم ، كما كان لله يوم عاد الى لبنان حاملاً صكّ استقلاله ، وأقيم له ذلك المهرجان التاريخي الخالد !

ولو استطعنا ان نرى الملائكة ونخاطبهم لسألنا عنه ملاكه الحارس الذي ما فارقه قط منذ ابصر النور في حلتا الى ان اغمض عينيه في بكركي ، ولاجابنا

الملاك بان البطريرك اللبناني الكبير من ولادته الى وفاته كان كله لله . واذا كان قد بدر منه هفوة فلم تكن عن سوء قصد ولا عن نية ملتوية ، بل كانت برهاناً على ان الانسان مهما بلغ من الكمال يظل عرضة للانخداع والغلط ليظهر بذلك كمال الله وعصمته الوحيدة !

ولا شك في ان سر توفق الحويك في جميع اموره وسر نجاته من جميع المهمات التي ألمت به والمكائد التي كيدت له ودبرها الذين لم يخطر ببال احد انهم يكيدونها ، بل سر عظمته بل سر تميزه مع سلامة حواسه الخارجية والداخلية وقواه العقلية جميعها حتى آخر ساعة من حياته ، كان في اتحاده بالله ومحبته اياه عز وجل . وان ذلك الاتحاد وتلك المحبة قد خلعا مسحة من وقار الله ومن جلاله على عينيه وعلى وجهه تهيبه لاجلها جمال باشا ، كما كان قد تهيبه قبله « سلطان البرين وخاقان البحرين السلطان ابن السلطان السلطان عبد الحميد خان » في اعظم ايام مجده وسؤدده واستبداده ! او ليس مسحة من الله ذلك الوقار الذي كان يجتذب اليه الطفل الصغير رقة وحلاوة ودعة ويلقي المهابة والاحترام في صدر المستبد الطاغية والنمر من قواد الجحافل كجمال ، ومن قادة الساسة نظير كليمنصو ، ورب العرش الدموي كعبد الحميد ؟ !

ان سر اجتماع القلوب على محبة الحويك وعلى احترامه وعلى الثقة المطلقة به وعلى اتفاق اللبنانيين قاطبة في تقليدهم اياه الزعامة المدنية العامة للمطالبة باستقلالهم رغم ما كانوا عليه ولا يزالون من اختلاف الاديان والطوائف والمشارب والغايات لهو في محبته لله ، اذ جعلته على مثاله محباً للجميع يحبه الجميع ويهابونه ويتكلون عليه ولا يرتابون بصدقه واخلاصه !

أجل ان من كان يملك الله فهو مالك كل شيء مهما كان فقيراً . ومن يملك كل شيء ولا يملك الله فهو افقر الناس واحوجهم الى الشفقة !

فلننظر كيف كان الحويك كله لله في حياته الفردية ثم العمومية .

موقف الحويك من ربه في حياته الفردية

في بكركي ، بين السادة الاساقفة ، شخص رافق الحويك من ساعة انتخابه بطريركاً على كرسي بطرس الانطاكي الى ساعة أودع في اللحد امانةً ليوم القيامة ! ذلك الشخص هو شاهد عيان لحياة الحويك اليومية في اثنين وثلاثين عاماً . هو المطران عبدالله خوري . فهلم نسأله كيف كان يقضي البطريرك يومه في ايام المهرجانات العظيمة ، يوم كان يستعد لمواجهة الحبر الاعظم ، او لمقابلة السلطان ، او للوقوف بين يدي عظيم من عظماء الارض ، او للبحث مع دهاقنة السياسة وكبار رجالها في الامور الخطيرة التي يتوقف عليها مستقبل طائفته وبلاده . أكان يختلف عنه يوم كانت المجاعة في لبنان تحصد ابناءه بعشرات المئات يومياً ، الى يوم كان الهدوء والسكينة يرفّان فوق بكركي وفوق الديمان ؟!

للبطريرك الحويك تجاه ربه في كل بطريركيته يوم واحد وموقف واحد لم يتغيّر في حلٍ ولا في ترحال ، الّا عند ما كان يزعجه الداء . فكان للبطريرك في مرضه يوم آخر من ايامه امام ربه له شكله الخاص لا يختلف عنه في داء وداء !

كان ينهض من رقاده باكراً ويتحمّم بالماء البارد وينصرف الى صلواته رافعاً عقله وقلبه الى الله ، مخصّصاً نهاره كله لله ، مبتدئاً بصلاة الفرض الالهي يتلوها بعبادة وخشوع وتأنٍ : كما تلاها في اليوم الاول لكهنوته تحسبه وهو يتلو فرضه يخاطب ملكاً ماثلاً امامه بكل جلال الملك وسلطانه . ولا غرو فقد كان ايمانه بالله حياً عظيماً ، وكان يعلم انه في حضرة ملك الملوك ورب الارباب وسيّد السادات . فلا ينتهي من صلاته الفرضية حتى ينصرف الى الصلوات العقلية صارفاً فيها ساعة كاملة . ثم يعود الى صلواته اللفظية في كتاب صغير كان رفيق البطريرك منذ صباه في مدرسة مار يوحنا مارون في كفرحي ، وفي غزير ، ورومية ، وفي الكرسي البطريركي عهد كان كاتم اسرار وفي عهد

الإستقية ، وقد لازم البطريرك حتى آخر يوم من ايام حياته. على اوراق ذلك الكتيب السعيد الحظ آثار من يدي الحويك تنبئ الناظر اليها الى قدم عهدها به ومن الكتيب تنبعث رائحة قداسة الحويك !

كان يظل البطريرك في صلوات الصباح حتى الساعة الثامنة . ثم يفتح بابه لحاشيته ويبتدئ بالقداس الالهي في معبده الخصوصي.

كل من حضر الذبيحة الالهية يتلوها البطريرك الحويك لم يرَ فرقاً بينه وبين ما نقرأه في هذا المعنى عن القديسين فيلبوس النيري وفرنسوا دي سالس او عن البابا بيوس العاشر . فآخر قداس اقامه بذاته في بكركي ، قبل ان يغادر هذه الفانية كان كقداسه الاول الذي اقامه في رومية بين مدامع التعزية والفرح والحب الالهي ! كان في القداس يحافظ على كل الحرمات الطقسية،اذا جثا تطرق ركبتاه الارض فيُسمع لها دويٌّ مؤثر ، وكان الركوع يزعجه جداً بهذا الشكل لانه كان بديناً ، ومع ذلك فما كان يغيّر من هذه الحركة ولا يختصرها. وكان اذا لدب صدره تخاله بطرس الرسول عند صياح الديك ! واذا رفع عينيه الى السماء تحسب موسى كليم الله عندما كان باسطاً ذراعيه يصلي لاجل انتصار شعب الله في حرب عماليق[1] وكم كان يزعجه الجثو الى الارض في شيخوخته غير انه ما غيّر عادته ولا حاد عنها قيد شعرة !

وعندما كان ينظر الى الذبيحة على مذبح الرب كان الناظر اليه يظنه في علية صهيون ليلة العشاء السرّي يشاهد الرب يسوع وجهاً لوجه ! ومتى صمت كان يطول صمته هيبةً واحتراماً لابن الله المحتجب امامه تحت اعراض الخبز والخمر. الا ان من كان ولا يزال محتجباً عنا لم يكن محتجباً عن البطريرك الحويك ، لان عين ايمانه الحي كانت تشق حجاب السرّ الالهي وتلج الى مخدع اللاهوت والناسوت في سعادة الخلود فترى الرب يسوع كما يشاهده السعداء في النعيم الخالد !

هكذا كانت تقول حركات البطريرك اللبناني ولحظاته واشاراته وسكوته على المذبح !

---

١) الخروج ١٧: ١١ و١٢

وعندما كان ينتهي من الذبيحة الالهية كان يجثو امام القربان فيتلو صلوات الشكر اللفظية المألوفة في الطقس المارونى ثم يغوص في بحر المحبة الالهية شاكراً، حامداً، متأملاً، طالباً، واعداً. فيصرف ساعة لا يتحرك يمنةً ولا يسرةً كأنه تمثال وقبل ان ينهض يتلفت في الهيكل ليرى ما اذا كان هنالك احد حتى اذا أمن الرقباء انطرح على الارض مكباً على وجهه يقبل الحضيض كأنه يردد مع المرتل: «ما احب مساكنك يا رب القوات. تشتاق وتذوب نفسي الى ديار الرب ويرتم قلبي وجسمي للاله الحي. العصفور وجد لـه مأوى واليمامة عشاً تضع فيه افراخها. من لي بمذابحك يا رب الجنود ملكي والهي... ان يوماً في ديارك خيرٌ لي من الف[1]»

وعندما ينهض ولا يرى احداً يراقبه بل يخلو في المعبد وحده يطوف على جدران المعبد يقبل صور العذراء والقديسين المعلقة عليه صورةً صورةً واقفاً امام كل صورة دقيقةً يتلو فيها بعض الصلوات اللفظية، فكان في ذلك يعيد عهد سذاجته وطفوليته عندما كان يختلف في حلتا الى الكنيسة سراً عن والديه وهنالك يجثو ويصلي ويقبل اولياء الله نفوسهم ويخاطبهم كأنهم احياء امامه. ولا عجب اذا كان داوم على تلك الخطة فالشاب على طرقه وانه شاب لا يحيد عنها: فسذاجة الحويك في طفوليته في حلتا رافقته في جميع ادوار حياته الغنية بالحوادث والسنين حتى آخر نفس من انفاسه على هذه الارض كالشمس ما عابها انها منذ خُلق النير الاكبر الى اليوم لم تتغير بل كان في هذا كمالها.

ان موقف الحويك البطريرك الكبير من ربه في طفوليته كان ساذجاً بسذاجة الطفولية غير ان سذاجته في سائر ايام حياته ولاسيما في عهد بطريركيته كانت سذاجة الحكمة الالهية والقداسة اذ كان قد ادرك، منذ بلغ رشده، كلام السيد المسيح القائل: «ان لم ترجعوا وتصيروا مثل (هؤلاء الصغار) فلن تدخلوا ملكوت السماوات»[2] فحافظ على طفوليته الى نهاية شيخوخته في

---

١) مزمور ٨٣

٢) متى ١٨: ٣

جميع مظاهرها الجميلة البارّة محافظةً على تعليم السيد المسيح ،فكان شيخاً في صباه بعقله وقلبه ، وكان طفلاً في شيخوخته بسذاجته وبراءته .

يخرج البطريرك اللبناني من معبده، فيتناول طعام الصباح ، فيأكل جيداً مصلياً قبل الاكل وبعده . ثم ينصرف الى اشغال البطريركية بكل هدوء وطمأنينة ناظراً الى الله في كل ما يعمله فيخاله جليسه او زائره لوقاره ورزانته كأنه لا يزال في الكنيسة ، يتحدث عن كل شيء ويروي لزائريه النكات والفكاهات التاريخية لا يعرف الهزل ، ولا تخرج من فيه كلمة تمسّ القريب او تخدش الآداب او تجرح فضيلة من الفضائل فكان انموذجاً حياً للكمال المسيحي . فكأنه كان لا يزال يتذكر في كل كلمة يقولها كلمته في نشيد « المجد لله في العلا وعلى الارض السلام » الذي تلاه في الذبيحة الالهية اثناء القداس وهي تلك الآية الالهية: «اقم يارب حافظاً لفمي وحارساً لشفتاي» ولقد استجابه الله فما نطق فمه بكلمة يؤاخذ عليها امام الله او امام الناس !

كان يتناول طعام الظهر مع حاشيته البطريركية وزائريه أيّاً كانوا فيلازم الصمت ويأكل جيداً . وبعد الاكل يزور القربان الاقدس مع جميع جلسائه على المائدة ، ثم ينصرف معهم نصف ساعة في مجلسه ، وهو على « طراحته » التاريخية يحادث الكبير والصغير من ابناء طائفته ومن سائر ابناء الاديان والطوائف بلهجة واحدة هي السذاجة المقرونة بالوقار . ثم يختلي في غرفته فيرتاح قليلاً وينهض مجدداً الى تلاوة صلاة المساء الفرضية ثم يقرأ في الكتب الروحية فلا يفتح بابه الّا عند الساعة الرابعة فينصرف من ثمّ الى اشغال البطريركية الى ما بعد مغيب الشمس نحو الساعة السابعة فيغادر الجناح البطريركي ، ويقرع الارض بعصاه تلك القرعات التقليدية التي كان موصوفاً بها ، فلن تبلغ آذان من في الدار البطريركي حتى يترك كل واحد عمله وينهض مبادراً الى الكنيسة قائلاً لمن كان يجهل مغزى تلك النغمة : ان السيد البطريرك يدعو بعصاه الى الصلاة العمومية . وهذه علامة منه في كل عمل من الاعمال المشتركة في البطريركية .

كان يترأس بذاته الصلوات اليومية الجمهورية في الكنيسة ، ولا يترك

واحدة منها يوماً فيوماً . وبعد الصلاة والعشاء يصرف وقتاً مع حاشيته وزائريه في القاعة الصغيرة . وفي ساعة معيّنة اي نحو الساعة الثامنة والنصف ينصرف الى حجرته ويقفل مخدعه ويعود الى الصلاة والابتهال الى ساعة متأخرة من الليل .

ومما يلفت النظر ان البطريرك الحويك كان يعترف كل اسبوع مرة متخذاً له مرشداً دائماً احد الكهنة امناء اسراره يجثو بين يديه معترفاً بهفواته ، نادماً عليها ، عاملاً بارشاد مرشده

ولسائلٍ ان يسأل بماذا كان يعترف البطريرك القديس وما كانت خطاياه ؟ هذا لا يعرفه الا الله . ولكننا نعلم ان القديسين ساروا على هذه الخطة الحميدة ليس لانهم كانوا خطأة ، بل لانهم كانوا يعترفون بأصغر الهفوات وبكل ما كانوا يعتبرونه تقصيراً في واجباتهم . ومن هذا النوع كان اعتراف البطريرك الحويك . فانه كان ينظر الى واجباته في مركزه الخطير ، مدققاً في اعماله اليومية كلها ، مراجعاً اياها عملاً فعملاً ، وازناً كل عمل بميزان الحق والعدل ، محاسباً نفسه قبل ان يحاسبه ربّه على اعماله ، حتى اذا شام تقصيراً في امر بادر الى التوبة والاعتراف والقصد الصالح بعدم العودة وبالتدقيق في واجباته . تلك امثولة شريفة لكل رئيس روحي وزمني .

ومن دلائل حبه ليسوع الاله المحتجب في القربان المقدس انه ما كان يترك زيارة القربان يوماً واحداً بل كان ينفرد عند الاصيل باله المحبة ، صارفاً امامه في الهيكل الوقت الطويل في مناجاة قدسية يستمد منه العون والايد في مهام بطريركيته .

***

هذا كان شأن البطريرك اللبناني من واجباته الشخصية نحو ربه يتممها كل يوم بترتيب عجيب . ولو اننا حسبنا ايام بطريركيته كلها لما رأيناها تختلف عن بعضها بشيء ، بل لتمثّلناها يوماً واحداً فلا السياسة العظيمة ولا البلايا ولا الشدائد ولا المهرجانات ولا زيارات كبار الدين والدنيا ولا المشاكل الدينية او المدنية بدّلت من حياته او عدّلت من مسلكه وخطّته مع ربّه . ومع قيامه

الدقيق بجميع فروضه الدينية كأنه ناسك من النسّاك المتزمتين في المحابس
اكليريكي في المدرسة الاكليريكية ، ما قصّر قط بواجباته نحو البطريركية
بل كان يتمم كل شيء بدقة ونظام ووضوح ويطّلع بذاته على كل شيء
الشؤون الروحية والزمنية بهدوء ورحابة صدر .

وكان شغفاً بمطالعة اعترافات القديس اغوسطينوس ، وكتاب الاقتداء
بالمسيح . ولشديد اتكاله على الله وعلى عنايته الالهية ، ما ظهر عليه قطّ القلق
في حياته على شيء ايّاً كان ، ولا ارتبك في نزول المصائب ، بل كان الارتياح
بادياً على اساريره والطمأنينة ظاهرة في عينيه شأنه في ذلك شأن الطفل على
ذراع والديه لا يفكر في شيء ولا يخاف على نفسه من شيء لانه في آمن موضع

فلكل كاهن ، ولكل رئيس روحي ، امثولة قاسية في حياة البطريرك
العظيم . فان اقل المشاغل تشغلنا عن فروضنا الدينية وواجباتنا اليومية فنقلق
ونضطرب ونقصر في واجباتنا ؛ ونلتمس الاذن للتخلص منها كأنها عبء ثقيل
علينا . وتارة نؤجل ، وحيناً نغفل ! فمن منّا عليه من المهام ما كان على ذلك
البطريرك ؟ ومع هذا فان النسّاك في البرية ما كانوا اكثر منه تدقيقاً
المحافظة على الفروض الروحية اليومية !

ان هذا لهو النزر القليل الذي توصّل اليه اختبارنا من معرفة حياة البطريرك
الروحية الفردية ، ولا سبيل الى معرفة اكثر من ذلك بما انه كان عاملاً بقول
الانجيل :

« امّا انت فاذا صلّيت فادخل مخدعك واغلق بابك وصلّ الى ابيك
في الخفية وابوك الذي يرى في الخفية هو يجازيك »[1]

امّا الذي استقيناه من حياة البطريرك الفردية فقد اختلسناه خلسة من
مراقبته او من مراقبة الذين لازموه في جميع حياته البطريركية او في الشطر
الاكبر منها .

غير اننا سنقف على حياته الفردية من درس حياته العمومية تجاه ربه . لا

---

١) متى ٦:٦

الاعمال العمومية التي كان يعملها تجاه طائفته وبلاده كانت تظهر ما انطوى عليه قلبه من حبّ الله وحب القريب ، وفيه قد صدق المثل القائل : « ان الاناء ينضح بما فيه » بل صحّت فيه آية الانجيل : « من ثمارهم تعرفونهم »[1] و« كل شجرة صالحة تثمر ثمرًا جيدًا »[2] وما كان احد اعزّ لديه واقرب اليه من الاتقياء. فكان يهشّ لهم ويحبهم ويستأنس بهم ويتحدّث عنهم ويثق بهم وينقاد الى آرائهم ويعتمد عليهم اكثر من اعتماده على ذاته . ولكنه كان يقطّب حاجبيه ، وتبدو عليه ملامح الكآبة والغم عندما يعرف بسوء سيرة احدهم .

اني قد طالعت اكثر من مائتي سيرة من سير الصالحين فلم أرَ في حياتهم الفردية ما يزيد على حياة البطريرك الحويك في حياته الروحية الفردية نحو ربه بل يفضل بعضهم بانه لم يكن موسوساً في حياته ولا تبدو فضيلته بمظهر صعب يستحيل على الناس الاقتداء بها . فكان يأكل جيدًا ، دون ان يشرب قط مسكرًا ، وكان ينام جيدًا ، ويعمل كل شيء جيدًا ، بترتيب وسذاجة متّبعاً في حياته كلام الرسول القائل :

« واذا اكلتم او شربتم او عملتم شيئاً فاعملوا كل شيء لتمجيد الله »[3]

فكان يمجد الله في جميع اعماله وكانت فضيلته محبوبة جذّابة يراه الماروني ويراه المسيحي ويراه المسلم والدرزي والشيعي ، الرفيع والوضيع ، الحاكم والمحكوم ، فينحني كلٌّ منهم يلثم راحته ويقف مكتوف اليدين امامه مأخوذًا بجلاله ووقاره وسذاجته المهابة مقتنعاً في نفسه انه امام « رجل الله » .

---

١) متى ٧ : ١٦ ٢) متى ٧ : ١٧

٣) الاولى الى كورنتس ١٠ : ٣١

الزواج

تبعاً للرسالة البابوية « Casti connubii »

بحث اخلاقي لاهوتي

للاب شرل ابيلا اليسوعي

٢

الزواج المسيحي او سر الزواج

٢

٨ تعليم الكنيسة وتحديداتها في حقيقة سر الزواج

امّا كون الكنيسة المقدسة تعلّم فعلًا انّ الزواج المسيحي هو حقيقة احد الاسرار السبعة التي رسمها المسيح الاله لتقديس النفوس ، فهذا اشهر من نارعلى علم . حسبنا دليلًا عليه كتب « التعليم المسيحي » التي يتداولها ، على مختلف اصنافها العديدة ، بكل اللغات ، تلاميذ المدارس الكاثوليكية جميعها ، كبارهم وصغارهم . وكلّها تشهد انّ كون الزواج المسيحي سرًّا هو عقيدة من ايماننا .

وقد انكرها البروتستانت . فانهم يُسلّمون أنّ الزواج هو من وضع الله ، الا انهم ينفون صفته السرية ، حتى إنّ عقد بين مسيحيين . فمنهم لوثيروس الذي لا يرى فيه علامةً مقدسة مرسومة من الله ولا نعمة موعودًا بها منه تعالى[1] . اما كالفين فعنده أنّ صفة السرّ لا تتحقق في القران المسيحي اكثر منها في احقر المهن البشرية[2] . وليس كل اشياع البروتستانت على رأي واحد في كيفية نبذ سرية الزواج .

---

١) Lib. de *Captivitate Babylon.*, cap. de *Matrimonio*

٢) Lib. IV, *Institut.*, cap. XIX, p. 34

اما سبب انكارهم لها فلم نُدركه . فمن جهة يقولون ، بخلاف الحقيقة الواقعية ، ان الاسرار باجمعها ، حتى التي لم يحذفوها من جدول السبعة الحقيقية ، هي عموماً عاريةٌ تماماً من كل فاعلية ذاتية ، وانها من نفسها ، اي بموجب القوة التي اودعها اياها منشئها الالهي ، لا يمكن ان تولي قابلَها النعمةَ بتاتاً ، وانما جلُّ ما تفعل فيه هو ان تثير فيه عاطفة الايمان ، التي هي ، في رأيهم ، الشرط الوحيد الضروري الكافي للتبرير فللخلاص . ومن جهة اخرى يدّعون أنَّ القِران المسيحي ليس سرًّا حقيقيًّا . فعلامَ ؟ وما ضرَّ نظريّتهم العامة لو احصوه في عداد الاسرار ؟ أوَ تكون حفلة الاكليل ، بما تتضمنه من وعود وعهود مقدّسة متبادلة ، وصلوات وبركات ، اقلّ تأثيرًا في النفس من رتبة المعمودية ، ولاسيما معمودية الاطفال ، الذين غالباً ما يندفعون منها الى الصراخ والبكاء ، لا الى عواطف الايمان الفعلية وهي فوق طاقة سنهم ؟ ام تكون حفلة الاكليل اقلّ تأثيرًا في النفس من رتبة العشاء[1] وهي ، في زعمهم ، كمثل العماد ، عارية من ايّ فاعلية ذاتية ، تنشأ عنها النعمة ؟ ام لا تصلح حفلة القِران ، على قدر ما يصلح العماد والعشاء ، لاثارة عاطفة الايمان في العروسين المسيحيين التقيين ، فتحملهما على الثقة بمراحم الله للحصول على ما يحتاجون اليه من العون الرباني للقيام بواجب عهودهما المقدسة وتربية بنيهما على ما يرضيه تعالى ؟ ام يرفض اشياع الاصلاح الموهوم سرّيّة الزواج المسيحي كي يسهّلوا فسخه بالطلاق[2] .

وقد ابطل اضاليلهم المجمع المسكوني التريدنتيني حيث قال يعلّم ويحدّد :

— ١ — « ان قال احد ان اسرار الشريعة الجديدة لم تُرسم كلّها من سيدنا يسوع المسيح ، او انها اكثر او اقل من سبعة ، اي المعمودية والتثبيت والافخارستيا والتوبة والمسحة الاخيرة والدرجة والزيجة ، او ايضاً انَّ احد هذه السبعة ليس سرًّا بالحقيقة وبحصر المعنى ، فليكن محروماً »[3]

---

١) كذا يدعو البروتستانت ما استبقوه ، اثرًا خفيفاً بعد عين ، من حقيقة سرّ القربان الاقدس .

٢) طالع تعليقات موتسبره ، ص ٢٦٢-٢٦٣

٣) الجلسة السابعة ، القانون الاول

– ب – « ان قال احد انّ اسرار الشريعة الجديدة لا تحتوي النعمة التي تمنحها ، او انها لا تعطي هذه النعمة عينها للذين لا يعترضون لها بمانع ، كأنّها ليست سوى دلائل خارجية للنعمة والبرارة اللتين يُحصل عليهما بواسطة الايمان ، وكأنها ليست سوى ضروب من ميزات الاعتراف بالنصرانيـة ، التي بهـا يُميَّز المؤمنون عن غير المؤمنين ، فليكن محروماً[1] . »

– ت – « ان قال احد ان ما يولّى باسرار الناموس الجـديد ، بذات الفعل المفعول[2] ، ليس النعمة ، ولكن الايمان بالوعد الالهي للحصول على النعمة ، فليكن محروماً[3] . »

– ث « ان قال احد انّ الزيجة ليست ، بالحقيقـة وبحصر المعنى ، سرّاً رسمه المسيح الربّ ، من جملة اسرار الناموس الانجيلي السبعة ، وانما هي اختراع من البشر في الكنيسة ، ولا تولي النعمة ، فليكن محروماً[4] »

ولمعلّمي الكنيسة ومجامعها واحبارها الاعظمين ، من قبل المجمع التريدنتيني بازمنة ، نصوص صريحة في حقيقة سرّ الزواج المسيحي . منها ما ورد في القانون الثالث والعشرين للمجمع اللاتراني الثاني ، المعقود سنة ١١٣٩ ضدّ منتحلي الحبرية ؛

---

١) الجلسة ذاتها ، القانون السادس

٢) كذا عرّبنا الوضع اللاهوتي المأثور « *ex opere operato* » . والمعنى واضح اكيد ، على ما يفسّره ارباب اللاهوت . ومؤداه أنّ منشئ الاسرار ، سيدنا يسوع المسيح ، قد أودعها ، في ذاتها ، فاعلية ، قلّما يكون ادية . ففي حال استيفاء شروطها ، من وضع نية صحيحة ، ومادة وصورة صالحتين ، واهلية واستعدادات لا بدّ منها في قابلها ، توليه النعمة من ذاتها ، وبمعزل عن حالة خادمها ، سواء أكان باراً ام خاطئاً . امّا استعدادات قابلها فليست ضرورية فحسب ، بل على قدر ما تصلح فيه على قدر ذلك ينلُ لـه السرّ نعمةً . والخلاصة انّ العلّة الفاعليـة الاوّلية للنعمة السرّية هي الله تعالى ، والعلة الاستحقاقية هي المسيح الفـادي والعلة الآلية هي السرّ بعينه من حيث هو من وضع الاله المتأنس المخلص . وعلى هـذا النحو لا بدّ من حراثة الارض والاعتناء بها كيما تغلّ لصاحبها ، بل يستغلّ منهـا بنسبة جدّه وعنايته . لكنّ العلـة الفاعلية لانماء الزرع ليست الزارع وانما هي الله . وهو تعـالى علّة فاعلية أولى فيتخذ لعمله المطر والحرارة علّةً آلية

٣) الجلسة ذاتها ، القانون الثامن

٤) الجلسة الرابعة والعشرون ، القانون الاول

والفيروني المعقود سنة ١١٨٤ ضد الهراطقة الالبيجيين ؛ وصورة الاقرار بالايمان التي قدّمها ميخائيل باليولوغ للبابا غريغوريوس العاشر سنة ١٢٧٤ في مجمع ليون الثاني ، وقد أُقرّت فيه ؛ والتعليمات الموجّهة الى الارمن في ٢٢ ت٢ ١٤٣٩ من البابا اوجينيوس الرابع والمجمع الفلورنتيني ؛ والرسالة « *Cum apud sedem* » التي كتبها البابا اينوشنسيوس الثالث ، في ١٥ تموز ١١٩٨ ، الى رئيس اساقفة أرل ؛ ومرسوم البابا يوحنا الثاني والشرعن « *Sancta Romana atque universalis Ecclesia* » في ١ ك ٢ ١٣١٧.[1] هذا فضلاً عن الرسائل والمراسيم البابوية الاحدث عهدًا ، التي لا يسعنا المجال لذكرها.

٩ تاريخ العقيدة بوجه تعليم الكنيسة في حفظ سرّ الزواج

غنيٌّ عن البيان انّ النصوص السينودسية والحبرية التي ذكرناها آنفاً ليست ممّا لا يستغني عنه ابن الكنيسة الحقّة كما يعتقد ويؤمن ان الزيجة المسيحية هي سرٌّ حقيقي . فحسبه ، على ما سبق لنا القول ، ان يكون هذا هو ايمان البيعة الجامعة في يومنا هذا ، كما ينطق به « التعليم المسيحي » ، فلا يبقى بعد سبيل الى التردّد في الاقرار به لحظةً واحدة. ذلك لانه لا يمكن ان يكون ايمان كل الكنيسة الحقيقية باطلًا في آنٍ من الزمن ، وقد وعدها مؤسسها الالهي ان يكون « معها كل الايام حتى منتهى الدهر . »[2]

غير انّ مقتضيات الدفاع عن الحقيقة الكاثوليكية لدى غير «اهل الايمان»[3] هي اوسع نطاقاً . ومن هذه المقتضيات ان تُبرَز الشواهد التاريخية المؤيدة للعقيدة التي نحن في صددها ، فلا يعود يمكن احدًا ان يحتجّ قائلًا انّ الكنيسة ، في المجمع التريدنتيني وفي غيره من المجامع التي ذكرناها ، قد اخترعت عقيدة سرية الزيجة والزمت المؤمنين بها . ولاسيما انّ السلطة المطلقة في البيعة قد أيدت مرارًا المبدأ المأثور لدى ارباب اللاهوت وهو : أنّ مستودع الوحي الالهي الحقّ ،

١) طالع ، في مجموعة التحديدات لدنزينگر ، الاعداد ٢٦٧ ، ٤٠٢ ، ٤٦٥ ، ٦٩٥ ، ٧٠٢ ، ٤٠٦ ، ٤٦٠

٢) متى ٢٨ : ٢٠

٣) غلاطية ٦ : ١٠

اي بمجموع الحقائق التي اوحاها الله وفرض على البشر ان يؤمنوا بها ، وهي التي تنطق بها الاسفار المنزلة والتقليد ، اما معاً ، واما كلٌ منها على حدة ، قد أُغلق وخُتم نهائياً لدى موت الرسل ، فللكنيسة من بعدهم ان تُفسّر وتوضح وتشرح وتحدد ، بل ايضاً ان تكتشف ما تسلّمته منهم ، بالمستودع المذكور ، من الحقائق الموحاة ، وتعلّمها مؤيّدةً من الروح القدس معصومةً بقدرته عن الغلط ، ولكن ليس لها ان تخترع من ذاتها عقائد جديدة لا اثر لها في هذا المستودع[1].

فهاك اذن ما يشهد به التقليد المتواصل.

– ١ – شهادات التقليد منذ القرن الثاني عشر الى ايامنا

واول ما يلفت نظر المؤرخ هو انَّ حقيقة سرّ الزواج لم تزل تجاهر بها البيعة المقدسة وتعلمها علناً ، قلّما يكون منذ القرن الثاني عشر حتى ايامنا ، مما لا تبقي مجالاً للريب فيه النصوص التي ذكرناها آنفاً للمجامع المسكونية والاحبار الاعظمين وغيرها كثيرة قد أُثبتت في الكتب الطقسية ، ومجموعات رتب خدمة الاسرار ، ومؤلفات اللاهوتيين.

ومن شاء ان يطلع على هذه النصوص يجدها بكتاب « البحث اللاهوتي في الاسرار » للاستاذ پورا مدرّس اللاهوت في مدرسة ليون الاكليريكية[2] ، ولاسيما في صفحاته التالية : ٢٠–٤٦ ، ٨٤–٨٧ ، ١٤١–١٦٦ ، ٢٣٨ ، ٢٥١ ، ٣٠٥–٣٠٧[3]

فلسنا نرى ، والحالة هذه ، من حاجةٍ الى اطالة الشرح في هذا الباب . وما من احد يشكّ في ان الكاثوليك من علماء اللاهوت باجمعهم على رأيٍ واحد في

١) طالع المجمع الفاتيكاني ، الجلسة الثالثة ، الفصل الثاني والرابع والقانون الثالث في الايمان والعقل – والقضية المشرين المحرّمة بالقرار « *Lamentabili* » لمجمع التفتيش المقدّس (٣ تموز ١٩٠٧) – ورسالة بيوس العاشر « *Pascendi* » (٧ ايلول ١٩٠٧) – وتجد النصوص هذه في مجموعة دترينگر ، في الاعداد ١٧٨٧ ، ١٨٠٠ ، ١٨١٨ ، ٢٠٢٠ ، ٢٠٢٩ – ٢١٠٩

٢) P. Pourrat, *La Théologie Sacramentaire*, Paris, Gabalda, 1907.

٣) طالع ايضاً مقال ليبرا (Le Bras) في الزواج في قاموس اللاهوت الكاثوليكي ، المجلّد التاسع ، ع ٢١٢٩–٢٢٢٢ .

شأن حقيقة سر الزواج ، وذلك قلّما يكون من القرن الثاني عشر ، ولاسيما منذ اثبت ، في القرن ذاته ، بطرس لومبار (Pierre Lombard) تحديد السرّ عموماً في بدء السفر الرابع من كتابه المشهور «في الحكم» (*Libri Sententiarum*)، وقد علّق عليه مشاهير اللاهوتيين ، في القرون الوسطى ، الشروح الضافية ، ان في تعاليمهم الشفهية وان في مؤلفاتهم المكتوبة . ولا تجد منهم من شذّ عن رأيهم ، في سريّة القران المسيحي ، سوى ديران (Durand) وحده . والمعلوم عنه انه لم ينفها تماماً ، وانما ارتأى انها لا تنطبق على الزواج بكامل معناها . وقد نحا نحوه بعض اشياع البروتستنت ومنهم ملنكتون[1]

ولاجماع آراء العلماء الكاثوليك على سرية الزواج ، بنوع متواصل من القرن الثاني عشر الى يومنا هذا ، شأن خطير ليس من حيث العقيدة فحسب ، بل من الوجهة التاريخية والدفاعية ايضاً . فانك ، حتى لو ضربت صفحاً عن عضد الروح القدس للكنيسة ، عبثاً تحاول ان تجد سبباً كافياً لتوحيد كلمتهم على الامر الواحد ، سوى تأصل الحقيقة ، التي يجاهرون بها ، في مستودع الوحي ، كما تسلّمته الجماعة المسيحية من الرسل .

– ب – شهادة الكنائس الشرقية في سرية الزواج

والى النتيجة عينها يؤدّي بالباحث تعليل شهادة الكنائس الشرقية في سريّة القران المسيحي طبقاً للايمان الكاثوليكي . فقد انفصل قسمٌ منها عن الوحدة الرومانية في القرن الخامس بسبب البدع الكبرى والقسم الآخر في القرن التاسع بسبب انشقاق الروم . ولم تزل هذه الجماعات ، رغم انفصالها عن رومة ، مقتصةً الى يومنا هذا بالتعليم الكاثوليكي الروماني في شأن عدد الاسرار عموماً وسريّة الزيجة خصوصاً . تشهد بذلك نصوص عديدة من مجامع تلك الكنائس وكتبها الطقسية وتصريحات بطاركتها وكتابها الكنسيين ، مما لا يسعنا المجال لسرده تماماً . فنحيل القارئ اللبيب الى ما أُثبت منها في المجموعة المشهورة « *La Perpétuité de la Foi Catholique* » ، فيتضح له جليًّا انّ النساطرة واليعاقبة والاقباط المنفصلين والارمن الغريغوريين يحصون الزيجة في

١) طالع تعليقات مونبره المذكورة آنفاً .

عداد الاسرار السبعة ويعدّونها سرًّا حقيقياً[1]

اما الروم المنتمون الى الارثوذكسية فلديهم في ذات هذا الموضوع شهادات لامعة . وقد رأينا ان نُلخّص مؤداها هنا ، نقلاً عن الاستاذ پورّا في كتابه المذكور سابقاً ص ٢٦٢–٢٦٧ . فنقول :

حوالي العام ١٥٧٦ ارسل پروتستانت ڤيتنبرغ الى البطريرك القسطنطيني ارميا ترجمةً يونانيةً لصورة « اعتراف اوكسبورغ » المشهور (*La Confession d'Augsbourg*) ، املاً منهم ان يميلوا به ويرعاياه الى اضاليلهم .

فكان جوابه لوماً لهم وتفنيداً لمزاعمهم . ومما جاء فيه بشأن الاسرار التصريح هذا : « تقولون في الفصل السابع انكم تعرفون ايضاً كنيسة مقدّسة جامعة ، وانكم تختلفون على ما يجب باسرار الكنيسة ورتبها المقدسة . فعلى هذا يجب ان كنيسة المسيحيين المقدسة الكاثوليكية الرسولية هي واحدة ليس الا . . . والاسرار المقبولة في هذه الكنيسة الكاثوليكية عينها للمسيحيين الارثوذكسيين ، والرتب المقدسة تُعدّ سبعة ، وهي المعمودية ومسحة الميرون الالهي والمناولة الالهية والدرجة والزيجة والتوبة والزيت المقدّس . وكما انه يوجد مواهب سبع للروح القدس ، على حسب ما قال اشعيا ، كذلك يوجد اسرار سبعة مفعولة من الروح القدس ، لا غير ولا اكثر . »

فتوهّم پروتستانت ڤيتنبرغ ان البطريرك لم يفهم مضمون « اعترافهم » فكتبوا اليه يحاولون ان يزيدوه ايضاحاً ، قالوا : « انّ الكنائس اليونانية تؤمن بوجود سبعة اسرار ونؤكد نحن أنه ليس الا اثنان منها[2] ينطبق عليهما هذا الاسم بمعناه المحصور . . . ولو شئنا ايضاً ان نطلق اسم السرّ على الاشياء التي حسن لدى الله ان يعني بها الامور السماوية الروحية ، لما امكننا ان نحصرها في العدد سبعة . وانما ندعو اسراراً الرتب التي وضعها الله وتتضمّن ، مع كلمة الوعد الالهي في شأن مغفرة الخطايا وتعطفه تعالى علينا ، رمزاً خارجياً منوطاً بها . »

---

١) طالع ايضاً de Smet في مجلّده المذكور ص ١٤٠–١٤١ – وايضاً في كتابه « *de Sacramentis in genere* » ص ٨٦–٨٧

٢) اي المعمودية والافخارستيا

فلم يُبرهم البطريرك بالًا ولم يُجبهم بتاتاً. واذ اعادوا الكرة ثالثة ، قطع امامهم خطّ الرجعة ، راجياً ألّا يعودوا فيما بعد يكاتبونه في الشؤون الدينية ، وصرّح لهم انه ، ان كان من تبديل او تحريف في التعليم التقليدي بما يختصّ بالاسرار ، فليس ذلك مما يقع في الكنيسة الموكولة اليه.

ولا جرم ان تصريحات البطريرك ارميا هذه قد جاءت طبق معتقد جماعته تماماً . ولنا برهان على ذلك فيما حصل في ايام خلفه كيرلس لوكاريس وبعد موته.

كان لوكاريس هذا قد قضى زمن شبابه في ايطالية وسويسرة والمانية وليتوانية ، حيث عاشر البروتستانت وتشرّب مبادئ شيعتهم . الا انه حرص على كتمانها طيّ ذهنه حتى توفق الى تسنم سدة البطريركية الاسكندرية عام ١٦٠٢ ، ثم في القسطنطينية ١٦٢١ . ففي السنة ١٦٢٩ نشر بجنيف صورة اعترافه المشهورة ، منقولةً الى اللاتينية . وفي السنة ١٦٣٣ الحق بها النصّ اليوناني[1] . وكان كيرلس في تلك الاثناء يُطلق لمبشري البروتستانت حرّية الكرازة في القسطنطينية ، مما اثار ، حتى في ايام حياته ، الاحتجاجات ، إلّم يكن عليه صريحاً ، فعلى التعليم البروتستنتي الذي كان يحتمي بظله ، ولاسيما فيما يتعلق بالاسرار . فكان القوم يناهضون التعليم المذكور في الاندية والمحاضرات والنشرات.

ولما ان توفي نشط خلفه كيرلس البيرُوي (Cyrille de Béroée) لتحريم بدعه بصورة رسمية . فعقد عام ١٦٣٨ في القسطنطينية مجمعاً حرّم ورذل « اعتراف لوكاريس » ببنوده كلها . واليك تعريب حكم المجمع في البند الخامس عشر : « محروم هو كيرلس لانه يبتدع ويعتقد عدم وجود اسرار للكنيسة سبعة ، اي المعمودية والميرون والتوبة والافخارستيا والكهنوت والمسحة الاخيرة والزيجة ، على حسب رسم يسوع المسيح وتقليد الرسل وعادة الكنيسة ، بل يقول ضالاً انّ يسوع المسيح في الانجيل لم يُعطِ او يرسم الّا اثنين وهما

---

١) قال الاستاذ پورّا ، في كتابه المذكور ، في حاشية الصفحة ٢٦٤ : « انك تجد نص هذا الاعتراف في ذيل لكتاب جون ميخالسكو (Jon Michalcescu) : Ὁμολογία τῆς ὀρθοδόξου « *Die Bekenntnisse und die wichtigsten Glaubenszeugnisse der griechisch — orientalischen Kirche in Originaltext* » (Leipsig 1904).

المعمودية والافخارستيا .»

ومن نتائج اضاليل كيرلّس لوكاريس مؤلفات دقيقة وضعها علماء الارثذوكس دفاعاً عن التعليم التقليدي ، وقد اشتهر بينهم ملاتيوس سيريقوس (Mélèce Syrique) ، بروتوسنسلّوس البطريركية القسطنطينية († ١٦٦٤)

وبالرغم من هذا كله ظلّ البروتستانت الافرنسيون ، ولاسيما القسيس كلود ، مصرّين على الادّعاء بمطابقة مزاعمهم على معتقد الروم ، وذلك استناداً الى نصّ اعتراف لوكاريس . ومن ثمّ كتب واضعو كتاب *La Perpétuité* « *de la Foi* » الى المسيو دي نوانتيل ، سفير فرنسة في القسطنطينية ، يسألونه «ان يستخبر الروم وسائر الشرقيين معتقدهم في موطنه » فاسفر سعي السفير عن مجمع عقده دوسيتاوس البطريرك الاورشليمي في كرسيّه عام ١٦٧٢ . ومما تصرّح به اعمال هذا السينودس « أنّ الاسرار الانجيليّة في الكنيسة هي سبعة »

وكان البابا لاون الثالث عشر قد وجّه ، في ٢٠ حزيران ١٨٩٤ ، الى الامراء والشعوب رسالته « *Præclara* » المعروفة . فاجاب البطريرك القسطنطيني انتيموس وسينودوسه يجدّدون الاحتجاجات القديمة ، التي سبق مُمثلو كنيستهم وفاهوا بها في المجمع الفلورنتيني ، ضد ادخال الفقرة «والابن » في قانون الايمان وبعض اصطلاحات للاتين ، مثل العماد بالصب واستعمال الخبز الفطير للتكريس والمناولة على شكل واحد . اما التعليم الروماني في شأن الاسرار عموماً وسرّية الزواج الحقيقية خصوصاً فلم يحتجّوا عليه بشيء .

– ت – تأصّل حقيقة سرّ الزواج في تعليم الرسل

فهل يبقى مجال للشك في اتفاق الكنيستين ، الكاثوليكية الرومانية من جهة ، ومن اخرى الشرقية بجميع فروعها ، على عقيدة سرّية القران المسيحي ؟ وهل من تعليل معقول لمثل هذا الاتفاق المتين الثابت المتواصل على مدى الاجيال سوى تأصّله في التقليد الذي تسلّمه المسيحيون من الرسل انفسهم ؟

وفعلاً انّ من ينظر الى المسألة من الوجهة النفسية السيكولوجية ، لا يسعه الا ان يحكم باستحالة توحيد الكلمة بين الكنائس الشرقية على هذه

العقيدة ، لو كانت دخيلةً مخترعة ، وكلٌّ يعلم ما بين هذه الكنائس من الفروق العديدة العريقة في القدم ، التي كانت ولا شك قد حالت دون اجماع كهذا ، وهي ناشئة عن اختلافات متنوّعة في اللغات والايمان والاصطلاحات والنزعات الى غير ذلك مما لا حاجة الى ذكره . وهب انَّ العقيدة التي نحن في صددها ليس موطن اختراعها في الشرق ، وانما وردت الى جماعاته المسيحية من مصدر غربيّ لاتيني ، بضاعةً جديدة اجنبية ، افتظنُّ انَّ الكنيسة الشرقية كانت ، بعد انفصالها عن الرومانية ، قد تلقَّتها وقبلتها عن رضى تام ، بدون ما احتجاج ولا تمحيص ، وهي التي لا تزال تلوم اللاتين على بعض عاداتٍ عرضية ، لا علاقة لها اصلًا بالعقيدة ، مثل العماد بالصبّ وتكريس الخبز الفطير بل القطاعة عن الظفر يوم السبت ؟

أوَ ليس اقلّ ما يترتب على هذا كله ان عقيدة سرّية الزواج هي للكنائس المسيحية ، ان شرقيّة وان غربية ، ملك شرعي قد اثبته لها ، بدون ما معارض ، مرور الزمن منذ القرن التاسع حيث وقع انفصال الروم ، بل منذ القرن الخامس حيث قامت البدع الكبرى ؟

ولئن واصلنا تطبيق الاصول المنطقية على الوقائع ، افلا يتحتَّم علينا ألّا نقف في استنتاجنا عند القرن الخامس ، بل ان نتعدّاه حتى نبلغ الى عهد الرسل ، فنؤرخ فيه حجة تملك الكنيسة الكاثوليكية لعقيدتنا المنشودة ؟ وفعلًا هل يمكن ان يطرأ على تعليم الرسل تجديد او تبديل او تحريف بدون جدال ولا معارضة ، او ان كان ثمة جدال او معارضة ، فبدون أثرٍ لها في التاريخ ؟ واين تُرى عثر احد على اثر كهذا ؟ ام لا يحقّ لنا ان نطبّق على قضيتنا المبدأ الذي كان يقرع به ترتليانوس هراطقة عصره ، حيث يقول لهم : « هل من وجه للصواب في القول انَّ كنائس هكذا عديدة وهكذا عظيمة قد زاغت عن الحقّ ، حيث تنطق كلها بايمان واحد ؟ . . . فانّ ما وُجد لدى كثيرين واحدًا ليس ضلالًا ، بل انما هو تقليد . » [1]

---

(1) « Quad apud multos unum invenitur, non est erratum, sed traditum » (*de Praescriptione*, c. 28).

(لها بقية)

محاولات في درس جبران

الجوهر الفرد

في ادب جبران خليل جبران

بقلم امين خالد

٢

عدم الاكتراث للاخلاق

اللذة والواجب — التوبة — الشهوة القصوى

منذ الآن نقول ان كتابات جبران،وان كان بها من الفن عناصر قيّمة،لان موضوعها — وهو الحب — من غرائز الانسان الاساسية ان لم نقل راس الغرائز؛ وجبران يجعل من هذا الحب في اثاره الفنية ميزةً بارزة بالنسبة الى باقي العناصر التي يتطرق اليها في كتابته ؛ نقول ان تغلب الحب الغريزي الاصلي في اهم مؤلفات جبران بل في ادبه بوجه الاجمال — وان كان ضرورياً للفن — فهو غير كافٍ لخلود شيء من هذه المؤلفات على مدى السنين ، لانه ينقصها ركن مهم من اركان البناء الفني وهو عنصر الافضلية الاخلاقية.

نعم سيذكر تاريخ الآداب العربية احداث جبران طريقته الجديدة بالانشاء وهي الاسلوب الوجداني الذي يمثّل نبضات قلب الكاتب في مدّها وجزرها مع الابداع في الخيال . ولكن آثار جبران لا تستطيع ان تلتحق بالآثار المدرسية الخالدة فيستظهرها المتأدبون كما يرتّلها الانكلوسكسون اليوم ، على ما قيل ، في هياكلهم وانديتهم.ذلك لان سرّ هذا الترتيل قائم بموافقة المؤلفات الجبرانية لروح العصر الحاضر ؟ وان بهجة الادب الجبراني ستضمحلّ بتطوّر الروح العصرية الى شكل آخر في الطباع والامزجة المكتسبة من البيئة المتغيّرة مع طوارئ الايام.

قد يكون في بعض الآثار المدرسية شيء من التهجم على الاخلاق والتجرؤ على فضيلة الحياء والحصانة . على ان في كلها روحاً تدلّ على الخشية الاخلاقية الجوهرية ، والترفع جهد المستطاع عن الاستسلام للشهوة المحرّمة ، مع الندم والتوبة على اثر السقوط . . .

ان سحر الحرب الداخلية بين الرغبة والواجب لا وجود له في ادب جبران مع انه يجب ان يكون منارة يسترشد بهديها كل اديب . ولكن يجب ان لا ننسى ان جبران مصوّر الاجسام العارية ، وكاتب الشهوة المطلقة من كل قيد، لا عبرة عنده للعقل والواجب حتى يصطدم الهوى بذلك الواجب المصدّى ، على زعمه ، الذي نسجته يد التقاليد البالية على منوال العصور المظلمة.

ليس في موسيقى الادب الجبراني سوى طبول تدوي عند قرع اصواتها ، وتذيع ضجّة البلاغة اللفظية والكلام الطنّان الذي يؤثر بالاذن تأثيراً قوياً ، وينتقل بالانسان الى عالم الدوخة والانذهال ؛ ولا وجود للانغام العميقة المركبة في كثرة النفسيّات المتشاحنة حيث تبرز واحدة من هذه النفسيّات وتتغلب على غيرها تغلباً اخلاقياً ، كما نرى مثلاً عند ارباب العصور المدرسية في جميع الآداب كراسين وكورنيل وشكسبير ومن اليهم.

فجبران فرح طروب بالاتصال الجسدي ولذلك يغبط علي الحسيني عندما «عانق حبيبته . . .

وهو معجب بتصرّف وردة الهاني عندما تركت زوجها الشرعي واتبعت حبيب قلبها ، ولو ضحّت في فعلتها هذه بكيان رشيد نعمان المعنوي وتركته بين مخالب التعاسة.

وهو شفيق رؤوف بمرتا البانيّة لا يرى نكراً بضعف ارادتها واستسلامها الهيّن الى خادعها المفترس.

اجل ! ان نفسيّة جبران وان تكن عميقة في غورها ، فهي بسيطة في دهاليزها ومتشعباتها . فكل ما عند جبران انعطاف على النفس ولكن هذا الانعطاف يشمل ايضاً المجرم الهاني فهو يرغب لهذا المجرم راحةً تامّة في الوجدان دون ان يبقى في خلايا نفسه شيء من الشعور بغير السعادة. ولنفتح « السابق »

لترى من هو القديس في نظر جبران الكهل :

القديس

زرت في حداثتي قديساً في صومعته الهادئة القائمة بين التلال، وفيما كنا نبحث ماهية الفضيلة اطلّ علينا لصٌّ وهو يتمرج على الجانبين فوق الروابي والتعب قد اعياه . وعندما وصل الى الصومعة جثا على ركبتيه امام القديس وقال له : « ايها القديس التقي ، قد جئتك طالباً تعزيةً ، فان آثامي قد تعالت فوق رأسي »

فاجابه القديس قائلاً : « يا ابني ، ان آثامي انا ايضاً قد تعالت فوق رأسي »

فقال له اللص : « عفوك يا سيدي فانا سارق وقاطع طريق ويستحيل ان تكون مثلي »

فاجابه القديس : « انك واهم يا ابني فانني بالحقيقة مثلك سارق وقاطع طريق »

فقال له اللص : « ماذا تقول يا سيدي ؟ فانا قاتل ودماء الكثيرين من الناس تصرخ في اذني »

فاجابه القديس قائلاً : « وانا ايضاً قاتل يا ابني ، وفي اذني تصرخ دماء الكثيرين »

فقال له اللص : « يا سيدي انا قد ارتكبت شروراً لا تحصى وجرائم لا عداد لها فكيف تساوي نفسك بي وانت رجل الله البار »

فاجابه القديس وقال : « لو انك عرفت كثرة شروري لما ذكرت شرورك »

فانتصب اللص اذ ذاك ، وحدّق بالقديس طويلاً وملأ عينيه دهشة وغرابة ، ومضى من غير ان ينبث ببنت شفة .

اما انا فكنتُ صامتاً الى تلك الدقيقة . فالتفت آنئذ الى القديس وسألته قائلاً : « ما دعاك الى ان تنسب لنفسك شروراً لم ترتكبها قط يا سيدي ؟ ألا ترى ان هذا الرجل قد مضى ولم يعد بعد من المصدقين بدعوتك والمؤمنين بشارتك ؟ »

فاجاب القديس وقال : « اجل يا ابني فانك بالصواب حكمت بانه لم يعد بعد من المصدقين بدعوتي ولكن الحق اقول لك انه قد انصرف والنزاع يملأ فؤاده »

وفي تلك اللحظة سمعنا اللصّ يغني من بعيد وكانت الاودية تردد صدى صوته المحتلئ بالمسرة والتعزية . (١

وهكذا فالرغبة هي حاملة لواء النصر والطرب دون ان يحمي وطيس المعركة بينها وبين الواجب .

ولكن ، اليس في هذه المناصرة لكل قلب بشري على الاطلاق حتى قلوب اللصوص والمجرمين ، اغراق بالتسليم لسلطان الميل والهوى ؟

١) السابق ، ص ٢٩ و ٣٠ و ٣١

او يفرق قلب هذا القديس ، قديس النضج الجبراني ، عن رفش « حفار القبور » في تهديم النظام العام ؟

هذا هو جبران المتطرف الذي يسكب السمّ الاخلاقي « في كؤوس نظيفة شفافة » كما يجاهر بمقاله « المخدّرات والمباضع » ، ولا يبالي. فلنكن جبرانيين ، ولكن لا اكثر من جبران نفسه . واذا كان هو يصرّح بمكنونات نفسه بحرية ، فلا لزوم لتغاضينا عن مساوئه في سبيل احترامه وتقديسه.

واذا رأينا الفساد في جبران الفنّان او جبران الفيلسوف الرواقي الذي نزع من تعاليم ابيقوروس ما كان بها من المنطق النظري في الاعتدال باللذة وتحكيم العقل في تنظيمها وترتيب الشهوات والاستفادة من خدمات الهيئة الاجتماعية بقدر الامكان اتماماً لهذه اللذة ؛ اذا رأينا كل هذا الفساد يجب ان نعرفه بماهيته، لا ان نعلّل نفوسنا بحمله على محمل الروحية العميقة او الانسانية التامة، لان جبران لا يرضى بذلك.

اننا اذا عرفنا ان اعظم كتاب الغرب في موضوع الميول القلبية والشهوة النسائية وتكريسها لم يبلغوا من الفساد الاخلاقي والاباحية ما بلغه الادب الجبراني احجمنا عن المحاباة والقول ان في ادب جبران اخلاقاً سامية وروحية بعيدة.

فاناطول فرانس دافع عن تاييس التي قضت معظم حياتها بالفجور والدعارة واستعطف القلوب اليها لانها لم تضحِّ باحد ولا كانت مجرمة في اعماق نفسها، بل ختمت حياتها بالتوبة والتكفير بخلاف بافنوس الذي تجسّمت فيه الشهوة الجسدية فانتهى مرذولاً بينما كانت نفس تاييس تتصاعد الى السماء.

التوبة ، وهي الانفعال النفساني العميق عند من ينعم النظر في اجترامه ويعود ويكفّر عن سيئاته فيمتنق الفضيلة بكل ما فيه من شدة الحاجة الى ذلك ؛ هذه التوبة شيء بارد وسخيف في نظر جبران الذي لا يأبه لها الا بالسخرية .

وهاك مثله عن التوبة في « السابق » :

التوبة

« دخل رجل في ليلة ظلماء الى حديقة رجل فسرق اكبر بطيخة وصلت اليها يده وحملها وجاء بها الى بيته.

وعندما كسرها وجد انها عجراء لم تبلغ بعد نموّها.

فتحرّك ضميره في داخله اذ ذاك وارسله تأنيباً.

فندم على انه سرق البطيخة » (١

ولكن جبران لا يحتاج الى التوبة لان الاجترام منفي بنظره ولذلك فكل ما مالت اليه النفس محلّل مباح.

وعلى كل حال فالتوبة هي المزيّة الاخلاقيّة التي تجعل تايس اشرف من مرتا البائيّة.

وغوستاف فلوبير شرح بتبسطٍ دقيق واسهابٍ تام تدلّه مدام بوفاري التي خانت زوجها الشرعي وتبعت العشّاق الواحد تلو الاخر . فاحالته النيابة العامّة الى القضاء لانه كتب في هذه الرواية ما من شأنه تخديش الفضيلة وافساد الاخلاق العامة وكان ذلك في منتصف القرن التاسع عشر ، في فرنسة ، وبعد الثورة الكبرى بعشرات السنين ، بل وبعد شيوع ادب الرومانتيك ... ففي هذه الظروف حوكم في باريس غوستاف فلوبير ؛ ولولا دفاع محاميه وبلاغته لناله الجزاء الصارم.

اجل ! اثبت المحامي واعترف القضاة ان في رواية مدام بوفاري حقيقة اخلاقية مهمة وهي ان النهاية والنتائج التي اوصلتها اليها حياة العشق لم تورثها سوى اضطراب القلب وتوبيخ الضمير والبؤس والهوان،وان هذا ينفر المرأة التي تطالع مدام بوفاري من ان تقتدي بها لان « اعقل الناس من ينظر للعواقب ». ولولا اعتبار هذه النقطة الجوهرية لما نجا فلوبير ولا طابع كتابه.

وفيكتور مارغريت الذي نزعت الحكومة الفرنساوية منه نيشان جوقة الشرف ، وكان قد ناله في ساحة الحرب الكبرى ، فاسقطته من هذا الحقّ لانه شرح مواقع الاستسلام الى الشهوة الحيوانية والتهتّك باسلوبه الحقيقي في

(١ السابق ، ص ٦٢

كتابه « لاكارسون » مع ان ما قيل في « مدام بوفاري » قد يصح في « مونيك لربيه » التي يحذّر ما لقيته في نهاية ايامها ، بل في كل دقيقة من حياتها من الغم والشقاء ؛ فينذر كل فتاة تطمع في الخلاعة الحرّة والتخلّص من قيود الزواج والشريعة لان قلبها او جسدها يتطلبان ذلك ؛ فترتدع وتكبح من شهوة هذا الجسد .

في باريس ، حوكم فلوبير ، وحُرم فيكتور مرغريت النيشان ، لانهما سكبا سمًّا اخلاقيًّا في كاس الفن، مع انهما يدّعيان ان دسم ذلك الكاس بلسم اخلاقي محض يعود على الفضيلة بالاثر الطيّب . ونحن اذا قلنا ان في كتابات جبران فسادًا اخلاقيًّا ظاهرًا للشرح والتحليل قالوا : « لكل نبي كرامة الا في وطنه ! وما ألأمهم قوماً يجدّفون على نوابغهم ! »

فلنلقِ الآن نظرة سريعة على ابطال العشق والتهتك في ادب جبران ، ونبدأ بشخصه وشخص سلمى كرامه التي كان يجتمع بها في جنينة الباشا ، كما اشرنا الى ذلك ، دون «ان يخافا عين الرقيب او يشعرا بوخز الضمير . » اضف الى هذه الاباحية تلك الاوصاف الشهوانية المنبثّة في كثير من صفحات « الاجنحة المتكسرة » مما نترفّع عن نقله ، ومما يفوق تدقيقاً وتطرّفاً وحرية اوصاف فيكتور مرغريت في « لاكارسون » ، فيكون اشد خطرًا على الآداب والاخلاق ، اذ يعطي صاحبه المثل البارز في خرق النظام ، دون اقل تلميح الى الندم والتوبة .

قد يكون لسلمى كرامة اعذار في سلوك منصور بك غالب الذي يستحق المقابلة بالمثل ؛ او في استبداد عمه المطران بولس الذي استعمل نفوذه الديني حتى « طلّق » والدها فربطها بابن اخيه طمعاً بثروتها ؛ او في وفائها للحبيب الاول ، جبران ، الذي «عشق روحها» . وهنا نقول اننا لا نعلم هل تعبّر كلمة «روح» عن شيء في لغة جبران سوى رائحة الجسد ؛ ولكنّ لذلك شرحاً مقنعاً سيأتي في «آمنة العلويّة» .

قلنا قد يكون لسلمى كرامه اعذار في مثل هذه المواضيع التي تطرّق اليها جبران في بعض مقالاته لانها ازعجت حلم سلمى . ولكن ما هي اعذار

وبردة الماني التي ضحّت برشيد بك نعمان على هيكل غرورها وشهوتها ؟ ؟

قالت وردة الماني :

« كنت في الثامنة عشرة من عمري عندما قادني القدر الى رشيد بك نعمان وكان هو اذ ذاك قريباً من الاربعين فشغف بي ومال اليّ ميلاً شريفاً كما يقول الناس. ثم جعلني زوجةً له وسيدة في منزله الفخم بين خدامه الكثيرين فالبسني الحرير وزيّن راسي وعنقي ومعصمي بالجواهر والحجارة الكريمة. وكان يعرضني كتحفة غريبة في منازل اصدقائه ومعارفه ويبتسم ابتسامة الفوز والانتصار عندما يرى عيون اترابه ناظرةً اليّ باعجاب واستحسان ويرفع رأسه تيهاً وافتخاراً اذ يسمع نساء اصحابه يتكلمن عني بالاطراء والمودة. لكنه لم يكن يسمع قول السائل : « هذه زوجة رشيد بك ام هي صبية تبناها ؟ » وقول الآخر : « لو تزوج رشيد بك في زمن الشباب لكان بكره اكبر سناً من ورده الماني. »

« جرى كل ذلك قبل ان تستيقظ حياتي من سبات الحداثة العميق، وقبل ان توقد الالهية شعلة المحبة في قلبي، وقبل ان تنبت بزور العواطف والاميال في صدري. نعم جرى كل ذلك عندما كنت احسب منتهى السعادة في ثوب جميل يزيد قامتي ومركبة فخمة تجرني ورياش ثمينة تحيط بي. ولكن عندما استيقظت – عندما استيقظت وفتّح النور اجفاني وشعرت بالسنة النار المقدسة تلسع اضلعي وتحرقها – وبالمجاعة الروحية تقبض على نفسي فتوجعها. عندما استيقظت ورايت اجنحتي تتحرك يميناً وشمالاً وتريد النهوض بي الى سماء المحبة ثم ترتجف وترتخي عجزاً بجانب سلاسل الشريعة التي قيّدت جسدي قبل ان اعرف كنه تلك القيود ومفاد تلك الشريعة – عندما استيقظت وشعرت بهذه الاشياء عرفت بان سعادة المرأة ليست بمجد الرجل وسؤدده ولا بكرمه وحلمه بل بالحبّ الذي يضمّ روحها الى روحه ويكسب عواطفها في كبده ويجعلها ويجعله عضواً واحداً من جسم الحياة وكلمة واحدة على شفتي الله. »(١)

هذه هي وردة الماني تخطب بحماسة ثائرة . . .

ولكن ما هي حجتها على رشيد نعمان ؟ وماذا ترى فيه نقصاً حيوياً لا يتفق مع حبها ؟

لم يكن رشيد نعمان فاسقاً ولا مستبداً ولا طامعاً بثروة . ولا كانت وردة مربوطة برجل قبله لا في روحها ولا في جسدها . انما كل ما بالامر فرق بين عمريهما ، وشهوة قويّة في جسدها وانانية متجسمة في شخصها الجبراني تقتال الاخضر واليابس وتشرب الكاس مع الثالة ولا ترتوي، غير عابئة بشيء حتى ولا بالساقي نفسه . لان وردة الثائرة على كل ما يعاكسها في الهيئة الاجتماعية لا تتوسّع بذكر الحبيب الذي مالت اليه ولا تعطي عنه غير هذا الايضاح «فتى

(١) الارواح المتمردة ، ص ٢٢ و٢٣ و٢٤

يسير وحده على سبل الحياة، ويعيش منفرداً بين اوراقه وكتبه في البيت الحقير» فلا يهتها منه الا كونه فتى ثم تصرخ بالملأ :

« هذه هي العقبة التي سرت عليها حتى بلغت قمّة سعادتي ولو جاء الموت واختطفني الان لوقفت روحي امام العرش الاعلى بلا خوف ولا وجل بل بفرح وامل وانحلّت اقانيم ضميري امام الديان الاعظم وبانت نقيّة كالثلج لانني لم افعل غير مشيئة النفس التي فصلها الله عن ذاته ولم اتبع غير نداء القلب وصدى اغاني الملائكة. » (١)

قمة السعادة ... الفرح الاعظم ... نقاوة الضمير ... في مشيئة النفس ونداء القلب... هذه هي النبطة التامّة التي تجذب في ادب جبران نحو الانانية الدامية وشهوة الجسد الفائرة.

هذه النبطة في اللذة التامّة هي التي تستميل المرء الى ان يضرب بالفضيلة عرض الحائط ، ويلتحق بحوّاء ذات الحلاوة الشهية.

لو اقتصر ابطال جبران على التفتيش عن شهواتهم دون مساس بحقوق غيرهم ، لهان الامر . فانه وان تكن شهوة مرتا البانية لم تذهب بسوى مرتا، وشهوة جبران وسلمى لم تقلق منصور غالب، فان شهوة وردة الهاني قد سيّبت شقاء رشيد نعمان. ولكن ما اشد من كل ذلك وادهى شهوة « ليلى العروس » ذات الخنجر المغمد باحشاء حبيبها الشريف !

ليلى القاتلة الدامية بجور غيرتها ، وصغارة خبثها وحسدها ، وجبانة يأسها وانتحارها ، وبكلمة واحدة بدنايا انانيتها ، تحلّل كل ذلك لنفسها لان قلبها يقضي بذلك.

اجل ! الانانيّة المجرّدة وشهوة التلذذ بحلاوة المرأة العارية ! هذه هي النواة القلبية الواحدة التي انبتت الكرمة الجبرانية بورقها وعناقيدها والدبس الذي صنع من زبيبها.

هذه النواة الشهوانية بذاتها هي الجوهر الذي تحلله آمنة العلويّة التي باحت باسرار « ارم ذات العماد » ، على ما سنرى في البحث القادم. (لها بقية)

(١) الارواح المتمرّدة ، ص ٢٦ و٢٧

الرُّتب الكهنوتيّة

في

الطائفتين المارونيّة والسريانيّة

بقلم الخوري اسحق ارملة السرياني

٤

٤ً طقس سياميذ الشمّاس اي الدياقُن (تابع)

وبعد هذا يلتفت الحبر في كلا الطقسين الى المذبح ، ويكشف الغطاء عن الاسرار ، وينبسط يديه كلتيهما ويُرفّ بهما فوق الجسد المقدس ثلاث مرّات[1] ، ويجمعهما. بعد ذلك فوقه كمن يغترف منه شيئاً وينقلهما هكذا مجموعتين الى الكاس فيفرغهما فيها . ثم يرفّ فوقها ثلاث مرّات[2] ايضاً ، ويجمعهما كما صنع فوق الجسد ويأتي بهما مضمومتين الى رأس المنتخب مستورتين بالنافور الكبير او بغفّارته ، ويفرغهما على رأس المنتخب . ثم يرفّ بهما فوقه ثلاثاً ، وهو صامت محدّق بعينيه نحو الملاء بمهابة . ثم يضع يمينه على رأس المنتخب تحت البدلة ، ويكون المنتخب مختفياً بها ، والشماس ماسكاً بطرفيها . فيُبرّ الحبر بيساره على صدر المنتخب وعلى ظهره ورقبته ووجهه ثلاثاً ، كمن ينفي ان يطرد عنه ابليس واعوانه . وفي ذلك كلّه يلوّح الشماسة بالمراوح . والحبر يصلي في كلا الطقسين صلاة دعوة الروح القدس سرّاً بالسريانية : « ايها الاله الذي ابتنى بيته ووطّدها » الخ . ولا يرفع الحبر يمينه عن رأس المنتخب الّا بعد نهاية هذه الصلاة التي هي صورة

---

١) الحبر السرياني يرفّ مرّتين

٢) الحبر السرياني يرفّ مرّة واحدة.

السيامية[1] . ثم يلتفت الى المذبح ، ويبسط ذراعيه ويجهر : « حتى اذا ما وقفنا امام المذبح المقدس» الخ . والشمامسة السريان ينشدون اثناء هذه الصلاة السرية : ܡܛܠ ܕܐܬܝܢܢ ܩܕܡ ܡܕܒܚܐ الخ . والشمامسة الموارنة يقولون: «قورياليسون. يا ربّ ارحم.»

وبعد هذا يتلو الحبر السرياني سرّاً: « انظر يا رب الينا والى خدمتنا» الخ. ويجهر : « لانك اله الجميع » الخ . وبعد ذلك يضع الحبر في كلا الطقسين يمينه على رأس المنتخب ، ويقول بصوت رخيم بالسريانية : « ارتقى في كنيسة الله المقدسة » الخ . كما ذكرنا في رسامة الرسالي . ثم يمسك الحبر السرياني بيد المرسوم وينهضه ويرف بالمرار فوق رأسه ثلاثاً شكل صليب وهو يقول بالسريانية : « لمجد واكرام » الخ . ويضع المرار على كتفه اليسرى. ثم يرف الحبر بالمروحة شكل صليب قائلاً : « لمجد واكرام » الخ. ويدفعها الى المرسوم . ثم يسلمه المبخرة ويأمره ان يطوف بها في الكنيسة ، وعند عودته الى المذبح يقبله ويقبل يمين الحبر فيتلو الحبر صلاة الشكر سرّاً: « نشكرك اللهم » الخ . ويجهر : « لكيما مع جميع الذين اكلوا مشيئتك » الخ . وبعد هذا ينشد الاكليرس نشيداً في تقريظ الآباء ، ويناول الحبر المرسومَ الجسد والدم بالملعقة ويختم تالياً عليه عظة مناسبة . فالحبر الماروني يقول : « انظر يا ابني الحبيب انك من التراب » الخ . والحبر السرياني يقول : « انظر يا ابني الحبيب كما سبقت فقلت لك » الخ . وبعد نهاية القداس يتولى الشماس الجديد تنشيف الاواني المقدسة ، ثم ينتصب في باب المذبح من ناحية الشمال حاملاً الانجيل والصليب ، فيتبارك منه المؤمنون.

على ان العلامة السمعاني اثبت بعد صلاة دعوة الروح القدس سبع صلوات سرية وجهرية اشار اليها المجمع اللبناني (٢٦٦) يتلوها الحبر على المنتخب ويختمها الشماس بمناداة. وبعد هذا ينهضه الحبر ، ويسمه في جبهته ثلاثاً ، وهو يقول بالسريانية : « لنختمنّ بالصليب القاهر عبد الله فلاناً شماساً » الخ . ثم

---

١) المجمع اللبناني : ٢٦٦ ؛ والسيد دريان : ٤٢-٤٦.

يضع البطرشيل في عنقه[1] ويقول : « ألبسْ يا رب » الخ . ثم يقرأ المرسوم الرسالة من طيمثاوس كما ذكرنا.

وبعد الرسالة ينادي رئيس الشمامسة في الطقس الماروني : « لنقف كلنا في الصلاة » الخ . ويتلو الحبر : « لك المجد يا ربنا يسوع المسيح » الخ . ويدفع الى المرسوم المبخرة ليبخّر الكنيسة في الدورة الاولى . ثم يدفع اليه كتاب الرسائل ، فيحمله في الدورة الثانية . ثم النافور الكبير فيحمله في الدورة الثالثة . ويسير الشمامسة امامه منشدين : ܗܢܐ ܡܫܬܐ ܕܡܪܝܐ الخ . وعند انثنائه يطأطئ هامته امام الحبر ، فيضع الحبر على رأسه جسد الرب قائلاً : « نعم ايها الرب الاله » الخ. ثم يضع الكاس على هامته ايضاً ويقول: « ايها الرب القدوس المجيد » الخ . وهذا كله لا اثر له في الطقس السرياني . وبعد هذا يجهر الحبر الماروني كالحبر السرياني قائلاً بالسريانية: ܐܠܗܐ ܩܕܝܫܐ الخ. وتُختم الرتبة في كلا الطقسين كما ذكرنا آنفاً.

رسامة رئيس الشمامسة اي الارخدياقُن

ليست رسامة رئيس الشمامسة ضروريّة او قانونية ، لانها على ما نصّ المجمع اللبناني (٢٦٧) تكمل بالبركة فقط . وعليه مجمع الشرفة ايضاً . ومن ثمّ لا حاجة ان يرقّى اليها الشمّاس قبل ترقيته الى رتبة القسّ المقدّسة . وقد صرّح ابن العبري في الهدى (٩٧) : ان الشمّاس يرقى الى هذه الرتبة بصكّ ممضىً من الاسقف فقط . وزد عليه ان العلّامة السمعاني اثبت انّ هذه الرسامة تكون في الخزانة او المَوْفه شأن جميع الرسامات الثانويّة قال : يدخلون الموفه في شموع ومراوح ومباخر ويحمل احد الكهنة الانجيل وغيره الصليب . وينتصب المنتخَب متوشّحاً بثوب الشمّاس اي بالقميص الطويل والبطرشيل ، وتبدأ

---

(١) قال السيّد دريان (ص ٩١) ان الحبر يضع للشمّاس بطرشيل الشمّاسيّة على الكتف الشمال (اعني كالسريان) مربوطاً تحت الابط الايمن (كرئيس الشمامسة عند السريان) . ثم يلبسه زنديَن احدهما بيمينه والآخر بشماله . وليس الزنديَن حديث في الطقس الماروني ، ولا اثر له في الشرطونيّة القديمة ولا في المجمع اللبناني (ولا في الطقس السرياني) .

الصلوات والمزامير والالحان والحسّاي الى السطر. ويقرأ المنتخب في كلا الطقسين من اعمال الرسل (٦:٢-٦ و ١٢:٢٥ و ١٣:٢ و ٣) ويصلّي الحبر سرًّا: «ايها الرب الاله الضابط الكل» الخ. ويجهر: «واقبل برأفتك» الخ.

وبعد هذا يضع الحبر الماروني كتاب الانجيل على صدر المنتخب، ويخرجون من الموفه ويطوفون به بالترانيم السريانيّة في الكنيسة ويعودون الى المذبح، وينادي الشمّاس مناداة. ويصلّي الحبر سرًّا: «سبحانك ايها المتعجب» الخ. ويضع عليه يمينه وهو يقول: «اللهمّ المتناهي في القداسة» الخ. ثم يأخذ منه الانجيل، فيقبّل المنتخب المذبح ويمين الحبر، فيرسل الحبر اورارًا كبيرًا على صدره وكتفيه من الامام الى الوراء، ويسمه في جبهته بسمة الصليب ثلاثًا وهو يقول بالسريانيّة: «تقدّم وارتسم واكتمل» الخ.

امّا الطقس السرياني فقد صرّح ان الحبر يرسل البطرشيل على كتف المنتخب اليسرى ويضمّه تحت ابطه الايمن، ويقول بالسريانيّة: «يكتمل فلان رئيس شمامسة» الخ. ثم يطاف به في الكنيسة. وعند عودته الى المذبح، يسلّمه الحبر في كلا الطقسين العكّازة ويقرأ المرسوم من لوقا (١٠: ١ - ١٤) على المنبر او في باب المذبح. ثم يضمّ كتاب الانجيل الى صدره وينتصب في باب المذبح الكبير، ويقبّل ايدي الكهنة. ويحيّيه الشمامسة والمؤمنون لاثمين كتاب الانجيل. ويناوله الحبر القربان الاقدس بالملعقة ويقول الخاتمة: «نشكر نعمتك» الخ. ويحثّه على القيام بواجباته، ويوليه السلطان على جميع الشمامسة. ويكتمل الحبر القدّاس.

ولرئيس الشمامسة ان ينادي المناداة على المنبر، ويقرأ الانجيل، ويُجلس القسوس على كراسيهم، ويقيم الرساليّين في مناصبهم، ويأمر باعطاء الكتب للقارئين. ويلازم الحبر في الاحتفالات حاملًا عكّازه بيديه كلتيهما مرفوعًا عن الارض، لانه ترجمانه وكاتبه ويده وعينه[1]. وله ان يرتّل في القدّاس دبتيخا الآباء الاحياء وقانون الايمان والصلاة الربّيّة. وقد خصّ رئيس الشمامسة

١) الهدى لابن العبري: ٩٧، والمجمع اللبناني ٢٢٠

باكليل مستدير كروي في اعلاه صليب . وزيّه زي الشمّاس بلا فرق . ولا يكون في الكنيسة الكاتدرائية الّا واحد فرد من كبار الشمامسة . ويجوز ان يكون في كلّ محلّة او قرية امثاله ليرئسوا مَن دونهم من الاكليرس[1] .

٥ً طقس سياميذ القسّ

الرتبة الثانية من الرتب المقدّسة عند كلتا الطائفتين رتبة القس قُصصا والقسّ لفظ سرياني يراد به الشيخ . ويرقّى الى هذه الرتبة في السن الخامسة والعشرين[2] . وله ان يقدس جسد الربّ ودمه . ويحلّ التائبين من خطاياهم بتفويض من اسقفه[3] . ويناول المؤمنين القربان الاقدس . ويعمد ويدهن المرضى بزيت المسحة . ويقيم الصلاة الجهورية في الكنيسة لاجل الاحياء والاموات . ويبارك ويعظ ويعلّم ويترأس . وله في الطقس السرياني ، دون الماروني ، ان يدهن المعمود بالميرون المقدس ويثبته .

وعند الرتبة يشتمل المنتخَب بثوب الشمّاس ، ويجثو على ركبتيه كلتيهما . فيجلس الحبر بعد الرفعة الاولى على الكرسي ، ويتلو عليه صورة الايمان الخ . كما تلاها على الشمّاس . ثم يضع الحبر السرياني يمينه على كتف المنتخَب ويقول بالسريانية : « روح القدس يدعوك لتكون قسيساً في الكنيسة المقدّسة » . اما الحبر الماروني فيسمه في جبهته ثلاثاً وهو يقول : « ليباركك الرب الاله بين قسوس البيعة » الخ[4] . ويدخله الحبر في كلا الطقسين الى المذبح فيجثو على ركبتيه كلتيهما متكئاً[5] . ويبدأ الحبر : « اعضد يا رب بيمينك القويّة » الخ .

---

١) المجمع اللبناني : ٢٢٠ ، ومجمع الشرفة : ١٦٥ و١٦٧

٢) المجمع اللبناني : ٢٥٧ ، ومجمع الشرفة : ١٦٧

٣) المجمع اللبناني : ٢٢٤و٢٢٥ ، ومجمع الشرفة : ١٦٨ و١٦٩

٤) اضافت بعض الصحف المارونية الحديثة هنا البسملة و سلك هنه الخ . و ٤مدهسا لاحه الخ . خلافاً للوضع القديم

٥) ورد في بعض الصحف القديمة ان الشماس يضمّ كتفيه الى ظهره لا الى صدره كما ألمنا .

وتنشد المزامير والالحان الى الحسّاي : « لملك الملوك ورب الارباب » . الخ ثم : « ايها الرب ربّنا المفعم رحمة » الخ . يلي ذلك اربعة ابيات بوزن الالاعلا ويقول الجبر الصطر : « اقبل يا رب بلذة » الخ .

وتقرأ هنا في الطقس السرياني الرسالة من مار بولس (١ قور ١٢ : ١٨ و ١ طيم ٣ : ١–٦ و ٤ : ١١–١٦) كالطقس الماروني . يليها الانجيل في الطقس السرياني من (يوحنا ٢٠ : ١٩–٢٣ و ١٦ : ٣١–٣٣ و ١٧ : ١٢) وفي الطقس الماروني من (يوحنا ٢١ : ١٥–١٩) وعندما يرتّل الجبر السرياني الآية ٢٢ « ونفخ فيهم » ينفخ في وجه المنتخب ثلاثاً شكل صليب .

وبعد الانجيل تُنشد الابيات المسبّقة بالمزمور ١٥٠ كما ذكرنا وينادي رئيس الشمامسة مناداة . ويصلّي الجبر الماروني : « المجد لك ايها الاله الصالح » الخ . وزادت شرطونيّة الموارنة الحديثة التقاديس الثلاثة وقانون الايمان . امّا الجبر السرياني فبعد المناداة يصلّي سرًّا : « ايها الرب اله القوّات » الخ . كما ذكر المجمع اللبناني . ويجهر : « اقبل القسيس وكمّل عبدك » الخ .

وههنا يدفع الجبر السرياني عكّازه الى رئيس الشمامسة كما ذكرنا في سياميذ الشمّاس فيقبّل هذا يمينه ويقبض على العكّاز مرفوعاً عن الارض وينتصب في باب المذبح ... وينادي [illegible] الخ . ويصلّي الجبر سرًّا : « اقبل يا رب برأفتك » الخ . ويجهر : « اجل ايها الرب الاله » الخ .

وبعد هذا يلتفت الجبر في كلا الطقسين الى المذبح ويكشف الغطاء عن الاسرار الخ . كما اثبتنا في سياميذ الشمّاس ، ويتلو صلاة دعوة الروح القدس سرًّا : « ايها الاله العظيم العجيب » الخ . ويلتفت الى المذبح ويجهر : « حتى اذا تلاقى في المجيء الثاني » الخ . او « لانك الاله » الخ . ويكرّر الجبر الماروني ذلك ويثلّثه الى قوله سرًّا : « ايها الرب الاله الضابط الكل » الخ . ويجهر : « اذ لك يا رب » الخ[1] . وينادي رئيس الشمامسة الماروني :

---

١) اشار المجمع اللبناني : ٢٦٩ الى ذلك بقوله : ان الجبر يتبع ذلك بتلاوة بعض صلوات واضعاً يده على الاسرار ثم على رأس المنتخب .

ܗܘܝܢ ܕܢܗܘܢ ܠܗ ܠܡܪܝܡ . اما السريان فينشدون هذه الابيات بين جوقتين بعد الانجيل كما اثبتنا آنفاً.

على ان العلامة السمعاني اورد هنا بحروف كرشونية ما نصّه : « راس الكهنة يفتح يدي المنسام ويمدّها ويجعل كفّه الواحد بقرب الآخر ويصلّي : « ايها الاله القدّوس » الخ . ويأخذ من الميرون على ابهمه ويدهن به كفوف المنسام صليباً من ابهم اصبع اليمين الى شاهد اصبع الشمال ومن ابهم اليسرى الى شاهد اليمنى ويمسح به كفوفه ويطبقهما قائلاً : « وامسحه بدهن قدسك الحي » الخ[1] . ووافقه على ذلك المجمع اللبناني . ثم استتلى السمعاني ان الحبر يقول حين ذلك : « ابانا الذي » الخ.

وبعد هذا يتلو الحبر في كلا الطقسين سرًّا : « انظر الينا يا رب والى خدمتنا » الخ . ويجهر : « لانك الرب والاله » الخ . ويضع يمينه على رأس المرسوم ويسمه ثلاثاً قائلاً بالسريانية : « ازتقى في بيعة الله » الخ . ثم يتلو الحبر السرياني سرًّا : « نشكرك يا ربنا » الخ . ويجهر : « كيما مع جميع الذين ارضوا » الخ . ويلتفت الى المرسوم وينهضه فيقبّل المرسوم يمينه . ويأخذ الحبر بتلبيسه الاثواب الكهنوتية ، فيرفّ بكل منها ثلاثاً فوق الاسرار وثلاثاً فوق رأس المرسوم ، وهو يقول بالسريانية : « لمجد واكرام » الخ . ويجاوبه الاكليرس . فيلبسه اولاً البطرشيل[2] ثم الزنار[3] ثم الزندين ثم الغفارة[4].

---

١) اعلم ان جميع الملاحظات في النسخة السمعانية سريانية ما عدا هذه الملاحظة التي لا اثر لها البتّة في النسخ المارونية القديمة (دريان ١٦ و ٢٠) . ويستدلّ من ذلك انها أُضيفت تبعاً للطقس اللاتيني.

٢) البطرشيل في الطقس السرياني مضموم في قطعة واحدة عريضة عليها غالباً ثلاثة صلبان يدلّه القس على صدره من العنق الى القدمين . اما البطرشيل الماروني في عهدنا فكالبطرشيل اللاتيني.

٣) الزنّار يكون حريرًا ارجواني اللون موشّى بالذهب (المجمع اللبناني : ١٦٦ و ١٦٧) وذكر السيد يوسف دريان (ص ١١٠) ان في دير سيّدة لويزة زنانير شرقية (سريانية) يستعملها القسوس احيانًا . وقيل انها كانت تستعمل عند العموم . اما اليوم فزنّار القس الماروني كزنار القس اللاتيني.

٤) بُدّلت غفارة السريان الموارنة ببدلة لاتينية منذ عهد البطريرك ارميا العمشيتي عام

وهنا تقرأ الرسالة فالانجيل في الطقس الماروني . ويقول رئيس الشمامسة المناداة ويردفها الحبر بصلاة : « يا واهب الخيرات » الخ.

ثم يدفع الحبر في كلا الطقسين المبخرة الى القس الجديد فيضع فيها بخوراً ويطوف بهـا في الكنيسة[1] وعند عودته الى المذبح يقبّله ويقبّـل يمين الحبر فيأمره الحبر ان يتلو الحسّاي العمومي[2] . وبعد هذا يناوله القربانة مغموسة بالدم الاقدس[3] ويأمره فيناول الشمامسة والمؤمنين. ثم يتلو الخاتمة: « نشكرك » الخ. ويحرّض المرسوم على القيام بوظيفته قائلاً : « يجب عليـك بداءة بدء » الخ . وزاد المجمع اللبنـاني (٢٧٠) ان الحبر يحلق شعر رأس القس على شكل اكليل ويلبسه العمامة ، فينتصب في باب المذبح الشمالي ، حاملاً كتاب الانجيل والصليب ، ويوافي المؤمنون ويتباركون منه.

١٢١٥ اذ رسم البابا اينوشنسيوس الثالث ان يجري الموارنة في استعمال الملابس الحبرية . . حسب عادة اللاتين واصطلاحاتهم (المجمع اللبناني ١٦٥ ١٦٨) . قال السيد دريان (ص١١١) ان البدلة كانت كبدلة السريان حالاً منتوحة من الامام بعد تبكيلها عند العنق وقس على ذلك الكسّين اي الزنديين.

١) هنا يطوف القس الماروني في الكنيسة ثلاث مرات : اولاً بالمبخرة ، ثانياً بالانجيل ، ثالثاً بحقّ القربان الاقدس . وينشد الشمامسة اذ ذاك حه قصه ايهوصوحنا الخ . و هيمسه ؤصحصما الخ . ثم يضع الحبر يده على رأس المرسوم ويصلّي : « اجل ايها الرب الاله نطلب » الخ . ويضع صليبا على رأسه وهو يقول : « تباركت ايها الرب الاله » الخ . ويمسك بيده ويدخله الى المذبح فيقبّله ويقبّل يمين الحبر الخ.

٢) هـذا الحسّاي العمومي يتلوه القس السرياني ايضاً . غير ان السمعاني والمجمع اللبناني (٢٦٩) اثبتا حسّاي الكهنة المتوفّين.

٣) في الطقس السرياني يناول الحبر القس الجديد الجسد والدم الاقدسين بالملعقة . والملعقة كانت مستعملة في الطقس الماروني ايضاً وقد ورد ذكرها في كتاب الناقور المطبوع في رومية عام ١٥٩٢

(لها بقية)

معلومات ومستندات

للخوري اغناطيوس جمجع

٢

عوائدهم (تابع)

كان الملبوس للرجال والنساء يتطوّر بتطوّر العصور . فكان اولًا القميص للارض لا سيما قمصان الردينية ثم السراويل ثم الفنابيز . وللرجال خاصة العباءة البشراوية واللبادة ، او الكوفية والعقال او العراقية والطربوش بانواعه .

اما النساء فكن يلبسن كثيرًا من الحلي من ذلك السلّيتات وهي حبال من ذهب رفيعة تمتد من الرسغ الى الزند مرتبطة بقفل . والشكمات نوع من الاساور عرضها اربعة اصابع بقفل . ثم الاساور والدمالج والخواتم والبفاق يطوّق العنق كالاصابع بطبعات من ذهب . والسنوبرية تتعلق منحدرة من العنق الى الصدر . والفاتق على نسق قلوب الفستق تمتد من الاذن وتشكل بدبوس في الشعر على الجهتين بعرض خمسة اصابع مقرنة . والخلق مع اصنافها ولاسيما حلقة تعلق في الاذن ويمتدّ منها سلسلة مشكوكة بالغوازي الذهبية والسوالف وهي جدائل تنتهي باساور رفيعة معلقًا فيها ثلاث غوازي .

اما على الرأس فيضمن اولًا الشكة وهي غوازي من ذهب ممتدة من الاذن الى الاذن ويربطن عليها منديلًا ثم المقدّر ، وهو بعرض اصبعين او ثلاثة يربط على الجبهة . والغطاء النقاب . اما الطبر فهو كناية عن شلال غوازي او رباعي ذهبية يربط فوقها اكثر من عشرين منديلًا . والطنطور قضيب رفيع من حديد او من فضة مغطى بمنديل مشكوك غوازي ذهبية . اما الطاسة والقرص والطربوش والطرة والعاقوص والخلخال فلا حاجة لشرحها .

دياناتهم ـ بعض مظاهر عباداتهم

قال ابن القلاعي في مختصره : كان الموارنة في دخول المسلمين الى بلاد الشام يسكنون جبل لبنان ، ويتولون باقتدارهم وسيطرتهم الجبال والسواحل التي تجاورهم ، ويعتقدون بايمان الكنيسة الرسولية الرومانية ، ويقدمون الطاعة لبطريركهم المقيم بينهم ، ويحامون عن الدين المستقيم ، ويتضرون لكل من اتاهم حباً بالامانة من ظلم اصحاب الكفر. فاشتهر سكان بشري بهذه الصفة.

كانوا كل يوم يحضرون لسماع القداس . ويقيمون الصلاة صباحاً ومساء فتجتمع العائلة قبل الرقاد وتتلو الصلاة مع طلبة العذراء . اما مناولة القربان المقدس فكانت عمومية الاحد الاول والثالث من كل شهر.

وكان الكهنة لديهم ممثلي الديانة ، فيسمعون كلامهم ويقولون قولهم. واذا تخاصم احد مع الآخر اصطلحا عند غروب الشمس واخذا البركة من الكاهن ، تابعين قول المسيح « لا تغرب الشمس على غضبكم » وكان اعظم شرّ واكبر خطيئة في نظرهم الزنا والحرام . وكل زانٍ وسارق منبوذ بالفعل ذاته من الجماعة ومطرود من الكنيسة . وعلى كل انسان ان يحامي عن العرض، ومن مات في هذه المحاماة كان له الفخر والاكرام.

ومن مظاهر تقواهم عبادتهم لمريم العذراء فانهم كانوا على يقين من ان الله لا يردّ شفاعتها . فان اهانوا الله فمريم تشفع بهم . فاما اذا اهانوا مريم فمن يشفع بهم ؟ ومن تأثير عبادتهم لها كانوا يسلمون قائلين : « يتمجد اسم يسوع ومريم » فيكون الجواب : « السلام لستنا مريم . » ثم ان شركة الوردية ، وثوب الكرمل ، وقطاعة شهر ايار وصيامه وصيام السبت كان كل ذلك عمومياً . وقبل المنام كان رب البيت يجمع العائلة ويتلو طلبة مريم العذراء كما تقدم.

اما ايام الصيام فكان يجتمع الجمهور عند الكهنة . وفي آخر القراءة الروحية تبتدي تلاوة آيات الكتاب المقدس . وكان على كل حاضر ان يورد آية تبتدئ بآخر حرف من الآية التي قالها جاره قبله.

ومن العادات الدينية انهم كانوا « يشمنون » الاطفال اي يزيحونهم يوم

اجمد الشمانين . اما الاولاد فيحملون ضف النخل ويدخلون الكنيسة مع الرجال صائحين بهتاف عظيم : « مبارك الآتي باسم الرب . . . محبتي بدين المسيح كيرياليسون : » ويتكرّر ذلك عند تلاوة الانجيل ، ثم في خروجهم من الكنيسة وتطوافهم حولها .

وكذلك كانت تظهر تقواهم في خميس الجسد ، واحتفالهم اذ ذاك دليل على ايمانهم بوجود المسيح في القربان المقدس . فالرجال يرشون الماء المطهّر ، والاولاد ينثرون الزهور ، والنساء يبذرن الحبوب . وتطرح الاغطية تحت اقدام الكاهن الحامل الجسد . ويقوم فريق من الشبان باطلاق البارود . وعند دخول الجسد الى الكنيسة كانوا يصعدون الى السطح ويتابعون اطلاق « المراضة » .

الكنائس

تظهر بشري محاطة بسور من الكنائس تحميها من صدمات العدو والامراض الوبائية . فترى شرقاً كنيسة الارز ، فار انطونيوس الكبير ، فار ليشع الفوقاني فدير الصليب ، فار سركيس ، فسيدة الحسن ، فار ماما ، فار نهرا ، فانطونيوس البادراني ، ثم الجديد الذي بناه الخوري انطونيوس جعجع .

شمالاً مار باسيليوس وهو الآن مقبرة ، فار يوسف القديم ، فسيدة النور ، فحمل الله ، فار تادرس ، فسيدة الدر . غرباً مار يعقوب المقطع ، فالقديسة بربارة ، فار برجس ، فارت مورا .

جنوباً وادي قاديشا وصوامعه في اوسط مار الياس ، فمار مخائيل ، فار سابا ، فار توما ، فار يوحنا (مار توما انضم الى كنيسة مار يوحنا) فار يوسف الجديد دير الكرملتان ، فسيدة نايا ، وسيدة بشرّي . (مار يوسف الجديد تم بسعي الخوري يوسف النعجة والخوري مبارك كيروز) وكان البشراويون وقت الامراض وزمن الحرب يحيطون هذه الكنائس بزنانير ومحارم وقماش . . . وتدوي بصراخ النساء طالبات متضرعات بحفظ الاهل وصون الاوطان .

وقد ذكر الدويهي نبذة عن بناء بعض الكنائس قال :

في سنة ١١١٢ شرع بعض اهل البرّ يبنون كنائس واديرة ومدارس .

وكان للخوري باسيل البشراني ثلاث بنات تقلا وصالومي ومريم نذرن العفة وانفقن جميع ما يملكن على بناء الكنائس. اما تقلا فبنت في بقرقاشا هيكل مار جرجس ومار ضوميط، وفي بشنين من ارض الزاوية كنيستين احداهما على اسم القديس لابا الرسول (وهو تدّاوس او يهوذا اخو يعقوب) والثانية على اسم القديس سركيس الشهير. اما اختها مريم فبنت هيكل القديس سابا في بشري. وصالومي انشأت هيكل القديس دانيال في الحدث (الدويهي ص ١٠٣)

تربية الاولاد

فرحُ الاب باولاده. فمن كثرت اولاده كثر عزّه وطابت نفسه ... ولهذا كان اذا ولد مولود تدوي البلد بقرع الجرس فرحاً واطلاق البارود سروراً. ويترك الاب اسمه متخذاً كنية «ابي فلان» باسم ولده البكر. وبعد ثمانية ايام يعتمد الولد، وتُدعى الناس الى وليمة العماد. واول كلمة يتلفظ بها الطفل أبا ماما، ثم يسوع مريم. ويتقدم عمراً وعلماً في الديانة والقراءة ... واعتقاد الاهل ان الولد عطية الله ووديعة منه فلا بد من المحافظة عليه ... فكان الجميع يمتنعون امامه عن كل كلمة او حركة ضد الاداب كي يبعدوا عنه كل سبب فيه بزور الشر. وكانت تتلى على سماعه قصص الحرب والحماسة والشرف وحب الوالدين واكرامهم واعتبار من هم اكبر منهم سناً، فيترسخ في ذهنه احتقار الموت، ويتشرّب حب الفخر والمجد. في صغر الناشئين تبتدئ ممارسة الحرب من ركوب الخيل، ورمي «العلام» بالرصاص او النشاب، والمصارعة، والمباطحة وكثيراً ما تراهم شطرين متحاربين خارج البلدة بالحجار وبالمقلاع وبالنشاب ثم بالعصي، واخيراً بالرصاص حتى اذا كُسر فريق منهم وارتد الى الوراء، رجع الفائزون وهم موضوع فرح الاهل والجيران، ولاسيما من يرى عليه علامة الدم فيكافأ احسن مكافأة. وهكذا كانت تتروّض الاولاد على الحرب واخذ الثأر والمحافظة على العرض والوطن.

فرصهم

للاب سلطة مطلقة. والزواج منوط بالوالدين، فينتخب الاب العروس لابنه

ويهوها حشمتها وتقواها وسمعتها ولاسيما صيت والديها . حتى اذا تم القول بين والد العريس ووالد العروس يقول الاب لابنه : اخترت لـك فلانة عروساً . فيجاوب : ارادتي ارادتـك . والعروس تقول : القول لابي ليس لي ، اريد من يريده . ومن ثم يتوجه الكاهن واهل العريس الى بيت العروس طالبين الابنة رسمياً واضعين الخطبة . وبعد ذلـك يتردد العريس الى بيت الخطيـبة ، وهي محجوبة عنه لا تظهر امامه . ثم ينادى بالكنائس ثلاثة آحاد متوالية في القداس : « ان فلانٍ طالب فلانة للزواج فعلى من يعرف وجود مـانع ان يظهره والّا يحرم . » واذا تمت ايام الخطبة يذهب العريس مع البعض من الرجال فيخطفون العروس ، وهي تصرخ وتولول ، فيحملونها او يجرونها بايديهم .

ثم يبتدئ العرس مدة ثمانيـة ايام وكل ليلة تجتمع الرجال عنـد العريس والنساء عند العروس بالاغاني والرقص والدبكة .

يصير الاكليل في الكنيسة . وعند الانتهاء يرتـدون الى بيت العريس . وهناك يفرحون ويتهللون بالشرب والاغاني والتراويد .

وعند دخول العروس الى البيت تقف حماتها امام البـاب وتناولهـا خميرة تلصقها على عتبة الباب . ثم تدخل وتجلس على مرتبة مرتفعـة ، والكريشة مسدولة على وجهها فيمر الرجال امامها قائلين : « مبارك صلاتك يا عروس ، الله يتمم افراحكم بخير . »

وبعد اسبوع يحتفل « بقداس الاسبوع » فترسل اوراق حناء الى كل بيت مدعوّ الى العرس مساء ، فتحتنى النساء ، ويـذهبن الى بيت العروس صبـاحاً لابسات اثواب الفرح يمشين على صفين امـام العروس والعروس تتنقـل رويداً رويداً على وجهها كريشة حمراء شفافة ، وعلى عينها الشبينة . اما العريس فيحضر القداس يحيط به الشبين وبعض الرجال . وعند انتهاء القداس يرجع المـدعوّون الى البيت وتوضع مائدة للرجال يترأسها العريس ومائدة للنساء تترأسها العروس .

ومن مظاهر افراحهم الرقص . ويكون ذلك بان يقف الراقص قائلاً : « دستور ، يا شيخ » موجهاً كلامه الى الاكبر . ثم يلتفت الى الجمهور قائلاً : « دستور يا شباب . » فيبتدئ التصفيق والدقّ بالمنجيرة . ثم يأخذ الراقص يلعب

متمثلاً متخلفاً متقدماً متأخراً حسب النغمات . ومن المدهش رقصهم بالسيف والخنجر وما الى ذلك من الالاعيب الدقيقة البهيجة .

حزنهم

حزنهم كفرحهم شديد جداً . اذا مرض رجل مرضاً ثقيلاً تأخذ الكآبة من الاقارب والمعارف ، وتتوارد الناس لعيادته . ويلازمه الكاهن ليلاً ونهاراً حتى اذا اشتد المرض نبهه قائلاً له : قل « يا يسوع بيدك اضع روحي . تعلق بحبال المسيح . تعلق برجاء مريم ، قدم حياتك ، بدك تموت . قل فعل الندامة حتى حلك » ثم يمشحه محاطاً من اقاربه ذارفين الدموع طالبين من الله ان يتسلم روحه ويقوده الى السماء بواسطة ملائكته . وعند موت المريض يرتفع الصراخ ويقرع الجرس حزناً فتتراكض الناس الى بيت الميت فيجتمع الرجال مع الرجال والنساء يحطن الجثة نادبات باكيات مترنمات حزناً .

وما دامت الجثة في البيت ، لا يكنّ النساء عن الندب والولولة . وفي كل فترة يدخل اهل الميت من الرجال مع بعض الاقارب فيودّعون الراحل بكلام مؤثر ويرددون « التراويد » المحزنة . وفي آخرها تطلق النساء الصراخ . ثم يدخل الغرباء ويرجعون اهل الميت الى الخارج . اما اذا كان الميت في اول عمره فيقوم مقام الندب الرقصُ واللعب بالسيف كما في الافراح .

واذا مضت اربع وعشرون ساعة يؤخذ الميت الى الكنيسة ، والرجال امام النعش والنساء وراءه ناشدات اناشيد محزنة يبكي لها النامعون . وبعد الدفن يرجع المحزونون الى البيت مرافقين ممن شاطرهم الاحزان . ثم على مدة اربعين يوماً يدعو الرجالُ الرجالَ من اهل الفقيد غداء وعشاء ، والنساء تحمل صواني الطعام للنساء المحزونات . وعلى مدة اربعين يوماً كذلك تجتمع النساء بعد القداس اليومي على القبر فيندبن الميت ويبكينه ساعة . ثم يرافقن المحزونات الى بيتهن . . . وان كان الميت زعيماً تسرج الخيول وتطوف الطرقات امامها النادبات تندب والرجال « تروّد » حزناً . . . ومدة اربعين يوماً ترتدي الناس ثياب الحزن والعصبة على رأس النساء . اما الرجال فيمتنعون فوق ذلك عن حلق الشعر وابداء علامة فرح . ونهار الاربعين يفكّ الحزن . (له صلة)

جولة في البحوث

بحث في املاك الدولة – الحالة الاقتصادية في سورية ولبنان

بحث في املاك الدولة

قابل محرر « الزراعة الحديثة» (حماه) الامير مصطفى الشهابي ، مدير املاك الدولة في سورية، والقى عليه عدة اسئلة في ما يتعلق باراضي املاك الدولة ، فاجاب عنها الامير اجوبة مفيدة من حيث التاريخ والزراعة رأينا ان نقتطف منها ما يلي : (الزراعة الحديثة، نيسان ١٩٣٢ ص٣٧٤)

١ً كيف اتصلت املاك الدولة بها ؟

املاك الدولة على انواع منها الابنيـــة كدور الحكومة ومخافر الـــدرك والشرطة وابنية المدارس وغيرها . ومنها الاراضي الخالية والمحلولـــة . ومنهـــا الاملاك المدورة وهي اهم الجميع وعليها نقصر حديثنا .

كان المغفور له السلطان عبد الحميد ماهرًا في امتلاك الارضين . وكان له عمال دأبهم تحري الاراضي الخالية وتسجيلها على اسمه في سجلات التمليك كما كانوا يتقدمون لشراء كل ارض تبيعها الحكومة بالمزايدة اما لانهـــا حلت عن اصحابها المتوفين بلا ورثاء او لانها ما وضعت الحكومة يدها عليه لقاء ديون عجز المدينون عن تسديدها . وهكذا امتلك السلطان المشار اليه في بلاد الشام وحدها مساحة من الارض واسعة تقدر بنحو ١٥ مليون دونم منها ستة ملايين دونم تستثمر في ايامنا هذه ، وثلاثة ملايين دونم قابلة للاستثمار لكنها اليوم خالية من العمران ، والباقي يصعب استثماره لاسباب شتى اهمها كون تلك الاراضي تقع في اقاليم امطارها قليلة لا يزيد ارتفاعها في السنة على ٢٠٠ مليمتر ولهذا قلما يستفاد منها في غير رعي الماشية .

ولما اعلن الدستور العثماني تنازل السلطان عبد الحميد عن املاكه الخاصة اي الاملاك المدورة لخزانة الدولة العثمانية بارادتين سنيتين مؤرختين في ٢٦ آب ١٣٢٤ و٢٠ نيسان سنة ١٣٢٥ رومية (٨ ايلول ١٩٠٨ و٣ ايار ١٩٠٩) لقاء مليون ليرة ذهبية تدفع له من الخزانة المذكورة لتسديد ديونه الخاصة. ثم جاءت المادة الستون من معاهدة لوزان فقضت بأن تحل الدول المنسلخة عن الامبراطورية العثمانية مكان تلك الامبراطورية في امتلاك كل ما كان يعود لها، وخصوصاً ما كان تنازل عنه السلطان عبد الحميد لخزانتها . وبذلك اصبحت املاك السلطان المشار اليه من املاك الدولة السورية الخاصة.

٢ً اين تقع هذه الاملاك وما هو متوسط وارداتها ؟

يقع معظم الاملاك المذكورة شرقي حمص وسلمية وفي الحمراء وفي اقضية منبج والباب وجبل سمعان واداب . وفيها اليوم ٨٥٤ قرية او مزرعة عامرة يبلغ مجموع مساحتها نحو ستة ملايين دونم كما قلت ويشتغل فيها نحو عشرين الف اسرة زراعية.

وتقل الينابيع والانهر في تلك الاراضي فلا يزيد ما يسقى منها على ثلاثين الف دونم تقريباً . اما الباقي فمن الاعذاء اي مما يزرع على المطر ولذلك فهو لا يعد من الاراضي الغنية اجمالاً . ولا تجود فيه الا الحبوب الشتوية وبعض الزروع الصيفية في العميق من الاتربة.

واذا ما علمتم ذلك ادركتم السبب الذي يجعل واردات بيت المال من الاراضي المذكورة قليلة بالنسبة لمساحتها الواسعة . فالدولة تستوفي ١٧٫٥٠ الى ٢٢٫٥ في المائة من محاصيل المستأجرين ومن ضمنها العشر القانوني . ويبلغ مجموع واردات الدولة من ذلك خمسمائة الف ليرة سورية الى ستمائة الف في السنين المعتدلة اي التي تكون فيها الامطار واثمان الحبوب اعتيادية.

٣ً هل تظنون بيع هذه الاملاك انفع ام ترجحون بقاءها على حالها ؟

ذكر الامير قلة فائدة الحكومة من استغلال املاكها بنفسها . . . وختم قائلاً:

كنت اقترحت على الحكومة ان تبيع املاكها على صور شتى : فالارض المستغلة تباع بالمراضاة من فلاحيها دون غيرهم على ان يدفعوا الثمن اقساطاً في

مدة عشر سنين الى خمس عشرة سنة . والارض الخالية تجزأ وتؤجر للفلاحين الذين يريدون عمارتها ريثما تباع منهم او تباع بالمزايدة عند فقد الفلاحين . اما عقارات الدولة في المدن فكلها تباع بالمزايدة العلنية.

وقد قبلت الحكومة والسلطة المنتدبة بهذه الاسس ، واصدر المفوض السامي قراراً مرقماً برقم ٢٧٥ ومؤرخاً في ٥ ايار ١٩٢٦ يقضي باتباع هذه الخطة ويبين طرق السير فيها باسهاب.

وقد سرنا على هذا المنوال منذ ذلك التاريخ فبعنا حتى اليوم اكثر من ٢٥٠ قرية كما بعنا معظم عقارات المدن واتخذنا برنامجاً يقضي بان لا يقل ما يباع في السنة الواحدة عن خمسين قرية بادئ بدء ومائة قرية بعد الآن.

الحالة الاقتصادية في سورية ولبنان

القى الدكتور جورج فرشيه في الجمعية الملكية للاقتصاد السياسي بالقاهرة خطبة اجمل بها الحالة الاقتصادية في سورية ولبنان ، لخصتها « الهلال » في عددها الاخير (حزيران ١٩٣٢ ص ١١٠٧) فرأينا ان نفيد قرّاءنا بما قاله الخطيب عن التنظيم الاقتصادي في بلادنا :

ان هذا التنظيم يقتضي القيام بمشروعات اقتصادية كبيرة ، والمشروعات تحتاج الى اموال كثيرة لا تتحملها ميزانية البلاد. ولذلك فكر ولاة الامور في هل من الحكمة ومن المصلحة عقد القروض في الخارج لاستغلال موارد البلاد.

ويقال بوجه الاجمال ان الاهالي يرغبون في عقد تلك القروض لاعتقادهم ان الفائدة التي يجنونها من استثمار الاموال الاجنبية تعود عليهم بالربح . الا ان اعتبارات سياسية واقتصادية حالت اخيراً دون عقد تلك القروض.

ولا بد لنا هنا من كلمة عن نظام الانتداب فهو يقضي بوضع تلك البلاد تحت رعاية فرنسة وان تكون الدولة المنتدبة شبه وصي ، وان تقتصر مهمتها على اعادة تنظيم البلاد سياسياً واقتصادياً بالتدريج.

فترى من هذا ان نظام الانتداب هو ضرب من الحماية الموقتة ، وان البلاد انما وضعت تحت وصاية الدولة المنتدبة لكي تتولى هذه تدريبها للحصول على استقلالها بمرور الزمن.

وانت تعلم ان اعظم مظهر للاستقلال هو الاستقلال المالي . وطبيعي ان

الجماعات او الحكومات التي تقرض البلاد الواقعة تحت الانتداب تطلب الضمانات الوافية للاموال التي تقرضها . وليس نظام الانتداب ضماناً من هذا القبيل اذ يكفي ان تكون الكثرة في مجلس النواب الفرنسي يوماً ما في جانب الذين يقولون ان فرنسة تخسر باصرارها على الاحتفاظ بانتدابها على سورية اكثر مما تكسب حتى يسقط ذلك الضمان . وفي الواقع ان البلاد قد كانت معرضة غير مرة لمثل هذا الانقلاب الخطير . وما تزال تجهل ما يكنه المستقبل .

وقد اقترح بعضهم ان تضمن فرنسة نفسها القروض التي تحتاج اليها البلاد . وفي هذه الحالة يتمتع لبنان وسورية بالمزايا التي تتمتع بها الجزائر ومراكش والهند الصينية حيث تستثمر رؤوس الاموال الاجنبية . على ان الدوائر المالية والسياسية الفرنسية تجد في معاملة سورية ولبنان بمثل تلك المعاملة صعوبات جمة . اضف الى ذلك ان ثورة الدروز والثورة السورية احدثتا أثراً سيئاً من الوجهة المالية . ومع ان تينك الثورتين اخمدتا فقد ظل الماليون ينظرون الى البلاد الواقعة تحت الانتداب بعين الحذر وعدم الطمأنينة .

ومنذ سنتين تحسنت الحالة واستتب الامن في تلك البلاد ، فاستأنف المسيو بونسو مساعيه في سبيل عقد قرض في الخارج بضمان الحكومة الفرنسية . وكان ثمة مشروع ينتظر له نجاح عظيم من هذا القبيل لولا ان الحوادث تطورت بعد ذلك تطوراً غير منتظر .

ففي خلال سنة ١٩٣٠ وضعت مصلحة الاشغال العمومية برنامجاً لمشروعات كبيرة كان يراد القيام بها على شروط مالية ملائمة بمعونة الدولة المنتدبة على ان تقدم هذه الدولة جانباً من اموال التعويضات المستحقة لفرنسة على المانية بمقتضى مشروع يونغ . ومن ضمن تلك المشروعات انشاء خطوط مواصلات كهربائية بين مراكز الانتاج ومراكز « التصريف » . وقد قدرت الاموال اللازمة لها بخمسة وسبعين مليون فرنك ، يؤخذ سبعون مليون فرنك منها من اقساط التعويضات الالمانية . ومنها مشروع انشاء خط حديدي بين بيروت وطرابلس قدرت نفقاته بمائة وخمسين مليون فرنك ، يؤخذ ٥٥ مليوناً منها من اقساط تلك التعويضات . ومشروع آخر لانشاء خط حديدي بين حمص ودير الزور

قدرت نفقاته ٢٢٠ مليون فرنك ، يؤخذ نصفه من اقساط التعويضات. ومشروع آخر لتوسيع ميناء بيروت قدرت نفقاته بخمسة وسبعين مليون فرنك ، يؤخذ ٤٥ مليوناً منها من تلك الاقساط . ومشروعات ري كبيرة قدرت نفقاتها بمائتي مليون فرنك كان يراد اخذ ٧٥ مليوناً منها من التعويضات . وانشاء مصلحة للتلفونات قدرت نفقاتها بستين مليوناً من الفرنكات.

هذه بعض المشروعات التي كان في النية القيام بها والاستعانة على تنفيذها باقساط التعويضات الالمانية . الا ان سوء الحالة المالية في المانية في السنة الماضية قضى باعلان الموراتوريوم وتأجيل تسديد اقساط الديون والتعويضات باقتراح المستر هوفر رئيس الولايات المتحدة ، فقضى على مشروعات المفوضية الفرنسية.

* * *

ولكن — هل في ذلك ما يدعو الى الندم ؟

لا نعتقد ذلك . فلو ان سورية ولبنان انشأتا في السنين الاخيرة خطوطاً جديدة ، لكان نصيب هذه الخطوط اليوم عجزاً مالياً كبيراً بسبب الازمة الاقتصادية العالمية ، وبسبب الهبوط العظيم في اسعار المواد الاولية. وقد أُصيبت سكة حديد دمشق وحماه منذ العام الماضي بعجز كبير. فلو ان البلاد المشمولة بالانتداب عقدت قروضاً بضمان خطوطها الحديدية ، فالارجح ان ميزانيتها كانت ترهق باعباء تنوء بها.

ولو ان السدود والقناطر اقيمت في البلاد ومشروعات الري والصرف انجزت لكانت نفقاتها اعظم بكثير مما لو انشئت الآن . والارجح ان ايراداتها ما كانت تكفي للانفاق عليها ولتسديد اقساط قروضها. كذلك لو عقدت البلاد قرضاً لتوسيع زراعة اشجار التوت وترقية صناعة الحرير لافضى ذلك الى الافلاس . فقد كان سعر الكيلو من احسن اصناف حرير ليون منذ ست سنوات ٣٦٦ فرنكاً . فهبط في سنة ١٩٣٠ الى ٢١٥ . ثم هبط في اوائل العام الحاضر الى ١١٠ ، كذلك هبطت اسعار الصوف والقطن والمطاط وغيره.

والخلاصة ان من حسن حظ البلاد الواقعة تحت الانتداب ان العوامل المالية والاقتصادية والسياسية قد حالت حتى الآن دون عقدها القروض في

الخارج في خلال العشر السنوات الماضية اذ ليس من الحكمة عقد القروض واستثمارها في ابان التضخم النقدي.

وان تطور الحوادث في السنوات الاخيرة يثبت لنا انه ليس من المصلحة العامة استثمار رؤوس الاموال الاجنبية الكبيرة في بلاد زراعية اذا عرضت منتجاتها على اسواق العالم كانت عرضة لهبوط السعر ، فالزارع الذي ليس مديناً لاحد بشيء يستطيع ان ينال بلغة العيش لانه يعيش على انتاج ارضه. واذا هبطت اسعار غلاله اقتصد في نفقاته ما وجد الى الاقتصاد سبيلاً . ولكن اذا كان مرهقاً بالدين وكان مضطراً الى تسديد اقساط ذلك الدين اصبحت حالته لا تطاق.

ومن المحتمل ان نكون متجهين نحو اليوم الذي يعاد فيه تعديل الاسعار. واذ ذاك تصبح البلاد الواقعة الآن تحت نظام الانتداب اكثر استعداداً للقيام بالمشروعات الحيوية التي سبقت الاشارة اليها. لاسيما ان التقدم الذي قد تمّ في بضع السنوات الاخيرة يشمل جميع مرافق البلاد العامة. فقد تحسن النظام الاقتصادي وزاد عدد السكان وتحسنت الشؤون الصحية. وكل ذلك عوامل تدعو الى الارتياح.

وهنالك مشروع اقتصادي عظيم سيكون مصدر خير للبلاد وقد بدئ بالاعمال التمهيدية له وسيتم بالاموال الاجنبية ، ونعني به مشروع مدّ انابيب البترول من الموصل الى طرابلس الشام . وستنقل هذه الانابيب ٢٥ في المائة من ذلك البترول الى طرابلس . ولا يخفى ان رخص المازوت سيرقي الزراعة، ويدخل عليها الآلات التي تدار بالمحركات.

* * *

ويسرنا ان نقول ان البلاد تتجه الآن نحو الاستقلال سواء أكان في شؤونها السياسية ام في شؤونها الاقتصادية . واساس نظامها الاقتصادي متين لان البلاد قد كانت تعتمد حتى الآن على مواردها الخاصة . وفي امكانها ان تتقدم تقدماً صحيحاً اكثر مما لو كانت تعتمد على رؤوس الاموال الاجنبية . وقد استطاعت البلاد على الرغم من الازمة الاقتصادية التي تجرف اليوم العالم ان تدبر شؤونها الاقتصادية من دون ان تعقد القروض الاجنبية ، وان ترهق نفسها بتسديد تلك القروض كما هي الحالة في جميع بلدان اوربة تقريباً.

شذرات

لازالة الغبار

شُغل عدد كبير من العملة ، مدة ثمانية ايام كاملة في شهر ايار الفائت ، في عمل مهم وهو ازالة الغبار عن الخمسين الف مجلد التي تملأ ردهة المطالعة في المتحف البريطاني . وكانت ادارة المتحف قد جرّبت عدة طرق ميكانيكية لمسح الكتب من الغبار فلم تنجح واحدة منها لان كلها كانت تؤثر في الكتب المذكورة . فكانت النتيجة ان قررت الادارة الرجوع الى الطرق القديمة ، وهي ازالة الغبار بواسطة الفرشاة تديرها الايدي الماهرة . ولا يخفى ما يتطلّب من الوقت مسح المجلدات في المكاتب الكبرى كمكتبة المتحف البريطاني مثلاً فان فيها نحو ٨٨ كيلومتراً من الرفوف يصطف عليها اكثر من ثلاثة ملايين مجلد . هذا عدا المجلّات والجرائد التي يبلغ عددها كل سنة عشرات الالوف من المجلّدات . فان مكتبة المتحف تستلم كل سنة نحو ثلاثين الف مجلد جديد ونحو نصف مليون جريدة . وليست عملية ازالة الغبار المذكورة اعلاه الوحيدة من نوعها في هذه السنة ، بل هي خاصة بردهة المطالعة . وهناك في المتحف خمسون عاملاً يشتغلون بصورة دائمة بمسح المجلدات في مختلف الردهات .

عالم بروتستني كبير يصير كاثوليكياً

من اخبار رومية العظمى في الشهر الفائت ان المفكر الكبير الدكتور وليم ادوين اوركارد ، راعي كنيسة المتوديست في لندرة ، والمعدود في مقدمة خطباء هذه العاصمة بحسن بيانه وفصاحة لسانه قد اعتنق المذهب الكاثوليكي في معبد المعهد الشرقي الحبري الروماني عن يد احد آباء الرهبانية اليسوعية الاب غاريكل الانكليزي الجنسية ، يحيط به بعض الآباء من الاكليروس الروماني . فكان لهذا الحادث البسيط في مظهره اكبر وقع واشد تأثير في الافكار والاذهان بالنظر لما يتمتع به العالم المذكور من المقام الرفيع والسمعة البعيدة .

والناظر اليوم الى العلامة اوركارد يراه في عنفوان الرجولة مالكاً اعظم قواه العقلية . تخرج في اشهر جامعات لندرة وفاز فيها بنيل لقب دكتور في اللاهوت . ثم اكب يبحث عن الحقيقة بملء التجرّد والنزاهة منقباً في اشهر المؤلفات ولما وقعت بين يديه تصانيف ملافنة الكنيسة الكاثوليكية اعجب بما فيها مما ملك لبّه وارشده الى النور الذي كان يبحث عنه تسكيناً لقلق ضميره .

وقد اذاع مؤخرًا نشرة بيانية في اثنتي عشرة صفحة شرح فيها كيف كان اهتداؤه الى الكثلكة وضمنها اصدق الادلة على صحة مبادئ الكنيسة ، وانها مؤسسة على الصخرة ومقلّدة مفاتيح الحقائق والعقائد النصرانية ، وفيها وديعة الوحي الالهي ، وان لا مندوحة لايّ من شاء الاهتمام بامر نفسه ان يؤمن بها ويعمل بما ترشده اليه . وأيّد هذا العالم اتضاع نفسه ورسوخه في ايمانه الجديد بكونه حين شاء الانضمام الى الكثلكة وجّه طلباً في ذلك الى راعي كنيسة لندرة ، صاحب النيافة الكردينال بورن رئيس اساقفة وستمنستر ، فاجابه صاحب النيافة بكتاب ابوي يرحّب به ويحيي تلك النفس القوية الارادة الطاهرة الوجدان الراغبة في العود الى حضن الكنيسة الكاثوليكية للعمل في ما يعود عليها بالخلاص والفائدة الروحية .

فائدة النحل في البساتين

في القاهرة مجلة مفيدة لارباب النحالة يصدرها شهريةً الاستاذ احمد زكي ابو شادي ، اسمها « مملكة النحل » . وقد اطلعنا في عددها الاخير على نبذة في فائدة وجود النحل في البساتين رأينا من الموافق ذكرها .

النحلة اصدق اصدقاء البستاني ، تراها دائبة على الانتقال بين الازهار تحمل الطلع من زهرة الى اخرى فتتمّ بذلك عملية التلقيح التي لا غنى عنها في تكوين الثمار والبذور .

ويعلم الجميع ان اشجار النخيل منها ما يحمل ازهارًا مذكرة واخرى تحمل ازهارًا مؤنثة ، وان الاخيرة هي التي تحمل الثمار ولكنها لا تأتي بلحها اذا لم ينقل اليها الطلع من ازهار النخلة المذكرة . ومثل النخل نباتات اخرى كنباتات الفصيلة القرعية وغيرها .

وقد توجد اعضاء التذكير والتأنيث في الزهرة الواحدة ، ولكن التلقيح فيها لا يتمّ بطبيعته بسبب موضع هذه الاعضاء بالنسبة الى بعضها البعض ، او لاختلاف في موعد بلوغها او لغير ذلك من الاسباب.

ويقوم الانسان بعملية نقل الطلع والتلقيح الصناعي في بعض حالات كما في حالة النخيل . والرياح والطيور والحشرات تقوم بما لا يقوم به الانسان من هذا القبيل . وتتميز النحلة بقدرتها الفائقة في تأدية هذه العملية الهامة نظراً الى دأبها على العمل وتركيب جسمها وخصالها في انتقاء الازهار التي تجني منها عسلها.

وقد لوحظ ان عملية التلقيح لا تعد ضرورية في تكوين البزور فحسب ، بل ان حدوثها يبعث على نموّ اجزاء اخرى من الزهرة مما يؤدي الى ازدياد حجم الثمار كما في التفاح وغيره.

ولهذا فان وجود النحل في البستان يضاعف من محصوله ، وقد ثبت ذلك الى حدّ ان اصحاب البساتين في بعض الاقطار الاجنبية اصبحوا يدفعون الى النحالين اجراً كبيراً في مقابل ايجاد نحلهم في هذه البساتين في موسم الازهار.

وتربية النحل في حد ذاتها صناعة رابحة ليست من الصعوبة بقدر ما يتوهم البعض بل ان المشتغل بها يجد في عمله لذة كبرى ورياضة صحية ، لهذا يتجدد الاقبال عليها وبالاخص في البساتين وحيث توجد الازهار.

الاراضي المزروعة قمحاً

وضعت مصلحة الزراعة في المفوضية العليا تقريراً عن مساحة الاراضي المزروعة حبوباً عام ١٩٣٢ يؤخذ منها ان مساحة الاراضي المزروعة قمحاً في السنة الحالية بلغت في الجمهورية اللبنانية ٦٥,٥٠٠ هكتار ، وفي دمشق ونواحيها ١٦,٠٠٠ هكتار ، وفي منطقة حلب ١٢٠,٠٠٠ هكتار ، وفي منطقة الفرات ٢٨,٨٢٣ هكتار ، وفي سنجق الاسكندرونة ٢٩,٤٠٠ هكتار ، وفي بلاد اللاذقية ٤١,٠٠٠ هكتار ، وفي جبل الدروز ٤١,٨٦٠ هكتاراً.

مطبوعات شرقية جديدة

Erich Ebeling und Bruno Meissner : Reallexikon der Assyriologie (*Unter Mitwirkung zahlreicher Fachgelehter.*) 1er *B*d A-Bepaśte. *Berlin u. Leipzig, Walter de Gruyter und C*o 1928-1932. *gr. in*-8° *à* 2 *col.*, *XI*-483 *pp.*, 59 *pl.*

دائرة معارف العلوم الاشورية

تحدثنا الى قرائنا الكرام سابقاً (المشرق ٢٧ [١٩٢٩] ٦٧) عن ظهور الكرّاس الاول من هذا المعجم النفيس للعلوم الاشورية الذي يقوم بنشره عالما الاشوريات المشهوران ايبلنغ وميسنر بمعاونة عدد من اشهر الاختصاصيين بالاشوريات من الالمان . وها قد انتهى المجلد الاول محتوياً على الحرف A بكامله وعلى قسم قليل من الحرف B . ولا يخفى ان المشروع واسع التصميم يقتضي ظهوره كاملاً لا اقل من خمس عشرة سنة . فيحتاج والحالة هذه الى كثير من الزيادات المهمة في آخره . ولا بأس في ذلك لان هذا مصير جميع التآليف الجامعة والموسوعات المهمة، بل يمكن القول ان الموسوعة الحاضرة تتقدم بخطى واسعة .

قلنا سابقاً ان الكرّاس الاول يحدث في المطالع تأثيراً حسناً . وقد شعرنا بالتأثير نفسه ان لم نقل بافضل منه لدى مطالعة المجلد الاول بكامله . ولا شكّ في ان هذا التأليف يسدّ ثلمة كبيرة في العلوم الشرقية فلا يستغني عنه لا مؤرخو الشرق القديم ودارسو آثاره فحسب بل الاختصاصيون بالآداب والآثار المسمارية . اذ يرون فيه بحثاً عن كل ما اظهرته تلك الآثار ، لا نستثني من ذلك شيئاً . حتى ان اقلّ الاشخاص اهمية ، واقل الالهة او الشياطين تأثيراً ، بل اقل الالفاظ الوضعية قيمة ، بل احقر القرى حتى تلك التي لا يُعرف مركزها الى الآن ، كل ذلك يراه المطالع مذكوراً ومدروساً في اعمدة المعجم الذي يمكن تسميته بحقّ ، كما يستفاد من العنوان ، « بفهرس موادّ الاشوريات » اي فهرس كل ما كُتب بالحرف المسماري وكلّ ما يختصّ بموادّ الموضوع حتى ترجمة

المشتغلين بالاشوريات ممن لا يزال في قيد الحياة.

هذا ومن مقالات المعجم ما يؤلف ابحاثاً تامة بل دروساً مستفيضة لا ينقصها شيء. كما نرى في البحث المهم المعنون «بأشور» المقسوم الى اربعة اقسام: اشور: المدينة، وأشور: البلاد، وأشور: الاله، وتاريخ الاشوريين. وهو يشتمل على الصفحات ١٧٠ــ١٩٥ــ١٩٦ــ١٩٨ــ٢٢٨ــ٣٠٣، فيؤلف ملخصاً كاملاً دقيقاً واقفاً على جميع الابحاث المصرية مجموعاً في اكثر من مائة صفحة كبيرة على عمودين، مزيناً بكل اللوحات الضرورية ولاسيما في ما خص تخطيط البلاد ووصف مظاهر العبادة، محتوياً على جميع المستندات والمآخذ اللازمة. ومما يستحق القول نفسه من ابحاث المعجم مقالته عن موظفي الحكومة، تحت عنوان «بتر» وقد اشترك في تحريرها خمسة من الاختصاصيين اهتم كل منهم بعصر من العصور. وقد يكون من المفيد تلخيصها بالعربية وعرضها على ابناء الشرق المعاصرين من لا يتركون فرصة إلّا صبّوا فيها انتقاداتهم على شكل الحكومة وملأوا الجرائد بالاحتجاجات على كثرة الموظفين، فيتحققون ان هذا الداء عريق في القدم يرقى الى العهد الشومري من تاريخ كلدة القديمة وما بين النهرين.

والخلاصة ان المعجم حسن التصميم حسن التبويب حسن التأليف مزين بتسع وخمسين لوحة للمجلد الاول وحده. اما ثمن الاشتراك به فلا يتجاوز ٤٧ مركاً. وفضلاً عن ذلك فان الطابع ينزل منه ١٠ بالمائة اعتباراً من كانون الاول ١٩٣١.

س. ر.

Woerterbuch der Müniskunde, *herausgegeben von* Fr. Freiherr von Schroetter *in Verbindung mit* N. Bauer, K. Regling, A. Suhle, R. Vasmer *und* J. Wilcke *mit* 28 *Tafeln. Lexikon-Oktav XVI*, 777 *Seiten* 1930. *Verlag von W. de Gruyter und Co., Berlin und Leipzig. R. M.* 60, *in Halbleder* 65.

معجم لقطع النقود

لم يكن احد من كبار الاشراف في القرن الثامن عشر الا وله متحف خاص يجمع فيه كل ما تقع عليه يده من قطع النقود العتيقة والمداليات

القديمة . اما اليوم فقد ضعف هذا الميل كل الضعف حتى اصبح جمّاع هذه القطع من افراد الناس يعدّون على الاصابع . على انه لا يزال الكثيرون يهتمّون بمعجم النقود فيسرّون بقراءته ويستفيدون منه . والمعجم الذي نصفه اليوم سهل الاستعمال وافر الفائدة لانه اختصر كثيراً في ذكر العموميات المعروفة او التي يمكن الاطلاع عليها بسهولة كالقطع التي تمثل آلهة اليونان والرومان مثلاً ؛ وتبسط تبسطاً مفيداً في ذكر الامور الخاصة التي تصعب معرفتها كالقطع التي تمثل آلهة اليونان الشرقية والتي تمثل الصفات المجسّمة والمؤلّهة في النقود الرومانية . وقد خصّص المؤلفون قسماً مهماً للنقود الشرقية من جاهلية وعربية وفارسية وتركية . وقاموا بدرس دقيق للشؤون الوضعية الخاصة بهذا العلم حتى ما مسّ منها بعض الشؤون المالية التي لا تزال تتحققها في عصرنا كما نرى في البحث المعنون بـ « Inflation » . والكتاب مزيّن بـ ٤٨٨ رسماً في ٢٨ لوحة تظهر اهمّ امثلة النقود منذ القرن السابع ق.م. وكل من طالع الكتاب يتحقق مقدرة المؤلفين ومعارفهم الواسعة البارزة في دقة الابحاث ووفرة المآخذ وكثرة المصادر واحكامها ، ووضوح المخلّصات فقاموا بعمل جدير بكل تقدير لما يوفر من الجهود والاغلاط على من يهتمّ بشأن النقود او من يتكلم عنها عرضاً . د.م.

Bruneau (André) : Traditions et politique de la France au Levant. *in-8° de 445 pp. Prix : 45 f. Paris, Librairie Félix Alcan.*

تقاليد فرنسة وسياستها في الشرق

اقام مؤلف الكتاب خمس سنوات في سورية تنقّل في اثنائها في الكثير من المراكز فمن موظف في المفوضية العليا الى معلّم في المدرسة الملكية الى فرقة المهارّين ، الى فرقة المدافع الرشاشة الخفيفة في البادية . فامكنه من ثمّ ان يراقب الشرق واعمال فرنسة فيه ويستخلص فكرةً شخصية عن دور فرنسة في هذه البلاد . وهو تاريخ طويل تتابعت حوادثه عدة قرون متراوحة بين النجاح والفشل حتى وصلنا الى القرن العشرين ، واذا بالجمهورية الفرنسوية الثالثة تبدو حريصة على ارث الملكية الفرنسوية في ما خصّ الشرق . فحقّ القول انه يجب ان لا ننسى التاريخ السابق سنة ١٧٨٩ . والمؤلف ابعد من ان ينساه ، وهو

يبذل الجهد في ان يشرح كيف توصلت فرنسة الى التوفيق بين محالفتها للاتراك وحمايتها للنصارى . على ان هـذا التاريخ لم يُكتب مجموعاً بـل ان عناصره متفرّقة في كثير من الاسانيد والوثائق وقد استعمل المؤلف اكثرهـا فاستفاد وافاد واستحق الثناء . على انه قد يكون اعتبرها كلها على مستوى واحد .

اما الكتاب فقد بدأ بفصل في الشرق واصول «معضلة الشرق» ثم سرد تاريخ عمل فرنسة الاداري في فصول ثلاثة، يليها ثلاثة اخرى في عمل فرنسة واصول سياستها ومظاهر هذه السياسة منذ الحرب الكبرى . يتبع ذلك عشرة ملحقات فيها عدة وثائق واحصائيات وجداول . والخلاصة ان الكتاب مهمّ ولاسيما في ما خصّ عمل فرنسة الاداري في الشرق ، فهو يفيد جمهرة القراء ، ويسهّل على كثيرين من الخاصة مزيد الدرس والاطلاع . هذا على ما فيه من اغلاط بسيطة لا تستحقّ الذكر .

ج.ل.

Emile Bréhier : Histoire de la Philosophie. t. II, La philosophie moderne. 3, Le XIXe s. Période des systèmes 1800-1850. *in*-8° *Prix*: 15 *f*°. *Paris, Alcan*, 1932.

تاريخ الفلسفة : الجزء الثاني

يتابع المؤلف كتابه في تاريخ الفلسفـة حسب العصور فيصل الى القرن التاسع عشر ويقسمه الى حقب ثلاث الاولى ١٨٠٠ــ١٨٥٠ ، والثانية ١٨٥٠ــ١٨٩٠ والثالثة ١٨٩٠ــ... فيخصّ المجلد الحاضر بالحقبة الاولى مصوّرًا فيها الحركة الفلسفية، «وميزتها ما ازدهر فيها ازدهارًا عجيباً من طرق فلسفية ومذاهب واسعة ترمي كلها الى البناء والتشييد وتزعم بانها تكتشف سرّ الطبيعة والتاريخ وتطلع الانسان على ناموس مصيره الفردي والاجتماعي . فمن مذهبَي دي ستر ودي بونالد الكاثوليكيَين اللذين شادهما مقاومة للقرن الثامن عشر ، الى مذهب مين دي بيران النفسي الذي انتهى بالنظريات الدينية ، الى النظريات الالمانية في ما وراء الطبيعة السابقة مذهب كانت ، ونظريات فيخته وشيللنغ وهيكل التي قلّدها كوزن في مذهبه الروحاني، الى النظريات الاجتماعية التي شادها ارباب المذهب السانسيموني ، الى نظريات كونت وفورييه ، الى غيرهـا مما تشترك جميعهـا بميزة البشارة النبوية او الحركة الثورية» .

هذا وقد بذل المؤلف جهداً عجيباً كي يعرض بترتيب ووضوح كثيراً من العقائد والطرق التي تخلو منها في اكثر نصوصها الاصلية . فاستحق الثناء على عمله .

ج . ك .

O. Lemarié La morale privée *in*-12, 152 *pp. Prix* : 12 *f*. *Paris, Alcan*, 1932

علم الاخلاق الشخصي

يقسم هذا الكتاب الى ثلاثة اقسام يحتوي اولها على الاخلاق العائلية كاهمية الزواج وواجبات الزوجين والاهل والاولاد . . . والثاني على الاخلاق العامة كواجبات الانسان تجاه قريبه نفساً وجسداً وسمعةً ومالاً . . . والثالث يشمل واجبات الانسان تجاه نفسه اي تجاه عقله وارادته . . . مع ذكر واجب العمل والكدّ . فيؤلف كل ذلك بحثاً جامعاً في علم الاخلاق باسلوب واضح مختصر رزين لا يشينه الّا شيء من عدم الاهتمام بالشؤون الدينية في ما خصّ بعض المسائل .

ج . ك .

Dr P. Odilo Heiming O. S. B. (*Abbaye de Maria Laach*): Syrische 'Eniânê und griechische Kanones (*Liturgiegeschichtliche Quellen und Forschungen, Heft* 26). *In*-8, *XII*-128 *pp. Aschendorf-fche Verlagsbuchhandlung, Münster in Westfal*, 1932. *Paris*: 10 *Mk*, 75

هو درس دقيق قام به احد الاختصاصيين بالابحاث الطقسية او الليتورجية وغايته ايضاح مسألة اصول الليتورجية السريانية . وقد اهتمّ خصوصاً بدرس مخطوطة من مكتبة برلين (ساخاو عدد ٣٤٩) فامكنه بواسطتها تأليف جدول بالمقاطع التي استقتها الليتورجية السريانية من ليتورجية اليونان وبالاجوبة او ما يُعرف بـ « عنياني » السريانية الاصل . وقد جرّته بعض الملاحظات الى القول ان رتبة العيد السريانية التي يستصعب جمعها في مجلّد واحد كانت مقسومة ، في اكثر الاحيان ، في مجلّدين يستعمل كلًّا منهما فئة من جمهور المرتلين في الخورس . ثم دفعه هذا الاستنتاج الى تأخير طبع مخطوطته التي لا تحتوي الّا على قسم غير كامل من قطع الليتورجية المذكورة . فكانت اعماله انها مهّدت السبيل الى تأليف مهمّ في الموضوع

ب . م .

Islamica, editores A. Fischer et E. Braeunlich *vol. V, fasc. 2 et 3, 1931 et 1932. Verlag Asia Major, Leipzig.*

مجلة الاسلاميات : الجزءان ٢ و٣ (١٩٣١–١٩٣٢)

نشير في هذين الجزءين الى اثر يهمّ علماء العربية لقدمه وهو « كتاب الاضداد » لقطرب فقد نُشر على غاية ما يمكن من الاتقان مع الروايات المختلفة والفهارس . ثم هناك بحث واسع دقيق للاستاذ فيشر على كلمة « نجم » وما تدلّ عليه من الكواكب والنباتات . ه . ل .

من حيّ الى ميت — الى اخي

بقلم توفيق حسن نادر الشرتوني

مطبعة المعرض بيروت ، ١٩٣١ ، ص ١٤٦ ، ق ٨

طانيوس الشرتوني ولد في ليوبولدينا في البرازيل سنة ١٩٠٠ ، جيء به الى شرتون في لبنان وهو في الثالثة من عمره ، دخل مدرستها في السابعة ، ومدرسة الحكمة في الثانية عشرة من عمره ، ولكنه لم يقم فيها الا سنتين . قضى صباه في البيت الابوي ايام الحرب الكبرى وسافر بعدها الى المكسيك فتعاطى التجارة . وفي ١٩٢٩ توفي مأسوفاً على شبابه . وكان رحمه الله مزداناً بمحاسن زاد ذكرها في لوعة من بكى عليه وخاصة اخيه الذي اعرب عن عواطفه وحزنه في هذا الكتاب اظهره بصورة الرسائل وضمّنه في اسلوب اصطناعي افكاراً وخواطر لا بد من تمحيصها ، ولو بالايجاز ، دفعاً لما يخشى ان تجرّه معها مما لا تحمد عقباه . سامح الله دعاة السبريتيسم ومروّجي بضاعة القائمين بمناجاة الارواح ، لم ينقصنا في شدة الازمة المالية والادبية الآخذة في خناقنا الا الانشغال عنها بامور عقيمة تعمي القلب وتشلّ اليد . يتصوّر المؤلف الحيّ اخاه الميت كشخص يمكنه الاتصال به والتخاطب اليه عن احوال الآخرة . ومن نتيجة ذلك التخاطب يفهم القارئ ان المؤلف في اعتقاداته اميل الى مذهب السبريتيسم منه الى التعليم المسيحي . ان الايمان علمنا خلود النفس وشركة القديسين بالاستحقاق ووجود الجحيم المؤبدة للاشرار ، ورؤية الله والنعيم للاخيار ، والوهية المسيح ، وضرورة الاسرار

والكنيسة ، وعدم امكان البشر الاتصال بقواهم الطبيعية بانفس الذين خرجوا من هذا العالم. اما صاحب الكتاب فالآخرة عنده فيها طبقات تنتقل منها النفس من حالة الى حالة ، بالتقمص (ص ١١٠) فلا نعيم ولا جحيم عنده بالمعنى المسيحي (٧٤) والاديان كلها عنده سيان (١٣٠) وليس الهه الهاً شخصياً ذا حكمة وتدبير من له الحق بالعبادة والسجود وله الامر بالوصايا ، بل هو حلم من احلام الشعراء (١٣٦) يتمثلون به المحبة والقوة والكمال . فلا حاجة الى كنائس ولا الى كهنة ولا الى صوم (١١٣ــ١٣٢). هذه المواضع مسّتها يراعة الكاتب مسأ ينبض فيه عرق الحزن وانحطاط العزائم ، ويا ليته ، هو الذي ذكر آية المسيح القائل « تعالوا اليَّ يا جميع المتعبين والمثقلين» ، مضى بقراءته الى كلام الرب القائل ايضاً: « اذهبوا وبشروا وعلموا فمن آمن يخلص» . فيؤمن لا على ايمان السيريتم ولكن على ايمان الكنيسة الجامعة ويشعر بالتعزية الموعود بها «للباكين الآن» ، وله المرشد اليها كتاب « صدى الاموات » الآتي ذكره. ف.ت.

كتاب صدى الاموات في قلوب الاحياء

لصاحب السيادة ميخائيل اخرس مطران حلب على الموارنة

المطبعة المارونية ، حلب ، ١٩٣٢ ص ٢٥٢ ، ف ١٢

من سنيري الى الدبس الى الشهلي الى قندلفت والمقد وغيرهم . . . الى هذا الكتاب يسير المطالع في فصل خطير من فصول الآداب العربية المسيحية وهو الوعظ والارشاد ويفرح لظاهرة النهضة في هذه الناحية ايضاً من العربية . يمتاز هذا الكتاب عن غيره من كتب الوعظ بكونه محصور المواد في امر انفس المطهرية واسعافها. طرق الواعظ مواضيعه في كنائس حلب قبل ارتقائه الى درجة الاسقفية وبعدها ، ثم نشرها تباعاً في مجلة « الرحمة » واظهرها مجموعةً . وان غيرة سيادته على اسعاف الانفس المطهرية معروفة ، وقد شاد في الشهباء كنيسة سيدة مونليجون لتكون موئلاً يؤمه المؤمنون المتعطشة قلوبهم لاستغاثات الانفس المطهرية. فهو حقيق بان يكون رسولها فتسمع الرعية صوته وتنقاد لارشاداته في سبيل الخلاص وتتعزى لذكر موتاها ف.ت.

اهم حوادث الشرق في شهر

١٥ ايار — ١٥ حزيران ١٩٣٢

لبنان وسورية — افتتح المجلس النيابي السوري جلساته في ٧ حزيران فانتخب صبحي بك بركات رئيساً له . ثم اجتمع في ١١ حزيران فانتخب محمد علي بك العابد رئيساً للجمهورية . وقد دعا رئيس الجمهورية حقي بك العظم وقرر معه تأليف الوزارة الجديدة على الشكل التالي : حقي بك العظم للرئاسة والداخلية ، جميل بك مردم بك للمالية والزراعة ، مظهر باشا رسلان للعدلية والمعارف ، سليم بك جنبرت للاشغال العامة .

* تتوالى المراسيم الاشتراعية في لبنان وغايتها اصلاح الادارة الحاضرة .

فلسطين — انتخب المطران سماط قازازيان بطريركاً للارمن الغريغوريين في القدس .

مصر — احتفلت الحكومة احتفالاً باهراً بذكرى مرور مائة سنة على فتح ابراهيم باشا لقلعة عكا .

* اذاع الوفد نداء يعلن فيه سياسة العداء للانكليز .

الحجاز — قام الامير فيصل السعود برحلة سياسية في انحاء اوربة .

* تفيد الانباء الاخيرة ان الحالة الاقتصادية سيئة جداً وقد أدّت الى القيام ببعض الحركات الثورية ضدّ حكومة ابن سعود .

تركية — وافق المجلس الوطني الكبير على قانون يمنع الاجانب معاطاة المهن والحرف كلها تقريباً . وسينفذ هذا القانون بعد ستة اشهر .

الهند — تتابعت المشاغبات بين الهندوكيين والمسلمين ، وقد اسفرت ، في كثير من الانحاء ، عن عدد يُذكر من القتلى والجرحى .

المشرق

السنة الثلاثون — آب وايلول ١٩٣٢

«نخبة من سفرة البطريرك مكاريوس الحلبي

بقلم ولده الشماس بولس

عني بطبعها وتعليق حواشيها الخوري قسطنطين الباشا الراهب المخلصي»

نظرة نقدية

لحبيب زيات (افالون: فرنسة)

اشهر البطريرك مكاريوس الزعيم الحلبي وابنه الشماس بولس بالبحث عن اخبار الكنيسة الانطاكية، واستقراء حوادثها وشؤونها والتنقيب عن ماضي أسقفياتها والاعمال الراجعة اليها، وتقييد تراجم كل من نشأ فيها او انتسب اليها من رجال الدين والنسّاك والقديسين. والاول منهما في كل ذلك كتب واجزاء شتى جمعها في حضره وسفره، كانت طائفة منها محفوظة عند الطيب الذكر البطريرك غريغوريوس حداد. وكان، رحمه الله، حريصاً عليها اشدّ الحرص يضنّ على كل احد بمطالعتها او استنساخ شيء منها. ولذلك يجب ان يُعدّ من حسناته اهداؤه اياها سنة ١٩١٣ لنقولا

الثاني قيصر روسية ، بحيث سهل هنالك لطلاب العلم مراجعتها عند الحاجة ونقل ما يراد منها. والثاني مخطوط بقلمه جمع فيه اخبار انطاكية وبطاركتها. ولكنه لسوء الحظ مخروم ناقص من اوله وآخره. ولعله وقف فيه عند خراب انطاكية على يد الملك الظاهر بيبرس البندقداري . وله في ما سواه رحلة والده المشهورة الى البلاد المسيحية ومنها ثلاث نسخ في لينغراد وموسكو ، ونسخة في لندرة . وهي كلها لا تخلو من بعض النقص ، وان لم ينبه احد عليه ممن ترجم هذه الرحلة الى الانكليزية والروسية. وخير من هذه النسخ جميعها الاصل المحفوظ في باريس ، وهو في اثنين وثلاثين كراساً ، منها خمسة وعشرون بخط بولس نفسه ، وسبعة بقلم ناسخ آخر مجهول . وفي اوله وآخره بعض صفحات جمع فيها الشماس ما وقف عليه من تاريخ البطاركة منذ انتقالهم من انطاكية الى دمشق ، وروى في خاتمتها بعض اخبار والده واحوال الكرسي بعد رجوعها لدمشق.

وهذه الروايات والنقول التاريخية الواردة في كتب البطريرك وابنه هي مصدر كل ما كُتب عن الكنيسة الرومية الانطاكية الى اليوم . وعنها اخذ البطريرك اثناسيوس الدبّاس والخوري ميخائيل بريك ما دوّناه في تاريخيهما. فهي المعوّل الوحيد والمرجع الاول لكل من تكلّف الكلام على الكرسي الانطاكي منذ القرن السابع عشر . وهذا ما حدا حضرة الاب قسطنطين الباشا ، بعد وقوفه على ما كانت جريدة « المحبة » هي البادئة بنشره منذ سنة ١٨٩٩ ، على اقتطاع هذه الفصول التاريخية من مخطوط الخزانة الاهلية في باريس ، وطبعها بعد تعليق بعض الحواشي عليها . ثم الحقها بذيل حاول فيه اثبات كثلكة البطريرك مكاريوس . فجاء من كل ذلك مجموع حسن حريّ بالمطالعة اهل لان يشغل مكانه بين آثار الكنيسة الملكية

وقد عرف القراء منزلة الخوري قسطنطين في ارتياد اخبار السلف من اصدق مظانها ، وانفراده بين رجال رهبانيته بالمطالعة والكتابة واهتمامه الدائم بالبحث والتنقيب وتكلفه مشاقّ السفر الى رومة وباريس توصلاً الى ضمّ شتات التاريخ الملكي والاستئثار بما تصل اليه يده من الاوراق والاسفار ، بحيث اجتمع له

من الفوائد والتعليقات والصحائف والمخطوطات على ندرتها وتفرّقها ما لم يجتمع لاحد غيره من رجال الكهنوت، مطرّساً بذلك على آثار سلفه الشماس بولس. ولذلك كان يحقّ لنا ان ننتظر من مثله ، في كلامه على الشماس في المقدمة ، ان يتوسّع في ترجمته وشرح اخباره ، ويستقصي ما استطاع في تعريف كتاباته ومصنفاته، والتنبيه على خصائص انشائه، وايفاء خدمته التاريخية حقها من التقدير والنقد دون ميل ولا أثرة . واذا كان كل ذلك لا يتيسر فاقلّ ما كان يجب عليه ان يسعى جهده في معارضة نسخة باريس بنسخة لندرة ، اذا كانت نسخ لينغراد وموسكو تعزّ عليه . ويستعين بهذه المقابلة على الاشارة الى ما بين هذه النسخ من الخلاف وتصحيح احداها بالاخرى ، وتعريف مواضع النقص التي توجد في نسخة باريس ، كبعض بياض في الصفحات او ما بين السطور وسقوط بعض ارقام السنين كالتي ترى في الصفحتين ٣ و٤ ، وما اشبه من الآلم التي لم يكترث لها حضرة الاب ولم يدلّ عليها في طبعته. فبدلاً من هذا كله لا نجد ، بكل اسف، في كل هذه المقدمة التي احتفل في تحريرها سوى الافراط في تقريظ الشماس بولس والثناء عليه والافاضة في نقل المبتذل المشهور من اخباره مما لا يتعذّر ادراكه لاول وهلة على مطالع رحلته ، او مما سبق ايراده لكل من تكلم قبله على المؤلف وكتاباته. وغاية ما اطرفنا به حقيقة من علمه الخاص ذكر النسخة الحلبية التي وقف عليها في القلية المطرانية ، وتاريخ كتابتها سنة ١٧٥٠ .

فلا بد لنا اذاً من الاكتفاء بنسختي باريس وحلب على قلة ما بينهما من الخلاف في رأيه . وقد عارض الواحدة بالاخرى قال : « فلم اجد فرقاً مهماً الا بالنقصان بل انّ نسخة باريس اصحّ واكمل النسخ كلها واقدمها ولعلّها تكون الاصلية » . ولم يصرّح لنا ايّ نسخ يعني في ما عدا الحلبية . وقد اعاد مثل هذا القول في الحاشيتين ١٦ و١٨ وسمى منها المخطوطات الروسية والنسخ المنقولة عن الشماس وابيه (كذا) . وما ندري ما يعني بهذه الاخيرة ، ولا محلّ ابي بولس منها ، كأنه يوجد نسخ منقولة عن غير الشماس . وعلى كلّ فاذا كان يريد بهذه النسخ مخطوطات لندرة ولينغراد وموسكو فذكره لها يقتضي

بالطبع انه وقف عليها او على الاقلّ انه راجع ترجماتها . ومن ثمّ فقد كان يجب عليه ، وقد امكنته مقابلة بعض مواضع من نسختي باريس وحلب عليها ، ان يفصل مثل ذلك بسائر الكتاب ، وفيه بعض عبارات مبهمة تحتاج الى الايضاح فضلًا عن الابتر منها والناقص . ومن الغريب اغفاله ذلك ، والمقام مقام تاريخ ، وقيمة مثل هذه المعارضات لا تخفى على احد ولاسيما على مؤرخ نظيره .

واغرب من ذلك جدًا — وهو ما يستريب الناظر فيه لاول وهلة بصره وسمعه — ان حضرة الاب ، بعد ان كتب ما نقلناه آنفاً عن نسخة باريس انها « اصحّ النسخ واكملها واقدمها » وعدّ وقوفه عليها « اكتشافاً » مع ان البرنامج المطبوع في باريس كان قد سبق ونبّه عليها منذ سنة ١٩٠١ ، اي قبل زيارته باربع سنوات ، وبعد ان صرّح في المقدمة والذيل تكرارًا انه « ابقى الكتاب على اصله لم يحذف ولم يغير منه شيئاً حرصاً على قيمته التاريخية » ، لم يلبث ان تناسى ما رهن لسانه به حرًا مختارًا ، واطلق العنان لقلمه في تغيير ما عنّ له دون اقلّ تورّع او تحرّج ولم يقتصر فقط على التصرّف بلغة الكتاب ، بل تعدّى الى بعض المواضع التاريخية فاسقط بعضاً وبدّل بعضاً . وكنا نظيره قد نسخنا من مخطوط باريس ، في ما عدا القسم التاريخي ، كل ما رأينا فيه الفائدة من تعريف حال المؤلف ووالده وحكاية بعض اخبارهما وما جرى لهما وعايناه في هذه الرحلة الطويلة الشقّة . فلما قابلنا ما عندنا على طبعة النخبة رأينا في هذه من الابدال والاسقاط والتغيير والتشويش وبعض السهو والنقصان ما صعب علينا تصديقه وخامرنا الشكّ من اجله في صحة نسختنا وسلامتها تماماً من بعض الشوائب واغلاط النقل . فارجأنا الحكم في ذلك الى ان تتهيأ لنا مراجعة المطبوع رأساً على نسخة الامّ في باريس . وقد انجزنا اليوم هذه المقابلة عارضنا بها الروايتين كلمةً كلمةً وسطرًا سطرًا ، فثبت لنا بعد التدقيق ان ما نقمنا في البدء على النخبة المطبوعة صحيح لا جدال فيه ولا مراء . ولا يمكن الاعتذار عن صاحبها بانه نقل ما في النسخة الحلبية لانه صرّح في المقدمة انه اعتمد على نسخة باريس ، وهي التي شهد انها اصح النسخ واكملها واقدمها بل انها قد تكون بقلم المؤلف نفسه . فالعدول عن مثلها الى رواية ضعيفة او مرجوحة

لا يمكن ان يُعقل من مؤرخ لبيب نظير الخوري قسطنطين فلا ريب اذاً ان النسخة التي ابرزتها لنا في هذا القالب الغريب مطبعة حريصا هي نسخة باريس المزعومة. ومما يشهد بذلك ان النسخة الحلبية تنتهي في الصفحة ٧٢ ، وما يليها الى آخر الكتاب منقول عن مخطوط باريس . ومع ذلك ففي هذا القسم الاخير نفس ما في القسم السابق من التبديل والحذف والتصرف المنكر مما يدلّ على ان متولي النقل والطبع هو المسؤول عن هذه المساوئ فرطت منه سهواً على كثرتها وخطرها لقلة اكتراثه لها ولاعتداده اياها هنات يسيرة لا تمسّ جوهر الكتاب. وعلى كل حال فاقلّ ما كان يجب عليه ان لا يدعي في المقدمة انه ابقى الكتاب على اصله لم يغيّر منه شيئاً ، كأنه يهزأ بقرّائه او يتورّع من قول الحق لهم . وما كان احراه ان يسكت عن ذلك كله ، ويعترف صريحاً بتصرّفه بعبارة الشماس ، ويستغني بمثل هذا الاقرار عن التماس العذر الواهن له لركاكة لغته ، كأنه هو المؤاخذ بهفواته ، ناسياً انه لا تزر نفس وزر اخرى وان في شرع الكنيسة لا يُطالب الخوري بذنوب الشماس.

ولو اردنا ان نسرد كل الاختلافات والفروق التي وجدناها بين المطبوع ومخطوط باريس لامتدّ بنا نفس الكلام ولم يكفنا كتاب برمّته اذ كانت لا تكاد تخلو صفحة واحدة من بعض التغيير قلّ ام كثر . فلا مندوحة لنا عن الاكتفاء بامثال منها ، وتمداد اهم ما رأينا الفائدة في التنبيه عليه من حيث اللغة والتاريخ . وقبل الشروع في ذلك لا غنى ايضاً عن تقديم بعض الشرح وتعريف انشاء الشماس بولس وهو الكاتب المغرور الذي كان يمتي النفس بالتشبه «باهل الفنّ في ترتيب تنميق الاقوال» كما قال بلفظه في خطبة الكتاب. فكان اقصى همه الاكثار من التزويق والتنميق كلما وجد اليها سبيلاً دون اقلّ مراعاة منه لمقتضى الحال . وكان ، ككثير من كتبة زمانه المتحذلقين ، يرى ان الفصاحة قائمة في الاستزادة من المترادفات وتكرار المعنى الواحد بالفاظ مختلفة لغير حاجة سوى المباهاة بكثرة المحفوظ منها . وان البلاغة الحقيقية منحصرة في التزام الاسجاع في كل معنى ولغير معنى ، ولو بمخالفة كل ذوق وقياس. ولذلك جاء منها بالثقيل البارد ودسّها بين كل سدى ولحمة . واطال

بها ذيل رحلته بما كدر صفوها ، وجعل المطالع والناقل لها يتبرّم منها ويحرج صدراً بكثرة اللغو والتكرار الفارغ وغلبة اللحن والسقط فيها ، فضلاً عن اعتراض بعض الالفاظ العامية والمصطلحات الحلبية الدخيلة من التركية،وهي ما لا يتهيأ فهمها وادراك معناها الصحيح لكل احد ممن حاول ترجمتها لقلة ألفته بها وعدم ورودها في المعاجم . وقد وقفنا على بعض صفحات نقلت الى الفرنسية من الترجمة الروسية بقلم وطنينا المرحوم جرجي مرقص الدمشقي فوجدناها لا تتبرأ من الوهم والخطإ في بعض مواضع تصحّف فيها الاصل عليه او اساء فهمها فاساء تأديتها . فما الظن بغيره من النقلة الاجانب !

ومن بعض الامثال على ولع الشتاس بالمرادفات لغير طائل قوله (ص ٣٩) في كلامه عن اهل حلب : « اينعوا واثمروا وغوا وزادوا وتكاثروا » . وقوله (ص ٤٤) يصف عودة والده مطراناً الى حلب : « عاد بالابتهاج والحبور وقبله المسيحيون والتقوه بكل فرح ووقار وسرور » . وقوله (ص ٤٧) يصف ايضاً زيارته مع والده لاورشليم : « يا لها من حسن زيارة قضيناها بالفرح الرباني والسرور النفساني وبالتسبيح والتقديس والتهليل والصلوات المتصلة بالتلحين والترتيل » . ومثله (ص ٤٩-٥٠) « صار لحضرة معلمنا حسن التقاء بغاية الاحتفال بتوقير وتكريم واحترام واجلال » . وقوله اخيراً (ص ٩٨) « لما نظر الاب السيد البطريرك تكاثر الديون وتفاقمها وازديادها على الكرسي الانطاكي وتراكمها » وهلم جرّا من اشباه هذا اللغو السخيف الذي كان يستفرغ فيه جعبة محفوظه من اللغة دفعة واحدة .

واما السجع فقد بلغ من تهوّسه به انه التزمه في كل مقام ومقال حتى في حكاية بعض الاخبار التافهة وسرد بعض الارقام او في تأريخ الايام مما لا محل لاقل تأنق فيه . وربما خالف من اجله كل قياس كقوله (ص ٤١) « وقد تم هذا القول بغير اشتباه في هذا الاب الفاضل وابناه . » وفي (ص ٤٨) « خرجنا منها قاصدين مدينة صهيون والى الوصول اليها بالمجد ماضيون . » وله في نسخة باريس (ص ١١٧-١١٨) اربعون سطراً كاملة التزم فيها السجع بالنون ، ولعله اراد فيها تقليد فواصل القرآن . فجاءت مشحونة باقبح الاغلاط واشنع التخليط

والافساد . كقوله : « قلوب القاسيون . وشعورهم المضفورون . ولم يكون . ومع الموتى ماضيون . يا جابر المكسورون . انت خير الرازقون . مع العرب المجانون . ارحمنا نحن المساكون . » (جمع مجنون ومسكين لتوهمه ان الجمع القياسي مجانين ومساكين هو جمع المنصوب والمجرور فقط دون المرفوع) . وكثيراً ما كانت السجعة تجيء مقتسرة زائدة لا داعي لها كقوله (ص ٤٠) « بعد وصول السعاة الى حلب صيّره بطركاً عليهم وسمي افتيميوس ونجب . » وفي (ص ٤٣) « بعد ان وصل بالصحة والسلامة وقد شرطنه عليهم نهار الاحد . » وفي (ص ٥٥) « شرطن معه الفقير مترّخه ارشيدياكون اي رئيس شمامسة على مدينتي دمشق وحلب وساير بلاد العرب وخصصه بهذه الرتبة ووهب . » وكفى بهذه الشواهد دليلاً على طريقة الشماس وتعمله في اختيار هذه الاسجاع النافرة المختلّة .

وقد تتبع الخوري قسطنطين كثيراً من هذه التراكيب والفواصل فاصلح قسماً واسقط الآخر . والامثلة القليلة التي اوردناها كلها مغيرة في طبعته ، سردناها عن نسخة باريس . ومن اعمل النظر في النخبة لم يصعب عليه ردّ كثير من هذه الاسجاع الى نصابها ، وتبيّن له اسلوب الشماس في كتابة هذه الرحلة التي طمع ان يحذو فيها حذو العماد الكاتب او ابن عربشاه واضرابهما في ما وضعوه من التواريخ المسجّعة الغريبة . فانه بنى اكثر فصولها على السجع بحيث كان الاخلال بجانب منه او تبديله هدفاً لبنيان عبارته وازالة لمسحتها الخاصة . ولا يخفى ما في ذلك من قلة الامانة والافساد ولو عدّه البعض اصلاحاً .

ولا بأس زيادةً في الايضاح ان نورد هنا انموذجاً بيّناً من هذا التصرّف الجائر الذي تصرّفه حضرة الخوري قسطنطين في بضاعة الشماس . وحسبنا ان ننقل جانباً من الصفحات ٥٤ و٥٥ و٤٤ و٤٥ يغنينا عن تتبع نظائره في سائر الكتاب . وقد جعلنا ازاء طبعة حريصا متن باريس لتسهيل المقابلة بينهما . وبدأنا بالثاني اذ كان الاصل .

قال الشماس بعد ان ذكر وفاة البطريرك افتيميوس الصافي واستدعاء اهل دمشق لوالده مكاريوس ليكون خلفاً له :

ص ٥٤–٥٥

وكان الباشا حينئذ في الشام محمد باشا الكوبرلي المكرم الذي صار فيما بعد وزير اعظم

... وصار فيما بعد مجمع للراي والمشاورة وضبطوا جملة الديون التي بالدفاتر مسطرة اعني التي خلفت على المرحوم البطريرك الراقد فجمعت نحو ستة آلاف غرشاً بالربا والفوايد وضبطوا ايضاً جملة ما انفقوه على دفنه وتجهيزه وحشره وتجنيزه ومما أصرف عن اخراج البيوردي من الباشا باسم البطريرك الجديد كالفوايد وما اخرجوا على تقرير ذلك حجج شرعية برضاء المجمع اعني كافة الرعية وذلك لاجل عدم المنازعة والمقاومة حذراً من تجديد الامور المتقادمة وكان جملة ذلك الاصراف غروشاً نحو من اربعة الاف فيكون جملة ما ترتب من الديون الافاً عشرة مضبوطة بجملتها محررة فقلبوها لاربابها بالفايدة وفي مدة قليلة صارت ثلثة عشر الفاً وزايدة وعلى هذا المبلغ المذكور قد ارهنوا التاجات الاربعة القديمي والكبيري والحلبي والاسطنبولي وبقية البدلات وآلة القدس اوهنوا

وكان في الشام محمد باشا الكوبرلي المحترم

... ثم انه صار فيما بعد مجمع للراي والمشورة وضبطوا جملة الديون التي بالدفاتر مسطرة اعني التي تخلفت على المرحوم البطريرك المتوفي نحو ستة آلاف غرش بالرباء والفوائد ثم انهم ايضاً ضبطوا ما انفقوا على دفنه وتجنيزه وحشره وما صرف على اخراج البيورلدي من الباشا باسم البطريرك الجديد وما صرفوا على تقرير ذلك في حجج شرعية برضا الجميع اعني كافة الرعية لاجل رفع المنازعة والمقاومة وحذراً من تجديد الامور المتقدمة فكان جملة ذلك المصروف غروشاً نحو اربعة آلاف فيكون جملة ما ترتب آلاف عشرة مضبوطة محررة ثم انها (كذا) قلبوها لاربابها بالفوائد وفي مدة قليلة صارت ثلاث (كذا) عشر الف غرش وزيادة وعلى هذا المبلغ المرقوم رهنوا جميع التاجات الاربعة القديم والكبير والحلبي والاستانبولي مع بقية البدلات وآلة القدس

ص ٤٤ - ٤٥

اقام السلطان في حلب ستة عشر يوم وما كانت الا كانها رؤية في النوم لان بقدومه قدم الخير وفيا واخصب بها حينئذ كل شيء وصار طالع سعودها بوجوده سميا	اقام السلطان في حلب ستة عشر يوماً وما كانت الا كانها رؤية في المنام لان بقدومه قدم الخير الوفي واخصب فيها كل شي وصار طالع سعودها بوجوده

ص ٤٥

وذاعت الاخبار السارة المبشرة بالظفر في كافة البلاد وزينت جميعها سبعة ايام بفرح وافر الازدياد ثم عاد الى كرسيه ظافرًا مثقفا واقام في قسطنطينية نصف سنة وتَوَفّى	وزاعت الاخبار السارة المبشرة بالظفر في كافة البلاد وزينت جميعها جملة ايام بافراح وافر الازدياد ثم عاد الى كرسيه ظافرا واقام في مدينة القسطنطينية سنة ونصف وتُوُفي

وهذا الشاهد الأخير وحده كافٍ للدلالة على ما اصاب متن الرحلة من التبديل والافساد فقد أُسقطت منه سجعة اولى « مثقفا » ، واستعيض بثانية « تُوُفي » عن « تَوَفّى » ، وجعل مكان سبعة ايام «جملة ايام » ، وفي موضع نصف سنة « سنة ونصف » . واشباه هذا التحريف والتشويه كثيرة في سائر الكتاب .

ومن امثال المواضع التي اختلّ مبناها والتبس معناها بالتقديم والتأخير او غيّرت فيها بعض الاعداد قوله (ص ٤٧) « قلالي القديس ماري قونن اعني به ذلك الذي حبس الشياطين في الجرار البستاني وهي تقر في جبل . » وفي الاصل : « قلالي القديس ماري قونن البستاني وهم تقر في الجبل . اعني به ذلك حبس الشياطين في الجرار . » وشتّان بين الروايتين . وقوله (ص ٦٥) في كلامه عن خراج اهل غزة « قدره اربعماية وخمسة ثمانين اسماً . » وانما هو في نسخة الام « ماية وخمسة وثمانين اسماً » . ومثله في بيان اجزاء طبخة الميرون «قرنفل جيد عشرون درهم » وفي الاصل « ثلاثون درهم » .

ومما غيّره خطأً وهو صحيح في الاصل « الافاوه» بدلًا من«الافاويه » (ص ٩٧—٩٨) والمرد الهندي « القافلي » بالفاء عوضاً عن « القاقلي » بقافين (ص٩٩)

و«جصلبان» بدلاً من «حصى لبان» (ص ٩٠) و«الماء المقدس» في مكان «الماء السخن» (ص ٩٧) . وقوله عن جباة الخراج «عيشتهم من السلطنة على كيس المسيحيين»، وفيه تناقض . والاصل «من السنة للسنة» (ص ١١٣) . وكتابته «ارمقان» بالقاف عوضاً عن «ارمغان» بالغين (ص ٧٠) ويظهر انه لم يدرك معنى هذه اللفظة لانها وردت في عبارة اخرى «وفروا علينا ارمغان كثير» فحذفها وكتب مكانها «وفروا كثيراً علينا» (ص ٨٣)، والكلمة دخيلة من التركية بمعنى الهدية . وفي تاريخ يشبك الظاهري (خزانة باريس رقم ٦٠٢٦) «جهزوني اليه ومعي ارمغان في مقابلة هدية» (ص٢٥) ومثله: «توجهت لخدمت وجهز معي ارمغاناً يليق به» (ص ٣٢) . وفي ثامن «مرآة الزمان» لسبط ابن الجوزي طبعة شيكاغو : «خرج نور الدين من دمشق يتصيد في ارض قطيا ويعفور ... واذا برجل اعجمي قد اقبل ... فلما وصل الى نور الدين وكان صديقه . قال ابن الارمغان . فقال حاضر ... فاحضر قماشاً وعدة مماليك» (ص ٢٠).

وفي عبارة الرحلة عدة الفاظ وتراكيب عامية كان من حقها ان يُحتفظ بها وان لا تُمس باقلّ اصلاح، لتبقى في جملة آثار اللهجات البلدية في عهد كاتبها . ومن بعض ما صحّحه منها الطابع «اندرت انا الفقير (ص ٨٤) وما يشيقك يا اخي (ص ٨٨) ومرغفة (ص ٩٦) ومُدَيونة (ص ١٠٦) والدين كلما له ينمو (ص ٦٥) ولايش ما كتبوه (ص ١١١)» وضع موضعها «درت . وما يشوقك . ومفرفة . ومدونة . والدين ما زال . ولسبب انهم.» وليته ابقاها على علّاتها ولم يكلف قلمه مثل هذا التصحيح الذميم.

ومما ظنه عامياً ولم يتوقف عن اصلاحه «الفمول»، و«الاسكندراني» جعل في مكانها «الفملة، والاسكندري». وقد جاءت الفمول في كلام صلاح الدين الصفدي المشهور في كتابه «الوافي بالوفيات»، في ترجمة الامير سنجر علم الدين القضاعي . قال «كان يستعمل الصناع والفمول ... ويقال انه وقع بعض الفمول من اعلى الصقالة بجنبه ومات فما اكترث له» (الجزء الخامس عشر من خزانة باريس رقم ٢٠٦٦ ص ٩٨) فالفمول جمع فاعل كشهود وشاهد،

وتزول وتازل ، وحضور وحاضر . ووردت نسبة الاسكندراني في كتب كثيرة « كالدرر الكامنة » لابن حجر العسقلاني ، و«عيون التواريخ » لابن شاكر الكتبي و« الاغاني » . قال الاصمعي لما انشده اسحق الموصلي بيتين من الشعر «هذا الديباج الخسرواني . هذا الوشي الاسكندراني » (الخامس من الاغاني ص٧٥-٧٦) افلا يرى حضرة الاب قسطنطين ان للشماس بولس المسكين اسوة بهذين الامامين ؟

وقد اسقط مراراً عبارات كاملة بل اسطراً برمّتها ، واخلّ بالمعنى المقصود منها او نقص من مدلولها كما في الصفحات ١٨ و٥٤ و٦٢ و٨٣ و٩١ و١٠٢ و١٠٥ و١٠٧ و١٠٨ و١٠٩ و١١٢ و١١٣ . وفي الصفحة ١٠١ وحدها ١٢ سطراً ناقصة . ولا بأس ان نثبت هنا ما جاء في الصفحة ١١٢ ليرى المطالع كيف اضاع النقص بعض فوائدها . وقد اشرنا الى العبارات الساقطة منها قال: « وفي زمن وكالتي ... مات خمسة من كهنة دمشق. وكانوا في بتدا بطركية سيدنا البطرك نحو ثلاثين كاهن فمات منهم للآن خمسة عشر رحمهم الله. وكنت اعمل في نياحهم وبعد دفنهم عادة تلك البلاد. واجيب للحاضرين خمر وبقساط. واستيهم ثلاثة عن روح المايت ... وكانوا الكهنة يتخطون على بعضهم بعض في خدمة جمعتهم ويدفنون الاموات ويعمدون ويقندلون بغير اذن صاحب الجمعة. وبغير اذن الوكيل . فمنعتهم من ذلك . ولكن كل الامور التي تصدر في تلك الجمعة يقضيها ذلك الكاهن لشور الوكيل . وصار في ذلك نفع كلي . »

وسيأتي في الكلام على الاستدراكات التاريخية ما هو اعظم شأناً واسوأ مغبّة .

الاعلام الساقطة او المحرّفة

(ص ٥٩) طلع الى عبرا . وفي نسخة باريس: « طلع الى الحارة والى عبره »

(ص ٦٢) خرجنا الى غزير ورجعنا الى الديارة. وفي الاصل : « الى البربارة»

(ص ١٠٤) اسقط اسم « نقولاوس مطران عكار » في جملة من حضر المجمع الملتئم للحكم على مطران حمص ابن عميش ، كما هو مثبت في الاصل.

(ص ٦٩) شرطن الخوري ناصر الحموي على كرسي عكار . وانما هو «ناصر الحمصي»

(ص ١١١) وصل الى ادنة . وهي في نسخة الام « ادرنة »

(ص ١٠٧و١٠٩) معرونة للقرية المعروفة بقرب دمشق. وفي الاصل « معرونيه» كما في كل المخطوطات القديمة.

(ص ٦٢) مرمريتا بدلاً من « مرمنيتا » كما وردت في اقدم الكتابات.

(ص ٨٤) ابتدينا في وفاء الديون ناصر (كذا) فاولهم كان علينا لبيت الخواجا نامر الدين . والصواب « ابتدينا في وفاء الديون فاولهم كان علينا لبيت الخواجا ناصر الدين »

(ص ٤٦) بوتيليا حد بلاد المسكوف (بيائين مثناتين) وانما هي «بوتبليا» (بباء موحدة بعد التاء) حد سنار المسكوف Poutivl

(ص ٣٥) الشيخ جرجس بن سمور. وفي نسخة الام « جرجس ابن سموروا » (بواو بآخره والف) وهو الرسم المحفوظ في « علم بيان تاليد ذرية السيد ابرهيم المكنى بابن سموروا وزيجته . وذلك نقل من كتاب بخطه موجود يومئذ عند كاتبه ابرهيم خبيه ابن ابن المرحوم المذكور » (*Bibl. Bodl. LVI*) وهذا الرسم نفسه بالواو والالف يرى في ختام « كتاب مواعظ اثناسيوس بطريرك اورشليم » رقم ٩٩ من مخطوطات دير صيدنايا بقلم « الحقير في الكهنة باسم خوري ابرهيم المكنا باسم سموروا احد خدام كنيسة دمشق سنة ١٧٠٥ للمسيح ».

الاغلاط التاريخية

هي من اهم ما اعتور هذا الكتاب الذي أُريد بنشره خصوصاً خدمة التاريخ . واذا كان لا مناص في مثل الحال التي نُسخ فيها من وقوع بعض التحريف والتبديل في تمثيل متنه اللغوي فالخطب على هوله احياناً يهون اذا قيس بخطب تشويش رواياته التاريخية او اغفال جانب من اوضاعها ، ولاسيما على يد عارف بما يترتب على هذا النسخ والمسخ من الفساد والتخليط . وحسبنا تعريفاً بمقدار تفريط الطابع وقلة مبالاته بمطابقة نسخته على مسودة المؤلف التي كانت بين يديه في باريس — وقد آلى على نفسه ان يحتفظ بها دون « ان يحذف او

يغير منها شيئاً » كما صرّح بلفظه في المقدمة - ان نعدّد ههنا كل الفرطات التي اتفقت له في صفحة واحدة وهي الصفحة ١٨ من طبعته.

واول ما غيّر منها في السطر الاول تاريخ موت البطريرك يواكيم الانطاكي، ضبطه الشماس بالقلم سنة «ستة آلاف وتسماية وثلاثة وثلاثين للعالم» (١٤٢٥م)، ورواه الطابع بالارقام ٦٩٣٥ (١٤٢٧ م) اي بعد سنتين.

وبعد ان نقل الشماس وفاة البطريرك يواكيم المذكور عن كتاب قديم قال : «وفي كتاب آخر غيره انه في سنة ٦٩٣٥ كان مدبر الكرسي الانطاكي البطريرك كير مرقص . وكان على زمانه كير يوسف بطريرك القسطنطينية . وكير فيلوثاوس بطريرك الاسكندرية . وكير ثاوفيلوس بطريرك اورشليم . » فجعل الطابع سنة ٦٩٣٦ بدلاً من ٦٩٣٥ وحذف العبارة « كان مدبر الكرسي الانطاكي البطريرك كير مرقص » بكمالها بحيث اسقط اسم البطريرك مرقص من جملة بطاركة انطاكية . وذكر « يواكيم » بطريرك اورشليم في مكان « ثاوفيلوس » . فارتكب في ثلاثة اسطر من المتن اربعة اغلاط تاريخية ذات شأن . ثم اضاف اليها في الصفحة نفسها خطأً خامساً اضاع به فائدة خطيرة . وهو انه اغفل ، بعد حكاية كلام الشماس على مجمع فاورنسة ، ان ينقل سطرين له نصّ فيهما على وفاة البطريرك دروثاوس. وهما بعد السطر الاخير من المطبوع: « وتوفي هذا البطريرك المذكور نهار عيد مولد السيدة ثامن ايلول سنة ستة آلاف وتسماية وستين للعالم الموافق عاشر شعبان سنة خمس وخمسماية للهجرة ».

ومن الارقام التي غيرها ايضاً اعتباطاً بغير حجة سنة حياة البطريرك دروثاوس ، جعلها ٧٠٣٩ وهي في متن الشماس ٧٠٤٩ (ص ٢٢) ومثلها سنة رسالة البطريرك ميخايل الحموي الى الكردينال سنتاسفرينو الواردة في حاشية الصفحات ٣٣-٣٤ وهي في اصلها المصوّر عندنا مضبوطة بالقلم « الف خمسماية ستة وثمانين » فقدمها وجعلها ١٥٨٥ . وكان قبلاً في سنة ١٩٠٩ قد نشر في مجلة المشرق (ص ٦٢١) ذيلاً على مقالة مطارنة صور اشار فيه الى الرسالة المذكورة وروى هنالك تاريخها ١٥٨٣ بتقديم ثلاث سنوات . وهذا المثال وحده كافٍ لبيان تسرّع حضرة الخوري قسطنطين في الرواية والاثبات وقلة توقيه

في النقل.

ومن فرطاته ايضاً في التوقيت نقله سنة ٧١١٠ للعالم (١٦١٢ م) لرسامة ملاتيوس كرمه مطران حلب (ص ٣٩) دون ذكر اليوم والشهر، وهما كما في الاصل «ثاني عشر شهر شباط . وكتابته ١٢ ت ٢ (ص ٤٦) بدلاً من «ثاني وعشرين» شهر تشرين الثاني في تعيين يوم خروج المطران ملاتيوس من حلب. وروايته سادس عشر ايار (ص ٦٧) عوضاً عن «سادس شهر ايار» في تاريخ رسامة جراسيموس اسقف الزبداني والقرزل. ومثلها ايضاً ذكره في حاشية الصفحة ٧٣ ان البطريرك مكاريوس الحلبي بلغ القسطنطينية في ٢٠ تشرين الثاني سنة ١٦٥٢ . ولو كلف نفسه مراجعة رحلته لقرأ فيها قول البطريرك بلسان ولده الشماس بولس «دخلنا القسطنطينية ضحوة يوم الاربعا عشرون تشرين الاول . وكان لنا عن حلب يومئذ ثلاث شهور تمام» (ص١٥ من الاصل) . وكان سفره من حلب عشية الخميس تاسع عشر تموز كما جاء في الصفحة ٧٠ فيكون وصوله اذاً للقسطنطينية في شهر تشرين الاول بلا مراء.

وهذه الاغلاط والتبديلات التاريخية وحدها، فيما عدا ما تقدمها من التخليط والتشويش في المتن، كافية للاقناع بفساد هذه النخبة، وكثرة تصرف الطابع فيها تصرفاً تجاوز فيه كل حد واخلف به كل ظن ووعد . فلا سبيل اذاً للركون اليها او الاخذ عنها لمخالفتها الاصل المخطوط كل المخالفة . ومن ثم لا بد من ابتغاء طبعة اخرى تكون اصح نقلاً واتم رواية وادعى الى الثقة والاطمئنان .

وسنرى في مقالة ثانية هل كان البطريرك مكاريوس كاثوليكياً كما زعم حضرة الاب قسطنطين.

العلم في الحيرة

مدارس الحيرة ، الخط الحيري ، الشعر والامثال والخطابة

بقلم يوسف غنيمه (بغداد)

١

توطئة

طهماسكة

الحيرة منزلة رائعة في تاريخ العراق وتاريخ العرب ونهضة آداب لغة الضاد في بضعة قرون من الجاهلية حتى ظهور الاسلام ، كما انّ لتاريخ النصرانية في هذه المملكة شأناً عظيماً لانتشارها في هذه الديار انتشاراً عجيباً حتى دان بها الملوك اللخميون المعروفون بالمناذرة . وكان المناذرة في العراق عند ملوك العجم ما كان الغساسنة في سورية عند ملوك الروم .

فهذه الخطورة التاريخية حملتني على وضع كتاب مسهب في تاريخ الحيرة المدينة والمملكة العربية . وددت ان انشر بعض فصوله ، قبل طبعه ، لاقف على انتقاد العلماء الاعلام وآرائهم الصائبة في الموضوع . وقد خصصت مجلة «المشرق» الغراء بهذا الفصل ، واليكه :

ليس لدينا من المعلومات الضافية ما يؤهلنا لعقد فصل كامل عن الحركة العلمية في الحيرة ايام عزها وازدهار ملكها . الّا ان نتف الاخبار المنثورة في مرويات الاقدمين تلقي اشعة ضئيلة تضيء بنورها هذه المجاهل ، فتظهر لنا حاضرة المناذرة مركز علم ومدارس وادب ، ومدينة استنباط والهام .

كيف لا يشرق نور العلم من هذه المدينة التاريخية وكل مروجاته فيها .

فانها ورثت العلم والعرفان من بابل واثور المنقرضتين. ومعظم سكانها عرب والعرب ، ذوو القرائح الوقّادة ، كانوا يتبارون في ايام عزها باشعارهم ومعلقاتهم ومجمهراتهم ، ويتناشدون قصائدهم في سوق عكاظ . وجيران الحيرة يهود بابل لهم مدارسهم الدينية الزاهرة في سور او نهر دعة وفم البداءة او فم البادية (بباديته) . والاكاسرة يبذلون جهودهم لاقتباس معارف الامم وترجمة كتبهم . وفي هذه التضاعيف طبقت الخافقين شهرة مدارس النصارى في الشرق كمدارس الرها[1] ونصيبين[2] والمدائن، وانشئت المدارس في المدن الاخرى ايضاً حتى في القرى[3] . وكانت الديارات نفسها معاهد زهد وعلم في الوقت ذاته . وملوك آل نصر انفسهم يجزلون عطاياهم على الشعراء الذين يقصدونهم ويمدحونهم باشعارهم .

مدارس الحيرة

تعزّز الشواهد التاريخية الوضعية هذه الاستنتاجات عن النهضة العلمية في الحيرة . فقد جاء عن مدارس الحيرة في كتاب العفة ان ايليا الحيري ، مؤسس دير مار ايليا بالموصل ، درس العلوم الكهنوتية في مدرسة قريته[4] ، ومار عبدا الكبير درس في مدرسة الحيرة[5] ، وانّ المرقش الاكبر ، وهو ابو عمر الشيباني ، واخاه حرملة درسا الكتابة على نصراني من اهل الحيرة[6] . وكان زيد بن عدي قد حذق الكتابة العربية في الحيرة ، وكان زيد هذا اول من كتب العربية في ديوان كسرى[7] . وكان يتعلم اولاد الحيرة الكتابة والقراءة في مدارسهم في وقت كان يجهلها اكبر شعراء العربية . وهذا المتلمس الشاعر الطائر الصيت كان يجهلها ، فطلب من صبي من اهل الحيرة ان يقرأ الصحيفة التي كتبها له الملك عمرو بن هند ، وكان فيها هلاكه ، فلما علم مضمونها هرب ونجا[8] . وعما

---

١) R. Duval, *Hist. politique, religieuse et littéraire d'Edesse p.* 176

٢) ادى شير : مدرسة نصيبين الشهيرة و Chabot, *L'Ecole de Nisibe*

٣) ادى شير : تاريخ كلدو واثور ٢ : ١٦٩

٤) طبعة شابو : العدد ١٩ ٥) ادي شير : تاريخ كلدو واثور ٢ : ٢٦١

٦) الاغاني ٥ : ١٨١ ٧) الاغاني ٢ : ١٩

٨) الاغاني ٢١ : ١٢٥

يدل على ان المدارس كانت في الكنائس ما جاء عن خالد بن الوليد انه في مسيره من عين التمر وجد في بيعة قرية من قراها اسمها النقيرة صبياناً يتعلمون الكتابة ، وكان فيهم عمران مولى عثمان بن عفان[1] . وهذا يؤيد ما قاله دوفال: ان السريان النصارى كانوا يذهبون للدراسة في المدارس الملحقة بالكنائس والديور[2] . وقد ذهب العرب الى ابعد من هذا اذ قالوا ان اول من كتب منهم بالعربية حرب بن امية بن عبد شمس تعلم من اهل الحيرة ، وتعلم اهل الحيرة من اهل الانبار[3] .

الخط الحيري

لم يقتصر فضل الحيريين على الدرس والتعليم في معاهدها بل لهم مأثرة خالدة على اللغة العربية وكتابتها . فقد كان للخط العربي تطورات قبل ان يصل الى حالته الحاضرة . ومن اوليات تطوراته الخط الحيري او الانباري او الجزم . وقد شهد بذلك كثير من المؤرخين العرب . قال البلاذري : « اجتمع ثلاثة نفر من طيئ بيقة[4] ، وهم مرامر بن مرة ، واسلم بن سدرة ، وعامر بن جدرة[5] ، فوضعوا الخط وقاسوا هجاء العربية على هجاء السريانية فتعلمه منهم قوم من اهل الانبار ثم تعلمه اهل الحيرة من اهل الانبار . وكان بشر بن عبد الملك اخو اكيدر بن عبد الملك بن عبد الجن الكندي ثم السكوني صاحب دومة الجندل يأتي الحيرة فيقيم بها الحين وكان نصرانياً فتعلم بشر الخط العربي من اهل الحيرة ثم اتى مكة في بعض شأنه فرآه سفيان بن أمية بن عبد شمس وابو

---

١) معجم البلدان : مادة « نقيرة » ٢) R. Duval : *Litt. syriaque, p.* 4

٣) المزهر للسيوطي ٢ : ٢١٥ .

٤) ويذهب ابن النديم ، في الفهرست ص ٤ ، الى انهم كانوا يسكنون الانبار .

٥) ان هذه ليست اسماء واضعي الخط بل القائمين الادبية او العلمية لقبهم بها المتخرجون عليهم او تلامذتهم بالسريانية ولما جهل معناها العرب ظنوها اعلاماً لهم فعرفوهم بها . والحقيقة ان اسم مرار بن مرة منحوت من (مارا ماري بر ماري) ومعناها « سيد السادة ابن السيد » وبعبارة عربية تقابل المعنى السرياني « شيخ شيوخ العلم ابن حامل لواء العلم » واما اسلم بن سدرة فهو تصحيف « شليما بر سدرا » بمعنى « التام العلم الخطاط » ، وعامر بن جدرة تصحيف « عمرايا بر جدرا » ومعناه « العامر الحاذق او الماهر » . (راجع مجلة لغة العرب مجلد ٢ : ٤٢٨)

قيس بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب يكتب فسألاه ان يعلمها الخط فعلمها الهجاء ثم اراهما الخط فكتبا[١].

اللغات في الحيرة

ومما لا ريب فيه ان الحيريين كانوا يتعلمون اكثر من لغة واحدة. فكانوا يتقنون العربية لأنها لغتهم، وكانوا يتعلّمون الارمية اي السريانية، وهي لغة بيعتهم وصلواتهم كما انها لغة الانباط منهم يتكلمونها في بيوتهم. ان مدارس الحيرة الدينية علّمت هذه اللغة، ونحدس ان الحيريين ألفوا كثيراً فيها، ولكن طوارق الحدثان عفت ذكر معظم تلك الكنوز الادبية ولم يصلنا من آثارها الا النزر القليل. نسرد بعضها على سبيل المثال فان يوحنا الازرق، اسقف الحيرة في النصف الاخير من القرن السابع، ألف رسائل وكتاباً في التهذيب الرهباني[٢]. وألف حنين بن اسحق العبادي الحيري كتاباً في الطب ومعجماً بهذه اللغة، وترجم من الكتب اليونانية الى الارمية كما ترجم الى العربية[٣]. وألف حنا نيشوع بر سدوشاي، اسقف الحيرة حوالي سنة ٩٠٠ م، معجماً ارامياً استشهد به بر بهلول في كل صفحة من صفحات معجمه[٤]. وألف حنا نيشوع مباحث في الكتاب المقدس ايضاً[٥].

ولتناسق الموضوع ننقل ما جاء في كتاب الآداب السريانية[٦]، رواية عن ليشوعداد اسقف الحيرة، في ترجمة الكتاب المقدس المعروفة بالبسيطة قال: ان العهد القديم ترجم في عهد سليمان النبي بطلب من حيرام ملك صور ما خلا اسفار الايام والانبياء فانها ترجمت في عهد ابجر ملك الرُّها[٧].

وكان بين الحيريين من يتكلم الفارسية للروابط السياسية والادارية

---

١) البلاذري: فتوح البلدان: ٤٧١؛ والمزهر للسيوطي ٢: ٢١٥؛ ومقدمة ابن خلدون: ٤٥٨؛ والعقد الفريد ٣: ٣

٢) بطرس نصري: ذخيرة الاذهان ١: ٢٧٨

٣) دوثال: الآداب السريانية: ٢٨٦

٤) كذلك: ٢٠٢

٥) كذلك: ٢٩٠

٦) ص ٢٤

٧) السمعاني: المكتبة الشرقية مجلد ٣: الفقرة الاولى: ٢٤ وما بعدها.

والعلائق التجارية بين الحيرة ودولة الاكاسرة وقرب عاصمتها من حاضرة المناذرة . ومن الشواهد التاريخية على معرفة الحيريين اللغة الفارسية ان ترجمان القائد رستم الفارسي كان من اهل الحيرة اسمه عبود ترجم بين رستم وبين المغيرة سنة ١٤ هجرية[١]. لا بل ان الآداب الفارسية العالية كانت معروفة في الحيرة فتعلم النضر بن الحرث بن كلدة في سفره الى الحيرة علوم رستم[٢] . ولما رجع الى الحجاز في صدر ايام البعثة اخذ يقرأ اخبار العجم ويقول: «محمد يأتيكم باخبار عاد وثمود وانا آتيكم بخبر الاكاسرة » يريد بذلك اذى النبي. وأسر النضر في واقعة بدر الكبرى وامر النبي علي بن ابي طالب فقتله لهذا السبب[٣].

وكان بين الحيريين من يعرف اليونانية. هذا فضلاً عن ان اليهود منهم كانوا يعرفون العبرية.

ولم يجهل الحيريون اقتباس العلم والعرفان من الاصقاع المجاورة فكانوا يشدون الرحال الى نصيبين وبلاد الروم حتى القسطنطينية[٤]، او كانوا يستدعون المعلمين[٥]، ويستقدمون الفنانين من الاجانب[٦].

وللحيرة منزلة تاريخية في آداب اللغة العربية سواء أكان بالشعراء الذين انجبتهم، او بالشعراء الذين قصدوا ملوكها المناذرة للمدح والتقريظ ووصف البلاد والمعاهد، او بالحوادث او الوقائع التي تمت في ارضها وقبائلها، فالهمت الشعراء مواضيع للمعلقات والمجمهرات والقصائد. كما ان في اللغة العربية عشرات من الامثال السائرة على الالسنة نشأت في الحيرة نفسها. ولتاريخ الخطابة العربية علاقة بملوك الحيرة . وها نحن نورد لمعاً ولمحاً من كل هذه الصنوف، وان لم نتمكن من الاحاطة بمجموعها.

---

١) الطبري ٤ : ١٠٩

٢) C. Huart : *Hist. des Arabes I* : 108

٣) راجع التصريح والتبريزي والاغاني ١ : ٩٠ في الحاشية

٤) لابور : النصرانية في فارس ٢٢٥

٥) الطبري ٢ : ٧٥

٦) معجم البلدان : مادة خورنق

الشعر العربي في الحيرة

من شعراء الحيرة عدي بن زيد العبادي (ت٥٨٧ م)[1]، وهو الذي ربّى النعمان بن المنذر، وتزوّج بهند بنت النعمان، وقتله بعد ذلك النعمان. وله منزلة في تاريخ الحيرة السياسي. وقد نظم القصائد الحسان، واشهرها داليّته، وهي من مجمهرات العرب ضمنها اجود الحكم، ومطلعها:

أتعرف رسم الدّار من أم معبدِ نعَم ورماك الشوق قبل التجلُّدِ

ولعدي بن زيد ولدان: زيد[2] وعمرو؛ وكان كلاهما شاعرًا. واستعمل كسرى زيدًا عنده، واما عمرو فقتل يوم ذي قار.

ومنهم عدي بن مرينا[3] معاصر عدي بن زيد. وكان ابن مرينا يحسد عدي ابن زيد على تقدّمه عند النعمان، فكتب اليه:

ألا أبلغ عديًا عن عديٍّ فلا تجزع، وان رثت قواكا
حياكلنا تبرُّ لنير فقدٍ لتُحمد او يتمّ به عناكا
فان تظفر فلم تظفر حميدًا وان تطب فلا يبعد سواكا
ندمت ندامة الكسعيّ لما رأت عيناك ما ما صنعت يداكا

ولامرئ القيس[4] (ت٥٦٥م) صلات سياسية بالحيرة وقربى بملوكها. فانّ جده الاعلى، حجر آكل المرار، ملك كندة، حكم بكرًا فانتزع من اللخميين ما كان بايديهم من ارض بكر بن وائل. وملك الحارث بن عمرو بن حجر الحيرة في عهد كسرى قباذ، وطرد من عرشها المنذر؛ الى ان حكم كسرى انوشروان فانتزع الملك من الحارث واعاده الى المنذر صاحبه المشروع. فانهزم الحارث وتبعه المنذر، وبقي يطارده ويطارد رهطه حتى ظفر بقوم منهم، فامر بقتلهم فقتلوا بجفر الاملاك في ديار بني مرينا العباديين، وفيهم يقول امرؤ القيس:

---

١) ترجمته في الاغاني ٢: ١٧-٤٠، وشعراء النصرانية: ٤٢٩
٢) الاغاني ٢: ٢٧، وشعراء النصرانية: ٤٧٣
٣) الاغاني ٢: ٢٢، وشعراء النصرانية: ٤٤٩
٤) الاغاني ٨: ٦٢-٧٤، والشعر والشعراء لابن قتيبة: ٢٧، وخزانة الادب ٣: ٥٢٢، وشعراء النصرانية ٦؛ والروائع: الجزء ٧

ألا يا حين بكّي لي شئينا وبكّي لي الملوك الذاهبينا
ملوكاً من بني حجر بن عمرو يساقون المنية يقتلونا
فلو في يوم معركة اصيبوا ولكن في ديار بني مرينا
فلم تُغسَل جماجمهم بغسل ولكن في الدماء مُرمّلينا
تَظَلُّ الطير عاكفة عليهم وتنتزع الحواجب والعيونا

والتجأ امرؤ القيس الى ابن عمّه عمرو بن المنذر، وامه هند بنت عمرو بن حجر آكل المرار، وذلك بعد قتل ابيه واعمامه وتفرق ملك اهل بيته. وكان عمرو يومئذ خليفة لابيه المنذر ببقة، فمدحه وذكر صهره ورحمه وانه قد تعلق بحباله ولجأ اليه. فأجاره عمرو، ومكث امرؤ القيس عنده زمناً. ثم بلغ المنذر مكانه عنده فطلبه، وانذره عمرو فهرب.

وروى مؤرخو الروم مثل نُنُوز وبركوب وغيرهما انه ارسل وفداً الى يوستينيانس يطلب منه النجدة على اسد، وعلى المنذر ملك العراق.

وهذا عمرو بن قميئة[1] (†٥٦٠ م) التجأ الى نصارى الحيرة اذ راودته امرأة عمه عن نفسه، فنكر عليها طلبها تعففاً، فما عتمت ان شكته ظلماً الى عمه فصار الى اللخميين، وقال لعمرو بن هند: ان قومي اطردوني. فقال له: ما فعلوا الا وقد اجرمتَ، وانا افحص عن امرك فان كنت مجرماً رددتك الى قومك. فغضب وهمّ بهجائه وهجاء قومه بني المرثد. ثم اعرض عن ذلك ومدح عمّه واعتذر اليه.

وكان المرقّش الاصغر[2] (†٥٧٠ م) كلفاً بفاطمة بنت الملك المنذر، صاحب الحيرة، وقد اكثر من ذكرها في شعره ولم يصلنا الّا القليل من نظم هذا الشاعر. ومن قوله فيها:

الا يا اسلمي لاصرم لي اليوم، فاطماء ولا ابدًا ما دام وصلك دائمًا

ومن شعراء اياد الذين حلوا في الحيرة وانشدوا قصائدهم نذكر ابا دؤاد

١) الاغاني ١٦: ١٥٨–١٦، وشعراء النصرانية: ٢٩٢
٢) الاغاني ٥: ١٧٩–١٨٥، وشعراء النصرانية: ٢٢٨

الايادي[1] وهو من قدماء شعراء الجاهلية، وقد جعل بعضهم تاريخ وفاته سنة ٥٢٠م[2]. ونقل عنه ياقوت ابياتاً في دير السواء[3].

وقد جاء الحيرة المتلمّس، وهو جرير بن عبد المسيح الضبعي، وبقي مع ابن اخته طرفة بن العبد عهداً عند ملكها عمرو بن هند. ثم حقد عليهما واراد اقصاءهما وارداءهما، فدفع الى كل منهما صحيفة الى عامله في البحرين. فاعتقدا ان فيهما خيراً. الّا ان المتلمس لم يلبث ان اوجس شراً، فطلب الى غلام من الحيريين المباديين قراءتها فقرأها له، واذا فيها: «اما بعد فاذا اتاك المتلمس بكتابنا هذا فاقطع يديه ورجليه وادفنه حياً.» ولمّا علم مضمونها القاها في النهر وهرب الى الشام[4]. اما طرفة فلم يرضَ بفضّ صحيفته، وذهب الى البحرين فلقي فيه حتفه. وللمتلمس اشعار في مدح وذمّ عمرو بن هند وفي مدح الغساسنة.

ومن شعر المتلمس قوله في طرفة لمّا قتله عامل عمرو بن هند في البحرين:

عصاني فما لاقى الرشاد، وانما تبيّنُ من امر الغويّ عواقبُهْ
فاصبح محمولاً على آلة الرّدى تُمجُّ نجيعَ الجوف منه ترائبُهْ
فإمّا تحلّلها يُعالوك فوقها، وكيف ترقّى ظهرَها انت راكبُهْ!

ومن قصيدة له يهجو عمرو بن هند:

يا آلَ بكر، الا فُهِ أُمّكُمُ! طال الثُّواء، وثوب العجز ملبوسُ،

ومنها:

أُمي شآميّةً، اذ لا عِراقَ لنا، قوماً نوذُّهم، اذ قومنا شوس.(٥

---

١) الاغاني ٢١: ٩١

٢) زيدان: الآداب العربية ١: ٧٧ و١٥٠

٣) معجم البلدان: مادة «دير السواء».

٤) غرر الغلوب للثعالبي: ١٧٢. وقد ذكر كثير من الشعراء صحيفة المتلمّس منهم الفرزدق لمّا كتب الخليفة مروان بصحيفة الى عامله بشأن ذلك الشاعر فقال عن نفسه:

القِ الصحيفة، يا فرزدق، لا تكن نكداء مثل صحيفة المتلمّس

وذكرها الابله الشاعر، وشريح لمؤدب ابنه، ويعقوب بن الربيع في مرثية جارته، واليه اشار الحريري في مقامته العاشرة اذ قال: «فنفضتها فعل المتلمّس»

٥) أُمي: اقصدي، يخاطب ناقته.

ومن قصيدة اخرى يهجو فيها عمرو بن هند

شرُّ الملوك وشرُّها حبّاً في الناس من علموا ومن جهلوا
الغدرُ والآفاتُ شيمتُه فافهم، فمرقوبٌ له مثلُ.

وكانت وفاة المتلمس سنة ٥٨٠ م[1]

وعلى ذكر طرفة[2] بن العبد المتوفى سنة ٥٥٠ م[3] وهو صاحب المعلقة نقول ان له ايضاً قصائد يهجو بها عمرو بن هند واخاه قابوساً منها:

فليتَ لنا مكان الملك عمرو رغوثاً حول قبّتنا تحورُ

الى ان يقول:

لعمرُكَ ان قابوس بن هندٍ ليخلط ملكه نوكٌ كثير.

ومن الشعراء الذين ذهبوا الى الحيرة عبيد بن الابرص[4] في عهد المنذر بن ماء السماء. ووافق وصول الشاعر المدينة يوم بؤس المنذر فقتله. ومن شعره المأثور قصيدته البائية التي استنشده اياه المنذر قبل ان يقتله. مطلعها:

اقفر من اهله ملحوبُ فالقُطبيّاتُ فالذنوب

ومنها:

فكلُّ ذي نعمة مخلوسٌ، وكلّ ذي امل مكذوب،
وكل ذي ابلٍ موروثٌ، وكل ذي سلبٍ مسلوب،
وكل ذي غيبةٍ يؤوبُ، وغائبُ الموت لا يؤوب.

وتعلّم المرقّش الاكبر المتوفى سنة ٥٥٢ م الكتابة في الحيرة كما مرّ بنا[5]. وجاء الحيرة المثقّب العبدي[6] (توفي ٥٨٧ م) ودخل على ملوك الحيرة ومدح منهم عمرو بن هند والنعمان ابا قابوس. ومن مدائحه لعمرو بن هند رائيته:

هل لهذا القلب سمعٌ او بصر او تناهٍ عن حبيب يُذكَر

---

١) ترجمته في الاغاني ١٥: ١٤٥، و٢١: ١٢٥؛ وشعراء النصرانية: ٢٢٠
٢) الاغاني ٢١: ١٢٥–١٢١ وزيد ان: الاداب العربية ١: ١١٦
٣) [المشرق] ولعل الاصح انه توفي حول السنة ٥٦٩ (راجع الروائع ٢٤: ج)
٤) الاغاني ١٩: ٨٤–٩٠؛ وشعراء النصرانية: ٥٩٦. مات عبيد بن الابرص سنة ٥٥٥م.
٥) الاغاني ٥: ١٧٩، وشعراء النصرانية: ٢٨٢
٦) شعراء النصرانية: ٤٠٠–٤١٠

ومنها :

والى عمرو ، وان لم آته ، تجلبُ المدحة و يمضي السفر

ومن اشعاره في مدح عمرو بن هند قصيدته التي تُعدّ من مشوبات العرب السبع جاء في مطلعها :

افاطمَ قبل بينك ودّعيني ، ومنعُكِ ما سألتُك ان تبيني

ومنها :

الى عمرو ، ومن عمرو اتتني اخي النجدات والحلم الرصينِ
فاما ان تكونَ اخي بحقٍّ فاعرفَ منك غثّي من سميني ،
والّا فاطّرحني واتخذني عدوّا اتقيك وتتّقيني .
وما ادري اذا يممتُ وجهاً اريد الخيرَ أيما يليني
هل الخير الذي انا ابتغيه ام الشرُّ الذي هو يبتغيني ؟

ومن مدائحه للنعمان ابي قابوس قصيدته التي انتقاها صاحب المفضليات وفيها يقول :

الا ان هندًا امسِ رثّ جديدُها وضنّت ، وما كان المتاع يؤودها ،
فلو انها من قبلُ جادت لنا به على العهد اذ تصطادني واصيدُها .

ومنها :

فان ابا قابوس عندي بلاؤه جزاءً بنعمى لا يحلُّ كنودُها
وجدت زنادَ الصالحين غيّنهُ قديمًا كما بذّ النجومَ سُعُودُها .
فلم علم اللهُ الجبالَ عصيّنه اتاه بامراس الجبال يقودها .

وتذكر منهم المتنخّل اليشكري[1] المتوفى سنة ٥٩٧ م . كان ينادم النعمان مع النابغة الذبياني ، وينشده القصائد . وكان النعمان يكرمه ويقرّبه اليه . غير انه كان يؤثر شعر النابغة على شعره . فسعى المتنخّل بالنابغة واوغر صدر النعمان عليه حتى همّ بقتله . فهرب النابغة . وخلا المتنخّل بمجالسته ، الى ان اوتلب النعمان منه ، وقيل بل اتهمه بامرأته المتجرّدة . فاخذه ودفعه الى رجل من حرسه وصاحب سجنه يقال له عكبّ من بني تغلب ليقتله فعذّبه حتى قتله . وهو القائل من قصيدة له :

---

(١) الاغاني ١٨ : ١٥٢ ؛ وشعراء النصرانية : ٤٢١

فاذا امتشيتُ فاتني . ربُّ الغورنق والسَّدير
واذا صعوت فاتني ربُّ الشويحة والبعير

وبين الشعراء الذين جاؤوا الحيرة حنظلة الطائي[1] (٥٩٠ م) . وحكايته معروفة مع المنذر بن ماء السماء . بلغ شاعرنا الحيرة يوم بؤس المنذر ، فاراد قتله بالرغم من اياد بيضاء كانت لحنظلة على الملك . فاستمهله سنة حتى يدبّر امر بيته فامهله بكفالة شريك بن عمرو . ولما انقضى الحول اعدت العدة لقتل شريك عوضاً عن الطائي . وقبل انتهاء اليوم اقبل حنظلة برًّا بوعده . فسأله المنذر : ما الذي جاء بك وقد افلتَّ من القتل ؟ قال : الوفاء . قال : وما دعاك الى الوفاء ؟ قال : انَّ لي ديناً يمنعني من الغدر . قال : وما دينك ؟ قال : النصرانية . وعلى هذا تنصَّر المنذر ، وتنصَّر معه اهل الحيرة اجمعين ، على رواية الميداني . ونسك بعد ذلك حنظلة ، وبنى له ديرًا يعرف بدير حنظلة . لم يبقَ الّا القليل من شعر حنظلة ، ومما رواه ابو الفرج بن الطيب قوله :

وبهما يكن من ريب دهرٍ فاتني ارى قمر الليل المذَّبَ كالفتى ،
يُحلُّ صغيرًا ثم يعظُم ضوءهُ وصورته ، حتى اذا ما استوى
وقرَّبَ يخبو ضوءهُ وشعاعهُ ويمحو حتى يستسرُّ فما يرى .

(لها بقية)

---

١) الاغاني ٩ : ٩٨ ، و ١٩ : ٧٨ و ٨٨ ؛ وشعراء النصرانية : ٩٢

الزواج

تبعاً للرسالة البابوية «Casti connubii»

بحث اخلاقي لاهوتي

للاب شرل ابيلا اليسوعي

٢

الزواج المسيحي او سرّ الزواج

٣

١٠ً استدراك وايضاح : المعنى الصحيح لتطوّر العقيدة

وقد يتسرّع من لا يعمل الفكرة في الامور ملياً الى تقدير ما لم يخطر لنا ببال ، تحت النتيجة التي أدّى بنا اليها البحث التاريخي السابق ، فيتوهّم ان ماهية السرّ المجرّدة العامة ، على ما حدّدناها سابقاً ثم طبّقناها على القران المسيحي ، كانت قبل القرن الثاني عشر ، بل في اوائل النصرانية ، منقّحة واضحة صريحة ، كما نجدها اليوم مبسوطة في الكتب اللاهوتية ، منذ اثبت بطرس لومبار تحديده للسرّ عموماً في السفر الرابع من « حكمه » ، حوالي العام ١١٥٠ .

لعمري انّ تعليلاً كهذا يكون وهماً محضاً واختلاقاً لا اساس له في النصوص التاريخية الصادقة ، بل فيها ما يكذّبه . من ذلك ما ورد للقديس بطرس داميانوس († ١٠٧٢) في عظته الـ ٦٩ : ثمة يُطلق اسم السرّ ليس فقط على ما هو منه حقيقي ، كالمعمودية والزيجة ، بل على ما لا ينطبق عليه بحصر المعنى ، كحفلة مسح الملوك وسيامة الراهبات . وقد نحا نحو القديس المذكور كثيرون في القرن الحادي عشر الذي عاش فيه ، ومن قبله .

ولا تعجبنَّ فان الاعتماد في العلوم ، ولاسيما في اللاهوت ، على معنى الالفاظ ، كما يُستفاد من الاصطلاح ، لا على مادّيتها المجرّدة فقط .

ولم تكن الحقيقة الراهنة لتحتاج ، في الدفاع عنها ، الى ان تُضخَّم . بل انَّ ما يُزاد مجّاناً على واقعيّتها يؤذيها لا يجديها نفعاً .

تؤمن وتُعلم الكنيسة المقدسة انَّ الزواج المسيحيّ هو سرٌّ حقيقي . ولا حاجة البتّة ، كيما ندفع عنها تهمة اختراع العقيدة واختلاقها ، ان نعثر ، في الاسفار المقدّسة او في آثار التقليد ، على تعليمها المذكور واضحاً منسّقاً مصرَّحاً باوضاع علمية فلسفية ، كما ورد مثلاً في مؤلفات القديس توما الاكويني او في تحديدات المجمع التريدنتيني . بل حسبنا ، للبلوغ الى غايتنا ، أن نجد في النصوص المنزلة والتقليدية اصول هذا التعليم ذاته . وقد تكون هذه الاصول ، في مناهلها ، مشتّتةً غامضةً . ولا عجب . فقد قال القديس بطرس انَّ « في رسائل اخيه الحبيب بولس » بالرغم من « الحكمة التي أوتيها . . . أشياء صعبة الفهم » وكذا ايضاً « في سائر الكتابات . »[1] وما يقول هامة الرسل في الاسفار المنزلة نستطيع ان نطبّقه ايضاً ، مع حفظ النسبة ، على مصادر التقليد ، ولاسيما اذا كانت قديمة العهد جدًّا ، تحتوي بعض الاحيان تلميحات الى وقائع وظروف قد يفوت معناها حتى جهابذة التفسير .

والى مثل هذه الاصول قد يعمد المسيحيون ، ولاسيما المفكرون منهم ، فيعكفون على درسها مليًّا ويحاولون جمع شتاتها ، اذا ما كانت متفرّقةً ، ويقابلونها بعضاً ببعض ، ويجدّون في استطلاع حقيقة معناها وشرحها ، على ما أوتوه من اساليب العلم والحكمة . فتارةً يُصيبون المرمى وتارةً يخطئونه . وقد تقوم بينهم المجادلات والمناقشات وتستغرق في بعض الاحوال احقاباً واجيالاً . وفي اثناء ذلك لا تفتأ السلطة الكنسية المعلّمة ، التي وكل اليها المسيح ان تسهر على الايمان والاخلاق ، ترقب حركاتهم وسكناتهم . ثم يأتي يومٌ ترى فيه أنَّ زمن الاخذ والردّ قد انقضى وانَّ الابحاث قد نضجت وحان لها ان تبتّ الامر .

---

١) ٢ بطرس ٣ : ١٥-١٦

فاذا ما لفظت حكمها كان القول الفصل ، وخضع له كلُّ الذين لم ينسهم الكبر والتفت قول المسيح الى بطرس : « كل ما ربطته على الارض يكون مربوطاً في السماوات وكل ما حللته على الارض يكون محلولاً في السماوات »[1] والى جمهور معلّمي الكنيسة ، اي الاساقفة خلفاء الرسل : « تلمذوا . . وعلّموا . . وها انا معكم كل الايام الى منتهى الدهر . »[2]

قال آباء المجمع الفاتيكاني[3] : « ليس تعليم الايمان ، الذي اوصى به الله ، بمثابة مخترَع فلسفي يُبسط فيُترك للاذهان البشرية تكمّله ، بل بمثابة مستودَع الهيّ مسلّم الى عروس المسيح لتحفظه امينةً وتُصرّحه معصومةً . ومن ثمّ فالعقائد المقدّسة يجب ان يُحفظ دائماً لها ذاك المعنى الذي صرّحته ، في حين من الاحيان ، امّنا الكنيسة المقدّسة ، وليس لاحدٍ ابداً ان يدّعي ويحتجّ بما قد يكون أُوتي من فهم اسمى فيحيد عن المعنى هذا . « فلينموَنّ اذن . . . ويتقدّمنّ كثيراً شديداً ، في الافراد وفي الجميع ، في الانسان الواحد كما في الكنيسة جمعاء ، على مدى رقيّ الاجيال والقرون ، الفهم والعلم والحكمة : على شرط ان تنحصر هذه ضمن نطاق جنسها لا تتعدّاه ، اي ضمن نطاق العقيدة الواحدة والمعنى الواحد والرأي الواحد . »[4]

ذاك هو المعنى الصحيح لتطوّر العقائد في الكنيسة . ومؤدّاه انّ الحقائق الموحى بها من الله لا يعتريها جمود ولا يُضاف اليها دخيل اجنبي . لا يعتريها جمودٌ لانها تنمو وتحيا في ألباب المؤمنين ، فانهم يزدادون يوماً عن يوم فهماً لها واستيعاباً لفحواها ، بل قد يكون منها ما يُلمّ به مؤمنو الغد ولم يلمحه مؤمنو اليوم . الا انها لا يشوبها الدخيل الاجنبي لانّ ما فهمه اهل جيل ما احسن من سلفائهم لم يشوّهوا له معنًى ، بل انما اتقنوا ادراكه اكثر من سواهم ، وما عثروا عليه مما قد جهله الذين سبقوهم ، لم يخترعوه بل انما اكتشفوه ، بالجدّ والدرس ، في مستودع الوحي الذي تسلّمته جماعة المسيح من رسله الاطهار .

---

١) متى ١٦ : ١٩ ٢) متى ٢٨ : ٢٠

٣) الجلسة الثالثة ، الفصل الرابع في الايمان والعقل ، في مجموعة دنزنكر ع ١٨٠٠

٤) طالع انذار فنسان الليريني ع ٢٨ ، مين ل ٥٠ : ٦٦٨

وقصارى القول انّ تطوّر العقائد المشروع لا يُراد به تبديل الحقائق الموحى بها ولا زيادة عددها بل ازديادها هي وضوحاً وازدياد المؤمنين لها فهماً واستيعاباً ، تحت مراقبة الكنيسة وبفضل تعليمها المؤيّد من الروح القدس[1] .

وقد شبّهوا العقائد الكاثوليكية ، في تطوّرها ، بسفينة تسير مقبلةً الى الساحل . فما دامت تمخر بعيداً ، لا يراها جلياً الذين على الشاطئ ولا يميزون جميع ما فيها وعليها . لكنهم كلما اقتربت منهم وحدّقوا اليها ، تتجلى امامهم بجملتها وبما عليها . وقد يتسنى لهم ان ترسو في الميناء فيلجونها ويجولون فيها ويستطلعونها بما فيها ومنها . فهل يكونون اذ ذاك قد زادوا عليها ام بدّلوا منها شيئاً ؟

١١ً تطبيق المبدأ الصحيح لتطور العقائد على سرّ الزواج

وطبقاً لهذا المبدأ عينه لم تتوصّل الكنيسة المقدّسة الى تحديد حقيقة سرّ الزواج ، الا بعد ان تحقّقت وجود اصولها في مصادر الوحي ، اي في الكتاب المقدس وآثار التقليد . وانما قوام هذه الاصول بالمعلومات التالية :

ا – رسم المسيح للزواج

من الايمان ان المسيح ، حيث امر بوحدة العقد الزوجي وحرّم حلّ رباطه ، قد قدّسه واعاد اليه كماله الاصلي كما رسمه الله منذ البدء . فيكون هذا رسم الزواج من المسيح ، رسماً ثانياً ، ولا شكّ ، بالنسبة الى الرسم الاول الذي يرتقي الى عهد الفردوس الارضي ؛ الا انه رسمٌ حقيقي .

والحقيقة هذه ظاهرة في تعليم القديس بولس الرسول ، حيث يوصي من قبل الربّ يسوع بوحدة الزواج وينهى عن حلّ رباطه[2] . وقد اثبت سيدنا يسوع المسيح التعليم نفسه في الانجيل الطاهر ، حيث ورد قوله المأثور : « ما جمعه الله فلا يُفرّقه انسان . »[3]

---

١) طالع مقال الاب بانثيل اليسوعي في تاريخ عقيدة الحبل بلا دنس ، في مجلة *Etudes* لعام ١٩٠٤ ، المجلد ١٠١ ، ص ٦١٢–٦٢٢

٢) ١ كور ٧ : ١٠–١١ ، ٢٩ . طالع ايضاً روم ٧ : ٢–٣

٣) متى ١٩ : ٦

وكثيراً ما يستنتج الآباء القديسون رسم المسيح للزواج مما جاء في الفصل الثاني من انجيل القديس يوحنا ، حيث فهموا انه ، جلّ جلاله ، قد حضر عرس قانا وصنع فيه معجزته الاولى ، اظهاراً لرغبته في ان « يُقدّس » الزواج.

من ذلك قول القديس ابيفانوس ، تعليقاً على الفصل الانجيلي المذكور : « يظهر لي أن يسوع دُعي الى العرس لسببين : احدهما ان يحوّط بالعفاف والصلاح الزواج الذي كانت اهواء البشر تتدفّق عليه كمياه طاغية . والآخر ان يخفّف وطأة عذاباته المستقبلة ، بعذوبة الخمر التي ترفع الاحزان وبالنعمة.»[1]

وقال القديس اغوسطينوس : « انّ الغاية التي من اجلها اتى الرب الى العرس هي تأييد العفّة الزوجية واظهار سرّ الزيجة.»[2]

ب – في الزواج المسيحي نعمة مكفولة للقرينين

ومما يعلّمه الآباء ايضاً أنّ الزواج المسيحي يُعطى به القرينان نعمةً عليها يرتكز اتحادهما وبها يؤيّد ، فهو الله ذاته الذي يرأس حفلة قِرانهما كيما يجعله متيناً غير قابل الانحلال ويكفل لهم النعم التي تمكنهما من القيام بواجب الامانة الزوجية.

قال ترتليانوس : « من اين لنا ان نصف غبطة ذلك الزواج الذي تُهنى بعقده الكنيسة وتثبته التقدمة وتختم عليه البركة الكهنوتية ويُذيعه الملائكة ويُقرّه الآب ؟ »[3]

وقال اوريجانوس : « انّ الله هو الذي يجمع العروسين فيجعلهما واحداً ، فاذا ما اقترنت المرأة بالرجل فلا يكونان بعد اثنين . وبما انه تعالى هو الذي يوحّدهما فمن اجل هذا تستقرّ فيهما النعمة . ولم يكن بولس ليجهل هذه الحقيقة.

١) ضدّ البدع ٥١ : ٢٠ ، مين ي : ٤١ : ٩٤٢

٢) شرح يوحنا ٩ : ٢ ، مين ل : ٣٥ : ١٤٥٩ – طالع ايضاً كتاب القديس ذاته « في الخير الزواجي» ٣ : ٢ ، مين ل : ٤٠ – ٢٧٥ – وايضاً شرح يوحنا لقديس كيرلس الاسكندري ٢ : ١ ، مين ي : ٧٤ : ٢٢٤ – وملخّص اكاذيب الهراطقة لتيودوريت ٥ : ٢٥ ، مين ي : ٨٣ : ٥٢٧ – والميمر ٢٣ للقديس مكسيموس التوري ، مين ل : ٥٧ : ٢٧٤ – والقديس يوحنا الدمشقي في « الايمان الارثذوكسي » ٤ : ٢٤ ، مين ي : ٩٤ : ١٢٠٩

٣) الى زوجته ٢ : ٧ ، مين ل : ١ : ١٢٩٦

ومن ثمّ فقد صرّح أنّ القران المطابق لكلمة الله هو نعمة من لدنه عزّ وجل .»[1]

والقديس اثناسيوس رسالة الى الراهب أمون ، يُقابل فيها الزواج بالبتولية فيقول انه ، وان كان المتزوج « لا يُرزق نعماً بمقدار ما ينال البتول ، الّا انه له منها نصيب ، هو بمثابة الزرع الذي يُعطي الواحد منه ثلاثين .»[2]

ت – الزواج رمز الى اتحاد المسيح بالكنيسة ومن ثم يستوجب النعمة

على انّ الزواج المسيحي يقتضي النعمة بنوعٍ خاص ، لما فيه ، بموجب ارادة الله ، من الدلالة على امر تفوق قداسته كلّ ما يمكننا تصوّره ، ألا وهو اتحاد المسيح السرّي بالكنيسة . ومن اجل هذا يدعوه القديس بولس سرّاً عظيماً . قال :

« لتخضع النساء لرجالهنّ كما للربّ . لان الرجل هو رأس المرأة كما انّ المسيح هو رأس الكنيسة مخلّص الجسد . فكما تخضع الكنيسة للمسيح فكذلك لتخضع النساء لرجالهنّ في كل شيء . ايها الرجال احبوا نساءكم كما احبّ المسيح الكنيسة وبذل نفسه لاجلها . ليقدّسها ... ليهديها لنفسه كنيسة مجيدة ... فكذلك يجب على الرجال ان يحبوا نساءهم كاجسادهم . من احب امرأته احبّ نفسه . فانه لم يُبغض احد جسده قط بل يغذّيه ويربّيه كما يعامل الرب الكنيسة . فانّا اعضاء جسده من لحمه وعظامه . ولذلك يترك الرجل اباه وامه ويلزم امرأته فيصيران كلاهما جسداً واحداً . انّ هذا لسرٌّ عظيم . اقول هذا بالنسبة الى المسيح والكنيسة . وانتم ايضاً فليحبّ كل واحد منكم امرأته كنفسه ولتحبّ المرأة رجلها .»[3]

كلٌّ يعلم نظرية القديس بولس في شأن اتحاد المسيح بالكنيسة . فانّ هذا الاتحاد هو ، في اعتقاد الرسول ، متينٌ صميم الى حدّ انه لا يتردّد في القول ، على ما نتحقق في النصّ السابق ، انّ ابناء الكنيسة هم « اعضاء جسد يسوع من لحمه وعظامه .» وقد تلقّن القديس بولس هذا التعليم من الربّ بذاته ،

---

١) التعليقات على متى ١٤ : ١٦ ، مين : ي ١٣ : ١٢٢٩

٢) مين ي : ٣٦ : ١١٧٣ ، ١١٧٤

٣) افس ٥ : ٢٢–٢٢

حيث كان سائراً من اورشليم الى دمشق فسمعه يناديه من اعالي السماء قائلاً : « شاول شاول لِمَ تضطهدني ؟ »[1] وانما كان شاول وقتئذٍ يضطهد الكنيسة لا المسيح بالذات. لكنه فهم اذ ذاك انَّ كليهما ، في عرف الرب ، واحد . وقد طالما تبصّر القديس بولس ملياً في هذه الحقيقة . ولذلك يكاد يعود اليها كل حين في رسائله ،[2] فكأنها اضحت من اركان تعليمه .

ولا يتوهمنَّ احدٌ انَّ ما يُعوَّل عليه ، في اسناد عقيدة سرّية الزواج الى النصّ البولسي المذكور آنفاً ، انما هو لفظة « سرّ » الواردة في الفقرة « انَّ هذا سرٌّ عظيم » ، كما لو كان الرسول يقصد بها « السرّ » (sacrement) ، على ما يُحقّق معناه في كل من اسرار البيعة السبعة ، اي من حيث يراد بـه علامة انشأها المسيح للدلالة على النعمة ولفعلها .

فانَّ الواقع هو بالخلاف . وما من معنى هنا للفظة « السرّ » سوى السرّ (μυστήριον, mystère) ، من حيث كونه يدلّ على حقيقة عميقة غامضة سامية تفوق الادراك الطبيعي . وانما اشار بها القديس بولس ، على ما فسّر الاب پرا ، « الى الخطة التي فكر الله فيها منذ الازل[3] ، لكنه لم يكشفها الا بالانجيل ، وهي أن يخلص كل الناس ، بدون ما تمييز لذرّية عن غيرها ، بان يوحّدهم وابنه الحبيب بوحدة جسده السرّي . »[4]

وعن هذا السرّ عينه يُفصح القديس بولس في رسالته الاولى الى تيموتاوس ويشير اليه بنفس الفقرة اليونانية الواردة في الرسالة الى اهل افسس . قال : « ومن المسلَّم انـه « عظيمٌ سرٌّ » (μυστήριον μέγα) التقوى الذي تجلّى في الجسد وتبرّر بالروح وروئي من الملائكة وبُشّر به في الامم وأُومن بـه في

---

١) اعمال ٩ : ٤

٢) طالع روم ١٢ : ٥ ، ١ كور ٦ : ١٥ ، ١٠ : ١٧ ، ١٢ : ١٢-١٣ ، افس ٦ : ٤ ، ١٥-١٦ ، كول ١ : ١٨ ، ٣ : ١٥ الخ

٣) طالع كول ١ : ١٧-٢٠ ، ٢٧-٢٨ ، روم ١٦ : ٢٥

٤) F. Prat, S. J. *La Théologie de S' Paul*, Paris, Beauchesne, 19e édition, 1re partie, p. 369, ٥٨٤-٥٨٥ طالع ايضاً المجلد ذاته ص

العالم وارتفع الى المجد .» [1]

فليس الزواج اذاً هو « السرّ العظيم » المحكى عنه في النص الذي اقتطفناه آنفاً من الرسالة الى اهل افسس . وانما السرّ هو الصلة السرّية التي تربط المسيح بالكنيسة ، هو الخطة التي اراد الله بها خلاص البشر بواسطة القران غير المنظور الذي جمع بين الكنيسة ورأسها الالهي.

ومع هذا كله فما من مجالٍ للشك في معنى هذا النصّ الرسولي . فهو اكيد واضح واضح ، ومؤداه ان الزواج هو ، في عرف القديس بولس ، رمزٌ الى اتحاد المسيح بالكنيسة ، وذلك بمقتضى رسم الله ذاته . فكأنّ الرسول يقول : يريد الله ان يكون اتحاد الزوجين رمزاً الى اتحاد ابنه الوحيد بيعته ، وعلامةً له ، فيضحي هذا لذاك نموذجاً يتخذه الازواج دستوراً لحياتهم الزوجيـة ، حتى اذا ما طبقوها عليه ، تُحيي ذكر اتحاد الاله المتأنس بالكنيسة.« ولذلك يترك الرجل أباه الخ .» اي الى هذه الرمزيّة اشار الله واياها قصد حيث قال ، عندما انشأ الزيجـة في الفردوس وحرّم فسخ عقدها بالطلاق ، ثمّ عندما جدّدها واعاد اليها رونقها الاول في الانجيل : « لذلك يترك الرجل اباه الخ . » فكما انّ المسيح احبّ عروسه البيعـة حباً فاعلياً كجسده ، كذلك يأمر الله ان يحب الزوج زوجتـه كجسده . وكما انّ المسيح والكنيسة جسدٌ سرّي واحد غير قابل الانحلال ، كذلك الزواج يجعل الرجل والمرأة جسداً واحداً لا ينحلّ.

هذا ما فهمه الآباء من النصّ البولسيّ الذي نحن في صدده،منهم اغناطيوس الانطاكي († ١٠٧) [2] واغوسطينوس [3] والبابا لاون الاول [4] الخ.

ولكن من اين للارادة البشرية المجرّدة ان تستطيع الى تحقيق هذه المنية سبيلاً سهلاً . من اين للزوجين ان يمثّل اتحادهما وحبهما المتبادل اتحـاد المسيح

---

١) ١ تيم ٣:١٦

٢) في رسالته الى بوليكربوس ٥ : ١ ، مين ي : ٥ : ٧٢٤

٣) في الزيجة والشهوة سفر ١ ، فصل ١٠ ، عدد ١١ ، مين ل : ٤٤ : ٤٢٠ – كذلك في الخير الزوجي ١٨ : ٢١ ، مين ل : ٤٠ : ٣٨٧–٣٨٨

٤) في رسالته ١٦٧ : ٤ ، مين ل : ٥٤ : ١٢٠٤

بالكنيسة وحبه لها ، لولا النعمة السرية.

قال مونسبره : « لا يكون اتحاد المسيح بالكنيسة مثالاً ولا اتحاد الزوجين صورةً له تطابقه ، ولا رمزاً اليه ولا علامةً له ، ما لم يتضمن هذا ، كما ذاك ، قوّةً مقدسة . فلا يحبّ الرجل المرأة كما يحبُّ المسيح الكنيسة ، ولا تُحبُّ المرأة الرجلَ كما تحبُّ الكنيسة المسيح ، بدون ما نعمةٍ تنقّي المحبة وتعلي شأنها وترفعها الى ما فوق الطبيعة . فالمسيح ، فيما يبذل نفسه للكنيسة ، يقدّسها . وكذا الرجل والمرأة ، فيما يتبادلان بذل الذات ، ينبغي ان يُقدّسا بعضهما بعضا . وهذا هو ما يجعل الزيجة « سرّاً عظيماً » »[1]

وقصارى القول ان القديس بولس ، في النصّ الذي اوردناه من رسالته الى اهل افسس ، لا يُصرّح بسرية الزواج ، لكنه « يلتمح » اليها ، لانّ الاقتداء المتواصل بالمثال الاعلى ، على ما يوصي به الرسول القرينَين المسيحيين ، يقتضي ان يتضمّن عقدُهما تلك النعمةَ السرية.

واليك ما قال في هذا المعنى آباء المجمع التريدنتيني : « اما النعمة التي من شأنها ان تكمّل ذاك الحب الطبيعي في الزوجين وتُثبّت وحدتهما غير القابلة الانحلال وتقدّسهما ، فان المسيح ذاته ، راسم الاسرار الجليلة ومكمّلها ، قد استحقها لنا بآلامه . والى هذا « يُلتمح » بولس الرسول حيث قال : « ايها الرجال احبوا نساءكم كما احبّ المسيح الكنيسة وبذل نفسه لاجلها » ثم اردف القول : « انّ هذا لسرٌّ عظيم . اقول هذا بالنسبة الى المسيح والكنيسة »[2]

ث – الاحتفال بالزواج بحضرة خدّام الكنيسة

ممّا يدلُّ على قداسة الزواج في نظر الكنيسة ، أنها منذ اوائلها رسمت ألّا يُعقَد الا بحضرة الكاهن ، كيما تكون البركة التي يستمطرها على القرينين ، ورتبة الاكليل المقدّسة التي يحتفل بها ، عربوناً للنعمة التي أناطها المسيح بالعقد الزوجي.

---

١) مونسبره ، ص ٢٠–٢١

٢) الجلسة ٢٤ ، في التعليم المختصّ بسر الزواج ، مجموعة دنزنگر ٩٦٩

ولدينا على هذه الحقيقة التاريخية شواهد قديمة يكاد يرتقي عهدها الى القرن الرسولي . من ذلك قول القديس اغناطيوس الانطاكي الشهيد ، تلميذ الرسول يوحنا الحبيب : « يجدر بالعريس والعروس ان لا يعقدا الزواج عن غير رأي الاسقف ، كيما يكون العرس بحسب الربّ ، لا بحسب الشهوة . فليقصد من كل شيء شرف الله »[1] اجل انّ هذا النصّ لا يشير الى شريعة صريحة كانت تلزم المؤمنين في اواخر القرن الاول وابتداء الثاني ، الا انه يدل على اماني اسقف انطاكية كما على عادة كانت جارية في ايامه .

ومن الكلام الذي ذكرناه سابقاً لترتليانوس[2] ، يحصّل صريحاً ان هذه العادة قد اضحت في ايامه وفي بلاده قاعدةً مضطردة لدى المسيحيين .

وفي موضع آخر يقول ترتليانوس : « انّ الزيجات الخفية ، اي التي لم يسبق اعلانها تجاه الكنيسة ، تُعتبر لدينا بمثابة الزنى والفحش . »[3]

ومن البدع التي جنح اليها ترتليانوس ، لما ان صار مونتانياً ، تحريم الزواج على الارامل رجالًا ونساء . ومن الحجج السفسطية التي يحاول ان يبني عليها ضلاله هذا أنّ القديس بولس الرسول يُحرّم سيامة اسقف سبق له ان تزوّج ، لداعي ترمّله ، اكثر من مرّة واحدة[4] . والشريعة ذاتها تجري على الكهنة والشمامسة . ومن ثم يستنتج ترتليانوس ان الارمل ، وان عالياً ، لا يجوز له ان يسأل الاسقف والكهنة ما لا يحلُّ لهم ان يعقدوه لانفسهم ، الى ان يقول : « أفيعطي الاساقفة الازواج والزوجات كما يوزعون لهم الخبز ؟ . . أم يزوجونكم هكذا في الكنيسة العذراء ، التي هي العروس الوحيدة للمسيح الوحيد ؟ »[5] ومن ثم يتضح لك انّ المسيحيين كانوا في عهد ترتليانوس ، كما في ايامنا ، يسألون الكهنة ان يمنحوهم بركة الاكليل .

ومن رسالة القديس امبروسيوس الى ڤيجيليوس يُستفاد ان رتبة الاكليل

---

١) رسالته الى پوليكرپوس ٥ : ٢ ، مين : ي ٥ : ٧٢٤

٢) ص ٥٦٠

٣) « في الحياء » ٤ ، مين ل : ٢ : ٩٨٧

٤) طالع ١ تيم ٣ : ٢

٥) في « وحدة الزوج » ١١ ، مين : ل ٢ : ٩٩٢

كانت تقوم خصيصاً بامرين : اي بان يُجلل الكاهن رأس العروس بغطاء ويباركها هي وعريسها (*velamen sacerdotale et benedictio*) [1] واليهما يضيف ترتليانوس [2] التقدمة (*oblatio*) التي قد يُدلّ بها على ذبيحة القداس.

ومما كان يجري في حفلة الاكليل في الكنيسة اليونانية ، على ما يشير اليه القديس غريغوريوس النزينزي [3] أنّ الكاهن كان يضع صفح كفّ العريس بصفح كفّ العروس .

وفي ميمر للقديس يوحنا فم الذهب يقول [4] : « فلا نقبحنّ اعراسنا بزخارف شيطانية ، بل ما فعله اهل قانا الجليل فليفعلنّه الذين يتزوجون اليوم ؛ فليكونن المسيح جالساً في وسطهم . ولكن تُرى كيف يتم ذلك ؟ بحضور الكهنة انفسهم . لان الرب قد قال : « من قبلكم فقد قبلني . » [5]

تلك هي بعض المعلومات التي نجدها عن الزواج في الاسفار المنزلة والتقليد على ما نقله الينا الآباء في كتاباتهم ومواعظهم . وقد انصرف علماء الكاثوليك ، ولاسيما المدرسيون منهم ، الى درس هذه المعلومات . فتوغلوا في بحثها ومقابلة بعضها ببعض ، حتى توفقوا الى معرفة ماهية السرّ عموماً ، اي الى تعيين الاصول الجوهرية التي تتفق فيها الاسرار السبعة كلها ، دون سواها من الطقوس الدينية . فوضعوا لها تحديداً مجملاً شاملاً ، ونسّقوا لها جدولها السباعيّ المشهور . كل هذا والسلطة المعلمة في الكنيسة تراقبهم مؤيّدةً من الروح القدس ، الى ان جاء ذوو الاصلاح الموهوم ببدعهم . فحرّم المجمع المسكوني التريدنتيني اضاليلهم . وفي الوقت نفسه بسط للمؤمنين التعليم الكاثوليكي في الاسرار ، مستنداً الى مصادر الوحي ، اي الى الاسفار المنزلة والآثار التقليدية . فكان ، ولاشكّ ،

---

١) الرسالة ١٩ : ٧ ، مين . ل ١٦ : ١٠٢٦ – طالع ايضاً كتاب القديس ذاته « في الحض على البتولية » ٦ : ٢٤ ، مين : ل ١٦ : ٣٦١ – وايضاً رسالة القديس سيريشيوس البابا الى هيسيريوس ٤ : ٥ ، مين : ل ١٣ : ١١٢٦

٢) في النص الذي ذكرناه آنفاً ، ص ٥٩٠

٣) رسالته ١٩٣ ، مين ي : ٣٧ : ٣١٦–٣١٧

٤) ميمره في الآية البولسية (١ كور ٢٧) « لسبب الزنى فلتكن لكل واحد امرأته » ، ع ٢ ، مين ي : ٥١ : ٢١٠

٥) متى ١٠ : ٤٠

تطوّر العقيدة ، في سرّية الزواج ، كما في غيرها ، تقدّماً ورقياً حثيثاً ، ليس من الحقائق الموحى بها فعلاً الى ما قد يُتوهّم أنّ الكنيسة ، معاذ الله ! أولجته فيها من الدخيل ، بل من معرفة اوّلية لنفس هذه الحقائق ، الى معرفة لها اسمى واكمل ، متقيّدة ابداً بمعناها الاصلي لا تحيد عنه قيد شعرة[1]

١٢ً علاقة العقد بالسر

بقيَ لنا في هذا الباب من بحثنا ، كلمة وجيزة في علاقة العقد بالسرّ . فنقول ان هذه العلاقة هي من نوع الصلة التي تربط حيثيتين مختلفتين بالمعنى لشيء واحد . فالعقد هو السرّ والسرّ هو العقد ، وكلاهما امرٌ واحد لا يختلفان في الحقيقة الواقعة ، الّا من حيث الاعتبار .

قال بيوس الحادي عشر[2] : « وبما انّ التراضي الزواجي الحقيقي نفسه بين المؤمنين ، قد جعله المسيح علامةً للنعمة ، فقد اضحى قوام السرّ ملتحماً بالزواج المسيحي التحاماً باطنياً يبلغ به الى حد انه لا يمكن ان يكون زواج حقيقي بين معمّدين « بدون ان يكون من ذات الفعل سرّاً » [3]

وانما هذه نتيجةٌ ، تكاد تكون بديهية ، لما حدّده المجمع التريدنتيني وقد ذكرناه سابقاً . فانه لم يُعلّم « انّ في الزواج سرّاً حقيقياً » بل قال « ان الزواج نفسه هو سرّ حقيقي »[4] . افلا يكون المعنى انه لا بد من التوحيد بين الفعل البشري ، الذي به يسلّم الرجل ذاته للمرأة وهي ذاتها له ، اي العقد الزواجي من جهة ، ومن اخرى الفعل الالهي الذي بها يُعطيان النعمة ، اي السر؟

١٣ً خادما السر

ومن ثمّ يتضح لك مؤدّى لفظة « الكهنوت » التي ألف البعض التعبير

---

١) طالع L. Godefroy, *Le Mariage dans l'Ecriture et les Pères* – Dictionnaire de Théologie Catholique, tome 9, 2069-2071 ; 2101-2109.

٢) الرسالة *Casti connubii* ص١٦

٣) مجلة الحق القانوني العام مادة ١٠١٢

٤) طالع مونبره ، ص ٢٥–٢٦

بها عن الخدمة التي يقوم به كلا الزوجين ، كلٌّ لقرينه ، بينا يتعاقدان . فان هذه اللفظة ، وان مجازيّة ، لا تبعد عن الحقيقة الراهنة ، وهي انَّ العروسين هما نفسهما خادما سر الزواج.

وفعلاً لمّا كان العقد والسرُّ شيئاً واحداً ، وكان العقد هوَ هوَ السرّ ، والسر هوَ هوَ العقد ، فلا مشاحّة ان من يبرم العقد هو ايضاً خادم السرّ . وانما المتعاقدان هما العروسان ، فهما اذن خادما السرّ .

قال مونسبره : « اسموا هذا السرّ ايها الازواج ، وقد اصبحتم بفضل الزواج ، ارومة العائلة المسيحية ، فتحققوا ما هي منزلتكم السامية . انكم قد أُنلتم بالعمودية شركةً في كهنوت يسوع المسيح ، وذلك بفضل الوسم الذي قد طُبع في انفسكم ، فشبّهاكما يشقون الترع قصدَ ان يسيلوا فيها المياه المتدفقة من نهر عظيم . . . وقد قالت[1] انَّ هذا الوسم هو قوةٌ قابلية تمكّن انفسكم المتمتعة بنعمة العمودية من قبول الاشياء المقدسة . فاردف اليوم قائلاً انَّ في حياتكم المسيحية ظرفاً يكون به لوسم العماد قوةٌ فاعلية تُصوّركم بنوع اقرب على مثال كهنوت المسيح : ألا وهي القوة التي بها تُعطُون ، وتُعطَون معاً السرّ المقدس الذي يُحوّل هيئة الزواج فيجعله اقدس ممّا صنعه الله عند خلق العالم . »[2]

١٤ صلحة تلخيصية

وقد لخّص القانوني دوبلتي هذا التعليم بحديث فكاهي ، نشره في «النشرة الاسبوعية لابرشية نامور »[3] فاحببنا ان نتحف به القراء . قال:

أتت يوماً تزورني احدى الاوانس ، وكانت على أُهبة الزواج ، فقالت :

يا حضرة الاب المحترم هاكَ شهادة معموديتي ، وقد قصدتُ قلاية سيدة لوريت كيما احصل عليها .

---

١) في محاضرته في العمودية

٢) مونسبره ، في مجلّده المذكور ص ٢٦–٢٧

٣) نقله عنها الاب بيرنجه abbé R. Béringer في مجموعته *Recueil Documentaire*, 2e Edition, *La Famille Chrétienne*, Arras, Librairie Brunet, pp. 22-24.

— حبذا الخورنية هذه ، فاني عتدتُ فيها زمناً طويلاً.

— وقد عتدتني انا ايضاً . . . فانّ محضر عمادي موقّعٌ عليه اسمك.

— ان هذا الاتفاق ليسرّني.

— وليس هو فرداً من نوعه : لانك ايضاً انت الـذي اهبتني لمناولتي الاولى .

— ولم يزل ذكرها قرعَ ذهني.

— افترغب اذن ان تضيف « اتفاقاً » ثالثاً الى السابقين ، بأن تزوّجني ؟

— ذاك ما كنتُ ، لو بالامكان ، اتمناه. لكنني لا استطيع اليه سبيلاً.

— أفستتيب عنا في ذلك اليوم !

— لا سمح الله ! . . .

— ومن ثمّ يكون لنا ، انا وخطيبي ، حظٌ كبير اذا مـا ألقيت خطبة العرس المعتادة ، ولاسيما انك ما زلت تعرفني منذ صغري.

— ذاك جلّ ما ابتغي.

— افتزوّجنا اذن ؟

— بملْ الاسف اعود واقول لك : انّ ذا لمحال.

— لكنّ العوائـد تقضي ألّا يُفصَل بين الوظيفتين ! . . . على اني أسلّم بالحكم : فلا شك أنّ ثمّة مانعاً خطيراً.

— بل من اخطر الموانع.

— وَ . . . هل لي ان اعرفه ؟

— ولا ريب ! . . . أولستِ فعلاً تسألينني ان امنحك سرّ الزواج كما منحتك سرّ المعمودية ؟

— هذا هو مطلوبي بعينه.

— وهـذا ما لا طاقة لي به . . . لكونه محـالاً . فانه ، حيث يقترن مسيحيّان ، ليس الكاهن هو خادم السرّ ، وانما خادمه . . . بل بالاحرى خادماه هما الزوجان.

— حقاً ؟ . . . انني لا افهم.

ـــ لم تفهمي بعد ... ولكنك ستفهمين حالاً . تعلمين انَّ الزواج هو عقد .

ـــ وهو ايضاً سرٌّ .

ـــ نعم ، هو سرٌّ للمسيحيين . لكنه ، قبل كل شيء وللجميع ، هو عقد . ثمَّ هوَ ، على ما قلتِ الآن ، سرٌّ للمسيحيين .

ـــ اجل وقد فهمت الفرق . فانَّ العقد يُبرَم في الدار المحافظية[1] ثمَّ يُقبل السرّ في الكنيسة .

ـــ أسفاً لك يا ابنتي ، فليس الامر بتاتاً على ما تقولين ! ... فانَّ المسيحيين ، لا يمكن ان يُفصل فيهم بين العقد والسرّ ، وانما كلاهما فعل واحد لا اكثر . ولمَّا كان يتعذّر ان يجري الفعل الواحد في مكانين مختلفين ...

ـــ افمن اجل هذا تتمُّ الحفلة باجمعها في الكنيسة ؟

ـــ تلك هي الحقيقة تماماً : ثمة فعلٌ واحد لا غير ، به يُوقَّع على العقد ويُقبَل السرّ . فانَّ عقد الزواج بين المسيحيين وسرّ الزواج فيهم لشيء واحد ... ومن ثمَّ فالذي يُبرم العقد هوَ هوَ الذي يصنع السرّ ايضاً .

ـــ وعندي ان الاستنتاج هذا ينطبق على المنطق لا محالة .

ـــ ففيما يتعلّق بقضيتك ، من يكون العاقد ؟

ـــ انا وخطيبي .

ـــ نعم . انت وخطيبك تحققان العقد ، فكلاكما اذن تحققان السرّ . فلا تكونان مُبرمين العقد فحسب ، بل خادمين للسرّ ايضاً .

هل فهمت الآنَ السبب الذي من اجله رفضت ان ازوجكما ؟

ـــ لاني انا وخطيبي سنزوّج بعضنا بعضاً .

ـــ لقد اصبتِ تماماً .

---

(١) هذا ما يُدعى غلطاً زواجاً مدنياً . والصواب ان الزواج المدني ليس زواجاً حقيقياً . والبرهان يبسطه القانوني دوبلي فيما يلي . ومؤدّاه أنَّ عقد الزواج بين مسيحيّين هو انوٌ ، ما لم يكن عقداً وسرّاً معاً . ومن ثمَّ لا سلطة للحكومة المدنية على العقد الزواجي بين المسيحيين .

— فما هي ، والحالة هذه ، وظيفة الكاهن في العرس؟

— هو الشاهد . ولكما ، علاوةً عليه ، في الاقل شاهدان ، تستطيعان ان تختاراهما على ما تُحبّان . لكنَّ ثمة شاهدًا ثالثًا تُلزمكما الكنيسة به : وهو الكاهن ... كاهنكما ... اعني به خوريكما او الكاهن المفوَّض منه.

وفوق هذا اقول ان الشاهد الكاهن ليس فقط شاهدًا للحفلة ، بل هو لها رئيسٌ لا مندوحة عنه . والمعنى انكما لا يمكنكما ان تكونا خادمَي زواجكما بابراز التراضي ، ما لم يوعز هو اليكما بذلك . اوَ تعرفين الكلمة التي ينبغي ان تلفظاها ؟

— هي كلمة « نعم » .

— فهذه كلمة « نعم » هي جواب... وكلُّ جوابٍ يُقدَّر تحته سؤال. والحال هنا انَّ السؤال تقتضيه صحة الزواج على قدر ما تقتضي الجواب عينه : فلا تكونان متزوّجين الّا بعد ان تجيبا : « نعم » على السؤال الذي يطرحه عليكما الكاهن قائلًا : هل تريدان ان تتزوّجا ؟

واقول اخيرًا انَّ الكاهن شاهد الزواج ورئيس الزواج هو ايضاً يباركه : فاذا ما مثل كاثوليكيان بين يديه ، يذكر قول الاسقف له عندما رسمه : « يجب على الكاهن ان يبارك » فعلى تراضيكما الذي يكون قد حُقّق به اقترانكما ، يستمطر بركات الله تعالى.

— اذن يا حضرة الاب ليس رجائي اليك ان تزوّجنا ، ولكن ان ترأس زواجنا وتشهده وتباركه.

— هذا ما افعله مسرورًا.

(تمَّ المقال الثاني)

لبنان في عهد الامير فخر الدين

منذ ثلاثمائة سنة *

١٥٩٥ — ١٦٣٥

بقلم عيسى اسكندر المعلوف
مؤلف تاريخ الأسر الشرقية

١

توطئة

لماذا فتحت الحكومة العثمانية بلادنا ؟

اغفل المؤرخون سبب فتح السلطان سليم الاول العثماني لسورية ومصر، بعد محاربته للعجم واستظهاره على الشاه اسماعيل الصفوي، سلطانها الشيعي، لان سليماً كان متشدّداً في التسنّن فاراد فتح العجم للقضاء على الشيعة. وما استتب له الامر في ذلك الفتح حتى توقفت القوافل التي كانت تنقل له المؤن والذخائر الحربية من الاستانة. فاوجس خيفة وبحث عن السبب، فثبت له ان السلطان قانصوه الغوري، ملك سورية ومصر وصديق الشاه اسماعيل المذكور، قد ارسل بعض شيعيّي سورية لقطع الطريق على قوافل السلطان الآتية من الاستانة الى العجم ونهبها. وغني اليه ايضاً خبر المفاوضات الكثيرة التي دارت بين الغوري واسماعيل لتدبير مؤامرات ضد العثمانيين الذين كانوا يرمون الى خضد شوكة المماليك الشراكسة ونزع تأمين الحجاج الى مكة المكرمة من يدهم. فاوغر ذلك العمل صدر السلطان سليم، وزحف بجيوشه لفتح سورية ومصر وانتزاعهما من يد الشراكسة. فكانت

---

* (١) محاضرة ألقيت في نادي اخوية القديس يوسف المارونية في بيروت

الموقعة الكبرى بينهما في مرج دابق ، شمالي حلب ، فقُتل الغوري ، وتشتّت عساكره . ودخل سليم بلادنا فاتحاً ظافراً كما أرّخ ذلك كثير من الكتّاب ، ولاسيما ابن زُنبل المصري فانه وصف هذا الفتح الذي شاهده عياناً . فوصل سليم مدينة دمشق في ١٢ تشرين الاول سنة ١٥١٦ ، وصارت تحت حكم العثمانيين .

فاستقدم السلطان العثماني امراء لبنان الى دمشق . فمثل بين يديه المالئون له منهم ، وهم الامير فخرالدين المعني الاول ، جدّ موضوع كلامنا الآن ، والامير جمال الدين اليمني ، والامير عساف التركماني . وتخلّف عن الحضور الذين مالأوا الغوري مثل الامراء آل سيفا ، وامراء الغرب التنوخيين ، وغيرهم . فدعا مقدّمهم الامير المعني للسلطان دعاء حميماً سُرَّ به ، فاقرَّ كلًّا منهم على مقاطعته . فجعل الامير المعني حاكماً على بلاد الشوف ومقدماً عليهم ، ولقبه باسم «سلطان البرين» . ونصّب الامير جمال الدين على الغرب . والامير عساف على كسروان وبلاد جبيل . وخلع عليهم . وضرب جزية خفيفة على بلادهم ، ذُكر منها ما اصاب مقاطعة كسروان ، وهو سبعمائة سلطاني ، والسلطاني ثلثا الغرش الاسدي . وهذا الغرش الاسدي نحو اربعة فرنكات من نقودنا ، فتكون تلك الجزية على بلاد كسروان نحو اربعة آلاف ومائتي غرش ذهباً .

فبقي لبنان اقطاعياً كعهده السابق ، يتولى شؤون كل مقاطعة منه امراء او مقدمون او مشايخ من طبقات اعيانه الثلاث . ولهم قوانين وعادات في الحكم والقضاء والمقابلات والتحيات والمكاتبات وغيرها رأيت فيها مؤلفات مخطوطة انتخبت بعضها في كتابي « دواني القطوف » المطبوع ، الصفحة ٢٤٨

ظلّت هذه القوانين مرعية الى آخر الحكم الاقطاعي المنتهي في النصف الاول من القرن التاسع عشر الماضي . وكان من اهم حكامه الامراء التنوخيون المعروفون بالبحتريين ، والارسلانيون ، والمعنيون ، والشهابيون ، واللمعيون ، والحرافشة ، والمقدّمون والمشايخ على اختلاف تسمياتهم وطبقاتهم وطوائفهم من نصارى ومسلمين ودروز ؛ وتواريخنا ملأى باخبارهم .

واهم من كان من هؤلاء الاقطاعيين في القرن السابع عشر ، موضوع كلامنا

الآن ، الامراء المعنيون في الشوف ، والصافيون في كسروان ، والسيفيون في طرابلس ، والشهابيون في وادي التيم ، والحرفوشيون في بلاد بعلبك والبقاع ، والمقدمون والمشايخ المعروفون عندنا الآن.

وكانت بينهم منازعات ومخاصمات ادّت الى اضطراب البلاد ، فقامت وقعدت بسكانها فضلاً عما مُنيت به من وجود العساكر الانكشارية والقبيقولية في الولايات العثمانية ، ولاسيما في دمشق ، وما كان ينشب بينهم من الوقائع الدامية ويتجدد من العداء الذي استفحل امره فقضى اخيراً بكف يد بعض الحكّام ، وقتل تلك العساكر. فاستراحت البلاد منهم في القرن الماضي. ولكن اقلقتها الحروب الاهلية والتحزبات السياسية التي كان قوادها بعض الحكام الوطنيين.

من هم الامراء المعنيون

كان لنزار بن معدّ بن عدنان ، المنتسبة اليه العرب المستعربة من سلالة اسماعيل ابن ابرهيم الخليل ، اربعة بنين احدهم ربيعة الفرس الذي سمّاه الكميت في شعره « ربّ الجواد » . فاشتهر من بني ربيعة الامير ايوب الاول الذي اعقب احد عشر ولداً كانوا كلهم من الفرسان المدرَّبين ، فذاعت شهرتهم حتى حسدهم سادات ربيعة في بلادهم ، شبه جزيرة العرب ، وناوؤوهم . فهجروها الى العراق وتديّروا الجزيرة الفُراتية ، وتناسلوا وتكاثروا ونشأت منهم افخاذ وبطون لا محل لتفصيلها ، فعُرفوا اولاً بالايوبيين نسبة الى رأس قبيلتهم المذكور. حتى اذا نبغ منهم الامير ايوب الثاني هجر الجزيرة بقومه ، وجاء الجبل الاعلى من الديار الحلبية فخيّم فيه . واشتهر ببسالته ومكانته مثل اسلافه ، فنشأ ولده معن المنتسب اليه المعنيون هؤلاء مقتفياً آثاره وارثاً صفاته وشجاعته. فتزوج بابنة الامير نعمان التنوخي ، نزيل معرّة النعمان هو وقومه ، فحالفهم واشتد مراسهم وافق صيتهم ، حتى انتدب غازي امير الترك معناً هذا لمنازلة الملك بلدوين الفرنسي الصليبي سنة ١١١٩ م في الجبل الاقرع ، قرب انطاكية. ففشل الامير معن ، وتمزّق شمل جنوده . فكبر ذلك عليه والتجأ بعد سنة الى

طقتكين ، صاحب دمشق الذي كان يحارب الافرنج المذكورين في ضواحي حلب ، فارسله بعشيرته واحلافه الى سهل سورية المجوّفة ، المعروفة الآن ببلاد بعلبك والبقاع . ورافقه الامير منذر ابن حميه نعمان التنوخي ، فخيّموا في ذلك السهل الفسيح في جهة البقاع . وحدث لهم مع الجنادلة ، حكام قلعة جندل في تلك النواحي ، مواقع مشهورة .

وعلى اثر ذلك امر طقتكين المار ذكره الامير معناً وقومه ان يتوقّاوا مضايق لبنان وينزلوا في مشارفه البحرية لشنّ الغارات على الافرنج في الثغور الساحلية . فامتثل الامر ونزل على احلافه وانسبائه الامراء التنوخيين . فاكرموا وفادته ، وانزلوه على الرحب والسعة في صحراء بعقلين ، حيث هجر بعد مدة الخيام هو وقومه واتخذوا البيوت الحجرية مساكن لهم . فكان ذلك بدء وجود المعنيين في بلادنا . وسمي بهم « جبل الشوف » او « جبل الدروز » فقيل له « شوف ابن معن » ، وسمي حاكمه « امير الدروز » .

اما ما ذهب اليه بعض المؤرخين ، ولاسيما الاب اوجين روجه الفرنسيسكاني ، معاصر المعني ، في كتابه « الارض المقدسة » من انه من سلالة الامير Dreux الصليبي ، ومن نقل عنه هذا الرأي كباسيلي الروسي وغيره ، فغير ثبت . والله اعلم .

اتصل المعنيون العربيو المحتد بالامراء الشهابيين القرشيين ، الذين جاؤوا من حوران الى وادي التيم سنة ١١٧٣ م ، بزمن الملك العادل نور الدين محمود زنكي ، مربّي السلطان الشهير صلاح الدين الايوبي ، الذي كان حاكم الشام ومصر ، فالقوا رحالهم في جوار لبنان ، وصاهروا المعنيين وحالفوهم . واتفقوا معاً على محاربة الصليبيين وحماية الثغور من غزواتهم ، كما ذكرت التواريخ . ثم خلفوهم في حكم لبنان بعد انقراض ذكور المعنيين بوراثة البنات .

فتسلسلت الاسرة المعنية في لبنان وعلى رأسها الامير فخر الدين الاول بزمن الفتح العثماني . فقبضت على زمام الاحكام مدة طويلة . وخلف فخر الدين ولده الامير قرقماس ، الذي مات قهراً سنة ١٥٨٤ لتحامل آل سيفا عليه باتهامه بارسال رجاله لنهب خزينة السلطان العثماني في عكار . وكان لقرقماس هذا ولدان صغيران وهما فخر الدين الثاني ويونس . ففخر الدين الثاني هو موضوع كلامنا الآن ،

وقد رزق خمسة ذكور قُتلوا ولم يبقَ منهم حياً الا الامير حسين في الاستانة الذي مات بدون عقب فانقرضت سلالتهم به . وكان آخر حاكم منهم الامير احمد المعني المتوفى سنة ١٦٩٧م فانتهى به حكمهم .

الاحزاب السياسية في البلاد على عهدهم

اشتدّ العداء السياسي بين قبائل العرب التي دخلت سورية ولبنان من شبه جزيرة العرب او بلاد حوران وما اليها ، او من شمالي سورية والعراق ، لانتمائهم الى غرضين عظيمين متعادين هما « القيسي » و« اليمني » . فضلاً عما كان بينهم من التحاسد والتنابذ والتنافس ، فبنو ربيعة في جزيرة العراق كانوا معادين لبني مضر في الحجاز . فلما استتب الامر للعرب المتنصرة والمسلمة التي دخلت بلادنا في تلك الايام وقبلها وبعدها ، نشروا الحزبية القيسية واليمنية ، او المضرية واليمنية بينهم . فالتف حول كل حزب سكان البلاد القدماء على اختلاف مذاهبهم واجناسهم ومواطنهم . وقد ذكرت التواريخ وقائعهم ولكنني لم اقف على تاريخ خاصّ لهم الّا ما عرفتُ اسمه ولم اره كتاريخ قيس وعين لاحد الاندلسيين ، ومثله لابن طولون الدمشقي ، وذلك بعد بحثي الطويل . فافردت لهذا التحزب كتاباً باسم «وقائع قيس وعين» فصّلتُ فيه عاداتهم ورواياتهم وحروبهم ونخوتهم « اي تعارفهم » وما يتعلق بشؤونهم . ومما يحسن ذكره الآن ان محلة برج الغلغول ، في انحاء الخندق العميق في بيروت ، كانت ساحة لمعاركهم .

وكان اليمنيون كثيرين في لبنان ، والحكومة العثمانية تعاضدهم ولامرائهم الغلبة على غيرهم ، ولاسيما المعنيون الذين اضطُرّوا الى الانحياز عن اليمنية ومناصرة القيسية بزمن الامير فخر الدين الاول لنزغة وقعت بينه وبين الامير جمال الدين الارسلاني اليمني امير الغرب . فصار المعنيون منذ ذلك الحين رؤساء الحزب القيسي ، واورثوا هذا الغرض الشهابيين خلفاءهم الذين استظهروا على اليمنيين في موقعة عين داره ، فوق صوفر ، سنة ١٧١١ ، وكان آخر العهد بهم .

فكانت هذه الحزبية من جملة الذرائع التي اوقعت الخصام بين حكام البلاد ورجال الحكومة ، ولاسيما بين المعنيين وآل سيفا . فقتل من جرّائها الامير

قرقماس ، والد الامير فخر الدين موضوع كلامنا ، وترك ولدين قاصرين خشيت عليهما والدتهما السيدة نسب التنوخية من اليمنيين، وكان اكبرهما فخرالدين ابن اثنتي عشرة سنة ، فاشارت على مدبر والدهما ومربيهما الحاج كيوان من دير القمر ،من آل نعمه ضو الموارنة فيها ، ان يجنبهما في محلّ بعيد عن عيون اليمنيين الموالين لرجال الحكومة العثمانية ، فسار الحاج كيوان بهما الى شمالي لبنان ، قاصداً جهات عكار والحصن حيث هناك كثير من متنصرة العرب الذين يحرصون على ولدي مخدومه المتوفى . فمرّ بطريقه على دكان تحت قرية بلّونة في كسروان بطريق البحر ، واجتمع هناك بصديقه ابي صقر ابرهيم ابن الشدياق سركيس الحاجي المعروف بالخازن القيسي الحوراني الاصل . وبعد مباحثات كثيرة وقف على سرّه فاقنعه ابو صقر ان يسلّمه الولدين ، وهو يتعهد له بالأيمان المغلّظة ان يحميهما من تعدّي اليمنيين ، فقال له : ان هذا المحلّ تطرقه المارّة فيخشى عليهما من بثّ العيون والارصاد . فحقّق له ان يشتري محلاً في بلّونة المرتفعة عن الطريق كثيراً ، والتي لا يمرّ فيها لاحد من جهة اخرى، فيجعله مخبأً لهما ، وهكذا كان . فبعد ان وضع ابو صقر الولدين بجارته في بلّونه بين اولاده ، وأمّن الحاج كيوان مخبأهما ، عاد الى السيدة نسب والدتها وشقيقها الامير سيف الدين التنوخي خالهما ، واخبرهما بما جرى وكيف انهما في حرز حريز تحتاطهما عناية ابي صقر واسرته الكبيرة . فلا تتسرّب اليهما يد اثيمة . وقال في الختام ان قربهما افضل من بعدهما عنّا جميعاً ، فنتفقدهما في كل فرصة ونعلم شؤونهما . فاطمأن بال الوالدة والخال وترعرع الولدان في ذلك المخبأ ، وهما مع اولاد ابي صقر اسرة واحدة ، الى ان مضت مدة ست سنوات فصار عمر الامير فخر الدين ثماني عشرة سنة بلغ فيها اشدّه . فارجعهما الحاج كيوان الى والدتهما وخالهما ، فسرّا بهما وشكرا ابا صقر وما بذله من العناية بهما ، ووعداه بالمكافأة عند استعادة الحكم لاكبرهما بسعي والدته وخاله . فزوّجاه بابنة الامير جمال الدين الارسلاني اليمني لاستمالة اليمنيين اليه مع حلفائهم . ومن هذه الزوجة رزق فخر الدين ابنه الامير علياً الذي قتل في موقعة سنة ١٦٣٤

وكان الامراء آل سيفا الاكراد ، حكام مقاطعة طرابلس الشام ، معادين

للمعنيين كما سبق ، مع ان المعنيين نصروهم في قتالهم لآل شهيب ، سكان عرقا وحكام طرابلس ، سنة١٥٢٨ ، لنزع الحكم من يدهم واعطائه للسيفيين. واما الامراء المسافيون الاكراد ، حكام كسروان ، فكانوا موالين للمعنيين. وكذلك الامراء الشهابيون حكام وادي التيم . والامراء الحرفوشيون حكام بعلبك والبقاع. فسعى الامير فخر الدين بدهائه وحسن رويته ان يعقد مصاهرة بينه وبين هؤلاء الحكام جميعهم فتوفق الى ذلك وكان مرشده الامين في ادارة شؤونه والدته وخاله.

وسنة ١٥٩٥ استتب الحكم لفخر الدين وانفسح له مجال العمل ، فاخذ يوالي المسيحيين ذاكراً جميلهم لان مدبر والده ومدبره كانا منهم ، وحافظ حياته من اعدائه احدهم ، ورأى ممن قربه اليه منهم اخلاصاً كبيراً وولاء حقيقياً ، فولاهم اعمالاً كثيرة وكتب الى ابي صقر « الاخ العزيز » ، واتخذه مدبراً لخزينته ومرجعاً لاعماله وهو واولاده . فعرفوا بالمشايخ الخازنيين وكان زعيمهم اذ ذاك ابا صقر ابرهيم وشقيقه ابا صافي رباح . فاعتمد على نخبة من هؤلاء ، واتخذهم سفراء لاعماله ، وادخل الحاج كيوان في وجاق الانكشارية في دمشق ليطلع على اسرار رجال الحكومة الذين بدأوا يقفون له بالمرصاد خائفين من مناداته بالاستقلال . فساعد فخر الدين بكل دهائه وفطنته. فاخذ الامير يتبسط في حكمه مع الايام ويزداد حنكة بالاختبار والاحتكاك . فكان له من آراء خاله ووالدته ومدبريه ومربيه مقام عظيم . وكان زعيم القيسيين واليه مرجع اعمالهم

من هو الامير فخر الدين المعني

ولد الامير فخر الدين ابن الامير قرقماس ابن الامير فخر الدين الاول في قصبة بعقلين (من شوف لبنان) سنة ١٥٧٢ . ووالدته الاميرة نسب التنوخية، وخاله الامير سيف الدين التنوخي ، ومدبر والده ومدبره الحاج كيوان نعمه ، ومربيه ابو صقر الخازن المقرب منه والملازم بيته . تولى الحكم سنة ١٥٩٥ ، وبدأ في توسيع نطاق ملكه وضم ما حول لبنان اليه بأخذ مدن الثغور البحرية

كبيروت وطرابلس وصيدا وصور ، وبعض المدن الداخلية كدمشق وحمص وحماه وبعلبك ، والمدن الفلسطينية وما يليها كالقدس وعجلون وصفد ، ليتصل بامراء العرب ويتخذهم اعواناً له بمحاربة الدولة العثمانية التي سببت موت والده قهراً ، وكان رجالها يناصبونه العداء ، فيخضد شوكتهم ولاسيما احمد باشا الحافظ والامراء آل سيفا . فارسل من يثق به الى الاستانة ، وهناك انتخب له من يكون مفوضاً لدى الباب العالي وطلب امارات لاولاده ، ليقوي بهم امارته الكبرى ، ويكثر من اعوانه ومريديه .

فانتهز فرصة اشتغال الدولة العثمانية بمحاربة الفرس والمجر ، بزمن السلطان احمد الاول من سنة ١٦٠٣-١٦١٧ مسيحية ، ومدّ رواق سلطته على كسروان والثغور البحرية واقاليم عجلون وبانياس وصفد . وسعى بترقية مدينتي بيروت وصيدا وجعلهما قاعدتي ملكه على شاطئ البحر غير مضيّع وقتاً يستثمر فيه فائدة ، شأن رجال العمل .

فعقد معاهدات مع تجّار توسكانة وما اليها من تلك الثغور الافرنجية التابعة الآن لايطالية وكانت ذات مدنية راقية وغنى وافر . وعزز اسباب العمران الثلاثة : الزراعة ، والصناعة ، والتجارة ، تعزيزه للسبب الرابع وهو الامارة . فشيد القلاع والابنية ورمّم ما تهدم منها ، ووفر ثروته وتبسط في ملكه ، ونزعت نفسه الى الاستقلال عالماً ان اركان الاستقلال ثلاثة : العلم ، والقوة ، والمال . وكاتب بواسطة التجار التوسكانيين (بعد ان مهّد لهم اسباب الراحة والدخول في بلاده) امراءهم آل مديسيس (الطيب) حكامهم ، فعقد معاهدة مع الغراندوق فرديننـدو الاول سنة ١٦٠٨ ، ثم مع خلفه قزما الثاني سنة ١٦٠٩ ، وخلفه فرديننـدو الثاني سنة ١٦٢٦ وكان من شروطها الاتفاق التجاري والتعاهد على الدفاع والهجوم عند الحاجة ، اي انها معاهدات تجارية سياسية اقتصادية . واتخذ جرأته العظيمة منفذة لكل هذه الاعمال ، واصلى نيران المواقع فحمي وطيس الحرب بينه وبين مجاوريه والحكام الذين ناوؤوه . ومع اضطراب حبل الامن رتعت البلاد في بحبوحة من العيش ، ونال المسيحيون وغيرهم من الطوائف كلّ راحة وهناء ، واخلصوا جميعهم الخدمة له الّا من خاتل وخادع بسعاية بعض

رجال الحكومة الذين عادوهُ.

فنظّم الجنود تنظيماً مرتباً ودرّبهم على القتال ووزّعهم في القلاع والحصون والمخافر والثكنات التي شيدها او رممها حتى بلغ عددهم اربعين الفاً او اكثر. وكان بينهم السكمان (نوع من جنده الخاص) الذين فرقهم في الحصون المنيعة فبلغ عددهم، مع عسكره الوطني، نحو مائة الف وهم من المغاربة والمسيحيين وبقية الطوائف ومعظمهم من الرجّالة. وحصّن المدن والثغور وشارف كل ذلك بنفسه ولاسيما في اوقات الحصار والمواقع. ومالأ علي باشا جنبلاط (جان بولاد) والي حلب وما اليها. ونزعت نفسه الى الضرب على ايدي الطائشين. فاوجست الدولة خيفة منه ومن استقلاله باحكامه، وذلك باصغائها الى الوشاة الكثيرين، وبينهم يوسف باشا سيفا. فوقف للمعني بالمرصاد كبار رجال الدولة مثل نصوح باشا واحمد حافظ باشا وبثّا عليه العيون وانتهزا الفرصة لايغار صدر الدولة عليه بما يجريه من الاعمال التي تشهد بوشاياتهم. فعلم المعني ذلك منهما واخذ يناوئهما وهما يشتدّان بالعداوة ضدّه وينصبان له الاشراك لاقتناصه والمكايد لخضد شوكته، فحدثت بينهما وبينه مواقع كثيرة ومعارك شديدة استفحل امرها. فوقع المعني بعدها بين عدوّين الدّين: الحافظ في دمشق وكان ظالماً فتّاكاً معادياً له كل العداء، ويوسف باشا سيفا في طرابلس وهو شديد النكاية بالمعني. وقد التفّ حولهما كثير من الامراء والقبائل والاعيان الذين كانوا يتظاهرون المعني بالولاء ثم يقلبون له ظهر المجنّ بعد قليل غير ثابتين على عهدهم له. ومن ذلك القبيل التجار البنادقة الذين كانوا ينافسون التجار التوسكانيين معاهدي المعني، وعثمان البرّ المعروفون بعصبيتهم الشديدة. فكان الامير ضدّهم فاغتابوه.

ومع ما اتخذه من الذرائع الفعّالة بحسن سياسته وبمعاضدة اصحابه له من رجال الحكومة مثل مراد باشا صديقه الحازم وغيره، كانت الايام تعاكسه. فتوفي صديقه مراد باشا هذا سنة ١٦١١، وأبعد الآخرون عن الاستانة لاعمال اسندت اليهم خارجها، فحبطت مساعيه وعيل صبره.

يأس المعني وتركه البلاد الى توسكانا

ولمّا استفحل العداء بينه وبين رجال الحكومة ، وخذله انصاره في البلاد رغماً عن معالجته كل ذلك بحنكة سياسية وخبرة ادارية وسعة صدر وصحة عزيمة ، نفد صبره من مخاتلة الناس وتملقهم وتدليسهم ودهائهم ، فعقد العزم على هجر البلاد ببعض عياله وخاصته والذهاب بنفسه الى توسكانة واستصراخ غراندوقها لمعونته ليستطيع الوقوف في وجه هذه المعاكسات الكثيرة ، ويتوفق الى استقلال البلاد ورفع منارها والظفر باعدائه وكبت حسّاده .

فاقلع من ميناء صيدا بعياله وبعض رجاله في ١٥ ايلول سنة ١٦١٢ بسفينة فلمنكية (هولاندية) مسنداً حكم البلاد بغيابه الى شقيقه الامير يونس ، وولده الامير علي الذي كان كوالده في الدهاء والبسالة . واوصاهما بنقل كرسي الحكم من بعقلين الى دير القمر فنقلاه اليها سنة ١٦١٥ . وذلك ليتمكن من موالاة المسيحيين بوجوده بينهم لانه لم يجد اخلاصاً له الا منهم .

وبعد سفر ثلاثة وخمسين يوماً في البحر من صيدا رست السفينة في ميناء ليكورنو فقابله رجال اميرها الغرندوق فرديناند الثاني الطيب بكل حفاوة ، واستقدمه الغرندوق اليه الى عاصمته فلورنسة واحسن مثواه . وترحب به كثير من التجار والاعيان الذين عرفهم او كاتبهم وأنزل في قصر الابروجيانا (الذي هو الآن مدرسة للرهبان الحلبيين الموارنة) على الرحب والسعة . فاخذ ، بعد ان استراح من السفر ، يجتمع بالغرندوق ورجاله ساعياً بتجهيز حملة الى الشرق لتخليص الاراضي المقدسة : ففاوض الغرندوق قداسة البابا وملوك اوربة ولاسيما ملك اسبانية الذي استقدم الامير اليه . فتداولت اوربة امر هذه الحملة وذاعت اخبارها بينهم وصار كل يريد ان يكون المجاهد اليها فسبقهم الغرندوق بارسال بعثة سنة ١٦١٤ ، وفيها المهندسون ورجال الفنون ، لارتياد ثغور لبنان وسورية وفلسطين ورسم مواقعها الحربية وقلاعها واختبار شؤون تجارتها وحاصلاتها ، ولدرس كل ما من شأنه ان يوسع نطاق التجارة الى غير ذلك مما حققوه واختبروه . فعادوا بمعلوماتهم الحربية والاقتصادية وطرحوها بين ايدي

الفرندوق فمال الى موالاة المني واستثمار بلاده الخصيبة ، فعقد معه معاهدة وطدت آمال المني بنيل المساعدة . فطاف مدن پيزا وفلورنسة وترسكانة وليكورنو وما اليها ، وذهب الى صقلية (سيسيلية) ونابلي ومتينا من اعمال اسبانية ، وعاج بجزيرة مالطة التي كانت آنئذ بيد فرسان القديس يوحنا . وذلك عند انسلاله الى بلادنا خفية من جهة الدامور لتجسس اخبارها والوقوف على سياستها وعودته الى اوربة بسرعة .

فدرس مدنية تلك البلدان الفنية الراقية ، ووقف على اهم الشؤون الاقتصادية والسياسية والادارية ، فصرف خمس سنوات في الانتباه والمراقبة والاقتباس وهو مع تغربه يشارف شؤون ولايته من بعيد مرسلاً البعوث لاستكشاف اخبارها واستطلاع طلع رعيته فيها متنسماً انباء الاتراك ومستعلماً عن اعدائه وما آل اليه امرهم ، فعرف ان نصوح باشا توفي ، وحافظ باشا عُزل عن دمشق وخلفه فيها محمود باشا . وعلم ما دار بين هذا الوزير ووالدة الامير السيدة نسب بالاستئذان منه لارجاع ولدها فخر الدين الى بلاده . فقبل ذلك على شرط ان يهدم حصني الشقيف وبانياس المنيعين . فوصلته رسائل والدته التي تلحف عليه بالرجوع الى حضنها وتخبره بما جرى ، فتأهب للسفر .

(لها بقية)

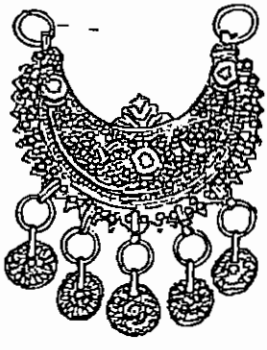

المطران نعمة الله ابي كرم ومعرّباته

مجموعة الردود على الخوارج[1] — الحكمة الادبية[2]

بقلم الاب توتل اليسوعي

كانت الترجمة على العهد العباسي الذهبي سبباً من اسباب النهضة الادبية التي متّعت العرب باحسن مؤلفات الشعوب مجاوريهم ، واخصهم اليونان ؛ وما زالت الترجمة الى يومنا داعياً من دواعي الانبعاث الادبي والعلمي فينا ، فلا يبرز اديب في مضمار التأليف ، سواء أكان ذلك في لبنان وسورية او في مصر ، الا وقد تشبّع مما تلقنه من الآداب الغربية ، او مما قرأه منها مباشرةً في متنه ، او منقولاً في تعريبه . فللمعرّبين فضل مقدر على قدر منافع المؤلفات المنقولة . وان الكتب الفلسفية التي هذبت عقول ارقى بني البشر عمراناً في القرون الوسطى وفي ايامنا ، وهيأتها الى بلوغ اوج النجاح في المعارف ، لهي انفع ما يزفّ الى قراء العربية ، ومن اشهرها في القرون الخوالي مجموعة الردود على الخوارج للقديس توما اللاهوتي ؛ ومن احقها بان تمثّل الفلسفة المدرسية المستحدثة كتب الكردينال مرسيه البلجكي ، فالفضل كل الفضل لناقلها الى العربية .

---

١) مطبعة المرسلين اللبنانيين – جونية ١٩٣١ – ٥٤٧ ص متوسطة .

٢) مطبعة دير سيدة المعونات – جبيل ١٩٣١ – ٤٧٢ ص متوسطة .

وعن قريب ستظهر سائر المخطوطات التي تركها المؤلف المرحوم في العلم الاجتماعي والمحاكمات الكنسية مع منتخبات اعتقادية من القديس توما الاكويني ردا على اليونان والارمن والعرب وغيرها، وذلك بعناية واهتمام ابن اخيه الاب مارون ابي كرم اللبناني الدكتور في الفلسفة واللاهوت والحق القانوني . وكل هذه الآثار التي ظهرت والتي ستظهر تطلب من حضرة الناشر المذكور ، في برمانا (لبنان) .

حياة المعرب — كتبه

قضى المطران نعمة الله نجبه قبل ان يتمّ طبع الكتابين اللذين ترجمنا وصفهما، فاخذ حضرة ابن اخيه الاب مارون ابي كرم اللبناني، الدكتور في الفلسفة واللاهوت والحق القانوني، على عاتقه مهمة نشرهما. وصدر مجموعة الردود بنبذة ذكر فيها تاريخ اسرة ابي كرم، وترجم لعمه.

ولد، رحمه الله، في ١٢ كانون الثاني ١٨٥١. ونشأ في برمانا، ودرس في اكليريكية الآباء اليسوعيين في غزير (١٨٦٤) وسيم كاهناً سنة ١٨٧٦. وعلم اللاتينية والعربية في مدرسة الاباء المذكورين، وقد نقلوها الى بيروت سنة ١٨٧٥، وعاون في تحرير «البشير»، مشتغلاً في قلم التعريب، فترجم رسالة البابا لاون الثالث عشر الشهيرة في مستحدثات الزمان (*Rerum Novarum*) او في مشكل العمال (١٨٩٣). ثم انتقل الى مدرسة قرنة شهوان فعلم فيها مدة سبع سنوات؛ ومنها الى دير مار شعيا القريب من برمانا، فمدرسة الآباء الكبوشيين في عبيه، فمدرسة قرنة شهوان للمرة الثانية، فمدرسة الآباء الحلبيين الملكيين في صربا. الى ان أهبته خبرته في التعليم واحتكاكه بالناس الى رئاسة المدرسة المارونية في رومة، فرحل الى المدينة الابدية سنة ١٩٠٦، واقام فيها سائر ايام حياته الا اشهراً معدودة، زار في غضونها لبنان (١٩٠٤) وفرنسة (١٩٢٩). ثم عاد الى لبنان في صيف ١٩٣٠. وما ان اقام فيه مدة وجيزة حتى اشعر بانحطاط قواه وقدوم اجله. فتأهب للقاء ربه وانتقل الى رحمته تعالى.

وكان قد رقي الى درجة الاسقف في ٢٢ حزيران من السنة ١٩١٣، فتخلى عن الرئاسة وانقطع الى الكتابة والتأليف. واليك لائحة مؤلفاته المطبوعة، وكلها مرجعها الى العلوم النظرية:

ذخيرة الالباب في علم الكتاب [المقدس] (١٨٨٤)

قسطاس الاحكام (١٩٠٠) ٢ اجزاء.

الفلسفة النظرية للكردينال مرسيه ٧ اجزاء، ومنها الاخير «في الحقوق» (١٩٣١)

مجموعة الردود على الخوارج (١٩٣١) جزء ١

كتاب النجاة لابن سينا (مترجم الى اللاتينية) جزء ١

وله ايضاً تآليف اخرى ستظهر بالطبع اشهرها علم الاجتماع ، والمحاكات الكنسية.

مجموعة الردود على الخوارج

ان مهمة ترجمة كتب القديس توما اللاهوتي ليست بالامر الهين ، والافرنسيون ، على ما لديهم من الوسائل الفائقة ، من مرونة اللغة ، ووفرة الالفاظ الفلسفية ، واساليب التعابير النظرية الدقيقة في بيئة توقد القرائح وتشجع المؤلفين على الاجادة والتأليف ، الافرنسيون احجموا ، حتى اليوم ، عن نقل مجموعة الردود الى لغتهم ومنهم المتدرّبون على العلوم النظرية ، المتضلعون من الدروس الفلسفية ، مَن يستطيعون فكّ الغاز الاصطلاح الفلسفي المدرسي والكشف على مغمضات المعاني.

على ان اقبال الفئة الراقية من المثقفين في فرنسة على الدروس الفلسفية وتشوقها الى قراءة كتب القديس توما استحث بعض اساتذة الفلسفة الكاثوليكيين على نقل الخلاصة اللاهوتية الكبرى الى لغتهم . ولعلهم ينقلون اليها ايضاً مجموعة الردود على الخوارج.

فاذا تحقق ما تقدم سالنا أنفسنا قائلين: اين بلغ قراء العربية من الاستعداد لقراءة القديس توما ؟ اذا استثنينا بعض الكهنة الشرقيين ، لا نكاد نرى من قدروا ترجمة « الخلاصة » للسيد بولس عواد حق قدرها . على ان الحركة الفكرية في يومنا غير ما كانت عليه منذ ربع جيل ، وانصراف الهمم الى الفلسفة في المدارس الثانوية مدعاة الى التفاؤل في حسن مستقبل الكتب العلمية النظرية.

ومهما يكن من الامر فقد ازدانت خزانة الاداب العربية بتحفة تباري اعز مؤلفات الفلاسفة العرب افكاراً وفحوى . بفضل المرحوم المطران نعمة الله ابي كرم.

ان مجموعة الردود على الخوارج تتناول البحث في كل ما يتسنى للعقل البشري النظر فيه عن الله باعتباره في ذاته (الكتاب الاول) واعتبار صدور

الخلائق عنه (الكتاب الثاني) وفي انتظام المخلوقات الى الله بكونه غايتها (الكتاب الثالث والرابع).

ومَن هم الخوارج الذين ردّ عليهم القديس توما؟ قد يجاوز عددهم المئة ومن جملتهم الفلاسفة العرب. وقد احصيت الاقوال والروايات المنسوبة اليهم الواردة في الكتاب، فاذا فيها اسم مشاهير فلاسفة العرب يأتي كما يلي: ابن رشد: ٥٣ مرة؛ ابن طفيل: مرة؛ ابن غبريل: مرة؛ ابن سينا: ٢٧ مرة، الغزالي: مرتين.

وقد يكون ابن رشد اول الخصوم الذين ردّ عليهم القديس توما. لا كأن المعلم المسيحي آلى على نفسه الّا يخالف الفيلسوف العربي طرًّا، ومنزلة ابن رشد عند القديس توما عظيمة، وهو في نظره شارح ارسطو الاعظم. لكنه آخذه بذهابه في تفسير ارسطو مذاهب الضلال فيما يمسّ مبادئ التعليم الكاثوليكي؛ او بالاحرى عاب على الرشديين، وهم الفلاسفة المدرسيون الافرنج المحتجون باسم ابن رشد، اساءة معالجتهم المشاكل الفلسفية الكبرى، حتى وضعوا موضع الشك امر وجود الله، وخلود النفس، والثواب والعقاب، ونقضوا مبادئ العقل السليم. على هؤلاء ايضاً ردّ القديس توما.

هذا وقد عرب المطران المرحوم ربع «مجموعة الردود» الاول؛ اما الارباع الثلاثة الباقية فهي بحاجة الى معرب آخر، فعسى ان يظهر في الناشئة الاكليريكية كاتب جدير بان يوفق الى تتمة ذلك المشروع الخطير.

الحكمة الادبية: فرعها الاول في الحقوق

هو الجزء السابع من مجموعة الفلسفة النظرية للكردينال مرسيه، حذا فيه المعرب حذوه في تعريب الردود وذيله تذييله الردود بحواشٍ ونظرات مفيدة؛ لكن هذا الجزء دون الردود اتقاناً في الطبع ورونقاً في الورق.

الكردينال مرسيه اشهر من ان نعرفه الى القراء. ولد سنة ١٨٥١ في ابرشية مالين في بلجيكة، نبغ بالعلم والفضيلة، وصار كردينالاً سنة ١٩٠٧ ووقف ايام الحرب الكبرى تجاه اعداء بلاده وقفة الاحبار معلمي الكنيسة

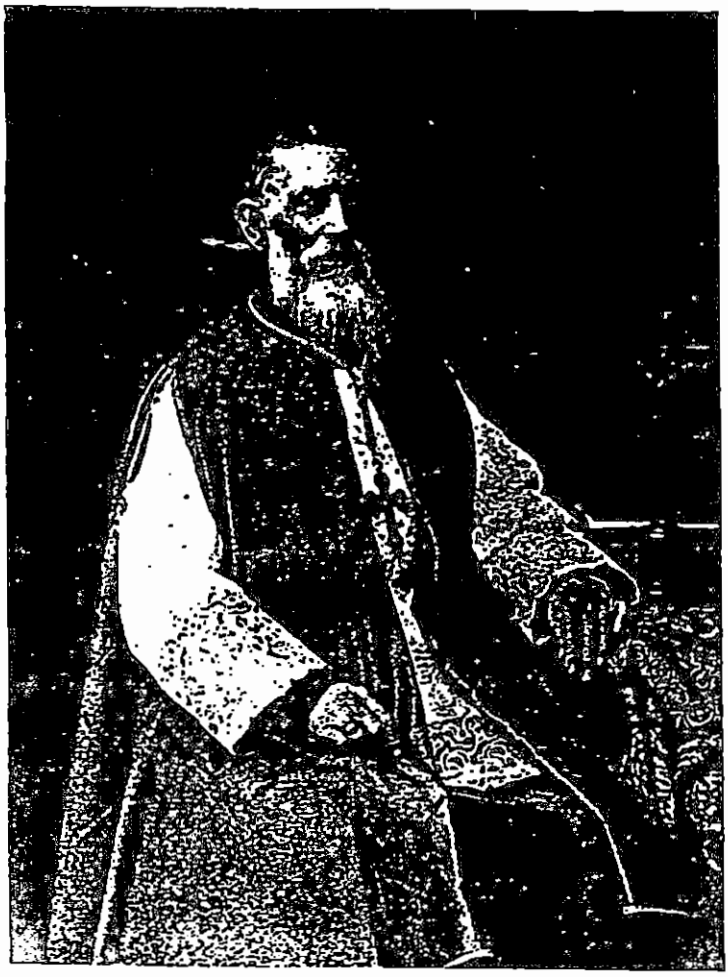

المثلث الرحمات

المطران نعمة الله ابي كرم الماروني

(١٨٥١ – ١٩٣١)

الاقدمين ، وهو قطب من اقطاب اللاهوت الكاثوليكي وخير ممثل للفلسفة المدرسية المستحدثة . مؤلفاته عديدة اشهرها كتاب الفلسفة النظرية باجزائه السبعة ، وقد قرب منالها من قراء العربية السيد نعمة الله ابي كرم ، وهوذا بين يدينا الكتاب الاخير وعنوانه : الحكمة الادبية بوجه الخصوص : فرعها الاول في الحقوق ، وفيه « قواعد الحقّ الطبيعي التي ينبني عليها ما علينا وما لنا من الواجبات والحقوق نحو القريب ونحو الاجتماع بوجه الاجمال ، مستخلصة من الشريعة الطبيعية استخلاصاً منطقياً »

قلنا سابقاً ان باكورة اعمال المعرب كانت رسالة البابا لاون الثالث عشر في شأن العمال ، وها ان هذا الكتاب الاخير يردنا بموضوعه الى اول مؤلف دبجته يراعة المعرب ، لان المشكل الاجتماعي الذي عالجه لاون الثالث عشر منذ اربعين عاماً برسالته العامة وعاد عليه بيوس الحادي عشر في هذا العام ايضاً تجديداً لتأثيره وتنفيذه في النفوس ، انما جلّه مستنبط من التعليم الفلسفي القويم المنجلي باجلى تبيان في كتاب الحقوق هذا . فقد ظهر اذن في اوانه ، وفيه مع بسط مبادئ الفلسفة الكاثوليكية تفنيد مذاهب الشيوعية والاشتراكية وغيرها من الاضاليل العصرية الماسة بحياة المجتمع المادية والادبية .

* * *

يتضح مما تقدم ان الاسقف الصالح لم يألُ جهداً في فائدة ابناء ملّته ولغته . رحمه الله ، ونفعنا بعلمه ، وجعل الكثيرين منا يسيرون على آثاره .

ابن عبد ربه و«عقده»

درس ادبي تاريخي

بقلم جبرائيل جبّور
احد اساتذة الادب العربي في جامعة بيروت
الاميركية

١

مصادر الدرس

ليس ايدينا مصادر ثلاثة نستقي منها اخبار ابن عبد ربّه اولها عِقده في الاخبار الكتاب الشهير الآن «بالعقد الفريد»، وثانيها شعره المنتثر في بعض الكتب وبالاخصّ في كتاب «يتيمة الدهر» للثعالبي وفي العقد نفسه، وثالثها ما كتبه المؤرخون والادباء عنه.

ولنبدأ بالاخيرة فنذكرها على انواعها ونجتهد في تصنيفها حسب اصلها وقدمتها وقيمتها ليتضح ما يجوز التعويل عليه من اخبارها وما لا يجوز، وترتبط بتفضيل مصدر على مصدر مسألة ذات شأن وهي: مَن من هؤلاء المؤرخين او الادباء قد اعتمد على غيره؟ ومَن مِنهم سبق غيره؟ ومَن مِنهم نستطيع ان نسقطه من قائمتنا لدرس حياة ابن عبد ربّه حيث انه لم يزد على من سبقه شيئاً؟ وكم كنا نودّ لو كانت لدينا دراسات علمية في رجال الادب والتاريخ العربي من حيث البحث عن المؤثرات المختلفة التي قد يمكن ان تكون اثّرت على بعضهم، او من حيث درس نزعاتهم الخاصة من شخصية وغيرها، والظروف التي احاطت بهم عند تدوينهم الاختيار، او انتمائهم الى بعض الاحزاب او تعصبهم لبعض الاشخاص الخ. وعسى ان لا يفوتنا تدوين ملاحظاتنا على بعضهم في حينها. وسنضرب صفحاً عن كل المصادر الحديثة اذ لم نرَ مصدراً منها يستند الى غير

الاصول التي بين ايدينا. فلا نعرض لها الا لمناسبات خاصة.

اما اقدمها واقربها عهداً بابن عبد ربه فكتاب «تاريخ علماء الاندلس» لابن الفرضي ابي الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف الازدي الحافظ المتوفى في ٦ شوال سنة ٤٠٣ هـ (٢٠ نيسان سنة ١٠١٣ م)[1] وقد ذكر نسبه كاملاً فقال: «احمد بن محمد بن عبد ربه الشاعر بن حبيب بن حدير بن سالم مولى الامام هشام بن عبد الرحمن بن معاوية من اهل قرطبة يكنى[2] ابا عمر[3]» واتى على شيء وجيز من تاريخه، ولكنّ فيه فوائد كثيرة.

ويلي ابن الفرضي الثعالبي ابو منصور عبد الملك بن محمد بن اسمعيل النيسابوري المتوفى سنة ٤٢٩ هـ[4] (١٠٣٧-١٠٣٨ م) فلا يذكر في كتابه «يتيمة الدهر» سوى شعره ويوسع له، من صفحة ٣٦٠ ج ١ الى صفحة ٣٦٤، ومن صفحة ٤١٢ بالجزء نفسه الى صفحة ٤٣٤، مجالاً لتدوينه. وتمتاز هذه المجموعة الشعرية بانها فريدة، اذ ليس بين ايدينا مجموعة لشيء من شعر ابن عبد ربه غيرها؛ وهي تضمّ اشعاراً لم يذكرها ابن عبد ربه في عقده. غير اني اخشى ان الثعالبي نظر اليه نظره الى رجلين فترجم للاول باسم احمد بن عبد ربه وذكر شعره من صفحة ٣٦٠ ج ١ الى صفحة ٣٦٤، وللثاني باسم احمد بن محمد بن عبد ربه وذكر شعره من صفحة ٤١٢ بالجزء نفسه الى صفحة ٤٣٤. كما وان الثعالبي قد ذكر ابياتاً في صفحة ٣٥٧ ج ١ نسبها الى شاعر باسم حبيب بن احمد الاندلسي، وقد اوردها ابن عبد ربه في عقده منسوبةً لنفسه؛ ولعلّ حبيب بن احمد هذا مقلوبٌ عن احمد بن عبد ربه بن حبيب.

ويلي الثعالبي القيرواني ابو عبيد الله محمد بن شرف المتوفى سنة ٤٦٠ هـ[5] (١٠٦٧ - ١٠٦٨ م) فيذكر في رسالة له عنوانها «اعلام الكلام» كلمة وجيزة

---

١) راجع بشأن سنة وفاته Moh. Ben Cheneb, [The Encyclopaedia of Islâm, vol. II, p. 375]

٢) في الاصل: يكنا

٣) ابن الفرضي ١: ٢٧

٤) ابن خلّكان ١: ٤١٢

٥) راجع اعلام الكلام، طبعة الخانجي، مصر سنة ١٩٢٦

عن ابن عبد ربه فيها تصريح بدائح ابن عبد ربه للمروانيين ومطاعنه في العباسيين.

ثم يعقب القيرواني الوزير الفتح بن خاقان المتوفى حوالي سنة ٥٢٩ هـ[1] (١١٣٤ م) فيسرد في كتابه «مطمح الانفس ومسرح التأنس في ملح اهل الاندلس» من صفحة ٥١ الى صفحة ٥٣ ترجمة ضافية لابن عبد ربّه راعى فيها السجع، وذكر بها اخبارًا وقصصاً عن ابن عبد ربه لم يذكرها ابن الفرضي، ولم يذكر الفتح شيئاً عن نشأة ابن عبد ربه الاولى، ولم يؤرّخ ولادته ولا وفاته ولم يذكر اصابته بالفالج؛ مما يدل على انه لم يطلع على كتاب ابن الفرضي، بل استقى من رجل ذكره عُرف بابن حزم، وربما استقى من مصادر اخرى لم يذكرها.

ويتبع ابن خاقان الضبيّ احمد بن يحيى بن احمد بن عميرة المتوفى حوالي سنة ٥٩٩ هـ (١٢٠٣ م)[2] فيذكر في كتابه «بغية الملتمس في تاريخ رجال اهل الاندلس» صفحة ١٣٧ الى صفحة ١٤٠، بعضَ الاخبار عن ابن عبد ربه وعن عقده، ينقلها عن رواية الحميدي، وينقل بعض الاشعار عن ابن حزم. ويظهر ان الضبيّ ايضاً لم يطلع على رواية ابن الفرضي.

ويلي الضبيّ ياقوت الرومي الحموي المتوفى سنة ٦٢٦ هـ[3] (١٢٢٨ م) فيذكر في معجمه للادباء «كتاب ارشاد الاريب الى معرفة الاديب» ج ٢ صفحة ٦٧، ترجمة لحياة ابن عبد ربه يتفق اكثرها بالحرف مع ما ذكره الضبي؛ مما يدلّ على احد امرين: اما ان يكون ياقوت قد اخذ عن الضبي، او ان يكون كلاهما قد استقيا من مصدر واحد؛ لاسيما وقد ذكر كل منهما روايته مسندة الى الحميدي. ويجوز ان يكون ياقوت قد اخذ عن مصدر غير الضبيّ استقى صاحبه من الحميدي، اذ ان ياقوتاً ارتكب اغلاطاً لم يرتكبها الحميدي

١) راجع Moh. Ben Cheneb, [The Encyclopaedia of Islâm, vol. II, p. 82] والفتح بن خاقان هذا هو غير الفتح بن خاقان صديق المتوكل والمقتول معه، راجع K.V. Zetterstéen, [The Encyclopaedia of Islâm, vol. II, p. 83] وراجع الفهرست، طبع اوربة، ١١٧

٢) C. F. Seybold, [The Encyclopaedia of Islâm, vol I, p. 884]

٣) ابن خلكان ٢: ٢١٨

وصحف كلمات اصلحها الناشر الاستاذ مرجليوث ، وحذف ابياتاً وعبارات اثبتها الناشر ايضاً عن الحميدي[1] . ومن الخير الّا نجزم بمثل هذا الامر لاسيما ونحن لم نرَ النسخة التي خطها ياقوت بقلمه ، وليس لدينا نسخة من رواية الحميدي.

ويمتاز ياقوت بذكره بعض اخبار عن ابن عبد ربه وعن عقده لم يذكرها الضبي ، ولكن قد سبقه الى ذكر اكثرها الفتح بن خاقان . ولعلّ ياقوتاً قد نقلها عن الفتح هذا ، اذ انه قد اورد اكثرها كما اوردها الفتح بالحرف الواحد، واسلوبها السجعي هو اسلوب الفتح نفسه[2] . كذلك ترى المقاطيع الشعرية متتابعاً اكثرها على الترتيب الذي اورده الفتح.

وقد اتى بعد الفتح بن خاقان القاضي ابو العباس احمد الشهير بابن خلّكان المتوفى سنة ٦٨١ ﻫ (١٢٨٢ م)[3] . فترجم لابن عبد ربه في كتابه « وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان » ج١ص٤٥ . فلم يزد على من تقدمه شيئاً . غير انه عند ذكره مطلع قصيدة ابن عبد ربه في المنذر بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم احد ملوك الاندلس.

بالمنذر بن محمد شرفت بلاد الاندلس
فالطير فيها ساكن والوحش فيها قد أنس،

يذكر مصدرًا استند اليه في خبرها هو كتاب « ادب الخواصّ » للوزير ابن المغربي[4] . ولعلّ كتاب « ادب الخواصّ » قد ذكر شيئاً عن حياة ابن عبد ربه تنفعنا معرفته . انما لم نعثر على ذكر لهذا الكتاب في مختلف الموسوعات والكتب التي بين ايدينا . ولذلك فلا نستطيع معرفة موضع وجوده ان كان موجودًا الآن ، وبالتالي لا نعلم ما يمكن ان يكون تضمّنه من الاخبار عن ابن عبد ربه.

وعقب ابن خلكان عبد الرحمن بن خلدون المؤرخ الشهير المتوفى سنة٨٠٨ﻫ

---

١) ياقوت ٢ : ٦٧ و٦٨ و٦٩

٢) ياقوت ٢ : ٧١ ، وقابله بالفتح بن خاقان ص ٥٢ . وقد ترى في بعض المواضع ان ياقوتاً يفكّ السجع غير انه يستعمل المفردات نفسها التي استعملها الفتح.

٣) راجع [C. Brockelmann, [The Encyc. of Islâm, vol. II, p. 396

٤) ابن خلكان ١ : ٤٦

(١٤٠٦ م)[1] فكتب في مقدمة كتابه «كتاب العبر وديوان المبتدا والخبر»، ص٥٤٠، بحثاً عن الموشحات والازجال في بلاد الاندلس ذكر فيه ابن عبد ربه، صاحب العقد، وكناه بكنية جديدة لا نعلم من اين اتى بها هي «ابو عبدالله»؛ وذكر انه اخذ نظم الموشحات عن مخترعها مقدم بن معافر. ولم يذكر شيئاً عن حياته، ولا دوّن شيئاً من موشحاته التي زعم انه نظمها، وانها كسدت بعده.

وتبع ابن خلدون الحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي الشافعي المتوفى سنة ٩١١هـ (١٥٠٥)[2]. فذكر في كتابه «بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة»، ص ١٦١، شيئاً نسخه، فيما نرى، عن ابن الفرضي.

وتلا السيوطي المقّري، بتشديد القاف، احمد بن محمد المتوفى سنة ١٠٤١هـ (١٦٣١ م)[3]. فكتب في كتابه «نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب»، ج ٤: ص٦٢٨، فصلاً عن ابن عبد ربه غير انه كفانا مؤونة البحث عن مصدر اخباره في هذا الفصل فذكر لنا انه نقله بالحرف عن الفتح بن خاقان واورده في كتابه «نفح الطيب» نموذجاً من كتاب «مطمح الانفس» وطريقة ترجمة الفتح حياة الاشخاص. وذكر المقّري اخباراً اخرى عن ابن عبد ربه لم يتصدَّ احدٌ لذكرها قبله.

وتلا هؤلاء جميعاً حاجي خليفة المتوفى سنة ١٠٦٧ هـ (١٦٥٧ م)[4]. فذكر في كتابه «كشف الظنون في اسامي الكتب والفنون»، ص ١٢٤، عقد ابن عبد ربه ونقل وصفه عن ابن خلكان. وذكر شيئاً عن ابن عبد ربه نقله عن ابن كثير[5] لم نرَ احداً من المتقدمين عرض له، الا وهو التشيّع من ابن عبد ربه لآل البيت.

---

١) راجع Alfred Bel, [The Encyc. of Islâm, vol. II, p. 395]

٢) راجع F. Wüstenfeld, *Die Geschichtschreiber der Araber*, p. 229

٣) F. Wüstenfeld, *op. cit.*, p. 266

٤) J. H. Nordtmann, [The Encyc. of Islâm, vol. II, p. 205]

٥) هو الامام الحافظ عماد الدين ابو الفدا اسمعيل بن عمر الدمشقي المتوفى سنة ٧٧٤ هـ. صاحب كتاب «البداية والنهاية» في التاريخ (حاجي خليفه ج ١: ١٨٧)

بقي لدينا طائفة يسيرة من الكتب التي ذكرت عرضاً اخباراً عن ابن عبد ربه صاحب العقد، عند تصدّيها لغيره ؛ ككتاب « طبقات الامم » للقاضي صاعد ابن احمد بن صاعد الاندلسي المتوفى سنة ٤٦٢ هـ (١٠٦٩ — ١٠٧٠ م)[١] حيث نرى ترجمة لابن اخي صاحب العقد فيها بعض الاخبار عن صاحب العقد نفسه[٢]. وككتاب «التكملة لكتاب الصلة» لابن الأبار المتوفى سنة ٦٥٨ هـ (١٢٦٠م)[٣] وككتاب « عيون الانباء في طبقات الاطباء » لابن ابي اصيبعة المتوفى سنة ٦٦٨ هـ (١٢٧٠م)[٤] حيث نرى الاخبار نفسها منقولة، فيما نظن، عن ابن صاعد.

اما «كتاب الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة» لابن بسّام فلم يطبع بعد، ولم نطّلع على نسخة خطية منه . غير اننا اخذنا ما ذكره ابن بسّام عن ابن عبد ربه من مصادر اخرى نقلته عنه « كفوات الوفيات » للصلاح الكتبي ، ومقدمة الدكتور ا . ر . نيكل في ترجمة « طوق الحمامة » لابن حزم . واودّ ان اشير هنا الى ان ابن بسّام ، صاحب الذخيرة، هو غير ابن بسّام الشاعر الذي عاش في المشرق في بغداد وغيرها وعاصر المعتضد ، وكتب اخبار ابن ابي ربيعة والاحوص ومناقضات الشعراء[٥]. فقد مات هذا سنة ٣٠٢ او ٣٠٣ هـ.[٦] بينما صاحب الذخيرة قد ترجم لرجال عاشوا في القرن الخامس للهجرة[٧]. واملّ لجنة نشر فهارس دار الكتب في القاهرة لم تلتفت الى هذا الامر في طبعتها الجديدة المتقنة لفهارس الدار[٨].

وهناك كثير من الكتب المتأخرة والموسوعات سنضرب الآن عن ذكر جميعها صفحاً ، اذ انها كلها لم تستق من غير المصادر التي ذكرنا . وقليل من

١) راجع كتاب « طبقات الامم » لابن صاعد ، طبعة المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين ، سنة ١٩١٢ ، ص ١

٢) ص ٧٩ و٦٤ حيث ترى قصيدة لابن عبدربه صاحب العقد تفرّد ابن صاعد بذكرها

٣) Moh. Ben Cheneb, [The Encyclopaedia of Islâm, vol. II, p. 353]

٤) [The Encyclopaedia of Islâm, vol. II, p. 357] في المقالة المهملة التوقيع

٥) ابن خلكان ١ : ٥٠٢ ٦) ابن خلكان ١ : ٥٠٢

٧) الكتبي ١ : ٢٥٥

٨) فهارس دار الكتب المصرية ٣ : ١٥٢

اصحابها من اطلع على كل هذه المصادر ، ولعلنا نعرض لبعضها في حينه.

اما شعره فسنعرض له بمقال خاص . كذلك سنعرض لعقده بمقال آخر ، دون ان يفوتنا الاستشهاد بما ينفعنا في كل منهما من حيث علاقته بدرسنا عن حياته ونشأته ونزعاته وميوله.

وسنذكر الآن اتماماً للفائدة جدولاً باسماء اهم المآخذ (قديمها وحديثها) التي رجعنا اليها في درس ابن عبد ربه ، او في تحقيق شيء عن عقده او شعره ، مرتبة حسب قدمية اصحابها وظهورها . وسنكتفي بعدئذ عند الرجوع اليها بذكر اصحابها على الشكل المختصر المدوّن امام كل مأخذ .

المآخذ

الجاحظ ت : ابو عثمان عمرو بن بحر : التاج في اخلاق الملوك ، الطبعة الاولى ، المطبعة الاميرية بالقاهرة سنة ١٣٣٢هـ. (١٩١٤م) .

الجاحظ م : المحاسن والاضداد ، ليدن سنة ١٨٩٨ .

ابن قتيبة : ابو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري : عيون الاخبار ، الطبعة الاولى ، مطبعة دار الكتب المصرية ، فرغ من طبعها سنة ١٩٣٠ .

المبرّد : ابو العباس محمد بن يزيد الازدي : الكامل ، ليبزك سنة ١٨٧٤ .

ابن عبدربه : احمد بن محمد بن عبد ربه : العقد الفريد ، المطبعة الاميرية ، مصر سنة ١٢٩٣ هـ

ابن الندم : محمد بن اسحق الورّاق : الفهرست ، ليبزك سنة ١٨٧١ .

ابن الفرضي : عبد الله بن محمد بن يوسف الازدي : تاريخ علماء الاندلس ، مجريط سنة ١٨٩٠م

الثعالبي : ابو منصور عبدالله بن محمد بن اسمعيل الثعالبي النيسابوري : يتيمة الدهر في محاسن اهل العصر ، المطبعة الحنفية بدمشق ، سنة ؟

القيرواني : ابو عبدالله محمد بن شرف القيرواني : اعلام الكلام ، طبعة الخانجي ، مصر سنة ١٩٢٦ م.

ابن صاعد : القاضي صاعد بن احمد بن صاعد الاندلسي : كتاب طبقات الامم ، بيروت سنة ١٩١٢ .

ابن خاقان : الفتح بن خاقان الوزير الكاتب : مطمح الانفس ومسرح التأنس في ملح اهل الاندلس ، مطبعة الجوائب ، استنبول سنة ١٣٠٢ هـ

الضبيّ : احمد بن يحيى بن احمد بن عميرة الضبي : بغية الملتمس في تاريخ رجال اهل الاندلس ، مجريط سنة ١٨٨٤م .

ياقوت : الشيخ شهاب الدين ياقوت بن عبدالله الحموي الرومي : ارشاد الاريب الى معرفة الاديب ، مطبعة هندية ، مصر سنة ١٩٢٤ .

ياقوت ب : معجم البلدان ، ليبزك سنة ١٨٦٩ .
ابن ابار : محمد بن عبدالله القضاعي : كتاب التكملة لكتاب الصلة ، مجريط سنة ١٨٠٩م
ابن ابي اصيبعة : احمد بن القاسم السعدي الخزرجي : عيون الانباء في طبقات الاطباء ، المطبعة الوهبية ، مصر سنة ١٢٩٩ ه.
ابن خلكان : شمس الدين احمد بن محمد : وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان ، مصر سنة ١٢٧٥ ه .
الكتبي : صلاح الدين محمد بن شاكر : فوات الوفيات ، مصر سنة ١٢٨٣ ه.
ابن خلدون : عبد الرحمن بن خلدون : المقدمة لكتاب العبر وديوان المبتدا والخبر ، بيروت سنة ١٨٧٩ م
الابشيهي : الشيخ شهاب الدين : المستطرف من كل فن مستظرف ، بولاق سنة ١٢٧٢ ه
السيوطي : الحافظ جلال الدين الشافعي : بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، مصر سنة ١٣٢٦ ه.
المقري : احمد بن محمد المقري : نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ، المطبعة الميرية المصرية ، سنة ١٢٧٩ ه
حاجي خليفة : كاتب چلبي : كشف الظنون في اسامي الكتب والفنون ، طبعة الاستانة سنة ١٣١٠ ه .

Wüstenfeld — *Geschichtschreiber der Araber etc*, 1882
Hartmann — *Das arabische Strophengedicht, I Das Muwaššah*, 1897
Brockelmann — *Geschichte der arabischen Litteratur*, Berlin, 1902
زيدان : جرجي زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية ، مصر سنة ١٩١٢ م.
Dozy — *Spanish Islam, translated by* F. Griffin, Lon. 1913
شفيع : محمد شفيع : مقالته عن الحرمين كما وصفها ابن عبد ربه في كتاب «عجب نامه» *A Volume of Oriental Studies presented to* Edward G. Browne *on his 60th Birthday, edited by* T. W. Arnold and Reynold A. Nickolson. Cambridge University Press, 1922.
Nickolson — *A Literary History of the Arab*, Lon. 1923
بستاني : فؤاد افرام البستاني : الروائع عدد ٨ ج ١ ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت سنة ١٩٢٧ .
Ribera — *Music in ancient Arabic and Spain, translated and abridged by* E. Hague and M. Leffingwell Stanford, University Press, California, 1929.
Nykl — *The Dove's Neck-ring*, Paris, 1931

وقد يجوز ان نرجع الى غير هذه المآخذ . وعند ذاك فسندوّن اسم المأخذ كاملاً مشيرين الى موضع طبعه وزمنه.

٢

حياة ابن عبد ربه

قليل جدًّا هذا الذي بين ايدينا عن ابن عبد ربه . فلا هؤلاء المؤرخون ذكروا لنا شيئاً مفصلاً عن حياته في شبابه من حيث العمل الذي كان يعمله او الوظيفة التي كان يشغلها ، ولا هم شرحوا لنا كيف قضى بقية عمره . وجلُّ ما في الامر انهم اكتفوا بتاريخ ولادته ووفاته ، وببعض قصص ونوادر تكاد تطلّ على شيء من نواحي خلقه وطبعه، واشاروا الى شيء من حياة اللهو التي كان يحياها دون ان يسهبوا او يفصلوا او يملّوا ، واضافوا الى اشارتهم هذه انه كان للرجل ديانة وصيانة ، وانه آخر حياته اقلع عن لهوه وتاب عن غيّه ، ممّا لا يزيد عمّا نستطيع ان نفهمه من بعض اشعاره . والغريب انهم يسكتون عند هذا الحدّ بحيث لا نرى اشارة الى سبب نهجه في شبابه منهج اللهو ، او الى كيف انصرف الى الغزل ، وطريق ايّ الشعراء سلك ، وما الذي ردّه عن سابق خطّته من اتباع سبل اللهو والعبث وقرض الغزل بحيث تاب واقلع عن صبوته وعمد الى شعره في الغزل فمحصه ونقضه بغيره في المواعظ والزهد.

خذ مثلاً ابن خلكان فانه يقول : « ان ابن عبد ربه كان من العلماء المكثرين من المحفوظات والاطلاع على اخبار الناس »[1] . ولكن من اين استقى تلك الاخبار ؟ ومن اي الاشعار كانت تلك المحفوظات ؟ واي الشعراء احبّ ابن عبد ربه ؟ وخطة ايهم اقتفى ؟ تلك امور لم يتصدَّ لها !

وكذلك كان شأن غير ابن خلكان من الذين كتبوا عن ابن عبد ربه ، لا نستثني منهم سوى ابن الفرضي فقد تفرّد بذكر بعض اساتذة درس عليهم ابن عبد ربه منهم بقي بن مخلد، وابن وضّاح، والخشني[2] . ولولا ان ابن عبد ربه

---

١) ابن خلكان ١ : ٤٥ ٢) ابن الفرضي ١ : ٣٧

ذكر لنا في عقده اسماء كثير من المصادر التي رجع اليها ، وبعض الفقهاء الذين اخذ عنهم ؛ ولولا انه صوّر لنا شيئاً من نزعاته وميوله وخلقه في كلا اثريه : شعره وعقده ، لكان تاريخه اقرب الى الخفاء منه الى الظهور ؛ وانا لنرى في عقده وفي شعره ما يساعدنا على فهم كثير من الامور التي مرّ بها بعض المؤرخين او الادباء مكتفين بالاشارة اليها .

نسبه

هو ابو عمر[1] احمد بن محمد بن عبد ربه بن حبيب بن حُدير[2] بن سالم القرطبي ، مولى هشام بن عبد الرحمن بن معاوية[2] بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم الاموي[1] .

ولادته

ولد على الارجح في قرطبة[5] في شهر الصوم ، رمضان ، في العاشر منه سنة ٢٤٦ هـ[6] . وهو ما يوافق التاسع والعشرين من تشرين الثاني سنة ٨٦٠ م[7] .

نشأته

لم يذكر احد شيئاً عن ايام ابن عبد ربه الاولى ، ولا هو المع الى شيء من من وصفها في عقده ، ولا نحن نعلم شيئاً عن ابيه او جده او المحيط العائلي

---

١) بعض المصادر تذكره بواو « ابو عمرو » وهو خطأ . وقد وردت هذه الكنية في شعر بذيء لمعاصر لابن عبد ربه هجاه به :

يا عرسَ احمدَ اني مزمعٌ سفرا فودعيني سرًّا من ابي عُمَرا

راجع المقري ٢ : ٨٣٣ . وستتصدى لامر كنية ابن عبد ربه في موضع آخر .

٢) ياقوت ٢ : ٦٧ يكتبها « حدر » . غير ان الناشر يصلحها في الهامش بحدير ، نقلاً عن الحميدي . اما ابن خلكان ١ : ٤٥ فيكتبها « حدير » ثم يقول بضمّ الحاء ، وفي سائر المصادر نراها « حدير » .

٣) ابن الفرضي ١ : ٢٧ ٤) الضبي : ١٢٧

٥) ليس بين المصادر الاوليه التي بين ايدينا ما يعين موضع ولادته . فالبعض كابن الفرضي مثلاً يذكر ان ابن عبد ربه من اهل قرطبة (١ : ٢٧) وابن خاقان يذكر حادثة جرت لابن عبد ربه في شبابه ، وهو في قرطبة ، والغريب ان Brockelmann يجزم ان الولادة كانت في قرطبة راجع مقالته في [The Encyc. of Islam, vol. II, p. 353]

٦) الضبي : ١٢٧

٧) Brockelmann, [The Encyc. of Islam vol. II, p. 352]

الذي نشأ فيه . وجل ما نعلم هو ان والد جد جده ، «سالم القرطبي» ، كان مولى لهشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان . وقد كان هشام بن عبد الرحمن اميراً بعد ابيه عبد الرحمن الداخل . ولكن هل استمرت عائلة سالم القرطبي في ولائها لآل هشام من بعده . ذلك امرٌ لا نعلمه .

نشأ في قرطبة كما يستدلّ من بعض الاخبار المرويّة عنه[1] . وقد كانت قرطبة في ذلك العصر من اعظم مدن الاندلس تشبه بغداد في كثير من الوجوه ، حتى قيل انها كاحد جانبي بغداد[2] . وكان فيها رصافة كرصافة بغداد[3] . وكانت عظيمة العمران ، ذكرها المقّري في «نفح الطيب» فقال : «يحكى ان العمارة في مباني قرطبة والزاهرة والزهراء اتصلت الى كان يمشى فيها بضوء السرج المتصلة عشرة اميال وفيها جبال الورد الذي صار اصحابه يرون الفضل لمن قطف بيده ما يتخونه منه ونهرها ان صغر عندها عن عظمه عند اشبيلية فان لتقارب بريّه هنالك وتقطع غدره ومروجه معنى آخر وحلاوة اخرى وزيادة انس وكثرة امان من الغرق وفي جوانبه من البساتين والمروج ما زاده نضارةً وبهجة»[4] .

وقال ابن حوقل التاجر الموصلي ، وكان قد طرق تلك البلاد في حدود سنة ٣٥٠ : «واعظم مدينة بالاندلس قرطبة وليس لها في المغرب شبيه في كثرة الاهل وسعة الرفعة»[5]

وليس غريباً ان تكون قرطبة كما وصفها هؤلاء . فقد كانت عاصمة الامراء الاندلسيّين من بني اميّة ، منذ زمن عبد الرحمن الداخل في منتصف القرن الثاني الى زمن عبد الرحمن الناصر ، الذي عاصره ابن عبد ربه ، والى ما بعد زمن الناصر .

وكان اهلها متموّلين[6] . وكان فيها من ضروب اللهو والغناء ما يوافق حاضرة مثلها . تقرّب عنها قاضي الجماعة فيها ، فقال :

---

١) ابن الفرضي ١ : ٢٧
٢) ياقوت ب ٤ : ٥٩
٣) ياقوت ب ٤ : ٥٩
٤) المقري ٢ : ٧٩٣
٥) ياقوت ب ٤ : ٥٩
٦) 〃 〃 〃

يُلمُّ ذكراي من ورق مغرّدة على قضيب بذات الجزع ميّاس
رددن شجوًا شجى(١ قلبي الخليّ فقلْ في شجو ذي غربة ناء عن الناس
ذكّرنه الزمن الماضي بقرطبة بين الاحبّة في لهو وايناس
هجن الصبابة لولا همّةٌ شرقت فصيرت قلبه كالجندل القاسي. (٢

وكان الغناء شائعاً عند هؤلاء العرب الاندلسيين، لاسيما في قرطبة حيث كانت تفد الجواري المغنيات من مختلف الاقطار العربية، من عهد زرياب المغني، موصلي الاندلس وصاحب السهم الاكبر في هذه الحركة الغنائية فيها، الى عهد شاعرنا ابن عبد ربه الذي كان فيما سيظهر لنا من المولعين بسماعه. وكان بلاط الامراء مسرحاً لهؤلاء المغنين والمغنيات[٣]. وكتب تاريخ الاندلس، من قديمة وحديثة، مفعمة بالاخبار عن هؤلاء وحياتهم في اندية الملوك والامراء وعن الاثر الذي تركوه في نفوس اهل ذلك الجيل وادبهم. وتتفق هذه الكتب في ان الامراء كانوا يتبارون في اقتناء الجواري المغنيات، كما يتبارون في استحضار الشعراء الى بلاطهم. فيحيطون الجميع بعنايتهم ورعايتهم ويشجعونهم ويغدقون عليهم العطايا.

وكان ابن عبد ربه جدّ مولع بسماع هذا الغناء. ذكر الفتح بن خاقان ان الغناء الذي سمعه ابن عبد ربه وهو مارّ تحت قصر احد الرؤساء بقرطبة اذهب لبّه والهب قلبه[٤]. وسرعان ما تناول رقعة كتب عليها الى صاحب القصر يسأله الاذن في سماع المغنية:

يا من يضنُّ بصوت الطائر الغرد ما كنت احسب هذا البخل في احد
لو أن اسماع اهل الارض قاطبةً اصغت الى الصوت لم ينقص ولم يزد
فلا تضنّ على سمعي تقلّده صوتًا يجول مجال الروح في الجسد.
اما النبيذ فاني لست اشربه ولست آتيك الا كرهًا بيدي (٥

١) كذا في الاصل، والصواب: شجا
٢) ياقوت ب ٤: ٥٩
٣) Ribera، صفحة ١٠٩، يذكر انه كان عند الامير سعيد بن جودي مغنّية اسمها جهان كانت ترغب في ان لا تخفي صوتها، فكانت تنشد من الغرفة العليا في المنزل.
٤) ابن خاقان: ٥١
٥) ابن خاقان: ٥١

وذكر المقري ان هذه المغنية معروفة اسمها مصابيح ، وقد كانت جارية عند الكاتب ابن حفص عمر بن قلهيل ، وقد اخذت الغناء عن زرياب نفسه . وروى انها كانت غاية في الاحسان والنبل وطيب الصوت ، وان سيدها عند قراءته ابيات ابن عبد ربه خرج حافياً وادخله الى مجلسه فتمتع من سماعها[1].

ولنترك ما يقوله ابن خاقان والمقري الى ما يجاهر به ابن عبد ربه نفسه في عقده فيقول : « الصناعة التي هي مراد السمع ومرتع النفس وربيع القلب ومجال الهوى ومسلاة الكئيب وانس الوحيد وزاد الراكب لعظم موقع الصوت الحسن من القلب واخذه بمجامع النفس.»[2] وقال ايضاً : « وقد يتوصل بالالحان الحسان الى خير الدنيا والآخرة. فمن ذلك انها تبعث على مكارم الاخلاق من اصطناع المعروف وصلة الرحم والذبّ عن الاعراض والتجاوز عن الذنوب . وقد يبكي الرجل بها على خطيئته ويرقق القلب من خشونته ويتذكر نعم الملكوت ويتمثله في ضميره »[3].

ولا استطيع المرور بهذا الكلام الذي يصف فيه ابن عبد ربه اثر الالحان الحسان في النفوس وفعلها في ترقية الاخلاق دون ان اتخيّل الرقيّ الذي كانت عليه هذه الصناعة ، او هذا الفن في العالم العربي وبالاخص في الاندلس ، يوم كانت اوربة لا تفقه منه شيئاً . وهل بعد هذا التصريح من ابن عبد ربه يظلّ بعض الغربيين على اعتقادهم ان الموسيقى قبل القرن السادس عشر لم تكن تثير في النفوس روعة الجمال كما تثيرها موسيقى اليوم ؟[4]

ولا بدّ لي بهذه المناسبة ايضاً ان ادون هنا ان هذه الموسيقى الاندلسية من غناء وانغام لم ينقصها في نظر المستشرقين الذين فرغوا للبحث فيها وتخصصوا

---

١) المقري ، طبعة اوربة ، ٢ : ٩٠ . ويذكر Dozy ، ص٢٢٤ ، قصة مثل هذه عن الامير سعيد بن جودي انه كان ماراً بقرطبة قرب قصر الامير عبدالله، فسمع صوت المغنية جهان من نافذة تطلّ على الشارع ، وكانت تغني للامير وتسقيه خمراً ، فانزوى سعيد في زاوية وتطلع الى النافذة حيث رأى يد جهان تناول الامير خمرته ، فمشقها .

٢) ابن عبد ربه ٣ : ٢٢٩ .

٣) « « «

٤) Ribera, p. 8 ، ومن المثير ان Ribera نفسه لا يرى رأي هؤلاء .

لدرسها كـ Farmer و Ribera ، تلائمُ الاصوات وحسن ايقاع الالحان ، اي الهارموني (*harmony*) ، التي ينعاها بعض الغربيين على الموسيقى الشرقية اليوم. بل اذهب الى ابعد من هذا فادوّن ما كتبه احدهما Ribera في مقدمة بحثه الذي رفعه الى الاكادمية الملكية في اسبانية قال: « وهكذا اصبحت اسبانية الفنية القديمة العروة الوسطى التي ربطت الفن القديم بالجديد» ثم يقول ايضاً : « ان اوربة اذاً مدينة لهؤلاء الاندلسيين الذين حازوا هذا التراث في فنّ الموسيقى ونقلوه الى اوربة فظلّ معيناً لا ينضب يرده الموسيقيون من اوربة دون ان يبحثوا عن مصادره.» [1]

وكم اود لو يعنى اليوم احد الموسيقيين الشرقيين ، الذين حازوا شيئاً من الثقافة العلمية والموا باساليب البحث العلمي الحديثة ، بدرس هذه الناحية من الموسيقى العربية القديمة وتبيان آثارها في موسيقى الغرب.

ولنعد الى ابن عبد ربه نسمع قوله في العقد ايضاً : « وبعد فهل خلق الله شيئاً اوقع بالقلوب واشدّ اختلاساً للعقول من الصوت الحسن اذا كان من وجه حسن ؟ [2] »

ولعلّ في هذا القول ما يلائم المبالغة التي رأيناها في قول الفتح بن خاقان عن ابن عبد ربه انه سمع صوتاً من القصر اذهب لبّه والهب قلبه[3].

وخصّص ابن عبد ربه كتاباً من عقده للالحان ، هو كتاب الياقوته الثانية، ذكر فيه كثيراً من الروايات التي احتجّ فيها الناس باجازة الغناء ، وذكر بعض الاحاديث المنسوبة الى النبي العربي التي تجيز الغناء[4] . وردّ على ادعاء من كره الغناء ، وذكر تأويلهم في ذلك آيات من القرآن فخطأهم في التأويل[5] ، ومضى محاولاً اظهار انّ من كره الغناء انما كان كرهه له ككره بعضهم الملاذّ من مطعم ولباس وغيره ، لا على طريق التحريم ، واستمرّ يفنّد حججهم ويردّ عليها.

١) Ribera, p. 9
٢) ابن عبد ربه ٣ : ٢٢٠
٣) ابن خاقان : ٥١
٤) ابن عبد ربه ٣ : ٢٢٢
٥) ابن عبد ربه ٣ : ٢٢٢

فاذا ما ذكر قصة الحسن البصري مثلاً ، وقد تقدم اليه رجل يسأله عمّا يقول في الغناء فيجيبه : « نعم العون الغناء على طاعة الله ! » ويعود الرجل فيقول : « اسألك عمّاذا تقول في ان يغني الرجل ؟ » فيقول البصري : « وكيف يغني ؟ » فيأخذ الرجل يلوي شدقيه وينفخ منخريه . فيقول البصري : « ما ظننتُ ان عاقلاً يفعل هذا ! » ، اذا ما ذكر هذه القصة وهذا الجواب الذي قد يشتمّ منه كره البصري للغناء ، انبرى يقول ان البصري انكر على الرجل تشويه وجهه وتعويج فمه ليس الا[1] . وقد يسلّم ابن عبد ربه مع خصومه في هذا الامر في ان بعض الايمة كانوا يكرهون الغناء ، ولكنه يردّ عليهم بانّ هذا مذهب العراق او ، كما يقول هو ، « انما هو من طريق اهل العراق »[2] ويقول : « فان كانت الالحان مكروهة فالقرآن والأذان احقّ بالتنزيه عنها ، وان كانت غير مكروهة فالشعر احوج اليها . »[3]

وهكذا ترى ان ابن عبد ربه كان مولعاً بهذا الغناء مغرماً به يستلذه كثيراً ، لاسيما ان كان من وجه حسن . ويجيزه على مذهب اهل الحجاز ، وبالاخص اهل المدينة ، يقول : « ديننا في السماع دين مدينتي »[4] . ولنا ان نظنّ انه كان يقضي قسماً من وقته لا بأس به في سماعه في المجالس التي كانت تعقد له ، لاسيما في بلاط الامراء الذين كان يتردد عليهم .

---

١) ابن عبد ربه ٣ : ٢٢٢
٢) « « « «
٣) « « « ٣ : ٢٢١
٤) الثعالبي ١ : ٢٦٢

(للبحث صلة)

العناصر الفارسية في لبنان

بقلم الاب لامنس اليسوعي

١

من المسائل المهمة التي لم يتعرّض لها جغرافيّو العرب الّا نادرًا مسألة اصول الشعوب الساكنة لبنان في القرون الوسطى. وذلك ان لبنان لم يكن ليترعى انتباه اولئك الجغرافيين، فان سكانه المسيحيين في اكثرهم لم يخضعوا لسلطة الغزاة خضوع جيرانهم سكان الداخلية. على انه من الخير ان نلفت النظر، بهذه المناسبة، الى الاسطر القليلة التي خصها بموضوعنا، في اواخر القرن التاسع (سنة ٨٩١ م. او ٢٧٨ هـ.)، المؤرّخ الجغرافي اليعقوبي في مؤلفه المعروف «بكتاب البلدان»[1]

يطلعنا اليعقوبي، في كلامه على بعلبك، ان «اهلها قوم من الفرس». وهو يورد الملاحظة نفسها في كلامه على عرقة، مدينة صغيرة في شمالي شرقي طرابلس، فيقول: «فيها قوم من الفرس ناقلة» اي قدموا اليها من الخارج. اما في ما خصّ طرابلس فيذكر سكانها الفرس، ويزيد ان «معاوية ابن ابي سفيان كان قد نقلهم اليها». ثم يذكر مدن جبيل وصيدا وبيروت ويؤكد قائلًا: «واهل هذه الكور كلّها قوم من الفرس نقلهم اليها معاوية ابن ابي سفيان.» وفي هذا التأكيد بعض المبالغة دون شكّ. فيجدر بنا ان نفهم قول اليعقوبي بشيء من التحفّظ فنعرف ان في تلك الكور بعض العناصر

---

١) طبعة دي غويه ص ٢٢٧، وهو المجلّد السابع من «خزانة جغرافيي العرب».

الفارسية . وذلك ان اليعقوبي نفسه يشير الى سكان من غير الفرس كبني عاملة ، في جبال صيدا[1] .

على ان المهمّ ان نعرف مَن كان اولئك الفُرس ، وما الذي دفع بهم الى السواحل اللبنانية ؟

لا يخفى ان فتح العرب لسورية حصل كجميع الفتوح شيئاً فشيئاً وبظروف متفاوتة . فبينا كان الغزاة يدخلون بسهولة سورية الشرقية المفتوحة سهولها على الصحراء ، كانوا يتوقّفون امام المناطق الجبلية ، فتصدّهم عنها طبيعة الارض فلا يفكرون بالتوغل فيها . اما الساحل اللبناني فلم يفتحه العرب الّا « فتحاً يسيراً » على قول البلاذري[2] . وهو تعبير لطيف يمكن ان نفهمه بمعانٍ عدة ، فيكون المقصود به فتحاً جزئياً ، او فتحاً سطحياً ، او فتحاً سهلاً . على ان المعروف ان العرب لم يهتموا بهذا الفتح الّا ليضعوا الجزية على الساحل المذكور ، فلم يفكّروا اولاً باحتلاله احتلالاً عسكرياً . وهكذا رأينا المدن اللبنانية ، في ربع القرن الاول للهجرة ، تنتقل عدة مرات من العرب الى البيزنطيين ومن هؤلاء الى اولئك . والسبب في ذلك ان البيزنطيين كانوا لا يزالون مسيطرين على البحر ، ذاك العنصر المضطرب الذي كان يخافه كل الخوف بدو الصحراء المتشبّثون ببابستهم .

على ان هذه الحالة لم تكن لتروق العرب ففكروا بالتخلّص منها . فقام معاوية ، على ما يروي البلاذري[3] ، بجلاء كثير من اهل تلك المدن الساحلية . وقد نقل صالح بن يحيى في « تاريخ بيروت »[4] كلام البلاذري ملخّصاً ، ولكنه بدل « جلا » وضع « خلّى » فاتى معنى قوله ان معاوية خلّى في بيروت كثيراً من اهلها .

ومهما كانت الرواية التي يختارها المطالع ، فان النتيجة واحدة وهي

---

١) الكتاب المذكور : ص ٢٢٧ ، السطر ٣

٢) البلاذري : فتوح البلدان ، الطبعة الاولى ، ص ١٢٦

٣) الكتاب المذكور : ص ١٢٦ ، السطر الاخير

٤) طبعة الاب شيخو اليسوعي ، الطبعة الاولى ، ص ٢٢

ان المدن الساحلية اخذت تفقد من سكانها منذ الفتح العربي . فكان من دهاء معاوية انه عمل على سدّ هذه الثلم بعناصر جديدة من السكّان تكون اوفر موالاة للفاتحين من السكان الاصليين . ولم يتراجع امام شيء في هذه الغاية ، وفي سبيل اقرار السلطة العربية في طرابلس ، تلك المدينة التي كانت تسيطر ، مع مدينة عرقه ، على وادي النهر الكبير المكوّن طريقاً فسيحة مفتوحة امام من يقصد سورية الداخلية من الغزاة . ولما كان سكان طرابلس يتذمرون من ذاك التغيير في نظام الحكم ، اسكن معاوية بينهم « جماعة كبيرة من اليهود »[1] .

ولسائل ان يسأل : لماذا لم يسكن معاوية العرب في تلك الانحاء بدل اليهود والفرس ؟

اما الجواب فقد تبسطنا فيه في احد ابحاثنا السابقة[2] وخلاصته ان البدو كانوا ينفرون دائماً من الاقامة ضمن اسوار المدن . فكان معاوية ، كلّما ارادهم على ذلك ، آب بالفشل . وقد لزمه كثير من السياسات وزمن طويل حتى استدرجهم الى سكنى دمشق وغيرها من مدن سورية المجاورة لصحرائهم . وفضلاً عن ذلك فان البدو لم يكونوا ليرضوا بسكنى السواحل اللبنانية حيث يكونون عرضة للمخاطر الدائمة ، وهم بين البحر الزاخر بالبيزنطيين والجبل الحافل بشعوب لم تكن قد خضعت لسلطة العرب . ومما يؤيد عظم الخطر البحري وجرأة قرصان البيزنطيين الذين كثيراً ما كانوا يهجمون على ميناء بيروت فيغتصبون المراكب التجارية ما ذكره ابن عساكر[3] ، على عهد هشام بن عبد الملك (٧٢٤ــ٧٤٣) كما يظهر ، قال : « فاغار الروم على جماعة من تجّار مرسية بجهة بيروت وذهبوا بهم فمرّوا على باب ميناء بيروت واهلها ممسكون بايديهم هيئة لهم . » ولم يذكر ابن عساكر وجود حامية عربية في بيروت .

---

١) البلاذري : الكتاب المذكور ، ص ١٢٧

٢) راجع كتابنا *La Bâdia et la Hira sous les Omayades*, pp. 99 sqq. dans MFOB, IV, 1910

٣) تاريخ دمشق ، طبعة بدران : ٣ : ٤٧

وشعر معاوية بوجوب احتلال السواحل احتلالاً عسكرياً . فعمل على ترغيب الجنود العربية في الاقامة هناك بان اخذ يقطعهم القطائع . على ان حالتهم كانت عرضةً للقلق والاضطراب ، لانهم كانوا يخشون ، من يوم الى آخر ، نزول البيزنطيين الى البرّ . فكانوا ، اذا شعروا بخطر من جهة البحر ، يسرعون بقطع جبال لبنان وبالالتجاء الى مراكز حامياتهم في الداخلية . وهي الحالة نفسها التي تتحقق وجودها على السواحل المذكورة ، ستة قرون بعد الفتح العربي ، اي على اثر الحروب الصليبية[1] . حتى ان المماليك ، الذين كانوا يخشون رجوع الفرنجة من وقت الى آخر ، اخذوا بتخريب مدن الساحل مكتفين بان بان يراقبوا العدوّ من بعلبك ومن دمشق ، حتى اذا انبأتهم رسائل حمام الزاجل بظهور الاشرعة اللاتينية في عرض البحر ، انحدروا بجيوشهم لملاقاته.

فلا غرابة ، والحالة هذه ، في ان تكون مراكز الحاميات الفنيقية مرغوباً عنها في القرن الاول للهجرة . فكان يتجنبها العرب لما كانت تمثل لهم من المخاطر . ولم تكن السلطة تُرسل اليها الا المتطوّعة من الراغبين في الجهاد حتى الاستشهاد . ولهذا اتاح الحظّ لبيروت ان ترى بين جدرانها عدداً من رجالات التاريخ الاسلامي الاول . وكانت حاميتها تتلق بجند دمشق او منطقتها الحربية فكان يهبطها من رغب بالجهاد الخطر من المتطوعة . وقد روى ابن عساكر[2] ان سلمان الفارسي الشهير ، لما زار مدينة دمشق ، طلب ان يحيّي ابا الدرداء . فقيل له انه « مُرابط » في ساحة الجهاد . فقال : واين مرابطكم يا اهل دمشق ؟ قالوا : في بيروت . فسار سلمان الى بيروت راجياً ان ينال هو ايضاً حظاً من الجهاد . وقد نال مكحول الشهير لقب « البيروتي » لانه جاهد في بيروت عدة سنوات . وكذلك رابط ببيروت مدة طويلة الامام الاوزاعي[3] . ومعنى « رابط » هنا اقام في حاميتها مستعداً للحرب او الجهاد ، لا معتزلاً زاهداً عاكفاً على التأمل والصلاة كما قد يشرح بعضهم هذه اللفظة .

---

١) اطلب في ذلك Lammens, *La Syrie*, II, p. 2 sqq.

٢) ابن عساكر : الكتاب المذكور ٣ : ٢٦٤

٣) صالح بن يحيى : الكتاب المذكور ، ص ٢٤

فان « الرابطة » ، في القرن الاول للهجرة ، لم تكن تختص الا بالفن الحربي ، ولم تكن تستعمل الكلمة نفسها الا في اللغة الحربية[1] . اما معنى الزهد والاعتزال والعكوف على الصلاة و«المرابطة» فتأخر عن المعنى الاول.

وقد بلغ من شدة الخطر في السواحل الفنيقية ان عمّال الولايات العراقية ، وهي اكثر المناطق شغباً لما كان يجتمع فيها من القبائل المقلقة ، كانوا يهدّدون المشاغبين بارسالهم الى حاميات فنيقية ، وهي «المسايرة»[2] كما كان يُقال ، فيخلد هؤلاء الى السكينة . حتى اذا عاودوا الشغب ارسلتهم السلطة الى شواطئ لبنان يرابطون بها مدة معلومة فيعودون هادئين ساكنين.

***

على اثر مقتل علي اصبح معاوية سيّد الخلافة الوحيد ، فرأى ان يأخذ بالوسائل الفعالة لقمع الثورات الداخلية وتعزيز الحامية في الثغور . فكان من جملة تلك الوسائل تفكيك عُرى الجماعات المشاغبة وجلاء البعض منها . وقد عاونه في ذلك زياد ابن ابيه[3] عامل الولايات الشرقية.

كان الفتح العربي قد ترك ما بين النهرين ، دجلة والفرات ، الوفاً من العساكر الفارسية الذين كانوا يرتزقون بالمقاتلة . فضلاً عن العدد الوافر من الزُطّ والسيابجة[4] ، وهم ايضاً من العساكر غير النظامية الذين كان يجلبهم الساسانيون من الهند فيستأجرونهم في حروبهم . وكان المقاتلة الفرس يمتازون بلونهم المائل الى الحمرة فدعاهم العرب « بالحمراء » . وكان اكثرهم قد دانوا بالاسلام ظاهرياً لقاء معاش تدفعه الحكومة . على انهم ظلّوا ، وابناؤهم من بعدهم ، غرباء في ذلك المجتمع العربي لا تقاليد لهم يسكنون اليها ، ولا مساواة تعدلهم بالعرب على رغم اسلامهم . فكانوا يلبون كلّ داعٍ الى ثورة وينصرون كل قائم بحركة . ولم تكن ارض العراق لتخلو من هذه الحركات ولاسيما بعد

---

١) من ذلك قول القرآن ٣ : ٢٠٠ ، ٨ : ٦٢

٢) راجع الطبري ، طبعة دي غويه ، ١ : ٢٩٠٩–٢٩١٥ ؛ ٢ : ٢٥٨ ، ١

٣) اطلب كتابنا *Ziâd ibn Abihi*, p. 109

٤) اطلب في ذلك مقالة فرّان في الملة الاسلامية . Ferrand, [Encycl. de l'Islam]

موت علي . فشاءت السلطة ان تتلافى هذا الخطر الدائم ففرّقت « الحمراء » اولاً واقامت قسماً منهم بالبصرة وقسماً بالكوفة . حتى رأى معاوية بثاقب بصره حلاً اوفق لهذا المشكل . فعمل ، بوقت واحد ، على تهدئة العراق وتأمين سورية فسيّر « الحمراء » الى السواحل اللبنانية وعهد اليهم بحفظها . « فهم بها يُدعون الفُرس » كما يفيدنا البلاذري[1] . ثم قام معاوية بالعمل نفسه في ما خصّ جموع المقاتلة من الهنود كالزُطّ والسيابجة « فنقل منهم الى سواحل الشام بشراً »[2] . ونقل غيرهم ايضاً ، في سبيل الغاية نفسها ، الى مناطق انطاكية التي كانت الحروب البيزنطية قد اخربت الكثير منها وقلّت فيها عدد السكّان .

هؤلاء هم الفرس الذين اشار اليعقوبي الى وجودهم في فنيقية . وقد عرفنا السبب في نقلهم الى السواحل والغاية من اسكانهم فيها ، وهي اولاً غاية عسكرية ثم غاية عمرانية لسدّ الثلم التي احدثتها الحروب في السكان . عرفنا ذلك بفضل المعلومات التي حفظها معاصر اليعقوبي ، المؤرخ البلاذري المتوفى سنة ٨٩٢ . وتعرف بواسطة الكندي[3] وابن الاثير[4] انه كان من اختصاص هؤلاء الفرس في مدن السواحل ، كما كان من اختصاصهم في العراق ، ان يسهروا على السجون ويراقبوا خصوصاً المبعدين السياسيين .

ولكنّ هناك امراً غريباً في ما خصّ موضوعنا . فان البلاذري نفسه[5] يزعم ان العرب عند دخولهم سورية وجدوا « فُرساً » مقيمين في بعلبك . يظهر ذلك من نصّ عهدٍ كتبوه لاهل تلك المدينة حول السنة ١٥–١٦ للهجرة وفيه يقسم سكان بعلبك الى ثلاثة اقسام : روم وفرس وعرب . على ان انشاء هذا العهد ، الذي لم يذكره الّا البلاذري وحده ، يخرج عن المعتاد وهو امر يستحق الملاحظة والاستغراب . ولا يقلّ غرابة عن ذلك ما ورد فيه من الشروط

---

١) البلاذري : الكتاب المذكور ، ص ٢٨٠ ، السطر ٧

٢) البلاذري : الكتاب المذكور ، ص ٢٧٦ ، السطر ٨

٣) الكندي : ولاة مصر ، طبعة Guest ، ص ٨ ، السطر الاخير

٤) ابن الاثير : أُسد الغابة ٢ : ٢١ ، وليُقرأ : « فارسي »

٥) البلاذري : ك . م . ص ١٢٠

وتحديد الحالة السياسية وعناصر السكان مما لم نعهده في امثاله .

وليس الصكّ المذكور معاهدة ولا اتفاقاً ، بل هو ، في الحقيقة، مثال لتحرير جواز لشخص مجهول او « كتاب امان لفلان بن فلان » . وهو لا يحمل توقيع احد ولا اسم قائد ولا شاهد ، كما نرى في جميع العهود والامانات التي وصلتنا من ذاك العصر . وقد لاحظ الدوق كايتاني[1] ان هذا السند محوَّر ومبدَّل فيه بدليل تقابل لفظتي « الجزية » و« الخراج » واستعمالهما بمعنيين متميزين، وهذا التمييز متأخر دون شك عن القرن الاول للهجرة .

ومهما يكن من الامر فاننا لا نرى شرحاً وافياً لوجود الفرس في بعلبك قبل الهجرة .

مما لا شكّ فيه انه كان في بعلبك ، بعد ذاك العهد ، كثير من السكّان ينتمون الى الفرس . وقد ذكر منهم ابن عساكر[2] في ترجمة رجل اسمه محمد بن وضي بن بلال بن فزارة . على انهم كانوا قد استعربوا كما يظهر من هذه الاسماء المتتابعة . ولكن المشكل الذي لا يمكن حلّه هو هل ينتمي هؤلاء الفرس الى « الحمراء » الذين سيّرهم معاوية كما تقدم ، ام يرتقون الى الفرس الذين ذكرهم البلاذري مقيمين في بعلبك قبل الفتح الاسلامي ؟

---

١) اطلب *Annali dell' islam*, III, 435

٢) في مخطوطة دمشق ، المجلد ١٦ ، وهي غير مرقّمة الصفحات .

(للبحث صلة)

صفحة ذهبية من تاريخ لبنان

البطريرك اللبناني
الياس بطرس الحويك

بقلم الخوري منصور عوّاد عوّاد

٥

موقف البطريرك من ربه (تابع)

موقفه من ربه في حياته العمومية

العيشة المشتركة

عنوان الحياة الفردية في المرء اعماله في حياته العمومية سواء أكان رجل دين او رجل سياسة ، وفي هذا يصدق المثل القائل : « كل اناء بما فيه ينضح » أجل ان الوظائف الكبيرة في الدنيا والدين تظهر ما يبطن اصحابها من فضائل وعيوب . وقد اظهرت حياة البطريرك الحويك العمومية ما أشرت اليه في حياته الخصوصية من الفضائل المسيحية الراسخة ومن التقوى الحقيقية .

فمنذ تبوأ السدة البطريركية اوجب الحياة المشتركة في كرسيه على نفسه وعلى حاشيته . فكان امام الجميع في المحافظة عليها اذ كان متقيداً بنظام واحد للكل لا يحيد عنه قيد شعرة في الرقاد وفي النهوض ، في الصلاة وفي الاكل ، في القعود وفي القيام ، في العمل وفي الراحة . فكان يومه مرتباً لكل ساعة منه عمل خاص لا يتخلف عنه الا لعذر مشروع . وما كان يعذر نفسه عن الحياة المشتركة الا متى اقعده المرض ، بل كان يجهد نفسه في ذلك اكثر مما تقدر عليه دون ان يبدو منه ما يشعر بعجزه عن القيام بتلك النوافل التي جعلها على ذاته وعلى حاشيته فرضاً . وتذكر حاشيته انه مرض مرضه الاخير في تسعوية الميلاد ، ومع انه كان في اقصى درجات الشيخوخة ، وفي ايام البرد الشديد ، ومع انه كان مريضاً منذ ايام والموت يدب في عروقه وعظامه وهو لا يدري ، ولكنه

كان شاعراً بوطأة الداء في جسمه ، فانه لم يتخلف عن المشاركة بالقسوية مع الجمهور في الكنيسة الى اربعة ايام قبل وفاته . وانه ، اذ كان عائداً من الكنيسة ، خانته قواه ، فارتمى بعجز الداء والشيخوخة فحُمل الى فراشه . ولما عاده الاطباء ادركوا انه كان يمشي الى الصلاة في تلك المدة الاخيرة بقوّة ارادته ومحبته لله لا بقوّة جسمه !

والغريب انه حافظ على الحياة المشتركة القانونية في جميع مدة بطريركيته كأنه كان راهباً قانونياً مقيداً بذلك القانون ، وكان مدفوعاً الى تلك الحياة المرتبة في نفسه وفي جمهوره لا بروح المادة ولا بميل الترتيب الفطري في الانسان ، بل بروح الفضيلة ، بروح الله تعالى لتقديس نفسه وتقديس من معه واعطاء المثل الصالح لجميع الاساقفة في اسقفياتهم ، ورؤساء الاديار في اديارهم ، والرهبان الذين تقيدوا بالقانون بقوة النذور الاحتفالية . وكل من عاش في الصرح البطريركي يعلم حقّ العلم ان البطريرك الحويك كان في محافظته على العيشة المشتركة افضل من راهب قانوني مدقق في المحافظة على نذوره وقانونه وفرائضه .

الرياضة الروحية

وما كان يعلّم تعليماً الا ويكون قد سبق ومارسه بنفسه واشرك معه فيه حاشيته واساقفة طائفته جميعهم . فكان يرسل المرسلين كل سنة الى جميع الرعايا في ابرشيته الواسعة للوعظ والانذار وتنبيه الشعب الى واجباته الروحية والتجدد بالحياة المقدسة . وكان يستحث مطارنة الابرشيات على العمل ذاته ، فيتهلل عندما يؤوب المرسلون ويجلسون امامه يقصون عليه اخبار رسالاتهم وما لاقوه من النجاح الروحي في الرياضات التي القوها على الشعب .

فهذا التعليم الخلاصي كان يزاوله بذاته اذ يجمع كل حول جميع اساقفة الطائفة المارونية ويختلي بهم وبحاشيته البطريركية في بكركي او في الديمان يترّض فيه معهم بدعوة كاهن او اثنين من علماء كهنة الطائفة المارونية واماثلهم ، او من الآباء المرسلين اللبنانيين ، لالقاء مواعظ الرياضة عليه وعلى جمهوره . لهذا كان عندما يدعو الشعب الماروني الى الرياضة الروحية كان لدعوته

التأثير العملي اذ كان الشعب يرى رئيسه الاعلى يعمل ما يعلّمه اسوة بيسوع «في جميع الامور التي عملها وعلّم بها»[1]

عبادته لقلب يسوع الاقدس

الحب لهيب في القلب لا يلبث ان يضرم ما حوله ويشعّ بنوره فتمتد وتنتشر حرارته. وقد قيل، وحقٌ ما قيل، ان الحب لا يختفي بل من طبعه الظهور والفيضان. فتلك المحبة التي كانت تتأجج في صدر الحويك لله ولابنه مخلص العالم يسوع كان لا بُدَّ لها من ان تبرز الى الخارج باشكالها الحسية الممكنة. وقد بدت في محبته لقلب يسوع الاقدس، القلب الالهي والانساني، فكان من بواكير اعماله، فور ارتقائه الى السدة البطريركية، انه اذاع منشوراً في ٤ آب سنة ١٨٩٩ كرّس به الطائفة المارونية جمعاء لقلب يسوع الاقدس مقتفياً بذلك آثار وليّ نعمته امام الاحبار، البابا لاون الثالث عشر، ملبياً اشارته المتفقة مع عواطف قلبه الكبير المضطرم بمحبة ابن الله، ودعا جميع افراد الطائفة ليكرّس كل واحد ذاته لهذا القلب الالهي بحفلات علنية تُقام في كنائس الطائفة قد وضع لها شروطاً استعدادية تقوية رشيدة.

وما فتئ جميع ادوار بطريركيته يحرّض الشعب الماروني على التعبد لقلب يسوع الاقدس بتنشيطه الذين كانوا يعنون بنشر عبادة هذا القلب الالهي بواسطة الاخويات، ونشر كتب العبادة والصور، وما اشبه. فكان يجيز طبع ما يتعلق بالعبادة للقلب الالهي بكل ارتياح، ويشع وجهه بالابتهاج والمسرة عندما يبلغه انشاء اخوية جديدة لقلب يسوع في الرعايا او في الاديار. وامر ان يُحتفى بشهر حزيران، المخصص لعبادة قلب يسوع الالهي، في الكرسي البطريركي ذاته وكان يحضر الحفلة في الكنيسة كل مساء بنفسه ليعطي بذاته المثل الصالح لجميع ابنائه.

بعد ان وضعت الحرب الكونية اوزارها، ذهب البطريرك الحويك الى فرنسة مفوّضاً من قبل جميع ابناء لبنان، فطالب باستقلال البلاد لدى مؤتمر

١) اعمال الرسل ١: ١

السلام برعاية الدولة الافرنسية. ثم آب الى لبنان مؤيداً حاملاً صك استقلاله. فاستقبله اللبنانيون على اختلاف مذاهبهم وطوائفهم بمهرجان عظيم نادر النظير كما سبقوا وشيّعوه شاكرين نشاطه ومقدرته ناسبين اليه الفوز في تحقيق امانيهم. اما هو فاعلن بمنشور مؤرخ في ٨ ك١ سنة ١٩٢٠ انه اتكل، في سفره الى مؤتمر السلام للمطالبة بحقوق اللبنانيين، على قلب يسوع، وان هذا القلب الالهي قد استجابه واناله امنيّته وامنية البلاد. لهذا يكرّس له الطائفة المارونية مجدداً، وقرّر ان يقيم له تمثالاً في لبنان تخليداً لنعمته الالهية بنيل الاستقلال. ولكي يكون تمثال القلب الالهي للطائفة المارونية وللبلاد داعياً الى الاقتداء به بالمعيشة المقدسة الكاملة ليتمجد الله بهذا الجبل وبابنائه. ثم جمعت التبرعات في لبنان والمهجر تلبية لنداء الشيخ ولكن البطريرك توفي قبل القيام بالاثر الخالد. اما المال فمحفوظ للشروع بالعمل وسيكون هذا الاثر من آثار محبة الحويك لقلب يسوع الاقدس. ويحسن بنا هنا ان نردّد عبارة البطريرك العظيم في ذلك المنشور النفيس قال مخاطباً الشعب الماروني وابناء لبنان: «لا تخفيكم ايها الابناء الاعزاء، اننا لما عوّلنا على السفر الى اوربة في اواسط تموز من العام الماضي لندافع ما استطعنا عن حقوق لبنان هالنا الامر وشعرنا بعبء المهمة الخطيرة التي القيتموها على عاتقنا الضعيف لما كان من تعاكس النيات وتشاكس السياسات حول مسألتنا ولكي نستنهض همتنا رفعنا بنظرنا الى القلب الالهي الحنون قلب يسوع الاقدس ملجأ المبؤوسين وملاذ الملهوفين وابتهلنا اليه بكل حرارة قلبنا ان يسهّل طرقنا ويحظينا لدى عظماء الارض بما حاولنا التماسه باسم اهل وطننا.

«وبما ان القلب الالهي لم يشأ ان يكون التجاؤنا اليه عبثاً بل اراد رحمة بنا ومكافأة لتقوى اجدادنا ان يحقق امانينا وينيلنا بغيتنا فقد اقتضى من باب معرفة الجميل ان نكرس للقلب الاقدس طائفتنا التي اشتهرت وامتازت بتمسكها بعرى الدين القويم وان نجعل لبنان واهله تحت كنفه الخاص وحماه السامي. وقد ارتأينا تخليداً لذكر هذا العمل التقوي ان نقيم أثراً يعلوه تمثال القلب الالهي ويشترك جميعكم في نفقاته كل حسب امكانه ويكون لبنيكم وبني بنيكم من بعدكم ما كان لبني اسرائيل الاثنا عشر حجراً التي ركزها يشوع

ابن نون بعد عبره الاردن اي تذكرة لهم بعظائم الربّ فيتقونه كل الايام.»

عبادته لمريم العذراء

متى تفتّحت الاكمام بدت الازهار للعيون بالوانها الساحرة ، واجتذب الانوف بشذا عطورها . فهذه العطور وتلك الزهور لو ظلّت في الاكمام مستورة لما درى بها احد غير انها ما كانت في جوهرها اقل قيمة وحقيقة . والتقوى الفردية تبقى مخفية ولا يذيعها الانسان الا اذا كان رجلًا عموميًا ، او اذا عمل اعمالًا عمومية والاعمال هي التي تنمّ عما في باطن الانسان. فتعبد البطريرك اللبناني للعذراء في طفوليته وحداثته وكهنوته واسقفيته كان مخفيًا في كمّ التواضع والعيشة المنفردة ، فجاء ارتقاؤه الى البطريركية ناشرًا لتلك الفضيلة ففاح اريجها وطيّب الارجاء اللبنانية بل جميع الارجاء التي انتهى اليها صوت شيخ لبنان.

في ٧ ايلول سنة ١٩٠٣ ، ارسل منشوره السادس الى الطائفة المارونية وجعله بمثابة دستور للموارنة يقتادهم العمل به الى الخلاص الابدي واوجب العبادة لمريم بما انها امّ الله وامّ الجميع ، وسار على خطوات البابا لاون الثالث عشر مكرسًا للعذراء شهر تشرين الاول لتكريم سيدة الوردية بتلاوة ثلث المسبحة في الكنيسة او في البيوت ، واعطاء البركة بايقونة العذراء ، وامر ان يُحتفى الاحتفاء الشائق بتذكار العيد الخمسيني لاثبات عقيدة الحبل بلا دنس.

اما هو فلم يكتفِ لنفسه ولحاشيته البطريركية بان يخصص باكرام البتول سيدة الوردية شهر تشرين الاول ، بل جعل كل ايام السنة وكل حياته البطريركية شهر تشرين اذ كان يشترك كل مساء مع جمهوره بتلاوة مسبحة الوردية وباعطاء البركة بايقونتها ، ثم تصعد لها الاناشيد بنغمات شمامسته الرخيمة الشجية فتمتزج مع روائح البخور ودخانه وتضيع مع انفاس البطريرك القدسية الخارجة من صدر مضطرم بمحبة البتول صاعدة الى السماء الى عرش سلطانة السماء والارض !

الى البتول كان يفزع في ملمّاته وملمّات الطائفة والبلاد. ففي بدء الحرب العالمية قد اصدر منشورًا الى الطائفة حرّض به ابناءه على الالتجاء الى هذه الام الحنون واوجب تلاوة ثلث ورديتها وزياح ايقونتها في الكنائس طول

سيدة لبنان

مدة الحرب. وما ان انتهت حتى اصدر منشوره في ٨ كانون الاول ١٩١٨ شاكراً الله على نهايتها ناسباً نجاة البقية الباقية في لبنان الى عناية امنا مريم العذراء، حاثاً الجميع على زيادة التعبد لها بالاكرام الحقيقي على مثال اجدادنا.

وقد نسب اندحار الترك وتقلص ظلهم عن البلاد في شهر تشرين الاول سنة ١٩١٨ دون ان يتمكنوا من العيث بالبلاد فساداً وخراباً، الى شفاعة العذراء اسوةً بما نالته اوربة على يدها في ٧ تشرين الاول ذاته سنة ١٥٧١ من دحر الترك واغراق عمارتهم في لبانته.

ولمّا امَّ باريس للمثول امام اساطين السياسة في مؤتمر السلام، عرَّج على رومية، والتففتُ مع من التفَّ حوله من الجالية المارونية، واخذنا نسأله عن البلاد وعما يتوقعه في باريس لمهمته من النجاح. ففتح عينيه الكبيرتين ونظر الى السماء وقال بصوت سُمعت به نبرات ايمانه الحيّ بالله وثقته التي لا تتزعزع بالعذراء: «يا اولادي لا استطيع ان اتكل على رجال السياسة ولا على وعودهم فالسياسة لا دين لها فهي التي ضحّت الملايين في مجازر الحرب ايتفق رجالها بما فيه مصلحة شعبنا ونحن اقلية ضئيلة غريبة عنهم وهم لم يشفقوا على ابنائهم ؟! انا متكل على الله وعلى هذه المسبحة، واشار الى مسبحة العذراء وهي بيده، فصلّوا معي لان قوة العذراء مريم فوق كل قوة بشرية بما انها ام الله والله لا يرفض لامه طلباً وهي لا تخيب طالباً!» لهذا نسب اليها الفوز عندما عاد من باريس واذاع منشوره الصادر في ٨ ك ١ سنة ١٩٢٠ السابق الذكر.

لاجل هذا كان يلتجئ الى العذراء عند انحباس الغيث، وعند هجوم الجراد، وعند اشتداد المحن، وعند نزول الملمّات، وكان يخاطبها ويسألها مخاطبة الابن البارّ لامه الحنون بدالّة لم نرَ لها مثيلاً بين الابن وبين والدته الطبيعية بحسب الجسد! وقد اراد ان يكون لها في كل قرية من لبنان كنيسة على اسمها، وفي كل كنيسة مذبحٌ، وان تكون ايقونتها في كل بيت وعلى كل صدر. وان يكون اسمها على كل شفة، وعلى كل لسان. وما اكثر ما شُيّد من الكنائس في ايامه وبامره وتنشيطه على اسمها. وكان السبّاق الى اكرامها اكراماً جمهورياً اذ شاد لها بالاشتراك مع ممثل الكرسي الرسولي الاثر الخالد

في جريصا ، ذلك الاثر الذي اصبح مزاراً لجميع الطوائف الكاثوليكية في هذه البلاد يزورونه كل عام ، ولاسيما في شهر ايار المبارك يحملون اليها زهور نفوسهم وفضائلهم وزهور الطبيعة في الربيع الزاهي . ومن الحلو على القلوب انه ما زار احد تمثال العذراء في جريصا الا عرّج في رجوعه على بكركي لزيارة البطريرك اللبناني كأنه جاء يشكره على اهتمامه بهـذا الاثر او كأن البطريرك اللبناني رابطة خصوصيـة بالعذراء . وقد كان البطريرك يتقبـل الجماهير الزائرين بعاطفة محبة وانعطاف كأنه رئيس تشريفات البلاط الملوكي عند العذراء المجيدة: وكأن بكركي هي بلاط تلك السلطانة ! ان ابناء لبنان يذكرون ذلك منذ اقامة الاثر في جريصا الى رقاد البطريرك الاخير .

تشييد الكنائس والاديار في بطريركيته

لم يكن مغالياً خطيب امريكا الجنوبية المفوّه ، المطران ميغيل ده اندرايا، عندما رثى البطريرك اللبناني في كاتدرائية بونس ايرس يوم ٩ آذار سنة ١٩٣٢ اذ قال عنه : « فعمله كبطريرك انطاكية وسائر المشرق قد جاء كبيراً متنوعاً ومخصباً . ففي النظام الديني نراه قد شيّد ١٨ ديراً و٢٢ كنيسة »[1] فالحقيقة كذلك اذا ما قصرنا النظر على ما شيّده في الابرشية والبلاد الخاضعة لولايته رأساً . واما اذا نظرنا الى ولايته على الطائفة فالانشاآت الدينية هي اضعاف الاضعاف .

ان الشعراء والخطباء عندما كانوا يتغنون بمآثر البطريرك في حياتـه كانوا يقتصرون على ذكر تشييده لقصر الديمان ، وتجديده لمدرسة رومية ، ومركز الطائفة المارونية في القدس ، مع ان الكنائس والمعابد والاديار التي تجدّدت او تشيّدت في ابرشيته البطريركية وفي الطائفـة في لبنان او في المهجر بامره او بتنشيطه او بايعازه او بمثله لعديدة . فلم يأتِ عصر من العصور تجدّد فيه في الطائفة المارونية من الكنائس والاديار والمعابد ما يشابه عصر البطريرك الحويك . ولاسيما من حيث الهندسة والفخامة والعظمة اللائقة بخدمة الجلال الالهي . فلم يكن للمهاجرين قبله كنيسة ولا معبد في ديار الغربة . اما اليوم فقـد اصبح

(١) مجلة المنارة : السنة الثالثة ، العدد الرابع ، في اول نيسان سنة ١٩٣٢ ، صفحة ٣١٤

المهاجرون الموارنة يفاخرون المتخلفين بعدد كنائسهم، وكلها من الطراز الهندسي الحديث تحفة في الفن والذوق . ولم تكن عنايته بتجديد بيوت الله بشكل تظهر فيه عظمة الهندسة والفن الا ليكون مظهر العبادة الخارجية الواجبة على الانسان نحو خالقه لائقاً بالله جلّ جلاله . وكان يأبى ان يكون بيت الله احقر من بيوت الناس . بل كان يريد ان يكون هيكل الرب متميزاً عن جميع منازل الناس مرتفعاً عنها وعن قصور عظماء الارض بسذاجته وعظمته ارتفاع الله عن مخلوقاته بالعظمة والكرامة !

فالذي يرى كنائس كفرصقاب ، والماقورة ، وبجه ، وبقا عكفره ، واهج ، واديار راهبات العائلة المقدسة المارونيات في عبرين ، والبترون ، وبيروت ، يفهم كم كانت محبته لله تتجلى في بنيان الهياكل وتشييد المعابد والاديار حيث ينصرف الناس الى عبادة الله واكرام اوليائه . ويعلم من اي طراز هي بقية الانشاآت الدينية التي تمت في ابرشية البطريرك والطائفة في ايامه .

موقف البطريرك تجاه الاولياء

من كان كله لله لا يفرح الا متى رأى الناس كلهم مثله لله قلباً وقالباً . ومن كان اباً لعائلة ، او رئيساً لطائفة ، او سيداً لبلاد ، يعتقد ان من واجباته ان يقدس مرؤوسيه ويكسوهم بكمالات الله ؛ فيبذل في هذا السبيل كل قواه وتبتهج روحه بالله وينطلق لسانه بشكره عندما تتحقق آماله ببنيه ويراهم في اعلى درجات سلّم القداسة فيأخذ في اكرامهم وتعظيمهم ليشفعوا به وباخوانهم ، ولكي يتخذ ابناؤه الاحياء من اكرامه هذا لاولياء الله مثالاً ينشّطهم الى الاقتداء بهم فتصير تلك البقعة بقعة القديسين ، وتنتقل السماء الى الارض او تصير الارض سماء !

كان شعار البطريرك الحويك وتعليمه بمثله في حياته الطويلة ، وفي بطريركيته الغنية بجلائل الاعمال الآية الانجيلية السامية المعاني : « كونوا كاملين كما انّ اباكم السماوي هو كامل ! »[1]

---

(١) متى ٥ : ٤٨

فهو عاش كاملاً في جميع ادوار حياته ، ومات كاملاً ، على قدر ما يستطيع الضعف البشري ان يبلغ من الكمال الانجيلي . وكان في كل ايامه يكرم اوليا. الله لقداستهم المشابهة لقداسة الله كأنها ظلها على الارض وقد اراد ان يفهم ابناء طائفته ان كل شيء يسمون وراءه اذا لم يكن واسطة لبلوغ القداسة فهو باطل لان كل اكرام يزول ولا يحق الاكرام الدائم الا للفضيلة المسيحية المقرونة بالبطولة التي يكون اصلها من الله ، وغايتها الله ، وكلها لله .

فتش في سير القديسين الشرقيين فوجد السنكسار حافلاً باخبارهم من صدر النصرانية الى القرن العاشر ، حيث طوي السفر ولم يعد يذكر للشرق قديس ، كأن السماء أغلقت في وجوههم ، مع انه رأى ان حياة الموارنة في شقوق الارض وفي المغاور في هذا الجبل ملتحفين بالفقر والبؤس والسذاجة لاجل تمسكهم بعقيدة الايمان بالمسيح وبرومية هي عين القداسة . ورأى ان الوادي الذي قطنه سلفاؤه البطاركة والنسّاك والجباه في قنوبين ، عند سفح الارز ، قد دُعي وادي قاديشا اي وادي القديسين . فاراد ان يستعيد مجد الكنيسة الشرقية الاول ، ويملأ صفحات السنكسار الروماني بسير ابناء طائفته ليفتح لهم الطريق مجدداً الى الارتقاء فوق المذابح ، بحياة مقدسة منزّهة عن كل عيب ولوم ، غنية بالفضائل السامية وببطولة رجال الله فابتدأ بمعاونة ابنه الروحي ، بل اعز ابنائه ، الاباتي اغناطيوس التنوري ، عهد كان رئيساً عاماً على الرهبانية اللبنانية ، بحدث جديد في تاريخ الطائفة والشرق الا وهو حدث تثبيت القديسين من الموارنة تثبيتاً قانونياً .

وبأمر منه تألفت لجنة خصيصة لهذا الغرض كان لي الحظ ان اكون من اعضائها ، فباشرت اعمالها رسمياً في المقر البطريركي في بكركي يوم ٤ آذار سنة ١٩٢٦ ، اذ حلفت اليمين بين يديه بحضرة اساقفته وسائر حاشيته الكريمة ، وحلف هو ايضاً يمين الامانة المفروضة في مثل هذه الحال من الكرسي الرسولي ويوشر الفحص الاخباري عن شهرة قداسة ثلاثة من عبيد الله الموارنة وعن فضائلهم وعجائبهم وهم الاب نعمة الله كسّاب الحرديني ، والاب شربل مخلوف بقاعكفره ، والراهبة رفقا الريس من حملايا (بكفيا) . وكلهم من ابناء

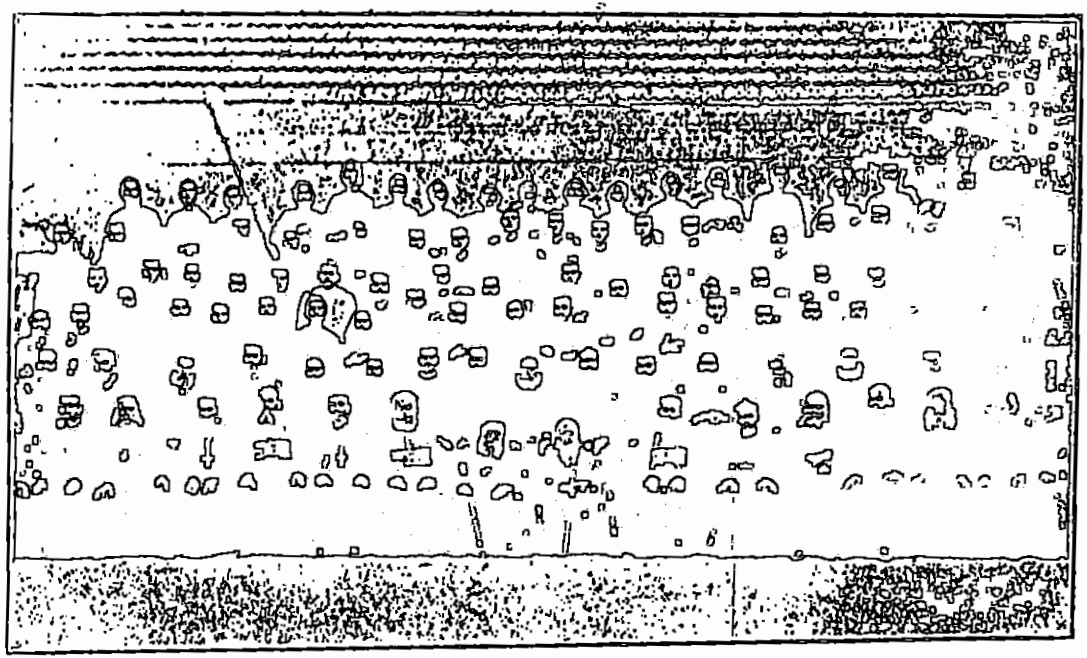

في دير سيدة المعونات

الهيئة الحافلة التي خُتمت في حضورها التحقيقات القانونية بخصوص عبيدالله نعمة الله الحرديني وشربل بقاع كفرا والراهبة رفقا الريس في ٢٠ حزيران ١٩٢٨

الرهبانية اللبنانية المارونية[1] . وكان يراقب بذاته اعمال هذه اللجنة ، ويسهل لها الطرق ولا يعلم الا الله كم بلغ اغتباطه يوم ختمت اللجنة اعمالها بحفلة حافلة في دير سيدة المعونات ، مركز الرئاسة العامة للرهبانية اللبنانية في جبيل ، بحضور نيافة القاصد الرسولي السيد فريديانو جيانيني السامي الاحترام ، وستة من اساقفة الطائفة المارونية ، ومتروبوليت بيروت وجبيل على الروم الكاثوليك ، ورؤساء عام الرهبانيات المارونية الثلاث ، ورهط عظيم من الرهبان والوجهاء في البلاد[2] وذلك في ٢٠ حزيران سنة ١٩٢٨ .

ولمّا رُفعت الاوراق بعد الجلسة الى قداسة الحبر الاعظم اشفعها بتوصية منه ما كتب اجمل منها ولا الحّ في حياته بطلب كما الحّ على قداسته في تلك التوصية ملتمساً الانعطاف والاسراع في هذه الدعوى لتتعزّى الطائفة وترى على المذابح القداسة مكرّمة باشخاص ابنائها اولئك الثلاثة .

فكان عمله صفحة مجيدة خالدة جديدة في تاريخ الشرق يبقى تاجاً لجبينه وهالة سماوية لا تفارق ذكره ، وستوضع على مفرقه يوم يُرفع هو بدوره ، ان شاء الله ، للاكرام على المذابح لاجل قداسة سيرته وسموّ فضائله .

في اثناء السير في تلك الدعوى الجديدة ، اي سنة ١٩٢٦ ، حدث حادث خطير في الشرق المسيحي وهو ان الرهبانية الفرنسيسكانية كانت تسعى ، منذ حوادث سنة ١٨٦٠ المشئومة في دمشق ، لتطويب ابنائها الثانية الذين سقطوا شهداء ايمانهم في عاصمة الامويين وكان قد تقرر ان قداسة البابا عزم على اعلان هؤلاء الثانية طوباريين .

وكان البطريرك الحويك ملتمساً مع اساقفته في الرياضة الروحية السنوية

---

١) ان هذه اللجنة كانت مؤلفة من المرحوم الخوري اسقف يوحنا كبراس ، بصفة رئيس ، ومن الخوري اسقف يوسف داغر ، والخوري نعمة الله القدوم ، بصفة قاضيين معاونين ؛ والخوري منصور عواد بصفة محامي الايمان ، والخوري الياس ضو بصفة مسجّل ، والاب اغناطيوس الحدتوني بصفة مباشر ، ثم تعين المرحوم المأسوف عليه الخوري بطرس غالب العلّامة العامل المتفرّد بين الكهنة علماً وفضيلة وحصافة ترجماناً ، والاب يوسف عارج ناسخاً .

٢) راجع « صفحة مجيدة في تاريخ الدين في الشرق » المطبوعة في المطبعة الكاثوليكية للاباء اليسوعيين سنة ١٩٢٨ .

في بكركي بعد عيد الفصح . فارتأى ان يلتمس من قداسة البابا بيوس الحادي عشر ان يتنازل ويعلن الموارنة الثلاثة رفقاء الآباء الفرنسيسكانيين في دمشق في الاستشهاد طوباويين ايضاً ، ووضع استغاثة بهذا المعنى وشاركه فيها اساقفته وارفقها ممثل البابا المحبوب في بلادنا برجاء منه. فما بلغت الاستغاثة الى مسامع خليفة القديس بطرس ونائب السيد المسيح على الارض ، قداسة البابا بيوس الحادي عشر ، حتى تنازل واستجاب الرجاء. واوفد السيد كارلو سالوتي الى دمشق خصيصاً للفحص ، واسعدني الحظ فكنت ترجمانه في كل ذلك. وفي ١٠ تشرين الاول سنة ١٩٢٦ اعلن قداسة البابا فرنسيس مسابكي وشقيقيه عبد المعطي ورافائيل من ابناء الطائفة المارونية الطلهاويين ، شهداء الايمان ، طوباويين. وتقدم قداسته في بدء الجميع وقدّم لهم في كنيسة القديس بطرس الملوكية في رومية الاكرام. وعلى مثله سار العالم الكاثوليكي وراءه في تكريمهم. فاصدر البطريرك الحويك في ٢١ كانون الاول من تلك السنة ذاتها ١٩٢٦ منشوره الثالث في شهداء دمشق الموارنة. فافاض فيه قلبه الابوي وقرئت في كل سطر من سطوره عواطف التعزية والبهجة كأن غبطته كان يشارك ابناءه اولئك الثلاثة ، مع سائر القديسين الذين تقدمونا الى السماء من هذه البقعة المباركة والطائفة العزيزة ، في مجدهم ولا غرو فايمانه بالله وبسمائه كان متيناً فكان ينظر الى الامور المرجوة كأنها حاضرة امام عينيه . وقد دعى ذلك الحدث الخطير تعزية روحية للطائفة وللشرق أجمع ، وتوقع من ورائه للاثنين مستقبلاً سعيداً ونادى على رؤوس الملأ بان حصون الطائفة المارونية هم شهداؤها وقديسوها . وقد تناسى غبطته صرّح بذلك انه يوجد دول ذات حول وطول في البر والبحر، وحقه ان يتناسى لانه كان شاهداً بطول حياته لاعظم الانقلابات البشرية واضمحلال سلطنات وامبراطوريات وممالك ذات قوى هائلة ما كان يحلم الناس بسرعة زوالها واضمحلالها كما شاهد هو ذلك بنفسه.

اجل ان الدول العظيمة تلاشت سريعاً والشهداء والقديسين برزوا بمجدهم الخالد على انقاضها وانتصروا عليها ، فحق له ان ينادي بان حصون الطائفة هم قديسوها وشهداؤها.

وفي الفقرة الآتية التي ننقلها من ذلك المنشور الدائم الذكر صورة حية لنفس البطريرك ولعواطفه كلها ومختصراً لبرنامج حياته العملية ولغايته منها قال : [1]

« فحق لنا ولكم اذاً ان نفتخر بهذا اليوم العظيم ونخصه بسفر جليل في صفحات تاريخنا اذ نرى فيه باعين الايمان جوقة من قديسي طائفتنا وقديساتها وقد زاد عددهم الآن بشهدائنا الدمشقيين تحتمي بهم الطائفة كحصون منيعة فلا يعتريها خوف ولا يتولاها قنوط ولا تعبأ بطوارئ الحدثان والاضطرابات لانها على يقين من ان دماء شهدائنا كما قال ترتليانوس هي « بذار لذرية مسيحية صالحة » ولانها على ثقة من وعود الفادي الصادقة القائل « لا تخف ايها القطيع الصغير لقد سُرَّ ابوكم ان يعطيكم الملكوت » [2]

وقد اراد ان يقنع ابناء الطائفة والبلاد بمثل فرنسيس مابكي ، رب العائلة الوجيه الغني القديس ، بان الانسان ، مهما كان مقامه ومهما كانت منزلته في الهيئة الاجتماعية ، يمكنه ان يوفق بين الدين والدنيا ، وانه لا شيء في هذه الدنيا يغنينا عن القداسة او يحول بيننا وبينها !

وقد رأينا ذلك البطريرك العظيم في جميع حياته يحب من الاحياء من كانوا اقرب الناس الى القديسين ويقرب الاتقياء ولا يفرح الا باخبار ذوي الفضيلة . فاليهم كان يرتاح في حياته ويستسلم في اعماله ولا ينفر الا من الخطيئة . ولا غرو فقد كان كل قصده ان يصل الى الله وان يوصل معه الذين عهدت اليه العناية الالهية بتدبيرهم .

بطريرك العناية الالهية

نبخس البطريرك اللبناني حقه اذا لم نذكر شيئاً عن تمسكه بعناية الله ، ونبخسه حقه اذا شئنا وصف اتكاله على العناية الالهية لان ذلك فوق الوصف .

١) راجع في مناشير البطريرك الحويك «الذخائر السنية» المطبوعة في مطبعة الاباء المرسلين اللبنانيين في جونية ١٩٣١

٢) لوقا ١٢ : ٣٢

حسبنا ان نقول انه كان عائشاً في جميع احواله وايامه كأنه يرى الله وجهاً لوجه . وكان يتغنى بعناية الله ، ويخبر الناس ولاسيما في اواخر ايامه ، وخاصةً عند نزول الملمّات واشتداد الازمات والاحوال عليه وعلى الفازعين اليه ، عما حدث له في تجديد مدرسة رومية ، وفي تأسيس رهبانية راهبات العائلة المقدسة المارونيات . وضُرب المثل بهاتين الروايتين فكان يقصهما على كل جليس مرات كلما جاء اليه جليسه يتشكى من امر او يتذمّر من حاكم ، او يئنّ من ملمة !

وكانت العناية ترافقه وتأخذ بيده وتبلغ به الى نجاح ما توقعه له احد من الناس ولا انتظره هو لنفسه لذلك فانه دائماً يردّد بصوت متهدّج : « نشكر الله ! نشكر الله ! الله يدبّر ! »

ولم يغلط ابناء عصره اذا كانوا اسموه بطريرك العناية الالهية ورجل العناية الالهية . فقد كان كذلك وما فاز به في الدين والدنيا لم يكن من تقدير رجل ولا بقوة انسان بل « من عند الرب كان ذلك وهو عجيب في اعيننا »[1] لان الله الذي يعنى بزهور الحقل ، وبطير السماء ، ويشرق شمسه على الاشرار كما يشرقها على الصالحين ويسكب غيثه على الفجار كما يسكبه على الابرار أتراه يهمل من احبه بالقول والفكر والفعل منذ ابصر النور في حلتا الى ان اغمض عينيه في بكركي ؟ ! كلا . بل قد ارسل ملاكه امام وجهه طول ايام حياته فما عثرت بحجر رجله ولا زلّ لسانه . جاء الى العالم طفلاً بحكمة الشيوخ ، وفارق العالم شيخاً بسذاجة الاطفال ! وهكذا يكون ابناء الملكوت الذين يعيشون بعناية الله لله وحده عاملين كأن الله غير موجود ، وتاركين النتيجة كلها لله كأنهم غير موجودين . فتبارك موقف البطريرك اللبناني من ربّه كم كان شريفاً وتبارك الله في بطريركه القديس !

---

[1] متى ٢١ : ٤٢

التذكارات القرنية

في سنة ١٩٣٢ الحالية

بقلم الشيخ سليم الدحداح

ان سنة ١٩٣٢ الحالية يقع فيها كثير من التذكارات القرنية الشهيرة احببت ان احادث قراء « المشرق » الكرام عن بعضها ، مبتدئاً باحدثها عهداً لانتهي باقدمها تاريخاً .

واكتفي الآن بذكر سبعة تذكارات شهيرة متبسطاً في تلك التي لها علاقة بلبنان وبلادنا الشرقية .

***

في سنة ١٨٣٢ كان الهواء الاصفر يفتك فتكاً ذريعاً في فرنسة وممالك اوربة الغربية . فكان من جملة ضحاياه ، في ١٦ ايار من تلك السنة ، وزير فرنسة الاكبر ورجلها السياسي المحنك كزيمير پريه الذي استحق ان يصبح اسمه بعدئذ لقب اسرة كريمة نظراً لشهرته ولاعماله المجيدة .

***

في ٢٧ ايار سنة ١٨٣٢ استسلمت مدينة عكا وحصونها الشهيرة للفاتح المصري ابرهيم باشا ، جدّ جلالة الملك فؤاد الحالي ، بعد حصار دام عدة اشهر . وهي التي كانت امتنعت على اعظم قوّاد الاجيال الاخيرة اعني به بونبارت . وقد احتفلت الحكومة المصرية منذ امد قريب بمرور المائة سنة على تلك الحادثة الشهيرة . وكانت نتيجة انتصار ابراهيم باشا انطلاق ايدي جيشه المحاصر ، فلحق بسائر الكتائب المصرية التي كانت توسعت في سورية ولبنان ،

وتابع افتتاحاته فدخل الاناضول وسار من نصر الى نصر حتى استولى على قونية ، بعد ان اسر الصدر الاعظم رشيد باشا ، ولم يتوقف عن زحفه على القسطنطينية الا لدى مداخلة الدول الاوربية.[1]

* * *

في ٢٢ تموز من هذه السنة مضى قرن كامل على وفاة من يعرفه التاريخ واصحاب المسارح باسم « النسر الصغير » او « فرخ النسر » . فانه في مثل ذلك اليوم ، اي في ٢٢ تموز سنة ١٨٣٢ ، مات في ڤيانه مصدوراً في الحادية والعشرين من عمره ذلك الذي حياه والده حين ولادته بلقب « ملك رومية » ، وهو لقب لم يحمله شخص على الارض منذ ٢٣ قرناً ، مات ذلك الذي يعرفه الامبراطوريون في فرنسة باسم نابوليون الثاني ، والذي عاش في النمسة باسم الدوق دي ريشتاد بعد ان قضى ١٧ عاماً بعيداً عن وطنه محروماً من الرجوع اليه.

هذا هو الامير الذي تغنى ڤيكتور هوغو وادمون روستان وغيرهما بامجاده وحوادث حياته البائسة واعمال والده البطولية ، هذا الذي يدعوه التاريخ بكل حق استياناكس الاعصر المتأخرة . مع الفرق بان والدته لم تكن لتشبه اندروماك لا بوفائها لزوجها ولا بحبها لوحيدها.

***

في ٩ تموز من هذه السنة ايضاً مضى قرنان على وفاة الراهب الحلبي اللبناني الذي صار اسقفاً على حلب وترك اسماً شهيراً في عالم الدين والآداب العربية والطائفة المارونية ، اعني به المطران جرمانوس فرحات الذي مات في ٩ تموز سنة ١٧٣٢ . وقد تألفت في حلب لجنة للاحتفال بتذكار وفاته[2].

* * *

في سنة ١٦٣٢ كانت سهول امارة السكس في المانية مرسحاً لواقعة عظيمة قرب مدينة لوتزين بين الجيوش البروتستانية الزاحفة بقيادة ملك السويد ، غوستاف ادولف ، وبين الجيوش الكاثوليكية السائرة بامرة ولدستين دفاعاً عن دينها

١) اطلب مشرق هذه السنة ، ص ٢٥٨ ، ٤٥٠ ، ٤٩٣

٢) اطلب مشرق هذه السنة ، ص ٤٦

وذمارها ، فاسفرت عن انتصار البروتستان الا ان رئيسهم الملك غوستاف ادولف لقي حتفه فسقط وهو يقول : « لغيري العالم ! »

***

وقد وصلنا الآن الى التذكارين الاخيرين ، وهما اكثر اهمية من التي ذكرناها ، احدهما جرى في سنة ٦٣٢ ، والثاني بعد مائة سنة منه اي في سنة ٧٣٢ .

عنيت باولهما ، وقد مضى عليه الآن ١٣ قرناً ، وفاة النبي الهاشمي العربي محمد صاحب الشريعة الاسلامية . فانه توفي في ٨ حزيران سنة ٦٣٢ وكان موافقاً لليوم الثاني عشر من ربيع الاول اي في مثل النهار الذي كان قد ولد فيه على الحساب القمري . توفي قبل ان تتم السنة العاشرة ، حساباً شمسياً ، لهجرته . واما بموجب الحساب القمري فان ذلك اليوم كان في الشهر الثالث من السنة الحادية عشرة للهجرة . ولا يستغرب القارئ الكريم اذا لم يجد اثراً لاي احتفال بمناسبة اكتمال الـ ١٣٠٠ سنة على مرور هذه الوفاة ، مع كثرة الملايين من البشر المنتشرين في كافة انحاء المعمور والمعتقدين بصحة رسالة النبي الهاشمي العربي ؛ وذلك لان حسابهم يختلف عن التاريخ المسيحي ، ولما كانت السنة الهجرية اقصر مدةً من السنة الشمسية فقد مضى بموجب حسابهم ١٣٤١ سنة على وفاة صاحب شريعتهم . ولهذا فاننا لا نرى في سنتنا الحاضرة اثراً لاي احتفال كان في هذا الموضوع . انما هذا الاختلاف لا يمنع ان نذكر التذكار القرني الثالث عشر في هذه السنة .

والحادث الآخر الذي عنيته سابقاً ، والذي جرى مائة سنة بعد الوفاة المذكورة ، هو المعركة التي حصلت في سنة ٧٣٢ في سهول نهر اللوار الواقعة بين مدينتي تور وبواتيه ، والمعروفة باسم معركة بواتيه .

ان الاقوام العربية التي لم تكن تعرف الترتيب من قبل والتي لم يكن لها رائد سوى الغزو والسلب ، رتبت صفوفها بعد انتصاراتها على عساكر الروم في وقائع الحدود ، وزحفت بانتظام على الممالك المجاورة . وبقليل من السنين استولت على العراق ، وسورية ، ولبنان ، والقطر المصري ، وعلى بلاد فارس . وبعد ان توقفت قليلاً عن الفتوحات بسبب ما حدث من الفتن بين علي ومعاوية ،

وبين هذا والحسن والحسين واتباعهما ، وبين خلفاء معاوية واهل المدينة ، عاد العرب الى التوغل غرباً وشرقاً في الفتوحات والحروب حتى انهم في بدء القرن الثامن (٧٠١) كانوا قد اكملوا فتح شمال افريقية تلك البلاد التي دعاها الرومان باسم نوميديا وموريتانيا ، ووصلوا الى شواطئ بحر الظلمات (الاتلانتيك) . وفي سنة ٧١١ اجتاز طارق المضيق الفاصل افريقية عن اوربة ودخل بلاد الاسبان ، فدُعي المضيق باسمه « جبل طارق » . وفي موقعة واحدة استولى على بلاد اسبانية وقضى على تلك المملكة التي كان لها ثلاثمائة سنة في المجد والاستقلال . ولم يكتفِ الفاتحون بذلك بل انهم ، بعد ان استولوا على كافة اسبانية (الّا الجبال الغربية الشمالية منها المعروفة باسم استورياز) اجتازوا جبال البرنس الشاهقة المنيعة ، وتبسطوا في سهول غالية الجنوبية المخصبة الغنية فلم تنتهِ سنة ٧٢١ حتى كان العرب قد استولوا على كل ما هو جنوبي نهر الغارون رغماً عن مقاومة اود دوق اكيتانية الباسل ، الذي اضطرّ الى طلب الصلح ورضي بان يدخل مع بلاده تحت سيادة الخليفة الاموي . وقد كان من شروط الصلح ان يُعطي احدى بناته لقائد الجيش العربي الذي اهداها سريّةً للخليفة في دمشق .

الا ان الغزاة العرب لم يكتفوا بذلك ايضاً ، فاجتازوا نهر الغارون واجتاحوا البلاد الكائنة بينه وبين نهر اللوار . فخفّ حينئذٍ امير البلاط في مملكة نوستريا ، الدوق شارل ، الى مقاتلتهم . واتى بقيادته كافة رجال الفرنك من مشاة وفرسان في مملكتي نوستريا واوسترازيا . فعسكروا شمالي سهول پواتيه ازاء جيوش الغزاة العرب . وبعد ان لبثوا عدّة ايام مرابطين بعضهم امام البعض كأنهم يخشون نتيجة ذاك الاحتكاك حملوا حملة شديدة وتطاحن القومان ودارت سوق المنايا .

ولكن بقي كل من الجيشين مستولياً على مراكزه بدون ان يُعرف المنتصر من المغلوب . الّا انه في صباح اليوم الثاني ، عندما امر شارل جيشه بالهجوم على المعسكر العربي ، فما اشدّ ما كان استغرابه اذ وجد المعسكر فارغاً خالياً خاوياً ليس فيه احد من العرب . فان هولاء بعد ان فقدوا قائدهم الاكبر ، الامير عبد الرحمن الغافقي ، ووجدوا ذواتهم بعيدين عن قاعدة اعمالهم ، خافوا

الثائلة ، فصمموا على التراجع للوراء واقوا فعلًا ما نووه فانسحبوا جميعاً تحت جناح الظلام ولم يتركوا بين ايدي الفرنك اسيراً ولا جريحاً . ولم يشعر هولاء بانسحابهم . وقد بالغ مؤرخو الافرنج في خسائر اعدائهم . فرووا ان شارل احصى عدد القتلى العرب فبلغوا المائة الف . وقد لقب الفرنك قائدهم شارل بلقب « المطرقة » وعُرف في التاريخ باسم شارل مارتيل اي شارل المطرقة وهو والد پپين القصير ، الملك الاول من سلالة ملوك فرنسة الثانية ، وجد شارل الاكبر او شارلمان الذي جدّد الامبراطورية الرومانية .

اذا اعتبرنا فتوحات العرب السريعة وامتداد دولتهم في كافة اقطار المعمور بمدة قصيرة ، اذ انهم بظرف مائة سنة من بعد موت النبي العربي اخضعوا لدولة الخلافة العربية مملكة الفرس واراضي الدولة البيزنطية في آسية (ما عدا الاناضول الغربي) والقطر المصري وبلاد المغرب ومملكة الاسبان واكثر من نصف غالية فضلًا عن انهم وصلوا الى الصين والهند ، اذا اعتبرنا ذلك ذكرتنا هذه السرعة بالكلام الوارد في الكتاب المقدس في الفصل الاول من سفر المكابيين الاول عن الاسكندر المكدوني ، وهذا هو بالحرف الواحد : « ثم اثار حروباً كثيرة وفتح حصوناً متعددة وقتل ملوك الارض . واجتاز الى اقاصي الارض وسلب غنائم جمهور من الامم فسكتت الارض بين يديه . . . »

لكنّ الله قدّر وجود شارل وجيش الفرنك للوقوف امام هذا السيل الجارف .

وبالحقيقة ان انتصار شارل في پواتيه قد انقذ اوربة والتمدن المسيحي من تسلّط العرب . ولولا هذا الانتصار لكانت الآن كنيسة نوتردام في باريس ، والقديس بطرس في رومية ، والفاتيكان ، واوكسفورد ، جوامع ومدارس اسلامية . وعليه فيجدر بفرنسة ، وان فاخرت الآن بانها اكبر دولة اسلامية ، ان تحتفل الاحتفال اللائق بذكرى انتصار اجدادها في پواتيه .

محاولات في درس جبران

الجوهر الفرد

في ادب جبران خليل جبران

بقلم امين خالد

٣

تعاليم آمنة العلوية

فما هي تلك الاسرار ؟ وما هي تعاليم آمنة العلويّة بهذا الصدد ؟ ؟

ان حكمة آمنة العلويّة ، او بالاحرى آمنة الجبرانيّة ، التي تخيّل المؤلف انها « تدخل وتقف امام الرجلين وهي بهيئتها وحركاتها وملابسها اقرب الى معبودات الشعوب الغابرة منها الى امرأة شرقيّة في الزمن الحاضر ... ومن الصعوبات تحديد عمرها بمجرد النظر الى ملامحها فكأنّ الشباب في وجهها يستر الف سنة من المعرفة والاختبار . واما نجيب وزين عبد العابدين فيظلّان جامدين خاشعين متهيبين كأنهما بحضرة نبي من انبياء الله »[1] . ان تعليم آمنة الجبرانيّة الذي تمليه على الاديب العالمي نجيب رحمه والدرويش الصوفي زين العابدين يوازي « الف سنة من المعرفة والاختبار » لانه كامن في جسد له من نضارة الشباب وبالنتيجة من غضاضة اللحم ما يذهل « الرجلين الماثلين امام الشبح المشتروتي ويدعوهما خاشعين متهيبين كأنهما في حضرة نبي من انبياء الله » .

ان فلسفة آمنة العلويّة تؤيد وتؤكد ما جاء في « الاجنحة المتكسرة » من التأثر بجسم حواء العارية واعتبار الجنة في حبها .

واليكم شرحَ العلويّة نفسها :

---

(١) ارم ذات العماد – في مجموعة الرابطة القلمية لسنة ١٩٢١ – نيويورك – ص ٢٥٧

«ليس ما نراه على الأرض وما لا نراه سوى حالات روحية . وانا قد دخلت المدينة المحجوبة بجسدي وهو روحي الظاهرة ، ودخلتها بروحي وهي جسدي الخفي . ومن يحاول التفريق بين ذرات الجسد كان في ضلالٍ مبين. انما الزهرة وعطرها شيء واحد.»

قد يتراءى لاوّل وهلة، عند تلاوة مثل هذه الجمل الطنّانة، ان جبران روحي؛ او ان آمنة العلويّة من المؤمنات بدروس الغزالي في كتابه «احياء علوم الدين». ولكن: «أليس من الواضح ان آمنة تدغم الروح والجسد احدهما بالآخر؟ فهي تجعل كل شيء روحياً ، ولكن لنتأمل في قولها «ليس ما نراه على الارض وما لا نراه سوى حالات روحية . . . » يتبين لنا ان لا اثر في كلام آمنة العلويّة الّا للارض فقد قالت « ليس ما نراه على الارض . . . » فلم تتطرّق الى ما وراء الطبيعة لتحكي عن السماء مثلاً كما يعتقد الروحيون من المتدينين . ومن ثمّ فهي تتكلّم عمّا تعلمه بنفسها اي بغير واسطة الوحي الديني والكتب السماوية وهذا ضدّ تفسير الغزالي للآية « وآتيناه من لدنّا علماً» وللآية الاخرى « ربِّ زدني علماً » حيث يفهم ان المعرفة مصدرها العليم الخبير الذي يحيي العظام وهي رميم اذا امر الروح ان تدبّ بهذه العظام ليبثها للحياة مرةً اخرى بارادته وتدبيره . امّا آمنة فتحدّث عن تجربة وتشرح ما شعرت به في تجربتها الذاتية فتقول : « انا قد دخلت المدينة المحجوبة بجسدي وهو روحي الظاهرة ، ودخلتها بروحي وهي جسدي الخفي . ومن يحاول التفريق بين ذرات الجسد كان في ضلالٍ مبين.»

او ليس في هذا الجزم بادغام الجسد بالروح انكار لنظرية الموت والبعث حسب رأي الروحيين القدماء الذين يفهمون بالموت انه انفصال الروح عن الجسد وعرضها على الديّان لاداء الحساب على اعمالها . ولكن آمنة العلوية — بخلاف الروحيين الذين يرون ان الروح هي ضيف الجسد يجب ان تكون سيدة حاصلة على الاعزاز والاكرام لكي تخرج منه هانئة سعيدة بعد ان تستعبده بواجباتها من صيام وتقشف وما الى ذلك من وسائل العبادة الخ . . . — آمنة العلوية تريد ان تسدي الى الجسد كل الخدمات الواجبة للروح لانها بنظرها جوهر واحد . الروحيون يهيمون بحب الروح التي ينتسبون اليها وآمنة العلوية ، او

صورة عشتروت ،توّله الجسد بوضعها اياه في منزلة الروح. وتزيد فكرتها وضوحاً بمثل الزهرة المنتخب اذ تقول : « انّما الزهرة وعطرها شيء واحد. »

ولماذا اختارت الزهرة لتشبه الجسد بها والروح بعطرها ؟ ذلك ان الزهرة هي ابهى منظر رائع من مظاهر الطبيعة الخلّاب ، والجسد او الروح المحبوبة ، غاية كل اعزاز وخدمة وتقديس ، هو كالزهرة بجماله وسحره. وامّا عطر هذه الزهرة او رائحتها الزكيّة المنعشة فهي ميول الجسد نفسه للانبساط والانشراح التام ، وهي بالنهاية الرغبة والشهوة الطيّبة.

اجل ! هذا الجسد المقدّس وشهواته اللذيذة هما الكيان الذي لا يجزّئ عناصره وذراته الّا من « كان في ضلال مبين » فهو بكامل خلاياه من طلعة الوجنتين حتى مشط القدمين شيء جميل كالزهرة ورائحته لذيذة كالعطر ولذلك هو مقدّس «بالمدينة المحجوبة » ، اي مدار الاحلام الفلسفية التي دعوها « ارم ذات العماد »

وهذا هو الجوهر الجبراني الفرد المتلألئ من خلال زفرة الشاعر ، الواضح في بحث الفيلسوف.

عهد النضج الجبراني

تعاليم « النبي » — جبران والصوفية

ولنحك الآن المعدن الذي انجمته قريحة جبران في عهد النضج الاخير بفتحنا سفر البشارة الجبرانيّة وقراءة شيء ممّا يتلوه المؤمنون بجبران في الغرب في كنائسهم وانديتهم.

ولاول وهلة نرى «المصطفى المختار الحبيب»،نخبة معلمي الانسانيّة العظام ، يقف هنيهة رهيبة في لوعتها ، مقدّسة في هولها ،تستولي على عواطفه قبيل الوداع، فيقول في نفسه :

« ايكون يوم الفراق يوم الاجتماع ؟
ام يجري على الافواه ان ساني كان فجراً لي ؟

وماذا يجدر بي ان اقدم للفلاح الذي ترك سكته في نصف ثلمه ، وللكرام الذي اوقف دولاب معصرته ؟ »

يتمنى المصطفى مبادلته القوم لقاء اريحيتهم بما يوازي اهتمامهم بشأنه فما هي العملة التي يعوض عليهم بها ؟ ومن اي راسمال ينفق ليقوم بواجب وفائهم ؟

انه يفكر فوراً بالجوهر الفرد عنده ويتم كلامه قائلاً :

« ايتحول قلبي الى شجرة كثيرة الاثمار فاقطف منها واعطيهم ؟

« ام تفيض رغباتي كالينبوع فاملأ كؤوسهم ؟

« هل انا قيثارة فتلامسني يد القدير ، ام انا مزمار فتمر بي انفاسه ؟

« اجل ! اني هائم انشد السكينة ، ولكن ما هو الكنز الذي وجدته في السكينة لكي اوزعه بطمأنينة ؟ . . .

« قال هذا معبراً عنه بالالفاظ . ولكن كثيراً مثل هذا حفظه في قلبه من غير ان يعلنه لانه هو نفسه لم يقدر ان يوضح سره العميق » (١) .

هوذا القلب الجبراني « المملوء بالاسرار والعجائب » بالرغبات الغزيرة والشهوات القوية . ولكن لصاحب هذا القلب « الذي لا يقدر ان يوضح سره العميق » وقار الانبياء ورصانة المبشرين .

ورغم هذه الطهارة النبوية وشدة اندفاع المصطفى لاداء رسالته القلبية لم يقدر على الافصاح عن شيء من خفايا فؤاده قبل ان تتحرك بين احشائه العاطفة الجليلة .

ومن يا ترى ينبش تلك الخفايا ؟ وما هي تلك العاطفة الجليلة ؟ اقوة روحية تدب بعزيمته ليمزق حجب العجز والعي ؟ ام وحي تأتيه به آلهة السماء من عالم الغيب ؟ ام عقل يفكر بشريعة يسنها للبشر ؟

كلا ! لا شيء من هذا البتة ! فقد جاء اليه الكثيرون متوسلين متضرعين . فلم يرد على احد جواباً . ولكنه كان يحني رأسه ؛ وكان الواقفون حوله ينظرون عبراته تتساقط بغزارة على وجنتيه وصدره .

وظل يمشي مع الشعب حتى وصلوا الى الساحة الكبرى امام الهيكل .

وفي تلك الساحة وجد مفتاح الخزينة التي ادخر بها اسراره وخفاياه ؛ في

(١) النبي ، ص ١٥–١٧ .

تلك الساحة لاقى مصدر القوة ، وامّ الوحي ، وسرّ الفهم ؛ وفي تلك الساحة تجلّت له المرأة المرّافة ألمطرة « فنظر اليها نظرةً ملؤها الحب والحنان . . . »[1]

وباشارتها بدأ النبي المختار يُملي تعاليمه على الملأ المزدحم حول « الرسول الحبيب » . وقد كانت ألمطرة اول من آمن ببشارته القلبية وآخر من بقي « على شاطئ البحر تردّد في قلبها كلمات المصطفى الاخيرة :

« قليلًا ولا ترونني وقليلًا وترونني »

«لان امرأة اخرى ستلدني »[2]

اشاركه في الشعور بما في هذه الآية من الخفقان والامل واليقين الثابت بسرّ المرأة الذي يولد الانبياء كما يعلم الفلاسفة ويطرب الشعراء . وهكذا فالالف والياء في كتاب « النبي » هي المرأة . لان جبران لا يزال يبشّر بذات الدين القلبي النسوي الذي شرحت مبدأه الفلسفي آمنة العلويّة ؛ وافهمت كنهه حوّاء جبران ، سلمى كرامة .

. . .

والآن ، في حضرة جبران النبي الجليل ، لنتبسّط قليلًا باحثين في تعاليمه الاساسية التي اعتنى بها رسول الغرب الى الشرق والعالم ، وليس كما قيل عنه « رسول الشرق الى الغرب »

ان فلسفة جبران تلخّص الروح العصرية والادب الغربي بلغة شرقية في شدة لهجتها ، دينيّة في تعابيرها ، بدنيّة في مراميها .

وبهذه المناسبة اذكر بشديد الاستهجان آراء بعض المفكّرين الذين حشروا جبران في زمرة الصوفيين دون تدقيق بالجوهر الاصلي الصوفي او الجبراني .

نعم ، يلتقي الصوفي والجبراني على مسرح واحد ، هو مسرح القلب . ولكن على هذا المسرح نفسه يختلفان في الوجهة والميل . وكلّما بحثنا عند الواحد منهما عن نقطة والتفتنا الى الآخر اتّسع مجال التباين والمغايرة . فقلبُ الصوفي الحقيقي

---

١) النبي ، ص ١٨–١٩

٢) النبي ، ص ١١٩

طافحٌ بالايمان بالله وكماله وملائكته ورسله وتفاسيرهم المفحمة ؛ وقلبُ جبران لا يعتقد الّا بالانسان وجمال جسده العاري ، وشهواته الحلوة الطيبة ، واسراره الغامضة .

قلبُ الصوفيّ تجمّدت في عروقه فكرة البعث والجحيم ؛ وقلب جبران ترقرقت في خلايا نظريّته الحرية المطلقة والاباحيّة الغير المحتاجة الى ثواب او عقاب .

قلب الصوفيّ جافٌ متقشّف ؛ وقلب جبران تتدفّق منه عصارة الشباب والتمتع بالملذّات العالمية والفرح والطرب والفن.

قلب الصوفي خزفٌ عتيق ؛ وقلب جبران بلّور عصري.

فيجب ان لا يُقال ، والحالة هذه ، انّ لجبران علاقة بجوهر الاديان السماوية القديمة من روحيّة وصوفيّة ؛ لانّ جبران لا يرضى لنفسه الّا دينه الجسديّ الذي بشّر به في العالم العصري فلاقاه ابناء هذا العالم الجديد ريحانةً فتّانةً وافقت ميولهم بروحها الدنيوية وانطبقت على اذواقهم بصيغتها الرمزيّة الموجزة ، ولهجتها التبشيريّة . ولنفتح سفر البشارة الجبرانيّة ، ولنقرأ مواعظ المصطفى المختار نجد حبه الجسد العاري في حديثه عن الثياب اذ يقول:

« انّ ثيابكم تخجب الكثير من جمالكم ، ولكنها لا تسترُ غير الجميل.

« ومع أنكم تنشدون بثيابكم حُريّة الستر والانفراد ، فانما تُقيدكم وتستعبدكم.

« ويا ليت في وسعكم ان تستقبلوا الشمس والريح بثياب بشرتكم عوضاً عن ثياب مصانعكم . » (١

وما من شيء في مواضيع النبي الّا وله صلةٌ بالقلب والجسد او ما يعود الى رياضتها ، كما سنرى.

---

١) النبي ، ص ٤٦.

(لها بقية)

اسبانية في الزمن الحاضر

بقلم الاب فليكس تريبيرا الاسباني

توطئة

رغب الينا « المشرق » في ان نطلع قرّاءه الافاضل على حالة بلادنا اليوم ، بعد الثورة الاخيرة . فلبينا الطلب بطيبة خاطر ، اذ تحققنا في ارباب الثقافة العالمية من الشرقيين ميلاً حقيقياً الى اسبانية واهتماماً بشؤونها . وسبب ذلك لا ينحصر فقط بما تمثله اسبانية من ادب وفنّ عربيين ازدهرا في العصور الغابرة ، بل لانها لم تزل حتى اليوم بلداً كاثوليكياً قحاً قوي الايمان متين العقائد . ولقد سررنا كل السرور اذ رأينا فرصة مناسبة نظهر بها شيئاً من الشكر على ما صادفناه من اللطف وحسن الاستقبال مدة اقامتنا في هذا الشرق العزيز .

مفاجأة الثورة

منذ تلاشي سيطرة الجنرال بريمو دي ريفيرا ، اخذت الحوادث الفجائية تتتابع في اسبانية بسرعة غريبة . وكانت أخراها ثورة ١٤ نيسان ١٩٣١ التي استغرب الجميع فجاءتها حتى القائمون بها انفسهم . وقد اقرّ بذلك رئيس اللجنة الثورية ، ورئيس الجمهورية الحالي ، السيد نيسيتو ألكالا ساموروا ، يوم اعلان الجمهورية ، فقال انه لم يكن لينتظر نجاحاً كهذا الا بعد عمل جادّ متواصل مدّة ثلاثة اشهر على الاقل . وقبل الانتخابات البلدية بيوم واحد ، تلك

الانتخابات التي جرت بعد رحيل الملك بيومين ، صرّح السيد كامبو ، وهو من اشهر سياسيي اسبانية وابعدهم نظراً ، انه من المستحيل ومن غير المعقول ان يحقق الفوز للجمهوريين . وكذلك كانت حالة الكاثوليك ، وزيد بهم خصوصاً ارباب الفرق الكاثوليكية ورجال الدعايات والعمل ، فان الموجة الثورية فاجأتهم في زمن كانت فيه الروح الدينية خامدة وكان الرؤساء يبذلون الجهود في ايقاظها .

ولم يكن يبشر بهذا الانقلاب الغريب بتلك السرعة الفجائية الا المتطرفون في السياسة الاجتماعية كالاشتراكيين وخصوصاً ارباب حزب النقابات (السنديكاليين) ، والفوضويين ، ومن مبدأهم الالتجاء الى الطرق العنيفة وسيلة لعملهم الثوروي ، فكانوا يعدون الشعب بانقلاب عجيب على اثر الانتخابات .

اسباب الثورة السياسية

ولا يفهم من قولنا ان الثورة حدثت فجأة انه لم يكن لها اسباب هيأتها من مدة بعيدة : فان التغيرات البالغة التي احدثتها لا تنتج الا عن اسباب بالغة ايضاً . وهذه الاسباب عديدة متشعبة . على انه يمكننا ان نردّها الى نوعين مهمين : الاسباب السياسية التي نلخصها في هذا القسم من المقال ، والاسباب الاجتماعية نذكرها في القسم التالي .

اما الاسباب السياسية فاهمها سلوك الملك ، وموقف الاحزاب السياسية ، ودور الجيش .

لا يخفى ان كل من به مسكة من ادراك لا يمكنه ان ينسب ابتعاد الملك وسقوط الملكية الى التهم الغامضة والحيثيات العاطفية التي بنى عليها البرلمان الجمهوري حكمه السريع . على انه من الصعب ان نفهم نيّة الملك وغايته الحقيقية في مجالي عمله السياسي . فان اخلاصه للبلاد ووطنيته تهاجمهما عدة تهم تنسب اليه الانانية والطموح الى السيطرة . ومهما يكن من امر فلا يمكن احداً ان يُنكر ان سلوك الملك السياسي عمل على تخفيف محبة القوم للملكية وعلى تبريد حماستهم في الدفاع عنها حتى ان كثيراً من السياسيين عدلوا عن نظرياتهم الملكية شيئاً فشيئاً ولاسيما على زمن سيطرة بريمو دي ريفيرا .

فاخذوا يتردّدون في متابعة مبادئهم ، وينفصل البعض منهم عن نواة حزبهم متجهين جهة الجمهوريين وكان من اجرأهم اقداماً واوفرهم اخلاصاً ، دون شك ، رئيس الجمهورية الحالي السيد نيسيتو ألكالا ساموراً .

كان الرأي العام الاسباني في هذه الحالة المضطربة ، عندما اخذت تنتابه من كل جهة دعاية الجمهوريين الواسعة النطاق التي لم يكن الملكيون – ثقةً منهم بأنفسهم او عجزاً عن مجاراة خصومهم؟ – يولونها ما تستحق من دعاية مماكسة. وعلى اثر ذلك حصلت الانتخابات البلدية ، فكانت اصح انتخابات عرفتها اسبانية واوفرها اخلاصاً . فلم يكن يرى فيها الناخبون ، فوق اسماء المرشحين واحزابهم المتعددة المتباينة ، الّا امراً واحداً يستحق الاهتمام والمناقشة وهو : وجود الملك ام عدم وجوده . وليس من الغرابة في شيء ، اذا فهمنا الظروف المذكورة اعلاه ، ان نرى الكثير من الملكيين المجاهدين يعطون اصواتهم لارباب الاحزاب الجمهورية لانهم كانوا لا يرغبون في بقاء الملك الحالي.

فنتج عن هذه الحالة اغلوطة فظيعة لا تصلَح . كيف لا وقد حطّت السياسة بأعلى سلطة في الدولة فجعلتها على مستوى الساسة العاديين يناقش الجمهور حقّها بالبقاء ، كلما شاء ، حتى اذا عنّ على باله طاب منها ان تستعفي وتنسحب وهذا ما يشرح لنا قرار الملك بأن يعتزل ميدان العمل ، ذاك القرار الدالّ على الحكمة وبعد النظر دلالته على حراجة الموقف اذ ذاك .

ان تعدد الاحزاب السياسية وتجزؤها الدائم ، وعدم وجود نظام دقيق في داخليتها ، وكثرة المطامع الشخصية ، التي غشت على ابصار رؤساء الاحزاب فصرفتهم عن الاهتمام بالبرامج الوضعية ، وحالت بينهم وبين العمل باخلاص وامانة ، كل هذا ولّد ، على طول المدة ، حالة مزعجة من اليأس السياسي جرّت البلاد الى الخضوع للسيطرة العسكرية . على ان هذه السيطرة لم تمنع التذمر والاشمئزاز . وكان من الطبيعي ان تسقط . فسقطت وتبعتها الحركة الثوروية . ولا يخفى ما كان للجيش من التأثير في الحوادث السابقة . فقد مثّل دوراً مهماً ، حاسماً احياناً ، في حركات الاحزاب السياسية نفسها ، وفي ادارة الدولة ، وفي السياسة الاجمالية . حتى بلغ من اهمية الجيش ، قبل عهد السيطرة بعشر سنين ،

انه كان يلي ارادته كسلطة خفية فيدير الامور على طريقة سلبية هدّامة ، حتى اذا بدأت السيطرة عهدها ، ظهرت تلك السلطة بأجلى مظاهرها فاصبحت الآمر المطلق في الدولة . وهي ، وان سلمنا بحسن نيتها واخلاصها ، فلا يمكننا القول انها اهتدت الى السبيل الحقيقي لخلاص الوطن.

الاسباب الاجتماعية

يجب ان نضيف الى هذه الاسباب السياسية اسباباً اخرى كانت اعمق تأثيراً وابعد غوراً وهي الاسباب الاجتماعية . فاذا ذكرناها فاننا نلمس الصفة الحقيقية للثورة الاسبانية .

ظهرت هذه الثورة سياسية محضة . على ان المحرّك الاصلي الفعال الذي دفع بالشعب الى القيام بتلك الحركة كان الوهم بأنها ستتحوّل الى انقلاب اجتماعي . وهناك براهين عديدة تؤيد هذا القول نكتفي منها بمثل واحد. وهو ان الجماهير اندفعت كل الاندفاع في ١٢ نيسان نحو صناديق الاقتراع. وهو حادث قلما نرى نظيره حتى في البلاد التي تكون فيها المؤسسات الديموقراطية مقررة من مدة طويلة. وفي اسبانية نفسها ، في الانتخابات السابقة ، كان مرشحو اليمين في منطقة برشلونة ينالون الفوز باقلّ من ثلاثين الف صوت اما هذه المرة فوُجدوا امام معاكسة تبلغ ثمانين الف صوت . فلم يتمكنوا بعد الجهد الّا بالاحتفاظ بكرسي واحد لتمثيل الاقلية.

فما هو العامل الذي جذب هؤلاء الجماهير ودفع بهم الى التصويت ؟

هو اولاً تلك الدعاية الواسعة النطاق التي قام بها معلّمو الشعب من الاشتراكيين وجمهوريي الشمال الذين، لمّا لم يكونوا ليتصوّروا سهولة انتصارهم، تجاوزوا الحدود في مواعيدهم الخلّابة وبرامجهم الاصلاحية التي كانت كلّها تدور حول الانقلاب الاجتماعي . ومما ساعدهم على تجييش هذه الكمية الوافرة من الناخبين بسرعة عجيبة كان النظام القوي المتصف به حزبا العمال المهمان وهما حزب الاشتراكيين وحزب ارباب النقابات. وقد وافق رجالها على برامج الشمال الجمهوري ونسبوا الى المرشحين العمل في سبيل انهاض طبقات العمال فدفعوا هكذا عمّال المدن

الكبيرة الى انتخابهم تحت تأثير النقابات القوية.

ولا يخفى ان المشكلة الاجتماعية هي المسألة العظيمة في الكون كله في زمننا الحاضر ، تتضاءل تجاهها جميع المسائل القومية والسياسية حتى تظهر كأنها ثانوية . فاذا كان يصدق هذا على بلدان اوربة بأسرها ، فانه اشدّ تأثيراً في اسبانية التي كان من نتائج حيادها مدة الحرب الكبرى انها لم تصب بتأثير الكبرياء القومية والوطنية التي وسّعت نطاقها الحروب الخارجية في شعوب اوربة، فانصرفت من جرّاء ذلك الى المشكلة الاجتماعية وحدها.

وهذا كان من الاسباب العديدة التي جعلت جميع العمّال الاسبانيين تقريباً ينضوون تحت لواء حزبين كبيرين يختلفان باختلاف مبادئ مديري كل منها. فهناك « الاتحاد الوطني للعمل » المعروف بهذه الحروف (C. N. T.) و«اتحاد العمّال العام» المعبّر عنه بالحروف (U. G. T.) . اما صفات هذين الحزبين فان الثاني منها ينتمي الى الاشتراكيين متبعاً الخطّة التي رسمها له بعد الجهد الدائب والعمل الصامت مؤسسه پابلو آكليزياس. ومن الغريب ان «السيطرة» عملت على تعزيز ما كان يقوم به مؤسس الحزب طيّ الخفاء . اما الحزب الاول فيجنح الى المبادئ الفوضوية والشيوعية. وقد توصّل الى زيادة رجاله وتنظيم صفوفهم واظهار قوّتهم بفضل ما لجأ اليه من طرق العنف كالاعتداءات والقاء الرعب . ورجال هذا الحزب كانوا هم ايضاً من المرضيّ عنهم في المدة التي سبقت السيطرة العسكرية في سنة ١٩٢٣.

ويبلغ عدد المنتمين الى كل من هذين الحزبين نحو نصف مليون. ولا يفتأ الحزبان يتنافسان ويتقاومان احياناً . وحزب الاتحاد الوطني للعمل يشمل غالباً كل العملة الصناعيين في برشلونة ومقاطعة كتالونية ، وهو يبذل الجهد حالياً في بسط نفوذه على ما تبقى من انحاء اسبانية ولاسيما مقاطعة الاندلس. اما اتحاد العملة العام فمركزه الاصلي في مدريد وله مراكز مهمّة في بلاد الباسك والاندلس ، وهو ايضاً يهتمّ بالنفوذ الى كتالونية.

وقد قام الكاثوليك بجهود عديدة في سبيل تأليف حزب ثالث للعمال ولكنهم لم ينجحوا حتى الآن . وليس هناك من حزب كاثوليكي قوي الّا

في محيط المزارعين في بلاد كستيلية وهو « الاتحاد الزراعي الكاثوليكي » الذي لا يزال في عراك مستديم مع الحزبين السابقين اللذين يرميان الى ان يدخلا بين عملة الصناعة رجال الفلاحة والزراعة.

هؤلاء العمال هم ، في الحقيقة ، ارباب الثورة . وقد رموا فيها الى ابعد من الانقلاب السياسي اذ لم يخطروا تغيير نظام الحكومة واعلان الجمهورية الا مقدمة أو مدخلاً لتنفيذ برنامجهم الواسع الذي اشرنا اليه وقلنا ان غايته الانقلاب الاجتماعي . وهذه الغاية وحدها هي التي جيّشت العدد العظيم من الناخبين ودفعت بهم الى صناديق الاقتراع ، رجاء ان يروا ثورة اجتماعية لم تبدأ الا مؤخراً ومن الصعب ان نرى كيف تنتهي . ويجب ان نضيف هنا ، كي نتمكن من فهم ما تحمله الينا اخبار اسبانية ، ان ذينك الحزبين القويين كثيراً ما تتعاكس نظرياتهما فيختلفان ويقاوم احدهما الآخر . وان الاشتراكيين المستقلين بالسلطة اليوم يستندون الى اقلية مهمة في البرلمان (وليس هناك من حزب يمكنه ان يستند الى الاكثرية البرلمانية) ويبذلون الجهد في تهدئة الخواطر ، وتخفيف سير الثورة الاجتماعية ، وارضاء الشعب لا بالتحسين الاجتماعي بل بشرائع غايتها مقاومة الدين ورجاله . ويمكننا القول ان حزب الاتحاد الوطني للعمل اصبح كله اليوم في جهة من المعارضة . فان روحه ثوروية محضة ، وهو لا يهتم بالسياسة ولم يكن ليولي الجمهوريين اصواته الا على سبيل التجربة . حتى اذا تحقق انه لم يصل الى مطاليبه الاجتماعية شهر الحرب على الجمهورية كما شهرها سابقاً على الملكية ، وهو في كل ذلك يستعمل الوسائل العنيفة من اضراب ثوروي وارهاب وما اليها ؛ وكلها ، لسوء الحظ ، وسائل تتفق تماماً واخلاق الشعب الاسباني حتى ان عقلاء البلاد يخشون ان تجرّ الى عهد سيطرة حمراء سوداء تؤدي بالوطن الى حالة فظيعة .

اما مسؤولية هذه الحالة الحرجة التي جرّتها تلك الاسباب الاجتماعية فانها تقع من جهة على اصحاب رؤوس الاموال والمنتجين لما اظهروه من الانانية وحب التسلط ، ومن جهة اخرى على العملة لما اتصفوا به من جهل واستسلام لبعض الزعماء . ولم ننسَ بعد ما بُذل من الجهود وما حصل من

العراك الدموي احياناً في سبيل الحصول على شيء من التحسين في حالة العملة ، وذلك زمن الحرب الكبرى في عصر كانت فيه ثروات المنتجين تزداد يوماً عن يوم بفضل ما احتفظت به اسبانية من الحياد التام . فكان من الصعب ان يسمع الفريقان كلاماً لا يتضمن التهديد والوعيد . ولهذا بلغنا اليوم ، وليس في ما خص العملة وتأمين حقوقهم شبه نظام يمكن الاستناد اليه للخفض من ادعاءات الاشتراكيين والشيوعيين ومبالغاتهم الخطرة ، ولتأمين حالة العملة ، وهم يعدون بالالوف ، من الذين لا يزالون متمسكين بايمانهم الحي راضين باجرة عادلة كافية ، غير مغترين باحلام الشيوعيين الخلابة ، ولا بسراب الثورة الاجتماعية الوهاج .

يجب ان نطلع كل الاطلاع على هذه الحالة الاجتماعية كي نتمكن من فهم تسرع الحكومة الحاضرة في سن الشرائع اللادينية ، وموقف الكاثوليك موقف الرجل الاعزل تجاه هجمات الاعداء الالداء .

الحالة الحاضرة

تقف اسبانية في الزمن الحاضر على مفرق خطر في تاريخها العام . ولا يخفى انها ، بسبب كونها لم تشترك بالحرب الكبرى ، تختلف عن سائر بلدان اوربة في حالتها الاقتصادية ودرجة الاهتزاز في شعورها الوطني . وهما ، اي الاقتصاد والقومية الوطنية ، القطبان اللذان تدور حولهما المدنية الاوربية منذ اربعة قرون .

اما في ما خص الاقتصاد فان الازمة العالمية يظهر تأثيرها في اسبانية ضئيلاً جداً بحيث يمكن تلافيها بكل سهولة . واما في ما خص القومية فاننا بينا نرى الشعور الوطني على اشده في دول اوربة ، سواء في ذلك الظافرون في الحرب المتفاخرون بطولهم والمغلوبون المتألمون بعارهم ، نرى اسبانية منفتحة الابواب لاستقبال عواطف الدعاة الى الوطنية العالمية اولئك الرامين الى رفع حواجز الحدود وفواصل القوميات في سبيل وحدة الشعوب جميعها .

وقد يكون من هذه الحالة الخطر العظيم على حياة اسبانية او الوسيلة الفعالة لخلاصها ، وذلك بحسب ما يكون موقفها تجاه مجاري الافكار العصرية . فمن

جهة نرى الاشتراكية وما تجره من مبادئ شيوعية وفوضوية ، ومن جهة اخرى نشاهد الكثلكة وما تحمله من احترام للحرية البشرية ومن دفاع عن حقوقها ومن عمل على تحسين الحالة الاجتماعية ضمن نطاق النظام والترتيب. فإما الاشتراكية وإما الكثلكة ؟ إما رومية وإما موسكو ! وهما القوتان اللتان تتصارعان اليوم حول اسبانية.

كانت اسبانية دولة كاثوليكية محضة ولما تزل على رغم بعض المظاهر اللادينية . ولا بدّ من التصريح انه لولا ما توهمه كثير من كاثوليك اسبانية غير المجربين من انهم يعملون على انشاء جمهورية معتدلة في ما خصّ العواطف الدينية ، بل جمهورية كاثوليكية ، لما ساعدوا على قلب نظام الحكم، ولما ظهرت الجمهورية الحالية بفضل معاونتهم . ولقد كان هذا الوهم سبب الارتياح الشامل الذي صادفه اعلان الجمهورية الجديدة دون ان تهرق نقطة دم مما حيّر الرأي العام العالمي بجمله.

على انه سرعان ما تبدّد هذا الوهم اذ اخذت الجمهورية تهتدي بهدي الماسونية على طريق العلمانية المحضة الظاهرة بمظهر الاضطهاد الديني الذي كان اليسوعيون اولى ضحاياه ، مما احدث اسوأ تأثير في جميع الاوساط الوطنية. وقد عبّر عن هذه العاطفة احد رؤساء الاحزاب العلمانية الجمهورية السيد اورتيكا گايسيت بتلك المجلة الشهيرة : « ان الجمهورية بدأت تضجر ! »

وقد استفاد القائمون بتلك الحركة من اضطراب النظام في احزاب اليمين ، ومن حماسة القوم الابتدائية وارتياحهم الاولي لشكل الحكومة الجديد ، فألفوا مجلساً لم يمثل قطعاً جمهور الشعب الاسباني . ثم اسرعوا بنشر دستور استحق الرفض والاحتجاج من قبل جميع الاساقفة الاسبان لما تضمنه من مبادئ ترمي الى وضع الكنيسة الكاثوليكية تحت سلطة الدولة . اما الآن فلا يزال ارباب الحكم يوالون سنّ القوانين التكميلية لاتمام ما شرعوا به من تطبيق المبادئ الوخيمة. وهم يستعملون في ذلك وسائل عنيفة تذكرنا بعهد السيطرة ، ويسرعون في اعمالهم خوفاً من انقلاب جديد على اثر استفتاء الشعب. وهناك اعداء النظام العمراني ينظرون بكل ارتياح الى هذا الاتجاه ، ويشجعون الاضطهاد الديني ،

مغتنمين الفرص المناسبة لمتابعة الانقلاب الاجتماعي بفضل ما يبذلونه من ذهب موسكو ، فيستفيدون من جميع المشاغبات الناتجة طبيعياً عن تلك الحالة ، لتعزيز بوادر الاضراب ومظاهر العصيان.

امّا الكنيسة ، وهي الساهرة على ابنائها المراقبة بعين الحذر الحالة الحاضرة وتطوراتها ، فانها سنّت لرجالها خطة يسيرون عليها اذا ما ارادوا خلاصهم وخلاص بلادهم . وهي تقوم اولاً بان لا يتحيّزوا ، بصفة كونهم كاثوليكيين ، الى نظام خاص من انظمة الحكومة . وثانياً بان يتحدوا جميعهم ، من ايّ حزب كانوا ، في سبيل الدفاع عن المبدأ الديني السامي . وان يهتموا خصوصاً بتجديد الحياة الدينية الفردية كي يتمكنوا من تجديد النظام الاجتماعي على اركان ثابتة. وقد بدأت جميع الاوساط الكاثوليكيّة بتنظيم صفوفها طبقاً لهذه الخطة وبالسير معاً في طرق العمل والجهاد.

فان شاء الله ان يخرج اسبانية من تحت نير البلشفية الشديد الخطر عليها في هذه الحالة الحرجة ، وان يخلّصها من خطر اشدّ هو انقسام الكاثوليك الداخلي ومطاحناتهم الشديدة ، فاننا لا نلبث ان نرى الايام السعيدة رجعت الى تلك البلاد — تحت ظل النظام الجمهوري او الملكي فلا فرق ! — فاستعادت الديانة مقامها السامي في الدولة ، واسترجعت اسبانية تقاليدها الكاثوليكية الفخمة.

نهر الكلب

دليل جديد الى آثاره القديمة

بقلم فؤاد افرام البستاني

ص

ادقّ شواهد التاريخ في بلادنا ، ومن ادلّ المعالم فيها على سير جيوش الغزاة المتتابعين مدة القرون العديدة ، ذاك الممرّ الضيق القائم على اثني عشر كيلومترًا الى شمال بيروت والمعروف بممرّ نهر الكلب.

عرف الاقدمون هذا النهر باسم « الذئب » (ليكوس Lycus, Λύκος ὁ) كما دعاه اليونان اولًا وتبعهم الرومان على ذلك . اما العرب فاستبدلوا الكلب بالذئب ونسبوا اليه النهر كما نسبوا اليه ايضاً الرأس الصخري الذي حفر فيه النهر مجراه ، فقالوا « رأس الكلب ».

وكان من علوّ الصخور المرتفعة على ضفتي النهر الى ما يبلغ الثمانين مترًا ، ومن تلك المياه المتدفقة الصاخبة حاجزان طبيعيّان يقطعان الطريق البحرية الواصلة بين آسية الغربية ومناطق افريقية ، فيصعّبان المواصلات ويقفان بوجه المسافرين سواء أكانوا من صيّادي العصور الظرّانية ، او من الفراعنة المتقدمين لقتال الحثّيين ، او من ملوك اشور الهابطين للسيطرة على صور وصيدا ، او من جيوش قياسيان المسرعين لقمع ثورة اورشليم ، او من عساكر الحلفاء المنتصرين سنة ١٩١٨ وسنة ١٩٢٠ ، او من غير من تقدم ذكرهم من الغزاة والفاتحين الذين توقفوا كلهم امام هذا الممرّ الصعب ، فعملوا على قطعه ، وقطعوه . ثم توقفوا كلهم ايضاً ليخلّدوا ، على صخوره الصمّاء ، ذكرى انتصارهم على العقبات الطبيعية وذكرى بلوغهم الى ما قصدوا من البلاد.

وقد تتابعت القرون الكثيرة ، ودالت الدول المتوالية ، وتلاشت الشعوب

الجديدة ، ولا تزال صخور نهر الكلب الصمّاء ، بما عليها من الرسوم المتنوّعة الهيئات والرقم المتباينة اللغات ، شاهداً حيّاً على ممرّ تلك الجيوش ، ومشيراً دائماً الى النقطة التي كان يقف عندها مختلف الغزاة في طريقهم الى انحاء سورية ، مفرق القارات الثلاث ، وملتقى المدنيّات القديمة . حتى ان من يجتاز ذاك الممرّ ، على اثر الفاتحين المتتابعين من اول عهد الانسانية حتى اليوم ، يشعر بعاطفة تأثر شديد تتملك عليه جوارحه وتنقله الى عصور بعيدة وتصوّرات غريبة فيودّ مخاطبة تلك الصخور والنفوذ الى اسرارها ، والتأمل بتلك الرسوم ومعرفة اصحابها ، وقراءة تلك الرقم وفكّ الغازها واحاجيها .

الى هذه الغاية رمى حضرة الاب رينه موترد اليسوعي في نشر دليله الجديد الانيق . فانه استعان بمعلوماته العديدة ، وبما جمعه حضرة الاب سبستيان روتزفال اليسوعي الاثري المعروف من وثائق متنوّعة ، وبما كتب عن آثار النهر في مختلف اللغات ، فألف كتيّباً لطيفاً زينه بالرسوم الواضحة والصور الممتازة ، وابرزه بمظهر طبعي فائق ، فاتى تحفة فنية واثراً علميّاً نفيساً[1] .

وطأ حضرة الاب موترد لدليله برسم اجمالي لضفتي نهر الكلب وما عليها من الآثار البالغة سبع عشرة لوحة ، وكلّها على الضفة اليسرى ، ما عدا اثراً واحداً يرقى الى الملك بختنصر الثاني . وقد رُقمت جميع اللوحات ، وأشير اليها في الرسم ، ثم شرحت اصولها في اسفله . وهذا الرسم الاجمالي مع الشروح الموجزة هو ما يراه المطالع في الصفحة التالية .

اما الدليل نفسه فيقسم الى ستة اقسام وثلاثة ملحقات .

خُصّ القسم الاول بوصف مجمل لموقع مصبّ النهر ومركزه المهمّ وما عليه من الآثار المختلفة المعروفة كلّها باسم اللوحات او المسلّات (*Stèles*) وان كان بعضها يختلف عن البعض الآخر ، اذ انها تحتوي احياناً على رسوم واحياناً على رُقم المجدية او مسمارية او هيروغليفية .

---

١) يحتوي الدليل على ٢٤ صفحة صغيرة مزيّنة برسم اجمالي و ٦ رسوم ضمن النصّ مع ٨ صور فتوغرافية خارج النصّ . وهذا عنوانه بالافرنسية :

René Mouterde s. j., Le Nahr el Kelb. *guide archéologique, orné de huit phototypies. Imprimerie Catholique, Beyrouth*, 1932

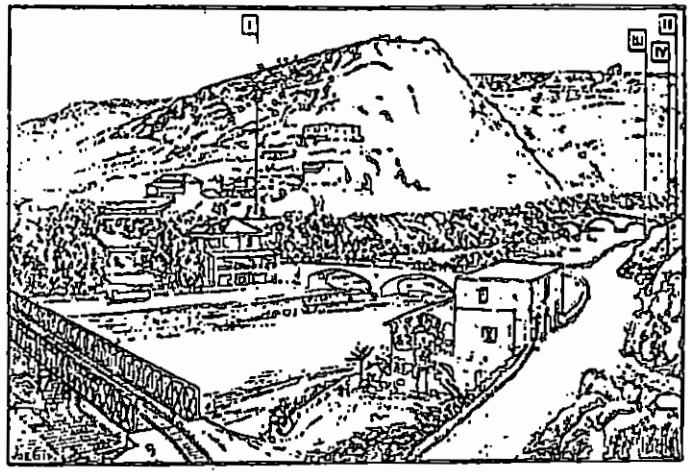

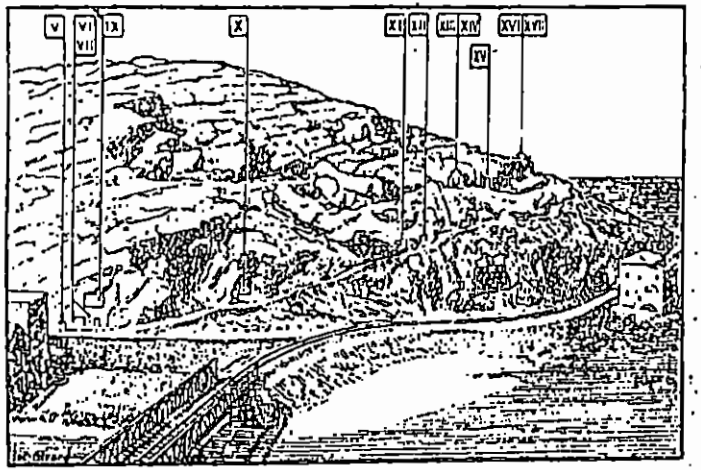

I بختنصّر الثاني
II السلطان برقوق
III كراكلاّ
IV غورو

V (رعمسيس الثاني) نابوليون الثالث
VI.VII ملكان اشوريان
VIII لوحة اشورية بائدة
IX احتلال دمشق

X الاحتلال الانكليزي الفرنسوي
XI بروكلوس (الرقيم اليوناني الاول)
XII الرقيم اليوناني الثاني
XIII ملك اشوري

XIV رعمسيس الثاني
XV ملك اشوري
XVI رعمسيس الثاني
XVII أسرحادّون

رسم اجمالي لضفتي نهر الكلب وما عليهما من اللوحات الاثرية

وفي القسم الثاني وصف المؤلف الطريق الجميلة من بيروت الى نهر الكلب، خاصاً بالذكر ضفة النهر اليمنى المؤلفة من جبل شاهق ينحدر انحداراً عمودياً. وليس على هذه الضفة الا اثر واحد هو رقيم مسماري يرقى الى عهد بختنصر الثاني، ملك بابل من سنة ٦٠٦ الى سنة ٥٦٢ ق. م. وقد اكتُشف هذا الرقيم سنة ١٨٧٨. ثم فُكت رموزه فكان فحواه ان بختنصر المذكور، وهو الذي كان ارميا النبي قد تنبأ عن غزواته وانتصاره على اليهود، يشير الى اعماله وآثاره في بلاد كلدو والى زحفه على لبنان. ويرقى الرقيم الى سنة ٥٨٧ او ٥٨٦ ق. م. هذا ما شرحه من قرأ الرقيم في القرن الماضي. اما اليوم فان الكتابة قد اضمحلت تقريباً ولم يبقَ بالامكان تمييز حروفها. على ان اللوحة لا تزال محفوظة بين الاشواك والاعشاب، تحت احدى قناطر القناة، على نحو مترين من المطحنة.

في القسم الثالث يبدأ ذكر الآثار الباقية، وكلها على الضفة اليسرى كما قدّمنا، واولها، اعتباراً من الجنوب الشرقي، رقيم لاتيني يرقى الى عهد الامبراطور الروماني كراكلّا (٢١١-٢١٧ ب. م.) يذكر فيه ما قامت به من الاعمال في صخور نهر الكلب الفرقة الغالية الثالثة. ومما لا ريب فيه ان الطريق الرومانية كانت تمرّ امام هذا الاثر متجهة نحو الغرب موازية لمجرى النهر، حيث نرى جميع الرقم المصرية. اما اول هذه الرقم فاللوحة رقم IV التي تشير الى انتصار الجنرال غورو على عساكر الملك فيصل في خان ميسلون. ثم نرى لوحة نابوليون الثالث التي حُفرت سنة ١٨٦١ مكان اقدم رُقم رعمسيس الثاني، اشارة الى دخول العساكر الفرنسوية بلادنا سنة ١٨٦٠ بقيادة الجنرال دي بوفور دهوتبول، على اثر مذابح تلك السنة المشؤومة. وعلى عدة امتار نحو الجنوب رقيم آخر، باللغة الانكليزية، (على اللوحة رقم IX) كان يذكر احتلال العساكر الانكليزية مع رجال الملك حسين للمدن السورية سنة ١٩١٨. على ان تلك الكتابة كادت تمحى، فابدل بها سنة ١٩٣٠ كتابة اخرى اقرب الى الدقة التاريخية من الاولى. ثم على ٢٥ متراً في اعلى الصخور كتابة انكليزية اخرى حُفرت مدة الاحتلال الانكليزي سنة ١٩١٨-١٩١٩.

واذا تابع الزائر سيره ماراً امام اللوحتين الاشوريتين يصل الى ما بقي من

الطريق الرومانية التي عُبّدت نحو سنة ٣٨٢ م.، عهد كان برو كلوس حاكم فينيقية. نعرف ذلك من رقيم يوناني تكاد كتابته تضمحلّ. امّا الرقيم اليوناني الثاني الكائن على نحو ٢٠ متراً من الاول (اللوحة XII) فلا يمكن ان يُستخرج منه شيء. وفي اعلى المرتفع، فوق البحر، صخر ابيض كان قاعدة لتمثال الذئب او الكلب على زعم اسطورة لخّصها المؤلف في القسم الرابع من كتابه، فلتراجع.

وقد خص القسم الخامس باللوحات المصرية والاشورية. عدد الاولى ثلاث ترقى كلها الى رعمسيس الثاني (القرن الثالث عشر ق.م.) وكلها تمثله امام احد الآلهة. الّا ان الاولى منها (اللوحة V) قد حُفر مكانها رقيم نابوليون الثالث كما ذكرنا. فلا نعرفها اليوم الّا بالرسم الذي نقله عنها لبسيوس وهو المنشور ادناه.

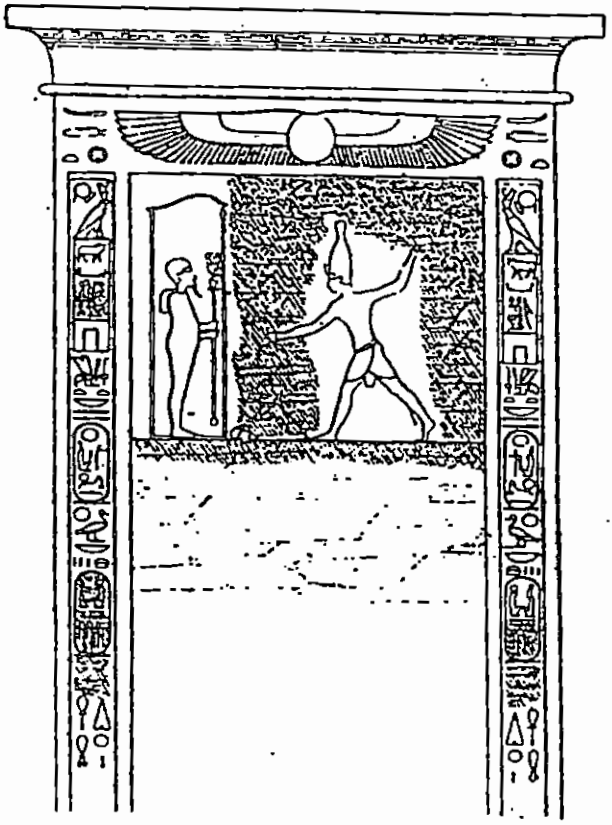

رسم الملك رعمسيس الثاني المصري (القرن الثالث عشر ق. م.)

رسم الملك اسرهادون الاشوري (القرن ٧ ق.م.) وامام رأسه رموز الهية

أمّا اللوحات الاشورية الباقية فخمس، تمثل كلها ملوكاً لم يعرف منهم بالتأكيد الّا الملك اسرهادون (اللوحة XVII) لابساً التاج المنتهي اعلاه بخروط صغير كان رمز الملكية الاشورية في ذاك العهد، ورافعاً يمينه علامة العبادة. وقد جُعل امام وجهه عدد من الرموز الالهية تظهر في الرسم الآتي

وعلى جسم الملك وسائر اقسام الاثر كتابة مسمارية تُشير الى انتصار اسرهادون في زحفه على مصر سنة ٦٧١ ق.م.، واخضاعه اثنين وعشرين ملكاً، مع مدينتي صور وعسقلان. ثم هناك آراء مختلفة في شخصية الملوك الممثلين على سائر اللوحات منها ما يذكر الملك أسورناسيربال الثاني وابنه سلماناصر الثالث من القرن التاسع.

بقي القسم السادس من الكتاب، وقد خصّه المؤلف بذكر الآثار الظرّانية في نهر الكلب الدالة على سكن الشعوب في العصور السابقة للتاريخ، وبوصف مفارد جميتا منبع النهر المذكور. ثم بكلمة عن الجسر العربي وعن الرقيم العربي البارز بحروف كبيرة في اللوحة II وهو يشير الى ان ابا العزائم اقيش، قائد السلطان برقوق المصري (١٣٨٢ - ١٣٩٩)، بنى الجسر المذكور.

شعار الملك سيف الدين برقوق (١٣٨٢ - ١٣٩٩)

وفي اعلى الرقيم ثلاث دوائر تحتوي الوسطى منها على دعاء للملك الظاهر برقوق، والاثنتان على شعار الملك وهو مؤلف من كوبين كبير فصغير جعل الواحد منهما فوق الآخر، كما يظهر في الرسم

يلي ذلك ملحقات ثلاثة نُقلت في الاول منها نصوص الرقم المصرية وهي اربعة: رقيم الجنرال غورو، ورقيم نابوليون الثالث، ورقيما الاحتلال الانكليزي. واحتوى الثاني على بحث في كيف حفظت اللوحات المصرية.

وشاء حضرة الاب موترد ان يزيد في فائدة محبي الآثار فخصّ الملحق الثالث بذكر ما يمكنهم زيارته في بيروت وضواحيها كالمتحف اللبناني، وخرائب دير القلعة قرب بيت مري، والقناطر الرومانية في نهر بيروت وفي نهر ابراهيم وتُعرف كلها باسم قناطر زبيدة.

***

هذا ما امكننا تلخيصه عن ذاك الدليل النفيس الذي جمع الى الايجاز البليغ دقة الوصف وضبط المعلومات. فأدّى لتاريخ البلاد وآثارها خدمة جزيلة نرجو ان يقدرها ابناء البلاد حقّ قدرها بان يطالعوا الكتاب ويستفيدوا منه فهم آثارهم والمحافظة عليها.

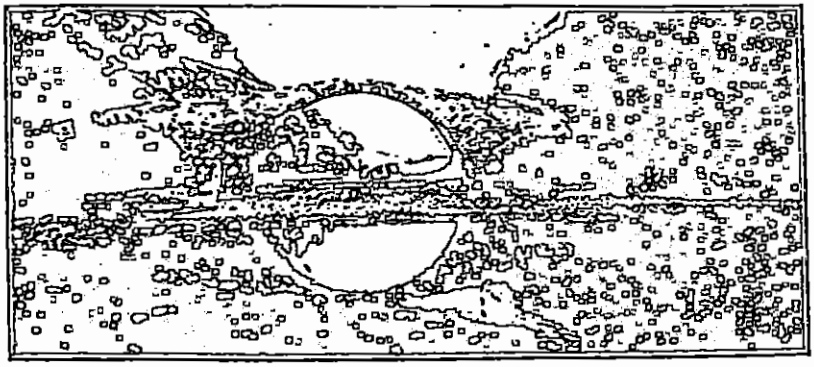

الجسر العربي على نهر الكلب

بيان

عن وقف كنيسة القديسة تقلا في حردين

نشره الاب انطونيوس شبلي اللبناني
رئيس معاملة جبيل والبترون

توطئة

ذهبت سنة ١٩٢٥ الى قرية حردين في بلاد البترون ، مسقط رأس رجل الله الاب نعمة الله كسّاب الحرديني الشهير « بقديس كفيفان » للتفتيش عن آثاره هناك . وهو احد عبيد الله الثلاثة ، من ابناء رهبانيتنا اللبنانية المارونية ، المرفوعة دعوى بزارتهم الى المجمع المقدس في رومة لاجل تثبيت تطويبهم وتقديسهم ورفعهم على المذابح . وقد عرفتُ من بعض شيوخ القرية المذكورة ان جرجس كسّاب ، والد الاب نعمة الله الحرديني ، كان مقيماً اولاً في حردين ؛ ثمّ انتقل وعيلته الى حارة بيت كسّاب ، وهي مزرعة صغيرة ملاصقة لحردين . وقد عزّ على اهل القرية انفصال هذا الرجل وعيلته عنهم ، فاقاموا على فراقه مناحةً عظيمة يوم نقل الى الحارة ، لانه كان مسيحياً صبياً سليم القلب ، لين العريكة ، دمث الاخلاق ، عفيف اللسان ، محباً للسلام ، ماقتاً للخصام ، متفرّغاً لتربية عيلته تربية مسيحية صادقة ، ومجدّاً في القيام بمعاشها ، فتملّق بحبه جميع اهل قريته . وقد طبع صورة اخلاقه ووفاته هذه الكريمة في قلب كل فرد من ابنائه ، فنشأوا على اصله اتقياء محبي البرّ والاحسان . في حارة بيت كسّاب أطلعني حضرة الخوري انطونيوس بن جرجس ابن الخوري انطونيوس كسّاب على نبذةٍ موجزةٍ في بيان وقف كنيسة القديسة تقلا في الحارة كتبها بالحرف العربي جدُّه المرحوم الخوري انطونيوس كسّاب ، خادم هذه الكنيسة ، وشقيق الاب نعمة الله الحرديني ،

وذيّلها بامضائه وختمه . ومنها عرفنا اسماء اشقّاء الاب الحرديني المذكور ، ابناء جرجس كسّاب الذي نزح من كسروان الى حردين . واخبرني الخوري انطونيوس المشار اليه ان جرجس كسّاب ، والد جدّه الخوري انطونيوس كاتب هذه النبذة ووالد الاب نعمة الله ، رحل من القليعات في كسروان الى حردين هو واخواه صادق وبشير . فبشير تزوّج ابنةً من مشايخ بيت الجميّل في بكفيّا ومات في حردين بدون عقب كما سيأتي . واصاحب هذه النبذة خطٌ جميل بالحرف السرياني ، وقد وقفتُ على عدّة كتب نسخها بقلمه . ولمّا كانت هذه النبذة لا تخلو من بعض فوائد تاريخية مختبئة وراء خمس وسبعين سنة ونيّف ، رأيتُ ان انشرها على صفحات مجلّة « المشرق » التي تعنى ، على الخصوص ، بدرس شؤون الشرق وابنائه ، ذكراً لبيت الاب نعمة الله الحرديني ، الذي بُني اساسه على صخرة الدين القويم والتقوى المسيحية الراهنة ، فكان منه ثلاثة كهنة اخوة افاضل انتشر عبير فضائلهم كالمسك وهم الاب نعمة الله المعروف « بقديس كفيفان » ، والاب اليشع الحبيس في محبسة دير مار مارون عنّايا ، والخوري انطونيوس صاحب هذه النبذة ، وتنويهاً بفضل والدهم الكريم الذي أشربهم من روحه الطيّب وغذّى نفوسهم منذ الصغر بمثله الصالح وتعليمه . ولا يزال هذا البيت يُتحفنا الى الآن بكهنةٍ افاضل من ذرّية جرجس كسّاب والد الاب الحرديني .

والى القارئ نصُّ هذه النبذة بالحرف الواحد ، بعبارتها الاصليّة كما صدرت بقلم كاتبها الذي لم يدوّن تاريخ السنين التي وردت فيها بالتتابع بل قدّم وأخّر فيها . وقد مرّ على كتابتها خمس وسبعون سنة وهذه هي :

البيان

علم بيان وقف القديسة مرت تقلا . في ايام اولاد الامير يوسف نزحوا والدينا من كسروان وسكنوا في محلّهم بقرية حردين . كانت الكنيسة بالقرب اليهم مهمولة بنسبة كنائس المهمولة بحردين . كان المرحوم والدنا جرجس كسّاب واخوته صادق وبشير عملوا لها كاس قبّته فضّة وكعب نحاس وصينية وبدلة

خفيفة لاجل ربا عرٌ عليهم احد الكهنة يقدّس بها الى طبعة كتب القداس بدير قزحيًا جابوا لها كتاب قداس وكان قضيهم جميع لوازمهم الروحية مع سمع القداس بالقرية . سنة ١٨٢٠ توفي عمنا بشير عن غير ولد وعن تركة وحرمة . اوقف بوصيته الى دير قزحيًا النين غرشاً والى مدرسة ماري يوحنا مارون خمسماية غرش والى ماري سركيس كنيسة القرية مقصل تتن (تبغ) وتابعه عريشة عنب . ومرت تقلا حيث هي مهمولة ما اوصى لها بارة الفرد وبعده جرت القسمة على التركة للحرمة الربع والثلاثة ارباع مناصفة بين والدنا وعمنا صادق وكلٌ منهم تصرّف بما يخصُهُ وقسم لنا الرزقة والدنا مرابعة بيننا وبين اخواننا عساف ويوسف ويعقوب من تركة بشير الذي كانت باقية بيده بعد قسمة ارزاقه سابقاً وكلٌ تصرّف بما يخصُهُ وكان ذلك سنة ١٨٢٥ . بعده بسنتين توجّه اخونا يوسف[1] للدير حين ابتدا قام الدعوى عساف على والدنا (قائلًا) اقسم لنا حصّة يوسف حيث مرتبين لك معاش علينا فما قبل والدنا كان جوابه متى لبس[2] وثبت في الرهبنة اقسم تركته عليكم فما كان يرضى عسّاف بل رجّع ما خصه من قسمة تركة بشير مع حصتنا لوالدنا ورفعنا ترتيب المعاش عنا لوالدينا وخيّاتنا وبقيت التركة بيد والدنا مع حصّة يوسف. سنة ١٨٣٠ ابتدا ايلول طلب والدنا من المرحوم المطران جرمانوس[3] ايشرّفنا بدرجة الكهنوت طلب منه انتخاب الرعيّة . جاوب والدنا ما اريد رعيّة بل عندنا كنيسة مرادي اوقف لها نصف حارة ومحلات دُوَر تتن (تبغ) من تركة اخي تخصني وارسم

---

١) هو الاب نعمة الله الحرديني المعروف « بقديس كفيفان » ابصر النور في قرية حردين سنة ١٨٠٨ ، ونذر النذور الرهبانية في دير قزحيًا سنة ١٨٣٠ . سيم كاهنًا سنة ١٨٣٣ ، وتوفي بدير كفيفان سنة ١٨٥٨ . وهو احد عبيد الله الثلاثة المرفوعة دعوى برارتهم الى رومة كما يعلم الجميع (طالع ترجمته في المشرق ٥ [١٩٠٢] : ٦٠٥-٦١٥)

٢) اي متى نذر النذور الرهبانية ولبس الاسكيم الرهباني.

٣) هو المطران جرمانوس ثابت ، رئيس اساقفة جبيل والبترون ، واخ البطريرك يوسف الثيّان من امه . ولد في مدينة بيروت سنة ١٧٧٥ ، سيم كاهنًا سنة ١٧٩٨ ، واسقفًا سنة ١٨٠٠ على جبيل والبترون بوضع يد اخيه البطريرك يوسف المذكور وتوفي سنة ١٨٣٣ (راجع برنامج اخوية القديس مارون ، صفحة ٣١٥)

ابني عليها بحيث تحرّر صك بيده ما احد له التقدّم عليه بالكنيسة فقبل المطران وحرّر والدنا حجة للوقف وبقيت بيد المطران . سنة ١٨٣١ تشرّفنا بدرجة الكهنوت وسلّمنا المطران الكنيسة والوقفية فما كان موجود بها شيء لا بدلة ولا صور سوى الكاس وكتاب القداس وبدلة مرتة (رثّة) حتى بلا باب . اخونا الاب نعمة الله حين لبس (الاسكيم الرهباني) اوقف لها نصف دارة تقن (تبغ) والنصف الثاني كان يخصنا اوقفناه . في ١٦ نيسان سنة ١٨٣٣ م طلبنا الحجة من المطران وسلّمنا الحجة والصك . بعده عملنا واسطة مع ارملة عمنا بشير حيث ما اوقف بارة الفرد للكنيسة حيث كانت مهمولة — اعملي تذكار عن نفسك ونفسه . حررت لها حجة بقطعة حرش في بشاصه وهي الربع الذي خصها من المحلّ وحيث تسلّمنا الكنيسة عملنا لها بدلات وصور لوازمها . سنة ١٨٣٢ كنا عند جناب الامير خليل الشهاب في طرابلس عن امر سيادته برجوعنا وجدنا الكاس والصينية مسروقين من الكنيسة لزم جدّدنا غيرهم وكتب ريشقريان (وصحف صغار) ورسايل وكتاب حساسي ومنجور وقرّاية وكرسي . وبعده حضر طنّوس الشدياق من بكفيا لعند خالته ارملة عمنا (بشير) كتبت له جميع تركتها بحجة وتسلّمها مدّة . بعده حضر ابن اخوها حبيب الجميّل وادعى بان التركة تخصّهُ واخذها من ابن عمته (طنوس) حضر لعندنا طنوس واحكى معنا نعمل واسطة مع ارملة عمنا نقسمها (التركة) مناصفة بينهما (بينه وبين حبيب) وان الحصة التي يأخذها يعطيها للوقف ان كان بيع متهاود ام وقف مجّاني بعهد ثابت . عملنا واسطة وفقيّة بينهما وقسموا الرزقة مناصفة وكلٌّ تسلّم ما يخصّهُ . الحصّة التي اخذها حبيب باعها حالًا حبيب الى مخلوف بالف واربعماية غرش قبل القسمة . بقي كل شيء شراكة بين مخلوف وطنّوس المذكور . سنة ١٨٣٧ م في ١٠ ايار حضر لنا تحرير من المرحوم الخوري دانيال الجميّل وكيل طنوس بان طنوس توفي واوقف الرزقة التي تخصّهُ لمرت تقلا انما تدفعوا الف غرشاً لتتوزّع عن ذمّته كما حرّر بوصيته . اعرضنا الى سعيد الذكر البطرك يوسف حبيش وان الكنيسة فقيرة وصدر امره نبيع من وقفيّة والدنا وندفع المبلغ . سنة ١٨٣٨ بعنا الى مخلوف نصف الحارة ودفعنا الالف غرش عن

الوقف وتسلمنا الرزقة . كذلك حين تسلمنا الكنيسة موجود حولها حرش داير مدار معروف حدودهم بوقته وضعنا يدنا عليهم للوقف ومنعنا الجميع عنهم وحررنا كتاب سنكسار وقف خطنا[1] . بعده رجل يسمى جرجس غوش من تنورين كان ساكن بالحارة (اي حارة بيت كساب) وله رزقة عملنا واسطة معه اوقف قطعة متطلة في كفرحلده سمح من ثمنها باية غرش ودفعنا له ماية وحرر بها حجة وقفية . سنة ١٨٤٧ نذروا بيت مخلوف الحارة النصف الذي اشتروه من الوقف وهو باقي بتسليمهم فقط سواد الماعز الذي به ينقام لرزق الوقف . سنة ١٨٤٠ نذرت والدة مخلوف دارة تتن (تبغ) لحد الآن بيدهم ما شفنا منها شيء . مخلوف جاب شحيم قوله انه وقف وغلة الدارة بيده . كذلك نذرت والدته عقوص فضة بقي عندنا ثلاث سنوات بعده طلبه مخلوف بان يعمله مبخرة عمله مبخرة ولحد الآن واضعها في بيته . ضاهر البدوي واخيه حنا نادرين (ناذرين) بوره متطلة . عبد النور ندر (نذر) ثمان جفن كرم عريش .

هذا اصل وقف الكنيسة واي من قال خلاف ذلك ام واقف شيء قبل تاريخه لا يعمل . وجميع ما هو مجدد في الكنيسة من كتب وصور ومنجور وبلاط وبياض وعمار من كيس الوقف ما احد مقدم بارة الفرد . وحررنا ذلك ليبقى كل شيء معلناً للجميع ومن يتخلف بعدنا صح حرر سنة ١٨٥٧ م .

كاتبه

الختم الخوري انطونيوس كساب

وكيل مرت تقلا

---

١) قد وقفتُ بذاتي على هذا الكتاب .

بشري مدينة المقدسين

معلومات ومستندات

للخوري اغناطيوس جمجع

٣

اساقفة بشري

اشتهرت بشري باساقفتها ومقدميها وها اني اذكر بعض من ساعدني الحظ بالوقوف على اسمائهم في التواريخ بادئاً بذكر الاساقفة.

كان دير مار اليشع في وادي قاديشا كرسياً لرئيس اساقفة بشري المطران بطرس (سنة ١٣١٥) . ثم المطران يعقوب المتوفى سنة ١٤٦٣، ثم المطران حزقيال (١٤٧٤) ثم المطران يعقوب (١٤٨٩)... ثم المطران جرجس (١٧٩٥) . وبعد ذلك كان وكلاء البطريرك على الاكليروس في الجبة كلها من بشري الى ايام السعيد الذكر البطريرك يوحنا الحاج فتوزعت السلطة، وكل ناحية اقيم لها وكيل خاص .

مقدمو بشري

لفظة مقدم تدل على الحاكم الوارث السلطة من اهله ، والمقدمون خلفاء امراء المردة بالحكم على الموارنة.

وقد ذكرت التواريخ الشيء الكثير عن مقدمي بشري. واقدم مصادرها ما كتبه ابو خطار المنطوريني والعلامة الدويهي . وها انا نورد اولاً ما ذكره المنطوريني ، ثم ما نقله الدبس عن الدويهي وغيره ، وان يكن بين الاقوال بعض الاختلاف . قال المنطوريني :

« سنة ١٢٣٧ قام حاكم على جبة بشري الرقيب وكان شدياقاً من بشري

وسنة ١٢٥٠ قام عوض ابنه سالم ولكنه لم يشبه اباه بل كان غاشماً ظالماً . وبعده اعطوا الجبة الى المقدم نقولا . . .

« وسنة ١٤٤٤ كانت وفاة يعقوب مقدم بشري وخلفه اولاده سيفا وزين وقمر وبدر ومزهر . وكانت ولاية المقدم يعقوب واولاده نحو ٦٢ سنة . وفي سنة ١٤٦٦ كانت وفاة المقدم رزق الله ابن جمال الدين ابن سيفا . وتولى بعده الحكم ابن اخيه المقدم عبد المنعم بن عساف بن جمال الدين بن سيفا . وفي سنة ١٤٦٩ توفي عبد المنعم ابن جمال الدين وتولى بعده ابن اخيه رزق الله . وفي سنة ١٤٩٥ توفي المقدم عبد المنعم بن سيفا البشراوي وتولى بعده المقدم جمال الدين . وفي سنة ١٥٢٧ كان مقتل يوحنا مقدم بشري . وسنة ١٥٣٠ نقلت المقدمية الى المناحلة . وفي سنة ١٥٧٠ كان مقتل المقدم رزق الله في طرابلس . وفي سنة ١٥٧٣ خلف المقدم رزق الله اخوه المقدم داغر عساف بن موسى . وسنة ١٧٦١ نهبت المتاولة بشري وقتلوا ابا ضاهر الفرز المقباشي وجبور اصيله وابا انطونيوس سكر وابا رزق جمجع وجبور رحمه .

« وفي الموقعة الثانية استدام القتال من شروق الشمس الى الغروب قدر ثمانية ساعات ، ودخان البارود غطى بشري فقتل من بشري فارس درغام وبطرس الفخري . وسنة ١٧٦٣ لحقوا المتاولة الى بعلبك فقتل من بشري في الشمري آدم رحمه (انتهى ما نقلناه عن تاريخ ابي خطار حرفياً) . . .

وقد ذكر الدبس في تاريخه انه في سنة ١٣٨٨ اقام الملك الظاهر الشدياق يعقوب ابن ايوب مقدماً على بشري ، وكتب له ذلك بصفحة من نحاس . وذكر صاحب الغرر ان هذا المقدم بقي حاكماً الى ان توفي سنة ١٤٤٤ ، وكانت مدة ولايته اثنين وثلاثين سنة ، وخلفه في المقدمية اولاده سيفا وقمر ومزهر وزين وبدر ، واجروا العدالة في حكومتهم فاستراح اهل البلاد في ايامهم كما كانوا في ايام والدهم . وخلف المقدم سيفا ابنه عبد المنعم ، ثم توفي سنة ١٤٦٩ ، فخلفه رزق الله ابن اخيه جمال الدين بن سيفا بن يعقوب . ثم توفي رزق الله في سنة ١٤٧١ . وخلفه عبد المنعم الثاني ايوب بن عساف بن جمال الدين . قال الدويهي ان في ايام هؤلاء المقدمين استتبت الراحة في لبنان وكثر العمران وانشئت

الكنائس والمدارس . وكان في حدشيت عشرون كاهناً ، وفي بشري نحو ثلاثمئة مذبح . وكان في قرية الحدث ستمائة جوز بقر ، وفي الحارة العليا في اهدن سبعون بغلاً . وقد احصيت اسماء النساخ . في ذلك العصر عمّا وقفنا من كتبهم فاذا هم يفيفون على مئة وعشرة نساخ ولما اشتهرت اخبار ما ساد من الامن والراحة قصد كثيرون من البلاد البعيدة للسكن في بشري مثل اولاد جمعة الذين تركوا عين حليا وتوطنوا في بشري وخلافهم . وفي سنة ١٤٩٠ توفي المقدم عبد المنعم ايوب ، وتولى المقدمية على بشري بعده ولده جمال الدين يوسف . وكان راسخاً في الايمان القويم ، وامرأته عمرت كنيسة مار حوشب في بقاع كفرا . وبعد جمال الدين يوسف خلفه ابنه المقدم الياس بن يوسف المذكور . والى هذا المقدم ارسل البابا لاون العاشر رسالته ليكون غيوراً على قومه اهل جبل لبنان وان تكون له عناية في امر الدين الكاثوليكي ، واليقظة لسياسة ملته وهذه الرسالة اتته سنة ١٥١٥ ثم توفي سنة ١٥١٩ ، ولم يكن له الا ولد قاصر اسمه يوحنا . فاغتنم الفرصة عبد الوهّاب المعروف بابن عجرمة وحكم الجهة الشمالية وذلك لانه تزوج بست الملوك ابنة الشيخ عاوان بن قر من بشري ، وكانت ذات ثروة عظيمة . امّا بشري والجهة الجنوبية فلبثت بعهده تحت سلطة المقدم يوحنا وسمي عبد المنعم .

وفي سنة ١٥٣٧ كان اجتماع في بلوزة ، ولما قدم مقدم بشري يوحنا المذكور لم يرد المقدم قيطو ابن عجرمة ان يلاقيه او يقف عند دخوله ، فطعنه المقدم يوحنا برمح فقتله . فرغبت امرأة ابن عجرمة في اخذ ثأر زوجها ، ثم استدعت اليها حمادة رئيس الحمادية ، واتفقت مع نصارى عين حليا ، فاكمنوا للمقدم يوحنا خارج دياره ولما خرج سحرًا وثبوا عليه وقتلوه . ودخل الملكية الدار وقتلوا اولاده . فلما اشتهر الخبر اسرع اهل بشري في طلب القاتلين ، فقتلوا حمادة وبعض الملكيين . فانقرضت بقتل المقدم يوحنا هذا واولاده ذرية المقدم سيفا . فانتقلت المقدمية الى ذرية قر المناحلة نسبة الى عين حليا ، لان رجلًا من عين حليا اسمه عز الدين تزوج ببنت حسام الدين بن يوسف بن قر مقدم بشري سنة ١٤٣٠ فولد منها حسام الدين . وهذا رزق اربعة اولاد وهم موسى ورزق الله

ودافر وعشينة. فلما انقرضت سلالة سيفا اخذ هؤلاء الولاية على جبة بشري ، واخذ الولاية عنهم رزق الله . قال الدويهي ان المقدم رزق الله ، مقدم بشري ، حضر مع البطريرك وثمانين مطراناً ونحو اربع مئة كاهن في تقديس الميرون يوم خميس الاسرار من السنة ذاتها ... ان المقدم رزق الله اشتهر ببسالته وعدله وحسن معاملته لمن هو تحت امره وللغريب ومنع كل تعدٍ وظلم ، وجعل المساواة في الحقوق . وكان يجلس تحت شجرة سنديان ليسهل لكل مظلوم ان يشكو له ظلمه. ومحبته للعدالة حملته على قتل اخيه عشينة لانه لم يكن حسن السيرة بل كان يسطو على الناس وينهب ويقتل ، فحنق عليه المقدم رزق الله ولما وجد ان اخاه عشينة لا يرتدع دعاه الى البرج الذي في اعلى القرية وقتله بواسطة رجال من الضنية . فسمع البطريرك واتى بشري وحرم المقدم رزق الله على مسمع الجمهور ... قال مؤلف بحيرة قدس ، العلامة الاب لامنس اليسوعي، ان المقدم رزق الله كان كريم الاخلاق مبغضاً للظلم . وبما انه قبل ان يتولى المقدمية شاهد افعالاً كثيرة منكرة من اهل العتو والكبرياء الذين يتعدون على الضعفاء والفقراء ويهدمون حقوقهم استخدم سلطته في كف يد ذوي البغي ورفع ظلمهم وكان يحب خير شعبه ولا يطيق ان يظلم القوي الضعيف فاتهم تهمة زور وحكم عليه بالموت مربوطاً بذنب حصان وهو بريء من هذه التهمة.

وذكر التاريخ انه في شهر ايار سنة ١٢٨٣ للميلاد سارت العساكر الاسلامية الى فتح جبة بشري . فسلبوا ونهبوا واحرقوا بعض الضيع والقرى مبتدئين من اهدن وحصرون والحدث دون ان يذكر بين هذه النكبة بشري. وهذا دليل كافٍ على منعتها وكثرة رجالها اصحاب البطش والصولة وعظم مقدميها وبأسهم. فنكبوا عنها لاسيما لم يكن قصدهم الّا غزوة عابرة على عادة تلك الايام. ويدل على ذلك بان بعد مدة وجيزة كانت اهدن وما ذكر من الضيع مأهولة عامرة (تاريخ الموارنة ٢٠٩ صفحة) وسنة ١٧٧١ دهم المشايخ الحمادية الامير بشير حيدر وهو في الماقورة فحارب معه شيخ بشري وظفروا بالحمادية وتركوا جبة المنيطرة الى الكورة . فتبعهم رجال جبة بشري الى الكورة وظفروا بهم . فتركوا الجبة (تاريخ الدبس صفحة ٣٩٩)

بعض حوادث تاريخية

احب ان اذكر المطالع ، قبل ان اذكر ما يأتي ، ان لكل عصر اخلاقاً وعوائد واعتقادات مخالفة لما قبله ولما بعده . فلذلك على من يطالع ان يحكم طبقاً لعوائد ذلك العصر فيعذر ما يجده مخالفاً لرأيه ويرفع الملامة.

اخراج المتاولة من بشري وفيين حاكم مارونيّ عليها

حدث ان عينت السلطة الرئيسية رجلاً متوالياً ، حاكماً على بشري . وكان سكانها الموارنة قليلين جداً مسكنهم حارة التحتا ومعبدهم كنيسة مار سابا المحاطة بالتوت وغيره من الاشجار . وقد تم الاتفاق بينهم وبين الحاكم ان عرضهم يكون مصوناً ودينهم ممارساً بالحرية، وخلا ذلك فهم مستعدون لايفاء ما يطلبه ، خاضعون لاوامره . فطيب خاطرهم ووعدهم ان لا يدع احداً يتعدى على عرضهم ولا يتعرض لدينهم فلهم حرية تامة في ذلك.

ولم يمض القليل حتى نظر احد اقارب الحاكم ابنة مارونية متصفة بجمال باهر فاحبها واخذ يستعمل مختلف الوسائل للحصول عليها فخاب امله وضاعت اتعابه. فاخذ يترصد الفرص حتى عرف يوماً ان الرجال في الكنيسة جميعهم فذهب الى بيت الابنة واراد خطفها بالقوة . فاعترضته النساء ، ونبهت الرجال بصراخها . فتركوا الكنيسة طالبين محل الصرخة . فوجدوا بعض المتاولة يحاولون اخذ الابنة عنوة وهي تقول: « اقتلوني ! الموت ولا العار » . ففار دمهم وهجموا على المقدمين وبعد مناوشة طويلة ظفروا باعدائهم . فذبحوا طالب الابنة على توتة قرب الكنيسة ، فدعيت من ثم « توتة الدم » وكانت لا تزال معروفة الى مدة قريبة وقد نظرتها بعيني وسمعت قولهم « توتة الدم » . وبعد قتلهم قريب الحاكم ، طردوا الحاكم من البلدة مع انسبائه.

ثم اخذوا بالتحفظ التام وهم عارفون ان المتاولة كثيرٌ عددهم ، وقد ذهبوا لطرح الصوت. فتحسبوا للامر واستعدوا للدفاع فردوا النهر على طرف الضيعة، مدة عشرة ايام . وفي اليوم العاشر ظهرت خيالة المتاولة ورجالهم في عدد وافر

صارخين :« اليوم قتل الموارنة ونهب اموالهم وسلب حريمهم اليوم اخذ الثأر.»

وفي الحال ارسل موارنة بشري كميناً خبأوه قرب نهر قاديشا ليضعوا العدوّ بين نارين. ثم وصل المتاولة الى مرجة قرب بشري ورفعوا اصواتهم وتراريدهم الحربية قائلين :« اليوم شرب دم العدو ، اليوم اخـذ الثأر » وهجموا هجمة عنيفة. لكن خاب املهم اذ رأوا خيلهم تغرق والرجال تأخذهم الاوحال فـلا يستطيعون ان يتقدموا خطوة الى الامام فهالهم الامر واحبوا الرجوع الى الوراء. عند ذلك خرج عليهم الكمين وحاربهم وكسرهم فولوا هاربين. وعند وصولهم الى المزرعة تبعتهم الرجال وقتلت عدداً منهم وامسكوا خيالاً . فرفع ضاهر الفرز الدبوس ليسحق رأسه فصرخ رفيق هذا الخيال :« هذا ابن الحاكم الكبير وهو وحيده فان عفوت عنه كافاك .» فاسرع ضاهر وقبل يدي ابن الحـاكم واطعمه ثم قال :« قل لمولانا والدك اننا لسنا ضد المتاولـة اصحاب الشرف ، ولا بغض لهم عندنا . غير انهم تعدوا على عرضنا فطردناهم . قل لمولانا والدك ان موارنة بشري خاضعون يحبون السلامـة . فليرسل من اراد ليحكمنا مع شرط صيانة العرض والدين »

بلغ هذا الكلام الحاكم الكبير وذكر ولده مـا رآه من معاملة موارنة بشري وطلب منه المكافأة لهم ولاسيما لمن عفا عنه واكرمه . فـارسل الحاكم الكبير لضاهر الفرز خلعة وولاه حاكماً على بشري سنة ١٦٣٨ او ١٦٤٠.

(له صلة)

من بين سجوف النافذة

مشاهدات وتأملات

بقلم الفتى اسطفان فرحات اللبناني

ياما اقلقها حركة في شوارع هذه الحاضرة ! ويا ما آلمها ضجة ! يكاد يختلط فيها الحابل بالنابل لما يكاد يذهب برشد الانسان ويضعضع افكاره .

كنت آخذاً باتمام عمل فكري ، باشرته رغم كل ازعاج — لاني تعودت ان لا أرجئ عملاً ، لا بدّ منه مفعولاً ، الى ساعة متأخرة — ولكن ، لم يكن من تلك الحركة وهذه الضجة الا ان افسدتاه عليّ ، فتأخرت عن انجازه لوقت ، وقت الى نافذتي ، وكانت الساعة السادسة مساء ، فاخذ مني الانذهال لما رأيت الناس ، على اختلاف الاعمار والاطوار ، يتقلبون في عرض ذلك الشارع ، ويزدحمون عند مفترقاته ، تباغتهم السيارات بصفيرها المقلق ، والعجلات بقرقعة دواليبها المزعجة ، كأنما مشاهد روائية هائلة ، يمثلونها بين اقبال وادبار . . . كذلك كان المارّون في الظهور والاختفاء . فلا اكاد اتبيّن الواحد منهم ، حتى يأخذ في الوجهة التي يقصدها من شعاب ذلك الشارع الطويل ، فيختفي عن نظري بين منحنياته .

وفيما انا كذلك ، واذ استلفت نظري مشهد من بين تلك المشاهد الكثيرة ، وهو ان رجلاً وامرأةً ، واظنهما زوجين ، كانا يمسكان ابنة صغيرة من يديها ، لم تشهد بعد الربيع العاشر من الحياة . فلم ارتب اذ ذاك ، انها ابنتهما . اما ملابسهم ، فكان جمالها يستوقف النظر ، الا لباس الام ، فكان ينبو عنه نفوراً ، ولا حاجة الى وصفه . . .

وكأني بالزوج لم يكن ليؤثر عليها بارتداء غيره مما يكمل هيئتها ويجعلها محترمة بعين ذوي الكمال ، بل تركها وشأنها والازياء المصرية . وكأنهما ارادا ان يخططا الطريقة التي هما ذاهبان في شأنها مع ذلك الملاك الصغير ، فوقفا يتحدثان تحت نافذتي ، بصوت كانت تصرف نبراته عن مسمعي كثرة الجلب المقلق . ثم سارا وهما يسحبان تلك الصغيرة سحباً ، وهي تعول وتضرب الارض برجليها ،

كأنما تحاول الفرار منهما ، فيحنوان عليها الفينة بعد الفينة ، تارة الاب وطوراً الام ، كأنهما يريدان اغراءها ببعض الالعاب لتسير برضى . فجال بخاطري ، والحالة هذه ، شتى الخواطر ؛ وكان اعجلها اليه ان هذين الابوين ذاهبان الى احد المعابد لحضور حفلة الصلاة ، وقد حاولا اخذ الصغيرة معهما ليحملاها على ائتلاف هذه العادة المقدسة . اجل ان هذه اول خاطرة جالت بفكري لتبرئة الابوين من اللوم ، في مثل هذه الاحوال ، وان تلك الصغيرة ما كانت تحاول الافلات منها الا لانها تركت العابها ودماها الجميلة ، ومما لا شبهة فيه إن الصغير لا يعبأ بالتعليلات مهما يكن من امرها ، بل قد يضحي بها جميعها فداء العابه الصبيانية . ولولا ما استدللت عليه من عدم احتشام المرأة بملابسها ، مما ادخل عليَّ الريب في تحقيق هذه الخاطرة ، لكانت النفس اطمأنت اليها ، لاسيما وقد تأكد عندي انها من الزم واجبات الآباء نحو البنين . لذلك عولت عنها الى خاطرة اخرى وهي : انهما خرجا لزيارة احد المرضى في ذلك الحيّ ، او على الاقل لزيارة احد ذويهما او اصحابهما حيث يستأنسان به بعض ساعات ، يتحدثون جميعاً بما يعود عليهم بالنجح والخير ، لاسيما وان دليلاً حضرني في تلك الساعة ازال بعض ما بي من الريب وهو ان ذلك الزوج ربما كان مستغرقاً في عمله طيلة النهار ، وان امرأته لم ترد ان تغادر البيت الا وتستصحبه معها كأنهما قد تعاهدا على انجاز مقتضيات الحياة ، فلا ينغص الواحد عيش الآخر ، ولا يكدر عليه صفو راحته ، لذلك قد انتظرته حتى هذه الساعة المتأخرة من النهار ، فوالحالة هذه ، كان لا بدّ لهما من ان يعلما ابنتهما هذا العمل المبرور ويمرناها عليه منذ الصغر .

فالى هذه الخاطرة كادت تطمئن النفس . الا ان طمعها بحب التنقل بين الافكار دفعني الى ان اتعداها ايضاً الى غيرها ، فقلت : اذاً ، ربما كان خروجها في مثل هذه الساعة ترويحاً لافكارهما من مشاغل الحياة ، فهما يقصدان الخلاء في ضواحي هذه الحاضرة طمعاً بالإعتزال ، ولو بعض ساعات ، عن هذه الضوضاء المملة التي تكاد تفسد على الانسان جميع اعماله ، فتدفعه الى الانزواء بين الرياض والبساتين ، حيث تنعم الابصار بمرأى جمال الطبيعة الفتّانة واذن فلذلك قد خرج هذان الابوان يستصحبان ابنتهما معهما ليحملاها على حب الاعتزال منذ

الصغر ، سيما وان في المخالطة خطرًا عظيماً على الاخلاق السليمة . الّا ان ريبي في هذه الخاطرة ايضاً لم يكن باقل من ارتيابي في الخاطرتين الاولين ، فتحيّرت ، والحالة هذه ، الى اي الافكار اطمئن رفقاً بالابوين المذكورين ، وكانا قد اختفيا عني مع ابنتهما في احد مفترقات ذلك الشارع . وكان وقوفي قد طال الى الساعة السادسة والنصف ، فانكفأت راجعاً الى عملي الاول الذي كنت ابتدأت فيه احاول انجازه ، فاكببت عليه بكل همة ونشاط . وما هي الّا ان دقت الساعة الثامنة حتى انتفضت كمن استفيق من غمي ، فاسرعت الى النافذة ، أسرّي عني بمرأى هاتيك المشاهد . وفي الحال عادني ذكر ذينك الابوين وصغيرتهما . وفيما انا كذلك واذ لاحوا لي على بعد بضعة امتار ، راجعين من حيث ذهبوا ، في ذلك الشارع ، وكان قد أضيء بالانوار الكهربائية ، كانها نهار جميل ، الا ان الابنة ، في هذه المرة ، كانت تتقدم ابويها بضع خطوات . وما هو الّا ان وصلوا تحت النافذة ، واضطرهم الازدحام الى الوقوف ، حتى سمعت الصغيرة تقول لامها ، وهي تجذبها من طرف ردائها لتنتبه اليها : ماما ، ماذا اقول للراهبة غدًا اذا سألتني ، اين قضيت السهرة ؟

— قولي لها انك كنت في البيت ، مع اخوتك .

— وكيف اكذب عليها ، وهي تعلمني الصدق ، وتعاقبني اذا كذبت ، هل دار السينما بيتنا ؟ ؟

— لا بأس في ان تكذبي هذه المرة ايضاً والّا فلا تتخلصين من القصاص .

— واذا قالت لها احدى رفيقاتي ، ممن كنّ حاضرات ؟

— لا يقلن ، لان امهاتهنّ يحذرنهن من ذلك ايضاً .

— وربما قال لها احد الصبيان الذين كانوا حاضرين ؟

وكأنها اضجرت الام بهذه المجادلة ، فرفعت هذه يدها وانتهرتها قائلة :

— كفى مماحكة ، سيري بنا ! !

وفيما هم يهتمون بالمسير اذ لحق بهم شاب لم يزل بعد في مقتبل العمر ، عليه من مسحة الجمال ما جعله يتباهى معجباً بنفسه ، فاستوقفهم ، وبعد المصافحة دار الحديث بينهم بشأن السينما ، بينما كان هذا حديث جميع الناس العائدين اذ

ذلك، في ذاك الشارع، الّا اني لم انتبه الّا الى حديث الشاب المذكور مع من نحن في صددهم. وقد ظهر لي في بدء حديثه معهم انه من ذوي قرباهم، او هو احد اصحابهم، لما كان فيه من «رفع الكلفة» ولكن ما عتم ان اتضح لي انه لا يمتّ اليهم ولا بأي نسب كان، بل ربما كانت المرة الاولى التي يجتمع بهم فيها. فقال:

— كيف وجدتم «فيلم» هذا المساء؟

المرأة: جميلاً جداً، وهل كان على ذوقك؟

— كيف لا، والسينما هي حياة النفوس، وغذاء العقول، تسكب عليها من روح تعاليمها السحرية الملأى من الحرية والحب، وتمثل لها بادوارها الجميلة احسن الصور التي هي غاية شباب هذا العصر.

الزوج: ولكنها تسرف كثيراً باطلاق الحرية الذاتية!!

المرأة: ليس فيها اسراف البتة، فيجب ان لا تؤسر عواطف المرء ما دام خُلق حرّاً.

وهكذا طال الحديث بينهم، والابنة صاغية الى ذلك تمام الاصغاء، كانما هي مدهوشة من هذه التقاريظ التي لم تكن لتوافق ما سمعته عن السينما في مدرستها. ثم توادعوا، وهمّ كل بالانصراف في الوجهة التي يقصدها، وما زالوا يتبادلون النظرات والاشارات، حتى توارروا عني في معارج الحي.

فرجعت الى نفسي عندئذٍ، متهكماً عليها لانقراضها ما لم يكن لينطبق على ذينك الابوين فقلت: اذن هي السينما «منى» الآباء الذين تبهجهم بمشاهدها، فيضحّون بفلذ اكبادهم على مذابحها.

وهي «غاية» الشباب الذين اسكرتهم حميّا الملاذ، فجعلوها مصيدة لاقتناص الاخلاق، وتأكدت عندئذٍ ان تلك الصغيرة كانت تحاول الفرار من ابويها، كما تقدم، لخوفها الاحترامي من معلمتها، تلك التي طالما اجهدت نفسها وما زالت تضحي بكل عزيز لديها في سبيل ترقية اخلاق تلك الصغيرة وامثالها شارحة لهنّ التعاليم المقدسة، والوصايا الالهية لتقصينّ عن ارتشاف تلك الكأس المارة سمّاً زعافاً، اعني بها السينما.

شذرات

اكتشافات جديدة في جبيل — بيلوس

بينا كان المنقبون يحفرون في معبد يرتقي عهده الى القرن الثامن عشر ق.م. عثروا تحت بلاطه على جرتين من الفخار وعدة آثار مبعثرة . ففتحوا الجرتين فاذا هما مملوءتان بالآثار ايضاً ، الّا انها كانت ملتصقة بعضها ببعض لما كان قد تراكم عليها من الصدأ . فاستخرجوها كلها ونظّفوها ورتّبوها . وهي كما يلي نذكرها بالتفصيل ، بادئين بمحتويات الجرّة الاولى :

١ً اربعة تماثيل من البرونز المموّه بالذهب يبلغ طول اكبرها ٣٤ سنتيمتراً . ومن المفيد ان نذكر ان الكبير منها اكبر تمثال فنيقي من البرونز معروف حتى اليوم . والاربعة تمثل اشخاصاً وقوفاً ، وقد لبسوا على رؤوسهم القبعة الفنيقية المخروطة الشبيهة باللبادة .

٢ً تمثال لابي الهول من البرونز المموّه بالذهب ، دقيق الصنع ، جميله .

٣ً اربع فؤوس واحدة منها من الفضة والثلاث الأخر من الذهب الخالص ، زنة اثقلها نحو ٤٨٠ غرام . وعلى احداها خطوط محيّة من النوع المعروف عند الصاغة « بكسر جفت » . وعلى واحدة اخرى رسم كبش ورسم كلب .

٤ً قبضة لاحدى هذه الفؤوس من الذهب المزدان بالخطوط المحيية المذكورة .

٥ً نصل خنجر من الذهب الخالص عليه حرف « سين » فنيقي ، وهو اقدم حرف فنيقي معروف .

٦ً ثلاث قبضات للخناجر ، وكلها من الذهب الخالص .

٧ً صفيحتان من الذهب قد تكونان لغمد خنجر ، عليهما نقوش ناتئة تمثل فنيقياً راكباً حماراً وبيده عصا . وامامه تيس مشجه نحوه . والى جانبه اسد يسوقه فنيقي ؛ ثم قرد يقوده فنيقي آخر ؛ ثم كلب ؛ ثم سمكة .

٨ً صفيحة من ذهب عليها نقوش بارزة تمثل كبشين واقفين ينظران الى جهتين متعاكستين ، وفوقهما كبش يرعى . ثم صورة فنيقي واقف ، وعلى رأسه

القبعة المخروطة. وهذه الرسوم دقيقة جداً حتى انها تُعدّ من اجمل آثار الفنّ الفنيقي.

٩ ثمانية دواليب صغيرة من الفضة ، قطر احدها نحو عشرة سنتيمترات. ثم دولاب من ذهب مزدان وسطه بالخطوط المحيّبة.

ثم هناك بعض قطع ذات اهمية ثنوية بالنسبة الى ما تقدّم.

امّا الجرّة الاخرى ، وهي اصغر من الاولى ، فقد كانت محتوية على نحو مائة تمثال صغير من البرونز تمثل كلها جنوداً او اشخاصاً فنيقيين.

وامّا الآثار التي اكتشفت مع الجرّتين فاهمّها نحو ستين تمثالاً صغيراً من القاشاني تمثل حيوانات متنوّعة كافراس ماء ، وهرة ، وكلاب ، وقردة...

وستعرض جميع هذه الآثار في المتحف الوطني ، في بيروت ، في تشرين القادم.

اعتداء على الحجر الاسود

وافتنا اخبار الحجاز في الشهر الماضي وفيها تفصيل اعتداء الحاج عبد الستار بن سوفي عبد الغفار الافغاني على الحجر الاسود وكسره قطعة صغيرة منه ، وسرقته قطعة من استار الكعبة ، وقطعة من المدرج الفضي . وهو حادث اقلق ائمة المسلمين في الحجاز فألفوا هيئة كبيرة من القضاة والعلماء برئاسة رئيس القضاة واصدروا بحقه حكم الاعدام مع التعزير. وانا ننشر في ما يلي ، للفائدة التاريخية، نصّ الحكم المذكور الصادر في ٢٩ حزيران ١٩٣٢، نأخذه عن جريدة « ام القرى » (٨ تموز ١٩٣٢).

« بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين في امر الدنيا والدين

بناء على صدور الارادة السنية بعدد ١٣٥ وتاريخ ١٥ / ٢ / ٣٥١ بالنظر فيما فعله الحاج عبد الستار بن سوفي عبد الغفار الافغاني من سرقته لقطعة من الحجر الاسود وقطعة من فضة المدرج الكائن بالمسجد الحرام واجراء الايجاب الشرعي واصدار الحكم في القضية المذكورة صار احضار هيئة من العلماء والقضاة الموقعين ادناه للنظر في هذا الخطب العظيم وصار احضار عبد الستار المذكور بمجلس رئيس القضاة فبعد الاستفسار من عبد الستار المذكور بواسطة ترجمانين معدلين سرّاً وعلناً حسب الاصول وهما محمد بن سروالة الافغاني البواب بباب الزيادة وعبد الواحد بن نجم الدين الافغاني احد طلبة العلم بالمسجد الحرام المكي اقر طائعاً مختاراً مكلفاً قائلاً اني في وقت الظهر في يوم من الايام قلعت هذه القطعة واشار الى القطعة المخرجة من الحجر الاسود الشريف بحجر كان بيدي كما اني ايضاً قصيت واخذت هذه القطعة من استار الكعبة واشار الى القطعة المقصوصة من استار الكعبة بمقص من حديد وكان ذلك في صباح ذلك اليوم واني ايضاً اخذت هاتين القطعتين الفضة من المدرج الفضي الواقع عند بئر زمزم حالة كونهما متصلتين به واني اعلم ان ذلك غير جائز شرعاً واخذتها للتبرك

ثم كرر اقراره هـذا ثانياً ثالثاً مختاراً بواسطة الترجمانين المذكورين اعلاه على طريق الشهادة فتقرر عليه ما يأتي:

بناء على اعتراف عبد الستار المذكور تحقق عندنا ارتكابه لثلاث جرائم عظام اولها سرقته لقطعة من الحجر الاسود الـذي هو يمين الله في ارضه . ثانيها قصه واخذه لقطعة من ستائر الكعبة المشرّفة قبلة المسلمين. ثالثها اخذه لقطعتي الفضة من المدرج الفضي حالة كونه مكلفاً عالماً بتحريم ذلك . فعليه يستحق اشد التعزير وللامـام قتله تعزيراً عقوبة له وودعاً لامثاله وحماية لجانب حرمة البيت المعظم وعلى ذلك نوقع بالاتفاق تحريراً في اليوم الواحد والعشرين من شهر صفر عام الواحد والخمسين بعد الثلاثمائة والالف (٢٦ حزيران ١٩٣٢).

التواقيع

رئيس المحكمة الشرعية الكبرى — احمد بن اسعد كاخي

رئيس القضاة — عبدالله بن حسن آل الشيخ

عضو رئاسة القضاء — محمد نور بن ابراهيم كتبي

عضو رئاسة القضاء — محمد بن عبد الرحمن ابو حسين

رئيس المستعجلة الاولى سابقاً — حسين عبد الغني

عضو محكمة الكبرى — محمد عرابي سجيني

قاضي المستعجلة الثانية
عبد الله بن عبد الرحمن بن جاسر

العلماء والمدرسين بالمسجد الحرام المكي

عبد الظاهر محمد ابو السمح آل الفتها — محمد بن عبد الرزاق آل حمزة

محمد علي بن حسين المالكي — محمد بن عثمان الشاوي »

وزادت ام القرى :

«وعلى ذلك فقد صدر امر جلالة الملك بانفاذ حكم قتل المذكور عقوبة له وردعاً لمن تحدثه نفسه بمد يده لهذا المكان المقدس عند سائر المسلمين.»

وبعد ذلك وافتنا جريدة « صوت الحجاز » المكية (١ آب ١٩٣٢) وفيها نبذة عن الاعتداءات التاريخية على الحجر المذكور رأينا من المفيد ذكرها ايضاً. قالت:

« قال في منائح الكرم للسنجاري:

ذكر العلامة ابن علان عن صاحب الزهر الباسم ، ان في سنة ٣٦٣ دخل الحرم الشريف وقت القيلولة رجل عليه طمران مشتمل على رأسه يسير رويداً، وقد خف الطواف ولم يكن فيه الا رجل او رجلان ، فاذا معـه معول من حديد فضرب الحجر الاسود ضربة شديدة ثم رفع يديه ثانياً يريد ضربـه . فابتدره رجل من اهل اليمن فطعنه بخنجر معه حتى القاه وأقبل الناس من نواحي

المسجد ، فاذا هو رجل رومي جاء من نواحي الروص ، وجعل له مال على ذهاب الركن ؛ فاخرج من المسجد واحرق بالنار.

وقال في موضع آخر : قال الشيخ محمد ابن علان المكي أخبرني شيخ الفراشين بمكة محمد ابو بكر ابن عبد الرحمن عن والده انه في عشر الثمين و٩٠٠ جاء رجل اعجمي بدبوس في يده فضرب الحجر الاسود ، وكان حاضر الامير ناصر جاوس فوجأ ذلك الاعجمي بالخنجر فقتله فاراد العجم المجاورون بمكة ان يقتادوا منه وزعموا ان ذلك العجمي شريف ، فحال بينه وبينهم القاضي حسين المالكي ومنعهم. انتهى.

وفي تحصيل المرام: وذكر الذهبي في العبر: ان في سنة ٤١٣ تقدم بعض الباطنيين من المصريين فضرب الحجر الاسود بدبوس فقتلوه في الحال. وذكر ابن الاثير ان هذه الواقعة كانت في ٤١٤

وذكر السيوطي في حسن المحاضرة : قال ابن كثير جرت كائنة غريبة ومصيبة عظيمة وهي ان رجلاً من المصريين من اصحاب الحاكم اتفق مع جماعة من الحجاج المصريين على امر سوء ، فلما كان يوم الجمعة وهو يوم النفر الاول طاف هذا الرجل بالبيت فلما انتهى الى الحجر الاسود جاء ليقبله فضربه بدبوس كان معه ثلاث ضربات متواليات . وقال: الى متى يعبد هذا الحجر الاسود ولا محمد ولا علي يمنعني عما افعله؟ فاني اهدم اليوم هذا البيت. فاتقاه اكثر الحاضرين وتأخروا عنه ، وذلك انه كان رجلاً طويلاً جسيماً احمر اشقر ، وعلى باب المسجد جماعة من الفرسان وقوف ليمنعوه ممن اراده بسوء ، فتقدم اليه رجل من اهل اليمن ، معه خنجر وفاجأه به وتكاثر عليه الناس فقتلوه وقطعوه قطعاً وتتبعوا اصحابه وقتل منهم جماعة ونهب اهل مكة ركب المصريين وجرت فتنة عظيمة جداً وسكن الحال. واما الحجر الشريف فانه سقط منه ثلاثة فلق مثل الاظفار وبدا ما تحتها اسمر يضرب الى صفرة محبباً مثل الخشخاش فاخذ بنو شيبة تلك الفلق فعجنوها بالمسك واللك وحشوا بها تلك الشقوق التي بدت ، وذلك ظاهر بها الى الآن.

ويتضح مما ذكر ان هذا الاعتداء على الحجر الاسود هو الخامس من نوعه ،

وقد جازى الله كل معتدٍ منهم بما يستحقه وحمى بيته من كل يد اثيمة تحاول هذا الفعل الذميم.»

النواقيس في لبنان

للدوق دي راغوس (de Raguse) في رحلته الى سورية:

تولّاني في سفري الى لبنان شعورٌ أثار فيَّ انفعالًا شديدًا ما كنتُ اتوقّعه وما شعرت بقوته من قبل. وذلك على رنين نواقيس الاديار والكنائس وقد ابلغته تموّجات الهواء دفعةً واحدة الى مسامعي. وانَّ لهذا الصوت نوعاً من اللذّة اللاوربي الذي يسمه في تلك الجبال.

ارتفعت تلك الاصوات نحو السماء فذكّرتني بعبادتي ووطني، فقدرتها قدرها لانها دعوةٌ احتفالية الى الصلاة تؤثر بكل موجودٍ عاقل ذي شعور، وتذكّره بواجبه لخالقه وتُشعره بحاجته اليومية الى خيوره.

انما ذلك صوتٌ عام في كل المسيحية عبارته واحدة ومعناه كثير. يرتفع عالياً في بدء حياتنا وفي نهايتها، عند الولادة وساعة الموت. وقد أحكم علاقات الولاء في سكّان ايبريا (Ibérie) المحرقة ووثّق عراه على شواطئ نهر النيفا (Neva) المتجمّدة. صوتٌ يفهمه الجميع، يعبّر عن افكار واحدة وتمنيات واحدة، واذا سمعه المسافر المسيحي بعيدًا عن اوربة أحدث فيه هزّة اضطرارية عذبة ملأت قلبه لذّة. وانما المعتقدات القويمة، والذكريات الحلوة، والوطن العزيز، والرجاء الصالح، بل وكلُّ ما يملأ رغائب الانسان ويرفعه فوق نفسه ويحلّه ولو موقتاً من قيد حاجاته المادّية شروحٌ تمليها اصوات النواقيس على البشرية.

وما أعذب ما كان شعوري وتأثري قبل لبنان في احدى كنائس استنبول!

شديدةٌ حاجة الانسان الى وصل من يشعرون بشعوره. لانَّ قلبه يخاف بل يكره الوحدة. وهو، على ما خلقه الله، مطبوعٌ على مبادلة الاخذ والعطاء. وطمّاعٌ بحصّةٍ من الخيور العامّة. وانما المعتزل محكومٌ عليه بعذابٍ خاصّ بالمجرمين. امّا المسافر فاذا وجد معتقده وعبادته ولو بين البرابرة فقد حصل على غاية عواطفه وخال نفسه كأنه بين قومه. (تعريب ا. ش.)

مطبوعات شرقية جديدة

Matz (Friedrich) : Die frühkretischen Siegel. *Eine Untersuchung über das Werden des minoischen Stiles.* 115 *fig. et* 26 *pl.* : 4°, *XV-277 pp. Berlin u. Leipzig, Walter de Gruyter et C°* 1928. *Prix* : 58 *Mks*, 50.

الاختام الاقريطشية القديمة

من المفيد ان نصف هذا الكتاب القيّم ، وان كنا متأخرين في ذلك وقد مرّ على ظهوره اربع سنوات. فان الموضوع لا يزال غاية في الاهمية اذ لا يخفى ان تلك الاختام القديمة التي اكتشفت بعدد كبير في انحاء سورية ولاسيما الشمالية منها ، والتي توصّل العلماء اخيراً الى تصنيفها وتقرير مركزها في التاريخ والفنّ ، تؤدي فائدة جليلة في ايضاح كثير من المشاكل الاثرية المشتركة بين شعوب آسية الغربية .

انتبه المؤلف لهذا الامر الخطير ، فقام ببحث واسع ودرس متواصل في مختلف المتاحف الكبيرة ، وجمع معلومات متنوّعة مكنته من الخوض في موضوع الاختام المختلفة المنتسبة الى جزيرة اقريطش القديمة اي الى المدنية المينوية . وكان كثير من العلماء قبله قد خاضوا الموضوع وابدوا فيه نظريات مختلفة . فكان علماء الانكليز يجنحون الى القول بان اصل هذه الاختام الاقريطشية امثلة مصرية . فقام بعض الالمان يعاكسونهم ناسبين ظهور تلك الآثار وطريقة صنعها الى تأثير الفنّ الطرّاني الحديث القائم في مناطق نهر الدانوب . على ان اكثر الاثريين من الالمان كانوا يميلون الى القول بتأثير فنّ آسية الغربية ، وينسبون خاصة الى الفنّ الحثي او الاناضولي المزدهر في الالف الثالث والالف الثاني ق.م. كثيراً من العناصر التي عملت على ازدهار فنّ الاختام الاقريطشية . ولا يخفى ان هذا المشكل الخاصّ يجرّ حتماً الى مسألة اعمّ وهي مسألة نشوء وازدهار الفنّ الاقريطشي بكامله .

فكان من الضروري اذاً ان يُعاد درس الموضوع من اوله ، فتُدرس جميع

المظاهر والدقائق البسيطة على طريقة اضبط من الطريقة المتبعة سابقاً حتى يتمكن العلماء من تقرير موقفهم تجاه هذه النظريات المتباينة.

وهو ما قام به الاستاذ ماتس . فاستنتج اجمالا ان ليس للفنّ المصري من تأثير يُذكر في فنّ الاختام الاقريطشية وبالعكس فان الفنّ الحثي يظهر تأثيره بمظاهر عظيمة لا يمكن انكارها في كل ما يختصّ بالصور المرسومة في اقريطش وشكل الاختام المادّي ايضاً . ولا يمكن ان ينكر كذلك تأثير الفنّ الطرّاني الحديث المزدهر في مناطق اوربة الجنوبية - الشرقية ، ويبدو هذا التأثير خاصة في ما كان يُستعمل لزخرفة الاختام المذكورة من دوائر لولبية وما شاكل . امّا ما اختصت به اقريطش فايجاد بعض امثلة لا نراها في غيرهـا من الاماكن ، وخصوصاً تحويل ما استقته من المصادر الخـارجية الى مظهر من الفنّ شخصي نفخت فيه الحياة فجعلت منه ، منذ العصور المينوية ، فنّاً خاصاً مستقـلّا تتابع تأثيره في الفنّ اليوناني القديم.

هذا ملخص نظرية المؤلف العالم التي كان من تأثيرها ان مال اليها كثيرٌ من علماء المانية وفرنسة . على ان الكلمة الاخيرة لم تُلفظ في الموضوع بعد، ولا يُفرغ منه قبل ان نرى مـا تأتينا به الحفريّات الجـديدة التي ينتظر العلماء مكتشفاتها بفروغ صبر . والكتاب سهل القراءة اجمـالا على كونه يفرض ان المطالع قرأ كثيراً من المنشورات في الموضوع . على ان اللوحة ١٥ من الرسوم غير واضحة.

س . ر .

DIE PROPYLAEN - KUNSTGESCHICHTE

Bd II, Die Kunst des alten Orient :

Die Kunst Aegyptens *von* Heinrich Schaefer

Die Kunst Vorderasiens *von* Walter Andrae

(5-10 *Tausend*) 1925. *Propyläen-Verlag. Berlin.*

تاريخ الفنّ : المجلد الثاني

ان فكرة وضع تاريخ عامّ للفنّ على الطريقة التي شاء تحقيقها طابعو هذا الكتاب في برلين لفكرة شاذّة وغريبة نوعاً ، اذ انها لا تتفق ومـا نُشر في الموضوع حتى اليوم . لا يخفى ان تاريخ الفنّ يستند قبل كل شيء الى الآثار ،

وهي حقيقة بديهية لا نرى المؤلف او المؤلفين الـذين كتبوا اقسام الكتاب يهتمون بها الاهتمام الكافي . فانهم يستقلون تاماً كلّ بموضوعه دون ان يكون هنـاك فكرة شاملة او تقسيم جامع او وحدة ، غير وحدة العنوان ، تنسق ابحاثهم . وهو اول ما تنتقد عليه ارباب « تاريخ الفن » (*Kunstgeschichte*) في طريقتهم الحاضرة .

وهناك انتقاد آخر يختصّ بالمجلد الذي نصفـه اليوم . لا شكّ ان المؤلفين اللذين قاما بكتابته من كبار العلماء ولاسيما الاستاذ شافر المعروفة مقدرته في العالم كله . على ان جهودهما لم تؤدِ الفـائدة المرغوب فيها كما يتضح لمطـالع الكتاب . في المؤلف ١٦٨ صفحة خُصت بالنصّ . ولكن لم يُجعل منها لفنّ آسية الغربية الّا ٣٥ صفحة فقط ، بينا الفنّ المصري يملأ وحده ١٣٣ صفحة . ثم ان المطالع يرى في النصّ ٢٨ رسماً . وما بقي من الصور طُبع في لوحات خاصة بلغت ٤٦٤ وهو عدد عظيم بالنسبة لصفحات النصّ . وقد طبع ٣٦ منها بالالوان . وفي الكتاب فضلاً عن ذلك ثلاث خرائط . وكل هذه الصور جميلة تقرّ بفضل الطابع ، الّا ٣ منهـا : الاولى صورة « كاتب » اللوفر (ص ٢٣٧) وهي غير واضحة ، والثانية مسلّة ايناطوم (ص ٤٨٦-٤٨٧) ، والثالثة مسلّة نارم-سين (ص ٤٩٣) ولا يظهر رأسها بوضوح كاف . يخرج المطالع من كل ذلـك وهو يشعر بانه زار متحفاً عظيماً جمع كل روائع الآثار الشرقية القديمة .

على انه اذا طالع النصّ ، وقابل بينه وبين هذه المستندات الاثرية العديدة ، وانتبه لكل مـا فيه من ايجـاز واقتضاب ، تصوّر انه يرى ، في ذاك المتحف العظيم ، دليلاً قليل الكلام يشرح له كل ما يشاهد على وتيرة واحدة وبلهجة الاستاذ المعلم . فيكون على المطالع ان يترك النصّ ، في كل دقيقة ، ويلجأ الى اللوحات وهي مجموعة كلها في مكان واحد ، ثم عليه ان يتركها ايضاً ويرجع الى آخر المجلد فيرى في فهرس خاصّ شرح دقائق الآثار وذكر مصادرها . فلا يمكن ، والحالة هذه ، ان نتصوّر مؤلفاً كبيراً اصعب استعمالاً وادعى الى التذمر من الكتاب الحاضر . حتى ان درس الفنّ الذي يجب ان يكون مصدر لذّة وبهجة للمطالع يُصبح مصدر تعب وتأفف . فيفضّل اذ ذاك مجموعة من الرسوم والصور .

وبالاختصار ان هذا الكتاب ليس « تاريخاً للفن » بل مجموعة محاضرات — لم يذكر فيها شيء من مصادر البحث ومآخذ الآراء — زيّنتها رسوم وصور جميلة معجبة. وهو رخيص الثمن بالنظر لما فيه من الرسوم. يُباع مجلداً بـ ٤٧ مركاً. وسنعود الى وصفه مطوّلاً في نشرة كلية القديس يوسف (*M. U. S. J.*) ان شاء الله.

س. ر.

E. Lévi-Provençal : L'Espagne Musulmane au Xe siècle. Institutions et vie sociale. 1 *vol. in-4 couronne avec* 24 *pl. en simili gravure hors texte et* 1 *carte en couleurs. Prix* : 60 *f*. *Larose, Paris,* 1932.

اسبانية الاسلامية في القرن العاشر

ما من احد ينكر اليوم ذاك الاثر العميق الذي تركه المسلمون في اسبانية، ولاسيما في القسم الجنوبي منها، وقد احتلوا الكثير من مناطقها مدة القرون الوسطى بكاملها. فالسيطرة الاسلامية من جهة، وعمل الاسبان المتواصل على التخلص منها من جهة اخرى، جعلا لاسبانية، ولاسيما لبلاد الاندلس فيها، صفة خاصة جذّابة تبدو لكل من عرف تلك البلاد فتدفعه الى التعمق في درسها والتأمل بمظاهرها.

هذا وان تاريخ الاندلس خاصة وتاريخ اسبانية عامة يحتلّ، في ايامنا هذه، مركزاً عالياً بين الدروس التاريخية. ولم يكن العلماء قد درسوه سابقاً الا من الناحية السياسية فحسب، فانصرفوا اليوم الى درس ناحيتيه الاجتماعية والاقتصادية. وهو المظهر المزدوج الذي يهتمّ به الاستاذ ليفي-بروفنسال فيدرس مناحيه المختلفة في القرن العاشر وهو عصر ازدهار تلك المدنية. والاستاذ يستند في ذلك الى خبرته الطويلة واطلاعه الواسع على المستندات العربية في المغرب الاسلامي، واكثرها لم تنشر بعد بالطبع بل منها ما كان المؤلف قد اكتشفه في تنقيباته العديدة. وقد لخص في كتابه الحاضر نتيجة ابحاث يواصلها منذ سنين في تطوّر الاوساط الاجتماعية على عهد الدول التي تتابعت في اسبانية وفي بلاد البربر. وهو يخوض في مسألة عناصر الشعب الاندلسي، ومظهر الحكومة والادارة في الخلافة الاموية، ونظامها العسكري، وحياتها الاقتصادية

ويخص فصلاً بمدينة قرطبة ، عاصمة الخلافة الغربية.

وقد زين الكتاب بكثير من الرسوم . وزيدت فائدته بجدول الجدي عام . فاصبح حقيقاً بان يحتل مركزاً عالياً بين المؤلفات المتعلقة بتاريخ الاسلام وبتاريخ القرون الوسطى ايضاً.

Jean Pichon : Sur la route des Indes. Un siècle après Bonaparte. 1 *vol. in-8° broché, orné de nombreuses illustr. en noir. Société d'Editions Géographiques, Maritimes et Coloniales*, 184, *boulevard St Germain, Paris* (6e), 1932

على طريق الهند ، مائة سنة بعد بونابرت

عُين مؤلف الكتاب ، الكابتين بيشون ، سنة ١٩١٨ ، مع فرقته ، ليمثل الجيش الفرنسوي في الفرق الانكليزية التي كانت تحارب في فلسطين جيوش الالمان والاتراك . فاشترك بالحملة التي قام بها الجنرال اللنبي . واحتفظ منها بتذكارات وملاحظات كثيرة يعرضها على مطالعه بفصول شائقة تدفع به من اليهودية الى الجليل ومن القدس الى دمشق.

وبعد انتهاء الاعمال الحربية ، عُين الكابتين بيشون في حلب مع جيوش الحلفاء . فاخذ يدون يوماً فيوماً ، بانشاء يصفه كثير من الظرف وشيء من المرارة وانتذمر ، كلّ ما كان يصادفه من الصعوبات مع الانكليز الذين كانوا يقولون ويفعلون كانهم سادة الموقف ، بينا كان هو وحيداً لا وسائل له ، ولا معلومات لديه ، ولا عضد يستند اليه .

وان ما يجعل هذه التذكارات لذيذة شائقة تلك اللهجة البسيطة الظريفة التي يتصف بها الكاتب والتي لا تنفي مزايا الكتاب العلمية الدقيقة . فهو من هذا القبيل مستند قيم لحوادث حربية لم تُعرف على وجهها لكثرة ما شوهت فيها الدعايات المختلفة . ويزيد في قيمته خرائط واضحة وصور جميلة طبعت خارجاً عن النص.

على ان ما يؤسف له هو العنوان الدالّ على تأليف روائي اكثر منه على كتاب تاريخي دقيق.

F. Pathier-Boneille : Le syllabisme des écritures antiques. Alphabets des écritures cunéiformes (Assyrie, Babylonie, Arménie, Perse.) *in* 8°, 49 *pp. et nombreux tableaux. Paris, Maisonneuve frères, Librairie orientale et américaine*, 1931.

مقاطع الخطوط القديمة : ابجديات الخطوط المسمارية

لاشك في ان جميع من يطالعون هذا الكتيب ، حتى من غير الاختصاصيين ، يستغربون تلك الآراء التي يعرضها المؤلف نتيجة لابحاث طويلة صرف فيها عدة سنين . فولدت هذا الكراس الذي طبع منه ٢٠٠٠ نسخة لم يعرض شيئاً منها للبيع . هذا كل ما يمكننا ان نقوله عن الأثر ، ونحن لا نطمع بتحليله ولا بتزييف آرائه .

س . ر .

Kieckers (E.): Die Sprachstaemme der Erde. *Mit einer Anzahl Grammatischer Skizzen. [Kultur und Sprache, 7 Bd] in-8°, XII-257 pp. Heidelberg. C. Winter*, 1931.

بحث في لغات العالم

يقرّ الدكتور كيكرس ، الاستاذ في جامعة دوربا ، في اول كتابه بانه باشر عملاً يتجاوز قوى رجل واحد . فان مجموعة « الثقافات واللغات » التي طلبت معاونته كان يمكنها ، في الكثير من النقاط ، ان تكتفي بالمصادر الثنوية . وهو ما شعر به المؤلف فاستفاد في بعض ابحاثه من كتابين وفرا عليه كثيراً من الوقت ومن الجهد واعاناه على جعل دروسه متفقة وعقلية جمهور القراء الذين يكتب لهم . والكتابان هما المؤلف الفرنسوي الضخم الذي نشره سنة ١٩٢٤ الاستاذان ميلله (Meillet) وكوهن (Cohen) بمعاونة كثير من اللغويين بعنوان « *Les langues du Monde* » والمؤلف الالماني الذي نشره الاب شميد (W. Schmidt) في السنة نفسها بعنوان « *Die Sprachfamilien und Sprachenkreise der Erde* »

وقد قام المؤلف بمهمته بدقة واجتهاد واسلوب حسن . ومن الطبيعي انه كان يلجأ احياناً الى بعض زملائه في ما خصّ المسائل التي لا تدخل ضمن اختصاصه . فكان من ذلك انه اجتنب اغلاطاً ومراجعات . وهو يعرض

التغييرات اللغوية باختصار مستنداً في غالب الاحيان الى اللغات الهندية - الاوربية التي يعرفها اكثر من غيرها.

على ان للمطالع ان يسأل : وما منفعة كتاب من هذا النوع ؟ ونحن ، اذا استثنينا منه بعض الفصائل اللغوية المعروفة المصنفة ، لا نرى فيه الا مجموعة ضئيلة من الاسماء الغريبة . وليس هناك فكرة شاملة يمكنها ان تساعد على اقرارها في ذاكرة المطالع غير الاختصاصي.

ولكن مهما يكن من امر فان الكتاب ، على امل ان يعيد المؤلف نظره فيه فيجمع اقسامه المتباينة في عناوين شاملة ، يفيد الطلاب نوعاً ما ولاسيما من كان منهم قليل الوقت مستعجلاً . هذا وان ثمنه البخس ، ٤ مركات ونصف المرك ، يجعله قريب المتناول. س . ر .

Dressaire (Leopold) : Jérusalem à travers les siècles. *in*-12° *de* 344 *pp. Paris, Maison de la Bonne Presse*

اورشليم على مرّ القرون

مؤلف الكتاب كاهن من رهبان الصعوديين قضى اكثر من ست وعشرين سنة في اورشليم فكتب عن خبرة وعلم بحثاً جامعاً قسمه الى ثلاثة اقسام : تاريخ اورشليم ، وآثارها القديمة ، ومعابدها . وزينه بكثير من الرسوم والخرائط . فاتى خير مؤلف في الموضوع ، بل الوحيد من نوعه بعد كتاب گيرَن (V. Guérin) الذي ظهر سنة ١٨٨٩ . ولا يخفى كم حصل من الحفريات والتنقيبات من ذاك التاريخ حتى اليوم ، وكم توفق العلماء الى الاكتشافات المتنوعة في اورشليم وجوارها . وكان من حظ المؤلف ان وُجد في محيط علمي واقف على ادقّ الامور واحدث الآراء ، لا يترك نظرية دون تمحيص ولا مشكلاً دون درس . فاستفاد من كل ذلك وجعل لكتابه حظاً وافراً من العلم والنقد لا نشكّ في انه يدعو العلماء الى الاقبال عليه والاستفادة منه . ج . ل .

Sergent (Edmond et Etienne) : L'armée d'Orient délivrée du paludisme. *in*-8° *de* 90 *pp. Prix* : 25 *f° Paris, Masson.* 1932.

جيش الشرق وتخليصه من الملاريا

كتاب لطيف الحجم حسن المظهر تزينه الحروف المرقّة والنقوش والرسوم

الغربية . فيلذّ المطالع ويفيده اذ يلخص له كيف فشا وبأ الملاريا سنة ١٩١٦ في الجيش الفرنسوي المرابط بسالونيك . وكيف عمل الرؤساء على ملاشاته باستعمال وسائط بسيطة فنالة ترددوا اولاً في قبولها حتى اذا تحققوا نتائجها الحسنة اجبروا العسكر على استعمالها ، فخلّصوا الجيش واستحقوا شكر جميع افراده .

Evangile selon Saint Luc. *introduction, traduction française par le* **R. P. Lavergne, O. P. 1** *vol. in-16 de 279 pp.* [*Collection des Etudes Bibliques.*] *Prix :* 18 *f°. Librairie Lecoffre, J. Gabalda et fils. Paris.*

انجيل القديس لوقا

لا يملّ الانسان من مطالعة انجيل القديس لوقا . فان جمال المشاهد التي يرسمها تجذبه طويلاً . على ان هذه الجاذبية نفسها تجعل المطالع يضيق ذرعاً بما في النصّ من التعابير المبهمة بعض الاحيان ومن المعاني الدقيقة الصعبة ، فيودّ لو يقف على شرحها فتكمل له الفائدة واللذة . ولهذا قام كثير من علماء التفسير فألفوا المجلدات الضخمة على انجيل القديس لوقا باليونانية واللاتينية والالمانية والانكليزية وغيرها من اللغات . وكان حضرة الاب لاگرانج قد استند الى كل ذلك في كتابه النفيس الذي نشره باللغة الفرنسوية . ولكن هذا الكتاب لا يوجد لسوء الحظ الا في مكاتب العلماء وارباب الدرس . فرأى حضرة الاب لاثرني ان يختصره بمجلّد صغير يضمه لفائدة جمهرة القرّاء من الذين لا يستطيعون قراءة المؤلف الكبير . وقد استفاد ، في ملخّصه ، مما نشره الاب لاگرانج من كتب ومقالات بعد طبع كتابه الاول . فاتى الملخّص كتاباً مفيداً يوضع عن جدارة واستحقاق الى جنب مؤلف الاب لاگرانج نفسه عن انجيل القديس مرقس .

M. J. Chaine : Introduction à la lecture des Prophètes. [*Collection des Etudes Bibliques.*] 1 *vol. in-16 de* 276 *pp. avec* 1 *croquis,* 2 *cartes et* 10 *planches hors texte. Prix :* 20 *f°. Librairie Lecoffre, J. Gabalda et Fils, Paris.*

مقدّمة لقراءة الانبياء

لا يخفى ان آثار الانبياء من عاموس الى ملاخي تمتدّ على نحو ثلاثة قرون

كاملة. ثم اذا شئنا ان نفهم رؤى دانيال في تتابع الدول وجب علينا ان نعرف تاريخ العالم الشرقي حتى عهد انطيوخوس ابيفانيوس، اي مدة ستة قرون من عهد عاموس . وهي حقبة غنية بالاضطرابات والانقلابات نشأت فيها الامبراطوريات العظيمة واضمحلت الواحدة بعد الاخرى . وكان في كل ذلك لمنطقة فلسطين دور يُذكر . بل كانت تلك الحقبة اوفر حقب التاريخ الفلسطيني تزعزعاً واضطراباً . وكان الانبياء كثيراً ما يشيرون في نبوءاتهم الى هذه الحوادث التاريخية، بل كانوا يصفونها بعض الاحيان وصفاً تاماً ، بنوع اننا اذا جهلنا هذه الحوادث واصولها ونتائجها ، ظهرت لنا تلك الآيات غامضة مبهمة فلم نفهمها.

وعليه فان مؤلف الكتاب اراد ان يضع دليلاً واضحاً يقرّر الآثار النبوية في بيئاتها التاريخية والدينية والثقافية . فتتضح النبوءات وتتخذ مظهراً من الحياة عجيباً يقرّبها من الفهم . وقد اورد في كتابه كثيراً من النصوص النبوية في معرض الكلام عن حوادث التاريخ . ثم زيّن كل ذلك بكثير من الرسوم الاثرية والصور الموضحة . فادّى خدمة جزيلة الفائدة لطلاب المدارس الاكليريكية ، ولارباب الكهنوت ، ولكل من يهتمّ بالتوراة من العلمانيين ايضاً . فان تعاليم الانبياء لا يعتق عهده ولا يمضي زمنه لما فيه من الالهام العالي والوحي السامي .

Annuaire pontifical catholique pour 1932. 1 *vol. de* 960 *pp. à* 2 *colonnes, avec* 190 *illustr. Prix* :45 *f*. *Maison de la Bonne Presse, Paris.*

التقويم الحبري الكاثوليكي لسنة ١٩٣٢

ظهر هذا التقويم الجامع للمرة الخامسة والثلاثين . ولا شك ان ظهوره يحدث احسن تأثير في قلوب جميع من تعوّدوا مطالعته والاستفادة منه ، لا من رجال الاكليروس الفرنسوي فحسب ، بل من الكثيرين من الاساقفة والكهنة والمرسلين الاجانب الذين رافقوا هذا التقويم منذ عدة سنوات . وعلى الرغم من الازمة الحاضرة لم ينقص التقويم شيئاً من صفحاته بل ظلّ محتوياً على ٩٦٠ صفحة يزيّنها بنحو مائتي رسم وصورة . هذا فضلاً عن اهتمامه الكبير بالدقة التي اتصف بها في جميع اللوائح والاسانيد التي ينشرها.

R. P. Coulet : Catholicisme et laïcité. *in-12 de 201 pp. Prix :* 10 *f*. *Paris, Action populaire et Editions Spes.*

الكثلكة والعلمانية

يجمع هذا العنوان المحاضرات التي القاها المؤلف في بوردو مدة صوم السنة ١٩٣٢ . وهي خمس ذكر فيها الخلاف مع العلمانية ، وما في مظاهرها من الاضطراب المؤدي للغموض والتمويه ، وما تقوم به من الحملات على المؤسسات الاكليريكية . ثم لخص بان عرض حلًا لهذا المشكل العويص يمكن تطبيقه والتوفيق بينه وبين النزعة الوطنية الفرنسوية .

Edm. Joly : Theotokos après le concile d'Ephèse. La Mère de Dieu dans la pensée, l'art et la vie. *in-12 de 219 pp. Prix :* 10 *f*. *Paris, Editions Spes.*

ثيوتوكس بعد مجمع افسس . امّ الله في الفكرة والفنّ والحياة

يحتوي هذا الكتاب على بحث في المجمع الافسي يشمل الفصل الاول ، ثم على درس في ما يدعوه المؤلف سر مريم ام الله وتأثيرها في الطقسيات والفنّ والآداب . وكل ذلك مستند الى كثير من الوثائق باسلوب وافر الدقة على كونه سهلًا لطيفاً يرضي دون شكّ القراء الكثيرين .

M. Chadourne : L'U R S S sans passion. *in-12 de 223 pp. Prix :* 15 *f*. *Paris, Plon.*

اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية : نظرة مترفعة عن التحامل والتحيّز

لا تزال الكتب تتوالى عن روسية السوفيتية ، ولا يزال القرّاء يتطلبون غير مكتفين بما يتراكم على رفوف المكاتب من التآليف في الموضوع . وما ذاك الا لان روسية الجديدة عديدة المظاهر متشعبة المناحي والغايات حتى انها اصبحت من اغرب بلدان العالم ، وأصبح من يسير اليها كمن كان يذهب سابقاً الى بلاد المغول . وواضح ان المؤلفين لم يتوصلوا بعد الى البحث في جميع مظاهرها والجولان في كل انحائها .

امّا مؤلف الكتاب الحاضر فقد سافر الى روسية اجابةً لرغبة احدى المجلّات . على انه لم يشأ الكلام عن بلاد السوفييت باختصار ، ولم يرد ان يعرض مشهداً عاماً لتلك الانحاء . بل اكتفى بذكر بعض حوادث حقيقية معلقاً عليها تأثيراته

وملاحظاته الشخصية مترفعاً عن التحامل والتحيّز . فكان من ذلك مجلّد لذيذ مفيد . ج.ل.

R. Berthelot : Science et philosophie chez Gœthe. *in-12 de* 189 *pp. Prix* : 15 *f. Paris, Librairie Félix Alcan.*

العلم والفلسفة في آثار گوته

يعرف الناس گوته شاعرًا ، وهو امر صحيح . على ان الشعر وحده لم يكن ليمثل ذاك العقل المثقف الجامع لكثير من مظاهر التفكير في عصره . وعليه كان من المفيد الشائق ان يُبحث عن المؤثرات التي عملت في دماغ الشاعر المذكور . وكان من نصيب المؤلف ان اختص بمظهرين منها ففتّش عمّا أثره في گوته علماء الحيويّات والفلاسفة المشاهير في عصره . وهو بحث دقيق قام به بكل ما يتطلب من عناية واهتمام، فجرّه الامر الى درس عصر الشاعر ونزعاته العلمية المتباينة من نظرية لامرك في التطوّر الى آراء هيگل في فلسفة التاريخ . وليس من الواضح ان يكون گوته قد تأثر مباشرةً باحدهما،ولكن الظاهر انه كان بين الثلاثة مجارٍ متوازية من التأثير العقلي . وهكذا توصّل الكاتب الى المقابلة بين فكرة گوته وآراء الفلاسفة والعلماء في عصره ، على اسلوب واضح شائق المظهر .

وقد اردف الكتاب بملحق ذكر فيه نتيجة محادثة عن گوته وحياته الروحية . كان فيه اقلّ دقة وتوفقاً منه في الكتاب نفسه . فانه عرض الحياة الروحية على مذهب برگسون فاستنتج ان گوته كان حكيماً وبطلًا وقدّيساً . . . ج.ل.

J. de Pange : La Cathédrale de Metz. [*Bibliothèque Catholique illustrée.*] *Prix* : 5 *f. Paris, Bloud et Gay.*

كاتدرائية متس

دليل جميل دقيق يفيد جميع من يقوم بزيارة الكاتدرائية المذكورة ، او من يودّ درسها ومعرفة اقسامها . كتبه احد ابناء اللورين من الذين يحبون وطنهم ويعجبون بآثاره . وزيّنه برسوم غاية في الجمال والفنّ .

Jacques Zeiller. : Léon Ollé-Laprune. 1 *vol. in*-16 *de* 320 *pp.* (*Collection des Moralistes Chrétiens*). *Prix* : 20 *F*. *Librairie Lecoffre, J. Gabalda et Fils. Paris.*

لاون اولي – لا پرون

كان من الواجب على مجموعة «الاخلاقيين المسيحيين» ان تفرد مركزاً للاون اولي - لاپرون ، فان فلسفته المسيحية ، وان كانت تتعلق خاصة باقرار الفكر ، كانت تنزع ايضاً الى العمل. وان آثاره النامة عن فكر عميق وعقيدة متينة ، وميل شديد الى الدفاع عن الايمان ، قد عملت دون شكّ على زيادة الكنز الاخلاقي في عصرنا هذا. فانه بعد ان اظهر ما في طريقة الاخلاق المبنية على الحكمة وحدها ، كما شاءها ارسطو ، من قيمة لا تُنكر ومن نواقص وثلم واهية ، وبعد ان بيّن ما في الطريقة المبنية على الرغبة في الكمال ، كما ارادها ملبرانش ، من جهود جديرة بالاعجاب ومن مصادر عديدة للضعف ، اخذ يبني طريقته هو في كتابه المعروف «بثمن الحياة» فرسم الخطوط العامة لطريقة يمكننا دعوتها بحقّ طريقة الاخلاق الانسانية المسيحية . وهو ما شرحه مؤلف هذا الكتاب.

L'Arabe correct en trois mois et sans maître - 59 *Leçons et exercices - une leçon et un exercice par jour*. *in* 16 *de* 520 *pp. Par* Joseph Alouan. *Missionnaire Lazariste*

١) تعليم العربية الفصحى بثلاثة اشهر وبدون معلم. وهو يشمل ٥٩ امثولة وتمريناً ، لكل يوم امثولة وتمرين.

٢) مختصر العربية الصحيحة – تأليف الاب يوسف علوان اللامازري ص١١٦، ق ١٦– مطبعة المرسلين اللبنانيين. جونية (لبنان) ١٩٣٢.

للمؤلف كتب عديدة عربية وافرنسية اهمها ظهر في الدينيات (التعليم المسيحي ، حياة القديسين ڤيانه ، جان دارك ، منصور دي پول ...) وفي اللغة (مرقاة المترجم : ٤ اجزاء) وحسبنا ذكرها لنكون على بصيرة من خبرة المؤلف وتضلّعه من اللغتين العربية والافرنسية . ان مختصر العربية الصحيحة الذي لفتنا اليه النظر ثانياً وُضع خاصةً لابناء البلاد العربية من تلامذة المدارس ورجال التجارة وغيرهم لكي يحسنوا القراءة والكتابة من غير غلط .

اما الكتاب الاول ، الموضوع للافرنسيين ، فقد رغب المؤلف في ان يجعله « المثال الاعلى » لدرس العربية. ان الاسلوب ، وان قرب المسافات الى الموارد، فلا يستطيع ان يذلّل العقبات الطبيعية الحائلة دون بلوغ الغاية الا بالمهلة والصبر. لكننا نتمنى للكتاب الجديد ان يذهب بطالبيه من الافرنج بمراحل سريعة تنقلهم في مدة ثلاثة اشهر من جهل العربية الى معرفتها صحيحة، فيكون حقيقة المثال الاعلى الذي لا غنى عنه لطلاب العربية من الافرنسيين ف.ت.

قاموس الحقوق

امبد الباقي بك الايوبي ووالده الاستاذ جلال بك باقي

المجلد الاول: ٤٩٦ ص. متوسطة - مطبعة بايل اخوان ، دمشق

جرت العادة في البلاد الراقية ان ينصرف المتشرّعون الى وضع المطولات الضخمة يجمعون بها كل ما يكون توصل اليه ، في طوره الاخير ، علم الشرع في جميع اصوله وفروعه . فتكون هذه المطوّلات شبه دائرة معارف شرعية يلجأ اليها ارباب المهنة والمصلحة يستخلصون منها الجواب الوافي والواضح على اي مسئلة تقع واي مشكلة تحدث في الحياة الشرعية اليومية. وترى هذه المطولات موضوعة بنوع مرتّب ترتيباً وثيقاً مقسومة الى ابواب معينة حسب حروف الابجدية ، تسهل كثيراً العثور على الحلّ المطلوب . فمثلاً اذا رغبت في درس مسئلة متعلقة بالوكالة تفتح المجلد حيث تجد، تحت حرف الواو ، كامل الشروحات المتعلقة بالوكالة : فترى هناك كل الآراء والمبادي الثابتة في علم الائمة واجتهاد المحاكم ، فتكون على نزهة من امرك . مثل هذه المطولات عند الافرنسيين ما يسمونه (*Répertoire pratique Dalloz*).

كانت بلادنا لتاريخ اليوم محرومة من مؤلفات كهذه . اجل ان المطولات الافرنسية قد انتشرت بالاخص في لبنان انتشاراً واسعاً . ولكن جميع المشتغلين بالحقوق الذين لم يوفقوا الى معرفة اللغة الافرنسية ظلّوا محرومين من الاستفادة من كتب كهذه . ومن جهة اخرى مهما كانت المؤلفات الافرنسية مفيدة فلا

تزال قاصرة عن تلبيـــة جميع الرغائب في بلادنا ، اذ ان بين الشرع الافرنسي والشرع المعمول به عندنا اختلافاً عظيماً في نقاط عديدة اساسية.

كل ذلك حمل حضرة الاستاذين عبد الباقي الايوبي وولـده جلال بك من دمشق على وضع هذا المؤلف الكبير الشأن المسمى بقاموس الحقوق (كما نقول بالافرنسية : *Répertoire ou dictionnaire de Droit*) وهو موضوع على نمط المطوّلات الاجنبية كما اشرنا اعلاه مرتبة موادّه بحسب احرف الابجدية . وتحت اسم المادة جميع المعلومات المتعلقة بها: القوانين المرعية الاجراء ، المبادي العمومية ، قرارات المحاكم. وقد وُفق المؤلفان في اقتفاء اثر الافرنج توفيقاً لا بأس بـــه ، رغم ان القـــارئ يتحقق اكثر من مرة ان المؤلفين لم يزالا تحت تأثير الطرق القديمة والافكار البائدة.

وقاموس الحقوق هذا يقع في اربعين مجلّدًا ظهر منها لتاريخ اليوم اربعـــة مجلدات وستظهر المجلدات الباقية تباعاً . ولا يخفى ما تكلف مؤلفات كهذه من وقت وعناء شديد. ولاسيما انه بصورة اجمالية لم يلجـــأ المؤلفان الى موازرة متشرعين سواهما.

وقبل ختام هذه الكلمة نريد ان نلفت النظر الى بعض ملاحظات بدت لنا من مطالعة المؤلف مطالعة اولى . فكثيرًا ما ترى فيـــه ذكر قرارات مهمة للمحاكم بدون ذكر المجلة او المجموعة التي ادرجت فيها هذه القرارات، وكثيرًا ما يُرجعك المؤلفان الى الكتب الفقهية بدون ان يعيّنا لك المجلد والصفحـــة اللذين يجب اليهما الرجوع . هذا عدا بعض اغلاط لا يمكن ان تكون وقعت الا سهوًا مثل ما ورد ، على شكل مطلق، من ان اجتماع الجرائم هو سبب للشدة في العقوبة.

وعلى كل فاننا نقدم الى حضرة المؤلفين تهانينا القلبية على العمل الذي قاما به مقدرين حق قدرها جهودهما العظيمة وعلمهما الواسع.

اميل تيان

الاستاذ في معهد الحقوق الافرنسي ببيروت

اسماء البنات

بقلم امين الغريب ، صاحب مجلة الحارس

مطابع قوزما ، بيروت ١٩٣٢ ص ٧٢ ، ق ١٢

هي مجموعة مقالات وجيزة ظهرت في «الحارس» ثم ضمت في كراس وقدمت هدية الى مشتركي المجلة ، فيها الكلام على ٢٨ اسماً من اسماء النساء الاعجمية الشائعة في بلادنا ، وعلى معانيها ، وعلاقاتها التاريخية ، وعلى اشهر نساء دعين بها.

في تشرين الاول ١٩٣٠ نشرت « المجلة الاميركية للغات والآداب السامية » مقالاً لادولف اوغسط بروكس في الاسماء العربية والمشاكل الناتجة من صيغها ومعانيها ، الحائلة دون سهولة ترتيبها في الفهارس العلمية . وفي خلال المقال (ص ١٨) لائحة المصادر التي اعتمد عليها الكاتب ، يظهر منها ان المستشرقين تناولوا الكلام في الموضوع منذ سنة ١٨٣٧ . . . فلذلك سررنا بما اتاه صاحب الحارس في كتابه فانه ، وان يكن قد تناول موضوعه من مصادر قريبة المنال في المعاجم الاوربية ، ومن غير طريقة المستشرقين ، فقد افاد القراء اذ نبه الكثيرين والكثيرات ممن يلفظون اسماء « ادال واستير واليانور وايزابل الخ.» الى ما يجدر بهم ان يعرفوه عن مسمياتها العظيمات . وقد عرفنا من حسن ذوق الكاتب ما سبب لنا العجب من كلامه عن حواء ، ام البشر ، باللهجة الخفيفة الداعية الى الابتسامة في موضوع اجلّ من ان يحلّ محلّ الملح ! اما ذكره القديسات في تراجم الاسماء فهو عنوان الرزانة . وعليه نهنئ كاتب مجلة الحارس وقراءها . واننا لنرى عبرة تاريخية في اهتمامهم عموماً بهذا البحث : ان تفضيل اسم على اسم في تسمية البنات وكثرة الاسماء الآتية الينا من بلاد الافرنج قد يمكن البعض تأويلها بالميل الى « التفرنج ». ولكن في الحقيقة ذلك الميل ناتج لا عن تصنع بل عن غريزة . لان الشرق ، وان يكن مصطبغاً منذ القدم بصبغة عربية ، فالعنصر الاصيل فيه ليس عربياً ، ونحن بدمنا وموقعنا الجغرافي نمتّ الى مدنيات البحر المتوسط اكثر منا الى مدنية البادية ، وان نسمّ بناتنا باسماء غير عربية ، فلا عجب ، فان الطبع يغلب التطبع . فضلا عن ان المسيحيات يطلق عليهن اسماء القديسات في المعمودية غالباً .

ف . ت .

فنّ التعريب عن اللغة الفرنسوية

تأليف ادوار مرقص

١٣٧ص. متوسطة – مطبعة كومين ، اللاذقية – الثمن ٤٠ غرشاً سورياً ، و٣٥ للشارين بالجملة

لا يخفى على احد ما لفنّ التعريب من اهمية تزداد في عصرنا يوماً ويوماً ، وما في سبيل اتقانه من عقبات لا يكاد يذلّلها الّا القليل ممن مارسوا المعرّبات مدة طويلة فقرنوا المقدرة بالاختبار. ومن هؤلاء الاستاذ ادوار مرقص. فقد آلمه ما كان يراه من المسخ والتشويه في القطع المعرّبة من روايات وقصص ومقالات. فشاء ان يفيد ابناء لغته ممّا استفاده هو في تجرباته المتعدّدة. فاصدر هذا الكتاب مشتملاً « قبل كل شيء على اربع وثلاثين من القواعد والملاحظات العامّة في فنّ التعريب ، وهي روح الكتاب ولبابه . ثم على نحو ٢٠٠ من الالفاظ والتعابير الفرنسوية التي تمثل خصائص الانشاء في هذه اللغة ولكل منها مقابل عربي لا ينطبق على ترجمتها الحرفية . ثم على نحو ١٥٠ لفظة اعجمية الاصل مع مرادفاتها العربية التي اصطلح عليها ادباء عصرنا . ثم على نحو ستين لفظة هي اشهر اسماء العلم والجنس التي يُراد بها معانٍ مختلفة في اللغة الفرنسوية بتلميح تاريخي او علاقة وصف وتشبيه وفيه اسماء آلهة اليونان والرومان القدماء حسب اساطيرهم الخرافية . ثم على جدول كبير يزيد على ٢٠٠ جملة باللغة الفرنسوية من الكلام المجازي تشبيهاً كان او استعارة او مجازاً مرسلاً او كناية مع ترجمة كل منها حرفياً والى جنبه ما يرادفه في العربية الفصحى . وقد رتّب هذا الجدول على حروف المعجم لكي يسهل على الطالب الرجوع اليه. ثم على ثمانين من الامثال الفرنسوية والعبارات الجارية مجرى المثل عندهم مترجمةً ترجمة حرفية وترجمة فصيحة . وبعدها عشرون لفظة لاسماء بعض الرتب والمناصب واصحابها. ويليها نحو ١٥٠ لفظة مستعملة في اللغة الفرنسوية وهي عربية الأصل.»

فيظهر ممّا تقدّم معظم الخدم التي يؤديها المؤلف لطالبي فنّ التعريب ، على ما في قواعده احياناً من التضييق في ما خصّ تعريب بعض المجازات الفرنسوية، ومن الرغبة في الابتعاد دائماً عن التعريب الحرفي وان لم يكن فيه ما يضير

الاساليب العربية . وعلى كل فان الكتاب جزيل الفائدة سهل الاسلوب . وحبذا ما صنعت ادارة المعارف في حكومة اللاذقية اذ قررت تدريسه في مدارسها الرسمية. ف.ا.ب.

كتاب المسيحي العابد

بعناية الاب جبرائيل ابي شديد ق. ب.

مطبعة القديس بولس، حريصا، ١٩٣٠

يسرنا ان نقدم الى القراء هذا الكتاب الصغير . جمعه ونسقه وطبعه حضرة الاب جبرائيل ابي شديد قب، فصدره بصورة اذن صاحب الابرشية بطبعه، وبمقدمة عرض فيها غرضه وهو وضع « فرض اخوية قلب يسوع حسب الطقس الشرقي الجميل، وهو قانون يسوع الحلو » مع مجمل قوانين ونظامات الاخوية، وقانون الباركليسي وغير ذلك من الصلوات، وجلها مقتطف من كتاب الفرض الكنسي.

ولا ريب ان الصلوات الواردة في كتاب المسيحي العابد تساعد كثيراً على بث روح التقوى، وانمائها في النفوس، فنتمنى له الرواج بين المسيحيين من سائر الطوائف، فتنفد طبعته هذه سريعاً، ويردفه مؤلفه بطبعة اخرى يزيد عليها فرض قلب يسوع. ف. ت.

النصف الاول من كتاب الزهرة

لابي بكر محمد بن داود الاصفهاني

نشره الدكتور لويس نيكل البوهيمي

٢١٣ ص. متوسطة – المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٣٢

هي مجموعة من الشعر الغزلي ألفها ابو بكر محمد بن داود الاصفهاني ثم الاندلسي، « فانتزعها من خواطره واختارها من غريب ما اتصل بسامعه . » وقد سمى المجموعة كتاب الزهرة . واستودعها مئة باب ضمن كل باب مئة بيت، ذكر في الخمسين الاولى منها «جهات الهوى واحكامه وتصاريفه واحواله.

وفي الحسين الثانية افانين الشعر الباقية . واقتصر في ذلك على قليل من كثير واقتنع من كل فنّ باليسير .»

وكان الدكتور لويس نيكل البوهيمي من المعهد الشرقي في جامعة شيكاغو قد نشر السنة الفائتة كتاب « طوق الحمامة » لابن حزم الاندلسي في الموضوع نفسه . فاراد ان يتابع منشوراته في هذا الفنّ واخذ بالبحث عن « الزهرة » حتى وقف على مخطوطة النصف الاول منها محفوظة في دار الكتب المصرية ، وهي الوحيدة من نوعها . فاعدّها للطبع بمساعدة الشاعر الاديب ابراهيم عبدالفتاح طوقان . وطبعها بغاية الاتقان في المطبعة الكاثوليكية وقد قدم عليها بحثاً موجزاً بالانكليزية واردفها بملاحظات واصلاحات كثيرة حتى لم يبقَ صفحة من الكتاب لم يصلّح فيها . ومع كل هذا فقد وقفنا على عدة تصحيفات واغلاط لم ينتبه لها . فنؤمل ان يشير اليها الناشر في حواشي الترجمة الانكليزية التي يعدّها للنشر قريباً ، على ما يظهر .

ف . ا . ب .

خزانة الواعظين والمتأملين

في الحياة المسيحية وحقائق الدين : المجلّد الاول

تأليف الاب اغناطيوس التنوري

٤٧٧ ص . متوسطة صغيرة – مطبعة دير سيدة المعونات ، جبيل ، ١٩٣٠

عُرف حضرة الاب اغناطيوس التنوري ، الرئيس العام السابق على الرهبانية اللبنانية المارونية ، بتقوى خالصة وعلم راسخ . وكانت رهبانيته قد عهدت اليه ردحاً من الدهر بارشاد شبانها المبتدئين والاكليريكيين ، وكلّف القيام بكثير من الرسالات في القرى ، وكان اثناء ذلك يطالع تآليف الآباء وسير الابرار وما خلّفوه من الخواطر الروحية والاقوال الحكمية . ويدوّن كل ما يراه صالحاً لمهمته تلك حتى اجتمع له كثير من المواد في موضوعات شتى . فرأى ان يعين من يدفعهم الواجب الى الاخذ بالمهمة التي اخذ بها . فوضع هذه الموجزات التي هي اشبه برسوم وتقاسيم مقتضبة لموضوعات الوعظ والتأمل ، يستعين بها

المرشد فيؤلف ما شاء من العظات الموافقة للمكان والزمان. وتسهيلاً للمستفيدين، قسم المؤلف هذه الموجزات على ثلاثة موضوعات عامة خص كل منها بمجلد. فاحتوى الاول، وهو ما نصفه اليوم، على اعتبارات في الحقائق، والواجبات الدينية، والرذائل، والفضائل، والمراقب الابدية. وسيشمل الثاني اعتبارات وتأملات في الواجبات الاكليريكية والرهبانية. اما الثالث فيجمع تأملات في حياة السيد المسيح، والقديسين، وعبادات اذار، وحزيران، وتشرين. وقد جعل له اسماً شاملاً فدعاه « خزانة الواعظين والمتأملين » وهو بالحقيقة خزانة غنية نرجو ان يستفيد منها من فُتحت لاجلهم. ف. ا. ب.

آثار اللسان والقلم

او الخطب السياسية والادبية باللغتين العربية والفرنسوية

للاب بولس عبود

١٤٠ ص. متوسطة باللغة العربية ونحو ١٠٠ ص. باللغة الفرنسوية – مطبعة المرسلين اللبنانيين، جونية، ١٩٣٢ – الثمن: ليرة سورية.

الاب بولس عبود مؤرخ مدقق، وقانوني ضليع، ووطني مخلص، وسياسي مجرب، وخطيب بليغ. وهو، في الكتاب الحاضر، يظهر بهذه المظاهر جميعها. فمن تقارير سياسية، الى ابحاث تاريخية، الى اعتبارات قانونية، الى حملات وطنية، ينتقل المطالع ومل. اهابه الاعجاب بهذه الحركة المباركة، والرجاء ان تظل في عملها لفائدة الدين والعلم والوطن. ومما يزيد في قيمة المجموعة مستندات وملحقات تبيّن علاقة المؤلف بالحكومة الفرنسوية وتفيد، دون شك، ارباب التاريخ اللبناني في هذه الحقبة الاخيرة. ف. ا. ب.

سلّم اللسان في الصرف والنحو والبيان

تأليف جرجي شاهين عطيه

الدرجة الثانية: ٢١٣ ص. صغيرة – مكتبة صادر، بيروت، ١٩٣١ – الثمن: ٦ فرنكات

اشرنا في عدد مضى (ص ٤٧٨ من السنة الحاضرة) الى ظهور الدرجة الاولى من هذا السلّم. وها ان الاستاذ المؤلف ينشر اليوم الدرجة الثانية مشتملة على

٣٨ درساً في اخص قواعد الصرف والنحو ، يتخللها ١١٠ تمارين على القواعد الواردة . فنتمنى له من الرواج ما تستحقه جهود مؤلفه الفاضل . ف . ا . ب .

المثري النبيل

عرّبها عن موليير الياس ابو شبكه

٧٨ ص . صغيرة – مكتبة صادر ، بيروت ، ١٩٣٢ – الثمن : ٧ فرنكات

وهذا الكتيب ايضاً من منشورات « مكتبة صادر » الحديثة . وهو تعريب لرواية موليير الهزلية المعروفة باسم « *Le Bourgeois Gentilhomme* » . وقد عرّبها الاستاذ الياس ابو شبكه فافاد محبي التمثيل وطلاب المدارس من الذين يدرسون الرواية المذكورة باصلها الفرنسوي ، فائدةً محسوسة تُذكر له بالشكر . ف . ا . ب .

* نشرة السنة السابعة والخمسين لمدرسة الحكمة المارونية (١٩٣١ – ١٩٣٢) * ٤٦ ص . متوسطة باللغة العربية و٥٤ ص . باللغة الفرنسوية . مطبعة المرض ، بيروت ١٩٣٢ – جمعت اسماء الاساتذة والطلبة مع نتيجة الامتحانات ، ووصف بعض الحوادث المدرسية .

* المرسلون في لبنان وسورية قبل مائة سنة * ٣٠ ص . متوسطة . المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ١٩٣٢ – هو المقال النفيس الذي طالعه القرّاء الكرام في « مشرق » هذه السنة بقلم ابراهيم بك ابي سمرا غانم ، نشره على حدة فاستقبلته الصحافة العربية بما يليق به من حسن التقدير .

* الزواج * ٦٦ ص . متوسطة ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ١٩٣٢ — هو البحث الاخلاقي اللاهوتي الذي وضعه الاب شرل ايلا اليسوعي تبعاً للرسالة البابوية « *Casti connubii* » ونشره متتابعاً في « المشرق » . وقد لاقى من اقبال القراء ما اهاب بالمطبعة الى طبعه على حدة وجعل ثمنه فرنكاً واحداً تسهيلاً للاستفادة منه .

* خلاصة اعمال شركة القديس منصور دي بول في بيروت عن سنة ١٩٣١ * ٤٦ ص . صغيرة ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ١٩٣٢ — مجمل الداخل : ٦١١,٨٠٨ غ . س . ومجمل الخارج : ٣٦١,٠٢٦ غ . س .

اهم حوادث الشرق في شهرين

١٥ حزيران — ١٥ آب ١٩٣٢

لبنان وسورية — سافر المفوض السامي المسيو بونسو الى باريس في ٣٠ حزيران.

* تبودلت الزيارات والمآدب بين رئيس الجمهورية اللبنانية ورئيس الجمهورية السورية.

* يوالي رئيس الحكومة اللبنانية اذاعة المراسيم وغاية اكثرها تنظيم دوائر الموظفين وتنظيم اعمال البلديات، وسنّ بعض التشريعات الخاصة.

* عاد نياقة السيد فريديانو جيانيني، القاصد الرسولي، من رومة الى مركزه في بيروت.

* دُشّن في بيروت مستوصف مجاني اسمه «مستوصف حفظ الصحة العامة» لامراض الصدر والجهاز التنفسي، وهو تابع للمكتب الطب الفرنسوي.

* تألفت في دمشق شركة وطنية لتأسيس معمل لحفظ الفواكه والخضر وسمّت نفسها، «شركة الكونسره (كذا!) السورية المساهمة»

مصر — تم ربط القاهرة بلندرة وباريس ورومية ومرسيلية بواسطة التلفون اللاسلكي.

* زار اسماعيل صدقي باشا، رئيس الوزراء، ايطالية فقابل في رومة قداسة البابا، وجلالة الملك، والسنيور موسوليني.

* توفي في فرنسة الامير كمال الدين حسين، اكبر انجال السلطان حسين كامل

شرقي الاردن — سيم الارشيمندريت بولس سلمان اسقفاً للروم الكاثوليك.

* منعت الحكومة دخول سلطان باشا الاطرش عمّان واوعزت اليه ان ينتقل الى انكرة.

* ارسلت الحكومة البريطانية عدداً من الجنود الانكليز ومعهم المدافع والرشاشات الى الحدود بين شرقي الاردن والحجاز. ثم جاء المفوض السامي بفلسطين الى عمان والعقبة وتفقد بنفسه المخافر على الحدود.

الحجاز — بعد ان اقلقت حركة ابن رفادة افكار الجمهور، اذاعت الوكالة الحجازية النجدية في دمشق بلاغاً رسمياً تقول فيه ان ابن رفاده قد قُتل مع ولديه وثلاثمائة وسبعين من رجاله في ٣٠ تموز بقرب جبل شار. الا ان الاخبار الخاصة نفت مقتل الثائر خاصة وكل ما جاء في البلاغ الرسمي عامة، ومهما يكن من الامر فان الثورة لا تزال في اتيانها.

العجم — وافق البرلمان الفارسي على معاهدة جديدة تمنح بها تركية جبل ارارات الصغير، مقابل بعض الاراضي التي تخلت عنها تركية للعجم في الجنوب. ووافق ايضاً على معاهدة جديدة مع الانكليز تنازلت فيها انكلترة عما لها من الاسلاك والآلات البرقية في بلاد العجم، مقابل امتيازات أعطيت لها على شاطئ خليج العجم حتى سنة ١٩٤٥.

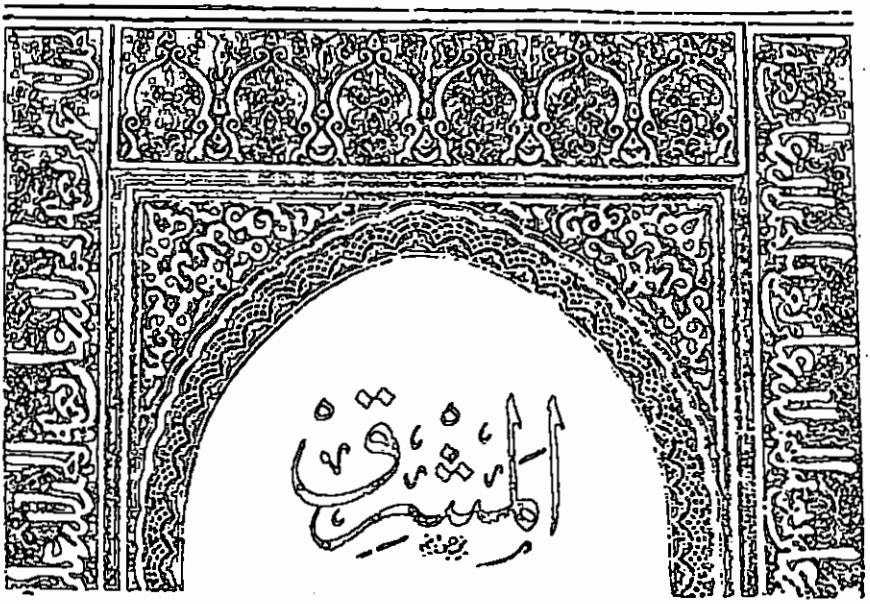

السنة الثلاثون تشرين الاول ١٩٣٢

الطقوس والطوائف

في

الكنائس الشرقية

للابوين يوسف مونجان وفرديناند توتل اليسوعيين

١

توطئة

اخذ مجمع الكنائس الشرقية المقدس يُعنى بتدوين الحق القانوني الكنائسي للطوائف الشرقية وطقوسها ، فاتجهت جهود الكتبة والدارسين الى تلك الناحية من العلوم الدينية ، واشتدت ، في المدارس الاكليريكية ، عزائم الاساتذة والطلاب في مواصلة البحث عن هذا الموضوع الخطير . وان ادارة الدروس الاكليريكية في كلية القديس يوسف مهتمة ، منذ سنين عديدة ، اهتماماً خاصاً بالمسائل المتصلة بحياة الكنائس الشرقية ، المساعدة على حسن التفاهم ، وعلى التقارب بين المسيحيين الشرقيين والكرسي الرسولي ؛ ففتحت في معهدها اللاهوتي منهجاً واسعاً لدرس الشؤون الطائفية والطقسية .

من الدروس التي القاها الاب يوسف مونجان اليسوعي ، استاذ اللاهوت الادبي والحق القانوني في اكليريكية كلية القديس يوسف ، نتج كتاب طُبع باللاتينية طبعة حجرية ،

باسلوب مدرسي محض ، وهو آلة للبحث ، ومورد لذاكرة التلاميذ في مراجعة الدروس التي سمعوها ، وفيه من المنافع والفوائد ما يعزّ وجوده في اللغات الاجنبية فضلًا عن العربية . وهو حقيق بان يتداوله لا طلاب المدارس فحسب بل كل كاهن متنوّر وعلماني مثقّف ، غيور على معرفة شؤون الطوائف واصولها . فاقتطفنا منه ما رأيناه ، بالاتفاق مع المؤلف ، صالحًا للنشر ، وعرّبناه تعريبًا مخالفًا بعض المخالفة اصله اللاتيني ، اذ جرّدناه ، ما امكن ، من صبغته المدرسية المحضة والبسناه الحلة التي لا بدّ منها ليروق اعين القراء ، متوسّعين ببعض البنود الواجب شرحها لتقريبها من العامة ، موجزين ببعض الشروحات المستفاضة ، وغرضها جدلي لا غير ، مقدمين في اوائل الكتاب ما اخره فيه المؤلف ، مؤخرين فيه ما قدّمه ، طبقًا لما رأيناه موافقًا لحسن التنسيق ورونق الانشاء .

على ان فكرة المؤلف المبتكرة لم تتغير ، ولم يظهر منها ، في الطبعة العربية ، الا ما اطلع عليه حضرة الاب مونجان بذاته ورآه موافقًا صميم آرائه .

هذا تنبيه لا بد منه ليكون القارئ على بصيرة من صحة نسبة المقال الى صاحبي التوقيع . فيعود لكل ذي حق حقه . الاب فردينان توتل اليسوعي

***

اذا ما قابلنا بين حالة المسيحيين كما كانوا على عهد الرسل ، وهم روح واحدة وقلب واحد مشتركون بقسمة الخبز ، وحالتهم كما هم الآن في العالم موزّعون بين طوائف وملل شرقًا وغربًا ، لا يسعنا الا السؤال كيف نشأت تلك التنوّعات حتى ضمن الكنائس الكاثوليكية المتحدة مع الحبر الروماني بايمان واحد ؟ وقد ينال سؤالنا هذا ، فيما يخص الكنائس الشرقية ، اهمية عظيمة ، لان امر الطائفية في بلادنا أسّ من اساسات الحياة الاجتماعية فضلًا عن الدينية ؛ والطائفية تسود في الانتخابات وفي توزيع الوظائف العمومية ، ولها حقوقها المرعية اليوم في جملة حقوق الاقليات في جمعية الامم كما كانت مرعية الامس على عهد بني عثمان . وربّ قاعدة من قواعد الشرق كحلب وبيروت ومصر ضمت في حدودها الكنائسية جماعات من المؤمنين الكاثوليكيين الذين يحقّ لهم ان يتناولوا جسد الرب من مائدة خلاصية واحدة ، وهم مع ذلك ينتمون كل جماعة الى رئيسها ، ولها كنيستها ، وكهنتها ، ولغتها وتقاليدها وحقوقها العامة والشخصية ، انما هي وحدة الايمان بتنوّع الطقوس والطوائف .

ولا حاجة الى تعداد تلك الطقوس والطوائف ، والقارئ اللبيب يعرفها . وسوف يأتي الكلام عليها مفصلًا ، وهي كلها تنتمي الى اصل واحد وهو الدين

الذي أسسه السيد المسيح على الارض.

ولا يخفى ان هذا الدين كان واحداً في عقائده وفي طقسه. ان امر العقائد لا يدخل في موضوع كلامنا الآن، وما همنا الا الطقوس كيف تفرّعت من اصلها ونشأت وتعددت، ونالت ما نالته من الاهمية حتى صار الاحبار الاعظمون يسنّون الشرائع في سبيل حفظها وصيانتها واصبح من واجب الرعاة والمؤمنين ان يدرسوا تقاليدها ويسلكوا بموجبها؟

ان البحث لا يوفي الموضوع حقه الا باستقصائه من اصله، والسؤال عن معنى كلمة الطقس والطائفة. وهذا السؤال يؤدّي الجواب عليه فرصةً لمباحث نظرية ينتج منها فوائد لا تاريخية فقط، تلبية للمطلوب، ولكن ادبية وعملية ايضاً، لانها تفسّر لنا خطة الكنيسة في معالجة شؤون الطقوس وتساعدنا على ان نسلك تلك الخطة بارشادها من غير افراط ولا تفريط في التمسك بالمبادي والعمل بها.

ما معنى لفظة الطقس في اصلها اللاتيني؟ - كيف تطوّرت ورادفت معنى الطائفة او الكنيسة في بلاد الشرق؟ - كيف استقلت كل كنيسة او طائفة عن غيرها حتى صارت قوميات عديدة ضمن منطقة واحدة؟

ان الجواب على سؤالاتنا الثلاثة هذه، يكون موضوعاً لمقالنا اليوم.

١

الطقس ومعناه وتحديداته

من يؤدي لنا معنى الطقس بعرفه الكنائسي الكامل؟ اذا عمدنا الى معجم اللغة العربية قرأنا التحديد التالي: الطقس معناه الطريقة، وغلب على الطريقة الدينية، وهو لفظة نصرانية دخيلة.

وهذا التحديد لا يروي غليلاً لانه لا يميز بين طريقة وطريقة. ولا بد من البحث على معنى لفظة «طقس» في عرف النصارى واستعمالها الشائع بينهم، وعلى الاخص في آثار احبارهم ومعلميهم وذلك في حياة الكنيسة، وفي وثائق الكرسي الرسولي، ورسائل البطاركة.

معنى الطقس في حياة الكنيسة

فان انعمنا النظر في حياة الكنيسة رأينا فيها رتباً مقدسة كرتبة العماد ، وسمعنا فيها اقوالاً ، وشاهدنا فيها اعمالاً واشارات ترافق الرتب المذكورة ، والمسيحيون يسمونها طقساً.

واذا سرّحنا رائد البصر في كل كنيسة من الكنائس وجدنا فيها رتباً مقدسة خاصة بها ، هي عبارة عن الرسوم الموضوعة للقيام بواجب العبادة العمومية - وهذه ايضاً يدعوها المسيحيون طقساً: هناك ، مثلاً ، الطقس الليوني ، نسبةً الى مدينة ليون في فرنسة ؛ والطقس الميلاني ، نسبةً الى ميلانو في ايطالية . واذا شملنا بنظرنا كنائس عديدة وقابلنا بين رتبها او طقوسها ظهر لنا الطقس بظاهرة جديدة . فانه تارة يفيد الرتب التي لا تصطبغ بصبغة نظامية متعلقة بالاحوال الشخصية المدنية ، كالطقس الليوني المذكور آنفاً ، والطقس المستعرب (Mozarabique) المنسوب الى البلاد الاسبانية التي عاش مسيحيوها تحت الحكم العربي في القرون الوسطى ؛ وطوراً يفيد الرتب او ظاهرات العبادة العمومية المتعلقة بنظام ما كنائسي مؤثر في احوال الاشخاص المنتمين اليه ، كالطقس الماروني او الارمني.

وان المقابلة بين الكنائس اللاتينية والشرقية خاصة تكشف لنا على طقوس لا تختلف بعضها عن بعض الا في الرتب المقدسة ، وتبقى موافقة بعضها بعضاً في الانظمة والفرائض كالطقس الليوني والطقس الميلاني في الكنيسة اللاتينية ؛ وترينا طقوساً تختلف فيها الانظمة والفرائض كما هي الحالة في الطقس اليوناني او البيزنطي والطقس الارمني والطقس القبطي ، في الكنيسة الشرقية.

فان شئنا ان نطلق على الطقس تحديداً شاملاً معانيه بتمامها قلنا، وكان قولنا التحديد العلمي الواجب الاصطلاح عليه بين اللاهوتيين : ان الطقس هو ترتيب الرتب (او الليتورجية) المقدسة المرتبط بنظام ما.

فالليتورجية ، او فرائض الخدمة والعبادة الرسمية في بيعة الله هي كالعنصر الاولي والاصلي المكوّن منه الطقس ؛ اما النظام المرتبط بها ، فهو لاحق لها ،

وهو كعنصرها الثاني . ومن ثم يبدو حالاً الفرق بين العنصرين ، وكل واحد في مرتبة غير مرتبة صاحبه ، ولكل واحد خواصّ غير خواصّ الثاني . فالرتب يعسر جداً تغييرها ؛ اما النظام ، وان يكن عسير التغير ، فهو اقل منعة من الطقس دون التغير ، اذا ما مست الحاجة الى ذلك في ظروف الزمان والمكان .

معنى الطقس في تعليم الكرسي الرسولي

لم يعالج الكرسي الرسولي المسألة التي نحن في صددها مباشرة وخاصة . لكنه وضع اركان التعليم الكاثوليكي فيها ، لما تكلم عليها عرضاً في مراسلاته مع الشرق .

في ٢٤ شباط سنة ١٨٧٠ وجه البابا بيوس التاسع رسالة الى السيد انطوان يوسف تيانو ، القاصد الرسولي في القسطنطينية ، ليبلغها الى الكنيسة الارمنية الكاثوليكية : قال :

« يجب ان يُنبّه الارمن وسائر ابناء الطوائف الشرقية الى الفرق العظيم الموجود بين الرتب الكنائسية (*rites*) وبين انظمتها (*discipline*) ؛ لان الخلط في الامرين كثيراً ما يؤدّي الى الالتباس والاضطراب في عقولهم وقلوبهم ، ويثير فيهم عواطف التضجر والتذمر على الكرسي الرسولي . وسرعان ما يغتنم اعداء الكرسي الرسولي كل فرصة سانحة لتذكية نار تلك العواطف ووضع العوائق دون ارادة الاب الاقدس وتحقيق امانيه الخلاصية في سبيل الكنائس الشرقية .

« اننا ، مع كل الذين سبقونا على هذا الكرسي الرسولي ، اعلنا ارادتنا بوجوب المحافظة على الطقوس الشرقية ، في كل ما ليس فيها مناقضاً للايمان وللوحدة الكاثوليكية او للآداب الكنائسية ولياقتها . لكن تلك المحافظة لا تحول دون ان يتمّ حسن التنسيق في نصّ القوانين الكنائسية النظامية ، لكي تكون موحدة في اهم ابوابها ، عسى ان تسترد قوامها السابق ، بعد ما تكون قد تزعزعت وضاعت على مدى الايام » :

معنى الطقس في اقوال الاحبار الشرقيين

ان اقوال الاحبار الشرقيين على اختلاف لغاتهم وتنوّع الرسائل التي ارسلوها الى رومة في شأن الطقوس لمما يأتي مصداقاً لقولنا السابق في معنى الطقس وتحديده ، والتمييز بين الرتب والانظمة

في ١٨ مارس ١٨٧٠ ارسل الاساقفة الروميون الى المجمع الفاتيكاني ممروضاً غرضه الشؤون الطقسية[1] قسموا فيه النظام اربعة اقسام : ١ً نظاماً طقسياً ؛ ٢ً نظاماً قانونياً شاملاً الاكليروس والعلمانيين معاً ؛ ٣ً نظاماً خاصاً ببعض الاحوال ؛ ٤ً نظاماً عادياً او مألوفاً.

١ً فالنظام الطقسي ، موضوعه الاحتفال بالقداس الالهي واقامة الصلاة الرسمية ، ومنح الاسرار وسائر الرتب المعهودة في الكنيسة اليونانية. قالوا فيه: انه يجب ان لا يطرأ عليه تغيّر لانه يرقى الى عهد الرسل وتقاليد الآباء ، واستشهدوا على قولهم كلام القديس باسيليوس.

٢ً والنظام القانوني ، او الموضوع للاكليروس والعلمانيين معاً ، هداية لهم في طريق الصلاح ؛ قالوا فيه: ان بنوده ، اذا حفظت ، ادّت بحافظيها الى ذرى القداسة ، فما من حاجة الى التغيير فيها.

٣ً والنظام الخاصّ ببعض الاحوال ، وموضوعه النقائص العارضة في بعض الاحوال الرهبانية او الكنائسية ضمن مقاطعات محدودة ولاشخاص معيّنين ؛ قالوا فيه: ان كان ولا بد من ادخال التغيير فيه ، فيكفي ان ينال التغيير البقعة من الأرض المذكورة ، او الاشخاص المذكورين ، بواسطة مجمع محلي.

٤ً والنظام المألوف اي المدوّن ، لا في الكتب ولكن في العوائد الجارية بين المؤمنين ، قالوا فيه: انه من الواجب ان يتبع فيه مثال الكنيسة الرومانية ، فتراعى الظروف الجديدة الغير المألوفة في العوائد القديمة والجديرة بان تنبه خواطر اولياء الامر الى ضرورة الاصلاح والتجديد . وخذ لك في ذلك مثلاً نظام الدواوين القانونية ، والمدارس الاكليريكية وغيرها ، والمستشفيات الخ الخ.

---

(١) راجع مجموعة مانسي : ٥٣ ، ص ٦٢٢ .

وختموا كلامهم معربين عن رغائبهم بالّا يُحدث تغيّر في الطقس ولا في نظام الكنيسة اليونانية ، لكي لا يصيروا هدفاً لاعتراضات الاخوة المنفصلين وانتقاداتهم .

وان كلام الاساقفة الروميين يبيّن الرابطة بين الطقس في معناه الاصيل ، وبين عنصر من عناصر النظام الممكن ان تتغير من دون ان يتغير الطقس في صميمه ، ومن امثال ذلك التغيرات الممكن احداثها في نظام الامتيازات والوظائف والرتب الخ... وهي محفوظة في بعض الكنائس ومهملة في غيرها . ولهذا الامر ايضاً تشهد اقوال بطاركتنا الشرقيين ، ولا شك ان القارئ يشتاق الى سماعهم ، ولنا في الاعادة افادة .

اليك ما كتبه البطريرك غريغوريوس يوسف ، السعيد الذكر ، في ١٢ ايار ١٨٦٦ الى الكردينال رئيس مجمع انتشار الايمان ، وقد عربنا كلامه عن الايطالية اخذاً عن مجموعة ماني (٤٩ : ٢٠٠) .

« ان الكنيسة الشرقية في حاجة الى الاصلاح وذلك من وجوه عدة اهمها البنود التالية : قلة نظام الرهبانيات ؛ سلوك المرسلين اللاتين بالطوائف الشرقية طريقة تمس بحقوقها ؛ الجهل في السواد الاعظم من الاكليروس ؛ عدم وجود حق قانوني خاص ومناسب لعوائد كل طائفة من الطوائف لان القوانين القديمة مهملة ملغاة وممارستها غير ممكنة والحكم في الكنيسة الشرقية اصبح قيد الاستبداد ، والقانون صار هدفاً لمخالفات شتى .

وان هذه النقائص متغلغلة في جسم الطائفة وفي حياتها وماسة بالنظام ، فلا بد من اجراء بعض التغيرات في الاحوال الحاضرة لبلوغ المأرب من الاصلاحات المنشودة .

فكلام البطريرك غريغوريوس يوسف مصداق اذن للقول السابق المميّز بين الطقس والنظام .

وبالمعنى ذاته تكلم السعيد الذكر اغناطيوس فيلبس عركس ، البطريرك السرياني الانطاكي ، في رسالته الى الكردينال ذاته (٢٦ آب ١٨٦٦) . فقد وصف الاضرار اللاحقة برعاياه من جراء الدعاية البروتستانية وغيرها ، وسأل

القلّح عليها بالسلاح ذاته الذي هاجمت به القطيع المسيحي، اعني بطبع الكتب الدينية، وفتح المدارس والمستشفيات، وغير ذلك مما لا يمكن احداثه من غير احداث تغيير في النظام الكنائسي الحالي.

وكذلك السيد انطونيوس حسون، جاثليق الارمن، في رسالته الى الكردينال المؤرخة من القسطنطينية في ٢٥ آذار ١٨٦٦. فقد كشف على امراض النفوس الروحية: روح الماسونية، الاضاليل العصرية الخ. ثم دعا الى معالجتها بالوسائل المستحدثة في التعليم وفي الانظمة الكنائسية. ذلك ما دلّ على اعتقاده امكان ادخال بعض التغييرات في النظام.

وان الفرق الموجود بين الطقس والنظام بيّن من طبيعة الامر ومن غاية وجودهما في الكنيسة. تلك الغاية انما هي خلاص النفوس. فان كان النظام غير قابل التغير البتة، وبقاؤه واجب كبقاء الطقس بمعناه الاصلي، تعذّر تدبير الكنيسة على رؤسائها وعلى من عهد اليهم بامورها الروحية والزمنية طبقاً للاحتياجات العصرية ولتقلب الاحوال في الزمان والمكان. وقد يصح غالباً في الكنائس الشرقية عامة، الكلام الذي قاله البطريرك غريغوريوس يوسف على الكنيسة الملكية خاصة، وعدم وجود حق قانوني تقيد به. فان كان احداث التجدد في النظام غير ممكن، فكيف الوصول الى وضع القانون؟ وقد علمت الخبرة ان عدم مجاراة الظروف في احكامها، عند حدوث الحوادث الجديدة، يؤدي الى اضرار جسيمة. والشاهد في ذلك كثرة الدعاوي الناتج عنها فسخ الزواج، وزيادة حوادث مخالفة شرائع الصوم والقطاعة وحفظ الاعياد، والتصرف المطلق، في بعض الاحيان، بالسلطة الكنائسية من غير قيد ولا شرط.

هذا من امر الطقس ومعانيه وتحديداته والنتائج الصادرة من ذلك؛ على ان في بلادنا طقوساً عديدة. فكيف نشأت؟

(لها بقية)

لبنان في عهد الامير فخر الدين

منذ ثلاثمائة سنة

١٥٩٥ — ١٦٣٥

بقلم عيسى اسكندر المعلوف

مؤلف تاريخ الأسر الشرقية

٢

عودة المعني الى الوطن

فتفاوض فخر الدين الفرندوق ، واخبره بشوق والدته اليه والى اهل بيته ، واستأذنه بالسفر . فلما رأى الحاجه اذن له ، بعد اخذ وردّ كثير ، فسافر الى البلاد ، ونزل في عكا في ٩ شوال من سنة ١٦١٧ ، بعد غياب نحو خمس سنوات عاد فيها مرةً سراً ورجع الى بلاد غربته . فلما علم الناس بقدومه ساروا مواكب مواكب بهرجان عظيم لاستقباله . فوصل دير القمر . وبقيت الوفود تأتي اليه شهوراً من كل فجّ وصقع حتى اطراف البلاد ، حاملين اليه الهدايا مستبشرين به خيراً ، وكان بين الحشد كثيرون ممن اتخذوا الرياء ديدنهم ، وبينهم آل سيفا الذين رفض هديتهم وصرّح لهم باستيائه منهم لحرق داره بغيابه . فاضمروا له الشر .

وعاد المعني لاستمالة الدولة العثمانية في الاستانة بسفراء مخلصين ، فوثقت باخلاصه رغم الوشايات الكثيرة به . ولكنه اخذ يقتصّ من اعدائه ويضايقهم ، وبينهم آل سيفا الذين هدم بعض حصونهم وبيوتهم في طرابلس وعكار . وهكذا امتدت سلطته من انطاكية الى الكرمل . ونال لقب «سلطان البرّين» مثل جده لابيه فخر الدين الاول . وشرع في التحصين والتعمير وعقد المعاهدات وترويج التجارة ، فاثرى من مشاريعه الاقتصادية ، وعمّ العمران بلاده حتى

صار دخل خزينته السنوي نحو تسعمائة الف ليرة ؛ كان يرسل منها الى الخزينة السلطانية ثلاثمائة واربعين الف ليرة . وتمكن بدربته ودرايته وما بذله من العناية بالتجنيد والتعبئة على الطرق الفنية في ايامه أن يجمع في اثناء عشرة ايام عشرة آلاف جندي مدرَّب او اكثر ، فوق ما كان عنده من السكان المرابطين في الثغور ، وهم اكثر من الف رجل . وكثر عنده القواد والاطباء والمهندسون والبناؤون والصناع وغيرهم من التوسكانيين والمسيحيين الوطنيين وسواهم كان يراقبهم بنفسه.

فعدل في احكامه وأَمَّن الطرق ونشر العمران . ولكنه ارهق البلاد بالضرائب. فكثر موارد الحكومة العثمانية واسترضى رجالها بهداياه وتقادمه الكثيرة حتى تضايقت الرعية منه . ولضبط اعماله اتخذ سجلّين : احدهما يدوّن فيه اسماء سكان ولاياته محصياً اعمارهم وصفاتهم ومعارفهم وشؤونهم . وثانيهما يدوّن فيه عدد الاشجار المثمرة وكروم العنب وشجر التوت ، متقاضياً عن الناس الخرج وعن الاشجار الخراج . وكان ينتهز فرصة فراغه من اعماله السياسية والادارية فيرصد ساعات خاصة لمراجعة هذه القيود ، وضبط الحسابات ، والتدقيق في الدخل والخرج ، ناظرًا بدقة الى كل عمل بعين نقادة وفكر مدقق، قاتلًا نهاره ومحيياً ليله في انجاح رعيته وحفظ مركزه وتكثير ثروته.

معارفه وحبه للعمران

ولم يكن هذا الحاكم اليَقِظ النابغة الداهية مقتصرًا على هذا فقط ، بل كان يحب العلوم واقتباس المعارف ، مقرّباً اليه الكتّاب والشعراء ، مجزلًا لهم الصلات ، مولعاً بعلم الكلام (اللاهوت) ومحباً للمباحث الكيماوية والتصوير، ومهتماً بالادوية المفردة ، حتى استخدم لذلك مصورًا افرنسياً رسم له نحو الف وخمسمائة نوع من النباتات بصفاتها والوانها وخواصها . وكثيرًا ما كان يقترح على العلماء والمهندسين والشعراء مواضيع يجيدون بها في تلبيته،من ذلك انه اقترح على صديقه المطران برجس عميره ، اسقف اهدن الماروني الذي صار بطريركاً ، ان يؤلف له كتاباً في هندسة الابنية ؛ وجمع بعضهم مدائحه في اكثر من مائة

صفحة ذكر المحبي في خلاصة الاثر انه رآها واخذ منها . والف النجم الغزي رسالة في المعني والحاج كيران في بعلبك وقتله اياه . ولم نقف على شيء من هذه الكتب مع كثرة تنقيبنا عنها . ومثلها كتاب مجموع الاحزان في مراثي الامير قرقماس المعني والد فخر الدين اما كتاب الشيخ احمد الخالدي الصفدي في الامير وحوادثه ووصف رحلته الى اوربة وما شاهده فيها فقد ظفرت باكثر من نسخة منه نقلتُ معظمها الى مجلتي الآثار

وعرَّب فخر الدين رواية ماتيلده عن الايطالية . وقال الاب اوجين في الصفحة ٢٩٣ من كتابه « الارض المقدسة » الذي ذكر فيه زيارته للمعني : ان فخر الدين اوقفه على كتاب الفه في تاريخ اسرته المعنية . فنقل منه فقرة . ولم نعلم شيئاً عن هذين الكتابين . لان اوراق المعني وموجوداته صادرتها الحكومة على اثر القبض عليه ، ونقلتها الى الاستانة ، وصادرت جميع مريديه فهرب الخوازنة الى توسكانة وضبطت اوراقهم .

ولتسهيله سبل التجارة للافرنج زاره في ايام حكمه المغاربة واليونان واليهود فضلًا عن الافرنج فسكنوا الثغور البحرية ، وامتدت فيها تجاراتهم متصلة بالمدن الداخلية والساحلية الى العراق والهند وآسية الصغرى وبلاد العرب ، ومصر والمغرب الى جزر البحر المتوسط والارخبيل . فربطت الشرق والغرب بعلاقات مهمة حملت كثيراً من سكان بلادنا على المهاجرة الى توسكانة وما اليها ، كما جلبت كثيرين من سكان تلك الجهات الى بلادنا فتديّروها وبقيت سلائلهم فيها . ووثق عرى المعاملة مع البنوك (المصارف) . واقتنى مركبين حربيين استعملها للتجارة ايضاً ، كان فيها خمسون بندقياً من بيروت ، ورفع تعدي القرصان عن المراكب .

اما الزراعة فانه اعتنى بها ، وبتربية المواشي ، وتوفير الخصب بالذرائع الفنية . وكان اول من شرب الدخان (التتون) بالغليون ، وادخل زراعة التبغ الى بلادنا ، وكذلك الرز ، والقطن ، ولا يزال اسم « المقطنة » و« مرج القطن » في دير القمر دليلًا على حلجه وزراعته . وعزّز تربية دود الحرير وحلّ فيالجه (شرانقه) ؛ وزراعة القنّب ، واتخاذ الخيوط والحبال منها . وتجفيف المستنقعات ، وتشييد

الجنود ، وجرّ المياه ، وغرس الاشجار ، ولاسيما في غاب الصنوبر في بيروت وحدائقها الآتي بيانها.

وادار نظره الى الصناعة فاكثر من معامل الصابون ، ومعاصر الزيت والعنب ، ومشاغل النسج ، ودواليب حلّ الحرير ، فضلاً عن الصناعات الوطنية كالنجارة والحدادة والصباغة والبناء. فكلف بتشييد الابنية على طراز شرقي او توسكاني وروماني. ومن آثاره العظيمة خان الافرنج في صيدا الذي فيه مائة غرفة[1] وكذلك ابنية دير القمر كالخرج وغيره ، وابنية صيدا ، وكلها لا تزال عامرة.

اما بيروت فقد نُقض آخر قصوره فيها في السنة الماضية كما كتبت عن ذلك في الصحف ، آسفاً لهدم آخر قصر للمعني تحته اصطبل الخيول وهو بين نزل (لوكندة) ساقوى والفندق العربي الى غربي قصر الحكومة ، في آخر ساحة البرج لجهة البحر ، حيث يبني محل قصر المعني الآن عبود بك عبد الرزاق العكاري ، نائب طرابلس ، محلات تجارية ، ومن العجيب ان يكون المعني قد هدم قصور آل سيفا في عكار وجلب بعض حجارتها الى دير القمر . والان يأتي رجل من عكار فيهدم آخر ابنيته في بيروت . . .

ابنيته وحدائقه في مدينة بيروت

كل من يمر اليوم « بساحة البرج » التي سميت اخيراً « ساحة الشهداء » يمكنه ان يتصوّر ان كل هذه الفسحة مع ما حولها من الابنية كانت حديقة للحيوانات وابراجاً وقصوراً واصطبلات للخيول ومرابض للاسود وقواعد للتماثيل ، وذلك عندما اتخذ المعني بيروت قاعدة لحكمه سنة ١٦٣٢ . فكان هو يعمّر ونحن اليوم نخرّب آثاره بعد ثلاثمائة سنة.

ولكي اصوّر لكم ابنيته وحدائقه اعرّب لكم كلام السائح الانكليزي

(١) في هذا الخان حفظ دريكالو ، قنصل فرنسة في صيدا ، النصارى سنة ١٨٦٠ ، فانقذهم من المذابح ، لانه كان مسكناً للقناصل. وذلك القسم هو الآن مستشفى للحكومة الفرنسية. اما القسم الثاني من الخان فهو دير للآباء الفرنسيسكان ، وكنيستهم فيه تسمى « ترّا سنتا » اي الارض المقدسة والقسم الثالث منه هو الآن ميتم ومدرسة لراهبات مار يوسف . فتأمل كبر هذا الخان الذي وصفه الرحالة موندرل الانكليزي كما سترى.

الرحالة هنري موندرل ، الذي دخل بيروت في ١٨ آذار سنة ١٦٩٦ ، اي بعد ستين سنة من قتل المعني ، وهو الذي وصف ذلك شاهداً عياناً في كتابه « من حلب الى اورشليم » ، من الصفحة ٤١٤[1] فصاعداً قال :

« سميت بيروت باسم بعل بيريت ، ولقبت جوليا فيلكس اي السعيدة . . . وكان قصر الامير فخر الدين فيها ، وهو رابع امير من اسرته ، والعامة تزعم ان اصله من الصليبيين الذين بقوا وتشتتوا في البلاد . . . فزرت ذلك القصر في الشمال الشرقي من المدينة . وفي مدخله صهريج رخامي من اجمل ما رأيت في المملكة العثمانية بقواوته (نوفرته) وفي القصر غرف للمحاكم كثيرة اصبحت الآن خراباً وبعضها لم يتم بناؤه . وهناك اصطبلات للخيول ، ومرابض للسباع والوحوش ، مما لم أر مثله الا في قصور الملوك .

« واجمل ما في القصر حديقة البرتقال . فهي مقسومة الى ١٦ مربعاً كل اربعة منها في جهة ، وبينها مماش مرصوفة بالحجارة وفيها اقنية لجر المياه المترقرقة فيها للسقيا . والجدران مظللة باشجار الليمون النضرة . وكان فيها بستاني انكليزي يرتبها على النسق الذي شاهده الامير في سفرته الى توسكانة وما حولها وعمل مثله مما لم يكن في الشرق . ولكن هذه الحديقة امست الآن زريبة للمواشي كالغنم والمعزى .

« وفي شرقي هذا البستان ممشيان مرتفعان احدهما فوق الآخر يصعد الى كل منهما باثنتي عشرة درجة توصل الى مصيف بهج في الشمال ، كان الامير فخر الدين يجلس فيه مع بطانته في ساعات انسه على نمط ما رأى عند امراء توسكانة ايضاً .

---

١) هو الرحالة H. Maundrell الانكليزي الذي رحل الى القدس في عيد الفصح من حلب . ورحلته في مجموعة « رحلات قديمة في فلسطين » *Early Travels in Palestine* طبعت في لندن سنة ١٨٤٨ في ٥١٧ صفحة بقطع الثمن : ورحلة موندرل فيها من الصفحة ٤٨٢–٥١٢ غير مصورة . ثم وجدتها مطبوعة على حدة مصورة وهي من ٢٦ شباط سنة ١٦٩٦ الى شباط سنة ١٦٩٧ ، ونقلت منها هذه القطعة معربة باختصار قليل ، وقد وصف الرحالة بعض آثار بيروت وما يجاورها . والكتابان في خزانة الجامعة الاميركية في بيروت ، نقلت بعض الرسوم المتعلقة بتاريخ المعني عن احدهما .

«ورأيت في حديقة اخرى قواعد للتماثيل التي كان الامير ينوي نصبها عليها كما في متاحف بلاد الفرنجة وحدائقها العامة وهي مما يأباها المسلمون.

«وفي زاوية هذه الحديقة برج علوه ستون قدماً وكثافة جدرانه اثنتا عشرة قدماً وهو للمراقبة».

انتهى قول السائح الانكليزي.

اقول : واراد بهذا البرج برج الكشاف الذي كان موقعه في زاوية ساحة البرج الشرقية الجنوبية على يسار الداخل في طريق النهر ، حيث هناك الآن خان البرج ، وهو جزء منه بقي عموده وجداره فقط . وكان يشرف على طريق طرابلس وطريق الشام وصيدا والبحر فلذلك سمي الكشاف . وكثير من الشيوخ شاهدوه في منتصف القرن الماضي وما بعده بقليل قبل ان هدم وشيدت مكانه الابنية الحاضرة في شرق ساحة البرج الجنوبي.

ومما ذكره موندرل عن بيروت مما له علاقة بالمعنى قوله : « في ١٩ آذار ذهبنا مسافة ثلث ساعة الى سهل عظيم يمتد من البحر الى الجبل ، وفي بدئه غاب صنوبر زرعه فخر الدين[1] ونظن انه نصف ميل . » (اه)

وفي الصفحة ٤٢٠ قال : « وعلى هذا النهر (يريد نهر الدامور) التقينا بعدد من التجار الفرنسيين من صيدا لهم شغل هناك في المدينة . فنصبنا خيامنا خارجاً عنها. ولكن تجار فرنسة ادخلونا الى محلهم في الخان الكبير[2] المجاور للبحر حيث القنصل وكل الشعب يسكنون معاً.

« وهناك الميناء الذي طمره فخر الدين لمنع الاتراك من الدخول اليه باساطيلهم[3] فالمرفأ مسدود ، وكل المراكب المشحونة او الشاحنة تعتصم بمليجا

١) كثر عند القدماء نذر الاشجار لآلهتهم. فلعل شجر الصنوبر خصص بالاله (بيريت) الذي كان هيكله في بيروت وسميت المدينة به ، فيكون معاصراً لها منذ القدم . او انه غرس لمنع الرمال التي تنسفها الرياح على المدينة فتطمر بعض ابنيتها، فيكون منذ سدت الرمال من جهة الاوزاعي البحر، لان بيروت كانت قديماً جزيرة كما ذكر بعض الجيولوجيين.

٢) يريد به خان الافرنج الذي سبق ذكره في هذه المقالة.

٣) انكر علامتنا واستاذنا الاب لامنس اليسوعي في كتابه « تاريخ الابصار » القول بطمر ميناء صيدا.

صخور على بعد ميل من الشاطئ في شمالي المدينة . وهناك اطلال طمرها الاتراك . وفي جنوبي المدينة قلعة على رابية يقال انها من بناء الملك لويس التاسع الفرنسي الملقب بالقديس . وعلى مقربة منها قصر لفخر الدين غير كامل البناء يستخدمه الحاكم لبعض اعمال . »

الامير حسين ابن الامير فخر الدين

ولد في دير القمر في ١٤ ذي الحجة سنة ١٦٢٠ م ، ووالدته ابنة الامير علي سيفا ، شقيق يوسف باشا حاكم طرابلس . فاسره الوزير خليل الباشا ، الصدر الاعظم ، من قلعة المرقب صغيراً . ونقل الى حلب ، ثم الى الاستانة في خدمة الصدر المذكور . فدرس علومه في مكتب سراي غلطه . ثم نقل الى السراي الكبيرة ، عند السلطان . ثم الى « خاص اوطه » وترقى في الرتب السلطانية الداخلية في السراي العثمانية حتى صار كتخدا الخزينة السلطانية ، وابى قبول رتبة الوزارة التي عرضت عليه . ثم خرج كعادتهم برتبة الخواجكانية ، وهي كتابة الدولة على القواعد العثمانية ، وتولى مناصب عديدة بمقتضى الرتبة المذكورة . فارسله السلطان محمد خان ابن السلطان ابرهيم خان ايلجياً (سفيراً) الى سلطان الهند ، فرَّ بصيدا حيث استقبله نسيبه الامير احمد المعني ، آخر حكامهم ، والامراء الشهابيون ، حكام وادي التيم ، وبعض الاعيان واجتمعوا به في حاصبيا . وعرضوا عليه حكم البلاد فلم يقبل .

فاستأنف سفره الى الهند وعاد الى القسطنطينية مكرماً ومتمماً ما انتدب اليه . ولما توفي نسيبه الامير احمد حاكم لبنان بلا ذكور ، وانتقلت الامارة الى الشهابيين اصهاره ، اعترض الامير حسين على تعيين الامير بشير ابن الامير حسين الشهابي امير راشيا لانه ابن اخت المعني احمد باشا آخر حكامهم في لبنان . وقرر ان حق الوراثة هو للامير حيدر ابن الامير موسى وهو سبط (ابن بنت) الامير احمد المذكور . فعملت الحكومة برأيه ، فوضعت الامير بشير وكيلاً للولاية

الى ان يبلغ الامير حيدر القاصر اشدّه فيجلس على تخت الولاية[1] . وعندي رسالة للعلامة السمعاني بهذا الشأن.

وكان الامير حسين المعني عالماً شاعراً مؤلفاً ، متضلعاً من السياسة العثمانية مطلعاً على انظمتها يغلب عليه التقى والصلاح. وكان صديقاً لمصطفى نعيما الحلبي[2] صاحب التاريخ التركي المشهور ، وعنه اخذ ما كتبه عن لبنان وحكامه وخاصة عن الامراء المعنيين . وذكر له نعيما بعض مؤلفات منها « تراجم علماء عصره » لم اقف عليها ، ولعلها في الاستانة. لكنني وقفتُ منها على « منتخب التمييز في المحاضرات والادبيات » واستنسخته[3] . اما المطول فلم اقف عليه وهو في احدى خزائن الاستانة وفي خزانة شيخ الاسلام في المدينة المنوّرة.

وتوفي الامير حسين هذا في الاستانة سنة ١٦٩٧ . وكان جميل الصورة نجيباً. ومن شعره قوله :

رأيتُ العقل ينفع وهو قصدٌ ورمي في المهالك اذ يزيدُ
كمثل الماء يُروي منه قدرٌ ويُهلك منه بالغرق المزيدُ

---

١) ذكر هذا الامير حيدر احمد الشهابي المؤرخ في الجزء الثاني من مخطوطة تاريخه ، في خزانتي كتبت سنة ١٨٤٤ ، وهي وفق نسخة الامير حيدر التي كتب عليها بخطه في الخزانة الشرقية للآباء اليسوعيين نقلت عنها بالحرف بخط الخوري بطرس صفير ، مرشد الامير حيدر اسماعيل الاسمي ، وذلك في الصفحة ٢

٢) هذا المؤرخ من اسرة كوچك علي آغا . اصلهم من ديار بكر ، جلب السلطان العثماني جدهم علي آغا الصغير (كوچك) الى حلب لتكثير الاعيان فيها ولا تزال بقيتهم هناك . وتاريخ نعيما طبع ثلاث مرات باللغة التركية فكل من الطبعتين الاولين في سبعة مجلدات والطبعة الثالثة في ستة مجلدات ، وحوادثه تنتهي في سنة ١٠٧٠ هـ (١٦٦٩ م) وفيه فوائد مهمة عن الدولة وولاياتها وحكامها.

٣) كتبت في وصف هذا المخطوط مقالة في مجلة المشرق (٢٧ : ٨١١) فراجعها وطالع نخبة من هذا الكتاب فيها ، وترجمة الامير حسين هذا.

(له صلة)

العلم في الحيرة

مدارس الحيرة ، الخط الحيري ، الشعر والامثال والخطابة

بقلم يوسف غنيمه (بغداد)

٢

ولا يفوتنا الاسود بن يعفر النهشلي[1] المتوفى سنة ٦٠٠ م ، الذي كان مع خالد بن مالك عند النعمان ، واقام عنده مدةً ينادمه ويؤاكله . ثم مرض فبعث النعمان اليه رسولًا يسأله عن صحته فقال :

نغمٌ قليلٌ اذا نادى الصدى أصلا ... وحسان منه لبرد الماء تترددُ
وودّعوني فقالوا ، ساعة انطلقوا : ... اودى فاودى الندى والحزم والجودُ !
انا ابالي اذا ما متُّ ما صنعوا . ... كلُّ امرىء بسبيل الموتِ مرصودُ !

واشتهر الاسود بن يعفر بقصيدته الدالية وقد جاء فيها :

ماذا اؤمل بعد آل محرّقٍ ... تركوا منازلهم ، وبعدَ إياد ؟
اهل الخورنق والسدير وبارقٍ ... والقصر ذي الشرفات من سنداد
ارضٌ تواركها الحليب مقيلها ... كعبُ ابنُ مامة ، وابنُ ام دُؤاد .
جرت الرياحُ على محلّ ديارهم ... فكأنهمْ كانوا على ميعادِ ،
ولقد غنوا فيها بانعمَ عيشةٍ ... في ظل ملك ثابت الاوتادِ .

ومن اولئك الشعراء روّاد الحيرة النابغة الجعدي ، وهو من جعدة قيس . قال الجمحي : النابغة الجعدي اقدم من الذبياني لانه ادرك المنذر بن محرق والذبياني انما ادرك النعمان . وقال غيره : ان النابغة الذبياني شفع عند الحارث ابن ابي شمر الغساني ، حين قتل المنذر ، في اسارى بني اسد فشفعه . والجعدي

---

١) الاغاني ١١ : ١٢٨ ؛ وشعراء النصرانية : ٤٧٥

قصيدة جمعها ابو زيد مع المشوبات في «جمهرة اشعار العرب» يصف بها حاله منذ كان عند المنذر وكيف سار الى النبي واسلم ووصف ناقته وفرسه وبعض المواقع وغير ذلك ، مطلعها :

خليلي عوجا ساعة وتحجرا ولوما على ما احدث الدهر او ذرا

ومنها يتذكر المنذر بن محرّق :

تذكرت ، والذكرى تهيج على الفتى ومن عادة المحزون ان يتذكرا
نداماي عند المنذر بن محرّق فاصبح منهم ظاهر الارض مقفرا (١

بلغنا الآن الى النابغة الذبياني[٢] († ٦٠٤ م) من عاش في نعماء المناذرة فاغدقوا عليه الصلات حتى انه كان يأكل بآنية الذهب والفضة من هدايا النعمان وابيه . وما عتم ان وصف المتجرّدة ، امرأة النعمان ، وصفاً اغاظ زوجها فغضب عليه حتى هرب الى الشام ، ثم اعتذر اليه فعذره . رأى النابغة زوجة النعمان وقد سقط نصيفها فاستترت بيدها وذراعها ، فكادت ذراعها تستر وجهها لبياضها وغلظها . فقال قصيدته التي مطلعها :

امن آل ميّة رائحٌ او مغتدِ عجلانَ ذا زادٍ وغيرَ مزوّدِ

ومنها :

لا مرحباً بغدٍ ولا اهلاً به ان كان تفريق الاحبّةِ في غدِ
حانَ الرحيل ولم تودّع مهدرًا والصُّبحُ والامساء منها موعدي
في اثر غانيةٍ رمتك بسهمها فاصاب قلبك غير ان لم تُقصد

ومنها :

والنّظم في سلك يزيّن نحرها ذهبٌ توقّد كالشهاب الموقدِ
صفراءُ كالسيراء اكمل خلقها كالغصن في غلوائه المتأوّدِ
قامت تراءى بين سجفَي كلّة كالشمس يوم طلوعها بالاسعدِ
او دمية من مرمر مرفوعة بنيت بآجُرّ تُشاد وقرمدِ
سقط النصيفُ ولم تُرد اسقاطه فتناولته واتقتنا باليدِ
بمخضبٍ رخصٍ كان بنانه عنمٌ يكاد من اللطافة يُعقدُ

١) الاغاني ٤ : ١٢٦ ؛ والعمدة ١ : ٦٧ ؛ وجمهرة اشعار العرب ، ١٤٥ ؛ وزيدان : الآداب العربية ١ : ١٥٦ .

٢) الاغاني ٩ : ١ : ٤ ؛ و١٨ : ١٨٢ ؛ والشعر والشعراء ، ٧٠ و١٢٦ ؛ وشعراء النصرانية : ٦٤٠ ؛ والجمهرة : ٥٣ ؛ والروائع ٣٠

والقصيدة طويلة وفيها اوصاف لا تتفق والآداب . ولمّا صار النابغة الذبياني الى الغساسنة بعد هربه من الحيرة كتب الى النعمان يعتذر اليه بقصيدة مطلعها :

أتاني، ابيتَ اللعنَ، انك لمتني وتلك التي اهتمُّ منها واصبُ
فبتُّ كأنَّ العائداتِ فرشنني هراساً به يُعلى فراشي ويقشبُ

ومنها :

الم ترَ ان اللهَ اعطاك سورةً ترى كلَّ ملكٍ دونها يتذبذبُ
بأنك شمسٌ والملوك كواكب اذا طلعت لم يبدُ منهنَّ كوكبُ

ومن قصائده التي اعتذر بها الى النعمان في قضية المتجردة داليته الشهيرة التي مطلعها :

يا دار ميَّةَ بالعلياء فالسَّندِ اقوت وطال عليها سالف الابدِ

ومنها :

فتلك تُبلغني النُّعمانَ ، انَّ لـه فضلاً على الناس في الادنى وفي البعدِ
ولا ارى فاعلاً في الناس يشبهه ولا أحاشي من الاقوام من احدِ

وله قصائد اخرى في مدح النعمان بن المنذر وعمرو بن هند . ولمّا بلغ النابغة ان النعمان مريض لا يُرجى لم يتمالك الصبر ، فذهب اليه والفاه محموماً ينقل على السرير ما بين الغمر وقصور الحيرة . فقال لعصام بن شهبرة حاجبه ، وكان النعمان يوليه اموره وجيشه :

ألم أقسم عليك لتخبرنّي اهمول على النعش الهمام ؟
فاني لا ألامُ على دخولٍ ، ولكن ما وراءك يا عصامُ ؟
فان يهلك ابو قابوس يهلك ربيعُ الناس والشهر الحرام
ونمسك بعده بذناب عيشٍ أجبَّ الظهر ليس له سنامُ .

وجاء الحيرة حاتم الطائي الجواد الشهير والشاعر الكبير[1] المتوفى سنة ٦٠٥ م . في عهد النعمان بن المنذر . وكان حاتم يخفر الحكم بن ابي العاصي الذي كان يريد حضور سوق الحيرة . وكان النعمان قد جعل لبني لأم بن عمرو ربع الطريق طعمةً لهم للمصاهرة التي بينهم . ووقع خلاف بين حاتم وبني لأم في الطريق ، فاتوا الحيرة للماجدة ، وتوسّط إياس بن قبيصة لدى الملك النعمان فاعان حاتماً .

١) الاغاني ١٦ : ٩٢–١٠٩ ، ١٩ : ١٢٨ و١٥٩ : وشعراء النصرانية : ٩٨ .

وقصته مع ماوية بنت عنزر معروفة . وله قصيدة مطلعها :

حنّنتُ الى الاجبال اجبال طيّئ وحنّت قلوصي ان رأت سوط احمرا

ومنها بيت يذكر فيه تردّده على مواضع من ديار المناذرة :

وما زلتُ أسعى بين خُصرٍ ودارة (١ ولحيان حتى خفتُ ان انتصرا.

وبين شعراء الحيرة إياس بن قبيصة[٢] († ٦١٢ م) وهو من اشراف طيّئ وفصحائها . وقد اتصل من مجالسة كسرى ابرويز الى ما لم يتصل اليه احد من الاعراب . وهو الذي ولّاه كسرى على الحيرة بعد موت عمرو بن هند الى ان ولّى النعمان ابا قابوس.

وعاش الشاعر سلامة بن جندل[٣] († ٦٠٨ م) في جهات الحيرة وعاشر العباديين في عهد عمرو بن هند . ولحق بالنعمان ابي قابوس وذكره في شعره لما القاه كسرى بين ارجل الفيلة من جملة قصيدة :

هو المُدخل النُعمان بيتاً سماؤهُ نحورُ الفيولِ بعد بيتٍ مسردقِ

وقال ايضاً في هذه الحادثة يلوم زيد بن عدي :

هو المُدخل النعمان في ارض فارس وجاعله في قولهم في المدائن ،

والقاه ايضاً بعد ذا تحت افيُلٍ وفي العرب العربا بقايا ضغائن

ومن فحول الشعراء وابطال العرب الصناديد الذين سُجنوا في الحيرة عنترة العبسي[٤] († ٦١٥ م) الذي أسر في سجن المنذر بن ماء السماء، وكان قد خرج في طلب النوق المصافيرية مهر عبلة ، على ما ورد في القصة . وقد جاء في قصيدته الميمية وهو في السجن :

ابا علم العمديّ هل انا راجعٌ وانظر في ذُطرَيكَ زهرَ الاراجعِ

ومنها :

ونُوحي على مَن مات ظُلماً ولم ينل سوى البُعد عن احبابه والفجائعِ

وله قصيدة أُخرى قافية في الموضوع نفسه استهلها بما يأتي :

---

١) ويروى بين ثاب ودارة ٢) الاغاني ١٦ : ٩٦ ، و٢٠ : ١٣٤ .

٣) شعراء النصرانية : ٤٨٦ .

٤) ديوانه ، طبعة البستاني ، ص ٨ و٦٨ و١٦٩ ، وشعراء النصرانية : ٧٩٤ ، وزيدان الآداب العربية ١ : ١١٧ ؛ والجمهرة ، ٩٢ ؛ والروائع ٢٧ .

تُرى علمت عيلةُ ما ألاقي من الاهوال في ارض العراقِ
طغاني بازيا والمكر عمّي وجار عليّ في طلب الصداقِ
فخضتُ بمهجتي بحر المنايا وسرتُ الى العراق بلا رفاقِ
وسفتُ النوقَ والرعيان وحدي وعدت اجدّ من نار اشتياقي

الى ان قال: وقادوني الى ملك كريم رفيع قدره في العزّ راقِ
وقد لاقيتُ بين يديه ليثاً كريه الملتقى مرّ المذاق
بوجه مثل دور الترس فيه لهيب النار يشملُ في المآقي
قطعت وريده بالسيف جزرًا وعدتُ اليه احجُل في وثاقي (١
عساه يجود لي بمراد عمّي ويُنعمُ بالجمال والنياق.

وله قصيدة بائية يتوعد النعمان بن المنذر ويفتخر بقوله:

لا يحملُ الحقدَ من تعلو به الرُتبُ ولا ينال العلى من طبعه الغضبُ.

ومنها: ان كنتَ تعلمُ يا نعمانُ ايّ فتى يلقى أخاك الذي قد غرّهُ العصبُ...

وهذا اعشى قيس[٢] المتوفى سنة ٦٢٩ م كان يأتي العباديين نصارى الحيرة يشتري منهم الخمرة. فاخذ عنهم مذهب القدرية الذي يتمثل في البيت الآتي:

استأثرَ اللهُ بالوفاء وبالـ عدلِ وولّى الملامةَ الرجُلا

وكان راوية الاعشى يحيى بن متى النصراني العبادي. ومدح الاعشى الاسود ابن المنذر اخ النعمان وباع في الحيرة بعض هدايا سلامة ذي فائش الحميري له.

وهذا عمرو بن كلثوم التغلبي[٣] المتوفى سنة ٦٠٠ م نظم معلقته الحماسية الفخرية غضباً لامه وقبيلته من عمرو بن هند صاحب الحيرة. وكان عمرو هذا معجباً بنفسه فقال يوماً للندماء: هل تعلمون احدًا من العرب تأنف امه من

---

١) هذه الابيات الثلاثة تدلّنا على ان المنذر كان عنده اسد وطلب من عنترة مبارزة ذلك الاسد بالسيف، وهو في قيوده، فانتصر العبسي على الاسد، فاكرم الملك مثواه. وذكر هذه العادة في شعر عنترة له خطورة لانها قديمة عرفتها الامم السابقة.

– « ولا يخفى ان كل هذه المعلومات وما يزينها من ابيات شعرية مستمدّة من اقوال القصاص، وهي عرضة للشك، بل من الواضح ان اكثرها منحول لا قيمة تاريخية له. وانما تمكن روايتها للدلالة على اثر الحيرة وملوكها في الادب العربي ليس غير. » [المشرق]

٢) الاغاني ٨: ٢٧٦، وشعراء النصرانية: ٢٠٨؛ والروائع ٣١

٣) الاغاني ٩: ١٧٥؛ وشعراء النصرانية: ١٩٧؛ وزيدان: الآداب العربية ١: ١١٢؛ والروائع ٢٦.

خدمة امي ؟ فقالوا : نعم ، امّ عمرو بن كلثوم . قال : ولِمَ ؟ قالوا : لان اباها مهلهل بن ربيعة ، وعمها كليب بن وائل اعزُّ العرب ، وبعلها كلثوم بن مالك افرس العرب ، وابنها عمرو وهو سيد قومه .

فارسل عمرو بن هند ، مالك الحيرة ، الى عمرو بن كلثوم يستزيره ويسأله ان يزير أُمّه أُمّه . فاقبل ابن كلثوم من الجزيرة الى الحيرة في جماعة من بني تغلب . واقبلت ليلى بنت المهلهل في ظعن من بني تغلب . وامر عمرو بن هند برواقه فضرب ما بين الحيرة والفرات وارسل الى وجوه اهل مملكته ، فحضروا في وجوه بني تغلب . فدخل عمرو بن كلثوم على عمرو بن هند في رواقه ، ودخلت ليلى وهند في قبة من جانب الرواق . وكان عمرو بن هند قد امر امه ان تنحّي الخدم اذا دعا بالطرف ، وتستخدم ليلى . فدعا عمرو بمائدة . ثم دعا بالطرف . فقالت هند : ناوليني ، يا ليلى ، ذلك الطبق . فقالت ليلى : لتقم صاحبة الحاجة الى حاجتها . فاعادت عليها وألحت . فصاحت ليلى : واذلّاه ! يا لتغلب ! فسمعها عمرو بن كلثوم فثار الدم في وجهه ونظر اليه عمرو بن هند فعرف الشر في عينيه . فوثب الى سيف معلق بالرواق فضرب به رأس عمرو بن هند ونادى في بني تغلب فانتهبوا ما في الرواق وساقوا نجائبه وساروا نحو الجزيرة .

ومعلقة عمرو بن كلثوم اشهر من ان تذكر انشدها امام عمرو بن هند ، لمّا تحاكم امامه بكر وتغلب ابنا وائل . وكانت المعلقة على غير ما تنشد اليوم ، ففقد من ابياتها واضيف اليها بعد ذلك ابيات تتعلق بحادثة امه التي ذكرناها فوق هذا . قال في مطلع القصيدة :

ألا هبي بصحنك فاصبحينا ولا تبقي خمور الاندرينا

وفيها يقول : أبا هند فلا تعجل علينا وانظرنا نُخبّرك اليقينا

ومنها : بأيّ مشيئة عمرو بن هند نكون لقيلكم فينا قطينا

بأيّ مشيئة عمرو بن هند تطيع بنا الوشاة وتزدرينا

تهدّدنا وتوعدنا ، رويدًا متى كنا لامك مقتوينا ؟

ومنها : ملأنا البرّ حتى ضاق عنّا وظهرَ البحر نملأه سفينا

لنا الدنيا ومن اضحى عليها ونبطش حين نبطش قادرينا

لم ينفرد عمرو بن كلثوم بذكر عمرو بن هند في معلقته وانشادها امامه

بل جاراه في هذا الباب الحارث بن حلّزة اليشكري[1] المتوفى سنة ٥٨٠ م. انتصاراً لبكر في موقف المحاكمة وقد جمع فيها ذكر عدة من ايام العرب عيّر بعضها بني تغلب تصريحاً، وعرض ببعضها لعمرو بن هند. وسبب انشاده هذه المعلّقة امام ملك الحيرة ذكره الرواة، وذلك ان النعمان بن هرم كان خطيب بني بكر، فناظ الملك بكلامه وأوشك ابن هند ان يقضي لتغلب على بكر في المحاكمة التي المنا اليها قبيل هذا في ذكر عمرو بن كلثوم. فقال الحارث ابن حلّزة لقومه اني قد قلت خطبةً فمن قام بها ظفر بحجته. فرواها اناساً منهم. فلما قاموا لم يرضه انشادهم، فقال: اني لا ارى احداً يقوم بها مقامي، لكن اكره ان اكلم الملك من وراء ستور، وينضح اثري بالماء اذا انصرفتُ عنه. وكانوا يفعلون ذلك بمن فيه برص. وقيل بل كان ابن هند يفعل ذلك لعظم سلطانه ولا ينظر الى احدٍ به سوء. ثم خاف ابن حلّزة على قومه وقال: انا محتمل ذلك. واقترب من الملك، فقيل للملك ان فيه وضحاً، فامر ان عُمِدَ بينه وبين الحارث سبعة ستور فجُعلت. فلما نظر عمرو بن كلثوم قال للملك: أهذا يناطقني وهو لا يطيق صدر راحلته؟ فاجابه الملك حتى افحمه. وانشد الحارث قصيدته. وكانت هند، ام عمرو، تسمع فقالت لابنها: تالله ما رأيت كاليوم قط رجلاً يقول مثل هذا القول يُكلَّم من وراء سبعة ستور. فقال الملك: ارفعوا ستراً وادنوا الحارث! حتى أُزيلت الستور السبعة، واقعده الملك قريباً منه على مجلسه، ثم اطعمه في جفنته وامر ان لا ينضح اثره بالماء. ثم جزّ نواصي السبعين رجلاً الذين كانوا رهناً في يده من بكر ودفعهم الى الحارث. ثم امره ان لا ينشد قصيدته الا متوضئاً. ومطلع هذه المعلقة الشهيرة:

آذنتنا ببينها اسماء ربَّ ثاوٍ يُملُّ منه الثواء!

ومنها:

ملك اضرع البرية لا يو جد فيها لما لديه كفاء.

---

١) الاغاني ٩: ١٧١؛ وشعراء النصرانية: ٤١٧؛ وزيدان: الآداب العربية ١: ١١٥ والروائع ٢٦، وشرح المعلقات للتبريزي.

(له صلة)

الرُّتَب الكهنوتيّة

في الطائفتين المارونيّة والسريانيّة

بقلم الخوري اسحق ارملة السرياني

٥

رسامة البريذوط والخوري والخوريفسقفوس

اثبت العلامة السمعاني والمجمع اللبناني (٢٧٠-٢٧٤) لكل من البريذوط والخوري والخوريفسقفوس طقساً خصوصياً سماه « تبريكاً » وقضيا بالاحتفال به في الموفه او في الخزانة اسوةً بسائر الرتب الثانوية . على ان شرطونية الموارنة القديمة لا تشتمل الّا على رسامة واحدة كالسريان للبريذوط والخوري والخوريفسقفوس[1] . وقد ورد في صحفهم القديمة : ان هذه وظيفة الاكسرخس لا تحسب درجة بل وصيّة فقط . والمح المجمع اللبناني الى انه ليس من الضروري ان يُرقى الى هذه الرتب الثلاث من يُنتخب للاسقفية ، قال(٢٣١) : من جاري العادة في كل الشرق ان يكون انتقاء الاساقفة (والجاثالقة والبطاركة) اما من جماعة الرهبان او ان يتشحوا بالثوب الرهباني قبل ارتقائهم الى الاسقفية . يريد بذلك ان الراهب القس كان فيما سلف يرقى توًا الى الاسقفية او الى البطريركية عند كلتا الطائفتين . بيد انه مع تراخي الازمنة حتم آباء الموارنة والسريان ان يرقى القس او الراهب الى رتبة خوريفسقفوس قبل ارتقائه الى الاسقفية وما برحت هذه العادة جارية عندهم الى يومنا .

على ان السريان ، مع محافظتهم على رتبة واحدة لتبريك البريذوط والخوري والخوريفسقفوس ورئيس الدير ، ميّزوا للخوري ثلاث وظائف[2] كالسريان الموارنة . ويراد بالبريذوط ܩܪܝܒܘܛܐ الساعي او الجوّال . وبالخوري ܟܘܪܝܐ الزائر . وبالخوريفسقفوس ܟܘܪܝܐ ܕܩܪܝܐ خوري القرى . وقد اصطلح الموارنة في

١) دريان : ١٢٦و١٢٧ ٢) المقتطفات ٣ : ١٥ وقد ورد في مخطوط دير الشرفة (٧-٢) رتبتان خصوصيتان احداها للخوري والثانية للخوريفسقفوس

عهدنا على تسمية كل قسيس خورياً خلافاً لاصل الوضع. وحقهم ان يسموا القس الراهب اباً والقس العامي قساً[1] كالسريان.

بناء عليه يجوز للاسقف ان ينصب في ابرشيته براذطة وخوارنة وخوريفسقفوسيين ويوليهم سلطان تكريس حياض المعمودية والكنائس والمذابح ومسح المعمودين بالميرون بعد اعتمادهم، وضبط من هم تحت ولايتهم من الاكليرس والرهبان قيد واجباتهم. وكان للخوارنة والخوريفسقفوسيين لا للبراذطة ان يوسموا شمامسة وقسوساً برضى اسقف المدينة. لكن آباء المجمع اللبناني (٣٣٧) اشترطوا عليهم ان لا يقدموا على ايتاء الدرجات الصغيرة وسر التثبيت الا باذن خصوصي من لدن السيد البطريرك. وجرى هذا المجرى عينه آباء مجمع الشرفة.

وقد حتم آباء المجمعين على الاسقف ألّا يقيم في ابرشيته او في المدينة الواحدة اكثر من خوريفسقفوس واحد. وان لا يرقي الى هذه الرتبة الا القس البتول او الارمل. وان لا يسمي القسيس او البريذوط خوريفسقفوساً الّا بالرتبة الطقسية. واجازوا للاسقف ان يقيم الخوريفسقفوس نائباً عاماً عنه على الابرشية وعلى القرى. واطلقوا الحرية للسيد البطريرك ان يرقي خوريفسقفوساً يجعله نائباً عنه في الاصقاع التي لا يتيسر ان يوسم لها اسقفاً.

ومن امتيازات الخوريفسقفوس ان يلبس المصنفة ملوّنة، ويتقدم على القسوس والبراذطة، ويلبس الثوب البنفسجي. وكان له في سالف الزمان ان يلبس التاج وصليب الصدر ويبارك بالصليب ويضع خاتماً باصبعه ويجلس في القدّاس الكبير على الكرسي ويستعمل طقس لبس البدلة باحتفال امام المذبح. لكن آباء مجمع الشرفة (١٧١ــ١٧٢) قد الغوا تلك الامتيازات. اما آباء المجمع اللبناني فقد اذنوا للخوريفسقفوس في ذلك مشترطين الا يتمتع بهذه الامتيازات الا في غياب الاسقف وباذن صريح منه.

واليك رتبة تبريك البريذوط نقلاً عن السمعاني وعن المجمع اللبناني (٢٧٠):

يشتمل البريذوط بثوب القس ويقبل يد الاسقف الجالس في الخزانة

---

(١) دريان: ١٢٢

قائلاً: « بارخمور ». فيحيّيه الاسقف قائلاً: « ليباركك الرب » الخ . ويحمل صليباً في يمينه واناء من الميرون في شماله[1] ، ويدار بـه في الكنيسة ماشياً بين بريذوطين او كاهنين . وعند بلوغهم الى باب المذبح[2] يباركه الاسقف قائلاً : « ليباركك الرب الاله بين براذطة كنيسة القديس فلان » الخ . ثم يؤخذ منه الصليب ويوضع على المذبح ، وأحد البريذوطين يحمل الانجيل قائماً عن يمينه ، والآخر اناء الميرون قائماً عن شماله . ويبتدئ الاسقف بالصلاة: « أهلنا » الخ[3] . حتى اذا اتما قدّم احد البريذوطين المنتخب الى الاسقف قائلاً: « نقدّم لقداستك » الخ . فيأمره الاسقف بان يجثو على ركبتيه ويضع يمينـه على رأسه ويقول : « النعمة الالهية » الخ . ثم يصلي : « نعم يا ربّ اجعله مستحقاً » الخ . ويتبع : « اللهمّ ربّ القوات » الخ . ثم يضع يمينه على الاسرار ثم على رأسه ويقول : « ايها الرب الاله الحي » الخ. ثم يعقبها بصلوات اخرى فيشيد رئيس الشمامسة: « فلنقف حسناً » الخ . وعندها الاسقف يُنهض المنتخب ويعطيه الانجيل ليحمله على صدره ويدار به في الكنيسة ماشياً بين بريذوطين احدهما عن يساره حاملاً اناء الميرون والآخر عن يمينه حاملاً الصليب[4] . وعند بلوغهم الى حوض المعمودية يسمه المنتخب باصبعه من غير ميرون ، ويعود الى المذبح فيخرّ ساجـداً ثلاثاً طالباً البركة من الاسقف فيضع يده عليه ويقول : « ايها الربّ الاله اتمّ بسلطان كلمتك » الخ. ثم يأخذ منه الانجيل ويدفع اليه اناء الميرون ليحمله في الكنيسة في الدورة الثانية[5] . فيرسم حوض المعمودية ثلاثاً على مـا مرّ باصبعه مغموسة

---

١) زاد السماني ان يوضع في عنقه اوراران يمسكهما بريذوطـان ويدوران بـه في الكنيسة بالمباخر والمراوح منشدين حلا قصه ابوهمه وهذا الخ.

٢) قال السماني: يبقى المنتخب على باب المذبح خارجاً فيباركه الاسقف ثانية وتغلق ابواب الكنيسة ويؤخذ منه الصليب.

٣) اثبت السماني صلاة الابتداء حنؤ حنب ومزمور « ارحمني يا الله » واياتاً سريانية وحسناً: « لذاك الرحيم الجزيل النعمة » الخ . واربعة ايات ابا ابا والمطر والمناداة وفقاً للطقس السرياني.

٤) وينشد الاكليرس سحلا وحا ممسحا

٥) وينشد الاكليرس ممسما نهتمه حجباب او غيرها

بالميرون ويعود الى المذبح ويسجد ثلاثاً طالباً البركة من الاسقف فيضع يده عليه كما مرّ قائلاً : «بسلطان» الخ. ثم يتناول منه اناء الميرون ويعطيه الصليب ويدورون به في الكنيسة[1]. وعند وصولهم الى حوض المعمودية يسمه المنتخب بالصليب، ويعود الى المذبح فيسجد ثلاثاً ويقول له الاسقف كما مرّ: «بسلطان» الخ. ثم يتلو الشمّاس من رسالة مار بولس (عبر ٤ : ١٤-١٦ و٥ : ١-٦). ويقرأ الاسقف الانجيل من (متى ١٠ : ٥-١٠). ثم يغسل المنتخب يديه وينادي الشمّاس : «ايها المسيح اله جميعنا» الخ. ويصلي الحبر : «ايها المسيح المنا» الخ. ويجلسه الاسقف على كرسي في الدرجة الوسطى، فيحمله ابناء رعيته مرفوعاً على الكرسي ثلاثاً، ويقول الاسقف بالسريانية : «لمجد واكرام» الخ ويقول الاكليرس بالسريانية : «مستحق مستحق.» ويلتفت الحبر الى المذبح ويصلي سرّاً، ويسلّم اليه عصا الرعاية قائلاً : «الربّ الذي منح موسى» الخ. ثم يأمره فينهض فيقوده الى باب المذبح ويسلّم اليه قطيعه ويقول: «ها انا ذا اسلم اليك ايها البريذوط كنيسة الله هذه» الخ. ثم يتلو الخاتمة : «نشكر لك» الخ.

اما تبريك كبير الكهنة او الخوري فشبيه في الطقس الماروني بتبريك البريذوط. غير انه يضاف الى الرتبة قبل الرسائل مزموران : «الربّ راعي» الخ. و«ما احبّ مساكنك» الخ. اما الرسالة فقد عيّنها السمعاني من (١ بطرس ٥ : ١-٥ وغلاطية ٥ : ٢٢-٢٦). وعيّن الانجيل من (متى ٢٠ : ٢٥-٢٨). ولا فرق عندهم في مسئلة الدورات الثلاث الا ان الاناشيد السريانية غير اناشيد تبريك البريذوط. واضاف السمعاني هذه الملاحظة : «احذر ان كان المنسام جديداً ما اخذ وظيفة البريدوط سابقاً يجب ان يتمّها اولاً ثم يكون الطواف.» وعندما يجلسه على الكرسي يلبسه التاج قائلاً بالسريانية : «لمجد واكرام» الخ.

بقي تبريك الخوريقسقفوس. قال العلامة السمعاني : «يُفرض على المنتخب ان يأتي بصكّ من ابناء رعيته، فيقرع الناقوس ويدخلون الى الخزانة، ويتلو الاسقف صلوات التبريك كرسامة البراذطة والخوارنة. وبعد الدورات الثلاث

---

١) وينشد الاكليرس هيمنه وسطيما او غيرها

يقول الحبر: « الاله الذي حلّ على جبل سينا » الخ. ثم تتلى الرسالة فالانجيل من (يوحنا ١٠) والمناداة. ويلبسه الحبر القمّارة ويجلسه على كرسي فوق الدرجة الوسطى ويضع على راسه التاج قائلاً: « لمجد واكرام » الخ. ويعطيه عصا الرعاية قائلا: « الربّ الذي اعطى موسى » الخ. ثم يقوده الى باب المذبح ويسلّم اليه رعيّته ويوصيه قائلاً: « ايها العزيز الحبيب الك وحدك اقول الآن » الخ.

امّا رتبة تبريك البريذوط والخوري والخوريفسقفوس ورئيس الدير في الطقس السرياني فتكون على هذا النسق: يلبس المنتخَب القميص والبطرشيل والزنّار والكمّين، وينتصب في باب المذبح، فيبدأ الحبر: « اللهمّ يا من كمّل رسله » الخ. وينشد الاكليرس خمسة ابيات في التوبة تليها صلاة: « ارأف يا ربّ بالخطأة » الخ. ثم قوقليون وحسّاي: « الاله الذي زيّن كنيسته المقدسة » الخ. ثم: « يا ربنا يسوع المسيح قوّة الله الآب وحكمته » الخ. يلي ذلك بيتان بلحن ܚܘܢܢܐ ܕܡܪܝܡ والعطر: « ايها المسيح ». وبعد الزومار تقرأ الرسالة من (٢ طيم ٢: ١ــ٢ و٨ و١١ وتيطس ١: ٠٠ و١١ و٢: ١ــ٨). ثم الهلّال والانجيل من (يوحنا ١٤: ١٥ــ٢٦). ويبدأ الحبر بالمزمور ١٥٠ مردّداً بالابيات السريانية ܫܒܚܘܗܝ ܕܐܠܗܐ الخ. ويصلي الحبر سرّاً: « ايها الاله العظيم مانح المواهب » الخ. ويجهر: « اقبل الخوريفسقفوس وكمّل عبدك » الخ.

وعند ذاك يحمل رئيس الشمامسة عكّاز الحبر وينتصب في باب المذبح الجنوبي وينادي ܠܡܪܝ ܚܘܢܢܐ الخ. فيضع الحبر يمينه على راس المنتخَب اذ يكون جاثياً امامه ويقول سرّاً: « فليؤتك الربّ ان تكون للبنيان الصالح » الخ. ثم يسم جبهته بيمينه قائلاً: « ܠܡܪܝ ܚܘܢܢܐ ارتقى في كنيسة الله المقدسة » الخ. ويقول رئيس الشمامسة: « فلان خوريفسقفوساً او بريذوطاً او رئيس دير » الخ. ثم ينهضه الحبر ويلبسه المصنفة فالقمّارة وهو يقول بالسريانية: « لمجد واكرام » الخ. ثم يسلّمه العكّاز قائلاً: « عصا العزّ » الخ. وتكون يد المرسوم تحت يد الحبر ويقول الشمامسة كذلك: « عصا العزّ » الخ. ويبقى العكّاز بيد الخوريفسقفوس الجديد. وهكذا تنتهي الرتبة.

٦ً طقس سياميذ الحبر

الرتبة الثالثة والاخيرة من الرتب المقدسة عند كلتا الطائفتين رتبة سياميذ الحبر. ويُطلق الحبر على الاسقف والمطران والمفريان اي الجاثليق وعلى البطريرك والبابا. ومعنى الاسقف ܐܦܝܣܩܘܦܐ زائر الشعب، والحارس، والرقيب، والمطران ܡܛܪܦܘܠܝܬܐ ابو المدينة. والمفريان والجاثليق ܩܕܝܫܐ ܕܩܕܝܫܐ الاب العام. والبطريرك ܐܒܐ ܕܐܒܗܬܐ ابو الآباء. والبابا رئيس الرؤساء. ولكل من هؤلاء نعوت اخرى كرئيس الكهنة ܪܝܫ ܟܗܢܐ. وكُحلا ورُحلا راعٍ. و ܡܫܝܚܐ و ܟܝܢܐ طاهر ونقي الخ. ويسبق اسم الحبر بلفظ ܡܪܝ مار او ماري وفقاً لاصطلاح السلف.

وشرطت الصحف السريانية والمارونية شروطاً ثمانية لتكميل سياميذ الحبر وهي: ١ً ان يكتب صورة الايمان بخط يده ويقرّرها وقت سياميذه على مسامع الاساقفة والاكليرس والشعب. ٢ً ان يُحتفل بالسياميذ بحضور اسقفين او ثلاثة. ٣ً ان يتناوب الاساقفة في طقس السياميذ تلاوة الصلوات والحاي. ٤ً ان يُفتح على راس المنتخَب كتاب الانجيل عند الفصل الرابع من لوقا[1]، ويمسك به الاساقفة فوق رأسه. ٥ً ان يتشح المنتخَب والذي يرقيه ببدلة بيضاء. ٦ً ان يقرأ المرسوم الفصل العاشر من انجيل يوحنا في ختام السياميذ. ٧ً ان يقبض على العصا بيساره. ٨ً ان ينادي احد الاساقفة المناداة.

وقد استوفى المجمع اللبناني (٣٤١ ٤١٥) ومجمع الشرفة (٢٥٠-٢٧٢) الكلام عن الاسقف من حيث انتخابه وفروضه وسلطته وحقوقه وامتيازاته وزيّه. وزبدة ذلك:

١ً: ألا يرقى الى الاسقفية الا الراهب او الكاهن العالميّ، وقد جاوز الثلاثين من سنه. ويقضى على غير الراهب ان يتخذ الطريقة الرهبانية ويتوشح بالاسكيم لا يتجرّد منه. وان اطّرحه يؤدّبه السيد البطريرك او يحطّه من درجته.

٢ً: يناط انتخاب الاسقف وسياميذه بالسيد البطريرك، لكن بمشورة

---

١) الدويهي: ١٦٥؛ وشروح موسى بركيفا وغيره

ورضى الاساقفة ، واستطلاع ارادة اكليرس واعيان المدينة التي سيرئسها في اختيار ثلاثة من الاكليرس ينتخب البطريرك والاساقفة واحداً منهم ويعرضونه على الحبر الروماني ليؤيده.

٣ً : لا يؤجّل انتخاب الاسقف وسياميذه وذهابه الى ابرشيّته اكثر من ثلاثة اشهر.

٤ً : لا يغادر الاسقف ابرشيّته او يغتصب غيرها . ولا يحقّ له ان يباشر الامور الجبريّة او يلقي الخطب الدينيّة في غير كنائس ابرشيّته الا باذن صريح من الاسقف المكانيّ.

٥ً : لا يحلّ للاسقف ان يرسم اكليريكيًا من غير ابرشيّته الّا برضى صريح من رئيسه، او برضى السيد البطريرك. كما لا يحلّ له ان يقبل في ابرشيته كاهناً او شماساً او اكليريكيًا اجنبيًا ، او يحلّه من التأديبات الّا باذن رئيسه.

٦ً : لا يحلّ للاسقف ان ينصب له خلفاً في آخر حياته. وان استخلف كان استخلافه لغوًا .

٧ً : يلزم الاسقف ان يقيم الذبيحة الالهية عن رعيته مجّاناً ايام الآحاد والاعياد الكبيرة.

٨ً : يلزمه ان يعقد مجمعاً مؤلفاً من كهنة ابرشيّته مرّة في السنة للنظر في احوالهم واحوال رعيّتهم من حيث الايمان والآداب الخ.

٩ً : يلزمه ان يتفقّد رعيّته مرةً في السنة، ويُشرف على الكنائس والمدارس والشعب ، ويثبت حوادث زيارته هذه في كتاب خصوصي.

١٠ً : اذا اراد الاسقف ان يستقيل فلا يرخص له السيد البطريرك في ذلك الّا بمشورة الاساقفة والمطارنة.

١١ً : على الاسقف ان ينشئ في كرسيّه خزانة يصون فيها المخطوطات السريانية القيمة ، والكتب الطقسية ، والرسائل الرسمية ، وسجلات الدعاوي ، وموجودات الكنائس ، والحجج ، ودفاتر المعمودين والمثبتين والمزوّجين والموتى.

١٢ً : وزاد آباء مجمع الشرفة(٢٥٨) ان يتخذ الاسقف ختماً خصوصيًا ينقش عليه بالسريانية اسمه واسم اسقفيته مع آية من الكتاب الكريم ورسم رمزي.

١٣ : للاسقف التقدّم على جميع خوارنته وقسّانه وشمامسته . ويجب ان يذكروا اسمه بعد اسمَي الحبر الاعظم والسيد البطريرك في القداس والصلاة والطقوس . ويرافقوه الى الكنيسة بالترانيم تتقدّمهم راية الصليب . ويخدموه جميعاً كلما احتفل برتبة طقسية

اما زي الاسقف العاديّ فالاسكيم . ويكون الاسكيم الحبري الماروني من قماش او من حرير اسود دون صليب ، والاسكيم السرياني بصليب مذهّب تعلوه القلنسوة فوقها زرّ مذهّب . وقلنسوة الاسقف الماروني مدوّرة وهي احق بالاتباع لقدمها . امّا قلنسوة الاسقف السرياني فحديثة كقلنسوة الروم . وللاسقف مارونيًا ام سريانيًا ان يلبس ، تبعاً لاساقفة اللاتين ، ثوباً بنفسجيًا ذا ازرار قرمزية ، ويتقلد خاتماً بيتصر يده اليمين ، ويتزنّر بزنّار قرمزيّ ، ويلبس جبةً تُخفي هدبتاها من داخل بلون قرمزي . وله كذلك ان يتخذ عصا من الخشب الاسود يعلوها شكل رمّانة صغيرة من الفضة او من العاج او من عظم آخر . ولا يحقّ له استعمالها بحضور السيد البطريرك . امّا زي الاسقف الكنسيّ فالاسكيم ، كما ذكرنا ، والمصنفة المطرّزة ، والدرع العريض الطويل اعني الاموفوريون ، وصليب الصدر ، والتاج ، وصليب اليد ، والمكّاز . يتّشح بها وهو جالس على العرش في المواسم ، وواقفاً امام المذبح في الايام العاديّة . ويكون المكّاز من الابنوس او من الفضة مقوّماً سويًا أملس بلا عقد ، على رأسه كرة من بلّور او غيره ، وفوق الكرة شوكة كالحربة[1] ، وقد بُدّلت الشوكة بصليب . وقد خصص مثل هذا المكّاز بالسيد البطريرك . امّا عكّاز الاسقف فيكون رأسه اعوج ملتفًا او يعلوه شكل حيّتين .

امّا سياميذ الاسقف فيجب ان يتمّ بوضع يد السيد البطريرك ، وفي الكنيسة البطريركية . وللبطريرك ان يأذن لاحد الاساقفة ان يرسم اسقفاً في كنيسة الكرسي الاسقفي . ويليق بالاسقف الجديد ان يكتب الى الحبر الاعظم عريضة احترام وخضوع على اثر رسامته . واليك بعد هذا الشرح رتبة سياميذ الاسقف في الطقس الماروني دون السرياني ، لان سياميذه في الطقس السرياني لا يختلف عن سياميذ المطران والجاثليق والبطريرك كما سترى. (لها بقية)

١) دريان : ١٠٠-١٠١

محاولات في درس جبران

الجوهر الفرد

في ادب جبران خليل جبران

بقلم امين خالد

٤

الصلوة واللذة

ولنوجّه الى وعظه عن الصلاة واللذة انتباهاً خاصاً ، لان هذين الموضوعين ، بعد المحبة ، هما اللذان يستغرقان اهتماماً وافراً بالنسبة الى باقي الابحاث.

الصلوة الجبرانية

ولنذكر انه يوجّه حديثه عن الصلاة الى الكاهنة ، كأن المرأة هي الجديرة بالصلاة دون غيرها . واما حديثه عن اللذة فوجه الى الناسك ، كأنّ الناسك المتديّن حريٌّ بمعرفة ضروب اللذة عنوةً عن الناس اجمعين . قال[1] :

« ثم قالت له الكاهنة ، هات حدّثنا عن الصلاة .
فأجاب وقال :
انك تصلين في ضيقتك وفي حاجتك .
ولكن حبّذا لو انك تصلين في كمال فرحك ووفرة خيراتك .
وهل الصلاة غير انساع ذاتك في الاثير الحيّ ؟ »

النبيُّ الجبرانيُّ لا يفهم معنى صلاة الخاشعين المتضرّعين الذين يصلّون في الاوقات العصيبة والضيق والحاجة ، وملء قلوبهم الرجاء والايمان بقدرة الخالق الرازق الرؤوف الرحيم . انما يُريد الصلاة في « كمال الفرح ووفرة الخيرات »

---

(١) جميع مقاطع فصل الصلاة مأخوذة من « النبي » ، ص ٦٨-٧٠ .

عندما تكون ذات المصليّ متسعةً في الاثير الحيّ ، اي عندما يقضي على كآبة وتقطيب وجه الزاهد تشامخُ الانسان الطروب وتساميه للقبض على عنق الانبساط الكلي.

هل يحتقر جبران صلاة الضعيف العاجز ليحترم صلاة الفرح المثري ، لانه يريد ان يُذكّر المثري بواجب الشكر او لانه يخاف طغيان المتعالي ليخفف من غلوائه ويعدّل سكرة الفرح والترف بفكرة الشكر والخشوع ؟

كلّا هو يريد احتكار الفرح وابعاد كل ما من شأنه ان يعكّر صفوه . ويتابع :

« فاذا كنتِ تتعزّين في ان تسكبي كاس ظلمتك في الفضاء فانك ولا شك تفرحين ايضاً في ان تسكبي فيه فجر فؤادك.

واذا كنتِ لا تستطيعين ان تمكي عن البكاء عندما تدعوكِ نفسك الى الصلاة ، فالاجدرُ بنفسك ان تنخسك بمنخس حادّ مرةً بعد مرة ، على رغم الدموع المتساقطة على وجنتيكِ ، لكي تأتي الى الصلاة فرحةً باسمة . . . »

اترون في هذا غير قنبلةٍ هائلةٍ من معدّات الحرب في القرن العشرين الضاحك، في بلاد البشاشة والاستخفاف، لتطير اركان الروحية والصوفية الاصلية المقطّبة الحواجب ، واستبدالها بعقيدة دنيويّةٍ لا تذكر العبادة والصلاة الا في « كمال الفرح ووفرة الخيرات » ؟

ايكون بعد الآن عجبٌ او غرابةٌ اذا نال « النبيُّ » الجبراني مكانة سامية في بلاد السينما والتشارلستون ، وارض المناجم والمعادن والقطن والسيارات وناطحات السحاب ، فاعتبروه سفراً مقدّساً ليحلّ محلّ الانجيل في الكنائس والنوادي ، ما دام هو يُطرئ المحافظة على « كمال الفرح ووفرة الخيرات » ويحرّض على نخس النفس بمنخس حاد مرةً بعد مرة اذا هي لم تتماسك عن البكاء وقت الصلاة . وهل لدى « النبي » مناخس كافية يوزّعها على القوم ايام خميس الآلام والجمعة الحزينة وسبت النور ؟

اجل ! هناك ، اي في « كمال الفرح ووفرة الخيرات» اي على ذروة الانشراح والمنى حيث يحبّذ الصلاة ، يقول « النبي » :

« واذا صلّيتِ فانتِ ترتفعين بروحكِ لكي تجتمعي في تلك الساعة بارواح المصلين ، الذين لا تستطيعين ان تجتمعي بهم بغير الصلاة .

لذلك فلتكن زيارتك لذلك الهيكل غير المنظور مدعاة للهيام السماوي ولشركته الروحية السعيدة .

لانك اذا دخلتِ الهيكل، ولا غاية لكِ سوى السؤال، فانكِ لن تنالي شيئاً .

واذا دخلتِ الهيكل لكي تظهري وفرة اتضاعكِ وخشوعكِ فانكِ لن تجدي رفعة :

بل ، لو جئتِ الهيكل وانتِ ترجين ان تلتمسي خيراً لغيرك من الناس فانكِ لن تجابي الى سؤالك .

لانه يكفيكِ ان تدخلي الهيكل من غير ان يراكِ احد . »

يقولون ان بمثل هذا صوفيّة مثقّفة . ولكن اليس في قوله « انك اذا دخلت الهيكل ولا غاية لك سوى السؤال فانك لن تنالي شيئاً » نسف لعقيدة « الاتكال على الله » ، وتحذير من سؤاله ، وجحود لمنه وكرمه الذي يعتمد عليه الغزالي ، شيخ الصوفية ، وسائر الاتباع من دراويش العرب وفقراء الهند ؟

او ليس في قوله « وان دخلتِ الهيكل لكي تظهري وفرة اتضاعك وخشوعك فانك لن تجدي رفعة » رفض بات لسجايا التقوى واذلال النفس، وحض ظاهر على أبهة الصالون وفخفخة المرقص ؟

او ليس في قوله : « بل ، لو جئت الهيكل وانتِ ترجين ان تلتمسي خيراً لغيرك من الناس فانكِ لن تجابي الى سؤالك » تحريم قطعي لمحبة القريب ، ويأس تام من خلاص الخطأة ، وقنوط من الاحسان الى الاخوة في الانسانية ؟

فما دامت صلاة النبي الجبراني لا تشتمل لا على الرجاء ، ولا على التقوى ، ولا على محبة البشر ؛ ماذا تتضمن اذن هذه الصلاة الغريبة ؟

يجيبنا « النبي » :

« لا استطيع ان اعلمك الصلاة بالالفاظ .

لان الله لا يصغي الى كلماتك ما لم يضمها تعالى اسمه على شفتيك وينطق بها بلسانك .

ولا اقدر ان اعلمكِ صلاة البحار والجبال والاحراج .

يد انك ، وانت ابنة الجبال والاحراج والبحار ،

تستطيعين ان تجدي هذه الصلاة محفورةً على صفحات قلبك .

فاذا اصغيتِ في سكينة الليل سمعتِ الجبال والبحار والاحراج تصلي بجدود وخشوع :

« ربنا والهنا ، يا ذاتنا المجنّحة ،

انا بارادتك نريد ،
وبرغبتك نرغب ونشتهي ،
بقدرتك تحوّل ليالينا ، وهي لك ، الى ايام هي لك ايضاً ؛
انا لا نستطيع ان نلتمس منك حاجة ،
لانك تعرف حاجاتنا قبل ان تولد في اعماقنا .
انت حاجتنا : وكلّما زدتنا من ذاتك زدتنا من كل شيء . »

هذه هي صلاة النبي التي استطاع ان ينقلها عن لسان بنات الطبيعة « البحار والجبال والاحراج »

فلنقابل بينها وبين الصلاة التي رواها الكتاب المقدّس على لسان السيد المسيح ، ولا يزال يردّدها المؤمنون في كل يوم عشرات المرات قائلين : « ابانا الذي في السموات » ، اي انهم يتضرّعون ويدعون الله باسم « الاب » الحنون ، بارئ الخلق ، ومصدر الكل المتبر فوق الفوق اي « في السموات » ؛ واما النبي الجبراني فلا يوجّه دعاءه للبارئ المتجلي في السموات ، بل لمعبود خاصّ به يناديه صارخاً من اعماق كليته الطبيعية الكامنة في الارض « بالاحراج والبحار والجبال » .

ولكن من هو ذلك المعبود ؟ واين يقيم ؟

ان صلاة النبي الجبراني تدلُّ عليه اذ تقول : « ربنا والهنا ، يا ذاتنا المجنّحة » . هو يعبد « الذات المجنّحة » ، اي الانانيّة المجرّدة التي لها اجنحة تطير بها فوق الريح ، وتتغلّب على اشدّ مظهر للقوى الطبيعية .

ويتمّ المؤمنون صلاتهم القديمة : « ليتقدّس اسمك ، لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الارض » ، اي انهم ينادون بالتسليم المطلق لارادة الله الآب البارئ الحنون ومشيئته العادلة الشاملة السائدة في السماء وعلى الارض .

واما النبي فيقول في صلاته الطبيعية : « اننا بارادتك نريد ، وبرغبتك نرغب ونشتهي » مستعملاً صيغة المتكلم مع التأكيد ايضاً في قوله : « اننا . . . نريد . . . نرغب . . . نشتهي » كأن لا شيء في العالم سوانا ، وكأن ليس لدينا اغلى من الارادة ، والرغبة ، والشهوة ، لنجعلها موافقة لارادة ورغبة وشهوة « ذاتنا

المجنّحة » التي ليس من رب سواها يبسط قدرته اللامتناهيـة فوق الكائنات ويحلّق بالفضاء الواسع « ويحوّل الليالي ، وهي له ، الى ايام هي له ايضاً .»

اليست هذه الصلاة ابلغ انشودة تستحقّ ان يطبّل ويزمّر لها جيش التطاحن البشري ، وجند التزاحم للقبض على زمام الحياة ، ولسان حال الفيلان الفاغرين افواههم لبلع كل « ما يُرغب ويُراد ويُشتهى » على مائدة الانانية القوية ، مع تكريس لهذه الانانية وتقديس لهذه القوة ؟

اين هذا الاستئثار في « اننا نريد ونرغب ونشتهي بارادتك ورغبتك، ياذاتنا المجنّحة » من التسليم لعـدل الاله الروحي في « لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الارض. »

وتُختم صلاة المؤمنين القديمة : « اعطنا خبزنا كفاف يومنا واغفر لنا ذنوبنا وخطايانا كما نحن نغفر لمن اخطأ واساء الينا . . . »

يطلب المؤمنون خبزهم كفاف يومهم ، اي انهم يقتنعون من حطام الـدنيا بتحصيل الضروري من شروط الحياة التي يهبها الاب الحنون البارئ .

وامـا النبي الجبراني فيختم صلاته بقوله :

« اننا لا نستطيع ان نلتمس منك حاجة ،
لانك تعرف حاجاتنا قبل ان تولد في اعماقنا.
انت حاجتنا : وكلّما زدتنا من ذاتك زدتنا من كل شيء . . »

اي انه لا يحدّد الحاجات التي يريدها ويرغب فيها ويشتهيها.

ولكن ، ألانه يكتفي بما لديه غير طامع بالاستزادة ؟

كلّا ، بل لانه لا يستطيع تحديد حاجاته . ومن يعرف اذن تلك الحاجات التي يجب التماسها من الرب المعبود ؟

هو نفسه ، الانانيّة ، اي « الذات المجنّحة » ، يعرف كل ذلك منذ الشعور الاولي : « لانك تعرف حاجاتنا قبل ان تولد في اعماقنا »

ولعمري ! ما هي امّ هذه الحاجات ؟ هي هي بذاتها الانانيّـة المتضخمة ، الذات المجنّحة ، الرب الواحد ، الاله المبارك ، دون سواه اذ يقول له : « انت حاجتنا : « وكلّما زدتنا من ذاتك زدتنا من كل شيء . »

وهكذا فالنبي الجبراني يقول ما فحواه الواضح « ايها الـذات المجنّحة ، يا جوهر الانانيّة المتفوّق ، انتِ ارادتي ، ورغبتي ، وانتِ شهوتي ، وكلّما استردت منك حصلت على كلّ شيء . »

فاين هذا الاجتياح المتجتم من مرامي التضحية والاستشهـاد التي تحضّ عليها الاديان السامية باجمعها ؟

اين هذا من حديث الرسول العربي القائل « الخلق كلهم عيال الله واحبهم اليه انفعهم لعياله » ، لا لذاته المجنّحة القويّة المعبودة برغائبها وشهواتها !

اين هذا من المبدأ الاساسي للديانة المسيحية ، وهو ان مؤسس هذه الديانة قدّم نفسه ضحية طاهرة لاجل خلاص العالم وسعادتهم الابديّة ، لا لاجل ذاته المجنّحة !

اين هذا من تعاليم البوذيّة القائلة ان الناس كلهم اجزاء للذات المـدعوة « انا » وان خدمتهم والعمل في سبيلهم واجب مقدّس ، لان به خدمة الذات الشخصية الذائبة في مجموعهم ، لا المتوسعة « ذاتاً مجنّحة . »

. . .

وقبيل الختام يلزم ان نتساءل عمّا هي ارادة ورغبة وشهوة وحاجة الذات المجنّحة المعبودة ؟

وحالاً ينتقل جبران الى الموعظة التي تعطينـا الجواب بحضور « ألمِطْرة » التي ابتدأ يحدث ، كما ذكر ، بعد ان « نظر اليها نظرةً ملؤها الحب والحنان . »

اللذة

« حينئذٍ دنا منه ناسك يزور المدينة مرةً في السنة ، وقال له ، هاتِ حدثنا عن اللذة . فاجاب وقال (١ :

« اللذة انشودة الحرية ،
ولكنها ليست حرية بذاتها .
اللذة زهرة رغباتكم ،

١) جميع مقاطع فصل اللذة مأخوذة حرفياً من النبي ، ص ٨٥–٩٠

ولكنها ليست ثمرةً لها.
اللذة عمق ينشد علوًّا،
ولكن لا هي بالعمق ولا هي بالعلو.
اللذة جناحٌ قد افلت من قفصه،
ولكن ليست فضاء حرًّا طليقاً.
اجل، ان اللذة بالحقيقة انشودة الحريَّة.
وانه ليطربني ان تترنموا بها في اعماق قلوبكم: ولكنني لا آذن لكم ان تستسلموا بقلوبكم للفناء.»

يقول «اللذة زهرة رغباتكم» اي انها اجمل شيء برغبات الذات المجنّحة. ولكن هذه اللذة ليست ثمرة تقطف لتؤكل مرةً واحدة، وتبقى الشجرة التي انبتتها خاليةً منها. ولذلك تجب المحافظة على هذه اللذة لابقاء جمال الرغبات التي هي زهرتها. وبالنتيجة فان النبي يقصد الترغيب في دوام اللذة اللامتناهية. وسنرى نوع هذه اللذة.

ويقول: «اللذة عمق ينشد علوًّا، ولكن لا هي بالعمق ولا هي بالعلو» اي ان اللذة غرض التسامي وقوة الطموح المكتفية بذاتها المجرَّدة. وهي تقصد نفسها لنفسها، كما ينشد العمق موضعاً اعلى منه حيث لا عمق ولا علو، فهي اذن غايته.

ويتابع «اللذة جناحٌ قد افلت من قفصه، ولكنها ليست فضاء حرًّا طليقاً. اجل ان اللذة بالحقيقة انشودة الحريَّة.»

اي ان اللذة تشبه جناح الطائر بلطفها وكونها دعامة سياحته في جو الحرية الفسيح، اي بالحياة المقصودة، اذا انكسرت عدمت الحياة.

هذه هي النعوت التي يجب ان تستكملها حاجة الذات المجنّحة، اي اللذة، وهي ان تكون مستمرةً، هدفاً لنفسها، اساساً للحياة. وعن هذه الحاجة يقول «انه ليطربني ان تترنموا بها في اعماق قلوبكم، ولكنني لا آذن لكم ان تستسلموا بقلوبكم للفناء»

يؤكد النبي سروره بان يترنَّم الخلق باللذة في اعماق قلوبهم. ولكنه لا يسمح بتسليم هذه القلوب للفناء، لئلا تشغل عن طلب اللذة فينقطع حبلها.

وما مثل النبي الجبراني في نظريته هذه بعمق اللذة وشدة التمسك بها الّا كمثل الذي يعيش ليأكل.

« ان فريقاً من احداثكم يسعون وراء اللذة سعيهم وراء كل شيء، ولذلك يحكم عليهم بالقصاص والتأديب.

اما انا فلا ادينهم ، ولا احكم عليهم ، ولكنني اسألهم : ان يفتشوا وينقبوا لانهم سيجدون اللذة في تفتيشهم ، ولكنهم لن يجدوها وحدها فقط :

فان لها سبع شقيقات ، احقرهنّ اوفر جمالاً منها.

وانتم ألم تسمعوا بذلك الرجل الذي كان يحفر الارض لكي يستخرج الجذور من اعماقها فوجد كنزاً عظيماً ؟ »

يحتجّ المصطفى على قصاص الاحداث من النساك الذين يستهويهم السعي وراء اللذة ، ويصرّح لهم بتساهله في ذلك ، بل يحضّهم على التنقيب واللحاق باللذة الخ . ويعني بذلك انه كلّما بحث الانسان عن اللذة بلغ ما هو الذ منها.

وفريق آخر من شيوخكم يتذكّرون لذات شبابهم آسفين ، كانها هي جرائم اقترفوها في اوقات السكر والجهالة.

ولكن الاسف هو بالحقيقة غمامة تغمُّ الفكر ولا تؤدّبه.

ولذلك يجدر بهم ان يتذكروا لذاتهم بالحمد والثناء كما يتذكرون حصاد الصيف.

ولكن اذا كان الاسف يعزيهم فلا بأس ان يتعزوا به . »

لا يرى جبران طائلاً تحت الاسف الذي « يغمّ الفكر ولا يؤدّبه » بل يقول انه يجدر بالشيوخ الذين تمتعوا بنصيب من لذات الشباب ان يذكروا ذلك بالحمد والثناء وان يعتبروه « حصاد الصيف » اي نتيجة الموسم المستغلّة في اوانها الحقيقي. واما اذا كان الاسف يعزيهم، اي يسلّيهم عمّا فاتهم، « فلا بأس ان يتعزّوا به » .

« وهنالك فريق ثالث ممن لبسوا بالاحداث لكي يجاهدوا مفتشين عن لذات جديدة ، ولا بالشيوخ لكي يتذكروا لذات شبابهم.

ولكنهم لشدة خوفهم من عناء الجهاد في التفتيش والالم في التذكارات يعرضون عن جميع اللذات ، لئلا يصلوا الروح او يجدفوا عليها.

غير ان لهم من هذا الاعراض بعينه لذة لانفسهم.

ولذلك فهم ايضاً يجدون كنزاً لذواتهم، مع انهم يحفرون لاجل الجذور بايدٍ مرتعشة. »

هنا يصطدم «النبي» بالصوفيين الاصليين الذين يرون اللذة بالامتناع عن اللذة، ويرون الغنيمة والكنز في كبح الشهوات واسر الرغائب، لا في جعلها انشودة الحرية. وعن هؤلاء يقول انهم «يحفرون على الجذور بايدٍ مرتعشة» اي ان في حفرهم ركاكة وضعفاً، ولذلك لن يتسنى لهم الوصول الى الكنز العظيم لان المسألة تتطلب الجرأة وعدم الارتجاف الذي يولده الخوف والحياء.

وفوراً يتخذ النبي لهجة التهكم باستفهامه المكرَّر.

«ولكن هل لك ان تخبرني، وانت الناسك الحكيم، من هو الذي يستطيع ان يكدّر على الروح صفوها؟

ايستطيع البلبل ان يعكر صفو سكينة الليل، ام المباحب نور السماء؟

وهل يقدر لهيب نارك او دخانها ان يثقل كاهل الريح؟

ام هل تعتقد ان الروح بركة هادئة وفي استطاعتك كلّما خطر لك ان ترعج هدوءها بعصاك؟»

او كما يقول المثل «كناس لا يغبّر على طحّان» لان هذا الاخير اطول منه باعاً، ومن العبث محاولة قتل الشهوة وتعليل النفس بغير اللذة الاصلية.

واخيراً لقد حان له ان يصرّح بنوع هذه اللذة الاصلية، فيقول:

«كلّما انكرت على ذاتك التمتع بلذة ما تغلق يديك على تلك اللذة في مستودعات كيانك.

ومن يدري هل تعود اللذة التي ترفضها اليوم فتترقب عودتك اليها في الغد؟

لان جسدك يعرف حاجاته الضرورية وميراثه الحقيقي. فلا يستطيع احد ان يخدعه.

اجل، ان جسدك هو قيثارة نفسك.

وانت وحدك تستطيع ان تخرج منها انغاماً فنّانة او اصواتاً مشوّشة او مضطربة.»

امثل هذا الخطاب يحتاج الى تأويل صوفي او روحي؟ كلّا فهو يرغّب باصطياد كل لذة عندما تسنح الفرصة لئلّا تهرب ولاتعود في الغد فيحرم الجسد من ميراثه الحقيقي.

«ولعلك تسأل في قلبك قائلاً: «كيف نستطيع ان نميّز بين الصالح والشرير من اللذات»؟

«فاذهب الى الحقول والبساتين وهنالك تتعلم ان لذة النحلة قائمة في امتصاص العسل من الزهرة.

ولكن لذة الزهرة ايضاً تقوم بتقديم عسلها للنحلة.

والنحلة تعتقد ان الزهرة ينبوع الحياة.

والزهرة تؤمن بان النحلة هي رسول المحبة المحيية.
والنحلة والزهرة كلتاهما تعتقدان ان اقتبال اللذة وتقديمها حاجتان لا بد منهما، وافتنان لا غنى للحياة عنه.
أجل، يا ابناء اورفليس، كونوا في لذاتكم كالنحل والازهار.»

...

هذه هي نتيجة الموعظة عن اللذة. فاين هي مدرسة اللذات الجسدية؟
في الحقول والبساتين، اي في احضان الطبيعة الحرة!
ومن هم الاساتذة الذين جعلوا قدوةً صالحة؟
النحلة، وهي مثال الجدّ والنشاط في تحصيلها وبحثها عن لذتها في تنقلها المستمرّ بين جميع الازهار؛ والزهرة، وهي مثال الجمال والنضارة ومهبط العسل. وكل من هذين المعلّمين يعتقد ويؤمن بان الصلاح الكلي في علاقته مع الآخر «لان اقتبال اللذة وتقديمها حاجتان لا بد منهما وافتنان لا غنى للحياة عنه.»

هذا مثال بارز من خيال جبران البديع الذي يصوّر فكرته المتلألئة في كل لفظة يختارها للتعبير عمّا يجول بخاطره؛ ويدلّ على ان الاعوام التي انقضت بين تأليف «الاجنحة المتكسرة» و«النبي» لم تعمل الّا على صقل الجوهر الفرد في ادب جبران، وان الشهوة الجسدية التي انشدها بجانب سلمى كرامه بلهجة الشاعر هي ذات اللذة الجسدية التي يرغّب الناسك بها بلغة الفلسفة والدين.

***

اجل، لقد كان جبران نصبة من كروم لبنان نمت في الحقل الغربية، وقدّمت للعالم ورقاً وعنباً ودبساً من مادة واحدة في كيمياء الاخلاق، هي «لذة الجسد.»

اما اغمار الورق الاخضر «بالاجنحة المتكسرة» و«عرائس المروج» و«الارواح المتمرّدة» فستذبل بعد حين عندما تجفّف القسمَ الموجود بها من ماء الفن والبلاغة شمسُ النفسيّة الاخلاقيّة الغير المكهربة بجوّ الحب الشهواني والمرأة المبتهج بعريها.

واما العنب فياكل منه الجالسون على مائدة جبران ، يتلون « العواصف » و« البدائع والطرائف » و« المواكب » و« السابق » و« رمل وزبد »، فتمتص منها عقول مريديه مزيجاً من الشراب الجسدي والحامض الفني الذي يفتق القابلية بسحر بيانه . واما الدبس المعبأ بجرة « النبي » فسيبقى مؤونة لفصل آخر من فصول التاريخ يقدم به للعالم نوابغ الشرق من الحلويات الشيقة مربى اطيب تظهر به براعة الشرقي واستعداده للتكيف وفقاً للظروف والاحوال.

***

هذا هو الطعم الذي ذقته في ادب جبران، اذ كنت كالنحلة الصغيرة اطلب العسل وان كان امتصاصي اياه قارصاً ، لان في هذا الاسلوب من النقد والتحليل لذتي ، وقد عرفت ان لجبران الذي جعلته الزهرة لذة قائمة ايضاً بتقديم هذا العسل، لانه يؤمن بان النحلة هي رسول المحبة المحيية ؛ ورغبت في ان يكون لسان حالي قائلاً للادباء والمتأدبين ما قاله النبي لابناء اورفليس : « كونوا في لذاتكم كالنحل والازهار . »

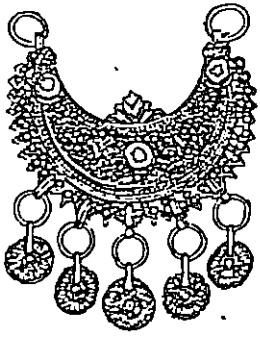

الاعشى والاسلام

هل قصد الشاعر الى نبيّ المسلمين؟

بقلم فؤاد افرام البستاني
استاذ الآداب العربية في كلية القديس يوسف

تناقل مؤرّخو الادب العربي ، قدماء ومحدثين ، رواية عن الاعشى والاسلام ظهرت لنا بحاجة الى النقد والتمحيص . وذلك لأن بعض الادباء لم يكتفوا بذكرها من جملة المرويات ، بل استندوا اليها في تأريخ وفاة الشاعر المذكور ؛ ولا يمكن الاستناد الى أسّ تاريخي ما لم يكن ثابتاً ركيناً ، والّا فكل ما يُبنى عليه يضطرب ويتقلقل حتى ينهار متهافتاً فتنهار معه جميع الاستنتاجات والفرضيات التي قد يكون المؤرّخ سهر لياله الطوال في تشييدها واحدة واحدة على ذاك الأسّ المضطرب . هذا فضلًا عمّا في تمحيص الحوادث التاريخية من خدمة الحقيقة العامّة،ومن افادة التاريخ ، ومن بثّ روح النقد الذي يجب ان يتصف به كل مؤرخ حقيق بان يحمل هذا اللقب.

واذًا فاننا نرى من الواجب ان ننظر في الرواية المذكورة.

من الراجح ان الاعشى ادرك الدعوة الاسلامية[1] . ولكنه لم يُسلم . على ان بعض الرواة مثّاوه راغباً في الاسلام ، قاصدًا مدح نبيّه ، حتى اذا كان على مقربة من نيل بغيته صدّته قريش ، فصرفته عن الدين الجديد . فما مبلغ هذه الرواية من الصحة ؟

ونحن اذا قلنا الرواية ، فهمنا بها ذاك النصّ الاصلي الذي تبدّل وتحوّر على مرور الايام حتى وصل الينا عن طريق الاغاني، وهو الى تأليف الحكايات المؤثرة

---

(١) اغلب في ذلك الروائع ٣١ : ١ ، بد

اقرب منه الى عرض الحوادث التاريخية . ولكن مهما يكن من أمر فان هذا هو الشكل الذي تناقله مؤرخو الادب كافّةً.

واننا نرى من المفيد ان نتتبع هذا النصّ متأخرين عصرًا فعصرًا ، فنقف على تطوّراته ونتحقّق تصرّف الادباء به ، ونلمس الزيادات التي كانت تُضاف اليه في سبيل غايات قد نتوفق الى معرفتها ، حتى نصل الى ابعد اصل يمكننا الوصول اليه فندرسه ، ونتعرّف الى رجال السند الذين يُرفع اليهم ، فنرى حظه من الامكان التاريخي . ولنبدأ برواية صاحب الاغاني († ٩٦٧) لانه آخر مَن تؤخذ عنه مصادر الادب القديم . ولأن هذه الرواية خاصّة تناقلها ادباؤنا عنه وعن زميله ابن قتيبة († ٨٨٩) . وهي ، في الاغاني ، منسوبة الى حبيب ابن نصر المهلبيّ واحمد بن العزيز الجوهري عن عمر بن شبة عن هشام بن القاسم الغزي «وكان علّامة بامر الاعشى»[1] قال :

« وفد (الاعشى) الى النبي (صلعم) وقد مدحه بقصيدته التي اولها :

الم تنتمض عيناك ليلة أرمدا وعادك ما عاد السليم المسهّدا
وما ذاك من عشق النساء ، وانما تناسيت قبل اليوم خُلّة مَهْدَدا

وفيها يقول لناقته :

فآليت لا ارثي لها من كلالة ولا من حفا حتى تزور محمّدا
نبيّ يرى ما لا ترون ، وذكره اغار ، لعمري ، في البلاد وانجدا
متى ما تناخي عند باب ابن هاشم تراحي وتلقي من فواضله يدا

فبلغ خبره قريشًا فرصدوه على طريقه ، وقالوا : هذا صنّاجة العرب ما مدح احدًا قط الا رفع في قدره . فلما ورد عليهم قالوا له : « أين اردت ، يا ابا نصر[2] ؟ » قال : «اردت صاحبكم هذا لاسلم . » قالوا : «انه ينهاك عن خلال ويحرّمها عليك وكلها بك رفق ولك موافق . » قال : « وما هنّ ؟ » فقال ابو سفيان بن حرب : « الزنا . » قال : « لقد تركني الزنا وما تركته . ثم ماذا ؟ » قال : « القمار . » قال : « لعلّي ، ان لقيته ، ان اصيب منه عوضًا من القمار . ثم ماذا ؟ » قالوا : « الربا . » قال : « ما دنت ولا ادنت . ثم ماذا ؟ » قالوا : « الخمر . » قال « أوّه ! ارجع الى صبابة قد بقيت لي في المهراس فاشربها . » فقال له ابو سفيان : « هل لك في خير مما همت به ؟ » قال : « وما هو ؟ » قال : « نحن وهو الآن في هدنة[3] . فتأخذ مائة من الابل وترجع الى بلدك سنتك هذه ،

١) الاغاني ٨ : ٨٥ ٢) يا ابا نصر : كذا في الاغاني ، وهو تصحيف ، والصواب : يا ابا بصير . ٣) هي الهدنة التي جعلها ابن قتيبة هدنة الحديبيّة ، والتي استند اليها مؤرخو وفاة الاعشى ، كما سيأتي .

وتنتظر ما يصير اليه امرنا . فان ظهرنا عليه كنت قد اخذت خلفاً ؛ وان ظهر علينا اتيته . »
فقال : « ما اكره ذلك . » فقال ابو سفيان : « يا معشر قريش ، هذا الاعشى والله لئن اتى محمداً واتبعه ليضرمنّ عليكم نيران العرب بشعره . فاجمعوا له مائة من الابل . » فعلوا . فاخذها وانطلق الى بلده . فلما كان بقاع منفوحة ، رمي به بعيره ، فقتله . »(١)

هذه هي الرواية كما وصلت الينا بنصّها الاخير ، ولا يذكر صاحب الاغاني غيرها . اما ابن قتيبة فيذكرها دون اسناد مبتدئاً فيها بـ « قالوا » ، ثم يوردها بشيء من التحريف ، من ذلك انه يجعل الاعشى يستغني عن الخمر بقوله : « واما الخمر فقد قضيتُ منها وطراً . » ويحذف الربا ، ويحدّد زمن خروج الشاعر الى النبي فيقول انه كان « في صلح الحديبيّة »(٢) . فكان ان استند الى ذكر هذا الصلح من ارّخ وفاة شاعرنا من ادباء العصر ، جارين على اثر دي پرسڤال(٣) والاب شيخو(٤) ، فعيّنوها في السنة ٦٢٩ م . الموافقة للسنة السابعة هجرية ، وهي السنة التي وقع فيها الصلح المذكور(٥) . ولا يخفى انه لا يمكن اثبات هذا الاستنتاج ما لم تثبت المقدمة ، اي حادثة الاعشى والاسلام .

ومما يستخلص من روايتي الاغاني وابن قتيبة ان الحادثة وقعت بعد الهجرة ، وان النبي كان في المدينة اذ ذاك . فاحفظ هذا لحينه .

ثم ان ابن قتيبة ، وهو اقدم من صاحب الاغاني بنحو ثمانين سنة ، يذكر رواية ثانية اخصر من الاولى ، وهو يقدّمها عليها ، ويوردها كأنها من عنده ، بينا نراه يتوّج تلك الرواية بكلمة « وقالوا » ؛ وهذه هي :

« وكان (الاعشى) جاهلياً قديماً ، وادرك الاسلام في آخر عمره ، ورحل الى النبي (صلعم) ليسلم . فقيل له : « انه يحرّم الخمر والزنا » . فقال : « امتّع منها سنة ثم أسلم . » فمات قبل ذلك بقرية باليمامة . » (٦)

---

١) الاغاني ٨ : ٨٥ — ٨٦

٢) ابن قتيبة : الشعر والشعراء (طبعة de Goeje) ص ١٣٦

٣) de Perceval, *Essai sur l'histoire des Arabes*, t. II, p. 403

٤) الاب لويس شيخو : شعراء النصرانية ، ص ٣٥٧

٥) راجع في موقع الحديبيّة وما جرّ الى ذلك الصلح :
H. Lammens, *Hudaibiya* [Encycl. de l'Islam, II, 349]

٦) ابن قتيبة : الكتاب المذكور ، ص ١٣٥ — وقد نقل الروايتين البغدادي في خزانة الادب ١ : ٨٥

فلا حوار بينه وبين قريش ، ولا مائة ناقة ، ولا وقوع عن ظهر الجمل ، ولا ذكر لابي سفيان في كل ذلك . بل لا يُستدلّ من سياق الخبر هل كان الحادث قبل الهجرة ام بعدها ، وهل كان النبي في مكة ام في المدينة ؟

واذا ارتقينا الآن الى مصدر من مصادر الأدب اقدم من « الشعر والشعراء » نرى ان صاحب «الجمهرة» ، المتوفى في اواسط القرن التاسع ، يذكر الحادث ، عن ابن دأب ، على طريقة ابسط من ذلك كله فيقول :

« ان الاعشى خرج يريد النبي (صلعم) فقال شعرًا حتى اذا كان ببعض الطريق نفرت به راحلته فقتلته . ولما أنشد شعره الذي يقول فيه :

فآليت لا ارثي لها من كلالها ولا من حفا حتى تلاقي محمدا
متى ما تناخي عند باب ابن هاشم تفوزي وتلقي من فواضله يدا .

قال النبي (صلعم) : كاد ان ينجو ولمّا . »(١

فلا يصادف الاعشى احدًا في طريقه ، ولا يصدّه احد عن قصد النبي . ولا يُستنتج كذلك هل كان النبي في مكة ام في المدينة ، وبالتالي هل كان الحادث قبل الهجرة ام بعدها .

وهناك مصدر آخر للادب القديم ، هو كتاب « طبقات الشعراء » لمحمد ابن سلّام ، معاصر ابي زيد القرشي ، ولكنه لا يذكر شيئاً عن الحادثة التي تهمّنا .

بقي علينا ان نستفتي في المشكل مَن اهتمّ اهتماماً خاصًا بالاعشى وبالنبي ، وهما بطلا الحادثة . فنرى ما يقول ثعلب ، شارح ديوان الاعشى ، ونقف على ما يذكر ابن اسحق مؤلف « سيرة الرسول » .

اما ثعلب († ٩٠٥) ، المتوفى قبل صاحب الاغاني باثنتين وستين سنة ، فيقول دون سند ، في توطئة القصيدة الدالية المعهودة :

« اقبل الاعشى ، وكان ضريرًا ، عند ظهور النبي (صلعم) ، حتى اتى مكة ، وقد كان سمع قراءة الكتب ، فنزل على عتبة بن ربيعة . فسمع به ابو جهل ، فاتاه في فئة من قريش ، واهدى له هدية ، ثم سأله : « ما جاء بك ؟ » قال : «جئت الى محمد (صلعم) لاني سمعت به وبصفته في الكتب لانظر ماذا يقول وماذا يدعو اليه . » قال ابو جهل : « انه يحرّم عليك الأطيبَين : الخمر والزنى . » قال : لقد كبرت ومالي في الزنى من حاجة . » قالوا : « فانه يحرّم عليك الخمر . » قال : « فما احلّ ؟» فجعلوا يحدّثونه باسوأ ما يقدرون عليه .

١) ابو زيد القرشي : جمهرة اشعار العرب (طبعة الخشّاب) مصر ١٣٣٠ ، ص ٦٢

ثم قالوا : « انشدنا » . فانشدهم هذه القصيدة . ففرغ منها . قالوا : « لو انشدته هذا لم يقبله منك .» فلم يزالوا بالسِقا (كذا) حتى صدّوه . فخرج من فوره فاتى اليمامة . وقال : « اتلوّمه عامي هذا.» فمكث زمناً ، ثم مات باليمامة .»(١

فننتقل هنا من ابي سفيان الى ابي جهل ، ومن المدينة الى مكة ، ومن بعد الهجرة الى ما قبلها.

اما ابن اسحق المتوفى سنة ٧٦٨ م . ، جامع اخبار النبي ومؤلف «سيرته» الرسمية المتداولة بين الناس ، والجدير بان يكون مطّلعاً على حادثة كهذه ، فلا نراه يذكر شيئاً عنها. الّا ان ابن هشام († ٨٣٤ م) الذي حفظ تقريباً ما كتبه ابن اسحق(٢ ثم زاد عليه بعض المعلومات ، يشير الى الحادثة بطريقة تلقي نوراً جديداً على هذا المشكل . فلننتبه للنصّ اولاً ، ولنستنتج منه كل ما يمكن استنتاجه لفهم الموضوع . قال تحت عنوان « امر اعشى بني قيس ابن ثعلبة » :

« قال ابن هشام : حدثني خلّاد بن قرّة بن خالد السدوسي وغيره من مشايخ بكر ابن وائل من اهل العلم ان اعشى بني قيس بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل خرج الى رسول الله (صلعم) يريد الاسلام ، فقال يمدح رسول الله (صلعم) :

ألم تقتض عيناك ليلةَ أرمدا ، وبتّ كما بات السليم مُسهَّدا ،
وما ذاك من عشق النساء ، وانما تناسيتُ قبل اليوم صُحبة مَهْدَدَا .
ولكن ارى الدهر ، الذي هو خائنٌ ، اذا اصلحت كفّاي عاد فأفسدا ،
كهولاً وشبّاناً ، فقدتُ ، وثروةً ، فلله هذا الدهرُ كيف تردّدا !
وما زلت ابغي المال ، مُذ انا يافعٌ ، وليداً ، وكهلاً ، حين شبت ، وامردا ،
وابتذل العيسَ المراقيلَ تنتلي مسافة ما بين النُجَير فصَرْخَدا .
الا ايها ذا السائلي : « أين يَمّمت ؟ » فان لها في اهل يثرب موعِدا ، (٣
فان تسألي عني ، فيا ربّ سائلٍ حفيٍّ عن الأعشى به حيث اصعدا .
أجدّت برجليها النجاء ، وراجعت يداها خِنافاً ليّناً غير أحردا ،
وفيها اذا ما هجّرت عَجْرفيّةٌ اذا خاف حرباء الظهيرة أصيدا ،
وما اذا ما ادلجت فترى لها رقيبين : جدياً ما تغيب وفرقدا .

---

١) شرح ديوان الاعشى (طبعة Geyer) ص ١٠١

٢) اطلب في ذلك : G. Levi Della Vida, *Sira* [Encyclop. de l'Islam]

٣) قد يستنتج من هذا البيت ان النبي كان في المدينة اذ اراد الاعشى الوفود اليه . الّا ان ابن هشام يجعل الحادثة قبل الهجرة كما سيأتي.

وآليت لا آوي لها من كلالة ... ولا من حفًا حتى تلاقي محمّدا ؛
متى ما تُناخي عند باب ابن هاشم ... تُراحي ، وتلقي من فواضله ندا
نبيًا يرى ما لا ترون ، وذكره ... اغار لعمري في البلاد وانجدا .
له صدقاتٌ ما تقبّ ، ونافلٌ ، ... وليس عطاء اليوم مانعَه غدا .
أجدَّك لم تسمع وصاة محمّدٍ ، ... نبيّ الاله ، حيث اوصى واشهدا :
اذا انت لم ترحلْ بزادٍ من التقى ، ... ولاقيت ، بعد الموت ، من قد تزوّدا ،
ندمت على ان لا تكون كمثله ... فتر صد للأمر الذي كان ارصدا .
فاياك والميتات لا تقربنّها ؛ ... ولا تأخذنْ سهماً حديداً لتفصدا ؛
وذا النصب المنصوب لا تنكحنّه ؛ ... ولا تعبدِ الاوثانَ ؛ واللهَ فاعبدا ؛
ولا تقربنّ حُرّة كان سرّها ... عليك حراماً ؛ فانكحنْ ، او تأبدا ،
وذا الرحم القربى فلا تقطعنّه ... لعاقبة ، ولا الأسير المقيّدا ؛
وسبّحْ على حين العشيّات والضحى ؛ ... ولا تحمد الشيطان ، والله فاحمدا ؛
ولا تخسرن من بائسٍ ذي ضرارةٍ ، ... ولا تحسبنّ المالَ للمرء مُخلدا . (١

فلما كان بمكة ، او قريباً منها ، اعترضه بعض المشركين من قريش ، فسأله عن امره ، فاخبره انه جاء يريد رسول الله (صلعم) ليُسلم . فقال له : « يا ابا بصير ، انه يحرّم الزنا » فقال الاعشى : « والله ، ان ذلك لامر ما لي فيه ارب . » فقال له : « يا ابا بصير ، انه يحرّم الخمر . » فقال الاعشى : « اما هذه فوالله ان في النفس منها لعلالات . ولكني منصرف فاتروّى منها عامي هذا . ثم آتيه فأسلم . » فانصرف ، فمات في عامه ذلك . ولم يعد الى رسول الله (صلعم) » (٢

فليُلاحظ اولًا ان ابن هشام لا يذكر احدًا من اولئك « المشركين » الذين اعترضوا الاعشى . على انه يزيد في آخر الحادثة المذكورة ، دون فاصل ، ما يأتي :

« قال ابن اسحق : وقد كان عدوّ الله ابو جهل مع عداوته لرسول الله (صلعم) وبغضه اياه وشدته عليه ، يذلّه الله له اذا رآه . »

فايّ دخل لابي جهل هنا ! وهل يكون أثَر هذا المقطع في ثعلب فنسب صدّ الشاعر عن النبي الى ابي جهل ؟ وذلك قبل ان ينسبه ادباء القرن العباسي الى ابي سفيان ، جدّ الامويين .

---

١) هذه هي القصيدة كما رواها ابن هشام . وهي مذكورة في ديوان الاعشى (طبعة Geyer) ص ١٠١ — ١٠٣ مع تحريف كثير ، واختلاف في ترتيب بعض الابيات . وقد ذكرت عدة ابيات متفرّقة منها في كتب الادب .

٢) ابن هشام : سيرة الرسول (طبعة Wüstenfeld) ص ٢٥٥ — ٢٥٦

وليُلاحَظ ثانياً ان القرشيين لا يعطون الاعشى شيئاً ، في هذه الرواية . فلا يكون الشاعر ، والحالة هذه ، قد باع اسلامه بمائة ناقة او ما شاكل . بل يكون هو قد اراد من نفسه ان يرجئ اسلامه سنةً حتى يتروّى من الخمر وحدها . فتظهر شخصيته ارفع مما تمثلها رواية الاغاني وابن قتيبة . وما ذاك الا لأن رواية ابن هشام مأخوذة عن « مشايخ بكر » ، ولا يليق بهم ان يحطّوا من صفات شاعرهم الاكبر .

ثم لا يخفى ان هذا النصّ اقدم النصوص جميعها ، وهو اجدرها بالانتباه في الدرس التاريخي . فاذا انتبهنا لمحله من السيرة ظهر ان النبي كان لا يزال في مكة اذ ذاك ؛ وبالتالي ان الحادثة قد جرت قبل الهجرة ، حوالي السنة ٦١٩ ، كما استنتج كايتاني من سياق حوادث السيرة[1] . وكذلك ينتج من رواية ثعلب المذكورة آنفاً ، ومما نقله بعض المفسرين كالسيوطي ومن جرى مجراه[2] .

واذاً فنحن امام روايتين : الاولى ، وهي اقدم عهداً واخصر شرحاً واجدر بالاهتمام ، تجعل النبي في مكة اذ اراد الاعشى الوفود اليه . والثانية ، وهي احدث عصراً واطول حواراً ، تجعله في المدينة بعد الهجرة .

فاذا اخذنا بالرواية الاولى دُفعنا الى اعتبار عدة امور تجرحها كثيراً . من ذلك ان النبي لم يكن ، في مكة قبل الهجرة ، من حيث التأثير المادي والسلطة المدنية ، بالرجل الذي يستجلب شاعراً عظيماً كالاعشى فيجوب البلاد لمدحه . ومن ذلك ان الخمر لم تحرّم الّا في المدينة ، بعد تاريخ الحادثة بعدّة سنين . وكلّها امور تبرّر شكّنا بالرواية . ثم ان هناك سبباً يرجّح الشكّ وهو اسناد الرواية « لمشايخ بكر » والوقوف ، في ذكر نسب الاعشى ، عند « بكر ابن وائل » . وهذا ، كما يظهر للمطّلع على تاريخ تلك الحقبة ، امر جدير بكل عناية واهتمام لما نعرفه من مفاخرة القبائل بعد الاسلام بقدمها في الدين الجديد ، ودلّها بعضها على بعض بمرافقتها الاسلام منذ اقدم عهده . فلا نأتي بدعةً غريبة ، والحالة هذه ، اذا ما نسبنا اختراع الحادثة ووضع القصيدة الى مشايخ بكر ،

(١ Ceatani, *Annali dell'Islam*, I,301

(٢ السيوطي : شرح شواهد المغني ، مصر ١٣٢٢ ، ص ١٦٦

كما رجّح الأمر «كل الترجيح» المستشرق الايطالي المدقق البرنس كايتاني[1]. ولا سيما ونحن نعرف للبكريين سوابق في الافتراء على شاعرهم ونحلهم اياه الابيات ينالون بها ما يريدون. من ذلك ما نقله صاحب الاغاني[2] قال:

«قال رجل من بكر بن وائل في الاسلام، وهي تُنحل للاعشى:

ونحن قهرنا تغلب ابنة وائل بقتل كليبٍ اذ طغى وتخيّلا
ابأناه بالناب التي شقّ ضرعها فاصبح موطوءَ الحمى متذلّلا»

واما اذا اخذنا بالرواية الثانية فاننا نتخلص، دون شكّ، من الصعوبات التاريخية الناتجة عن وجود النبي في مكة، على اعتبار الرواية الاولى؛ الّا ان موقف البكريين يظلّ هو هو. ويبقى هناك سبب قويّ يكاد لا يقلّ عما تقدم من الاسباب التاريخية، ويعمل عمله مهما كانت الرواية التي نأخذ بها، وهو ينتج من نقد القصيدة نفسها وفحص امكان صدورها عن الاعشى، اذ كان من الجهل بالدين الجديد في الحالة التي يصوّره بها الرواة. فاننا نرى في تلك الدالية من التحريمات والوصايا ما لا يمكن صدوره الّا عن عارف بهذا الدين مطّلع على ما يوحي به وينهى عنه كقوله:

فاياك والميتات لا تقربنّها، ولا تأخذنْ سهماً حديداً لتفصدا،
وذا النصب المنصوب لا تنسكنّه، ولاتعبدالاوثان،والله فاعبدا...الخ[3]

وكلّها معلومات تتناقض وعقلية الاعشى آنَ قدومه المزعوم، والرواة يمثّلونه اذ ذاك جاهلاً كل الجهل حتى ان القرشيين يخبرونه بمناهي القرآن... فاين هذا الناظم المطّلع من ذاك الشاعر الجاهل!

هذا الى كون الصناعة الشعرية في القصيدة ضعيفة جدًّا تنحطّ عن كل ما نعرفه لشاعرنا، بل «انها اسخف ما يُضاف الى الاعشى وانها ولاسيما المدح فيها الى نظم المتون اقرب منها الى الشعر الجيّد.»[4]

. . .

---

١) Caetani, *op. cit.* I, 302 ٢) الاغاني ٤ : ١٤٢

٣) راجع الابيات ١٧ — ٢٤ من القصيدة المذكورة

٤) الدكتور طه حسين: في الادب الجاهلي، ص ٢٥٨

الخلاصة انه من الراجح ان مشايخ بكر وضعوا هذه القصة في اواخر القرن الثامن للمسيح — وهذا بدليل ان ابن اسحق لم يذكرها في السيرة ولقد كان حقيقاً ان يشير اليها لو عرفها — ليفاخروا غيرهم باقدميتهم في الاسلام. فجعلوا شاعرهم الاكبر يفد على النبي ليُسلم ، فتعاكسه الاحوال ، فينصرف بعد ان يكون قد نظم قصيدة في مدحه . الا انهم في تأليفهم تلك القصيدة ، لم يفطنوا لدقائق الحادثة ومتطلبات الزمان والمكان وصفات الاشخاص ، فبدت فيها تلك الاضطرابات والتناقضات التي اشرنا اليها . ثم جمع ابن هشام هذه الاحاديث ، التي لم يسمع بها ابن اسحق ، فدوّنها في السيرة . والتي بعده من زادوا فيها ووسّعوا الحوار بين اشخاصها . وكأن هؤلاء انتبهوا لصعوبة حدوثها قبل الهجرة ، فجعلوها في المدينة وعيّنوا لها صلح الحديبية زمناً . ثم كان من الرواة من اراد التملّق الى البأسيين ، اصحاب السلطان اذ ذاك ، بالحطّ من شأن اعدائهم بني امية ، حتى في ما قبل الاسلام ، فرأوا ان يلقوا تبعة ارجاع الاعشى على ابي سفيان . ولكنهم هنا ايضاً لم يتوفّقوا في اتمام شروط الزمان والمكان . فان ابا سفيان لم يكن في طليعة مناوئي النبي في حادثة الحُدَيبيَة .[1]

فكان لنا من كل ذلك تلك الرواية الادبية بشكلها القصصي الجميل ، التي نقلها صاحب الاغاني وتناقلها عنه مؤرّخو الادب كافة كما قدمنا.

هذا ولا يضير الاسلام في شيء كون الاعشى لم يقصد الى نبيه ، كما انه لا يضير النبي اسقاط هذه القصيدة من مدائحه . انما الحقيقة التاريخية اجدر بان تُقصد ، ويبحث عنها ، وتُتَّبع .

---

١) راجع في ذلك F. Buhl, *Abi Sufyân* [Encyclop. de l'Islam]

العناصر الغاربة في لبنان

بقلم الاب لامنس اليسوعي

٢

(تتمة)

وهناك مشكل آخر يعترض الباحث في الشعوب اللبنانية قد لا يقلّ صعوبةً عمّا تقدّم ، وهو اصل المتاولة المستوطنين هذه البلاد. فان المستشرقين لا يزالون يتجادلون في اصلهم ومصدرهم تجادلهم في شرح اسمهم واشتقاقه . فيزعم فون اوپنهيم (Von Oppenheim) انهم من بقايا جماعات القرامطة الاقدمين الذين نزلوا سورية فتركوا احفادهم فيها[1] . اما كازانوفا (Paul Casanova) فينسبهم الى الاسماعيليين[2] . وهما رأيان مرجوحان تتأكد ضعفها اذا ما انتبهنا لما اختص به القرامطة والاسماعيليون من انهم ينتسبون الى بدع تكتنف معتقداتها الاسرار والغوامض فلا يمكن الوصول اليها الّا بالترقي في درجات متتابعة ، وانهم يقفون في سلسلة ائمتهم عند الامام السابع ، بينما نرى الشيعيين الإماميين ، او المتاولة ، يصلون الى الامام الثاني عشر . ولهذا يدعوهم الناس ايضاً « بالاثني عشرية ».

وقد لاحظ البعض ما يوجد بين معتقدات المتاولة ومعتقدات الشيعيين الفرس من الاتفاق التامّ ، فظنوا ان اصل الشعبين واحد جارين على اثر الرحالة سيتزن (Seetzen) الذي جعل المتاولة يأتون من بلاد فارس[3] .

---

١) Von Oppenheim, *Von Mittelmeer zum Persischen Golf*, I, 132, note 2.

٢) *Revue d'Egypte*, I, 443

٣) المجلد الاول من رحلته ، ص ٢٤٣

وانا نرى شيئاً من ذلك في كتاب تاريخ الاعيان لطنوس الشدياق . فانه في ترجمته لمشايخ الحمادية يزعم انهم جاؤوا البلاد مع قومهم من ناحية بُخارى[1] . وكذلك زَعم الدكتور لورته (Dr Lortet) ، فانه اكتشف مشابهات مهمة بين المتاولة والاكراد الساكنين مناطق العراق العليا ، فرأى انه «يمكن التأكيد بجرأة ان المتاولة اكراد اتوا من نواحي الحدود الفارسية في هجرة مهمة قد تكون حدثت في القرن الثالث عشر .»[2]

على انني اخال لورته مستقياً رأيه في هذا الامر من ارنست رينان ، متوسعاً اكثر من الممكن في فكرة سنحت لمؤلف «البعثة الفنيقية» فذكرها عرضاً . وذلك ان رينان ، في ذكرياته عن بلاد بشاره او الجليل الاعلى ، يؤكد انه صادف «عائلة او عائلتين عرف فيها ذاك العنصر الايراني (الكردي) المجيد الذي نقله صلاح الدين .»[3] وقد تحققت انا ايضاً وجود تقليد مشابه لهذا تتداوله بعض الأسر المتوالية الكبيرة في بلاد الجليل، فيكون رينان قد تناوله من هذا المحيط على الغالب . ومما يشير الى هذا الزعم ايضاً نصّ نشره كريستي[4] (Christie) وهو باللغة العربية العامية الجارية في بلاد الجليل العليا. ومقالة نشرها «البشير» بتاريخ ١٧ تشرين الاول ١٩٠٤ ، في وصف مأتم احد بكوات النبطية ، يقول فيها المكاتب ان البك المذكور من سلالة صلاح الدين.

وكنت انا ذاتي قد رأيت هذا الرأي في ما مضى[5] . على انني اقرّ اليوم انه يظهر مرجوحاً لكونه لا يعتبر الوثائق السابقة عصر الصليبيين ، كنصوص

---

١) طنوس الشدياق : اخبار الاعيان ، بيروت ١٨٥٩ ، ص ١٦٦

٢) Dr Lortet, *la Syrie d'aujourd'hui*, p. 116

٣) Renan, *Mission de Phénicie*, 633, n. 1

٤) Cf. *ZDPV*, XXIV, 69 ; 109

— وينتج من بعض المعلومات المأخوذة عن مشايخ المتاولة في اللبوة ، ناحية بعلبك ، ان المتاولة عربيو الاصل، ما عدا متاولة بلاد بشاره فانهم من اصل كردي.

٥) راجع Lammens, *Sur la frontière nord de la Terre Promise*, pp. 6 et 40 [extrait de la revue *Les Etudes*, 20 Févr. et 5 Mars 1899]

ناصرى خسرو[1] والمقدسي[2] ، الناتج منها انه كان من الشيعيين مَن يسكنون اذ ذاك منطقة طرابلس ، وناحية الجليل الشمالية . فضلًا عن ان من ينسبون الى صلاح الدين اسكان المتاولة في سورية ينسون ان القائد الكردي المذكور، الذي لاشى الخلافة الفاطمية ، ظهر في حياته واعماله كلها عدوّ الشيعيين اللدود ومجدّد مجد السنّة . بيد ان كريستي، من غير ان ينسب ادخالهم سورية الى صلاح الدين، يميل الى الاعتقاد بان « اصلهم من الشرق »[3] ، مستندًا الى ما يبدو في كلام متاولة الجليل من آثار اللفظ الفارسي . ولكن هذه الخصائص اللفظية يمكن شرحها على طريق أبسط . وذلك انه لا يخفى ان علماء المتاولة او مجتهديهم عمارا كثيرًا ، في عهد الدولة الصفوية ، على استدراج الفرس الى المعتقدات الشيعية[4] . فكان لهم مع تلك البلاد المداخلات الكثيرة . ولا يزال علماؤهم حتى اليوم يذهبون من سورية الى العراق وبلاد العجم حيث يكملون علومهم العالية وينالون شهاداتهم من المدارس الشيعية العليا في تلك البلاد . وكذلك لا يندر ان يجري عقود زواجية بين الأسر المتوالية الكبيرة والاسر الفارسية والعراقية . وعليه يكون من السهل ان نشرح آثار اللفظ الفارسي في كلام المتاولة بهذه المواصلات الدائمة .

ولكن ألا يمكن الاخذ بنظرية الاصل الفارسي او العراقي بان ننسب المتاولة الى الجماعات الفارسية التي جلاها معاوية الى لبنان ، كما قدّمنا في القسم الاول ؟ لقد حللنا هذا الامر في ما مضى[5] اذ تحققنا وجود الشيعيين في المناطق

---

١) اطلب *Relation du voyage de Nassiri Khosrau*, trad. Schefer, Paris 1881, p. 42,47

٢) اطلب جغرافية المقدسي (طبعة de Goeje) ص ١٧٩

٣) راجع *Z D P V*, XXIV, 109

٤) راجع Strothmoun, *Shi'a* [Encyclop. de l'Islam, p. 369] . — وقد ذكر فيها محمدًا العاملي الجزيني والصواب الجزّيني . نسبةً الى جزّين وهي القرية المعروفة في لبنان الجنوبي ، شرقي صيدا ، التي كانت في القرن الثامن للهجرة مركزًا متواليًا مهمًا فكان فيها مدرسة اخرجت عددًا من العلماء (راجع في ذلك مجلة المجمع العلمي العربي ، سنة ١٩٢٩ ، ص ٢٧٢ ، ٢٧٤ ، ٢٧٩ ، ٢٥٤) اما اليوم فان سكانها جميعهم من المسيحيين .

٥) راجع : تسريح الابصار في ما يحتوي لبنان من الآثار ، الطبعة الاولى ، ٢ : ٤٥

التي ذكر المقدسي اقامة « الفرس » فيها . ثم ان ناصرى خسرو يؤكد ان سكان طرابلس كانوا ، في زمانه ، من الشيعيين[٢] . وكذلك يدلنا التاريخ على انه ، قبيل الحملات الصليبية ، كان امراء طرابلس من بني عمار يؤمنون بعقائد الامامية . وحتى القرن الثالث عشر كان المشايخ الحمادية المتاولة يبسطون حكمهم على منطقة جبيل ، حيث لا يزال اهل شيعتهم يسكنون الى اليوم بعض المناطق الجبلية مع ناحية الهرمل . وهناك مدينة بعلبك وضواحيها ولا يزال للمتاولة فيها مراكز مهمة . وكذلك نرى جماعات من المتاولة في ضواحي بيروت ، حيث كان عددهم كبيراً في ما مضى كما يذكر صالح بن يحيى[٣] ، وكما يستدل من انهم على عهد المماليك نالوا اعترافاً رسمياً باقامتهم في بيروت . اما ما خصّ منطقة صيدا المعروفة اليوم بجبل عامل (وفي الماضي بجبل عاملة) مع ما يتصل بها ضمن الحدود الفلسطينية ، فانها كانت منذ عهد المقدسي[٤] ولا تزال في عصرنا ، اهم مركز للمتاولة في البلاد السورية.

على ان هناك اسباباً وجيهة تدفعنا اليوم الى التردّد في اقرار الرأي الاول ، فتمنعنا عن نسبة الشيعيين المنتشرين في سورية الى الطوارئ الفارسية القديمة التي اقامها معاوية في هذه البلاد . من ذلك انه في زمن معاوية لم تكن الشيعة قد كوّنت بدعة دينية مستقلة كما نراها بعد ذلك . بل كانت حزباً سياسياً يجمع رجال علي وآله من المطالبين بحق الخلافة ضدّ الامويين . ثم ان انشاء هذا الحزب العلوي وقيادته يعود الى العرب لا الى الفرس كما يزعم بعض المستشرقين. فان العرب، اذ ذاك، لم يكونوا يعتبرون الفرس حتى المسلمين منهم ، الّا موالي ليس غير ، عليهم ان يسمعوا للعرب فيعملوا بمقرّراتهم دون ان يتدخلوا بشؤونهم السياسية . يؤيد ذلك اننا اذا ما غرضنا جميع الزعماء والقوّاد من المدافعين عن « آل البيت » والمتفانين في خدمتهم ، في تلك الحقبة ، لا نرى الّا العرب

و ٤٦ — واطلب ايضاً : *Les Nosairis dans le Liban* [extrait de la revue *l'Orient chrétien*, VII, 1902], p. 26.

٢) Relation du voyage de Nassiri Khosrau, p. 42.

٣) صالح بن يحيى : تاريخ بيروت (طبعة الاب شيخو) الطبعة الاولى ، ص ٢٢١

٤) المقدسي : الكتاب المذكور ، ص ١٧٩

الخُلَص كالمقداد ، والاشتر ، وابي ذرّ ، وعمّار ومن على شاكلتهم ممن يكثر ورود اسمائهم في الاساطير العلوية. امّا اذا شئنا ان نضيف اليهم زميلاً فارسياً ، مهما كلّف الامر ، فاننا لا نرى الّا المدعو سلمان الفارسي[1] . وهو عبد معتق لا نعرف عنه شيئاً يستحق الذكر ، هذا ان لم يكن قد اخترعه رجال الشيعة من العراقيين . واني لأوافق ، في هذا الأمر ، الاستاذ يوسف هوروڤيتز (Horovitz) على حكمه البصير اذ قال : « هل وُجد عبد يسمّى سلمان دان بالاسلام في المدينة ؟ اننا لا نستطيع ان نبرهن عن ذلك، ولكننا لا نرى شيئاً يعاكس هذا الزعم . »[2] ثم لا يخفى ان شعراء الحزب العلوي ، في المئة والخمسين السنة الاولى للاسلام ، امثال كُثَيِّر ، والكميت ، والسيد الحميري ، كانوا جميعهم من العرب الاقحاح المتعصّبين لاصلهم العربي السامي المعاكسين للشعوبية وخاصّة للفرس منهم .

ومن المعلوم ان « الحمراء » الذين جلاهم معاوية الى سورية ، كانوا قد اشترطوا قبل اسلامهم[3] الّا يُدخلوا في الحروب والمنازعات السياسية بين الأعراب . فكانوا لا يهتمّون بهذه الانقسامات الاهلية ، حتى انهم ، قبل تركهم العراق ، لم يميلوا لا الى علي ولا الى اعدائه . والّا أفترى معاوية ، وهو مَن عرفناه بالدهاء السياسي ، ينقل الالوف من رجال علي ، وكلهم متمرّنون على الحروب اذ كانوا سابقاً من العساكر المأجورة ، فيفتح لهم ابواب سورية التي عمل فيها بكل ما أوتيه من مقدرة ادارية ودهاء سياسي حتى وحّد النزعات حول الخلافة الاموية واوجد الاخلاص الفعلي للاسرة المالكة ؟

ولنذكر الآن حادثاً يدلّ ، اذا ثبت ، عن انه كان في سورية رجال من « الحمراء » او الفرس قبل ان جلاهم معاوية اليها. وتفصيل الحادث انه في السنة ٣٦ للهجرة ، اثناء الحروب بين معاوية وعلي ، كان في احد سجون معاوية في سورية عربيّ متهم بالاشتراك في مقتل الخليفة عثمان ، فكان اذاً من الميل

---

١) راجع Lammens, *La Mecque à la veille de l'hégire*, p. 293-294.

٢) *Der Islam*, XII, 182

٣) البلاذري : الكتاب المذكور ، ٢٦٢ و ٢٨٠ و ٢٧٦

العاوي . فاتفق ان هرب هـذا الأسير ، فلحقه احد حرّاسه وهو « رجل من الفرس » على قول الكندي[1] . ولما كان على مقربة منه اخذ الأسير يستعطفه مردّدًا انه حالف النبي تحت شجرة الحديبيّة . فما كان من الفارسي الّا ان اجابه بأن الاشجار كثيرة في البريّة ، ثم هجم عليه فقتله . فينتج ان هـذا الفارسي لم يكن يمتّ بشيء الى الشيعة ، بل هناك مجال للشكّ بانتمائه الى الاسلام ، وهو لا يتردّد في قتل رجل من اصحاب النبي .

وفضلًا عن كل ما تقدّم فان سورية ظلّت حتى اواخر القرن الثالث للهجرة تميل الى الامويين وتبغض الشيعيين كل البغض حتى ان من كان يأتيهـا من المحدّثين كانوا يؤوبون بالخسارة والفشل وبالاهانة احيانًا ، اذا اخذوا في سرد الاحاديث الشيعية . من ذلك مـا جرى سنة ٩١٥ للنسائي المشهور ، مؤلف السُنَن ، في جامع دمشق ، اذ هجم عليه اهـل المدينة وكادوا يقتلونه . وما كان له من ذنب الّا انه ألّف كتابًا في « فضـائل علي » ، ورفض الاشادة بفضائل معاوية[2] في عاصمته القديمة . وكثيرًا ما كانت تبلغ الحماسة من اهـل سورية فيتجيّشون ويحملون اسلحتهم مستعدّين ، لا لاعادة الخلافة الى العلويين ، بل لتمهيد السبيل « للسفياني » ، بطلهم الوطني ، المزمع ان يعيد العرش الاموي ويرجع ذاك العصر الذهبي[3]

اما منذ القرن الرابع ، بعد ان جاهرت الشيعة بانفصالها عن السنة ، فاننا نتحقق في سورية وجود عدد كبير من البـدع المنشقة عن الشيعة حتى اشدّها تطرّفًا كالنصيريّة ، والاسماعيلية ، والدروز ، والامامية . ولا يمكننا هنـا ان نبحث عن اسباب هذه الحركة الشيعية التي تظهر اشبه بردّ الفعل . على اننـا نرى انه كان من اللازم ان تسبق هذا العصر فتوافق ، على الاقـل ، سقوط

---

١) الكندي : ولاة مصر (طبعة Guest) ص ١٩ ، السطر الاخير . اما ابن الأثير : اسد الغابة ٣ : ٢١ ، السطر ٣ فذكر : « فارس منهم »

٢) الذهبي : تذكرة الحفّاظ ٢ : ٢٦٧ – ٢٦٩

٣) راجع Lammens, *Le Sofiani, héros national des Arabes Syriens* [Bull. Instit. français d'archéol. orientale, XXI, 131-144]

الخلافة الاموية ، لو كان في سورية مـا يعزّزها من الجماعات الفارسية الناقلين على عهد معاوية . ولما لم يكن شيء من هذا ، وجب ، في نظرنا ، الالتجاء الى غير هذه الاسباب في تعليل وجود الشيعيين في لبنان.

وبينا نحن ننتظر نتيجة ابحاث جديدة، لا نرى بأساً في الموافقة على ما قاله ايبرس (Ebers) وگوطه (Guthe) في الموضوع وهو : « من الممكن ان يكون المتاولة اعتزلوا عن سائر سكان لبنان وانتيلبنان بسبب معتقداتهم الخاصة. وانهم لا يمثلون قطعاً بقايا أمـة كبيرة »[1] اما رينان فيقول : « ان لبنان نبر عالم قديم قائم بذاته تلاشى برجاله واملاكه ... وما المتاولة والعرب ... فيه الّا من عهد حديث . »[2] ولا بأس ايضاً في قبول رأي رينان بشرط الّا نميّز بين المتاولة والعرب . فان جبل عاملة[3] ، المدعو اليوم جبل عامل ، والقـائم بين صيدا وصور حيث مركز المتـاولة المهمّ ، يأتي اسمه من بني عاملة[4] ، وهم قبيلة من جُذام . فيكون ان عقائد الشيعة الامامية اخذت ، بعد القرن الثالث الهجري ، تنتشر بين افراد بني عاملة الذين كانوا يسكنون بلاد الجليل على قول اليعقوبي[5] . وبكلمة اخرى يجب ان نعدّ بني عاملة من سلفاء متاولة لبنان.

---

١) *Palaestina im Bild und Wort*, II, 35.

٢) Renan, *Mission de Phénicie* 217.

٣) المقدسي : الكتاب المذكور ، ص ١٦١ ، ١٦٢ ، ١٨٤

٤) راجع Lammens, *Califat de Yazid*, 273

٥) اليعقوبي : الكتاب المذكور ، ٢٢٧ ، السطر ٢

بشرى صديقة المقدسين

معلومات ومستندات

للخوري اغناطيوس جمجع

٤

بعض حوادث تاريخية

قصة حمامة

ما حمامة هذه الا جميلة « جميلة تحت الارز » . هي ابنة صوما حنوش كيروز فاقت اقرانها جمالاً وتهذيباً ، فكثر طلابها . وقضت الظروف فتزوجت برجل من دير الاحمر قد شغف بها وابعدها عن ابن عمها طالبها . فجالها كان سبب تعاستها حتى اضحى رجلها يتشكى عليها . وقد حملته غيرته على اتهامها بانها تحب متوالياً . وكان يتخيل له ان الطير يحمل اليها رسالة المتوالي ، فابغضها بغضاً شديداً وشكاها لاهلها . فلا دفاعها ولا حلفها اقنع والديها انها بعيدة عن ذلك ، وانها نصرانية محافظة على شرفها وشرف اهلها . ثم مضت عدة ايام على ذلك والسلام سائد . وبينما كان اهلها مجتمعين في بشوات جاءهم رجلها باكياً قائلاً ان حمامة رامت ذبحه تخلصاً منه ، وابان لهم جرحاً في خده لانه قال بينما كانت تحلق له صوّبت الموسى الى عنقه . ففار دم اهلها ودعوها ، ثم اوقفوها على رجمة واحاطوا بها مسلحين بالبواريد . فوبخوها واهانوها وصوّبوا البواريد نحوها . فكانت تتلوى يميناً وشمالاً ، دموعها سائلة ووجهها مصفرّ . فلا دموعها ولا جمالها ولا عمرها ولا رجاها حنّن قلوبهم . وما كان من الاب الا ان بدأ باطلاق الرصاص عليها ، ثم اخوتها ، ثم اولاد عمها . وما زالوا يرمونها حتى فاضت روحها فطمروها بالرجمة التي لم تزل تسمى باسمها . وبعد مدة جاء رجلها وتشكى

عليهم، فاضطروا لدفع مال كثير تسكيناً له وقالوا قد استعجلنا... حقاً ان في العجلة ندامة . وما من احد يطالع هذه القصة الا ويحنق على والدي جامة واهلها ناسباً اليهم قساوة بربرية متمنياً لهم كل شر. على اننا نشير عليه ان يضع ذاته في ذلك العصر، عصر الهمجية والسذاجة والاندفاع ، عصر الانفس الابية، فيعذر . وليعلم ان العادة كانت كثيرة منزلة تأمر بقتل الزاني والزانية.

موقعة وادي الجماجم

سنة ١٨٥٨، سلب رجال الضنية بيت عزيزة ، معاز بشراوي، واخذوا مئتي رأس ماعز . فذهب سبعون رجلاً من بشري الى وادي الجماجم ، ونهبوا ثلاثة رؤوس خيل ، وخمسمائة راس غنم ، وطردوا العرب واهل الضنية ، ورجعوا غانمين. وبينما هم في الطريق اذ احاط بهم العرب واهل الضنية ، فتركوا ما سلبوه بيد اسحق شبله وكان رجل بأس. واخذوا يصادمون العدو مدة سبع ساعات. وبينما هم في هذه الحالة ، حضر من دير الاحمر عدد من اهالي بشري على رأسهم يوسف لحود قمر جمجع ، وباغتوا العدو وطردوه. وخلصوا الغنم ورجعوا ظافرين.

وسنة ١٨٥٩ سرق اهالي عكار اربعمئة راس ماعز . فهاج اهل بشري وتتبعوا السارقين ، ونهبوا سبع مئة رأس غنم ومئتي رأس بقر وبغال . ورجعوا ظافرين بعد ان ردوا العرب واهل عكار الى الوراء.

مقتل احد بكوات عكار

قتل هذا البك رجلاً من بشري ، وهو في عكار ، فعلم اهل بشري واستعدوا لاخذ الثأر . فتقدم حبيب ملكون وتكفل لهم قائلاً : اني ملتزم باخذ الثأر ، لان المقتول نسيبي . واتكفل لكم بذلك فاجتمع الزعماء وقرروا ذهابه. فاعطاه الشيخ جبرائيل ابي رعد جمجع مسدساً محشواً وقال له: «اذهب ومعك فرصة ثمانية ايام . وان ما رجعت في هذه المدة نتبعك» فودعهم قائلاً : «اني اكون عندكم في النهار الثامن» ثم توجه الى عكار وراقب البك المطلوب. وكان هذا البك ينام في عرزان (اي خيمة فيها سرير بين شجرتين) فتسلق اليه

وافرغ في بطنه المسدس فارداه قتيلاً . وفي النهار الثامن وصل الى بشري.

شر اهدن وبشري

في ايام الزيتون ، في الساحل ، سنة ١٨٥٦ ، في اول كانون الاول ، تخاصم لحود شيسان من بشري ، وحرمة من زغرتا . فاهانه المدانة . فبلغ الخبر بشري ، فذهبت الرجال الى اهدن فوجدوها خالية خاوية فانحدروا الى ايطو ، قاصدين زغرتا. وبينا هم هناك ، صعد يوسف بك كرم مع رجاله الى اهدن محافظة عليها ، فرجع اهالي بشري من ايطو الى عين بقرة ، وانقسموا فرقتين قاد احداهما حنا سعد جبران والاخرى اسحق لحود جمجع . فتوجه اسحق لحود الى عين الوحش ، غربي اهدن ، وقتل هدنانياً . اما حنا سعد فهجم على جسر اهدن ، فصادمته المدانة ، وصار الشر في سهل بقوفا ، ودام الى المساء . وكان السلاح عصياً وحجارة . فلم يُصب احد الا ببعض جروح . فتدخل ارجه البلاد لمصالحة الخصمين ، وعينوا سرعل محلاً للمواجهة . فحضر زعيم بشري بطرس بك حنا الضاهر ، وزعيم اهدن يوسف بك كرم . وكان كل واحد منهما يطلب حضور الآخر اليه ، والفاصل بينهما كان عشرين قدماً ، فانفصلا ، وانقلبا مملوءين شراً.

وبعد مدة حضر من بعلبك البشراويون بقيادة طنوس منيانس . وتوجه الرجال الى البقلة ، الحد الفاصل بين اراضي اهدن وبشري ، وهناك صارت مناوشة بين بعض الرجال من الطرفين . فاشتد الخصام ، وطُرح الصوت ، فاتت المدانة وعلق الشر . فردت اهالي بشري المدانة الى الوراء . فحضر يوسف بك بنجدة مع ذخرة حربية وقال للمدانة بلهجة قوية : « اما الثبات والانتصار واما تركككم نساءكم واموالكم وذهابكم الى البحر » ثم تقدم وهجم امامهم ، فارتدوا الى الحرب . وطال اطلاق الرصاص بين الفريقين ، حتى وقف من جهة البشراويين لان الذخيرة نفدت منهم . فلما ادرك رجال اهدن ان البشراويين توقفوا عن اطلاق الرصاص ، توقفوا هم ايضاً وتبعوهم الى البقلة . فهناك هبطت ضبابة قوية فحجبت الفريقين . فرجع رجال اهدن فرحين ظافرين ورجال بشري لائمين زعيمهم بطرس بك حنا الضاهر لانه لم يرسل اليهم الذخيرة.

ودامت العداوة بين الطرفين وقطع اهالي بشري الماء عن ارض اهدن في بقوفا.

ثم في سنة ١٨٥٧ دبّت العداوة في بشري بين فريقين ، فانحاز فريق منهم الى يوسف بك كرم سرًّا ، وكانوا يخابرونه بكل ما يجري في بشري . وفي ٢٩ تموز من السنة نفسها ، اعلموا يوسف بك ان بشري خالية من الرجال. فاهل بعلبك رجعت الى اراضيهم ، ورجال بشري في حقولهم. فاتى يوسف بك الى مار تادروس ، غربي شمالي بشري ، وارسل بطرس توما مع بعض رجاله الى الحريم فوجد هناك يوسف بلنكا من بشري فمنعه عن الدخول . فارسل البك ثلاثين نفرًا الى الوادي ليدخلوا بشري على بغتة من اسفلها. ولما وصلوا الى مار الياس، اسفل بشري ، وجدوا حنا حنوش فرمى رجلًا منهم اسمه مخائيل الراهب فوقع قتيلًا ، فتركوه ودخلوا البلدة . ولما وصلوا الى بيت الحكيم ، وجدوا اسحق الحكيم صاعدًا على سلّم بيته فقتلوه بدل قتيلهم . ولما وصلوا الى ساحة مار سابا صادفهم توما سمور ورمى رجلًا منهم فسقط على الارض . فصعدوا الى الحارة الفوقا واخذوا بنهب حارة بيت الفخري . فجاءهم موسى خوري يعقوب . ورمى مخائيل السيدة من اهدن . وكان بشير غصيبه في مارسركيس مع اهله وذويه ، فلما سمعوا بالخبر رجعوا الى بشري للمدافعة ، فسبقهم بطرس غصيبه وتتبع الهدانة خارجين من البلدة ، فمسك رجلًا منهم قرب طاحون شحاده ومدّه وابتدأ يذبحه ، فقال له : « انا دخيل مريم انا في حمايتها فاعف عني . » فقال له : « عفوت اكراماً لمريم العذراء » . ثم تقدم الى سيدة النور فوجد ابن عمه ضاهر غصيبه قاتلًا هدنانيًا . فاعلمه بعفوه ، فلامه على ذلك. وفي مرورهم بالحرزمانة حرقوا خفّي قزّ احدهما الخوري مبارك كيروز ، والآخر الخوري جبرائيل جعجع . وبذلك اخذوا ثأرهم من بشري.

ولما وصلوا الى يوسف بك كرم واخبروه بما جرى وبخهم وشتمهم قائلًا لهم : « انتم كلاب وقائدكم سبع ، واهل بشري سباع وقائدهم كلب. » فقالوا له : « اننا عند سيدة النور نظرنا حرمة متوشحة بثوب ابيض يتقدمها فارسان احدهما سالًا سيفه والآخر مشرعاً سنان رمحه ، فاخذتنا الرعبة ».

فرجع الى اهدن مع رجاله . ولبث الخصام بينهما يزداد يوماً عن يوم باغانيهم . فرجال اهدن تقول :

يا بارود الفيماني والتوك من القداحه
الله يشيد يوسف بك دق البوري بالساحه

ورجال بشري يترغون :

يا بارود الفيماني والتوك من القداحه
الله يشيد بشري خلوا بقوفا بلا فلاحه

وبعد مدة حضر سيادة المطران يوسف جعجع من قرنة شهوان وجمع اوجه البلدتين في بقوفا ، واصلحهم بعد ان خطب فيهم خطاباً نفيساً .

اختلاف البشراويين

ذكر الدبس في تاريخه (عدد ١٩) :

« في سنة ١٧٦٤ تولى الحكم اولاد الامير يوسف . وكانوا يتناوبون جبة بشري فمنهم من كان يولي مشايخ بيت عيسى الخوري ، ومنهم من كان يولي مشايخ بيت حنا الضاهر . فاشتد الانقسام وظهر لكل خصم مساعد فترك بيت عيسى الخوري بشري وذهبوا الى مزيارة . وطال الامر عليهم ، وخصمهم قدير ، وقد استبد في حكمه . فدبت النخوة في بيت جعجع فذهبوا واتوا بعيسى الخوري الى بشري . فلما نظر ذلك حنا ضاهر ارسل واعلم ابن الامير يوسف . وهذا بعث اربعين خيالاً للقبض على عيسى الخوري نفياً له من بشري . وكان لعيسى الخوري امرأة فاضلة قادرة متقدة بالفطنة والذكاء . فاستقبلت الخيالة بوجه بشوش واكرمتهم باحسن معاملة . فكانت يومياً تقدم لهم ذبيحة واكلاً فاخراً ولم تتركهم يحتاجون لشيء . فمضت مدة على ذلك والخيالة لا تنظر الشيخ عيسى الخوري . فملوا من الاقامة وسألوا عنه فاجابتهم ان عيسى مريض جداً لا يمكنه الحراك . ولو كان في حالة الصحة لاحسن استقبالهم وزاد في اكرامهم . ثم اعطت كل خيال قميصاً من حرير مع عشرة غوازي من ذهب . ففرحوا بذلك وكتبوا للامير ان الشيخ عيسى لم يتمكنوا منه لانه مريض . فاتاهم الجواب بترك المحل . فاخبروا امرأة الشيخ ووعدوها ان الامير صفح عنه . »

ومن ذلك الوقت مكث حكاماً في بشري بيت عيسى الخوري وبيت حنا الضاهر وكل منهما حكم مقاطعة كما كان ذلك على عهد المتاولة.

بعض التقاليد في بشري

نبع قاديشا

من تقاليدهم في نبع قاديشا انه كان تحت النبع عين ماء لا يدع صاحبها احداً يشرب الا بعد ان يستوفي ثمن الشربة. فحضرت يوماً حرمة، وعلى يدها ولد يصرخ قائلاً: «انا عطشان يا اماه.» فطلبت ان تسقيه فلم يمكنها من ذلك صاحب العين. فاخذت الام منديلها عن رأسها ورمته في العين لترطب بمصيره شفتي ولدها العطشان. فما كان من هذا الرجل القاسي الا انه خطف المنديل وعصره جيداً وسلمه الى الوالدة. فتوارت عنه حزينة. ولما بعدت انفجر النبع، وجرف الرجل مع بيته وامواله. فلذلك سمي نبع قاديشا، لانهم يعتقدون كل الاعتقاد ان هذه الحرمة هي مريم العذراء والطفل هو يسوع المسيح.

نبع مار سمعان

هذا النبع المشتهر ببرودة مياهه العذبة هو حياة لاملاك بشري وما يجاورها كحدشيت، وبلوزة، وبان، ومشمشية، وعين البقرة، والوادي، ودير قنوبين، وبعض اراضي بقوفا وكفرصغاب. جف هذا النبع سنة ٤٧٨ فتضايقت الاهالي. وكان في ذلك الزمان رجل القداسة وعمال العجائب القديس سمعان العامودي قرب انطاكية. فارسلوا اليه طالبين منه النبع. فرجع المرسلون وقالوا: «قال لنا عليكم ان تصعدوا الى باب النبع مدة ثمانية ايام وكل يوم يتلى القداس على بابه وبعد الذبيحة يرمي الكاهن بحصة» ففعلوا بامانة عظيمة. وفي النهار الثامن انفجر النبع كما هو الآن فسموه بنبع مار سمعان. واكراماً له خصصوا كل سنة صوم تسعة ايام قبل ظهور الاعجوبة، ونهار العيد كانوا يتركون المياه تجري لا يسقي احد منها.

الارز

اعتقاد اهل بشري فيه انه غرسة الرب تبعاً لقول النبي داود (مزمور ١٠٣): « اشجار الرب ارز لبنان التي غرسها هناك تعشش العصافير . » فلذلك اطلقوا عليه اسم « الارز المقدس » في جبل لبنان . ثم انهم يعتقدون ان تحت الارز ٣٦٦ مذبحاً يقام القداس عليها ليلاً ونهاراً.

وهم يحرمون من اخذ منه حطباً ، والويل له . يقولون ان معازاً احتطب منه واوقد النار تحت حلة الحليب فصار الحليب دماً ، وان رجلاً حمل حماره حطباً منه فوصل لطرف الارز ووقف الحمار رغماً من ان الرجل كان يضربه ، ولما ترك الحمل ذهب مسرعاً . وكذلك يمنعون اختلاط النساء والرجال على غصن واحد ، فمتى اختلطوا كسر الغصن حالاً . واكراماً للارز كرسوا كل شهر مريم لزيارته فكانوا يتوجهون منهم مكشوفو الرأس ، ومنهم حفاة ، ومنهم في ايديهم المسابح منشدين الاناشيد للارز المقدس.

ولنترك الكلام للاستاذ فؤاد البستاني ، على اثر زيارته الارز سنة ١٩٢٩.

« اشجار الرب ارز لبنان التي غرسها » (المزمور ١٠٣ : ١٦)

« يقطع المسافر مناطق لبنان الشمالي ، غير عابئ بالمشقات ، ولا مبالٍ بالماكسات ، تائقاً الى مشاهدة تلك الشجرات الخالدة التي طالما زينتها في مخيلته اقوال الكتاب والشعراء من صاحب المزامير الى احدث مؤلف ، واحاطتها بهالة من العظمة والقداسة . حتى اذا رقي هضبة بشراي لاهثاً ، وبدت له غابة الارز بقعة خضراء مسودة في سفح الجبل الاغبر ، شعر بشيء من الكآبة خالصة ناتجاً عن عدم التناسب بين تلك الاوصاف التقليدية وحقيقة الارز . . .

« على انه يكاد لا يدخل ذلك الحمى المطمئن ، فتلقي عليه اغصان الارز ظلها الكثيف ، حتى يحس بروعة العظمة والجمال وقد هبطت عليه فامتلكت فؤاده ، وتسلطت على جوارحه ، فحنى الرأس ، وخفض الصوت ، واستسلم لنوع من الرهبة الدينية ، اذ شعر انه حقيقة بين « اشجار الرب ارز لبنان التي غرسها »

« في مثل هذه العواطف ، دخلنا الحمى المقدس . فجلنا بين ارزاته بكل

سكون نكاد لا نطأ الثرى الا برفق، ونكاد لا نتكلم الا همساً، مشاركين في ذلك، دون انتباه، تلك الطبيعة الهادئة التي لا تحرك اعاصيرها اغصان الارز الّا بتؤدة، ولا يحمل نسيمها ريح الارز الا بهبّات خفيفة تكتنف الانسان من حيث لا يشعر، فتحيطه بجوّ لطيف من الرائحة الزكية. هذا فضلاً عن ان ما على الارض من مسلّات الارز المتراكمة يكوّن طبقةً لينة يمشي عليها الزائر فلا يُسمع صوت خطواته.

«في تلك العزلة الهادئة، ينطرح الانسان مغبوطاً، كأنه وصل الى قمة امانيه ومطامحه، فيغفل عن حاجاته المتعددة، ويسلو احزانه المؤلمة، ويرتفع من محيط البشرية الضيّق بما فيه من المنافسات والمشاحنات التافهة، فينسى انه انسان، ويودّ لو اتيح له الحياة والموت في تلك الظلال الوارفة، فيردّد:

يا بني امي اذا حضرت ساعتي والطب اسلمني
فاحفروا في الارز مقبرتي، وخذوا من ثلجه كفني.

« للارز سور من الحجر يرقى الى عهد رستم باشا، احد متصرفي لبنان السابقين (١٨٧٣ ١٨٨٣) امر ببنائه على اثر ما كان من اقتطاع الاهلين حطب الارز دون شفقة، وابتذالهم ارضه المقدسة دون اعتبار. وعيّن له ثلاثة نواطير ليحرسوا الغابة من المعتدين، فيمنعوا قطع الاغصان، واشعال النار، وادخال المواشي. وكان ان البطريرك الماروني اصدر امراً بمنع الزوّار عن اقتطاع الاغصان، كل ذلك حفظاً لتلك الشجرات الباقية من الاندثار . . .

«ثم انتقلنا الى الجولان في الغابة، وفيها نحو الاربع مئة جبار تراوح اعمارهم بين ثلاثة آلاف ومئتي سنة. اما شيوخ الجبابرة فاثنتا عشرة شجرة لاغير تحمل في جزوعها الضخمة تاريخ بلادنا منذ عهد الفينيقيين، وتبقى على كرّ الايام مثال العظمة ورمز الخلود. . .

« وهكذا جلنا في بلاد بشراي، مهد الطائفة المارونية، من البلدة نفسها الى نبع قاديشا، الى واديه المقدس، الى الحبسا. والنساك والرهبان، الى الارز الخالد. وفي كل ذلك تتوافر لدينا المعلومات التقليدية يختلط تاريخها بالاساطير وتسمو به الى درجة عالية من التأثير والجمال . . . » (انتهى)

شذرات

نتيجة الاحصاء الاخير في الجمهورية اللبنانية

يذكر القراء الكرام انه في اليوم الحادي والثلاثين من كانون الثاني جرى احصاء عام لجميع سكان الجمهورية اللبنانية . وكانت وزارة الداخلية قد اتخذت جميع التدابير لانهاء اعمال الاحصاء المذكور في يوم واحد . وهكذا كان . على ان الاوراق التي مُلئت في اقلّ من ٢٤ ساعة اقتضى لفرزها وترقيمها نحو ثمانية اشهر . فكانت النتيجة ان اللبنانيين يبلغون اليوم ١ ١٠٩ ٦٧٥ نفساً ، ويشتمل هذا العدد على اللبنانيين المقيمين في ارض الجمهورية او الغائبين موقتاً ، وعلى المهاجرين المعروفة اسماؤهم واماكن سكناهم ، دفعوا الضرائب ام لا ، وعلى الاجانب . وقد كان هذا المجموع من عشر سنوات ، اي في سنة ١٩٢١ اذ اجري الاحصاء العام لدولة لبنان الكبير ، ٧١٠ ٥٦٢ نفساً . فتكون الزيادة ٣٩٩ ١١٣ اي ما يزيد على نصف العدد السابق . ولكن هذه الزيادة العظيمة لا تنتج كلها عن زيادة المواليد ، بل عن ان كثيراً من المهاجرين اللبنانيين لم يحصوا في الاحصاء السابق ، وعن زيادة العناصر الغريبة المهاجرة الى لبنان كالارمن ، وقد اصبح الكثير منهم لبنانيين ، والاجانب من مختلف الجنسيات ، وعن ان جمهوراً من اللبنانيين كانوا يخافون من نتائج الاحصاء فلم يتقدموا لقيد اسمائهم في الاحصاء السابق . وها اننا ننشر في ما يلي مقابلات مفيدة بين نتائج هذا الاحصاء ونتائج الاحصاء الماضي بادئين بجدول توزّع فيه النتائج على المقيمين والمهاجرين والاجانب

		١٩٢١	١٩٣٢
لبنانيون مقيمون		٥٥٩ ٥٢٨	٧٩٣ ٣٩٦
لبنانيون مهاجرون	يدفعون ضرائب	٤٩ ٥٤١	٢٥٤ ٩٨٧
	لا يدفعون	٨١ ٢٤٣	
اجانب		٢٠ ٢٥٠	٦١ ٢٩٢
المجموع		٧١٠ ٥٦٢	١ ١٠٩ ٦٧٥

وهذا في ما يلي جدول اللبنانيين المقيمين موزّعين حسب الطوائف:

	١٩٢١	١٩٣٢
موارنة	١٧٥ ٧٠١	٢٢٧ ٨٠٠
سنّيون	١٢١ ٩٦٢	١٧٨ ١٠٠
شيعيون	١٠٣ ٠٦٨	١٥٥ ٠٢٥
روم ارثوذكس	٦٨ ٤١٦	٧٧ ٣١٢
دروز	٣٩ ٨٤١	٥٣ ٣٣٤
روم كاثوليك	٣٨ ٥٥٩	٤٦ ٧٠٩
بروتستانت	٣ ٧٣٠	١ ٨٦٩
ارمن ارثوذكس		٢٦ ١٠٢
ارمن كاثوليك		٥ ٨٩٠
سريان ارثوذكس		٢ ٧٢٣
سريان كاثوليك		٢ ٨٠٣
كلدان ارثوذكس	٨ ٢٥١	١٩٠
كلدان كاثوليك		٥٤٨
اسرائيليون		٣ ٥٨٨
سائر الطوائف		١١ ٤٠٣
	٥٥٩ ٥٢٨	٧٩٣ ٣٩٦

وهذه الطوائف جميعها اعتبارًا من الأرمن الارثوذكس البالغة في الاحصاء ٤١ ٨٤٤ كانت مجموعة في الاحصاء الماضي تحت عنوان « طوائف مختلفة » مع ما بقي من المتفرقات كاللاتين وغيرهم ، وقد كان عدد الجميع يبلغ ٨ ٢٥١ لا غير.

وهاك جدولًا آخر موزّع فيه اللبنانيون المقيمون على المحافظات مع ، قسمة نتيجة الاحصاء الاخير الى ذكور واناث :

	١٩٢١	١٩٣٢ ذكور	١٩٣٢ اناث
بيروت	٧٧ ٢٩٢	٥٦ ١٥٥	٥٧ ٢٤٩
جبل لبنان	١٥٣ ٠٩٨	١١٤ ٥٣٢	١١٢ ٨٦٧
لبنان الجنوبي	١٠٩ ٦٩٨	٨٦ ٠٥٢	٨٨ ٨٦٩
لبنان الشمالي	١٢٦ ٣٨٦	٧٤ ٠٨٣	٧٧ ٩٠٥
البقاع	٩٣ ٠٥٤	٥٨ ٧٩١	٥٩ ٢٢٦
	٥٥٩ ٥٢٨	٣٨٩ ٦١٣	٣٩٦ ١١٦

يُضاف الى مجموع ١٩٣٢ عدد ٧ ٦٦٧ من اللبنانيين الغائبين موقتاً عن اماكنهم يوم الاحصاء فيحصل المجموع العام للبنانيين المقيمين وهو ٧٩٣ ٣٩٦

بقي ان نذكر شيئاً عن طوائف المهاجرين ، وهي كما يلي في احصاء السنة الحالية :

		مجموع المقيمين والمهاجرين
موارنة	١٢٣ ٣٩٧	٣٥١ ١٩٧
روم ارثوذكس	٥٧ ٠٣١	١٣٤ ٣٤٣
روم كاثوليك	٢٩ ٦٢٧	٧٦ ٣٣٦
سنيون	١٧ ٢٠٥	١٩٥ ٣٠٥
شيعيون	١١ ٥٢٠	١٦٦ ٥٤٥
دروز	٨ ٧٥٠	٦٢ ٠٨٤
من طوائف مختلفة	٧ ٤٥٧	
	٢٥٤ ٩٨٧	

على ان هذا العدد أبعد من ان يمثل المهاجرين جميعهم . فهناك كثير من اللبنانيين لم يتركوا في لبنان من يعرف اسماءهم ومقرّهم بالتمام ، وهناك كثير ايضاً ممن تركوا اقرباء في لبنان . ولكن هؤلاء لا يعرفون ما جدّ لمهاجريهم من اولاد ؛ واذا عرفوا فلا يذكرون عدد هؤلاء الاولاد ولا اسماءهم .

الاكليريكية القديسة حنة بالقدس

اشرنا سابقاً (المشرق ١٩٣١ ص ٩٥٠) الى الاحتفال بمرور خمسين سنة على تأسيس مدرسة القديسة حنة الاكليريكية في القدس الشريف . ويطيب لنا اليوم ان نذكر بعض المعلومات عن اساتذتها وتلامذتها مدة نصف قرن ، نأخذ ذلك عن الكتيّب الجميل الذي نشره بهذه المناسبة ، حضرة الارشيمندريت فيلبس غره(١ قال (ص ٣٣ – ٣٦) :

اذا ذكرنا في هذا العام اكليريكية القديسة حنة وجب علينا ان نذكر المئة والاربعين أباً او أخاً من المرسلين البيض الذين أرسلوا اليها وخدموها بعدد متفاوتة في مدة نصف جيل . وقد ورد اسماء بعضهم في سياق مقالنا ، ويطيب لنا ذكر ثمانية آخرين ترقّوا بعد خدمتهم الاكليريكية الى رتبة الاسقفية وتعيّنوا نواباً رسوليين في رسالات افريقيـة . وهم السادة الموقورون أناطول طولوت (Mgr. Anatole Toulotte) ، جان هيرت (Mgr. Jean Hirth) ، هنري ستريشر (Mgr. Henri Streicher) ، جان فوربس (Mgr. Jean Forbes) ، ڤكتور رولنس (Mgr. Victor Rœlens) ، اسطفان لارو (Mgr. Etienne Larue) ، يوليان غورجو (Mgr. Julien Gorju) ، بول ماري مولان (Mgr. Paul Marie Molin) ...

يؤخذ من مراجعة سجلات المدرسة ان التلامذة الذين أمّوها من شهر كانون الثاني سنة ١٨٨٢ الى شهر ايلول سنة ١٩٣١ بلغ عددهم نحو ٩٤٠ تلميذاً . ومن هذا العدد انتهى الى درجة الكهنوت المقدس ١٤٠ كاهناً على وجه التقريب . فان بضعة تلامذة منهم بعد ملازمتهم اكليريكية القديسة حنة رداحاً من الزمان أنهوا دروسهم ونالوا الرسامة خارجاً عنها . وقد أهّلت العناية الالهية سبعة من هذه الطغمة لان يترقوا الى رتبة الاسقفية وهم المطارنة الموقورون : السيد مكسيموس صائغ ، السيد استفانوس سكريه رحمه الله ، السيد باسيليوس خوري ، السيد انطونيوس فرج ، السيد ملاتيوس ابو عسله ، السيد يوسف كلاس ، السيد نقولاوس نبعه الراهب المخلصي الذي قضى عشر

١) للذكرى والتاريخ : سنة الخمسين لتأسيس اكليريكية القديسة حنة بالقدس ١٨٨٢ – ١٩٣٢ — ٤١ صفحة متوسطة مع عدة صور – مطبعة القديس بولس في حريصا .

سنوات في اكليريكية القديسة حنة ثم اضطر الى مغادرتها قبل انهاء دروسه اللاهوتية فيها بسنتين فقط لما أُعلنت الحرب الكونية سنة ١٩١٤

على اننا اذ رُمنا ان نحكم حكماً صحيحاً في النتائج وان نقارن النسبة بين عدد الطلاب الذين أموا المدرسة وعدد الذين بلغوا الغاية المنشودة اي الكهنوت وجب علينا اولاً ان نطرح جانباً من مجموع ٩٤٠ ما يعادل نحو ١٤٠ تلميذاً الذين شتتهم الحرب عندما اقفلت المدرسة ابوابها سنة ١٩١٤ . فان اكثرهم لم يعودوا اليها عقيب سنوات الحرب الخمس لاسباب يسهل ادراكها . ويقتضي ثانياً ابعاد من الثمانية الباقين نحو مئة تلميذ لم يثبتوا في المدرسة الّا بضعة ايام او بضعة اسابيع . فيبقى اذاً امامنا رصيد المجموع الكلي ٧٠٠ وهو عدد التلامذة الذين زاولوا دروسهم في الاكليريكية مدّة سنة واحدة على الاقل . فاذا قدرنا هذه الاحوال الخاصة واعتمدنا الرقم الاخير يكون عدد الكهنة نسبةً الى هذا المجموع نسبة ٢٠/١٠٠ اي الخمس . ولو تحققت أمنية الآباء البيض وأمنية بعض اساقفتنا الموقرين بان يكون لمدرسة القدس مدرسة تحضيرية بلبنان يُختبر فيها التلامذة قبل دخولهم اكليريكية القديسة حنة لكانت نتائج هذه اوفر وفوائدها اكثر

القرآن العربي بالحروف اللاتينية

تولّى حلمي افندي ، احد اصحاب المطابع المشهورة في استانبول ، طبع القرآن العربي بالحروف اللاتينية . وهو يفكر في نشره في جميع البلاد التي فيها مسلمون لا يحسنون قراءة اللغة العربية - ويعدّ عمله هذا محاولة عظيمة القيمة لاثبات كون اللغة العربية يمكن ان تكتب بالحروف اللاتينية ليسهل تعلمها ، وقد عمّ تدريس القرآن بالحروف اللاتينية جميع انحاء تركية . والنشء الجديد الذي يتمّ علومه بعد اربع سنوات سيخرج من المدارس وهو لا يعرف حرفاً واحداً من الحروف العربية ، بحيث لا يمضي زمن طويل حتى تصبح هذه الحروف غريبة عن تركية كما هي غريبة عن سائر الدول الاوربية .

مطبوعات شرقية جديدة

M.-J. Lagrange : M. Loisy et le Modernisme. *A propos des «Mémoires» 1 vol. in-8° de 250 pp. Prix: 15 f. Les éditions du Cerf. Juvisy. Seine-et-Oise.* 1932.

السيد لوازي والحركة العصرية

نشر السيد لوازي مذكراته فكان فيها امينًا على اتباع اسلوبه السابق من الاكتفاء بنظرته الشخصية الضيقة في جميع الامور ، ومن التلذذ بتأثراته وتذمراته . فكان من الخير ان يقوم احد من شهدوا ابتداء الازمة الدينية في عقلية المؤلف ، فيقابل بين ذكرياته ووثائقه ومستنداته هو وبين ما يسرده السيد لوازي في كتابه المذكور ، فيخدم الحقيقة وينير الناس . اما هذا الشاهد العدل فكان الاب لاگرانج ، فنشر هذا الكتاب الجديد ، قائلًا في مقدمته :

« اني اودّ ان اقاوم مرة جديدة ، وان بطريقة يكتنفها النقص ، هذه الآراء التي يشيدها اصحابها على آساس واهية . امثال ما ينتج من مذكرات السيد لوازي في مجلداتها الثلاثة ، من ان الكنيسة ، في عدم تساهلها ، ظلمت المؤلف ، ومن ان عقيدته التي انزلت بها حكمها القاسي ، لم تكن الّا نتيجة نقد علمي يجب على الكنيسة ان تنحني امامها وتكفّر لديها لتتمكن من تخليص نفسها . . .

« ولهذا فاني اودّ ان اظهر للملأ ان الكنيسة لم يكن بامكانها ان تتخلص من واجب كان يقضي عليها بانزال حكمها القاسي ببدعة فظيعة . فيجلو الشك عن عقول بعض الناس من الذين يستغربون كيف احتملت السلطة ، طول تلك المدة ، ان تبدو مخدوعة برجل جعل موقفه مبهمًا ملتبسًا عن عمد وتصميم . »

وقد قسم الاب لاگرانج كتابه الى قسمين خصّ الاول منها بالحوادث التاريخية ، متتبعًا نصّ « المذكرات » مرحلة مرحلة منذ سني الدراسة الاكليريكية حتى سنة اليوبيل ١٩٢٧ . وفي هذا القسم معلومات جديرة بالذكر في ما خصّ « المجلة الكتابية » و « اللجنة الكتابية » التي اسسها لاون الثالث عشر . اما

القسم الثاني الوافر الموادّ فيهتم بدرس طريقة السيد لوازي الدينية مظهراً كل ما في نظريّته الجوهرية من التمثّل والاطلاق كنسبية العقائد التي استنتجها من نقده التوراة . اما النقطة المركزية التي اختارها المؤلف فهي معنى الانجيل في ما خصّ شخصية المسيح ؛ وقد اتانا ، في ذلك ، بنظرة شملت جميع الطرق التفسيرية التي ظهرت منذ ثلاثين سنة . فيظهر ، والحالة هذه ، ان قيمة الكتاب تفوق قيمة « جواب » بسيط مهما كان من دقته وموافقته . فهو يسمو بوضوحه وصحة اسانيده على المجلدات الثلاثة الضخمة التي نشرها السيد لوازي ، فيصلح لتشييد التاريخ الديني في عصرنا ، ويأتي بشهادة حاسمة في الموضوع الحاضر.

Eugène Raiga : L'Envie. *vol. in*-16. *Prix* : 15 *f*. *Librairie Félix Alcan, Paris.*

الحسد

لا يخفى ما يمثّل الحسد من دور مهمّ في العلاقات البشرية ، وهو ما دفع المؤلف الى القيام بهذا الدرس الدقيق في الفلسفة الاجتماعية والنفسيّة ، فكتبه بلغة سهلة ، واسلوب واضح ، خالٍ من التعابير التجريدية والكلمات الوضعية ، مزدان بالملاحظات الدقيقة والامثلة والنوادر التاريخية . وقد تتبع هذا الهوى منذ نشأته ذاكراً علاقاته بالغيرة ، وما يختصّ به كل منها من تأثيرات ومظاهر في المجتمع الانساني ، وما يجرّان اليه من تطوّر في صفات الفرد واعماله . الى غير ذلك مما يسرّ به مطالعو الكتاب ويستفيدون منه دون شك.

Ferdinand Brunot : Observations sur la Grammaire de l'Académie française. 2e *édition*. *Librairie E. Droz, Paris.*

ملاحظات على غراماطيق المجمع العلمي الفرنسوي

يجاهر المؤلف بانه لم يرغب في وضع اثر انتقادي جارح ولا في فتح باب للمناظرة والمشاحنة . اما المطالع المدقّق المنصف فانه ، اذا ما انتهى من مطالعة « الملاحظات » البارزة اكثرها باسلوب رشيق طافح بالحياة التي قد تتجاوز الحدّ احياناً ، يتردّد شيئاً في اقرار المؤلف على مجاهرته تلك ، ولا سيما اذا انتبه لقراءة ما بين السطور من تلميح وتعريض . ولكن ما لنا ولذلك ولنبحث في

«الملاحظات» وحدها ، فنرى ان كثيراً منها موافق يجدر بالمجمع العلمي الاهتمام به (مثلاً في الصفحات ١٦ و٢٤ و٥٠ و٧٣ . . .) على ان كثيراً منها ايضاً يظهر على قسطٍ من المبالغة (ص ١٠ و٢٧ و٦٣) ينتج ذلك من ان السيد برونو لم يشأ ان يرى رأيَ المجمع الذي يدعو نفسه «مدوّن الاستعمال» . ولكن لا يخفى ان المقصود بذلك الاستعمال الصحيح المقبول لا الاستعمال المبتذل الفاسد . فقام المجمع لا بدرس علمي دقيق بل بتأليف يستفيد منه جمهرة الناس ، وهو عمل من الصعوبة بمكان . وهناك ملاحظات للمؤلف لا يمكن ان نعدّها الّا من نوع المشاحنات النقدية حتى ان منها ما يبعد عن الذوق (ص ٦٧ — ٦٨) . وعلى كل فلا ننكر فائدة هذه الملاحظات التي قد تدفع المجمع الى اعادة النظر في القراماطيق المذكور ، فيرفعه من حسن الى احسن.

ب. ك.

Amiral Docteur : Carnet de bord 1914-1919. *in-12 de 252 pp. Prix : 12 f. La Nouvelle Société d'édition, Paris.*

مذكّرات الاميرال دكتور ١٩١٤ — ١٩١٩

قام مؤلف هذا الكتاب الغريب بواجباته مدة الحرب كلها اولاً تحت قيادة الاميرال بوي دي لابيرير (Boué de Lapéreyre) ثم تحت قيادة الاميرال دارتيج دي فورنيه(Dartige du Fournet) فشاهد سير گوبين نحو الدردنيل، واشترك في حصار الادرياتيك ، وفي العمل على تموين ملك جبل الاسود ، كما انه اخذ قسطه من التباس المسائل اليونانية ومن انكسار گاليپولي . وتحقق فقر الاسطول الفرنسوي بالوسائل الهجومية والدفاعية ، وعدم صلاحية المدافع ، وسوء الخلق في بعض رجال اركان الحرب . وكان كثيراً ما يتسلّم الاوامر وما يعاكسها من «ضباط باريس» الذين لا يعرفون شيئاً من الصعوبات والمستحيلات. ومما اصابه من الحوادث الغريبة ان احد رجال البحرية اغترّ باسمه «دكتور» فاعتبره طبيب الجيش البحري الذي كان وكيل قائده. كل هذه الظروف ، مع ما هو عليه المؤلف من رشاقة التعبير ودقة الملاحظة ولذع النكتة ، تجعل من الكتاب اثراً لذيذاً للغاية.

XXX : L'Eglise catholique en France. *in-12 de 250 pp. Prix :* 12 *f*. *Mercure de France, Paris,* 1932.

الكنيسة الكاثوليكية في فرنسة

لا يتضمّن هذا الكتاب ما يرمي اليه العنوان من وصف حالة الكنيسة الكاثوليكية في فرنسة . فان المؤلف ، الذي لم يجاهر باسمه ، يصوّر عقلية بعض الاكليروس غير الراضين عن سياسة الباباوات في ما خصّ العلاقة بين الكنيسة والحكومة في فرنسة . فيبدأ كتابه بالقاء نظرة تاريخية على سلطة الباباوات الزمنية ثم يبحث في السفارة البابوية في باريس ، وفي كنيسة فرنسة ، وتعيين الاساقفة ، والاكليروس ، واعمال التبشير ، والتعليم الديني والمدني ، والتهذيب والاعمال الخيرية ، والمشاكل الاجتماعية ، والسياسة الكاثوليكية . فينتج من كل ما تقدم انه ، بسبب الحركة المركزية التي لا تزال تزداد وتستقرّ في داخل الكنيسة (وهي ظاهرة عامّة نتحققها في شؤون الحكومة ايضاً) ، فقد الاساقفة كثيراً من صلاحيتهم فلم يظلّوا اساقفة كمن ذي قبل .

ج . ل .

J. Bidez : Discours de Julien César — L'Empereur Julien, Œuvres complètes, t. I, 1er partie. [*Collection des Univ. de France*] *Société d'éditions Les Belles Lettres*, 1932.

خطب الامبراطور يوليانوس

هو الجزء الاول من آثار يوليانوس الجاحد يبدأ بالخطب طبقاً للتقليد المعروف . وقد قدّم عليها الناشر بحثاً تاريخياً وذكر معلومات مفيدة قبل كل خطاب . وعدد هذه الخطب خمس ، واضيعها مدح الامبراطور كونستانس ، والامبراطورة اوسيبية ، واعمال الامبراطور ، وسفر سالوست ، وخطاب موجّه الى مجلس الشيوخ والشعب في أثينة . هذا وقد نُشر مع النصّ الترجمة الفرنسوية وهي غاية في الدقة . على ان الاهتمام باظهار النصّ الاصلي يفوقها دقة ايضاً ، فان الناشر لم يتراجع امام شيء من الجهود والاتعاب في درس المخطوطات ومقابلتها .

ج . ل .

E.-M. du L. : Madame Elisabeth de France. 2 *vol. in*-16, *illustrés. Paris :* 45 + 45*f. Librairie académique Perrin, Paris.*

مدام اليصابات دي فرانس

مدام اليصابت دي فرانس اخت الملك لويس السادس عشر ، اشتهرت بتقواها وصلاح حياتها . فكتبت ترجمتها احدى الراهبات الكرمليات غير مكتفية بمظاهر الصلاح والتقوى بل دققت في الحوادث التاريخية فصوّرت ذاك العصر المضطرب المتقلقل الذي فاز فيه عدد من الرعاع فانتزعوا من البلاد ملكها الشرعي. وقد كان للمترجمة دور يُذكر في جميع تلك الحوادث لما اتصفت به من قوة ارادة ورباطة جأش اتصافَ اخيها بالضعف والاضطراب ، حتى حُكم عليها بالموت حكماً ظهر بعيداً عن العدل حتى لبعض ارباب الثورة.

ج. ل.

F. Charmot s. j. : L'art de se former l'esprit et de réussir au baccalauréat. 2 *vol. in*-12. *J. de Gigord, Paris.*

فنّ التثقيف العقلي والنجاح في البكالوريا

ليس هذا الكتاب مجموع « وصفات » لطالبي النجاح في البكالوريا . بل هو دليل حكيم بصير يعرض في المجلد الاول نصائح عامّة مفيدة تدور كلها حول الشغل المدرسي على تنوّع مظاهره كالشغل الحقيقي والشغل الفرّار ، والشغل بالانتباه ، والشغل النفعي ، والشغل في المدرسة والشغل الشخصي ، وغاية الشغل الحقيقية وما يساعد عليه من العوامل . ثم النجاح في الامتحانات ، والشغل زمن العطلة المدرسية . يزين كل ذلك امثال كثيرة يعرضها المؤلف بكل موافقة دالاً على ثقافة عالية ونظر فسيح . اما المجلد الثاني فيهتم خصوصاً بالطرق العملية فيحصر موضوعه ، ويخاطب الطلّاب وحدهم . والمجلدان ضروريان لا يستغني عنها احد من ارباب التعليم الثنوي . ج. ل.

Acta Academiae Velehradensis. *Annus XII. fasc. I-II. Olmütz,* 1932.

اعمال المجمع العلمي الفلهرادي

تظهر هذه الاعمال كل سنة في اربعة اجزاء ، وغايتها العمل على وحدة الكنائس . وها قد بلغت مجلّدها الثاني عشر داخلةً في كثير من المناطق المتباينة

اللغات ، بفضل اللغة اللاتينية التي تُنشر بها والتي يعرفها جميع ارباب الثقافة الاوربية اللاتينية . وفي هذا المجلد خاصة معلومات مفيدة عن حركة الاهتداءات بين الارثوذكس .

Père Debout O. S. C. : Vie de St Camille de Lellis, *écrite par le P. Santio Cicatelli, traduction de l'original, in-8° de 514 pp. Desclée, de Brouwer et Cie, Paris.*

حياة القديس كميل دي ليلّيس

ان القديس كميل دي ليلّيس (١٥٥٠ - ١٦١٥) مؤسس جمعية الاكليريكيين القانونيين الذين يهتمون بالمرضى . وقد أُعلن سنة ١٨٨٦ شفيعاً للمرضى والمستشفيات ، وأُدخل اسمه في طلبة المنزعين . اما ترجمة حياته فقد كتبها احد معاصريه من رهبانه . فتُرجمت الى الفرنسية في سبيل اطلاع المرضى عليها ، ومن يقوم بخدمتهم من الممرّضين والممرّضات وارباب الصلاح وراهبات المستشفيات . ولا يخفى كم كان يجد خدَمة المرضى من الصعوبات في القيام باعمالهم في الزمن الماضي ، وذلك لما كان يعترضهم من جهل قوانين الصحّة وطرق الوقاية ، ولما كان يهدّد صحّتهم وسلامتهم من سهولة انتشار الاوبئة بسبب الجهل المذكور .

ج . ل .

اتحاف اعلام الناس بجمال اخبار حاضرة مكناس

تأليف مولاي عبد الرحمان ابن زيدان نقيب السادات الاشراف العلويين بمكناس
الجزء الثالث ، المطبعة الوطنية ، الرباط ١٣٤٩ - ١٩٣١ ق ٨ كبير ص ٦٠٠ مع الفهارس

وصف المشرق في العام الماضي جزءي هذا الكتاب الاولين معرفاً القراء بصاحب التأليف النبيل . وها ان الجزء الثالث وصلنا وهو كاخويه الاولين مكتظ بالتعليقات التاريخية والادبية ، متقن الطبع الا في بعض المواضع النادرة ، مزين بالرسوم اخصها صورة الرسالة التي بلغت الى المؤلف من جانب ملك مصر . ان الكتاب برمته مختص بالتراجم : اولها ترجمة الحسن بن عطية الونشريسي ، وآخرها ترجمة محمد بن عبد الله القاضي المكناسي . وقد تتفاوت التراجم طولاً . اطولها تحوي سيرة واعمال السلطان محمد بن عبد الله وتمتد من الصفحة ١٣٨ الى

٣٦٣ ، ويليها ترجمة خلفه السلطان محمد بن عبد الرحمان وتكاد توازيها طولاً. كتب بروكلمان منذ زهاء ثلاثين سنة عن مراكش في كتابه المختصر على الآداب العربية : « ان مراكش لبلاد مغلقة غير معروفة امورها وهي في المغرب الاقصى كالصين في الشرق الاقصى » . ولكن ذلك الحكم دخل في خبر كان بفضل مولاي عبد الرحمان وغيره من المؤلفين العرب والافرنج الذين كتبوا عن البلاد المراكشية فاجادوا . على ان صاحب كتاب الاتحاف لم يخص منهم بالذكر الا العرب نسأل الله ان يطيل عمر المؤلف الجليل ، فيأتي على نهاية كتابه بما فيه من منافع للتاريخ والادب . ف. ت.

القبط

تأليف جرجس فيلوثاوس عوض

المطبعة المصرية الاهلية ، القاهرة ، ١٩٣٢ ، ق ٨ ص ١٧٢

وضف المشرق في سنيه الثلاث الاخيرة عدة مؤلفات للسيد جرجس فيلوثاوس عوض. وكل مواضيعها مأخوذة من تاريخ الامة القبطية ورجالها والمسائل المتعلقة بها . واهدى الينا حضرته مؤلفاً جديداً عالج فيه جملة مسائل على تاريخ الاقباط وفي الاخص مسألة تعداد المصريين كما كانوا ايام الفتح العربي ، فقال انهم كانوا ثلاثين مليوناً ؛ واستشهد على صحة قوله بما جاء عن الاحصائيات المصرية في التوراة وفي تاريخ هيرودوتس ، وعلى الاخص في تواريخ العرب واشار الى المصادر التي اخذ عنها فاظهر غيرة على العلم ، وسعة معارف ، والماماً بتاريخ الاقباط يطلق اللسان بالشكر له . على ان عدد الثلاثين مليوناً لباهظ بالنسبة الى ما تتحمله البلاد المصرية . قال اليزه ركلو الجغرافي : قد يقدرون مساحة مصر مليون كيلو متر مربع وما فيها البلاد النيلية الواقعة بين اصوان ووادي الحلفة؛ وكانت نتيجة الاحصاء فيها ان عدد سكانها كان سنة ١٨٨٢ ٦،٨٠٠،٠٠٠ وهو بالظاهر قليل ولكن بالحقيقة كثير لان مصر القابلة السكنى انما مساحتها ٣٠،٠٠٠ كيلومتر مربع. لا غير مما يجعل عدد سكانها يربو ثلاثة اضعاف على عدد سكان فرنسة او بلجكة اذا ما قابلنا التناسب بين سعة الارض القابلة العمران وبين عدد السكان.

اما الارقام الواردة في الكتاب المقدس وفي كتب المؤرخين من يونان وعرب وغيرهم فمعروف انها غير مطابقة لما كان الامر الواقع ، ولم يكن علم الاحصائيات قد درج من مهده ؛ وفيما يخص احصائيات التوراة فقد تعتورها مشاكل ليس من شأننا ان نحلها اليوم. ولكن حسبنا القول ان العلماء الكتابيين يفهمونها بغير معناها الحرفي البارزة فيه الينا . ف. ت.

الجنرال يعقوب والفارس لاسكاريس
ومشروع استقلال مصر في سنة ١٨٠١

تأليف شفيق غربال

مطبعة المعارف ، مصر ، ١٩٣٢ ص ٥١ ، ق ٨.

حمل الافرنسيون على مصر واقاموا فيها من السنة ١٧٩٨ وكانوا ، ابان اقامتهم قد قربوا اليهم الكثيرين من عمال الاتراك او المماليك سابقاً واستخدموهم في دوائر الحكومة ، وعلى الاخص في جباية الاموال ومن هؤلاء الموظفين كان المسلم والمسيحي . وكان الافرنسيون بشديد الحاجة الى الاستنجاد بقوات عسكرية يعبؤنها في ذات مصر فاستعانوا برجل قبطي اسمه يعقوب حنا ألفوا بواسطته جيشاً مصرياً قبطياً كان غرضه الاول حفظ الامن في البلاد لئلا تتغلب فيها عناصر الشغب اذا ما قل عدد الجنود الافرنسية. وما لبث ان تولد في عقل يعقوب القبطي ، وقد رفعه الافرنسيون الى رتبة جنرال ، ان يحرر بلاده المصرية ليس فقط من عبودية الاتراك ولكن من احتلال او تدخل اي دولة كانت في الشؤون المصرية الداخلية ، فوضع تصميم ذلك المشروع بمساعدة صديقه لاسكاريس واليه عهد بعد موته في تبليغ ذلك التصميم الى الدول الاوربية . وكان قد سعى في تأليف وفد للغاية ذاتها . فليست اذاً فكرة الاستقلال والوفد وليدة عصرنا . ويجدر بالذكر انه اكثر من مئة سنة قبل سعد زغلول باشا وُجد بين المصريين رجل طالب باستقلال بلاده وهذا الرجل كان مسيحياً قبطياً . وقد وضع المؤلف كتابه ليذكرنا بذلك (راجع ص ٣٨)

ف. ت.

اهم حوادث الشرق في شهر

١٥ آب — ١٥ ايلول ١٩٣٢

سورية ولبنان — احتفلت الحكومة اللبنانية بعيد الاستقلال في ١ ايلول، وبتذكار الشهداء في ٢ منه .

* لا يزال رئيس الجمهورية اللبنانية يوالي زياراته للملحقات لاجل الاصلاح.

* انشئت مواصلات لاسلكية بين دول الانتداب الفرنسوي والهند الصينية.

* قرّر الغاء مجلس الشورى في سورية

* قامت السلطة باعتقال بعض زعماء الكتلة الوطنية في حلب .

* عقد مطارنة الروم الارثوذكس مؤتمراً لحلّ المشكلة البطريركية. ولكن لم يسفر عن نتيجة حاسمة .

* دُشن نهار عيد الصليب ، في دير القمر، تمثال عظيم للصليب المقدّس يبلغ طوله ١٨ متراً منصوباً فوق اعلى قمة في تلك الجهات ..

* ازيح الستار عن تمثال يوسف بك كرم في اهدن .

مصر — عمت المخاطبات بالتلفون اللاسلكي بين مصر واكثر بلاد العالم.

* زار القاهرة قادماً من بور سعيد جلالة إمبراطور أنام .

فلسطين — انشأت السلطة العسكرية الانكليزية مطاراً حربياً واستحكامات في العقبة ومدّت اليها سكة حديد من بئر سبع .

العراق — سافر السر همفريس، المندوب السامي، من بغداد الى اوربة وغايته تأدية اعمال متعلقة بدخول العراق جمعية الامم .

بلاد العرب — ثبت مقتل ابن رفاده واخماد ثورته.

* عقدت معاهدة صداقة وحسن تفاهم بين فرنسة ومملكة الحجاز ونجد ، وعقدت اتفاقية كذلك بين الحجاز وفرنسة نائبةً عن لبنان وسورية .

المطبعة الكاثوليكية المدير المسؤول : يوسف ماهر

المشرق

السنة الثلاثون — تشرين الثاني ١٩٣٢

الرهبانيَّة اللبنانيَّة المارونيَّة

صفحة تاريخية

بقلم الاب انطونيوس شبلي اللبناني

١

توطئة

مضت وثماني وثلاثون سنة مرَّت على تأسيس الرهبانية اللبنانية المارونية في الديار الشرقية كما يمرُّ الظلُّ وغاصت في بحار الابدية كما غاصت فيها السنون الغابرة ، حاملةً في طيّ ردائها الحوادث والعِبَر بما فيها من شقاء وهناء .

عبرت تلك السنوات كما يعبُر الطير في فلك الهواء غير تارك لمروره أثرًا . انها « مضت كالظلّ وكالخبر السائر او كالسفينة الجارية على الماء المتموّج التي بعد مرورها لا تجدُ أثرَها ولا خطَّ حيزومها في الامواج . او كطائر يطير

في الجوّ بقوادمه ويشقّ الهواء بشدّة سرعته وبرفرفة جناحيه ، يمرّ ثمّ لا تجد لمروره من علامة . او كسهم يُرمى الى الهدف فيُخرق به الهواء ولوقته يعود الى حاله حتى لا يُعرف مَمَرّ السهم » (حكمة ٥ : ٩ — ١١)

كذا تزول الايام والليالي وينقضي عمر المرء بانقضائها ولا يبقى ثابتاً غير الله . قال داود النبيّ : « أيامي كظلّ مائل وقد يبست كالعُشب . وانت ، يا ربّ ، ثابت الى الأبد . . . في البدء أسست الارض ، والسماوات هي صُنع يديك ، هي تزول وانت تبقى وكلّها تبلى كالثوب وتطويها كالرداء فتتغيّر وانت انت وسنوك لن تفنى . » (مز ١٠١ : ١٢ — ١٣ و٢٦ — ٢٨)

قطعت الرهبانية المارونيــة مرحلة قرنين ونيّف وهي لا تزال الى الأمام ، فأجدر بها ان تُلقي نظرة عجلى على هاتيك السنوات التي طوتها والمسافات التي عبرتها والحوادث والشؤون الجلّى التي مرّت بها فداستها واجتازتها ثابتة اليقين ، بارزة من معامعها طلقة المحيا وضّاحة الجبين .

قد يقفُ المسافر الذي جاز قسماً وافراً من الطريق تجديداً لقواه وانعاشاً لهمّته ونشاطه ، امّا الرهبانيّة اللبنانيّة فلا تقف بعد مسيرها مسافة قرنين لتستروح نسيم الراحة عقب جهاد مستمر ، بل تنشط في أمرها تشكرُ الله الذي شدّد ضعفها وسنّدها بذراعه القديرة طيلة هذه السنين ، ناشرةً أمجاد منشئيها وفضائل ابنائها وما عانوا من إرهاق وبذلوا من أعراق في سبيل إنمائها وتعزيزها وترقيها في مدارج الدين والدنيا من مهدها الى يومنا هــذا ، ناثرةً على رفاتهم أطيب التحيّات ، ضارعةً الى ابي المراحم ان يجزل ثوابهم بسعادته الخالدة ويغمرها بشفاعتهم بأغزر الخيور وأسنى البركات .

اطلّ عام ١٩٣٢ الحالي الذي فيه تمّ مرور قرنين كاملين على اثبات قانونها الرهبانيّ ، فنشط قدس رئيسها العام المقدام الآبائي العلّامة المفضال مرتينوس طربيه الى إحياء تذكار جميل لهذا الحدث الخطير الاول من نوعه في الشرق ، فأنفذ رسالة عامة الى جميع ابنــاء الرهبانية — وكان قدسه السابق الى ابراز هذه الفكرة الى حيّز العمل — اتى فيها على لمعة في تأسيسها ، وكيفية تثبيت قانونها ، وما قاسته من الاتعاب في هذا السبيل ، مذكراً الرهبان بفضائل

جدودهم لينسجوا على منوالهم ويأتمّوا بامثال سيرتهم الصالحة، ومنبهاً خاطرهم الى وجوب استقبال هذا العيد المئوي الثاني الواقع في ٣١ اذار من هذه السنة بأبهى مظاهر التكريم وابلغ عواطف التقوى والفرح الروحي. وقد حثّهم على ان يضاعفوا الصلوات والعبادات لاجل مؤسسي الرهبانية والمحسنين اليها احياء وامواتاً، وان يقيموا الزينة الباهرة في اديارها ومعابدها إحتفاء بهذا التذكار اللذيذ. وعندما مثلَ الابُ العام امام قداسة الحبر الاعظم، البابا بيوس الحادي عشر المالك سعيداً، التمس منه غفراناً كاملاً لكل من يشترك بهذا الاحتفاء من رهبان وعاميين، فتنازل قداسته الى اجابة سؤلهِ برقيمٍ كريم يأتي ذكرهُ.

ورأينا بهذه المناسبة ان نكتب كلمةً موجزة في نشأة الرهبانية وعلاقاتها بالطائفة المارونية، وما أدّت لها وللدين وللوطن من الخدَم والمآثر التي لا تبلى جدّتُها ولا ينقضي على مرّ الايام ذكرُها، ننشرها على صفحات مجلّة «المشرق» الزاهرة، ذكراً لعيد اثبات قانونها المئوي الثاني.

١.

نشأة الرهبانية اللبنانية

الشرق جنّةٌ زاهية زاهرة نبتت في تربتها الخصبة الغراس الروحيّة النضرة تحمل ثمار الفضائل الطيّبة. فقد نشأ فيها هابيل ونوح وابراهيم واسحق ويعقوب ويوسف أحباء الرب والانبياء والصدّيقون والكهنة، الى ان جاء السيّدُ المسيح فزاد عظمة الشرق مجداً وفخاراً واكتمل بهِ بدرهُ وسطعت في أرجائه انوارُ شمسه اذ وُلد وسكن فيه شعاعُ الآب وضياء مجدهِ.

في جنّة الشرق ازهرت طغمة الرسل، واينعت نصوبُ الشهداء والملافنة ومفسّري الكتب وصانعي العجائب، وفيها قام المتبتلون والمتنسكون كرهبان القديس مارون يعلّمون ويرشدون الشعب بمثالهم وقولهم مرتفعين كأرز لبنان بسموّ فضائلهم وتعليمهم لا يأخذهم عياء ولا مَلَل في الجهاد والدفاع عن المجامع المقدّسة، باذلين دماءهم حفاظاً على تعليم الكنيسة الرومانية وحثّا

للشعب المجاور لهم المتمسك بتعليمهم على الاتحاد الوثيق المرى بنائب السيد المسيح على الارض . وقد انتشر اباؤنا الابرار في الاديار اللبنانية كدير القديس مارون في كفرحي ودير سيدة يانوح وسيدة ميفوق وهابيل ودير القديس سمعان والياس واليشع والسيدة في قرية لحفد ودير كفيفان ومار جرجس الكفر ودير قنوبين وقزحيا واليشع في الوادي المقدس وغيرها من الديورة في انحاء لبنان[1] .

غير ان كل دير من هذه الاديار كان مستقلا عن غيره برئيسه وعاداته وقوانينه . ولم يكن لرهبان هذه الديورة المارونية من رابطة تجمعهم تحت سلطة وادارة رئيس واحد يدير شؤونهم . فاحب الله ان يضم شتاتها ويمسكها بقانون واحد وتدبير رئيس عام واحد ويعيش رهبانها عيشة مشتركة ، فدعا بالهام الهي ثلاثة شبان من حاب الشهباء من اهل الصلاح والتقى ومن ذوي الجاه واليسار فيهما وهم جبرائيل حوا ، وعبد الله قراعلي ، ويوسف البتن ، لينشئوا رهبانية قانونية في جبل لبنان .

غادر هؤلاء الثلاثة وطنهم تلبية للدعوة الالهية . فالاول جاء في غرة تشرين الاول ١٦٩٣ قاصدا لبنان توا ، والآخران في ١٦٩٤ وقد عرجا على فلسطين لزيارة الاماكن المقدسة ، ثم حضرا الى لبنان موطن العبادة والزهادة . واجتمعا برفيقهما الثالث جبرائيل حوا ، ومثلوا بحضرة رأس المارونية الاكبر الحبر القديس البطريرك اسطفان الدويهي ، في بدء صيف ١٦٩٤ ، وكشفوا له عن عزمهم على انشاء رهبانية مرتبطة بقانون ورئيس عام واحد تخضع لسلطانه جميع رهبان الديورة ، وان يكونوا مقيدين بنذر الطاعة والعفة والفقر والتواضع ومنتسبين الى القديس انطونيوس ابي النساك . فاراد السيد المغبوط امتحان عزمهم ليرى هل بوسعهم احتمال شظف الحياة الرهبانية في هذه الديار الشرقية ، فاوضح لهم صعوبة عيشة النساك على من كان مثلهم من أولي الرخاء والرفاهية مع ما يلحقها من كد البدن بحراثة الارض تحصيلا للمعاش ، فضلا عن الحروب

---

١) مقدمة السمعاني على كتاب القانون

الناشبة في البلاد وتضعضع حبل الامن والراحة فيها ، مما يجعل التوطن في هذه الجبال على حالٍ من الطمأنينة متعذراً . فأعلنوا له ثباتهم في قصدهم واكلين أمرهم الى الله والى غبطته . وما زالوا يُلحفون في الطلب والتوسُّل حتى فازوا بامنيتهم فامرهم البطريرك ان يقيموا في دير القديسة مورا الخَرِب في اهدن قصدَ ان يرموه لما يُرجى بمارهِ من النفع الروحيّ والزمنيّ لاهل هذه البلدة . فانفق حوّا والبتّ على تجديدهِ وتأثيثه ستة آلاف وثمانمئة وثلاثين غرشاً[1] . وألبسهم الدويهي في اليوم العاشر من تشرين الثاني ١٦٩٥ الزيّ الرهباني في دير قنُوبين على سبيل الامتحان ، بدون ان ينذروا النذور الرهبانية . ورجعوا الى دير القديسة مورا عاقدين النيّة على تأليف قانون يقتطفونه من تعاليم القديس انطونيوس الكبير وتلاميذه وغيرهم من الزهّاد .

ولحق بهم في اواخر تلك السنة جبرائيل فرحات . وكان من عصبتهم ، بل زعيمهم . واقاموا الاب حوّا رئيساً عليهم ، بعد ان سامه الدويهي قساً بحضور والديه سنة ١٦٩٥ . وشرعوا منذ ذاك بتأسيس الرهبانية وجَمْع قوانينها وذاع خبر فضائلهم وضاع عرفُ قداستهم فاقبل عليهم كثير من طلّاب الرهبانية ، فازداد عددهم في مدّة وجيزة ، وعُرفوا بغزارة الفضل وبالحزم والنشاط وجودة التدبير والمبالغة بالزهد .

وتسلّموا سنة ١٦٩٦ دير القديس اليشع النبي ، في سفح الوادي المقدّس ، فانتقل اليه في فصل الشتاء قسمٌ من الرهبان هرباً من شدّة البرد في اهدن ، وأناطوا تدبيرهم بالشمّاس يوسف البتّ ، في غياب الرئيس الاب حوّا . ونزل الاب قراعلي الى زغرتا لتعليم احداثها مبادئ الديانة والقراءة .

وصعد في ربيع ١٦٩٧ الاب قراعلي والرهبان الى دير القديسة مورا ، وانتهوا هناك من وضع اثنين وعشرين باباً من القانون ، ولاسبابٍ اختصروها الى خمسة عشر باباً ، وفرضوا بعض فرائض يطلبها النظام الرهباني . وقرّروا

---

١) مذكّرات الاب قراعلي ، المجلد الاول من تاريخ الرهبانية ، والاب البودي . (المشرق ١٩ [١٩٠٧] : ٦٢٦)

ان يُقام على الرهبانية رئيس عامٌ واحد يتعلّق به تدبيرها ، مع اربعة مدبّرين يؤازرونه في مهامه ، وان يُعيّن لكلّ دير رئيس خاص يُعنى بادارته خاضع لسلطة الرئيس العام . وان تستمرّ هذه الرئاسات ثلاث سنين في نهايتها يُعقد مجمع عام في العاشر من تشرين الثاني ، ذكرًا لهذا اليوم الذي توشّح فيه المؤسسون بالزيّ الرهباني ، الى آخر ما وضعوا من الفرائض والانظمة .

وعُقد المجمع العام في العاشر من تشرين الثاني ١٦٩٨ في دير القديس اليشع ، فانتُخب الاب حوّا رئيساً عامًّا، والاب قراعلي مدبّرًا ورئيساً على الدير المذكور، والاب فرحات مدبّرًا ورئيساً على دير القديسة مورا . وكان هذا المجمع العام الاول في الرهبانية . واذ كان الرئيس العام الاب حوّا راغباً في جعل غاية الرهبانية الرسالة عارضه في رأيه الاب قراعلي واكثر الرهبان ، موجبين التمسّك بالفرائض التي سُنّت لها والركن الذي تأسست عليه وهو الانقطاع عن العالم والتحصّن بالديورة . وكانت بينهم على ذلك منازعات هادئة لم يتعدّ صداها جدران الاديار ولا محل هنا لذكرها ، حتى تحقّقت اخيرًا امنية الاب عبد الله وسار برهبانيته على نظام التوحّد والانفراد ، إلّا اذا دعت الحاجة الى الرسالة ، صاعدًا بها في مراقي الكمال الرهباني كما يأتي الكلام .

ولما لم يتسوّ هذا الخلاف بين الابوين حوّا وقراعلي ، حكم البطريرك بفصل الواحد عن الآخر بصكّ ابرزه سنة ١٧٠٠، واعطى الاب حوّا دير القديسة مورا، والاب قراعلي دير القديس اليشع ، وامر ان يُقسم الرزق بينهما مناصفةً . واطلق الحريّة للرهبان في اتباع مَن ارادوا من الاثنين ، وان يأخذ كلُّ راهبٍ حاجته من المؤنة والكساء . فتبع الاب حوّا واحد فقط من الرهبان وبعض المبتدئين . والتفّ حول قراعلي كلُّ الباقين .

ولدى وقوع هذا الخصام استولى الضَجَر على الاب فرحات، وكان من فكر الاب حوّا إقصاؤهُ الى احد الاديار، في غياب قراعلي الى حلب لبعض الشؤون، ليتسنى له اطلاق يده في تدبير الرهبان على هواه . فانسحب الاب فرحات سنة ١٧٠٠ راغباً في الانضمام الى احدى رهبانيات المرسلين . وتوطّن دير القديس يوسف في زغرتا يدرّس احداثها ، ويعظ على منبر كنيستها ايام الآحاد والاعياد ،

ويعيش من صدقات المؤمنين . وما درى الرهبان بخبره حتى اضطربت افكارهم وازداد بغضهم للاب حوّا ، لانهم عزوا اليه سبب انفصاله ، وقد عزّ عليهم فراقه لما له من المنزلة الرفيعة في عيونهم وعيون الاكابر والاصاغر ، وهو احد الرؤساء العالم الطائرة شهرة فصاحته وبراعته في اللغة العربية والدعامة القوية لركن الرهبانية في التقوى والعلم . ولما كانت آراء الاب حوّا لا تنطبق على ارائهم كما اشرنا اولاً ، وهالهم ثانياً بعد الاب فرحات عنهم ، تداولوا واوجبوا سنة ١٧٠٠ ، على غير علم الابوين حوا وقراعلي ، عقد المجمع العام قبل اوانه ورموا القرعة الاولى فاسفرت عن لزوم التمسك بقانونهم . ثمّ الثانية فانجلت عن عزل الاب حوّا من الرئاسة العامة واسنادها الى الاب قراعلي . فاستتبّ السلام بين الرهبان ، ونهض الاب العام الجديد الى سياسة الرهبانية بروح الغيرة والتجرّد والاخلاص .

وما فتر الاب قراعلي والرهبان عن مراسلة الاب فرحات والذهاب اليه داعينه الى العود اليهم بارق عبارات الحبّ والتودّد ، وعن الصلاة لنوال هذه البغية ، حتى ادركوا ما تمنّوا . فاستقبلوه بأبهى مجالي الحفاوة . وشدّ ما كان فرحه وفرحهم بهذا الاجتماع اللذيذ بعد فراق خمس سنين برّحت بهم لوعته وتعاظمت في قلوبهم مرارته . وقد افضى اليهم الاب فرحات بخبيئة نفسه واطلعهم على تبلبل باله واضطراب ضميره مدّة افتراقه عنهم[1] .

١) رجع الى اخوانه سنة ١٧٠٥ وفيها نذر النذور الرهبانية .

(للبحث صلة)

ابن عبد ربه و« عقده »

درس ادبي تاريخي

بقلم جبرائيل جبّور
احد اساتذة الادب العربي في جامعة بيروت
الاميركية

٢

حياة ابن عبد ربه (تابع)

ولكن اكان هناك سبيلٌ للهو عند ابن عبد ربه غير الغناء ؟ وجوابنا : نعم ! ولعل بعض هذه السبل كانت من التي نهاه عنها قرآنه ، وقد احسّ في خروجه على شرائع دينه ، آخر حياته ، واخذ يستغفر ربه في شعره :

يا ربّ ، غفرانك عن مذنب أسرفَ ، الا انه نادمُ (١

ترى أكان يشرب الخمر ؟ المرجّح عندنا نعم ! ويتفرّد شعره في تصوير شيء من هذه الناحية من حياته اذ ليس بين كل المصادر التي بين ايدينا ، عدا شعره ، ما يذكر شيئاً عن شربه المسكر ، وفي شعره هذا تناقض من حيث هذا الامر سنحاول تعليله . ففي القصة التي ذكرنا عنه فيما يتعلق بالغناء الذي سمعه من جارية تغني بقصر احد الرؤساء ، ابيات منها هذا البيت :

اما النبيذ فاني لست أشربه ولست آتيك الا كرهاً يدي(٢

وفيه كما يظهر تصريح انه لا يشرب النبيذ على الاطلاق . واذا تركنا هذا التصريح ونظرنا في شعره نرى مواضع كثيرة يذكر فيها حبّه الخمر وشربه

---

١) ابن عبد ربه ١ : ٢٧٦ : والثعالبي ١ : ٤١٧

٢) ابن خاقان : ٥١ .

اياها ، ويصفها ويدعو الى شربها بحيث لا يظلّ ادنى شكّ في نفس القارئ ان ابن عبد ربه يشربها:

دع قول واشيةٍ وواشي واجعلها كلبّي هراشِ
واشرب مشعّشة تـا ـلّ في العظام وفي المحاشي
حتى ترى العـود المسنّ م جا ارقّ من الحشاشِ(١

واسمع قوله ايضاً :

أصفى اليك بكأسه مصفي صلت الجبين ، معقرب الصدغ (٢

...

كاس تولد بالمحبة بيننـا طورًا ، وتترغ ايما ترغ .
في روضةٍ درجت بزهرتها الصبا والشمس في درج من الفرغِ ،
واشربْ بكفٍّ اغنّ عقرب صدغه للقلب منـك عيتة اللـدغِ .

واسمع ايضاً وصفه للرّاح ودعوته الى شربها :

وحامـلةٍ راحاً على راحة اليـد مـوردّة تسقى بـلون موردّ ،
متى ما ترَ الابريق للكأس راكعًا تصلّ له من غير طُهر وتسجدِ (٣
عـلى ياسمين كاللجـين ونرجس كاقراط درٍّ في قضيب زبرجدِ
بتلك وهذي فالهُ ليلك كله وعنها فـل،لا تـأل الناس عن غدِ (٤

واسمع قوله في وصف نشوته من خمرتين: خمرة اللحظ ، وخمرة الكاس:

بزمام الهـوى امتّ اليـه ، وبحكم العقار اقضي عليه ، (٥
بابي من زهـا عليّ بوجـهٍ كاد يدمى لمـا نظرت اليه !

---

١) ابن عبد ربه ٣ : ٢٢٨ ؛ والثعالبي ١ : ٤٢٢ ، ٤٢٤

٢) ابن عبد ربه ٣ : ٢٢٧ ؛ والثعالبي ١ : ٤٢٢ – هذا البيت والابيات التي تليه من البحر الكامل ، وقد اوردها ابن عبد ربه في عقده ، في كتاب العَروض، شاهدًا على العروض التامّ الذي له ضرب أحذّ مضمر [الحذذ يلحق مُتَفاعِلُنْ فتنقل الى فَعَلُنْ اي يحذف منها (علنْ) ويظلّ (مُتَفا) ثم تنقل (مُتَفا) الى (فَعَلُنْ) . والاضمار هـو تسكين ثاني مُتَفاعِلُن فتصير مُتْفاعِلُن،واذا حذفها الحذذ المذكور تصير فَعَلُن] ويظهر من البيت الاول ان عروضه وضربه احذّان مضمران بينما العروض في سائر الابيات تامة.

٣) في الاصل: « ترى » و « تصلي » ، اي دون ان يكون لمتى عمل فيها.

٤) ابن عبد ربه ٣ : ١٩٩.

٥) العُقار بضم العين الخمر لعاقرتها اي لملازمتها الدنّ، او لعقرها شاربها عن المشي، او لانها عاقرت العقل ؛ راجع محيط المحيط : مادة « عقر ».

ناول الكاس واستال بلحظ فمتني عيناه قبل يديه (١

وله ايضاً شعر في الزهد يذكّر فيه نفسه بقرب اجله ودنوّه من الهلاك ، ويلوم ذاته على لهوه في ادمان الخمر ، يستهلّه بقوله مخاطباً نفسه :

اتلهو بن باطيـة وزير ، وانت من الهلاك على شفير ! (٢

واسمع اخيراً تصريحه في شرح مذهبه في كلا الشرب والغناء ، وهو آخر بيت من قطعة يصف فيها الحبيب والغناء والمسكر :

دينا في السماع دين مدينيّ م وفي شربنا الشراب عراقي (٣

اي انه يسمع الغناء على مذهب المدينيّين وطريقهم ، ويشرب الشراب على مذهب العراقيين . وكان المدينيّون يجيزون الغناء ، بينما كان العراقيون يجيزون الشراب(٤) . وفي كتب الادب والتاريخ العربية ذكر لمشاحنات كثيرة في هذا الموضوع بين الحجازيين والعراقيين ليس هنا موضع تفصيلها.

اما التناقض بين هذه الابيات التي ذكرنا لابن عبد ربه وبين البيت الاول « اما النبيذُ الخ » فظاهر . واما تعليله فليس بالامر العسير ، ونرى ان هناك احد امور ثلاثة : اما ان البيت الاول مدسوس على ابن عبد ربه ، لاسيما وهناك اكثر من صورة له(٥) ، او انه قاله وهو يعني انه لا يشرب النبيذ بل يشرب ما هو اقوى من النبيذ من انواع الخمر ، ويجوز انه يقصد انه لا يشرب نبيذ صاحب القصر ولا يأ كل خبزه «ولست آتيك الا كسرتي بيدي »، او انه قاله حقاً وغناه انما كان ذلك آخر حياته وذلك حينما تاب عن غيّه ولهوه ، ولا نظن ان توبته كانت تمنع ان يسمع الغناء ،ونميل الى ترجيح الرأي الاخير. ولا يفوتنا ان نذكر هنا انه قد يجوز انه نظم هذا البيت في شبابه ايام لهوه وصبوته ، ولكنه كان كاذباً على صاحب القصر فيه . واذاً فانّا نعتقد ان

---

١) الثعالبي ١ : ٢٦١

٢) ابن عبد ربه ١ : ٢٨٠ ؛ والثعالبي ١ : ٤١٧

٣) الثعالبي ١ : ٢٦٢

٤) راجع الاغاني لابي الفرج الاصبهاني ، طبعة بولاق سنة ١٢٨٥ ، ج ٦ : ٦١

٥) ابن خاقان : ٥١

ابن عبد ربه كان يشرب الخمر ويحبها ويدعو اليها . ولعل شربه اياها كان من بعض الامور التي ارتكبها واستغفر ربه من اجلها طالباً رحمته لا عدله:

يا ويلتا من موقف ما به اخوّف من يعدل الحاكمُ !
أبارز الله بعصيانه وليس لي من دونه راحمُ.
يا رب، غفرانك عن مذنب أسرف ، الا انه نادمُ! (١

واذا نظرنا الى ما كتبه في العقد في باب الطعام والشراب[٢] نرى انه من المتساهلين احياناً في امر شرب النبيذ يقف منه موقفاً يكاد يشبه موقفه من الغناء[٣] ، حتى انه يقول في احد المواضع : « فانّا نجد النبيذ قد اجازه قوم صالحون » [٤]

ولقد سلك ابن عبد ربّه سبيلاً للهو ، غير الغناء والمسكر ، نرى الاشارة اليها في ما كتبه المؤرخون عنه[٥]. ومن الطبيعي لمن كان اليف الغناء والسكر ان يكون تبع نساء ، وقد كان ابن عبد ربه كذلك . وفي بعض ابياته التي ذكرنا بمناسبة شربه الخمر تصريح بسلوكه سبل اللهو مع النساء في مجالس الشرب.

وحاملة راحاً على راحة اليد مورّدة تسعى بلون مورّد...(٦

وله اشعار فيها تصريح اكثر من هذا نسكت عن ذكرها[٧]. وهو لم يقتصر في غزله، الذي يُظهر بعض لهوه ، على النساء... ولم يفت الذين كتبوا شيئاً من ترجمة حياته ذكر هذه الضروب من اللهو ، فقد دوّنوها عندما دوّنوا اخبار توبته ، واشاروا الى اشعار زهده التي مخّص فيها اشعار صبوته[٨]. ولم يفت ابن

١) ابن عبد ربه ١ : ٢٠٦؛ والثعالبي ١ : ٤١٧ وفي الاخير «عفواً منك» بدل «غفرانك».
٢) ابن عبد ربه ٣ : ٢٨٠
٣) ابن عبد ربه ٣ : ٤٠٠ و ٤٠١
٤) « « ٣ : ٢٨٠
٥) ابن خاقان : ٥١ و ٥٢ : والضبّي : ١٢٨؛ وياقوت ٢ : ٦٧ — ١٩
٦) ابن عبد ربه ٣ : ١٩٩
٧) المقري ، طبعة اوربة ، ٢ : ٣٨٤ : والثعالبي ١ : ٤٢١ و ٤٢٧
٨) ابن خاقان : ٥٢ ؛ والضبّي : ١٢٩ : وياقوت ٢ : ٧١

عبد ربه نفسه ، ايام توبته ، ان ينظر الى حياته هذه التي قضاها في سبل اللهو والغي والفساد نظر النادم الحزين قال :

زمانٌ كان فيه الرشد غيّاً ، وكان الغيُّ فيه من رشادي[1]

وله من قطعة :

الا يا زين قلبي للشبا ب الغر اذ ولّى ،
جعلت الغيّ سربالي ، وكان الرشد بي اولى .[2]

هذا جلّ ما نعلمه عن شبابه من هذه الناحية . ولعله قد قضى اكثره في قرطبة ، اذ يظهر انه مدح اميرها محمد بن عبد الرحمن بن الحكم[3] ؛ وقد مات محمد هذا سنة ٢٧٣ هـ[4] . اي حينما كان عمر ابن عبد ربه ٢٧ عاماً ، وقد كان ملك هذا الامير ٣٤ سنة[5] ، اي انه اعتلى العرش قبل ولادة ابن عبد ربه بسبع سنوات . واذا راجعنا تاريخ الحقبة الاخيرة من حكم هذا الامير نرى ان الفتن كانت منتشرة في اكثر بقاع الاندلس وأن رجلاً باسم عمر ابن حفصون كان يهدّد سلطة الامويين حتى يكاد يقضي عليها[6] ، وأن قرطبة كانت المركز الوحيد لاتباع الملك وحشمه وشعرائه[7] .

وكذلك نظن ان ابن عبد ربه قضى سنتي ٢٧٤ و٢٧٥ هـ في قرطبة ملازماً الامير المنذر بن محمد الذي يذكر الضبي انه كان من ممدوحيه[8] . ويذكر ابن عبد ربه في عقده شيئاً من تاريخ هذا الامير وحربه مع عمر بن حفصون ، وينعت ابن حفصون بالمارق الفاسق[9] . ويظهر من كلام ابن عبد ربه انه كان على صلة بالامير المنذر بن محمد ، فيذكر صفته دون ان يستند الى احد ، بينما تراه عند ذكره سيرة الامير محمد ، والد المنذر وسلفه ، يستند

---

١) الثعالبي ١ : ٤١٦ ٢) الثعالبي ١ : ٤٢٤ ، الغر : بمعنى الخبيث المنكر
٣) الضبي : ١٢٧ ٤) ابن عبد ربه ٢ : ٢٦٠
٥) ابن عبد ربه ٢ : ٢٦٠ ٦) راجع Dozy, p. 308, 336
٧) راجع Dozy, p. 308, 336 ٨) الضبي : ١٢٧
٩) ابن عبد ربه ٢ : ٢٦١

الى الفقيه بقي بن مخلد[1] ، احد اساتذته ، وينقل عنه رواية وصف الامير وبعض اخباره . ويذكر ابن خلكان ان لابن عبد ربه في المنذر هذا قصيدة مدحه فيها مطلعها :

بالمنذر بن محمد شرفت بلاد الاندلس ،
فالطير فيها ساكن ، والوحش فيها قد انس (٢

وعاصر ابن عبد ربه الامير عبدالله وقد وقي هذا عرش قرطبة سنة ٢٧٥هـ[2] ، وابن عبد ربه في التاسعة والعشرين من عمره . وقد لازمه لوقت ما ومدحه[1] .

وزى في العقد ارجوزة لابن عبد ربه في العروض يظهر انه قدمها للامير عبد الله حيث انه يذكر مدحه للامير في آخرها فيقول :

فالحمد لله على نعمائه حمداً كثيراً ، وعلى آلائه .
يا ملكاً ذلت له الملوك ، ليس له في ملكه شريك ،
ثبت لعبدالله حسن نيته واعطفه بالفضل على رعيته . (٥

ويذكر دوزي (Dozy) في كتابه *Spanish Islam* ان قائداً عربياً باسم ابرهيم ابن الحجاج ظهر على مسرح النزاع في الاندلس واقام في اشبيلية امارة يحكمها بحيث كان يعترف في بعض الاحيان بسلطان الامير عبد الله . وكان ابن الحجاج ، فيما يذكر دوزي ، اميراً وتاجراً وقائداً محباً للآداب والفنون ، وقد وفد اليه العلماء من الجزيرة العربية ، وكان بينهم ابو محمد العذري النحوي الحجازي . وغنى في قصره المغنون والمغنيات من بغداد منهن الشاعرة المغنية الجميلة قمر[6] . وهنا يذكر دوزي — دون ان يعلمنا بالمصدر الذي يستند اليه — ان شعراء قرطبة ، الذين كادوا يموتون جوعاً لبخل الامير عبد الله ، وفدوا على ابن الحجاج وغادروا عبد الله يرأسهم « شاعر البلاط » ابن عبد ربه نفسه[7] .

وكان ذلك ، فيما يظهر من كلام دوزي ، بعد السنة ٩٠٢ مسيحية ، حول

١) ابن عبد ربه ٢ : ٢٦٠ ، وفيه محمد بدل مخلد ، ولعلها خطأ من النساخ .
٢) ابن خلكان ١ : ٤٦
٣) ابن عبد ربه ٢ : ٢٦١
٤) النبي : ١٢٧
٥) ابن عبد ربه ٣ : ١٩٨
٦) راجع Dozy, p. 378
٧) راجع Dozy, p. 379

السنة ٢٩٠ هـ[1]. اي عندما كان ابن عبد ربه في الرابعة والاربعين من عمره . والغريب اننا لم نعثر على شيء من وصف حياة ابن عبد ربه عند هذا القائد . فلا ابن عبد ربه يذكر هذا القائد في عقده، ولا هناك اشارة اليه في شعره او في المصادر التي بين ايدينا ، مما يدلّ على ان شعره فيه – اذا كان ما يذكره دوزي صحيحاً – لم يصل الينا ؛ ولا نرى الا اشارتين في العقد الى ممدوح كان قائداً[2] مكني في كلا الموضعين بابي العبّاس ، ونحن نعلم من دوزي ان الابن الاكبر لابرهيم بن الحجاج كان اسمه عبد الرحمن[3] ، كما وانه يذكر اسماء ابناء ابرهيم بن الحجاج وتوليهم القيادة بعد ابيهم ، وليس بينهم من يحمل اسم ابي العباس . وقد كان احدهم محمد ، فيما يقول دوزي معبود الشعراء[4] ومات سنة ٩١٥ مسيحية ، اي حينما كان عمر شاعرنا نحو خمس وخمسين سنة . ولا يجوز ان يكون محمد هذا (ابن ابرهيم الحجاج) ممدوح ابن عبد ربه المكني بابي العبّاس حيث ان هناك اشارة في ارجوزة ابن عبد ربه التاريخية تذكر ابا العباس القائد في غزوة سنة ٣٠٣ هـ .

فسار في جيش شديد الباس ، وقائد الجيش ابو العبّاس (٥

وتذكر الارجوزة سنة موته في خبر غزاة سنة ٣٠٥ هـ اي بعد سنة موت محمد بن ابرهيم بن الحجاج .

وكان في آخر هذا العام نكب ابي العبّاس بالاسلام .

ثم تصف الارجوزة موته في المعركة[6]. ومن يدري لعلّ دوزي قد اخطأ في تدوينه سنة موت محمد هذا .

ونرى في بعض اشعار ابن عبد ربه مسحة من التذمر والشكوى من زمانه وممدوحيه ، ليس فيها اشارة توضح الزمن الذي كان يتذمر فيه بالضبط ، ولا فيها ذكر لاسماء الاشخاص الذين يشكوهم[7]. ولعل هذه الاشعار تشير الى الوقت

١) راجع Dozy, p. 375
٢) ابن عبد ربه ١ : ٤١ و ١٠١
٣) Dozy, p. 373, 388
٤) Dozy, p. 388
٥) ابن عبد ربه ٣ : ٢٦٦
٦) ابن عبد ربه ٣ : ٢٦٧
٧) ابن عبد ربه ١ : ١٠٧ و ٢٤٠ و ٢٤٩ و ٢١٩

الذي ذكره دوزي من حياة ابن عبد ربه عند الامير عبد الله .

اما حياة ابن عبد ربه ، اول امارة عبد الله ، فقد كانت مما يظهر من كتاب Ribera ميسورة — رغم بخل عبد الله — وقد كثر فيها انعام عبد الله عليه[1] . ومات الامير عبد الله سنة ٣٠٠ هـ ، وولي مكانه الملك القمر الازهر — كما ينعته ابن عبد ربه[2] — عبد الرحمن بن محمد الملقب بالناصر ، وهو اول ملك بالاندلس دعي بأمير المؤمنين ، وهنا نرى شعراً لابن عبد ربه فيه :

بدا الهلال جديدا ، والملك غض جديد ،
يا نعمة الله زيدي ما كان فيه مزيد .[3]

ويظهر انه لازمه طويلاً واكثر من مدحه ، وقال عنه في عقده : « وقد قلت وقيل في غزواته كلها اشعار قد جالت في الامصار وشردت في البلدان حتى أتهمت وانجدت واعرقت ولولا ان الناس مكتفون بما في ايديهم منها لاعدنا ذكرها او ذكر بعضها . »[4]

وتصدى ابن عبد ربه الى ذكر مغازي الناصر فنظمها ارجوزة ذكر فيها خبر كل سنة على حدة ، ولا نعلم بالضبط ما اذا كان ابن عبد ربه نظم هذه الارجوزة مرة واحدة آخر حياته او انه كان ينظمها سنة بعد سنة ؛ ويلوح لنا انه نظمها مرة واحدة اذ جعلها ارجوزة واحدة وتكلم عنها كقصيدة واحدة[5] . والغريب ! — وربما تعليل ذلك يسير — ان ابن عبد ربه ينتهي في ارجوزته الى سنة ٣٢٢ هـ . ونحن نعلم انه عاش حتى سنة ٣٢٨ هـ . ونعلم ان الناصر ظل يحارب الى ما بعد هذا التاريخ . قلنا : وتعليل ذلك يسير . اذ ان الخليفة الناصر خذل في هذه السنوات الخمس الاخيرة من حياة ابن عبد ربه ، اي بين ٣٢٣ و ٣٢٨ هـ ، بعد انتصاراته المذكورة في الارجوزة[6] . فلعل ابن عبد ربه سكت عن تدوين ذلك الخذلان في ارجوزته ، او لعله ذكره ولكن من جمع عقده او كتبه بعده

---

١) Ribera, p 123 ، والغريب انه لا يذكر المصدر الذي استند اليه في هذا الامر .
٢) ابن عبد ربه ٢ : ٢٦٢ .
٣) ابن عبد ربه ٢ : ٢٦٢ .
٤) « « ٢ : ٢٦٢ .
٥) « « ٢ : ٢٦٢ .
٦) المقري ١ : ١٦٦ و ١٧١

قد اهمله وحذفه ، لاسيما وقد كان الجامع لشعره وبعض اخباره الحكم بن عبد الرحمن الناصر نفسه[1] . وقد قام الخليفة عبد الرحمن الناصر بمشاريع عمرانية كثيرة لا نرى لابن عبد ربه شعرًا فيها، خصوصاً « الزهراء » التي باشر الخليفة بناءها قبل موت ابن عبد ربه باربعة اعوام . ويشير ابن عبد ربه الى مآتي الناصر العمرانية بقوله في العقد : « ومن مناقبه (الضمير يعود على الناصر) ان الملوك لم تزل تبني على اقدارها ويقضى عليها بآثارها وانه بنى في المدة القليلة ما لم تبنِ الخلفاء في المدة الطويلة ، نعم ! لم يبق في القصر الذي فيه مصانع اجداده ومعالم اوليته بنيةٌ الا وله فيها اثر محدث اما تزييد او تجديد . »[2]

وليس في كل ما قرأنا اشارة صريحة الى اشتراك ابن عبد ربه بتلك الغزوات والحروب التي وقعت في عصره بين ملوكه واعدائهم . فلا هو ذكر عن نفسه خبر واقعة اشترك فيها ، ولا احد اشار الى مرافقة ابن عبد ربه اميرًا ما او ملكاً او قائدًا ما في غزوة او دفاع . وكل ما في الامر انه نظم اشعارًا نراها في عقده في وصف الجيوش والحرب وهولها . قد يشتمّ منها انه اختبر بعض محنها[3] .

وقد كان ابن عبد ربه فقيهاً . ولعله طرق باب الفقه ايام الامير عبد الله حيث كان الاخير يحبّ الفقه وعلوم الدين حتى نعته ابن عبد ربه بالعابد الزاهد التقي النقي التالي لكتاب الله القائم بحدود الله[4] ، لاسيما وقد جاز ابن عبد ربه وقتذاك شبابه ، وبلغ آخر ايام عبد الله حدود الخمسين ، وبدأ اتجاهه نحو الزهد يظهر . وليس من شك في انه قد اخذ دروساً في الفقه والدين ، وهو في الثلاثين من عمره او قبل ذاك ، لان ابن الفرضي يذكر لنا ان ابن عبد ربه درس الفقه على شيوخ منهم الخشني وابن وضاح وبقي بن مَخلد[5] . ويذكر Brockelmann ان بقيًا هذا قد مات سنة ٢٧٦ هـ.[6] اي حينما كان عمر ابن عبد ربه حول ٣٠ سنة .

---

١) الضبي : ١٢٧ . ٢) ابن عبد ربه ٣ : ٢٦٢ .
٣) ابن عبد ربه ١ : ٤٢ و٤٣ . ٤) « « ٣ : ٢٦١ .
٥) ابن الفرضي ١ : ٢٧ ؛ وابن عبد ربه ٣ : ٢٦٠ . ٦) Brockelmann, I, 164

وكانت بعض مدن الاندلس في هذا العصر ، وبالاخصّ المدن الخاضعة لنفوذ عربي كقرطبة واشبيلية ، ملأى بالفقهاء وعلماء الدين . وكانت الطلبة ، فيما يقول Nickolson ، تعدّ بالالوف ، وكان اكثرهم طلّاب فقه من شريعة ولاهوت لاسيما وقد كان درس الفقه ممهدًا لاستلام المراكز الرفيعة[1] .

ولعل درسه الفقه وسيرته كفقيه يفسّران لنا رواية المؤرخين في انه كانت له ديانة وصيانة[2] .

ولقد درس ابن عبد ربه ، فيما يظهر من عقده ومن الاخبار عنه ، العلوم المعروفة في ذلك العصر من نحو وعروض وشريعة وتاريخ وادب . وقد نعته بعض هؤلاء المؤرخين القدماء بالعالم[3] ، ووصفه بعضهم بانه من اهل العلم[4] ، وقال البعض الآخر « وكانت لابي عمر بالعلم جلالة »[5] . وترى اثر هذه النزعة العلميّة ظاهرًا في عقده من حيث مواضيعه وابحاثه وتصنيفه وتبويبه وعدم تطرّف صاحبه في كثير من المباحثات ذات الوجوه المتعدّدة التي اثيرت في العقد، واعتداله في الرأي وحججه عند ابداء وجهة نظره .

وربما من الخير ان نشير هنا الى شعر لابن عبد ربه ورد فيه ما يفيد عدم ايمانه بكرويّة الارض ، وردّه على عالم يدين بهذا الرأي اسمه مسلم ابو عبيدة البلنسي ويعرف بصاحب القبلة، قال عنه ابن صاعد الاندلسي في «طبقات الامم» انه كان عالمًا بحركات الكواكب . ثم قال : وفيه يقول احمد بن محمد بن عبد ربه :

« ابيت الا شذوذًا عن جماعتنا ... ولم يصب رأي من أرجى ولا اعتزلا

الى ان يقول :

زعمت جرام او بيدخت برزقنا ... لا بل عطارد او برجيس او زحلا
وقلت ان جميع الارض في فلك ... جسم محيط وفيهم يقسم الاجلا
والارض كوريّة حفّ السماء بها ... فوقًا وتحتًا وصارت نقطةً مثلا
صيف الجنوب شتاء للشمال جما ... قد صار بينهما هذا وذا اولا
فان كانون في صنعا وقرطبة ... بردًا(٦ وايلول يذكي فيها الشملا

---

١) Nickolson, p. 420
٢) الضبي : ١٢٧
٣) السيوطي : ١٦١
٤) الضبي : ١٢٧
٥) ياقوت ٢ : ٦٨
٦) كذا في الاصل ، واما برد

هذا الدليل ولا قول غررت به من القوانين يجلي القول والعملا»[1]

وليلاحظ رأي هذا العالم منذ اكثر من الف سنة في كروية الارض ، وانها نقطة في فلك تحف السماء بها من كل جهاتها . وليلاحظ ان علماء زمنه ، ومنهم صاحبنا ابن عبد ربه ، يخالفونه في رأيه هذا ويعدونه شاذاً عنهم خارجاً عن جماعتهم : « ايت الا شذوذاً عن جماعتنا » الخ .

وكان ابن عبد ربه قبل كل شيء اديباً وشاعراً ؛ وما كتبه في العقد يكفي لاظهار هذا الامر . وكانت ثقافته الادبيّة ثقافة شرقية ، فقد عُني كما عُني غيره من ادباء الاندلس في اول نهضتهم بدرس اخبار الشرقيين واشعارهم وادبهم حتى ان عقده — لولا فصل صغير عن ملوك الاندلس — اقتصر على اخبار المشرق . وقد احسّ المشارقة بهذه الروح الغالبة في ادب الاندلس . رووا ان الصاحب بن عبّاد لما وصل اليه العقد وقرأه قال : « هذه بضاعتنا ردّت الينا . ظننت ان هذا الكتاب يشتمل على شيء من اخبار بلادهم ، وانما هو يشتمل على اخبار بلادنا ، لا حاجة لنا فيه »[2] .

وكان التماسّ الادبي على اشدّه بين الاندلسيين وبين اهل اقطار العالم العربي ، وكان كثير من علماء الشرق وادبائهم يرحلون الى الاندلس ، واخذ كثير من علماء الاندلس وادبائها يرحلون الى الشرق في طلب العلم والادب . ونظرة الى ما كتبه المقري[3] عن هؤلاء جميعهم منذ اول القرن الثالث الى آخره تكفي لتبيان ما نذهب اليه من نهضة هؤلاء الاندلسيين الادبية والعلمية وسعيهم في تتبعهم طريق المشارقة فيها . ولم يكن ارسال المستنصر ، آخر هذا العصر الذي نصفه ، وراء كتاب الاغاني واستحضاره النسخة الاولى منه لقاء الف دينار ، وارساله الرسل يشترون له الكتب من مختلف الاقطار[4] ، ولم تكن عناية الصاحب بن عبّاد في الشرق بحرصه على ان يكون عنده العقد وبمراجعته اياه وملاحظته عليه ، الّا مظهراً من مظاهر هذا التماسّ الذي كان فيه اهل الاندلس

---

١) ابن صاعد : ٦٤
٢) ياقوت ٢ : ٦٧
٣) المقري ١ : ٢٢١ و ٢٢٠
٤) Nickolson, p. 419

يقتفون آثار اهل المشرق ويتبعون سبلهم .

ولم يقتصر تأثير هذه النهضة الادبية العربية على العرب ومواليهم فحسب ، بل تعداهم الى المسيحيين من اهل الاندلس ، فعكف هؤلاء بدورهم على درس اللغة العربية واشعارها وآدابها . حتى ان احد مواطنيهم دوّن اسفه وشكواه وتذمره من حالتهم برسالة تحس فيهـا اعجاب هؤلاء المسيحيين الاندلسيين في قرطبة باللغة العربية واقبالهم على رشف مناهلها ودرس آدابهـا واكبابهم على تعلمها وجمع كتبها بحيث كادوا ينسون لغتهم العلمية اللاتينية[1] .

واذا راجعنا المصادر التي استند اليها ابن عبد ربه في عقده نرى انه استند بالاكثر الى علماء المشرق ، فهو ينقل عن المبرّد ، والاصمعي ، والشيباني ، والمدائني ، والعتبي ، وابي عبيدة ، وابن المقفع ، وابن سلام الجمحي ، وابن الكلبي ، والجاحظ ، وابن قتيبة ، وكم كان عشق الاندلسيين لهـذا الاديب الاخير حتى روي في تاريخ ابن كثير[2] ان اهـل المغرب كانوا يتهمون من لم يكن في بيتـه من تأليف ابن قتيبة شيء . ويظهر ان روايات هؤلاء الرواة واخبارهم وكتب علوم العرب وآدابها كانت متداولة بين ايدي علماء الاندلس وادبائها ؛ ويقول Nickolson ان قرطبة كانت في هـذا العصر من اهم الاوساط العلمية والادبية في العالم ؛ وكان في جامعها ، او ان شئت فقل في جامعتها ، العالم ابو بكر القرشي يحاضر في الحديث ، والاديب الكبير ابو علي القالي يبحث مع الطلاب في آداب العرب ، وابن قرطية يدرّس النحو[3] . ويذكر المقري عظمة قرطبة من هذه الناحية في هذا العصر فيقول باسناد عن بعضهم : « ان قرطبـة كانت مركز الكرماء ومعدن العلماء وان اليها كانت الرحلة في رواية الشعر والشعراء ومن افقها طلعت نجوم الارض واعـلام العصر وفرسان النظم والنثر وبها نشأت التأليفات الراقية والسبب في تبريز القوم حديثاً وقديماً على من سواهم ان افقهم القرطبي لم يشتمل قط الّا على البحث والطلب لانواع العلم والادب»[4] . وروى ايضاً ان قرطبة كانت في ذلك العصر اكثر بلاد الله

---

١) Dozy, p. 268 ٢) الجزء ٣ القسم ٣ من النسخة الفوتغرافيـة بدار الكتب المصرية ، راجع ابن قتيبة ٤ : ١٨ ٣) Nickolson, p. 420 ٤) المقري ١ : ٢١٧

كتباً ، وانه اذا مات عالم باشبيلية فاريد بيع كتبه حملت الى قرطبة حتى تباع فيها[1] . ولعل من الجميل ايضاً ان نورد هنا هذه القصة التي ذكرها المقري ايضاً ، وهي تظهر اعتناء اهل قرطبة بجمع الكتب حتى صار امر اقتنائها « موضة » يشتهرون بها قال :[2]

« قال الحضرمي اقمت مرة بقرطبة ولازمت سوق كتبها اترقب فيه وقوع كتاب كان لي بطلبه اعتناء الى ان وقع وهو بخط فصيح وتفسير مليح ، ففرحت به اشد الفرح . فجعلت ازيد في ثمنه فيرجع اليّ المنادي بالزيادة عليّ الى ان بلغ فوق حدّه فقلت له : « يا هذا أرني من يزيد في هذا الكتاب حتى بلّغه الى ما لا يساوي » (قال) فاراني شخصاً عليه لباس رياسة فدنوت منه وقلت له : « اعزّ الله سيّدنا الفقيه ، ان كان لك غرض في هذا الكتاب تركته لك فقد بلغت به الزيادة بيننا فوق حدّه » (قال) ، فقال لي : « لست بفقيه ولا ادري ما فيه ، ولكني اقمت خزانة كتب واحتفلت فيها لاتجمل بها بين اعيان البلد وبقي فيها موضع يسع هذا الكتاب فلما رأيته حسن الخطّ جيّد التجليد استحسنته ولم ابالِ بما ازيد فيه »[3] .

ويقول Lane Poole عن قرطبة في هذا العصر في كتابه *The Moors in Spain* : « لم يكن هناك مدينة في اوربة — اذا استثنينا بيزنطة — تقابل بقرطبة من حيث جمال دورها وقصورها واناقة الحياة فيها والبذخ وثقافة اهاليها وعلمهم »[4] .

فلا عجب بعد كل هذا ان ينشأ ابن عبد ربه النشأة التي وصفنا . وسنرى اثر هذه النشأة في شعره وعقده اللذين سنتصدى لدرسهما ؛ وهناك نواحٍ أُخرى من حياة ابن عبد ربه سنعرض لها عند البحث في عقده وشعره ، فنتكلم اذ

١) المقري ١ : ٧٦ و٧٧ و٢١٨ .

٢) من الخير ان نذكر هنا ان ابن عبد ربه يستعمل في العقد كلمة « شهرة » بمعنى « موضة » كأن يقول مثلاً : وكانت الشهرة في تطويل الاكمام ، ثم صارت في تقصيرها .

٣) المقري ١ : ٢١٨ .

٤) Lane Poole, p. 129 139 وراجع ايضاً كتاب Farmer, *History of Arabian Music*, Luzac and Cie. Lond 1929, p. 45.

ذاك عن ميوله وتزاته وعسى ان لا يفوتنا عندئذٍ وصف بعض نواحي خلقه .

وروى الرواة ان ابن عبد ربه تاب آخر حياته عن امور ارتكبها في شبابه واعترف بذلك اعتراف متألم[1]، كما قدمنا ، واقلع عن صبوته وعمد الى اشعاره في الغزل ، فمحصها ونقضها بمثيلها في الزهد والمواعظ وسماها «الممحصات» وجعلها على اعاريض تلك وقوافيها ، منها القطعة الغزلية التي اولها :

« هلا ابتكرت لبين انت مبتكرُ »

فانه قد محصها ونقضها بقوله :

يا قادرًا ليس يعفو حين يقتدر ... ماذا الذي بعد شيب الراس تنتظرُ؟
عابن بقلبك ، ان الدين غافلةٌ ... عن الحقيقة ، واعلم انما سقرُ
سوداء ترفر من غيظٍ اذا سفرت ... للظالمين فلا تبقي ولا تذرُ
لو لم يكن لك غير الموت موعظةٌ ... لكان فيه عن اللذات مزدجرُ
انت المقول له ما قلت مبتدئًا : ... «هلا ابتكرت لبين انت مبتكرُ» (٢

واصيب ابن عبد ربه بالفالج آخر اعوامه[3] ، كما اصيب الجاحظ من قبله ، وابو الفرج الاصبهاني من بعده . وتوفي يوم الاحد لثنتي عشرة ليلة بقيت من جمادى الاولى سنة ٣٢٧ هـ ، وهو ابن احدى وثمانين سنة وثمانية اشهر وثمانية ايام ، ودفن يوم الاثنين في مقبرة بني العباس[4] .

١) ابن خاقان : ٥٢ ؛ وياقوت ٢ : ٧١ .
٢) ابن خاقان : ٥٢ والضبي : ١٣٩ ؛ يذكر الابيات مع بعض اختلاف في رواية البيت الاول .
٣) ابن الفرضي ١ : ٢٧ ؛ وابن خلكان ١ : ٤٦
٤) 〃 〃 ١ : ٢٧ 〃 〃 ١ : ٤٦ ؛ وحاجي خليفة ٢ : ١٣٤

ويذكر Wüstenfeld في p. 35, Nr. 107 ان كلمة العباس في عبارة مقبرة بني العباس خطأ من ابن خلكان ، ولذلك فقد وضع موضعها كلمة « الامويين » . ولا نرى موجباً لذلك ، لاسيما وليس لدى Wüstenfeld مصدر يستند اليه في هذا الامر . ولم يتفرد ابن خلكان بذكر ان المقبرة لبني العباس فقد سبقه ابن الفرضي كما رأينا وتابعها على ذلك حاجي خليفة ، كما وان اسم العباس لم يكن غير معروف بالاندلس ، وقد كان من ممدوحي ابن عبد ربه قائد يكنى بابي العباس ، ويترجم ياقوت في معجمه للادباء حياة بقي بن مخلد استاذ ابن عبد ربه ويذكر ان بقياً هذا قُبر بمقبرة منسوبة لبني العباس ، ياقوت ٢ : ٢٦٩ ، فلينتبه الى هذا !

العلم في الحيرة

مدارس الحيرة ، الخط الحيري ، الشعر والامثال والخطابة

بقلم يوسف غنيمه (بغداد)

٣

(تتمة)

الشعر العربي في الحيرة (تابع)

وهناك آخر من اصحاب المعلقات زار الحيرة ووفد على ملكها اللخمي ، أريد به لَبيد بن ربيعة[1] المتوفى سنة ٦٧٥ م. فهو احد شعراء الجاهلية والمخضرمين. وهو من اشراف الفرسان المجيدين. قال ابو الفرج الاصبهاني: دخل لبيد بن ربيعة على النعمان مع عامر بن مالك ملاعب الاسنة ، وكان يكنى ابا البراء، في رهط من بني جعفر ومالك بن جعفر وعامر بن مالك عم لبيد، فوجدوا الربيع بن زياد العبسي وامه فاطمة بنت الخرشب . وكان الربيع نديماً للنعمان مع رجل من تجار الشام يقال له زرجون بن نوفل ، وكان حريفاً للنعمان يلايمه . وكان الربيع يوغر صدر النعمان على الجعفريين حتى رأوا منه بغاء وصدوداً ثقل عليهم . فبينما كانوا يتفاوضون يوماً بهذا الامر سمعهم لبيد ، وكان متخلفاً عنهم يحفظ ابلهم ولم يرافقهم الى النعمان ، فطلب اليهم ان يدخلوه الى النعمان ليوقع بالربيع . فاجابوه وادخلوه على النعمان . فوجده يتغدى ومعه الربيع ، وهما يأكلان لا ثالث لهما ، والدار والمجالس مملوءة من الوفود . فلما فرغ من الغداء اذن للجعفريين فدخلوا عليه فذكروا الذي قدموا له من

---

١) الاغاني ١٤ : ٩٠ ؛ وزيدان : الاداب العربية ١ : ١١١ ؛ والعمدة ١ : ٣٦ ؛ والروائع ٢٤

حاجتهم ، فاعترض الربيع بن زياد في كلامهم . فقال لبيد ابياتاً من الشعر في هجاء الربيع وذمّه وذكر فيه برصاً وانه غير نظيف . فحبّه الربيع . واثر كلام لبيد في النعمان وتقزّزت نفسه من عشرة الربيع فصرفه عنه وعن بلاده . واراد الربيع ان يتنصّل من الوصمة التي وصمه بها لبيد الا ان النعمان اجابه :

قد قيل ذلك ، ان حقاً وان كذباً ، فما اعتذارك من قول اذا قيلا ؟

وروي ان النابغة رأى لبيداً وهو صبي يخرج من عند النعمان ، فقال له : اليّ ، يا ابن اخي ، فاتاه ، فقال : انشدني . فانشده قوله :

ألم تلمم على الدمن الخوالي لسلمى بالمذانب فالقفال ؟

فقال له النابغة : انت اشعر بني عامر ، زدني . فانشده :

طلل لخولة بالرسيس قديم بحاقل فالاضمين وشوم

فقال له : انت اشعر هوازن ، زدني . فانشده :

عفت الديار محلها فمقامها بمنى تأبد غولها فرجامها

فقال له : اذهب فانت اشعر العرب !

وذكروا ان عمر بن الخطاب بعث الى المغيرة بن شعبة ، وهو على الكوفة ، يقول له : استنشد من قبلك من شعراء مصرك ما قالوا في الاسلام . فارسل الى لبيد وقال : انشدني ما قلته في الاسلام . فكتب سورة البقرة في صحيفة ثم اتى بها وقال : ابدلني الله هذا في الاسلام مكان الشعر .

ووفد حسّان بن ثابت ، المتوفى سنة ٦٧٢ م ، على النعمان بن المنذر . وهو من الخزرج ومن المخضرمين[1] . واشتهر في الجاهلية بمدح ملوك غسان وملوك الحيرة وله مع النابغة الذبياني احاديث . واختصّ بعد الاسلام بمدح النبي والدفاع عنه ، وهو يُعدّ اشعر اهل المدن في ذلك العصر .

قال حسّان : قدمتُ على النعمان بن المنذر وقد امتدحته . فاتيت حاجبه عصام بن شهيرة فجلستُ اليه . فقال : اجئت بمدحة الملك ؟ قلت : نعم . قال : فاني ارشدك اذا ادخلت عليه فانه يسألك عن جبلة بن الايهم ويشبه

---

١) الاغاني ٩ : ١٦٤ ؛ وزيدان : الاداب العربية ١ : ١٥٢ ؛ والعقد الفريد ١ : ١٧٥

فاياك ان تساعده على ذلك ، ولكن امر ذكره مراراً لا توافق فيه ولا تخالف وقل : ما دخول مثلي ايها الملك بينك وبين جبلة وهو منك وانت منه . واذا دعاك الى الطعام فلا تؤاكله فان اقسم عليك فاصب منه اليسير . ولا تطل محادثته ، ولا تبدأه باخبار عن شيء حتى يكون هو السائل لك ولا تطل الاقامة في مجلسه . فقلت : احسن الله رفدك . ودخل ثم خرج اليّ فقال لي : ادخل . فدخلتُ ، فسلمت تحية الملوك ، فجاراني من امر جبلة ما قاله عصام كأنه كان حاضراً واجبت بما امرني به . ثم استأذنته في الانشاد فأذن لي . وامر لي بالطعام والشراب ففعلتُ مثل ذلك . فامر لي بجائزة سنية . وخرجتُ فقال لي عصام بقيت عليّ واحدة لم أوصك بها . قد بلغني ان النابغة الذبياني قدم عليه ، واذا قدم ليس لاحد منه حظ سواه فاستأذن حينئذٍ ، وانصرف مكرّماً خير من ان تنصرف مجفواً .

وهذا يزيد بن عبد المدان[1] (٦١٥ م) من مذحج ذكر النعمان بن المنذر غير مرة في شعره ومن ذلك قوله معيّراً عامر بن الطفيل :

كانت اتاوة قومه لمحرّق زمناً وصارتْ بعدُ للنعمان

فقال عامر بن الطفيل :

عجباً تواصف طارق الاوزان ولما تجيء به بنو الديّان
فخروا عليّ بجبوةٍ لمحرّق واتاوة سبقت الى النعمانِ
ما انت وابنُ محرّق وقبيله واتاوة اللخميّ في غيلانِ

روى ابن الكلبي ان ابن جفنة سأل القيسيين في مجلس حضره يزيد بن عبد المدان ، شاعرنا هذا ، عن النعمان بن المنذر ، فعابوه وصغّروه . فنظر ابن جفنة الى يزيد فقال له : ما تقول يا ابن عبد المدان ؟ فقال يزيد : يا خير الفتيان ليس صغيراً من منعك العراق وشركك في الشام ، وقيل له ابيت اللعن ، وقيل لك يا خير الفتيان ، والفى اباه ملكاً كما الفيت اباك ملكاً . وايم الله ما فيهم رجل الا ونعمة النعمان عنده عظيمة . . . وقال يزيد بن عبد المدان شعراً

---

[1] الاغاني ١٠ : ١٤٠ ؛ وشعراء النصرانية ٨١

فيما كان بينه وبين القيسي عامر بن مالك الذي كان حاضراً وغضب ، واليك الشعر :

تعالى على النعمان قوم اليهم ... موارده في مُلكه ومصادرُهْ
على غير ذنبٍ كان منه اليهم ... سوى انه جادت عليه مواطرهْ ،
فباعدهم من كل شرٍّ يخافه ... وقرّبهم من كل خيرٍ يبادرهْ .
فظنوا ، واعراض المنون كثيرة ، ... بأن الذي قالوا من الامر ضائرهْ
فلم ينقصوه بالذي قيل شعرةً ... ولا فُلّلت انيابه واظافرهْ ،
والحرث الجفني اعلم بالذي ... يبوء به النعمان ان جفّ طائره
فيا جارٍ ، كم فيهم لنعمان نعمةٌ ... من الفضل والمن الذي انا ذاكره ،
ذنوباً عفا عنها ، ومالاً افاده ، ... وعظماً كسيراً فوّمته جوابره ،
ولو سال عنك النائبين ابنُ منذرٍ ... لقالوا له القول الذي لا يحاذرهْ .

زهير بن ابي سلمى[1] وهو من مزينة احدى قبائل مضر . ومما ينسب اليه قصيدة ذكر فيها النعمان بن المنذر حين طلبه كسرى ليقتله ومدح بني رواحة من بني عبس الذين ارادوا ان يجيروا النعمان ، وقد نسب بعضهم هذه القصيدة الى صرمة الانصاري . ومطلعها :

الا ليت شعري هل يرى الناس ما ارى ... من الامر او يبدو لهم ما بدا ليا

الى ان قال :

ألم تر للنُّعمان كان بنجوةٍ ... من الشرّ ، لو ان امرءاً كان ناجيا ،
فغيّر منه ملكَ عشرين حجّةً ... من الدهر يوم واحد كان غاويا ،
فلم ارَ مسلوباً له مثل مُلكه ... اقلّ صديقاً باذلاً او مُواسيا !
فاين الذين كان يعطي جياده ... بارساغهنّ والمسان النواليا ؟
واين الصذين كن يعطيهم القرى ... بغلاتهنّ والمئين الغواديا ؟
واين الذين يضرون جفانه ... اذا قدّمتْ القوا عليها المراسيا ؟

نجتزئ بمن ذكرناهم من شعراء الجاهلية الذين كان لهم مختلف الصلات بالحيرة وملوكها ، ولاسيما في القرن السادس . وهناك رهط آخر من الشعراء في الجاهلية والاسلام ممن ذكروا الحيرة وملوكها وحروبهم وقصورها ودياراتها وخماراتها كطخيم الطخاء الاسدي ، وابي الطمحان القيني ، وسليط بن سعد ،

١) الاغاني ٩ : ٤٠ – ١٥١ : وشعراء النصرانية ٥١٠ ؛ والشعر والشعراء ٥٧ ؛ وزيدان : الاداب العربية ١ : ١٠٥ ؛ والروائع ٢٥

والجرنق اخت طرفة ، وحنين بن بلوع الحيري ، وعبدالله الحر الجعفي ، والثرواني ، والحنائي ، وابن كناسة ، وابي نواس ، والسيد الشريف الرضي ، وابي العتاهية ، وابي قابوس العبادي النصراني الذي كان منطقاً الى البرامكة ، وغيرهم فغيرهم . فانت ترى من هذا كله ان ذكر الحيرة خالد عند العرب ما دام العرب يتغنون باشعار الجاهلية ويفخرون بمعلقاتهم .

الامثال العربية والحيرة

لا يخلد ذكر الحيرة في الآداب العربية بعدارسها ، وبالخط المنسوب اليها ، ولا بملاقة الشعراء وقصائدهم ومعلقاتهم ومجمهراتهم ومفضلياتهم بها فحسب ، بل هناك طائفة كبيرة من الامثال السائرة في لغة الضاد نشأت في الحيرة نفسها ، او هي وليدة حوادث لها مساس بتاريخ الحيرة ، او ان مخيلة المفسرين اخترعت تلك القصص لربط الامثال بها .

ومهما كان الحال فذكر الحيرة وذكر ملوكها وامرائها مرتبط بالآداب العربية وامثالها بروابط متينة العرى مجدولة القوى . ومن تلك الامثال ما قيل في حادثة الزبا . وجذيمة الابرش وقصير وهي « رأي فاتر ، وعدوّ حاضر » — « رأيك في الكنّ لا في الضح » — « قصير لا يطاع لقصير امر » — « بيقة ابرم الامر » — « بيقة تركت الرأي » — « خطر يسير ، وخطب كبير » — « ويل امه على متن العصا » — « ما ضلّ من تجري به العصا » — « بلغ المدى ، وجف الثرى ، وامر غدر ارى » — « امنع من عقاب الجوّ » — « لامر جدع قصير انفه » الى غير ذلك[1] . وقد نسب الى الزباء المثل « بيد لا بيد عمرو »[2] .

ومثل نشأة هذه الامثال ورد في سيرة عبيد الابرص وحكايته مع ملك الحيرة . ومن تلك الامثال : « اتتك بحائن رجلاه » — « حال الجريضُ دون القريض » — « بلغ الحزام الطبيين » — « المنايا على الحوايا » — « لا يرحل رحلك من ليس معك » — « من عزّ بزّ »[3] .

---

١) ابن الاثير ١ : ١٢٧ — ١٢٨ ٢) الاغاني ١٤ : ٧٢

٣) الاغاني ١٩ : ٨٧

وقال طرفة لما كان ينشد المسيّب بن علس في الحيرة امام عمرو بن هند شعراً في وصف الجمل ثم انتقل الى نعت الناقة : « قد استنوق الجمل »[1] . ونشأ في الحيرة المثل القائل « قد يضرط الحمار والمكواة في النار » قاله مسافر ابن عمرو بن أمية عندما أريد كيّه في الحيرة[2]. وقيل المثل « اتبع الفرس لجامها والناقة زمامها » لما أريد استرجاع سلمى بنت وائل، الصائغ من فدك ، من أسرها وهي التي اضحت بعد ذلك زوج المنذر بن امرئ القيس الثاني وام النعمان بن المنذر[3].

ومن الامثال التي نشأت وقائعها في الحيرة « حتى يؤوب المُنخّل » — « افخر من حارث بن حلزة » — « جزاء سِنمّار »[4] — « تسمع بالمعيدي خير من ان تراه »[5] — « ابطش من درسر »[6] — « افتك من الحرث بن ظالم »[7] — « اعزّ من حايمة »[8] — « اعزّ من مروان بن القرط »[9] — « اخيب من حنين »[10].

وهناك طائفة غير هذه من الامثال نشأت في الحيرة لا يسعنا ان نوردها كلها لضيق المقام ، فالتراجع في مظانها.

الخطابة

الخطابة قسم من آداب اللغة احتاج اليها المتكلمون بلغة الضاد للمفاخرة بالاحساب والآداب في المجالس والاندية العامّة والخاصة ولايفاد الوفود . وللمناذرة ، ملوك الحيرة ، منزلة في تاريخ الخطابة عند العرب. وقبل ان نذكر شيئاً في هذا الباب لا بُدّ لنا من التنويه باننا لا نسلّم مستسلمين بصدق الروايات التي ننقلها عن الادباء والمؤرخين ولا نثبت بصحتها كأنها حقائق تاريخية باجمعها، بل نعتقد ان هناك طائفة من الروايات والمرويّات وضعت لغايات مقصودة

١) الاغاني ٢١ : ١٢١
٢) الاغاني ٨ : ٤٧
٣) الميداني ١ : ٨٩
٤) الميداني ١ : ١٠٧
٥) « ١ : ٨٦
٦) « ١ : ٨٧
٧) « ٣ : ٢٤
٨) « ١ : ٢٢١
٩) الميداني ١ : ٢٢١
١٠) « ١ : ١٧٢

على السنة بعض مشاهير الرجال . وقد تكون الرواية التي نستشهد بها هنا من هذا القبيل كلها او بعضها . ولكن هناك حقيقة لا تتمكن من انكارها وهي ان تكرار ذكر ملوك الحيرة في الآداب العربية لدليل باهر على مقامهم السامي وموقفهم الرفيع في اذهان العرب . وبعد هذه الكلمة نقول :

قال ابن القطامي نقلاً عن الكلبي : قدم النعمان بن المنذر على كسرى ، وعنده وفود العرب والهند والصين ، فذكروا من ملوكهم وبلادهم . فافتخر النعمان بالعرب وفضلهم على جميع الامم لا يستثني فارس ولا غيرها فقال كسرى ، واخذته عزة الملك ، معدداً فضائل الامم ومغمطاً من حق العرب . فاجابه النعمان : أصلح الله الملك ، حق لامة الملك ان تسمو فضائلها ويعظم خطبها وتعلو درجتها . الا ان عندي جواباً في كل ما نطق به الملك في غير ردّ عليه ولا تكذيب له . فان امنني من غضبه ، نطقت به . قال كسرى : قل فانت آمن . فطفق النعمان يوصف فضائل العرب واخلاقهم وعزة نفوسهم بكلام بليغ . فعجب كسرى لما اجابه النعمان وقال : انك لاهل لموضعك من الرئاسة في اهل اقليمك ولما هو افضل . ثم كساه من كسوته وسرحه الى موضعه من الحيرة .

فلما قدم النعمان الحيرة وفي نفسه ما فيها مما سمع من كسرى من تنقص العرب وتهجين امرهم بعث الى اكثم بن صيفي وحاجب بن زرارة التميميين ، والى الحرث بن ظالم وقيس بن مسعود البكريين ، والى خالد بن جعفر وعلقمة بن علاثة وعامر بن الطفيل العامريين ، والى عمرو بن الشريد الكلبي ، وعمرو بن معدي كرب الزبيدي ، والحرث بن ظالم المري . فلما قدموا عليه في الخورنق قال لهم : قد عرفتم هذه الاعاجم وقرب جوار العرب منها ، وقد سمعتُ من كسرى مقالات تخوفت ان يكون لها غور او يكون انما اظهرها لامر اراد ان يتخذ به العرب خولاً كبعض طاطمته في تأديتهم الخراج اليه كما يفعل بملوك الامم . فاقتصّ عليهم مقالات كسرى وما ردّ عليه ، ودعا لهم بما في خزائنه من طرف حلل الملوك ، واعطى كل رجل منهم حلة ، وعممه عمامة ، وختمه بياقوتة ، وامر لكل رجل منهم بنجيبة مهرية وفرس

نجيبة ، وارسلهم الى كسرى وكتب معهم كتاباً . فلما صاروا الى مجلس كسرى خطب كل منهم خطبة آية في البلاغة والقوا من درر الكلام ما يزري بالجمان ويصح ان تتخذ فصاحته منوالاً ينسج عليها[1] .

***

قصارى القول ان الحيرة كانت في عهد عزها وابان سلطانها مركزاً خطيراً للعلوم والمعارف وملتقى كبار الادباء ومشاهير الشعراء . وكان ملوكها منشطين الحركة الادبية العربية والحضارة ولاسيما في القرن السادس الميلاد . ولا نخطئ المحز ان ذهبنا الى ان الحفر في اطلالها يوقفنا على حقائق تاريخية يجهلها العلماء ، او انهم مختلفون في تعليلها ، سواء اكان في التاريخ او الآداب او فنون الريازة والنقش والتزويق . فنختم مقالنا هذا بقول الاثري ثلبوت رايس[2] : « ان مشاكل كثيرة نجد اليوم في طلبها ولا نتوصل اليها ، ولكن حلولها تنتظرنا في بطن ارض الحيرة وبين ثنايا آثارها المدفونة . »

---

١) العقد الفريد ١ : ١٦٦ — ١٧٤ ؛ وزيدان : آداب اللغة العربية ١ : ١٦٩

٢) *Journal of the Royal Asiatic Society*, April 1932, p. 265

لبنان في عهد الامير فخر الدين

منذ ثلاثمائة سنة

١٥٩٥ - ١٦٣٥

بقلم عيسى اسكندر المعلوف
مؤلف تاريخ الأسر الشرقية

٣

(تتمة)

من فوائد اعمال فخر الدين

ذكر شيخ المؤرخين الوطنيين البطريرك اسطفان الدويهي في كتابه « تاريخ الازمنة المخطوط » :

« انه بزمن الامير فخر الدين قويت النصارى وركبوا الخيول بسروج ولبسوا عمائم بيضاء وكروراً ولبسوا مناطق وسيوفاً مرصعة وحملوا السلاح المرصع. وقدم المرسلون من بلاد الافرنج وسكنوا لبنان »[1] اه.

ومما يرويه الشيوخ عنه ان امرأة حلبية حكم حاكم حلب على ابنها الوحيد بالاعدام ، فضاقت الدنيا بوجهها ، وقصدت فخر الدين لما كانت تسمعه عن هيبته ومكانته ، فطلبت منه رسالة الى ذلك الحاكم ليعفو عن وحيدها . فرثى لحالها وكتب رسالة الى حاكم حلب يستعطفه عليها باطلاق سراح ولدها . فحملت الرسالة وعادت الى بلادها ولكنها ابطأت بالجواب على المعني الذي امرها ان تخبره بما يكون من تأثير رسالته . فسار بشرذمة من عساكره الى حلب ليستطلع طلع الامر فالتقى بالمرأة عائدة مع ولدها الذي استبقاه الحاكم حياً ، قادمة اليه لتشكره ، وذلك عند بحيرة قدس المعروفة ببحيرة قطينة

---

١) تاريخ الدويهي ، الذي طبعه رشيد الشرتوني ، ص ٢٠٥

قرب حمص. فسرّ بخلاص ابنها وردّ لهـا هداياها التي كانت تحملها اليه . — فهذه القصة ، وان كانت غريبة في بابها ، فهي ليست ببعيدة الوقوع لمن كان يتقد غيرة على مصالح بلاده ويتفانى في خدمة رعاياه.

وكانت ابنة الامير فخر الدين زوجةً للامير حسن بن يوسف باشا سيفا[1]. فلما استفحل العداء بين والدها وآل زوجها ، ولاسيما بعد ان رفض والدهـا هديتهم على اثر عودتـه من اوربة ، سمعت مرةً السيفيين اقـارب زوجها يعيّرونها بقصر والدها . فطوراً يقولون: لو وقعت البيضة من جيبه الى الارض لما انكسرت . وتارةً : انهم يستطيعون ان يضعوه في جيوبهم بين مفاتيحهم. ونحو ذلك.

وفي احـد اعراسهم قالت امرأة منهم هذه الاغنية من النوع المعروف بالزلاغيط (الزغاريد) :

جُونا الطوال يا نصلة الكتّيني يا سلسله مدهّبه يا سيف علّي الدين
جونا القصار لا شور ولا تدبيري متـل الضفادع يقموا بقراني البير

فقالت لهم ابنته :

عيّروني بقصرك قلت عود النبر والمصر خصر الغزال والعنق شامخ شبر
قولوا لاهل الذكا قونوا لاهل الخبر ألنلم يجمع الدنيا ولو كان طوله قدر

فبلغ ذلك المعني فارسل اليهم قوله هذا :

نحنا زغار وفي عين العدوّ كبار اتوخشب حَور نحنا للخشب منشار
وحقّ طيبه وزمزم والنبي المختار ما بعسّر الدير الا من حجر عكّار

وقـد ترجم هذين البيتين المؤرخ تشرشل بك الانكليزي في تاريخه الى اللغة الانكليزية.

وعلى اثر ذلك نشبت حرب بين المعني وآل سيفا في عكار والحصن سنة ١٦١٨ . فدخل يوسف باشا سيفا قلعة الحصن برجاله وحوصر بها مدة . فهدم المعني دوره في طرابلس وعكار ونقل بعض حجارتها الصفراء الى دير القمر ،

---

١) سعى الامير المعني ، باشارة بعض اصحابه ، بمصاهرة آل سيفا ، فاعطى ابنته زوجـة لحسن هـذا ، وتزوج الامير فخر الدين اولاً بابنة يوسف باشا سيفا ثم بابنة عمها الامير علي سيفا . فكانت هذه المصاهرة زائدة في العداوة بينها بدلاً من المسالمة.

ولا تزال ظاهرة في ابنية المنيين فيها كالخرج وغيره ، فبرّ بقسمه.

ومع كل تلك المداوة ، لما علم المني بضايقة السيفي ورجاله لشدة الحصار عليهم ونمي اليه انهم سيموتون جوعاً لفراغ المؤن وانقطاع المدد عنهم، ارسل اليهم من فوره كل ما كان تحت يده من الميرة والطعام فانقذهم. وسنة ١٦٢٦ حدث غلاء شديد بيع فيه شنبل القمح في طرابلس الشام بثلاثة عشر غرشاً وربع ، وذلك لكثرة ما شحن من الحنطة الى اوربة . وكان المني في حوران فبلغه الخبر، فسخر الجمال ونقل عليها ثلاثة آلاف حمل حنطة الى دمشق وفرقها، وامر ان يكون رطل الخبز بقطعتين اي بارتين فرفع الضيق عن سكان البلاد.

وكانت هداياه للحكام المنسوجات الفاخرة والخيول المطهمة والاسلحة المجوهرة والمرصعة والصابون النفيس والدراهم الوافرة، وقد سالم العرب واتخذهم اعوانه . واتسعت تجارته في الحرير والصابون والمنسوجات فكان يحتكرها ويربح منها اموالاً طائلة . وسهل للتجار التوسكانيين والذين والوهم المرور في ثغور لبنان ومدنه الداخلية مما هو تحت حكمه فربح اموالاً كثيرة . وكان يستقرض الدراهم من التجار ويردها لهم من اثمان الحرير وغيره من ثمرات اعماله العمرانية.

وكثيراً ما كان يقول قبل سفره الى اوربة وبعده: « ان السلطنة تقل تحم فكلما تملكنا بلاداً نتقوى برجالها واموالها وننتقل الى غيرها. »

ولقد قال عند سفره الى توسكانة مخاطباً عسكره وعياله : « انني اذا قدّر الله عليّ ووقعت في ايدي رجال الدولة . وقال لكم كبيرهم سلموا لنا القلاع حتى نطلق لكم اميركم فلا تعتمدوا قوله واحفظوا قلاعكم وشرفكم وناموسكم . ودعوهم يفعلون ما يريدون بعد ان تقيموا شرفكم. » وهذا يدل على بسالته ووطنيته وابائه.

ومن اعماله الخطيرة انه لما تولى محافظة ايالة طرابلس الشام سنة ١٦٢٧ ، انشأ قناة القاع وعمّر القليعات في جون عكار ونصب في سباخها (مفراقها) بعد تجفيفه اربعة عشر الف شجرة توت . وغرس بستاناً اكبر من هذا في محل آخر . وجفف ارض عتيق في البقاع ومستنقعات اخرى.

وكان قد ادخل بطريرك الموارنة الى جنوبي لبنان في مجدل المعوش سنة ١٦٠٩ ، وهو يوحنا مخلوف الاهدني ، لما اشتراها هذا الامير من سكانها المتخاصمين باثني عشر الف غرش ، فبنى البطريرك فيها داراً له وكنيسة واخذ ابناء طائفته يتقاطرون الى تلك الجهات. ورفع الضرائب عن سكان الشوف ، فحفل بالسكان ولاسيما النصارى . وفضّ الخلاف بين بطريركي الروم الملكيين سنة ١٦٢٦ ، وهما اغناطيوس عطية ، كاتب يده قبلاً ، وكيرلس ابن الدباس، صديق آل سيفا ، وعقد لهما مجمعاً في راس بعلبك . فثبّت عطية واسقط ابن الدباس، فازال اضطراب الطائفة.

وساعد الآباء المرسلين في تشييد دياراتهم وكنائسهم ، ولاسيما الكبوشيون والفرنسيسكان ، كما ساعد الوطنيين من كل المذاهب . واتخذ مدبريه وكتابه واعوانه من المسيحيين كالمشايخ الخوازنة والحبيشيين والحاج كيوان نعمه من دير القمر وغيرهم . ووفق بين الاحزاب فاتفقت كلمتها على خدمة مصالح البلاد . وكثر المهاجرون الى بلادنا ومنها للتجارة . فكان تساهله هذا مستجلباً له محبة الجميع.

وكانت بينه وبين امراء توسكانة وغيرها مراسلات كثيرة تجارية وسياسية. وقد استنسخت كثيراً منها وفصلتُ كل هذا في مجلتي « الآثار » قبل الحرب وبعدها بكل تبسط مع نشر رسم الامير وزوجته واحد فرسانه ومخيّم عساكره في بيروت في ميناء الحصن . وارصدت الباقي لنشره في التاريخ المطوّل الذي اشرت اليه آنفاً.

صفاته واخلاقه ومنزلته

مرّ في تضاعيف كلامنا اشياء كثيرة عنه . ولكن الشيخ احمد الخالدي الصفدي الذي ارّخه بكتاب فصل فيه شؤونه في البلاد وفي اوربة ، وبعدها قال يصف الامير فخر الدين وولده الامير علياً بما نصه من مخطوطتي :

« ان كلاً منهما ربع القامة ، حنطي اللون، لطيف الهامة ، مهاب جليل ، ذو عطاء جزيل ، يباشر تدبير مملكته بنفسه ، ويضبط اموالها ويتقن امورها

بقوة حدسه . قوي العزم ، شديد الحزم ، حسن التدبير ، كما يعطف على الغني يحنو على الفقير . مطيع لله وللسلطان، يؤدي ما عليه من الاموال في كل آن. غير انه لا يسلم من حسود . فان كل ذي نعمة محسود . فما احقه بقول القائل الودود :

حسدوا الفتى اذ لم ينالوا سعيه فالكل اعداء له وخصومُ
كضرائر الحسناء قلن لوجهها حسداً وبغضاً انه لظليمُ» (اه)

والقافية الاصلية في آخر بيت هي « انه لدميمُ » وبما ان المعني كان دميم المنظر وقد عيّره بدمامته اعداؤه آل سيفا ، غيّر الكاتب الكلمة بقوله « انه لظليمُ » تأدباً منه مع مخدومه.

ووصفه وستنفيلد الالماني بقوله :

« انه كان متوسط القامة ، احمر الوجه ، برّاق العينين ، مبتسم الثغر. »

والمشهور عنه انه كان قصير القامة ، دميم المنظر ، افطس الانف ، تقدح عيناه شرراً لشدة ذكائه ، حلو الصداقة ، مرّ العداوة ، شديد الصبر . فانه في اواخر ايامه كان قد فقد ولده الامير علياً قتيلاً سنة ١٦٣٤ . وفقد والدته السيدة نسب التنوخية ، وكان الاول عوناً له في الحروب ، والثانية مساعدة له بسداد الرأي والدخول على الحكام . واوجس خيفةً على ولده الامير حسين الذي اختبأ مع مدبره الشيخ ابي نوفل الخازن في قلعة المرقب ، قرب اللاذقية ، من وجه جعفر باشا ، امير الاسطول العثماني الذي ارسلته الدولة لتدويخ المعني والاقتصاص منه . فأسر حسين وارسل الى حلب وانقطعت الاخبار عنه . وفوق كل هذا حبطت آماله من النجدة التي كان يتوقع ارسالها اليه من الفرندوق ، فكتب اليه معتذراً عن القيام بوعده لاسباب اضطرارية . ورأى من مريديه ومحالفيه اعراضاً عن مساعدته وتهاملاً وتماهلاً في ارسال المدد . فتجالد مع كل هذه الكوارث واظهر من الضعف قوة ، ونقل من قلعة نيحا الحصينة المعروفة بشقيف تيرون الى قلعة جزين في وسط شالوفها (شلالها) المتدفق بمياهه من الاعالي ظاناً انه هناك في مأمن لا تصل اليه يد الحكومة . ولكن احمد باشا الكجك (الصغير) ، الذي رباه المعني واحسن اليه ، اهتدى الى مكمنه وقبض

عليه مع اولاده الثلاثة وعياله ورجاله وسلمهم لجعفر باشا المذكور آنفاً .

وكان المعني قبل هذا قد ادرك قرب الخطر المحدق به فارتأى ان يودع ولده الامير منصوراً مع خزينته المحتوية على مليون ذهب عند سادات دي سيون وفرسان مالطة في حيفا فيرسلونه في احدى سفنهم الى اوربة . ولكن احد المقربين من المعني اقنعه بان يتوقع معاضدة التوسكانيين التي وعدوه بها . فكان ما كان مما اوقع الفشل في اعماله وحبوط آماله .

اما مكانة الامير فخر الدين فكانت رفيعة العماد ، وهو عزيز القدر عند قداسة البابا وملوك اوربة وامرائها مثل لويس الثالث عشر ملك فرنسة وفيليب الثالث ملك اسبانية ، وقزما الثاني غرندوق توسكانة ، ومن جاء بعدهم من معاصريه . فزاره كثير من علماء الافرنج وقناصلهم ورحالتهم . وكان لديه قنصل لتوسكانة لمفاوضته بالشؤون السياسية والتجارية . وكانت هداياه الثمينة متوالية الى كبار الفرنج . وكان البطاركة والاساقفة والكهنة الوطنيون والمرسلون الاجانب اصحابه .

وسنة ١٦٣٠ التجأ اليه جان بولاد بن سعيد وولده رباح ، جدّا آل جنبلاط الحاليين ، فانزلهما في مزرعة الشوف واحسن وفادتهما لما كان بينه وبين اسلافهما من الصداقة والمحالفة . وكذلك استقبل القناصل والتجار والاوربيين الذين تديروا البلاد . ورحل كثير من بلادنا الى بلدانهم للعلاقات التجارية ولبعض الصناعات الرائجة . واعاد مرسلي الافرنج الى فلسطين بعد ان كانوا قد تركوها منذ عهد بعيد وسهل لهم بناء الديارات والكنائس . وكان في باب المعني كثير من الكتّاب والشعراء الذين ملأوا الكتب بمدحه ومدح ولده الامير علي .

وفوق كل هذه العلاقات الوثيقة بيننا وبين الافرنج ، املى على مؤرخه الشيخ احمد الخالدي الصفدي كل ما رآهُ هناك بلغة عامية ، فدوّنه في تاريخه المخطوط المذكور قبلاً ، مشيراً الى دقّ البارود لحشو البنادق ، والى البنك وايداع الدراهم فيه واخذ فائدة للمال المودع . وذكر المطبعة واصفاً من اقدم المطبوعات العربية فيها قانون ابن سينا شيخ الاطباء وانه كان يباع لمهده بثمانية قروش . وافاض في طرق تجنيد العساكر وتعبئتها وآلات الحرب . وقال عن

اميركة : « الهند الجديدة التي فتحها سلطان اسبانية وان السفر اليها باثني عشر غليون (مركب) تذهب ومثلها ترجع بمدة ستة اشهر لجلب فضة الريال والبهار» مما نقلته الى مجلتي الآثار بجواش وتعاليق ، فراجع مجلداتها الثلاثة قبل الحرب العامة ثم ما عربته في مجلديها بعد الحرب . الى كثير من امثال هذه المميزات التي اشتهر بها ، واخصها اصلاح مرافئ لبنان ومنع القرصان عن الاعتداء على التجار وتأمين طرق البر لترويج التجارة .

اما ما تركه ذلك العهد من علاقات الاوربيين ، ولاسيما التوسكانيين والبنادقة ، اللغوية في بلادنا فكثير من اسماء الأسر التي تديرت البلاد وبقيت فيها الى يومنا مثل تاسو ، وابيلا ، وكاتاكو ، وبمبينو ، وبريمو ، وبطاطو ، وبدارو الخ .

ومن اسماء الحاجيات مثل الدكتور ، والروشتة ، والسبيتالية ، والملارية ، في الطب والعلاج . والكومبانية ، والكمبيالة ، والبولية ، والكريدتو ، والكونتراتو ، والبروتستو ، والبنك ، والمانيفستو ، والكمبيو ، والبالة ، والنوضرو ، في التجارة . واغرب من كل هذا ان الدلالين لا يزالون ينادون في بيع المزايدة (الحراج) بقولهم أونا . دُوَا . تري . وهي من اسماء العدد الطليانية . والجوكتا ، والكبوت ، والبنطلون ، والصاية ، والبردايه ، والبالطو ، والفلانلا ، والكرافت ، والجونتي ، والتنورة ، والقلشين ، والكلسات ، والكربينة ، من الملابس . وتابلو ، وكرنيته ، وفرتيكة ، وبستون ، وفرشاية ، وكبّاية ، وبنديرا ، وطاولة ، من الادوات . وروستو ، ومعكرونة ، ورشتا ، وكستلاته ، وبطاطه ، وبزلاً ، وبنادوره[1] ، من المآكل . وكرُوسة ، وطنبرو ، وكاتُو ، من عربات النقل . وبريمو ، وسيكونتو ، وترسو ، من المراتب . وكازينو ، وبيزا ، من المشاريب واماكنها . والكبا والديناري ، والسباتي ، والبستوني ، والريّا ، والأص ، من العاب الورق وتسمياته . واقوكاتو ، وكوردون ، وبوسطة ، وبراتو ، ودويلو ، وسيكاره ، وانتيكه ، وكرنتينا ،

---

١) اصل لفظها (بومي ذورو) اي التفاح الذهبي ، واستعملته العامة اولاً « بادوره » ثم بنادوره .

وفَنْتريّا ، وسكولا (مدرسة) ، وفتّيشه ، وصقالة واسكلة ، وبابور ، وبونت (تحريف بوند بمعنى الاسكلة) وبونو ، ومداما ، وباتنته (رخصة المركب) وبومبا، وسنيوره ، من الاصطلاحات المختلفة .

وبعض الكلمات حرفت مثل أَوَنْطه بمعنى اخذ الشيء بالحيلة فهي من كلمة Adonta الايطالية ، والورديان من كلمة Guardiana بمعنى خفير . ولَيْكو من Eccola بمعنى ها هو . وهي من استعمال عامتنا .

واخذ الايطاليون عنا الفاظاً الى لغتهم رأيت فيها كتاباً اتذكر مما فيه الآن بِستاشيو (فستق) مركاريتّا (مرجان) ، جيرافه (زرافة) ، طابيأتو (طنفسة) ، بُرُوكّا (ابريق) ، كلاياً (قنب) ، كنفورا (كافور) ، كاراوانا (كروان - قافلة) ، دِمسكو (نسيج دمشقي) ، موصلينا (نسيج موصلي). وشيلوكو (الريح الشرقية) التي نسميها نحن (الشلوق) بلفظها الايطالي وهي تحريف (الشروق) .

واهم ما كان من ذلك الاتصال مبادلة البضائع ووضع الدراهم في البنوك الاقتصادية التي كانت في عهده تفتح وتشتغل باذن الحكومة ومشارفتها ، ورأس مالها هو مال الخزينة الملوكية او العمومية ، ومدير البنك عندهم هو اشبه بوزير المالية عندنا الان . وكان امراء آل مديسيس اغنى اهل زمانهم واول من اسس البنوك في الشرق لاعتنائهم بالملاحة والتجارة والمعاملات المالية[1] .

---

١) كانت توسكانة امارة مستقلة في ذلك العهد وحاكمها يسمى الغرندوق (الدوق العظيم) وحاضرتها فورنسة ، ارتقت فيها الفنون حتى سميت « الثينة ايطالية » ومن مدنها بيزا المشهورة ، والعرب سموها (بيش) وسكانها (البيزان) وصفهم ياقوت الرومي في معجم البلدان قال : « ورأيناهم بالشام تجاراً ذوي ثروة » مما يدل على العلاقات التجارية القديمة معنا . والبندقية مشهورة وقناصلها وتجارها في بلادنا قدماء ، ولديّ معاهدة تجارية بين سكانها وصلاح الدين الايوبي -- ولقد اتحدت هذه الامارات المستقلة وصارت تحت حكم ايطالية سنة ١٨٦٩ م .

انموذج من رسائل المعني

للمعني رسائل كثيرة في توسكانة وليفورنو وفلورنسة وغيرها بخطه وخط الحاج كيوان وكتّابه مدونة بسجلات وربائد (ارشيف) ، وهي مفاوضات بينه وبين امراء تلك البلاد تجارية وسياسية استنسخت بعضها بواسطة من زارها هناك وعرفها ، وضممتها الى تاريخ المعني المطوّل ، فاقتصر منها الان على رسالتين :

الاولى - ان فخر الدين كان عند عرب آل جبار من سلالة جعفر البرمكي الشهير وزير هارون الرشيد فكتب يخبر عن قتل احدهم الاخر بكل ايجاز فجاءت الفاظه تاريخاً لتلك السنة اذ قال :

« مدلج قتل شديد ولد احمد ».

فجمّل هذه الكلمات نرى مجموعه ١٠١٨ وهو السنة التي صار فيها القتل بالهجرية يقابلها بالمسيحية سنة ١٦٠٩.

والثانية — رسالة تجارية من الامير فخر الدين بخطه في مكتبة الاوفيشي في فلورنسة بالسجل الـ٤٢٧٦ والصفحة ٣٠٨ من مجموع رسائله في ذلك السجل، في الدار التي نزل فيها عند سفره الى اوربة ، وهي الان مدرسة رهبانية . قال يخاطب الفرندوق فرديناندو الاول بما نصه بالحرف الواحد :

الى حضرة السنيور الفرندوكا والسنيوره مداما حفظهم الله تعالى

ان سألتم عنا وعن اولادنا الجميع بخير من الله وداعين لكم ان الله يعطيكم مرادكم . والقسيس ابرهيم الموراني[1] وصل لعندنا وهو داعي شاكر من احسانكم . الله تعالى يجعلكم داعين . وتذكرة البنك بالدراهم حق[2] الحرير وصلت الينا والمبلغ الذي باقي على يدكم حق اليسره[3] ما وصل الينا

١) هو ابرهيم الحافلاني ترجمان ملك فرنسة وباباوات رومية،وسفير المعني،المؤلف المشهور توفي في رومية سنة ١٦٦٤ راجع المشرق (٢٨ [١٩٣٠] ٠٠٠١٨٦)

٢) حق بمعنى « ثمن » عند العامة.

٣) اليسره واليسرا واليسرى ، كما كتب في الرسائل ، هي خرز اسود يتخذ للسبحات (المسابح) كان الامير يرسلها مجلوبة من بلاد العرب للتجارة مع غيرها من الحاصلات الوطنية والمستجلبة .

فيكون نضركم على القس ابرهيم في خلاص المبلغ ويشتري لنا به جوخ وقماش على يد احد من قبلكم ويجيبوا معه . واما المبلغ الذي في البنك وصل لنا تمسكه[1] . يضل باقي لنا في البنك هو وفائدته في كل سنة اي زمان نحتازه نحن واولادنا يصال اليهم بفائدته على قدر السنين الذي بيقعد في البنك . وفي كل سنة تحسبوا فايدة الدراهم تكتبوها عندكم وتحطوها في البنك بالفايدة ولا يضيع لنا شي لان خاطرنا طيب بالله ربكم ولا تعوقوا القسيس ابرهيم يعاود لعندنا بالجوخ والقماش على قدر الدراهم الذي اعطاها من دراهمنا ثمن اليسرا والدراهم الذي اعطيتوها الى البربير[2] والى معلم الجسر[3] والى الخباز[4] سلمناها الى قنصلكم على يدهم وكتلنا لهم على الزمان القعدوه عندنا مثلما كتبتوا لنا . ما بقا لهم عندنا شي ابداً . واما معلم الجسر بعد باقي عندنا . ومتى ما تخلص شغله نكتل له اجرته ونوجهه الى بلاده . وخاطره فرحان . ونحن واولادنا واعيالنا داعين لكم دايماً بالخير . ومرادنا ان نكون نحنا واولادنا دايمين في خاطركم على المحبة والصداقة الذي هي مامولنا ومرادنا دايماً على طول الدوام والزمان.

تحريراً في شهر ربيع الثاني سنة الف اثنين واربعين[5] محمدية.

(محل الختم)[6] خادمكم[7]

فخر الدين معن

---

١) كانت العامة تستعمل «التمسك» لما هو في عرفنا «الوصل». وهو التصريح بوصول شيء يتمسك به آخذه.

٢) لفظة ايطالية بمعنى الحلاق. ولكن المراد منها هنا الطبيب، لأن الحلاقين عندنا كانوا يحجمون ويفصدون ويرسلون العلق ويصفون الادوية.

٣) المراد به المهندس، وكان من اهم اعماله عندنا بناء الجسور لكثرة الانهار.

٤) يريد به صانع البقسماط للعساكر. وكان المعني قد جلب هؤلاء العمال معه، ويطلبهم حين الحاجة ويعيدهم عند فراغهم مما يتدجم اليه وذلك للتحصين وتجفيف المستنقعات، ومداواة الجرحى في الحرب وعمل المؤن العسكرية.

٥) توافق سنة ١٦٣٢ م

٦) كتب على ختمه «مفخر آل معن فخر الدين سنة ١٠١١» يوافقها من سني المسيح ١٦٠٢

٧) ويكتب احياناً (سريتور) بالايطالية بمعناها. وكان الفرندوق يوقع افخر الدين اسمه تحت كلمة (خادمكم) ايضاً.

خلاصة الكلام

هذه لمحة مختصرة من تاريخ الامير الشهير فخر الدين المعني الذي نقل مدنية التوسكانيين الى بلاده، وعزّز شؤونها الاجتماعية والعمرانية واستصرخ امراء توسكانة ليساعدوه على تحريرها، فاعدّ له الفرندوق ستة الاف رجل من جيوشه المدرّبة ليرسلها اليه. فنشبت الحرب الثلاثينية بين فرنسة واسبانية (١٦١٨ ــ ١٦٤٨) فمنعته عن انجاز وعده. ثم خذله انصاره وكثرت نكباته، فتحصن في قلاعه المنيعة مدة الى ان عيل صبره ونفدت قواه وذخائره. فقبض عليه احمد باشا الكجك (الصغير) وقتل في الاستانة في ٣ نيسان سنة ١٦٣٥ هو واولاده الثلاثة: منصور، وحيدر، وبلك. اما بكره الامير علي فقتل قبل ذلك. وبقي اصغرهم الامير حسين الذي مرّت ترجمته. فحري بنا بعد ثلاث سنوات اقامة حفلة لمرور ثلاثمائة سنة عليه.

ولما ضرب الاسطول الايطالي بيروت سنة ١٩١٢ م تذكرت انه قبل ثلاثمائة سنة، اي سنة ١٦١٢ م، ذهب المعني هذا مستصرخاً التوسكانيين لمحاربة الدولة. والان جاءت ايطالية بنفسها لتزالها. فنشرت في مجلتي «الآثار» تاريخ المعني ورسمه معتمداً على اهم المصادر الاجنبية والعربية من مطبوعة ومخطوطة فملأ ذلك التاريخ ثلاث سنوات من المجلة قبل الحرب الكبرى. وعدت الى ذكر شيء ما فاتني في المجلة التي نشرتها بعد الحرب العامة في مجلدين، بعد ان استقريت كل ما يمكن الوصول اليه فجمعت كل ذلك باشارة اصحابي في كتاب اعددته للطبع بصور نادرة، وهو كبير الحجم لخصتُ منه هذه المقالة، واليك ما اعتمدت عليه في مباحثي:

من التواريخ العربية المخطوطة: تاريخ الشيخ احمد الخالدي الصفدي، وذيل الكواكب السائرة للغزي، وابن سباط العاليهي، والبوريني، وغيرها مع وثائق ورسائل وتعاليق جمة. ومن المطبوعة: تواريخ القرماني، والدويهي، والمحبي، والمرادي، والشدياق، والامير حيدر الشهابي، وما نشرته المجلات كالمقتطف وغيره.

ومن التواريخ الافرنجية : تاريخ الابوين جواني ماريتي واوجين روجه ، وكاتاكو ، من الايطاليين . ودي لاروك ، وڤولني ، ولامرتين ، ونومان ، وبيجه دي سان پيار ، وتقارير المسيو دي سيزي ، سفير فرنسة في الاستانة ، ومجموعة جان بودن ، والفونس دالنصو ، والشثالينه ارڤيو ، وهيلر الكبوشي ، وهمو ، من الفرنسيين ووستنفيلد ، وبروتوس ، من الالمانيين . وجرج سندس ، وريشار نولس ، وهنري موندرل ، وتشرشل بك ، من الانكليزيين . وباسيلي ، من الروسيين . وتاريخ مصطفى نعيما ، وقاموس الاعلام لسامي بك ، من العثمانيين . والمعالم (دوائر المعارف) من المطبوعات والمخطوطات وما في سجلات الرهبان المرسلين ، وخزائن اوربة وغيرها .

***

هـذا هو الامير فخر الدين المعني الذي شغل الدولة العثمانية مدة طويلة يناصب رجالها ويسعى جهده لاستقلال البلاد وعمرانها ، والتبسط في الحضارة . فخذله ابناء وطنه ، وخدعوه بمواعيدهم المرقوبية ، وتجافوا عنه في ضيقته . ومن النكات التاريخية عنه : ان جده معناً هرب من الافرنج ملتجئاً الى حكام البـلاد ، وهو هرب من العثمانيين ملتجئاً الى الافرنج . ومنذ ثلاثمائـة سنة استنجد الامـارات تحت حكم ايطالية الآن لمحاربة العثمانيين ، وبعد القرون الثلاثة حاربت ايطالية الدولة التركية . وجده فخر الدين قابل السلطان سليماً فاتح سورية ومصر ، اذ دخـل دمشق في اوائل تشرين الاول سنة ١٥١٦ ، وكان جلاء الاتراك عن دمشق بعد الحرب الكبرى في ذلك الشهر بعد نحـو اربعة قرون . رحمه الله عداد حسناته وما تركه لنا من المآثر الخالدة في بطون التواريخ مسجلة جهاده السياسي والعمراني .

الماقورة في التاريخ

حول كتاب جديد

بقلم الاب دميان رميا
وكيل شركة «فيداس» البابوية ، ومراسل
جريدة «لاكروا»

ان روحاً مباركاً — يكاد يكون نهضة — يتغلغل اليوم في صدور الأدباء ويحدوهم الى العناية بالتاريخ الذي لا يزال ، رغم جهود المتقدمين ، موجزاً ومنفرط العقود. أجل ان بكورة هذه النهضة تغذي فينا شعور التفاؤل والأمل ، اذ ان كثيرين شرعوا ينشئون تواريخ ونبذات لمدنهم وقراهم ، فيتكون منها التاريخ الشامل . وقد ظهر مؤخراً «تاريخ الماقورة» للاب لويس الهاشم ، ينشر صفحة قيمة عن بلدته العريقة في القدم .

. . .

تقع الماقورة في سفح جبل عالٍ بصرود بلاد جبيل ، شمالي فتوح كسروان وغربي بلاد بعلبك ، تراها ، وهي رابضة بين سلسلة من الجبال يعلو طرفيها جبلا موسى والقرن ، اقوى مناعة من حصون واستحكامات المدن الحديثة .

تفاخر هذه البلدة بآثار القرون الخوالي المبعثرة فيها ، هنا وهناك ، وبسكانها ذوي النفوس الوثابة والقلوب الجريئة ، المحافظين على عقيدة اجدادهم وتقاليدهم القومية الموروثة .

كانت اراضيها الشاسعة مغطاة في القديم بغابات كثيفة تتلاشى اشعة الشمس على اطرافها المتلاحمة ، وانما الطبيعة أبت ان تبقي عليها ، فزلزلت زلازلها وابتلعت بطون الوديان والبطاح مرات كثيرة القسم الاوفر من آجام الأرز واللزاب والدفران . . . وان فؤوس البشر ظلت حتى الزمن القريب تقطع منها الاخشاب الثمينة .

نعم ان من اخشاب هذه الجبال شيدت العمارات البحرية الاولى والمعابد والقصور : كسفن الفنيقيين والمصريين وسواهم ، وهيكل سليمان ، وقصور الفراعنة . . . [1]

وكانت كهوفها ومغائرها العديدة ، قبل ان تعرف حضارة البناء ، اي في العصور الظرانية ، مسكناً لبني الانسان ، وقبل الانسان ملجأ للكواسر والضواري . [2]

وكان الماقوريون حتى اواخر القرن التاسع عشر يتحصنون بها من غارات جيرانهم ومداهمات الغزاة .

. . . .

لقد مرّ بالماقورة كثير من الاعاجم ، لاننا اذا ما توصلنا الى تفهم ضروب آثارها وكتاباتها وحلّ رموزها ، نجزم بان طيطوس قيصر مرّ بها لمّا جا سورية في حرب « اليهودية » وكذلك ادريانوس ودومسيانوس قيصر وغيرهم من قياصرة الرومان ، وكلهم اصدر اوامره الصارمة الى سكانها . وقد عُثر — يقول المؤرخ — على مخطوطات قديمة تثبت ان الرومان قد منحوا الحقوق الرومانية بعض الماقوريين ، ومن لم يشمله هذا المنح كان يؤدي الضرائب الثلاث : الاعناق ، والخراج ، والمكوس . ويقول التاريخ انه لمّا تحكم ملوك الاروام بهذه البلاد واعتسفوا وكانت المواقع الدينية الملطخة بالدماء البريئة ، تطاير الى الماقورة المنكوبون من سهول حماة وحلب وقنسرين ، وهاجر اليها الجراجمة والأنباط وفصائل المردة ، لان مراكزها الحصينة وقربها من السهول كانت تساعد على الغزو والحصر .

وكم حارب بنوها واللاجئون اليها — خصوصاً المردة — مفارز الاروام وعصابات النهب والسلب وفازوا بها ، وظلوا على هذه الحال حتى الفتح العربي اذ تحول التمرد الى انصياع للقوة ، وبدأت شمولهم بالاستكانة والتخاذل ، ولغتهم الآرامية السريانية بالتلاشي والتقلص [3] لاضطرارهم الى معرفة لغة الفاتحين

---

١) و٢) تاريخ الماقورة صفحة ٩ الى ٥٩

٣) صفحة ٥٩ — ٦٣

الحاكمين الذين ارادوا ، قبل ذلك ، تغيير العقائد الدينية ، مما جعل البلاد تتمرد غير مبالية بقوة الفارض وقساوة احكامه . . . وقد تجاوزت اصداء الاضطهاد والتنكيل في هذه المرة حدود الشرق الى اوربة فاسرع الفرنجة المسيحيون لنصرة الضعفاء ، وربما لغاية اخرى ايضاً .

واذا ما ذكرنا الصليبيين سجلنا لابناء الماقورة يداً بيضاء ، لانهم تفانوا اكثر من سواهم في مقاومة المظالم وانخرطوا جميعاً في صفوف الافرنج وأمدوهم ما استطاعوا بالذخيرة والزاد .

خفقت اعلام هؤلاء زمناً طويلاً فوق اقطار الشرق ، فشيدوا ورمموا القصور والحصون ، وقد عززوا الحامية في الماقورة ، وخاصة في حصن المنيطرة . وقد انشئت في ايامهم اديرة كثيرة ، ودُقت النواقيس النحاسية عوضاً عن الحديدية والخشبية .

قلنا ان الماقوريين اشتركوا مع الافرنج ، فظلوا من السنة ١٠٩٩ يحاربون الاعجام والبغداديين وأهل الشام واعوانهم الى ان زحف في السنة ١١٦٥ نور الدين زنكي ، سلطان البلاد الشامية ، فكسرهم بعد مقاومة عنيفة ، واستولى على حصن المنيطرة[1] . . . ولم يفلّ هذا الاستيلاء عزم الافرنج وانصارهم بل تابعوا القتال الى سنة ١٢٤٥ .

. . .

وأمّ هذه البلاد بعد الصليبيين مماليك مصر واجتاحوها حتى الشمال ، فتجند الطرابلسيون ليمنعوهم من المرور ببلادهم ، واتصل بأهل الماقورة عزم مواطنيهم ، فهاجموا جيش المماليك معاً ليذودوا عن حياض وطنهم ، وبعد معارك حامية الوطيس هزموا المصريين شرّ هزيمة[2] .

وكذلك لما أنذر عسكر محمد علي باشا ، عزيز مصر ، سكان جبيل وأبوا الاستسلام ، فقد وقف الماقوريون في مقدمة الجبيليين اصدّ غارة المصريين ، فدارت رحى القتال اياماً عُقدت لهم في النهاية راية النصر[3] ، فعادوا الى بلدتهم

---

١) تاريخ الماقورة صفحة ٦٣ — ٦٦

٢) « « « ٦٧ — ٧٥

٣) « « « ١٠٩ . . .

يودّون الاستراحة ولكن ...

ولكن الزمان أبى موالاتهم ، فكأنهم كانوا ليشتركوا في جميع اشواط الصور. وأثار روحٌ خبيث سنة ١٨٦٠ دروزَ هذه البلاد على نصاراها في الجنوب، وامتدّ لهيب النار الى مقاطعة بعلبك فدهم متاوِلتها الماقورة دون ان ينالوا من أهاليها . استفزّ الأمر أبناء الشمال فهبّوا يريدون القضاء على البعلبكيين ، وكادت النار تصل الى الهشيم لو لم يمانع عقلاء البلاد ، وبالاخص الماقوريون الذين اظهروا وقتئذٍ حكمة وشهامة اذ هوّنوا الامر على احفاد المردة وأمّنوا متاولة كثيرين لاذوا بهم[1]

. . .

في السنة ١٨٦٦ قدم مارًا بالماقورة يوسف بك كرم فاحتفى به أهاليها كعادتهم في ذلك الوقت وعرضوا عليه المساعدة فأبى شاكرًا ، وكانت الحكومة مشددة في ان لا يساعده احد او يشدّ أزره ، فأوقفت بعض زعماء البلدة لايوائهم ذلك « الثائر » . ولكنها ، اي الحكومة لم تلبث ان أخلت سبيلهم لترسل جندها على حين غرّة ، غير ان الامر السري نُقل فورًا الى الماقوريين ، فأخلوا بيوتهم واعتصموا بالمغاور . وما وصل العسكر ليلًا حتى اصلاه الرجال نار بنادقهم وباغتته النساء بدهورة الصخور والحجارة فاضطر الى الانهزام والتقهقر[2].

. . .

ان الماقورة التي كانت من كبريات المدن في القرون الاولى ، وقبلة الغزاة ومحط رحال الفاتحين ، ومركز الخرافات الوثنية، أمست فيما بعد مهدًا للمسيحية وأمًا نثرت ابناءها في جميع نواحي سورية ولبنان ، وظلت كرسيًا لاساقفة الموارنة منذ فجر النصرانية حتى عقد المجمع اللبناني في السنة ١٧٣٦

كان الماقوريون الوثنيون يعبدون المتهم كالشمس والقمر والنجوم في الرياض والغابات ويقرّبون الضحايا على المشارف وقنن الجبال لتستنشق الالهة رائحة ضحاياهم الذكية ! . . . ثم اقاموا التماثيل لجوبيتر (اله الصواعق) وللأسد والنسر

---

١) صفحة ١١٨ — ١٢٠ ٢) صفحة ١٢١ — ١٢٣

(رمزي القوة والعظمة) وشيدوا المعابد للزهرة وابولون وادونيس ... حتى ذر نجم الناصري واكتسحت انواره ظلام الخرافات والعقائد الباطلة .

* * *

ان هـذا الملخص يشغل بحق الجزئين الاولين من التاريخ اي نيفاً ومئتي صفحة،وقد خص حضرة المؤلف الخمسمائة الصفحة الاخيرة بأنساب الاسر ، المقيمة والنازحة والمتفرقـة ، فانك لتجد سلسلة نسب لكل من قطن الماقورة ولو ربع جيل .

ولا عجب من وفرة اسرها ، فقد كانت في القدم موئل المضطهدين وملاذ المنكوبين ، وهمزة وصل بين الشواطئ الفينيقية والبلاد السورية ، كما كانت انطاكية طريق الاتصـال الكيليكيا بهذه الاصقاع من مياه المتوسط حتى داخلية سورية .

وانك لترى في هذا التاريخ صورة مصغرة للتاريخ العام لان المؤلف أجمل احياناً واطال فأفاد لانه :

ا ـــ جعل من التاريخ مقدمات وجيزة ، واستشهد بمؤلفات ثقة في معظم الفصول وفي حقيقة آثار بلدته فأوثق صلة نبذته التاريخية .

ب ـــ اوجد فائدة اعم في تلخيص الحوادث والحروب العامة ليرتكز على قواعد موطدة في تدوين تاريخه المحلي .

ج ـــ اقتطف من كل ذلك دليلاً وحجة يزيلان كل ريب من النفوس بل يدفعانها لمطالعة « المؤلف » بلذة وامعان .

فالمؤرخ قد قضى وقتاً ، ولا شك طويلاً ، وبذل جهوداً جمة في التنقيب عن الوثائق والحجج والادلة ، ان في ما كتب عن هذه البلاد او في استطلاع آراء ذوي الاختصاص عندنا ، حتى استطاع ان يملأ نيفاً وسبعمائة صفحة ، محررة بلغة بسيطة وجرأة في النظريات والاستنتاج لا بأس بها . خلا بعض مستندات زائفة وثلاث صفحات تستوجب الملاحظة :

ا ـــ صفحة بيضـاء او سوداء ، وهي التي كان يجب ان تتحلى ببعض الرسوم والرموز او بقايا أثرية قيمة ، لكن شيئاً من ذلك لم يكن سوى « ورقة »

تدل على كتابة قديمة الصقت في بطن التاريخ المذكور ، لا قيمة لها وحدها وكما هي .

٢ ــ صفحة متقطعة الاوصال وغير متناسبة وهي ان لا يكون التقسيم او التبويب والاحكام بين حلقات الازمنة والعهود اقل احتباكاً وتصميماً وندرة واكثر دقةً وجلاء ، وان لا يتبسط المؤرخ ويسهب في بعض نقاط اوجزها او مرّ بها مروراً . فهل لضعف الادلة والحكم او لنقص في الحجة والوثيقة ؟! .

٣ ــ صفحة زائدة او مزيفة وهي التي نجدها في معظم ما دوّن من مثل هذه التواريخ الجزئية . قد يسيء المؤلفون بها الى التاريخ اذ يتبسطون في ذكر الاحياء ويوجزون في عظام ونوابغ الاموات الذين استحقوا عطف التاريخ . ويؤلم الضمير ان يرى صفحة جليلة تملأ بغير عظمة المتقدمين .

ومع ذلك نثني على كل الجهود التي من شأنها خدمة الآداب التاريخية ونخص مؤلف تاريخ الماقورة[1] الذي ادى لبلدته بل لبلاده وللتاريخ خدمة جلى . ونتمنى ان يحرص المؤرخون على الجرأة الادبية والحقيقة المجردة ، لان التاريخ هو صفحة الحياة المقدسة تتناقلها العصور وتحكم بها لنا او علينا .

١) يباع هذا التاريخ عند السيد يوسف مرعب : شارع غورو — طريق النهر

الرُّتَب الكهنوتيّة

في الطائفتين المارونيّة والسريانيّة

بقلم الخوري اسحق ارملة السرياني

٦

٦ طقس سياميذ الحبر (تابع)

عند سياميذ الاسقف يدخل البطريرك مع اسقفين الى مقصورة البيعة ، وقد انقضت صلاة الساعة الثالثة ، ويرخى السجف او يغلق الباب . فيقبل المنتخَب يمين البطريرك قائلًا : بارخمور . وحينئذٍ يجعل البطريرك قلنسوة جديدة على راس المنتخب ويلبسه القميص والبطرشيل العريض والزنّار والكمتين والمصنفة والغفّارة[1] ثم يجثو البطريرك ، ويجثو معه الاساقفة احتراماً له امام المنتخَب ، فيقول له البطريرك بالسريانية : « روح القدس يدعوك لتكون اسقفاً على مدينة كذا » . فيخرّ المنتخب على وجهه ساجدًا بين يدي البطريرك ، قائلًا بالسريانية : « سمعاً وطاعةً » . فيسمه البطريرك في جبهته بسمة الصليب قائلًا : « ليباركك الرب » الخ . فينتصب المنتخَب قائمًا الى جانب المذبح[2] . ويبدأ البطريرك بالقداس . وعند وصوله الى الرفعة يغسل اصابعه كالعادة وينزع اسقفان عن المنتخَب الغفّارة ويقدّمانه نحو المذبح ضامًّا يديه الى صدره . ويستوي البطريرك على عرشه ، ويحفّ به اسقفان من الجانبين ، ويبدأ بالصلوات والمزامير[3] والالحان قائلًا بالسريانية : « المجد للآب » الخ . ثمّ : « اهلنا ايها المسيح الهنا » الخ . ثم : وطّد يا ربّ بيعتك » الخ . فمزمور « ارحمني يا الله » وابياته . فالحتاي : « لملك

١) يعوّض عن الغفّارة في الطقس السرياني بطيلسان احمر يلقيه البطريرك على هامة المنتخب

٢) الاسقف السرياني يقف محتجباً وراء المذبح

٣) لم يثبت السمعاني الا مزمور « ارحمني يا الله » . وقول المجمع اللبناني « المزامير » يشير الى ما يتلى من المزامير والالحان عادة في اول الرتبة .

الملوك وسيّد السادات » الخ . فاربعة ابيات سريانية بلحن اله اله . فالبطر : « اقبل يا رب برحمتك وعطفك الخ . »[1] . وينادي الشماس المناداة . ويصلي البطريرك سرًّا : « يا ربّ القوات » الخ . ويجهر : « واقبل برحمتك »[2] .

ويطوف اذ ذاك بالمنتخب اسقفان حول المذبح . واذا وصلوا الى الناحية الجنوبية يجثو المنتخب على ركبتيه ، ويأمره البطريرك ان يقرأ صكّ اليمين وصورة الاعتراف بالايمان اعني الامولوغيا ويكون قد سبق المنتخب فكتبه بخطّ يده فيقول : « انا الحقير فلان بن فلان المنتدب بنعمة الله من درجة القسيسية الى درجة الاسقفية » الخ . وعند نهايته من قراءته يختمه بامضائه ويدفعه الى السيّد البطريرك ليصونه في الخزانة البطريركية .

وبعد هذا يمسك احد الاسقفين بيمين المنتخب والآخر بيساره ويأتيان به نحو البطريرك ، ويقول له احدهما : « نقدم لقداستك » الخ . فيأمره البطريرك فيجثو على ركبتيه ، فيضع البطريرك يمينه على راس المنتخب قائلًا : « النعمة الالهية » الخ . ويختمها بقوله ثلاثاً : « امنحه يا رب » الخ . وينادي رئيس الشمامسة المناداة .

ثم يضع البطريرك يديه على الجسد وعلى الدم الخ . كسيامذ الشماس والقس ويصلي سرًّا : « نعم ايها الرب الاله اهله لدعوة الاسقفية » الخ . ويجهر : « ويمجد الرحمة » . ثم يلتفت نحو المنتخب ، ويرف فوق هامته ، وينشر اسقفان كتاب الانجيل مفتوحاً عند الفصل العاشر من يوحنا[3] فوق يدي البطريرك ويلوّح الشمامسة بالمراوح فوق كتاب الانجيل . فيرفع البطريرك يديه ويبسط ذراعيه ثلاثاً فوق راس المنتخب ويصلي سرًّا : «اللهمّ يا من زيّن بيعته بهؤلاء الاحبار » الخ . ويلتفت الى المذبح ويجهر : « بنعمتك ورحمة » الخ . ثم يقول : « السلام لجميعكم » . ويقول الاكليروس : « ومع روحك » . ثم يجعل يده على الاسرار وعلى راس المنتخب ويتبع قائلًا : « يا اله الالهة وسيّد السادات

١) وردت هذه الصلوات باجمعها في طقس سياميذ القسيّس .
٢) هذه الصلاة منقولة عن رسامة القارئ والرسالي .
٣) يفتح الانجيل عند الفصل الرابع من لوقا . الدويهي : ١٦٥

المحتوي على المركبة » الخ . فيهتف كبير الشمامسة : « فلنقف كلنا بالصلاة » الخ[1] . ويضع البطريرك يده على الاسرار وعلى راس المنتخب قائلاً سرًّا : « تباركتَ ايها الرب الاله » الخ . ثم ينهضه ويرفع الاسقفان كتاب الانجيل فيلتفت البطريرك الى المذبح ويقول : « ألقِ اللهمَّ الينا سمعك » الخ . ويلتفت نحو المنتخب ويضع يده على راسه قائلاً : « انظر الينا في هذه الساعة » الخ .

وحينئذٍ تكون الدورة فيمشي القسوس والشمامسة بحسب العادة . ثم يمرّ احد الاسقفين حاملاً إناء الميرون ، والآخر كتاب الانجيل ، ثم المنتخب حاملاً صليبين احدهما بيمينه والآخر بشماله . ويطوفون في الكنيسة ثلاثاً وينشدون اولاً : ܚܢܢܝܐ ܘܡܪܝܡܘܬܐ ܕܡܪܝܡܬܐ الخ . وثانياً : ܟܪܝܡܐ ܕܡܪܝܡܬܐ ܕܡܪܝܡܬܐ الخ . وثالثاً : ܒܪܝܟ ܡܪܝ ܕܡܪܝܡ الخ . وعند نهاية الدورة الاولى يجثو المنتخب على ركبتيه امام البطريرك فيصلي : « بسلطان كلمتك » الخ[2] . وعند نهاية الدورة الثانية يخرّ المنتخب على ركبتيه امام البطريرك ، ويمسك الاسقفان بكتاب الانجيل مفتوحاً فوق راسه ، ويلوّح الشمامسة بالمراوح فوق الانجيل . فيمدّ البطريرك ذراعيه تحت الكتاب ويرفّ بيديه ثلاثاً فوق راسه ويصلي : « ايها الرب خالق الجميع » الخ .

وفي نهاية الدورة الثالثة يدخلون جميعاً الى المذبح . فياخذ البطريرك الصليبين من المنتخب ، وهذا يجثو على ركبتيه ، فيدفع اليه البطريرك كتاب الانجيل مطوياً وهو يقول : « يا ملك الجميع الله الآب » الخ . ثم يأخذ منه الانجيل قائلاً : « انت ايها الرب الاله الضابط الكلّ » الخ . وفي هذه الصلاة يذكر الاباء الاولين كهابيل وشيت وآنوش الخ .

---

١) لا اثر لهذه الكرازة في النسخ المارونية (دريان : ١٥٠ و١٥١) والكرازات في سيامة الاسقف يجب ان يعلن بها الاساقفة لا رئيس الشمامسة .

٢) نص المجمع اللبناني (٢٧٦) والنسخ القديمة ان الاساقفة جميعاً يضعون اليد مع البطريرك على راس المنتخب ويتلون معه : « بسلطان كلمتك » الخ . وقد ذكر اقليمس الروماني (عدد ٢٠) ما يؤيد ذلك . اما في الطقس السرياني فلا يتولى وضع اليد الا البطريرك وحده .

ثم يمسح البطريرك راس المنتخب ثلاثاً بالميرون شكل صليب قائلاً : « ارتضِ الآن ايها الرب الهنا » الخ . ثم يدهن راحتيه بالميرون ايضاً راسماً خطين احدهما من ابهام يمين المنتخب الى سبابة شماله والآخر من ابهام شماله الى سبابة يمينه. ثم يضمّ هو يدي المنتخب كلتيهما قائلاً : « وامنحه ايها الرب القادر » الخ . ثم يقول البطريرك : ܐܬܝܐ ܘܐܚܘܢ ܩܕܡܝܗܘܢ الخ . ويتلو رئيس الشمامسة : ܩܢܘܡܐ ܩܕܝܫܬܐ الخ . وتقرأ الرسالة من (عبر ٤ : ١٤ – ١٦ و٥ : ١) . وينشدون الهلال: ܗܠܠܘܝܐ ܘܫܒܚܐ الخ. ويتلو البطريرك الانجيل من (يو ١٠ : ١ – ٢١) . ويغسل البطريرك يديه والمنتخب راسه ويديه . وينشد رئيس الشمامسة : « ايها المسيح اله جميعنا » الخ .

وبعد هذا يضع البطريرك يمينه على راس المنتخب الجاثي على ركبتيه ، ويسمه ثلاثاً بسمة الصليب ، وينادي بصوت رخيم بالسريانية : ܩܝܡܐ ܒܫܠܡܐ اي يرتقي في بيعة الله المقدسة . فيردف احد الاساقفة : « فلان اسقفاً لبيعة المدينة الفلانية . الرعية المباركة » . فيقول البطريرك . « فلان اسقفاً لكنيسة الارثذكسيين المقدسة التي سبقت فاشتهرت » . فيقول الاساقفة : « بارخمور » . فيستتلي البطريرك : « بسم الآب ✠ والابن ✠ والروح ✠ القدس الى ابد الابدين » . وعند ذكر كلّ من الاقانيم المقدسة يقول الشعب : آمين .

ثم يمسكه البطريرك بيمينه وينهضه قائلاً : « كيريولوجيون »[1] . فيجاوب الشعب : « قورياليسون » وحينئذٍ يفيض البطريرك على الموسوم الغفارة قائلاً بالسريانية : « لمجد واكرام » الخ . وينشد الترنيمة عينها ويلبسه التاج ويتبعه في الترنيمة الاساقفة ولفيف الاكليرس .

ثم يجلسونه على كرسي جميل ، ووجهه الى الغرب ، فيحمل الكرسي الاساقفة والقسوس ويرفعونه ثلاثاً ويهتف البطريرك : « اكسيوس » ويجاوبونه كذلك . ثم يدفع البطريرك الى الموسوم عصا الرعاية قائلاً بالسريانية : « عصا العزّ » الخ . ويصرخ الاساقفة والقسوس مثله . ويصلي البطريرك : « ايها الربّ

١) ذكر العلّامة السمعاني ان احد الاساقفة يقول كيريولوجيون ثلاثاً .

الذي اعطى موسى » الخ . ثم يأتي به الى المذبح ويكل اليه القطيع ، ويوليه الرئاسة على جميع الكهنة والشمامسة والكنيسة ، وعلى جميع الاسرار ، ويوصيه جهراً قائلاً : « حبيبي ها انا ذا اقول لك » الخ . ثم يلتفت الى المذبح ويتلو صلاة الشكر : « نشكرك ايها الرب يسوع » الخ . ويختم : « ايها الآب الصالح الرحيم » الخ .

ثم ان الاسقف الجديد يقبّل المذبح ، ويعين البطريرك . فيقبّل البطريرك والاساقفة وجهه ، والاكليروس يلثمون يده[1] .

ونكرّر ان رتبة سياميذ الاسقف هذه في الطقس الماروني مقتضبة من الرسامات الصغيرة او المقدّسة كما يتضح جلياً لمن يعارضها . اما سياميذ الاسقف في الطقس السرياني فهو ذات سياميذ البطريرك كما المنا ، ما عدا صلاة دعوة الروح القدس المنسوبة الى اقليميس الروماني ، وتسليم العصا البطريركي ، كما سنذكر .

رتبة تبريك البطريرك

البطريرك ܟܪܝܣܛܘܢܐ ، ويقال له ܐܒܐ ܘܪܝܫܐ ابو الرؤساء ، و ܐܒܐ ܟܠܗ الاب العام ، وتُسمّى رتبة تبريكه ܫܡܝܢܐ ܕܫܡܝܢܐ او ܫܡܝܢܐ ܕܫܡܝܢܐ كمال الكمالات ، لانها خاتمة الرتب والتبريكات الكهنوتية .

ورتبة سياميذ الاسقف وتبريك البطريرك واحدة في الطقس السرياني ، الّا انها تمتاز عن سياميذ الاسقف بثلاثة امور ، على ما جاء في النصوص المارونية والسريانية ، وهي ١ً : ان البطريرك يُنتخَب بقرعة جميع الاساقفة او بتسليمهم العام لانه ابو الآباء والاب العام للبيعة بأسرها . ٢ً : بصلاة دعوة الروح القدس المنسوبة الى اقليميس الحبر الروماني . ٣ً : بتسليمه عصا الرعاية ، اذ يمسك بها كلّ من الاساقفة معاً يداً فوق يد ، حسب مقامهم ، ثم يأخذون عين المنتخَب

١) الدوجي : ١٦١ و١٦٢ .

ويضعونها فوق ايديهم جميعاً ويتركونها بيده . وعليه فعندما يكتب البطريرك صكّ ايمانه ويتلوه وقت التبريك لا يتعهد فيه بالطاعة والانقياد لمن يرسمه كما يفعل الاساقفة ، لانهم لا سلطان لهم عليه .

وقد اثبت المجمع اللبناني (٤٢٣ – ٤١٣) ومجمع الشرفة (٢٣٥ – ٢٤٩) حقوق البطريرك وسلطانه ، وامتيازاته ، وواجباته ، وزيّه ، ومركزه . واخصّ ذلك : ان للبطريرك الماروني والسرياني حق التسمية بالبطريرك الانطاكي . وله المقام الرابع بعد الحبر الروماني . ويتقدم على جميع جثالقة كنيسته ومطارنتها واساقفتها . وله ان تسير امامه راية الصليب في ابرشيات طائفته جمعاء . وينادى باسمه بعد الحبر الروماني في القداس والطقوس والفروض القانونية . وله ان يرسم الجثالقة والمطارنة والاساقفة التابعين لبطريركيته . ويباشر الرتب الحبرية في جميع كنائسهم ، ولو بحضورهم . وللبطريرك ان يفرض اعيادًا واصواماً . ويفحص كتب الرتب الكهنوتية والفروض البيعية ويهذّبها ويضيف اليها او يحذف منها . ومن حقوقه الخاصة ان يكرّس الميرون ، والكنائس ، والمذبح (الطباليث) ، او يفوّض في ذلك الى احد اساقفته . وله ان يعقد مجمعاً مؤلفاً من جميع مطارنة بطريركيته واساقفتها . ويسنّ قوانين يلزمهم بالعمل بها . ويبعث اليهم بمناشير يذيعونها في كنائسهم . وله ان يزور الابرشيات ، ويراقب اديار الرهبان والراهبات . ويستأنف النظر في جميع الدعاوي فيؤيدها او يبطلها . وله ان يحفظ لنفسه مسائل لا يستطيع ان يحلّ منها المطارين والاساقفة . وله ان يطالب مرؤوسيه كافةً بالعشور . انما ينبغي ان لا ياتي شيئاً خطيرًا مهماً بالاستئثار ، من دون مجمع اخوته الاساقفة والمطارنة ، كما لا يسوغ لهم ان يباشروا شيئاً من ذلك بغير معرفته . وينبغي كذلك ان يزور في كل عشر سنين الاعتاب الرسولية بنفسه او بمعتمده ، ويؤدي له حساباً عن وظيفته الرعوية الخ .

اما زيّ البطريرك العادي فكزي الاساقفة ، الّا انه يمتاز عنهم بالثوب الارجواني ، والجبة البنفسجية ، وبمسك العصا اينما كان . اما زيّه البيعي فكزي الاساقفة ايضاً ، غير انه يمتاز عنهم بالتوشح بالپاليوم ، اي الدرع ، الذي يمنحه

اياه الجبر الروماني تثبيتاً له في منصبه ودلالةً على بسطة الوظيفة الجبرية[1] .

اما المركز البطريركي فقد تحوّل عند كلتا الطائفتين من بلدة الى بلدة ، حتى اصبح اليوم مركز البطريرك الانطاكي الماروني في بكركي شتاء وفي الديمان صيفاً . وامسى مركز البطريرك الانطاكي السرياني في بيروت . وللبطريرك ان يتخذ له في مركزه اسقفاً او اسقفين بمنزلة معاونين او نائبين يتولى احدهما الامور الروحية ، والآخر الشؤون الدنيوية .

انتخاب البطريرك

اما كيفية انتخاب البطريرك فقد اثبتها كلا المجمعين على حدّ سوى . ذلك من حيث المكان والزمان واجتماع الاساقفة والقاء القرعة . وخلاصة ما قرّراهُ : ان لا ينتخب بطريركاً الّا من اتى على الاربعين من سنّه ، وترقّى الى درجة القسيسية المقدسة على القليل . ولا يتم انتخابه الا باصوات الحاضرين من الاساقفة . وتكون الآراء سرّية مطوية في رقاع مسجلة ختماً وتوقيعاً من كل واحد منهم . وعند فتحها وتلاوتها لا يُباح باسماء المنتخبين .

ومتى تمّ فحص القرعة ، وكان الانتخاب شرعياً بالقرعة او بالصوت الحيّ ، لزم رئيس المجمع او كبير الآباء ان يعلنه بقوله : « ايها الآباء الفائقو الاحترام قد أتينا على فحص القرعة فألفينا هذا المجمع المقدّس مجمعاً على انتخاب السيّد فلان السامي الاحترام أباً وبطريركاً . وعليه فاني اعلن باسم المجمع كلّه وبالسلطان المفوّض اليّ منكم جميعاً واشهد ان الانتخاب قد اصاب السيد فلان السامي الاحترام فهو ابٌ وبطريركٌ لنا كلّنا والطائفة بأسرها » .

وبعد هذا يتقدم الرئيس بالاسقفين وكاتبي الاسرار الى المنتخب ، فيجثو

---

١) الدرع البطريركي او الاموفوريون على ضربين احدهما منسوج من صوف ابيض معلم بصلبان سوداء يوليه البابا الروماني للبطريرك فيتوشح به في المواسم . والآخر عريض طويل على شكل البطرشيل الحبري الكبير منسوج من حرير موشى ومعلم في الغالب بصلبان حمراء . وهذا يتقلده البطريرك بعد نصبه حالاً لانه من جملة الملابس البطريركية في جميع الاحتفالات المقدسة كل مرة اشتمل بالملابس الحبرية (المجمع اللبناني ٤٣٩) اما السريان فان اساقفتهم وبطاركهم يتوشحون دائماً بالاموفوريون كلما قرّبوا الذبيحة الالهية ، او احتفلوا بالاحتفالات البيعية .

بين يديه قائلاً : « ان الروح القدس يدعوك لتكون بطريركاً على انطاكية الكبرى وعلى كل خطة سدتها الرسولية اي اباً لجميعنا » . فيجثو سائر المنتخبين وكاتبا الاسرار وعندها يجثو المنتخب ايضاً ويصلي قليلاً ثم يجاوب : « اني راض مطيع » . ثم يقوم ويلبسونه ، ان كان اسقفاً ، الغفارة (والاموفوريون) وصليب الصدر والتاج . ويدفعون اليه الصليب والعكاز فيسير بين كبيري الآباء ويستوي على العرش الى يمين المذبح ويتقدم الاساقفة بالترتيب ويقبلون يمينه . ويحرر كاتبا الاسرار صك الانتخاب والقبول فيوقع عليه جميع المطارنة والاساقفة المنتخبين بخط يدهم ويحفظون الصك في الخزانة البطريركية .

ثم تفتح الابواب ويعلن كبير الشمامسة بأمر الانتخاب فينحدر المنتخب من على العرش ويقف امام المذبح المتوسط ويحف به الاساقفة . فيشرع كبير الشمامسة في الطقس الماروني بترتيل المزمور[1] « يستجيب لك الرب في يوم الشدة » ويتبعه الباقون منقسمين الى جوقين . وعند الفراغ يطأطئ المنتخب رأسه امام المذبح ثم يلتفت اليهم وهم جاثون ويباركهم[2] . ويقفون ويقبلون يده بالتتابع ثم يخرجون من الكنيسة بالاناشيد الى القلاية البطريركية . ويضرب المنتخب اقرب يوم من الآحاد والاعياد التالية موعداً للاحتفال بنصبه .

وعند الفراغ من التنصيب ، يرفع الاساقفة في ذلك عريضة الى الحبر الروماني مذيلة بتواقيعهم ويستعطفونه ليصدق على الانتخاب بسلطانه الرسولي ويثبت المنتخب ويبعث اليه بالباليوم . وينبغي ان يكتب المنتخب ايضاً الى الحبر الاعظم رسالة موقعة بخط يده ومختومة بالطابع البطريركي يضمنها صورة نص اعترافه بالايمان الارثوذكسي ومعرفته اياه خليفة للقديس بطرس ونائباً للمسيح الرب في الارض ، وكرئيسه الاعلى ، ويبدي له الطاعة التامة ، ويسأله تثبيت انتخابه ونصبه ، وارسال الدرع اليه . (له صلة)

---

١) الاكليروس السرياني ينشد [illegible]

٢) المنتخب الماروني يفيض على الحاضرين الحلة السمومية قائلاً : « ليرحمكم الله وينفر ذنوبكم » الخ . اما المنتخب السرياني فيقول [illegible] الخ . وهي خاتمة الصلوات الفرضية .

صفحة ذهبية من تاريخ لبنان

البطريرك اللبناني
الياس بطرس الحويك

بقلم الخوري منصور عوّاد عوّاد

٦

موقف البطريرك من الكنيسة

« نؤمن بالهٍ واحد ... وبكنيسة واحدة جامعة مقدسة رسولية ... »

ان الالفاظ والكلمات الاولى التي طرقت مسمع الطفل الياس الحويك ، عهد كان لا يزال على ذراع والدته غرّة في حلتا ، يوم لم يكن يفهم جيداً معنى الكلام ، كان فعل الايمان الحيّ بالله وبكنيسته تتلوه في الغدوّ والاصال تلك الوالدة المارونية التقية بتلاوة قانون الايمان . وترعرع الياس فكان اول ما زار كنيسة حلتا فظنها « الكنيسة الواحدة » التي كانت تترنم باسمها والدته والتي كان فيها ابوه كاهن الرب وخادم النفوس ، فاذا بابيه يشرح للوعية « قانون الايمان » ففهم ان هذه الكنيسة هي صورة رمزية مصغّرة لكنيسة الله الجامعة التي هي جماعة المؤمنين بالمسيح وببيعته وباسراره وبتعاليمه وبرئاسة نائبه على الارض بابا رومية .

لم تقع لحاظ الطفل الياس عندما فتح عينيه على ما حول حلتا من اودية وهضاب وجبال ، على بلدٍ مأهول ، قبل ان وقعت على كفرحي ، مهد البطريركية المارونية في لبنان ، فهي تجاه حلتا وعلى رمية حجر منها ! في كنيسة حلتا عرف من والده الخوري بطرس ان القديس بطرس زعيم الرسل ونائب السيد المسيح « الصخرة » التي عليها أسس مخلص العالم ابن الله كنيسته ، قد أسس ، بعد صعود الرب يسوع الى السماء ، الكنيسة الانطاكية في انطاكية

وترأسها بنفسه سبع سنوات ، وانه انتقل من هناك الى رومية وأسس كرسيه الدائم كرسي الرئاسة العامة على بيعة الله في عاصمة الرومان ، وان الموارنة تعلقوا بالكرسي الروماني تعلقاً متيناً بما ان الجالس عليه هو رأس الكنيسة المنظور وخليفة القديس بطرس مؤسس كنيستهم الانطاكية ، وانه في سبيل هذا التعلق والاتحاد في العقيدة سفك ثلاثمائة وخمسون راهباً من رهبان القديس مارون دمهم ، فختموا الحب والاعتقاد القويم بالعمل وبالدم .. وانهم ، بسبب الاضطهاد الذي وقع عليهم لاجل ايمانهم المستقيم ، هربوا الى جبال لبنان الصخرية القاحلة ولاذوا بمغاورها وكهوفها للمحافظة على معتقداتهم سليمة من الشوائب، وان القديس يوحنا مارون عندما انتُخب بطريركاً شرعياً على كرسي بطرس الانطاكي نقل كرسيه الى كفرحي في لبنان فتيسر له صيانة قطيعه ورعايته في مأمن من الاضطهاد.

ما بلغ الياس الادراك التام حتى عهد به والده الى مدرسة مار يوحنا مارون الاكليريكية في كفرحي فتلقن فيها تاريخ الموارنة وعرف ان امجادهم تنحصر في اتحادهم المستمر بالكرسي الروماني دون انقطاع . فكانت التقاليد المارونية الدينية تنمو فيه بنموه عقلاً وجسماً. وازداد معرفةً بالكنيسة ، وبرومية امّ الكنائس ومعلمتهن، في مدرسة الاباء اليسوعيين في غزير طيلة السنين التي قضاها في تلك المدرسة الاكليريكية بين آباء واكليريكيين ينتمون الى طوائف كاثوليكية شرقية عديدة، والى الطائفة الغربية اللاتينية اكبر الطوائف واعظمها في بيعة الله.

وقد تدرّج في تلك المعرفة والمحبة تدرجاً بعناية ربانية خاصة ، وعندما اوشك ان ينجز دروسه في مدرسة غزير قيّضت له عناية الله ان يُبعث الى « مدرسة انتشار الايمان المقدس » في رومية فانتهى اليها وانضمّ الى طلّابها سنة ١٨٦٦، وبقي فيها الى سنة ١٨٧٠ مكتملاً فيها دروسه اللاهوتية والقانونية والتاريخية عائشاً في ظلّ كرسي بطرس برفقة طلّاب الكهنوت الوافدين الى رومية من جميع جهات العالم. فادرك بالحسّ والاختبار ما معنى كلمات «الكنيسة الواحدة الجامعة » التي كان يسمعها من فم والدته في عهد طفوليته !

ثم عاد الى لبنان كاهناً تخصص لخدمة الطائفة المارونية في خدمة البطريرك العظيم بولس مسعد ، فتمرّس في البطريركية على معرفة التقاليد المارونية معرفة عملية. وما زال ذلك دأبه حتى سيم اسقفاً ، ثم ارتقى الى السدّة البطريركية. فلا نغالي اذا قلنا عنه انه كان صورة حيّة لتاريخ الطائفة المارونية في ايمانه بالله وبكنيسته وفي تعلّقه بالكرسي الروماني.

اننا نقرأ تعلّق البطريرك اللبناني بالكرسي الرسولي في منشوره الاول الذي اذاعه فور ارتقائه الى السدّة البطريركية ، في شباط ١٨٩٩ ، وكان ذلك المنشور بمثابة البرنامج لبطريركيته فقد قال فيه موجهاً الكلام الى ابناء طائفته :

« وفي الختام ، نرغب ونوصيكم بالرب ، ايها الاخوة الجزيلو الاحترام والابناء الاعزاء ، ان تداوموا المحافظة التامة على امرين خطيرين طالما حافظت عليها طائفتنا وكانا موضوع مجدها وفخرها : احدهما ديني وهو إخلاص التعلّق بأمنا الكنيسة الرومانية المقدسة أمّ جميع الكنائس ومعلمتهنّ ، والخضوع التام للحبر الروماني الاعظم رئيس الكنيسة العام ونائب سيدنا يسوع المسيح في الارض وخليفة بطرس رئيس الرسل. »(١)

ونقرأ تعلّقه بالكرسي الرسولي مفصلاً في منشوره العاشر الذي اذاعه على الطائفة المارونية في ٢٢ ايار ١٩٠٨ بعنوان : « تعلّق الطائفة المارونية بالكرسي الرسولي » ، فقد قال في مستهلّ ذلك المنشور النفيس :

« قضية قد اشتهرت عند العام والخاص شدّة تمسّك شعبنا الماروني بايمان القديس بطرس ودوام تعلّقه بطاعة الكرسي الروماني . وهذه القضية تكاد تساوي بصدقها التاريخي صراية العمل بها : »

ثم سرد تاريخ الطائفة في هذا التعلق الشريف سرداً موجزاً بليغاً ، وتغنى بالمدائح التي كان احبار رومية يمدحون بها طائفته لاجل ثباتها في الايمان عصراً بعد عصر ، مما لم يمدحوا به شعباً آخر من شعوب الكنيسة الكاثوليكية ، واتبع ذلك بالتعليم الاعتقادي الواجب الاتباع في هذا التعلّق ، مفصلاً ذلك تفصيلاً لاهوتياً وقانونياً دقيقاً موردًا القواعد العملية التي ينبغي التقيد بها في حياة كل ماروني بل في حياة كل كاثوليكي . وينهي تعليمه بالعبارات الآتية :

« فبعد هذا الايضاح ، ايها الابناء الاعزاء ، ألا يحق علينا ان نحكم بوجوب المديح

١) راجع مجموعة مناشير البطريرك اللبناني المعروفة باسم « الذخائر السنية » المطبوعة في مطبعة المرسلين اللبنانيين ، جونية ١٩٣١ ، ص ١٤

والاطراء على اجدادنا لاجل تمسكهم الشديد بالكنيسة الرومانية ام جميع الكنائس ؟ ألا يجب علينا ان نؤدي فروض الشكر على تمسكهم ضنك المعيشة في هذا الجيل المبارك لكي يحفظوا لنا الميراث المقدس اعني به وديعة الايمان سالمة ؟ وبالاحرى الا ينبغي علينا ان نقتفي آثارهم ونحافظ على ايماننا وخضوعنا للكرسي الرسولي المقدس ولو كلفنا ذلك سفك الدم ؟ الا تعلمون ايها الابناء الاعزاء ان فخر طائفتنا وقداسة قديسيها وشهرة جهابذتها ومعلميها كل ذلك مصدره المحافظة على الايمان القويم والتمسك الشديد بطاعة الحبر الاعظم ؟ نعم ان حياة طائفتنا الروحية وقوامها يتعلقان بهذا الامر . »(١)

فتعلق البطريرك اللبناني بالكرسي الرسولي كان يظهر في كل اعماله وفي جميع اقواله . وكان يراجع غالباً الكلمة المأثورة في الطائفة المارونية ، وهي : « ايماني ايمان بطرس وايمان بطرس ايماني . » ومن راجع جميع مناشير البطريرك اللبناني يرى بأمّ العين مفصلاً ما لا قبل لنا باثباته في هذه اللمحة ، ويتحقق ان من اسرار عظمة ذلك البطريرك امام الله والناس تعلقه القلبي الصادق بالكرسي الروماني . حسبنا ان نشير اشارةً الى احد مناشيره الاخيرة المعنون « محبة الكنيسة » الذي اذاعه في ٥ ك ١ سنة ١٩٢٩ ، وهو يُعدُّ مع المنشور الذي تلاه بمثابة وصيته الاخيرة ؛ ان كل كلمة وردت في هذا المنشور لحرية بالتأمل والاعتبار جديرة بالحفظ للعمل بها . ما استطاع البطريرك اللبناني ان يمثل عواطفه ويخلدها لابنائه بأفضل مما فعل باذاعته ذلك المنشور النفيس الخالد . واني احيل القارئ الى مطالعته في « الذخائر السنيَّة » فقد اثبت من صفحة ٧٦٠ حتى صفحة ٧٩٠ ولكن لا بدَّ لي من ان استعير منه مستهله ، قال :

« ان اشهر شيء لدينا نستهل به رسالتنا اليكم في هذا العام اسداء الشكر للعزّة الالهية على نعمها المتواصلة علينا فانها رعتنا بعنايتها الخاصة من المهد حتى الساعة ومدّت بأجلنا فتوالى في ايامنا على كرسي القديس بطرس خمسة من الاحبار الرومانيين العظام اغدقوا على طائفتنا باحساناتهم ووجّهوا اليها عنايتهم الخاصة . وقد اسعدنا الحظ بان عرفنا منهم اربعة معرفة شخصية : فيوس التاسع المشهور بقداسة سيرته وصبره على المحن وجمعه بين الحزم والدعة قد تلقّينا في حماه دروسنا اللاهوتية في مدرسة نشر الايمان (١٨٦٦ — ١٨٧٠) ، ولاوون الثالث عشر العظيم قد مثلنا اكثر من مرّة بحضرته . فخصنا بعطفه المشهور وغمرنا بجميله الشامل اذ بذل ما بذله عن سخاء نادر ونبالة مقصد في سبيل تجديد مدرستنا المارونية في عاصمة الكثلكة . وباراه في محبته لنا بيوس العاشر لدن زرنا الاعتاب الرسولية بذاتنا سنة ١٩٠٥ . ولا ننسى

١) راجع هذا المنشور النفيس في « الذخائر السنيَّة » من ص ٢٦٢ الى ص ٢١٢

بنديكتوس الخامس عشر فانه كان من اكبر المعزّين لنا في ضيقاتنا ايام الحرب الكونية ومن المهدين لنا السبيل في نيل استقلال لبنان لدن زرناه سنة ١٩١٩ . اما قداسة ابينا البابا بيوس الحادي عشر المالك سيدًا ، بادرة العصر في فضائله ومكارمه ، فحالت الشيخوخة دون نيلنا ما كنا نتمناه من الشخوص اليه بذاتنا لتهنئته بيوبيله الذهبي الكهنوتي وعهد السلم الروماني ولنطرح امام قداسته واجب تعلقنا البنوي وخضوعنا الديني واخلاصنا التام وانقيادنا المطلق لاوامر خلف بطرس الرسول وتعاليمه مكرّمين بشخصه نائب المسيح نفسه ، فأوفدنا من قبلنا وفدًا قام نيابة عنا بهذا الواجب فقابله الاب الاقدس في ١٠ ايار سنة ١٩٣٩ مقابلة اب حنون لابنائه الاخصاء . وكلّف الوفد بان يحمل الينا بركته ومحبته الابوية وعطفه الخاص على طائفتنا . »

ثم ختم رسالته الابوية الطافحة بمحبة الكنيسة والطائفة وبالتعليم الصحيح ومعرفة الجميل ، بالعبارات النفيسة التالية :

« ان ما بسطناه لكم ، ايها الابناء الاعزاء ، في شأن محبة الكنيسة امرٌ قد اشتهرت به طائفتنا لدى العام والخاص . وهذه الخلّة تفاخر بها . وقد قرّظنا الاحبار الاعظمون عليها تقاريظ بديعة في رسائلهم العديدة الى اسلافنا البطاركة ، وما اوردناه اوردناه من باب التذكير والحضّ . فانا لنخاف من انه كما اضاءت الحيّة حوّاء بمكرها ، هكذا تفسد ضمائركم من البساطة التي هي لكم بالمسيح . ونوجّه نداءنا خاصةً الى المتفرّبين منكم فتمسّكوا بما عندكم لئلا يؤخذ منكم اكليل فخركم . ولنا وثيق الامل بانكم تكونون اكليل فخر لنا يوم مجيء ربنا . نودّعكم الله ونودع كلامنا الابوي في قلوبكم النقيّة . »

ما احبّ البطريرك اللبناني رومية وتعلق بالكرسي الرسولي في اقواله فقط ، بل كان تعلقه يتجلّى عمليًا بكل حركة من حركاته ، وفي كل عمل من اعماله الشخصية الفردية والعمومية . فقد كان يفتح قلبه لرومية موضحًا لها ما يخطر بباله اعتراضًا على كل تدبير اداريّ مما كان يظن انه لا يناسب لمصلحة النفوس ولا لخير الكنيسة ، شأنه في ذلك معها شأن الابن المخلص مع امه الحنون . وعند ما كانت رومية تصرّ على أمر كان يذعن لها اذعانًا بنويًا باخلاص وصدق وطاعة حقيقية بالقلب واللسان لا بالشفتين فقط . والذين عاشروه في بطريركيته وعرفوه في اسقفيته شهود على صدق ما اقول . وانا قد عرفت وخبرت ذلك منه بنفسي طيلة اثنتي عشرة سنة . وكان في المشاكل الصعبة المتعلقة بالكرسي الرسولي ينتهي بحلّ المعضلة بما يوافق خضوعه التام لرومية مستشهدًا بالبطريرك بولس مسعد قائلًا : « هكذا كان يفعل او هكذا كان يقول البطريرك

بولس مسعد عند ما كنت امين سره ، او هكذا كان يروي لي البطريرك بولس نقلاً عن البطريرك الحبيشي ، وانا كما كان يفضل البطريرك بولس افضل ! »

من ادلة حبه للكرسي الرسولي انه سعى عند ما كان اسقفاً فحقق نية سلفه البطريرك يوحنا الحاج ، فجدد مدرسة الطائفة المارونية في رومية باذلاً في ذلك السبيل جهوداً وتضحيات عظيمة سبقت الاشارة اليها . وما ذلك منه الا لاعتقاده ان اكليروس الطائفة المارونية لن يستطيع ان يحافظ على وديعة الايمان الكاثوليكي التي اورثه اياها الجدود بدمائهم وتضحياتهم المنقطعة النظير الا اذا استقى فريق منه التعليم الروماني في عاصمة الكثلكة نفسها على منهاج آبائنا القدماء . وقد ظل حتى وفاته مختصاً هذه المدرسة بعنايته الخاصة . وابتهج الابتهاج القلبي واغتبطت روحه فيه عندما تنازل الحبر الاعظم المالك سيدنا قداسة البابا بيوس الحادي عشر فأسند ادارة المدرسة ورئاستها الى الرهبانية اليسوعية الجليلة فقال : « الآن تغتبط روحي فيَّ واقدر ان ارقد بسلام الربّ مطمئن البال ، لان مدرستنا في رومية سُلِّمت الى الآباء اليسوعيين ، فلا شك ان ذلك من عناية الله بنا ورضاه على الطائفة . لان مدرستنا الرومانية القديمة التي اوجدت لنا اعظم رجال في الطائفة بالفضيلة والعلم واحرزت لنا بفضلهم افضل مجد في الدين والدنيا شرقاً وغرباً كانت بتسلم الرهبانية اليسوعية ، ووصلنا الى ما وصلنا اليه من التقدم والازدهار بقسط كبير من عناية هذه الرهبانية المباركة . » وقد ظلّ الى آخر رمق من حياته يطّلع بنفسه على حسابات مدرسة رومية ، وعلى جميع ما يتعلق بها من كلي وجزئي ، ويهتمّ بشؤونها .

والغريب في حياته انه عندما كان يأتيه البريد كان يلقي عليه نظرة عمومية فاذا لمح ان بين الرسائل واحدة عليها طابع بريد رومية عمد الى فضّها والاطلاع عليها قبل سواها ! حادثة صغيرة هي واشباهها تدلّ على عواطف النفس واخلاق صاحبها ، هي ميزة الاحترام لرومية كانت منطوية عليها نفسه الكبيرة فكانت تلك الميزة تتجلّى في جميع اعماله الكبيرة والصغيرة .

اكرامه لقاصد الكرسي الرسولي ولجميع رجال روحه ومرسليها

كل شيء يختفي او في استطاعة الانسان كتمه الّا المحبة فانها تفضح صاحبها . فحري بالانسان ان يكون حبُّه مقدساً لتكون فضيحته لمجده وخيره. ان تعلّق البطريرك اللبناني بالكرسي الرسولي كان ينشره عفواً حبُّه لنيافة القاصد الرسولي واكرامه اياه ، بل الاعتبار الحقيقي الصادق الذي كان يبدو منه في كل فرصة ومكان نحو ممثل الحبر الاعظم ايًّا كان ونحو رجال الكنيسة الرومانية وخاصة نحو المرسلين الغربيين . فانه ما كان يأتي عملًا خطيرًا في الشؤون الدينية او المدنية قبل ان يكون استشار ممثل البابا . وكان غالباً يعمل برأيه او يتحد معه في العمل . وكان عارفاً ان المرسلين الغربيين هم الواسطة الفعّالة لنشر الدين الكاثوليكي في البلاد ولتثبيت الموارنة في عقائد اجدادهم الكاثوليكية وتنويرهم فيها تنويرًا يدرأ عنهم مخاطر العصر الحاضر ومفاسده العديدة ، فساعد على انتشارهم فيما بين ابنائه . ففي ايامه أنشأت الرسالات الغربية للرهبان والراهبات الاديار الكثيرة والمدارس العديدة في المدن وفي الجبل ، وكثر اقبال الناشئة المارونية عليها . وكان يزور بعضها مرارًا تنشيطاً لها بمثله وبكلامه في الثناء عليها وعلى اربابها .

وما ذكر قطّ في تاريخ الرسالات الغربية انها انتشرت في لبنان او في بلد آخر كانتشارها في بلادنا على عهد البطريرك اللبناني . وكان جلّ طلبتها من الموارنة واكثر اساتذتها من الموارنة ، ولا يزال الأمر كذلك . وقد احبّ الرهبانية اليسوعية حبًّا خاصًّا ليس لانه كان من تلاميذها القدماء ولا لانها ذات الايادي البيض على الطائفة المارونية منذ نشأتها فحسب ، بل لانها مرتبطة بمحبة الحبر الأعظم وطاعته وخدمته بنذر خاص . وقد كان يتهلل عندما يرى في حضرته يسوعياً . وما انحدر مرةً الى بيروت في بطريركيته الّا خصّ كلية الآباء اليسوعيين بزيارة منه رسمية يحفّ به فيها جميع بطانته . وكان يفاخر امام الجميع انه ممن تخرّجوا على الآباء اليسوعيين في دروسه البدائية واللغوية والفلسفية . .

كان يقرأ بذاته مجلة « المشرق » وجريدة « البشير » دائماً ، ولا يغفل منها حرفاً . وينشر مناشيره وأوامره في جريدة « البشير » كأنها لسان حاله الخاص . وما كان يقتحم امراً خطيراً الّا بعد ان يرسل فيستشير رئيس رسالة الآباء اليسوعيين. كان يُسرّ بالكاهن الذي كان يستخدم عند هؤلاء الآباء ويظهر له كل عطفه ، ويثني على ثباته في خدمتهم ويقول : «ان من يلتصق بهؤلاء الآباء يدلّ على انه شديد التعلّق برومية وبالسيد المسيح !»

اني اذكر ، ولا انسى ، اني ، لما كنت محرراً في جريدة « البشير » وكنت اتشرّف بزيارته مرّة ومرّتين في الاسبوع ، كان اول ما يبادرني به السؤال عن الاب كانن ، والاب شانتور ، ويصرف وقته معي يسألني عن سائر الآباء . ويثني على نهضة هذه الرسالة في الشرق ، مبيناً الخير الذي اجراه الله على ايدي ابنائها للطائفة المارونية وللشرق أجمع ويحرّضني على الاقتداء بهم وبثباتهم في عمل الخير .

ما كان يرتاح ضميره الى طبع كتابٍ الّا اذا كان قد اجازه او وافق عليه احد الآباء اليسوعيين . وكثيراً ما اذاع على الناس بكتابات علنية في فرص مختلفة، تقديره للرهبانية اليسوعية ولرجالها ولاعمالها ، وشكره اياها لما تبذله في سبيل الطائفة والشرق من الخير للنفوس وما تقدّمه من الخدم للآداب والعلوم الشرقية .

وفي الحرب الكونية عندما اضطُهد المرسلون وطُردوا من اديارهم وذُهب بهم الى المنفى اغتمّ قلب البطريرك واوصى اساقفته ورهبانه ووكلاءه باكرام البقية الباقية من اولئك المرسلين في البلاد . فأنزلوهم في اديارهم وعاملوهم معاملة آباء محسنين اليهم ورسل قديسين فيما بينهم .

مقابلة المحبة بالمحبة

قد قدّر الاحبار الاعاظم للبطريرك اللبناني تعلّقه بهم واخلاصه للكنيسة فأبدوا له من العطف والمساعدة له في جميع اعماله ما قرأناه مراراً في رسائلهم التي نُشرت على صفحات الجرائد والمجلات ، والتي صرّح بها البطريرك اللبناني ذاته باقواله وكتاباته . وما كانوا يردّون له طلباً . وعلى مثلهم سار القصّاد

والمرسلون. واني اذكر من ذلك امراً واحداً ، وهو انه عندما تقرر تطويب شهداء الآباء الفرنسيسكان الذين قتلوا في دمشق بغضاً بالدين سنة ١٨٦٠ ، طلب البطريرك اللبناني، في مجمع اساقفته،بناء على اشارة نيافة القاصد الرسولي، السيد فريديانو جيانيني ، والسماس المثلث الرحمة المطران بشاره الشمالي مطران دمشق ، من قداسة الحبر الاعظم ان يتنازل ويدمج بسلطانه الرسولي في سلك اولئك الشهداء الموارنة المسابكيين الثلاثة الذين استشهدوا في دير الآباء الفرنسيسكان نفسه في دمشق ، وامتزج دمهم بدماء الآباء الفرنسيسكان انفسهم . فما كان من نيافة القاصد الرسولي الا ان بادر ايضاً وأيد الطلب بكل قواه ، وقد قدم ذلك الالتماس في ٤ ايار سنة ١٩٢٦ ، فما عتم قداسة البابا ان تنازل واستجاب الاستغاثة برقياً بتاريخ ١٦ ايار نفسه سنة ١٩٢٦ ، معتمداً على وسائل غير اعتيادية. وفي ٧ ت١ سنة ١٩٢٦ تُليت براءة التطويب في كنيسة القديس بطرس الملوكية في رومية بحفلة من تلك الحفلات البابوية البالغة منتهى الجمال والرونق والعظمة والخشوع.وهكذا أُحصي الشهداء الموارنة المسابكيون فرنسيس، وعبد المعطي ، ورافائيل ، في عداد الطوباويين مع من كان قد مضى على السعي لاجل تطويبهم نحو ست وستين سنة ! [1]

وهل من يجهل المساعي التي بذلها نيافة القاصد الرسولي الموما اليه ابان الحرب الكونية ، فانقذ البطريرك اللبناني من المنفى الذي كان قد اعده له الطاغية جمال باشا ، فتوفق الى انقاذه بهمة قاصد البابا في الاستانة ، السيد دولتي ، وبنفوذ عظمة البابا بنديكتوس الخامس عشر السعيد الذكر ؟

اجل ان المحبة تُقابل بالمحبة . وقد اشار البطريرك اللبناني نفسه الى هذه المنة مراراً في احاديثه وخطبه وكتاباته، وخاصة في منشوره: « محبة الكنيسة » الذي سبقت الاشارة اليه اذ قال عن البابا بنديكتوس الخامس عشر : « انه كان من اكبر المعزين لنا في ضيقاتنا ايام الحرب الكونية » ثم قال عنه :

---

١) راجع « الاخوة الشهداء الثلاثة » بقلم المطران بشاره الشمالي، مطران دمشق ، المطبوع سنة ١٩٢٦ في المطبعة الكاثوليكية ببيروت.

« انه كان من اكبر الممهدين لنا السبيل في نيل استقلال لبنان لدن زرناه سنة ١٩١٩ ».

ولم يكن نيافة القاصد الرسولي السيد فريديانو جيانيني اقل غيرة من الحبر الاعظم في مناصرة البطريرك اللبناني لنيل استقلال لبنان . وكل يعلم المساعي التي بذلها حبيب لبنان وشبيبته، بل حبيب الشبيبة الشرقية وجميع ابناء المشرق، المحسن اليهم المأسوف على فضائله واخلاقه الكبيرة السامية معدن الرقة واللطف الاب لوسيان كاتن اليسوعي ، والاب شانتور ، في هذا السبيل موازرةً للبطريرك اللبناني وتحقيقاً لنياته.

لم يُذكر للطائفة المارونية عصر ازدهرت فيه الرسالات الغربية الكاثوليكية وترقّت الناشئة اللبنانية ، ولاسيما الناشئة المارونية في الدين والاداب ، وكان فيه الاتفاق بينها وبين البطريرك الماروني واساقفته ورهبانه وشعبه سائداً كعصر البطريرك اللبناني فعلى الرغم من الحرب الكونية، ومن المجاعة اللبنانية، ومن الانقلابات السياسية التي حدثت في ايامه ، كان عصره في داخلية الطائفة عصر سلام وطمأنينة وازدهار . وعندما كان يزوره المرسلون مع تلامذتهم في آخر ايامه كان يشعر بتعزية كبيرة ويتهلّل بروحه وتغرورق عيناه بدموع الفرح والتعزية وتبدو على اساريره ملامح سرور قلبه ، ويتسع في وجهه ضياء البهجة ويُسمع مكرّرًا : « نشكر الله . نشكر الله ! »

فاذا كان الموارنة خصوصاً واللبنانيون عموماً قد بكوا البطريرك اللبناني بدموع سخينة متأسفين على عصره وفضائله ، فان المرسلين لم يكونوا اقلّ حسرةً عليه وتأسفاً من اللبنانيين عموهم ومن الموارنة انفسهم ، لان الرجال يقدّرون الرجال !

فتبارك الله ، ان موقف البطريرك اللبناني من الكرسي الرسولي كان مجيداً شريفاً كجميع مواقفه : ولا غرو فقد كان يحب رومية لان الله اقامها أمًّا لجميع الكنائس ومعلمة معصومة . ومن احبّ الله بكل قواه من مهده الى لحده بمعرفة راسخة ما كان يستطيع الا ان يحب كنيسته تعالى بكل ما فيه من حياة وشعور وقول وعمل !

المبكى او البراق

مختصراً عن مجلة العالم الاسلامي *The Moslem World* ، اوكتوبر ، ص ٣٢١ بتوقيع شارلس ماتيوس (C. Matthews)

المبكى او البراق ! جوهرة نادرة الوجود ، تنعكس فيها العواطف الدينية بين تحمّس في سبيل الماضي، ماضي البطولة والمستقبل، مستقبل الامل والحياة، وبين تعصب ذميم وجهل عميم . اتدري ما هو حائط بلاد الصين وشهرته ! فاعلم ان المبكى ، او حائط الدموع ، صار في اعين الدول اهم من حائط الصين . هناك وقف مسلمو فلسطين ، ومن ورائهم مسلمو الشرق الادنى بالمرصاد لليهود. وما ان احتكّ قوم بقوم ، حتى طارت بينهم شرارة ادّت الى سفك الدماء سنة ١٩٢٩ ؛ ولم تنطفئ الشرارة بعد. حتى ان دولة من عظيمات دول التاريخ اضطرت الى التدخل في الامر فشكّلت لجنةً مهيبةً شأنها البحث في القضية عسى ان تصل الى توفيق بين الخصوم.

الا يزول الخلاف اذا تبيّن للمسلمين ان البراق ليس في الموضع الذي يبكي عنده اليهود ، ولكن في موضع آخر ! وذلك باعتبار التعليمات الصادرة من صميم تواريخ الاسلام والادلة الاثرية.

ومهما يكن من امر الدواعي التي يتشبث بها كلا الفريقين من يهود ومسلمين ليكافحوا في سبيل نظريتهم في امر البراق ، فليس من شان كاتب

هذه المقالة ان يتحزّب الى فريق على خصمه ، وما غايته الا البحث عن موقع البراق ، مسترشداً باقوال المؤرخين والعلماء ، من نقبوا على آثار الهيكل ، واهتدوا الى وضع رسومه ، وتعيين اسماء ابوابه ، وفهم ما قاله فيه المؤرخون والمحدثون المسلمون.

ليس المقام للاسهاب في حكاية الاسراء وكيف مضى ، كما يقولون ، الملاك جبرائيل بمحمد ، على « البراق » ، وطار به الى ان زوّره بيت المقدس ، حيث ربط محمد الدابة على الباب وقام بواجب العبادات ، كسائر الانبياء الذين سبقوه الى ذلك المكان ، وعاد في الليلة ذاتها الى مكة . ان تلك القصة صار البعض ، حتى من المسلمين ، يعتبرونها اسطورة واولوا لفظة « الاسراء » بمعنى خروج محمد ليلاً من مكة لاحدى غاراته او هجرته الى المدينة سنة ٦٢٢.

على ان الجمهور سخط على من قالوا ذلك القول ، والاعتقاد العام لا يزال سائداً ان حائط البراق هو مربط الحيوان الذي حمل النبي العربي من مكة الى فلسطين . فان كان ولا بدّ من ان يكون الامر كذلك فاين مربط البراق ؟

ذكر المؤلف يوسيفوس ان للهيكل الذي بناه هيرودوس مداخل : من الجانب الغربي الجنوبي ومن الجانب الجنوبي . ومن الامر المعجب ان اورشليم ، بالرغم عما حلّ فيها من النكبات والحروب والزلازل على مدى الزمان منذ ايام هيرودوس الى عهدنا هذا ، لم تفقد اثر ابواب الهيكل القديمة فاذا اتيت الهيكل من الجانب الجنوبي الغربي رأيت ثلاثة ابواب : الشمالي منها موقعه في منتصف الحائط الغربي واسمه باب السلسلة ، والجنوبي موقعه بالقرب من زاوية البيت الجنوبية بغرب ، ولم يبقَ منه الا اثر انما هي نافذة واسعة ، غير بعيدة عن مأذنة الحرم الشريف ؛ وما بين البابين يوجد الباب الثالث وهو الذي يهمنا امره في الساعة الحاضرة ، وقد كان تحت الباب المسمى اليوم باب المغاربة ، وهو في الغالب ، ثاني الابواب التي ذكرها يوسيفوس كونها واقعة في ظواهر المدينة ، وكان ذلك الباب في مستوى من الارض اسفل من مستوى البابين الثانيين فاهمل استعماله بعد ان رممت الارض ورُفع مستواها، ومن ثم سد

تماماً وأدغم في حائط الحرم الشريف . ذلك الباب المتوارى عن العيون اكتشفه الاميركاني بركلي ، وحوله تدور ، حالاً ، تطلبات المسلمين وهم يسمونه باب النبي او باب البراق ويحرصون عليه اشد الحرص . وقد وضعوا عليه حجرة ضخمة وقالوا ان هناك نزل محمد عن البراق وربطه . وفي داخل الحائط جامع صغير يسمى جامع البراق ، وهناك في احدى عوارض المدخل حلقة حديد لا يراها الا القليلون من المختارين ، ويقولون ان البراق ربط هناك . وقد قدسوا الحائط ثم الحائط الشمالي المجاور للمكان ، وعنده المضيق الذي يُسمح فيه لليهود ان يقيموا واجبات العبادة منذ السنين التي تلت خراب اورشليم على عهد الرومان سنة ٧٠ للمسيح .

على ان ذلك الباب ليس هو البراق الحقيقي واليك الدليل على صحة كلامنا . ان في الجانب الجنوبي للهيكل ثلاثة ابواب ، وقد غاب اثر احدها تحت بناية المسجد الاقصى وهذا الباب المتواري عن العيون ، لا غيره انما هو في اعتبار المؤرخين العرب باب البراق الحقيقي .

قال ابن الفقيه ان موضع مربط الدابة كان في زاوية المأذنة الجنوبية . وقال ابن عبد ربه انه تحت زاوية المسجد . وقد يذكر المقدسي باب النبي ولكن بعبارة دالة على ان البراق في نظره هو الباب الذي ذكرنا موقعه في الجنوب البائد اثره منذ بني المسجد الاقصى . اما قول ناصرى خسرو المؤرخ الفارسي فهو الفصل في القضية قال: وهناك الباب الموجه الى القبلة ، الى مكة ، وهو باب النبي لانه على طريق من يأتي من مكة ، دخله النبي ليلة الاسراء . وعلى هذه الاقوال يعتمد المؤرخون والاثريون في قولهم ان ما يسميه المسلمون الحاليون البراق ليس هو في الموضع القائم الخلاف عليه حالاً في فلسطين ، ولكن في غيره ، وهو الباب الجنوبي المحجوب ، اما العادة التي ادت الى تسمية باب المغاربة الحالي بأب النبي فقد دخلت تدريجاً عندما توارى الباب الاول بعد بناية المسجد الاقصى .

« القلم حاجية »

جاء في « العرفان » المجلد ٢٢ الجزء ٢ ، ص ٢١٤ ، موقعاً باسم السيد عبد الرزاق الحسني من النجف :

« البندنيجين » قصبة من القصبات العراقية المعروفة ان في الماضي وان في الحاضر وهي تسمّى اليوم « مندلي » ومنها البرتقال المشهور « ببرتقال مندلي » وقد كانت منبت رجال الفضل والادب في ايام العباسيين . اما الان فهي مشهورة بكثرة النخيل والفواكه وتبعد عن بغداد زهاء ٩٠ ميلاً واهلها من العرب الذين تغلبت عليهم العجمة فانقلبوا يتكلمون بها ورطانتهم مزيج من اربع لغات هي العربية والتركية والكردية والفارسية بحيث ان العربي الفصيح اذا حلّ فيها ليشعر بنفسه كأنه في العصبة الامية .

وفي هذه القصبة وفي قرية مجاورة لها تسمى « دوشيخ[1] » طائفة خرجت من الاسلام مؤخراً كما خرجت منه طوائف كثيرة مختلفة في سورية وفي العراق واعني بهذه الطائفة « القلم حاجية » نسبة الى « قلم حاج » و « قلم حاج » هذه اسم المحلة التي يسكنونها من محلات البندنيجين « اي مندلي » ويظن ان اسم المحلة محرّف عن قلعة مير حاج « اي قلعة الامير الحاج » وهو الاسم الذي تسمى به هذه المحلة احياناً الى الان .

يبلغ عدد نفوس هذه الطائفة في القصبة المذكورة وفي القرية المجاورة لها ٢٣٨٥ نسمة عدًا يسكنون في ٢١٢ بيتاً وهم كثيرو التقية شديدو الحرص على كتمان معتقدهم . والذي عندي انهم قسم من « العلي اللاهية » المشهورين في فارس وسورية والعراق . وقد غالت هذه الطائفة في محبة امير المؤمنين علي ابن ابي طالب عليه السلام غلواً عظيماً حتى نسبت اليه جميع المعجزات واعتقدت بحلول روح الله تعالى في جسد علي (ع) فضلت السبيل وخرجت بذلك من الاسلام .

---

١) تبعد قرية « دوشيخ » عن مندلي ١٠ اميال بقرب قرية قزانية .

ليس للقلم حاجية صلاة معينة يقيمونها في اوقات مقررة اسوة ببقية اصحاب الاديان المختلفة وليست لهم مساجد للصلاة لانهم يقولون بان علياً هو الذي يصلي بالنيابة عنهم ، ولهذا فانهم يكتفون بصلاته. وهم يصومون ثلاثة ايام من شهر كانون الاول من كل سنة معتقدين بان حكم الصيام الوارد ذكره في القرآن الكريم نزل باللغة الكردية فهو « سه روز » اي ثلاثة ايام كما فهموه لا « سي روز » اي ثلاثون يوماً كما فهمه المسلمون ، كما انهم يؤمنون باليوم الاخر ويختنون اطفالهم كالمسلمين ويتجنبون النجاسات التي يتجنبها المسلمون اي انهم يستحرمون الميتة والدم ولحم الخنزير ويستنجون البول والغائط وسائر الاشياء النجسة ويقرأون القرآن ككتاب مقدس لهم متعوذين بالشيطان (!) تعوّذ المسلمين.

ويتهم المندلاويون افراد هذه الطائفة بوجود ليلة الكفشة عندهم، اي انهم يستحلون في احدى ليالي السنة الفجور والزنى وانواع الموبقات ، والذي احتمله ان هذا افتراء يراد بـه الحط من كرامتهم او استحلال دمهم لانهم مختلطين (كذا !) باهالي مندلي اختلاطاً كلياً، ولا يوجد في مندلي ولا في بقية الاوساط العراقية من يستبيح مثل هذه المنكرات ليأخذ هؤلاء عنهم هذه العادة.

وللقلم حاجية تكية ومزار يقعان في محلتهم . اما التكية فمجردة من كل شيء والظاهر انها محل للاجتماع الديني فقط ، واما المزار فقبر مدفون فيه احد شيوخهم العظام المدعو « الشيخ بابا طاهر » وقد دخلته فلم اجد فيه كتابة يُفهم منها معنى . وفيهم وجوه مقدمون عند الحكومة وعند الاهلين اضراب حسين مسلم ومحمد مختار بابا رضا وغيرهم ، وقد مات في الاونة الاخيرة . وهم يقبرون موتاهم على نحو ما يقبر المسلمون موتاهم ، الا انهم يفضلون القبور الدوارس ولعلهم يأخذون هذا المعنى من الحديث الشريف « خير القبور الدوارس ».

ويقصد هذه الطائفة في كل ثلاث سنوات مرة رجل من كركوك يدعى « محمود هجري » فيحل لهم معضلاتهم الدينية وقضاياهم الدنيوية وينعمون عليه بمال وعطاء . ومحمود هجري هذا عالم من علماء الكاكائية ، والكاكائية

فرع من الطي اللاحية، كما ان القلم حاجبة فرع منها.

ويأخذ القلم حاجبون بنظريتي الطلاق وتعدد الزوجات وهم لا يحفون شواربهم مطلقاً ، اما لحاهم فهي عرضة للموسى في كل حين وابغض الناس اليهم الشيعة الإمامية اما ابناء السنة فيخالطونهم مخالطة تامة ولكنهم لا يناكحونهم ، والغريب ان افراد هذه الطائفة كثيراً ما يشتركون مع الشيعيين في اقامة مآتم سيد الشهداء الحسين بن علي (ع) في ايام المحرم ، ومع هذا فانهم لا يأكلون اكلهم ولا يشربون شربهم ، وقد بدأوا يرسلون اولادهم الى المدارس في الآونة الاخيرة فاذا استمر ابناؤهم على ارتشاف مناهل العلم العذبة والاغتراف من حياضها المترعة ، فسوف لا ينتهي القرن الرابع عشر للهجرة الا وينقرض هؤلاء من سفر الوجود ، شأن الطوائف التي لا تستند على دياناتها الى آداب دينية يقرها العقل ويقبل بها المنطق.

نُسر برواية المقال وتتمنى للرصيفة الكريمة ان تأتي كثيراً بما يفيدنا اخذه عنها ، فنذكر لها الفضل . وكنا نود ان نروي التعليقات التي وضعها المؤلف على ما يُنسب من المستنكرات الى بعض المذاهب لولا حراجة الموضوع ؛ ورغبتنا بان نتحاشى عن كل ما يمكن ان يمس العاطفة الدينية مساً لا ينتج الخير عنه . اما التنويه بما قاله ياقوت عن الدير فنسأل صاحب المقال ان يستقي في شأنه كريمته او احدى فتيات المسلمين الدارسات في معاهد الراهبات ، المطّلعات ليسلّ ثمارَ على حياتهنّ فيخبرنه كيف يعيش ملائكة الله على الارض ، او فليسأل احد اخواننا المسلمين الذين قضوا اياماً واسابيع للتطبب في احد مستشفياتنا وشهدوا عن كثب اعمال الراهبات فيخبروه عما رأوه من روح التفاني والتجرد عن اطايب الحياة وملذاتها التي انجلت لهم مظاهرها بأبهى مجاليها فحببت اليهم البتولية المسيحية واخذت بمجامع قلوبهم.

ف . ت .

مطبوعات شرقية جديدة

Cavaignac (Eugène) : : Subbiluliuma et son temps. [*Université de Strasbourg. Publicat. de la Faculté des Lettres* : 58] *Paris, Les Belles-Lettres*, 1932 ; 8°. 108 *pp.* 1 *fig.*, 1 *cart. Prix* : 15 *f*.

سوبيلوليوما وزمنه

كان الملك الحثي سوبيلوليوما من اطول الملوك حكماً في الالف الرابع عشر قبل المسيح (١٣٩٠ ــ ١٣٥٠ تقريباً) وقد تعدّدت علاقاته مع سورية حتى اننا لنرى ذكره على كثير من الاثار الراقية الى العصر المذكور من حثية ومصرية كما نراها على الواح تلّ العمارنة . وقد تدخل كذلك باكثر الحوادث السياسية الناشبة بين امبراطورية الحثيين وممالك بابل واشور وميتانية ومصر وبلاد الاموريين.

دفع كل هذا السيد كاڤينياك ، الاستاذ في كلية الاداب في ستراسبورغ واحد المؤرخين وعلماء الحثيات المعروفين ، الى العمل على وضع توقيت لحكم هذا الملك المؤثر كل التأثير في تاريخ سورية . فبذل جهوداً كثيرة لم توصله دائماً الى الدقة المرغوبة في بعض النتائج التي يستخلصها من مقابلة الحوادث. ولكن السبب في ذلك نقص الاثار التي استند اليها وتضعضعها واضطرابها . وعدا هذا فقد تمكن المؤلف من القاء نور غير منتظر على كثير من المشاكل الغامضة في الموضوع . وعليه فاننا ننصح بمطالعة هذا الدرس التاريخي الدقيق كل من يهمهم الاطلاع على حالة سورية وفينيقية وفلسطين في الالف الرابع عشر قبل المسيح.

س . ر .

Angel Gonzalez Palencia : Alfarabi catalogo de las ciencias. *Edition y traduccion castellana.* [*Publicaciones de la Facultad de Filosofia y Letras. Universidad de Madrid. v. II*] *Madrid*, 1932, *in-8° de XIX* + 176+ ٨٣ *pp.*

احصاء العلوم للفارابي

كان هذا الكتاب قد نُشر في مجلة العرفان . وها ان العالم الاسباني بلانسيه يعود اليه ويطبعه طبعةً جديدةً مستنداً الى مخطوطة حسنة محفوظة في

مكتبة الاسكوريال. مضيفاً اليها ترجمةً اسبانية وترجمتين لاتينيتين من القرون الوسطى . وهو عمل دقيق يظهر بمظهر حسن الا في ما خصّ النصّ العربي المطبوع بحرف بعيد عن الجمال والوضوح، ولا ندري لماذا لا يستبدلون به الحرف العربي الواضح . ه. ل.

André Bellessort : La Société française sous Napoléon III. 1 *vol. in*-16 — *Librairie académique Perrin, Paris. Prix* : 15 *f*.

المجتمع الفرنسوي على عهد نابليون الثالث

لا يخفى ان الامبراطورية الفرنسية الثانية نشأت فجأة فحوّلت مجرى الحياة الوطنية بسرعة عجيبة فلم يشبه عهدُها عهد حكومة مضت في تاريخ فرنسة . وقد شاء المؤلف ان يحدّد هذه الصفات الخاصة والميزات التي لم تكن لتصف الشعب الفرنسوي لولا ظهور نابوليون الثالث . مما يجعل المطالع يشعر بتصفح حكاية احدى المغامرات الغريبة . ولا مبالغة في استعمال اللفظة فان في انقياد الشعب الفرنسوي للامبراطور المذكور ، وقد تعب من الحركات الثورية وضجر من مواعيد الخطباء الخلّابة ، لشيئاً من الاستسلام المطلق لمثل اسم عظيم تكتنفه حوادث واعمال تقرب من الاساطير . هذا وان في سرد عناوين فصول الكتاب لدليلًا على محتوياته المتنوّعة . فان المؤلف يتكلم عن: الامبراطور ، الامبراطورة والبلاط ، رجال الامبراطورية ، المجد الحربي ، الاكليروس والحكومة ، تزيين باريس وحياتها ، المثال الخيالي الاعلى ، المسرح ، معارضة الاحرار ، الجمهورية ، الجمهورية على عهد الامبراطورية.

Emile Bréhier : Histoire de la philosophie. *t. II, vol.* 4, *in*-8°. *Prix* : 25 *f*. *Librairie Félix Alcan, Paris*, 1932.

تاريخ الفلسفة : الجزء الثاني : المجلد الرابع

هو المجلد الرابع والاخير من تاريخ الفلسفة يخصه المؤلف بالنصف الثاني من القرن التاسع عشر ويصل فيه الى السنة ١٩٣٠ ، قاسماً هذا الزمن الى حقبتين : الاولى من ١٨٥٠ الى ١٨٩٠ ، اي الى بدء حياة برگسون الفلسفية ، وهو يمثل ، في زعم المؤلف ، بدء نهضة جديدة في الفلسفة . والحقبة الثانية من ١٨٩٠ الى ١٩٣٠ ، مستعرضاً الافكار العامة والمذاهب الفلسفية المتباينة

والمتماكسة والمتطاحنة احياناً الى ان تلاشي بعضها بعضاً في اضطراب شامل. حتى ان المطالع لينقبض تأثراً اذ يطلع على هذه القوى من الجهود العقلية الجديرة بالنجاح تذهب سدى في البحث والتفتيش عن حقيقة تخالها لا ترى ولا تمس ، بينا تكون هذه الحقيقة موجودة الى جنبها تعلمها الكنيسة ، منذ قرون ، بواسطة فلسفتها الكلامية . يمر هؤلاء الفلاسفة بالقرب من الحقيقة ولا يرونها اما جهلاً وقلة انتباه واما ترفعاً وازدراء .

اما اسلوب الكتاب فصعب شاق نوعاً يتطلب من المطالع ان يكون واقفاً على كثير من مبادئ الموضوع . ثم ان المؤلف نفسه يذكر في حاشية من الصفحة ٩٠٨ « انه من المستحيل ان يتمكن الانسان من كتابة تاريخ حقيقي للفكرة العصرية » فان المفكرين اقرب الينا من ان نتمكن من الحكم عليهم . واذاً فيكتفي المؤلف في الحقبة من ١٨٥٠ الى ١٩٣٠ بتلخيص اهم الآراء راجياً من المطالع ان يغض النظر عما في ذلك من النواقص . فيقوم بتبويب وتصنيف لا بتاريخ حقيقي ، وهو ما يميز الكتاب الذي قد لا يفيد المبتدئين في هذا العلم . ج.ك.

Sacra Congregazione orientale — Statistica concenni storici della Gerarchia e dei Fideli di rito orientale. *in*-12 *de* 576 *pp. Prix*: 18 *Lire. Roma, Tipografia poliglotta vaticana.*

احصائيات خاصة بالطوائف الشرقية

هذا عمل طالما شعرنا بالحاجة اليه ، فلا يسعنا اذاً الا تهنئة القائمين به كيف لا وهو يجمع في احصائيات دقيقة كل ما يُعرف عن حالة النصرانية في الشرق ، مبتدئاً بمعلومات عن المجمع الشرقي ، والقصادات الرسولية المتعلقة به ، ذاكراً حالة الاكليروس الشرقي الكاثوليكي ، موزعاً على الطقوس المختلفة كالاسكندري ، والقبطي ، والحبشي ، والانطاكي ، والارمني ، والبيزنطي او اليوناني ، والكلداني . وبعد ذلك تأتي المعلومات عن المؤسسات الدينية المختصة باحد الطقوس او المشتركة ، والارساليات اللاتينية في البلاد . ويختم المجلد باحصائيات خاصة بالكاثوليك الشرقيين في الولايات المتحدة الاميركية وغيرها من الابرشيات اللاتينية . يلي ذلك فهارس عامة غاية في الاتقان .

واذا اضفنا الى ذلك صفة المؤسسة التي تصدر الكتاب من سمة الاطلاع، وثقة المصادر، قدرنا المؤلف حق قدره وادركنا انه لا يستغني عنه كل من اراد الوقوف على شيء في هذا الموضوع ، متمنين ان يجدد طبعه في كل سنة. ج. ل.

Islamica, 1932, *vol. V, fasc.* 4.

مجلة الاسلاميات : الجزء الرابع من المجلد الخامس

في هـذا الجزء شرح واسع دقيق على كتاب « الاضداد » لقطرب الذي كان قـد نُشر في الجزء الماضي . وان من يطالع هذا الشرح يتحقق انه لا يبقى كثير من تلك الاضداد التي شاء لتوّيو العرب ان يزيدوا عددها منّةً وكرماً. ه ل.

تهذيب تاريخ ابن عساكر

للمرحوم عبد القادر بدران

وقف على طبعه احمد عبيد

الجزء السادس – المكتبة العربية في دمشق: ق ٨ ، ص ٤٨٠

بين السنة ١٣٢٩ و١٣٣٢ هـ ــ ١٩١١ و١٩١٣ م اظهر المهذب الاجزاء الخمسة الاولى من التاريخ الكبير لابن عساكر ، ثم انتقل الى رحمته تعالى بعد ان عهد بامر القيام في نشر مـا هذبه الى الشيخ ياسين الرواف ، معتمد حكومة نجد والحجاز في دمشق سابقاً. فتحركت همة عبيد اخوان ، اصحاب المكتبة العربية في دمشق ، الى مفاتحة الشيخ ياسين في امر مواصلة النشر . وعليه تم الاتفاق بينهم وبينه ، وشمّروا عن ساعد الجد واتحفونا بالجزء السادس من التـاريخ الكبير . فحسب مطبعتهم العامرة فخراً انها ابرزت للنور اثراً من الآثار العربيـة السورية الجليلة . والكتاب جدير بان تزدان به مكاتب المطالعين ، ولا غنى عنه للاختصاصيين من الدارسين . ليس المقـام لترجمة ابن عساكر ، ولا لتحليل كتابه ، وذلك لن يكون الا بعد ظهور العدد الاوفر من مجلداته الثمانين . وجلّ ما نتمناه في الساعة ، ان يواصل السادة عبيـد اخوان جهودهم المحمودة في طبع ما نقحه المرحوم الشيخ عبد القادر.

قال الناشرون ص ٤٦٠ :

« ولقد كنا نظن حينما عزمنا على الطبع اننا نسير في جُدد بيض لا نرى فيها عوجاء ولا امتاء ، فلا نحتاج في ذلك الى كبير عناء ، بل كنا نرى ان قصارانا معارضة المطبوع على المخطوطة ، وكان داعية هذا الظن كون النسخة بخط المهذّب ؛ ولكننا ما كدنا نشرع في العمل حتى القينا انفسنا في بحر من التصحيف والتحريف ، وما زال نور من الله يمدنا حتى كشف عنا بعض تلك الظلمات وامكننا من اخراج هذا الجزء على بعض ما نريد ، ولا نقول على ما نريد . وكيف ندعي ذلك والاصل الذي اخذ عنه المهذب ورجعنا نحن اليه مشحون بالاغلاط ؟ »

اصلح الناشرون ما امكنهم اصلاحه من الاغلاط ولهم في ذلك الفضل . على ان مؤلفاً يعدّ ثمانين مجلداً لتنوء عن القيام بطبعه الطبع العلمي المطلوب جهود الافراد ولو كانوا من ذوي الهمم الشماء كالسادة عبيد اخوان ، نسبةً للنفقات الباهظة التي لا بدّ منها للتفتيش على كامل المخطوطات المتفرقة مجلداتها في مكاتب الشرق والغرب ، ولتصويرها والمقابلة بينها ، ونشرها . وقد يتاح للقراء مطالعة لائحتها في المعلمة الاسلامية للمستشرقين تحت عنوان « ابن عساكر » . فاذا تيسر الحصول عليها في اصلها فسوف يتمكن العلماء الناشرون من تصحيح ما يعسر قراءته تصحيحاً اوفى فلا يعود يشتبه امر المعنى في مواضع عديدة .

هذا وان في دمشق مجمعاً علمياً عربياً ، فاي عمل احقّ بكرامته وكرامة وزارة المعارف من ان يصير بين ممثلي العربية المعهود اليهم بترقية الاداب العربية في سورية وبين اصحاب المكتبة العربية الاتفاق على التضافر في نشر تاريخ ابن عساكر بكماله . هذا ما نتمناه لذلك الاثر الجليل قبل ان تذهب ايدي الضياع بما لا تعوّض خسارته من بعد .

ف . ت .

مجلة الحقوق

المجلد السادس ٦٠٠+٥٦+٢٦+٢٢ ص متوسطة

اهدى الينا الاستاذ نجيب خلف المحامي المجلد السادس من مجلة « الحقوق » مشتملاً على عدة ابحاث حقوقية ، وقرارات وقوانين ومراسيم صادرة من المفوضية ،

ومن الحكومة اللبنانية ، وحوادث واحكام قضائية متنوّعة ، مما لا يمكن ان يستغني عنه قاض ولا محام ، رتّبها منشئ المجلة واردفها بفهرس هجائي عامّ فزاد في فائدتها . وقد الحق المجلد بقسم من تعريب كتاب « الجنائيات في سورية » للاستاذ فؤاد بك عون . فنشكر للمهدي هذه المجموعة النفيسة .

ف.ا.ب.

الحضرة الانسية في الرحلة القدسية

الحرم الشريف

تأليف عبد الغني النابلسي

طبع على حجر بمطبعة كارل شتوكيكت في مدينة صالفلد (على نهر صاله)
اخذاً عن تركة ريمون جراب

عاش عبد الغني في ما بين القرنين الحادي عشر والثاني عشر وبلغ الثمين عاماً ونيف . اشتهر بمؤلفاته العديدة منها اوصاف الرحلات التي قام بها بين دمشق والقدس . وهذا الكتاب جزء منها ، وهو مختص بوصف الحرم الشريف فيه تسعة وثلاثون باباً دخل منها المؤلف الى الكلام عن المسجد الشهير فوصفه باسهاب وذكر طرق الصلاة فيه وتوسع بالاطراء بمحاسن الصخرة . فقال فيها الاقوال المستغربة الشائعة عند عامة المسلمين . وآخذ ابن التيمية وغيره من العلماء الذين لا يصدقون صحة الاخبار الخارقة المروية عن الصخرة مثل وقوعها في الفضاء بين السماء والارض وصحة اثر قدم النبي فيها ، وموضع ربط البراق في الحائط ، وسائر ما تحب العامة ان تراه عند زياراتها الآثار الدينية الخ . . .

وقال : «وانت تدري ان الشهرة كافية في ثبوت اثر القدم الشريف في صخرة بيت المقدس وغيرها اذ لا يقضي ذلك ثبوت حكم شرعي من تحليل حرام او تحريم حلال حتى يتحرى العلماء في ذلك كمال التحري ويطلبوا على ذلك الاسانيد الصحيحة ، وانما في ذلك ثبوت بركة وخير وفضيلة وكمال خشوع وخضوع وحضور وتعظيم للنبي . لاسيما وقد اشتهر ذلك بين العلماء المتقدمين

وذكروه في نظمهم ونثرهم بقصد الفضيلة وحصول البركة للناس ، فذلك ثابت بطريق التواتر لان القدم الشريف في الصخرة يخبر به جميع اهل بيت المسجد انه قدم النبي الخ » . . . (ص ٤٥)

كان من ذلك المخطوط نسخة في المكتبة الشرقية وصفها الاب شيخو في فهرسته في العدد ١٧٣ وكان قد ابتاعها في بيروت سنة ١٩٠٩ وهي بخط امين القديري نسخها عن نسخة المؤلف ذاته . على ان هذه النسخة فقدت ايام الحرب الكبرى . لذلك فرحنا لظهور هذه النبذة من الكتاب . عسى ان تسترد نسخته كلها ، من ايادي الضياع ، وتُطبع طبعاً كاملاً.

ف . ت .

كتاب اللاهوت النظري

تأليف البرديوط الياس الجميّل ملفان في الفلسفة واللاهوت

المجلد الاول ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ١٩٣٢ : ق ١٢ ، ص ٤٧٦

لم تمض السنوات على ظهور الطبعة الاولى من هذا الكتاب الجليل حتى نفدت نسخه والجأت المؤلف الى طبعه ثانية فاتى ذلك النجاح دليلاً على فضل المؤلف والقراء معاً لان رواج الكتاب في سوق الادب عنوان همة المطالعين وحسن ذوقهم في ارتياد العلم من مناهله الصحيحة وهو ايضاً اقرار بفضائل الكتاب وصاحبه . حسبنا تحية المجلد الاول اليوم ، عسى ان يتسنى لنا عن قريب وصف الكتاب كله بعد ظهور سائر اجزائه . ف . ت .

سلّم اللسان في الصرف والنحو والبيان

تأليف جرجي شاهين عطيّه

الدرجة الثالثة : ٢٩٢ ص متوسطة صغيرة — الثمن : ١٠ فرنكات
الدرجة الرابعة : ٤٥٢ « « « « ١٣ فرنكاً
مكتبة صادر بيروت ، صندوق البريد عدد ١٠ — ١٩٣٢

تقدم لنا (ص ٣٧٨ و ٧١٨ من مجلد هذه السنة) وصف الدرجتين الاولى والثانية من هذا الكتاب الجديد . وقد اثنينا اذ ذاك على المؤلف بما هو اهل له .

وها انه يتابع جهوده المثمرة فينشر الدرجتين الثالثة والرابعة في الصرف والنحو متصفاً بما عرف به من الوضوح وتوخي الفائدة ، زائداً في مواد الموضوع ، متوسعاً في الشروح والتمارين العملية . اما قواعد البيان فسيعرض لها في الدرجة الخامسة ، وظهورها قريب ان شاء الله . ف.ا.ب.

الدرّة اليتيمة لابن المقفّع

عني بضبطها وتعليق حواشيها الاستاذ جرجي شاهين عطيّه

٨٢ ص. متوسطة — مكتبة صادر ، بيروت ، ١٩٣٢ — الثمن: ٢ فرنكات

وهذا الكرّاس ايضاً من آثار المؤلف المذكور ، نشر فيه « الدرّة اليتيمة » لابن المقفّع التي كان قد نشرها ، في طبعة ثانية ، سنة ١٨٩٢ ، الامير شكيب ارسلان ، فاعاد النظر فيها الاستاذ عطيّه وضبطها وعلّق على بعضها الحواشي ، موطّئاً لكل ذلك بنبذة مختصرة في حياة ابن المقفّع وآثاره . فسهّل على الادباء الاستفادة من هذا السفر النفيس. ف.ا.ب.

المسرح الجديد

بقلم محمود كامل المحامي

٢٤٨ ص متوسطة — ادارة الهلال بمصر ، ١٩٣٢

هي هدية مجلة الهلال السنوية الى قرّائها ، جمعت ملخصات اشهر القصص المسرحية الجديدة التي ظهرت في الآداب الاوربية ولاسيما الفرنسوية . يرى قيها المطالع ان المسرح الجديد لا يهمّ الاهتمام الكافي بالاداب والاخلاق ، ويلاحظ ان الكتاب خالٍ من فهرس يستفيد منه المراجعون.

* مطبعة المعارف ومكتبتها* اهدت الينا ادارة مطبعة المعارف ومكتبتها لصاحبيها السيدين شفيق وادوار متري قائمة كتبها لسنة ١٩٣٢ — ١٩٣٣ فاذا هي سفر جميل الطبع ، حسن التبويب ، مزيّن برسوم المؤلّفين الذين طبعت المطبعة من آثارهم ، محتوٍ على كثير من الكتب الادبية والطبية والاجتماعية والتاريخية ، ومن الكتب المدرسية باللغات العربية والفرنسوية والانكليزية . والادارة ترسل القائمة المذكورة لكل من يهمّه الاطلاع عليها ، والعنوان : ٧٠ شارع الفجّالة ، مصر .

اهم حوادث الشرق في شهر

١٥ ايلول — ١٥ ت١ ١٩٣٢

روسيا والشرق — توفي الكردينال فون روسم رئيس مجمع نشر الايمان.

سورية ولبنان — سافر السيد بونسو ، المفوض السامي ، من باريس في ١٢ تشرين الاول بقطار الشرق قاصداً استامبول فانكرة ، فسورية.

* تأجل انعقاد مجلس النواب السوري الى ٢٥ تشرين الاول.
* وافقت القيادة العليا مبدئياً على نقل المدرسة الحربية من دمشق الى حمص.
* عُقد مؤتمر نسائي في دمشق غايته انهاض المرأة الشرقية.

فلسطين — زار الملك فيصل بيت المقدس وبعض انحاء فلسطين . وزار فلسطين كذلك الامير عبدالله.

* سافر المندوب السامي الى لندرة.

مصر — عاد رئيس الوزراء اسماعيل صدقي باشا من اوربة في ٢٧ ايلول.

* احتفل في ٣ تشرين الاول بعيد الجلوس الملكي.
* كذّب صدقي باشا الاشاعة التي ذاعت عن عزم الحكومة المصرية على ان تطلب دخول مصر جمعية الامم.
* مرّ ملك ايطالية في بور سعيد وقناة السويس في طريقه الى الاريتره.
* سارت من مصر بعثة انكليزية لارتياد مجاهل صحراء ليبية.
* توفي الشاعر الكبير احمد شوقي بك في ١٤ تشرين الاول.

العراق — قرّرت جمعية الامم قبول العراق عضواً فيها . وقد الغي الانتداب الانكليزي واستبدل به معاهدة بين انكلترة والعراق . فأُقيمت الاحتفالات في بغداد وقرّرت الحكومة اعتبار يوم ٦ تشرين الاول عيداً قومياً يدعى « عيد استقلال العراق ».

المطبعة الكاثوليكية المدير المسؤول : يوسف ماهر

المشرق

السنة الثلاثون — كانون الاول ١٩٣٢

هل كان البطريرك مقاريوس كاثوليكياً ؟

بقلم حبيب الزيات (افالون : فرنسة)

كنا تكلمنا في خزائن الكتب (ص ٢٠٠ — ٢٩٠) على تردّد هذا البطريرك بين الكثلكة والارتدكسية . واشرنا الى ما نشأ عليه من اللين والتسامح ، وما عُرف به طول حياته من المجاملة والمداراة لاشياع الكنيسة الرومانية ، والتظاهر بالانتماء اليهم ومشاركتهم في العقيدة . ورجحنا مع ذلك اخراجه من مصف البطاركة الكاثوليكيين وتصحيح نسبته الى الروم الارتدكس . واستشهدنا على هذا الرأي بموافقته على كتاب بطرس موجيلا الروسي ، المعروف بقرار الكنيسة الشرقية . وقيامه في اسفاره ، ولاسيما في روسية ، عدة مقامات جاهر فيها بعداء اللاتين . ونشرنا فصلاً طويلاً من كتابه المشهور « بالنحلة » صرّح فيه ، بغاية الوضوح ، بحقيقة دخلته وانتحاله رأي الروم في القضايا الخمس الفاصلة بينهم وبين الكاثوليك . فلم يقع رأينا موقع الرضى لدى حضرة الاب قسطنطين الباشا . ولما نشر فصول « النخبة » التي نقدناها في المشرق (٣٠ [١٩٣٢] ٥٦١ - ٥٧٤) اتبعها بمقالة

طويلة حشد فيها كل ما تراءى له من الدلائل والاحتجاجات على صحة معتقد البطريرك المذكور وقضى انه لا محالة كاثوليكي لا غش فيه.

وقد طالعنا بغاية الارتياح والقبول كل هذه الشروح التي توسّع فيها تعزيزاً لرأيه ومناضلةً عن دعواه . فلم نجد فيها ، بعد الدرس والمعارضة ، الا زيادة في البرهان على ما سبقنا وقررناه من تساهل البطريرك ومداجاته وتقلبه ومصافاته لرجال الكنيستين . ولم نعثر بينها على شاهد واحد قاطع بصدق نزوعه عن الارتدكسية وايثاره العقيدة الكاثوليكية . وقد راجعنا ما وسعنا مراجعته من كتاباته العديدة فلم نُلفه اقدم مرة على التلفظ بسمته الكاثوليكية . ولما اضطر يوماً الى الالماع اليها كنى عنها تكنيةً ولم يصرّح . وهو قوله في خطابه الملك لويس الرابع عشر « نحن من هذا الجنس الاصيل في حسن العبادة اعني سلالتكم الطاهرة » ، يعني الجنس الكاثوليكي ، كما فسّره المرحوم الاب رباط ، وعنه نقل الاب قسطنطين . ولما بلغ القسطنطينية ، في سفرته الاولى سنة ١٦٥٣ ، اجتمع بسفير الملك المشار اليه « يوحنا الملقب بدالآهِ » Jean Delahaye وشكا اليه الظلم الصائر على الكنائس والمسيحيين في الشام واستغاث به لتخفيف وطأته عنهم . وكتب في هذا المعنى نفسه عريضة بتاريخ نهار الاثنين ٢٩ تشرين الثاني من السنة نفسها حينما كان في بلاد البغدان رفعها « الى جناب الموقف العالي الملك الهادي والفايق في الديانة المسيحية لوداويكو ملك الرابع (كذا) لفاليون » كما في نسختها المصوّرة عندنا . ولكن ابنه الشماس بولس اغفل ذكرها في تاريخ الرحلة ، ولم ينبث بينت شفة عن مقابلتهم للسفير المذكور ، مع انه توسع في حكاية كل ما وقع لهم في القسطنطينية وعدد كل زياراتهم واجتماعاتهم مدة ضيافتهم في البطريركية اليونانية . وكان اكثر ايامه ينظر الى الافرنج والكنائس الكاثوليكية بعين النفور والكراهة، كما يستدل من جملة مواضع من كتابه اوعبها طعناً وازراء كما سيجيء من كلامه. ولذلك صمت عن حكاية اجتماعهم بسفير « العظمة الكاثوليكية » . ولم يلتفت بحرف الى العريضة التي خطها بقلمه . وكان الولد ، كما قال عن نفسه في مقدمة الرحلة ، «تابعاً لوالده في كل امر يقتات بغذاء اقواله المحبية شارباً على

الدوام ماء تعاليمه العذبة المروية » . فلا شك انه وقف عند اشارته في كل ما سكت عنه او نطق به في كتابه .

وقد بلغ الهوى بحضرة الاب قسطنطين انه تحكّم في اختيار الشواهد التي وقف عليها في مجموع المرحوم الاب رباط «الآثار الخطية» ، فنقل من الصفحة الواحدة ما وجده يؤيد مذهبه ، وتجاوز عن كل ما يخالفه او يضعف حكمه منها ، كما فعل في ما استخرجه من رسالة اندراوس اخيجان بطريرك السريان للملك لويس الرابع عشر بتاريخ ١١ شباط سنة ١٦٦٣ ، وقد جاء فيها انه في ايام القنصل فرنسوا بارون صار اتحاد الروم والارمن والسريان . قال : «فالحمد لله ان بطاركة هذه الطوائف الثلاث كاثوليك » . وانما اراد الكاتب ان يشير فقط الى ميلهم ونزعتهم الى الكثلكة ، لا انهم صاروا في الواقع كاثوليكاً . وقد صرّح بهذا المعنى بعد خمسة اسطر فقال يعني البطريرك مكاريوس : « ونظيرهم اخونا بطريرك الروم بدأ هو ومعظم طائفته ان يعرفوا الحقيقة » . ولا يخفى مغزى هذا القول على احد . وقد علّق عليه الاب رباط حاشية قال فيها « ليحتفظ بهذه العبارة لان اهتداء مكاريوس لم يصحّ قط كما يتبين من سياقة قصته . وقد توقف في رسالته الاتية (التي سبق ذكرها) عن الاقرار بانه كاثوليكي » (ص ٤٧٠) . ومع ان الاب قسطنطين قرأ كل هذا الذي اوردناه ، لم تطاوعه نفسه على نقل هذه الشواهد كلها ونقدها ، بل آثر الاغضاء عن قول البطريرك اخيجان الاخير وعن حاشية الاب رباط لما فيها من الخلاف لتأريله . واقتصر على ايراد عبارة اخيجان الاولى المقتضبة مع معرفته بما في تتمتها من البيان والاستدراك ، رغبةً منه في التوصل الى اثبات كثلكة مكاريوس .

ومن هذا القبيل ايضاً صنيعه في منشور المرسلين الافرنج في حلب سنة ١٦٦٢ ، قالوا فيه بعد حكاية استشهاد داود الرومي الملكي واهتداء تسعة من كهنة السريان مع بطريركهم اندراوس الآنف الذكر : « وهذه الحوادث كلها اثرت في نفوس كثيرين ولاسيما بطريرك الروم » . فعلق الاب رباط على هذا الموضع قوله : « هذا البطريرك هو مكاريوس الذي بقي كل حياته متذبذباً

بين الشقاق والوفاق حسب تأثيرات الحال ومصالحه الشخصية » (ص ٤٥٨) .
فسكت الاب قسطنطين عن هذا الحكم الصريح كما سكت عما قبله ولم ينبّه عليها بحرف واحد . واقتصر على ما قرأه في المنشور نفسه ان البطريرك مكاريوس ارسل مع القنصل فرانسوا بيكيت رسالة الى البابا اعترف فيها بسلطته على الكنيسة الارتدكسية (ص ٤٥٩) . وقد استطال بهذا البرهان ، وهو في الحقيقة اهم ما عوّل عليه في اثبات دعواه .

على ان هذا التسليم من البطريرك برئاسة البابا سرّاً في رسالة خاصة لم يكن في الواقع الا خدعة خلب بها قلوب المرسلين ، وحلاوة من طرف اللسان والقلم جامل بها القنصل واللاتين ، مراعاة لاغراضه الحاضرة ، بدليل انه لم يتوقف لحظة عين بعد قليل عن الذهاب الى خلافه وهدم ما بناه ونقضه بموافقته على مضمون كتاب بطرس موجيلا الروسي ، المشهور بقرار الكنيسة الشرقية ، في المجمع الملتئم في القسطنطينية برئاسة البطريرك برثانيوس . وقد وقع عليه بقلمه في جملة الحضور بتاريخ ١٣ اذار سنة ١٦٦٣ ، اي بعد اقراره بخط يده بسلطة البابا ببضعة اشهر . وهذا الانقلاب السريع كاف وحده للتعريف بالرجل وبحقيقة كثلكته الموهومة . وكل يعلم ما في الكتاب الروسي المشار اليه من العداء للبابوية والمخالفة لعقائد الكنيسة الكاثوليكية ، كما اثبت ذلك الاب مارتن جوجي الصعودي في مقالته في مجلة « اصداء الشرق »[1] فالتوقيع اذن على مثله اقرار لعقيدته وقبول لمذهبه . وقد اغضى الاب قسطنطين عن هذا البرهان القاطع لكل تأويلاته وتخريجاته ولم يتمحل له اقل عذر كما تمحل للفصل الذي نقلناه من كتاب « النحلة » . ولا يخفى ما في هذا السكوت عن كل ما خالف رأيه من التغرّض والعدول عن النزاهة المفروضة على كل مؤرخ نظيره .

وهذا الفصل المشار اليه في « النحلة » عربه البطريرك مكاريوس ليس عن كتاب بائيسيوس اسقف غزة ، كما زعم حضرة الاب ، ولكن عنه وعن كتب

1) Echos d'Orient. *La Confession Orthodoxe de Pierre Moghila, par* M. Jugie 1929. n° 156, p. 419.

اخرى ، كما جاء في مقدمة « النحلة والتاريخ الرومي العجيب الجديد » . وقد كتبه في سفرته الثانية ، بعد اقراره السري بسيادة البابا وتوقيعه على كتاب موجيلا الروسي ، وهو مثله مطبوع على غرار واحد في الانتصار للكنيسة الشرقية وتأييد قضاياها الخمس التي تنكرها على الكنيسة الغربية . وقد اختاره البطريرك حرًا غير مضطر ولا مكره . واطلق عن طواعية لقلمه العنان في روايته وشرحه دون اقل استدراك عليه او تنصل منه . فهو اذًا في نظره كما قال « من جملة الازهار الزكية التي طاف عليها وجنى منها » هذا الشهد . ولا ريب انه عده من جملة « المنافع الروحانية » التي ذكر انه كان يبحث عنها في كل « كتاب رومي غريب » حبًا بمنفعة قرائه . فاذا لم يكن مثل هذا الاختيار والتوسع في النقل دالاً على ما وراءه من المشاركة والمشايعة في الرأي والاعتقاد ، وبالتالي عنوانًا على دستور ايمانه ودخيلة مذهبه ، فما ندري ايّ شيء يعني سواه ! ولا ما كان الداعي اليه والباعث له على انتقائه واستخراجه ! وقد قيل دلّ على امرئ اختياره .

وقد ادرك الخوري قسطنطين ان في مثل هذا الاختيار والتعريب تبعة على البطريرك لا يتهيأ له تبرئته منها ، فاحبّ ان يرتاد له وجهًا آخر في الدفاع عنه فتخيّل له عذرًا جاء فيه بالطامة الكبرى . وهو ان بائيسيوس اسقف غزة « صانع البطريرك مكاريوس حتى عرب ما اراد من كتابه مع ما فيه من الزور والبهتان » (كذا ص١٣٨) . وافتراض مثل هذا العذر الغريب يترتب عليه طبعًا انه في شرع المعتذر يستطيع البطريرك ان يقبل الرشوة على تعليم ما يخالف ايمانه ويبقى عنده مع ذلك كاثوليكيًا . ولا شك ان قلم حضرة الاب خان فكره وتجاوز مراده ، والا فهو اوفر علمًا من ان يجهل ما في هذا الرأي من الشناعة والفظاعة ، فضلًا عما في اطلاقه على البطريرك من الحطّ من كرامته والإزراء باخلاقه وآدابه .

ومما تعلل به ايضًا في الاعتذار عن فصل « النحلة » ان النسخة المخطوطة التي وقفنا عليها هي ، كما قلنا في وصفها ، نسخة مخرومة ناقصة . وادعى اننا لو طالعنا في مكانها نسخته الكاملة وقرأنا كلام البطريرك على فتح القسطنطينية

وعاقبة الشقاق على الروم لكنا عدلنا عما كتبناه (ص١٣٦). ولا نفهم اي عمل لنقص النسخة في نفي كثلكة البطريرك او اثباتها . وقد نقلنا من لفظه في شرح القضايا الخمس الفاصلة بين الكنيستين واحتجاجه للروم فصلاً برأسه تاماً كاملاً قال فيه ان « هذه الخمسة اشيا ابتدعوها الافرنج ومنها تزول كل الشكوك » . وليس بعد هذا التصريح حاجة للمزيد . واما ملامته الروم على الشقاق فلم ينفرد بها وحده بين اشياع الكنيسة الشرقية . وهي رأي كل مسيحي عاقل منصف . وكان في سفرته الاولى قد سمع من الطعن والانتقاد على الروم وملوكهم ورؤساء كهنتهم ما رواه في غير موضع من كتبه . ولا بأس ان ننقل هنا ما تلقنه ابنه الشماس بولس وسمعه مع والده من الروس في المعنى نفسه . قال بعد ان وصف طقس الاحد الاول من الصوم عندهم :

« ولا زالوا على هذه الحال يذكروا لكل قديس « فليكن تذكاره مؤبداً » من فم واحد ثلثاً الى ان انتهوا من ذكر قديسينا وابتدوا في ذكر قديسيهم الجدد . . . ثم ابتدا يذكر ساير ملوكهم رحم الله جميعهم وجعل حظنا معهم . الذين تملكوا من طول زمان هذا مقداره اكثر من سبعماية سنة كما ذكرنا اولاً . ولم يظهر فيهم احداً محارب للايقونات ولا ارطوذي . الا ان جميعهم قديسين كما كنا نشاهد ايقوناتهم ونسمع اخبارهم . لا كمثل ملوك الروم الذين دنسوا الملك لا رحمهم الله في محاربة الايقونات واراسيس وبدع وغير ذلك . لان يعلم الله كنا اذا نظرنا صور السبعة مجامع واولئك الملوك الاراطقة ومحاربي الايقونات مصورينهم منحدرين الى الجحيم كنا نستحي من المسكوفيون ومن ملكهم واكابرهم . لانهم يتهزون بهم وبملكهم قائلين انظروا الى اولئك الملوك الذين من نورهم استنرنا بنور الايمان كيف كانوا يفعلون في كنيسة الله المقدسة من محاربة الايقونات والسجن والشرور . وكيف كانوا يعاقبون البطاركة ورؤساء الكهنة وكل طغمة الكهنوت مع الابرار والنساك والقديسين . اعظم ما كانوا يفعلون عباد الاصنام مثل ديوكلتيانوس ومكسيميانوس وغيره . وكيف ولا كانوا يفعلون ملوك الروم ذلك لانهم كانوا يملكون عليهم اعداء الدين مثل لاون الارمني وغيره رعاة الخنازير ومقلقطين المراكب وغيرهم الذين ليس هم من بيت الملك ولا من اهله . وكيف ولا وكانت ملكاتهم مثل افضوكسيا واضرابها . تلك التي اتقت فم الذهب وفعلت في كنيسة الله افعال ما فعلوها عباد الاصنام في زمانهم لاجل غرضها . وغيرها من الملكات الذين كانوا يعاملون على ازواجهم الملوك ويقتلونهم ويتزوجون غيرهم ويملكونهم كما يخبر التاريخ الرومي الجديد عنهم اخبار يا ليته لا كان ذكرها عن قبايحهم وتلاعبهم في المملكة كاولاد الصغار . لقد يخجل من سماعها الفتى . ولاجل هذه الاخبار وغيرها ومناقص اولاد الروم وقبايحهم الدايمة في كل مكان ما كنا نتكلم لهم محبة في كل مكان اصلاً . كما شاهدنا باعيننا

لان من جورهم في البغضان اراخنة فاسيلي وفسادم قامت الرعايا جميعهم وهزموه وقتلوا جميعهم وضبوا اموالهم. وكذلك عدنا الان سمعنا ما جرى عليهم مثل ذلك في بلاد الفلاخ كلها. ولا رأينا القزق يحبوهم. والمصكوفيون لا يقبلوهم الا شفقة منهم يتصدقون عليهم. ويا كم ما انفوا الى بلاد سيبيريا والى ديورة بحر الظلمات منهم. ويا كم حكام بوتيليا منها للورا يردوهم. وكل ذلك لكثرة قبايحهم وعظم شرورهم . واما في البلاد الافرنجية جميعها لا يطيقون ذكرهم قايلين لاضم هم الذين بعكس تدبيرهم ضيعوا الملك منهم وقووا الترك لما ملكوها على ممالك غيرهم. فما هم هولاء القوم. وما هي هذه فعايلهم. فاذا كانوا هكذا فعلوا من القديم ملوكهم فما هو عجب الآن ما يفعلونه من القبايح في ابن ما حلوا هم وروسا كهنتهم . الله يلطف بنا وبهم . هذا الكلام ما هو دينونة منا . لكن هكذا كنا نسمعهم في اين ما اتينا يتكلمون عنهم . . . وكان لما يذكر الارشيدياكون اسماء جميع ملوكهم وملكاتهم واولادهم من حين ما صاروا مسيحيين الى عهد ميخايل ابي هذا الملك كانوا يترغوا الكل واحد منهم « فليكن تذكاره مؤبداً » ثلثاً . . . ولما ذكر اسماء الاراطقة من البطاركة والكهنة وغيرهم من الملوك محاربي الايقونات كانوا يترغوا لكل واحد « اناثيما » ثلثاً . ولعنوا جميعهم مع ساير ملل الافرنج والارمن وغيرهم. » (١

فهل يصح ان يحتج بمثل هذا التنديد والازراء الشديد بالروم لاثبات ميل البطريرك للافرنج واقرار مذهبه الكاثوليكي في حين ان هذا الطعن منه في الروم لم يمنعه قط من موالاتهم ومشايعتهم في الايمان كل حياته تقيةً منهم او حرصاً على مصلحته لديهم ؟

ولم يكتفِ في سبيل هذه الموالاة والمشايعة بالتوقيع معهم على كتاب موجيلا الروسي ، وتعريب فصل « النحلة » في تضليل اللاتين ونسبتهم الى البدعة . بل تتبع من تلقاء نفسه مؤلفات الروم في هذا المعنى وعربها خدمةً لهم وتعصباً . وله اليوم في خزانة بريتيش موزيوم مقالة في « العلما الروم الذين كتبوا باللغة اليونانية مصنفات يردون بها على بدع اللاتين المحدثة وذكر اسمائها على ترتيب حروف الفابيطا » (*Codex* VIII, *Pars* II) . وعرب لهم ايضاً في سفرته الثانية « كتاب اخبار السبعة مجامع المقدسة المسكونية المشتمل على الاعتقادات المستقيمة البهية » وهو اعلان منه ومجاهرة بعدم قبوله المجمع الثامن كسائر رجال الكنيسة الارتدكسية . ولذلك كان يعلم في موسكو « الاعتراف بالمجامع السبعة ولعن المجمع الثامن» ، كما سيجيء.

١) رحلة البطريرك مكاريوس ، خزانة باريس : رقم ٦٠١٦ ، ص ١٦٦-١٦٧

وكان قبل سفرته الاولى حينما كان في حلب يقرب المرسلين اسوةً بسلفيه افتيميوس الرومي واقتيميوس كرمة ، ويظهر لهم المودة والولاء ، ويستعين بهم على التعليم في المدارس والوعظ والارشاد وقبول الاعترافات والكتابة والترجمة. وفي خزانة مجمع نشر الايمان وصف مفقل باللاتينية لكنيسة الروم في ايامه لا شك انه بقلم احد المرسلين الكبوشيين في حلب جاء عنه في اثنائه ما تعريبه ، بعد وصف البطريرك مكاريوس :

« تمكن المرسلون في عدة اجتماعات لهم ببطريرك الروم ان يتزلفوا منه وينالوا حظوة لديه . فاذن لهم ان يشرحوا الدين المسيحي للاولاد في خمس مدارس لهم واوصى كل المطيعين فيها ان لا يعارضوا ايّاً كان من المرسلين . فتولى الاب سلفستروس تعليم مدرستين كان في كل منهما خمسون طالباً . ووكل الثلاث الباقيات الى الاب بلاسيوس . وبهذه الطريقة تمرّقنا باكبر البيوت حيث كنا نُستقبل بارفر الاكرام . وكان المرسلون اذا حضروا الذبيحة الالهية في كنيسة الروم يدنيهم البطريرك الى اقرب مكان منه . ويحتفي بهم بغاية الاجلال . ولذلك كان الشعب كله او معظمه يحترمنا ويستمع منا كلام الله بغاية الورع والغيرة . »(١)

ولكن هذا الودّ والولاء للافرنج واللاتين ما عتم ان انقلب الى اشدّ الكراهة والبغضاء منذ وطئ البطريرك ارض موسكو وتلألأت في عينيه صفرة الذهب الروسي . ومن طالع كتاب الشماس بولس الذي جمع فيه اخبار رحلتها الى بلاد الفلاخ والبغدان وروسية وجده طافحاً بالطعن على الافرنج ولاسيما « اللاه الكفرة الملاعين » اي اهل بولونية ، مشتملاً على اقبح الشتم والانتقاص للاتين . وهذا نص ما كتبه عن اليسوعيين اصحاب والده بالامس . قال :

« كانوا اللاه دايما غادرين . . . ثم زادوا في ظلمهم الى ان سمموا من شر اقوال قسوس الايسوعية لا بل اليزيدية لهم . زعموا لينفوا القزق كانم ويجعلوهم افرنج تابعون للبابا كمثلهم . » (ص ٦٦)

وقال ايضاً بعد ذكر الدير المعروف باسم نياح السيدة خارج كيوف :

« بسبب هذا الدير جرى ما جرى على اللاه من شر قسوس الايسوعية لا بل اليزيدية

١) *Archivio della S. C. de Propaganda Fide.* Scritture non riferite dal 1622 a tutta il 1707, fol. 64.

الذين ارادوا ان ياخذوه من الارتدكسيين. وهو كان سبباً لزوالهم واضمحلالهم للغاية. »
(ص ٧٧)

وفي كيوف هذه سمع البطريرك بكل ارتياح وقيّد ابنه بغاية الفخر والاعجاب. « ان لاهل كيوف اعتقاد كلي م وهذه البلاد جميعها الى المصكوف ان بطرك انطاكية هو صاحب الحل والربط وهو خليفة بطرس الرسول . وله وحده اولاً خوّل السيد المسيح الحل والربط في السماء والارض وهو اقدم البطاركة. » (ص٨٤)

قال الشماس :

« وعلى هذا المنوال سأورد خبر لطيف اتى محله هنا . وذلك انه جاء الى عند سيدنا البطرك في هذه بلدة كيوف كاهن مكلف رومي الجنس مقيم في مدينة جريز في الفرانسة واجتمع به بشوق كبير . . . اخبرنا هذا الكاهن المسمى بابا ايليا قايلًا انه خرج في هذا الزمان في بلاد الفرانسة رجل عالم فيلسوف للغاية مذهبه لوطروس وانقادت اليه خلايق كثير. هذا ظهر يشنع على هذا البابا امورًا كثيرة . منها انه ارسل اليه رسالة لرومية قايلًا له. سؤال . كان ملك عظيم الشان وكان له خمسة بنين . وكان يحبهم جميعاً بالسوية. ثم انه قسم ملكه بينهم بالسوية. وكذلك صار . فالواحد منهم انشق وزاغ عنهم وصار برأي نفسه . واما الاربعة فبقيوا على محبتهم لبعضهم بعض ووصية ابيهم فاي منهم يطاع . الواحد الذي خرج عن اخوته ام الاربعة الذين بقيوا على وفاقهم . ثم انه رد الجواب قايلًا ان الاربعة بطاركة والبابا خامسهم صاروا منذ عهد بطرس الرسول وبقية الرسل ومن المجامع المقدسة . وبقيوا شي واحد كما هو معلوم زمانًا طويلًا على الايمان المستقيم اخيرًا انحرف البابا عنهم اي انفصل من الجسد او الكف الاصبع الواحدة . فالواجب الاطاعة للاربعة لا لذاك . . . وقال الفيلسوف المذكور جواب ثاني. اذا كان البابا يدعي انه خليفة بطرس الرسول فالاولى بهذه الدعوى بطرك انطاكية لان بطرس الرسول اول ما صار بطركًا جا وحضي باكرام كلي جا. واما رومية فانه صلب جا . ثم اخبرنا الكاهن المذكور ان في ساير بلاد الافرنجية يحبون بطرك انطاكية ولهم به اعتقاد كلي بخلاف غيره. » (ص ٨٤ — ٨٥)

ومن هذا الهذيان الذي دعاه الشماس خبرًا لطيفاً ، واصغى اليه والده دون انكار ولا استكبار ، يستدلّ على المقام الذي قامه البطريرك في اسفاره بين رجال الكنيسة الارتدكسية ، والمقعد الذي قعده في المجامع التي شهدها في القسطنطينية وروسية . وبالتالي تظهر حقيقة معتقده في الكنيسة الكاثوليكية التي كان يرى نفسه احق من امام احبارها بخلافة بطرس الرسول . وكان هذا العداء منه للبابا والافرنج معروفاً لا يتوجه اليه اقل شك في نظر الروس

ولذلك لم يتوقف البطريرك نيكون عن تكليفه هداية الكهنة من اسرى بولونية من الضلال البابوي كما حكاه الشماس قال :

« سلم البطرك نيكن لسيدنا البطرك ستة كهنة من بلاد اللاه مشرطنين من قبل كردينال البابا المقيم في مدينة فيلنا . . . ولباس كهنوتهم مثل كهنتنا الا انهم كانوا ينوهوا باسم البابا . حتى وقنداق قداسهم مثلنا . فهولاء لما استحوذوا احد اراخنة الملك على احد البلاد واخرب كنايس اللاه وقتل الكهنة تضرعوا اليه هولاء واخبروه انهم ارتودكسيين . فارسلهم الى عند البطرك نيكن لينظر في امرهم . فلما جاؤا اقاموا احد عشر جمعة لا احد ينظر اليهم لكثرة اشغال البطرك الى الان . حتى فرج الله لهم على يد معلمنا . . . اخذناهم معنا لكنيسة الملكة . ثم احضرنا له اثنان من اوليك الكهنة . . . ابتدا سيدنا البطرك يلقنهم اسرار اعتقاد الامانة واحدة واحدة والاعتراف بالمجامع السبعة . وباركوا ما باركوه ولعنوا ما لعنوه . ثم لعنوا الاراطقة والمجمع الثامن والبابا . . . » (ص ١٨١)

فهل من كانت هذه سيرته وسريرته ، وكان هذا بلاؤه وغناؤه بين رجال الكنيسة الارتدكسية ، ومن اقدم على لعن المجمع الثامن والبابا ، وكان يرى نفسه اولى من البابا بالحل والربط واقدم نسباً في خلافة بطرس الرسول يصح ان يعد كاثوليكياً في نظر الاب قسطنطين ؟ نعم انه قرّب المرسلين في حلب ودمشق ، وتظاهر بموالاة اللاتين وقبول الكثلكة ، وارسل رسالة الى البابا اعترف فيها — فيما رواه بعض معاصريه من الافرنج — بتقدم الحبر الاعظم وسلطته . ولكنه ما عتم ان قلب ظهر المجن ووقع على كتاب موجيلا الروسي ، وعرّب فصل «النحلة» والمصنّفات المعادية للكنيسة الرومانية ، وهزأ بالقنصلين بيكيت وبارون ، وشايع الروم والروس ، ومكر بالمرسلين . وحارل بعد عودته من موسكو فتق ما رتقوه وتفريق ما جمعوه ، كما نبه على ذلك شاهده الاب ميشيل نو اليسوعي في رسالة له باللاتينية بتاريخ ١٧ اذار سنة ١٦٧١ محفوظة في مجمع نشر الايمان ، وصف بها كنائس دمشق وقال فيها ما تعريبه :

« في هذه المدينة يمتاز الروم بين النصارى بثروتهم وكثرتهم . وقد نقلوا اليها منذ زمان قديم الكرسي البطريركي الانطاكي . وهم يحتفلون في كنيستهم بطقوسهم بغاية الابهة . وليتهم يقيسونها بمثل هذا القدر من التقوى والايمان . وكان بطريركهم مكاريوس قبلاً مؤثراً لنا . ولكنه اليوم بعد رجوعه من البلاد المسكوفية وازدياد اقتداره يظهر انه رجل آخر بلسان آخر . قدّر الله ان لا يهدم في ايام قليلة ما بنيناه نحن في سنين كثيرة . »

وهذا نص الاصل باللاتينية :

Graeci verò hac in Urbe inter Christianos multitudine, et opibus eminent. Jam dudum est cum huc Antiochenam Patriarcalem Sedem transtulerunt. Quae sui sunt ritus in suo Templo magna pompa exequuntur, utinam pari pietate, et fide. Nobis olim favebat qui ipsis praeest Patriarcha Macarius. Nunc post suum è Moscovia reditum auctis facultatibus alius videtur, et alia loquitur. Faxit Deus ne diebus paucis ea diruat, quae annis pluribus sumus commoliti .(1)

ومما يزيد في قدر هذه الشهادة انها كتبت ست سنوات بعد ان ارسل مكاريوس عقيدته الكاثوليكية المزعومة الى رومة . وهو ما يدل على انها لم تكن منه الا تملقاً وشقشقة لسان . وقد مرّ علينا نيف وثماني سنوات ونحن نتطلبها في رومة بين هذه الاوراق المشتتة في مئات من المجلدات المتراكمة في مجمع نشر الايمان دون ان نظفر بضالتنا منها . وقد وقفنا في اثناء هذا البحث الطويل الشاق على عدة عقائد كاثوليكية لبعض خلفاء مكاريوس واساقفتهم بتواقيعهم الاصلية ، نظير اثناسيوس الدباس ، وكيرلس الزعيم حفيد مكاريوس ، ومثل مكاريوس اسقف طرابلس ، وبرثانيوس اسقف بعلبك ، وسلفستروس دهان مطران بيروت ، وقزما رئيس اساقفة طورسينا ، وبرثانيوس اسقف آمد (ديار بكر) ، وجراسيموس وناوفيطس نصري اسقفي صيدنايا ، وغيرهم من رجال الكنيسة الملكية بين اواخر القرن السابع عشر واوائل القرن الثامن عشر في الحقبة السابقة تميز الطائفتين . فلم يكن غياب عقيدة مكاريوس وحدها دون سواها الا ليزيدنا ريبة في صحتها واستقامتها واعتقاداً في ابهامها وشبهتها . وبالتالي يقيناً في تنحية مجمع نشر الايمان لها ، حتى عثرنا اخيراً على نص صريح ناطق بتحويلها الى ديوان التفتيش(2) . وهو كما يُعرف ديوان كل متهم ظنين . وتعقبها هنالك لا تطوله اليد ، ولعله لا يتهيأ اليوم لاحد .

1) *Archivio della S. C di Propaganda Fide*. Scritture Riferite nei Congressi Siri a. 1631 – 1773, vol. 1.

2) *Acta S. C. di Propaganda Fide, 1665 Cong., 19 Genn.* n° 6, fol. 5 v°.

وهذا التحويل لديوان التفتيش كافٍ وحده لاسقاط البرهان الفرد الجدير بالاعتبار الذي بنى عليه الاب قسطنطين صرح دعواه . وقد كان امساك المجمع عن قبول عقيدة مكاريوس والجواب عليها معروفاً في دمشق لا يُشتبه في تأويله . وكان تذكاره لم يبرح من بال البطريرك كيرلس حتى بعد انقضاء خمسين سنة عليه . ولذلك لم يغفل عن الاشارة اليه والاحتجاج به حين كلف الخوري سارافيم طاناس ان يجيب عنه دعوة البابا له للوفاق . وهذا تعريب ما ورد في هذا الصدد في محضر المجمع المقدس بتاريخ ١٢ تشرين الثاني سنة ١٧١٥ :

« قال ايضاً سيرافيم طاناس انه لما اقنع بطريرك الروم بالخضوع للسدة الرسولية قال له البطريرك انه يجب قبلاً ان يرسل له البابا رسالة يدعوه فيها ، وانه بعد ذلك يعترف برئاسته عليه وينادي بالايمان الكاثوليكي في كل المشرق لانه لا يشاء ان يجري عليه ما جرى على عمه (غلطاً بدلاً من جده) في ايام قداسة البابا أربانس الثامن (كذا) حين ارسل الى رومة دستور ايمانه ولم ينل قط جواباً عليه . »[1]

وفي خزانة المجمع ايضاً رسالة لرئيس الآباء الكرمليين في حلب بتاريخ ٣ ايار سنة ١٦٨٢ فيها ذكر البطريرك مكاريوس وانه « مات بعد ان عاد الى شقاقه »[2] . ويستدلّ من هذه الكتابة وامثالها مما كان يرد قبلاً على المجمع ان رومة كانت لا تجهل حقيقة دخلة مكاريوس ومداهنته وقلة اخلاصه . ولذلك لم تُستدرج بخديعته ولم تحفل بعقيدته ، وعرفت انه إمّعة لا يستقرّ على مذهب من المذاهب ، بل ثعلب مسنّ من اروغ الثعالب .

1) *Acta S. C. di Propaganda Fide d'all'anno 1715*, f° 602.

2) *Acta S.C. di Propaganda Fide d'all'anno 1682* f° 289, lettre du P. Angelo di Gesù e Maria, Supérieur des Carmes d'Alep.

الغريبة

ننشر فيما يلي قصيدة من رواية «حمى الاميرة» التمثيلية التي يضعها الاستاذ كرم البستاني ، احد اساتذة كليتنا ، وقد صوّر فيها غريبة تصف وحشتها ، وآلامها ، والمصائب التي توالت عليها فشرّدتها وحيدة في بلاد لا انيس لها فيها . قال :

غريبةٌ في بلدٍ موحشٍ هيهاتَ تلقى من يُعزّيها !
تقاذفتها عادياتُ الشقا فأبعدتها عن مغانيها .
تسيرُ ، والهمُّ رفيقٌ لها ، وزفراتُ اليأس تُضنيها ،
تُرعدُها النأمةُ إمّا سرت ، ووحشةُ الصمت تبكّيها .

...

تذكر اهليها وما نابهم ؛ فتنثني تندب اهليها :
أمّاً حنوناً ، وأباً طيّباً ، كانا لها الدنيا وما فيها ؛
راحا ، فراحت بيضُ آمالها ، وبُدّلت يأساً امانيها .

...

تسعى الى السلوى ، وانّى لها ! وهل ترى ساوي تسلّيها ،
وكلُّ ما تشهدُهُ باعثٌ في نفسها حزناً يضنيها !
تُقطّع اللوعاتُ أحشاءها ، ولاعجُ الآلام يُفنيها .
لكنما الله لها ، فهو لا يتركها ، واللهُ يكفيها !

كرم البستاني

المناذرة ملوك الحيرة

قرن ونيف من تاريخهم
٤٠٣ - ٥١٤ م

بقلم يوسف غنيمة (بغداد)

١

تمهيد

قام على عرش الحيرة سلالتان هما السلالة التنوخية التي دام حكمها (١٣٨ — ٢٦٨ م)؛ والسلالة اللخمية، وهم المناذرة من آل نصر، دام سلطانهم (٢٦٨ - ٦٣٢ م). مع فترات تخللت هذه الحقبة استولى فيها على التاج الحيري دخلاء عيّنهم الاكاسرة. وكان رأس السلالة اللخمية عمرو بن عدي، وعقبه في الحكم ابنه امرؤ القيس البدء، فعمرو الثاني ابن امرئ القيس، فأوس بن قلام العمليقي (ولم يكن هذا من آل نصر بل لخمياً من اشراف الحيرة) فامرؤ القيس الثاني ابن عمرو الثاني.

وكان خليفة امرئ القيس الثاني ابنه النعمان الكبير، وهو من مشاهير ملوك الحيرة. ثم تتابع على الحكم ملوك آخرون. وقد اتخذنا موضوع بحثنا الحاضر تاريخ المناذرة من عهد النعمان الاكبر حتى امرئ القيس الثالث. ويمتد زمانهم من سنة ٤٠٣ الى سنة ٥١٤ م، اي نحو قرن ونيف. وهذه الحقبة هي احدى الحقب الغامضة من تاريخ ملوك الحيرة.

وقد اقتطفنا هذا الفصل من كتابنا المعنون: « الحيرة : المدينة والمملكة العربية » الذي تكلمنا عنه في مقالنا « العاوم في الحيرة » المنشور في « المشرق » الاغر في اعداد آب وايلول وتشرين الاول وتشرين الثاني من هذه السنة.

النعمان الاول او الاكبر

٤٠٣ ـ ٤٣١ م[1]

الدائح ، والاعور ، وابو الشقيقة[2]

النعمان الاول ابن امرئ القيس الثاني ، وامه شقيقة بنت ربيع بن ذهل ابن شيبان بن ثعلبة ، على رواية اكثر المؤرخين ، ولهذا يقال له ابن الشقيقة[3] الا ان المسعودي[4] يذكر اسم امه الهجانة بنت مسلول من مراد ويقال من اياد.

نال النعمان بن امرئ القيس شهرة بعيدة ، وحاز منزلة عظيمة في تاريخ ملوك الحيرة ، لما كان عليه من حسن التدبير وضبط شؤون الملك ومن الحزم في ادارة مالية البلاد ، وتنظيم الجيش ، والبطش بالاعداء ، والامعان في الغزو والفتوحات ، والميل الى العمران والبناء ، مما سنراه . فقال عنه المؤرخون : كان من اشدّ ملوك العرب نكايةً في الاعداء ، وابعدهم مغاراً ، وغزا الشام مراراً كثيرة ، واكثر المصائب في اهلها وسبي وغنم[5] وقال حمزة الاصفهاني[6] : وكان ملك فارس ينفذ معه كتيبتين : الشهبا ، واهلها الفرس ، ودوسر ، واهلها تنوخ ، فكان يغزو بهما الشام ومن لا يدين له من العرب . وقد اشتهرت الدوسر ببطشها حتى قال العرب في امثالهم « ابطش من دوسر »[7] ، وقال الشاعر :

---

١) يختلف المؤرخون في توقيت زمانه فيجعله برسثال ومن اعتمد عليه من سنة ٣٩٠ ـ ٤١٨ .

٢) في كتاب النصرانية وآدابها في عهد الجاهلية ، ص ٨٧ ، هو النعمان الثاني ابن المنذر الاول ، الذي سيأتي الكلام عنه في هذا المقال في البحث في تاريخ الاسود.

٣) حمزة الاصفهاني : ص ٦٨ ؛ والطبري ٢ : ٧٢ ؛ وابن الاثير ١ : ١٥٩

٤) مروج الذهب ٣ : ١٩٩

٥) الطبري ٢ : ٧٢

٦) تاريخ سني الملوك والانبياء ، ص ٦٨

٧) الميداني : مجمع الامثال ١ : ٧٨ في تفسير المثل « ابطش من دوسر ».

ضربت دوسر فيه ضربةً اثبتت اوتاد ملكٍ ، فاستقر !

وقد نسب اليه بعضهم خمس كتائب، وهي الرهائن، والصنائع، والوضائع، والاشاهب ، ودوسر . الا ان الميداني[1] نسبها الى النعمان بن المنذر وليس الى النعمان بن امرئ القيس . وسيأتي الكلام عنها في تاريخ ابن المنذر.

ومما يدلّ على حسن تدبيره اموال خزانته ما جاء عنه من الاقوال في التاريخ انه كان ضابطاً لملكه ، واجتمع له من الاموال والخول والرقيق ما لم يملكه احد من ملوك الحيرة[2] . اما ميله الى العمران والبناء فقد خلّد ذكره بتشييد الخورنق والسدير ، وقد اسهبنا الكلام عنهما في فصل قصور الحيرة من كتابنا[3] ، فضلًا عن بنايات لم يذكرها المؤرخون نفترض قيامه بها نظرًا الى نزعته الى الحضارة . ولكن مما يؤخذ عليه انه جازى بمهاره سنمار جزاء ظالمًا عاتيًا لا مبرّر له . فان صحت رواية المؤرخين في هذه الحكاية فانها وصمة شنعاء في تاريخه . ومع هذا لم يخلُ الرجل من شعور شريف حمله في آخر عمره على الاصغاء لصوت ضميره الحيّ ، فزهد في الدنيا والعرش واعتكف نادمًا على هذه الجريرة وغيرها التي يسهل ارتكابها استبداد الملوك.

ولا بدّ من السؤال هنا متى غزا النعمان الشام ، وفي عهد ايّ ملك من ملوك الفرس والروم ؟ فالتاريخ ساكت عن هذا الموضوع . الا اننا نعالجه من ناحية اخرى تلقي نورًا ضئيلاً على البحث.

اذا دققنا النظر في زمان ملك النعمان نرى انه حكم ، على رواية ابن الكلبي ، تسعاً وعشرين سنة واربعة اشهر ، من ذلك في زمن يزدجرد خمس عشرة سنة ، وفي زمن بهرام جور بن يزدجرد اربع عشرة سنة واربعة اشهر . ولا يختلف هذا القول عن المدة التي اثبتناها في صدر هذا المقال الا الشيء النزر[4] . فيبعد عن الظن ان النعمان غزا الشام في زمن يزدجرد الذي صافى الروم

---

١) كذلك.

٢) مجاني الادب ٣ : ٢٠٧

٣) في ص ٢٧ من مخطوطتنا فصل عقدناه في موضوع قصور الحيرة.

٤) الطبري ٢ : ٧٤

مدة ملكه ، لا بل ان امبراطور الشرق اركاديوس[1] ترك عند وفاته ابنه ثودسيوس بحماية يزدجرد ، وعندما تبوأ ثودسيوس الثاني عرش ملكه ارسل بعثة برئاسة ماروثا اسقف ميافارقين يبلغ وليّه يزدجرد خبر تملكه . ونال ماروثا حظوة عند يزدجرد ، وبوساطته اصدر الملك مرسوماً سنة ٤٠٩ اثبت فيه حقوقاً لنصارى فارس . ووالى يزدجرد النصارى لا بل مال الى التدين بدينهم . غير انه رجع عن فكرته وعن سياسته الحسنى مع المسيحيين فاضطهدهم في السنوات الخمس الاخيرة من حياته اضطهاداً قاسياً ونكّل بهم تنكيلاً فظاً ، ولكنه لم يحارب الروم . ولما تبوأ بهرام داوم اضطهاد المسيحيين حتى انهم هربوا جماعات جماعات ، والقوا بنفوسهم في حضن الدولة الرومية فطلب بهرام اعادتهم فرفض الروم طلبه فنشبت الحرب بين الفريقين في سنة ٤٢٠ ، ودامت سنتين دارت الدائرة فيها على الفرس . وعقد بهرام الصلح مع الروم سنة ٤٢٢ بشروط سمحاء[2] . فنظن ان غزوات النعمان الشام كانت في ابّان هذه الحرب ، ان لم يكن تفرّد النعمان بغزوات اخرى حمل بها على قبائل العرب في الشام .

ومن حروب النعمان تلك الوقعة المعروفة في تاريخ العرب بواقعة يوم زَحْرَحان . وكان سببها ان النعمان كان متزوجاً الى زهير بن قيس بن جذيمة بن رواحة بن ربيعة بن مازن بن الحرث بن قطيعة بن عبس العبسي لشرفه وسؤدُده . فارسل النعمان الى زهير يستزيره بعض اولاده . فارسل ابنه شاساً . فاكرمه وحباه . فلما انصرف الى ابيه كساه حللاً واعطاه مالاً طيباً ، فخرج شاس يريد قومه . فبلغ ماء من مياه غني بن اعصر ، فقتله رباح بن الأثل الغنوي ، واخذ ما كان معه ، وهو لا يعرفه . فخرج زهير الى ديار غني ، وهم حلفاء في بني عامر بن صعصعة ، فاجتمعوا عنده فسألهم عن ابنه فحلفوا انهم لم يعلموا خبره . وانتهى الامر بقتال بين بني عبس وبني عامر . ثم ان زهيراً خرج في بيته الى عكاظ ، فالتقى هو

---

١) Sykes : *Hist. of Persia*, *I*, 464-468

٢) الدكتور عزّام : الشاهنامة : حواشي ٢ : ٩٢ ؛ وسايكس ٢ : ٤٦٤-٤٦٨

وخالد بن جعفر بن كلاب وتشاجرا وعند عودتها الى اهلها سبق خالد زهيرًا واثار عليه هوازن. وتقاتل خالد وزهير وانجلى القتال عن قتل زهير. وكان زهير سيد غطفان، فخاف خالد المغبة. فسار الى النعمان بن امرئ القيس بالحيرة فاستجاره فاجاره[1] وضرب له قبةً. وكان قد اتى الى الحيرة في هذه المطاوي الحارث بن ظالم المري ارسلته غطفان الى النعمان بن امرئ القيس بمهمةٍ. فلما جنّ الليل دخل الحارث الى خالد وقتله في قبته غيلة[2] وهرب، فلحق بتميم واستجار بضمرة بن ضمرة الدارمي فاجاره على النعمان وهوازن. فلما علم النعمان ذلك جهّز جيشاً الى بني دارم[3] عليهم ابن الخمس التغلبي. وجمع الأخوص بن جعفر اخي خالد بني عامر[4] وسار بهم فاجتمعوا هم وعسكر النعمان على بني دارم؛ فعلم زرارة بن عدس، سيد بني تميم، باقبال بني عامر وعسكر النعمان فاعدّ قومه للنزال فتحارب الفريقان وانجلت المعركة عن قتل ابن الخمس التغلبي، رئيس جيش النعمان، واسرت بنو عامر معبد بن زرارة بن عدس. وانهزمت بعد ذلك بنو عامر وجيش النعمان وعادوا الى بلادهم، وبقي معبد اسيرًا مع بني عامر حتى مات[5].

وقد ذكر كل من الطبري[6] وحمزة الاصفهاني[7] ان النعمان بن امرئ القيس هو فارس حليمة، مع ان ياقوت الحموي[8] وابن الاثير[9] وغيرهما[10] نسبوا يوم

---

١) ابن الاثير ١: ٢٢٩ — ٢٣١

٢) ذكر ابن الاثير (١: ٢٣٢) ان القتيل كان شرحبيل بن الاسود بن المنذر، وكان الاسود قد ترك ابنه شرحبيل عند سنان بن ابي حارثة المري ترضعه زوجته. فأخذه الحارث ابن ظالم بحيلة وقتله واستجار ببني تميم. وقيل غير ذلك ان النعمان طلب شيئاً ينيظ به الحارث بعد قتل خالد فأخذ ابلًا من عياض بن ذهب التميمي، وهو صديق الحارث، ثم ان الحارث رأى غضبان بن النعمان فضرب رأسه بالسيف فقتله واستجار ببني تميم.

٣) بنو دارم بطن من بني حنظلة من تميم من العدنانية.

٤) بنو عامر بطن من عامر بن صعصعة من هوازن من العدنانية

٥) ابن الاثير ١: ٢٣١ ٦) الطبري ٢: ٧٤

٧) كتاب سني الملوك ص٦٨ ٨) معجم البلدان مادة «حليمة»

٩) الكامل ١: ٢٣٢ ١٠) مجمع الامثال ١: ٢٣١ في مثل «اعزّ من حليمة» و٢: ١٥٠ في مثل «ما يوم حليمة بسرّ»

حليمة الى المنذر ابن ماء السماء . واجتزأنا بالالماع الى ذلك هنا ويأتي الكلام عن يوم حليمة في تاريخ المنذر الرابع الملقب الاسود الثاني ابن المنذر الثالث.

وكان للنعمان الاكبر منزلة رفيعة في بلاد فارس وشأن عظيم في قصر الاكاسرة ، فدفع له يزدجرد الاثيم ابنه بهرام جور الرضاعة والتربية في ظهر الحيرة لانه لم يكن يعيش له ولد[1] واعطاه رتبتين الواحدة« رام أبروذ يزدجرد» وتأويله زاد سرور يزدجرد والأخرى « بِهِشت » ومعناه اعظم الخول ، وامر له بصلة وكسوة بقدر استحقاقه لذلك بمنزلته[2].

فقام النعمان الاول بتربية بهرام جور واختار لرضاعه ثلاث نسوة ذوات اجسام صحيحة واذهان زكية وآداب مرضية من بنات الاشراف ، منهن امرأتان من بنات العرب ، وامرأة من بنات الفرس فتداولن رضاعه ثلاث سنوات وفطم في السنة الرابعة. واذ اتت له خمس سنين احضر له مؤدبين من فقهاء الفرس ، ومعلمي الرمي والفروسية ، ومعلمي الكتابة ، وحكماء من حكماء فارس والروم ومحدثين من العرب[3].

---

١) الطبري ٢ : ٧٣

٢) لا بُدَّ لنا من الالماع هنا الى ان الطبري بعد ان ذكر ان النعمان الاول تعهّد بتربية بهرام جور ، وان النعمان هذا بنفسه حكم ١٤ سنة في عهد بهرام جور ، رجع الى قول العلماء من الفرس ان ابنه المنذر الاول ربّى بهرام جور وعاونه في استرجاع ملك آبائه الاكاسرة واليه عهد بهرام جور بالرتبتين المذكورتين وليس الى ابيه النعمان الاول (راجع تاريخ الطبري ٢ : ٧٤) فاقتضى التنبيه. وفي الشاهنامه (الترجمة العربية ٢ : ٧٥) ان يزدجرد عهد بتربية ابنه الى المنذر فحمله وانصرف به الى بلاد اليمن (كذا) . وقال كليمان هوار في كتابه الفرنسي «تاريخ العرب» ان النعمان الاول نال لقب قائد «Général» من الفرس(١ : ٦٥) ومما قال هناك انه من المحتمل ان تتخذ سنة ٤١٨ م ختام ملك النعمان وقبل دي پرسفال هذه السنة ختام حكم النعمان ايضاً . ولما كان جلوس بهرام سنة ٤٢٠ فالمرجح يكون النعمان حتماً على هذا الحساب. اما الملك الذي عاون بهرام جور لاسترداد عرش الاكاسرة فلا يزال البتّ في اسمه موقوفاً على ايجاد نصوص جديدة.

٣) الطبري ٢ : ٧٤ ، وفي الشاهنامه (الترجمة العربية ٢ : ٧٥) اختار له اربع نسوة ذوات اجسام صحيحة وانساب صريحة واذهان زكية وآداب مرضية اثنتان منهن من بنات أشراف العرب ، واثنتان من بنات اكابر العجم

ولما مات يزدجرد كان بهرام غائباً عن بلاده يقضي اوقاته في بلاد العرب بالتنعم والتلذذ. واراد الفرس ان يقيموا عليهم ملكاً رجلاً اسمه كسرى من عترة اردشير بن بابك، زهداً في ولد يزدجرد، ولان بهرام متأدب بأدب العرب. فالتجأ بهرام الى النعمان[1] يطلب نجدته فجهز النعمان عشرة آلاف رجل من فرسان العرب، ووجههم مع ابنه[2] الى طيسبون[3] وبهاردشير[4] مدينتي الملك وزاد عدد هؤلاء الفرسان الى ثلاثين الفاً، وتمكن بهرام جور بعون النعمان من استرداد ملك ابيه، وحفظ هذه المعرفة مدى حياته الى آل نصر.

وروى ابو الفرج الاصبهاني[5] عن معاملة النعمان الاكبر سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس لما رأى فصاحته مما لم يحمد عليه النعمان فانه امر وصيفاً له فلطمه وانما اراد ان يتعدى في القول فيقتله فقال له: ما جواب هذه؟ قال سعد: «سفيه مأمور» فقال النعمان للوصيف الطمه أخرى فلطمه. فقال: ما جواب هذه؟ قال: «لو نهي عن الاولى لم يعد الاخرى» فقال النعمان للوصيف: الطمه أخرى ففعل. فقال له: ما جواب هذه؟ قال: «ملك يؤدب عبده». فقال: الطمه أخرى ففعل. فقال ما جواب هذه؟ قال «ملكت فأسجح». فقال له النعمان: اصبت فاقعد. فمكث عنده ما مكث.

ثم بدا للنعمان ان يبعث رائداً يرتاد له الكلأ فبعث عمرو بن مالك اخا سعد بن مالك فأبطأ عليه فاغضبه ذلك. فاقسم ان جاء حامداً او ذاماً ليقتله. فلما قدم عمرو على النعمان دخل عليه والناس عنده، وسعد قاعد لديه مع الناس، وقد كان سعد عرف بما اقسم به النعمان من يمينه فقال سعد: أتأذن لي ايها الملك فاكلمه؟ قال: ان كلمته قطعت لسانك. قال: فاشير اليه. قال: ان اشرت اليه

---

١) نذكر مرة أخرى ان الطبري يذكر في هذا الموقف المنذر بن النعمان الاول وكذلك الشاهنامه (٢: ٧٩) تقول المنذر والنعمان، وهذا النعمان هو ابن المنذر وليس اباه

٢) يذكر الطبري مع ابنه النعمان كما بينا

٣) طيسبون او طيسفون وهي مدينة كسرى التي فيها الايوان، ولا تزال آثاره ماثلة حتى اليوم

٤) وهي مدينة بهاردشير وعرفها العرب «جرسير» كانت في غربي دجلة تجاه الايوان

٥) الاغاني ٢١: ١٢٢ و١٢٤

قطعت يدك. قال: فأومي اليه ؟ قال: اذاً انزع حدقتك. قال: فأقرع له العصا ؟ قال: وما يوريه ما تقول العصا فاقرع له. ففعل سعد وافهم اخاه ان لا يحمد ولا يذم الخصب فتكلم حينئذ عمرو وقال للنعمان: لم اذمم جدباً ولم احمد خصباً، الارض مشكلة لا خصبها يعرف ولا جدبها يوصف، رائدها واقف ومنكرها عارف وآمنها خائف. فقال له النعمان: اولى لك بذلك نجوت. فنجا، وهو اول من قرعت له العصا[1].

قد ذكرنا تنصر النعمان في الفصل الذي عقدناه في كتابنا عن اديان اهل الحيرة[2]. ونطرق الآن موضوعاً آخر وهو معاملته المسيحيين قبل تنصره. ذكر احد المحدثين[3] ان فتنةً حدثت في الحيرة بين الوثنيين والمسيحيين سنة ٤٢٠. فانتصر النعمان للمسيحيين وحمى النصارى، وكان هو على الوثنية يومئذ. على اننا نجهل دواعي هذه الفتنة اذ لم يذكرها الراوي، والراجح انه يريد الالماع الى الاضطهاد الفاجع الذي اثاره بهرام جور على المسيحيين في بلاد فارس في تلك السنة عينها، فاضطروا الى الهجرة الى بلاد الروم كما مرَّ بنا قبيل هذا، او انه اراد بذلك ما ذكره المؤرخ قزما الكاهن[4] وهو ان ملك الحيرة الذي دعاه النعمان (وهو النعمان الاول الذي يسميه العرب السائح والاعور[5]) امتعض من رحلة اهل الحيرة الى القديس سمعان العمودي، فاعلن بأمر ملكي انه ينهي تحت عقاب الموت الخروج الى زيارة السائح. فما انتشر هذا الخبر حتى استولى الخوف على رعاياه فرأوا ان الطاعة لهذا الحكم الظالم اولى من التعرّض للموت الاحمر. الّا ان الملك لم يلبث ان ندم على ما فعل لحلم رآه في الليل فجمع حاشيته والغى حكمه امامهم، وحضّ شعبه ان يذهبوا الى القديس

١) الاغاني ٢١: ١٢٢ – ١٤٤

٢) نشر هذا الفصل في مجلة «النجم» الموصلية، عدد سبتمبر ١٩٣٢

٣) علي ظريف: تاريخ ملوك الحيرة، ٢٢

٤) النصرانية وآدابها، ٨٢ وقال كليمان هوار في «تاريخ العرب» (١: ٦٥) النعمان الاول هو الذي اجاز سمعان العمودي ان ينشر النصرانية في بلاده

٥) راجع كوسن دي برسفال: تاريخ العرب قبل الاسلام ٢: ٥٤

كيفما شاؤوا . واردف قزما المؤرخ قائلاً : وهذا الخبر رواه احد قواد النعمان المسمى انطيوخس بن سالم ، وكان قد سمعه من فم النعمان . ومذ ذلك الحين أطلقت الحرية لعرب الحيرة ان يدينوا بالنصرانية . ثم قال : والملك النعمان كان يريد بعد ذلك ان يتنصر ويزهد بالدنيا ، ولكنه خاف من سطوة ملك الفرس . وذكر السمعاني[1] ان النعمان هذا شفاه القديس سمعان من داء اصابه فتنصّر .

كيف انتهت حياة هذا الملك الحازم ؟ قالوا[2] لما اتى على الملك النعمان ثلثون سنة علا مجلسه على الخورنق واشرف منه على النجف وما يليه من النخل والبساتين والجنان والانهار مما يلي المغرب ، وعلى الفرات مما يلي المشرق ، فاعجبه ما رأى في البرّ من الخضرة والنور والانهار الجارية ، وفي الفرات من الملّاحين والغوّاصين ، وفي الحيرة من الاموال والخول ، ومن يموج فيها من رعيته ففكر وقال في نفسه[3] : اي دراك في هذا الذي ملكته اليوم ويملكه غداً غيري ، فبعث الى حجابه ونحاهم عن بابه . فلما جن عليه الليل التحف بكساء وساح في الارض فلم يره احد .

وجاء في كتاب النصرانية وآدابها ص ٨٢ : «فان المؤرخين قد رووا ان النعمان الاعور بعد سنين من ملكه اجتمع بأحد النساك الصالحين المدعوّين بالرابطة فزهّده بالمانية ودعاه الى ترك الدنيا وعبادة الله فلبى الملك دعوته ولبس معه المسوح وساحا في الارض زهداً[4] . وليس هؤلاء الرابطة على رأينا سوى رهبان النصارى الذين بيتنا لك وفرة عددهم في جهات العراق وزهدهم في العالم.» (انتهى كلام المؤلف).

---

١) المكتبة الشرقية ١ : ٢٤٧

٢) حمزة الاصفهاني ٦٨

٣) وقيل نبه احد وزرائه او احد حكمائه على زوال الدنيا (الطبري ٢ : ٧٢ ومجاني الادب ٣ : ١٦)

٤) احال الاب شيخو مؤلف كتاب النصرانية وآدابها الى المؤلفين العرب ومنهم الطبري طبعة ليدن ١ : ٥٨٤ ، في هذه الرواية .

والذي نلمح اليه ان مؤلف « النصرانية وآدابها » ارتأى ان الرابطة هم رهبان النصارى . مع ان ابا الفرج الاصبهاني[1] يصرّح بان الحيريين اطلقوا اسم «الرابطة» على الوضائع التي كانت بالحيرة مع الملوك ، وايد هذا القول ابن رشيق[2] في ذكره يوم شعب جبلة. اما الوضائع فهي كتيبة من كتائب ملوك الحيرة قال عنها الميداني[3] كانوا الف رجل من الفرس يضعهم ملك الملوك في الحيرة نجدة لملك العرب وكانوا يقيمون سنة ثم يأتي بدلهم الف وينصرف اولئك وقال ابن الاثير[4] الوضائع كانوا شبه المشائخ.

والى زهد النعمان هذا وتنسكه اشار ، بعد عهدٍ طويل ، عدي بن زيد في شعرٍ خاطب به النعمان ابن المنذر فقال[5]:

وتفكّرْ ربَّ الخورنق ، إذ أشـ ... ـرف يوماً وللهدى تبصير ، (٦
سَرَّهُ حالُه وكَثْرَةُ ما يَـ ... ـملكُ والبحر مُعْرِضاً والسدير ،
فارعوى قلبه فقال: وما غِبْـ ... ـطةُ حيٍّ الى الممات يصيرُ ؟
ثمَّ بعد الفلاح والمُلْكِ والأمـ ... ـةِ وارَتْهُمُ هُناكَ القبورُ ؟
ثمَّ اضحوا كأنهم ورق جـ ... ـفَّ فألوَتْ به الصبا والدبور !

١) الاغاني ١٠ : ٢٢
٢) العمدة ٢ : ١٦٩
٣) مجمع الامثال ١ : ٧٨ في تفسير المثل «ابطش من دوسر»
٤) الكامل ١ : ٢٦٨
٥) الطبري ٢ : ٧٤ ؛ وابن الاثير ١ : ١٦
٦) ويروى : تفكير

(له صلة)

الطقوس والطوائف

في

الكنائس الشرقية

للابوين يوسف موغبان وفرديناند توتل اليسوعيين

٢

الطقوس والطوائف

في كنيسة الله طقوس عديدة شرقاً وغرباً ، وهي ، على تنوّع رتبها وانظمتها متفقة اجمالًا على مبدأ وحدة الولاية الكنائسية في بقعة ارض واحدة. وهذا المبدأ عريق القدم في تاريخ الدين المسيحي يرقى عهده الى ايام الرسل ، ويقول بوجوب وجود اسقف واحد في اسقفية او ابرشية واحدة ، ضمن حدود مقاطعة ارضية واحدة . وقد حافظ المسيحيون في العصور القديمة اشدّ المحافظة على ذلك المبدأ حتى القرون الوسطى. وكانت وحدة الولاية تضمن وحدة الطقس.

واننا اذا القينا نظرةً ، ولو سطحية ، على احوال الطقوس في بلادنا الشرقية نرى انها قطعت بوناً شاسعاً بين حالتها كما كانت عليه في العصور الخوالي وحالتها اليوم ، وقد تفرّعت وتطورت ونشأت منها كنائس مستقلة وطوائف وملل . فكثير منها لها نظام اكليروس قد يكون كاملًا في الغالب . ومنها التي لها بطاركتها واساقفتها وكهنتها كالطقس او الطائفة الملكية والمارونية والارمنية والكلدانية والسريانية. ومنها التي ليس لها بطاركة ولكن اساقفة وكهنة فقط كالكنيسة البيزنطية او اليونانية الكاثوليكية والكنيسة الروثانية والكنيسة الرومينية وغيرها . ومنها التي ليس لها بعد اساقفة ، ولكن كهنتها ومؤمنوها يخضعون لاسقف من غير طائفة كالكنيسة الكرجية .

وليس لهذه الكنائس المتمتعة كل منها بولايتها الخاصة بقعة من البلاد محددة مختصة بها دون غيرها من الكنائس . بل هناك كنائس تنفذ حقوق ولاياتها في بقعة ارض مشتركة بينها وبين غيرها ، ونفوذها انما هو في الاشخاص

المنتمين اليها لا سواهم.

كيف تمّ ذلك التمييز، وكيف تثبتت ولايات عديدة في ارض واحدة؟ قال حضرة الاب كيرلس شارون في كتابه تاريخ البطاركة الملكيين(٣: ٤٢٤): «ان مسألة الولايات هي من اشكل المشاكل المتاص حلّها على دارسي مؤسسات الشرق الكنائسي. فان مدينة واحدة تعدّ في حين من الاحيان سبعة او ثمانية اساقفة رؤساء جمعيات دينية وكلهم كاثوليكيون، غدا الاساقفة المنفصلين المنتمين الى الارثوذكسية، او المونوفيسية الخ... ان اشتباكاً كهذا لم يكن منذ البدء».

مضى الاب شارون ينقّب على الحوادث التي ادّت بالكنيسة الى الحالة الحاضرة ويحلّل اسبابها وقد افادتنا شروحه كثيراً.

ان فكرة الوحدة الاسقفية في ابرشية واحدة ضمن بقعة واحدة هي صوابية وموافقة كل الموافقة تقاليد الكنيسة. لكنها، على العهد الصليبي، صارت سبباً لمناقشات ومنازعات وقعت في مصافّ الاكليروس وهو يتباعد يوماً فيوماً عن روح الوحدة الكنائسية.

كان للشرق البطريرك الانطاكي يوحنا الخامس؛ وكان للصليبيين اساقفتهم، يقيمونهم اكليرساً لاتينياً، اينما حلّوا، ليستطيعوا ان يحكموا البلاد في الروحيات، كما كانوا يقيمون موظفين في الاقطاعات ليحكموا البلاد في الزمنيات، وهم اصحاب الفضل على الاراضي المقدسة ولولاهم لأُبيد مسيحيو الشرق عن بكرة ابيهم. فاصبح الاكليرس الشرقي كالمساعد للاكليروس اللاتيني، ذلك ما ادّى الى احتكاكات وتوترات بين الفريقين. ونشأت فكرة حقوق الاساقفة اللاتين على الكنيسة اليونانية، وادّى الامر الى ازدواج السلطة الكنائسية حيث وُجد اسقفان احدهما يوناني والثاني لاتيني. على ان ذلك الازدواج لم يكن الا حادثاً سيّارًا، ولم يكن قاعدةً لحق شرعي قانوني؛ وكلام البابا انشنس الثالث، سنة ١٢٣٨، في شأن السلطة المزدوجة معلوم من العموم قال: يجب ان لا يكون رأسان لبطريركية واحدة.[1]

---

١) راجع تاريخ سورية المخطوط، للمرحوم الاب بوفّيه اليسوعي ٢: ص ١٢١ في خزانة المكتبة الشرقية.

ولكن في السنة ١٢٥٢ الجأت الظروف الكردينال اود دي شاتيليون ، المندوب البابوي ، الى اقامة متروبوليت يوناني في قبرس على امل حلّ المشاكل الواقعة بين الاساقفة اللاتين والاساقفة اليونان في تلك الجزيرة ، فظهرت فيها الولايتان في الامر الواقع. وفي السنة ١٢٥٠ ارسل البابا انشنسيوس الرابع رسالة وافق فيها على اقامة الولايتين في قبرس ، فأقرّ مبدئياً حقوق وجودهما . ورسالته تلك لم تزل الى يومنا اساس التشريع الموضوع لتدبير شؤون الكاثوليك المنتمين الى الطقس البيزنطي ، القاطنين البلاد اللاتينية .

ولم يأتِ ازدواج السلطة بادئ ذي بدء بالنتيجة المنشودة لان الآراء كانت متباعدة والقلوب متنافرة ، فما كانوا ينتهون من حلّ مشكل الّا وقعوا في غيره . ورُفعت الى البابا اسكندر الرابع دعاوٍ لم تترك مجالًا لابقاء الولايتين ، فالغيت احداهما . ولم يكن الصليبيّون طرًا منقادين بنيّات صالحة في جميع اعمالهم ، وكان بصحبتهم جماعة من شذاذ القوم غير محنكين في السياسة والتدبير . فكرههم اليونان ، وقاوموهم . وفي السنة ١٥٧١ فتح الاتراك جزيرة قبرس ، ففرح القبرسيون لقدومهم ساعةً ، لكنهم عادوا يحرقون الارم دهرًا على تفريطهم بمقاومة اللاتين ومعاندتهم اياهم ، واللاتين مسيحيون ، ونيرهم اخفّ ثقلًا من نير المسلمين .

وتطوّرت الافكار ، وتغيرت الاحوال ، ورأوا في الغرب ان مبدأ الوحدة الاسقفية والولاية في بقعة واحدة لامر تستحيل المحافظة عليه بين قوم يتناظرون شزرًا . فتعدّدت الولايات والبطريركيات مع انفصال الكنائس عن الايمان الكاثوليكي وارتدادها الى وحدته . ومع هذا التطوّر تعددت ولايات الكرسي الانطاكي .

ومن الازدواج الى تعدد الولايات المسافة قريبة ، فانفتح الباب لاقامة اكثر من اسقف واحد على بقعة واحدة . ومن ثمّ ساد ذلك المبدأ الجديد على تكوين الكنائس الشرقية الكاثوليكية ، وانتج الابرشيات العديدة في البقعة الواحدة كما نرى ذلك اليوم في كثير من مدن الشرق . اما اصول المبدأ في الولاية المزدوجة فهذه هي :

لكل اسقف ولاية ارضية وقومية : ارضية بكونها ممتدة الى حدود لا

تتجاوزها ، وقومية بكون الاسقف لا يتصرف بها قانونياً الا على الاشخاص المنتمين لقومه. ولكل ولاية حدودها الجغرافية الخاصة بها دون غيرها . والمثال في ذلك ابرشية بيروت فان حدودها للمتروبوليت الملكي غير حدودها للمطران الماروني .

وليس دخول مبدأ الولاية المزدوجة مما يناقض قوانين المجامع كالنيقاوي الاول والخلقدوني واللاتراني التي حرمت اقامة اسقفين على مدينة واحدة لان ذلك التحريم هو من الحق الوضعي ، فكان بوسع البابا ان يفسح في امره ويقيم ولايتين كنائسيتين في اقليم واحد .

٣

من الطقس الى الطائفة الى القومية

دخل مبدأ الولاية المزدوجة فنشأت منه الكنائس وتعددت . ولما فتح العرب البلاد المصرية والسورية ، ومن بعدهم الاتراك بلاد الاناضول وبيزنطية ، اقروا على رعاياهم الذميين رؤساءهم الدينيين ، وخولوهم بعض الحقوق الادارية المستقلة في شؤونهم الشخصية ديناً ودنياً . وكان في السابق التشريع اليوستينياني قد ضمن لاساقفة المملكة البيزنطية بعض الحقوق الزمنية المدنية التي من دأبها صيانة الحرية الدينية ، فلم يحدث الفاتحون المسلمون جديداً في تأييد تلك الشرائع . ولكن لما وافق ظهورهم ظهور تعدد الطقوس او الطوائف والولايات الكنائسية في المملكة العثمانية خولوا بطاركة تلك الطوائف حقوقاً وامتيازات جعلتهم اشبه بالزعماء لقومية مستقلة ، فكانت وما زالت التشريعات العثمانية اساساً لما يدعونه الطائفية القومية ، في بلادنا . وقد يمتزج تاريخ الطوائف في القرون الاخيرة بتاريخ الدولة العثمانية وعلاقاتها مع الافرنج ومنحها عند طلب هؤلاء والحاحهم الفرمانات السلطانية المثبتة حقوق ذلك البطريرك او غيره ، تارة على هذه الطائفة وطوراً على غيرها ، وفي الغالب كان تحرير البطاركة والطوائف نتيجة جهود السفارات واخصها السفارة الافرنسية وسعيها .

ابن عبد ربه و «عقده»

درس ادبي تاريخي

بقلم جبرائيل جبّور
احد اساتذة الادب العربي في جامعة بيروت الاميركية

٣

كتاب «العقد»

اسمه

نسمّيه بالعقد ، خلافاً لما هو معروفٌ عند اكثر ادبائنا في هـذا العصر ، وخلافاً لما ورد في مقدّمة الكتاب نفسه — في الطبعات التي بين ايدينا — حيث نرى «فجعلت (الضمير يعود الى صاحب العقد) هذا الكتاب كافياً جامعاً . . . وسميته كتاب العقد الفريد لما فيه من مختلف جواهر الكلام مع دقة المسلك وحسن النظام»[1] . نسمّيه بالعقد لاننا نظن ان نعته بالفريد هو امر متأخر[2] ، ليس من التسمية الاصلية التي وضعها ابن عبد ربه في شيء . ولعلنا ننصف ابن عبد ربه اذا اظهرنا خلوّ التسمية الاصلية من هذا النعت . ودليلنا في هذا الامر هو ان جميع المصادر الاولية التي بين ايدينا مما يذكره لا نرى العقد فيها منعوتاً بالفريد : فالضبي يذكر ابن عبد ربه ويقول : «وله الكتاب الكبير المسمى كتاب العقد في الاخبار»[3] . ويذكره القيرواني في رسالته اعلام الكلام فيقول: «ومن تلك الجواهر نظم عقده وتركه لمن تجمل به بعده»[4] . ويذكره الفتح

---

١) ابن عبد ربه ١ : ٤

٢) لا بد لنا من ذكر ان اول من اشار الى ذلك هو بروكلمن . راجع مقاله المختصر عن ابن عبد ربه في [The Encyc. of Islâm, vol. II, p. 353]

٣) الضبي ١٢٧ ٤) القيرواني ٢٦

فيقول: «وله التأليف المشهور الذي سماه بالعقد، وحماه عن عثرات النقد.»[1] ويذكره ياقوت الرومي فيقول: «وهو صاحب كتاب العقد في الاخبار.»[2] ويذكره في موضع آخر فيقول: «وبلغني ان الصاحب بن عباد سمع بكتاب العقد»[3] ويذكره ابن صاعد الاندلسي في كتابه طبقات الامم عند ذكر ابن اخيه الطبيب سعيد فيقول: «وهو ابن اخي احمد بن محمد بن عبد ربه الشاعر صاحب العقد»[4]. ويذكره ابن خلكان فيقول: «وصنف كتابه العقد وهو من الكتب الممتعة».[5] ويذكره الشيخ ابو العباس القلقشندي في كتابه صبح الاعشى ويقول عنه «صاحب العقد»[6] وفي موضع آخر: «هذا ما ذكره ابن عبد ربه في العقد»[7] ويذكره المقري كثيراً ويقول عنه «صاحب العقد».[8] وفي رسالة القيرواني التميمي ابي علي الحسن بن محمد الى عبد الوهاب بن حزم عبارة: «كما تلقوا ديوان احمد بن عبد ربه الذي سماه بالعقد»[9]. ويذكره ابن ابي اصيبعة في كتابه عيون الانباء في طبقات الاطباء وينعته بالشاعر ثم يقول عنه «صاحب كتاب العقد[10]». ويتصدى لذكره ابن خلدون في مقدمة تاريخه بمناسبة بحثه عن موشحات الاندلس فيقول: «ابو عبد الله احمد بن محمد بن عبد ربه صاحب كتاب العقد.»[11] ولم يفت حاجي خليفة ان يذكر العقد في كتابه كشف الظنون في اسامي الكتب والفنون ولقد

---

١) ابن خاقان ٥١

٢) ياقوت ٢: ٦٧

٣) ياقوت ٢: ٦٧

٤) ابن صاعد ٧٩

٥) ابن خلكان ١: ٤٥

٦) طبعة المطبعة الاميرية بالقاهرة، ١٩١٦، ٩: ٢٦٢، وفي ١: ٢٩٢ «في كتاب العقد»

٧) طبعة المطبعة الاميرية بالقاهرة، ١٩١٦، ١٠: ١٩٤

٨) المقري ٢: ٧٨١ و٨٢٢ و٦: ٦٠٧، وطبعة اوربة ٢: ٩٠

٩) المقري ٢: ٧٦٧، وطبعة اوربة ٢: ١٠٩

١٠) ابن ابي اصيبعة ٢: ٤٤

١١) ابن خلدون ٥٤٠ – وسنعرض لكلام ابن خلدون وللكنية التي ذكرها لابن عبد ربه عند بحثنا عما اذا كان ابن عبد ربه نظم الشعر الموشح ام لا.

دوّن اسم الكتاب هكذا «عقد» لابي عمر»[1]، ونقل شيئاً من مقدمة الكتاب فيه الاسم خالياً من النعت «الفريد» كما سنرى. بقي مصدر واحد هو المستطرف في كل فنّ مستظرف ذكر فيه الابشيهي انه نقل عن كتاب ابن عبد ربّه «العقد الفريد» واورد العبارة بحيث لا نرى داعياً لان نظن ان كلمة الفريد زيادة من الناشرين قال: «ونقلت كثيراً مما نقله ابن عبد ربه في كتابه العقد الفريد ورجوت ان يجد مطالعه فيه كل ما يقصد ويريد»[2].

ولا نستطيع الآن ان نعيّن بالضبط الوقت الذي اضيفت فيه كلمة «الفريد» لنعت «العقد» كما واننا لا نكتم دهشتنا لظهورها بكل الطبعات التي بين ايدينا وعدم إشارة ناشري هذه الطبعات الى هذا الامر[3]. ولم تشر لجنة فهارس دار الكتب المصرية بشيء الى امر التسمية عند ذكرها وصف قطع النسخ الخطية من الكتاب المذكور[4]، لاسيما واننا نرى ان حاجي خليفة ينقل قول ابن عبد ربه من نسخة خطية للعقد يظهر انه لم يكن فيها العقد منعوتاً «بالفريد»: «الفت هذ الكتاب وتخيّرت نوادره من متخيّر جواهر الادب ومحصول جوامع البيان وسميته «بالعقد» لما فيه من مختلف جواهر الكلام مع دقة المسالك وحسن النظام»[5].

وكنا نودّ لو اتيح لنا الاطلاع على النسخ الخطية في مختلف المكاتب عنّا نستطيع ان نكشف منها وقت زيادة «الفريد». ومهما يكن من امرها فانّا نظنّ ان التسمية «العقد الفريد» لم تعرف قبل تأليف الوزير الشافعي المتوفى سنة ٦٥٢ هـ[6] للكتاب المعروف «بالعقد الفريد للملك السعيد» وربما اخذت تعرف زمن الابشيهي المتوفى بعد ٨٥٠ هـ[7] وان لم يكن الابشيهي اول من

١) حاجي خليفة ٢: ١٢٤ ٢) الابشيهي ١: ٢

٣) ابن عبد ربه ١: ٤ وراجع طبعة المطبعة الحالية بمصر، ١٩١٣، ١: ٤، وطبعة المطبعة الشرقية بمصر ١٣٠٥ هـ ١: ٢

٤) فهرس الكتب العربية الموجودة في دار الكتب المصرية ٣: ٢٥٢ و ٢٥٣

٥) حاجي خليفة ٢: ١٢٤

٦) راجع بشأن وفاته حاجي خليفة ٢: ١٢٤

٧) راجع Brockelmann [The Encyc. of Islâm, vol. II, p. 443]

نعت عقد ابن عبد ربه بهذا النعت فهو على الاقل اقدم رجل ، فيما نعلم ، ذكر هذا النعت للعقد. ومن الخير ان نلاحظ ان حاجي خليفة قد تأخر عن الابشيهي بنحو مئتي سنة وقد اورد اسم الكتاب دون هذا النعت[1] . اما البغدادي ، صاحب خزانة الادب ، المتوفى آخر القرن الحادي عشر فقد جارى الابشيهي بنعت الكتاب بالفريد.[2]

وصفه

تأليف مقسم على عدة فنون في خمسة وعشرين كتاباً انفرد كل كتاب باسم جوهرة من جواهر العقد ، بحيث يقع على كلٍّ من جانبي واسطة العقد اثنتا عشرة جوهرة كل منها سميت باسم التي تقابلها من الجانب الآخر . وبذلك تكون اولى جواهر العقد واخراه على اسم واحد: ففي العقد لؤلؤتان وزبرجدتان وياقوتتان وجمانتان وهلم جرّا. ولعل من الخير ان نوضح ذلك بصور بسيط .

تجزيئه

قال ابن عبد ربه في مقدمة عقده «وجزأته على خمسة وعشرين كتاباً كل كتاب منها جزآن فتلك خمسون جزءا في خمسة وعشرين كتاباً».[3] غير اننا اذا رجعنا الى النسخ المطبوعة نرى انه قد اهمل فيها ذكر الاجزاء في مواضعها ، او الاشارة الى اوائلها او اواخرها في كل كتب العقد ، لا نستثني الا كتاب الياقوتة في العلم والادب . فانّا نرى فيه ، في آخر باب ردّ المأمون على الملحدين واهل الاهواء ، عبارةً هي: «انتهى النصف من كتاب الياقوتة في العلم والادب ويتلوه باب من اخبار الخوارج».[4] وهناك زيادة الحقت بآخر هذا النصف الاول وجدت في بعض النسخ ونرى في آخر هذه الزيادة عبارة هي: «بقية الياقوتة في العلم والادب»[5] .

---

١) حاجي خليفة ٢ : ١٢٤

٢) خزانة الادب ولب لباب لسان العرب، الطبعة الميرية بمصر ١٢٩٩ هـ، وراجع بشأن سنة وفاته Mordtmann [The Encycl. of Islâm, II, 205]

٣) ابن عبد ربه ١ : ٤

٤) ابن عبد ربه ١ : ٢٥٦

٥) ابن عبد ربه ١ : ٢٦٠

ولقد استغربنا وقوع هذا الاختلاف بين ما دوّن في المقدمة من امر تجزئة كل كتاب الى جزئين وبين خلو الكتب من هذه التجزئة، فعدنا الى وصف قطع النسخ الخطية المحفوظة بدار الكتب المصرية، فظهر من هذا الوصف ان ترتيب الاجزاء في النسخ الخطية لا يوافق المقول المدوّن في مقدمة العقد، ذلك اننا رأينا في وصف قطعة انها تشتمل على الجزء الخامس عشر والسادس عشر واول ما فيها من اثناء تبرئ علي بن ابي طالب من دم عثمان من فنّ كتاب المسجدة الثانية في الخلفاء وتواريخهم، وتنتهي الى اثناء اخبار الطالبيين من كتاب اليتيمة الثانية في اخبار زياد والحجاج والطالبيين والبرامكة[1]. والجوهرتان هاتان المسجدة الثانية واليتيمة الثانية انما هما الكتاب الخامس عشر والكتاب السادس عشر من كتب العقد واذن فاجزاء هذه المخطوطة انما هي بعدد كتب العقد.

وهناك قطعة خطية اخرى من العقد تبدأ من فن المسجدة الثانية وقد اشارت لجنة نشر فهارس الكتب العربية الى انها الجزء الثاني من نسخة اخرى من العقد[2] مما يدل ان العقد في هذه النسخة قد قسم الى اجزاء قليلة بحيث وقعت هذه الاخبار في الكتاب الخامس عشر في الجزء الثاني من هذه النسخة.

وهناك اشارة عن قطعة خطيّة اخرى الى انها الجزء السابع من العقد وتبتدئ من فرش كتاب العلم والادب[3]. ونحن نعلم من مقدمة العقد وترتيب كتبه ان كتاب العلم والادب هو الكتاب السادس. وسمّيت قطعة اخرى بالجزء السابع وذكر انها آخر اجزاء الكتاب وفي اولها باب الطلاق من كتاب المرجانة الثانية في النساء وصفاتهم[4] (كذا) وهو الكتاب الواحد والعشرون بحسب الترتيب المذكور في العقد.

وكم كنا نود لو كانت هذه القطع الخطية، او غيرها من نسخ العقد الخطيّة

---

١) فهرس الكتب العربية الموجودة بدار الكتب المصرية ٣: ٢٥٢

٢) فهرس الكتب العربية الموجودة بدار الكتب المصرية ٣: ٢٥٢

٣) فهرس الكتب العربية ٣: ٢٥٢

٤) فهرس الكتب العربية ٣: ٢٥٢

الموجودة في المكاتب المختلفة ، بين ايدينا او في متناولنا علّنا نستطيع منها ان نزيل شيئاً من هذا الاضطراب او نظهر بعض الاسباب التي دعت الى هذا الاختلاف الذي ذكرناه .

واذا عرضنا لحجم كتب العقد الخمسة والعشرين من حيث عدد الصفحات نرى ان كل كتاب منها يقع في ما بين الثلاثين والخمسين صفحة الّا كتابين هما كتاب الياقوتة في العلم والادب الذي ذكرنا انه مقسّم الى جزئين وهو يقع في نحو ١٣٠ صفحة ، وكتاب الخلفاء وتواريخهم واياهم ويقع في نحو ١٣٠ صفحة ايضاً .

ولنذكر هنا ان ناشري الطبعات التي بين ايدينا قد جزّأوا العقد الى ٣ اجزاء فقط ، الّا الطبعة الازهرية فان العقد فيها قد جزّئ الى ٤ اجزاء .

كل هذا يظهر ان ما بين ايدينا من العقد لم يجزّأ على الطريقة التي وصفت في مقدمة العقد . فلنحفظ هذا الى حينه اذ سنعرض للامر نفسه بمناسبة أخرى[1]

ابحاثه

يتبين من عناوين الكتب التي يضمّها العقد شيء من الابحاث التي يدور عليها ، فهو يبحث في السلطان وسياسته ، والحروب ومدار امرها ، والامثال والمواعظ ، والتعازي والمراثي ، وكلام الاعراب وخطبهم وانسابهم وعلمهم وادبهم ، ومخاطبة الملوك واخبار الوفود ، وايام العرب ، واخبار الخلفاء وتاريخهم ، والنساء وصفاتهن ، وطبائع الانسان ، والطعام والشراب ، واعاريض الشعر وعلل القوافي وغير ذلك ؛ وفي كتاب السلطان مثلاً يذكر ابن عبد ربه اخباراً عن اختيار السلطان لاهل عمله وحسن السياسة واقامة المملكة وبسط العدالة وردّ المظالم وصلاح الرعية وحزم السلطان وعزمه والتعرض له والردّ عليه وحلمه وغضبه وحجّابه وقضاته الخ . ويذكر مع هذه الامور اخباراً تاريخية فيستشهد مثلاً بقصص عن عمر بن الخطاب ومعاوية ومروان وعمر بن عبد العزيز وابي جعفر المنصور من الخلفاء ، وزياد والحجاج وغيرهما من القوّاد والامراء . وكذلك

١) عند تصدينا لدرس ما دُسّ على ابن عبد ربه في العقد .

شأنه في كل الكتب التي يضمها العقد ، فهو ينثر فيها فوائد تاريخية ثمينة نقلها عن المتقدمين . كما وان العقد مجموعة ادبية قيّمة ففيه منتخبات من الخطب والرسائل والامثال ، وفيه اشعار لعدد كبير من الشعراء ، وفيه اخبار عن بعضهم قد لا نجدها في غيره من المصادر .

غاية المؤلف من تأليفه والطريق التي سلكها في جمعه

ولعلنا ننصف ابن عبد ربه اذا دوّنا هنا الجزء الاكبر من مقدمة عقده ، فهي تظهر غايته من تأليف كتابه وطريقه التي سلك في جمعه هذه الجواهر بسلك عقده . كما واننا سنرجع الى هذه المقدمة اكثر من مرة . قال :

« وبعد فان اهل كل طبقة ، وجهابذة كل امة ، قد تكلموا في الادب ، وتفلسفوا في العلوم على كل لسان ، ومع كل زمان . وان كل متكلم منهم قد استفرغ غايته ، وبذل مجهوده في اختصار بديع معاني المتقدمين ، واختيار جواهر الفاظ السالفين ؛ واكثروا في ذلك ، حتى احتاج المختصر منها الى اختصار ، والمتخيّر الى اختيار . ثم اني رأيت آخر كل طبقة ، وواضعي كل حكمة ، ومؤلفي كل ادب ، اعذب الفاظاً واسهل بنية ، واحكم مذهباً ، واوضح طريقة من الاول ؛ لانه ناقض متعقب ؛ والاول بادٍ متقدم . فلينظر الناظر الى الاوضاع المحكمة ، والكتب المترجمة بعين انصاف ، ثم يجعل عقله حكماً عادلاً قاطعاً فعند ذلك يعلم انها شجرة باسقة الفرع ، طيّبة المنبت ، زكية التربة ، يانعة الثمرة ؛ فمن اخذ بنصيبه منها كان على ارثٍ من النبوة ومنهاج من الحكمة لا يستوحش صاحبه ولا يضلّ من تمسك به . وقد ألفت هذا الكتاب وتخيّرت جواهره من متخيّر جواهر الادب ومحصول جوامع البيان فكان جوهر الجوهر ولباب اللباب وانما لي فيه تاليف الاختيار وحسن الاختصار وفرش لدور كل كتاب . وما سواه فمأخوذ من افواه العلماء ، ومأثور عن الحكماء والادباء . واختيار الكلام اصعب من تأليفه ، وقد قالوا اختيار الرجل وافد عقله ، وقال الشاعر :

قد عرفناك باختيارك اذ كا ن دليلًا على اللبيب اختياره :

وقال افلاطون : عقول الناس مدوّنة في اطراف اقلامهم وظاهرة في حسن

اختيارهم . فتطلبت نظائر الكلام ، واشكال المعاني ، وجواهر الحكم ، وضروب الادب ، ونوادر الامثال . ثم قرنت كل جنس منها الى جنسه فجعلته باباً على حدته ليستدل الطالب للخبر على موضعه من الكتاب ونظيره من كل باب . وقصدت من جملة الاخبار ، وفنون الآثار ، الى اشرفها جوهراً واظهرها رونقاً والطفها معنى واجزلها لفظاً واحسنها ديباجة واكثرها طلاوةً وحلاوةً ، اخذاً بقول الله تبارك وتعالى: «الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه[1]». وقال يحيى بن خالد : الناس يكتبون احسن ما يسمعون ، ويحفظون احسن ما يكتبون ، ويتحدثون باحسن ما يحفظون ..... وحذفت الاسانيد من اكثر الاخبار طلباً للاستخفاف والايجاز وهرباً من التثقيل والتطويل ، لانها اخبار ممتعة وحكم ونوادر لا ينقصها الاسناد باتصاله ولا يضرها ما حذف منها ... وقد نظرت في بعض الكتب الموضوعة فوجدتها غير متفرّقة في فنون الاخبار ولا جامعة لجمل الآثار ، فجعلت هذا الكتاب كافياً جامعاً لاكثر المعاني التي تجري على افواه العامة والخاصّة وتدور على السنة الملوك والسوقة . وحليت كل كتاب منها بشواهد من الشعر تجانس الاخبار في معانيها وتوافقه في مذاهبها . وقرنت بها غرائب من شعري ليعلم الناظر في كتابنا هذا انّ لمغربنا على قاصيته وبلدنا على انقطاعه حظّاً من المنظوم والمنثور.»

المصادر التي استند اليها ابن عبد ربه

ظاهر من هذه المقدمة التي نقلنا ان ابن عبد ربه يعترف بنقله اكثر اخبار العقد من افواه العلماء وكتبهم ، وان ما له فيه قليل لا يتعدّى فرش دور الكتب وبعض النتف والاشعار . وظاهر ايضاً ان ابن عبد ربه يرى ان يهمل ذكر الاشخاص الذين اخذ عنهم ، او الكتب التي نقل عنها ، ويحذف الاسانيد من اكثر الاخبار التي ينقلها ، غير انه كان في بعض الاحيان يذكر اسماء بعض

---

١) القرآن : السورة ٣٩ (الزمر) الاية ١٩ : «والّذين اجتنبوا الطّاغوتَ أن يَعبُدوها وأنابوا إلى الله لَهُمُ البُشرى فبشّر عبادِ الّذين يَستمِعُونَ القول فيتّبعون أحسَنَهُ أولآئك الّذين هَداهُمُ اللهُ وأولآئكَ هُمْ أولُوا الألبابِ.»

الكتب التي نقل عنها . فلنسعَ في ان نبحث عن المصادر التي استند اليها او الاشخاص الذين اخذ عنهم ، ولنبدأ بذكر ابن قتيبة:

ابن قتيبة

هو ابو عبد الله محمد بن مسلم الكوفي المروزي الدينوري المتوفى سنة ٢٧٦ هـ [1] صاحب المؤلفات الكثيرة . وقد اخذ ابن عبد ربّه من مؤلفات ابن قتيبة اكثر مما اخذ من ايّ مصدر آخر . ولعل القارئ يذكر ما نقلناه عن تعظيم اهل المغرب له حتى انهم كانوا يتهمون من لم يكن في بيته من تأليفه شيء . ونخصّ بالذكر من مؤلفاته « كتاب عيون الاخبار » و«كتاب الاشربة» و«كتاب فضل العرب على العجم » . وقد ذكر ابن عبد ربه في بعض المواضع انه استند الى هذه الكتب واخذ عنها ففي الجزء الثاني الصفحة ٨٨ قال: « قال ابن قتيبة في كتاب تفضيل العرب واما اهل التسوية فانّ منهم قوماً» الخ. وبعد ان اورد خلاصة لردّ ابن قتيبة على الشعوبية وردهم عليه تعرض لنقده وقال : «ما رأيت اعجب من ابن قتيبة في كتاب تفضيل العرب انه ذهب فيه كل مذهب من فضائل العرب ثم ختم كتابه بمذهب الشعوبية فنقض في آخره كل ما بنى في اوله ، فقال في آخر كلامه: واعدل القول عندي ان الناس كلهم لاب وام خلقوا من تراب واعيدوا الى التراب » الخ. [2] ورجع الى كتاب الاشربة فنقل عنه بعض أمور ذكرها في كتابه عن الطعام والشراب. [3]

ورجع الى عيون الاخبار فسطا عليه وسلخ منه قطعاً كثيرة دون ان يشير الى مصدرها ، ونقل عنه ، فيما نرى التبويب والترتيب والتسمية (وقد امتاز ابن قتيبة عن الكثيرين من المؤلفين في زمنه بحسن تبويبه كتبه). ونظرة الى عيون الاخبار والكتب التي ضمنها ثم مقابلتها بالكتب التي ضمّها العقد تكفي لاظهار النقل . ومن الجميل ان نرى بعض هذه الآثار ؛ فقد استهل ابن عبد ربه عقده بكتاب السلطان وجعله اللؤلؤة الاولى ، كما استهلّ ابن قتيبة عيون الاخبار

١) Brockelmann *Ibn Kutaiba* [Encyclop. of Islâm, vol. II, p. 399]

٢) ابن عبد ربه ٢ : ٨٩ ٣) ابن عبد ربه ٣ : ٢٨٠ و٤٠٩ — ٤١١

بكتاب السلطان . ولم يقتصر الامر على هذا فان الكتاب الثاني عند ابن عبد ربه هو كتاب الفريدة في الحروب والكتاب الثاني بعيون الاخبار هو الحرب . وتستطيع ان تنقل اية قطعة من كتاب السلطان في عيون الاخبار وتدسها في كتاب اللؤلؤة في السلطان من العقد دون ان يحدث تغيير في اسلوب الكتاب يستطيع القارئ ان يتبينه ؛ فالاسلوب واحد ، والنمط واحد ، والاخبار ، لولا قليل ، واحدة . ويكفي بهذه المناسبة ان تراجع الجدول الآتي ففيه ذكر لبعض المواضع التي نقل فيها الكلام ابن عبد ربه عن عيون الاخبار :

العقد			عيون الاخبار	
الجزء ١	٥	عن	الجزء ١	١٩
١	٥	〃	١	١٩
١	٦	〃	١	٢٠
١	٥	〃	١	٩٢
١	٩	〃	١	١٨
١	١٠	〃	١	٩
١	١١	〃	١	١١
١	٢٦	〃	١	٢٧
١	٢٦	〃	١	٣٨
١	٢٦	〃	١	٤٠
١	٢٦	〃	١	٤٠
١	٢٦	〃	١	٤١
١	٣١	〃	١	٥٦
١	٣١	〃	١	٣٦

وهذا قليل من كثير مما نرى انه نُقل عن عيون الاخبار في كتاب السلطان فقط . فاذا تعديت هذا الكتاب الى غيره من الكتب التي ضمنها كل من العقد وعيون الاخبار ككتب الحرب والاطعمة والعلم والادب وغيرها ترى نقلاً كثيراً ربما يصعب حصره وذكره في رسالة مثل هذه . ولنذكر لك جدولاً

صغيراً آخر:

المقد		عن	عيون الاخبار	
الجزء ٣	٣٠٣	"	الجزء ٤	٩٦
٣	٣٠٣	"	٤	٩٦
٣	٢٣٢	"	٤	٩٢
٣	٢٤٣	"	٤	٩٠
٣	٣٠٤	"	٤	٩٢
٣	٢٨٥	"	٤	٥
٣	٢٨٣	"	٤	٦
٣	٢٨٢	"	٤	٧
٣	٢٨٤	"	٤	١٠
٣	٢٨٩	"	٤	١٣

ونريدك ان تلاحظ ان هذا الجدول مأخوذ ايضاً عن كتاب واحد في العقد هو كتاب المرجانة في النساء وصفاتهن . وهو ايضاً قليل من كثير في الكتاب نفسه . واذكر ان في العقد ٢٥ كتاباً لم نشر الى النقل الا في اثنين منها . وغريب ان اكثر الابواب التي طرقها ابن قتيبة في عيون اخباره قد طرقها ابن عبد ربه في عقده . فكلاهما قد بحث في السلطان ، والحروب ، والتاريخ ، والعلم بما يتبعه من الحفظ والقرآن والاثر والكلام والخطب ، والنساء وصفاتهن ، والطبائع والاخلاق ، ووصايا المؤدبين ، والبيان والبلاغة والتلطيف في الجواب الخ . ومن يقرأ عيون الاخبار يرَ ان اكثر الخطب الواردة في كتاب العلم قد اوردها ابن عبد ربه في كتاب الواسطة .

وقد اقتصر ابن عبد ربه في اكثر الاحيان على نقل الخبر دون ذكر مصدره غير انه في بعض الاحيان يقول: وحدّث ابن قتيبة دون ذكر الكتاب [1] . وربما بلغ بابن عبد ربه ان ينقل عن ابن قتيبة ما نقله ابن قتيبة عن كتب أخرى

١) ابن عبد ربه ٣ : ٢٢٥ ، و٢ : ١٠

قدس الاباتي العلّامة المفضال مرتينوس طَرَبيه

رئيس الرهبانية اللبنانية المارونية العام

كأن يقول مثلاً: «وفي كتاب التاج» وينقل قطعة بكاملها[1] ذكرها ابن قتيبة في عيون اخباره قال: «وقرأت في كتاب التاج» الخ[2]. كذلك نرى عند ابن عبد ربه في العقد: «وفي كتاب للهند: الحازم يحذر عدوّه» الخ[3]. وتراها في عيون الاخبار: «وقرأت في كتاب للهند: الحازم يحذر عدوّه» الخ[4].

واقرأ العقد وادرسه جيداً ثم اقرأ عيون الاخبار لاول مرة تشعر كأنك تعرف هذا الكتاب وكأنك قد قرأته سابقاً.

الجاحظ

وينقل ابن عبد ربه عن الجاحظ ابي عثمان عمرو بن بحر الكناني المتوفى سنة ٢٥٥ هـ[5] والجاحظ كابن قتيبة له شهرة ادبية وقد سطا كثير من الادباء الذين تأخروا عنه على كتبه فنقلوا منها قال القاضي الملقب بالفاضل: «واما الجاحظ فما منا معاشر الكتاب الا من دخل داره او شنّ على كلامه الغارة وخرج وعلى كتفه منه الكارة.»[6] ومع ان ابن قتيبة قد استند الى الجاحظ واخذ عنه اموراً نقلها الى عيون اخباره، فانا نرى ان ابن عبد ربه قد رجع الى بعض كتب الجاحظ فنقل عنها مباشرة لاسيما عن كتاب في الادب اخذ منه فصولاً في العتاب والوصاة واستنجاز الوعد والاعتذار، والتعازي وكتابة الرسائل لم ينقلها ابن قتيبة[7] واخذ ابن عبد ربه عن كتاب الجاحظ في الموالي والعرب[8] وعن كتاب الادب[9] كما وانه ينقل عن الجاحظ كثيراً دون ان يشير الى اسم الكتاب[10] وقد قابل في عقده بين الجاحظ وتلميذه المبرّد فمدح الاول وذم الاخير.[11]

١) ابن عبد ربه ١: ٢٦ — ٢) ابن قتيبة ١: ٢٧
٣) ابن عبد ربه ١: ٨٠ — ٤) ابن قتيبة ١: ١١٢
٥) [The Encyc. of Islâm, vol. I, p. 1000] في المقالة عن الجاحظ المهملة التوقيع.
٦) راجع تصدير كتاب التاج في اخلاق الملوك، لاحمد زكي باشا، ص ٣٩
٧) ابن عبد ربه ٢: ٢٤٣ و٢٤٤ و٢٤٥، و١: ٢٤٠
٨) ابن عبد ربه ٢: ٩٢ و٣: ٢٦٩ — ٩) ابن عبد ربه ١: ٢١١
١٠) ابن عبد ربه ٣: ٩ و٢٦ و٢٢٥، و٢: ٢١٢، و١: ١٨٤ و٢٤٠ و٢٧٠
١١) ابن عبد ربه ٣: ٢٦٨ و٢٦٩

(للبحث صلة)

الرهبانيَّة اللبنانيَّة المارونيَّة

صفحة تاريخية

بقلم الاب انطونيوس شبلي اللبناني

٢

تثبيت القانون الرهباني

رأى الاب قراعلي بحكمته الصائبة ان يطلب من البطريرك الدويهي اثبات القوانين الرهبانية ليتقيد الرهبان بالنذور تمكيناً لهم في دعوتهم ، فكان يسوّفه من حين الى حين. فلجأ عندئذٍ الى الاب حوّا ، نسيب غبطته ، والمطران جرجس بنيّمين متوسلاً اليه بدموعه ليتوسط له بقبول طلبه . فرضي البطريرك واثبتها بسلطانه في ١٩ حزيران ١٧٠٠ . وعندئذٍ ابرز الاب قراعلي والشمّاس يوسف البتن وعددٌ من الرهبان النذور الرهبانية.

وما عتم ان خاصم السيّد جرجس بنيّمين ، مطران اهدن ، الاب حوّا في ديره لامورٍ انتهت الى البطريرك ، فقلق من جرّاء ذلك رهبانه ، وغادره بعضهم ، وتفارطته الهموم والاحزان ، فقنط ورجع يقيم عند الاب قراعلي غير مرتبط بنذرٍ كباقي الرهبان . واستأذن البطريرك بالسفر الى مالطة لشراء مطبعة. وحلّت قدمه اخيراً في رومة. ووكل اليه البابا اكليمنضوس الحادي عشر مهامّ متنوّعة قام بها خير قيام . ومكافأةً لخدمه للكرسي الرسولي ، وهبه دير القدّيسين بطرسٍ ومرشلّين في رومة . فتارة كان يطلب من الاب قراعلي في لبنان رهباناً يسكنون في هذا الدير ، وطوراً يمده بتخلّيه عنه للرهبانية . ولم تكن حِيَله لتجوز على رجلٍ سامي المدارك كالاب عبد الله . ومع ذلك وجّه اليه الاب فرحات والاب البتن وابن شقيقته الاب يوسف شاهين الرومي الملكي الاصل ، فنازعهم هناك ونكث بوعده ورجعوا الى لبنان خاسرين . وقد عرّض فرحات بالاب حوّا وحوادثه في شعره اذ قال:

بمَرْجَلَيْنَ صادفنا فعالاً تُذكّرنا فعالَ المُفترينا
بانسانٍ أرانا الخير لفظاً بلا معنىً فخلناهُ مُعينا

العلّامة السيد يوسف سمعان السمعاني

دعانا اولاً حتى حضرنا فكان من الرجال الناكثينا
وكان سحابة فينا جهاماً وخُلَّبُ برقه وعداً لدينا
فلا تعجب لشخص قد تكنّى بمنى إسم أمّ العالمينا
فان السيف من معناه يُكنى بشرّ حيث كان به كمينا...(١

ورُقّي الاب حوّا الى درجة الاسقفية سنة ١٧٢٣، وتوفي في رومة ١٧٥٢.

وأقل في ١٧٠٤ بدرُ المارونية الساطع ومعلي منارها ومجدّد امجادها البطريرك اسطفان الدويهي الاهدني، وقد عاده في مرضه الاخير الاب قراعلي فجاد عليه وعلى رهبانيته بالبركة ودعا لها بالنموّ والازدهار. وخلفه السيّد جبرائيل البلوزاوي، فعاش سنةً واحدة وانتقل الى جوار ربه. وعقبه السيد يعقوب عوّاد الحصروني. وخطر للاب قراعلي خاطر، وهو ان يبدل اسم الرهبانية الحلبية باسم اللبنانية، لانها أنشئت في جبل لبنان، ولما في انتسابها الى حلب ما يُشعر بروح الاختصاص. فقبل البطريرك رجاءه وبدأ يلقّب الرهبان والرهبانية ويكاتبهم بهذا الاسم، ولم تسبقها جمعية تلقّبت به في الشرق. ولنا ان نعزو اليها قول الله في الكتاب الكريم: «ويدعو عبيده باسم آخر... وقبل ان يدعو أُجيب» (اشعيا ٦٥: ١٥ و٢٤)

وسيم في السابع عشر من ايلول ١٧١٦ الاب قراعلي اسقفاً على بيروت. وطلب الاب العام، مخائيل اسكندر الاهدني، ومدبّروه الاربعة من البطريرك يعقوب ان يُثبت قوانين الرهبانية وفرائضها التي اقرّها الدويهي سابقاً فاثبتها ثانية برقيم خاص مؤرّخ في ٢٣ تشرين الثاني ١٧٢٥.

ولم تشغل المطران قراعلي مهام اسقفيته الكثيرة عن حضن الرهبانية، غرسة يده، بحبّه وعطفه وعونه، وهي لم تزل بعدُ صغيرةً ضعيفةً في مهدها محتاجة الى تدبيره وعنايته الرشيدة. ورأى ببصيرته النافذة أن لا سبيل لرسوخ قدمها وصيانتها وحمايتها في الحاضر والمستقبل، ودرء المخاطر عنها، وحسم المنازعات الدائرة حولها، وتشديد عزائم ابنائها في صعود درجات الفضيلة إلّا باثبات قانونها من الكرسي الرسولي المقدّس فترجع اليه في شؤونها كلما دعت الحاجة(٢).

١) الديوان، ص ٤٤٠؛ وفي موضع آخر منه ص ٢٢١، ويريد بامّ العالمين حوّا
٢) رسالة السمعاني للرهبانية

فشمّر عن ساعد الجدّ وسعى لتحقيق هذه الفكرة ، وسافر الاب مخائيل اسكندر، رئيسها العام ، الى رومة في اواخر ايلول ١٧٢٧ ، متأبطاً كتاب القانون والفرائض والرسوم ، ومزوّداً من آباء الرهبانية ومن السيدين البطريرك وقراعلي برسائل الاستعطاف والاسترحام لقداسة البابا ولامراء الكنيسة ، وكلها تضرب على نَغَمٍ واحد وهو طلب تثبيت القانون. فاجتمع هناك بصديق الرهبانية الامين ونصيرها الكبير في المكاره والشدائد ، الحبر العلّامة يوسف سمعان السمعاني ؛ وكان خبر بنفسه لدى حضوره الى لبنان فضائل رهبانها وما بَذَلته وستبذله من شتّى الخدَم الجزيلة العائدة بالفائدة على الطائفة والبلاد ، فسَنَده واعانه بعلمه ونفوذه في عاصمة الكثلكة. وبعد فحص هذه القوانين وأخذٍ وردٍّ في قضيتها تنازل البابا اقليمس الثاني عشر الى اثباتها ببراءةٍ حبريّة شريفة صدرت في ٣١ اذار ١٧٣٢ فرفعها بقوة هذه البراءة الى مقام رهبانية معروفة من الكرسي الروماني ، وانفذ الى السيّد البطريرك واساقفة الطائفة رسالتين توصيةً بهذه الرهبانية « الجزيلة التقى التي جمّلتْ وزانتْ الطائفة المارونية »[1].

عاد الاب العام مخائيل اسكندر الى لبنان بعد غياب خمس سنوات في رومة ، حاملاً الى الرهبان كتاب القانون المثبت فطابت نفوسهم سروراً لهذه البشرى مرحّبين بقدوم رئيسهم باصدق شواعر الحبّ والفرح ، ومقدّمين لله الشكر على نوال منتهى قلبهم الصالح. وتوفي الاب العام الاهدني في دير اللويزة ١٧٤٢ ، وخلفه في الرئاسة الاب ارسانيوس عبد الاحد السرياني الاصل.

قسمة الرهبانية

ما زالت الرهبانية في مراتع السكون والطمأنينة ، ماضية في نهجها الروي ناعمة برغد الحياة المرتكزة على اساس الالفة والاتحاد حتى سمح الله بمحنتها لسرٍّ من اسرار حكمته الغامضة ، فسرى الخلاف في صفوف رؤسائها ومرؤوسيها سنة ١٧٤٤ ، لاسباب نرى بعضها مبسوطاً في المجلّد الثاني من تاريخها. وقد رُفع امره الى المجمع المقدّس ، فأوعز الى البطريرك يوسف اسطفان

١) ذيل المجمع اللبناني ، ص ٤٤ – ٤٩ و ٥٠ – ٥٣

القسطاوي والى القاصد الرسولي لويس باتيستا بقسمة الرهبانية الى فئتين: لبنانية بلدية، وحلبيّة. فحضرا الى دير حريصا للآباء الفرنسيسيين في الثامن من كانون الاول ١٧٦٨، واستدعيا الرئيسين العامّين للفئتين، الاب عمانوئيل ابراهيم الرشماوي للبنانية، والاب لويس السمعاني للحلبية، ومدبريها، وتمت القسمة. فاصاب الرهبان الحلبيين ستة أديار وقسماً من انطوش بيروت. والرهبان اللبنانيين أحد عشر ديراً، ما عدا اديار بلاد جبيل والبترون التي كانت بيدهم. واما دير قبرس فلم تجرِ عليه القسمة، لانه كان مهجوراً للاضطرابات التي كانت هناك. وقد انتهى الينا آخراً. وقرّر البطريرك والقاصد إعطاء الفئة اللبنانية زيادة عن الاديار المعيّنة لها من الكرسي الرسولي، دير مار الياس الراس للراهبات، ودير رشميا، ودير سير مجازاةً لاتعابهم وقطعاً لكل نزاع في المستقبل.

وقد اذاع قداسة البابا اكليمنضوس الرابع عشر براءته بالقسمة في ١٩ تموز ١٧٧٠، ونُفّذت احكامها، وجرى العمل بها وبالشروط التي عَقَدها الرئيسان العامّان. وافادنا الطيب الأثر المؤرخ الاب نعمة الله الكفري عن عدد ابناء الرهبانية جمعاء عند القسمة، وعدد المنتمين الى كلٍّ من الفئتين. فكان المجموع ٢٥١ راهباً من كهنة واخوة، وعدد الفئة اللبنانية ١٩٠ منهم ٤٣ كاهناً و١٤٨ أخاً، وعدد الفئة الحلبيّة ٦١ راهباً و١٢ مبتدئاً منهم ٣٧ كاهناً و٢٤ أخاً[1].

عادت بعد القسمة مياه السكون الى مجراها، وتوطّد السلام في كلٍّ من الرهبانيتين الشقيقتين، واندفعت كلٌّ واحدة تسعى في توسيع نطاقها صاعدةً في مراقي التقدم والنجاح. فكانتا كفرسي رهانٍ تتسابقان وتتعاونان في عمل البر وفي خدمة الدين والطائفة والبلاد، تجمع بنيها اواصر الحبّ والوفاق. وها قد مضى على قسمتها مئة واثنان وستون عاماً ونيّف، ولم يتعكر صفاء ودّهما ولا تزعزعت اركان حبها. وفي هذه السنة اصدرت الرهبانية الحلبية الشقيقة العزيزة نبذة منفردة جاءت فيها على مآثر ابنائها البيضاء فاكتفينا بالاشارة اليها، طالبين لها من الله اطّراد الترقّي بعناية قدس رئيسها العام المفضال الاب جبرائيل الشمالي المشقوقي ومدبّريه الافاضل.

(١) تاريخ الرهبانية، المجلد الثاني، ص ٢٩٢

صفحة ذهبية من تاريخ لبنان

البطريرك اللبناني
الياس بطرس الحويك

بقلم الخوري منصور عوّاد عوّاد

٧
موقف البطريرك من فرنسة

قيل ، والحق في ما قيل : ثلاثة اشتهر بها الموارنة في الشرق والغرب وكانت لهم بمثابة العلامة الفارقة ألا وهي حبّ الله ، وحبّ رومية ، وحبّ فرنسة ! اجل ان تاريخ الموارنة الديني الذي كتب بالعناء والفاقة والجوع والضنك والشقاء والاضطهاد والنار والدم يختصر في المحبة الثلاثية الآنفة الذكر . وهي انهم لاجل دينهم ، ولاجل تعلقهم برومية وفرنسة ، تحملوا ما احتملوه وقاسوا ما قاسوه طيلة أجيال ! فالبطريرك اللبناني مجموعة التقاليد المارونيّة الصحيحة كلها والامين في المحافظة عليها ، كان لا بدّ ان تتجلّى فيه تلك التقاليد الشعبيّة العريقة في القدم تقاليد محبة الموارنة لفرنسة . ولا غرو فانه فوق ما عرفه بتصفحه التاريخ من ارتباط الشعب الماروني بشعب فرنسة منذ عهد القديس لويس ، ملك فرنسة ، وارتباط رؤسائه بملوك فرنسة ، فانه كان قد رضع مع حليب والدته ذلك الحب وتشنّفت اذناه باخبار فرنسة وقديسيها وابطالها يسمعها في بيت والده من والده واهل قريته ، عندما كانوا يجتمعون في ليالي الشتاء حول الموقدة ، ويتحدّثون عن فرنسة ، صديقة الموارنة ومحاميتهم القويّة ، وعن رجالها واعمالهم وبطولتهم .

ثم حدثت حوادث سنة ١٨٦٠ ، عهد كان لا يزال في مدرسة الآباء اليسوعيين دارساً اكليريكيًّا في غزير ، فشعر بفعول صداقة فرنسة وحمايتها التي

كان يطالع عنها الصفحات الذهبية في تاريخ الطائفة والشرق المسيحي ، اذ رأى بأمّ العين جيوش فرنسة تأتي الى لبنان لحماية النصارى عموماً والموارنة خصوصاً ، والدفاع بالارواح عن ارواحهم ! رأى بعينه مفعول تلك الحماية يوم ضُمنت بفضل فرنسة وجيشها لبقية الموارنة المسيحيين المقيمين في لبنان وسورية النجاة من موت ذريع كان قرّره لهم الجهل والتعصّب الذميم والسياسة الخرقاء ، وعُوّض عليهم ما خسروه من مال ومتاع وما هُدم لهم من بيوت او أُحرق من دور ، وانالهم في لبنان الاستقلال النوعي ترعاه الدول الكبيرة المعروفة في ذلك الوقت ، وعرف انه لو أُتيح لفرنسة كل ما شاءت وشاء حبها للموارنة واوجبت تقاليدها عليها لكانت منحت لبنان استقلالاً تامًّا . وعرف ان جنود الامبراطور نابوليون الثالث كانوا يحملون على اكتافهم الحجارة ويبنون بايديهم بيوت الموارنة التي أُحرقت في دير القمر وبيوت سائر النصارى المقيمين فيها معهم . فادرك ان الذي قرأه في الكتب عن فرنسة وعن محبتها للموارنة وعن احسانها اليهم وتضحيتها في سبيلهم كان حقيقة لا خيالاً . وكان احسان الافرنسيين والافرنسيات يتدفق على اللبنانيين ، وخاصة على الموارنة ، باستمرار ، فنسي الموارنة المنكوبون بؤسهم لاجل فيضان ذلك الاحسان .

أُتيح للبطريرك اللبناني بعد ذلك بعناية خاصّة ان يكمل دروسه في رومية ، فشاهد بعينيه جنود الامبراطور نابوليون الثالث تحمي باموال فرنسة وسيوفها وبنادقها ومدافعها وبدماء ابنائها حرّية البابا وملك الكنيسة ، وظلّ ذلك المشهد إلف عينيه طيلة الايام التي قضاها في المدينة الخالدة اي من خريف سنة ١٨٦٦ الى صيف سنة ١٨٧٠ فادرك بالحسّ ان ما كان يطالعه عن ان فرنسة هي ابنة الكنيسة البكر ، والمدافعة عن حقوق الكنيسة في الشرق والغرب ، وحامية الكاثوليك في الشرق كله ، لم يكن حديث خرافة بل كان حقيقة تاريخية عاشت فيها فرنسة من عهد ملكها بيبنو الى يومه .

عاد الى لبنان ، والحقته العناية الربانية بالبطانة البطريركية المارونية وكان اميناً لاسرار البطريرك ، فاضطرّ بحكم الوظيفة ان يعرف مقدار الاحسان الذي كانت ترسله فرنسة الى الموارنة لبنيان الكنائس وتجهيزها وتأسيس المدارس

ونشر المعارف ومساعدة البؤساء ، واختبر بنفسه عطف الشعب الافرنسي والاكليروس الافرنسي على شعب لبنان واكليروسه اذ كانت تُبعث من قبلها المقادير العظيمة من حسنات القداسات لاعاشة الكهنة الموارنة . فكان الشعب الماروني في نظر الشعب الفرنسي ونظر حكوماته ، على اختلاف مذاهبها السياسية ونزعاتها الحزبية ومعتقدات رجالها الدينية ، شعباً فرنسياً آخر يقطن على شواطئ البحر المتوسط في ارض فينيقية المجيدة القديمة ؛ فكان يعامله معاملة الاخ لاخيه او قل معاملة الامّ لوحيدها المغترب المحتاج الى كل عطف الامّ واحسانها ومعاونتها وحمايتها .

وادرك البطريرك اللبناني ، وهو امين اسرار البطريركية المارونية ، ما الدور الذي مثّلته وتمثّله فرنسة كل يوم في سبيل حماية الاستقلال اللبناني السياسي والاقتصادي ، فازداد قلبه ولوعاً بفرنسة واشتدّ تعلقه بها وتعرّف على كثير من رجالها في ظل بطريركه العظيم بولس مسعد ، وعلى كثير من قناصلها ورجالها الرسميين ، وكانت له معهم محاورات ومبادلات نظريات وتقارير ادارية وسياسية وتهذيبية عرفه بواسطتها رجال فرنسة وعرّفوه الى فرنسة في باريس وحكومتها وعرفهم بدوره . وكبرت منزلة فرنسة عنده يوم أرجعت على مدرّعة من مدرّعاتها المطران بطرس البستاني ، مطران صور وصيدا ، رجل الوطنية والجرأة والفضيلة ، من منفاه ، ونصرته على متصرّف جبل لبنان رستم باشا ، وعلى دولة بني عثمان التي كانت تؤيد متصرّفها لكسر شوكة الموارنة ورؤسائهم[1] . وكانت صداقته مع رجال فرنسة متينة ظلّ يذكرها الى يوم وفاته .

أُسندت الى المطران الياس الحويك مهمّة تجديد المدرسة المارونية في رومية ، بدء بطريركية البطريرك يوحنا الحاج ، فأمّ رومية لهذا الغرض ولمّا تشرف بالمثول لدى قداسة السعيد الذكر البابا لاوون الثالث عشر والتمس منه ان يأذن له بالذهاب الى فرنسة لاستنداء أكفّ المحسنين لاستكمال ما يلزم من المال

---

١) راجع في هذا المعنى ، اي معنى علاقات البطريرك الحويك مع رجال فرنسة وسفرائها وقناصلها وما عمله في سبيل لبنان عهد كان في خدمة البطريركية المارونية كاهناً واسقفاً ، ترجمة حياته للعامل المفضال المتوري اسقف بطرس حبيقة ، وهي سلسلة اجزاء بالعربية والافرنسية .

لارجاع المدرسة قال له الحبر الاعظم : «ان هذا ضعب في هذه الايام لاني سمحتُ لمطران من رومانية ان يؤمّ فرنسة لغرض مشابهٍ فعاد اليوم ولم يجمع نفقات سفره . » فاجاب المطران الياس الحويك بلهجة الواثق : « ايها الاب الاقدس ، للموارنة في فرنسة غير ما لسواهم فنحن تعتبرنا فرنسة كأولادها ومتى أذنت لي قداستكم بالذهاب الى فرنسة رأت مرأى العين اني صادق في ما اقول . » فاستغرب لاوون الثالث عشر تلك اللهجة المقرونة بالثقة الشديدة . ولكنه أعارها كل اهتمامه ووثق بها كل الثقة ، وفوّض الى المطران الحويك كل ما كان يلزم لتلك المهمة . وما طال امر سفره حتى حقق للحبر الاعظم ما كان سبق فقال كانه يراه بعينه لان الشعب الفرنسي اقبل على مساعدة مشروعه لتجديد المدرسة المارونية في رومية باريحية وسخاء وسرعة ، وكان الاقبال من الشعب ومن رؤسائه الروحيين ولاسيما من رئيس اساقفة روان ، الذي ارتقى في ذلك العهد الى رتبة الكردينالية وكان صديق الحويك وشفيعه ونصيره لدى شعبه ولدى قداسة البابا لاوون الثالث عشر، الكردينال توما . وفي الوقت عينه نال من عطف الحكومة الافرنسية انها انعمت على الطائفة المارونية بثمانية كراسٍ مجانية لطلبة الموارنة الاكليريكيين في مدرسة سان سولبيس .

ومنذ ارتقى الى السدّة البطريركية الى يوم وفاته كانت علاقاته مع فرنسة سلسلة محبة واحسان وحماية . ولولا فرنسة في الحرب واحسانها لما ابقت المجاعة التي دبّرها الترك واذنابهم واشباههم من رجال الجشع والطمع بقية من شعبه الماروني العزيز على قلبه .

فبفضل فرنسة انتشرت الرسالات الدينية الفرنسية في لبنان وسورية ، وبفضل ابناء فرنسة وبناتها تهذّب الشعب الماروني في اموره الدينية والادبية والاقتصادية والسياسية والطبية وصار لديه منهم افراد يفاخر بهم أرقى شبان فرنسة والعالم المتمدن ، وبفضل اموالها ازدهرت طائفته ازدهارًا نادر المثال . لذلك كانت داره البطريركية في عهد الحكومة التركية ذاتها محطًا لرحال رجال فرنسة وكبارها يزورونه كلما زاروا سورية او لبنان . وكانت عندهم دار البطريركية المارونية دار فرنسة في الشرق ، ومشهورة كلمة السيد ميلران ،

رئيس جمهورية فرنسة سابقاً، عندما زار البطريرك اللبناني في كانون الاول ١٩٢٧ وقال على المائدة شارباً نخب البطريرك : « اني سعيد لوجودي في هذا البيت التاريخي الذي كان دائماً بيت فرنسة في الشرق » [1]

عندما استدعي البطريرك الحويك الى صوفر وكان الذي استدعاه طاغية لبنان وسورية في الحرب الكونية ، جمال باشا ، وقال له: « انك تحب فرنسة. فكيف تحبها وهي عدوتنا ؟ ! » اجابه بلهجة حازمة وصادقة وصريحة : « قد تعودنا ان نحب المحسنين الينا ، وفرنسة كانت في كل زمان ومكان محسنة الينا لذلك لا يسعنا ألّا نحبها. ان حبنا اياها لا يحول دون قيامنا بواجباتنا نحو دولتنا العلية. ولو غمطنا احسان فرنسة وجحدنا فضلها لما اعتبرنا احد مخلصين لدولتنا. لان الذي ينكر احسان المحسن اليه لا يكون اميناً لاحد ! » فتهيّبه جمال باشا لصدقه وجرأته وسذاجة تعبيره !

تلك المحبة وتلك الجرأة وتلك التقاليد التي اجتمعت في البطريرك اللبناني هي التي اجمعت قلوب اللبنانيين ، على اختلاف اديانهم وطوائفهم ونزعاتهم ، على محبة البطريرك وتقديره قدره وتوكيله عنهم للمطالبة بالاستقلال للبنان برعاية الانتداب الفرنسي. وقد لبّى طلب اللبنانيين بطيبة خاطر وحمّل شيخوخته اثقال السفر الى باريس حاملاً صكّ التوكيل في الاوراق التي بيديه منهم وصكّ الاماني اللبنانية في قلبه وعقله ، الى مؤتمر فرسايل سنة ١٩١٩ ، وما عاد الّا وصكّ الاستقلال بين يديه بوعد رئيس الحكومة الفرنسية السيد كليمنصو الذي ما عتم ان نُظر في الفعل حقيقة تاريخية سيأتي الكلام عليها.

ومنذ الاحتلال الفرنسي ثم الانتداب ثم اعلان استقلال لبنان الى وفاة البطريرك اللبناني كانت البطريركية المارونية مرجع اللبنانيين والفرنسيين معاً. فكان البطريرك الحويك واسطة خير وسلام بين الفريقين. فكان اباً للبنانيين بحبه ونصائحه وحكمته ، وصديقاً للفرنسيين حميماً مخلصاً لا يهاب ان يقول لهم الحقيقة بجلاء وصراحة اذا هم طاش سهمهم في سياستهم او ارتكبوا غلطاً في

١) راجع ايضاً الجزء الرابع من ترجمة البطريرك اللبناني للخوري اسقف بطرس حبيقة ، المطبوع سنة ١٩٢٩ في المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين في بيروت ، ص ٢٢

بعض تدابيرهم ، قارناً قوله احياناً ببعض المؤاخذة الوالدية . وكان يردّد عليهم عندئذ المثل العربي المأثور : « صديقك من صدقك لا من صدّقك . » وما زاره فرنسي الّا خرج يقول في سرّه وفي علنه : « لم اشاهد رجلاً فيه وقار هذا الشيخ وصدقه وحكمته ووطنيته ولم يخطر ببالي قط ان رجلاً لبنانيًا تكون فيه لفرنسة هذه المحبة الصادقة النيّرة المجتمعة مع محبته الحقيقية لبلاده لبنان »

لم يستخدم نفوذه لدى فرنسة ولا خدماته لمصلحته او لمصلحة طائفته بل اراد من فرنسة ان تكون في البلاد رسول عدلٍ وسلامٍ للجميع . ولم ينظر الى رجال فرنسة في اديانهم او معتقداتهم الشخصية بل نظر اليهم كممثلين لفرنسة التي احبها وطلبها منتدبة على بلاده ، وقد صرّح بذلك مرارًا ولم يأنف من ترداده على مسامع الجنرال سارايل يوم جاء هذا مندوباً سامياً للبنان وسورية ، وكان مشهورًا بعدائه للدين ولرجاله . ان كلمة البطريرك اللبناني مشهورة في هذا المعنى : « يهمّني في من يتولى مصالح البلاد عدله ونزاهته لا مذهبه ! » .

لم ينتفع البطريرك اللبناني لنفسه ولا لبطريركيته في وجود فرنسة في البلاد ولا من وجودها . فان البطريركية كانت في جميع ايام بطريركيته بيتاً مفتوحاً للافرنسيين وللبنانيين . وفي سبيل فرنسة ولبنان انفقت الاموال الكثيرة ، واستدانت الديون الباهظة وقد مات البطريرك اللبناني والبطريركية مثقلة بالديون رازحة تحتها . وقد بلغ ما باع من املاكها الثابتة قياماً بتلك المهمّة الوطنية خمسة وثمانين الف ليرة عثمانية ذهباً جدّد من اصلها للبطريركية بخمسة وعشرين الف ليرة عثمانية ذهباً .

ولم يقل يوماً لفرنسة او لاحد من ابنائها انه مدين لاحد او انه خسر مالًا على احد في سبيلها او في سبيل البلاد ! عاش عزيز النفس في حب فرنسة وحب بلاده . ومات عزيز النفس في حبه فكان امثولة شريفة في المحبة والتضحية والاخلاص لابنائه وللبنانيين وللافرنسيين ولكل انسان . كان مثالًا في الحب المجرّد ولاجل المصلحة العامة ولاجل عرفان الجميل . مع انه لو طلب من فرنسة اضعاف اضعاف ما خسره لاجلها وبسببها وفي سبيل المصلحة المشتركة بين شعبه

وبنيها ، في اي وقتٍ كان ، لما كانت ضنَّت عليه باضعاف ما انفقه في سبيلها وسبيل خير بلاده وهي التي انفقت الملايين ولا تزال تنفق الملايين احساناً الى شعوبٍ لا تعرفها وفي سبيل تمدين امم تجهلها.

لذلك اسف عليه في موته الافرنسيون أسف ابنائه عليه واشترك رجال الانتداب جميعهم في لبنان وسورية في حفلة دفنه مما لم يسبق له نظير ، اظهاراً لتقديرهم اياه وشعورهم بخسارته الجسيمة. ولم يكن رجال الحكومة في باريس اقل حزناً عليه من رجال الانتداب في لبنان وسورية ، كما دلّت برقيات التعازي التي بعثوا بها واشتراكهم واشتراك ممثلهم في جميع جهات العالم في حفلات الصلاة التي أُقيمت لاجل راحة نفسه في كل ارض من اراضي الهجرة للمارونية ، بل بانبراء نخبة من رجال الدين والسياسة بينهم الى تأبين الراحل العظيم في تلك الحفلات بافضل ما قيل في رجلٍ على الارض !

أجل احبَّ البطريرك اللبناني فرنسة لاجل احسانها الديني والادبي ، لاجل تضحيتها باموالها ورجالها في سبيل حماية الموارنة ورقيّهم الديني والادبي والسياسي والاقتصادي ، احبها لانها ابنة الكنيسة البكر ، احبها لانها أغنت البيعة المقدسة بقديسيها وقديساتها وشهدائها في كل عصر ومكان ، احبها لانها حملت مشعال المدنية المسيحية الى مجاهل افريقية واطراف المعمور وصبغت بدم رجالها وشهدائها الارض القصيَّة ، احبها لان الكيان الماروني اللبناني لولاها لما كان له وجود في الوجود ، احبها لان مرسليها من الرهبان والراهبات هم له خير جنود في تهذيب ابناء طائفته وبلاده وبفضلهم صار لبنان يضاهي برقيّه ارقى شعوب اوربة في جميع شؤونه الدينية والعلمية ، احبها لانه رأى فيها صدى لما كان يسمعه بالنقل عنها في بيت والديه في حلتا ولا شيء أحب الى الانسان واعذب من تذكارات طفوليَّته اذا رآها طيلة ايام حياته تنمو بنموه وتعيش بعيشته ، فبارك الله في فرنسة التي احبها البطريرك اللبناني !

اننا نقرأ في منشوره الذي اذاعه على الطائفة المارونية في ٨ ك ١ ١٩١٨ ، اي على اثر الاحتلال ، مختصر ما أشرنا اليه . فممَّا قال في ذلك المنشور :

« ونحن في تلبيتنا داعي القلب ونشر ما طواه من عواطف الحب والاخلاص والامتنان

السعيد الذكر السيّد بولس بطرس مسعد

بطريرك السريان الموارنة الانطاكي (١٨٥٤ – ١٨٩٠) بزيّه العاديّ

(نقلاً عن اثر نفيس محفوظ بين مجموعة الفيكنت فيليب دي طرّازي امين دارَي الكتب والآثار في بيروت)

الحميد الاثر السيّد اغناطيوس اندراوس اخيجان

اوّل بطاركة السريان الكاثوليك الانطاكيين (١٦٦٢ – ١٦٧٧)

تلميذ مدرسة السريان الموارنة برومية العظمى، بالزي الحبري

والشكر للامة الافرنسية النبيلة لا نكون قد اتينا امرًا مستغربًا ولا مستجدًا . فان هذه الشواعر قد توارثناها عن الآباء والاجداد وهي راسخة في قلوبنا رسوخ الارز والصخور في جبلنا . وقد زادها تعزيزًا ورسوخًا ما صادفناه على كرّ الاعوام والاجيال من التفات فرنسة وعطفها وتفانيها في سبيل مصلحتنا . نقول هذا ولا نجازف لاننا اذ خلقنا ، وان على غير استحقاق ، بطاركة طائفتنا الاقدمين قد عرفنا تقليداتهم ووقفنا وحافظنا عليها وواصلنا ما بدأوا به من العلاقات الولائية مع فرنسة . وقد اضطرنا الامر غير مرة ان نلتجئ نحن ايضًا اليها ، وان عن غير علم منكم ، لكي نحافظ عليكم وندفع عنكم ما كان يتهددكم من الظلم . وهذه اوراق خزائننا البطريركية اصدق شاهد على ما نقول واسطع دليل على ما لفرنسة في في جنبنا من الحسنات التي تفوق الحصر . فكم قد درأت عنا من الشرور وكم انشأت في بلادنا من المعاهد العلمية والمؤسسات الخيرية وقصارى القول ان فرنسة قد حملت على عاتقها كل واجبات حكومتنا نحونا دون ان تحمّلنا شيئًا من اثقالها وعليه يحق لنا بل يتوجب علينا ان نخصّها بالشكر الجزيل وبهذا نكون قد نسجنا على منوال الاجداد الاماجد الذين من مقرّ راحتهم يحبّوننا ولا شك عملنا » (١

وكان قد سبق وجاهر بهذه العواطف في عهد الحكومة التركية نفسها عندما نكبت فرنسة بطغيان بعض انهارها في فيضانه سنة ١٩١٠ فاذاع نشرة على الطائفة المارونية في ٤ شباط ١٩١٠[٢] واستنهض بها الهمم للاكتتاب لاجل مساعدة المنكوبين على سبيل الاقرار بجميل فرنسة . ومما جاء في تلك النشرة :

« اجل ايها الابناء الاعزاء انا نتلقى اخبار هذه الكارثة النازلة بفرنسة بانقباض في النفس وضيق في الصدر . ولا شك انكم جميعًا تشاركوننا في هذه العواطف لما نعلم وتعلمون ان الامة الافرنسية الكريمة تسير في مقدمة الامم لنصرة المنكوبين ولها السبق في عمل المعروف والاحسان مع ذوي البأساء لدى كل ملمة طارئة فلا يخلو مكان من آثار برّها وسخائها وخصوصًا هذه الديار السورية . وهي تأتي هذه الاعمال المجيدة عن كرم مهزّة وطيب محتد لا تطلب عوضًا ولا تسأل بدلًا على انها وان كانت بفضله تعالى في غنى عن كل مساعدة اجنبية لما توفّر لها من اسباب الثروة وموارد الرزق فان سنّة عرفان الجميل تقضي على عموم ابناء هذه الديار ، وخصوصًا ابناء طائفتنا ، بان يقوموا بمظهر الشكر للامة المعترفين بالفضل . وعليه فاننا ايها الابناء الاعزاء ايذانًا بمعرفتنا جميل الامة الفرنسية المحسنة قد افتتحنا اكتتابًا لاسعاف المنكوبين من ابنائها فنرغب اليكم جملةً وافرادًا ان تتباروا في السخاء لهذا الغرض كلٌّ بقدر طاقته . »

وافضل ما طفحت به نفسه من الشعور الشريف وفاض على شفتيه وقلمه ما صرّح به في منشوره التاسع عشر من آي الشكر لفرنسة عندما اعلنت

١) الذخائر السنية ، ص ٤٩٧ وما بعدها . ٢) الذخائر السنية ، ص ٨٧٦ و ٨٧٧

استقلال لبنان وتوسيع نطاقه بارجاع حدوده الطبيعية اليه ، فقد قال في ذلك المنشور الذي اذاعه في ٨ ك١ سنة ١٩٢٠[1].

« والآن ، وقد ابدت لنا الامة الافرنسية النبيلة في ضيقتنا وشدة محنتنا برهاناً جديداً ساطعاً على حبها لنا ولمصلحتنا واهتمامها بأمرنا ، وفازت سياستها الرشيدة في هذه البلاد وتحققت الآمال التي عقدناها على شهامتها وعطفها علينا فنال لبناننا العزيز استقلاله وتوسّع نطاقه وبُعث شعبه امّة حيّة سيكون لها شأن ، ان شاء الله ، بين الامم الراقية ، فقد توجب علينا ان نسدي الشكر الجزيل لفرنسة ونبين بولائنا واخلاصنا لها ولرجالها المتفانين في سبيل مصلحتنا اننا ابناء اولئك الاماجد الذين ذاقوا الامرّين في سبيل حبها والاخلاص لها فلم يصرفهم عن ذلك ظلم الظالمين ولا جور المستبدّين »

ثم خصّ الجنرال غورو المعتمد السامي بكلمة شكر ونوّه بفضله في نشر ألوية الامن والسلام والسكينة فوق هذه الربوع واضاف الى ذلك قوله عنه :

« ثم ما لبث بعد ذلك ان بشّرنا بتحقيق امانينا فأعلن في حفلات بلغت آخر حدود الفخامة بفوز اللبنانيين بجلّ مبتغاهم وكل مطاليبهم . وكان ذلك الاعلان شفاء للصدور ومكرمة جديدة اضافتها فرنسة الى مكارمها العديدة السابقة فأنعشت بها آمالنا ووطدت رجاءنا وامّنت مستقبل بلادنا فلها منا الشكر كل الشكر . »

فحيّا الله الرجل الذي يرث التقاليد الحميدة ويحافظ عليها بكل قواه ، ويذكر المعروف في جميع ادوار حياته : في ادوار الحرية والرخاء ، وفي اشد ادوار الظلم والمحنة ! وحيّا ذكره وتبارك ذكر البطريرك اللبناني واسمه فانه كان المثال الاعلى في هذه الامور ! ان دولاً تتغير ورجال الدول يتغيّرون في مبادئهم ويتحوّلون عنها لاجل المصالح الزمنية او السياسية امّا البطريرك اللبناني فقد كان يقول : « انا لا اتغير في مبادئي ولا احيد عنها وان تغيّرت الدول وتقلّبت احوالها وانقلب رجالها . »

وكان يردّد ذلك بعبارات أُخرى ايضاً فهو القائل : « انا لا اغيّر مبدئي . انا لا ازال على ثقتي بفرنسة » . كان يقول ذلك البطريرك اللبناني ويفعل كما يقول . وفي هذا التوفيق بين القول والعمل سرّ عظمته وسرّ اجتماع الناس على حبه والثقة به فقد عُرف انه لله ، ولرومية ، وافرنسة ، عن عقيدة وراثية في طائفته ، فاحترم لثباته ولمجاهرته بها ، وسيبقى ذكره فيها محترماً الى ابد الدهر .

---

١) الذخائر السنية ص ٥١٥ و٥١٦

الرُّتَب الكهنوتيّة

في الطائفتين المارونية والسريانية

بقلم الخوري اسحق ارملة السرياني

٧

٦ً طقس سياميذ الحبر (تتمة)

رتبة التبريك البطريركي

يتمّ التبريك البطريركي في الطقسين الماروني والسرياني بالحرف الواحد دون فرق بتّةً على الوجه التالي[1] :

بعد الفراغ من صلاة الساعة الثالثة يدخل الاساقفة كافة الى المذبح ، وياتون بالمنتخب فيضعون على راسه القلنسوة تحتها الاسكيم الاسود ، ويفرغون عليه القميص والزنار المزركش والمصنفة والبطرشيل والزندين والنفّارة[2] . ويخرّون جميعاً امام المنتخب فيقول كبيرهم بالسريانية : « ان الروح القدس يدعوك لتكون بطريركاً » الخ. فيجثو المنتخب على ركبتيه ، ويقول بالسريانيّة : « سمعاً وطاعة » وبعد ذلك يوارونه وراء المذبح . ويعود كلٌّ منهم الى محله . ويستوي كبيرهم على عرش يحفّ به الاساقفة كلهم لانهم يجب ان يشتركوا جميعاً في تبريكه متناوبين في تلاوة الصلوات والحسايات الخ. ثم يبدأ كبير المجمع بالرتبة الاولى : «ܡܫܝܚܐ ܠܐܠܗܐ المجد للآب. اهلنا ايها الرب الاله ان نقوم امام مذبحك» الخ. ثم يرتلون باللحن الثالث ثلاث آيات من المزمور العشرين : « يا ربّ بقوتك يفرح الملك » الخ يردفونها بترنيمة : ܐܒܐ ܘܒܪܐ ܘܪܘܚܐ الخ . ثم ثلاث آيات اخرى منه يردفونها بترنيمة : ܡܢܝ ܕܢܫܡܥ ܡܫܡܗܐ الخ . ثم ثلاث آيات اخرى منه يردفونها بترنيمة : ܡܪܝ ܡܫܝܚܐ ܕܐܠܗܐ الخ . ثم ثلاث آيات

---

١) نكرّر ما ذكرناه آنفاً وهو ان رتبة سياميذ الاسقف وتبريك البطريرك واحدة عند السريان لا فرق فيها الا في صلاة اقليس وتسليم العصا.

٢) يُعوَّض عن النفارة في الطقس السرياني بطيلسان قرمزي.

ايضاً منه يردفونها بترنيمة : ܐܘܠܐ ܡܢ ܪܘܚܐ ܕܩܕܝܫܐ الخ . ثم المجدلة وترنيمة : ܐܒܐ ܕܫܡܝܐ الخ .

ويصلي الرئيس او احد الاساقفة : « جدّد بنا يوماً فيوماً » الخ . يردفونها بثلاث آيات من المزمور ٤٤ : « فاض قلبي بكلام صالح » الخ . باللحن الرابع ويتبعونها بترنيمة : ܐܒܐ ܕܫܡܝܐ الخ . ثم ثلاث آيات اخرى منه مع ترنيمة : ܐܒܐ ܡܢ ܫܡܝܐ الخ . يختمونها بالمجدلة وترنيمة : ܐܠܗܐ ܕܐܒܐ الخ .

ويصلّي احد الاساقفة : « اللهمّ يا من كتل رسله بروحه » الخ . يردفونها بترتيل آيات من المزمور ٧١ : « اللهمّ اجعل احكامك للملك » الخ . باللحن السابع يتبعونها بترنيمة : ܫܒܚܘ ܠܐܠܗ ܕܫܡܝܐ الخ .

ويصلي احد الاساقفة : « نعمة الروح القدس الكاملة » الخ . ثم يتناوبون بترنيم آيات من المزمور ١٣١ « اذكر يا ربّ داود » الخ . يتبعونها بترنيمة : ܫܒܚܘ ܠܐܠܗ ܕܫܡܝܐ الخ . ثم المجدلة وترنيمة : ܐܒܐ ܕܫܡܝܐ الخ[1] .

وعند ذلك يطوف احد الاساقفة حول المذبح وفي الكنيسة بالمبخرة يرافقه كاهنان وشمّاسان في مروحتين وشمعتين . ويرتل احد الاساقفة الحتاي : « تسبيحاً دائماً لا مثيل له » الخ . ثم : « ايها الاله الذي يسمو على كل شبه » الخ . يلي ذلك اربعة ابيات بوزن ܐܠܗ ܐܠܗ الخ . ويقول احد الاساقفة المطر : « ايها المسيح قوّة الآب وحكمته » الخ . ويقول الرئيس : « السلام معكم » . ويجيب الشعب : « ومع روحك » ثم يرتل الزومار : « لان الربّ اتكالنا » الخ . ويقرأ احد الاساقفة من اعمال الرسل (١ : ٢-٨ و ٢٤ - ٢٦ و ٢ : ١٤ و ٢٢ و ٢٣ و ٦ : ٢-٧ و ٨ : ١٤-٢٢) . ويقرأ اسقف ثانٍ من (١ بطرس ١ : ١٣ و ١٥

---

١) قال السيد دريان (ص ١٥٩) ما ملخصه : ان مقدمة هذه الرتبة البطريركية تختلف عن كل المقدّمات السالفة بزامير وقوقليونات وسطيخونات لحنها مجهول عندنا . وعدم معرفة تلحينها قد ذهب برونقها . اه . اما السريان فقد اصطلحوا على ترنيم هذه الادوار بنغمة مخصوصة . ونودّ لو تعلّم ترنيمها الجميع حرصاً على النظام وازدياداً لرونق الرتبة .

و١٦ و٢:٧ و٥:١-٤) . ويقرأ اسقف ثالث من (١ طيم ١ : ١٨ و١٩ و٣ : ١-٦ و١٣ و٥:١٩-٢٢ و٦:١١ و١٢ ١٦). ثم ينشدون الهلال : « لاجل هذا مسحك الله » الخ . ويرتل الرئيس الانجيل من متى (١٩:١٣-٢٠) ويكون الرئيس اذ ذاك منتصباً على درجة المذبح متجهاً نحو الغرب ، ويكون المنتخب متجهاً نحو الشرق وكتاب الانجيل على كتفيه وظهره[1] .

وبعد نهاية الانجيل يستوي الرئيس على كرسيه ويأتي اسقفان بالمنتخب الى جنوبي المذبح فيقف عند جنحه ويتلو صكّ ايمانه مكتوباً بخطّ يده على هذا النمط : « انا الحقير فلان بن فلان المدعو برحمة الله وانتخاب هذا المجمع الى معالي المقام البطريركي أؤمن ايماناً ثابتاً » الخ . ويمضي الصكّ ويدفعه الى الرئيس ليُحفظ في خزانة الكرسي.

ثم يأتي بالمنتخب اسقفان الى امام المذبح فيجثو على ركبتيه وعليه حلّة رهبنته[2] . فيبدأ الرئيس بالرتبة الثانية ، وهو منتصب امام المذبح ، ويقول بعد المجدلة : « ايها الرب الفارقليط » الخ. ويتلو الاكليرس مزمور « ارحمني يا الله» مع الابيات السريانية . ثم يبدأ الرئيس بالحاي : « مجداً واحداً مثلث الاضواء» الخ . ثم : « نبتهل متضرّعين الى عذوبة رحمتك » الخ . يردفونه بستّة ابيات ܡܪܝܡܐ ܘܐܝܟܢܐ ܕܡܫܝܚܐ الخ. مسبّقة بالمزمور ١٥٠ ثم يتلو الرئيس العطر: « لبهاء مجد عظمتك ايها السامي » الخ.

---

١) السمعاني : على كتفيه وعنقه . وفي الطقس السرياني يكون كتاب الانجيل مفتوحاً على ظهر المنتخَب

٢) قال المجمع اللبناني (٢٧٩) ان اسقفين يترعان الفنارة والمصنفة عن المنتخَب . ولا ذكر للفنارة في النص السمعاني ولا في الطقس السرياني . امّا الاسكيم ، وهو حلة الرهبنة ، فيجب ان يبقى في رأس المنتخَب . قال المجمع اللبناني (٢٢١) : ان الكهنة من الرهبان والاحبار انفسهم ينبغي ان يحفظوا الاسكيم لدى مباشرتهم خدمة الاسرار المقدسة ولا يكشفون رؤوسهم . . . ومتى كان احد الرهبان في انحاء المغرب واراد ان يتلو هناك القداس وجب عليه ان يجري على عادة البلاد بكشف رأسه دفعاً للعثار . . . غير ان البطريرك يعقوب اجاز للرهبان اللبنانيين ان يترعوا عن رؤوسهم الاسكيم الرهباني في وقت القداس ولو كانوا في سورية وسائر المشرق . . . اما غيرهم من الرهبان فلهم ابقاء الاسكيم الرهباني في اوان القداس .

ثم يتلو الرئيس سرًّا : « ايها الربّ الاله القوّات » الخ . ويجهر : « واقبل رئيس الرؤساء » الخ . ويؤتى بالمنتخب فيجثو على ركبتيه قدّام المذبح ، فيلتفت الرئيس الى الغرب ويقول : « السلام معكم . » ويقول الشعب : « ومع روحك » . ثم يأمر الرئيس واحدًا من الاساقفة فينادي في باب المذبح : « النعمة[1] الالهية التي تشفي الضعفاء وتكمّل النواقص وتمنّي بالكنائس تدعو وترقّي عبدالله[2] فلانًا الى كرسي بطريركية مدينة الله انطاكية العظمى » الخ . ثم يلتفت الرئيس الى المذبح ويضع يديه على الجسد وعلى الدم ويرفّ بهما ثلاثًا الخ . كما ذكرنا في سياميذ الشماس والقس ويصلي بخشوع سرًّا : « اجعله اللهمّ مستحقًّا لدعوة الحبريّة » الخ ويغطّون يدي الرئيس بقفّارته فيجهر : « ويجد وراثة قديسيك » الخ . ويتوجّه نحو المنتخب فيضع هو ولفيف الاساقفة ايديهم[3] على راس المنتخب . ويفتح بعض الاساقفة كتاب الانجيل ، عند الاصحاح الرابع من لوقا ، فوق ايديهم ويلوّح غيرهم بالمراوح فوق الانجيل . فيرفّ الرئيس بيديه ثلاثًا فوق راس المنتخب ويصلي صلاة دعوة الروح القدس : « اللهم يا من صنعت جميع السماويين بقوتك »[4] . ثم يصلّون كلّهم سرًّا ، وهم واضعون ايديهم على راس المنتخب ، صلاة اقليميس الروماني المختصة برسامة البطريرك وهي : « ايها الاله الذي صنعت جميع الاشياء بقوّة » الخ . ويلتفت الرئيس الى الشعب قائلًا : « السلام معكم » . ويجاوبونه : « ومع روحك » . ويتلو الرئيس سرًّا : « اللهمّ انظر الينا والى خدمتنا » الخ . ويجهر : « لانك الاله الراغب في الرحمة » الخ .

وهنا يرفع الاساقفة كتاب الانجيل عن راس المنتخب ويحيدون عنه . فيلتفت الرئيس نحو المنتخب ويضع يده وحده على رأسه ويشهر رسامته قائلًا

---

١) ذكر المجمع اللبناني (٢٧١) ان رئيس المجمع يضع يده على راس المنتخَب قائلًا : « النعمة الالهية الخ . »

٢) في النص السرياني محب الله بدلًا من عبد الله .

٣) في الطقس السرياني لا يضع اليد على راس المنتخَب الا رئيس المجمع فقط .

٤) هذه الصلاة لا يتلوها الرئيس في الطقس السرياني الا في سياميذ الاسقف وهي صلاة دعوة الروح القدس . وفي صحفهم صلاة اخرى تليها تقال للمطران وصلاة ثالثة للمفريان .

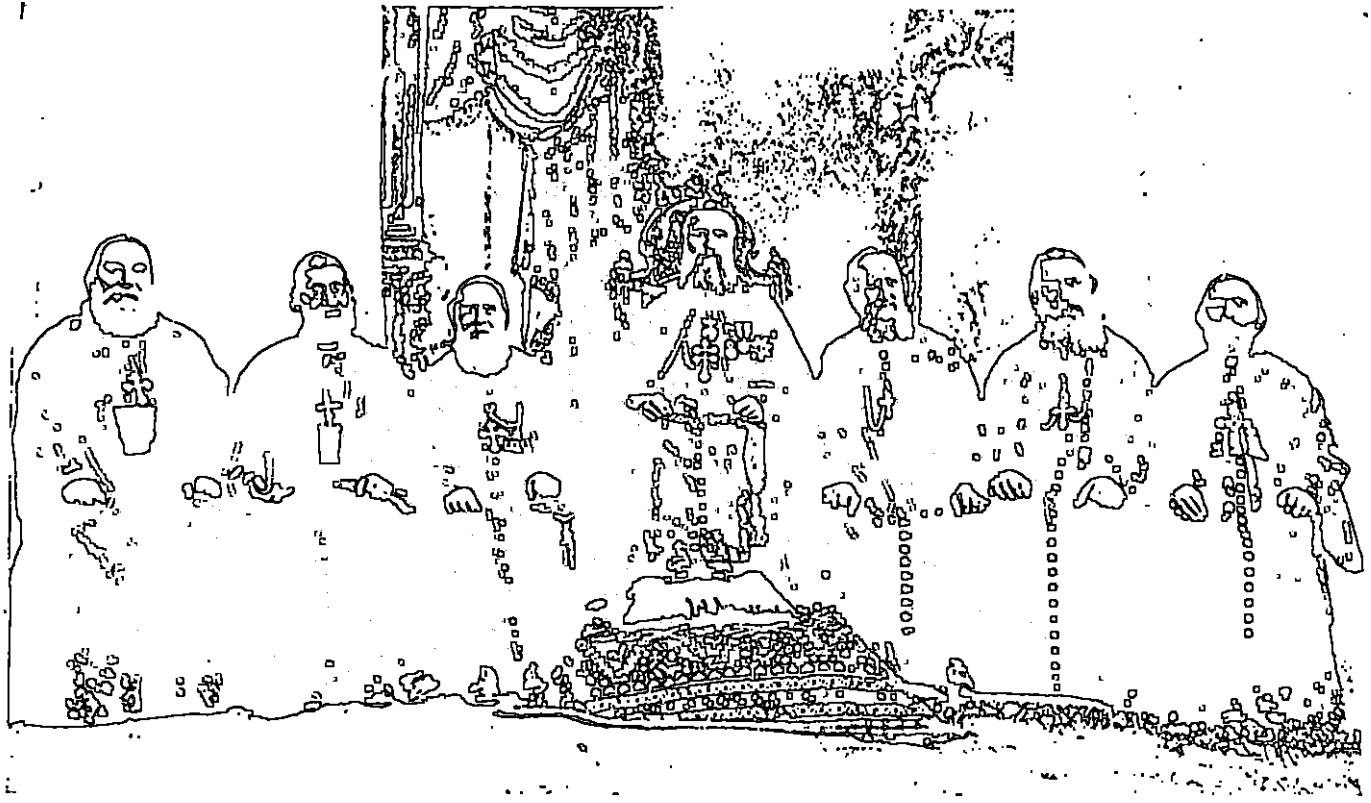

غبطة بطريرك السريان الكاثوليك ، اغناطيوس جبرائيل تبوني ، وبعض اساقفة طائفته .

بالسريانية : « ارتقى[1] في بيعة الله المقدسة » . فيجاوبه الاساقفة معاً : « فلان بطريركاً على كنيسة مدينة انطاكية المقدسة الابرشية المباركة». ويقول الرئيس : « فلان بطريركاً لكنيسة الارثذكسيين المقدسة التي سبقت فاشتهرت.» ويقول الاساقفة : « بارخمور » فيردف الرئيس اذ يسم المنتخب في جبهته ثلاثاً شكل صليب قائلاً « بسم الآب ✠ والابن ✠ والروح ✠ القدس.» ويقول الشعب : آمين ، عند ذكره كلًّا من الاقانيم الالهية المقدسة . ثم يمسكه الرئيس بيمينه وينهضه وهو يقول : « كيريولوجيون[2] . ويقول الاكليروس والشعب ثلاثاً : قوريالیسون .»

ثم ان الرئيس يوشح البطريرك الجديد بالمصنفة والفنّارة والبطرشيل[3] الكبير وصليب الصدر والتاج . وهو ينشد في كل مرة بالسريانية : « لمجد واكرام » الخ . ويجاوبه الاساقفة ولفيف الاكليرس بمثل ذلك.

ثم ان الاساقفة يُجلسون البطريرك على كرسيّ ووجهه الى الغرب وهم ينشدون : « لمجد واكرام » الخ . ويمسكون بالكرسي ، وعليه البطريرك ، ويرفعونه ثلاث مرّات ويقول الرئيس ثلاثاً : « اكسيوس يستحق . » ويجاوبونه مثل ذلك . ثم يقال الهلال ويقرأ البطريرك الجديد[4] من انجيل يوحنا (١٠ : ١—٢١) . وعند قوله : « انا هو الراعي الصالح.» يهتف الشعب جميعاً بالسريانية : « يستحق ويستوجب . » وعند نهاية الانجيل يرتل احد الاساقفة : « فلنقف حسناً بالصلاة » الخ . ويلتفت الرئيس الى المذبح ويصلي سرًّا : « نشكرك ايها الرب الضابط الكل » الخ . ويجهر : « كيما مع جميع الذين ارضوك » الخ . ثم

---

١) في الطقس السرياني ܐܬܩܪܒ : يرتقي.

٢) في الطقس السرياني : قرياولوجيون . وقال السمعاني : ان احد الاساقفة يقول كيريولوجيون ثلاثاً .

٣) قرأنا في مخطوط دير الشرفة القديم (صفحة ١٠ من مجموعتنا) ان بطرشيل الاحبار يُسدَل فوق الفنّارة على الكتف اليسرى . وفي ذلك يُشبه بطرشيل احبار الارمن .

٤) يكون البطريرك في الطقس السرياني مستوياً على الكرسي مرفوعاً على ايدي الاساقفة والكهنة عند قراءته هذا الانجيل . وهذا عينه يجري حين سيامة الاسقف ايضاً عندهم .

يتوجه نحو البطريرك ويقيمه من الكرسي ويدفع اليه عصا الرعاية بحيث يمسك هو باعلاها، ثم يأتي الاساقفة فيمسكها الاقدم فالاقدم، وفي آخرهم البطريرك واذ يكونون باجمعهم قابضين عليها يهتف الرئيس بنغمة شجية بالسريانية قائلاً : « عصا العز يرسل لك الرب من صهيون » الخ . ويتابعه في ذلك الاساقفة اجمع . ثم يمسك الرئيس بيمين البطريرك ويرفعها فوق ايدي الاساقفة كلهم بحيث تصبح ايديهم تحت يده وينشد الرئيس ثانياً وثالثاً : « عصا العز » الخ . ثم يتركون العصا في يد البطريرك وحده وبذلك يدلون على انهم سلموا اليه السلطان على جميعهم برضاهم .

ثم يأتون به الى المذبح ويخاطبه الرئيس سراً : « اعلم انك الآن ماثل امام الله » الخ . ويجهر : « ايها الاله الذي اصطفى موسى عبده » الخ . وينادي احد الاساقفة الكرازة : « ايها المسيح الهنا » الخ . ويختم الاكليرس بنشيد سرياني في تقريظ الملفان المزدان باسمه البطريرك الجديد . وبعد هذا يصلي البطريرك : « ايها المسيح اله جميعنا » الخ .

واخيراً يحني الرئيس والاساقفة البطريرك ويأتون به الى باب المذبح الكبير فيمنح الحاضرين البركة بالعصا ثلاث مرات بشكل صليب . ويتقدم الباقون الى تقبيل يمينه . ويختم البطريرك القداس ويتناول القربان المقدس ثم يتناول رئيس المجمع ايضاً ، ويصرف المؤمنين قائلاً : « امضوا بسلام » الخ . وورد في بعض الصحف انه يُستحسن ان يخطب احد الاساقفة في تمداد مناقب البطريرك الجديد والاحبار الذين اشتركوا في تسليمه عصا الرعاية .

ذلك كله يتفق فيه الطقسان اتفاقاً عجيباً تاماً . ونستنتج من هذا الاتفاق ان رتبة ترقية الاسقف والبطريرك عريقة في القدم جداً . ترتقي الى ما قبل القرن العاشر .

وقد اعتاد بطاركة السريان منذ احقاب ان يستكتبوا صكاً يسمونه سوسطائيقون ܣܘܣܛܐܝܩܘܢ يثبتون فيه وصف سياميذ الاسقف الجديد وتفويضهم اليه رعاية ابرشيته . ومثل هذا الصك البطريركي مشهور عندهم يعتني ناسخه شديد الاعتناء بتنميقه وترويقه . ويُلف كالدرج ويدفعه البطريرك

صفحة من السوستاثيقون الذي سلّمه البطريرك اغناطيوس كوركيس الى السيد ديونيسيوس ميخائيل جروة على اثر ترقيته اياه عام ١٧٦٦ الى مطرانية حلب، في دير الزعفران، وهو اثر تاريخي نفيس مصون في دير الشرفة مزيّن بصنوف الخطوط السطرنجيلية والسريانية، ومنسّق بضروب الاشكال الملوّنة الظريفة.

الى الاسقف فيحمله الى ابرشيته ويُتلى على مسامع ابناء رعيته عند وصوله اليهم . وقد نشرنا مثل هذا الصكّ على صفحات المشرق (١١ [١٩٠٨]: ٥٦٥) وتشتمل خزانة دير الشرفة والدار البطريركية وخزانة الآباء اليسوعيين في بيروت على امثال هذا السوطائيقون البديع الذي يستغرق طوله احياناً زهاء خمسين ذراعاً (انظر الشكل).

الى هنا ما قيّض الله لنا نشره على صفحات المشرق الاغرّ مما ينوط بجميع الرتب الكهنوتية في الطائفتين الشقيقتين المارونية والسريانية. فيا حبذا لو أنشئت لجنة من مفكري اكليرس كلتا الملّتين الكريمتين تدرس الصحف السريانيّة القديمة الثمينة وتنظر في اصل هذه الرتب وفصلها وتعمل الرويّة في كلّيّاتها وجزئيّاتها فتنتقي منها ما هو الاحقّ بالاتّباع وتعرضه على السادة الاحبار الاجلّاء ليوافقوا على نشره بالشكل الكامل. وهكذا يجري استعماله كسالف الاحقاب بنظام واحد في الطائفتين كلتيهما . حقّق الله تعالى الآمال.

جولة في المجلات

الازياء في الاجيال الوسطى – الادب والعلم والفن في مصر بعد خمسين سنة

الازياء في الاجيال الوسطى

ظهر في ايلول الماضي عدد مجلة « الكلية » السادس والاخير لا من مجلدها الثامن عشر فقط ، ولكن من « الكلية » ايضاً كما ظهرت الى يومنا مجلتها ومواردها . فان ادارتها ودّعت القراء ووعدتهم بالظهور بشكل جديد ، انسب الى ما تراه موافقاً للحالة الحاضرة ، اذ كثرت المجلات والصحافة بين العامة . فقالت ان الجامعة الاميركية في بيروت « توجّه القوى الى اصدار الكتب العلمية ونشر المخطوطات القيّمة التي هي من ثمار التخصّص » . وفي هذه المناسبة نشكر للرصيفة ، عند احتجابها ، خدماتها للادب ونروي عنها باختصار مقالاً على الازياء موقعاً باسم الدكتور ل . ا . ماير . (ص ٤٢٨)

الكلام انما هو على ازياء الرجال . وان هذه الازياء لا تزال شائعة بين فلاحي فلسطين مع تغيّر طفيف طرأ عليها . كان السلاطين يخلعون الخلع ثياباً تتفاوت قيمتها مع تفاوت رتب المخلوع عليهم ومع تقلب الظروف ، وكان اهداء الثياب من الاعلى الى الادنى يعد تندمة اكرامية ، ومن الادنى الى الاعلى رشوة او برطيلاً . ولم تكن الازياء تختلف مع اختلاف المهن والاديان فقط ، ولكن مع اختلاف درجات الوظائف ايضاً .

(مصادر الكلام على الازياء) كتاب السلوك للمقريزي ، وكتاب معجم اسماء الازياء عند العرب للمستشرق دوزي ، وغير ذلك من كتب اخبار ايام العرب ، ومن كتب الانشاء لموظفي الحكومة ، منها مطبوع ومنها غير مطبوع وهو مخطوط وعليه صور وزخارف . على ان الاسهاب ناقص في ما يرد الاثري حالاً ان يجده في المخطوط مما جمعه من امر الازياء .

وهناك اخبار السياحات في الاراضي المقدسة وسورية ومصر ، وما اوحته الى المصورين ، عند تصاويرهم ، ازياء الشرق وغير ذلك مما بلغت معرفته الفنانين الافرنج فصوروا الازياء واتقنوا التصاوير وهي مطابقة لاقوال المؤرخين العرب ، وبعضها يدلّ على ان المصوّر عرف الشيء الذي وصفه لا عن حديث غيره ولكن عن شهادة عين . وهذه بعض المعلومات عن اهم الملابس :

القميص : ليس له ذكر.

القباء : تلبس فوق القميص ، وهي قترية الاصل يؤثر في صنعها الحرير الملوّن ، لها كمأن قصيران ضيقان . كان الامراء المصريون يتقلدون السيف فوق القباء جاعلين الصولاق على اليمين. كان القباء رداء طويلًا مصنوعاً من الاطلس الاحمر ومزركشاً بالقصب ، وله طراز على حاشيته ويبطن كله بفرو.

الحزام : كان من نسيج رفيع حرير او شاش.

المنطقة او النجاد : كانت من القصب الفضي او الذهبي ، وهي لباس المسلمين بمقتضى الحديث والتفسير. وكانت قيمة المنطقة او النجاد عظيمة.

الطربوش او الشربوش.

القبعة : من مواد قاسية كمواد الطربوش او الشربوش ، ولا يلفّ عليها شيء ، تصنع اصلًا من فرو ، وتحشى من الداخل، وهي مخروطية الشكل.

الكالوطة : اخف من الشربوش وزناً ، وهي قبعة صفراء مخرجة تخريجاً عريضاً ذات كلاليب تلبس مع العمامة او بدونها.

التخفيفية : اي العمامة الخفيفة.

الطاقية : وهي في الاصل قبعة يلبسها الشبان والشابات . كانت مسطحة الشكل متنوعة الالوان يبلغ طولها نحوًا من خمسة قراريط ، ثم زاد علوها حتى بلغ ١٨ قيراطًا. وجعل اعلاها مستديرًا ، وشكلها كالقبة.

التلنسوة : كانت احطّ جميع البسة الراس ، وهي عبارة عن قبعة صغيرة تلبس تحت العمامة.

الخف : للرجل وكان يصنع من الجلد البلغاري المدبوغ.

السقمان : يلبس فوق الخف.

المركوب او الترجيل : كان اثقل وزناً من الخف ، يصنع من السختيان الاحمر وينتهي براس معقوف الى الاعلى.

العمامة : كانت قطعة اللباس الذي يمتاز به العلماء عن سواهم.

الطرحة : لرجال الدين ايضاً تلفّ حول العمامة دون شدّ ، او تبسط على الكتفين ، وفي كلا الحالين كانت تتدلى وتغطي قسماً من الظهر.

الطيلسان : يشابه الطرحة.

الفرجية : كانت رداء علماء الدين ، تصنع من صوف او من حرير . او من قطن وهي نوعان الفوقانية والتحتانية. وللفرجية ازرار واربطة مزخرفة.

الجبة والبيقار.

وقال الدكتور ماير عن البسة السلطان :

ولدينا شروح ضافية للزي السلطاني . فكان السلطان من المماليك يلبس يوم تنصيبه ثياباً سوداء ، واللون الاسود هو ما امتاز به العباسيون . وكان من

شطار الوظيفة عمامة سوداء وجبة سوداء التي بطراز الذهب . ولكن السلطان كان عادةً يرتدي ثياباً بيضاء . ولم يكن يظهر بثيابه البيض فقط بل حين كانت الحال تقضي بذلك كان يتزيا بزي زهد كما حدث سنة ٨٣١ للهجرة حين منيت مصر بقحط مخيف وقدّم اهل البلاد كافة التضرعات من اجل فيض النيل . كان السلطان حينئذٍ يلبس جبة بيضاء وعمامة صغيرة من اللون نفسه ويرخي لها عذبة تتدلى منها الى الوراء . وكان يلبس فوقها عباءة صوف بيضاء ويتطي صهوة جواد عار مما كان عادة يزدان به في الاوقات الاخرى كالسرج المعرق بالذهب وما يجلله من الحرير النفيس .

وكانت ثيابه عادة جامعة لالوان كثيرة وان كان في المواقف الرسمية يرتدي الثياب البيض التي كانت مزيجاً من الزي العسكري والزي الديني . وكان اهمُّ شيء فيها لباس الراس . ونعلم ان السلطان كان في بعض الاحيان يلبس شربوشاً لان بيبرس منح لقلاوون شربوشه مرة . ونعلم من الجهة الاخرى انه في عهد المماليك البحريين كانت عمامة السلطان تمتاز بعصابتين . وفي هذا الزمان كان مجرد ذكر العصابة ينقل الى الخاطر مظهر شيء متطاير في الهواء . ولذلك كانت الاعلام السلطانية ، التي تتألف من قدد قماش طويلة مثلثة الشكل ومربوطة بالرماح . ومع كرور الزمان حذا الامراء حذو السلاطين وانتحلوها هم ايضاً وبعد ان نالت رضى الجمهور صاروا يدعونها قروناً . وبما ان تغرى بردى حاكم القدس الاول هو الذي ادخل هذا الزي الى المدينة المقدسة ، لقب بذي القرون وكانت عمامة السلطان اكبر حجماً من عمامة العلماء .

ف . ت .

الادب والعلم والفن في مصر بعد خمسين سنة

للرصيفة « الهلال » استفتاءات غريبة تطلع علينا بها بين وقت وآخر فتشغل طائفة من مفكري القطر الشقيق بتأليف الاجوبة عن اسئلة ان لم تأخذ المطالعين باهميتها الواقعية اخذتهم بما تبعث فيهم من فضول علمي وتشوّق الى معرفة الغريب . وهكذا تستفيد الرصيفة مادة سهلة الإعداد ويستفيد القراء معلومات متنوعة حتى التناقض في موضوع واحد . من ذلك ما بدأته في عدد نوفمبر الاخير من « نظرات في المستقبل » عرضت فيها «حالة مصر بعد ٥٠

عاماً » في الشؤون الاقتصادية والمالية والاجتماعية والثقافية . وقد احببنا ان نطلع القراء الكرام على حالة الادب والعلم والفن في مصر سنة ١٩٨٢ ، على رأي خليل بك مطران قال (ص ٤١) :

« سيكون لنا بعد نصف قرن ما نصبو اليه الآن ، ادباء عالميون وكتاب ينتشر لهم صيت في كل مكان ، وتترجم منتجاتهم البديعة الى اللغات كافة . لا اتكلم على سبيل الامنية ، أنا استنتج محترساً ناظراً الى الغاية من المستهل . فلا شك في ان الاحوال المعنوية والظروف المادية ستتطور ، ولا شك في ان الاديب سيدنو فنه من الكمال المنشود . فقد أرى ان الرخاء واليسر ضروريان لتقدم الفنون الجميلة .

« ومن العسير تعيين الاتجاه الذي تسلكه القصة والرواية في نصف القرن القادم . لكن يمكن الظن بان الفكرة الصوفيـة — بالمعنى السامي — ستغمر هذه القصص وتعيش بها ولها شخصياتها ، ولأردد كلمة الشاعر الهندي طاغور ، وهي التي نادى بها قادة الفكر في عصرنا الحاضر ، الفكر الحديث الذي فهمنا انه يتجه الى الله بعد ان كاد يتجه في القرن الماضي الى المادة وعبادة الارضيات . قال طاغور في حديث له مع كاتب جريدة امريكية : ان المدنية الغربية قد سئمت ضوضاء الآلة وعافت المادية . وليس امامها سوى الهدوء والسكينة مهرباً . تعبد في قدسه وجه الاله في صمت ملائكي .

« فكأن الحضارة قد تطورت الى اتجاه نحن مبرزون فيه ، قد فطرنا عليه وركزته عهود الاستبداد والظلام في طبائعنا . فانه لم يكن امامنا معاشر الشرقيين سوى الله نستعديه على الاقوياء ونفيء الى ظله الرحيم ونستريح الى ما يسبغه علينا من صبر وراحة بال ، حين كان الصبر قوام الحياة وملاك القوة . وحين كانت راحة البال غذاء ضرورياً لاشباع روحنا الجائعة وتسكين نفوسنا القلقة .

« ان الرواية المسرحية والقصة — صغيرة أو مستفيضة — ستزدهر على طراز مستحدث . كيف لا ونحن الذين ابتدعنا هذا الفن وسمونا به الى الكمال ، فأعطينا للادب العالمي والفن الانساني اثمن درة واعني بها « الف ليلة وليلة » .

ويغلب القصص على عيون الكتب الادبية عندنا من مثل الاغاني وما اليها.

« سيكون الاديب في سنة ١٩٨٢ في رغد من العيش . الكتاب الواحد او الرواية الواحدة تدر على صاحبها آلاف الجنيهات . ويومذاك تكثر شركات النشر والطباعة وترتقي الصحافة وتباع الجرائد بالملايين . وقد لا اغالي اذا حسبت ان مصر ستغدو اروج ميدان للأدب العربي والفكر العربي ، يهرع اليها من سائر الاقطار الشقيقة المباقرة والنبغاء لينضموا الى الاسرة الفنية الادبية.

« ثم لا يبعد ان توجد مدارس في الادب والنقد . وعندي ما يجعلني اعتقد ان علماء مصر سيتممون عمل المستشرقين الذين اقول انهم عاجزون عن اتمامه لبعدهم عن الروح العربية ، ولان بعضهم متعصب من غير وعي يعالج البحوث بطريقة العالم لا بروح الاديب الفنان ، ومن اجل ذلك لا يتغلغلون الى صميم الادب العربي.

« فليطمئن اهل الصناعتين : النثر والشعر ، فان المستقبل لن يبخسهم حقهم انهم لن يكونوا كاسلافهم يعيشون في حمى الامراء ومن فضل ما يسخو به العظماء والكبراء . سوف يكونون قوة يرهب بأسها وتخشى سطوتها . سيكونون القادة الحقيقيين للشعب . وسيتحكمون في القلوب والعقول يهيمنون على الشعب ويكيفون اخلاقه ويصبونه في القالب الذي يشتهون.

« وسيعكس المسرح حياتنا المخبوءة والظاهرة ويعيد الحياة الى تاريخنا المنسي . وسينشط كتابنا الى تأليف القصص السينمائية.

« كل هذا سيؤدي الى تطور اللغة فان تقدم اللغات ظاهرة تدل على حيوية الامم . والادباء هم الذين يستطيعون وحدهم ترقية اللغات وبعث الحياة فيها.»

شذرات

الحالة الصناعية في سورية ولبنان سنة ١٩٣١

نشرنا في عدد شباط الفائت (ص ١٢٨–١٢٩) مقالاً واسعاً عن الحالة الاقتصادية في لبنان سنة ١٩٣١ عرض فيه الكاتب لجميع موارد الثروة اللبنانية وخصوصاً الصناعية منها . وها انا وقفنا اليوم في نشرة بنك سورية ولبنان الكبير لسنة ١٩٣١ على لمحة اجمالية في حالة هذه الصناعة لا في لبنان فحسب بل في سورية ايضاً ، فرأينا ان نذكر شيئاً منها اتماماً للبحث :

نرى في الصناعة الحالية مجرًى مزدوجاً ظهر من عدة سنوات واخذ يعمل شيئاً فشيئاً حتى بدا بمظهر جلي سنة ١٩٣١ . وتأثير هذا المجرى من جهة بان يعمل على تقهقر الصناعات المحلية القديمة بسبب اقفال الاسواق السابقة في بلاد الاناضول وفلسطين والعراق ومصر ، ومن جهة اخرى بان يعزّز اتخاذ الطرق الاوربية وانشاء عدة صناعات بسيطة غايتها سدّ حاجات الاهلين الجديدة المتنوّعة ، وذلك بفضل الحماية الجمركية .

وهكذا بينا نرى معامل المنسوجات القديمة في دمشق وحماه وحمص وحلب ، والمصابن في انطاكية وطرابلس وصيدا تتابع حركة تأخر بدأت من عدة سنوات ، نرى ان المشاريع الصناعية الجديدة التي اشرنا اليها في نشرتنا السابقة تتابع حركة ازدهار وتقدم على رغم الظروف الاقتصادية العامّة التي هي أبعد من ان تعزّز مثل هذه الحركة العمرانية . فتكون النتيجة ان ظهر كثير من الصناعات في سنة ١٩٣١ .

وقد انشئت هذه المعامل الجديدة في مراكز تجد فيها منافذ لمحصولاتها الاولية كبيروت ودمشق وحلب واللاذقية وطرابلس . وهذه اشهرها :

— في بيروت : معمل لنسج الحرير ، ٣ معامل للبرانيط والكلسات وما اليها ، ٤ معامل للسَرْد ، معمل للاحذية ، معمل للفراشي ، معمل لتقطير السبيرتو ، معملان للقرميد والبلاط القرميدي ، ٧ معامل للدخان والسكاير ، ٥ دباغات ، ٣ معامل للمعجونات الغذائية ، معمل للبسكوتة ، ٥ معامل للشكولاته والمربّيات .

ـــ في حلب : ٩ معامل ميكانيكية للنسج ، ٧ معامل للسَرد ، ١٠ معامل ميكانيكية للنجارة ، ٥ معامل للسكاير ، ٤ معامل للالواح والبلاط ، دبّاغة ، معمل للسجّاد.

ـــ في دمشق : دبّاغتان ، معمل جوخ ، ٨ معامل للنسج ، ١٨ مطحنة ، مكبسان للزيت ، معمل اعواد ثقاب ، ٧ معامل للسكاير ، ١٣ معملاً للبرانيط والكلسات وما اليها.

ـــ في اللاذقية : معمل لاستخراج الزيت من نوى الزيتون ، ٤ معامل لحلج القطن ، ٤ مكابس للزيت ، ٥ معامل للتبريد ، معمل لحلّ الحرير ، معمل سكاير ، ٤ معمل لتعدين الصخور الاسفلتية.

ـــ في طرابلس : معمل لحلّ القطن ونسجه ، معمل للسيمنتو ، مطحنة ، معمل سكاير.

ثم علينا ان نشير الى مشاريع الابنية المديدة التي تزداد حركتها في كل مكان فتشغل عدداً كبيراً من العمّلة ، وتعمل على تعزيز معامل البلاط والقرميد والالواح والحجارة الصناعية . وكذلك يجب الاشارة الى النقليات بواسطة السيّارات وقد عزّزتها الطرق الجديدة والمحسّنة فراحت تزدهر بازدهار المحصولات الزراعية والصناعية وبازدهار حركة البناء ايضاً.

الحرير

لا تزال اسعار الحرير هابطة في السوق العالمية ، ولا تزال الصناعات الحريرية الممتازة غير مرغوب فيها ، ولهذا فان كمية البزور المفقّسة في المناطق المشمولة بالانتداب كانت هذه السنة اقل منها في السنين السابقة. فنتج ان محصول الحرير الاجمالي هبط الى ٢ ٨٥٠ ٠٠٠ كيلوغرام يقابلها ٣ ٥٧٥ ٠٠٠ في سنة ١٩٣٠.

وهي تُقسم كما يلي :

الجمهورية اللبنانية	٢ ٠٠٠ ٠٠٠ كيلوغرام
سنجق الاسكندرونة	٤٥٠ ٠٠٠
حكومة اللاذقية	٤٠٠ ٠٠٠

وقد تابعت « دائرة مراقبة وتشجيع صناعة الحرير » اعمالها المفيدة في الحكومات المختلفة . فعملت على ادخال هذه الصناعة في دير الزور ، ووزّعت

كثيراً من انصاب التوت في حارم ، وانشأت محلات عصرية لتربية الـدود في سنجق الاسكندرونة وفي بلاد العلويين وفي لبنان حيث تعاضدت الدائرة المذكورة و«لجنة تعزيز صناعة الحرير اللبنانية» .

اننا نشير هنا الى ان الحكومة اللبنانية تأثرت كل التأثر للحالـة الحرجة التي وصلت اليها صناعة الحرير في لبنان ، تلك الصناعة التي كانت تقوم منـذ اكثر من قرن بمورد من اهم موارد البـلاد ، فاصدرت في آخر السنة قانوناً فتحت به اعتماداً قدره ٤٠٠٠٠٠ فرنك لشراء البزور وتوزيعها مجاناً على المربين.

وقـد اصدر في سنة ١٩٣١ ١٤٦ ١٩٧ كيلوغراماً من الشرانق تبلغ قيمتها ٥٤٣ ١٥٨ ليرة لبنانية سورية ، و٤٥١ ٣٤ كيلوغراماً من الحرير القزي (الخلالي) تبلغ قيمتها ٨٢٣ ٨٦٥ ٢٤ ليرة لبنانية سورية.

حلج القطن

نشير خاصة الى ما نالته من نتائج حسنة معامل الحلج التي انشأتها في حمص وحماه الشركة القطنية الفرنسية للمستعمرات ، وذلك في خريف سنة ١٩٣٠ . على ان هذه المعامل التي انشئت متأخرة كما يظهر لم تتمكن مدة موسم ١٩٣٠ــ ١٩٣١ ان تحلج الا ٦٩٧ ٩١ كيلوغراماً من القطن الخام كان اكثرها من النوع المعتبر المعروف « بلون ستار » وقد اعطى وحـده نحو ٠٠٠ ٣٠ كيلوغرام من الالياف . ولكنها مدة الموسم ١٩٣١ ١٩٣٢ حلجت ٠٤٠ ٢٩٠ كيلوغراماً منها ٦٤٠ ٧٣ كيلوغراماً حلجت في حماه و ٤٠٠ ٢١٦ في حمص . وقـد بلغ محصول الاليـاف ٥٤١ ٥٤٤ كيلوغراماً من الالياف الاميركية و ١٥٤ ٤٣ كيلوغراماً من الالياف المصرية.

هذا وقد أسست الشركة القطنية للمستعمرات ادارة خاصة لتصنيف القطن فاختبرت هذه الالياف وقررت ان ٨٠٪ منها يمكن وضعه في « الصنف الاول»

صناعة النسيج

يقدر ما نسجته انوال حلب في سنة ١٩٣١ بـ ٨٠٠ ٧٣ ثوب من المنسوجات القطنية و ٨٠٠ ٦١ ثوب من المنسوجات الحريرية الصافية والمختلطة ، و٧٠٠ ١٩ ثوب من الغباني و ٥٠٠ ١١٨ متر من منسوجات الحرير الاصطناعي و ٧٠٠ ٣٥

متر من الكريب دي شين . وهو محصول يعادل محصول السنة السابقة على الرغم من مزاحمة المنسوجات اليابانية.

اما انوال دمشق فنسجت ٥٠٠ ١٠٦ ثوب من المنسوجات القطنية ، و ٥٠٠ ٧٤ ثوب من المنسوجات الحريرية الصافية والمختلطة ، و ٠٠٠ ٦٠ ثوب من الفباني ، و ٠٠٠ ٤٦ متر من البوبلين و ٠٠٠ ٤٧ متر من الكريب دي شين.

وقد ادرك معمل عريضه للغزل والنسيج في طرابلس سنته الثانية . وكان يصدر محصولًا من القطن المغزول يعادل ستين بالة في الاسبوع . وهو محصول مهم فضلًا عمّا له من القيمة العالية بفضل ترتيب المعمل وانشائه على احدث طراز بلغت اليه الصناعة العصرية بما يجعل الطلبيات تأتيه بوفرة من الاسواق المحلية والاسواق الشرقية المجاورة.

ويجب ان نضيف الى مظاهر صناعة النسيج معامل الكلسات وما اليها وهي حديثة وعديدة في بيروت ودمشق وحلب . وقد نجحت هذه المعامل على رغم المزاحمة الاجنبية واصبحت تقوم بثلث المطلوب من الكلسات . وبلغ ما اصدرته ٠٠٠ ١٨٠ دزينة من الازواج.

الزيوت

مع ان محصول الزيتون زاد ٦٦ ٪ على ما كان عليه في السنة السابقة ، لم نرَ في محصول الزيت الّا زيادة ٢٢ ٪ فقط ، فقد بلغ ٤٠٠ ١٢٠ كنتال منها نحو ٠٠٠ ٦١ كنتال صالحة للطعام وقد كان في السنة الفائتة ٨٠٠ ١٠٢ كنتال. وما ذاك الّا لهبوط الاسعار وصعوبة تصدير الزيت الى الخارج . وقد كانت حصة لبنان ، بفضل نجاح موسمه ، نحو النصف من المجموع العام.

وعلى الرغم من الظروف المعاكسة فقد ظهر التقدّم في اصدار زيت الزيتون اذ بلغ المصدر منه ٢٦٥ ٣ طنًا قيمتها ٩٦٧ ٥٣٧ ل. ل. س. يقابلها ٩٠٠ ٢ طنّ سنة ١٩٣٠ و ٥٤٠ ٢ طنًا سنة ١٩٢٩ . وقد اصدرت هذه الكميات خصوصاً الى ايطالية (٤١٧ ١ طنًا) والى فرنسة (٠٧٦ ١).

وقد بدأت الشركة الصناعية في مناطق الانتداب ، التي اشرنا الى انشائها في نشرتنا السابقة تحت رعاية بنك سورية ولبنان الكبير ، تشغيل معمليها في

اللاذقية وحارم . فمصر معمل اللاذقية نحو ١٢٠٠ طنّ من النوى وفضلات الزيتون مستخرجاً منها ١٢٠ طنّاً من الزيت اصدرت في الحال الى الخارج . والمعملان مستعدان لمتابعة العمل في موسم ١٩٣١–١٩٣٢.

الصابون

تتابع عمل الصابون في ٦٠ مصبنة مؤسسة في المناطق الغنية بالزيت كحلب وطرابلس وانطاكية وصيدا ودمشق . وقد اخرجت في السنة ١٩٣١ من ٦ الى ٨ آلاف طنّ من الصابون شاغلةً من ٣ الى ٤ آلاف عامل.

على ان الحواجز الجمركية الجديدة اثرت كثيراً في اصدار هذا الصابون الذي لا يزال يتمتع بشهرته القديمة في اسواق الشرق الادنى ففقدت المصابن كثيراً من المنافذ القديمة في بلاد الاناضول وقبرس ومصر . ولم تمكنها الطرق القديمة التي لا تزال تسير عليها في عمل الصابون من الحصول على منافذ جديدة . ولكنها اصدرت ٦١٣ ٧٤٨ كيلوغراماً قيمتها ٨٧ ٧٠٠ ل. ل. س. يقابلها ٨٢٧ ١٥٤ كيلوغراماً في سنة١٩٣٠ ، و٨١١ ٦٤٠ كيلوغراماً في سنة١٩٢٩. اما اهم البلاد المشترية فكانت العراق (٤٤٧ طنّاً) وفلسطين (٣٢٧ طنّاً).

الجلود والدباغة

عالجت دباغات حلب مدة السنة،٤٣٥ ٢ جلداً من جلود الجاموس و٨٣٥ ٣ من جلود البقر و ٦٥٠ ٣٧ من جلود الغنم والماعز و ٤٥١ من جلود الابل.

وعالجت دباغات دمشق ٨٠٠ ٢١ من جلود الماعز ، و ١٠٠ ٤٠ من جلود الغنم ، و ٩٣٠ من جلود الجاموس، و١٧٠ ١ من جلود البقر، و٥١٠ من الابل.

وقد اصدرت مرافئ سورية ولبنان ٨٥٤ طناً من الجلود المهيأة وغير المهيأة بلغ ثمنها ٥١٩ ٨٣٠ ل. ل. خصوصاً الى ايطالية (٤١٧ طنّاً) وانكلترة (٥٦ طنّاً) وفرنسة (٥٣ طنّاً).

الصناعة المعدنية

ان الشركة الصناعية لاسفلت وبترول اللاذقية استخرجت مدة سنة ١٩٣١ ، وهي سنة عملها الاولى ، نحو ١٣ ٠٠٠ طنّ من الحجارة الاسفلتية استخدمت منها الحكومة لتزفيت طرقاتها ٧ ٠٠٠ طنّ.

مطبوعات شرقية جديدة

H. du Passage s. j. : Notions de Sociologie. *in-12, IX-243 p. de Gigord, Paris,* 1932.

في علم العمران

غاية الكاتب ان يؤلف كتاباً كاثوليكياً يقوم مقام الدليل في درس هذا العلم العصري الذي يتسع نطاقه يوماً فيوماً. وقد كان يظهر هذا العلم لسنوات عدة كأنه مقيَّد بسلطة فيلسوف معروف، هو دوركهيم، محتكر في تآليفه وتآليف تلامذته حتى كاد يتخيَّل القوم، على قول احد كتبة العصر، انه لا يمكن الكلام عن العمران الّا اذا ذكر دوركهيم. فكان من اللازم مقاومة هذا التسلّط غير المشروع ببسط رأي الكنيسة الكاثوليكية في موضوع يعبّر عن قرب حقيقة العلم وخير النفوس. وهذا ما قام به حضرة الاب دي پاساج فعرض بكل وضوح العقيدة الكاثوليكية في ما يخصّ تلك القضايا المهمة التي يشتدّ قلق الناس في مشاكلها باشتداد الازمات الاقتصادية والاخلاقية. وهي عقيدة سامية تستحقّ ان يحلّها المفكرون المحلّ الاول. وقد قسم المؤلف كتابه الى اربعة اقسام خصّ الاول منها « بالعمران الاقتصادي » وما يجرّه من درس الانتاج المشترك فيه رأس المال والعمل، وتداول البضائع والنقود وانواع الاعتماد، وتوزيع الاجور، والملكية الخاصة. وتكلم في القسم الثاني عن « العمران الاهلي » وما ينطوي عليه من البحث في العائلة، والمدرسة، وعلاقات المدرسة بالدولة. وفي القسم الثالث عرض « للعمران السياسي » وما يُفهم بالشعب، والدولة، والافراد، والمجموع. اما القسم الرابع فخصّه بالدين والفنّ والعلم ناظرًا فيها من الوجهة العمرانية. وكل هذه الموضوعات عصرية حالية كثيرًا ما يتناظر فيها المفكرون وغير المفكرين ايضاً، فكان من الخير ان نسمع فيها صوت استاذ خبير في ما يقول وما يقرّر.

ي. ك.

Ernst Bergdolt : Beiträge zur Geschichte der Botanik im Orient I : Ibn Wahschhija : Die Kultur des Veilchens (Viola odorata L.) und die Bedingungen des Blühens im der Ruhezeit. [*Extrait des Comptes Rendus de la Société Botanique allemande*, 28 *Juillet* 1932, *pp.* 321-336]

مستندات لتاريخ النبات في الشرق :

١ : كتاب ابن الوحشية في زراعة البنفسج وشروط إزهاره في غير موسمه الطبيعي

هذه طبعة لكتاب غريب من تأليف العالم النباتي العربي المعروف بابن الوحشية كتبه في السنة ٢٩١ للهجرة (٩٠٤) في موضوع خاصّ هو كيفية زراعة البنفسج ومعاملته كي يزهر في غير زمن موسمه الطبيعي. وقد عرّب ابن الوحشية هذا الاثر عن كتاب قديم ألفه باللغة النبطية نباتي اسمه قُطَمي ولا يكاد يعرف عنه الا انه كان صدى في تأليفه المذكور لتقاليد نباتية ترقى الى عهد البابليين القدماء . ومهما يكن من أمر فان اثر ابن الوحشية يفيدنا ما كان للبنفسج من اهمية صيدلية منذ الف سنة وما كان يقوم به ارباب العقاقير من انواع العناية كي يحصلوا على ازهاره في غير زمنها العادي. ثم في الكتيب ذكر لعدة نباتات مختلة يدلّ على ان قدماء اهل البلاد كانوا يهتمون بازدراع انواع من الخضراوات والزهور يهملونها اليوم. وعليه كان عمل الاستاذ برگدولت من افضل ما يقوم به العلماء لتوفير المستندات القديمة لتاريخ علم النباتات في الشرق. الّا اننا لا نعلم لماذا وحد ، في الصفحة ٣٢٨ ، بين شجرة التين العادية وما يدعى بلغة العلم بـ (Ficus elastica) بدلًا من ان يلحقها بالنوع المدعوّ (Ficus carica) ؟

ب . م .

L' Col. Sir Wolseley : Comparative tables of Muhammadan and Christian dates. 8°, 32 *p. Prix* : 2 *s.* 6 *d Luzac and C°*, 1932.

جداول للمقابلة بين السنين الهجرية والسنين المسيحية

هو كتاب لطيف المظهر صغير الحجم ، يعرض في ثلاثة جداول مقابلة تامة بين السنين الهجرية والسنين المسيحية منذ ١٦ تموز ٦٢٢ م . الى آخر القرن العشرين . وللكتيب مقدمة عرض فيها المؤلف كل ما يلزم من الشروح

والملاحظات والامثلة حتى ما خصّ ادقّ التواريخ واصعبها مقابلة . ولذا فاننا نرى هذا الكتيب سهل الاستعمال جزيل الفائدة قريب الانتشار ولاسيما في البلاد التي يؤلف ادباؤها التواريخ الهجرية سواء في درسهم التاريخ الشرقي او في فحصهم المخطوطات الاسلامية. ج.ل.

Dr Aurenche : La mort de Stamboul. *in-12 de 356 pp. Paris, J. Peyronnet et Cie,* 1930

موت استامبول

مجموعة ملاحظات في تطوّر مدينة استامبول على عهد الحكم الجديد نراها جديرة بالاهتمام لانها تقوّم كثيراً من الاعوجاج البادي في تحمّس البعض للنظام الجديد وفي تحامل البعض الآخر عليه وقد عرف المؤلف المدينة ، لاول مرة ، على عهد السلطان عبد الحميد من سنة ١٨٩٩ الى سنة ١٩٠١ . ثم عاد اليها مؤخراً ، فوجد المجال واسعاً للمقابلة فقابل ، ذاكراً ما حدث من التطوّرات الّا في المنظر الطبيعي الذي لم يتغيّر فيه شيء يذكر.

André Pierre : U. R. S. S. La Fédération soviétique et ses républiques. ***Description géographique, politique et économique avec une carte dépliante en couleurs de l'U. R. S. S. et une carte en noir,*** *in-12, broché. Prix :* 12 *fs. Delagrave, Paris,* 1932.

الاتحاد السوفييتي وجمهورياته

كثيراً ما يتكلم الناس عن روسية السوفييتية ، وكثيراً ما يأتون ، في شأنها ، بالمجازفات المتنوّعة . على ان القليلين يعرفون ما هي ، وما تمثل تلك الدولة التي تجمع ١٦٣ مليوناً من البشر . فكان فضل هذا الكتاب انه يصف ، على طريقة موضوعية ، مظهر روسية بعد اربع عشرة سنة مرّت على ثورتها . فهو يدرس ما تحولت اليه امبراطورية آل رومانوف ذات السلطة المطلقة من جمهوريات اشتراكية تتحد معاً وتخضع معاً لسيطرة الحزب الشيوعي ولارادة ستالين . كيف يتم النظام في هذا الاتحاد ؟ وما هي الشعوب والعناصر التي تعيش في تلك البلاد الواسعة ، وما هي مقدّراتها الاقتصادية ؟ وكيف تتمكن حكومة موسكو من السيطرة على هذه الشعوب المتنوّعة ؟ كلها اسئلة جوهرية

يجيب عنها الكتاب المذكور . وهو بما فيه من خارطتين جديدتين لروسية في سنة ١٩٣٢ ، يبدو لازماً بل ضرورياً للاساتذة والمشترعين ، والصحافيين ، وارباب السياسة ، ولجمهرة الادباء ايضاً .

Pierre Maranget : Jésus-Christ dans les peintures des Catacombes *in-12 de 96 pp. sur papier pur fil Lafuma, 10 dessins et 32 pl. d'illustrations en héliogravure hors texte. Prix : 10 f^r. Editions Dillen et Cie, Paris.*

يسوع المسيح في تصاوير الدياميس

شاء مؤلف هذا الكتاب ، وهو سكرتير « جمعية اصدقاء الدياميس » ، ان يهدي الى زملائه والى من يهتمّ بهذا الموضوع من القراء ، دليلًا اميناً واقفاً على احدث الاكتشافات ؛ فكان له ما شاء . وان ما يعرضه من تصاوير العذراء ، والطفل يسوع ، والمعجائب ، والحديث مع السامرية ، والصور الرمزية كالراعي الصالح واورفه والسمكة ، يفيدنا كل الفائدة اذ يطلعنا على عقلية المؤمنين في صدر النصرانية في رومية ، فضلًا عمّا يستخرج منه من تعليم صحيح ومثل صالح .

ج . ل .

René Puaux : Revenons en Grèce. *Société commerciale d'Edition et de Librairie, Paris.*

حيّاً نرجع الى بلاد اليونان

مؤلف هذا الكتاب من المعجبين ، عن اطلاع ودرس ، ببلاد اليونان وآثارها . فهو يظهر التحيّز لها دون احتياط ولا تحفّظ ، وهو لا يميز بين اليونان الاقدمين واليونان المعاصرين ، فيتكلم عن الجميع بلهجة واحدة وعن اطلاع واسع ، ولا عجب ، فانه يزور تلك البلاد للمرة السابعة . وسوف لا ينساه اهلها ، أنى وجدوا ، لما بذله في سبيلهم وفي سبيل وطنهم من المساعدات في ظروف صعبة واحوال شديدة اكتنفتهم فيها ضروب اليأس اذ تحققوا ان الجميع يعرضون عنهم بل يتناسونهم . اما في المجلّد الحاضر فيعرض لنا المؤلف التأثيرات والملاحظات التي خطرت له في سفرة طويلة في تلك البلاد وخصوصاً في منطقة المورة ، يخلل ذلك بحوادث ونوادر استقاها من التاريخ حيناً ومن الميتولوجيا

احياناً . على ان في هذه الملاحظات من الحوادث والتعاليق ما يأسف له المطالع لما فيها من المسّ باخلاق الاديب ومن جرح لعواطف المؤمن ، فضلا عن كونها لا تفيد في شيء. الغاية التي اختطّها الكاتب لنفسه وهي : ان يظهر لنا ان تاريخ اليونان وحياتها الحاضرة لمن العوامل الفضلى التي تساعدنا على ان نجابه ، برباطة جأش وارتياح الى الامل ، ما يأخذنا اليوم من ازمة اخلاقية وثقافية. وهو معنى العنوان الذي توّج به الكتاب المذكور فقال: « هيّا نرجع الى بلاد اليونان ! » .

ب. ك.

Fr. Calot, L.-M. Michon, Ch. Charrier : L'Art et les artistes. XVIIe et XVIIIe s. *in*-12, *illustré. Paris, Libr. Hatier*, 1930

الفنّ وارباب في القرنين السابع عشر والثامن عشر

هو كتاب تعليمي خصّه مؤلفوه بتلامذة الصف الثاني من التعليم الثنوي . على انه يستحقّ الا يحصر في هذا النطاق لما يفيده من تثقيف المطلع وايلائه المادة الصحيحة في فهم المناظر والمشاهد . وفي الكتاب قسمان ضمنهما فصول يختص كل منها ببلد او بمذهب في الفنّ . ففي القرن السابع عشر فصول عن ايطالية ، وفرنسة ، والتصوير الفلمنكي ، والهولندي ، واسبانية . وفي القرن الثامن عشر عن فرنسة ، والتصوير الانكليزي. كل هذا يظهر شائق من جودة ورق ، وحسن طبع ، ورسوم مختارة اختيارًا موفّقاً.

ج.ل.

Ch. J. Alleaume : Mgr Jullien.

P. Archambault : Georges Fonsegrive. ***Chaque volume de*** **160** ***pp. broché*, 12 *f*^r. *Paris, Bloud et Gay*.**

المونسنيور جوليان – جورج فونسغريف

مجلّدان بدأت بهما مجموعة جديدة اسمها « قادة جيل » يعني انها تعرض لذكر من مات مؤخرًا من قادة الافكار الذين كان لهم الاثر المهمّ في العالم الكاثوليكي . والمجموعة لا تهتمّ بترجمة حياتهم فحسب، بل تبسط افكارهم وآراءهم وتدرس بيناتهم المتنوعة . وها انها بدأت بذكر اسقف كان من اعضاء المجمع العلمي وفيلسوف كاثوليكي شهير ، فحسناً صنعت وبشرت بنجاح باهر ان شاء الله !

G. Bardy : L'Eglise à la fin du Ier siècle, [*Bibliothèque Catholique des Sciences Religieuses*] 1 *vol. in*-12 *de* 134 *pp. Prix* : 12 *f*. *Bloud et Gay, Paris,* 1932.

الكنيسة في آخر القرن الاول

بين موت الرسولين الكبيرين القديسين بطرس وبولس وقرار تراجان الى بلينوس الاصغر ، قضت الكنيسة سنوات حاسمة في تاريخها . في ذاك الحين كان القديس يوحنا ينهي حياته الطويلة في افسس فيكتب « الرؤيا » و«رسائله» و« انجيله » . وكان القديس اكليمنضوس في رومة يكتب الى مؤمني كورنتية رسالة ظهرت فيها واضحة كل الوضوح رئاسة كنيسة رومة . وكان في انطاكية القديس اغناطيوس ، قبل ان يستشهد ، يكتب رسائله الشائقة عن قوة ايمانه وعمق محبته للمسيح . على انه في ذاك الحين ايضاً كانت البدع المختلفة تهدّد الوحدة الكاثوليكية فمن نزعة ارباب اليهودية - المسيحية الذين كانوا يدعون المؤمنين الى الخضوع الاعمى المطلق لنصّ الشريعة الحرفي ، الى الدوكيتين الذين كانوا ينكرون حقيقية جسد المسيح الى غيرهم من ارباب المخاطر الذين كانت الكنيسة تحاربهم بوضوح تقليدها وقوة نظامها وثباته . هذا العصر المهمّ لفت نظر المؤلف فجرّب ان يصوّره ، في مجلّد صغير ، كلّ ما نعرفه عن تلك السنوات الحاسمة ، وهو اول من يقرّ بنقص كتابه . على انه يرجو ان ما ذكره فيه يدفع المطالعين الى الرغبة في زيادة معلوماتهم وتعزيز ايمانهم .

Kirsch (Dr Johann Peter) : Kirchengeschichte. *gr. in*-8°, *Freiburg im Breisgau, Herder.*

IV Band : Veit (Dr Ludwig Andreas) die Kirche im Zeitalter der Individualismus 1648 bis zur gegenwart. 1 Hälfte : Im Zeichen des vordringenden Individualismus 1648-1800-XXIV *u.* 528 *pp.* 1931. *M.* 14,80.

الجزء الرابع من تاريخ الكنيسة

اشرنا في « مشرق » السنة الماضية (ص ٥٥٢) الى ظهور الجزء الاول من تاريخ الكنيسة الذي يهتمّ بنشره الدكتور كيرش . وها ان الجزء الرابع يظهر اليوم مكتوباً بقلم الدكتور ڤيت شاملاً تاريخ الحقبة من سنة ١٦٤٨ الى سنة

١٨٠٠ ، وهي قسم اول من عصر يسميه المؤلف عصر « النزعة الفردية » ، وهو عصر لم ينتهِ بعد . وقد صوّر فيه المؤلف الكنيسة تقاوم هـذا الروح المتفرّع عن البروتستانية سواء اكان في نظام السلطات السياسية ام في مظاهر المدنية ام في الثورات المختلفة .

اما الكتاب الثاني فخاصّ بالحركة البروتستانيـة ، وتطوّرهـا على اثر احتكاكها بالافكار العصرية ، وموقفها من الكثلكة ، وارسالياتها ، واوليات تاريخ الولايات المتحدة .

واما الكتاب الثالث فيهمّ هذه البلاد اكثر من غيره . لانه يعرض بتبسّط للبطريركيات الشرقية ورعاياها ، ولعلاقـات مسيحيي الشرق برومة في القرن الثامن عشر . ثم يعرض للكنيسة الروسية وكنائس اوربة الشرقية .

كل هذه المعلومات تُظهر المؤلف على اطّلاع واسع ومقدرة تبدو خاصة في ترتيب مادة على قسطٍ وافر من الصعوبة وكثرة المستندات . يتحقق المطالع ذلك اذا قابل هذا التاريخ الجديد بتاريخ الكنيسة لهرگنروتر (Hergenrœther) فيرى التقدم العظيم الذي حققه المؤلف في بعض الاقسام . ج . ل :

Jean Piéri: La fièvre exanthématique du littoral méditerranéen ou fièvre boutonneuse. *1 vol. in-8° de 86 pp. avec 18 fig. dans le texte. Prix : 30 f. Librairie Octave Doin, Gaston Doin et Cie, Editeurs, Paris.*

الحمى الجلدية او البثورية على شواطئ البحر المتوسّط

يظهر ان المعلومات الطبية عن هذه الحمى الظاهرة بثورها على الجلد والمتفشية عادة على شواطئ البحر المتوسط قد اصبحت كافية حتى تمكن احد الاطباء من ان يدرسها درساً جامعاً . فيستعين بالاختبارات التشخيصية والتشريحية والتحاليل المتنوّعة ويقرّر انه يمكن الحاقها بالحمى البثورية المعروفة في تونس . هذا وان ما تمتاز به هذه الحمى ظهورها الحديث في فرنسة ، وصلتها بالحميّات الشبيهـة بالتيفوس وصفتها الجلدية ، والعامل الـذي ينقل مكروبها وهو قراد الكلب (Rhipicephalus sanguineus) . على انها ، وان شابهت التيفوس في كثير من مظاهرها ، تظلّ اخف منه وطأةً واسلم عاقبة .

Dr Henri Diffre : Gymnastique corrective des déviations vertébrales 72 *pp. in*-12 *avec* 88 *illustr. dans le texte. Prix* : 6 *f°. Paris, Editions Berger-Levrault.*

تمارين رياضية لاصلاح الخلل في العمود الفقري

لا يستغني عن هذا الكتيب احد من المربين وسائر من يهتمون بالصغار لانه في هذا السن تبدأ العادات في القيام والجلوس والحركة التي قد تضر باستقامة العمود الفقري . وقد شاء المؤلف ان يطلع الجميع على المظاهر الاولى لهذا الخلل ، وعلى طريقة سيره ، وعلى استعمال الوسائط الناجعة لاصلاحه وتقويمه .

كتاب تفسير الالفاظ الدخيلة في اللغة العربية مع ذكر اصلها بحروفه

بقلم القس طوبيا العنيسي الحلبي اللبناني

عني بنشره وتصحيحه وتعليق حواشيه يوسف توما البستاني ، طبعة ثانية — ٨٠ ص .

كبيرة — مصر ، ١٩٣٢

لقد توفق المؤلف بدرس الالفاظ الدخيلة في اللغة العربية وذكر اصلها الاجنبي من اللغات المختلفة . وهو يكتب هذه الاصول ، حتى اليوناني منها ، بالحروف اللاتينية . والكتاب غزير المادة قد يرى فيه المطالع الفاظاً لا يمكن اعتبارها دخيلة لكونها لم تدخل اللغة العربية بعد وليست الا منقولات بالحرف عن اللغات الاجنبية « كالبترول » و« البالون » وما شاكلهما مما لم يكن من اللازم ذكره . وهناك ايضاً من الكلمات ما لا يزال اصله في طور المناقشة كلفظة « ارضي شوكي » مثلاً بصيغتها الحالية فان المؤلف يردها الى الفرنسوية بينا الكثيرون من لغويي اوربة يعتبرونها عربية الاصل . وعلى كل فان عمل المؤلف جدير بالذكر والثناء . ه . ل .

ابن خلدون

عدد خاص من مجلة « الحديث » ، حلب ، ١٩٣٢ — ١٠٠ ص . متوسطة

بمناسبة مرور ستمائة عام على ولادة ابن خلدون ، نشرت مجلة « الحديث » الحلبية جزءاً خاصاً اشترك في تحريره عدد من الادباء فعرضوا لابن خلدون على نواحي شخصيته المتعددة : فكان منهم من درس آراء ابن خلدون في الفلسفة ،

وغيرهم في الاجتماع ، وآخرون في السياسة والاقتصاد ، ومنهم في الادب والعلم الخ... فرأينا في هذه الدروس الدقيق الصحيح ، والمتوسط المقبول ، والسطحي الضعيف. ولم يشأ محرر المجلة، الاستاذ سامي الكيالي ، الّا ان يعرض لرأي ابن خلدون في العرب ، وان يناقشه رغبة منه في انصاف العرب . فكان من ادلته ان ردّ على قول الفيلسوف المؤرّخ المفكر بقول الشاعر ڤيلاسپاسا الذي نعته «بالمستشرق الاسباني الذائع الصيت» (كذا ص ٨١) وهو لو درس عناصر تلك المدنية المنسوبة الى العرب «بالعين المجرّدة» و«على ضوء البحث الحديث» لخفّف من وطأته على ابن خلدون . ومما يستحق الذكر في هذه المجموعة بعض احكام دقيقة في ما خصّ قيمة ابن خلدون التاريخية . وقد سررنا اذ رأينا بعض ادباء السوريين اخذوا يجرأون على قول الحقيقة في قيمة الدكتور غوستاڤ لوبون (ص٩٩ و١٠٠) ذاك الكاتب الغريب الشأن بل المدعي العجيب الجسارة الذي نشر كتاباً ضخماً في «مدنية العرب» من غير ان يعرف كلمة واحدة من لغتهم ولا من آدابهم . ه. ل.

المنهج

لجماعة السريان الكاثوليك في ابرشية حمص وحماة والنبك وتوابعها

بيروت – المطبعة الكاثوليكية سنة ١٩٣٢–٦٢ ص. صغيرة

هذا الكتيب «منهجاً» وقد امر بنشره الحبر الغيور السيد تنوفيلس رباني مطران حمص وحماة والنبك وتوابعها ، بعد ان وقف على آراء اكليروسه الموقّر ، ملتئماً في مجمعين . فجاء المنهج ، على صغر حجمه ، دستوراً روحياً كاملاً ، مسبوكاً بعبارة انيقة بسيطة ، لا ينقصها شيء من الوضوح ولا من الدقة القانونية .

وقد صدّره صاحب السيادة برسالة رعويّة في وجوب تأدية الزكاة او العشور ، نودّ ان يطالعها ليس ابناء ابرشيته فحسب ، بل جميع المؤمنين في شرقنا العزيز ، لما تضمّنته من الحكم العملية الشائقة المبنيّة على امتن الأسس الدينية . ش. ا.

Almanacch Français pour 1933. Beyrouth. *in-12 de 224 pp. illustré. Prix : 5 f°. Imprimerie Catholique, Beyrouth,* 1932.

التقويم الفرنسوي لسنة ١٩٣٣

هو التقويم الجامع الذي تنشره المطبعة الكاثوليكية منذ اربع سنوات محتوياً على جميع لوازم التقويم من دينية وتاريخية ومدنية ، وعلى كثير من الرسوم الجميلة والابحاث النفيسة في بلادنا وما يتعلق بها . هذا ومن مميزات تقويم هذه السنة طريقة دقيقة لحضرة الاب بويج اليسوعي في مقابلة التاريخ الهجري بالتاريخ المسيحي، وبحث ملخص مفيد عن تاريخ الخط العربي وتطوره وانواعه ، ولمحة تاريخية في دير صيدنايا ، ولائحة بسكان لبنان .

تقويم البشير لسنة ١٩٣٣

تأليف الاب لويس معلوف اليسوعي

٢٤٨ ص. متوسطة — المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ١٩٣٢ — الثمن : ٢٥ غ . س.

يعرف قرّاؤنا الكرام ما يحتوي عليه هذا التقويم المشهور من فوائد متنوعة في موضوعات التاريخ والعمران على اختلاف نواحيها. ومما امتاز به الجزء الحاضر بحث نفيس في مستقبل البلاد الاقتصادي ، وجدول باسماء جميع المدن والقرى اللبنانية البالغ عددها ١٦٥٥، مرتبة على الحروف الابجدية ؛ ثم لمحة تاريخية عن جريدة «البشير» و«تقويمها». وقد زين بـ ١٦ صفحة من الرسوم الجميلة وبخريطة لمدينة بيروت. فاتى جامعاً ، لشتى الفوائد والمعلومات بمظهر حسن وطبع انيق .

روزنامة سيدة التلة الكنسية وتقويمها الكنسي لسنة ١٩٣٣

تأليف الاباتي افرام حنين الديراني الحلبي اللبناني

هي الروزنامة الكنسية المشهورة التي يصدرها حضرة الاباتي الفاضل منذ ٢١ سنة جامعة للتاريخين المسيحيين الغربي والشرقي وللتاريخ الاسلامي مع ذكر الاعياد في الطوائف المختلفة وما يلزم الكهنة معرفته من واجباتهم الرعوية على مدار السنة . وقد اهدى الينا معها هذه السنة تقويماً صغيراً في ٤٨ص. متوسطة يظهر للمرة التاسعة جامعاً لشتى المعلومات الكنسية وبعض الفوائد والنصائح . فنشكر لحضرة الاباتي العامل هديّتيه، ونشير الى انها تطلبان من حضرته في دير القمر ، ومن مخزن الخواجات خليل حنين واولاده في سوق الجميل، بيروت.

اهم حوادث الشرق في شهر

١٥ ت١ — ١٥ ت ٢ ١٩٣٢

لبنان وسورية — احتفل بعيد الهدنة في ١١ تشرين الثاني

* بدأ المجلس النيابي السوري اجتماعاته في ٢٩ تشرين الثاني فانتخب صبحي بك بركات رئيساً . وبعد ان تردد الوطنيون في الاشتراك بالجلسات عادوا فاشتركوا ، ولم يحدث ما يستحق الذكر سوى ان المجلس باشر تأليف اللجان المختلفة .

* اكتشف بعض الفضائح في دوائر الاشغال العامة اللبنانية فأحيل عدد من موظفيها وعدد من الملتزمين ايضاً الى التحقيق ، ولا يزالون في السجن .

* انتهت الامتحانات في مكتب الحقوق الافرنسي ففاز بشهادة المأذونية سبعة عشر

جبل الدروز — احتفل احتفالاً شائقاً بالعيد الوطني في ٢٤ تشرين الثاني .

العراق — تفكر الحكومة في تطبيق الخدمة العسكرية الاجبارية على العراقيين الذين عمرهم بين ١٨ و٣٥ سنة .

* تقرر ان تشترك العراق في نفقات جمعية الامم بمبلغ ٧٥ الف فرنك سويسري في السنة .

* استقالت وزارة نوري باشا السعيد .

* حلّ البرلمان في ١٠ تشرين الثاني .

* تتابعت المفاوضات بين العراق والحجاز في تسيير سيارات على طريق القوافل القديمة بين بغداد والمدينة .

مصر — خرج بعض الزعماء البارزين من الوفد المصري على اثر شقاق داخلي .

تركية — تم الاتفاق بين تركية وفرنسية على ان تعاد املاك السوريين واللبنانيين في تركية الى اصحابها ، وتعاد املاك الاتراك في سورية ولبنان الى اصحابها ايضاً .

* امضيت بين تركية وايران معاهدة جديدة للصداقة والضمان مدتها خمس سنوات .

* اذاعت دوائر الافتاء بلاغاً على الائمة تعلمهم فيه انه تقرّر ابتداء من اول رمضان القادم (٢٩ ك١ ١٩٣٢) ان يكون الأذان ، وتقام الصلوات باللغة التركية .

تنبيه

اتانا بعض زيادات واصلاحات على المقال المنشور في اعداد كانون الثاني وشباط وآذار من هذه السنة بعنوان الصوم الاربعيني في القرن الرابع في الشرق والغرب ، فرأينا نشرها تعميماً للفائدة :

صفحة		خطأ	صواب
١٦	ح : ٢	H. E. V, 25,	H. E. V, Cap. XXIV.
١٧	ح : ٥ س : ٧	فيه هذا البابا ، لكن . . .	البابا (انتهى قول .ورّه) لكن . . .
١٨	س : ٤	Tessaraconta	Τεσσαρακοστή
١٩	س : ١	Tessaracnota	Τεσσαρακοστή
١٩	س : ٢	Penteconta	Πεντήκοστη
١٩	س : ٧	Tessarnconta	Τεσσαρακοστή
٢٠	ح : ٢		يضاف ان النصّ مأخوذ من المجلّد الاول من الكتاب المذكور
٢١	ح : ٢ س : ٢	H. E. Col. XXIV	H E. Cap. XXIV
٢١	ح : ٤		يزاد قبل الحاشية Homel VI, de Quadrag. 1,. P. L. t. LIV col. 286 (هذه الشهادة للقديس لاون) ويقرب . . . الخ
٢٢	س : ١١	تقدم	تَقَدَّم
١٣٩	س : ١٠	لارادتها	لادارتها
١٤٠	ح : ٤ س : ٢	Lib.V,cap. X.20 ; Pitra...	Lib. V, cap. XX; Pitra ....
١٤١	س : ٧	واجلى تصريح على ما نقول بيان السائحة اتيريا . . .	يُضاف : وهذا هو البيان : « والاعياد الفصحية عند اتياها يحتفل بها هكذا : فكما نحن نحفظ الاربعين يوماً السابقة للفصح كذلك هنا نحفظ الاسابيع الثانية السابقة للفصح . ونحفظ هذه الاسابيع الثانية لانه لا يُصام ايام الآحاد والسبوت ما عدا يوم سبت واحد ، تقدمة الفصح حيث الصيام واجب . وما خلا هذا اليوم الوحيد لا يصام البتة غير السبت على طول السنة . فهكذا

			اذا حذفت من الاسابيع الثانية A آحاد وسبع سبوت . (لانه لا بدّ من صيام سبت كما قلت اعلاه) بقي للصوم ٤١ يوماً » (انتهى)
١٤١	س : ١٠	Tauttée	Touttée
١٤١	س : ٢٠	ادولپوس	ادوليوس
١٤٣	س : ١	Thumis	Thmuis
١٤٣	س : ١٣	Charmuthi... Chaménoth	Pharmuthi.... Phanémoth
١٤٣	س : ١٥	Charmuthi	Pharmuthi
١٤٤	ح : ١	Homel VII de Quadragesimo, 1, P. L. t.LIV	Homel VII de Quadragesima, 1, P. L., t. LIV, col. 288.
٢١٨	ح : ٢	p. 123	p. 133
٢٢٠	ح : ٤	col. 1010	col. 490
٢٢٠	ح : ٦	p. 471-482	p. 481-482
٢٢٢	ح : ٢	col. 1481	col. 118
٢٢٢	ح : ٧	col. 184	col. 181
٢٢٣	س : ١٩	Pitra 31°, op. cit.p.637	Pitra, op. cit. p. 637

— كنا قد نشرنا في مشرق تشرين الاول الفائت (ص ٧٨٧–٧٩٠) نتيجة احصاء سكان الجمهورية اللبنانية في سنة ١٩٣٢ كما وصلتنا عن دائرة الاحصاء الرسمية وكما وصلت الى جميع صحف العاصمة . وكان فيها ان البروتستانت بلغوا ١٨٦٩ . ثم تحققنا ان عددهم الحقيقي هو ٦٨٦٩ فاقتضى التنبيه . على ان المجموع العام لا يتأثر بهذا الفرق لان الزيادة في عدد البروتستانت كانت مضافة الى عدد «سائر الطوائف» وعليه فان المجموع يبقى بالضبط ٧٩٣٣٩٦ .

فهارس المشرق

للسنة الثلاثين

١٩٣٢

فهرس اوّل

لموادّ اعداد السنة الثلاثين من مجلة المشرق

(الرقم الاسود يدلّ على اعداد المجلة ، والرفيع على الصفحات)

العدد ١ (كانون الثاني) لوقا صاحب الانجيل الثالث ، بقلم الاب انطون صالحاني اليسوعي (١ : ١-١٠ ؛ ٢ : ١٢٠-١٢٨) = سورية في زمن التتح العربي : شعوبها ، لغاتها ، اديانها ، بقلم الاب لامنس اليسوعي (١٠-١٦) = الصوم الاربعيني في القرن الرابع في الشرق والغرب ، بقلم نصرالله شبراقه (١ : ١٦-٢٢ ؛ ٢ : ١٢٠-١٤٧ ؛ ٣ : ٢١١-٢٢٠ ؛ ١٢ : ٩٦١) = ابن رشد و«تهافت التهافت» بقلم الاب توما اليسوعي (٢٣-٣١) = بيروت قبل مائة سنة : اول رسالة كتبها الاب ريكادونا اليسوعي بعد وصوله الى بيروت سنة ١٨٣١ (مصوّرة) ، بقلم فؤاد افرام البستاني (٣١-٣٦) = « الوهم في نظرية التطوّر » ، بقلم الاب فليكس سوانيون اليسوعي (٣٦-٤٢) = قابلية العرب للفلسفة ، بقلم الخوري يوسف فارس (٤٢-٤٦) = المطران جرمانوس فرحات : كيف يجب ان نحتفل بتذكاره ، بقلم فؤاد افرام البستاني (٤٩-٥٤) = قبر الامير بشير (مصوّرة) ، بقلم الامير موريس شهاب (٥٤-٥٧) = من بين سجوف النافذة : مشاهدات وتأملات ، بقلم القس اسطفان فرحات اللبناني (٥٧-٦٢) = جولة في المجلات : صوم رمضان ونشأته (ف . ت .) - ڤيكتور بيرار والمدنية الهوميرية (٦٢-٦٨) = نكبة لبنان : وفاة البطريرك الياس بطرس الحويك (٦٨) = شذرات : وفاة الخوري بطرس غالب . حفريات افامية (مصوّرة) (٦٩-٧٢) = مطبوعات شرقية جديدة (٧٢-٨٠) = اهم حوادث الشرق في شهر (٨٠)

العدد ٢ (شباط) البطريرك اللبناني الياس بطرس الحويك (١٨٤٥-١٩٣١) (مصوّرة)، بقلم الخوري منصور عوّاد عوّاد (٢: ٨١-٩٣؛ ٣: ١٨٦-١٩٣؛ ٤: ٢٧٢-٢٨٢؛ ٧: ٥٠٣-٥١٢؛ ٨و٩: ٦٤٠-٦٥٣؛ ١١: ٨٥٦-٨٦٦؛ ١٢: ٩٢٤-٩٣٣) = انتخاب بطاركة الموارنة، بقلم الشيخ سليم الدحداح (٩٣-٩٩) = عزاء وهناء: قصيدة للخوري حنا طنوس المادي (٩٩-١٠١) = نفسية البدو قبل الاسلام، بقلم الاب لامنس اليسوعي (١٠١-١١٢) = الزواج تبعاً للرسالة البابوية «Casti Connubii» . بحث اخلاقي لاهوتي، بقلم الاب شرل اميلا اليسوعي (٢: ١١٢-١٢٠؛ ٣: ٢٠١-٢٠٩؛ ٤: ٢٥٢-٢٥٨؛ ٥: ٢٤٧-٢٥٣؛ ٩: ٤٢٤-٤٤٤؛ ٧: ٥١٢-٥٢٢؛ ٨و٩: ٥٨٦-٦٠٢) = حالة لبنان الاقتصادية في سنة ١٩٣، بقلم ابراهيم عوّاد (١٢٨-١٣٩) = شذرات: كيف ارتبط الجنيه المصري بالجنيه الانكليزي. التذكار المئوي لاختراع السيكارة. التذكار المئوي لاختراع عود الثقاب (١٤٧-١٥٢) = مطبوعات شرقية جديدة (١٥٢-١٦٠) = اهم حوادث الشرق في شهر (١٦٠)

العدد ٣ (اذار) الرتب الكهنوتية في الطائفتين المارونية والسريانية بقلم الخوري اسحق ارملة السرياني (٣: ١٦١-١٧٠؛ ٤: ٢٩٧-٣٠٢؛ ٥: ٣٦٥-٣٧٢؛ ٧: ٥٢٠-٥٢٨؛ ١٠: ٧٤٤-٧٥٢؛ ١١: ٨٤٨-٨٥٦؛ ١٢: ٩٣٣-٩٤٠) = انتخاب بطريرك ماروني في القرن التاسع عشر، بقلم الشيخ سليم الدحداح (٣: ١٠٠-١٧٨؛ ٤: ٢٥٨-٢٦٦) = لماذا افتتح العرب سورية (مصوّرة)، بقلم الاب لامنس اليسوعي (١٧٨-١٨٦) = الذهب في مناجمه وخاصة في سورية، بقلم مرتن جبر (٣: ١٩٣-٢٠١؛ ٤: ٢٦٦-٢٧٢) = مشاكلنا الادبية الحاضرة وصلتها بالآدب الغربي: ١ القديم والجديد - الوحدة في الشعر القديم، بقلم فؤاد افرام البستاني (٢٠٩-٢١٧) = من بين سجوف النافذة: مشاهدات وتأملات، بقلم القس اسطفان فرحات اللبناني (٢٢٤-٢٢٧) = جولة في المجلات: الحجّ الاحمر او الرياء البلشفيكي في مكة (ف. ت.) — اهم المقالات الشرقية في مجلات الاستشراق (٢٢٨-٢٣١) = مطبوعات شرقية جديدة (٢٣١-٢٤٠) = اهم حوادث الشرق في شهر (٢٤٠)

العدد ٤ (نيسان) في اقدام الكتبة بالاستبداد، بقلم الاب ارمند اودين، من كهنة قلب يسوع الاقدس (٢٤١-٢٤٨) = صناعة الحجر في لبنان (مصوّرة)، بقلم انطوان باز (٢٤٨-٢٥٣) = النفقة: حكاية مصوّرة، بقلم يوسف غصوب (٢٨٢-٢٨٩) = الترجمة والمترجمون، بقلم الخوري يوسف فارس (٢٨٩-٢٩٧) = منشأ الآداب العربية: ١ توطئة، بقلم فؤاد افرام البستاني (٣٠٣-٣٠٧) = شذرات: جريدة عربية في رومية. التذكار المئوي لاستشهاد الاب جبرائيل دنبو (٣١١-٣١٢) = مطبوعات شرقية جديدة (٣١٢-٣٢٠) = اهم احوادث الشرق في شهر (٣٢٠)

العدد ٥ (ايار) الرهبانية والعلم، بقلم الاب بطرس مارد اللبناني (٣٢١-٣٢٢) =

الصحة في البلاد: ذكرى الامس وعبرة اليوم، بقلم الحكيم امين الجميّل (٢٢٣-٢٢٧) = فتح العرب سورية والجيش البيزنطي، بقلم الاب لامنس اليسوعي (٢٢٧-٢٤٧) = كهرباء القاديشا (مصوّرة) بقلم انطوان باز (٥: ٢٥٢-٢٥٨؛ ٦: ٤٤٤-٤٥٠) = المصريون في لبنان وسورية قبل مائة سنة (مصوّرة)، بقلم ابراهيم ابو سمرا غانم (٥: ٢٥٨-٢٦٥؛ ٦: ٤٥٠-٤٥٨؛ ٧: ٤٩٢-٥٠٢) = جولة في المجلات: مؤتمر اورشليم الاسلامي - النثر الجاهلي (ف. ا. ب) (٢٧٢-٢٧٩) = حول النثر الجاهلي: آراء وملاحظات في «الانشاد»، بقلم فؤاد افرام البستاني (٢٧٩-٢٨٩) = شذرات: يوبيل صحافي. وفود الحجاج الى مكة في هذا العام. سيارات الكويت في مكة. قيمة بعض الجبال العالية (٢٨٩-٢٩١) = مطبوعات شرقية جديدة (٢٩١-٤٠٠) = اهم حوادث الشرق في شهر (٤٠٠)

العدد ٦ (حزيران) الرهبنة البندكتيّة في فلسطين (مصوّرة)، بقلم الخوري اسحق ارملة (٤٠١-٤١٧) = الفرنسويون في سورية في القرنين السادس والسابع للمسيح، بقلم الاب لامنس اليسوعي (٦: ٤١٧-٤٢٥؛ ٧: ٤٨١-٤٩٢) = الجوهر الفرد في ادب جبران خليل جبران، بقلم امين خالد (٦: ٤٢٥-٤٢٤؛ ٧: ٥٢٢-٥٢٠؛ ٨ و٩: ٦٥٨-٦٦٤؛ ١٠: ٧٥٢-٧٦٢) = كتاب عيون الاخبار لابن قتيبة، بقلم الاب توتل اليسوعي (٤٥٨-٤٦٤) = بشرّي مدينة المقدّمين، بقلم الخوري اغناطيوس جمجع (٦: ٤٦٤-٤٦٩؛ ٧: ٥٢٨-٥٤٤؛ ٨ و٩: ٦٨٥-٦٩١؛ ١٠: ٧٧٩-٧٨٧) = شذرات: يوبيل الاب معلوف الصحافي الفضّي. من خطاب لابن سعود (٤٦٩-٤٧٢) = مطبوعات شرقية جديدة (٤٧٢-٤٨٠) = اهم حوادث الشرق في شهر (٤٨٠)

العدد ٧ (تموز) جولة في المجلات: بحث في املاك الدولة - الحالة الاقتصادية في سورية ولبنان (٥٤٤-٥٥٠) = شذرات: لازالة الغبار. عالم بروتستاني كبير يصير كاثوليكيًا. فائدة النحل في البساتين. الاراضي المزروعة قمحًا (٥٥٠-٥٥٢) = مطبوعات شرقية جديدة (٥٥٢-٥٦٠) = اهم حوادث الشرق في شهر (٥٦٠)

العددان ٨ و٩ (آب وايلول) «نخبة من سفرة البطريرك مكاريوس الحلبي بقلم ولده الشماس بولس عني بطبعها وتعليق حواشيها الخوري قسطنطين الباشا الراهب المخلصي»: نظرة نقدية بقلم حبيب زيّات (٥٦١-٥٧٥) = العلم في الحيرة، بقلم يوسف غنيمه (٨ و٩: ٥٧٥-٥٨٦؛ ١٠: ٧٢٧-٧٤٧؛ ١١: ٨٢٢-٨٣٠) = لبنان في عهد الامير فخر الدين (مصوّرة) بقلم عيسى اسكندر المعلوف (٨و٩: ٦٠٢-٦١٢؛ ١٠: ٧٢٩-٧٣٧؛ ١١: ٨٣٠-٨٤٢) = المطران نعمة الله ابي كرم ومعرّباته (مصوّرة) بقلم الاب توتل اليسوعي (٦١٢-٦١٨) = ابن عبد ربّه و«عقده»، بقلم جبرائيل جبّور (٨ و٩: ٦١٨-٦٢٢؛ ١١: ٨ - ٨٢٢؛ ١٢: ٩٠٨-٩٣٠) = العناصر الفارسية في لبنان، بقلم لاب لامنس اليسوعي (٨ و٩: ٦٢٢-٦٤٠؛ ١٠: ٧٧٢-١٧٩) = التذكارات القرنية في سنة ١٩٣٢ الحالية، بقلم الشيخ سليم الدحداح (٦٥٢-

٦٥٨) = اسبانية في الزمن الحاضر، بقلم الاب فليكس تريسيرا الايباني (٦٦٤-٦٧٣) = ضر الكلب: دليل جديد الى آثاره القديمة (مصوّرة)، بقلم فؤاد افرام البستاني (٦٧٣-٦٨٠) = بيان عن وقف كنيسة القديسة تقلا في حردين، بقلم الاب انطونيوس شبلي اللبناني (٦٨٠-٦٨٥) = من بين سجوف النافذة: مشاهدات وتأملات: بقلم القس اسطفان فرحات اللبناني (٦٩١-٦٩٥) = شذرات: اكتشافات جديدة في جبيل - بيبلوس. اعتداء على الحجر الاسود. النواقيس في لبنان (٦٩٥-٧٠٠) = مطبوعات شرقية جديدة (٧٠٠-٧٢٠) = اهم حوادث الشرق في شهرين (٧٢٠)

العدد ١٠ (تشرين الاول) الطقوس والطوائف في الكنائس الشرقية، بقلم الابوين يوسف مونجان وفردينان توتل اليسوعيين (١٠ : ٧٢١-٧٢٩ : ١٢ : ٩٠٤-٩٠٨) = الاعشى والاسلام: هل قصد الشاعر الى نبيّ المسلمين، بقلم فؤاد افرام البستاني (٧٦٣-٧٧٣) = شذرات: نتيجة الاحصاء الاخير في الجمهورية اللبنانية. اكليريكية القديسة حنة بالقدس. القرآن العربي بالحروف اللاتينية (٧٨٧-٧٩٣) = مطبوعات شرقية جديدة ٧٩٣-٨٠٠) = اهم حوادث الشرق في شهر (٨٠٠)

العدد ١١ (تشرين الثاني) الرهبانية اللبنانية المارونية: صفحة تاريخية بقلم الاب انطونيوس شبلي اللبناني (١١ : ٨٠١-٨٠٨ : ١٢ : ٩٢٠-٩٢٤) = الماقورة في التاريخ، بقلم الاب دميان رميا (٨٤٣-٨٤٨) = جولة في المجلات: المبكى او البراق - «القلم حاجية» (ف. ت.) (٨٦٦-٨٧٣) = مطبوعات شرقية جديدة (٨٧٣-٨٨٠) = اهم حوادث الشرق في شهر (٨٨٠)

العدد ١٢ (كانون الاول) هل كان البطريرك مكاريوس كاثوليكياً ؟، بقلم حبيب زيات (٨٨١-٨٩٣) = التربية (قصيدة)، بقلم كرم البستاني (٨٩٣) = المناذرة ملوك الحيرة، بقلم يوسف غنيمة (٨٩٤-٩٠٤) = جولة في المجلات: الازياء في الاجيال الوسطى (ف. ت.) = الادب والعلم والفن في مصر بعد خمسين سنة (٩٤١-٩٤٥) = شذرات: الحالة الصناعية في سورية ولبنان سنة ١٩٣١ (٩٤٥-٩٤٩) = مطبوعات شرقية جديدة (٩٥٠-٩٦٠) = اهم حوادث الشرق في شهر (٩٦٠) = تنبيه (٩٦١) = فهارس المشرق (٩٦٣)

فهرس ثانٍ

يحتوي اسماء كتبة المشرق ومقالاتهم

ايلا (الاب شرل اليسوعي) : الزواج تبعاً للرسالة البابوية « *Casti connubii* » : بحث اخلاقي لاهوتي ١١٢-١٢٠؛ ٢٠١-٢٠٩؛ ٢٥٢-٢٥٨؛ ٢٤٧-٢٥٢؛ ٤٣٤-٤٤٤؛ ٥١٢-٥٢٢؛ ٥٨٦-٦٠٢ — وله وصف مطبوعة ٩٥٨

ارملة (الخوري اسحق) : الرتب الكهنوتية في الطائفتين المارونية والسريانية ١٦١-١٧٠؛ ٢٩٧-٣٠٣؛ ٢٦٥-٢٧٢؛ ٥٢٠-٥٢٤؛ ٧٤٤-٧٥٢؛ ٨٤٨-٨٥٦؛ ٩٢٢-٩٤٠ — الرهبنة البندكتية في فلسطين ٤٠١-٤١٧

اودين (الاب ارمند) : في اقام الكنيسة بالاستبداد ٢٤١-٢٤٨

باز (انطوان) : صناعة الحجر في لبنان ٢٤٨-٢٥٢ — كهرباء القاديشا ٢٥٢-٢٥٨؛ ٤٤٤-٤٥٠

البستاني (فؤاد افرام) : بيروت قبل مائة سنة : اول رسالة كتبها الاب ريكادونا اليسوعي بعد وصوله الى بيروت سنة ١٨٣١ ٢١-٢٦ — المطران جرمانوس فرحات : كيف يجب ان نحتفل بتذكاره ؟ ٤٩-٥٤ — مشاكلنا الادبية الحاضرة وصلتها بالادب الغربي : ١ القديم والجديد — الوحدة في الشعر القديم ٢٠٩-٢١٧ — منشأ الآداب العربية : ١ توطئة ٢٠٣-٢٠٧ — حول النثر الجاهلي : آراء وملاحظات في « الانشاد » ٢٧٩-٢٨٩ — نمر الكلب : دليل جديد الى آثاره القديمة ٦٧٢-٦٨٠ — الاعشى والاسلام : هل قصد الشاعر الى نبي المسلمين ؟ ٧٦٣-٧٧٢ — وله جولات في المجلات ٦٦-٦٨؛ ٢٢٠؛ ٢٧٢-٢٧٩؛ ٩٤٢ — وله وصف مطبوعات ١٥٨؛ ١٥٩؛ ٢٢٨؛ ٢٢٩؛ ٢١٧؛ ٢١٨؛ ٢٩٧-٤٠٠؛ ٤٧٩؛ ٧١٥؛ ٧١٧-٧٢٠؛ ٨٧؛ ٨٧٨؛ ٨٧٩؛ ٩٥٩ — وله تعريبات وشذرات متفرقة، وملخص حوادث الشهر في آخر كل عدد

البستاني (كرم) : التربية (قصيدة) ٨٩٣

تريسيرا (الاب فليكس) : نسبانية في الزمن الحاضر ٦٦٤-٦٧٣

توتل (الاب فردينان اليسوعي) : ابن رشد و« تهافت التهافت » ٢٣-٣١ — كتاب « عيون الاخبار » لابن قتيبة ٤٥٨-٤٦٤ — المطران نعمة الله ابي كرم ومعرّباته ٦١٣-٦١٨ — الطقوس والطوائف في الكنائس الشرقية ٧٣١-٧٣٩؛ ٩٠٤-٩٠٨ — وله جولات في المجلات ٦٣-٦٦؛ ٢٢٧-٢٣٠؛ ٢٠٧-٢١١؛ ٨٦٦-٨٧٢؛ ٩٤١ — وله وصف مطبوعات ٧٨؛ ٧٩؛ ١٥٦؛ ١٥٧؛ ٢٢٧؛ ٢٢٨؛ ٤٧٧-٤٧٩؛ ٥٥٨؛ ٥٥٩؛ ٧١١؛ ٧١٤؛ ٧١٦؛ ٧٩٧-٨٠٠؛ ٨٧٥؛ ٨٧٧؛ ٨٧٨

تيان (اميل) : له وصف مطبوعات ٢٢٣؛ ٢١٧؛ ٧١٣

جانو (الاب اميل اليسوعي) : له وصف

مطبوعة ٧٣
جبّور (جبرائيل) : ابن عبد ربّه و« عقده »
٦١٨-٦٢٢ ؛ ٨٠٨-٨٢٢ ؛ ٩٠٨-٩٢٠
جمجم (الخوري اغناطيوس) : بشرّي مدينة المقدّمين ٤٦٤-٤٦٩ ؛ ٥٢٨-٥٤٤ ؛ ٦٨٥-٦٩١ ؛ ٧٧٩-٧٨٧
الجميّل (الحكيم امين) : الصحة في البلاد : ذكرى الامس وعبرة اليوم ٢٢٢-٢٢٧
جيبر (مرتن) : الذهب في مناجمه وخاصة في سورية ١٩٢-٢٠١ ؛ ٢٦٦-٢٧٢

خالد (امين) : الجوهر الفرد في ادب جبران خليل جبران ٤٢٥-٤٢٤ ؛ ٥٢٢-٥٢٠ ؛ ٦٥٨-٦٦٤ ؛ ٧٥٢-٧٦٢

الدحداح (الشيخ سليم) : انتخاب بطاركة الموارنة ٩٢-٩٩ – انتخاب بطريرك ماروني في القرن التاسع عشر ١٧٠-١٧٨ ؛ ٢٥٨-٢٦٦ – التذكارات القرنية في السنة ١٩٣٢ المالية ٦٥٢-٦٥٨

رميا (الخوري دميان) : الماقورة في التاريخ ٨٤٢-٨٤٨
روترفال (الاب سبستيان اليسوعي) : له وصف مطبوعات ٢٢١ ؛ ٢٩١-٢٩٢ ؛ ٥٥٢ ؛ ٧٠٠-٧٠٢ ؛ ٧٠٥ ؛ ٧٧٢
ريكادوتا (الاب اليسوعي) : راجع البستاني (فؤاد افرام)

الزيّات (حبيب) : « نخبة من سفرة البطريرك مكاريوس الحلبي بقلم ولده الشماس بولس، عني بطبعها وتعليق حواشيها الخوري قسطنطين الباشا الراهب المخلّصي » : نظرة نقدية ٥٦١-٥٧٠ – هل كان البطريرك مكاريوس كاثوليكيًّا ؟ ٨٨١-٨٩٣

ساره (الاب بطرس اللبناني) : الرهبانية والعلم ٢٢١-٢٢٢
سوانيون (الاب فليكس اليسوعي) : « الوهم في نظرية التطوّر » ٢٦-٤٢

شبلي (الاب انطونيوس اللبناني) : بيان عن وقف كنيسة القديسة تقلا في حردين ٦٨٠-٦٨٥ – الرهبانية اللبنانية المارونية : صفحة تاريخية ٨٠١-٨٠٨ ؛ ٩٢٠-٩٢٤
شهاب (الامير موريس) : قبر الامير بشير ٥٤-٥٧

صالحاني (الاب انطون اليسوعي) : لوقا صاحب الانجيل الثالث ١-١٠ ؛ ١٢٠-١٢٨

طنوس (الخوري حنا المعادي) : عزاء وهناء (قصيدة) ٩٩-١٠١

عوّاد (ابراهيم) : حالة لبنان الاقتصادية في سنة ١٩٣١ ١٢٨-١٢٩
عوّاد (الخوري منصور عوّاد) : صفحة ذهبية من تاريخ لبنان : البطريرك اللبناني الياس بطرس الحويك (١٨٤٢-١٩٣١) ٨١-٩٢ ؛ ١٨٦-١٩٢ ؛ ٢٧٢-٢٨٢ ؛ ٥٠٢-٥١٢ ؛ ٦٤٠-٦٥٢ ؛ ٨٥٦-٨٦٦ ؛ ٩٢٤-٩٢٢

غانم (ابراهيم ابو سمرا) : المصريون في لبنان وسورية قبل مائة سنة ٢٥٨-٢٦٥ ؛ ٤٥٠-٤٥٨ ؛ ٤٩٢-٥٠٢
غصوب (يوسف) : الفنّة : حكاية مصوّرة ٢٨٢-٢٨٩
غنيمة (يوسف) : العلم في الحيرة ٥٧٥-٥٨٦ ؛ ١٢٧-٧٤٤ ؛ ٨٢٢-٨٣٠ – المناذرة ملوك

الحيرة ٨٩٤-٩٠٤

فارس (الخوري يوسف) : قابلية العرب للفلسفة ٤٣-٤٩ – الترجمة والمترجمون ٢٨٩-٢٩٧

فرحات (القس اسطفان اللبناني) : من بين سجوف النافذة : مشاهدات وتأملات ٥٧-٦٢؛ ٢٢٤-٢٢٧ : ٦٩١-٦٩٥ – راجع اودين (الاب ارمند)

كابيلو (الاب يوحنا اليسوعي) : له وصف مطبوعات ٧٦؛ ٢١٢؛ ٤٧٢؛ ٥٥٦؛ ٥٥٧؛ ٨٧٢؛ ٩٥٠

كاتاكيس (الاب بطرس اليسوعي) : له وصف مطبوعات ٧٩٢ ؛ ٩٥٢

لامنس (الاب هنري اليسوعي) : سورية في زمن الفتح العربي : شعوبها ، لغاتها ، اديانها ١٠-١٦ – تتمة البدو قبل الاسلام ١٠١-١١٢ – لماذا افتتح العرب سورية ١٧٨-١٨٦ – فتح العرب سورية والجيش البيزنطي ٢٢٧-٢٤١ – الفرنسويون في سورية في القرنين السادس والسابع للمسيح ٤١٧-٤٢٥؛ ٤٨١-٤٩٢ – العناصر الفارسية في لبنان ٦٣٣-٦٤٠؛ ٧٧٢-٧٧٩ – وله وصف مطبوعات ٧٣؛ ٢٢١؛ ٢٢٧؛ ٢١٦؛ ٢١٩؛ ٥٥٨؛ ٨٧٣؛ ٨٧٥؛ ٩٥٧؛ ٩٥٨

لوقنك (الاب جبرائيل اليسوعي) : له وصف مطبوعات ٧٣؛ ٧٢؛ ٧٦؛ ١٥٣؛ ١٥٥؛ ٢٢٤-٢٢٧؛ ٢١٤-٢١٦؛ ٢٩٥-٢٩٧؛ ٤٧٢؛ ٥٥٥؛ ٧٠٦-٧١١؛ ٧٩٥-٧٩٧؛ ٨٧٤؛ ٩٥١-٩٥٣؛ ٩٥٤-٩٥٩

الملوف (عيسى اسكندر) : لبنان في عهد الامير فخر الدين ٦٠٢-٦١٢؛ ٧٢٩-٧٢٧؛ ٨٣٠-٨٤٢

موترد (الاب بولس اليسوعي) : له وصف مطبوعات ٢٩٤؛ ٤٧٦؛ ٥٥٧؛ ٩٥١

موترد (الاب ريشه اليسوعي) : له وصف مطبوعات ٤٧٥؛ ٥٥٤

موغبان (الاب يوسف اليسوعي) : الطقوس والطوائف في الكنائس الشرقية ٧٢١-٧٢٩ ؛ ٩٠٤-٩٠٨ – وله وصف مطبوعات ١٥٣؛ ٢٩٣

نخله (الاب ولفائيل اليسوعي) : له وصف مطبوعة ٧٧

نصرالله (نصرالله) : الصوم الاربعيني في القرن الرابع في الشرق والغرب ١٦-٢٢؛ ١٣٩ – ١٤٧؛ ٢١٧؛ ٢٢٤؛ ٩٦١ .

فهرس ثالث

للمطبوعات التي ورد وصفها في السنة الثلاثين للمشرق

١ — المطبوعات العربية والسريانية الخ

ا

ابن خلدون ٩٥٧
ابن رشد: اطلب بويج
ابن عساكر: اطلب بدران
ابن قتيبة: عيون الاخبار (٤٥٨-٤٦٤)
ابن المقفع: اطلب عطيه (جرجي شاهين)
ابو راشد (عبود): الرحلة الدانتية في الممالك الالهية: ٢ المطهر (٢١٨)
ابو شبكه (الياس): المثري النبيل (تعريب عن موليير) (٧١٩)
ابو شديد (الاب جبرائيل ق. ب.): كتاب المسيحي العابد (٧١٦)
ابو الفضل الوليد: غافر ولبانة (٤٧٩)
ابو كرم (المطران نعمة الله): مجموعة الردود على الخوارج — الحكمة الادبية: فرعها الاول في الحقوق (٦١٢-٦١٨)
ايلا (الاب شرل اليسوعي): الرواج (٧١٩)
اخرس (المطران ميخائيل): صدى الاموات في قلوب الاحياء (٥٥٩)
الاصفهاني (ابو بكر محمد): اطلب نيكل (لويس)
اله ويردى (فرج ر.): الكيمياء العمومية: الغازات والمركبات العضوية (١٥٨)
اندراوس (الاب الياس البولسي): الكنائس الشرقية البيزنطية (١٥٧)
اوبري (ميشال): رواية ديك الجن الحمصي (٢٩٩)
أيدمر (علم الدين المحيوي): مختار ديوانه (٢٩٨)
الايوبي (عبد الباقي وولده جلال): قاموس الحقوق (٢٠٧)

ب

باز (جان): القضايا المستعجلة (٢١٧)
بدران (عبد القادر): تهذيب تاريخ ابن عساكر: ٦ (٨٧٥)
البستاني (يوسف توما): اطلب العتيبي (الفس طوبيا)
بويج (الاب موريس اليسوعي): «تهافت التهافت» لابن رشد (٢٢-٢١)
بيهم (محمد جميل): اوليات سلاطين تركية (٧٨)

ت

التحفة لسنة ١٩٣٢ (٢١٩)
التذكار المئوي الثاني لتثبيت قانون الرهبانية الحلبية المارونية اللبنانية (٤٧٩)
التنوري (الاب اغناطيوس): خزانة الواعظين والمتأملين: ١ (٧١٧)

ج

جبران العود التميري: ديوانه (٢٩٨)
الجريديني (سامي): الرسائل الضائعة ورسائل اخرى (٤٧٧)
الجميّل (البرديوط الياس): كتاب اللاهوت النظري: ١ (٨٧٨)
جبانيني (السيد فريديان): الاسرة المسيحية

(٢٢٧)

ح

حبيقه (الخوري اسقف بطرس) : ايمان علم وطنية : الجزء السادس من ترجمة البطريرك اللبناني الياس بطرس الحويك (١٥٧)

الحقوق (مجلة) (٨٧٦)

حنين (الاباتي افرام الديراني) : روزنامة سيدة التلة الكنائسية لسنة ١٩٣٢ (١٥٩) — لسنة ١٩٣٣ مع تقويم سيدة التلة الكنسي (٢٥٩)

ذ

ذكرى الفؤاد (٢٣٩)

ذكرى فوزي المعلوف (١٥٩)

ر

رامي (احمد) : ديوان رامي (٢٩٧)

رباني (المطران تشوفيلس) : المنهج (٩٥٨)

رضا (محمد رشيد) : تفسير المنار : الجزء العاشر (٢٢٧)

ز

زيدان (عبدالرحمن ابن) : اتحاف اعلام الناس بجمال اخبار حاضرة مكناس (٧٩٧)

س

سويدان (شكري خليل) : فذلكة تاريخية للكرسي الانطاكي الارثوذكسي (٢١٩)

ش

شار (الخوري تيوفاس) : يسوع الملك (١٥٦)

الشرتوني (توفيق حسن نادر) : من حيّ الى ميت (٥٥٨)

شركة القديس منصور دي بول : خلاصة اعمالها عن سنة ١٩٣١ (٧١٩)

ع

عاطفة حبّ واخلاص (٢٢٩)

عبّود (الاب بولس) : آثار اللسان والقلم (٧١٨)

عطية (جرجي شاهين) : سلّم اللسان في الصرف والنحو والبيان — ١ (٤٧٨) — ٢ (٧١٨) — ٣ و ٤ (٨٧٨) — الدرّة اليتيمة لابن المقفّع (٨٧٩)

العنيسي (ابراهيم نجا ابو كحله) : تقويم كنيسة السيدة الكبرى في بيت شباب لسنة ١٩٣٢ (٢٣٨)

العنيسي (القس طوبيا الحلبي) : تفسير الالفاظ الدخيلة في اللغة العربية مع ذكر اصلها بحروفه (٩٥٧)

عوض (جرجس فيلوثاوس) : القبط (٧٩٨)

غ

غانم ابراهيم ابو سمرا) : المصريون في لبنان وسورية قبل مائة سنة (٧١٩)

غربال (شفيق) : الجنرال يعقوب والفارس لاسكاريس ومشروع استقلال مصر في سنة ١٨٠١ (٧٩٩)

غرّة (الارشمندريت فيلبس) : للذكرى والتاريخ (٧٩٠)

الغريّب (امين) : اسماء البنات (٧١٤)

ق

القرآن (طبعه محمد المهدي الحلبي) (٢١٧)

ك

كامل (محمود) : المسرح الجديد (٨٧٩)

م

مدرسة الحكمة المارونية : نشرتها لسنة ١٩٣١ — ١٩٣٢ (٧١٩)

مرقص (ادوار) : فنّ التعريب عن اللغة الفرنسوية (٧١٥)

مطبعة المعارف ومكتبتها : قائمة كتبها لسنة ١٩٣٢ — ١٩٣٣ (٨٧٩)

مطبوعات عبيد اخوان (٤٧٨)

المعلوف (الاب لويس اليسوعي) : تقويم البشير لسنة ١٩٣٣ (٩٥٩)

الفيلي (محمد بن عبد الكريم) : تاج الدين فيما يجب على الملوك (٢١٨)
مكتبة التوفيق : قائمتها لسنة ١٩٣١–١٩٣٢ (٧٩)
مكتبة صادر : فهرسها لسنة ١٩٣١–١٩٣٢ (٧٩)
مكتبة المنار : فهرسها (٢٢٩)
مكتبة الهلال : قائمة مطبوعاتها لسنة ١٩٣٢–١٩٣٣ (١٢٩)
موليير : راجع ابو شبكه (الياس)
ن
النابلسي (عبدالغني) : الحضرة الانسية في الرحلة القدسية (٨٧٧)
نشرة بنك سورية ولبنان الكبير لسنة ١٩٣٠ (٧٩) – ولسنة ١٩٣١ (٩٤٥)
نشرة الصليبيين (٤٧٨)
نيكل (لويس) : النصف الاول من كتاب الزهرة لابي بكر محمد بن داود الاصفهاني (٧١٦)
ه
الهاشم (الاب لويس) : تاريخ الماقور (٨٤٢–٨٤٨)
الهلال : تقويمه لسنة ١٩٣٢ (١٤٧) – قصص وادب وفكاهة (٢٢٨) – قائمة مطبوعاته (٢٢٩)

٢ — مطبوعات اوربية

Acta Academiae Velehradensis. Annus XII, fasc. I-II. (796)
Alleaume (Ch. J) : Mgr. Jullien. (954)
Allo (E. B.) o. p. : Plaies d'Europe et baumes du Gange. (234)
Almanach catholique français pour 1932. (155)
Almanach Français pour 1933. Beyrouth. (959)
Alouan (Joseph) : L'Arabe correct en trois mois et sans maître. (711)
Altamira y Crevea (Rafael) : Histoire d'Espagne. (314)
Andrae (Walter) : Die Kunst Vorderasiens. (701)
Annuaire pontifical catholique pour 1932. (708)
Archambault (P.) : Georges Fonsegrive. (954)
Augustin (S^t). Cf. Labriolle (P. de).
Aurenche (D^r) : La mort de Stamboul. (952)
Bardy (G.) : L'Eglise à la fin du Ier siècle. (955) — Cf. Origène.
Bardy (G.) et Tricot (A.): LE CHRIST, encyclopédie des connaissances christologiques. (154)
Bauer (N.). Cf Schroetter (Fr. Freiherr von).
Bellessort (André) : La société française sous Napoléon III. (873)
Bergdolt (Ernst) : Beiträge zur Geschichte der Botanik im Orient. I : Ibn Wahschija : Die Kultur des Veilchens (Viola odorata L.) und die Bedingungen des Blühens im der Ruhezeit. (951)
Bergson (Henri) : Les deux sources de la morale et de la religion. (472)
Berthelot (R.) : Science et philosophie chez Gœthe. (710)
Bessonder (M.) : Marie Madeleine. (395)
Bidez (J.): Discours de Julien César.— L'Empereur Julien. Œuvres complètes, t. I, 1re partie. (795)
Bonnichon (André) : La conversion au Christianisme de l'indigène musulman algérien et ses effets juridiques. (233)
Bosch (Baron Firmin van den) : Vingt années d'Egypte. (72)
Bréhier (Emile) : Histoire de la Philosophie II. 3. (556) — II. 4 (873)
Bremond (Henri) : La vie chrétienne sous l'ancien régime. (153)
Bruneau (André) : Traditions et politique de la France au Levant. (555)
Brunot (Ferdinand) : Observations sur la Grammaire de l'Académie française. (793)
Calot (Fr.), Michon (L.-M.), Charrier (Ch.) : L'Art et les Artistes. XVIIe et XVIIIe s. (954)

Cavaignac (Eugène) : Subbiluliuma et son temps. (872)
Cavallera (Ferdinand) : Précis de la Doctrine sociale catholique. (152)
Célérier (J.) : Le Maroc. (75)
Chadourne (M.) : L'U.R.S.S. sans passion. (709)
Chaine (M. J.) : Introduction à la lecture des Prophètes. (707)
Charmot (F.) s. j.: L'art de se former l'esprit et de réussir au baccalauréat. (796)
Charrier (Ch.) : Cf. Calot (Fr.).
Coulet (R. P.) : Catholicisme et laïcité. (709)

Dahmen (P.) s. j. : Robert de Nobili, l'apôtre des Brahmes. (155)
Debout (P.) o. s. c. : Vie de St Camille de Lellis. (797)
D'ffre (Dr Henri) : Gymnastique corrective des déviations vertébrales. (957)
Docteur (Amiral) : Carnet de bord 1914-1919. (794)
Dressaire (Léopold) : Jérusalem à travers les siècles. (706)

Ebeling (Erich) und Meissner (Bruno): Reallexikon der Assyriologie, I. (553)
Engberding (P. Hieronymus) o. s. b. : Das eucharistische Hochgebet der Basileiosliturgie. (73)
Entretiens de Juilly: III, Comment juger la sociologie contemporaine. (314)

Faguet (E.) : Histoire de la poésie française. V. Nicolas Boileau. (76)
Fargeo (J.). Cf. Méthode d'Olympe.
Fouchet (Maurice) : Notes sur l'Afghanistan. (473)
Furlani (G.):La Religione babilonese-assira, vol. II. (392)

Gorce (D.) : Lettres spirituelles de St Jérôme. I. la Doctrine Spirituelle. (316)
Graham (William Creighton) Cf. Sprengling (Martin).
Groupe lyonnais d'études médicales, philosophiques et biologiques : Hérédités et races. (235)
Gruvel (A.) : Les Etats de Syrie. Richesses marines et fluviales. Exploitation actuelle. Avenir. (73)
Guides bleus (Les) : Syrie, Palestine. (475)

Hessling (D.-C.) : Morceaux choisis du Pré spirituel de Jean Moschos. (76)

Ibn Wahhschija : Cf. Bergdolt (Ernst)
Islamica, vol. V. fasc. 3 (558) — vol. V, fasc. 4 (875)

Jean (Charles - F.) : La religion sumérienne d'après les documents sumériens antérieurs à la dynastie d'Isin (— 2188) (391)
Jérôme (S^t) Cf. Gorce (D.).

Kleckers (E.) : Die Sprachstaemme der Erde. (705)
Kirsch (Dr Johann Peter) : Kirchengeschichte. IV Band : Veit (Dr Ludwig Andreas):die Kirche imZeitalter der Individualismus 1648 bis zur gegenwart. 1. Hälfte. Im Zeichen des vordringenden Individualismus 1648-1800. (955)
Klein (Félix) : L'enfance du Christ et sa vie cachée. (395)
Kortleitner (Fr. X) o. p. : Cananaeorum auctoritas num ad religionem Israelitarum aliquid pertinuerit. (476)

L. (E.-M du) : Madame Elisabeth de France. (796)
Labriolle (P. de) : Choix d'écrits spirituels de St Augustin (316)
Lacau (Jean) S. C. J. : Précieux trésor des indulgences. (395)
Lagrange (M.-J.) : M. Loisy et le Modernisme. (792)
Lavergne (R. P.) o. p. : Evangile selon St Luc. (707)
Lemarié (O.) : La morale privée.(557)
Lévi-Provençal (E.) : L'Espagne musulmane au Xe siècle. (703)

Maranget (Pierre) : Jésus-Christ dans les peintures des Catacombes. (953)
Martin (Henry) : La Grammaire des Styles : XV. l'Art byzantin, (315)
Marie-Thérèse des Anges (La Révérende Mère). (154).
Massignon (Louis) : Le diwân d'al-Ḥallâǧ. (231)
Matz (Friedrich) : Die frühkretischen Siegel. (700)

Moissnor (Bruno) Cf. Ebeling (Erich).
Méthodo d'Olympo : Le bouquet des dix vierges, trad. J. Forges. (316)
Michon (L.-M) Cf. Colot (Fr.).
Monzio (Anatole de) : Petit Manuel de la Russie nouvelle. (235)
Moschos (Jean) Cf. Hosseling (D.-C.).
Musée national syrien de Damas. (236)

Odilo Heiming (Dr P.) o. s. b. Syrische 'Eniânê und griechische Kanones. (557)
Opponheim (Max Freiherr von) : Der Tello Halaf. Eine neue Kultur im ältesten Mesopotamien. (231)
Origène : De la prière — Exhortation au martyre, trad. G. Bardy. (316)

Palencia (Angel Gonzalez) : Alfarabi catalogo de las ciencias. (872)
Pango (J. de) : La Cathédrale de Metz. (710)
Passage (R. du) S. J. : Notions de Sociologie. (950)
Pathier-Boneille (F.) Le Syllabisme des écritures antiques. (705)
Pernot (Hubert) : Chansons populaires grecques des 15e et 16e s. (76)
Pesh (Christianus) s. j. : Compendium theologiae dogmaticae, t. I. (474)
Pichon (Jean) : Sur la route des Indes. Un siècle après Bonaparte. (704)
Piéri (Jean) : La fièvre exanthématique du littoral méditerranéen ou fièvre boutonneuse. (956)
Pierre (André) : U. R. S. S. La Fédération soviétique et ses républiques. (952)
Pius (R.) : Le Baptême dans l'archéologie et l'art chrétien (395)
Pochat-Baron (F.) : Le Bienheureux Père Le Fèvre ou Pierre Favre, premier prêtre de la Compagnie de Jésus. (153)
Prümmer (Dom) o. p. : Manuale theologiae moralis secundum principia S. Thomae Aquinatis in usum scholarum, I. (393)
Puaux (René) : Revenons en Grèce. (953)

Quinet : L'appel du Christ aux pécheurs d'âmes. (156)

Raign (Eugène) : L'Envie. (793)
Regling (K.) Cf. Schroetter (Fr. Freiherr von).

Sacra Congregazione orientale — Statistica concenni storici della Gerarchia e dei Fidoli di rito orientale. (874)
Saussey (E.) : Les mots turcs dans le dialecte arabe de Damas. (77)
Sbath (P. Paul). L'ouvrage géopo-nique d'Anatolius de Béryte. (316)
Schaefer (Heinrich) Die Kunst Aegyptens. (701)
Schroetter (Fr. Freiherr von) und Bauer (N.), Regling (K.), Suhle (A.), Vasmer (R.), Wilcke (J.) : Woerterbuch der Münzkunde. (454)
Sergent (Edmond et Etienne) : L'armée d'Orient delivrée du paludisme. (706)
Sertillanges (A. D.) o. p. : L'Orateur chrétien. (313)
Smith (Margaret) : Studies in early mysticism in the Near and Middle East. (72)
Sprengling (Martin) and Graham (William Creighton) : Bar-Hebraeus. Scholia on the old Testament. Part I. Genesis : Samuel. (394)
Stamp (L. Dudley) : A Regional Geography. Part V, Europe and the Mediterranean. (396)
Strothmann (Dr R.) : Die Koptische Kirche in der Neuzeit. (315)
Suhle (A.) Cf. Schroetter (Fr. Freiherr von).

Tricot (A.) Cf. Bardy (G.).

Vasmer (R.) Cf. Schroetter (Fr. Freiherr von).
Veit (Dr Ludwig Andreas): Cf. Kirsch (Dr Johann Peter).
Vialleton (Louis) : L'origine des êtres vivants. L'illusion transformiste (26-42)
Vincent (Hugues) o. p. : L'authenticité des Lieux Saints. (396)

Wilcke (J.) Cf. Schroetter (Fr. Freiherr von).
Wolseley (Lt Col. Sir) : Comparative tables of Muhammadan and Christian dates. (951)

XXX : L'Eglise catholique en France. (795)

Zeiller (Jacques) : Léon Ollé-Laprune. (711)

غبطة البطريرك الماروني ، انطون بطرس عريضة ، ولفيف اساقفة طائفته .

فهرس رابع

للمجلات التي ورد ذكرها في باب «جولة في المجلات»

الآداب الشرقية (المانية) : استعمال اللغة الآرامية على عهد الدولة الفارسية (وستندونك) ٢٣٠

آسية الفرنسوية (فرنسوية) : ابحاث شرقية ٢٣٠ – مؤتمر اورشليم الاسلامي (تيأردا) ٢٧٣

الاسلام (المانية) : صوم رمضان ونشأته (كوتين) ٦٣

الاكروبول (فرنسوية) : مسألة قبرس ٢٣٠

ام القرى (مكة) : من خطاب لابن سعود ٤٧٠ – اعتداء على الحجر الاسود ٦٩٦

الزراعة الحديثة (حماه) : بحث في املاك الدولة (مصطفى الشهابي) ٥٤٤

العالم الاسلامي (انكليزية) : المبكى او البراق (شارلس ماتيوس) ٨٦٦

العرفان (صيدا) : الكشافة في الاسلام (مصطفى جواد) ٣٠٧ – «القلم حاجية» (عبدالرزاق الحسني) ٨٦٩

الفيكارو (فرنسوية) : فكتور بيرار والمدنية الموميرية (موران) ٦٦

الكلية (بيروت) : الازياء في الاجيال الوسطى (ل. أ. ماير) ٩٤٠

مجلة الجمعية الالمانية للمعارف الاسلامية (المانية) : الحج الاحمر او الرياء البلشفيكي في مكة (اياس اسحاق) ٢٢٧

مجلة المجمع العلمي العربي (دمشق) : النثر الجاهلي (زكي مبارك) ٢٧٢

مملكة النحل (القاهرة) : فائدة النحل في البساتين ٥٥١

المنارة (القاهرة) : بولونية والحجاز ٢٠٩

الهلال (القاهرة) : الحالة الاقتصادية في سورية ولبنان (جورج فوشيه) ٥٤٦ – الادب والعلم والفن في مصر بعد خمسين سنة (خليل مطران) ٩٤٢

فهرس خامس

لجميع موادّ السنة الثلاثين من المشرق

على طريقة حروف المعجم

ا

ابن رشد و«تهافت التهافت» ٢٢–٢١

ابن سعود: من خطاب له ٤٧٠

ابن عبد ربه وعقده ٦١٨–٦٢٢ ؛ ١٠٨–٨٢٢؛ ٩٠٨–٩٢٠

ابن قتيبة وكتابه «عيون الاخبار» ٤٥٨–٤٦٤

ابو كرم (المطران نعمة الله) ومعرّباته ٦١٢–٦١٨

اتمام الكنيسة بالاستبداد ٢٤١–٢٤٨

الاحصاء الاخير في لبنان ٧٨٧ : ٩٦٢

الادب العربي: مشاكله الحاضرة وصلتها بالادب الغربي ٢٠٩–٢١٧ — منشأه ٢٠٢–٢٠٧

الادب والعلم والفن في مصر بعد خمسين سنة ٩٤٢

الاراضي المزروعة قمحاً ٥٥٢

الآرامية (اللغة): استعمالها على عهد الدولة الفارسية القديمة ٢٣٠

الازياء في الاجيال الوسطى ٩٤٠

اسبانية في الزمن الحاضر ٦٦٤–٦٧٢

الاستبداد: اتمام الكنيسة به ٢٤١–٢٤٨

الاسلام: الكشافة فيه ٢٠٧ — مؤتمر اورشليم الاسلامي ٢٧٢

الاسلام والاعشى ٧٠٢–٧٧٢

اعتداء على الحجر الاسود ٦٩٦

الاعشى والاسلام ٧٦٢–٧٧٢

افامية: حفرياتها ٧٠

الاقتصاد: وحالة لبنان ١٢٨–١٢٩ ؛ وسورية ٥٤٦

اكتشافات جديدة في جبيل- بيبلوس ٦٩٥

اكليريكية القديسة حنة بالقدس ١٩٠

انتخاب بطاركة الموارنة ٩٢–٩٩

انتخاب بطريرك ماروني في القرن التاسع عشر وتدخل قنصل فرنسة في ذلك ١٧٠–١٧٨؛ ٢٥٨–٢٦٦

الانجيل الثالث وصاحبه القديس لوقا ١–١٠ ؛ ١٢٠–١٢٨

الانشاد: آراء وملاحظات فيه ٢٧٩–٢٨٩

اورشليم: المؤتمر الاسلامي فيها ٢٧٢ — اكليريكية القديسة حنة فيها ٧٩٠

ب

بحث في املاك الدولة ٥٤٤

البدو: ضيّم قبل الاسلام ١٠١–١١٢

البراق او المبكى ٨٦٦

بشرّي: مدينة المقدّمين ٤٦٤-٤٦٩؛ ٥٢٨–٥٤٤؛ ٦٨٥-٦٩١؛ ٧٧٩–٧٨٧

بشير (الامير): قبره ٥٤–٥٧

بطاركة الموارنة: انتخابهم ٩٢–٩٩ — انتخاب بطريرك منهم في القرن التاسع عشر وتدخل قنصل فرنسة في ذلك ١٧٠–١٧٨؛ ٢٥٨–٢٦٦

البطريرك اللبناني الياس بطرس الحويك: وفاته ٦٨ — ترجمة حياته ٨١–٩٢؛ ١٨٦–١٩٢ ؛ ٢٧٢–٢٨٢ ؛ ٥٠٢–٥١٢ ؛ ٦٤٠–

٦٥٢ ؛ ٨٥٦-٨٦٦ ؛ ٩٢٤-٩٢٢
البطريرك مكاريوس الحلبي : نخبة من مقرته بقلم ولده الشماس بولس ٥٦١-٥٧٥ — هل كان كاثوليكياً ٨٨٠-٨٩٢
البلشفيك : مساعيهم في مكة ٢٢٧
البندكتية (الرحبة) في فلسطين ٤٠١-٤١٧
بيرار (فكتور) والمدنية الهوميرية ٦٦
بيروت : قبل مائة سنة ٢١-٢٦
بيزنطية : جيشها وفتح العرب سورية ٢٢٧-٢٤٧
بروتستانتي (عالم) كبير يصير كاثوليكياً ٥٥٠
بولونية والحجاز ٢٠٩

ت

التذكارات القرنية في سنة ١٩٣٢ الحالية ٦٥٢-٦٥٨
التذكار المئوي الثاني لتثبيت القانون الرهباني اللبناني ٢٢١-٢٢٢
التذكار المئوي الثاني المطران جرمانوس فرحات ٤٩-٥٤
التذكار المئوي لاختراع اعواد الثقاب ١٥٠
التذكار المئوي لاختراع السيكارة ١٤٩
التذكار المئوي لاستشهاد الاب جبرائيل دنبو ٢١١
الترجمة والمترجمون ٢٨٩-٢٩٧
التطور : الوهم في نظريته ٣٦-٤٢
تقلا (كنيسة القديسة) : وقفها في حردين ٦٨٠-٦٨٥
تنيه ٩٦١
« تهافت التهافت » وابن رشد ٢٢-٣١

ج

الجاهلية : النثر فيها ٢٧٢ — حول النثر فيها : آراء وملاحظات في « الانشاد » ٢٧٩-٢٨٩
الجبال العالية : قيمة بعضها ٢٩٠
جبران (جبران خليل) : الجوهر الفرد في ادبه ٤٢٥-٤٢٤ ؛ ٥٢٢-٥٢٠ ؛ ٦٥٨-٦٦٤ ؛ ٧٥٢-٧٦٢
جبيل - بيبلوس : اكتشافات جديدة فيها ٦٩٥
الجديد والقديم في الادب ٢١١-٢١٤
جريدة عربية في رومية ٢١١
الجلود والدباغة في سورية ولبنان سنة ١٩٣١ ٩٤٩
الجنيه المصري : ارتباطه بالجنيه الانكليزي ١٤٧
الجوهر الفرد في ادب جبران خليل جبران ٤٢٥-٤٢٤ ؛ ٥٢٢-٥٢٠ ؛ ٦٥٨-٦٦٤ ؛ ٧٥٢-٧٦٢

ح

الحالة الصناعية في سورية ولبنان سنة ١٩٣١ ٩٤٥
حالة لبنان الاقتصادية ١٢٨-١٣٩ — وسورية ٥٤٦
الحج الاحمر او الرياء البلشفيكي في مكة ٢٢٧
الحجاج الى مكة في هذا العام ٢٨٩
الحجاز وبولونية ٢٠٩
الحجر : صناعته في لبنان ٢٤٨-٢٥٢
الحجر الاسود : اعتداء عليه ٦٩٦
الحرير في سورية ولبنان سنة ١٩٣١ ٩٤٦
حفريات افامية ٧٠
الحويك (البطريرك الياس بطرس) : وفاته ٦٨ — ترجمة حياته ٨١-٩٢ ؛ ١٨٦-١٩٢ ؛ ٢٧٢-٢٨٢ ؛ ٥٠٢-٥١٢ ؛ ٦٤٠-٦٥٢ ؛ ٨٥٦-٨٦٦ ؛ ٩٢٤-٩٢٢
الحيرة : العلم فيها ٥٧٥-٥٨٦ ؛ ٧٣٧-٧٤٤ ؛ ٨٢٢-٨٢٠ — ملوكها المناذرة ٨٩٤-٩٠٤

د

الدباغة في سورية ولبنان سنة ١٩٣١ ٩٤٩

دنبو (الاب جبرائيل) : التذكار المئوي لاستشهاده ٢١١
الدولة : بحث في املاكها ٥٤٤

ذ

الذهب في مناجمه وخاصة في سورية ١٩٢-٢٠١؛٢٦٦-٢٧٠

ر

الرتب الكهنوتية في الطائفتين المارونية والسريانية ١٦١-١٧٠؛٢٩٧-٢٠٢؛٢٦٥-٢٧٢؛٥٣٠-٥٣٢؛٧٤٤-٧٥٢؛٨٤٨-٨٥٦-٩٢٢-٩٤٠
رومية : جريدة عربية فيها ٢١١
رمضان : نشأة صومه ٦٢
الرهبانية والعلم ٢٢١-٢٢٢
الرهبانية اللبنانية المارونية : نشأتها وتثبيت قانونها وقستها ٨٠١-٨٠٨؛٩٢٠-٩٢٤
الرهبنة البندكتية في فلسطين ٤٠١-٤١٧
ريكادونا (الاب اليسوعي) : رسالته عن حالة بيروت سنة ١٩٣١ ٢١-٢٦

ز

الزعيم (البطريرك مكاريوس الحلبي) نخبة من سفرته بقلم ولده الشماس بولس ٥٦١-٥٧٥ — هل كان كاثوليكياً ؟ ٨٨٠-٨٩٢
الزواج : تبعاً للرسالة البابوية «Casti connubii» : منشأه من الله وضعاً وطبعاً ١١٢-١٢٠؛٢٠١-٢٠٩؛٢٥٢-٢٥٨؛٢٤٧-٢٥٢؛ الزواج المسيحي او سرّ الزواج ٤٢٤-٤٤٤؛٥١٢-٥٢٢؛٥٨٦-٦٠٢
الزيوت في سورية ولبنان سنة ١٩٣١ ٩٤٨

س

السريان والموارنة : الرتب الكهنوتية عندهم ١٦١-١٧٠؛٢٩٧-٢٠٢؛٢٦٥-٢٧٢؛٥٣٠-٥٣٨؛٧٤٤-٧٥٢؛٨٤٨-٨٥٦؛٩٢٢- ٩٤
سورية في زمن الفتح العربي : شعوبها ، لغاتها ، اديانها ١٠-١٦ — لماذا افتتحها العرب ١٧٨-١٧٦ — فتحها العربي والجيش البيزنطي ٢٢٧-٢٤٧ — مناجم الذهب فيها ١٩٢-٢٠١؛٢٦٦-٢٧٢ — المصريون فيها قبل مائة سنة ٢٥٨-٢٦٥؛٤٥٠-٤٥٨؛٤٩٢-٥٠٢ — الفرنسويون فيها في القرنين السادس والسابع للمسيح ٤١٧-٤٢٥؛٤٨١-٤٩٢ — الحالة الاقتصادية فيها ٥٤٦ — الحالة الصناعية فيها سنة ١٩٣١ ٩٤٩
سيارات الكويت في شوارع مكة ٢٩٠
السيكارة : التذكار المئوي لاختراعها ١٤٩

ش

الشعر العربي القديم والوحدة فيه ٢١٤-٢١٧

ص

الصابون في سورية ولبنان سنة ١٩٣١ ٩٤٩
الصحة في البلاد : ذكرى الامس وعبرة اليوم ٢٢٢-٢٢٧
صناعة الحجر في لبنان ٢٤٨-٢٥٢
الصناعة المعدنية في سورية ولبنان سنة ١٩٣١ ٩٤٩
الصوم الارمني في القرن الرابع في الشرق والغرب ١٦-٢٢؛١٢٩-١٤٧؛٢١٧-٢٤؛ ٩٦١
صوم رمضان ونشأته ٦٢

ط

الطقوس والطوائف في الكنائس الشرقية ٧٢١-٧٢٩؛٩٤؛٩٠٨

ع

العاقورة في التاريخ ٨٤٢-٨٤٨
عالم بروتستانتي كبير يصير كاثوليكياً ٥٥٠
العرب : فتحهم سورية وحالتها اذ ذاك ١٠-١٦ — لماذا افتتحوا سورية ١٧٨-١٨٦ —

فتحهم سورية والجيش البيزنطي ٢٣٧-٢٤٧ — قابليتهم للفلسفة ٤٢-٤٩ — تميتهم قبل الاسلام ١٠١-١١٢
عزاء وهناء (قصيدة) ٩٩
العلم والادب والفن في مصر بعد خمسين سنة ٩٤٢
العلم والرهبانية ٢٢١-٢٢٢
العلم في الحيرة ٥٧٥-٥٨٦؛ ٧٢٧-٧٤٤؛ ٨٢٢-٨٢٠
العناصر الفارسية في لبنان ٦٢٢-٦٤٠؛ ١٧٢-٧٧٩
عود الثقاب: التذكار المئوي لاختراعه ١٥٠
عيون الاخبار لابن قتيبة ٤٥٨-٤٦٤

غ

غالب (المتوري بطرس): وفاته ٦٩
الغبار: لازالته ٥٥٠
الغريبة (قصيدة) ٨٩٢

ف

الفارسية (العناصر): في لبنان ٦٢٢-٦٤٠: ٧٧٢-٧٧٩
فائدة النحل في البساتين ٥٥١
فتح العرب سورية والجيش البيزنطي ٢٣٧-٢٤٧
فخر الدين الثاني: لبنان في عهده ٦٠٢-٦١٢؛ ٧٢٩-٧٢٧؛ ٨٢٠-٨٤٢
فرحات (المطران جرمانوس): كيف يجب ان نحتفل بتذكاره ٤٩-٥٤
فرنسة: تدخل قنصلها في انتخاب بطريرك ماروني في القرن التاسع عشر ١٧٠-١٧٨؛ ٢٥٨-٢٦٦
الفرنسويون في سورية في القرنين السادس والسابع للمسيح ٤١٧-٤٢٥؛ ٤٨١-٤٩٢
فلسطين: الرهبنة البندكتية فيها ٤٠١-٤١٧
الفلسفة: قابلية العرب لها ٤٢-٤٧
فتحهم سورية والجيش البيزنطي ٢٣٧-٢٤٧ — قابليتهم للفلسفة ٤٢-٤٩ — تميتهم قبل الاسلام ١٠١-١١٢
الفن والعلم والادب في مصر بعد خمسين سنة ٩٤٢

ق

قابلية العرب للفلسفة ٤٢-٤٧
القاديشا (كهرباء): ٢٥٢-٢٥٨؛ ٤٤٤-٤٥٠
قبر الامير بشير ٥٤-٥٧
قبرس ٢٢٠
القديم والجديد في الادب ٢١١-٢١٤
القرآن الكريم بالحروف اللاتينية ٧٩١
القطن في سورية ولبنان سنة ١٩٣١ ٩٤٧
القُفّة (حكاية) ٢٨٢-٢٨٩
القلم حاجية ٨٦٩
قيمة بعض الجبال العالية ٢٩٠

ك

الكثافة في الاسلام ٢٠٧
الكنيسة: اقامها بالاستبداد ٢٤١-٢٤٨
الكنائس الشرقية: الطقوس والطوائف فيها ٧٢١-٧٢٩؛ ٩٠٤-٩٠٨
كهرباء القاديشا ٢٥٢-٢٥٨؛ ٤٤٤-٤٥٠
الكهنوت: رتبه في الطائفتين المارونية والسريانية ١٦١-١٧٠؛ ٢٩٧-٣٠٢؛ ٢٦٥-٢٧٢؛ ٥٢٠-٥٢٨؛ ٧٤٤-٧٥٢؛ ٨٤٨-٨٥٦
الكويت: سياراتها في شوارع مكة ٢٩
كيف ارتبط الجنيه المصري بالجنيه الانكليزي ١٤٧

ل

لبنان: حالته الاقتصادية ٨-١٢٩؛ ٥٤٦ — صناعة الحجر فيه ٢٤٨-٢٥٢ — حالته الصحية ٢٢٢-٢٢٧ — المصريون فيه قبل مائة سنة ٢٥٨-٢٦٥؛ ٤٥٠-٤٥٨؛ ٤٩٢-٥٠٢ — في عهد الامير فخر الدين ٦٠٢-٦١٢؛ ٧٢٩-٧٢٧؛ ٨٢٠-٨٤٢ — العناصر الفارسية فيه ٦٢٢-٦٤٠؛ ٧٧٢-٧٧٩ — النواقيس فيه ٦٩٩ — الاحصاء

الاخير فيه ٧٨٧؛ ٩٦٢ — الحالة الصناعية فيه سنة ١٩٣١ ٩٤٥
لماذا افتتح العرب سورية ١٧٨–١٨٦
لوقا صاحب الانجيل الثالث ١٠؛ ١٢٠–١٢٨

م

المبكى او البراق ٨٦٦
المترجمون والترجمة ٢٨٩–٢٩٧
مشاكلنا الادبية الحاضرة وصلتها بالادب الغربي ٢٠٩–٢١٧
مشاهدات وتأملات ٥٧–٦٢؛ ٢٢٤–٢٢٧؛ ٦٩١–٦٩٥
مصر: الادب والعلم والفن فيها بعد خمسين سنة ٩٤٢
المصريون في لبنان وسورية قبل مائة سنة ٢٥٨–٢٦٥؛ ٤٥٠–٤٥٨؛ ٤٩٢–٥٠٢
معلوف (الاب لويس اليسوعي): يوبيله الصحافي الفضي ٢٨٩؛ ٤٦٩
مكاريوس (البطريرك) الحلبي: نخبة من سفرته بقلم ولده الشماس بولس ٥٦١–٥٧٥ — هل كان كاثوليكياً؟ ٨٨٠–٨٩٢
مكة: الرياء البلشفيكي فيها ٢٢٧ — الحجاج اليها في هذا العام ٢٨٩ — سيارات الكويت في شوارعها ٢٩٠
المناذرة ملوك الحيرة ٨٩٤–٩٠٤
من خطاب لابن سعود ٤٧٠
منشأ الآداب العربية ٢٠٢–٢٠٧
الموارنة: وفاة بطاركتهم ٦٨ — انتخاب بطاركتهم ٩٢–٩٩ — انتخاب بطريرك عليهم في القرن التاسع عشر وتدخل قنصل فرنسة في ذلك ١٧٠–١٧٨؛ ٢٥٨–٢٦٦ — والسريان: الرتب الكهنوتية عندهم ١٦١–١٧٠؛ ٢٩٧–٣٠٢؛ ٢٦٥–٢٧٢؛ ٥٢٠–٥٢٨؛ ٧٤٤–٧٥٢؛ ٨٤٨–٨٥٦؛ ٩٢٢–٩٤٠
مؤتمر اورشليم الاسلامي ٢٧٢

ن

النثر الجاهلي ٢٧٢ — آراء وملاحظات فيه ٢٧٩–٢٨٩
النحل: فائدته في البساتين ٥٥١
نخبة من سفرة البطريرك مكاريوس الحلبي بقلم ولده الشماس بولس ٥٦١–٥٧٥
النسيج في سورية ولبنان سنة ١٩٣١ ٩٤٧
نفسية البدو قبل الاسلام ١٠١–١١٢
نهر الكلب: دليل جديد الى آثاره القديمة ٦٧٢–٦٨٠
النواقيس في لبنان ٦٩٩

ه

هل كان البطريرك مكاريوس كاثوليكياً؟ ٨٨٠–٨٩٢
الهومبربة (المدنية) وفكتور بيرار ٦٦

و

الوحدة في الشعر العربي القديم ٢١٤–٢١٧
وفود الحجاج الى مكة في هذا العام ٢٨٩
وقف كنيسة القديسة تقلا في حردين ٦٨٠–٦٨٥
الوهم في نظرية التطور ٢٦–٤٢

ي

يوبيل صحافي ٢٨٩؛ ٤٦٩

المطبعة الكاثوليكية المدير المسؤول : يوسف ماهر

AL-MACHRIQ

Revue Catholique Orientale Mensuelle

SCIENCES—LETTRES—ARTS

Sous la direction des Pères de la Cie de Jésus

UNIVERSITÉ St JOSEPH

Trentième année

1932

BEYROUTH
Imprimerie Catholique
1932

TABLES DES SOMMAIRES

XXXe ANNÉE 1932

JANVIER

St Luc, auteur du 3e évangile : I (p. 1) *P. Salhani. S. J.*

La Syrie à l'époque de la conquête arabe. *Races, langues et ligions.* (p. 10) *P. Lammens S. J.*

Le Carême au IVe siècle, en Orient et en Occident : I (p. 16) *N. Nasrallah.*

Averrhoès et son « Tahâfot at-Tahâfot » (p. 23) *P. F. ntel S. J.*

Beyrouth, il y a cent ans. *Une lettre du Père Riccadonna s. j.* 1831 (*illustré*). (p. 31) *Mr F.-E. Boustany.*

« L'Illusion transformiste » de Mr Vialleton. (p. 36) *P. F. ignon S. J.*

L'aptitude des Arabes aux sciences philosophiques. (p. 42) *Abbé Pharès.*

Mgr Germanos Farhat; comment célébrer son second centenaire? 49) *Mr F.-E. Boustany.*

Le tombeau de l'Emir Béchir (*illustré*). (p. 54) *Emir M. Chéhab.*

Scènes et Impressions. (p. 57) *P. E. Farhat O. S. I.*

Revue des Revues : Origine du jeûne de Ramadan. — V. Bérard et la civilisation homérique. (p. 63).

La mort de S. B. le Patriarche maronite Élie Pierre Hoyek. 68).

Varia : L'Abbé Pierre Ghaleb (1878-1931). — Les fouilles d'Apamée. (illustré) (p. 69).

Bibliographie : (p. 72).

Ephémérides du mois : (p. 80).

FÉVRIER

Le Patriarche Elie Pierre Hoyek : I (*illustré*). (p. 81) *Abbé M. ouad.*

L'élection des Patriarches Maronites. (p.93) *Cheikh S. Dahdah.*

Poésie. (p. 99) *Abbé J. Tannous.*

La psychologie des Bédouins préislamites. (p. 101) *P. Lammens S. J.*

Le Mariage d'après l'Encyclique « *Casti connubii* » : I (p. 112) *P. Ch. Abela S. J.*

St Luc, auteur du 3e évangile : II (*fin*). (p.120) *P. Salhani S. J.*

La situation économique du Liban en 1931.(p.128) *Mr I. Aouad.*

Le Carême au IVe siècle, en Orient et en Occident : II (p. 139) *Mr N. Nasrallah.*

Varia : Le rapport entre la guinée égyptienne et la livre sterling. — Le centenaire de la cigarette. — Le centenaire de l'allumette. (p. 147).

Bibliographie : (p. 152).

Ephémérides du mois : (p. 160).

MARS

Les degrés ecclésiastiques chez les Maronites et chez les Syriens: I (p. 161) *Abbé I. Armalé.*

L'élection d'un patriarche maronite au XIXe siècle : I (p.170) *Cheikh S. Dahdah.*

Pourquoi les Arabes ont conquis la Syrie (*illustré*) (p. 178) *P. Lammens S. J.*

Le Patriarche Elie Pierre Hoyek : II (*illustré*) (186) *Abbé M. Aouad.*

Les mines d'or ; celles de Syrie : I (p. 193) *Mr Martin Gire.*

Le Mariage d'après l'Encyclique « *Casti connubii* » : II (p. 201) *P. Ch. Abela S. J.*

Nos problèmes actuels de Littérature et leurs rapports avec la Littérature occidentale : I (p. 209) *Mr F.-E. Boustany.*

Le Crême au IVe siècle, en Orient et en Occident : III (*fin*) (p. 217) *Mr N. Nasrallah.*

Scènes et Impressions. (p. 224) *P. E. Farhat O. S. A.*

Revue des Revues : Pélérinage rouge (F. T.). — Principaux articles orientaux. (p. 227).

Bibliographie : (p. 231).
Ephémérides du mois : (p. 240).

AVRIL

L'Eglise est-elle intolérante ? (p. 241) *P. A. Audin S. C.*
Le travail de la pierre au Liban (*illustré*). (p. 248) *Mr A. Baz.*
Le Mariage d'après l'Encyclique « *Casti connubii* » : III (p.252) *Ch. Abela S. J.*
L'élection d'un patriarche maronites au XIXe siècle : II (*fin*) 258) *Cheikh S. Dahdah.*
Les mines d'or ; celles de Syrie:II (*fin*) (p.266) *Mr Martin Gire.*
Le Patriarche Elie Pierre Hoyek : III (*illustré*). (p. 272) *Abbé Aouad.*
Le couffin, *conte illustré.* (p. 282) *Mr Joseph Ghossoub.*
Traductions et Traducteurs à l'époque Abbassida. (p. 289) *bé J. Pharès.*
Les degrés ecclésiastiques chez les Maronites et chez les Syri- s : II (p. 297) *Abbé J. Armalé.*
Le milieu où est née la Littérature Arabe : I, *Introduction.* 303) *Mr F.-E. Boustany.*
Revue des Revues : Le Scoutisme dans l'Islam. — La Pologne et le Hedjaz. (F. T.) (p. 307).
Varia : Un journal arabe à Rome. — Le centenaire du martyre du Père Gabriel Deabo (p. 311).
Bibliographie : (p. 313).
Ephémérides du mois : (p. 320).

MAI

Les moines et la Science. (p. 321) *P. P. Sarah O. R. A.*
L'hygiène au Liban autrefois et aujourd'hui (p. 332) *Dr A. mayel.*
La conquête arabe de la Syrie et l'armée byzantine (p. 337) *Lammens S. J.*

Le Marige d'après l'Encyclique « *Casti connubii* » § IV (*fin du 1r article*) (p. 347) *P. Ch. Abela S. J.*

L'électricité de la « Kâdicha » : I (*illustré*) *Mr A. Bâz.*

Les Egyptiens en Syrie et au Liban il y a cent ans : I (*illustré*) (p. 358) *Mr I. A. Ghanem.*

Les degrés ecclésiastiques chez les Maronites et chez les Syriens : III (p. 365) *Abbé I. Armalé.*

Revue des Revues : Le congrès islamique de Jérusalem. — La prose préislamique. (F. E. B.) (p. 372).

A propos de prose préislamique : Réflexions sur le Style Oral chez les anciens Arabes (p. 379).

Varia : Jubilé d'un confrère. — Les pélerins à la Mecque. — Les automobiles de Koweit dans les rues de la Mecque. — Ce que peut valoir une montagne (p. 389).

Bibliographie : (p. 391).

Ephémérides du mois : (p. 400).

JUIN

Les Bénédictins en Palestine (*illustré*). (p. 401) *Abbé I. Armalé.*

Les Français en Syrie aux VIe et VIIe siècles : I (p. 417) *P. Lammens S. J.*

L'idée maitresse dans l'œuvre de Gibran Khalil Gibran : I (p.425) *Mr A. Kheled.*

Le Mariage d'après l'Encyclique « *Casti connubii* » : *second article* : I (p. 434) *P. Ch. Abela S. J.*

L'électricité de la « Kâdicha » : II (*illustré*) (*fin*) (p. 444) *Mr A. Baz.*

Les Egyptiens en Syrie et au Liban il y a cent ans : II (p, 450) *Mr I. A. Ghanem.*

Le « 'Oyoun al-Aḫbâr » d'Ibn Qotaïba (p. 458) *P. Taoutel S. J.*

Bécharré, *souvenirs* : I (p. 464) *Abbé I. Gigaeu.*

Varia : Le Jubilé du P. Malouf. — Un discours d'Ibn Sa'oud (p. 469).

Bibliographie : (p. 472).

Ephémérides du mois : (p. 480).

JUILLET

Les Français en Syrie aux VIe et VIIe siècles : II (*fin*) (p. 481) *Lammens S. J.*

Les Egyptiens en Syrie et au Liban il y a cent ans : III (*fin*) (p. 492) *Mr I. A. Ghanem.*

Le Patriarche Elie Pierre Hoyek : IV (p. 503) *Abbé M. Aouad.*

Le Mariage d'après l'Encyclique « *Casti connubii* » : *second article* : II (p. 512) *P. Ch. Abela S. J.*

L'idée maîtresse dans l'œuvre de Gibran Khalil Gibran : II (p. 522) *Mr A. Khaled.*

Les degrés ecclésiastiques chez les Maronites et chez les Syriens : IV (p. 530) *Abbé I. Armalé.*

Bécharré, *souvenirs* : II (p. 538) *Abbé I. Geagea.*

Revue des Revues : Les domaines de l'Etat en Syrie. — La situation économique de la Syrie et du Liban (p. 544)

Varia : Epousseteur. — Une conversion. — Utilité des abeilles. — Les terrains emblavés en Syrie et au Liban (p. 550).

Bibliographie : (p. 535).

Ephémérides du mois : (p. 560).

AOUT-SEPTEMBRE

Le voyage du Patriarche Macaire, *notes critiques* (p. 561) *Mr Zayat.*

Les sciences à Ḥira : I (p. 575) *Mr J. Ghanimé.*

Le Mariage d'après l'Encyclique « *Casti connubii* » : *second article* : III (*fin*) (p. 586) *P. Ch. Abela S. J.*

Le Liban au temps de Fakhreddin : I (*illustré*) (p. 602) *Mr I. Aalouf.*

Mgr N. Carame et ses traductions (p. 613) *P. Taoutel S. J.*

Ibn ʿAbd Rabbihi et son ʿIqd : I (p. 618),

Les Perses du Liban : I (p. 633) *P. Lammens S. J.*

Le Patriarche Elie Pierre Hoyek : V (*illustré*) (p. 640) *Abbé M. Aouad.*

Les centenaires de l'année (p. 653) *Cheikh S. Dahdah.*

L'idée maîtresse dans l'œuvre de Gibran Khalil Gibran : III (p. 658) *Mr A. Khaled.*

Où en est l'Espagne ? (p. 664) *Abbé F. Treserra.*

Le Nahr el-Kelb, guide archéologique (*illustré*) (p. 673) *Mr F.-E. Boustany.*

Document concernant l'église Ste Thècle à Ḥardîn (p. 680) *P. A. Chebli O. S. A.*

Bécharré, *souvenirs* : III (p. 685) *Abbé I. Geagea.*

Scènes et Impressions (p. 691) *P. E. Farhat O. S. A.*

Varia : Nouvelles découvertes à Byblos. — Une attaque contre la Pierre noire. — Les cloches du Liban.

Bibliographie : (p. 700).

Ephémérides du mois (p. 720).

OCTOBRE

Rites et Communautés dans les Eglises orientales : I (p. 127) *P. P. Mongin* et *Taoutel S. J.*

Le Liban au temps de Fakhreddin : II (p. 729) *Mr I. A. Malouf.*

Les sciences à Ḥîra : II (p. 737) *Mr J. Ghanimé.*

Les degrés ecclésiastiques chez les Maronites et chez les Syriens : (p. 744) *Abbé J. Armalé.*

L'idée maîtresse dans l'œuvre de Gibran Khalil Gibran : IV (*fin*) (p. 752) *Mr A. Khaled.*

Al-Aʿcha et l'Islam (p. 763) *Mr F.-E. Boustany.*

Les Perses du Liban : II (*fin*) (p. 772) *P. Lammens S. J.*

Bécharré, *souvenirs* : IV (*fin*) (p. 779) *Abbé I. Geagea,*

Varia : Le dernier recensement de la République Libanaise. — Le Séminaire Ste Anne à Jérusalem. — Le Qoran imprimé en caractères latins (p. 787).

Bibliographie : (p. 792).

Ephémérides du mois : (p. 800).

NOVEMBRE

L'Ordre des Moines maronites libanais : I (p. 801) *P. A. Chebli O. S. A.*

Ibn ʿAbd Rabbihi et son ʿIqd : II (p. 808) *M. G. Jabbur.*

Les sciences à Ḥîra : III (*fin*) (p. 822) *Mr J. Ghanimé.*

Le Liban au temps de Fakhreddin : III (*fin*) (p. 830) *Mr I. A. Malouf.*

ʿAqoura dans l'histoire (p. 842) *Abbé D. Ramia.*

Les degrés ecclésiastiques chez les Maronites et chez les Syriens : VI (p. 848) *Abbé I. Armalé.*

Le Patriarche Elie Pierre Hoyek : VI (p. 856).

Revue des Revues : Al-Buraq ou le mur des lamentations. — Les « Qalam-Ḥâgya ». (F. T.). (p. 866)

Bibliographie : (p. 872).

Ephémérides du mois : (p. 880).

DÉCEMBRE

Le patriarche Macaire était-il Catholique ? (p. 881) *H. Zayat.*

L'Etrangère, *poésie* (p. 893) *Mr K. Boustany.*

Les Mondirs, rois de Ḥîra : I (p. 894) *Mr J. Ghanimé.*

Rites et communautés dans les Eglises Orientales : II (*fin*) (p. 904) *P. P. Mongin* et *Taoutel S. J.*

Ibn ʿAbd Rabbihi et son ʿIqd : III (p. 908) *Mr G. Jabbur.*

L'Ordre des Moines maronites libanais : II (*illustré*) (*fin*)(p. 920) *P. A. Chibli O. S. A.*

Le Patriarche Elie Pierre Hoyek : VII (*fin*) (p. 924) *Abbé M. Mouad.*

Les degrés ecclésistiques chez les Maronites et chez les Syriens : VII (*illustré*) (*fin*) (p. 933) *Abbé I. Armalé.*

Revue des Revues : La façon de s'habiller en Orient au Moyen Age (F. T.) — Sciences et Arts en Egypte dans 50 ans. (p. 941).

Varia : L'industrie en Syrie et au Liban en 1931 (p. 945).

Bibliographie : (p. 950).

Ephémérides du mois : (p. 960).

Errata (p. 961).

Tables (p. 963).

المشرق

السنة الحادية والثلاثون — كانون الثاني ١٩٣٣

نقل الكتب المقدسة الى العربيّة

قبل الاسلام

بقلم عبد المسيح المقدسي (القدس الشريف)

لهذا الموضوع علاقة متينة بتاريخ ثقافتنا القديمة وحركة الافكار بين العرب في العصر الجاهلية ، وبتأثير هذه الحركة على ظهور الاسلام واساليب دعوته واسباب نجاحه وكثير من مميزاته ؛ بل على تاريخ امّتنا المدني وطرق سيره ، والدور الذي مثله نصارى العرب فيه ؛ الى غير ذلك من المسائل الهامة التي يعسر فهمها وتقديرها حق قدرها ان لم يتناولها الباحث من هذه الناحية . هذا ما دعاني الى وضع هذه العجالة العامّة . وهذا ما يبعث فيَّ املاً في ان علماءنا المتزهين عن الاغراض المذهبية وغيرها سيتناولون هذه المواضيع ليفوها حقها ويقتاوها بحثاً ، ليلقوا بذلك نوراً جديداً على جانب كبير من تاريخ ثقافتنا العقلية وتاريخ امتنا الذي لا يزال غامضاً حتى اليوم .

لقد اجمع العلماء الذين بحثوا في هذا الموضوع ، او كادوا يجمعون ، على ان

كتب العهدين المقدسة القانونية لم تُنقل الى العربية الا في اوائل القرن التاسع للمسيح ، اي في خلافة المأمون ؛ وان اول من نقلها هو احمد بن عبدالله ابن سلام ، مولى امير المؤمنين هارون الرشيد ، وحفيد احد احبار اليهود الذين دخلوا في الاسلام في اول عهده ؛ وانه نقلها[1] حرفيًا وبدون تغيير او تحريف او اختصار « عن اللغات العبرية واليونانية والصابئية » (السريانية) . وهذا على ما يظهر هو الرأي الاصح ، وذلك اذا اريد من النقل نقل العهدين جميعاً او اكثرهما . اما اذا اريد نقل قسم منها فقط فالاصح انه نقل قبل ذلك العصر ، كما يُستدلّ من القطع الانجيلية وغيرها التي وجدوها في قبة صحن الجامع الاموي في دمشق ، وهي مكتوبة باحرف يونانية ، او كالتي عثروا عليها في اسبانية مكتوبة باحرف لاتينية ، وكلها ترجع الى القرن الثامن او اواخر السابع . ولهذا ، ولانهم لم يعثروا حتى اليوم على مخطوطات عربية من الكتب المقدسة والكنائسية يرتقي عهدها الى ايام الجاهلية ، ولان لا احد من كتبة العرب الاقدمين او السريان او اليونان[2] اشار الى نقل الكتب المقدسة الى العربية قبل الاسلام ، فقد اجمع الذين عنوا بهذا الموضوع على ان الكتب المذكورة لم تنقل الى لغتنا الا بعد ظهور الاسلام . وهذا ما لا نسلّم به بديهياً . لاننا نرجح ان قسماً من هذه الاسفار ، لا سبيل اليوم الى تحديد مقداره بالدقة العلمية المطلوبة ، نُقل الى العربية قبل ظهور محمد . ولدينا على ذلك بعض ادلة ، او بالاحرى بعض اعتبارات هي الى الادلة العقلية اقرب منها الى الادلة النقلية ، نذكرها بما امكن من الاختصار على امل ان نفرد لكل واحد منها مقالة لتفي الموضوع حقّه من البحث .

١ً معلوم ان الديانة المسيحية ، على اختلاف مذاهبها ونحلها ، ابتدأت

---

١) طالع عبارة الناقل بحرفها في كتاب الفهرست لابن النديم (طبع Flügel ، ص٢١-٢٢

٢) ما عدا المؤرخ الكنائسي الفلسطيني اوسابيوس فانه يذكر انّ الرسول بارتولميوس نقل عن الارامية الى العربية انجيل متى يوم كان في جنوب الجزيرة يدعو العرب الى المسيحية (راجع تاريخه : ك ٥ : رأس ١٠) وعن المؤرخ المذكور نُقل هذا الخبر الى سير القديسين على ما يظهر لي .

تنتشر بين العرب من يوم ان ظهرت ، كما يؤخذ ذلك من شهادة اعمال الرسل (٢ : ١١) والرسالة الى اهل غلاطية (١ : ١٧) ومصادر أخرى معلومة ، ولهذا لا حاجة هنا الى ذكرها. وقد كان بدء انتشارها بين عرب فلسطين ، ثم انتقلت الى سورية وما بين النهرين ، واخيراً الى جزيرة العرب حيث رسخ قدمها واتخذت صورة معلومة ومراكز ذكرها المؤرخون من عرب وغيرهم منذ اواسط القرن الرابع. والذي يظهر من اقوال المؤرخين والاصطلاحات الدينية والكنائسية التي دخلت لغتنا منذ هذا الوقت ان المسيحية دخلت الى الجزيرة العربية من طرفين ، اي من الجنوب عن يد الحبش الذين احتلوها لاول مرة في اواسط القرن الرابع وفي اوائل السادس للمرة الثانية (سنة ٥٢٥) ، ومن الشمال عن طريق سورية وما بين النهرين عن يد الدعاة السوريين. ناهيك عن اصحاب البدع والنحل المسيحية الذين كانوا يلجأون الى الجزيرة زرافات ووحداناً هرباً ممن كان يخالفهم في العقيدة ومن كانوا يخشون بأسه ، حتى اصبحت الجزيرة ملجأً[1] لاصحاب النحل المضطهدة يأتونها من جميع اطراف الشرق الادنى ليقيموا فيها في أمن تام وينشروا عقائدهم وافكارهم الغريبة احياناً بلا خوف ولا وجل. اضف الى ذلك رحلات العرب التجارية الى سورية وفلسطين وما بين النهرين واختلاطهم باخوانهم المتنصرين هناك ، وتأثير الاديرة التي كانوا ينزلون عندها ، وترددهم على الحوانيت التي كان اكثرها في ايدي النصارى ايضاً[2] ، تدرك سرعة انتشار المسيحية بين العرب ، ولاسيما بين عرب الشمال والقبائل النازلة في ما بين النهرين. وهذا ما جوّز لاحد شيوخ المستشرقين ان يقول : « انه لو لم يظهر الاسلام لعمّت النصرانية بعد قليل من الزمن شمال الجزيرة كله من البحر الاحمر الى البحر الفارسي »[3]. يكفي لترجيح هذا الفكر ان نذكر القارئ بان النصرانية عمّت او كادت تعم في ذلك الوقت جميع قبائل قضاعة ، واكثر

١) ولهذا سموها : (Arabia) ferax haereseon ، اي غنية بالبدع الدينية.

٢) راجع تأليف J. Wellhausen : *Reste arabischen Heidenthums* (الطبعة الثانية ص ٢٢١)

٣) راجع تأليف Wellhausen المذكور ، ص ٢٢١.

قبائل ربيعة ، وتميم ، وطيء ، وغيرها من قبائل الشمال واواسط الجزيرة . ناهيك عن قبائل الجنوب والجنوب الشرقي . وهذا ما حمل رؤساء الدين بين هذه القبائل ان يبنوا لها بيعاً واديرة وصوامع لاقامة الصلوة وسائر شعائر الدين فيها .

اذا اعتبرنا ذلك وعرفنا ان من اهم شعائر الدين في كنائس الشرق واجبها الى الشعب كان ان تُقرأ كل يوم مساء وصباحاً قطع من الكتب المقدسة[1] ، وان هذه العادة كانت قديمة عندهم ورثوها كما يظهر عن اليهود[2] كما ورثوا عنهم اموراً اخرى ، جاز لنا ان نفترض ان الحاجة الكنائسية اضطرت زعماء الدين المسيحي في البلاد العربية الى نقل ولو هذه القطع فقط الى لغة الشعب من يوم اصبح للعرب بيع يقيمون فيها صلواتهم وطقوسهم الدينية . والا اضطررنا ان نفرض أن هذه الطقوس وتلك القراآت كانت تُقام وتُقرأ[3] في بيعهم وبيوتهم واديرتهم في احدى اللغات الاجنبية ، وهذا محال لا يقبله العقل ولا يتّفق مع الشواهد التي سنوردها بعد ذلك .

٢ على ان البيع والاديرة والصوامع الى غير ذلك من بيوت العبادة لم تُقم في كل بلدة او قرية دخلتها النصرانية من بلاد العرب اما لقلة من دخل في النصرانية في بعض المدن والقرى ، او لفقر اهاليها وتفرّق كلمتهم وآرائهم الدينية بين كسائية وابيونية واريوسية وصابئية وحنيفية ونسطورية ونصرانية[4] ، اما لاسباب اخرى نجهلها . الا ان هذه العراقيل لم تكن لتمنع اصحاب النحل المسيحية واهل التقوى والعبادة منهم ان يؤلفوا حلقات دينية كانت تجتمع في بيوت الخاصة لقراءة بعض الكتب المقدسة والنظر فيها ، او لقراءة كتب من

---

١) المعروفة بال Kathismata وهي القراآت او القرآن ، كما كان يسمّيها السريان ، ومنها اخذ النبي العربي اسم كتابه ، ولعله عناها بقوله « فاقرأوا ما تيسّر من القرآن » (٧٣ : ٤)

٢) راجع انجيل لوقا ٤ : ١٦-١١

٣) « ليسوا سواء من اهل الكتاب امّة قائمة يتلون آيات الله اناء الليل وهم يسجدون » (القرآن ٣ : ١١٠)

٤) نرجح مع بعض المستشرقين ان كلمة « نصراني » كانت تدلّ في بادئ الامر وفي القرآن نفسه على اصحاب احدى النحل المسيحية ، لا على المسيحية على الاطلاق

وضعهم كالاناجيل المزورة التي شاعت بين العرب خاصة ، او كتب اخرى منقولة عن السريانية واليونانية كرواية اسكندر ذي القرنين مثلاً[1] ، ولقمان الحكيم ، وغيرهما . يؤيد هذا الفكر ما نعرفه عن حلقة الحنيفيين في مكة الذين عناهم النبي ، كما يخال لي ، في سورة النحل (آية ٤٥) حيث سماهم « اهل الذكر » والذين كان محمد يتردد اليهم قبل اظهار دعوته[2] ليسمع قراآتهم ويشترك معهم في اعتكافاتهم الدينية وتلاوتهم للكتب المنزلة او المزورة . فقد ذكر صاحب الاغاني عن ورقة بن نوفل ، احد هؤلاء الحنيفيين وابن عم خديجة زوج محمد الاولى ، « انه كان امرءا تنصر في الجاهلية وكان يكتب الكتاب العبراني فيكتب بالعبرانية من الانجيل ما شاء ان يكتب » (٣ : ١٤) وقال صاحب مروج الذهب[3] : « وكان ورقة قرأ الكتب ورغب عن عبادة الاوثان » ولم يذكر اسماء الكتب التي كان يقرأها ، وهل كانت عربية او عبرانية كما قد يؤخذ من عبارة صاحب كتاب الاغاني . على اننا نعتقد انها كانت عربية مكتوبة باحرف عبرانية ، كما يجب ان تفهم عبارة الاغاني ، ان لم يكن وقع فيها تحريف . وحجتنا على ذلك ان العرب كانوا - قبل ان تشيع بينهم الاحرف النبطية - يكتبون باحرف عبرانية اوسريانية او يونانية ، وان صحيحي البخاري ومسلم اللذين نُرَجح ان صاحب الاغاني اخذ عبارته عنها لم يذكرا العبرانية بل العربية وهذه عبارة البخاري بحرفها الواحد : « وكان (ورقة) امرءا تنصر في الجاهلية وكان يكتب الكتاب العربي ويكتب من الانجيل بالعربية ما شاء ان يكتب . » فاذا صح هذا الافتراض جاز لنا ان نستنتج منه ان الاناجيل ، او قسماً منها ، نُقلت الى العربية قبل الاسلام . اذ يصعب علينا ان نسلم بان نصارى الحيرة وسورية واليمن وشبه جزيرة سينا (الايسلة) وفلسطين كانوا

---

١) وقد ذكره صاحب القرآن مرارًا عديدة في كتابه، وأخذ من روايته بعض حكايات منه (انظر سورة الكهف آية ٥٩-٨٢ و٨٣-٩٧) وفي الآيات الاولى ابدل اسم « اسكندر » باسم « موسى » لحكمة لا ندركها . . .

٢) راجع كتاب Wellhausen المذكور سابقاً ، ص ٢٤٠

٣) ٥ : ١٢٦ من الطبعة الاوروبية .

يقرؤون في بيعهم الاناجيل والمزامير وغيرها من كتب العهدين بلغات غير مفهومة، او ظلوا يقرؤونها في هذه اللغات — هذا ان فرضنا انهم كانوا يقرؤونها فيها في بادئ الامر — زمناً طويلاً وبعد ان شاعت بينهم الاحرف العربية الحاضرة التي صاروا يدوّنون فيها تاريخ بيعهم واهمّ حوادثهم المدنية والكنائسية [1]، وكتاباتهم على ابواب اديرتهم [2] وضرائحهم [3] وهلمّ جرّاً.

زد على ذلك ما ذكره احد المؤرخين من ان ملك الحبشة أيلا اسبيبا (Ela Esbeba) ارسل سنة ٥٢٠ الى امبراطور بيزنطية قسماً من انجيل لنصارى نجران نجا من الحريق. نعم ان صاحب هذا الخبر لم يذكر لغة هذا الانجيل، على اننا — استناداً الى ما قدّمنا من الاعتبارات والى ما سيأتي — نرجح انها كانت العربية.

٣ً المحنا في ما سبق الى انتشار كثير من النحل والبدع الدينية المسيحية بين عرب الجزيرة وغيرهم. ونزيد الآن على ذلك انه كان لاصحاب هذه النحل كتب خاصة بهم باللغة العربية ككتاب الكساني الذي «انزل عليه من السماء» [4]، و«صحف ابراهيم» عند الحنيفية والصابئة، وهي التي ذكرها صاحب القرآن في مواضع قليلة من كتابه [5]، ورآها ابن النديم بعينيه وتكلم عنها في «فهرسته» [6]. وكل هذه الكتب او اكثرها كان في اللغة العربية، ومثلها بعض الاناجيل المزوّرة كانجيل الطفولية، وانجيل يعقوب، وانجيل متى المزوّر، وميلاد مريم العذراء، وغيرها. وبعض هذه الاناجيل لم يصل الينا الّا في اللغة العربية كانجيل الطفولية الذي يرتقي عهده، ولا شكّ، الى ما قبل الاسلام، والذي كان،

١) راجع ما ذكره الطبري عن كنائس الحيرة (١: ٧٧٠ من الطبعة الاوربية) وابن خلدون (٢: ٢٦٣)

٢) راجع الكتابة على عتبة البيعة التي اقامتها هند بنت الحارث، في ياقوت (٣: ٧٠٩)

٣) راجع الكتابة على ضريح امرئ القيس التي عثروا عليها في سورية.

٤) راجع تاريخ اوسايوس الكنائسي ٦: ٢٨ وكتاب هيبوليت «ضد جميع النحل» ٩: ١٢

٥) ٨٧: ١٩؛ و٥٣: ٣٧.

٦) انظر Sprenger: حياة وتعاليم النبي (في الجرمانية) ١: ٤٦–٤٩.

على ما يظهر ، شائعاً في بعض الحلقات الدينية كالحنيفيين مثلاً . نستنتج ذلك من ان صاحب القرآن نقل عنه اخباراً تتعلق بمولد المسيح وحياته في الطفولية لا توجد في الاناجيل الصحيحة ، وانما توجد فقط في الاناجيل المزوّرة المذكورة آنفاً . من ذلك حديث المسيح عن نفسه وهو طفل في المهد « اني قد جئتكم بآية من ربكم اني اخلق لكم من الطين كهيئة الطير فانفخ فيه فيكون طيراً » الى آخر الاية (القرآن ٣ : ٤٣) فان بعضه مأخوذ بالحرف الواحد عن انجيل الطفولية (ص ٢٦) وبعضه عن انجيل توما (٢ : ٢ - ٥) . وكذلك قصة مريم العذراء (سورة آل عمران) فان بعضها مأخوذ عن انجيل ميلاد مريم المزوّر (ص ٩) وبعضه (الآية ٣٩) عن انجيل يعقوب (٨ : ٩) . ومثل ذلك حديث القرآن عن ولادة المسيح (سورة مريم ١٦ - ٣٥) فان اكثره مأخوذ عن انجيل يعقوب المزوّر (٢ : ١١) او انجيل ميلاد مريم (٢٠) او انجيل متى المزوّر (ص ١٨) . وهناك مقارنات عديدة غير هذه لا داعي هنا الى ايرادها ، اذ يكفي لتأييد ما اردنا تأييده ما اوردنا من الامثلة . واقوى من ذلك في الدلالة على نقل بعض الكتب المقدسة الى العربية قبل الاسلام اننا نجد في القرآن آيات وآراء لا توجد الا في كتب العهدين الصحيحة المقبولة من الكنائس القديمة . وهذه الآيات والآراء كثيرة جداً تكاد لا تدخل تحت الحصر ، واكثرها مأخوذ عن كتب العهد القديم ، وبعضها عن كتب العهد الجديد ، ومنها ما هو مأخوذ بالحرف الواحد كقوله « ولقد كتبنا في الزبور . . . ان الارض يرثها عبادي الصالحين » (الانبياء ١٠٥) وهي تقابل عبارة صاحب الزبور (٣٧ : ١١) : « اما الودعاء فيرثون الارض » ومنها ما اخذ معناه فقط كقوله (٣ : ١٤١) : « فاتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة » (= رسالة بولس الاولى الى تيماثاوس (٤ : ٨) واما التقوى فتنفع في كل شيء ولها موعد الحياة الحاضرة والمستقبلة ») ومنها ما قُدِّم وأُخِّر فيه او اختُصِر اختصاراً ظاهراً يسهل معه ردُّها الى مصدرها الاصلي كسورة ١٧ : ٢٣ - ٤٠ ، وسورة ٦ : ١٥٢ ، وسورة ٢ : ٧٧ ، فانها على الارجح تحتوي على الوصايا العشر المذكورة في كتاب الخروج (٢٠ : ٢ - ١٨) الى غير ذلك من الاقتباسات . على اننا - اذا صحّ ان محمداً اخذ هذه الآيات عن كتب العهدين -

لا نستنتج من ذلك انه اخذها رأساً عن تلك الكتب ، بل نحن نرجح انه اخذها عن افواه اهل الكتاب وزعماء النحل والمذاهب التي تعرّف عليها في مكة والمدينة ، وفي رحلاته الى جنوب الجزيرة وبعض اطرافها الشمالية ، وربما الى بلاد ما بين النهرين . وهذا ، على ما يظهر ، احد اسباب تلك الاغلاط التاريخية والتحريفات التي وقعت في اسماء بعض الاشخاص مما امره معروف عند القراء فلا حاجة اذن الى ذكره . الا ان هذا الامر لا يقدح في افتراضنا ، اذ لو لم تكن هذه الكتب موجودة وقتئذٍ في العربية لما استطاع محمد ان يسمع قراءتها في الدوائر التي كان يتردّد اليها ، او عند اولائك الاشخاص الذين كان يزورهم ويباحثهم في امور الدين ، وكانوا يملون عليه قطعاً من العهدين القديم والحديث كما يشير الى ذلك القرآن نفسه من طرف خفي[1] . ناهيك عن ان بعض الآيات القرآنية جاءت مطابقة – كما بيّنا فوق ذلك – لآيات بعض الكتب المسيحية القانونيّة . وهذا لا نستطيع ان ندركه الا اذا كان الاصل موجوداً وقتئذٍ في العربية .

٤ً ان من طالع اشعار شعراء الجاهلية كامرئ القيس وامية بن ابي الصلت والنابغة الذبياني ولبيد وغيرهم ، وطالع القرآن بامعان ، وبعض الاناجيل المزوّرة ، لا يلبث ان يندهش من كثرة ما يراه هناك من الاصطلاحات الدينية والكنائسية والاخلاقية ، وقدرتها على تأدية ادقّ المعاني التي لها مساس بهذه المواضيع . وهذا ، في نظري ، من اقوى الادلّة على ان العرب عالجوا هذه المواضيع منذ امد بعيد ، وان هذه الاصطلاحات والتعبيرات ليست حديثة العهد ولا هي وُضعت او أُخذت في يوم او في سنة . لكنها دخلت لغتنا من يوم شاعت النصرانية بين العرب ، واضطر المسيحيون منهم الى استعمالها ان في بيعهم وان في بيوتهم ومجتمعاتهم وكتبهم . ولولا ذلك لما كان لهذه الالفاظ تلك المرونة وتلك السلاسة اللتان لا تُكتسبان الا مع الزمن وبعد اعمال الفكر طويلاً ، ولما احتاج العرب الى وضعها ، كما هي الحال مع بعض الامم الحديثة في النصرانية

١) « وقالوا اساطير الاولين اكتتبها فهي تُملى عليه بكرةً واصيلاً » (٢٥ : ٦) (قابلها على ١٦ : ١٠٥ و٤٤ : ١٢ و٢٥ : ٥)

التي لا تزال حتى اليوم عاجزة عن نقل الكتب المقدسة الى لغاتها لخلوها من الاصطلاحات الدينية والاخلاقية ولهذا هي مضطرة اما ان تستعمل في كنائسها لغات اجنبية او ان تستعمل اصطلاحات اجنبية لا يفهمها الشعب ، ومثل هذه اللغات لا يزال كثيرًا في آسية وافريقية وسيبيرية وغيرها .

٥ اما وقد ترجح عندنا ان بعض الكتب المقدسة نقل الى العربية قبل الاسلام ، فطبيعي ان نتساءل عن اللغات التي نُقلت عنها هذه الكتب ، وعن اسمائها ، لعلّنا نجد في الجواب عن هذين السؤالين دعامة اخرى ندعم بها او نقوّي فكرتنا الاساسية التي نحاول تأييدها في هذه العجالة .

لو جمعنا الاصطلاحات الدينية والكنائسية والاخلاقية من اشعار شعراء الجاهلية ، والكتب الدينية العربية المزوّرة ، وعلى الاخص من القرآن ، وحللناها تحليلًا لغويًا،لوجدنا ان اكثرها غير عربي ؛ ثم لوجدنا ان العنصر السرياني الارامي، على اختلاف لهجاته بين فلسطينية وسورية وعراقية ، هو الغالب على هذه الاصطلاحات الى درجة يصحّ ان لا يذكر معها العنصر الفارسي (دين ، بمعنى الديانة ؛ جُناح ؛ فردوس ، عن طريق السريانية وهذه عن الفارسية القديمة پرادیز) واللاتيني (قسط ؛ قسطاس ؛ جنّ ؛ قنطار) واليوناني (بطريرك ؛ اسقف ؛ مطران ؛ خوري ؛ ارشمندريت ؛ ابرشية ؛ قنديل ؛ قلم ؛ ايقونة ؛ انجيل ، (بواسطة الحبشية ، وقيل غيرها) . ويكاد لا يذكر في جانبها العنصر الحبشي الذي دخل لغتنا الدينية عن طريق نجران واليمن (مائدة ؛ حواري ؛ ناشئة (الليل) احزاب ؛ رجيم ، بمعنى الملعون ؛ منافق ؛ بارك وتبارك ؛ برهان ؛ مشكاة ؛ فطر ؛ منبر ؛ صومعة ؛ سوط ؛ تابوت ؛ مزمور ؛ جبت ؛ طاغوت ؛ ملاك)[1] اما الاصطلاحات العبرانية فهي ولا شك كثيرة في الكتب المذكورة (عليون ؛ ربّ ؛ رباني ؛ ماعون ؛ منهاج ؛ حبر احبار ؛ بهيمة ؛ مسيطر ؛ سكينة ؛ روح ؛ نبيّ ؛ عالم (عولم) ؛ أمّة ؛ أمّي ؛ صنم ؛ صدقة ؛ سفر اسفار ؛ وغيرها) الا انها قليلة بالقياس على الارامية التي يعسر علينا تحديدها حتى لو اقتصرنا على

١) راجع عن الكلمات الحبشية الدينية تأليف شيخ المستشرقين بلا جدال المرحوم Noeldeke: *Neue Beitrage zur semit Sprachwissenschaft*. Strassburg 1910, 46-53

لغة القرآن وحدها وعلى تلك الالفاظ التي لا يشك احد في اشتقاقها من السريانية . اضف الى ذلك ان اكثر الالفاظ العبرانية دخلت لغتنا عن طريق السريانية ، ولهذا نراها اقرب الى اللفظ السرياني والصيغ الارامية منها الى العبرانية [1] .

اما الكتب القانونية التي نرجح انها نقلت الى العربية قبل الاسلام فلا يسعنا ان نثبت فيها لضعف مستنداتنا على اننا نرجح استناداً الى مقارنات ببعض آيات القرآن واسانيد نقلية اخرى انها الآتية :

كتاب التكوين: القرآن ٣ : ٢٥	=	التكوين ١٧ : ١٧
٣ : ٨٧		٩ : ٤
٥ : ١٦		١٧ : ١٤ (والاحبار ٢٦ : ١٥ ، ٤٤)
٧ : ٢١		٣ : ٧
١١ : ٩		١ : ٢ (ومزمور ١٠٦ : ٢)
١٢ : ١٥–١٩		٣٧ : ٢٨–٣٢ و٣٩ : ١٦ الخ
١٢ : ٧٧		٤٤ : ٧–٨ و١٦ - ١٧ الخ

كتاب الخروج: القرآن ٢ : ٦٩	=	الخروج ١٢ : ٦
٥ : ١٠		١٩ : ٢–٨ و٣٤ : ٧
٥ : ٤٩		٢١ : ٢٢–٢٥
٧ : ١٢٤		٣٣ : ١–٧ و١٢ : ٢٨
٧ : ١٢٨		٢٤ : ١٢ (وتثنية الاشتراع ٩ : ٩–١٠)
٧ : ١٤٧–١٥٢		٢٤ : ٩١–١٨
١٠ : ٦٢		٣٢ : ٢٢ الخ

١) هذه اهم الاصطلاحات الارامية : بيعة ؛ عيد ؛ قسّ وقسيس : رهبان : مسيح ؛ حوت : نصارى : سلوى : بهتان ؛ طوفان؛ فرقان وقرآن ؛ قربان : حنيف : سفينة : رجز؛ تاب : حُوب : اسباط ؛ تنّور : جنّة ؛ دين (بمعنى الديانة) سبّح . حكمة (بمعنى *sophia* اليونانية) خلاق ؛ ساعة ؛ صلاة : زكاة ؛ حياة ؛ تبر : صلى ؛ صام وصوم وصيام ؛ طوبى ؛ طور ؛ فاجر ؛ فسّر ؛ قيّوم ؛ قيامة ؛ كتاب ؛ كرسي ؛ ملكوت : ملّة (= كلمة) ؛ ثاني ؛ مُهيمن ؛ راهب ؛ صبغة ؛ صليب ؛ شانئ ؛ شمّاس ؛ هدى ؛ الى غير ذلك مما يصعب حصره وتعداده في مقالة كهذه .

كتاب الاحبار : القرآن ٣ : ١٧٩ = الاحبار ٩ : ٢٤

٤٦ : ٤	١٠ : ٨-٩ و ١٠ : ١٦-١٨
٤ : ٥	١٧ : ١٥ ، ١٨
٤٩ : ٥	١٩ : ٢٤
١٤٧ : ٦	٣ : ١ ، ١٦ ، ١٧ و ٧ : ٢٢
٦٦ : ٨	٢٦ : ٨

كتاب العدد : القرآن ٣ : ١٩١ = العدد ٢٣ : ١٠

٥ : ٣٥	١٣ : ٢٩ ، ٣٣
٧ : ١٥٢	١٤ : ٣٧ و ١٦ : ٣٥ الخ

ك تثنية الاشتراع : القرآن ٢ : ٦٠ و ٥ : ٧٤ = تثنية ١٤ : ٢١

٢ : ٦٩	٢ : ٢٠
٣ : ٨٧	٥ : ٢٧ و ٨ : ٢ ، ٥ و ٥ : ١٩
٣ : ١٥٨	١٨ : ١٥
٣ : ١٨٨	٦ : ٧
٥ : ١	١٤ : ١٢-٢٣ و ٢٩ : ٨
٥ : ٤	١٢ : ١٦ ، ٢٠ ، ٢٧ و ١٤ : ٢-٢١
٥ : ١٠	١٩ : ٢٤
٥ : ٢١	١٤ : ١-٢
٥ : ١٦	٣١ : ١٦
٦ : ٧٤-٧٩	٩ : ١٩
٧ : ١٥٢	٢٨ : ٦٢
٩ : ٩٢	٣٠ : ١-٨

انجيل متى القانوني : القرآن ٢ : ٤١ و ٦٢ : ٥ = متى ٢٣ : ٢ وق ٩ : ٢٤ = ١٠ : ٢٧

٢ : ٢١ ، ٢٧	٢٣ : ٢١ (وارميا ٢٢-٢٧)
٣ : ٢٢٤	٥ : ٢٤ وق ٦ : ٨٩ = ٢٤ : ٢١
٣ : ٢٦٢	١٣ : ٨ وق ٦ : ١٥٩ = ٢٣ : ١٤
٣ : ٢٦٦	٦ : ١-٤ وق ٧ : ٥٦ = ١٣ : ٢٨
٣ : ٢٦٩-٢٧٠	٦ : ٢-٤ وق ٧ : ٢٨ = ١٩ : ٢٤
٣ : ٢٧٢	٦ : ٢-٤ وق ٧ : ١٧٨ = ١٣ : ١٤
٣ : ٢٢	٦ : ١٩
٣ : ٤٥	٢٦ : ٢٥
٣ : ٦٨	١٨ : ٢٤-٢٤ وق ٣ : ٨٥ = ١٦ : ٢٦

١٧٧:٣	٢٤:٢٣ وق ٣:١٨٢ = ٢٨:١٦
١٦٤:٣	٢٩:١٩ وق ٦:١١ = ١٤:٢٣ الخ

كتاب الزبور : القرآن ١٤:٣ = الزبور ٢:٤ وق ٢:٨٧ = ٤:٢٩

٦٩:٢	٨:٩٥ (متى ١٩:٨)
٢٥٦:٢	٢١:١٢١ و١٢:٨٩ و١٣٩:٦ و١٤١:٤
١٢٩:٣	٤:١٣ وق ٥:١٠ = ١٩:١٠٦
٢٢:١٠	٢٢:١٠٧–٤٨ وق ١٤:١٣ = ٢:١٩
٢٩:١٦– ٢	٢:١ (او متى ١٧:٧–١٩)
٢٧:١٦	١٠٦–٢٥ وق ٢:١٦–١٥ = ١٠٢ و١٠٤
٤٦:١٧	٢٠:١٠٣–٢٢ و١٩:٢–٤
٤٢:١٨	٥:٩٠ و٨:٩٢

بقيت عدة مشابهات بين بعض آيات القرآن والانجيل لوقا ، والرسائل الى اهل كورنثوس ، وغلطية ، ورومية ، ورسالة بطرس الثانية ، وتسالونيكة الاولى ، واعمال الرسل ؛ وكتب بعض الانبياء كارميا ، واشعيا . الا ان وجه المشابهة بينها ضعيف يصحّ ان يُفسَّر بتوارد الافكار ، او ان محمداً اخذ هذه الافكار عن افواه الناس . بناء على كل ذلك نرجّح : اولاً ان الكتب المقدسة التي نُقلت الى العربية قبل الاسلام هي التوراة ، اي الخمسة الاسفار الاولى من العهد القديم ، ثمّ كتاب الزبور منه ايضاً ، والانجيل متى من كتب العهد الجديد . وثانياً ان هذه الكتب نُقلت الى لغتنا عن السريانية او الارامية ، لا اليونانية ، واكثر الظن انها نقلت في اديرة سورية وفلسطين وطورسينا وما بين النهرين ، لا في بلاد العرب نفسها . والله اعلم !

الرسم ٢ : المحراث غارزا في الارض

الرسم ٣ : منظر للاسطوانة من ا

الرسم ٤ : منظر ثان للاسطوانة مع محركها الكهربائي يحرسها عامل

الرسم ٥ : الآلة تشتغل في الارض

الرسم ٦ : المحراث يسير بين الاغراس

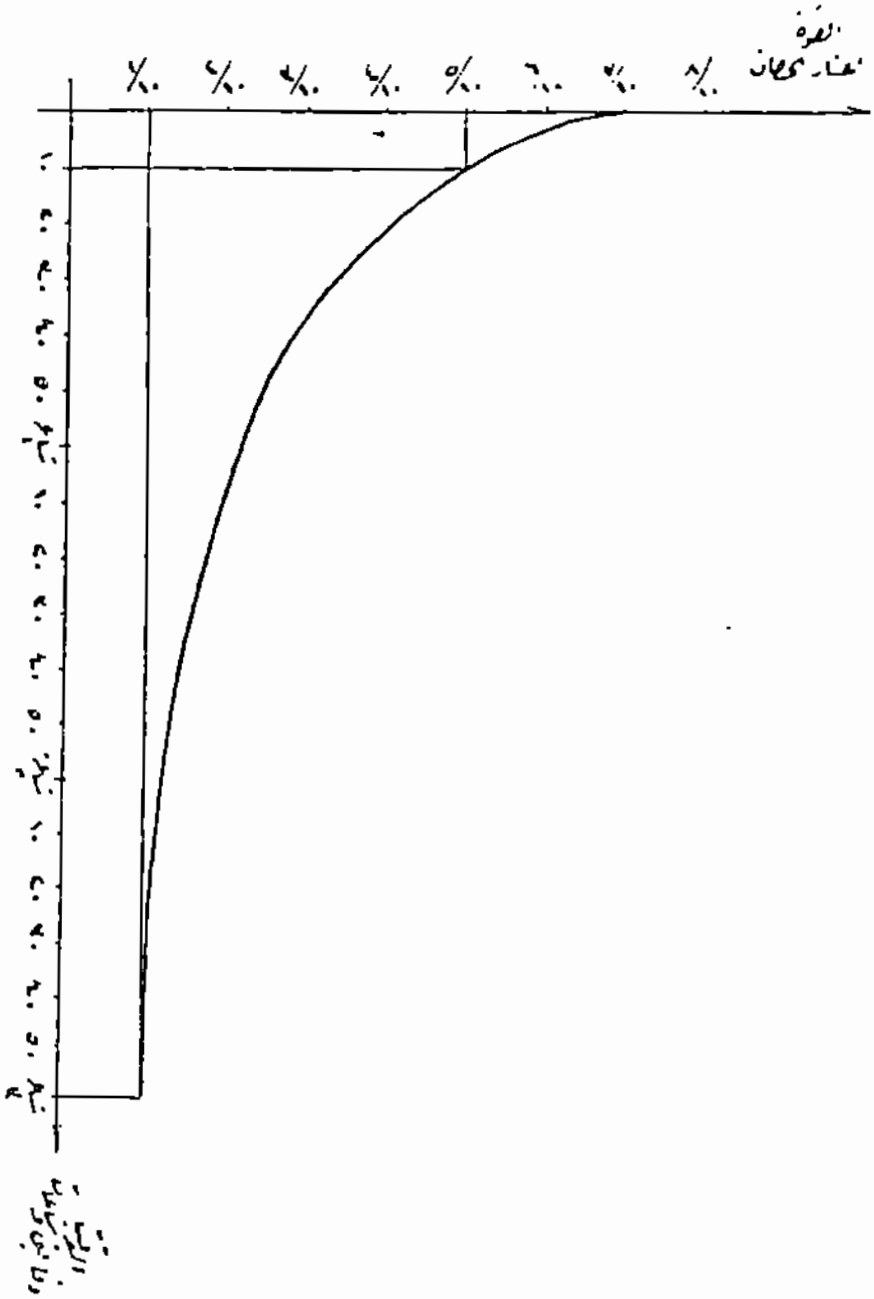

الرسم ١ : كيف تخف قوة الانسان تدريجياً مع متابعة العمل

المناذرة ملوك الحيرة

قرن ونيف من تاريخهم
٤٠٣ - ٥١٤ م

بقلم يوسف غنيمة (بغداد)

٢

(تتمة)

المنذر الاول ابن النعمان الاول

٤٣١ - ٤٧٣ م [١]

كانت أمه هند بنت زيد مناة بن زيد بن عمرالغسّاني[٢] . وقد روى المؤرخ سقراط[٣] انه دخل بلاد الروم فنهب وسلب واحرق وسبى وكان يقصد السير الى القسطنطينية ليفتحها . لكنه لم يفلح ، وأصيب جيشه بكسرة عظيمة ، وقتل منهم مئة الف ويقول الكتبة الارمنيون قتل منهم سبعون الفاً[٤] . ولو دخل الفرس عاصمة النصرانية يومئذ لتغير وجه اوربة ، كما تغير لما فتحها العثمانيون بعد ذلك بالف سنة ونيف . ولكن اوربة نجت يومئذ باضطراب وقع في معسكر المنذر اضطره الى عقد الصلح .

ان رواية حمزة الاصفهاني[٥] التي تنصّ على ان آخر حكم النعمان السائح كان في زمن بهرام جور بن يزدجرد اربع عشرة سنة واربعة اشهر اي من سنة تبوء بهرام سنة ٤٢٠ الى بعد ١٤ سنة ، اي الى سنة ٤٣٤ ، على زعمه ، توقعنا

---

١) يرى دي پرسفال ومن اخذ عنه ان زمن حكم المنذر كان من ٤١٨-٤٦٢

٢) حمزة الاصفهاني ٦٩

٣) تاريخه : ك ٧ ، ف ١٨

٤) النصرانية وآدابها ٨٧

٥) تاريخ سني الملوك ٦٩

في ارتباك تاريخي وتعسر علينا التوفيق بينها وبين رواية سقراط القائلة بغزو المنذر بلاد الروم. لانه بعد عقد الصلح بين بهرام جور واركاديوس سنة ٤٢٢ كما ذكرنا ذلك في تاريخ النعمان الاكبر لم تشب نار الحرب بين الفرس والروم في عهد بهرام جور. ولا تحلّ هذه المشكلة الّا اذا فرضنا ان غزوة المنذر بلاد الروم لم تكن الّا حملة عربية قام بها المنذر مباشرة ولا دخل للفرس بها . او اذا جارينا كوسن دي پرسڤال ، وكايان هوار ، والاب شيخو[1] في تاريخ انتهاء حكم النعمان السائح سنة ٤١٨ اي قبل تبوّء بهرام جور عرش الاكاسرة بسنتين ، وابتدا حكم المنذر الاول سنة ٤١٨ عينها . فحينئذٍ يحق لنا القول باشتراك المنذر الاول في حرب الفرس والروم معاونةً للفرس[2] وانه شهد سنة ٤٢١ اندحار الفرس ، وتكبد جيشه العربي خسائر في هذه الموقعة[3].

وفي هذه الحالة يجب علينا ان نضرب برواية حمزة الاصفهاني عرض الحائط. وعلى كل فلا نتمكن اليوم من البتّ في هذا التاريخ الذي يُعدّ من المغامز الكثيرة في تواريخ آل نصر اللخميين.

الاسود

٤٧٣ – ٤٩٣[4]

قبل ان نتكلم عن حكم الاسود بن المنذر يجدر بنا ان نلمح الى اقوال بعض المؤرخين المحدثين في ملك جعلوه بين المنذر والاسود ، وهو الذي سمّوه النعمان الثاني ابن المنذر الاول وجعلوا حكمه من سنة ٤٦٢ ٤٧١[5]. قال كوسن دي پرسڤال[6] عن النعمان الثاني ما يأتي : لم يذكر هذا الملك حمزة الاصفهاني ولا ابو الفداء في جدول ملوك الحيرة ، وبقي كذلك مجهولًا من العلماء الاوربيين

١) پرسڤال : العرب قبل الاسلام ٢ : ٥٩ ؛ وهوار : تاريخ العرب ١ : ٦٦ ؛ وشيخو : مجاني الادب : ٣ ٢) هوار ١ : ٦٦

٣) سايكس : تاريخ بلاد فارس ١ : ٤٦٧

٤) يجعل پرسڤال حكمه من سنة ٤٧١–٤٩١ وجعل هوار حكمه ٤٦٢–٤٨٢

٥) كوسن دي پرسڤال وشيخو وادي شير وغيرهم. الا ان هوار لا يعده من ملوك الحيرة.

٦) كتابه العرب قبل الاسلام ٢ : ٦٤

الذين اشتغلوا بهذا القسم من تاريخ العرب . واول من اقرّ منهم وجوب تدوين اسم النعمان بن المنذر الاول هو م. س. مارتن[1] استناداً الى شهادة الطبري شهادة وضعية . واما المسعودي[2] فانه يؤيد كل التأييد هذه الفكرة ويذكر بعد المنذر الاول توّاً ابنه النعمان وينسب اليه تأليف الكتيبتين الشهباء والدوسر اللتين ينسبها غيره من مؤرخي العرب الى النعمان الاول ، وجعل حكمه ٣٥ سنه . وقال : كانت امه هند بنت زيد بن مناة من آل غسان[3] . وقد ذكره الطبري[4] في رأس جيش العرب الذين عضدوا بهرام جور لاسترداد ملك الاكاسرة في زمن ابيه المنذر الاول ابن النعمان . وجاء في رواية[5] ان النعمان بن المنذر الذي ظهر في العمل الذي قام به ابوه المنذر الاول لمعاضدة بهرام جور في استرجاع حقوقه بقي في بلاط الاكاسرة مدة حياة بهرام بين مصاف كبار الضباط مرتبطاً بهذا الملك . وجاء ايضاً[6] ان اولاد المنذر ، وهم النعمان والاسود والمنذر الثاني ، تعاقبوا بالتتابع على حكم الحيرة بعد وفاة ابيهم . الّا ان اخبارهم اتت مضطربة ولا تصلح ان تكون سنداً للتاريخ . وجاء في مجاني الادب[7] وشعراء النصرانية وكان وزيره عدي ابن زيد فنصّره فترهّد .

الى هنا نمسك القلم في تاريخ النعمان الثاني الذي ذكره بعضهم ولم ندخله في جدولنا عن ملوك الحيرة ، لان زيادة البحث في هذا الموضوع المعقّد يزيد تاريخ آل نصر في هذه الحقبة ارتباكاً وغموضاً .

لنرجع الآن الى الاسود الاول ونقول : روى حمزة الاصفهاني[8] . كانت امه هرّ بنت النعمان وهي من بني الهيجانية من لخم . وذكر المسعودي[9] اسمها هند بنت الهيجانية من آل نصر . ويؤخذ من قول ابي الفداء انه حارب الغساسنة عرب الشام وانتصر عليهم واسر عدة من ملوكهم واراد ان يعفو عنهم .

---

١) *Histoire du Bas Empire de* Lebeau, *V*: 407
٢) مروج الذهب ٣: ١٩٩
٣) مروج الذهب ٣: ١٩٩
٤) ٢: ٧٣
٥) ميرخوند ترجمة ساسي ٢٣٣
٦) شيخو: النصرانية وآدابها ٨٧
٧) ٣: ٢٠٨
٨) ص ٦١
٩) مروج الذهب ٣: ١٩٩

ولكن ابن عمه أذينة اغراه بقتلهم انتقاماً منهم لانهم كانوا قد قتلوا له اخاً وانشد في ذلك قصيدته المشهورة :

ما كلّ يوم ينال المرء ما طلبا ... ولا يسوّغه المقدار ما وهبا ،
واحزم الناس من ، ان فرصة عرضت ، ... لم يجعل السبب الموصول منقضبا ،
وانصف الناس في كل المواطن من ... سقى المعادين بالكاس الذي شربا ،
وليس يظلمهم من راح يضربهم ... بحدّ سيفٍ به من قبلهم ضربا .
والعفو ، الا عن الاكفاء ، مكرمة . ... من قال غير الذي قد قلته كذبا .
قتلت عمرًا وتستبقي يزيد لقد ... رأيت رأياً يجرّ الويلَ والحربا .
لا تقطعن ذنب الافعى وترسلها ، ... ان كنت شهماً ، فاتبع راسها الذنبا !
هم جردوا السيف فاجعلهم له جزرًا ، ... واوقدوا النار فاجعلهم لها حطبا ،
واذكر بنجاهم مثوى ابي كرب ... فيهم وحبس عديّ عندهم حقبا [1]
وسيف جدك لمّا ان اضربهم ... جاؤا به لك في اسلابهم سلبا ،
لا عفو عن مثلهم في مثل ما طلبوا ، ... وان يكن ذاك كان الهلك والعطبا .
ان تعفُ عنهم يقول الناس كلهم ... لم يعفُ حلماً ، ولكن عفوه رهبا .
وان احسن من ذا العفو لو هزموا ؟ ... لكن هم طلبوا من سيفك الهربا .
هم اهلة غسّان ، ومجدهم ... عالٍ ، فان حاولوا ملكاً فلا عجبا !
ايحلبون دماً منا ، ونحلبهم ... رسلًا ؟ لقد شرفونا في الورى حلبا !
علامَ تقبل منهم فدية ، وهم ... لا فضة قبلوا منا ولا ذهبا ؟
اسق الكلابَ غدًا من قنية دمها ... عند البرية تستقي به الكلبا [2]
لو لم يسر جاز ان تعفو مجاوزةً ... والليث لا يحسن النقبا اذا وثبا

وقال ابن الاثير خلاف ذلك ، ان الاسود قتلته غسان وانتصرت عليه [3] . وذكر غيرهما غير ذلك . وجاء في بعض الروايات ان الفرس سجنت الاسود

١) لم يذكر ابو الفداء هذا البيت والبيتين اللذين عقباه ، بل ذكرهما الوطواط . راجع شرح مجاني الادب (٧ : ٩٨٤)

٢) لم يذكر ابو الفداء البيتين الاخيرين بل ذكرهما الوطواط .

٣) ابو الفداء ١ : ٧١ : والغرماني ص ٢٤٠ .

عشرين سنة[1]. ويقال انه كان له ابن اسمه شرحبيل كانت ترضعه سلمى بنت ظالم، اخت الحارث بن ظالم، وامرأة سنان بن ابي حارثة. فقتله الحارث بن ظالم، وهرب. فغزا الاسود بني ذبيان اذ نقضوا العهد وبني اسد بشط اريك[2]. فقتل فيهم قتلاً ذريعاً وسبى واستاق اموالهم. ووجد نعل ابنه شرحبيل عند أضاخ وهو من الشربة[3] في بني محارب بن حفصة بن قيس عيلان. فاحمى لهم الاسود الصفا التي بصحراء أضاخ[4]. وقال لهم اني احذيكم نعالاً، فامشاهم على الصفا المحمي فتساقط لحم اقدامهم. وقيل ان الحرث بن سفيان دفع الى الاسود دية ابنه الف بعير، وهي دية الملوك[5].

ويقال انه كان للاسود كتيبة شديدة البأس ألقت الرعب في قلوب العرب اسمها الملجأ[6].

وقبل ان نختم هذا البحث لا بد لنا من التنبيه مرة أخرى الى ان اقوال المؤرخين متضاربة في وقائع الحارث بن ظالم. فمنهم من قال انها مع النعمان بن امرئ القيس، ومنهم من قال انها مع حفيده الاسود بن المنذر او مع النعمان ابن المنذر اخي الاسود هذا![7] ولا يبعد انهم جميعاً اشتركوا في حرب بني دارم من تميم قبل يوم رحرحان، وفي يوم رحرحان، وما بعده. وان العداء دام طويلاً ووقعت كل هذه الامور متتابعاً لانتقام كل طرف من خصمه في دوره، مثلما يقع للعرب حتى في يومنا هذا. ونظن ان هذا الرأي وحده يوفق بين مختلف روايات المؤرخين في يوم رحرحان، على ما مرّ بنا اعلاه في تاريخ النعمان بن امرئ القيس.

---

١) الطبري ٢: ٨٦؛ وهوار ١: ٦٦.

٢) جبل او واد في البادية الى جنب النفرة، ورد ذكره في اشعارهم.

٣) أضاخ من قرى اليمامة؛ وله ذكر في قصة امرئ القيس. والشربة بين السليلة والربذة وقيل بنجد.

٤) مرّ ذكرها، قال الاصمعي: ومن مياههم الرّسيس ثم الاراطة وبينها وبين اضاخ ليلة واضاخ سوق وهي معدن البرم.

٥) الاغاني ١٠: ٢٢-٢٣ ٦) كذلك ص ٢١

٧) ابن الاثير ١: ٢٢٣؛ والاغاني ١٠: ٢٨

المنذر الثاني ابن المنذر الاول

٤٩٣ – ٥٠٠[١]

لا نعرف الا الشيء النزر عن تاريخ هذا الملك . فقد روى الاصفهاني[٢] ان اسم امه هر ، وحكم سبع سنوات في عهد قباذ بن فيروز ، ولم نقف على غير ذلك مهما استقصينا البحث في المصادر التي بين ايدينا .

النعمان الثاني ابن الاسود[٣]

٥٠٠ – ٥٠٤م

ملك النعمان بن الاسود بعد عمه المنذر . وقد اغفل ذكره ابو الفداء[٤] ، ولكن ذكره غيره من مؤرخي العرب كالطبري[٥] ، وحمزة الاصفهاني[٦] ، وابن الاثير[٧] . ولا نعلم كيف ساغ لكوسن دي پرسڤال[٨] ان يقول لم يذكر هذا الامير ابو الفداء ولامعظم المؤرخين العرب . ونسب العثور على اسمه للمؤرخ م. تيكسرون استناداً الى الاخبار التي نقلها الينا الكتبة اليونان والسريان ، ثم أيدها حمزة الاصفهاني . مع اننا رأينا الطبري وابن الاثير ذكراه .

قال حمزة الاصفهاني : امه ام الملك بنت عمرو بن حجر ، أخت الحارث بن عمرو بن حجر الكندي[٩] . جاء كتبة العرب باسم هذا الملك على ما راينا فريق هذا ، ولكن لم يزودونا باخباره . فسدّ كتبة اليونان والسريان هذه الثلمة[١٠] . حكم النعمان في زمن قباذ ملك الفرس فثارت الحرب بين الفرس

١) يجعل بعض المؤرخين حكمه ٤٩١–٤٩٨ ومنهم كوسن دي پرسڤال .

٢) تاريخ ملوك الارض والانبياء ص ٦٩

٣) يعتبر بعضهم النعمان بن الاسود هذا النعمان الثالث لانهم ادخلوا في جدول ملوك الحيرة النعمان ابن المنذر ، وجعلوا ايام حكمه بعد ابيه المنذر الاول وقبل اخيه الاسود ، كما مرّ بنا .

٤) تاريخه ١ : ٧١

٥) تاريخه ٢ : ٩٤

٦) تاريخه ص ٦٩

٧) الكامل ١ : ١٧٢

٨) كتابه الفرنسي في تاريخ العرب قبل الاسلام ٢ : ٦٧

٩) ص ٦٩

١٠) زيدان : العرب قبل الاسلام ١ : ٢٠٦

والروم في تلك المطاوي ، وكان على الروم القيصر انستاس[1] . فاستعان قباذ بالنعمان فاجابه وصال في سورية على الفرات واقلق كل القلق الروم وحلفاءهم العرب . فطارده اوجين حاكم مدينة بترابسي ، وتسمى اليوم البثر على ضفاف الفرات ، وارجعه على اعقابه . ولكنه عاد فاشترك في الحرب سنة ٥٠٤ ، وعهد اليه قباذ ان يلقي بذور الاضطراب في حران حيث كسر كراسوس (Crassus) ولما كانت الحرب سجالاً غلب على امره ، وانتصر عليه كراسوس . فلم يفشل بهذه الكسرة ، بل استأنف الكرة عليهما وضربهما ضربة اليمة قرب تل موزان . وغزا من حران الى الرُّها واسر الاسرى ، ويقال انه سبى من اهلها ١٨٥٠٠ نسمة[2] وتوجه الى الخابور قرب قرقيسيا . ولكنه دحر هناك ومني بخسائر . ويقال انه جرح في رأسه في هذه الحرب ، ومات من جروحه[3] .

ويظن الاب شيخو[4] ان مؤرخي الروم ارادوا النعمان بن الاسود ، لمّا قالوا ان ملك العرب طلب من قباذ عند فتح الفرس مدينة آمد ان لا يصيب باذى من التجأ الى كنيسة الاربعين شهيداً واخبر يوشع العمودي[5] المؤرخ السرياني ان النعمان مشى اخيراً الى محاربة الرُّها مع قباذ ، ولمّا نهاهما عن ذلك احد ضباط جيشه وذكر له قصة الجر ملك الرها والسيد المسيح غضب عليه النعمان وشتم دينه . وكان ذلك داعياً الى موته اذ انتقض جرحه السابق فمات .

وفي تضاعيف حكم النعمان تعدّى بكر وتغلب على حدود العراق فجرد

---

١) سايكس : تاريخ فارس بالانكليزية ١ : ٤٧٦

٢) اذي شير : كلدر وآثور ٢ : ٣٠٩

٣) پرسقال ٢ : ٦٧ – ٦٨ وكليان هوار ٤ : ٦٦ . ولا بدّ من التنبيه هنا ان پرسقال وهرار يجعلان حكم النعمان هذا ٤٩٨ – ٥٠٣ واول حروبه في البثر سنة ٤٩٨ والثانية ٥٠٢ عوضاً عن سنة ٥٠٤ المذكورة في المتن اعلاه .

٤) النصرانية وآدابها ص ٨٨

٥) Josué le Stylite, Edition Martin, 429 والمكتبة الشرقية للسمعاني ١ : ٢٧٦ ، والعرب قبل الاسلام لزيدان ١ : ٣٠٩ ؛ وشيخو : النصرانية وآدابها ٨٨ .

عليهم جيشاً بقيادة ابنه امرئ القيس . ولم يحضر المعركة لانه كان مع قباذ في محاصرة الرُّها ، فهجم الاعداء على الحيرة لاتفاقهم والروم على المناذرة[1] .

قصارى القول ان النعمان بن الاسود قضى مدة حكمه القصيرة ، وهو خارج الحيرة يحارب الروم في سورية والجزيرة ، وابلى بلاء حسناً[2] . وعند وفاته عين قباذ خليفة له رجلاً دخيلاً ليس من آل نصر .

ابو يعفر علقمة

٥٠٤ — ٥٠٧

بعد وفاة النعمان بن الاسود أقام قباذ رجلاً دخيلاً على حكم الحيرة ، وهو ابو يعفر علقمة ، وهو ابن علقمة بن مالك بن عدي بن الذميل بن ثور بن اسس ابن ربي بن نارة بن لخم[3] . لم يكن هذا الرجل من آل عمر ، السلالة الحاكمة في الحيرة ، بل كان من ذميل وذميل بطن من لخم فهو من اشراف الحيرة فقط . وقد دعاه يوشع العمودي المؤرخ ابا الفداء[4] . فتولية الحكم رجلاً دخيلاً بوجود ولد للنعمان بن الاسود يعد غرابة ، ولاسيما وان النعمان خدم قباذ والدولة الفارسية في الحروب والقتال ، الّا اذا فرضنا ان علقمة لم يكن ملكاً بل عينه قباذ لتدبير شؤون الحيرة موقتاً ، ربما كان ذلك لغياب امرئ القيس بن النعمان عن الحيرة وانشغاله في ساحة الحرب نصرة للفرس على الروم[5] .

امرؤ القيس الثالث

٥٠٧—٥١٤

تولّى عرش المناذرة بعد ابي يعفر علقمة الدخيل . قال بعضهم ان امرء

١) كليان هوار : تاريخ العرب ١ : ٢٦٦ .
٢) زيدان : العرب قبل الإسلام ص ٢٠٩ .
٣) الطبري ٢ : ٩٤ . ٤) شيخو : النصرانية وآدابها ص ٨٨ .
٥) برسفال : تاريخ العرب قبل الاسلام ٢ : ٢٢ . يذكر لابور في كتابه النصرانية في مملكة فارس (ص ١٥٠) عقد الصلح بين قباذ ريوستنيانس الاول سنة ٥٠٦ .

القيس الثالث هو ابن النعمان الاعور[١] . وقال بعضهم ان ذلك خطاء. فهو ابن النعمان الثاني ابن الاسود بن المنذر بن النعمان الاعور[٢]. ولم يذكره بين ملوك الحيرة الطبري[٣] ولا ابن الاثير[٤] ، ولا المسعودي[٥] . ولكن ذكره غيرهم ، وهم حمزة الاصفهاني[٦] ، وابو الفداء[٧] ، وابو الوليد محمد بن الشحنة[٨] ، والقرماني[٩]. وقيل لما ولي الحكم كان متقدماً في السن[١٠].

روى حمزة الاصفهاني[١١] ان امرء القيس هذا هو الذي غزا بكرًا يوم اوارة. والارجح عندنا ان عمرو بن هند غزا بكرًا وتميماً يوم اوارة ولكن لا ندري هل حارب بكرًا في ايامه انتقاماً منهم لاجتياحهم الحيرة ايام ابيه كما مرّ بنا ، وانتصر عليهم في غير يوم اوارة ، فالتبس الامر على الاصفهاني واتخذه لهذه الوقعة بطل اوارة وهماً . وهذا الفرض وحده يوفق بين رواية الاصفهاني وروايات المؤرخين الآخرين في يوم اوارة.

وجاء عن امرئ القيس[١٢] انه حارب ربيعة بن نزار في البحرين ونجد ، واختطف منهم ماء السماء التي تزوجها. وفي غزوة ثانية اسرته قبيلة شيبان . ولم ينل حريته الا بفدية كبيرة . وكان كل ذلك قبل تملكه الحيرة . وكان الخصام بين بني بكر واللخميين بلغ اشده ، ولم ينته الا بعد ان زوج امرؤ القيس ابنه المنذر بهند بنت الحارث بن عمرو بن حجر الكندي.

وينسب اليه بناء القصرين الشهيرين[١٣] في الحيرة ، وهما الخنبر والغذيب، وقد اسهبنا في وصفهما في الفصل الذي عقدناه في كتابنا بعنوان قصور الحيرة.

١) حمزة الاصفهاني ٦٩ : وابو الفداء ١ : ٧١ : ومجاني الادب ٧ : ٥٠٨
٢) الطريحي : تاريخ ملوك الحيرة ٤٧
٣) تاريخه ٢ : ٩٤ ٤) الكامل ١ : ١٢٧
٥) مروج الذهب ٣ : ٣٠٠ ٦) تاريخه ص ٦٩
٧) تاريخه ١ : ٧١
٨) روضة المناظر في اخبار الاوائل والاواخر ، على هامش الكامل لابن الاثير ٧ : ٥٦
٩) تاريخه ٢٤٠ ١٠) شرح مجاني الادب ٧ : ٥٠٨
١١) ٦٩ ١٢) كوسن دي برسفال : العرب قبل الاسلام ٢ : ١٢-٧٥
١٣) مجاني الادب ٣ : ٣٠٨

قبل ان نختم هذا الفصل لا بدّ من القول ان مذهب نسطور كان قد انتشر في هذه الحقبة في بلاد فارس . سعى في بثه برصوما النصيبيني بكل حماس ، وتوسّل بالوسائل المختلفة لتوطيد أسسه . وأغرى السلطة الفارسية لتعزيز شأنه لاقامة حواجز وفواصل بين نصارى فارس ونصارى مملكة الروم . روى ابن العبري[1] ان برصوما قال للملك هرمز الثالث فيروز : ان لم نعلن في الشرق عقيدة تختلف عن عقيدة امبراطور الروم لا يخلص لك تبعتك النصارى ابداً . اعطني جيوشاً فاجعل جميع نصارى مملكتك نساطرة . حتى انهم يكرهون الروم والروم يبغضونهم . ووشى برصوما ببطريرك المدائن بابوي فصلبه كسرى فيروز (+ ٤٨١) واخذ المؤمنون جسده ودفنوه بالحيرة[2] . لان شمعون اسقف الحيرة كان ضدّ برصوما ، واصدر برصوما رسالة حرم بها بعض الاساقفة ، ومنهم اسقف الحيرة[3] . ولكن البطريرك بابوي كان قد استدعى بعض الاساقفة ومنهم شمعون اسقف الحيرة وحرموا برصوما واشياعه[4] . وبعد ان انتصر المذهب النسطوري في بلاد فارس نزى نصارى الحيرة شديدي التمسك به وقاوموا مذهب الطبيعة الواحد المنوفستية بعد نضال عظيم . وكان رسوله الحميم شمعون اسقف بيت ارشم . بدأ يبث المذهب المنوفستي في الحيرة حيث تلمذ له الاشراف وبنى البيع ثم ذهب الى المدائن[5] . وكان داعية شمعون الارشامي الحجاج بن قيس الحيري ، احد اصحاب ملك الحيرة[6] ، فجادلهم البطريرك شيلا (٥٠٥–٥٢٣ م) وسعى النساطرة باليعاقبة عند السلطة الفارسية مدّعين انهم متحزّبون للروم . وبعد نضال عظيم انتصرت النساطرة على المنوفستية في الحيرة[7] . وقد اسهبنا البحث في هذا الموضوع في الفصل الذي عقدناه في كتابنا عن اديان اهل الحيرة .

---

١) لابور : النصرانية في فارس ص ١٣٥ ٢) عمرو بن متى : المجدل ٣١
٣) لابور ١٤٢ ٤) شابو الشهدوسات الشرقية ص ٥٢١
٥) دوفال : الآداب السريانية ١٤٨–١٥٢ و١٦٢–٢٦٠
٦) ادي شير : كلدو واثور ٣ : ٤ : ١
٧) كذلك ؛ نصري : ذخيرة الاذهان ١ : ١٦٨

الفقه الاسلامي

تاريخه وتطوّراته

بقلم الاب لامنس اليسوعي

١

نشأة الفقه

ان انتشار الدين الاسلامي خارج حدود الجزيرة العربيـة ، مع انشاء الخلافة وتنظيم مؤسساتها ، دفع الى تقرير « الفقه » ، ومعناه الاصلي الفطنة والحكمة. فهو يقابل اذاً مثيله عند الرومانيين (juris, prudentia) ويشبه الحقّ الروماني ايضاً بتجديده القائل انه علم بالاحكام والشرائع الالهية والبشرية (rerum divinarum atque humanarum notitia) الا ان تحديد الفقه الاسلامي لا يتسع لما يتسع له تحديد الحقّ الروماني. اما في ما خصّ موضوع هذا الفقه فان النظرية الاسلامية السنية تقرّر، خلافاً للمعتزلة ، انه ليس من اعمال حسنة او سيئة بحدّ نفسها وخارجاً عن احكام الشريعة المنزلة. وان القيمة الادبيّة للاعمال تتعلّق بارادة الله وحدها ، تلك الارادة المدوّنة في القرآن. فالاسلام اذاً ، في جوهره ، ديانة شرعية صرفة . وليس فيه ما يُترك لاختيار المؤمن او لتقديره الشخصي. وعليه فان الفقه يشمل جميع الواجبات التي تفرضها الشريعة القرآنية على المسلم بصفته المثلّثة مؤمناً ، ورجلاً ، وفرداً من رعية حكومة دينية . فيكون نصّ القرآن ، في نظره ، « خطبة في التاريخ العام » يطلعه على مصير الشعوب من حيث تطوّراتها الدينية ، ويظهر له سموّ الجماعة الاسلامية على ما سواها من الجماعات البشرية . ويكون للشريعة ان تشرح وتؤوّل هذا الوحي الالهي، فتفرض على المؤمنين احكام الحقوق الشخصية ،

والجزائية ، والحق العام ، والحق الدولي بما يجرّه من تحديد للعلاقات بين المسلمين وغيرهم . ثم تفرض عليهم تنظيم حياتهم الدينية والسياسية والاجتماعية تراقب مظاهرها المتنوّعة وترتبها كلها على رغم تشعباتها ، حتى لا يبقى عمل واحد دون صفة مميزة ، بل ترى جميعها مقسومة الى « واجبات » او « فروض » ، والى اعمال « مباحة » او «جائزة » ، والى اعمال « محرّمة » او « مكروهة » فقط . ثم ان هذه الشريعة لا تقف عند حدود ارضية بل تتعلق بالمؤمن وتتبعه أنى ذهب حتى في «دار الحرب»، فليس للمؤمن من جنسية الا الجنسية الاسلامية . ولا تعتبر الشريعة غيرها ، اذ تسم كل عمل يأتيه المسلم بسمته الخاصة .

فنتج من ذلك ان الفقهاء او العلماء المتمكنين على هذه الدروس كانوا ، فوق صفتهم القضائية او الفقهية ، لاهوتيين واخلاقيين تحيطهم الشريعة الالهية باطار خاص يشير الى انهم مفسرو تلك الشريعة السامية . هذا في اول الامر . ثم اخذ القوم يميزون بين « المتكلم » او اللاهوتي المهتم بعقائد الايمان و«الفقيه» العاكف على درس الحق الوضعي او الواجبات . ذاك الحقّ الذي تأثر في بعض اقسامه بالحقوق الاجنبية كالحقّ التلمودي البادي اثره خصوصاً منذ هجرة النبي الى المدينة والحقّ الروماني - البيزنطي الذي كان منتشراً في انحاء سورية ومصر عندما وصل اليها العرب . على ان اختراع الاحاديث مكّن الفقهاء من ان ينسبوا الى النبي او الى كبار الصحابة كل المقتبسات الاجنبية . ثم اتى الاجماع فادخل كل هذه العناصر الغريبة وبلدها ، ومزجها بغيرها من العناصر الاصلية الوطنية ، فألف منها مجموعاً متماسكاً حتى ان الناظر الى الفقه الاسلامي اليوم يشعر بوحدة ظاهرة بل بابتكار واضح .

« اصول » الفقه

اذا اخذنا بالوجهة النظرية نرى ان الفقه حقٌ موحى بكلياته وجزئياته . وعليه فهو متّصف بالجمود بعيد عن المرونة وقابلية التنوّع . وهو يستمدّ حياته من الاصلين المهمين في الوحي الاسلامي وهما القرآن والسُنّة . هذا من الوجهة النظرية . اما من حيث العمليات فان الحاجة لم تلبث ان اجتهدت في توسيع هذا المدلول

النظري لاجئة الى غير ما تقدّم من « الاصول » . وكما ان السُنة اتت شارحةً ومتممةً القرآن ، كذلك دُفع القوم بالاختبار الى القول ان الفقه لا يستغني عن معونة المنطق . فتقرّر من ثمّ ان تُحلّ المشاكل الجديدة بان يُطبّق عليها مبادئ وُضعت لما شابهها من المشاكل السابقة . كما استُنتج مثلاً من كون الخمر محرّمة تحريم كل شراب مسكر . وكما استُنتج ايضاً من كون « الميتة » ، وهي لحم الحيوان الميت ، تصبح حلالاً في الضرورة القصوى ، قاعدة قائلة ان ليس للحاجة من شريعة . وهكذا اصبح «القياس» اصلاً جديداً من اصول الفقه ، على رغم بعض الاحاديث المعاكسة التي اوردها البخاري في « صحيحه » . على انه اذا كان في القرآن او في السنة حكم سابق يعاكس ما قد يحكم به القياس فلا يمكن ان يتعدّى هذا الاصل حكم الاصلين السابقين . من ذلك ان السارق تقطع يده ، ولكن لا يقطع لسان النمّام او المجدّف كما قد يحكم به القياس . ومن ذلك ايضاً ان « الكلب الاسود يقطع الصلاة » ولكن لا يقطعها سائر الكلاب ، لان الحديث نصّ على « كلب اسود » . وهلمّ جرّاً . وهناك « اصل » رابع للفقه وهو ما يدعى « بالاجماع » المقابل لما كان يعرفه الرومانيون بـ «Consensus universalis » وسنتكلم عنه بعيد هذا . واخيراً ان لم يكن للفقهاء من نصّ واضح في القرآن او في السنة ، وان لم يكن من سابق يمكنهم ان يقيسوا عليه ، فانهم يلجأون الى « الرأي » او الحكم البشري . على انه من المقرّر ضمنياً ان الالتجاء الى هذه الطريقة لا يمكن ان يكون الا من قبيل الشذوذ ولا يمكنه ان يخوّل « الرأي » الحقّ بان يُعتبر « اصلاً » خامساً للفقه . وهو تحديد نظري ليس غير . وهناك ايضاً من « اصول » الفقه الثنوية ما يُطلق عليه اسم « العُرف » او « العادة » ، وهو الامر الذي يستند الى الفائدة العامة الدائمة ولا يُخالف في شيء الاصلين الاولين اي القرآن والسُنة . ثم تأتي ايضاً « المصلحة » او الخير العام ، وهو غاية الشريعة . وقد توسّع الحنفيون بهذا المبدأ فولّدوا « الاستحسان » يأخذون به عندما يرون ان نتائج القياس الدقيقة قد تؤول الى ضرر كبير .

المذاهب القديمة

ان من يعتبر اصول الفقه المختلفة ويرى فيها تفوّق العناصر التقليدية او النظرية ظاهرًا كان ام ضمنيًا ، ويعتبر من جهة اخرى اهمية كل من الاصول الاربعة حقيقيةً كانت ام مزعومة ، لا يلبث ان يتوقع ظهور طرق مختلفة في الاستنباط والتطبيق. وهكذا كان. اما هذه الطرق او المدارس الفقهية فتعرف باسم « المذاهب » . وقد نشأت من عهد قديم اذ كان كلّ من الفقهاء يفتش عن طريقه ، فحصل تنوّع مهمّ في الآراء ولاحكام ادّى، في كثير من الاحيان ، الى مناظرات قوية بل الى عراك فعلي في الاسواق والمجامع. وكان على المظنونين بانهم من اصحاب « الرأي »، المنصرفين الى هذا الاصل اكثر من انصرافهم الى القرآن والسنّة ، ان يبذلوا الجهد كلّه في تلك المعارك كي يحصلوا على مكان مُرضٍ . على ان تلك المناظرات الشديدة لم تكن في سبيل تعزيز المبادئ وحدها ، بل كانت خصوصاً ، وقبل كل شيء، في سبيل استهواء الجماعات من الشعب ، وفي سبيل الحصول على رضى السلطة ، وهي وحدها توزّع المناصب القضائية. الّا ان تلك المذاهب القديمة لم تلبث ان تلاشت الواحد بعد الاخر على اثر الحملات القوية التي كانت تقوم بها منافساتها من المذاهب الجديدة . هكذا تلاشى مذهب الامام الاوزاعي السوري († ٧٧٤). وهكذا تلاشى ايضاً مذهب المؤرخ والمفسّر المشهور الطبري. وهكذا كان نصيب المذهب الظاهري الذي اسسه داود بن علي († ٨٨٣) والذي انتشر في بلاد فارس والاندلس والمغرب . وقد دعي بالظاهري — ويُدعى بالداودي ايضاً نسبةً الى المؤسس — لان اصحابه لا يقبلون من اصول الفقه الا القرآن والسنة وهم يشرحونها حسب المعنى « الظاهر » او الحرفي الخارجي ، معرضين اشدّ الاعراض عن كل العناصر النظرية والشروح التأويلية . على انهم قد يعودون اليها احياناً بطرق غير مباشرة . من ذلك ان القرآن يحرّم على المرء ان يشتم والديه (١٧ : ٢٤) فتستنتج جميع المذاهب انه يحرّم ضرب الوالدين ايضاً . اما الظاهرية فيقولون ان الامر « مفهوم » فلا حاجة الى ذكره . ومن ذلك ان بعض الاحاديث يحرّم

« الشرب » في آنية الذهب والفضة . فيستنتج السنيون انه يحرّم الاكل فيها ايضاً . اما الظاهرية فلا يقرّون ذلك بل يكتفون بالنصّ الحرفي . . .

المذاهب السنيّة

على انه اعتباراً من القرن السابع الهجري ، هدأت هذه المعارك الفكرية ، واجمع القوم على اقرار اربعة مذاهب اعتُبرت كلّها سُنّية اي صحيحة ارثوذكسية ، كما نقول . اما انتشار هذه المذاهب في المناطق المختلفة فكان مسبباً عن علل ثنوية بسيطة اكثر منه عن اسباب جوهرية . من ذلك ان تابعي المذهب كانوا اقل تعلّقاً بقيمة المذهب نفسه منهم بشخصية الامام المؤسس او بشخصيات تلامذته النابغين ، كما تحقق ذلك في ابي يوسف القاضي عند الحنفية وفي تلميذه الامام الشيباني († ٨٠٥) . وكانوا يتأثرون خصوصاً بميل السلطة الى احد المذاهب وبتدخلها الفعلي في نشره كما فعل امراء الاتراك في نشر المذهب الحنفي حيثما كانوا يحلّون . من ذلك ايضاً ما يلاحظه بكل دقة وصواب الجغرافي المقدسي اذ يقول ان المذهب الشامي الذي اسسه الامام الاوزاعي والذي بلغ انتشاره بلاد الاندلس ، كان سبب تلاشيه المطّرد انه كان ، في مناطق انتشاره الجغرافية ، خارجاً عن الطرق المتّبعة في سير الحجّاج الى مكة .

اما مذهب الامام الشافعي († ٨١٩) الذي درّس مدة في بغداد ، فقد انتشر انتشاراً يُذكر في اول عهد العبّاسيين الذين كان يمتّ اليهم المؤسس بصلة النسب ، وظلّ على تفوّقه حتى ظهر ابو يوسف تلميذ الامام ابي حنيفة ، فنازعه التفوّق في العراق . اما في سورية فطرد المذهبُ الشافعي المذهبَ الاوزاعي المذكور آنفاً . وكان ان اتى بعد ذلك الحنابلة فاجهزوا على هذا المذهب السوري الوطني . وكان الشوافع قد ساروا من العراق منتشرين على شواطئ خليج العجم ، وفي جنوبي الجزيرة العربية انتشارهم في افريقية الشرقية ، والارخبيل الهندي ، وفلسطين ، والحجاز ، ومصر السفلى . وفي القاهرة قبر الامام المؤسس مع الجامع الازهر الشهير ، الذي أسسه الفاطميون ، والذي يوزّع اليوم على طلّابه الآتين من مختلف انحاء العالم الاسلامي ، التعليم الشافعي . هذا وقد

اشتهر كثير من العلماء الشافعيين كالغزالي ، والنسائي المحدث صاحب «السنن» ، والاشعري ، والماوردي († ١٠٥٨) وغيرهم .

اما مذهب الامام مالك بن أنس (†٧٩٥) فقد نشأ في المدينة،مهد الحديث الاصلي و«دار السُنة» . فهو يزعم اذا انه يحفظ العقيدة صحيحةً طاهرة راقياً في احكامه الى السنة الاولى التي تبعها النبي واصحابه الاولون . وقد دوّن «مُوطأ» مالك العادات الجارية في المدينة ، وشريعة الحجاز التقليدية وقد تجاوز هذا المذهب الحجاز فانتشر في الاندلس حيث حلّ محلّ المذهب الاوزاعي، وعمل اصحابه بكل ما اوتوا من الوسائط في سبيل اقصاء المذاهب السنية الاخرى. ولا يزال منتشراً حتى اليوم في المغرب ، وافريقية الغربية ، والسودان ، وفي سائر انحاء افريقية الشمالية ما عدا مصر السفلى ، ومذهبها شافعي كما ذكرنا. ثم في المناطق العربية المحاذية لخليج العجم .

واما المذهب الحنفي المنسوب الى ابي حنيفة(† ٧٦٧) فسائد في جميع البلاد التركية ، والبلاد التي انفصلت عن السلطنة العثمانية — وقد نشر الاتراك كما قدمنا المذهب الحنفي كمذهب رسمي للدولة — وفي جهات آسية المتوسطة والهند. ويبلغ عدد اتباعه نحو نصف عدد المسلمين في العالم. ويأتي بعد هذا المذهب من حيث العدد ، المذهب الشافعي الذي كان اوفرها عدداً قبل ظهور الاتراك .

بقي مذهب الامام احمد بن حنبل(† ٨٥٥) ، صاحب«المُسند» في الحديث، وهو يكاد يكون على وشك الاضمحلال . ولم يتمكن الحنابلة من اقرار انفسهم كاتباع مذهب رسمي الا منذ القرن السادس للهجرة ، وذلك بعد كثير من المعارك المصطبغة بالدم احياناً . ولم يكن الاسلام يعتبرهم قبل ذاك الّا من اصحاب الحديث ، ولا يظهر ان مؤسسهم رمى الى ابعد من هذه الغاية . ومما يميز هذا المذهب روحه الضيّقة وميلهُ الشديد الى المشاحنة والعراك ، فهو اكثر المذاهب تعصّباً ، حتى ان الخوف من الحنابلة دفع معاصري الطبري ، ذاك المفسّر المسالم المحافظ ، الى تخبئة جثته ليلاً لانه لم يكثر في كتبه من مدح ابن حنبل امامهم ومؤسس مذهبهم . زد على هذا تعلقهم الشديد بنصّ القرآن والحديث على طريقة الظاهرية ، الا انهم اقلّ تطرّفاً ومبالغةً . وليس بين المذاهب الاربعة من

ببغض الصوفية بغض الحنابلة ، كما ان ليس بينها من يبلغ شأوَ الحنابلة في تضييق مجال الاجماع والقياس . وهم ، فوق ذلك ، يعارضون كل المعارضة طريقة الأشعري « بالاخذ بالوسط » تلك الطريقة المناسبة الموفقة بين نظريتي الحنابلة والمعتزلة . والحنابلة يرفضون كذلك كل حجة في الفقه لا تستند الى سلطة النبي او احد صحابته . هذا وقد انتشر المذهب اولًا انتشارًا يُذكر في سورية والعراق ، حتى ظهر السلاجقة فعملوا على ملاشاته بنشرهم المذهب الحنفي . وكان أن ظهر في القرن الرابع عشر ابن تيمية وتلامذته فعملوا نوعاً على انهاضه في سورية . الّا ان تأثير الاتراك تابع الحركة التي احدثها السلاجقة فكاد يقضي على مذهب ابن حنبل في تعزيزه مذهب ابي حنيفة ، المدعوّ احياناً « بالامام الاعظم » . وذلك ان هذا المذهب الذي نشأ في محيط العراق المتنوّع الشعوب الكثير المشاغل ، يظهر اقرب المذاهب الى التساهل المعقول ، وادناها الى استعمال «الحِيَل والمخارج» الفقهية والاساليب النظرية .

هذا وقد ظهر مؤخرًا ، في منتصف القرن الثامن عشر ، الوهابيون فجدّدوا المذهب الحنبلي ، واقرّوه في وسط البلاد العربية بعد ان زادوا في تضييقه ، وفي مقاومته كل تجديد .

(للبحث صلة)

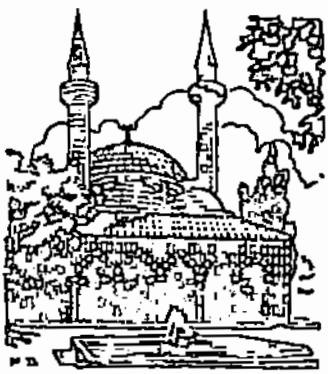

الحراثة الكهربائية

بقلم انطوان باز

المهندس من المكتب الافرنسي في بيروت
ومن مدرسة الكهرباء العليا في باريس

قيل ان القرن العشرين هو قرن « الكهرباء » . ولا غرو في ذلك فقد انتشر هذا التيار انتشار البرق فتسرَّب الى كلّ الصناعات عاملًا في سعادة الانسان . ذاق المدني لذته في تنويره وتدفئته وتشنيف آذانه في الليالي الطوال بالالحان الموسيقية تأتيه من وراء البحار . وعرفه الفلّاح فاستعاض بنوره الساطع عن مشاعل الحطب والزيت ، ثم عمد اليه للتخفيف من عنائه ومساعدته في اعماله . فهو الآن يدير عنه فرّازات الزبدة ، وطواحين الحبوب ، ومقاطع التبن ، ومناشير الحطب ، ومضخّات الماء ، وغير ذلك .

ومن غريب استخدام الكهرباء ، خصوصاً في انكلترة ونروج ، تنوير بيوت الدجاج ساعاتٍ معدودة في الليل فتكثر من البيض ، وتحمية الارض ايام الشتاء عرضاً عن السماد ، فتنمو فيها البقول بسرعة مدهشة فتباع باكورةً في المدن باسعار باهظة

وقد قام الفنيون منذ سنة ١٩٢٥ بتطبيق الكهرباء على حراثة الارض . وهذا ما نقصد تبيانه في المقال الحاضر ، فنقول :

ان الحراثة الكهربائية على نوعين : نوعٌ يختص بالسهول الفسيحة والحراثة العميقة فيستلزم آلاتٍ ضخمة واختصاصيين وعمالًا عديدين مما لا يقدر عليه الّا الشركات . ونوعٌ ثانٍ اجدر بحراثة البساتين والبقع الصغيرة من الارض ، وهو في استطاعة الفلّاح ايًا كان .

١ً النوع الاول

مبدأ الحراثة الكهربائية

اسطوانتان ضخمتان (*treuil*) مركزتان كل واحدة منهما في ناحية مقابلة من البقعة . وبين الاسطوانتين محراث مزدوج يجرّه حبلٌ فولاذي يلفّ على احدى الاسطوانتين ، فيسير من الاولى الى الثانية وبالعكس تباعاً ، حتى اذا بعد الثلم جُرّت الاسطوانتين الى ابعد ، وهلم جرّاً .

ويدير كلًّا من الاسطوانتين محرك كهربائي تتراوح قوته بين الثلاثين والمائة والعشرين حصاناً . امّا المجموع فهو ، مع ما يتبعه من الآلات ، ضمن عجلةٍ زراعية ضخمة المبنى ، عريضة الجوانب تنقل من محل الى محل إمّا بواسطة المحرك الكهربائي نفسه ، وإمّا بمحركٍ على النار قوته خمسون حصاناً . ولا يستعمل المحرك الناري في الاغلب ، الّا للتنقل من بقعة الى بقعة ومن سهل الى سهل ، اذ يتعذر حينئذٍ الحاق المجرى الكهربائي بالآلة . ولا يعجب القارئ من قوة المحرك الناري فوزن الآلة قد يبلغ ٢٤ طنًّا .

امّا المحراث فقلّاب يميناً وشمالًا ، وله سنّان متعاكسان ، فاذا مالَ يميناً غرز السن الاول في الارض وسار المحراث من الشمال الى اليمين ، وان مال شمالًا غرز السن الثاني وسار المحراث بالعكس . ومن الآلات ما جاءت مزدوجة او مثلثة او مربعة الاسنان ، فكان ثلمان او ثلاثة او اربعة دفعةً واحدة . امّا وزن المحراث المتوسط فلا يقل عن طنين .

المحوّلات والاسلاك الكهربائية

وممّا يزيد في صعوبة ذلك التطبيق مسألة جرّ الكهرباء الى مراكز العمل ، واسلاك شركات توزيع القوة كثيراً ما تمرّ بعيدةً عنها . فاذا كان توتّر مجرى الاسلاك ٥٠٠٠ ڤولت استخدم التيار الكهربائي رأساً لادارة المحركات . وان كان توتره فوق ذلك حُوّل في مركز نقّال من التوتّر العالي الى التوتّر المستعمل . واستعمال التوتّر ذي الخمسة آلاف ڤولت ضروري في تلك الحال رغمَ ما ينتج منه من الخطر احياناً . وضروريته في التخفيف من غلاظة الاسلاك اللاحقة بالمحرك رغم ثقل الآلة . والاسلاك هذه محفوظة ضمن حبل ذي غلاف من

المطاط يبلغ طوله ١٢٠٠ متر. ولا يقل مركز التحويل الثقال عن الثلاثة اطنان.

العمل الليلي

ورأت الشركات ان في العمل الليلي فائدةً حيناً، وحيناً اضطراراً. فاسعار القوة الكهربائية في الليل، من الساعة التاسعة فصاعداً، ارخص منها في النهار. ثم ان نزول الامطار او خيفة نزولها كثيراً ما يضطر الشركة الى الاسراع في اعمالها فيصبح العمل الليلي ضرورةً. غير ان تلك الاعمال لا تخلو من الصعوبات من مثل وجوب انارة الارض والزيادة في اجرة العامل.

محاسن الطريقة الاولى ومشاكلها

ان في الحراثة المحكي عنها فائدتين: الانتاج القوي، والثلم العميق. كيف لا وحبل الاسطوانة ١١٠٠ متر وهو يُنبئ عن طول الثلم الواحد، وسرعة المحراث تنيف على الثلاثة كيلومترات في الساعة. لذلك فساحة الارض الممكن فلحها في يوم واحد لا تقل عن الهكتارين.

امّا عمق الثلم فيبلغ ٣٠ بل ٤٠ سنتيمتراً في حال انه لا يتجاوز الخمسة عشر سنتيمتراً في الطريقة العادية.

وان كان للحراثة المذكورة فوائد ومحاسن فامامها مشاكل شتى ناجم اكثرها عن ضخامة الآلات، وغلاء اثمانها، وصعوبات نقلها وتمديد الاسلاك الكهربائية اليها، وتدريب العمال على استعمالها... وقد يدرك القارئ شيئاً من تلك المصاعب اذا ذكر ان وزن الاسطوانة الواحدة ٢٤ طناً وان الارض المبلّلة بالامطار قلما لا تخسف تحت ذلك الثقل.

وليس تدريب العمال بالشيء السهل. فان كان العامل من اهل الميكانيك والكهرباء قام بعمله بمهارة؛ اما، وقد اعتاد المدن وملاهيها، فهو غالباً لا يقوى على سكنى القرى والمزارع، فلا يلبث ان يترك عمله او يطلب اجرة باهظة. وان كان العامل من الزرّاعين فليس له، في الاكثر، الملم كافٍ بالمسائل الميكانيكية والكهربائية فلزم تدريبه. وقد بين الاختبار انه يقوم اذ ذاك بعمله بحذق وسرور.

امّا الصعوبة القصوى فمن النوع المالي. فالمشاريع المنوّه عنها تستغرق اموالاً طائلة مقابل انتاج زهيد. فهي اذاً لا تحيا الّا بمؤازرة الحكومة، وعصبة

الزراعين ، وشركات توزيع القوة الكهربائية .

نفقات العمل

ان ما يصرف من الكهرباء في حراثة الهكتار الواحد من الارض بعمق ٢٠ سنتيمتراً يقارب ، بالطريقة المذكورة ، الثمانين كيلوات - ساعة . فاذا عدّلنا سعر الكيلوات الادنى ، الذي ترضى به شركات توزيع القوة كالسلواتي في بلادنا ، بثلاثة غروش سورية جاءت نفقات الهكتار عن ثمن الكهرباء فقط ٢٤٠ غرشاً واذا حسبنا ، كما جاءت في الاختبار ، ان باقي النفقات من فائدة المال واستهلاكه واجرة العمال وغيره ، تعادل ستة او ثمانية اضعاف مصروف الكهرباء ، بلغت نفقات الهكتار الواحد من الارض المحروثة ١٤٥٠ غرشاً سورياً على الاقل .

٢ً النوع الثاني

يستنتج مما سبق صعوبة الطريقة الاولى للحراثة . فاذا نظرنا ، لا الى السهول الواسعة ، بل الى تلك البقع الصغيرة من الارض المتشتة في المزارع والقرى وفي ضواحي المدن لغرس الفاكهة والبقول ، وجدنا ان تطبيقها لمستحيل . لذلك فكر المهندس القدير السيد جيلو[1] (M' Gillot) من معامل درواد وجيلو في باريس (*Etablissements Veuve Dronard & Gillot à Paris*) في اسطوانة خفيفة الوزن ، سهلة النقل ، يتمكن الفلاح بها من حراثة ارضه واستخدام محركها الكهربائي لاشغال جمة لعمل الزبدة ، وكسر الحبوب ، ونشر الحطب الخ . فيوفر من عنائه ومن وقته .

والعجيب في ذلك ان قوة المحرك المذكور لا تتجاوز النصف حصان ، وهو يسير بكهرباء النور كباقي الادوات المنزلية .

وقد كان الدافع لذلك الاختراع تفكير السيد جيلو في ان قوة المحرك البشري القصوى ١٠٪ الحصان ، وهي تخف مع الوقت حتى تصبح نصف الحصان بعد عشر دقائق من العمل ، وثلث الحصان بعد نصف ساعة ، وربع الحصان بعد ٥٠ دقيقة الى ان تثبت على ١٠٪ من الحصان لوقت من العمل يزيد على

١) نأسف لعدم تمكننا من نشر رسم السيد جيلو ، وكان قد وعدنا به اثناء سفرنا في باريس ، فلم يصل الينا في حينه .

الثلاث ساعات ، كما يظهر من الرسم ١ . فاذا كان الانسان ، وقوته المستمرة ١٠/١ من الحصان ، يقوم باعمال شتى كثيرة فلماذا اذاً لا يقوم بها محرك كهربائي قوته نصف الحصان . تلك هي الفكرة التي قادت السيد جيلو في اعماله وابحاثه فتمكن بها من اختراعه .

بدأ اسطوانة السيد جيلو

محرك كهربائي قوته نصف الحصان يدير اسطوانة يلفّ عليها حبل فولاذي رفيع القطر ، والمجموع مرتكز على عجلة ذات دولابين ينقلها الفلاح بيده من مكان الى مكان . حتى اذا اراد اثباتها في محل كبس على طرفها فعلا دولاباها وغرز جانباها في الارض ، فثبتت ، وفي الرسم ٣ منظر للاسطوانة .

يُثبت المجموع في جهةٍ من الارض ويؤتى بالمحراث الى الجهة المقابلة وهو موصول الى الاسطوانة بحبل فولاذي . فاذا دار المحرك وبرم الاسطوانة لفّ الحبل عليها ، فشدّ على المحراث ، فجرّه ، فاتى بالثلم من اوله الى آخره . ثم يكرّ الحبل فيرجع بالمحراث الى حيث كان فيأتي بالثلم الثاني . وهلم جرّاً كما يُرى في الرسم ٥ . ومن مميزات الآلة ان المحرك يدور منفرداً عن الاسطوانة ، فلا يديرها الا بارادة العامل يشدّ على حبل المحراث او يرخي عليه من بعيد .

حماية المحرك

وقد يطلب الزارع من المحرك اكثر من قوته فيما لو صادف المحراث صخراً او جذراً غليظاً . ففي مثل تلك الحال يقف المحرك من تلقاء ذاته فلا يلحق به ضررٌ ما . ولولا تلك الحركة الاوتوماتيكية لدخل التيار الكهربائي عليه بشدة فخشي اتلافه . ويشد المحرك على حبل المحراث بقوة تبلغ ١٥٠ كيلوغراماً . امّا طول الحبل فمائة متر ، وهو يجرّ المحراث بسرعة كيلومتر واحد في الساعة . وقد بلغ عمق الثلم بواسطة الآلة المستعملة ٢٠ سنتيمتراً وعرضه ١٥ س

نفقات محرك السيد جيلو نسبةً لليد العاملة

اما مقطوعية المحرك الكهربائي من الكهرباء فقليلة . ولو عدّلنا ، كما في بلادنا ، سعر الكيلوات ساعة بـ ١٥ غرشاً واجرة اليد العاملة بعشرة غروش في الساعة الواحدة ، وقابلنا بين نفقات المحرك الكهربائي والمحرك البشري ، اظهرت

افضليته الاولى ، خصوصاً عندما يطول العمل اكثر من ساعة او ساعتين فتخف قوة العامل كما بيّناه ؛ فلا يقوم ازاء المحرك الكهربائي ، عوضاً عن العامل الفرد ، الا عاملان او ثلاثة او اربعة ، كما هو موضّح في الجدول ادناه :

القوّة المطلوبة	مدة العمل	عدد الرجال اللازم لتأدية القوة المطلوبة	نفقات محرّك كهربائي غروش سورية	نفقات اليد العاملة غروش سورية
نصف الحصان	١٠ دقائق	١	١٫٢٥	١٫٦٥
«	٥٠ دقيقة	٢	٦٫٢٥	١٦٫٥٠
«	١٥ ١ ساعة	٣	١٠	٣٢٫٥٠
«	٢ ساعتان	٤	١٥	٨٠

هذا فيما يختص باستخدام المحرّك عامةً . اما فيما يختص بتطبيقه على حراثة الارض فقد ظهر ، بالاختبار ، ان اسطوانة السيد جيلو تعمل ، في مدة من الوقت معينة ، عشرة اضعاف ما يعمله الفاعل بالرفش . فهي اذاً تعمل في ساعة ما لا يعمله الفاعل في يوم كامل . فتكون اذاً نفقة المحرك الكهربائي للعمل نفسه سبعة غروش ونصف في حال ان نفقة العامل لا تقل عن الثمانين غرشاً .

الخلاصة

يتضح مما سبق افضلية طريقة السيد جيلو لحراثة البقع الصغيرة من الارض . فهي لا تعمد الّا الى آلة بسيطة ، خفيفة الوزن ، سهلة النقل ، قليلة الاتلاف ، رخيصة الثمن ، لا تستلزم محولات او اسلاكاً خصوصية ، يمر محراثها بسهولة بين الزرع والاغراس ، كما في الرسم ٦ .

ومن الحسن انه يمكن استخدام محركها لاحتياجات شتى ، غير حراثة الارض ، من قطع التبن ، وعمل الزبدة ، وكسر الحبوب ، ونشر الحطب الخ . الى غير ذلك مما يحتاج اليه المزارع في اشغاله . . .

ورب قائل يقول : وهل من طريقة لاستخدام ما تقدم في بلادنا ؟ فنقول : ان الحراثة بالطريقة الاولى ، وان جاز تطبيقها مبدئياً على سهول البقاع وسورية ، لا تأتي على اصحابها بالايراد الكافي للاسباب التي اوردناها ورغم ما قد يلاقيه اصحاب المشروع من المساعدة والتنشيط . اما الطريقة الثانية ، طريقة السيد جيلو ، فهي في استطاعة كل فلاح خصوصاً اذا تمّ ، كما نتمناه ، تعميم الكهرباء وانتشارها في القرى والمزارع .

ابن عبد ربه و«عقده»

درس ادبي تاريخي

بقلم جبرائيل جبّور
احد اساتذة الادب العربي في جامعة بيروت الاميركية

٤

المصادر التي استند اليها ابن عبد ربه (تابع)

المبرّد

ويأخذ عن المبرّد محمد بن يزيد الازدي النحوي المتوفى سنة ٢٨٥ هـ[1]، تلميذ الجاحظ، فينقل من كتابه الشهير «الكامل» الذي رجع اليه نفر كبير من الادباء في القرن الرابع للهجرة كابي الفرج الاصبهاني وغيره. وينقل من غير الكامل اخبارًا نثرها في العقد[2]، مشيرًا في بعض الاحيان الى مصدرها، وساكتاً في بعض الاحيان الاخرى عن ذلك. ونحن اذا رجعنا الى العقد (٣: ٢٤٠–٢٤١) نرى ان كثيرًا مما دوّنه في هذا الموضع قد نقله عن الكامل (ص ٣٩١ – ٣٩٦) دون ان يشير بكلمة الى ذلك. كذلك نرى ان بعض اخبار الازارقة[3] مأخوذة عن الكامل ايضاً (ص ٥٨٦–٥٨٧). واخذ ابن عبد ربه ايضاً عن كتاب آخر للمبرّد هو كتاب الروضة[4]. ولقد ردّ على اشياء وردت فيه[5]. والغريب انه مع كل ما اخذه عن المبرّد قد ذمّه ونعى عليه كتاب الروضة وهزأ به، قال: «الا ترى ان محمد بن يزيد النحوي على علمه

---

١) ابن النديم ١: ٥٩

٢) ابن عبد ربه ١: ٢٠٧ و٢٢٧ و٢٢٦ و٢٩٨ و٣٨٢؛ ٣: ١٧٨ و٢١٧ و٢٢٠ و٤٠٤

٣) ابن عبد ربه ١: ٢٦٤ – ٢٦٥ ٤) ابن عبد ربه ٣: ١٧١ و٢٦٨

٥) ابن عبد ربه ٣: ١٧١

باللغة ومعرفته باللسان وضع كتاباً سماه بالروضة وقصد فيه الى اخبار الشعراء المحدثين فلم يختر لكل شاعر الّا ابرد ما وجد له حتى انتهى الى الحسن بن هانئ ، وقلّما يأتي له بيت ضعيف لرقة فطنته وسبوطة نيته وعذوبة الفاظه ، فاستخرج له من البرد ابياتاً ما سمعناها ولا رويناها ولا ندري من اين وقع عليها وهي :

الا لا يلمني في العقار جليسي ولا يلحني في شربها بعبوس
تعشقها قلبي فبغض عشقها اليّ من الاشياء كل نفيس

«واين هذا الاختيار من اختيار عمرو بن بحر الجاحظ حين اجتلب ذكره في كتاب الموالي فقال : «ومن الموالي الحسن بن هاني وهو من اقدر الناس على الشعر واطبعهم فيه» ... وجل اشعاره الخمريات بديعة لا نظير لها فخطر بها كلها وتخطاها الى التي جانسته في برده. فما احسبه لحقه هذا الاسم المبرّد الا لبرده.»[1] وقد زعم على المبرد ايضاً ما اختاره في الروضة لابي العتاهية من الاشعار التي زعم ابن عبد ربه انها تقتل من بردها[2].

ابن المقفع

ويأخذ عن عبدالله بن المقفع المتوفى حول سنة ١٣٩ ﻫ[3] فينقل عن كتابه الادب الصغير[4] وعن كليلة ودمنة[5] . كما وانه ينقل في بعض الاحيان عنه ، دون ذكر رجوعه الى كتاب بعينه كأن يقول مثلاً « قاله او وقال صاحب كليلة ودمنة[6] ، او قال ابن المقفع[7] . ولا يتسع الوقت لدرس ما اذا كان رجع الى كتب ابن المقفع او انه اكتفى بما اخذه عنها ابن قتيبة فنقله عنه.

١) ابن عبد ربه ٣ : ٢٦١ ٢) ابن عبد ربه ٣ : ٢٦٩
٣) Cl. Huart, *Ibn Mukaffa'* [The Encycl. of Islām, vol 2, p. 404]
٤) ابن عبد ربه ١ : ٦
٥) « « ١ : ٢٨٥
٦) « « ١ : ٥٢ و٢١٢
٧) « « ١ : ٢٧٢ و٣٠١

سيبويه

واخذ ابن عبد ربه عن سيبويه عمرو بن عثمان بن قنبر مولى بني الحارث النحوي الشهير المتوفى سنة ١٧٧ هـ[١] . وهناك اشارة صريحة الى انه اطلع على كتابه ، اذ قال في بيت من الشعر اورده للفرزدق: «وهذا آخر كتاب سيبويه .»[٢] ويذكر بيتاً من الشعر ويقول: وقد استشهد به سيبويه في كتابه»[٣] . كذلك ينتقد سيبويه في استشهاده ببيتين في كتابه اورد قافيتها منصوبتين ، وزعم ان النصب هو على اعراب الشيء على المعنى لا على اللفظ — واللفظ يقتضي الجر — ويخطأه ويظهر له ان القافية مجرورة وان البيتين هما من قصيدتين مجرورتي القافية ثم يقول : « فما كان يضطر سيبويه ان ينصبهما ويحتال على اعرابها بهذه الحيلة الضعيفة»[٤] . وقد نستدل من هذا الخبر ، اذا صح ان ابن عبد ربه هو اول من نبه اليه ، على سعة اطلاع صاحب العقد ومعرفته بكثير من اشعار العرب القدماء . ولكن يجوز ان يكون قد نقل انتقاده هذا عن مصدر آخر . وكتاب سيبويه هذا انما هو كتاب النحو الذي قال فيه المبرّد « ركبت البحر تعظيماً له واستعظاماً لما فيه»[٥] . وقال المازني القديم: « من اراد ان يعمل كتاباً كبيراً في النحو بعد كتاب سيبويه فليستحِ »[٦] .

ابن سلام

ولم يفته الرجوع الى محمد بن سلام الجمحي المتوفى سنة ٢٣١ هـ[٧] فقد اخذ عنه واشار الى ذلك في موضعين من العقد دون ان يعيّن كتاباً[٨] . وهنا

---

١) ابن الندم ١ : ٥١
٢) ابن الندم ٢ : ٢١
٣) ابن عبد ربه ٣ : ١٧٠
٤) ابن عبد ربه ٣ : ١٧١
٥) ابن الندم ١ : ٥١
٦) ابن الندم ١ : ٥٢
٧) J. Hell : مقدمة « طبقات الشعراء » لابن سلام الجمحي ، طبعة برل ، لبدن سنة ١٩١٦ ، ص XII
٨) ابن عبد ربه ١ : ٢٨٦ ، و ٣ : ٢٨٢ — اما كتب ابن سلام فهي ، فيما يذكر ابن الندم ،

لا نستطيع ان نعلم هل اخذ عنه مباشرةً او انه نقل عن ادباء اخذوا عنه .

ابو عبيدة

واستقى ابن عبد ربه من كتب ابي عبيدة معمر بن المثنى التيمي المتوفى بين سنتي ٢٠٧ و٢١٣ للهجرة[1] . فنقل عن كتابه التاج[2] ، واخذ عن ابي عبيدة في مواضع كثيرة ، ولم يذكر الكتاب الذي رجع اليه بل كتفى بذكر المؤلف فقط[3] . وقد اسند ابن عبد ربه اكثر اخباره عن وقائع العرب في كتابه الدرّة الثانية في ايام العرب ووقائعها الى ابي عبيدة دون ذكر لكتاب معيّن . واذا رجعنا الى الفهرست لابن النديم[4] ، نرى ان بين الكتب التي وضعها ابو عبيدة كتاباً اسمه « الايام » كذلك نرى في كتاب المزهر في علوم اللغة للسيوطي ، (طبعة القاهرة سنة ١٢٨٢ ، ج ١ ص ٨٤) : « وقال ابو عبيدة في كتاب ايام العرب » . فلا يبعد ان يكون ابن عبد ربه قد اخذ اخباره هذه عن الكتاب المذكور ، لا سيما وفي كتاب ابن عبد ربه في ايام العرب اسهاب وتطويل . وقد ذكر فيه خبر اكثر من ثمانين واقعة اسند اكثرها الى ابي عبيدة . وروى القلقشندي في كتابه صبح الاعشى قال : «ولابي عبيدة مصنف مفرد في ايام العرب ، وقد اورد منها ابن عبد ربه في كتاب «العقد» جملة مستكثرة »[5] .

ابن وحشيّة

ويجوز انه استقى من بعض كتب ابن وحشيّة ابي بكر احمد [او محمد]

(١ : ١١٢) كتاب الفاضل في ملح الاخبار والاشعار ، كتاب بيوتات العرب ، كتاب طبقات الشعراء الجاهليين ، كتاب طبقات الشعراء الاسلاميين ، كتاب الخلاب واجر الخيل .

١) ابن النديم ١ : ٥٣

٢) ابن عبد ربه ١ : ٢٦ ؛ و٢ : ٥٢ و٥٥ و٦١ و٢٨٧

٣) ابن عبد ربه ١ : ٥٣ و١٩٣ و٢٢٢ ؛ و٢ : ٥٥ و٦١ ؛ و٣ : ٦٠

٤) ابن النديم ١ : ٥٤

٥) القلقشندي ١ : ٢٩٣

ابن علي الكلداني النبطي، الذي عاش في منتصف القرن الثاني للهجرة[١]، اذ نقل عن كتابه الفلاحة بعض الاخبار الى كتاب الزبرجدة الثانية في طبائع الانسان وسائر الحيوان غير اننا نظن ابن عبد ربه قد نقل اخباره هذه عن ابن قتيبة الذي سبقه في النقل عن الفلاحة[٢].

واخذ عن المفضل بن محمد الضبي، وعن الاصمعي، وعن الشيباني، والعتبي، وابي جعفر البغدادي، وابن الكلبي، والزبير بن بكار، وحماد، والغزالي، والهيثم بن عدي، وابي غسان تلميذ ابي عبيدة، والرياشي، وابن شهاب الزهري، والعجلي، والكلبي، ووهب بن منبه، ومكحول، والاوزاعي، والتميمي، والمدائني، والشعبي، والعتابي، وغيرهم. ولبعض هؤلاء كتب في النوادر والاخبار ذكرها ابن النديم[٣]. ولا يتسع المقام لدرس ما اذا كان نقل عن كتب مدوّنة لهؤلاء او انه اخذ رواياتهم عن كتب لغيرهم من الذين تأخروا عنهم. واذا علمنا ان ابن قتيبة قد اخذ عن اكثر هؤلاء ادركنا صعوبة معرفة الحقيقة الخالصة.

ابن هشام

ويرجع في بعض الاحيان الى ابن اسحق، صاحب السيرة والمغازي؛ ويظهر انه لم يأخذ عنه رأساً، بل اخذ عن ابن هشام حيث يقول: «قال ابن اسحق صاحب المغازي لما نزل رسول الله» الخ ... ثم يكمل الخبر مسنداً الى ابن هشام[٤]. ويقول في موضع آخر: «ومن ذلك ما رواه ابن اسحق صاحب المغازي وابن هشام. قال ابن اسحق كذا الخ» ... ثم يقول: «وقال ابن

١) *Ibn Wahshiyyah* [The Encyc. of Islâm, vol. 2, p. 427] في المقالة المهملة التوقيع.

٢) ابن عبد ربه ٣: ٢٥٥ و٢٥٨: وراجع ابن قتيبة ٢: ٨٤ و٩٤؛ وترى ان قسماً كبيراً من اخبار ابن عبد ربه عن طبائع الانسان والحيوان منقول عن ابن قتيبة

٣) ابن النديم ١: ٨٨ و٩٥ و٩٦ و١٠٠ و١٠٤

٤) ابن عبد ربه ٢: ٢١

هشام»[1] ويأخذ احياناً عن ابن هشام دون ذكر ابن اسحق ، كأن يقول مثلاً: «قال ابن هشام»[2] الخ ...

التوراة والانجيل وغيرها

وهناك بعض المصادر الغريبة كالتوراة مثلاً ، والانجيل ، وكتب الفرس ، وكتب ارسطوطاليس ، وكتب الهند ، وغيرها . فقد ذكر اخباراً منقولة عنها في عقده . ولكن ترى هل اخذ هذه الاخبار عن هذه المصادر مباشرة ام بواسطة ابن قتيبة وغيره من الذين رجعوا اليها في كتبهم ؟ يقول الاستاذ جرجي زيدان في كتابه تاريخ آداب اللغة العربية: «ان ابن عبد ربه لم يقتصر فيما جمعه على ما عرفه العرب بل نقل عن الكتب التي ترجمت الى العربية في ذلك الزمن عن اليونانية والهندية والفارسية وهو يشير الى ذلك في كلامه.»[3] ويظهر ان الاستاذ زيدان يذهب في هذه العبارة الى ان ابن عبد ربه نقل عن ترجمات هذه الكتب ، لا عن الاصول اليونانية والهندية والفارسية. ولكن هذه الترجمات عرفت عند العرب قبل زمن ابن عبد ربه ، وقد سبق المشارقة الى النقل عنها قبله ، ونخص بالذكر الجاحظ وابن قتيبة فقد نقلا عن بعض كتب ابن المقفع وعن بعض الكتب المنقولة عن اليونانية والهندية. واذاً فقد اقتصر ابن عبد ربه فيما جمعه على ما عرفه العرب في المشرق . ولا نظن ان الاستاذ زيدان يرى ان ابن عبد ربه نقل عن الاصول مباشرة ، كما يظهر من قول ابن عبد ربه الذي اشار اليه الاستاذ زيدان[4]: «وفي كتاب للهند او «وفي كتب ارسطوطاليس» . لان هذه الاخبار منقولة عن ابن قتيبة او عن الجاحظ . واذا رأينا كثرة ما نقله ابن عبد ربه عن ابن قتيبة ادركنا سهولة اخذه مثل هذه الاخبار مع اسانيدها كأن يقول مثلاً: «وفي كتاب للهند ان كذا الخ»[5] فيوردها بالحرف كما اوردها ابن

---

١) ابن عبد ربه ٣ : ١٢١

٢) « « ٢ : ٢٢ ، و٣ : ١٢٢ ٣) زيدان ٢ : ١٧٤

٤) لاحظ قول زيدان: «وهو يشير الى ذلك في كلامه» في القطعة التي نقلناها عنه.

٥) ابن عبد ربه ١ : ٨٠ [وليلاحظ ان هذه المواضع التي يذكر فيها اخباره عن كتب الهند قد ادخلها في كتابيه السلطان والحروب اللذين اكثر فيهما النقل عن ابن قتيبة].

قتيبة نفسه : « وقرأتُ في كتاب للهند ان كذا الخ »[1] . وربما من الخير الّا نجزم في ان ابن عبد ربه لم يطلع على الترجمات الاصلية من كتب ابن المقفع وغيره لاسيما كتب لروم ، فقد قال في عقده : « وقرأت في كتاب للروم »[2]

اما اخباره المنقولة عن التوراة والانجيل ، وبالاخص الاخير منها ، فانا نرجح ايضاً انه نقلها عن ابن قتيبة الذي ذكرها في عيون اخباره في باب الزهد . ولقد وضعها ابن عبد ربه في عقده في كتاب الزمردة في المواعظ والزهد[3] . غير انه اكتفى بالقليل مما نقله ابن قتيبة عن التوراة والانجيل . ويظهر ان الاخيرين — رغم ما يقال عن احتكاك نصارى الاندلس بمسلميها وشغفهم في قرطبة بدرس اللغة العربية وآدابها وعلومها — لم يترجما الى العربية في تلك البلاد ، او انهما ترجما ولم يصلا الى ايدي العلماء المسلمين بحيث يستطيع اديب مثل ابن عبد ربه ان ينقل عنها مباشرة ويكون في غنى عن الاستناد الى ابن قتيبة . ومهما يكن من الامر فان ابن قتيبة هو صاحب الفضل الاول في ذكر هذه الاقسام الصغيرة من التوراة والانجيل باللغة العربية ، ويظهر من كلامه انه قرأ بعضها في نسخ عربية[4]

القرآن والحديث

بقي القرآن والحديث ففي العقد منها شيء كثير ، وبالاخص الحديث ففيه منه طائفة ليست بيسيرة منتثرة في كل اجزائه . وقد ذكر ابن عبد ربه هذه الاحاديث دون ذكر الكتب التي قد يمكن ان يكون اخذها عنها . غير انه

---

١) ابن قتيبة ١ : ١١٢

٢) ابن عبد ربه ٣ : ٢٥٤ ، وراجع ٣ : ٤٢٠ تر : « وفي بعض الكتب المترجمة » .

٣) قابل بين ابن عبد ربه ١ : ٢٥٦ و٢٥٧ سطر ٢٩ ، و٢٥٧ سطر ٣ ، و٢٥٨ وبين ابن قتيبة ٢ : ٢٦٨ و٢٦٦ ، و٢٧٥ — ٢٧٦ و٢٧٦ ويرى القارئ انه حيث يذكر ابن قتيبة التوراة يذكرها ابن عبد ربه ، وحيث يسند ابن قتيبة اخباره هذه الى مثل وهب بن منبه او غيره يسندها ابن عبد ربه اليهم .

٤) ابن قتيبة ٢ : ٢٧٠ وقرأت في الانجيل : « لا تجعلوا كنوزكم في الارض حيث يفسدها السوس » الخ .

رجع في عقده الى موطأ مالك بن انس[1] الـذي كان معروفاً في الاندلس يوم ذاك . واذا ذكرنا ان ابن عبد ربه من الفقهاء ادركنا سهولة حفظه لكثير من الاحاديث بحيث يستشهد فيها بعقده دون الرجوع الى الكتب التي دونتها .

الدواوين الشعرية

اما الدواوين الشعرية التي يمكنه ان يكون قد رجع اليها فـلا نستطيع معرفتها او ضبطها او حصرها لاسيما وهو يدوّن في العقد اشعاراً لاكثر من مئتي شاعر لا نعلم من اين اخذها . انما لا نشك في انه كان على اطلاع على شعر اهمّ الشعراء المتقدمين في المشرق كجرير ، والفرزدق ، والاخطـل ، وابن ابي ربيعة ، وابي نوّاس ، وابي تمام ، ومسلم ، وابي العتاهية وغيرهم .

الخشني وابن وضاح وابن مخلد

ولم يفت صاحب العقد ان يدوّن بعض الامور عن اساتـذته في الاندلس الذين ذكرهم ابن الفرضي : الخشني ، وابن وضّاح ، وبقي بن مخلد[2] . وقد اخذ عن هؤلاء نتفاً من الاخبار عن العلماء والادباء في المشرق ، وشيئاً من آراء بعض الائمة بخصوص النبيذ وشربه ، وقليلاً من اخبار امراء الاندلس الـذين تقدموه ولم يدركوا عصره . وقد اشار الى انه اخذ عن هؤلاء في عدة مواضع[3] وقد كان احد هؤلاء الخشني محمد بن عبد السلام من قرطبة ، وكانت له رحلة الى المشرق ودخل البصرة وسمع من علمائها ولقي بها ابا حاتم السجستاني ، والعباس ابن الفرج ، والرياشي ، وابا اسحق الزيادي ، واخذ عنهم كثيراً من كتب اللغة رواية عن الاصمعي وغيره ، ودخل بغداد ، وحجّ مكة ، وادخل الاندلس كثيراً من حديث الائمة وكثيراً من كتب اللغة والشعر الجاهلي ومات سنة ٢٨٦ هـ »[4] .

---

١) ابن عبد ربه ٣ : ٢٤٨ و٤١٥ ٢) ابن الفرضي ١ : ٢٧

٣) ابن عبد ربه ١ : ٢٠٤ و٢٤١ و٢٥٢ ؛ ٢ : ٥٦ و٢٦٠ ؛ ٣ : ١١٦ و٤١٦ وغيرها وفي ابن عبد ربه ١ : ٢٠٤ . أملى ابو عبدالله محمد بن عبد السلام الخشني (كذا) وفي ٢ : ٢٦٠ : حدّث بقي بن محمد (كذا) وكلاهما تحريف عن الخشني ومخلد .

٤) السيوطي ٦٧

واما بقيّ بن مخلد بن يزيد القرطبي فقد ذكر عنه ، نقلاً عن ابن حزم ، انه صاحب التآليف التي لم يؤلف مثلها في الاسلام ، وانه لقي ٢٨١[1] شيخاً[2]. وذكر في موضع آخر ان ابن حزم قال: « اقطع انه لم يؤلف في الاسلام مثل تفسيره لا تفسير محمد بن جرير ولا غيره »[3]. وقد انكر عليه بعض علماء الاندلس بعض التصانيف التي نقلها من المشرق ، لاسيما مصنف ابن ابي شيبة غير ان الامير محمد بن عبد الرحمن الاموي امتحن الكتاب ثم قال لخازن كتبه: « هذا الكتاب لا تستغني خزانتنا عنه فانظر في نسخه لنا. » وقال لبقي: « اكثر علمك وارو ما عندك ». ونهاهم ان يتعرضوا له[4]. وذكر المقرّي عن ابن حزم ايضاً ان تصانيف بقي صارت قواعد الاسلام لا نظير لها ، وانه كان متخيراً لا يقلد احداً[5]. وذكر في موضع آخر ان بقيّاً هذا طاف المشرق عراقه وشامه وحجازه[6] وتوفي بقي سنة ٢٧٦ هـ[7].

اما ابن وضاح فقد ذكر ابن ابار صاحب التكملة اسماء كثيرين ممن لزموه ورووا او اخذوا عنه[8]. ويظهر انه كان في قرطبة ايضاً اذ ان المقري يذكر عن قاسم بن اصبغ البياني احد علماء الاندلس انه سمع بقرطبة من بقي ابن مخلد ومحمد بن وضاح[9]

واذا عرفنا ان كثيراً من الاخبار التي دونها ابن عبد ربه في عقده عن ادباء المشرق ورواياتهم وعلومهم لم يذكر اسنادها ، وان الخشني وبقيّاً استاذيه قد نقلا كثيراً من هذه الاخبار الى الاندلس ، ادركنا كثرة ما يمكن ان يكون قد اخذه عنهما ودوّنه بعقده. (للبحث صلة)

---

١) المقري ١ : ٥٨٩ ، يذكر ان عدد شيوخه ٢٣٤

٢) المقري ١ : ٢٥٠ ، و٢ : ٧٧١ ٣) المقري ١ : ٥٩٠ و٢ : ٧٧١

٤) المقري ١ : ٥٩ ، ويظهر ان بقياً لم ينسَ صنيع محمد معه فقد حدث ابن عبد ربه مادحاً اياه وقال له: « ما كلمت احداً من الملوك أكمل عقلاً ولا ابلغ لفظاً من الامير محمد » الخ (ابن عبد ربه ٢ : ٢٦٠) ٥) المقري ١ : ٥٩٠ و٢ : ٧٧١

٦) المقري ، طبع اوربة سنة ١٨٥٥ — ١٨٦٠ ، ١ : ٨١٢ ٧) المقري ١ : ٥٨٩

٨) التكملة لكتاب الصلة لابن ابار ، طبعة المطبعة الشرقية بالجزائر ١٣٣٧ ـ ١٩١٩ م ص ١٢ و١٤ و١٦١ و١٦٥ و١٨٥ ٩) المقري ١ : ٢٥٠

الامثال والاساطير اللبنانية

المختصة باشهر السنة الشمسية

بقلم لحد خاطر

١

تمهيد

الفائدة من تدوين هذه الاساطير

يتناقل اللبنانيون في احاديثهم عن اشهر السنة الشمسية وما يتعلق بها عبارات واساطير عامية تجري على السنتهم مجرى الامثال والشواهد ، توارثوها خلفاً عن سلف من اجيال متفاوتة ، وهي موضوعة في الاصل لحكمة او موعظة بعد طول تجربة وخبرة ، فكانت ثمرة الكد والملاحظة وزبدة الذكاء والفطنة وسعة الاطلاع في مختلف الشؤون العمرانية ، ولاسيما الزراعة والصناعة وتربية الماشية واحوال الفلك وقواعد علم الصحة ونحو ذلك مما له علاقة بالحياة الشعبية اليومية في لبنان . لذلك رأيناها تقوى على غير الايام وتجتاز الأجيال مصونة على صفائح الصدور حتى وصلت الينا .

على انها الان اصبحت تواجه خطراً يتهددها بالضياع والنسيان الا وهو خطر ما نشاهده يوماً بعد آخر من التطور الفكري الآخذ بالانتشار والحافز بابناء هذه البلاد الى ترك كل قديم من متروكات الآباء والاجداد ، حتى ما كان منها حسناً مفيداً . فلاجل دفع هذا الخطر اقبلتُ على تدوين هذه

الامثال والتعابير، وتعليق شروح عليها تقرب متناولها وتوضح رموزها ومدلولاتها ، وتزيل ما علق ببعضها من شوائب التحريف والتشويه تسهيلاً للانتفاع بها والاستعانة بطالعتها على استجلاء عدة نقاط اخلاقية من تاريخنا الوطني لا تزال غامضة بسبب قعود مؤرخينا القدماء عن بحثها وقصر ما كتبوه في مؤلفاتهم على اخبار الحكام وشؤون السياسة ، ممهداً للكلام عن كل شهر بكلمة عن معناه واصل وضعه ، مقدماً على الفصول لمحة تاريخية عن نشأة التقاويم وتطوراتها في سياق الاجيال . وهو بحث يرمي الى ابراز صورة حية للحياة الشعبية اللبنانية الصميمة التي كان عليها الآباء والجدود ، واستبقاء تلك المسحة الخاصة المؤيدة لاستقلالنا الخلقي المعدود في رأس الادلة على ما كان لنا من كيان منفرد واستقلال اداري ممتاز في تاريخنا السياسي.

نشأة التقاويم وتطوراتها

بعد ان نشأ الانسان في صدر الخليقة رأى نفسه محتاجاً الى وسيلة يقيس بها الوقت فاستنبط لذلك السنين والاشهر . ويقدّر المفكرون ان اجتهاده في هذا السبيل قاده بادئ بدء الى الاعتماد على المظاهر الفلكية ، ولاسيما ما كان منها اكثر بروزاً كالقمر فانه رآه يسير على خطة واحدة في مختلف وجوهه وتتابع دوراته ، فاتخذ كلاً من تلك الدورات عقداً تاريخياً قائماً بنفسه سماه شهراً يؤيد ذلك معنى كلمة « شهر » فانه بالعبرانية، احدى لغات الاقدمين ، « القمر الجديد » . وقد جاء في التوراة بهذا المعنى : « القمر نبأ الازمنة وعلامة الدهر . هو علامة العيد وباسمه سمي الشهر . » هذا الى ما تجده عند بعض الشعوب من التعبير عن الشهر والقمر بلفظ واحد .

ثم لوحظ ان هناك دورات زمنية اخرى اطول من الاولى تشتمل على الفصول الاربعة وتجري تباعاً على وتيرة واحدة من غير تغيير ، فاتخذ كلٌ منها عقداً تاريخياً آخر سمي « سنة » . ووجد ان القمر يدور في اثناء هذا العقد اثنتي عشرة دورة على التقريب فتقررت قسمته اثني عشر جزءاً قوام كل جزء قرٌ واحد من مولده الى خفيته . وهذا بالارجح الاصل الاقرب في نشأة السنين

والاشهر في طورهما الاول ، ومنه يستدل على ان التقويم القمري كان اقدم في الاستنباط والاستعمال من التقويم الشمسي.

ولم يكن للاشهر والايام في الابتداء اسماء خاصة بل كانت تسمى بالاعداد الترتيبيّة . فكانوا يقولون مثلاً : الشهر الاول والثاني والثالث الى آخر السنة، واليوم الاول والثاني والثالث الى آخر الشهر ، يؤيد ذلك نصوص الكتاب في اسفار موسى ، واسماء بعض الاشهر الرومانية التي وضعها روملوس ، باني رومية تواول ملك عليها ، وهي : « سبتمبر واكتوبر ونوفمبر ودسمبر » فان معناها السابع والثامن والتاسع والعاشر.

وبعد مرور زمان لا يُعلم مقداره بالتدقيق اخذوا يطلقون على الاشهر اسماء خاصة تدل على بعض اوصافها وما يقع فيها من المميزات الطبيعية والمظاهر الجوية او ما يظهر فيها من الموارد الزراعية ، ثم سموا بعضها باسماء بعض الهتهم وملوكهم تيمناً وتكريماً ، وقد اختلفت هذه الاسماء باختلاف الشعوب والزمان والحوادث.

اما الاسماء التي يستعملها النصارى اللبنانيون ، بل سائر النصارى الناطقين باللغات السامية ، ولاسيما العربية ، في جهات العالم فمأخوذة عن اصل بابلي ، إما وراثةً عن الفينيقيين الذين يظن انهم اقتبسوها في رحلاتهم التجارية الى بابل ، وإما اخذاً عن غزاة البابليين انفسهم الذين كثيراً ما شنّوا الغارة على هذه البلاد ومدوا سلطانهم عليها ، وإما نقلاً عن العبرانيين الذين عادوا بتلك الاسماء من بابل بعد ان سبوا اليها. ومهما يكن من امر انتقالها فانه لمن الغرابة بمكان ان تثبت تلك الاسماء البابلية على حالها من اقدم عصور التاريخ حتى اليوم برغم ما تبدل عليها في سياق الايام من التطورات والتقلبات السياسية والاجتماعية.

وقسم العبرانيون الشهر اربعة اقسام سموها اسابيع لان كلاً منها تألف من ٧ ايام ، وكان عدد ٧ من الاعداد المقدسة عندهم . ولا تزال ايام الاسبوع بالعربية ذات اسماء تشعر باصلها العددي الترتيبي فسان الاحد والاثنين والثلثاء والاربعاء والخميس ما هي الا الفاظ عدل بها عن اليوم الواحد او الاول والثاني والثالث والرابع والخامس. وليست هذه الاسماء كذلك في بعض اللغات الاوربية

لان الناطقين بهذه اللغات اخذوها عن اسماء الاسبوع عند قدماء المصريين الذين كانوا يخصون اليوم الاول بالشمس ، والثاني بالقمر ، والثالث بالمريخ ، والرابع بعطارد ، والخامس بالمشتري ، والسادس بالزهرة ، كما يظهر ذلك لمن تدبر معاني تلك الاسماء بالافرنسية مثلاً فان معنى « Lundi » ، يوم القمر ، و«Mardi» يوم المريخ الخ . . .

اما اليوم الاول فقد سمي بعد ظهور النصرانية عندهم بما معناه « يوم الرب» اكراماً لقيامة المخلص فيه . والسبت مأخوذ عن العبرانية ومعناه «يوم الراحة »

ولم يكن التقويم القمري في بداءته بالتقويم السديد ، لانه جعل السنة مؤلفة على التقريب من ٣٥٤ يوماً ، وعلى ذلك اخذت الاشهر التي خُصّت بالصيف تتراجع كل سنة بعض ايام الى الوراء . الى ان حلّ محلها الربيع فسائر الفصول على التوالي . مما اضطرّ العلماء الى تدارك هذا الخطاء بجعل السنة شمسية اي تابعة للمدة التي تقضيها الشمس منذ تحولها عن نقطة الاعتدال الربيعي الى ان تعود اليها .

وهذا الحساب الشمسي الجديد جعل السنة ٣٦٥ يوماً ، وهي في الصحيح اطول من ذلك بعض ساعات . فلما ملك الامبراطور يوليس قيصر من الرومانيين استقدم اليه في السنة ٤٦ قبل المسيح العالم الفلكي سوسيجنيس من مدينة الاسكندرية ، وعهد اليه في اصلاح الخلل المذكور . ففعل بان جعل السنة مؤلفة من ٣٦٥ يوماً وست ساعات . والف من هذه الساعات الست المزيدة يوماً كاملاً ارتأى اضافته في كل سنة رابعة على آخر شباط . وسمي الحساب المصلح على هذا النحو « باليولي » نسبةً الى اسم الامبراطور ، ويُعرف عندنا بالشرقي . ولا يزال فريق من طوائفنا المسيحية يجري عليه حتى اليوم .

بيد ان هذا الاصلاح لم يؤدِ الى كمال التقويم . لان واضعه اراد تلافي ما ظهر من نقصان في الحساب السابق ، فوقع في الزيادة . وتفصيل ذلك ان السنة الشمسية تتألف على الاصح من ٣٦٥ يوماً و ٥ ساعات و ٤٨ دقيقة و ٥٠ ثانية . فكان مقدار ما زاده الحساب اليولي كل سنة ١١ دقيقة و ١٠ ثوانٍ . وقد ادت هذه الزيادة كل ١٢٩ سنة الى تأليف يوم كامل . وبقيت هذه الايام المزيدة

يضاف بعضها الى بعض فاصبحت عشرة بعد بضعة عشر قرناً.

وعندئذٍ اتفق ان السعيد الذكر البابا غريغوريوس الثالث عشر كشف هذا الخطأ . واصدر في السنة ١٥٨٢ منشوراً يقضي باصلاحه وذلك بان حذف الايام العشرة المزيدة. وامر بان يبقى الحساب اليولي على حاله ، على ان يحذف منه كل ١٢٩ سنة ذلك اليوم الذي كان يزيد سابقاً. وحسابه هذا يعد الاكمل حتى الآن وعليه يجري في هذا العصر السواد الاعظم في المعمور من جميع الجنسيات والمذاهب .

اما مدة السنة فلم تكن اثني عشر شهراً عند عامة الشعوب . بل تقلبت عليها الاحوال فكانت عند فريق اربعة اشهر، وعند غيرهم ستة ، وجعلها رومولوس عشرة تبتدئ من مارس (شهر المريخ) وتنتهي في دسمبر (الشهر العاشر) ثم زاد عليها نوماس بمبيليوس وقيل تركينيوس شهري جانوريوس وفابروارس المقابلين لشهري كانون الثاني وشباط من شهورنا.

ووقع مثل ذلك التقلب لمطلع السنة فكان عند الاقدمين زمن الاعتدال الربيعي الذي يقع عادة في ٢٥ ايلول ، واختاروه لذلك لانهم رأوا الحصاد وقطف الثمار وجمعها تنتهي فيه ويبدأ بعده بالقاء البذار للسنة الجديدة ، وجعله آخرون زمن الاعتدال الربيعي الذي يقع عادةً في آذار ، وذلك لانهم رأوا الطبيعة تتجدد فيه مستأنفة الحياة . وجعله غيرهم قلب الصيف زمن الغلال وحصد الزروع . وجعله المسيحيون حيناً في عيد الميلاد ، وحيناً آخر في عيد الفصح ، باعتبار تجدد العالم بميلاد المخلص وقيامته . وكان احد امبراطرة الرومان جعل مطلع العام في السنة ١٥٣ قبل المسيح اول شهر جانوريوس المقابل لكانون الثاني . فلم تلبث الممالك ان تبعت هذا الحساب رويداً رويداً الى ان عمّ استعماله في اوربة في اواسط القرن الثامن عشر . ومنها انتشر في العالم حتى كاد يعمه باسره في هذا العصر.

الكانونان الاول والثاني

قلما تميز الامثال والتقاليد العامية بين هذين الشهرين الحاملين اسماً واحداً ، فآثرنا الكلام عنهما في فصل واحد.

كانون لفظة بابلية معناها «فصل الشتاء». والكانون في السريانية «متوقد النار». ويأتي فيها بمعنى الحبوب من عدس وحمص وفول وما شاكل. والكانون في العربية الرجل الثقيل. ولعلهم اطلقوه على هذين الشهرين لما شاهدوه فيهما من ثقل البرد وصعوبة الحركة.

اما الاول منهما فيبدأ فصل الشتاء في ٢١ منه ، ويقال ان الشمس تدخل حينذاك في برج الجدي. وله القاب منها « الشائب ، وشهر الجليد والصقيع ، وشهر الدخان ، والشهر المقدس » واسمه الافرنجي « دسمبر » من « ديسم » اللاتينية بمعنى العاشر.

وفي كانون الثاني تنتقل الشمس الى برج الدلو. ويصوّره الافرنج بهيئة شيخ مسنّ يسير متثاقلاً ، وقد حمل على ظهره زنبيلاً شحنه بالالعاب ليقدمها هدايا لصغار الاولاد بمناسبة عيد رأس السنة الواقع في اوله. يقابله في الافرنسية « جانفيه » من « جانوريوس » اللاتينية المأخوذة من « جانوس » وهو اسم اله روماني ذي وجهين ، يرمزون بهما الى انه يودّع السنة الماضية باحدهما ويستقبل الآتية بالآخر. ويصوّرون هذا الاله بهيئة رجل واقف ، وفي احدى يديه عصا ، ووجهاه ينظران الى جهتين مختلفتين. وفي ذلك مغزى لطيف يشير الى ما يجب ان يفعله المرء في اول العام من التطلع الى الماضي والمستقبل متخذاً العظات منهما لاصلاح شؤونه.

***

اما كانون في لبنان فتكون اوراق الاشجار قد تناثرت فيه بتأثير البرد ، واصبحت الارض جرداء خالية من الخضرة ، ذات منظر كئيب ، فتقول العامة في ذلك : « كانون الابرد خلّا الشجر امرد ». ولكن هناك اشجاراً تحتفظ بورقها

ولا يؤثر فيها برد كانون اخصها السنديان والصنوبر والزيتون فيقولون فيها : «كل الاشجار تتعرّى في كانون ما عدا العفص والصنوبر والزيتون . »

ويشتدّ البرد في كانون ، وتتساقط الثلوج ، فيمتنع الناس من الزيارات والاسفار والسعي في سبيل الرزق وامتيار المآكل. ولهم في ذلك اقوال يتناقلونها تنبّه الناس الى ضرورة ادّخار المؤن والملابس والوقود لمثل هذا الفصل البارد ، والى وجوب الاقامة فيه داخل البيوت الى جانب النيران وعدم التعرّض لاخطار الدنق والامراض بركوب متن الاسفار ، من ذلك قولهم :

« بين المواليد والقلندس (عيد الميلاد وعيد راس السنة) عند جارك لا تقرفص ، وان قرفصت لا تبات، يصبح عليك الثلج قامات »

وقولهم الآخر : « بين الغطاس والميلادي (عيد الميلاد) اياك تسافر يا غادي »

و«في كانون كثّر النار في الكانون » للاستدفاء بها دفعاً لاذى البرد.

و« في كانون كنّ ، وعلى الفقير حنّ ». اي لازم منزلك مستكناً لان الامطار تعرقل مساعيك وتعرضك للاخطار واعطِ الفقير الذي تسوء حاله في هذا الفصل البارد العاطل من العمل والحركة.

و«في كانون كنّ ببيتك جوّات ملحك وزيتك. » اي اجلس في بيتك قريباً مما عندك من المؤن.

و«بين المواليد والدنوح (عيد الغطاس) عند جارك لا تروح ، وان رحت خذ زوادتك معك. » لان الامطار والثلوج قد تعيقك عن الرجوع فتحتاج الى الطعام.

و«في كانون الصمّ ، اقعد في بيتك واحتم. » ويقول غيرهم : « اقعد في بيتك وانطمّ. » ومعنى احتمّ الزم الدفء، وانطم اي غطّ نفسك بالدثر دفعاً للبرد.

وتهبّ الاعاصير الشديدة الهوجاء في كانون فتقتلع الاشجار وتهدم المنازل وتقول العامة عنها : « رياح كانون شيبت النسور في الجو » والنسور يطول شبابها ولا تهرم . ولكن رياح كانون العنيفة بلتها على زعمهم بالشيب لفرط ما دفعتها اليه من الاهوال والاخطار التي جاءتها بالشيب قبل اوانه.

وتكون ليالي كانون عادة ذات عتمة شديدة فيضرب اللبنانيون فيها المثل.

ومن اقوالهم فيها : « عتمة كانون اذا مدّ الانسان فيها اصبعه لا يراها ». و«عتمة كانون لا يعرف الذئب فيها مرقده » اي لا يهتدي اليه.

ويروون في مسامراتهم ان الذئب والفرس تناظرا في ايهما احد بصراً فقال الذئب : « رأيت شعرة سوداء بارض شحّار في عتمة كانون من مسافة اربع ساعات ». وقالت الفرس : « رأيت شعرة بيضاء في صحن لبن على قوزة ثلج في قرة تشرين »

وجاء في امثالهم بهذا المعنى : « ما في انقى من قرة تشرين ولا اظلم (اشد ظلاماً) من عتمة كانون »

وفي اول العقد الثالث من كانون الاول يكون الانقلاب الشمسي وهو غاية طول الليل وقصر النهار . ولكن العامة تجعل ذلك في ٤ منه ، يوم عيد البربارة ، وتقول في ذلك : «في عيد البربارة بياخذ النهار من الليل قدر نطة الفارة»

وتتفجر الينابيع في هذا الشهر فيقولون في ذلك : « في عيد البربارة بتطلع الماء من وكر الفارة.» اي لا يبقى مكان خالياً من الماء.

والهواء الشرقي في كانون نذير الثلج ومن اقوالهم في ذلك : «شرقي الكوانين ثلج.» على ان الهواء الشرقي اذا هب في الشهور الاخرى كان نذير الحر والنشوفة ويعرف عندهم « بالشارق »

ويستدلون من رعد كانون على تساقط الثلوج في شباط ويقولون في ذلك : « كل رعدة بكانون ثلجة في شباط »

وتتكاثف الغيوم في كانون فتحجب الشمس وتجعل الناس ييأسون من ظهورها ثانية لطول ايام الحجابها ، ويروون رواية تؤيد ذلك موجزها : ان اعرابياً جاء الى لبنان في شهر الحصاد وخبر حرارة شمسه . فلما جاء كانون وقرس البرد اخذ يرقب الشمس فلم يرها فسأل احدهم قائلاً : «يا اخا العرب هل شمس الحصيدة تعود ؟ » اجابه نعم تعود . قال البدوي : «والله لو عادت ما تعود حرارتها .» اي انه لشدة ما ناله من البرد ولطول الحجاب الشمس عنه اصبح يائساً من عود تلك الحرارة التي رآها في الصيف السابق

ويبدأ اللبنانيون من كانون الاول بغرس نضوب الاشجار على اختلافها .

ولقد عرفوا بطول الاختبار ، وبما تعلموه عن اسلافهم ، ان النصوب التي تغرس في أول الشتاء تفوق بنموها وغضارتها النصوب التي تغرس في آخره . لذلك يقولون في امثالهم : « نصبة كانون الاول خير من نصبة عام اول » يريدون بذلك ان النصبة المغروسة في كانون الاول من السنة الجارية تفضل النصبة المغروسة في شهر آخر متأخر من السنة التي تليها ويقولون ايضاً : « نصبة كانون الثاني قوام بتصير تاني . » ومعناه النصبة التي تغرس في كانون الثاني لا تلبث ان تصير جسراً تسقف به المنازل ، ومن اقوالهم بهذا المعنى : « احسن زراعة في القطاعة . » اي قطاعة الميلاد من ١٣ الى ٢٤ كانون الاول ، وقولهم : « الاشجار الضخمة لا تروى الا من مطر كانون » لانه يكون عادة اغزر امطار الشتاء . وكانون عندهم « فحل الشتاء . » اي ان الارض لا تعطي الغلال الوفيرة اذا لم تروَ كفاية في كانون .

وفي كانون يشحّارون الزيتون ، ويزرعون منه النصوب . ويروون ان اميراً مرّ بشيخ لبناني فرآه يزرع الزيتون في برد كانون فاعجب بهذا الرجل العاجز يكلف نفسه مثل هذا العناء ، ويزرع شجراً لايثمر الا بعد سنين طويلة يكون فيها الزارع قد صار في عالم الابدية ، فسأله عن ذلك فقال : « ايها الامير اورثنا من قبلنا ونحن نورث من بعدنا . » فامر له الامير بصلة . قال الشيخ : « ايها الامير قلت ان هذا الشجر غير معجل الغلة وقد شاء الله ان يغلّ في سنته الاولى » فضحك الامير وامر له بصلة ثانية . فقال الشيخ : « وقد اعطى غلتين . » فمضى الامير وهو معجب بحكمة الشيخ وهمته . ومثل هذا الشيخ كثير ، والحمد لله ، بين شيوخ لبنان .

(للكلام صلة)

حول «الشعر والشعراء»

بقلم فؤاد افرام البستاني
استاذ الآداب العربية في كلية القديس يوسف

توطئة

ليس المقصود «بالشعر والشعراء» كتاب ابن قتيبة النقاد القديم المعروف . انما هو كتاب جديد[1] ألفه نقاد لبناني معاصر في الشعر والشعراء المعاصرين ، واصدره من زاوية عزلته في احد سجون المكسيك ، فنشرته على العالم العربي جريدة الهدى النيويوركية . ظهر الكتاب اولاً مقالات متتابعة احدثت شيئاً من الارتياح الممزوج بالاعجاب في قلوب البعض ، وشيئاً من الانقباض المختلط بالقلق في قلوب البعض الآخر ، اذ رأوا فيها جرأة لم يتعوّدوها ، ووجهةً في النظر لا هي بالقديمة التقليدية ولا هي بالجديدة الصرفة . فكان ان من اعتبروا الكتاب اولاً ملهاة ادبية لا بأس ان يلهو بتركيبها من ارغم على اعتزال الناس، ولا بأس ان يطلع عليها من تروقهم مظاهر الادب ، اعادوا النظر فيه مدققين فرأوا آراء وملاحظات قد يجدر بالاديب ان ينتبه لها ، ويتوقف عند بعضها . وكان ان توفي ثلاثة من الشعراء الذين يذكرهم الناقد دارساً شاعريتهم ، وهم محبوب الخوري الشرتوني (٢٧ حزيران ١٩٣١) وحافظ ابراهيم (٢١ تموز ١٩٣٢) واحمد شوقي (١٣ تشرين الاول

---

١) الشعر والشعراء: فصول انتقادية ادبية بقلم خليل ضاهر . نُشرت تباعاً في جريدة الهدى بتوقيع « ابن جنّي» – مطبعة الهدى اليومية في بروكلن ، نيويرك ، سنة ١٩٣١ ، ٢٠٠ صفحة متوسطة .

١٩٣٢). فاصبح من المفيد ان تُعرف احكام المؤلف فيهم ، وهم احياء ، فتُعرض الى جنب الاقوال الكثيرة المتباينة التي تتابعت ، ولما تزل ، على صفحات الجرائد والمجلات منذ وفاتهم ، ولاسيما منذ وفاة الاخير منهم . وكان من احكام الظروف ان الكتاب لم ينتشر الانتشار الكافي في بلادنا الشرقية . فرأينا ان نعرض له فنجتهد في استخراج روح كاتبه ، ووجهة نظره في الحكم على معاصريه من الشعراء ، وذلك على طريقة موضوعية بحتة ، محتفظين بحقّ تعليق بعض الملاحظات على الاحكام المختلفة .

يمثل المؤلف مذهباً في النقد نعتقد ان من المفيد تحديده والاطلاع عليه ، لانه مذهب انتقالي قد يصبح من الصعب ان نرى كثيراً من ممثليه في المستقبل . هو مذهب انتقالي في الثقافة الادبية ولاسيما الشعرية منها : انتقالي باختياره الشعراء الذين كانت تدور اسماؤهم على الالسنة ، لعشرين سنة خلت ، في الاندية اللبنانية خصوصاً ؛ انتقالي باعراضه عن غيرهم من المعاصرين الذين لم ينبغوا الّا بعد الحرب الكبرى ؛ انتقالي بطريقة تذوّقه اولئك الشعراء وتحليل مواهبهم ؛ انتقالي بنوعية حكمهم عليهم ناظراً خصوصاً الى ما يدعوه «بالصناعة الشعرية» . وهكذا فاننا نرى الناقد يستند من اسلوب الاقدمين الى التحاليل البيانية على انواعها وما تجرّه من مآخذ يتعلق اكثرها بالصناعة المذكورة ، ويستند من اسلوب المحدثين الى تعليل هذه المآخذ المتنوّعة والى شيء من تقدير معنوية الشعر المنقود . يضيف الى ذلك فطرةً نقدية لا بأس بها ، وجرأة تروق كل من يطالعه مجرّداً عن الاهواء . الّا انه لا يصل من كل هذه العناصر النقدية الى اسلوب متماسك الاجزاء ، واضح الرسوم ، ذي وحدة ادبية ماثلة المظاهر . انما الكتاب اشبه بتعاليق متنوّعة من بيانية لفظاً ومعنًى ، وعروضية ، ولغوية ، ونحوية ، وتاريخية ايضاً على كثير من شعر المعاصرين ، تعاليق مفيدة بافرادها ، ولكنها ، مجموعةً ، لا تؤلف تلك الوحدة الضرورية التي اشرنا اليها . ولعلّ لوجود الكاتب بعيداً عن كل مرجع ادبي « حيث لا كتاب ثقة يُركن اليه او ديوان شعر يُستعان به»[1] ،

١) الكتاب : ص : ١

ولكونه كتب فصوله دون سابق تصميم فلم يُقدّر ما سوف يتسع له الكلام حتى انه شعر ببعض النقص « فلم يجد بعدئذٍ من سبيل الى الزيادة على ما كان قد نُضّد ونُشر على صفحات « الهدى »[1]؛ لعلّ لكلّ هذا تأثيراً في ما نراه من نقص تأليفي في كتابٍ دلّ على جهد بليغ واطلاع واسع اذ كان ثمرة «ما بلغت اليه الطاقة بين الفرار من السكينة واليسير من فتور اختلاجات النفس.»[2]

يتضمن الكتاب دروساً متنوّعة في عشرة من اشهر شعراء العصر المتداولة اسماؤهم منذ اكثر من عشرين سنة، متفرّقين في مصر ولبنان والعراق وديار المهجر، منهم من استراح من متاعب الدنيا، كما قدمنا، ولكنهم لم يخلصوا من متاعب النقد، ومنهم من لا يزال حاملاً نصيبه من هموم هذه الحياة وما تجره من مشقات حتى في محيط الادب. ولما لم يكن في الكتاب من تصميم مقرّر رأينا ان نقسم درسنا الى ثلاثة اقسام نعرض في اولها لآراء الناقد في شعراء مصر، وبهم يبدأ كتابه، ونفرد الثاني لشعراء الوطن، خاصين الثالث بكلمة نقولها عن شعراء المهجر.

١

شعراء مصر

شوقي — حافظ — المطران

يبدأ الاديب خليل ضاهر نقده بذكر شوقي فيخصّ به نحو ربع الكتاب، تاركاً الثلاثة الارباع للشعراء التسعة الباقين. تسيّره في كل ذلك عاطفة الاعجاب والاكبار. وهذا كله من ثمار تلك الثقافة الانتقاليـة التي كانت تفرض على اربابها الاعجاب بالشاعر المصري الكبير، وتقـدر سائر الشعراء بالنسبة اليه. فشوقي، في نظر صاحب الكتاب، « الشاعر العظيم »، و«الشاعر الفذّ»، و«صاحب العقل الفوّار الذكاء»، و«اشعر المتقدّمين والمتأخرين اذا نُظر في صفات شعره

---

١) الكتاب: ص: ز

٢) الكتاب: ص: ح

نظرة اجمالية » ، بـل هو « امير الشعراء وحامل لوائهم » ، يقول ذلـك جاداً ويستشهد عليه بقول حافظ ابراهيم اذ « وقف في مهرجان شوقي وبايعه الامارة» على قول الجرائد ، فقال :

امير القوافي ، قد أتيتُ مبـايعاً : وهذي وفود الشرق قد بايعت معي !

ويستشهد ايضاً بغير ذلك من الاقوال ، حتى يكاد يجعل من شوقي مثالاً اعلى للشعر في كل زمان ومكان . ومن المفكه في ذلك أنه ذكر ، في مـا خصّ حافظ ابراهيم وخليل مطران ، حكم احد النابهين المتمصرين القائل : « لو استطعنا المجيء بشاعر واحد من حافظ ومطران — الاول بمبـانيه والثاني بمعانيه — لاخرجنا الى العربية شاعراً نباهي به الغرب .» ذكر الناقد هذا الحكم فاقرّ « حقيقته الراهنة » ، ولكنه احتاط له بقوله : « لكن يجب علينا ان نستثني شوقي . ولعل الحسيب الاديب اراد القول انه لو وجد هذا الشاعر لنازع شوقي الامارة .» [1] (كذا !)

ويمضي الناقد في تعداد حسنات شوقي ، مشيراً الى انه كان « ككل شاعر في بداية معالجته النظم ينسج على منوال من تقدّمه من الشعراء المبرّزين متحدّياً اقربهم الى ذوقه .» وانه كان ، في اوائل شعره ، «ينهج نهج ابي الطيّب . وليست قصيدته في الحرب التركية اللبنانية الّا قصاصة من شعر المتنبي .» ولكن لا تتقدم السنّ بشوقي حتى يصبح الشاعر الشخصي المبتكر فيظهر الفرق لمن «نظر في شعره القديم وشعره الحديث . ولا بدع فهي سنّة التطور والارتقاء . بالرغم من ان له وثبات في ذلك الوقت قلّما يتوفق اليها اليوم .» [2] وهذه الملاحظة الاخيرة على قسط وافر من الصحة يتحقّقه كل من تابع شعر شوقي في سنواته الاخيرة. ثم يذكر من تلك الروائع الهمزية التي انشدها الشاعر في المؤتمر الشرقي الدولي، و« خدعوها » « التي لم يصل اليها شاعر » ، والقافية في دمشق ، ومعارضة البُردة ، والناقد يفضل مطلعها على مطلع « البردة » ، والبائية التي يخاطب فيهـا اللنبي ، والنونية في زحلة ، ومراثيه في سعد زغلول ، واسماعيل صبري ، ومصطفى كامل،

١) الكتاب : ص ٥١

٢) الكتاب : ص ٦

والمتفلوطي . والناقد يعجب — وحق له الاعجاب — بالميمية في رثاء ادرنه « اخت الاندلس . » فيبين حسناتها من دقة وصف ، وصدق تمثيل ، وبلاغة تعبير ، وجدة ديباجة ، ورنة موسيقى واستنهاض للهمم ، وتفنن بايراد الحكم ، كل ذلك في تنسيق محكم . حتى انك « لا تجد بين ما نظمه المتقدمون قصيدة تناسبت ابياتها كهذه بحيث انك لو اردت الاشارة الى حسناتها لاضطررت الى ابرازها برمتها . وهي وان لم تكن احسن ما نظمه شوقي فانها من عيون الشعر الخالد من تليد وطارف . »[1] ويقابل بين هذه القصيدة والبائية في وصف مواقع الحرب التركية اليونانية :

بسيفك يعلو الحقُّ والحقُّ اغلبُ وبنصر دين الله أيان تضربُ

فيرى سموّ الاولى وضعف هذه التي « لم يخرج فيها ، على بلاغتها وتفننه في الوصف ، عن طريقة من تقدمه من حيث التشابيه والاستعارات والفلو البياني . »[2] وقد كان بامكان الناقد ان يُلحق بهذه البائية بائية ثانية نظمها شوقي في انتصار مصطفى كمال على اليونان فسار فيها على اثر ابي تمام ، سيره في الاولى على اثر المتنبي ، كما يقول الناقد . واغرق فيها في التلاعب اللفظي حتى ادرك الجناس المضحك بقوله عن اليونان :

ما كان ماء سقاريا سوى سقرٍ طغت فاغرقت الاغريق في اللهبِ
لما انبرت نارها تبغيهم حطباً كانت فيا دهم حمالة الحطبِ

والغريب انه لا يزال بين ادباء مصر حتى اليوم من يزعم ان هذا من « الجديد الجيّد » ومن « الشعر الفاخر . »[3]

ولا يقف صاحب الكتاب عند هذا الحدّ في ذكر حسنات شوقي الا لانه « لم يستعن بغير الذاكرة . » وهو ينصح لطلاب الشعر والمتأدبين ان يرجعوا الى الديوان « ففيه من المعجزات ما لا نهاية له في الحسن فضلاً عن جلائل قلائده التي لم تُنشر بعد . »[4]

١) الكتاب : ص ١٤—١٥
٢) الكتاب : ص ١٢
٣) عباس الجمل : في جريدة « الكشّاف » ، مصر ، بتاريخ ١٦ ايلول ١٩٣٧
٤) الكتاب : ص ٢٨

ولما كان النقد الصحيح الصريح ، والكاتب يأخذ به اشدّ الاخذ ، يقضي بذكر السيئات قضاءه بذكر الحسنات ، دُفع الاديب الى مواجهة نقائص شاعره المفضّل . فوطأ لذلك بتوطئة لطيفة بدأها بالقول « ان لا عصمة الّا لله . . . وان صناعة الشعر ولاسيما العربي اكثر الاعمال مشقة . . . وان الرجل من تغلبت حسناته على سيئاته . . . » الخ راميًا بذلك الى « نفي الريب عن شاعرية شوقي لدى قليلي الاطلاع الذين يؤخذون باقوال هذا وذاك . »[1] والدفاع عن شوقي من الغايات الاساسية في تأليف الكتاب ، كما يستنتج من المقدمة .

ثم يأخذ على « امير الشعراء » بعض الهفوات النحوية واللغويـة والنقائص العروضية كسناد الردف « الكثير في شعره القديم . » على ان الناقـد يخفّف وطأة هذا الاخذ بقوله عن الشاعر : « ولعله يعرف ما لا نعرفه » .[2] ومما يأخذ عليه فيصيب كل الاصابة تلك المناقضات المعنويـة والشطحات الفكرية التي تكثر في حِكَم شوقي ، وبعض مقاطعه التاريخية ، ومقابلاته عيسى بمحمّد ، والهلال بالصليب ، والشيوخ بالخاخامين ، وما اشبه من السفسطات والاضاليل . على انه في كل ذلك يفتّش عن مخرج لشاعره « الفذّ . » ثم يلمّ بسرقات شوقي فيشير الى قسم صالح منها دون ان يذكر اللفظة تأدّبًا . وهو يدلّ في جميع ما تقدّم على اطّلاع واسع الى اعجاب مخلص بالشاعر الكبير .

ويختم كلامه « بسلام الله على النبوغ والعبقرية »[3] بعد ان ينحي باللائمة على شارح ديوان شوقي لاقتصاره على تفسير المفردات دون ذكر الافادات التاريخية اللازمة لفهم بعض الابيات ، وهو يشفق ، بكل اخلاص ، من ان يأتي في الاجيال المقبلة من لا يفهم هذين البيتين :

ام بالتكاتف حول الحقّ في بلـدٍ من اربعين ينادي الويـل والحربا
يا ربّ من مات في شرخ الشباب بها ومن قضى دونها جوعان مغتربا

---

١) الكتاب : ص ٢٩
٢) الكتاب : ص ٣١
٣) الكتاب : ص ٤٣

فيقول :

« وعنوان القصيدة مشروع ٢٨ فبراير – لا اثر فيه للسنة – ولا شرح لهذين البيتين البتة .

« فيجب اذن على من يقرأها بعد مئات السنين ان يكون نبياً ليدرك ان المقصود في البيت الاول سنوات الاحتلال ، وفي المصراع الاول من البيت الثاني مصطفى كامل ، وفي الشطر الثاني محمد فريد رئيس الحزب الوطني من بعد الاول – والاخير منهما مات في المنفى . » (١

قلنا : ومن يقرأ هذين البيتين بعد عشرات السنين ؟ فضلاً عن المئات . . . فليطمئن اديبنا بالاً !

* * *

بعد ان يقوم الناقد بواجبه نحو « الامير » يلتفت فلا يرى « في لائحة الامة الناطقة بالعربية من مرشح للاريكة بعد «الامير »[٢] سوى حافظ ابراهيم وخليل مطران . فيذكرهما بعد شوقي مجموعين في عنوان واحد ، مخصصاً لهما عشر صفحات .

اما حافظ ابرهيم فهو « نسيج وحده في فخامة مبانيه وفصاحة الفاظه » له « في الاجتماعيات مواقف مشهورة » حتى ان جرائد مصر اطلقت عليه لقب « شاعر الاجتماع »[٣] « وكثيراً ما يطرق ابواب السياسة والاجتماع معاً فيجيد ويطرب »[٣] بما خصه به الله من « براعة الاستهلال » . ثم يقسم الناقد الشعر الى قسمين : « قسم لتقرأه بنفسك ، والثاني لتسمعه يُلقى . وشعر حافظ من النوع الثاني ، وهو اشبه بموسيقى ذات خمسين بوقاً يرتج لها المكان بما فيه اثر كل ضربة . »[٤] حتى اذا طبعت القصيدة وتلاها المطالع منفردة يزول من نفسه ذاك الأثر . ويأخذ الناقد على حافظ بعض الهفوات التركيبية وبعض المناقضات المعنوية . ومن اللذيذ المفيد ان نلاحظ هنا انه كان قد اخذ كذلك على شوقي عدداً من هذه المناقضات المعنوية ، فكان حكمه على « امير الشعراء » ان

١) الكتاب : ص ٤٢–٤٣
٢) الكتاب : ص ٥١
٣) الكتاب : ص ٥٢
٤) الكتاب : ص ٥٥

ذلك « من الزلات المغتفرة اذ لكل مقام مقال.»[1] وكان حكمه على حافظ ان « الشعراء في كل وادٍ يهيمون.»[2] . . .

واما خليل المطران « فابعد الشعراء مرمىً ، واصحهم لغةً ، شديد الحرص على قوانينها ولو توهم البعض مروقه من انظمتها . ينحو نحو شعراء الافرنج في ايثار المعنى على المبنى محتفظاً بطريقة العرب في التعبير دون ما نظر الى الرنة — وهي في كنه ضميره كالقشور بجانب اللباب — ولا تقرأ له كلمة لا تنطوي على كبير معنى ، دقيق التصوّر ، سامي الخيال.»[3]

هذا خير اجمال لشاعرية المطران. وقد استشهد عليه الاديب بذكر وقفات لشاعر القطرين « كان فيها القرين القمن بان يسمى ثالث القمرين » ، يريد انه يستحق الرتبة الثالثة ، بعد شوقي وحافظ. على ان وصفه الاعلى للمطران يؤهله لمنزلة اسمى مما يقصد الاديب. هذا وليس في الابيات التي استشهد بها ما يدلّ على انه اطّلع على النيرونيّة ، وكان من حقّه ان يسهب في وصفها ، لو وقف عليها.

وعلى كل فقد اعتذر المؤلف ، في المقدمة ، عن هذا التقصير بقوله انه « لم يكن في يده الّا القليل من منظومات حافظ والمطران ووديع عقل وبشاره الخوري.»[4]

وسنعرض في العدد القادم لآراء الناقد في شعراء الوطن.

---

١) الكتاب: ص ٣٧
٢) الكتاب: ص ٥٣
٣) الكتاب: ص ٥٧
٤) الكتاب: ص ز

طاغية القرية

مأساة ذات فصلين

بقلم يوسف غصوب

أسماء الأشخاص

شهيد فتى لبناني في الثلاثين من عمره. هاجر الى البلاد الاجنبية (المكسيك) ثم عاد بعد غياب خمس عشرة سنة. حليق الشاربين. على وجهه كآبة وفي قسمه شمم.

خليل الهاشم (ابو شهيد) رجل في الستين من عمره، متوسط القامة، غليظ الرأس، له شاربان ايمنان، وحاجبان كثيفان يشرفان على عينيه. وجهه متماسك، بارز الذقن. يلبس الطربوش المغربي عليه كوفية سوداء، وبرتدي سراويل وجداناً كاللبنانيين منذ ثلاثين سنة. حركاته سريعة، وفي نطقه نبرة وغلظة.

مريم زوجة خليل. في الخمسين من عمرها، وجه رائق كئيب، وثياب سوداء بسيطة.

ليلى ابنة خليل. في الثانية والعشرين من عمرها، جميلة، شاحبة الوجه، عينان سوداوان، ومنطق عذب. ثياب بسيطة.

فارس فلاح لبناني.

شحاذ

مكارون

المسرح

دار لبنانية في احدى قرى الجبل. في صدر البيت، الى الجهة اليمنى منه، قنطرة تطل على الطريق وعلى القرية. يرى منها مناظر لبنانية كجبل مثلاً واشجار صنوبر. وفي الجهة اليسرى باب ينفتح على غرفة يُصعد اليها بدرجتين. ثم في الجانب الايمن باب يؤدي الى الخارج، وباب غرفة يقابلها في الجانب الايسر بابا غرفتين. في صحن الدار طاولة عليها قنديل وسكين، وعلى الارض سفط فيه ثياب. وعلى الجدار الايسر صورة للعذراء امامها، على رف، كباية زيت مضاءة.

تاريخ وقوع الحادثة حوالي سنة ١٩٠٠، في قرية من قرى لبنان.

(حقوق التمثيل محفوظة للمؤلف)

الفصل الاول

المشهد الاول

مريم . ليلى

يُرفع الستار رويداً رويداً فتبدو مريم جالسةً الى الطاولة ، وهي ترقع ثياباً على ضوء القنديل ويُرى الى جانب النطرة التي تطلّ على الطريق ليلى واقفة تنظر الى المخارج حيث ضوء القمر ينير القرية ، وتصيخ الى صوت « القصب » الذي سُمع قبل رفع الستار من بعيد ، ثم تقارب ، ثم تباعد حتى تلاشى .

عندما ينقطع صوت القصب ، تنادي مريم ابنتها فترتمش كأنها افاقت من نوم .

مريم (تنادي ابنتها وهي ترقع) ليلى . . . (كأنّ ليلى لم تسمع . ترفع مريم رأسها وتنادي بصوت اعلى) يا ليلى . . .

ليلى أمي !

مريم قرّبي لي هذا السفط . . . ارفعي ضوء القنديل قليلاً (تنظر اليها فتراها حزينة) ماذا يا ولدي ! ؟ ما بكِ ! وجهكِ شاحب . . . وكأنّ الدمع في عينيك !

ليلى لا شي . .

مريم انظري اليّ . . . ما بك ؟ قولي .

ليلى لا شي . .

مريم متى كنتِ تكتمينني اسرارك ؟ قولي ، هل تشعرين بألم ؟ مجّي لك تكلّمي . تكلّمي ، قولي .

ليلى هواجس صبيانية يا أمي . ليس ما يدعو الى القلق .

مريم ما هي هذه الهواجس !

ليلى لا شي . . . خففي روعك ، يا امي ، لا تشغلي بالك .

مريم الستُ انا امك يا بنيتي ، يا ولدي ، الست موضع سرك ؟ خبريني .

ليلى كنتُ عند المساء واقفة على سطح البيت ، امام البحر ، انظر الى بيروت . وكانت الشمس قد قاربت الغروب ، واذا بباخرة قد ظهرت

في الافق الاحمر البعيد كأنها نقطة سوداء . واخذت تدنو قليلاً فقليلاً ، ودخانها يرتفع في الفضاء ويرسم على صفحة السماء اشكالاً والواناً . وبينا انا اتأملها اذا بغراب كأنه انفصل من ذلك الدخان قد علا في الجوّ ، واقبل يرفّ بجناحيه السوداوين حتى اذا صار فوق رأسي انقضّ منحدراً وكاد ان يلمس حَورة البستان . ونعق نعقات متوالية ، ثم عاد من حيث اتى .

مريم خرافات ، يا ولدي . هذه اوهام . اتعتقدين بمثل هذه الخافات ؟

ليلى وظلت الباخرة تشقّ عباب البحر حتى دخلت المرفأ ، وعيناي لا تتحولان عنها . . وقلبي منقبض كأن يداً حديدية تضغط عليه ، وهو لا يزال . . .

مريم (تحاول ان تبتسم) حقاً ، يا ليلى ، ان افكارك لا تزال صبيانية . دعي هذه الهواجس ، واجلسي قبالتي .

ليلى (الدمعة في عينيها) .

مريم يا ليلى ، ما هذا البكاء ؟ انسيتِ انك منهوكة القوى ، وان الحمى لم تفارقك الا من زمن قريب ! فأدنى تأثير يُضرّ بصحتك .

ليلى (متابعة خيالها) ثم تصوّرت فتًى امامي . . . خمس عشرة سنة . . . عينان زرقاوان . . . شعر الشقر متطاير في الهواء ، وجه ضحوك . . . ذقن بارز . يأخذني بين يديه . وانا اذ ذاك كاللعبة فيرفعني فوق رأسه ويقبلني . . . أخي ، هو أخي اين هو ؟

مريم الافضل ، يا ولدي ، ان تذهبي الى فراشك .

ليلى حدثيني عنه ، قولي لي اين هو ؟ . . . هاجر منذ زمان طويل . هاجر كما هاجر غيره . ولكنّ المهاجرين يكتبون لاهلهم . ولكن الكثيرين منهم يعودون من الوطن . اما هو فلا يكتب . اما هو فلا يذكر . لمَ هاجر اخي ؟ نحن ، والحمد لله ، في بحبوحة من العيش تكاد القرية ان تكون لنا بجملتها .

مريم اسكتي ، يا ليلى . . . اذهبي لفراشك .

ليلى كلما رأيت الصبايا يتنزهن مع اخواتهن يضيق صدري ويتسارع الدمع الى عيني

مريم كفى يا ليلى ... انك تنكئين جرحاً اليماً وتجددين ذكرى مرة . ان في صدري اشياء تكاد ان تخنقني، وانا اكتمها عنك، فلا تحرجيني الى النطق بها.

ليلى اشركيني في آلامك يا اماه.

مريم ماذا اقول يا بنيتي . انك في وهم وضلال . هذه القرية التي تدعين انها لنا هي خلاصة مظالم لا تحصى ... انك لتجدين على كل خشبة من خشب اكواخها، وعلى كل حجر من حجارة بيوتها لفظة «الظلم» مكتوبة بدم الفقراء ... لم نكن من قبل ما نحن الآن، كما تتوهمين ... كأن لنا هذا البيت وما حوله ... ثم اخذت تمتد املاكنا كما تمتد السنة النار في زرع يابس.

ليلى ومن اشعل هذه النار ؟

مريم من اشعل هذه النار ؟ اشعلها ابوك . ابوك ذو القلب الحجري، ابوك الطماع القاسي . الرجل الخائل، الرجل الذي لا تمس يده شيئاً الا كسره . آه ! نحن شقيتان يا ولدي ... نحن عبدتان ضعيفتان حقيرتان في هذا البيت المظلم . نحن لا نرد ضيماً ولا ندفع أذى (تكاد تبكي)

ليلى سامحيني، يا امي . فقد اثرت شجونك، واسلت دموعك.

مريم ابوك من عبدة المال . انه يدوس على قلوب الارامل، ووجوه الفقراء ليصل الى فلس مطروح بعيداً عنه ... لا يعيش الا للمال، لا يحلم الا بالمال، لا يرى الا المال ... هل رأيته يوماً يبتسم ابتسامة صادقة ؟ هل هش لك يوماً ؟ هل حضنك يوماً ؟ هل ضمك الى صدره ؟ من انا ؟ من انت ؟ نحن امتعة ملقاة في البيت لا تفيد شيئاً . الثور الذي يحرث الحقل، والشجرة التي تثمر، هما افضل منا ... تسألينني لماذا هاجر شهيد اخوك ! ...

ليلى كفى، يا امي، كفى . بحقك، كفى !

مريم شهيد اخوك روح طاهرة.

ليلى أمي !!

مريم لما ترعرع وغا واخذ يستأنس بالحياة ، وانفتح قلبه للشباب ، التفت حوله فما وجد الا وجوهاً مغلقة ، ونظرات ملؤها الضغينة والحقد . فكان اذا اقترب من فتى ليمدّ اليه يده سلّ ذلك الفتى اصابعه ومشى. وكان اذا ولج على جماعة من الشبّان يغنون ويرقصون انقطعوا عن لهوهم وحوّلوا عنه لحاظهم ، وربما تفرقوا عنه وتركوه وحيداً . فكان شهيد يتألم . وكان يرجع الى البيت حزيناً . وكم من مرة رأيته منفرداً في غرفته وهو يبكي ... ولكنه تجلّد ، وفتح قلبه للفقراء ، وتواضع لهم وتقرب منهم بكل وداعة وعطف حتى كسر شيئاً من حدة بغضهم . فاخذ بعضهم يميل اليه . ولكنّ اباه كان ينظر الى هذا التصرّف نظر الغيظ والحنق ، وقد سمعته مراراً يشدّد عليه في تجنّب هذه الشفقة وهذا العطف ويقول له: « يا لك من شقي ؟ كاني بك تنفق في يوم واحد ما جمعته في السنين الطوال ! »

ليلى بحقي عليك يا اماه ، الا كففتِ عن هذه الذكريات الدامية !

مريم وما زال الوالد والابن في نفور وتناقض حتى طفح الكيل وانفجر المرجل ... كنتِ ، يا ولدي ، صغيرة جداً ، فلا تذكرين شيئاً من هذا ... في هذه الغرفة ، وامام هذه الصورة ، صورة العذراء ، تصادم ابوكِ وشهيد ، امام نفر من الدرك وامرأة ارملة مسكينة . ومن هذه الغرفة ذهب شهيد ولم يرجع ...

كان لابيك دين على هذه المرأة ، فاخذ به حكماً عليها وامرأ ببيع كل ما تملك لاستيفائه . ولم يكن لها الّا بيت حقير وقطعة ارض امامه . فجاءت تترجى وتبكي ، واستصحبت طفلها معها ، وجثت على قدمي ابيك واستعطفت حتى رقّ لها الجندي . اما ابوك فكان كالصخرة الصماء.

فلما رأى ذلك شهيد لم يملك عبراته،فاخذ يحنن قلب ابيه بالفاظ

كلها عطف وحنوّ ، وارتمى على يده يقبلهـا ، فلم ينل منه شيئاً . فاستشاط اذ ذاك شهيد غضباً ، ورفع صوته قائلاً : « ان لم تعطف على هذه المسكينة فانا ذاهب ولن ارجع . » فصفعه ابوك صفعـةً لا يزال دويّها يرنّ في أذنيّ ، وصاح به : « اذهب الى حيث شئت فـلا خير فيك » . . . وهاجر شهيد . ولم يعد . ولم يكتب . ولا نعرف اين هو .

ليلى (تبكي)

مريم اما الأرملة فمات طفلها ، وفقدت عقلهـا . وكانت كلما وقفت على الابواب تتسوّل تدعو على ابيك ، وتدعو علينا جميعاً .

ليلى رُحماك ، اللهم ! رحماكِ ، ايتها العذراء !

مريم وانني منذ ذلك الحين انتظر المصيبة كل يوم . وكلما فتحتُ الباب اتصوّر انها وراءه .

ليلى صبراً ، يا امي ، تعالي نصلّي لعلّ الله يردّ عنـا غضبه . لنحسن الى الفقراء ، لنصنع الجميل . لعلّ الاحسان يردّ المصيبة !

مريم ولكن الفقراء لا يأكلون خبزنا ، يا ولدي ، يخافون شرّ خبزنا . ولا يستعطي على بابنا الا الغرباء . فهم لا علم لهم باللعنة المسكوبة علينا .

(تقف المرأتان امام ايقونة العذراء تصليان . عندئذ يسمع من بعيد نشيد (١ متسوّل يقترب قليلاً فقليلاً ، حتى اذا وصل امام البيت وقف عن الانشاد . تدخل ليلى الغرفة وتأتي برغيفين)

الفقير (من الخارج) أعطوني الله يعطيكم !

ليلى هذا فقير جاء البارحة ، وقد اوصيته ان يرجع .

(تجلس مريم الى الطاولة بينما ليلى تعطي الفقير . وفي هـذه الآونة يبدو ابو شهيد في الباب ويرى ابنته على هذه الحالة ، فيحدق نظره اليها غاضباً ، وهي تقول للفقير :)

صلِّ لاجلنا ، يا اخي .

---

١) يمكن ان ينشد الفقير هذين البيتين :

ناءٍ عن الاهل ، مسكين اضرّ به طول البعاد ودهرٌ ظالم قاسِ
هل راحم يرتجي اجراً فيرحمه ! لا يذهب العرف بين الله والناس !

(لها صلة)

جولة في المجلات

استعمال اللغة السريانية في الطقس البيزنطي في صيدنايا

قد يذكر قراؤنا تلك المناظرات الشديدة التي قامت ، لثلاثين سنة خلت ، حول استعمال الروم ، من ارثوذكس وكاثوليك ، للغة السريانية في طقوسهم البيزنطية ، وما ادّت اليه من جدال عنيف ومكابرة بعيدة عن روح العلم المتجرّد . وقد اطلعنا مؤخرًا في مجلة « المسرّة » (كانون الاول ١٩٣٢ ، ص ٥٩١-٦٠٢) على بحث دقيق بالعنوان اعلاه مقتطف من كتاب نفيس وضعه المؤرخ المدقق السيد حبيب زيّات بعنوان « خفايا الزوايا من تاريخ صيدنايا . » جال الكاتب في موضوعات عديدة تدور كلها حول ذاك الدير الشهير ، ومنها البحث الذي يعنينا اليوم . فابان اهمية هذا الموضوع في معرفة لغة الملكيين الطقسية في كل الديار الشرقية قبل القرن الثامن عشر . واشار الى الصعوبات التي تعترض الباحث في ذلك ، والى المناظرات العديدة الآخذة بعضها بل اكثرها ، مأخذ الهوى والميل والتعصّب . ثم قال : « ومهما يكن من دعوى الفريقين فلا مشاحة ان اهل القرى والجبال كانوا اكثر ما يتكلمون بالسريانية او يعلّمون بها الى حين تعلموا العربية فجمعوا بين اللغتين . وبقيت منهم بقية الى اواخر القرن الثامن عشر . » واشار الى المخطوطات الملكية السريانية المحفوظة في رومة وباريس والشام ولبنان وكلها تدلّ على ذلك . ثم خصّ بكلامه دير صيدنايا فقال (ص ٥٩٤) :

ولا ريب انه لو كانت سلمت لنا مخطوطات دير السيدة ورقوقها ولم تتلفها يد الغباوة والجهل لامكننا ان نقف فيها على اسماء كثيرين من نساخ صيدنايا في السريانية وبينهم بعض رهبان الدير ورؤسائه واحباره . ومن طالع كتاباتهم وتعليقاتهم التي ترى اليوم على عدة مصاحف سريانية مصونة في الخزائن الاوربية وكانت موقوفة على كنائس صيدنايا او مستعملة فيها يتحقق لاول وهلة ان كلًا من الاساقفة الذين تتابعوا على صيدنايا حتى اوائل القرن الثامن عشر كان يعرف الارامية ويكتبها ويصلي بها الطقوس البيزنطية . وسيأتي

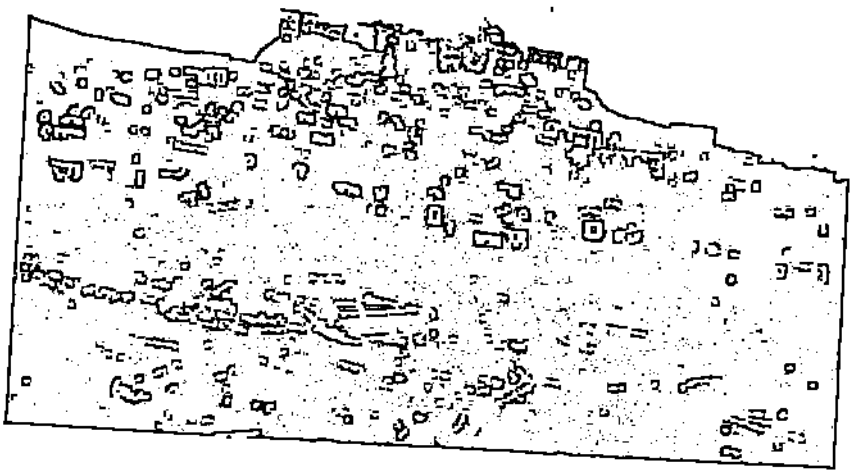

صيدنايا – منظرها من الجهة الجنوبية الشرقية
(تصوير الاب دي مارتمبري)

صيدنايا – منظرها من الجهة الغربية
(تصوير الاب دي مارتمبري)

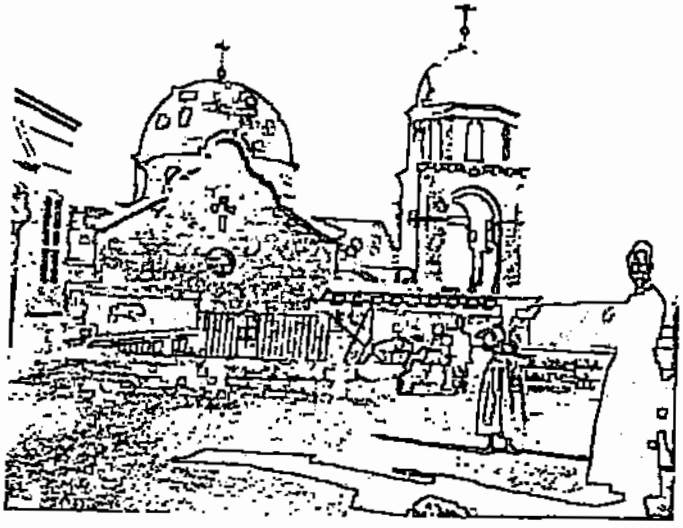

صيدنايا – كنيسة الدير
(تصوير الاب دي مارتمبري)

صيدنايا – احدى راهبات الدير

في الفصل المعقود لهم تعداد كل هذه الكتابات والتعليقات التي لكل منهم في كتب الصلوات السريانية. نجمل منهم هنا ذكر بطرس (سنة ١٢٦٤) واثناسيوس (١٤٣١) ومرقص (١٤٤٦—١٤٥١) وسيماون (١٥٦٥—١٥٨٠) واتناس (١٥٩١—١٦٠٤) وسيماون (١٦٠٤—١٦٣٤) ويواصف (١٦٤٥—١٦٤٨). ولهذا الاخير في خزانة المرحوم المطران يوسف داود السرياني بدمشق كتاب القنداق بخط يده نسخ فيه الصلوات باللغتين السريانية والعربية بتاريخ ١٦٤٦ ولسيماون سلفه في خزانة الفاتيكان بضع صفحات انها كانت ناقصة من ميناون شهري نيسان وايار في السريانية الى غير ذلك مما سيمرُّ بنا او يظهره لنا غداً روّاد البحث والتنقيب.

ولا شكّ عندنا ان كل الاساقفة الذين خلفوا يواصف بعد سنة ١٦٤٨ الى سنة ١٧٢٢ كانوا يعرفون السريانية او على الاقل كانوا يتكلمون بها. ومما يؤيد ذلك ما حكاه السمعاني عن آخرهم جراسيموس الدمشقي (١٧١١—١٧٢٢) بعد زيارته الدير في شهر تشرين الاول سنة ١٧١٥ قال: «والاسقف والرهبان يحتفلون الان بالقداس الالهي والصلوات للراهبات في كنيسة السيدة حسب الطقس الروماني باللغة العربية. ولكن قبلاً كانت هذه الصلوات تقام باللغة السريانية... وهذا الاسقف يدعى جراسيموس وهو رجل بسيط مستقيم يتكلم ليس باللسان العربي فقط ولكن بالسرياني ايضاً». ثم ذكر حسن استقبال الراهبة الرئيسة والرهبان له. قال: «واعطوني بعض المخطوطات السريانية ومعظمها في طقسيات الكنيسة الرومية. وكانت مطروحة في احدى زوايا الهيكل طعمة للصراصير والعث.»[1]

واجلّ الشواهد على مكانة اللغة الارامية في صيدنايا هذه العقود والصكوك العربية المتعلقة باوقاف الدير التي كان يُرى في ذيلها احياناً توقيعات الاساقفة بخطوط ايديهم بالسريانية. وقد حُفظت منها بعض نسخ في دفترين أطلعتنا عليهما الرئيسة الحاجة مريم صباغ يوم زيارتنا الدير في ٢٩—٣٠ ايلول سنة ١٩٣٠ وكان في النية تصوير هذه التوقيعات لنشرها هنا مع غيرها من الصفحات

١) برنامج المخطوطات السريانية الفاتيكانية، باللاتينية ص ٤٧٨

والكتابات والفوائد التي ترى في بعض مخطوطات الدير مما له شأن في التعريف بتاريخه وتاريخ الكرسي الانطاكي . ولكن ابى ذكاء بعض الوكلاء ان ننقل شيئاً بدعوى انه قد مضى على الدير نيف والف سنة وليس له تاريخ مكتوب دون ان يسقط ذلك من قدره . قال : ولا ارى ما يستفيد الدير من مثل هذه المنشورات التي لا تزيد شيئاً في ريعه (كذا).

وهذه التوقيعات السريانية القيمة بعضها لاسقف صيدنايا اتقاس بتاريخ ١٠١١ للهجرة (١٦٠٢ م) وبعضها الآخر لخلفه سيلون بتاريخ ٧١١٧ لآدم (١٦٠٩ م) و١٠٣٠ و١٠٤١ للهجرة (١٦٢٠ و ١٦٣ م) فعسى ان لا تُتلف صورها كما أتلفت قبلاً كل الذخائر السريانية التي كان الدير غنياً بها في اوائل القرن الماضي. وحبذا لو نشر مضمون هذين الدفترين بالحرف الواحد لما يمكن تعليقه عنهما من الاخبار والآثار والفوائد عن صيدنايا واهاليها واوقافها واسماء بعض البيوت والاملاك والحدود في ما جاورها من القرى والبلاد . . .

ثم ذكر ما يدلّ ايضاً على سريانية صيدنايا من الآثار المحفوظة في الملابس الكهنوتية مكتوبة باللغة السريانية.

وقد عُرفت سريانيةُ اهل صيدنايا قديماً وثبت اختصاصهم بها لدى زوّار الدير عموماً ممن مروا بهم او خالطوهم وسمعوا كلامهم وصلواتهم بها . واشهر من نبه عليها من الغرباء انبا مخايل القبطي مطران دمياط في القرن الثاني عشر فقد نقل عنه الشيخ المؤتمن ابو المكارم سعدالله بن جرجس بن مسعود فصلاً قال فيه :

« وجدت بخط انبا ميخايل مطران دمياط في الثاني والعشرين من برمودة سنة تسعماية كنائسية (١٧ نيسان ١١٨٦ م) يتضمن ان شرقي دمشق على مسيرة نصف وربع نهار ثمّ بلدة يقال لها صيدنايا . تتبعها تسير الى قرنة الجبل تجد كنيسة عالية البناء حسنة جداً بيد قوم « ملكية ولسانهم سرياني » . والكنيسة المذكورة على اسم السيدة العذرى الطاهرة . . » (١

١) كتاب الكنائس والديارات نسخة خطية وحيدة محفوظة عند الاستاذ جرجس فيلوثاوس عوض بطنطا تلطف باطلاعي عليها . ومنها نقلت حرفياً ما تقدم اعلاه وما سيجيء .

وهذه الشهادة نص واضح صريح على سريانية صيدنايا لا يدع اقل مجال للتأويل او الجدال فحسبنا به صحة ناطقة لقول كل خطيب.

وقد كان الدير حتى اوائل القرن التاسع عشر حافلاً بالمخطوطات والاوراق السريانية وبينها كل قديم ونفيس ومعظمها من الكتب السدينية التي كانت موقوفة على الكنائس والاديار. بلغت كثرتها فيه مبلغاً ضاق به ذرع الوكلاء حين ارادوا ان ينفوا عن الدير نسبة السريانية فلم يروا لابادتها والتخلص منها واسطة اعجل من ايقاد النار بها في خلال اسبوعين. وغنيّ عن البيان ان مثل هذه المصاحف العديدة التي توارثها الدير منذ القدم وحبسها عليه كل الرهبان والزوار حبساً مؤبداً واوجبوا اللعن على كل من اخرجها منه او تصرف بشيء منها لم تجتمع فيه عبثاً ولم تُخزن لمجرد الهوى والمغالاة. وانما اوجدتها فيه حاجة الاستعمال وضرورة الصلاة والتفاهم فهي شهود على لغة كتّابها وقرائها تنادي بعد زوالهم بلسان حالهم.

تلك آثارنا تدل علينا فانظروا بعدنا الى الآثار

ويتابع المؤرخ المدقق سرد الشهادات على سريانية صيدنايا من اقوال الرحالة الافرنج كنيوهر (١٧٦٢) وڤولني (١٧٨٥) وبرتون (١٧٩٧) وكلها تؤيد ما اراد ان يبرهن عنه. ثم يختم الفصل قائلاً:

ومن تدبر ما تقدم بعين النزاهة والاخلاص لا يسعه الّا ان ينقاد لما اوردناه من البيّنات والآثار التاريخية ويأسف كل الاسف ان جهلها قبل اليوم كان هو الباعث الاكبر على اتلاف ما أُتلف من المخطوطات والاوراق والرقوق السريانية التي كانت محفوظة في الدير وكان احراقها عمداً وتواطؤاً نكبة من نكبات الشرق لا ينقضي تذكارها وحرقة في صدر العلم لا يخبو أوارها.

شذرات

حفريات افامية في خريف ١٩٣٢

عوّدنا قرّاءنا الكرام ان نطلعهم كل سنة على نتائج الحفريات التي تقوم بها البعثة البلجيكية في موقع افامية . وقد قابلنا في كانون الاول الفائت حضرة الاستاذ ماّيانس ، رئيس البعثة المذكورة ، بعد اختتامه حفريات هذه السنة ، فاذا به يطفح بشرًا وحبورًا لما وقف عليه من الآثار العديدة . واهمها رصيف الجادة الكبرى في وسط المدينة ، وهو وافر التزويق وقد نُزّلت فيه قطع الفسيفساء الملوّنة ممثلةً صور الحيوانات المختلفة من جمال مربوطة ، واسود ، وغورة ، وعدد من البطّ ، وغيرها من الطيور المائية ، وخنزير برّي يهجم عليه اسد ، وغزال يركض وراءه اسد آخر ، وكلب صيد ، وما شاكل من الحيوانات المعروفة في سورية والتي لا يتعدّى مصوّرها الى اظهار فكرة دينية ، بل هو رسم طبيعي محض بالهام شرقي خالص لا تأثير يوناني ولا روماني فيه . ومما لفت الانظار في تلك الفسيفساء صورة ناعورة هي طبق الاصل ، من حيث الشكل ، لنواعير حماه اليوم . وقد وجدت هذه الفسيفساء مغطاة ببلاط من الرخام النظيف استدلت منه البعثة ، ومن تنوّع الطراز الهندسي في طبقات البناء الواحد ، على ان المدينة تتابعت عليها الحوادث فكانت تهدم ويُعاد بناؤها آنًا بعد آخر .

ومما اكتشف ايضاً تمثال نصفي لافلّون ، ورقيمان احدهما باسم لوكيوس بن غايوس يوليوس اغريبا يشير الى ان سلفاءه نالوا رتبة شرف من الامبراطور اغسطوس . والآخر يشير الى ذكرى رجل روماني اخذ على نفسه تقديم الحجارة لبعض مباني المدينة . وكذلك اكتشف شمعدان من عصور النصرانية الاولى ، وكثير من الآثار المختلفة مما يقلّ اهمية عمّا تقدّم ، مع شيء من الاقنية المائية ، مما دلّ على ان المدينة كانت على تقدم محسوس من حيث الشؤون الصحية .

هذا وقد اخذت البعثة حصتها من المكتشفات بعد ان اعطت حكومة سورية حصتها حسب الاتفاق المعقود سابقاً . واخبرنا الاستاذ مسايانس انه يتم بناء رواق اقامية في بروسل ، عاصمة بلاده، على طول ٣٠ متراً. وستعود البعثة في الخريف القادم لمواصلة عملها.

مجمع اللغة العربية الملكي في مصر

صدر مرسوم من ملك مصر بانشاء مجمع علمي للغة العربية. فاغتنمت جريدة « الاهرام » فرصة وجود المستشرق الانكليزي دنيسون روس في مصر وسألته رأيه في انشاء المجمع المذكور ، فقال ما ملخصه :

انها فكرة طيبة حان الوقت لتنفيذها منذ زمن طويل . ولا تتناول اهميتها مصر فحسب بل تتناول الشرق باسره والشرق العربي بوجه خاص . . .

ان امام المجمع الجديد مهامّ شاقة واعمالاً واسعة المدى . ولاشكّ ان اشقّها واطولها وضع قاموس للغة العربية يكون عمدة البحث كقاموس «مري» في اللغة الانكليزية ، و«لتري» في اللغة الفرنسوية . ولا بدّ من ان المجمع يدخل درس اللهجات العربية ضمن اغراضه. وسيكون في مقدّمة اعماله البحث في طريقة وضع القاموس المشار اليه وهل يكون ذلك حرفاً بحرف حسب ترتيب الحروف ؟

وتتناول ابحاث المجمع آداب اللغة ، وتاريخها ، وفقهها . وسيعنى المجمع ايضاً بالجانب التاريخي للكلمات فيتناول كل كلمة ويتعقّبها في التاريخ ويتتبع تغيراتها على مرور الزمن ، ويورد طرق استعمالها المختلفة ، ومواضع استعمالها ، واسماء من استعملها ، ونحو ذلك . وهو امر يجرّ الى درس مصنفات عديدة منها ما لم يطبع بعد، والى الاقتباس من الشعر العربي في مختلف عصوره.

ويسرّني ان عدد الاعضاء المراسلين لم يحدّد . . . وقد احسنت وزارة المعارف اذ لم تجعل عضوية المجمع مقيدة بالجنسية . . . وذلك ان اللغة العربية ليست لغة مصر فحسب بل هي لغة عدة بلاد واهتمام العالم العلمي بها عامّ.

مطبوعات شرقية جديدة

Zev Vilnay : Legends of Palestine. *XIV — 492. pp. The Jewish Publication Society of America, Philadelphia.* 1932

اساطير فلسطينية

يجمع هذا المجلّد نحو مائتي حكاية كان اكثرها قد ظهر باللغة العبرية في لندرة سنة ١٩٢٩ بعنوان « Agadot Erez Yisrael » . وها ان المؤلف يترجمها الى الانكليزية زائداً عليها نحو ستين اسطورة جديدة . وقد زيّنها بعدد عديد من التصاوير التاريخية آخذاً بعضها عن كتب قديمة نادرة . اما الاساطير فقد جمعها ورتبها بحسب الاماكن التي تتعلّق بها . وهي مترجمة بلغة صحيحة غالباً دون ان يكون لها نصيب كبير من التحسين والرشاقة . حتى ان المطالع ليشعر ، بعض الاحيان ، بعدم التناسب الناشئ خاصةً عن الانتقالات الفجائية ، ولاسيما عندما يتكلف الكاتب الاتيان بنصوص الكتاب المقدس بلغة عليها مسحة القِدَم ثم يردفها حالاً بجمل مبتذلة . هذا والاساطير كلها قصيرة لا تتجاوز احياناً الشذرات المقتطعة من التقاليد الشفهية التي قد يكون حفظ شيئاً منها بعض الرحالة في القرون الوسطى او في عصرنا الحاضر . يذكرها المؤلف ويزيد عليها بعض الشروح المقتضبة مفرداً في ملحق ذكر مصادر الاساطير كلها . وهي مصادر عبرية في الغالب او عربية يدلّ بها المؤلف على انه ، مع معرفته بالاماكن الفلسطينية الحاضرة واهتمامه بجمع التقاليد المتناقلة حتى اليوم ، لا يهمل مطالعة نصوص التلمود والمدارش العبرية ولا الرجوع الى اساطير الادب العربي . اما غاية الكاتب فيقول انها جمع اساطير تمثل تاريخ اسرائيل . فان كانت كذلك فلنا ان نعجب كيف انه اهتم بالاستقاء من مصدر ، وان يكن سامياً ، فهو يظهر على كل حال بعيداً عن اليهودية . وهناك نقص مهمّ في الكتاب وهو ان المسيحي يفتّش فيه عبثاً عن تذكارات او آثار ترتقي الى العصر الذي يهتمّ فوق سائر العصور .

ك . ب . يوز

René Mouterde s. j. : Précis d'histoire de la Syrie et du Liban. *in-12 de 183 pp.* 1932. *Beyrouth, Editions de l'Imprimerie Catholique. Prix :* 10 *f*

ملخّص تاريخ سورية ولبنان

هو طبعة جديدة منقّحة ومزيد عليها (حتى سنة ١٩٣٢) لملخّص تاريخ سورية ولبنان «Petite histoire de Syrie et du Liban» الذي ظهر سنة ١٩٢٤. وقد اعاد فيه المؤلف نظره فاخرج مجلّداً جديداً من خير ما يوضع بين ايدي المرشحين للامتحانات الرسمية، ومن خير ما يلجأ اليه كل مطالع يريد، في الوقت القليل، المعلومات الكثيرة الدقيقة. وفي المجلّد اربع خرائط صغيرة، وفهرس ابجدي واسع لجميع مواد الكتاب. ه. ل.

Van der Meulen *und* Von Wissmann : Hadramaut, some of its mysteries unveiled. *in-8° de* 248 *pp. Leiden, E. J. Brill.* 1932

حضرموت

لا يخفى ما يحيط معلوماتنا عن بلاد حضرموت من الغموض والابهام حتى انها تعدّ اليوم ابعد مناطق الجزيرة العربية عن دروس العلماء. ومتى عرفنا ان معلوماتنا عن الجزيرة العربية نفسها عرضة لكثير من الوهم والالتباس ادركنا مقدار جهلنا ببلاد حضرموت. وهي منطقة مقفلة لا يتمكن الغريب من الاقامة فيها بسبب مناخها المحرق وخصوصاً بسبب بغض اهليها للاجانب ايّاً كانوا، وبسبب ما يقوم بينهم من المناوشات المتتابعة حتى يمكن القول ان كل مدينة بل كل قرية بل كل بيت في تلك الديار يحارب جاره، فالحرب حالتهم الدائمة. وعليه لم يبلغ من الاوربيين، في ما مضى، تلك الارض الا ثلاثة شاهدوا بعض معالمها ووصفوا عدداً قليلاً من اماكنها. وها اننا نرى اليوم رجلين من ارباب الجرأة ينتصران على تلك المصاعب وينجحان: احدهما هولندي مفوّض سياسي لحكومته لدى ابن سعود، والآخر الماني استاذ في احدى الجامعات. ولما كان الوف من الحضارمة قد هاجروا الى مقاطعات الهند الهولندية فاثروا فيها، كان من مصلحة اهليهم المقيمين في الوطن ان يحسنوا استقبال ممثل هولندة السياسي. فاستفاد المسافران من هذه المناسبة، على انهما، رغم ذلك، رأيا الموت عن قرب

مرات عديدة بسبب تعصب الاهلين وجهلهم . وقد كتب الهولندي تفاصيل تلك الرحلة بسهولة وبساطة وتواضع جديرة بالثناء ، بينا كان زميله يهتم بدرس المظاهر المعدنية والنباتية والجغرافية في تلك الارض . وقد توفق الى وضع خارطة تفوق بكثير كل ما نعرفه من خرائط حضرموت . ويزين الكتاب النفيس كثير من الرسوم الدقيقة الجميلة تعمل مع كل ما تقدم على ايجاد عاطفة حياة في تلك البلاد التي كانت حتى اليوم مكتنفة ، في عقول الدارسين ، بظلام الموت . ه. ل.

Dr Enno Littmann : Finianus. Die Abenteuer eines amerikanischen Syrers. Aus dem neuarabischen übersetzt und mit erklärenden Anmerkungen versehen. 1932, *VIII*, 74 *pp petit in*-8° *M.* 2,70. *Tübingen, J. C. B. Mohr* (*Paul Siebeck*)

قصة فنيانوس بالالمانية

يعرف قرّاؤنا الكرام تلك القصة الوافرة اللذة المعروفة بقصة فنيانوس ، وما فيها من التلميحات الى عادات اللبنانيين وتعابيرهم العامية . وقد اراد الاستاذ الدكتور ليتمن الالماني ان يطلع تلامذته على اللهجة اللبنانية - السورية فترجم لهم فنيانوس ، مقدماً على القصة بعض المعلومات المفيدة ، وهو يمدح في هذه المقدمة الطبعة الدقيقة التي قام بها حضرة الاب لاي اليسوعي ، واستفاد المترجم منها ومن الملاحظات الملحقة بها . وكذلك اضاف المترجم الى النص كثيراً من الحواشي الموافقة . على اننا نشير الى ان حاشيته في الصفحة ٦٩ عن « طميش » غير صحيحة . اذ ليست كلمة « طميش » اسم قديس ، بل اسم دير ، وليس لها من علاقة باسم الالهة الوثنية ارطميس . ه. ل

Mgr A. Pons : La nouvelle Eglise d'Afrique ou le Catholicisme en Algérie, en Tunisie et au Maroc depuis 1830. *in*-8° *de* 343 *pp*. 1930. *Tunis, Librairie Louis Namura*

الكثلكة في الجزائر وتونس ومراكش منذ السنة ١٨٣٠

ان النشرات الرسمية المتعلقة بالتذكار المئوي الاول لاحتلال الجزائر درست مظاهر ذلك التاريخ جميعها الّا تاريخ الكثلكة . فقام المؤلف يسدّ هذه الثلمة

ونشر ، بمناسبة التذكار المذكور ، كتاباً جامعاً قيّم المستندات صحيح المصادر . وقد بدأه بتاريخ اسقفية الجه وابرشيتها ثم تابع الحركة الكاثوليكية في توسعها التاريخي والمكاني منتقلاً من بلاد الجزائر الى تونس ، فالى مراكش ؛ خاصاً قسماً اخيراً بعمل المرسلين في افريقية . وفي الكتاب عدة صور ورسوم . على اننا وددنا لو كان الورق والطبع افضل مما هما عليه . ج.ل.

Emmanuel Lacombe : Les éléments d'un programme social catholique. *in* 12 *de* 191 *pp. Maison de la Bonne Presse, Paris.*

مبادئ برنامج عمراني كاثوليكي

لقد وفق المؤلف الى ان يجمع ملخصاً في ثلاثة فصول « مبادئ برنامج عمراني كاثوليكي » تتعلق ١ً « بالمصلحة العامة » وما تجرّه من البحاث في يوم الراحة الاسبوعي ، والمضاربات غير المشروعة ، والبطالة . ٢ً « بالعائلة » وما تتطلب من ملجأ ، واعالة اطفال ، وموارد ، وحماية شرعية . ٣ً « بالمهنة » وما يجب لضمانتها من تنظيم صناعي ، ونقابات لاصحاب المهن وغير ذلك . كل هذا بغاية ما يمكن من الوضوح ، والدقة ، والايجاز ، وسداد الرأي ي.ك.

Farage (Mgr Ant.) : Le Cardinal Lavigerie et l'esprit d'apostolat en Orient

Khoury (Mgr Basilios) : Chez les anciens supérieurs et directeurs de Ste Anne

Gorra(Mgr Philippe) : Sainte Anne de Jérusalem, à l'occasion de son cinquantenaire 1882-1932

نشرات بمناسبة اليوبيل الخمسيني لاكليريكية القديسة حنة

هي ثلاثة مجلدات بقطع واحد ، ولكنها بساكة مختلفة ، تجمع تذكارات شائقة بمناسبة اليوبيل الخمسيني لاكليريكية القديسة حنة التي يديرها الآباء البيض في القدس الشريف ، يقدمها عرفاناً لجميل المعهد المذكور ثلاثة من تلامذته الابرار . وقد جمع الاخير منها معلومات وافية عن القديسة حنة ومعابدها ، وتاريخ الاكليريكية الملكية منذ اصولها(١٨٧٨) ، ووصف الاعياد والمزارات ، ولوائح واسعة باسماء من كان لهم علاقة تعليمية او دراسية بالمعهد المذكور من الآباء البيض والكهنة الشرقيين ، مع معلومات عن جمعية الآباء البولسيين الذين طبعوا المجلدات المذكورة في مطبعتهم في جريصا (لبنان) . ج.ل.

مكتبة الاطفال

لكامل كيلاني

قصص فكاهية للاطفال : ١ – عُمارة . ٢ – الارنب الذكي . ٣ – عفاريت اللصوص . ٤ – نُعمان . – كل كرّاس ١٦ ص . متوسطة

قصص جديدة للاطفال : ١ – بابا عبد الله والدرويش . ٢ – ابو صير وابو قير . ٣ – علي بابا ٤ – عبدالله البري وعبدالله البحري . ٥ – الملك عجيب . ٦ – خُسروشاه – كل كرّاس ٢٠ ص . متوسطة ، الثمن : ٣ غروش مصرية .

قصص للاطفال : ١ – السندباد البحري . ٢ – علاء الدين . ٣ – تاجر بغداد – كل قصة نحو ٨٠ ص . متوسطة . الثمن : ٥ غروش مصرية .

نشر مطبعة المعارف ، مصر .

اضاف الاستاذ كامل كيلاني الى اشتغاله بتاريخ الادب واصول النقد الحديث اهتماماً خاصاً بالاطفال وتفتيشاً عمّا يفيدهم ويلذهم من حكايات تختلط فيها الحقائق بالاساطير والظواهر الطبيعية بالخوارق الغريبة . فوُفق الى وضع هذه السلاسل المفيدة حقاً والتي سدّت ثلمة واهية في كتبنا التدريسية ، وفي آدابنا التي لم يكد اربابها ينظرون الى الطفل واحتياجاته وما يفرضه من واجبات تثقيفية واخلاقية . بدأ الاديب « مكتبة الاطفال » بسلسلة فكاهية من القصص السهلة الفهم ، القصيرة الشروح ، الواضحة الوقائع ، البسيطة المشاكل . حتى اذا اتها الطفل ينتقل الى ما هو اقل سهولة من القصص الجديدة المفصّلة اسماؤها اعلاه ، فالى اصعب منها من قصص طويلة . من هذه القصص ما هو معروف متداول بين الناس ، ومنها ما هو مأخوذ من مجاميع الحكايات القديمة كألف ليلة وليلة وكليلة ودمنة وما الى ذلك ، ومنها ما وضعه الاستاذ كيلاني رأساً . على ان فضله شامل كل هذه الموضوعات بتسهيل عبارتها ، وترتيب موادّها ، وتبويبها تبويباً حسناً شائقاً قرّب منالها من الاطفال . هذا وقد اهتمت ادارة مطبعة المعارف ومكتبتها بمصر بنشر هذه السلاسل نشراً غاية في الاتقان من حيث جلاء الحرف ، وحسن الطبع ، وكثرة الرسوم من سوداء وملوّنة ، فادّت بذلك خدمةً جزيلة للتدريس العربي المصري .

ف . ا . ب .

المختصر المفيد في تاريخ سورية ولبنان المدرسي

تأليف يوسف عماد

٩٢ ص . متوسطة – مطبعة صادر ، بيروت ، ١٩٣٣

هو مختصر ابتدائي في الموضوع المذكور ألف طبقاً لبرنامج المعارف العامة بانشاء سهل واسلوب واضح يفهمه تلامذة المدارس الابتدائية الذين وُضع من اجلهم . وفيه خارطة صغيرة مع بعض رسوم تظهر واضحة بالاجمال.

خزانة الواعظين والمتأملين

في الحياة المسيحية وحقائق الدين : المجلّد الثاني

تأليف الاب اغناطيوس التنوري

٤٤٤ ص. متوسطة صغيرة – مطبعة دير سيدة المعونات ، جبيل ، ١٩٣٠

تقدّم لنا في « مشرق » السنة الفائتة (٣٠ [١٩٣٢] : ٧١٧) وصف المجلد الاول من هذا الكتاب المفيد المتضمن اعتبارات في الحقائق ، والواجبات الدينية ، والرذائل ، والفضائل ، والعواقب الابدية . وها ان المؤلف الفاضل يهدي الينا مجلّده الثاني مشتملاً على اعتبارات وتأملات في الواجبات الاكليريكية والرهبانية . وهو يجري فيه على اسلوبه في المجلد الاول من اختصار هذه الاعتبارات وجعلها بشكل تقاسيم موجزة لموضوعات الوعظ والتأمل تدور على قسمين كبيرين . يختص الاول بالواجبات الاكليريكية كلها مختومةً ببعض صلوات للاستعداد والشكران . ويشمل الثاني الواجبات والفضائل الرهبانية والمسيحية موزّعة على فصول في الامور الروحية ، والحالة الرهبانية ، والمحبة الرهبانية ، والاماتة ، والتجارب ، والمطابقة . وكلها تتصف بما اتصفت به ابحاث المجلد الاول من الوضوح والايجاز وحسن الاسلوب . وفق الله المؤلف الفاضل الى اظهار مجلّده الثالث خدمةً للاكليروس الشرقي ف . ا . ب .

* الرتب الكهنوتية في الطائفتين المارونية والسريانية * ٥٢ ص. متوسطة ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ١٩٣٢ ، – هو البحث العلمي المفيد الذي نشره حضرة الخوري اسحق ارملة السرياني في «مشرق» السنة الفائتة ، جمعه على حدة تعميماً للفائدة .

اهم حوادث الشرق في شهر

١٥ ت ٢ — ١٥ ك ١ ١٩٣٢

لبنان وسوريا — سافر المفوّض السامي، السيد بونسو، الى جنيف ليقدم بيانه السنوي امام لجنة الانتدابات في جمعية الامم. وقد مرّ برومة، فباريس.

* دُشنت في بيروت اول كنيسة للطائفة الكلدانية الكاثوليكية.

* أُزيح الستار، في بيروت ايضاً، عن تمثالين للطيبي الذكر المطرانين طوبيا عون ويوسف الدبس المارونيين.

* اصدر رئيس الجمهورية السورية مرسوماً بعفو خاصّ له مفاعيل العفو العام عن جميع المحكوم عليهم في الانتخابات والمظاهرات وغيرهم. وقد نُفّذ المرسوم. فتعدّدت السرقات على اثر ذلك.

مصر — اصدر الملك مرسوماً انشأ فيه مجمعاً علمياً للغة العربية. وقد اشرنا الى ذلك في شذرات هذا العدد.

* انشئ ثلاثة اوسمة: «نشان الزراعة» وهو «نشان الفلاحة» القديم، و«نشان المعارف»، و«نشان الصناعة والتجارة.»

* تمّ نقل مكتبة المرحوم احمد تيمور باشا الى دار الكتب المصرية، وهي تحتوي على اكثر من ١٨٠٠٠ مجلد بين مخطوط ومطبوع مع كثير من القطع الاثرية والتذكارية. وقد اهداها الى دار الكتب ولدا الفقيد.

العراق — سافر نوري باشا السعيد الى جنيف لتمثيل العراق بجمعية الامم.

بلاد العرب — شبّت في عسير ثورة على ابن سعود بتدبير السيد الحسن الادريسي، ولا تزال الاخبار قاصرة عن تقدير اهميتها.

العجم — الغت الحكومة الايرانية امتياز شركة الزيت الانكليزية-الايرانية. فادّى ذلك الى خلاف بين الحكومتين.

المطبعة الكاثوليكية المدير المسؤول: يوسف ماهر

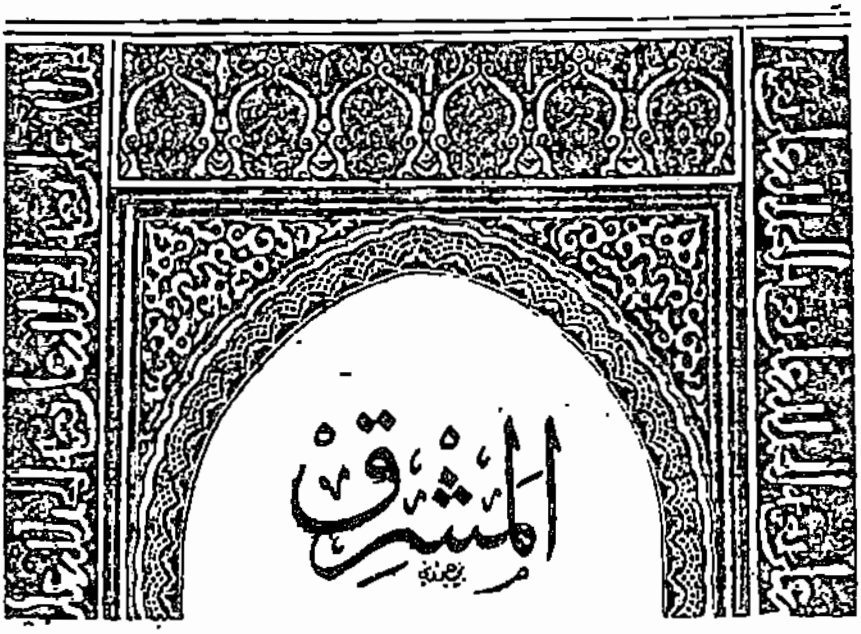

السنة الحادية والثلاثون — شباط ١٩٣٣

القضاء في لبنان

على عهد الحكم الاقطاعي

بقلم وجيه خوري

مستشار في محكمة الاستئناف والتمييز المختلطة

١

في تاريخ لبنان صفحة لم تكتب بعد ، هي صفحة قضائه . ولست ازعم انني استطيع كتابة هذه الصفحة بكاملها اليوم ، لان الموضوع متشعب وعر المسالك يضطرني الى الاخذ به ضمن نطاق محدود . وغايتي ان اضع صورة جلية للقضاء اللبناني في الفترة التي سميتها عهد الحكم الاقطاعي ، والتي تمتد من حكم فخر الدين الثاني (١٥٩٥—١٦٣٥) حتى سنة ١٨٦١ . فقد كان للبنان خلال تلك الحقبة من الزمن كيان وطني مستقل له نظمه ، وسياسته الخارجية والداخلية ، وقوانينه ، ومحاكمه .

ومعلومٌ ان سورية كانت محجة الفاتحين . فان الرومانيين والاعجام والعرب والافرنج ومماليك مصر والاتراك غزوها ، كلٌ بدوره ، وتركوا فيها نظُمهم وكثيراً ما فرضوا قوانينهم على سكانها . فاذا كان نصيب لبنان من هذه الفتوحات ؟

لقد كان لهذه الفتوحات تأثيرها في لبنان ، رغم انه بقي مستقلًا في ادارة شؤونه فلم يكن عرضة لاي احتلال عسكري. ولكن لا بد من القول اننا ، اذا تكلمنا عن القانون اللبناني في العهد الاقطاعي، فنحن لا نتحدث عن هيكل تشريعي كامل ، ومحاكم مختلفة الدرجات . اذ ان القوانين المكتوبة لم يكن لها اثر في ذلك العهد . فالتنظيم القضائي والقوانين التي كانت تطبق فيه لم ترد في نصوص اخرجتها السلطة التشريعية . بل كان هنالك بضعة مبادئ قانونية منشأها العرف والعادة ، وقد يهملها الامراء الحاكمون حسب اهوائهم . وسأحاول استخلاص هذه القواعد من مجموعة المراجع التي استطعت الوقوف عليها .

***

ان التنظيم القضائي يتغيّر بتغيّر التنظيم السياسي والاداري . فيجب اذن ان نقسم تاريخ القضاء اللبناني ، منذ عهد فخر الدين الثاني ، الى ثلاثة اقسام : فالقسم الاول يبدأ في سنة ١٥٩٥ وينتهي سنة ١٨٤٥ ، والثاني يبدأ سنة ١٨٤٥ وينتهي سنة ١٨٦٤ ، والثالث يبدأ سنة ١٨٦٤ ويمتد حتى عصرنا هذا وسيتناول درسنا العهدين الاول والثاني .

لقد انقرضت الاقطاعية منذ امدٍ غير بعيد اذ نصّت المادة الخامسة من نظام لبنان لعام ١٨٦٤ على مساواة الجميع امام القانون ، وعلى ازالة الامتيازات الاقطاعية عموماً وامتيازات « المقاطعجية » اي الاسياد الاقطاعيين خصوصاً .

اما ظهور الاقطاعية فكان في زمن لا يمكن تحديده . ففي القرن الحادي عشر تسرّبت الى لبنان قبائل رُحّل جاءت من فلسطين ومن شمالي سورية ، واستقرت في المقاطعات الجنوبية والوسطى . وهذه القبائل هي قبائل التنوخية ، وبني حمزة ، والبحتريين .

وفي القرن الرابع عشر تقاسمت الاراضي اللبنانية ثلاث طوائف هي :

الشيعية والدرزية والمسيحية. وقد وصف الاب لامنس كيفية ذلك التقسيم قائلاً: استقرت القبائل الرحل في الجنوب بعد ان اجتازت وادي الليطاني الضيق وحملت الى تلك الانحاء مبادئ الشيعية فنشرتها في مقاطعة الشقيف. وكان في استطاعة هذه القبائل الشيعية ان تتوسع في نشر مبادئها في هذه البلاد التي اهملها الاسلام لو لم تصطدم في الشوف بالدعاية الدرزية. فان الدروز اضطروا اثناء الحروب الصليبية ان يلجأوا الى اواسط البلاد وان يتقدموا نحو الشمال، فاحتلوا المتن وهو قسم من البلاد الكسروانية التي تملكتها فئات شيعية بالقوة تارة وبالرضى اخرى. اما الموارنة فانهم استقروا في بلاد جبيل التي ازهرت في عهد الحكم الافرنجي وامتد سلطانهم حتى بلاد البترون وجبل الارز. واختلطوا بالاوساط النصرانية من ملكية ويعقوبية. وكانت لهم اديرة ونظم كنائسية تمتد في البلاد الساحلية حتى جونية. وعلى اثر ظروف سياسية مختلفة تفرد المسيحيون بسكن البلاد الكسروانية، واضمحلت الطوائف الشيعية من الملحقات شيئاً فشيئاً. اما الدروز فانهم استقلوا ببلاد الشوف.

وقد كانت هذه الملل تعيش معاً دون ان يكون بينها اي ارتباط. فكل طائفة مستقلة بادارة شؤونها وبعاداتها وتقاليدها. واندمجت العشائر المختلفة ببعضها فألفت ملة واحدة. غير ان كل قبيلة بقيت محافظة على تقاليدها. فكان المقدمون اللبنانيون والامراء الدروز والشيعيون زعماء لهذه العشائر لهم كل السلطات، يفصلون في كل خلاف، ويفرضون الضرائب، ويسوقون الناس الى الحروب.

وكان الامراء المعنيون المسيطرون في الشوف وابعد الزعماء نفوذاً بلا جدال. فقد استثمروا ضعف الاحزاب الاخرى وبسطوا نفوذهم على تلك الانحاء.

واستطاع احدهم، وهو فخرالدين الثاني، ان يوحد السياسة اللبنانية، ويرضخ لسلطته الزعماء الذين تقاسموا النفوذ في الاراضي اللبنانية. وقد ادرك انه لا يمكن تكوين أمة اذا اقتصرت سياسة الامراء على ايجاد توازن بين النحل المتعددة. لذلك عمل على مزج جميع هذه الطوائف بعضها ببعض، ونهج لنفسه خطة في السياسة الخارجية والداخلية وقف على تحقيقها كل حياته. وجاء خلفاؤه

في الحكم فسعوا للمحافظة على هذه الوحدة بين اللبنانيين.

وعندما امتد نفوذ ذلك الامير بدأ يتألف في الجهات كيان اقطاعي منظم مماثل للانظمة التي كان يسير عليها الصليبيون. فشطرت كل مقاطعة الى عدة اقضية ومديريات. فكان هناك كسروانان: كسروان غزير، وكسروان بكفيا، يقسم الاول الى خمسة اقضية والثاني الى ثلاثة. وعلى رأس كل قضاء امير حاكم يشرف على مجموعات من القرى والمشاكر يحكمها احد المشايخ. وكان الهيكل الاقطاعي بهذه الصورة تحت اشراف امير المحافظة الذي يستمد نفوذه من الامير الاكبر المقيم في دير القمر. واجري التقسيم نفسه في مقاطعات الشوف والمتن والشحار والغرب التي كان يسيطر عليها امراء ومشايخ دروز. وكان هؤلاء الزعماء اسياداً مطلقين في مقاطعاتهم يفرضون الضرائب، فيدخرون لنفسهم ما يقوم بحاجاتهم ويبعثون بالباقي الى الامير. وكانت لهم في الشؤون القضائية صلاحية واسعة سنتطرق الى درسها في سياق المقال.

وقد قال رحالة فرنساوي زار لبنان سنة ١٨٦٠ « انه لم يكن هنالك من فرق بين الامراء والمشايخ الموارنة وبين بقية الشرقيين الا في ذلك المزيج من التقاليد العربية والعادات الموروثة عن العهود الاقطاعية في الغرب. وهذا المزيج ليس الا انتقالاً من الحياة العشائرية المسيطرة في تلك الانحاء الجبلية الى الحياة المدنية العصرية التي بدأت بالانتشار في مدن السواحل الصناعية. حتى ان البيئة هناك تماثل بيئة القرن الثالث عشر الفرنساوي. غير ان المدقق لا يمكنه الا ان يستعيد ذكر صلاح الدين الايوبي وشقيقه الملك العادل الذي يفتخر الموارنة بانهم انتصروا عليه بين بيروت وصيدا ».

ولكن كل طائفة بقيت محافظة على جزء من تقاليدها وعاداتها، رغم خضوعها جميعاً لسلطان واحد. فقد كانت هذه الملل تؤلف نحواً من اتحاد دولي يرئسه امير. وكانت مصلحة الدفاع عن الحرية المشتركة، ومهارة الامراء في الحكم احياناً، تجعل مجموعاً واحداً من تلك الملل المتباينة. وكان الامير الاكبر يستعمل سلطته المطلقة بمعاونة مجلس الاعيان فيوزع الالقاب والامتيازات ويقضي بالموت او الحياة، ويفرض الضرائب والرسوم الجمركية، ويوقع المعاهدات

التجارية مع الدول الاجنبية ويحشد الجيوش ويسيرها للحروب تحت رايته الخاصة. ولكن سيطرة الامير كانت ، كما ذكر الاب لامنس ، معدّلة بإشراف الاعيان ومراقبتهم. فقد كان الامراء والمشايخ يشتركون بالضرائب ولم يكن باستطاعتهم ان يعلنوا الحرب او يوقعوا على شروط السلم الا بعد موافقة مجلس الشعب. وكان يحق للامراء والمشايخ، ولكل من استطاع بذكائه وشجاعته أن يكتسب نفوذاً ، الاشتراك بالتصويت. فكان دستور لبنان السياسي مزيجاً معتدلاً من الارستوقراطية والملكية والديموقراطية . وازاء النفوذ الذي كان يتمتع به المشايخ والامراء ، وجدت سطوة الزعماء الدينيين . فقد كانوا يتمتعون بسلطة واسعة زاد في قوتها انقسام الامة الى طوائف متعدّدة ، حتى ان نفوذ رجال الدين كثيراً ما اكتسح سلطان الامراء. اذ ان الامة ، في الخلافات الناشبة بين هؤلاء واولئك ، كانت تميل الى رجال الدين تارة والى الامراء طوراً. ويقول لامرتين في حديثه عن الموارنة ان رجال الاكليروس هم السلطة المعنوية الحقيقية في لبنان والقوة المسيطرة على العقول فيه . وقد كان اللبنانيون اجمالاً ، على اختلاف مذاهبهم ، يحملون الاحترام لزعمائهم الدينيين فيستشيرونهم في شؤونهم الخاصة والعامة . ويجب الاعتراف ان السلطة الدينية كانت الركن الوحيد المتين الذي بقي قائماً على تطوّر الاجيال.

وقد توزعت السلطة القضائية بين القوتين . فكان الامراء يفصلون في القضايا الجزائية ، ورجال الدين في الدعاوى المدنية. اذ ان هؤلاء كانوا المهيمنين طبعاً على الاحوال الشخصية ولم يلبثوا ان تناولوا بسلطتهم القضايا المدنية جميعها. وفضلاً عن ذلك فان المسيحيين كانوا يفصلون خلافاتهم بواسطة اساقفتهم منذ امد بعيد. وقد اشار الى هذا الامر السيد اسميك (Esmeiq) في تحليله لكتاب الخلق الروماني - السوري أنه احد رجال الكنيسة السورية . فذكر تلك العادة التي اقرتها شريعة اصدرها قسطنطين الكبير ، واحترمها خلفاء العرب في ما بعد.

وبعد ان احتل الاتراك القسطنطينية عام ١٤٥٣ ، ابقى السلطان محمد الفاتح على الكنائس ، ومنح بطريرك الروم الاورثوذكسي حقوقاً وامتيازات تتناول

الادارة والتشريع ، ووضع الضرائب ، والقضاء ، والفصل في كل خلاف ينشب بين ابناء الطائفة.

وكان يعاون البطريرك في الحكم مجمع دائم كان بمثابة مجلس شورى ومحكمة ملية يمثلها لدى السلطان ،وظف خاص . وهكذا كان البطريرك المذكور رئيساً مطلقاً ذا سلطة مباشرة على جميع افراد طائفته مدنياً ودينياً . ولم تلبث الطوائف الاخرى ان تمتعت بهذه الامتيازات.على ان السلاطين اخذوا، حين قويت شوكتهم ، بالقضاء على هذه الامتيازات شيئاً فشيئاً ، حتى انحصرت صلاحية السلطة الكنسية في قضايا الاحوال الشخصية.

اما في لبنان فقد استمرت السلطات الدينية مسيطرة على القضاء سيراً على التقاليد القديمة ، استناداً الى امتيازات سابقة.ولهذا كان بطاركة الموارنة يرفضون دائماً فرمانات السلاطين ، تمسكاً منهم باستقلالهم عن الباب العالي . واذن فالقضاء عند المسيحيين كان بيد رجال الدين.

وفي اواخر القرن الثامن عشر جرّب الامراء، مدّةً ما ، ان يحتفظوا بالسلطة القضائية دون البطاركة فيعينوا هم القضاة سواء أكانوا من رجال الدين ام من غيرهم .وهكذا عُيّن الاسقف الرومي الكاثوليكي جرمانوس آدم الحلبي قاضياً للنصارى بين سنة ١٧٨٠و١٧٨٥ .على ان الامراء لم يلبثوا ان عادوا الى التقاليد القديمة. وفي سنة ١٧٩١ اعيدت السلطة القضائية للبطاركة ، بأمر من الاميرين الشهابيين قعدان وحيدر . وقد جاء في الامر الصادر منهما ما يلي :

« سبب تحريره : اننا لما فحصنا عن المظالم التي تجددت على رعايانا وانمرضت علينا العادة التي احدثت في الطائفة النصرانية منذ ايام وجيزة وهي اقامة قاضي ان كان مطران امخوري من قبل سلفائنا لاجل قطع الشرائع والدعاوي التي تحدث ما بين الطائفة المذكورة وقد جعلوا لمن يقوم بهذا المقام ان يأخذ محصول على جميع الدعاوي التي تنعرض عليه فلما تحققنا انها سنة غير عادلة وظلم على رعايانا لزم امرنا في ابطالها ورفعها من يد المطارنة والخوارنة بل تكون بيد حضرة عزيزنا البطرك يوسف ومن يقوم مقامه بما انه راس دينهم وملتزم بتدبيرهم وانه يقضي ويحكم على جميع الدعاوى والشرائع الذمية والمالية التي تحصل في بطريركيته من غير انه ياخذ محصول ام يكلف احد شيء لاجل هذا المعنا فليقضي بينهم بالحق الصريح ولاجل ذلك اعطينا قولنا ثابت الى حضرة عزيزنا المذكور بجميع ما ذكرناه وان لا يصير له معارض من احد ثم نأمر ان يدوم ذلك ثابتاً له ولمن يقوم بعده في البطركية وله منا الصيانة والحماية

والشوفه وتشيد امره على المطارنه والكهنه والخوارنه والرهبان والعوام في كل ما يخص نظام طايفته بموجب طرايق دياناتهم . ولاثبات ذلك حررنا بيده هذا السند بقول الله ورأي الله . حرر في شهر ربيع الاول سنة ستة ومايتين والف صح .

قعدان شهاب حيدر شهاب »

ولدينا ايضاً رسالة بعث بها الشيخ احمد جنبلاط ، اكبر زعماء الدروز في ذلك الحين، الى البطريرك نفسه، وهو البطريرك يوسف اسطفان (١٧٦٦ ١٧٩٣)، يخبره فيها انه اخذ علماً بالامر الصادر من الاميرين قعدان وحيدر شهاب الذي يعطيانه فيه الحق بالقضاء بين رعاياه ، ويعده فيها بكل معونة يقتضيها تنفيذ الامر المذكور .

اما في لبنان الجنوبي فلم يكن للدروز الا قاض واحد يصدر الاحكام ويستمد سلطته ، كقاض محمدي ، من روح الشرع الاسلامي وتتناول صلاحيته الطوائف غير المسيحيـة . وكان يحق للمسيحيين ايضاً ان يتقاضوا لديه اذا ارادوا . وكان لهؤلاء القضاة ، في بادئ الامر ، صفة رسمية ، اذ كانوا معينين تعييناً ، بينما كان الاساقفة يتولون مناصب القضاء عرضاً . لذلك كان المسيحيون يصدقون احياناً وصاياهم لدى القضاة الدروز ليكسبوها صفة رسمية . وكانت وظيفة القاضي وراثية تنتقل من الوالد الى الابن ، حتى ان عائلة « القاضي » احتكرتها مدة طويلة . ووظيفة القاضي في الشرع الاسلامي ، الذي يتناول امور الدين والدنيا معاً، تصطبغ بصبغة دينية . وهذا ما حملنا على القول في اول البحث ان القضاء في المسائل المدنية كان بيد رجال الدين .

ثم انه كان يعاون القاضي في الحكم شيخ العقل وهو الرئيس الديني الاكبر . وكان لشيخ الخلوة وللمجلس ان يفصلا في بعض الاختلافات بعد الاستئذان من القاضي ، ومن شيخ العقل .

وقد لبث القضاء في يد رجال الدين حتى اوائل القرن التاسع عشر ، اذ بُدئ بتطبيق القاعدة التي وضعها الامير بشير الشهابي ، والتي تقضي بتسليم الاحكام الى قضاة يعينهم الامير . فكان هناك قاض للمسيحيين ، وقاض للدروز .

وكان بين قضاة النصارى كثير من رجال الدين . على انهم لم يكونوا قضاة

بصفتهم الكهنوتية حسب التقاليد القديمة ، بل كانوا قضاة موظفين يعينهم الامير . وكان هذا يعين احياناً اثنين لا واحداً .

وبين القضاة الذين لمع اسمهم في ذلك العهد المطران يوسف اسطفان المتوفى سنة ١٨٢٣ ، والاب خير الله الذي تناولت صلاحيته المنطقة الواقعة بين المعاملتين وطرابلس ، والمطران بطرس كرم المتوفى سنة ١٨٤٤ ، والاب ارسانيوس الفاخوري وجرجس عين اللذان كانا يجلسان في غزير ، والاب يوحنا حبيب البتديني .

وبعد تنازل الامير بشير الكبير ، عمد خلفه الامير بشير قاسم ملحم شهاب ، باشارة من السلطة التركية ، الى تأليف مجلس للقضاء من اثني عشر عضواً مسيحياً واثني عشر عضواً درزياً . ولكن هذا النظام اثار عاصفة من الاحتجاج فألغي . واعيد نظام القاضي المفرد الذي دام حتى انقسام لبنان الى قائمقاميتين عام ١٨٤٢ .

وكانت صلاحية القضاة تشمل القضايا المدنية ، ودعاوي الاحوال الشخصية . ولكن الامير كان يفصل وحده في القضايا المتعلقة بافراد اسرته . وكذلك كان لافراد عائلتي خازن وحبيش قضاة خصوصيون ينظرون في منازعاتهم الداخلية .

ويستفاد من بعض النصوص المنشورة في مؤلف الاب زيادة «القضاء الماروني» ، ان المتقاضين كانوا يتفقون على تعيين القضاة . فكان هؤلاء محكمين اكثر منهم قضاة . ولكن كان عليهم ان يستندوا الى النصوص القانونية في تعليل احكامهم . وبين النصوص المذكورة قرار صادر في سنة ١٧٤٤ يحدد صلاحية كل مطران في ابرشيته . فلا يحق لاي قاض ان يفصل في دعوى ليست في منطقته الا باذن كتابي من المطران صاحب الاختصاص .

ولكن هذه القاعدة لم تطبق طويلاً . هذا ويشير الشيخ شبيان الخازن ، في تاريخه ، الى الاسباب التي دعت الى تعيين المطران جرمانوس آدم سنة ١٧٨٥ قاضياً مفرداً للمسيحيين . فهو يذكر ان القانون لم يطبق الا لان المتقاضين لم يكونوا يتفقون على تعيين القضاة الا شفاهاً . فكان الواحد يقضي بعكس الآخر . ثم يستطرد فيقول ان الدعاوى كانت تترك على عهدة الفريقين . فكان كل منهما

ينتخب قاضياً ، ثم لا يلبث ان يعود عن ذلك مما كان يولد تشويشاً في الاحكام.

وهنالك حكم اصدره البطريرك يوسف اسطفان في دعوى قسمة مشكونة بين الشيخ مشرف الخازن وابن شقيقه الشيخ انطون. وهو يستهله بما يلي:

« ش بحرًا داغًا

الداعي لتحريره هو انه لما اقرّا القسمة بينهما حضرة الشيخ مشرف وابن اخيه الشيخ انطون الخازن اولاد ابو قانصوه بطاب منهما دعيانا واعرضا علينا الدعاوي الواقع عليها الاختلاف بينهما وارتضيا بتام اختيارهما ان نفصلها بحكم الشرع فبعد سماعنا كلام الطرفين ووقوفنا الثاني على سنداتهما والتأني الواني اللازم لاغراض ثقيلة مثل هذه حكمنا كما سيأتي بيانه ...»

فيستفاد من هذه الشواهد انه كان يحق للمتنازعين انتخاب قضاتهم . ولكن الصلاحية المعطاة لرجال الدين في القضاء لم تكن تمنع عن الامير سلطته، فقد كان مرجعاً دائماً للمتظلمين. وكان الامير يؤمن تنفيذ الاحكام ، اذا امتنع احد الفريقين عن الاذعان لها.

اما الامور الجزائية فكانت منحصرة بالزعماء الاقطاعيين . ولم يكن من حق المشايخ والامراء الا الحكم بالعقوبات الخفيفة كالسجن والجلد. اما العقوبات الشديدة كالاعدام والقطع فقد كان حق اصدارها عائداً للامير وحده. ولم يكن هنالك تقسيم في درجات العقوبة ، ولا قانون للمخالفات . وكذلك لم يكن معروفاً مبدأ شرعية العقوبات . بل كان المتقاضون تحت رحمة المشايخ والامراء . ولكن هذا الاستبداد بالسلطة كانت تعدّله العادات والتقاليد ، ويراقبه الامير الكبير الذي كان المرجع الاخير للمظالم والشكاوي ، يملي ارادته على القضاة ليحكموا بالوجهة التي يختارها . وكان من حق المتقاضين ان يراجعوه اكثر من مرة اذا رأوا الاحكام مجحفة بحقهم. فكان الامير في هذه الحالة ينتدب وكيلاً عنه ليلفظ الحكم باسمه.

وهنا لا نتمالك من ان نتذكر ما ورد في احدى مقرّرات شارلمان « Capitulaire 775 »: « اذا تأخر القاضي في اصدار حكمه فلصاحب الدعوى ان يحل ضيفاً في منزله فيأكل وينام حتى يفصل في قضيته . » وهذا ما كان

يفعله مندوب الامير مع المدعى عليه . ولم يكن ليكتفي به بل كان يجعل حصانه ايضاً في ضيافة المدعى عليه . ولم يكن يترك المنزل الا بعد ان يأمره مولاه بذلك وبعد ان يتقاضى جزاء يعينه بنفسه . اما في الدعاوي الحقوقية فكان المدعي يشترك ايضاً في دفع الجزاء المذكور الذي كان يبلغ خمسة في المائة من المبلغ المحكوم به ، اي ضعفي ما تتقاضاه دوائر الاجراء في عصرنا.

وكان الامير يلجأ الى الطريقة نفسها حين يستحكم الخلاف بين صاحب الاقطاع والفلاحين ، او بين سكان قضائين مختلفين . فكان يبدأ بالكتابة اليهم طالباً منهم ان يضعوا حداً للخصام بصورة حبية . فاذا لم يصطلحوا كان الامير يرسل مندوبه لينهي الخلاف .ولا شك في انه كان من مصلحة المتقاضين ان ينهوا مشاكلهم بالطريق الحبي اتقاء اضيافة اولئك القضاة.

ولم يكن الجميع متساوين امام القضاء الجزائي . فالنبلاء كانوا يتمتعون بامتيازات خاصة . ولم تكن احكام الاعدام ، والسجن ، والجلد تتناول الامراء والمشايخ ، بل كان يمكن الحكم عليهم بالعقوبات المادية كاتلاف ممتلكاتهم وبالنفي . وقد كان على الامير ان يستقبل المتهم الذي ينتمي الى طبقة الاشراف كما كان يستقبله عادة اي بالرعاية والاكرام.

اما كيف كانت تجري تلك المحاكمات فما نتكلم عليه في العدد القادم.

(له صلة)

ابن عبد ربه و «عقده»

درس ادبي تاريخي

بقلم جبرائيل جبّور
احد اساتذة الادب العربي في جامعة بيروت الاميركية

٥

قيمة العقد التاريخية

يعدّ العقد مصدراً من المصادر الاولية المهمّة التي يرجع اليها الباحثون في تاريخ العرب السياسي والاجتماعي والادبي . وقد امتاز عن كثير من الكتب القديمة بتبويبه وحسن ترتيبه واختياره ، كما وانه يذكر لنا بعض روايات الاقدمين كالاصمعي ، وابي عبيدة ، والعتبي ، والشيباني ، وغيرهم ، ممّن لم يترك لنا الزمن من آثارهم التاريخية والادبية شيئاً كثيراً مجموعاً في كتب مستقلة . ولذلك فذكر العقد لرواياتهم يفيد من يودّ الرجوع اليها ، او من يرغب في مقابلة بعضها في المصادر المختلفة مع ما هي عليه في العقد .

ويذكر العقد اخباراً كثيرة عن رجال الاسلام الأول من خلفاء وامراء وقوّاد في عصر الراشدين والامويّين ، وعن ايام العرب الاولى واختلاف امرهم في العصر الاموي ، لا بدّ للباحث في تاريخهم من الوقوف عليها . كما وانه يذكر في بعض كتب العقد كثيراً من الفوائد التاريخية ممّا يتعلق بالسياسة والاقتصاد والاجتماع والادب وغيرها . واذا قرأت خبر وفود عبدالله بن جعفر مثلاً على عبد الملك بن مروان[1] رأيت في هذا الخبر فوائد عن حالة القوم الاقتصادية والاجتماعية ، وفهمت شيئاً من تلك العلاقات بين بني امية في الشام من ناحية

---

(١) ابن عبد ربه ١ : ١٤٦

وبين بعض هذا النفر الارستقراطي في الحجاز من ناحية اخرى. كذلك نرى في كتاب السلطان مثلًا اخبارًا ذات شأن عن سياسة عمر، كما فهمها اهل ذلك العصر، ومحاسبته للعمّال، وعن حياة الامراء، وبلاط الخلفاء؛ وعن نزعة اهل ذلك الجيل الجديد، الذي تلا عصر الصحابة الاول، الى البذخ والترف وميلهم الى اقتناء المال وامتلاك المزارع وبناء الدور الجديدة واتباعهم سبل المرح واللهو. فنقرأ مثلًا «كتب عمر الى احد عمّاله: وقد بلغ امير المؤمنين انه فشت لك ولاهل بيتك هيئة في لباسك ومطعمك ومركبك ليس للمسلمين مثلها.»[1] او مثلًا: «قال ابو هريرة لمروان: اتظلّ عند ابنة فلان تروّحك بالمراوح وتسقيك الماء البارد وابناء المهاجرين والانصار يصهرون من الحرّ»[2]. وكذلك قل عن كتاب الحروب ففيه بعض الفوائد عن تاريخ العرب السياسي، وفيه نتف من اخبار الخوارج[3]. وقد ذكر في كتاب النسب اخبارًا دقيقة لها علاقة في بعض الامور التاريخية كأن يورد مثلًا في كلامه عن قريش تسمية من انتهى اليه الشرف من قريش في الجاهلية فوصله بالاسلام، ويشرح المكارم التي كانت لهم في الجاهلية من سقاية، ورفادة، وسدانة، وحجابة، الخ[4]. وذكر في كتاب آخر من العقد اسماء من كتب للنبيّ، ولبعض الخلفاء والامراء من بعده[5]. ويروي في بعض الاحيان اخبارًا لها اهميتها لمن يريد التخصص في درس بعض الشخصيات الاسلامية. فقد ذكر مثلًا عن عثمان بن عفّان انه كان يعتني في ثيابه ويتنظف؛ وانه كان، وهم يبنون المسجد بالمدينة زمن النبي، يحمل اللبنة ويجافيها عنه بحيث لا تمسّ ثيابه فاذا وضعها نفض كفّيه ونظر الى ثوبه فاذا اصابه شيء من التراب نفضه عنه. فنظر اليه علي وانشد:

لا يستوي من يعمر المساجدا يداب فيها راكعًا وساجدا
وقائمًا طورًا، وطورًا قاعدا، ومن يُرى عن التراب حائدا.[6]

وكتب عن الحجاج فصلًا في نحو ٢٠ صفحة في اليتيمة الثانية[7] عدا عمّا نثره

١) ابن عبد ربه ١: ٢٤
٢) ابن عبد ربه ١: ٢٢
٣) ابن عبد ربه ١: ٨٠
٤) ابن عبد ربه ٣: ٤٥-٤٦
٥) « « ٢: ٢٠٧
٦) « « ٢: ٢٨١
٧) « « ٣: ٦-٢٦

عنه في اكثر كتب العقد.

كذلك نرى في العقد كثيراً من الفوائد عن حالة العرب الاجتماعية من سماعهم للغناء ومجالسهم حوله، وطرق معيشتهم، ولباسهم وطعامهم وشرابهم، ورأيهم في الخمر والنبيذ، وذكر الشاربين ومن حُدّ منهم، ونظر الائمة لبعض ضروب هذا اللهو الذي فشا بعد احتكاكهم بالامم الاخرى، وتساهل البعض في امره وشدة البعض الآخر، واختلاف الاقطار بالنسبة إلى آراء اهلها واتجاهاتهم في الغناء والشراب مثلاً، وما الى هذه الامور.

وللعقد قيمة تاريخية من حيث الرجوع اليه عند نشر بعض الكتب التي اخذ عنها صاحبه، او التي اخذت عن رواة استند اليهم ابن عبد ربه ايضاً. وقد الحقت لجنة دار الكتب في القاهرة عند نشرها كتاب «عيون الاخبار» زيادات كثيرة في متنه نقلتها عن العقد وصححت كثيراً من الاغلاط التي عثرت عليها في النسخ الخطية من «عيون الاخبار» عند مقابلتها بالعقد.

ويجب ان لا ننسى ان العقد من المصادر القديمة، فصاحبه قريب عهد بكثير من الامور التي وقعت وذكرها في كتابه. كما وان في العقد كتاباً كبيراً قصره لتاريخ الخلفاء يمتاز عن كثير من كتب التاريخ القديمة من حيث الاختيار والاختصار اللذان قصد اليهما مؤلفه. فقد حشد في نحو ١٣٣ صفحة فوائد كثيرة عن الخلفاء في الشرق والاندلس حتى زمنه، كتبت باسلوب سهل واضح جذاب، وروعي فيها الترتيب والتبويب. وقد لاحظنا اتفاق بعض النصوص في هذا الكتاب مع النصوص التي اوردها الطبري بتاريخه بالحرف تقريباً. ورغم ان الذين عُنوا من المستشرقين بنشر تاريخ الطبري قد رجعوا الى العقد، فانا قد وقعنا على اغلاط في مواضع بتاريخ الطبري كان من اليسير تجنبها لو التفت الى رواية العقد. ففي الجملة التالية (ص ١٨٧٠): «لم يتم لابرهيم امره وكان يسلم عليه جمعةً بالخلافة وجمعةً بالامرة وجمعةً لا يسلمون عليه لا بالخلافة ولا بالامرة» وفي العقد (٣:٧:٢) «فلم يتم له (اي لابرهيم بن الوليد) الأمر وكان يدخل عليه قوم فيسلمون بالخلافة وقوم يسلمون بالامرة وقوم لا يسلمون بخلافة ولا بامرة وجماعةٌ تبايع وجماعة يأبون ان يبايعوا.» وظاهرٌ ان الناشرين قد

قرأوا « جماعةٌ » « جمعةٌ » . فلينتبه الى هذا !

وربما من الخير ان نذكر هنا رأي الاستاذ جرجي زيدان من حيث قيمة العقد التاريخية . قال في كتابه « تاريخ آداب اللغة العربية » :

« ان في بعض ابوابه فصولاً لا تجد مثلها في كتب التاريخ فاخبار زياد والحجاج والطالبين فيها حقائق يعزّ العثور عليها في كتاب آخر . وناهيك بايام العرب واعاريض الشعر وما هناك من اخبار الخوارج والازارقة فضلاً عن كثير من الاقوال المأثورة عن عظماء الملوك نقلاً عن كتب ضاعت اصولها »[1]

ولا يفوتنا هنا ذكر اهمية العقد التاريخية من حيث انه يحتوي على بعض الاخبار التاريخية عن الاندلس ، لاسيما في ارجوزة صاحبه الكبيرة . ومن حيث انه صادر عن عربي اندلسي يبحث في تاريخ العرب في عصورهم الاولى من جاهليتهم الى عصرهم العباسيّ الذهبي . وقد كان صاحبه بعيداً الى حدٍّ ما عن تأثير اصحاب الامر والسلطة على المؤلفين والادباء في المشرق . وقد ساعده بعده عن مواطن العرب الرئيسية واحزابهم المختلفة ، وجوُّه الاندلسي على شيء من الحرية الفكرية التي حرمها كثيرون غيره . غير انه رغم هذه الامور لم يستطع ان يتجرّد من بعض النزعات والميول ، ولم يتجنب كثيراً من الاغلاط التي ارتكبها غيره . ونرى من الخير ان نبحث هنا في بعض نزعات ابن عبد ربه الخاصة من شخصية وغيرها ، وميوله ، والمؤثرات المختلفة التي يمكن ان تكون قد اثرت عليه والظروف التي احاطت به ، بحيث نعلم شيئاً من قيمة هذه الاخبار التي نراها في العقد ونكون قد انصفنا الرجل وكتابه .

ضعفه كمؤرخ

والظاهرة الاولى التي تبدو في العقد هي ضعف صاحبه كمؤرخ . تلمس هذا الضعف من نواحٍ متعددة منها ان ابن عبد ربه يرى ان لا اهمية للاسناد في الاخبار ، ويدوّن مبدأه هذا بصراحة في مقدمة كتابه حيث يقول : « وحذفت الاسانيد من اكثر الاخبار طلباً للاستخفاف والايجاز وهرباً من الثقيل والتطويل

---

١) زيدان ٢ : ١٧٤

لانها اخبار ممتعة وحكم ونوادر لا ينفعها الاسناد باتصاله ولا يضرّها ما حذف منها.»[1] ويقول: «سئل حفص بن غياث الاعمش عن اسناد حديث فاخذ بحلقه واسنده الى الحائط وقال: «هذا اسناده». وحدّث ابن السمّاك بحديث فقيل له ما اسناده؟ قال: «هو من المرسلات عرفا!» وحدّث الحسن البصري بحديث فقيل له: «يا ابا سعيد عمن؟» قال: «وما تصنع بعمّن يا ابن اخي؟»[2] وترى انه يتساهل في اسناد الاخبار حتى في الحديث، وهو يخالف ابا الفرج الاصبهاني من هذه الناحية، فان الاغاني من الكتب المسندة (الممتعة). وقد اخذ ابن عبد ربه كثيراً من الاخبار — كما رأينا في الفصول السابقة — عن مصادر اهمل ذكرها. وتقع في بعض الاحيان على باب في اخبار عليّ ومعاوية مثلاً ترى فيه فوائد كثيرة، ولكن لا تعلم من اين استقى ابن عبد ربه هذه الفوائد.

وترى من ناحية ثانية ان له رأياً في الاختصار والاختيار ذكره في مقدمة كتابه. ومن الخير ان يلتفت اليها قال: «وقد الفت هذا الكتاب وتخيّرت جواهره من متخير جواهر الآداب ومحصول جوامع البيان فكان جوهر الجوهر ولبّ اللباب وانما لي فيه تأليف الاختيار وحسن الاختصار... واختيار الكلام اصعب من تاليفه وقد قالوا اختيار الرجل وافد عقله.»[3] فهو يقول بصراحة انه عمد الى بعض الاخبار فاختصرها او اختار منها ما يلائم كتابه او ذوقه زاعماً انه يختار الاحسن، فله اذن الفضل الاكبر.

ويظهر من ناحية اخرى انه لا يمحص الاخبار بل تراه ينقل الكثير منها على علاته، دون ان يسبرها بمعيار العقل والمنطق. وهو يشترك بهذا مع كثير من مؤرخي العرب المتقدمين، فيذكر مثلاً اخباراً عن المعمّرين منها ان احدهم عاش ٣٠٠ سنة ووفد آخرَ عمره على معاوية[4]. ومنها ان احدهم عاش ١٩٠ سنة فاسودّ شعره ونبتت اضراسه وعاد شاباً ويقول: «ولا يعرف في العرب اعجوبة مثله»[5]. ومنها: «ومن بطون غطفان نصر بن دهمان كان من المعمرين وعاش مئتي

١) ابن عبد ربه ١: ٢
٢) ابن عبد ربه ١: ٢
٣) ابن عبد ربه ١: ٢
٤) « « ١: ٢٢٢
٥) « « ١: ٢٢٢

سنة.»[1] والغريب انه يعود فيـذكر انه مكتوب في الزبور من بلغ السبعين اشتكى من غير علّة[2].

ويذكر اقوالاً من هذا القبيل منها مثلاً «من قال على طعامه: «بسم الله خير الاسماء، في الارض وفي السماء، ولا يضرّ مع اسمه داء، اللهم اجعل فيه الدواء والشفاء»، لم يضره ذلك الطعام كائناً ما كان.»[3] او يذكر قصة عن ابي جعفر المنصور وتوعده جعفر بن محمد بالقتل وكيف ان الاخير نجا لانه قبل دخوله على ابي جعفر تلا دعاء هو: «اللهم احرسني بعينـك التي لا تنـام، واكنفني بكنفك الذي لا يرام، ولا اهلـك وانت رجائي فكم من نعمة انعمتها عليّ قلّ عندها شكري فلم تحرمني وكم من بلية ابتليتني بها قلّ عندها صبري فلم تخذلني. اللهم بك ادرأ في نحره واعوذ بجبروتك من شرّه.»[4]

او يقول مثلاً: «ومن همدان شريك بن حياشة الذي دخل الجنة في الدنيا ايام عمر بن الخطاب.»[5] او: «انتهب عسكر الحسين فوجد فيـه طيب لم تتطيب به امرأة الا برصت»[6]. ويذكر مثـلاً في باب طبائع الانسان اموراً نقلها عن غيره هي ابعد الاشياء عن طبائع الانسان لو يعقلون. منها ان امرأة حملت فاقامت خمس سنين ثم ولدت. وحملت مرة اخرى فاقامت ثلاث سنين ثم ولدت. ويردفها بروايات اخرى عن رجال يسميهم ولـد بعضهم لسنتين من حمله[7].

ويذكر في باب الحيوان اخباراً كلها اوهام منها «ان هشاماً بن محمد حدّث ان ابن الكلبي حدّث ان اسماء نساء بني نوح (صلعم) اذا كنّن في زوايا بيت البرج (برج الحمام) سلمت الفراخ وبقت وسلمت من الآفات. قال هشام: فجرّبته انا وغيري فوجدناه كما قال»[8]

ويتكلم في نسب لخم فيقول: «ومنهم مالك بن ذعر... بن لخم يقال

---

١) ابن عبد ربه ٢: ٦٢
٢) ابن عبد ربه ١: ٢٢٤
٣) ابن عبد ربه ١: ٢٩٧
٤) ابن عبد ربه ١: ٢٩٧
٥) « « ٢: ٦٢
٦) « « ٢: ٢٠٩
٧) « « ٣: ٢٥٢
٨) « « ٣: ٢٥٥

انه الذي استخرج يوسف بن يعقوب صلوات الله وسلامه عليه من الجب.» [1]

ويذكر امورًا غريبة مثل « بعث ملك الهند الى عمر بن عبد العزيز كتاباً فيه من ملك الاملاك الذي هو ابن الف ملك والذي تحته ابنة الف ملك والذي في مربطه الف فيل والذي له نهران ينبتان العود والالوة والجوز والكافور الذي يوجد ريحه على مسيرة اثني عشر ميلًا الى ملك العرب الذي لا يشرك بالله شيئاً اما بعد فاني قد بعثت اليك بهدية وما هي بهدية ولكنها تحية قد احببت ان تبعث اليَّ رجلًا يعلمني ويفهمني الاسلام والسلام .» [2] ومثل « قال ايوب بن سليمان : حدثنا ابان بن عيسى عن ابيه عن ابن القاسم قال: بينا سليمان بن داود ، عليهما السلام ، تحمله الريح اذ مرّ بنسر واقع على قصر فقال له : كم الك مذ وقعت ههنا ؟ قال: ٧٠٠ سنة قال : فمن بنى هذا القصر؟ قال : لا ادري هكذا وجدته . ثم نظر فاذا فيه كتاب منقور بابيات من شعر وهي :

خرجنا من قرى اصطخر الى القصر فقاناه
فمن يسألْ عن القصر فبنيانٌ وجدناه
فلا تصحب اخا السوء واياك واياه
فكم من جاهل اردى حكيماً حين آخاه
يقاس المرء بالمرء اذا ما المرء ماشاه
وفي الناس من الناس مقاييسٌ واشباه
وفي العين غنى للعين ان تنطق افواه » [3]

والغريب — ولا بدّ لنا انصافاً لابن عبد ربه من ذكره — انه في بعض الاحيان يقع على خبر غير معقول فينفي وقوعه ، قال: «ومات حنظلة بعدينة الرها فقالت فيه امرأة ، وحكي انه من قول الجن ، وهذا محال

يا عجب الدهر على محبوبة تبكي على ذي شيبة شاحب » [4]

ونرى ابن عبد ربه ايضاً لا يختلف كثيراً عن بعض مؤرخي العرب القدماء ، عند نقلهم الاخبار التاريخية ، في عدم تقديرهم الاسباب الحقيقية في كثير من

---

١) ابن عبد ربه ٣ : ٨٤ ٢) ابن عبد ربه ١ : ١٩٧
٣) « « ١ : ٢٢٥ ٤) « « ٢ : ٢٠٥

الحوادث المختلفة . من ذلك انه نقل ان سبب العداء بين قبيلتي بكر وتميم هو اجتماع تميم بن مرة وبكر بن وائل عند ملك من ملوك العرب ، ووقوع منازعة بينهما ومفاخرة انتهت بطلبهما من الملك سيفين يتجالدان بهما . فامر الملك فنُحت لهما سيفان من عود فجعلا يضطربان ملياً من النهار . فقال بكر بن وائل :

لو كان سيفانا حديداً قضا

فقال تميم بن مرة :

او نحتا من جندل تصدعا

وحال الملك بينهما فقال تميم لبكر :

اساجلك العداوة ما بقينا

فقال له بكر :

وان متنا نورثها البنين

ويقول ابن عبد ربه : « فيقال ان عداوة بكر وتميم من اجل ذلك الى اليوم . »[1]

وهو قليل التدقيق في كثير من الامور التي يذكرها بحيث يورد في بعض الاحيان اخباراً في موضع ، ثم يوردها بموضع آخر بصورة تناقضها تماماً دون اشارة الى انه قد لاحظ هذا التناقض . وقد ذكر في موضع ان معاوية مات وولده يزيد عنده[2] . وعاد فذكر في موضع آخر ان يزيد كان غائباً حين مات والده[3] . ويذكر ان عروة بن اذينة وفد على عبد الملك بن مروان وجرت له معه قصة مشهورة[4] . والمعروف في هذه القصة انها جرت عند وفود عروة المذكور على هشام بن عبد الملك ، لا على عبد الملك ، كما ذكر ابن عبد ربه نفسه في موضع آخر[5] : كذلك يذكر عن يزيد بن الوليد بن عبد الملك انه سمي بالناقص

---

١) ابن عبد ربه ١ : ٢٣٠ ٢) ابن عبد ربه ٣ : ٤

٣) « « ٣ : ٤٢ ، وراجع ايضاً ٣ : ١٧٢

٤) « « ١ : ٢٨٧

٥) « « ٣ : ١٢٦ ؛ وانظر الاغاني لابي الفرج الاصبهاني ج٢١ : ١٦٤ ، طبعة ليدن سنة ١٣٠٥ هـ .

لفرط كماله[1] . ويهمل ما هو مشهور من انه سني بالناقص لانقاصه الاعطيات. وذكر ان مدة ولايته شهر[2] ، وفاته الالتفات الى ما نقله عن بعض الرواة في الكتاب نفسه ان ولايته كانت خمسة اشهر واثني عشر يوماً[3] . وذكر في موضع[4] ابياتاً من الشعر وقال ان تمامها وقعت في الكتاب الذي افرده للمراثي؛ غير انه في كتاب المراثي لا يذكر الّا الابيات نفسها دون زيادة[5] .

غايته الادبية

وظاهرة اخرى تبدو في العقد وهي ان غاية صاحبه ادبية قبل كل شيء . ولعلّ غايته هذه قد دفعت به الى اهمال الاسناد، وحببت له الاختصار والاختيار عند ذكره بعض الاخبار . وهذه الغاية مسؤولة فيما نرى عن كثير من نقط الضعف التاريخي في ذكر الاخبار التي نراها في العقد. قال : « وحذفت الاسانيد من اكثر الاخبار طلباً للاستخفاف والايجاز وهرباً من الثقيل والتطويل لانها اخبار ممتعة وحكم ونوادر لا ينفعها الاسناد باتصاله ولا يضرها ما حذف منها»[6] وقال ايضاً : « وتطلبت نظائر الكلام واشكال المعاني وجواهر الحكم وضروب الادب ونوادر الامثال ثم قرنت كل جنس منها الى جنسه فجعلته باباً على حدته . . . وقصدت من جملة الاخبار وفنون الآثار الى اشرفها جوهراً واظهرها رونقاً والطفها معنى واجزلها لفظاً واحسنها ديباجة واكثرها طلاوة وحلاوة . »[7]

ويرى القارئ ان ابن عبد ربه يقول بصراحة تامة ان غايته ادبية ، وانه يلتفت الى اشرف الاخبار ، واظهرها رونقاً ، والطفها معنى ، واجزلها لفظاً بنظره. واذاً فكل الاخبار التاريخية التي لا تقع تحت هذا الجدول من العبارات مهملة في نظره لا يُعنى بها . زد الى ذلك مبدأه في حذف الاسناد والاختصار.

---

١) ابن عبد ربه ١ : ٢٠٠
٢) « « ٢ : ٢٢٧
٣) « « ٢ : ٢٤٧
٤) « « ١ : ٢٣٥
٥) « « ٢ : ٨
٦) ابن عبد ربه ١ : ٢
٧) ابن عبد ربه ١ : ٣

وقد ذكر مرة في عقده توسطه لدى بعض موالي السلطان بتخليص سجين ، فاهمل ذكر اسم المولى ، واسم السجين ، وسبب سجنه ، والبلدة التي سُجن فيها ، ولم يدوّن الّا الشعر الذي نظمه بعد ان اخفق في مسعاه[١] .

اعتداله

وهناك ناحية خاصة من نواحي عقلية ابن عبد ربه هي اعتداله في اكثر الابحاث التي طرق ابوابها في العقد ، واتباعه سبلاً خاصة شقّها لنفسه بين مذهبين متطرّفين بحيث لا يتقيد بمذهب طرف واحد . ولعلّ شيئاً من هذا قد اخذه عن استاذه بقي بن مخلد الذي ذكرنا انه قيل عنه « كان متخيراً لا يقلد احداً . »[٢] فتراه اذا بحث في الدين مثلاً — وهو الفقيه — انكر عليك المروق منه وانكر الغلوّ فيه ، واتاك بحديث نبويّ : « ان هذا الدين متين فاوغل فيه برفق فان المنبت لا ارضاً قطع ولا ظهراً ابقى »[٣] ، او نقل اليك كلام علي : « خير هذه الامة النمط الاوسط يرجع اليهم الغالي ويلحق بهم التالي »[٤] . فهو يرى الدين بين الافراط والتقصير — خير الامور اوسطها — واذا قرأت ما دوّنه في باب الغلوّ في الدين[٥] ترى هذه الطريق التي يسلكها جدّ واضحة . واذا بحث في امر السماع والشراب ابدى لك تساهلاً ندر ان يبديه فقيه ، واتاك باخبار عن القدماء واحاديث يذهب فيها الى تأييد وجهة نظره . وقد ذكرنا بعضها فيما سبق من هذا البحث[٦] .

كذلك نرى اعتداله وتساهله عند بحثه في انشاد الشعر الغزلي في المسجد ، وكيف يأتينا بكثير من الشواهد على عدم انكار النبي والصحابة الاول له[٧] .

ويذكر شعر عروة بن اذينة ، وهو من فقهاء المدينة وعبّادها ، وتشبيبه ، وقد وقفت عليه امرأة ، فقالت له : انت الذي يقال فيه الرجل الصالح وانت القائل :

---

١) ابن عبد ربه ١ : ١٠٧
٢) المقرّي ١ : ٥٩٠
٣) ابن عبد ربه ١ : ٢٥٠
٤) ابن عبد ربه ١ : ٢٥٠
٥) ابن عبد ربه ١ : ٢٤١–٢٥٢
٦) راجع ايضاً ابن عبد ربه ٣ : ٢٢١–٢٢٢
٧) ابن عبد ربه ٣ : ١٢٥ و١٢٦

اذا وجدت اوار الحب في كبدي عدوت نحو سقاء الماء ابتردُ
فبي ابتردت ببرد الماء ظاهرة ، فمن لنار على الاحشاء تتقدُ ؟

والله ما قال هذا رجل صالح .»[1] يذكر هذا الشعر وقول المرأة فينكر عليها تطرفها في الامر واستنتاجها انه مراء ، ويرد عليها قائلاً : « كذبت عدوة الله ، عليها لعنة الله . بل لم يكن مرائياً ولكنه كان مصدوراً فنفث . »[2] واملّ ابن عبد ربه هنا كان يجهل ان المرأة هذه ، فيما تنصّ بعض المصادر ، هي سكينة بنت الحسين[3].

ونلمس هذه الناحية من عقليته في كثير من المواضيع التي نثرت في العقد والتي ابدى فيها آراءه ملازماً خطة وسطى بين سبيلين متطرفين. وقد اشار الى حبه هذا التوسط في باب جامع الآداب من كتاب الياقوتة في العلم والادب قال : « وقد ادب الله نبيّه باحسن الآداب كلها فقال له : وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ ولا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَحْسُوراً[4] ، فنهاه عن التقتير كما نهاه عن التبذير وامره بتوسط الحالتين كما قال عزّ وجلّ : وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا ولم يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً »[5].

ومع اننا نشتم من عقده شيئاً من النزعة الشيعية عنده ، فاننا نراها شيعية معتدلة بين الشيعية المتطرفة وبين اخصام علي . وهو على كل حال لا يطعن الا بالمتطرفين حتى انه في انكاره على بعض الشيعة تطرفها يلعن السبأية والمنصورية من الرافضة قال : « فاما الرافضة فلها غلوّ شديد في علي ذهب بعضهم مذهب النصارى في المسيح وهي السبأية اصحاب عبدالله بن سبا عليهم لعنة الله . . . وقد احرقهم علي رضي الله عنه بالنار .»[6]

---

١) ابن عبد ربه ٣ : ١٢٦ ٢) ابن عبد ربه ٣ : ١٢٦

٣) الاغاني لابي الفرج الاصبهاني ج ٢١ : ١٦٧ ، طبعة ليدن سنة ١٣٠٥ هـ — ومراسم الادب وآثار العجم والعرب للملوي ج ٢ : ٨٣ مصر سنة ١٣٢٦ هـ — ومصارع العشاق لابن احمد السراج ، طبعة القسطنطينية ، سنة ١٣٠١ ج ١٨ : ٢١٢

٤) سورة الاسرى (١٧) الآية ٢١

٥) ابن عبد ربه ١ : ٢٧٠ ؛ وانظر سورة الفرقان (٢٥) الآية ٦٧

٦) ابن عبد ربه ١ : ٢٦٧ (للبحث صلة)

المرأة في الحرب الكبرى

من مظاهر البسالة النسوية

حوادث واقعية

بقلم الخوري بطرس روفائيل

البسالة قوة كامنة تبدو في الاخطار والاهوال ، فتحمل صاحبها على اعمال يندر وجودها وحدوثها في عامة الناس.

الرجل الباسل تصغرُ في عينيه عظائم الامور ، يسير في سبيله غير هيّاب ، ليس عنده للحياة قيمة ولا يعرف لها معنًى الا اذا أنجز ما رآهُ واجباً مفروضاً عليه.

الرجل الباسل قلبهُ قُدَّ من الصخر ، وعزمهُ صُنع من الفولاذ ، وارادتهُ أفرغت في قالب من الحديد ، تثبت امام العواصف وتردي بالمهالك . لا شيء يثنيه عن قصده مهما صعب ، ولا يعوقه عائق مهما ثقل ، ولا يمنعه مانع مهما عظم .

تلك صفات لا نراها في المرأة غالباً ، لما هي عليه من دقة الشعور ، وتقلّب العواطف ، وحدّة المخيّلة المجسّمة للحوادث والمعظّمة للمفزعات.

على ان الحرب الكونية قد كشفت لنا القناع عن امور لم تكن لتدور في خلد احد ، وعرضت للعيان من المناظر ما لم يكن بالحسبان.

صلّبت المرأة قلبها ، وشحذت عزمها ، وشدّدت ارادتها ، وقيّدت مخيّلتها وحاسّاتها ، فبرزت الى ميدان البسالة وظهرت فيه بمظهر الابطال.

كتبت ملكة بلجيكة شهيدة الوطنية والامانة آية ذهبية لابنها ليوبولد قالت : « الشجاعة لا تقوم بالالفاظ الجميلة بل بالعمل » .

وقد صدق قولها هذا في كثيرات من الجنس اللطيف كبيرات وصغيرات ،

سواء أكنَّ من دُول الحلفاء ام من المانية والنمسة

أجل انهُ لوافرٌ عدد النساء اللواتي أبدين من الشجاعة والجَلَد وعلوّ الهمّة والاقدام ما جعل اسمهنَّ مجيدًا يُسطَرُ بالاعجاب والفخر في تاريخ الحرب الطاحنة الساحقة . فأتبنَ بالنساء البواسل كما يُلقَّب الرجال بالابطال . وقد نقل الينا كتّاب الجرائد والمجلّات اسماء عديدات منهنَّ نكتفي بايراد بعضها حبًّا بالاختصار، لا خوفاً من الملل والاضجار.

***

في آخر شهر آب من سنة ١٩١٤ لعبت خمرة الانتصار برؤوس الالمان، فكانوا العدوّ الذي لا يلين ولا يشفق . مدافعهم لا تسكن ولا تسكت، بل تمطر فرنسة وابلًا من القذائف من ورائها الموت الاحمر، وقد نشروا اليأس والذعر في كل ارض اجتاحوها.

وفي صباح يوم اقبلت شراذم الجنود الفرنساوية مرتدّة على عقبها، يرافقها بعض نقّالات تحمل عددًا من الجرحى . دخلت مدينة سواسون، فهامت لمرآها قلوب السكان. وما مضت برهة حتى صدر امر السلطة باخلاء المدينة، فهُجرت في مدة ثلاثة ايام . ولم يبقَ من اهلها، وعددهم خمسة عشر الفاً، سوى الفين فقط . اكثرهم من ذوي العاهات، ومن الشيوخ والنساء والمرضى والجرحى الذين لم يتيسر نقلهم الى جنوب فرنسة، لان الالمان كانوا اطلقوا قنابلهم على الاسلاك الحديدية والمحطّة فخربوها.

وقفت حياة المدينة، وساد عليها السكون، وخيّم عليها الحزن والجزع . نزح الوجهاء ورجال الحكومة، وأخلوا مراكزهم مُلقين على عاتق امرأة عبء المحافظة على النظام وادارة شؤون البلدة . هي السيدة ماشريز، رئيسة جمعية السيدات الفرنساويات، ومديرة المستشفى . قبلت ان تتحمّل تلك التبعة وقامت بأعباء وظيفة العمدة بكلّ نشاط . فشرعت تعتني بمداواة الجرحى والمرضى، وتهتمّ باعالة الشيوخ والعجائز . تقضي ليلها بالسهر، ونهارها بالحركة والعمل . ولمّا اشار عليها الجنود المتقهقرون بالرحيل، وأنبأوها بان العدوّ يتعقّبهم على بُعد بضعة كيلومترات، اسرعت فنقلت الجرحى منهم الى المستشفى، ووزّعت

الطعام على الاصحاء قائلةً لهم : « ابتعدوا انتم واذهبوا بسلام . فاني قادرة على الدفاع وحدي عن المدينة وما فيها . »

ولم تمض برهة حتى دخل الالمان الى سواسون ، واقبل قائدهم ، الى مركز الحكومة طالباً مقابلة العمدة . فتقدمت اليه السيدة ماشريز وقالت : ما تبتغي ؟

— مقابلة الحاكم .

— انا هو . واني لمسؤولة عن كل شخص وعن كل امر .

— اريد ان ارى الجرحى لعلّ بينهم جنوداً اصحاء .

— زُرهم ، ولكني لا أدَعك تمسّ واحداً منهم .

جرى حديث طويل ومناقشة شديدة بينهما أظهرت في اثنائها تلك السيدة من الغيرة ورباطة الجأش ما جعل القائد الالماني يستصغر نفسه امامها . ثم استطرد في الكلام وقال بجدّة :

— اريد ان تقدّمي لجنودي ، على سبيل الغرامة ، سبعين الف كيلوغرام من العلف . ومثلها من اللحم المقدّد . وعشرين الف كيلوغرام من التبغ والسيجار .

— لئن تطلب مني القمر لاسهل من طلبك هذا . لان المدينة خالية من الزاد وما فيها يكاد لا يكفي الجرحى والعجزة من اهلها .

— واذا احرقتُ المدينة ودمّرتها فما تفعلين ؟

— لا أدَعُك تفعل ذلك ، قبل ان يمزّقني الرصاص .

فوقف القائد مبهوتاً امام بسالة « حاكمة سواسون » . وأخمد غضبه ، ورأى ان لا مندوحة له عن الاتفاق . فرضي ان لا يُمسّ المستشفى بسوء ، وان يدع الشيوخ والجرحى والنساء في راحة ، وان تُصان حياتهم ومنازلهم ، مقابل بعض حاجات تقدّمها للجنود ، وقد فرضت على نفسها غرامة تهبها من مالها الخاصّ .

هذا ما جرى . وهكذا حفظت هذه الباسلة مدينتها من الحريق والدمار . الى ان عادت الجنود الفرنسية . واسترجعتها في معركة الايسن الشهيرة ، التي فيها اصابت شظايا قنبلة السيدة ماشريز جرحتها جرحاً بالغاً . الا انها شُفيت رحمةً

بالانسانية فاستأنفت اعمالها الخيرية الفاضلة.

***

ويشبه هذه الرواية رواية اخرى جرت مع السيدة جوليا ديل في جريفيلر، في مقاطعة الوزيل. اشتهرت هذه السيدة ايضاً بشجاعتها واقدامها ودفاعها عن حياة كثيرين من الجنود والمرضى. وقبل اخلاء المدينة عهد اليها حاكم المقاطعة ادارة شؤون البلدة كعمدة لها. فلما دخل الاعداء اليها في شهر آب سنة ١٩١٤، أقبل قائدهم، والمسدّس في يده، فولج دار الحكومة وسألها: اين المحافظ؟

— انا هو.

— أعندكِ هنا جنود مختبئون؟

— كلا ليس عندي سوى الجرحى والمرضى.

— اريد ان اراهم.

— لا بأس. وانما لا اسمح لك ان تمدّ يدك الى احد منهم.

ولكن شتّان بين ما وعد وما فعل. فما وطئت رجلاه محالّ الجرحى الفرنسويين حتى امر بطرحهم على الحضيض. ووضع في مكانهم على الاسرّة ٢٥٨ جريحاً من رجاله. وأكره السيدة جوليا على ان تعتني بهم. فأذعنت واهتمت بمداواة جميع الجرحى، بينما كان جنوده ينهبون المدينة ويدمّرونها. ولم يبقوا منها الّا على خمسة بيوت. واما سائر ابنيتها فجُعلت طعمة للنار.

وفي شهر تشرين الثاني سنة ١٩١٤ احتلّ الالمان بلدةً وعزموا ان يقتلوا اهلها ويحرقوها بالنار، لانهم وجدوا بعض الجنود المسلّحة مختبئين في منازلها. فقامت السيدة ماري ماسون، وهي في الثامنة والعشرين من عمرها، وقدّمت نفسها ضحيّةً عن السكّان كلهم. وقالت انها هي التي اخفت الجنود في بيتها. فأُخذت الى الساحة وأُطلق عليها الرصاص. فذهبت شهيدة الواجب والرحمة.

***

ولم تختصّ البسالة بعمر من الاعمار بل امتاز بها الصغيرات انفسهنّ. ولا يزال الفرنسويون يذكرون دنيز كارتيه، تلك البنيّة اللطيفة العواطف، ولم

تتجاوز التاسعة من سنيها . سقطت عليها قنبلة من احدى طيارات الالمان المحلقة فوق باريس فقالت وهي في النزاع : « ارجو منكم ان لا تقلقوا امي ، وقولوا لها ان جرحي خفيف . » ثم فارقت الحياة .

وفتاة اخرى في الرابعة عشرة من عمرها هامت بحب وطنها فخصصت لخدمته شفاها وعملها وُظفت في ادارة التلفون ولمّا دخل الالمان بلدتها ، فرّ الافرنسيون من امامهم . الا ان هذه الباسلة الصغيرة ظلت في مكانها تُكلّم اهل القرى المجاورة وتُعلمهم ان الاعداء قربوا فعليهم ان يكونوا على حذر . الى ان سقطت عليها قنبلة من قنابل العدوّ . فمزّقتها وهي قابضة على سماعة التلفون ، وهذه كلمتها الاخيرة : « احتاطوا لانفسكم ... ها قد اقترب العدوّ ... آه ... ها قد وقعت قنبلة ... » تلك القنبلة قطّعتها إرباً اربا وقطعت كلامها .

وما نسي الانكليز الآنسة روبين ، ابنة احد الجنود ، البالغة السادسة عشرة من عمرها ، ذُكر اسمها في الجيش مع من اتوا الاعمال الباهرة لانها اوصلت الى رئاسة اركان حرب المرشال فرنش رسم قناة لأبيه ، وساعدت الجنود باستعلاماتها ، وهي واقفة امام النار ، على تدمير المواقع الالمانية .

ومن عمر الآنسة روبين كانت الآنسة كلوتيد بوكري ، حفيدة كبير رجال المطافئ في فرنسة . لما وصلت اورطة من المشاة الفرنسويين الى افريشي بالقرب من كلارمون في الواز ، وكانت وقائعها مع العدو في الايام السالفة قد افنت ذخرتها وأنهكت قواها ، فاعتنى السكان بافرادها وأووهم خارج القرية في رواق فسيح الارجاء ، تكفلت كلوتيلد بتموينهم . وكانت طول النهار ذاهبة آتية حاملة الخضر والفواكه . ولما اقترب الاعداء من تلك النواحي اسرعت الى الرواق ونبّهت الملازم فقال لها : « لا تضطربي يا بنيّتي فان طلبوا شيئاً فارسليهم الينا ونحن نجيبهم بما يلزم » . وما هي بضع دقائق حتى التقت الصبية في زاوية شارع بخيّالة منهم فاحاطوا بها وتوجهوا نحوها اسنة رماحهم ، وصرخوا بها : « قفي واصدقينا القول والا حذار حذار من مسدّس الملازم » .

وقفت كلوتيلد ونظرت اليهم نظرة من لا يخاف واجابت : « سأصدقكم الجواب » .

— هل في القرية جنود فرنسويون ؟ اياك والكذب والّا . . .

— انا لا اخاف الوعيد والارهاب اجيبكم بما اعرف . لا جند هنا . »

قالت هذا وتباعدت . اما البروسيون فاخذوا في السير الى الامام . ثم التفت واحد منهم فجأةً وقال : « اتعرفين يا بنيّة اين نجد شميرًا وتبناً » ؟

فأبرقت عينا كلوتيلد وتبسّم ثغرُها ابتسامة خفيّة واجابت بهدوء كأنها تردي بالموت : « تجدون مطلوبكم هناك . . . في طرف الشارع . . . على الشمال . . . في رواق . . . »

قالت هذا واسرعت مُجدّةً وراء الجنود لترى نهاية الرواية وهي بطلها . جدّت وراء الظفر . . . او الموت . . . طرق أذنيها دويّ بنادق ثم صراخ فتجاديف فسكوت تبعه هتاف الانتصار . ركضت الى الرواق فاذا بسبعة جنود من الاعداء مطروحين على الحضيض مضرّجين بدمائهم . اما الباقون منهم فقد استسلموا ، ولم ينل الفرنساويين الا بعض جراحات خفيفة . فرقصت فرحاً وتنقّلت من واحد الى آخر مهنئة الجميع ، ثم قالت بصوت مؤثر : « اسألكم شيئاً واحدًا لا تُضرّوا بهؤلاء ولا تُلحقوا بهم شرًّا » .

ما اكبر من يجمع بين البسالة في الاخطار والحنوّ والرقة !

محاولات في درس جبران

يسوع الانجيل ويسوع جبران

بقلم امين خالد

١

لقد حاولنا ، في كل ما تقدّم من ابحاثنا عن جبران[1] ، ان لا نتعدى حدود النقد والتحليل وتشريح ادب الفنّان في مؤلفاته تشريحاً علمياً ، كما ادركناه بالنظر الى فحوى تلك المؤلفات ومضمونها ، وباعتبار الاسلوب الكتابي الذي انشأ به جبران . ولم نتعمد التصريح بآرائنا في الكاتب الكبير لنترك لكل ذي فكر عامل ان يستخرج رأيه باستقلال ويلفظ حكمه لنفسه بحريّته ، غير مأسور باستنتاجاتنا ولا مقيّد باستدلالنا .

لم نقل اننا ننبذ « وردة الهاني » ، او نعارض « آمنة العلويّة » ، او نخطّئ « مرتا البانيّة » ، او نرفض تعاليم « النبي » ، او نحتقر « سلمى كرامه » ، او نستصغر مجاراة جبران بالعاطفة او الفكر في تلافيف الفاظه الموجزة او المسهبة .

اجل ، لم نتعرض لاصدار احكام كهذه لاننا نعتقدها خارجة عن دائرة النقد التحليلي التي احببنا التمشي عليها . ولكننا ازاء « يسوع ابن الانسان » لا نستطيع السكوت عن ابداء رأينا .

لقد اراد جبران ان يمزج الفنّ بالدهاء عندما اتته فكرة تأليف «يسوع ابن الانسان » . فاعتقد انه بتزييف شخصيّة صاحب التاريخ العصري العام ، يتسنّى له ان يجتذب الى عنوانه وموضوعه قوماً طربوا بانشائه وذهلوا بشهرته التي لم يدركوا سرّها ، فيشربهم الروح التي دسّها في الكتاب ليختمر في القلوب وقع « يسوعه » الخاصّ ، فتتفشّى اتجاهاته في اعماق نفس القارئ من حيث لا

(١) اطلب مشرق السنة الثالثة (٣٠ [١٩٣٢] ٤٢٥ ؛ ٥٢٢ ؛ ٦٥٨ ؛ ٧٥٢)

يدري ، فلا يشعر بنفسه الا وهو ضحية فساد العقيدة عندما يعود بالفكر الى التأمل بيسوع النصارى الذي عرفه التاريخ و«يسوع ابن الانسان» كما شوهه جبران.

ان «يسوع ابن الانسان» لا يفرق عن «خليل الكافر» بشيء في الجوهر. الّا ان «خليل الكافر» شاب صريح لا يحسن اخفاء افكاره بل يترنم بها متهوساً بعزم الشباب. امّا «يسوع ابن الانسان» فقد تبلور الدهاء في احشائه وامسى نصاً لدين ناعم، ورداء شفافاً المشهرة المنغصة لانها باتت مصلوبة دون لذتها. فكان التباس بين مظاهرها وبعض جوانب المحبة النزيهة، وكان اضطراب روحي بداخل النفوس المؤمنة بيسوع الاخاء والمحبة الروحية عندما عادت التأمل باتجاهات يسوع جبران.

ولكن الناقد الذي يحلّل كل مقالة من السبع والسبعين قصة التي تألف منها «يسوع ابن الانسان» ويركب الشخصية الاجمالية يرى بالنهاية ان يسوع هذا على طرفي نقيض مع يسوع العفة صاحب شريعة الزواج المفرد المقدّس.

ان جبران لم يكتفِ بتحريف «العهد الجديد»، كما رواه الانجيليون الاربعة، بل قلبه راساً على عقب ليزرع ديدنه في الاذهان على انقاض مبادئ «المعلّم» الذي عرف بموته على الصليب من اجل خلاص العالم.

وبعيداً عن ابراز تحفة وجد بمسيح الانجيل، لقد قصد قيادة العواطف الى الهيام باللغز الذي جسّم فيه عاطفته المعروفة ليجعله طعنةً سامّة في صدور اهل الدين الذين حاربهم بكل قواه من اجل «سلمى كرامه». وكأنّ لسان حاله يقول لهم: لقد اضطهدتم شهوتي وقاومتم اتجاهات رغبتي فلأريّنكم ربكم اباحياً مثلي. وهاكم «اقواله وافعاله كما اخبرها ودوّنها الذين عرفوه»[1]

يوطّئ جبران لكتابه بايضاحات اوّلية تبهر القارئ وتوقفه مشدوهاً يتأمل بموضوع الحلم الاكبر – حلم الجمال ؛ ويفتكر بسر القضية العظمى – قضية

١) يسوع ابن الانسان : اقواله وافعاله كما اخبرها ودوّنها الذين عرفوه . – وضعه بالانكليزية فقيد الشعر والفن المرحوم جبران خليل جبران . تعريب الارشمندريت انطونيوس بشير – ٢٢٢ ص صغيرة ، المطبعة العصرية ، مصر ، ١٩٣٢

اليقظة الروحية – فيروي على لسان يعقوب بن زبدى اهم ما يسترعي الانتباه من اقوال يسوع :

« انظروا الى الارض في ثوبها الاخضر ، وتأملوا كيف طرّزت السواقي اهدابه بالفضة اللامعة .

بالحقيقة ان الارض جميلة ، وكل ما عليها جميل .

ولكن وراء كل ما تنظرون ملكوت ساحكمه واسود فيه . فاذا شئتم ورغبتم من قلوبكم فانتم ايضاً ستذهبون اليه وتحكمون معي .

. . . .

ان مملكتي ليست من هذه الارض ومجلسي لم يبنَ على جماجم اسلافكم

فاذا كنتم تنشدون مملكةً غير مملكة الروح فالاجدر بكم ان تتركوني ههنا ، وتنحدروا الى مغاور امواتكم حيث يعقد ذوو الرؤوس المتوّجة منذ القدم مجالسهم في قبورهم ليعطوا مجداً لعظام جدودكم وآبائكم . » (١)

فيظنّ القارئ السطحي ان جبران منخرط في سلك الروحيين الزاهدين عندما يتلو هكذا آيات . ولكنه عندما يعود الى نفسه ويفتكر يرى عكس ذلك : الروحي الزاهد يحييه ايمانه بنعمةٍ يوحيها الله الى قلبه لتكفيه مؤونة الحياة الدنيا ، وتدعمه طيلة المدة التي يعيشها منفياً على الارض حتى يصل في الآخرة الى السماء ، او النعيم الابدي ، او جنة الخلد ، او بعبارة ابسط « غاية الغبطة النهائية » . وفي سبيل هذه الغاية السامية يضحي الروحي بزخرف الارض ليقتصر على الروح المجرّدة ، غير مجذوب نحو شيء محسوس ، ولا راغب في نعمة ارضية ، او طيب لذةٍ في اللحم والدم ، بل هو يعتبر التقشف واسطة فعالة لتربية نفسه وتدريبها على خطة انكار الذات والانسلال من المادة الارضية للاحتفاظ بالسر الاكبر – سرّ الايمان – والتوق الى الخفي الصرف الذي سمّيناه « غاية الغبطة النهائية »

فهل رمى جبران الى هذه الغاية عندما كتب « ان مملكتي ليست من هذه الارض . . . فاذا كنتم تنشدون مملكة غير مملكة الروح فالاجدر بكم ان تتركوني ههنا . . . » كلّا ! انه لم يقصد البتة انسلاله من المادة الارضية للوصول الى الروح بل طلب ما يدعوه « روحاً » عن طريق المادة اذ سبق

(١) يسوع ابن الانسان ص ٢–٣

واستهلّ حديثه هكذا : « انظروا الى الارض في ثوبها الاخضر . . . بالحقيقة ان الارض جميلة ، وكل ما عليها جميل . . » كانه يسعى تحت تأثير الجاذبية البهية نحو « ملكوته » رغبةً منه بالحصول على النعمة المثلى التي يحسبها كامنةً وراء « الجمال العالمي » الذي يشتهي التمتع به لاجل الانتهاء منه الى النطاق الروحي . فهو اذاً بعيد كل البعد عن التجرّد والزهد والروحانية . واذا صحّ قول من قال عن روحانيي العرب انهم سمّوا « صوفيين » لارتدائهم الصوف في سبيل قهر الجسد الترابي واذلاله وخنق الرغبة في الجمال العالمي واخماد الشهوة الدنيئة التي تجعل هذا الجمال غاية نهائية ، فما اجدر روحانية جبران ان تلقب « حريرية » لانه يرى «ملكوته الروحي» على اثر النشوة بالجمال الطبيعي الفتّان والتجاوز بالتمتع الى ما بعد المحسوس . فهو يسعى الى هدفه متبعاً خطة الاغراء الايجابي من الحاصل الى اللامتناهي . ولا نحتاج الى القول بان فضيلة الايمان تتحوّل ، على هذا الوجه ، الى جشع لطيف تجذبه المادة وتجره الى ما يسميه « مملكة الروح » . ولا غرو اذا اثبت جبران في توطئته على لسان « عساف الملقب بخطيب صور » مقدراً « خطاب يسوع » قائلاً : « اجل ، قد عرف الناصري ينبوع ذاتنا القديمة ، وخبر الخيوط التي حاك القدير نسيجنا منها »[1] بعد ايراده ثلاثة امثلة مختارة من اساليب « يسوع » في بدء قصصه وهي :

« خرج الزارع ليزرع زرعه . . .

« كان لرجل غني كروم عديدة . . .

« راعٍ عدّ خرافه عند المساء فوجد خروفاً ناقصاً . . .

فهو ينسب سحر يسوع وعظمة بلاغته الى ضربه على اوتار الامل والحرص والاحتكار المادي ، ويعتبر هذه الاخلاق « ينبوع ذاتنا القديمة ، والخيوط التي حاك القدير نسيجنا منها » . وبتعليق الاهمية كلها على المقدمات الموافقة لمشربه ، قد تعامى عن المغزى الاخلاقي او الروحي الذي تنتهي اليه الامثال التي كان يسوع يضربها للناس .

ونريد ان نقول مع القائلين بان صوفية جبران تفرق عن الصوفية القديمة

---

١) يسوع ابن الانسان ، ص ١١

لكونها مثقفة . فلعلّ الخيرات وبجوحة النعم تتفق مع الروحية ، او توصل الى روحية معتبرة . ولذلك نريد ان نتعمق في البحث عن ميزات هذه الروحية « الحريريّة » ونتتبع سيرها برفقة ابطال الحديث في الكتاب :

ان البطل الاوّل هو مريم المجدلية . فهي التي تبسط الموضوع وتدلّ على « خلق يسوع » الجبراني ؛ وهي التي تتبسّط فيه في منتصف الكتاب ؛ وهي التي تلفظ آخر كلمة عند النهاية. ولندقق في حديثها عن « اجتماعها بيسوع للمرة الاولى »[1]

« رايته لاوّل مرة في شهر حزيران . . .

. . . .

ولم اعرف طعم الراحة في فراشي في تلك الليلة . »

لم يكن اقتناع الفكر منيرًا لعقل مريم المجدلية ؛ ولا كانت التوبة عاملة على صقل وجدانها وتطهيره من اقذار الفساد الماضي على اثر ما سمعته او عرفته من تعاليم المصلح العالية ؛ ولا كان الهدى مرشدًا قلبها باعجوبة غريبة ومبدلًا دعارتها بعفة وشقاءها بسعادة.

ولا يشعر القارئ بانه تجاه امرأة منتقلة من حياة الفجور والدعارة الى حالة النعمة الروحية ، بل يلقاها وهي ، كما قال النبي ، « بكمال الفرح ووفرة المسرات» ، في موسم العز والانشراح الطبيعي ، في زمن الربيع ، « شهر حزيران » وفي الحقل : « بين الزروع » ، لا في شوارع اورشليم ؛ وفي مظهر ايّتها « مع جواريّ » ، لا مكبلة بقيود الجريمة وعار الزنى . وفي مثل هذه الظروف المغرية تقول المجدلية : «رأيته لاول مرة » وكانت النظرة الساحرة قد خطفت اوعي من خلد المجدلية فجأة فاثملتها بالدهشة « بحركة جسمه التي لم ترَ مثلها قط في حياتها » وافقدتها خمرة الاعجاب ذكرى مشيته الغير الاعتياديّة و«اذا كان يسير بسرعة او ببطء » . وفي سبيل الاغراء والتفنن اسقط جبران الحلقة الثانية من سلسلة الحب ، وهي الابتسامة ، وانتقل حالًا الى « التحية » ومنها الى عناء الصد ، الى الانفعال الاكبر ، الى الحلم بالرغبة المكبوتة ، الى الم الجوى. وكلها

---

١) يسوع ابن الانسان ص ١٢-١٧

تتعاقب برموز برقية من الافعال المتواليـة .

« وقفت لحظة ورفعت يدي لاحييه . ولكنه لم يلتفت ، ولم ينظر اليّ . فبغضته جداً . وشعرت بان الدم ينشف في عروقي من شدة الغيظ . وفارقتني حرارة جسدي . . . وكنت ارتجف بكليتي وفي تلك الليلة رأيته في منامي . . . ولم اعرف طعم الراحة في فراشي . »

ولا يلبث عذاب الهجران حتى تنقشع غيمتـه ، فتقول المتيّمة :

ثم رأيته ثانية في شهر آب . . . قلت له « انعم صباحاً »

فقال : « نعمت صباحاً يا ميريام » .

اجل يجعل جبران من يسوع رجلاً يرجع فيتردد حول منزل المجدليـة ، ويتربص تحت شباكها مترقباً الفرص . . . فتبادر الغـانية الى لقاء ساحرهـا الاعظم مجذوبة نحوه ، غير عالمة سرّ اندفاعها العجيب .

نعم تخفّ « بافخر اثوابها الدمشقية المعطرة ، وحذائها الذهبي » الذي اهداه اليها احد عشاقها من قوّاد الرومان . تخفّ المجدلية الى السلام على الدنف العطوف ؛ فيبادلها التحية هذه المرة متحبباً بلا كلفة مغالياً بتقديسها دون ما تهليـل او تكبير ، بل مكتفياً بهذه الجملة « نعمت صباحاً يا ميريام »

نظرة في الحقل ، تحية ، لقاء فخم بعد تجربة الصد ، « اثواب معطرة وحذاء ذهبي » ، هذا ما حمل يسوع جبران على رفع المجدلية الى سدة الشرف ودعوتها « يا ميريام » اي « يا مطهرة ، يا مقدسة » . . . وليقابل المطالع بين هذه المجدلية ومجدلية الانجيل ، وبين هذا اللقاء وذاك ! . . .

وتستأنس الغانية المطهرة بنظرة معنوية ، فتدعو يسوعها الجبراني الى بيتهـا « ليشرب الخمر ويكسر الخبز معها » فيجيبها :

« نعم يا ميريام . ولكن ليس الآن »

وتبعث المتكلمة هتافها الحنون : « ليس الآن ، ليس الآن ، هكذا قـال لي . وكان صوت البحر في هاتين الكلمتين ، وصوت الريح والاشجار . وعندما قالها لي تكلمت الحياة مع الموت . »

لم تهتف المتكلمة لكلمة الايجاب « نعم » التي يجب ان تنعشها ، ولم تهتف للفظة السامية المقدّسة ، المطهرة ، المتلئة بالتحبب العاري عن الكلفة « ياميريام » ؛ ولكن لهاتها رقصت طرباً وفؤادها تدفق حبوراً عند هذه العبارة « ليس الآن » ،

لان بها من عذوبة الوعد وانشراح الامل آية الحياة المندفعة الى الامام ، وفيها من سناء الشرار عربون مغرٍ بالدفين المستور تحت رماد الظروف الحاضرة ؛ فهذا الشعاع الحميم وذلك الخيط الحريري هما الوتران القلبيان اللذان اثلجا صدر المجدلية وافرحتها موسيقاهما كأن فيها «صوت البحر» و«صوت الريح والاشجار».

ثم يفوه يسوع جبران بخطاب ودّي اقلّ ما فيه انه قائم على التشويق والرغبة في الاستئثار بالحب ، فيكاد لا يسمو في شيء عن خطب العشاق والمغرمين.

نحن لا ننفي ان جبران يصوّر « يسوع ابن انسان » ، ولكننا نستصعب الاعتقاد بان الحب الانساني الكامل قائم على التشويق للغايات الانانية فقط . وهل يوجد في رواية المجدلية شيء لا يحكي عنصراً اساسياً من عناصر الانانية ؟ !

واذا كان هذا شأن المجدلية في البدء مع يسوع ، او على الاصح شأن يسوع مع المجدلية ، لانها هي الحرية بان تكون بطل الكتاب ، ويسوع بجانبها شخصية ثانوية تخدم عاطفتها ، وفي عاطفتها تجلو المظهر الحسي ؛ فلنلق نظرة على حديثها في قلب الكتاب ونحاول تفهم ذلك الحديث دون ما تأويل عويص او شرح مستبعد نستمده من غير العبارات الجبرانية ، فنقرأ عنوان تلك المقالة الذي هو نفس الجملة الافتتاحية فيها وهي :

« كان فمه كقلب الرمانة » (١

واننا لا ندري كيف يتحول معنى هكذا عبارات عما يتبادر الى الذهن من الشهوة . . . ولاسيما عندما تردف قائلةً : « بيد انني عندما وقفت امامه وخاطبته ، كان رجلاً ؛ وكان وجهه يملأ عين الناظر اليه قوة . وقد قال لي : « ماذا تريدين يا ميريام ؟ . . .

«انني لم اجاوبه ولكن اجنحتي احتضنت سري فسرت الحرارة في جسدي»

وهذا ايضاً تصريح يغني عن كل تفسير يرجع بحديث المتكلمة الى الصوفية او الروحية البعيدة عن رغائب الذات الحيوانية . اشتهاء في نفس المتدلهة ، وانعطاف ايجابيّ عند السائل « ماذا تريدين يا ميريام ؟ » وانشراح حسيّ عند المترنمة

١) يسوع ابن الانسان ، ص ١١٠-١١١

« فسرت الحرارة في جسدي » . وهكذا نرى ان نشوة الفرح وكمال المسرات قد بلغت في قصة المجدلية غايتها او كادت

بقي علينا الالتفات الى الكلمة النهائية لمريم المجدلية وهي آخر مقالة في الكتاب وعنوانها «بعد ثلاثين سنة »[1] عن بشارتها للرجل الذي احبته واحبها ، واوصلها هذا الحب الى حيث ترى نفسها أرفع رتبة عن الآخرين ، وتتبجح بما وصلت اليه مقتنعةً بذلك كأن لا فرق بينها وبين وردة الهاني التي وقفت على ذروة الشهود يوم فاضت قريحتها بذلك الخطاب الممتع[2] . . .

وان حديث المجدليـة لا يفرق عنـه الا بكونه فلسفياً موجزاً واكثر رموزاً . ولكن الغايـة لم تتغير والهدف المقصود هو هو . ولنصغ اليها تخطب مشيرةً الى قول « فريق » من الناس ان يسوع « وُلد من عذراء » :

« ولكنكم لا تعرفون الامهات اللواتي يذهبن الى القبر في عذريتهن ، ولا الرجال الذين يذهبون الى قبورهم مختنقين بعطشهم . انتم لا تعرفون ان الارض زفت الى الشمس ، وان الارض هي التي تبثنا الى الجبل والى الصحراء . »

وهكذا يقضي جبران ، او يظن انه يقضي ، على اهم العجائب التي تتناقلها التقاليد والتعاليم الدينية ، الا وهي معجزة الحبل بلا دنس ، اذ يعتقد انه جعل كثيراً من الامهات بتولات مثل والدة يسوع . . .

هذا فضلاً عما في عبارته الثانية من النزعة المادّية ، تلك النزعة الظاهرة في كلام كل ابطاله وبطلاته ، كما سنرى في الجزء القادم .

---

١) يسوع ابن الانسان ، ص ٢١٤–٢١٥

٢) اطلب المشرق (٣٠ [١٩٣٢] : ٥٢٨)

الفقه الاسلامي

تاريخه وتطوراته

بقلم الاب لامنس اليسوعي

٢

طرائق المذاهب السنية

نسب بعضهم الى ابي حنيفة فضلاً جزيلاً بقولهم انه فهم ما لم يفهمه نظراؤه من وجوب احلال « الرأي » محلاً عالياً في الفقه. وعاب عليه غيرهم انه حطّ ، في ذلك ، من اهمية السنة. ونحن اذا اعتبرنا هذا المظهر نرى ان الحكمين كليهما على نصيب من التطرّف.

والواقع ان مذهب ابي حنيفة العراقي الاصل اصطدم ، منذ اوائل عهده ، بالمذهب المدني المنتسب الى الامام مالك . وكان هذا يرى من واجبه ان يدّعي الاخذ اولاً بالسنة النبوية وبحقوقها التي لا تزول. وان من الاسباب التي صرفت الامام مالك عن الاستناد الى القياس والرأي ان « الفقه » لم يكن في زمانه قد انفصل الانفصال كله عن « الكلام » ، وألّف علماً يهتمّ بالحقوق خاصة . اما الامام الشافعي « فالقياس » عنده لا يتميز عن « الرأي » . هذا وان الحنابلة ليظهرون اشدّ وطأة من المالكية على « الرأي » ، فلا يأخذون به الّا في اقصى الحاجات ، في المشاكل التي لا يجدون لحلها نصاً قرآنياً ولا حلاً سابقاً في السنة. ولا يخفى ان هذا الميل يدفعهم الى الاكثار من قبول الاحاديث حتى اضعفوها واوهنها . ولقد يشعر من يطالع كتابات ارباب الجدل من امثالهم كابن الجوزية († ١٢٠٠) وابن تيمية بروح ضيّق يدفع به حالاً الى تذكر « الكتبة » الذين يشير اليهم الانجيل . يظهر الحنابلة ، كما يظهر اولئك « الكتبة » ، منصرفين

بكليتهم الى حرفية التقليد ، فلا يرون الخلاص الّا بالتقيّد بما ورد عن « السلف الصالح » ، حتى ان السنة تصبح شعارهم ودثارهم ، كما يقول الذهبي (تذكرة الحفاظ ٤ : ١٢١) ولا يدعون شيئاً في بيوتهم « الا مستقبلَ القبلة تعظيماً لها . »

هذه كانت حالة المذاهب الفقهية ، اذ ظهر مذهب الامام الشافعي فحاول ان يوفّق بينها ويجد الحدّ الاوسط بين الحنفية وخصومهم من المالكية والحنابلة. فنتج من ذلك ان هذا المذهب نجح، في ما قام به من طرق الترجيح ، بان حدّد، على نوع افضل مما اتته المذاهب السابقة ، قيمة كل من « الاصول » الاربعة ؛ وقيمة « الاجماع» خصوصاً ، فدقّق في نصيب « القياس » ، وعيّن تقريباً حالات الاخذ « بالرأي » ، فمنع ما قد تجرّ اليه تلك التخريجات والمقابلات من المبالغات في الاستنتاج وسوء الاستعمال . ولهذه الاسباب يعدّ الكثيرون الامام الشافعي منشئ علم الفقه .

اما وقد قمنا بما تقدّم من التحفظات فبقي علينا القول ان ميول هذه المذاهب وطرقها تظهر متباينة في الظاهر اكثر منها في الواقع ، كتفضيل بعضها الحديث على الاجماع مثلاً ، او اخذ غيرها بضدّ ذلك . ثم ليس مذهب منها يمكنه ان يستغني عن الرأي او القياس . اما ما تختلف عليه فعلاً هذه المذاهب فهو نقاط ثنوية متعلّقة بتصنيف بعض الاعمال وترتيبها ، وبعض قرارات لا تمسّ الجوهر في شيء . وكلها امور يمكن للمسلم ان يأخذ بايّ منها دون ان يضطرب ضميره او يخالجه ريب بصحة ما يفعل . هذا وان اتفاق المذاهب يقرّر الشريعة العامة او الاجماع . اما اختلافها فلا ينتج الّا احكاماً خاصّة تُفرض على تبّاع المذهب المقرّر فقط . وعلى كل مسلم ان ينتمي الى مذهب من المذاهب الاربعة السنية ، ويسير في حياته الدينية والمدنية وفقاً لفقه مذهبه . ولكن ليس عليه ان يظلّ طول حياته منتمياً لمذهب واحد . بل يمكنه ان ينتقل من مذهب الى آخر ، كما فعل ابن عبد البرّ الاندلسي (†٤٦٣ هـ) مثلاً فانه انتقل من المذهب الظاهري الى المذهب المالكي ، ثم مال اخيراً الى اتباع مقرّرات المذهب الشافعي . وكذلك المقريزي († ١٤٣٠) المؤرّخ الشهير فانه كان حنفياً فانتقل الى المذهب الشافعي، ثم جنح سرّاً الى الظاهرية، فضلاً عن ميله وتعصّبه للفاطميين .

وليس ما يمنع وجود مذهبين او اكثر في العائلة الواحدة، فيمكن الاب ان يكون من مذهب وابنه من مذهب آخر . بل يجوز للقضاة انفسهم المنتمين لمذهب مقرّر ان يطبقوا في بعض احكامهم مقرّرات مذهب مخالف . كما يفعل قضاة المالكية في ما يخص الوقوف ، فانهم يطبقون احياناً احكام الفقه الحنفي، وهو اكثر مرونة من فقههم . كل هذا يُشبه ما تحققه عند المسيحيين من ان اللاهوتي يمكنه ، في حكم ما ، ان يستند الى التوميين او الموليئيين او الاغوسطينيين او السكوتيين او الى غيرهم من ارباب اللاهوت . اما العلماء الذين لا ينتمون الى مذهب ما فانهم نادرون جداً ، على قول الذهبي ، (تذكرة الحفاظ ٣ : ١٩٦) نذكر منهم ابن تيمية . وهم يستندون رأساً الى القرآن والسنة .

وقد رأينا ، تسهيلاً لفهم ميول المذاهب الاربعة واتجاهاتها المختلفة ، ان نعرض عليها مشكلاً صريحاً قد كثرت المناظرات بشأنه في هذه الايام ولاسيما منذ حركة الكماليين في تركية وجرأتهم التجديدية في اللغة . وهو : هل يجوز ان يترجم القرآن ؟

لا يخفى ان جميع المذاهب تتفق على اهمية القرآن الطقسية ، اهمية خاصة فوق كل شكّ واعتراض . ثم ان الشافعي يفرض على المؤمن ان يتلو صلاته باللغة العربية ، وهو الحدّ الادنى من واجباته . فعليه ، اذا شاء نيل الاجر جزيلاً ، ان يعمل على التضلّع من هذه اللغة اداة الوحي الخاتم النبوات . اما ابو حنيفة ، الفارسي الاصل ، فلا يرى مانعاً من الشذوذ عن هذه القاعدة لفائدة المؤمن الاجنبي الذي لا يمكنه ان يلفظ بصحة ودقة آيات الصلاة باللغة العربية . وهناك مسألة ثانية : هل يجوز تعليم القرآن لغير المسلمين اذا جرّ هذا التعليم الى ترجمة بعض النصّ المذكور ؟ اما ابو حنيفة فلا يجد صعوبة في ذلك . وهو يستند في حكمه الى بعض الاحاديث فيظهر بمظهر الوفاق ، هذه المرّة ، مع المذهب الحنبلي . اما الشافعي فيذكر وجهتي المشكل من حيث الفائدة والضرر ، ولا يعطي حكماً نهائياً . واما مالك فيرفض وحده هذا التجديد الخطر . وكذلك يرفض ، دون استثناء ، جواز ترجمة القرآن ترجمةً كاملة . بينا يظلّ الشافعي متردداً بين القبول والرفض محافظاً على مركزه المذكور سابقاً . اما الحنفية

والحنابلة فيوافقون على الترجمة على شرط ان تكون موضوعة بين الاسطر العربية ، كما نرى في التراجم الفارسية والاوردية والمالزية وما شاكلها ، او تكون مقابلة للنصّ العربي.

بعض الاختلافات العملية في مفردات المذاهب

اشرنا ، في ما تقدّم ، الى كثير من الاختلافات النظرية بين المذاهب السنية والى شيء من اتجاهات ميولها في ما خصّ بعض الاحكام العامة. ولكن هناك كثير من التطبيقات الخاصة بالمحيط العملي لا تتفق عليها احكام المذاهب نرى من المفيد ان نعرض لشيء منها . من ذلك مسألة الختان التي يعتبرها كثير من الناس علامة فارقة للمسلمين بل شرطاً واجباً للدخول ضمن الجماعة الاسلامية. وانهم لعلى وهم . فان المذاهب لا تتفق على وجوب الختان . بل ان بعض مجاميع الفقه لا تذكره مطلقاً او، ان ذكرته ، فعرضاً مشيرةً الى انه يمكن تأخير هذه العملية حتى يبلغ الغلام الخامسة عشرة من عمره.

ومن ذلك مناقشات عديدة في طرق اقامة الصلاة . واي الصلوٰة يجب ان يذكرها الحاضرون ، وراء الامام، «ذكرًا جهريًا» وايها يجب ان يذكروها «ذكرًا خفيًا» ؟ فالشافعية يقرّون الذكر الجهري بخلاف الحنفية. وهل يجب ارسال اليدين على طول الجسم اثناء الصلاة كما يقرّر الامام مالك ، ام لا ؟ والى ايّ علو يجب رفعهما اثناء «التكبير» ؟ واين يجب وضع اليدين وقت الصلوة أفوق السُرّة ام تحتها ؟. ومن ذلك ان الصلاة على الجثة في الجامع التي يحرّمها الامام مالك لا يمنعها الشافعي ولا غيره من الائمة . ويستند كل منهم الى عدد من الاحاديث يستخرج من بعضها التحليل ومن البعض الآخر التحريم . ثم هل تظلّ الصلاة جائزة اذا اتت امرأة فجلست جنب المؤمن او في وسط المصلّين ؟ وهنا نشير الى ان ابا حنيفة يظهر معاكساً للنساء . وهناك خلاف ايضاً في ما خصّ « زكاة الفطر » التي يوزّعها المؤمنون في آخر رمضان ، فبينا يعتبرها الشافعية « فرضاً » الزاميًا ، يراها الحنفية « واجباً » والواجب اقل الزاماً من الفرض ، اما المالكية فلا يرون فيها الّا « سُنّة » او عادة ثنوية . وهناك ايضاً مدلول « الخطأ » (المخالف

« العمد ») وهو المخالفة غير المقصودة الواردة لا عن عمد وتصميم : فالمعتزلة يتغاضون عن « الخطأ »، وكذلك الظاهرية الى حدّ ما، بخلاف المذاهب الاربعة التي تعتبر في ذاك العمل تبعةً نسبية.

والمذاهب المذكورة تختلف ايضاً في مسألة غسل جثة الشهيد ، اي الذي يُقتل في الجهاد ، والصلاة عليه . وكذلك في مسألة تحريم الخمر (عصير العنب) والنبيذ (عصير التمر) . فالحنفية وحدهم يحلّلون النبيذ .

ومن مظاهر الخلاف ايضاً : هل يمكن للمسلم ان يقول : « انا مؤمن » ، دون ان يضيف الى شهادته « ان شاء الله » . يقرّر ابو حنيفة ذلك معاكساً لسائر المذاهب .

ثم ما هو الحدّ الادنى لقيمة الشيء المسروق حتى يحكم القاضي بقطع يد السارق ؟ هو عشرة دراهم في فقه الحنفية ، وثلاثة عند غيرهم . وهناك خلاف ايضاً في ما خصّ الشهادة القضائية في الموادّ التي تكون من صلاحية النساء كالحمل وما اليه . فبينا يتطلب الشافعي شهادة اربع نساء ، يفرض مالك وجوب شهادة امرأتين فقط ، ويكتفي ابو حنيفة والزيديون بشهادة امرأة واحدة .

وما هو مصير اسرى الجهاد ؟ اما ابو حنيفة فيحكم عليهم بالاعدام او بالعبودية . واما الشافعي فيسمح باطلاقهم مقابل فدية ، او بدون فدية احياناً . فنرى ان تساهل ابي حنيفة متقطّع غير مطّرد . على انه يتساهل بان يتزوّج المسلم امرأة من اهل الكتاب . وهو ما ينفر منه الشافعي بحجة غريبة ، وهي ان اهل الكتاب الحاليين حرّفوا نصّ كتبهم ففقدوا الحق بان يعتبرهم المسلمون من « اهل الكتاب » فعلاً . وليس بين تباع المذاهب الاربعة من يعادل الحنابلة تعصّباً وتشديداً على غير المسلمين .

ولننتقل الى غير ذلك من الحوادث والحالات : كيف ومتى يجب على المفطر في رمضان ان يعوّض عن افطاره ؟ — أيجب على الجاحد التائب ان يقوم بجميع الصلوات والاصوام التي تركها منذ جحوده ؟ يتفق ابو حنيفة والشافعي على اهمال هذه الحسابات الدقيقة الصعبة مخالفين بذلك المذهبين الباقيين . — أيجب ان يُعتبر الطفل اللقيط مسلماً ؟ يجيب ارباب المذاهب بالايجاب ، الا ابو حنيفة فانه

يجيب بالنفي اذا وُجد اللقيط في مكان يسكنه غير المسلمين . ويعتبر ابوحنيفة ايضاً انه اذا أُلقي القبض على مسلم خارج عن السنة الى احدى البدع ، فيجب ان يُدعى الى الاستتابة قبل ان يُحكم عليه. وهي دعوة لا يهتمّ بها المالكية. وهؤلاء بالاتفاق مع الشافعي يحكمون بالاعدام على الجاحد دون ان يميزوا بين الجنسين . اما ابو حنيفة فيميز ، ولا يعدم المرأة الجاحدة بل يكتفي بحبسها . وهناك خلاف في دية الذمّي الذي يقتله المسلم . فهي تبلغ نصف دية المسلم في المذهب المالكي ، ولا تتجاوز ثلثها في مذهب الشافعي . وهنا ايضاً يخالف ابو حنيفة فيحكم بدفع الدية كاملة اذا كان المقتول من اهل الكتاب.

ولا يخفى ان ليس من مخرج لمشركي جزيرة العرب الّا الاسلام او الموت. لا خلاف في هذا . اما مشركو سائر الاقطار ، فيسمح لهم مالك ان يدفعوا الجزية فقط الا اذا كانوا من قُريش . ولا يوافق ارباب سائر المذاهب مالكاً على هذا الحكم. ثم هم يختلفون ايضاً في ما خصّ العلاقات الزواجية مع هؤلاء المشركين . ثم ان المالكية يحرّمون على الذميين دخول الجوامع لئلّا ينجسوها. اما الحنفية فلا يرون بأساً في ذلك.

كل من اهان النبي او اظهر قلة الاحترام لذكره يجب ان يُعاقب عقاباً صارماً قد يصل الى الاعدام في رأي ارباب المذاهب، الا ابا حنيفة الذي يتساهل في الامر ان كان المذنب من اهل الكتاب. ثم ان ابا حنيفة يُقرّ اعدام المسلم اذا قتل ذمياً ، وهو ما لا يوافق عليه الباقون. وهناك مسألة الاعارة فان مالكاً وابا حنيفة لا يريان بأساً في ان المستعير آلة او ماعوناً او ما شاكل يعيره لغيره دون ان يستأذن من صاحب القطعة . وهو حكم لا يقرّه الشافعي بل يرى ان اذن صاحب القطعة ضروري في ذلك . اما الخلاف الغريب ففي المدة الشرعية للحمل . فان المالكية والشافعية يبالغون في هذا الامر فيرون ان مدة الحمل قد تبلغ اربع سنوات. بل ان بعض المالكية يصل بها الى ست سنوات. اما الحنفية فلا يتجاوزون في ذلك السنتين . ومن المفيد ان نذكر ان اقصى مدة للحمل في مذهب الشيعيين لا تتجاوز العشرة اشهر . وهكذا فان مالكاً والشافعي يحكمان ان الابن المولود اربع سنوات بعد وفاة ابيه المزعوم يحقّ له

المطالبة بميراثه امام المحاكم ! واننا نختم هذه السلسلة من الاختلافات بذكر تضارب آراء الائمة في تحريم بعض اللحوم وتحليلها كلحم الخيل ، ولحم الضواري والكواسر . ولا يحلّل هذه الا الامام مالك وحده .

المخارج والحيل

لا شك ان المطالع يستنتج من كل هذه الاختلافات في وجهات النظر وطرق التطبيق انها ادّت الى مشاحنات عديدة ومناقشات ملأت المجلدات الضخمة . وقد اظهر فيها العلماء مقدرةً غريبة على المناظرة والتلاعب بالقياسات المتنوّعة حتى توصّلوا ، وهم على اعظم مظهر من الجدّ ، الى فرض حوادث غريبة او مستحيلة كحقّ الجدّ من الدرجة الخامسة بميراث حفيد حفيده المتوفّى دون عقب ، وكالحوادث الوراثية الناتجة من الزواج بالجنّ ، ولا يخفى ان الفقه يقرّ اجمالاً امكانية هذا الزواج . . . وقد جرّت صعوبات المعاملات وشدة وطأة الشريعة في بعض الاحكام الى السؤال بايّ « حيلة » يمكن الانسان ان يخرج منها فيتخلّص من الواجب الشرعي او من اليمين المحرّجة او من حكم لا يوافقه ؟ فنشأ عن ذلك علم مستقلّ اظهر فيه تلامذة ابي حنيفة من امثال ابي يوسف الشيباني كل ما خُصّوا به من موهبة غريبة على الاستخراج وتحوير الاحكام الشرعية حتى كان من ذلك شعبة مهمة في الفقه الحنفي تُعرف « بالمخارج » و«بالحيل» ايضاً اشارةً الى ما تولي صاحبها من المقدرة على الخروج من نصّ الشريعة او من حيلة تخلّصه من احكامها[1] . وقد أُلّف في هذه « المخارج والحيل » كتب خاصة حتى في الفقه الشافعي الذي كان اولاً من خصوم هذه الطريقة . اما في المذهب الحنبلي ، وهو معاكس « للحيل » ، فان ابن قيّم الجوزية يقبل منها ما يمكن المؤمن من الوصول الى غايته المشروعة بطرق محلّلة . وان هذه المجاميع من المناقشات والحيل وطرق التخلّص من بعض الفروض التي يشير بها الفقيه على من يستشيره قد ادخلت في الفقه السني عدداً من التقاليد والاستعمالات المستندة في اكثرها الى الخبث وسوء النيّة . فهي

١) المشرق ٢٩ [١٩٣١] : ٦٤١–٦٤٧

تمكن مستعملها ان يحافظ في الظاهر ، على نصّ الشريعة او حرفها كي يعبث بروحها في الحقيقة. من ذلك ان القرآن (٥ : ٩١) يشير الى ما يجب على الحالف عمله كي يقوم « بالكفّارة » عن يمينه . على ان هـذه اليمين يجب ان تُلفظ مشروطة بالقول « ان شاء الله » . والواقع ان هذه الزيادة ، او الاستثنـاء ، هو ما يفتح الباب واسعاً « للحيل ». من ذلك ايضاً ان ارباب الحيل بادخالهم بعض المبادئ والاعتبارات الثنوية يتوصلون بسهولة الى تحوير درجة الفروض وكثيراً ما يحوّلون « الواجبات » الى « نوافل » وبالعكس . كما نرى في الآية التالية : يقول القرآن (٤ : ٣) « انكحوا مـا طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع . . . » وظاهر ان ذلك تساهل لا اجبار . على ان بعض الفقهـاء ، من الظاهرية اولاً ، استخرجوا من الآية واجباً محتماً حتى انه يحرّم العزوبية . وهو مظهر من مظاهر انتصار المخارج والحيل . تلك الطريقة التي تمكن اربابها من ان يكتشفوا في نصّ القرآن او في خفـايا الحـديث احكاماً تطابق اغرب الحوادث وتسهّل على من اراد الخروج من واجب حالةٍ ما .

هذا وقد فتحت « المخارج » باباً واسعاً للمجدّدين والعصريين فاستفـادوا منها الشيء الكثير ، ونالوا من المحافظين « الذين يقفون عقبة كأداء في طريق التقدم العصري » . . .

(له صلة)

الامثال والاساطير اللبنانية

المختصة باشهر السنة الشمسية

بقلم لحد خاطر

٢

شباط

يقال شباط ، واشباط ، وسباط بالسين المهملة ، وهو شاباطو البابلي . ويأتي بالسريانية بمعنى الجلد والضرب بالسياط . وتقول العامة في لبنان : « شبط البيت » بمعنى كنسه ونظفه بالمساء ، و« المشباط » عندهم ضرب من المكانس ، يؤخذ من نبات معروف . « وشبطو » السريانية معناها الواسع ، السط ، ولعل في ذلك اشارة الى ما ينهمل فيه من الامطار الغزيرة المدرارة . ويقال ان الشمس تدخل فيه برج الحوت . ويقابله بالافرنجية « فقريه » المأخوذة عن فبرواريوس اللاتينية ومعناها « المطهر » نسبة الى ما كان يقيمه الرومانيون من ١٣ الى ٢١ منه من اعياد التطهير والتكفير عن الذنوب . وقد كانوا يصورونه بهيئة امرأة تلبس وشاحاً ازرق ، وقد حملت كنارًا بيدها ، والى جانبها آنية من خزف يتدفق منها الماء الغزير ، وعلى رجليها طير البحر المعروف بمالك الحزين . وبذلك كانوا يشيرون الى ما يتساقط فيه من الامطار الكثيرة التي تكاد تغرق الارض ببحر من المياه .

ولقد كان هذا الشهر في اصله ٢٩ يوماً في السنين العادية ، و٣٠ في السنة او الكبيسة . فلما اسمى الرومانيون شهر سكستيليس عندهم ، المقابل لآب من اشهرنا ، باسم اغسطوس قيصر تكريماً له اخذوا من شباط يوماً اضافوه الى

اغسطوس حتى لا يكون اقل اياماً من شهر يوليو المسمى باسم يوليُس قيصر ، احد سلفائه . وهكذا اصبح شباط على ما نراه في السنين العادية ٢٨ يوماً ، وفي الكبيسة او النسيئة ٢٩ .

* * *

والاساطير اللبنانية تصوّر شباط رجلاً من اهل الظرف يحب الدعابة ، على تقلّب في الرأي ، وخبث في الاخلاق ، وكره شديد للعجائز من النساء يدفعه الى السعي في سلبهنّ الحياة ؛ وقد توسعوا بتمديد كرهه وبغضه الى الشيوخ من الرجال ايضاً . ولهذا ترى الطاعنين في السن من الجنسين في بعض انحاء لبنان ، متى قرب شباط ، يرسمون صليباً بالكلس على ابواب بيوتهم دفعاً لاذاه وشره ، تشبّهاً بما فعله بنو اسرائيل في مصر لوقاية ابكارهم الذين استبقاهم ملك الموت حينما اجتاح ابكار المصريين . (خروج: ف ١٢)

ولعل الاسطورة المروية عما يتعمده شباط للشيوخ من الموت والهلاك ذات علاقة بمعتقد الفينيقيين الذين كانوا يؤلهون قوى الطبيعة ويعتبرون الشتاء رمز الفناء والموت اعتبارهم للربيع رمز الحياة والانماش والانتاج ، ومعتقدهم ذاك كان يدفعهم الى اقامة حفلتين مختلفتين لالههم ادونيس ، مثال الشمس ، الاولى ابان الشتاء احتفالاً بموته المرموز به الى موت الطبيعة ، والثانية ابان الربيع احتفالاً بقيامته المرموز بها الى تجدد الطبيعة وعودها الى الحياة .

وهناك من ينسب الاسطورة المذكورة الى ايام « برد العجوز » المعروفة عند العرب ، وهي سبعة : اربعة منها في آخر شباط ، وثلاثة من اول اذار ، واسماؤها : صنّ ، وصنبر ، ووبر ، وآمر ، ومؤتمر ، ومعلّل ، ومطفئ الجمر . ومما قالوه فيها ان عجوزاً دهرية كاهنة من العرب كانت تخبر قومها ببرد يقع في آخر الشتاء يسوء في اثره في الماشية . فلم يكترثوا لقولها حتى فوجئوا به فانزل بهم الاضرار الفاحشة . وقيل ايضاً ان عجوزاً كان لها سبعة بنين سألتهم ان يزوجوها والحت فقالوا ابرزي للهواء سبع ليالٍ حتى نزوجك . ففعلت ، والزمان شتاء ، فماتت في السابعة .

وهذه الايام السبعة يدعوها اللبنانيون « بالمستقرضات » ويقولون ان شباط

استخدمها لاهلاك العجوز . ولعجوزهم اسطورة يتداولونها ملخصها : ان عجوزاً ارادت اتقاء شر شباط ، عدوّ العجائز اللدود ، فاعدّت عدتها من طعام ووقود وملابس . وعلم شباط بامرها فصمّم على الفتك بها . ولما صار اليه الحكم في الطبيعة اخذ يرمي الارض بالبروق والرعود والصواعق والامطار . ثم ارسل عليها ريحاً شمالية باردة كستها بالثلوج والصقيع ، وكادت تقضي بالموت على كل ذي حياة . اما العجوز فقبعت في منزلها ، مع ابنة لها كانت تعينها على مكافحة شباط ، وأكبت على ايقاد النيران ، والتدثر بالملابس الثقيلة ، وتناول المآكل والمشارب المدفئة . حتى اذا صار شباط في عقده الثالث تنفست الصعداء وقالت متهكمة : « راح شباط وفي قفاه مخباط . »

وسمع شباط مقالها فازداد حنقاً ولم يرَ بدّاً من اطالة ايامه ، فجاء الى رديفه اذار يستقرض منه ثلاثة ايام يستخدمها في القضاء على العجوز وقال له : « يا اذار ، يا ابن عمي ، ثلاثة ايام منك ، واربعة مني : لاوقد العجوز ردانها ، وابيعها فدانها . » والردان دولاب كانت العجائز اللبنانيات يستعملنه لتسليك الحرير ، والفدان الزوج من البقر .

وفي رواية ثانية انه قال : « لاوقد العجوز دولابها ، واضع رأسها بين ركابها . »

وفي رواية ثالثة : « لاهلك العجوز وبنتها ، واشوّفها عاقبة عنتها . »

فرقّ آذار له واقرضه ما طلب . ومضى شباط في انتقامه في الايام المستقرضة ، وقد فرغت عدة العجوز . وبعد ان اوقدت حتى دولابها ومغزلها للاستدفاء واصبحت لا تملك ما تدفع به اذى البرد ، تمكن شباط من اخماد انفاسها ، وتم له النصر عليها .

وعند قدماء الانكليز والاسكتلنديين حكاية تقليدية كهذه مآلها ان آذار يستعير ثلاثة ايام من نيسان ، وهذه الايام الثلاثة كانت عندهم ايام شؤم . فشيوع هذه الحكاية باركانها المتقاربة عند العرب والانكليز واللبنانيين يدل على ان لها اصلاً واحداً يعود الى الخرافات الوثنية القديمة .

ويخاف اللبنانيون المستقرضات وامطارها وثلوجها ولا يأمنون على انفسهم من برد الشتاء الا بعد زوالها . ومن اقوالهم في ذلك : « في المستقرضات عند

جارك لا تبات. » — « لا تقول خلصت الشتوية حتى تخلص المستقرضات المنكية » — « ما لك طرش يقوم الا بعد مستقرضات الروم.»

وينسبون الى شباط التقلب لتقلب الجو فيه بين صحو ومطر . ويتهكمون على المتقلب في مبادئه وافكاره ويتهمونه انه من مواليد هذا الشهر ومن اقوالهم في ذلك: « شباط ما على كلامه رباط. » - « امش على غيم كانون ولا تمش على غيم شباط .»

وشباط عندهم اعور منحوس. فاذا اكفهرّ الجوّ فيه وامطر قالوا: « غمض شباط عينه». وان صفا وصحا قالوا : « فتح شباط عينه .»

وينسبون الى شباط النقص ويشبهون به كل ذي نقيصة ويقولون في ذلك: « فلان مثل شباط بيمير وبيستعير وبيظل ناقص »

ويصفونه ايضاً بالغدر : « راح شباط الغدار واجا ادار الهدّار .»

وشمس شباط وماؤه عندهم مضرّان. فالشمس تمرض كل من تعرض لها ، لذلك يتقونها شديد الاتقاء. ويوصون بمحاذرتها. وماء المطر فيه موذٍ فلا يستحمون به ، ولا يدعونه يسيل الى آبارهم لئلا تأسن وتتولد فيها الديدان والهوام . ومن اقوالهم في ذلك: « شباط غيمه وهواه خير من شمسه وشتاه » اي مطره « وشمس شباط تخبط الراس بالمخباط » ، وقولهم بلسان العجوز: « شمس شباط لكنتي (لانها تكرهها وتريد لها الضرر) وشمس ادار لبنتي (لانها تودّ لها ما هو اقل ضررًا) وشمس نيسان لي ولشيتي » (لانها تريد لنفسها النافع المفيد)

وقد مهروا بمعرفة تأثير الشمس في الجسوم على اختلاف الفصول فقالوا في ذلك: « شمس الربيع بتسرّ (من السرور) ، وشمس الصيف بتحرّ (من الحرارة) ، وشمس الخريف بتهرّ (اي تسقط الورق) وشمس الشتاء بتضرّ (من الضرر) .»

وبرد شباط يضعف الاجسام ويفقدها النضارة والصحة. ويقولون في ذلك ان آذار سأل شباط وهو راحل : « كيف فارقت الناس يا اخي شباط ؟ » فاجابه: « تركتهم صفر مبعجرين (متورمين) على المواقد قابزين (جاثمين).»

واذا مضى شباط وتصلبت الخضراوات الشتوية كالفجل والخس واللفت وما شاكل قالوا : « داس او غاط عليها شباط »

وتراهم رغم مطاعنهم بشباط واتهامهم اياه مختلف التهمات ، يطفون عليه حيناً ويقولون عنه انه «ابن حلال» اي طيب القلب. ومن اقوالهم في هذا المعنى: «شباط لو شبط ولو ابط ريحة الصيف فيه .» وذلك لقربه من فصل الربيع . وينسبون الى برده منع الجراد والجدب : «برد شباط يمنع الجراد والقحاط» اي القحط او المحل ، لانه يميت بيوض الحشرات التي تفتك بالمزروعات

وعندهم ان شباط على شدة برده تدبّ فيه السخونة في الطبيعة بجار غير منظورة تقع من السماء ، وموعد وقوعها ٧ و ١٤ و٢١ منه ، ويزعمون ان الاولى تسخن التراب ، والثانية الماء ، والثالثة الهواء. ومن ثم يصير الربيع على الابواب. واعتادوا ان لا يأكلوا «اليقسما» ، وهو مزيج الدبس والثلج ، الا بعد الجمرة الثالثة حيث لا يبقى خوف من التضرر بالبرد ويقولون في ذلك : «اليقسما في اول جمرة سم ، وفي ثاني جمرة دم ، وفي ثالث جمرة كل واصطم .» اي كل واسكت.

ويقول الزراع منهم ومن يهمهم مراقبة الجوّ ان الايام الثلاثة التي تقع فيها الجمار الثلاث تكون متشابهة طقساً ، فاذا كان الجو صاحياً دافئاً جميلاً او ممطراً بارداً مكفهراً او غير ذلك يوم وقوع الجمرة الاولى في ٧ منه ، انتظروا ان يكون كذلك في اليومين اللذين تسقط فيهما الجمرتان التاليتان في ١٤ و ٢١ منه.

ويسمون عصارة الاشجار «الماوية» ، من الماء ، ويقولون في ذلك : «بعد تكامل الجمار تدبّ الماوية في العروق. ويبزهر اللوز والبرقوق.» وهذا يصح على الساحل لا على الجبل.

وفي شباط تلد المعزى صغارها . فاذا تأخرت الى اذار كان ما تلده ضعيفاً مهزولاً . ويقولون في ذلك : «لا تربي الا جدي شباط». ويتشاءمون من السنة الكبيسة التي يكون شباط فيها ٢٩ يوماً ، ويزعمون انها تميت الماشية ، ولاسيما المعاشير والمواليد ، ومن مقولهم في ذلك : «في سنة الكبيس ، خليك على طروشك حريص .»

صوفية ابن العربي

بقلم الاب فليكس تريسيرا الاسباني

ظهر في مدريد ، السنة الفائتة ، كتاب مهمّ عن محيي الدين ابن العربي ، كبير صوفيي الاندلس ومن اكابر صوفيي العالم الاسلامي على الاطلاق . واذا قلنا ان مؤلف الكتاب هو ميكال أسين بلاسيوس[1] المستشرق الاسباني الشهير ، المعروف بابحاثه في هذا الموضوع ، نكون قد حددنا نوعاً ما قيمة هذا الكتاب واشرنا الى المركز الذي يحلّه في ابحاث المستشرقين عن صوفية الاسلام.

اما غاية المؤلف الظاهرة في عنوان الكتاب فان يدرس مظاهر الصوفية من خلال آثار ابن العربي، فيشير فيها الى تأثير النصرانية في هذه الحركة الروحانية. وهو يتتبع حياة ابن العربي المنقضية بين القرنين الثاني عشر والثالث عشر ، في بلاد الاسلام المختلفة كالاندلس وافريقية والمشرق . ويدرس عقيدته الزهدية الصوفية ، محللاً عناصرها الخاصة ، تلك العناصر التي تجعل منها مثالاً نوعياً تتمثل فيه الروحانية الاسلامية بكامل مظاهرها النظرية والعملية المشتركة بين جميع الامكنة والازمنة. فيمكن اذاً ان يطّلع الباحث في روحانية ابن العربي على تلك الطرق المتنوّعة والآراء والعقائد الخاصة التي تميز الروحانية الاسلامية على الجملة، فيدرس ما فيها من صلات بالنصرانية ، وما في مظاهرها من شبه بمظاهر

1) Miguel Asin Palacios, El Islam cristianizado, *Estudio del « Sufismo » a través de las Obras de Abenarabi de Murcia. gr. in-8° de 543 pp. Editorial Plutarco (S. A.) Madrid,* 1931

الروحانية المسيحية . وان هذه المقابلة الدقيقة بين الروحانيتين التي قام بها المؤلف في كتابه الكبير تدفعنا الى ان نحلّ بالايجاب المشكل الادبي الذي يعرض للمطالع وهو : هل من وجود للروحانية في الدين الاسلامي ؟ وهل لهذه الروحانية ميزات خاصة تشابه ميزات الروحانية المسيحية ؟

يبدأ الكتاب بمقدمة قيمة تظهر لنا موقف المؤلف من المشاكل الثلاثة المهمة التي تعترض كلّ باحث في الصوفية الاسلامية : وهي مشكل تاريخي ، ومشكل نفسي ، ومشكل لاهوتي .

اما المشكل التاريخي فيحله الكاتب على طريقة الانتخاب الفلسفي متناولاً افضل ما في النظريات المختلفة ، قائلاً ان الاسلام ، في انتشاره ، تناول كلّ ما كان يظهر له من ثقافة روحية في الشعوب المغلوبة . ثم تمثل كل ذلك ، وظهر بروحانية تستند اولاً واساساً الى الافكار الزهدية - الروحية المسيحية المتفرّعة عن آثار آباء الكنيسة الاقدمين وعن زهديات الرهبان والنساك . الا ان هذا الاصل المسيحي كان يشوبه احياناً بعض افكار اجنبية اثرت فيه بطريق المجاورة والعدوى ، فتناولها الاسلام بدوره دون تمحيص ولا انتباه لاصلها . وهكذا اتصفت صوفيته ، فوق اتصافها بروحانية النصارى ، ببعض مظاهر تستند فيها الى الافلاطونية المستحدثة الاسكندرية والى نظريات الاغنوستيين وما فيها من مزيج مضطرب ، والى المزدكية الفارسية ، بل الى البوذية الهندية ايضاً .

واما المشكل النفسي فيحله المؤلف جازماً بوجود شبه بين عناصر الزهد الصوفي الاسلامي والروحانية المسيحية ، شبه يتجاوز الكلام والصورة الى جوهر الحياة والعقيدة الروحية . وهو يصل الى هذه النتيجة بعد درس طويل يتفهّم فيه من جهة كتابات الصوفيين ، فارضاً طبعاً صحّة كلامهم واخلاصهم ، قائلاً انه « لا يجوز لرجل عاقل عادل ان ينفي هذا الاخلاص في جميع الحالات . » ويتبع فيه من جهة اخرى حياتهم فارضاً ايضاً « ان تلك الكمية الضخمة من الامثلة تتطلب من المؤرّخ المتجرّد ان يقرّ بانها ليست كلّها فاسدة او مغلوطة . » وانه ، اذا درسنا هذا العدد الكبير من الكرامات « لا بدّ ان نعتبر بعضاً منها ، بل كثيراً منها ، على نصيب من الصحة التاريخية . »

واما المشكل الثالث وهو المشكل اللاهوتي فيحله المؤلف فارضاً من الممكن ان الله يمنح غير المؤمنين النعمة المبرّرة ، وبالتالي موهبة الكرامات والمعجزات. ولا يبهو باله عن النكرة المسيحية الجوهرية التي يراها أساً للحركة الزهدية الصوفية في الاسلام. ثم يختم بقوله « ان هذه الفرضية تكون برهاناً جلياً على قوّة النفوذ الفائق الطبيعة المتصفة بها النصرانية ، تلك القوة التي امكنها ان تتسلل ، على طريقة عجائبية ، من خلال مسامّ جسم الكنيسة فتنير ببهاء الوحي الالهي ديانةً كالاسلام تظهر لاول وهلة بعيدة كل البعد عن الايمان المسيحي ، ولكنها تحتوي على الشروط اللازمة ، وان ضئيلة ، للخلاص. »

وبعد هذه المقدمة الضرورية لفهم موقف المؤلف في كتابه الكبير ، ينتقل المطالع الى جسم الكتاب، وهو مقسوم الى ثلاثة اقسام: حياة ابن العربي، وتحليل عقيدته الزهدية - الصوفية ، ومنتخبات من اهمّ آثاره.

يترجم الكاتب لابن العربي على طريقة مطوّلة ، فيذكر معلومات كثيرة مفيدة دوّنها الصوفي عن نفسه ، واودعها مؤلفاته ولاسيما كتاب « الفتوحات ». فيستخرجها ويرتّبها مشيراً الى مصادره بكل دقة ، زائداً معلومات مقتضبة عمّن ترجم للصوفي من الكتّاب.

ولا نغالي اذا قلنا ان نواة الكتاب المهمة في القسم الثاني المختصّ بصوفية ابن العربي . حيث اظهر المؤلف مقدرته على تحليل طرائق صوفيي الاندلس من المسلمين وعلى تصنيف هذه الآراء المتشعبة المتباينة ، المتضاربة فرتّبها من جهة ، وقابل بينها وبين ما يشابهها من طرائق الروحانية المسيحية من جهة اخرى، ولاسيما روحانية النساك الاقدمين ، وكبار روحانيي الاسبان في القرن السادس عشر.

اما المواد التي استعملها في تحليل صوفية ابن العربي فقد استخرجها خاصة من تآليف الصوفي القصيرة حيث نرى مذهبه في الزهد والتصوّف اجمع واظهر منه في كتابه الكبير المعروف « بالفتوحات ». وهذه اسماء التآليف التي درسها:

١ – كتاب تحفة السفرة الى حضرة البررة – طبعة القسطنطينية سنة ١٣٠٠ هـ.
٢ – رسالة الامر المحكم المربوط فيما يلزم اهل طريق الله من الشروط ، طبعة القسطنطينية سنة ١٣١٥ هـ.

٣ – كتاب التدبيرات الالهية – طبعة نيبرغ Nyberg ، ليدن سنة ١٩١٩.
٤ – رسالة في كنه ما لا بدّ للمريد منه – طبعة القاهرة سنة ١٣٢٨ هـ.
٥ – كتاب مواقع النجوم ومطالع أهلّة الاسرار والعلوم – طبعة القاهرة سنة ١٣٢٥هـ.
٦ – رسالة الانوار فيما يمنح صاحب الخلوة من الاسرار – طبعة القاهرة سنة ١٣٣٢ هـ.

يحلّل الاستاذ اسين نظرية ابن العربي المستخرجة من هذه المؤلفات خصوصاً، فيعرضها في اثني عشر فصلاً بكل ما تمتاز به من عقيدة اساسية في الزهد والتصوّف ، ومن اعمال مهمة يقوم بها الصوفي في محطّاته المختلفة، ثم يقابل بينها وبين ما تفرضه الروحانية المسيحية من تعاليم واعمال ، وخصوصاً تلك الروحانية السابقة عصر الاسلام . على ان اهم الفصول ، في نظرنا ، الفصل السابع المختصّ بالموسيقى والغناء الديني ، وكذلك الفصل التاسع الذي يدرس حالات الصوفية ومقاماتها وما يأتيه اربابها من كرامات.

هذا وتجب الاشارة الى ان المؤلف يعتقد انه يعمل على لفت انظار الناس الى ابن العربي خاصة والى الصوفية الاسلامية عامّة ، فيرفعها في تقدير الباحثين ، بزعمه ان كلّ ما فيها من قيمة يأتي من العنصر المسيحي الكائن في اساس تلك الصوفية . قلنا : ومهما يكن من صحة هذه النظرية ومن تعرّضها للمناقشة اذا ما عُرضت على هذا المظهر من القطع والجزم ، فاننا نأمل ان العالم الاسلامي يعرف للمؤلف جهوده القيّمة.

ولا بدّ من القول ان الاستاذ اسين لا يخفي ما في شخصية ابن العربي من عامل مَرَضي ، وان كان لا يدقّق كثيراً في ذكره . ثم انه لا يخفي كذلك ما في نظريته الصوفية من ميل لا يمكن السكوت عنه الى الحلول والتحوّل بالاتحاد .

بقي ان نذكر القسم الثالث وفيه يجمع الكاتب طائفة صالحة من اقوال ابن العربي المهمّة ، يترجمها الى اللغة الاسبانية بما عُهد فيه من مقدرة عرفها له الاستشراق العالمي من امد بعيد.

ونحن اليوم ابعد من ان نحلّ جميع المشاكل التي يخوض فيها هذا الكتاب القيّم . على ان ما نقوله بحقّ هو ان كتاب الاستاذ اسين جدير بان يحلّ مركزاً عالياً في فرعه ، فهو حجر مهمّ في بناء تاريخ الصوفية الاسلامية.

حول «الشعر والشعراء»

بقلم فؤاد افرام البستاني
استاذ الآداب العربية في كلية القديس يوسف

٢

شعراء الوطن

معروف الرصافي – بشاره الخوري – وديع عقل – شبلي الملّاط – الشيخ ابراهيم منذر

لا يذكر الناقد من شعراء الوطن اللبناني الا بشاره الخوري ، ووديع عقل ، وشبلي الملّاط ، والشيخ ابراهيم منذر ؛ وهم اشهر من كانت الاوساط الادبية اللبنانية تتداول اسماءهم قبيل الحرب وبعيدها . يدلّ بذلك انه تابع ، في بلاد هجرته ، الاطلاع على آثار من عرفهم في طليعة شعراء لبنان ، عهدَ كان لا يزال في الوطن يقابل ويفاضل بين سبك فلان وصناعة فلان . . . في تلك البيئة الادبية الانتقالية التي حاولنا تحديدها في القسم الاول من المقال[1] . وعليه فهو لا يذكر شيئاً ، ولم يكن من المنتظر ان يذكر شيئاً ، عن شعرائنا الشبان من الذين نبغوا بعد الحرب ، وتناقلت الجرائد اسماءهم حتى الى عزلة الاديب . ألم يطّلع على آثارهم اطّلاعاً كافياً ؟ أم انه يرى هذه الآثار لا تستحقّ درساً ادبياً ؟ ام انه يتسهّل في الحكم ريثما تضمحلّ العوامل الظرفية ويرى ما يكون من ثبات هذه الآثار على كرور الايام ؟ ام انه يهمل امر هؤلاء الشبان اذ لا يرى منهم من يجرؤ على منازعة شوقي « الإمارة » ؟ ومهما يكن من امر فان صفة الناقد

١) راجع «مشرق» هذه السنة ، ص ٥٥–٥٦

الانتقالية فرضت عليه ، دون ان يحلّل اسباب هذا الفرض ، ان يختار اولئك الاربعة امثلة لشعراء الوطن.

وقد رأينا ان نقدّم على آرائه فيهم رأيه في شاعر عربي آخر ، وان لم يكن من لبنان ، فلا بأس بعدّه من شعراء الوطن ، وهو معروف الرصافي ، « اشعر شعراء سورية والعراق » في نظر الناقد ، بل « ربما قصّر عنه شعراء لبنان باستثناء « الاخطل الصغير » في طريقته ورقة عاطفته ، لكن ليس له بلاغة الرصافي وحكمته ومتانة سبكه وجزالته . »[1]

تقول : هذا حكم غريب . وقد توقع الاديب ذلك من المطالع السائر على الاحكام التقليدية ، بل توقع ان يحدث هذا الرأي « ضجة بين الذين يؤخذون بالمتداول دون ان يكون لهم رأي مستقل مبني على البحث والتدقيق . »[1] واذاً فان من يستغرب هذا الحكم يكون لا رأي له مستقل مبني على البحث والتدقيق.

ويطالب الاديب للرصافي بلقب « شاعر العراق » لانه اولى به من الزهاوي. وما الزهاوي في شعره الا « كالاستاذ امين الريحاني في كثير من الاحيان في نثره : فلسفة لا طائل تحتها وركاكة لا مثيل لها . »[2]

وهو يستشهد على شاعرية الرصافي برأي الشيخ عبد الله البستاني ، وقد سأله عنه في السنة ١٩٠٩ ، فقال :

« بالرغم من انه في عنوان امره فهو من اشهر شعراء الطبقة الاولى وسيكون في مقدمتهم يوماً . » (اه.) .

وكلنا يعلم ان الشيخ عبد الله البستاني من كبار اللغويين ، وانه ينظر الى الشعر من هذه الناحية قبل كل شيء .

ثم يستشهد الاديب بقصيدة الرصافي في « التومبيل » . والله يعلم ، وارباب الذوق يعلمون ايضاً ، قيمة العاطفة الشعرية في قصيدة « التومبيل » ! وهناك عدة ابيات يوردها الاديب مثالاً على جزالة الرصافي وحكمته وليس فيها الا حقائق بديهية

١) الشعر والشعراء ، ص ١١٦
٢) الكتاب : ص ١١٧

وحكم سائرة لا يخفى ابتذالها على الناقد نفسه،فيجتهد في ستره بقوله:« وانك سترى في هذه الابيات من جودة السبك والجزالة ومتانة القافية ما يشفع ببعض الابتذال في الحكمة. . .» [1] ويتكلم في مكان آخر عن «الاحتذاء المستحسن» الذي يأخذ به الرصافي . ويعتذر عن انه لم يشر الى سقطات شاعره لانه لم يتوفق الى الحصول على الديوان بكامله [2] . على انه لو توفق الى الحصول على ذاك الديوان الضخم لما امكنه الاشارة الى كثير من السقطات النظمية التي يفتش عنها في آثار الشعراء المنقودين احياناً كانواع السنادات ، واشباع الحركة ، واضطراب بعض القوافي ؛ بل لامكنه ان يعمّ على الديوان بكامله الحكم « بالاحتذاء المستحسن » و«بجودة السبك والجزالة ومتانة القافية التي تشفع بالابتذال . . . »

وكل هذا لا يؤهل صاحبه الى تلك المنزلة التي حلّها الرصافي في نظر الاديب ، الّا اذا قسنا الشعر بقياسه، فاعتبرنا صاحبه في تلك المرتبة،« لان ليس بين الشعراء من توفق الفاظه وتعابيره بين سائر العصور كالرصافي . اذا قرأته لا تعلم اذا كنت تقرأ احد المخضرمين او المولّدين او العصريين .» [3] وهو قياس مادّي يظهر مفعوله خصوصاً في ختام درس الاديب للرصافي اذ يقول :

« ومجمل القول ان الرصافي شاعر من الطبقة الاولى لا ينقصه في شعره سوى العاطفة . — جيد الديباجة بليغ التعبير سهل التركيب لا يجيء في شعره بالجمل الاعتراضية ولا يعطف آخر كلمة في البيت على اول كلمة ولا يعلق معنى القافية بالبيت التالي — ومن حيث المعاني فبقدر ما يسمح له وسطه . ومن الحيف ان تطلب من ابن العراق ما تطلبه من ابن مصر .» [4]

ونحن اذا نظرنا الى هذا من عناصر الشعر فحسب، كنا والاديب الناقد على وفاق تام في ما خصّ الرصافي.

***

على ان هو نفسه لم يكتفِ بهذه العناصر في الحكم على قيمة الشعر، اذ

١) الكتاب : ص ١١٩
٢) الكتاب : ص ١٢٢
٣) الكتاب : ص ١١٦
٤) الكتاب : ص ١٢٢

عرض لشاعرية بشاره الخوري ، فحلّل ما فيها من عاطفة قويّة ، وتصوّر لطيف ، وتمثيل جميل قائلاً :

« اذا كانت الخمرة تصعد الى الرأس فشعر صاحبنا « الاخطل الصغير » يخيم بين الخاطر والقلب ، ويشدّ اطنابه الى العواطف والحواسّ كافة . ولا ترى عليه للتقليد من سحة فهو «ماركة مسجلة » لا تُقلَّد ولا تتقلّد . »(١)

ثم اختار بعض ابيات من قصائد بشاره الخوري العاطفية « كآسي الحرب » و«مرثاة سعد زغلول » . وهو لو عرف مراثي الشاعر الاخيرة لاختار منها ابياتاً وابياتاً .

***

ومن « شعراء الطبقة الاولى » الذين قرنهم بالرصافي من حيث « فصاحة اللفظ وبلاغة التعبير » وديع عقل . الّا ان نصيبه من المعاني اوفر قليلاً من نصيب الرصافي . وهو ما انتبه له الاديب فقال : « هو في شعره بدوي المبنى حضري المعنى . » مؤيّداً كلامه بعدة ابيات من قصيدة الشاعر في يوبيل الشيخ عبد الله البستاني . وقد بلغ من تأثير بلاغتها في الناقد ان صاح :

« لو كلفت تشكيل اركان دولة البلاغة لقسمتها الى كتلتين : يمين ، ويسار . الاولى تمثّل الشعر ، والثانية النثر . واتت من عن يمين صاحب العرش – الشيخ عبدالله – هذا الشاعر البليغ . ولو انصف ادباء الارز لما حمل لواء الشعر في هضابه سوى اثنين : بشاره الخوري ، ووديع عقل – الاول برقته وسعة خياله ، والثاني ببلاغته وابتعاده عن التقليد والابتذال . »(٢)

نتقل هذا تاركين الحكم فيه لمن سيكون من رعايا هذه الدولة !

الا ان الناقد ينعي على وديع عقل « كثرة تشاؤمه وامعانه في الشكوى والتنديد بالحكومة الوطنية والانتداب معاً »(٣) . ولعلّه يغيّر حكمه اليوم !

وهو يرى ان لبنان اخطأ في ارساله الى مصر غير وديع عقل لتمثيله في مهرجان شوقي ، فيقول :

« ولو انتدب ادباء لبنان هذا الشاعر لمهرجان شوقي لتجلى للمصريين الادب اللبناني الحقيقي باجمل مجاليه ولكانوا اعترفوا لنا بامارة البلاغة كما اعترفنا لهم بامارة الشعر . –

١) الكتاب : ص ٦٢
٢) الكتاب : ص ١٠٩ – ١١٠
٣) الكتاب : ص ١١١

وقد سئمت النفوس ذكر مراتع الاحباب ، ومرابع الاتراب ، والطعن ، والضرب ، وامتزاج الدماء بالدماء ، والمسيح ومحمد ، والانجيل والقرآن ، والاتراك والاروام ، والموقف موقف ادبي محض وبلاغة وبيان . »(١

***

ولا يحتاج المطالع الى كثير من الاطلاع ودقة النظر كي يشعر ان المقصود بكل هذه التلميحات شبلي الملّاط ، مندوب لبنان الى مهرجان شوقي . وكذلك لا يحتاج الى كثير من دقة النظر كي يشعر ان الناقد يختلف والملّاط على امور مهمة منها ما يمسّ الشاعرية المحضة ، ومنها ما يمسّ الحياة الاجتماعية بما تجرّه من صلات ومعاملات . وكان الشاعر قد اساء في ما مضى الى الناقد . فتردّد هذا في الكتابة عنه حائرًا امام عاملين : « حبّ التقيّد بالنظر بالعين المجرّدة في اقوال كل من الشعراء ، وعاطفة مقابلة الاساءة بمثلها ، والانانية عريقة في الآدميين . »(٢ الّا انه استأنف العمل تبعاً لنصيحة صاحب الهدى . واراد ان ينصف الشاعر الملّاطَ « لعلّه يعلّمه انصاف الناس . »(٣ فلم تمنعه ذكرى تلك الاساءة من ان يخصص له وحده ٢٦ صفحة ، بعد ان خصّ بكل من الرصافي ووديع عقل ٧ صفحات ، وبكل من بشاره الخوري والشيخ ابراهيم منذر ٣ صفحات فقط . تتبع الملّاط في جميع حالاته ودرس اكثر مظاهر شعره ، بل اكثر مظاهر اخلاقه ، مشيرًا الى المناقضات الكثيرة والتقلبات الاهوائية ، والاغلاط التركيبية ، والمآخذ المتنوّعة ، اشارته الى كثير من المحاسن التي اتصف بها شعر الملّاط . وقد افرد قسماً وافرًا من نقده لتلك القصيدة البائية التي انشدها الشاعر في مهرجان شوقي ، ولمّح اليها الناقد قبيل هذا الكلام ، وهو يعتبرها من النظم العادي المبتذل الجدير بان يُمرّ به « مرور عابر طريق » ؛ لولا ما فيها من الضرب على وتر النعرة الدينية الاسلامية الذي خرج فيه الشاعر عن عقليته ووطنيته ، ونقض به كثيرًا من اقواله السابقة ارضاء للسامعين واثارةً للعواطف عن طريق

١) الكتاب : ص١١٠
٢) الكتاب : ص ١٢٨
٣) الكتاب : ص ١٢٩

السياسة والنعرات[1] . . .

ويستند الناقد في احكامه كلها الى كثير من ابيات الملّاط ينقلها ويحللها ويذكر ظروف نظمها . ويلخص حكمه على الشاعر بفصل قد يكون من المفيد نقله ، وان كان طويلاً . قال :

« ان شعر الملّاط شاعر فيّاض القريحة ، حسن التركيب ، سهل التعبير . وفي شعره طلاوة هي مزيته الاولى بحيث انك لو قرأت له كلاماً مقفّاة خالية من كل معنى لشعرت بروح الشاعر . لكن يتحتم عليك قراءة المنظومة بجملتها . فبالرغم من جودة السبك في فرادى الابيات ، لا تجد له ، لو تصفّحت ديوانه كلّه ، بيتاً واحداً بارزاً يشار اليه بالبنان . وقيامه بالشعر كقيامه بالوظائف . اذا جلست اليه تظن نفسك وحيداً لانه قلما يكون غير سابح بافكاره في الفضاء مغنّياً الشعر ومترنماً باقواله او اقوال الشعراء المحدثين كابن عنام وابي الطيب والبحتري وغيرهم . . . كثير التقليد في شعره ، كثير الابتذال ، وكثير الاغلاط . وهو اقدر الشعراء في الالقاء والايماء والضرب على وتر سامعيه الحساس ، يلبس لكل حالة لبوسها ، ولا ترى اسلس من عاطفته قياداً يسير بها الى حيث يشاء ويدفع به الغنم . »[2]

***

بقي الاشارة الى حكم الناقد على الشيخ ابراهيم منذر « شاعراً » . وقد قيدنا اللفظة ، كما قيّدها الناقد لانه لا يعنيه في كتابه الّا « الشعر والشعراء » .

قال عن الشيخ المنذر ، منذ ثماني سنوات ، ما يلي :

«الشيخ ابرهيم منذر وطني غيور ، ولكن ينبوه من التطرف في ظروف يجب معها على كل لبناني صميم سلوك سبل الاعتدال . وهو لغوي مدقّق مشهود له بطول الباع ، وان لم يدرك شأو البستاني واليازجي وغيرهما من ايمة اللغة . وكاتب مفكّر ، وربما كان ايضاً سياسياً محنكاً . ويمكن الشيخ المنذر ان يكون كل شيء الا شاعراً . »[3]

هذا ما كتبه سنة ١٩٣٤ . ثم تمرّ السنون ، وينظم المنذر كثيراً ، ويقرأ له الناقد ما ينظم ، ولكن رأيه لا يتغيّر فيه « من حيث الشاعرية . »[4]

وسنعرض ، في العدد القادم ، لآراء الناقد في شعراء المهجر .

---

١) الكتاب : ص ١٣٣ — ١٣٤

٢) الكتاب : ص ١٢٩—١٣٠

٣) الكتاب : ص ١٣٤

٤) الكتاب : ص ١٣٧

طاغية القرية

مأساة ذات فصلين

بقلم يوسف غصوب

الفصل الاول

المشهد الثاني

مريم . ليلى . ابو شهيد . ثم فارس

(عندما لا تكون المرأتان مشتركتين بالحديث يمكنهما الخروج من المسرح والعودة اليه والاهتمام بامور بيتية)

ابو شهيد ماذا ارى ؟ ما تصنعين يا ليلى ؟ من تكلمين ؟

ليلى هذا فقير يا ابي.

ابوشهيد ها ! ها ! ها ! توزعين الخبز الآن من النوافذ . . . انا أتعب واشقى واسهر الليل ، وانت توزعين الخبز بالارغفة !

ليلى فقير مسكين اعمى !

ابوشهيد فقير ! فقير ! الفقر اصبح صنعة رابحة . نحن نشتغل لنطعم الفقراء . ما يمنعه من العمل ؟ فقير ! لماذا لا يتعب ؟ لماذا لا يشتغل ؟ هذا كسلان يعيش على ظهر الناس.

ليلى ابي . . .

ابو شهيد تعلمين الناس الكسل بالاحسان اليهم . فالافضل ، يا بنت ، ان لا تعودي الى مثل هذا . واذا رأيتك بعد اليوم توزعين الخبز فلا ادري ما اصنع ! . . .

مريم ابنتك يا خليل !

ابوشهيد اغربي من وجهي انت وابنتك.سوف لا تتركان لي شيئاً . لا رعاكما الله وسوّد وجهيكما !

(مريم وليلى تتروبان في عمر الدار وتأخذ الام في تطييب خاطر ابنتها)

ابوشهيد (بعد ان سكن غضبه قليلاً ينظر الى الباب وينادي فارساً الواقف خارج الباب)
يا فارس ، ادخل (يجلس ابو شهيد) اجلس هنا ... ماذا تريد ؟

فارس يا سيدي ، نحن على ابواب القرّ ، والموسم هذه السنة مقبل ..

ابو شهيد لم هذه المقدّمات كلها . قلْ لي ماذا تريد ؟

فارس يلزمني يا سيدي شيء زهيد .

ابو شهيد كم ؟

فارس عشرون ليرة .

ابو شهيد بأيّة كفالة ؟

فارس اية كفالة ! ليس لدي كفالة . هذا المبلغ اردّه لك بعد القطاف ، فان الموسم مقبل هذه السنة

ابو شهيد من يضمن لي ان يكون الموسم مقبلاً الى النهاية ؟ واذا احترق خصّك ، او مرض الدود ، او نزل بك اية مصيبة كانت فمن يرد لي المال ؟ هل يذهب مالي ادراج الرياح !

فارس معاذ الله ! ابيع كل شيء وادفع لك .

ابو شهيد (بعد ان يفتكر قليلاً) طيّب ! طيّب ! ولكن قلْ لي . انك الى الآن لم تطلب مني شيئاً ، وكنت في الماضي ، اذا احتجت الى قليل من المال ، استقرضته من الغير . انت تعلم من اعني بهذا « الغير » .

فارس نعم ، انيس الرامي .

ابو شهيد انيس الرامي . هذا معبودكم في القرية . فلمَ لم تطلب منه ؟

فارس انيس الرامي رجل كريم غيور قد انقذني مراراً كثيرة من مصاعب جمة .

ابو شهيد لم لم تذهب اليه ؟

فارس انه في ضيق ...

ابو شهيد في ضيق ... ها ! ها (تُرى علامات السرور على وجهه) اني رأيت الضيق يسعى اليه . يبذّر ماله ، يعطي شمالاً ويعطي يميناً ، ولا يحاسب .

فارس انه رجل كريم .

ابو شهيد (على حدة) قد جاء وقته : بيته جميل واراضيه خصبة (يخاطب فارسا) هل هو حقيقة في ضيق ؟

فارس في ضيق شديد حتى أنه يريد بيع ارضه . انما يريد البيع نقداً.

ابو شهيد أح ! أح ! واين يجد المال نقداً في هـذه القرية ؟ . . . اتعرف كم هو طالب ؟

فارس لا أظن انه يطلب شيئاً كثيراً.

ابو شهيد قل ، يا فارس ، اصحيح انه يريد البيع ؟ هل انت متأكد ذلك ؟

فارس ذلك لا شكّ فيه ، فقد سمعته انا بأذني.

ابو شهيد واي مبلغ يطلب ؟ ألف ليرة ؟

فارس لا ادري . . . لا أظن انه يطلب اكثر من الف ليرة ، فهو في حاجة شديدة الى الدراهم.

ابو شهيد طيّب . . لنعد الآن الى ما كنا فيه . كم قلت لي انك تريد من المال.

فارس عشرين ليرة ، يا سيدي.

ابو شهيد طيّب ! أعطيك عشرين ليرة اذا رهنت لي البيت . ثم تدفع على هذا المبلغ عشرين بالمئة فائدة.

فارس هذا غبن ، يا سيدي.

ابو شهيد غبن او غير غبن . فاذا شئت فالمال جاهز ، والّا فمع السلامة.

فارس والدتي مريضة يا سيدي.

ابو شهيد شفاها الله ! هذا امر لا يعنيني (يهم بالدخول الى الغرفة)

فارس سيدي.

ابو شهيد اذهب الى الرامي فانه يرمي دراهمه . اما انا فلا.

فارس (يرفع صوته قليلاً) الرامي رجل شريف كريم فلا تشمت به.

ابو شهيد أه ! أه ! وتغضب ايضاً . . . تأتونا محتاجين وتغضبون (بتهكم) اذهب يا . . . يا ولدي ، اذهب بسلام . . . البلاد واسعة . .

فارس البلاد واسعة . ولكنك في هذه القرية الرجل الوحيد الذي في يده مال.

ابو شهيد اذا كان الامر كذلك فاحفظوا لي هذه المنة عليكم . أقرّوا بفضلي ،

لا تتعجرفوا . لا تتكبروا .

فارس عفوك ، سيدي ، فقد اخطأت . . . ان والدتي مريضة .

ابو شهيد طيب ! طيب ! ولكن لا تعد الى رفع صوتك مرة ثانية . فماذا تريد الآن ؟

فارس المال .

ابو شهيد هل قبلت بالشرط . تدفع بالمئة عشرين . ثم ترهن البيت .

فارس قبلت . . .

ابو شهيد طيب ! طيب ! . . (يكتب كمبيالة) وقع هنا .

فارس والمال ؟

ابو شهيد وقع اولا .

فارس ولكن ، يا سيدي . المال . . .

ابو شهيد ما هذه المماطلة ؟ وقع . والا فمع السلامة (فارس يوقع السند فيأخذه ابو شهيد ويدخل الغرفة ثم يرجع وبيده عشر ليرات يدفعها لفارس) خذ . . .

فارس هذه عشر ليرات فقط .

ابو شهيد طيب !

فارس ولكن قد وقعت لك سندا بعشرين .

ابو شهيد ليس عندي غيرها الآن . ادفع لك الباقي عند عقد الرهن .

فارس انا في حاجة اليها اليوم .

ابو شهيد قلت لك ليس عندي غيرها . الم تسمع ؟ . .

فارس يا سيدي خذ هذا مالك وأرجع لي السند .

ابو شهيد ما عندك ثقة ؟ قلت لك ادفع لك الباقي عند عقد الرهن .

فارس ثقتي عظيمة . ولكن هذه الدراهم لا تكفيني . لا تسد حاجتي .

ابو شهيد خلص ! . قد انتهى الامر . اذهب . لا تحوجني الى اخراجك بالقوة . مع السلامة . واذا شئت فهاتِ المال واذهب .

فارس والسند الذي وقعته ؟

ابو شهيد السند . تراه بعد سنة عند المطالبة بالمال .

فارس سيدي ، ما هذه القصة ؟ ما هذه الورطة التي ورطتني بها ؟ قالوا لي عنك كل هذا فلم اصدق ... بحياتك ، ردّ لي السند يا سيدي ... ارتمي على قدميك . ردّ لي السند . ردّ لي الورقة . انا لست بحاجة لشيء .

مريم ما هذا العمل ، يا خليل ؟ الا تخاف الله ! ألا تخاف الناس ! ما هذه القسوة ؟

ابو شهيد انتِ ايضاً . كم من مرة قلت لك لا تتدخلي في اموري !

فارس قالوا لي انك خدّاع فلم اصدق . فلا تغيّر بك ظني .

ابو شهيد انا لا يهمني ما تظن .

فارس ارجع لي السند .

ابو شهيد لا سند ولا مال .

فارس ارجوك ، يا سيدي ، استحلفك بكل عزيز لديك .

ابو شهيد قلت لك تتعب باطلاً .

فارس استحلفك بولدك المسافر ردّه لك الله !

ابو شهيد ليس لي ولد . اذهب من هنا . كفى ! كفى !

مريم لا تجدّف ، يا خليل ، خف الله ! ردّ له السند .

ابو شهيد اسكتي ، يا امرأة !

مريم لا اسكت . لا اخاف منك . الا تخشى غضب الله ، الا تخاف ان ينقلب علينا البيت ؟!

ابو شهيد متى كنت ترفعين صوتك بحضرتي ! أنى لك هذه الجرأة ؟ اذهبي من وجهي . قلت لك اذهبي ... وانت يا فارس قد كان ما كان ...

فارس يا لك من غليظ ! يا لك من قاس ! انا ذاهب .. لعنة الله عليك ...

مريم وليلى رحماكِ يا عذراء !

فارس ليكن هذا المال سماً في حلقك . ليت هذا المال يكون ناراً آكلة تلتهم احشاءك . جازاك الله عنا ! انتقم الله لنا منك ! لعنك الله ! لعنك الله ! (يخرج)

المشهد الثالث

مريم . ليلى . ابو شهيد

ابو شهيد أه ! أه ! ما ابرعهم باللعنات ! وافشلهم في جمع المال !

ليلى ربي ردّ عنا غضبك ! ايتها العذراء ، كوني لنا عوناً . اشفعي بنا .

ابو شهيد كفاك صلاة ، يا بنت ، وانت ، يا مريم ، كفي عن البكاء . فتاة حمقاء ، وعجوز خرفة ، اجرّهما وراءي . ثم صُور على الجدار يحرق امامها الزيت والبخور . لا قيمة عندكما لشيء . تحرقان الزيت كانما الزيت للحريق . لا ادري ما يمنعني عن نزع هذه الصور . قد اصبح بيتي كنيسة . . . اين الخوري ، يا مريم . . قد رأيته امس مارًا من امام البيت ألم يكن هنا ؟ ألم تعطه قداسات ؟ . . .

مريم يا خليل . . .

ابو شهيد بس ! الا تكفين عن النقيق . ما كنت احسب ان بيتي بركة للضفادع .

مريم يا خليل . اسمع قليلًا (ابو شهيد يتمشى من جانب الى جانب وهو يفكر وامرأته توجه اليه الكلام وتتبعه بنظرها وهو لا ينتبه لشيء بل يحسب هل لديه من المال ما يكفي لشراء اراضي الرامي) . ارفع هذه الغشاوة عن نظرك ، ان نظرك هذا لمخيف . ان يدك هذه المرتجفة الاصابع انها ليد هائلة راعبة . انها يد سفّاك دماء ، عاصر قلوب ، يد مفترس . الا تسمع اللعنات ، الا تسمع صوت الارامل ، صوت الايتام ؟ اليس في صدرك رحمة ؟ اليس في صدرك قلب ؟ الا تذكر ابنك . . .

ابو شهيد لا بدّ لي من الف ليرة لشراء اراضي الرامي . . .

مريم الا تشفق على فتاتك المسكينة ، على هذا القلب الطاهر ، على هذه الزنبقة التي تكاد الاشواك تخنقها ! ما ذنبها ؟ ما ذنبي انا ؟ ينفر منا الناس . نعيش منقطعين عن العالم الخوف واللعنة والحقد تحفّ بنا . . .

ابو شهيد ارض واسعة . فيها ماء ، واشجارها قائمة ، وتربتها جيدة ، اذا اشتريتها

اصبحت اكبر ملاك في لبنان ... طالما ضحكتَ مني ، يا رامي ، فآن ان تبكي. المال. المال... هو شيء عَجَب ، شيء عظيم ، عجيب غريب . تضع المال في كفة ، وتضع جميع خيور العالم في كفة ، فترجح كفة المال .. الناس جبناء يرتعشون . يخافون شيئاً لا وجود له يسمونه الضمير . من منكم رأى الضمير ؟ يخافون غضب الصور والقديسين . يركعون امامهم يصلّون . واذا مرّ احدهم بامنى قبض عينه يده خوف الاثم خوف الخطيئة ... يخاف ان يقع في الخطيئة ! اه .. اه .. بُلهاء ! الافضل لهم ان يكونوا عبيداً تحت السوط . اما نحن فنحن الاسياد : قليل من البخل ، وقليل من الطمع ، ويرتجف الناس منا ، ويخشون بطشنا ، ويجولون حول بيوتنا مستعطفين صاغرين يسألوننا ان نتوسل لهم في امورهم . ونحن نأخذ منهم اجرنا ونتوسل لهم . لا نعطي شيئاً مجاناً . يخافنا الكبير والصغير لاننا اغنياء ، واصحاب مطامع ، لان ليس لنا قلب ... هل الذّ من الغنى ! هل اجمل من تلك الهالة الذهبية التي نتعمّم بها والتي تبهر عيون الناظرين الينا . يلومنا البلهاء لاننا بخلاء . ثم يخرّون على يدنا يقبلونها .

مريم اني اتوسل اليك ، ايتها العذراء ، ان تردي عنا غضب الله . انه مجنون قد اختلط عقله .

ابو شهيد الا تزالين هنا ايتها الضفدعة ... ايتها المرأة النتّاقة البكّاءة . اهذا عرفانك للجميل ؟ اي شيء كنتِ ؟ نشلتك من الفقر المدقع ورفعتك الى مركز يحسدك عليه جميع الناس ، وانت لا تنفكين تنقين .

مريم ليتني بقيت كما كنت ولم ارَ ظلمك وقساوة قلبك .

(يقرع الباب قرعاً لطيفاً)

ابو شهيد من يقرع الباب في مثل هذه الساعة ؟ لعله احد الفقراء . قد اعتاد هؤلاء الكسالى المجيء الى هذا البيت يضحكون عليكِ وعلى ابنتك .. افتحي يا ليلى وان كان هذا الرجل من الفقراء فاغلقي بوجهه الباب . (يخرج) (لها صلة)

شذرات

اكتشاف اثري قرب بعلبك قبل ١٣٢ سنة

وقفنا في تاريخ الامير حيدر الشهابي ، في اثناء اخبار السنة ١٢١٥ للهجرة (١٨٠٠ م) ، على نبذة لا علاقة لها بالتاريخ السياسي ، يذكر فيها الامير عثور بعض الناس قرب بعلبك ، على عدة نواويس من الحجر ومن الرصاص . ويشير الى محتوياتها بتدقيق عجيب . فرأينا نقلها افادةً للمشتغلين بالآثار ، ودلالةً على ما لهذا التاريخ اللبناني من قيمة فريدة ، لاني ما خصّ المعلومات السياسية فحسب ، بل في الكثير من المظاهر الاجتماعية والعمرانية ايضاً . وقد تركنا الفصلة على علّاتها من الاغلاط مثالاً لانشاء المؤلف ، قال : (الصفحة ٦٠٠ من مخطوطة المكتبة الشرقية الحاوية الجزء الثاني من التاريخ المذكور) :

وفي هذه السنه (اي سنة ١٢١٥ = ١٨٠٠) كان مارًا اناس قرب مدينة بعلبك الى ناحية القبله في الموضع المسمّا بعمود الذهب فنظروا جورة في الارض وقد ظنوا انها محل زاعقه فتاملوها واذ داخلها اشارات فظنوا انه كنز . وكانوا ثانية انفار فحفروا في تلك المكان فوجدوا باب مغاره من حجر وعليه صخرة . فرفعوها ودخلوا الى تلك المغارة وهي تقر في الحجر ووسعها نحو سبعة ادرع فنظروا بها نواويس امواتاً . فالميل الواحد ناووسين من حجر كبار طول الواحد اربعة ادرع ونصف . وعليهم اغطية من حجر كهيئة الجملون وعليه جنزيرين من حديد عظام مقفولين بقفولة مدورة ومصديين من طول المدة . فكسروها ولم يقدروا على رفع الغطا عن تلك النواويس الى ان كسروهم بمهدة من حديد فوجدوا داخل الناووس الاوّل ماينتاً بالياً وصار تراباً وليس باقي منه الا العظام وعلى وجهه وجه دهب رقيقاً جدًا . وفي يديه خاتمين دهب وحجر الواحد احمر . والحجر الثاني ازرق ومنقوشاً عليه صورة طير . ثم وجدوا في الناووس الاخر مايتاً ايضاً بالياً كالاول وعلى وجهه غطا ذهب . وفي يده خاتماً واحدًا ذهب وحجره اخضر . فاخذوا الجميع . ثم اتوا الى الجانب الثاني من تلك المغارة فنظروا ثلاثة نواويس من رصاص سمك الواحد ثلاثة اصابع باغطية ومكتوب

عليه كتابة وطول الواحد دراع وربع . فكسروها ووجدوا بكل واحداً منها مايتاً بالياً بالكلية وصار تراباً . ولم يجدوا عليها شيء مثل تلك . وانما وجدوا بين تلك التراب الذى فى النواوويس قطع ذهب صغار بقدر العدس . ووجدوا ايضاً فى جانب تلك المغارة ناووساً صغيراً جداً من رصاص وعليه كتابة مثل اوليك . فكسروه ولم يجدوا داخله الّا شى كالتراب . اخذوا تلك النواوويس الرصاص ورجعوا الى مدينة بعلبك وقسموهم فيما بينهم . فبلغ الذهب واحد وعشرين مثقال وثلث . والرصاص قنطار واربعين رطل . فباعوا الرصاص الى المكارية الرطل بثلاثين فضة . فباعوهم المكارية الى اهالى بيروت الرطل بستين فضه الى السيد عبد القادر قرنفل . وباعهم المذكور الى مركب فرنج الرطل بخمس غروش . وامّا تلك الكتابة الذى على النواوويس الرصاص لم احد عرف كتابتها لا من الافرنج ولا روم ولا يهود . وامّا حجار الخواتم حكموا الصياغ ان الازرق فيروز والاحمر عقيق . (اه)

المسيح ملك الامم والشعوب

احتفل في ٣٠ تشرين الاول الفائت ، في كنيسة كيالا من مقاطعة النيل الاعلى ، احتفالاً باهراً بعيد المسيح الملك صاحب العيد والمبنية على اسمه تلك الكنيسة . على ان اعجب ما كان في تلك الحفلة ان المشتركين فيها كانوا ينتسبون الى اكثر من عشر امم مختلفة فضلاً عن القبائل الافريقية المتعددة . فكان المحتفل سيادة المونسنيور كامبلنغ النائب الرسولي ، وهو اسكتلندي الاصل ، يعاونه كاهنان الاول منهما ارلندي ، والثاني انكليزي . ويحف بهم عدد من الكهنة الهولنديين . وكان منظم الاحتفال نمساوياً ، وموقع الالحان من مقاطعة التيرول . اما المرتلون فكانوا ينتسبون الى عدة من القبائل الوطنية . وكان بين الحاضرين ، فضلاً عن الافريقيين ، كثير من الانكليز والفرنسويين والهولنديين ، والهنود المنتسبين الى مقاطعة غويا ، وسكان جزر سيشيل وجزر ماركيز وغير ذلك من ممثلي الشعوب المتنوعة ...

كيف امسى الموت اعمى !

قيل ان الله ارسل الموت يوماً ليأتيه بروح رجل فقير مريض رب عيلة ، فدخل البيت وحيّا أهله فاجابوه وقد ظنّوه متسوّلاً : ليعطيك الله ! وبادروا الى اكرامه ما استطاعوا . فقال الموت لامّ العيلة : دعي كلّ اهتمام فلستُ بحاجة الّا الى روح زوجك . فان الله يستدعيها عن يدي !

سمعت المرأة وبنوها هذه الكلمات فطفرت على الاثر من اعينهم العبرات وقالوا : ومن يهتمّ لنا بالمأكل والمشرب والكساء من بعده ، وكلّنا قاصرون ؟

فأثّرت بالموت هذه الشكوى فعاد ادراجه حتى وقف بين يدي الله . فسأله : اين روح الرجل الذي ارسلتك بطلبه ؟

قال : رأيتُ ايها السيد ان آتيك اولاً بروح الاولاد لانهم لا حيلة لهم بالمعاش من بعده ، فان مات ماتوا كلّهم على اثره .

قال الله : اذهب الى عمق البحر فتجد هناك حجرًا أتني به ، فعاد وقال : هوذا الحجر المطلوب قال الله : اكسره . فكسره قطعتين ، واذا في قلبه حشرةٌ صغيرة !

فشتّ في نفس الموت تشعريرة وبُهت . فقال الله : من خلق هذا الحجر ؟

— انت !

— ومن وهب الحياة لهذه الحشرة وأقامها في قلب هذا الحجر في عمق البحر ؟

— انت ، يا سيدي !

— ان كنتُ وهبتُ الحشرة الضعيفة في قلب الصخر ، في عمق البحر ، حياةً وقوتاً ، فهل تفوتني العناية بالبشر ؟

ثمّ قال له : لتكن من الآن فصاعدًا أعمى ، صامتاً ، غير مرئيّ ، قاسي القلب . فلا تميز البشر كبارًا كانوا أم صغارًا ، شيوخاً ام شبّانًا ، اغنياء ام فقراء . ولا تتكلّم فلا يعرفك الناس ، ولا تأخذك شفقةٌ عليهم اذا ضُرعوا اليك .

ثمّ لطم الله الموت لطمةً تركته قاسي القلب ، خفيًا ، صامتاً ، اصمّ ، اعمى ، يسعى على غير هداية ، فلا تصل منجله الى واحد ويبقى عليه . ا.ش.

مطبوعات شرقية جديدة

Nilsson (Martin P.): The mycenaean origin of greek mythology. [*Sather classical Lectures, vol.8*] *Berkeley, University of California Press*, 1932, 260 *pp.* 8° *Prix* : 3 *doll.* 1/2

الاصول الميقينية للميثولوجيا اليونانية

ـ مؤلف الكتاب من اشهر اساتذة جامعة لُند ، ومن اوسع العلماء اطلاعاً في الزمن الحاضر على ما خصّ تاريخ الديانات في بلاد اليونان القديمة خاصة والعالم المتوسّط عامّةً . وقد القى سنة ١٩٢٩ ، في جامعة لندرة ، سلسلة محاضرات عن هوميروس وميقينية . ثم قام في السنة الدراسية ١٩٣٠—١٩٣١ بالقاء سلسلة اخرى من المحاضرات في اميركة ، وهي التي جمعها في المجلد الحاضر مطبوعة سنة ١٩٣٢ . اما نظريته فيها فملخصها انه يجب التمييز بين الدين وما يجره من عبادة الخ . . . وبين الميثولوجية . وانه ، في بلاد اليونان ، لا تنتج الميثولوجية مباشرةً من العصر الميتوي (او الاقريطشي) بل من العصر الميقيني ، وهو متأخر عن ذاك ، منتسب ، من الوجهة التاريخية ، الى المجموع العنصري البارز في العصر اليوناني الصرف . وهو ما يفيد القول ان دولة اليونان الميقينية اسسها يونان اقحاح لا اجانب . وعليه فان الميثولوجية اليونانية ميقينية الاصل . ثم ان هناك فرقاً بين الآلهة والابطال . والواقع ان الابطال اليونان هم ابطال ميقينيون ، وهذه هي النقطة الخاصة بالمجلد . ويعرض المؤلف ، في ذلك ، لاهم حلقات الميثولوجية البطلية ، فلا يتراجع عن ايجاد اساس تاريخي لولادة بعض الآلهة اليونانية الظاهرة في العصور المتأخرة . وان حادث هركليس لمن اوضح الامثلة على هذا الامر (ملخصه في الصفحة ٢١٩) . هذا وان من الصعب على المطالع ان يقرأ الكتاب الا بجهد متواصل . مما يدفعنا الى العجب من وجود محفل اميركي ، حتى من المثقفين ، امكنه ان ينتبه لهذه المحاضرات الظاهرة بمظهر دقيق من الرزانة والنقد الجدّي .

س . ر .

Kortleitner (Fr.-X) : Religio Jahvae cohaereatne cum simplicitate vitae nomadum. [*Commentationes biblicae, VII*] *Œniponte. Fel. Rauch.* 1933, 69 *pp.* 8°.

هل تقابل ديانة يهوه بساطة الحياة البدوية ؟

يقدّم المؤلف العالم العامل ، في هذا الكرّاس ، درساً تاريخياً كتابياً جزيل النفع لرجال الكنيسة وطلاب العلوم الاكليريكية . وموضوعه نقد تلك النظرية التي تستند الى اصل الشعب الاسرائيلي منذ ابراهيم حتى دخول ارض الميعاد ، فتجعل من ديانة يهوه ديانةً بدوية ، وبالتالي تزعم ان اله هذه الديانة لا يفرق في شيء عن آلهة الديانات الوثنية المعاصرة ، وانه لم يبلغ الى ما نعرفه من السموّ والوضوح الا منذ عصر موسى ، بل منذ عصر داود .

هذا ملخّص النظرية ، لا يتكلف المؤلف مشقّةً كبيرة في تزييفها والبرهان على النظرية المعاكسة داخلاً في الموضوع حتى دقائقه ، جامعاً في ابحاثه ، موجزاً في اساليبه . وهو يفيد طلاب العلوم الاكليريكية بان يطلعهم على هذه المشاكل التي كثيراً ما يثيرها منكرو الوحي ، وبعض البروتستانت ، وغير الكاثوليك ، ويعرّفهم الى المؤلفات التي عرض فيها زعماء هذا المذهب آراءهم ومزاعمهم ، فينال بذلك شكراً جزيلاً وتهنئةً واجبة له ولمن يستفيد من عمله العلمي النفيس .

س . ر .

Tor Andrae : Mohammed, sein Leben und sein Glaube. *in*-8°, 160 *pp. M.* 7. *Goettingen, Vandenhoeck u. Ruprecht*, 1932.

محمد : حياته وايمانه

هي ترجمة حياة جديدة للنبي العربي . على انها اقرب الى الدرس النفسي منها الى سرد حوادث الحياة . فلا يأخذ المؤلف بهذه الحوادث الا ليقيم منها إطاراً لدرسه اخلاق محمد . حتى انه يذكر معركة بدر وفتح مكة بالاستناد الى الاخبار التقليدية وحدها دون اهتمام بنقدها ومناقشتها . ويظهر الكتاب اجمالاً بمظهر عمل دفاعي عن محمد . ولكنه قلما ينجح . واننا ننبّه المسلمين الى ان في هذا الدفاع كثيراً من الامور التي لا يقرّونها ولا تلذّ لهم . من ذلك رأي المؤلف في ما خصّ نساء النبي العديدات . ولا يخفى ان النبي كان قد سمح لنفسه التمتّع باكثر من اربع نساء ، وهو العدد المسموح به لاتباع

دينه . ولا يخفى ايضاً ان هذه الشاذة يعتبرها المسلمون من «خصائص النبوة» . اما مؤلف الكتاب فيستنتج من السورة ٣٣ : الآية ٥٢ ان معاصري النبي ورجاله كانوا يرون انه لم يستفد الفائدة الكافية من هذه « الخاصة النبوية » . وهو ما نذكره تاركين تبعته على المؤلف المذكور. ه ل.

O. Halecki : Un empereur de Byzance à Rome. [*Travaux historiques de la Société des Sciences et des Lettres de Varsovie, t. VIII*] in-8°, 416 *p.* 1930.

امبراطور بيزنطي في رومة

في السنة ١٣٦٩ وصل الى رومة الامبراطور يوحنا الخامس باليولوغ ، الذي كان على عرش بيزنطية منذ السنة ١٣٥٤ ، وذلك بمناسبة اهتدائه الى الكثلكة ورغبةً منه في الاحتفال بدخوله في الكنيسة الرومانية . يذكر التاريخ هذا الحادث دون ان يتعمق في تبيان اسبابه ونتائجه . وهو ما حدا بالمؤلف الى هذا الدرس الدقيق الموفق الذي اظهره في نشرة بولونية وباللغة الفرنسوية ، لا تقديراً للعلماء الفرنسويين الذين استفاد من ابحاثهم فحسب بل لانه كان من الضروري ان بحثاً كهذا يهمّ الكثيرين من ارباب الاختصاص في البلاد المختلفة يُنشر بلغة تسهّل الاستفادة منه على هؤلاء الاختصاصيين.

كانت حنة ، ام يوحنا الخامس ، اميرة من اسرة ساڤوى ، فنشأ ولدها في محيط مشبع بالروح اللاتينية صرفه نوعاً عن التحمس للمشاحنات الكنسية التي كان يغوص فيها الكثير من رعاياه . وقد يكون هذا الامر مهّد السبيل الى اهتدائه اهتداء شخصياً للكثلكة اللاتينية . ويلاحظ المؤلف ان هذه الحركة تختلف كثيراً عن محاولات الاتحاد في ليون وفلورنسة ، وذلك في ما خصّ الامبراطور ورعاياه من جهة ، وفي ما خصّ احكام البابا وبلاطه من جهة اخرى. على انه لم يكن في عصر من العصور ما كان بين رومة وبيزنطية اذ ذاك من الاخلاص المشترك والتساهل المتبادل. وهو يرى ان اتفاق سنة ١٣٦٩ ، الذي كان اهمّ من سابقه في السنة ١٢٧٤ ، قد مهّد السبيل الى اتفاق سنة ١٤٣٩ .

وفي آخر الكتاب ملحق نشر فيه المؤلف ٢٨ وثيقة ، وجدولاً بمآخذه ، وبعض الزيادات ، مع فهرس مفيد. ج.ل.

G. Mollat : La Question romaine de Pie VI à Pie XI. [*Bibliothèque de l'enseignement de l'histoire ecclésiastique.*] *in*-12 *de* 469 *pp. et* 1 *carte hors texte.* 1932. *Prix* : 24 *f*. *Paris J. Gabalda et Cie*.

المشكلة الرومانية من بيوس السادس الى بيوس الحادي عشر

لقد حُلّت المشكلة الرومانية بمعاهدة لاتران سنة ١٩٢٩ . فاصبح من الممكن تأليف تاريخ لها . وهو ما قام به المؤلف ناشراً ذلك في « مكتبة تعليم التاريخ الكنسي » المعروفة بفوائدها الجمة لاساتذة ذاك التعليم العالي وطلّابه. وكان المؤلف قد عُرف ايضاً بمقدرته في الموضوع اذ نشر ، في المجموعة نفسها ، درسه القيّم على « بابوات افينيون » . اما في الموضوع الحاضر فاورد المعلومات الدقيقة عن المشكلة الرومانية مردفاً اياها بسلسلة مآخذ مهمة تأتي بالفائدة الجزيلة لكل من شاء درس ذاك الموضوع . وهو يبدأه بذكر اول اعتداء على الاراضي البابوية ، اي ما قامت به الثورة الفرنسوية على عهد بيوس السادس . ثم يتتبع هذه الاعتداءات حتى عهد بيوس التاسع ، يشرح ذلك في ستة فصول من كتابه. ويلحقها بفصل اخير في ذكر الحالة غير الطبيعية الناشئة عمّا تقدّم ، مع الاشارة الى محاولات الاتفاق التي اوصلت نهائياً الى معاهدة لاتران . وللكتاب اربعة ملحقات نشرت فيها نصوص مهمة هي : هدنة بولونية سنة ١٧٩٥ ، ومعاهدة تولنتينو سنة ١٧٩٧ ، وشريعة الضمانات سنة ١٨٧١ ، ومعاهدات لاتران سنة ١٩٢٩ ج.ل.

S. Salaville : Liturgies Orientales. Notions générales. Eléments principaux. [*Biblioth. cath. des Sciences religieuses*] 1932. *Paris, Bloud et Gay.*

الطقوس الشرقية : معلومات عامة عنها مع ذكر عناصرها المهمّة

ان عنوان هذا الكتاب يشرح بكامله كل ما يحتوي عليه وما يرمي اليه من افادة المطالع ، ولاسيما الغربي ، الذي لا يفتر عن السؤال : لماذا كل هذا التعدّد في الطقوس وفي اللغات الطقسية ؟ على ان التاريخ يجيبه فيبيّن له اسبابه الكثيرة ويشرح كيف تنوّعت الطقوس ؛ وتطوّرت كل من جهته ، ثم كيف جمدت بعض الجمود كل في منطقته الخاصة . والكتاب مفيد ، على قسط وافر

من الدقة والصحة على كونه مكتوباً للجمهور . ولا نشك في انه يعمل على مزيد التفاهم بين الشرقيين والغربيين خصوصاً اذا ما ظهر جزؤه الثاني الذي سيخصه المؤلف بدرس اجمالي للقداس والرتب الشرقية. ج.ل.

Hubert Pernot : Leçon d'ouverture du cours de grec postclassique et moderne et de littérature néo-hellénique. [*Collection de l'Institut néo-hellénique, fasc.* 11]. *Paris, Soc. d'édit. « Les Belles Lettres »* 1931. *Prix :* 8 *fs.*

اشولة افتتاحية لدرس اللغة اليونانية المتأخرة عن العصر المدرسي واللغة اليونانية المصرية ، ودرس الآداب اليونانية الحديثة

ان « الحاضرة الجامعية » في باريس اغتنت مؤخراً بانشاء « بناية يونانية » . فأسس ، والحالة هذه ، منبر جديد للادب اليوناني باشتراك الحكومة اليونانية وجامعة باريس . ولم يكن هناك اجدر من الاستاذ هوبر برنو بان يُعهد اليه بهذا المنبر. وها اننا نطالع اشولته الافتتاحية او توطئته لدرس اللغة اليونانية المتأخرة عن العصر المدرسي واللغة اليونانية المصرية ، ودرس الآداب اليونانية الحديثة . يدرس ذلك عن اطلاع واسع على الآداب الحديثة وباسلوب شائق لذيذ يكتسب له ، دون شك ، كثيراً من الحذّاق ، وللآداب اليونانية الحديثة كثيراً من المعجبين. ي.ك.

Islamica, *vol. V, fasc.* 5. *Leipzig, Verlag Asia Major.*

مجلة الاسلاميات : الجزء الخامس من المجلد الخامس

مما يجدر بالذكر في هذا الجزء تتمة التعليق البليغ على كتاب « الاضداد » لقطرب . ثم درس في تهمة المحامي في الشرع الاسلامي . واخيراً درس مفيد في لغة ابن ميمون الفيلسوف الاندلسي اليهودي، ولم تكن لغته موافقة للقواعد كل الموافقة. ه.ل.

معجم الحيوان

بقلم الفريق امين المعلوف

هدية المقتطف السنوية ١٩٣٢ ، ق ٨ نحو ٢٠٠ ص

مؤلف الكتاب معروف بما نشره في المقتطف من المقالات التي استنتجها من رحلاته واختباراته في بلاد سورية ومصر والسودان والعراق ، وهو من

اعضاء المجمع العلمي الدمشقي ، بدأ نشر مقالاته على الحيوان في تشرين الاول سنة ١٩٠٨ وواصلها على مدى سنوات وجمعها اخيراً مبوّبةً ومرتبةً على شكل القاموس بالعربية والغرض منها « تحقيق الفاظ وردت في كتب اللغة العربية وصحة ما يقابلها بلسان العلم الحديث » . . في الكتاب لائحة المؤلفات التي استعان بها المؤلف ، قال : « ان جميع الاسانيد التي ذكرتها كانت من المؤلفات التي اخذت عنها بالذات فنسبت كل قول الى قائله . . . واذ لم يكن هناك اسناد بل كانت اللفظة مما وصلتُ اليه بالبحث والاستقراء فقد اتيت بادلتي على ذلك . . . وقد توخيت ايراد افصح الالفاظ اولاً ثم الفصيح ثم ما عرّبته العرب ثم المولد ثم ما عرّبه المولدون ثم العامي وما عرّبته العامة . »

معجم الحيوان مقسوم الى قسمين وقعت بينهما سلسلة تصاوير متقنة تساعد على تحقيق هوية الحيوان الموصوف في الكتاب وعدد الحيوانات المحققة فيه يزاهي ١٤٠٠ . وردت اسماؤها في القسم العربي وهو الاول ص ١—١٧ يتلوها الاعداد الدالة على مراجعها في القسم الثاني من الكتاب ص ١—٢٨٦ حيث سلسلة الاسماء موضوعة بالترتيب الابجدي اللاتيني .

اما منفعة الكتاب فهي في تمهيده السبيل الى وضع مادة من مواد القاموس العربي الكبير المرغوب فيه ، وعدد ١٤٠٠ لفظة علمية ثابتة ليس من الامر البخس في تقديرات اللغة . وللكتاب منفعة ثانية : فهو يقرب من العامة علم الحيوان ويلفت نظر القراء الى ناحية من نواحي المخلوقات لم يهملها السلف اهمالنا اياها . وناهيك عما يفيدنا علمنا الحيوان من غنى شعور وعواطف تقوي المخيلة والشاعرية وتفتق في ابن آدم الغرائز التي وضعها في قلبه مبدع الكائنات ليقرأ سفر الطبيعة الجليل ويفقهه في علله ومعلوماته .

ولولا ضيق المقام لتوسعنا في رواية مواضع عديدة من كتاب المعلوف على الحيوان ولكن لا بد من ان نأتي ولو بسطر بالايجاز مما كتبه على الحيوان الذي سماه ابن يومه فيكون انموذجاً لما في الكتاب من المواد الجميلة المفيدة .

« ابن يومه . ابنة اليوم : فصيلة بنات يومها او بنات اليوم هي من رتبة عصبية الاجنحة يقال للواحدة منها ابن يومه او ابنة اليوم وهي دويبة طويلة الجسم لونها الى البياض او الصفرة

اجنحتها طويلة مثلثة ومرتفعة الى فوق في وقت الراحة ، ينتهي مؤخرها بخطين في الذكور وبثلاثة خطوط في الاناث ، وهي تولد عند افول الشمس وتموت عند شروقها . »

اليس في من سطر هذا الوصف فطنة العالم ولطف الشاعر ؟ فشكراً للفريق امين المعلوف بما سطره وقرب به الينا معرفة الحيوان. ف ت.

الهلال في اربعين سنة ١٨٩٢–١٩٣٢

عنيت بنشره ادارة الهلال . قطع ٤ ص ١٦٤ مصوّر

تصفحنا هذا الكتاب الجديد والقديم معاً فراقنا موضوعه ، وهو خلاصة ما اتخذته مجلة الهلال ، منذ نشأتها الى يومنا ، عنواناً لحركتها الفكرية ، وهدفاً لمقاصدها في سبيل مبادئها ، ان كانت هناك مبادئ ، بحصر المعنى ، ترشد سير مجلاتنا العصرية فلا تريح عنها على مدى الزمان . لا شك ان الهلال بقدمها واقبال القراء عليها فيما يجدون فيها من تصاوير متقنة ومقالات متنوعة موقعة باسماء رجالات لهم صيتهم في عالم الادب والسياسة انما هي في مقدمة المجلات العربية العصرية . وقد لفت نظرنا في فهرسها امران : اولاً لائحة اعمال مؤسسها المرحوم جرجي زيدان ، وهو دليل واضح على قوة الارادة والمواهب العقلية والاجتهاد الحقيق بالثناء فيما ادّاه من الخدمات للمدنية ، في مظاهرها الشرقية والغربية معاً . اما الامر الثاني فهو المقال الاخير الموقع باسم اميل زيدان نجل المؤسس وعنوانه « خدمة الفكر في عصر المادة » . ان لكلمة الفكر والمادة معاني محدودة ، وهل « حضارتنا الحالية » مصابة حقيقةً « بتخمة مادية » اكثر مما كانت مصابةً به الحضارات الماضية ؟ واذا تكلمنا عن الحضارة الجوز ان نطلق تلك اللفظة طرًّا على بلاد الله كلها فننسب التخمة المادية الى بلاد فرنسة مثلاً كما ننسبها الى بلاد روسية ، ونتكلم عن عصر المادة في بلاد العرب كما نتكلم عليه في بلاد اليابان او في جنوبي افريقية ؟ وهل في الحقيقة ان خدمة الفكر والفن ، في الغالب ، نصيبهم كنصيب « برليوز الموسيقي على فراش الموت » ينتظرون من خروجهم من الفانية دخول مؤلفاتهم في حياة النجاح ؟ على اننا نخطئ في تضييقنا على الكاتب وحصر اقواله وتمحيص آرائه فيما اتاه القراء « كصفحة من صفحات الصحافة » وبين الصحافة والنشرات العلمية بون شاسع .

وقد نوافق على الحكم الذي اصدره بعضهم (ص ٤١) على الهلال اذ قال انه «مثال الفطنة لاذواق القراء والنشاط لارضائهم .» ف.ت -

مرشد الوعاظ والكتاب الى كنوز ايات الكتاب

الارشمندريت بطرس ابي زيد

الجزء الاول. قطع ٤ ، ص ٦٦٢ ؛ مطبعة القديس بولس في حريصا

ان الارشمندريت بطرس ابي زيد الراهب الباسيلي المخلصي معروف بترجمته الى العربية كتاب الاب غيتون الافرنسي في العفاف ، وقد اظهره بالطبع سنة ١٩٢٠ . وها انه اهدى الينا هذا السفر الجليل فرأينا قبل ان نعرفه الى القراء ان نقدم عليه كلمة في موضوعه لما فيه من الاهمية العظمى.

دعاه المؤلف مرشداً وترجم عنوانه بالافرنسية «*Guide des Prédicateurs et des écrivains pour la recherche des textes de la Bible*»

وقد اعتاد الافرنج حديثاً ان يسموا هذا الجنس من التآليف الوفاق او المطابقة «*Concordance*» وهو مجموع الآيات الكتابية المتصلة بعضها ببعض بصلة ما لفظية او معنوية . وهذه الآيات مبوّبة ومرتبة بحسب الابجدية ، مع الاشارة الى موضعها في الكتاب المقدس فصلاً وعدداً ، يرجع اليها القارئ كما يرجع في المعاجم الى معرفة الالفاظ . وهذا المجموع على نوعين : منه لا يراعى فيه سوى معنى اللفظة من غير الاهتمام بالقرائن ، وهو المجموع اللفظي ؛ ومنه ما فيه تُجمع الايات تحت عناوين تشمل الافكار والمراد وهو المجموع المعنوي ، وانما كلامنا عليه.

فاذا اخذت مثلاً مادة بتولية رأيت تحت عنوانها ما يلي (ص ١٠٤ وما بعد) بتولية وتبتل وبكارة وعزوبة وطهارة وعفة ؛ وقد يجدها القارئ في صفها ، في المجموع ، مع آيات خاصة بها على ما فيها من فروق بينها وبين البتولية. ثم تحت العنوان بتولية المذكور يجد القارئ البنود الستة التالية : ١ً البتولية او العفة هي احدى المشورات الانجيلية . — ٢ً التوصية بالعفة . — ٣ً فضل العفة وفوائدها العظيمة . — ٤ً تفضيل البتولية والعزوبة على الزواج . — ٥ً ابطال العفة . — ٦ً وسائل لحفظ العفاف . . .

وكل بند من هذه البنود يأتي بعدة من الآيات الكتابية اما بكاملها او بالاشارة الى موضعها عند بدئه ونهايته . وغايتها ان تؤدي للكاتب او للواعظ مادة التعليم او الارشاد . ولا حاجة الى الاسهاب في تبيان منافع هذه الآيات المضمومة ، عديدة ، تحت عنوان واحد فما ان يقرأها الواعظ ويذوقها في قلبه ، ويتبحر بها حتى تتوفر لديه مواد محاضرة او عظة في الفضيلة الملائكية تثمر في قلوب السامعين اثمار الخلاص . ان هذا النوع من المجموعات قديم في بيعة الله ، وينسبون الى القديس انطونيوس البادراني اول مجموعة معنوية : فقد الفها في حياته بين السنة ١١٩٥ و١٢٢١ ، وطبعت فيما بعد في باريس سنة ١٦٤٩ ، وفي كولونية ١٦٤٧ ، وكانت تلك المجموعة باللغة اللاتينية . وفي القرن السادس عشر وضعت مجموعة باللغة الالمانية على التوراة الالمانية التي ترجمها لوتر ، ووضعت ايضاً المجموعات باللغات الافرنسية والانكليزية وغيرها من اللغات الاوروبية : وهناك طبعات للكتاب المقدس عُلّق في هوامشها تقييدات تشير الى الآيات الممكن مطالعتها في المعنى ذاته .

اما في اللغة العربية فلا فهارس كبيرة مطبوعة للكتاب المقدس سوى فهارس بوست البروتستنتي ، وقد سماها الوفاق وهي لفظية . وهناك فهارس في طبعة التوراة للاميركان العربية معلقة على هوامشها ، فتشير الى المواضع الموافقة للآيات التي علقت عليها .

وترجم الآباء اليسوعيون الفهارس المعنوية في آخر ترجمتهم العربية للكتاب المقدس اخذاً عن النسخة الموجودة في آخر التوراة اللاتينية الرومانية ، وهي مختصرة ترجع بالمطالع الى عدد الفصول والابيات مكتفية بجمع الاعداد تحت العناوين .

فكنا بحاجة الى مجموع فهارس معنوية كاملة سهلة المطالعة وها ان الضالة المنشودة قد وجدناها بفضل وغيرة الاب بطرس ابي زيد ، وعناية مطبعة الآباء البولسيين في حريصا .

***

لم يظهر من الكتاب الا جزؤه الاول لكنه يمكننا من الحكم عليه

بكامله لان الجزء الثاني سوف لا يكون دون الاول قيمة قلب وقالب.

صدر الاب بطرس ابو زيد كتابه برسالة غبطة البطريرك كيرلس التاسع ، ورسالة قدس الارشمندريت اغابيوس نعوم الرئيس العام على الرهبانية الباسيلية المخلصية ، ونال مع بركة الرؤساء رضاهم الذي لا بد منه للمؤلفات الدينية عامةً والكتابية خاصةً .

ووطأ للمجموع بمقدمة تكلم فيها على الوعظ ومزاياه السامية ومنافعه واصوله وشروطه ومعلميه ، وفي مقدمتهم الانبياء والرسل ، وعلى الاخص سيدنا يسوع المسيح الاله المتجسد الذي كلمنا في كتبه . فالايمان بالسمع والسمع بكلمة الله ، وبالوعظ قامت الكنيسة وازدهرت القداسة وارتد الخطأة واهتدى الكفرة . ومن ثم ، على الواعظ ان يكون متبحراً في الكتاب المقدس فيعزز به كلامه ويملك بقوته قلوب السامعين ويوجهها جهة الصلاح ، والواعظ هو الاب والهادي والطبيب .

ومضى المؤلف يعدّد النصائح للوعاظ داعياً اياهم الى استعمال كتابه شارحاً طريقته ، وهي سهلة المنال كما عرضنا لها في بدء الكلام .

لا نجهل ما يعتور سير هذه المؤلفات في بلادنا من المشاكل الاقتصادية لقلة عدد الذين يقبلون على شرائها . ولا بد للمطابع ان تضحي كثيراً للقيام بمثل تلك الطبعات مع الامل اليسير بالاستعاضة عن النفقات . فلذلك لألومنّ نفسي في ابداء ملاحظة ما غايتها لفت النظر الى نقص في الكتاب لولا ما يرجى منها من الخير لمستقبل اقتنى الا يكون بعيد الوقوع ، وهو ان تنفد طبعة الكتاب سريعاً فتعاد بحجم اصغر وحرف ادق فيتمكن المرسلون من الاستفادة منها في اسفارهم ، ولا يستثقلون حملها .

اما متن التوراة العربي الذي اعتمد عليه الجامع فهو متن الترجمة اليسوعية التي اصبحت كالترجمة الرسمية لابناء الكنيسة الكاثوليكية الناطقين بالضاد ، لما نالها من رضى الكرسي الرسولي واحبار الطوائف الشرقية المتحدين معه بالايمان .

ف . ت .

بلوغ الارب في علم الادب

هي رسالة وجيزة لحضرة القس بولس سباط ذكر فيها مخطوطة كان قد اكتشفها في بيروت من كتاب « بلوغ الارب في علم الادب » المطران جرمانوس فرحات فدرسها وحلّل اقسامها على طريقة مفيدة ، ناشراً اربع صفحات منها في لوحتين مع صورة المؤلف . ثم طبع ذلك في نشرة المعهد المصري للسنة الدراسية ١٩٣١- ١٩٣٢ ، تذكاراً لمرور مئتي سنة على وفاة المطران . فاستحق شكر ارباب العلم العربي عامّة وابناء حلب خاصّة .

مآثر عريضة

للخوري اسقف بطرس حبيقه

٤٨ ص متوسطة – المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ١٩٣٣

هو الجزء الاول من ترجمة غبطة البطريرك انطون بطرس عريضه ، جرى فيه المؤلف على طريقته في ترجمة حياة المثلث الرحمات البطريرك الحويك . فذكر في هذا الجزء ماجريات السنة الاولى منذ انتخاب البطريرك الحالي ، مختصراً حياته السابقة ، ذاكراً ما اتصف به من صفات الزعامة والعناية بالشؤون الخاصة والعامة ، وما كان من العلاقات بينه وبين فرنسة ، وبينه وبين ابنائه المقيمين والمهاجرين . مع نماذج من كلامه .

* بشري مدينة المقدمين * ٣٤ ص . متوسطة ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ١٩٣٢ – هي الاسانيد التاريخية والتقليدية التي نشرها حضرة الخوري اغناطيوس جعجع على صفحات « المشرق » في سنته الثالثة ، جمعها على حدة وقدمها الى صاحب الغبطة البطريرك الماروني .

* مكتبة العرب * ٤٧ شارع الفجالة ، مصر – فهرس السنة الثامنة والعشرين من قائمة المطبوعات والكتب الموجودة في مكتبة العرب لصاحبها الشيخ يوسف توما البستاني . وهو مبوّب تبويباً حسناً مذكورة عناوين اقسامه باللغتين العربية والفرنسية – يُرسل مجاناً لمن يطلبه .

اهم حوادث الشرق في شهر

١٥ ك ١ ١٩٣٢ — ١٥ ك ٢ ١٩٣٣

لبنان وسورية — توفي البطريرك ارسانيوس حدّاد ، منتخب اللاذقية على طائفة الروم الارثوذكس . وتمّ اتفاق السادة المطارنة على المناداة بالسيد الكسندروس طحّان ، منتخب دمشق ، بطريركاً .

* وصل المفوّض السامي ، السيد هنري بونسو ، في ٦ ك ٢ ، عائداً من جنيف بعد ان القى بيانه السنوي امام لجنة الانتدابات في جمعية الامم .

* منع التعامل بالنقود الفضية التركية في سورية .

جبل الدروز — اجرى الاحصاء مؤخراً فكانت النتيجة ان سكان الجبل يبلغون ٦٤,٥٤٠ منهم ٣٣,٥٦٤ من الذكور و٣٠,٩٧٦ من الاناث . ويبلغ عدد الذكور المتعلمين ١١,٧١١ وعدد الاناث المتعلمات ١٠٤٧ . اما عدد الدروز فيبلغ ٥٥,٤١٨ وما تبقى فمن الطوائف المختلفة .

مصر — افتتح البرلمان دورته الجديدة في ١٥ كانون الاول

* عدّل اسماعيل صدقي باشا وزارته على شكل يوافق الظروف الحاضرة .

تركية — وجه مصطفى كمال باشا رسالة الى الشعب اليوناني بمناسبة عيد الميلاد نوّه فيها بالصداقة الوثيقة بين تركية واليونان .

جزيرة العرب — ملخص اخبار عسير ، عن طريق المملكة السعودية ، ان الثوار اصيبوا بالفشل في مواقع كثيرة .

المطبعة الكاثوليكية المدير المسؤول : يوسف ماهر

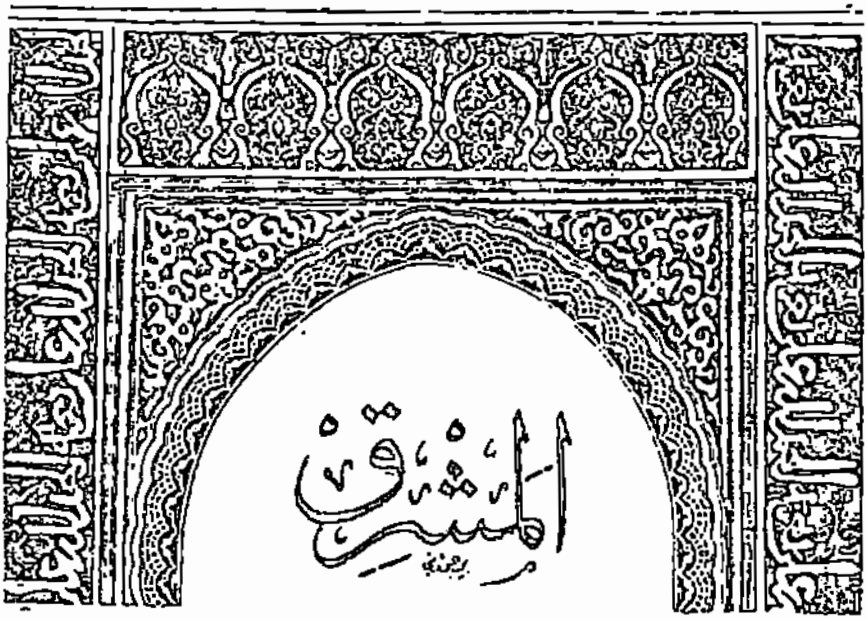

السنة الحادية والثلاثون — اذار ١٩٣٣

المجازفة بالارقام في التاريخ

بقلم حبيب زيات (اقالون : فرنسة)

توطئة

لا يجهل احد ممن عانى درس ماضي الديار الشرقية ما في استطلاع اخبارها من العقبات والآفات ، وما في معارضة روايات النقلة لها من التناقض مراراً والخلاف ، فضلاً عما هنالك من النقص والتقصير في التدوين والايام وقلة التحقيق . وقد قُدّر لفن الحديث من تفرغ لنقد رجاله ونبه على ما فيه بالنسبة اليهم من صحيح ومرجوح ، واختار ما وقع اكثر الاجماع عليه . ولذلك لما اراد الرشيد ضرب عنق احد الزنادقة قال له الزنديق ، فيما رواه ياقوت : « اين انت من الف حديث وضعتها على رسول الله وما فيها حرف نطق به ! » قال الرشيد : « اين انت ، يا عدوّ الله ، من ابي اسحاق الفزاري وعبد الله بن المبارك ينخلانها نخلاً ويخرجانها حرفاً حرفاً ! »[1] . واذا ثبت حقاً ان

١) ارشاد الاريب ١ : ٢٨٥ (طبعة سنة ١٩٠٧) وفي الاصل : « ينحلانها نحلاً » بالحاء

الحديث نُخل وفُلي تفلية أتت على كل ما وُضع فيه، فلشؤم الطالع لم يقم الى اليوم من ينخل التاريخ ويعارض اقواله المتضاربة وينقدها نقد الصيرفي الجهبذ ويحتفظ بالجيد والراجح . وقد غفل عن هذا الواجب كل من تصدى للتدوين والتأليف حتى القادة من الكتبة المعروفين بالنزعات العصرية . فلا بد للشرقي الراغب في الوقوف على اخبار بلاده ، على وجه التحقيق ، من الاعتماد على ما ثبت منها في كتب النُقاد الغربيين .

واحقّ ما في التاريخ الشرقي بالنقد والتزييف ، واحوجه الى النخل والتصفية، هذه الاحصاءات والارقام التي اغرب المؤرخون بنقلها على علاتها في سياقة الحوادث وتقدير الوقائع ، وارسلوها على عواهنها دون اقل نظر او استرابة لها . ولم يكتفوا بالتقليد والنسخ . بل تباروا في المبالغة والتهويل حتى ربما بلغت زيادة الواحد على الآخر اضعاف الاضعاف ، بل تجاوز الكيل فيها حدود المئين الى الآلاف . والامثال على هذه المجازفات وافرة جداً ، فلا بد من الاقتصار منها على مختارات يسيرة مما هو اقرب متناولاً واعلق بذهن المطالع . نوردها دون تتبع واستقراء لكل ما فيها من الاقوال المتضاربة مجتزئين منها بما هو ادلّ على المراد ، واوضح لما في طريقة النقل والتقليد التي اتبعها الرواة في الشرق من التهور وشدة الغفلة والتخليط ، كما سبق ونبّه على ذلك حضرة الاب لامنس، حجّة التاريخ الشرقي ، في مقالته « الانتقاد والدروس التاريخية »[1]

بناء مسجد المدينة

اقدم من ذكره من الاخباريين البلاذري في فتوح البلدان . قال بعد ان حكى امر الوليد بن عبد الملك الى عمر بن عبد العزيز عامله على المدينة بهدم المسجد وبنائه : « وبعث اليه بمال وفسيفساء ورخام وثمانين صانعاً من الروم والقبط » .[2] دون ان يضبط مقدار المال ولا احمال الفسيفساء . ولكن معاصره

المهملة ، وهو تصحيف .

١) المشرق (٣٠ [١٩٣٢] ص ٦٦٤–٦٧٢)

٢) طبعة مصر سنة ١٩٠١ ، ص ١٣

اليعقوبي[١] ، ومن بعده الطبري[٢]، وابن الاثير[٣]، ومن نقل عنهم جعلوا المال مائة الف مثقال ذهباً ، والصناع مائتين ، واحمال الفسيفساء اربعين . وزعموا ان الوليد استعان بملك الروم لاستحضار كل ذلك من القسطنطينية ، مما ليس هنا محل نقده . وكأن «الاربعون حملاً» لم تكن تكفي مثل مسجد المدينة فزاد عليها الطبري احمالاً اخرى مما امر الوليد بجمعه من الابنية القديمة . واضاف ابن الاثير الى فعلة الشام صناع الروم البيزنطيين . ورأى ابن خلدون ان مائتي صانع من الروم لا يفون بقدر المسجد فنبّه على ان الوليد « استكثر معهم من فعلة الشام »[٤] وخالفهم ياقوت الحموي في احصاء المال فحطّ منه ستين الفاً وجعله اربعين الف دينار فقط[٥]. وجاء صاحب «العيون والحدائق» فرد المائة الف دينار الى نصابها ، وقرن معها حباً بالتسوية وتعظيم شأن المسجد « مائة الف صانع » قال بعث بهم ملك الروم[٦] . فاصبح الثمانون صانعاً من رواية البلاذري مائة الف بفضل المخيّلة الشرقية .

بناء مسجد دمشق

لا نعلم احداً روى حضور صنّاع الفسيفساء من القسطنطينية لدمشق قبل الحافظ ابن عساكر ، وهو من اهل القرن السادس للهجرة . وعنه نقل العمري والمقريزي والكتبي وسائر المؤرخين . وفي زعمه ان الوليد بعث ايضاً الى ملك الروم ، كما فعل من اجل مسجد المدينة . ولكنه هذه المرة ابرق في خطابه وارعد ، وتوعّد وتهدّد بتخريب الكنائس وتعفية آثار الروم ان لم يرسل الملك الرخام والفسيفساء ومائتي صانع . قال ابن جبير « فامتثل الملك امره مذعناً . » ولكن ابن جبير لما زار دمشق استنزر هذا العدد من الصناع بالنسبة الى

١) تاريخ اليعقوبي (طبعة ليدن) ١ : ٢٤٠
٢) تاريخ الرسل والملوك (طبعة ليدن) ٢ : ١١٦٤
٣) الكامل (طبعة مصر) ٤ : ٢٠٢
٤) العبر ٣ : ٦٠
٥) معجم البلدان (طبعة ليبسيك) ٤ : ٤٦٦
٦) طبعة ليدن ، ٣ : ٥

اعجوبتها الكبرى فرفعه دفعة واحدة الى « اثني عشر الفاً . »[1] وتابعه ابن بطوطة[2] . واقبل محمد بن ابي بكر السمرقندي فصحح هذا العدد ايضاً في كتابه «تاريخ البلدان» وجعله « اربعين الفاً »[3] . . . لا غير . وهو في الحقيقة قليل في جنب مائة الف مسجد المدنية .

قتلى اهل معرة النعمان في حصار الصليبيين سنة ٤٩١ للهجرة

حكى « صاحب النجوم الزاهرة » ان في هذه السنة « وردت الاخبار الى بغداد ان الفرنج ملكوا انطاكية وساروا الى معرّة النعمان في الف الف انسان »[4] . . . (اي مليون) واورد قبلاً عن ابي المظفر سبط ابن الجوزي انهم « نزلوا اليها فقتلوا من اهلها مائة الف انسان وسبوا مثلها . »[5] فتكون من ثم جملة القتلى والسبي مائتي الف من بلدة نظير المعرة . وليتنا نعلم كم كان ابو المظفر يقدّر سكانها . وذهب ابن الاثير الى انهم « قتلوا ما يزيد على مائة الف »[6] . واختارت « مجلة المجمع العلمي » بدمشق هذا الاحصاء على ما فيه من الغلو والشطط[7] . واصرّت عليه حتى بعد ان نبهتها مجلة « المشرق » الى ما فيه من الخطإ والمجازفة[8] . ولما ظهرت « خطط الشام » ورد فيها هذا التقدير على علّاته بحجة انه وارد في اكثر الروايات (ج ١ : ص٢٨١) ولم تؤيد زعمها باقلّ اسناد او مراجعة للمصادر التي اعتدّت بتسميتها في مفتتح الكتاب . وكان بين هذه المخطوطات التي زعمت انها صدرت عنها كتاب « زبدة الحلب في تاريخ حلب » للصاحب كمال الدين ابن العديم رقم ١٦٦٦ من خزانة باريس . وهو

١) رحلة ابن جبير ، ص ٢٦١
٢) رحلة ابن بطوطة (طبعة باريس) ١ : ١٤٨
٣) وقفنا على هذا المخطوط في خزانة الاستاذ عيسى افندي المعلوف
٤) النجوم الزاهرة لابن تغري بردي (طبعة امريكة) ٢ : ٢١٨
٥) الكتاب نفسه ، ص٢٠٢-٢٠٣
٦) الكامل (طبعة مصر) ١٠ : ١٢٢
٧) السنة التاسعة (١٩٢٣) ص ٢٧٦-٢٧٧
٨) المشرق (٢٠ [١٩٢٢] ٩٧٢) و(٢٣ [١٩٢٥] ٥٦١)

اجدر ما كان يجب ان يراجع في تحقيق قتلى المعرة. لان مؤلفه كان اعلم اهل زمانه بالتاريخ وايام الناس، وادراهم بما حدث في جوار بلده من الحروب والوقائع، لاطلاعه على ما في خزائن حلب واخبار مملكتها ايام وزارته. وكان مقرباً الى ملوكها، ترسل عنهم مراراً كثيرة الى الخليفة في بغداد. وقد اثنى عليه ابن شاكر الكتبي ثناء جماً، ووصفه بما كان منطوياً عليه «من الديانة الوافرة والتحري في اقواله وافعاله.»[1] ومن طالع كتابه المذكور يعجب من قلة اللغو فيه وكثرة فوائده، وتعويله في سياقة بعض اخباره والتوثق منها على شهادة بعض الآثار والتفرد بما لم يتقدم لاحد قبله ألفة به. ولذلك حرص احد علماء المشرقيات المسيو بلوشه على نقله الى الفرنسية والتعليق عليه. وهذا نص ما كتبه في كلامه على الصليبيين وحصارهم المعرة قال:

«وصلوا الى معرة النعمان الليلتين بقيتا من ذي الحجة في مائة الف وحصروا معرة النعمان في سنة اثنتين وتسعين. ودخلوا البلد بعد المغرب ليلة الاحد الرابع والعشرين من محرم سنة اثنتين وتسعين واربعمائة... ومالوا على الناس وقتلوا منهم خلقاً وسبوا النساء والصبيان. وقُتل فيها اكثر من عشرين الف رجل وامرأة وصبي.» (ص ١٢٤)

وشتان بين هذه العشرين الفاً وبين مائة الف سبط ابن الجوزي الذي نقل عنه ابن الاثير. وكان مثل الصاحب كمال الدين ابن العديم احق بالاخذ عنه والاستناد اليه من سبط ابن الجوزي الذي نبّه الامام الذهبي على مجازفته في ما انتقده عليه من رواياته، ومن سائر نظرائه في التهوّر وقلة التحقيق كاحمد بن علي الحريري في كتابه «الاعلام والتبيين في خروج الفرنج الملاعين على بلاد المسلمين» (رقم ٢٢٣٤ من خزانة باريس ص ١١٨)

قتلى بغداد في حصار هولاكو سنة ٦٥٦ للهجرة

لم يبقَ احد من الاخباريين لم يكتب شيئاً عن هذه النكبة العظمى التي كانت ايضاً نكبة العلم. وقد تبارت الاقلام والخواطر في تقدير القتلى فيها.

١) العشرون من عيون التواريخ، من الخزانة التيمورية، ص ٢٢١

واقل احصاء وقفنا عليه للامام كمال الدين ابن الفوطي ، وهو من اهل بغداد وبالتالي ادرى بما كان في بيته . وهذا نص كلامه قال:

«قيل ان عدة القتلى ببغداد زادت عن ثمان مائة الف نفس عدا من ألقي من الاطفال في الوحول . ومن هلك في القنى والآبار وسراديب الموتى جوعاً وخوفاً»[1]

ومعلوم ان مثل هذه التقديرات لا تكون الا على سبيل الحدس والتخمين ، فلا تخلو قط من المبالغة والمجازفة . وقد تتابع المؤرخون على اثر الفوطي في الاحصاء ، والقى كل منهم دلوه في الدلاء ، وجاؤا بكل غريبة وعجيبة . وقد نقل ابن شاكر الكتبي عبارة الفوطي بالحرف الواحد في جزء بخط يده من كتابه « عيون التواريخ » اطلعنا عليه في الخزانة التيمورية . ويظهر انه بعد ان انتهى من هذا النقل وقع له تصنيف آخر فيه تقدير ابلغ ، فعلق على هامش نسخته بعد قول الفوطي «زادت على ثمانمائة الف» ، بين كلمتي « على » و«ثمانمائة» ، عددي « الف الف » بقلمه ، بحيث صار مجموع القتلى « الف الف وثمانمائة الف » اي بزيادة مليون جملة واحدة . ثم وجد بعضهم ان هذا القدر لا يكفي لبيان ما حل ببغداد بهذه النازلة الكبرى من الويل والبلاء فاضاف نصف مليون آخر واصبحت الجملة ٢,٣٠٠,٠٠٠ قتيل .

واتسع المجال بعد ذلك لسباق الاقلام بين زيادة ونقصان حتى ضاع على السامع الحساب ، وأوصد في وجه التحقيق كل باب . وهذا المثل من ادل الامثال على ما في كتب التاريخ والاخبار عندنا من الفوضى والتخليط . فلا بأس ان نورد هنا بعض هذه الاحصاءات الطائشة مع ما بينها من الاختلاف الفاحش والبون الشاسع :

تاريخ ابن كثير رواية الطبراني : وقد اختلف الناس في كمية من قتل ببغداد من المسلمين . فقيل ثمان ومائة الف . وقيل الف الف وثمانمائة الف . وقيل الفي الف نفس .

(خزانة باريس رقم ١٥١٦ ، ص ٧٥)

---

١) تاريخ بغداد المعروف باسم « الحوادث الجامعة» من الخزانة التيمورية ، رقم ١٣٨٣ ، ص ٢١٨

فوات الوفيات لابن شاكر الكتبي: قال الشيخ شمس الدين الذهبي ..راح تحت السيف أمم لا يحصيهم الا الله تعالى فيقال انهم اكثر من الف الف.
(ترجمة المستعصم ١ : ٣٠٤)

العبر لابن خلدون : يقال ان الذي أحصي فيهـا من القتلى الف الف وثلثمائة الف.
(٥ : ٥٤٢)

غربال الزمان مختصر من تاريخ عبدالله بن اسعد اليافعي : بلغ عدد القتلى الف الف وثمانمائة الف وكسرًا
(خزانة باريس رقم ٦٧٢٧ ، ص١٥٥)

السلوك لمعرفة دول الملوك للمقريزي: وامر هولاكو بعـدّ القتلى فبلغت نحو الالفي الف قتيل.
(خزانة باريس رقم ١٧٢٦ ، ص١٢٧)

تاريخ حوادث الزمان وابنائه للجزري : كان عدد القتلى في هذه الواقعة من الفريقين ما يزيد على الفين الف وثلاثمائة الف انسان ما بين ذلك من نساء ورجال وصغار.
(خزانة باريس رقم ١٦١٦ ، ص ١٣٩)

الجوهر الثمين لابن دقاق : قيل ان عدة من قتل ما يزيد على الفي الف وثلثمائة الف وثلثون انسانًا.[1]
(الخزانة التيمورية رقم ١٤٩٢ ، ص ٦٤)

تاريخ الخلفاء والملوك لابن الفرات : قيل ان عدة من قتل ببغـداد ما ينيف على الفي الف وثلثمائة الف وثلاثين الف نفس.
(خزانة الفاتيكان رقم ٧٢٦ ، ص ٣٠)

وهلمّ جرًّا من نظائر هذا الخبط والخلط التي لا يكاد يتبرأ منها كتاب في الاخبار والتاريخ.

١) اعجبْ بهذه الـ « ثلاثون انسانًا » تأتي في سياق الملايين ومئات الالوف . فلله درّ المؤرخ ما اشدّ تدقيقه ! [المشرق]

من تاريخ الرهبانية اللبنانية

النسك والنسّاك في لبنان

بقلم الاب انطونيوس شبلي اللبناني
رئيس انطوش جبيل

١

سلسلة شهادات

نشأت حياة النسك في جبل لبنان من عهد قديم اي بين القرن الرابع والخامس[١]، ولا تزال اطلال بعض مناسكه قائمة الى الآن كاصدق دليل على ذلك، كان يقطنها الرهبان والمتوحدون عاكفين على اعمال الزهادة والعبادة.

قال العلّامة الاب هنري لامنس اليسوعي :

« من المنازل التي احتلّها في العهد القديم نسّاك لبنان وادي قزحيا والقاديشا . وبقايا العيشة الرهبانية ظاهرة فيها حتى الآن صبرت على الايام وتقلّبات الدهر . . . وكان بعض الرهبان يفضّلون العزلة التامة فيعيشون منفردين في مغاور متفرّقة في جانبي الوادي منحوتة في صخوره تجري منها ينابيع صافية ويحدق بها النبات وكلّها غاية ما يُرام لعيشة العبّاد » (٢

وهذا دير قنّوبين كان حافلًا بالرهبان والحبساء الى ان أقام فيه البطريرك يوحنا الجاجيّ، هرب اليه من دير سيدة ايليج (ميفوق) سنة ١٤٤٠ بسبب الاضطهاد الذي ضايقهُ فاخلى لهُ الرهبان دير قنّوبين وانتقلوا الى دير قزحيا[٣] . وقد كثر عدد المناسك والنسّاك في لبنان من القرن الرابع عشر وصاعدًا، وثمّ عرفُ فضلهم في أرجائه حتى استأهل بعضهم ان يُرقوا الى درجة الاسقفيّة، فالبطريركيّة، ولبثوا محافظين على نظام حياتهم النسكيّة الاولى على ما روى العلّامتان الدويهي وغودار.

١) الاب لامنس في كتابه تسريح الابصار، كما سيأتي.
٢) الكتاب المذكور : ص ١١١
٣) الاب يوسف غودار اليسوعي في كتابه الفرنسي « مريم في لبنان »

وكانت مجابس هؤلاء الحبساء غالباً إمّا في بطون الاودية او محفورة في قلب الصخور العالية ، وهي أشبه باوكار النسور ، يتعذّر على المرء الصعود اليها بسهولة. وكأنّ مناظر أودية لبنان ووهاده وقمم جباله المرتفعة كانت من أقوى البواعث على اعتناق الحالة النسكية.

« فان وعورة ضفاف نهر قاديشا المنبجس في سفح جبل الارز استمالت قلوب النسّاك الى الزهد والوحدة ، فعاش اكثرهم في كهوف محفورة في قلب الصخر يُرى بعضها حتى اليوم مستوياً استواء عمودياً فوق وهاد مرعبة يعزّ الوصول اليها »(١

ومما يدلّك على ضيق حياة النسّاك في وادي قاديشا ما قالهُ الاب بتيكوه (Petitqueux) اليسوعي :

« في تلك الصخور مغاور وكهوف كانت قديماً صوامع متوحّدين عديدين اختاروا عيشة الانفراد وتحمّلوا شظف العيش ومارسوا التوبة المتواصلة الشاقة . انّ دموع هؤلاء النسّاك كانت السبب لتسمية نهر قاديشا المنبجس من جبال لبنان بالنهر المقدّس . وانّ منظر كهوف ونهر في قفر مخيف لمثيرٌ في الغالب عوامل الانسحاق والتوبة والشفقة على نفوس شهوانيّة عالميّة تفضّل لذة ايام وفرحها على ابديّة سعيدة . »(٢

وقال العلّامة السيد ميسلن في سياحته الى لبنان :

« لا شيء يوازي المظاهر الدينية السائدة في وادي قاديشا : تنعم مدائح الله في اسفل الارز ، حراثة تلك الجبال التي نشبت فيها حروبٌ عديدة للمحاماة عن الايمان ، التجوال على شاطئ نهر قاديشا الضاحكة مشاهده حيناً والعابسة حيناً آخر ، في المغاور العميقة ملجأ طغمة من الشهداء ، دروس تاريخ جدودهم وثباتهم في تلك المعالم المتربة وفي تلك العظام المتكسّرة هي شغل المتوحّدين القاطنين الى الآن في ذلك الوادي . تلك سعادةٌ احسدهم عليها . فيا سعد من يخوّله الله هذه الدعوة ! فانهم كموسى يعلّون على الجبل ، بينما الاخرون يحاربون في السهل . »

ولله درّ فرحات حيث قال :

لهفي على زمنٍ مضى مع إخوةٍ في البادية !
في ذلك الوادي الذي الأفراحُ فيه وافيه !
فكأنهُ لي جنّةٌ ، وبه قطوفي دانيه ،
فيه النفوسُ امينةٌ ، وبه الملائكُ واقيه .

---

١) ريستلهوبر : « تقاليد فرنسة في لبنان » ، الترجمة العربية للاب عبّود ، ص ١٢

٢) مجموعة الوثائق للارساليات اليسوعية في الشرق : (*Nouveaux mémoires des Missions de la Compagnie de Jésus dans le Levant*, IX 1724)

تهتزُّ لي أغصانهُ نكأنما بي هـازه ،
والريح تنقـلُ بيتنا أخبارهُ كالواشيـه .
فيه السواقي جاريه ، ليس الجواري ساقيه .
ورياضه كزهوره غضي، وأخرى راضيه .
يا ايها الوادي الذي فيه الفضائل راقيـه ،
قد ضمَّ من رهبانهِ من كلّ قسٍ غاليه ،
يُشجيك بالاسحار صو تُ زبورهم بالقافيه ،
يغنيـك لحنُ صلاتهم من حُسن صوت الغانيه(١

وقد ابدع بشعره بوصف الوادي المقدَّس اذ قال ايضاً :

أحنُّ الى الوادي المقدَّس رغبةً اليـهِ فرآهُ لعيني يُبهجُ ،
يمرُّ بـه ذاك النسيمُ معطَّرًا بازهاره ، وضيـاؤهُ متبلّجُ
تردّى بثوبٍ من زهورٍ بديعةٍ يـهمُّ منها طرازٌ مُدبّجُ ،
به الوردُ محمرٌّ ، وآخر أبيضٌ ، وأخضرهُ يزرقُّ منهُ البنفسجُ ؛
تراهُ كطاوُوسٍ تجلّى ، ورأسهُ بألوان باريهِ العزيز متوّجُ .
ترى لحرير الماء في أرجائـه كأرغن شادٍ صوتهُ يتلجلجُ ،
يجول على بسطٍ من الروض سُندُسٍ ، وحصباؤهُ كالدرّ تزهو وترهجُ .
حمتْ فيه أفنان الاراكة طائرًا يُغرّد في أغصانها ويُهرّجُ ،
وردّت أكفُّ الدَّوح عنهُ ظلها أشعّة شمسٍ عن حماهُ تعرّجُ .(٢

قد اشرنا في مقالٍ مضى(٣ الى انَّ كلَّ دير من اديار هؤلاء الرهبان والحبساء كان منفردًا مستقلًّا عن غيره ولا علاقة لهُ بالآخر . وللاسقف المكاني سلطان على تلك الديورة في ولايته(٤ بحيث كان يُلبس طالب الترهُّب الثوب الرهباني ويبقيه في محله بعد قضائه مدَّة الامتحان الاولى . ولم يكن لهم قانون خاص يتقيدون باحكامه ولا ينذرون نذرًا صريحاً علنيًّا ، بل يجرون على تعاليم كتاب يوحنا السلّمي وبستان الرهبان والقديس انطونيوس الكبير(٥ ، وغلب على تسميتهم باسم الرهبان العبّاد . وظلّت شائعة هذه الطريقـة الى حين تأسيس رهبانيتنا

١) الديوان : ص٤٦٩ وما يليها .
٢) الديوان : ص١٢١–١٢٢
٣) المشرق (٣٠ [١٩٣٢] : ٨٠٤)
٤) المجمع اللبناني : ب٢ ، عدد ٢ ، ص ٤٦١
٥) مذكرات الاب قرالي ، ج ١ ، من تاريخ الرهبانية .

اللبنانية . ولمّا ثبتت قدمها وانتظم حالها رغب بعض ابنائها في حياة العزلة التامة ليتسنى لهم الالتصاق بيسوع المسيح على نوع أكمل. واليك ما كتبه بهذا الصدد الاب قرا علي في مذكراته الثمينة :

« في سنة ١٧١٦ تحرّك قلبُ بعض الرهبان الكهنة لطلب السكوت والانفراد . وهذه كانت شهوة المرحوم القس يوسف البتن فطاوعتهم على ذلك وافردهم الى مكان في وادي قزحيا يُعرف بنبتا . وكان عددهم اثنين واسمهما الواحد انطونيوس ، وهو شيخ ويعرف بابن مبارك، والاخر شابٌ ويُعرف بابن شوشان ، وضيّقتُ عليهما القانون أكثر مما في الدير، وسلّمتُهما الكرم الذي هو أمام محابسهما ليعملا ويقاتلا الضجر ، وميّزا لهما قلّاية جعلاها كنيسةً على اسم مار بولا اول المنفردين . . . »

وروى الاب توما البوديّ عن الاب انطونيوس الدلبتاري هذا الحبيس :

« انه جاهد في هذه المحبسة جهادًا هذا مقدارهُ حتى من سيرته تيقّنت الرهبان عن جهاد الاباء الاقدمين وعن الحبساء الاولين وجهاداتهم » (١)

على اننا لم نجد في روزنامة دير قزحيا اسماً لهذا الحبيس الذي ذكره قرا علي والبودي واول حبيس ذكر فيها هو الاب انطونيوس الباني.

وكتب الاب جبرائيل فرحات عن وفاته ما نصّهُ :

« انهُ في سنة ١٧٢٥ انتقل الى رحمة الله . وقد كان حبيساً في وادي قزحيا وهو اول حبيس توفي من هذه الرهبانية بعد ان أقام في المحبسة عشر سنين قضى منها ستاً يلازم محل اليد خارج القلّاية في الاوقات المبيّنة في القانون الذي رتّبه المطران عبدالله منئ هذه الرهبانية . واربعاً أقام حابساً نفسهُ حبساً تاماً لا يخرج من غرفته الا لتقدمة الاسرار الالهية »(٢)

وزادت روزنامة دير قزحيا : انهُ عرف ساعة موته قبل يومين . ومات وله من العمر نحو ٤٠ سنة في ٤ كانون الاول برئاسة الاب جرجس القشّوع على الدير.

. . .

ولم تكن حياة النسك في الاديار باقلّ ازدهارًا مما هي في المحابس . فمن طيّات ثياب الرهبان الخشنة كانت تنتشر روائح التزهّد والتعفّف ، وتسري الى الآذان اخبار صلاتهم وصيامهم وزهدهم . وكلما ازدادَ عددهم ازدادوا عكوفاً على ضروب العبادة واعمال الزهادة ، وهم متحصّنون في حصون اديارهم

---

١) ترجمة قراعلي للاب البودي (المشرق ١٠ [١٩٠٧] : ٢٣٦)

٢) تاريخ الرهبانية لفرحات.

يحيون في انفرادهم حياةً هادئة مطمئنة لا أنيس لهم ولا جليس سوى القربان الاقدس المحتجب فيه يسوع المسيح ، فيطرحون على أقدامه همومهم وانصابهم فينفّس كربهم ويبدّد حزنهم ويُدخل الى نفوسهم التعزية والسلوى ، فيستعيد عزمهم القوّة والنشاط لمتابعة الكفاح والجهاد.

واليك بعض ما كتبهُ عنهم الاب بتيكوه المرسل اليسوعي حين زارهم في دير القديس اليشع في سفح الوادي المقدّس سنة ١٧٢١ :

« يقضي هؤلاء الرهبان سنتين في التجربة ، لا يأكلون اللحم ابدًا ، والفقر لامعٌ في ملابسهم ، يتمّمون الصلاة نصف الليل وقد حضرناها عندهم ثلاث مرّات . وكانت لنا خير قدوة حشمتهم في الكنيسة وحرارتهم في الصلاة . يصرفون قسمًا من نهارهم في حراثة الارض وفي الاعمال الخدميّة . . . ويبذلون في حفظ فرائضهم ، ولاسيما فريضتي الصمت والصوم الشاق ، منتهى الدقّة ، ويندر ان يروا الناس . . . وهم وحدهم يستحقّون اسم الرهبان . »(١)

وبالرغم من حياتهم الضيّقة ازدحم طلّاب الترهّب على ابوابهم من لبنان وحلب والشام وسائر الانحاء ، ومن غيرابناء الطائفة ، كالروم والارمن والسريان والملكيين واللاتين ، منضمّين تحت تدبير قانونهم وأُسندت اليهم رئاسة الديورة ووظيفة المدبّريّة والنيابة والرئاسة العامّة ، ورقّي بعضهم الى درجة الاسقفيّة كالمطران ارسانيوس عبد الاحد السرياني الاصل.

وكيف يتسرّب الفشل الى صفوفهم وتخمد نار همّتهم وآباؤهم المؤسّسون قراعلي والبتّ وفرحات ينفخون في ضرامها ويواصلون الاهابة بهم للتقدّم الى الامام في الجهاد النسكي ، رافعين امامهم رايتهُ في معارك الحياة ، متنافسين جميعاً في قهر أميال النفس بأقصى درجات التقشّف ، ومزاولين عمل اليد زجرًا لشيطان الضجر ، قانعين ببساطة عيشتهم في هذا الجبل المقدّس . ويعود الفضل كلّهُ باحياء الحياة النسكيّة في ربوعنا الشرقية على طريقة منظّمة الى هؤلاء الآباء ، وبالاخص الى مقدامهم الحبر القدّيس المطران عبدالله قراعلي الذي نمت في تربتها هذه الرهبانية غرسة يده وانبثقت فروعها مثقّلة بثمار البرّ والتقوى اللذيذة . وقد أصاب العلّامة المرحوم الخوري يوسف مارون الطرابلسي بما قالهُ

١) مجموعة الوثائق المذكورة .

عنهم. وعن مناشئهم السيد عبد الله في مخطوطته[1] وهو :

فله درُّ فروعٍ جودٍ أفرعت من ذلك الاصل الكريم الجيّدِ ،
طابت روائح نسكهم فكأنهم مسكٌ يفوحُ بصدر هذا السيدِ .

بعض النساك من الرهبانية اللبنانية

لا يزال الى اليوم ، بعد قسمة الرهبانية ، روح النسك متجدّدًا في رهبانيّتنا البلدية اللبنانية ، كما تشهد بذلك حياة من تفرّدوا بـه الى أبلغ حدّ في ضيق العيش وشظفه ، مقتفين آثار سلفائهم من الآباء والجدود ، سواء أسكنوا في الديورة ام في المحابس . ويضيق بنا المقام ان جئنا نعدّدهم جميعاً ولكن لا نرى بدًّا من ذكر بعضهم .

كتب الشاب الاديب الفاضل يوسف ابي كرم في مقدّمته على حياة الابرين الحوديني وشربل التي نقلها الى الفرنسية ما ترجمتهُ :

« من جال اليوم في لبنان ونظر الى الاديار العديدة المكلّلة هام تلالـه العالية المرتفعة كالمنائر تثير عقول المؤمنين نشأت فيه عواطف التقوى والفضيلة وتحقّق ان الحياة الرهبانية لم ينقصها شيء من اهميتها الاولى ورونقها القديم . فكثيرٌ من الحبساء والنسّاك اشتهروا في هذه الرهبانية اللبنانية المارونية وجعلوا لهم صيتًا بعيدًا بقداسة حياتهم »[2]

ذكرنا انَّ اول محبسة تشيَّدت في بدء تأسيس الرهبانيـة هي محبسة ديرنا قزحيا . ثمَّ انشأت فيما بعد رهبانيتنا المحابس في جانب بعض اديارها كمشموشة ، وميفوق ، وحوب ، والقطّاره ، وعنّايا ، وطاميش ، وكفيفان ، واهلت ولا يزال اكثرها آهلًا بالحبساء الافاضل المجاهدين فيها جهاد ابطال القديسين بالاكباب على الصيام والصلاة واذلال الجسد بالاماتات المتنوّعة ، والاقتصار على تناول بعض الحبوب والثمار والبقول المسلوقة المتبلة بالزيت ، لا يذوقون اللحم البتة ولا ما يتنعّم به أولي السعة والرخاء من المآكل والفواكه الطيّبـة . فاكسبتهم هذه العيشة القشفة صحة وسلامة لابدانهم وصفاء ونورًا لاذهانهم فعمّروا طويلًا وندر من لم يبلغ منهم في سنه الثمانين والتسعين او نيّف .

---

١) الرسالة السنيّة في الرهبانية اللبنانية ، ردّ عز الشماس عبدالله زاخر الحلبي الشهير .

٢) *Deux Religieux Maronites*, Paris, 1923

ويروقنا ان نشير هنا الى ان السيد بوصويت الخطيب الشهير نسب انحطاط الناس الطبيعي والادبي الى ما يأكلونهُ من الاطعمة الدموية فقال : « ان الغذاء الذي كان للناس قبل الطوفان يتناولونه بلا عناء من ثمار الاشجار المتناثرة على الارض لهو ولا ريب بقيّةٌ من البرارة الاولى امّا اليوم فاننا نطلب الغذاء بإراقة الدم رغم ما ينشئ ذلك في نفوسنا من الهول الطبيعي. امّا ما نبذلُ من الجهد في تجويد الطعام وتكثير ألوانه والتأنق فيه فسبيلهُ لا يخفى علينا تماماً عندما نملأ به البطون من الجيف »

وتعطّرت ارجاء لبنان بأريج قداسة هؤلاء الرهبان والحبساء في اديارنا ومحابسنا المذكورة فعاشوا عيش الصدّيقين وماتوا ميتتهم.

امّا الذين قضوا الحياة في الاديار فالآباء : عمانوئيل الجميّل ، الرئيس العام. توفي بدير الكسلونيّة في ٣٠ ت١ ١٨١٠ . وكشف قبرهُ في ٢٧ ايلول ١٨١٣ ، فوُجد جسده سليماً من البلى والفساد . وقد نُقل الى دير سيدة طاميش[1] . والاب سرابيون الدليبه (بلاد المتن) عاش حافظاً رسوم القانون داخل الاديار ثلاثاً وستين سنة وانصرف الى جوار ربه في ١٤ آب ١٨٥٣ . وحنانيا التنُّوري ، ويوسف البكاسيني ، وانطونيوس الزوقي ، وجبرائيل البزعوني الذي اشتهر بعبادته لمريم العذراء ، وجبرائيل الديراني ، واكليمنضوس التنُّوري ، وسبيريدون صفير الريفوني المتوفّى في دير مار روكس عجلتون في ٢ شباط ١٨٦١ ، ولا يزال الى الآن قبرهُ هناك مقصداً للزائرين وأجرى الله على يده بعض الكرامات. والاب مبارك حليحل ، الرئيس العام ، الذي توفاه الله اليه في دير مار ساسين بسكنتا في ١٦ آب ١٨٦٤ . وبولس وادي جزّين ، وعبد الاحد قيتوله ، واغناطيوس البيروتي المتوفّى في كانون الاول ١٨٧١ ، قال عنهُ الاب نعمة الله الكفري : « انهُ سار سيرة الاختلاء والورع والزهد في سنيه العشر الاخيرة . » ويوحنا الشرتوني الذي احتمل داء الجذام بصبر عجيب . واغوسطين الديراني ، وليباوس ابي سليمان المتيني ، وكاروبيم البكاسيني ، وحنانيا القبرسي ، ويوسف

١) راجع ما كتبناه عنه (المشرق ٢٧ [١٩٢٩] : ٥٠٧ وما يليها)

الغسطاوي ، وعمانوئيل الصفيني الذي لاقى ربّه في مدرستنا بصفين في ٢٢ ايار ١٨٨٢ ، وذكر الاب الكفري : « انهُ مات ميتة مقدسة كسيرته المقدسة الطاهرة المشهورة ولذلك أخذت الناس ثيابه بركة . » وارسانيوس البكاسيني توفي في ٥ ك ١ ١٨٨٣ في دير برسنين بعمر نحو ٧٠ سنة . كتب عنه الاب الكفري : « انه كان تقياً فاضلاً صام ٣٥ سنة يوم السبت على الخبز والماء للتاسعة اكراماً للسيدة العذراء . وكان موته بداء الاستسقاء ، وعرف يومه الاربعاء او السبت . فمات يوم الاربعاء الخاص بمريم عند الشرقيين ، وأخذت ثيابه بركة . » وبولس كفرحتنا رقد بالرب في دير كفيفان في ك٢ ١٨٨٦ ، وكان يرافق الاب الحرديني في بعض أسفاره ويعاونه في تجليد الكتب . قال فيه الاب الكفري : « انه تقي عابد بارّ في كل حياته . » ومبارك الرشماوي ، وكاروبيم البحرصافي . توفي في ٤ آذار ١٨٨٧ بسنّ مئة وسنتين ، وهو كاهن فاضل عابد . وروفائيل الحصروني ، ومبارك اده ، وبطرس البكاسيني المدبر المتواضع الطاهر الذيل ، وحنانيا الحصروني ، وليباوس القليعاتي ، ويوسف خرائب صبّاح ، ومخايل ابي سليمان المتيني ، ونعمة الله البلاني ، وقدس الاب لورنسيوس الشبابي الشهير بالتقى ، وبرنردوس التنوري ، واغناطيوس الفريديسي ، وابراهيم الخوري حاقل مات بداء الجدري في دير سيدة بصرما وقبرهُ هناك مزار ، وقد كرّمه الله بكرامات صنعها عن يده ، وقدس الاب نعمة الله الكفري المعروف بالعلم والفضل[1] ، واسطفان الكفيفاني .

ومن الرهبان الاخوة : نوهرا المتيني توفي ١٨١٧ بدير قزحيا ، اخبر عنه الاب الكفري : « انه حفظ نذوره بالتدقيق ولم يرقد الّا على قطعة من بساط شعر . » ولورنسيوس سقي لحفد ، ومخايل الطرابلسي ، ومرتينوس الغزيري ، وجراسيموس لحفد ، ومبارك الموصلي ، وباخس الباني المتوفى ١٨٧١ . وقد شوهد وقت نزاعه حمامة بيضاء ترفّ فوقه ، ويقول الاب الكفري ان بعض الشهود على ذلك احياء . ومبارك الدبيّة ، وارميا العكاري ، وتوما اده ، وروفائيل

١) سنضع نبذة في ترجمة كل من الاباء لورنسيوس الشبابي ، والكفري ، وابراهيم حاقل .

بقاعكفره ، مات مسنًا في دير قزحيا في غرّة ك ١ ١٨٦٤ ، وعُرف بالصلاح والصبر على الاوجاع والبلايا . ونعمة الله كور ، وسمعان العكاري ، وجراسيموس شموتي ، وانطون الدبنة ، وماتيا بشرّي ، ويوسف بقعتوته ، ويوسف عبدلي ، وعبد الله نون المشمشاني ، وعبد الله كساب القليعاتي ، لاقى ربه بدير سيدة نسبيه غوسطا في ٤ ايار ١٩٠٠ ، وله من العمر نحو ٨٠ سنة . وهو من الاخوة اللامعين بالتقوى في رهبانيتنا ، وقد بلاه الله بالكسح سنين طويلة ، فصبر على هذه البليّة صبر القديسين لا يشكو ولا يتمرمر ولا تفارق الابتسامة شفتيه . وكان سميره في حالته هذه الكتاب المقدّس يطالع فيه ليلًا ونهارًا شاكرًا الله في كل حين وحال .

وعندما بوشر عمار دير بكركي ، اقام المثلّث الرحمة البطريرك يوحنا الحاج في ديرنا نسبيه مدّة خمس سنوات ، فكان غبطته والسادة الاحبار يترددون كثيرًا على هذا الاخ الكسيح مستطيبين حديثه الروحي آنسين بخفّة روحه . وذكرًا لفضله وصبره امر البطريرك يوحنا ان يؤخذ رسمه فرسمه باليد الاستاذ المصوّر الشهير حبيب سرور ورسمه محفوظ في دير نسبيه . وقد قضى في دير قنوبين نحو ٤٠ سنة يخدم هذا الكرسي البطريركي .

وفي سجلات اديارنا اسماء كثيرين من الرهبان ذوي الفضل والتقى اضربنا عن ذكرهم اختصارًا ، وفاتنا كثير من امثالهم مكتفين بمن ذكرناهم وقد افادنا عنهم الاب المؤرخ الصادق الحميد العين والاثر نعمة الله الكفري في دفتر قداديسه الخطي ، وفي نبذته التاريخية بدير قزحيا التي نشرها في مجلة المشرق سنة ١٩٠١ صفحة ٨٧٧

وسنذكر ، في ما يلي ، شيئا عن اشهر المحابس في رهبانيتنا .

ابن عبد ربه و«عقده»

درس ادبي تاريخي

بقلم جبرائيل جبّور
احد اساتذة الادب العربي في جامعة بيروت الاميركية

٦

قيمة العقد التاريخية (تابع)

تشيّعه

وظاهرة أخرى نراها في العقد هي تشيّع صاحبه . ومن الخير ان نقيّد هذا التشيّع بنعتٍ فنقول : تشيّعه المعتدل . وغريبٌ ظهور مثل هذه النزعة في رجل من موالي بني امية الذين كانوا اكثر الناس بغضاً وكيداً لآل علي . وربما تزول دهشة الاستغراب من نفوسنا ، او يقلّ اثرها ، اذا عرفنا ان ابا الفرج الاصفهاني كان يتصل بنسبه الى بني امية ، الى مر ان الأخير ، ومع ذلك كان اكثر تشيّعاً لآل علي من ابن عبد ربه.

ولم تكن هذه النزعة عند ابن عبد ربّه من القوة او الشدة بحيث تظهر لاول وهلة في عقده . اذ قد تقرأ الفصول الطوال من العقد دون ان تشعر بها . ولعلّ غموضها هذا يفسر سكوت اكثر الذين ترجموا حياته عن ذكرها ، ويظهر ان هؤلاء لم يلاحظوها . غير اننا اذا قرأنا العقد وانعمنا النظر في هذه المواقف التي يذكر فيها علياً واولاده وآله نرى اثر هذه النزعة عنده ، وندر ان يذكر علياً دون ان يلحق الاسم «يرضي الله عنه» . ويذكر خبر النزاع بين عليّ ومعاوية فيورد قصصاً واقوالاً كثيرة احتجّ بها علي واهله على انهم اصحاب الحق ولا يذكر وجهة نظر معاوية وجماعته في امر هذا الخلاف بينهم وبين علي

وجماعته[1] . ويذكر روايات متعددة عن الحديث المنسوب الى النبيّ في ان عمّار بن ياسر تقتله الفئة الباغية — وقد كان عمّار هذا من القوّاد في جيش علي في واقعة صفين وقد قتل فيها — ويضيف الى ذلك ان معاوية لما بلغه قتل عمار والحديث النبوي « لا يقتلك اصحابي ولكن تقتلك الفئة الباغية » قال : « هم قتلوه لانهم أخرجوه . » غير ان ابن عبد ربه لا يسكت هنا بل يقول : « فلما بلغ ذلك علياً قال : « ونحن قتلنا ايضاً حمزة لاننا اخرجناه . »[2] ويسهب عند ذكره احتجاج علي واهل بيته في الحكمين[3]، واحتجاج علي على اهل النهروان[4] . كذلك يورد حديثاً نبوياً عند ذكر قتل علي ان قاتل علي من اشد الناس عذاباً يوم القيامة[5] . ويذكر خبر الاختلاف بين علي وبين عبدالله بن العباس فيورد روايةً تحمل على ابن العبّاس[6]، ويذكر خبر حبّ ابي سفيان لعليّ ونشره الدعوة له[7] . ويروي عن استاذه الخشني اخباراً في فضل الخلفاء الأوّل فيخص علياً بالقسط الاوفر[8] . ويخصص له في موضع آخر عند ترجمة حياة الخلفاء الراشدين باباً لذكر فضائله وذكر الاحاديث النبوية التي تستند اليها الشيعة في حقه[9] . ويذكر ان الامام الحسن البصري كان ينكر على عليّ الحكومة ويقول لم يزل علي امير المؤمنين، صلوات الله عليه، مظفراً مؤيداً بالنعم حتى حكم . ثم يقول: «ولم تحكم والحق معك الا تمضي قدماً لا ابالك .» ويعلق ابن عبد ربه على هذا الخبر بقوله وهذه الكلمة (اي لا ابا لك) وان كان فيها جفاء فان بعض العرب ياتي بها على طبق المدح ، ويورد امثلة على هذا[10] . ثم يذكر مدح الامام هذا لعلي عندما اتبه احدُهم ببغضه لعليّ فيقول : « فبكى حتى اخضلت لحيته ثم قال للرجل : « كان ابن ابي طالب سهماً صائباً من مرامي الله على عدوّه وربانيّ هذه الامة وذا سابقتها وذا فضلها وذا قرابة قريبة من رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، لم يكن بالنَّوَمة على امر الله ولا بالملولة في حق

١) ابن عبد ربه ٢ : ٢٩٢ و ٢٩٣
٢) ابن عبد ربه ٢ : ٢٨٦
٣) « « ٢ : ٢٩٢
٤) « « ٢ : ٢٩٣
٥) « « ٢ : ٢٩٨
٦) « « ٢ : ٢٩٧
٧) « « ٢ : ٢٤٩
٨) « « ١ : ٢٠٤—٢٠٥
٩) « « ٢ : ٢٧٤—٢٧٥
١٠) « « ١ : ٢٠٧

الله ولا بالسروقة لمال الله اعطى القرآن عزائمه ففاز منه برياض مونقة واعلام بيّنة . ذلك علي ابن ابي طالب، يا لُكَع.»[1] وعاد فاورد القصة نفسها بوضع آخر[2]. كذلك ترى اثر هذه النزعة عند ابن عبد ربه في ذكره رثاء عائشة لعلي ومدحها اياه[3] على ما عرف منها لعلي يوم الجمل . وروى في عقده ان معاوية قال يوماً لجلسائه « من اكرم الناس اباً واماً وجداً وجدّة وعماً وعمّة وخالاً وخالةً ؟ » فقالوا : امير المؤمنين اعلم . فاخذ بيد الحسن بن علي وقال : « هذا ابوه علي بن ابي طالب وامه فاطمة ابنة محمد وجده رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وجدته خديجة وعمه جعفر وعمته هالة بنت ابي طالب وخاله القاسم بن محمد وخالته زينب بنت محمد ، صلى الله عليه وسلم.»[4] وافرد باباً خاصاً ذكر فيه تبرؤ علي من دم عثمان[5] . وذكر قصصاً كثيرة في فضل فاطمة واورد احاديث منسوبة الى النبي في هذا الموضوع[6] . واورد روايات في مدح الحسن والحسين منها : « لما حضرت الوفاة الحسن بن علي اوصى بان يدفن مع جدّه في ذلك الموضع. فلمّا اراد بنو هاشم ان يحفروا له منعهم مروان ، وهو والي المدينة في ايام معاوية ، فقال ابو هريرة: علامَ تمنعه ان يدفن مع جدّه فاشهد لقد سمعت رسول الله، صلى الله عليه وسلم، يقول: الحسن والحسين سيّدا شباب اهل الجنة. قال له مروان: لقد ضيّع الله حديث رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، اذ لم يروه غيرك قال : انا والله لقد قلت ذلك لقد صحبته حتى عرفت من احبّ ومن ابغض ومن نفى ومن اقرّ ومن دعا له ومن دعا عليه.»[7]

ويذكر في كتاب النسب شيئاً تحت عنوان فضل بني هاشم وبني امية يقول في اوله : «قيل لعلي بن ابي طالب اخبرنا عنكم وعن بني اميّة فقال: «بنو اميّة انكر وامكر وافجر» ونحن اصح وانصح واسمح .»[8]

---

١) ابن عبد ربه ١ : ٢٠٥ — ٢) ابن عبد ربه ٢ : ٢٧٥
٣) ابن عبد ربه ١ : ٢٨٢ ؛ و ٢ : ٢٧٥ — ٤) ابن عبد ربه ٣ : ٤٠
٥) ابن عبد ربه ٢ : ٢٧٠ — ٦) ابن عبد ربه ٢ : ٢
٧) ابن عبد ربه ٢ : ٢٥٢ — ٨) ابن عبد ربه ٢ : ٤٦

ويذكر في باب اخبار معاوية روايات عن نزاعه مع علي منها قال : « معاوية يوماً لعمرو بن العاص ما اعجب الاشياء. قال: غلبة من لا حقّ له ذا الحق على حقّه . قال معاوية : اعجب من ذلك ان يعطى من لا حقّ له ما ليس له بحق من غير غلبة»[1].

ويذكر في موضع آخر انه « لما مات الحسن بن علي حج معاوية فدخل المدينة واراد ان يلعن علياً على منبر رسول الله (صلعم) فقيل له ان ههنا سعد ابن وقاص ولا نراه يرضى بهذا . فابعث اليه وخذ رأيه . فارسل اليه وذكر له ذلك فقال: ان فعلت لأخرجن من المسجد ثم لا اعود اليه . فامسك معاوية عن لعنه حتى مات سعد فلما مات لعنه على المنبر وكتب الى عماله ان يلعنوه على المنابر ففعلوا . فكتبت ام سلمة زوج النبي (صلعم) الى معاوية: انكم تلعنون الله ورسوله على منابركم وذلك انكم تلعنون علي بن ابي طالب ومن احبّه وانا اشهد ان الله احبه ورسوله. فلم يلتفت الى كلامها[2].

واورد روايات في ذمّ الذين قتلوا آل علي[3]. وفي الحوادث التي زعموا انها جرت ليلة قتله وقتل ابنه الحسين قال : « ان اناساً حدثوا بمجلس عبد الملك بن مروان انه في الليلة التي قتل في صبيحتها علي ، وفي تلك التي قتل في صبيحتها الحسين ، لم يرفع حجر في بيت المقدس الّا وجد تحته دمٌ عبيط »[4]. وانه عندما انتهب عسكر الحسين وجدَ فيه طيب ما تطيبت به امرأة الا برصت[5] . ويحمل على يزيد بن معاوية فيقول عند ذكر موته : « حتى مات يزيد لا رحمه الله[6] » ، وينقل روايات كثيرة عن ابي الحسن والشعبي والرياشي في مدح علي وآله مثل: «اسلم علي وهو ابن خمس عشرة سنة ، وهو اول من شهد ان لا اله الا الله الخ. وان النبي قد قال فيه : « من كنت مولاه فعليّ مولاه اللهم والِ من والاه وعادِ من عاداه » وانه قد قال له : « اما ترضى ان

١) ابن عبد ربه ٢ : ٢٠١ وانظر ايضا ٢ : ١٤١
٢) ابن عبد ربه ٢ : ٢٠٠
٣) ابن عبد ربه ٢ : ٢١٠
٤) ابن عبد ربه ٢ : ٢١٠
٥) ابن عبد ربه ٢ : ٢٠٩
٦) « « ٢ : ٢١٢

تكون مني بمنزلة هرون من موسى غير انه لا نبيّ لعدي »[1] . ومثل « كان علي بن ابي طالب رضي الله عنه يقسم بيت المال في كل جمعة حتى لا يبقي منه شيئاً ثم يرشّ له ويقيل فيه » ومثل « قال النبي : الحسن والحسين سيدا شباب اهل الجنة وابوهما خير منهما »[2] ومثل « انتقص ابن حمزة بن عبد الله بن الزبير علياً فقال له ابوه : يا بُني انه والله ما بنت الدنيا شيئاً الا هدمه الدين وما بنى الدين شيئاً فهدمته الدنيا . اما ترى علياً وما يظهر بعض الناس من بغضه ولعنه على المنابر فكانما والله يأخذون بناصيته رفعاً الى السماء . وما ترى بني مروان وما يندبون به موتاهم من المدح بين الناس فكانما يكشفون عن الجيف »[3]

وعلى كل حال لم تكن هذه النزعة شديدة في نفس ابن عبد ربه فقد كان معتدلاً — كما ذكرنا — في تشيّعه ، وربما الافضل ان نقول في حبه آل علي ، ينعى على المتطرفين من اعداء علي واتباعه تطرّفهم قال : « وكان علي بن ابي طالب في هذه الامة مثل المسيح بن مريم في بني اسرائيل احبه قوم فكفروا في حبه وابغضه قوم فكفروا في بغضه . »[4] لقد احبّ علياً واهل بيته ولكنه لعن اصحاب عبد الله بن سبأ الذين غلوا في عليّ ، وذكر ان علياً احرقهم بالنار[5] . ولا يأنف من ذكر مدح الناس لمعاوية واهله عندما يرى داعياً لذلك كأن يقول مثلاً واصفاً حلمه : « قيل للاحنف بن قيس من احلم انت ام معاوية قال : تالله ما رأيت اجهل منكم ان معاوية يقدر فيحلم وانا احلم ولا اقدر فكيف اقاس عليه او ادانيه »[6] او واصفاً سؤدده : « نظر رجل الى معاوية وهو غلام صغير فقال اني اظن ان هذا الغلام يسود قومه فسمته امه هند فقالت : « ثكلته اذاً ان لم يسد غير قومه . »[7] ويصف حكمته[8] ، ويذكر باباً في فضائله[9] ، ويستنزل رضا الله عليه ورحمته في كثير من المواضع[10] .

---

١) ابن عبد ربه ٢ : ٢٧٤-٢٧٥
٢) ابن عبد ربه ٢ : ٢٧٥
٣) « « ٣ : ٤١ ؛ و٢ : ٢٠١
٤) « « ٢ : ٢٧٥
٥) « « ١ : ٢٦٧
٦) « « ١ : ٢١٧ وانظر ١ : ٢٤
٧) « « ١ : ٢١٩
٨) « « ١ : ٢٧ و٢ : ١٤١
٩) « « ٢ : ٢٦٦
١٠) « « ١ : ٢٩ و١٤٤ و١٤٥

والغريب بعد هذا كله ان نرى في نفح الطيب للمقري ما يوهم ان ابن عبد ربه صاحب العقد قد وقف موقفاً عدائياً تجاه علي ، فقد ورد فيه ما نصه بالحرف : « قال ابو عبيد نزل القاضي منذر بن سعيد على ابي بطرطوشة وهو يومئذ يتولى القضاء في الثغور الشرقية قبل ان يلي قضاء الجماعة بقرطبة فانزله في بيته الذي كان يسكنه فكان اذا تفرغ نظر في كتب ابي فمرّ على يديه كتاب فيه ارجوزة ابن عبد ربه يذكر فيها الخلفاء ويجعل معاوية رابعهم ولم يذكر علياً فيهم . ثم وصل كذلك بذكر الخلفاء من بني مروان الى عبد الرحمن بن محمد . فلما رأى ذلك منذر غضب وسبّ ابن عبد ربه وكتب في حاشية الكتاب .

أزما علي ، لا برحت ملعناً يا ابن الخبيثة ، عندكم بامام !
رب الكساء وخير آل محمد داني الولا معتصم الاسلام .

قال ابو عبيد والابيات بخطه في حاشية كتاب ابي الى الساعة . »[1] وقد استند الى هذه الرواية السيد محمد بن شفيع في مقالته عن ابن عبد ربه وعن وصفه الحرمين في عقده المنشورة في كتاب عجب نامه[2] . فزعم ان قصائد ابن عبد ربه صاحب العقد تمثل موقف الامويين العدائي تجاه علي . ولعل السيد شفيع قد تسرّع في حكمه هذا حيث لم يُعرف عن صاحب العقد نزعة عداء لعلي . واظن ان السيد شفيع يسلّم معنا ان القصيدة او الارجوزة المذكورة شيء معروف بالاسم لا اثر منه لدينا سوى هذا الخبر . ولا ادري كيف يسوغ لنا الاستناد الى مثل هذا الخبر عن شعر غير معروف نصّه ونهمل الآثار الكثيرة التي بين ايدينا في عقد ابن عبد ربه نفسه في كل هذه المواضع التي ذكرنا وفي غيرها . بل اننا نرى في العقد نفسه ايضاً كتاباً خاصاً في اخبار الخلفاء وتواريخهم يبدأ به بالنبي ثم يذكر الخلفاء واحداً واحداً حتى يأتي الى علي فلا يهمله ، بل يطيل فيه ، ويشيد بذكر فضائله ، ويستنزل رضى الله عليه حتى انه يرحم من كان من شيعته قال : وقال السيد الحميري رحمه الله .

اني ادين بما دان الوصيُّ به وشاركت كفه كفي بصفين[3]

---

١) المقري ج ١ : ٥٨٦
٢) شفيع : ٤١٧
٣) ابن عبد ربه ٣ : ٢٧٤–٢٧٥

ويصدّر ابن عبدربه الباب عن علي بعبارة « خلافة علي بن ابي طالب رضي الله عنه » ثم يقول : « لما قتل عثمان بن عفان اقبل الناس يهرعون الى علي بن ابي طالب فتراكمت عليه الجماعة في البيعة فقال : ليس ذلك اليكم انما ذلك لاهل بدر ليبايعوا ؛ فقال ابن طلحة والزبير وسعد فاقبلوا فبايعوا . ثم بايعه المهاجرون والانصار ثم بايعه الناس .»[1] ويرى القارئ ان لا لبس في هذا الكلام فابن عبد ربه يحسب عليا خليفةً بعد عثمان ، ويذكر خبر البيعة له من اهل بدر والمهاجرين والانصار وعامة الناس . ومن الخير ان نلاحظ ان ابن عبد ربه قد اتبع عليًا ، في بحثه عن اخبار الخلفاء وتواريخهم ، بابنه الحسن لا بمعاوية حيث نرى في الكتاب نفسه، بعد فراغ ابن عبد ربه من اخبار خلافة علي ، باباً جديدًا في خلافة الحسن بن علي[2] يذكر فيه خبر مبايعة الناس له بعد ابيه وخبر صلحه مع معاوية مدة ولايته[3] . ويورد اخبارًا في فضائل الحسن[4] نذكر منها ما يتعلق بمعاوية قال : « ولما بلغ معاوية موت الحسن بن علي خرّ ساجدًا لله ثم ارسل الى ابن عباس ، وكان معه في الشام ، فعزّاه وهو مستبشر وقال له : ابن كم سنة مات ابو محمد ؟ فقال له : سنه كان يسمع في قريش فالعجب من ان يجهله مثلك . قال : بلغني انه ترك اطفالًا صغارًا . قال : كل ما كان صغيرًا كبير . ان طفلنا لكهل وان صغيرنا لكبير . ثم قال ما لي اراك يا معاوية مستبشرًا بموت الحسن بن علي فوالله لا ينسأ في اجلك ولا يسد حفرتك وما اقل بقاءك وبقاءنا بعده »[5]

ولابن عبد ربه في عقده فصل في آخر كتاب المجنبة الثانية في التوقيعات يذكر فيه توقيعات الخلفاء، فيه باب في توقيعات علي بن ابي طالب[6] ، ويتبع اسم علي بعبارة « كرّم الله وجهه »

وكم كنا نودّ لو كانت هذه الارجوزة المفقودة المنسوبة لابن عبد ربه والتي تفرّد فيما نعلم بذكرها المقري موجودة الآن علّنا نستطيع ان نكشف منها

١) ابن عبد ربه ٣ : ٢٧٤
٢) ابن عبد ربه ٣ : ٢٩٨
٣) « « ٣ : ٢٩٨
٤) « « ٣ : ٢٩٨–٣٠٠
٥) « « ٣ : ٢٩٨
٦) ابن عبد ربه ٣ : ٣٦٦

خبر صاحبها . اما وهي غير معروفة لدينا فانّا لا نستطيع تعيين ناظمها بالضبط انما لا ارى مانعاً يمنعنا من الظنّ — بعد ما قدّمنا من حب ابن عبد ربه لعلي — انها لرجل من آل عبد ربه غير صاحب العقد ، ولعلها لابن اخيه ، او لاحد احفاده ، اللذين سيرد ذكرهما عند بحثنا عمّا ينسب لصاحب العقد في الشعر الموشح . لاسيما وان المقري سواء أكان يتكلم بلسانه ام راوياً عن غيره ، لم يكن يكتفي في اكثر المواضع بذكر « ابن عبد ربه » فقط بل كان يتبعه بـ «صاحب العقد » او يسبقه بـ « أحمد »[1] وكلتا اللفظتين غير موجودة في النصّ الذي يدور على الارجوزة .

وهناك مسألة ثانية هي ان طبعة اوربة لكتاب المقري ، وهي التي يرجع اليها السيد شفيع ، يختلف النصّ فيها عمّا هو عليه في طبعة مصر حيث ترى « فمر على يديه كتابٌ فيه ارجوزة ابن عبد ربه يذكر فيه الخلفاء ويجعل معاوية[2] » الخ . وظاهر ان الضمير في « فيه » الثانية يعود الى الكتاب . عندئذٍ ليس من الضروري ان يكون هذا الكتاب لابن عبد ربه .

وشيء آخر عدا ما نقلنا عن المقري (وقد استند اليه ايضاً السيد محمد شفيع في زعمه ان قصائد صاحب العقد تمثل موقف الامويين العدائي تجاه علي) هو رواية في وفيات الاعيان لابن خلّكان يشتم منها (اقول يشتم اذ لا صراحة ايضاً في الرواية تفسر ما زعمه السيد شفيع) تعرّض صاحب العقد لعليّ او لآله . واظنّ من الخير ان اورد النصّ بحرفه قال : « وله (الضمير يعود الى ابن عبد ربه صاحبنا) من جملة قصيدة طويلة في المنذر بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام الخ احد ملوك الاندلس من بني امية .

بالمنذر بن محمد شرفت بلاد الاندلس
فالطير فيها ساكن والوحش فيها قد انس

قال الوزير ابن المغربي في كتاب ادب الخواص وقد روي ان هذه القصيدة شقت عند انتشارها على ابي تميم معد المعزّ لدين الله وساءه ما تضمنته من

---

١) المقري ٢ : ٧٨١ و ٨٢٢ ؛ و ٤ : ٦٠٧ ؛ وطبعة اوربة ١ : ٢٢٧

٢) « طبعة اوربة ١ : ٨٠٨

الكذب والتمويه الى ان عارضها شاعره الايادي التونسي بقصيدته التي اولها:

ربع زينب قد درس واعتاض من نطق خرس»[١]

وليلاحظ القارئ ما ذهبنا اليه من ان لا صراحة في النص تظهر كره ابن عبد ربه لآل البيت ويجوز ان يكون الكره (ان كان واقعاً حيث ان هذه القصيدة مفقودة ايضاً ولا نعلم مضمونها) موجهاً لاحد الفاطميين لسبب خاص لا نعلمه. ومن الخير ان نلاحظ هنا اختلاف الزمن بين المنذر بن محمد الذي قيلت فيه هذه القصيدة وبين المعزّ لدين الله الفاطمي؛ اما المنذر فقد تولى الامارة في الاندلس من سنة ٢٧٣ الى سنة ٢٧٥[٢] ويجب ان تكون القصيدة قد نظمت سنة ٢٧٣ عند تولّي المنذر امارته. اما المعزّ لدين الله فقد تولى الخلافة الفاطمية سنة ٣٤١[٣] اي بعد موت المنذر بنحو ٧٠ سنة وبعد موت ابن عبد ربه بثلاث عشرة سنة واستمر حتى سنة ٣٦٥ ويستبعد ان لا تنتشر قصيدة فيها تعرّض لاشخاص معروفين او لمذاهب دينية عند من يهمهم امرها الا بعد انشادها او وضعها بلا اقل من سبعين سنة. على ما عرف من الاتصال بين افريقية والاندلس[٤]

وعلى من ردّ الشاعر الايادي التونسي؟ اعلى ابن عبد ربه ثاوياً في قبره وقد انسلخ بعد نظمه هذه القصيدة لا اقلّ من سبعين حولاً؟

ونعجب كيف لم يلتفت الى هذا الامر ابن خلكان، بل نعجب كيف جازت هذه الرواية على السيد محمد شفيع.

واذاً فالرواية مشوشة لا نطمئن اليها. ونعود الى رأينا في انه يجوز ان

---

١) ابن خلكان ١: ٤٦ ٢) ابن عبد ربه ٣: ٢٦١

٣) E. Graefe : *Fatimids* [The Encyc. of Islam vol. 2, p. 89.]

٤) بعث القيرواني يثني على ابن حزم تقصير اهل الاندلس في تخليد اخبار علمائهم ومآثرهم وفضائلهم يقول: «فان قلت انه كان مثل ذلك من علمائنا وألفوا كتباً لكنها لم تصل الينا فهذه دعوى لم يصحبها تحقيق لانه ليس بيننا وبينكم غير روحة راكب او رحلة قارب لو نفث في بلدكم مصدور لاسمع من في بلدنا في القبور فضلاً عمن في الدور والقصور وتلقوا قوله بقبول كما تلقوا ديوان احمد بن عبد ربه الذي سماه بالعقد».

(المقرّي طبعة اوربة ٣: ١٠٩، وطبعة مصر ٢: ٧٦٧)

يكون هذا الرجل من آل عبد ربه، غير صاحب العقد، وانه نظم قصيدة سينية تعرّض فيها لهؤلاء الفاطميين عارضاً شاعر المعز المذكور، ثم اختلط الامر على ابن خلكان فاخذه مغلوطاً فيه السيد شفيع.

ومن الخير ان نذكر هنا ان هناك روايات تشير الى مطاعنه في العباسيين ومدحه المروانيين لعلّ اصلها رواية القيرواني ابي عبيدالله في رسائل البلغاء.[1] يقول فيها «واما ابن عبد ربه الاندلسي ... فقد صافتنا اشعاره ووقفنا على اشعار صبوته الانيقة وتكفيرات توبته الصدوقة ومدائحه المروانية ومطاعنه في العباسية فوجدناه في كل ذلك فارساً ممارساً وطاعناً مداعساً.»[2] وغني عن الذكر ان مدحه للمروانيين وطعنه في العباسيين لا يمنعان ان يكون ذا ميل شيعي معتدل. لاسيما اذا لاحظنا ذكره لبعض الروايات التي يظهر منها ان بني مروان لم يقصدوا الى التعرّض لآل البيت والكيد لهم، وان بعض زعماء الدعوة الشيعية من آل علي قد بايع عبد الملك بعد اخماد ثورة ابن الزبير وبعث اليه انهم عصابة لا تفارق الجماعة، وان عبد الملك بعث اليه والى جماعته ميثاقاً وعهداً ما وفوا ببيعتهم وكتب الى الحجاج ان لا يعرض لاحد منهم وكان في كتابه للحجاج: «جنّبني دماء بني عبد المطلب فليس فيها شفاء من الحرب واني رأيت بني حرب سلبوا ملكهم لما قتلوا الحسين بن علي.

ولا بدّ لنا في ختام هذا الفصل من الاشارة الى ان هذه النزعة على اعتدالها وخفائها على اكثر المؤرخين لم تفت انتباه المؤرخ الامام الحافظ ابن كثير صاحب كتاب البداية والنهاية في التاريخ[4] فقد نقل حاجي خليفة عنه في كتابه كشف الظنون ... ما نصه: «يقول ابن كثير انه يستدلّ من كلامه (الضمير يعود على ابن عبد ربه صاحب العقد) على تشيّع منه»[5]

هذا ولعلّ تشيّع ابن عبد ربه الذي درسنا من النوع المعروف «بالتشيّع الحسن.»

١) صفحة ٢٥١ طبعة دار الكتب الكبرى بمصر سنة ١٩١٣، بعناية محمد كرد علي.
٢) اقرأ ايضاً اعلام الكلام للقيرواني، طبعة المغاني مصر ١٩٣٦؛ صفحة ٢٦ وحاجي خليفة، طبعة اوربة، ٤: ٢٢٢
٣) ابن عبد ربه ٢: ٢١٧
٤) حاجي خليفة ج ١: ١٨٧
٥) حاجي خليفة ج ٢: ١٢٤

التذكارات القرنية اللبنانية

في السنة ١٠٣٣

بقلم الشيخ سليم الدحداح

توافق سنة ١٩٣٣ الحالية تذكارات قرنية عديدة ، نكتفي بذكر اشهرها من المتعلق بتاريخ بلادنا اللبنانية مقتضبين في الثانية الاولى منها ، متوسعين نوعاً في التذكار التاسع الخاص بالمثلث الرحمات المطران يوسف الدبس ، فنقول :

١

ذكر البطريرك اسطفان الدويهي في تاريخه انه في سنة ١٣٣٣ اتى بيروت مراكب جنوية للقبض على مراكب الكتيلان . وروى كيف دخلوا ميناء بيروت ، وكيف استولوا على الاعلام السلطانية ، وان السلطان غضب على امراء الغرب ظاناً خيانتهم ، ثم أطلق سبيلهم لما تأكد براءتهم . والعجب ان صالح بن يحيى صاحب تاريخ بيروت ، وهو من هولاء الامراء ، لا يذكر هذه الحادثة ، مع ان وقوعها حصل حتماً في عهد والده او جده . وقد ذكرها الشدياق في اخبار الاعيان .

٢

في سنة ١٦٣٣ اخذ احمد باشا الحافظ قائد الجيوش العثمانية بالاستعدادات لاحاطة البلاد الخاضعة لسلطة الامير فخر الدين الثاني المعني من كل الجهات تأهباً لاجتياحها . وقد ذكر الدويهي في تاريخ سنة ١٦٣٣ ، هذه الاستعدادات ثم اعمال الزحف وانتصارات العثمانيين على فخر الدين ، والتجاءه الى المغاور ، ثم

تسليمه مع اولاده (بعد قتل الامير علي في البقاع) الى الحافظ الـذي ساقهم مكبلين بالحديد الى الشام فالقسطنطينية ، وما جرى من هناك حتى قتلهم جميعاً بامر السلطان . مع ان كل هذه الحوادث لم تتم في سنة ١٦٣٣ ، بل حقيقتها كما بينها مفصلاً الشدياق في اخبار الاعيان . فالاحاطة بلبنان والاستعداد لدخوله حصل في سنة ١٦٣٣ . وانكسار الامير وقتل ابنه علي وتسليمه مع بقية اولاده وسوقهم الى دمشق فالقسطنطينية وقع في سنة ١٦٣٤ . واخيراً قتله مع اولاده ، الا اصغرهم ، في القسطنطينية ، كان في سنة ١٦٣٥ .

٣

وفي تلك السنة ١٦٣٣ ذاتها جاء عبيه الامير علي علم الدين اليمني ، وحل ضيفاً على الامراء التنوخيين . وفيما كان على الغداء عندهم في السراي ، وثب عليهم وقتلهم ، وكانوا ثلاثة ؛ ثم قتل اولادهم الصغار في دار الحريم ، وعددهم اربعة ، فانقرضت بهم سلالة الامراء التنوخيين . وقد كان ظهر منهم صالح بن يحيى صاحب تاريخ بيروت ، والامير عبد الله الذي يعتبره الدروز باسم « الامير السيد » وهم حتى الآن يزورون قبره كمقام ديني جليل في عبيه . ومنهم ايضاً الاميرة نسب والدة الامير فخر الدين الثاني الشهير والامير يونس المعنيين .

٤

في ١٥ كانون الاول ١٦٣٣ ذاتها ، توفي البطريرك الماروني يوحنا مخلوف الاهدني ، وخلفه في ٢٨ من الشهر نفسه البطريرك جرجس عميرة الاهدني ، وكلاهما من تلامذة مدرستنا المارونية في رومية .

٥

في ٩ شباط ١٧٣٣ توفي البطريرك الماروني يعقوب عواد الحصروني . وكان من تلامذة المدرسة المشار اليه . وقد اشتهرت بطريركيته اولاً بطول عهدها ، وثانياً بحادث خاص ألا وهو اجماع الاساقفة الموارنة على مقاومته وعقدهم مجمعاً اجبروه فيه على توقيع صك اقرار بكل ما نُسب اليه من التهم ، واتفاقهم على تنزيله من المقام البطريركي ، وانتخابهم عوضاً عنه السيد يوسف مبارك من ريفون . ولبث هذا الاخير يدير البطريركية مدة . الا ان الكرسي الرسولي

اعتبر عمل الاساقفة تجاوزاً على سلطته ، فامر بعض قضاته باجراء فحص هذه الامور ، وبعد حصوله على التقارير اللازمة ، ألغى انتخاب يوسف مبارك ، وامر باعادة يعقوب عواد الى مقامه (١٧١٣) . ومن يرغب في الاطلاع على كل ما يتعلق بادارة يعقوب عواد وطباعه ، واسباب القيام عليه ، فليراجع ماكتبه المثلث الرحمات المطران جرمانوس فرحات ، احد مؤسسي الرهبانية ورؤسائها الاولين والذي مات مطراناً على حلب في سنة ١٧٣٢ (سلسلة بطاركة الموارنة ، الطبعة الثانية ١٩٠٢) .

وفي ٢٤ شباط ١٧٣٣ ، انتخب الاساقفة خلفاً ليعقوب عوّاد السيد يوسف الخازن مطران غوسطا . وقد كان يُدعى ضرغام لما كان علمانياً ، وكان متزوجاً وله ولد ذكر اسمه ميلان . ولما توفيت زوجته اقتبل سرّ الكهنوت ، ثم سيم اسقفاً ، واخيراً انتخب بطريركاً كما رأيت . وفي عهده صار انعقاد المجمع الماروني المعروف باسم « المجمع اللبناني » في دير لويزة ، في زوق مصبح ، سنة ١٧٣٦ ، وهو لم يزل دستور الطائفة المارونية حتى الآن.

٦

في سنة ١٨٣٣ تمّ عقد الصلح بين السلطان محمود الثاني العثماني ومحمد علي باشا حاكم مصر ، وقد تنازل السلطان عن ولاية ادنة وولايات سورية ، واعطاها الى محمد علي ، فضمّها هذا الى بلاد مصر . جرى ذلك في اليوم الخامس من شهر ايار في مدينة كوتاهية ، احدى مراكز متصرفيات ولاية خداوندكار ، حيث كان بلغ ابرهيم باشا بالجيش المصري بعد انتصاره في واقعة قونيه ، ووقوع القائد العام العثماني الصدر الاعظم مصطفى رشيد باشا اسيراً في يد المصريين . وعلى اثر توقيع هذه المعاهدة ، اطلق ابرهيم باشا الحرية لاسيده المومى اليه ، وتراجع بالجيش المصري الى جنوبي جبال الطوروس التي اصبحت بتلك المعاهدة الحدّ الفاصل بين ولايات الدولة العثمانية واراضي دولة مصر.

٧

وفيها توفي المطران جرمانوس ثابت البيروتي ، مطران جبيل والبترون ، وقد كان اخا البطريرك يوسف التيان لامه . وهو آخر مطران شرعي على تلك

الابرشية . اذ انه بعد وفاته اتفقت كلمة البطريرك يوسف حبيش ومجمع اساقفته على الطلب من المجمع الروماني المقدس ان تُخصص الابرشية المشار اليها بالبطريرك لقربها من محل اقامته ، وان تُجعل ابرشيته القديمة ، وهي صور وصيدا ، البعيدة عن مركزه ابرشيةً مستقلة لها اسقف شرعي . وقد تمّ هذا الاستبدال قانونياً ابتداء من سنة ١٨٣٧ ، وكان اول اساقفة صور وصيدا الشرعي المطران عبدالله البستاني ، الذي كان لحدّ ذلك التاريخ وكيلاً بطريركياً عليها .

٨

وفيها ، في ٢٤ آذار سنة ١٨٣٣ ، جرى في دير الشير للرهبنة الباسيلية الحلبية للروم الكاثوليك انتخاب بطريرك خلفاً للبطريرك موسى قطان المتوفى قبل شهر ونصف . فاجتمعت كلمة الاساقفة على انتخاب الوكيل البطريركي ، اسقف ميراليكية شرفاً ، بطريركاً لطائفة الروم الكاثوليك ، وهو مكسيموس مظلوم الحلبي الشهير . وكان قديماً قد سيم رئيس اساقفة على حلب ، الا ان بعض الظروف اوجبت طلبه الى رومية . فبقي هناك مدةً طويلة تنازل في اثنائها عن ابرشية حلب . ولم يعد الى لبنان الّا في تشرين الثاني ١٨٣١ مصطحباً معه الاب ريكادوتا والاب بلانشه والاخ هنس اليسوعيين لتأسيس مدرسة اكليريكية لطائفته في عين تراز . لكن المشروع لم يتمّ . وفي ٢٤ آذار ١٨٣٣ انتخب بطريركاً ، وقد توفقت مساعيه بالحصول من لدن السلطان محمود الثاني العثماني على استقلال طائفته رسمياً عن طائفة الروم . ونال من لدن الكرسي الرسولي ان يضيف على لقبه الانطاكي لقب « اسكندري واورشليمي » . وبالاختصار كان عهد بطريركيته عهداً سعيداً على طائفته .

٩

في تشرين الاول من سنة ١٨٣٣ ذاتها وُلد في قرية من اعمال جبة بشرّاي يوسف الياس الدبس . وُلد في عائلة فقيرة . لكنّ العناية الالهية هيأت له الوسائل فتمكن من الدخول اولاً في خدمة الخوري بطرس مسعد ، شقيق البطريرك بولس مسعد ، ثم الخوري نعمة الله الدحداح . فادخلاه مدرسة عين ورقية ، فتلقى فيها الدروس . وبعد سيامته كاهناً في سنة ١٨٥٥ ، تعيّن استاذاً للعربية

في مدرسة مار يوحنا مارون في عهد رئاسة الخوري يوسف فريفر . وفي سنة ١٨٦٠ تعيّن كاتباً للسيد البطريرك في بكركي . وكان زميلاً في هذه الوظيفة الجديدة لاستاذه القديم الخوري نعمة الله الدحداح . وفي ١١ شباط سنة ١٨٧٢ رقّى السيد البطريرك هولاء الكهنة الثلاثة ، نعمة الله الدحداح ، ويوسف الدبس ، ويوسف فريفر ، الى درجة الاسقفية . وسلّم الاول زمام ابرشية دمشق ، والثاني ابرشية بيروت ، واما الثالث فصار وكيلاً بطريركياً على بلاد البترون ، مع بقائه رئيساً لمدرسة مار يوحنا مارون . وقد لبث السيد يوسف الدبس مطراناً لابرشية بيروت حتى وفاته في ٧ تشرين الاول ١٩٠٧ ، فيكون ادارها مدة ٣٥ سنة وثمانية اشهر تقريباً .

وله تأليفات علمية في اللغة العربية ، وجدلية يدافع فيها عن تاريخ ومعتقدات الموارنة ، واخبار رحلات وتأليفات تاريخية اشهرها : « سِفر الاخبار في سفر الاسفار » ، وهو خبر رحلة السيد البطريرك سنة ١٨٦٧ الى رومية فباريس فالقسطنطينية ، و« روح الردود » ردًّا على الخوري يوسف داود ، سنة ١٨٧١ يثبت فيه دوام اتحاد الموارنة بكنيسة رومية العظمى ، واخيراً تاريخ سورية ، طبعه من ١٩٠٠ الى ١٩٠٥ ، في سبعة اجزاء استخلص منه كتاباً ثامناً دعاه « الجامع المفصل في تاريخ الموارنة المؤصّل » ، وهو تاريخ للطائفة المارونية منذ ايام القديس مارون حتى نهاية السنة ١٩٠٥ . وسنعود الى الكلام عنه .

وفي عهد اسقفيته خدم العلم والدين بما انشأ وأسس . فقد بنى المدرسة المارونية الكبرى المعروفة « بمدرسة الحكمة » ، والمشهورة باسم مدرسة الدبس حتى اليوم ، وفتح ابوابها للطلبة في تشرين الاول ١٨٧٦ . وقد بنى كنيسة القديس جرجس الكاتدرائية ، واحتفل باول قداس فيها في احد الشعانين في اذار سنة ١٨٩٤ . وبنى كنيسة القديس مارون سنة ١٨٧٥ . وجدّد بناء كنائس مار الياس رأس بيروت ، والسيدة العذراء في رأس النبع ، ومار مخايل في حي الكرنتينا . فضلاً عمّا شيّد من الكنائس ، وألّف من الجمعيات في قرى جبل لبنان ، في المتن والشوف التابعة لابرشيته .

فيكون والحالة هذه من الاحبار الذين تفرّدوا بكثرة الاعمال والآثار

الحسنة. ولهذا يكون ابناء الابرشية قد احسنوا عملاً بالاحتفال بيوبيله الاسقفي القضي سنة ١٨٩٧ ، وبتأليفهم لجنة برئاسة سيادة الهمام المطران اغناطيوس مبارك ، مطران الابرشية الحالي ، لاقامة اثر يخلّد ذكره . فارتأى سيادته ان يكون هذا الاثر تمثال الدبس يوضع على باب كنيسة القديس جرجس الكاتدرائية . وقد استحسن هو واللجنة ان يضاف الى تمثال الدبس تمثال سلفه المطران طوبيا عون . وصار ازاحة الستار عن التمثالين في شهر كانون الاول المنصرم . ولو تأخر ذلك الاحتفال الى سنة ١٩٣٣ الحالية لوافق بمرور قرن كامل على ولادة السيد يوسف الدبس .

ولنعد الآن الى تأليفات الدبس الجدلية التاريخية فنقول :

ان اوّل من كتب من الموارنة عن تاريخ الطائفة واصلها هم تلاميذ مدرسة رومية التي شيّدها البابا غريغوريوس الثالث عشر ، صاحب اصلاح الحساب ، في اواخر القرن السادس عشر . واشهر من كتب منهم هم القس مرهج غرون ، والصهيوني ، والحاقلاني ، وعلى الخصوص البطريرك اسطفان الدويهي ، الذي اشتهر تاريخه المطبوع في اللغة العربية في المطبعة الكاثوليكية . وقد كتب السماعنة واخصهم يوسف شمعون السمعاني الطائر الشهرة في هذا الموضوع ايضاً . الا انه لا يُنكر ان اساس كل هذه التواريخ هو كتابات الدويهي . ومع ما للدويهي من فضل جزيل فلا يمكننا ان ننفي وجود الاغلاط التاريخية العظيمة في تاريخه للموارنة . وقد نسج البطريرك يوسف اسطفان ، والبطريرك بولس مسعد ، والشدياق ، والدبس على منوال الدويهي . وما كنت اعلم من اين جاء الدويهي بامير افرنسي يستولي في سنة ٦٠٠ على سورية ويجعل مدينة انطاكية عاصمة له ؟ واي مطالع للتواريخ يجهل ان سورية كانت حينئذٍ من اعمال الدولة الرومانية الشرقية ، وكان الامبراطور موريق ، الجالس حينئذٍ على عرش القسطنطينية ، ذا صولة مكنته ، فضلاً عن المحافظة على سورية بامان ، من التدخل في شؤون دولة الفرس ، فاعاد الى عرشها ابن ملكها المخلوع بعد ان ازوجه ابنته . ولمّا قتل موريق بثورة احدثتها الجنود في العاصمة ، وجلس رئيس الثوار على عرشه ، تدخل هذا الملك الفارسي (وهو كسرى الثاني ابرويز) بحجة

اخذ ثأر حميه ، وغزا سورية فاجتاحها مراراً من ٦٠٤ الى ٦٢٠ ، ودمّر اكثر مدنها ، ومنها انطاكية واورشليم ، واخذ عود الصليب المقدّس الى بلاد العجم ، بعد ان ساق بطريرك القدس اسيراً . فلم يذكر احد من المؤرخين وجود افرنج في سورية عموماً وانطاكية خصوصاً في تلك الحقبة . . . فما الذي اوصل الفرنج الى سورية وقد كانوا حينئذٍ قبائل منقسمة على ذواتهم يقتتلون على قرى ومدن صغيرة من تلك الاقسام المتعدّدة التي جزّأوا اليها امارات واقطاعات غالية ، وكان يفتخر رؤساؤهم بالحصول على القاب وخلع يهديها اليهم امبراطور القسطنطينية ! . . .

هذا ولا يخفى ان الدبس قضى كل حياته مناضلاً عن روايات الدويهي ، ومجتهداً في اثبات صحة تاريخه ، وفي اظهار ان المردة[1] هم الموارنة .

ذكر تاوفانوس المؤرخ البيزنطي ان المردة دخلوا لبنان في سنة ٦٧٧ ، وهو يدعوهم مردائيين . ثم بعد ان يأتي على ذكر الحروب التي كانت بين قسطنطين اللحياني ، ومن بعده ابنه يوستنيانوس الثاني من جهة ، وبين الخلفاء الامويين من جهة ثانية ، يذكر المصالحة الاخيرة التي جرت بين عبد الملك ويوستنيانوس الثاني ، وخروج المردائيين ، وكان عددهم حينئذ ١٢ الفاً من حملة السلاح ، من لبنان وعودهم الى الاناضول بامر يوستنيانوس سنة ٦٩٢ .

فقد شاء الدويهي ومن اتى بعده من علماء الموارنة ، وفي خاتمتهم السيد يوسف الدبس ، اثبات كون المردة هم اصل الموارنة ، مدّعين ان كلمة « مردة » انما هي لقب دعاهم به ملوك القسطنطينية لتمرّدهم عليهم بسبب هرطقة يوستنيانوس الثاني الذي تبع هرطقة المشيئة الواحدة ، على زعمهم .

---

(١) المردة قبيلة من سكان الجبال على حدود ارمينية ، كان ملوك الروم يرسلون منهم جنوداً لحماية الحدود ، كما كان يصنع امبراطرة المانية القديمة بقبائل الكروانيين وخلافهم في اجيال القرون الوسطى . وقد اشتهر المردة بتنقلاتهم اذ كانوا يصطحبون نساءهم واولادهم حين ذهابهم بتلك المهمات . ولبعض المؤرخين كتب مشهورة عن هذه التنقلات التي دعيت باسم (*migrations*) . واسمهم الوارد باللغة اليونانية يدل على عدم وجود المعنى العربي الموهوم .

والغريب كيف فات كلّ هولاء العلماء عدم امكان هذه التسمية العربية من قبل ملوك لانهم اليونانية لشعب كانت حينئذٍ لغته سريانية وقد استمرت بعد ذلك اجيالاً عديدة ! وقد فاتهم ايضاً انه لامرٌ غريب ان يظلّ نسل المجلوين عن لبنان محافظاً على اسم « مردة » ، وان يتخذ الذين ظلّوا مقيمين في لبنان اسم « موارنة » !

وقد فاتهم خاصةً ان يوستنيانوس الثاني لم يكن من ذوي هرطقة المشيئة الواحدة . وقد كتب الاب العالم العلّامة لامنس اليسوعي ، والاب انستاس الكرملي مقالات متعددة في هذا الصدد في اعداد مجلّة المشرق في السنة ١٩٠٢ والسنة ١٩٠٣ . وحينئذٍ نهض سيادة الطيب الاثر المثلث الرحمات المطران يوسف دريان النائب البطريركي ، وكتب مقالةً بعنوان « بحث في المردة والجراجمة والموارنة » نشرها بكرّاسة صغيرة بدون امضاء في شهر تموز سنة ١٩٠٣ أتى فيها برأيٍ يخالف رأي الدويهي وسائر من تبعه ، وجاهر فيه بان المردة ليسوا موارنة بل خيل للروم . فكان اول كاتب ماروني اراد اصلاح ما ورد في تاريخنا من الاغلاط .

وهنا كثرت المقالات والكتابات التي نشرها اصحاب الآراء الثلاثة . وبهذه المناسبة استميح القرّاء عذرًا فاذكر لهم بعض تفاصيل لهذه الحادثة التي اشتركت فيها شخصياً .

كان المرحوم نجيب حبيقه ، المأسوف على شبابه وعلمه ، قد اخذ هو والصديق الياس جدعون جريدة « المصباح » من صاحب امتيازها جان بك نقاش . وكانا يصدرانها بشكل كراس بست عشرة صفحة ، وذلك منذ اول آذار ١٩٠٣ حتى ٢٨ شباط ١٩٠٥ . ونظرًا لصداقتي المتينة مع المرحوم نجيب وقد قضينا معاً السنوات الثلاث الاخيرة من دروسنا ، كنت اتردّد على مطبعة جدعون ، واساعده مع الصديقين بشاره الخوري صاحب البرق ، ويوسف نخله ثابت ، في كتابة مقالات الجريدة . فكان دائماً يكلفني كل ما يختصّ بالتاريخ ، وكثيراً ما كان ينشر ما احرّره له بدون امضاء فيظهر للقرّاء كانه من قلم الجريدة . وهكذا ظهر في المصباح اربع مقالات في اعداد مختلفة هذه عناوينها وتواريخها :

١ً ان المردة والجراجمة موارنة وليس الموارنة خيل للروم
وهو كراس لسيادة الدبس
في عدد ١٤١٦-٢٧ المؤرخ في ٥ ايلول ١٩٠٣

٢ً عود الى البحث في المردة والجراجمة والموارنة
مقالة لسيادة دريان
في عدد ١٤٢٧-٤٠ المؤرخ في ١٩ كانون الاول ١٩٠٣

٣ً المردة والجراجمة والموارنة
بصدد رسالة السيد دريان جواباً على مقالة العالم الايطالي دي غوبرناتيس
قنصل ايطالية السابق في مجلة La Rassegna Nazionale
في عدد ١٤٣٦-٤٩ في ٢٠ شباط ١٩٠٤

٤ً ختام الجدال في امر المردة والجراجمة والموارنة
بمناسبة مقالة لسيادة دريان
في عدد ١٤٤١-٥٤ بتاريخ ٢٦ اذار ١٩٠٤

ومما قلت فيها ما يلي حرفياً :

« ولا نشك بان من طالع رسائل سيادة المطران دريان الموضوعة بهذا المعنى والتي اشرنا اليها في اعدادنا السالفة يرى في هذه الكراسة الجديدة نتيجة منطقية حقيقية لكل ما قاله واوضحه سابقاً مبنية على اصدق البراهين واقواها ، ويصل بلا شك الى الحقيقة التاريخية عن اصل طائفتنا ويزول من ذهنه اثر ما احدثه في تاريخنا تلامذة مدرسة رومية ، وما يعتقده العموم وهماً انه تقليد ثابت . وعليه فنحن نرفع لسيادته احسن الثناء لما اتاه من خدمة الحقيقة في هذا الموضوع ولما استحقه من شكر الطائفة والعالم العلمي.

وفي الختام لا يسعنا الا ان نقترح على سيادته ان يجمع في كتاب واحد البراهين التي اوردها بمقالاته هذه المتعددة فيذكر فيه تاريخ هذا البحث مع تفاصيل الجدال من اخذ ورد فينشره بين ابناء الطائفة ومحبي التاريخ والعلم وذلك تمهيداً للفائدة وتأييداً للحقيقة فيكتسب كل ثناء وشكر ويكون قد خدم العلم والتاريخ خدمة لا يمحوها كرور الايام.» (اه)

وقد نزل سيادة الطيب الاثر المطران يوسف دريان عند رغبتنا هذه ، ونشر الكتاب المذكور مطبوعاً في المطبعة العلمية للصديق يوسف صادر في ١٩٠٤ ، واهدى اليَّ نسخةً منه لم ازل محتفظاً بها .

اما سيادة المطران الدبس فقد سخط كثيراً على « المصباح » لاعتقاده ان تلك المقالات للجريدة . ولما ذهب المرحوم نجيب حبيقه ، مع نسيبه المرحوم الدكتور سليم الجلخ ، لزيارته في عيد القيامة في اوائل نيسان سنة ١٩٠٤ ، قابله

مقابلة خشنة ولامه كثيراً وشدّد النكير عليه حتى خرج المرحوم نجيب مستا، اشدّ الاستياء من مقابلة سيادته ، ودبّج في مفتتح اول عدد من المصباح مقالةً هذا عنوانها :

« ماذا يقول المصباح وماذا يقال عنه ؟ »

ظهرت في ٩ نيسان ١٩٠٤ ، عدد ١٤٤٣—٥٦ ، ولا يمكن تلخيصها بل يجب مطالعتها كلها لما حوته من صدق اللهجة وقوة البرهان وحبّ الحقيقة. وهي طويلة استغرقت اربع صفحات من المصباح . وبالاختصار فانها آية في البراهين المحكمة والعواطف الصادقة والتضحية المجرّدة.

ومع كل هذا ، نشر المطران يوسف الدبس بعد ذلك الكتاب الذي ذكرناه سابقاً في تاريخ الطائفة وهو مطبوع في سنة ١٩٠٥ ، دون ان يعود عن خطأه ، بل ظلّ معتقداً ان ما قاله هو الحقيقة.

وظلّ يكتب عن المردة انهم الموارنة — ولا اعلم ما هو سرّ الفخر في ذلك ؟ — وان المردة « خرجوا من لبنان » في السنة السادسة لملك قسطنطين ، مع ان عبارة المؤرّخ تلوفانوس اليوناني صريحة تقول انهم « دخلوا لبنان » وظلّ يتهم كل من يقول خلاف ذلك بالعداوة للموارنة والتغرّض الاعمى ضدهم ، الامر الذي جعل العالم سيمون تالحي ، وهو من كبار كتبة الآباء الصموديين ، ان يكتب « بان المشرقيين عوائد وعبارات خاصة للطعن حين جدالهم مع بعضهم وان سيادة الدبس ظنّاً منه بانني من هؤلاء الشرقيين قد اتحفني بما اعتادوا استعماله فيما بينهم ! » . . . (اصداء الشرق ١٩٠٢.

والخلاصة : يحق لنا القول بان سيادة المطران يوسف الدبس ، على كثرة تآليفاته ، لم يقم بخدمة كبيرة لتاريخ الموارنة[1]

١) قد كان المثلث الرحمات المطران بطرس شبلي ، خلف الدبس على كرسي بيروت ، متشاءماً بعدم صحة كتابات الدويهي ومن تبعه في ما يتعلق بتاريخ الطائفة ، وكان وسيادة دريان على مبدأ واحد في هذا الخصوص . واني لمتأكد بانه لو فسح الله في اجله ، لكان نشر تآليفات قيّمة في هذا الموضوع ، ولا اشك بانه قد ترك مخطوطات تتعلق به يجدر بورثته ان ينشروها خدمة للتاريخ ، واظهاراً لفضل المؤلف الجليل.

محاولات في درس جبران

يسوع الانجيل ويسوع جبران

بقلم امين خالد

٢

على ان في عبارته الثانية : « انتم لا تعرفون ان الارض زُفت الى الشمس وان الارض هي التي تبعثنا الى الجبل والى الصحراء » [1] رموزًا لا تقبل التأويل بالصوفية ابدًا. فالارض مصدر للمادة التي بنى عليها منكرو الوحي نظريّاتهم ، والشمس اليست رمزًا لمصدر النور والحرارة الطبيعية التي لا دخل فيها لوحي او الهام سماوي ؟ وعندما اقترن هذا النور بالارض تولدت القوة التي تبعثنا الى الجبل والى الصحراء، اي ترفعنا الى قمم العلاء وتدفعنا الى مجال الحرية اللامتناهية، تلك الحرية التي طالما تاقت نحوها نفس جبران وتغنى بها ابطاله السائرون في اثر مريم المجدلية ، تلك الحرية المبهمة الغير المنظمة التي لا يحددها الا الاحتياج اليها ولا يبررها الا حبّ المرء اياها في مطلق الظروف وجميع الاحوال.

قالت يونا امرأة حافظ هيرودس :

« وانا نفسي كنت في ذلك الوقت زانية في نظر الناس ، لانني احببت رجلًا لم يكن زوجًا لي ، وكان صدوقيًا.

وفي احد الايام جاء الصدوقيون الى بيتي وكان عشيقي معي ، فقبضوا عليّ وحبسوني ، اما عشيقي فهرب وتركني.

ثم قادوني الى ساحة المدينة حيث كان يسوع يعلّم الجموع.

وكانوا يرغبون في تقديمي اليه ليجربوه ويصطادوه بفخاخهم.

ولكن يسوع لم يحكم عليّ . فقد البس العسكر لمن جاؤوا بي ليلبسوني ثوب العار ، واوسعوهم لومًا وتوبيخًا.

اما انا فانه اطلقني بسلام.

وبعد ذلك صارت جميع اثمار الحياة التي لا طعم لها لذيذة في فمي ، والورود التي لا عطر

---

١) يسوع ابن الانسان ، ص ٢١٥

لما صارت منبعاً للعطر الجميل في منخري. فهي امرأة لا تعرف الذكرى الفاسدة – اجل صرت حرةً ولم يعد رأسي منحنياً.» (١

اين هذا من شريعة الزواج التي تضمنتها الآية التاسعة من الفصل العاشر في انجيل مرقس اذ يقول: «ما جمعه الله لا يفرّقه انسان».

وقال على لسان «سالومة الى صديقة لها» عن «رغبة لم تتحقق»:

«بل قد كان كالحور الجميل، وكالبحيرات بين التلال، وكالثلج على لبنان. وكنت اتوق لتبريد عطش شفتيّ في ثنايا ثوبه.

بيد انه كان بعيداً عني، وانا كنت خجولة. وكانت امي تمنعني عن الذهاب اليه كلما دعاني حنيني الى السير وراءه...

... ولكن قلبي لم يحفظ كلامها، فقد احببته سراً وكان حبه ينطق نومي باللهيب.

قد مضى اليوم. وقد ذهب بذهابه شيء عظيم كان فيّ. ومن يدري فقد يكون شبابي قد ذهب مني لانه لم يطق ان يقيم هنا بعد ان رأى الاه الشباب قتيلاً.» (٢

في فؤاد سالومة هذه عاطفة حارة نحو التسامي والنقاوة وهي تشعر بالحاجة الى تقبيل اذيال الذي اجتمعت فيه هذه المزايا، وانها تنهاها عن التعلق به. ولكن تمني الحرية في الحب يحملها على التمرد. ولذلك نراها متحسرةً يائسة لان رغبتها لم تتحقق. فاين الايمان الذي يجب ان يحيي النفس، ولاسيما امام الموت؟ واين الرصانة الروحية التي تقتبل الحزن العميق بقلب كبير؟ أمثل هذه الزفرات الحرّى يحاكي التضحية الصامتة التي تؤديها النساء المتألمات امام الصليب! كلا انها لعاطفة نفعية انانية اكثر مما هي تأثر الخلاص نزيه.

وهذا البون الشاسع في النوع والكمية بين ميزات الشخصيات التي يستنطقها جبران وبين اشخاص العهد الجديد هو الذي يولد فساد العقيدة، ويعطل الفنّ، ويبرهن عن سوء نية الكاتب الذي ضرب بالحقيقة عرض الحائط عندما كان يعالج مواضيع كتابه. تأمل كيف يشوّه صورة السيد المسيح القائل «انه لاسهل ان يدخل الجمل في ثقب الابرة من ان يدخل غني ملكوت الله» (٣ فيبرزه حريصاً على التدقيق في الداخل والخارج الى صندوقه من العملة. وكيف يصور

١) يسوع ابن الانسان، ص ٢٧-٢٨
٢) يسوع ابن الانسان، ص ٦٥-٦٦
٣) مرقس ١٠: ٢٥

المشترع الزاهد كانه من العملاء الذين يأسر مشاعرهم تمايل امرأة في المطعم فيستسلمون لعاطفة تأخذ مدى حبها دون ما تحفظ ولا مداراة . كل ذلك واضح في حديث « آحاز الجسيم صاحب الفندق » عن « العشاء قبل الفصح » قال :

« وكانت زوجتي قد اعدت سمكاً من البحيرة ، ودراريج من حوران حشتها بالارز وحبوب الرمان واحضرت انا لهم جرّة من خمرة سروقي .

ثم تركتهم لانني شعرت بانهم راغبون في ان يكونوا وحدهم .

وقد اقاموا في العليّة حتى خيّم الظلام ، ثم انحدروا جميعهم معاً من العليّة ، ولكن يسوع وقف هنيهة عند قدمي السلم ، فنظر اليّ والى زوجتي ، ثم وضع يده على راس ابنتي وقال : ليلتكم سعيدة جميعاً ، اننا سنأتي ثانيةً الى عليتكم . . .

حينئذٍ التفت الى يهوذا الاسخريوطي الذي كان يحمل كيس الجماعة ، وقال له : « اعطني شاقلين »

فاعطاه يهوذا شاقلين وقال له : « هذه آخر قطع من الفضة في كيسي »

فنظر اليه يسوع وقال له : « قريباً جداً سيمتلئ كيسك فضة »

ثم وضع الشاقلين في يدي وقال : « اشترِ بهذا المال منطقةً حريرية لابنتك ومرها ان تلبسها في عيد الفصح تذكاراً لي . »

قال هذا ونظر الى وجه ابنتي ثانية وانحنى وقبّل جبينها ثم قال ثانية : « ليلتكم سعيدة جميعاً . »

وسار في طريقه .

يقولون لي ان ما قاله لنا قد دوّنه احد اصدقائه على رقٍ عنده ولكنني اعدته على مسامعكم كما سمعته من شفتيه .

انني لا انسى ما حييت رنّة صوته وهو يقول هذه الكلمات : « ليلتكم سعيدة جميعاً »

فاذا اردتم ان تعرفوا اكثر من هذا عن النبي الجديد فاسألوا ابنتي ، فهي امرأة الآن ولكنها لا تبدل تذكارات صباها بمال الارض كلها . وهي اكثر استعداداً للكلام مني . » (١

اننا نكتفي بايراد هذه النصوص بلا تعليق ولا شرح لانها جليّة بذاتها . ولولا خوف الاكثار والملل لذكرنا غيرها حيث ترثيه « امرأة من جبيل » قائلةً :

« ابكين معي يا بنات عشتروت ، ويا كل محبي تموز . . .

بللن بدموعكن اغطية فراشي الحريرية ، حيث استراح حبيبي مرةً ، ثم ابتعد عني في يقظتي .

استحلفكن يا بنات عشتروت ، ويا كل محبي تموز .

اشددن صدوركنّ وابكين وعزّيني .

---

١) يسوع ابن الانسان ، ص ١٦٤-١٦٥

لان يسوع الناصري قد مات » (١

او حيث تترنم حبيبة « يوناثان » السائرة معه في القارب :

« تأمل يا حبيبي هذه الزهرة الذهبيّة العائمة بين العلو والعمق كما نسبح (انت وانا) بين المحبة التي كانت منذ الازل وستظل الى منتهى الدهور.

حرّك مجذافك يا حبيبي ، لاضرب على اوتار قيثارتي . لتتبع الصفصاف ولا تحمل زنابق المياه.

في الناصرة شاعر قلبه كقلب عرائس النيل . وقد زار هـذا الشاعر نفس المرأة ، وهو يعرف عطشها المتفجر من المياه ، ويعرف مجاعتها للشمس في حين ان كل شفاهها شبعانة.

...

حرك مجذافك يا حبيبي ، لاضرب على اوتار قيثارتي.

ففي الناصرة شاعر يعرفنا ويحبنا معاً.

حرك مجذافك يا حبيبي ، لاضرب على اوتار قيثارتي.» (٢

والآن نعتقد ان في هذا القدر كفاية لاستخراج النتيجة الحاسمة التي تؤيد رأينا في جبران وقصده من الصاق المحبة النسوية بيسوع ابن الانسان وتصوير اختمارها في قلبه بقدر ما يستطيع من الانجذاب والتدله الـذي يتفق مع ماضي جبران الادبي.

وهو ، وان استحال عليه ان ينسب الى بطل الكتاب صراحةً مـا اعترف به عن نفسه في « الاجنحة المتكسرة » او ما علّل به نظريته الاباحية في تعاليم النبي عن اللذة الجسديّة ، فانه لا يتأخر عن استبدال شريعة الحياء والعفـة المقدّسة بشريعة مريضة هي محض الاباحيّة المطمئنة في حقلها الحر.

جاء في انجيل يوحنا ، الفصل الثامن ، في رواية المرأة التي اخذت بالزنى وجاء بها الفريسيون ليجرّبوا السيد المسيح :

« ولما استمروا يسألونه انتصب وقال لهم : من كان منكم بلا خطيئة فليبدأ ويرمها بحجر. ثم أكبّ ايضاً يخط على الارض. اما اولئك فلما سمعوا طفقوا يخرجون واحداً فواحداً، وكان الشيوخ اول الخارجين. وبقي يسوع وحده والمرأة قائمةٌ في الوسط. فانتصب يسوع وقال لها : يا امرأة ، اين الذين يشكونك ؟ اما حكم عليك احد ؟ قالت : لا، يارب ! فقال

١) يسوع ابن الانسان ، ص ٢١٢-٢١٣

٢) يسوع ابن الانسان ، ص ١٢٦-١٢٧

يسوع: ولا انا احكم عليك. اذهبي ولا تعودي تخطئين » (١

فلنبحث الآن في كتاب جبران عن الشريعة التي قضى يسوع بموجبها في الموضوع نفسه لنرى اية صفة اتخذ مبدأ الكاتب الحريري قال على لسان « اندراوس » ، « في المدنسين » :

« . . . فاحاطوا بيسوع وقالوا له : « قد دنّست نذر زواجها وأمسكت بالفعل الشنيع . »

فنظر اليها ، ووضع يده على جبينها ، وتأمّل ملياً في عينيها .

ثم التفت بالرجال الذين احضروها اليه ، وامعن نظره في وجوههم ، وانحنى وشرع يكتب باصبعه على الارض .

فكتب اسم كل رجل ، وكتب الى جانب كل اسم الخطيئة التي ارتكبها صاحب الاسم .

وفيما كان مكبّاً على الكتابة هربوا من حضرته يجرون اذيال عارهم .

وقبل ان فرغ من كتابته لم يبق امامه احد الّا نحن والمرأة .

فنظر الى عينيها ثانية وقال لها : « انك قد احببتِ كثيراً . اما الذين احضروك الى هنا فانهم احبوا قليلاً . ولكنهم حملوك اليّ كاحبولة لاحتيالي .

فانصرفي الآن بسلام .

لم يبقَ منهم احد ليدينك . فاذا رغبت في ان تكوني حكيمة كما انت محبة . فسامحيني ، فان ابن الانسان لا يدينك » (٢

عندما سمع يسوع الانجيل اتهام الزانية « انتصب » ولفظ الحكم الصارم على المجرمة فوراً . ولكنه اشترط ان يكون العامل على قمع الجريمة شريفاً طاهر الذيل . واما يسوع جبران فقد فهم التثبت من انّ امرأة « دنست نذر زواجها وأمسكت بالفعل الشنيع » ولم يأتِ بعمل قضائي بحقها .

يسوع الانجيل « اكبّ يخطّ على الارض » . ولكن يسوع جبران « نظر اليها ووضع يده على جبينها وتأمل ملياً في عينيها »

يسوع الانجيل نادى المتهمة بلهجة تشعر بالحزم في الدينونة « يا امرأة . . . » والتشبث في متابعة التعقيبات « اما حكم عليك احد ؟ » — واما يسوع جبران فتحبب يخطب مودّة المجرمة بتبرير موقفها واطرائها : « انك قد احببتِ كثيراً اما الذين احضروك الى هنا فانهم احبوا قليلاً . »

١) يوحنا ٨ : ٧-١٢

٢) يسوع ابن الانسان ، ص ١٥٢

وبالنتيجة فتهمة الانجيل يظهر تضرعها وتتراءى توبتها بقولها « لا يا رب »، فيغفر لها المسيح على ان لا ترجع الى مثل ذنبها . واما يسوع جبران فلا يحصل من قبل الزوجة المدنسة على امارة تحكي الخضوع والاذعان للتوبة ، او الشعور بانها اتت امراً فرياً . وعليه فهو يطلقها تسرح وتمرح كما ترغب وتشتهي ، دون ما شرط ولا قيد . ويزيدها انغماساً بتحريضه اياها وتطمينها بان لها ان تستسلم الى سلطان الحب وتنفذ ما يامرها ، به وهو يبرئ ساحتها لانها تعمل بمشيئة القلب .

يسوع الانجيل حكم على الزانية ثم عفا عنها والقى حبل الرحمة على غاربها، معتمداً على حسن نيتها بعدم الرجوع الى الاجترام . واما يسوع جبران فلم ير لزوماً لوضع الحبل في رقبتها لانها مبدئياً حرّة وكل ما ترغب به من المحبة فهو « مباح » . وهذا التعاكس بين مبدأ « اذهبي ولا تعودي تخطئين » ومبدأ « انصرفي الآن بسلام . . . واذا رغبتِ في ان تكوني حكيمة كما انت محبّة ، فاطلبيني فان ابن الانسان لا يدينك» هو القول الفصل في ان جبران قصد مسخ المذهب المسيحي وطعنه بحراب التشويه في احشائه ، وتزييف مواضيعه بذاتها لابرازها بقالب له من الموضوع اسلوبه وبعض تعابيره وبعض النقاط المأثورة عنه . ولكنه مركب باسلوب يعود بالاتجاه العام الى ما هو نقيض المبدأ الاساسي .

بقي علينا ان نقول كلمة في تعليل جبران للعجائب الانجيلية ورأيه الفلسفي شبه اللاهوتي . وهو ما ندرسه قريباً ، ان شاء الله .

الامثال والاساطير اللبنانية

المختصة باشهر السنة الشمسية

بقلم لحد خاطر

٣

اذار

أذار او آذار من ادارو البابلية بمعنى البيدر او الحصاد او الحقل . تدخل فيه الشمس برج الحمل . يقابله من الشهور الافرنجية « مارس » المسمى باسم والد رومولوس باني رومية وواضع الاشهر الرومانية ، او باسم المريخ اله الحرب. كان الاقدمون يمثلونه بصورة رجل يلبس جلد ذئبة (رمزاً الى معبودهم اله الحرب) وحوله تيس من المعزى ، وسنونو ، ومركب ملآن لبناً وعشباً اخضر.

رأى اللبنانيون حالة هذا الشهر الجوية متقلبة لا تثبت على حال ، فتكون جميلة هادئة في بعض السنين،ورديئة مضطربة في غيرها ، فتضاربت فيه اقوالهم. فما قالوه عن رداءتها واضطرابها :

« اذار الهدار فيه الزلازل والامطار ، وفيه سبع ثلجات كبار ما عدا الصغار. » يريدون بالزلازل الانهيارات الارضية التي يكثر حدوثها في لبنان في هذا الشهر في السنين الغزيرة الامطار . و« في اذار تمطر في الليل اكثر من النهار .» ربما كان تعليل ذلك ان حرارة شمس الربيع توجد النشوءة في النهار وقلما تؤثر في رطوبة الليل فيخف المطر في الاول ويغزر في الثاني . و « امطار اذار تضيع الراعي عن باب الدار » ، اي تضلله عن باب منزله لغزارتها. و« في اذار البقرة بتمج وبتنادي آه على غبرة من غبرات البيدر » ،

اي ان سوء الحالة الجوّية من مطر وبرد تجاهها تتلهف على ايام تموز مع ما ينالها فيها من تعب في دياسة الحنطة وهي تجرّ النورج . و«خبي فحماتك الكبار لعمك آذار» لان البرد قد يشتدّ بعض السنين في اذار خلافاً لما يُنتظر فيه من جمال الطقس باقبال الربيع،فيحذّر الناس بهذا المثل من استنفاد كل الوقود المعدة للشتاء ويُنصحون باستبقاء جانب كبير منها لاذار لئلا ينالهم اذى فيه في صحتهم وراحتهم . ومعلوم ان برد الربيع هو اشد ضرراً بالصحة واعظم تأثيراً في الجسوم منه في اشهر الشتاء التي تتقدمه.

ومما قالوه عن جمالها وهدوئها :« في اذار بتنقل الشمس من برج الحوت وبتقول للبرد موت. » هذا في الغالب ولكل قاعدة شواذ و«في اذار بيمشش الدوري وبتورق الاشجار . » هذا في الساحل وبعض الوسوط . و «في اذار بيشنهق الحمار » ، لظهور المرعى في الربيع . و«في اذار بيصيح حبل القرّ ما بقى على الدنيا شر . » وحبل القرّ صغار الضفادع تنقّ كل مساء في البرك والمستنقعات ، ونقيقها عندهم دليل على ادبار الشتاء واقبال الربيع . و«في عاشر آذار طلع بقرك عا لدار » لتحسن الحالة الجوّية.

ويرى الفلاحون ان نوم ماشيتهم من اذار فصاعداً في الفلاة معرضة للبرد الربيعي المعتدل انفع لها من نومها في الزرائب الموصدة الابواب،ويقولون في ذلك: « في اذار اذا سبقك جارك على مرعى الربيع اسبقه انت على نوم الصقيع .» على ان الجوّ في هذا الشهر لا يمكن الركون اليه لان الصحو والمطر قد يتعاقبان مراراً في النهار الواحد وقد قالوا:«في اذار بيترنح الراعي وبينشف بفرد نهار.»

ويزعمون ان هذا التقلب اكثر ما يقع في ٢١ اذار المسمى باصطلاحهم « يوم نقلة الشمس » . ويحسبون الحساب للامطار التي قد تنهمل في هذا النهار فلا يخرجون في اثنائه الى سفر بعيد ولاسيما في الطرق الجبلية ، ولا يترك رعاة الماعز مشاتيهم الى المصايف قبل انقضائه ويسمي اهل الشوف هذا النهار « دنع شانيّ » وقد تقدم معنى الدنع اما شانيّ فقرية من الجود غير بعيدة عن صوفر ويروون ان عجالاً (راعي العجول) في هذه القرية سرّح عجوله ذات يوم الى المرتفعات المجاورة وكان الجوّ صاحياً لكنه لم يلبث ان تعكر واشتد البرد

وانهمرت الامطار حتى اوشك احد العجول ان يموت دنقاً،فطرح الراعي الصوت على القرية فاسرع اليه الاهلون وذبحوا العجل وشرعوا في سلخ جلده ، لكن سرعان ما طلعت عليهم شمس فياضة النور،شديدة الحرّ جعلتهم لا يقوون على انجاز عملهم لو لم يلجأوا الى ظل اشجار من السنديان نابتة في تلك الاعالي فقيل في ذلك : « اعجب من دنح شاني دنق العجل من البرد وسلخوه في الفيء » وفيه اشارة الى سرعة تقلّب الطقس في هذا الشهر .

وشمس اذار عندهم ليست نافعة على انها ليست ضارّة بمقدار ما تضرّ شمس شباط ، لذلك اشتهتها العجوز لبنتها على ما مرّ بك في الكلام عن شباط .

ويعتمدون على آذار في تعديل موازنة المطر فان نقص في الكانونين وشباط غزر في اذار وتعرض النقص . وان زاد في الكانونين وشباط قلّ في اذار او انحبس فتعدّت الزيادة . ويقولون في ذلك :« السنة بآذارها ان أقبلت اذار وراها وان احلت اذار وراها »

ويستبشرون برعد اذار معتقدين ان الرعد في هذا الشهر بشير بالمطر في الشهر الذي يليه .« كل رعدة باذار مطرة بنيسان »

واهم ما يشتغلون به من شؤون الزراعة في هذا الشهر بالسواحل زراعة الحمص ويحبّونها لانها معجّلة الغلّة ، ويقولون فيها :«الحمص متى اطلّ غلّ » ومعنى ذلك امكان الانتفاع به من حين ظهوره بتقديمه طعاماً للماشية،حتى اذا ظهر حبه اكله الناس اخضر . ويبيعونه في اسواقهم منادين عليه :« ام قايبانة خضرا وملانة ! » ويحين في هذا الشهر موعد حراثة الكروم لان الارض « تطيب» اي تصير متأهبة للحرث بسبب الحرارة الربيعية ، فيباشرون ذلك ولو تحت المطر ومن اقوالهم بهذا المعنى :« في اذار حط القبع على رأسك وافلح » والقبع ما يلبسه الفلاح في رأسه لاتقاء المطر . ويقولون ايضاً :« في عيد الاربعين شاهد جاهد على كرمك جاهد » وهذا العيد للاربعين شهيدًا يقع في ٩ اذار ومنه يبتدأ بشذب الكرم « تشحيله » وحراثته ويقولون :« الكرم اذا ما انفلح باذار بار »

وفي عيد الاربعين شهيدًا يأكل فلاحو اللبنانيين « كبة الحيلة » وهي من السميذ يلتّ بالدقيق ويجبل بعلوق البقطين او البطاطا ثم يقطع كتلًا تجوف

وتصقل وتحشى بالقورما والبصل المحمر والكشك او اللبنة وتطبخ كبباً او تقلى اقراصاً . ومن تقاليدهم جعل هذه الكبب والاقراص اربعينات على عدد الشهداء . وقد عرفت عجوزاً في احدى قرى الشوف عنّ لها في مساء هذا العيد ان تكرم الشهداء بأكل اربعين كبة بحساب واحدة لكل منهم فلم يمر عليها ساعتان حتى اصابتها تخمة اخمدت انفاسها فذهبت ضحية جهلها ونهمها .

وعيد الاربعين شهيداً هو عندهم آخر مرحلة من مراحل الشتاء ويقولون فيه : « بتظل الدنيا تجاهد لعيد الاربعين شاهد » اي ان الطبيعة تظل هائجة ثائرة حتى حلوله ومن بعده تخف وطأة البرد والمطر واذا حصل ثلج كان سريع الذوبان بفعول سخونة الربيع . اما معمعان الشتاء فهو عندهم عيد القديس انطونيوس الكبير ابي الرهبان الواقع في ١٧ كانون الثاني ويسمونه « اشد الشدّ » اي ان الامطار والبرد والبروق والرعود والصواعق تكون فيه في اعلى درجة يمكن البلوغ اليها من القوة والشدة .

اما مواليد الماشية في هذا الشهر فافضلها عندهم الجحاش . لذلك يقولون « لا تقتني الا جحش اذار . »

وفي اذار يشرعون بتربية دود القزّ : « في عيد البشارة بزرك يا بزارة » اي قدموه الى المدخن : « والقز شيلة من آذار شيلة من نيسان » اي قسم منها ينقف في اذار وقسم آخر في نيسان ، وهذا في الساحل ، اما مواسم الجبل فتتأخر عن مواسم الساحل نحواً من شهر قياساً مطرداً .

ويعتقدون ان صفاء الجو يوم عيد البشارة بشير بالاقبال في موسم الحرير وان تلبده بالغيوم نذير بالاخلال بدليل قولهم : « يوم عيد البشارة اذا كان في السماء غيمة دور الكارة ما بيطلع من القز ولا شكارة » ومنهم من يقول : « ولا اشارة » ومعنى اشارة في اصطلاحهم : الشيء القليل . والكارة دائرة من قماش يستعان بها في صنع الخبز اللبناني المعروف «بالمرتوق او المراشيح» . والشكارة القليل من الفالج (الشرانق) .

وفي عيد البشارة يكشف الاحداث نجتهم بتقليب الحصى باحثين تحت كل حصاة عن شعرة فاذا وجدوها نظروا في لونها فان كانت بيضاء تفاءلوا بها واستبشروا

في مستقبلهم خيراً وان كانت سوداء تشاءموا وخافوا ان ينالهم فيه مكروه.

وفي هذا الشهر تنمو الزروع وتصير على اهبة الاسبال ويقولون في ذلك : « اذار حبل ونيسان سبل » وهذا في الساحل اما في الجبل فيقولون: « نيسان حبل ونوار سبل »

وفي اذار « يقع زمن الاعتدال الربيعي » وتقول العامة في ذلك : « في ٢١ اذار يتساوى الليل والنهار » وبعد ذلك ياخذ النهار بالطول والليل بالقصر ، الى زمن الاعتدال الخريفي.

و ٢١ اذار هو آخر فصل الشتاء واول فصل الربيع . ومن عادتهم قسمة فصل الشتاء المؤلف من ثلاثة اشهر او تسعين يوماً والواقع بين ٢١ كانون الاول و٢١ اذار قسمين: اولهما ينتهي في عيد دخول المسيح الى الهيكل الواقع في ٢ شباط ويسمونه « الاربعينية » لانه مؤلف من اربعين يوماً ، وثانيه وهو المنتهي في ٢١ اذار يسمونه « الخمسينية » لانه مؤلف من خمسين يوماً ، ولهم قاعدة يستدلون بها مقدماً على حالة الطقس في القسمين ، اي « الاربعينية والخمسينية » وذلك انهم يرصدون مغيب الثريا ليلة عيد البربارة الواقع في ٤ كانون الاول ، فاذا غابت في صحو وجو رائق قالوا ان « الاربعينية » ستكون ناشفة اي قليلة المطر والخمسينية رطبة اي كثيرته ، والعكس بالعكس اي اذا غابت الثريا في يوم ممطر وجو متجهم قالوا ان الاربعينية ستكون رطبة اي كثيرة المطر والخمسينية ناشفة اي قليل مطرها.

وفي هذا الشهر يكون الفلاح في الغالب قد جاء على ما عنده من غلة مدخرة فيحتاج الى المؤونة، فتسوء اخلاقه ، ولاسيما اذا كانت الحنطة قد ارتفعت اثمانها كما يحدث عادة . ولعل ذلك هو خير تفسير للقول الذي يرددونه وهو : « في اذار بتغلا المونة وبيكتر النقار »

وتتحسن الصحة في هذا الشهر لتقلص ظل البرد وظهور الربيع وخروج الناس الى البرّية يتنشقون النسيم العليل ، ويشربون الماء الزلال ، لذلك يقولون : « سأل نيسان اذار وهو راحل يا اخي اذار كيف فارقتهم ؟ اجاب اذار وهو يبسم : فارقتهم حمر موردين (بلون الورد) وعلى النهورة (الانهار) واردين »

الفقه الاسلامي

تاريخه وتطوّراته

بقلم الاب لامنس اليسوعي

٣

الفقه وتطبيقه العصري

قدّمنا ان الفقه يُعتبر صادرًا عن الوحي القرآني . ولذلك قلنا انه متّصف بالجمود ، بعيد عن المرونة وقابلية التنوّع . اذ ليس للانسان ان يحوّر مقرّرات الوحي . على ان من يراقب الحياة الاسلامية يشعر بنزاع شديد ، وان ضمنيًّا ، بين مبدأ عدم التحوّل هذا وما تجرّه حوادث تلك الحياة في بيئات اوفر مدنيّة واوسع مرافق من بيئة العرب على عهد النبي ، وهي البيئة التي سنّ لها محمد شرائعه . فضلًا عن ان تلك الصفة الجمودية حالت دائمًا بين المبدأ الفقهي وتطبيقه التطبيق الكامل المطلق ، الا في ما خصّ موادّ قليلة يذكرها القرآن صريحًا او تتعلّق ببعض احكامه كحوادث الاحوال الشخصية ، والاوقاف ، وما الى ذلك . وكان من نتيجة ذاك النزاع انه حتى في البلاد الخاضعة للسلطات الاسلامية كالقطر المصري اليوم ، والامبراطورية العثمانية سابقًا ، كانت الحكومات لا تتأخر عن سنّ شرائع مدنية مستقلة عن الفقه تصدرها بصورة « قوانين » او « مجلة » الخ . . . فكانت تترك للفقهاء ان يقرّروا دوام التشريع القرآني ، وتتدخل عندما تشعر بان تطبيقه قد يجحف بالنظام الاجتماعي . وهكذا حتى اصبح الفقه علمًا نظريًا يتعلّق بموضوع بعيد التطبيق ، يرتقي الى حدّ يؤلّف مثالًا اعلى للحقوق ، ويستند الى تنظيم « كلامي » محض خرج عن الاحوال الحاضرة منذ اقفال باب « الاجتهاد » ، فاصبح بعيدًا عن مقتضيات الحياة المعاصرة

الا في بعض حوادث جزئية يطبق فيها عن طريق « العادة » « والاستحسان » اما في ما خصّ الحقّ التجاري فان العادة ظلّت متابعةً سيرها دون ان تهتمّ بمقرّرات الفقه وتحفّظاته.

وان من العجيب ان دارس احوال الفقه الحاضر لا يزال يرى الفقهاء ينصرفون — بجدّ ورزانة لا ينقصان في شيء عن جدّ الماوردي ورزانته اذ كان يبني النظريات في اوائل القرن الحادي عشر في السلطة الاسلامية وصفاتها — الى درس دولة اسلامية مطلقة لم يبقَ لها من وجود في ايامنا. فيدقّقون في وصف مؤسساتها ، ويعيّنون كيفية سير نُظُمها وترتيباتها ، ويرسمون خطة ادارتها ، ويسنّون طريقة توزيع الواردات الوهمية لهذه الدولة الخيالية . وهم يسيرون في ذلك من مبدأ خلافة عالمية تخضع المسكونة كلها للشريعة الاسلامية ؛ ويفرضون اقرار العبودية ، وما يجرّه هذا المبدأ من امكانية التعويض والتكفير عن اهمال الواجبات . فيدرسون كيفيات الاعتاق ، وتمكّن العبيد من الوصول الى اعلى مراتب الجماعة الاسلامية . ثم يقرّرون القواعد الاساسية للحقوق الدولية ، وحقّ الحرب ، وما يجب فرضه من الاهانات ومظاهر الصغار والاذلال على الذميين. ومن ثم يندفعون في وصف هيئة ثيابهم والوانها ، وانواع التحريات الواجب عليهم اتباعها كركوب الخيل وحمل السلاح واداء ضرائب خاصة . وفي ما عدا ذلك فهم يسمحون لهم بالقيام بشعائر دينهم « بكل حرّية » .

ثم ان فكرة الفقه في ما خصّ الحقوق التجارية والاتفاقات المدنية تصطدم بنظام الاعتماد المالي والعلاقات الاقتصادية بين الشعوب العصرية . فانه لا يزال يحرّم طرق الضمان والتأمين معتبرًا اياها من نوع القمار او لعب الميسر.

وكذلك لا يزال الفقه يشرح حقًا جنائيًا لا يحيد عمّا احتفظ به القرآن (٢ : ١٧٥) من مبدأ « القصاص » البدوي القديم الذي يخوّل الموتور حقّ الانتقام بنفسه ، تاركًا لوليّ الحقّ او لاهله الخيار بين العفو وقبول الدية . حتى اذا رضوا لم يعد للحكومة من حقّ بمعاقبة المذنب . وان ما يفتح الباب لتدخل الحكومة هو حقّ الموتور في ان يسهّل له ارباب الحكم قصاص واتره . على ان الحكومة ترى نفسها ، في كثير من الحوادث ، مدفوعة الى

الوقوف عند « حدود الله » اي عند العقوبات المذكورة في القرآن.

هـذا ، فضلاً عن ان الفِرَق المنشقة لهـا فقهها الخاصّ في ما يتعلّق بالسنة والتفسير.

الاجماع

نسب الى النبي قول مفاده : « ان جماعته لا تتفق على ضلال ». وهو معنى ما يُعرف « بعصمة الامة » اي تلك الخاصة المترفّعة عن الخطأ الناتجة عن نوع من الالهام المشترك قد يُعادل ما يُعرف بـ « صوت الشعب من صوت الله . » وقد نسب ايضاً الى النبي القول : « اختلاف الآراء رحمةٌ من الله » ومعناه ان اختلاف العلماء في التفسير رحمـةٌ للمؤمنين اذ تولي ضمائرهم سعةً وراحةً في اختيارهم بين المقرّرات المتنوّعة. فاذا جمعنا بين القولين وقفنا على الغاية منها وهي شرح تنوّع المذاهب السنية ، واقرار شرعية « الاجماع ».

اما اوّل من فكّر « بالإجماع » ووضع له الصيغة الاولى فكان مالك بن أنس ، على ما يظهر . وهو مؤسس المذهب المدني المستند الى العادة الجارية في المدينة الراقية ، على زعمه ، الى النبي نفسه. وهذه العادة كانت تمثل الإجماع في عرفه ، وقد شاءها سلاحاً يحارب به ابا حنيفة متهماً اياه بالانحراف عن السنّة الحقيقية.

ثم اتى الامـام الشافعي فتوسّع في نظريـة الامـام مالك ورتّبها نوعاً ، وجعلها قادرةً على اصدار القرار الحاسم في احوال جديدة لم يكن لها من حلّ في اصول الفقه الثلاثة الاولى وهي القرآن والسنة والقياس . ومن ثمّ لم يلبث الإجماع ان تجاوز الحدود الضيقة التي ارادها له الامام مالك . فاعتبر الفقهاء ان من حقّ الإجماع ان يقرّر ما يستخرج من الاحكام بواسطة القيـاس . ثم طلق القرار نفسه على السنة فوجب على مقرّراتها ان تخضع لاجماع المؤمنين . ولكن بقي عليهم تحديد هـذا « الاجمـاع » ، وتحقّق وجوده ، ومَن يكون شهوده ؟ ومَن يقوم شرعاً بالتعبير عنه ؟

لا يخفى ان ليس في الاسلام من نظام ديني ذي تدرّج واصل الى رتبـة

عليا تفرض الاحكام الحاسمة ، كما هو الحال عند المسيحيين . ولهذا كان من الصعب ان يتفق المسلمون الاتفاق التام على حقيقة الاجماع ، وعلى الذين يعبّرون عنه .

لقد فكروا اولاً بالصحابة وبالتابعين . وحجتهم في ذلك ان الصحابة تلقّوا التعليم عن الرسول مباشرةً ، وعاشوا كلهم في تلك الحقبة التي ارادوا ان يعتبروها عصر الاسلام الذهبي . وهو رأي الامام مالك المدافع عن السُنّة المدنية . وقد مال اليه واقرّه كثير من الحنابلة ومن الوهّابية في ما بعد . اما الظاهرية فلا يقبلون الا اجماع الصحابة . على ان الحاجة اضطرّت الفقهاء الى توسيع هذه الحلقات الضيّقة ، واعطاء « الاجماع » تحديداً اوسع ، والا اصبح عسيراً حلّ الكثير من المشاكل الجديدة .

وقد نسب الى النبي قوله ان « العلماء ورثة الانبياء » . فاليهم تعود اذاً مهمة « الحلّ والعقد » . أوَ ليس الراسخون في العلم وحدهم يعلمون تأويل الكتاب ؟ (القرآن ٣ : ٥) وعليه فقد حُدّد الاجماع بانه اتفاق العلماء والمجتهدين في عصر من العصور . على ان هذا الاتفاق لا يتجاوز حدّ التأويل . فللعلماء والمجتهدين ان يشرحوا ويؤوّلوا ما اشكل ، ولكن ليس لهم ان يشترعوا ويسنّوا القوانين . وان ما يقوم به جيل من العلماء من الشرح والتعليم يعتبره الجيل التالي من مظاهر الاجماع . وهو ما يُعرف «باجماع المجتهدين» سواء أوافق المعاصرون على هذا الاجماع بالقول ام بالفعل ، ام بالسكوت والتقرير . وميزة هذا الاجماع في عيون الائمة ان ينقل تعليم « السلف الصالح » دون ان يشبه بشيء ، وان يظلّ ، مع ذلك ، مرناً ليّناً حتى يوافق احتياجات الايام المقبلة .

وليس من حاجة في اقرار الاجماع الى الاستفتاء العام . ولا يخفى ان النظام الاسلامي لا يسهّل هذا الاستفتاء . فيكفي عند الضرورة أن قرار بعض العلماء في موضوع ما يصادف موافقة زملائهم ، وإن موافقة صامتة ، اي يكفي انه لا يصادف احتجاجاً من قبل غير المقرّرين من العلماء . اما الجماهير فليس لها ان تتدخل في هذه الشؤون . بل عليها ان تتبع سبيل المؤمنين ، و«من يتّبع غيرَ سبيل المؤمنين نُوَلِّهِ ما تولّى ونصله جهنم وساءت مصيراً » (القرآن ٤ : ١١٥) وان

اصحاب البدع الحقيقية في الاسلام ، او الهراطقة ، هم الذين يرفضون اعتبار الاجماع . ولهذا يدعو السنيون انفسهم لا « اهل السنة » فحسب ، بل « اهل الجماعة » ايضاً .

واذا فهمنا الاجماع على هذه الصورة من المرونة واللين نرى غايته ان يقوم في الدين الاسلامي مقام تعليم الكنيسة المعصومة في الدين المسيحي ، فيضمن ، ضمن نطاق واسع ، اتفاق الجامعة الاسلامية على العقائد الدينية . وهو يتساهل بتطوّر الشريعة نوعاً ما تطوّراً تفرضه الاحوال ولا يمكن الاجماع ان يقف في وجهه . على ان الاجماع يتدخل في ذاك التطوّر ليمنع التطرّفات وسوء الاستعمال التي قد تجرّها حرية لا حدود لها . وتنتج مقرّرات الاجماع عادةً من الخلاف والشقاق بين النظريات المتعاكسة حتى التطرّف ، ومن المعارك الدموية بعض الاحيان التي كثيراً ما سبّبها واطال مدّتها تعصب الحنابلة . على ان هذه المقرّرات لا تلاقي اتفاقاً عاماً حتى داخل المذهب الواحد . ولكن الاختلافات الثنوية لا تمسّ ما يمكن ان نسميه ، بكل احتياط وتحفّظ ، كاثوليكية النظام الاسلامي . فان « الاجماع » يتخذ لحسابه كل هذه الحلول المختلفة ، ويضمن لها جميعها ميزة العصمة .

هذا وبفضل الاجماع قبل المسلمون النصّ القرآني العامي بقراءاته السبع المعروفة . وكذلك بفضل الاجماع قبلوا تفسيره المقرّر . واذا كان الاسلام يقرّ رسمياً كتب الحديث الستة البخاري ومسلم والترمذي . . . التي تستند اليها المذاهب الاربعة ، فان الفضل في ذلك يعود الى الاجماع اكثر منه الى حسن اسلوب المؤلفين او تأثير شخصياتهم . واذا كانت تلك الحركة الروحانية الاخلاقية المعروفة بالصوفية السنية قد نالت ، وان متأخرة ، الاقرار الرسمي ، فان الفضل للاجماع ايضاً . على اننا لا ننكر ان الصوفية مدينة ايضاً في نجاحها ، على رغم مقاومة الحنابلة ، الى شخصية الامام الغزالي ، تلميذ المذهب الاشعري ، الذي اصبح بالحقيقة « محيي الدين » بمقاومته ما كانت تجرّه من المساوئ تطرّفات النظريات الفلسفية والفقهية . وان من ميزة الاجماع ان يترك الباب مفتوحاً لدخول كثير من الآراء الجديدة في الدين . فيحاربها الائمة اولاً بدعاً خطرة . ثم تكن

الحركة شيئاً فشيئاً ويتضاءل الخلاف حتى ان المذاهب السنية تقبل بعض تلك « البدع » بتحفظ شديد اولاً ثم لا يلبث الاجماع ان يقرّها بدعاً حسنة ، او يكتفي بغضّ النظر عن سيرها.

من هذه البدع او التجديدات كل الاعياد المؤسسة لتكريم النبي كعيد المولد وغيره ، والاعتقاد بعجائبه وكراماته وعصمته وهو اعتقاد لا يقره القرآن. ومنها الاعتقاد بقداسة الاولياء وشفاعتهم ، ولم يكن الاسلام في اول امره يقرّ بالقداسة الا للانبياء وحدهم . ومن ذلك ايضاً تكريم القبور وما يجر اليه من طرق العبادة . . . وكل هذه البدع تظلّ مبدئياً معاكسة لروح التوحيد القرآني الذي لا يقبل من شفيع ولا من وسيط بين الله والمؤمنين . على ان الاجماع اقرّها ، على الرغم من معارضة الحنابلة ، مستنداً في ذلك الى موافقة الاسلام العالمي في عاداته واعماله ، والى سكوت الائمة عن تلك العادات الشعبية. وكذلك اقرّ الاجماع شرعية لقب الخلافة المعطى لسلاطين آل عثمان ، على كونهم لا ينتمون الى بني قريش ، والقرشية كانت في ما سلف شرطاً اساسياً للخلافة تبعاً لقرار الاجماع نفسه. وكذلك دُفع الاجماع الى تحليل استعمال التبغ والقهوة ، والى السماح بطبع القرآن على الحجر . على ان طبعه بالحروف لا يزال يعرّض ضمائر المتقاعسين الى الشكوك والوساوس . ولا نزانا مبالغين اذا قلنا ان الاجماع لا يلبث ان يقرّ شرعية استعمال الرسم والتصوير للكائنات الحية ربما يصل الى الاقرار بشرعية الفونغراف وما شاكله من الاكتشافات الحديثة . . .

ومن صفات الاجماع انه ظاهرة غريزية تبدو دون سابق روية وتعقل ، مدفوعة بالحاجة الى الوفاق والتوازن بين العقيدة والاحوال . بل هو مظهر لما يمكن تسميته بالغريزة الدينية في الشعب المؤمن . وقد رأينا كيف ان الاسلام ، بعد الكثير من الاضطرابات والتجربات والمحاولات ، توصل الى الموافقة على مدلول « الاجماع » المرن الذي تظهر فائدته الجزيلة بعد ان اقفل «باب الاجتهاد» دون ان يجرّ ذلك الى المناظرات العقيمة.

وقد خال بعض علماء الاسلاميات من الغربيين ان هذه المرونة تكفي لتطبيق الشريعة على حاجات العصر ، فتدخل فيها كل التجديدات الضرورية ،

فزعموا « ان مـا اقرّه اجماع مـا يمكن ان يغيّره اجماع آخر . » وعلى هـذا النحو يقيس « العصريون » من المسلمين نظرياتهم في تجديـد الفقه الذي يرونه اصبح قديمـاً قاصراً عن حاجات العصر . ولو كان قدمـاء الائمة من الـذين عملوا على اقرار نظرية الاجمـاع قد سمعوا هـذه المزاعم لاستنكروهـا اشدّ الاستنكار . فان الاتفـاق على العقائـد لا يولّد شيئاً . والاجمـاع لا يُخلَق ولا يُرتّب دفعةً واحدة . ولا يمكن للعلماء الا ان يتحققوا وجوده . وهو ينظر الى الوراء لا الى الامام ، ويهتم لا بالمستقبل بل بالماضي . فاذا لجـأ اليه الائمة فانما يلجأون لتبرير بعض البدع او لتحليل بعض العادات التي دخلت الجماعة وفرضت نفسها مع الوقت ، فيجتهدون باقرارها ونسبتها الى سنة السلف الصالح ، اي الى شريعة ثابتة وطيدة مستمرّة حتى لا يجوز الشكّ في دوامهـا التقليدي .

وعليه فاننا نرى من التطرّف والتهوّر ان يُنظر الى الاجمـاع كالى آلـة يتمكّن العصريون بواسطتها من ادخال الاصلاحات في الشريعة ، فيجعلونها موافقة لحاجات العصر التي تتحوّل وتتغيّر يوماً فيوماً .

(له صلة)

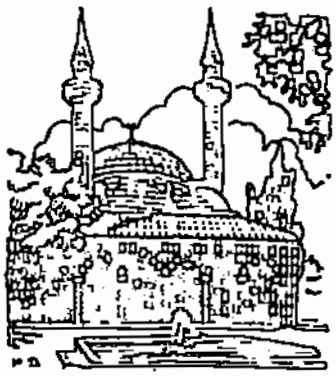

طاغية القرية

بقلم يوسف غصوب

المشهد الرابع

مريم . ليلى . المهاجر

المهاجر مساء الخير .

ليلى اسعد الله مساءك . تفضّل .

المهاجر (يخاطب مريم) ليلة سعيدة ، يا عمتي . اهنا بيت ابي شهيد ؟

مريم نعم ، يا ولدي ، ادخل . ماذا تريد منه ؟

المهاجر (على حدة) لم تعرفني (يخاطب مريم وليلى) لا شيء . انا حامل اليكم تحية من وراء البحار .

ليلى من وراء البحار !

المهاجر نعم . قد وصلت هذا المساء الى بيروت ، قادماً من المكسيك .

مريم تفضل ، يا ولدي ، اجلس . قد تكون تعباً . كاس من الماء ، يا ليلى (تتفرس به)

المهاجر (بعد ان جلس وادار لحاظه في البيت كانه يتأنس باشياء يعرفها) عرفت هناك في تلك البلاد الشاسعة شاباً يدعى شهيداً .

مريم شهيد ولدي !

ليلى اخي !

المهاجر لا غروَ انه اخوك ايتها الفتاة اللطيفة . فان فيك بعض الشيء من تلاميحه .

ليلى انت صديقه ! . . . بربك خبّرنا عنه . . .

المهاجر هو في الصحة التامة . اشغاله جيدة ، واسمه كالملك . وقد كلفني ان امرّ بكم عند رجوعي الى الوطن واحمل لكم تحيّة .

مريم ولدي شهيد . . .

المهاجر ثم قال لي : اذا وصلت الى بيروت ، فلا تنم هناك . بل اسرع حالاً الى الجبل . وعند صعودك الى قريتك تمرّ في طريقك على قريتي . ففي اول القرية ، على يدك الشمال ، قريباً من غابة الصنوبر ، بيت خليل الهاشم . فادخله تجد امي فتقبلها عني وتقبلك ، ثم تقبل يدها ، وتقول لها : ابنك شهيد لم ينسك ، ولن ينساك . ثم تجد بالقرب منها شقيقة لي ، ولا غرو ان تكون قد اصبحت اليوم صبيةً كبيرة ، فسلم عليها كثيراً . ثم قبلني وقال : هذه امانة مني فردها لمن اوصيت .
(يقبل يد مريم وينظر الى ليلى)

ليلى (على حدة) ما الطف هذا الفتى وما اقربه الى القلب !

المهاجر وانتِ ، يا ليلى – اظن ان اسمك ليلى فقد قال لي ذلك شهيد – فان ذكرك لا يزال في قلبه وعلى لسانه ، فليلى في جميع احاديثه ، وليلى محور افكاره .

ليلى اشكرك يا سيدي . . . مالك تحوّل وجهك عنا . بالله عليك خبرنا عن شهيد . فانه قد ظلمنا بهجره ، وظلمنا بسكوته . هل هو بصحة جيدة ؟ ألا ينوي العودة الينا ؟

المهاجر شهيد اخوك ملك صغير في تلك البلاد ، له اراض واسعة لا تحد ومزارع كثيرة اصغرها كهذه القرية . وله تجارة عظيمة . وهو فضلاً عن ذلك زينة المجالس ، مضرب المثل باللطف واللياقة .

ليلى نعم ! نعم ! حدثنا عنه . . .

المهاجر هو فتى ولا كالفتيان ، مشرق الوجه ، طويل القامة ، يطفح جبينه ذكاء . ضحوك ، لعوب . انما في ضحكه شيء من الحرقة والمرارة ، وفي صوته حنين دائم الى لبنان .

مريم هل انت صديقه ؟ هل تعرفه من امد بعيد ؟ قل لنا كيف يعيش ؟ كيف يشتغل ؟ بمن يفكر ؟ بماذا يهدس ؟ . . . نحن نسألك كل هذه الاسئلة وقد تكون تعباً جائماً ، فنرجو منك يا سيدي المعذرة . . . الا تأخذ نصيباً من الراحة !

ليلى الامل ان تبيت عندنا الليلة فتحدثنا عن شهيد طويلاً.

المهاجر اشكرك ، يا أخية.

ليلى .قد اظلم الليل، وانت تعبان. تنام عندنا الليلة ، وتذهب غداً في الصباح.

المهاجر لا بدّ لي من ذلك ؟ اذن انام عندكم الليلة !

ليلى لله ما الطفك ! قل لي اكان سفرك سعيداً سهلاً !

المهاجر نعم . قليل من الدوخة في البحر . ولكن السرور بالعودة كان اشد من كل دوخة ، فلم افكر بها . كنت كل مدة السفر على ظهر الباخرة انظر في الافق البعيد الى لبنان . ولما اطلت الباخرة على الجبل ، وقفت وفتحت صدري وتنشقت ملء رئتي نسيمه العليل ، وسال الدمع من عيني . ان هذه الجبال الجرداء لها في القلب محلّ لا يملأ فراغه شيء في العالم . هو فكر كل مهاجر ، وقبلة كل غريب ، ننام في المهجر فنراه في احلامنا ، وننهض ونحن نردد في كل احاديثنا : متى نعود الى لبنان ؟

ليلى متى يعود اخي ... (كانها تقول ذلك لنفسها)

المهاجر ولما دخلت الباخرة المرفأ ، ونزلنا الى الرصيف ، كان اول فكر خطر لي هو المجيء اليكم لتأدية امانتي . فركبت عربة واتيت ... وعندما ارتفعت العربة في الجبل ، واخذ الحوذي يغني ، وجلاجل الخيل ترنّ في اذني نسيت كل تعب ، وكل سفر ، ونسيت بلاد العالم ، وقلت انا في لبنان ، انا في وطني ، واخذت انظر الى الاشياء لاتعرّف اليها . فكان بعضها جديداً لم تره عيني من قبل ، وكان بعضها اليف صباي . فنزلت من العربة وقلت للحوذي اذهب . واتيت مشياً على قدمي ، فكنت اقف هنا ، واتأمل هناك ، وكانت نفسي تنتعش وصدري يتسع . وكان يمرّ بي اناس عرفتهم في صباي ، فكانوا ينظرون اليّ ولا يعرفوني ويقولون في نفوسهم : من هذا الغريب ؟ وكنت اعرفهم ، واضحك في سري ، واهمّ ان اهجم عليهم فاعرفهم بنفسي ... وقد عرفت بعض الاشجار فكنت اقبلها في الخفية ،

واحدثها ، واسألها عمّا جرى في غيابي . . . وطالت طريقي حتى غابت الشمس ، وطلع القمر ، فجلست على صخرة في الطريق ، ونسيت نفسي هناك . ولما رجع اليّ روعي اتيت توّاً اليكم .

مريم اهلاً بك ، يا ولدي ، فان ريح ولدي فيك . انت قريب العهد برؤيته ؟ انظر اليّ علني اراه في ناظريك !

المهاجر (يحول ناره) بربك ، يا عمتي ، هدّئي روعك . واتركيني اتنفس فقد تعبت من صعود هذه الطريق الوعرة

مريم اجلس بحياتي عليك ! اجلس . كم انا طائشة ! خذ راحتك ، يا ولدي

المهاجر اشكرك يا عمتاه ! (يحول وجهه ويمسح عينيه بمنديل)

مريم ماذا ! اتبكي !

المهاجر لا . لا . لا اعلم ماذا دخل في عيني !

ليلى دعني ارى فقد تكون قشة (تحاول نزع القذى بمنديلها)

المهاجر لا حاجة لذلك . . . قد انتهى الامر (يحاول الضحك) الحمد لله ! قد راقت عيني . تبّاً لهذه القشّة فانها قد أسالت دمعي . . .

ليلى الحمد لله !

المهاجر اجلسا نتحدث فلديّ اخبار كثيرة اقصّها عليكما .

(يدخل ابو شهيد ويبقى واقفاً وراءهم وهم لا يرونه)

المشهد الخامس

مريم . ليلى . المهاجر . ابو شهيد

ليلى نعم ! نعم ! خبرنا عن شهيد .

المهاجر قلت لك ، يا اخية ، انه في خير وعافية ، ولا ينقصه الا « رؤية وجهكم » ، كما يكتبون في الرسائل .

مريم وانت ، قل لنا من انت .

المهاجر انا الرسول . انا صاحب شهيد . انا رفيقه .

مريم وهل توفقت في سفرك ؟ هل جمعت شيئاً من المال .

المهاجر الحمد لله شيئاً كافياً . ولكن اين ثروتي من ثروة شهيد ؟ فانه في غنى فاحش . المال عنده قناطير مقنطرة . ما انا بالنسبة اليه ؟ لا شيء . ومع هذا فقد احضرت معي لتسوية هذا الصيف في لبنان مالاً كثيراً (يرجع حقيبته) انظرا هذه اوراق مالية لا تقلّ قيمتها عن الالفين ذهباً . (ينظر ابو شهيد من وراثهم الى المال)

ابوشهيد (يوجّه ليستلفت نظرهم ثم يقول) مساء الخير ، ايها الشاب

المهاجر (بصوت جافّ) اسعد الله مساءك .

ابوشهيد لا شك انك من المهاجرين ؟

المهاجر نعم ، سيدي . ولا غروَ انك ابو شهيد .

ابوشهيد ابو شهيد ؟ نعم انا هو . وانت ؟

المهاجر انا ؟

ليلى هذا صديق شهيد ، يا ابي ، هو قادم الينا من قبله .

ابوشهيد انت صديق شهيد ؟ طيّب ! طيّب ! . . . كيف . . . الا يزال طائشاً . مبذراً . . . في اية حالة هو ؟ . . . لا شك انه في فقر مدقع . وقد يكون ارسلك راجياً ان تتوسّط له للعودة الى هنا ، او لارسال بعض المال ! هذا لا يكون . هذا لا يكون ابداً . ليعلم ان لا صلة بيننا . لا هو ابني ، ولا انا ابوه !

المهاجر طمّن بالك ، يا سيدي . فما هو بحاجة لشيء . هو غني جدًّا جدًّا وفي بحبوحة من العيش . . .

ابوشهيد انا في ريب مما تقول . . . انا أعرف منك بولدي . شهيد عدوّ المال فكيف يجمعه ؟

المهاجر قد صدقت ! هو ، كما تقول ، عدوّ المال . فالمال لا قيمة له عنده . ولكن لا يمنعه ذلك من ان يكون نشيطاً فطناً ذكيا ، وان يجمع مالاً كثيراً ، وان ينفق كثيراً .

ابوشهيد كفى ! كفى ! نحن نعرف ما نقول . هل يتفق الغنى والتبذير ؟ هل يجتمع الماء والنار في اناء واحد ؟ دع عنك هذا . واما انت فيسرني

ان اراك ممسكاً قابضاً يدك.

المهاجر لا . لا . لا تنخدع . انا مثل شهيد ، لست ممسكاً.

ابوشهيد لا حياء في ذلك ، ايها الفتى ، فانا احب البخلاء . المال زينة الرجال . هو سلّم الى كل منزلة عالية ، «هو عصب الحرب» ، لا ادري من قال هذه الجملة ولكنها تعبر بوضوح عن قوة المال.

المهاجر المال زينة الرجال ، ولكن الكرم زينة النفوس.

ابوشهيد أه ! أه ! الاغنياء نفوسهم دائماً مزينة.

المهاجر هم يحسبونها كذلك . ولكن الشعب لا يراها كما تقول

ابوشهيد الشعب يخاف ، ولا يرى ، واذا رأى فانه يرى القوة والبطش يحيطان بالاغنياء ، يرى الحكومة تزدحم على باب الاغنياء ، يرى كل شيء في يد الاغنياء ، يرى العدالة في جانبهم ، فهذه المظاهر هي زينة الاغنياء ، وهي جديرة بان تحمل الناس على البخل حتى يكون لهم مثل هذه المنزلة . ليبغضنا الشعب ما شاء فلسنا في حاجة الى محبته ، بل في حاجة الى طاعته ، وهو ابداً طائع . . .

المهاجر ولكنه قد يملّ الطاعة.

ابوشهيد أه . أه . ارى انك عشت في بلاد اجنبية ، في بلاد الخطب الرائعة والالفاظ الفارغة : حرية . استقلال . استبداد الخ . انتم معاشر المهاجرين تأتوننا كل يوم ببدعة جديدة . . . انك لا يبعد ان تكلمني عن الاشتراكية . ولكن اعلم ، يا صاح ، ان هذه البذور لا تنبت هنا فالارض صلدة قاسية.

المهاجر لا اكلمك عن الاشتراكية . ولكن اقول لك ان للفقراء نفوساً ، وقد تضجر هذه النفوس من الطاعة العمياء . ان الرجل اذا جاع توحش.

ابوشهيد انت في وهم ، في وهم مظلم ، ان الرجل اذا جاع مات . فان الجوع لا يساعد على البطش ، ان الجوع اول الموت.

المهاجر ولكن الا يخاف الغني خمرة الغنى فانها تسكر . إنها تفقد العقل ، وقد تحمل على الافراط في كل شيء . وقد يتدهور الغني في طلبه الزيادة.

ابوشهيد كن مطمئناً . فالمال درع متينة لا ينفذ فيها شيء حتى ان الكوارث تقف دونها ولا تنفذ اليها

المهاجر ولكنها لا ترد لعنة الفقير المظلوم . . .

مريم ما لنا وهذا الحديث يا خليل !

ابوشهيد طيب . طيب . لا بدّ لك ان تتدخلي في كل شيء .

مريم الا تزال في عراك من اجل المال !

ابوشهيد (للمهاجر) الحق يقال ان للعشرة قوة عظيمة . فان شهيداً قد أثر فيك حتى اصبحت افكارك كافكاره .

المهاجر هذا ما افتخر به .

مريم انه باق عندنا الليلة . فغداً تتحدثان ملياً عن جميع هذه المسائل .

ابوشهيد انت تنام هنا الليلة !

المهاجر اذا شاء سيدي . . . والا فالطريق امامي ، والليل مقمر .

مريم الا تأكل شيئاً قبل النوم .

المهاجر لا ، يا عمتاه ، فلست بحاجة الى شيء . اشكرك شكراً جزيلاً .

مريم اذن تعال ادلك على غرفتك ، غرفة شهيد . (تدله على الغرفة التي في صدر المسرح)

المهاجر اشكرك ، عمتي .

ليلى قد اتعبناك هذا المساء بسؤالاتنا . فنم هنيئاً وغداً نعيد عليك الكرة .

المهاجر تكرمي ، ايتها الفتاة اللطيفة ، انا طوعك ، فاسألي ما شئت .

مريم اننا نتركك الآن تنام ، لتستريح . البيت بيتك ، تصرف به كما تشاء .

المهاجر اشكر لطفك .

مريم وليلى الى الغد ! الى الغد !

المهاجر الى الغد !

ابوشهيد نم مطمئناً . (يدخل الى الغرفة التي في الجانب الايسر من الدار)

(يخرجون جميعاً الا المهاجر)

(لها صلة)

حول « الشعر والشعراء »

بقلم فؤاد افرام البستاني
استاذ الآداب العربية في كلية القديس يوسف

٣

شعراء المهجر

محبوب الخوري الشرتوني — ايليا ابي ماضي

يكتفي الناقد الاديب من شعراء المهجر بشاعرين اثنين هما محبوب الخوري الشرتوني وايليا ابي ماضي . فارق الاول هذه الفانية بعد ظهور الكتاب بقليل، (٢٧ حزيران ١٩٣١) وقد قام بما عليه نحو الادب ناشراً في « الهدى » ثم في جريدته « الرفيق » القصائد والمقطعات والابحاث النقدية واللغوية. ولا يزال الثاني يخدم الادب العربي الخدمة الجليلة في مجلته « السمير » النيويوركية . والشاعران من اولئك الذين تداولت الالسنة اسماءهم قبيل الحرب الكبرى ففاخروا وفوخر بهم ، وفاضلوا بين الشعراء وفوضل بينهم . وهما من الذين قاموا على شوقي فانتقدوه انتقادات تتفاوت رفقاً وشدة ، وتختلف صحةً وشططاً . فكان من كل ذلك سبب مهمّ دفع الناقد الى الاهتمام بشعرهما اهتماماً جاوز به الحدّ المتوسط لسائر من يذكرهم في كتابه من الشعراء . فخصّ بمحبوب الخوري الشرتوني ٤٤ صفحة ، وبايليا ابي ماضي ٢٩ صفحة . على اننا وددنا لو اختصر في ذكر هذين الشاعرين — وقد كان بوسعه حصر ما قاله فيهما ببضع صفحات — وعرض شيئاً لذكر سائر شعراء المهجر ، ومنهم من انتقد شوقي ايضاً كميخائيل نعيمه . وهو ، لو فعل ،

لافاد الادب الفائدة الجلى ، باطلاعنا على طريقة نظر النقد « الانتقالي » الى ارباب ذاك المذهب الجديد في الشعر ، على تنوع فنونهم ومصادر استلهامهم ، من نعيمه الى نسيب عريضه الى فوزي المعلوف الى القروي الى غيرهم من شعراء المهجر. بيد انه دلنا على شيء من آرائه في هذا الفن الجديد ، وبالتالي من آراء « الانتقاليين » ، بسكوته عن هؤلاء الشعراء ، وبمناقضته لميخائيل نعيمه في حكمه على شعر ابي ماضي[1].

ومهما يكن من امر فعلينا ان نتتبع آراء الناقد في الشاعرين المذكورين ، على ما بينهما من اختلاف في الاستلهام الشعري والثقافة النظمية.

اما محبوب الخوري الشرتوني « فكل انشائه ، ان نظماً او نثراً ، من السهل الحسن . وان اختلف في الغاية ففي الاول يسير مع العاطفة ، وفي الثاني مع الاهواء . » وباختلاف هذين الدافعين تختلف صفة الانشاء ، فتحمله العاطفة « على التناقض في شعره ، ويرى المصلحة من وراء الثانية فتدفع به الى الاخذ باطراف النافع المفيد في نثره . »

ولكن ما يهمّ الناقد انما هو شعر الشرتوني فحسب ، وهو يجتهد في تصوير شاعريته كما يلي :

« مطبوع على الشعر ، وصانع ماهر ، ينظم البيت ، ويكتبه امامه ، ويأخذ في فحصه . فيبدّل وينضد حتى يستقيم له على ما يوحيه اليه طبعه وطريقته فتقرأه ، ولا اثر لما نظمه قبل التمحيص . وقصائده ذوات الاربعين بيتاً مثلاً تقع في الغالب قبل التنقيح في مائة او اكثر . فيسقط النصف بعد التدقيق ، ثم يحذف من الثاني ما لا يلائم ذوقه . ويضع الباقي تحت النقد الشديد مدة ، حتى يمرّ انه على القصيدة بالظهور ، فتبرز في حلّة جميلة من الصياغة موشاة بالالفاظ المنسّقة ، متحاشياً فيها الوحشي من الكلام فيقبلها الذوق ولا يمجّها السمع . وهذه حسنة فتحت له المرّ الى المقام الذي يشغله في دولة الادب . » [2]

ثم ان هناك اسباباً في شهرته غير هذه « الصياغة » . منها ، في نظر الناقد ، عطف جريدة « الهدى » على الشاعر . ومنها ، في نظره ايضاً ، ان الشرتوني « يسير على خطى امير الشعراء ، وينهج منهجه » على كونه لم يتعدّ في الشعر سوى

١) الشعر والشعراء ، ص ١٧٧-١٧٩

٢) الكتاب ، ص ٦٤

الانواع القليلة فهو « محصور في دائرة ضيقة من مضمار الشعر الفسيح » لا يطرق الّا الرثاء ، والمديح ، والحنين ، وقليلًا من الغزل والسياسة . وكأن الناقد يشعر هنا بالفرق الالهامي بين من جعله في « طليعة شعراء المهجر صياغةً » وسائر شعراء المهجر الذين « لم يتركوا مسلكاً الّا وسلكوه » فيذكر اسماء القروي ، وفرحات ، والمطوفين فوزي وشفيق ، وايوب . ويكتفي بذكرها . ثم ينصرف معدّدًا المطالع والابيات التي اخذها الشرتوني عن شوقي امّا اخذًا صريحاً واما ضمنيًا . ويستنتج ان الشرتوني « لا يزال اشدّ الناس اعجاباً بشوقي . وليس التقليد الّا دليل هذا الاعجاب . »[1]

والغريب ان هذا الاعجاب لم يمنع الشاعر الشرتوني من انتقاد شوقي انتقادًا اثار حفيظة الكاتب — وشوقي عنده المثال الاعلى للشعر كما تدّمنا — فردّ على الشرتوني مبيّناً خطأه في النقد ، ومعدّدًا هفواته عسى ان يكون له فيها ما يشغله عن تتبع هفوات الغير .

واهمّ هذه الهفوات التناقض الكثير في القصيدة الواحدة من قصائده ، وقلة الشعور ، وفساد الذوق في بعض الابيات ، والاعراض عن الحقائق التاريخية في الركض وراء الخيال والاوهام ، وتقليد الشعراء تقليدًا ظاهرًا بعض الاحيان ، وشيء من النقائص التركيبية وابتذال الالفاظ والتعابير ، وقسط وافر من الادعاء والفخر بالنفس ، وكثير من الانين والحنين والبكاء ولوعة القلب حتى يصيح الناقد : « مسكين هذا القلب لو كان صخرًا لذاب من كثرة النحت فيه ! »[2] « وعلى هذا النحو كل قصيدة من منظوماته تقسم الى اربعة اجزاء : ثلاثة للحنين والانين ومدح نفسه او الفخر . والجزء الرابع للموضوع الاساسي . »[3]

على ان الشاعر ، في مدح نفسه ، يتحدّى شوقي ايضاً . فان تكن هذه الصفة نقيصة فيه فهي نقيصة كذلك في « امير الشعراء » . وهو ما يلمحه الناقد الاديب ، وما يتوقع ان يعترض عليه . فيرد بقوله ان هناك فرقاً : « فالامير لا يذكر نفسه الا مرة او مرتين في خمسين قصيدة . والاستاذ تكاد لا تقرأ له

١) الكتاب ، ص ٦٧
٢) الكتاب ، ص ٩٥
٣) الكتاب ، ص ٩٤

منظومة لم يمدح نفسه فيها .»[1] فتكون المسألة ، والحالة هذه ، مسألة حساب ليس غير. أوَ لا يرى الناقد ان تبجح الشاعر بنفسه والمناداة بعظم شاعريته على رؤوس الملأ — اكثر من ذلك ام اقلّ ! — لمن اعظم دوافع الاشمئزاز ، ومن اوضح الدلائل على اضطراب الذوق ، سواء أكان ذاك الشاعر محبوب الخوري الشرتوني القائل عن نفسه :

هو في رياض الشعر بلبل شعرها ، والهادنون على الغصون حمامُ

ام احمد شوقي القائل :

واني لطير النيل ، لا طير غيره ، وما النيل الا من رياضك يُحسبُ

ام المتنبي القائل — وبيته المصدر الاولي البيتين السابقين —

فدع كلّ صوت غير صوتي ، فانني انا الطائر المحكيُّ والاخر الصدى — ؟

واما ايليا ابو ماضي فيعرفه الكاتب بالجزء الثاني من ديوانه المطبوع سنة ١٩١٩ ، ثم « بالجداول » . ولكنه لم يقف على « الجداول » الّا بعد ان تقدّم به مجال النقد ، ونشر في « الهدى » ما بلغ ٢٢ صفحة من كتابه في نقد الشاعر . فدفع من ثمّ الى تحبير سبع صفحات الحقها بالنقد المتقدّم . وهي في مناقشة ميخائيل نعيمه ، كاتب مقدّمة « الجداول » ، اكثر منها في نقد هذا القسم من ديوان الشاعر . والسبب ان الاديب رأى ابا ماضي « هو هو في ديوانه « الجزء الثاني » و« الجداول » من حيث الشاعرية وسقطاته واحدة في الاثنين . » يقول : « من حيث الشاعرية لانه سلك في الجداول مسلكاً طرقه قليلاً في الاول . ولو قابلت بين هذا القليل في الاول والكثير في الثاني لوجدت ان جلّ ذلك لا كلّه اعلى طبقة من هذا . » واذاً فهو « والسيد ميخائيل نعيمه على طرفي نقيض من هذه الوجهة . »[2] وما ذاك الّا لان نعيمه يرى في الجداول شاعرية لم تظهر في الديوان .

اما شاعرية الديوان ، بل شاعرية ابي ماضي اجمالاً ، كما رآها الناقد ، فهي ذات مظهرين متباينين تارةً « تصوّر الخيال تصويراً تكاد تلمس معه الحقيقة وتختار له الالفاظ السهلة القريبة التناول فيجيء الشعر رائقاً شائقاً كالغدير

(١) الكتاب ، ص ٩٢–٩٣ (٢) الكتاب ص ١٧٧

الصافي الشافة امواهه عن الحصباء النقية» وطوراً «تفرط بالمبالغة في الواقع المحسوس فتردّه وهماً اخذاً بالمفردات الضخمة فيأتي كالصخور الصناء في المفازة الجرداء..»[1]

وقد استشهد الناقد على كل من هذين المظهرين . ثم عطف على الاهتمام بصناعة ابي ماضي فذكر له من حسناته حسن التنسيق ، واخذه بعض الاحيان بالجديد من التعبير ، ودلّ على الكثير من سقطاته التركيبية ، والعروضية ، والذوقية ايضاً ، وما في قوافيه من القلقلة والاضطراب احياناً ، ذاكراً ما اخذه عن شوقي «والغريب من امره انه لا يعترف لشوقي بالامارة ، لكنه لا يأنف من الاخذ عنه .»[2] مشيراً الى عدة مقاطع يظهر فيها الابتذال وعدم الضبط ، مما يدلّ على ان شاعرية ابي ماضي الفطرية «لم تهذبها الدراسة وان يكن قد صقلها بعض الصقل كثرة المران .»[3] وان صاحبها «قليل النقد لشعره ، كثيره لشعر غيره ...»[4] وكان من نصيبه ان ينتقد غير مرة بعض منظومات شوقي وحافظ ، فذكر الاديب ذلك واردف: «لكنه لم يصب المرمى في واحدة منها. ولعله يتنكب بعد الآن عن انكار الفضل على ذويه وينظر الى غيره بالعين التي ينظر بها الى نفسه ، ويربأ من ان يصحّ فيه قول ابي الطيّب :

ومن يكُ ذا فمٍ مرٍّ مريضٍ يجد مرًّا به الماء الزلالا»[5]

ولعلّ الملخّص التالي يدلنا اوفر دلالة على رأي الناقد في شعر ابي ماضي، قال:

«ابو ماضي شاعر بالسجية . وفي شعره طلاوة يشوبها عدم التناسب فآنًا تراه رقيقاً سهلاً وآونة متمهلاً متمنّعاً . ينصب تارة انصباب الجداول ، وطوراً يتقطر تقطر الاوشال . يجيء في بعض الاحيان بالجديد القشيب ، وفي كثير من الاوقات بالمبتذل الرثّ .»[6]

ومن الواضح من هذا الحكم ان الناقد نظر خصوصاً الى المظهر الشعري والصناعة العروضية . يدلّ على ذلك انه حصر عدم التناسب في الرقة والتمهّل، واستشهد ، في كتابه على «الجديد القشيب» و«المبتذل الرثّ» ، بابيات تظهر هذه الصفات في مبناها فحسب. واذا كان الامر كذلك فيصبح من البديهي ان يكون الاديب الناقد وميخائيل نعيمه «على طرفي نقيض» في هذا الحكم ،

١) الكتاب ، ص ١٥٦
٢) الكتاب ، ص ١٦٤
٣) الكتاب ، ص ١٧٥
٤) الكتاب ، ص ١٨٢
٥) الكتاب ، ص ١٨٣
٦) الكتاب ، ص ١٥٥

ونعيمه «يؤانس بينه وبين صاحب الجداول قرابة روحية»، ويطلب من الناس ان يقرأوا ابيات «قريبه» غير ناظرين «الى قافية متقلقلة او كلمة شاردة.»[1] فيظهر من ثمّ اختلاف القياسين، وبالتالي اختلاف الحكمين. اذ بينا يجنح الاول الى المادية في قياسه، ان صحّ لنا هذا التعبير، نرى الثاني يميل الى القياس الروحي. وكلاهما ناقصان في نظرنا لان كلا الامرين ضروري للشعر فيتمّ احدهما الآخر، ولا يمكن الفصل بينهما في القياس، كما لا يمكن الفصل بين الجسد والروح. وان جاز لنا ان نأخذ على الناقد شيئاً فانما نأخذ عليه انصرافه، في جلّ كتابه، عن الاهتمام بهذه الروحانية في الشعر الذي ينقده، وميله بالاكثر الى درس الصناعة النظمية درساً لا بأس بما فيه من دقة حسّ ولطف ذوق وفطرة شعرية، كما قدّمنا، ولكنه لا يكفي في الحكم على الشعر اجمالاً.

وقد وددنا لو اهتم الناقد بالنظر الى مصادر الشعر ومهابط الالهام في من يدرسهم من الشعراء، ولاسيما شعراء المهجر. وهؤلاء، ان يكونوا قد جدّدوا من شيء، فانما يعود ذلك الى تحويرهم مصادر الشعر التقليدية. ولا خلاف في ان المستوحيات التي يأخذ بها جلّ شعراء المهجر هي غير المستوحيات التي لا يزال ينظر اليها اكثر شعراء الوطن. وكذلك القول عن مدلول الشعر، فهو في نظر ارباب المذهب الجديد غيره في عرف اكثر من يذكرهم صاحب الكتاب. فضلاً عن ان مصدر الشعر ذاته يختلف في عقلية شعرائنا العصريين انفسهم، فبينا يراه ميخائيل نعيمه مثلاً في ثنايا النفس البشرية وطيات القلب المتعدّدة، يسعى اليه نسيب عريضه من خلال ستار تنتابه الحيرة والشكوك... الى غير ذلك من تنوّعات الدقائق الشعرية المتعدّدة بتعدّد الحالات والمخيّلات.

على ان هذا الامر يتطلب درساً دقيقاً يتعمّق في تحليل كل شاعرية بمفردها ويتابعها على مظاهر تطوّرها المتعدّدة، ولم يكن لصاحب الكتاب من مجال للقيام بمثل هذا الدرس. بل اكتفى بعرض ما عنّ على باله من النظرات النقدية، على الاسلوب الذي اجتهدنا في تحديده. ونحن نقبلها منهُ على هذا الشكل ليس غير، شاكرين له عمله في تحديد هذه المحطة الانتقالية في شعرنا العصري.

---

(١) الكتاب، ص ١٧٧-١٧٦

جولة في المجلات

شيء عن الربع الخالي – لانبيون وسكسونيون

شيء عن الربع الخالي

الربع الخالي اسم لمنطقة شاسعة من الرمال تقع تحت اواسط جزيرة العرب الى الجنوب الشرقي بين الخطين ١٨ و ٢٤ من العرض الشمالي والخطين ٤٦ و ٥٤ من الطول الشرقي. وهي منطقة لم يكن يعرف عنها العلماء شيئاً يذكر حتى ان الخرائط الجغرافية كانت الى عصرنا هذا تمثلها بيضاء خالصة. وكثيراً ما تاق الروّاد والمغامرون من محبي الاكتشاف الى قطعها ودرس احوالها فلم يتسنَّ لهم ذلك. الى ان قيّض القدر لرجلين من مستشرقي الانكليز باتمام شيء من تلك الرغبة، فاخترقا الربع الخالي في السنتين الاخيرتين: احدهما، وهو المستر برترام توماس، من الجنوب الى الشمال الشرقي، وذلك في شتاء عام ١٩٣٠ – ١٩٣١؛ وثانيهما، وهو المستر سنت جون فلبي، من الشمال الى الجنوب، في شتاء ١٩٣٢. فكان من نتائج الرحلتين معلومات دقيقة عن تلك المنطقة من حيث تكوينها الجيولوجي واحوالها الاجتماعية، اودعها الباحثان كتابين قيّمين. لخّص المهمّ منها السيد فؤاد حمزة، وكيل خارجية الحكومة العربية السعودية، في كتاب يعدّه للطبع عن احوال نجد والحجاز، ونشر فصلاً منه في مجلة المقتطف (فبراير (شباط) ١٩٣٣، ص ١٧٧ – ١٨٦) قال:

نعم ان الرحالتين توماس وفيلبي لم يتمكنا من زيارة كافة اصقاع الربع الخالي، وبقيت أمام طلاب الارتياد مساحات اخرى يجب تعرف احوالها، الا انهما وفقا بصورة جازمة الى ايضاح المهم من طبيعة هذه البلاد وتكوينها وما فيها من تضاريس طبيعية واحوال عمرانية واجتماعية مما نصفه بايجاز فيما يلي:

قال توماس: يتألف الربع الخالي من اراض صحراوية يكاد يكون قسماها الشرقي والجنوبي الى حد يقرب من ثلث مساحتها كلها عبارة عن اراضي الهضبات، والقسم الباقي عبارة عن اوقيانوس من الرمال المنتشرة نحو الشمال

والغرب . وتسمى الهضاب الجنوبية نجداً ، والشرقية سيحا في قسمها الشمالي ، وجادة الحراسيس في قسمها الجنوبي ، حالة كون المناطق الرملية معروفة باسم الرمل او الرمال . . .

ويظهر مما امكن جمعه من نماذج الرمال والصخور المأخوذة من جهات مختلفة في الربع الخالي انه مكوّن من سطح كلسي الاصل تكسو الطبقات العليا منه رمال يشوبها كثير من حبيبات الكلس والجير ، وقد وجد توماس وفلبي بقايا متحجرات بحرية ومائية في جهات عديدة لا يدع وجودها مجالاً للشك في ان البحر كان في الاعصر الجيولوجية غامراً هذه المنطقة بمياهه المالحة في العصرين الجيولوجيين المعروفين باسم العصر الايوسيني والكريتاسي .

واما ارتفاع الربع الخالي عن سطح البحر فيختلف بين ١١٠٠ و٣٠٠٠ قدم .

وهذا في ما يلي ملخص وصف المنطقة التي اخترقها المستر توماس ، من الجنوب الى الشمال

المسافة بالاميال	نوع الارض
٢٠	١ ارض مرتفعة ذات لون احمر تكثر فيها الاكثبة
٤٠	٢ ارض مرتفعة اقل تضريساً ذات رمل احمر وفيها تلال تشبه نعل الفرس
١٠٠	٣ سلاسل بيضاء متوازية تعترضها اودية ذات رمل احمر
٧٠	٤ رمال متموجة ذات لون ابيض
٥٠	٥ رمال متموجة ذات لون ابيض فيها تلال ذات لون احمر
١٠٠	٦ هضاب وسبخات وتلال حمراء على التوالي

ولم يمكن التحقيق عن الرمال التي دعيت بالبحر الساقي ، وهي الرمال الرقيقة التي تبتلع الاثقال التي تطأها ، وانما قد تكرر ذكرها في جهات الاحقاف الى الغرب الجنوبي من الربع الخالي حيث ذكر الالماني فون فردي كثيراً عنها ، واما توماس فانه ذكر ارضاً اخرى تدعى ام الصميم تبلغ مساحتها يومين على سير الجمل في كافة الاطراف فانها مغراق لا يمكن اجتيازها ، والغالب انها من نوع السبخات التي تصادَف في سائر انحاء البلاد العربية ، فاذا كان الجوّ رطباً كان العبور منها مستحيلاً لرخاوة طينتها وقلة مقاومتها للاثقال .

واما المياه في الربع الخالي فانها قليلة بل معدومة في جهاته الغربية وكلما اتجه الى الشرق ازداد مقدار المياه وقل عمقها داخل الارض . . .

ونظرًا لانعدام الماء (ما عدا ايام الامطار) في المنطقة الواقعة الى الغرب من الطريق التي سلكها توماس وهي المنطقة التي يصح ان يطلق عليها اسم الربع الخالي فان الحياة الحيوانية والنباتية تكاد تكون معدومة فيها . وقد ذكر المستر فلبي انه بعد خروجه من واحة جبرين لم يشاهد على طول الطريق الممتد الى اواسط الربع الخالي ثم من نيفا الى سليل اي انسان كان ، مع ان المدة كانت ٥٣ يوماً على سير الابل . والذي يتراءى لنا ان قلة ارتياد البدو لهذه المنطقة انما هو ناشئ في الغالب عن قلة المياه والمراعي اكثر مما هو ناشئ عن المفاوز والمخاطر . . .

وقد ذكر لنا بعض من قابلنا من البدو الذين زاروا تلك الانحاء ان عشب الربع الخالي وماءه يجعلان دم الحيوان اسود قاتماً ، ولم يتسنَّ لنا تعليل هذه الظاهرة الفسيولوجية الّا بملوحة العشب والماء .

واما من حيث العمران فقد كان الشائع عند البدو ان في الربع الخالي آثار عمران عديدة خلفها الاقدمون من حضارات بائدة ، وكانوا يتناقلون اقوالاً متناقضة عن وجود خرابات في وبار القريبة من بئر مغينمة التي زارها المستر فلبي ووجدها بئرًا غزيرة الماء ، وكان المقول ان وبار هذه تقع على بعد مرحلتين او ثلاث من واحة جبرين وعلى طريق القوافل التجارية من ظفار ، وانها كانت تظهر وتختفي بفعل الرياح الموسمية التي تقشع الرمل عنها فتظهر آثار خرائب وقلاع وقصور عديدة حتى دعيت باسم قصور ام الحديد والحديدة . وقد حقق المستر فلبي بنفسه عن هذه الاشاعات وزار المكانين المشار اليهما وهما يقعان ما بين درجتي الطول الشرقي ٥٠ و٥١ والعرض الشمالي ٢١,٣٠ و ٢٢ فوجد ان ما كان يسميه البدو آثار عمران وخرائب قصور دامرة ان هو الا بقايا مخروط بركاني عظيم خمد منذ ازمنة متطاولة وبقيت من آثار اندفاعه متحجرات بركانية محروقة ثقيلة الوزن وبلون الحديد فكان البدو يظنونها آثار قلاع وخرائب . وقد جلب المستر فلبي معه بعض حجارة هذه المنطقة وجلب ايضاً حبوب الدخان البركاني المتبارز الذي يسميه البدو باللؤلؤ الاسود . وشاهد كاتب الاسطر هذه الحبوب فاذا بها اصغر من حجم الحمص بقليل خفيفة الوزن سوداء اللون براقة

المظهر.

وسيكون من آثار رحلتي توماس وفلبي اللتين لخصنا ما كان من نتائجهما العلمية ان البياض الذي اعتاد الناس تركه على خرائط البلاد العربية باسم «الربع الخالي» سيملأ باسماء الاماكن والآبار والهضاب والرمال المختلفة، وستنقص الحماسة التي كان يشعر بها جميع من يعنى بالبلاد العربية لمعرفة حقيقة هذا القسم، وتصبح اسماء مغينمة وشنة ونيفا وابو بحر وهدبة ودكاكة وبني زيدان والعريق وغيرها من الاسماء المعتادة كالدهناء والصمان وخف وغيرها.

لاتينيون وسكسونيون

نشر مؤخرًا الاستاذ الشيخ انطون الجميل كتابًا في «شوقي»، على قسط وافر من الاعجاب بالشاعر الكبير. فتناوله الاستاذ عباس محمود العقاد، وهو من ابعد الناس عن الاعجاب بشعر شوقي، بشيء من النقد نشره في جريدة «الجهاد» المصرية. ولما لم يشأ ان يُقرّ اعجاب الجميل بشوقي، ولما لم يشأ ان يشدّد الوطأة على فقيد مصر ولم تفرغ الجرائد بعد من نشر المراثي فيه، اخذ يتلمس للعجب مخرجاً يبرّر مدحه لشاعر الامراء. فلم يرَ الا المقابلة بين طريقة النقد اللاتيني وطريقة النقد السكسوني. فالاولى سطحية، على زعمه، تأخذ خصوصاً بالمجاملة وما تتطلبه هذه من الاناقة وادب الصالونات، كما سيأتي، والثانية متعمقة لا تهتم بالاوضاع الاجتماعية. واذًا فنقد الجميل المتثقف بالثقافة اللاتينية اقرب الى المجاملة منه الى الحكم الحقيقي الواضح. وهكذا ينتقد الاستاذ العقاد بانه برّر موقف الاستاذ الجميل في ما اصدره على شوقي من احكام مدحية تخالف الحقيقة...

قد يكون الاستاذ العقاد على شيء من الحق في اعتباره هذه الاحكام. اما تعليله ذلك بسطحية المذهب اللاتيني في النقد فهو ما لا يوافقه عليه كل من عرف اصول النقد العالمي الحديث وادرك كم هو مدين لهذا المذهب اللاتيني الذي اجحف الاستاذ العقاد بتحميله تلك التبعة. وهو ما اهاب بالدكتور طه حسين الى نشر فصل قيّم في مجلة «الرسالة» الجديدة المّ فيه بكثير من صفات الثقافة اللاتينية والنقد الحديث، فرأينا ان نقتطف منه ما يمسّ الموضوع عن قرب. قال بالعنوان اعلاه (الرسالة: العدد ٢٠٠ شباط ١٩٣٣، ص ٢٤)

واغرب ما في هذا الفصل الذي كتبه الاستاذ العقاد تناقض لست ادري كيف تورّط فيه. وهو فيما اعلم من اشد الكتاب المعاصرين في الادب استقامة في الحكم وايثارًا للقصد وحرصاً على الاصابة في التفكير. بدأ الاستاذ فصله بأن من العسير جدًا ان يوفق الناس الى الحق حين يصدرون احكامهم على الامم

والشعوب . وعلل ذلك تعليلاً حسناً مستقيماً . ولكنهُ لم يلبث ان التمس لنفسه وسيلة للحكم العام على الامم والشعوب . بل على ما هو أعم من الامم والشعوب ، على الاجناس . فزعم اولاً ان للاتينيين مذهباً في النقد وان للسكسونيين مذهباً آخر وان هذين المذهبين يختلفان فيما بينهما اشد الاختلاف . وزعم بعد ذلك ان اخصّ ما يمتاز به المذهب اللاتيني « الاناقة » . واخص ما يمتاز به المذهب السكسوني « البساطة » او « الفطرة » . وفسر هذا بانك اذا قرأت الناقد الفرنسي رأيت رجلاً انيقاً لبقاً يقدم في احد الصالونات كاتبه الذي ينقده على الاوضاع الاجتماعية المألوفة مجاملاً متكلفاً وقد يومئ ايماء خفيفاً الى بعض العيوب ولكن على سبيل النكتة او على سبيل الحيلة في التماس الدفاع عن هذا الكاتب الذي ينقده او الرجل الذي يقدمه الى الصالون . اما الناقد السكسوني فهو لا يحفل بالاوضاع الاجتماعية . وانما يهجم بك فوراً على الحياة الفردية على الحقيقة الانسانية ، على الرجل من حيث هو رجل لا من حيث هو فرد من جماعة . ومعنى هذا ان نقد اللاتينيين سطحي مخالف لاصول العلم وان نقد السكسونيين هو النقد العلمي الصحيح الذي تجد فيه الفائدة وتجد فيه الغناء . وانا احبّ ان يعذرني الاستاذ العقاد اذا قلت له في صراحة اني كنت انتظر منه كل شيء الا التورّط في هذا الخطأ الصارخ والظلم المبين . فليس من الحق بوجه من الوجوه ان الاختلاف بين النقاد اللاتينيين والسكسونيين عظيم الى هذا الحد الذي يتصوره الاستاذ . فليس هناك نقد لاتيني ونقد سكسوني ، وانما هناك نقد فحسب . نقد يعتمد على هذا الذوق الفني العالي الذي احدثته الثقافة اليونانية اللاتينية وورثته عنها الامم الحديثة على اختلاف اجناسها وبيئاتها . فكل النقاد من الفرنسيين والايطاليين والالمانيين والانكليز قد قرأوا آيات البيان اليوناني واللاتيني وذاقوا آيات الفن اليوناني والروماني وكوّنوا لانفسهم او كونت لهم هذه القراءة ذوقاً عاماً مشتركاً بينهم جميعاً يختلف في ظاهره ولكنه لا يختلف في جوهره . لان هذا الجوهر واحد مستمد من هوميروس وپندار وسوفوكل وارستوفان وافلاطون وسيسيرون وتلسيت ومن اليهم . نعم وهذا النقد الحديث يعتمد على اصول اخرى غير الذوق ، اصول

تشبه العلم او تحاول ان تكون علماً . وضعها ارسطاليس ومن جاء بعده من نقاد اليونان والرومان وسموها علم البيان . يعتمد النقد الحديث عند الامم الاوربية مهما تختلف اجناسها على هذين الاصلين : الذوق الذي تكونه الثقافة اليونانية اللاتينية، والعلم الذي وضعه ارسطاليس واصحابه . وللاستاذ ان يدرس على مهل وفي أناة وروية من شاء من النقاد المحدثين في اي امة من الامم الاوربية فيرى ان هؤلاء النقاد جميعاً يتفقون في ان نقدهم يقوم على هذين الاصلين اللذين أشرت اليهما . فاذا اختلفوا بعد ذلك فانما يختلفون في الاشكال والصور باختلاف امزجتهم الخاصة وباختلاف البيئات التي يعيشون فيها ويكتبون لها .

عسير جداً ان يقال اذاً ان هناك نقداً لاتينياً ونقداً سكسونياً وان هذين النقدين يختلفان في الجوهر والطبيعة ، ثم اعتذر الى الاستاذ بعد هذا من أني لا استطيع ولا اظن ان احداً يستطيع ان يقره على رأيه في النقد اللاتيني ، بل انا لا اقضي العجب من تورط الاستاذ في اعلان هذا الرأي الغريب . فليس من الحق ان النقد اللاتيني سطحي ، وليس من الحق ان هذا النقد يعتمد على الاوضاع الاجتماعية ويهمل الانسان من حيث هو انسان . هذا كلام لا يمكن ان يقبل مع ان من الاشياء المقررة التي يتلقاها الشبان في المدارس ان قوام الادب الفرنسي الكلاسيك انما هو بالضبط : الغاء هذه الفروق والاوضاع الاجتماعية التي تمتاز بها الامم والشعوب فيما بينها بل التي تمتاز بها البيئات المختلفة في امة بعينها ، والاتجاه الى الانسان من حيث هو انسان ، الى هذا القدر المشترك بين الناس جميعاً من العقل والشعور . على هذه القاعدة يقوم الادب الفرنسي الكلاسيك كما يقوم عليها الادب اليوناني القديم . والادب كله بما فيه من شعر ونثر ونقد . فكيف يقال في ادب يقوم على هذا الاصل انه سطحي على الظواهر والاوضاع الاجتماعية .

مطبوعات شرقية جديدة

Reallexikon der Assyriologie, *herausg. v.* E. Ebeling *u.* B. Meissner, *II Bd.* 1, Ber - Burnaburias, *Berlin*, *Walter de Gruyter*, 1933, *pp.* 1-8°. *Prix* : 6 *Marks*.

دائرة معارف العلوم الاشورية : الكرّاس الاول من المجلد الثاني

ان هـذا التأليف الطويل النفس الذي تكلمنا سابقاً عن مجلّـده الاول (المشرق ٣٠ [١٩٣٢] : ٥٥٣) يتتابع سيره ببطء ، ولكن دون توقف ، جارياً على اسلوبه المعروف من حيث الدقة والعلم . وها اننا نطلع اليوم على الكرّاس الاول من المجلّـد الثاني ، آملين ان لا تنقضي السنة ١٩٣٣ الا وقـد وصلنا الكرّاس الاخير من المجلد الثالث على الاقل . ومن المنتظر ان يبلغ هـذا الكرّاس الى الحرف E او F ؛ فنتوقع ، والحالة هـذه ، ان ينتهي الكتاب في السنة ١٩٤٢ او ١٩٤٣ . فلنصبر ، والصبر جميل .

اما الكرّاس الحـاضر فاطول بحث فيه هو مـا خصّه لهمن - هوبت (Lehmann-Haupt) بالمؤرخ بيروز (ص ١ ١٧) جمع فيه كلّ ما له علاقة بشخصية هذا المؤرّخ البابلي او بآثاره ، وقد كتب باللغة اليونانية بعد ان اطلع على المحرّرات المسمارية المعروفـة في عصره . ثم هناك فصل آخر كتبه اوتو شرودر (Schrœder) ، المتوفى مؤخرًا ، موضوعـه الكتب والمراسلات باللغة المسمارية (ص ٦٢—٦٨) وهو بحث جزيل الفائدة للتاريخ بما فيه من المراسلات السياسية من ملك الى ملك آخر ، (مما يذكرنا برسائل العمارنة) ومن ملـك الى عمّاله . وكذلك هو جزيل الفائدة لدرس اللغـة بما فيه من الرسائل التجـارية والرسائل الخاصة ، ولدرس العادات والاخلاق وما اليها . ومما يستحق الـذكر ايضاً مقـال أنكر (Unger) في المكاتب « *Bibliothek* » ، ومقال ويدنر (Weidner) وأنكر بعنوان « بليتز » ومعناه : « البرق ، والرعد » . ثم كثير من المقالات في اسماء الامـاكن مثل « بيت عـديني » و« بيت امكاني » و« بيت دكوري » الخ . . . وكلّها ابحاث شاملة ، وافرة الفائدة لتاريخ الاراميين منذ القرن الثالث عشر ق . م . وقد جمع الكتاب كل الاماكن المبدوءة بـ« بيت »

دون استثناء ، حتى انه يمكننا ان نعتبر اثنين او ثلاثة منها ، مذكورة على عهد حروب اسرهادون في القرن السابع ق. م. ، من الاماكن التي توافق محلات نعرفها اليوم كعيت صوبوري » مثلاً القريبة من صيدون، فانها قد تكون «عين صُفَر » ...

يتضح مما تقدّم الخدمة الجلى التي يؤديها هذا المعجم لدارسي الاشوريات ، في موضوعات العمران ، والدين ، والتاريخ ، والجغرافية وما اليها من الشؤون المتعلقة بتاريخ شرقنا القديم. س. ر.

Macnaughton (Duncan) : A schame of egyptian chronology, with notes thereon including notes on Cretan and other Chronologies. *London, Luzac and C°*, 1932, *XII* - 405 *pp. gr in-8°*, 17 *planches*.

بحث في التوقيت المصري

قد يعلم قرّاؤنا الكرام ان التوقيت المصري يثير مشاكل غامضة صعبة الحلّ - وان هذا الكتاب برهان جديد على ذلك . فان المؤلف ، الذي نشر سابقاً بحثاً لا نعرفه في التوقيت البابلي ، يعرض اليوم لمشكلة التوقيت المصري، دون ان يأمل كثيراً بالوصول الى حلّ نهائي. على انه يعتقد ان التوقيت الطويل اقرب من غيره الى الحقيقة فيحاول البرهنة عن ذلك . وهو وافر الاطلاع على احدث المؤلفات في الموضوع يذكر ما تضمنته ويناقشها بدقة ورباطة جأش . ثم يعرض طريقته مستنداً فيها الى البراهين الفلكية والروزنامات ، والى لوائح الملوك ومقابلة التوقيتات بين التاريخ المصري والتاريخ البابلي .

هذا وليس لنظرية التوقيت الطويل كثير من المريدين في الوقت الحاضر : فان طريقة بورخرت(Borcherdt) طرحها كل العلماء. وقد انتهى اكثر المؤرخين الى الاخذ بتوقيت المؤرخ الالماني ميير المتوفى مؤخراً ، بعد ان جرّروا فيه بعض الشيء. وهو توقيت يجعل عصر الدولة المصرية الاولى حوالي السنة ٣٣٠٠ ق.م. بل قد يصل بها الى حوالي السنة ٣٠٠٠ . فاذا عرفنا هذا فلنذكر ان صاحب الكتاب الذي نصفه اليوم يرقى بهذه الدولة الى نحو السنة ٥٧٠٠ ق. م. ! جاعلاً بين الدولة الثانية عشرة واوائل الدولة الثامنة عشرة مدة ١٥٠٠

سنة تقريباً ، بينا يجعل ارباب التوقيت القصير هذه المدة تتراوح بين ٦٠٠و٢٠٠ او ٣٠٠ سنة .

واذا كان لا بدّ من استخلاص نتيجة من هذا الاضطراب فاننا نقول ان ليس من الممكن حلّ المشكل . ولذلك اسباب تفوق الحصر . وان ما نراه اقرب الى الواقع والحقيقة فهو التوقيت القصير لا غيره . واني لا اعتقد ان نظرية المؤلف تصادف مريداً واحداً في اوربة ، ولا في انكلترة ، على رغم مهارة صاحبها والروح الفكاهي الذي يتصف به في مناقشته للنظريات المعاكسة .

على اننا نأمل ان حفريات ما بين النهرين ستلقي نوراً جديداً على هذه المشاكل التوقيتية . نقول : حفريات ما بين النهرين ، لا حفريات مصر . لان ما يمكن ان نستفيد منه في الموضوع هو المقابلات التوقيتية . وهي اوفر امكاناً في مناطق الشرق القديم التي اخذت تتعدّد فيها الحفريات ، منها في وادي النيل ، ومكتشفاته ، على تعدّدها ، تظهر من نوع واحد وعرضة لمختلف التأويلات .

س . ر .

Dr Amin Gemayel: L'hygiène et la médecine à travers la Bible. 4° *de* 296 *p. et* 10 *planches. Librairie orientaliste P. Geuthner, Paris,* 1932.

الصحة والطب في الكتاب المقدس

هو ثمرة كثير من التفتيشات الدقيقة والابحاث العلمية قام بها المؤلف دارساً الكتاب المقدّس في عهديه القديم والجديد ، فجمع ورتّب كل ما ورد فيه من ذكر الامراض والاوبئة التي تُمنى بها البشرية . وقرن بها النصائح الصحية المعروضة متفرّقة في اسفار الكتاب . ثم شرح كل ذلك وعلّق عليه الآراء المفيدة المستمدّة من علمه في الطبّ ومن ايمانه الراسخ ، راغباً في ان يستخرج من خلال لغة الكتاب ووصفه الاسمَ العلمي للمرض المذكور ، وتشخيص سيره وانتشاره . نذكر من ذلك مرض غلام القائد الروماني في كفرناحوم ، وحادثة الاعرج الذي شفاه القديس بطرس ، كما ورد في « اعمال الرسل » ، وكثيراً غيرها . . . والخلاصة ان الكتاب جزيل الفائدة لا للاطباء فحسب ، بل لشرّاح الكتاب المقدّس وعلماء الاخلاق ، ولجميع طلّاب العلوم الكتابية . ه . ل .

Blass Debrunner : Grammatik des neutestamentlichen Griechisch. 6° *édit. revue et augmentée. Vandenhoeck u. Ruprecht, Göttingen*, 1931. *XX* - 368 *p. in*-8°

غراماطيق للغة العهد الجديد اليونانية

هي طبعة جديدة لكتاب معروف منذ زمن طويل حتى انه اصبح مدرسياً في موضوعه . وقد قام بها الاستاذ ا. دوبرونر زائداً على الكتاب ملحقاً كبيراً جمع فيه كل ما استفاده علم تلك اللغة من اساليب البحث الحديث . على ان يعتذر في المقدمة عن انه لم يتمكن من اعادة تأليف الكتاب نفسه لما اعترضه من الموانع المادية وهو لو فعل لدُفع الى جعل ثمن الغراماطيق غالياً جداً. ب.م

Les plus beaux sermons de S' Augustin, *réunis et traduits par le chanoine* Humeau. *t.* 1r, *LII* - 300 *pp Prix, broché* : 15 *fs. Bonne Presse, Paris.*

اجل عظات القديس اغوسطينوس

غاية هذه المجموعة ان يُستخرج من العظات التي كان يلقيها القديس اغوسطينوس على شعبه ما لم يقوَ كرور الايام على التقليل من قيمته التهذيبية والادبية ، وهو كثير مما لا يزال السامع والمطالع يتمتع بجماله ويستفيد من حكمته،بفضل ما خُصّ به ذاك المعلم العظيم من بعد النظر ودقة التحليل وسموّ الفنّ. وقد جمع المؤلف عدداً من تلك العظات ونقلها الى لغة فرنسوية عصرية.

Johannès Wehrlé : Victor Delbos, membre de l'Institut, professeur de philosophie à la Sorbonne [*Les Maitres d'une génération*] *Bloud et Gay, Paris.*

ڤيكتور دلبوس

هذا الكتاب حلقة من سلسلة جديدة تكلمنا عنها مؤخراً في المشرق (٣٠ [١٩٣٢]: ١٥٤) بعنوان « قادة جيل ». وقد خُصّ باحد اساتذة الفلسفة السابقين في جامعة السوربون ، وبما امتاز به في تعليمه الذي تابعه طول حياته اولاً في مظاهر التعليم الثنوي ، ثم في التعليم العالي . على انه اشتهر خصوصاً بميله الى تاريخ الفلسفة وبجهوده القيمة في درس سپينوزا وكانت . يظهر المؤلف كل هذا مصوراً العالم والرجل الممتاز بايمانه المسيحي وحبه الفائق للعدل والانصاف. وقد عرف المؤلفُ الاستاذَ رفيقاً في دار المعلمين فخالطه عن قرب . ثم افترقا فانخرط المؤلف في سلك الاكليريكيين حتى اصبح من اكليروس باريس ، وتابع الثاني سيره في مهنة التعليم. ج.ل.

تاريخ الآداب العربية للسنة الثالثة الثانوية

تأليف عباس علي صيام

١١٢ ص. صغيرة – المطبعة الرحمانية بمصر ١٩٣٢ – الثمن: ٤٠ قروش

هو تاريخ مختصر حتى الاقتضاب وضعه احد المدرسين بمدرسة الامير فاروق بالقاهرة وفقاً « للمنهج الجديد المخفف الذي قررته وزارة المعارف » المصرية . وغايته اطلاع الطلبة على ملخص عام في الادب العربي . الا ان الكتاب كثير الاقتضاب وافر الايجاز في نظرنا حتى انه ليصعب فهمه ، فضلاً عن تذوقه ، على من وُضع لهم. بيد ان المؤلف اخبر بمقدور تلامذته . وهو يسير على الاسلوب المعروف من الاختصار في تراجم الشعراء والكتاب وذكر بعض الامثلة من نظمهم ونثرهم ، مكتفياً بذلك عن الاجتهاد في درس الشخصيات او تجربة النقد الادبي . ثم انه لا يزال يذكر — في طبعة كتابه الثالثة المنقّحة — بين الاسباب التي دعت الى تسمية « العرب » باسمهم « انهم معروفون بين الامم بالبيان في النطق ، والفصاحة في القول ، يقال : اعرب الرجل عمّا في ضميره: اذا افصح وابان.» (كذا ص ٣) ولا يزال يقول ايضاً ان لبيد بن ربيعة « عُمر في الاسلام نحو ستين سنة لم يقل فيها الّا بضعة ابيات اشهرها :

الحمد لله اذ لم يأتني اجلي

حتى اكتسيت من الاسلام سربالا»(كذا ص٢٨)

اما في النهضة العصرية فلا ذكر ، طبعاً ، الّا لمصر. هذا وقد وددنا لو اعفى المدرّس صغاره ، تلامذة السنة الثالثة الثانوية ، من معرفة بعض مظاهر « الادب » في عصر ابي نواس ووالبة بن الحباب. . . ف. ا ب.

تاريخ الآداب العربية للسنة الرابعة الثانوية

تأليف محمد موسى عفيفي وعباس علي صيام

٩٠ ص. متوسطة – المطبعة الرحمانية بمصر ١٩٣٠ – الثمن: ٥ قروش

وهذا الكتاب ايضاً ألف وفقاً « للمنهج المخفف الذي قررته وزارة المعارف » قام به مؤلف الكتاب السابق بالاشتراك مع زميله في مدرسة الامير

فاروق السيد محمد موسى عفيفي . فكان اوفى من السابق ، لانه حصر موضوعه في عصر الاسلام والعصر العباسي الاول فحسب ، واختصّ بتلامذة السنة الرابعة . فكان من الطبيعي ان يتبسط شيئاً في الموضوعات . الّا اننا لا نرى هذا التبسط متساوياً في بعض الاقسام . فبينا يخصّص المؤلفان لصفات الشعر العباسي ١٠ صفحات (٥٥—٦٥) ، لا يجودان على الادب العباسي الّا بصفحتين (٦٩—٧١) يحشران فيهما الجاحظ والمبرّد وابن قتيبة وتآليفهم ... وعلى الجملة نرى ان هذا الكتاب ، وان شارك السابق بشيء من المآخذ التي ذكرناها ، اجمع ، وارصن ، واسهل هضماً على كل حال. ف.ا.ب.

كتاب الاغاني : الجزء الخامس

لابي الفرج الاصفهاني

مطبعة دار الكتب المصرية ، ١٩٣٢ — ٥٤١ ص. بقطع كبير

لا حاجة الى الافاضة بمحاسن هذه الطبعة النفيسة، وقد تقدّم لنا كلام طويل في ذكر الاجزاء السابقة (المشرق ٢٩ [١٩٣١] ٩٥٧ وفيها ذكر المراجع الى وصف الاجزاء السابقة) . فنكتفي بالقول ان هذا الجزء اتّصف بجميع تلك الصفات مع زيادة في الضبط والاعتناء ايضاً. جمع اخبار ستة من الشعراء والمغنين اولهم النابغة الجعدي ، وقد استطرد المؤلف من اخباره الى ذكر معلومات وافرة عن حرب البسوس . ثم ترجم للهُذلي المغني بالاختصار . وتوسّع شيئاً في ذكر عبيد الله بن قيس الرقيّات ، وفي ذكر مالك بن ابي السمح. اما القسم المهمّ فيختص بترجمة ابراهيم الموصلي ، وخصوصاً بترجمة ابنه اسحق. ف. ا. ب.

مريض الوهم

مكتبة صادر ، بيروت ، ١٩٣٢ — ٨٣ ص. صغيرة — الثمن : ٧ فرنكات

هي من هزليات موليير المعروفة عرّبها نثراً الاستاذ الياس ابو شبكه ، ونشرتها مكتبة صادر بعد ان نشرت «المثري النبيل» للمؤلف والمعرّب نفسيهما.

* سياحتنا الصيفية الى بعلبك — الهرمل وضواحيهما * المطبعة الكاثوليكية ، ١٩٣٢ — ٢٣ ص صغيرة — وصف سياحة قام بها الاستاذ يوسف الغلبوني رئيس حزب الاخلاق الصالحة في بيروت في الانحاء المذكورة. طبعه مزيّناً بالرسوم على نفقة الحزب وفي سبيل اعماله.

اهم حوادث الشرق في شهر

١٥ ك ٢ — ١٥ شباط ١٩٣٣

لبنان وسورية — أُلغيت في لبنان ادارة الدوائر الاقتصادية وادارة الدوائر العقارية، والحقت دوائر الاولى بادارة الزراعة العامة، ودوائر الثانية بادارة المالية.

* اقر المجلس التوزي الموازنة الجديدة دخلاً وخرجاً وهي تبلغ ٨,٤٦٢,٨٨٧ ل. س.

* أُخلي سبيل اكثر الموقوفين بشأن قضايا الدوائر العقارية والنافعة في لبنان. وقد منع قاضي الاحالة محاكمة بعضهم.

* شبت النار في ما كان قد بقي في حي الكرنتينا، في بيروت، من اكواخ الارمن الخشبية، فالتهمتها برمتها، وهي مسكن نحو ٦٠٠ عائلة لا يقل افرادها عن الثلاثة آلاف.

مصر — افتتح في ١٨ ك ٢ مؤتمر السكك الحديدية الدولي تحت رعاية جلالة الملك. وقد اشترك فيه مندوبون من اكثر ممالك اوربة.

* تقرر ايفاد بعثة تؤلف من ضابطين في الجيش المصري الى انكلترة لتعلم الطيران.

فلسطين — نشرت الحكومة قانوناً جديداً للصحافة اهم ما فيه ان يكون محرر الجريدة بالغاً الـ ٢٥ من عمره، ومجتازاً الامتحان في التعليم العالي الفلسطيني او ما يعادله. وانه يجوز للمندوب السامي تعطيل الجريدة.

العراق — احرزت الوزارة اغلبية كبيرة في الانتخابات الثنوية. وسيكون تأليف المجلس الجديد من ٦٠ نائباً من انصار الحكومة، و ٢٠ من الوطنيين و ٨ من المستقلين.

المطبعة الكاثوليكية المدير المسؤول : يوسف ماهر

المشرق

السنة الحادية والثلاثون — نيسان ١٩٣٣

البطريركيّة الانطاكيّة

بين الاتحاد والانفصال

بقلم الاب اثناسيوس حاج قب
رئيس المدرسة الشرقية في زحلة

١

هي ذلك الفرع الكبير الذي نبت على اصل الكنيسة المقدسة منذ نشأتها فامتدت منه الغصون حاملة ازهار الفضائل وثمار القداسة، وتمنت فوق افنانه بلابل الفصاحة والبلاغة، واستظلّ بظله الوارف ربوات المؤمنين، وسقته دماء الشهداء حيناً بعد حين.

رأت الجحيم عظمة هذا الغصن فأثارت عليه عاصفة الهرطقة والشقاق لتجفف منه ماء الحياة وكادت تبهره، لولا ان المسيح الذي سقى شجرة كنيسته بغزير دمائه ابى ان ينفصل هذا الغصن زماناً طويلاً، فعمل على عودته شيئاً فشيئاً.

ولعلّ الزمان قد حان لكمال الاتحاد المنشود. فلنلقِ نظرة تاريخية على

البطريركية الانطاكية منذ نشأتها الى الآن لترى ما شتّت شمل ابنائها على حين انهم كانوا عائلة واحدة متحدةً برأس الكنيسة . وحينئذٍ نعمل بكل ما فينا من غيرة وحمية على تبديد الاوهام وتذليل العقبات في سبيل تحقيق تلك الامنية الجميلة ، امنية الاتحاد ، فيرجع اذ ذاك الابناء الى ابيهم وتعود العائلة والرعية لراعٍ واحد بعون الله .

لم تكد الكنيسة المقدسة تتأسس في اورشليم حتى ثار ثائر الاضطهاد عليها فلجأ بعض الاخوة الى انطاكية حيث بشروا بالدين الجديد حوالي سنة ٣٥ . ثم جاء اليها القديس بطرس ، وقضى فيها بضع سنوات مؤسساً كنيسة لم تلبث ان اصبحت مبعثاً للمبشرين ترسلهم الى جميع الجهات . وهكذا قد بثّت الايمان في اماكن كثيرة ، ونالت بذات الفعل بعض السيطرة على الكنائس التي انشأتها . وهذه السيطرة قد اقرّ لها بها المجمع النيقاوي . وهكذا بدأ نشؤ البطريركية الانطاكية .

وبينا الكنيسة الانطاكية تنمو نموًّا سريعاً اذا بالبدعة الآريوسية تحدث فيها انشقاقاً بقيت تتألم منه من سنة ٣٣٠ الى سنة ٤١٥ . فكانت الاحزاب في خلال هذه المدة تتنازع كرسي الاسقفية الانطاكية تنازعاً غريباً . الى ان اتاح الله تعالى للبابا داماسيوس وخليفته ان يضعا حدًّا للمطامع البشرية ويرجعا الامور الى مجاريها[1] .

بعد ان قضي على البدعة الآريوسية في كنيسة انطاكية ، قامت بدعة نسطوريوس ، بطريرك القسطنطينية ، المعلّم ان في المسيح اقنومين ، وتبعه في تعليمه بعض اساقفة كنيسة انطاكية . الا ان المجمع الافسي[2] حرمه وقضى على بدعته . بيد ان هذه البدعة لم تنقض حينئذٍ الا لتقوم على انقاضها بدعة اخرى تدعي ان في المسيح طبيعة واحدة ، فحرمها المجمع الخلقيدوني سنة ٤٥١ ، وكادت

١) ان التاريخ يعيد ذاته . فما حدث في كرسي انطاكية في الجيل الرابع قد تكرر حدوثه فيها مراراً . انظر مقالة «تنازع الاسقفية في انطاكية» في المشرق (٢٦[١٩٢٨] ٦٠٨)

٢) من طالع اعمال هذا المجمع المؤلف من اساقفة الشرق خصوصاً رأى باجلى بيان سلطة البابا على الكنيسة جمعاء — اطلب المشرق (٢٩ [١٩٣١] ٩٣٦)

تندثر لو لم تجد في يعقوب البرادعي ، اسقف الرها ، مناصراً كبيراً ، فتسنى لها ان تشيد بطريركية جديدة لقبت ببطريركية اليعاقبة وذلك سنة٥٤٣ . ومنذ ذلك الحين دعا اليعاقبة اتباع المجمع الخلقيدوني بالامبراطوريين لان البلاط الامبراطوري كان مناصراً له ، ثم غلبت تسميتهم بالملكيين.

ولم يمض طويل زمان حتى نشأت بدعة اخرى تعلم ان في المسيح مشيئة واحدة . وهذه البدعة قد اضلت عدداً كبيراً من مسيحيي الكرسي الانطاكي. وقد توصل الامبراطور هيراكليوس ، مناصر هذه البدعة ، الى ان يستميل اليها عدداً كبيراً من الرهبان. فانفصل هؤلاء عن البطريركية الانطاكية سنة ٦٨١ ، واصبحوا بذلك عرضة لاضطهاد اليعاقبة والملكيين معاً واضطروا ان يهربوا . فلبثوا على حالهم حتى عهد الصليبيين.

انفصال البطريركية الانطاكية عن رومة

بقيت رومة المرجع الاخير للاساقفة والبطاركة كما يظهر من رسائل القديس اغناطيوس الشهيد وغيرها ، ومن تدخل البابا داماسيوس وخلفه في حل مسألة تنازع اسقفية انطاكية ، ومن مجمع افسس وغيره ، الى ان قام فوتيوس محاولاً اختلاس الكرسي القسطنطيني من يد بطريركه الشرعي القديس اغناطيوس سنة ٨٥٧ . وقد تزلف فوتيوس الى الحبر الاعظم حتى يثبته في البطريركية ، وابدى كل خضوع في بدء الامر الا ان البابا لم تخف عليه الحقيقة فرشقه بالحرم . فخلع اذ ذاك فوتيوس نير الطاعة وانفصل مع الامبراطور عن رومة.

غير ان المجمع المسكوني الثامن والقسطنطيني الرابع سنة ٨٦٩ اوقف الشقاق بحط فوتيوس عن كرسيه . ولم يزل البطاركة بعدئذ يرسلون صورة ايمانهم الى الحبر الاعظم ، ويقيمون اسمه في الذبيحة ، ويرفعون الدعاوى الى محكمته العالية حسب عادتهم القديمة . الى ان ارتقى الى الكرسي القسطنطيني ميخائيل كيرولاروس (١٠٤٣-١٠٥٨) فامر باغلاق كنائس اللاتين ، وشهر انفصاله عن البابا. فاجتهد البطريرك الانطاكي بطرس الثالث في ارجاعه عن غيه ، ولكن عبثاً.

اما البطريركية الانطاكية فقد بقيت خاضعة لرومة الى ان ارتقى اليها

حوالي سنة ١٠٥٧ ثيودوسيوس الثالث المتحزب الكيرولاروس فلم يرسل للبابا صورة اعترافه . وكل البطاركة اليونانيين الذين خلفوه نهجوا نهجه . فيكون الانشقاق في الكنيسة الانطاكية قد بدأ ، والحالة هذه ، منذ سنة ١٠٥٧ ، غير انه لم يكن قانونياً وعلنياً كما في القسطنطينية ، ولا صورياً الا عند البطاركة اليوناني الاصل . اما البطاركة الوطنيون مع المؤمنين فقد بقي انشقاقهم مادياً زماناً طويلاً . ومما يجدر ذكره ان الشعب نفسه لا يمكن ان تنسب اليه الانشقاق ، فقد كان غريباً عما يحدث بين البطاركة وروما . وبقاء الاتحاد او زواله كان منوطاً بارادة البطريرك وحده ، بحيث اذا انفصل جزء معه كل بطريركيته الى شقاق لم يكن صورياً ومجرماً الا في البطريرك واساقفته .

الارتداد من عهد الصليبيين حتى الفتح العثماني

يظهر ان البطريرك داود اعتنق الكثلكة نحو سنة ١٢٤٨ ، ونال من البابا الاذن في الاقامة بمدينة انطاكية .

ثم لما كان الامبراطور ميشال الثامن الباليولوغ راغباً في الاتحاد رفع الى كرسي انطاكية ثيودوسيوس الرابع لما انس فيه من الاستعداد لذلك . وهذا قد قبل فعلاً سنة ١٢٧٤ بالاتحاد المعمول عليه في مجمع ليون . غير ان هذا البطريرك استقال من البطريركية سنة ١٢٨٣ . ولما كان الاكليروس الشرقي يبغض الاكليروس الغربي بغضاً شديداً عاد فانفصل عنه .

ومضت اعوام فعاد الشرق والغرب الى الاتحاد سنة ١٤٣٩ في مجمع فلورنسة ، الذي ارسل اليه البطريرك دوروثاوس الاول معتمده . وقبلت تقارير هذا المجمع بفرح عظيم في سورية كلها . بيد ان ارسانيوس ، متروبوليت قيصارية كبادوكيا ، لقي على اثر ذلك لزيارة الاماكن المقدسة ، واقنع بطريرك اورشليم وبطريركي الاسكندرية وانطاكية بالاجتماع سنة ١٤٤٣ ، وبنبذ تقارير مجمع فلورنسة . وهكذا فرق اعداء الاتحاد القلوب من جديد .

ولم يكن الاحبار الرومانيون ليقنطوا او يجفوا ابناءهم الشرقيين . فان البابا كاليكستوس الثالث سعى في عودة الشرق اليه ، كما ان البطريرك الانطاكي

مرقص الثالث اقتنع بذلك سنة ١٤٥٧ ، فجمع مجمعاً اقر فيه اعادة ذكر الحبر الاعظم في الذبيحة الالهية . وكذلك خليفته يواكيم الثاني فانه كتب الى البابا يعلمه بارتقائه الى البطريركية . واما نهاية هذا الاتحاد فلا يعلم متى وكيف كانت . ولعلها ثمرة عدم متابعة الكتابات والعلاقات ، وتدخل الإكليروس اليوناني المتعصب ، ولاسيما بعد ان وضع يده على بطريركية اورشليم سنة ١٥٣٤ ، واخيراً للموقف العدائي الذي وقفه الاتراك تجاه مسيحيي اوربة ، وخصوصاً تجاه الاحبار الرومانيين ومقاومتهم كل اتحاد معهم[1] .

حركة الارتداد في القرنين السادس عشر والسابع عشر

ان القسم الثاني من القرن السادس عشر رأى حركة كبيرة نحو الاتحاد . فان البطريرك الماروني كان في بدئه قد جدّد اتحاد شعبه مع الكرسي الرسولي . وكذلك الكاثوليكوس النسطوري فانه قدم صورة ايمانه الى الحبر الاعظم مؤسساً الكنيسة الكلدانية الكاثوليكية .

وقد حدث في البطريركية الانطاكية الملكية شيء من هذا ، فان البابا غريغوريوس الثالث عشر انتدب كاهناً مالطياً اسمه ليونار ابيلا ليسعى بالاتحاد ، فاجتمع هذا بالبطريرك ميخائيل السابع نحو سنة ١٥٩٣ . وبعد المباحثات وقع البطريرك صورة الايمان الكاثوليكي وارسل كتباً الى البابا يعده فيها ببذل كل ما في وسعه لاعادة الاتحاد . غير ان الموت لم يترك له السبيل لذلك[2]

وبعد ذلك ببضع سنين تسنى للاب ليونار ان يقنع ملاتيوس كرمة ، اسقف حلب ، بالاتحاد . فتقرب هذا الى رومة التي اوصت به المرسلين الذين كانوا يعملون على بث افكار الاتحاد[3] .

وفي سنة ١٦٣٤ ارتقى ملاتيوس كرمة الى السدة البطريركية ودعي

---

١) اما الآن وقد تفلصت سيطرة الاكليروس اليوناني عن بطريركية انطاكية ، واضمحلت دولة الاتراك التي كانت عاملة على تفريق الطوائف لتسود عليها ، فان الاتحاد اصبح سهلاً على ذوي الارادة الصالحة .

٢) انظر مادة انطاكية في معجم تاريخ وجغرافية الكنيسة

٣) قدم اليسوعيون والكبوشيون الى حلب سنة ١٦٢٥ ، والكرمليون سنة ١٦٣٦

افتيميوس الثاني ، فاحضر معه الى دمشق احد المرسلين ، الاب قيروط ، وعهد اليه بالتبشير . غير ان هذا البطريرك مات سنة ١٦٣٥ قبل ان يتم الاتحاد بصفة قانونية . وقد ذاعت رومة مساعيها فوعد البطريرك مكاريوس الثالث زعيم بارسال صورة ايمانه مع اسقفين . وقد قام بوعده سنة ١٦٦٤ . غير انه لم يجرأ ان يجاهر بذلك ويقاطع بطاركة الشرق الارثذوكس ، ومات سنة ١٦٧٢ .

وكان له نسيب اسمه قسطنطين زعيم استمال اليه والي الشام واساقفة مطرلا والزبداني وصيدنايا ، فسيم بطريركاً وسمي كيرلس الخامس . اما سائر الاساقفة فقد اجتمعوا وساموا ناوفيطوس ، مطران حماة ، الذي رزح تحت الديون واستقال سنة ١٦٨٢ . ولم يلبث كيرلس ان وجد منازعاً آخر في بروكوبيوس دباس الذي نال فرماناً بالبطريركية ، وسامه ثلاثة اساقفة بطريركاً سنة ١٦٨٥ وسمي اثناسيوس الثالث ، وقد نال بواسطة الفرنسيسكان تثبيت رومة بعد ان ارسل صورة ايمانه ١٦٩٨ هو ومكاريوس ، مطران طرابلس ، الذي هداه الكبوشيون .

وممن امتازوا وقتئذ بايمانهم الكاثوليكي بين الاساقفة وبغيرتهم المتقدة عليه افتيميوس الصيفي المولود في دمشق سنة ١٦٤٨ ، وهو ابن اخت البطريرك افتيميوس كرمة الذي كان قد عهد بتربيته الى الاب قيروط . فافتيميوس هذا الذي رقاه كيرلس الخامس سنة ١٦٨٣ الى كرسي صور استحق ان تعطيه رومة الولاية على جميع كاثوليك البطريركية في الاماكن التي لا اسقف كاثوليكي فيها .

وفي ١٧٠١ اعترف بالايمان الكاثوليكي يوثانيوس ، اسقف بعلبك ، وسلفستروس دهان ، مطران بيروت ، ونجحت مساعي الاتحاد نجاحاً باهراً ولاسيما في حلب والشام .

ازدواج الطغمة الكنسية في البطريركية الانطاكية الملكية (١٧٠١—١٧٢٤)

كان لا بد من اكليروس وطني منظم الشؤون لامكان توسيع نطاق الاتحاد وثباته . وهذا ما تم في تأسيس الرهبانية الشويرية في دير الصابغ ، والرهبانية المخلصية قرب صيدا . وقد فهم مجمع انتشار الايمان ضرورة هذا الامر ، فاجتهد في تكثير عدد الطالبين الاكليريكيين الملكيين في رومية ، فمن هؤلاء الطلبة سارافيم طاناس ، ابن اخت افتيميوس صيفي ، سيم كاهناً سنة ١٧١١ ،

واخذ يبشر بالكثلكة . وكثر عدد الكاثوليك فبلغ في ابرشية افتيميوس ، على قوله ، خمسة عشر الفاً . ولم يكن يقل عن ذلك في حلب والشام.

وكان قنصل فرنسة في صيدا غيوراً على الكثلكة فاجتهد ان يرد كيرلس الخامس ، وقد استدرجه الى ذلك رويداً رويداً . اخيراً ارسل كيرلس صورة ايمانه الى رومة مع طاناس، هو وجراسيموس مطران صيدنايا سنة ١٧١٦ . وبناء على ذلك اقرت رومة تثبيت كيرلس بطريركاً . الا ان المسئلة لم تكن انتهت بعد حتى علمت بوفاته سنة ١٧٢٠[1]. حينئذٍ استلم زمام البطريركية اثناسيوس الثالث الذي بقي متقلباً بين الارثوذكسية والكثلكة حتى وفاته سنة ١٧٢٤. ويقال انه عمل صورة ايمانه الكاثوليكي على سرير النزاع[2].

ان افتيميوس الصيفي لم يتسنَّ له تبوّ العرش البطريركي، لانه بسبب اندفاعه الشديد وتغيره بعض الطقوس اهاج الرأي العام عليه . فالحزب الكاثوليكي في الشام بادر الى تسمية بطريرك قبل تدخل الفنار ، فانتخبوا في ايلول سنة ١٧٢٤ سارافيم طاناس ابن اخت المطران افتيميوس صيفي ، ودعوا مطران صيدنايا نارفيطوس نصري ، وباسيليوس فينان ، اسقف بانياس، فساموا افتيميوس فضل المخلصي اسقفاً لزحلة ، وثلاثتهم رقوا الى البطريركية سارافيم طاناس الذي سمي كيرلس السادس (عن سجل الرهبانية الشويرية) . فلما بلغ ذلك بطريرك القسطنطينية جمع مجمع اساقفته فساموا بطريركاً شماس البطريرك المتوفى واسمه سلفستروس، واخذوا له براءة سلطانية . وارفقه البطريرك ارميا الثالث بصورة الحرم والحط لكيرلس طاناس . ومنذ ذاك الوقت تميزت البطريركيتان الكاثوليكية والارثوذكسية .

---

١) جاء في سجل الرهبانية الخنشية ان « السيد البطريرك كيرلس الانطاكي الحلبي كان يعتبر الايمان الكاثوليكي . » وفي محل آخر : ٦٥ ك ٢ سنة ١٧٢٠ رقد بالرب البطريرك كيرلس وتوفي كاثوليكياً مثبتاً من الحبر الاعظم »

٢) جاء عنه في سجل الرهبانية الشويرية انه لما زار دير الصايغ سنة ١٧٢٠، خلا بالخوري مكسيموس والخوري نقولا . . . ثم تلقنهم بان لا يظهروا شيئاً مما يقتضي الايمان الكاثوليكي فاجابوا بشجاعة ضد قوله . » وفي اماكن اخرى اشارة الى « اعمال كثيرة خبيثة » فعلها اثناسيوس ضد الكاثوليكيين « وجه سهم اضطهاده للكاثوليكيين بعد عودته من المجمع القسطنطيني . . . هرب زاخر من وجه اثناسيوس . . . »

(للكلام صلة)

ابن عبد ربه و «عقده»

درس ادبي تاريخي

بقلم جبرائيل جبّور
احد اساتذة الادب العربي في جامعة بيروت الاميركية

٧

قيمة العقد التاريخية (تابع)

نظره الى تاريخ الاندلس واقتصاره على قدر ضئيل منه

ذكرنا غير مرة ان اخبار ابن عبد ربه عن الاندلس قليلة الاهمية . ولعلّ الصاحب بن عباد قد انصف العقد، عندما طلبه وقرأه وقال : « هذه بضاعتنا ردّت الينا . ظننت ان هذا الكتاب يشتمل على شيء من اخبار بلادهم، وانما هو مشتمل على اخبار بلادنا. لا حاجة لنا فيه . »[1]

وغريب جدًّا ان يسكت ابن عبد ربه عن تصوير بعض النواحي من الحياة الاجتماعية والادبية في قرطبة زمنئذٍ، وبالاخص في بلاط الامراء، فلا يذكر الا اسماء امراء الاندلس من عبد الرحمن الداخل الى عبد الرحمن الناصر مع شيء قليل من ترجمات حياتهم . غير انه قد ترك لنا في عقده ارجوزة تاريخية في الانتصارات التي احرزها الخليفة عبدالرحمن الناصر على اعدائه في الاندلس ضمّنت ١٤٤ بيتاً تكاد تكون من اقدم الاشعار العربية في الملاحم . ولقد وضعها على الطريقة التوقيتية بحيث ذكر فيها اخبار الغزوات سنةً فسنة، مبتدئاً من سنة ٣٠٠ وانتهى بها الى سنة ٣٢٢، اي قبل موته بست سنوات . وقد حاولنا

---

١) ياقوت ٢ : ٦٧ – وراجع القرآن ١٢ [يوسف] ٦٥ « . . . قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي هٰذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا . . . »

تعليل سكوته عن هذه الست سنوات عند بحثنا عن حياته. فليراجع هذا الامر هناك . غير انه فاتنا ان نشير الى اننا عثرنا في العقد على ما يفيد ان ابن عبد ربه نفسه اوقف الارجوزة عند سنة ٣٢٢[1]، فليتنبه الى هذا.

ولارجوزة ابن عبد ربه قيمة تاريخية ثمينة من حيث ذكر الوقائع وزمن حدوثها والاماكن ، واسماء كثير من القوّاد الذين اشتركوا فيها من جانب العرب، واسماء كثير من المدن والحصون التي سقطت بايديهم في السنوات المذكورة ، مع ذكر زمن موت بعض القوّاد وربما اتى في الارجوزة على بعض الاخبار التي تهمّ المؤرخين للزمن الذي سبق وقائع الناصر ، كأن يقول مثلاً في خبر سقوط طليطلة سنة ٣٢٠

فاذعنت وقبلها لم تذعن ولم تفد من نفسها وتمكن
ولم تدن لربّها بدين ، سبعاً وسبعين من السنين (٢

وتظهر الارجوزة وجهة نظر ابن عبد ربّه كمسلم يؤرخ وقائع الناصر ، وموقفه ازاء اعداء الخليفة الاندلسيين لاسيا النصارى منهم . وسنعرض لهذا الامر بمناسبة اخرى.

نزعته المغربية

ولئن كان هؤلاء العرب ومواليهم في المغرب يقلّدون المشارقة في نهضتهم ويحذون حذوهم في علومهم وآدابهم ، فقد كانوا بالوقت نفسه يتعصبون لاقليمهم واهليه ، ويحاولون في بعض الاحيان اظهار ان ما عندهم من علم وادب لا يقلّ عما عند المشارقة ، وترى هذه الظاهرة قوية في كتاب المقّري « نفح الطيب في غصن الاندلس الرطيب . . . » حيث خصّصت الفصول الطوال لتبيان مفاخر رجال الاندلس ، اذا قوبلوا باهل المشرق ، وذكر انهم لا يقلّون عنهم من مختلف الوجوه.

اما ابن عبد ربه فيختلف عن هؤلاء المؤلفين المغاربة في امر اظهار هذه

١) ابن عبد ربه ٣ : ٢٦٣
٢) ابن عبد ربه ٣ : ٢٧٦

النزعة . ولعلها لم تكن قوية في نفوس رجال العلم ، زمن ابن عبد ربه ، بينما نراها على اشدها في العصور التي تلته . زد على ذلك ان ابن عبد ربه لم يكتب كثيراً عن الاندلس وتاريخها ورجالها من علماء وادباء وشعراء . فمن الطبيعي اذاً ان يصعب علينا معرفة قوة هذه النزعة في نفسه ، وبالتالي درس اثرها في عقده . ومهما يكن من ذلك فانا نرى ان ابن عبد ربه قد اظهر شيئاً من هذه النزعة في مقدمة عقده حيث قال :

« وحليت كل كتاب منها بشواهد من الشعر تجانس الاخبار في معانيها وتوافقه في مذاهبها وقرنت بها غرائب من شعري ليمام الناظر في كتابنا هذا ان لمغربنا على قاصيه وبلدنا على انفساحه حظاً من المنظوم والمنثور . »(١)

ونراه في كثير من المواضع في عقده ، اذا ذكر شعراً لاحد المشارقة ، اتبعه بشعر له كأن يقول مثلاً : « قال ابو زبيد في وصف الاسد » الخ . ثم يقول : « ومن قولنا في وصف الاسد ما هو اشبه به من هذا » الخ .(٢) كذلك يذكر معارضته لصريع الغواني في قصيدته :

« ادبرا عليّ الراح لا تشربا قبلي »

ويروي ابياته التي قالها على رويها :

« أتقتلني ظلماً وتجحدني قتلي »

ثم يعقبها بقوله :

« أن نظر الى سهولة هذا الشعر مع بديع معناه ورقة طبعه لم يفضل شعر صريع عنده الا بفضل التقدم ولاسيما اذا قرن قوله في هذا الشعر :

كتمت الذي القى من الحب عاذلي فلم يدر ما بي فاسترحت من العذل

بقولي في هذا الشعر :

واحببت فيها العذل حباً لذكرها فلا شيء اشهى في فؤادي من العذل . » (٣)

ويذكر اشعاراً للعباس بن الاحنف ، ولجميل بن معمر ، ولعمر بن ابي ربيعة ، « في رقة التشبيب » ، ثم يعقبها بشعر له يتقدم له بقوله : « ومن قولنا في رقة التشبيب والشعر المطبوع الذي ليس بدون ما تقدم ذكره . »(٤) ويقول في موضع

١) ابن عبد ربه ١ : ٢
٢) ابن عبد ربه ٣ : ١٦٢
٣) « « ٣ : ١٧٥
٤) ابن عبد ربه ٣ : ١٧٤

آخر : « اعلم بانك متى نظرت بعين الانصاف وقطعت بحجة العقل علمت ان لكل ذي فضل فضله ولا ينفع المتقدم تقدمه ولا يضر المتأخر تأخره. »[1] وله شعر يفخر به على شعراء المشرق:

« هنا تثنى قواني الشعر في هذا الرويّ
قوافي البست حلياً من الحسن البديّ
تعالت عن جرير ، بل زهير ، بل عديّ . »[2]

وله ايضاً في آخر قصيدة :

« هذه جملة امثال فان شاء فيحكي
ابطلت كل يمانيّ م وشاميّ ومكّي » [3]

ونرى ان اكثر هذه الامثلة تُفسَّر ايضاً على اساس النزعة الشخصية . انما يجوز ايضاً ان يشتمّ منها شيء من النزعة الاقليمية .

ونرى ان ابن عبد ربه ، عند ذكره ترجمة الامراء الاندلسيين الذين تولوا الحكم حتى زمانه ، يجزل لهم المدح ويورد عنهم اخباراً في تبيان مفاخرهم. وقد ذكر خبر مدح ابي جعفر المنصور عبد الرحمن الداخل ، وتسميته اياه بصقر قريش ، وتفضيله اياه على معاوية وعبد الملك[4] . ويذكر احدى غزوات الناصر المعروفة بغزاة المنتلون التي افتتح فيها حصون كثيرة فيقول : « ولم يكن مثل هذه الغزاة لملك من الملوك في الجاهلية والاسلام. »[5] كذلك يذكر جوده ويقول : « لم يعرف لاحد من الجاهلية والاسلام الا له وقد ذكرت ذلك في شعري الذي اقول فيه :

يا ابن المتلاف والعلى للمتلي والجود يعرف فضله للمفضل
نوّهت بالخلفاء بل اهلتهم حتى كأن نبيلهم لم ينبل
اذكرت ، بل انسيت ما ذكر الاولى ن فعلهم ، فكأنه لم يفعل
واتيت آخرهم ، وشأوك فائت للآخرين ، ومدرك للاول .
الآن سمّيت الخلافة باسمها كالبدر يقرن بالسماك الاعزل
تأبى فمالك ان تفرّ لآخر منهم،وجودك ان يكون لاول [6]

---

١) ابن عبد ربه ٣ : ١٧١
٢) ابن عبد ربه ٣ : ٢٢٨
٣) « « ١ : ٢٠٧
٤) « « ٢ : ٢٥٧
٥) « « ٢ : ٢٦٢
٦) « « ٢ : ٢٦٢

ولا بد لي من الاشارة الى ان هـذه النزعة — ان ثبت ان في نفس ابن عبد ربه شيئاً منها — ليست من الاهمية كما أسلفنا ، حيث ان ابن عبد ربه لم يُعنَ كثيراً في تدوين اخبار بلاده ، بل ان هناك مَن حسبه مقصراً من هذه الناحية . كتب ابو علي الحسن التميمي القيرواني الى ابن حزم يـذكر تقصير اهل الاندلس في تخليد اخبار علمائهم ومآثر فضلائهم وسير ملوكهم . ثم أتى على ذكر ابن عبد ربه وعقده فقال : «على انه يلحقه فيه بعض اللوم لاسيما اذ لم يجعل فضائل بلده واسطة عقده ومناقب ملوكه يتيمة سلكه . اكثر الحزّ واخطأ المفصل واطال الهز لسيف غير مقصل ، وقعد به ما قعد باصحابه من ترك ما يعنيهم واغفال ما يهمهم .»[1]

نظره كمسلم الى النصارى في الاندلس

ونتبين هذا من الاخبار القليلة التي دوّنها في عقده عن الاندلس وتاريخ الامراء والخليفة عبد الرحمن الناصر الذي عاصره فيها ، ومن ارجوزته التاريخية في ذكر وقائع الخليفة المذكور . ويظهر من هذين المصدرين ان ابن عبد ربه كان شديد الحملة على النصارى ، اعداء المسلمين في الاندلس ، ينعتهم تارة باهل الشرك والكفرة والاعلاج ، وطوراً بالشياطين والكلاب والخنازير . ومن الخير ان ندلّ على ذلك بامثلة معينة . قال في ترجمة الامير محمد : «وكان الامير محمد غزّاء لاهل الشرك والخلاف .»[2] وقال في ترجمة الامير المنذر بن محمد : «ثم غزا الى المارق الموتر عمرو[3] بن حفصون . . . فلم يجد الفاسق منفذاً ولا متنفساً .» وقال في موضع آخر : «فلما رأى الفاسق الفرصة انتهزها .»[4] وترى هذه النعوت كثيرة في ارجوزته وشعره اللذين يمدح الناصر فيهما ويذكر انتصاراته :

---

١) المقري ٢ : ٧٦٧ ، وطبعة اوربة II : ١٠٩

٢) ابن عبد ربه ٣ : ٢٦

٣) كذا في طبعة بولاق ، ولعلّ «الموتر» تصحيف «المرتد» راجع الطبعة الازهرية ٣ : ٢٠٦ ؛ اما عمرو فصراحاً : عمر

٤) ابن عبد ربه ٣ : ٢٦١

مات النفاق واعطى الكفر ذمته ، وذلت الخيل الجاماً وأسراجا.
ادخلت في قبة الاسلام مارقة اخرجتها من ديار الشرك احراجا.
غادرت في عفرني جيان ملحمة ابكيت منها بارض الشرك اعلاجا.(١

وقال ايضاً :

ومن ابـاد الكفر والنفاقـا ، وشرّد الفتنة والشقاقـا.(٢

وقال في خبر اول غزاة :

ولم يزل حتى انتحى جيّانا ، فلم يـدع بارضهـا شيطانا.
ولم يـدع مريـة والجزيره ، حتى كوى اكلبها المريره
فـايقن الخنزير ، عنـد ذاك ، ان لا بقاء يرتجى هنـاك.(٣

وقال في خبر غزاة سنة ٣٠٦ :

ثم اقـاد الله من اعـدائه واحكم النصر لاوليائه.

الى ان يقول عن الناصر ويسميه بالامام :

ان احتمى للواحد القهـار وفاض من غيظ على الكفار(٤

ويقول في خبر الغزاة نفسها عن اعداء الخليفة :

فـاقبل العلج لهم مغيثـا ، يوم الخميس ، مسرعاً حثيثا ،
بين يديه الرجل والفوارس وحوله الصلبان والنواقس.

ثم يقول :

فقاز حزب الله بالعلجـان ، وانهزمت بطانة الشيطان.

ثم يذكر خبر قائدين من جيش النصارى ، ويرتكب خطأً فاحشاً في زعمه انهما اقسما بآلهة وثنية :

فاقسما بالجبت والطـاغوت لا جزما دون لقاء الموت.(٥

ولعله كان يعلم ان النصارى لا تقسم بها ، انما قصد ذكر هـذا تحقيرا لها ولدينها .

ويقول في خبر غزاة بلده :

فاذعنت ولم تكن بمذعنه ، واستسلمت كافره لمؤمنه.
فقدمت كفارها للسيف ، وقتلوا بالحق لا بالحيف.(٦

---

١) ابن عبد ربه ٢ : ٢٦٣
٢) ابن عبد ربه ٢ : ٢٦٤
٣) ابن عبد ربه ٢ : ٢٦٦
٤) « « ٢ : ٢٦٧
٥) « « ٢ : ٢٦٨
٦) « « ٢ : ٢٦٩

ويستمر على هـذا النحو من الكلام في كثير من المواضع في ارجوزته ، حتى يقول في غزوة سنة ٣١٢ وفتح بابارنه :

فكم بها وحولها من اغلب ... جمي عليه دمع عين الاسفر !
وكم بها منزل من كنائس ... بدلت الاذان بالنواقس !
يبكي لها الناقوس والصليبُ ... كلاهما فرض له النحيبُ . (١

ويقول في موضع آخر :

عصابة من شيعة الشيطان ، ... عدوة لله والسلطان ،
فحزمت اجسادها حزما ... واصليت ارواحها جهنما . (٢

ويقول في غزوة سنة ٣٢٠ :

صبرا الى المدينة اللعينه ... انسها الرحمن من مدينه !
مدينة الشقاق والنفاق ، ... ومربد الفساق والمراق . (٣

وينتهي من ارجوزته بقوله :

ثم ثنى الامام من عنانه ، ... وقد شفى الشجيّ من اشجانه .
وامن القفار من ايجاسها ، ... وطهّر البلاد من ارجاسها . (٤

نظره كمولى للعرب

في العقد كتاب هو « اليتيمة في النسب وفضائل العرب » ذكر فيه ابن عبد ربه نسب قبائل العرب ، واورد باباً في فضلها أتى فيه على اقوال كثير من الناس من عرب وموال ، وقد كادوا يجمعون على الشهادة بفضل العرب . وبعد ان يفرغ ابن عبد ربه من ذكر انساب العرب من شماليين وجنوبيين ، يدوّن رأي الشعوبية — اهل التسوية — وحجتهم في انهم متساوون مع العرب ، واستنادهم الى احاديث نبوية يقرنونها الى آيات من القرآن في معناها . قال :

« ومن حجة الشعوبية على العرب ان قالت انا ذهبنا الى العدل والتسوية وان الناس كلهم من طينة واحدة وسلالة رجل واحد واحتججنا بقول النبي عليه الصلاة والسلام : «المؤمنون اخوة تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم ادناهم وهم يدٌ على من سواهم .» وقوله في حجة

١) ابن عبد ربه ٣ : ٢٧٢
٢) ابن عبد ربه ٣ : ٢٧٥
٣) « « ٣ : ٢٧٦
٤) « « ٣ : ٢٧٨

الوداع ، وهي خطبته التي ودّع فيها امّته وختم نبوّته : « ايها الناس ان الله اذهب عنكم نخوة الجاهلية وفخرها بالآباء ، كلكم لآدم وآدم من تراب ليس لعربي على عجمي فضلٌ الا بالتقوى » وهذا القول من النبي عليه الصلاة والسلام موافق لقول الله تعالى « ان اكرمكم عند الله اتقاكم » (١) فابيتم الا فخرًا وقلتم لا تساوينا . » (٢)

ثم يعقب ابن عبد ربه هذه الاحاديث وما يوافقها من القرآن باقوال الشعوبية في تبيان مآثرهم ومفاخرهم وعلومهم وذمهم للعرب . ثم يعود فيورد ردّ ابن قتيبة عليهم ، ويعقبه بردّ الشعوبية على ابن قتيبة(٣) . ولا يفوته ان يرمي دلوه بين الدلاء فيقول :

« وما رأيت اعجب من ابن قتيبة في كتاب تفضيل العرب انه ذهب فيه كل مذهب من فضائل العرب ثم ختم كتابه بمذهب الشعوبية فنقض في آخره كل ما بنى في اوله ، فقال في آخر كلامه واعدل القول عندي ان الناس كلهم لاب وام خلقوا من تراب واعيدوا الى التراب . . . فهذا نسيم الاعلى الذي يردع به اهل العقول عن التعظم والكبرياء والفخر بالآباء . ثم الى الله مرجعهم فتقطع الانساب وتبطل الاحساب ، الا من كان حسبه التقوى او كانت مائته طاعة الله . » (٤)

ولم نرَ في كل ما اورد ابن عبد ربه في باب الشعوبية (اهل التسوية) واقوالهم ، وردّ ابن قتيبة عليهم وتعليقه عليه ، ما يبين شيئاً صريحاً من وجهة نظر ابن عبد ربه في الامر . وجلّ ما نستطيع الجزم فيه هو انه ينقد مناقضة ابن قتيبة نفسه في مسألة تفضيل العرب على سواهم ليس الّا .

ويذكر ابن عبد ربه فصلًا في الكتاب نفسه في المتعصبين للعرب اتى في آخره على قصة لا بأس في ان نوردها هنا ، لعلّ فيها ما يشير الى شيء من هذه الناحية في نفس ابن عبد ربه ، قال :

«قال ابن ابي ليلى : قال لي عيسى بن موسى ، وكان ديّانًا شديد العصبية : من كان فقيه البصرة؟ قلت : الحسن بن ابي الحسن ، قال : ثم من؟ قلت : محمد بن سيرين ، قال : فما هما؟ قلت : مولايان .

---

١) القرآن : ٤٩ [الحجرات] ١٣ «يا أيُّها النَّاس انّا خلقناكُم مِن ذَكَر وأُنثى وجعلناكُم شُعُوبًا وقَبائِلَ لِتَعارَفُوا ان أكرَمَكُم عِندَ اللهِ أتقاكُم إنَّ اللهَ عليمٌ خَبيرٌ .»

٢) ابن عبد ربه ٢ : ٨٥

٣) ابن عبد ربه ٢ : ٨٥–٨٨

٤) ابن عبد ربه ٢ : ٨٩–٩٠

قال: فمن كان فقيه مكة؟ قلت: عطاء بن ابي رباح، ومجاهد، وسعيد بن جبير، وسليمان بن يسار. قال: فما هؤلاء؟ قلت: موال! قال: فمن فقهاء المدينة؟ قلت: زيد بن أسلم، ومحمد بن المنكدر، ونافع بن ابي نجيح. قال: فما هؤلاء؟ قلت: موال! فتغيّر لونه، ثم قال: فمن افقه اهل قباء؟ قلت: ربيعة الرأي، وابن ابي الزناد! قال: فما كانا؟ قلت: من الموالي! فاربدّ وجهه، ثم قال: فمن كان فقيه اليمن؟ قلت: طاوس، وابنه، وابن منبه! قال: فما هؤلاء؟ قلت: من الموالي! فانتفخت اوداجه فانتصب قاعدًا! قال: فمن كان فقيه خراسان؟ قلت: عطاء بن عبدالله الخراساني! قال: فما كان عطاء هذا؟ قلت: مولى! فازداد وجهه تربّدًا واسودّ اسودادًا حتى خفته. ثم قال: فمن كان فقيه اهل الشام؟ قلت: مكحول! قال: فما كان مكحول هذا؟ قلت: مولى! قال فتنفس الصعداء. ثم قال: فمن كان فقيه الكوفة؟ (قال) فوالله لولا خوفه لقلت الحكم بن عتيبة وعمّار بن ابي سليمان، ولكن رايت فيه الشرّ فقلت ابرهيم، والشعبي! قال: فما كانا؟ قلت عربيّان! قال: الله أكبر! وسكن جأشه.» (١)

ويختم ابن عبد ربه كتابه هذا في النسب بخبر عن اعرابي دخل على سوار القاضي فقال:

«ان ابي مات وتركني وأخًا لي، وخطّ خطّين؛ ثم قال: وهجينًا، ثم خطّ خطًّا ناحية، فكيف يقسم المال؟ فقال له سوار: هنا وارث غيركم؟ قال: لا! قال: فالمال بينكم اثلاثًا! فقال: ما احسبك فهمت عني؛ انه تركني واخي وهجينًا فكيف يأخذ المجين كما آخذ انا وكما يأخذ اخي! قال: أجل! فغضب الاعرابي» (٢)

وروى في كتاب الياقوتة في العلم والادب قال:

«قال الحسن: حدثني ابي قال أمر الحجاج ان لا يؤمّ بالكوفة الا عربي. وكان يحيى بن وثاب يؤمّ قومه بني اسد، وهو مولى لهم، فقالوا: اعتزل. فقال ليس عن مثلي نهى، انا لاحقّ بالعرب. فابوا. فاتى الحجاج، فقرأ. فقال: من هذا؟ فقالوا: يحيى بن وثاب. قال: ما له؟ قال: امرت ان لا يؤمّ الا عربيّ فنحّاه قومه. فقال: ليس عن مثل هذا نهيت، يصلي بهم. (قال) فصلى بهم الفجر، والظهر، والعصر، والمغرب، والعشاء، ثم قال: اطلبوا اماما غيري انما اردت ان لا تستذلوني. فاما اذا صار الامر اليّ فانا لا اؤمكم، لا ولا كرامة.» (٣)

ومع انه قد يشتم شيء من ميل ابن عبد ربه الى تسوية المولى بالعربي فانا لا نستطيع ان نجزم بالامر، لاسيما وان ابن عبد ربه في اكثر هذه المواضع ناقل راوٍ ليس الا. ولعلّ نظر العرب في الاندلس كان يختلف عن نظر العرب في المشرق الى الموالي، من حيث المنزلة في الهيئة الاجتماعية.

---

١) ابن عبد ربه ٣: ٩١ ٢) ابن عبد ربه ٢: ١٣

٣) « « ١: ٢٠٧

بعض نواحي خلقه وأثرها في العقد

عدم استنكافه عن ذكر بذيء اللفظ وسافل المعنى

وربما من الخير ان نشير هنا الى ما المحنا اليه ، عند بحثنا عن حياة ابن عبد ربه ، من امر وصف خلقه من بعض النواحي . اورد المقّري قصة عن ابن عبد ربه وابي محمد يحيى القلفاط الشاعر ، اتى بها شاهداً على سرعة جواب اهل الاندلس نسكت عن ذكرها لما فيها من بذيء اللفظ يبديه كل من ابن عبد ربه وصاحبه هذا الذي كان يناظره . ويظهر من هذه القصة ان ابن عبد ربه لم يكن جميل الوجه والقامة ، بل كان آدر يدرم في مشيه ، فاتحاً بين ساقيه ، وكان اطلس اللحية ، وان القلفاط هزأ به ، ووصفه بصفة نسكت عن ذكرها . فاجابه ابن عبد ربه بما هو اقذع وامرّ . وفسد ما كان بينهما من روابط الصداقة والمحبة ، فصنع القلفاط قصيدةً في هجائه اولها :

يا عرس احمد اني مزمعٌ سفرا فودّعيني مرّاً من ابي عمرا

ثم تهاجيا بعد ذلك . واتفق اجتماعهما عند بعض الوزراء . فسأل عن حاليهما فبدأ القلفاط مرتجلاً في هجو صاحبه ، وما ان اكمل البيت الاول حتى بدره ابن عبد ربه ببيت قاله مرتجلاً ايضاً على البحر والقافية ذاتها ، وهو غاية القصة صبَّ فيه جام هجوه مرّاً اقذعَ اشدَّ الاقذاع ، وابدى اسفل معنى . فانقطع القلفاط خجلاً[1] .

وترى اثر هذه الناحية من خلق ابن عبد ربه في عدم استنكافه عن ايراد الاخبار في عقده مما يغلب فيها بذيء اللفظ وسافل المعنى . وليس بلائق ان تذكر هنا هذه القصص ، فليراجع بعضها في مواضعها التالية[2]

ميله للتعرّض للغير

ولعلّ القارئ قد لمس شيئاً من ميل ابن عبد ربه للتعرّض لكثير من

١) المقّري ٢ : ٨٣٢–٨٣٣

٢) ابن عبد ربه ٢ : ١١٩ و١٢٠ و١٢١ و١٥٦ ؛ و٣ : ٣٠٢ و٣٠٤ و٣٠٥ و٤٢٥ و٤٣٠ و٤٣٤ و٤٣٥

الذين اخذ عنهم بشيء من الانتقاد . فلقد اخذ عن ابن قتيبة كثيراً مما كتبه في مؤلفاته ونقله الى عقده. غير انه لم يفته ان ينتقده وينعى عليه بعض مواقفه كأن يقول مثلاً: «ولم أرَ اعجب من ابن قتيبة في كتابه تفضيل العرب انه ذهب فيه كل مذهب من فضائل العرب . ثم ختم كتابه بمذهب الشعوبية فنقض في آخره كلَّ ما بنى في اوله.»[1] كذلك انتقد رأي ابن قتيبة في الاشربة وعنون انتقاده هذا بقوله : « مناقضة ابن قتيبة في الاشربة .» ثم ذكر ما يراه ابن قتيبة في الامر ، وردّ عليه بقوله : « وهذا الشاهد الذي استشهد به (يعني ابن قتيبة) . . . شاهد عليه لا شاهد له لان الناس. . .الخ»[2] وردّ عليه في موضع آخر في الباب نفسه[3] . وعارضه في موضع آخر ، قال: «قال ابن قتيبة لم يقل في التواضع بيت ابدع من قول الشاعر في بعض خلفاء بني امية[4]

يغضي حياء ويغضى من مهابته فلا يكلَّم الا حين يبتسم

واحسن منه عندي. . .»[5]

وتعرّض للمبرّد عند ذكره بعض ما اخذه عنه ، وذمّه ، وندّد بما جمعه في الروضة وهزأ به ، وقال :

« ان المبرّد لم يختر لكل شاعر الا ابرد ما وجد له حتى انتهى الى الحسن بن هاني ، وقلما يأتي له بيت ضعيف لرقة فطنته وسبوطة بنيته وعذوبة الفاظه ، فاستخرج له من البرد ابياتاً ما سمعناها ولا رويناها ولا ندري من اين وقع عليها . . . وجلّ اشعاره المحمريات بديعة لا نظير لها فحظر بها كلها وتخطّاها الى التي جانسته في برده فما احسبه لقبه هذا الاسم المبرّد الا لبرده. وقد تخير لابي العتاهية اشعاراً تقتل من بردها وشنفها وقرظها بكلامه فقال ومن شعر ابي العتاهية المستظرف عند الظرفاء المخيَّر عند الخلفاء قوله :

يا قرة العين كيف امسيت اعزز علينا بما تشكيت

وقوله :

آه من وجدي وكربي آه من لوعة حبي

---

١) ابن عبد ربه ٢ : ٨١ ٢) ابن عبد ربه ٣ : ٤٠٦

٣) « « ٣ : ٤٠٦

٤) المشهور ان هذا البيت من قصيدة للفرزدق في الامام زين العابدين . والغريب ان ابن عبد ربه لم يلتفت الى هذا الامر ولم ينتقد ابن قتيبة فيه

٥) ابن عبد ربه ١ : ١٥

ما اشدّ الحبّ يا سبحانك اللهم ربّي.(١

وانتقد سيبويه في استشهاده ببيتين في كتابه اورد قافيتيهما منصوبتين وخطّأه. ثم قال في آخر كلامه: «فما كان يضطر سيبويه ان ينصبهما ويحتال على اعرابهما بهذه الحيلة الضعيفة.»(٢ وخطأ المبرّد ايضاً في شرحه امرأ بالموضع نفسه.

ولقد تعرّض ايضاً لكثير من الاشخاص الذين اورد بعض الاخبار عنهم. وقد قال في الامرأة التي شكت في صلاح عروة بن اذينة: «كذبت عدوّة الله. عليها لعنة الله. بل لم يكن مرائياً ولكنه كان مصدوراً فنفث.»(٣

كذلك نراه عند ذكره خبر مسير مسلم بن عقبة المرّي الى المدينة، ودخوله اليها، وتغلّبه على اهلها، يقول في آخر هذا الخبر «ومات مسلم بن عقبة، لا رحمه الله. ومضى حصين بن نمير بجيشه ذلك فلم يزل محاصراً لاهل مكة حتى مات يزيد لا رحمه الله.»(٤

وتعرّض للمختار فقال عنه: «ولم يكن صادق النيّة ولا صحيح المذهب. وانما اراد ان يستأصل الناس فلما ادرك بغيته، اظهر للناس قبح نيّته.»(٥

ولولعه بالتعرّض والنقد اكثر من الروايات التي فيها ذكرٌ لما أُخذ على الشعراء من الاخطاء، وافرد لها باباً خاصاً(٦. ووضع باباً آخر لما غلط فيه على الشعراء(٧. وانتقد فيه هؤلاء الذين لم ينصفوا الشعراء بقوله «واكثر ما ادرك على الشعراء له مجاز وتوجيه حسن. ولكنّ اصحاب اللغة لا ينصفونهم وربما غلطوا عليهم وتأولوا غير معانيهم التي ذهبوا اليها.»(٨

وافرد باباً للرقائق من الشعر لم يفته ان يستهلّه بالتعرّض لاكثر الناس قال: «وقد جبل اكثر الناس على سوء الاختيار وقلة التحصيل، مع لؤم الغرائز وضعف الهمم. وقلّ من يختار من الصنائع ارفعها ويطلب من العلوم انفعها.»(٩

١) ابن عبد ربه ٣: ٢٦٨
٢) ابن عبد ربه ٣: ١٧١
٣) « « ٣: ١٢٦
٤) « « ٢: ٢١٢
٥) « « ٢: ٢١٩
٦) « « ٣: ١٥٥–١٦٢
٧) « « ٣: ١٧١
٨) « « ٣: ١٧١
٩) « « ٣: ٢٦٨

وذكر في الباب نفسه — ومن الخير ان نشير الى انه سمّى الباب باباً من الرقائق ، وهو بالواقع انتقاد الذين ما فرقوا بنظره بين الرقائق من الشعر وضعيفه ، اورد في الباب نفسه — تكرّر القول — ما يشفّ عن طبعه هذا الذي نصف ، قال :

« ونظير هذا من سوء الاختيار ما تخيّره اهل الحذق بالغناء والصانعون للالحان من الشعر القديم والحديث ، فانهم تركوا منه الذي هو ارقّ من الماء واصفى من رقة الهواء وكل مدنيّ رقيق قد غذي بماء العقيق وغنّوا بقول الشاعر :

فلا انسى حياتي ، ما عبدت الله لي رباً ،
وقلت لها : انيليني ، فقالت: تعرف الذنبا ،
ولو تعلم ما بي لم ترَ الذنب ولا العتبا .

واقل ما كان يجب في هذا الشعر ان يضرب قائله خمسمائة ، وصانعه اربعمائة ، والمغني به ثلثمائة ، والمصغي اليه مائتين . » (١

ويرى القارئ ايضاً باباً آخر في العقد عنونه المؤلف بـ «ما يعاب من الشعر وليس بعيب » (٢ وذكر فيه اخباراً كثيرة من هذا النوع انتقد فيها الذين عابوا هذه الاشعار ، منها ما يشفّ ايضاً عن طبعه هذا وولعه بالانتقاد قال :

« ومما عيب من الشعراء (٣ وليس بعيب ما يروى عن مروان بن الحكم انه قال لخالد ابن يزيد بن معاوية وقد استنشده من شعره فانشده :

فلو بقيت خلائف آل حرب ولم يلبسهم الدهر المنونا
لاصبح ماء اهل الارض عذبا واصبح لحم دنياهم سمينا

فقال له مروان : متونا وسمينا والله انما القافية ما اضطرك اليها الا العجز . وهذا مما لا عجز فيه ولا عابه احد في قوافي الشعر . وما ارى العيب فيه الا على من رآه عيباً . » (٤

وان القارئ يشعر بروح ابن عبد ربه هذه في كل تعليق يعلّقه على اخبار هذا الباب. وتعرض ايضاً لابي النجم الراجز وخطأه في موضع في وصف الخيل (٥ وخطأ رؤبة ايضاً في الموضع نفسه (١ : ٦٤) وتعرّض لكثير من هؤلاء الذين أوّلوا بعض آيات القرآن على ما لا يروق له فخطأهم في التأويل . (٦ وكذلك تراه

---

١) ابن عبد ربه ٣ : ٢٦٩
٢) ابن عبد ربه ٣ : ١٤٤
٣) كذا ، ولعلّها « من الشعر »
٤) « « ٣ : ١٤٥
٥) ابن عبد ربه ١ : ٦٤
٦) « « ٣ : ٢٢٢

في تعليقه على كثير من الاخبار التي اوردها في كتاب الياقوتة الثانية في الالحان مما يتعلق بامر اختلاف الناس في الغناء[1].

ويظهر ان ابن عبد ربه كان مولعاً بوجه عام في المعارضة سواء أكان فيها انتقاد ام لم يكن . وقد كان في كثير من شعره الذي ذكره في العقد معارضاً لشعراء تقدّموه فترى مثلاً « ومما عارضت به صريع الغواني في قوله ... »[2] او « ومن قولنا في رقة التشبيب والشعر المطبوع الذي ليس بدون ما تقدم ذكره»[3] ، او يذكر ابياتاً لاحد الشعراء في وصف البين ثم يعقبها بقوله « ومن قولنا في البين »[4] او يذكر ابياتاً في قول العرب في الحمام يتبعها بشعره في الموضوع نفسه .[5] ولقد ذكر في هذا الباب — باب مقاطع الشعر ومخارجه — كثيراً من شعر القدماء في مواضيع متعددة ، دون ان يهمل القاء دلوه وذكر شعره في كل من هذه المواضيع دون استثناء[6] . ولعلّ القارئ لا يزال يذكر ان كتاب ابن عبد ربه العقد نفسه لولا قليل لكان معارضة لكتاب ابن قتيبة « عيون الاخبار » . ولم يفت ابن عبد ربه ان ينتقد بعض كتب المؤلفين التي رجع اليها في مقدمة عقده حيث قال :

« وقد نظرت في بعض الكتب الموضوعة فوجدتها غير متفرقة في فنون الاخبار ولا جامعة لجمل الآثار فجعلت هذا الكتاب كافياً جامعاً لاكثر المعاني التي تجري على افواه العامة والخاصة وتدور على السنة الملوك والسوقة . » (٧

---

١) ابن عبد ربه ٣ : ٢٢٠ و٢٢١ و٢٢٢ ٢) ابن عبد ربه ٣ : ١٧٥

٣) « « ٣ : ١٧٤ — وراجع جذه المناسبة ابن عبد ربه ١ : ٢٥، ٣٠، ٣٦، ٤٢، ٤٣، ٦٠، ٦٦، ٦٧، ٦٨ الخ .

٤) ابن عبد ربه ٣ : ١٨٢ ٥) ابن عبد ربه ٣ : ١٨٣

٦) « « ٣ : ١٧١—١٨٧ ٧) « « ١ : ٢

(له صلة)

القضاء في لبنان

على عهد الحكم الاقطاعي

بقلم وجيه خوري
مستشار في محكمة الاستئناف والتمييز المختلطة

٢

لم يكن هنالك اصول محاكمات منظمة . ولكن القضاة كانوا ، في موادّ الحق المدني ، يصدرون احكاماً معلّلة تعليلاً مختصراً . وكثير من هذه الاحكام يدلّ على علم منشئيها وعدلهم . وكانت طريقة الامراء والمشايخ في اصدار احكامهم تشبه الطريقة التي كان يلجأ اليها القديس لويس ، قاضي ڤانسين الاكبر .

لقد كان الزعيم او الشيخ يعيش بين افراد رعيّته ، ويقف على حاجاتهم ومظالمهم وشؤونهم الخاصة فيحكم بروح الوالد الحريص على مصالحهم . وكان المتقاضون يفدون على داره لحمل مظالمهم .

واننا لنجد في هذه المظاهر ذاك المزيج بين التقاليد الفرنسوية الاقطاعية وعادات القبائل العربية ، وهو ما اشرت اليه في مستهلّ الكلام .

وفي حديث الاب ازايس عن زيارته للامير حيدر ابي اللمع ، سنة ١٨٥٨ — وهو اول قائمقام مسيحي خلف الامراء الشهابيين — لتصوير صادق لحالة الادارة في ذلك العهد . اجل ان هذا الامير كان موظفاً تابعاً للسلطة التركية ، ولكنه كان يقتفي آثار اسلافه في طريقة حكمه .

يقول الاب ازايس : « ليس على قصر الامير مسحة الامارة فلا تجد فيه مظاهر الترف والبذخ والزخرفة الشرقية التي كان يمتاز بها قصر سلفه الامير

بشير. حتى انك لتحسب ذلك المنزل مسكناً لاحد افراد الرعية لا لحاكم لبنان. تدخل الدار فتجتاز ساحة فيها بعض الخيول العربية، ثم تصعد سلماً عريضاً تنفذ منه الى سطح عالٍ منبسط امام المنزل. على هذا السطح يجلس الامير بتواضع على مقعد من الحجر، في حلقة من مشايخ الجبل ليستمع الى مظالم الناس. ويحيط بالامير كتبة يحملون على اوساطهم تلك الدواة النحاسية الطويلة التي لا تفارق المتأدب العربي. فيقرأ له بعضهم العرائض المقدمة اليه، والبعض الآخر يطلعه على الاجوبة التي نظمها. فيقرأها الامير ثم يوقع عليها بخاتمه.

«وان مشهد هذا الامير الجالس بين رعاياه بلا زهو ولا بهرجة ليذكرني باقدس ملوك فرنسة القديس لويس الذي كان يصدر احكامه في ظل السنديانة، بعد ان يسمح للمتقاضين ببثه شكاويهم.»

اما طرق الاثبات والبينات فان الاحكام الموجودة لدينا تظهر انها كانت تستند الى الاقرار، والشهادة، واليمين، والكشف. وهي، على وجه التقريب، الطرق الثبوتية المستعملة في قوانيننا الحديثة.

وما هي القوانين التي كانت تطبق في لبنان؟

ان العهد الذي ندرس قضاءه يمتاز بعدم وجود اي قانون مكتوب. فقد كانت كل طائفة تستقل نوعاً ما بقضائها وقضاتها. وكان القضاة غالباً من رجال الدين يحكمون حسب العرف والعادة والتقاليد الملية. وعليه يجب التمييز بين قضاء الطوائف المسيحية وقضاء الطائفة الدرزية.

ولم يبدأ الشرع الاسلامي بالانتشار الا في مستهل القرن التاسع عشر، خلافاً لما يعتقد البعض. فان الامير بشير واجه في هذا العهد صعوبات داخلية جمة، فادخل نظام القاضي المنفرد، اما استرضاء للاتراك وقد كان في حاجة الى معونتهم، او رغبةً منه في توحيد التشريع في البلاد. وحتم على القضاة ان يطبقوا مبادئ الشرع على احكامهم، اذا كانت هذه المبادئ لا تظهر مخالفةً لروح التقاليد المحلية.

وكان المسيحيون، قبل ذلك العهد، يطبقون عاداتهم. وقد يلجأون الى قانون يوستنيانوس في بعض الاحيان. وكانوا يلجأون اكثر من ذلك الى «مختصر

الشريعة المسيحية » ، وسنقول كلمة عنه فيما بعد .

وهكذا فان قرار القسمة بين الشيخين مشرف وانطون الخازن الذي تكلمنا عنه يستند الى مختصر الشريعة المسيحية في ما خصّ الوصاية ، والى قانون يوستينيانوس في التصرف باملاك القاصر ، والى التقاليد المحلية في الفائدة .

وكان الاساقفة قبل ذلك ، في عهد المجمع اللبناني سنة ١٧٣٦ ، قد عزموا على تدوين قانون خاص يحتوي على المبادئ القانونية التي يجب عليهم التقيُّد بها في احكامهم . وان لم يكن هذا المشروع قد خرج الى حيّز الوجود ، فسبب ذلك ان القضاة اكتفوا بموجز ألفه المطران عبد الله قرالي وهو « مختصر الشريعة المسيحية » المذكور ، وفيه درس مفصّل لا يمكننا الاحاطة به في هذا المقال .

ويذهب الاب زيادة الى ان هذا المختصر هو موجز عن كتاب عنوانه « الناموس » ألفه سنة ١٠٥٨ المطران داود للطائفة المارونية في لبنان ، واستمدّ مبادئه من الكتاب الروماني - السوري الذي جمع بين دفتيه الشرائع الرومانية الشائعة قديماً في سورية . اما مختصر الشريعة المسيحية هذا فهو قانون مدني يتألف من اثنين وثلاثين باباً ويبحث في وظيفة القاضي ، والشهود ، والاقرار ، والهبة ، والقرض ، والرهن ، وضمان المال ، وكفالة النفس ، والعارية ، والوديعة ، والوكالة ، والمبايعات ، والحوالة ، والشركة ، والمضاربة ، والاكراه والغصب ، والشفعة ، والصلح ، والاجارات والحكور ، والطرق والشوارع والازقة ، وفيما يوجد من ضائع وسائب ، والحجر ، والحرية والعبودية ، والعتق ، والوقف ، والخطبة ، والزيجة ، وحضانة اليتيم وتربيته ، والوصية بالمال ، والوصي ، والمواريث ، وجناية البهائم ، وعقوبات المعتدين على وصايا الله وشريعته ، حتى يمكننا القول ان هذا القانون قريب الى الكمال .

وقد ذكرت في مستهلّ المقال ان القوانين المكتوبة والصادرة عن السلطة التشريعية لم يكن لها من اثر في البلاد ، او بالاحرى بين الطوائف المسيحية . فكان «مختصر الشريعة» هذا دليلاً يسترشد به القضاة وان لم يطبّقوه بحذافيره . وانما كان القضاة يسترشدون ايضاً من شرائع يوستنيانوس ، ومن الشريعة

الاسلامية ، العرف والعادة . وهكذا فان مختصر الشريعة كان يخوّل البنت حقّ الارث اما التقاليد الرومانية السريانية فقد كانت تحرمهنّ من الارث . وقد بقيت هذه الميزة للرجل على المرأة حتى ايامنا في سورية فقد تعوّد السوريون ان يحرموا بناتهم من الارث . وقد احتج موارنة كسروان سنة ١٨١٦ الى الامير بشير حين بدأ القضاة بتطبيق الشريعة الاسلامية ، خصوصاً في وراثة البنات ، وهذا نصّ احتجاجهم :

« الداعي لتحريره

هو ان نحن المدونون اسامينا ادناه اهالي كسروان كهنة واعوام بما ان العادة الدارجة في بلادنا من هل قدر زمان غير معروف في عدم توريث البنات وذلك لاجل اسباب صوابية لم يكن للبنات حق في الميراث مع وجود العصب وهذه العادة لم تسلك قط بيننا واثبتها جناب افندينا الامير يوسف والآن اذكان هذا السياج القاصدين البعض خرقه وملاشاته تصدهم بذلك صالحهم الخصوصي وغير مبالين في وقوع الخصام والعداوات المزمع حدوثها بين جمهورنا فلاجل حسم هذه المنازعات واستدامة الالفة والمحبة مع بعضنا نظهر ونعلن ان هذا هو قصدنا وغاية مرغوبنا ان تستمر هذه العادة جارية فيما بيننا حسب عادتنا القديمة واما لاجل خلاص ذمتنا مع بناتنا في حين زواجهن نطيلع سهن جهاز يوازي استحقاقهن ولذلك نخرجها من بحر مراحم سعادة افندينا ولي النعم ايده الله تعالى اشهار خاطره الشريف بان يكون سلوكنا حسب عوايدنا لكون حقق عندنا من غير ريب ان ليس لنا راحة ولا صالح الا بهذه الواسطة وعلى ذلك قد تم رضا جمهورنا بخاطرنا وتام رضانا وارادتنا واختيارنا وحررنا هذا السند لاجل البيان صح سنة ١٢٣٢ (١٨١٦)

وعلى اثر هذا الاحتجاج اصدر الامير امراً بابقاء العادة المشار اليها .

وفي سنة ١٨٢٦ عرض البطريرك يوسف حبيش القضية على رومة ، وكان سلفه البطريرك يوسف تيان قد سأل الكرسي البابوي هل يتحتم على المسيحيين الخضوع للشريعة الاسلامية ، فاجيب انه يقتضي تطبيق الشريعة الاسلامية في المواضع التي لا تنافي الاخلاق العامة .

وبين التقاليد المسيحية التي تخالف نصوص الشرع تخويل المسيحيين الحق بأن يتصرّفوا بكل ما يملكون في وصيتهم . اما الشرع الاسلامي فلا يسمح بالتصرّف باكثر من ثلث التركة . وفي الارث كان مقبولاً عندهم انه يحق للابن ان ينوب عن والده المتوفّى في حصته من الارث .

وكثيراً ما كان القضاة المسيحيون ، قبل تسرّب الشريعة الاسلامية رسمياً الى لبنان ، يبنون احكامهم على هذه الشريعة نفسها التي تسيطرت في هذه البلاد شيئاً فشيئاً ، وذلك ان لبنان كان محاطاً ببلدان لا تعرف الا الشريعة الاسلامية ، وكان كثير من اهاليه يخضعون لنصوصها.

ثم ان عدم تضلّع القضاة من العلوم القانونية ساعد على انتشار الشريعة الاسلامية. فقد كان يعرض عليهم قضايا لا يجدون لها حلًّا في التقاليد المحلية ، او في موجزات القانون الروماني ، فيلجأون الى الشرّاح المسلمين ومؤلفاتهم في متناولهم . وكان الدروز يتقيّدون بنصوص الشريعة الاسلامية على الغالب . ولكنهم كانوا في امور عديدة يسيرون على تقاليد خاصة بهم ، ويطبّقونها حتى في المواضع التي تخالف الشرائع الاسلامية . فللاب عندهم ملء الحقّ بان يوصي بجميع ما يملكه الى احد اولاده ، اذا كان قد حصل على ثروته بنفسه . اما اذا كانت قد اتصلت اليه بالارث ، فعليه ان يتقيّد بمبادئ الشرع . ولا يحقّ للمرأة المتزوّجة ان ترث اهلها ، ولا لهؤلاء ان يكونوا وارثين لها وهكذا فان هنالك شبهاً كثيراً بين التقاليد الدرزية والتقاليد المسيحية.

اما قانون الاراضي فقد سار اللبنانيون في تطبيقه على المبادئ الحديثة اذ انه كان للمالك ملء الحقّ بأن يبيع املاكه ويتصرّف بها بالصورة التي يريدها.

وفي البلاد التي احتلّها الاسلام كان النظام غيره في لبنان . فقد كانت الاراضي تقسم خمسة اقسام : ١) الارض « الملك » وكانت خاضعة لضريبة الاعشار او الخراج. ٢) الارض « الموات » وهي البعيدة عن البلدان الآهلة والتي لم تكن ملكاً لاحد . ٣) الارض « المشاع » التي تملكها الجماعات والقرى . ٤) اراضي « الوقف » الخاصة بالمؤسسات الدينية او المنافع العامة . ٥) الاراضي «الاميرية» وهي التي كان يملكها السلطان ويترك ريعها ومنفعتها للاهالي.

اما في لبنان فلم يكن هنالك الا فئة واحدة من الاراضي هي اراضي الملك. اما الاراضي المدعوة « البكالك » والتي كانت ملكاً للحكومة ، فليس من شبه بينها وبين الاراضي الاميرية - فهي املاك ورثها امراء الجبل عن الاسياد الاقطاعيين او صادروها من بعض الزعماء المغضوب عليهم . وقد كانت

عائداتها تصرف في سبيل الزعماء التابعين للامير وحاشيتهم ، عند حلول الامير ضيفاً عليهم ، حسبما جاء في القرار الصادر من مجلس ادارة لبنان بتاريخ ٧ تشرين الاول سنة ١٢٨٨ . وقد دام هذا التنظيم القضائي حتى عام ١٨٤٥ . ففي هذا التاريخ وضع لبنان تحت اشراف تركية المباشر . وسنأتي ، فيما يلي ، على ذكر النظام القضائي في ذلك العهد . ولكن قبل ان نتطرّق الى درس هذا النظام ارى من واجبي اظهار الصبغة التي كان يصطبغ بها التنظيم الذي درسناه لان هذه المسحة رافقت التشكيل القضائي ، على اختلاف الحكومات ، وبقي لها بعض الاثر في قضائنا الحاضر.

لقد كان القضاء في هذا العهد قضاء دينياً . وكانت البلاد طوائف متعدّدة لكلّ منها قضاة من ابنائها ، يطبّقون ، مع الشرائع الدينية ، تقاليد طائفتهم الخاصة . ثم ان القضاء كان ارستوقراطياً . اذ كان للمشايخ والامراء وحدهم الحقّ بالفصل في القضايا الجزائية. وعدا ذلك فان الامير كان المرجع الاستئنافي الوحيد ، اي ان القضاء والادارة لم يكونا منفصلَين . ثم ان القضاء كان سهلاً لا يخضع لقواعد واصول في المحاكمات . ولقد يعجب البعض ان يكتفي لبنان ، لمائة سنة خلت ، بمثل هذا القضاء. ولكن يجب ان لا يغيب عنا ان لبنان منذ مائة عام لم يكن مثله في القرن العشرين . ولا نحسب ان بلداً خطى كلبنان هذه الخطوات السريعة خلال هذه المدة القصيرة من التاريخ ، فلم يقتصر الرقي على الحالة الاقتصادية والتجارة ، ومظهر المدن والقرى الخارجي ، ولكنه تناول الاخلاق العامة والعادات. فان اللبنانيين في القرن الماضي ، حافظوا على تقاليدهم العائلية القديمة ، فكانوا يقفون وقتهم على الاهتمام باعمالهم اليومية ، واكثرها زراعية ، ولم يكونوا يجدون راحة لهم ولذة الا في الحياة العائلية الهادئة . وكان ايمانهم الديني وعاطفتهم الوطنية صادقَين في جميع الظروف.

وكان كل لبناني يعيش من نتاج اراضيه . ولم تكن التجارة معروفة في الجبل الّا نادرًا اذ كانت تقام الاسواق في بعض فصول السنة وفي قرى معلومة كسوق الغرب مثلاً. فكان القرويون يشترون بأغلال اراضيهم ما يحتاجون اليه ، ولم يكن للبذخ من اثر في منازلهم . اما التجارة الخارجية فلم تكن

واسعة وانما كانت تقام في المدن القليلة.

وكانت بيروت مدينة صغيرة لا يتجاوز سكانها العشرة آلاف ، وعليها صبغة المدن الشرقية وقد لفت نظر لامرتين حين دخلها مشهد جموع « العرب » المحتشدين على المرفأ بأزيائهم البرّاقة واسلحتهم الحربية.

وقد وصف المنازل قائلًا انها تتألف من دهليز يستعملونه مطبخاً ، وغرفة ينام فيها افراد العائلة مهما بلغ عددهم . وكانت النساء والاولاد يقضون نهارهم وقسماً من الليل على سطح المنزل . ويتابع لامرتين قائلًا ان العائلات الرومية والسورية والعربية التي كانت تقطن هذه المنازل لم تكن على شيء من الهمجية اذ ان افرادها يمتازون في الثقافة عن مزارعي فرنسة ، فهم جميعاً يحسنون القراءة والكتابة باللغتين العربية واليونانية . ثم انهم لطفاء وهادئون يجتهدون يقضون الاسبوع في الاعتناء باراضيهم ، او بصناعة الحرير، ويصرفون نهار الاحد مع ذويهم بمشاهدة الحفلات الدينية اليونانية او السريانية . ثم يعودون الى منازلهم فيتناولون طعاماً يمتاز عن طعامهم اليومي.

اما الرجال والفتيان فيقضون نهار الاحد في نزهة قرب العين ، ويتبادلون الاحاديث والروايات . ثم يتناولون من وقت الى آخر فنجان قهوة او كأساً من الماء القراح . وهذه هي اللذة الطبيعية البريئة التي فقدها المعاصرون بين ضجيج الحانات ودخان المقاهي.

واليكم وصف بيروت سنة ١٨٣١ بقلم الاب ريكادونا اليسوعي الذي جاء هذه البلاد لتأسيس الرسالة التي عملت على ترقية البلاد وبعث النهضة القانونية فيها . قال الاب المومى اليه :

« . . . انه ليطول الشرح كثيراً ان اردت ان اخبركم بكل ما لفت نظرنا من الغرائب عند وصولنا الى هذا العالم الجديد : طبيعة شائقة ، وسماء متلألئة ، وهواء نقي ، ومناخ لطيف، واراض بور تغطيها الرمال ، وبيوت صغيرة تكاد لا ترتفع عن سطح الارض . لا شوارع ، بل ازقة تكاد لا تصلح الا لمرور الجمال . اما السكان فيظهرون بالاردية الواسعة الناقعة الالوان ، وبالعمائم الضخمة ، والزنانير العريضة ، والقلابين المتدلية حتى الارض ، وبالكثير من الشراريب ، والشرائط ، والريش ، والاقراط المتعلقة بالآذان والانوف والشعور ؛ ثم بالمتاجر والفدّارات . وهم يحلقون رؤوسهم الا خصلة من الشعر في قمة الرأس يتركونها حتى

تطول جداً. وكذلك يطلقون لحاهم وشوارجهم التي تلفت الانظار بطولها. وهم ابداً عارو السيفان والاقدام حتى الاغنياء منهم. وفي البلاد كثير من الخيل والجمال. ولكننا لم نصادف مركبة واحدة، ولا عجلة، حتى ولا دولاباً.»

ولقد نتساءل هل المدينة التي يصفها الكاتب هي بيروت ام احدى قرى حوران. لان البون شاسع بين بيروت تلك وبيروت في عهدها الحاضر.

ونحن نستطيع ان نرى اثراً للسذاجة في معاملات اللبنانيين بعضهم مع بعض فقد كانوا سليمي النية يقدسون الوعد ولا يخلفونه واني انقل اليكم تعريباً حرفياً لعقد بيع اجري عام ١٨٣٤ :

«يحد قطعة الارض غرباً طاقة المعصرة، وشرقاً الحجر الاصفر. والمبري على الجبري.»

ولم يكن المتعاقدون يهتمون بتنظيم الحدود كما تفعل دوائر الكادسترو اليوم، مع انه كان من الممكن نقل الحجر الاصفر، وازالة طاقة المعصرة. ولكن ما كان مستحيلاً القضاء عليه هو حسن نية المتعاقدين وشهادة الجيران. وذلك كان الضمانة الوحيدة للمالك خلال اجيال عديدة. واليكم صورة تعهد بالدين (ولم يكن السند معروفاً في ذلك الحين) يرجع تاريخه الى اوائل القرن التاسع عشر :

«اننا نحلي الى ابن عمنا اثني عشر غرشاً ونصف الغرش وقد تعهدنا بدفعها له مع ربح غرش وربع في الموسم القادم.»

فتكون الفائدة عشرة في المائة وهي ليست بكثيرة. واذا كان اللبنانيون في ذلك العهد قد لجأوا الى التعهدات الخطية فهم لم يصبغوها بصبغة رسمية. ولم يعرف مبدأ التسجيل الا في عهد داود باشا، متصرف جبل لبنان، الذي اصدر سنة ١٨٦٢ امراً يقضي بتسجيل السندات. وفي عام ١٨٦٩ اصبح تصديق المحكمة لعقود البيع والرهن محتماً.

فنرى ان القضاء والقانون كانا منطبقين على حاجات ذلك العهد. واصدق دليل على ذلك حالة الرخاء والسكينة التي كان لبنان يتمتع بها في ذلك الحين.

(له صلة)

الذكاء المئوي لرحلة لامرتين الى الشرق

لامرتين في لبنان وسورية

تموز ١٨٣٢ – نيسان ١٨٣٣

بقلم ا. سركيس

توطئة

في مثل هـذا الشهر من سنة ١٨٣٣ ، كان الشاعر الفرنسي الكبير ، الفونس دي لامرتين ، يغادر ربوع الشرق الادنى ، موجهاً نظره الى اوربة ، بعد ان قضى في سورية ولبنان عشرة اشهر ، كان في خلالها موضوعاً لمحبة اهل البلاد واكرام حكامها وامرائها.

فنحن اذن في ختام المئوية الاولى لرحلة لامرتين الى الشرق . ولقـد كان من المنتظر ان تهتمّ صحافتنا بالامر فتفيه حقه منَ البحث ، تجديداً لذكر هذا الشاعر العظيم الذي شحن مذكرات رحلته بعواطف الحب والاعجـاب ببلادنا وطيب هوائها ولطف سكانها ؛ ثم اجتناء لبعض ما اوحاه خياله ودبّجته يراعته في وصف هذه البلاد وعادات اهلها مما يرجع بنا في الذكر الى عصر اجدادنا ، قبل مئة سنة.

ولكن شيئاً من ذلك لم يكن . ومضت السنة الموافقـة لاشهر الرحلة ، ولم يتكلم احد بالموضوع ، فيما نعلم ؛ اللهم ! الا بعض الفرنسويين ، واللبنانيين المقيمين في باريس[1] .

١) علمنا ، بعد ان اعددنا هذا المقال للطبع ، انه قد تألّف لجنة في باريس ولجنـة في لبنان للاحتفال بهـذه الذكرى في شهري نيسان وايار . وانه سيكون من جملة الحفـلات التذكاريـة حفلة كبيرة تُقام في قصر بيت الدين ، حيث نزلَ الشاعر ضيفاً على الامير بشير الثاني . فسرّنا ان يتحقق املنا ، وإن متأخراً.

لذلك رأينا ان ننشر ، على صفحات « المشرق » ، بعض معلومات تعرفنا بلامرتين ومكانه في عالم الادب ؛ واهم ادوار سياحته في بلادنا ؛ ووصف كتابه « رحلة الى الشرق ». ثم نردفها بتعريب فصول من هذا الكتاب ، نختارها مما له فائدة تاريخية او ادبية.

ولم نتعرض ، في كل ذلك ، للابحاث الدينية او السياسية ، لعلمنا ان هذه المنازعات لا تفيد القرّاء شيئاً ، لاسيما وان كل ما دوّنه لامرتين من هذا النوع انما كان شؤوناً ظرفية مضى وقتها . ولا بدّ من الاشارة الى اننا تبعنا ، في سرد حوادث الرحلة ووصف اماكنها ، ما دوّنه لامرتين نفسه في كتابه ، تاركين تمحيص ذلك وتعليله وعرضه على محكّ الانتقاد لمن يهمهم الامر.

وعلى كل فلنا الامل الوطيد اننا ارضينا القرّاء الكرام ، وقمنا ، في خدمة الادب ، ببعض الواجب.

١

لامرتين

١٧٩٠—١٨٦٩

حياته

في البيت الابوي

الفونس - ماري - لويس برا دي لامرتين . ولد بكرًا لستّ اخوات ، في ٢١ تشرين الاول من سنة ١٧٩٠ ، في بلدة ماكون (Mâcon) الواقعة على نهر الصُون (Saône) ، شرقي فرنسة.

اما ابوه فكان سليل اسرة عريقة في النبل ، مثالًا للصدق والاستقامة . واما والدته فقد اشتهرت بين نساء عصرها بذكاء العقل ، ورقة القلب ، وحرارة التقوى فكان لعنايتها واخلاقها هذه تأثير لا ينكر في تثقيف ابنها وتهيئة نبوغه . ولما كان الفونس الصبي الوحيد لوالديه ، فقد ربّياه على الدلال والتنعّم ، الامر الذي جعله رقيق الحاشية ، لطيف المزاج.

ولم يبلغ سنّ السادسة عشرة ، حتى كان قد انهى جميع دروسه في معاهد كبيرة. فعاد الى ماكون ، واقام في البيت الابوي يطالع ، ويتأمل ، ويبني صروح الآمال العالية ؛ وينظم ، بين حين وآخر ، قصائد على طريقة ذلك العصر : يشوبها التكلف والتلاعب اللفظي ، وتنقصها المعاني الحية المبتكرة .

وفي سنة ١٨١٠ زار ايطالية ، بلاد الفنّ والجمال ؛ فرجع منها حاملاً في مخيّلته احساساً قوياً ، ضمه الى شعوره الماكوني الدقيق ، ورقة اخلاقه الطبيعية.

في العالم

اعيد الحكم الملكي الى فرنسة سنة ١٨١٤ ، على اثر سقوط نابوليون في ايدي الحلفاء ، واعتلى العرش لويس الثامن عشر البوربوني ؛ فعين لامرتين ضابطاً في فرقة الحرس الملكي.

ولكن ثورة « المئة يوم » وحروبها ابعدته عن اعمال الحكومة ؛ فعاش حرّاً ، تارة في ماكون او باريس ؛ واخرى في الاسفار والسياحات . وكان ، في اثناء سفره الى ايطالية ، قد تعرّف الى فتاة تكلم عنها باسم الفيرا (Elvire) ، واحبها كثيراً ، وكان يرجو ان يتزوجها . بيد ان الموت حال بينه وبين امنيته هذه ؛ فشقّ عليه الامر ، وافاض ينبوع شعوره ؛ فاخذ ينظم القصائد الرقيقة ، التي شهرته في اندية باريس ، والتي نشرها سنة ١٨٢٠ بعنوان « التأملات » فنالت رواجاً عظيماً ، وكانت سلّم لامرتين الى المجد الادبي. حتى ان لويس الثامن عشر ، اظهاراً لتقديره نبوغ الشاعر ، عينه كاتم سرّ السفارة الفرنسية في فلورنسة. والندوة الفرنسية (L'Académie) انتخبته عضواً عاملاً فيها.

وكانت ثورة سنة ١٨٣٠ ، التي اسقطت عن العرش شارل العاشر ، آخر ملك من فرع السلالة البوربونية البكر . فاستقال لامرتين من منصبه حفظاً لعهد مليكه المعزول . وكانت نفسه تتوق الى سياحة في الشرق ؛ فقام بها سنة ١٨٣٢ . ولما عاد منها سنة ١٨٣٣ ، كان قد انتُخب عضواً لمجلس النواب . فابتدأت حينئذٍ حياته الجدّية في السياسة . ولما نشبت ثورة سنة ١٨٤٨ ، التي كان ، بمؤلفاته ، اكبر مساعد على اشعال نارها ، عيّن وزيراً للخارجية في الجمهورية الاولى ، التي انشئت اذ ذاك.

ولكن اعتلاء لويس نابوليون كرسي رئاسة الجمهورية سنة ١٨٥٠ جعل لامرتين يعتزل السياسة نهائياً ، ويرجع الى الحياة الادبية التي لم يتركها حتى في ابان اشتغاله في السياسة.

الشيخوخة والفقر

غير ان الجمهور سريعاً ما ينسى تحمساته الماضية ! فهو لا ينظر الّا الى يومه . ولم يكن الجمهور الفرنسي ليحيد عن هذه القاعدة لاجل لامرتين . فان « التأملات » كانت قد تنوسيت ، ونبوغ لامرتين ضعف بحكم الطبيعة . فقلّ عدد قرّائه ، واخذ اسمه بالخمول. حتى دخل في ضيق مالي التزم معه ان يشتغل بالتأليف « الاجباري » ، كما قال هو نفسه ، ليسدّ ديونه . فكان يترجى القرّاء ليشتركوا في طبع كتبه . والحقيقة ان هذه الكتب التي كان يعرضها على القراء لا تليق بشاعر مثله .

وذكرت له الحكومة خدماته السابقة ، فقدمت له رأس مال يساوي خمسمائة الف فرنك لم يمنعه ان يقضي شيخوخة فقيرة ، شأن كل اديب لا مورد له سوى نتاج عبقريته .

ومات لامرتين سنة ١٨٦٩ فدفن بكل بساطة في سان - بوان (Saint Point) قرب ماكون ، حيث لا يزال قبره الى اليوم .

آثاره

خلف لامرتين ما يقارب العشرين مؤلفاً ، منها شعر ومنها نثر . ولكن قيمتها تتفاوت تفاوتاً كبيراً .

اما في الشعر فاهم مؤلفاته :

التأملات الاولى (*Les Méditations*) سنة ١٨٢٠ . وفي هذه المجموعة اجمل قصائده ، كالبحيرة (*Le Lac*) ، والوادي (*Le Vallon*) ، والخلوة (*L'Isolement*) ، والمساء (*Le soir*) .

التأملات الجديدة (*Les Nouvelles Méditations*) سنة ١٨٢٣ . ومنها :

الماضي (*Le Passé*)، والشاعر على فراش الموت (*Le Poète mourant*)، والمصلوب (*Le Crucifix*).

موت سقراط (*La Mort de Socrate*) سنة ١٨٢٤. نظم فيه قسماً كبيراً من محادثات سقراط الاخيرة واخبار موته المذكورة في كتاب فيدون (*Phédon*) لافلاطون.

الانغام الشعرية والدينية (*Les Harmonies poétiques et religieuses*) سنة ١٨٣٠

الاختلاجات الشعرية (*Les Recueillements poétiques*) سنة ١٨٣٩ الخ.

وله ملحمتان شعريتان جرّب ان ينظم فيهما تاريخ البشرية كما تخيله. فلم يوفق الى غايته كل التوفق. لانه، بعكس هوغو، لم يُعطَ موهبة التوسع في المواضيع الفسيحة الخارجة عنه «فهو لا يعرف ولا يقدر ان يتكلم الا باسم نفسه.»[1] والملحمتان هما جوسلين (*Jocelyn*) (١٨٣٦)؛ وسقوط ملاك (*La Chute d'un Ange*) (١٨٣٨).

اما آثاره النثرية فاهمها واجدرها بالذكر كتاب «الرحلة الى الشرق» (*Voyage en Orient*) (١٨٣٥) الذي سنتكلم عنه. وما بقي منها فانما كتبه لامرتين في اواخر حياته للتكسب، مثل تاريخ الجيروندان (*Histoire des Girondins*) في ثمانية مجلدات (١٨٤٧)؛ ورواية غرازيلا (*Graziella*)؛ وتاريخ الثورة، وتاريخ الآداب العموم (*Cours familier de littérature*) ... الخ. وكلها لا تليق بعبقريته.

وللامرتين، عدا ذلك، خطب وتقارير عديدة القاها في ابان مجده السياسي من سنة ١٨٣٣ الى سنة ١٨٤٨ ولكنها لم تشتهر في عالم الادب كما ان صاحبها لم يشتهر في عالم الادارة. فهو على حدّ ما قيل فيه: «قيثارة تلحن اناشيد الحبّ، لا حكيم يدير دفة السياسة.»

1) Sainte Beuve. *Portraits contemporains*, octobre 1832.

شعره

« ليس لامرتين شاعرًا ، بل هو الشعر بعينه ! »

بهذه الكلمات الوجيزة حدد ڤيكتور هوغو شخصية لامرتين الادبية.

ويكفي ان نعرف ما كان عليه الشعر في ذلك العصر ، وما جدّد فيه لامرتين ، لنفهم قوة هذا التحديد وخلوّه من المغالاة الزائفة.

كان القرن الثامن عشر في فرنسة يسمى عصر العلم ، لان الادباء انصرفوا فيه عن المواضيع النفسية الى الابحاث الفلسفية والعلمية. فاخذ الادب بالانحطاط ، وقلّت فيه العاطفة الحقيقيّة ، لانه ابتعد عن المصدر الاول ، اي النفس الانسانية وشواعرها.

ودخل القرن التاسع عشر ، والشعر لم يزل على هذه الطريقة من تكديس الالفاظ التي لا تدلّ على كثير من المعاني . زد على ذلك ان القوم كانوا خارجين من عهد ثورة ، وانقلاب سياسي عظيم ، وحروب داخلية وخارجية اودت بالكثير من الرجال . فكانت النفوس بانتظار شاعر ينشد حالتها التعسة من حزن والم ورجاء.

في مثل هذه الحالة ظهرت « تأملات » لامرتين سنة ١٨٢٠ . فاقبل عليها القرّاء اقبال العطاش على مورد صافٍ قريب المنال ؛ وطارت شهرة صاحبها في فرنسة ، ولاسيما في اندية باريس ؛ واصبح المتأدبون ولا همّ لهم سوى الكلام عن «التأملات» واستظهار قصائدها لنثرها في محادثاتهم ؛ مثل البحيرة ، والخلوة ، والوادي . . .

والحقّ ان ميلهم الى هذا الشاعر لم يكن جزافًا . فان لامرتين حقّق احلام اهل عصره بما سكبه في شعره البالغ اقصى حدود الرقة من العواطف الانسانية الصحيحة الصادرة عن ألم صادق ، والتي تبتدئ بانة اسف ، وتنتهي بابتسامة الرجاء العذبة.

ولدينا شهادات عديدة تدلّ على ان لامرتين كان ذلك الشاعر الملهم الذي لحّن على اوتار القلب البشري شعور جميع قرائه وعواطفهم . من ذلك ما

كتبته السيدة لامرتين ، امّ الشاعر ، وكأنها تكلمت بلسان كل نساء فرنسة :

« بث اليّ الفونس ببعض ابيات نظمها ؛ وقد اثرت فيّ كثيراً . انه يتكلمها افكر به ، فكأنه لساني . نعم اني كثيراً ما اشعر بالعواطف السامية ؛ ولكني ارى نفسي خرساء عندما اريد ان اعبّر عنها ، حتى فيه . وحينما اتأمل ، يصبح قلبي اتوناً كثير الضرام لا يستطيع لهيبه اغلاقاً . ولكن الله المصغي اليّ لا يحتاج الى كلماتي . فاشكره لانه اعطى لابني ان يتكلم بلساني . »

ومما قاله السيد كوفيه (Cuvier) عضو الندوة الفرنسية (*l'Académie*) :

« اذا كان احدنا معتزلاً ، طلباً للترهة والراحة ، في احدى ساعات الحزن واليأس التي تستولي احياناً ، حتى على القلوب الجبارة ؛ واتفق له ان يسمع من بعيد صوتاً رخيماً شجياً يتغنى بعواطف تشبه عواطفه ، فانه يشعر بارتياح وبجاذب داخلي ، اذ يحسّ ان اوتار قلبه التي ارخاها الفتور عادت الى الاهتزاز . واذا تدرج هذا الصوت الذي يصف آلامه ، فامتزج بشيء من الرجاء والتعزية ، فان الحياة تنتعش فيه ، فيتعلّق قلبه بالصديق المجهول الذي ردّها اليه ، ويودّ لو يتاح له ان يضمّه الى صدره ، ويشكر له كل ما جاد به عليه : ذلك كان تأثير لامرتين على النفوس الحساسة ، المتألمة لسرّ الوجود ! » (١

اما طريقة لامرتين في اكثر قصائده ، التي غيّر شخصيته ، فهي ان يبتدئ بوصف مشهد طبيعي ، او اعادة تذكار ماضٍ فيجرّه ذلك الى الكآبة ، فالحسرة ، فاليأس احياناً ؛ ولكنه لا يلبث ان يشعر بتأثير الطبيعة وجمالها ، فيرجع الامل والهدوء الى قلبه ؛ حتى انه يتمنى الموت ليتحد بالله ، منشئ الطبيعة ، ومصدر كل تعزية ، وغاية كل امل .

هذا اذا لم تكن القصيدة تاريخية او اجتماعية . فانه يندفع حينئذٍ بعاطفته الحرّة الجريئة كالسيل الجارف .

اما اسلوبه الانشائي ، فلين ، عذب ، سهل المنال ، قريب الى الافهام . ان لامرتين شاعر من طبيعته ، نابغ منذ نشأته ، والشعر هو « لغته الطبيعية ، كلما جاشت عواطفه من الم عميق او ازدحمت افكاره امام مشهد جميل . » (٢ وقد اعرب عن ذلك في قصيدته الجميلة المشهورة ، « الشاعر على فراش الموت » ؛ ومنها قوله : « لقد انشدت الشعر كما يتنفس الانسان ، وكما تسجع الطير ، وكما

١) Des Granges: *Hist. illust. de la Littérat. Française, p.* 792

٢) الرحلة الى الشرق – *Voyage en Orient* – ، طبعة ١٨٤١ ، ٢ : ٢٦

تزفر الريح ، وكما تدندن المياه في جريانها . »[1] فلم يجتهد يوماً ان ينتقي عبارته ، او يبحث عن المعاني والتراكيب العريصة . لذلك عاب عليه المدققون ضعف انشائه . ولذلك ايضاً خمد ذكره في اواخر القرن الماضي ، ايام صارت الامارة الشعرية الى البرناسيين (Parnassiens) ، المشهورين بغيرتهم على المتانة اللغوية والتحسين البياني . اما اليوم فقد رفعه النقّاد الى المرتبة التي تليق به ، واظهروا ما في شعره من المحاسن ؛ حتى ان الكثيرين يعدّونه اعظم شعراء القرن التاسع عشر ، واضعينه فوق ڤيكتور هوغو . ولا بدع فان هوغو نفسه شهد له بالتفوق اذ قال :

« ليس لامرتين شاعراً ، بل هو الشعر بعينه ! »

***

هذا هو الرجل الذي زار بلادنا لمئة سنة خلت ؛ وخلّف اسمه ضيفاً ابدياً في اكثر معالمها . فهذه غرفة لامرتين في بيت الدين ؛ وهذا بيت لامرتين في حمّانا ؛ وهذه ارزة لامرتين الخالدة . وهذه . . . وتلك . . . ذكريات كثيرة .

وهذا هو الرجل الذي رأينا من الواجب احياء ذكره وبثّ محبته بين ابناء البلاد ، لانه كان السابق الى حبنا ، كما سنرى من درس رحلته .

(١) *Nouvelles Méditations Poétiques*, Le Poète Mourant.

(له صلة)

محاولات في درس جبران

يسوع الانجيل ويسوع جبران

بقلم امين خالد

٣ (تتمة)

لا عجب في ان يكون جبران بعيداً عن الاقرار بالخوارق والمعجزات التي اجترحها السيد المسيح وحفظت ذكراها الاناجيل الاربعة ، وهو مَن عرفنا بميله الى النزعة المادّية والى تحليل مظاهر الحياة باجمعها عن طريق العاطفة والخيال . وانه ليكفينا ان نقوم بمقابلة قصيرة بين نصوص الانجيل الصريحة بشأن العجائب، وتعليل جبران لها ، مختارين اربعة من اهمها وهي : شفاء العمى ، والشلل ، واخراج الشياطين ، واعادة الحياة :

« وفيما يسوع مجتازٌ من هناك تبعه اعميان يصيحان ويقولان : ارحمنا ، يا ابن داود . فلما دخل البيت دنا اليه الاعميان . فقال لهما يسوع : هل تؤمنان اني اقدر ان افعل ذلك . فقالا له : نعم ، يا ربّ . حينئذٍ لمس اعينهما قائلاً : « كايمانكما فليكن لكما . » فانفتحت اعينهما . »(١)

هذا وذكر شفاء العميان كثير في الاناجيل الاربعة بصراحة تامّة . وكذلك شفاء المقعدين والمخلّعين :

« وفي احد الايام كان يعلّم ، وكان الفرّيسيّون ومعلّمو الناموس جالسين ، وقد اتوا من جميع قرى الجليل واليهودية ومن اورشليم . . . واذا برجال يحملون مخلّعاً على سرير وكانوا يلتمسون ان يدخلوا به ويضعوه امامه . واذ لم يجدوا من اين يدخلون به لسبب الجمع صعدوا به الى السطح ودلّوه من بين اللّبن مع سريره الى الوسط الى قدّام يسوع . فلما رأى ايمانهم قال : « يا رجل ، مغفورة لك خطاياك . » فجعل الكتبة والفريسيون يفكّرون ويقولون : من هذا الذي يتكلّم بالتجديف ؟ من يقدر ان يغفر الخطايا الا الله وحده ؟ فعلم يسوع افكارهم وقال لهم : « بماذا تفكّرون في قلوبكم ؟ ما الايسر ان يقال مغفورة لك خطاياك ام ان يقال : قُم وامشِ ؟ ولكن ، لكي تعلموا ان ابن البشر له سلطان على الارض ان يغفر الخطايا — ثم قال للمخلّع — : لك اقول : قُم احمل سريرك واذهب الى بيتك ! » وفي الحال قام قدّامهم ، وحمل السرير الذي كان مضطجعاً عليه ومضى الى بيته ممجّداً الله . »(٢)

(١) متى ٩ : ٢٦—٣٠ (٢) لوقا ٥ : ١٧—٢٦

وهذا مثل على اخراج الشياطين :

« وكان في المجمع رجلٌ به روح شيطان نجس ، فصاح بصوت عظيم قائلاً : « دعْ ما لنا ولك يا يسوع الناصري ! أأتيت لتهلكنا ؟ قد عرفتك من انت انك قدُّوسُ الله . » فانتهره يسوع قائلاً : « اخرس ، واخرجْ منه . » فصرعه الشيطان في الوسط وخرج منه ولم يضرّه شيئاً . » (١

واما قيامة الاموات فاشهر عجائب المسيح فيها قيامة لعازر ، وقيامة ابنة الرئيس ، وقيام ابن ارملة من مدينة نائين . وكان يسوع ذاهباً الى هذه المدينة :

« فلما قرب من بابها اذا ميت محمولٌ ، وهو ابن وحيد لامه وكانت ارملةً ، وكان معها جمع كثير من المدينة . فلما رآها الرب تحنَّن عليها وقال لها : « لا تبكي » . ودنا ولمس النعش فوقف الحاملون . فقال : « ايها الشاب ، لك اقول : قُم . » فاستوى الميت وبدأ يتكلم فسلَّمه الى أمه . فاخذ الجميعَ خوفٌ ومجدوا الله قائلين : لقد قام فينا نبيٌّ عظيم وافتقد الله شعبه . » (٢

واما قيامة لعازر فاننا نحيل المطالع الى انجيل يوحنا (٣ ، فيرى فيه تلك القطعة الرائعة معنًى ومبنًى . الى غير ذلك من الاعاجيب الكثيرة وانا لم نكتفِ بهذه المظاهر الاربعة الّا لان جبران يشير اليها خاصة ويحاول تعليلها بما يستدعي الابتسام ، قائلاً عن المسيح ، على لسان ملاخي الفلكي البابلي :

« يقولون انه كان يعطي العميان بصراً ، والمقعدين مقدرةً على المشي ، وانه كان يخرج الشياطين من المجانين .

قد لا يكون العمى الا فكرة مظلمة يمكن التغلب عليها بفكرة ملتهبة . وقد لا يكون العضو المشلول الا خمولاً يمكن ايقاظه بالقوة المتحركة . وقد يكون ان الشياطين ، وهي العناصر الغالبة في حياتنا ، تخرجهم منا ملائكة السلامة والطمأنينة .

ويقولون انه اعاد الموتى الى الحياة . فاذا كنت تقدر ان تخبرني ما هو الموت ، فانا حينئذٍ اخبرك ما هي الحياة . » (٤

كذا ! ولا نرى ضرورة للتعليق على هذا الشرح !

بل فلننتقل الى اهم المواقف ، غير العجائب ، من التي ترك فيها جبران الموضوع النسائي المحض ليجعل محور بحثه فلسفياً عميقاً وشبه لاهوتي . فنراه يوجز خلاصة افكاره في النص الذي هو مقدمة « آلهة الارض » وزبدة كل ما مضى من التآليف ، وذاك النص مروي على لسان « يوحنا التلميذ الحبيب في شيخوخته » قال :

---

١) لوقا ٤ : ٣٣-٣٦ ٢) لوقا ٧ : ١٣-١٧

٣) يوحنا ١١ : ١-٤٦ ٤) يسوع ابن الانسان ، ص ٤٤-٤٥

« ولعلكم تسألون ، لماذا سميته « الكلمة الاولى » . فاصغوا لاجيبكم :
في البدء تحرّك الله في الفضاء ، ومن حركته التي لا قياس لها ولدت الارض وفصولها .
ثم تحرّك الله ثانية ، فانبعثت الحياة ، فصار جنين الحياة ينشد العلو والعمق ، ليكون له الاكثر فالاكثر من ذاته .
ثم تكلّم الله ، فكان الانسان من كلماته ، وكان الانسان روحاً مولودةً من روح الله .
وعندما تكلّم الله هكذا ، كان المسيح كلمته الاولى ، وكانت تلك الكلمة كاملة ، وعندما جاء يسوع الناصري الى العالم ، سمع العالم به الكلمة الاولى الخارجة من فم الله ، وصار صوت تلك الكلمة لحماً ودماً . » (١

فلنقربل هذا المتن الذي تكاثفت به افكار جبران واتخذت فلسفته عبارتها المختصرة المفيدة عن يسوعه ، على لسان تلميذه الحبيب ، في سن الرصانة والحكمة . ولنتخلص من الذهول الفوري امام الآيات الطنّانة في هذا الموضوع العويص ، ونحفظ ما يبقى بعدئذٍ بصفاة الفكر ونرى نسبته الى المبادئ الروحية .

قال جبران : « في البدء ، تحرّك الله في الفضاء . . . » فاستعمل في تعبيره الفعل اللازم اي الذي يكتفي بفاعله ويعود تأثيره عليه . مع ان المذاهب الروحية تدين بغير هذا المبدأ ، لانها تعلّم ان الله في البدء حرّك الكون وخلق وابدع ، اي تعدّى بافعاله الى ما يخرج عن ذاته ، فبرأ عالم الوجود . فالله كائن قبله منذ الازل ، وباقٍ بعده الى الابد . وكان من جملة ما ابدع الارض ، والانسان الذي صوّره من ماء وطين ، ونفخ فيه من روحه . واما جبران فيقول ان الارض وُلدت من الحركة الذاتية الكبرى لله ، ومن مثل هذه الحركة الالهية العظمى انبثقت الحياة . واخذت هذه الحياة الالهية الارضية توسّع دائرة نطاقها لتكسب الغلبة والتفوّق برفعتها وتأصلها . وعندما بلغ تطوّر الحركة الالهيّة — لا الحركة التي احدثها الله خارجاً عن نفسه — الى هذا الحدّ وصار ارضاً حيّة ملأت الجوّ الخالي ، عند ذلك « تكلّم الله ، فكان الانسان من كلماته ، وكان الانسان روحاً مولودةً من روح الله . » وفي هذا الدور تلفظ الله بالكلمة ، اي اظهر معنى الحياة الارضيّة المتغلّبة ، لان الكلمة هي عبارة عن الثوب الذي يفصّل للمعنى المقصود ، وهي ترجمة الغاية الكامنة في سر المتكلّم .

(١) يسوع ابن الانسان ، ص ١٣٦–١٣٧

وبتكلم الله جعل الانسان روحاً منبثقة من روحه ، فكان هذا الانسان موضوعاً وغايةً للحياة الارضية التي انبتها البذار الالهي ، وكان المسيح اول ثمرة كاملة انتجتها تلك الشجرة « وصار صوت تلك الكلمة لحماً ودماً » . يُشبع جبران فكرته ايضاحاً ، فيبيّن ان موسيقى الكلمة التي صدرت من شفتي الله عندما اخضرت الارض بالحياة ، « هي اللحم والدم » ومن البديهي ان حسن النغم وجمال اللحن يكونان في تمام العناية باللحم والدم ، اي في عناصر الجسد فقط . وهكذا يكون الجسد البشري هو الكلمة الكاملة المولودة من روح الله . ويكون هذا الجسد هو القالب الذي حصر به « حنين الحياة الذي ينشد العلوّ والعمق » ، اي الذي تكاثف به حب الانشراح والاتساع اللامتناهيين في تجسمه الارضي الناتج عن تحرّك الله على الوجه الذي « لا قياس له » اي الذي لا يحدّ حركته فكر ، ولا يدركها فهم .

مرةً اخرى يتجلّى جحود جبران اصل المبادئ الاساسية للمذاهب الشرقية التي اوجدت نزعات ما وراء الطبيعة ، وذلك بانكاره استقلال القوّة السماوية اللامتناهية التي تعمل بارادتها الحرّة عملاً غير لازم .

ومرّةً اخرى يلغي الروح المجرّدة والفكر والعقل ليقدّس ويؤلّه « كتلة اللحم والدم » بجعلها نغمة الروح وسرّ الحياة .

ولكنه في هذه المرّة اتخذ رمز الروحية التاريخية الاكبر (يسوع المسيح) وادغمه في خلايا المذهب المادي الرامي الى تقديس الارض وكل ما عليها ، واهم خُلق يميز هذا المذهب الفلسفي هو عبادة الجسد . وقد انشأ جبران في كتابه مقالاً مخصوصاً للتعبير عن تأليفه بين المبدأين النقيضين ، وهو الذي يستنطق فيه « سركيس الراعي اليوناني الشيخ الملقب بالمجنون : يسوع والاله بان »[1] .

وبهذا التأليف وذاك الادغام الصق جبران في اثره الفنيّ علّة الاضطراب بين الحقيقة العلمية والتركيب الادبي . ونقدّر بانه سيق الى هذا الانتاج ليجعل من عصارة عاطفته المكبوتة طعنة انتقام سامّة في قلب المدينة الاجتماعية التي حُرم جليل رغائبه ، في مقتبل عمره ، بسبب فردٍ من ابنائها هو المطران بولس غالب[2] ،

١) يسوع ابن الانسان ، ص ١٨٦-١٨٩ ٢) في الاجنحة المتكسرة

وسبب فروق اعضائها فاعتبرها من ظلام العاطفة الجائرين على الحرية. فكان متطرفاً في نزعته، وكان مفرقاً في جدّيته، ليحوّل القوم عن موضوع تعاليمهم.

ومما يلفت النظر ويؤيّد رأينا هذا الزفرة المرّة التي ينفثها جبران على لسان «سابا الانطاكي: يصف شاوول الطرسوسي» بحقّ منظّم اللاهوت الروحي، وباعث الاتجاهات الروحية المسيحية: بولس الرسول. قال:

«ان بولس هذا رجل عجيب غريب. ان نفسه ليست بنفس الرجل الحر.

فهو كثيراً ما يبدو كالحيوان في الغابة، طارده الصيّادون ورموه، فجاء ينشد كهفاً يخفي فيه الم عن العالم.

وهو لا يتكلم عن يسوع ولا بعيد اقواله. بل يعظ عن ساسيًا الذي انبأت عنه الانبياء.

ومع انه من علماء اليهود فهو يخاطب اصحابه اليهود باليونانية. ويونانيته عرجاء، وهو لا يحسن اختيار الفاظه لمواضعها.

بيد انه رجل ذو قوة خفيّة، والناس يؤيّدونه باقبالهم على سماعه، وكثيراً ما يؤكد لهم اموراً هو نفسه لا يثق بها.

فنحن الذين عرفنا يسوع وسمعنا خطبه نقول انه علّم الانسان كيف يحطّم قيود عبوديته ليتحرّر من سجون امسه.

ولكن بولس هذا يصنع قيوداً جديدة لرجل الغد. فهو يضرب بطرقته على السندان باسم رجل هو نفسه لا يعرفه... فالناصري يرغبه الينا ان نعيش الساعة بوجد وشوق.

اما رجل طرسوس هذا فانه يأمرنا بالمحافظة على الشرائع المكتوبة في الكتب القديمة.»[1]

اذن جبران نفسه يصرّح بان يسوع الذي يقصده على طرفي نقيض مع يسوع بولس الرسول. فيسوع، كما بشّر به بولس، مصدر الرصانة والمحافظة والنظام. وهي اشياء يشمئزّ جبران من ذكرها وينقم على ناشريها. فيصوّر يسوعه ثائراً يتطلّب الحرية المطلقة، ومحباً والهاً يحيا بالعاطفة الايجابية.

وعلى هذا الوجه نظم قصيدته التي تغنى بها في آخر الكتاب بمزايا البطل الذي اراد تخيّله باسم «ابن الانسان» فامتدح به سجاياه المختارة وافاض من شآبيب قلبه انشودة رائعة وجّهها اليه تحت عنوان «رجل من لبنان: بعد تسعة عشر قرناً.»[2] وما هذا الرجل سوى جبران نفسه يلخّص عواطفه وافكاره التي سكبت بين طيّات الكتاب.

١) يسوع ابن الانسان، ص٦٢-٦٤

٢) يسوع ابن الانسان، ص٢١٦-٢٢٤

الامير حيـــدر احمد الشهـــابي

وتاريخه

الغرر الحسان في اخبار ابناء الزمان

يُعنى الاديبان الدكتور اسد رستم احد اساتذة التاريخ الشرقي في جامعة بيروت الاميركية ، وفؤاد افرام البستاني استاذ الآداب العربيـة في كلية القديس يوسف ، بتحقيق نصّ تاريخ الامير حيدر الشهابي وطبعه طبعة علميةً ستظهر قريباً بعنوان « لبنان في عهد الامراء الشهابيين » مؤلفة الحلقة الاولى من منشورات مديرية المعارف التاريخية. وقد بذل الاديبان الجهود الجمّة في درس مخطوطات التاريخ المتعددة والتفتيش عن النسخ الراقية الى عهد المؤلف. وعرضا نتيجة ابحاثهما في مقدمـة صدّرا بها القسم الاول من التاريخ المذكور. فرأينا اطلاع القرّاء الكرام على زبدة ذلك آخذين لهذا العدد ما يخصّ الامير المؤرخ ، وللعدد القادم ما يظهر من مزايا تاريخه الكبير ، شاكرين للحكومة اللبنانية عنايتها باظهار ما يُعد من خير الاصول العربية لتاريخ لبنان .

١

مصادر البحث

نأسفُ انـه لم يتصدَّ لترجمة هذا المؤرّخ اللبنـاني ترجمةً مفصّلةً مطوّلـةً أحـدٌ من معاصريه . ونأسف ايضاً ان لا يكون لدينا من المصادر الاوليّـة لهذه الغاية سوى هـذا الكتاب الذي نحن بصدده الآن ، وما ورد عن الامير ومؤلّفه في كتاب « الساق على الساق » لاحمـد فارس الشدياق . ولا يخفى ما كان في قلب احمد فارس من الحقد على امراء لبنان ، وعلى الكنيسة المارونية في ذلك العصر . ولذا نرانا مضطرّين ان نتحفّظ التحفّظ التام في قبول شهادته على الامير المؤرّخ.

والنقد التاريخي الحديث يضطرنا ايضاً ان لا نقبل روايات الشعراء المعاصرين الّا اذا توافر لدينا من شهادات غيرهم مـا يزكّيها فيعزّز ما بها من حقيقة ، ويزيل عنهـا صبغتها الشعرية الخيالية من حيث التطرّف في المدح ، والافراط في الاطنـاب ، والاقتصار على ذلك في غالب الاحيان.

هذا وقد ورد شيء عن الأمير حيدر في المجلد العاشر من «دائرة المعارف»

العربية للبستاني . الا اننا نعتقد انه ليس للمعلم بطرس البستاني ، صاحب الدائرة ، بل لشاكر شقير ، معاونه في العمل . وذلك بدليل ما نقله الينا الاستاذ العلامة عيسى افندي اسكندر المعلوف من انه رأى بيد شاكر شقير مسودة المقال ذاته ، وان شاكرًا المذكور نسب هذا المقال لنفسه[1] . ولا يخفى ان المعلم بطرس البستاني توفي قبل اكمال المجلد السابع من دائرته ، وان اولاده تولوا العمل بعده واكملوا المشروع الى نهاية المجلد الحادي عشر[2] . ثم ورد شيء عن مؤرخنا ايضاً في تاريخ الرهبانية الانطونية المارونية ، وهو للاب عمانوئيل البعبداتي الذي توفي منذ عهد قريب .

فترانا الان مرغمين على الاكتفاء بهذه الروايات المتقطعة الضئيلة ، محاولين الى حدٍّ ما ازالة هذا الاضطراب من بعضها ، حتى نتمكن من نسجها وتقديمها للجمهور بصورة كاملة .

ونحن ، وان جرحنا بعض هذه الشهادات ، لا يفوتنا في الوقت ذاته أنّ ما ورد في كتاب الامير من الاشارة الى نفسه هو على جانب من الاهمية ، اذ انه على الاقل كلام المؤلف عن نفسه . وكذلك ما ورد في كتاب « الساق على الساق » فانه لاحد كتّاب الأمير المؤرّخ ، ان لم نقل لمعاونه في التأليف ، كما اشار الى ذلك جرجي زيدان في مجلة الهلال[3] . ولا يخفى ما لكلام شاكر شقير من الاهمية ايضاً اذ انه شويفاتي الاصل قريب من كفرشيما ودير القرقفه ، وقد عرف اليازجي الكبير ، والمعلّم بطرس البستاني وغيرهما من معاصري الامير المؤرّخ ومعاونيه . ويقول الاب عمانوئيل البعبداتي في كتابه المشار اليه آنفاً انه اخذ ما رواه عن الاب يوسف البعبداتي الذي تقيّد بخدمة الامير الروحية[4] . هذا هو المهم من مصادرنا فلنرجع الآن الى الامير وترجمته .

١) تخصص شاكر شقير لجمع المواد العربية لدائرة المعارف البستانية ، ولهذا نرى تحت اسمه ، في بعض كتبه المطبوعة ، هذه العبارة : «المساعد في دائرة المعارف العربية» ، كما حقق الاستاذ المعلوف .

٢) اطلب تاريخ ظهور هذه الاجزاء على ديباجاتها ، وراجع تاريخ سورية للمطران يوسف الدبس ٧ : ٧٣٤–٧٣٥ .

٣) مجلة الهلال ١٠ : ٦٦ ٤) تاريخ الرهبانية الانطونية ، ص ٤٢٣

ترجمة الامير

نسبه ووطنه

هو الامير حيدر ابن الامير احمد ابن الامير حيدر الشهابي الحاكم المشهور[١] وُلِدَ في ٢١ شباط سنة ١٧٦١ (١١٧٤ هـ.) في دير القمر على الارجح ، او في قرية المعاصر التحتا المعروفة اليوم بمعاصر بتدين ، في جوار دير القمر[٢] . وتوفي في دير القرقفه سنة ١٨٣٥ (١٢٥١ هـ.)[٣] . وكان في حياته كثير التنقل في انحاء لبنان تارةً يقيم في دير القمر ، وطوراً يجول في مناطق الشوف والمتن ، اذ كان يكلفه الامير بشير الكبير بعض المهامّ الادارية والحربية ، او يقوم هو نفسه بشؤون سياسية كان من شأنها ، على الغالب ، ان تؤول الى الخير العام واصلاح ذات البين بين الامير ومن كان يغضب عليهم من رجالات البلاد ، كما سيأتي . اما مركزه فكان قرية شملان ، ولا تزال فيها آثار داره . وفي سنيه الاخيرة كان يقضي فصل الشتاء في دير القرقفه في كفرشيما ، حيث كان قد بنى جناحاً خاصاً لسكناه ، على ان يعود للدير بعد وفاته . وهكذا كان.

ابناؤه

رُزق الامير خمسة اولاد ذكور توفوا صغاراً فدفنهم في شملان في قبة بناها لهم لا تزال آثارها ظاهرة الى اليوم ، وهي في اعلى القرية ، بالقرب من طريق العربات . وقد اشار في تاريخه الى ابنة له كان قد خطبها الامير سعد الدين ابن الامير يوسف الشهابي فمنعه الامير بشير الثاني عن الزواج بها ، وزفّها الى ابنه الامير امين[٤] . ويقول بعض العارفين اليوم ان والدة الامير عباس كنج كانت احدى بنات الامير حيدر ايضاً.

---

١) Fleischer, *Über das syrische Fürstenhaus der Banu Schihab.* [Zeitschrift der deutschen Morgenländischen Gesellschaft V, 46-59.]

٢) اطلب في ذلك تاريخ الامير نفسه ، ص ٥٤ من طبعتنا . « والجواب على اقتراح الاحباب » للدكتور ميخائيل مشاقه – مخطوطة جامعة بيروت الاميركية ، ص ٢٥

٣) اخبار الاعيان للشيخ طنوس الشدياق ، ص ٦٢

٤) عيسى اسكندر المعلوف : الامير حيدر الشهابي – في مجلة « الكلية » ١١ : ٢٢٢–٢٢٤

اخلاقه وصفاته

وكان ، على ما يظهر من كلام الشيخ طنوس الشدياق ، ابيض اللون ، جميل الوجه ، طويل القامة ، عبل الجسم[1] . وبشهادة خصمه ، كان « حليماً يحبّ السلم والدعة »[2] . ويقول شاكر شقير انه كان كريماً وقوراً محبوباً من الناس ، ومحباً للفقراء[3] . ويظهر من القسم الاكبر من المصادر انه كان ديّناً تقياً متمسكاً بمذهبه الماروني ، محباً للرهبان والاكليروس . فقد ورد في «الساق على الساق» انه نظر يوماً في بعض الكتب هذا البيت وهو :

وذموا لنا الدنيا وهم يرضعونها افاويقَ حتى ما تدرُّ لنا ثَمْلُ

« فظنّ انه تعريضٌ بهم وتلميحٌ اليهم ، فأمر باحراقه فأُحرق وذرّي رماده . »

وورد ايضاً في الكتاب نفسه ان الامير رأى يوماً آخر بيتين من الشعر فيهما تعرّض للرهبان ، « فأمر ايضاً باحراق الكتاب ، وبعث جواسيس في البلد يتجسّسون عن مؤلفه ونودي في الروابي والوهاد ألا من دلّ على مؤلف كتاب كذا فانه يجزى احسن الجزاء ، ويرقى الى رتبة سنية . »[4]

ومما نقله الينا الاب عمانوئيل البعبداتي ، عن معلّم ذمة الامير المؤرّخ ، أن الامير حيدر لم يكن يفتر عن سماع القداس يومياً ، وانه كان يسمع القداس الالهي يوماً ما ، ولدى انتهائه بُدئ بقداس آخر ، فثبت الامير يسمع القداس الثاني . وعند نهايته خرج من الكنيسة ، فاعترضه اميرٌ من اقاربه قائلاً : ألا يكفي قداس واحد ، والكنيسة تأمر باستماع القداس نهار الاحد والعيد الواجبة بطالته ؟ فاجابه الامير بانس ودعة : ان الكنيسة أمرت كما قلتَ لكنها لم تنه عن استماع القدّاس كل يوم مَن كان في امكانه تتميم هذه العبادة . ثم اجابه عن استماعه قداسين بما نصّه : « اذا كنت يا صاحِ في الصيد ، واتاك رفٌ حجل فاقتنصته ، ثم أتاك رفٌ آخر ألا تقتنصه ؟ فكم احرى اننا

١) اخبار الاعيان ، ص ٦٢ . ولعلّ الفارياق اورد كلمة « أحزُقّة » في وصف الامير حيدر لمجرّد الذم فقط . (الساق على الساق (طبعة اوروبة) ، ص ٢٧)

٢) الساق على الساق ، ص ٢٧ ايضاً .

٣) البستاني : دائرة المعارف ، ج ١٠ : المقال «شهاب : الامير حيدر احمد»

٤) الساق على الساق ، ص ٢٩

نعطاء الكنوز الثمينة بواسطة حضورنا القداس الالهي الذي منه نكتسب كنزاً لا يفنى. »[1]

وقد اشتهر مؤرخنا بإنفاقه على الرهبان ووقفه الاملاك الكثيرة لهم. وهذا أمر تاريخي ثابت بدليل الصكوك الشرعية التي لا تزال محفوظة حتى اليوم في بعض الاديرة اللبنانية كدير السيدة في شملان، ودير مار جرجس الشير في بكين، ودير مار انطونيوس القرقفه في كفرشيما، ومقرّ البطريركية المارونية في بكركي. وجاء في تاريخ الرهبانية الانطونية المشار اليه آنفاً انه وقف لدير الشير اوقافاً جزيلة من جملتها قنديل كبير من الذهب الخالص، وانه وقف كرم زيتون لاجل مصروف هذا القنديل. ولا يزال رهبان هذا الدير مع رئيسهم العام يكررون الترحم عليه حتى الساعة هذه. ومما يثبت تدينه ويدوّن تقواه وصيّته الاخيرة، والمفاوضات الاكليريكية التي تبودلت بشأنها والتي لا تزال محفوظة في خزانة البطريركية المارونية الى يومنا هذا. ويظهر من الوصية وتوابعها انه اراد ان يموت في حضن الكنيسة المارونية التي عاش وتربّى في ايمانها، وانه اوصى بان يوزّع عن نفسه مائة وخمسون الف قرش على جميع الطوائف الكاثوليكية شرقية كانت ام غربية.

مواهبه الادارية والسياسية

وكان محباً للسلام رفيقاً بالجميع. فالمعتمرون من شملان اليوم يقولون ان التلاحقة قدّموا له شملان جزاء توسطه في أمرهم ونجاحه في الحصول على عفو الأمير بشير عنهم. وهو الذي شفع للامير عباس، وتوسّل بالامير فاعور والامير أمين علي لدى الامير الكبير. ومما يتّضح من مطالعة تاريخه وكتاب «اخبار الاعيان» للشيخ طنوس الشدياق انه انتُدب مراراً للاعمال السياسية والادارية والحربية. مثال ذلك انه أرسل سنة ١٧٩٠ الى قرية كفرسلوان لاحراق منازل بني حاطوم[2]. ويقول هو عن نفسه انه لما وُلي مباشرة الشوف سنة ١٧٩٤ أظهر في تلك الظروف الحرجة من الدراية والحكمة ما

١) الاب عمانوئيل البعداني: تاريخ الرهبانية الانطونية، ص ٤٢٣-٤٢٤

٢) اطلب تاريخه، ص ١٦١ من طبعتنا

استوجب لـه ثناء الجميع ، فقيل : « لو كان غير هـذا الامير في مباشرة الشوف لكان تلاشى واضمحل من افراط الظلم والجرايم لكن الامير المذكور اوقى اناس كثيرين وحفظ عدة مواضع وذلك لهمه الوفيه ومناقبه الحميده . »[1]

وقد اشار ايضاً في تاريخه هـذا الى مواقفه الحربية في قب الياس وساحل بيروت وغيرهما . ولما فرَّ الامير بشير اولاً الى عكار ، وثانياً الى حوران ، كان مؤرّخنا برفقته . ولعلَّ شاكر شقير مصيب حين يقول ان الامير المؤرّخ لم يكن له طمع في الجاه ، وانه انتُخب مرارًا للولاية فرفض وآثر بقاء الامير بشير[2] . وفي زجلية طويلة ، محفوظة لـدى الاستاذ المعلوف ، في حروب الامير بشير ، لابي ابرهيم درويش بن مرعي القاري ، قولهُ :

وبعد هـذا صارت الحركة تزيـد قالوا « ابو سعدى » حاكم لا نريد
تعالوا نتخب لنا حاكم جديـد فنـادوا باسم الامير حيـدر شهاب

هذا ومن يُنتدَب لاعمال ادارية سياسية حربية ، ويُنتخب مرارًا للولاية فيرفض ، يُستبعد ان يكون « على جانب عظيم من التعقّل » ، كما يقول احمد فارس في كتابه المشار اليه آنفاً[3] .

بعض ملاهيه – ولعه بالتاريخ

كان الامير حيدر مولعاً بالصيد ومقاتلة الادياك ، وبالتاريخ . فالاستاذ المعلوف يقول ان معمّري شملان وغيرهما الذين عاصروا الامير حيدر رووا انه كان مولعاً بالصيد متفرّغاً له[4] . وقد حدثنا جرجس بك صفا قال : « اخبرني رستم باز قال : كنت منذ حداثتي مولعاً بتربية الدجاج ومقاتلة الادياك . وكان مولعاً مثلي بهذين الامرين الامير حيدر احمد الشهابي . فكنت اجلب اديا كي من دير القمر الى شملان لاجل مقاتلة اديك الامير . فيوم اربح ويوم اخسر . »

واكبرُ دليل على ولعه بالتاريخ اثره هذا الذي نعنى بنشره الآن وسنقول عنه كلمة في العدد القادم

١) اطلب ذلك في الصفحة ١٧٨ من طبعتنا
٢) البستاني : دائرة المعارف : المقال نفسه
٣) الساق على الساق ، ص ٢٧–٢٨
٤) عيسى اسكندر المعلوف : الامير حيدر احمد الشهابي – في مجلة «الكلية» ١١ : ٢٢٢

الفقه الاسلامي

تاريخه وتطوّراته

بقلم الاب لامنس اليسوعي

٤

التعليم الحي

تؤكد النظرية ان الشريعة تشتقّ مباشرة من القرآن ومن الحديث النبوي. فيكون من الضروري اذًا ان العلماء والمؤمنين يبدأون ، في رأس واجباتهم ، بدرس هذين « الاصلين » للعقيدة الاسلامية . على ان الواقع يختلف عن هذا ، حتى في نظر اشدّ المفكرين استقلالًا بالرأي كالظاهري ابن حَزم († ١٠٦٤) والحنبلي ابن تيميَّة وامثالهما ممَّن يدّعون عدم التقيّد الّا بالقرآن والسنة. ويكفينا الاشارة الى ان ابن حَزم يُغدق الشتائم وافرةً على مؤسسي المذاهب السنّية ، ويترك مذهب الشافعي متخذًا مذهب الظاهرية ، ثم لا يلبث ان يُعلن انه لا يتعلّق الّا بنفسه . اما تلاميذه ومريدوه فيتسمّون « بالحزميّة » . بيد ان الفعل الواقع يظهر ان المقياس الحقيقي لحلّ المشاكل الدينية لا يستند الى ظاهر الآيات القرآنية ، ولا الى مضمون السنّة ، بل الى تأويل التعليم الحي القائم بشخص العلماء . فليس للقرآن والحديث ، بعد هذا ، الّا قيمة النصوص الدينية يطالعها المؤمن على سبيل الفائدة والغذاء الروحي. فلا يدرس آياتها ولا يناقش شروحها ولا يسأل نفسه هل تقدّم تفسيرها ام لا منذ ثلاثة عشر قرنًا.

هذا ومن المتّفق عليه انه ، منذ القرن الرابع للهجرة ، «أُغلق باب الاجتهاد». وعليه فقد دُفع العلماء والمؤمنون جميعهم الى «التقليد» او الخضوع الاعمى ، دون تحفّظ ولا احتياط ، لمقرّرات احد المذاهب الاربعة السنّية. وقد وافق ختام القرن الثالث الهجري تأسيس هذه المذاهب ، وجَمْع كتب الحديث الستة للبخاري

ومسلم ومن اليهما ، كما انه وافق اقرار العقيدة التقليدية التي لم تلبث ان قبلت نظرية الاشعري في التوحيد فاقرتها هي والحلول المتوسطة التي عُرف بها المذهب الاشعري. ثم ان هذه القرون الثلاثة الاولى مكنت الاسلام من ملابسة المحيط الخارجي في المناطق التي احتلها ، فاستفاد منه العناصر الضرورية لتطوّره العقائدي والقضائي . ولم يلبث ان تبنى هذه العناصر المستعارة ومسحها بسلطة النبي ، عارضاً اياها باسمه وباسم كبار الصحابة كالخليفة عُمر وامثاله . ثم أقرّ ان المشاكل المهمّة جميعها قد نوقشت ووضعت حلولها في تعليم المذاهب الاربعة . . . . وهذه هي الظاهرة التي سمّاها الاستاذ ميز (A. Mez) ، المستشرق السويسري « بنهضة الاسلام » ، فاساء في اختيار التعبير ، اذ ظنّ فيها ظهور اسلام جديد .

الاجتهاد

ليس الاجتهاد — او « الاجتهاد المطلق » كما يحدّد البعض — « ذاك الحقّ الذي يخوّل صاحبه ان يسدّ ثلم القرآن والحديث بواسطة انوار العقل وحدها » كما يدّعي كازانوفا . انما الاجتهاد يقوم بدرس « اصول » الوحي القرآني درساً نقدياً ، ومناقشتها في ما خصّ علاقتها بالعقائد وبنظام السلوك الديني . وهو الحقّ الذي يخوّل صاحبه تخطّي تعاليم المذاهب السنية وآراء مؤسسيها الائمة الاربعة مالك ، والشافعي ، وابي حنيفة ، وابن حنبل ، الى تأليف شرح جديد وابداء رأي حديث يرتكز على فهم نصّ القرآن ومضمون السنة فهماً جديداً ادقّ من الفهم السابق . وذلك بفضل درس هذه النصوص درساً نقدياً ، كما يُدرس اي نصّ كان ، وبفضل كون المجتهد لا يتوقف عند التأويل المتداول والشروح التقليدية . فهو يتعمّق اكثر ممّن تقدّمه في فهم معنى الشريعة الحقيقي ويستخرج من ذلك نتائج عملية وعقائدية جديدة . فدوره دور خلق وابداع ، لا دور تقليد وتعليق . على ان هذا الحقّ بالارتقاء الى اصول الدين الاولية ، يعتبر الاسلام ان الاجيال المتتابعة في الثلاثة القرون الاولى للهجرة قد قامت به حقّ القيام حتى انها استخرجت كل ما يمكن استخراجه بواسطته دون استثناء . واذاً فلا من مبرّر اليوم لان يعاد النظر في قرارات مرّ عليها الاجماع المتوالي

مدة القرون العديدة. واذاً فقد أغلق باب الاجتهاد المطلق، ولم يبقَ الا الاجتهاد النسبي. وهو الاهتمام بحلّ بعض المشاكل الثنوية مما لم ينتبه له القدماء، والحقّ بشرح التأويلات الخاصة بكل من المذاهب الاربعة، وترتيبها، وتجديدها، بعض الاحيان، بايجاد تطبيقات جديدة لها.

وان اعظم ما يمدح به عالم هو القول انه «ادرك درجة الاجتهاد». وقد قيل عن بعضهم انهم كانوا مجتهدين يستغنون عن التقليد. من هؤلاء كان داود ابن علي مؤسس المذهب الظاهري، وابن تيمية، وابن قيّم الجوزية، والسيوطي، ومؤسس مذهب الوهّابية، وغيرهم.

اما العلماء فيحصرون اهتمامهم بدرس مقرّرات السلف، المجموعة في كتب وملخّصات معروفة مستعملة والمرتّبة على ابواب وفصول لا يمكنهم تجاوزها. وانما يجتهدون في التعليق على تلك المتون، دون ان يرقوا الى «اصلي» الفقه الاوّلين اي القرآن والسنة اللذين عوّضت عنها هذه المتون. ثم ان العالم الفقيه لا يتجاوز في تعليقه الآراء التقليدية، ولا يجرأ على اصدار رأي شخصي الّا في قليل من النقاط الثنوية لم يتفق عليها مؤلفو تلك المجاميع المدرسية. وقد لا يخرج هذا الرأي نفسه، غالباً، عن محاولة التوفيق بين الحلول المتباينة. ثم تتكاثر هذه التعاليق وتتضاخم حتى انها تقوم اخيراً مقام المتون السابقة في التعليم، فتفرض بدورها تعاليق جديدة وحواشي ضافية تتحوّل هي ايضاً الى متون فارضةً الحواشي والتعاليق، وهكذا دواليك! على ان جوهر الموضوع لا يتغيّر، ولا يتأثر بشيء من هذه الجهود في الشرح والتعليق.

فيكون من ثمّ ان التعليم ينحصر بعمل انتخابي من هذه المجاميع الضخمة. فهو يقوم بقراءة احد هذه النصوص على احد العلماء، فيعلّق هذا، من حين الى آخر، على ما يُقرأ عليه شيئاً من الشروح اللغوية والقضائية يلخّصها من شروح سلفائه. وان هذا المظهر وحده يكفي للدلالة على الحدود الضيقة التي تحصر ضمنها «الاجتهاد النسبي». وعلى ما تقوم به نظرية «التقليد» من فرض التقيّد الكلي بآراء المذهب المقرّرة، ومن التضييق الشديد على التطوّر العقائدي وعلى تقدّم الاسلوب النظري في الدين الاسلامي. على ان اغلاق باب الاجتهاد لم يحُلْ

من اثارة بعض احتجاجات قام بها « العصريون » من المسلمين ، فرأوا في ذلك « جريمة اقترفها العلماء على الاسلام باسم الدين » . وكان غيرهم من المتحفظين قد اخذوا على العلماء انهم بالغوا في اعتبار الائمة من البشر ، وان كانوا من امثال ابي حنيفة والشافعي ، حتى تناسوا في ذلك اعتبار القرآن والسنة . وقد فات جميع المحتجين انه ان كان الاسلام قد تمكن من مقاومة الزعازع الكثيرة التي اصابته ، فان الفضل في ذلك يعود الى « اغلاق باب الاجتهاد » . وان كان الاسلام قد عاش محافظاً على حياته العقائدية القديمة ، فذلك لانه عاش حياةً بطيئةً سليمةً ، بعيداً عن المناظرات والمناقشات التي كان من شأن الحرية ، لو وُجدت ، ان تثيرها عنيفةً هوجاء دون شكّ .

لا مجامع في الاسلام

لقد انتقد الشيعيون نظرية « الاجماع » فبينوا ما يكتنفها من ضعف واضطراب ، كما انهم بيّنوا ما في « التقليد » من حطّ للآراء والافكار الشخصية . على انهم قرّروا مبدئياً ، في اوساطهم التعليمية ، عجز العقل البشري ، عجزاً اساسياً ، عن ادراك الحقيقة المطلقة في ما خصّ الامور العقائدية . فاستبدلوا « بالتقليد » الذي تقليدهم هم واقاموا تجاه « الاجماع » المضطرب المتفاوت ، اداةً رسميةً دائمة لمعرفة الحقيقة . وليست هذه الاداة الا الحكم المعصوم الذي يصدره امامهم المستور . وهم يؤمنون ان هذا الامام المنتسب الى عليّ مطّلع على تأويل القرآن الحقيقي الذي وصل اليه من سلفائه اباً عن جدّ ، وقد وصل اليهم من علي نفسه صهر النبي . ويدعو علماء الشيعيين انفسهم « بالمجتهدين » ، معتبرين ذواتهم مفسّري الشريعة الاحياء واعضاء الامام العلوي المستور ؛ وبهذه الصفة يشتركون معه بالعصمة . وعليه فليس في الشيعة الامامية من مجال للمذاهب المختلفة ولا لتباين الآراء ، فهي لا تقرّ الا مبدأ السلطة .

ويجب ان نذكر هنا ان ليس « الاجماع » عند السنّيين ، كما قد يخاله من يقابل بين الاسلام والنصرانية . فليس في الاسلام نظام ديني متدرّج من واجبه ان يسهر رسمياً على مستودع الوحي القرآني . ولا نرى احداً ، مدة الثلاثة عشر

قرناً ، قام بفكرة استفتاء جمهور المؤمنين ، او عقد مجمع عام في سبيل درس المشاكل المختلف عليها . أوَ لا يمكننا ان نرى في ذلك ان مناقشةً من هذا النوع تخالف تكوين الاسلام نفسه ؟ وفضلاً عن ذلك فان هذه الفكرة ، لو حاول المسلمون تحقيقها ، لاعترضهم ما يتمتع به كل من المذاهب الاربعة من الاستقلال النوعي ، وعدم الانقياد لمقررات مثيله . ثم ان ما قد يقرّره مجمع عام ، على فرض امكان حدوثه ، يكون مستنداً بالطبع الى مبادئ احد هذه المذاهب ، فيكون من ثمّ عاجزاً عن بسط هذه المقرّرات على تابعي سائر المذاهب .

وهناك ما هو ادلّ من هذا على بُعد الاسلام عن الاخذ بالمجامع العامة . وهو انه ، حتى في البلاد الخاضعة لمذهب واحد ، لم يدر في خلد احد من العلماء المنتمين جميعهم الى هذا المذهب ان يدعوا الى عقد مجمع خاصّ يتناقشون فيه معاً بشأن بعض المسائل المهمّة . وذلك ان ليس منهم من يجوّز لنفسه الادعاء بالوصول الى الاجتهاد « المطلق » . ولا يجرح هذا الرأي ما يصدره احياناً علماء الجامع الازهر ، احد معاقل الشافعية ، من القرارات الجامعة . فان هؤلاء يعتبرون انفسهم متكلمين باسم الشافعية ليس غير ، حتى اذا نسوا ذلك او تناسوه قام من تبّاع سائر المذاهب من يذكّرهم به . وعليه فيكون من التجديدات المهمّة الخطيرة النتائج ما سمعناه مؤخراً من ابراز مشروع يرمي الى عقد مجمع اسلامي عالمي يكون من اتجاهه حلّ مشكل الخلافة والعمل على مداواة الغائها .

يعيش الاسلام مستنداً الى حكم مسلّم به حتى لا يحتاج الى برهان وهو ان في القرآن والسنة جواباً عن كل شيء . واذاً فما الفائدة من الاجتماع والمناقشة ولدى المؤمنين كنز التفسير الصحيح ومجموع مقرّرات الائمة القدماء الذين فكروا بكل شيء ؟ أوَ ليس للعلماء ان « يحلّوا ويعقدوا » ؟ واذاً فهم يستعيضون بانفسهم عن « صوت الشعب » وعن المجامع العامّة . وعليه فقد قُرّر مبدئياً ان الطريق التي اختطّها وسلكها قدماء الائمة هي الطريق المثلى ، وان تعليمهم الصريح ، بل سكوتهم احياناً ، له مفعول القواعد الاساسية ، وان من غير الممكن ان تُعاد المناقشة على نقاط ضمنها اتفاقهم العام .

وقد قامت حركة الوهابيين في القرن الثامن عشر على هذه الطريقة السنية

في فهم « الاجماع » ، فنادوا بتخليص الاسلام ، والعود به الى طهارته الاولى . ولقد كان هؤلاء المجدّدون ، الذين نشأوا في بلاد العرب المتوسّطة ، على حقّ في ما خصّ بعض المسائل الثنوية ، كما تُظهر ذلك مناظرات سابقهم الشهير ابن تيميّة . الّا ان خطأهم كان بانهم ارادوا حصر الاجماع في حدود زمنية ضيّقة جدًا ، فشاؤوا ان يجعلوه لا يتجاوز عصر الصحابة واول التابعين . كما انهم انكروا كل عمل متأخر عن ذاك العصر من شأنه ان يكيّف الاسلام ويبلّده في الاقاليم التي احتلّها، وعملوا على وضع حدّ للتطوّر العقائدي والنظامي وهو من الامور التي فرضها انتشار الاسلام. فكان مثلهم مثل رجال الكنيسة الرومية الشرقية الذين لا يقبلون الا تحديدات المجامع المسكونية السبعة الاولى. فضلًا عن ان الاسلام ، لو وافق على مزاعم الوهّابيين المضيّقة ، لأقرّ ضمنيًا ان الجماعة الاسلامية قد اتفقت على ضلال مدة اكثر من الف سنة ، وهو ما ينادي به الوهّابيون.

العلماء والقضاة

جاء في الحديث ان «العلماء ورثة الانبياء». فاليهم يعود حقّ الشرح والتأويل. واليهم يلجأ المؤمنون في شكهم ، ومحاولتهم حلّ بعض المشاكل الضميرية ، او تحديد نقاط من العقائد تحتمل المناقشة . يسألون العلماء عن ذلك كلّه فيجيبهم هؤلاء باجوبة مكتوبة يستندون فيها الى القرآن ، والسنة ، ومبادئ احد المذاهب الاربعة ، ثم الى الاجماع . وتدعى هذه الاجوبة فتاوى. اما قيمة الفتوى بالنسبة الى سلوك المؤمنين فتختلف باختلاف قيمة الادلة المستندة اليها. واذا كلّف واضعو هذه الفتاوى القيام رسميًا بمهمة افتاء المؤمنين ، فانهم يدعون «مُفتين». وهم يمثلون الشرع الاستشاري ، ويحتلّون مركزًا خاصًا في مجموع العلماء.

وقد كان الرئيس الاعلى لجميع العلماء والمفتين في السلطنة العثمانية يحمل لقب «شيخ الاسلام». وهو لقب كثيرًا ما أُعطي في العصور الماضية للفقهاء المشهورين، اجلالًا لهم . اما في تركية فكان « لشيخ الاسلام » المركز الاول بعد الوزير الاكبر او «الصدر الاعظم». وكان يقوم بمهمات وزير الدين جميعها. وقد اخذ هذا الموظّف التركي، على عهد عبد الحميد ، يخاطب العالم الاسلامي بكامله متأثرًا في

ذلك بفكرة الخلافة العالمية . فكانت صلاحيته اوسع من صلاحية السلطان ـ الخليفة نفسه في ما خصّ الشؤون الدينية . على انه لما كان للسلطان ان يعيّنه ويعزله عندما يشاء ، كان للسلطة ضمانة كافية تكفل لها عدم تجاوزه الطاعة والخضوع . وقد الغى الكماليون هذا المنصب سنة ١٩٢٤ واستبدلوا به « دائرة للشؤون الدينية » .

اما القاضي فهو ايضاً منتخب من بين العلماء ، مختصّ بصلاحية شرعية واسعة . وقد تحققنا سابقاً وجود ازدواج في الصلاحية القضائية في كثير من البلاد الاسلامية ، كما تحققنا جهود بعض الدول الاسلامية ومحاولاتها العديدة في تجديد بعض اقسام الفقه وجعلها موافقة لروح العصر . وهكذا كان في السلطنة العثمانية ، الى جنب شيخ الاسلام وهو المرجع الاعلى لجميع القضاة ، مركز آخر يحتلّه ناظر العدلية فيضيّق كثيراً صلاحية « مشيخة الاسلام » . اما تركية الجمهورية فقد قلبت الفقه الاسلامي رأساً على عقب في بعض اجزائه وكادت تقضي على صفته الدينية . ثم قامت الحكومة المصرية نفسها بتحوير بعض الاحكام الفقهية في ما خصّ الاحوال الشخصية .

والقاضي يبني احكامه على مبادئ الشرع وحده ، متجاهلاً التغييرات او الاصلاحات التي تقوم بها السلطة المدنية . واما الموادّ التي تشملها صلاحيته فهي كلّ ما اقرّ فيه القرآن احكاماً خاصة كشؤون الاحوال الشخصية ، والوراثة ، والاوقاف وما اليها . وقد ألحقت امور الاوقاف الحاقاً باحكام القرآن الخاصة بالزكاة والاحسان ، وهو ما برّر جعلها من صلاحية القاضي . وفي الحقوق الجنائية تنحصر صلاحية القاضي في تطبيق « حدود الله » ، وفي جميع الدعاوى التي تحيلها اليه السلطة المدنية . وهو لا يقبل في محكمته الا الشهادة الشفهية . هذا وقد حاولت الحكومات الاسلامية ، في كل عصر ، ان تحصر صلاحية القاضي وتضيّقها خاصة في موادّ الحقوق الجنائية . فهي لا تكتفي بصلاحية تنفيذ احكامه ، بل تحتفظ ايضاً بحق الموافقة على جميع الاحكام الصادرة من المحاكم الشرعية التي يرئسها القاضي .

(البحث صلة)

الامثال والاساطير اللبنانية

المختصّة باشهر السنة الشمسية

بقلم لحد خاطر

نيسان

نيسان من اصل بابلي ومعناه في العبرية: « الزهر » و«الاسبال » و«السيل الاخضر » . سمي كذلك لان الازاهير والزروع تظهر فيه ، وقيل انه مركب من كلمتين فارسيتين : « نو » و« اسان » ومعناهما: « اليوم الجديد » اشارة الى تجدد الطبيعة فيه بمناسبة الربيع ، يقابله من اشهر الفرنجة « ابريل » من اللفظة لاتينية معناها: « الافتتاح » او « الابتداء » ، ولعلهم اطلقوها عليه لان الارض تفتح فيها احشاءها وتخرج النبات ، او لانه كان عند بعضهم زمن مفتتح السنة او مبتدأها . خصه الاقدمون بالالهة « ثنوس » آلهة الحب والجمال والمعروفة عند العرب بالزهرة وجعلوا بعض ايام من اوله اعيادًا لها ، وصوره الرومانيون بشكل رجل يرقص بين العازفين ، وكان الشهر الثاني من سنتهم المبتدئة باذار . اما الفرنسيون فكان عندهم في الاجيال الوسطى مطلع السنة الى ان نقله ملكهم شارل التاسع في السنة ١٥٦٤ الى اول كانون الثاني ، ومن ثمّ تابعهم الناس على ذلك الى يومنا . ويقولون ان هذا النقل كان اخصّ الاسباب في « كذبة اول نيسان » المعروفة ، لان القوم لما كان هذا الشهر مطلع السنة كانوا يتهادون فيه ويتعايدون ، فلما نقل الى كانون الثاني صارت معايداتهم فيه مزاحاً ودعابةً وهداياهم وعودًا فارغة واكاذيب ، فجرى ذلك عادة عندهم كل عام ، وانتقلت هذه العادة منهم الى غيرهم الى ان اتصلت الينا ، اما « سمك نيسان » فالمقول فيه انه مأخوذ عن « برج الحوت » او « برج السمك » كما يدعى في لغاتهم وهو البرج الذي تنتقل منه الشمس في هذا الشهر .

يكون نيسان عادة في لبنان ذا جو صاف يكثر فيه الصحو وقد تشتد الحرارة فتظهر الدبابات والهوام من مخابئها والطيور من اوكارها ، ويخرج الناس الى

الحقول تتعهد الاشجار بالشذب والارض بالحرث والكل فرح مسرور بادبار الشتاء وباقبال الربيع . ومن اقوال العامة في ذلك :

« في نيسان تدخل الشمس برج الثور ، وتخلع على الدنيا ثوب النور » .

وقولهم : « في نيسان اطفِ نارك ، وافتح شبابيك دارك ، واسبح في الشمس لزنارك » .

وقد يشتد البرد في نيسان بعض السنين وتتساقط الامطار والثلوج ، على ان ذلك نادر . وقد حصل مرة في احدى السنين ان نزلت ثلوج في نيسان غطت اكداس الحطب والجرزون ، فقالوا في ذلك عبارة ما برحوا يرددونها كل عام ، متى جاء نيسان ، على سبيل الذكرى وهي : « لا تتعجب يا انسان ، في نيسان ، جرفنا الثلج عن الكدسان » وهذه الاكداس من الحطب يقطعونها في آذار ويحفظونها في الحقل ريثما تيبسها الشمس فينقلونها الى المنازل للانتفاع بنارها في الشتاء القادم ، ولكنهم ستئذٍ اضطروا الى نقلها في نيسان ، بسبب ما حصل عندهم فيه من البرد الشديد ، الذي لم يكونوا بانتظاره ولا اتخذوا العدة لاتقائه .

ويروى ان الثلوج تساقطت سنة اخرى في نيسان فغطت المراعي ، وكان العلف المدّخر للشتاء قد نفد فتعذر على الفلاحين ان يجدوا ما يغذون به ماشيتهم ، ثم ان بعضهم كانوا شذبوا كرومهم فجاءوا بجرزونها للماشية علفاً فاكلت وعاشت ، ولكن البرد اضر بكرومهم اذ تعرت بالشذب فيبست ، اما الذين لم تشذب كرومهم فقد سلمت لانها لم تتعرض للبرد كالاولى ، ولكن ماشيتهم لم تجد ما تأكله فهلكت ، فقالوا في ذلك عبارة ما برحوا يرددونها كلما سقط الثلج في نيسان او خيف من تساقطه ، من باب التمثل ، وهي : « ما قلنا راح آذار وهدراته ، حتى اجانا نيسان بثلجاته ، فالذي شحّل كرماته ، ربح بقراته ، وخسر كرماته ، والذي ما شحّل كرماته ، خسر بقراته ، وربح كرماته » .

ولا يخفى ان هذه الرواية على سذاجتها وايجازها تروي حادثاً تاريخياً قد يجد فيه فلاحو اليوم عبرةً وذكرى .

ولشذب الكروم عندهم (او تشحيلها او تربتها) طرق متوارثة تدل على حذق ومهارة ، منها طريقة حرّية بالذكر يسندونها الى شيخ من شيوخهم مر

بكرّام رآه يشذب كرمه فوقف يراقبه ، فاذا الكرام اكتع ولا يحسن العمل، فنصحه الشيخ قائلًا : « اقطع يا ابني من الدوالي ما كان مثلي ، ومن القضبان الراضع والراجع وما كان مثلك» فذهبت نصيحته قاعدة للشذب يرددونها ويجرون عليها . وقد اراد الشيخ بما كان مثله من الدوالي الهرم الفاني ، واراد بالباقي الثابت على الاصول والعائد الى الوراء والاكتع او المعوج، وكلها تسيء الشكل الهندسي للدالية وليس منها فائدة تذكر . اما القضبان التي تترك فهي المسماة في عرفهم « الملوك » وميزتها النماء والنضارة ويشذبونها عادةً على برعمين الى ستة تبعاً لمقدار نموها ونضارتها .

وفي الغالب يكون نيسان في لبنان ناجياً من الثلج ، قليل المطر ، فتحتاج الزروع فيه حاجة شديدة الى مطرة ترويها . وتساعدها على الاسبال ، لذلك اشاد اللبنانيون بمدح مطرة نيسان . وعظم فائدتها ، فما قالوا فيها :

« المطرة في نيسان ، بتسوى القرقة والصيصان » . والاصل في هذا القول ان اميرًا لبنانيًا استصنع احد الصاغة دمى من ذهب ، مرصعة بالماس والحجارة الكريمة ، تمثل الدجاجة وفراخها المسماة في لبنان « القرقة وصيصانها » ، وكان فخورًا جدًا بهذه الدمى وكثرة ثمنها ، وقد دخل عليه في يوم من نيسان بعد جفاف طويل خيف منه على يباس الزروع احد المقربين منه ، فسأله الامير : « والقرقة والصيصان » على طبق بين يديه : « بكم تثمن هذه القرقة والصيصان ؟ » اجاب الرجل : « ايها الامير ، مطرة في نيسان بتسوى القرقة والصيصان » . مشيرًا بذلك الى ان ما ينجم عن مطر نيسان من الخصب في الغلال لا يُمكن تثمينه ، فذهب جوابه مثلًا .

ويقولون ايضاً بهذا المعنى : « المطرة في نيسان ، بتحيي الانسان » . « والمطرة في نيسان ، جواهر ما لها اثمان » . « والمطرة في نيسان ، بتسوى السكة والفدان » ومعناه لا تحصل فائدة من السكة والفدان وما يزرع بهما ، ان لم ترو تلك الزروع امطارُ نيسان . ويقولون : « في نيسان الدلفة في الحارة ، بتجيب اليها من القمح غرارة » لان الدلفة لا تحصل ما لم ينهمل المطر ، والمطر ينعش الزروع ويوفر الغلال ويزيدها اقبالًا .

ويستنكرون انحباس المطر في نيسان كل الاستنكار ، لما يعقب ذلك من جدب ويقولون : « نيسان بلا شتي ، مثل العروس بلا جلي » اي ان نيسان ، على جماله ، اذا لم تقع فيه الامطار ، فلا يستفلّ الفلاحون فيه من مواسمهم ما يسرّهم ، كما ان العروس ، مهما كانت جميلة ، اذا لم ترفّ بحفلة غناء وطرب ، فلا يجد حاضرو العرس ما يدعوهم فيه الى الاغتباط والبهجة.

وقد يشتد الحر في نيسان فتبدل الاثواب الثقيلة بالاثواب الصيفية الخفيفة ، ويدثر الصوف التي للاسرة بدثر القطن والكتان المستعملة عادةً في الصيف ، ويقولون في ذلك: « في نيسان ، بتصير الدنيا عروس ، وبيخففوا القطا والملبوس» على انهم يتحفظون في هذا التبديل محاذرين التسرع فيه ، لما قد ينجم عنه احياناً من اذى البرد ، ولاسيما في الليل ويقولون: « في نيسان من خفف لبسه ، في خفو شمسه،اضرّ نفسه».وشمس نيسان عندهم ذات فائدة لمن يتعرّض لها ، لذلك اشتهتها العجوز « لها ولشيتها » كما مرّ بك في الكلام عن شهر شباط.

ويظهر ان التبكير في غرس الاشجار الذي اشرنا اليه عند كلامنا على الكانونين لا يصح في غرس التين الذي موعده نيسان ، كما يتضح من المثل العامي الآتي : « متى صار ورق التين كف غراب ، قصّ ونصاب » ولا يصير ورق التين كذلك ، ولاسيما في الجبل ، الا في شهر نيسان.

وفي اعالي الجبال يزرعون الحمص في هذا الشهر ويقولون في ذلك : « متى صار ورق التين كف غراب، ازرع حمصك في التراب » وفي نيسان تجمّ اغراس التوت المزروعة حديثاً اي تقطع لتنمو ويقولون في ذلك: « شمّ وجمّ » اي قف حذاء الغرسة واقطعها على مساواة انفك . وهذا قياس للطول الواجب ان يترك لاغراس التوت عند « جمّها »

ويستحسن من مواليد الماشية في نيسان امهار الخيل ، ويقولون في ذلك: «لا تقتني الا مهر نيسان» لان الطقس يوافقه فينمو ويؤمّل له المستقبل الحسن.

وفي اواسط نيسان تظهر الطبيعة في لبنان بمظهر الصيف ، مع ان هذا الشهر هو من فصل الربيع ، ويقولون في ذلك : « شمّن وادخل » اي بعد الشمينة التي تكون غالباً في نيسان يدخل الى الصيف او الى جوّ جميل يشابه جوّ الصيف.

وفي نيسان يستثمر عادةً موسم القز الذي ما زال اللبنانيون يعدّونه اهم مواردهم الاقتصادية ، رغم ما ناله من الصدمات ، في هذه السنين الاخيرة ، ولهم في هذا الموسم امثال وتقاليد كثيرة نورد بعضها هنا لانها ذات علاقة بالموضوع الذي نعالجه. منها :

« في نيسان الحكم للنسوان » لان النساء يرئسن ادارة الموسم فينطلقن من قيود الاعمال المنزلية ويأمرن الرجل بعمل ما يحتجن اليه من المعاونات في مهامهن، ويستخلص من ذلك ان رئاسة الاسرة في لبنان كانت دائماً للرجل على ما اوجبته النواميس الالهية والطبيعية. ومنها : « القزّ بدها قزّ » اي يلزمها تعب وعناء . ويقولون في مراحل القز او اطوارها الاربعة المسماة بالفطرات : « اول فطرة ، الطعمة قطرة قطرة ». « في فطرة التنتين ، دلّي الطبق طبقين ، واستبشري بوفاء الدين ». « في فطرة التلاتي ، حطي الواطي عالي والعالي واطي ، واصحي من الشاتة » . « في فطرة الرابعة ، طعمة متتابعة ، ان سلمت ذهب ، وان مرضت يا ضيعان التعب ». وبعد ان تصير القز في اليوم الخامس بعد الفطرة الرابعة يقال : « ليلة الخمسة ، كبري الكمشة ». « ليلة الستة ، كمشي وحطي ». « ليلة السبعة ، ما لها شبعة ». « ليلة الثمانية ، عجوز ثانية ». « ليلة التسعة ، راحت على الشيخ تسعى ». « ليلة العشرة ، اكلها قشرة » ، اي قليلة . ويقال ايضاً : « عشر ، ودشر ». ويقال : « طلعت القزّ على الشيخ ، اقبر مرتك واستريح. »

وفي هذا المثل الاخير اشارة الى ان المرأة في لبنان تعاون الرجل في اعماله اليدوية ولاسيما في تربية القز ، ولاجل هذه المعاونة يرى نفسه في حاجة قصوى اليها، فاذا فرغ من العمل استغنى عنها ، وقد عرفت في بعض القرى اعزاباً يلحّون بالزواج قبيل موسم الحرير ليكون الى جانبهم فيه زوجة تعاونهم عليه ، ولولا ذلك لارجأوا الزواج بل لما اقدموا عليه.

ويقولون ايضاً في نيسان ، تنشد العصافير الاغنية الآتية : « طاطا وزّ ، طاطا وزّ ، هي المنجل جات القز ». فمن طالع هذه العبارات العامية رأى فيها صورة صحيحة للحركة النشيطة التي تظهر في الاوساط الزراعية في لبنان ايام القز ، وادرك ما اتصف به الفلاح اللبناني من الذكاء والاقدام وبعد الهمة.

طاغية القرية

مأساة ذات فصلين

بقلم يوسف غصوب

٤

(تتمة)

الفصل الاول

المشهد السادس

المهاجر وحده

المهاجر (بعد ان نظر طويلاً الى الجهة التي خرجت منها المرأتان) مسكينتان ! هما ضحيتان لهذا الرجل الغاشم . لم تتغيّر حالة هذا البيت منذ تركته . نفسان تتعذبان ؛ ورجل لا يصغي الا لصوت المال ، ولا يهتزّ قلبه الا لرنين المال . هذه صورة العذراء لا تزال مكانها . وهذه الطاولة لا تزال في محلها . فكأنني خرجت من البيت في الصباح ، وعدت اليه في المساء . لم يتبدّل الا هذه الفتاة ليلى ، هذه الأُخيّة النعسة الشاحبة ! هي في ربيع الحياة ، اما قلبها فظلم بالاسى والكآبة . آه ما اقساكَ ، يا جشع ، وما اظلمك ! فان ريحك لسموم تيبس ما حولها من العواطف ، وان لونك لاسود يصبغ كل شيء بالسواد حتى نور الشمس .

ما اقرب السعادة من هذا البيت ! فانها على قيد خطوة منه . فما لابي الّا ان يفتح النافذة ويقول لها : ادخلي ! ولكنه بدلاً من ادخالها الى بيته ، قد بنى دونها حائطاً واصلاً بالسحاب ، حائطاً من البخل والطمع ،

من هذا المعدن الصلب القاسي ، فهل من سبيل لخرقه ! قد نغص علينا عيشنا وشدّ على قلوبنـا بربائط ، فهي دائماً متألمة ، قلقـة ، لا تكاد تتنفس .

سافرت ، هربت ، تركت هـذا السجن طـالباً الهواء الطلق ، طالباً شيئاً من السعادة التي فتشت عنها هنا فما وجدتها . ولكن هل يسعد الشريد الطريد ؟ تكبّدت الاسفار ، وعانيت الاهوال ، واشتغلت كثيراً ، وتعبت كثيراً ، فجمعت مـالاً وفيراً . ولكني كنت دائماً وحيداً فريداً . كنت في غربتي كلما هممت بالضحك سبقت الدمعة الى عيني . . . ثم قلت : ارجع ، وارى اهلي . فلعلّ هجري يكون أثر في ابي فغيّر طباعه ، ولين عواطفه ! فاذا هو هو ، لا يزال كما كان . . . (يكاد يبكي) ماذا افعـل ؟ أأبوح بسرّي ، واخبر اهلي عن نفسي ؟ ام ارجع الى حيث كنت صامتاً حافظاً في صـدري حزني والمي ؟ . . . (امام النافذة)

ما اجمل لياليك وابهى سمائك يا لبنـان ! نجوم باسمة على مخمل ازرق ، فوق جبالـك البيضاء . ونسيم يسري بين الاشجـار ، ناقلاً تنهدات الازهار الى قلوب العذارى الساحرات . قراك ترقد حالمة بالسعادة على منحدرات الروابي ، وبين احضان الاودية . من نظر اليك ظنّ السعادة مخيّمة فوق اكواخك ، وفي جوانب قصورك . ولكن كم من قلوب حزينة ، وقلوب قاسية شرهة في هذه البيوت الهادئة ، وبين الصنوبر العطر ، والسنـديان الغض !

ابتسمي ، يا نجوم ؟ وعطّري ، يا نسمات الليل ! واسكبي السلام والصلاح في قلوب العباد حتى الصباح . . . (يأخذ القنديل ويدخل الى الغرفة .)

وفي هذه الآونة يسدل الستار قليلاً فقليلاً

الفصل الثاني

المشهد الاول

ابو شهيد

يرفع الستار بعد دقيقة ، فيبدو المسرح فارغاً وليس فيه من نور سوى كباية المذراء

ابوشهيد (يدخل جيئة مضطربة) الف ليرة ذهبية ، واصبح اغنى رجل في القرية ، بل في القضاء اجمع . (يجلس الى الطاولة) بل تصبح القرية ملكاً لي . ويصير هؤلاء المتكبرون ، ابناء الاسياد ، ابناء الشيوخ والامراء ، اتباعاً لي ينظرون اليّ خائفين حاسدين . انا ابن الفلاح الذي لم يكن على شيء من حطام الدنيا ، ثم هو الآن قدير على كل شيء ، تفتح له المجالس والبيوت ، ويرفع صوته عالياً . تراعي الحكومة جانبه ، ويفتش الكبراء عن صداقته . مسموع الكلمة ، نافذ الارادة . فليغضني من يشاء ، ولينفر مني من يشاء . فقد بلغت الذي بلغت بجدي واقدامي . قد كنت ويلاً على من اعترضني في طريقي ، ولا حرج ! فهذا حقّ القويّ على الضعيف . الويل للضعيف ! هي سنة الطبيعة . فمن اراد ان يعيش فليكن قوياً . ان الانين والتلهف والاستخزاء لا يفيد شيئاً . فان العاصفة اذا مرّت لا تبقى الا على كل شيء متين ثابت .... ها ! ها ! ها ! غداً يأتي هذا الشامخ الانف ، هذا المتكبر المصعّر خده للناس ، ويمدّ يده صاغراً . قد انتظرتك طويلاً ، يا رامي . وقد حان وقتك (يتصوّر ان الرامي أمامه) تفضل ، ادخل . اجلس . انت في حاجة الى المال ؟ أه ! أه ! انت في حاجة الى هذا الشيء الذي احتقرته ، هذا الشيء الذي كنت ترميه من النوافذ ؟ انت في حاجة اليّ ؟ الى هذا الشخص الذي كنت تسخر به من بخله ! ... تريد ان تبيع ؟ ... كم تريد ؟ ... تريد ان تهجر القرية ؟ ومن يكون معبود القرية من بعدك ؟ انت رئيسها ،

انت عمادها ، انت خزينتها . كانت القرية تغترف من خزينتك ، اما الآن فاتيت تمدّ اليدين ، تسعى وراء المال ... كم تريد ! الف ليرة ؟ (كأنه رجع الى نفسه) الف ليرة ؟ ليس لديَّ الف ليرة ... كيف العمل ؟ (افكار تتلاعب به) أأترك هذه الفرصة السانحة تفلت من يدي ؟ ... المال ! ... المال هنا ... المال راقد هنا بالقرب مني مع هذا الفتى النائم ... اهو القدر ساقه اليَّ ! اهو القدر حليفي (يطب السكين التي على الطاولة) ماذا ؟ أإلى هذا الحدّ وصلت ؟ ... ارى الدماء على يدي ... لا . لا . اليك عني ، ايها اللعين ... (يجلس ويفكر) قرية «عين عذراء» تصبح بجملتها ملكاً لي . اصبح اغنى رجل في لبنان وكلمتي انفذ كلمة ... مَن هذا الفتى النائم هنا ؟ ! غريب ! لم يرَه احد ! ... لا . لا . (يدور في الغرفة ذهاباً واياباً مضطرباً) الف ليرة في جيبه . الليل ساكن . ما من احد على الطريق . نحن في بيت بعيد عن القرية . في البستان بئر عميقة مهجورة مغطّاة بالعوسج ... لا يمرّ بها احد ... لا . لا . اترى هذا الذي يقال له الضمير ! ... فرأسي يكاد ان ينفجر ... من يجرأ على اتهامي ؟ من يطالبني به ؟ ... انا اقوى من الجميع ... (يأخذ السكين عن الطاولة . وبعد ان يفكّر قليلاً يدخل الغرفة بكل سرعة)

المشهد الثاني

مريم . ثم ليلى . ثم ابو شهيد

مريم (تدخل بعد قليل) لم استطع ان انام . شيء يدفعني الى هذه الغرفة . وقلبي يقول لي ان هذا الفتى الذي هفت اليه نفسي منذ رأيته هو قريب مني ، هو شيء مني ، فمن تراه يكون ! ... قد اثار صوته في جوانب صدري عواطفَ غريبة ، وشعوراً عجيباً . تطلّعاته واشاراته تذكرني بتطلّعات وحركات اعرفها . اهو كاذب في ادّعائه بانه غريب عنا ! اتراه يكون ولدي ! ... احبّ ان يخدعنا هذه الخدعة اللطيفة ! ايتها العذراء ، بحقّ ولدك الالهي ، لا تكذّبي رجائي ..

ليلى (تدخل) امي ، انت هنا ؟ ما انهضك من نومك !

مريم لا شيء ، يا ولدي ، وانت !

ليلى ارى ان فكرًا واحدًا دفعنا الى هنا . (تسمع جلاجل البغال من بعيد وصوت « عتابا »)

مريم نعم . وانا في شك من صحة كلام هـذا الفتى ، وشيء يقول لي في اعماق صدري انه شهيد ولدي.

ليلى اخي .. اخي... ان هذه الافكار قد ساورتني منذ ذهابي للنوم، ولم تهدأ . فنهضت الى غرفتك لافاتحك بالامر ، فما وجدتك ، فاتيت الى هنا . آه فما اشدّ ما يكون سروري ان صحّ حلمي.

(يقترب صوت المكارين وصوت الجلاجل)

مريم لا تأملي كثيرًا ، يا بنيتي ، فان الخيبة اشدّ هولًا من اليأس !

ليلى (تطلّ من القنطرة) هؤلاء مكارون آتون من بيروت - اتسمعين صوت الجلاجل في اعناق البغال ؟ هذا فياض ، ورفيقه سلمان.

مريم (تقترب من ليلى) ارى البغال قد اتجهت صوبنا ، واخذت في الطريق المؤدية الى البيت.

ليلى هي صاعدة بين التوت ... ربي ! هذه احمال مسافرين : صناديق ، واكياس ، وكراسي.

مريم وصلت البغال الى القبو ... وقفت.

ليلى اماه ، هو اخي.

(هنا يطلّ ابو شهيد من الباب ويداه عليهما دم ، وعيناه نافرتان.)

مريم يا خليل ، يا ابا شهيد. (تتجه نحو غرفته لتدعوه)

ليلى أبي ، أبي ، هو اخي . (تنظر الى ايها واذ تراه في حالته الراعبة تتراجع الى الوراء)

ابوشهيد آه ! قد قتلت ولدي بيدي ؟ (ثم يسقط على الارض بلا حراك)

يترل الستار قليلًا فقليلًا

تمت

شذرات

سكة حديد بين مكة وجدة

قرأنا في جريدة « صوت الحجاز » المكية (العدد ٤٨ بتاريخ ٦ آذار ١٩٣٣) مرسوماً لابن سعود يُقرّ فيه اتفاقاً موقعاً بين وزير ماليته والسيد عبد القادر الجيلاني بشأن انشاء خط حديدي بين مكة وجدّة . فرأينا من المفيد ان يطلع قراؤنا الكرام ، ولاسيما من كان منهم راغباً في معرفة ما يجري في بلاد العرب،على هذا المرسوم وعلى اهم موادّ الاتفاق المذكور :

اما المرسوم فهو :

بسم الله الرحمن الرحيم مرسوم رقم (٥٦٩٥)

نحن عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود. ملك المملكة العربية السعودية

بعد الاعتماد على الله . وبناء على ما عرضه علينا نائبنا ورئيس مجلس وكلائنا وموافقة مجلس الوكلاء امرنا بما هو آتٍ :

المادة الاولى ــ يعتمد الاتفاق الموقع عليه بين وزير ماليتنا والسيد عبدالقادر الجيلاني بتاريخ اليوم الخاص بامتياز انشاء خط حديدي بين مكة المكرمة وجدة ، ويكون جزءا متمماً لهذا المرسوم ولا يجوز تعديله الا بموافقتنا.

المادة الثانية ــ على وزير ماليتنا تنفيذ احكام هذا المرسوم.

صدر في الرياض في هذا اليوم الثامن والعشرين من شهر شوال ١٣٥١ الموافق ٢٣ فبراير ١٩٣٣. « التوقيع » عبد العزيز

ف ٢٨ شوال سنة ١٣٥١ بامر جلالته

« التوقيع » فيصل

واما « الاتفاقية المصدّقة » فهذه اهم موادّها ، « وقد ضمنت الحقوق والمصالح التي يجب ان تلاحظ في هذا المشروع المفيد » ، على قول « صوت الحجاز » :

١ ــ تؤلف شركة اسلامية محضة واصحاب الاسهم فيها كلهم مسلمون ، لمد خط حديدي بين مكة ــ جدة.

٢ ــ رأس مال الشركة خمسة ملايين ربية قابلة للزيادة اذا قضت الضرورة، مقسمة الى مائة الف سهم كل سهم بخمسين ربية.

٤ ــ تحجز الشركة قسماً من الاسهم ليشترك فيها الحكومة والوطنيون.

٥ ــ مدة الامتياز خمسين سنة من تاريخ اعطائه.

٨ ــ تدفع الشركة للحكومة مبلغ مليون ربية مقدماً مقسطة على خمسة اقساط شهرية تبتدئ من رجب عام ٣٥٢ وتنتهي في شهر ذي القعدة ٣٥٢ كل قسط منها بمبلغ مائتي الف ربيه على ان تستوفيه الشركة من الحكومة بخصم خمسة في المائة من حصة الحكومة في واردات الشركة.

٩ ــ يكون الابتداء في مد الخط من شهر رجب سنة ٣٥٢ على شرط انه اذا انتهى شهر ذي الحجة ٣٥٢ ولم تبتدئ الشركة في مده فللحكومة الحق في الغاء الامتياز او ابقائه ولا يكون للشركة حق المطالبة في المبلغ الذي تكون قد دفعته للحكومة المبين بالمادة الثامنة.

١٥ ــ اعتباراً من الشروع في تسيير الخط تمنع الحكومة طيلة مدة الامتياز سير السيارات بين مكة وجدة الا ماكان منها للحكومة او لاصحابها الخصوصيين على انه اذا حل رجب ٣٥٤ ولم يكمل تسيير الخط فان السيارات تظل سائرة الى نهاية موسم الحج.

٢٠ ــ على الشركة ان تؤمن قيام قطار من مكة ومثله من جدة في كل اربعة وعشرين ساعة على الاقل ويتفق على مواعيد قيام هذه القطارات بين الحكومة والشركة، وعلى الشركة ايضاً ان تستعد لتأمين النقليات الاخرى التي تزيد عن القطارات المعتادة خصوصاً في ايام الحج والنزول.

٢١ ــ دفاتر حسابات الشركة وتذاكر الركاب ومعاملات الشركة مع الحكومة ومعاملاتها مع الجمهور تكون باللغة العربية.

٢٥ ــ على الشركة ان تضع في نظامها نصوصاً واضحة تتعين بها طريقة انتقال الاسهم والتداول بها في الاسواق المالية لاجل حفظها في يد المسلمين فقط ومنع تسربها الى سواهم. وعلى الشركة ان تلاحظ ايضاً ضرورة ترجيح بيع الاسهم للموظفين على سواهم بحيث ان الاسهم التي يعرضها حاملوها للبيع في الخارج تعرض خلال مدة معينة على اهل البلاد فان رغبوا فيها بيعت لهم والا تباع للطالبين من المسلمين في الخارج.

مطبوعات شرقية جديدة

Picard (Charles) : Les Origines du polythéisme hellénique. L'ère homérique. [« *Art et Religion* »]. *in-8° de* 192 *pp.* 24 *pl. hors texte. Paris, H. Laurens.* 1932, *Prix* : 20 *fs.*

اصول الشرك اليوناني : العصر الهوميري

تقدم لنا في « المشرق » (٢٩ [١٩٣١]: ٧٤) وصف الجزء الاول من هذا الكتاب ، وقد نشره المؤلف سنة ١٩٣٠ ، خاصاً اياه بالفنّ الاقريطشي - الميقيني وما يدلّ عليه من عاطفة دينية . وهـا اننا نصف اليوم جزءه الثاني والاخير متعلقاً كسابقه باصول الشرك اليوناني ، مفيداً الفائدة نفسها . الا انه اوسع مادة من الاول ، واكثر وثائق ومستندات حتى ان المؤلف يستغلّ لا المكتشفات الحثيـة الاخيرة فحسب بل يستفيـد ايضاً من مكتشفات راس شمرا ، قرب اللاذقية ، يدرسها ويعلّلها بسهولة جديرة بالذكر مستخرجاً منها كثيراً من الآراء الجديدة والنظريات الشخصية ، دالاً على تضلّع من موضوعه ومؤالفـة متواصلة لمشاكله المختلفة . ثم ان العصر الماضي لم يكن ليقـدم للباحث الّا اسانيـد صامتة ، ان صحّ لنا هذا التعبير ، إمـا لأنّ الزمن لم يكد يحتفظ بشيء من آثار ذاك العصر ، وإمـا لانّ العلماء لم يتمكنوا حتى اليوم من حلّ الكتابات الاقريطشية - الايجية . وهو خلاف ما يظهر في عصر هوميروس الذي عاش حوالي السنة ٨٥٠ ق. م. فان الكتابة الابجـدية كانت قد استقرّت في بلاد اليونان وفي آسية الصغرى . فكان من ذلك عصر جـديد يصل بين ماضٍ مظلم ، وحاضر عملت على تكوينه الزحفـات الهندية - الاوربية الهـابطة من الشمال ، ومستقبل يزداد ازدهاره شيئاً فشيئاً في ما خصّ الفنّ . وقـد اوقف المؤلف موضوع بحثه عند العصر المدرسي المعروف .

وهو ينتقل ، في درس العصر الهوميري ، من ذكر الديانة الروحانية الصوفية الشرقية المظهر التي خلفت الاصول الاولى ، الى ذكر ازدهار العبادة الهنـدية -

الاوربية المشبّهة . وهو ما عمل على توليد آلهة الاولمب المعروفة بما أضيف اليها من الزيادات الصادرة عن مناطق البحر المتوسط من مصرية ، واسيوية ، وميقينية قديمة ، وغير ذلك ، مختلطةً اوّلًا بديانة بلاد اليونان الشمالية وفنها القديم . وقد صار هذا الشرك الاسطوري ميزةً فارقة للديانة اليونانية في العصر المدرسي . وانه بفضل ما في اصوله من التنوّع والتشعّب والتعقّد ، دفع اليونان ، تحت التأثير الهندي ـ الاوربي ، الى الانتقال من دين سحري محض في شرح الحياة الى الاخذ بعقيدة تاريخية علمية . فكانت هذه الظاهرة ، في زعم المؤلف وفي نظر العالم الديني الشرقي ، « تحريرًا للعالم البشري » . (ص ١٦٦) على ان الدائنين احتفظوا من ماضيهم بكل ما لم يكن من شأنه ان يجرح فكرتهم الراقية في المحيط الجديد ، مستندين في كل ذلك الى الرمز والاسطورة اكثر من استنادهم الى الطقس وطريقة العبادة . وبالاختصار فان ذاك الدين القديم مال الى الاخذ بالتأثير العقلي . وقد لزم بعد ذلك ، على عهد الاسكندر الكبير ، تأثير جديد من قبل الديانات الشرقية لتوليد الديانات المعروفة « بالديانات الخلاصية » هذا وان المؤلف من منكري الوحي ، دفعه ذلك ، غير مرة ، الى مقابلات بين الديانات التي يدرسها والدين المسيحي لم يدل فيها على بعد نظر وتوفّق في الحكم . ومهما يكن من امر فليس الدين المسيحي « باليهودية المتأثرة باليونانية » كما يزعم (ص ١٨٤) . وقد اخطأ ايضاً خطأً فاحشاً في ما خصّ « اسطرانة تيسكيفتش » (Tysckiewicz) متأثرًا في ذلك بوهم الاستاذ دوسّو (ص ١٩) . وكنت قد بينت هذا الخطأ في مجموعة كليّتنا (*MUSJ*, XV [1931] p. 261-280) ويمكن ان يراجع في ذلك ايضاً Götze [*Orientalist. Literat. Zeit.* 1932, *p.* 465] ، وفي الموضوع نفسه Schachermayer [*Archiv f. Orientforsch.* 1932, *p.* 284]

اما ثمن هذا الكتاب المشحون بالمعلومات والافكار والنظريات والآراء الفنية والفلسفية بما فيه من الالواح التصويرية فعشرون فرنكاً لا غير . وهو امرٌ يكاد لا يصدّق . وعليه فاننا نقدم للطابع ايضاً اخلص تهانينا س.ر.

Kazom Daghestani : Etude sociologique sur la famille musulmane contemporaine en Syrie. *XV+ 226 pp. avec 1 carte hors texte. Paris, Librairie Ernest Leroux. Prix : 40 fs.*

الاسرة المسلمة المعاصرة في سورية

هو بحث دقيق نفيس في احوال الاسرة المسلمة السنية المعاصرة في سورية، قام به الاستاذ كاظم الداغستاني مستعدًا له بثقافة علمية غربية وباطلاع واسع على مظاهر الهيئة الاجتماعية المسلمة في سورية التي يدرسها كاحد ابنائها . فاتى عمله من ادقّ ما كتب في الموضوع ، ومما يتوصّل اليه نادرًا علماء الغربيين والشرقيين . لما ينقص الاوّلين عادةً من معرفة باللغة والعادات السورية ومن سهولة في ملابسة العيال المسلمة ، ولما ينقص الآخرين من ثقافة علمية ضرورية في هذه الابحاث ، ومن تجرّد عن الهوس والهوى . اما الاستاذ الداغستاني فقد توفق في تذليل الكثير من هذه العقبات ، ممهّدًا السبيل الى دروس اجتماعية وعمرانية نحن في اشدّ الحاجة اليها اليوم ، وقد اخذت سورية بتطوّر يظهر في انظمتها ومؤسساتها . حتى ان كتابه الذي لا يستغرب طريقته احد في اوربة ، على قول الاستاذ غودفروا ديومبين كاتب المقدّمة ، قد يظهر في سورية بمظهر التجديد . وهو تجديد صالح ، مثمر ، ان شاء الله .

يبدأ المؤلف بتحديد موضوعه في المكان كما حدّده في الزمان . وكما انه يحصر بحثه في الاسرة المسلمة السنية المعاصرة ، كذلك يحصره في السنيين القاطنين سورية الادارية ، تاركًا جانبًا العلويين والدروز ومن اليهم من الفِرَق التي تختلف اخلاقها وعاداتها عن اخلاق السنيين وعاداتهم . وهو لا يهتمّ كذلك بالبدو الرحّل . على انه لا يهمل ما يراه من الشبه بين عادات هذه الشعوب وعادات الشعب الذي يدرسه ، فيشير الى ذلك في حواشي الكتاب التي ، وان لم تكوّن مقابلةً تامة في العادات والاخلاق ، فانها تظهر فائدة جزيلة يُشكر عليها المؤلف .

وقد يشير ايضًا الى ما يشابه عادات السنيين السوريين من عادات غيرهم كموارنة لبنان ، ودروز الجبل .

اما التقسيم الذي يتبعه فهو التقسيم الطبيعي المعقول دارساً مظاهر الحياة الاجتماعية في الاسر المدنية ثم القروية ، ثم عند البدو المتحضرين ، ثم عند الشركس والاكراد والتركمان من الذين لم يتخلقوا باخلاق السنيين في المدن الكبيرة ، مبتدئاً « بالزواج » وما يتعلق به من عمر العروسين ، وشروط العقد، والأساطير والخرافات المتعددة ؛ ثم « بالحياة الزوجية » وما تفرض من حقوق وواجبات ؛ ثم يتكلم عن «الاولاد ووالديهم » وما بينهم من علائق ؛ ثم يخوض في « الاسرة » على الجملة . وهو ينظر في كل ذلك لا الى الشروط والاحوال التي يفرضها الشرع ، بل الى المظاهر التي تبدو في واقع الحال . فيكون كتابه من ثمَّ وصفاً موضوعياً بحتاً لحالة الاسرة المسلمة السنية المعاصرة في سورية . وهو ما اراده ، غير متجاوز ذلك الى شيء من النتائج السياسية او القضائية . مما دفع الاستاذ غودفروا ديومبين الى التمني ان يصبح الكتاب مثالاً للتآليف المشابهة في سورية ، فيفيدها شيئاً من تجرده العلمي . وهو ما نوافق الاستاذ عليه بكل اخلاص. ف . ا . ب .

Almanach Catholique Français pour 1933. 1 *val. de* 480 *pp.*, 250 *illustr. Prix* : 7 *fs. Bloud et Gay, Paris.*

التقويم الكاثوليكي الفرنسوي لسنة ١٩٣٣

ليس من حاجة الى وصف هذا التقويم المعروف بمعلوماته الوافرة ، القائم باجل الخدم لكل من تهمهم الحوادث الدينية ، والادبية ، والفنية ، والعلمية ، والاجتماعية، وموقف الكنيسة الكاثوليكية منها . وما اقبال الناس عليه والعناية بمراجعته كل ما عرضت لهم هذه الامور الا الشاهد العدل على هذه القيمة . فضلاً عن ان اسلوبه الشائق من اوفر العوامل ترغيباً في مطالعته . وقد زيد عليه هذه السنة تجديدات حسنة منها عدد من الروايات التمثيلية القصيرة ، والحكايات الرشيقة ؛ وعدة ابحاث بعنوان « مشاكل اليوم » ، واخرى بعنوان « فحص الضمير » . ثم معجم كامل باسماء الاشخاص المهمين وبعض المعلومات عنهم .

Maurice Moch : Le Mandat Britannique en Palestine, *p. VI* + 416. *Paris, Mechelinck*, 1932.

الانتداب البريطاني على فلسطين

امامنا اطروحة لنيل الدكتوراه في الحقوق تشمل درس الانتداب في حد نفسه ، وما ينتج عن تطبيقه من المظاهر القضائية . يبدأ المؤلف بتلخيص تاريخ فلسطين على عهد السلطنة العثمانية ، ثم يذكر الاتفاقات العديدة التي توالت على اثر انتهاء الحرب الكبرى فأدت الى موافقة جمعية الامم على الانتداب البريطاني. بعد ذلك ينتقل الى عرض المظاهر المتعددة للوطن القومي اليهودي ، متخذاً من تحليل اسسه القضائية . ويعطف على واجبات الدولة المنتدبة فيخص بها ثلث الكتاب مفرعاً ابحاثه الى ثلاثة اقسام يدرس في الاول واجبات الدولة تجاه سكان البلاد ، وفي الثاني واجباتها تجاه الدول الاخرى ، وفي الثالث واجباتها تجاه جمعية الامم . واخيراً يعرض لذكر الشروط الشرعية والواقعية التي تسبق انتهاء النظام الانتدابي . وقد الحق بهذا القسم من كتابه نص صك الانتداب على فلسطين ، ونصوص بعض الانظمة التي سنتها السلطة البريطانية.

هذا ، وعلى كون المؤلف يشير بعض الاحيان الى الاجحاف اللاحق بالمهاجرين الصهيونيين لعدم معاملتهم بالمساواة ، فانه يحتفظ دائماً بلهجة الرزانة والتجرد الجديرة بالابحاث العلمية.

ك . ب . هيوز

Bulgakoff : L'Orthodoxie. [*Collection « Les Religions »*.] *in*-12 *de* 273 *p. Prix* : 15 *f*, *Librairie Félix Alcan.*

الارثوذكسية

كان مؤلف هذا الكتاب استاذاً في جامعة موسكو سابقاً ، وهو اليوم استاذ اللاهوت الارثوذكسي في المعهد الروسي في باريس . فحق للمطالع من ثم ان يتفاءل خيراً بكتابه الجميل المظهر ، ويؤمل فيه درساً دقيقاً للموضوع وتصويراً حقاً صحيحاً لتلك الارثوذكسية التي يعرفها المؤلف ويحبها . على ان الواقع يخيب الامل لسوء الحظ . فان من يطالع الكتاب يرى ارثوذكسية عجيبة غريبة حتى انها تبعد البعد كله عما تراه الكنيسة الصقلبية الروسية نفسها . نقول هذا ونحن لا يمكننا الاعتقاد ان تلك الكنيسة تبني وتقر

نظريات المؤلف الفلسفية في ما خصّ مدلول «الكنيسة» عامة وما تعلّق بها. زد على ذلك ان اسلوب المؤلف ابعد من ان يعمل على ايضاح تلك المشاكل المتعدّدة. فهو يقوم بتوسيعات وتطويلات مملّة لا اقسام لها ظاهرة، ولا انتقالات معقولة. ثم ان استعماله الكثير من المفردات الجديدة يزيد الارتباك والغموض في موضوع كاللاهوت بحاجة الى اكثر ما يمكن من الدقة والصراحة، فضلاً عن تلك المناظرات والمناقشات التي تمسّ كل شيء ولا تحلّ شيئاً بل لا تحدّد شيئاً. واوفر مثال على ذلك الفصلُ الخاصّ بالكنيسة الذي يفتتح الكتاب لسوء حظ المطالع. وانّ هذا ليجهد النفس في قراءته حتى اذا قدر على اتمامه، ولا اخاله يقدر على ذلك بسهولة، خرج مضطرب الدماغ يتطلّب النور والراحة والسلام. نقول هذا بكل أسف، متحققين ان الكتاب المذكور أبعد من ان يدلّ على وجه الارثوذكسية الحقيقي. ي. ك.

Georges Coolen : Histoire de l'Eglise d'Angleterre. *Paris, Bloud et Gay,* 1932. 198 *pp.* 12 *fs.*

تاريخ كنيسة انكلترة

هذا المجلّد الصغير حلقة من «المكتبة الكاثوليكية للعلوم الدينية» داخلة في سلسلة «النصرانية في العالم». وهو يلحق بابحاث سبقت عن اليهودية والبوذية. واذاً فليس من المتوقع ان يهتمّ الكتاب خاصّةً بدرس تطوّر الكثلكة في بلاد الانكليز. انما هو تاريخ لكنيسة انكلترة الرسمية التي انشأتها السلطة المدنية في القرن السادس عشر عهدَ كانت اوربة الغربية تقاسي تلك الازمة السياسية والعقلية التي تبعت عصر النهضة. وان في الكتاب موادّ مفيدة للغاية. من ذلك وصف العقبات والصعوبات التي قاستها تلك النصرانية المقتطعة عن اصلها وما اكتنفها من التقلقل والاضطراب، وما اخذ به الانكليكان في الظروف المختلفة من قوانين الايمان المتنوّعة. مما يدلّ على الطبيعة الحقّة للبروتستانية الانكليزية. ويرى المطالع ايضاً في هذا الكتاب ان انفصال انكلترة عن الكنيسة الجامعة كان، قبل كل شيء، عملاً سياسياً. ولذا فان الامور العقائدية وما يتعلّق بها ظلّت ثنوية مدة ثلاثة قرون. وعليه فان

الانكليكانية اقرب الى « اثر فخم قائم بتنوّع العقائد ، انشأته السلطة الزمنية راغبةً في جمع رعاياها غير الكاثوليكيين في اتفاق لفظي » منها الى كنيسة منشقّة . ثم ان من يقرأ ملخص تاريخ هذه الانكليكانية في القرن الماضي يتحقق مفعول الحركة التجديدية من جهة ، ومن جهة اخرى تأثير الميل الى الاخذ بالطقسيات . فيمكنه ان يحكم بصواب على اسباب الارتداد الجزئي الى العقائد الكاثوليكية وطقسياتها ، ذاك الارتداد الذي كان لكثيرين خطوة اولى قادتهم الى الرجوع النهائي الى حظيرة الكنيسة الحقّة . ك . ب . هيوز

Marc Vichnine: Lénine. [*Collection « Ames et Visages*]. 1 *vol. in-16 de 268 p. Prix : 20 fs. Librairie Armand Colin, Paris.*

لينين

مؤلف الكتاب من اساتذة الحقوق في القسم الروسي من معهد الدروس الصقلبية في باريس . وهو من اجدر الناس بالكتابة عن لينين لانه خاض ثورة ١٩١٧ ، فكان سكرتيراً عاماً للمجلس التأسيسي الروسي . فيمكنه اذاً ان يتكلم عن ذلك كلام شاهد عيان بل كلام قائم بالامر احياناً . ثم ان صفته الاشتراكية الثورية تمكنه من ان يفهم حقّ الفهم رجال الثورة ومآتيهم دون ان تطوّح به الى التقريظ الشامل او النقد الصارم . فهو يجتهد في ان يحكم الحكم الدقيق المجرد على لينين ، كما عرفه ، وسمعه ، وطالعه . وقد جعل كتابه لا ترجمة حياة تكتنفها الاساطير والشائعات بل تأليفاً تاريخياً يستند الى الاقوال الصحيحة النسبة والى الاعمال الواقعية المقرّرة . فيظهر لنا لينين لا « نفساً صقلبية محاطة بالاسرار والاحاجي » بل رجلاً حياً بحسناته وسيئاته ، يعمل قبل كل شيء على تحقيق الثورة في اواخر القرن التاسع عشر وفي اوائل القرن العشرين ، فيبدو بين زملائه في المؤتمرات السرّية حيناً ، وفي المنفى حيناً آخر ، لا يهمّه في كل ذلك الا فكرة واحدة هي الثورة . يبدأ من لا شيء فيصل الى انالة حزبه السلطة العليا سنة ١٩١٧ . وذلك بفضل ما فُطر عليه من قوة ارادة لا يثبطها فشل وشدة اخلاص للمبدأ لا يزعزعه شيء . وبفضل ما خُصّ به من دقة في النظر السياسي ، ومن ازدراء للتقاليد العامة والنظم الادبية المقرّرة . وبفضل ما

توفق اليه من جمع فئة من الثورويين لا يتراجعون امام شيء يحاولون احداث حركة سنة ١٩٠٥ فيفشلون ويقضون السنين المرّة في المنفى . ثم يعودون الى العمل فينجحون سنة ١٩١٧ . ولا يظهر ان لينين تعلّق بشيء في حياته المضطربة القلقة الا بالغاية الثوروية التي احتلّت في شخصيته محلّ الهيام الشديد فاوصلته ، على كونه عديم العبقرية ضعيف الابتكار ، الى ان يخضع لسلطته الفكرية سدس العالم .

Dr Ludwig F. Clauss : Als Beduine unter Beduinen. *Mit 26 Bildern, in-8°, VIII + 114 pp. 15 Tafeln Prix. : 3 M,80. Freiburg im Breisgau, Herder.*

كبدويّ بين البدو

هذا المجلّد جزء من مجموعة خاصة بالجغرافية وبدرس الشعوب الاجنبية . وهو مثال جميل لرحلة غاية في اللذة والفائدة قام بها المؤلف مؤخرًا منضمًّا الى جماعة من بدو شمالي بلاد الغرب . فسار معهم من ضواحي الاردن الى حدود بلاد الوهّابيين ، عائشاً معيشتهم خاضعاً لعاداتهم ، متخلّقاً باخلاقهم ، مستفيدًا معرفة دقيقة بشؤون الصحراء وبطباع سكّانها قلّما وصل اليها اجنبي . وقد صوّر التصاوير العديدة زيّن بها كتابه ، فكانت خير دليل للمطالع تفيده وتلذّه بكونها جديدة لا يشعر اذ يراها بانه يعرفها سابقاً . والخلاصة ان هذا الكتاب الصغير لا يستغني عنه الجغرافيون ومن يهمهم درس اخلاق الشعوب المختلفة .

ج . ل .

H. Desson : Ce qu'il faut connaitre de l'Islam. *in-12. Prix : 8 fs. Paris, Boivin et Cie.*

ما تجب معرفته عن الاسلام

غاية هذا الكتيب بسط معلومات عامة عن الاسلام لجمهرة المطالعين . الا ان المؤلف لم يستند في كل ذلك الّا الى مطالعات سطحية وملاحظات شخصية اجراها خصوصاً في بلاد الجزائر . فاتى كتابه محصورًا بدائرة ضيّقة لا يذكر عن الاسلام الا المعروفات العامّة . وهو ، ان كان كافياً للغريب المستعجل ، فلا يمكن

الاستقاء منه الّا بكل تحفظ ، ولا السير وراءه لانه ليس بالدليل المطّلع تمام الاطّلاع. ج. ل.

Albert Finet : Au pays de la Bible. *in*-12 *de* 229 *pp. Prix* : 15 *fs. Paris, Société commerciale d'édition et de librairie.*

في بلاد الكتاب المقدس

رحلة شائقة قام بها زائر دقيق الملاحظة جمع في اقواله تذكار الماضي الى مراقبة الحاضر. وقد زار كل الامكنة المهمّة مبتدئاً باورشليم ، فاليهودية ، فالسامرة ، فالساحل ، مدوّناً بالاختصار ما حفظه التاريخ عن هذه الاماكن ، خاصاً آخر الكتاب بذكر الصهيونية، جامعاً فيه بعض الحوادث الجديرة بالملاحظة. واننا نشير الى احداها كملخّص لعقيدة الصهيونيين قال (ص ٢٢٥) : « سافرت يوماً من سمخ ، على شاطئ بحيرة طبرية ، الى حيفا بالقطار . وكان الى جنبي فتاة يهودية بولونية الاصل تقصد الالتحاق بالطائفة اليهودية في بنيامين . وقبل ان تصل فتحت الباب واطلّت تلتهم بناظريها تلك المشاهد الطبيعية . فقلت لها : انتبهي واحذري السقوط . فالتفتت نحوي بعينين براقتين وقالت : « دعني انظر الى ارضي . »

Emile Faguet : Histoire de la poésie française, de la Renaissance au Romantisme. *t. VI*, de Boileau à Voltaire 1700-1720. *Prix:* 15 *fs. Paris, Boivin et Cie.*

تاريخ الشعر الفرنسوي : المجلّد السادس : من بوالو الى ڤولتير

هو المجلد السادس من تاريخ الشعر الفرنسوي للناقد الشهير اميل فاغيه ، يخصّه بحقبة لا تتجاوز العشرين سنة ، حقبة انحطاط وخمول ان جاز الكلام فيها عن « الشعراء » فلا يجوز عن « الشعر » الحقيقي . وان وجد المؤرّخ شيئاً من الشعر المزخرف ، او الشعر الظرفي ، او الشعر الفلسفي في القرن الثامن عشر ، فلا يجد شيئاً يستحقّ الذكر في هذه الحقبة من بوالو الى ڤولتير . على ان السائر في هذا القفر الشعري له من المؤلف دليل مطّلع امين دقيق الاحكام شائق الاسلوب . مما يجعل كتابه جديراً بان يكون في مكتبة اساتذة الادب فيستفيدوا منه ويفيدوا تلامذتهم. ج.ل

Raoul Plus s. j. : Marie dans notre histoire divine. *Beau vol. in-8° sur alfa, de* 176 *pp. Prix :* 6 *fs. Editions de l'Apostolat de la Prière.*

مريم العذراء في تاريخنا الالهي

يقدّم المؤلف كتابه الى الطلّاب المشتركين باخوية العذراء في معاهد مدينة ليل الكاثوليكية ، ثم الى جميع النفوس المخلصة المتعبدة لامّ الله . وهو وافر الفائدة واللذة يمكن ان يستقي منه جميع الكهنة ، والرهبان ، والشبان ، والشابات وكل من كان مشتركاً باحدى اخويات العذراء ، او اراد ان يتقرّب من معرفة امّ الله معرفةً تامة تفيده وتقويه .

Mme Compaing de la Tour-Girard : L'Histoire Sainte de mes tout-petits. *Préface du* **R. P. Lhande s. j.** *Illustrations de* **M. Seyrac.** *Beau vol. in-8° de* 380 *pp. Prix :* 10 *fs. Editions de l'Apostolat de la Prière.*

تعليم التاريخ الديني للصغار

ان رجال العهد القديم سيصبحون شخصيات حيّة لدى الصغار فيخرجون من جمود التماثيل القديمة الى شيوخ وشبان يعرفهم الدارسون ويؤالفونهم . وذلك بفضل هذا الكتاب الذي من اخصّ مزاياه الحياة والرونق . ولا شكّ ان اولئك الصغار سيؤخذون بهذه الحياة ويتعوّدون موالفة الابطال المذكورين حتى يدفعهم ذلك ، في ما بعد ، الى قراءة الكتاب المقدس بكامله وتفهّم روحه . وهو افضل ما يؤمّل من المؤلف الحاضر .

P. P. Guissard : Portraits assomptionistes. 1 *vol. de* 422 *pp. Prix, broché :* 15 *fs. Bonne Presse, Paris.*

صور لبعض الصعوديين

لكل اسرة رهبانية روحها ، ونظام سيرها ، واعمالها . ولا يخفى ما يستفيد افرادها من مطالعة تراجم متقدّميهم وسلفائهم في الرهبانية ، ومن النظر الى صورهم العائلية . وكذلك يستفيد الغرباء عن تلك الاسرة بان يتعرّفوا الى بعض رجال الرهبانية في اعمالهم المتعدّدة في الازمنة المختلفة . هذه هي الغاية التي رمى اليها المؤلف اذ عرض عدة صور من جماعة الصعوديين . بينهم ثلاثة « قدماء » ، واربعة « مرسلين » ، وسبعة « مهذّبين » ، وخمسة من ارباب الطبع والنشر ، وخمسة من « زهرات حلقات الدرس » ، واربعة من قتلى الحرب ،

واثنان من « القلوب المخلصة » . وان هذه الانواع تمثل اقسام الكتاب.

محاضرات في التربية والتعليم

تأليف واصف بارودي

٨٠ ص. متوسطة – مطبعة الكشاف ، بيروت ، ١٩٣٢

عُرف الاستاذ واصف البارودي ، احد مفتشي المعارف في الجمهورية اللبنانية ، باطلاعه الواسع على طرق التعليم ، وبرغبته الشديدة في جعل التدريس على اقرب طريقة ممكنة ، وهي « الطريقة المباشرة » لما توفر للمعلم من سهولة وانتفاع بالوقت ، وللولد من لذة وشوق . وقد ساعد الاستاذ على تحقيق هذه الرغبة خبرة حصّلها في رحلاته التفتيشية العديدة ، فعرف الداء ووصف الدواء في كتابين صغيرين ظهر الاول منهما وهو الحالي ، وسيظهر الثاني بعنوان « مقالات في التربية والتعليم .» اما الاول فيجمع محاضرات ثلاث تدور الاوليان منها حول تدريس اللغة ، وهي اول ما يجب على الطالب تحصيله ، فتخوض الاولى في «اللغة والمحادثة» وما يُفرض على المعلم في تعويد التلامذة التحدّث باللغة الفصحى، وتهتم الثانية « بتدريس قواعد اللغة » على اسلوب عصري سهل يستند الى الطريقة المباشرة المذكورة اعلاه . اما المحاضرة الثالثة فقد خصّها المؤلف « بكيفية التدريس في مدرسة ذات معلم واحد .» فابدى فيها من النصائح ما يشكره له جميع معلّمي القرى . واردف الكتاب بملحقات ثلاثة فيها طريقة لتوزيع الساعات في اقسام التعليم الثلاثة : التجهيزي والاعدادي والوسط . فكان عمله عمل المفتش الساهر على سير التعليم الحسن ، الراغب في اعطاء التلامذة الثقافة الحقة .

ف . ا . ب .

السوريون في مصر

بقلم الخوري بولس قرألي

١٠٨ ص. متوسطة كبيرة – مطبعة العلم ، بيت شباب ، ١٩٣٣

هو القسم الثاني من الجزء الاول لكتاب « السوريون في مصر » الذي يهتم بتأليفه حضرة المؤرخ المعروف الخوري بولس قرألي . كان قد نشره تباعاً في مجلته البطريركية ، جامعاً فيه الوثائق الخطية المتعلقة بالسوريين في القطر

المصري على عهد المماليك من سنة ١٧٥٠ الى ١٨٠٥ خاصةً . وهي ٤٨ وثيقة من فرمانات سلطانية ، ومناشير بطريركية ، ورسائل واجوبة تتعلق بشؤون دينية ومدنية ، ومذكرات شخصية ، الى غير ذلك من الاصول المهمة للموضوع المذكور . نشرها حضرة الاب وعلّق عليها بعض الحواشي ، ووضع لها فهرساً ابجدياً عاماً يسهّل الاستفادة منها ، فاستحق ثناء كل المشتغلين بالتاريخ الشرقي.

ف. ا. ب.

رثّات المثالث والمثاني في رواية الاغاني

الجزء الاول

٢٩٣ ص. متوسطة – المطبعة الكاثوليكية ، بيروت : ١٩٣٢

هي الطبعة الرابعة لذاك الكتاب الشهير بين ارباب المدارس الثنوية الذي انتخبه حضرة الاب انطون صالحاني اليسوعي من كتاب « الاغاني » الكبير ، فاختار الروايات الادبية ، وصحّحها ، وعلّق عليها الحواشي التاريخية واللغوية المفيدة وطبعها لفائدة طلاب الصفوف العليا . وها قد بلغت اليوم طبعتها الرابعة ممتازةً ببعض الاصلاحات في اسماء الاعلام ، وبكثير من الحواشي ، وبفهارس ابجدية ثلاثة لاسماء الشعراء ، والاماكن ، وما فُسّر من الفاظ اللغة.

اميرة بابلية لدى الدروز

تأليف بول هنري بوردو — تعريب ميشيل سليم كيد

١٠٤ ص. متوسطة صغيرة – المطبعة العصرية ، مصر ، ١٩٣٢

هي رواية خيالية ألّفتها ابنة الكاتب الفرنسوي المعروف السيد هنري بوردو جاعلة بطلها اميرة بغدادية الاصل تحملها صروف الدهر على الالتجاء الى حمى الامير بشير الكبير في لبنان . ثم تنتهي حياتها التاعسة في لندرة . عرّب هذه الرواية الاديب ميشيل سليم كيد وعلّق عليها حواشي قليلة بعد ان قدّم على ذلك بحثاً اشار فيه الى « منهجه في التعريب وهو الامانة التامة في النقل.» ثم الحق بالرواية « تعليقاً في الفنّ العربي واصله .» فاتى الكتاب لطيفاً مسلياً ، وان لم يهتمّ المعرّب بمبناه الاهتمام الواجب.

ف. ا. ب.

اهم حوادث الشرق في شهر

١٥ شباط — ١٥ آذار ١٩٣٣

لبنان وسورية — جاء من رومة ان قداسة الحبر الاعظم قد منح غبطة البطريرك الماروني درع التثبيت المعروف « بالباليوم » ، وكذلك منح الدرع نفسه لغبطة بطريرك الارمن الكاثوليك.

* رخص المفوّض السامي لحكومتي لبنان وسورية ان تزيدا قيمة قطع العملة الفضية الى ما يبلغ ١,٦٠٠,٠٠٠ ليرة لبنانية سورية.

* اصدر رئيس الحكومة اللبنانية ثلاثة مراسيم اشتراعية تقضي بالحصول على شهادة البكالوريا اللبنانية للتعليم الثنوي او على شهادة معتبرة رسمياً معادلة لها لمن يرغب في مزاولة المحاماة او الصيدلة او الطب . وذلك ابتداء من ١ ك ١ ١٩٣٦ للمحامين ، ومن ١ ت ٢ ١٩٣٨ للصيادلة ، ومن ١ ت ٢ ١٩٣٩ للاطباء.

* اذاعت وزارة المعارف السورية بلاغاً على دوائرها تطلب فيه استعمال التاريخ الهجري في المعاملات .

* اصدر رئيس الجمهورية السورية مرسوماً يؤجل موعد انعقاد المجلس النيابي الى ٢٢ نيسان.

* اضرب سوّاقو السيارات اللبنانيون مدة ستة عشر يوماً احتجاجاً على فداحة الضرائب وغلاء البنزين . وقد حققت الحكومة بعض مطالبهم

العلويون — **جبل الدروز** — اجتمع زعماء العلويين في منطقة اللاذقية وقرروا استقلال بلادهم تحت انتداب فرنسة.

* اجتمع كذلك زعماء جبل الدروز وقرروا انفصال حكومتهم عن سورية.

مصر — زار مصر ملك ايطالية وملكتها فاقاما في انحائها من ٢٠ شباط الى ٩ آذار .

* ابلّ صدقي باشا رئيس الوزارة من مرضه .

المطبعة الكاثوليكية المدير المسؤول : يوسف ماهر

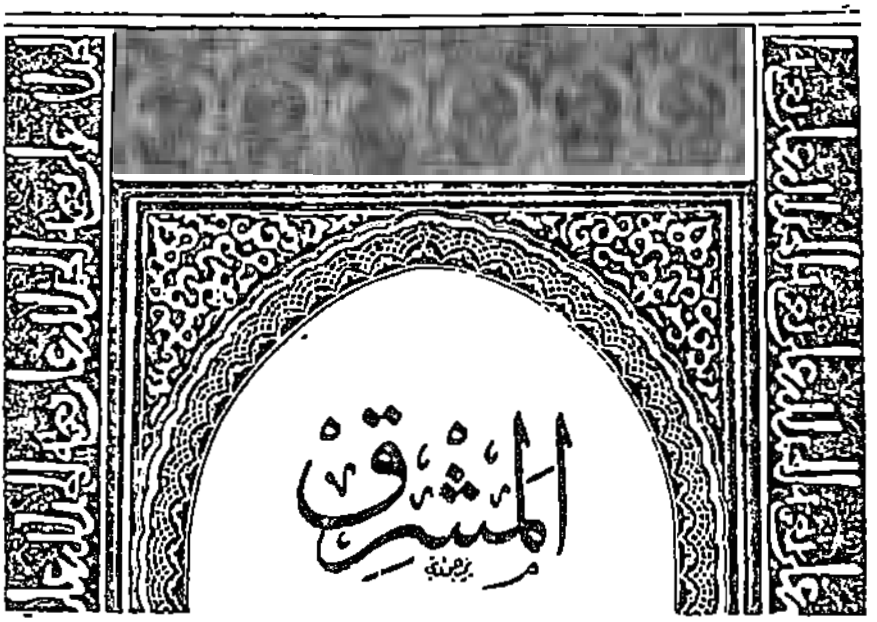

السنة الحادية والثلاثون — ايار ١٩٣٣

شهداء نجران

رسالة شمعون اسقف «بيت أرشم»

في الاضطهاد الذي حلّ بالنصارى الحميريّين سنة ٥٢٤ للمسيح

عرّبها عن الاصل السرياني

الفس يوحنا عزّو كاتم أسرار البطريركية الانطاكية السريانية

١

توطئة

في عهد باباي الجاثليق شمعون اول من تبوأ كرسيّ المدائن من الجثالقة الناطرة سنة ٤٩٧ م خلفاً لاقاق . وكان يعرف بابن هرمز ، وعلى عهده عُرف اولاً في نصيبين عيد الشمانين، ومن ثمّة ذاع استعماله في اقطار الشرق ؛ في ذاك العهد ، اشتهر شمعون هذا اسقف «بيت ارشم»[1] صاحب الرسالة التي نعنى بها اليوم. قال عنه السمعاني : انه كان مستقيم الايمان.

١) بيت ارشم : قرية قريبة من سلبق .

لكنه ترك النسطرة ، وانحاز الى فئة القائلين بالطبيعة الواحدة في المسيح حسبما يظهر من رسالة كتبها في بدعة نسطور وانتشارها . وقبل رسالة زينون الملك المعروفة « بالهينتيكون » مغضياً عن المجمع الخلقيدوني المقدّس ، وشارك في الدين انستاس الملك واخسنايا وقبرص الرهاوي وغيرهم ، ووالى الملكة تئودورا . وجعل يجوب بلاد مادي وفارس وما بين النهرين مستحثًّا النصارى على رذل البدعة النسطورية والتمسك بمذهب القائلين بالطبيعة الواحدة ، معتضداً بقباذ ملك الفرس . حتى قال عنه العلامة ابن العبري انه ردّ كثيرين من وجوه المجوس الى النصرانية . ونظم ترجمته يوحنا مطران آسية في تواريخ الشرقيين الطوباويين مثنياً عليه وعادّه من نحلته .

وكان شمعون عالماً شهيراً في زمانه حتى لقب « بالفيلسوف الفارسيّ » . ومن مؤلفاته نافور او قدّاس مطلعه « ايها الاله حياة الجميع ونورهم » ، ورسالة في بدعة نسطور وبواعث انتشارها والشرور التي اتاها برصوم . وله الرسالة التي ننشرها اليوم معرّبة عن اصلها السرياني الذي طُبع اولًا في رومة العظمى سنة ١٨٨١ . ثم اعاد طبعها في ليبسيك المرحوم الاب بيجان اللعازري سنة ١٨٩٠ واودعها الجزء الاول من كتابه « اخبار الشهداء والقديسين » . وقد انفذها الكاتب من حيرة النعمان ، وهي من بلاد بابل بجوار عقولا اي الكوفة ، الى شمعون رئيس دير « جابولا » الواقع في ضواحي حلب . يصف فيها ما قاسى النصارى في بلاد حمير من الملك اليهودي الذي ملك ثمة بمالأة الفرس سنة ٥٢٤ للمسيح .

اما الحميريّون فهم السبائيون او سكان اليمن ، بلاد العرب السعيدة ، عاصمتهم نجران واقعة على مسيرة عشرين يوماً من مكة . كانوا قد انضموا الى راية الايمان عن يد مار برتلماوس الرسول ، على ما يقال . ثم تورّطوا في ضلال الاريوسيّين . الا انهم رذلوه بعد ذلك ولبثوا قويي المعتقد . وكانوا يدينون لملوك الحبشة ، ويؤدّون لهم الجزية . وكان لهؤلاء حقّ في اقامة ملك عليهم . فلما مات ملكهم لم يتأتّ لاسبان ، ملك الحبشة ، في فصل الشتاء ، ان يجتاز البحر الاحمر ويشخص اليهم لاقامة ملك يخلف المتوفى . وكان اليهود ذوي نفوذ وبأس بينهم ، فانتهزوا فرصة تخلف اسبان عن الشخوص اليهم ونادوا برجل يدعى ذا نوّاس ملكاً

عليهم . وهذا اهلك من النصارى ما يتعادّ على العشرين الفاً .

قال ياقوت الحمويّ : ان اهل نجران عاصمة بلاد الحميريين اطبقوا على اتباع دين عيسى على اثر مشاهدتهم المعجزة التي افتعلها فيمون اذ بصلواته ارسل الله ريحاً زعزعاً فجعفت النخلة التي كانوا يعبدونها من جذرها. وكان هذا فيمون اسيراً نصرانياً ابتاعه عبد الله بن تامر احد اشراف نجران .

وهذه هي الرسالة :

الرسالة

نعرّف حبّكم اننا في ٢٠ كانون الثاني سنة ٨٣٥ للاسكندر (الموافقة سنة ٥٢٤ للمسيح) ، خرجنا من حيرة النعمان ، مع القسيس مار ابراهيم بن اوفروس، الذي اوفده يوستنيان ملك الروم الى المنذر ملك الحيرة ليعمل على السلم مع الرومانيين . وقد اتينا على ذكره في رسالتنا الاولى بقولنا اننا والمؤمنين الذين عندنا نقرّ بفضله ونسوق اليه عاطفة العرفان والشكران لانه يتذرّع بكل ذريعة لمساعدة جماعة المؤمنين. وقد وقف على ما كتبناه سابقاً وما نكتبه الآن.

بعد ان جدّ بنا السير في الفلاة جنوباً وشرقاً مسير عشرة ايام انتهينا الى الملك المنذر تجاه الجبال التي يدعوها العرب بلسانهم « الرملة » . ولما ولجنا سرادق المنذر ثار بنا العرب الوثنيون والمعديّون وتشوّلوا علينا قائلين ان : « ماذا في وسعكم ان تصنعوا منذ اليوم فصاعداً ؟ فها ان مسيحكم قد طُرد من بلاد الرومانيين والفرس والحميريين ، بل من سائر البلاد . » وعلقوا يقذعوننا ، والقسّ مار ابراهيم ، بفظيع التعييرات ؛ ويوسعوننا سبّاً وشتماً . فتقسّمتنا الهموم، ونشبت في فؤادنا كآبة عظمى ، وتولانا ألم مذيب من شأنه ان يلذع المؤمنين المحقّين قاطبة . ونحن كذلك اذا برسول من ملك الحميريّين الى المنذر ملك الحيرة اقترب منّا ، وقد مسّ بيافوخه السماك تفطرساً ، وهو حامل رسالة فيها يعرّفه بعبارة ملؤها الزهو والتبجح ما افرغ على نصارى نجران ، عاصمة الحميريين ، من اكواب الاسواء وما انزل بهم من تباريح الاعذبة ، قال :

« ان الملك الذي اقامه الحبشة في بلادنا قد مات . وحلول فصل الشتاء

تنطهم عن امّ بلادنا على الاثر . فاستأثرت انا بالملك على بلاد الحميريين . وعنّ لي ان افتح ملكي بالعمل على امتحاق النصارى وابادتهم عن بكرة ابيهم من هذه البلاد بأسرها ، او يتهوّدون مثلنا ويكفرون بالمسيح . فتأتى لي بداءة ذي بدء ان اصانع الحبشة المتخلفين في بلادنا لحراسة البيعة التي خُيّل اليهم انهم ابتنوها فيها . فتمكنت من القاء القبض عليهم ونحرهم عن آخرهم ، وهم يعدّون ٢٨٠ رجلاً من راهب وعلماني ، واحلت بيعتهم الى كنيس لنا .

« وعندئذ عبّأت جيوشاً من ١٢٠ الف عسكري (كذا) ، واخذتهم في قيادتي ، وانطلقت الى العاصمة نجران وحاصرتها اياماً مديدة كُتب عليّ في غضونها الخيبة ولم افلح . واذ لاح لي ان لا حيلة لتدويخها حرباً اخلدت الى المداهنة ، فاقسمت لهم وآمنتهم بميثاق غليظ ان لا ينالهم سوء ولا تشوكهم مني شوكة ان اعطوني مقادتهم وسلّموا اليّ المدينة طوعاً . ففتحوا الابواب من فورهم وبرز اليّ رؤساؤهم منقادين . فتراءى لي انه لا يجدر بي ان أبرّ بقسمي واحض النصارى اعدائي الصدقَ ، فحكمت على ألّا أفيهم بالعهد والامانة . فسألتهم بادئ بدء ان يأتوني بذهبهم وفضّتهم وسائر مقتناهم . فلبوا الامر لساعتهم ، وجاؤوا به امامي . فسألتهم ان يروني اسقفهم بولس . فاجابوا انه قد مات . فلم اصدّقهم حتى اروني قبره . فنبشته ، واخرجت عظامه ودفعتها طعمة الى النيران ، واحرقت على اثرها ايضاً بيعتهم وكهنتهم مع مَن وما وُجدَ فيها . ثم عرضت عليهم الكفران بالمسيح نفسه وبالصليب ، والتهوّد مثلنا . فابوا كل الاباء منكرين عليّ ذلك . فقلت لهم : ان الرومانيين قد اصبحوا على ثقة من ان المسيح كان بشراً فلماذا تغرون وراءه ؟ ألعلّكم خير منهم ؟ واننا لا نسومكم الكفران بالله ، صانع السماء والارض ، ولا ندعوكم الى السجود للشمس او القمر او احدى النيّرات او لكائن من الكائنات ، بل نروم ان تكفروا بيسوع الذي عدّ نفسه الهاً ، وهو ليس باله ، وتعترفون به انساناً . واستحثثناهم على ذلك بضروب المواعيد والتوعّدات . فابوا الكفران به ، ولم يشاءوا ان يقولوا انه بشر ، بل والوا التمسّك بغوايتهم ومتهم قائلين انه الهٌ وابن الرحمان . وآثروا الموت عنه . وبلغ الحمق من زعيمهم ان يغلظ لنا في الكلام . فجوزي بما استحقّ ،

وقُتل وزعماءهم جميعاً . اما البقية فهربوا وتواروا عن العيان ، ولم نقف بعد على اثرهم . فاصدرنا الامر بقتلهم حيث يُعثَر عليهم، او يكفروا بالمسيح ويتهوّدوا مثلنا .

«وحينئذٍ استقدمنا نساءهم ، وقلنا لهنّ : «ها قد عاينتنّ بنواظركنّ ملحمة جميع رجالكنّ ، لانهم جدّفوا قائلين انّ المسيح اله وابن الله . فارأفنّ انتنّ ، والحالة هذه ، بنفوسكنّ وبنيكنّ وبناتكنّ ، واكفرن بالمسيح وبالصليب ، وتهوّدن نظيرنا فتحيينَ . والا فاستهدفنّ للموت الاحمر الزؤام .» فكان جوابهنّ مفاضلة رجالهنّ بالتجديف قائلات : «انّ المسيح لهو اله وابن الرحمان ، وبه نؤمن ، ولصليبه نسجد ، وعنه نموت . حاشانا ان نكفر به او نحيا دون رجالنا ، بل نموت معهم ونظيرهم عن المسيح .» وأحفينا في السؤال ليقلنّ ان المسيح بشر ويحيينَ ، فلم يتزلزلنَ عند بغيتنا . واستحببن الموت على الكفران بذلك الساحر المضلّ . وكان بين هؤلاء ممن يدعين راهبات . وأيم الحق قد خبأ لنا الدهر من مشاهدتنا اياهن عجباً ، لمّا كنّ يتشاجرن على السباق الى منقع القتل مع اللواتي مات رجالهنّ ، ويتلجّجن عليهنّ ليقتلنّ اولاً ؛ بينما انّ هؤلاء يأبينَ ويتهربنهنّ قائلات : «اننا احقّ بالقتل اولاً لنقفو آثار رجالنا .» وصرنَ يبادرنَ الى اقناع بعضهنّ بالتوسّل والالتماس في اية منهنّ تموت اولاً . وكنا نستغرب في الضحك لدن نظرنا تشاجرهنّ ، وسمعنا توسّلهنّ الى بعضهنّ في من تموت اولاً . بل كنا نستفظع جنونهنّ ، وكيف غرين وراء الرجل الذي جرؤ على التجديف بعدّه نفسه الهاً . وممّا ملك علينا أمرنا هو ان الفتيان ايضاً ، الذين كنا نظنّ انهم لا يعقلون شيئاً ، كانوا ينشأون في الغواية ذاتها . اخيراً حسماً لمشاجرتهنّ مع بعضهنّ في حالة عناهتهنّ امرنا فقُتلن عن آخرتهنّ ، مستبقين امرأة واحدة فقط منهنّ لسبب جاهها وعترتها وجمالها ، ظنّاً منا عساها ان تشفق على نفسها وبناتها ، وتذعن للكفران بالمسيح . فامرنا ان لا تقتل . اما هي فلانها لم تمت ثار ثائرها ودخلت المدينة كئيبة حزينة .

«وفي اليوم الثالث اوفدنا من يقول لها ان تكفر بالمسيح فتحيا، والا فتموت . فبادرت على اثر سماعها ذلك ، وبرزت الى السوق حاسرة الرأس ، سافرة المحيّا ، وتوسّطت المدينة ، مع انّ وجهها لم يره احد منذ يفعت قطّ ولم تكن لتسير في

المدينة نهاراً او ليلاً قبل اليوم، على ما خلص الينا. وقد روى لنا الشهود العيان آنئذٍ انها كانت تصيح قائلة: «ايتها النساء النجرانيات رصيفاتي من نصرانيات، ويهوديات، ووثنيات، اسمعنني: اتكنّ لعارفات أنني نصرانية، وملمات بعترتي وعشيرتي ومَن وابنة مَن انا، وداريات بما لديَّ من ذهب وفضة وعبيد واماء وضياع وغلال، ولا يعوزني شيء. والآن قد قتل بعلي في سبيل المسيح. فان كنت اروم ان اكون لرجل آخر فلا ينقصني الرجل، بل متوافرون الراغبون فيّ. بيد اني اصرّح لكنّ اني في هذا اليوم عينه لديّ اربعون الف دينار مختومة ومودعة خزانتي، عدا ما في خزانة زوجي، وخلا ما في حيازتي من الذهب والفضة والمصوغات والجواهر واليواقيت والبشب لحليتي. وقد يوجد من حظي منكنّ بمشاهدتها مع حللي الجميلة وثيابي الفاخرة في داري. واتكنّ لتعلمن، يا لِداتي، بأن ليس للمرأة ايام غبطة وسرور تحاكي ايام عرسها، اذ منها فصاعداً تتتالى الضيقات والكرب: فان ولدت البنين فبالآلات والاوجاع تلدهم، واذا عقمت وحرمت البنين فتضحى فريسة الهمّ والغمّ، وان دفنت البنين فبالبكاء والندب تقبرهم. اما انا فقد فطمت من اليوم فصاعداً من هذه كلها. وقد كنت ايام عرسي الاول عائمةً في مجامع الهناء والرخاء. وهوذا بناتي الخمس بتولات لانهنّ لم يصرن لرجل، زيّنتهنّ بكلّ ابتهاج للمسيح. الا انعمنّ النظر فيّ، يا رفيقاتي، فترين انكنّ قد حظيتنّ برؤية وجهي مرّتين: احداهما في عرسي الاول اذ دخلت الى خطيبي الاول سافرةَ المحيا امامكنّ جميعاً، والثانية هي اليوم لاني ذاهبة سافرةَ المحيا ايضاً الى المسيح ربّي والهي واله بناتي الا انظرن اليّ، يا زميلاتي. انظرنَ بحقّكنّ اليّ، والى بناتي، فاننا لا نقلّ عنكنّ وسامة وصباحة. فبهذا الجمال غير الملوّث بكفر اليهود، اذهب الى المسيح ربّي. وجمالي عينه يكون لي شاهداً امام الهي على انه لم يستطع ان يغويني باثم الكفران به، بل ان ذهبي وفضّتي ومصوغ حليّ باسره، وعبيدي واماءي، وسائر ما تملكه يميني، كل هذا يكون لي شاهد عدل على اني لم اشغف بشيء واكفر بالمسيح ربي. والآن قد ارسل اليّ الملك العاتي لاكفرنّ بالمسيح واحيا. اما انا فاجبته: ان كفرت بالمسيح امت، وان متّ في سبيله أعش. حاشاي، يا زميلاتي، حاشاي ان اكفر

بالمسيح الهي مَن به آمنت ، وباسمه اعتمدت وعمّدت بناتي ! واني اسجد لصليبه ، وأموت في سبيله ، انا وبناتي مثلما هو مات عنا وبسببنا . وها اننا ندع ذهب الارض للارض ، وكل مَن تحدّثه نفسه بأخذه فليكن له ، وكل من يرغب في فضتي ومصوغ زينتي فليأخذها . فاني أتخلى عن كلّ شيء لاذهب آخذ عوضه من المسيح . طوبى لكنّ ، يا رفيقاتي ، ان اصغتنّ اليّ وقبلتنّ كلماتي ! طوبى لكنّ ، يا حبيباتي ، ان عرفتنّ صدق مَن نموت ، انا وبناتي ، في سبيل حبه ! طوبى لكنّ ، ان احببتنّ المسيح ! بل طوبى لي ولبناتي الى آية غبطة ذاهبات ! والآن فليملك الامن والسلام على شعب المسيح ، وليضحينّ دم اخوتي واخواتي الذين قتلوا من اجل المسيح سوراً حصيناً لهذه المدينة ؛ ان لبثت في دين المسيح ربي . ها اني خارجة مسفرة الوجه ، مشرقة الجبين ، من هذه البلدة حيث كنت فيها كفي قبة الشهادة لاذهب وبناتي الى مدينة اخرى خطبتهنّ اليها . فصلّينَ علينا ، أيا رصيفاتي ، ليقبلني المسيح ويجود عليّ بالمغفرة ، لاني بقيت في هذه الحياة ثلثة ايام بعد ابي بناتي .»

«فبلغ الى مسمعنا صوت الولولة والنحيب من المدينة ، فارتعنا له جميعاً ، لاننا لم نكن لندري بداعي عويل النسوة . ولمّا آب الينا الرجال الذين كنا ارسلناهم لاستطلاع الخبر وأنبوا الينا بجميع ما فاهت به هذه الجسورة على مسمع من المدينة جمعاء فعلقت النساء يبكين وينحن ، صحّت عزيمتنا على قتلهم لو لم يُشفع فيها ، لانهم تركوها تفوه بمثل هذا الكلام وتغوي المدينة بسحرها .

«ونحن لكذلك اذا بها خرجت من المدينة حاسرة الرأس كالمسوسة ، واتت ومثلت امامي سافرة الوجه ، غير خجلة ، وممسكة بيديها بناتها مزيّنات كأنهنّ يذهبنّ الى وليمة الاعراس . فحلّت ضفائر شعرها ، ولفّتها على يديها ، ورفعت رأسها ، ومدّت عنقها وانحنت امامي قائلة بصوت عالٍ : « اني وبناتي نصرانيات ونموت عن المسيح ، فحزّ رؤوسنا لننطلق وندرك اخوتنا واخواتنا وابا بناتي .»

اما انا ، فرغم هذا الجنون كله ، استأنفت محاولة اقناعها بالترغيب والترهيب وضروب المجاملة وصنوف التهاويل لتكفر بالمسيح وتقول فقط انه بشر . فابت ذلك بتاتاً ، بل أدّى ذلك بصغرى بناتها الى التجرّؤ على امتهاني من جراء ما

قلت لامها . واذ رأيت ان لا وسيلة لحملها على الكفران بالمسيح امرت ، ارهاباً للنصارى طرّاً ، بأن تلقى على الارض ويذبح بناتها اولاً ويسكب دمهنّ في فيها . وبعدئذٍ يؤخذ رأسها . وهكذا صار . وعلى اثر ذبح بناتها ، أمرت فاقيمت عن الارض . فبادرتها بالسؤال قائلاً : « كيف وجدتِ مذاق دم بناتك ؟ » فاقسمت في خبلها بذلك الغاوي انها وجدته كقربان طاهر بلا عيب في فمها وفي نفسها . فامرنا بجزّ رأسها . بيد انني اقسم بالله العزيز ملك اسرائيل اني اكتأبت جدًّا جدًّا لسبب وضاءتها وحسنها وجمال بناتها . وعراني الذهول من خبالها الذي ساقها الى ان تغوى وراء رجل ساحر مضلّ دفعته الجرأة الى ان يجدّف ويجعل نفسه الهاً ، ولم تأخذها الرأفة بنفسها وببناتها .

« اما في شأن بني القتلى وبناتهم فقد رأى عظماء كهنتنا ونحن ان نصنع معهم ما كُتب في الشريعة لئلا يجازي الابن بجرائر ابيه . فامرنا ان يخلّى سبيلهم حتى يبلغوا سنّ الرشد ، وحينئذٍ يخيرون ان كفروا بالمسيح وتهوّدوا ، والا فيموتون هم ايضاً ان نسجوا على منوال والديهم . وقد وزّعناهم على كبرائنا .

« ها قد سردت لجلالتك كتابةً هذه الامور كلها ليثلج صدرك عند اطلاعك على اننا لم ندع نصرانيًّا واحداً في بلادنا . فاصنعنّ انت ايضاً على شاكلتنا باحالتك جميع النصارى الذين تحت سلطانك الى دياناتك . اما في شأن اليهود الموجودين تحت إمرتك فنرغب ان تهوي اليهم بيد المساعدة في كل امر وشأن . وكلما تبتغي جلالتك قبالة ذلك اطلعنا عليه لنبعث به اليك مسرورين . »

هذا ما كتبه ملك الحميريين الى المنذر ملك الحيرة ، ونحن عنده في البرية ، مع القسيس الفاضل مار ابراهيم بن اوفروس الآنف الذكر ، الذي ارسله الملك يوستينيان صحبة اسقف « بيت رصفة » القديس مار سرجيوس ليوطّد دعائم الصلح بين عرب الفرس والرومانيين . على ان الرسالة الموما اليها لم تأتِ على ذكر امتهان الشهداء الطوباريين والمرأة الفاضلة وبناتها ملك الحميريين . انما الرسول روى ذلك مشافهة للمنذر ملك الحيرة هازئاً بالنصارى بحضرة اليهود والوثنيين ، فاولاهم حبوراً ، وانعمنا غمًّا عظيماً . فما نسرده اذًا في هذه الرسالة مأثور عن كتابة الملك ، وعن رواية الرسول . (لها صلة)

الحزينة

نشرنا في ما مضى («مشرق كانون الاول ١٩٣٢») قصيدة بعنوان « الغريبة » مقتطعة من رواية «حمى الامير» التي يضعها الاستاذ كرم البستاني. وها اننا لننشر اليوم هذه القصيدة الثانية بعنوان «الحزينة»

قعدتْ وحدَها الحزينةُ تشكو . يا لشكوى الحزينةِ المسكينه !
تصعدُ الزفرة الممزّقة القلب ، وتستنزف الدموعَ سخينه !
انا ما بين غامضات الاماني ، قَلِقٌ روحه بعيدُ السكينه .
ليت شعري ! يعود لي انسُ نفسي ، وتداوى جراح قلبي الثخينه !

اسمعيني حفيفَ صوتك ، يا ارواحَ موتايَ ، من هضابِ الخلودِ .
اسمعينيه ! عاني انفض الوحشة عني ، فلا املّ وجودي .
شجعيني ! فلا اهاب حياةً مُلئت بالعذاب والتنكيد .
ان في صوتك السماويِّ سحراً منعشاً لي ، ملطّفاً تسهيدي .

خبّريني أين السبيلُ الى الراحة من مرهقات هذي الحياةِ ؟
اعلى الشامخات بين ركام السحب ، ام في المغاور الموحشاتِ ؟
ام تراها في الغاب ، بين زفير الغاب ، ام في مجاهل الفلواتِ ؟
وبح نفسي ! شدى ندائي ! وهل في سعة الروح ان تعي كلماتي !

انا بين الآلام ابكي . فيا طولَ بكائي ! ويا مرارةَ وجدي !
اين حُلم الصبا ؟ واين احبّائي ؟ مضوا كلهم ، وخُلّفتُ وحدي !
سبقوني الى البقاء . وما كان بقائي ، من بعدهم ، صدقَ وُدِّ !
اشتهي رقدة على ضفةِ الجدولِ ، يلتفُّ نبتها فوق لحدي .

حينما يهبطُ الظلامُ ، وتسري نفحاتُ النسيم همساً خفيّاً ،
تتهادى على مراقدهم روحي ، تردّ الانين رجعاً شجيّا .
لحنُها آهةُ الوجيع ، مجاجاتُ ذبيحٍ ، يهفو مجروراً ذكيّا .
كيف لا يفتلي فؤادي حنيناً ! كان لي كلهم محباً وفيّا !

محاولات في درس جبران

السُلافة

او

آخر ما كتبه جبران خليل جبران

بقلم امين خالد

السلافة لغةً خلاصة الخمرة . وقد اخترنا هذه اللفظة للكناية عن الكتاب الذي اشتمل على زبدة افكار جبران الرئيسية ، وعاطفته الاساسية ، وقد اصدره قبيل وفاته ببضعة ايام دون ان يترك مجالًا للتقولات والتأويل . عنينا به كتاب « آلهة الارض »[1]

لقد جرى جبران في هذا الكتاب على اسلوب لم يتبعه في مؤلفٍ مما تقدَّمه. وهو الاسلوب السقراطي ، اي طريقة البحث في سياق مناقشة يتكلم فيها ثلاثة من الآلهة « المولودين في الارض ، واسياد الحياة على الجبال » . ولا غرو في ذلك فالانسان في عهد الانتاج الناضج يميل الى بحث المبادئ التي كانت في عهد الصبا تصدر مع زفراته الوجدانية.

لم يطلق جبران على احدٍ من آلهته اسماً يدلّ على هدف الاله صاحب الاسم ، ولم يصف احدًا منهم او يحدّده . وقد اكتفى لتمييزهم بالاعداد الترتيبية : الاوّل ، والثاني ، والثالث . واقتصر في بيان ماهيّتهم على كونهم « مولودين في الارض وارباب الحياة في اعالي هذه الارض . » ولكن غاية كل اله معروفة من مآل النظريّة التي يجعلها محور لهجته.

وفي هذا الصدد يجب ان نتساءل هل يمثّل احد الآلهة الثلاثة شخصيّة

---

١) آلهة الارض . وضعه بالانكليزية جبران خليل جبران . وعرّبه الارشمندريت اقطونيوس بشير – ٤٠ صفحة متوسطة ، المطبعة المصرية ، مصر ، ١٩٣٢ .

جبران ، وايّها هو ، ام هل سكب جبران من نفسه كؤوساً مختلفة على السنة كل من الثلاثة.

كلا ، لا يمكن للكاتب المبتكر ان يتجه في آنٍ واحد نحو النزعات المتعاكسة المتناقضة لئلا يصبح كالببغاء يردّد عبارات هذا المبدأ ، وجمل تلك العقيدة ، دون ان يكون متفذياً بسرّ واحدةٍ منها . واذا صحّ شبه التفذي بالمبادئ المختلفة عند فيلسوف عالم فلا يسع الكاتب الشاعر الّا تفضيل مذهب تتغلب موافقته لميوله فيسمى حامل العلم.

ولقد رأينا انّ «الاله الثالث» من «ابناء الارض» هو الذي يزيد جبران انْ يجعله بوقه الخاصّ . وذلك لاسبابٍ عديدة نذكر منها :

١ً ان مرامي الاله الثالث تجانس — وحدها — الخطة الاجمالية التي تمشّى عليها جبران في جميع مؤلفاته السابقة ، حيث يضرب على وتر الحب البشري الخالد بين الرجل والمرأة ، مع تقديس تلك العاطفة الجنسية وتحريرها من ربقة النظام العقلي والشرع اللاانساني ، والالم الذي يحصرها ضمن نطاق الزمان والمكان ويخمد تأججها المستمرّ.

٢ً يفيض كل من الالهين الاول والثاني في جدالها بالثلثين الاولين من الكتاب من قريحةٍ جيدة ونفس تستطيب الجهاد في سبيل الدفاع عن الغاية المنشودة ، فيلقي الواحد منها صحيفةً او صحيفتين او ثلاث صحائف ، ويجاوبه الآخر بمثلها ، والاله الثالث يستمع جدالها ، ويلقي من حين لآخر نبذةً لا تتجاوز الاربعة او الخمسة الاسطر ، حاكياً شيئاً يشغل باله بكليته ، غير منتبه الى المواضيع التي تدور مناقشة زميليه حولها . واما في الثلث الاخير فتتضاءل اهمية الالهين الاوّلين وتتلاشى في استسلام الثاني ونوم الاوّل . وتتغلّب بلاغة الاله الثالث الى ان يلفظ الكلمة النهائية راوياً فوزه بالافضلية. وليس من المنطق ان يعبّر عن نزعة الكاتب غير صاحب الافضلية النهائية.

فما هو موضوع المناقشة الكبرى بين الالهة ؟ وما هو موقف كلّ منها ؟ وكيف كان الفوز بالختام نصيب الاله الثالث ؟

الموضوع ! المفاضلة بين مشارب الآلهة الثلاثة لابراز المبدأ الاكبر الذي يجب

ان يـكون دستورًا لاتجاهات الحياة.

وازاء هذا الموضوع يتخذ الاله الاوّل موقف « الجبّار » الـذي يترفّع على كل ما بالوجود ، حتى على الرفعة نفسها ، فهو يتكبّر على قبول التضحية الانسانية، ويرى انها :

هي رائحة الميتونة المحترقة على لهيبها الضئيل.
وهي تملأ دقائق الهواء بوفرة ،
فتزعج حواسي كما يزعجها الهواء الفاسد في الهاوية(١ .

ومن حديثه :

ان قلبي يحترق عطشًا ، بيد انني لا اريد ان اشرب دمًا ضيفًا لجنس ضعيف ،
لان الكاس ملطخة ، والعصير الذي فيها مرّ المذاق في فمي.(٢

ويتشامخ بأنفة مرّة وازدراء ، محتقرًا كل شعور بالحياة :

باطلة هي اليقظة وفارغ هو النوم.
وثلاث مرات باطل وفارغ هو الحلم. (٣

ويتعالى بذاته على الالوهية المتناهية والـسموّ المحدود:

القبّرة تنادي القبّرة ،
ولكن النسر يحوم فوقها ،
وهي لا تتوقف لتصغي الى الانشاد.
انت تريد ان تعلق محبة الذات متكـئةً بعبادة الانسان ، وراضيةً بعبودية الانسان.
ولكن محبة ذاتي لا حدّ لها ولا قياس.
فانا اريد ان اسمو على ما يموت مني في الارض ،
واتخذ لي عرشًا في السموات.
فامتطي الفضاء بذراعيّ ، واحيط بالافلاك.
واريد ان اتخذ من المجرّة قومًا ،
ومن المذنبات سهامًا ،
وباللانهاية اريد ان احكم اللانهاية. (٤

ويتخذ الاله الثاني موقف « الحكيم » . فيحاول شرح الادوار التي مرّت بها الكائنات منذ القدم حتى وجد الانسان . ويريد ان يبحث ويصيغ النظام

١) آلهة الارض ، ص ٦
٢) آلهة الارض ، ص ٩
٣) آلهة الارض ، ص ١٠
٤) آلهة الارض ، ص ١٧–١٨

الاجمالي الذي يرتب لكلٍّ درجةً في اوج العمران ومصير الخليقة . واساس فلسفة هذا الاله الثاني يتفق مع مرامي المستبدّين العادلين . قال :

انني لست مغرورًا بهذا المقدار لاتمنى ان لا اكون .
فانا لا اقدر ان اختار الا اصعب الطرق . . .
لاخض الانسان من الظلمة السريّة ،
ولكني احفظ لجذوره حنينها الى الارض ،
لاغرس فيه العطش للحياة ، واجعل الموت حامل اقدامه ، لاعطيه المحبة النامية بالالم ، المتسامية بالشوق ، المتزايدة بالحنين ، والمضمحلّة بالعناق الاول .
لأمنطق لياليه باحلام الايام العلوية ،
واسكب في ايامه رؤى الليالي المقدّسة ،
ثم احكم على ايامه ولياليه بالمماثلة التي لا تتغير . . .

لامنحه مسرّةً ليغرّم امامنا ،
وكآبةً ليلتجئ الينا ، . . .

هكذا يليق بنا ان نحكم الانسان الى منتهى الزمان ،
مقيّدين النسمة التي تبدأ بصراخ أمه ،
وتنتهي بنواح اولاده . . . (١

فقد ولد الانسان للعبوديّة ،
وبالعبودية شرفه ومكافأته . (٢

واما الاله الثالث الذي نرى انه يمثل شخصية جبران فهو اقرب الى بطل « المواكب » ونايه وغنائه منه الى آلهة التفكير والمباحثة . ولذلك لا يعير زميليه الّا اليسير من اصغائه ، لا من انتباهه :

فان شابًا في ذلك الوادي
ينشد مكنونات قلبه في اذن الليل . . . (٣
وفي غابة الريحان تلك فتاة ترقص للقمر . . . (٤
ان الشاب يغني في اعماق الوادي (٥ . . .

---

١) آلهة الارض ، ص ٨–٩
٢) آلهة الارض ، ص ١٦
٣) « « ص ٧–٨
٤) « « ص ١١
٥) « « ص ١٣

ان قدمَي الراقصة الحسناء قد سكرتا بخمرة الانشاد (١ . . .
ان الفتاة قد وجدت المرتم (٢ . . .
ان روحين سائرتين الى النجوم قد اجتمعتا في الجوّ للحساب (٣ . . .

. . .

هكذا يروي الكاتب حديث الاله الثالث في الثلثين الاولين من الكتاب دون ان يستغرق خطابه في كل مرةٍ بعض الصفحة . ولكنه عندما يصل الى هذا الحدّ ، وقبيل ختام المؤلف ، يطلق عنان البلاغة لالـه « القيثارة » فيُفصح هذا عن « الجوهر الفرد » الذي لم تكن بهرجته لتخبو او تفقد لمعانها في اثر من آثار جبران ، ولا سيما في نهاية تلك المؤلفات وفي مغزاها ، كما هي في اتجاهاتها العامّة . ولا يسعنا ان نعتقد بان جبران يميل الى غير النزعة التي نرى الاله الثالث يلفظ كلمةً بها صريحةً واضحة . لان جبران لم يكن مرآةً تعكس انوار النعرات المكتسبة ، بل كان شعلة ينير من مادّة فؤاده الخاصة . واذا اتى على ذكر جبروت الاله الاول ، او حكمة الاله الثاني وعدله ونظامه ، فيكون ذلك لازماً له لاظهار افضلية الاله الثالث الخاصّ . ولنستمع الى كلمته النهائية ، مخاطباً الالهين الاول والثاني :

انني اتكلّم ايها الاخوان التافلان ،
انني اتكلم بالحقيقة ، . . .
انظرا ، رجلاً وامرأةً ،
لهيباً على لهيب ،
يذوبان وجدًا وهياماً . . .
ان نفسنا التي هي نفس الحياة ، نفسكما ونفسي ،
انما تقيم الليلةَ في حلقٍ ملتهب ،
بحلّةٍ جسم فتاةٍ طاهرة بثوبٍ من الامواج الثائرة .
ان صولجانكما لن يغيّر هذه النفسة المعدّة لنا ،
وهومكما هي الطموح بعينه .
لان هذا جميعه سيمحى من الوجود في هوى الرجل والمرأة . (٤

١) آلهة الارض ، ص ١٧
٢) آلهة الارض ، ص ٢٢
٣) « « ص ٢٦
٤) آلهة الارض ، ص ٢٩-٣١

واذ يسأل الاله الثاني عن «شأن هذه المحبة بين الرجل والمرأة» يجيبه متذمرًا من الحكمة والمعرفة اللتين قد تحولان بين الانسان وبين رغباته :

أفٍّ من الالم الذي تولّده المعرفة . . .
فيا اخوتي ، آلهة الارض
اننا وان كنا في اعلى الجبل ،
فنحن ما زلنا نسير على الارض –
بواسطة الانسان الراغب في الساعات الذهبية التي في نصيب اخيه الانسان .
فهل تسلب حكمتنا الجمال من عينيه ؟
ام هل تُخضع مقاييسُنا أهواءه فتحملها الى السكون ، او تقودها الى مستوى أهوائنا ؟
ماذا تقدر ان تصنع جيوش افكاركم –
حيث تجتمع المحبة بجيوشها الجرّارة ؟ . . .
نحن بالحقيقة كل ما وراء العالم وكل ما فوقه
ولكن المحبة أبعد من ان تصل اليها اسئلتنا –
واسمى من ان تبلغ اليها انشودتنا . (١

اما هذه المحبة فهي كما يحدّدها الاله المذكور لاخوته ، وفي كل جملة من هذا التحديد شعاع يلقي نورًا ساطعًا على نزعات جبران التي حاولنا تحديدها في درس مؤلفاته السابقة . واننا ننقل هذا الخطاب برمّته ، كي لا ننسب الى اقتطاع ما يوافقنا من اقوال الكاتب . قال الاله الثالث :

قد انتصرت المحبة .
سواء أكانت المحبة بياضًا ناصعًا او خضرة زاهية بجانب بحيرة ، او كانت جلالًا وفخارًا في الثياب الرفيعة ، او كانت في بستان حافل بالناس ، او في صحراء لم تطأها قدم الانسان ،
فالمحبة هي ربنا وسلطنا في كل حال .
فهي ليست بالشهوة الزائلة في الجسد .
ولا هي فُتاتُ الرغبة المتساقط من مصارعة الرغبة للذات ،
كلا ، ولا هي بالجسد الحامل سلاحه على الروح .
لان المحبة لا تعرف الثورة .
ولكنها تفجر طريق الاقدار القديمة لتسير الى الغاية المقدسة ،
لترقص وتترنم باناشيد اسرارها في آذان الابدية .
المحبة شباب قد تحطمت قيوده ،
ورجولة قد تحررت من عناء الارض ،

١) آلهة الارض ، ص ٣٣–٣٤

وانوثة حارة بلهيب مقدس ، مشرقة بنور سماء أجمل من سمائنا .
المحبة ، ضحك بعيد في اعماق الروح .
المحبة ، حملة قديرة تسير بك الى يقظتك .
المحبة ، فجر جديد على الارض ،
ويوم لم تصل اليه لا عينك ولا عيني ،
ولكن المحبة قد وصلت الى قدس اقداسه عليا الاعظم .
يا أخويَّ ، يا أخويَّ ،
ان العروس قادمة من قلب الفجر .
لتلاقي عروسها القادم من الغروب .
وسيكون عرسٌ في الوادي ،
ويومٌ اعظم من ان تدوّن حوادثه . (١

وهذه في ما يلي آخر خطبة للاله الثالث يفوه بها منتصراً على زميليه في تلك المناقشة الطويلة ، وقد جعلها الكاتب مسك الختام ، ملخّصاً بها فكرته . ونحن ننقلها بحرفيتها ايضاً :

اني انفض الآن فاجرّد نفسي من حدود الزمان والمكان ،
وارقص في ذلك الحفل الذي لم تطأه قدما انسان ،
وستتحرك قدما الراقصة مع قدميَّ ،
وسأترنم في ذلك الملأ الاعلى ؛
وسيختلج صوتٌ بشريٌّ مع صوتي .
سنعبر الى الشفق البعيد ،
فقد نستيقظ في فجر عالم آخر .
ولكن المحبة باقية ،
ولن تمحى آثار أصابعها .
ان الكور المقدس متاجج بالنار ،
وكل شعلة تصعد منه هي شمس محترقة .
فالاجدر بنا ، والأحكم لمصلحتنا —
ان نفتّش عن قرنة صغيرة فننام في الوهيتنا الارضية ،
تاركين امر قيادتنا الى اليوم المقبل ، الى المحبة البشرية الضعيفة . (٢

فيتضح من كل ما تقدم ان فكرة جبران لم تتغيّر في جوهرها من «الاجنحة المتكسرة» الى «آلهة الارض» .

١) آلهة الارض ، ص ٣٦–٣٧ ٢) آلهة الارض ، ص ٣٩

ابن عبد ربه و« عقده »

درس ادبي تاريخي

بقلم جبرائيل جبّور
احد اساتذة الادب العربي في جامعة بيروت الاميركية

٨

بعض نواحي خلقه واثرها في العقد (تابع)

ميله للدعابة والفكاهة والنوادر والقصص

وكان في طبعه، فيما يظهر لنا، ميل للدعابة والمزح والفكاهة. وقد أثر هذا الميل فيما نقله في عقده عن اخبار المتقدّمين من ناحية نوعها وطريق سردها، فترى فيه كتاباً خاصاً في الفكاهات والملح فرش اداره بما يأتي: «هي نزهة النفس وربيع القلب ومرتع السمع ومجلب الراحة ومعدن السرور» واستشهد بعد هذا الفرش بالنبي العربي وعلي ورجال الاسلام الاول وغيرهم على صحة ما ذهب اليه، كأن يورد مثلاً «قال النبي: روّحوا القلوب ساعة بعد ساعة»، او «قال النبي: يدخل عثمان الجنة ضاحكاً لانه كان يضحكني»، او «قال ابن اسحق: وقد طرب الصالحون وضحكوا ومزحوا»، او «وفي بعض الكتب المترجمة ان يوحنا وشمعون كانا من الحواريّين وكان يوحنا لا يجلس مجلساً الا ضحك واضحك من حوله، وكان شمعون لا يجلس مجلساً الا بكى وابكى من حوله. فقال شمعون ليوحنا ما اكثر ضحكك كأنك قد فرغت من عملك. فقال له يوحنا ما اكثر بكاءك كأنك قد يئست من ربّك. فاوحى الله الى المسيح ان احبّ السيرتين اليّ سيرة يوحنا.»

ويرى القارئ في هذا الكتاب كثيراً من القصص الشائقة التي يظهر ان ابن

عبد ربه قصد الى الفكاهة في تدوينها ، لا الى التاريخ . من هـذه القصص قصة من العباس بن الاحنف ، واخرى عن المجرّد (وهب الشاعر) ، واخرى عن يوم دارة جلجل ، واخرى عن دعبل وصريع الغواني . وهناك قصص متعـددة قصيرة عن الرشيد وجواريه وشعرائه كابي نوّاس وغيره ، وفيه قصة عن عمر بن ابي ربيعة مع ابي مسهر العذري ، واخرى طويلة عن اسحق الموصلي والمـأمون وكيف تمّ زواج الاخير ببوران . وهناك قصة الناسك الذي كان له سمن في جرّة معلقة واخذ يبني بخياله قصوراً فاثرى وتزوّج وصار اباً ، واخذ يؤدّب ابنه وقال كذا بعصاه ، فكسر الجرّة وتحطّمت الآمال والمنى .

وان في هذا الكتاب لمجموعة من القصص تشبـه من كثير من النواحي القصص المعروفة في كتاب الف ليلة وليلة . بل ان قصة اسحق الموصلي والمأمون قد وردت في كلا المصدرين : العقد ، والف ليلة وليلة . وتتفق اكثر هذه القصص مع قصص الف ليلة وليلة من ناحية بذاءة اللفظ وسفالة المعنى . ولعلّ ابن عبد ربه ، من هذه الناحية ، واحد من قدماء المؤلفين في العربية الذين جمعوا قصصاً من عصور مختلفة ودوّنوها في كتاب واحد .

وقد ذكر ابن عبـد ربه في هـذا الكتاب شيئاً من النوادر لاسيما نوادر اشعب ، وهي قصص صغيرة . وجعـل في الكتاب ايضاً باباً خاصاً عنونـه بالمضحكات اكثرها قد دار على لفظ بذيء او معنى سافل . ومنها ما نستطيع ان نرويه بشيء من التردّد . وغايتنا في روايتها اطلاع القارئ على نوع النكتة في بعض هذه المضحكات :

« (الزبير) قال حدثنا بكار بن رباح قال : كان بمكة رجل يجمع بين الرجال والنساء ويحمل لهم الشراب . فشكي الى عامل مكة فنفاه الى عرفات . فبنى بها منزلاً وارسل الى اخوانه فقال : ما منعكم ان تعاودوا ما كنتم فيه ؟ قالوا : واين بك وانت في عرفات ؟ قال : حمار بدرهم ، وقد صرتم على الاثر والنزهة . فقلوا فكانوا يركبون اليـه حتى فسدت احداث مكة . فاعادوا شكايته الى والي مكة فارسل اليه فاتي به فقال : يا عدوّ الله ، طردتك فصرت تفسد في المشعر الحرام . قال : يكذبون عليّ ، اصلح الله الامير ! فقالوا : اصلحك الله ! الدليل على صحة ما نقول ان تأمر بجميع حمير مكة ، فترسل بها امناء الى عرفات فيرسلوهـا فان جتدوا الى منزله دون المنازل كما دعا فنحن غير مبطلين . فقال الوالي : ان في هذا لدليـلاً وشاهداً عدلاً . فامر بجمير من حمر مكة التي للكراء فأرسلت فصارت الى منزله كانما بها عليه

دليلٌ. فاعلمه بذلك امناؤه. فقال: ما بعد هذا شيء، جرّدوه. فلما نظر الى السياط قال: لا بدّ اصلحك الله من ضربي؟ قال: نعم، يا عدوّ الله. قال: والله ما في ذلك شيء هو اشدّ عليّ من ان يشمت بنا اهل العراق ويضحكون منا ويقولون اهل مكّة يجيزون شهادة الحمير. (قال) فضحك الوالي وخلّى سبيله.» (١

ولم يقتصر امر الفكاهات والملح على هذا الكتاب الخاصّ، بل قد تعدّاه الى كتاب آخر هو الجانة الثانية في المتنبئين والممرورين والبغلاء والطفيليين. وظاهرٌ من موضوع هذا الكتاب ان المسحة التي ستغلب فيه انما هي مسحة المزاح والفكاهة. ولقد فرش ابن عبد ربه لدار هذا الكتاب بقوله:

«فان اخبارهم حدائق موشّحة ورياض زاهرة لما فيها من طرفة ونادرة فكاهة انوار مزخرفة او حال منثرة دانية القطوف من جاني ثمرها قريبة المسافة لمن طلبها. فاذا تأملها الناظر واصغى اليها السامع وجدها ملهى للسمع ومرتعاً للنظر وسكناً للروح ولقاحاً للعقل وسميراً في الوحدة وانيساً في الوحشة وصاحباً في السفر وانيساً في الحضر.» (٢

واورد في هذا الكتاب نوادر كثيرة من الخير ان نذكر بعضها ليرى القارئ نوع الفكاهة التي كان يرغب في تدوينها قال:

«ادّعى رجلٌ النبوّة بالبصرة فاتي به سليمان بن عليّ مقيّداً. فقال له: انت نبيّ مرسل؟ قال: اما الساعة فاني مقيّد. قال: ويحك من بعثك؟ قال اجذا يخاطب الانبياء، يا ضعيف، والله لولا اني مقيّد لامرت جبريل يدمدمها عليكم. قال: فالمقيّد لا تجاب له دعوة؟ قال: نعم! الانبياء خاصة اذا قيّدت لم يرتفع دعاؤها. فضحك سليمان فقال له: انا اطلقك وامر جبريل فان اطاعك امنّا بك وصدقناك. قال: صدق الله فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم. فضحك سليمان، وسأل عنه فشهد عنده انه ممرور فخلّى سبيله.» (٣

وقال:

«اخذ رجل ادّعى النبوّة ايام المهدي فادخل عليه فقال له: انت نبي؟ قال: نعم! قال: والى من بُعثت؟ قال أوَ تركتموني اذهب الى احد؟ ساعة بعثت وضعتموني في الحبس. فضحك منه المهدي وخلّى سبيله.» (٤

وهناك قصة لا بأس بذكرها ايضاً على سبيل التمثيل على نوع الفكاهة في هذا الكتاب، وتزيدك ان تلاحظ ايضاً ما قد يشتم فيها من الدعوة لحبّ آل عليّ:

«(العتبي) قال: سمعت ابا عبد الرحمن بشراً يقول: كان في زمن المهدي رجل صوفي،

١) ابن عبد ربه ٣: ٤٤٨
٢) ابن عبد ربه ٣: ٢٠٤
٣) « « ٣: ٢٠٥
٤) « « ٣: ٢٠٥

وكان عاقلاً عالماً نجداً ليجد السبيل الى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر. وكان يركب قصبة في كل جمعة يومين الاثنين والخميس فاذا ركب في هذين اليومين فليس لمعلم على صبيانه حكم ولا طاعة. فيخرج ويخرج معه الرجال والنساء والصبيان. فيصعد تلاً وينادي باعلى صوته: ما فعل النبيون والمرسلون أليسوا في اعلى عليين؟ فيقولون: نعم. قال: هاتوا ابا بكر الصديق. فأخذ غلام فأجلس بين يديه. فيقول: جزاك الله خيراً، ابا بكر، عن الرعية. فقد عدلت وقمت بالقسط وخلفت محمداً عليه الصلاة والسلام في حسن الخلافة، ووصلت حبل الدين بعد حلّ وتنازع وفرغت منه الى اوثق عروة واحسن ثقة. اذهبوا به الى اعلى عليين. ثم ينادي: هاتوا عمر. فأجلس بين يديه غلام. فقال: جزاك الله خيراً، ابا حفص، عن الاسلام قد فتحت الفتوح ووسّعت الفيء وسلكت سبيل الصالحين وعدلت في الرعية. اذهبوا به الى اعلى عليين بحذاء ابي بكر. ثم يقول: هاتوا عثمان. فاتي بغلام فاجلس بين يديه. فيقول له: خلطت في تلك السنين، ولكن الله تعالى يقول خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً عسى الله ان يتوب عليهم. ثم يقول اذهبوا به الى صاحبيه في اعلى عليين. ثم يقول: هاتوا علي ابن ابي طالب. فاجلس غلام بين يديه فيقول: جزاك الله عن الامة خيراً، ابا الحسن، فانت الوصي وولي النبي بسطت العدل وزهدت في الدنيا واعتزلت الفيء فلم تحش فيه بناب ولا ظفر. وانت ابو الذرية المباركة وزوج الزكية الطاهرة. اذهبوا به الى اعلى عليين الفردوس. ثم يقول: هاتوا معاوية. فأجلس بين يديه صبي. فقال له: انت القاتل عمار ابن ياسر وخزيمة بن ثابت ذا الشهادتين وحجر بن الادبر الكندي الذي اخلفت رجهه العبادة. وانت الذي جعل الخلافة ملكاً واستأثر بالفيء وحكم بالهوى واستبطر بالنعمة. وانت اول من غيّر سنّة رسول الله صلى الله عليه وسلم ونقض احكامه وقام بالبغي. اذهبوا به فاوقفوه مع الظالمة. ثم قال: هاتوا يزيد. فاجلس بين يديه غلام. فقال له: يا فوّاد انت الذي قتلت اهل الحرّة وابحت المدينة ثلاثة ايام وانتهكت حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم وآويت الملحدين وبؤت باللعنة على لسان رسول الله . . . وتمثلت بشعر الجاهلية

ليت اشياخي ببدر شهدوا جزع الخزرج من وقع الاسل

وقتلت حسيناً وحملت بنات رسول الله . . . سبايا على حقائب الابل. اذهبوا به الى الدرك الاسفل من النار. ولا يزال يذكر والياً بعد والٍ حتى بلغ الى عمر بن عبد العزيز فقال: هاتوا عمر. فاتي بغلام فاجلس بين يديه. فقال: جزاك الله خيراً عن الاسلام فقد احييت العدل بعد موته وألنت القلوب القاسية وقام بك عمود الدين على ساق بعد شقاق ونفاق. اذهبوا به فالحقوه بالصدّيقين. ثم ذكر من كان بعده من الخلفاء الى ان بلغ دولة بني العباس فسكت. فقيل له: هذا ابو العباس امير المؤمنين. قال: فبلغ امرنا الى بني هاشم. ارفعوا احساب هؤلاء جملة واقذفوا بهم في النار جميعاً.» (١

ويرى القارئ في كلا الكتابين قصصاً كثيرة في الفكاهة والمزاح كثر فيها

١) ابن عبد ربه ٣: ٢٠٩

قبيح اللفظ وسافل المعنى . وليس هنا موضع البحث في ما تمثله هـذه القصص من روح مجتمعات القوم في تلك العصور حتى زمن ابن عبد ربه ، وميلهم الى الفكاهات التي كانت تصطبغ بمثل هذه المعاني والالفاظ البذيئة ، ولم تخلُ كتب العقد الاخرى من ملح ونوادر وفكاهات نثرها ابن عبد ربه هنا وهناك ، او تعليقات ظهر فيها ميله للفكاهات والنكتة كتعليقه الذي ذكرنا فيما سبق على شعر ضعيف: واقل ما يقال في هذا الشعر ان يضرب صاحبه كذا وراويه كذا الخ . ولعلنا سنعرض لشيء من ميل ابن عبد ربه هذا ، عنـد بحثنا عن شعره وفنّ الهجو فيه .

قيمته الادبية

لا جدال في ان اقوى ظاهرة تبدو في العقد هي مسحته الادبيّـة . وان القارئ يشعر بهذه المسحة في كل كتب العقد . ولعلّ ابن عبد ربه قد قصد الى هذا الامر اذ يظهر من قوله في مقدّمة عقده انه اعتنى في ان يكون كتابه مجموعة من متخيّر جواهر الاداب ومحصول جوامع البيان وقـد رأيناه لا يعنى كثيراً بالاسناد لان اخباره فيما يقول « اخبار ممتعة وحكم ونوادر لا ينفعها الاسناد باتصاله ولا يضرها ما حذف منها . » ورأينا كذلك انه عمد الى اختصار أخباره « طلباً للاستخفاف والايجاز ، وهرباً من التثقيل والتطويل » ، وانه يفتخر في انه احسن الاختصار واجاد الاختيار: « وقصدت من جملة الاخبار وفنون الآثار الى اشرفها جوهرًا واظهرها رونقاً والطفها معنى واجزلها لفظاً واحسنها ديباجة واكثرها طلاوة وحلاوة آخذًا بقول الله تبارك وتعالى : الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه » . وقد اشرنا في بحثنا عن قيمة العقد التاريخية ان غاية صاحبه قبل كل شيء ادبية . ولعله لم يجمع هذه الفنون المختلفة في عقـده — حتى كاد يكون دائرة معارف مختصرة لعلوم عصره — الا لانه كان يرى ذلك من شروط الادب ، قال :

« فان كان لا بد لك من طلب ادوات الكتابة فتصفّح من رسائل المتقدمين ما يعتمد عليه ومن رسائل المتأخرين ما يرجع اليه ومن نوادر الكلام ما تستعين بـه ومن الاشعار والاخبار والسير والاسماء ما يتسع به منطقك ويطول بـه قلمك وانظر في كتب المقامات

والمثلب ومجاربة العرب في حروبهم ومعالي العجم (كذا) وحدود المنطق وامثال الفرس ورسائلهم وعهودهم وسيرهم ووقائعهم ومكايدهم في حروبهم بعد ان تكون متوسطاً علم النحو والغريب والوثائق والسور وكتب السجلات والامانات » (١

وروى في عقده قال :

« قال عبدالله بن مسلم بن قتيبة من اراد ان يكون عالماً فليطلب فناً واحداً ومن اراد ان يكون اديباً فليتفنّن في العلوم » (٢

وقد وفق ابن عبد ربه في تحقيق غايته ، وسبق الكثيرين ممّن بحثوا قبله في هذه الناحية نفسها ، وامتاز على بعضهم بالوضوح وسهولة المأخذ ، وعلى غيرهم بالترتيب والتنسيق ، وعلى عمومهم في ان كتابه كان جامعاً لاكثر علوم عصره ان لم يكن كلها . وهذا يظهر لاول وهلة لمن يطالع جدول الكتب التي ضمّها العقد . ناهيك في انّ الصبغة الغالبة في اكثر هذه الكتب انما هي صبغة الادب كما كانوا يفهمونه يومذاك ، فكتابه في الاجواد ، وكتابه في الوفود ، وكتابه في مخاطبة الملوك ، وكتابه في العلم والادب ، وكتابه في الامثال ، وكتبه الاخرى في المواعظ والزهد ، والتعازي والمراثي ، وكلام الاعراب ، والخطب ، وفضائل الشعر ومقاطعه ومخارجه ، والفكاهات والملح ، كل هذه غلب فيها البحث في آداب العرب عموماً واشعارهم بنوع خاصّ ، حتى كتبه التي تبحث في التاريخ والاجتماع والموسيقى لا تخلو من فوائد ادبية كثيرة .

وفي العقد ما لا يقلّ عن عشرة آلاف بيت من الشعر لاكثر من مئتي شاعر من العصر الجاهلي والاموي والعباسي . وربما يصعب ان تذكر شاعراً معروفاً لا ترى عنه خبراً او نتفاً من شعره استشهد بها ابن عبد ربه لمناسبة ما . فالنابغة ، وامرؤ القيس ، وطرفة ، والاعشى ، وحسان ، ولبيد ، وزهير ، وعنترة ، والمهلهل ، وعديّ ، وابوذؤيب ، وغيرهم من العصر الجاهلي ؛ وجرير ، والاخطل ، والفرزدق ، وابن ابي ربيعة ، وجميل ، وكثيّر ، وذو الرمّة ، ونصيب ، والمجنون ، والاحوص ، والعرجي ، وغيرهم من عصر الراشدين وبني امية ؛ وبشار ، ومروان بن ابي

١) ابن عبد ربه ٣ : ٢١٠ ، ولاحظ ورود ذكر « المقامات » في هذه العبارة بصورة تدلّ على انها كانت معروفة قبل بديع الزمان ، وقبل ابن دريد .

٢) ابن عبد ربه ١ : ١٦٦

حفصة ، وابو نواس ، والبحتري ، وابو تمام ، وابو العتاهية ، ومسلم بن الوليد ، وغيرهم من العصر العباسي ؛ كل هؤلاء قد ذكر عنهم اخبارًا كثيرة ونوادر ، وروى لهم شعرًا كثيرًا . ناهيك بما ذكره لغير هؤلاء من المشهورين وغير المشهورين وبنوع خاص لابن عبد ربه نفسه ، فان في العقد اكبر مجموعة شعرية من شعر ابن عبد ربه الذي لم يفقد مع ما فقد في ديوانه. هذا من حيث رواية الشعر واخبار الشعراء . اما من حيث وصف المجالس الادبية والخطب والرسائل فحدث ولا حرج . ففي العقد كتاب خاص ، جعله الواسطة بين جواهر العقد ، ذكر فيه عيون الخطب ، وهو بحق من خير المصادر لمراجعة بعض خطب المتقدمين . زد على ذلك خطب الوفود واقوالهم ، والرسائل المتبادلة بين ناس وناس ، وبنوع خاص هذه الرسائل التي تبودلت بين علي ومعاوية والتي ان صحت نسبتها اليها لتدل على ان فن انشاء الرسائل الطويلة قد تقدم عصر عبد الحميد الكاتب ومعلمه . ففي الرسائل ترسل واسهاب ، وكنت اود لو يتسع المجال لذكر بعضها ، فلتراجع في موضعها[1] .

ومن الخير ان نذكر هنا ايضاً ما في العقد من قصص ونوادر وحكايات اشرنا الى بعضها في بحثنا عن شيء من نواحي خلقه ، جمعها ابن عبد ربه من مصادر شتى ، فيما يظهر ، وجعل اكثرها في كتابين واحد للمتنبئين والممرورين والبخلاء والطفيليين ، وآخر للفكاهات والملح . ونرى ان هذين الكتابين من اقدم المجموعات العربية للقصص والنوادر .

كذلك للعقد قيمة ادبية من حيث النقد الادبي . ففيه فصول في النقد نقل بعضها ابن عبد ربه عن الشيباني وغيره من الادباء القدماء يجدر بعلماء النقد الوقوف عليها ، منها مثلاً ما يجب ان يأخذ الكاتب به نفسه في صناعة الكتابة :

« فتخير من الالفاظ ارجحها لفظًا واجزلها واشرفها جوهرًا واكرمها حسبًا واليفها في مكانها واشكلها في موضعها . فان حاولت صنعة رسالة فزن اللفظة قبل ان تخرجها بميزان التصريف اذا عرضت وعاير الكلمة بمعيارها اذا منحت . فانه ربما مرّ بك موضع يكون

---

١) ابن عبد ربه ٢ : ٢٨٤

مخرج الكلام اذا كنت : انا فاعل ، احسن من ان تكتب : انا افعل ، وموضع آخر يكون فيه استعمال احلى من فعلت . فادر الكلام على امكانه وقلبه على جميع وجوهه فاي لفظة رأيتها في المكان الذي ندبتها اليه فانزعها الى المكان الذي اوردتها عليه واوقعها فيه . ولاتجعل اللفظة قلقة في موضعها نافرة عن مكانها فانك متى فعلت هجنت الموضع الذي حاولت تحسينه وافسدت المكان الذي اردت اصلاحه . فان وضع الالفاظ في غير اماكنها وقصدك بها الى غير مصاحبها انما هو كترقيع الثوب الذي لم تشاجه رقاعه ولم تتقارب اجزاؤه وخرج من حد الجدة وتغير حسنه . . . كذلك كلما احلولى الكلام وعذب وراق وسهلت مخارجه كان اسهل وارجى في الاسماع واشدّ اتصالاً بالقلوب واخفّ على الافواه لاسيما ان كان المعنى البديع مترجماً بلفظ مونق شريف ومعابراً بكلام عذب لم يسمه التكليف بميسمه ولم يفسده التعليق باستهلاكه » (١

ومنها :

« وقد رأيتهم شبّهوا المعنى المعني بالروح المعني واللفظ الظاهر بالجثمان الظاهر . واذا لم ينهض بالمعنى الشريف الجزل لفظ شريف جزل لم تكن العبارة واضحة ولا النظام متسقاً وتضاءل المعنى الحسن تحت المعنى (كذا) القبيح كتضاؤل الحسناء في الاطمار الرثة . وانما يدل على المعنى اربعة اصناف : لفظ واشارة وعقد وخط . » (٢

وقد نرى في العقد نوادر واخباراً عن الرواة الذين اخذ عنهم كثيراً من اخبار العرب وشعرائها يندر الوقوع عليها في كثير من كتب الادب المختلفة . وقد عني صاحب العقد في كثير من الامور التي عُني بها بعض هؤلاء الرواة . فاذا بلغه مثلاً ان الاصمعي روى : « لم اجد في شعر شاعر بيتاً اوله مَثل وآخره مثل الا ثلاثة ابيات » — احدها للحطيئة وآخر لامرئ القيس — يذكر الرواية في عقده والشعر ثم يعلّق على الخبر بقوله : « ومثل هذا كثير في القديم والحديث ، ولا ادري كيف اغفل القديم منه الاصمعي فمنه قول طرفة . . . ومن ذلك قول الآخر . . . الخ » (٣

وفي العقد كتاب هو الجوهرة في الامثال(٤ فيه مجموعة كبيرة لامثال العرب ، قد رتبت وصنفت وبوّبت حسب اقسامها الرئيسية . فترى في اول الكتاب هذا : امثال النبي العربي ، يليها امثال روتها العلماء ، ثم امثال اكثم بن صيفي وبزرجمهر

١) ابن عبد ربه ٢ : ٢١٦
٢) ابن عبد ربه ٢ : ٢١٧
٣) « « ١ : ٢٥٦
٤) « « ١ : ٢٢٧

الفارسي ، ثم « امثال العرب » عامـة . وترى في باب الامثال التي روتهـا العلماء امثالًا تحت العناوين التالية « مَن ضُرب به المثـل من الناس » ، « من يُضرب به المثل من النساء » ، « ما تمثلوا به من البهائم » ، « ما ضرب به المثل من غير الحيوان » . وتجد تحت العنوان الاول مثلًا « أسخى من حاتم ، واشجع من ربيعة بن مخلم ، وانكى من قيس بن زهير ، واعزّ من كليب بن وائـل الخ »[1] . ومن الخير ان ندوّن هنا ان القسم الاخير من جوهرته هذه ، اي باب « ومن امثال العرب » ، وهو القسم الاكبر في الجوهرة ، قد اخذه فيما يقول عن رواية ابي عبيدة . واذا رجعنا الى الفهرست[2] نرى ان بين الكتب التي وضعها ابو عبيدة كتاباً اسمه « كتاب الامثال » . فلا يبعـد ان يكون هو الكتاب الذي رجع اليه ابن عبد ربه . وقد ذكر ابن عبد ربه انه جرّد هذه الامثال من الآداب التي ادخل فيها ابو عبيدة ، وضمّ الى امثلة العرب القديمـة ما جرى على السنة العامة من الامثال المستعملة ، وفسّر من ذلك ما احتاج الى التفسير[3] . ومن الخير ان نذكر ايضاً ان الامثال هذه مصنّفة بحسب مواضيعها وهي تقع في نحو مئتي موضوع . فترى مثلًا في موضوع « القصد في المدح » : « من حفنا او رفنا فليقتصد » ، « لا تهرف بما لا تعرف » ، « شاكـه ابا يسار من دون ذا ينفق الحمار » . و في موضوع « حمية القريب وان كان مبغضاً » : « آكل لحمي ولا ادعه يؤكل » ، « لا تعدم من ابن عمك نصراً » ، « كفّ منك وان كانت شلّاء » الخ . ويظهر لنا ان هذا التبويب مأخوذ عن ابي عبيدة ، اذ ترى من سياق ذكر ابن عبد ربه لهذه الامثال ما يدلّ على ذلك ، قال : « قال ابو عبيدة من امثالهم في الحلم اذ انزل الشرّ فاقعد . . . ومنه قول الآخر : الحليم مطيّـة الجهول . وقولهم : لا ينتصف حليم من جاهـل ، وقولهم : أخر الشر فان شئت تعجلته . وقولهم الخ . »[4]

وفي العقد كتاب خاص عن اعاريض الشعر وعلل القوافي ، فيه ارجوزة من نظم ابن عبد ربه لا بأس بها من حيث نظم قواعد العروض والمامه بها . وهي

١) ابن عبد ربه ١ : ٢٢٠
٢) ابن النديم ١ : ٥٤—٥٥
٣) « « ١ : ٢٢٣
٤) ابن عبد ربه ١ : ٢٤١

تمهيد من يرغب في درس العروض. وقد اتبع ابن عبد ربه الارجوزة بامثلة على ٦٣ ضرباً من ضروب العروض من شعره . وجعل المقطعات ، فيما يقول ، رقيقة غزلة ليسهل حفظها على السنة الرواة . وضمن في آخر كل مقطعة منها بيتاً قديماً متصلاً بها وداخلاً في معناها من الابيات التي استشهد بها الخليل في عروضه ، لتقوم به الحجة لمن روى هذه المقطعات واحتج بها.[1]

وفيه ارجوزة عن مآثر الخليفة الناصر في حروبه أشرنا اليها عند بحثنا عن قيمة العقد التاريخية وذكرنا انها تكاد تكون من اقدم الشعر القصصي الذي يدور على الملاحم ...

ولم يكن ابن عبد ربه اول من نظم الشعر العربي في بعض وقائع التاريخ فقد تقدمه شعراء المشرق في جاهليتهم واسلامهم ولكنهم لم يقصروا قصائدهم على وقائع التاريخ ، بل ذكروا فيها فخرهم وحبهم وغير ذاك. كذلك لم يطيلوا في الشعر الذي ذكرت فيه وقائع تاريخية مثل ما اطال ابن عبد ربه ؛ لا نستثني الا ابن المعتز ، فقد سبق ابن عبد ربه بالزمن وشاركه بطول القصيدة واقتصارها على موضوع واحد عام. ولعلّ ابن عبد ربه قد اخذ شيئاً عن ارجوزة ابن المعتز ، لاسيما اذا لاحظنا ان اول ابيات ابن عبد ربه تكاد تشبه من حيث المعنى اول ارجوزة ابن المعتز[2]. ومن يقرأ الارجوزتين يشعر ان ابن المعتز صاحب القسط الاوفر من الفضل والتقدم في هذا المضمار.

كذلك يصدق على قيمته الادبية ما ذكرنا في قيمته التاريخية من امر

---

١) ابن عبد ربه ٣ : ١٨٨

٢) راجع ديوان ابن المعتز (طبع في مطبعة المحروسة بمصر ١٨٩١) — ج ١ : ١٢٦، وقابل بين ارجوزته هذه في المعتضد وارجوزة ابن عبد ربه في الجزء ٢ من عقده ص ٢٣٦ ترَ وجه الشبه بين الارجوزتين من حيث اللفظ في

الحمد لله على آلائه احمده، والحمد من نعمائه

يقابلها عند ابن عبد ربه :

فالحمد لله على نعمائه حمداً جزيلاً وعلى آلائه

ومن حيث المعنى في اتفاقهما بذكر الفوضى التي سبقت حكم كلّ من الخليفتين : المعتضد العباسي ، والناصر الاندلسي.

الرجوع الى العقد عند نشر الكتب التي اخذ عنها صاحبه ، والكتب التي استقت من المصادر التي استقى منها ابن عبد ربه نفسه ، وضبط الاشعار ، والتعرف على مختلف الروايات التي تروى عليها.

ولا بد لي من ذكر فضل صاحبه في التبويب والتصنيف ، واجتهاده في ان تقع اكثر موادّ عقده تحت المواضيع التي تلائمها بحيث امتاز على الكثيرين من الذين سبقوه الى هذا الامر وطرقوه قبله.

وهناك في العقد ما له قيمة ادبية وتاريخية بالوقت نفسه ، ألا وهو بحث ابن عبد ربه او جمعه لبعض الامور في اصطلاحات الكتّاب ، واصول المخابرات الرسمية ، وتضمين الاسرار في الكتب . فكأن عمله من هذه الناحية نواة صغيرة لما كتبه في صبح الاعشى ابو العباس القلقشندي . ولا بأس في ان نذكر لمن يهمهم الاطلاع على هذا الامر بعض الامثلة : قال في باب «ما يجوز في الكتابة وما لا يجوز فيها»:

«قال ابراهيم بن محمد الشيباني اذا احتجت الى مخاطبة الملوك والوزراء والعلماء والكتّاب والخطباء والادباء والشعراء واوساط الناس وسوقتهم فخاطب كلًّا على قدر ابهته وجلالته وعلوه وارتفاعه وفطنته وانتباهه واجعل طبقات الكلام على ثمان (كذا) اقسام منها الطبقات الطيّبة اربع ، والطبقات الاخر وهي دونها اربع لكل طبقة منها درجة ولكل قسمة لا ينبغي للكاتب البليغ ان يقصر باهلها عنها ويقلب معناها الى غيرها . فالحد الاول الطبقات العليا وغايتها القصوى الملائكة . . . والطبقة الثانية لوزرائها وكتابها . . . والطبقة الثالثة امراء ثغورهم وقواد جنودهم . . . والرابعة القضاة . . . واما الطبقات الاربع الاخر . . . ولكل طبقة من هذه الطبقات معانٍ ومذاهب يجب عليك ان ترعاها في مراسلتك اياهم في كتبك فتزن كلامك في مخاطبتهم بميزانه وتعطيه قسمه وتوفيه نصيبه فانك متى اهملت ذلك واضعته لم آمن عليك ان تعدل بهم عن طريقهم وتسلك بهم غير مسلكهم . . . فان السالك المعنى وان صح وصرف لفظًا متخلفًا على قدر المكتوب اليه لم تجرِ به عاداتهم تعجين للمعنى واخلال بقدره وظلم بحق المكتوب اليه ونقص ما يجب له . كما ان في اتباع تعارفهم وما انتشرت به عاداتهم وجرت بهم سنتهم قطعًا لعذرهم وخروجًا من حقوقهم وبلوغًا الى غاية مرادهم واسقاطًا لحجة ادبهم . فمن الالفاظ المرغوب عنها والصدور المستوحش منها في كتب السادات والملوك والامراء على اتفاق المعاني مثل ابقاك الله طويلًا وعمرك مليًّا وان كنا نعلم انه لا فرق بين قولهم اطال الله بقاك وبين قولهم ابقاك الله طويلًا ولكنهم جعلوا هذا اوجع وزنًا وانبه قدرًا في المخاطبة كما انهم جعلوا اكرمك الله وابقاك احسن مترلًا في كتب الفضلاء والادباء من جعلت فداك على اشتراك معناه واحتمال . . . وكذلك لم يجيزوا ان يكتبوا بمثل ابقاك الله

واتع لك الا في الابن والخادم المنقطع اليك واما في كتب الاخوان فغير جائز بل مذموم مرغوب عنه . » (١

وذكر ايضاً نماذج من استهلال الكتب التي تكتب الى خليفة ، او الى ولي عهد ، او الى والي شرطة ، او الى قاض الخ . منها : (صدور الى خليفة) : « وفق الله امير المؤمنين بالظفر فيما قلده وآيده واصلح به وعلى يديه . . . » ومنها : (صدور الى ولي عهد) : « متع الله امير المؤمنين بطول مدة الامير واجرى على يديه فعل الجميل وآنس بولايته المؤمنين » . . . ومنها : (صدور الى والي شرطة) : « انصف الله بك المظلوم واغاث بك الملهوف وأيدك بالتثبت ووفقك للصواب . . . »[٢] وقد ذكر في تضمين الاسرار في الكتب امورًا اوردها كلها القلقشندي[٣] .

قيمة العقد من حيث علوم الدين وشرائعه

لقد كان ابن عبد ربه فقيهاً ، كما علمنا ، فلا غرو اذا ظهرت آثار هذه الثقافة الفقهية في عقده . ففيه اخبار كثيرة عن الائمة المختلفين الذين تقدموه وشيء كثير من اقوالهم واحكامهم وفتاويهم في بعض المسائل ، واختلافهم في بعض امور الدين . وترى مثلاً فوائد كثيرة في بحثه عن الخمر وآراء الائمة في ذلك واختلافهم في حدها ، وفيما اذا كانت محرّمة العين كما حرّمت عين الخنزير ، او حرّمت لعرض دخل لها ، فاذا زايلها ذلك العرض عادت حلالاً . واحتجاج المحرّمين لقليل النبيذ وكثيره ، واحتجاج المحلّين للنبيذ كله . وترى ايضاً في الباب نفسه تعليقات لابن عبد ربه ربما اقتبسها عن ائمة سبقوه منها :

« واما منافعها (يعني الخمر) التي ذكرها الله تعالى في قوله : « يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس واثمهما أكبر من نفعهما » ، فانها كثيرة لا تحصى فمنها انها تدرّ الدم تقوي المعدة وتصفي اللون وتبعث النشاط وتفتق اللسان ما اخذ منها بقدر الحاجة ولم يجاوز المقدار . فاذا جاوز ذلك عاد نفعها ضررًا . » (٤

---

١) ابن عبد ربه ٢ : ٢١٢

٢) ابن عبد ربه ٢ : ٢٤٤

٣) قابل ابن عبد ربه ٢ : ٢١٨ ، بالقلقشندي ٩ : ٢٢٩–٢٣٠

٤) ابن عبد ربه ٣ : ٤١٢

ويحسّ القارئ في مطالعته هذا الباب الذي يدور على الاشربة تساهل ابن عبد ربه — وهو الفقيه — في امر شرب النبيذ ودعوته من ناحية خفية الى تناول شيء منه:

« قالوا: ولولا ان الله تعالى حرّم الخمر في كتابه لكانت سيدة الاشربة . وما ظنك بشراب الشربة الثانية منه اطيب من الاولى والثالثة اطيب من الثانية حتى يؤديك الى ارفق الاشياء وهو النوم . وكل شراب سواها فالشربة الاولى اطيب من الثانية والثانية اطيب من الثالثة حتى تمله وتكرهه» . . . — و« سقى قوم اعرابياً كؤوساً ثم قالوا: كيف تجدك ؟ قال: اجدني اسرّ واجدكم تحسنون اليّ » — و« قالوا يا حرّم الله شيئاً الا عوضنا ما هو خير منه او مثله وقد جعل الله النبيذ عوضاً من الخمر تأخذ منه ما يطيب النفس ويصفي اللون ويهضم الطعام » (١ — و« قالوا في قول رسول الله صلى الله عليه وسلم كل خمر مسكر هو ما اسكر الفرق منه فملء الكف حرام هذا كله منسوخ نسخه شربه للصلب يوم حجة الوداع » (٢ — و« دخل عمر بن الخطاب رضي الله عنه على قوم يشربون ويوقدون في الاخصاص . فقال: خيتكم عن معاقرة الشراب فعاقرتم وعن الايقاد في الاخصاص فاوقدتم . وهمّ بتأديبهم . فقالوا: يا امير المؤمنين نعاك الله عن التجسس فتجسست ونهاك عن الدخول بغير اذن فدخلت فقال: هاتان بهاتين . وانصرف وهو يقول: كل الناس افقه منك يا عمر ؛ وانما نهاهم عن المعاقرة وادمان الشراب حتى يسكروا ولم ينهم عن الشراب . . . ولو كان عنده ما شربوا حراماً لحدّهم . » (٣ — « واحتجوا من جهة النظر ان الاشياء كلها حلال الا ما حرّم الله قالوا: فلا تزيل نفس الحلال بالاختلاف ولو كان المحللون فرقة من الناس فكيف وهم اكثر الفرق ؟ واهل الكوفة اجمعون على التحليل لا يختلفون فيه وتلوا قول الله عزّ وجل: قل أرأيتم ما انزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراماً وحلالاً قل: الله اذن لكم ام على الله تفترون . » (٤

ويرى القارئ ايضاً فوائد كثيرة في بحث ابن عبد ربه عن « الالحان » ، واختلاف الائمة والفقهاء في امرها ، وآراء المتقدمين من رجال الاسلام الاول فيها . ولا يفوت ابن عبد ربه ايضاً اظهار ميله الى السماع ، وافتاؤه كفقيه بانه حلال .

ويتضمن العقد عدداً ليس بقليل من الاحاديث النبوية يجدر بعلماء الحديث مراجعتها ومقابلتها مع احاديث النبي العربي في الكتب المختلفة . وفيه ايضاً طائفة كبيرة من اخبار قدماء الائمة واصحاب المذاهب واقوالهم وآرائهم وتفسير

---

١) ابن عبد ربه ٣: ٤١٢ ٢) « « ٣: ٤١٥
٣) « « ٣: ٤١٦ ٤) « « ٣: ٤١٦

بعضهم لبعض آيات القرآن . ومن يقرأ كتاب الياقوتة في العلم والادب يدرك ان قسماً كبيراً منه يدور على اقوال الايمة المتقدمين واصحاب المذاهب كالحسن البصري، وعلي ، وعبدالله بن مسعود ، والاوزاعي، والزهري ، والشيباني ، وسفيان الثوري ، وسعيد بن المسيب ، ومالك بن أنس ، وغيرهم ، اقوال وآراء لا بدّ لطالب الفقه الاسلامي من الوقوف عليها . وفي هذا الكتاب ايضاً باب في الغلوّ في الدين ، وبحث في القول في القدر ، وردّ المأمون على الملحدين واهل الاهواء . ثم القول في اصحاب الاهواء من رافضة وغيرهم . في كلها فوائد لها قيمتها . كذلك قد نثر ابن عبد ربه فوائد اخرى تتعلق في الموضوع نفسه في كتاب الجوهرة في الامثال ، وكتاب المواعظ والزهد ، وكتاب فضائل الشعر ، وكتاب الوفود وغيرها .

زد على ذلك ان العقد لا يخلو من بعض روايات واقوال لها صلة بامور الدين والفقه اخذها ابن عبد ربه عن اساتذته في المغرب : الخُشَني ، وابن وضاح ، وبقي بن مخلد ، الذين سبق لنا ان ذكرنا شيئاً عن مكانتهم .

وقد كان ابن عبد ربه مالكي المذهب ، شأن اكثر مسلمي الاندلس في ذلك الزمن ، وقد ذكر انتسابه الى هذا المذهب عند ذكر اسمه في اول صفحة بالعقد قبل الفهرس والمقدمة .

وربما من الخير ان نشير هنا الى ما ذكرناه عن اعتدال ابن عبد ربه ليس فيما يتعلق بامور الدنيا فحسب ، بل فيما له مساس بالدين ، فلتراجع هناك .

(له صلة)

البطريركيّة الانطاكيّة

بين الاتحاد والانفصال

بقلم الاب اثناسيوس حاج قب
رئيس المدرسة الشرقية في زحلة

٢ (تتمة)

عصر الاضطراب (١٧٢٤—١٨٣١)

ان سلفستروس بما نال من البراءات بدأ يضطهد كيرلس واساقفته وجميع المنتمين اليه فهرب كيرلس الى قرب دير المخلص[1] . اما كاثوليك حلب والشام فقد اظهروا ثباتاً وايماناً عظيمين. وقد ابدى الرهبان الحناويون والمخلصيون غيرة عظيمة في الدفاع عن الكثلكة ، وتثبيت الكاثوليكيين في مدة الاضطهاد . وبفضلهم بقيت الكثلكة مزدهرة خصوصاً في حوران والشام وحلب ولبنان.

ولم تتسرع رومة بتثبيت كيرلس نظرًا لما ادخل من التغييرات الطقسية[2] هو وافتيميوس الصيفي . غير انها لما انست منه الاستعداد لارجاع الطقوس الى حالها ارسلت له سنة ١٧٣٠ التثبيت الاحتفالي . ثم الباليوم سنة ١٧٤٤

ولما شعر كيرلس بقرب اجله سمى له خليفة نسيبه اثناسيوس جوهر سنة ١٧٥٩، فاحتج بعض الاساقفة على هذه التسمية . ولذلك ابطلت رومية بطريركية جوهر . وسمت عوضه مكسيموس حكيم ، مطران حلب ، سنة ١٧٦٠ . فلم يرضخ جوهر لهذا الحكم ، فرشقته رومة بالحرم . وعلى اثر ذلك مات مكسيموس حكيم فانتخب الاساقفة المقاومون لجوهر اثناسيوس دهان ، مطران بيروت ، وسموه ثيودوسيوس الخامس سنة ١٧٦١ . واخذ جوهر يعمل على منازعة

---

١) ان سجل الرهبنة الحلبية يذكر هذا الاضطهاد الذي حدث في حلب والشام وامتد الى جبلك وغيرها.

٢) يأنف بعض الارثوذكس من الاتحاد برومة بدعوى انها تريد ان تُلبّن الشرقيين. فتصرّف رومة مع كيرلس وغيره دليل على شدة حرصها على تقاليدنا وطقوسنا.

البطريركية لدهان ، فجددت رومة حرمه الى ان رضخ سنة ١٧٦٨ . ولم يرتق الى البطريركية الا بعد موت ثيودوسيوس ، فانتخب اذ ذاك قانونياً ، وبقي بطريركاً حتى وفاته سنة ١٧٩٤ .

والى بعده كيرلس سياج ، ثم اغابيوس مطر ، ثم اغناطيوس صروف ، ثم اثناسيوس مطر ، ثم مكاريوس الطويل ، ثم اغناطيوس قطان الذي استلم زمام البطريركية من سنة ١٨١٦ حتى سنة ١٨٣٣ . ففي بطريركية قطان اشتد الاضطهاد جداً على الكاثوليكيين ، وخصوصاً في حلب والشام فقد استشهد سنة ١٨١٧ تسعة ، منهم واحد ماروني حُسب غلطاً انه ملكي كاثوليكي . واستولى اعداء الاتحاد على ما كان يملك الكاثوليك . الا ان هذا الاضطهاد قد زاد الكاثوليك اعتصاماً بايمانهم ، واضطر بعضهم ان يهاجروا الى لبنان او مرسيلية وغيرها . وفي الشام بدأ الاضطهاد سنة ١٨١٩ ، وبقي محتدماً حتى سنة ١٨٣١[1] . كل ذلك كان بمكيدة الاكليروس اليوناني الذي كان يبغض الاكليروس الغربي ، ويرى سيطرته يتقلص ظلها شيئاً فشيئاً عن بطريركية انطاكية[2] .

تحرير البطريركية الانطاكية الكاثوليكية وازدهارها

بعد موت قطان ارتقى الى البطريركية مكسيموس مظلوم . فكان بطريركاً ذكياً كثير الحزم جريئاً مهيباً ، حرّر الطائفة من ولاية البطريرك الارمني المدنية ، ونال براءة سلطانية تخوّله الولاية المدنية على بطريركيته الانطاكية والاورشليمية والاسكندرية . ولما كان الاكليروس اليوناني الارثوذكسي يزعم ان لا حق للكهنة الكاثوليكيين بلبس الملابس المعروفة ، وخصوصاً القلنسوة ، قام بين الفئتين عراك طويل من سنة ١٨٣٨ حتى سنة ١٨٤٨ ابدى فيه مكسيموس ثباتاً ودهاء كبيرين .

ان هذا البطريرك قد ردّ بقوة برهانه وغيرته عدداً كبيراً من الارثوذكس ،

---

١) انظر تفاصيله في مجلة «صدى الشرق» الافرنسية سنة ١٩٠٢ ص ١١٢ و ١٦٨ .

٢) ان الاكليروس اليوناني بما زرعه في العقول من الاوهام وفي القلوب من الضغائن قد حال دون تفاهم مؤمني الكرسي الانطاكي واخوانهم الغربيين وأخر اتحادهم اجيالاً طويلة .

فبلغ عدد طائفته ٧٠,٠٠٠ وافتتح من جديد مدرسة عين تراز لاعداد كهنة علمانيين يساعدون الرهبان في خدمة النفوس ويقومون مقام الكهنة المزوّجين. وقد حمى الطائفة من سمّ التعاليم البروتستانية بمواعظه ورسائله القيّمة، وقاوم شديداً اخوية المتعبدات الحلبية التي اسستها الراهبة هندية. واخيراً مات عن بطريركية واسعة يرئسها ثلاثة عشر اسقفاً.

وخلفه سنة ١٨٥٦ اكليمنضوس بجوث الذي امر باتباع الحساب الغريغوري سنة ١٨٥٧، قبل ان يهيّ الافكار لقبول هذا الامر. فانتهز الفرصة مطران بيروت الذي كانت رومة قد رفضت ترشيحه للبطريركية، واخذ يقاوم سرّاً، كما ان كاهناً في الشام وآخر في الاسكندرية عصيا واعلنا الشقاق في كنيستيهما. فحدث اضطراب في الطائفة، وترك الكثلكة عدد منها فانضموا الى الارثوذكسية. فهال هذا الامر البطريرك فاستقال وانزوى في دير المخلص. ولكن الحبر الاعظم لم يقبل باستعفائه بل حرم المجمع الذي اقامه مطران بيروت للائتمار على البطريرك. وطلب من هذا ان يعمل على ارسال المطران المذكور الى رومة. غير ان مذبحة سنة الستين حالت دون ذلك. وكان لروسية في ذلك الوقت نفوذ كبير في سورية، فعضدت الارثوذكسية واحيت شأنها. وهذا ما جعل عدداً من المنفصلين يبقون مصرّين على خروجهم من الكنيسة الرومانية، بينا الآخرون كانوا يعودون الى حضنها شيئاً فشيئاً.

اخيراً رضي الحبر الاعظم باستقالة بجوث سنة ١٨٦٤، فقام بدلاً منه غريغوريوس يوسف وهو من اشهر بطاركة القرن التاسع عشر. هذا عمل على تهدئة الخواطر وارجاع المياه الى مجاريها. وقد امكنه بمساعدة الابوين برنيه اليسوعي وفلابيانوس كفوري الحناوي (مطران بيروت السابق) ان يحيي ابرشية طرابلس ويرفع لواء الكثلكة فيها. وكان قد اظهر في المجمع الفاتيكاني صعوبة بقبول اقتراح تحديد سلطة الحبر الاعظم. الا انه بعد ان عاد الى لبنان ووصلته تحديدات المجمع المقدس اظهر كل الرضوخ. ومات سنة ١٨٩٧.

ومن ذلك الحين اخذت البطريركية الانطاكية الكاثوليكية تسير الى الامام مزدهرة سنة فسنة، موثقة عرى اتحادها بالكرسي الروماني، ومجتذبة

اليها في انحاء شتى عدداً وافراً من اخواننا الارثوذكسيين.

البطريركية الانطاكية الارثوذكسية من سنة ١٧٢٤ الى ايامنا

لقد رأينا ان المجمع القسطنطيني الارثوذكسي رقى سنة ١٧٢٤ سلفستروس اليوناني الى الرتبة البطريركية ليكون خلفاً لاثناسيوس الثالث، وانه ارفقه بالبراءات الشاهانية والاوامر بحط كيرلس الكاثوليكي، واضطهاد اتباعه. فهذا الدخيل الذي صرف همه في العمل على ملاشاة الكثلكة بقي بطريركاً نحو اثنتين واربعين سنة قضى معظمها بعيداً عن بطريركية انطاكية بسبب المقاومة التي اثارها عليه باضطهاداته للكاثوليكيين. ولقد أضر جداً بالبطريركية الانطاكية بما زرع من النفور والضغائن في قلوب الكاثوليكيين والارثوذكسيين معاً. وكان موته سنة ١٧٦٦.

واقام بطريرك القسطنطينية خلفاً له مطران حلب، فيليمون القسطنطيني، الذي لم يلبث ان مات في السنة التالية سنة ١٧٦٧، بعد ان سمى خلفاً له دانيال اليوناني، وناشد بطريرك القسطنطينية ان يرضى به، ولا يدع الاكليروس الوطني يتسنم عرش البطريركية.

بعد ان قضى دانيال مدة غير قليلة في البطريركية استقال منها. فسمى البطريرك القسطنطيني خلفاً له افتيميوس القبرصي. وبعد موت هذا سنة ١٨١٣ اقيم مقامه سارافيم القسطنطيني الذي اثار اضطهاداً كبيراً على الكاثوليك، مضاعفاً بذلك اسباب النفور والتباعد بين الطائفتين الشقيقتين.

وقد خلف هذا مطوديوس مطران انكره الذي مات سنة ١٨٥٠. فاقامت القسطنطينية بدلاً منه ايارونامس اليوناني، مطران بيروت، ولم يكن هذا بافضل ممن سبقوه من اليونان. فتقهقرت الارثوذكسية في ايامه كثيراً ووصلت الى حال يرثى لها مادياً وادبياً ودينياً.

وعند موته سنة ١٨٨٥ كانت الطائفة قد سئمت من اليونان وسوء سياستهم وسيرتهم، وبنوع خاص من سيرة البطريرك الاخير، فحاولوا تنصيب بطريرك وطني. غير ان القسطنطينية احبطت مساعيهم، وسمت خليفة للمتوفى جراسيموس

اليوناني الذي طمحت ابصاره بعد مدة الى الكرسي الاورشليمي ، فنازع عليها بطريركها ، وفاز ببغيته سنة ١٨٩١ . فسافر الى مقره الجديد بعد ان ترك على الكرسي الانطاكي سيريدون اليوناني.

وكانت روسية تحاول اذ ذاك مدّ سيطرتها على فلسطين وسورية . فاخذت تشيّد فيها المدارس والكنائس ، وتعمل على هدم نفوذ الاكليروس اليوناني ونشر مساوئه بين الشعب ، فاكتسبت بكل ذلك ثقة الارثوذكسيين.

ولما قام الشعب يطالب البطريرك اليوناني باقامة مستشفيات ومدارس لرعاياه ، وكان البطريرك قد اعلن عجزه عن ذلك بسبب الديون المتراكمة عليه ، تقدمت الجمعية الروسية للقيام بكل ذلك على نفقتها ، بشرط ان تكون الادارة في يدها ، فقبل اقتراحها . غير ان اعداء البطريرك وشوا به لدى الدولة العثمانية بانه خائن لها وصديق لروسية . اخيراً حطه الاساقفة عن كرسيه سنة ١٨٩٨ ، واقيم نائباً عنه جرمانوس اليوناني . ومن ثمّ اجتهد الاساقفة الوطنيون في تنصيب بطريرك منهم . فلما اجتمع الاساقفة في الشام ، وكان عدد الوطنيين منهم ثمانية ، واليونانيين اربعة ، دارت المناقشة حول مسئلة جواز انتخاب بطريرك وطني ، واشتد الجدال بين الفريقين . وفي اليوم التالي نزلوا الى الكنيسة لاقامة حفلة الآلام المقدسة فبدأ النائب البطريركي الصلاة باليونانية . فاجابه احد الاساقفة مقاطعاً اياه باللغة العربية . مما ادى الى بلبلة وخصام وسط الكنيسة ، وتدخل الشرطة لدرء الشرور . وبعد ذلك اجتمع الاساقفة الوطنيون وحطوا جرمانوس واقاموا ملاتيوس الدوماني بطريركاً سنة ١٨٩٩ ، غير عابئين بالبطريرك القسطنطيني . وفوق ذلك فان البطريرك الجديد لم يلبث ان اقام ، عوض اليونان ، اساقفة وطنيين تاركاً القسطنطينية وشأنها ليخطب صداقة روسية . وهكذا تلاشت سيطرة اليونان في البطريركية الانطاكية.

وبعد ان خلت الارثوذكسية نير الاكليروس اليوناني الذي استأثر بالمراتب ما ينيف على ١٥٠ سنة تاركاً الاكليروس الوطني في حالة الفقر والجهل ، تسنى لها زماناً يسيراً ان تجدد حياتها بمساعدة روسية . غير ان سقوط هذه الاخيرة جعلها بلا مرجع ولا عضد ، وقطع كل امل في تقدمها . ولاسيما وان ديورتها

اصبحت مقفرة يكاد البوم ينعق فيها ، واكليروسها العلماني لا يتسنى لاكثره اقتباس العلوم الكافية للقيام بواجبه العظيم في هذه الايام.

واما الشعب فيمكننا ان نقسمه الى ثلاث فئات : فئة المحافظين على الطقوس والعوائد القديمة . وهؤلاء لا يزالون على جانب من التقوى والتدين . الا ان الاوهام التي علقت باذهانهم ضدّ البابوية ، وقد اورثهم اياها تعصب الاكليروس اليوناني ، تجعلهم متعصبين في ارثوذكسيتهم بعيدين عن الاتحاد. والفئة الثانية تتألف من الشبيبة العصرية المتخرجة في المدارس الانجيلية او العلمانية . وهي لا تحفظ من الارثوذكسية الا الاسم فقط . واما مبادئها فهي مبادئ بروتستانية او عقلية محضة . واما الفئة الثالثة فهي تتألف من اولئك الرجال المفكرين المتنورين الذين قابلوا بين الكنيستين واكليروسيهما وحاليهما وتأملوا بنوع خاصّ في حال البطريركية الارثوذكسية في هذه الايام الاخيرة. فرأوا ان لا بد من الاتحاد بالكرسي الروماني ليؤلفوا مع اخوتهم الكاثوليك طائفة واحدة قوية عزيزة الجانب رفيعة الشأن.

وعليه فانجاز لنا ان نتساءل عن مصير الارثوذكسية في البطريركية الانطاكية اذا ما بقي رؤساؤها مصرين على مقاطعة رومة ، ناظرين الى البابوية كما الى شبح مخيف ، امكننا القول ان جزءاً منها صائر لا محالة (عاجلاً او آجلاً) الى البروتستانية . وجزء آخر نحو رومة عارفاً انها ميناء السلام . فيا حبذا لو كان رؤساء الطائفة الشقية يعتبرون حقيقة الخطر البروتستاني وسهولة الاتحاد الروماني وضرورته الحيوية . ويا حبذا لو كان قادة الافكار يضاعفون الجهود لتحقيق الاتحاد الذي يحنّ اليه الجميع كاثوليكيين كانوا ام ارثوذكسيين . اذن لكان الاتحاد يتم ، وقد اصبح على قيد الذراع ، ولكانت الكنيسة الشرقية تعود الى ما كان لها من العز في سالف الايام ، ايام كانت تسطع في سمائها فضيلة القديسين العظام وانوار علم ملافنتها الاعلام ، ذلك العصر الذهبي عصر الوحدة والوئام. فسلام على تلك الايام ويا حبذا العودة الى الوحدة ، فالوحدة مبدأ القوة والسلام ، والعود اليها احمد اذ لا بد من اتحاد الاعضاء برأس الكنيسة ليفوزوا بطيب الحياة وحسن الختام.

القضاء في لبنان

على عهد الحكم الاقطاعي

بقلم وجيه خوري
مستشار في محكمة الاستئناف والتمييز المختلطة

٣ (تتمة)

كتب المؤلف دولاروك سنة ١٦٨٨ قائلاً: «ان جمال لبنان وجودة مناخه — وهو على ما اعتقد اكثر المناخات اعتدالاً في سورية — عملا دون شك على تهذيب اخلاق الاهالي وجعلها هادئة كريمة . ففي هذا البلد يحتقرون النقائص والكذب والنميمة حتى ان الناس لا يتحدثون عنها ، ولا عن قضايا كبيرة او اختلافات على الفائدة ، او عن انزال عقوبة شائنة باحد الاهلين ، لان الجرم الذي يستحق مثل هذه العقوبة يستحيل وقوعه .»

ويعلق الاب لامنس على ما جاء في كتاب ڤولناي الذي زار بلادنا سنة ١٧٨٤ قائلاً : « ان ڤولناي محق في اشارته الى تكاثر السكان في لبنان . فهو في عدد اهليه يوازي افضل مقاطعاتنا . ويرجع ذلك الى الحرية التي يتمتع بها الاهلون . فان القروي هنا يعيش بهدوء وسلام ، واذا لم يكن بسعة زميله في غير لبنان ، فهو على الاقل مطمئن الى حياته وحريته على خلاف ما يجري في المقاطعات التركية المجاورة .» ولم يشاهد لامرتين الا فرقة ضئيلة من رجال الامن العام للمحافظة على النظام والسكينة . وقد ذكر ان نظام الملكية معروف ومحترم ، وهو ينتقل من الاب الى ابنه . ثم يقول في موضع آخر : ذلك ان النظام يسود المقاطعة التي يقطنها الموارنة اذ يمكنك ان تسير فيها بدون رفيق نهاراً وليلاً ، دون ان تخشى سرقة او اعتداء فالجنايات نادرة الوقوع فيها . ويعود ذلك الى التمسك بمبادئ الدين والاخلاق لا الى تنظيم القوانين .

فانتم ترون، والحالة هذه، ان كثرة الشرائع والقوانين ليست هي الدليل على الرخاء والهدوء في البلاد . فان الجهود التي يجب بذلها لتنفيذ القوانين الموجودة هي اكثر فائدة من وضع قوانين جديدة يُقضى عليها بالموت.

عابوا على القضاء في ذلك العهد انه كان غاية في الصرامة. وقد ذكر مؤلف كتاب « رحلة الى الشرق » الذي ظهر سنة ١٨٤٨ « ان لبنان في ذلك العهد كان اكثر رخاء منه على عهد الامير بشير بمائة مرة لان الامير كان يفرض على الجبل من عشرين الى خمسة وعشرين الف كيس . ولم يكن يتراجع امام قطع الرأس او الانف او الاذنين . لذلك غنم الموارنة حين سقوطه مائة بالمائة.

نحن لا ننكر ان الامراء كانوا يعمدون الى اساليب غاية في الصرامة والقساوة حين كانوا يرون سلطانهم مهدّدًا. واذا كانت العقوبات التي طبقت في ذلك العهد صارمة في نظرنا ، فمنشأ ذلك اننا في حكمنا عليهم تغيب عنا الحالة الاخلاقية في تلك الايام.

ولا يمكننا تقدير تلك الصرامة ووزنها بميزانها الصحيح الا اذا نحن قارنا بينها وبين الفظاعة التي كانت ترتكب باسم القانون في البلدان المجاورة . وقد رسم الاب لامنس صورة صادقة عن تلك الفظائع في مؤلفه عن سورية قال : ليس في استطاعتنا التبسُّط في تاريخ سورية في ذاك العهد المظلم ! ولعلّ في ذلك بعض الفائدة اذ يمنع السوريين ان يتناسوا ذلك العهد ، فيذكرون الظلم الذي عاش اجدادهم في ظلاله حتى جاءهم الغرب فعاونهم على القضاء عليه . ثم ان ذلك العهد كان شرّ العهود على سورية من حيث اقتصادياتها . فقد كان عبارة عن مجازر وحروب مطّردة بين الباشاوات . ثم يقول في موضع آخر : لقد كان الفائز مَن يزيد في الدفع ، وكانت السلطة في يد باشا لا ضمانة له لبقائه في مركزه الا الاموال التي يبعث بها الى استامبول. فكان يعمل، والحالة هذه ، على الاحتفاظ بمركزه بأن يخلق المشاكل في سبيل افراد الرعية ، ويجمع الاموال لارسالها الى العاصمة، بطرق شتى. وكان ثمن الولاية ، على ما جاء في بعض مقررات قناصل البندقية ، من ثمانين الى مائة الف دوقة ، وثمن وظيفة الدفتردار من اربعين الى خمسين الفاً . اما وظيفة القاضي فكانت ارخص بقليل. وكان هؤلاء

الموظفون يمثلون الدور نفسه. فكان الوالي يستنزف المقاطعة جماء ، والدفتردار يستنزف الامراء ، والقاضي كلَّ الذين تقع عليهم يده .

وقد وصف الاستاذ كميل اده ، في محاضرته عن مدنية شواطئ البحر المتوسط وعالم الحقوق في سورية ، حالةَ القضاء في العهد التركي . قال : « لم ننسَ بعد الظلم الذي كان يمتاز به ذلك العهد . فقد كان يشمل الامبراطورية كلها والمقاطعات البعيدة منها كسورية حيث كانت الرشوة وطمع القاضي بالمال مقياس العدالة الوحيد . ولا يسعنا الا الاعجاب بذلك الحكيم الذي كان ينصح لكل فقير ينشب خلاف بينه وبين غني ان لا ينتصف الى القاضي ، بل ان يترامى على قدمي خصمه طالباً الرحمة منه . لانه اسهل عليه ان ينال حقه من خصمه من ان يناله من القاضي . وكانت الفوضى سائدة في هذه المقاطعات حتى ان كل موظف كان يحسب نفسه انه ممثل السلطان ، فيمارس الحكم مثله . وكان يحدث ان مدير الجمرك يدعو اليه المتقاضيَين مخفورَين ، وبعد ان يلفظ قراره بدعواهما يرسل الى سجن الجمرك من لا يرضخ للحكم منهما.

وان هذا الاختلاف في الاوضاع السياسية والقضائية بين لبنان والبلدان المجاورة هو الذي بعث الرغد في جبالنا . وقد قال الاب لامنس في هذا المعنى : « ان الجبل اللبناني كان يستقبل اولئك الهاربين من جور الباشاوات الحاكمين حتى اصبح ملجأ السوريين الوحيد . »

وعلى اثر حوادث سنة ١٨٤٠ ، ونفي الامير بشير الكبير ، اظهر خلفه الامير بشير الثالث عجزه عن ان يضع حداً للفوضى التي كانت تسود لبنان . فضلاً عن ان تركية كانت ، منذ امدٍ بعيد ، تتحيّن الفرص لبسط سلطتها المباشرة على لبنان . فنقلت لهذه الغاية مركز الحكومة من عكا وصيدا الى بيروت ليتسنى لها التدخل بصورة مباشرة في القضايا اللبنانية . فاستطاعت ان تثير الدروز على المسيحيين . وقد عجز الامير اللبناني عن قمع الفتنة ، فتنازل عن كرسيه . وكان ذلك آخر عهد لبنان بالامراء . واصبح بعد ذلك تحت اشراف الباب العالي الذي شطره الى قائمقاميتين تفصل بينهما طريق بيروت — دمشق . الاولى مارونية في الشمال ، والثانية درزية في الجنوب . اما العهد الاقطاعي فقد

ظلّ على حالته ، الا فيما يتعلق بالامراء. فقد حلّت القائمقاميتان محل الامير . على ان الاقطاعية اصيبت بزعيمها ، فلم تلبث ان انقرضت . ونشأ عن تقسيم البلاد الى قائمقاميتين فوضى كانت احدى نتائجها فظائع سنة ١٨٤٥ . فعمدت تركية الى ارسال وزير الخارجية شكيب افندي بصفة مفوّض سام ليقطع دابر الفتنة. فحسب هـذا الاخير ان خير وسيلة لذلك ان ينصب قرب كل قائمقام مجلساً تمثل فيه جميع الطوائف . ثم بعث الى هـذه المجالس بتعليماته الشهيرة. وفي العام الثاني من ارسالها وضعت في قالب قانون وافقت عليه السلطات الحاكمة. وقد تألف من هذه التعليمات حلقة جديدة في القضاء هي ، على ما اعتقد ، شرٌّ من النظام الاقطاعي الذي ساد حتى ذلك التاريخ. وهذا موجز عن ذلك الوضع الجديد :

انشئ في كل قائمقامية مجلس استشاري مهمته معاونة القائمقام في الحكم . وهو يستقلّ بفصل القضايا الخاصة والعامة ، طبقاً للتقاليد القديمة والنصوص الدينية لدى كل طائفة. وكان القائمقام يرئس المجلس ويشرف على اعماله . اما المجلس فكان مؤلفاً من قاض ومستشار من كل من الطوائف الآتية: السنية ، والدرزية ، والمارونية ، والارثوذكسية ، والكاثوليكية ، ومن مستشار شيعي واحد ، لان القاضي السني يمثل الشيعيين وهم محمديون مثله . وهؤلاء المستشارون والقضاة ينتخبهم رؤساؤهم الروحيون بالاجماع ! وكانت شروط الانتخاب ثلاثة : اولاً : ان لا يكون المرشح قد خدم في احدى البعثات الاجنبية. ثانياً : ان لا يكون تابعاً لاحدى الدول الاجنبية . ثالثاً : ان يكون من سكان لبنان .

وكانت نتائج الانتخاب تعرض على مشير صيدا فيوافق عليها ، ويثبت المنتخبين في وظائفهم . اما صلاحية المجلس فكانت تتناول ما يلي : ١ً توزيع الضرائب — ٢ً الحكم بين الناس حسب ما يوحيه العدل والقانون والتقاليد القديمة . وكانت التعليمات المعطاة تنصّ على الاصول الواجب اتباعها . وكان استدعاء الدعوى يعرض اولاً على القائمقام ، فاذا رآه جديراً بالاهتمام حوّله الى مستشار طائفة المدعي او قاضيها . وهذا يأمر بجلب المدعى عليه . واذا كان الخلاف واقعاً بين فريقين من طائفة واحدة فان القاضي والمستشار اللذين يمثلانها يفصلان فيه . اما اذا كان واقعاً بين ابناء طائفتين مختلفتين فان مستشاري

الطائفتين وقاضيها يجتمعون للفصل في القضيـة . امـا باقي المستشارين والقضاة فكانوا يتابعون الدعوى في اطوارها حتى اذا اقتضى الامر يتدخلون في حلها . وكثيراً ما حدث ان اختلف الفريقان من القضاة والمستشارين على الحكم . فكان القائمقام يسعى في ايجاد حلّ موافق ، حتى اذا فشل احتكم الفريقان الى احد زملائهم من الذين تابعوا القضية . واذا لم يتفقوا على تسمية هذا الحكم ، عيّنه القائمقام بنفسه . وكان القائمقـام المرجع الاستئنافي اذ كان في استطاعة المتقاضين ان يستأنفوا الحكم اليه ، فيعمد الى اضافة قاضٍ او ثلاثـة للنظر مجدّداً في الدعوى بحضوره .

على ان هناك عقبة كانت تقف في السبيل . فقد كان يحدث ان الطرفين المتداعيين لا ينتسبان الى قائمقاميـة واحدة . وقد انتبه شكيب افنـدي الى هذه الصعوبة فازالها بأن حتم على صاحب الدعوى ان يقدم عريضته الى قائمقامه ، وهذا يحيلها الى قائمقام منطقة المدعى عليه الذي يعلم مجلسه بها . وكان الحكم الذي يصدر من هذا الاخير يعاد الى قائمقام المدعي . فاذا لم يرقه يستطيع ان يطلب من قائمقامه احالته الى المجلس من جديد . فاذا صُدّق اصبح مبرماً ، والا فاوراق القضية ترفع الى الوالي . ثم ان القضاة الذين اصدروا هذا القرار يمثلون امام الوالي ويدافعون عن الحكم الذي اصدروه . وكان الوالي يقضي بصورة نهائية .

وفي المسائل القضائية كانت الكلمة للقاضي . ولم يكن للمستشار الا رأي استشاري . اما في المسائل الادارية فقد كان الامر معكوساً . وكان القائمقـام مولجاً بتنفيذ الاحكام .

واننا نرى من قراءة هذه التعليمات ان شكيب افندي كان يحترم الاستقلال التشريعي في لبنان . فقد كان على المجـالس ان تطبق في احكامها التقاليـد والنصوص الدينية ، كما كانت تفعل المحاكم الاقطاعية .

اما في الامور الجزائية فقد كان على الزعماء الاقطاعيين ان يحـافظوا على الامن ضمن البلاد . غير ان هؤلاء كانوا يستشيرون معاون القائمقام ، وهو منتخب من الطائفة الاقل عدداً ، في العقوبة التي يجب انزالها بكل شخص يوقفونه ، اذا لم يكن منتمياً الى طائفتهم . وكان القائمقام المرجع الاخير في كل خلاف ينشب بين

الزعماء والمعاون الذي كان عليه ان يسهر على ان لا يقع حيف على ابناء ملته.

وقد بقي القضاء في هذا العهد على ما كان عليه في العهد الاقطاعي اي قضاء دينياً . اذ ان صلاحية القضاة والمستشارين لم تكن تتناول الا ابناء طائفتهم. وهم كان ينتخبهم ابناء ملتهم. وكانت الكلمة الاخيرة للقائمقام الذي خلف الامير في سلطانه وفي هذا تجاوز السلطة القضائية على السلطة التنفيذية.

ثم ان المعاملات كانت كثيرة التعقيد ولاسيما في القضايا التي كان الفريقان فيها تابعين لقائمقاميتين مختلفتين . ولكن الاحكام التي كانت في هذه الحالة تصدر من المجلسين كانت ساذجة بسيطة ، وبقيت الحالة القديمة كما هي رغم ما ادخله شكيب افندي من التغيير.

وقد وصف قنصل انكلترة ، في تقرير رفعه بتاريخ ١٤ ايلول سنة ١٨٥٨، حالة الفوضى التي كانت تسود البلاد في ذلك العهد من حوادث القتل عديدة الى ضعف الحكومة المحلية ، الى انتشار الرشوة بين الموظفين ، حتى كان يستحيل تنفيذ قرار صادر من محكمة تجارة بيروت وسوء الادارة هذا هو الذي احدث مجازر سنة ١٨٦٠ . فتدخلت السلطات الاوربية ، باشارة من فرنسة ، رغبةً منها في استتباب الامن وايجاد وضع يكفل للبنان الراحة في المستقبل.

ولكن مشروع الدولة الفرنساوية القاضي باعادة التنظيم القديم ، تحت اشراف حكومة وطنية ، لم يلاقِ لسوء الحظ تأييد الدول الاخرى . فاعطي لبنان قانوناً اساسياً نشأ عنه نزع القوة القضائية من يد الزعماء الاقطاعيين.

وان الموضوع الذي اخترته يتناول الاوضاع القضائية حتى ذلك العهد غير انه لا بد لي ، قبل ان انهي بحثي ، من ان اشير الى المراحل التي مرّ بها القضاء حتى وصل الى حالته الحاضرة.

لقد نصّ قانون لبنان الاساسي على وجود ثلاث درجات في المحاكم.

اولاً : المحاكم الصلحية . كانت تحكم بصورة مبرمة في الدعاوى التي لا تتجاوز قيمتها المائتي غرش اذا كان المتقاضيان من طائفة واحدة . اما اذا كانا من ملتين مختلفتين ولم يتفقا فكانت صلاحية النظر تنحصر في محاكم المديريات .

ثانياً : المحاكم البدائية وعددها ثلاث ، ويمكن اضافة ثلاث اخرى اليها كي

يصبح لكل مديرية محكمة ، اذ ان لبنان كان يقسم الى ست مديريات . وكل هذه المحاكم مؤلفة من ستة اعضاء يمثلون طوائف لبنان الست

ثالثاً : المجلس الاعلى الموجود في مركز الحاكمية . وهو عبارة عن محكمة استئنافية لمحاكم الملحقات . وكان مؤلفاً من ستة اعضاء يمثلون الطوائف الست ايضاً . وكان يُضاف اليهم عضو يهودي ، او عضو بروتستاني في القضايا التي يوجد فيها واحد من ابناء هاتين الطائفتين . ثم انه كان في كل مجلس ستة مدافعين يمثلون الطوائف الست . اما اعضاء المحاكم والمجلس الاعلى فقد كان ينتخبهم مشايخ القرى ويعيّنهم المتصرف .

ثم ادخل على هذا التنظيم كثير من التغييرات المهمة فيما بعد . ففي سنة ١٨٦٤ الغيت المحاكم الصلحية ، واستبدل بها مشايخ الصلح اي مخاتير القرى في عهدنا . وعندما قسم لبنان الى سبعة اقضية ، اعطي كل قضاء محكمة بدائية . ولكن هذه المحاكم كانت مؤلفة من قاضٍ يؤخذ من الطائفة الاكثر عدداً في القضاء ، ومن نائب ينتخب من الطائفة الثانية في العدد ، وله رأي استشاري فقط . ثم من كاتب يمثل الطائفة الاقل عدداً . اما المجلس الاعلى فبقي على حاله .

وكانت كل قضية يجب ان يفصل فيها بحضور اعضاء المجلس جميعاً . اما اذا كان المتقاضون من طائفة واحدة فقد كان من حقهم ان يرفضوا القضاة الذين ليسوا من ملتهم . وفي هذه الحالة لا يحضر هؤلاء الا في جلسة تفهيم القرار .

وفي الامور الجنائية انشئ ثلاث درجات في المحاكم . فكان مشايخ القرى يفصلون في المخالفات ، ومحاكم البداية في الجنح ، والمجلس الاعلى في القضايا الجنائية . ولم يكن يوضع اي حكم موضع التنفيذ الا بعد مصادقة المتصرف . ولكن توزيع الصلاحية هذا لم يكن الا نظرياً . فان التعديل المذكور لم يحدّد المخالفة والجنحة والجناية . ثم ان القوانين المكتوبة لم تكن أُدخلت الى لبنان بعد . فلبثت المحاكم الجديدة تطبّق العرف والعادة ومبادئ الشرع حتى سنة ١٨٨٥ ، اذ امر واصا باشا ان يستبدل الوضع القضائي في لبنان بالنظام المتبع في المملكة العثمانية منذ السنة ١٨٧٦ ، اي نظام الدرجات الثلاث . فعل ذلك دون ان يستشير الدول التي وقعت البروتوكول ، وحتم في الوقت نفسه على المحاكم ان

تتقيد بقوانين السلطنة . وكان سلفازه ، حكام لبنان ، قد سمحوا للمحاكم بتطبيق قوانين السلطنة المكتوبة من التي قد تخالف التقاليد المحلية .

وعلى اثر ذلك احتجت الدول في بروتوكول ١٥ آب سنة ١٨٩٢ ، و ١٤ آب سنة ١٨٩٧ ، و ٢٧ ايلول سنة ١٩٠٢ ، وايدت الاحتجاج في تموز سنة ١٩٠٧ .

ولم يعترف مجلس شورى تركية ، في اول الامر ، بالتعديل الذي ادخله حكام لبنان . وفسخت محكمة التمييز في الاستانة بقرار صدر بتاريخ ١٣ حزيران سنة ١٣٢٠ حكماً في قضية جنائية . لانها اعتبرت ان المحكمة التي اصدرت الحكم تألفت بصورة تخالف الوضع القضائي في لبنان .

وفي الخامس من شباط سنة ١٩١٠ اصدر الشيخ فيليب الخازن كتاباً عنوانه « استمرار استقلال لبنان التشريعي والقضائي » نادى فيه بأن تُعطى هذه البلاد حق اشتراع قوانينها ، لانه رأى ان ادخال القوانين التركية ليس الا مخالفة للاصول ، وتجاوزاً على قانون البلاد الاساسي .

وقد اصرّ حكام لبنان على العمل بالحالة الذي انشأها واصا باشا ، رغماً من احتجاج الدول ومطالبة اللبنانيين . وهكذا فان المسألة القانونية لم يكن قد فُصل فيها بعد حين اعلنت الحرب الكبرى سنة ١٩١٤ .

***

هذا هو بالاختصار تاريخ القضاء في لبنان منذ القرن السادس عشر حتى عهدنا الحاضر .

وقد رأينا ان الكيان اللبناني صمد للاحداث التي عصفت بالبلاد المجاورة ، ووقف في وجه المحتلين ، محافظاً على عادته ، وانظمته ، وقوانينه .

لقد تمتع لبنان في العهد الاقطاعي بالرخاء والراحة . ولدينا على ذلك ادلة جمة . وكان منشأهما البساطة والعدل في القضاء . وعندما قضى الاتراك ، بنفوذهم وباغرائهم زعماء لبنان ، على الاقطاعية التي كانت والسلطة الدينية اساس الاستقلال اللبناني ، عند ذاك اصبح لبنان تحت سيطرة الاتراك وسلطانهم ، ولم يحلّ اي تنظيم جديد محلّ الاقطاعية المنقرضة ، اذ ان الفوضى والاضطراب رافقا المجالس المولجة بالقضاء بين الناس .

وعلى اثر بروتوكول سنة ١٨٦٢ تمتع لبنان بسكينة نسبية . ولكن القضاء لم يكن سليماً . يعود ذلك الى انتشار الرشوة ، والى تدخل القضاة في السياسة . وهو امر شاع في ذلك العهد .

وقد كان ضغط المتصرفين ذوي الصلاحية الواسعة شديداً على القضاء . فكانوا يعينون القضاة ويعزلونهم حسب الاهواء السياسية ، وارادة زعماء الاحزاب . فلم يكن هنالك ضمانة للقضاة . وكان على هؤلاء ان ينتموا الى احد الاحزاب ، او ان يتقيدوا بارادة الزعماء ، ويعملوا بمشيئتهم .

وقد تألم اللبنانيون لذلك وعرفوا ان العدل لا يسلم الا اذا وجد في جو هادئ ، بمعزل عن الدسائس السياسية . فاستنجدوا بالدول التي طالبت في بروتوكول سنة ١٨٩٢ بالضمانة للقضاة لافتة نظر الباب العالي الى التحوير الذي ادخل على قانون لبنان الاساسي ، ملتمسة منه السهر على تنفيذه ، واحترام الوضع القضائي كما أدخل سنة ١٨٦٤ ، لا كما عدله حكام لبنان دون موافقة الدول المذكورة . وان يكون هنالك ضمانة للقضاة فلا ينقلون او يعزلون الا بعد تحقيق دقيق يقوم به مجلس الادارة . ولكن الحكام لم يعيروا اذناً صاغية لهذا الالتماس .

على ان العهد الحاضر قد كفل للبنان استقلاله . فان قضاته قد سبقوا الشارع في بعض الاحيان . فهم يستمدون احكامهم من القوانين الغربية . وفي بيروت معهد للحقوق يعلّم طلابه مبادئ القوانين الرومانية التي كثيراً ما طبقت في لبنان ، والقوانين الفرنساوية التي خلفت القانون الروماني . ثم ان عندنا قوانين جديدة لاتينية التأثر ظهر منها قسم ، والقسم الآخر قيد الدرس والتمحيص . ذلك ان لبنان ، كما قال احد رؤساء حكوماتنا اللامعين ، اميل بطبيعته الى الغرب منه الى الشرق ، لانه كان ولا يزال علامة الاتصال بين العالمين .

لم يتمكن الاتراك من القضاء على استقلال لبنان الا بعد ان اجهزوا على طبقة النبلاء التي كانت تحكمه . فليس لنا الا ان نتمنى ان يدوم هذا الاستقلال الذي كفلته الدولة المنتدبة الكريمة . وذلك بفضل طبقة جديدة من النبلاء ، لا نبلاء السيف ، بل نبلاء القضاء والمحاماة .

الامير حيدر احمد الشهابي

وتاريخه

الغرر الحسان في اخبار ابناء الزمان

٢

نسخ الكتاب

لما توفي الامير حيدر أحمد سنة ١٨٣٥ تبعثرت مكتبته وضاعت النسخ الاصلية من تاريخه الخطي . وبقي الحال على هذا المنوال زمناً طويلاً . ولما عُني نعوم افندي مغبغب بطبع هذا التاريخ لم يُوفَّق الى نسخة المؤلف نفسه ، فاكتفى بما وجده في مكتبة المرسلين الاميركيين في بيروت ، ونشر نسخة القس عالي سميث الاميركاني التي لا تزال محفوظة في المكتبة المذكورة . وكنا ، قبل ان طلبنا الى حكومتنا اللبنانية الموقرة ان تنشر هذا التاريخ ، قد تحققنا وجود نسخ متعددة منه مختلفة من حيث النصّ والايجاز والاسهاب .

ثم لما عزمنا على نشر الكتاب وراجعنا القسم الاكثر من نسخه الخطية ، وجدنا انها تجتمع في فصيلتين كبيرتين ترجع احداهما الى نسخة القس عالي سميث ، والاخرى الى نسخة غيرها لم نكن نعلمها . فدفعنا الأمر الى التفتيش بين هذه النسخ لعلّنا نجد نسخة المؤلف نفسه . ولاحظنا عندئذٍ ان نسخة الآباء اليسوعيين رقم ١٦٠ تبتدئ بهذه العبارة « الجزو الثاني من تاريخنا المسما غرر الحسان في اخبار ابنا الزمان » . ومما لفت نظرنا ايضاً الاختلاف بين خط هذه العبارة وخط سائر المخطوطة . فاعتقدنا انها نُسخة المؤلف ، وذهبنا نفتّش عن نماذج من خطه لاجل المقابلة . فقصدنا اولاً المقرّ البطريركي في بكركي ، وبعد الفحص والتدقيق لم نجد اثرًا واحدًا من خطّه فيها ، اذ ان جميع الصكوك التي تتعلّق به هي بخطّ غيره وليس عليها من آثاره سوى خاتمه المعروف .

عندئذٍ طلبنا الى حضرات العلماء المؤرخين الخوري بولس قرألي ، والخوري

قسطنطين الباشا ، وعيسى افندي اسكندر المعلوف ، وسليمان بك عز الدين ، ان يتولونا بلطفهم المعهود ويساعدونا في التفتيش. فتوجهنا جميعنا الى دير القرقفة، ودير مار جرجس الشير ، فلم نظفر بشيء من آثار الامير الخطية . ومن ثمّ قصدنا دير السيدة في شملان ، فعثرنا في مجموعة صكوكه الشرعية على عدد وافر من الحجج التي ترجع الى الامير المؤرخ. وما ان قلّبناها وأنعمنا النظر فيها حتى وجدنا ضالّتنا المنشودة . فهو يقول في احد هذه الصكوك « محرره بخطه حيدر احمد شهاب » . وبعد المقابلة بين خطّ هذه الصكوك وخطّ العبارة الواردة في اول النسخة اليسوعية تأكدنا ان القلم والقاعدة والخطّ في جميعها واحدٌ. وان النسخة المشار اليها هي نسخة المؤلف بالذات. ومما تأكدناه بالطريقة نفسها ان المخطوطة اليسوعية رقم ١٦١ ، ومخطوطة الجامعة الاميركية رقم ٣٨٠٤٤ هما للأمير نفسه ايضاً وتحملان عدداً وافراً من الاسطر بخطه.

وظهر لنا بالوقت نفسه ان قسماً من مخطوطة الجامعة الاميركية رقم ٣٨٠٤٤ هو بخطّ مَن كتب بعض صكوك الامير الموجودة الآن في بكركي وشملان ، وقد يكون قهرمانه سلوان ابو نحول كما يعتقد الاستاذ المعلوف[1] . ولعلّ القسم الاكبر من المخطوطة اليسوعية رقم ١٦٠ هو بخط الشدياق انطون الديراني، وذلك بدليل ما نقله الينا حضرة القس انطونيوس شبلي اللبناني عن القس عبد الاحد حيتوره اللبناني من ان الشدياق انطون كان من كتّاب الامير المؤرخ.

ولما كانت هذه النسخ الثلاث لا تعي الا اخبار الجزءين الاخيرين من تاريخ الامير المذكور ، نرى من الواجب علينا ان نجد نسخة اصلية للقسم الاول . أو ، اذا تعذّر ذلك ، علينا ان نجد ما يحلّ محلّها من الدقة والأمانة في النقل. فنقول اننا لم نُوفق حتى الساعة الى العثور على نسخة اصلية للقسم الاول من هذا التاريخ . ولذا نرانا مضطرّين ان نقبل القسم الاول من نسخة عالي سميث ونحلّه محلّ الاصل المفقود . وذلك لان القس عالي سميث قال سنة ١٨٤٩ ، في المجلة الاسيوية الالمانية ، انه استنسخ هذا القسم من تاريخ الامير حيدر عن

(١) ولعلّه الذي عناه الشدياق بقوله : « فكان مفوضاً اموره المعاشية الى رجل لئيم شرس الاخلاق عَبْدَه » (الساق على الساق ، ص٢٧-٢٨)

نسخة المؤلف نفسها[1] . هذا ولا يخفى ما كان عليه صاحب الكلام من العلم العالي والاخلاق الطيبة ، فهو ممن عُرف بالصدق ومن الذين لا يتّهمون فيايقولون فنكون ، والحالة هذه ، قد ظفرنا بالاصل نفسه لتاريخ لبنان في عهد الامراء الشهابيين ، وبنسخة عن الاصل للاخبار التي سبقت زمن الشهابيين . فلنتفرّغ الآن لفحص هذا التاريخ من الوجهتين العلمية والفنية ، فنتأكد قيمته ، ونفيه حقّه من العناية والاهتمام.

قيمة الكتاب

محتوياته

يتناول هذا التاريخ الأخبار السياسية، وبعض الأمور الاجتماعية والاقتصادية وشيئاً من الحوادث الطبيعية ، التي جرت في لبنان ، من ناحية خاصة . ويعرض، من ناحية عامة، لبعض ما يجري من هذه الحوادث في فلسطين وسورية وسائر اقطار الشرق الادنى ، وبعض البلدان الاوروبية . وجميع ذلك منذ ظهور الدعوة الاسلامية الى قُبيل وفاة المؤلف عام ١٨٣٥ . وهو مرتّب ، مثل غيره من التواريخ العربية ، حسب السنين الهجرية . فيبتدئ بأخبار السنة الاولى للهجرة ، وينتهي بحوادث النصف الاول من القرن الثالث عشر.

اسمه واقسامه

وقد قسّمه المؤلف الى ثلاثة أقسام ينتهي اولها باخبار سنة ١١٠٨هـ. (١٦٩٦م) ، والثاني بحوادث سنة ١٢٣٤هـ. (١٨١٨م)، والثالث بما ورد قُبيل سنة ١٢٥١هـ. (١٨٣٥م) واسمه في جميع هذه الاقسام « الغرر الحسان في اخبار ابناء الزمان » . فليس من اسماء خصوصية للاجزاء الثلاثة كما هي الحال في نسخة المرسل الاميركي عالي سميث ، وفي غيرها من النسخ التي ترجع اليها.

مصادره

ويظهر من مطالعة القسم الاول من المؤلّف ، ان هذا القسم منقول عن تواريخ الطبري ، والمسعودي ، وابن العبري ، وابن الجوزي ، وابن سباط ، وغوليلموس صاحب صور ، وباروتيوس، وصالح بن يحيى ، والخالدي الصفدي.

(1 Z. D. M. G., *Notizen und Correspondenzen*, III, 121-123.

واكثره عن تاريخ الطبري كما صرّح بذلك المؤلف نفسه في المقدمة

أما اخبار الجزءين الاخيرين فانها مأخوذة ، على ما يظهر ، من مذكرات الامير الخصوصية ، ومن الفرمانات الرسمية ، والمخاطبات التي كانت تدور بين ولاة الجبل ورجال الدولة ، ومن اقوال المؤرّخين المعاصرين كالقس حنانيا منيّر ، والقس روفائيل كرامه ، والقس قسطنطين طرابلسي ، والمعلم نقولا الترك ، والمعلم يوسف العودا ، والشماس انطونيوس العينطوريني ، ومؤلف تاريخ الجزار ، والجبرتي ، والمعلم ابرهيم العودا في اخبار سليمان باشا وعبدالله باشا ، وغيرهم .

طريقة المؤلف في التدوين — معاونوه

ويتضح من مخطوطاته الاصلية ، ومن اقوال معاصريه انه كان يُعِدُّ دفاتره فيأمر كتّابه ان يستنسخوا له هذا الخبر وذاك مما كان لديه من التواريخ ، وان يتركوا بياضاً هنا وهناك لاجل الزيادة . ويظهر ايضاً من مطالعة المخطوطات نفسها ، ومما ورد فيها من خطه ، انه كان ينسخ أحياناً بيده ، وانه كان يقرأ ما يأمر باستنساخه . ولعلّ في اقسام هذا التاريخ ما كان يُملي املاء على النسّاخ ، يدلّ على ذلك بعض الاغلاط الاملائية في كثير من الكلمات التي يظهر الخطأ في كتابتها وتكون صحيحة اذا سُمعت ملفوظة ، كما ورد في تصحيف الشطر التالي : « ولا اهلي ارى اهلي »[1] فكتب الكاتب : « ولا اهلي ارا. اهلي » ، وفي تصحيف « ذاقوا » التي كُتبت «ضاقوا»[2] . وهذا التصحيف الاخير يدلّ على ان الكاتب من بلاد الشوف ، وقد يكون من الدروز او من ابناء القرى المختلطة ، هذا اذا كان المملي لفظ « ذاقوا » بالذال المعجمة . ولا يخفى ان الدروز ومجاوريهم يميلون بلفظ الضاد الى شيء من الصفير ، وهو اللفظ الاصلي . فيكون الكاتب قد رسم الكلمة على حسب لفظه هو . اما اذا كان المملي قد لفظ « داقوا » بالدال المهملة ، وهو كثير بين عامّة لبنان ، فيكون الكاتب إما من نصارى قرى الشوف الداخلة في منطقة الجرد الجنوبي او المناصف ، واما من نصارى المتن الاعلى . وهؤلاء

١) اطلب الصفحة ١٩ من طبعتنا ٢) اطلب الصفحة ٢٢٩ من الطبعة نفسها

يفخمون الدال حتى يخرجونها ضاداً سوية في ما عدا الصفير. وامثال هذه التصحيفات كثيرة في التاريخ اكتفينا منها بما تقدّم دلالةً على ما تفيدنا من طريقة املاء الكتاب ومن صفات كاتبيه وناسخيه.

وممن تعاطوا مهنة النسخ، لدى الامير المؤرّخ، أحمد فارس الشدياق[1]، وسلوان ابو نحول، وفرنسيس ابو نجم، والشدياق انطون الديراني. ويروي الشيوخ « ان الامير اجرى الصلات للادباء فكثروا حوله وساعدوه في تاريخه منهم اسعد الشدياق، والمعلم بطرس كرامه، والقس حنانيا ا...

وممن اشتهر بتقرّبه من الامير المؤرّخ وباعتنائه بتاريخه « الغرر الحسان » الشيخ نصيف اليازجي. فهو الذي نسخ الجزءين الاخيرين من نسخة عالي سميث المشار اليها آنفاً، بدليل ما كتبه عليهما القس سميث نفسه، وبدليل المقابلة بين خطّهما وخطّ اليازجي بامضائه في مجموعة الفيكونت فيليب دي طرازي. وقد وجدنا جزءاً من هذا التاريخ بخطّه ايضاً في مكتبة بكركي. ويقول الاستاذ جرجس بك صفا ان نسخة بكركي هي بخط اليازجي الكبير اهداها جرجس بك الى المرحوم البطريرك بولس مسعد. ويظهر من مطالعة هذه النسخ ومقابلتها بنسخ المؤلّف ان الشيخ اليازجي لم يكتفِ بنسخ هذا التاريخ، بل اطلق العنان لقلمه، فصحّح، واضاف، ونقّص. وليته لم يفعل!. ونسخته هذه هي أساس الجزءين الاخيرين من طبعة المغيب التي ظهرت في مصر عام ١٩٠٠. ومَن قابل هذه الطبعة بطبعتنا الحاضرة، ولا سيما ما خصّ موادّ سنة ١١٠٩، و ١١٣٦، و ١١٨٤، بل القسم الاخير بكامله، وجد من الفروق والاصلاحات والاضافات والاختصارات ما يكفي وحده لتبرير قيامنا بهذا العمل الشاق[2].

---

١) الساق على الساق، ص ٣٤

٢) اطلب مقال الاستاذ المعلوف المشار اليه سابقاً في مجلة «الكلية» ١١ : ٢٢٢-٢٢٣

٣) وقد ذكر الاستاذ المعلوف قسماً من اغلاط طبعة المغيب في المجلة البطريركية المارونية، بعد ان قابل الطبعة المذكورة بنسخته المأخوذة بالحرف عن نسخة المؤلف الظاهرة اليوم بالطبع.

صفات التاريخ – بعض محاسن الطبعة الجديدة

ولا نرى بدًا من القول ان الامير المؤرّخ لم يعتنِ بضبط اخباره ولم يمحص حقائق تاريخه. وهذا أمر ظاهرٌ لا مجال للجدال فيه. وانّ من يراجع الاخبار التي سترد في هذا الكتاب المطبوع يرى مثلًا ان القتال الذي جرى بين أسعد باشا والامير ملحم مدرّن تحت أخبار سنة ١١٥٧هـ. (١٧٤٤م) وتحت أخبار سنة ١١٦٨هـ. (١٧٥٤م) ايضاً. وقد ورد مقتل أحمد زرو التاجر بين اخبار سنة ١٢١٨هـ. (١٨٠٣م) بدلًا من ١٢١٦هـ. (١٨٠١م) كما جاء في الجبرتي، الى غير ذلك من مظاهر السهو والخطأ.

ومهما يكن من أمر هذا التاريخ فانا نرى لـه حسنات كثيرة. منها انه اطول الاصول واكبرها لتاريخ لبنان في الآونة الحديثة؛ وان قسماً مهماً منه دُوّن في العصر الذي وقعت فيه الحوادث؛ وان راوي بعض الحوادث كان من اقرب المقرّبين لحكام ذلك العصر.

هذا وما يظهر منه الآن هو أكمل وأصحّ مما ظهر عام ١٩٠٠ في مصر. ذلك ان ما ظهر وقتئذٍ من الجزءين الاخيرين لم يتجاوز الـ٢٥٠ صفحة بينما الاصل الذي نعنى بنشره الآن والذي يتعلق بالمدة نفسها سيتجاوز الـ٧٠٠ صفحة. وما ظهر في تلك الطبعة يقف في اخباره عند انتهاء السنة ١٢٣٦ هجرية (١٨٢٠م). اما ما ننشره اليوم فانه يتناول زيادة على ذلك اخبار السنين الجازية بين ١٢٣٦ و١٢٤٥هـ. (١٨٢٠ و١٨٢٩م). ومن فوائد هذه الطبعة انها ستشمل جميل ما كتبه المعلم نقولا الترك عن تاريخ الحملة الفرنسوية الى مصر ما طبع منه عام ١٨٣٩ وما لم يزل خطاً[1]. الى غير ذلك من الاختلافات العلمية والفنية المهمة التي تنجلي تماماً لدى المقابلة بين الطبعتين.

هذا هو كتاب الغرر الحسان الذي نعنى به اليوم وهذه هي فوائده.

اسد رستم فؤاد افرام البستاني

١) راجع في شأن هذا التاريخ ما كتبه الاستاذ المعلوف في «المشرق» (٢٩ [١٩٣١] ٢٨٤–٢٩١)

الذكرى المئوية لرحلة لامرتين الى الشرق

لامرتين في لبنان وسورية

تموز ١٨٣٢ — نيسان ١٨٣٣

بقلم ا. سركيس

٢

لامرتين في لبنان وسوريه

لامرتين والشرق

في ١١ تموز سنة ١٨٣٢، ابحر لامرتين من مرسيلية، قاصداً الشرق، على المركب الشراعي «لالست» (*L'Alceste*)، الذي استأجره لهذه الغاية. وكان يصحبه في رحلته هذه امرأته، وابنته الوحيدة جوليا الضعيفة البنية السقيمة الصحة؛ واميده دي برسفال (Amédée de Perseval) الذي كان يحبه كشقيق؛ ورفيقان آخران هما السيد دي كمپا (De Campas)، والطبيب لاروير (La Royère)؛ ثم ستة خدام. وقبل ان يغادر شواطئ فرنسة، موّن مركبه بالاسلحة، وحصّنه بثلاثة مدافع، ليحمي نفسه ومن معه من قرصان اليونان في الارخبيل.

ان هذه الرحلة كانت في نفسه منذ زمن بعيد. غير ان حالته المالية لم تسمح له باتمامها؛ فقد كتب في رسالة الى احد اصدقائه: «لو قدر لي ان اجمع مئة ليرة لا غير، لزرت بلاد اليونان واورشليم، حاملاً عصاً وهميانًا، وآكلاً خبزًا قفارًا.» اما الآن، وقد نال، بزواجه من سيدة انكليزية غنية، ثروة تساعده على تحقيق احلام صباه بزيارة الشرق، «منشأ مخيلته»[1] فها هو، بعد

١) كتاب الرحلة الى الشرق *Voyage en Orient*. éd. 1841. Paris. p. I — واليه نشير في ما يلي من المآخذ.

هدوء العواصف السياسية التي مرّت بفرنسة على اثر ثورة تموز ١٨٣٠ ، ويأسه من الحصول على كرسي في الحكومة الجديدة ؛ تسكن موقتاً في قلبه نار الرغبة في تمثيل دور سياسي ، ويستعدّ لتحقيق « حلمه الذي رافقه منذ الطفولة . »[1]

اسباب الرحلة الى الشرق

ولا بدع ان يكون للشرق هذا المقام في قلب لامرتين . فهو سليل اسرة اشتهرت بتقواها ومحافظتها على التقاليد الدينية . وكان اول كتاب تعرف اليه نسخة مصوّرة من الكتاب المقدّس ، علمته امه القراءة فيها . فكانت بعد كل امثولة ، تشرح له مغازي الصور فيتأملها ملياً . ولم يبلغ الثامنة من عمره حتى كان يحن شوقاً الى « بلاد الكتاب المقدس » حيث جرت الحوادث التي دعاها واحبها قلبه الصغير . « لان المسافة بين حبّ الحوادث ، والرغبة في رؤية المواضع التي جرت فيها ، ليست بطويلة . »[2]

وتقدم في السن ، فاذا باوربة تموج لحرب اليونان وما يجري في هذا « البلد المسيحي البعيد » من المآسي ؛ واذا بكتّاب فرنسة ، من شعراء وناثرين ، يميلون الى هذه البقعة من الارض ، فيتمثلون فيها الشرق المظلوم ، وينظمون عنها كل ما يعرفونه ، تاريخاً كان ام اسطورة . واذا ببلاد اليونان خاصة والشرق كله عامة ، قبلة لانظار الادباء ، لا سيما الوجدانيين منهم (Les Romantiques) ؛ واذا بلامرتين — وهو اكبر الوجدانيين — يزداد شوقه الى هذه البلاد !

وفي هذه الاثناء نشر الكاتب الكبير شاتوبريان (١٧٦٨–١٨٤٨) ، بعد رحلته الى الاراضي المقدّسة ، كتابه المعروف باسم «رحلة من باريس الى اورشليم» (١٨١١) (*Itinéraire de Paris à Jérusalem*) . فكانت قراءته وتأمل ما فيه من الاوصاف الشعرية ، المتدفقة بالصور الخلّابة ، باعثاً جديداً هيّج شوق لامرتين الى زيارة المعالم الاغريقية ، والبلاد السورية ، ولا سيما الارض التي عاش فيها السيد المسيح .

كل ذلك أثّر في نفسه تأثيراً جعله ، حتى في عهد شكوكه وحيرته الايمانية

١) الكتاب نفسه ١ : ١ ٢) الكتاب ١ : ٢

ذاتها ، يعتبر ان الصعوبات الدينية لا تجد حلولها الا في الشرق ، منشأ الديانات الالهية .

زد على ذلك انه كان يشعر بضرورة تجديد ينبوع الهامه . لانه « كشاعر عاطفي ، اعتاد فهم اللغة الرائعة التي يتكلمها الله بلسان اعماله . ولما كان قد تشبع من الالفاظ المؤلفة ، لا من اصوات عقيمة ، بل من جبال بلاده ، واحراجها ، وانهارها ؛ فقد كان يريد ان يسمع صوت الطبيعة خارجاً عن اوربة . . . » واليك ما قال في هذا الموضوع : « ان نفسي كانت تعشق بحور الشرق ، وصحراواته وجباله ، وعوائده ، وكل آثار الله فيه . »[1]

عدا انه كان يريد نظم ملحمة شعرية كبيرة يجعل من الشرق مسرحاً لها . فقال ، خاتماً البواعث التي حملته على المجيء الى الشرق : « فاذا اراد الله ان يستجيب صلاتي ، فاني اسأله ملحمة تكون حسب رغبتي وطبق ارادته . »[2]

لامرتين وبلاد اليونان

اخذ لامرتين طريقه من مرسيلية الى شواطئ لبنان ، مارًّا مرًّا سريعاً بمالطة ، واليونان ، ورودس ، وقبرس ، مؤجلاً زيارة هذه البلدان زيارة مطولة الى حين رجوعه .

لكنه ، بخلاف سابقه شاتوبريان ، لم يجد في بلاد اليونان ما كان يتوقعه فيها من الجمال الطبيعي والفني . واليك شيئاً مما قاله في هذا الموضوع ، بعد ان زار احدى المدن اليونانية :

« ليست دار مجلس الشيوخ سوى سقيفة من خشب . . . اني اسأل نفسي ، وانا في بلاد اليونان . . . التي اصبحت شبيهة بقبر نبشت منه العظام : اين ذلك الجمال الذي لثت الدنيا من تقاريظه ؟ . . . اين سماء اليونان الذهبية الصافية ؟ . . . لا ارى الا جوًّا مظلماً كدراً »[3]

وقال بعد زيارة البارثنون ، آية الفن اليوناني ، واثمن آثار الهندسة القديمة :

« ان تأثير هذا البناء لا يناسب في شيء ما ينتظر من مثله . . . فان ما نثره عنه السياح والشعراء والمصورون ، من الاقوال الفخمة الملآبة ، يقع في نفسك موقع الاسى ، عندما تقع

---

١) الكتاب ١ : ١٤ ٢) ك . م . ١ : ٢١

٣) ك . م . ١ : ١٠٠ - ١٠٢

عينك على هذه الحقيقة ، فتجدها بعيدة جداً عن صورهم البيانية ! » (١)

ومن المفيد ان نحتفظ بهذه الاحكام لنقابلها بما سيقوله لامرتين عن لبنان. فان بين احتقاره لبلاد اليونان واعجابه ببلادنا لوناً شاسعاً.

في بلادنا

في بيروت

وفي ٦ ايلول ، بعد اربعين يوماً قضاها في البحر المتوسط ، بلغ الى دار امنيته « الارض المقدسة ، حيث جاء من بعيد يفتش عن تذكارات الانسانية الاولى » و« يتأمل اعمال الله في اجمل بلدان العالم . » (٢)

ولقد كانت دهشته ومسرته عظيمتين ، عندما اقترب المركب من الشاطئ وظهرت امامه ذرى لبنان ، سابحة في الغمام . قال يصف هذا المشهد وتأثيره عليه ، بعد اول نظرة :

« ان للبنان ميزة لم ارها لا في جبال الالب ولا في الطوروس . فهو مزيج من السناء والجلال ، في خطوطه وفي ذراه ، مع التناسق في التفاصيل والتنوع في الالوان . . . انه بالحقيقة لجبل فخم كاسمه ! » (٣)

نزل الى بيروت فحل ضيفاً في دار القنصلية الفرنسية ، وفي اليوم الثاني استأجر بيتاً « على اقدام لبنان ، تحيط به البساتين ، يقع الى جانب المدينة على مسافة عشر دقائق منها » (٤) . فآوى فيه امرأته وابنته التي زادها سفر البحر ضعفاً على ضعفها . واخذ يعد العدد اللازمة للسياحة في البلاد ، مبتدئاً ببيروت وجوارها . وقد كان اعجابه بجرج الصنوبر وطيب هوائه عظيماً ، حتى انه قال في ختام وصفه : « هذا ملتقى احلامي ! فسارجع اليه كل يوم . » (٤)

ولقد كان لوجود لامرتين وعائلته في بيروت مظهر لم يُعهد من قبل ، على ما يظهر . فان اللبنانيين لم يكونوا معتادين ان يروا من الاوربيين الا رجال التجارة ، الآتين لكسب المال او لمآرب شخصية اخرى . ولذلك ، عندما عرفوا ان هذا الشاعر لم يأتِ بلادهم الا للتمتع بجمال الطبيعة ، ودرس الاخلاق ،

---

١) ك . م . ١ : ١١١
٢) ك . م . ١ : ١٨٢
٣) ك . م . ١ : ١٥٦
٤) ك . م . ١ : ١٦٨

واكتساب عواطف جديدة ، تعزّت قلوبهم ، وانشرحت صدورهم ، واحتفوا به احتفاء عظيماً ، مقدّمين له ثقتهم وصداقتهم ، الى حدّ جعله يقول :

«ان ساحة بيتنا مملوءة ابداً من اهل الجبل والمشايخ ، والرهبان ، والنساء ، والاولاد . . . يجيئون من مسافات تقارب المئة كيلومتر احياناً ، ليسلموا علينا ويطلبوا بعض ادوية ، عارضين علينا الضيافة ، اذا كان في عزمنا المرور في اراضيهم . واكثرهم ، اذا لم اقل كلهم ، يجيئون امامهم بهدايا لطيفة من خمر البلاد وفاكهتها . ونحن بدورنا نستقبلهم ببشاشة ؛ ونقدم لهم القهوة والغلايين والمرطبات . ثم نهدي اليهم شيئاً لائقاً ، كقطعة من اقمشة اوربية ، او بعض الاسلحة او ساعة او شيء آخر من الحلي والمجوهرات . . . فيرجعون مسرورين من استقبالنا ويذيعون في كل مكان صيت الامير الافرنجي . . . هذا هو الاسم الذي اطلقوه عليّ ! . . . امير الافرنج ! » (١

امير الافرنج (*Prince des Francs*) ! . . . هكذا فهم لامرتين معنى الامير الافرنجي (*Emir Franc*) . ولا ندري اكان ذلك اقتناعاً بانه اصبح حقاً اميراً لاوربة ، ام ان في ذلك يداً لتملّق التراجمة وترفّعهم .

لامرتين في عرس شرقي

في ١٥ من شهر ايلول ، احتفل في بيروت بعرس ابنة حبيب بربارة ، صديق لامرتين وجاره ، « الذي وجد فيه قلب الصديق الحقيقي » (٢ فكان سروره بحضور هذا الاحتفال عظيماً لانه اطلعه ، منذ الايام الاولى لوصوله ، على مظهر هام من عوائد البلاد .

وقد دعيت السيدة لامرتين مع ابنتها الى حمام العروس . فوصفت لزوجها ما جرى في هذا الحمام الذي دام النهار كله ، واشتركت فيه اكثر من مئتي امرأة . فعلق كل ذلك في مذكراته ؛ وكان اشد ما أثر فيه — او بالاحرى ما اثر في قريحته — « زغاريد » النساء للعروس .

ونحن الذين بدأنا نتناسى عوائد بلادنا القديمة ، لا يمكننا اليوم ان نفهم ما تحدثه من الجلبة ثلاثون او اربعون امرأة يصحن كلهنّ بصوت واحد ، في مكان كل نوافذه محكمة الاغلاق ، كما هي حالة الحمامات العربية .

على ان عادة الزغاريد ، او الزلاغيط ، حسب اللفظ السوري ، لا تزال

١) ك . م . ١ : ١٨٢-١٨٣ ٢) ك . م . ٢ : ١١٧

معروفة في كثير من قرى لبنان ، ومشهورة في المدن والقرى الداخلية . فيحسن بنا اذن ان نسمع لامرتين يصف هذه الموسيقى . قال:

« عندما تمّ اجتماع النساء كلهنّ ، تصاعدت في الحمام انغام مستهجنة . فان بعضاً من النساء ، لا يغطي القسم الاعلى من اجسامهنّ سوى شفّ احمر ، اخذن يصحن باصوات مزعجة كئيبة ، حادّة ، لاعبات على الزمارات ، ضاربات على الدفوف . ودامت هذه الموسيقى النهار كله . فكان منها ان افسدت غبطة الحضور بما ادخلته على هذه الحفلة من الجلبة والمغالاة في التشنّج الذي لا يخرج عن حدود البربرية . » (١

« لا جدال في الذوق »، يقول المثل . فليس لنا اذن ان نحقد على لامرتين لان اذنه المعتادة سماع الناي والقيثارة لم تلتذ بزغاريد النساء ، التي يعجب لها ابناء البلاد . اما عن الرقصة العربية المعروفة بالدبكة فيقول : انها « خالية من اصول الفن ، لكنها ليست خالية من الاناقة والجمال . »(٢

وقد تطرّق الى وصف ازياء النساء في الحفلات وخارج المنازل . وذكر تجلببهن « بالمنشفة » وهي « احرام او شرشف واسع من نسيج ابيض ذهبي ، يغطي ملابس النساء الثمينة بكاملها ، حين خروجهنّ من المنازل . »(٣

ولا يزال استعمال هذه «المناشف» جارياً في كثير من قرى سورية الداخلية .

عند استير استنهوب

ولم يمض خمسة عشر يوماً على وصول لامرتين ، حتى هيأ « قافلة من ٢٥ حصاناً ، يقودها كثير من التراجمة والخدّام والاعراب والمصاروة . . . » . وكان قنصل فرنسة في بيروت وحاكم لبنان من قبل ابراهيم باشا قد سمحا له باستخدام « قواسة » في بيته وفي اسفاره . فسر كثيراً بذلك لانه مما يساعده على السفر بامان ، اذ يظهره بمظهر العظمة والاقتدار .

وفي اوائل تشرين الاول سار الى صيدا ، ليزور السيدة استنهوب ، في خلوتها قرب جون . فتعرف اليها ، واستضافها . وجرى له معها حديث طويل ، افاض فيه كل منها بمكنونات فؤاده .

---

١) ك . م . ١ : ١٧٨

٢) ك . م . ١ : ٢٦٠

٣) ك . م . ١ : ١٧٦

اما هذه السيدة العجيبة ، التي شغلت افكار كثير من كتاب الغرب ، فهي ابنة اخت المستر بيت (Pitt) ، الرجل السياسي الشهير (١٧٥٩–١٨٠٦) . تركت بلادها ، انكلترة ، رغم غناها وجمالها وما ينتظرها من المجد . فاقامت مدة في عواصم اوربة . ثم رحلت الى الشرق ؛ وبانت سورية بعد اخطار كثيرة في البحر . فتعلمت لغة البلاد وعوائدها . وانفردت في قصر قديم في قرية جون ، قرب صيدا ، عاشت فيه عيشة الملوك والامراء الشرقيين ، بعد ان اقامت مدة في تدمر تنفق على الاعراب عن سعة وافرة وتقدم اليهم الهدايا الثمينة ؛ حتى اكتسبت قلوبهم اليها ، فاصبحوا يأتمرون بامرها ، واطلقوا عليها لقب « ملكة تدمر » .

وكانت تدعي روح النبوءة وتنتظر مجيء مسيح مصلح ، تكون هي ساعده الايمن . ولها في ذلك قصص غريبة . لكن لم يعرف احد بالتحقيق شيئاً عن اخلاق هذه السيدة واطوارها ومقاصدها ، رغم ما بذل في سبيل ذلك من الجهود ، ورغم ما ألّفه عنها كتاب الغرب مثل موريس باريس (Maurice Barrès) وبول - هنري - بوردو (Mme Paule — Henry Bordeaux) ولامرتين في رحلته الى الشرق ، وغيرهم .

اما غاية لامرتين من زيارته لاستير استنهوب ، فكانت ، اولاً ، التعرف الى شخصية غريبة كشخصيتها ؛ ثم الاستعانة بنفوذها لدى الاعراب على سياحة هادئة امينة في البلاد السورية . لذلك نراه يخصّها باول سفرة خارج بيروت . والحق ان تعبه لم يضع ؛ فقد عرف بالاختبار ، في اثناء اسفاره ، ان تأثيرها على البدو افاده اكثر من مرة .

عند الامير بشير

دير القمر — وبيت الدين

خرج لامرتين من عند استير استنهوب ، قاصداً دير القمر ، عاصمة لبنان اذ ذاك . فبلغها عند الظهيرة . وقد اعجبته مناظرها الطبيعية ايّما اعجاب ! اما عن مقامها العمراني والسياسي فيقول : « ان ليس عليها شيء من مسحة المدن ،

فكيف بمسحة العواصم ! »[1] اجل ! ان دير القمر ليست على شيء من فخفخة العواصم وعمرانها ، اذا شاء لامرتين ان يقيسها بباريس عاصمة بلاده ! . . .

ولكنه على كل حال حفظ لها في قلبه — ومذكراته — موضعاً رحباً ؛ لان اشجار الحور التي اظلّته في واديها ، لاول مرة بعد مغادرته وادي ماكون ، ذكرته بايام صباه العذبة وتنزّهاته بين الحور على ضفاف « الصون » فهيّجت في قلبه ذكرى بلاده .

ولم يُطلّ على قصر « بيت الدين » من اعالي « الدير » ، حتى « صرخ صرخة الدهشة والاعجاب ، وبدافع غير اختياري ، اوقف حصانه يتأمل ذلك المشهد الجديد في مناظره الشرقية الفتّانة . »[2]

هذا كان تأثره من منظر القصر الخارجي وما يحيط به من المظاهر الطبيعية . ولكن منظراً آخر ، ادعى الى الدهشة ، كان ينتظره في الداخل . ذلك ان خيّالة الامير ، عند وصوله الى الساحات الداخلية ، كانوا يلعبون على ظهور الخيل ويتسابقون في رمي الجريد ، الامر الذي سرّه ولذّه كثيراً . وقد اعجب لامرتين بهذه الالعاب ، حتى انه لم يرها مرة في اسفاره الا اعاد ذكرها وتناولها بالوصف من جديد .

استقبله الامير بشير بلطفه وكرمه المشهورين واضافه في جناح من قصره ، اقام فيه معززاً مكرماً ؛[3] وكان يحضر المجالس الادبية ، والمساجلات ، والمناظرات بين شعراء البلاط ، فوصف كثيراً منها في كتابه . من ذلك ان « احد كتاب الامير ، وهو من اشهر شعراء البلاد العربية اذ ذاك . . . بعث اليه بابيات . . . تشوبها الزخرفة والتلاعب اللفظي . . . ولكنّ فيها . . . مقدرة في الفن وتناسقاً في الافكار ارفع بكثير مما يتصورونه عنها في اوربة . »[4]

ودونك الآن ما قاله في وصف مجالس المدح الرسمية :

---

١) ك . م . ١ : ٢٥٥ ، ٢) ك . م . ١ : ٢٢٠

٣) في قصر بيت الدين غرفة يسمونها اليوم « غرفة لامرتين » لكن لا يعرف بالتحقيق هل هي التي سكنها لامرتين ام غيرها .

٤) ك . م . ١ : ٢٢٠

« بعد العشاء بعث الينا الامير بعضاً من منشديه وشعرائه ؛ فارتجلوا ابياتاً في مديحنا . وفي حاشية الامير اشخاص مكرسون لهذا النوع من الحفلات . فهم يمثلون الدور ذاته الذي كان يمثله التروبادور (*Les Troubadours*) في قصور الاجيال الوسطى . . . يقفون منتصبين وراء دست الامير او بنيه ، على طعامهم ؛ وينشدون القصائد في مديح سيدهم ، او في مديح الندماء الذين يشاء سيدهم ان يبالغ في اكرامهم . نقل لنا الترجمان بعضاً من هذه النخب الشعرية ، فوجدناها ، بوجه الاجمال ، قليلة المعاني ، كثيرة التكلف ، حتى اننا لا نستطيع ان نترجمها بافكار وصور تناسب لغاتنا الاوربية . » (١

لكن لامرتين ، على الرغم من هذه الصعوبات ، ترجم قطعة مما انشد في اكرامه ، ننشرها هنا بنصها الفرنسي تفكهة للقراء ، اذ لم يسعدنا الحظ ان نجد اصلها العربي . وهي مقابلة بين مركب الاوربي ، السابح في البحار ، وحصان العربي ، « الطائر » في الجبال :

Votre vaisseau avait des ailes; mais le coursier de l'Arabe a des ailes aussi;

Ses naseaux, quand il vole sur nos montagnes, font le bruit du vent dans les voiles du navire,

Le mouvement de son galop rapide est comme le roulis pour le cœur des faible;

Mais il réjouit le cœur de l'Arabe.

Puisse son dos être pour vous un siège d'honneur et vous porter souvent au divan de l'Emir (٣

ولم يضع لامرتين فرصة اقامته في بيت الدين سدى . فقد تقصى عن حياة الامير بشير وسياسته وحروبه ، ونشر من كل ذلك فصلاً في مذكراته في ٢٢ صفحة(٢) من طبعة ١٨٤١ . هذا عدا ما ذكره من وصف القصر وسكانه والحياة الادبية فيه .

وفي ٣ تشرين الاول ، ودع « الامير الافرنجي » الامير اللبناني شاكراً له حفاوته وكرمه ، بعد ان اقام في ضيافته عشرة ايام . وخرج في حاشيته قاصداً بيروت . فاصحبه الامير بشير بعدد من خيالته ليدلوه على الطريق ، ويقوموا بحراسته الشرفية . (له صلة)

١) ك . م . ١ : ٢٢٠-٢٢١ ٢) ك . م . ١ : ٢٢٠

٣) ص ٢٢٢-٢٥٥ ، في الجزء الاول .

الامثال والاساطير اللبنانية

المختصّة باشهر السنة الشمسية

بقلم لحد خاطر

ايار

كان الشهر الثالث من السنة الرومانية قبل الحساب اليولي ، ومن ثم اصبح الخامس من السنة حتى اليوم ، ولفظه في العربية يقال انه من اصل بابلي بمعنى « الاشراق » ومنهم من يرجعه الى اصل فارسي بمعنى « الربيع » . فيه تلبس الطبيعة اجمل زخارفها وتتزين بابدع حلاها من خضرة وزهر ورياحين ، يقابله باللغات الفرنجية « مه » او « مايو » من « مايوس » اللاتينية المنسوبة الى الالهة « مايا » ام عطارد ورمز الارض الخصيبة . كان لها عيد في مطلعه ، وفي ٢ منه كانت تختتم اعياد الآلهة فلورا ربة الزهر . ولعلّ تلك الاعياد هي الاصل لما لا يزال يجري حتى اليوم في اكثر الاصقاع خلال شهر ايار من الحفلات اللطيفة المسماة « اعياد الازهار او حرب الازهار » . ومن اول عهد الانتداب شهدنا هذه الاعياد يحتفل بها في بلادنا احتفالات جميلة ، نخص منها بالذكر : الاحتفالات التي تقام كل عام في العاصمة بحلة الزيتونة على اكمل نظام وتشهدها الجماهير . وكان الاقدمون يتطيرون في ايار من عقد الزواج مخافة ان يحل بالمتزوجين فيه مكروه لانه كان عندهم شهر الموتى ، ولا يزال بعض الاوربيين حتى اليوم يصدق هذه الخرافة ، وقد رأيت في بلادنا من ينهج نهجهم في تصديقها .

ولايار صورة رمزية في قصر اللوفر تمثله بشكل رجل متوسط العمر يلبس ثوباً فضفاضاً بكمين واسعين وعلى رأسه سلة ملأها باجمل الازهار وازهاها .

. . .

وليس ايار عند العامة في لبنان بالاسم المستحب فاستبدلوه بـ « نوّار » ومنهم

من لا يعرفه الا بهذا الاسم فيقولون: « نوار نوّر الدنيا » اي اضاءها ، فكأنهم شقّوه من النُور اي الضياء او الاشراق لزهو شمسه وشدة لمعانها ، ولعلهم اخذوه من « النَوْر » بمعنى الزهر لانه عندهم شهر الازهار ولاسيما الورد كنيسان في الساحل ، ومن اقوالهم في ذلك : « في نوار الورد اقعد بالفي وتذكر ايام البرد »

وتتناقل العامة في لبنان عن لسان الورد في ايار البيتين التاليين :

انا الورد ، انا سيّد كل الزهر شوكي سلاحي ، ونايل رتبتي بالقهر
بغيب عنكم سنة، ويطلع عليكم شهر ومويتي في قاقمكم طويل الدهر

ولم يبق الورد في لبنان مختصاً بشهر دون سواه لان اجناسه التي تزهر في كل شهر من شهور السنة، حتى في الشتاء باعالي الجبال، قد تكاثرت بما جيء منها من الخارج . لكن هذه الاجناس ليست كالورد « الجوري » الخاص بشهر ايار والمعروف في لبنان بجمال منظره وطيب رائحته . وهذا الجنس من الورد يحبه اللبنانيون ويكثرون من زرعه في حدائقهم، وكان القدماء يأخذون من قضبانه مواسير لغلايينهم بعد ثقبها بسفود من حديد من الطرف الواحد الى الآخر ، وكان للامير بشير في جوار قصره ببيت الدين حديقة جميلة منه اقيم عليها خادم خاص يتعهدها ويقطع منها المواسير للغلايين الاميرية ويعنى بثقبها وتجفيفها .

ومن هذا الجنس من الورد يستقطر اللبنانيون العطر المعروف « بماء الورد » فيتهادونه ويحفظونه في القماقم لينثروه على الناس في حفلات الاعراس والاعياد وعلى الرؤساء والحكام عند زيارتهم لهم او لدى مرورهم في قراهم ، ولينضحوه بما يعدون في منازلهم من مرطبات وقهوة وحلويات تجميلاً لطعمها ورائحتها . ولهم في استقطاره طرق بسيطة سهلة توارثوها . منها : ما يجرونه بانبيق خاص من التنك صغير سهل الاستعمال ، ومنها ما يجرونه بقدر من نحاس يربطون على فيها قطعة من قماش شفاف يضعون فيه الزهر وفوقها الغطاء يملأونه بالجمر فيخرج بالحرارة من الزهر بخار يتكاثف ويصير ماء هو ماء الورد المعروف .

وعلى هذا النحو يستقطرون عطر زهر الليمون بانواعه من برتقال ومندرينا وحلو وحامض ويستعملونه كماء الورد . وقد يتناولونه علاجاً في بعض امراضهم لاسيما في « الوثاب » وما يسمونه « وجع القلب »

ويستحبون في ايار من مواليد الماشية « عجول البقر » فيقولون : « لا تقتني الا عجل نوار » ، وذلك لان العجل المولود في هذا الشهر يستقبله الطقس الدافئ ويتوافر لامه الكلأ الاخضر علفاً فتدر له الحليب الغزير طعاماً فينمو ويشتد ويشب ثوراً مستجمعاً محاسن جنسه وكمالاته .

وللعامة من اللبنانيين عبارات مأثورة توذن بمهارتهم في التمييز بين الثيران والاستدلال من سنها ولونها وتركيب اعضائها على ما تصلح له من الغايات ، من ذلك قولهم : « اشقر بقر لا تشتري وان صح عندك لا تبيع » ومعناه ان الابقار الشقراء لا يصح منها الا القليل النادر ، فالاولى ان لا يقتنى منها الا ما اثبت الاختبار صحته . و« ان صبت عليك الارض ادر لها هروشها » اي ان الابقار المسنة هي اصلح للحراثة في الاراضي الصلبة من الابقار الفتية . و« ما في لحم الا في العتيق » ويريدون به ان اللحم الدسم الكثير لا يكون الا في الابقار البالغة اشدها والعتيقة الايام . و« استطول وذباح واستقصر وفلاح » ومعناه ان الابقار الطويلة السواعد هي اصلح للذبح وقصيرتها اصلح للحراثة .

ويتخوفون « برد ايار » لسوء اثره في الاجسام والمزروعات والمحاصيل ومن اقوالهم في ذلك . « برد نوار خراب الديار »

اما المطر في ايار فيتوقعه الفلاح اللبناني بذاهب الصبر لجزيل فائدته للزروع ومن اقوالهم في مطر ايار : « المطرة في نوار بتموّن الفلاح وبقراته وبتزوّج ولاده وبناته » . واذا حصل جفاف في ايار خيف منه أن يصوح الزرع ويبيس هبّ الاهلون الى زيارة الكنائس وانارتها بالزيت والشموع رافعين الابتهالات الى الله بقلوب خاشعة لكي يمنّ عليهم بالغيث . وربما نشر رؤساؤهم الدينيون المناشير يفرضون فيها الصوم والصلاة واقامة الزياحات كل مساء لاجل استهطال الغيث . وفي هذه المناسبة يجتمع الاولاد كل عشية ويحملون تمثالاً يؤلف من عود عليه بعض الملابس ويطوفون به في الشوارع وهم ينشدون النشيد الآتي :

يا أم الغيض غيضينا شتي في اراضينا
شتي في اراضي الزرع ليكبر وينشينا

ويريدون بأم الغيض او « الغيث » وهي السيدة العذراء عليها السلام التي

خص شهر ايار بتكريمها وسمي باسمها «شهر مريم» او «الشهر المريمي». واللبنانيون معروفون منذ القدم بصدق تعبدهم لهذه السيدة وبالتجائهم اليها في كل ملمة لاسيما في ايار شهرها، وقد تعودوا ان يقيموا لها في اوله وآخره الطوافات الحافلة بايقونتها في شوارعهم او حول كنائسهم بين صنوف الخضرة والرياحين التي يتطوعون لجمعها كبارًا وصغارًا من الحدائق والبراري. وفي بعض القرى يكتفون باقامة خيمة في دار كنيسة الرعية او في الساحة العامة يشيدون فيها مذبحًا تعطى عليه البركة بايقونة السيدة في اول الشهر اواخره تبعًا للعادة المكانية.

وفي ايار يبدأون في الساحل باستغلال الفواكه والبقول والخضر كالمشمش والتفاح والخوخ والكوسا والبندورة واللوبياء والخيار وما شابه، ويأخذون في الجبال بزرع اغراس التبغ او «شتله» وفي ذلك يقولون: «في نوار خيارة ومشمشة وشتل تتن» و«في عشره نوار خوخة وسنبلة وزر خيار.»

وفي ايار يحين زمن استثمار «الشرانق» او «قطفها» فيتبادل المربون المعونة على ذلك، ويضرب المربي لقطف موسمه موعدًا يدعو اليه اصحابه وجيرانه ويعدّ لهم الطعام ويشتري الحلاوة، فيلتئمون عنده جماعة ويجمعون الشرانق عن «الشيح» وهي الاغصان التي توضع للدود لتحيك عليها فيالجها بعد تبييسها وربطها وتكون صنفين: «الكليلة» وهي التي توضع بالعرض على موائد الدود بين الاطباق، «والخياطة» وهي التي توضع من الوراء لصيق الحيط او الجدار.

وحلاوة القطف كثيرًا ما يشترونها مبادلةً بالفيالج ثقلًا ببعض اثقال. والحلاوة طعام تقليدي في قطف مواسم الحرير لا بد منها. ويقولون في ذلك: «قطاف بلا حلاوة سبب للعداوة.»

ولا يكون زمن قطف الفيالج واحدًا في جميع المناطق اللبنانية ولكنه يختلف باختلاف علو الامكنة عن سطح البحر ولهذا بينما يقول اهل الجبال: «في ايار احمل منجلك وغار» و«في ايار تقول القز اقبر بيك والحقني» يكون اهل الساحل قطفوا قزهم وباعوا فيالجها.

الامير بشير الكبير مضيف لامرتين

قصر الامير بشير كما كان زمن زيارة لامرتين

ويظهر على اليسار قصر الامير قاسم الذي تحول في ما بعد الى ثكنة للدراغون ولم يبقَ منه اليوم الا الاقبية المتداعية . وفي وسط الصورة تظهر دير القمر

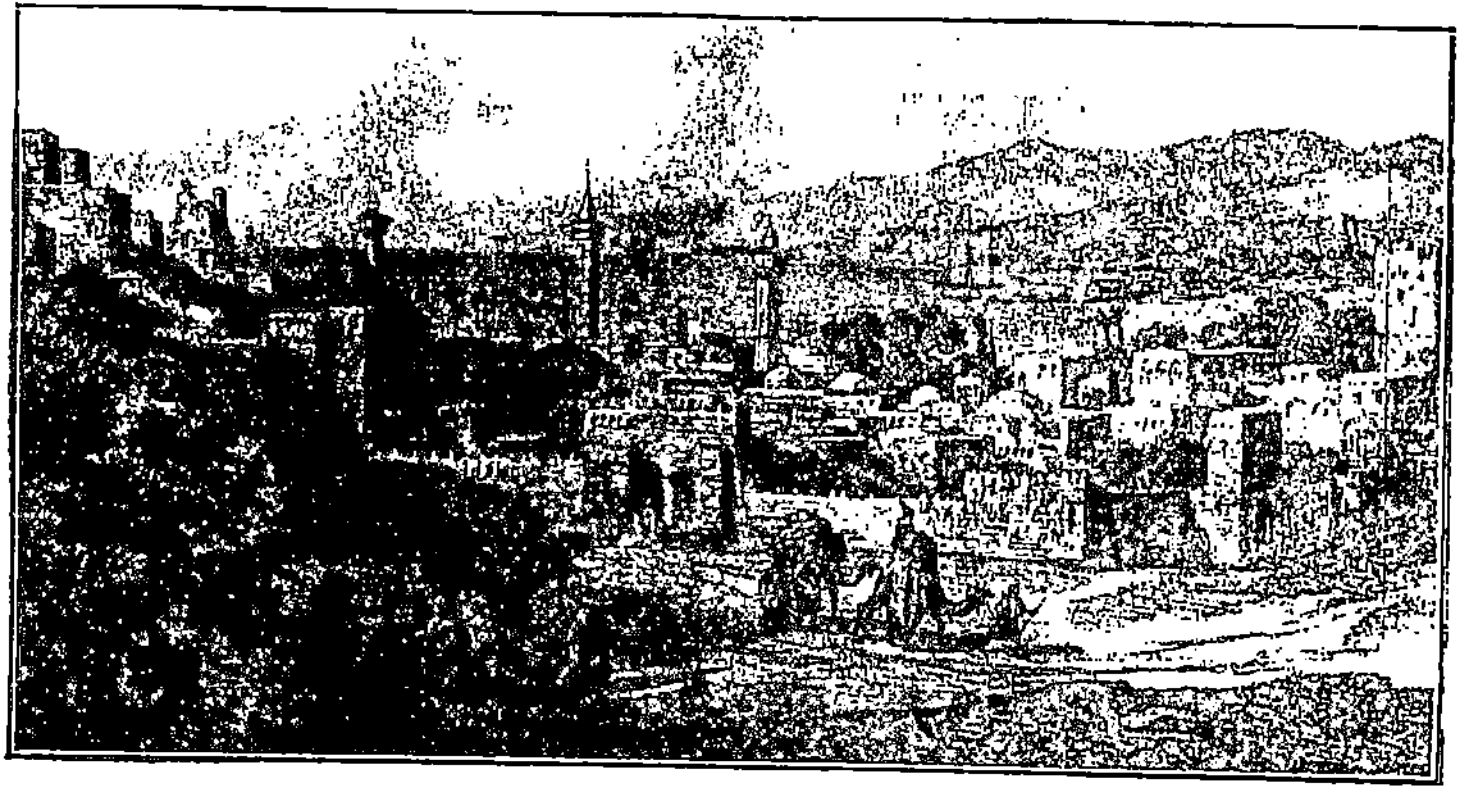

بيروت في عهد زيارة لامرتين

اللادي استير ستانهوب

شذرات

صيحة على « التفرنج » في المحادثات في بيروت قبل ستين سنة

تقوم جرائدنا العربية من وقت الى آخر بالحملات الشديدة على ما تدعوه « تفرنجاً » في المحادثات ، عانيةً ما يرغب فيه بعض الشبان والشابات من الخلط في احاديثهم بين تعابير اللغتين العربية والفرنسوية . وهي تُنكر عليهم الاخذ بهذا « الوباء العصري » ، عاملةً على دفع هذا « الخطر » الذي الم ببلادنا بعيد الحرب الكبرى . وهي ، وان كانت على حق في الاشمئزاز من هذا «الخلط»، وعلى صواب في التحذير من هذا « الخطر » ، فما نراها مصيبة بجعل هذه الظاهرة عصرية اتتنا على اثر الانتداب الفرنسوي . وما عسى ان يكون استغراب القرّاء اذا اطلعوا على كون الاخذ بهذا التيّار قديماً في بلادنا . حتى ان احد ادباء القرن التاسع عشر ، خليل غانم ، الذي كان ترجماناً « لولاية سورية الجليلة » قام منذ ستين سنة يشير الى هذا الخلط الشائن، فسبق جميع الصحافيين الى الاحتجاج على تلك « المفاوضة المبهمة » ناشراً في مجلة « الجنان » بتاريخ ١ كانون الاول ١٨٧٣ (ص ٨٠٤) مقالاً مسهباً رأينا ان ننشر القسم الاول منه دلالةً على تأصل « الوباء » المذكور في شباننا منذ ستين سنة ، واطلاعاً للقرّاء على تلك التعابير الفرنسية التي كان يكثر استعمالها بين المتخاطبين حتى من الذين لا يفهمون الفرنسوية ، وقد تغيّر اكثرها اليوم بحكم تبدّل الاحوال . قال الكاتب ، على طريقة المحاورة :

— « Bonjour ، خواجا ، كيف حالك ؟

— Je vais bien ، كثّر خيرك .

— Et M. votre père كيف حاله ؟

— مبسوط Dieu merci و ma mère اعتراها مرض elle garde le lit

— من كم يوم و quelle maladie ?

— مرض grave, trés grave

— من طبيبكم ؟

— ne me parlez pas de médecin استدعينا جميع الاطباء qui se trouvent en ville.

— Qu'est-ce vous avez de neuf ?

— لا يوجد شيء de bien saillant . اخبرتنا الا nouvelles télégraphiques ان الكونت دي شامبور متمسك ببرنسيبو .

— Est-ce qu'on trouve خمرة جيدة في البلد ؟

— Oui عند الخواجا حنا اليان والفرموت الذي يباع dans son magasin c'est quelque chose d'exquis ما هو falsifié .

« وناهيك عن بعض كلام يُستعمل في الحديث مثل : « عملنا له قوبليان » و « اعطيناه rendez-vous » و« تكيتنا » اصلها بالفرنسوية nous sommes quittes ، الى غير ذلك من الكلمات الكثيرة المستعملة بين التجار . »

يذكر الاديب كل هذا ، وكأنه مأخوذ من محادثات اليوم ، ويعلق عليه باحتجاج ومرارة ودقة ملاحظة لا ينكرها احدث صحافيينا ، فيقول :

« وقصارى الامر اننا نرى المتفرنجين من اهل بلادنا يتكلمون لغة مبهمة لا يدركها من كان جاهلاً للغة الفرنساوية . فلو تكلم البنون بحضور ابائهم (الذين يسمونهم الرجال القدم) بلغة غريبة عن لغتهم فربما كان ذلك يسر الاباء اذ يخيل لهم بان المحروسين اتقنوا اللغات الاوربية . ولكن عندما يسمونهم يخلطون اللغتين كانه لا فرق بينها او كانه من الواجب ان المخاطب يعرف اللغة الفرنساوية الا يحق لهم بان يتعجبوا ويتكدروا . »

الحد الاقصى لسرعة السيارات

اجري في ٢٢ شباط من هذه السنة سباق جديد للسيارات فكان السابق السر ملكولم كامبل الانكليزي ، وقد بلغ حداً اقصى للسرعة مقداره ١٣٧ كيلومتراً و١٠٨ امتار في الساعة . وكان هذا الحد قبل عشر سنوات ، اي في سنة ١٩٠٣ ، ٢١٦ كيلومتراً في الساعة فقط .

مطبوعات شرقية جديدة

Auerbach (Elias) : Wüste und gelobtes Land. *Geschichte Israels von den Anfängen bis zum Tode Salomos.* 18 *planches,* 8 *fig. dans le texte, XII+307 pp. très grand* 8°, *broché,* 14 *M., Berlin, Kurt Wolff,* 1932

الصحراء والارض المقدسة

تاريخ اسرائيل منذ الاصول الى موت سليمان الحكيم

عاش المؤلف ، المقيم اليوم في حيفا ، عشرين سنة في فلسطين . فكان له في تاريخ اسرائيل نظرة تنقص من لا يعرف تلك البلاد ومناخها ومواقعها وعادات شعوبها الخ . وقد شاء ان يحدّد في اول كتابه ما يفهم بكتابة التاريخ الحقيقية وما يجب على المؤرّخ فعله حتى يمثل العصر الغابر المؤرّخ. ثم نراه يعمل في كتابه كله على التوفيق بين اقوال الكتاب المقدّس وما بلغته من التقدّم العلوم الاثرية والتاريخية العصرية . فيظهر الكتاب تأليفَ اسرائيلي شديد التعلّق بدينه وبماضيه ، وعلى اطلاع على النظريات العصرية في اصول الكتاب المقدّس والتاريخ المدني في ما يتعلق منها بتاريخ اسرائيل . وهو يميل الى نزعة المحافظين ، مع انتباهه كل الانتباه للمستندات العصرية ، بحيث يضع بين ايدي القراء المتوسطي الثقافة كل ما يمكن للاسرائيلي ان يقبله ، بل ما يجب عليه ان يُقرّه ، في المشاكل التي يثيرها النقد العصري سواء أتى عن طريق منكري الوحي ام عن طريق البروتستانت ام عن طريق النقد المحض . ومثل هذا الكتاب كان مفقودًا في الجماعات اليهودية المثقفة . فيسدّ وجوده اذًا هذه الثلمة، ويمكن المسيحيين ، والكاثوليك خاصة ، من الاطلاع على اي حدّ يصل، في نقد المسائل الكتابية ، اسرائيليّ مخلص لا يخاف من الوقوف على الامور كما هي . هذا ولا يخفى اننا لا نقرّه في تأريخه لبعض الحوادث الكتابية (ص ٢٢—٣٤) مع كوننا نتفق واياه على الحكم بان المذاهب التي تفرّعت عن نظريات ولهوزن ابعد من ان تدعو الى الثقة والاطمئنان. هذا ولا يخلو المؤلف، في تفتيشه عن حلول بعض المشاكل الصعبة ، من المبالغة ومن المجازفة بالاحكام،

لا في الامور النقدية فحسب بل في استخدام بعض الوثائق الاثرية وما اليها . واننا نكتفي ، على ذلك ، بمثل واحد . فانه يستنتج ، في ما خصّ الكتابة الابجدية ، ان الاسرائيليين هم الذين اخترعوها (ص ١٤٣) وهو يستخرج هذه النتيجة من امرين غير صحيحين : ١ً ان ابجدية ناووس اخيرام من القرن العاشر لا الثالث عشر ، كما تقدّم للكثيرين فبرهنوا عن ذلك . ٢ً ان ابجدية سيناء كانت نسيبةً للابجدية التي اخترعها العبريون ، هذا ولم يظهر بعد الظهور الكافي ان لغة كتابات سيناء كانت لغةً سامية .

اما التصاوير فحسنة وبعضها متعدّد الالوان . ونحن بانتظار القسم المتمم لهذا الكتاب .

Festschrift Georg Jacob: *zum* 70*sten Geburtstag gewidmet von Freunden und Schülern, herausgeg. von* Theod. Menzel. *Avec le portrait de Jacob et* 10 *planches. Prix:* 30 *M. Leipzig, Otto Harrassowitz*, 8 + 381 *pp. gr.* 8°, 1932.

مجلّد مهدى الى جورج جاكوب من اصدقائه وتلامذته بمناسبة التذكار السبعيني لولادته

اشترك سبعة وعشرون من اصدقاء جورج جاكوب وتلامذته في تأليف هذه المجموعة المتعلقة خصوصاً بالمادة التي كرّس لها المكرَّم اعماله . بدأ الكتاب بيكر برسم ادبي لجاكوب بيّن فيه روحه المبتكر ، وعلمه الشامل ، ونفسيته المتجهة الى العمل ، وميله العميق الى الفنّ . وقد عملت كل هذه الصفات حتى ولّدت فيه استعداداً الى الاهتمام بالموضوعات التي يهملها الآخرون . فكان موضوعه الاول ، والذي لم يفتأ يرجع اليه في ابحاثه العديدة ، درس العلاقات التجارية بين الشعوب الشرقية وبلاد البلطيك ولاسيما ما اختص منها بتجارة العنبر . وقد ثار في بعض كتاباته على الآداب المدرسية والعربية ، بمعنى انه لم يكن ليقرّ انها تعبّر وحدها عن اعلى مراقي الفكرة المثقّفة . ومع انه كان من المقتدرين باللغة العربية كما يدلّ بحثه المفيد عن « الحياة البدوية عند قدماء العرب » فانه كان ميالاً بالاكثر الى الثقافة التركية ، مؤسساً «المكتبة التركية» . وقد اهتمّ ، فوق ذلك ، بكثير من الموضوعات الشعبية المظاهر فكتب في

تاريخ عرض الصور المشبّحة المعروفة « بالاظلال الصينية » . وكتب كذلك في « الدروشة » ، والفِرَق ، وفي كثير من الابحاث التي لم يسبقه اليها احد ، فكان ممهّدًا للطريق .

اما المجلد الحاضر فحوى قسماً كبيرًا من الدروس في تاريخ الترك مع نشر نصوص لم يسبق طبعها . وفيه ابحاث في الآداب الفارسية ، وغيرها في الاسلام ، وتاريخ الخلافة ، والحكايات الشعبية ، وشعراء العرب . ونشير ، في هذا الموضوع ، الى بحث للاستاذ كراتشقوفسكي ، الاستاذ في لينغراد واحد قدماء الطلّاب في مكتبنا الشرقي في بيروت ، درس فيه « الخمر في شعر الاخطل » .

واننا نشير ، بين الصور ، الى اللوحات المتعدّدة الالوان التي تزيّن بحث ثيودور مِتزل في تاج الدراويش مع تمثيل البسة الرأس المتنوّعة واسمائها ، وهو بحث يستند الى مخطوط خاصّ بالدراويش مؤرّخ في السنة ١٨٩٩–١٩٠٠ حصل عليه المؤلف في القسطنطينية . وقد خُتم المجلد بلائحة مفصّلة شاملة لجميع آثار المكرَّم من كتب ومقالات وشذرات .

والخلاصة ان الكتاب مثال من حيث الاتقان والطبع يستحقّ التهاني للمؤلفين وللطابع .

Khan Sahib Khaja Khan : The philosophy of Islam. *vol. in-8° de 120 pp. 2e édit. Madras, Hogarth Press.*

فلسفة الاسلام

هذا الكتيّب من تأليف احد مسلمي الهند . وليس فيه ما يستحق الذكر . حتى ان العنوان نفسه فاسد لا يدلّ على مضمون الكتاب . اذ لم يهتمّ المؤلف بدرس تاريخ الفلسفة الاسلامية ، بل عرض بعض التفاصيل المبهمة عن الصوفية في الاسلام . ثم ان اكثر الاعلام المسرودة يتناولها الخطأ بالكتابة . ولقد كان بامكان الكاتب ان يستقي من « تاريخ الفلسفة الاسلامية » للمستشرق الهولندي دي بوير . والى هذا الكتاب المفيد نحيل من يرغب من قرّائنا في الاطلاع على الموضوع ، فيستعيضون خيرًا عن المؤلّف الهندي . ه.ل.

Henri Bremond : Newman, *essai de biographie psychologique* 1 *vol.* (13×20) *de* 320 *pp. Prix* : 20 *fs. Bloud et Gay, Paris. Réimpression* 1932.

نيومن

لا خلاف في ان ترجمة حياة نيومن للاب هنري بريمون ، عضو المجمع العلمي الفرنسوي ، من اشهر مؤلفات هذا الكاتب الذائع الصيت . فقد جرى في هذا التاريخ على طريقة التحليل النفسي ، متوصلاً الى اعمق اعماق الافكار والعواطف ، والمآتي التي كانت تمثل شخصية الكردينال الانكليزي العظيم ، كل ذلك باسلوب تصويري جذاب على قسط وافر من الانتباه لجميع الدقائق واللطائف التعبيرية . فضلاً عن الحياة الروحية السامية التي تشع من بين الصفحات مما جعل للكتاب شهرة حقة تحاه بجدارة في مقدمة آثار الكاتب ، وكانت طبعته قد نفدت من مدة وكثر طلابه . فاعيد طبعه مؤخراً ، ونحن لا نبالغ اذا قلنا ان هذه الطبعة الجديدة تمثل حدثاً ادبياً ودينياً في منشورات العصر .

A. Ehrhard: Die Kirche der Märtyrer. *gr. in-8° de XII* + 412 *pp. Prix* : 10 *M. Verlag J. Kösel u. Fr. Pustet. München.*

كنيسة الشهداء

ان مؤلف الكتاب من اشهر الاختصاصيين في التاريخ الكنسي ولا سيما في ما خص العصور النصرانية الاولى ، وقد اتى عمله هذا متمماً لسلسلة من الابحاث التمهيدية نشر غايته في القيام بها منذ السنة ١٩١١ ، اذ كان رئيساً لجامعة ستراسبورغ . وهو يعني بالاسم « كنيسة الشهداء » تاريخ الكنيسة منذ نشأتها الى عهد قسطنطين ، شاملاً بذلك كثيراً من الحركات الناتجة عن الوثنية او الانشقاقات النصرانية نفسها . على ان الكنيسة لم تفتأ تتطور وتتقدم من حيث اقرار السلطات المتدرجة ، وتقرير العقائد ، والاحتفالات ، والاعياد ، والنظام . وكلها امور خاض فيها المؤلف عن مقدرة وسعة اطلاع ، متضلعاً من موضوعه ، مقدماً للمطالع مادة ناضجة يفهمها بسهولة ويلتذ بمطالعتها .

ج . ل

Luigi de Marchi : Climatologia. *2ª ediz. U. Hoepli editore. Milano.*

بحث في علم الاقاليم او المناخات

يؤلف هذا الكتاب الصغير حلقةً من كتيبات هوبلي ، وهو مختصر من التآليف الشاملة في موضوع الاقاليم او المناخات جمع في هذه الصفحات القليلة كثيرًا من المعلومات الكافية ، وان لم يكن كاملًا بالطبع . وقد اعيد النظر في اجمعه ، في هذه الطبعة الثانية الظاهرة بعد الاولى باثنتين واربعين سنة ، فصرفت العناية الخاصة الى درس الاهوية والاشعاعات الشمسية وما شاكلها من العناصر الجوّية الاوفر تأثيرًا في المناخ . اما معلوماته عن مناخات سورية وفلسطين وشرقي الاردن فكافية صحيحة الا انها عامّة بالطبع ، والمؤلف يذكر فيها معدّل الحرارة والمطر في ثلاث مناطق : اورشليم ، وطبرية ، وبيروت . ج.ل

F. A. Ossendowski : Lénine. *in-8°. Prix : 20 fs. Editions Albin Michel, Paris.*

لينين.

هذه ترجمة فرنسوية لكتاب في حياة لينين ، نشرها المترجم دون مقدّمة ولا شروح . يظهر لينين من خلالها رجلًا مستبدًا كان يحيا ومن حوله في محيط خيالي فيتكلمون جميعاً كما يتكلم ممثلو السينما ويحيون كذلك . وهو امر يولي الكتاب رشاقة وحياة حتى ان المطالع يستغرق في اللذة لدى قراءته هذه الصفحات الا انه لا يتمالك ان يسأل نفسه : وهل هذا صحيح حقًّا ؟

Jos. Huby s. j. Le discours de Jésus après la Cène [*Collection « Verbum Salutis »*] *in-8° couronne, Gabriel Beauchesne et ses Fils, Paris.*

خطبة يسوع بعد العشاء السري

هو حلقة من مجموعة نالت رضى القرّاء واعجابهم على كونها حديثة الظهور . وهو ما يدفع الى الارتياح اذ يعرف المطالعون بظهور مجلّد جديد من المجموعة وباعداد مجلدين آخرين . اما موضوع الكتاب الحالي فخطبة المسيح بعد العشاء السرّي وهي ما تتضمنه الفصول الخمسة من انجيل يوحنا (١٣–١٨) . كان

المؤلف قد درسها وشرحها في محاضراته التعليمية،وهو اليوم يعرضها على القرّاء بشرح مختصر، مضيفاً اليها بحثاً عن معرفة الايمان عند القديس يوحنا ، وكان قد نشر هذا البحث ايضاً في مجلة « الابحاث في العلم الديني» الفرنسوية. ج.ل

Collection « Les cahiers du blé qui lève » n° 5, mes clichés. *Prix : 7 fs, Editions Spes, Paris.*

مجموعة من الصور التعليمية

لا يخفى ما يشعر به الناس كباراً وصغاراً من الحاجة الى الصور ، ولاسيما في التعليم وخاصة التعليم المسيحي . ولهذا فقد جُمع عدد من الرسوم في هذا المجلّد مع بعض الايضاحات في كيفية استعمالها ، والمعلومات عن طرق استنجاد القوالب (الكليشيات) ، مع الايضاحات عن انتشار هذا الاسلوب في النشرات الرعوية .

Anouar Hatem : Les poèmes épiques des Croisades. Genèse. Historicité. Localisation. *in-8° de* 425 *pp. Paris, Geuthner*, 1932.

ملاحم الصليبيين

غاية مؤلف هذا الكتاب ان يدرس الحركة الادبية في ممتلكات الفرنجة في سورية زمن القرون الوسطى ، وهو عمل ينيل القائم به فضلاً جزيلاً . لما بذل من الجهود في طرق موضوع لم يمهد السبيل اليه احد قبله ، وفي محاولته الوصول بهذا الدرس الى افضل ما يمكن . وقد صرف همّه الى اختيار ما يظهر انه اوفر تاريخية بين الاناشيد القصصية العديدة الخاصة بالصليبيين ، والى البحث عن اصولها ، وظروف نشأتها ، وفوائدتها الحقيقية . فحلّل ملحمة انطاكية ، وملحمة اورشليم ، وملحمة « الضعفاء » ، باحثاً عن مؤلفيها ، مقابلاً بين نصوصها وما يُعرف قبلاً من الحوادث التي تشير اليها ، مظهراً ما تفيدنا هذه النصوص من المعلومات عن حياة الفرنجة في سورية . ولا يخفى ما لهذه الملاحم من الاهمية من حيث ان مؤلفيها عاشوا في سورية ، وعاينوا الحوادث الصليبية عن كثب ، وكتبوا اناشيدهم في سورية نفسها .

هذا اهم ما يميّز الكتاب الذي قد يظهر لاول وهلة متضخم المواد ، قليل

الوضوح . على ان المطالع لا يلبث ان يتحقق ما كلّف المؤلف من جهود ، وما يفرض من سعة اطلاع . بيد ان هذا لا ينفي كون القسم الاول ابعد الاقسام عن الابتكار واقلها ارتباطاً بالموضوع . وهو ما يبحث في نشأة فكرة الصليبية حيث يسهب المؤلف في ذلك معتقداً ان الناس لا يزالون يجهلون مقدمات الحركة الصليبية في التاريخ البعيد حتى يدفعهم هذا الجهل الى الاعتقاد ان الصليبية نشأت فجأةً كمن تولّد ذاتي . وهو امر اقلّ ما يمكن ان نقول عنه ان المؤلف بالغ فيه كل المبالغة . ومما قد نوافقه عليه ان تاريخ القرون الوسطى لم ينتبه الانتباه الكافي للحركة العربية . وهذا ما انتبه له المؤلف كل الانتباه .

ج . ل .

Frank Morison : Le Tombeau Vide. I *vol. in-8° de* 256 *pp. Prix* : 12 *fs. Editions Contemporaines. Paris*

القبر الخالي

« لقد حدث هذا الامر كما لو كان رجل اراد ان يجتاز غابةً ما ، فسار على الطريق متنقّلاً بين مجازات قد ألفها وعرفها واضحة ، حتى اذا وصل اخيراً الى الجهة المقابلة ، وجد نفسه في نقطة بعيدة كل البعد عن النقطة التي اعتقد اولاً انه يتجه نحوها . »

على هذا الاسلوب يشرح المؤلف كيف اتى كتابه مختلفاً كل الاختلاف عمّا اراد تأليفه . فقد باشر عمله متأثراً بنظريات منكري الوحي التي تشبعها من تعليم اساتذته ، فاراد ان يوضح حوادث الاسبوع الاخير من حياة المسيح ، ويبرهن ان كل ما جرى اذ ذاك يسهل شرحه بمعزل عن الالتجاء الى ما فوق الطبيعة . الا انه كان كلما تقدم به البحث يتحقق اموراً لم يكن ليعتقد بامكان حدوثها في اول الامر . فتابع العمل بكل اخلاص . واذا به ، في نهاية الكتاب ، يرى نفسه باسطاً الادلة التاريخية على قيامة المسيح . وهو ما يدلّ عليه العنوان « القبر الخالي » .

ومما يمتاز به الكتاب الوضوح التامّ في الاوصاف والتدقيق في تصوير الحالات المتتابعة ابّان آلام المسيح . يعبّر عن ذلك باسلوب تصويري جذّاب

يرافق الكاتب حتى في ادقّ التحاليل التاريخية فيروق المطالع . وقد اتت الترجمة الفرنسوية موافقة للاصل الانكليزي.

وان المطالع الكاثوليكي اذ يتتبع بارتياح هذه الصفحات الواضحة المخلصة فينبسط لديه تاريخ هذا الارتداد الفكري ، يشعر بقوة الاصول العقلية التي يستند اليها ايمانه . وهو ، اذا ما تجنب بعض ما يبدو في اقوال الكاتب من اثر الارتياب بالعجائب الذي يدفعه احياناً الى طرح بعض التفاصيل من نصوص الانجيل ، يمكنه ان يطّلع بوضوح تام على بعض نقاط لم تذكرها النصوص المقدّسة الا موجزة مختصرة . واننا نأمل ان المثل الذي يعطيه مؤلف هذا الكتاب يعلّم جميعنا طريقة رزينة مثمرة في قراءة الاناجيل المقدّسة .

ك . ب . هيوز

J. M. Hanssens s. j. : Institutiones liturgicae de ritibus orientalibus. *t. II*, 1930 ; *t. III*, 1932 ; *Appendix ad. t. II et III Indices et versiones* 1932. *De Missa rituum orientalium. Rome, Université Grégorienne*, 3 *vol. in*-8°

الرتب الطقسية في الطوائف الشرقية

ان درس الرتب الطقسية في الطوائف الشرقية عمل واسع يستغرق خمسة مجلدات بحجم كبير ، يختصّ الاول منها بالطوائف الشرقية على الجملة ، والثاني والثالث بالقدّاس ، والرابع بالاسرار ، والخامس بالفرض . وان بين يدينا اليوم المجلدين الثاني والثالث وملحقها ، وموضوعها القدّاس. وقد قام المؤلف ، وهو استاذ في الجامعة الغريغورية وفي معهد الدروس الشرقية ، بتعليم هذه المواد قبل ان يعرضها للنشر ، فجمع كل ما امكنه من المستندات التي كان اسهل عليه ان يجدها في رومية منها في محلّ آخر . يبتدئ الجزء الاول (اي المجلد الثاني من المجموعة) بمعلومات عامّة عن القدّاس الشرقي ، واقسامه ، مع بحث واسع في مادة الذبيحة وتدرّج اقسام القداس كما هي في الزمن الحاضر ، وكما ظهرت اثناء تطوّرها التاريخي . ويختصّ الجزء الثاني (اي المجلد الثالث) برتب القداس المختلفة. اما الملحق فيحوي جداول مفيدة تحليلية ، وانجدية ، يليها ترجمات لاتينية للنصوص اليونانية والصقلبية والشرقية.

وفي نظري انه يكفي الاشارة الى هذا الاثر للدلالة على اهميتـه . حتى اذا انتهى كان لاكليروس الطوائف الشرقية المختلفة اداة صالحة للعمل . ومنّا يضمن للكتاب مزيد انتشار في البيئات المتنوّعة كونه مكتوباً باللغة اللاتينية . فيتمكن جميع الطلاب الاكليريكيين من تفهم هذه الرتب الطقسية واعتبارها قبل ان يتمرّنوا على القيام بها. ج. ل.

M. Rigaux s. j. : L'équipement social des jeunes. *in*-12 *de* 314 *pp. Prix : 15 fs. Paris, Editions Spes.*

تثقيف الشبيبة ثقافة اجتماعية

هو من انواع « كتب المعلّمين » التي يلجأ اليها الاساتذة لا ليقرأوها دفعةً واحدة ، بل ليستفيدوا منها معلومات تساعدهم في عملهم التهذيبي . امـا هذا الكتاب فينيلهم موادّ صالحة في تنشئة الشبان الكاثوليـك تنشئةً اجتماعية . على ان هذه الموادّ تظهر عديدة متشعّبة قد ينوء بحملها المراهق بين التلامـذة ولا يمكن ان ينال منها ، في المدرسة ، الّا تمهيداً خفيفاً . هذا وليس من الحقّ ان ارباب المـدارس انتظروا اليوم حتى يثقفوا تلامـذتهم التثقيف الاجتماعي ويطلعوهم على واجباتهم نحو القريب. وقد اكثر المؤلف من النصوص والشواهد والتعاليق في وجوب هذا الامر. ج. ل.

P. D'Herouville : Le Vincent Ferrier de dix-septième siècle. (Vie du Vénérable P. Julien Maunoir). *in*-8° *carré de* 224 *pp. avec un portrait hors texte, une carte et une cinquantaine d'illustrations par* **R.-R. de Coniac.** *Prix : 12 fs. Editions Dillen et Cie, Paris.*

ترجمة حياة الاب جوليان مونوار

المترجِم والمترجَم له من مقاطعة بريطانية الفرنسوية . ولم يكن اجدر من الاول بان يكتب تاريخ الثاني فيضعه في محيطه الزماني والمكاني ، واصفاً تلك الغيرة الشديدة التي كانت تدفع بالاب مونوار الى ارشاد المزارعين والفـلاحين حتى اصبح يُعدّ مع القديس منصور دي پول والقـديس جان اود اعظم وعّاظ الارياف في القرن السابع عشر في فرنسة. والكتاب مزيّن بعدد كبير من الرسوم الجميلة التي تزيد في رونق التأليف وتظهر قربه من المحيط الريفي في بريطانية.

M. Rigaux : A la découverte du monde social. *in-12. Paris, Edition Spes. 6 fs.*

في اكتشاف العالم الاجتماعي

يهتمّ المؤلف بتثقيف الولد المفطور على الانانية ، فيعرض امامه انه متعلّق بأسرته ، وبجيرانه ، وببلاده ، وبالعالم اجمع . يكشف له بهذه الطريقة عن « العالم الاجتماعي » على الطريقة المسيحية ، فيفهم ان ليس المقصود من كل ذلك ان تُزاد واجباته اعتباطاً ، ويشعر ، في شبابه ، بتعقّد الحياة الاجتماعية وصعوباتها.

ج. ل.

شوقي

بقلم انطون الجميّل

٩٥ ص. بقطع ١٢ – مطبعة المعارف ، مصر ، ١٩٣٣

كتيب لطيف الحجم ، صقيل الورق ، جميل الطبع ، زُيّن بثلاثة رسوم لاحمد شوقي بك واولاده ، وشمل ثلاثة ابحاث في الشاعر الكبير كتبها الشيخ انطون الجميّل في ظروف مختلفة . فنشر الاول في ٣٠ نيسان سنة ١٩٢٧ ، اذ كانت وفود الشرق العربي تحتفل في مصر بتكريم شوقي ، ونشر الثاني يوم وفاة الشاعر ، وقام بملخص الثالث خطيباً في حفلة التأبين الكبيرة التي عُقدت في مصر بتاريخ ٤ كانون الاول ١٩٣٢ . على ان غاية الناقد في هذه الابحاث واحدة افصح عنها في المقدمة فقال : « ولقد حاولنا في هذه الدراسات التحليلية ان نُسمعه صدى اقواله ، بالاستشهاد بالكثير من شعره تأييداً لما قلنا عنه . » واذاً فالنقد موضوعي بحت مبنيٌّ على اقوال الشاعر نفسه ، يأخذها الناقد كأنها صورة مخلصة لعقلية صاحبها ، فلا يناقش مسبّباتها ولا يتعرّض ، في الاكثر ، للظروف التي دعت اليها ، بل انه يستعملها موادّ صالحة لبناء ذاك الصرح الذي حاول ان يقيمه من شخصية شوقي ، والواناً ثابتة لتلك الصورة التي حاول ان يرسمها لشوقي.

اما هل نجح الناقد في هذه المحاولات ، وهل ابرز صورة صادقة الشاعر الكبير ، فهو امر لم نكن لنشكّ فيه لو لم يكن لشوقي غير الابيات التي

استند اليها ، او لو كانت كل هذه الابيات مرآة صادقة لنزعات الشاعر وميوله. وهو بحث يخرج ، بحصر المعنى ، عن مهمّة الناقد الوضعية ؛ ولكنه لا يخرج عن واجب مؤرّخ الادب الذي انما يبذل الجهد في تحليل شخصية شاعره حتى ادقّ عواملها الخفيّة ، ورسم صورة شاعريته بكل ما فيها من اضواء وظلال . ولعلّ الناقد الاديب تنبّه لهذا الامر اذ قال في ختام بحثه : « بسطنا في ما تقدّم صورةً لامير الشعراء اقتبسنا الالوان والخطوط اللازمة لرسمها من اقواله وتحليل شاعريته وبيان مميزاتها . واذا كان هناك من نقص او عيب ، فالذنب ذنب المصوّر لا ذنب الاصل .» (ص ٨٩)

ونحن لا نرى نقصاً في الصورة التي شاء رسمها ، ولا عيباً في تآلف الالوان التي اختارها. واذاً فلم يقصّر الناقد في استغلال موادّه ، بل قد اظهر في ذلك مقدرةً عجيبةً ، ولاسيما في بحثه الاول اذ اخذ على نفسه مهمّة شاقة فاراد ان يبرّر شاعره في تنقلاته السياسية وتقلّب اهوائه المدحية ، وموالاته لكل سلطة أيّة كانت مبادئها ، منتقلاً بقصائده من عبد الحميد الى رجال الحرية ، ومن محمد رشاد الى مصطفى كمال ، ومن اسماعيل الى توفيق ، ومن عباس الى الملك فؤاد. حتى امكن الناقد القول « ان مدائح شوقي صور واستعارات شعرية ، لا عقيدة سياسية » (ص١٧)ــ او في بحثه الثالث اذ يدرس على الاوتار الاساسية في قيثارة شوقي كوتر الدين ، ووتر الوطن ، ووتر الحكمة ، ووتر التصوير ، ووتر العاطفة ، وقد لا يغفل ما يخرج عن هذه الاوتار احياناً من النغمات الشاذّة سواء اكان ذلك في المبالغات المدحية او الاغراقات الوصفية او الابتزالات الحكمية والعاطفية.

ولكن ان كان هناك من اغفال فيكون لا في استغلال الموادّ ولا في تأليف العناصر ، كما قدمنا ، بل في اهمال بعض الخطوط ، او غضّ النظر عن بعض الالوان ، او اخفات بعض النغمات من التي قد تتنافر وجمال التنسيق الفني في هذه الصورة الواحدة، ولكنها تبدو لنا ضرورية لتصوير نفسية شوقي كما هي، وهذه النفسية ابعد من ان تُحصر بصورة واضحة الخطوط متناسقة الالوان.

ومهما يكن من امر فالكتاب على قسط وافر من دقة التحليل ، وصحة

التمييز ، ومقدرة الاستنتاج ، وصواب الاحكام النقدية ، في اسلوب شائق ، وتأليف متين يحسن بالنقاد ان يقتدوا به من هذا القبيل . ف.ا.ب.

النصرانية والاسلام

ضبطه وعلق حواشيه الخوري بولس قرألي

١٥٢ ص . بقطع ٨ – مطبعة العلم ، بيت شباب ، ١٩٣٣

هو دفاع عن الدين المسيحي منسوب الى الاب جرجس راهب دير مار سمعان البحري القائم على ساحل البحر المتوسط بجوار سلوقية المدعوّة اليوم السويدية ، القاه المؤلف امام الامير الظافر الملقب بالملك المشتر ابن صلاح الدين الايوبي سنة ١٢٠٧ م. وقد وقف حضرة المؤرخ المنقّب الخوري بولس قرألي، مدير المجلة البطريركية ، على عدة نسخ من هذا الدفاع في المكتبة الشرقية ، ودير الشير ، ودير مار اشعيا ، وفيطرون ، وعلى نصّ مطبوع . فدرس جميع هذه النسخ وقابل بينها باذلاً الجهد في ضبط النصّ الاصلي وتعليق بعض الحواشي الضرورية ، مقدّماً على ذلك بحثاً مفيداً في المؤلف ، وتاريخ الكتاب ، وموقع دير مار سمعان ، وزمن القاء الدفاع . فخدم التاريخ والدين خدمةً جليلة. ودلّ على تقدّم الاساليب الجدلية في ذاك العصر ، وتساهل الامير المسلم الذي جرى الدفاع بحضرته . فللناشر الفاضل اخلص الشكر . ف.ا.ب.

اثني عشر عاماً في صحبة امير الشعراء

بقلم احمد عبد الوهاب ابو العز

١٩٢ ص . بقطع ١٦ – مصر ١٩٣٢ – الثمن : ٥ صاغ

كان مؤلف هذا الكتاب سكرتير الفقيد الشاعر مدة اثنتي عشرة سنة ، فرافقه في حركاته وسكناته ، واطلع على ما لم يطلع عليه غيره من عادات الشاعر الكبير ، وافكاره ، ونزعاته . فاراد ان ينفع الادب العربي العصري بتدوين ما عرفه عن تلك الشخصية الفذّة ، « ومن حقّ الناس ان يعرفوا عنها كل شيء » كما يقول (ص ٦) فكتب « لا عن شوقي بك بل عن حقيقة شوقي بك ، وكيف كان يعيش كوالدٍ لابناء ، وكأخٍ لاخوة ، وكجدّ لاحفاد ،

وكصديق لاصدقاء . . . وكانسان كان يضرب في الحياة ويساهم فيها ليعرف الناس جميعاً انه كان في ابوته واخوته وحفادته وصداقته وفي مساهمته في كل ضروب الحياة عنوان الشاعرية المتدفقة بالعطف والحب والحنان . . . » وهكذا بدأ السكرتير كتابه بملخص حياة شوقي بقلمه مما كان قد سبق نشره بالشوقيات الاولى . ثم ذكر كيف كان شوقي ينظم الشعر ، وبرّه بوالديه ، واهل بيته ، ودوّن بعض المعلومات عن مهرجانه سنة ١٩٢٧ ، وعن مصيفه بسورية ولبنان سنة ١٩٣٠ ، وآراءه في بعض الرجال ، وبعض المجالس ، وبعض الاحوال . ثم ذكر مؤلفاته ، وكثيراً من عاداته واخلاقه وطرق معيشته حتى في اتفه مظاهرها ، ومرضه الاخير . وخصّ القسم النهائي بوفاته وما وليها من الحفلات . كل ذلك بلهجة مخلصة وعاطفة معجبة واسلوب سهل لطيف . وقد زيّن الكتاب بالرسوم العديدة ، فاتى جامعاً لما لا يستغني عنه كل اديب اراد درس شخصية الشاعر الكبير . ف . ا . ب .

المسيح اله

للاب واصاف كرم اللبناني

١١٥ ص . بقطع ١٦ صغير – مطبعة دير سيدة المعونات ، جبيل ، ١٩٣٩

مجموعة محاضرات القاها حضرة الاب واصاف كرم اللبناني في كاتدرائية مار ميخائيل المارونية في طرابلس سنة ١٩٢٧ ، وقد تناول فيها الوهية السيد المسيح قاسماً الموضوع ستة اقسام خاض فيها في ستّ محاضرات ، جعل عنوان الاولى : المسيح علة الزمان والانسان واصل الاديان ، والثانية : في وجوب التجسّد ، والثالثة : انا الحقّ ، والرابعة : لماذا فعل المسيح عجائب ، والخامسة : انتشار الدين ، والسادسة : انا الحياة . فنرجو ان يستفيد المطالعون من هذا الكتاب كما استفاد السامعون .

※ طاغية القرية ※ ٢٩ ص . بقطع ٨ ، المطبعة الكاثوليكية ، ١٩٣٣ – هي المأساة المؤثرة التي نشرها « المشرق » تباعاً للكاتب المجدّد الاستاذ يوسف غصوب ، طُبعت على حدة بناء على رغبة الكثيرين من عشاق فنّ التمثيل . وهي تباع في المطبعة الكاثوليكية ، وثمنها ١٠ غروش سورية .

اهم حوادث الشرق في شهر

١٥ آذار — ١٥ نيسان ١٩٣٣

لبنان وسورية — أهديت عدة اوسمة مصرية الى كبار الموظفين.

* دُشّن، في مصحّ بجنس، القسم المبني جديداً للرجال المصابين بالسلّ.

* عُقد في بيروت مؤتمر للغرف التجارية في البلاد المشمولة بالانتداب الفرنسوي

* وصل الى بيروت صاحبا الجلالة ملك البلجيك وملكتها قادمين من القطر المصري فلسطين، فتفقدا الاماكن الاثرية والمدن التاريخية في لبنان وسورية، مقيمين من ١٤ الى ٢٠ نيسان.

الارذفيّ — دشّن نيافة القاصد الرسولي كنيسة جديدة للآباء الفرنسيسكان

مصر — اكتشف الاستاذ سليم حسن المدن التي كانت للاهرام الاربعة.

* احتفل في ٢٧ آذار باليوبيل الذهبي الكهنوتي لبطريرك الروم الكاثوليك صاحب الغبطة كيرلس التاسع مغبغب.

* افتتح ملك مصر كليتي الشريعة الاسلامية واللغة العربية في الجامع الازهر

العراق — ألفت وزارة جديدة برئاسة رشيد بك عالي الكيلاني، واعضاؤها: ياسين باشا الهاشمي للمالية، وحكمت سليمان بك للداخلية، ومحمد زكي بك المحامي للعدلية، ونوري باشا السعيد للخارجية، ورستم بك حيدر للاقتصاد والمواصلات، وجلال بابان للدفاع، والسيد عبد المهدي للمعارف.

جزيرة العرب — تفيد الاخبار الواردة من اليمن ان المفاوضات التي جرت في ميدي بين ولي عهد اليمن والسيد الحسن امير عسير انتهت بالاتفاق على ان يعتزل السيد الحسن الثورة، ويقيم في ميدي، ويتقاضى مرتباً شهرياً من الملك ابن سعود. اما الثوار الذين يرابطون في جبال عسير فقد رفضوا الخضوع، ونشبت معركة بينهم وبين القوات السعودية في اواسط آذار.

المطبعة الكاثوليكية المدير المسؤول : يوسف ماهر

الفونس دي لامرتين

١٧٩٠ – ١٨٦٩

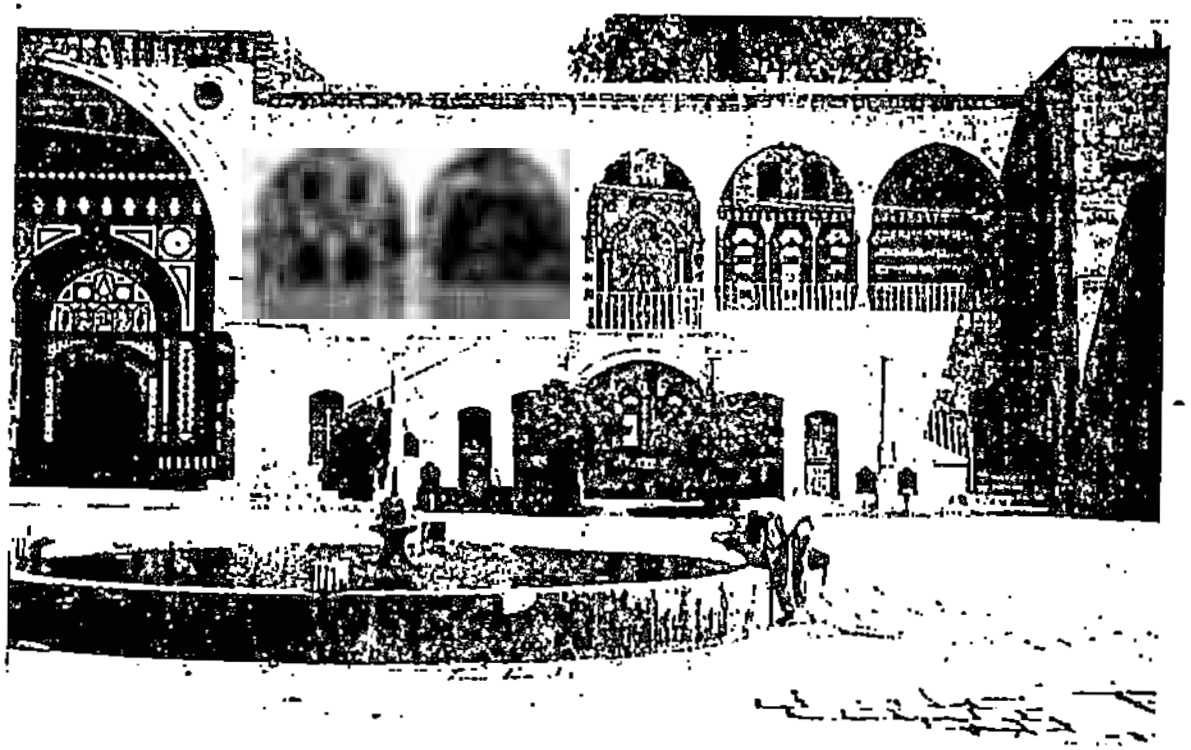

قصر الامير بشير في حالته الحاضرة

وقد سقط منه الطابق الاعلى الظاهرة اعمدته في أعلى الصورة السابقة

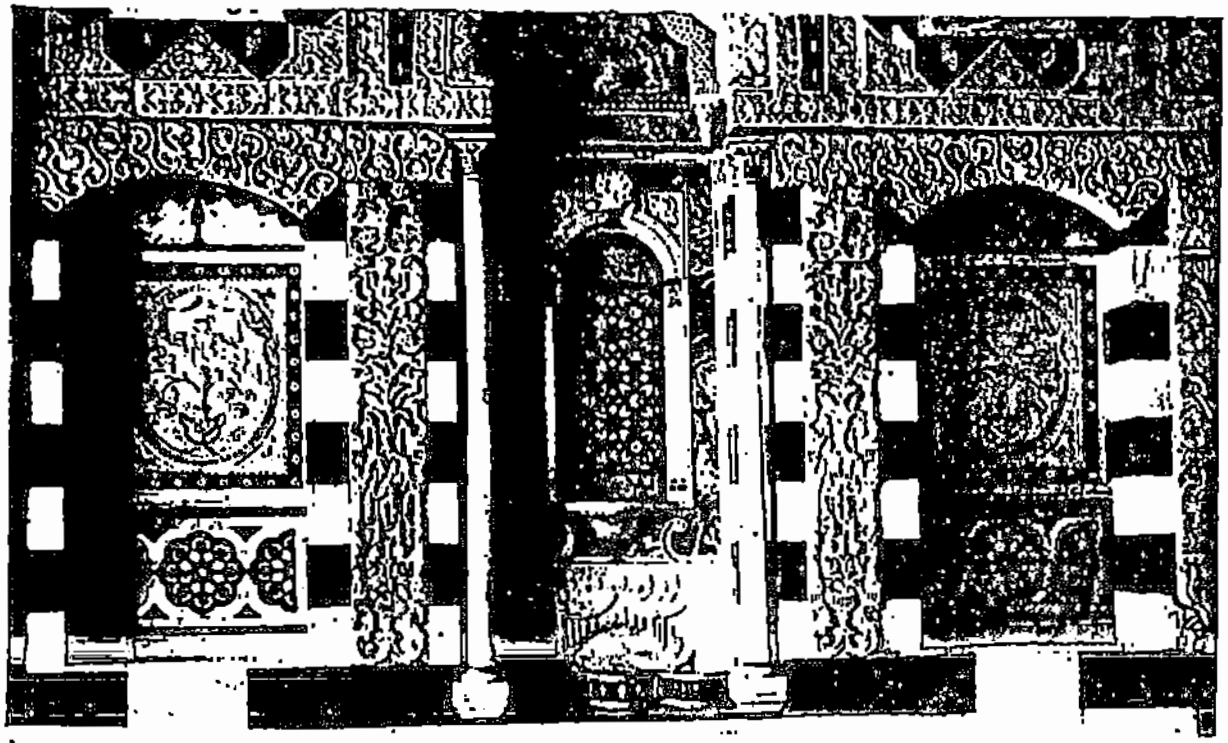

قصر الامير بشير : قاعة العمود

المشرق

السنة الحادية والثلاثون — حزيران ١٩٣٣

الشيخ احمد الغرّ

والقضاء في بيروت قبل مئة عام

للدكتور اسد رستم

احد اساتذة التاريخ الشرقي بجامعة بيروت الاميركية

ان ما أظهره حضرة القاضي المؤرّخ الاستاذ وجيه افندي الخوري من الرغبة والاهتمام في تاريخ القضاء بلبنان ، وما نشره على صفحات مجلة « المشرق » في هذا الموضوع جدير بكل ثناء . فحبّذا الرغبة والاهتمام ، ونعم العمل والنشر . ولما كنا نعتقد ان خير طريق لاظهار استحساننا لهذا العمل العلمي واحسن وسيلة لمكافأة القاضي المؤرّخ ، هما ان نساعده على اكمال عمله هذا باظهار بعض الحقائق التاريخية التي يلوح لنا انها كانت بعيدة عن متناوله ، جئنا الآن بكلمتنا هذه نذكر شيئاً عن بعض احوال القضاء في بيروت ولبنان قبل مئة عام .

لما باشرنا جمع الاصول العربية لتاريخ سورية في عهد محمد علي باشا ، حاولنا

مراراً ان نقف على شيء من آثار المحكمة الشرعية في بيروت فردّدنا خائبين. ولما سألنا المغفور له السيد محمد افندي الكستي عن سجلات المحكمة البيروتية قال لنا انها لا ترجع الى ما قبل سنة ١٢٢٠ هـ. فاستغربنا كلامه وقتئذٍ واسفنا لضياع هذه السجلات. وقد ذكرنا شيئاً من هـذا القبيل في مقدمة كتابنا المشار اليه آنفاً.

ولما كنا نعلم الدور الذي مثّله الشيخ احمد الغر في سياسة البلاد وادارة محاكمها في عهد الامير بشير، سألنا البعض من اخواننا المسلمين عن آثاره الخطية، وطلبنا الى حفيده السيد احمد افندي الغر ان يساعدنا في التفتيش، فتكرم ولبى الطلب، فاتحفنا ببعض الوثائق التي ترجع الى ذلك العهد وتحمل خاتم جده الاكبر.

واول ما لفت نظرنا منها هو نصف طبق من الورق الحكومي "اثر جديد" طوله ٣٠ س. وعرضه ٢٠، وعليه ترجمة الشيخ القاضي المفتي. ويظهر من مضمون هذا الصك، ولهجته، ونوع ورقه، انه كتب بعد وفاة الشيخ العالم او بمناسبة ذلك. واليك نصه بالحرف:

السيد الشيخ احمد افندي ابن الشيخ مصطفى ابن الشيخ احمد ابن الشيخ ابراهيم ابن الشيخ علي ابن الشيخ ابراهيم ابن الشيخ احمد افندي قاضي بيروت اسبق ابن الشيخ عمر الغر البيروتي ولد يوم الاحد الواقع في اليوم الثاني والعشرين خلت من شهر ربيع الثاني سنة ١١٩٨ من الهجرة النبوية على صاحبها افضل الصلوة والتحيه وربي يتيماً ولما بلغ مبالغ الرجال تعاطى التجاره في البيع والشرآء وتولى القضاء بمدينة بيروت في اليوم الرابع والعشرين من شهر ذي الحجة الحرام نهار الثلاثا ختام سنة ١٢٣٤ ثم تنزل عن القضآء المذكور لامر اقتضى ذلك في نهار الاثنين الثامن عشر من ذي القعدة الحرام سنة ١٢٣٧ ثم صدر مرسوم من دولة درويش باشا والي ايالة الشام وايالة صيدا اسبق يامر بنفيه الى اللاذقيه وذلك في نهار الجمعة الواقع في ٢٢ شهر ذي القعدة المذكور وقد توجه حسب الامر المذكور في ذلك اليوم بعد الغروب بحرا ثم صدر له مرسوم شريف من دولة والي ايالة صيدا وتوابعها السيد عبد الله باشا بالرجوع الى بلدته بيروت وان يكون حاكماً شرعياً كما كان فرجع اليها في غرة شهر رمضان المبارك سنة ١٢٣٨ ثم وفي ١٣ ربيع الاول سنة ١٢٤٠ وجهت عليه وظيفة الافتا في بيروت وان يكون بها حاكماً شرعياً ومفتياً ثم وفي اواخر سنة ١٢٤٩ عزل من وظيفة القضا من بيروت وبقي بها مفتياً ثم في سنة ١٢٥٨ عزل من وظيفة الافتا وبقي مدة وجيزة ثم تعين اعضا في مجلس ايالة صيدا في بيروت ثم تعين مفتياً في المجلس الموما اليه ثم وفي اواخر

شهر ذي القعدة الحرام سنة ١٢٦٧ صار نفيه الى طرابلس الشام لامر اقتضى ذلك بموجب فرمان عاليشان من جانب دولتنا العلية العثمانيه في مدة المرحوم والمغفور له السلطان ابن السلطان السلطان عبد المجيد ابن السلطان محمود ابن السلطان عبد الحميد خان ادام الله تعالى سرير هذه الدولة السعيدة الى انتهآء الزمان وانقراض الدوران واستقام في طرابلس نحو اربعة اشهر ثم رجع الي بلدته بيروت بموجب فرمان عالي شان ايضاً .

وايضاً لما بلغ من العمر نحو اثنتان او ثلاث وعشرون سنة قرآء على شيخنا واستاذنا افتخار العلمآء الكرام العالم الفاضل والجهبذ الامام الكامل المرحوم والمغفور له السيد الشيخ عبد اللطيف افندي فتح الله المفتي ابن المرحوم السيد الشيخ علي افندي مفتي بيروت اسبق رحمهم المعيد المبدي المعقول والمنقول وتلقى عنه جل العلوم من منطوق ومفهوم كما انه تلقى اكثر ذلك عن مشايخه الذين منهم افتخار العلماء والموالي الكرام ونخبة الفضلآء والمدرسين الفخام السيد محمد امين افندي ابن عثمان الاسلامبولي قاضي دمشق الشام اسبق الشهير في سائر الممالك المحروسه وهو من افاضل رواة الحديث الشريف واجازه بذلك بموجب اجازة منه مورخة في ٢٢ من جمادى الثانيه يوم السبت سنة ١٢٣٤ ومنهم ايضاً شيخ علمآء زمانه وعين فضلآء اوانه العالم العامل المشهور في العلوم الرفيعة الشريف السيد الشيخ محمد ابن الطاهر الحسني الكيلاني المغربي ومنهم ايضاً العالم العامل الفاضل والجهبذ الامام الكامل الشيخ حسين الشيشي التونسي المغربي الشهير ومنهم نخبتي العلماء والمحققين ورئيسي الافاضل والمحدثين السيد الشيخ حامد العطار والسيد الشيخ عبد الرحمن [الكزبري] الدمشقيين ومنهم العلامة الفهامة المحقق المدقق محدث الديار المصريه الزاهد الورع الشيخ محمد ابن العالم العامل الشيخ علي [المبري] الاسكندري الازهري غفر الله لهم ذنوبهم اجمعين واسكنهم اعلا غرف الفردوس ونفعنا بهم وبعلومهم امين

وقد اخذ الطريقة القادرية عن المرحوم الجامع بين الشريعة والحقيقة قطب زمانه وفريد عصره واوانه مربي الطالبين المرحوم والمغفور له السيد الشيخ ابي الحسن علي افندي ابن الشيخ عمر افندي الكيلاني شيخ السجادة القادرية في البلاد الاسلاميه عموما وتخلف عليه بها بموجب اجازة منه له بذلك والبسه الخرقة القادرية وله مشايخ غير [مما] ذكر وله رحمه الله تعالى فتاواه الشهيره الحاويه لوقايع زمانه وهي جمة ضخمه فيها ما سيل عنه من اقاصي البلاد وله ديوان مطول من الشعر فاق به اهل زمانه .

وكانت وفاته رحمه الله في اليوم الحادي عشر يوم السبت من شهر رمضان المبارك سنة ١٢٧٤ وقت الغروب ودفن في اليوم الثاني عشر من الشهر المذكور يوم الاحد بعد صلاة الظهر في جبانة الصنطيه الشهيرة في بيروت وله من الاولاد سبعة من الذكور وخمسة من الاناث احياء بعد وفاته رحمة الله تعالى عليه .

ولا يخفى ما في هذا كله من الفائدة التاريخية الجمة اذ انه يظهر لنا مكانة القاضي البيروتي من العلم ، وطريقته في الوصول اليها ، فضلاً عن المناصب

التي شغلها وتاريخ توليه زمامها وتركه اياها . وغني عن البيان ايضاً ما ينتج عن هذه المعلومات من الفوائد الفنية القانونية لاظهار التزوير في بعض الصكوك العقارية البيروتية التي لا يمكن تطبيقها على سجلات رسمية ، ذلك لان سجلات هذه المدينة تبتدئ بصكوك سنة ١٢٧٠ ه . والقسم الاكبر من الصكوك المزوّرة التي شاهدناها يرجع بالطبع الى ما قبل هذا التاريخ . هذا وقد اوردنا نموذجاً من خطّ القاضي الغرّ وخاتمه تسهيلاً لفحص الصكوك المزوّرة وحباً باظهار الحق والحقيقة .

نموذج من خطّ القاضي الشيخ احمد الغرّ وخاتمه

ويتضح من الصكوك العديدة الموجودة الآن في البيوت الاسلامية في بيروت ، وفي بعض بيوت النصارى في هذه المدينة وفي الجبل ايضاً ، ان القاضي الغرّ كان يفصل في جميع الدعاوى الحقوقية الاسلامية ، وفي الدعاوى الحقوقية المختلطة بين المسلمين والنصارى ، وفي المشاكل الحقوقية النصرانية وذلك بين نصارى المدينة بعضهم مع بعض ، وبين نصارى الجبل المجاور .

ففي احدى هذه الوثائق الباقية من عهده حكم شرعي في دعوى زواجية ارثية تتعلق بافراد بيت الشلفون . وفي صكٍّ آخر بتاريخ الثالث عشر من جمادى الاولى سنة ١٢٣٧ فصل بين الخصمين « رشيد ابن منصور خنيصر الشويري

المقيم يومئذٍ في قرية الحدد من قرى جبل المدينة المزبورة [بيروت] والياس ابن نصر ابي حرب خنيصر الشويري المقيم يومئذٍ في قرية الشوير من قرى جبل المدينة المرقومة » . فالخصمان من الجبل ، وكلاهما من النصارى ، والجبل في نظر القاضي « جبل بيروت » .

اما الدعوى فانها هكذا :

« الامر حسبما فيه ذكر فقه الفقير اليه سبحانه وتعالى صدر وثبت مضمونه لدى السيد احمد الغر نائب مدينة بيروت حالاً عني عنه » الختام « رب سهّل امور احمد » نسختان

الحمد لله تعالى سبب تحريره هو انه بمجلس الشريعة الشريفة المطهرة الغراء بمدينة بيروت المحروسة اجله الله تعالى لدى متوليه خلافه الحاكم الشرعي الحنفي الواضع اسمه بخطه مع ختمه اعلاه لطف به مولاه حضر النصراني الذمي رشدان ابن منصور خنيصر الشويري المقيم يومئذٍ في قرية الحدد من قرى جبل المدينة المزبورة واحضر معه النصراني الذمي الياس بن نصر ابي حرب خنيصر الشويري المقيم يومئذٍ في قريته قرية الشوير من قرى جبل المدينة المرقومة وادعى عليه قائلاً في تقرير دعواه عليه ان المدعي باع المدعى عليه المزبور قبل تاريخه جميع الجل المعروف بجل ابي المدعي المسفور المشتمل على ارض وغراس اشجار توت الكائن في قرية الشوير المذكورة يحد الجل المذكور قبلة جل ملك المدعي المرقوم وشمالاً الطريق السالك وشرقاً حارة الياس المدعى عليه المسطور وتمامه القطعة الاتي ذكرها التي هي من المبيع المرقوم وغرباً جل ملك البائع المذكور و[عين] المبيع المذكور بعقده وصفته جميع القطعة المفروزة من الجل المعروف بجل المدعي المرقوم من جهة شماله يحد القطعة المذكورة قبلة قسمتها من الجل المذكور ملك المدعي المحرر وشمالا حارة الياس المدعى عليه المذكور المرقومه وشرقا ملك الياس المرقوم وغربا الجل المذكور الذي هو منه المبيع المزبور وان الجلّ المبيع المحرر طوله من جهة القبلة المشرفة الى جهة الشمال تسعة وعشرون ذراعاً بالذراع الاسلامبولي المعلوم المتعارف وعرضه من جهة الشرق الى جهة الغرب ستة اذرع الا نصف ثلث الذراع بالذراع المرقوم وان طول القطعة المحررة من جهة الشرق الى جهة الغرب ستة اذرع بالذراع المذكور وعرضها من جهة القبلة المشرفة الى جهة الشمال خمسة اذرع الا ربع ذراع بالذراع المسفور البيع البات القاطع الماضي بخمسة وستين قرشاً ٦٥ وانه قبض منه الثمن المحرر بالتمام والكمال وان المدعى عليه المزبور اغتصب قطعة من ارض المدعي المزبور هي قسمة القطعة المبيعة المزبورة وان طول القطعة المغتصبة المرقومة من جهة الشرق الى جهة الغرب ستة اذرع بالذراع المرقوم وعرضها من جهة القبلة المشرفة الى جهة الشمال ثلاثة اذرع الا ربع ذراع بالذراع المزبور وان المدعى عليه المسفور ادخل القطعة الارض المغتصبة المرقومة الى حارته المذكورة وبنى فيها حايطاً وان المدعي المرقوم يريد الان رفع يد المدعى عليه عن القطعة الارض المغتصبة المدعى بها المذكورة ورفع الحايط منها ونقضه واخراجها منها كما كانت اولاً

فسئل المدعى عليه المزبور سؤاله عن ذلك فاجاب مقرًا بانه اشترى من المدعي المرقوم جميع الجل والقطعة المزبورين بالثمن المذكور وان القطعة المذكورة طولها من جهة القبلة المشرقة الى جهة الشمال سبعة اذرع ونصف ذراع بالذراع المرقوم وعرضها من جهة الشرق الى جهة الغرب ستة اذرع بالذراع المذكور وانه لم يغتصب من ارض المدعي المرقوم شيئًا فسئل المدعي المرقوم سؤاله عن ذلك فاجاب منكرًا ان يكون طول القطعة المبيعة المحررة او عرضها القدر الذي ادعاه المدعى عليه الياس المحرر وكانه على ذلك البينة الشرعية فاحضر المدعى عليه المذكور للشهادة واداتها كلا من النصرانيين الذميين فضول بن جرجس الحداد من قرية بيت شباب وموسى بن نقولا سماحا الشويري فشهدا غب الاستشهاد الشرعي في وجه المدعي المزبور ان المدعي المرقوم باع المدعى عليه المحرر جميع الجل والقطعة المزبورين وذكرا حدود كل من الجل والقطعة المرقومين المذكوران وان طول القطعة المذكورة من جهة القبلة المشرفة الى جهة الشمال سبعة اذرع ونصف الذراع بالذراع المرقوم وان عرضها من جهة الشرق الى جهة الغرب ستة اذرع بالذراع المحرر طبق دعوى المدعى عليه المغفور شهادة صريحة وقد زكى على فضول المرقوم احد الشاهدين المذكورين كل من الشقيقين السيد احمد والسيد محمد ابني المرحوم السيد بكري الطياره فغب ذلك اقر المدعي المحرر ان القطعة التي هي من المبيع المرقوم المحررة طولها قبلة وشمالًا سبعة اذرع ونصف ذراع بالذراع المذكور وعرضها شرقًا وغربًا ستة اذرع بالذراع المحرر كذلك طبق دعوى المدعى عليه المزبور وصادق على ذلك كل المصادقة الشرعية وان المدعى عليه المزبور لم يغتصب من ارضه شيئًا بطواعية ورضى واختيار من غير اكراه ولا اجبار فحكم الحاكم الشرعي المومى اليه على المدعي المرقوم بالاقرار المزبور حكمًا شرعيًا مستوفيًا شرائطه الشرعية ارقمه في وجهه ايقاعًا شرعيًا بمخاطبة شرعية وجاها وشفاها بعد اعتبار ما وجب اعتباره شرعًا فاقر كل من المدعي والمدعى عليه المزبورين وهما في غاية الصحة والسلامة في العقل والبدن انه لم يبق كل منهما يستحق ولا يستوجب قبل الاخر ولا عنده ولا عليه ولا في ذمته حقًا من الحقوق الشرعية لا دينًا ولا عينًا ولا ذهبًا ولا فضة ولا دراهم ولا دنانير ولا نقودا ولا فلوسًا ولا امانة ولا وديعة ولا عارية ولا شركة ولا مشتركًا ولا ربحا ولا خسرانا ولا رهنا ولا مرهونا به ولا غلة ولا استغلالًا ولا اجارة ولا مستأجرا ولا اجرة ولا دعوى ولا طلب بوجه ولا سبب حتى ولا اليمين الشرعي وان وجب على الخصوص والعموم والجملة والتفصيل فيما مضى الى حد تاريخه وابراء كل منهما ذمة الاخر الابراء العام المسقط لكل حق ودعوى وطلب وتصادقا على ذلك كله التصادق الشرعي بطواعية ورضى واختيار من غير اكراه ولا اجبار وثبت اقرار كل منهما للآخر بما ذكر ومصدقة الاخر له على ذلك كله لدى الحاكم الشرعي المومى اليه ثبوتًا شرعيًا وحكم على كل منهما بما اقر به للاخر حكمًا شرعيًا مستوفيًا شرائطه الشرعية اوقعه في وجه كل منهما ايقاعًا شرعيا بمخاطبة شرعية وجاها وشفاها بعد اعتبار ما وجب اعتباره شرعًا والتمس منه هذا الصك الشرعي فسخنين ليكون بيد كل واحد منهما نسخة منهما مشعرة بذلك فسطر ما هو الواقع فيه كذلك غب الطلب والسؤال تحريرًا في ٣ الثالث

عشر من جمادي الاولى سنة ١٢٣٧ سبع وثلاثين ومائتين والف

شهـــود الحـــال

السيد قاسم عز الدين	السيد ذيب صبره	السيد محمد بن الحاج صالح العريس	السيد الحاج علي ابن السيد موسى القيسي
السيد محمد ابن السيد علي أغا المكوك		علي بن يوسف الناطور	
حسن بن عساف الراعي المحضر		الشيخ محمد بن ابراهيم خرّم الشوّا	

فبناء على ما تقدم نرانا مضطرين ان نكمل كلام الاستاذ القاضي فنذكر محكمة بيروت الشرعية، ونشير الى صلاحيتها في الدعاوى اللبنانية. وما نقوله عن هـذه المحكمة يصح ايضاً عن محكمتي طرابلس وصيدا، وذلك بدليل السجلات الشرعية التي لا تزال محفوظة حتى الساعة هذه.

ومما هو جديرٌ بالذكر بهذه المناسبة، وبمناسبة ما ورد في مقال الاستاذ القاضي عن علاقة البطريرك الماروني بالقضاء،[1] ان المثلث الرحمات البطريرك يوسف حبيش طلب الى الدولة العثمانية سنة ١٨٤٠ ان « تخوّله الحق » في تعيين قضاة لشعبه. فلو كان ذلك بتمامه من حقه فلماذا طلبه البطريرك ؟

ونرانا مضطرين ايضاً ان نتوسع فيما ورد من كلامه في الصفحة ٨٧ من المجلد نفسه من مجلة المشرق حيث يقول « ان صلاحية القاضي الدرزي في لبنان الجنوبي كانت تتناول الطوائف غير المسيحية وانه كان يحقّ للمسيحيين ايضاً ان يتقاضوا لديه اذا ارادوا ». فنذهب الى ابعد من هذا ونزيد ان المسيحيين في لبنان الشمالي والمتوسط والجنوبي كانوا يترافعون مرات غير قليلة امام المحكمة الدرزية في بعقلين او غيرها من قرى الشوف ذلك اني لا ازال احفظ امرًا من الشيخ احمد تقي الدين القاضي في بعقلين يعين بموجبه جدي الاكبر، رستم مجاعص الشويري، حكماً في احدى الدعاوي بدير القمر واليك نص هذا التعيين

١) المشرق (٣١[١٩٣٣] ٨٦)

بالحرف :

اعلام شرعي

من خصوص الاختلاف الحاصل فيما بين خليل المنود وابن عمه طنوس لجهة عمار حادثه طنوس وخليل يدعي حصول الضرر وطنوس ينكر ذلك فحيث يلزم المناظره من اصحاب الخبره المشهود بهم حسن المعرفه والسذمه يقتضي انه يناظر ذلك المحل المعلم رسم المعاري المشهور وكيفما يتقرر بموجب ذمته ومعرفته يكون المنشا بموجبه والامر لولي الامر ايده الله تعالى بالنصر وحرر في ١٥ شهر جمادى الاخر سنة ١٢٥٤

الخاتم عبده

احمد تقي الدين

وفي سجل هذا القاضي المشهور ، الذي لا يزال محفوظاً لدى حفيده القاضي احمد افندي تقي الدين ، عدد كافٍ من الصكوك الشرعية التي تدلّ على اتساع صلاحيته في جميع انحاء لبنان.

ولا بدّ من الاشارة بهذه المناسبة الى مجموعة المرحوم سليمان بك عز الدين القضائية التي تتناول تاريخ لبنان القضائي منذ الفتح العثماني. وهي ، على ما نعلم ، اكمل المعروف من نوعها . وحبذا لو ان القضاء اللبناني يسعى بنشرها تعميماً لفائدتها وحرصاً عليها من الضياع.

هذا ولا يخفى ما احدثته الحكومة المصرية من التغييرات القضائية في لبنان من حيث انشاء مجالس المشورة ، ومجالس التجارة ، ومن حيث المرافعة في دمشق وعكا ، والاستئناف الى الاسكندرية . وقد اشرنا الى بعض هذه التغييرات في مقدمة الاصول العربية لتاريخ هذه البلاد في عهد الحكومة المصرية ، ونشرنا قسماً من الوثائق التي تتعلق بهذه المواضيع في المجلدات الاول والثاني والخامس . ونأسف لان المقام يضيق عن ذكرها هنا فلتراجع في محلها .

شهداء نجران

رسالة شمعون اسقف «بيت أرشم»
في الاضطهاد الذي حلّ بالنصارى الحميريّين سنة ٥٢٤ للمسيح

عرّبها عن الاصل السرياني

القس يوحنا عزّو كاتم أسرار البطريركية الانطاكية

٢

(تتمة)

على اثر تلاوة رسالة ملك الحميريّين ، احتدم الملك المنذر غضباً ودعا جميع وجهاء نصارى مملكته وصاح بهم ناعياً وناقماً : «ها قد رأيتم وسمعتم ، ايها النصارى ، ما حلّ بشعبكم . فكم من مرّة قلت لكم ان : تخلّوا عن المسيح . فابيتم ، ولم تسمعوا . فدعوا الآن عبادته بعد سماعكم ما ألمّ بالـذين لم يكفروا به كيف قتلهم ملك الحميريّين وأبادهم واحرق بيعتهم . ألا انظروا كيف طُرد المسيح من بلاد الحميريّين والفرس والرومانيّين ، وانتم لا تذعنون لي وتتخلّون عنه . لست انا خيراً من هؤلاء الملوك الذين نفوا واجلوا النصارى من بلادهم وافنوهم قتلاً . »

ولما فاه الملك المنذر بهذا الكلام امام وجهـاء نصارى مملكته استفزّت الحميّة الدينيّة احدهم ، ولم يتماسك عن الجواب ، فانتصب وقال للملك ببسالة : «لا يليق بك ايها الملك ان تتفوّه بمثل هـذا المقال . لاننا لم نصر نصارى في عهدك حتى تبذل لنا النصح بالتخلي عن المسيح ، وتشير علينا بنكران نصرانيّتنا . لكنّا نصارى من عهد آبائنا واجدادنا .» فثاظ الغضب بالملك لدى هذا الجواب ، وانتهره قائلاً : «أأنت تتجاسر على الكلام بحضرتي !» فاجاب الوجيه المؤمن : «اني اتكلّم من اجل دين الله ، ولا تأخذني في احد بسببه هوادة ولا يثبطني خوف . وليس في وسع ايّ كان ان يصدفني عن الكلام . فحسامي ليس بأقصر من حسام غيري في سبيل دين الله فلأمتشقنه وانازل القتال حتى الموت ولا افزع » .

فلما رأى الملك شجاعته وما نطق به دون وجل تجاهه ، اضرب عن الكلام واجماً من اجل عترته وسمعته ، لانه كان حسياً واحد كبراء الحيرة.

هذا وان الملك النصراني المتوفى الذي كان الحبش ولوه على بلاد الحميريين كان قد ارسل الى الملك المنذر وفداً من امناء الحميريين ، يتقدمهم رسول نصراني . وتوفي اثناء وجود هذا الوفد في الحيرة . ولما نعي اليهم لبثوا فيها . فبلغهم على الاثر ما ينزل الملك اليهودي الجديد من مرّ النكال في النصارى . فاستأجروا رجلاً من الحيرة ، وارسلوه الى نجران ليستطلع طلع الاحوال فيها ويقف عن كثب على الحقيقة ويأتي اليهم بالانباء الصادقة . ونحن كنا قد قدمنا من حيرة النعمان الى مخيم المنذر يوم الاثنين من الاسبوع الاول من الصوم الكبير ، فقصّ على مسمع منا هذا الرسول العائد يومئذ من نجران ما لا تحتويه رسالة الملك اليهوديّ . وروى لنا كيف ان الملك عاهد النجرانيين بيمين مغلظة ، وحنث فيها على اثر فتحهم ابواب المدينة وتسليمها اليه ، وكيف غصبهم ذهبهم وفضّتهم ، وأحرق عظام اسقفهم ، واعمل النار في البيعة ومن وجد فيها من الرهبان والشعب الى ان قال :

«فامر ان يحضر امامه جميع الوجهاء . فمثلوا بين يديه ، وكانوا يعدّون ٣٤٠ رجلاً . وطفق يتوعد زعيمهم الحسيب « الحارث بن كعب » بقوله : « لايّ داعٍ رمت ان تعصيني وتخرج عليّ واثقاً بذاك الغاوي الساحر (يريد به المسيح) وظننت انك تفلت من يديّ ! اني اصفح عنك ان شفقت الآن على شيبتك ، وكفرت بذاك المضلّ وبصليبه ، واستحييك ان اصخت اليّ . والّا فتموت شرّ ميتة ، انت ، ورفقاؤك ، وسائر من لا يكفر بالمسيح والصليب . » فاجابه الشيخ الجليل :

« بالحقيقة يجب عليّ ان انحى باللوائم على جميع هؤلاء النصارى رفاقي الذين كانوا معي في المدينة ، لاني نصحت لهم فلم يعيروني أذناً صاغية . فقد كنت متأهباً لاناجزك القتال واناازلك العراك من اجل المسيح ، فاما كنت تقتلني او اقتلك ، على اني كنت واثقاً بالمسيح ربي ان احوز النصرة عليك . لكن لم يدعني رفاقي ان اصنع ذاك . فطلبت ان اقتاد عشيرتي وعبيدي فقط واخرج الى

مبارزتك ومحاربتك ، فأوصد النصارى في وجهي ابواب المدينة ولم يفسحوا لي مجالًا للخروج اليك . فحذّرتهم ان يحتفظوا بالمدينة ولا يفتحوا لك الابواب ، وكنت واثقاً بالمسيح ربّي انك غير قادر على تدويخ مدينتنا لانها حصينة لا يعوزها شيء . وبهذا ايضاً لم يعرني رفاقي سمعهم . ولما بعثت اليهم بالميثاق الغليظ أشرت عليهم ألّا يصدّقوك ، وقلت لهم : انك رجل قَلّ من الخير دجّال ، ولا عهد الك بالصدق والامانة . وفي هذا ايضاً لم يصغ اليّ رفاقي . والآن فلا عجب ان اقترحت عليّ الكفران بالمسيح الهي والتهوّد على شاكلتك ، وانا بالغ ميداء الحياة لربّما لا اعيش بعد كفراني به يوماً واحدًا او ساعة واحدة ، فتريد ان تحرمني المسيح ربّي وتغرّبني عنه في شيبتي . وأيم الحقّ انّك لا تتكلم مثل ملك ، ولا تصنع نظير ملك ، والملك الكاذب ليس بملك . اننا قد شهدنا ملوكاً كثيرين ، ولكننا لم نشهد ملوكاً كاذبين . ها انا مالك امري فلا اكذبن في ملكي هذا لدى المسيح . بل حاشاي ان اكفر بالمسيح الاله الذي به آمنت من فتوّتي ، وباسمه اعتمدت ، ولصليبه أسجد ، وعنه اموت . والطوبى لي حقًا لانه أهلني لان اموت عنه في شيخوختي . الآن عرفت ان المسيح يحبّني لاني بنعمته عشت كثيرًا في هذا العالم ، وزجّيت ايامي بالرخاء والهناء ، ولم افتقر الى شيء قطّ . وقد اكثر لي المسيح ربّي البنين والحفداء وشرف الاحساب ، وقد حزت الغلبة بجوله في حروب عديدة ، وفي هذه الملحمة الاخيرة ايضاً سيفلجني عليك المسيح ربي بقوة صليبه . واني لواثق بأنّ ذكري من هذه المدينة ومن قبيلتي لا يزول . الآن تيقّنت اني لا اموت الى الابد ، لاني عالم ومتأكد ان الكرم اذا ما تشذّب تكثر اغصانه ويهب ثمارًا غزيرة . وهكذا شعبنا نحن معاشر النصارى في هذه المدينة سينمو ويزداد بعد هذه الملحمة . فلا تتبجحن انك اتيت شيئاً . فاني اقول لك انّ هذه المدينة ستحفل بالنصرانية ، وهذه البيعة التي اعملت فيها النيران ستشاد وتملك وتأمر الملوك فينقادون اليها صاغرين ، ويتولى الدين النصراني ويمحق المذهب اليهودي ، ويزول ملكك ويضمحلّ سلطانك . »

«ولما قال هذا الشيخ الجليل الفاضل التفت وراءه ، وهتف بالمؤمنين المحتاطين

به قائلًا : « اما سمعتم يا اخوتي ما قلت لهذا اليهوديّ ؟ » فصاحوا كلهم قائلين : « سمعنا كلّ ما قلت ، يا ابانا . » فاردف : « اصحيحة هذه الاقوال ام لا ؟ » فاجابوا : « صحيحة وصوابية . » فصاح بهم : « ان وجد بينكم من يهاب السيف ويكفر بالمسيح فلينفصل عنا . » فاجابوا : « حاشانا ! حاشانا ! ان نكفر بالمسيح ! تقرّ ، يا ابانا ، تشجّع ولا يحزننك ذلك ! فكلّنا نظيرك ، ومعك نموت عن المسيح ، ولا يلبثنّ منّا احد في الحياة من بعدك . » فنادى الشيخ : « اليّ سمعكم ، يا جميع النصارى والوثنيين واليهود ، ان كفر احد بالمسيح من امرأتي او بنيّ او بناتي او عترتي او قبيلتي وتخلّف حيًّا مع هذا اليهودي الجاحد ، فلا يكون من عترتي ولا من قبيلتي . وليس له معي حصة او شركة في شيء . ويعود كل ما تملكه عيني الى البيعة المزمعة ان تُشاد في هذه المدينة من بعدنا . لكن ان تخلّفت امرأتي في الحياة او احد بنيّ او بناتي لأيّة علّة كانت دون الكفران بالمسيح ، فيكون كل شيء له وحينئذ تختار البيعة ملكًا لها ايّة ثلث قرى شاءت من ملكي . »

« ولما فاه الشيخ بهذه الاقوال تجاه الشعب باسره ، التفت الى الملك وقال له : « ها قد سمعت هذا كله ، فلا من حاجة الى العودة علينا بالكلام . فحاشانا ان نكفر بالمسيح الهنا . ولا مانع من قبلنا يثبّطنا عن الموت من اجل المسيح . فدونك ما تشاء . فهذه فرصة نحيا بها الى الابد . اننا نكفر بكل من يكفر بالمسيح . نكفر بكل من لا يعترف بالمسيح الهًا وابن الاله . نكفر بكل من يوافقك ويواطئ اليهود انداداً . ها اننا ماثلون امامك ، فاصنع كلما في وسعك صنعه . والحقّ اقول لك اني في المتكآت كنت اتقدم رفاقي بشرب الكأس الاولى ، والآن ايضاً اتقدمهم بكأس الموت هذه عن المسيح . ها اني أسِمُ نفسي ورفاقي جميعاً كعادتنا بعلامة الصليب الحي واقول : « باسم الآب والابن والروح القدس » ، فصاح الجمع كله قائلًا : « آمين آمين » ، ووسموا نفوسهم بعلامة الصليب صارخين معاً : « نكفر بكل من يكفر بالمسيح . تشجع ، يا ابانا ، تقرّ ! ها ان ابراهيم رئيس الآباء سنك ينتظرك . نكفر بكل من يكفر بالمسيح ويلبث حيًّا من بعدك . » . فلما رأى الطاغية ان لا وسيلة

ليكفروا بالمسيح امر بأدناهم من الوادي ، وقطع رؤوسهم وطرح جثثهم فيه . ولمّا انصبّت اقدامهم في الوادي ، قام جميعهم قُرانى ، ورفعوا ايديهم الى السماء وقالوا : « هلمّ ايها المسيح الهنا الى عوننا . قوّنا ، يا ربنا . اقبل نفوسنا ، يا يسوع . الا ليلذّك دم عبيدك المهراق من اجل اسمك ، ايها المسيح ، الهنا ! وأهلنا لمشاهدتك . ها اننا نعترف بك ، يا يسوع ، مثلما علّمتنا ، فاعترفنّ بنا مثلما وعدتنا . ايها المسيح الهنا ابنينّ البيعة هذه التي احرقها اليوم هذا اليهودي ، وأقم لها اسقفاً ، يا يسوع ، عوض عبدك القديس بولس الذي امتهن عظامه وارقدها في النار هذا الكافر . » وبعد ان انتهوا من ابتهالهم هذا صرخوا جميعاً بصوت واحد : « حيّهل الى مبادلة السلام ! » فتبادلوا جميعاً السلام . وعلى اثر ذلك بسط الشيخ اليهم يده منادياً بهم : « ليكن معنا سلام المسيح الذي منحه اللصّ على الصليب يا اخوتنا . » فبادر عندئذ الرجال البسلاء رفاقه واخذوا يسندونه ويدنون به من القتل كرئيس المتكأ فارحين وقائلين : « اقبلنّ ابانا ، وآباءنا معه ، ايها المسيح ، لاننا من اجلك نقتل » . فجثا الشيخ على ركبتيه ، ورفاقه يمسكونه مسندين يديه شبه يدي موسى النبي على رأس الجبل . فحزّ رأسه . وللحال بادر رفاقه واختطفوا دمه دالكين به وجوههم واجسامهم كحنان[1] الشهداء . واخذ كل واحد منهم يسابق رفيقه الى حيث كان يرى السيف مستلّاً ، ويجثو على ركبتيه منحنياً ، فيقع صبيب السيف في عنقه حتى نال جميعهم . وكان اسم زعيمهم الشيخ الجليل « الحارث بن كعب » .

واليكم ايضاً خبراً آخر ، يا احبّاءنا ، رواه لنا ايضاً الرجل العائد من نجران ذاته قال :

« شاهدت فتى ابن ثلث سنوات قبضت عليه امه ، وخرجت مسرعة لتقتل . فلما رأى الفتى الملك جالساً ومتردّياً بزّة الملك ، ترك والدته وبادر الى تقبيل ركبتيه . فامسكه الملك وعلق يتحبب اليه قائلاً : « ماذا تبتغي ؟ اتذهب

---

(١) الحنان كلمة سريانية يراد بها تراب المحلّ الذي يتكلّل فيه الشهداء او تراب قبورهم .

مع امك فتموت ، ام تبقى عندي فتحيا ؟ . » أجاب الفتى : « رحماك ، سيّدي ، رحماك ! أبتغينّ الذهاب مع امي لاموت ، ولذا خرجت معها ، وقد قالت لي : حيّهل ، يا بنيّ ، نذهب نموت عن المسيح . الا دعني لانطلق فادركها لئلا تموت ولا اراها . وقد روت لي ان ملك اليهود امر ان يقتل كل من لا يكفر بالمسيح . كلّا كلّا ، يا سيّدي ، لا اكفرنّ بالمسيح ابدًا واستحبنّ الموت الاحمر على الكفران به . » قال له الملك : « من اين تعرف المسيح ؟ » اجابه الفتى : « يا سيّدي ، كل يوم اراه مع امي في البيعة . وان جئتَ الى البيعة اريتُك اياه . » قال له الملك : « اتحبّني ام تحبّ امك ؟ . » قال له الفتى : « اني احبّ امي اكثر منك . » فاردف الملك : « اتحبني ام تحبّ المسيح ؟ » . اجابه الفتى : « احبّ المسيح اكثر منك ، يا سيّدي ، وهو احسن منك . » قال الملك : « فلمَ اذًا اقبلت ولثمت ركبتيّ ؟ » اجاب الفتى : « ظننتك الملك النصراني الذي شاهدته في البيعة . فلو تبادر اليَّ انك يهودي ، لما اقتربت منك ، يا سيّدي . » قال له الملك : « انا اعطيك جوزًا ولوزًا وتينًا وكلّ ما ترغب . » اجابه الفتى : « لا ، وحقّ المسيح ، لا آكلن جوز اليهود ، ولا امي تأكلته ايضاً . » قال الملك « ولمَ لا تأكله ؟ » . اجاب الفتى : « لانه نجس . الا دعني انطلق الى امي لئلا تموت وتتركني وحدي » . قال الملك : « البثّ عندي ، وكن لي ابناً . » قال الفتى : « لا ، وحقّ المسيح ، لا البثّ عندك ، لانّ رائحتك منتنة ورائحة امي ذكيّة خير من رائحتك . » فتوغّر صدر الملك غيظاً وقال للماثلين امامه : « انظروا الجرثومة الشرّيرة ! كيف ينطق منذ ترعرعه . انظروا كيف استطاع ذاك المضلّ الساحر (اي المسيح) ان يطغي الولدان والرضعان ايضاً . » فابتدر احد عظماء الملك وقال للفتى : « هيّا ! هيّا معي فآخذك الى الملكة لتصير لك امًّا . » اجابه الفتى : « تبًّا لك ! وقبحاً لفعلك ، يا رجل ، ان امي خيرٌ لي من الملكة . فهي تذهب بي الى البيعة . ألا دعني اذهب ، لانها قد ذهبت وتركتني وحدي . » ولما سئم الفتى من كثرة الملاجات ، ورأى انّ الملك لا يدعه ان يلتحق بامه ، عضّه في فخذه هاتفاً به : « دعني انطلق الى امي . دعني ، ها هي تموت ، واروم ان اموت معها . » فحمل الملك الفتى ، محرّقاً عليه الارم ، ودفعه الى احد كبرائه

موعزاً اليه ان يحترس به الى ان يكبر. فان كفر بالمسيح يعش ، والا فيموت. فتناوله ذاك منه ودفعه الى احد عبيده ليحتفظ به ، والفتى يولول نائحاً ، ويخبط رجليه ، ويستصرخ امه داعياً اياها وقائلاً : « يا امي ، يا امي ، ها ان اليهود يأخذونني . تعالي خذيني لاذهب معك الى البيعة . » وكانت امه ترنو اليه فاجابته : « اذهب ، يا بنيّ ، فقد اودعتك المسيح . لا تبكينّ يا حشاشة كبدي . ها اني آتية اليك . اذهب واستمرنّ في البيعة عند المسيح ، حتى أجيئ وآخذك . لا تولولنّ يا حبيبي . فالمسيح ثمّ في البيعة امكثنّ عنده . ابقَ عنده ، يا بنيّ ، اني آتية وراءك . » ولمّا فاهت بهذا حزّوا رأسها[1] . »

اليكم خبراً آخر ، ايها المؤمنون الاعزاء ، رواه لنا ايضاً الرسول نفسه الجاني من نجران قال :

اني رأيت صغرى بنات تلك الطوباوية الحسية ، واسمها « دوما » ، وعمرها تسع سنوات ، لما سمعت الملك اليهودي يقول لامها ان : « ابصقي على الصليب ، واكفري بالمسيح » ملأت فمها بصاقاً ورمت به وجه الملك قائلة : « ليبصق في وجهك ، يا مَن تتجرأ وتقول للشريفة امي ، دون خزي ، ان تبصق على الصليب الحيّ وتكفر بالمسيح وبالصليب نظيرك . لعمري ! أنّ المسيح ليعرف ان امي أحسن من امك ، وعترتي اشرف من عترتك ، وتجسر مع ذلك ان تقول لامي ان تكفر بالمسيح وتبصق على الصليب ! ليستدّ فمك ايها اليهودي قاتل ربّه ! » فذُبحت الصغيرة وامها واخواتها للحال ، مثلما سبق القول ، وكان اسم الامّ الحسية الغالية « دوما ابنة ازمني » ، وفي رواية

---

١) روى العلّامة السمعاني في مكتبته الشرقية (١ : ٢٨٠) عن هذا الفتى قال : « نقل البطريرك ديونوسيوس عن تاريخ يوحنا اسقف آسية ما يلي : لما قتل الهيئة ذلك الملك اليهودي وباد جميع جنود حمير لبث في الحياة هذا الفتى وكبر واذ ألمّ الملك النصراني بما جرى له اخذه عنده ونظمه في حاشيته واحاطه بكرامة مثلى كشهيد المسيح ورأسه على بلاطه وغدا محبه ومستشاره وكان اسمه « نجصر » . واخذ اخيراً يوفده برسائل على الملك يوستينيان وحظينا بمحادثته ردحاً من الزمان متذهلين من ارادته الصالحة ووداعته وتواضعه فكان يطوف كنائس العاصمة مصلياً ويتصدّق صائماً دائماً حتى المساء طول الايام . »

اخرى « رومي » .

***

فلما تليت الرسالة ، وروى الرسول ما جاء به من الاخبار ، امام الملك وجاسائه ، تولت الكآبة النصارى طرًّا . وبادرنا من فورنا الى كتابة هذه الرسالة ، باعثين بها الى حبكم ، ومبتهلين اليكم ان تسعوا حثيثاً وسريعاً بلا ابطاء ولا تغافل ليطّلع عليها الاساقفة الاطهار القدّيسون الهاربون الى مصر مع المسيح ، لكيما بواسطتهم يلمّ بهذه الامور كلها رئيس اساقفة الاسكندرية . فيحضونه على الكتابة الى ملك الحبشة كيلا يغفل عن تفقد الحميريين ، بل يتلافى حالتهم بما يمكن من الحثّة والاسراع . وليطّلع على هذه الشؤون كلّها ايضاً مدن المؤمنين كلها اعني انطاكية ، وطرسوس قيليقية ، وقيصرية قفدوقية ، والرها ، وبقيّة مدن المؤمنين ، فيقيموا ذكرًا للشهداء والشهيدات الآنفي الذكر ، ويصلّوا على امن وسلام البيعة المقدّسة والمملكة . وليحط علماً الاساقفة طرًّا بجميع الاسواء والبلايا التي يصبّها اليهود على الشعب النصراني الموجود في بلاد الحميريين ، وما يعانيه منهم من تباريح الجوى وهجم الكنائس وهدم محالّ الشهداء الرومانيّين .

اما اساقفة المدن الرومانية كلها الاولون والآخرون فيؤجّرون لليهود بيوت الكنائس ومحلات عظام الشهداء فيهدمونها تحت الصليب ، طمعاً في نيلهم قيراطاً من المال ينتفعون به . وان اليهود الكائنين في طبريّة يرسلون سنة فسنة ووقتاً فآخر كهنة منهم الى هناك لاثارة السجن بين نصارى الحميريين . فلو كان الاساقفة نصارى وليسوا بشركاء لليهود ، ويودّون ان تستقيم النصرانية ، لرغبوا الى الملك وعظمائه ليولوا القبض على رؤساء كهنة طبريّة وبقيّة المدن ويلقوهم في السجن . ولا نقول هذا لتجازى سيئة بسيئة بل ليتوثّقوا منهم بكفلاء حتى لا يعودوا يرسلون رسائل واشخاصاً وجيهين الى ملك الحميريين فيصبّ صاعقة الارزاء على شعب المسيح في حمير ، مثلما كل ما تقدّم لنا ذكره من ضروب الشرور والاسواء ، ويهدّدونهم بحرق مجامعهم وكنيسهم ان لم يقوموا بهذا الامر ، بل يتوعّدونهم بالطرد من تحت الصليب واستيلاء النصارى

عليهم حتى اذا بلغ ذلك مسمع ملك الحميريين تأخذه الشفقة على رفاقه اليهود، فيكفّ عن اضطهاد النصارى.

بيد اني لعارف ان ذهبَ اليهود من شأنه ان يسعى لمواراة الحقّ فيتوافر التبجّح لليهود والوثنيّين . فلولا تمكن محبة الذهب والفضة من ابناء البيعة وبرودة حبّ الرعاة لما حُرمت الرعايا من رعاة يحزنون لبؤسهم . فاننا نقول ، وهم ما يهمّهم يصنعون ، والمسيح الاله الراعي الصالح الذي بذل نفسه عن خرافه يصنع ما يراه بالقطيان المفتداة بدمه الزكيّ ويعمل على ما يعضد رعيّته البائسة الواثقة بصليبه ، له المجد والكرامة والمديح والسجود الآن وكلّ اوان والى ابد الآبدين.

قال الكاتب :

هذا ما وجدته ، وقد تقصّيت البحث بنفسي ايضاً ، فاطلعني اناس كان يبعث بهم الملك الى تلك الجهات قالوا : ان الحبشة ادركوا ملك اليهود ، فربطوا في عنقه اواني خزفيّة ثقيلة ورموا به من السفينة الى غور البحر . وملك مكانه ملك نصراني اسمه « الفرنا » فشاد البيعة ، ومحلّا لعظام الشهداء الطوباويّين البلاء . فليحفظ الكاتب الذليل بصلواتهم من كل سوء . آمين .

ابن عبد ربه و«عقده»

درس ادبي تاريخي

بقلم جبرائيل جبّور
احد اساتذة الادب العربي في جامعة بيروت الاميركية

٩

ما دسّ في العقد بعد صاحبه

لم يسلم العقد مما اصاب كثيراً من الكتب العربية القديمة من حيث دسّ الاخبار فيها بعد ان يكون قد قضى اصحابها. ذلك ان اصحاب كثير من الكتب الخطية كانوا في بعض الاحيان يضيفون في اواخر كثير من فصولها او ابوابها اخباراً جديدة تتعلق بالموضوع، او قد لا تتعلق به، وشروحاً لبعض ما في المتون. ثم تمرّ الايام، وينسخ بعض هذه الكتب، فتدخل الزيادة في الاصل، ويثبت الشرح في المتن، ويختلط الامر على المتأخرين، فينسب كل ما في النسخة الخطية الى المؤلف.

من هذا ما وقع فيه ناشرو الطبعات التي بين ايدينا لكتاب العقد في مصر، فقد اعتمدوا، فيما يظهر لنا، على نسخة خطية دُسّت فيها جملة كثيرة من الاخبار. فاثبتوا الاصل والزيادة في طبعاتهم، دون ان ينتبهوا الى الامر او يشيروا اليه. والغريب ان بعض هذه الاخبار المدسوسة كانت ظاهرة لا يحتاج امر اكتشافها الى كثير من العناء او التدقيق. فانك اذا قرأت العقد ترى انه قد ترجم فيه في كتاب اليتيمة الثانية[1] لاربعة خلفاء من بني العباس هم الراضي، والمتقي، والمستكفي، والمطيع. وكلهم توفي بعد وفاة ابن عبد

---

١) ابن عبد ربه ٣: ٥٩–٦٠

ربه اي بعد سنة ٣٢٨ هـ. وترى في ترجمة الاخير انه قد خلع نفسه سنة ٣٦٣هـ[1]. اي بعد موت ابن عبد ربه بـ ٣٥ سنة. ولا بدّ من الاشارة الى ان اوّل من سبق فنبّه الى دسّ اخبار هؤلاء الخلفاء المتأخرين هو العلّامة Theodor Nöldeke في كتابه *Die Ghassânischen Fürsten aus dem Hause Gafna's.*، هامش الصفحة ٥٥، وقد ذكر ان هذه الاخبار لم ترد في مخطوطتي العقد في München وفي Vienna.

ولم يكتفِ في وقوفنا على الدسّ في هذا الباب. بل دفعنا الامر الى مراجعة الباب كلّه والنظر فيه، فاذا هو يستهلّ بعبارة «فرش ذكر خلفاء بني العباس وصفاتهم ووزرائهم وحجابهم.»[2] وهي المرة الوحيدة التي تستعمل فيها كلمة «فرش» في اول باب ما، اذ ان استعمالها في العقد كلّه واقع في اوائل الكتب، لا في اوائل الفصول والابواب. وقد نبه الى ذلك ابن عبد ربه نفسه في المقدمة حيث قال «وقد الفت هذا الكتاب وتخيرت جواهره من متخير جواهر الاداب ومحصول جوامع البيان فكان جوهر الجوهر ولباب اللباب. وانما لي فيه تأليف الاختيار وحسن الاختصار. وفرش لدور كل كتاب.»[3] زد على ذلك انه ليس في الباب هذا فرش كما في اوائل الكتب، وانما هو ذكر للفرش ليس الا، حيث نرى ان الباب يبدأ بابي العباس السفاح دون توطئة او تمهيد، او «فرش» كما اصطلح ابن عبد ربه ان يقول.

وبحثنا في فرش اليتيمة الثانية نفسها نطلب ذكر هذا الباب فلم نرَ لذلك اثرًا. وكل ما في الفرش من هذه الناحية هو: «قد مضى قولنا في اخبار الخلفاء وتواريخهم وايامهم وما تصرفت به دولتهم ونحن قائلون بعون الله في اخبار زياد والحجاج والطالبيين والبرامكة وما سيحوز على شيء من اخبار الدولة اذ كان هؤلاء الذين جرّدنا لهم كتابنا هذا قطب الملك الذي عليه مدار السياسة ومعادن التدبير وينابيع البلاغة وجوامع البيان هم راضوا الصعاب حتى لانت مقاودها وخزموا الانوف حتى سكنت شواردها ومارسوا الامور وجرّبوا الدهور

١) ابن عبد ربه ٣: ٥٩ ٢) ابن عبد ربه ٣: ٥٢
٣) « « ١: ٢

فاحتلوا اعباءها واستفتحوا مغالقها حتى استقرت قواعد الملك وانتظمت قلائد الحكم ونفذت عزائم السلطان . »[1] وظاهرٌ من هذا الفرش ان ابن عبد ربه قد قصر كتابه هذا على اخبار رجال الدولتين الاموية والعباسية دون الخلفاء ، وذكر ما لبعض هؤلاء الرجال من مكانة في الدولة . وليس في الفرش ، كما ترى ، ذكر لخلفاء بني العباس ، بل هناك ما يشير الى ان اخبار الخلفاء قد دُوّنت في الكتاب الذي سبق – « قد مضى قولنا في اخبار الخلفاء وتواريخهم الخ » – وطلبنا فرش الدرة الثانية في ايام العرب ووقائعها ، وهو الكتاب الذي يلي اليتيمة الثانية ، نبحث عن ذكر لاخبار بني العباس فلم نعثر على شيء . وقد تعوّد ابن عبد ربه ان يكتب مواضيع كل كتاب سابق في اول الكتاب الذي يليه . وكل ما رأينا هو « قد مضى قولنا في اخبار زياد والحجاج والطالبيين والبرامكة ونحن قائلون بعون الله وتوفيقه الخ »[2] . وعدنا الى مقدمة العقد نفسه وفيها جدول بكتب العقد وفصولها فلم نرَ في شرحه عن هذا الكتاب سوى « ثم كتاب اليتيمة الثانية في اخبار زياد والحجاج والطالبيين والبرامكة »[3] . وطلبنا معجم البلدان لياقوت حيث ذكر جدولًا لكتب العقد واقسامها الرئيسية فلم نرَ في صدد هذا الكتاب سوى « ثم اليتيمة الثانية في اخبار زياد والحجاج والطالبيين والبرامكة . »[4] ولم يقتصر الامر ، في هذا الكتاب ، على هذا الباب فحسب بل ان هناك باباً آخر قد سبقه هو « باب من اخبار الدولة العباسية »[5] ليس له ذكر كما ترى في كل المواضع التي اشرنا اليها . وهنا نرى انه يحقّ لنا ان لا نرتاح الى ان هذه الاخبار عن بني العباس قد دوّنها ابن عبد ربه ، وان نزعم انها ربما قد دسّت عليه بعد موته ، او ان قسماً منها قد دُسّ ونقل القسم الآخر من موضع آخر حيث انه كان الاولى بابن عبد ربه – ان كان قد ألف هذين البابين – حملًا على ما عرف عنه من حسن التبويب والتصنيف وتبعاً لما اخذ على نفسه في مقدمة عقده حيث قال : « ثم قرنت كل جنس منها

١) ابن عبد ربه ٣ : ٢
٢) ابن عبد ربه ٣ : ٦٠
٣) « « ١ : ٤
٤) ياقوت ٢ : ٧٠
٥) « « ٣ : ٤٧

الى جنسه فجعلته باباً على حدته ليستدل الطالب للخبر على موضعه من الكتاب ونظيره من كل باب»[1]، كان الاولى به ان يضع هذين البابين في الكتاب السابق — كتاب العسجدة الثانية — حيث يبحث في الخلفاء وتواريخهم وايامهم وحيث نرى باباً خاصاً في اخبار الدولة العباسية[2].

ولا نستطيع تعيين البلاد التي دُسّت فيها اخبار هؤلاء الخلفاء المتأخرين ولا الزمن الذي دُسّت فيه. انما سنذكر ما يمكن ان يفيدنا من هذه الناحية ففي ترجمة الخليفة الاخير المطيع ذكر لسنة مولده ولسنة مبايعته ولسنة خلعه، وعند وصول الواضع الى «وتوفي في» نرى بياضاً. وكذلك نرى بياضاً عند «وكان سنه». فلا يبعد اذن ان يكون وضع هذه الاخبار قد جرى في هذه المدة بين خلع المطيع نفسه وبين سنة موته، اي بعد سنة ٣٦٣ هـ. غير اننا نعود فنرى ان اكثر المصادر للتاريخ العباسي تهمل ذكر سنة وفاة المطيع وتكتفي بذكر سنة خلعه ٣٦٣ هـ. فابن الاثير وابن خلدون ومسكويه كل هؤلاء اهمل ذكر سنة موته. فلعلّ من دسّ هذه الاخبار في العقد لم يتوفق في العثور على تاريخ موته فترك بياضاً. ومهما يكن من جهلنا هذا الامر فانا نظن ان الدسّ، ان لم يكن قد وقع زمن المطيع، فقد وقع زمن الخليفة الذي عقب المطيع، لا بعد زمنه. والا فما الذي كان يمنع الواضع من ان يذكر اخبار الخليفة او الخلفاء الذين ولوا امر المسلمين بعد المطيع. يقوّي ظننا في ان الدسّ قد وقع زمن المطيع سكوت الواضع عن ذكر سنة وفاة الخليفة القاهر وعمره، واكتفاؤه بما يلي «وكانت خلافته سنة وستة اشهر وستة ايام وعاش الى ايام المطيع وكانت سنه»[3] ويترك بياضاً. ويقوّيه ايضاً ما سنذكره من دسّ اخبار اخرى عن هؤلاء الخلفاء العباسيين في موضع آخر من العقد لم يتعدَّ فيها الواضع خلافة المطيع.

امّا هذه الاخبار الاخرى عن خلفاء بني العباس الذين قد تأخر بعضهم عن زمن موت ابن عبد ربه فقد وردت في كتاب التوقيعات والفصول والصدور

---

١) ابن عبد ربه ١: ٢٠
٢) ابن عبد ربه ٢: ٢٥١
٣) « « ٣: ٥٩

وادوات الكتابة واخبار الكتّاب[1] . ذلك ان ابن عبد ربه ذكر في هذا الكتاب شيئاً في شرف الكتّاب وفضلهم، واورد في هذا الباب اسماء كثير ممن كتبوا للخلفاء ، فابتدأ من النبي وذكر من كتب له ، ثم ذكر الخلفاء واحداً واحداً ومن كتب لهم ، حتى انتهى الى المطيع فذكر من وزر له وسكت عنده[2] . وظاهرٌ ان الذي دسّ هنا قد دسّ هناك ، وان الدسّ قد وقع في زمن واحد ، ولعله لم يتعدَّ الوقت الذي ذكرنا.

ولابن عبد ربه فصل في هذا الكتاب المذكور يدور على توقيعات الخلفاء ، فيه بابٌ في توقيعات بني العباس[3] ليس فيه توقيعٌ لخليفة بعد المأمون. والغريب ان الذي دسّ في المواضع السابقة قد فاته الدسّ هنا . وان وقوف ابن عبد ربه عند المأمون ليحملنا على الظن ان اكثر الاخبار التي وردت في العقد عن خلفاء بني العباس ممن عقب المأمون دُسّت على ابن عبد ربه ، بعد موته. وليس غريباً ان يصدق هذا الظن لاسيما ونحن نعلم ان ابن عبد ربه قد اخذ اكثر اخباره عن كتب مدوّنة لمؤلفين سبقوه اكثرهم لم يدوّن اخبار من عقبوا المأمون . زد على ذلك ان ابن عبد ربه لم يذكر من توقيعات الامراء المختلفين لاحد بعد طاهر بن الحسين[4] ، احد قواد المأمون.

ولعلَّ القارئ لا يزال يذكر ما قد اشرنا اليه عند بحثنا في امر تجزئة كتب العقد الخمسة والعشرين، من حيث وصف التجزئة في مقدمة العقد وعدم انطباقها على ما هي عليه كتب العقد الآن . فلقد ذكرنا انه ليس في العقد كله سوى ثلاثة كتب قد ذكر فيها اجزاؤها ، بينما قد اشار ابن عبد ربه في مقدمة العقد الى انه جزّأ كل كتاب الى جزئين . ونرى انه يجوز لنا ان نظن ان كثيراً من الزيادات والتغيير قد طرأ على اواخر الاجزاء حتى ضاع ذكرها في اكثر كتب العقد . واظهرنا عندئذٍ ان كتاب الياقوتة في العلم والادب — وهو احد الكتب الثلاثة التي ذكرت فيها التجزئة — قد الحق في نصفه الاول زيادة وجدت في بعض النسخ ، ولعلّ هذه الزيادة التي وجدت في بعض النسخ

(١) ابن عبد ربه ٢ : ٢٠١
(٢) ابن عبد ربه ٢ : ٢٠٧
(٣) « « ٢ : ٢٢٦
(٤) « « ٢ : ٢٢٣

ولم توجد في البعض الآخر لم تكن مما جمعه ابن عبد ربه في عقده . ولم يتفرد كتاب الياقوتة بالزيادات فانا نرى في آخر كتاب الواسطة في الخطب زيادة اشار اليها ناشر الكتاب ايضاً في متن العقد نفسه ، قال: «وفي الام زيادة من غير اصلها فاوردتها كهيئتها وهي خطبة لعلي كرّم الله وجهه في هـذه المجنبة تلو خطبة المأمون يوم عيد الفطر جاء رجل الى علي . . . » الخ [1] . وفي آخر الخطبة قال الناشر: « تم الالحاق ». ونرى ايضاً في آخر كتاب الطعام والشراب زيادة اشار اليها ناشر الكتاب في متن العقـد ايضاً قال: « وجدت في بعض النسخ زيادة فاوردتها وهي . . . » [2] ونرى اشارة اخرى الى زيادة رابعة في كتاب الفكاهات والملح ، وهو آخر كتاب في العقد ، عنونها الناشر بـ « زيادة من غير الام » [3] . ولعلّ هناك زيادات اخرى لم يعلمها الناشر فلم يشر اليها كتلك التي ذكرنا في اول هذا الباب والتي تدور على بعض خلفاء بني العباس ، لاسيما وانه لم يطّلع على مختلف النسخ الخطية للعقد في الشرق والغرب.

وهناك امر آخر يدفعنا الى الظنّ في انه قد طرأ على العقد بعض التغيير او التحريف او الزيادة ، هو ان ترتيب كتب العقد في معجم الادباء لياقوت يختلف عما هو عليه في العقد نفسه وفي مقدمته . فالكتاب الاخير في العقد هو اللؤلؤة الثانية في طبائع الانسان وسائر الحيوان وتفاضل البلدان ويقول ياقوت « وهو آخر الكتاب » [4] . وهذا التغيير يقتضي تغييراً آخر فقد صارت الزبرجدة الثانية عند ياقوت كتاب التحف والهدايا والتنف والفاكهات (كذا) والملح [5] ، وتقع الثانية والعشرين في جدوله لجواهر العقد ، بينما هي الاخيرة (الـ ٢٥) في العقد نفسه وفي الجدول المذكور في مقدمته . ولا نرى بدّاً من الاشارة الى اختلاف آخر هو ان « الهدايا والتنف » قد ذكرت في جدول ياقوت في الزبرجدة الثانية مع « الفاكهات (كذا) والملح » ، بينما نراها في العقد في آخر كتاب طبائع

---

١) ابن عبد ربه ٢ : ٢٠٠
٢) ابن عبد ربه ٣ : ٤١٩
٣) « « ٣ : ٤٢٢
٤) ياقوت ٢ : ٧٠
٥) ياقوت ٢ : ٧٠

الانسان وسائر الحيوان[1] . وليس في العقد ايضاً ذكرٌ للتحف التي ذكرها ياقوت واشار الى انها واقعة في الزبرجدة الثانية . واورد ياقوت ايضاً في جدوله ان الفريدة الثانية هي في الهيئات والبنايين والطعام والشراب[2] ، بينما نرى ان ابن عبد ربه قد اهمل هذا في مقدمة عقده ، وليس في كتاب الطعام والشراب ذكر للهيئات او البنايين[3] . غير اننا نرى في العقد ، في الزبرجدة الثانية في بيان طبائع الانسان وسائر الحيوان ، بعض الامور عن البنيان واللباس في بابين مختلفين واحد للبنيان ، وآخر للباس[4] . فاذا كانا ما عناه ياقوت في « الهيئات والبنايين » ، فقد وقعا في غير الموضع الذي ذكره . ويجب ان نذكر ، قبل الفراغ من هذه الكلمة، ان ياقوت قد درس العقد، فيما يقول هو عن نفسه، على استاذ ذكره قال :« وقد اجاز لي رواية كتابه الموسوم بالعقد الحافظ ذو النسبين بين دحية والحسين ابو الخطاب عمر» الخ[5]

وهذا الاضطراب والتشويش ، او بالاحرى هذا الاختلاف بين جدول العقد وجدول ياقوت ، قد ترك آثارًا تدل على ان ايدي المتأخرين قد لعبت في العقد . فان في الكتاب الذي عثرنا في آخره على باب التحف في الاخبار وذكرنا انها تظهر في غير هذا الموضع بجدول ياقوت ، وبعبارة اخرى ان في كتاب الزبرجدة الثانية في بيان طبائع الانسان وسائر الحيوان وتفاضل البلدان امورًا لا يمكن ان يكون قد دوّنها هناك ابن عبد ربه صاحب العقد . فهناك وصف للكعبة فيه ذكر للعلوي الثائر[6] ، واشارة الى انه لما تغلّب على مكة قلع ذهب الحاجب الايمن من باب البيت[7] . وفيه وصف للحجر الاسود يظهر منه ان الواصف شاهد عيان قال :« والحجر الاسود على صخرتين من وجه الارض قد نحت من الصخر مقدار ما ادخل فيه الحجر وأشفت الصخرة الثالثة عليها مثل

---

١) ابن عبد ربه ٣ : ٢٧٠ و٢٧٥
٢) ياقوت ٢ : ٧٠
٣) « « « ٣ : ٣٨٠
٤) ابن عبد ربه ٣ : ٢٤٧
٥) ياقوت ٢ : ٦١
٦) نذهب الى انه زعيم القرامطة الذي تغلّب على مكة سنة ٣١٧ هـ ، وسنذكر رأي السيد شفيع في انه غير هذا ونعرض لمناقشته فيه .
٧) ابن عبد ربه ٣ : ٢٦٢

اصبعين والحجر املس مجزع حالك السواد في قدر الكف المحنية (كذا) قد لزمن (كذا) جوانبه بمسامير الفضة وفيه صدوع وفي جانب منه صفيحة فضة حسبتها شظية منه شظيت فجبرت بها وصخر الركن الاسود احرش اكبر من صخرنا قليلاً.» [1] وهناك اشارة اخرى الى ان الواصف شاهد عيان قال: «وحمام المسجد كثير انيس يكاد الانسان ان يطأه بقدمه لانسه بالناس وهو في لون حمام الابرجة عندنا الا انه اقدر منه وليس منها حمامة تجلس على البيت ولا تطير عليه ولقد هتني ذلك فرايتها حين تكاد ان تحاذي البيت وهي مستعلية في طيرانها ذلك غطست حتى تصير دونه واخذت عن يمينه او يساره وزرقها ظاهر بارز على البيوت التي في المسجد الا بيت الله الحرام فانه نقي ليس فيه ولا عليه اثر.» [2]

وظاهر من هذه النصوص ان الكاتب قد شاهد هذه المواضع بعد تغلب العلويّ الثائر على مكة واخذه الحجر الاسود، الامر الذي وقع سنة ٣١٧هـ [3]. ونحن نعلم ان القرامطة اصحاب العلوي الثائر هذا احتفظوا بالحجر الاسود حول عشرين سنة [4]. فلم يرجع الحجر قبل سنة ٣٣٧هـ. ونحن نعلم مما تقدم من درسنا عن ابن عبد ربه انه مات سنة ٣٢٨هـ. فكيف يمكن له ان يكون صاحب هذا الوصف او مشاهد هذا الامر، ولم يُرجع الحجر الى الكعبة كما ترى الّا بعد موته بنحو ٩ سنوات؟ ولو فرضنا ان وصف الحجر الاسود كان اثر حجة لابن عبد ربه قبل تغلب العلوي الثائر على مكة، فانّا نرى في ذكر ابن عبد ربه خبر العلويّ الثائر ووصفه حاجب الباب الذي اقتلع ذهبه ما يناقض ذلك. ولو فرضنا جدلاً ان ابن عبد ربه قد حجّ بعد تغلب العلويّ الثائر فوصف ما شاهده واكتفى بنقل وصف الحجر الاسود عن غيره من اساتذته الذين حجوا قبله، او عن غيرهم، لرأينا انه يصعب احتمال وقوعه حيث ان ابن عبد ربه كان وقتئذ قد تجاوز السبعين من عمره، ويصعب على مثله ان يقوم

١) ابن عبد ربه ٣: ٢٦٢ ٢) ابن عبد ربه ٣: ٢٦٤

٣) Wensinck, *Ka'ba* [The Encyc. of Islam vol. II, p. 586]

٤) ibid.

برحلة الى الشرق لاسيا وقد كان آدر يدرم في مشيه[1] . وقد ذكر الرواة انه اصيب بالفالج قبل موته باعوام[2] . وكان من الطبيعي ان ينقل مثل هذه الاخبار عن اصحاب بعض المصادر التي استند اليها او عن اساتذته الذين حجّوا الى المشرق، لولا ما تقدم ذكره من امر العلويّ الثائر الذي دخل مكة بعد ان قضى كل هؤلاء.

بقي ان نفرض ان العلويّ الثائر هذا هو غير القرمطي المشهور، ونسلّم مع الدكتور شفيع[3] في انه حسين بن الحسن الطالبيّ الذي ذكر الطبري انه دخل مكة وجماعته الذين لم يبلغوا العشرة في الفتنة عام ١٩٩ هـ ، وقد اخلاها اصحاب الامر من بني العبّاس ودعاه اهل مكة اليها[4] . ولكن الطبري لم يذكر ان حسين بن حسن هذا قد اقتلع باب الكعبة او ذهب حاجبه . وقد ذكره ايضاً الازرقي في كتاب اخبار مكة[5] ، ولكنه لم يشر الى انه اقتلع ذهب حاجب الباب . بل انه ذكر ان الذهب الذي كان على الباب كان مما وضع على زمن الامين ، اي قبل ظهور هذا الطالبي ، وان الصفائح هذه كانت قد ضربت مما كان على الباب قبلاً من زمن الوليد بن عبد الملك ومن الدنانير التي ارسلها الامين نفسه ، وان هذا الذهب بقي على الباب الى يوم الازرقي[6] . وقد مات الازرقي ، ومات قبله جدّه الذي خلف له بعض هذه الاخبار ، بعد زمن الامين وبعد عام الفتنة (١٩٩ هـ) الذي اشير اليه . فقد قضى الجدّ سنة ٢١٩ هـ . والحفيد سنة ٢٤٤ هـ .[7] ومن الطبيعي ان لا يكتب الازرقيّان عن الثائر العلويّ القرمطي شيئاً وقد قضيا قبل ان يظهر ، كما وان الطبري لم يصل

١) المقري طبعة اوربة II : ٢٠٠ وهامشها : اما طبعة مصر ٣ : ٨٢٢ فالرواية فيها مشوشة مضطربة . غير انها تشير الى انه كان في مشية ابن عبد ربه اضطراب .

٢) ابن الفرضي ١ : ٣٧ ؛ وابن خلكان ١ : ٤٦

٣) شفيع ٤١٦ وما يليها

٤) الطبري III : ٩٨٣–٩٨٤

٥) طبعة ليبزك سنة ١٨٥٨ ، المجلد الاول : ص ١٢٧

٦) 〃 〃 〃 〃 〃

٧) *Al Azraki* [The Encyc. of Isl. vol I, p. 542] في المقالة المهملة بالتوقيع

بتاريخه الى ابعد من سنة ٣٠٢ هـ. وقد ذكره ايضاً ابن خلدون في مقدمة تاريخه واشار الى انه يلقب بالافطس، وروى انه اخذ ما كان في جبّ مكة من الاموال التي كانت قد خبأت فيه قبل الاسلام[1]. غير انه لم يشر الى ان الافطس هذا اقتلع ذهب باب الكعبة، بينما نراه قد اشار، في موضع آخر من تاريخه[2]، الى ان ابا طاهر القرمطي الثائر قد «هجم على مكة سنة ٣١٧ هـ. وقتل كثيراً من الحاج ومن اهلها ونهب اموالهم جميعاً وقلع باب البيت والميزاب وقسم كسوة البيت في اصحابه واقتلع الحجر الاسود وانصرف به واراد ان يجعل الحج عنده ... وقد كان الحكم المتغلب على الدولة ببغداد ايام المستكفي بذل لهم خمسين الفاً من الذهب على ان يردّوه فابوا وزعموا انهم انما حملوه بامر امامهم عبيد الله وانما يردّونه بامره وامر خليفته.» ولا نظنّ بعد هذا كله ان ابن عبد ربه يشير الى ان الحسين بن الحسن هو الذي اقتلع الذهب. ومهما يكن من الامر فانا لا نسلّم مع الدكتور شفيع في ان ابن عبد ربه صاحب العقد قد حجّ الى المشرق، حيث ان المقري قد ذكر في كتابه «نفح الطيب» اسماء طائفة من الرجال المشهورين الذين كانت لهم رحلة الى المشرق. وقد كان ابن عبد ربه صاحب العقد معروفاً عنده استجلب ذكره في كتابه نحو عشر مرات او ازيد، ونقل ترجمة حياته عن الفتح بن خاقان وذكر كثيراً من شعره، ونسب اليه رجالاً متأخرين ذكرهم، ومع كل هذا لم يذكره بين الذين رحلوا الى المشرق ولم يشر الى شيء من هذا الامر[3]. اضف الى هذا ان G. Le Strange في كتابه *Palestine under the Moslems*. London, *1890*. قد رجع الى العقد ونقل عن ابن عبد ربه وصف الحرم في القدس، فلاحظ ان هذا الوصف يكاد يتفق بالحرف مع وصف معاصر لابن عبد ربه هو ابن الفقيه،

---

١) ابن خلدون ٣٠٦

٢) تاريخ ابن خلدون الجزء الرابع، ص ٨٦

٣) المقري ١: ٣٣١-٦٤٠

ولا يختلف عنه الا ببعض التفاصيل[1] بحيث كاد يستنتج انهما استقيا من مصدر واحد[2]، واشار Le Strange الى انه لا يجزم في ان صاحب العقد قد حجّ وشاهد هذه المواضع[3].

ولا يفوتنا ان نذكر ايضاً انه ليس في العقد كله – اذا استثنينا هذا الموضع الذي يظهر لنا انه مدسوس – اشارة واحدة الى ان صاحبه قد حجّ الى المشرق او تلميح يفيد انه كان لابن عبد ربه هذا رحلة الى الشرق، وكان من الطبيعي لو كانت له رحلة في شبابه او في كبره ان نرى اثراً لاخبارها في عقده، كأن يذكر مثلاً بعض الاخبار عن علماء المشرق ممن كنا ننتظر ان يكون قد لاقاهم او اخذ عنهم اثناء رحلته هذه او سمع منهم او تحدّث اليهم، بينما هو لم يهمل ذكر كثير من الاخبار والروايات التي حدّثه بها اساتذته عن علماء المشرق بعد رحلاتهم وحجتهم.

زد على هذا ان ابن عبد ربه يقول في مقدمة عقده ان ما له في العقد انما هو تأليف الاختيار، وحسن الاختصار، وفرش لدور كل كتاب، وما سواه فمأخوذ من افواه العلماء ومأثور عن الحكماء والادباء[4] وهذا اقرار صريح منه، مع ما عرف عنه من النزعة الشخصية، يظهر فيه انه لم يتعمدّ لكتابة مثل هذه الابواب التي تدلّ على ان الواصف شاهد عيان.

ولا بدّ لنا اخيراً من الاشارة الى اننا لم نرَ تناسباً بين وصف الحرمين وبيت المقدس وبين سائر الابحاث في اول فصل تفاضل البلدان من حيث الامور التي تشير الى نفس كاتب واحد او اختبارات رجل واحد، بل ان هناك انتقالاً فجائياً من نتفٍ من الاخبار عن مزايا بعض البلدان مسندة الى رواة مختلفين، الى وصف طويل فيه اسهاب وتدقيق عن الحرمين وبيت المقدس.

ولا بد لنا بعد هذا كله من الاشارة مرة ثانية الى ما في مقال السيد

---

١) انظر ص ٤ و١٦٢ من المصدر المذكور (Le Strange)
٢) « ١٦٠ « «
٣) « ٤و١٦٠ « «
٤) ابن عبد ربه ١: ٣

شفيع القيّم في كتاب « عجب نامه » مما يفيد ان صاحب المقال يقطع ان ابن عبد ربه صاحب العقد قد حج الى المشرق وشاهد الحرمين ووصفها في هـذا الباب[1] . وكنا بغنى عن الاشارة الى رأيه هذا لولا ان الرجل باحث قـدير، ولولا ان الكتاب يضمّ مجموعة من الابحاث الشرقية القيّمة لطائفـة من كبار المستشرقين ، وقد اهدي كما اشرنا في فصل سابق الى المستشرق الاستاذ برون بمناسبة عيد ميلاده الستيني. ولا نظن الا ان السيد شفيع — بعد اطلاعه على ما ذكرنا — راجع عن رايه ، ومسلّم معنا فيما ذهبنا اليه.

ولكن من الذي دسّ هذه الاخبار في فصل تفـاضل البلـدان على ابن عبد ربه ؟ وما السبيل الى معرفته ؟ يظهر قبل كل شيء ان الواضع اندلسي! ولعلّ هذا الامر قد دفع السيد شفيع في ان يزعم انه صاحب العقد : فلقـد قابل هذا الواضع بين بعض الامور التي شاهدها وبين جامع قرطبة قـال عن منى : « وبها مسجد اكبر من جامع قرطبة.»[2] وقـال في باب صفة مسجـد النبي :« . . . ثم فوقه ازار مثل الاول فيه اربعة عشر باباً في صف من الشرق الى الغرب في تقدير كوى المسجد الجامع بقرطبة.»[3] واورد طائفة من المفردات التي يظهر من بحث السيد شفيع — اذا جاز لنا الاستناد اليه — انهـا اندلسية ولقد رتب لها السيد شفيع جدولاً كبيراً في آخر مقاله[4].

ونعود فنسأل انفسنا من هو هذا الاندلسي ؟ ولعلّ خير سبيل لمعرفته ان نلتفت الى ما سيلي :

لقد علمنا من درسنا حياة ابن عبد ربه صاحب العقد ان اسمه احمد وان كنيته ابو عمر ، هكذا وردا في فرش درر كتب العقد ، وفي كتب الـذين ترجموا حياته بل انما قد وردا في شعر للقلفاط الشاعر هجـاه به بحيث لا يبقى مجالاً للشك في صحة ذاك :

---

١) شفيع ٤٢٢
٢) ابن عبد ربه ٣ : ٢٦٥
٣) ابن عبد ربه ٣ : ٢٦٥
٤) شفيع ٤٢٢

يا عرس أحمد اني مزمع سفرا فودّعيني سرّاً من ابي عمرا [1]

غير اننا نرى في كتاب الياقوتة في العلم والادب باباً هو باب جامع الآداب ذكر في اوله «قال ابو عبدالله احمد بن محمد اول ما نبدأ به ادب الله لنبيّه» الخ [2] وقد دهشنا لهذه الكنية، ودهشنا لورود اسمه في اول الباب، اذ هي المرة الوحيدة التي يرد فيها اسم ابن عبد ربه في اول باب ما. وانما جرى ابن عبد ربه على ان يذكر اسمه في فرش دور كل كتاب لا في اوائل الابواب، وقد ذكر اسمه في فرش دار الياقوتة هذه. قال: «قال ابو عمر احمد بن محمد بن عبد ربه» الخ [3]. فمن هو ابو عبدالله ذاك ؟

نرى في مقدمة ابن خلدون بحثاً عن الموشحات يذكر فيه ابن عبد ربه صاحب كتاب العقد ويكنيه ابا عبد الله [4] : فهل كان لابن عبد ربه هذا كنيتان ؟ لقد ظن المستشرق Hartmann في كتابه *Das arabische Strophengedicht I, Das Muwaśśaḥ* ان طبعة بيروت من مقدمة ابن خلدون قد اضافت كلمة «ابو» قبل عبد الله وان الاصل كان «عبد الله» . دون «ابو»، ولكنه يعود فيقول ولعلها كانت في الاصل «ابو عبد الله» ويظهر انه لم يطّلع على هذا الموضع في العقد الذي وردت فيه عبارة: «قال ابو عبد الله» ولم يطلع ايضاً على طبعة مصر لمقدمة ابن خلدون سنة ١٢٧٤ هـ . فانها تدوّن الاسم «ابو عبد الله» لا «عبد الله»، وكذلك نرى في الطبعة الازهرية للعقد «ابو عبد الله». وعلى كل حال لقد احسن Hartmann في انه لم يقطع في الامر.

ترى هل كان هناك شخص بهذه الكنية من آل عبد ربه، وهل لهذا الشخص علاقة في هذا الموضوع الذي نحن بصدده ؟

ذكر المقّري في كتابه نفح الطيب، في الباب الذي قصره على التعريف ببعض من رحل من الاندلسيين الى بلاد المشرق، رجلاً من آل عبد ربه كنيته ابو عبدالله وصفه بالكاتب، وذكر له شعراً، وروى عنه انه اجتمع في رحلته

---

١) المقّري ٢ : ٨٢٢
٢) ابن عبد ربه ١ : ٣٧٠
٣) ابن عبد ربه ١ : ١٩٨
٤) ابن خلدون ٥٨٤

الى الشرق بالسعيد بن سناء الملك ، واخذ عنه شيئاً من شعره ورواه بالمغرب[1] . وعاد فذكر مرةً ثانية في الباب نفسه رجلًا من هذا البيت قال : « ومنهم (اي من الراحلين الى المشرق) ابو عبد الله محمد ابن الشيخ الاجلّ ابي الحسن ابن عبد ربه وهو من حفداء صاحب كتاب العقد المشهور . » وذكر بعض الاخبار عنه وروى بعض الابيات من شعره ، ثم ختم ترجمته بقوله : « وتقدمت ترجمة الكاتب ابي عبد الله بن عبد ربه واظنه هذا فليتنبه لـه بل اعتقد انه هو لا غيره والله تعالى اعلم »[2]

ولعلّ من الخير قبل اظهار رأينا في الامر ان نلفت النظر الى انه ليس من اللازم ان نتمسك بقول ابن خلدون عن ابي عبدالله هذا انه صاحب العقد[3] ، اذ يجوز ان تكون عبارة « صاحب العقد » زيادة من المتأخرين ، او يجوز انها خطأ من ابن خلدون لم يلتفت اليه ، لاسيما وان ابن عبد ربه صاحب العقد ، كما سنرى في بحثنا عن شعره ، لم يُعرف في نظم الموشحات كما زعم ابن خلدون . ولا بد لنا ايضاً من الاشارة الى عدم تدقيق ابن خلدون في الاخبار التي ذكرها عن صاحب العقد حيث اننا نجد تغييراً عظيماً في الرواية التي نقلها عن العقد من امر المأمون وزواجه ببوران بنت الحسن بن سهل . فان ابن خلدون قد نسب الى المأمون في القصة التي نقلها ابن عبدربه ما لم يذكره هذا[4] . ومما يدلّ على ان ابن خلدون قد حمل على ابن عبد ربه ما لم يقله ، او انه على الاقل لم يكن مدققاً فيما نقله عنه .

نرى بعد هذا كله انه يجوز لنا ان نظنّ ان لابي عبد الله هذا يداً في هذا الدسّ . وسنعرض لهذا الشخص المذكور عند بحثنا عمّا اذا كان صاحب العقد نظم الموشحات من الشعر ام لا !

---

١) المقري ١ : ٢٧٣-٢٧٤

٢) المقري ١ : ٢٨٢-٢٨٤

٣) ابن خلدون ٥٨٤

٤) قابل بين رواية ابن عبد ربه ٣ : ٤٥٢-٤٥٦ ، وما نقله ابن خلدون ٢٠

بقي شيء واحد وهو ان النسخة التي روجعت عند طبع العقد ببولاق ، والتي اشار الناشرون الى انها « المشهورة بالصحة والضبط والمعوّل عليها في الغالب في الجمع والتصحيح »[1] قد كُتبت فيما يظهر بعد موت ابن عبد ربه ، اذ ان في النسخة المطبوعة بين ايدينا عبارات تفيد ذاك مثل « رحمه الله »[2] (الضمير يعود على ابن عبد ربه) ، او « رضي الله عنه »[3] ، او « تغمده برحمته »[4] الخ . وقد يجوز ان يكون الناشرون اضافوها .

وكم كنت اود لو كانت بين يدي نسخ العقد الخطية المختلفة علّني بواسطتها استطيع الجزم حيث ظننت ، او الرجوع عمّا قطعت . واني لمغتنم هذه الفرصة لتوجيه ندائي الى كل عالم ممن يقرأون هذه السطور ، لاسيما في بلدان اوربة حيث توجد نسخ خطية للعقد ويستطيعون جلاء شيء من غامض هذا الامر ، ان يتكرّم عليّ بارسال ما يرتأيه او يستند اليه ، سواء أكان مطابقاً لما ذهبت اليه او مخالفاً له .

---

١) ابن عبد ربه ١ : ٢ قبل المقدمة
٢) ابن عبد ربه ٢ : ٢٤٥ و٣ : ١١٦
٣) « « ٣ : ٦٠ و ٢
٤) « « ١ : ٨٣

Silzungs-Berichte

der

Physikalisch-medicinischen Gesellschaft

zu

WÜRZBURG

Jahrgang 1895 | Der Abonnementspreis pro Jahrgang beträgt M. 4. — Die Nummern werden einzeln nicht abgegeben. Grössere Beiträge erscheinen in Sonderdrucken. | N° 9

Verlag der Stahel'schen K. Hof- und Universitäts-Buch- und Kunsthandlung in Würzburg.

Inhalt. *Konrad Rieger*: Demonstration des sogenannten « Vogelkopfknaben » Dobos Janos aus Battonya in Ungarn (Fortsetzung). pag. 129. — *W. C. Röntgen*: Ueber eine neue Art von Strahlen. pag. 132. — *Wilhelm Wislicenus*: 46. Jahresbericht der physikalisch-medizinischen Gesellschaft zu Würzburg. pag. 142 — Mitglieder-Verzeichniss. pag. 146.

Am 28. Dezember wurde als Beitrag eingereicht:

W. C. Röntgen: Ueber eine neue Art von Strahlen.

(Vorläufige Mittheilung.)

1. Lässt man durch eine *Hittorf*'sche Vacuumröhre, oder einen genügend evacuirten *Lenard*'schen, *Crookes*'schen oder ähnlichen Apparat die Entladungen eines grösseren *Ruhmkorff's* gehen und bedeckt die Röhre mit einem ziemlich eng anliegenden Mantel aus dünnem, schwarzem Carton, so sieht man in dem vollständig verdunkelten Zimmer einen in die Nähe des Apparates gebrachten, mit Bariumplatincyanür angestrichenen Papierschirm bei jeder Entladung hell aufleuchten, fluoresciren, gleichgültig ob die angestrichene oder die andere Seite des Schirmes dem Entladungs-apparat zugewendet ist. Die Fluorescenz ist noch in 2 m Entfernung vom Apparat bemerkbar.

Man überzeugt sich leicht, dass die Ursache der Fluorescenz vom Entladungsapparat und von keiner anderen Stelle der Leitung ausgeht.

2. Das an dieser Erscheinung zunächst Auffallende ist, dass durch die schwarze Cartonhülse, welche keine sichtbaren oder ultravioletten Strahlen des Sonnen- oder des elektrischen Bogenlichtes durchlässt, ein Agens hindurchgeht, das im Stande ist, lebhafte Fluorescenz zu erzeugen, und man wird deshalb wohl zuerst untersuchen, ob auch andere Körper diese Eigenschaft besitzen.

Man findet bald, dass alle Körper für dasselbe durchlässig sind, aber in sehr verschiedenem Grade. Einige Beispiele führe ich an. Papier ist sehr durchlässig: 1) hinter einem eingebundnen Buch von ca. 1000

1) Mit « Durchlässigkeit » eines Körpers bezeichne ich das Verhältniss der Helligkeit eines dicht hinter dem Körper gehaltenen Fluorescenzschirmes zu derjenigen Helligkeit des Schirmes, welcher dieser unter denselben Verhältnissen aber ohne Zwischenschaltung des Körpers zeigt.

الرسم ١ : اول صفحة من مقالة رنتجن عن اكتشافه الاشعة المجهولة

الاشعة المجهولة

بقلم انطوان باز
المهندس من المكتب الافرنسي في بيروت
ومن مدرسة الكهرباء العليا في باريس

١

في الثامن والعشرين من شهر كانون الاول سنة ١٨٩٥ صدر عددُ مجلة مجمع الطب والفيزياء في ويرزبورغ ، من اعمال المسانية ، بمقالٍ للعالم رنتجن (W. C. Röntgen) عن اكتشافه نوعاً من الاشعة يُعرف اليوم بالاشعة المجهولة او اشعة رنتجن . قال العالم الالماني :

« اذا قبلنا في انبوبة « هيتورف » او انبوبة « ليناد » او غيرها ، مما جعل فيها الفراغ تاماً ، تيار بكرة « رومكورف » الكهربائي ، ولففنا الانبوبة بغلافٍ محكم من الكرتون الرقيق ، وجعلنا في الغرفة قرب الآلة لوحةً من الورق المدهون بلاتينوسيانور الباريوم ، رأينا اللوحة تتلألأ نوراً مهما كان اتجاهها وحتى لو بعدت عن الآلة بمترين .

« ومدعي ان سبب اللمعان انما هو في الآلة وليس في الحبل الكهربائي .

« ومن العجب في الحادث المذكور ، هو ان الكرتون ، الذي لا يدع مرًّا لاشعة الشمس والاشعة البنفسجية واشعة الشهاب الكهربائي ، يخترقه عاملٌ يحدث تلألؤ بعض الاجسام . »

الى ان قال :

« ورأيت اللوحة تتلألأ نوراً وبينها وبين موردِ الاشعة المجهولة كتابٌ مجلد تبلغ صفحاته الالف . وظهر لي ان حبرَ الطباعة ليس بمانعٍ للاشعة المذكورة الّا اذا جعلت منه اوراق بعضها على بعض . والخشب شفافٌ ايضاً على ان لا تزيد غلاظته الثلاث سنتيمترات . »

وبعد ان اختبر رنتجن مفاعيل تلك الاشعة في كثير من الاجسام كالزجاج والماء والمعادن وغيرها ، جرّبها في الحيويات ، فجعل بين اللوحة والاشعة يداً بشرية فتصوّر على اللوحة شبحٌ يظهر فيه الجهاز العظمي مظلماً واللحم حوله

خيالًا كما يرى في الرسم ٢ [1].

ظهرت مقالة رنتجن فتحركت لها اندية العلوم، وعمد الكل الى استثبات ما بسطه العالم الالماني فكانت اختبارات شتى.

وجاءت فكرة استخدام الاشعة المجهولة في الطب لرؤية ما في داخل الجسم من العوارض والاجسام الغريبة كعظم مكسور، وابرة غرزت في اللحم، ورصاصة تغلغلت بين الضلوع فصعب على الجرّاح استئصالها، وتقدم ذلك الفن فظهرت بالاشعة امراض كثيرة لم يكن يكشفها الشعاع الرنتجني من ذي قبل كامراض الصدر، والامعاء، والحصى المتكون على انواعه ... وادّى تقدم العلم الى تصوير ما كان يراه الطبيب على اللوحة البيضاء بواسطة شريط فوتوغرافي يُجعل امام اللوحة فتُطبع عليه صورة ما تخترقه الاشعة من الاعضاء.

وهكذا ساعدت الاشعة المجهولة على تشخيص العلل في الانسان. ويعرف اليوم هذا القسم من الطب « بالراديوديأگنوستيك » (*radiodiagnostic*) وهو كما جاء ينحصر اماً في رؤية الشبح عياناً على اللوحة فيسمّى « الراديوسكوپي » (*radioscopie*) واماً في تصويره فيدعى « الراديوگرافي » (*radiographie*).

وقد مثلنا في الرسم ٣ عملية رؤية المريض على اللوحة، وفي الرسم ٤ تصويره.

واصيب بعض الاطباء المتخصصون بالاشعة المجهولة بامراض عضالة تبين انها من تأثيرات تلك الاشعة، فهي اذا اخترقت الجسم طويلًا أثرت في خلاياه الحيوية فقتلتها. ولذلك فقد اتخذ المعرّضون لتلك الاشعة من الاطباء، تحفّظهم من كل صوب، جميع الوسائط لوقايتهم. وافعل الوسائط اليوم الدروع الرصاصية المعمولة من مواد يدخلها ذلك المعدن كالمطاط الرصاصي والبلور الرصاصي وغيرها.

ولما كانت الاشعة الرنتجنية تؤثر في الخلايا الحيوية فتقتلها، تساءل الاطباء هل من وسيلة لاستخدامها في قتل الخلايا الخبيثة كالتي تكوّن بعض الامراض

---

١) لقد اهدى الينا هذا الرسم حضرة الدكتور يوسف الاسمر المتخصص بالاشعة في المستشفى الفرنساوي في بيروت، وفي مصح بحنس (لبنان). اما باقي الرسوم المنشورة فهي من قبل الشركة العمومية للاشعة، في باريس (*Cie. Gle. de Radiologie*) وهي اليوم اهم شركة في العالم لصنع كل ما يتعلق بالاشعة المجهولة.

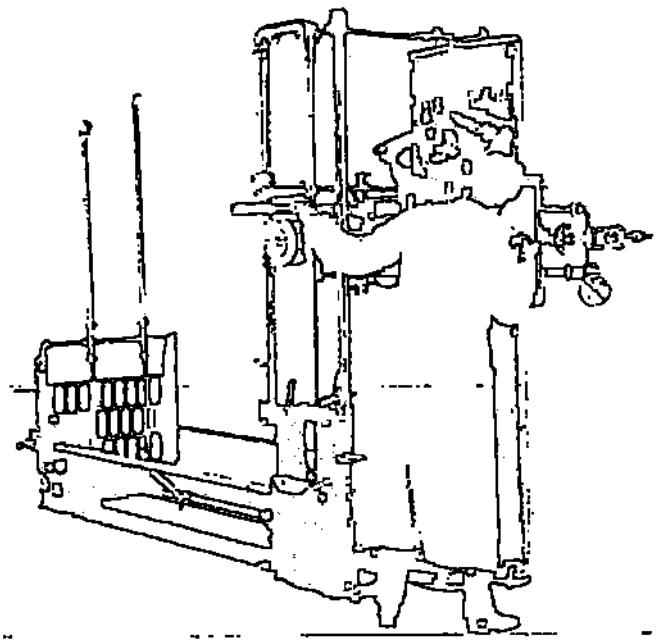

الرسم ٣: شبح صدر المريض على اللوحة البيضاء.

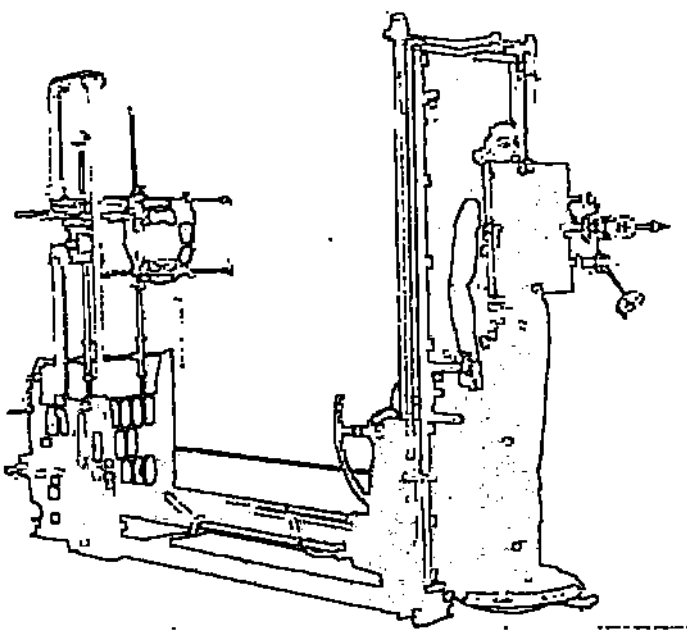

الرسم ٤: التصوير بالاشعة بحمل الفيلم الفوتوغرافي مكان اللوحة

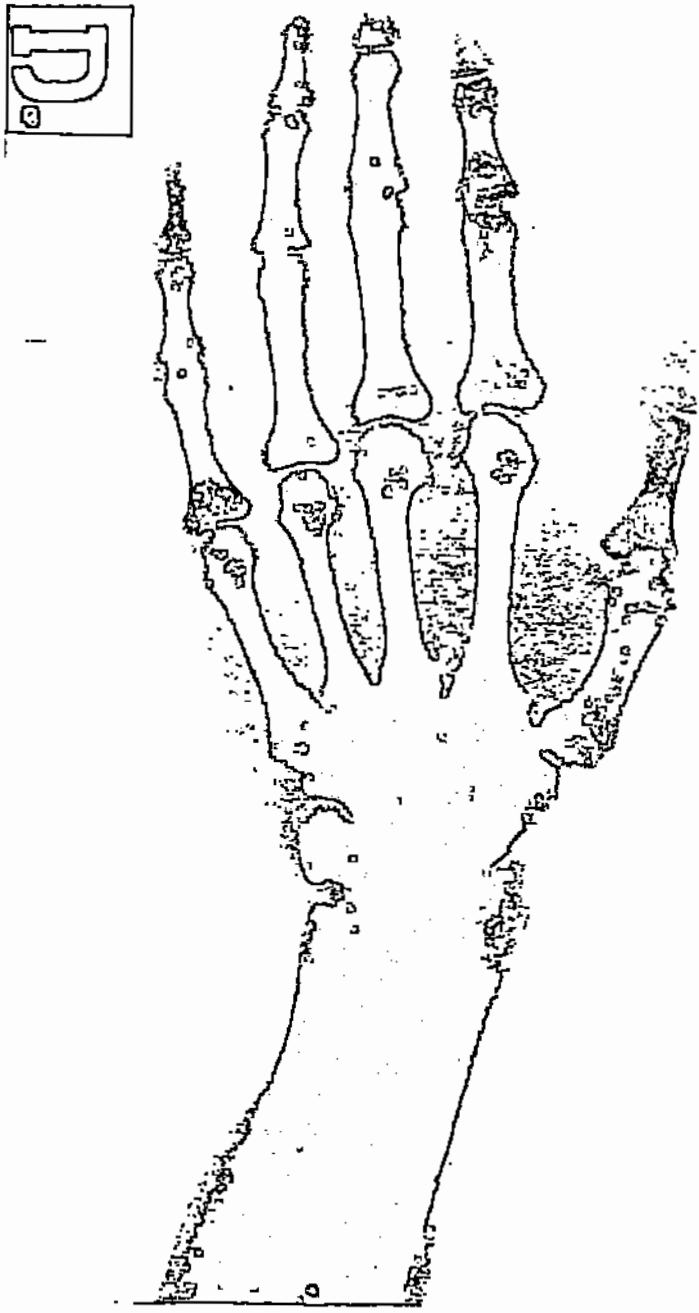

الرسم ٢ : صورة يد باشمة رنتجن

واهمها السرطان ، فادّى الاختبار الى نتائج حسنة . فالاشعة المجهولة اذا تعاون اليوم اشعة « الراديوم » لمداواة ذلك المرض القاتل وغيره . وقد دعي ذلك الفن من استعمال الاشعة المجهولة لا للتشخيص بل للمداواة «بالراديوتراپي» (*radiothérapie*) .

ولم يتوقف استخدام اشعة رنتجن على الطب فقط فقد تسرّب الى كثير من الصناعات . كيف لا وبها تعرف اليوم تكاوين المعادن الداخلية ، وتغيرها باختلاف العوامل الخارجية من ميكانيكية وفيزيكية ، كيف لا وقد توصلوا ايضاً لان يميزوا بها اللآلئ الطبيعية من اللآلئ المصطنعة فلم يبقَ في تجارة ذلك الدرّ للغش مجال .

اما وقد تبينت اهمية الاشعة المجهولة فاننا نشرح مفصلاً كيفية توليدها وانواع استخدامها في الطب والصناعة فنقول :

انبوبة « كوليدج »

اذا اخذنا انبوبة ، كالتي تُرى في الرسم ٥ ، محكمٌ سدها وفي طرفيها قطبان من النحاس الاحمر ، ثم عملنا الفراغ فيها رويداً رويداً ووصلنا القطبين الى مولد كهربائي عالي التوتر ، رأينا شعاعاً من النور يمتد ضمن الانبوبة من قطب الى الآخر . فاذا زدنا عملَ الفراغ جاء الشعاع متقطعاً كجلد حمار الوحش ، حتى اذا بلغ الفراغ حداً يقابل ١٠٠/١ من المليمتر في العمود الزئبقي اختفى الشعاعُ بتاتاً . غير اننا رأينا في الظلمة زجاج الانبوبة يتلون اصفراراً من مفعول اشعةٍ تخرج من القطب السلبي (*cathode*) وتعرف بالاشعة السلبية (*rayons cathodiques*) . وهذا النوع من الاشعة مظلم لا يرى الا بما يُسير من التلألؤ في بعض الاجسام كالزجاج . وقد ثبت ان هذه الاشعة تسير سيراً مستقيماً بسرعة عظيمة بيد انها لا تخترق الاجسام مهما كانت سخافتها اذ ان تكوينها من حبيبات كهربائية يرسلها القطب السلبي .

والعجيب انه اذا جُعل على طريق الاشعة السلبية حاجزٌ معدني (*anticathode*) تحوّلت تلك الاشعة السلبية الى اشعة رنتجن . وقد حسب البعض ان الاشعة المجهولة ما هي الا الاشعة السلبية معكوسةً على سطح الحاجز ، وهذا خطأ

لان اشعة رنتجن تختلف كل الاختلاف عن الاشعة السلبية، سواء كان من قبيل تكوينها او من قبيل مفاعيلها . فبينا تظهر الاولى كناية عن حبيبات كهربائية تقف عند اول حاجز ميكانيكي ، تكوّن الثانية تموجات تخترق الاجسام كما تقدم ، فلا توقفها الا صفائح بعض المعادن كالرصاص.

ويجوز ان يكون الحاجز المولّد للاشعة المجهولة القطب الايجابي نفسه مشطوباً كما في الرسم ٥ . وضربُ الاشعة السلبية للحاجز يولد بالاحتكاك حرارةً قوية يُخشى منها ذوبان القطب . وعليه فقد جُعل طرف ذلك القطب الحاجز من معدن التنكستان (*tungstine*) واعلاه من النحاس الاحمر تسهيلاً لافراز الحرارة المتولدة . وفي اكثر الاحيان يُبرَّد القطب بواسطة طربوش معدني (م) يجعل في مؤخره ؛ فيزيد في افراز الحرارة للخارج ، ومن الانابيب ما يبرّد بالماء او بوضعه بالزيت بكامله .

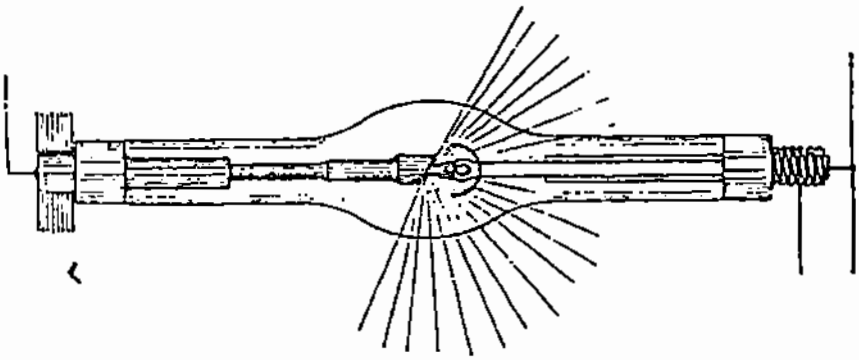

الرسم ٥ – انبوبة كوليدج لتوليد الاشعة المجهولة

وتبين ان كمية الاشعة السلبية الصادرة من القطب السلبي ؛ وكذلك الاشعة المجهولة المتولدة من الحاجز المعدني ، تكثر بارتفاع حرارة القطب السلبي . لذلك يجعل في وسط السلبية شريط لولبي يحميه تيارٌ كهربائي خفيف التوتر . فتعدَّل كمية اشعة رنتجن المطلوبة بتعديل حرارة الشريط بواسطة المجرى.

الراديوسكوبي

قلنا ان المجرى اللازم ادخاله في انبوبة كوليدج لتوليد الاشعة المجهولة

قوي التوتر ، وهو في الغالب يتراوح بين الاربعين الف والمائة الف ڤولت . ولمّا كان المجرى الكهربائي الذي توزعه الشركات للتنوير وباقي الحاجيات خفيف التوتر لا يتجاوز ٢٢٠ ڤولت ، لزم رفع هذا المجرى الى توتر عالٍ بواسطة محوّل كهربائي . ونظرًا لخطر المجرى العالي فكثيرًا ما يوضع ذلك المحوّل ضمن صندوق من الخشب او المعدن تُجعل فيه ايضاً بعض الآلات الثانوية . والمجموع هذا يعرف بالمولّد الكهربائي وهو ما يرى من عن شمال الرسم ٦ .

ولمّا كان المجرى الخارج من المحوّل متناوباً (*alternatif*) اي متغيّر الاقطاب ، ينقلب القطب الايجابي فيه سلبيًّا والعكس بالعكس مائة مرة في الثانية ، وجب تقويمه امّا بحركة ميكانيكية ويعرف هذا با *contact tournant* وامّا ، وهو الغالب اليوم ، بواسطة انبوبة تعرف « بالسدّة » (*valve, ménotron*) تمنع مرور المجرى عند انقلاب الاقطاب ، والسدة في الرسم ٦ موجودة ضمن المولّد . وقد يُستغنى عن تقويم المجرى في الآلات الصغيرة اذ ان ذلك التقويم تحققه انبوبة كوليدج نفسها ، اللهم اذا كانت مبرّدة القطب .

ويتبع المولّد « منضدة » (*pupitre*) تجعل فوقه آلة لوزن التوتر ، واخرى لوزن المجرى الداخل على الانبوبة ، وازرار لتعديل التوتر والمجرى . ثم تأتي طاولة الفحص واحدثها اليوم قلّاب يسمح من فحص المريض نائمًا كان او واقفاً . وتُحقق حركة القلوب بواسطة فراش لولبي يدير الطاولة حول محور مسطّح (راجع الرسم ٣ والرسم ٤)

وامام الطاولة اللوحة البيضاء يظهر عليها العضو من الجسم الذي تخرقه الاشعة المجهولة . ووراء الطاولة ، يدور معها او يُفصل عنها ، « حامل » لانبوبة كوليدج (*support d'ampoule*) . وهو ، بحركة خفيفة ، يروح يمينًا او شمالًا وصعودًا او نزولًا . فتحكم الاشعة العضوَ المطلوب من جسم المريض . وبين الانبوبة والطاولة اطارٌ حاجزٌ متحرك (*diaphragme*) مربع الشكل او مستطيله ، يُصغَّر او يكبر لحصر الاشعة او نشرها ، كما لو قصد الطبيب استيضاح نقطة معلومة من الصدر مثلًا ، او النظر اليه بجملته .

وتستعمل الآلة بان يوصل قطب الانبوبة الى المولد الكهربائي بواسطة

شريط مخصوص . ويجب الانتباه كل الانتباه الى ان يكون كلٌّ من الشريطين بعيدًا عن الآخر، وبعيدًا عن معدن الآلة، لئلا تنشب منه ، بقوة الضغط ، شرارة كهربائية خطرة . ثم يُدخل المريض ، نائمًا او واقفًا ، بين الطاولة واللوحة ، وتزاح هذه حتى تحكم فوق العضو المقصود فحصه وتلصق به . وفي الغالب ما يُعرّى المريض من ثيابه طلبًا في زيادة الوضوح . وبعد ذلك يرسل الطبيب المجرى في المحوّل ، ومنه في الانبوبة ، ويعدّل توتره وكميته مستعينًا بآلات الوزن . امّا التوتر المستعمل فيتراوح بين الثلاثين الف ڤولت للاجسام والاعضاء النحيلة ، كما في الاطفال والاولاد ، وبين الستين الف ڤولت للاجسام الغليظة . وكمية المجرى تكون ثلاثة او اربعة من الف من الامپار . ثم يحرك «حامل الانبوبة» كي تصيب الاشعة المجهولة المقصود من الاعضاء وتعدّل معه فتحة الحاجز .

ولا يخفى ان الفحص الراديوسكوپي يُجرى في الظلمة كي يتضح لمعان اللوحة . ويعلم من اعتاد ذلك الفن ان الصورة المطبوعة على اللوحة تزيد جلاء مع الوقت، وذلك لاعتياد عدسية العين الظلمة ، وهو ما يُعرف في علم الفيزياء بالـ (*accomodation*) .

يُفحص بالاشعة الجهاز العظمي وما فيه من كسور وشعور وزوغان ؛ والرئتان ، وقد تظهر بالاشعة تحجراتها وخلاياها الناتجة عن مرض السل ؛ والقلب وحركاته . وكثيرًا ما يُحدّد القلب على ورقة تجعل فوق اللوحة ، فيرى اذا كان فيه من تضخم . وفي فحص القلب يجب ابعاد الانبوبة عن الطاولة مترين تقريبًا حتى لا يأتي الشعاع مخروطًا فيجيء خيال القلب على اللوحة اكبر مما هو في الحقيقة كما لو وضعنا نورًا قريبًا من كتاب فجاء خياله على الحائط مكبّرًا . ويُسمّى هذا الفحص بابعاد الانبوبة (*télérradiographie*) .

ومن الاعضاء ما لا يظهر بسهولة كالامعاء مثلًا . غير ان الطب قد توصل الى دواء يدعى (*Célobarine*) يتجرّعه المريض بالماء فيسير في المعدة ثم في الامعاء فتظهر هذه سوداء بلفيفاتها واعوجاجاتها .

ولا يحسب القارئ ان الفحص بالاشعة سهل ، فهو غالبًا من الصعب يتطلب من الطبيب حكمةً وتمرنًا لشرح ما يتصور امامه من الخيال . . . (لها صلة)

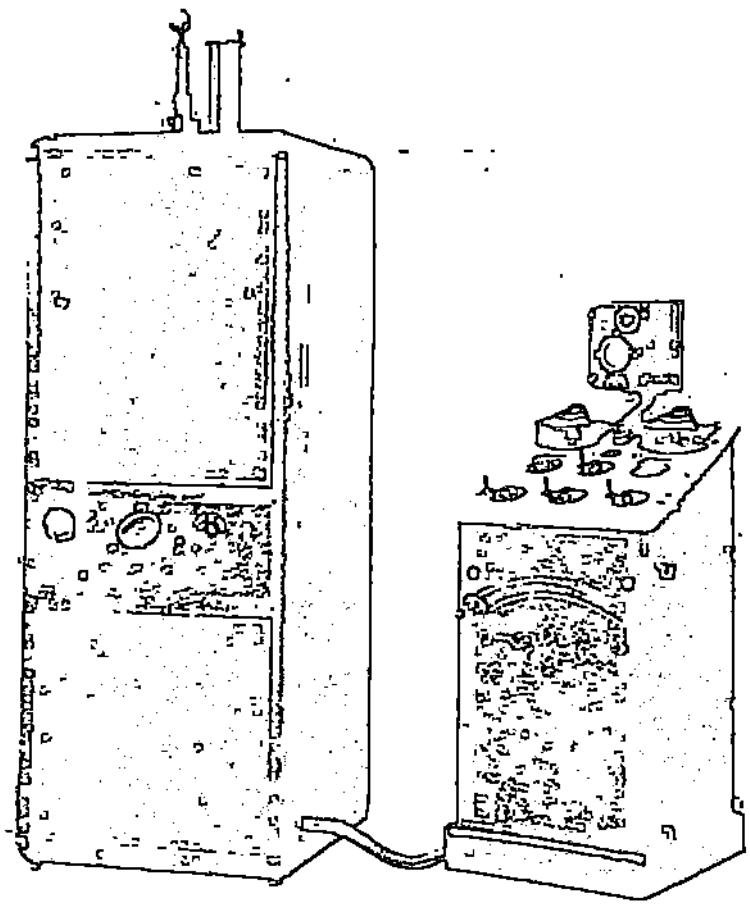

الرسم ٦ : مجموع لمولّد كهربائي ومنضدة تعديل القوة

الذكاء المنوي لرحلة لامرتين الى الشرق

لامرتين في لبنان وسورية

تموز ١٨٣٢ — نيسان ١٨٣٣

بقلم ا. سركيس

٣

في الاراضي المقدسة

بعد التعرف الى استير استنهوب ، اميرة الصحراء ، والى الامير بشير الشهابي، صاحب لبنان ، كان من البديهي ان يميل لامرتين نظره شطر فلسطين والاراضي المقدسة ، التي كانت الداعي الاهم لمجيئه الى الشرق.

وهكذا كان . فبعد ان استراح في بيروت اياماً قليلة مع عائلته ، شدّ ركابه من جديد . وفي ٨ تشرين الاول اخذ طريق اورشليم ، عابراً بصيدا ، فصور ، فعكا المحاصرة اذ ذاك بعساكر ابراهيم باشا ، فحيفا ، حيث زاره شاعر عربي « لبناني الاصل من سكان حلب »[1] ، فتحدثا في الشؤون الادبية . ثم عرض عليه لامرتين ان ينظما في موضوع واحد ، وحفظ ترجمة القصيدة العربية في مذكراته الى جانب قصيدته[2] . ثم مرّ بقيصرية ، ويافا «السحرية المناظر ، الموضع الوحيد في الشرق الذي يحسن بعشاق الطبيعة ان يشتوا فيه .»[3]

وحلّ ضيفاً في دير الرهبان الفرنسيسكان في صحراء يافا ، فاخبروه ان الطاعون منتشر في اورشليم وجوارها ، فلا يمكنه لذلك ان يدخلها . غير انه ابى ان يرجع ولم يتبرك بلثم قبر المسيح ، ولو عرّض حياته للخطر . وابى جميع رفاقه وخدامه ايضاً الا ان يرافقوه.

---

١) جزء ١ : ٢٤٦

٢) لم نعثر في ما طالعناه من شعر الفرن الماضي على نصّ القصيدة العربي ، كما اننا لم نستطع ان نكشف القناع عن اسم صاحبها وشخصيته.

٣) الرحلة ١ : ٢٧٥

ولنلاحظ هنا ان لامرتين اعجب كل الاعجاب بجمال الطبيعة والخصب اللذين رآهما في البلاد الفلسطينية. وقد بلغ من اعجابه ان يفكر بالسكنى في فلسطين وبتأسيس مستعمرة زراعية فيها، لما رأى من استعدادها للزراعة وقبول الحضارة والعمران. قال يصف ارض عكا: انها مخصبة، جميلة المناظر، «وهي ارض الميعاد، حتى في ايامنا، لو كان فيها ادارة قوية وحكومة مستقيمة.» [1]

غادر لامرتين يافا مع حاشيته وفصيلة من الجند زوّده بها حاكم المدينة. وعند المساء اكتحلت عيناه برؤية المدينة المقدسة «الباهرة بانوارها والوانها» [2] فنصب خيامه خارج الاسوار، حيث قضى ليلته. ولما اطلّ الصباح، خلع نعليه، وطلى رجليه بالزيت، كيلا تعلق بهما جراثيم الطاعون. ودخل الى اورشليم، يقوده جنديان، ارسلهما الحاكم لهذه الغاية. وبعد ان قابل الحاكم ونال منه السماح بدخول المدينة متى شاء، زار السلطات الدينية والمدنية وبعض الكنائس والآثار المقدسة. وكان قد امسى فعاد الى خيامه. وفي مدة ثمانية ايام، لم يزل في خلالها معسكرًا على اسوار اورشليم، طاف في المواضع التاريخية، كالناصرة والاردن واريحا والبحر الميت ووادي موسى (Arabie Pétrée)

اما عن عواطفه الدينية في كل هذه الامكنة، فحدث ولا حرج. فقد كتب منذ دخوله الحدود الفلسطينية ان «كثيرًا ما كان يتبدل سفره بصلاة متصلة» [3]. وقال بعد ان قضى ليلة في الناصرة «لقد نهضت مرارًا كثيرة في الليل لارفع صوتي وعواطفي الى الله الذي اختار هذا المكان منشأ لابنه» [4]. واثبت وهو في صحراء الاردن «ان قلبه لم يصغ الى موضع في الدنيا بلذة وسرور، كما اصغى الى هذا الموضع.» [5] اما عن القبر المقدس فيقول:

«المسيحي والفيلسوف، الاخلاقي والمؤرخ، كلهم يجب ان يروا في هذا القبر الحدّ الفاصل بين عالمين: العالم القديم، والعالم الجديد. فهو مبعث فكرة جددت المكونة، ومطلع مدنيّة حوّلت كل شيء، ومصدر كلمة دوى صداها في كل الارض.» [6]

وبعد ان طاف في جميع ما امكنه طوافه من الاراضي الفلسطينية، وتبرك

---

١) الرحلة ١: ٢٩٢
٢) الرحلة ١: ٤٠٩
٣) الرحلة ١: ٢٩٢
٤) « ١: ٢٩٧
٥) « ١: ٣١٠
٦) « ١: ٤٢٥

بالامكنة المقدسة ، عزم على الذهاب الى مصر . واذا برسالة من بيروت تفيده عن صحة عائلته ، وفي ختامها حاشية من ابنته جوليا تقول فيها انها بشوق اليه فيجب الّا يطيل سفرته بعد . فعدل عن رأيه واستلم طريق لبنان.

موت جوليا

بيد ان امرًا خطيرًا كان ينتظره في بيروت ، بعد هذه الرحلة البعيدة . فان المرض الذي رافق ابنته جوليا من فرنسة ، والذي كان يأمل شفاءها منه في هواء لبنان الجميل ، ظلّ ينهك قواها سرًّا ، بينما كانت صحتها تتحسن في الظاهر . وصل ابوها الى بيروت فاظهرت من السرور بلقائه ما ادهش العقول . ورأى من تقدم صحتها ما فرّح فؤاده . ولكن لم تمض بضعة ايام حتى ظهرت اعراض المرض فجأة . وقبل ان يستريح لامرتين من اتعاب سفرته ويتمتع كفاية بهذه الغبطة ، صعق قلبه بألم لم يستطع وصفه الا بالسكوت عدة اشهر ، اذ كان في ٢٥ تشرين الثاني من سنة ١٨٣٢ يحمل بين ذراعيه ابنته المحبوبة ، جثة هامدة . فحنّطها ليرسلها الى فرنسة حيث تدفن في مدافن آبائه ، حسب رغبتها الاخيرة . وقد حفظ لها في قلبه موضعاً عميقاً ورثاها بقصيدة من اجمل شعره ، نشرت في مذكراته دون ان يراجعها او ينقحها . وان رسائله ، التي كتبها في هذا الشأن ، تفيض بالعواطف الرقيقة والالم الحقيقي . ولا عجب ، فقد كانت جوليا وحيدة لابويها اللذين ابلغاها الى سن العاشرة بعناية تغلبت على جراثيم الامراض المتسلطة عليها . ولكن تغيّر الهواء الفجائي في بيروت عجّل في قطافها ولما تعرف جمال الحياة.

فمن البديهي اذن ان يكون هذا الحادث الجليل انتصب عقبة كؤودًا امام وجه لامرتين ، فمنعه اتمام سياحته . وهكذا كان . فانه في بادئ الامر لم يصغِ الّا الى صوت حزنه ، وقصد الرجوع الى فرنسة باقرب وقت . ولكن الشتاء كان قد دخل ، والمركب (L'Alceste) لا يرجع ليأخذه الا في الربيع . فقضى في بيروت اربعة اشهر حزيناً ، ضائع القوى : « حتى كاد اليأس يستولي

عليه ، واعتقد انه لاحق ، ولا شك ، بابنته الى القبر.» [1]

ومما كان يزيد في حزنه والمه انه سيموت دون ان يخلف نسلاً ويتمتع بلذة الابوة.

وتمضي عليه الاشهر الاربعة في وحشته ، فتحنّ نفسه الى الطبيعة التي اعتاد ان يجد فيها تعزيته ؛ فيشدّ رحاله بقلب كسير ليطوف بقية البلاد السورية واللبنانية.

في الطول بعلبك

ترك لامرتين بيروت في ٢٧ آذار ، قاصداً بعلبك مستصحباً معه هذه المرة قرينته الشكلي ، فباتا الليلة الاولى في حمانا حيث استقبلهما شيخ القرية ، حسب اصول الضيافة العربية . ويشهد لامرتين « ان قصر هذا الشيخ يفوق بالاناقة والظرافة ونبل الظاهر كل ما رآه من الابنية في لبنان ، بعد قصر الامير بشير» [2]

ثم قام الى زحلة حيث نزل في مطرانية الروم الكاثوليك. وقدم له الاسقف كل ما سمح له فقر كرسيه بتقديمه . ولعل لامرتين ألمّ بشيء من وصف هذا الفقر حيث قال :

« ان كل غنى الاسقف في زحلة يقوم ببعض كتب عربية ويونانية مبعثرة في غرفته ؛ وصندوقة عتيقة فيها اثوابه وبدلاته الحبرية » [3]

لكنه ، على وجه الاجمال ، يمدح كرم اهل زحلة وحسن استقبالهم وبشاشتهم للغريب . وفي ٣٠ آذار سار بقافلته الى بعلبك.

وهناك ايضاً اضافه اسقف الروم الكاثوليك.

ولكن في اي منزل ! بيت افقر فلاح في فرنسة افضل من مطرانخانة بعلبك! بعض غرف هرمة يفصلها رواق متهدّم : هذا قصر المطران ! والى جانبه غرفة اوسع قليلاً من البقية ، في صدرها مائدة من بقايا الهياكل المجاورة : هذه هي

١) من احدى رسائله.

٢) الرحلة الى الشرق ٢ : ١٠، كل من زار حمانا اراه سكانها بيتاً قديماً محولاً الى متحف خاصّ بشاعرنا ، مثبتين انه المنزل الذي سكنه لامرتين — لا ليلة واحدة بل اياماً عديدة — ولكن هذا الاثبات يحتاج الى شيء من البراهين ، ولاسيما اذا نظرنا الى هذه الاوصاف الفخمة التي سطرها لامرتين عن المنزل الذي بات فيه ليلةً واحدة.

٣) الرحلة الى الشرق ٢ : ١٠٤

كاتدرائية مدينة الشمس ! تجتمع فيها العيال المسيحية القليلة ، المبعثرة بين قبائل الاعراب المسلمين.

ولكن لا بأس . فليس هذا ما جاء لامرتين لاجله : انه بقرب اطلال بعلبك . وصل عند المساء ، وما كاد يقابل الاسقف مضيفه ببعض كلمات ودّية ، ويتناول لقمة من الطعام ، واذا به بين الخرائب ، يتأملها على ضوء القمر ، فيغوص في بحر من التأملات والخواطر الوجدانية.

ويظهر مما قاله في وصف هذه الاطلال ، انها كانت في اوائل القرن الماضي، حين زارها ، اقلّ خراباً واصلح بكثير مما هي عليه اليوم.

لكن من الغريب ان لامرتين كان يستقصي تاريخ الامكنة التي يمرّ فيها ويتحقق من ثبوت الوقائع التي يذكرها ؛ حتى اذا تكلم عن بعلبك ، اكتفى بالاخبار التقليدية المتناقلة.

نعم انه ينفي الاسطورة القائلة ان باني بعلبك هو سليمان الحكيم. ويبرهن عن ذلك : اولاً بان مملكة سليمان لم تتعدَّ حدود دمشق ؛ ثانياً بان سليمان ، لو امكنه ان يقوم بمثل هذا البناء العظيم ، لبنى مثله في اورشليم ، حيث لا نرى بعد اثراً للهيكل الذي شيده لاله اسرائيل . ولكنه لا يتصل الى معرفة بناة بعلبك الحقيقيين ، الذين اثبت التاريخ الحديث انهم اليونان والرومان . وينسب هذه الآثار العظيمة لعصر الجبابرة الاوائل . فيدوّن في مذكراته ان الاعراب اكدوا له وجود قبور ، بقرب بعلبك ، فيها عظام بشرية عجيبة في عظم حجمها ؛ ويأسف لكون الوقت لم يسمح له بزيارة هذه الآثار الغريبة وتفقدها.

ثم يختم قائلاً :

« مهما يكن من الامر ، فان البعض من حجارة بعلبك التي يبلغ طولها ٦٢ قدماً وعرضها ٣٠ وسماكتها ١٥ ، هي اعظم الاجرام التي استطاعت اليد البشرية ان تحركها. » (١

وفي اليوم الثاني، انتقى من حجارة بعلبك بعض قطع تعهد له الاسقف بارسالها الى بيروت، ليحملها الى اوربة « فيغني بها المتاحف ودور العلم » ؛ ثم القى النظرة الاخيرة على هذا المتحف العظيم، الضائع في رمال الصحراء. وولى نظره شطر دمشق.

(١ الرحلة ٢ : ٢٦

في دمشق

لم يكن في ذلك العصر عربات ولا سيارات ، فتقرب المسافة بين بعلبك والشام ؛ فكان لا بد للمسافر من ان يقضي بعض ايام على الطريق قبل الوصول الى عاصمة سورية . ولذلك كان سرور لامرتين وقافلته عظيماً اذ ظهرت لهم الزبداني ، « تلك القرية الفتانة » . فدخلها بعد المغيب ، وخرج منها قبل الشمس « فكانت اذ ذاك اجمل في عينيه مما رآها عليه بالامس »[1] وتمنى لو يحظى بمثلها في جميع مراحله . والحق انه لم يتكلم عن مدينة او قرية بالاعجاب واللذة اللذين تكلم بهما عن الزبداني ، اذ ظهر له من كرم اهلها وحسن ضيافة شيخها ما سره واراحه .

وفي ٢ نيسان قبل ان يدخل دمشق غير اثوابه الاوربية باثواب عربية خالصة . وتزيت قرينته بزي السوريات الكامل ، كي لا يعرف الدمشقيون انهما افرنج ، فيكون ما لا تحمد عقباه . لأن « اهل الشام يكرهون اوربة الى حد انهم لم يقبلوا عندهم لا قناصل ولا ممثلين لتلك البلاد المسيحية »[2]

واذ بلغ ابواب المدينة وجد في انتظاره رجلاً من تجار الشام ، افرنسي الاصل لكنه يخفي نسبه تحت اسم ارمني ؛ وكان لامرتين قد تعرف اليه في اثناء رحلته . فاضافه في بيته وكان دليله الامين مدة اقامته في عاصمة سورية : فزار واياه كثيرين من رجالها وطوّفه في جميع آثارها .

وان من يقرأ وصف لامرتين لدمشق ، ثم يتفقد احوالها في هذا العصر لا يجد كبير فرق بينها في الامس واليوم . فهي ، مثلاً ، لا تزال مشهورة بصنع الحلويات والمربيات ، واهلها دائماً رجال صناعة وتجارة ، محنكون في سياسة الامور ، يعرفون ان يدخلوا المشاريع الاقتصادية من ابوابها ؛ وشوارعها القذرة ، وجدران بيوتها الخارجية المبنية باللبن والطين ، لا تدلّ اقل الدلالة على جمال منازلها في الداخل ، من بحيرات وجنان ورياش غني وترتيب ونظافة . هكذا رآهم لامرتين ، وهكذا لا تزال نراها اليوم في اكثر احيانها .

---

١) الرحلة ٢ : ٥٨ ٢) الرحلة ٢ : ٦٠

فلنسمعه الآن يصف الجامع الاموي قال :

« لقد شاهدت ساحة الجامع الكبير من احد ابوابه المطلة على الشارع . كان هذا الجامع في الاصل كنيسة على اسم القديس يوحنا الدمشقي (١ . ويظهر لي انه وكنيسة القبر المقدس في اورشليم من بناء عصر واحد . فهو فسيح ، باهظ المنظر ، على النسق البيزنطي ، المقلد النسق اليوناني تقليداً فاسداً ، حتى كانه مبني من بقايا اخربة عتيقة . اما ابواب الجامع الكبرى فمغطاة باستار ثقيلة . ولم استطع ان ارى الداخل ، لان المسيحي الذي يدنس الجوامع بدخوله اليها ، يعرض نفسه لخطر القتل . فاكتفينا اذن بالوقوف قليلاً في الساحة بحجة اننا نشرب من الحوض . » (٢

واذا كان لامرتين لم يعجب ببناء الجامع الاموي فقد وجد في دمشق ما جعله يهتف :

« ان شعباً يرسم مهندسوه ويتمم بناؤوه اثراً كخان اسعد باشا ، لا يمكن ان يموت فيه الروح الفني . » (٣

وزاد في تقريظ دمشق ، فقال ، وقد استيقظت روحه الشعرية .

« ليس على وجه البسيطة مكان يذكر جنة عدن اكثر من دمشق . . . ما دام على الارض ممالك فدمشق تظل مدينة عظيمة . » (٤

ثم احصى سكانها فكانوا اربع مئة الف ، حسب البعض ، او ثلاث مئة الف ، حسب غيرهم . اما المسيحيون فكانوا يعدون فيها ٣٠ الفاً ، على قوله .

ولقد كان في عزمه ان يتم رحلته من دمشق الى تدمر . لكن اخطار الطريق ، وطول هذه السفرة ، حولاه عن عزمه ؛ لا سيما انه بعد رؤية بعلبك لم يكن ليظن انه يجد ما يلذه في تدمر .

فودع مضيفه والقليلين الذين تعرف اليهم ، وخرج ، لا متخفياً كما دخل ، لكن في حشد من الشعب ، بعضهم يحييه بالابتسام وبعضهم يرشقه بالشتائم .

وكانت الثلوج والامطار غزيرة ؛ فقاسى في رجوعه عناء كثيراً . وفيما هو على طريق بيروت ، وقد قطع زحلة وحمانا التقى بساع يحمل اليه بريد فرنسة ، وفيه رسالة من اخته تنبئه انه انتخب عضواً لمجلس النواب .

---

١) والصواب على اسم القديس يوحنا الدمدان . لكن الشعب السوري ينسبها غلطاً الى الدمشقي . والحال ان هذه الكنيسة مبنية قبل مولده بزمن طويل . ٢) الرحلة ٢ : ٨٦

٣) الرحلة ٢ : ٨٦ خان اسعد باشا بناه اسعد باشا العظم ، حوالي سنة ١٧٥٠ ، بعد بناء قصر العظم المشهور وموقعه في سوق البزورية ٤) الرحلة ٢ : ٩٤ .

من تاريخ الرهبانية اللبنانية

النسك والنساك في لبنان

بقلم الاب انطونيوس شبلي اللبناني
رئيس انطوش جبيل

٢٠

ذكرنا في مشرق آذار من هذه السنة مقدّمات عن النسك وعن بعض الذين اشتهروا من النساك في رهبانيتنا وها اننا نجمل الكلام الآن على الحبساء الرهبان من سنة ١٧٨٤ فصاعداً.

١ محبسة دير قزحيا

نافيطوس بصبوص من صفار، وافرام مزرعة كفردبيان، ومكاريوس العجلتوني، واليشع المعادي مات ١٨١٩، مكث في المحبسة ثلاثين سنة، والتقليد يشهد بسموّ فضله. ومبارك ابي هاشم الماقوري، وسبيريدون الزوقي، وذكريّا البكاسيني، وفرنسيس فخري البشراوي، وانطونيوس الصغابي توفي ١٨٥٦، ومن تقشفه كان لا يأكل سوى الخبز والزيت. وعبد الله البشرّاوي، وجبرائيل راضي الشبابيّ، واغوسطين الشدياق البشرّاوي، وشقيقه الاب دانيال[1]. وعبد الله عوّاد الحصروني، ومارون السرعلي، وساروفيم قنيور، ومرقس ايطو، وانطونيوس جلوان السمراني من تولا الجبّة.

ومن الاخوة: انطونيوس ميروبا، مرتينوس نفور العربة. ويقيم فيها الآن الاب يوسف العكّاري.

---

١) هذان الابوان أخوا والدة الاب شربل بقاعكفره الحبيس في محبسة دير عنّايا.

٢ محبسة دير حوب

لا نعرف من حبسائها سوى الاباء الآتية اسماؤهم : سابا ، واثاناسيوس ، وواكيم الزوقي . واثاناسيوس الصفيني ، سيم كاهناً في ١٩ ت ١ ١٨٢٦ ، وتوفي في ٢٠ ت ٢ ١٨٨١ بعمر ٩٥ سنة ، ولا تزال الى اليوم بقايا جسمه محفوظة ، وقد اجرى الله بشفاعته بعض العجائب . ارسانيوس الدبيّة ، ويونان العاقوري ، وبطرس الحرديني ، ومرقس داغر التنّوري .

٣ محبسة دير عنايا

الآباء : اليشع الحرديني ، شقيق رجل الله الاب نعمة الله الحرديني ، ويوحنا العاقوري ، وشربل مخلوف بقاعكفره ، وليباوس نون الرامساتي ، ومكاريوس المشمشاني ، والاب انطونيوس الحصاراتي ، حبيسها الحالي .

٤ محبسة دير مبغوق

الآباء : دانيال العلّم الحدثي المعروف « بقديس قرطبا » وماتيّا اده البترون ، وعبدالله المحمرشي ، وبطرس اللحفدي . وسمعان ابي رميا الاهمجي .

٥ محبسة دير النطارة

الآباء : مارون السرعلي ، وسمعان الاهمجي ، وليباوس الراماتي ، ومرتينوس بقسميا .

٦ محبسة دير طاميش الجديدة

يسكنها اليوم الاب يعقوب ابي مارون مزرعة النهر ، ناهجاً نهج الحباء القدماء في الاماتة والقداسة .

٧ محبسة دير مشموشة

لم نتصل الى شيء من تاريخها . ولا الى اسماء الحباء فيها سوى الاب مرقس الدبيّة . وقد خربت بسبب الحوادث في تلك البلاد ، ونال اديارنا هناك

من ويلاتها الشيء الكثير.[1]

وأشهر ابناء رهبانيتنا بالقداسة والنفوس الآباء: نعمة الله الحرديني، وشربل بقاعكفره، ودانيال الحدثي، والراهبة الاخت رفقا الريّس.

الاب نعمة الله الحرديني

هو يوسف بن جرجس كسّاب من قرية حردين (بلاد البترون) واسم أمه مريم ابنة الخوري يوسف رعد يعقوب تنّورين. وُلد في حردين ١٨٠٨، واقتبل سرّ العماد والتثبيت فيها. دخل الابتداء في دير قزحيا في ١ ت ١ ١٨٢٨، ولبس فيه الزيّ الرهباني في ١٤ ت ٢ ١٨٣٠، وسيم كاهناً بوضع يد المطران سمعان زوين. وتوفي مدبّراً في كفيفان، منتصف ليل الثلاثاء في ١٤ ك٢ ١٨٥٨.

وها قد مرّ على وفاته اربع وسبعون سنة وجسده ما زال سليماً من الفساد، لصق به الجلد واسمى يابساً. زار في احدى السنين الاب متر اليسوعي دير كفيفان، وبعد ان صلى خاشعاً امام هذا الجثمان المصون في نعشه، سأل رئيس الدير الاب اغناطيوس التنوري ان يُخبره عن الفضائل التي امتاز بها هذا الاب. فقال: «تفرّد بكل الفضائل الادبيّة والرهبانية. واني اعجزُ عن ان أسردها لك واحدة واحدة. ولكن اقول باختصار: كان راهباً حافظاً قانونهُ بدقّة.» قال الاب متر: «تكفيني هذه العبارة لاستدلّ منها انّ الراهب اذا حفظ قانونهُ، فقانونهُ يضمن لهُ الوصول الى السماء.»

أجرى الله على يده عجائب عديدة، ومع الامم الاجنبيّة، طارت شهرتها في انحاء لبنان حتى وفي المهجر، وهي على ازدياد، منها الاعجوبتان المشهورتان في ايابه الشفاء لمقعدٍ، والبصر لاعمى من سنين طويلة. اول من كتب عنه كلمةً معاصره وعشيره الاب نعمة الله الكفري ودوّن من عجائبه فوق الخمسين اعجوبة محققاً عنها بنفسه، ونشر ترجمته مطوّلة في مجلّة «المشرق» (٥[١٩٠٢]):

---

١) من احبّ الوقوف على تاريخ هذه المحابس والحباء فيها فعليه الى قراءة كتاب «كشف الغطاء عن المحابس والحباء» ١٩٢٣، للمرحوم الاب ليباوس داغر التنّوري.

٦٠٥—٦١٥) . وقد رُفعت دعوى براءته ، وبراءة الاب شربل الحبيس ، والاخت رفقا ، الى رومة لاجل تطويبهم وتقديسهم .

الاب شربل بقاعكفره الحبيس

هو يوسف بن انطون زعرور من عيلة مخلوف . اسم والدته بريجيتا ابنة الياس يعقوب الشدياق من بشرّي . كان لها شقيقان راهبان حبيسان في محبسة دير قزحيا هما الابوان دانيال واغوسطين على ما مرّ . أبصر يوسف النور في بقاعكفره ، ونال سرّ العماد والتثبيت فيها . ابتدأ في دير عنّايا ١٨٥١ . توشح بالزيّ الملائكي فيه في ١ ت ١ ١٨٥٣ . ورقّاه الى درجة الكهنوت المطران يوسف المريض في نيسان ١٨٥٩ . وقطن المحبسة ١٨٦١ . ورقد فيها بالربّ في ٢٤ ك ١ ١٨٩٨

ولما درى الناس بموته اقبلوا على المحبسة افواجاً . وكان يدفع بعضهم بعضاً بالمناكب ، توصّلاً الى قبلة يديهِ ، آخذين أثراً من شعر لحيتهِ وثيابهِ . ومرّت بضعة شهور على دفنهِ . ثمّ كشف عن جسده ، فاذا قشرةٌ ثخينة من العفونة تغطي وجههُ ويديهِ وصدرهُ ، فرُفعت ، فبان جسمهُ سليماً محمرًّا كأنهُ ماتَ حديثاً ، وسال من خاصرته دمٌ طريٌ ممزوجٌ بماء . فبُدلت ثيابهُ ، ووضع في نعش بغرفة خاصة تُتلى فيها الذبيحة الالهية . مضى على موتهِ اربع وثلاثون سنة ، وجسدهُ ما زال ينضحُ عرقاً . وقد حيّرت الاطباء هذه المادة اللزجة التي يفرزها جسمٌ ترابيٌ فارقتهُ الروح من عهدٍ بعيد ، معلّلين ذلك بانها اعجوبة من الله كرّم بها عبدهُ الامين .

وقد شرّفهُ الله بالكرامات العديدة فاكسبته بها العلوّ في الحياة وفي الممات . منها في حياته : قُدّم اليهِ شابٌ من اهمج جنّ جنوناً أدّى بهِ الى الضرب والتجديف وتمزيق الثياب والمشي على الطريق عرياناً . فصلى على رأسهِ وشفاه . والشاب الآن في امبركة متمتّع بالعقل السليم بفضل الاب شربل . وزحفت في احدى السنين جيوش الجراد فحجبت بكثافتها نور الشمس ، وعاثت اتلافاً في المزروعات . فصلى الاب شربل على الماء ، وكل موضع رُشّ فيهِ منهُ رحل

الجراد عنهُ وسلم من أذاهُ . اما المرضى المشرفون على الموت الذين شفاهم الاب شربل بصلاته فكثيرٌ عددهم. وابرأ بعد مماتهِ يدًا يابسة لرجل من برجا. واجرى الله بشفاعتهِ آيات غير هذه كثيرة نتجاوزها اختصارًا[1].

الاب دانيال الحدثي

هو حنا ابن الخوري دانيال العلم من حدث الجبّة . اسم امه مريم . اطلَّ على الوجود في قرية الحدث ١٨١٥ ، وتنصَّر فيها . ابتدأ في دير حوب ١٨٣٣ ، ولبس فيه الزيَّ الرهباني في عيد القيامة ١٨٣٥ . ورفعه الى درجة الكهنوت المطران سمعان زوين في ٢٠ آب ١٨٣٨ . وتوفي مدبّرًا في دير مار سركيس وباخس قرطبا في ٢٧ تموز ١٨٨٤

عكف على الصوم والصلاة والزهد . وارتدى المسوح الشعريَّة الغليظة طيلة حياته الرهبانية ، فكانت تلتصق ببدنه التصاقاً لطول عهده بلبسها ، ولا تُنزع عنهُ الا والدم يسيل من جسمهِ فيقاسي منها آلاماً شديدة وهو محتمل . وأتقن حرفة الطبّ على رجل مصري ومارسها وبرع فيها . وله فيها حوادث مشهورة تثبت خبرتهُ يذكرها بعض الناس الى اليوم . وكان بالصلاة يشفي الداء احياناً اكثر منًا بالدواء . وكان هو الطبيب الخاص للبطريرك بولس مسعد . ترأس دير الحصن وقزحيًا ، وميفوق ، وانشأ محبسته ، وهو اول من دشّنها بافعال الامساتة والنسك . وانشأ ايضاً دير سيدة النجاة في بصرما ، وانطوش بعلبك . اضطهده البعض فقابل محنتهم بالصبر والتسليم لله ومنَّ الله عليه بمعرفة الغيب . وأُقيم مدبّرًا في الرهبانية لفضيلته وفطنته . وتوفي بدير قرطبا برائحة القداسة . وصنع الله على يده عجائب وافرة . وسنكتب عنهُ كلمة مطوّلة .

الاخت رفقا الرّيس

هي بطرسيَّة ابنة مُراد صابر الشبق من حملايا (المتن) . استهلّت بالبكاء

---

(١) راجع ترجمة حياتهِ التي نشرناها (المشرق ٢٠ [١٩٢٢] : ٢٨٩-٢٩٨)

في القرية المذكورة. دخلت جمعية المرعات سنة ١٨٥٣ ، ثم انضمّت الى رهبانيتنا ، وابتدأت سنة في دير القرن لراهباتنا اللبنانيات في ١٢ تموز ١٨٧١ . ولبست فيه الزيّ الرهبانيّ في ٢٥ آب ١٨٧٢ . وانتقلت منهُ الى دير مار يوسف الضهر ١٨٩٧ . وقضت نحبها فيه في ٢٣ آذار ١٩١٤

بلاها الله بالعمى والكسح ، وانفكت اعضاء جسمها . فاحتملت الآلام المرّة سنين عديدة بصبر عجيب . وكانت قدوة للراهبات بنقاء سيرتها . وما انقطعت عن المثابرة على الصلاة والعبادة والاماتة حتى ماتت ميتة القديسات . وجاء الله بشفاعتها بعجائب كثيرة كتبت في سجلات دير الضهر . وذاعت شهرتها ، فاضحى رمسها محجًا للزائرين من انحاء مختلفة[1] .

***

هؤلاء هم الرهبان الذين قيل عنهم : « رجال رحمة وبرّهم لا يُنسى . اجسامهم دُفنت بالسلام ، واسماؤهم تحيا مدى الاجيال » (سيراخ ٤٤: ١٠ و١٤)

---

١) اذعنا ترجمة حياتها على صفحات المجلة البطريركية لسنتها الخامسة ، ثمّ طبعناها على حدة في ٧٩ صفحة ، وروينا لها هناك احدى عشرة اعجوبة .

الفقه الاسلامي

تاريخه وتطوراته

بقلم الاب لامنس اليسوعي

٥

(تتمة)

لا رتب طقسية في الاسلام

ليس في الاسلام من اكليروس ، ولا من رتب طقسية بمعنى الليتورجية . على أن هذا النص قد يخفى شيء منه بظاهر العبادة الدقيقة في اقامة الصلاة ومشاعر الحج ، وبالقواعد الصعبة المتشعبة الخاصة بالطهارة . وقد انفرد ارباب الطرق الصوفية ، في اقامة حلقات الذكر ، بشيء من الترتيب يقرب من التنظيم الطقسي في الحفلات الدينية ، فهم يدخلون في ذلك الاغاني الروحية ، والرقص ، وتلاوة التسابيح الخاصة بكل طريقة من الطرق . ولكنهم لم يفرزوا ، في ذلك ، بزي العالم الاسلامي السني ، ولم يسلموا من هزء بعض المفكرين . فقام ابو العلاء المعري ، في القرن الحادي عشر ، يعبث بهم ويتهكم على طرق عبادتهم من رقص وغناء . ولا تزال السنة حتى اليوم تنظر اليهم شزرًا معرضة نوعاً ما عن اقرار هذه الاحتفالات . وهي لا تظهر اوفر ارتياحاً لانارة الجوامع والمآذن في الاعياد ، او للطوافات الدينية زمن الاوبئة ، او لاقامة مولد بعض الاولياء ، او مما شاكل من الاحتفالات التي تضع شيئاً من التغيير والتجدد في طريقة العبادة الرسمية المتتابعة على وتيرة واحدة .

هذا وان «الجمعة» الاسلامية لا تشبه في شيء سبت اليهود او احد النصارى ؛ وهي لا تفرض الراحة الاسبوعية ، ولا تقيد المؤمن الا بالذهاب الى الجامع كي يحضر صلاة الظهر الجامعة . اما ما يميز هذه الصلاة من غيرها فكونها جامعة

اولاً ، ثم كونها تُقام بعد « الخطبة » الاسبوعيـة . وعلى « الخطيب » ان يلقي هذه الخطبة ، من اعلى « المنبر » ، باللغـة العربية حتى في البلاد التي لا يفهم ابناؤها لغة الضاد . ولم يكن في اوائل الاسلام الّا « خطيب » واحد في المدينة او الولاية . وكان حقّ الخطبة ، في اصله ، مختصاً بالخليفـة ، او بالوالي ممثله خارج مركز الخلافة . وعلى « الخطيب » ان يكون ، اثناء خطبته ، في حالـة « الطهارة » المفروضة . ثم تبدأ صلاة الجمعة ، ولا تكون « جامعة » علنية الا اذا كان عدد المؤمنين المصلّين يبلغ الاربعين . ولا يقوم الخطيب بمهمته الا في المعابد الكبيرة او « الجوامع » وهي خلاف المعابد الخاصة او الثنوية المدعوة « مساجد » . اما اقسام الخطبة فاهمها « الحمدلة » او حمد الله ، و« الصلاة على النبي » ، و« الدعاء » المؤمنين ابتداء بذكر الخليفـة او الامير الموجود . يلي ذلك مقتطفات من القرآن تتفاوت طولاً وقصراً .

ولم يتمكن المسلمون ، على دوبهم القيام بالخطبة مـدة القرون العديدة ، من ايجاد فنّ ادبي يقرب ، وان عن بعد ، من فنّ الخطابة او الوعاظة النصرانية . ذلك ان اسلوب الخطبة ظلّ مقيداً بالاسجاع ، وظلّ موضوعهـا محصوراً ضمن حدود مقرّرة ؛ فلم تخرج حكمها ومواعيظها عن الافكار العامة والقوالب المبتذلة . بل كثيراً ما كانت تؤخذ اقسامها بالحرف من المجاميع الوعظيـة ، ولاسيما في البلاد التي لا حياة للغة العربية فيها . وقد ألفت هذه المجاميع موافقـة لاقسام السنة بما فيها من حفلات الجمعة ، والمولد ، والاعياد المختلفة . ويجب ان نشير هنا الى مجموعة خطب ابن نبـاتة (ت ٩٨٤) التي ظلّت مثالاً لهـذا النوع من الانشاء .

اما اهم ما في الخطبة ، من حيث السياسة ، فالمقطع المشتمل على الـدعاء لصاحب البلاد ، ولسائر الامراء ، وعامة المسلمين . وذلك ان تاريخ الاسلام السياسي اعتبر دائماً حقّ « السكة » ، او ضرب النقود ، وحقّ « الخطبة » من مظاهر الاستقلال والسلطة . وان حذف اسم الخليفة او الامير من الخطبة يدلّ على اسقاط حقه ورفض الاعتراف بـه . كما ان ذكر هـذا الاسم يدلّ على التعلق به والخضوع لسلطته . وهذا سرّ ما كان يدفع امراء الاسلام في كل

عصر الى الاهتمام بذكر اسمائهم في الخطبة ، وسرّ ما يدفع المسلمين الى ايلاء الخطبة هذا المرمى السياسي.

واذا فهمنا ان النظرية تعتبر الخليفة رئيساً زمنياً للاسلام العالمي ادركنا ان من حقه ان يُذكر اسمه في الخطبة . على ان الاحوال الظرفية لم تكن لتسمح دائماً في اقرار هذا الحقّ . فجرّ ذلك الى اختراع الخطبة « الصامتة » او الضمنية التي يلقيها الخطيب دون ان يذكر اسماً ما ، كما لو كانت «وظيفة الخلافة شاغرة» ، بل يكتفي ، قبل ان يذكر صاحب البلاد ، بأن يدعو « لخليفة المسلمين » دون تصريح . على ان هذه العبارة اكثر خطرًا مما يوهمه الظاهر . فلا يمكن ان تدلّ الا على احترام سلطة سياسية عليا ، لان الخلافة لاتتضمن مزية روحية ، ولا دينية بحصر المعنى.

لا اكليروس في الاسلام

ان خلوّ الاسلام من نظام طقسي ، ومن ترتيب للحفلات الدينية يجعله لا يشعر بضرورة الاكليروس ، اي تلك الطبقة من رجال الدين المنظّمة على ترتيب متدرّج من اجل تنسيق طرق العبادة الالهية وتدريب المؤمنين فيها ، على نحو ما نرى في النصرانية . وكذلك لا يرى الاسلام السني من الضروريات ان يُعتنى بالنفوس الاعتناء الروحي المعروف عند النصارى . فان الامانة في تطبيق اصول الشريعة تقوم ، في نظره ، مقام عناية الاكليروس . وهو يرفض كل الرفض اقرار التدريب الروحي الذي يستعمله شيوخ الصوفية في تهذيب مريديهم وتلامذتهم ، مدّعياً ان هذه الطريقة شائنة بحقّ صلاحية الشريعة غير المحدودة ، وبحقّ تطبيق السنة النبوية . ولا يمكن الاسلام — وهو يجهل مؤسسات الاسرار البيعية وعقيدة الفداء المسيحية — ان يشعر بوجوب نظام اكليريكي يقوم وسيطاً متدرّجاً ليستنزل على البشر النعم الروحية . وهو ابعد من ان يقرّ هذا النظام الكنائسي الوسيط الذي يراه متناقضاً لما يعرفه من حقوق الله اللامتناهية وسلطته المطلقة على جميع المخلوقات . واي حاجة للوسطاء والله يعلم كل شيء ، وقد خلق الانسان فكان « اقرب اليه من حبل الوريد » (القرآن ٥٠ : ١٥)

وليس في النظام الاسلامي من مكان للاعتراف. اما الغفران فيناله الخاطئ حالاً ، اذا ما طُبقت عليه « حدود » الدين او القصاصات التي يفرضها القرآن على الزنى والسرقة وشرب المسكرات وما شاكل ؛ وينال الخاطئ مغفرة خطاياه ايضاً بامانته في القيام « بالعبادات » كالصلاة ، والصوم ، والحج ، وانواع الصدقة (القرآن ٢ : ٢٧٣ ؛ ٩ : ١٠٥) وبالايمان والندامة . ثم ان « الشهادة » تخلصه من العذابات الابدية في الجحيم .

ينتج من كل ما تقدّم ان الرجال المقيّدين بخدمة الجوامع كالامام ، والخطيب ، والمؤذّن لا يحتاجون تعليماً دينياً مقرّراً ولا تثقيفاً لاهوتياً خاصاً بمهنتهم بل يكفيهم ان يعرفوا واجباتهم وان يقدروا على القيام بها ، كأن يعلموا اللغة العربية مثلاً . ومن الشيوخ والائمة من يخدمون الجوامع ، ومنهم من يخدمون المؤسسات التقوية . ثم ان رؤساء الطرق الصوفية يدعون انفسهم شيوخاً ايضاً . على ان هذه الالقاب لا تنيل اصحابها الحقّ بان يستأثروا برئاسة الصلاة . بل هذا حقّ مشترك بين جميع المؤمنين . فلكل منهم ان يؤمّ المصلّين على شريطة ان يكون من خيار المسلمين وان يعرف طرق الصلاة معرفةً تامة . وكذلك لا يستقلّ احد بحقّ الختان او التطهير ، بل يمكن اي حلّاق كان ان يجري تلك العملية .

وقد يرئس القضاة وائمة الجوامع حفلات الزواج ، او «عقود النكاح» ، كما يقولون الا انهم يقومون بذلك بصفة كونهم موفدين من قبل السلطة المدنية لاقرار شرعية العقد ، لا بفضل مزية خاصة بوظيفتهم التي لا تتصف بادنى صفة روحية .

ينتج من جميع ما تقدّم ان ليس في الاسلام من مؤسسة نظامية تشبه الكنيسة ، ولا من وجود للتدرّج الاكليريكي ، ولا وجود كذلك لسلطة مركزية تحافظ على الايمان وتدرّب المؤمنين .

الخلافة

وقد شاء بعض رجال السياسة من الاوربيين ، وبعض من يروقهم الابتكار والاختراع من المستشرقين ان يولدوا من مدلول « الخلافة » هذه السلطة المركزية العليا . فبدل ان يفتشوا ، قبل كل شيء ، عمّا يعتقده الاسلام نفسه في «الخلافة» ،

بدأوا بالمقابلة بين النصرانية والعالم الاسلامي ، فجرّهم ذلك الى تشبيه الخلافة العثمانية بالحبرية الرومانية ، ومن ثمّ انالوا الخلافة نوعاً من الصلاحية العامة والسلطة الروحية العليا على الاسلام العالمي.

وكان من نصيب بعض السياسيين الاوربيين ان اقرّوا هذه النظرية الوهمية حتى انهم اثبتوها بادخالهم اياها في المعاهدات الدولية ، واولها معاهدة كوچوك ـ كاينرجي (١٧٧٤) ، معتقدين انهم بهذا العمل يسهلون على الرأي العام الاسلامي قبول شروط روسية على تركية في ما خصّ اقتطاع بعض الولايات المأهولة بالمسلمين . فظنّ اولئك الساسة انهم يحسنون صنعاً بالتمييز بين سلطة السلطان الزمنية وسلطته الروحية ، وانهم يخففون من هياج المسلمين اذا ضمنوا لهم ان صلاحية السلطان الروحية تظل مهيمنة على تلك الولايات المقتطعة من السلطنة العثمانية . فيعيّن فيها من يريد من القضاة ، ويظل الخطيب يذكر اسمه في خطبة الجمعة . وهكذا وفّروا ، في ما بعد ، للسلطان عبد الحميد سبباً وهمياً يتخذه واسطة لينشر ، حتى في المناطق الاوربية ، دعوته الى الوحدة الاسلامية ؛ وليظهر امام اوربة مظهر المحامي الاعلى عن الاسلام العالمي . وهو اللقب الذي اضافه في الدستور العثماني سنة ١٨٧٦ الى اسم السلطان ـ الخليفة .

والحقّ يُقال انه كان من الصعب ان تخترع نظرية ابعد من هذه عن روح الاسلام وتعليمه ، واشد خطراً على مصالح اوربة التي اقرّتها واثبتتها على حسابها . فان الاسلام السني لم يتصوّر قط الخليفة على الشكل الذي نتصوّر به رئيس الكنيسة من بابا او بطريرك . وهو ابعد من ان يسلّم له بميزة روحية او بسلطة عقائدية ، حتى انه لا يقرّ له حقّ الافتاء ، بصفة كونه خليفةً ، الا اذا كان قد نال قبل ذلك لقب الفقيه . والافتاء ، كما لا يخفى ، حقّ يناله كل فقيه نال درجة المفتي ؛ والاسلام يمنعه عن الخليفة اذا لم يكن له الا صفة الخلافة .

ولا يخفى ان مشكل الخلافة اثار كثيراً من الانشقاقات والبدع والحروب في الجامعة الاسلامية منذ اقدم عصورها . وقد أثّر تذكار هذه المنازعات في بعض مؤلفي المسلمين ، فاخذوا يهتمون باسبابها حتى توصلوا الى الكلام عن الخلافة كلامهم عن عقيدة دينية مقرّرة . على ان هؤلاء انفسهم كانوا يعتبرون

الخليفة حارساً ساهراً على باب الاسلام ، لا حبراً او رئيساً دينياً ، بل مدافعاً مدنياً عن الشريعة . هم يعتبرونه اليد المسلحة ، او مندوب الجماعة ، المكلف ان يحافظ على قواعد السنة كما ذكرها القرآن ، وان يدعو الناس جهاراً ، باحكامه العادلة ، الى احترام الشريعة . ونحن اذا اعتبرنا هذه الصفات ، نرى الخليفة الاسلامي يشبه ، نوعاً ما ، القيصر الروسي بالنسبة الى تنظيم الكنيسة الروسية السابقة ، او ملك انكلترة بالنسبة الى الكنيسة الانكليكانية .

ثم ان ليس للخليفة السني حقّ بالسلطة التشريعية القائمة كلها في نصّ الشريعة ، كما ان السلطة القضائية قائمة بمجموع العلماء . على ان من حقه ان يحدد صلاحيتهم في المواد التي لم تحددها الشريعة . وفي هذا الموضوع يظلّ تأثيره عظيماً اذ يتناول الجهاد ، والضرائب ، والتكاليف الادارية وما اليها . وهو نائب النبي ، ولكن في ما يخصّ الزمنيات فقط . وليس له من حقّ صريح الّا بالسلطة التنفيذية . فيجب عليه اذاً ان يعمل على وحدة الاسلام ، وعلى انتشاره والمحاماة عنه في الخارج . ولما لم يكن له شيء من السلاح الروحي ، فهو لا يتمكن من القيام بهذا الواجب الا بالسيف . وقد يقوم الخليفة ، في سبيل الجهاد ، بالغزو والهجوم . فليس للفقه ، والحالة هذه ، ان يقيده بظهور الدفاع الجامد عن وديعة لا يمكنه المحاماة عنها بالسلاح الروحي اذ لا وجود لهذا السلاح بين يديه . وهذا ما يقضي مبدئياً على جميع محاولات « العصريين » و«المجددين » من المسلمين الذين يرمون الى انشاء خلافة دستورية لا يكون لها السيادة المطلقة ولا حقّ الحرب والجهاد الحقيقي .

وهناك طائفة من السنيين المعتدلين يرغبون في اعتبار الخلافة اداةً عليا دائمة من شأنها ان تقرّ وتحلّل المؤسسات الشرعية كالصلاة ، والزواج ، وقرارات المحاكم ، وما الى ذلك . الا انهم اذا اتبعوا هذه النظرية ، لم يعرفوا كيف يحكمون على شرعية الصلاة في عصور الفوضى التي لم يكن فيها للاسلام خليفة ، وفي العصور التي كان فيها عدة خلفاء . زد على ذلك انه في الكثير من البلاد الاسلامية كان الناس يجهلون حتى وجود الخليفة العباسي المصري الذي كان اشبه بالخيال على مدة ما يزيد عن قرنين (القرن الرابع عشر – القرن

السادس عشر »، وكذلك جهل غيرهم وجود الخليفة العثماني على مدة طويلة . ولا يخفى ان الكماليين بعد ان نزعوا سلطنة خليفة استانبول ، قرروا الغاء الخلافة ، لا اكثر ولا اقل .

وهنا نشير الى ان احدث النظريات في الخلافة وابعدها بحثاً في الاصول القديمة هي النظرية التي بسطها القاضي المصري سابقاً ، الشيخ علي عبد الرازق ، في كتاب سماه « الاسلام واصول الحكم » ونشره في القاهرة سنة ١٩٢٥ ثم تتابعت طبعاته . وقوام هذه النظرية ان الدين الاسلامي لا يهتم بشكل خاص من اشكال الحكم ، بل يترك هذا الامر لاختيار المؤمنين . وليس للخلافة من اساس في العقيدة الاسلامية حتى ان القرآن لا يشير اليها بشيء من التصريح ولا التلميح . فهي من اختراع كتب الفقه التي اخطأت في التمييز في هذا الموضوع . ثم ان الشريعة قانون ديني محض فلا تفرض ادنى علاقة لازمة بالحكم الزمني . وان المحاكم الشرعية لا يمكن ان تدعي بشيء من الصلاحية الدينية . ولا فرق في شيء بين قضاتها والقضاة المدنيين . اما بعثة محمد فهي دينية محضة ، حتى انه لم يخالج فكره قط ان ينشئ مثالاً ما للحكومة . وعليه فليس في الاسلام الا تشريع روحي ، وعقيدة ايمانية ، وقاعدة ادبية للسلوك . فهو لا يتصل في شيء بالسلطة الخارجية المكلفة تنفيذ احكامه .

وقد درس مجلس الازهر الاعلى في القاهرة هذه النظريات كلها فانتقدها ، ورشق صاحبها بالحرم . وقد يمكن ان يُضاف الى ذلك نقد تاريخي ينفي ما يدعيه المؤلف من ان محمداً ، بعد الهجرة ، لم يفكر بالحكم ولم يصبح « رئيس حكومة » . والحقيقة انه اصبح هذا الحاكم الزمني حتى انه كاد يجحف بحق صفته النبوية . فكاد « الحاكم » يسيطر على « النبي » .

هذا وقد ولد الكتاب المذكور حول مشكل الخلافة ، حركةً دامت بعض الزمن . ثم عرض بعضهم طريقة لحلّ المشكل ان يُعقد مؤتمر اسلامي عالمي يبحث فيه العلماء بهذا الشأن . على ان جميع المحاولات ، في هذا الموضوع ، حبطت ولم تأت بشيء . فلم يصل العلماء الى نتيجة في القاهرة ، ولا في مكة سنة ١٩٢٦ ، ولا مؤخراً في اورشليم سنة ١٩٣١ .

الامثال والاساطير اللبنانية

المختصّة باشهر السنة الشمسية

بقلم لمد خاطر

حزيران

هو في السريانية « حزيرون » ، وفي العبرانية « سيوان » من « سيفانو » البابلي ، واختلف في معناه . يقابله من اشهر الفرنجة « جوان » من جونيوس اللاتيني رابع شهر من اشهر السنة الرومانية التي وضعها روملوس ، وقد اسماه كذلك لسببين : اما حفظاً لذكرى الشبان من جنوده الذين كان يدعوهم « جونينوس » ، واماً تيمناً باسم الآلهة « جونون » التي يدعوها اليونان « هيرا » ، وهي ابنة زحل وامّ المريخ المشهورة في الاقاصيص القديمة بقوتها وحسدها .

كان الاقدمون يعتقدون ان الذي يتزوج في هذا الشهر يطول عمره ، لان ايامه طويلة مشتملة على اطول يوم من ايام السنة وهو ٢١ منه .

***

وحزيران في التقاليد اللبنانية شهر « اليسر ووفاء الدين » ، لان الملّاكين والمزارعين يبدأون فيه باستثمار مواسمهم ، وبيع ما تنتجه ارضهم ، واستغلال موسم القزّ الذي كان يُعدّ اهم المواسم اللبنانية واوفرها عائدة ، لذلك اعتادوا جعل ١٥ منه موعداً لآجال سنداتهم ، اذ يصبحون فيه قادرين على اداء ما يطلب منهم من دين . لكن هذه العادة اخذت تتلاشى بعد انحطاط هذا الموسم وتضاؤل منتوجه بسقوط اسعاره .

والدائن اللبناني قلّما كان في السابق يربط دينه بسند او رهن ، او يقيم عليه شهوداً ، بل كان يعطيه المدين سرّاً لئلا يجرح كرامته واحساسه ، ومن امثالهم المشهورة في ذلك قولهم : «الدين ستره» وذلك كان لشدّة استمساكهم بفضيلة الصدق ورعاية اصول التعامل ومبادرة المدين الى وفاء دينه في الاجل

المضروب بلا مطل ولا تسويف ، واهتمامه باتحاف الدائن حيناً بعد آخر ، ولاسيما في الاعياد والمواسم بمختلف الهدايا من موارده ومحاصيل ارضه ونتاج ماشيته ، كأن يحمل اليه سلال الفاكهة والخضرة ، وبراني السمن واللبن والعسل اقراراً بجميله ، متلطفاً اليه بمثل هذه العبارات: «كثر الله خيرك اوزاد المال بين يديك ! وان وفيتك مالك فلست قادراً على ايفاء فضلك ! »

وقد روى لي احد الشيوخ ان وجيهاً في عصره احتاج مالاً وراح يستدينه من متمول ، فوعده هذا به على ان يربطه بسند من توقيعه ، فابى الوجيه اخذ المال لقاء سند اعتبار ان ذلك يحطّ من قدره ويدلّ على الاستراابة بصدقه وصحة ضميره ويلحق به اهانة لا يرضاها مثله .

وفي حزيران تكون مواسم الفواكه والخضر لا تزال في معمعان رواجها في المناطق اللبنانية المتوسطة . ومن اقوالهم فيها : « في حزيرانك يا فلاح ، فرّق الخوخ والمشمش والتفاح » ، وكلمة « فرّق » تشير الى التقادم والهدايا التي يتبادلها اللبنانيون مما تنتجه ارضهم وماشيتهم ، لان هذه المحاصيل لم تكن تباع سابقاً في القرى البعيدة عن المدن الا في القليل النادر ، وسبب ذلك توافرها لدى السواد الاعظم ، ولان اللبنانيين قبل شيوع المهاجرة بينهم وتطوّر معيشتهم تطوّرها الطارئ الاخير كانوا باكثريتهم الساحقة منصرفين الى الحرث واستثمار الارض وتربية المواشي . فكان كل ما يفيض من محاصيلهم عن استهلاكهم الخاصّ يفرقونه هدايا على كهنتهم وزعمائهم وجيرانهم واصدقائهم واقاربهم لتفاهة قيمته وقلة الحاجة اليه ، او يحملونه الى حيث يستبدلونه مقايضةً بمنتوج آخر مما ينقصهم وتمسّ اليه حاجتهم كأن يبدل الدبس بالزيت والتين بالزيتون والحنطة بالفواكه الخ . . .

ومما يؤيد شيوع عادة التهادي بينهم بيتان من زجلية قديمة تتناقلها السنتهم ، وهما هذان :

من المشمش العال اخذت اليوم سلّتكم ومعها رسالة تلبي غرفتكم
ان جاء البشر يبشرني بسلامتكم لاعطيه روحي وافرّق من هديتكم

وهذا دليل على ان عادة تهادي الغلال والمحاصيل شائعة منذ القديم في لبنان .

وفي حزيران تنقف الطيور عندنا بيوضها وتربي فراخها منها : الدجاج ويجمعون للدجاجة الامّ ، ويسمونها «القرقة» ، البيض الحديث. وقبل ان تحتضنه يمرونها تحت فخذ عازب وقاية لها من « الكبسة » ويضعونها على البيض في مكان مظلم بعيد عن الناس لئلا يقع عليها ظل حامل او عازب او عازبة ، فتغادر البيض فيفسد ويبطل نقفه

ويؤثر عندهم العازب العفيف في امرار «القراق» تحت الفخذ او « فشخها » ، ومن كان مشهوراً في القرية من الاعزاب بعفافه قصدته النساء « بقراقهنّ » « ليفشخها » وحملنَ اليه الهدايا جزاء عمله .

ومما يروون في مسامرتهم بهذا الصدد : ان اسقفاً كان له شماس كثير الاخلاص والحسنات ولكنه كان حادّ الطبع ، فاذا احتدم غيظاً انطلق لسانه بالسبّ والشتيمة ، فكان الاسقف الجليل يحاول اصلاحه من نقيصته بشتى الطرق. وقد اراد مرةً زيارة قرى الابرشية وخاف ان تكون نقيصة شماسه حجر عثرة للناس فاوجب عليه كلما دخل قرية وضع حصاة في فمه حتى اذا ما أغضب واراد الشتم تمنعه الحصاة عن الكلام فيصمت ، وهكذا يتعوّد الاحتمال ويخلص من عادته القبيحة ولا يعثر الناس بسببه. وخرج الاسقف مرة من احدى القرى بعد ان اقام فيها اياماً فودعه الاهلون الى آخر الخراج بالاجلال ، وبعد ان ابتعد وشماسه عنهم واذا بامرأة تجري وراءهما وهي تصرخ متوسلة الى المطران ان ينتظرها هنيهة لامر يهمها . فوقف الاسقف في مكانه وهو يحسب للامر الف حساب ، ثم وصلت المرأة واذا هي تحمل بيدها دجاجة فقالت للمطران : « ارجوك يا سيدنا ان تفشخ لابنتك العاجزة هذه القرقة قبل رحيلك فانك خير عازب عفيف دخل قريتنا .»

فساءت الاسقف غلاظة هذه المرأة وقلة ذوقها ، والتفت الى شماسه فقال: « ابصق الحصاة يا ولدي ! » ففعل الشماس بما امره الاسقف وانهال على المرأة بالسبّ والشتم ، واعادها الى القرية تتعثر باذيال الخجل والخيبة. وقد ذهبت كلمة الاسقف مثلاً عندهم فهم يقولون: « بصق فلان الحصاة » اي انه استسلم الى غضبه بعد دعة ، وجهر بما يكنه ضميره من الاسرار والخفايا.

ومن الطيور التي تفرخ في هذا الشهر الحجال فان صغارها تدرج فيه فيقتنصها الصيادون بالاشراك ويربونها في اقفاص . فاذا كبرت استعملوها في الاشهر الاخرى من السنة في صيد « اليقلوم » او القترة وهي الاكواخ الصغيرة التي يكمن فيها الصيادون للصيد، وذلك بان يضعوا الحجال الداجنة المحبوسة في الاقفاص على منصة قريبة من اليقلوم الذي يكمنون فيه باسلحتهم حتى اذا جاءت الحجال البرية على صوتها اطلقوا عليها نيران اسلحتهم فصرعوها. ويقولون في امثالهم :« تعسك على صوص حزيران لا يروح ضيعان » . وفي الربيع الى آخر حزيران يستخدمون في صيدهم « السركة » وهي تحريف « السلكة » اي انثى الحجل ، وفي الفصول الاخرى يستخدمون الحجال الذكور . والحجل كثير في حدود لبنان ، وكان الامير بشير شديد الولع بصيده . وفي اللبنانيين خواصهم وعوامهم من كلفوا في فنّ الصيد كلفاً شديداً ، واتقنوه كل الاتقان .

وفي بعض الجهات اللبنانية ينضج قسم من المزروعات في هذا الشهر فيبدأون حصاده ، ويقولون في ذلك :« في آخر حزير ، طلع ابنك على الغمير » فحزير في اصطلاحهم حزيران ، والغمير الحصاد ، ويظن انهم اخذوا هذا اللفظ من كلمة « غُمر » وهي ملفتهم العامية الذراع او ما يحمل عليها من قش وعشب ونحوه، والغمير في اللغة الفصحى الماء الكثير ، ولعلهم ارادوا بالمثل المتقدم ما تأويله : «في حزيران اترك ابنك يذهب الى الغدران الغزيرة الماء للاستحمام فيها والابتراد بها من لوافح الحرّ التي تشتد في هذا الشهر » ولذلك يقولون ايضاً :« في حزير ، تغلي المياه في البير »

ويقولون :« حرّ حزيران يعمل الحليب عيران » والعيران عندهم الحليب الخاثر ويسمونه « اللبن الرائب » ويقولون :« في حزيران تدخل الشمس برج السرطان ، وتقول للحرّ اهلاً باعزّ الخلان »

وفي ٢١ حزيران ينتهي فصل الربيع ويدخل فصل الصيف ويقال في ذلك : « حزيران شهر البسط والكيف ، اوله ربيع وآخره صيف . »

وفي ٢٤ منه يقع عيد مار يوحنا المسمى عندهم « حرّاق الدواليب » وقد سمي كذلك لاحد سببين :« الاول ، حصول حادث كبير في احدى السنين يوم

هذا العيد احترقت فيه مجموعة من الدواليب الوطنية التي كان يحلّ الحرير عليها قبل شيوع معامل الحل على الطريقة الاوربية. فعدّ الناس ذلك الاحتراق قصاصاً لاصحابها لانهم اشتغلوا يوم العيد مخالفين بذلك شريعة البطالة ، واخذوا يذكرونه تباعاً كل سنة في مثل يوم وقوعه مسمين العيد باسم «حرّاق الدواليب» وقد تنوقلت هذه التسمية عاماً بعد عام حتى وصلت الينا. الثاني اعتياد اصحاب الدواليب المذكورة منذ القديم مباشرة حرق حطامات مصانعهم ومخلفاتها في مثل هذا اليوم الذي ينتهي فيه زمن الحلّ لعدم الحاجة اليها ، فادى ذلك الى تسمية العيد بذلك الاسم من باب تسمية الكل باسم الجزء.

وفي حزيران تنقى دوالي كروم العنب مما ينبت على جذوعها من النوامي لان هذه اذا تركت تضعفها وتمنع العصارة المائية عن عناقيدها ، ويسمى ذلك باصطلاح العامة «التفريك» ويقولون في ذلك : «فرّك كرمك في حزيران بيزيد قناطير.»

وقد تلد الهررة في هذا الشهر ولادة ثانية فتكون مواليدها ضعيفة البنية لانها في غير اوانها ، وتقول العامة في هذه المواليد : «بسين الحصرمة كل عمره متعلس» اي مهزول.

ويذكرنا هذا المثل بما اعتاده اللبنانيون من تأريخ حوادثهم بالمشاهير عندهم من المواسم والاعياد كأن يقول احدهم : «سافر والدي الى اميركة ايام القزّ ، ومات جدي نهار عيد الميلاد ، وتزوّج اخي على المرفع او الاحد الجديد» وما الى ذلك.

جولة في المجلات

اليوبيل الكهنوتي الذهبي لبطة بطريرك الروم الكاثوليك – الشهر المريمي في الكنيسة البيزنطية – ناحية جديرة بالنقد من نواحي الآداب الغربية – الاسلوب اللاذع في الادب العربي.

اليوبيل الكهنوتي الذهبي لبطة بطريرك الروم الكاثوليك

احتفلت طائفة الروم الكاثوليك باليوبيل الكهنوتي الذهبي لبطة بطريركها الجليل كيرلس التاسع مغبغب ، اي بمرور خمسين سنة على رسامة غبطته كاهناً . فعقدت له الحفلات الباهرة ؛ وكانت اولاها وافخمها في مدينة القاهرة في ٣٠ نيسان الفائت . وقد اشتركت فيها الحكومة المصرية ، ونيافة القاصد الرسولي وجميع الطوائف الكاثوليكية من شرقية وغربية اكليروساً وشعباً . فكانت الحفلة الدينية الفخمة قبل الظهر حيث اقيم قداس حبري حافل تلي في اثنائه الرقيم البابوي البليغ الذي بعث به قداسة الحبر الاعظم الى البطريرك الجليل. وبعد الظهر عقدت الحفلة الادبية في ساحة المدرسة البطريركية ، فتعددت التهاني نثراً وشعراً ، وكان من جملتها قصيدة لشاعر القطرين خليل بك مطران . وقد خصت مجلة المدرة (شهر ايار ١٩٣٣) قسماً من صفحاتها الاولى بوصف هذا الاحتفال الفخم ، وصدّرت عددها المذكور بغلاف جميل ملوّن بالالوان الزاهية احتفاء باليوبيل المذكور . فنحن نرفع لمقام صاحب الغبطة تهانينا البنوية المكتنفة بالاخلاص والاحترام ، راجين ان يديمه الله الاعوام المديدة ملاذاً للطائفة ، وركناً للكثلكة في الشرق .

الشهر المريمي في الكنيسة البيزنطية

ومما لفت نظرنا في جزء « المدرة » المذكور بحث اقتطفه حضرة الاب الياس اندراوس عن مقال للاب كرومل (Grumel) الصعودي في مجلة « اصداء الشرق » الفرنسوية وقد تناول فيه عادة الاحتفال بالشهر المريمي التي جرى عليها الغربيون في شهر ايار ، وما يقابلها في تاريخ الكنيسة البيزنطية . قال (ص ٢٩٨) :

لبعض الاقطار الغربية شهر موقوف لخدمة العذراء مريم وهذا الشهر هو

شهر ايار المعروف فيما بيننا بالشهر المريمي. على انّ حفلات هذا الشهر غير رسمية بمعنى انها لا تعد جزءاً من الفروض البيعية الرسمية ولادخل لها في نظام الطقوس الكنسية وجلّ ما هناك انها عبادة خاصة انتشرت بين المؤمنين منذ عهد قريب[1] فرضيت منهـا السلطة الكنسية. وحبّذتهـا وهكذا انتشرت شيئاً فشيئاً حتى اضحت من العبادات العزيزة على المؤمنين في بلدان كثيرة.[2]

على ان الكنيسة البيزنطية قد عرفت مثل هذه العبادة منذ اجيال بعيدة. اذ انها قد وقفت لوالدة الاله شهر آب من كل سنة منذ القرن العاشر ولعلـه التاسع . فكان لابنائها فيه شهراً مريمياً حقيقياً . وعندنا ان لهذا الشهر ميزتين كبيرتين على شهر ايار اولاً لاننا نحتفل فيه بعيد من اعظم اعياد العذراء مريم اي بانتقالها الى السماء في الخامس عشر آب ، بعكس شهر ايار الذي لا نجد فيه ذكراً لوالدة الاله . وثانياً لان احتفالات شهر آب في الشرق البيزنطي هي جزء من الفروض البيعية التي رتبتها الكنيسة نفسها . اما صلوات الشهر المريمي عند الغربيين فهي عبادة خاصة لا دخل لها في الصلوات الكنسية الرسميـة . ففضل الاولى على الثانية هو كفضل كل صلاة طقسية على الصلوات والعبادات الخاصة.

ويقسم الشهر المريمي عند الشرقيين الى شطرين . امـا الاول منها فيمتد من اليوم الاول من شهر آب حتى اليوم الخامس عشر منـه وهو وقت قطاعة وابتهال استعداداً لعيد انتقال والدة الاله . واما الثاني فيشمل ايام وداع العيد

١) يرتقي الشهر المريمي الغربي الى اواخر القرن الثامن عشر لا غير . وقد اعترف به الكرسي الرسولي للمرة الاولى في اوائل القرن التاسع عشر في ٢١ اذار ١٨١٥ فهذه العبادة لا ترتقي اذن الى اكثر من ١٥٠ سنة ولم تنتشر فعلاً على النحو الـذي نراه اليوم الا في اواسط القرن التاسع عشر.

٢) لقد اختاروا شهر ايار باعتبار انه شهر الربيع والزهور . على ان هذا يصحّ في بعض البلدان كفرنسة وايطالية واسبانية وغيرها ، على انه لا يصحّ في جميعها كما هي الحال في جميع البلدان الواقعة تحت خط الاستواء كاميركة الجنوبية والقسم الاكبر من افريقية وجزء كبير من بلاد الهند والهند الصينية الخ . فضلاً عن بلدان كثيرة غيرها شمالي خط الاستواء حيث يعدّ فيها شهر ايار من الاشهر الحارة. لذلك اعتمدوا اشهراً اخرى لتكريم العذراء حتى في البلاد التابعة للطقس اللاتيني نفسه كما هي الحال في اميركة الجنوبية.

اي من ١٥ حتى ٢٣ منه وهو وقت فرح وتهليل فيه تعظم والدة الاله وتهنئها. وهكذا يخصصون الشهر كله على وجه التقريب لوالدة الاله الفائقة القداسة.

على انَّ مدينة القسطنطينية قديماً قد خصَّصت فعلًا شهر آب بكامله لوالدة الاله شفيعتها وحامية ذمارها. فكان لها اذن شهرها المريمي كاملًا من اليوم الاول من شهر آب حتى ٣١ منه. ولا ريب في ان معظم الغربيين وعددًا كبيرًا من الشرقيين انفسهم قد جهلوا هذه الحقيقة. لذلك رأينا ان نذكرهم بها.

يلي ذلك اشارة الى تاريخ انشاء هذه العادة على يد الملك اندرونيكوس الثاني (١٢٨٣–١٣٣٨)، والى تنظيم الاحتفال بها في القسطنطينية اذ ذاك.

ناحية جديرة بالنقد من نواحي الآداب العربية

في دمشق مجلة جديدة بلغ عمرها الشهرين. ولكنها، على صغر سنها، تظهر استعدادًا كبيرًا لخدمة النهضة الفكرية في الشرق العربي. هي مجلة «الثقافة» التي يصدرها الاساتذة خليل مردم بك، وجميل صليبا، وكاظم الداغستاني، وكامل عياد، ولها من اسماء محرّريها ضمانة كافية للقيام بهذه الخدمة، على ان تبقى غايتها «ثقافيّة» مجرّدة. وقد راقنا في أكثر موضوعاتها واحكامها تحفّظ ضروري، ورغبة في التثبّت جديرة بان تتبعها اكثر صحفنا العربية. وعلى هذا فاننا نرحّب بالرصيفة الجديدة ونتمنى لها بكل اخلاص ان تعمل مخلصةً على رفع مستوى الثقافة السورية. ومما اثبت نظرنا في العدد الثاني منها (ايار ١٩٣٣) آراء في الآداب العربية للشيخ عبد القادر المغربي رمى فيها الى تصوير ناحية من نواحي نقد هذه الآداب، فوصف موقف بعض المعاصرين من اللغة ومن اساليب الافرنج، فقال (ص: ١٢٠):

من كتابنا المعاصرين طائفة حديثة النشأة اتخذوا لانفسهم طريقة جديدة في الكتابة ترتكز غالباً على الادب الافرنجي. وتحتذي مثاله في الاسلوب الانشائي.

وانا ارى ان هذا لا يضر آدابنا العربية بل هو اقتباس او تطوّر طبيعي في لغات الامم وآدابها: فان بعضها يقتبس من بعض اساليب كما يقتبس الفاظًا.

لكن هؤلاء المجددين افرطوا في انتحال أساليب الافرنج واكثروا الغضّ من اساليب كتابنا الاقدمين. الى حد ان عطلوا — او كادوا يعطلون — قواعد اللغة العربية: فهم لا يبالون نحوها ولا صرفها ولا يتكلفون عناء مراعاة هذه القواعد في خطبهم وكتاباتهم. بل ذهبوا الى ابعد من هذا: فزعموا ان كل

كلمة عربية مجها ذوقهم وجب أن تموت ويخلفها من كلمات الاعاجم وتعابيرهم ما شاءوا وأحبوا.

ثم لخص آراء الادباء الاقدمين في البلاغة، واختلافهم في اسنادها الى حسن اللفظ او الى جمال المعنى، وكيف كان الجاحظ ومن اليه يعنون خصوصاً بالمعاني وقد لا يقيمون للالفاظ وزناً. الى ان كان العصر العباسي الثالث فسادت البلاغة على اسس اللفظ المختار والمبنى الانيق زمن ابن العميد والصاحب ومن غا نحوهما، فتجاوزوا اسلوبها الى المبالغة في التنميق اللفظي حتى

اصبحت الكتابة فيه صناعة لفظية محضة، لا تعبر عن نفسية الكاتب ولا تميز شخصية اديب عن شخصية اديب آخر. وانما اصبح كل من كتب تقريباً (فنوغرافاً) يحكي لنا صدى افكار المتقدمين ويسرد علينا تعابيرهم بتغيير طفيف.

وهذا ما حمل ادباء الافرنج على نقد آدابنا العربية بالجملة، والازراء بكتاباتنا الادبية من دون تفريق، حتى قالوا: انها الفاظ ترن وجعجعة من دون طحن.

على ان الكاتب يقف موقف الوسط في الحكم فيقول (ص ١٢٢):

ولا نسمح لانفسنا ان نقول: ان حسن الالفاظ لا شأن لها في البلاغة والفصاحة وانما نقول: ان الافراط في التأنق ومراعاة الصناعة اللفظية يؤدي الى التكلف والاحالة وان الاهتمام بانتقاء الالفاظ والحرص على حشرها في الكلام يلهي السامع عن تعقل المعاني فيضطرب فهمه. وتنقطع سلسلة تفكيره. ويفقد الكلام قوة تأثيره. واذا ضاع التأثير ضاع كل شيء.

وينتقل من ذكر هذا العيب العام الى عيب خاص طالما انتقده على الادب العربي ادباء الاعاجم من افرنج وترك، فدلوا على فساد الذوق في طائفة كبيرة من اربابه لاستعمالهم «مجازات وكنايات واشارات لها معانٍ يقبح ذكرها، وتنفر النفس من تصورها.» فيشير الى مقال كتبه في الموضوع ناقد كمال الاديب التركي في اواخر القرن الماضي، وشاء ان يعتذر عن هذه المساوئ فالصقها «بالآداب لا بالاديات»

كأنه يريد ان يقول: يجب ان نلصقه بآداب الشاعر لا باديات اللغة. فنقول مثلاً: ان العيب في امرئ القيس وابي نواس وعبد الله بن حجاج: فهم

المسؤولون عن قبح قولهم وليس المسؤول عنه (الادبيات) العربية فهي بريئة من العيب وليست مسؤولة عن عيب غيرها.

قلنا: واذا كان هذا حكم اصحاب الذوق في مجازات واشارات استندت في اصلها الى معانٍ قبيحة، فما يكون حكمهم في تلك البذاءات الصريحة والاوصاف الشائنة وما اليها من اساليب المجون والاحماض التي لا يكاد يخلو منها كتاب عربي قديم حتى كأن الذين اغنوا آدابنا بآثارهم لم يلتفتوا فيها الى النساء المهذبات، ولا الى الناشئة في طور التثقيف.

الاسلوب اللاذع في الادب العربي

ولما كان الشيء بالشيء يُذكر، فاننا نشير الى مقال مفيد للاديب طاهر الطناحي في جزء الهلال الاخير (ايار ١٩٣٣، ص ٩٤٢-٩٤٧) قال فيه بين الاسلوب السوقي المستند الى الاقذاع في الذم والتصريح بالسباب الذي يأخذ به كثير من المتناظرين من قدماء ومحدثين، وما دعاه بالاسلوب اللاذع الذي ينال من الخصم عن طريق التهكم والهزء، على عفاف في اللفظ وترفع في التعبير. قال، بعد ان انتهى من تحديد الاسلوب الاول والتمثيل عليه، آخذاً بوصف الاسلوب الثاني (ص ٩٤٤):

ويمتاز هذا الاسلوب بعفة الالفاظ وتزاهتها عن السخف والابتذال، ويقوم فيه التلويح مقام التصريح، ويلعب صاحبه بفكر القارئ فينقله الى جانبه، ويجذبه الى شيعته — دون ان يحس بأنه يتعسف به، او يتحامل على خصمه — ويجعله يقتنع كل الاقتناع بأنه لا يدعو الى نفسه وانما يدعو لوجه الفن وللانصاف وحده بلا منافسة ولا ضغينة او حقد كمين، وهو في الوقت نفسه ينال من خصمه ابلغ منال.

نرى ذلك الاسلوب في غير اثر واحد من الآثار الادبية التي وقع فيها الخصام بين بعض الادباء السابقين. ومنه ما كتبه ابو سعيد محمد بن احمد العبيدي صاحب كتاب الابانة عن سرقات المتنبي في الرد على انصار هذا الشاعر الكبير. واني انقل اليك بعضاً من هذا الرد، وفيه صدق ما اقول عن هذا الاسلوب اللاذع الذي يجرح بلا سكين. قال ابو سعيد:

«ولست — يعلم الله — أجحد فضل المتنبي وجودة شعره وصفاء طبعه وحلاوة كلامه وعذوبة الفاظه ورشاقة نظمه، ولا انكر اهتداءه لاستكمال شروط الاخذ (!) اذا لحظ المعنى البديع لحظاً، واستيفاء حدود الحذف (!) اذا

سلخ فكساه من عنده لفظاً (!) ولا اشك في حسن معرفته بحفظ (!) التقسيم الذي يعلق بالقلب موقعه ، وايراد التجنيس الذي يملك النفس مسمعه ، و«الحاقه» في الاحكام ببعض من سبقه ، وغوصه في الفهم على ما يستصفى ماءه ورونقه (!) وسلامة كثير من اشعاره من الخطأ والخلل ، والزلل والدخل ، والنظام الفاحش الفاسد ، والكلام الجامد البارد ، والزحاف القبيح المستشنع ، واللحن الظاهر المستبشع (!) واشهد انه عن درجته غير نازل ولا واقع ، واعرف انه مليح (!) الشعر غير مدافع ، غير اني مع هذه الاوصاف الجميلة (!) لا ابرئه من بهرقة ... الى ان يقول : « ولا اطعن في دينه ونسبه ، ولا اذمه لاعتقاده ومذهبه . وكيف يسوغ ان اثلبه لالحاده (!) ، واعيبه لسقوط آبائه واجداده (!) وانا اتحقق ان اكثر من يستشهد باشعارهم المشركون ، والكفار المنافقون ... والادب يجعل الوضيع رفيعاً ... » ! !

فانظر كيف بلغ ابو سعيد من ذم المتنبي هذا المبلغ في غير فحش ولا إقذاع ولا استكراه من سباب كسباب السوقة وشتائم كشتائم السفلة ، فانزله عن مكانته واستطاع ان يتهمه بهذه التهم ويسند اليه من اوصاف النقص ما تتململ منه عظام المتنبي في قبره . ومع ذلك فلم يسمعك سباباً ساقطاً ولا قولاً مبتذلاً ، ولا الفاظاً مستكرهة كما تفعل السوقة من الناس.

وختم مشيراً الى ضرورة الاخذ بهذا الاسلوب المتأدب المطهر في عصرنا :

وانت اذا قارنت ذلك بما كتبه اديب من ادباء العصر في هذا المقام يرد على اديب آخر اتهمه بالسرقة من كتبه ، لوجدت بين الاسلوبين برزخاً شاسعاً . ولا نريد ان نعيد شيئاً مما نشر في هذا الصدد صوناً لنا من نقمة بعض الادباء ، وتنكباً عن طريق السخيمة والشحناء ، وانما نريد ان نقول انه لينقصنا في هذا العصر ان ندرس الاسلوب اللاذع ، وان ننقيه من ادرانه ، وان ننحو فيه ناحية تتفق وتقدم الحياة العقلية في نهضتنا الحديثة ، حتى يخلص هذا الاسلوب من السخف والشتائم السوقية التي تشوهه وتنزل به من اوج الفن الى درك اللغو من الكلام.

شذرات

اليوبيل الذهبي للمعهد الطبي الفرنسوي

مرّ خمسون سنة على انشاء المعهد الطبي الفرنسوي التابع لكلية القديس يوسف فاقامت ادارته حفلات شائقة من جملتها الحفلة الكبرى في ردهة الكلية التي قام في اثنائها رئيس الجمهورية فقلّد الاب شانتور رئيس المعهد ، ورئيس اليسوعيين العام في سورية ، وسام الاستحقاق اللبناني من الدرجة الاولى بعد ان قرأ المرسوم الصادر في هذا الشأن،وقد جاء فيه :

« تولى رئاسة كلية القديس يوسف فرئاسة الاباء اليسوعيين فرئاسة المعهد الطبي الافرنسي، فلبث سحابة اربع عشرة سنة منقطعاً بلا ملل ولا فتور الى تربية الناشئة اللبنانية في الصفوف الاعدادية والثانوية والعالية . مظهراً في هذا السبيل من سمو الفكر واستقامة المسلك والتجرد التام ما يعدّ فخراً لفرنسة ولفرهبانية اليسوعية،ومبرهناً على حزم راسخ لا يتزعزع في تكميل وسائل النجاح واسباب التجميل والتحسين لمعهد الطب ومستشفى اوتيل ديو دي فرنس . وبذلك واصل العمل الباهر الذي بدئ به في لبنان منذ مئة عام بعناية اخوانه اعضاء الرهبانية اليسوعية ولاسيما الاب كاتن الذي لا يزال ذكره حاضراً في جميع الاذهان . فاستحق شكر لبنان . »

وفي الحفلة نفسها قلّد نيافة القاصد الرسولي الدكتورين كلميت وكوتار ، وسام القديس غريغوريوس الكبير . ثم القيت بعض الخطب . وقام فريق من طلاب المعهد بتمثيل رواية غنائية وضعها اساتذتهم، فاتت دليلاً محسوساً على دقة الملاحظة وحسن الذوق . فنهنئ المعهد العزيز متمنين له مزيد الازدهار ، قائلين مع واضعي برنامج الاحتفال « الى الملتقى بعد مائة سنة ان شاء الله ! »

التذكارات القرنية اللبنانية

سبق لي ان نشرت ، بناء على اقتراح بعض الاصدقاء ، في عدد شهر آذار ١٩٣٣ الحالية من المشرق مقالة تحت العنوان المبيّن اعلاه ، كما كنت قد نشرت في مجلة المشرق ذاتها ، منذ السنة ١٩٣٠ ، مقالات تتعلق بتذكارات تاريخية قرنية ، ولم يتعرّض احد للانتقاد عليها . ففي سنة ١٩٣٠ تكلمت عن مرور

مائة سنة على فتح الجزائر ؛ وفي تشرين الثاني ١٩٣١ اسهبت في تاريخ تجديد الرهبانية اليسوعية في سورية ولبنان ؛ وفي صيف ١٩٣٢ كتبت مقالة عن التذكارات القرنية لتلك السنة ؛ واخيراً في آذار ١٩٣٣ حصرت البحث في التذكارات القرنية اللبنانية. وما كان اشدّ استغرابي لمّا ارسل لي احد الاصدقاء وانا طريح الفراش ، عدد مجلة المنارة الصادرة في جونية عن شهر نيسان من السنة الحاضرة وفيه ما فيه من الانتقاد والمغامز بما يتعلق بمقالتي السالفة الذكر.

لم استغرب الانتقاد لان لكل رأيه ، ولان العصمة لله وحده . ولكني استغربت طريقة الانتقاد ، وقد تجاوز صاحب تلك المقالة جميع قواعد آداب النقد المعروفة. فانه ، رعاه الله وهداه ، قد اغفل — خلافاً لهذه الآداب — ان يُرسل لي عدداً من مجلته لاطلع على انتقاده. ولكن كيف يُطلب منه المحافظة على قوانين هذه الآداب ، وهو لم يجسر ان يذيّل مقالته بامضائه الكريم ليعرف القرّاء مقدار مركزه من المعارف التاريخية ؟ فهو يتستر ليتمكن من رمي المنتقد عليه بسهام لومه بدون ان تعرف شخصيته . وعلى معرفة شخصيته تتوقف معرفة ما اذا كان يجب الالتفات الى انتقاده ام لا ؟ ويشبه هذا ما جرى بين المصوّر ابيل (Apelle) اليوناني الشهير ، والاسكافي.

اما وقد اراد حضرته ان يكون انتقاده مهلاً مثل اسمه فنحن لا نضيع وقتنا بالردّ على ما كتبه ، وهو احقّ من مقالتنا بان يدعى « غناء بالطاحون» . ولو الم حضرته بشيء من واجب النقد لما اتخذ في كتابته نغمة الاستاذ الذي لا يُراجع ، ولهجة المعلّم الذي لا يغلط ، ولاجتهد اولاً في اتباع اداب الجدال، وثانياً في اظهار ما هو غلط في مقالي.

ثم ما كنت افهم السبب الذي ينيله من الحق بالانتصار للهارونية او للدويهي، ما لا ينيلني اياه، وهذا ماضي اجدادي وكتاباتي الشخصية منذ ثلث قرن تشهد لي ؟

وما كنت افهم الموجب للكلام في موضوعنا الحاضر عن قداسة البطريرك الدويهي ؛ ومن الذي تعرّض لها ؟ وسواء أكان الدويهي اقدس بطاركتنا واعلمهم ام لا ، فماذا يفيد ذلك ؟ وهل تنفي قداسته الاغلاط التاريخية التي ارتكبها ؟ وهل في طلب اصلاح هذه الاغلاط ، واقتراح تأليف تاريخ مدقق

الطائفة انقاص من فضل الدويهي وخدماته للعلم والتاريخ ؟ الا يرى القرّاء الكرام ان امثال هذه المقالة الانتقادية هي « التي تجعل كتابة التاريخ في بلادنا مصابة بعقم اشبه بثبات (كذا) الموت » ؟

وانني اختم هذه الكلمة باحالة قرّاء المشرق الكرام ومنتقدنا المتستر الى الحواشي الواردة في ذيل الصفحات ٢٩٦ الى ٣٠٢ من كتاب « لباب البراهين الجليّة عن حقيقة امر الطائفة المارونية » للطيب الاثر المطران يوسف دريان النائب البطريركي في مصر وقد انتهى من « تحبيره في العشرين من شهر تشرين الاول ١٩١١، في كرسي ابرشية دمشق، بجبل لبنان » — والى كتاب سيادة دريان ايضاً الاخير المدون « نبذة تاريخية في اصل الطائفة المارونية واستقلالها في جبل لبنان من قديم الدهر حتى الآن » وهو مطبوع في المطبعة العلمية في بيروت ، وينتهي الكلام فيه الى رجوع البطريرك الحويك الى بكركي في ٧ كانون الثاني سنة ١٩٢٠ ، بعد الاستقبال الرسمي الذي اقامه له الجنرال غورو . وانني اخصّ بالذكر الحواشي الواردة فيه ، في ذيل الصفحات ٥٤ الى ٦١ ، فيرى فيها الاغلاط التي ارتكبها البطريرك الدويهي والتي لا تحصى ولا تتفق مطلقاً مع اي تاريخ من تواريخ العالم ، ولا يقبل بها العقل ، حتى اضطرّ الاديب الدمشقي حبيب الزيات الى تسميتها « باساطير الموارنة » . واكتفي باعادة الاسطر الستة الاخيرة من تلك الحاشية الطويلة لانها تنطبق غاية الانطباق على حالتي مع هذا المنتقد المتستر الكريم ، قال رحمه الله :

« هذا ونحن نعلم ان بعض الناس من الموارنة لا يتلقون هذا الرأي الجديد الا بالاستخفاف وينسبون قائله الى الجسارة والمطاولة على علمائهم الاعلام . ولكن الحقيقة لا تخشى لومة لائم وهي لا بدّ لها من ان تظهر بالاحتكاك . ومعاذ الله ان نقصد ما قد يتهموننا به وانما القصد كل القصد ان نمحّص تاريخنا من بعض الشوائب بقدر الامكان ونفتح باباً لبحث اهل النظر العالي فيه ، وكم ترك الاول للاخر . » (آه)

وفي الختام اتعزّى عن انتقاد حضرة الاستاذ المتستر بوجودي من رأي واحد مع فقيدي الدين والعلم الطيبي الاثر المطرانين يوسف دريان صاحب التأليفين المذكورين وبطرس شبلي الوارد ذكره في تلك الحواشي السابقة الذكر . رحمهما الله !

بيروت ، في ٨ ايار ١٩٣٣ سليم الدحداح

مطبوعات شرقية جديدة

Ignatius Errandonea s. j. : Epitome grammaticae graeco-biblicae. *in-8° de 116 pp. Rome, Université Grégorienne,* **1933.**

مختصر غراماطيق اللغة اليونانية في الكتاب المقدس

كان من طرق الاصلاح في معاهد الدروس اللاهوتية العليا ان ادخل في برنامج الموادّ درس اللغة اليونانية المستعملة في الكتاب المقدس . فكان من ثمّ على علماء هذا الفرع ان يؤلفوا الكتب التعليمية في ذلك . وهو ما دفع الاب ارّاندونيا ، الاستاذ في الجامعة الغريغورية في رومة ، الى وضع هـذا الكتاب وقد توفق الى جعله كاملاً تقريباً دون ان يتجـاوز بحجمه ما يمكن للطلاب ان يخصّوا به من الوقت مع ما عليهم حفظه من الدروس المختلفـة . فاستحق الثناء والتهنئة . على انه اشار في المقدّمة الى ان اللغة اليونانيـة في الكتاب المقدّس يشوبهـا كثير من التراكيب العبرية (وكان من الواجب ان يقول : السامية) . ولكنه لم يشر الى مواضع هذا التأثير العبراني في الكتاب . وهي ثلمة على المعلّم ان يسدّها بتعليمه الشفهي . ب.م.

John L. La Monte : Feudal Monarchy in the Latin Kingdom of Jerusalem 1100 to 1291. *1 vol. in 4° de XXVIII + 293 pp. Prix: dollars 4, 50. The Medieval Academy of America, Cambridge, Massachusett.*

الملكية الاقطاعية في مملكة اورشليم اللاتينية من سنة ١١٠٠ الى سنة ١٢٩١

كتاب جميل يظهر ، من حيث الطبع والتجليـد ، بمظهر غاية في البساطـة والاناقة معاً . وهو يؤلف المجلد الرابع من مجموعة «اكادمية القرون الوسطى» . وضعه استاذ شاب كان قد اختار موضوعاً لاطروحته درس الشرق الـلاتيني ، فقاده ذلك الى استخدام كل ما كان يمكنه من الدروس ، وما يصل اليه من المعلومات ، وما اطلع عليه اثناء رحلة الى الشرق ، في سبيل متابعة هذا الدرس . حتى قدّم لنا اليوم هذا البحث النفيس في «مملكة اورشليم اللاتينية» التي تظهر لطالب التاريخ مثالاً وحيداً من نوعه للملكية الاقطاعية . يبدو ذلك بانفصالها

عن التطور السياسي الجاري في اوربة اذ ذاك ، وبقصر حياتها ايضاً . وقد دقق المؤلف في درس موضوعه ، فعرض تطوّر نظام تلك الملكية في فصول وافرة الاطلاع والمستندات ، ثم انتقل الى وصف مظاهر الادارة ، خاتماً كتابه بدرس بعض العلاقات التي كانت بين ملوك اورشليم وبعض رجال السياسة في داخل مملكتهم . وهو يستند في اكثر ذلك الى الوثائق والسجلات العديدة التي حفظت كثيراً من مؤسسات النظام الاقطاعي ؛ ويستند ايضاً الى معلومات قليلة عثر عليها في اقوال مؤرخي العرب كابن جبير ، وأسامة ، وبهاء الدين ، ولا تفوته الاشارة الى ان هؤلاء لم يعرفوا شيئاً مهماً عن النظام الداخلي لمملكة الصليبيين . انما انحصرت اكثر معلوماتهم بالشؤون الخارجية ، وهي تخرج عن موضوع الكتاب الحالي .

ك . ب . هيوز

Honnorat (Michel) : Démonstration de la parenté des langues indo-européennes et sémitiques. 1 *vol. in 4° de* 398 *pp. Paris, Geuthner*, 1933.

اظهار القرابة بين اللغات الهندية - الاوربية واللغات السامية

اننا لنستغرب ان تطبع مكتبة گوتنر الاستشراقية المعروفة مثل هذا المجلد الكبير الحجم العديم القيمة حتى انه ليعدّ بين الآثار المولودة ميتةً . بل نحن نرى من الصعب معرفة ما اذا كان المؤلف — الذي لا يظهر على شيء مهمّ من الاتصال باللغات السامية — لم يشأ الهزء بغير المطلعين من القراء من الذين يسرعون الى انفاق ١٥ فرنكاً ثمن الكتاب . نقول هذا لا لان الموضوع تافه بحدّ ذاته حتى لا يستحق البحث العلمي ، بل لطريقة الخوض فيه ، وما قول القرّاء بامثال هذه المقابلة التي يقوم بها المؤلف بين اللفظة العبرانية «اتسيم»، ومعناها «العظم»، واللفظة الزندية « استن » ، والسنسكريتية « أستي » ، واليونانية « اوستيون » الى غير ذلك . وهو يعبّر في ذلك عن الصاد العبرية بالمقطع ts ، اما في ما خصّ اللفظة العربية « عظم » فيكتبها « كوزام » و«أوزام » !

على ان ما يؤسف له كل الاسف هو ان المجلد الثاني من هذا الكتاب المحتوي على اظهار القرابة بين اللغات الحامية والشومرية واللغات الآرية ـ السامية

قد اصبح قيد الطبع . والسلام !

F. A.-L. des Ecoles chrétiennes : Géographie du bassin du Nil. Egypte et Soudan Anglo-Egyptien. 1 *vol. in-8° de* 98 *pp. avec illustrations, dessins et cartes. Paris, Delagrave.*

جغرافية وادي النيل : مصر والسودان الانكليزي – المصري

هو كتاب ألف لفائدة طلاب البكالورية المصرية ، الا انه يفيد جميع من يهمهم الاطلاع على احوال مصر . يقسمه المؤلف خمسة اقسام خاصاً الاول بجغرافية مصر الطبيعية ، والثاني بمصر السياسية والاقتصادية . ويفرد للسودان القسم الرابع . ويخصّ الخامس ، وهو اوفر الاقسام ابتكاراً ، بالجغرافية التاريخية دارساً اسباب ما احاط بقارة افريقية من الغموض حتى انها لم تُكشف مجاهلها وتدرس مناطقها الا مؤخراً ، مشيراً الى اكتشاف ينابيع النيل ، وما قام به روّاد السودان وصحراء ليبية . ويختم بذكر التأثير الاقتصادي الناتج عن وجود البحر المتوسّط . ج . ل .

E. L. Guernier : L'Afrique, champ d'expansion de l'Europe. *in-8° de XIV + 284 p. 14 cartes et graphiques. Prix : 25 fs. Paris, Librairie Armand Colin.*

افريقية من حيث انها مجال لاتساع اوربة

لايخفى ان مناطق افريقية تكاد تكون بجملها تحت تأثير اوربة السياسي . وها ان الكاتب يرمي الى جعلها تحت تأثير اوربة الاقتصادي ايضاً ، غير مهمل الكلام عن واجب اوربة في تثقيف تلك الشعوب تثقيفاً اخلاقياً قبل ان تدخل عليهم مدنيتها المادّية ، مما يدلّ على الشعور المحمود بان للبشر ، حتى السودان منهم ، قيمةً ترفعهم عن مستوى الآلات والمكنات . والمؤلف يعتقد ان بمقدور افريقية قبول عدة ملايين من مهاجري اوربة ، وكذلك يمكنها ان ترفع مبلغ تجارتها العام من ٧٥ مليارًا الى ٤٠٠ مليار . على ان المطالع يسأل نفسه هل بمقدور اوربة ، وهي على نقص متواصل في عدد المواليد ، ان تقوم بمثل هذا الجهد ؟ وهل بمقدورها ان تصل الى الاتفاق الذي يرجوه المؤلف باخلاص وحماسة؟ هذا وفي الكتاب عدة خرائط ورسوم مفيدة ، كما ان فيه نظرات مبتكرة كفكرته في « الاضلاع الاقتصادية » التي يجب ان تكون موازية لخطوط

العرض الجغرافي ، فتسهّل على المزارعين انتاج المحصولات المتدرّجة من التي يتمّ بعضها البعض الآخر. ج.ل.

خبايا الزوايا من تاريخ صيدنايا

بقلم حبيب زيات

[هدايا المرأة : وثائق للكرسي الملكي الانطاكي : ٣] ٢٠٨ ص . متوسطة – مطبعة التدبس بولس في حريصا ، ١٩٣٢

لا ازال اذكر ما احدثه من التأثير الحسن ، لنحو خمس وثلاثين سنة ، بحث نشره المؤلف بعنوان « خزائن الكتب في دمشق وضواحيها » . فقد كان يظهر فيه فضل الناقد المطلع ، والباحث الدائب ، والرجل الجريء الذي لا يخاف قول الحقّ ، ولو ادّى الى معاكسة آراء اصدقائه واحكامهم السابقة . مرّت الايام والسنون ولم تزد هذه الصفات الا رسوخاً ونضجاً ، كما ظهر لقرّاء « المشرق » في هذه السنوات الاخيرة ، وهم يطالعون مقالات الاديب حبيب زيات.

وها هو يهدي الينا اليوم بحثاً نفيساً في مزار صيدنايا الشهير : جال فيه في تاريخ تلك المنطقة وكنائسها ، واديارها ، واساقفتها ، وتأثير اللغة السريانية فيها حتى منتصف القرن السابع عشر. قام بذلك بعد ان اطلع اطلاعاً واسعاً ، آخذاً بالنقد الدقيق والجهد الدائم ، على جميع ما ذُكر عن صيدنايا في الكتب المطبوعة. وكان من فضله ان قرن بذلك درس المخطوطات المتعلقة بالموضوع في المكاتب العامة والخاصة في الشرق واوربة كباريس ورومة وغيرهما ، فاستفاد منها ما لم يسبق لاحد ان اطلع عليه ، ونشر في كتابه بالرسم الزنكوغرافي كثيراً من تلك الوثائق.

وقد طلب اليّ ان انبهه على ما قد يكون سها عنه في هذا البحث الذي اعتقد انه الكلمة النهائية في الموضوع حتى ليصعب ان يُضاف اليه شيء. واني، نزولاً عند رغبته ، اشير الى انه قد ذكر في الصفحة ٢٩٥ اربعة مؤلفات عربية كأنها مطبوعة في ليون (فرنسة) ، والصحيح انها مطبوعة في ليدن (هولاندة) . وقد يكون جرّ المؤلف الى هذا الخطأ الاسم اللاتيني Lugdunum الذي كان يطلق على المدينتين. ه.ل.

الامراض المُعدية في الاقطار العربيَّة

بقلم الدكتور حبيب صادر

٢٩٦ ص متوسطة – مطبعة صادر بيروت، ١٩٣٣ – الثمن ٧٥ غ. س.

ذلك عنوان كتاب جديد لكنه ذو شأن عظيم للناطقين بالعربية بل للغة العرب ؛ ألفه الحكيم حبيب صادر ، غيرةً منه نبيلةً على بني أمّتهِ.

أجل انه لذو شأن عظيم لانه يبحث في أذيع آفات البشرية وأضرّها بحثاً وافياً عملياً . وقيمته تكبر باعتبار ما يصبو اليه المؤلف من نشر المناعة والوقاية فالسلامة.. فله منا شكرٌ خاصٌ لنزوله ميدان الصحة ؛ وقد طالما نادينا له الفرسان واعلنّا الجهاد.

واي بلاد احقُّ بمثل هذه المباحث من هذه الاقطار ، وكلها وقعت في اقاليم حارّة : والحرارة أهم الشروط لنمو الجراثيم وتوالُد الحشرات التي تنقل العدوى ، علاوةً على ما ثمّة من اهمال الافراد وتقصير الحكومات. ولذلك طالما فتكت بنا الاوبا..

وقد زدتُ انه تأليفٌ ذو شأن للسان العرب ، لان الزميل نقّب وفتّش ودقق وبحث من الموت او النسيان ألفاظاً طبّيّة او ملائمةً للطبّ ، صميمة في العروبة ، في مقام ألفاظ ركيكة او أعجمية . وقد كنا نقول ، كفونوغراف يردّد تعبير الافرنج وبالاحرى الطليان : دفتريا ودوسنطاريا لمرضين عرفهما العرب ووضعوا لهما اسماً صحيحاً صريحاً : خناق ، وزحار .

اما الحكيم صادر ، فكما قال له الاخوان في جلسة حديثة لجمعية الاطباء، قد بلغت به زيادة الغيرة الى الغلو . وهذا شيء مألوف في كثيري الغيرة ، فاستنبط لادنى شاردة او واردة كزغب ميكروب ما لفظةً لا تجدها الا في احدى زوايا المطوّلات ، وهي احياناً تُطبّق اكثر ما تنطبق على الواقع.

ولماذا يُحظّر في عصر البخار والكهرباء ، استعمال لفظة : ميكروب ومتر او تيفوس او فعل : تلفن وقد اجازوا في عصر متقدّم : فلسفة وموسيقى، بل قميص وبستان ، ومنها ما أجمع عليه العالم كله في شتى اللغات.

واذ نحن في هذا الصدد ألا يحقّ لي العتب على « الحبيب » بوضعه في اعلى الصفحة الاولى من كتابه لفظة: « الدكتور » حبيب صادر مع ان كلمة «حكيم» انيسة لطيفة شائعة حكيمة ! وهو الذي يغار على اللغة العربية الا يثق ان العلة الفاتكة بهذه اللغة انما هي وفرة مترادفاتها وقواعدها وشواذّها وتقيّدها بالرثّ، فيطلب منا نبذ لفظة: حبّة (*pilule*) على صحتها وفصاحتها لاستعمال: الخثرة.

رفقاً بنا يا اخي فما كلنا حبيب صادر ولا اليازجي ولا البستاني. فكثيرون لهم عذرهم اذا قالوا حمّى مستمرّة او ثابتة حيث قلتَ حمّى « مردم » . ونحن قد كتبنا يوماً في « المشرق » في تفضيل الالفاظ اللطيفة المألوفة كالشهر « الماضي » على الغليظ الخشن : الدابر والمنصرم ومصدرهما . . . ان الاحاطة باللغة العربية لأمر مستحيل الا على النوابغ وبشرط ان يتركوا الطموح الى غير لغات والى العلوم العصرية ، مفخرة الانسانية .

وللاخ في كتابه ميلٌ الى الاطلاق والتعميم : والشاذ كثير في الكثير من الامور . خذ لك العبارة الاولى من المقدّمة : « ان الامراض واسبابها وطرق وقايتها تختلف مع اختلاف الاقطار » . وليت وجدنا لفظة « قد » مقحمةً قبل «تختلف» ، ولا علم لنا ان الكوليرا او الملاريا الخ. تختلف طريقة انتقالها سوى بالماء او البعوض ، اكنا في الهند او باريس ام العراق او جوار رومة .

وقد ورد عن السال الديكيّ : « لا » يصيب « الا » الاولاد « فقط » مع ان كثيرين ممّن لم يُصابوا في صغرهم يصابون في الكبر . وفي جلسة ٢٥ نيسان من هذا العام روى في الاكادمي الباريسية الاستاذ الشهير هايم (حايم) انه اصيب وهو بالسنّ الخامسة والثمانين بهذا الداء لانه ، وهو من زمن أُحيل على التقاعد بعيد عن جوّ مُعدٍ ، أقام هنيهةً مع مصابٍ بهذه العلّة .

وسطّر الاخ في الانذار لما هو من داء البرداء : « ان البرداء مرض « خفيف » الوطأة يُحدث اصابات كثيرة ووفيات « قليلة » واذا تداوى المريض يشفى تماماً » . شاء الله ان يجعل الحال والواقع كما شخّصها زميلنا ! ! اما المثبت فان البرداء ، امس واليوم ، آفة البشرية الكبرى. والاحصاءات تفيد انها تصب ٢٠ مليوناً في السنة وتُميت نحو ٥٠٠ الف نسمة ، ما عدا ما تتطلبه من ايام

تعطيل الاشغال. وهذا حتى بعد اكتشاف اثمن العلاجات: الكينا. الملاريا قتلت من جنود المستعمرات اكثر من رصاص الاعداء؛ صرعت جيش الجنرال سرايل على ابواب الاستانة؛ قرضت قبائل وشعوباً. وفي ديارنا قد وصمت نهراً باسم «الموت» وعيناً باسم «افرش له» وبلدة باسم «زوق الخراب» وأخرى «بالقبّارية». وقائمة أذاها وقتلها استغرقت الصفحات في كتاب «علم الصحة». أهي الخفيفة الوطأة؟ وهي تسمُّ الجسم سمّاً في حوادث كثيرة وتتعدد فيها النكسات الى سنين عديدة او للموت، بدليل العبارة اللاتينية لمن يريد لغيره اثقل البلى واطوله او يدعو عليه بالزمانة: «فلتصبك حمى الربع» (نسميها المثلّثة). وهنا يقال: «جاب له الضيق من عنيق» ومنها كثير ما يعصو الكينا عينها

وجاء في صفحة ٥٠ «ان الانذار في الباراتيفوئيد يدلُّ دائماً على الشفاء وزوال الخطر.» لكن من زاول المهنة طويلاً او سمع خطاب استاذنا آثار الشهير في بيروت يعلم ان نوعي الباراتيفيَّة شديدا الهول ايضاً وقد يكون معدَّل الوفيات فيها كما في التيفيَّة الاصليَّة او اكثر. (والدقة اللغوية التي يرغب فيها زميلي صادر تقضي بالقول: شكل تيفي وحمى تيفيَّة لاتيفوئيدية لان «الإيد» اليونانية تفيد هنا ما تفيده النسبة).

ان ما تقدَّم من الملاحظات تقضي به واجب الصراحة والاخلاص؛ والصراحة والاخلاص يقضيان بالثناء الجسيم على اجتهاد صاحب هذا التأليف الثمين؛ واما خدمة الفن واللغة والمصلحة الخاصة والعامة فتقضي على الحكومات والمدارس الطبيَّة الشرقيَّة، وعلى كل من استطاع، باقتناء هذا الكتاب لما فيه من وقاية وسلامة من شرّ بليَّة للبشرية!

امين الجميّل

بولس وفرجيني

١٧٥ ص متوسطة — مكتبة صادر، بيروت — الثمن: ٨ فرنكات

هي رواية مشهورة للكاتب الفرنسوي برناردن دي سن پيير، كان قد نقلها الى العربية ببعض تصرّف المرحوم مصطفى لطفي المنفلوطي. وقد عرّبها مؤخرًا الاستاذ الياس ابي شبكه، ونشرتها مكتبة صادر، فاتت حلقة جديدة من سلسلة الروايات التي اخذت المكتبة المذكورة بنشرها هذه السنة.

اهم حوادث الشرق في شهر

١٥ نيسان — ١٥ ايار ١٩٣٣

لبنان وسورية — حصل في سورية ازمة وزارية اسفرت عن بقاء حقي بك الظم رئيساً ووزيراً للداخلية، وتعيين الاستاذ سليمان الجوخدار للعدلية، وشاكر نعمة بك الشعباني للمالية، وسليم بك جنبرت للمعارف والاشغال العامة، ويحيى بك الاطاهلي للزراعة والتجارة.

* احتفل في حلب (٣٠ نيسان) بعقد المؤتمر الكاثوليكي الاول في هذه البلاد.

* اقيم في بكركي، لتقليد البطريرك الماروني درع التثبيت، مهرجان حافل اشتركت فيه السلطتان.

* انتخب السيد انطون العبد مطراناً على موارنة طرابلس.

* بدأت المواصلات التليفونية بين مصر ولبنان وسورية.

فلسطين — زار اللورد اللنبي القدس الشريف.

* افتتحت المواصلات بالتلفون اللاسلكي بين فلسطين واوستراليا.

* سافر المندوب السامي الى لندرة.

* لا يزال مهاجرو اليهود يصلون بكثرة من المانية خاصةً.

* تشتدّ الحاجة الى الماء في اكثر انحاء فلسطين.

مصر — سافر رئيس الوزارة الى اوربة.

العراق — تم انشاء خط تلفون بين بغداد وعمّان. وهناك خط بين عمّان والقاهرة. وبين بغداد والقاهرة باللاسلكي.

المطبعة الكاثوليكية المدير المسؤول : يوسف ماهر

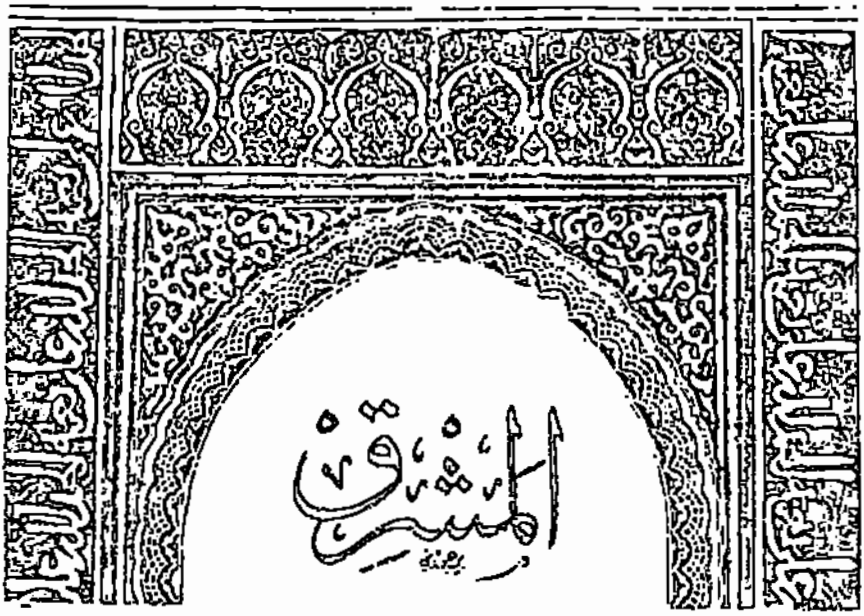

السنة الحادية والثلاثون — تموز ١٩٣٣

الحياة في بيروت قبل الاسلام *

بقلم الاب لامنس اليسوعي

١

انه لعمل صعب دقيق ان يفيض الانسان في مدح الاشخاص الاحياء. فان « الجمال ، كما يقول الكتاب المقدس ، يذوي كزهر الحقول. » وليس اقل من ذلك صعوبة وجرأة ان يقوم بالثناء على المعاصرين . ولهذا ينصح لنا الكتاب الكريم بان ننتظر ريثما تكون الابدية قد خلّدت اولئك الاشخاص . والحال ان بيروت ، موضوع بحثي اليوم ، كائن حيّ دائم حتى ان الجغرافي الكبير الذي ركلو لم يتردّد في ان يمنحها شهادة الدوام غير المنقطع فقال ان بيروت من المدن التي يجب ان تعيش ، وانها لتعيش مهما تقلّبت الاحوال. على انني تجنّباً للاتهام بالتزلّف ، وتبعاً لنصائح الكتاب الكريم ، ساحصر

* محاضرة القيت في كلية القديس يوسف

كلامي في العصور الماضية . واذاً فستكون بيروت التي سأجتهد في اطلاعكم على شيء من مظاهرها ، تلك المدينة القديمة الناعة آثارها تحت ارضنا هذه . واني ارغب اليكم في ان تقطعوا معي حاجز التاريخ الهجري الذي يفصلنا عن مدينتنا القديمة ، واذا بنا امام تلك الجدّة الجميلة المقاطع ، على شيخوختها ، الجذابة القسمات ، وقد زانتها التزاويق الرومانية والبيزنطية . قفزة واحدة تردّنا اكثر من ثلاثة عشر قرناً الى الوراء ، واذا بنا في « بيروت السعيدة مستعمرة جوليا اغوسطا » ، في بيروت يوستنيانوس ، في بيروت الشهيرة بمدرستها الحقوقية الحافلة بالاساتذة الذين دعوا من « معلّمي المسكونة » والذين اعدّوا مجموعة الحقّ الروماني .

***

ولا يؤخذنّ من كلامي اني خصصت هذه الحقبة بالذكر ، لعدم وجود الشواهد على محاسن بيروت العثمانية . فان احد زملائي بالرهبنة من اهل القرن السابع عشر ، وهو الاب بسّون (P. Besson) ، يؤكد في كتاب عجيب خصّه « بسورية المقدّسة » ان تجار الفرنجة في سورية ، على عهده ، كانوا يدعون بيروت « باريس الموارنة الصغيرة » . ولكن باريس هذه ظلّت صغيرة ، فلم تتقدم قيد شعرة على مدة قرنين كاملين . يظهر هذا من تلك الصورة التي رسمها لبيروت الرحالة بوجولا سنة ١٨٣١ فقال : « قبب ومنافذ سرّية ، ومجازات مظلمة ، واسواق ضيّقة ذات تعاريج . كل منزل فيها يكوّن شبه حبس مظلم لا يوصل اليه ، ولاسيما في الحيّ الاسلامي . »[1] ولا شكّ ان من ترتقي تذكاراتهم الى ما وراء اربعين سنة من سكان بيروت الحالية يعرفون في هذه الصورة بعض الخطوط الحقيقية للمدينة القديمة . ولم تمرّ سنة على وصف بوجولا حتى وصل لامرتين الى بيروت ، سنة ١٨٣٢ ، فأخذ منذ يومه الاول ، لا بالمدينة بحصر المعنى ، بل بما سنحدّده قريباً بمحاسن فنيقية . وهو يؤكد ان الرومانيين ألهموا حقاً اذ دعوا بيروت بالسعيدة (Felix) . ويزيد ان بيروت استحقت ذاك اللقب

١) *Correspondance d'Orient*, VII, 70

« لمناخها الذي لا يقابله مناخ ، ولمركزها الفائق الجلال . »

وقد قضى لامرتين بيننا عدة اشهر كأنه في حالة وجد دائم ، او في حلم نوراني لم يقطعه الا وفاة ابنته الوحيدة جوليا . وليحكم المطالع على هذه الحالة بقراءة المقطع التالي المأخوذ من « رحلته الى الشرق » : « ذهبت ، هذا الصباح ، هائماً على القمة التي يدعوها الروم مار ديمتري . . . وكنت في صغري كثيراً ما اتخيّل هذا الفردوس الارضي ، عدن هذه التي لا تزال في تذكارات الامم كلها كأنها حلم جميل ، او تقليد راقٍ الى زمن اتمّ وحالة اوفر كمالاً ، وقد تبعتُ ملتون في اوصافه الخلّابة لهذا المكان السحري الذي اقام فيه ابوانا الاولان . ولكن هنا ، كما في كثير من الامور ، ارى انّ الطبيعة تفوق المخيّلة بما لا يُقاس . ولم يعطِ الله الانسان ان يحلم بكل ما صنعه من الجمال . لقد حلمت بجنة عدن ؛ اما الآن فيمكنني القول انني رأيتها . »

هذا ولا اخال احداً منكم يجهل الحادثة المرويّة في سفر استير . وكيف ان الملك احشورش ، بعد ان خلّصه مردخاي من الموت ، سأل رجال بلاطه عن الجائزة التي اعطوها المخلّص . فكان الجواب انهم لم يعطوه شيئاً . ولولا الحفلات التي اقيمت مؤخراً تذكاراً للامرتين ، لكان جوابنا يقرب من جواب احشورش . ومهما قمنا بشكر لامرتين ظلّ ذلك قليلاً بالنسبة الى الاعلان المجاني المجرّد الذي عرّفنا به الى قرّاء تآليفه وهم كثيرون . لقد قامت بلديتنا في ما مضى بتسمية شارع باسم « شارع الشعر » ، وهو « شارع هوتلن » الحالي على ان الشعر يدعو اسم شاعر خاصّ . فلماذا فُضّل ڤيكتور هوغو على لامرتين فخصّ به احد شوارع بيروت ، وليس في تآليفه الضخمة ذكر واحد لمدينتنا ، بينما نرى لامرتين لا يبدع في وصف بيروت فحسب بل يجعل في مدينتنا الفردوس الارضي .

وهاكم ، بعد ذكر الشاعر ، ذكر كاتب وصّاف مرّ في بيروت ، سنة ١٨٥٠ ، مرافقاً فلوبير ، مؤلف سالامبو . وهو ايضاً قد تأثر بجاذبية بيروت . واليكم ما يقول عنها : « ان كونكا دورو لحسنة في بالرمة ، وان خليج نابولي لجميل ؛ اما بيروت فلا مثيل لها . لا المدينة نفسها ، وهي فقيرة لا عظمة فيها ، بل

البرّية التي تحيقها ، غابة الصنوبر ، الطرقات التي تحيط بها اغراس الصبّار ، والآس ، والرمّان حيث تتراكض (كذا) انواع الحرباء[1] ، بل مشهد البحر المتوسّط ، ومنظر قمم لبنان الشجراء وقد رسمت على اديم السماء خطوطها الدقيقة الواضحة . هي عزلة نافعة ورياضة روحية لمن رغبوا في التأملات ، او خدعتهم الآمال ، او جرحهم الوجود . يظهر لي ان الناس يمكنهم هناك ان يعيشوا سعداء اذا ما اكتفوا بالنظر الى الجبال والى البحر . وكم من مرّة ، في ساعاتي المؤلمة ، حلمت بدافع يحملني على ان التجئ الى هنا فادخل تلك الطمأنينة التي توليها مشاهدة الطبيعة . » على ان ما يفسد ، وان قليلاً ، هذا الوصف اللذيذ ، هو تلك النبرة الضجرة القانطة التي يزيدها الكاتب الباريسي فيقول : « اظن اني لو اقمت هاهنا لكنت اموت ضجراً ، اقول هذا اذ أرى السرعة التي تدفع التجار الاوربيين الى اختطاف الرسائل القليلة الواصلة بالبريد . »

***

ولكن لنعد الى بيروت القديمة ، او بيريت ، مستفيدين من هذه الشواهد ان حسن بيروت الفائق الدائم يستند خصوصاً الى مركزها العجيب ، في وسط فنيقية ، على ساحل لبنان ، حيث يتحد الجمال الساحر بين السماء والبحر والجبال. وهو ما يُستفاد ايضاً من قول اميان مرسلان السوري ، آخر مؤرخي السلاتين المشاهير ، اذ يصف فنيقية فيقول عنها : « فنيقية ممتدة الى جبل لبنان ، وهي ارض ملأى بالبهجة والحسن . » هذا التضادّ العجيب في المشاهد الفنيقية اذ يتقابل البحر والجبل ، وهذا السكون الهادئ في الحقول الممزوج بضجة الحياة البحرية وصخبها ، هو ما وصفه نونوز (Nonnos) شاعر عصر الانحطاط البيزنطي الذي سوف اكثر الشواهد من شعره في ما بعد . وهو يقول : « في هذا المكان ينفخ راعي البقر في شبّابته على شاطئ البحر المرمل ، فيجتمع بالنوتي ؛ كما يجتمع راعي الماعز والصياد اذ يجرّ شبكته من بين المياه . يخطّ المحراث ثلمة ، فيصل بها

[1] وهو بريد صغار الوزغ لان الحرباء لا تركض

الى ملتقى المجاذيف التي تشق الامواج . وفي وسط غابة قرب البحر يجتمع الملاحون فيتحادثون مع الحطابين ، بينا يترافع هدير المياه ، وخوار الابقار ، وحفيف اوراق الشجر . مشهد الجبال والشجر ، والملاحة والغابة.»[1] وان هذا المشهد ليذكرنا بمشهد آخر اقرب الينا جداً من وصف نتوز ، وهو الوصف الذي يبتدئ به الاخوان تارو كتابهما في « طريق دمشق » ، واصفين سحر الجبال في فنيقية ، مستندين خاصة الى المقابلة والتضاد « بين البحر المتلألئ واوفر جبال العالم اخذاً وتأثيراً — هناك تتراكم الصخور الزرقاء او البنفسجية ، والغابات والبساتين — والثلج يكلل القمم مدة طويلة من السنة . اما الساحل فحيناً يستطيل قفراً من الرمال والحصى ، وحيناً يرتفع شرفة على البحر المتوسط ، وتارة يؤلف ، بين الجبال التي لا تبعد منه ، خلجاناً عميقة من المزروعات الخضراء ينبت فيها الزيتون والتوت والليمون والكرم وتتقدم حتى تجزر الموج بين القمح والشعير . . . »

جمال بيروت الفتان غير المنفصل عن ساحل فنيقية وجبال لبنان ! فما قولنا في احلام رجال السياسة من ذوي الاخيلة المشؤومة الذين ارادوا ان يفصلوا مما جمعه الله في هذه الوحدة الساحرة ؟ اين لي شعر نتوز إذ يستوحي آلهة لبنان في بدء نشيده الحادي والاربعين فيصف جمال بيروه ، الهة الماء الحاملة اسم بيريت ! ولكن الآلهة ابعد من ان تجيبنا ، فلنسأل العلماء والمؤرخين . قام احد علماء الالمان ، المدعو ستروخ ، منذ ثلاثة قرون فألف اطروحة لاتينية بعنوان بيريتوس (*Berytus*) خصها بوصف مدرسة الحقوق القديمة في مدينتنا . ولا تزال مكتبتنا الشرقية تحفظ نسخة من هذا الكتاب النادر الوجود . واذا اخذنا بقول صاحبه ، رأينا ان مؤسسي الجامعات لم يكونوا يضعون الحجر الاول الا بعد ان يقوموا ببحث دقيق عن جمال الموقع واخلاق السكان . ثم يؤكد ستروخ بكل رزانة ، في ما خص مدينة بيروت ، انه لم يكن بامكان الالهة تيميس ، التي عاونتها

---

١) نتوز : ملحمته في ديونيسوس النشيد ٤٠ : الايات ٢٤٠ . . .

ميزتها نفسها مع جمهور الالاهات والبهجات ، ان تختار مشهداً اجمل ولا مكاناً اوفق .

وكانت تلك الجامعة الفقهيـة التي أنشئت في العصر الرومـاني ان لم تنل بعناية الامبراطورية الرومانية . على ان الامبراطرة اظهروا عليها عطفاً خاصاً ، كما انهم عملوا دائماً على تعزيز بيريت في مختلف الاحوال . فكانت غاية سياستهم ان يحوّلوا المدينة الى مركز « روماني محض » ، كما يقول القديس غريغوريوس العجائبي . فانعم عليها الامبراطور اغسطوس بلقب « المستعمرة الرومـانية » ثم اعطاها « الحقّ الايطالي » ملحقاً ارضها بالارض الرومانية نفسهـا ، وهو شرف نادر جداً خارجاً عن منطقة ايطالية . وقد اقام فيها فرقتين من قدماء المحاربين . وما فتئ يعمل على تحسينها ، هو وخلفاؤه ، بانين فيها المراسح ، وميادين السباق ، والحمامـات ، والشوارع ذات الابواب والقناطر . وقـد زاد الملـك هيرودس وابناء اسرته في عدد هذه الآثار ، اذ رأوا انهم بهـذا الامر يفوزون برضى الامبراطور . ولا يسعنا هنا الّا ان نتساءل عمّا دفع رومة الى اظهار ما اظهرته من العطف على مدينة بيريت ؟

لقد خصّ الاستاذ بول كولينو بتاريخ المدرسة الفقهية في بيريت كتاباً يعتبر خاتمة الابحاث في الموضوع . وهو يرى ان سبب تأسيس هذه المـدرسة ، وهي اقدم المدارس الفقهية واوسعها شهرة ، يعود « الى اهمية بيريت السيـاسية من حيث كونها مفتاح الشرق ، والى اهمية مرفأها الاقتصادية . » على اني اتردّد هنا في اتباع رأي الاستاذ العالم . فلم تكن بيريت من جهة الاهمية السياسية ومن جهة كونها مفتاح الشرق خاصةً ، لتقابل بانطاكية العاصمة السورية البـديعة ، المدينة الثالثة في الامبراطورية جمعاء . ثم ان الـدور السياسي الـذي كان يمثّله مرفأ بيريت على عهد الرومانيين كان دوراً ثنوياً لا يوازي في شيء اهمية مرفأ صور حيث كان يقيم دائماً حاكم فينيقية . وهنا لا بدّ من القول ان قرب جبال لبنان التي تكوّن عنصراً قوياً من عناصر بيريت الفتانة ، لم يكن ليهيئ المدينة لتكون « مفتاح الشرق » او منفذاً للداخلية . وهو ما يظهر واضحاً لمن ينتبه للعقبات العديدة التي تقيمها سلسلتا لبنـان امام المواصلات بين ساحل بيروت

وداخلية البلاد . هذا ولست لانكر ما كان لبيريت من الاهمية النسبية في السياسة والاقتصاد ، على انني لا اعتقد ان هذه الاهمية تكوّن السبب الوحيد في اختيار الرومان لها مجالًا لما اقاموا فيها من المؤسسات . بل ارى ان الامبراطور اغسطوس نفسه أخذ بجمال الموقع وسحر المشاهد الفتانة . ومن الشواهد على ذلك لقب السعيدة (Felix) الذي الصقه بها . وان وجود الجوالي الرومانية ، وما كانت تتمتع به المدينة من الامتيازات عملت على زيادة ازدهارها حتى تحوّلت مدينتنا الى جزيرة لاتينية محضة في هذا البحر الطامي من اليونانية الشرقية . فكانت بيريت رومةً صغيرة حافلة بمدارس الفراماطيق اللاتيني والفصاحة اللاتينية ، مخرجةً ادباء كبارًا رفعوا مدة قرنين كاملين لواء الادب اللاتيني بعد عهد اغسطوس . ولم يلبث سكان هذه المدينة الرومانية المتمتعون بالحق الايطالي ، وهم حفدا. الفنيقيين المشهورين بحذقهم واخذهم بالامور العملية ، ان شعروا بضرورة الاضطلاع بالشريعة الرومانية . وهكذا ، على ما نرى ، نشأت في اواخر القرن الثاني جامعة الفقه الشهيرة ، فحملت اسم بيريت حتى اقصى اطراف الامبراطورية ، واضافت الى جمال فنيقية ولبنان جاذبية العلم الفقهي حتى كادت تحتكره نوعاً ما .

يشهد بذلك القديس غريغوريوس النزينزي اذ يدعو بيريت « المدينة الشهيرة في فنيقية اللطيفة ، مركز الشرائع الرومانية . » وفي العصر نفسه نرى ذكر بيريت في « *Expositio totius orbis* » موصوفة بانها « مدينة وافرة الرغد فيها تعلم الحق اساس الفقه الروماني » . وكذلك قول ليبانيوس الخطيب الانطاكي الذي يدعوها « مدينة فنيقية الفائقة الاناقة » و« الفائقة الجمال » و« الكلية الجمال » . وهكذا سُنّت الطريق لجميع من كتب عن بيريت بعد هؤلاء ، حتى اصبح من المقرّر التقليدي انه كلّما ذكر اسم بيريت أُردف بنعت مرادف للجمال او الحسن او الاناقة او الظرف او ما شاكل ذلك بصيغة المبالغة او التفضيل . قد تقولون ان هذا من تأثير الاسلوب البيزنطي في المبالغة . ونحن لا ننكر ذلك . ولكن نلاحظ انه ما من مدينة اخرى في الشرق الادنى نالت مثل هذه النعوت . ومن الضروري ان نلفت النظر لشهادة الخطيب ليبانيوس المتضلع

من الثقافة اليونانية . فانه بينا يذكر محاسن مدينتنا ، يحتجّ بقوّة على ما تقوم به من جذب الشبيبة الدارسة الى معاهدها ، حتى ان طلّاب انطاكية انفسهم كانوا يقصدونها ، فيحدثون الفراغ حول منبر الاستاذ الخطيب . فهو يقرّع اعضاء مجلس الشيوخ في انطاكية قائلًا : « كيف لا تشمئزّون اذ ترون ابناءكم يركبون البحر كل سنة الى مدينة بيريت ؟ لقد قُضي على البلاغة وعلى اللغة اليونانية . حتى لم يبقَ من جاذب اليوم الا لغة الايطاليين وعلم الشرائع . » ولا يخفى ما في هذه الحملة المخلصة من فوائد اذ تدلّنا على انه في اخريات القرن الرابع كان تعليم الحقوق ، في بيريت ، يلقى باللغة اللاتينية . وظلّت بيريت تتمتّع طويلًا بهذه الشهرة وبهذه النعوت ايضاً حتى اننا نرى اسمها في دستور الامبراطور يوستنيانوس مقروناً باعظم النعوت مبالغةً فهي « الفائقة الجمال » و« البديعة الحسن » وما شاكل « *pulcherrima* » — « *splendidissima* » « *pulcherrimum oppidum* » — « *civitas* » — يُضاف الى ما تقدّم تعابير وصفية من نحو « ام الشرائع » و« مغذية الفقه » وما الى ذلك مما نراه في وثائق الدولة وفي وثائق الكنيسة ايضاً . وهو ما يجعل جمال بيروت مذكوراً ذكر الحقائق الرسمية المقرّرة في منشورات الحكومة كقانون يوستنيانوس .

للترجع بالفكر قليلًا الى تلك الجامعة القديمة ، ولنشكر اساتذتها العظام الخالدين الذين دعوا بحقّ « معلّمي المسكونة » . فبفضلهم دخلت مدينتنا في تاريخ العالم ، وبفضلهم حازت اكليل المجد والجمال .

(له صلة)

الصحّةُ والطبُّ في الكتاب المقدّس

بقلم الحكيم امين الجميّل

نشر الحكيم الفاضل الشيخ امين الجميّل كتاباً قيّماً باللغة الفرنسوية درس فيه كل ما ورد في الكتاب المقدّس من آثار علمَي الصحة والطب ، فأتى فريداً من نوعه . وقد رغبنا الى المؤلّف الفاضل في ان يتحف قراء « المشرق » بملخّص كتابه فارسل الينا البحث التالي :

١

بيس

أفيد ولا ألذّ من التنقيب عن الآثار والمآثر على اختلاف انواعها : أقلميّةً كانت كاشعار هوميروس وخطب شيشرون ، او تركة افلاطون ونفثات هيبوقراط ، او ازميليّة كتمثال فنوس ميلو وسائر المنقوشات البديعة زينة المتاحف ، او متاعيّة من قلائد واسلحة وآنية . وكنا على يقين من ان رجالاً أنشأوا بعلبك والاهرام او التآليف ، مفاخر الشعراء والفلاسفة ، كان لهم اخوان وزملاء حوّلوا نبوغهم الى خير ما يصبو اليه الانسان : حفظ الصحة وشفاء المرض ؛ وان كنوزاً كهذه يجب التفتيش عنها ؛ وان هذا التفتيش احقُّ به واقدر عليه رجال المكان واللغة والعادات وظروف الاحوال . وكان ان توفّقنا الى وجود الآثار الطبّية الكثيرة في اللغة العربية ، وقد نُشر بعضه في « علم الصحة » ، ومؤتمرات مدرسة الطب الفرنسية ، وجمعية الاطباء ، والمجلّات حتى قبل الحرب . ومنه : معرفة البرداء بانواعها : حمّى القبّ والورد والربع ، بل مسّيها اي البرغش . والغربيون يعظّمون كثيراً ، والانكليز يفاخرون جداً بان رونالدروس اول من فضح سرّ ذيوع الملاريا اي بلدغ البعوض عام ١٨٩٨ مع ان الحارث بن كلدة المسيحي ، طبيب نبي الاسلام ، وغيره نادوا بذلك بنصوص لا مردّ عليها ؛ وابن القلانسي بتأريخه للشام سبق بمئات السنين الى وصف التزلنة الصدريّة الوافدة ؛ وشاعرنا الفريد المتنبي مثّل تماماً « حمّى الدّق » اي السلّ في قصيدته التي مطلعها :

ملومُكما يجلُّ عن الملام.

اذ بدأ يصفها ببعض ابيات اولها :

وزائرتي كأنَّ بها حياءً فليس تزورُ الا في الظلام

ولا غرابة ، او ما هو القائل :

كفى بجسمي نحولًا انني رجلٌ لولا مخاطبتي اياك لم ترَني.

وقد عثرنا على اقدم ذكر لمرض النوام فاذا هو لابن خلدون ، وعلى الشلل الهستريّ وشفائه بالتأثير في الفكر . فلم يكن بجيشوع في دار هارون الرشيد اقلَّ براعةً في التشخيص والمعالجة من شاركو في باريس ومستشفاه « السلپتريير ». وفي ميراثنا اللغويّ الفاظٌ دقيقة في المبنى والمعنى لما لم تزل نسمّيه بالعجمة : دفتيريا ودوسنطاريا وهما الخُناق والزُّحار . وهلم جرّا.

ذلك ما بلغ بنا سريعاً الى ذلك المصدر ذي القِدَم العظيم والجلال المهيب: الكتاب المقدّس . وهو قد كُتب في بلادنا وبلغاتنا وأقاليمنا وفي محيطٍ من عقليّتنا وعاداتنا واخلاقنا وامراضنا.

وبمراجعة الكتاب سفرًا سفرًا وآيةً آيةً ظهرتْ كنوزٌ ثمينة لما هو من علم الامراض وفنون الوقاية.

ومن الطبيعي انه لم يكن ندحةٌ لواضعي النصائح والشرائع،من موسى الى سليمان الحكيم الى بولس الرسول،من ان يُعنوا بالاحوال الجسدية ومنَ الانظمة الصحية بعد الدينيّة : والصحة اساس الكيان والعمران ، كما ان النفس السليمة في الجسم السليم ، والجسم السليم في النفس السليمة . ومخالفة النواميس الدينيّة كثيرًا ما تؤدي الى قتل النفس والجسد . وسنقسم هذا البحث الى شطرين . ففي الاول ننظر ما يهمّ الوقاية ،وفي الثاني ما يختصُّ بالامراض وهويّتها. ثم نعقبها ببعض ملاحظات لُغويّة.

١ً الصحة والوقاية في الكتاب المقدس

لا يتصفّح المُطالع الاسفار المقدّسة حتى تتجلّى له فورًا حكمةٌ أوّليّة هي: «الوقاية خيرٌ من المعالجة». توافرت الآيات الهيجينيّة وقلّت ، على تلك النسبة ، آي

الطبابة والتطبيب : « قبل المرض اتق » (يشوع بن سيراخ) « لا تركضوا الى الموت بضلال حياتكم ولا تجلبوا عليكم الهلاك باعمال يديكم ، اذ ليس الموت من صنع الله ولا هلاك الاحياء يسره » (سفر الحكمة).

العفاف والزواج

« فخلق الله الانسان على صورته . على صورة الله خلقه ذكراً وانثى . وباركهم الله وقال لهم انموا واكثروا واملأوا الارض ». « وقال الربُّ الاله لا يحسن ان يكون الانسان وحده فاصنع له عوناً بازائه.» (سفر التكوين) ان هناء المعيشة ومشاطرة عناء الحياة وإخماد الشهوات — بعد حفظ النسل ونموّه — وكل ذلك من ضروريات الكيان وسلامة العافية ، يقضي بالزواج حتماً . فلا يُستثنى الا اولئك الذين يطمحون عن طريق البتوليّة والعفاف وبطرق سامية الى مثالٍ سامٍ ، عنيتُ التبشير والعلم وخدمة الفقير او اليتيم. فهم « مَن خصى نفسه لله ». وقد نبّهنا فكر القارئ بهذا المكان الى حكمة العناية بأن جعلت عدد الذكور مساوياً في المواليد لعدد الاناث .

واما المخالفة ، اي الزنى ، فقد اوصلت البشرية ، كما يشاهد في جميع انحاء العالم ، الى علل معنويّة وأسقام نفسيّة وامراض شرّ الامراض واقتلها لمرتكبيه ولنسلهم نفسه . فالمستشفيات والمستوصفات والمآوي حتى ما هو منها خُصّ بالصبيان والمجانين والاشلاء تنادي بان الزُّهري والسيلان ، ولدَي الزنا ، في مقدّمة الامراض أذى وفتكاً .

ما أجمل اياماً عرفناها بلبنان ضَمنَ فيها العفافُ والزواج وبكوره وفرةَ البنين وألفةَ الاسرة وسلامةَ قومنا من علل تأتي من كل نوع وبكل نسيج وعضو . وان تقرأ احصاءات الاطباء ، تثق بآيات الكتاب : فما عدا تلك التي دوّنت غضب الله على أوثان وصادوم وعامورة ، فانا نقرأ : « اما اولاد الزناة فلا يبلغون أشدّهم وذرّية المضجع الاثيم تنقرض .» (سفر الحكمة) ؛ « فان الاشرار يُستأصلون ، اما الذين يرجون الرب فانهم يرثون الارض .» (المزامير) ؛ « المرأة الزانية مرّةٌ كالعلقم حادّةٌ كسيف ذي حدّين . »

ان يحفظ الناس الوصية : لا تزنِ يُحفظوا من اهوال لاعداد لها ، أشكالها

لا تُحصى : « فان انطلاق المُغوى في اثر الزانية انطلاقُ الثور الى الذبح . » (الامثال) أو « مثل عصفور الى الفخ » ؛ « فان الزانية حفرةٌ عميقة والغريبة بئرٌ ضيّقة » . « فمُ الاجنبيّة حفرةٌ عميقة فمن سخط عليه الربُّ يسقط فيها » .

ولما كان بالعفاف والزواج في عزّ الشباب الصيانة وقطع الاسباب كُتبَ : « مَن حازَ امرأةً فهي له رأس الغنى وعون بازائه وعمود يستريح اليه . » (ابن سيراخ) « فاحفظوا روحكم ، ولا تغدرْ بامرأة صباك . » (نبوّة ملاخي) أوَ ما هي الحكمة المجتمة آية رسول الامم للقرنثيين وبالاحرى لجميع الشبان في كل الازمان : « ان لم يتعفّفوا فليتزوّجوا فالتزوج خير من التحرّق . » ؟

والعفاف ، كناصع البياض ، تشوبه ادنى لطخة . لذلك وجبتْ أشدُّ الحيطة ، و « الكتاب » لم يبخل ببيانها فالمجال من حافة الحفرة الى قعرها خطوة واحدة قصيرة ، والسبيل كما رسمه الشاعر العصريّ انما هو :

نظرةٌ ، فابتسامةٌ ، فسلامٌ ، فكلام ، فموعد ، فلقاء .

« لا تتفرّس في جمال احدٍ ولا تجلس بين النساء ؛ اخجل من التفرّس بامرأة ذات بعل ومن مراودة جارتها وبقرب سريرها لا تقف . » (ابن سيراخ) ولذلك علّمنا الربُّ ان نطلب هكذا : « لا تُدخلنا التجربة » ؛ « وان من نظر الى امرأةٍ ليشتهيها فقد زنى في قلبه » و « ان شكّكتنا عيننا فلنقلعها او يدنا اليمنى او رجلنا فلنقطعها » . وقد اضاف الرسول مرارًا بالمعنى الآتي : « وقد كتبت اليكم في الرسالة الّا تخالطوا الزناة » رابطاً : « لا تضلّوا ، ان العِشر الرديئة تُفسد الاخلاق السليمة » .

السُكْر والشراهة

فطرة الانسان تهوي به ابدًا الى الشهوات والمعاصي . وما هذه الا السبيل الرحب الى علل نفسية وجسديّة عديدة قتّالة . وبين الشهوات والمآثم يميل أشد الى هاتين النقيصتين الترأمتين المصحوبتين عادة بشقيقات ورفيقات أخرى كالزنى . وما أكثر رُفقاء الشرّ !

واوّل السكر تأثيره في العقل بذلك الشعور الغرّار الخطير الجارّ معه وبه خروق الآداب وفساد الاخلاق . وهو أذى سجله سفر التكوين على ابينا نوح :

«وشرب نوح من الخمر فسكر وتكشّف داخل خبائه» ؛ ثم المؤدي حتماً الى إتلاف او هرم باكر في انسجة الجسم حتى النسل، بعد حلول البلاهة فيه وملكة السكر عينها.

والشراهة تولد الامتلاء والاحتقانات وتوافر الفضول من دهن واملاح وحوامض وسموم فينشأ عنها النقرس وداء الملوك والحصى والسمنة وداء السكر وزيادة الضغط (السائد وهمه الآن) وربما السرطان. وقد بيّنا انّ السرطان المعدي لم نعثر عليه الا في معشر الشرهين: «فان الشراهة قتلت اكثر من السيف»[1] (مثلٌ روماني)؛ ذلك ما خلا الاضرار المعنويّة في جهلة عملوا «من بطونهم آلهتهم». ولنسمعنّ الآن «الكتاب»: «وكلّم الربُّ هارون قائلاً: «لا تشرب خمرًا ولا مُسكرًا انت ولا بنوك عند دخولكم خباء المحضر («لتعلموا بني اسرائيل») لئلّا تهلكوا (سفر الاحبار). وبما ان الآفتين تعوّدتا ان تصطحبا فالكتاب يجمعها احياناً في الآية الواحدة: «لا تكن بين الشرّيبين للخمر والملتهمين للّحم» (سفر الامثال). «لِمَن الويل ولمن الشقاء ولمن المنازعات لمن الشكوى لمن الجراحات عن غير علّة[2] لمن إظلام العينين؟؟ — للذين يدمنون الخمر. للذين يدخلون ليذوقوا الممزوج (فكأنه يتكلّم عن خمّارات أيامنا). لا تنظر الى الخمر اذا احمرّت وأبدت في الكأس حبيبها؛ انها تسوغ مريئة؛ لكنها في الآخر تلسع كالحيّة وتبثّ سُمّها كالارقم. تنظر عيناك الغرائب وينطقُ قلبك بالفواحش؛ وتكون كمضطجع في قلب البحر او كنائم على رأس السارية، وتقول ضربوني ولم اتوجّع؛ رضّضوني ولم اشعر؛ متى استيقظ فاعود الى التماسها؟»! (سفر الامثال). ما أبلغ هذا التمثيل وما ادقه! «الخمر أهلكت كثيرين» (يشوع بن سيراخ). ولهذا الكاتب ايضاً سرد دقيق لاضرار عاديّة تعتري النّهمين كعسر هضم ومغص وما يكون عن ذلك من

---

١) الاحصاء أثبت لنا طول حياة وحسن صحة حبساء لبنان. وهم يأكلون وقمة واحدة في اليوم ولا يذوقون اللحوم بتّة.

٢) وبصرنا يمكننا ان نزيد: لمن تدهور السيّارات واصطدام القطرات واخطار المحرّكات وخراب المقاربات او المجازفات؟

انزعاج وازعاج لا يجهلها احد . . .

وهو كجميع الكتبة يميّز بين الشرب والسكر وبين الاعتدال والافراط ؛ يستحبُّ الاول بشرط ان لا يبلغ الثاني. ولا يعني بعد هذا الكلام ان اتساءل ما كانت تقوله الاسفار المقدّسة عن المسكرات الصرية المتوافرة فيها الكحول ؟

وبكل ما هو صحي اجدني ابدًا امام ذلك الذي راحَ ينادي اهل اثينا بالاله المجهول على عظمته ، وانا انادي به الصحّي العظيم المجهول ، سميتُ بولس الرسول : « واعمال الجسد واضحة وهي الزنى والعداوات والمحاسدات والقتل والسكر والقصوف » ؛ « وعنها اقول كما قد قلتُ ان الذين يصنعون مثل هذه لا يرثون ملكوت الله » والاختبار يُضيف لا يَرثون ولا يُورثون الصحة ؛ « خذ يا تيموتاوس قليلًا من الخمر لاجل معدتك الضعيفة . »

وليس ، على ظني ، من يستغرب هذا التشديد في التحذير والتحظير متى تأمل اضرار هاتين الرذيلتين وانها اصلٌ ، كما تقدّم ، للمعاصي العديدة : « بالخمر الدعارة وبالمسكر الجلبة ، كلُّ من لهج بها ليس بحكيم . » (الامثال) ، « الخمر والنساء تُضلّان العقلاء ، كثيرون هلكوا من الشره ، اما القنوع فيزداد حياةً » (يشوع بن سيراخ) ؛ « وحين أشبعتهم فسقوا والى بيت الزانية تبادروا . صاروا حُصُناً مُعلّفة هائمة ، كلٌّ يصهل على امرأة قريبه . » (ارميا النبي) « ولا تسكروا من الخمر الذي فيه الدعارة . » (بولس الرسول) ، « كونوا قنوعين ساهرين فانّ ابليس خصمكم كالاسد الزائر يجول ملتمساً من يبتلعه . » (القديس بطرس) .

اذن في النقيصتين شرٌّ ذاتي وشرٌّ استتبع ان استتبه شرًّا « نتيجياً » او مسبّباً . ولذلك عُدّتا من الخطايا الرئيسية او الاصلية ، كالغضب والكسل والحسد والزنى لما ينجم عنها من علل ثانويّة في نظر الدين والصحة على السواء .

وقد يدخل « الكتاب » دقائق الامور كأنه كتابٌ صحي بحتٌ فيحرّم لحم الخنزير لما قد يكون في هذا الحيوان أليف القذارة وربيبها من ديدان وجراثيم . ويُشير بالملح ويقرّظ التمليح صيانة للاطعمة من الفساد والحمّى المؤذيين فضلًا عن الانفة منها . وقد وُضع « الكتاب » في بلاد حارّة يسرع فيها

النتن وهكذا من مثل ذلك كثير.

اتّقاء الامراض المُعدية الوبائية

لإيقاف ذيوع الامراض السريعة الانتشار الشديدة الفتك قد سنّت الحكومات الحكيمة ، ولاسيما بعد اكتشافات پاستور وأعوانه ، انظمةً تنتصب سدًّا في وجه تلك الضربات . وهي حيطة قوامها : اعلام الحكومة جبرًا ؛ فصل المريض ؛ التطهير ؛ وقد جاءت بنتائج باهرة . وفي ذلك قد سبق «الكتاب» وسنّ نُظُم وقاية النفس او الجسد او الوقايتين معاً من خطر العدوى . أوما السلامتان تتقابلان وتتساندان كنصفي قنطرة ؟ : « والآن اكتب اليكم الا تخالطوهم اي ان كان احدًا ممّن يُسمّى أخاً زانياً او بخيلًا او عابد وثن او شتّاماً او سكّيرًا او خطّافاً فمثل هذا لا تؤاكلوه ... فارفعوا من بينكم الشرير . » وهاك الآن بعض نصوص شيخ المشترعين حتى لما هو من الصحة ، اي موسى ، فكأنك تقرأ فصلًا من فصول علم الصحة في ايامنا . ولنأخذن مثلًا داء البرص أشيع أوباء ذلك الزمان وأبشعها (او القرعة او السيلان آفة الشبان) : « ومتى ظهرت في انسان اعراض الداء فالرجل ابرص وهو نجس فليحكم الكاهن[1] بنجاسته . والابرص الذي به البلوى تكون ثيابه مُفتّقة ويلتثم على شاربيه[2] وينادي : نجس ، نجس ، ما اقامت به البلوى يكون نجساً . انه نجس فليقم منفردًا وفي خارج المحلّة يكون مقامه . واذا حكم الكاهن بطهارته فيغسل ثيابه ويطهر . » اذن لم يذهل الشارع العظيم عن خطر الملابس الشديد . لذلك يكرّر او يزيد : « فليُحرق الثوب مما تكون فيه البلوى لانها برص مفسد يُحرَق بالنار » . فالنار افعل المطهّرات امس واليوم ؛ « وكل فراش يضجع عليه المصاب بالسيلان يكون نجساً وكل ما يجلس عليه » ؛ « ثم يغسل المتطهّر ثيابه ويحلق جميع شعره (الشعر كالملابس مُستقرّ للميكروبات) ويغتسل بالماء

١) لان الكاهن اوفر علماً واكثر مهابة لتنفيذ الحكم . وهكذا كان الى امس في بلاد لما هو من الشرع والقضاء والانتظام او فضّ المشاكل .

٢) سائلات الانف بيئة الجراثيم تتطاير منها حين السعال والعطاس ؛ ونحن الآن نعمل في مثل هذه الظروف الكمامة .

فيطهر.» ؛ وبعد ان يقيم في المحلة «ولكن خارج خيمته ، سبعة ايام ، يعود الى حلق جميع شعره ويغسل ثيابه ويرحضونه بالماء فيطهر.» ؛ «واذا لمس من به السيلان اناء خزف فليُكسر او اناء خشب فليُغسل بالماء . » وهكذا موسى وزملاؤه كتبة الاسفار قد رسموا في امكنة عديدة: أن مَن وما مسَّ الموبوء او الميت نَجِس ، تفادياً لما يعلق بالملامس والملابس من الجراثيم المرضية. وقد لا يُصاب هذا الاخير لكنه قد ينقل ميكروب العلة لمن يخالطه. (نقلة الجراثيم). وقد ورد نصوص لتطهير الجدران ولو بالنار.

ولما عُرف من ان بالاعادة افادة والقوم «غليظو الرقاب» ، عاد موسى في سفر العدد الى نواهيه: «مُرْ بني اسرائيل بان ينفوا من المحلّة كل ابرص وكل من به سيلان وكل منجَّس بميت» وأيّد هذا التحريم حزقيال وغيره.

وظلّت الاحتياطات عينها معمولاً بها وبصرامتها الى ايام المسيح والقرون الوسطى كما يتّضح من وثائق عديدة منها للانجيلي لوقا : «وعند دخوله الى قرية استقبله «عشرة»[1] رجال برص وقفوا — من بعيد — ورفعوا اصواتهم قائلين: يا يسوع المعلم ارحمنا .»

واذا استثنينا بعض الادوية المُطهّرة المستخدمة الآن لقتل الجراثيم او التخلّص منها (الكبريت ، الفورمول الخ) فنجد ان اركان الوقاية هي اليوم ما كانت في أقدم الازمان . وإثباتاً ، نقدّم الآيات الآتية ونقتصر عليها «وليحجز الكاهنُ المُبتلى بالقرَع سبعة ايام» ،على ان يُجدَّد الحجز قياساً الى ان يبرأ. وان من مسّه يُعدُّ نجساً أقلّه حتى المغيب «وكل شيء يمكن ان يدخل النار تجيزونه في النار فيطهر ، غير انه يتطهّر بماء النضح . وكل ما لا يدخل النار تُجيزونه في الماء. » (سفر الاحبار) ؛ «وانضح عليكم ماء طاهراً فتطهرون من جميع نجاستكم.» (حزقيال النبي). واذ كان الاعتماد نظافةً وتطهيراً وقوام النظافة وأداتها كاء النقي «المعين» ، وهي الف وياء الصحة والوقاية . فانّا لا نستغرب عبارة الانجيل : «وكان يوحنا يعمّد في عين نون لكثرة الماء هناك».

(له صلة)

١) كأنهم اجتمعوا في «مبرصة» léproserie

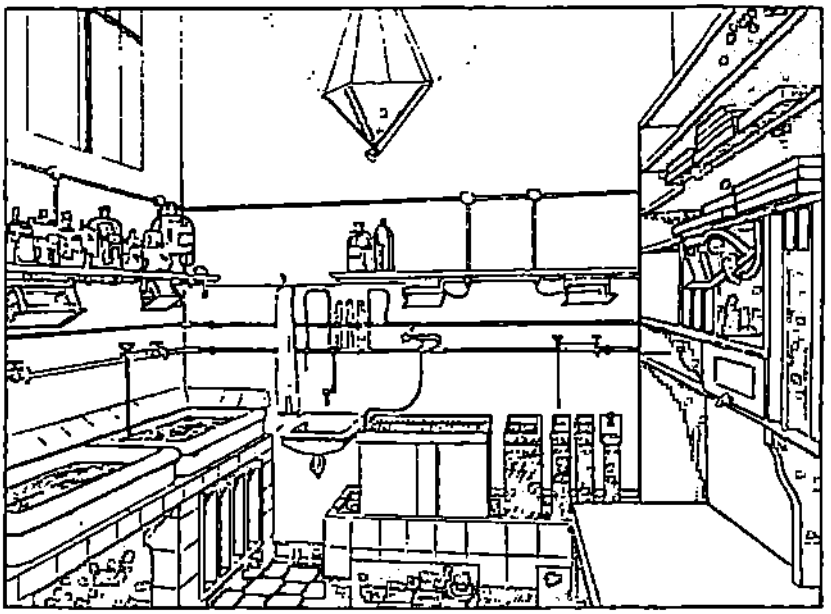

الرسم ٨ – غرفة « التظهير » ترى فيها الى الامام اوعية المخاليل

الرسم ٩ – اخذ صورة الضرس بالراديوگراف ترى الانبوبة من انشال
امّا الشريط الفوتوگراف الصغير اخجم فهو داخل الفم

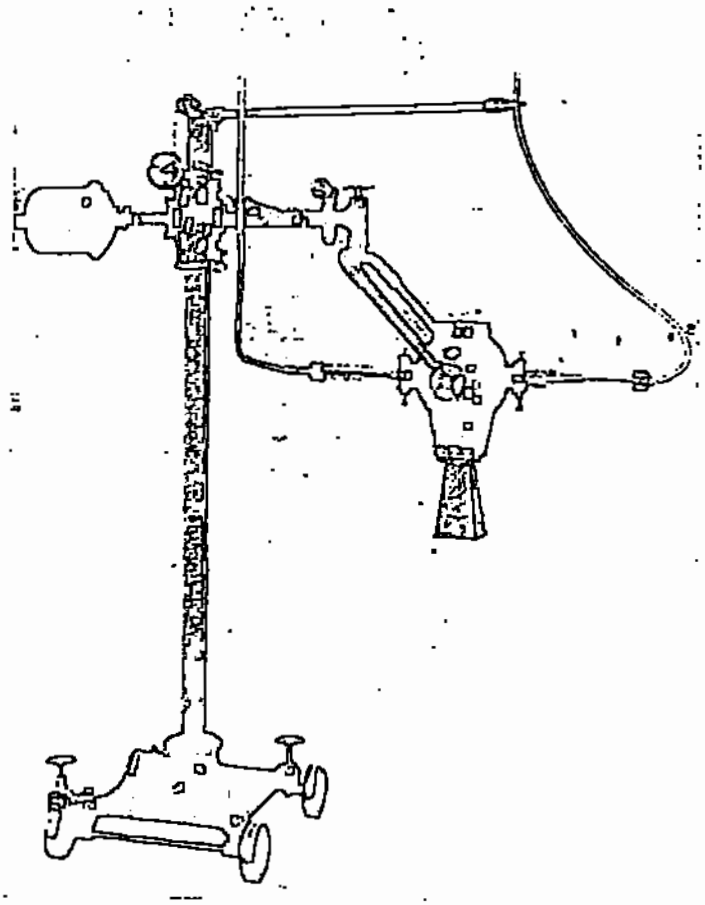

الرسم ١٠ – الانبوبة في الراديوتراپي مغطاة الوسط تتحرك فوق العمود
ومن شمالها المروحة الكهربائية لتبريدها

١ – الموجات اللاسلكية طولها ٢٠ كيلومترًا الى ٢٠ سنتيمترًا

٢ – موجات هرتز طولها ٢٠٠ مليمتر الى مائة ميكرون

٣ – الموجات التحت الحمراء طولها ٤٠٠ الى ٧/١٠ ميكرون

٤ – موجات النور ٧/١٠ الى ٤/١٠ الميكرون

٥ – الموجات التحت البنفسجية ٤٠٠ الى ١٥٠ الكترون

٦ – الموجات بين البنفسجية ورنتجن ١٥٠ الى ١٥ الكترون

٧ – موجات اشعة رنتجن ١٥ الى ١/١٠ الكترون

٨ – موجات اشعة الراديوم ٤,١٠ الى ٥/١٠٠٠ الكترون

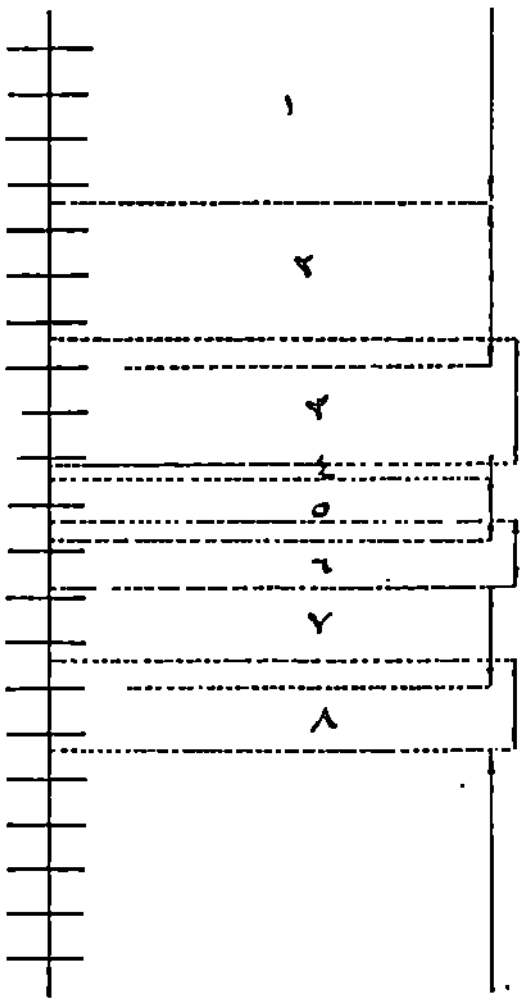

الرسم ١١ – سلسلة الموجات نسبة بعضها لبعض

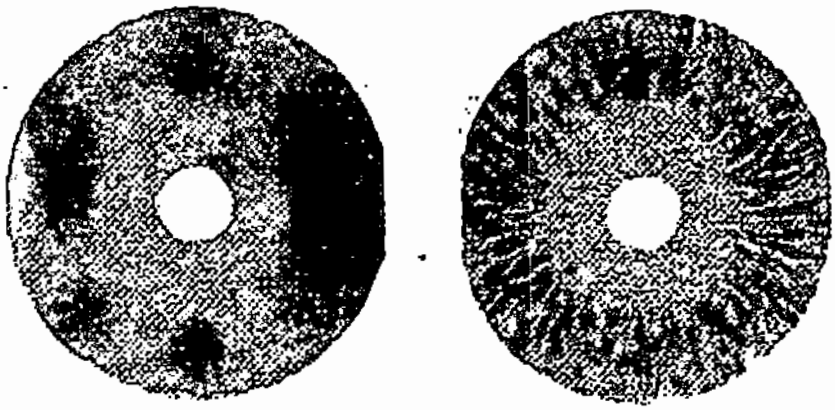

الرسم ١٢ – صورة الاشعة لصفيحة من الاليسينيوم قبل تحميتها (شمال) وبعد تحميتها (يمين)

الرسم ١٣ – صورة راديوگرافية للآلي الطبيعية بوسطها المسدس الشكل

الرسم ١٤ – صورة راديوگرافية للآلي المربأة بوسطها المربع الشكل

الاشعة المجهولة

بقلم انطوان باز
المهندس من المكتب الافرنسي في بيروت
ومن مدرسة الكهرباء العليا في باريس

٢

(تتمة)

الراديوكرافي

قلنا ان الراديوكرافي هي تصوير العضو المريض من جسم الانسان بواسطة الاشعة المجهولة . وكيفية ذلك ان يُجعل بينه وبين مصدر الاشعة لوحة ضمنها الشريط الفوتوكرافي او « الفيلم » فتنطبع الصورة بتأثير الاشعة الكيماري . ولا لزوم لفتح اللوحة ، اثناء عرض الشريط ، كما في التصوير العادي ، فهو يتأثر ضمن خشب اللوحة . لذلك يُستغنى عن عمل الظلمة ضمن الغرفة فيجري سحب الصورة في النور .

وللراديوكرافي قواعد دقيقة يجب حفظها مخافة ان تجيء الصورة قليلة الوضوح ، فلا يستفاد منها شيء .

يصوّر المريض بالاشعة اما واقفاً امام الطاولة كما في الرسم ٤ (راجع القسم الاول من المقالة ، عدد حزيران سنة ١٩٣٣) واما نائماً فوقها . فالطريقة الاولى ضرورية في تصوير الصدر وخصوصاً القلب لوجوب التلرديوكرافي ، اي ابعاد الانبوبة عن المريض بمتر ونيف مما يستحيل تحقيقه في الموقف الثاني . والطريقة الثانية يُعمد اليها في تصوير باقي الاعضاء من الجسم ، او فيما اذا كانت حالة المريض من الضعف لا تمكنه من الوقوف . وحسب ما تستعمل الطريقة الاولى او الثانية فتجعل اللوحة الحاوية للشريط امام المريض ، على شرط ان تكون لاصقة به لئلا تجيء الصورة خيالًا ، او تحت المريض . وفي كلا الحالين تصوّب الاشعة من الجهة المعاكسة للوحة .

ومن الواجب تعديل المسافة بين الشريط ومصدر الاشعة ، وقوة التوتر بين قطبي الانبوبة ، وقوة المجرى الداخل فيها ، والوقت اللازم لعرض الشريط على الاشعة . وكل ذلك تابعٌ للعضو المقصود وضخامته ، ونوع الشريط المستعمل . ثم لا يخفى ان في تصوير الاعضاء المتحركة كالقلب والرئتين يجب الاقلال من وقت العرض كي تؤخذ صورة العضو في لحظة واحدة فيبين في طور واحدٍ من حركته . ولمّا كان الشريط الفوتوگرافي لا يتأثر غالباً في لحظة، بالاشعة المجهولة ، فيزاد تأثيره بزيادة كمية المجرى وباستعمال شريط مخصوص يجعل مع الشريط الفوتوگرافي ضمن اللوحة ويُعرف بالـ *écran renforçateur* . وبهذه الطريقة توصّل الفن الى اخراج الصور الراديوگرافية كما في القلب بزمن لا يزيد على عشر واحد من الثانية .

وبين ان جسم الانسان ، عندما تخترقه الاشعة المجهولة ، يصبح بنفسه مصدرًا ثانوياً لاشعة رنتجن فيعطل في الشريط ويذهب بوضوح الصورة الى حدّ انه يستحيل بسببه تصوير الحصى في الكلوة او المرارة مثلاً . لذلك جدّ الباحثون فجاؤوا بآلة متحركة تعرف « بالشبكة » . (*grille antidiffusante ou Potter Bucky*) تجعل بين المريض والشريط الفوتوگرافي فتمنع وصول الاشعة الثانية الصادرة من جسم المريض الى الشريط . واتماماً للفائدة فقد جمعنا في الجدول الآتي بعض المقاييس للتصوير الراديوگرافي لآلة ذات سدة واحدة . ولا يحسب القارئ ان كمية المجرى تابعة لقوة الالة فقط بل لثخانة السلك الكهربائي الموصل اليه كهربائية شركة توزيع القوة ايضاً . فكم من مرة جاء ذلك السلك دقيقاً فلم يسمح باستعمال معظم قوة الآلة . ففي تلك الحال يفضل امّا تغيير السلك المذكور ، وامّا انقاص كمية المجرى والاستعاضة عنها بزيادة وقت العرض . . .

وبعد ما يُعرض الشريط على مفعول الاشعة يجب تظهيره كيماوياً ، وعملية التظهير دقيقةٌ طالما كانت السبب الاكبر في عدم نجاح الصورة .

فعلى الطبيب اولًا ان لا يفتح اللوحة الحاوية للشريط الّا في غرفة مظلمة ينيرها قنديل او قناديل كهربائية ضئيلة النور ، مستورة بزجاج مخصوص ملوّن .

فيصفي النور الابيض ولا يدع يخرج منه الا ما لا تأثير لـه في الشريط . ثم تفتح اللوحة ويُخرج الشريط منها بكل انتباه لئلا تلوثه الاصابع، ويُلقط بملقط من النيكل، اذ يُجعل في اطار معدني، ويدلّى في وعاء اول فيه المحلول الكيماوي « المظهّر » . والافضل ان يكون الوعاء عمودياً كما في الرسم ٨ فلا ترسب فوق الشريط الحبيبات الغريبة كما لو كان الوعاء سطحياً . ويبقى الشريط في المحلول المظهّر خمس دقائق على ان تكون حرارة المحلول ١٨ درجة سنتغراد . فاذا ارتفعت الحرارة فوق ذلك ، كما في الصيف ، وجب انزالها بواسطة التبريد . واذا نزلت تحت ذلك ، كما في الشتاء ، استحسن رفعها بواسطة التيار الكهربائي . وعند مرور الوقت المعين يُرفع الشريط ، ويغسل جيداً بالماء في وعاء ثانٍ ، ثم يُنقل الى وعاء ثالث مملوء من محلول هيبوسولفيت الصوديوم او « المثبّت » . ولا تقل مدة التثبيت عن العشر دقايق . . . ثم يخرج الشريط نهائياً ويُغسل بالماء مراراً . والاحسن ان يكون ماء الغسيل جارياً ليذهب بما يكون قد علق بالشريط من المحاليل الكيماوية واملاح مفاعيلها . وبعد ذلك ينشف الشريط بجعله في مكان يلعب به الهواء .

وقد اعتاد بعض الاطباء اخراج الشريط مراراً اثناء تظهيره لرؤية الصورة . وهذا خطأ لانهم يعرّضون بذلك الشريط الى النور دون فائدة ما اذ ان احسن دليل لتظهير الشريط ابقاؤه في المحلول خمس دقايق ، كما تقدم .

وهنالك نقاط هامة يجب الانتباه اليها كحفظ الشريط الفوتوگرافي الغير المستعمل ضمن صندوق مغلّف بالرصاص حفظاً له من تأثيرات الاشعة المجهولة ، واستعمال لوحة واحدة فوتوگرافية في وقت واحد . فلو كان لوحتان معاً في غرفة الاشعة لتعطّلت الواحدة بعرض الاخرى لانتشار الاشعة في كل مكان من الغرفة . وفي كتب الاختصاص نصائح كثيرة تعين الطبيب والعامل بفن الراديوگرافي على اتقان عمله ونيله النتائج الحسنة .

ونزيد ، كما قلنا في بدء المقالة ، ان بعض الاعضاء لا تظهر جيداً بالصورة الا بوسائط شتى منها اجراع المريض مثلياً من الجيلوبارين في الجهاز الهضمي والمعدي ، وحقن الخاصرة بالهواء والاوكسيجان في مرض الكلوة الخ . . .

العضو المصوَّر	المسافة بين الشريط الفوتوغرافي ومصدر الاشعة	قوة التوتر بين قطبي الانبوبة	كمية المجرى	الوقت اللازم لعرض الشريط		
				بدون شريط مقوّ	بواسطة شريط مقوّ	مع شريط مقوّ وشبكة بوكي
الجمجمة رجماً	٧٠ سنتيمتراً	٧٥ الف ڤولت	٢٠ ميلي امپار	—	—	٤ الى ٥ ثوانٍ
« جنباً	٧٠ «	٧٠ « «	٢٠ « «	—	—	«
العمود الفقري وجهاً	٧٠ «	٧٥ « «	٢٠ « «	—	—	٤ الى ٦ ثوانٍ
« « جنباً	٧٠ «	٩٠ « «	٤٠ « «	—	—	٨ الى ٩ «
الرئتان	١٥٠ «	٥٥ « «	٨٠ « «	—	١٠/٢ الى ١٠/٢ الثانية	—
القلب	١٥٠ «	٧٥ « «	٨٠ « «	—	١٠/١ الى ١٠/٢ «	—
المعدة والامعاء	٧٠ «	٨٠ « «	٨٠ « «	—	١٠/٢ الى ١٠/٢ «	—
الكلوة والمثانة والمرارة	٧٠ «	٦٥ « «	٤٠ « «	—	—	٣ الى ٤ ثوانٍ
الحوض	٧٠ «	٧٥ « «	٢٠ « «	—	—	٣ الى ٤ «
الركبة	٥٠ «	٥٠ « «	٢٠ « «	—	٢ الى ٣ ثوانٍ	—
الرجل	٥٠ «	٤٠ « «	٢٠ « «	٥ الى ٦ ثوانٍ	—	—
الكتف	٥٠ «	٥٠ « «	٢٠ « «	—	٢ الى ٣ ثوانٍ	—
الذراع	٥٠ «	٤٥ « «	٢٠ « «	٥ الى ٦ ثوانٍ	—	—
الكف	٥٠ «	٤٠ « «	٢٠ « «	٣ الى ٤ «	—	—
الاسنان	٣٠ «	٤٠ « «	٢٠ « «	٢ الى ٢ ١/٢	—	—

الراديوترابي

قلنا ان الراديوترابي هي المداواة بالاشعة المجهولة . واهم ما يداوى بها مرض السرطان ، خصوصاً في اوّله .

يُجعل المريض على طاولة ثم تُحصر فوق المصاب من اعضائه الاشعة المجهولة الخارجة من انبوبة كوليدج . ويجري تحكيم الاشعة بتحريك الانبوبة فوق العمود يميناً او شمالاً وصعوداً او نزولاً . امّا مجموع الانبوبة وعمودها فسيّار فوق اربعة دواليب يُنقل من مكان الى آخر كما في الرسم ١٠

امّا التوتّر المستعمل في الراديوترابي فمن المائة وخمسين الف ڤولت فصاعداً ، اذ تبين ان طول تموّجات الاشعة المجهولة تقصر كلّما علا توتّر المجرى المرسل الى انبوبة كوليدج ، وان اختراق الاشعة للاجسام يزداد بقصر تموّجاتها . ومن الثابت اليوم ان التموّجات ، على انواعها ، من تموّجات هرتز اللاسلكية ، الى تموّجات النور العادية ، الى التموّجات فوق البنفسجية ، فتموّجات رنتجن ، فتموّجات الراديوم ، انما هي سلسلة واحدة يفرقها بعضها عن بعض طول تموّجاتها . فبينا التموّجات اللاسلكية يتراوح طولها بين الثلثين كيلومترًا والثلثين سنتيمترًا ، وتموّجات النور العادية تمتد من سبعة اعشار الى اربعة اعشار الميكرون اي من سبعة من عشرة آلاف الى اربعة من عشرة آلاف من المليمتر الواحد ، نرى تموّجات الاشعة المجهولة تسير من خمسة عشر الى واحد من عشرة من الانكستروم والانكستروم يوازي واحدًا من عشرة آلاف من الميكرون اي واحدًا من عشرة ملايين من المليمتر . امّا تموّجات ملح الراديوم فلا يتجاوز طولها اربعة اعشار الى خمسة من الانكستروم . فهي اذًا قصيرة جدًّا وهذا سبب اختراقها الغريب للاجسام واستخدامها في مداواة الخلايا الخبيثة . وقد رسمنا في الصورة ١١ سلسلة تلك التموّجات نسبةً بعضها لبعض .

ولمّا كانت تموّجات الاشعة المجهولة تزيد قصرًا بازدياد توتّر المجرى في الانبوبة ، فقد حسب العلماء انه اذا بلغ التوتّر سبعماية الف ڤولت فاكثر ، جاءت تلك التموّجات مثيلةً لتموّجات الراديوم ، فاستغني بذلك عن ذلك الملح

الغالي الثمن . وليست الصعوبة الوصول الى ذلك في تحقيق التوتر العالي وقد جيء بتوتر يزيد على المليون ڤولت ، انما الصعوبة في عمل الانبوبة الحاملة لهذا التوتر . كيف لا وازدياد التوتر يحكم بزيادة طول الانبوبة لئلا تنشب ، بقوة الضغط ، شرارة كهربائية بين القطبين من الخارج . وقد بُدئ بادئ بدء باستعمال الانابيب العادية موضوعة في زيت مخصوص لتبريدها اولاً ، وحفظاً لنشوب الشرارة الكهربائية ثانياً ، والزيت هذا موصل رديء للتيار الكهربائي . انما باتت تلك الطريقة دقيقة جداً نظراً لما تتطلبه من نقاوة الزيت المذكور وخلائه من كل رطوبة . فاذا اخذ الزيت شيئاً من رطوبة الهواء خسر مزاياه الكهربائية فلزم تغييره او تنشيفه بطريقة فنّية

واستُعمل الى الآن ، في الراديوتراپي ، توتر ٢٠٠ الف ثم توتر ٣٠٠ الف ڤولت . وقد حققت مؤخراً لوسط مداواة السرطان في بوردو آلات لتوتر ٤٠٠ الف ڤولت ، وهذا آخر ما توصل اليه الفن . واستُعيض عن الانابيب في الزيت بانابيب في الهواء ، عظيمة الطول منعاً للشرارة الكهربائية . وكثيراً ما تبرّد تلك الانابيب بتيّار من الهواء البارد ترسله مروحة كهربائية فوق الانبوبة . ومن آلات الراديوتراپي ثلاثة في بيروت في مستشفى « اوتيل ديو ده فرانس » بتوتر ٢٠٠ الف ڤولت .

واهم ما في الراديوتراپي تعديل كمية الاشعة الداخلة في جسم المريض والمقياس المعروف لذلك مقياس R ، يُزان بآلة للدكتور سالومون في باريس تعرف بالـ *innomètre* . امّا الكمية المعطاة من الاشعة فتابعة لنوع المرض ، وقدمه ، وضخامة العضو المصاب ، ورأي الطبيب الاختصاصي المعالج ، والمستحسَن في مرض السرطان ، اذا كان في اوله ، اعطاء الكميات الوافرة من الاشعة لقتل الجرثوم الخبيث قبل ان يعتاد مفعول الاشعة فلا تعود تؤثر فيه .

وكما بيّناه سابقاً ، من الضروري وقاية الطبيب ومعاونيه من مفعول الاشعة ، خصوصاً وان تأثيرها ، تحت التوتر العالي ، عميقٌ جداً . لذلك فان جدران غرفة المداواة مغطّاة من الداخل بصفائح من الرصاص ، لئلا تخترقها تموّجات الاشعة المجهولة فتنتشر في الخارج فتعمل بالاشخاص عملها السيء . امّا

منضدة تعديل المجرى فموضوعة في غرفة صغيرة ملاصقة للاولى ، يشرف الشاغل بها ، على حركات المريض المتداوي ، من كوة صغيرة من الزجاج الرصاصي. ولا نغالي اذا قلنا انه رغم تلك الاحتياطات ، فكثيراً ما يؤثر تيار الاشعة ، على تواتر الايام ، بالمعالجين فيُصاب بعضهم بعلة الراديودرميت العضالة فيموتون ضحية العلم والانسانية.

الاشعة المجهولة في الصناعة

ولا بدّ لنا في الختام من كلمة عن استخدام الاشعة المجهولة في المختبرات العلمية والصناعية . امّا في المختبرات العلميـة فلدرس تكوين المادة البلورية (*analyse cristalline*) او لدرس اشكال تبلورها الهندسية (*cristallographie*) او تحليلها كيماويًا استنادًا لمفاعيل الاشعة فيها (*spectrographie H. F.*)

امّا في الصناعة فتدرس المعادن من جهة تكوينها الـداخلي وتغييره بتغيير العوامل الخارجيـة من ميكانيكية وغيرهـا . ويرى في الرسم ١٢ صورتان ميكروسكوبيتان لصفيحة واحدة من معدن الاليمونيوم قبل تحميتها بالنـار وبعد تحميتها فيظهر، بصورة اليمين ، مفعول الحرارة في تغيير تكوينها الداخلي. ودرس المعادن باشعة رنتجن يدعى بالافرنسية (*métallographie*)

ومن استخدام الاشعة استعمالها لمعرفة اللآلئ الطبيعية من الـلآلئ المرباة ، تظهر الاولى بشكل دائرة مسدّسة الوسط بينا ان وسط الثانية يظهر مربعاً . والفرق بين الجنسين ظاهرٌ في الرسمين ١٣ و ١٤ . ويتبين للقارئ اهمية ذلك في تجارة اللآلئ لفرق الثمن بين اللآلئ الطبيعية واللآلئ المرباة او المصطنعة.

ومن غريب ما رأيته في باريس ، العامَ المـاضي ، استخدام الاشعة لتصوير رجل الانسان في الحذاء ليتبين مركز الرجل نسبةً لقياس الحذاء. وقد استعملت تلك الطريقة احدى معامل الاحذية الشهيرة قصدًا لنشر الدعوة ، مبينةً للناس ان درسها للحذاء تابع لقواعد الصحة والفن.

تلك هي مفاعيل الاشعة المجهولة ، وتلك هي طرق استخدامهـا في الطب والصناعة . ولا ندري ما يأتينا به الغد من اختراعاتٍ جديدة في هذا الصدد ، وقد اصبحت اشعة رنتجن محطّ ابحاث العلماء في جميع اقطار المعمور.

ابن عبد ربه و «عقده»

درس ادبي تاريخي

بقلم جبرائيل جبّور
احد اساتذة الادب العربي في جامعة بيروت الاميركية

١٠

سبب تأليف العقد وزمنه وطريقته

اما سبب تأليفه فالظاهر من مقدمة الكتاب انه دافع علمي ادبي ، حيث يذكر صاحبه انه رأى بعض اهل العلم قبله ممن بحثوا في مثل هذه الامور التي تعرض لها في عقده اكثروا واطالوا، ورأى البعض الآخر اساءوا الاختيار والجمع والتبويب فجعل كتابه كافياً جامعاً مبوباً مرتباً[1] . ويذهب بعض المتأخرين ، ولا ندري الى اي مرجع يستندون ، الى انه ألفه ، لعبد الرحمن بن محمد الملقب بالناصر المتوفى سنة ٣٥٠[2] ولا يفوتنا ان نعد هنا ما ذكرنا مرة من ان ارجوزة ابن عبد ربه في العروض ، وهي جزء من كتاب كتب العقد ، قد اهداها الى الامير عبد الله المتوفى سنة ٣٠٠

اما زمن بدء تأليفه او جمعه فلا نعلمه بالضبط ، اذ فيه من الشعر الذي نظمه ابن عبد ربه ما يرجع الى قبل سنة ٣٠٠ كما اسلفنا وفيه ما يستمر عهده

---

١) راجع ابن عبد ربه ١ : ٢-٣

٢) المقتطف المجلد ٢٩ (سنة ١٩٠٤) يوليو (ص ٥٨٨ ، مقال محمد كرد علي

الى سنة ٣٢٢ [١]. وهناك ذكر للخليفة عبد الرحمن الناصر يتبعه بامير المؤمنين [٢] مما يدلّ على ان هذا النعت ان لم يكن من وضع المتأخرين فقد وضعت اخبار صاحبه بعد سنة ٣٠٧، السنة التي لقب فيها الناصر بامير المؤمنين [٣]. وفي تضاعيف العقد ما يظهر انه كان يجمع اخباره كلها ويبوبها بحيث يقع كل خبر تحت باب خاص وضعه له. وترى في ما يأتي دليلًا على ما نقول، قال ابن عبد ربه: «هذا ما ذكرنا في كتابنا من الخطب للحجاج وما بقي منها فهي مستقصاة في كتاب اليتيمة الثانية حيث ذكرت اخبار زياد والحجاج. وانما مذهبنا في كتابنا هذا ان نأخذ من كل شيء أحسنه ونحذف الكثير الذي يستجزأ منه بالقليل [٤].» اما اليتيمة الثانية فانها تقع بعد الكتاب الذي اخذنا منه هذه العبارة. كذلك ذكر مثلًا في الكتاب الاول من عقده «اللؤلؤة في السلطان» ثم اعقبه بقوله: «وهذا مثل وقد وقع تفسيره في كتاب الامثال.» [٥] وكتاب الجوهرة في الامثال انما هو الكتاب السابع من كتب العقد الخمسة والعشرين.

اختصار العقد

ولقد اختصر العقد – فيما يذكر حاجي خليفة في كتابه كشف الظنون (طبعة اوربة ٤ : ٢٣٢)، والسيوطي في كتابه بغية الوعاة... (صفحة ١٨٢ وصفحة ١٠٦) – اثنان اولهما ابو اسحق ابرهيم بن عبد الرحمن الوادي آشي القيسي المتوفى حول سنة ٥٧٠هـ، وهو فيما يظهر من اسمه اندلسي من وادي آش (Guadix) من مقاطعة غرناطة، وثانيهما جمال الدين ابو الفضل محمد بن مكرم الانصاري الخزرجي، وهو ابن منظور الشهير مؤلف معجم لسان العرب المتوفى سنة ٧١١هـ. وقد روى السيوطي ان الاخير اختصر كثيراً من كتب الادب المطولة عدا العقد كالاغاني والذخيرة ومفردات ابن البيطار ونقل ان مختصراته ٥٠٠ مجلد [٦].

---

١) ابن عبد ربه ٣ : ٢٧٧ ٢) ابن عبد ربه ٣ : ٣٦٢
٣) المقري ج ١ : ١٦٦ رج I : ٢٧٧ طبعة اوربة
٤) ابن عبد ربه ٣ : ١٨٨ ٥) ابن عبد ربه ١ : ٢٢
٦) السيوطي ١٠٦

ولا اعلم هل لهذين الكتابين اثر الآن. ويظهر من فهرس كتب آداب اللغة العربية الموجودة في دار الكتب بالقاهرة (٣: ٣٤٤) ان هناك نسختين لمختصر كتاب العقد كلتاهما نسبت لمجهول (احد الفضلاء) الواحدة يرجع تاريخ الفراغ من كتابتها الى سنة ٩٩١ هـ. والاخرى الى سنة ١٠٣٦ هـ. فهل لايٍّ من هاتين النسختين علاقة باحدٍ من المختصرين المذكورين؟

وقد عمدت لجنة من بعض ادباء مصر[1] فاختارت بعض الابواب والفصول منه وجمعتها في كتاب سمته مختار العقد بين يدينا الآن الطبعة الثالثة منه، وتاريخها سنة ١٩١٣ م وقد طبعت في المطبعة الجمالية بمصر.

الناقلون عن العقد

اما الناقلون عن العقد فهم فيما نظن كثرٌ يصعب حصرهم. غير اننا نودُّ ان نشير هنا الى ان الابشيهي المتوفى بعد سنة ٨٥٠ هـ. قد نقل كثيراً عن العقد في كتابه «المستطرف في كل فنّ مستظرف» وقد نبّه الى ذلك في مقدمة كتابه قال: «ونقلت فيه كثيراً مما نقله ابن عبد ربه في كتابه...»[2] والغريب ان الابشيهي لم ينقل ما نقله ابن عبد ربه فحسب بل سطا على كلام ابن عبد ربه في فرش بعض الكتب، فنقله بالحرف ايضاً واسند الكلام فيه الى نفسه لا الى ابن عبد ربه[3].

وذكر البغدادي (الشيخ عبد القادر بن عمر) في كتابه «خزانة الادب ولب لباب لسان العرب» انه استند الى بعض كتب ترجع الى فن الادب منها العقد الفريد لابن عبد ربه[4].

كذلك قد رجع ابن خلدون الى العقد في اكثر من موضع في مقدمته[5] ولم يفت القلقشندي ان يأخذ كثيراً عن العقد وقد اشار الى ذلك في كثير من المواضع[6].

---

١) الاساتذة: الشيخ عبد الحكيم محمد، والشيخ عبد الخالق عمر، والشيخ عبدالعزيز خليل، والشيخ محمد الخضري ٢) الابشيهي ١: ٢

٣) الابشيهي ٢: ١٧٦، وقابله بابن عبد ربه ٣: ٢٢٩

٤) ج ١: ١٠، طبعة بولاق سنة ١٢٩٩ هـ

٥) ص ٢٠ و١٧ ٦) ١: ٢٤٢؛ و ٩: ٢٦٢ وغيرها

في نسخ العقد الخطية

اما نسخ العقد الخطية فهي ، فيما يظهر من كتاب بروكلمن في تاريخ آداب اللغة العربية ، كثيرة جدًا منها اثنتان في برلين ، وثلاث في غوطه ، وواحدة في المجموعة الرفاعيـة لفليشر ، وواحدة في ڤينـا ، وواحدة في منشن ، واربع في مكتبة بودليان ، وثلاث في المتحف البريطاني ، واثنتان في الاسكوريال بمدريد ، وخمس في باريس ، وواحدة في بطرسبرج ، وواحدة في (Mel. as.) ، وواحدة في مكتبة ميلانو الايطالية . وهناك اثنتا عشرة نسخة في الاستانة منها ست في مكتبة ايا صوفيا ، واثنتان في مكتبة نوري عثمانية ، وواحدة في مكتبة راغب باشا ، وثلاث في مكتبة كوبريلي[1]

ومع ان بروكلمن لم يشر الى وجود نسخة ما بالقاهرة بل اكتفى بالاشارة الى سنوات طبع العقد فيها ، فانا نظنّ انه لا بد من وجود بعض النسخ . وليس من الضروري ان يكون عدد النسخ بعدد الطبعات اذ يجوز ان الناشرين المتأخرين نقلوا عن الطبعة القديمة . والذي يظهر من الطبعة الاولى سنة ١٢٩٣ انها اخذت عن نسخة خطية للشيخ عبد العزيز محاسن[2] الذي يظهر ايضاً انه رتب فهرسها للمواضيع على الطريقة التي هي عليها الآن . ويجوز ان يكون هذا قد نقلها عن احدى نسخ الاستانة . ويظهر من فهرس دار الكتب بالقاهرة ان ليس في الدار نسخة خطية تامة من العقد ، انما يوجد عدة اجزاء صغيرة مختلفة اشرنا الى بعضها في غير هذا الموضع[3].

في طبعات العقد ، وترجمة بعض اقسامه

لقد طبع العقد في مصر ٥ مرات اولاها ببولاق سنة ١٢٩٣ هـ. ثم في المطبعة العثمانية سنة ١٣٠٢هـ. ، ثم في المطبعة الشرفية سنة ١٣٠٥هـ. ثم تكرر طبعه في المطبعة الاخيرة ايضاً سنة ١٣١٦ ، واخيرًا في المطبعة الازهرية سنة

---

١) بروكلمن ١ : ١٥٥

٢) ابن عبد ربه ١ : ٢ من جدول الفهرس باول الكتاب

٣) راجع فهرس الآداب ٣ : ٢٥٢–٢٥٣

١٣٣١ هـ . وقد ذكر الاستاذ فؤاد افرام البستاني في « روائعه »[1] ان الافرنج قد سبقوا ادباء العصر الى معرفة هـذا الكتاب ، وان المستشرق الفرنساوي تورنيل (Tournel) قد نقل الى لغته بعض المقاطع المختصة باحوال قدماء العرب ونشرها في باريس بعنوان: «*Lettres sur l'Histoire des Arabes avant l'Islamisme.*» سنة ١٨٣٦ و١٨٣٧ و١٨٣٨ . واشار الى ان المستشرقين لم يطبعوا النص العربي.

آراء بعض المتقدمين في العقد

مرّ معنا شيء من تعرّض الصاحب بن عباد للعقد ونقده اياه وقوله « هذه بضاعتنا رُدّت الينا » . ويظهر ان اكثر الذين نعوا على ابن عبد ربه عقده قد قصدوا الى هذه الناحية التي انتقدها الصاحب بن عباد ، اي عدم ذكر صاحبه اخبارًا كثيرة عن الاندلسيين . فقد ذكر المقّري ان ابا علي التميمي القيرواني ذكر لابن حزم الاندلسي في رسالة تعرّض فيها للاندلسيين ابن عبد ربه صاحبنا فاثنى على عقده ثناء قليلًا ثم قال: « انه يلحقه فيه بعض اللوم لاسيما اذ لم يجعل فضائل بلده واسطة عقـده ومناقب ملوكه يتيمة سلكه اكثر الحزّ واخطأ المفصل واطال الهزّ لسيف غير مقصل وقعد به ما قعد باصحابه من ترك ما يعنيهم واغفال ما يهمهم »[2]

ويذكر المقّري في موضع آخر ان القلفاط الشاعر معاصر ابن عبد ربه كان يتعرّض لابن عبد ربه ويهجوه ويسمي كتاب العقد حبل الثوم[3] . واذا استثنينا هؤلاء نرى سائر المؤرخين والادباء يثنون على العقد وصاحبه خير ثناء.

هل لابن عبد ربه كتب غير العقد؟

والجواب نعم . والغريب اننا ، اذا استثنينا حاجي خليفـة ، نرى ان كل

١) بستاني عدد ٨ : ج ١ ، ص و — ز

٢) المقّري (اوربة) ٢ : ١٠٦ ، وطبعة مصر ٢ : ٧٦٧

٣) « « ٢ : ٢٠٠ « « ٢ : ٨٢٢ ، غير ان الرواية في الطبعة المصرية مشوشة.

الذين تصدّوا لذكر شيء عن ابن عبد ربه من القدماء والمحدثين لم يلتفتوا الى هذا الامر . ولقد ذهب المرحوم جرجي زيدان الى ابعد من السكوت فصرح انه ليس لابن عبد ربه سوى العقد[1] . اما حاجي خليفة فقد ذكر في كتابه «كشف الظنون» كتاباً لابن عبد ربه غير العقد هو «اللباب في معرفة العلم والآداب» ثم قال : «للشيخ العلّامة احمد بن محمد بن عبد ربه الاندلسي المتوفى سنة ٣٢٨ ه اوله : الحمد لله على كل حال الخ»[2] وظاهر من كلام حاجي خليفة ان لا مجال يدفعنا الى ان نظن ان المؤلف غير صاحبنا .

٤

نثره

لم يترك لنا ابن عبد ربه آثاراً كثيرة من نثره . ومن يظنّ ان لغة العقد تمثل نثره فقد أخطأ . ذلك لان العقد مجموعة اخبار في مختلف العلوم والفنون نقلت عن رواة من عصور مختلفة روعيت في رواياتها المحافظة على الاصل من حيث صوغ العبارة . ولم يكن لابن عبد ربه فيها ، كما صرّح هو نفسه ، سوى فضل الاختيار وحسن الاختصار ، وما سواهما فمأخوذ من اقوال العلماء والادباء . ولقد يدلّ هذا التصريح من ابن عبد ربه على انه كان يرجع الى كتب دوّنت ينقل عنها ، وانه لم يأخذ عن احد شفاهاً بحيث يضطرّ الى سبك الخبر بلغته . ولعل المواضع الوحيدة في صلب عقده التي يصحّ لنا ان نظنّ انه حاك عبارتها بلفظه هي تلك الاخبار التي دوّنها عن امراء الاندلس ولاسيما المتأخرين منهم كالمنذر بن محمد ، وعبد الله ، والخليفة الناصر ؛ وتلك التي نقلها شفاهاً عن اساتذته بقي بن مخلد ، وابن وضاح ، والخشني ، وقليلة ما هي ! غير ان صاحب العقد قد صدّر كتابه بمقدمة من انشائه ، وفرش لدار كل كتاب من كتب العقد الخمسة والعشرين بتوطئة من نثره دون ان يفوته التنبيه الى ذلك . زد

---

١) زيدان ٢ : ١٧٤

٢) حاجي خليفة (طبعة اوربة) ٥ : ٢٠٢

على هذا كله انه لم يخلُ العقد من بعض مواضع عثرنا فيها على عبارات مقتضبة وجيزة يقتضي سياق الكلام فيها ان تكون من صوغه.

ونرى — اذا جاز لنا ان نحكم من هذا القدر القليل الذي بين ايدينا — ان انشاء ابن عبد ربه يمتاز بالوضوح اذا قورن بانشاء ابي الفرج الاصبهاني صاحب كتاب « الاغاني » الكبير ، وبالرقة من حيث اللفظ ، والترتيب من حيث المعنى اذا قوبل بنثر الجاحظ . ولعله اشبه باسلوب ابن قتيبة وانته . ولا عجب فقد اكثر ابن عبد ربه من الدرس في كتب ابن قتيبة ، واكثر من الاخذ عنها . ولقد مرّ معنا انه كان يتأثر ابن قتيبة في طريقته وأنّ عقده، لولا قليل، لكان معارضة لعيون اخباره . ولعلّ من الخير ان نظهرك على قطع من انشائها ، ولتكن من مقدّمتي هذين الكتابين قال ابن عبد ربه :

« وتطلبت نظائر الكلام ، واشكال المعاني ، وجواهر الحكم ، وضروب الادب ، ونوادر الامثال ، ثم قرنت كل جنس منها الى جنسه ، فجعلته باباً على حدته . ليستدلّ الطالب للخبر على موضعه من الكتاب ، ونظيره من كل باب ، وقصدت من جملة الاخبار ، وفنون الاثار ، الى اشرفها جوهراً ، واظهرها رونقاً ، والطفها معنى ، واجزلها لفظاً ، واحسنها ديباجة ، واكثرها طلاوة وحلاوة . » (١

وقال ابن قتيبة :

« نظمتها لمثقل التأدب تبصرة ، ولاهل العلم تذكرة ، ولسائس الناس ومسوسهم مؤدباً ، وللملوك مستراحاً من كدّ الجدّ والتعب ، وصنفتها ابواباً ، وقرنت الباب بشكله ، والمثبر بمثله ، والكلمة باختها ، ليسهل على المتعلم علمها ، وعلى الدارس حفظها ، وعلى الناشد طلبها ، وهي لقاح عقول العلماء ، ونتاج افكار الحكماء ، وزبدة المخض ، وحلية الادب واثمار طول النظر . »(٢

وقال ابن عبد ربه في موضع آخر من المقدمة :

« وقد نظرت في بعض الكتب الموضوعة ، فوجدتها غير متفرقة في فنون الاخبار ، ولا جامعة لجمل الآثار ، فجعلت هذا الكتاب كافياً جامعاً لاكثر المعاني التي تجري على افواه العامّة والخاصة ، وتدور على السنة الملوك والسوقة ، وحليت كل كتاب منها بشواهد من الشعر ، تجانس الاخبار في معانيها ، وتوافقه في مذاهبها . » (٣

---

١) ابن عبد ربه ١ : ٢ ٣) ابن قتيبة ١ : صفحة ى

٢) « « ١ : ٤

وقال ابن قتيبة في مقدمة كتابه :

«ولم أرَ صواباً ان يكون كتابي هذا وقفاً على طالب الدنيا دون طالب الآخرة ولا على خواص الناس دون عوامهم ولا على ملوكهم دون سوقتهم ، فوفيت كل فريق منهم قسمه ، ووفّرت عليه سهمه ، واودعته طرفاً من محاسن كلام الزهّاد في الدنيا ، وذكر فجائعها والزوال والانتقال ، وما يتلاقون به اذا اجتمعوا ، ويتكاتبون به اذا افترقوا ، في المواعظ والزهد والصبر والتقوى واليقين واشباه ذلك ، لعلّ الله يعطف به صادفاً ، ويأطر على التوبة متجافياً ، ويردع ظالماً ويلين برقائقه قسوة القلوب.» (١

ولعل كلا ابن عبد ربه وابن قتيبة قد تأثر بالجاحظ من ناحية استعمال الجمل المقتضبة الوجيزة المتوازنة بعضها مع بعض ، والتي لم يلتفت فيها كثيراً الى السجع ، ولكنها لم يبلغا مبلغه ولم يوفقا توفيقه . ويظهر ان ابن عبد ربه قد امتاز على ابن قتيبة في رقة العبارة وسلاستها رغم ان الفرق قليل ، ولعله ايضاً قد وفق اكثر من رفيقه في التأثر بالجاحظ من حيث قصر العبارات واقترانها بعضها مع بعض ، وربما من الخير ان تقابل ما ذكرنا لكليهما مع ما سيأتي للجاحظ .

قال في مقدمة كتابه « المحاسن والاضداد » :

« الكتاب نعم الذخر والعدة ، والجليس والعمدة ، ونعم النشرة ، ونعم النزهة ، ونعم المشتغل والحرفة ، ونعم الانيس ساعة الوحدة ، ونعم المعرفة ببلاد الغربة ، ونعم القرين والدخيل والزميل ، ونعم الوزير والنزيل ، والكتاب وعاء ملئ علماً وظرف حشي ظرفاً ، واناء شُحنَ مزاحاً ، ان شئت كان اعيا من باقل وان شئت كان ابلغ من سحبان وائل ، وان شئت سرتك نوادره ، وشجتك مواعظه ، ومن لك بواعظ ملهٍ ، وبشاملك فاتك ، وناطق أخرس . . . ومن لك بشيء يجمع الاول والاخر ، والناقص والوافر ، والشاهد والغائب .» (٢

ومهما يكن من الامر فانا نرى انه ليس من الضروري ان يكون ابن عبد ربه او ابن قتيبة قد تأثر بالجاحظ خاصةً او بكاتب خاص آخر غير الجاحظ ، حيث اننا نرى اكثر الادباء في صدر الدولة العباسية كسهل بن هرون ، وابرهيم الصولي ، وعبد الحميد الكاتب ، وابن المقفع (الى حدٍّ ما) قد اتبعوا هذا الاسلوب الكتابي المتوازن العبارات وكتبوا رسائلهم الادبية فيه . ولقد

١) ابن قتيبة ١ صفحة ك ٢) الجاحظ م : صفحة ٤

تقيد ابن عبد ربه بهذا الاسلوب في فرش دور كتبه اكثر مما تقيد في مقدمة العقد نفسه : قال في مقدمة كتاب الفريدة في الحروب :

«قد مضى قولنا في السلطان وتعظيمه ، وما على الرعية من لزوم طاعته ، وادامة نصيحته ، وما على السلطان من العدل في رعيته ، والرفق باهل مملكته ، ونحن قائلون بعون الله وتوفيقه، في الحروب ومدار امرها ، وقود الجيوش وتدبيرها ، وما على المدبّر لها من انتهاز الفرصة ، والتماس الغرة ، واذكاء العيون ، وافشاء الطلائع، واجتناب المضايق ، والتحفظ من الدسيسات، واحكام معرفته ، وطول تجربته لمقاساة الحروب ، ومعاناة الجيوش ، وعلمه ان لا درع كالصبر ، ولا حصن كاليقين.» (١

وقال في مقدمة كتاب السلطان :

«السلطان زمام الامور ، ونظام الحقوق ، وقوام الحدود ، والقطب الذي عليه مدار الدنيا ، وهو حمى الله في بلاده ، وظلّه الممدود على عباده ، به يمتنع حريمهم ، وينتصر مظلومهم ، ويمتنع ظالمهم ، ويأمن خائفهم.» (٢

وقال في فرش كتاب الوفود :

«... فانها مقامات فضل ، ومشاهد حفل ، يتخير لها الكلام ، ويتهذب الالفاظ ، ويستجزل المعاني،ولا بدّ للوافد عن قومه ، ان يكون عميدهم وزعيمهم الذي عن قوته(كذا) يترعون ، وعن رأيه يصدرون ، فهو واحد يعدل قبيلة ، ولسان يعرب عن السنة ، وما ظنك بوافد قوم يتكلم بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم او خليفته او بين يدي ملك جبّار في رغبة او رهبة ، فهو يوطد لقومه مرة ويتحفظ عن امامه اخرى ، اتراه مدخرًا نتيجة من نتائج الحكمة ، او مستبقيًا غريبة من غرائب الفطنة ، ام تظن القوم قدموه لفضل هذه الخطة ، الا وهو عندهم في غاية الحذلقة واللسانة وجمع الشعر والخطابة .» (٣

وقال في فرش كتاب الياقوتة الثانية :

«... وكرهنا ان يكون كتابنا هذا بعد اشتماله على فنون الاداب والحكم والنوادر والامثال ، عطلًا من هذه الصناعة التي هي مراد السمع ، ومرتع النفس ، وربيع القلب ، ومجال الهوى ، وملاة الكئيب ، وانس الوحيد ، وزاد الراكب لعظم موقع الصوت الحسن من القلب ، واخذه بمجامع النفس.» (٤

وانا لنلاحظ هذا الاتزان في عبارته ، في الجمل والفقرات الصغيرة التي نثرها في العقد عند تعليقه على خبر او تعرّضه لراوٍ كان يقول مثلًا :

---

١) ابن عبد ربه ١ : ٢٥
٢) ابن عبد ربه ١ : ٤
٣) « « ١ : ١٢٤
٤) « « ٣ : ٢٢٩

« ومن الشعر المطبوع الذي يجري مع النفس رقة ، ويؤدي من الضمير ابانة . . . » (١ او « وهذا في قديم الشعر وحديثه ، وطارف الكلام وتليده ، اكثر من ان يحيط به وصف او يأتي من ورائه نعت . » (٢ او « وما سمعت بالطف معنى ، ولا اكمل ادباً ، ولا احسن مذهباً ، في مسائلة الملوك من شبيب بن شبة وقوله لابي جعفر اصلحك الله ، اني احب المعرفة واجلك عن السؤال : فقال له فلان بن فلان » (٣

اما اذا اقتضى الامر شيئاً من الشرح او الاستدلال او الاسهاب فانا نرى ابن عبد ربه يتفلّت شيئاً ما من قيود هـذا التوازن بين العبـارات ، فيرسل الكلام في بعضها ويراعي التوازن في البعض الآخر . قال :

« وما رأيت اعجب من ابن قتيبة في كتاب تفضيل العرب انه ذهب فيه كل مذهب من فضائل العرب ثم ختم كتابه بمذهب الشعوبية فنقض في آخره كل ما بنى في اوله . » (٤

وقال في امر الشعر نصف بيت قالته العرب :

« وهذا ما لا يدرك غايته ولا يوقف على حدّ منه والشعر لا يفوت به احد ولا يأتي بـه بديع الا اتى ما هو ابدع منه وقد در القائل اشعر الناس من ابدع في شعره . » (٥

وقال :

«وما سمعت في صفة الدنيا والسبب الذي يحبها له الناس لاجله بابلغ من قول القائل . . . فذكر أن الناس بنو الدنيا وما كان الانسان منه فهو محبّب اليه واعلم ان الانسان لا يحب شيئاً الا ان يجانسه في بعض طبائعه وان الدنيا جانست الانسان في طبائعه كلها فاحبهـا بكل اطرافه . » (٦

وقال في باب اخبار خلفاء بني امية في الاندلس :

«ثم ولي الملك القمر الازهر ، الاسد الغضنفر ، الميمون النقيبة (٧ ، المحمود الضريبة (٨ سيد الخلفاء وانجب النجباء عبد الرحمن بن محمد امير المؤمنين . . . فتولى الملك وهي جمرة تحتدم ، ونار تضطرم ، وشقاق ونفاق ، فاخمد نيرانها وسكّن زلازلها ، وافتتحها عوداً كما افتتحها بدءاً سيّـه عبد الرحمن بن معاوية رحمه الله وقد قلت وقيل في «اشعاره» [لعلّها زائدة] غزواته كلها اشعار قد جالت في الامصار وشرّدت في البلدان حتى اقسمت وانجدت واعرقت ولولا ان الناس مكتفون بما في ايديهم منها لاعدنا ذكرها او ذكر بعضها ولكنا سنذكر ما سبق الينا من مناقبه التي لم يتقدمه اليها متقدم ولا اخت لها ولا نظير . » (٩ . وقال ايضاً :

---

١) ابن عبد ربه ٣ : ١٧٢
٢) ابن عبد ربه ١ : ٢١٤
٣) « « ١ : ٢٨١
٤) « « ٢ : ٨٩
٥) « « ٣ : ١١٨
٦) « « ١ : ٢٧٢
٧) وردت خطأ «التقية» والنقيبة بمعنى النفس والعقل .
٨) الضريبة بمعنى السجية والطبيعة
٩) ابن عبد ربه ٢ : ٢٦٢

« ومن مناقبه ان الملوك لم تزل تبني على اقدارها ويقضى عليها بآثارها ، وانه بنى في المدة القليلة ما لم تبن الخلفاء في المدة الطويلة ، نعم لم يبقَ في القصر الذي فيه مصانع اجداده ومعالم اوليته بنية الا وله فيها اثر محدث اما تزييد او تجديد ، ومن مناقبه انه اول من سمي امير المؤمنين من خلفاء بني امية بالاندلس ومن مناقبه التي لا اخت لها ولا نظير ما اعجز فيه من بعده وفات فيه من قبله من الجود الذي لم يعرف لاحد من اجواد الجاهلية والاسلام الا له .»(١

ويظهر من بعض المواضع في عقده انه كان يرغب في اللفظ السهل قال : « ومن قولنا نمدح رجلًا باستسهال اللفظ وحسن الكلام .»(٢ وانه كان يرغب عن التكلف ، قال : « فانما مدار كل شيء على طبعه والتكلف مذموم من كل وجه .»(٣ وانه كان يحب الايجاز ويرى الفضل كل الفضل فيه قال : « اذ كان اشرف الكلام كله حسناً واوقعه قدرًا واعظمه من القلوب موقعاً ، واقله على اللسان عملًا ، ما دلَّ بعضه على كله ، وكفى قليله عن كثيره ، وشهد ظاهره على باطنه ، وذلك ان تقلّ حروفه وتكثر معانيه .»(٤ وانه كان يرى للاطناب موضعاً ، ولكنه يفضل الاختصار في الجملة عليه قال : « ومن كلام العرب الاختصار والاطناب والاختصار عندهم احمد في الجملة ، وان كان للاطناب موضع لا يصلح الا له .»(٥ وقد جمع اكثر هذه الامور التي تمثل رأيه في الانشاء بقوله عن كلام الاعراب : « اشرف الكلام حسباً واكثره رونقاً ، واحسنه ديباجة ، واقله كلفة ، واوضحه طريقة . »(٦

والخلاصة انه يستدل مما ذكرنا عن رأي ابن عبد ربه في هذا الموضوع ، ومن هذا القدر القليل من نثره الذي ذكرنا لك بعض نماذج منه [اذا جاز لنا الاكتفاء بها] على ان ميزات اسلوبه الكتابي تشمل الايجاز في الكلام ، وسلامته من الفضول ، وبراءته من التعقيد ، وبعده عن التكلف ، وسهولة الفاظه ، وعذوبتها ، واتزان عباراته ، وحسن سبكها ، وعدم استعمال الغريب من المفردات . وان ابن عبد ربه في نثره ، كما سنراه في شعره ، رقيق اللفظ جزله ، واضح التعبير ، سائغ الفهم .

(له صلة)

١) ابن عبد ربه ٣ : ٣٦٢
٢) ابن عبد ربه ١ : ٢٠٠
٣) « « ١ : ٢٠١
٤) « « ٣ : ٢٠٢
٥) « « ٣ : ٢٠٢
٦) « « ٣ : ٩٣

المثلّث الاموي

الاخطل – الفرزدق – جرير

محاولة مختصرة في الموازنة بينهم

بقلم فؤاد افرام البستاني استاذ الآداب العربية في كلية القديس يوسف

بينهم الاخطل والفرزدق وجرير اشهر شعراء العصر الاموي، بل افضل ممثلي الادب في ذاك العصر. عربيّو الاصل، يمتّون بالصلة المتينة الى قبائل لها تأثيرها وخطرها في المجتمع اذ ذاك. بدويّو النشأة، عرفوا الحضارة الجديدة واتصلوا بها، ولكن على تفاوت. فكان الاخطل اقربهم الى الاخذ بمرافقها، ثم الفرزدق، واخيراً جرير الذي ظلّ على اتصال متتابع بالبداوة. نرى اثر هذا في خلوص عاطفته، وصدق ايمانه، وصحة تقواه، وهو يجاهر باسلامه، ويدافع عنه، ويحياه في شعره. حتى يقيم من العاطفة الدينية مادّة للفخر، وعوناً على الهجاء، فيهجو الفرزدق بعدم تديّنه وفساد عقيدته:

هو الرجس، يا اهلَ المدينة، فاحذروا مداخل رجس بالخبيثات عالم

ويهجو الاخطل بنصرانيته.

على ان هذه النصرانية لم تكن تمنع الاخطل من الاضطلاع بملاهي العصر وبمفاسده احياناً. فقد استعمل الطلاق، واسترسل في الملذّات. الا انه ظلّ مذعناً لنواهي الدين، خاضعاً لرجاله، فلم يستهتر، ولم يجاهر بالمروق عن الشرائع لا في شعره ولا في سلوكه، كما قد نرى في حياة زميله الفرزدق. فان هذا كان سيّئ السلوك، فاسد العلاقات، مجاهراً باستهتاره، مضطرب الاخلاق على الغالب، يكاد لا يخلص لمبدأ، الا في ما خصّ امامة العلويين.

شعرهم فكان، من حيث السياسة الحزبية، شديد التعصب لآل البيت حتى يمكن اعتباره «شاعر العلويين»، كما نعتبر الاخطل «شاعر الامويين». وكما ان الفرزدق دافع بكل جرأة عن زين العابدين وآله في وجه هشام بن

عبد الملك ، كان الاخطل لا يتراجع عن الانتصار للامويين حتى في وجه الانصار. واذا فكل منها شاعر دين وشاعر سياسة ، على فرق ان الاخطل كان يتكلم عن حق الامويين بالامامة الدينية ، وهو لا يهمه من ذلك الا حكمهم السياسي. اما جرير فقد مدح الامويين مدحه خلفاء العصر ، وارباب الدولة ، كأنه تجاه امر واقع ، دون ان يهتم ، اهتمام الاخطل ، بتأييد حقهم او مناقشة اعدائهم. وقد مدح كذلك ولاتهم وامراءهم . فيكون الفن الاول : الذي يمكن ان نوازن فيه بين هؤلاء الشعراء الثلاثة ، فن المدح.

وموضوع المدح المشترك بينهم واحد ، هو بنو امية . فاذا حددنا موقف المدح كل منهم من الدولة المالكة نكون قد عملنا نوعاً ما على تحديد اخلاصه في العاطفة المدحية.

اما الاخطل فهو « شاعر بني امية » بلا خلاف ، على قول الخليفة عبد الملك . لم يكن يدين بدينهم ، ولكنه جُذب الى حزبهم السياسي ، وقد يكون ذلك رهبةً منهم او رغبة في مالهم اول الامر . على ان ما يمكن تأكيده هو ان هذا الحزب السياسي الاموي اصبح جزءاً من عقائد الاخطل ، حتى انه كان يدافع عن الامويين كما يدافع عن قومه انفسهم ، ويهجو اعداءهم كما يهجو اعداءه الشخصيين . فاذا مدحهم ذكر كرمهم وشجاعتهم وسائر ما يتصل بذلك من اساليب المدح القديمة. ثم خص القسم الكبير من مدحه بالصفات التي عُرف بها الامويون كالحلم ، وقوة الارادة ، وحسن التدبير ، وضبط الامور :

شُمرُ العداوة حتى يستقاد لهم، واعظم الناس احلاماً، اذا قدروا

ولم يُغفل ان يتوسع في حقهم من الخلافة ، ملمحاً احياناً الى ضعف اعدائهم وعدم اهليتهم لادارة الملك ، ومصرحاً احياناً اخرى بافضلية أُمية على كل من يدّعي الامامة ، غير تارك شيئاً من اساليب الفخر بالامويين ، والحط من مناوئيهم بالهجو اللاذع والتهكم الهدّام . حتى يظهر من هذه الناحية مُناضلاً سياسياً ذا اطلاع واسع على طرق المنافسات الحزبية ، فيتبوأ ، عن جدارة واستحقاق ، المركز الاول بين الشعراء السياسيين.

واما الفرزدق فاننا نظلمه اذا حكمنا على مدحه بقصائده في بني امية ، وهو ذو مذهب سياسي غير مذهبهم ، يرى الحقّ بالخلافة للعلويين ، ويرى ذلك عن اخلاص ، وحسن نيّة ، وصحة مبدأ . وما كنا لنناقشه في اخلاصه ومبداه . ولكن هذا لا يمنعنا ان نتحقق انه كثيراً ما كتم هذا المبدأ ، فمدح من كان يعتبرهم خلفاء غير شرعيين . فكان في مدحه للامويين غير مخلص بالطبع ، يتكلف الامر تكلّفاً ، فيبدو على شعره مسحة من الاضطراب والتفتيش عن المخارج . انما يجب علينا القول ، انصافاً لاخلاصه ، انه في مدحه هذا لم يتطرّق الى هجو اعداء الامويين ، ولم يبالغ في الاشادة بحقّ امية الشرعي ، كما فعل الاخطل . بل اكتفى غالباً بمدحهم ملوكاً ذوي حسب معروف ، وكرم فيّاض .

اما اذا دفعناه في طريق مبدأه فهناك العاطفة المخلصة تتجلى بالمدح الفخم ، فيتخلص الشاعر من كل تكلف الى مجال الطبيعية الحقّة ، واذا امامنا مدح زين العابدين :

يُغضي حياءً ويُغضى من مهابته ... فما يُكلَّم الا حين يبتسم .

يجمع فيه الفرزدق بين الصفات الخارجية والصفات الداخلية ، بين المدائح التقليدية بالكرم والشجاعة ، والمدائح الجديدة بحسن التديّن والتقوى والطهارة . فكأنه يقيم من ذلك مشهداً تاماً للمدح يقابل به المشهد التامّ الذي اقامه الاخطل في مدح بني اميّة . وهنا نلاحظ اختلافاً في شيء من موادّ هذين المدحين المخلصين : من ذلك ان الاخطل ، في اشادته بذكر مناقب الامويين الدينية ، لا يهتمّ بتقواهم ولا بطهارتهم ، اولاً لانهم لم يكونوا على شيء مهمّ من ذلك ؛ وثانياً لانه ، وهو الشاعر النصراني ، لم يكن يكترث كثيراً لهذه الصفات في خلفاء الاسلام . ومن ذلك ان الفرزدق ، في تعداده مناقب زين العابدين وآله وذكر حقهم من الخلافة ، لا يذكر حزمهم وحسن تدبيرهم وشدة ضبطهم للامور ، وهي من الصفات المهمّة في الحكم ومن التي افاض فيها الاخطل في ذكر ممدوحيه . ذلك ان العلويين لم يكونوا على شيء يذكر من ذلك . فاكتفى الفرزدق باستنتاج هذا الحقّ من نسب الممدوحين واتصالهم بالنبي :

هذا ابن فاطمة ، ان كنت جاهله !

وموقف الفرزدق هذا يبرّر اعراض الامويين عنه ، وعندهم الاخطل . فلم يبقَ له اذاً الّا ان يعتزل البلاط الملكي ، فيكثر الاختلاف الى مدن الحجاز حيث كانت اكثرية العلويين.

واننا لنتحقق الامر نفسه من اعتزال البلاط والانصراف عن دمشق في جرير . ولم يكن من نصيب هذا ان يحظى عند الخلفاء ، قبل عمر بن عبدالعزيز، اي قبل وفاة الاخطل . لا لانه لم يمدحهم ، بل لان الاخطل كان مستأثراً بهم دونه ، ولانه لم يناضل عنهم مناضلة الاخطل ، بل كان من المتهمين بالنعرة الزبيرية وبالتالي من المعرّضين لسخط بني امية . فكان اذا مدحهم ذكر الشجاعة ، والبطش ، والكرم خاصة ، واعتذر عن نزعته القديمة ، ثم لمّح تلميحاً عاماً الى صفاتهم الدينية ، دون ان يبرهن عن حقهم بالخلافة . ولم يكن من المنتظر ان شاعراً يسلك هذه الطرق المدحية وحدها ، ينافس الاخطل في مركزه . ولهذا نراه ينصرف الى مدح امراء الدولة وولاتها كالحجّاج بن يوسف . وهو في اكثر مدحه لا يتعدّى الاوصاف التقليدية . ولا يمكنه في ايّ حال ان يساوي الاخطل في مدحه الاموي ، او الفرزدق في مدحه العلوي.

الهجاء ولكنه ان انحطّ عن زميليه في المدح ، فانه كثيراً ما ساواهما ، وقليلاً ما فاقهما في الهجاء.

كان في طبيعته تيقّظ غريب للاطلاع على مساوئ الناس ، وانتباه عجيب لمواطن النقص فيهم ، ومقدرة على بسط هذه النواقص والمخازي ، يمدّها عدم التحرّج في اختراع ما لا وجود له منها . ويخدم كل ذلك عاطفةٌ قويّة ، ولغة سهلة ، ونفس سيّال ؛ فيؤلف امثل شخصية هجائية عرفها العصر الاموي . زد على ذلك ما كان يُذكي هذه الشخصية من ظروف العصر ، ادبيةً كانت ام سياسية ، واذا انت امام اجلى مظهر للهجو الادبي . وزيد بالهجو « الادبي » كونه احد الفنون الشعرية ، لا كونه مطابقاً لاصول « الادب » وقواعد الاخلاق. فان هذا الهجو « الادبي » كثيراً ما كان يخرج الى السباب والشتائم، ولاسيما بين جرير والفرزدق ، فيولّد مادّة النقائض المهمّة . وان من يطلع عليها يرى مثالاً لما

بلغ اليه انحطاط الاخلاق في هذين الشاعرين ، فاصبحا يتقاذفان اسفه التعابير واسفل المعاني ، ولا مبرّر لذلك الّا كونها منظومة شعرًا ، وشعرًا فنياً بعض الاحيان. حتى لم تبقَ اهانة لاحقة بالاصل او بالنسب او باسرة الشاعرين من اخوة واخوات وآباء واجداد او بسلوكهم جميعاً ، صحيحةً كانت ام مكذوبة، الا وجدت محلًّا في تلك النقائض . فضلًا عن ان هذه الشتائم الكثيرة الالفاظ، القليلة المعاني ، كانت تتراجع دائماً حتى الاسلال ، يزيدها فخر الشاعر بنفسه وبآبائه وبشعره وبكل ما يتصل به. يستعمل الفرزدق ذلك ، فيردّه عليه جرير ، ويبدأ به جرير ، فينقضه الفرزدق . حتى اصبح لنا مشهدان محدّدان ورسمان مقرّران يمثل الاول جريراً اشرف الناس والفرزدق اسفلهم ، ويمثل الثاني عكس هذا المشهد بالتمام . الا ان هنالك اختلافاً بالطريقة . فانّ من يدرس اهاجي الفرزدق يتمثل لديه رجل جبّار يحمل الصخرة العظيمة فيهوي بها على رأس خصمه ، حتى اذا خال نفسه قاضياً عليه ، واصبح المطالع منتظرًا هرس الخصم ، اذا بهذا يتسلل برفق ولباقة من تحت هذه الصخرة وينظر الى خصمه بخفّة واستهزاء ، فيتهكم التهكم المرّ ، ويحوّل عاطفة الحاضرين من الشفقة عليه الى الهزء معه من ذلك الخصم الجبّار :

زعم الفرزدق ان سيقتل مربعاً . أبشر بطول سلامة ، يا مربعُ !

فيكون فنّ جرير بالانتباه ، كما قلنا ، للامور الدقيقة واستغلالها على طريقة لطيفة من الهزء والتهكم . فيرضي الناس ، ويجذبهم اليه ، فيحفظون شعره ويتداولونه ، واذا جميعهم من حزبه.

ثم هو ، في كثير من الاحيان، ينال بغيته على طريقة غير مباشرة كما في قوله :

لما وضعتُ على الفرزدق ميسمي ، وعلى البعيث ، جدعتُ انف الاخطل .

على انه لم يكن من السهل على جرير ان يجدع انف الاخطل ، وهو القائل عنه : « قد ادركته وله ناب واحد ، ولو كان له ناب آخر لاكلني به » يدلّ بهذا على ما كان للاخطل من ذكر بعيد واسم رفيع وشهرة واسعة في جميع انواع الشعر حتى الهجاء. ولعلّ من العوامل التي دفعت جريراً الى التحكك بالاخطل رغبة الشهرة وطمع التفوّق على اكبر شعراء ذلك العصر. الا ان السبب المباشر

كان ان الاخطل حكم على الشاعرين بقول ظنه جرير مجحفاً بحقه . فلم يرضَ بالحكم ، واستغلّ الامر على طريقته المعروفة من صرف الحادثة الى مجال التهكم والازدراء بالمهجوّ ، فقال :

يا ذا الغباوة ، ان بشراً قد قضى ان لا تجوز حكومةُ النسوان .

ثم اتصل الهجاء بينهما ، على اجتهاد من ناحية جرير ، وكسل من جهة الاخطل . فكأنه كان يتكلف الردّ من نفسه لا مهاجمة خصمه . حتى يسكن القول ان موقفه كان دفاعياً وموقف خصمه هجومياً . يتضح هذا لمن يطالع نقائض جرير والاخطل . ولعل في دين كل من الشاعرين ، ونسبة قبيلته الى الدولة المالكة ، ما كان يولّد هذا التباين . فان اسلام جرير كان يفسح له ، في هجاء خصمه النصراني ، مجالاً لا يراه هذا في تلك الدولة الاسلامية . وان مضريّة جرير كانت تسهّل له ، للنيل من اعراض تغلب بل ربيعة ، اساليب لا تسهل للاخطل في تلك الخلافة القرشية المضرية . وهذا ما انتبه له احد الشيبانيين فقال للاخطل : « ان جريراً يبسط لسانه بما ينقبض عنه لسانك ، ويسبّ ربيعة سباً لا تقدر على سبّ مضر بمثله ، والملك فيهم والنبوّة قبله . » وهذا ما لاحظه ايضاً عمر بن عبد العزيز فقال : « ان الاخطل ضيّق عليه كفره القول ، وان جريراً اوسع عليه اسلامه قوله . » بيد ان الاخطل بلغ ، مع ذلك ، من جرير مبلغاً بعيداً . وكان ، على اخذه بالطرق المعروفة من الفخر بالنفس وشتم الخصم ، يترفع نوعاً عن البذاءات التي كان يصل اليها جرير . الا ان شعر هذا كان اسير بين العرب لما كان يتصف به من تلك النكات الدقيقة ، ولما كان يمدّه فيها من العاطفة ، وهي عنده اوفر منها عند زميله .

الرثاء

وهذه العاطفة هي التي جعلت من رثائه فناً شعرياً حقاً سما به على رفيقيه بلا خلاف . حتى اننا اذا طالعنا اليوم رثاءه لامرأته ، على قلة اعتبار النساء في ذلك العصر ، نجد شاعرية فيّاضة بالعاطفة المخلصة والحسّ اللطيف والذكريات الغنيّة مما يكاد يفتخر به ارقّ شعراء العصر ؛ واننا لنعجب بذلك الاخلاص الذي دفعه الى الارتفاع فوق زمانه ، فقال :

لولا الحياء لعادني استعبارُ ، ولزرت قبرك ، والحبيب يزارُ !

. ومن الكافي ان يكون جرير قد افتكر ، في ذلك العصر ، بزيارة قبر امرأته ، وعبّر عن هذه الفكرة بطريقة مخاصة ساذجة ، للدلالة على وصوله في الشعر الرثائي الى درجة لم يصل اليها الفرزدق الجافّ العاطفة ، ولا الاخطل الذي لم يكن الموت ليوفر له الموضوعات الجديرة بشعره الفخم .

الغزل وكثيرًا ما رغب الفرزدق في مثل عاطفة جرير ، لا للاجادة في الرثاء ، بل للرقة والتلطّف في الغزل . وغايته ان يستميل النساء اللواتي كنّ ينفرن من غزله الصلب وتشابيهه الضخمة المتراكمة كالصخور في موضوع يجدر بصاحبه ان يذوب فيه رقة ولطفاً . فضلًا عن ان الفرزدق كان اكثر حاجة الى الرقة من جرير ، لانه كان اوفر تعبيرًا واشد فسقاً ، على قوله ؛ ولما لم يكن يتوصّل الى ذلك كان يستعيض بوصف حوادث ومغامرات نترفع عن الاشارة اليها . وقد استغلّ جرير هذه المواقف ، في هجائه الفرزدق ، فاقام الحجة عليه من شعره حتى نفاه والي المدينة .

اما غزل جرير ، فكان على رقة عاطفته ، اوفر عفّة ، واقلّ قذفاً بالمحصنات .

واما الاخطل فقد استعمل الغزل على طريقة الاقدمين دون ان يتعهّر ، ودون ان يرقّ . وكان كثيرًا ما يستعمل هذا النوع ، لا عن دافع خاصّ ، بل اسلوباً ادبياً يوطّئ به للمدح .

الخمر ولعله لم يكن ذا ميل الى هذا النوع من الشعر ، وقد ملكت عليه الخمرة عاطفته فحلّت في حياته محل دوافع الغزل ، فولدت في شعره بدائع جمة لا يمكن ان نوازن في موضوعها بينه وبين زميليه . ولا يخفى ان الشعر الخمري فنّ احياه الاخطل ، بعد ان كاد الاسلام يقضي على خمريات الاعشى وعدي ابن زيد : فوصف الخمرة في كثير من انواعها وصفاتها ، ووصف مفاعيلها في نفسه ، وفي غيره من الشاربين . كل ذلك باخلاص وطبيعة ودقة تمهد السبيل لوصف ابي نواس . ولو كان الاخطل قد افرد قصائد خاصة لهذا النوع لكان « شاعر الخمرة » قبل ابي نواس . على انه يجب الا ننسى تأثير البيئة في ذلك . فبينا نرى الاخطل يكتفي بالشرب حتى يسكر ، وقد يشرب مستعجلًا ، وقد يشرب واقفاً ، نرى ابا نواس يتمهّل في تروية مجلس

الخمر بما يتطلبه من ماء وازهار وفاكهة وغناء . فلا يصل الى النتيجة نفسها ، اي السكر ، الا بعد ان يكون قد استوفى ملاهي ومسرات وفرتها الحضارة العباسية ولم يكن ليجرؤ عليها شاعر نصراني في بلاط الامويين.

الفخر الاسلامي

الا ان هذا لم يمنع الاخطل ان يفتخر بالشرب ، حتى في المحيط الاسلامي، فيقول :

ولكني ساشربها شمولا واسجد عند منبلج الصباح.

واذاً فقد كانت الخمرة موضوعاً من موضوعات فخره، كما كانت لعمرو بن كلثوم ، ولعنترة ومن اليهما من الجاهليين.

ولقد افتخر الاخطل بغير الخمرة . فتناول موضوعات اشترك فيها وزميليه من شرف الاصل ، ونبل الحسب ، وفضل القبيلة ، وسيادتها القديمة . وكان يدلّ احياناً بخدمات قومه في سبيل الامويين. والفخر موضوع واسع كان يتنافس فيه وجريرًا والفرزدق ، فيتنازعون الاسبقية . ومن الصعب ان نشير الى اولهم في ذلك . وان كان لا بدّ من ذكر اكثرهم فخراً في الكمية ، ان لم يكن في الكيفية ، فاننا نميل بالارجح الى الفرزدق .

الوصف

وهناك موضوع آخر مشترك بين الثلاثة ، وهو الوصف. . .ولكن لم ينبغ فيه احد منهم نبوغاً يستحقّ ذكرًا خاصاً ، وان خاض فيه جميعهم فنجحوا بعض النجاح ، ولاسيما الاخطل. والسبب في ذلك ان فنّ الوصف لم يكن على تقدّم وازدهار في عصرهم .

***

صاغرهم

قال الاخطل عن الفرزدق :

ان الفرزدق صخرةٌ عاديّةٌ طالت ، فليس تنالها الاوعالُ.

قد يكون في هذا البيت تلميح الى جرير ، ورغبة في الحطّ من شأنه. على ان ما يهمنا الآن هو رأي الاخطل في الفرزدق . فنرى انه لم يهتمّ في شعر زميله الا بمظهر العظمة والسموّ. فهو يؤخذ بما في ذاك الشعر من تماسك الاجزاء، وشدة الضبط ، وبروز المتانة ، فيشبهه بالصخرة العادية اي القديمة الثابتة على كرّ الايام . ونحن اذا تذكرنا ما يروى عن الاخطل من حكم على الفرزدق

وجرير : «الفرزدق ينحت من صخر وجرير يغرف من بحر» نرى ان الشاعر الحاكم لم يغيّر وجهة نظره . وهو على حقّ في ذلك . فان كان لقصائد الفرزدق ما يضمن لها البقاء ، فهو تلك الجزالة الرائعة التي تأخذ من قلب السامع ، او المطالع ، بجمال خاصّ يستند الى عناصر الكثرة والقوة وضخامة القسمات، حتى ان الانسان يكاد يذوى،وهو في تلك الحالة من الاعجاب ، دقائق الفنّ الضرورية ، وشروط التعبير الصحيح ، ولزوم السير على الاسلوب العادي . وكلها قواعد للصناعة لم يكن الفرزدق ليهتمّ بها دائماً ، لسوء الحظ . وقد انتبه اكثر النحاة لهذا الاهمال فنعوا على الشاعر هفواته العديدة . وكان يسرّ بعضهم ان الفرزدق ، في اهماله هذا ، يوفّر لهم اسباب المشاحنة والتمحّل . على ان هذا الاضطراب في التعبير لم يكن عن جهل بالاساليب الصحيحة ، بل عن نفور فطري من طرق التهذيب والتنقيح .واذاً فيكون الفرزدق ، اذا اعتبرنا مجمل شاعريته، شاعراً عبقرياً لا يخضع الا لالهامه ، وليس له من الجلد ما يدفعه الى تثقيف هذه العبقرية . فهو ان اتاه الالهام ، نظم القصيدة الطويلة الرائعة بجمالها ، وان لم يلبّه شيطانه كان «قلع ضرسه اهون عليه من نظم البيت الواحد.»

نقول هذا في الشعر الذي كان ينظمه طبيعياً ، والذي كان يقرن فيه قوة النفس باخلاص العاطفة ، فتندفع الكلمات اندفاع السيل ، وتتراكم التعابير يأخذ منها ما يشاء وما لا يشاء ، كما نجد في قصيدته الميمية في مدح زين العابدين . وكان ، في قوة اندفاعه يستعمل كثيراً من المفردات المهجورة والتعابير القديمة ، وان جافة صعبة ، حتى سُرّ به ارباب اللغة فقال يونس : «لولا شعر الفرزدق لذهب ثلث لغة العرب .» الا ان هذا الجفاف لم يكن ليخفى عليه ، وكثيراً ما تمنى ان يتجنبه وان يكون له رقة جرير ، وكثيراً ما اراد ان ينقّح شعره ، وان يأخذ الجميل عن غيره . ولكنه لم يكن يفعل ذلك عن ثقافة مقرّرة ولا عن اسلوب مطّرد ، فظلّ شعره متفاوت الابيات : منها السخيف ، ومنها الرائع العالي يسير بين الناس سير المثل فيتداولونه تداولهم قطع النقود المصكوكة ، وهو لا يزداد على التداول الا جلاء ، كقوله :

ترى الناس ، ما سرنا ، يسيرون خلفنا؛ وان نحن اومأنا الى الناس وقّفوا.

او قوله :

نرى كلَّ مظلوم الينا فراره ويعرب منا جهده كلَّ ظالم.

او قوله ايضاً :

وكنّا اذا الجبار صعّر خدّه ، ضربناه حتى تستقيم الاخادع.

ولا حاجة الى تبيان ما في هذا الشعر من القوة والعظمة ، وهو ما لمحه الاخطل خاصة في حكمه . ولم يكن الاخطل ليلمح هذه الصفة خاصة ، لو لم يكن في نفسه ميل الى القوة والمتانة . وهو ما نتحققه في شعره.

فمّا لا جدال فيه ان الجزالة وطول النفَس من صفات شعر الاخطل . وان كان هذا الشعر يقلّ قوة في بعض مفرداته عن شعر الفرزدق ، فانه يفوقه سلامةً وحسن سبك على طول قصائده . لان الاهمال الذي قصّر بالفرزدق في تنقيح شعره لم يؤثر في الاخطل . بل بالضد ، فان المؤرخين يؤكدون ان الاخطل كان يشتغل شعره ، وينقّحه ، ويحسّن فيه ، حتى انهم يقولون: « كان اذا اجتمع له تسعون بيتاً اختار منها ثلاثين ».وهو يقول انه اقام في نظم « خفّ القطين » سنة كاملة . ومهما يكن من ذلك فان هذا التنقيح افاد شعر الاخطل دقة تعبير ، وصحة تركيب ، واستمراراً على المتانة في القصيدة كلها مهما كانت طويلة . ولهذا اجمع ارباب اللغة واساد النحو على تقديم الاخطل على زميليه . فضلاً عن ان هذا التحسين اللازم وفّر للاخطل تلك المطالع الجميلة التي تظهر في شعره اكثر منها في شعر الآخرين . ثم كان له سعة اطلاع على شعر القدماء ورغبة خاصة في شعر النابغة ، والنابغة من «عبيد الشعر» ، فاخذ بهذا الاسلوب، وسار على خطة سابقه في مدح الملوك،وفي تنقيح الشعر.وقد جمع الى هذه المقدرة في التعبير قوة في التصوير بزّ بها زميليه . فترك لنا تلك المسارح الفسيحة تلعب فيها حمر الوحش ، وتلك الاستدارات التشبيهية تظهر بها سعة الموصوفات . وهنا ايضاً يجب القول انه مدين بقسم من ذلك لاستاذه النابغة.

واذا جاز لنا ان نقايس بين القوى الشعرية التي امتاز بها كل من شعراء المثلث الاموي فاننا نقول ان اضعفها عند الفرزدق والاخطل ، الشعور . اما اقواها عند الاخطل فالمخيّلة يُهيمن عليها العقل . واما الفرزدق فكانت قواه تسير على غير

ضبط . فتارة يسيطر العقل في مدائحه الاصطناعية ، وطوراً تتقدم المخيلة في وصف مغامراته ، وحيناً يظهر الشعور في قصائده العاطفية ، وهي قليلة جداً .

اما اقرب الثلاثة الى الشعور فهو جرير . وهبته الطبيعة عاطفة رقيقة ووفرت له من الاحوال ما زادها نمواً ورقة فاستعملها في كل شيء . في الدين : فكان مؤمناً مخلصاً ؛ وفي الحب : فكان زوجاً وفياً ، وكان والداً باراً ؛ وفي المديح : فكان شاعراً مسلماً ؛ وفي الهجاء : فكان جرّاحاً مؤلماً — وهذا نتيجة ما كان يشعر به من الالم اذ يشتمه الناس — وفي الفخر : فكان متحمساً حتى التهوّر .

وكأنه سكب من عاطفته شيئاً على مبناه . فكان اسلوبه سهلاً لطيفاً جذّاباً يتجنب فيه الالفاظ الثقيلة والتعابير الجافية ، حتى سار شعره بين الناس بسهولة عجيبة . ولا يسير شعر بين الناس ، على الغالب ، الا اذا اتاهم عن طريق القلب . ولا يخفى ان الاسلوب صورة العاطفة اذا رقت رقّ ، واذا جفت جفا .

هذا في الشعر الفطري ، اي غير المصطنع ، وقد كان جرير في اكثر شعره فطرياً مطبوعاً حتى نُسب الى الاخطل قوله : « وجرير يغرف من بحر » اراد بالبحر تلك السهولة التي اتصف بها الشاعر ، وذاك الفيض الذي كان يمده كمن بحر واسع . الا ان هذه السهولة كانت تضعف ، وتُضعف الشعر ، كلما طالت القصيدة ، فتسفّ الابيات ، ويضطرب التعبير مقترباً من الركاكة . وكأنّ الفرزدق صوّر هذه الميزة في شعر مناظره على احسن صورة ، اذ قال : « وتضطرب دلاؤه عند طول النهر . »

وقد كان هذا الامر من الاسباب التي دفعت جريراً الى تقصير قصائده والاكتفاء بالمقاطع القليلة تسير بين العرب بسرعة البرق ، حتى غدا جرير عندهم اشعر الناس في الفخر ، والمديح ، والهجاء ، والغزل . ونحن اذا تدبّرنا اسباب هذا التفضيل نراها تعود الى السهولة في الفكرة ، والسلاسة في التعبير ، والبساطة في عرض الاقسام . وهي الصفات التي كان يعجب بها البدو ، لانها اوفق لفطرتهم ، واقرب لمثلهم الاعلى . وعليه فيكون جرير شاعر البدو ، والاخطل شاعر الحضر ، والفرزدق يهيم بعبقريّته بين البيئتين .

التذكار الحلوي لرحلة لامرتين الى الشرق

لامرتين في لبنان وسورية

تموز ١٨٣٢ — نيسان ١٨٣٣

بقلم اغناطيوس سركيس ق.ب.

٤

في الارز الخالد

لم يبقَ على لامرتين، لتتم سياحته، الا ان يزور لبنان الشمالي ويشبع انظاره برؤية الارز الخالد «ارز الرب في لبنان».

ففي ١٣ نيسان، اذ رأى ان المركب (*L'Alceste*) لم يصل بعد من فرنسة، استفاد من هذه الفرصة وسار بقافلته المعتادة، ليقوم بهذه السفرة الاخيرة في «وطن مخيلته.». فمرّ في جبيل، ونام ليلة في طرابلس. وفي الغد، سار الى اهدن يصحبه شيخها وابنه وخيالته الذين جاؤوا لاستقباله ومرافقته في الطريق. وبعد ان قطعوا طرق كسروان الوعرة وقاسوا في مهاويها اخطاراً لم يتعودوها، وصلوا في المساء الى اهدن حيث كان منزل الشيخ، المعدّ لاستقبالهم، قد غصّ باهل البلد، الآتين للترحيب بالضيف الفرنسي. فاقاموا على اكرامه ليلة انس وفرح. ولما اصبحوا ارسل الشيخ روّاداً يتفقدون طريق الارز. فكان جوابهم ان الثلوج متراكمة فيها على علو اثني عشر قدماً. فاحزن ذلك لامرتين كثيراً ولكنه ترك حاشيته، وركب احد احصنته القوية تصحبه بعض الخيالة اللبنانية، ليلقي على الارز نظرة ولو من بعيد. فسار فوق الثلوج حتى اصبح من الارز على مئة ذراع. وهناك اذ لم يعد يمكنه التقدم، جلس يتأمل تلك الاشجار الجبارة، التي غالبت الزمان فغلبته، وظلت تاجاً على مفرق لبنان...

لا ترى في افقها غير البحر والسماء »[1] . ولكنه يأسف لان الارزات التاريخية لا تزال في تناقص . فقد عدّ السياح اربعين ارزة يدلّ حجمها على انها ترتقي الى العصور القديمة ؛ ثم اصبحت هذه الارزات ثلاثين ؛ ثم سبع عشرة ، ولم يبقَ منها الا سبع »[2] .

ارزة لامرتين

اما « اللوحة التذكارية » التي نراهـا اليوم على الارزة المعروفـة « بارزة لامرتين » . فقد « وضعتها جمعية الشبيبة البشراوية تذكارًا لمرور الشاعر الفرنسي العظيم دي لامرتين مع ابنته جوليا في ارز لبنان سنة ١٨٣٢ ، مهدية اليه الارزة التي حفر عليها اسمه واسم ابنته . تخليدًا لذكره المجيد في ٧/١٠/٢٧ »[3]

ولكن لا لامرتين ولا جوليا دخلا الارز . اما هو فمنعته الثلوج عن بلوغه كما رأينا ؛ واما هي فتوفيت ولم تخرج من بيروت .

فجمعية الشبيبة البشراوية اعتمدت فيما يظهر على الكلمات المكتوبة على الارزة ذاتها وهي :

De Lamarti... : دي لامرتي

JULIA : جوليا

Geramb.. : جيرامب

†

وقد اختلف الكتاب في معرفة من حفر هذه الكلمات ، وذهبوا في تأويلها مذاهب شتى . لذلك لا بد من كلمة جلية في هذا الموضوع ، ولو طال بنا المقال اكثر مما يسمح المقام .

قال البعض ان لامرتين كلف احد اصحابه بذلك . وقال آخرون ان كاهنا

---

١) الرحلة ٢ : ١٢٠

٢) الرحلة ٢ : ١٢٨ — لم يذكر لامرتين من هم هؤلاء السياح الذين اخذ عنهم هذه المعلومات .

٣) الكلمات التي بين معقفين هي نص اللوحة ذاتها مترجمًا عن الافرنسية .

افرنجياً من اصحاب الشاعر ، اسمه جيرامب صعد الى الارز قبل لامرتين وحفر فيه اسمه واسمي صديقه وابنته . وقال غيرهم : بل ان دي برسفال (de Perseval) رفيق لامرتين هو حافر الاسماء . وكل هذه التأويلات بعيد عن الصواب ؛ اذ لو كان من ذلك شيء لدونه لامرتين في مذكراته ، وهو الحريص على كل ما يتعلّق بذكر ابنته .

ولقد كان من حظّ هنري بوردو ، الكاتب الفرنسي المعروف ، ان يقترب من الحقيقة بخطى واسعة . قال في محاضرته : (*Lamartine en Orient*) ما محصّله : لعل لامرتين ، بعد رجوعه الى بيروت ، اعرب عن اسفه لعدم بلوغه الارز ، واتمام رغبته في ان يخلد عليه اسم جوليا . فقد يكون اذن ان احد اصدقائه اللبنانيين سمع ذلك منه ؛ واذ تيسر له الصعود الى الارز ، اتم رغبة صديقه ، وفي ظني ان ذلك اكثر روعة مما لو كان لامرتين هو حافر الاسم بذاته .

وهذا التأويل يشرح لنا اللغز بكامله ؛ فيكون معنى الجملة : « جوليا دي لامرتين (De Lamarti . . . JULIA ، على طريقة القلب اللاتينية) ، المتوفاة († : علامة الموت التي توضع في التواريخ بعد اسماء المتوفين) في شهر كانون الاول (Geramb : تحريف لفظة Decembre : دسمبر) »[1]

هذا ما كتبه بوردو سنة ١٩٢٣ .

ولكن « سر الارزة » انكشف له في ما بعد ، فاوضحه في مجموعته « رحالة الشرق » (*Voyageurs d'Orient*) التي نشرها سنة ١٩٢٦ .

وخلاصة الامر ان راهباً افرنسياً ، اسمه الاب جيرامب ، لا يخلو من الغرابة في بعض طباعه ، كان سائحاً في لبنان سنة ١٨٣٢ ، فتعرف الى عائلة لامرتين . ولما كان كل غريب للغريب نسيباً ، لا سيما اذا كانا من وطن واحد ، اخذ الاب جيرامب يتردد الى بيت لامرتين في بيروت ، كلما سنحت له الفرص ، ليتسلى بمحادثة ابناء بلاده ، وليسلي ربة البيت وابنتها الصغيرة في غياب صديقه الشاعر .

---

1) H. Bordeaux: *La Revue Générale, Bruxelles*, 1923, p. 407

وبلغ من اعجابه بلطف جوليا ونباهتها ورقة اخلاقها ، انه اخذ على نفسه ، اذا زار الارز ، ليحفرنّ على اعظم اشجاره اسم « جوليا وابيها الى جانب اسمه»

وقد برّ بوعده . وما كان شهر ايلول من السنة نفسها حتى صعد الى اهدن ، فالارز ، وحفر على احدى شجراته العبارة التي نحن في شأنهـا : دي لامرتين . جوليا . جيرامب † (والصليب هو شعاره في الرهبنة) .

ولم يرد ان يخبر لامرتين بذلك قصد ان يفاجئه بهذا التذكار الودي اللطيف، عندما يصعد بدوره الى الارز . لكن لم يتسنّ للامرتين ان يتمتع بعاطفة هذا الراهب الودية ، لانه لم يصل الى الارز كما رأينا . ولذا نراه لا يشير الى شيء من ذلك في كتاب «الرحلة» .

ومضت السنون ، حاملة في طياتهـا سرّ ارزة لامرتين ، حتى اتيح اخيراً لهنري ، بوردو فاظهره للتاريخ بعد ان اخذه عن وثائق ومعلومات ثابتة ، هي حياة الاب جيرامب ومفكرات سياحته في الشرق[1] .

***

الرجوع الى فرنسة

رأينا ان لامرتين ، اذ كان على طريق بيروت راجعاً من دمشق ، استلم الرسائل التي تبشره بانتخابه عضواً لمجلس النواب عن مقاطعة بيرغ (*Bergue*) . ويظهر ان هذه البشرى لم تفض في قلبه كثيراً من السرور ، لان هذا القلب الكبير لم يعد يطيق حمل المنازعات السياسية . لكنه لم يرَ بدّاً من التلبية ، عرفاناً لجميل ناخبيه الذين وضعوا ثقتهم فيه ، ثم احياء لذكر والده الذي كان من رجال السياسة في البلاط الملكي[2] ولذلك نسمعه يتنهد بعد قراءة هـذا النبأ ، قائلاً : « ساذهب ! ولكن كم اتمنى ان تبتعد عني هذه الكاس ! . . . »[3]

وفي ٢٥ نيسان من سنة ١٨٣٣ ، بعد ان سلم جثمان ابنته المحنط الى ربان

١) Voyageurs d'Orient. [Revue des deux Mondes. T. XXVIII, p. 66]

٢) صرّح لامرتين في مذكراته بهذين السببين (٢ : ١١٦) ولعل لذلك سبباً ثالثاً لم يرد ان يصرّح به ، وهو فتره الى مورد مالي ، غير الادب ، يعيش منه .

٣) الرحلة ٢ : ١١٦

المركب (*L'Alceste*) ليذهب به توًّا الى فرنسة ، وقبل ارض الغرفة التي ماتت فيها بالأ اياها بدموعه ، غادر بيروت بين دموع الاصدقاء والمعارف الكثيرين الذين جمعته واياهم هذه الرحلة . وتوجهت امرأته مع بعض الرفاق الى فلسطين لزيارة الاماكن المقدسة ، علها تجد فيها بعض الدواء لجرح قلبها العميق . وكان الموعد ان ينتظر لامرتين قرينته في يافا حيث التقيا بعد بضعة ايام.

وحينئذٍ القى هذا الشاعر العظيم النظرة الاخيرة على جبال لبنان وسهول سورية وشواطئ فنيقية وفلسطين ، على البلاد التي احبها حبًّا صادقاً ، واستفرغ كل ما في بيانه الشعري الرقيق من عبارات المديح والاعجاب في سبيل وصفها.

ثم غاب منظرها من امام عينيه ، غائصاً في الخضمّ الواسع ، بيد ان صورتها بقيت مرسومة على لوحة قلبه ، بما تحمله من التذكارات السارة والاليمة.

وكان في نيته ان يمر بمصر . لكن العواصف عاكسته فحملت مركبه الى جزيرة قبرس . فاتم طريقه الى القسطنطينية ، حيث قضى شهرين ، توجه بعدهما الى فرنسة في طريق البر.

٣

كتاب الرحلة الى الشرق

« لا احسب اني ساكتب وصف رحلتي . وكل مرادي ان اجد تأثيرات خاصة ، لا تتعلق بسواي ! »

هذا ما كتب لامرتين في تموز سنة ١٨٣٢ . ولكن لم يمضِ شهر نيسان من سنة ١٨٣٥ حتى تداولت الايدي كتاباً في اربعة مجلدات ، عنوانه : « رحلة الى الشرق » « *Voyage en Orient* » بقلم الفونس دي لامرتين.

ذلك ان شاعرنا ، بعد رجوعه الى فرنسة ، لم تعد حالته المالية كثيرة الاتساع ؛ وكان من جهة اخرى ، قد دخل في نفسه بعض الآراء الفلسفية والسياسية والاجتماعية الجديدة . فلهذين السببين ، عزم على طبع مذكراته : ليحصل من ريعها ما يفي بمصاريفه ؛ وينشر آراءه بين معاصريه.

ولقد نال الكتاب نجاحاً عظيماً وتوالت طبعاته مراراً ؛ اذ كان اول كتب

لامرتين النثرية ، واكثرها قيمة ، دون شك ، لبراعة الفن في اوصافه ، ولطرافة المسائل الاجتماعية التي تعرض لها وحاول حلها . ثم لانه كتاب عن الشرق ، والشرق ، اذ ذاك ، مالئ البصائر والشواعر . ولكن كثيراً من القراء لم يستطيعوا ، مع ما رأوا في الكتاب من الجمال في الانشاء ، ان يخفوا تعجبهم من بعض آراء المؤلف.

والحق انك لا تستطيع ان تقرأ هذه المذكرات الملأى بالصور البيانية ، دون ان تشعر بالتضادات الكثيرة التي يصعب شرحها لاول وهلة.

ولعل من المفيد ان نأخذ مثلاً حسياً على ذلك:

تراه حيناً ينكر ان الاتراك اضطهدوا المسيحيين او عارضوهم في تشييد كنائسهم واقامة صلواتهم . ثم لا يلبث ، بعد صفحات ، ان يفيض في وصف ما يعانيه السوريون من جور الاتراك وتخريبهم للكنائس ، او جعلها جوامع.

ولقد رأيته ، في صفحة واحدة ، يذمّ رهبان دير نزل فيه واستقبل احسن استقبال ، فيشكو من تباغضهم وتكاسلهم ونوع معيشتهم ؛ ثم ، على مسافة بعض اسطر ، تتغير افكاره ، فيجزل مدحهم ، شاكراً محبتهم وتفانيهم وتقواهم ، وتركهم اوطانهم في اوربة ليعيشوا بالكد والتعب في بلاد مقفرة كصحراء فلسطين.

والسرّ في ذلك ، على ما يراه الخبراء ، راجع الى سببين :

الاول ان المؤلف اراد ان يضخم حجم كتابه ، فحشاه بكل فكر مرّ بخاطره دون ان يمحصه ويردّه الى حقيقته ، محكماً فيه ، عرض العقل ، مخيلته القوية .

والثاني اضطراب افكاره وعدم ثبوته على رأي واحد :

جاء لامرتين الى الشرق تحت تأثير عاطفة دينية محضة : فاننا نراه ، اذ تظهر الناصرة امام عينيه ، « يقفز بغتة عن ظهر حصانه ، وبدافع غريزي ، يكاد يكون غير اختياري ، يركع على التراب لا ينبس الا بهذه الالفاظ « الكلمة صار جسداً وحلّ فينا » ؛ ثم يعفر بجبينه الارض التي انبتت المسيح ، بالاً اياها

بدموع التوبة ، والمحبة ، والرجاء . » [1]

بهذه العواطف غمس قلمه ، اذ ابتدأ بتدوين مفكراته اليومية ، « احياناً عند الظهيرة ، ساعة القيلولة ، في ظل النخيل ، او تحت اعمدة الاطلال في الصحراء ؛ وغالباً عند المساء ، على نور سراج زيتي ، في خيمة تضربها الرياح والامطار ؛ وكثيراً ما اضاع اوراقه ؛ واكثر من ذلك ما مزقتها بنات آوى ، او بللتها الامطار وامواج البحر . » [2]

لكنه لم ينشر هذه المفكرات على علاتها كما ظهر اليوم للنقاد من مقابلة كتاب « الرحلة » المطبوع بمخطوطات لامرتين الاولى المحفوظة في المكتبة الوطنية في باريس . فكانت النتيجة ، كما اعلنها السيد كونيه ، انه « من الواجب ان نشك في صدق لامرتين عند ما يقدم لنا « تأثراته وخواطره مدة رحلته الى الشرق » [3] فالحقيقة ان الكتاب يحتوي آراء لامرتين بعد رحلة الى الشرق . » [4]

فلا عجب ان يكون المؤلف بعد رجوعه الى اوربة واضطراب عقيدته السياسية والفلسفية والدينية من جديد ، حذف كثيراً من مذكراته ، وزاد عليها كثيراً ، مازجاً المفيد باللذيذ ، كما يقول المثل اللاتيني . واذا كان اللذيذ هنا ما نثره في كتابه من الاساطير والفكاهات والقصائد ، فيجب ان نفهم بالمفيد ما وجده من آرائه الاجتماعية خليقاً بالانتشار ، بل ضرورياً لتسيير الكون كما ينبغي .

لهذه الاسباب جاءت مذكرات الرحلة كثيرة الاضطراب غزيرة التضاد ، مما حير عقول القراء كما قلنا .

هذا من جهة المعاني . اما في المبنى ، فقد تظاهر لامرتين بترك المذكرات على علاتها . وهكذا فاننا نرى ، الى جانب الفصول الطويلة والابحاث المستفيضة ، صفحات لا تحوي سوى سلسلة جمل قصيرة متقطعة كرؤوس اقلام كتبت على عجلة . واليك مثالاً منها :

---

١) الرحلة ١ : ٢٦٦ ٢) المقدمة : III

٣) عنوان الكتاب في الصفحة الاولى من كل مجلد : « *Souvenirs, impressions, Pensées et Paysages, pendant un voyage en Orient, 1832-1833* »

٤) راجع : J. De Cognets : *Vie intérieure de Lamartine.* (1911) p. 222.

« سافرنا في الليل . . . فجر جميل بين احراج الزيتون . . . – نسمات لطيفة – . . . ليلة هادئة بين جزر السيكلاد – ركد الهواء في منتصف النهار – البحر هادئ حتى المساء . . . »

رأينا في حياة لامرتين انه قضى حصة من عمره في الاسفار ، وتنقل في اجمل بلدان اوربة كايطالية وسويسرة وجبال الالپ والپيرنه ، حتى اصبح حب الطبيعة وفهم جمالها ملكة غريزية فيه ، الامر الذي ساعده كثيراً في تدوين مذكراته ، اذ سهل عليه وصف المشاهد الطبيعية . وانك لترى كثيراً من اوصاف الرحلة شعراً رقيقاً لا ينقصه الا الوزن والقافية.

بقي ان نقول كلمة في عاطفة لامرتين نحو الشرق ، ونحو سورية ولبنان بالخصوص فهو لم يدخر من اساليب البيان شيئاً في مديح بلادنا وسكانها ؛ حتى لنتساءل عند قراءة الكثير من ذلك : أصادق لامرتين في ما يقول ؟ ايعبّر عن عاطفة قلبية ام يستولي عليه الخيال فيتغنى باكثر مما يشعر ؟ انه يجد ان « ضواحي طرابلس فتانة » ؛ ويطرب « بمناظر لبنان التي ليس اجمل منها ؛ وبضيافة اهل لبنان التي لم يرَ مثلها في حياته » ويمدح النساء السوريات « بجمالهنّ غير القابل الوصف » . . . وامثال ذلك كثيرة في الكتاب.

فهل لامرتين مخلص في كل ذلك ؟ واذا كان مخلصاً ، فهل اخلاصه صادر عن عاطفة واغراض وقتية ، ام عن عقل يزن ما يقول بمعيار التروي والحكمة ؟

هذه اسئلة لا بد من ان تعترض المطالع.

لكن مهما يكن من الامر ، فان الكتاب ينقسم في مجمله الى قسمين : قسم يحتوي المسائل السياسية والفلسفية ، والقضايا الاجتماعية الخاصة باهل القرن الماضي ؛ وهذا القسم يكاد يخيم عليه عنكبوت النسيان ، لولا بعض الاختصاصيين وطالبي الوثائق التاريخية . وقسم يضمّ باقة من الاوصاف الفنية البديعة لكل المعالم التي مرّ فيها لامرتين ؛ وهذا القسم هو الذي يهمنا ، نحن الشرقيين خاصة ؛ اذ نجد فيه شيئاً كثيراً عن الحياة في سورية ولبنان في القرن التاسع عشر ، ونحسّ بروح ذلك الشاعر الكبير الذي احب بلادنا حباً جماً وترك آثار هذا الحب في « مذكرات رحلته » . وسنختار في الجزء القادم امثلة من هذا القسم في وصف لبنان ، والحياة اللبنانية كما عرفها الشاعر. (له صلة)

الامثال والاساطير اللبنانية

المختصّة باشهر السنة الشمسية

بقلم لحد خاطر

تموز

تموز اسم الاله « دوزو » الكلداني المترجم « عرق الحياة » ، أُطلق عليه تيمناً . وقد عبد الفينيقيون هذا الاله واسموه بلسانهم « ادوني » اي «سيدي»، وهو عندهم رمز الشمس لانهم كانوا يؤلهون قوى الطبيعة . وقد اقام له الجبيليون في مدينتهم ومشارفها هياكل فخمة ، وكانوا يحتفلون كل سنة باعياد موته وقيامته ، وله عندهم اسطورة معروفة واسماه اليونان « ادونيس » ، واطلقوا اسمه هذا اليوناني على نهر ابراهيم . يقابله في الاشهر الفرنجية «يوليو» ، اخذاً عن الرومان الذين اطلقوا عليه اسم احد امبراطرتهم « يوليوس قيصر » المولود فيه ، تكريماً له ، بعد انتصاره على اعداء الامبراطورية . وكان الاقدمون يرمزون اليه بصورة « الاسد » ، والانكليز يسمونه « شهر المروج » لازهارها فيه ، والفرنسيون « شهر القش » لانه عندهم شهر الحصاد ، والمصريون « شهر الماء والهواء » لان الرياح تهبّ فيه عندهم ويفيض ماء النيل

***

وتموز في لبنان « شهر الحصاد » لان الحنطة تدرك فيه البلوغ فيباشرون حصادها ، ولحصاديهم فيه اقوال فهو عندهم : « شهر البركة » . وشمسه على شدّة حرّها « تجوهر الجسم » اي تطهّره من السموم بما تخرجه منها مع العرق ، وهواؤه يساعد على تذرية الحنطة المدوسة على البيادر ، ويمكّن من فصل الحب عن القش او التبن بسهولة ، ومن ترطيب الجسوم وانعاشها ، ويتناشدون وقت مباشرة الحصاد اغاني تقليدية متوارثة تستلذ الآذان سماعها ، لما فيها من معانٍ لطيفة تحضّ على العمل والسعي في تحصيل الرزق بعرق الجبين . وقد اتحفني بعض الفلاحين بشيء من تلك الاغاني فاثبت هنا اغنيتين منها مثالاً

لنفسية الفلاح اللبناني القديم وصورة لما كان يجول في قرارة نفسه من العواطف والافكار والمطامح عند مباشرة عمله

الاولى : اغنية عريقة في القدم يقال انها تردّد في لبنان من مئات السنين:

شوش الجمال نلي ، عندما نادى الرحيل
قلت لُهْ : جمّال ، خذني . قال : انا دربي طويل .
قلت لُهْ : جمّال ، بركب . قال : انا حملي ثقيل .
قلت لُهْ : أيش الحمولة ؟ قال : قرفة وزنجبيل .
قلت لُهْ : حصيد زرعي ، قبل حملك ، يا خليل
شو بتنفعني الحمولة ان كان محصولي قليل ؟!

الثانية : اغنية طويلة اكتفيت منها بالابيات التالية :

يا شباب المولشه (١ ها الشهر شهر الميشه .
ال ما يحصد من قلبه بتكون حياته وجيشه .

دور

ال ما يحصد من قلبه ويله من غضب ربه !
الله بتروح من دربه ، ومايسمع صوت الجاروشه .

دور

وما يسمع صوت الطاحون ، ويصير محتاج ومديون ،
واذا عدّا عليه كانون يبلى باكبر بلبوشه .(٢

دور

يبلى باكبر شغلة بال ؛ الحصيدة لازمها رجال .
عالحصيدة ، يا ابطال ، بالمنجل والقاشوشة ! (٣

وفي تموز تبدأ اسعار الحنطة بالارتفاع لان الغلّة القديمة تكون على وشك النفاد ، والغلة الجديدة تكون لا تزال قيد التجهيز والاعداد للاستهلاك ، ويقول اللبنانيون في ذلك : « الغلاء الشديد ، تحت القُمر الجديد » وقد مرّ بك ما يريدون في اصطلاحهم من لفظة قمر ، على ان سهولة المواصلات في هذا العصر لم تبق لمثل هذا الغلاء محلّا ، لما تأتينا به البواخر في مختلف الاوقات

١) الحصاد ، من ملش بمعنى حصد والملوش حشرة تقضم النبات فكأنها تحصده
٢) البلبلة والبلاء وتعب البال
٣) اداتان للحصاد في لبنان

والفصول ، من محاصيل البلدان الاجنبيّة. واذا تعذر على من نفدت غلاله منهم شراء حاجة منها، استعارها من توجد لديه من جيرانه واصحابه ، حتى اذا درس غلاله الجديدة وذرّاها ، كان اول ما يفعله ، وهو على البيدر ، قبل التعبئة ، ردّ العارية الى صاحبها ، ومن امثالهم في ذلك : « قبل ما تعبي ردّ ، لان من أخذ ورد ، قاضي لا يرتد »

وفي تموز يهيئ الزرّاع الاوعيـة لادّخار الغلّة يصنعونها من الدلفان بشكل اسطواني ، ويجعل لهـا ثقب من اسفل يُسدّ بكمامة ويفتح عند الحاجـة ، ويسمونها « الكواير » . وقد تكون مربّعة مزدوجة الداخل يوعى في جانب منها السميذ الناعم وفي الجانب الاخر السميذ الخشن ، الاول للكبة ، والثاني للطبخ فتسمى «المخادع» ويقولون في امثالهم : « في تموز الحصيدة ، هي كوايرك للغلة الجديدة » و « يا ذلّ من عمل بطون الناس كوايره ! »

وفي تموز تنضج بواكير التين والعنب ، وتسمى بواكير التين في اصطلاحهم «الديفور او الديشور». ويقولون ان الاكثار منه ضارّ بالصحة لما يسببه من الارتباكات في الجهاز الهضمي ، ومن اقوالهم فيـه : « من كثر الديفور ، بات مضرور » ، وتسمى بواكير العنب : « التلاويح » ويقولون انها نافعة مقوية للدم ، ويحضون على الاكثار منها ، ومن اقوالهم فيها : « متى لوّح العنب من جديد ، كل منه قدر ما بتريد » ومنها : « اول العنب ، وآخر التين »

واول ما تظهر « تلاويح » العنب في عيد مار الياس ٢٠ تموز ، ويقولون في ذلك : « في عيد مار الياس ، حطّ العنب للجلاس » . وفي ١٧ منه تبتدئ ايام « الشعرى » ومدتها شهر وهي مصمعان الحرّ ، لذلك قالوا : « في تموز ، تغلي الميـاه في الكوز » وقالوا ايضاً : « الجحاش البيض لا تدفأ الا في عشرين تموز » لان هذه الجحاش موصوفة بشدة تأثرها بالبرد فيقولون عنها انها لا تدفأ الّا اذا بلغ الحرّ اشدّه في التاريخ المذكور

وفي تموز يندر المطر لذلك يقولون : « اندر من المطر في تموز » . وفي اغنية عامية عن لسان امرأة لبنانية تشكو سوء حظها البيت التالي :

يا سوء حظي ! لو غسلت في تموز رعدت وبرقت وشتت كل نقطه كوز !

نجمتان صغيرتان عطوفتان

حكاية

محررة بقلم الاب انطونيوس شبلي اللبناني
رئيس انطوش جبيل

ظهرت يوماً نجمتان صغيرتان كأنهما اعجوبة ، فأنارتا الجوَّ الفسيح بلمعانهما الباهر . فرآهما الله كذلك ، فاختصَّهما بحبه ، وسألهما رغبة يتمُّها لهما . فما اشتهيتا شيئاً ، بل اكتفيتا بظهورهما قبل كلّ النجوم ، كلَّ ليلةٍ ، تنيران مكاناً معيَّناً كقنديلين كهربائيين معلَّقين على باب الفردوس الذي يقفلهُ القديس بطرس كلَّ مساء .

ليس لالوف النجوم محل وقوفٍ ، ولا وظيفةٌ خاصَّة . أمَّا النجمتان الصغيرتان فطريق السماء العام مسيرهما ، ولهما وقوفٌ خاص فوق بيتٍ صغير ، في وسط حقل تحيط به غابةٌ واسعة الاطراف ، وترتفع حولهُ اشجارُ الصنوبر الكثيفة ، تمرُّ الريحُ في أغصانها فيبدو للسامع من حركتها كأنَّ أسراب طير تشقُّ الفضاء ، او امواج بحرٍ تتكسر على رمال الشواطئ .

رَقدتْ العيلةُ ، إلَّا ابنة صغيرة جميلة جَلَست على مقعدٍ جنب البيت تُصغي الى النسيم يداعب ذوائبها الشقراء ويحمل اليها حكايات القرى القريبة . وخرير ماء الساقية الجاري على كثبٍ منها يُنشيءُ في نفسها شتَّى التأثرات . فتاةٌ صغيرة صَموتة ، شاحبة الوجه ، يحبُّها جميع الناس كلَّ وقت ، وتُحيّيها العصافيرُ كلَّ صباح ، ويلاطفها النسيم بنسماته العاطرة ، وتهدي اليها الزهور أطيب أطيابها ، وتروي لها الساقية اخبار الجبل العالي يكلّلُ رأسهُ بياضُ الثلج ، وروايات الماشية تشرب من غدرانها ، واحاديث الرعاة يتحدّثون عن جانبيها . وهي

جالسةٌ الساعات الطوال تأنسُ بذلك كلّهِ ويطفحُ وجهها بشراً.

عمياء تلذُّها المناظر الفاتنة وهي لا تراها !

روزي فرحةٌ بالرغم من مصابها الأليم . لانَّ ابويها تحوَّطاها بكل عنايةٍ وشفقةٍ وحنان ، حتى كأنَّ البيت كلَّهُ سرورٌ حولها ، وحدائق الغابة الغنّاء مسرحٌ لافكارها بحسب مشتهاها ، تحمل الى الظباء والغزلان قوتاً كل مساء.

كان لروزي أخٌ أصغر منها سنّاً يدرسُ علم الفلك في إحدى المُدُن ، باذلاً ما في وسعه لينال قصبَ السبق في فنّه ، وطالما طالع السماء جالساً ليالي الشتاء الطويلة بقرب النافذة ، مراقباً النجوم بعد ان يُشبعهُ استاذهُ شروحاً عنها.

وكان كلَّ سنةٍ يحضرُ الى البيت ليحتفل بعيد الميلاد مع عيلته فيقصُّ عليها كلَّ ما يتعلّق بدرسه وبجمال تلك المدينة العظيمة ، غير انهُ كان يتكلّم على الأخصّ ، وقد أخذ منهُ الانذهال ، عن الكواكب المحبوبة وجمال الفلك العجيب.

وكانت روزي الصغيرة مصغيةً كلَّ الاصغاء كأنها ناظرةٌ اليه بعينيها العمياوين النجلاوين الواسعتين . ومن قوله لها : ان النجوم تبان في المرقب كأنّها عوالم . وقد رأوا في القمر جبالاً ووهاداً ، إلّا انهم رأوا أنَّ الحياة فيه غير مستطاعة لشدَّة برودة الطقس.

عندئذٍ أحسَّت تلك الابنةُ الصغيرة بشوق عظيم الى مرأى ما قد سمعتْ عنه الحديث . فكانت تخرج من البيت خفية ، والطبيعة ساكنة ، وترفع عينين ملتهما الدموع الى حيث كانت تتصوّر أنَّ الجوَّ والنجم فيه يلمعُ ، وتهتف من أعماق قلبها :

«كم يكون شكري لك ، يا ابي السماوي ، مضاعفاً اذا قوّيتني على ان أرى ، ولو مرّة واحدة ، النجوم المحبوبة ، والقبّة السماوية ، والعالم الفخم الجميل !»

سمعتْ النجمتان الصغيرتان هذا الهتاف ، فحملهما عطفُهما على الذهاب الى الله وكلّمتاه بشأن الابنة الصغيرة وسألتاه رغبتهما في إبصارها . فسمع صلاة

روزي ، وشاء بجودته غير المحدودة ان يستجيب طلبتها فقال : « اني اقضي لكما رغبتكما على شريطة ان تهبطا الارضَ معي ، ولكن يجب ان تعلما انكما اذا بلغتاها لا تصعدان منها في الحال ولا تضيئان من بعدُ في السماء ما لم أدعُ اليَّ تلك الفتاة الصغيرة . »

فارتضتْ النجمتان بشرط الله عليهما .

***

وبينا المساء بارد ، والثلج متساقط ، وتلك الليلة جالسة لطعام العشاء ، وروزي مصغية الى صفير الريح ، واغصان الاشجار تتقصّف من ثقل الثلوج ، وبيت الفلّاح ملتحف بثوبه الابيض ، اذ بالباب يُقرع . فاسرع الرجل ففتح ، واذا بشيخٍ تدلّى الثلجُ بلحيته جليداً يرتدي أخلاق ثيابٍ لا تقوى على ستر اعضائه ، وهو يرتعشُ من البرد . فطلب ان يؤاووه تلك الليلة ، مدّعياً أنّهُ ضلَّ الطريق . وسألهم بعض مأكلٍ يسدُّ به جوعهُ . فامتلأ قلب الفلّاح وامرأتهُ شفقة عليه ، وهما من ذوي الفضل والتقى . وقامت المرأة فاعدّت لهُ مأكلاً وافياً وسريراً دافئاً . وروزي كانت كأنها اصغاء الى احاديث الشيخ صاحب الصوت العذب الرقيق ، فبان لها انهُ ذو سفر طويل ، فرقَّ قلبُها لهُ وشفقتْ عليه . وقد ادرك هو ذلك منها فعطف عليها وضمّها بحبٍ بليغ الى صدرهِ ، ولم تعلم الدافع الى ذلك . ثمَّ لبث طويلاً يتأمّل في عينيها المنطفئتين وكأنَّ ابتسامة الهيّة تُنير وجههُ .

تعشّى الشيخ ودفئَ ، وذهب كلٌّ الى مرقدهِ ، ومكثت الفتاة تُفكّر بشأن الرجل غير العاديّ ، وقد شعرت في قربهِ بعواطف تقوى وعبادةٍ لم تكن منها الّا في المعبد . ولمّا اصبحوا ، وهمَّ الضيفُ بالانصراف ، طلب اليه اهل البيت ان يبقى عندهم ريثما تخفُّ وطأةُ الثلج ، فرضي . وعَلِق به قلب الجميع ، ولاسيما روزي

أقام عندهم أياماً محفوفاً باسباب الراحة . ثمَّ قام ليسافر وقال :

« لقد خدمتموني خدمة كبيرة وحفظتموني جيلاً عظيماً . وآذن وقتُ سفري . واني لمستعدٌّ قبل وداعي لكم ان اكافئَ صنيعكم »

قال هذا وجذب اليه روزي فأجلسها على ركبتيه ، ومسّ بلطفه عينيها ، فوضع فيها النجمتين الصغيرتين. فصرخت الفتاة :

« ابي ! أمي ! لقد ابصرتُ ! ابصرتُ السماء ! وها انا انظر كلَّ شيء ! »

قالت هذا وارتمت بين أذرع والديها ! فدهشوا جميعاً ، والأمر مدهش . ثمَّ أفاقوا وهمّوا ليشكروا للمحسن اليهم . فاذا به قد توارى عنهم فسعوا في طلبه وعبثاً ما سعوا . فادركوا أنَّ الشيخ المسكين انما هو الله او رسولٌ من عنده . فقاموا كلُّهم ، وكلُّهم قلوبٌ بارَّة ، فارسلوا صلاة حارَّة شكراً للسماء على النعمة.

وتضاعف نورُ النجمتين الصغيرتين في وجه الفتاة الصغيرة ولم تزالا تضيئان الى الآن بسرور ولطف في وجه روزي وهما تحدّقان الى السماء التي ستدعوهما عمّا قريب.

* * *

فاذا نظرتم عند المساء ، ايها القرّاء الاعزّاء ، الى القبة السماويّة المرصّعة بالنجوم ، رأيتم أن جهة الشرق مُظلمةٌ لأنهُ ينقصها نيّران هما النجمتان الصغيرتان ، او عينا روزي المنيرتان

جولة في المجلات

عقلية العرب – النهضة النسائية في مصر

عقلية العرب

من محاسن مجلة «الرسالة» المصرية الجديدة أنها ، في تلميحها الى الظواهر الادبية لدى الشعوب الاجنبية ، تدفع بعض ادبائنا الى التعمق بدرس العقلية العربية وما انتجته في العلم والفن والادب ، والى المقابلة بين هذه العقلية وغيرها من عقليات الشعوب المعروفة كاليونان والمصريين والفرس وغيرهم . وقد لمحت نظرنا ، في احد الاجزاء الاخيرة ، رسالة للاستاذ توفيق الحكيم ، صاحب رواية «اهل الكهف» التي سنصفها في عدد قادم من «المشرق» ، حاول فيها ان يحدد مركز الاغريق والهنود ، والمصريين ، والعرب من الحضارات العامة ، وميزة كلّ حضارة مستمدة من عقلية الشعب الذي قام بها . فرافقه التوفيق في بعض نظراته ، وكان بحاجة الى شيء من التحفظ والاحتياط في البعض الآخر ولاسيما في ما خصّ الاغريق . على ان ما يستحق ذكرًا خاصًا في بحثه القيّم هو ذاك القسم الدقيق الذي صوّر فيه العقلية العربية وما تمتاز به من التسرّع في اللذة والاكتفاء بالجزئيات الى غير ذلك من المميّزات الدقيقة التي كان يشعر بها جميع المتصلين بادب العرب وفنهم وعلمهم ، فلا يجدون لها هذا التعبير الشامل وهذا التعليل المعقول ، حتى الى الاستاذ توفيق الحكيم فقال (الرسالة : العدد ١٠ في ١ حزيران ١٩٣٣ : ص٦-٧) :

العرب أمة نشأت في فقر لم تعرفه امة غيرها ، صحراء قفراء ، قليل من الماء يثير الحرب والدماء ، جهاد وكفاح لا ينقطعان في سبيل العيش والحياة ، أمة لاقت الحرمان وجهاً لوجه ، وما عرفت طيب الثمار وجري الانهار ورغد العيش ومعنى اللذة الّا في السير والاخبار ، كان حتماً عليها ألا تحس المثل الاعلى في غير الحياة الهنيئة ، والجنات الخضراء ، والماء الجاري ، والوان النعيم واللذائذ التي لا تنضب ولا تنتهي ، امة بأسرها حلمت بلذة الحياة ولذة الشبع ، فأعطاها ربها اللذة ومنحها الشبع ، كل تفكير العرب وكل فن العرب في لذة الحس والمادة ، لذة سريعة منهومة مختطفة اختطافاً ، لان كل شيء عند العرب سرعة

ونهب واختطاف . عند الاغريق الحركة ، اى الحياة ، وعند العرب السرعة ، اي اللذة . لم تفتح امة العالم بأسرع من العرب ، ومر العرب بحضارات مختلفة فاختطفوا من اطايبها اختطافاً ركضاً على ظهور الجياد ، كل شيء قد يحسونه الا عاطفة الاستقرار . وكيف يعرفون الاستقرار وليس لهم ارض ولا ماض ولا عمران ! دولة انشأتها الظروف ولم تنشئها الارض ، وحيث لا ارض فلا استقرار ، وحيث لا استقرار فلا تأمل ، وحيث لا تأمل فلا ميتولوجيا ولا خيال واسع ولا تفكير عميق ولا احساس بالبناء ، لهذا السبب لم تعرف العرب البناء ، سواء في العمارة او في الادب او في النقد ، الاسلوب العربي في العمارة من اوهى اساليب العمارة التي عرفها تاريخ الفن ، واذا عاش لليوم فانما يعيش بالزخرف ، فن الزخرف العربي انقذ العمارة العربية ، ان العمارة العربية — الا في مصر — ما هي في رأيي سوى زخرف لا بناء ، فلا أعمدة هائلة ولا جبهة عريضة ولا وقفة قوية ولا بساطة عظيمة ولا روعة عميقة ، انما هي وشي كثير وجمال كجمال الحلي المرصع يهز البصر ولا فكر خلفه . أما فن الزخرف العربي فهو في الحق اجمل واعجب فن للزخرف خلده التاريخ . والزخرف عند العرب وليد ذلك الحلم باللذة والترف ، كل شيء عند العرب زخرف . الادب نثر وشعر لا يقوم على البناء ، فلا ملاحم ولا قصص ولا تمثيل ، انما هو وشي مرصع جميل يلذ الحس ، فيفاء اللفظ والمعنى ، و « آرابسك » العبارات والجمل . كل مقامة للحريري كأنها باب لجامع المؤيد ، تقطيع هندسي بديع ، وتطعيم بالذهب والفضة لا يكاد الانسان يقف عليه حتى يترنح مأخوذاً بالبهرج الخلاب . كذلك الغناء العربي « آرابسك » صوتي ، فلا مجموعة اصوات متسقة البناء كما في « الديتيرامب » او « الاوركسترا » الاغريقية او كما في « الكورس » الجنائزي المصري ، ولا حتى مجرد صوت ينطلق حراً بسيطاً مستقيماً . انما هو صوت محمل بالوان المحسنات من تعاريج وانحناءات والتواءات وتقاسيم كأنها « ستالاكتيتات » غرناطية ، لا يكاد يسمعه (القاضي الفاضل) حتى يستخفه الطرب ويضع نعله فوق رأسه ؛ كان هذا في العهد الاول للموسيقى اذ كانت عند جميع الشعوب بسيطة عارية تخرج من القلب تعبيراً عما في القلب ، او رمزاً

لفكرة من الافكار ، والموسيقى كالعمارة من الفنون الرمزية لا الفنون الشكلية، ولكن العرب لا يحبون الرموز ، ولا طاقة لهم بالفن الرمزي ، ولا يريدون الا التعبير المباشر بغير رموز ، والا الصلة المباشرة بالحس ، فجعلوا من الموسيقى لذة للاذن لا اكثر ولا اقل ، كما جعلوا العمارة لذة للعين لا اكثر ولا اقل ، ولقد حاول الفارابي فيما اذكر التقريب بين الموسيقى العربية والموسيقى الاغريقية، وكان لا بد له من الاخفاق لاسباب قد اذكرها بعد ، كذلك التصوير العربي على جماله ودقته ليس الا مجرد تزيين وزخرف للكتب والمخطوطات ولم يؤد لغير تلك الغاية « المنياتور » الفارسي - قد يكون للدين دخل في تأخر النحت والتصوير عند العرب ، غير اني اعتقد براءة الدين ، ان العرب كانوا دائماً ضد الدين كلما وقف الدين دون رغبات طبائعهم ، لقد حرم الدين الشراب ، فاحلوا هم الشراب في قصور الخلفاء ، وما وصفت الخمر ولا مجالس الخمر في ادب امة باحسن مما وصفت في الادب العربي ، لا شيء في الارض ولا في السماء يستطيع ان يحول بينهم وبين اللذة . اما النحت او التصوير الكبير فليس في طبيعتهم، لان تلك فنون تتطلب فيمن يزاولها احساساً عميقاً بالتناسق العام مبناه التأمل الطويل والوعي الداخلي للكل في الجزء وللجزء في الكل ، وليس هذا عند العرب ، فهم لا يرون الا الجزء المنفصل وهم يستمتعون بكل جزء على انفراد، لا حاجة لهم بالبناء الكامل المتسق في الادب ، لانهم لا يحتاجون الا للذة الجزء واللحظة ، قليل من الكتب العربية في الادب تقوم على موضوع واحد متصل، انما اكثر الكتب كشاكيل في شتى الموضوعات تأخذ من كل شيء بطرف سريع : من حكمة واخلاق ودين ولهو وشعر ونثر ومأكل ومشرب وفوائد طبية ولذة جسدية، وحتى اذ يترجمون عن غيرهم يسقطون كل ادب قائم على البناء، فلم ينقلوا ملحمة واحدة ولا تراجيديا واحدة ولا قصة واحدة ، العقلية العربية لا تشعر بالوحدة الفنية في العمل الفني الكبير، لانها تستعجل اللذة ، يكفيها بيت شعر واحد او حكمة واحدة او لفظ واحد او نغم واحد او زخرف واحد لتمتلئ طرباً واعجاباً ، لهذا كله قصر العرب وظيفة الفن على ما نرى من الترف الدنيوي واشباع لذات الحس ، حتى الحكمة ، وشعراء الحكمة كانوا يؤدون

عين الوظيفة : اشباع لذة المنطق ، والمنطق جمال دنيوي ، ولا استغرب غضب نيتشه على ايروبيد لاسرافه في هذا المنطق على حساب الموسيقى ، من المستحيل اذن ان نرى في الحضارة العربية كلها أى ميل لشؤون الروح والفكر بالمعنى الذي تفهمه مصر والهند من كلمتي الروح والفكر . ان العرب امة عجيبة ، تحقق حلمها في هذه الحياة ، فتشبثت به تشبث المحروم ، وابت الا ان تروى ظمأها من الحياة وأن تعب من لذاتها عباً قبل أن يزول الحلم وتعود الى شقاء الصحراء ، وقد كان.

النهضة النسائية في مصر

لا تزال فكرة قاسم امين تسير بين الشعب المصري ، متقدمة بخطىً بطيئة ولكنها ثابتة ، فتعمل على تحرير المرأة المسلمة شيئاً فشيئاً .وان من يقابل حالة النساء اليوم في القطر المجاور بحالتهنّ قبل الحرب يتحقق التقدم المحسوس الذي ادّت اليه الجمعيات النسوية ، ومنها « الاتحاد النسائي » الذي اسسته السيدة هدى هانم شعراوي . وقد زارها مؤخراً الاستاذ سامي الكيالي ، صاحب مجلة « الحديث » الحلبية ، فلخّص من اقوالها ما يلي ، دالاً على تقدم النهضة المذكورة (الحديث ، حزيران ، ص ٤٥٤) :

واذ تسأل هدى هانم عن الاعمال التي قام بها « الاتحاد النسائي » في مصر خلال السنوات العشر تجيبك بصراحتها الواضحة وقلبها مطمئن: لقد وفقنا الى الغاء الحجاب الذي كان يحول بيننا وبين الاشتراك في الحياة العامة، والى تحديد السادسة عشرة لزواج الفتيات اللواتي كان يزوجهن اباؤهن فيما مضى وهنّ لم يتجاوزن بعد العاشرة ، مع فتح ابواب المدارس الثانوية والعالية امام الفتاة المصرية مع انها حتى عام ١٩١٤ كانت محرومة من الالتحاق بالمدارس الثانوية والعالية وكان حظها من الحياة التعليم الابتدائي فقط .والجامعة المصرية تضم اليوم في كلياتها الاربع ما يقرب من ٤٠ تلميذة عدا البعثات النسوية التي سافرت الى انكلترة وفرنسة لاتمام دراساتهنّ العالية في مختلف نواحي التفكير. وتزيد على ما تقدّم بان « الاتحاد النسائي » قد ظفر بعدة اصلاحات تتعلق باستطاعة المرأة المطالبة بالطلاق وبتحديد سلطة الرجل في توقيع يمين الطلاق،وان تحتفظ الام المطلقة بطفلها ان كان ذكراً لمدة ٩ سنوات بدلاً من ٧ سنوات وان كانت أنثى لمدة ١١ سنة بدلاً من ٩.

مطبوعات شرقية جديدة

E. G. Browne : La Médecine Arabe. *Edition française mise à jour et annotée par le* Dr **H. P. J. Renaud.** 1 *vol. in-16 de XII + 176 pp. Prix : 20 fs. Larose, Paris.*

الطب العربي

لا يخفى ان تاريخ الطب العربي الذي نشره ، سنة ١٨٧٦ ، الدكتور لوسيان لوكلير في مجلدين كبيرين ، كان الكتاب الفرنسوي الوحيد الشامل موضوعاً من اهم مواضيع الثقافة الاسلامية والمدنية العربية . على ان ذاك الكتاب اصبح في عصرنا ، فضلاً عن ندوره ، مقصراً بالنسبة الى الابحاث المتصلة في الموضوع وما وصل اليه الاطباء والمستشرقون من نتائج مهمة . فكان من نصيب احد مستشرقي كمبريدج الآخذين بالطب ان يسدّ هذه الثلمة باصداره الكتاب الحاضر . وكان من نصيب احد اطباء مراكش الآخذين بالاستشراق ان يستخرج الى الفرنسوية هذا البحث المفيد معلقاً عليه بعض الشروح والملاحظات دعت اليها الدروس الحديثة ، مظهراً صفحةً جميلةً خطّها اطباء العرب في تاريخ الفكرة العلمية العامّة .

Les grands jours de la Rédemption, *grand in-8° de 128 pp. 16 grandes gravures de maitres anciens et de modernes, couverture en couleurs de Grand Aigle. Prix : 10 fs, Bonne Presse, Paris.*

ايام الفداء العظيمة

يشتمل هذا الكتاب على ذكر ايام الفداء العشرة التي اشار اليها قداسة البابا بيوس الحادي عشر في منشوره الرامي الى ذكر الفداء . وقد تبعها المؤلفون واحداً واحداً ، من تأسيس سرّ الافخارستيا حتى موعظة الرسل الاولى ، فاجتهدوا في تبيان الحوادث الانجيلية ، والعقيدة التي تُستخرج منها ، والاسرار التي تشتمل عليها . وقد بدأوا في عملهم هذا ، بذكر نصوص الانجيل بكاملها ، يزيدون عليها احياناً نصوص الانبياء ، او القديس بولس ، او غيره من الكتبة الكنسيين . ثم يضيفون الى ذلك الشهادات ذات القيمة التي اقرّها البابوات

والمجامع في ما خصّ معنى هذه النصوص التاريخية ، وشروحها التي وصلت الينا بواسطة التقليد. يلي ذلك اقوال آباء الكنيسة ومعلميها ، ولاهوتيها ، ووعاظها، سُردت حسب الترتيب التاريخي ، وكلّها تدور حول عقائد الكنيسة ، والروح المسيحي الذي يؤيد فكرتها دائماً.

Joseph Folliet : Le Droit de Colonisation. 1 *vol. de* 350 *pp. Prix* : 30 *fs. Bloud et Gay, Paris,* 1933

حقّ الاستعمار

هي أطروحة القاها المؤلف في معهد الفلسفة العليا من جامعة باريس الكاثوليكية، وقد نالت نجاحاً باهراً. على انها لم تُطبع اولاً الا بعدد قليل لم يستفد منه كثير من القرّاء. فأُعيد طبعها مؤخراً. والموضوع ، كما لا يخفى ، جزيل الفائدة لا للاختصاصيين فحسب ، بل لجميع رجال الاستعمار ، والمرسلين ، وموظفي الحكومة ، والكتّاب الاجتماعيين من الذين تقلقهم المشاكل العمرانية والعملية. فيجد فيه الجميع معلومات دقيقة وملاحظات قيّمة. وعليه فاننا ننصح بقراءته كل من تهمّهم هذه المشاكل.

Victor Boret : Le paradis infernal. La vérité sur la Russie. *in*-12 *de* 420 *pp. Paris, Quillet, éditeur. Prix* : 15 *fs.*

الفردوس الجهنّمي. الحقيقة عن روسية

ان التضادّ البارز في العنوان يمثّل حقّ التمثيل النتيجة التي يصل اليها المؤلف. كان وزير الزراعة سابقاً فأجهد ذهنه بمشكلة الفلاحين ، ومصير ١٢٧ مليوناً من المتعلقين بالاراضي الخاضعين لـ ٣٨ مليوناً من سكّان المدن. يستبد بهم جميعاً نحو ثلاثة ملايين من البلاشفة. راقب المؤلف كل هذه المظاهر فدرسها واستخرج منها نتائج عديدة واحكاماً عامّة كانت في اكثرها مستندة الى مراقبة سكّان المدن خاصة. فاذا امكن القول عن « فردوس » ارباب الحكم انه وهمي ، فماذا عسى ان نقول عن حالة غيرهم من السكّان ؟ وليس من وجودٍ تطبيقي في هذا « الفردوس » لمدلولات الحرية ، والسعادة ، والعدل. وافضل ما يمكن الحكم به ان روسية الخارجة من الثورة لا تزال حتى اليوم قوّة غير منظّمة. فهي مأخوذة بمغامرة هائلة لم تُعرف نتيجتها حتى الآن. وعليه

فيكون الكتاب على قسط من الجدّة ، جديراً بالمطالعة . ج . ل .

Aymé Guerrin : La Mort du Christ. *vol. in-12 de 192 pp. Paris, Librairie Plon.*

موت المسيح

في هذه السنة التي يحتفل فيها العالم اجمع بمرور تسعة عشر قرناً على موت المسيح ، رأت مكتبة بلون ان تضع بين ايدي القرّاء نصّ المأساة الالهية . فاستخرج المؤلف من كتابه المعروف عن « يسوع كما يحياه الناس » هذا النصّ المستند الى الوثائق الدقيقة والابحاث الجارية في محل الحوادث فعسى ان يدفع المطالعين الى التأمل باسرار اسبوع الآلام ، والى قراءة الانجيل بحبّ وتفهّم .

ك . ب . هيوز

Marguerite Perroy : St François Régis. *Editions Publiroc, Marseille.*

القديس فرنسيس ريجيس

من سير القديسين ما يقرأه الناس بطيبة خاطر فينتشر انتشاراً عجيباً ويأتي بالثمار الصالحة دون ضجة ولا اعلان . وقد لا نرانا بعيدين عن الصواب اذا قلنا ان هذه السيرة للقديس فرنسيس ريجيس من النوع المذكور . فهي سهلة حافلة بالحياة والتنوّع ، على قسط وافر من الدقة والنقد التاريخي ج . ل .

Paul Lesourd : Le Missionnaire catholique des temps modernes. (*Problèmes, exigences et nécessité de son apostolat*) [*Biblioth. d'études catholiques et sociales.*] 2 *vol. in-18. Prix : 24 fs, Ernest Flammarion, Paris,* 1933

المرسل الكاثوليكي في الازمنة المعاصرة

كتاب قيّم جمع فيه المؤلف طائفة من المعلومات جديدة ، دقيقة ، غزيرة الفائدة لمن تهمّه الصعوبات المتراكمة امام المرسلين وحدهم في البلاد الغريبة ، حيارى امام عقلية المهجيين ، مجاهدين في تسهيل العقبات الطبيعية والبشرية ، عاملين على حلّ الصعوبات المدرسية والاجتماعية والشعبية ، دائبين في مقاومة الاخطاء ، والانشقاقات ، والتعصب ، والبغض ؛ ولاسيما في عصر تشكت فيه الازمات الاقتصادية والاخلاقية ، فزادت في عذاب من يحيا حياة الفقر والغربة . هذا ما ترمي اليه اقسام الكتاب الاربعة التي لا يمكن ان نلخّص فصولها العديدة

الوافرة المعلومات حتى ان الكتاب يؤلف دائرة معارف شاملة لكل ما يثيره موضوع الارساليات الدينية من صعوبات ومشاكل.

M. Rameau et H. Yvon : Dictionnaire des Autonymes ou contraires avec indication des synonymes. *in-12 de 293 pp. Paris, Librairie Delagrave.*

قاموس الاضداد

لم تتوافر بعد للادباء المثقفين جميع القواميس التي يحتاجون اليها. على ان المؤلفين قاما بعمل مشكور اذ وضعا قاموساً للاضداد باللغة الفرنسوية ، اي للكلمات التي تتعاكس معنىً. فاخذا بتحديد كل كلمة ، بواسطة مترادفاتها على الغالب ، ثم بوضع الكلمة التي تضادها. ولا يخفى ان عملاً كهذا لا يبرأ من اضطراب ومبالغة وتجاوز سواء في انتخاب المترادفات ام في اختراع الاضداد . وهو ما اجتهد المؤلفان في تجنبه. وقد بدئ الكتاب بدليل وردت فيه ، على الطريقة الابجدية ، جميع المترادفات المذكورة في القاموس.

B. Farès : L'honneur chez les Arabes avant l'Islam. *Etude sociologique. 1 vol. in-8° de 226 pp. Paris, Librairie d'Amérique et d'Orient, Adrien Maisonneuve.*

الشرف (العرض) عند العرب قبل الاسلام

لقد كان من السهل ، لخمسين سنة خلت ، ان يؤلف كتاب كهذا. وذلك ان الناس كانوا يقرّون اجمالاً بصحة نسبة الشعر الجاهلي بكامله ، وبصحة نسبة الاحاديث المتعدّدة وما اليها من نوادر وشروح وتعاليق. اما اليوم فقد اصبح العلم ينظر نظر الشاكّ الى الكثير من هذه المواد. على ان المؤلف لا يجهل ذلك ، بل يعرف خاصةً نظريات طه حسين في الموضوع ، ويحاول تفنيدها بطريقة تضطرب بين النجاح والفشل.

هذا والكتاب حسن الطبع ، مقبول المظهر ، لا بأس في انشائه الفرنساوي على الغالب ، ولا بأس كذلك في اسلوب البحث فيه. وهو الاسلوب الذي استفاده المؤلف من اساتذة علم العمران في فرنسة. اما مواد البحث فتظهر كافية على الغالب. الا ان المؤلف لا يستند في اكثر قياساته الا الى كتاب او اثنين من مؤلفات العرب. فضلاً عن ان كثيراً من الاستنتاجات لا تركز على

أنّ متين ، حتى يسهل على الناقد ان ينقضها بعشرات الشواهد تفيد عكس ما يرمي اليه الكاتب. وفوق ذلك زاويستند ، في ما خصّ حادثة جاهلية ، الى الدكتور غوستاف لوبون. وهذا لعمري غاية الغايات ، اذ لا يخفى على احد ان ذاك الطبيب لم يكن ليحسن كتابة اسمه بالحروف العربية .. ه. ل.

St Jean Chrysostome : Dialogue sur le sacerdoce. Discours sur le mariage. Lettres à une jeune veuve. *Traduction nouvelle de l'abbé* F. Martin. *Classiques Garnier. Librairie Garnier,* 1931 *Prix :* 15 *fs.*

من مؤلفات القديس يوحنا فم الذهب : محاورة في الكهنوت – خطب في الزواج – رسائل الى ارملة شابّة

اننا نلفت نظر رجال الاكليروس الشرقي من كهنة وطلّاب الى هذا الكتاب الجامع نخبة صالحة من مؤلفات الخطيب السوري العظيم والكاتب البليغ يوحنا فم الذهب. وقد مثّل المترجم النواحي الثلاث البارزة في مؤلفات القديس ، وعلّق على النصوص كل ما يلزم من الحواشي والشروح والتوطئات لتسهيل الفهم ، كما انه قدّم على ذلك بحثاً في حياة القديس ومؤلفاته.

ج. ل.

Firmin Roz : Washington. [*Collection « Les Constructeurs »*] 1 *vol. de* 282 *pp. Broché,* 15 *fs*

واشنطون

لم يكن لمجموعة « البنّائين » ان تُهمل جورج واشنطون ، وهو البنّاء العظيم ، ان صحّ — وهو الصحيح — انه عمل اكثر من غيره على بناء تلك الامة الاميركية العظيمة التي اصبحت اليوم من اقوى عناصر العالم تأثيراً في الحياة السياسية والاقتصادية. فافردت المجموعة مكاناً خاصاً لهذا البنّاء ، وقام روز سارداً حياته ، دارساً اخلاقه ، معدّداً آثاره ، مبيناً تأثير الاحوال الزمانية والمكانية التي اكتنفت هذا الرجل فساعدت شخصيته مساعدة غريبة ، على تمثيل الدور الذي قام به ، حتى يمكن القول ان الظروف الخارجية لم تجتمع في خدمة شخصية بارزة اجتماعها في خدمة واشنطون. كل هذا باسلوب رشيق ، حيّ ، تصويري ، على ايجازه الاخّاذ ، مما يمكن المطالع من ان يقرأ الكتاب

دفعةً واحدةً متمجباً للفوائد الكثيرة التي يجنيها من هذه القراءة السهلة. وما ذاك الا لفنّ المؤلف المتين ، وتضلّعه من موضوعه الشائق.

Louis Pastor : Histoire des Papes., *tome XIV, traduit de l'allemand par* **Alfred Poizat.** *Paris, Plon. Prix : 40 fs.*

تاريخ البابوات : الجزء الرابع عشر

يشمل هذا الجزء حبرية البابا مرسال الثاني ، والبابا بولس الرابع ؛ وذلك مدة خمس سنوات تولى منها مرسال الثاني ٢٢ يوماً فقط . على انه اكتفى بهذه الايام القليلة فترك ذكرًا صالحًا في تاريخ الجهود التي اثارها الاصلاح الكاثوليكي وقد خُلّد اسمه في القداس الذي ألفه بالسترينا لاحياء ذكراه. اما البابا بولس الرابع ، واسمه الاصلي جيان پيترو كرافا ، فامتاز بارادته الحديدية التي خدمته الخدمة الجلّى في اصلاحه الكنيسة واعادتها الى مجدها السالف. الا انه لم ينجح النجاح نفسه في مقاومته سيادة اسبانية ، فكان كثير الاندفاع والتسرّع في هذا الامر. ولا يمنع ذلك ان يكون ذاك الشيخ ، على قول بعض المؤرخين ، رجل الساعة في زمانه. فكان مع سالفه من كبار ممثلي ذاك العصر الوافر الاهمية في تاريخ الكنيسة. ج. ل.

P. Renaudin : Assomptio B Mariæ Virginis Matris Dei. *Disquisitio theologica, in-8° de VIII + 184 pp. Prix : 12 lires. Turin, Casa editrice Marietti.*

انتقال العذراء الى السماء

لقد زادت العقائد المريمية ، في القرن التاسع عشر ، زيادة تُذكر بتحديد عقيدة الحبل بلا دنس. وها ان المؤلف يشرح اليوم انتقال العذراء الى السماء ، على طريقة وافية مستندًا الى الكتاب المقدس ، واقوال الطقوس الكنسية ، والوعّاظ ، والآباء ، واللاهوتيين . ويختم ، في ملحق ، بذكر المطالب التي قُدّمت الى المجمع الفاتيكاني لتحديد انتقال العذراء الى السماء بجسدها.

P. Humbert : Pierre Duhem. [*Les Maîtres d'une génération*]. *in-12 de 147 pp. Paris, Librairie Bloud et Gay.*

پيير دوهيم

يعرف القرّاء الكرام ، دون شك ، تلك المجموعة القيّمة التي تُنشر بعنوان « قادة جيل ». والتي خُص كل من اجزائها السابقة بعالم او فيلسوف

اما هذا الجزء فخصّ باحد علماء الفيزياء ، وقد تولّى هذا المنصب في معهد بوردو العلمي من سنة ١٨٩٥ حتى وفاته سنة ١٩١٦. فقام بدروسه بدقة عجيبة ، الا انه ، لو كان في باريس ، لكان لتأثيره ونفوذه مجال اوسع وثمار اوفر ، وذلك لان فرنسة لا تزال متعلّقة تعلّقاً شديداً بمظاهر المركزية في كل شيء. هذا وقد اهتم المؤلف بترجمة العالم ، غير غافل عن سائر مظاهر حياته . فبيّن صواب نظرياته الفلسفية، وصحة ابحاثه التاريخية ، كما بيّن طرافة اختباراته الفيزيقية. وختم بتقدير نفوذه العلمي المسيحي. ج. ل.

Le formulaire des hôpitaux d'Ibn abil Bayan, médecin du bimaristan annacery au Caire, au XIIIe siècle. *Ouvrage annoté et publié pour la première fois par* le R. P. Paul Sbath. [*Extrait du Bulletin de l'Institut d'Egypte, T. XV*] *in*-8° *de* 70 *pp.*, 1933.

الدستور البيمارستاني

لا يمرّ زمن طويل حتى يرفع الاب سباط زاوية من الحجاب المسدول على مكتبته الخطيّة فيتحفنا بشيء من آثارها. وها هو يهدي الينا اليوم نص مجموعة طبيّة في الادوية المركّبة لعالم يهودي كان طبيب سلاطين الايوبيين في مصر. وقد كثرت في هذا النصّ التعابير الوضعية والمفردات الغريبة في اسماء النباتات والعقاقير. وعمل فيها النسّاخ عملهم فحرّفوا وصحّفوا ما شاؤوا. فكان فضل الطابع بانه قوّم اكثرها. الا اننا اسفنا اذ رأيناه يبدل ، في بعض الاحيان ، بالتعبير العامي الاصلي ، تعبيراً فصيحاً كان بغنى عنه. ه. ل.

Alfarabi's Philosophy and its influence on scholasticism by Fr. Robert Hamoui, O.F.M. *Australia by Pellegrini and Co. Sydney, Melbourne, Brisbane.* 86 *pp. in* 12

فلسفة الفارابي وتأثيرها في الفلسفة المدرسية

ان موضوع هذا الكتيب ، واسم مؤلفه وصفاته يحلّه عندنا محل من يمتّ الينا بصلة قربى. فرحنا لقدوم المؤلّف علينا ، واسفنا لارجائنا الى هذا اليوم الكلام عليه. ان غاية الاب حموي انما هي تعريف عامة القرّاء الانكليز باحد فلاسفة العرب العظام. قال انه قرأ الفارابي في متنه العربي ، واستعان ، في ما كتبه عليه ، بما نشره دي بوير عن الفلسفة العربية وغيره. فجاء كتابه مختصراً

لما كتب على هذه المادة. وهو شائق لذيذ على الاخص لمن يكون لهم بعض الالمام بالفلسفة المدرسية. فنهنئ المؤلف على تحفته. ف. ت.

علم الاقتصاد

الجزء الاول : المقدّمة

لجامعه عبد القادر المظم

٢٤٦ ص. متوسطة – مطبعة الجامعة السورية ، دمشق ، ١٩٣١

ان من مميزات الحركة العلمية والمدرسية في الشرق اقتباس العلوم وطرق التعليم الغربية . فمن مطالعة برنامج المدارس وبالاخص المدارس العليا في جميع الفروع يتضح هذا الامر جلياً . لذلك نرى ان كثيراً من الكتب المعتمد عليها للتدريس في الجامعات الغربية تترجم الى العربية لتتخذ ايضاً اساساً في الجامعات الشرقية . على هذه الصورة عُرّب منذ سنوات قليلة مؤلف الاستاذ كارو في الحقوق الجزائية للحاجة الماسة اليه في معهد حقوق دمشق . ولكن الامر لم يقتصر على الترجمة وحسب بل تعدى الى التأليف ، فالمؤلفون الشرقيون انفسهم قد اقلعوا عن الطرق القديمة البائدة واتبعوا النسق والطرق الغربية الحديثة . من هؤلاء المؤلفين الاستاذ عبد القادر المظم ، رئيس معهد الحقوق العربي بدمشق . فقد وضع مؤخراً الجزء الاول الواقع في مجلد واحد من كتاب في علم الاقتصاد . والاستاذ المؤلف هو الاختصاصي بهذا الفرع اذ هو مدرسه في المعهد الدمشقي. هذا الجزء الاول من المؤلف مكرّس لايضاح المبادئ العامة والقواعد الكلية مثل تعريف موضوع علم الاقتصاد والحاجات والحادثات الاقتصادية الى ما هنالك من المواضيع الاساسية التي لا بد من تفهيمها جيداً قبل الدخول في بحث المسائل الفرعية من علم الاقتصاد وهي التي سنراها ، ان شاء الله ، في الجزء الثاني من الكتاب . وقد ورد في القسم الثالث والاخير من الجزء الاول وصف كامل للمذاهب الاقتصادية المختلفة : المذهب الحرّ ، والمذهب الاجتماعي ، والمذاهب الاشتراكية الخ.

ونحن نتمنى لهذا المؤلف الجديد في علم الاقتصاد كل الرواج الذي يستحقه ، ان لدى الطلاب وان لدى اصحاب المصالح وارباب الحقوق. ا. ت.

اعمال المرأة في الحرب الكبرى

للخوري بطرس روفائيل

المطبعة الكاثوليكية بيروت ، ١٩٣٣ ، ١٧٠ ص . متوسطة صغيرة

ان صديقنا حضرة الاب بطرس روفائيل قد اتى على وصف المرأة العربية فابرزها بطلةً مثالًا اعلى للبسالة في ميدان الحرب ، وفي مساعدة المقاتلين ، وفي العناية بالجرحى ، وفي سائر المساعي التي لا تحيا دونها الامة ولا ترتقي سلم النجاح . فاستحق الثناء . وعسى ان يلتفت رؤساء المعاهد التعليمية للاناث فيدخلوا كتاب الاب روفائيل في معاهدهم . على ان حضرته اقتصر على ذكر المرأة في الحرب الكبرى في اوربة . ونحن نتمنى لكتابه ان تنفد طبعته، فيضاف اليه في طبعة ثانية اخبار عن المرأة السورية فضلًا عن العربية . فان بلادنا ايام الحرب العظمى شهدت المآسي مبرحاً وشقاء هائلًا بين مجاعات ومذابح ومنافي . ولكن لم تقع كارثة من تلك الكوارث المؤدة سحنة البشرية الا وكان لها صحيفة بيضاء انجلت فيها مظاهر الشفقة والانسانية والبطولة النسائية . ونذكر في سياق الكلام عناية الراهبات ايام الحرب في بلادنا بالمرضى والايتام ، وتضافر المساعي النسائية لتخفيف وطأة المشقات على المنفيين ايام الحرب العظمى لا من السوريين فحسب ولكن من الارمن في جميع الانحاء السورية وعلى الاخص في الشمال . كل ذلك جدير بالذكر تقديراً للفضيلة حق قدرها . ف . ت .

العظة

رواية تأليف جورجي شرقي

مطبعة الشعب بطنطا ١٩٣٢

سليمان انتحر بعد ان قتل صادقاً النادر بابنته سعاد . وسعاد ماتت في مستشفى الامراض العقلية ، وكان ابوها قد غدر بامها وغدر بامرأته فاطمة ، وفاطمة ماتت كمداً . ان وقائع هذه المأساة او المجزرة تجري على المسرح بين المقاهي وبيوت العار ومنها يقتطف المؤلف الموعظة لردع الناس عن الفجور . والرواية خالية مما يمس الاداب مباشرةً ، لكنها تترك في القلب حسرات ومرارات خير لنا ان نجهلها، فسلمت العظة من المواخير ودار الفساد . ف . ت

حضارة مصر الحديثة

لنخبة من زعماء الرأي والثقافة في مصر

المطبعة المصرية – ١٩٣٣ – ص ٢٠٠ ، ق ٨

هو مجموع اثنتي عشرة محاضرة ألقيت في ظلال الجامعة الاميريكية في القاهرة ، في فبراير ومارس وابريل من العام الماضي . كل محاضرة انتدب لها رجل ممن عهدت فيه الجامعة الكفاءة لوفاء الموضوع حقه ، فيحوي الكتاب خلاصة ما يهمّ معرفته عن مصر الحديثة وينابيع ثروتها الزراعية والمعدنية والتجارية ، واحوال فلاحها وصانعيها ، وحركاتها الدينية والفكرية والادبية والفنية والاجتماعية والدولية ، وحالتها الصحية .

ان قيمة المباحث تتفاوت بتفاوت قيمة اصحابها ، وكل واحد مسؤول عما كتب ليس الا . وعلى الاجمال نرى الكتاب شائقاً لذيذاً ، وهو كمرآة لحال مصر في يومنا ، فنهنئ عليه ادارة الجامعة وكتبتها . ونستميح اذناً بابداء ملحوظ .

من لا يعرف الاستاذ عبد الرازق ورحابة صدره لاعتناق ما يراه موافقاً للمبادئ الصحيحة . على انه ادهشنا في كلامه على الحرية والمساواة من جانب واحد ، وفي تعصبه ومغالاته لحزبه من جانب آخر . قال (ص ١٥١) : « ان الحضارة المصرية على كل حال ترجع في آخر امرها اسلامية لا ينبغي ان تكون الا كذلك ولا تعتبر الا انها حضارة مصرية اسلامية » . ولكن افي الامكان الكلام على المدنية المصرية من غير الاقرار ان العنصر الاسلامي المحض فيها انما هو جزء جزئي ؟ اطرح من مجموعة مظاهر العمران والرقي الحالي في مصر كل ما يمتّ الى الصليب قرباً او بُعداً . اجل عن وادي النيل المسيحيين من غربيين وشرقيين وما اثرا به من التمدين . افلا تبرز المدنية الاسلامية فيها بحالة اشبه بما نراه في البلاد التي لم تطعم بالمصل الغربي ؟ نحن نحب المدنية العربية ونفاخر بها . ولكن على ان لا نتجاوز حدود المعقول في مفاخرتنا ! ولا عار على العرب ان قلنا فيهم انهم يعرفون ان يمتزجوا بالمدنية الغربية امتزاج الصورة

بالمادة ومن الاثنتين تتكوّن شخصيـــة فريدة بنوعها نفيسة منها تظهر المدنية العربية باجلى مظاهرها وابهاها فـلا نحطّ من قيمة الشرق ولا الغرب.

ثم في كتاب « الحضارة المصرية » محاضرة على حالة الصحة للدكتور محمد شاهين باشا قال فيها : « اتى عصر الفرنسيس بقيام نابوليون الاول في سنة ١٧٩٨ بحملته على مصر . ويمكن اعتبار هذا الفتح مبدأ لتاريخ الصحة العامة في البلاد كما يعتبر مبدأ تاريخها الحديث وقـد اصطحب نابوليون مـائة من اعظم علماء فرنسة المجهزين بالكتب والآلات العلمية كما استحضر معه مطبعة عربية وادخل كثيراً من الاصلاحات . . . » (ص ١٠٠)

فيرى الفرق بين لهجة ولهجة . وقد اصابت « الادارة » بقولها انهـا تترك لكل محاضر تبعة اقواله.

ف . ت .

المناخ في العالم

بقلم محمود حامد محمد

المطبعة الرحمانية في مصر ، ١٩٣٣ ، ق ٨ ، ص ٢٢٧

صاحب الكتاب مفتش ادارة المتيورولوجيـة في مصر ، وعضو في الجمعية المتيورولوجية الملكية بلندن . صدر كتابه برسم ملـك مصر ، واشار الى مراجعه ، ونشر الصور العديدة مساعدةً على فهم الشروحات الوفية الشائقة وفيها ما يستهوي فؤاد كل مطالع مشتاق الى الالمام بمعارف احوال المناخ ، ولم يسبق المؤلف سابق في وضع كتاب باللغة العربية كهذا الكتاب.

قسم صاحب الكتاب مادته الى قسمين : في الاول تكلم على المنـاخ وعناصره وشروطه وتوغل في البحث على الهواء والفضاء والاشعـة الشمسيـة والحرارة والضغط الجوّي في سائر طبقاته والاعاصير والرياح والتبخر والتكاثف والرطوبة والسحب والامطار والثلوج والعواصف والرعد . . . وانتقل الى القسم الثاني وفيه الكلام على المناخ في اقاليم الكرة الارضية.

وقد يكون هذا المؤلف جزيل الفوائد لمدرسي الجغرافية باللغة العربية ، فنحثهم على اقتنائه.

ف . ت .

محاولات في درس جبران

بقلم امين خالد

١٠٨ ص. متوسطة صغيرة – المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ١٩٣٣

يذكر القرّاء الكرام تلك الابحاث التي نشرها الاستاذ امين خالد ، فحاول فيها درس شخصية جبران خليل جبران متتبعاً مؤلفاته من «الاجنحة المتكسرة» الى « آلهة الارض ». وها هو قد جمعها اليوم ، واضاف اليها بحثاً طويلاً في « انشاء جبران » ؛ وطبعها على حدة ، مع مقدمة بقلم الاستاذ فؤاد افرام البستاني. ولما كان الموضوع من الاهمية بمكان ، نرى من الموافق نشر القسم الاخير من هذه المقدمة ، دلالةً على قيمة الكتاب النقدية :

« والحق ان الاستاذ امين خالد قام بهذا العمل بدقة موضوعية ، واخلاص للحقيقة ، وجرأة في عرض النتائج جديرة بكل ثناء.

« قد لا يوافقه المطالع في هذا الاستنتاج ، وقد لا يقرّه على ذلك الحكم ، وقد يراه مبالغاً في ذلك التخريج ، وقد لا يوافقه في تعاريج درسه لانشاء جبران ؛ ولكنه لا يسعه الا التسليم الذهني بقوّة التحليل ، ودقّة النقد ، والمقدرة على استيعاب جميع المظاهر والعود بها الى الاسّ الوحيد في ادب جبران ، وهو ما دعاه «بالجوهر الفرد» ، دالاً على آثاره الدائمة في جميع مؤلفات الكاتب ، وان تفاوتت بروزاً وخفاء ، من الحكايات الفنيّة ، الى الآراء الفلسفية ، من « الاجنحة المتكسرة » الى « النبي » الى « آلهة الارض ».

« وما عسى القول في « يسوع ابن الانسان » ، وقد حلله الناقد المسلم تحليلاً افصح فيه عن آراء كثير من المسيحيين ، وكشف بحكمه عليه تبعةً طالما علقت بضمائر قادة النفوس تجاه هذا الكتاب ، كما صرّح لنا غير واحد من رجال الاكليروس الكاثوليكي بعد ان اطلعوا في « المشرق » على « يسوع الانجيل ويسوع جبران ».

« وبعد فهذه « محاولات» يعرضها الكاتب على ارباب النقد خطوطاً لتأليف صورة جبران ، وحجارةً لبناء صرح شخصيته ، ولهم الحكم الاخير في

صلاحها او فسادها. على انني أصارح الاديب منذ اليوم بان سيكون من خطوطه — وان فاجأ بعضها مألوفات الرسامين — ما يميز تلك الصورة، وسيكون من حجارته — وان رفض بعضها البنّاؤون — ما يجعل اساساً لزوايا ذاك الصرح.

لامرتين

بقلم الياس ابو شبكه

٩٤ ص متوسطة صغيرة - مكتبة صادر ، بيروت ، ١٩٣٣

بمناسبة مرور مائة سنة على رحلة لامرتين الى الشرق ، رأت مكتبة صادر ان تعرّف الشاعر الى اهل الشرق فكلّفت الاديب الياس ابو شبكه ، فاسرع في وضع هذا الكتيب المختصر ، مارًّا فيه على ترجمة الشاعر وآثاره الادبية والسياسية ، خاصاً بشيء من الاطناب رحلته الى الشرق ، معرّباً بعض المقاطع من مذكراته المعروفة. والكتاب جميل المظهر ، حسن الطبع ، يُقرأ بسهولة.

تاريخ ما اهمله التاريخ — الحلقة الاولى : الضحايا

تأليف حبيب جاماتي

مطبعة موسى البابي الحلبي واولاده في مصر ، ١٩٣٣ ، ص ٢١٥ ، ق ١٢

هو الكتاب الاول من مجموعة سوف تظهر سائر حلقاتها في المستقبل ، ومن الكتاب الاول يمكن التكهّن على ما سوف يكون الباقي.

«في ميدان التضحية متسع للجميع.» هي كلمات سعد زغلول رواها المؤلف في اول قصة البطل المجهول ، ذلك الفتى الذي تعرض للموت وقضى نحبه فداء المصلحة الوطنية في مصر فجاء مثال التضحية بمعناها العالي الاسمى.

وقد وددنا لو وجّه الكاتب جهوده خصيصة الى تلك الناحية من المرمى في كتابته قصصه فتكون اكثريتها من امثال قصة البطل المجهول ، فيمكن من ثم ان توضع بين ايدي الاولاد في المدارس ويتصفحها لا الاديب الناضج فحسب ولكن كل فتى احبّ ان يقطف من قراءته اثمارًا ادبية من غير ان يعنى بتمحيصها ليفرق فيها بين الغث والسمين. والمؤلف الحصيف ادرى بان

القصص الادبية لا تستوفي حقوقها الا بان تترك في نفس القراء لا حسن المبدأ فحسب ، ولكن حسن التأثير ايضاً . وحسن التأثير يأبى مشاهدة اشباح الرذائل ولو مجسمة في اجسام تاريخية ، لان منظر الرذيلة والحديث عنها مما يولد بعض العدوى في النفوس . سامحنا المؤلف الكريم مناقشتنا هذه ، ولكن لم يكن بدّ منها ، ونحن عند اول حلقة من « تاريخ ما اهمله التاريخ » حتى اذا ظهرت سائر الحلقات لم نرَ فيها الا كلّ صالح وحسن ، جدير بالتشجيع والثناء .

ف . ت .

الكوخ الهندي

نقله الى العربية الياس ابو شبكه

٦٢ ص متوسطة صغيرة – مكتبة صادر ، بيروت ، ١٩٣٣

وهذا الكرّاس ايضاً من تعريبات الاديب ابو شبكه . نقله عن برناردين د . سن بيير ، من ادباء فرنسة في اواخر القرن الثامن عشر . وهذه ، في ١٠ نعلم ، الترجمة العربية الثانية للكوخ الهندي ، وقد نشر الاولى فرح انطون صاحب مجلة « الجامعة » في مصر .

مرشد الوعّاظ والكتّاب الى كنوز آيات الكتاب

للارشمندريت بطرس ابي زيد

الجزء الثاني . قطع ٤ ، ص ٥١٧ – مطبعة القديس بولس ، حريصا ، ١٩٣٣

افاض « المشرق » سابقاً (ص ١٥٦ من مجلد هذه السنة) في الكلام على فوائد هذا الكتاب القيّم الذي جمع فيه المؤلف ، على طريقة الحروف الابجدية ، كل ما تهمّ الوعّاظ والكتّاب معرفته من آيات الكتاب الكريم ؛ فاتى موردًا سهلًا « وكنزًا » ثميناً . وكان قد وقف في الجزء الاول في اخر حرف « الضاد » فاتم الفهرس في هذا الجزء من « الطاء » الى « الياء » ، سائرًا على الاسلوب الموصوف سابقاً ، ممتازًا بجميع الصفات التي اشرنا اليها .

الرحلة الدانتية في الممالك الالهية : ٣ النعيم

تعريب لاديثينا كوميديا بقلم عبود ابي راشد

٣٠٤ + ٣٠ صفحة متوسطة – طرابلس الغرب ، سنة ١٩٣٣

هو الجزء الثالث من ملحمة دانتي الشهيرة خصّه الشاعر الخالد « بالنعيم » ، فسار فيه من دائرة الى دائرة يشاهد القديسين والابرار ، الى ان يصل صحبة القديس برنردوس امام العذراء الطاهرة فيرجو منها القديس ان تسدّد للشاعر النعمة كي يرفع بصره الى الاعالي فيتمكن من مشاهدة الله. وقد نحا فيه المعرّب نحوه في تعريب الجزءين السابقين اللذين تقدّم وصفهما في « المشرق » (٢٨ [١٩٣٠] ٧١٦ و٣٠ [١٩٣٢] ٣١٨) مدققاً في التعريب ، معلقاً بعض الحواشي الضرورية ، مقدماً على ذلك كلمة في طريقة عمله. وقد اضاف الى هذا الجزء ، كما اضاف الى سابقه ، طائفة من رسائل عظماء ايطالية وردته تشجيعاً وتقريظاً فنشرها بالعربية والايطالية ، وزيّن الكتاب برسمه وبرسم دانتي.

Feu le Professeur Carl H. Becker de Berlin, un des plus profonds connaisseurs de la littérature et de l'histoire mahométanes, a laissé une importante et précieuse bibliothèque sur l'Orient, qui sera vendue en bloc. Nous apprenons que la librairie Joseph Baer et C°., à Francfort S. M. Hochstrasse 6, est chargée de la vente.

ان المرحوم الاستاذ شارل هـ. بيكر البرليني ، احد المتضلعين من الادب والتاريخ الاسلاميين ، قد ترك مكتبة مهمة ثمينة ، في ما خصّ الموضوعات الشرقية ، وسيباشر بيعها بكاملها دفعة واحدة. وقد علمنا ان قد كلّف القيام بهذا المبيع الكتبي جوزف باير المقيم في فرانكفورت ، بالعنوان اعلاه.

* مكتبة الهلال * لصاحبيها ابراهيم زيدان وولده ، شارع النجالة ، مصر. – قائمة الكتب الادبية لسنة ١٩٣٣–١٩٣٤ ، تُرسل مجاناً لمن يطلبها.

* فهرس شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده بمصر سنة ١٩٣٣ * بسراي رقم ١٢ شارع التبليطة بجوار الازهر ، صندوق بوسطة النورية رقم ٧١ – يُرسل مجاناً.

اهم حوادث الشرق في شهر

١٥ ايار — ١٥ حزيران ١٩٣٣

لبنان وسورية — منحت بعض الاوسمة اللبنانية الى فريق من المهاجرين في المكسيك وكولومبيا. ومُنحت كذلك بعض الاوسمة اللبنانية والسورية الى رهط من كبار الموظفين في مصر.

* تمت بنجاح تجربة الخط التلفوني بين بيروت والقاهرة.

* ظهرت بوادر العجز في الموازنة السورية فأخذت الحكومة تهتم بانقاص عدد الموظفين.

* قامت جمعيات الصليبية القربانية بحفلة فخمة في بيروت جمعت نحو ثلاثة آلاف صليبي وصليبية.

فلسطين — قام اليهود ببعض مظاهرات ضد المانية.

* اخذت الحكومة بجلاء عرب وادي الحوارث عن ارضهم.

شرق الاردن — عُقد في عمان مؤتمر لدرء اخطار الصهيونية التي تهدّد فلسطين وشرق الاردن.

العراق — سافر الملك فيصل الى اوربة ماراً بعمان فمصر.

ايران — اذاع قنصل ايران ان التاريخ الهجري المستعمل رسمياً في بلاده هو التاريخ الهجري الشمسي لا القمري. ويكون بطرح ٦٢٢ من التاريخ المسيحي.

الحجاز — بويع الامير سعود، اكبر انجال الملك ابن سعود، ولياً لعهد المملكة العربية السعودية.

المطبعة الكاثوليكية المدير المسؤول : يوسف ماهر

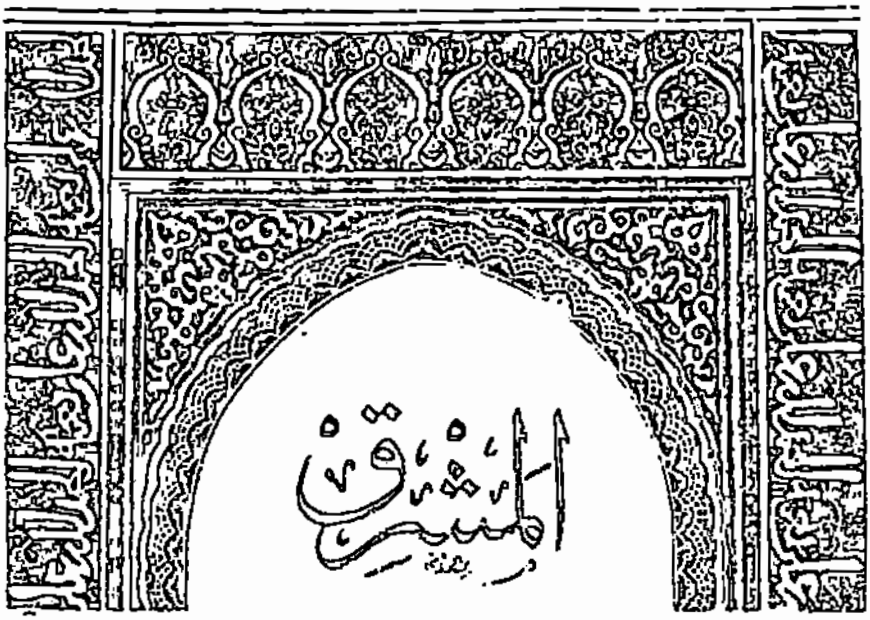

السنة الحادية والثلاثون — آب وايلول ١٩٣٣

سنة الفداء

بقلم الاب بولس موترد اليسوعي

اوقداسة الحبر الاعظم افتتح بمنشوره « Quod nuper » يوبيلاً خارق العادة ، في هذه السنة ١٩٣٣ ، للاحتفال بمرور تسعة عشر قرناً على سرّ الفداء العظيم . ولقد قال نفسه ، في خطاب القاه في عيد الميلاد سنة ١٩٣٢ ، ان هذه السنة المختارة « توافق رأي عامة المؤمنين الذين يجهلون ، دون ما تفتيش او بحث ، السنة الثالثة والثلاثين من حسابنا الجاري تاريخاً لوفاة المخلص » .

واذاً فليس في منشور الاب الاقدس ما يقيّد سلطة نائب المسيح المعصومة عن الخطأ . فهو لا يقرّر السنة ٣٣ كتاريخ حقيقي لسرّ الفداء ، ولا يتدخل في مجادلات المؤرخين وعلماء التفسير . ويكفينا ، في ذلك ، ان نتحقق الشك الذي صرح به في الجملة الثانية من المنشور اذ قال : « إنه ، وان لم نكن على تمام اليقين من السنة التي حدث فيها هذا السرّ العظيم ، فلا يمكننا ان نقابل بالسكوت

ذكرى هـذا الحادث ، بل ذكرى هذه السلسلة من الحوادث العجيبة الفائقة الاهمية ».

على ان افتتاح هذا اليوبيل لفت انظار العالم المتمدّن باجمعه الى وفاة المسيح ، فأثار مشكلةً قديمة كثيراً ما عالجها علماء التفسير ، وانهم ليعودون اليها اليوم ، وقد اصبح الشعب بكامله يهتمّ بها بفضل هذا اليوبيل ، الا وهي سنة وفاة المسيح. واننا لنعتقد ان قرّاء « المشرق » يتشوّقون كغيرهم الى الاطلاع على هذا الامر ، فنرى من واجبنا ان نلخّص لهم حالة المسألة الحاضرة.

لا يخفى ان كتبة الاناجيل كانوا ، كغيرهم من مؤرخي العصر القديم ، لا يهتمّون الاهتمام الكافي بذكر سني الحوادث التي يدوّنونها. حتى اننا لا نرى الا واحداً منهم ، هو القديس لوقا ، يشير مرة واحدة (٣:١) الى تاريخ احدى الحوادث فيقول ان يوحنا المعمدان بدأ بعثته « في السنة الخامسة عشرة من ملك طيباريوس قيصر » . ثم يعدّد بعض الظواهر الموافقة لهذا الامر ، دون ان يشير الى سنة صريحة الّا « الخامسة عشرة من ملك طيباريوس » كما تقدّم. على ان هذا التاريخ نفسه لا يخلو من اضطراب والتباس ، كما سنرى ، بالنسبة الى من يقرأه في القرن العشرين.

وعليه ، أفنكون صفراً من كل دليل يمكننا من ان نعيّن ، وان تقريبياً ، تاريخ السنة التي حصل فيها فداؤنا ؟ لا ، واليكم الاسباب :

كما ان وفاة هيرودس الكبير ، التي حدثت في السنة الرابعة قبل ابتداء حسابنا الجاري ، مكّنتنا من جعل ميلاد المسيح ، لا في السنة الاولى من الحساب المذكور الذي وضعه الراهب دينيس الصغير (Denys le Petit) بل في الفترة الواقعة بين السنة التاسعة والرابعة ، كذلك يمكننا ، بالاستناد الى بعض الحوادث التاريخية المتعدّدة والمتنوّعة ، ان نقترب كثيراً من الواقع في تقرير سنة الفداء والقيامة.

واول ما يجب علينا الانتباه له في هذه الحوادث التاريخية وجود بيلاطس البنطي حاكماً في اليهودية على عهد آلام المسيح. ونحن نعلم ، بواسطة المعلومات المستقاة من تاريخ يوسيفوس اليهودي ، ان هـذا الوالي خُلع في السنة ٣٦ من

حسابنا ، بعد ان اقام في ولايته عشر سنوات اي من ٢٦ الى ٣٦. فينتج ان سنة الفداء تنحصر بين هـذين التاريخين . وهو استنتاج اول نزيده وضوحاً اذا ما انتبهنا ، من جهة الى ان بيلاطس المذكور كان والياً قبـل ابتداء حياة المسيح العامة ، ومن جهة اخرى الى ان اهتداء بولس الرسول، الذي لا يمكن ان يتأخر عن السنة ٣٦، لا يمكن كذلك ان يكون قد حدث بعد وفاة المسيح باقل من سنتين.

بقي علينا ان نبحث في مدة حيـاة المسيح العامة . ولا يخفى ان اعتقاد الجمهور الكبير من المؤمنين ان هذه الحياة دامت ثلاث سنوات . على اننـا نرى من الواجب ان نقول ، وان فاجأنا اعتقاد الجمهور ، ان هذا الرأي غـير ثابت تماماً . فان ما يورده القديس يوحنا عن الاعياد الفصحية الثلاثة (٢ : ١٣ ، ٦ : ٤ ، ١٣ : ١) التي حدثت خلال رسالة المسيح ، يفيد ان هذه الرسالة دامت سنتين على الاقـل ، ولكن لا يمكن من الاقرار انـه تثابت على مدة سنة ثالثة ايضاً . ولهذا اختلف العلماء في هذه النقطة ، فتباينت آراؤهم بين السنتين والثلاث . وعليه فاننا بالنظر الى جميع هذه الحوادث نجدنا مدفوعين الى التقدّم خطوة في تقرير سنة الفداء ، فالى حصرها بين السنتين ٢٨ و٣٤.

ولكن لا يمكننا ان نترك المشكل عنـد هذه النقطة. واي سنة يجب اختيارها ، بين هذه السنوات السبع ، تاريخاً للفداء ؟ وهنا نرى امامنا طريقين للوصول الى نتيجة ترجيحية : الاولى طريق البحث التاريخي المحض ، والثانية طريق الحساب الفلكي.

امـا الاولى فتتصف بكونها غير مباشرة تماماً ، وغير متوافرة الدقة لسوء الحظ. وهي تكون بالتفتيش عن تاريخ تلك السنة الخامسة عشرة لملك طيباريوس التي ذكرها القديس لوقا موافقةً لابتداء حياة المسيح العامة . فمتى بدأت هـذه السنة ، وبالتالي متى بدأ ملك طيباريوس؟ سؤال سهلٌ واضح لاول وهلة . الا ان البحث فيـه اوصل المفسّرين الى اختلاف يُذكر. اذا اعتبرنا السنة الخامسة عشرة جارية على الحساب العادي ، اي بكونها تبدأ من السنة الرابعـة عشرة لوفاة اغوسطوس ، نرى انها تدوم من ١٩ آب سنة ٢٨ الى ١٩ آب سنة ٢٩.

فتكون النتيجة من ثمَّ ان آلام المسيح حدثت في السنة ٣١ على اقل تقدير ، او في السنة ٣٣ على الابعد . وبالتالي يجب ان نجعل للمسيح ، اوان اعتماده ، سنًّا تجاوز الثلاثين سنة التي يذكرها القديس لوقا (٣ : ٢٣) عمرًا تقريبيًّا ليسوع في ذاك الوقت . وذلك لما اشرنا اليه سابقًا من ان المخلص وُلد لا في السنة الاولى للحساب الميلادي الجاري ، بل في السنة الرابعة او الخامسة قبله .

فكان ان تراجع البعض من العلماء امام هذه النتائج المستخرجة من افادة ابعد من ان تكون جليّة الوضوح ، فحاولوا ايجاد طريقة جديدة لحساب السنة الخامسة عشرة من ملك طيباريوس . فلجأوا الى فرضية قوامها ان سنيّ ملك طيباريوس يجب ان تحسب ، لا ابتداء من موت اغوسطوس ، بل اعتبارًا من اشراك طيباريوس بالملك قبل وفاة سالفه بسنتين او ثلاث . وهكذا تتأخر موافقة السنة الخامسة عشرة الى نحو السنة ٢٦ للميلاد . ولكن هذه الفرضية لم تسلم من الانتقاد ، فلاحظ بعضهم انه لم يُعثر قط على رقيم ، ولا على قطعة نقود ، ولا على اي اثر تاريخي يفيد هذه الطريقة في حساب سنيّ الامبراطور طيباريوس . بيد انهم يعتبرون ان القديس لوقا ، على كونه بدأ منذ موت اغوسطوس ، جرى في حسابه على الطريقة الشرقية اي انه اخذ يحسب السنوات من تشرين الاول ، وهو الشهر الذي كان يفتتح السنة في الشرق القديم . وعليه تكون السنة الثانية لملك طيباريوس مبدوءة بتشرين الاول الذي يتلو وفاة اغوسطوس ، فتكون السنة الخامسة عشرة مبدوءة بتشرين الاول سنة ٢٧ .

وبفضل هاتين الطريقتين يمكن هؤلاء العلماء من ان يقدّموا تاريخ الآلام الى السنة ٢٩ او ٣٠ .

على ان ما يفيدنا الآن هو ان السنة ٣٤ وبالتالي السنة ٣٥ والسنة ٣٦ اصبحت خارجة عن محيط البحث . واذن فقد اصبح زمن الفداء محصورًا بين السنوات ٢٦ و٣٤ .

افيحسن بنا ان نقف هنا في البحث ؟ لا لان لدينا لحسن الحظ ، طريقة أخرى تتمم هذه التفتيشات على اسلوب اوفر دقةً ووضوحًا ، وهي الطريقة الفلكية وكثيرًا ما ساعد حسابها الدقيق ابحاث المؤرخين والمفسرين .

مما لا شكّ فيه ان وفاة المسيح حدثت نهار جمعة. ومما لا شكّ فيه ايضاً ان تلك « الجمعة » وافقت مساء اليوم الذي كان على اليهود ان يأكلوا فيه الفصح كما ذكر القديس يوحنا (١٨: ٢٨) اي اليوم الرابع عشر من شهر نيسان القمري. ولا يخفى ان من السهل على علم الفلك ان يستند الى هذه الموافقة بين يوم جمعة و١٤ نيسان ، فيعطينا الحل الصحيح للمشكل الحاضر . وهو علم دقيق يقرّر بكل وضوح ، على مسافة قرون ، تاريخ الكسوف الفلاني ، او تاريخ ابتداء قمر الشهر الفلاني. واذاً فعلى علم الفلك ان يدلنا في اي سنة من السنين ، بين ٢٦ و٣٤ ، كان الرابع عشر من شهر نيسان القمري يوم جمعة.

لقد يكون الامر بغاية السهولة ، لو كنا على يقين من ان اليهود — وطريقتهم في بدء الشهور طريقة المسلمين في عصرنا اي معاينة الهلال بالعين المجرّدة — تمكنوا دائماً من رؤية القمر الجديد منذ يومه الاول ، فلم يُدفعوا الى اتمام شهر زائد من آنٍ الى آخر. ثم ان هناك صعوبة أُخرى ولّدها بعض المفسّرين مأخوذين بكون المسيح قد اتمّ الفصح قبل آلامه ، فاستخرجوا انه توفي لا في ١٤ نيسان ، مساء العيد ، بل في العيد نفسه اي في ١٥ منه . على ان علماء الفلك انتبهوا لجميع هذه الصعوبات ، فوضعوا الجداول المتعدّدة الموافقة للفرضيات المختلفة في المقابلات بين ايام الاسبوع و١٤ او ١٥ نيسان القمري مما قد يطول بنا شرحه.

ولكننا نكتفي بالنتيجة المهمّة . وهي انه ، على طول تلك المدة التي ذكرناها والتي حصرنا ضمنها سنة الفداء ، لا نجد نهار جمعة يوافق ١٤ نيسان الا في سنتين وهما السنة ٣٠ والسنة ٣٣. ففي الاولى وافق ١٤ نيسان القمري نهار الجمعة الواقع في ٧ نيسان الشمسي سنة ٣٠ ، وفي الثانية وافق نهار الجمعة الواقع في ٣ نيسان الشمسي سنة ٣٣.

وعلى رغم ما يظهر بعض العلماء من الشكّ بصلاح هذه الطريقة الفلكية، نرانا مدفوعين الى القول انها على تقدم دائم في محيط العلم العالمي. واذاً فلم يبقَ للمفسّرين والمؤرخين الا ان يختاروا تاريخاً للفداء بين السنتين ٣٠ و٣٣. ولكل منهما مريدون وانصار لا يفتأون عاملين على اظهار افضلية الواحدة على

الاخرى.

على ان السنة ٣٣ التي اختارها الاب الاقدس تفرض لحياة المسيح العامة ثلاث سنوات كاملة اعتباراً من السنة الخامسة عشرة لملك طيباريوس محسوبةً حساباً اعتيادياً. فهي تحلّ عدة وجوه من المشكل ، وهذا ما يجعلها على قسطٍ وافر من الارجحية. الا ان الاب الاقدس لا يفرض علينا الاخذ بها في منشوره « Quod nuper » ، كما قدّمنا. ونحن نعتقد ان ما دفعه الى ذلك هو انه عندما افتكر بافتتاح هذا اليوبيل العظيم كانت السنة ١٩٣٠ قد مضت . ولهذا نرى جمهوراً من المفسّرين الكاثوليك ، ان لم نقل اكثريتهم ، لا يزالون محتفظين بافضلية السنة ٣٠ . ومذهبهم في ذلك — وهو يخالف التقليد نوعاً — انهم يفرضون ان السنة الخامسة عشرة لطيباريوس تبدأ على طريقة الحساب الشرقية ، اي من السنة ٢٧ الى السنة ٢٨. ويفرضون ايضاً ان حياة المسيح العامة لم تتجاوز السنتين . على ان هذا المذهب يتجنّب عقبتين ظاهرتين في المذهب الآخر : اولاهما ان المذهب الاول يفرض للمسيح عند موته على الصليب عمراً يبلغ ٣٧ سنة على الاقل ، ان لم نقل ٣٩ او ٤٠ ، مما يبعد بنا عن الثلاثين السنة التقريبية التي يشير اليها القديس لوقا (٣:٢٣). والعقبة الثانية ان المذهب الاول لا يترك بين موت المسيح واهتداء القديس بولس الا مدة ثلاث سنوات على الاكثر ، وهي قصيرة على اي حال . اذ لا يخفى ان اهتداء بولس الرسول حصل في زمن كانت فيه الكنيسة قد تأسست وثبتت حتى خارج فلسطين. وقد كانت في دمشق على ازدهار يظهر غير محتمل ان لم نجعل بين زمنه وبين تأسيسها اربع سنوات او خمساً.

والخلاصة ان للقارئ الكريم حق الاختيار. ولكن مهما كان اختياره ، ومهما ظلّ من الشك حول سنة الفداء ، فان السنة الحالية التي اشار اليها الاب الاقدس تذكاراً لذاك الفداء المجيد، لجديرة بان تحيي في قلوب جميع المؤمنين احرّ العواطف واخلص العبادات لذاك السرّ العظيم.

القضاء في لبنان

بزمن الامراء الشهابيين

بقلم عيسى اسكندر المعلوف ، مؤلف تاريخ
الاسر الشرقية وعضو المجمع العلمي العربي

توطئة

لا خفاء ان الامراء الشهابيين كانوا خلفاء الامراء المعنيين في حكم لبنان . فتولاه الشهابيون من سنة ١٦٩٧—١٨٤٢ م . وكانوا يصطافون في دير القمر وبتدين ، ويشتون غالباً في مدينة بيروت . وكان مقرّ الايالة عكا ، ثم صيدا ، الى ان اتخذ الحاكم بيروت كرسياً له سنة ١٨٤١ . ومقاطعاتهم هي اقليم الخروب ، وجزين ، والتفاح ، في الجانب الجنوبي . وجبل الريحان ، والبقاع ، والمتن ، في الجانب الشرقي . وكسروان ، والفتوح ، وبلاد جبيل ، والبترون ، وجبة المنيطرة ، وجبة بشراي ، والكورة ، والزاوية ، في الجانب الشمالي . وكان سنجق جبل الشوف سبع مقاطعات هي الشوف ، والمناصف ، والعرقوب ، والجرد ، والمتن ، والشحار ، والغرب . وكان يحكم البلاد ، بعد الامير ، الاقطاعيون من مقدمين ، ومشايخ ، واعيان . وكانت الايالة تضيق وتتسع بحسب الشؤون السياسية . وللامراء والمقدمين والمشايخ امتيازات تجب مراعاتها . وكانت الدعاوى ترفع الى الاقطاعي ، فاذا لم ينصف المتداعين فالى الحاكم الاعلى . وهكذا كانت شؤون الرعية وادارتها بانظمة اصطلح عليها مما فصلته في كتابي : « دواني القطوف » [1] ، وفي ما كتبته من مقالات « تاريخ لبنان في ايام الحرب » [2] وفي

---

١) راجع «دواني القطوف» المطبوع من الصفحة ٢٤٥–٢٦٧ ٢) راجع كتاب

« تاريخ الاسر الشرقية » المخطوط .

ولقد امعنت في البحث عن القضاء مطوّلاً لتعريفه في جميع ادواره من القديم الى يومنا . والآن اقتصر على ذكر اشهر القضاة من مسلمين ودروز ومسيحيين في عهد الامراء الشهابيين فاقول :

١

الشيخ احمد البربير

قاضي لبنان بزمن الامير يوسف الشهابي[1]

ان ما نشر في مجلة « المشرق » الغراء في هذه الايام الاخيرة من مقالات القضاء في لبنان ذكّرني بمقالة لي ، بل برسالة مطوّلة في تاريخ القضاء عند المسلمين من صدر الاسلام الى يومنا ، نشرتُ منها خلاصةً في مجلة « المحامي » الزحلية في بضع سنوات ، حتى وصلتُ الى القضاء في زمن الدولة العثمانية . واوقفتُ الباقي لانني اريد نشره مطوّلاً لتطوّره في ذلك العهد الى زمن متصرفية لبنان ثم الى يومنا . ولقد جمعتُ كثيراً من الاحكام والوثائق والفتاوي واشباهها ، ولا سيما في زمن قائميّتي مقام النصارى والدروز وما بعدهما ، مما وقع لي من الاوراق القديمة ، فحفظتها بين مخطوطاتي التي جددتها بعد بيع قسم منها للجامعة الاميركية في بيروت .

وبهذه المناسبة اقول كلمة في بعض كبار القضاة والشعراء والمؤلفين ، منهم المرحوم الشيخ احمد البربير الدمياطي البيروتي ، الذي جمعت آثاره من نظم ونثر ووقفتُ على مؤلفاته . فوضعتُ لهُ ديواناً مطوّلاً فيه المقاطيع والقصائد الرائعة . وهذه لمحة من ترجمته وقضائه في لبنان :

«لبنان : مباحث علمية واجتماعية» المطبوع من ص ١٤٢-١٤٨ في بحث « الاخلاق والعادات » لصاحب هذه المقالة .

(١) مقالة مقتضبة من « الاخبار المدوّنة والمروّية في انساب الاسر الشرقية » في ١٢ مجلداً ، ومن « مناوص الدرر في ادباء القرن التاسع عشر » لكاتب المقالة .

ترجمة البربير

ان اسرة البربير اصلها بنو القحف في بيروت ، وقيل ان احد الاطباء الملقّب بالبربير، على لغة ايطالية في ذلك العهد[1]، كان يختلف الى جدّهم فلقب به ، وترك اسم القحف . وهي من اشراف المسلمين يلقّب افرادها بالاسياد ، ولا تزال بقيتها في بيروت ، وفيها ادباء معروفون اشهرهم المترجَم له .

ولد السيد احمد ابن السيد عبد اللطيف ابن السيد احمد الشريف البربير في دمياط (من القطر المصري) لان اباه كان تاجرًا فيها ، وذلك سنة ١١٦٠ هـ (١٧٤٧م) وكان نابغة بالحفظ والذكاء تُروى عنه اخبار غريبة في الاستظهار والمحاضرة . درس الفقه والحديث والادب على الشيخ عبد الحيّ بن ابي بكر بن احمد من آل فتح الله البيروتي اصلًا ، الدمياطي مولدًا وسكنًا ، فنشأ المترجم له فقيهاً اديباً نظم الشعر في الثالثة عشرة من سنيه واجاد في حسن الخيال ، ودقة التصوّر ، ورشاقة التراكيب ، حتى كان نظمه من السهل الممتنع، ولازم اشياخاً من كبار العلماء في القطر المصري ، منهم السيد محمد مرتضى الزبيدي ، شارح الاحياء والقاموس ، ولم يكتفِ بمشايخ القطر المصري الاعلام فجاء بيروت ودمشق سنة ١١٨٣ هـ (١٧٦٩ م.) ولم يجد في بيروت ما كان يظنّ من العلماء الاعلام فنظم فيها بيتين يدلّان على استيائه من تأخر العلم فيها ، فقصد دمشق للاخذ عن علمائها ، فاتصل بالشيخ مصطفى الرحتي ،ومدح دمشق. ولكن وصول محمد بك ابي الذهب اليها ، واضطراب حبل الامن فيها ، اضطرّهُ ان يعود الى بيروت ، فانشأ مكتباً للتعليم وشهر بتفقهه وادبه فيها:

فنمي خبره الى الامير يوسف الشهابي ، حاكم لبنان وبيروت في تلك الايام ، فطلبه اليه وحاول اقناعه بتولّي القضاء ، فتنصّل حتى اكرهه عليه . فقبل ان يكون قاضياً بعد اللتيا والتي ، وبعد ان كتب على الامير الحاكم صكاً يتضمن شروطاً متى اخلّ بها ، فليس له عليه سبيل في البقاء قاضياً.

١) والبربير هو الحلّاق الذي كان يرسل العلق ويحجم المرضى ويفصد احيانًا ويضع الضمادات ونحوها.

ومن اهم تلك الشروط الكثيرة: انه لا يتعرض للدعوى بعد انفصالها والحكم بها في مجلس قضائه . ولا ينقضها بل يمضيها وينفذها.

ومنها: انه اذا كان الحقّ عليه يمتثل امر الشرع.

ومنها: انه لا يكرهه على لبس عمامة ولا فرجية مما كان يلبسه القضاة.

ومنها: انه يبعث رجلًا من اتباعه يجلس في المحكمة ليأخذ ما على الدعوى من السحت المشهور بين القضاة.

فامتثل الامير ذلك بطيبة خاطر . ولم يبدِ اقل نقض لشرط من شروط البربير الذي كان يودّ ان يخلّ الامير بامدها ليترك القضاء لانه كان مكرهاً عليه.

فاخذ يحاول ان يعتذر الى الامير اعذارًا كثيرة ليسمح له بترك القضاء والعودة الى التدريس والتأليف ، ومشافهة العلماء مما كلف به وانقطع له . فلم يعره الامير اذناً صاغية حتى عيل صبر البربير فقال يتشكى من ذلك المنصب:

قد عدلنا ، وما عدلتُ لفيّ ، وحكمنا بامر رب السماء ،
فشكا الناس حكمنا ، ولعمري ، قلّ من يرتضي بحكم القضاء!

وقال يهجو المرتشين وقد اجاد ما شاءت بلاغته :

ولم أرَ في البرية مثل شخص اذا (برطلتهُ) اصلحت شأنهُ
بخردلةٍ كميزان اللآلي تميل كفتاهُ لنا لسانه

وقال مستجيرًا يصف اهوال القضاء :

رماني زماني بما يجهدُ ، فمن ذا اروم ومن اقصدُ؟
واوقعني في القضاء القضا ، وما كنت احسبه يوجدُ ،
وتلك كرب لاثقالها ترانى لموتي ، الردى احمدُ.
وحسبي انقلاب صديقي لها عدوًا اذا فاته المقصدُ.
فباطنها الذلّ والابتلا ، وظاهرها العزّ والسؤددُ.
وذا ليس دأبي ، ولا ديدني ، ولا ارتضيه ، ولا عهدُ ،
وصعب على المرء تكليفه امورًا خلاف الذي يعهدُ!
وقد ضقتُ ذرعاً ، ولكنني بغير النبيّين استنجدُ

وهكذا بقي البربير يتشكى ويتظلم من منصبه مجاهرًا في كل مجلس واجتماع يكرهه البقاء في عمله هذا. والامير يعرض عن سماع شكواه ولا يقيله.

فكان البربير قاضياً ومفتياً في تلك الايام ، مشهورًا بانصافه وحسن آدابه

في منصبه ، وخشيته من الظلم والتحامل ، وانصرافه الى العدل ونصرة المظلوم ، واجراء الامور في مجاريها النظامية . ولقد وقفتُ في مباحثي عن الاوراق القديمة على احكام وفتاوى ووثائق تدلّ على براعته بالفقه والادب ، ووضع الاشياء في محلها . فصرف وقتاً كان فيه مكرهاً على العمل ، ولكنه لم يضجر ولا وارب ولا تزلّف . ولم يَرَ من الامير ما يحمله على الانسحاب واغاظته ، وهو الذي يداريه ويحترمه ويعزز مقامه .

فقدّم له العرائض المختلفة مستقيلاً ، فلم يقبلها . واخيراً عمد الى نظم مقصورة لطيفة املتها عليه القريحة الوقادة وضيق الذرع ، فحملها اليه وانشده اياها متأثراً ، قال منها :

تنبّه ، أخيَّ ، فماذا العمى ... وقد بلغ السيل اعلى الربى !
تواريتَ في جنح ليل الذنوب ... ولم ترَ اشراق فجر اللحى ،
فكيف رضيتَ ترى قاضياً ... وفوقك بالقهر قاضي السما !
وكيف عجزت بحمل القميص ... وتقوى على حمل حقّ الملا !
واصبحت بالظلم في غاية ... ومرتبة ما لها منتهى !
اكلت العُشورَ ، وخنت النُّشورَ ، وبعتَ الاجور ، بسوق الردى
وفرعون كان بذا مبتدٍ ... وفعلك ذا خبر المبتدا
لها الله ما نلتَ من لذة ... حلت ، ثم مرّت بسم الحشى .
فانت كدودٍ كدودِ الحرير ... يكدُّ ويحلكه ما بنى ،
وكالشمع يحرق اجزاءهُ ... ليتحف بالنور ذات السوى .
اما في الالى سلفوا عبرة ... لمثلك دلّت على ما نأى !
فاين القضاة ؟ واين الملوك ؟ ... واين الحليّ ؟ واين الحلى ؟
واين الاحاديث في سردها ... وقد انبأتك بذم القضا ؟
فان قلت : اني امرؤ عادلٌ ، ... فلا تنسَ من حام حول الحمى
ودرء المفاسد تقديمهُ ... على جلب مصلحة يُرتضى !
وان قلت : اني امرؤ مكرهٌ ... عليها ، فدونك رحب الفضا
وكلْ من تخلّفهم للذي ... احاط بما كان تحت الثرى ،
فقد رزق الطير في وكره ، ... وخصّ الجنين بطيب الغذا .
وعش باليسير ، وأكل الشعير ، ... وترك الحرير ، وليس العبا !
فذلك اهون من بيع دينك ، يا غافلاً ، بدنيّ الدُّنى !

وهكذا الى آخرها وهي بليغة مؤثرة . فلما سمعها الامير اعترته رعدة

وخشوع ، وحنّ قلبه وغلبته الدموع . فلم يستطع البقاء على اصراره بعدم اقالة البربير ، فاقاله وعين له ما يقوم بكفاءته . فسرّ وشكره ونظم فيه قصائد ومقاطيع منها قوله :

اميرنا اكرم من حاتم ... له بنان ضاق عنها الفضا ،
بحلمه ادركتُ ما اشتهي ، ... وقد كفاني الله شرّ القضا .

ومنها قوله في قصيدة غيرها :

امير عظيم له رتبة ... على غيره صعبة المرتقى ،
قصرتُ ثنائي على وصفه ، ... واعطيته في الورى موثقا ،
ولا غرو في كونه وارثاً ... ثنائيَ دون الورى مطلقا ،
فقد «اعتق القلب من كربه» ... «وحق الولاء لمن اعتقا ! »

آثار القاضي

ان للبربير مؤلفات نفيسة تفرّغ لها بعد تركه القضاء ، وكان متصلاً بادباء عصره وقضاته وفقهائه في بيروت ودمشق ، وله منزلة عند الحكام ونوادر معهم مثل احمد باشا الجزار ، والامير يوسف الشهابي ، وسليمان باشا والي عكا ، وكذلك عند الادباء والاعيان مثل الشيخ شاهين تلحوق ، ومخايل البحري الحمصي ، والشيخ عمر البكري ، والشيخ احمد الاحمدي المصري ، وغيرهم . وله معهم مساجلات ونوادر وله مؤلفات ورسائل منها : « الشرح الجلي على بيتي الموصلي » مما طبع . واما ما بقي مخطوطاً فكثير منها بديعية ومقامات ومناظرات وشرح قصائد و«تاريخ سليمان باشا » والي عكا ، ولم اعثر على نسخة منه مع كثرة بحثي عنه .

واما اشعاره ورسائله فقد جمعتها في (ديوان كبير) من مظانّ مختلفة ، ومن مخطوطات نادرة شاردة ، وهو معدّ للطبع فيه بدائع نظمه من ذلك قوله في الشعر الفقهي :

تقول الورى : قد فاته ارث جدّه ... من الفضل والتقوى وذلك مثبتُ .
فقلتُ لهم : شرط المواريث عندنا ... وجود حياة ، وهو بالجهل ميّتُ .

وقوله عاقداً قول حسان بن ثابت الانصاري لعلي بن ابي طالب عند قتل عثمان بن عفان :

يا من غدا لوداد اهل م زمانه متعرّضا
لا تسكتنّ لمنكر «ان السكوت اخو الرضا»

وقوله في الصلح بين المتخالفين ، وتظرف ما شاء :

ولم أرَ الطف من مصلح توسّط بين حبيبي وبيني
تلطف حتى حكم النوم اذ سرى بين جفني وانسان عيني

وقوله في الحكم والشهادة متفنناً :

لاحكم عندي كحكم الصارم الذكر اذ فيه قطع نزاع البدو والحضر
وعادل الرمح لا تلغى شهادته فعنده خبر عن باطن البشر
هما رضيا لبان في الوغى وهما لمصطلى الحرب مثل السمع والبصر

وقوله في التشكي :

لا تلحُ من يتشكى ان التشكي دواء
واوجع الضرب ما لم يكونُ فيه بكاء

وقوله في القاضي مضمناً :

وقاضٍ باع أخراهُ بتبر الراح والنشوه
لنا احكامه قالت : رشاء الحاجة الرشوه (١

وهكذا كان هذا الفقيه مشهوراً طاف في بلاد العرب واجتمع بعلمائها وتخرج عليه كثيرون من الفقهاء والادباء ، واستجازه آخرون ونظم في اغراض مختلفة . وسكن في صالحية دمشق سنة ١١٩٥ هـ (١٧٨٠ م) الى ان توفي فيها سنة ١٢٢٦ هـ (١٨١١ م) عن بنات توفين صغاراً ، لا كما ذكر العلامة الاب لويس شيخو اليسوعي في « الآداب العربية في القرن التاسع عشر » : (١ : ٧٦) ان جد المرحوم مصباح البربير هو السيد احمد هذا ، بل هو من سلالة شقيقه السيد محمد الذي هو جدّ البربيريين الحاليين ، والله اعلم .

١) راجع ما نشرته من شعره في مجلة المشرق (٤:٢٩٦) وفي مجلة الآثار (٣: ٢٤٣) من ديوانه المخطوط الذي جمعته له .

ارتفاع الصليب

خبر منسوب الى القديس كيرلس اسقف اورشليم
٣١٣-٣٨٧م

نشره لاول مرّة ، وعلّق عليه

الخوري بولس قرألي ، مدير المجلة البطريركية

١
توطئة

لما كانت هذه التوطئة درساً للميمر قسمناها الى ثلاثة ابحاث :

١ - في نسخه واهميته ٢ - في الاعتراضات عليه ٣ - في صحة نسبته

البحث الاول
في نسخه واهميته

نستهلّ هذا البحث بكلمة في تكريم الصليب في الشرق قديماً ، وفي لبنان حالاً . وننتقل منها الى وصف نصّ الميمر في مخطوطتي بكركي وحلب ومقابلتهما . ونختمه بترجمة وجيزة للقديس كيرلس الاورشليمي ، وببيان عام لاهمية الميمر .

١ — ارتفاع الصليب في الشرق

أُتيح للشرق أن يكون مهد الانسان والعمران ، ومهد العلوم والفنون والاديان . وأُتيح لسورية أن تكون دماغه المفكر ، وقلبه الحسّاس ، ولسانه الفصيح . وهي ، ان لم تكن يوماً بالبطش والسيف سيدته ، بل غالباً عبدته ، فقد تسلطت دائماً على عقله بثقافتها وعلى قلبه بعاطفتها ، وبسطت عليه عقائدها وشرائعها .

اصطفاها الرب لأن تكون أرض الميعاد لشعبه وانبيائه ، ومهبطاً لوصاياه واوحيته ، ومسرحاً لآياته ، وهيكلاً لعبادته . واختارها السيد المسيح لان

تكون مهداً لطفوليته ، ووطناً لانسانيته ، وحقلاً خصباً لتعاليمه ، ومشهداً لصلبه وقيامته ، ولساناً مبشراً برسالته وألوهيته وشرائعه الرفيعة السامية . فنشأ الدين المسيحي فيها ، ومنها تفرّعت اشعته وتوزّعت على كل المعمور .

في السنة الثالثة والثلاثين للميلاد ارتفع الصليب على الجلجلة حاملاً الاله المتجسّد ، باسطاً يديه صلباً علامة الحب والتضحية والغفران . فتبدّل وجه الكون الادبي : ارتفع العدل على الظلم ، الحلم والدعة على الغضب والعجرفة ، الطهر والحياء على الخلاعة والعهارة ، التقشف والزهد على السكر والشره ، القناعة والتجرّد على الطمع والجشع ، المحبة والاحسان على الحقد والانتقام . فتشرفت بالصليب الفضيلة على الرذيلة ، وتساوى العبد والسيد ، والفقير والغني ، والضعيف والقوي .

ثم ثارت الوثنية المؤلهة للرذيلة ثائرها على ديانة الصليب ، وحاولت ان تستردّ مركزها ، فلقيت حتفها . كانت الاضطهادات الاولى موجةً هوجاء لطمت النصرانية لطمات عنيفة توالت ثلاثة قرون ، فلم تقوَ على سحقها ، بل صقلتها واخرجتها من هذا المحك لؤلؤةً ناصعة البياض ، نقيةَ الجوهر ، صلبةَ المعدن . أما الموجة فانكسرت حدّتها حالما ظهر رسم الصليب في الفضاء ثم تلاشت . . .

في مطلع القرن الرابع ظهر الصليب لقسطنطين الملك نجوماً لامعة في قبة السماء . فاتخذهُ حرزاً وترساً وعلماً ، وتغلّب به على مزاحميه واعدائه ، واصبح امبراطور العالم . فاوقف الاضطهاد الذي أعلنه على النصرانية ديوقليانوس سلفُه ، وأسس الامبراطورية المسيحية على ضفتي البوسفور ، مفرق الشرق والغرب . تساقطت الاصنام ، وتهدمت هياكلها[1] ، وقامت الكنائس والصلبان على أنقاضها . تحوّل صليب العار الى علامة الشرف والانتصار ، وارتفع على جباه البشر ومخادعهم وابواب منازلهم وقصورهم ومدنهم ، وزوايا ازقتهم وشوارعهم ،

---

١) في سنة ٣٣٠ انقل هيكلي الزهرة في بعلبك وأفقا بلبنان . راجع معجم الاثار المسيحية ، للاب كابرول ، مجلد ٣ : عمود ٢٦٧٠

جلس في صدور قاعاتهم ودواوينهم ومجامعهم ، ولمع على تيجان احبارهم وملوكهم وصولجاناتهم ، مصوغاً بأثمن المعادن ، مرصعاً باكرم الحجارة وازهاها.

وما طال الامر حتى ظهر عود الصليب المقدس المطمور في ارض الجلجلة ، فاهتز العالم لهذا النبأ حبوراً . وشيّد له الامبراطور قسطنطين كاتدرائية عظيمة فخيمة على انقاض هيكل الفشحا.[1] ، واخذت الامم كبارها وصغارها ، ملوكها واعيانها واحبارها تتقاطر للاكتحال برؤيته وتكريمه والتبرك منه . وجعل قسطنطين يوم تدشين كنيسته عيداً عظيماً في الامبراطورية كلها ، كان يدوم ثمانية أيام ، وينتهي بحفلة ارتفاعه « هيبوزيس » (*Hypsosis*) . كان يعتلي الاسقف مكاناً مرتفعاً ويرفع الصليب بيديه على رؤوس الجماهير ، ويبارك به اربعة اقطار المسكونة ، فيصرخ الشعب بحماس : كيرياليسون !

وطالبت سورية الشمالية بحصتها من هذا العود الثمين ، فقُسم الى ثلاثة اقسام : قسم بقي محفوظاً في كنيسة القيامة بالقدس ضمن ذخيرة كبيرة من فضة ، وآخر أرسل الى القسطنطينية ، والثالث أودع مدينة حماة . وكانت حفلة ارتفاع الصليب تُقام في اليوم نفسه في هذه العواصم الثلاث ، فتعمّ بهجتها ونعمها جميع مسيحيي الشرق.

وفي سنة ٥٧٤ ، على أثر غزوات الفرس لسورية ، حُملت ذخيرة حماة الى القسطنطينية . وفي سنة ٦٢٨ استخلص الملك هرقل ذخيرة اورشليم من ايدي الفرس الغزاة وأتى بها في سنة ٦٣٣ الى القسطنطينية . فاحتكرت عاصمة الامبراطورية الرومانية ذخائر العود المقدس . بيد انها ضاعفت الحفاوة بعيد ارتفاعه بكل ما أوتيت من عظمة وثروة وفخفخة . وكانت النصرانية باسرها تشاركها في هذه الحفاوة بالصلوات والمظاهرات والزينات ؛ فيتحول ظلام ليلة العيد الى مصابيح زاهرة ونيران باهرة ، وسكونه الى اكبر مظاهر الحماسة الدينية وأفخمها.

---

١) كان للزهرة معبد بُني على تلّ من تراب رُدم به القبر . راجع معجم كابرول مجلد ٣ : عمود ٢١٢٥

٢ ــ ارتفاع الصليب في لبنان

ما كاد عود الصليب المقدس يخرج من يد سورية حتى داهمها خطبٌ جلل لم يقم فيها للنصرانية بعده قائم . كانت العلة قد استحكمت من جسمها ، وكمنت تنخر في عظامها . فشت فيها بدع الاريوسية ، فالنسطورية ، فاليعقوبية ، وتمكنت منها ففككت اوصالها . وفي القرن السادس توالت عليها غزوات الفرس ، فاجهزوا على قواها : نهبوا واخربوا واحرقوا وذبحوا . انما ذهبوا : كموجة هوجاء تهجم وتلطم ، ثم تنحسر .

وفي اوائل القرن السابع تجمّع في الصحراء سيلُ العرب العرمرم وطغا على سورية المسيحية فأغرقها ، واجتازها الى وادي النيل ، فالمغرب ، فاسبانية ، فايطالية . تداعت معابدها الواحد تلو الآخر ، وسقطت او تحولت الى جوامع . انكسرت نواقيسها ، وعلت المآذن كأندرانياقها ، واحتل الهلالُ مواقع صلبانها . طُمرت اسفارها ، وأمحت رويداً آثارها الدينية والعلمية والفنية والادبية ، وخيّم الدمار والجهل والذلّ على أمجادها . نزل صليب الخلاص والنصر والشرف عن مبانيها ومداخل مدنها ودواوينها ، وعادت شارته عاراً وذلّاً لراسميها ، وعلامته خطراً على حامليها .

تضعضع مسيحيّو سورية أمّ الكنائس ومعلمتها الاولى[1] . استسلموا للغازي صاغرين ، او انضموا اليه جاحدين ؛ ما عدا فئة قليلة عزّ عليها الخنوع والجحود ، فتركت المدن العامرة والسهول الخصبة لتعتصم بجبال لبنان الوعرة القاحلة ، حيث انشأت دولة مسيحية مستقلة متضامنة تحت ألوية رؤسائها ومقدّميها . وفي هذا الحصن المنيع دافعت ثلاثة عشر قرناً طوالاً عن حريتها المدنية والدينية وتقاليدها العزيزة ، راضيةً بالفقر والجهاد عن الذلّ والالحاد .

حاول الطغيان عبثاً ، طيلة هذه القرون العديدة ، أن يغرّق الجبل الاشم .

---

١) نعني هنا ان الديانة المسيحية قد انتشرت منها . ففي رسالة وجهها الاساقفة الخارجون من مجمع القسطنطينية الاول سنة ٣٨١ الى البابا داماسوس ، او الدمشقي ، لقبوا كنيسة اورشليم بام الكنائس ، كما سيأتي الكلام في ترجمة القديس كيرلس .

هاجم مراراً سواحله ، وطوّق جوانبه ، وتسلق احياناً بعض مرتفعاته ، انما لم يثبت له فيها قدم ، فانحدر كموج البحر اذا هاجم طوداً منيعاً ضرب شواطئه وحاصرها مزبداً مرعباً ، انما لا يسعه بلوغ قمته ، وان بلغها لا يسعه الاستقرار فيها ، فينحسر عنها. كان لبنان هذا الطود منذ القرن السابع ، وما زال باذن الله حاميه !

اصبح لبنان حصن النصرانية بعد سقوط سورية في ايدي العرب ، وحصن الكثلكة وملجأها الوحيد في الشرق بعد سقوط القسطنطينية الاول في هوّة الشقاق وسقوطها الثاني في ايدي الاتراك

ولم يعد يسمع صوتُ الرب جلياً في الشرق ، الا خلال ارز لبنان الباسق. ولم يبقَ اصليبه ملكاً في الشرق ، الا في هذا الجبل المقدس...

اينما جلت فيه واجلت النظر وجدت الصليب مرتفعاً على قممه وسفوحه وابنيته . فوق كل هضبة سائدة على جوارها ، كما يسود لبنان على جواره ، ترى له معبداً احتلّ قمتها بارتياح وطمأنينة وثبات جنان . حجارة بيضاء ، قطعها عماله من صخورهم الجميلة ، ونحتها صناعه وزخرفوها بمهارة وعبادة. قبة ظريفة مستديرة ام مسلة رشيقة ، واكزة على اعمدة رخامية أنيقة ، ويتدلى داخل قفصها ، كالاجاصة بين اعصانها ، جرسٌ سبكته أيدٍ لبنانية ، اذا ترنّح سمعت له رنات ما اعذبها في الآذان وأوقعها في القلوب. هي نداء ، ودعاء ، وغناء . هي نغمة سرور وعبادة وحماس وشجون تهبط على فؤادك من تلك القبة الهيفاء وتحرك فيه اصلب الاوتار . ثم تنسكب موجاتها بركات وتعزيات على اسطحة القرية ومنعطفاتها ، على اغراسها وحافاتها . واذا بالقوم ينسلّون من اكواخهم وبيوتهم ، من ازقتهم وحقولهم ، تاركين اشغالهم واطفالهم تلبيةً لدعوته المحبوبة . وقد ألفوا سماعها واستعذبوا لقاءها منذ طفوليتهم . فنغماتها تهيج في صدورهم اكبر ذكريات وتعزيات حياتهم الساذجة الهادئة ، واحلاها وابقاها.

وما هي هنيهة حتى تسمع الميامر المؤثرة والالحان الشجية ، المذكرة بعصور النصرانية القديمة المجيدة ، تختلج في صحن المعبد فترتج لها جدرانه خشوعاً . ثم تتدفق من فتحاته وتصعد على اجنحتها الروحية في الجوّ الصافي نحو قبة السماء

الاطلسية ، حيث تمثل ساجدةً أمام العزة الالهية ، مسترحمةً مسترضيةً عن هذا القطيع الصغير الباسل[1] : « احمه يا رب من حكامه الظالمين واعدائه الروحيين ، من المبتدعين والمنشقين ، من الاباحيين والملحدين والمفسدين ، الذين يهاجمونه ، كالذئاب الكاسرة ، من كل جانب بلا شفقة ولا كلل !...»

وقد صانه الرب ويصونه : صان شعوره الديني وحريته المدنية وآدابه القومية . وان شئتَ ان تعرف السرَّ في هذه الرعاية الخاصة ، فارفع نظرك الى الصليب اللامع على تلك القبة بين السماء والارض . هو الوسيط والحامي والمقوّي . هو الشاري الذي يدرأ عنه صواعق الضربات الادبية والزمنية ، ويستجلب له غيوث البركات والمعونات الالهية .

وقد ارتاح الصليب ، بعد ان سقط في الشرق عن الكاتدرائيات والقصور وشوارع العواصم ، ان يملك هنا وحده على هذا الشعب المختار : على قلبه المستقيم وعاطفته الخالصة ، على عقيدته الراسخة واخلاقه الرضية . على روابي جبله الشماء ، واعاليه الناصعة بالثلوج ، وربوعه الفتانة ، وجوّه النقي الزاهي الالوان . تراه هنا يُرسم باحترام وحبّ على جبين الصغير والكبير ، ويرتفع على كل منزل انيق ام حقير ، منحوتاً في الصخر او مصبوباً بالنحاس على منزل الوجيه ، او مرسوماً بالكلس الابيض على باب الوضيع وقبو مواشيه . هو يترأس هنا ، كما في عصر الجهاد ، كل اجتماع ، ويتصدر كل قاعة ، يحرس كل مخدع ومهد ، يتدلى من اعناق الاطفال ، ويلمع على صدور الفتيات .

هو يحبُّ اللبنانيين ويعزّزهم لانهم يحبونه ويعزّزونه . وقد حافظوا وحدهم طيلة ستة عشر قرناً على حفلة ارتفاعه القديمة . يحتفون بها بكل ما أوتوا من حماس وما تملك ايديهم من ثروة . في ليلة الرابع عشر من ايلول المعيّن لعيده يحوّلون جبلهم ، من اقصاه الى اقصاه ، الى زينة عظيمة من الانوار والنيران . تقدّم لاكرامه تربتُهم هشيمها ، وأشجارهم اعوادها ، وغاباتهم احطابها ،

---

١) عن النرض المارونى : خامة الساعة السادسة من يوم الاربعاء : ܐܘ ܢܗܝܡ ܠܗ ܒܪܝܡܘܬܗ . ܘܐܦܠܐ ܠܗ ܒܚܝܠܐ ܘܒܫܘܠܛܢܐ . ܕܢܛܪܝܢ ܠܗ ܡܢ ܒܥܠܝ ܕܝܢܐ ܕܠܐ ܚܢܢܐ ܘܠܐ ܡܪܚܡܐ . ܕܢܛܪܝܢ ܠܗ ܡܢ ܟܠ ܬܪܥ ܕܠܐ ܡܬܚܢܢ ܘܠܐ ܡܬܪܚܡ .

ومنازلهم شرفاتها، وكنائسهم اسطحتها ، وتلولهم اكتافها ، وسفوحهم نتوءاتها، وكهوفهم واوديتهم بطونها العميقة لترديد اصوات الزغاريد والاناشيد والتراويد، واصوات الزمور والطبول والاجراس والبارود.

وعلى اضواء المشاعل والنيران تشاهد الشعب كلّه مجتمعاً لهذه التظاهرة القومية : احباره وكباره ، نساؤه ورجاله وصغاره ، وقد اشتدّ سرورهم وحماستهم ، وعلا هُتافهم ، والشبان يدبكون ويقفزون فوق النيران المتأججة، غير مبالين بلهيبها المتعالي ، صارخين بملء صدورهم :

محبةً لدين المسيح ! كيرياليسون !

والجماهير تردّد بهتاف يشقّ كبد السماء ، كما في اورشليم وحماه في عصور مجد النصرانية :

كيرياليسون !!!

وقد هزّت اصوات تمجيد الصليب الفضاء الواسع الحالك ، ورجرجت احشاء الكهوف والاودية ، وتدفّقت كالشلالات الزاخرة على المدن والسهول والبحور المنبسطة تحت اقدام الجبل الجبار ، فتهيّبت . وانعكست انوار الصليب على تجاعيد وجه اليمّ العظيم القاتم ، فاضطرب وازبد وأرغى . ولمت شزراً شفرات امواجه المتكسرة على صخور لبنان المسيحي...

* * *

كيرياليسون !

صدى الهتاف العظيم ، الذي كان يتصاعد منذ ستة عشر قرناً من صدور الجماهير الغفيرة المحتشدة في اورشليم ، وحماه ، والقسطنطينية ، لمشاهدة ارتفاع الصليب ، يجيبه الان الشعبُ اللبناني المسيحي الصغير بعدده ، الكبير بأمانته وشجاعته وتقاليده.

كيرياليسون !

صدى مئات الآلاف من النواقيس التي كانت تقرع فرحاً في مساء هذا العيد في كل انحاء الشرق ، وقد خفتت اصواتها في سورية منذ ثلاثة عشر قرناً، تردّده الآن أجراسُ لبنان من داخل اقنانها الرخامية ، واصوات اللبنانيين من

داخل اقفاص صدورهم.

محبةً لدين المسيح ! كيرياليسون !

صدى بعيد من نـداء مقدّمي لبنان المسيحيين حـين كانوا ينقضون على الاعداء كالبواشق الكواسر ليردّوهم عن جبلهم العزيز ويصونوا حريتهم الدينية والمدنية ، يردّده الان احفادهم في ليلة هذا العيد ، معلنين استعدادهم لبـذل المهج في سبيل استقلالهم الروحي والزمني.

كيرياليسون !

شعلةٌ من آلاف الحرائق التي كانت تستعر في مثل هذه الليلة في انحـاء الامبراطورية البيزنطيـة ، وقد انطفأت منذ سقوطها في اواسط القرن الخامس عشر ، يذكي الآن جمرتها ويضرم اوارها هؤلاء الجبليون المستقيمو الرأي ، على قمم طورهم المقدس ، في عيد تجلي الصليب الكريم.

كيرياليسون !

صدى خطاب بديع بليغ تاريخي حماسي ألقاه ، في اواخر القرن الرابـع ، بجانب القبر المقدس ، القديس كيرلس اسقف اورشليم ، احد كبار الملافنـة والقديسين السوريين ، على الجماهير الوافـدة من كل حدب وصوب لمشاهـدة حفلات الصليب ؛ نسمعه الان بعد ستة عشر قرناً خارجاً من بطن مخطوطـة قديمة العهد احتفظ بها بطاركة الشعب الماروني ، ومن طيـات كتاب صلوات بيعية حافظ عليه أساقفتهُ في حلب . وقد أتيح لكاهن ماروني حلبي أن يبلّغ الى العالم المسيحي أقواله ، مفسراً الغامض من معانيها ، مرمماً الداثر من آياتها ،

محبةً لدين المسيح ! كيرياليسون !

٣ ـ مخطوطة بكركي

وجدنا لهذا الميمر نصّين باللغة العربية مأخوذَين عن مصدر واحد : الاول في خزانة بكركي الخطية ، والثاني بين مخطوطات مكتبة الكرسي الاسقفي المارونى بحلب.

وفي المتحف القبطي بالقاهرة ميمران بالعربيـة على ظهور الصليب المقدس منسوبان الى القديس كيرلس الاورشليمي : الاول حديث المبارة مسجع يختلف عن نصّينا بشكله ، انما يظهر ان بعض تفاصيله مستقاة من نص ميمرنا الاصلي . وسنقول فيه كلمة . اما الثاني فيحوم موضوعـه حول استخلاص الملك هرقل لذخيرة عود الصليب من الفرس سنة ٦٢٩م ، اي بعـد القديس كيرلس بثلاثة قرون ، فلا داعٍ للاهتمام بامره. وله نسخة محفوظة في متحف مونيخ بالمانيـة تحت رقم ٢٤٢ . ولنحصر الآن كلامنـا في نصّي بكركي وحلب.

أذعنـا بشرى اكتشاف هـذا الميمر في صدر الجزء العاشر من مجلتنا البطريركية لسنتها الخامسة (١٩٣٠) ، في مقدمتنا على رسالة زرع يعقوب ملك الحبشة الى محمد جقمق سلطان مصر وسورية سنة ١٤٤٧م. ونشرنا بهذه المناسبة بيانًا موجزًا للمخطوطة التي أثبتته . واليك خلاصة ما قلناه فيها :[1]

« بين مخطوطات خزانة الكرسي البطريركي المارونى في بكركي كتاب كرشوني خطّ : قديم العهد ، قطع من العمر ٣٧٣ سنة . خشبي الجلد ثقيله ، سميك الورق متين ، سود الحبر لامعـه ، ما عدا العناوين فبالحبر الاحمر ، تعلوها رفارف مزخرفة بشتى الالوان. وقد رُقّمت كراريسه بالاحرف الاسطرنجلية، ودُلّ على آخر الجملة بنقطة حمراء ، وعلى نهاية المعنى باربع نقع من اللون ذاته محيطة بنقطة سوداء . أعدّه صاحبهُ للخلود . فجهزه بورق متين وجلد ثخين ، غير حاسب للقلة حساباً . فقد عاثت في أوراقـه بلا رادع ، وعشّشت فيهـا

---

١) المجلة البطريركية ٥ : ٦٤٩

الرسم ١ – عجلة السنين الواردة في الصفحتين ٢٥٤ و٢٥٥ من مخطوطة بكركي

بطمأنينة ، وخاطت بعضها ببعض لاهية ، فذهبت بقسم من حروفه وأرقامه . ولم ينثن عزمها امام صلابة دفتيه الخشبيتين ، المكسوتين بجلد من بقر ، بل هاجمتهما ونخرتهما . وكادت تطوي السفر النفيس في خبر كان ، لو لم ننجده عليها في خريف سنة ١٩٢٢ ، حين كلّفنا غبطة بطريركنا المبجل مار الياس بطرس الحويك تنظيم مخطوطات هذه الخزانة . فعيّنا له رقم ١٥ في القائمة التي وضعناها عندئذٍ . وفي سنة ١٩٢٩ ، لما نقلنا مجلتنا الى لبنان استفقدناه فألفيناه بحالة غير مرضية ؛ اذ أعادت عدوّة المخطوطات عليه الكرّة . فأنقذنا كنوزه من براثينها نهائياً بنشر اثمنها ، حتى اذا تغلّبت عليه للمرة الثالثة ، وهي لا شك فاعلة لرطوبة المكان ، لم تفز منه الا بما تدنّت قيمته .

« واول ما وجهنا اليه العناية ، بعد نفض غباره وانقاذه من الجراثيم الآكلة فيه ، وضع الارقام على صفحاته ، فبلغت ٤٩٤ قياس الواحدة ١٨×١٣ سنتمترًا . وبين الصفحة ٤٤ والتي تليها سبع ورقات مسلوخة ، تضمنت موضوعاً او اكثر قائماً بنفسه ، لان الموضوعين السابق واللاحق كاملان .

اما اسم الناسخ فوارد فيه مرتين . في الصفحة ٣٥٤ رسم متقن لعجلة السنين[1] مع ايضاحات بالسريانية لمعرفة عيد الفصح على الحساب اليولياني[2] ابتداء من سنة ١٨٦٩ يونانية الموافقة لسنة ١٥٥٨ مسيحية . وقد علّق الناسخ في الصفحات ٣٥٥–٣٥٨ شرحاً على اختلاف هذا الحساب والحساب الشرقي تحت العنوان الآتي :

« بيان الغلطة من اين صارت بين النصارى [كتب] ذلك وبيّنه الحقير في الكهنة يوحنا طاتيه . . . وهذه للعجلة موقّمة على حساب الكرسي الرسولي كرسي رومية . . . وهو يقيم اليوم الزايد من كل سنة في حسابه ويجعل الفصح بخمسة في نيسان . ويتبعه في ذلك الملكية

---

١) انظر الرسم ١

٢) نسبة الى الامبراطور الروماني يوليوس قيصر الذي استقدم من الاسكندرية العالم الفلكي سوسيجنيس في سنة ٤٦ ق . م . فجعل السنة الشمسية ٣٦٥ يوماً وست ساعات . فزادت السنة ١١ دقيقة و ١٠ ثوان . وقد اصلح غريغوريوس ١٣ هذا الخطأ سنة ١٥٨٢ فعُرف حسابه بالغريغوري . وهو الذي يمشي عليه العالم اليوم . (راجع مجلة المشرق ك ٣ الاخير صفحة ٤٨و٤٩)

وسطنا وجميع معاملات الغرب . واما الناطرة واليعاقبة فانهم يسقطوا ذلك اليوم الزايد في حسابهم ويعملون الفصح في ستة من نيسان »

وفي آخر الشرح صفحة ٣٥٧ يقول :

« علّموا على الخاطي الحقير في الكهنة يوحنا ابن الخوري ايوب الذي اجتهد وبيّن ذلك بمعونة روح القدس . وهذا كتبناه لطائفي الكرسي الرسولي . . . »

ومن هذا نستدلّ ان الكاتب كاهن ماروني يُدعى يوحنا ابن الخوري أيوب . ولعله القس يوحنا ايوب الحصروني الذي اوفده البطريرك سركيس الرزي الى رومية سنة ١٥٨٢[1] . انما قد نسخ كتابه قبل هذه السنة التي ظهر فيها الحساب الغريغوري . ولما كان التقويم يبدأ بسنة ١٥٥٨م فالمرجح ان الكتاب نسخ سنة ١٥٥٧ او على الاكثر قبيل فصح سنة ١٥٥٨ المذكورة . ولولا ذلك لما بدأ تقويمه بتلك السنة لمعرفة ميعاد فصحها .

اما المصدر الاصلي الذي نقل عنه ناسخ المخطوطة ، او من سبقه ، فيغلب على الظن انه مجموعة لاحد السريان اليعاقبة القاطنين في القطر المصري ، حيث كان لهم شان يُذكر . كما بيّنه حضرة الخوراسقف اسحق ارملة في مقالة كتبها لمجلتنا السورية[2] .

ويُستدلّ على جنسية الجامع السريانية ومذهبه اليعقوبي من كثرة الموضوعات المأخوذة عن آباء السريان واحبارهم[3] ، كيعقوب السروجي ، ومار اسحق السرياني ، والبطريرك يوحنا ابن المعدني ، وموسى بن حجر المرصلي . وهو يلقب هذين الاخيرين بالقديسين ويطلب صلواتها ، وهما يعقوبيان . ولا يبعد ان يكون موضوع الاوراق السبع المسلوخة قد حوى ما يشتم منه رائحة هذه البدعة فنزعها الناسخ او صاحب الكتاب .

والدليل على ان جامع المخطوطة كان نازلًا وادي النيل نجده في ايراده

---

١) راجع تاريخ الموارنة للدبس صفحة ٣٦٧

٢) ١ : ٥١٤ و٢ : ٧ ، راجع ايضاً مقالته الاكثر اسهاباً في مجلة المشرق ٢٣ : ٢٨٢ و٢٨٤ و٥٢٦ و٥٧٤ و٧٤١ ، وقد طبع نبذته هذه على حدة في المطبعة الكاثوليكية ببيروت سنة ١٩٢٥

٣) راجع ياتها في مجلتنا البطريركية ٥ : ٦٥٢ – ٦٥٥

اسماء الاشهر القبطيـة. واذا وردت باسم آخر قابله بالشهر القبطي. ففي صفحة ٢٤١ يقول عن اليهود انهم باشروا « ازالة الروم عن قبر السيد المسيح في الثاني عشر من شهر مارديوس الذي هو برمهات (اذار) ومـا زالوا يعملون فيه الى الثالث عشر من شهر توت (ايلول) » وقد جاء في عنوان قصة القديس بهنام ، الذي له مكانة كبيرة في كلندار السريان ، انه « اكمل جهاده في العـاشر من كانون الاول سنة ٦٣٣ لاسكندر وهو الرابع عشر من كيهك » . ولعل اهتمام الجامع باثبات رسالة ملك الحبشة المذكورة اعلاه الى سلطان مصر ليرفق بالمسيحيين من رعاياه ويرفع عنهم الجور في معاملات الوراثة وغيرها دليـل آخر على ان المجموعة وُضعت في القطر المصري.

ومواضيع المجموعة كلها مكتوبـة بالحرف الكرشوني ، ما عدا رسالة ملك الحبشة فبالعربية، وتعزية للموتى، وميمر للجمعة الكبيرة كتبها بالسريانية. اما ميمر القديس كيرلس الاورشليمي فقد ورد بالكرشوني ايضاً وشغل ٦٤ صفحة من المخطوطة من صفحة ١٨٧ حتى ٢٥١ . وسندلّ على هذه الصفحات بارقام نضعها بين قوسين معكوفين كما هي عادتنا.

٤ ــ مخطوطة حلب

ما كدنا ننتهي من درس نصّ الميمر وإعداده للطبع حتى علمنا من مطالعة كتاب « الفروض البيعية في كنيـة حلب المارونية » الذي وضعه المأسوف على علمه الخوراسقف جرجس منش الحلبي[1] ، ان بين هذه الفروض المخطوطـة صلوة بالسريانية لعيـد ارتفاع الصليب ، أُلحق بها ميمر للقديس كـيرلس الاورشليمي على ظهور عـود الصليب . فاسرعنا بالاستفهام عنه حضرة الاب فرنسيس ايوب ، وكيـل مجلتنا في سورية ، وطلبنا اليه نصّ الفقرتين الاولى والاخيرة منه ، فوجدناهما مطابقتين حرفياً لنصّ ميمر بكركي. ولمـا كان ميعاد سفرنا الى رومية قريباً ، لا يسمح لنـا بالذهاب بنفسنا الى حلب ،

١) صفحة ٥٧ ، طبع بالمطبعة المارونية بحلب سنة ٩٣٦

رجوناه ان يستنسخ لنا الكتاب كله بالتصوير الشمسي. فلبى طلبنا حالاً واتحفنا بمعلوماته عن المخطوطة « انها موضوعة تحت رقم ١٠٤٣ من مكتبة القلاية ، مكسوة بجلد قديم لحق الهراء بعضه وذهب باطراف بضع ورقات. قياس صفحاتها ٢٨ x ١٦ سنتمتراً. وعددها ١٦٦. يشغل الميمر المكتوب بالكرشوني الصفحات الاربع والسبعين الاخيرة منها. اما ما سبق فيتضمن فرض عيد الصليب بالسريانية ، المؤلف من صلوات المساء ، والستار ، والليل ، والصباح » وقد لاحظنا ان بين صفحة ٣٦ و٣٧ قد سقطت ورقة خاوية لحكاية ردم اليهود لقبر السيد المسيح ، التي وردت في الصفحات ٢٢٣ - ٢٢٤ من مخطوطة بكركي. وسننبه اليها في حينها. وفي ذيل المخطوطة قرأنا الحاشية التالية:[1]

« تم كمل هذا التشمشت على يد احقر الناس وانجسهم وارذلهم بغاله الوصخة القبيحة الكامل في كل عيب سركيس الشقي من قرية كسرحورا المحروسة[2]. وكان ذلك في سنة الف وثمانماية تسعة وستين ١٨٦٩. وكانوا المعتنين في هذا الكتاب جماعتنا الموارنة القاطنين في مدينة حلب على يد ابن عمي الشماس جبرايل. الله يجازيهم الخير امين ويخلصهم من اعداءهم امين. الرب يرحم من يترحم على حقارت الناقل والمعتنين امين »

« اجعل يا رب ذكراً صالحاً لمعلمي (٤ لاخي الحبيس ميخاييل المعتني في تدبير حقارتي في النفس والجسد الله يوفيه في ملكوته السماوية امين ولمعلمي المطران مالك ولابن خالي القس ابراهيم وللاخ الشماس جرجس صاحبين الفضل والاحسان علي. ولاخوتنا الرهبان القسوس والشمامسة القاطنين معنا في الوادي المبارك. الله يخلصلنا ولهم من جميع الضربات الشيطانية امين»

وفي اسفل الصفحة حاشية أخرى بالكرشوني كُشط اسم كاتبها وغطيت كلماتها بالحبر ، توصلنا الى قراءة هذه الكلمات منها:

« قري في هذا الكتاب المبارك... اله... ابن الياس ؟... من قرية اهدن... في سنة الف... وعشر... في ايام البطريرك يوحنا مخلوف الهدناني (٥ مكه لاكه ممصلا »

وقد توصلنا بعد البحث الى معرفة اسم الدير الذي نسخ فيه هذا الميمر وهوية الاشخاص الثلاثة المذكورين في الحاشية: اي الحبيس ميخائيل، وسركيس الناسخ، والمطران مالك. اهتدينا اليهم من اسم هذا المطران، الذي ذكره الدويهي[6] بقوله:

---

١) انظر الرسم ٣

٢) من مقاطعة الزاوية في ساحل لبنان الشمالي

٣) يوناتية اعني سنة ١٥٥٨ م

٤) شطب الناسخ على كلمة معلمي بعد ان كتبها

٥) ١٦٠٩-١٦٣٣

٦) ص ١٦٨ من تاريخه المطبوع في بيروت

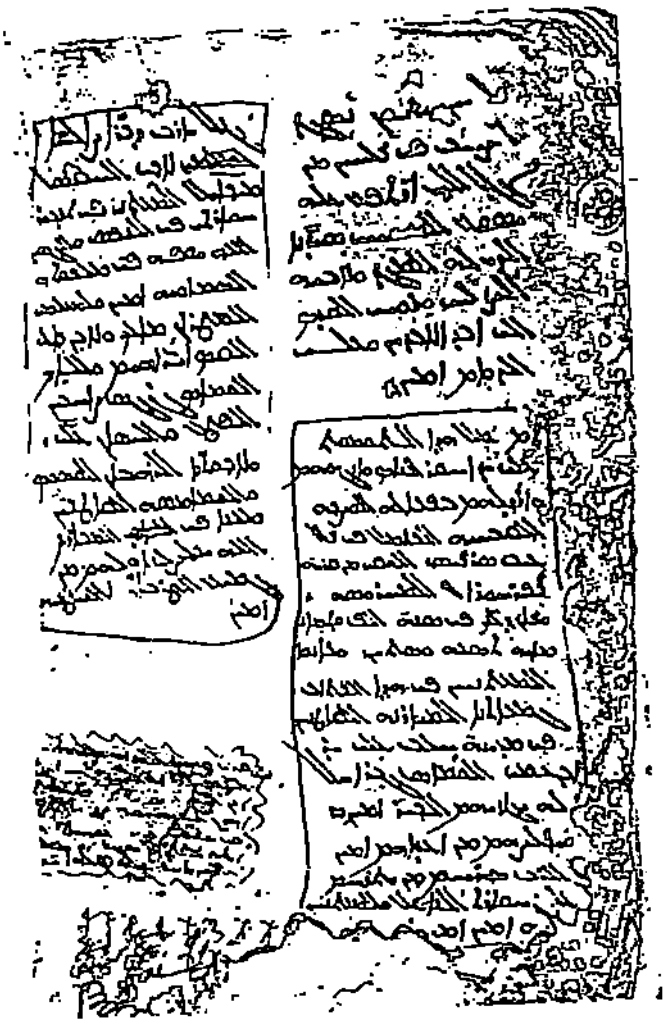

الرسم ٢ - حاشية الناسخ في ذيل المخطوطة الحلبية

« في سنة ١٥٦٠ انتقل الحبيس ملكا البقوفاوي وكان قد مضى له ستون سنة في النسك والزهد. اعتزل اولاً في دير قزحيا ثم في دير مار دوميط دارياً. ثم في كنيسة السيدة المقطوعة بالشقيف مقابل هرجس. ثم في كنيسة مار ميخائيل في دير قزحيا. »

فالمطران مالك قضى اذاً الشطر الاخير من حياته في محبسة قزحيا ، وتوفي فيها بعد انجاز نسخ هذا الميمر بسنتين.

واذا عجبتَ من ايراد الناسخ لاسم الحبيس ميخائيل قبل اسم المطران مالك المذكور فاعرف انه البطريرك ميخائيل الرزّي الذي قال عنه الدويهي[1] ما يلي :

« وفي سنة ١٥٦٧ في التاسع من اذار كانت وفاة الاب الصالح البطريرك موسى العكاري وفي اليوم الثاني عشر اتفق رؤساء الكهنة وأكابر الطائفة على الحبيس ميخائيل بن الرزّي من قرية بقوفا وكان رئيساً سابقاً على دير قزحيا وعلى المحبسة. ولكنه اعتزل رئاسة الدير المذكور وانتقل الى محبسة مار بيشاي راغباً في الوحدة. فلما قضى الله بوفاة البطريرك موسى اجبرته الطائفة رغماً منه بتدبير الكرسي الانطاكي واقاموا مكانه في الحبس اخاه القس سركيس البقوفاوي ».

فناسخ الكتاب « الثاني سركيس من كفرحورا الكامل في كل عيب » هو اذاً البطريرك سركيس الرزّي ، اخو الحبيس ميخائيل رئيس الدير حينئذ ، وتلميذه. وهذا السرّ في انه ذكره قبل المطران مالك ولقبه اولاً « بمعلمي » ثم ضرب على هذا اللقب فكتب « اخي » . ويرجح ان الحبيس ميخائيل أمره بذلك تواضعاً. واغلب الظن انه هو ايضاً الذي ناظر على نسخ الميمر وأملى على اخيه الفقرات الزائدة الدخيلة ، كما سنشرحه في ما يلي. اما انتساب الناسخ الى قرية كفرحورا، مع ان الدويهي يجعله مع اخيه من بقوفا، فسببه ان اهل اهدن ، الواقعة شمال بقوفا ، بعد ان طردوا اليعاقبة من قريتهم[2] هجموا على قرية بقوفا ، المواجهة لهم ، وخربوها لانحياز سكان الجزء الاسفل منها الى اليعاقبة . فاضطر آل الرزّ الساكنين في المحلة العليا منها ، مع انهم صانوا انفسهم من البدعة ، ان ينزحوا الى قرية كفرحورا في الزاوية. وما برحوا فيها

---

١) الدويهي: ص ١٧٠

٢) الدويهي: ص ١٤٣

وفي جوارها حتى اليوم[1].

وسركيس ناسخ الميمر قد خلف اخاه على رئاسة المجمعة سنة ١٥٦٧ كما رأيت وعلى الكرسي البطريركي سنة ١٥٨١ ، كما ذكر الدويهي ايضاً في حوادث هذه السنة[2].

ولاحظ هنا ان الحبساء الثلاثة المذكورين في الحاشية اصلهم من قرية بقوفا. والسبب في اجتماعهم في دير قزحيا ان باني محبسة مار ميخائيل التابعة لهذا الدير ، هو القس بركات البقوفاوي[3]. وقد اشتهر رؤساء هذا الدير ورهبانه بنشاطهم في نسخ الكتب البيعية والروحية. ذكر الدويهي عن رئيس هذا الدير الاسقف يوسف الجاجي (ت ١٥٤٤) « انه لم ينقطع حياته عن نسخ الكتب البيعية حتى امتلأ جبل لبنان من خطه الجميل كتباً[4] » وهكذا كان خلفه الاسقف جبرائيل ابن شقيقته[5] الاهدني (ت ١٥٥٦) الذي تولى الحبس ميخائيل مكانه[6].

وما يهمنا من كل ما تقدم ان سركيس الوزي نسخ الكتاب في دير قزحيا سنة ١٥٥٨ م ، حين كان راهباً بسيطاً ، تحت مناظرة الحبس ميخائيل اخيه ومعلمه ورئيس الدير في تلك السنة. ولعل المطران مالك شاركه في هذه المهمة وفي التأثير على الناسخ لادخال ما ارتأياه تحسيناً وتكميلاً للموضوع.

اما كيف اتصل هذا الميمر بالموارنة مع بعدهم عن القطر المصري وانقطاع علاقاتهم بأهله فيغلب على الظن انهم اخذوه من رهبان الاقباط في القدس ، الذين كانوا يجاورون دير الموارنة ، واحتلوه بعد ان هرب رهبانه على اثر وقوع شخص في البئر ، كما هو مشهور[7]. (له صلة)

---

١) راجع تاريخ الموارنة للمطران الدبس: ص٢٦١
٢) الدويهي: ص١٧٧
٣) الدويهي: ص ١٤٢
٤) الدويهي: ص١٦٢
٥) الدويهي: ص٢١٦
٦) الدويهي: ص١٦٦
٧) الدويهي : ص ١٦٧

ابن عبد ربه و «عقده»

درس ادبي تاريخي

بقلم جبرائيل جبّور
احد اساتذة الادب العربي في جامعة بيروت الاميركية

١١

شعره

يقول ابن الفرضي عن ابن عبد ربه «هو شاعر الاندلس واديبها.»[١] ويذكر الفتح بن خاقان ان ابن عبد ربه «حجة الادب، وان له شعرًا انتهى منتهاه وتجاوز سماك الاحسان وسهاه.»[٢] ويزعم علي بن سعيد المغربي صاحب «عنوان المرقصات والمطربات» ان ابن عبد ربه «امام اهل ادب المئة الرابعة وفرسان شعرائها في المغرب كله.»[٣] ويروي البعض ان المتنبي انشد شعرًا لابن عبد ربه فصفق بيديه وقال: «يا ابن عبد ربه لقد يأتيك العراق حبوًا.»[٤]

واخشى ان تكون آراء هؤلاء كلهم قليلة القيمة عندنا. ذلك لاننا اذا قرأنا ترجمة هؤلاء المؤرخين والادباء لغير هذا الشاعر وآراءهم في شعره وتقديرهم لمكانته الفينا ان اكثر الذين تُرجمت حياتهم شعراء كبار، وان كلًّا منهم «شاعر الاندلس واديبها» وان لكلٍّ منهم شعرًا «انتهى منتهاه وتجاوز سماك الاحسان وسهاه». نعم لقد تعوّد اكثر هؤلاء القدماء ان يصدروا احكامهم

---

١) ابن الفرضي ١ : ٢٧ ٢) ابن خاقان : ٥١

٣) علي بن سعيد المغربي: عنوان المرقصات والمطربات، مصر سنة ١٣٨٦، ص ٥٦

٤) ياقوت ٢ : ٧١ . ويذكر علي بن سعيد المغربي الابيات التي حكم المتنبي بسماعها ان ابن عبد ربه شاعر الاندلس، صفحة ٥٦

ويقطعوا في الامور التي تعرض امامهم ، دون روية واحتياط وايثار للقصد والاعتدال . فيبالغون في مدح المترجم او يسرفون في ذمه [اذا كانت لهم غاية في ذمه] ولا يقضون في حكمهم قضاء نزيهاً بريئاً من اغراضهم الخاصة وتأثراتهم الشخصية ، وقليل جداً من كل هؤلاء من استطاع ان يكون مستقيماً في حكمه ، مقتصداً في رأيه ، يقضي في هذه المسائل الادبية التي تعرض له من تقدير شعر شاعر ، او نثر ناثر ، والحكم على صاحبه قضاء صحيحاً خالياً من الغرض ، بريئاً من الهوى ، طليقاً من قيود العادات والتقاليد حتى يكون لحكمه وزن ولرأيه قيمة . واذن فعندما نرى هؤلاء يتفقون او يكادون يتفقون على ان ابن عبد ربه صاحبنا هو زعيم شعراء الاندلس فيجب ان لا نقتنع باحكامهم ولا نتقيد بآرائهم ، اذ كل ما يقولون هو انهم سمعوا الناس تقول هذا ، او ارادوا لغرض في نفوسهم ان يكتبوا هذا ، او انهم ، وهو لاريب ، قد تعودوا ان يقولوا في اكثر الشعراء مثل هذا .

خذ الفتح بن خاقان مثلاً وافتح كتابه عرضاً ، وها انا افتح الكتاب كذلك ، وها امامي صفحة ٣٦ ، وفيها ترجمة فقيه . انظر كيف يبدأها : « اي اشرف لاهل الاندلس ومفخر واي محتد شيد الاسلام وسحر خلدت منه الاندلس فقيهاً عالماً اعاد مجاهل جهلها معالماً » حتى يقول : « سمع بالاندلس وتفقه حتى صار اعلم من بها وافقه » . انتخب موضعاً آخر من الكتاب وهوذا صفحة ٥٣ تقع تحت نظري وفيها ترجمة فقيه آخر : « امام اللغة والاعراب وكعبة الآداب » . واقرأ في صفحة ٢٨ ترجمته لوزير فقيه : « واحد الاندلس الذي طوقها فخاراً . » او صفحة ٧٤ ، وفيها ترجمة اديب قال عنه : « زهت به الاندلس وتاهت وحاسنت ببدائعه الاشمس وزاهت فحسد المغرب فيه المشرق وغص به من بالعراق وشرق . » او صفحة ٩١ وفيها ترجمة شاعر صدرها بقوله : « رافع اية القريض . » وقريباً من هذا كانت احكام ابن الفرضي وكثيرين غيره ممن تعرضوا لتقدير شعره .

الا انه لم يفت البعض منهم ان يقتصدوا نوعاً ما في مدحهم اياه من هذه الناحية فقد ذكره الضبي فقال فيه ما قاله الحميدي . « من اهل العلم والادب

والشعر كانت له بالعلم جلالة وفي الادب رياسة وشهرة مع ديانة وصيانة.»[1]
وذكره ياقوت فاورد رواية «مدح المتنبي له واكتفى بما قاله الحميدي فيه»[1].
وذكره ابن خلكان فاشار الى انه له ديوان شعر جيد[2]. وروى بعض اشعاره
الثعالبي وقال عنه «احد محاسن الاندلس علماً وفضلاً وادباً ونبلاً» وشعره في
نهاية الجزالة والحلاوة وعليه رونق البلاغة والطلاوة.[4] والغريب ان هؤلاء الذين
اعتدلوا في مدحه، واقتصدوا في نعته، واكتفى بعضهم بقوله انه من اهل الشعر
وذكر البعض الآخر ان له شعراً جيداً، لم يشر احد منهم الى موضع الجودة
في شعره، ولم يذكر احد منهم من اين كانت له الرياسة والشهرة في الادب،
ولم يتصدَّ احد منهم الى نقد آراء الرواة التي نقلوها عنهم في صدد الحكم على
هذا الشاعر. وكم كنا نود لو ذكروا لنا اسباب حكمهم او طرق نظرهم،
او وصفوا لنا موازين تقديرهم للشعر علّنا نستطيع من هذا كله ان نكتشف
ما يسهل علينا ان نحكم على شاعرية ابن عبد ربه حكماً عادلاً مستقيماً بعد
ان ضاع اكثر شعره الذي يظهر ان بعضهم رجع اليه. قال ابن خلكان: «ولهُ
(اي لابن عبد ربه) ديوان شعر جيد.»[5] وذكر ياقوت، والضبي عن الحميدي،
ان شعر ابن عبد ربه مجموع، وان الحميدي رأى منه نيفاً وعشرين جزءاً من
جملة ما جمع للحكم بن عبد الله.»[6]

وليس بين ايدينا الآن من هذا الشعر كله سوى الف واربع مئة بيت
ونيف[7]. ولربّ معترض يقول ان في هذا القدر من الشعر الكفاية للحكم
على صاحبه، ولكننا لا نرى هذا الرأي، ولا نصدر حكماً باتاً على شاعر ما

---

١) الضبي: ١٢٧
٢) ياقوت ٢: ٦٨
٣) ابن خلكان ١: ٤٥
٤) الثعالبي ١: ٤١٢
٥) ابن خلكان ١: ٤٥
٦) ياقوت ٢: ٦٧، والضبي: ١٢٧
٧) لقد عُني السيد شفيع بعدّها، وذكر في مقاله بعجب نامه صفحة ٤١٧، ان العقد يضم منها ١٢٥٠ بيتاً، وان في سائر الكتب ٩٢ بيتاً منها ٢٧ في المطمح، و ١٤ في طبقات الامم، و ٢ في وفيات الاعيان، ونحو ٦٠ في اليتيمة. وظاهر ان السيد شفيع اخطأ في حسابها حيث ان مجموع الارقام الاخيرة يبلغ ١٠٣ لا ٩٢ كما رآه. قد اهمل نفح الطيب... للمقري ففيه شعر لم يذكر في كتاب آخر.

قبل ان نطلع على ديوانه تاماً او على الاقل على القسم الاكبر من شعره. اذ قد يجوز ان يكون الشعر الذي بين ايدينا مما بقي لهذا الشاعر هو من احسن شعره او من ارذله، وفي كلتا الحالتين لا يمثله تمام التمثيل. زد على ذلك اننا سنضطر ان نسقط من هذا العدد الذي ذكرناه ٤٤٥ بيتاً تألفت منها ارجوزته في غزوات الخليفة الناصر[1]، وقد مرّ معنا انها ليست من الشعر في شيء؛ انما هي تاريخ منظوم. وكذلك سنسقط ايضاً ١٩١ بيتاً تألفت منها ارجوزته في العروض[2]، تلك الارجوزة التي يصدق عليها من حيث القيمة الشعرية ما يصدق على اختها التاريخية. وسنسقط ايضاً ٦٣ بيتاً ذكر ابن عبد ربه انه ضمنها في مقطعاته الغزلية عن ضروب العروض واشار الى انه نقلها عن كتاب الخليل في العروض[3]. فلا يبقى لدينا بعد هذا كله من شعر ابن عبد ربه سوى سبع مئة بيت ونيف. واذن فحكمنا على شاعريته وفنه انما هو يستند الى هذا القدر القليل، وهو اذاً عرضة للخطأ، اذ قد يجوز ان يكون فيما بقي من شعره ما يوصل الى غير هذه النتائج التي سنصل اليها. فلنسجل تحفظنا منذ الآن ونعيد القول ان حكمنا ليس نهائياً ولا باتاً. انما هو قابل «للاستئناف والتمييز». وعسى ان يكون في طيّات الكتب الخطية المدفونة ما يجلو غامض هذه الناحية يوماً ما.

وبعد فكنّا قد درسنا في حياة ابن عبد ربه شيئاً عن المحيط الذي نشأ فيه، فذكرنا قرطبة وما بلغت اليه في ذلك الزمن من الحضارة والرقي، وما كان فيها من ضروب العلم وسبل اللهو، وأشرنا الى ما كان يحيطها من مناظر طبيعية خلابة من جبال غطت مناكبها اشجار الورد الذي كان يرى اصحابه الفضل لمن قطف بيده ما يمنحونه منه، ونهر ينساب في ربوعها وقد قرّب برّاه الواحد من الآخر وتقطعت غدره، وانبسطت على جنباته سروج من الخضرة وبساتين من الفاكهة زادته بهجة ونضارة واكسبته معنى وحلاوة. ونصدينا الى المجتمع الذي عاش فيه والناس الذين احتكّ بهم وعاشرهم في الحلقات المختلفة من فقهاء وعلماء، وامراء وخلفاء. والمحنا الى حياة اللهو التي عاشها في

---

١) ابن عبد ربه ٣: ٢٦٣

٢) ابن عبد ربه ٣: ١٦١

٣) ابن عبد ربه ٣: ١٨٨

شبابه ، والطرق التي سلكها في لهوه ، واشرنا الى بعض المحن التي عرضت له ، وتوصلنا الى فهم بعض نزعاته وميوله ، وطبعه ، وخلقه . وللقارئ ان يقدّر تأثير هذه كلها في نفس ابن عبد ربه ، وبالتالي في شعره الذي لم تحفظ لنا الاقدار منه سوى النزر اليسير .

ويتبيّن لنا من هذه الآثار التي بقيت من شعره ان الفنون التي تعرّض لها ابن عبد ربه هي : الهجاء ، والمدح ، والرثاء ، والغزل ، والزهد ، وبالطبع قد تعرّض في سبيل هذه الفنون الى الوصف ، وربما قصر بعض شعره على وصف روضة ما او جنة من تلك الجنات التي عرفت بها قرطبة وما جاورها من بقاع الاندلس ، او على وصف حرب او قتال ، او سيف ، او جواد ، وما الى هذه الامور . اما الموشحات التي ينسبها اليه البعض فلم نقع على اثر لشيء منها في كل المصادر التي بين ايدينا ، وسنعرض لدرس هذا الامر في آخر البحث .

الهجاء

كان ابن عبد ربه يحبّ الهجاء ، وكان يرغب في الدعابة والفكاهة فيه . ترى ذلك واضحاً في عقده ، في هذه المواضع التي تعرّض فيها بالانتقاد للكثيرين من الذين اخذ عنهم كالمبرّد ، وابن قتيبة ، وسيبويه ، او روى لهم نقلاً عن هؤلاء وغيرهم . ولعلّ القارئ لا يزال يذكر انتقاد ابن عبد ربه للمبرّد في صدد ما جمعه الاخير بكتابه الروضة ، وكيف زعم ان المبرّد كان يخطر بكل الاشعار الجميلة التي لا نظير لها فيتخطّاها الى التي تجانسه في برده ، وقال : « ما احسب لحقه هذا الاسم المبرّد الا لبرده » ، ولعله لايزال يذكر ايضاً هذه الناحية من خلق ابن عبد ربه التي اشرنا اليها من حيث حبه التعرّض بالغير في شيء من الانتقاد ، وذكره للروايات المختلفة في ما عيب على الشعراء وغيرهم وتدوينه لكثير من الاشعار التي قيلت في هجو الثقلاء . وقد كان لهذه الناحية من خلقه اثر ظاهر في شعره . ويظهر انه وفق الى حدّ ما في فهم الهجاء على الوجه الذي يجب ان يكون عليه من حيث تصوير المساوئ والتعرّض لاصحابها بشيء من الدعابة والفكاهة ، حتى اذا سمع الهجو سامع استذكر الشيء واستظرف

النكتة وضحك مع ناظمها. واليك مثلاً من شعره هذا وقد وقف تحت روشن قصر في قرطبة لبعض الوزراء وكان فيه غناء حسن، فرُشّ بماء، فاستدعى رقعة وكتب الى صاحب القصر بهذه القطعة :

يا من يضنّ بصوت الطائر الغرد ما كنت احسب هذا البخل في احد !
لو ان اسماع اهل الارض قاطبةً أصغت الى الصوت لم ينقص ولم يزد !
فلا تضنّ على سمعي، تقلّده صوتاً يجول مجال الروح في الجسد.
اما النبيذ فاني لست اشربه، ولست آتيك الا كرهاً بيدي.

وقال يهجو بخيلاً :

لا يفطر الصائم من اكله، لكنه صوم لمن افطرا
في وجهه من لؤمه شاهد يكفي به الشاهد ان يخبرا
لم يعرف المعروف افعاله قط، كما لم تنكر المنكرا (١)

وقال يهجو آخر :

ما بال بابك محروساً بوّاب يحسبه من طارق يأتي ومنتاب ؟
لا يحتجب وجهك المنعوت عن احد، فالمقت يحجبه من غير حجّاب ؛
فاعزل عن الباب من قد ظلّ يحجبه فان وجهك طلّسم على الباب. (٢)

وذكر في عقده انه قصد شخصاً ورجاه وامله فلما اعطاه شيئاً انما كتب اليه بعدة في صحيفة ومطله بها، فقال فيه :

صحيفةٌ افنيت ليت بها وعي عنوانها راحة الراجي اذا ينا.
وعد له هاجس في الغدر قد برمت احشاء صدري به من طول ما اغبا.
مواعد غرّني منها وميضُ سنا حتى مددت اليها الكفّ مقتبا.
فاصبحت حجراً لو كنت تضربه، من لؤمه، بعصا موسى لما انبجا.
كانما صيغ من بخلٍ ومن كذبٍ فكان ذاك له روحاً، وذا بدنا.

وقال فيه ايضاً :

صحيفة طابعها اللوم، عنوانها بالجهل مختومُ
اهدى لها، والمطل في طيها، والمطل والتسويف واللومُ،
من وجهه نحسٌ، ومن قربه رجسٌ، ومن عرفانه شومُ.
لا تغتنم، ان بت ضيفاً له، فخبزه في الجوف هاضوم.
، تكلمه الالحاظ من رقة، فهو بلحظ العين مكلوم

(١) ابن عبد ربه ٣ : ٢٢٠
(٢) « « ١ : ٢٠

لا تأتدم شيئاً على أكله ، فانه بالجوع مأدومُ . (١

وذكر ابن صاعد الاندلسي في طبقات الامم انه كان لابن عبد ربه ابن اخ اسمه سعيد . وكان طبيباً وشاعراً فاقتصد يوماً وبعث الى عمه راغباً اليه في ان يحضر عنده مؤانساً له ، فلم يجبه عمه الى ذلك وابطأ عنه فكتب سعيد الى عمه :

لما عدمت مؤانياً وجليسا ، نادمت بقراطاً وجالينوسا ؛
وجعلت كتبهما شفاء تفرّدي ، وهما الشفاء لكل جرح بوسا .
ووجدت علمهما ، اذا حصلته ، يذكي ويبقي للجسوم نفوسا .

فجاوبه ابن عبد ربه احمد :

القيت بقراطا وجالينوسا لا يأكلان ، ويرزآن جليسا ،
فجعلتهم دون الاقارب جنّة ، ورضيت منهم صاحباً وانيسا .
واظن بخلك لا يرى لك تاركاً حتى تنادم بعدهم ابليسا . (٢

وترى في ردّ ابن عبد ربه ميله الى النكتة في الهجاء ، ومداعبته الشديدة الوطأة لابن اخيه ، ناسباً اليه البخل وزاعماً له ان ذاك سيجرّه الى منادمة ابليس .

وكان يجنح ابن عبد ربه في بعض الاحيان الى النكتة اللاذعة يصوغها بشيء من بذيء اللفظ او يديرها على شيء من سافل المعنى . فقد جرت بينه وبين ابي محمد القلفاط الشاعر مشادّة وخصام أثارهما القلفاط اذ دعا ابن عبد ربه بلقبه (طلاس) ، فاقذع له ابن عبد ربه بالجواب . ثم صنع القلفاط قصيدة في هجو ابن عبد ربه ، وتهاجيا . ثم التقيا مرةً عند بعض الوزراء ، فسأل عن حاليهما فانشد القلفاط بيتاً هجا فيه ابن عبد ربه . غير انه ما كاد يكمله حتى بادره ابن عبد ربه ببيت صبّ فيه جام نقمته عليه فاقذع اشدّ اقذاع ، والقم القلفاط حجراً ، فانقطع خجلاً . ومع ان البيت غاية في الفحش معنى وتعبيراً فانه مثال قوي لقوة النكتة وبراعة صاحبها في ايرادها . وقد ذكره المقري على عجره وبجره شاهداً على سرعة جواب اهل الاندلس(٣) .

١) ابن عبد ربه ١ : ٩٤
٢) ابن صاعد : ٧٩ ، وابن ابي اصيبعة ٢ : ٤٤
٣) المقري ٢ : ٨٢٢ ، و ج II : ٣٠٠ من طبعة اوربة

ومع ان وستنفلد (Wüstenfeld) [1] يرى ان ابن عبد ربه يمتاز بالهجاء ، فانا لا نرى له شعرًا كثيرًا في هذا الفنّ يحقّ ان تذكر له فيه هذه الميزة بارزة قوية ، غير ناسين اننا لاحظنا في خلقه ميلًا للتعرض بالغير بشيء من الهجو او الانتقاد .

وكان يخلط هجاءه في بعض الاحيان بشيء من التذمّر من الزمن الذي عاش فيه . وبذلك تراه شاكيًا مثلما تراه هاجيًا . وتراه متبرّمًا متذمرًا ، كما تراه متهجمًا مظهرًا نقائص خصمه وعيوبه . واليك قوله في بعضهم :

رجاء دون اقربه السحابُ ، ووعد مثل ما لمع السراب ،
ودهر سادت العبدان فيه وعاثت في جوانبه الدئابُ ،
وايام خلت من كل خير ، ودنيا قد تدرعها الكلابُ
كلاب لو سألتهم ترابًا ، لقالوا عندنا انقطع التراب [2]

وقوله ، وقد سأل بعض موالي السلطان اطلاق محبوس فتلكأ فيه :

حاشا لمثلك ان يبقك اسيرا ! او ان يكون من الزمان مجيرا !
لبست قواني الشعر منك مدارعًا سودًا ، وضلت اوجهًا وصدورا .
هلّا عطفت برحمة لما دعت ويلًا عليك مدائحي ، وثبورا !
لو ان لؤمك عاد جودًا عشره ما كان عندك حاتم مذكورا . [3]

واليك قوله شاكيًا الشيب والحكام :

جار المشيب على رأسي فنبّره ، لما رأى عندي الحكام قد جاروا [4]

ويتبين من هذا كله ان ما بين ايدينا من شعر ابن عبد ربه في الهجاء قليل لا يحقّ لنا ان نطلق منه حكمًا على صاحبه . واننا نرى من هذا القليل ان ابن عبد ربه قد فهم شيئًا من روح الفن الهجائي من حيث حبه للفكاهة والدعابة في اظهار نقيصة الخصم . غير انه كان يجنح في بعض الاحيان الى الدعابة اللاذعة التي يشوبها الاقذاع . وسنعرض لديباجة شعره بوجه عام في غير هذا الموضع .

---

١) Wüstenfeld صفحة ٢٥ رقم ١٠٧

٢) ابن عبد ربه ١ : ٣٤٠

٣) ابن عبد ربه ١ : ١٠٧

٤) « « ١ : ٢١٩

المدح

ويصدق على شعر ابن عبد ربه في المدح من حيث قلّته وحكمنا عليه ما يصدق على شعره في الهجو. غير اننا نرى في هذه الاشعار القليلة قوة في المعاني، مع طلاوة ورقة تبعثها عاطفة صادقة في كثير من الاحيان. دخل على القائد ابي العباس فانشده:

الله جرّد للندى والبأس سيفًا، فقلّده ابا العبّاس.
ملك، اذا استقبلت غرّة وجهه قبض الرجاء اليك روحَ اليأس،
وبه عليك من الحياء سكينةٌ وعبّرة تجري مع الانفاس.
واذا احبّ الله يومًا عبده القى عليه محبةً للناس! (١

وروى في عقده انه سأله حاجة فيها بعض الغلظ فتلكأ عليه فاخذ سحاة من بين يديه، فوقع فيها على البديهة:

ما ضرّ عندك حاجتي؟ ما ضرّها؟ عذرًا اذا اعطيت نفسك قدرها!
انظر الى عرض البلاد وطولها او لست اكرم اهلها وابرّها!
حاشا لجودك ان يوعّر حاجتي! ثقتي بجودك سهّلت لي وعرها.
لا يجتني حلو المحامد ماجدٌ حتى يذوقَ من المطالب مرّها.

فقضى حاجته وسارع اليها(٢). ومدح احدهم فقال:

كريم على الملّات، جزلٌ عطاؤه، يُنيل، وان لم يعتمد لنوالِ.
وما الجود من يعطي اذا ما سألته ولكن من يعطي بغير سؤال. (٣

ومدح بعضهم لتواضعه فقال:

فتى زاده عزُّ المهابة ذلّةً، فكل عزيز عنده متواضعُ (٤

ومدح آخر لهيبته فقال:

يا من يجرّد من بصيرته، تحت الحوادث، صارمَ العزمِ،
رعت العدوّ فما مثلت له الا تفزّع منك في الحلم.
اضحى لك التدبير مطردًا مثل اطراد النصل للسلام.

---

١) ابن عبد ربه ١: ١٠١
٢) ابن عبد ربه ١: ١٠١
٣) « « ١: ٨٨
٤) ابن عبد ربه ١: ١٥

رفع الحسود اليك ناظره فراك مطلعاً مع النجم. (١

ومدح آخر باستسهال اللفظ وحسن الكلام فقال :

قول كأن فرنده شحذ على ذهن اللبيب.
لا يشتر على اللسا نِ، ولا يشذّ على القلوب.
لم يغل في شنع اللغا تِ، ولا يوحش بالغريب.
سيف تقلّد مثله عطف القضيب على القضيب.
هذا تجذ به الرقا ب، وذا تجذ به الخطوب. (٢

ومدح بعضهم فقارن بين خلائقه وبين زهر الروض، قال :

وما روضة بالحزن حاك لها الندى برودًا من الموشي حمرَ الشقائق،
يقيم الدجى اعناقها، ويميلها شعاع الدجى المتنّ في كل شارق،
اذا ضاحكتها الشمس تبكي بابن بكلّلة الاجفان صفر الحالق،
حكت ارضها لون السماء، وزانها نجوم كامثال النجوم الخوافق،
باطيب نشرًا من خلائقه التي لها خضعت في الحسن زهر الخلائق. (٣

وكان يشوب شعره في المدح في بعض الاحيان شيء من المبالغة، شأن اكثر الشعراء في عصره. وقد مدح الخليفة عبد الرحمن الناصر باشعار كثيرة فيما يقول جالت في الامصار وشرّدت في البلدان حتى اتهمت وانجدت واعرقت[٤]. غير انه يسكت عن ذكر اكثرها ويكتفي بتدوين بعضها في عقده. ومن هذا القليل قوله من قصيدة :

يا ابن الخلائف، ان الحزن لو علمت نداك، ما كان منها الماء شجّاجا.
والحرب، لو علمت بأسًا تصول به، ما هيجت من جبال الدين اهياجا.

الى ان يقول :

ادخلت في قبّة الاسلام مارقة اخرجتها من ديار الشرك اخراجا،
بجحفل تشرق الارض الفضاء به كالبحر يقذف بالامواج امواجا،
يقوده البدر يسري في كواكبه عرمرمًا كسواد الليل رجراجا؛
تروق فيه بروق الموت لامعة، ويسمعون به للرعد اهزاجا.
غادرت في غفرتي جيّان ملحمة ابكيت منها بارض الشرك اعلاجا.
في نصف شهر تركت الارض ساكنة، من بعد ما كان فيها الطير قد ماجا،

---

١) ابن عبد ربه ١: ١٦
٢) ابن عبد ربه ١: ٢٠٠
٣) « « ٣: ١٨٧
٤) ابن عبد ربه ٢: ٢٦٢

وجدت في الخبر المأثور منصلتاً من الخلائف خرّاجا وولّاجا ،
فلا يك الارض عدلاً ، مثل ما ملئت جوراً ، وتوضح للمعروف منهاجا .
يا بدر ظلمتها ، يا شمس صبحتها ، يا ليث حومتها ، ان هائج هاجا ،
ان الخلافة لن ترضى ، ولا رضيت ، حتى عقدت لها في رأسك التاجا . (١

اما مديحه للخليفة الناصر هذا ، الذي تركه لنا في ارجوزته التاريخية الحاوية ذكر الغزوات التي قام بها الخليفة المذكور ، فليس من مستوى هذه الابيات التي ذكرنا ، ولا ترى فيه قوّة العاطفة او الخيال كما تراهما في غيره :

اقول في ايام خير الناس ، ومن تحلّى بالندى والباس ،
ونحن في حنادس كالليل ، وفتنة مثل زهاء السيل ،
حتى تولى عابد الرحمن ، ذاك الاغر من بني مروان ،
خليفة الله الذي اصطفاه على جميع الخلق ، واجتباه
من معدن الوحي وبيت الحكمة ، وخير منسوب الى اميّة
تكلّ عن معروفه الجنائب ، وتستحي من جوده السحائب .
في وجهه من نوره برهانُ ، وكفّه لعقله قربان .
احيا الذي مات من المكارم من عهد كعب ، وزمان حاتم ،
مكارم يقصر عنها الوصفُ ، وغرة يحسر عنها الطرفُ ،
وشيمة كالصاب ، او كالماء ، وهمة ترقى الى السماء .
وانظر الى البديع من بيانه يريك بدعاً من عظيم شانه .
لو كابل البحر ندى يديه ، اذ لجأت عفاته اليه ،
لفاض ، او لكاد ان يغيضا ، ولاستحى من بعد ان يفيضا .
من اسبغ النعمى ، وكانت محقا ، ورتق الدنيا ، وكانت فتقا .
هو الذي جمع شمل الامه ، وجاب عنها داسات الظلمه ،
وجدّد الملك الذي قد اخلقا ، حتى رست اوتاده واستوثقا . (٢

ولعلّ هذه الابيات خير ابيات في المدح في ارجوزته . فاننا اذا تجاوزناها الى قلب الارجوزة نرى التكلف في المدح ، وضعف العاطفة والخيال والمعاني :

وبعدها غزاة ثنتي عشره وكم بها من خبرة وعبره !
غزا الامام ، حوله كتائبُ ، كالبدر محفوفاً به الكواكب ،
غزا ، وسيف النصر في يمينه ، وطالع السعد على جبينه ،

١) ابن عبد ربه ٣ : ٢٦٣-٢٦٤
٢) ابن عبد ربه ٣ : ٢٦٤

الى ان يقول :

فاجتمعت عليه كل الامه ، وبابنه امراء الفتنه . (١

والذي اراه ، وذكرته في غير هذا الموضع ، ان الارجوزة على وجه عام نظمٌ اكثر منها شعرًا . ولابن عبد ربه غير الارجوزة ، وغير الشعر الذي ذكرنا ، مدحٌ في الخليفة الناصر وغيره يخالطه وصف دقيق للحرب ربما اتينا على ذكر بعضه في بحثنا عن الوصف في شعر ابن عبد ربه .

الزهد

اما شعره في الزهد فقد كان اكثره متكلفاً . ويكفي ان تعلم انه كان في زهده يعارض نفسه في غزله . فيأخذ قصيدته في الغزل ، وينقضها بأخرى في الزهد على نفس الوزن والقافية حدث في شبابه انه كان له محبوب عزم على الرحيل في غد يوم ، فاستولى الحزن على الشاعر . ولما اصبح اتت السماء بمطر جود حال دون السفر ، فكتب ابن عبد ربه :

هلّا ابتكرت لبين انت مبتكرُ ! هيهات يأبى عليك اللهُ والقدرُ !
ما زلت ابكي حذارَ البين ، ملتهباً حتى رثى لي فيك الروحُ والمطرُ .
يا برده من حيا مزن على كبدي ! نيرانُها بغليل الشوق تستعرُ .
آليت الا ارى شمساً ، ولا قمرًا ، حتى اراك ، فانت الشمس والقمرُ . (٢

كان هذا في صباه . فلما زهد في كبره عمد الى هذه الاشعار فنقضها باخرى في الزهد ومحّص ابياته هذه بقوله :

يا قادرًا ليس يعفو حين يقتدر ، ماذا الذي بعد شيب الراس تنتظر ؟
عاينْ بقلبك ان العين غافلة عن الحقيقة ، واعلم انما سفر ،
سوداء ترفر من غيظ ، اذا سفرت للظالمين ، فلا تبقي ولا تذر .
لو لم يكن لك غير الموت موعظة لكان فيه عن اللذات مزدجر !
انت المقول له ما قلت مبتدئاً : هلّا ابتكرتَ لبين انت مبتكر (٣

ويظهر التكلف في شعره في الزهد ، عندما يعمد الى كلام بعض الذين

١) ابن عبد ربه ٢ : ٢٧٢ ٢) الضبي : ١٢٨

٣) ابن خاقان : ٥٣ اما الضبي : ١٢٩ فيروي « يا عاجزًا » . . . ولا تقضى له من عيشه وطرُ . ويذكر بدل ترفر في البيت الثالث تسفر .

سبقوه من الائمة او الفقهاء فينظمه شعرًا قال: « قال الحسن:

« ابن آدم لست بسابق أجلك ولا ببالغ املك ولا مغلوب على رزقك ولا مرزوق ما ليس لك فملامٌ تقتل نفسك »، اخذت هذا المعنى فنظمته في شعري فقلت:

لست بقاضٍ املي، ولا بعاد اجلي،
ولا بمغلوب على (م) رزق الذي قُدّر لي،
ولا بمعطٍ رزق غيـ(م) ري بالشقا والعمل،
فليت شعري ما الذي ادخلني في شغلي! » (١

ولعلّ ابن عبد ربه قد تأثر بابي العتاهية في زهده. وقد شابهه بالرجوع عن حياة اللهو الى الزهد، او ان شئت فقل شابهه بالرجوع عن شعر في اللهو الى شعر في الزهد، وما اكثر ما يستشهد باشعار ابي العتاهية في العقد في مواضيع الزهد، وما اكثر ما يردفها بابيات له في الموضوع نفسه فيذمّ الدنيا والزمان الذي عاش فيه، كما كان يذم ابو العتاهية دنياه وزمانه، ويذكر الموت ويدعو الى الالتفات الى الحياة الآخرة، كما كان يفعل ابو العتاهية. وأخشى ان المقام لا يتسع لذكر هذه الاشعار وما يقابلها من شعر ابي العتاهية. ولكن من الخير ان ترجع الى بعضها في العقد (٢).

ومن دعوة ابن عبد ربه الى ذم الدنيا والزهد فيها قوله:

الا انما الدنيا نضارة ايكة اذا اخضرّ منها جانب جفّ جانب.
هي الدار، ما الآمال الا فجائع عليها، ولا اللذات الا مصائب.
فكم سخنت بالامس عين قريرة! وقرت عيون دمعها اليوم ساكب!
فلا تكتحل عيناك فيها بمجرة على ذاهب منها، وشك ذاهب (٣

ولم يكن كل شعر ابن عبد ربه في الزهد متكلفًا. بل كان منه ما يمثل عاطفة رجل تائب نادم. وكان منه ما حرض نفسه فيه على التوبة الخالصة، مذكرًا اياها بوعد الله، ومهددًا اياها بدنوّ الموت. قال:

بادر الى التوبة الخلصاء، مبتدئًا، والموت، ويحك، قد مدّ اليك يدا.

---

١) ابن عبد ربه ١: ٢٨٨

٢) « « ١: ٢٤٠، ٢٧٣، ٢٧٣، ٢٧٦، ٢٧٢، ٢٧٩، ٢٨٠

٣) « « ١: ٢٧٣. اما الثاني ١: ٢٦٣ فيورد « عين » و«عيون» في البيت الثالث منصوبتين على التعدية: « ونضارة » في البيت بدل « نضارة »

وارقب من الله وعدًا ليس يخلفه ، لا بدّ لله من انجاز ما وعدا ! (١

وقال ايضاً :

يا ويلتا من موقف ما به أخوف من ان يعدل الحاكمُ !
ابارز الله بعصيانه ، وليس لي من دونه راحمُ ،
يا ربّ ، غفرانك عن مذنب أسرف ، الا انه نادمُ ! (٢

وله في البكاء من خوف العقاب :

مدامع قد خدّدت في الخدود ، وأعين مكحولة بالهجود ،
ومعشر اوعدهم ربهم فبادروا خشية ذاك الوعيد ،
فهم عكوف في محاريبهم يبكون من خوف عقاب المجيد ،
قد كاد ان يشب من دمعهم ما قابلت اعينُهم في السجود . (٣

وقال ايضاً مذكرًا نفسه بقرب الاجل ، وناهياً اياها عن سبل الضلال :

اتلهو بين باطية وزير ، وانت من الهلاك على شفير ؟
فيا من غرّه امل طويل يؤديه الى اجل قصير ،
اتفرحُ ، والمنيّة كل يوم تريك مكان قبرك في القبور ؟
هي الدنيا ، فان سرتك يومًا ، فان الحزن عاقبة السرور .
ستسلب كل ما جمعت منها كعارية تردّ الى المعير ،
وتنشاض اليقين من التظني ، ودار الحق من دار الغرور . (٤

الغزل

واذا تركنا هذه الفنون الى الغزل نرى ان ابن عبد ربه قد ضرب فيه بسهم كبير ، واكثر شعره المتحدّر الينا في يتيمة الثعالبي وفي العقد يدور على الغزل . ويظهر ان اكثر التقريظ الذي ناله ابن عبد ربه من القدماء انما كان لشعره في الغزل . وقد كانت الابيات التي روى الرواة انها اطربت المتنبي حتى صفق بيديه واستعادها من راويها وقال : « يا ابن عبد ربه ، لقد تأتيك العراق حبوًا » في باب الغزل الذي لم يطرقه المتنبي نفسه كثيرًا :

يا لؤلؤًا يسبي العقول انينا ، ورثا بتقطيع القلوب رنينا ،
ما ان رأيت ، ولا سمعت بمثله درًّا يعود من الحياء عقيقا .

---

١) ابن عبد ربه ١ : ٢٧٧ وقابله ايضاً بابيات ابي العتاهية (ابن عبد ربه ١ : ٢٨٠)
٢) ابن عبد ربه ١ : ٢٧٦ ٣) ابن عبد ربه ١ : ٢٨٤
٤) ابن عبد ربه ١ : ٢٨٠

واذا نظرتَ الى محاسن وجهه ابصرت وجهك في سناه غريقا ،
يا من تقطع خصره من رقة ، ما بال قلبك لا يكون رقيقا . ١١

واكثر شعره الذي يذكره له مترجموه انما هو في الغزل . فقد نقل ابن خلكان بعض المقاطيع من شعره اكثرها في الغزل ، وما نقله ابن خاقان اكثره في الغزل . ولعلّ تقريظه له بقوله عنه «ان له شعرًا انتهى منتهاه وتجاوز سماك الاحسان وسهاه» كان لشعره في الغزل حيث انه يستشهد بعد تقريظه هذا بأبيات في الغزل[١] .

واذا درسنا هذا الشعر الغزلي الذي بقي وتحدّر الينا عنه نرى انه لم يخل في كثير من المواضع من التكلف الذي صبغ به بعض شعره في الزهد والمدح . ذلك ان اكثر المقطوعات الغزلية التي بين ايدينا قد نظمت فيما يظهر لغاية علمية لا تعبّر عن عقيدة صادقة او عاطفة صحيحة . فالقسم الاول من المقطوعات (وهو نحو ٣٠٠ بيت) قد نظم ليكون مثالًا على ضروب العروض المختلفة ، وقد ضمّنت كل قطعة منها بيتاً قديماً من الابيات التي استشهد بها الخليل في عروضه[٢] . وقيد ابن عبد ربه نفسه في ان ينظم كل مقطوعة على بحر البيت الذي استشهد به الخليل وقافيته ، وان تكون المقطوعة متضمنة للبيت ومتصلة به وداخلةً في معناه[٤] . وليس هذا بالقيد اليسير . وكذلك قل في القسم الثاني من المقطوعات (ويضم نحو ٢٠٠ بيت) فان ابن عبد ربه قد وضع اجزاءه على تأليف حروف الهجاء ، فاتى بالمقطوعة الاولى على قافية الهمزة ، وبالثانية على الباء ، وبالثالثة على التاء وهلم جرًّا . وفي هذا من التقيد ما به . زد على هذا كله ان عدد الابيات في كل مقطوعة معيّن لا يمكن تجاوزه . فهو خمسة في القسم الاول آخرها البيت المضمّن ، واربعة في القسم الثاني . وكل هذه قيود فوق قيود . والذي يظهر لنا ان ابن عبد ربه قد قصد الى الغزل في هذه المقطوعات لغاية علمية صرّح بها وهي ان يكون حفظها سهلًا على السنة الرواة[٥] . وهاك بعض نماذج منها :

---

١) ابن خاقان : ٥٢ ، وياقوت ٢ : ٦٧ ٢) ابن خاقان ٥١–٥٢
٣) ابن عبد ربه ٣ : ١٨٨ ٤) ابن عبد ربه ٣ : ١٨٨ ٥) ابن عبد ربه ٣ : ١٨٨

الخفيف: العروض التام – الضرب التام الجائز فيه التشعيث:

انت دائي ، وفي يديك دوائي ، يا شفائي من الجوى ، وبلائي ،
ان قلبي بحبّ من لا اسمّي في عناء ، اعظم به من عناء !
كيف لا ؟ كيف أن الذ بعيش ؟ مات صبري به ، ومات عزائي .
ايها اللائمون ، ماذا عليكم ان تعيشوا ، وان اموت بدائي ؟
« ليس من مات فاستراح بميت انما الميت ميّت الاحياء » (١

شطر الخفيف: العروض المجزوء الضرب :

ما لليلى تبدلت ، بعدنا ودّ غيرنا ،
ارهقتنا ملامة ، بعد ايضاح عذرنا .
فسلونا عن ذكرها ، وتسلت عن ذكرنا .
لم تقل ، اذ تحرمت واستهلت بهجرنا ،
« ليت شعري ماذا ترى ام عمرو في امرنا » (٢

شطر المقتضب: له عروض واحد مجزوء مطوي وضرب مثل عروضه وهو:

يا مليحة الدعج ، هل لديك من فرج ؟
ام تراك قاتلي بالدلال والتنج ؟
من لحسن وجهك من سوء فعلك السمج ؟
عاذليّ ، حسبكما ! قد غرقت في لجج .
« هل عليّ ، ويحكما ان لهوت من حرج » (٣

مقطعات على تأليف حروف الهجاء ، وضروب العروض الاول من الطويل سالم :

وازهر كالمنّوق يسمى بزعراء لنا منها دالٌ ، وبرءٌ من الداء .
الا بابي صدغ حكى العين عطفه ، وشارب مسك قد حكى عطفة الراء .
فما السحر ما يعزى الى ارض بابل ، ولكن فتور اللحظ من طرف حوراء .
وكفٌ ادارت مذهب اللون اصفرا مذهبة في راحة الكف صفراء

الضرب الثاني من الطويل مقبوض :

معذبي رفقاً بقلب معذّب ، وان كان يرضيك العذابُ ، فعذّبي !
لعمري ، لقد باعدت غير مباعد ، كما انني قربت غير مقرّب .
بنفسي بدرٌ اخذ البدر نوره ، وشمس متى تبدو الى الشمس تغرب ،
لو ان امرء القيس بن حجر بدت له لما قال : « مرّا بي على ام جندب » .

١) ابن عبد ربه ٣ : ٢١٢
٢) ابن عبد ربه ٣ : ٢١٤
٣) « « ٣ : ٢١٥

الضرب الثالث من الطويل المحذوف المعتمد :

عب طوى كشحاً على الزفرات ، وانسان عين خاض في غمرات ،
فيا من بعينيه سقامي وصحتي ، ومن في يديه ميتتي وحياتي ،
بعبلك عاشرت الهموم صبابةً ، كأني لها ترب ، وهنّ لداتي .
فخدّي ارض للدموع ، ومقلتي سماء لها تهلّ بالعبرات . (١)

وترى اثراً آخر للتكلف في شعره الغزلي في غير هذه المقطوعات نتج عن تحدّيه لبعض شعراء المشرق ومحاولته تقليدهم او معارضتهم في بعض الاحيان . منه ما يتعلق باستعماله بعض انواع البديع على طريقة ابي تمام ومسلم بن الوليد اللذين اكثر من رواية شعرهما في عقده . ومنه ما يتعلق بتضمينه بعض التعابير، او استعارته بعض المعاني المألوفة عن هذين الشاعرين وغيرهما . غير انه كان في طبيعته فيما يظهر ، وفي بيئته الخاصة ومحيطه العام ، ما جعله يختلف عن هؤلاء من نواحٍ كثيرة . بل انه كان في معارضته بعضهم يخرج عن التقليد . فلقد اورد اشعاراً في رقة التشبيب لشعراء من المشرق منهم العباس بن الاحنف ، وجميل بن معمر ، وعمر بن ابي ربيعة ، وقال عن بعضها انها من الشعر المطبوع الذي يجري مع النفس رقة ويؤدي عن الضمير ابانةً . ثم ذكر في آخر هذا الباب اشعاراً له صدرها بقوله : «ومن قولنا في رقة التشبيب والشعر المطبوع الذي ليس بدون ما تقدم ذكره» ويظهر من هذه الاشعار معان جديدة ليست حقاً دون ما نقل لهؤلاء الشعراء منها :

صحا القلب الا خطرة تبعث الأسى لها زفرة موصولة بحنين .
بلى ربما حلّت عرى عزماته سوالفُ آرام ، واعين عين ،
لواقط حبات القلوب ، اذا رنت بسحر عيون وانكسار جفون .
ووبط من الوشي ابتع تحته غمار صدور لا غمار غصون .
برودٌ كانوار الربيع لبسنها ثياب قصاب لا ثياب مجون ،
فرينَ اديم الليل عن نور اوجه تجنّ بها الالباب كلّ جنون ،
وجوه جرى فيها النعيم ، فكللت بورد خدود بحتى وعيون .
سالبس للايام دوعاً من الاسى ، وان لم يكن عند اللقا بعصين .
فكيف ، ولي قلب اذا هبت الصبا اهبّ بشوق في الضلوع دفين !

(١) ابن عبد ربه ٣ : ٢٢٤ و٢٢٥ ، وليلاحظ انا اوردنا ٣ مقطوعات على الاحرف الثلاثة الاول متتابعة

وجناح منه كل ما كان ساكناً دعاء حمام لم يبت بوكون .
وان ارتياحي من بكاء حمامة كذي شجن داوبته بشجون .
كأن حمام الايك ، حين تجاوبت ، حزين بكى من رحمة لحزين (١

ويصدق على لاميته التي عارض بها صريع الغواني (مسلم بن الوليد) ما صدق على قصيدته هذه قال : ومما عارضت به صريع الغواني في قوله :

ادبرا على الراح ، لا تشربا قبلي ، ولا تطلبا من عند قاتلتي ذحلي .
فيا حزني اني اموت صبابة ، ولكن على من لا يحلّ له قتلي .
فديتُ التي صدت وقالت لقربها : دعيه ، الثريّا منه اقرب من وصلي .

فقلت على رويه :

اتقتلني ظلماً ، وتجحدني قتلي ، وقد قام من عينيك لي شاهدا عدلِ ؟
اطلّاب ذحلي ، ليس بي غيرُ شادنٍ بعينيه سحرٌ ، فاطلبوا عنده ذحلي .
اغار على قلبي ، فلما اتيته أطالبه فيه ، اغار على عقلي .
بنفسي التي ضنّت بردّ سلامها ، ولو سألت قتلي وهبتُ لها قتلي .
اذا جئتها ، صدّت حياء بوجهها ، فيعجبني هجر الذّ من الوصل .
وان حكمت ، جارت عليّ بحكمها ولكن ذاك الجور اشهى من العدل .
كتمت الهوى جهدي ، فجرّده الاسى بماء البكا : هذا يخطّ ، وذا يملي .
واحببت فيها العذل حباً لذكرها ، فلا شيء اشهى في فؤادي من العذل .
اقول لقلبي ، كلما ضامه الاسى : اذا ما أبيت العز فاصبر على الذلّ !
برايك ، لا رأيي ، تعرّضتَ للهوى ، وامرك ، لا امري ، وفعلك ، لا فعلي .
وجدت الهوى تصلاً من الموت مغمداً ، فجرّدته ، ثم انكبت على النصل .
فان تك مقتولاً ، على غير ريبة ، فانت الذي عرضت نفسك للقتل . (٢

وقد اعجب ابن عبد ربه في قصيدته هذه ايضاً حتى انه قال :

« فمن نظر الى سهولة هذا الشعر مع بديع معناه ورقة طبعه لم يفضل شعر صريع عنده الا بفضل التقدم ولاسيما اذا قرن قوله في هذا الشعر :

كتمت الذي القى من الحب عاذلي ، فلم يدر ما بي ، فاسترحت من العذل .

بقوله في هذا الشعر :

واحببت فيها العذل حباً لذكرها ، فلا شيء اشهى في فؤادي من العذل . (٣

---

١) ابن عبد ربه ٣ : ١٧٤ ، والثعالبي ١ : ٢٦٢

٢) ابن عبد ربه ٣ : ١٧٥ ولقد اورد الثعالبي هذه الابيات في يتيمته (١ : ٤٢٠) انما كثر فيها التصحيف والتحريف فترى « دخلي » في موضع « ذحلي » (ثاري) — و«البلا» بدل « البكا » — و«اشفى» بدل « اشهى » — غير اننا آثرنا نقل « فيعجبني هجر » في البيت الخامس عن اليتيمة ، وهي في العقد فتهجرني هجراً . ٣) ابن عبد ربه ٣ : ١٧٥ (له تابع)

الذكار المئوي لرحلة لامرتين الى الشرق

لامرتين في لبنان وسورية

تموز ١٨٣٢ — نيسان ١٨٣٣

بقلم اقناطيوس سركيس ق. ب.

٥

(تتمة)

امثلة من كتاب الرحلة

١ لبنان كما رآه لامرتين

نجد القطعة التالية في كثير من المنتخبات الفرنسية ، تحت عنوان « منزل لامرتين في بيروت » . ولكنها تحتوي ، فضلاً عن وصف هذا المنزل ، وصفاً شعرياً دقيقاً لجميع المناظر الطبيعية التي يمكن للانسان ان يشاهدها من بيروت .

اما منزل لامرتين الذي يتكلم عنه هنا ، فلا يمكن تعيين مكانه بالتحقيق . غير ان المشهور بين البيروتيين انه استأجر اولاً بيتاً في الموضع المعروف اليوم بحي مار مارون ، شمالي كلية الاباء اليسوعيين . وهو امر معقول ، اذا عرفنا ان هذه الناحية لم تكن ، قبل مئة سنة ، داخلة في حدود المدينة ؛ اذ ان اسوار بيروت كانت تمتد الى الجهة الغربية من ساحة البرج ودار الحكومة ؛ وبينها وبين شارع مار مارون مسافة تقارب العشر الدقائق ، كما يشير الى ذلك لامرتين .

ولما اشتدَّ المرض على ابنه جوليا ، غادر هذا المكان اذ قيل له ان مناخ الاشرفية انفع وانشط ؛ واستأجر بيتاً تضمه التقاليد في البستان الذي يملكه الآباء اللازاريون اليوم .

واليك ما قال لامرتين :

لا اذكر شيئاً الذّ من نهوضنا باكراً ، بعد الليلة الاولى التي قضيناها بمنزلنا في بيروت . فقد تناولنا طعام الفطور على اوسع سطوحه ، واخذنا نتعرّف بالنظر الى الامكنة المجاورة .

ان منزلنا يبعد مسافة عشر دقائق عن المدينة . اما الطريق المؤدية اليه ،

فشعب ضيقة ، تظللها اشجار « الندّ »[1] (*aloès*) الكبيرة ، المتدلية الاغصان فوق رؤوس المارة ، تقطع بعض القناطر القديمة الايام ، وبرجاً عظيماً[2] ، بناه فخر الدين ، امير الدروز . وهذا البرج يستخدمه اليوم بعض جنود ابراهيم باشا كمرصد يرقبون منه جميع السهول المجاورة . ثم تنساب طريقنا بين اشجار التوت ، وتصل الى مجموعة بيوت وطيئة تحيط بها غابات الليمون والبرتقال ، فتحجبها عن الانظار . ليس لهذه البيوت في بنائها نسق هندسي واحد ، والمنزل الذي في وسطها يعلوها كبرج لطيف . اما سطوحها فتصلة بعضها بالبعض الآخر بواسطة الواح خشبية تجعل منها مجموعاً انيقاً ، صالحاً للتفريج عن ضيوف غرباء ، قضوا اياماً بلياليها على سطح مركب تجاري.

وعلى بضع مئة قدم من منزلنا هذا ، يتقدم البحر حتى يدخل في الارض ؛ فيتراءى لنا من فوق جنائن الليمون و« الند » ، كبحيرة جميلة ، او كنهر ، لا يرى منه الا جانب واحد ، وقد ارست فيه المراكب العربية متهادية برخاء على تموجاته الخفيفة.

فاذا ارتقينا الى السطح الاعلى ، تحولت هذه البحيرة الى خليج واسع ، تحدّه ، من جهة ، قصور بيروت المغربية (*mauresque*) ومن الجهة الثانية سلسلة الجبال المترامية نحو طرابلس ، كاسوار قائمة . لكن الافق يمتدّ امامنا باكثر اتساعاً ؛ فهو يبتدئ بالامتداد فوق سهول احسنت حراثتها ، واكتست ارضها بردة من الاشجار المثمرة ، وقامت بينها ، هنا وهناك ، بيوت تشبه منزلنا ، ترتفع سطوحها كاشرعة بيضاء على هذا الاوقيانوس الاخضر.

ثم يضيق الافق في غضون هضبة طويلة يرتفع في قمتها دير الروم[3] بجدرانه

---

١) وضعنا كلمة « الند » (*aloès*) بين مزدوجين لان هذا الشجر ليس مما تنبته بلادنا . ولعل الصواب انه الصبار الذي لا يزال سياجاً لكثير من الطرقات في ضواحي بيروت .

٢) كان هذا البرج في الغرب الغبلي من السرايا ، تقوم اليوم في موضعه بناية فخمة على الطراز الحديث . ومن هذا البرج اشتقّ اسم ساحة البرج.

٣) لا نعرف بالتحقيق اي دير هو هذا الذي يتكلم عنه لامرتين . لكن في الجهة التي يصفها ديرين: احدهما للرهبنة الباسيلية الحالية في سوق الغرب تحت عاليه ؛ والثاني للرهبنة

البيضاء وقبيه الزرقاء . ثم ، على بعد قليل ، تنتصب اشجار الصنوبر حتى تخيّم فوق قبب هذا الدير . اما الهضبة نفسها فتنحدر بتدرّج كانها سلم عظيمة بسطت درجاتها على الصخور الجبارة او فرشت باحراج التوت والزيتون ؛ وقد تقدّم البحر يغسل اقدامها باحتشام ودلال ، ثم لم يلبث ان ابتعد تاركاً المجال لسهول اوسع ، يمرّ في وسطها نهر يتململ طويلاً بين اشجار السنديان ، قبل ان يصل الى مصبّه في الخليج .

اما الجبال فلا ترتفع دفعة واحدة ؛ لكنها تبتدئ بهضاب كبيرة كانها كوم عظيمة ، بعضها مدوّر ، وبعضها يكاد يكون مربعاً ، يتوّج رؤوسها قليل من الخضرة ؛ ويعلو كلًّا منها اما دير ، واما قرية صغيرة تنعكس عليها اشعة الشمس فتجذب الانظار ؛ بينا الهضاب تلمع كالذهب الوهاج .

وفوق هذه الروابي تأخذ درجات جبل لبنان بالاتساع . فهناك انجاد تمتد ميلًا او ميلين ، مجوّفة ، مسننة الرؤوس ، كثيرة الاودية ، عميقة مجاري المياه ؛ فيها من المهاوي المظلمة ما يضيع فيه النظر . وبعد هذه الانجاد ، ترتفع الجبال ارتفاعاً يكاد يكون عمودياً . وهنا وهناك يشاهد الناظر بقعاً سوداء تمثل له احراج الارز والصنوبر ، وبعض الاديرة المنيعة في انفرادها ، او بعض القرى المجهولة ، القائمة على ضفاف المهاوي . وفي القمة العليا من هذه السلسلة الثانية ، تكثف الاشجار ويعظم حجمها ، حتى كانها جنسة شعر منفردة على جبهة صماء ، تقدر ان تميز من هنا رؤوسها المسننة ، الغير المتساوية ، البادية كشرفات على سطوح القصور .

ووراء هذه السلسلة ، تظهر اخيراً جبال لبنان الحقيقي . لا يمكنني ان اميز هل ارتفاعها اقرب الى العمودية ام الى الافقية ؛ وهل هي قرعاء ام محرجة ، لان المسافة بعيدة بيننا ؛ ولان منحدراتها تمتزج بالجوّ الشفّاف كانها جزء منه ؛ فلا يرى الناظر الا تموّجات نور الشمس المستديرة ، محيطة بها ، وقد ارتفعت

الباسيلية الحناوية فوق قرية كفرشيما ، مقابل بعبدا . واذا كان لا بد من الاختيار ، فانا نفضل تبيين الثاني ، فالموقع والوصف اللذان نراهما في النص اكثر انطباقاً عليه .

قمها المثلثة فاتصلت بسحب الصباح الارجوانية ، سابحةً كانها جزر منيعة في الفضاء اللامتناهي.

واذا نزل النظر من هذا الافق السني ، لم يجد مكاناً يقف عليه الا اشجار النخيل المنتشرة في الارياف ، قرب بيوت الاعراب ؛ او غابات الصنوبر الخضراء ، المزروعة باقات منفردة في السهول ؛ او اطراف الآكام وسياجات الصبار ، او غير ذلك من نباتات تتساقط اوراقها متثاقلة كانها قطع زخرفية من الحجر على الحيطان الواطئة . وهذه الحيطان نفسها مكسوة بالطحلب المزهر والحلبلاب الارضي والكرم البري والزهور المختلفة الالوان والاشكال . ولقد تكاثرت هذه الاعشاب على الجدران ، حتى لا تستطيع ان تميز اهي مبنية من الحجارة ام من النبات ؛ وحتى كأن هذه البنايات حصون من عشب وازهار.

واخيراً ، على مقربة من منزلنا ، وتحت انظارنا ، قامت ثلاثة بيوت نظير بيتنا تكاد تكون مغطّاة باشجار البرتقال المثقلة بالازهار والثمار . وفيها من المشاهد الخلابة التي تفيض بالحياة في هذه البقاع الجميلة ما يأخذ الفؤاد . وعلى سطوح هذه البيوت يجلس بعض الاعراب ، فوق الحصر ، يدخنون ، وفي النوافذ بعض نساء يتطاولن بأعناقهن ليتأملننا ، ثم يختبئن متى وجهنا انظارنا اليهنّ .

وعلى مقربة من سطحنا عائلتان من العرب تتناولان الطعام في ظل دلبة صغيرة ، على عتبة بيتها . وعلى بضع اقدام من هناك ، صبيتان سوريتان ، بارعتا الجمال ، تلبسان اثوابهما في الهواء الطلق ، وتزينان شعرهما بالزهور البيضاء والحمراء . وان لاحداهما شعراً بلغ من طوله وكثافته ان غطى جسمها بكامله ، كما تغطي الصفصافة المستحية اغصانها من كل جانب . ولكنها تهزّ احياناً هذه الذؤابة الكثيفة ، فيبين جبينها الجميل وتبرق عيناها اللامعتان بسرور الطفولة الساذج فتخرقان هنيهة هذا الحجاب الطبيعي لتمتعا باعجابنا بجمالها . ولقد رميت اليها بقبضة من الغوازي [1] ، وهي قطع صغيرة من العملة

(١) جمع الغازي : لقب من كان يشهر حرباً من سلاطين تركية . ثم ضرب من النقود العثمانية ، وهو المقصود

الذهبية ، تنظمها النساء السوريات بخيطٍ من حرير ، فيصنعن منها عقودًا واساور . فجمعت يديها الى رأسها تشكرًا ، ودخلت الغرفة السفلى لترى ما نالته لامها واختها .

٢ الحياة اللبنانية في القرن الماضي
كما وصفها لامرتين

كتب لامرتين القطعة التالية في بيروت في شهر كانون الاول من سنة ١٨٣٢ ؛ يصف فيها حياة الشعب اللبناني كما رآها . وهي في الحق تنطبق ليس على لبنان فحسب بل على اكثر البلدان العربية ؛ وليس على القرن الماضي فحسب ، بل ان كثيرًا مما فيها لم يزل معمولًا به في كثير من مدن وقرى الداخلية . ونحن ننقلها هنا تلخيصاً ، تاركين ما لا فائدة فيه .

ولكيلا يتعب القارئ في فهم الالفاظ ، فانا نشير منذ الآن الى ان كل مرة يذكر الكاتب كلمة رومي او سوري او عربي فانما يقصد طائفة الروم الملكيين من ارثذكس او كاثوليك ، او الموارنة ، او الاسلام اجمالًا .

والآن فلنسمع لامرتين يتكلم :

اذا ضربنا صفحاً عن بعض هبّات للريح فوق البحر ، وبعض ساعات مطر في نصف النهار ، فان المناخ هنا يشبه مناخ فرنسة في شهر ايار . لا تكاد الامطار تتساقط حتى تظهر الارض بحلة ربيع جديد ، وتتغطى السهول والبطاح ، في قليل من الايام ، بالنباتات المختلفة ، من زروع واعشاب وزهور . . . وتكتسي اشجار التوت ، حول البيوت ، باوراقها الغضة الخضراء فتصبح كحرج كثيف لا تخرقه اشعة الشمس . . . هنا وهناك ، بعض المنازل منتشرة في السهول ، كانها مراكب سابحة على هذا الاوقيانوس الاخضر . والنساء اللبنانيات ، في اثوابهنّ البهية الثمينة ، كانهن ملكات يتنشقن هواء الجنائن العطر . وقد جلس اكثرهنّ في ظل توتة او تينة يطرزن الطنافس الصوفية الفاقعة الالوان ؛ بينا غيرهنّ يساعدن الرجال في غزل الحرير او حياكته .

ان سكان لبنان ، من روم وسوريين وعرب ، ليسوا على شيء من البربرية . فهم اعلى ثقافة من فلاحي اريافنا . كلهم يقرأون ويكتبون . وكلهم يعرفون لغتين : العربية واليونانية او العربية والسريانية . اما طباعهم

فدمثة هادئة ، يزينها الجد في العمل والقناعة في المعيشة.

يقضون الاسبوع في اشغال الحقول او في العناية بالحرير ؛ ويتترجون يوم الاحد من اتعابهم . ففي الصباح ، يحضرون مع عائلاتهم الفروض الدينية الفخمة في الكنائس الرومية او السريانية . ثم يعودون الى منازلهم فيتناولون طعاماً افخر بقليل من طعام الايام الاعتيادية.

وبعد الغداء يخرج النساء والبنات متبرجات بأثمن اثوابهنّ ، وقد عقفن شعورهنّ ونثرن فيها ازهار الليمون والقرنفل والمنثور . فيجلسن على ابواب المنازل يتحدثن مع الجارات والصديقات . لكن ليس في مقدرة القلم ان يرسم منظر هذه الزرافات بما هي عليه من بساطة طبيعية ، واثواب ثمينة فاخرة ، وجمال باهر جذّاب . اني لاشاهد هنا كل يوم وجوه نساء وفتيات لم يسعد رفائيل بمثلها حتى في احلام مخيلته الفنية . وكثيراً ما التقي بهنّ على طريق العين ، حاملات جرة الماء على كتفهنّ ، عاريات الساقين الا من الخلاخل الفضية. ان جمالهنّ لاسمى من الجمال الاغريقي والروماني ، اذ تزينه فيهنّ سذاجة فطرية فتانة وبساطة في الظواهر خلابة.

. . .

اما الرجال والصبيان فيجتمعون نهار الاحد تحت سنديانة كبيرة قرب احد الينابيع ، حيث يقضون النهار ، جالسين على الحصر يقصون القصص العجيبة . وبين حين وآخر يتناولون فنجان القهوة التقليدي ، او قدحاً من الماء البارد .

وقد يذهب البعض الى اعالي الآكام ، فيجتمعون هناك في ظلّ جفنة او زيتونة من كرم احدهم ، مسرحين الابصار كانهم يتنعمون بما حولهم من المناظر الجميلة ، كعظمة البحر وصفاء السماء ، وتغريد الاطيار[1] . او قل انهم يتنعمون بعذوبة نفسهم الفطرية وطهارتهم الساذجة . الامر الذي اضاعه الشعب عندنا في اوربة ، وسار وراء المسكرات والمنكرات .

---

١) يظهر ان لامرتين لم يحضر شيئاً من اجتماعات الشبان اللبنانيين ، ولاسيما القبضايات منهم ، حول اجران الحجر الثقيلة ، يتسرّنون ويتفاخرون برفعها.

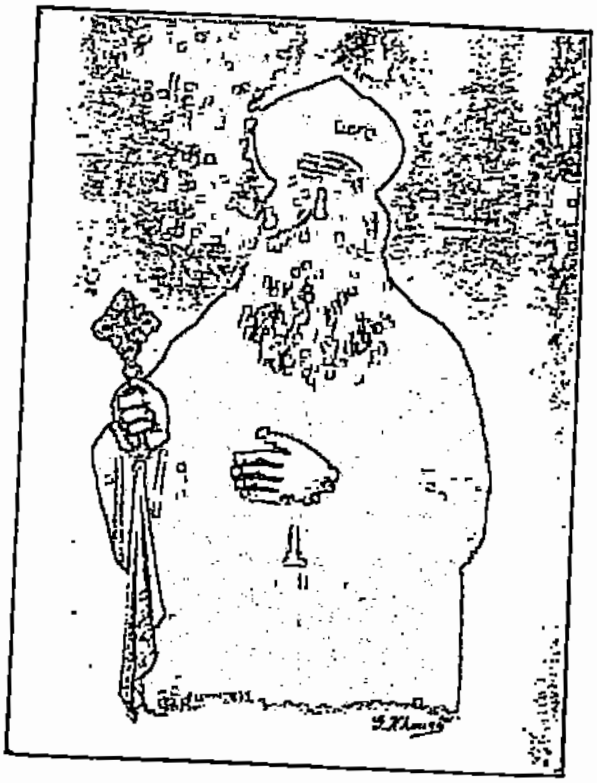

اغناطيوس نعمة الله الاول

بطريرك السريان الانطاكي († ١٥٩٠)

اثر جليل للقرن السادس عشر

رسالة البطريرك اغناطيوس نعمة الله السرياني

(١٥٧٩ م)

عربها عن الاصل السرياني ، وافتتحها بترجمة حياة البطريرك المذكور

القس يوحنا عزو ، كاتم اسرار البطريركية السريانية الانطاكية

١

توطئة

كثيراً ما سمعنا الخلف يشيد عن السلف بذكرى الرسالة السريانية التي بعث بها البطريرك اغناطيوس نعمة الله من عاصمة الكثلكة . ولم يتأتَّ حتى اليوم الوقوف على ما انطوت عليه تلك الرسالة المستبدعة . وبينما كنت أجيل الطرف في مخطوطات مكتبة بطريركيتنا السريانية ، الغنية بالمصاحف الخطّية المتقادمة العهد ، وقع بصري على كرّاسة سريانية العبارة قد تتالت عليها الاحقاب حتى تهرّأت واخذ منها الخراب ، فتصفّحتها ملياً لاحيط علماً بما تحتويه ، فاذا بها النسخة الوحيدة للرسالة السريانية المومأ اليها ، ضالّتنا المنشودة ، وقد انفذها صاحبها من رومية سنة ١٥٧٩ . فهي اذاً اثر جليل يرتقي عهده الى القرن السادس عشر للمسيح.

فطمعاً في انماء اجلها ، وتخليداً لذكر صاحبها البارّ المبتلى على مدى الايام وممرّ الاعوام ، حبّبت اليّ نفسي ان ازفّها معرّبة الى قرّاء « المشرق » الكرام . فعنيت بترجمتها على علّاتها ، متوفّراً جهدي على احكام نصّ عباراتها . ولكي يقف القارئ اللّبيب على وعورة المسلك الذي اجتزت به ، لما آلت اليه سطورها من التلف حتى عفا بعضها وتهرّأ غيرها فاستعصت قراءتها او كادت ، أتحفتُه برسم آخر صحيفة منها ، وهي احسنها . وفيها ايضاً بيّنة على انها للبطريرك المشار اليه اذ يذكر الكاتب ما تعريبه: «ما سطّره وارسله

الينا ليعرّفنا به البطريرك المظلوم نعمة الله » .

بيد ان ما يحقّ له الاسف ان الرسالة المشار اليها بتراء لا اثر لاوّلها ، بحيث لا يتسنّى البتّ في من وجّهت اليه . فقد قيل ان البطريرك صاحبها بعث بها الى المفريان داود شاه ابن شقيقه . وقيل بل انه وجّهها الى الطائفة السريانية جماء ، كما يتراءى للقارئ العزيز من سياق ترجمة حياته . على انّ ما نقرأه في تضاعيف الرسالة ذاتها لا يكشف الستار عن هذا اللبس بل يزيده اشكالاً . لاننا نراه حيناً يوجه مقاله بصيغة المفرد ، وآناً بصيغة الجمع . فيترجح القول انه بعث بها الى ابن اخيه المفريان السابق الذكر موجّهاً الكلام اليه والى الطائفة معاً ليتلوها عليهم كما كانت العادة على الاغلب في تلك الحقبة . والله اعلم .

ثمّ يلوح لنا ان هذه الرسالة ثلثة اقسام . فالاول منها ، واوّله مفقود على ما ذكرنا ، يتجلى من سياق كلامه انه مستقلّ عن الآخرين ، بل هو رسالة قائمة بذاتها اوفدها من اورشليم حيث كان قد اقام زمناً غير يسير ، على ما يبين من قرائن الرسالة ذاتها . مع اننا لم نعثر في ترجمة حياته على انه حجّ المدينة المقدسة او اقام فيها . ولولا العبارات المفصحة عمّا نزل به من البلوى وابداء امارات التوبة لاقتضى الحكم على انها اليه لا منه . ولا يعارض هذا الرأي ما يبدو في القسم الثاني من متابعة لكلام سابق وذلك أولاً : لان القسم الاول قد انتهى معناه وخُتم بلفظة « آمين » ، ثانياً : لوجود فسحة خالية من الكتابة بين القسمين الاول والثاني تقضي بأنّ هذا ايضاً قد بُتِر أوله وفقد ، وكأني بالكاتب قد ترك هذه الفسحة البيضاء بأمل العثور على المفقود ، ولكن بكلّ أسف لم تتحقق امنيّته على ما يظهر . والله اعلم . امّا القسم الثاني وما يتبعه من اخبار البلدان والايالات الغربية في القسم الثالث فهما منه ، ومصدرهما رومية العظمى حقيقةً .

ولكي يطاوع المرادُ للمطالع الكريم ويتنبّه فوراً لما ترمي اليه هذه الرسالة من المغازي والمرامي ، رأيت أن افتتحها بترجمة حياة البطريرك المغبوط المزما اليه . فنقّبت عنها في الكتب المخطوطة والمطبوعة مستعيناً على الخصوص بما نشره المثلث الرحمات المطران ديونوسيوس افرام نقّاشة ، رئيس اساقفة حلب

آخر منحة من الرسالة

السرياني ، في كتابه « عناية الرحمان في هداية السريان » وحضرة الفيكونت فيليب دي طرازي المؤرخ السرياني في كتابه « السلاسل التاريخية » فجمعت كل ما تيسّر لي ونسّقته واهديته الى القراء الافاضل .

هذا واننا لنجد عذراً للبطريرك الكاثوليكي الصميم في اتيانه على ذكر بعض الائمة المنوفيسيتيين كسويريوس وميخائيل الكبير وسواهما في تضاعيف رسالته اذا ما أنعمنا النظر في ما تتطلبه الفطنة آنئذٍ حباً باستمالة بني جنسه الى حظيرة الكثلكة ، وخيفة من ان شديد تمسكهم بآبائهم وقديم عوائدهم ينفرهم منها حسبما صرّح هو نفسه .

البطريرك

اغناطيوس نعمة الله الاول (+ ١٥٩٠)

ولد نعمة الله بن يوحنا بن نور الدين اصفر[1] في ماردين . وكان سليل عترة نبيلة يرتقي عهدها الى القرن الرابع عشر . وتلقى العلوم في دير الزعفران . ثم قبل درجة الكهنوت ، وتسقف باسم اثناسيوس نعمة الله بوضع يدي سالفه البطريرك اغناطيوس عبد الله الاول ابن اسطفان من قلعة الامرأة . وأقيم في سنة ١٥٥٥ مفريانا . وبعد سنتين انتقل سالفه الى جوار ربه ، بعد ان قضى في البطريركية ٣٧ عاماً ، فتبوأ صاحب الترجمة الاريكة الانطاكية وكانت سنة ١٥٥٧

كان البطريرك الجديد من حملة العلم في عصره ، متضلعاً من العلوم الرياضية ، وواسع الاطلاع في الطب ، وقد نال بسببه جاهاً عظيماً وحاز مكانة مثلى لدن الحكام العثمانيين . فاخذ يجوب متفقداً ابناء شعبه ، ورسم اسقفاً لمذيات ، قاعدة طور عابدين ، دعاه موسى . وفي سنة ١٥٦١ شخص الى كليبين ، احدى قرى ماردين ، ورسم فيها قسوساً وشمامسة .

وجرت له مداولات مع الحبر الاعظم خليقة بالذكر . منها انه اوفد سنة

---

١) روى السيد افرام تقاشة المثلث الرحمات انه كان من آل شيلّه ، وهي لفظة مختزلة عن « شيء الله » .

١٥٦٠ الى عاصمة الكثلكة يوحنا ابراهيم قاشا اسقف الحديثة [1]. فلما حظي هذا بالمثول امام البابا بيوس الرابع احسن وفادته واكرمه ، وتحمّله رسالة جليلة الى البطريرك نعمة الله حافلة بعبارات اللطف والعطف يدعوه فيها الى بثّ فكرة الاتحاد مع الكنيسة الرومانية بين طائفته ، قال فيها :

« ان اخانا الحبيب يوحنا ابراهيم قاشا ، اسقف الحديثة ، زار اعتاب الرسولين (بطرس وبولس) ولبث هنا بضعة اشهر وقد ألفيناه لما مثل بين يدينا فاضلاً متديناً سامياً في التقى وخشية الله . ولما وصف لنا صلاح اخوّتك أصحبناه بكتاب منا اليك . . . لان وظيفتنا الرسولية تلجئنا الى معانقة كل من رؤساء الكنائس بحبّ اخوي وندعوهم الى مشاركتنا في الاعتناء بخلاص القطيع الذي اودعه الله ايانا . فنؤمل ان تكون رغبتكم في ذلك نظير رغبتنا . هذا ولا تجهل اخوّتك ان العناية بالنماج قد قلّدها المسيح بطرس وبه الاحبار الرومانيين . فيا حبّذا لو بقيت الطائفة اليعقوبية متحدة مع البيعة الرومانية دائماً كما كانت قد قامت بهذا الاتحاد في مجمع فلورنسة الذي التأم وعقد بمساعي سالفنا ارجانيوس الرابع واختتمه سنة ١٤٤٤ ، اعني قبل ١١٨ سنة ، وحيث ان كوارث الزمان قد حالت دون ديمومة هذا الاتحاد وجب ان نحرّض اليوم اخوّتك لتبذل الوسع في اعادته من جديد . وانت تعلم ان الايمان واحد ، وعروس المسيح واحدة ، وهي البيعة الجامعة التي رأسها وأساسها هي البيعة الرومانية – اعطي في رومية في ٢٣ حزيران سنة ١٥٦٢م وهي الثالثة لحبرنا . » [2]

فلما حظي البطريرك نعمة الله برسالة ابي المؤمنين ووقف على ما انطوت عليه راقته جداً وبلغ من اقصى فؤاده ما اشتملت عليه من الخطاب الابوي العذب السديد ، فاقام من فوره نائباً عنه ابن اخيه المفريان داود شاه ، اسقف معدن سابقاً ، وعلق يطوف بنفسه متفقداً رعاياه وباثاً بين ظهرانيهم فكرة الاتحاد مع الكنيسة الرومانية واخذ يرغّب اساقفة بطريركيته ، والوجوه فيها ، قدر ما كانت تسمح له الفطنة آنئذٍ . وفي الوقت ذاته شدّد التوصية على نائبه داود شاه المارّ ذكره [3] ببذل الهمة ومواصلة السعي في تحقيق امنيته بتهيئة الشعب لاعتناق الاعتقاد بالايمان الكاثوليكي . وكان عدد الاساقفة اليعاقبة حينئذٍ كما روى القاصد لاوزد هابيل الذي اوفده اليهم الكرسي الرسولي ، كما

١) بلدة في آشور على الدجلة .

٢) طالع « الشرق المسيحي » للوكيان ج ٢ عمود ١٤٠٥ عن تأريخ رايناldوس ، عند سنة ١٥٦٢ ، عدد ٢١ .

٣) هو ابن شقيق البطريرك نعمة الله المقدسي قسطنطين .

سيأتي ، ٢١ اسقفاً عدا البطريرك ونائبه ، وقد ذكر اسماء ثمانية من العلماء بينهم .

بيد ان ابليس ، عدوّ الخير ، لم يرقه نجاح البطريرك الشهم بل طفق يعرقل مساعيه فاثار عليه اعوانه ، وزيّن لهم ان ينزلوا به محنة عظمى، هي أنه لمّا آب البطريرك الى آمد (ديار بكر) [1] ضمّه وبعض علماء المسلمين مجلس جرت في غضونه بينهم مباحثة ادّت بالعلماء الى اتهامه بالكفر او اعداده مسلماً . وتقدّم شهود من ديوان الحاكم شهدوا عليه مؤكدين اسلامه ، فانكر عليهم ذلك ، فاسلموه للجلد ، فالحبس . ثمّ التأم مجلس العلماء وحاكموه ، فأثبتت عليه الوشاية الزورية وقُضي عليه بالقتل كمرتدّ عن الاسلامية . فعرض عليه البعض الاسلام كي ينجو من القتل فابى . غير ان والي آمد الذي كان يودّه جدًّا لتضلّعه من العلوم وخصوصاً لحذقه في الطبّ أشفق عليه ، ولكي ينقذه من هذه التهلكة نزع عمامته عن رأسه ووضعها على رأس البطريرك المظلوم قائلاً لخصومه الهائجين ها انه اسلم فكفّوا عنه . فارتعدت فرائص البطريرك البائس فرقاً ، واضطربت خصائله هلعاً لهول المصاب وأُرتج عليه فلبث على هذا زماناً [2] . قيل وكان يصعد الى المأذنة ، ويرثي حاله بصوته الرخيم ، فيبكي سامعيه من المسيحيّين . ولمّا اشتدّ عليه وخز ضميره ، وهاله منظر الشعب واقلقه ، خاصة لانه لم يعد يجرأ على ان يظهر نفسه مسيحياً ، فوّض ادارة البطريركية الى ابن اخيه المفريان داود شاه الآنف الذكر ولاذ بالهرب سنة ١٥٧٨ الى قبرص ، وقيل الى رودس ، ومنها الى عاصمة الكثلكة . ولجأ الى البابا غريغوريوس الثالث عشر ، واعترف بخطيئته . فرحّب به نائب السيد المسيح وعزّاه وساعده على التوبة . فتاب حقيقةً ، واعتنق الايمان الكاثوليكي المقدّس . ولم ينفكّ عن البكاء امام صورة مريم العذراء حتى كلّته ، على ما قيل ، فصنع صورة مثلها وارسلها الى ابن شقيقه في آمد مشفوعة بجزء من عود الصليب الكريم [3] .

---

١) تدعى ايضاً « قره آمد » اي آمد السوداء لسواد حجارتها .

٢) هذه الرواية من رسالة منه نقلها القس جبرائيل دولباني الماردينيالبعقوبي في مجموعته الموجودة اليوم في خزانة كتب مدرستنا البطريركية في دير الشرفة .

٣) عن مجموعة القس دولباني ايضاً .

وكان الحبر الاعظم يومئذٍ مُعنى باصلاح التقويم لحساب ايام السنة ، وقد جمع العلماء من كل صوب للقيام بهذه المهمّة للكنيسة ، فاضاف اليهم البطريرك نعمة الله ايضاً ، فساعد البابا في ذلك لخبرته في الرياضيّات والطبّ[1] .

وفي تلك الاثناء التحق بالبطريرك الى رومية موسى اسقف مذيات الذي كان قد رسمه البطريرك نفسه ، على ما مرّ بك ، يصحبه شمّاسه عبد النور ابن اخت المفريان ايليا . فاقام الثلاثة في حاضرة الكثلكة ، واكبوا على درس اللغة الايطالية حتى احكموها . فتعين الشماس عبد النور معلّماً في مدرسة الشرقيين . ثمّ عاد الى وطنه ، وارتسم كاهناً . واما الاسقف موسى فلانه كان ضليعاً باللغة السريانية انتدب الى تدريسها لتلامذة المدرسة المارونية التي انشأها لهم في رومية البابا غريغوريوس الثالث عشر سنة ١٥٨٤

واذ كان البطريرك نعمة الله ، منذ شخوصه الى رومية ، قد أُعجب بمناظرها الجميلة وانتظام الكنيسة الرومانية ، وعاين توافر وسائل القداسة فيها وازدهارها بالعلوم ، بعث برسالة الى نائبه داود شاه ، ابن شقيقه ، وسواه ، واصفاً لهم ذلك ، ومبيناً انّ الكنيسة الرومانية هي كنيسة المسيح الحقيقية ، ورغبهم في الاتحاد معها الذي يضمن النجاح للطائفة السريانية دينياً وادبياً . ثم عاد وكتب رسالة ضافية باللغة السريانية وهي التي نُعنى بنشرها اليوم . وقد أسهب فيها بوصف رومية والشعوب الغربية وملوكها كما يلوح للقارئ اللبيب من مطالعته اياها . فكان لكلامه الوقع الحسن في القلوب فانفذ داود شاه المفريان نائبه ، من ساعته ، دستور ايمانه الى البابا غريغوريوس الثالث عشر[2] بالاتفاق مع مينا الاصفر ، مطران السور التابعة لناحية طور عابدين ، والمطران توما النائب العام . وفي الوقت ذاته كتب المفريان الموما اليه الى عمه البطريرك نعمة الله يطلعه على ان الاساقفة معوّلون على نصبه بطريركاً خلفاً له . فسرّ البطريرك المغبوط بذلك ، وطفق يلتمس من الكرسي الرسولي مساعفته على

١) عن جريدة الكنيسة الكاثوليكية الجزء ١ سنة ٣ صحيفة ٢٧٢ ، عن المؤرّخ « درّاس » ج ٣ .

٢) محفوظ في المصحف الواتكاني ، عدد ١٦٩

تحقيق امانيه ، ويؤيد المنتخب الجديد بسلطانه الرسولي كي ينشط ويتشجع فيأتي بطائفته الى الاتحاد المنشود . وكان الحبر الاعظم قد ارسل كاهناً يسوعياً اسمه يوحنا المعمدان البانو (جان باتستا البانو) الى السريان الموارنة سنة ١٥٧٨ ، فاوعز اليه تلبيةً لرغبة البطريرك بأن يعنى بشؤون السريان اليعاقبة ايضاً ، ويواجه داود شاه ففعل . ولكن لم تفلح مساعيه لشدّة تمسكهم بمذهبهم . وكان هذا المرسل يشكّ في اخلاص نيّة البطريرك نعمة الله نفسه لانه كان يعذر اصحابه محتجاً بانه لو كان المرسل اليهم اسقفاً عرض الكاهن لقبلوه ، واذعنوا له ، وعملوا على الصلح[1] .

ولما رأى البطريرك نعمة الله ان الكرادلة ايضاً لم يثقوا بكلامه ولم يأبهوا لمواعيده ، اغتمّ غماً لا مزيد عليه فرفع الى البابا عريضة باللغة الايطالية سهبة العبارة لمح فيها الى اخباره والخطوب التي اضلعته . والعريضة تفصح عن طول باعه في الفقه ورسوخ قدمه في التاريخ . واليك نسخة تعريبها ملخّصة ، قال:

ايها الاب الاقدس

اني ، انا نعمة الله باسم بطريرك انطاكية ، ألتمس من قداستك متذللاً ان تصغي اليّ فيما ارفعه اليها بايجاز مما يعود الى مجده تعالى ونصر كنيسته وخلاص النفوس فاقول : لما كان تعلق قلبي قديماً بسدّتك الرسولية ، اعني منذ اثنتي عشرة سنة حتى الآن ، فقد حملني هذا التعلق على ان اقاسي اتعاباً وشدائد وغموماً لا توصف ، حتى اني خاطرت بحياتي من اجل اجتلاب شعبي الى الخضوع لمقامك الاسمى . وقبل شخوصي الى هنا ، كنت قد اقمت ابن اخي نائباً عني ليحقق رغبتي . والآن قد وافتني البشرى بموافقته اياي اثناء تحويل الاساقفة على انتخابه خلفاً لي في البطريركية . بيد انه رغماً عن ذلك قد تجدّدت همومي لعدم مشاهدتي من يكترث لي ويثق بكلامي مع وجودي عندكم . فقداستك عالمة ان البطريركية الانطاكية تختصّ بطائفتنا السريانية دون غيرها ، وذلك حسب قوانين المجامع القديمة ، ولا حقّ فيها لليونان ، كما زعم بعضهم ، وقد اضافوا الى مدّعاهم هذا انّ لهم التقدّم على الكرسي الروماني بغير حقّ . وبلغ بهم الادعاء الى ان اقاموا من جنسهم ايضاً بطاركة لانطاكية والاسكندرية واورشليم[2] . وكل خبير في علم التاريخ يدري انه ليس لليونانيين غير كرسي

---

١) عن الآثار الخطية للمرحوم الاب انطون رباط اليسوعي.

٢) اشار بكلامه الى مجاملة للكردينال سوارين ، وكيل الشرقيين في رومية ، للطائفة الملكيّة ، وسماح الحبر الاعظم لهم ان يصفوا بطريركهم بالانطاكي والاسكندري والاورشليمي كما في عهد الشقاق .

القسطنطينية . فلقداستك الحق ان تؤيد المنتخَب الجديد وتنعته باسمه القديم اي بالانطاكي ، وذلك بدون اضافة اسم اليعقوبي اليه . فان هذه التسمية اضافها اليونان الينا عدواناً فضلاً عن انها كانت شاملة لغير السريان ايضاً كالاقباط والارمن والحبش ، وليس اسم طائفة او اقليم . وان لا ينعت باسم بطريرك الكلدان(١ بل مجرَّدًا بطريرك انطاكية الذي مقرّه دير الزعفران وهكذا تنفى كل شبهة . وجلّ التمني من قداستك هو ان تؤيد المنتخَب الجديد في البطريركية الانطاكية لئلا تذهب اتعابي عبثاً ، اذا ما اثنى شعبنا عن عزمه . لاني عالم بشديد تمسكه بالقوانين والرسوم القديمة. واقداستك مع ذلك ان تدبّر ما تراه اوفق — سُطِّرَ في رومية سنة ١٥٨١ » (٢

وفي تلك الفضون ، اذ لم يعد من امل في الشرق بعودة البطريرك نعمة الله اليه لانّ وجوده فيه غدا محالاً ، اجتمع الاساقفة سنة ١٨٩٤ يونانية (١٥٨٣م) واقاموا داود شاه بطريركاً(٣ ، وتعين شقيقه المطران توما نائباً ومعاوناً له .

اما البطريرك نعمة الله فلم يكن ليكفّ عن السعي لدى الكرسي الرسولي في ارسال قاصد الى طائفته حتى لباه الحبر الاعظم ، بل وعده ايضاً بفتح مدرسة في رومية لتثقيف شبان من طائفته يكونون جديرين بان يصيروا كهنة ، ووعده ايضاً بانشاء مطبعة لنشر الكتب السريانية . وانفذ قداسته رسالةً الى البطريرك الجديد ، ومثله صنع نائبه انطونيوس كردينال سان سورين. ثم سيّر البابا بُعيد ذلك الى بلاد الشرق قاصدًا رسولياً يحسن التكلم باللغة العربية اسمه لاوزد هنيل وكان مطراناً لصور ، فسار يصحبه كاهنان يسوعيّان هما الاب ليوزد ستانجلو بصفة مستشار ولاهوتي ، والاب اغناطيوس دي لاكازا ، وكان يلمّ باللغة العربية . وكان قد تسلّم هذا القاصد من الحبر الاعظم الباليوم ، اي الدرع البطريركي ، وبراءة التأييد لبطريركية داود شاه ، وعني باستحصال فرمان من السلطان مراد خان الثالث يُجيز له فيه التجوّل في تلك البلاد ، وتفقّد كنائس اورشليم وسائر بلاد المشرق . فابتهج صدر البطريرك نعمة الله لذلك ، وانقشعت سحائب همومه . فكتب بهذا الصدد الى البطريرك الجديد وغيره ، ولاسيما الى وكيله في حلب

١) كان في ذاك العصر قد اطلق اسم الكلدان على السريان وهماً .

٢) وُجدت هذه العريضة بين السجلات السرية في الواتكان خزانة ٧ ، صندوقة ٣ ، عدد ٢٠

٣) عن لائحة البطاركة الموجودة في مكتبة دار المطرانية السريانية في حلب .

الخواجا سفر المكنى بـذي الجبين ، وهو ابن المقدسي منصور قُرَيع الرهاوي نزيل حلب[1] ، يوصيهم ليغتنموا هذه الفرصة لانجاز ما يبتغيه.

وصل القاصد لاوزد هابيل الى حلب . فهرع الشعب بهمّة الخواجا سفر الى ملتقاه . ولما انتهى الى الرها ، اقبل وفـد من قبـل البطريرك دارد الى لقائه ، فاخذوه الى دير مار ابجاي الـذي على شاطئ الفرات بين الرهـا وآمد . وكان قد عُيِّنَ للاجتماع فحضر اليه هناك المطران تومـا ، النائب اخو المطران الجديد ، وتفاوض معه مدة ثلاثة ايام ليلًا . وقال : لقـد ذاع بين الشعب انك قدمت لكي تبدّل مذهبهم وتحرم قدّيسيهم ، واتصل نبأ قدومك بالحكّام . وهذا ما ثبّط البطريرك عن الحضور اليـك خيفةً من ان يحـدث شغب بمجيئه . وقد فوّض اليَّ تأييد الاتفاق باسمه ، فان تدبيره كلّه بيدي . واثبت وكالته بعرضه على القاصد الكتب التي ارسلها البابا والكردينال وختم البطريرك . فاجتهد القاصد ليقنعه بمواجهة البطريرك نفسه ، ولو بزي العلمانيين ، ليفاوضه مشافهة بما أُمر ، ويعرض عليه ارسال شبّان الى روميـة يتلقّون العلوم في المدرسة المختصّة باسم السريان ، وان يبعث بكتب علمية لتطبع بالسريانية والعربية ، الى غير ذلك . فلم يجد من المطران الا محاولـة وصدًا عن مقابلة البطريرك . فاضطرّ الى مكاشفته بالامر ففاتحه بابرازه له صورة الايمان والخضوع للكرسي الرسولي ، واراه كتاب البطريرك نعمةالله المشروحة فيه هذه المسائل . فقبلها ، وسلّم بها ، موقعاً اياها . ولكنه لما وصل الى قبول المجمع الخلقيدوني ورفض ديوسقوروس ، توقّف متعجباً من قبول البطريرك نعمةالله ذلك وموافقته عليه ، فقال : هذا مستحيل . فلم يألُ القاصد جهدًا في اقناعه ، واقناع بقية

[1] قيل كان الخواجا سفر من اماثل الشهباء وعلية القوم ، دينًا وورعًا بالفقراء ، نديّ الكفّ واسع العطاء حتى نُعت «بذي الجبين» . ويُروى عنه انه كان قد ابتاع قمحًا في ايام الرخص وادّخره فباعه بقيمة بخسة ايام غلاء كبير حدث في حلب ، فأحبه الشعب على اختلاف نحله ، واجله الحكّام فعُهدت اليه نظارة الجمرك . ومما يدلّ على رفيع منزلته لدى اولي الامر ما سمح له به محمد باشا والي حلب مما لم يكن ليسمح به في زمانه للمسيحيين ، وهو ان يرمّ كنيسة السريان . وسُمح كذلك لابنه نوري چلبي ببناء قاعة الدار المطرانية الملاصقة للكنيسة المذكورة في ايام البطريرك يلاطس سنة ١٥٩٤ م .

الاساقفة ، واستنجازه اياهم وعودهم للبطريرك نعمة الله . فلم يُفلح سعياً ، ولم يتمكن ، مع كل ما ابداه من الحزم والعزم وما بذله من المشقات والنفقات ، من استمالة احد من السريان سوى الخواجا سفر السابق الذكر وولديه فتح الله ونوري واتباعه من الاقارب والاصحاب . فاعتنق هؤلاء الايمان الكاثوليكي المقدّس ، ووقّعوا دستور الايمان مؤكدين ، وفي مقدّمتهم الخواجا سفر ، انهم لم يحملهم على ذلك الا الهام الهي . وبعثوا بتقريرهم سنة ١٥٨٦ الى البابا والكردينال والبطريرك نعمة الله . وقد افاضوا في تقريرهم الى البابا بجزيل الشكر وجميل العرفان لخليفة هامة الرسل من جراء ما ابدى للبطريرك نعمة الله من امارات اللطف والعطف بحيث اشترى له داراً خصوصية . واتوا على ذكر ما تحمّله هذا البطريرك المظلوم من المحن والتجارب ، ووصفوا صبره واستسلامه للاله الواحد القهّار . وذكروا انّ الطائفة السريانية مقرّة ومعترفة منذ قديم الايام بالخضوع لسدّته الرسولية ، فمحبّتهم الصادقة ليست بجديدة بل هي من عهد آبائهم المرحومين الذين درجوا . وقد زادهم رغبة ورسوخاً ما يحظون به من الارشادات بهذا المعنى من البطريرك المذكور ونصائحه القيّمة لهم في جميع رسائله ، ولاسيما في الرسالة التي حملها منه اليهم السيد لاورنز قاصد قداسته . واسهبوا في ذكر الموانع التي حالت دون اجتماع القاصد المشار اليه بالبطريرك داود شاه ، قالوا من جملتها :

« في هذه الغضون ذاعت الاخبار وتفشّت في جميع البلدان بخلاف الواقع ، وفغر الناس افواههم واخذوا يضربون في المدس اخماساً لاسداس . فمنهم من قال ان القاصد اتى ليحيل اهل هذه البلاد الى الفرنجة . ومنهم من تخرّص عليه انه جاء بالبطريرك نعمة الله ضمن صندوق . ومنهم من اتّهمه بكونه قدم ليعبّئ جيوشاً من النصارى . ومنهم من ادّعى انه اتى بمال جزيل ليشيد به الاماكن المقدسة في القدس الشريف — والحق يقال انهم لم يفوهوا بأكذوبة احسن من هذه — وهكذا علق كل رجلين او ثلاثة يتحدثون حديثاً ويستنبطون خبراً يعملون على اشاعته في عرض البلاد وطولها . وكما اعلمنا قداستكم انّ الزمان لنحس ولذلك لم يتمكن قدس الاب المكرّم البطريرك داود شاه من الاجتماع بقاصدكم »

وختموا هذا التقرير بتقديم الطاعة الكرسي الرسولي والتماس بركته ورضاه ، وابتهلوا اليه ليسأل لهم من سيدنا يسوع المسيح غفران خطاياهم وراحة لنفوس

موتاهم[1]. فلما انتهت هذه الانباء الى مسمعي رأس الكنيسة المنظور احبّ جدًّا الخوابا سفر فستاه كونت القصر البابوي وانعم عليه بوسام السلسلة الذهبية[2].

اما المطبعة والمدرسة اللتان اعدّهما البابا للسريان فاضحتا على ما يظهر نصيب السريان الموارنة وحدهم، فبرز من المدرسة العلماء الاعلام والافاضل.

اما البطريرك نعمة الله فصرف بقية ايامه في رومية حتى وافاه الاجل في حوالي سنة ١٥٩٠ وكان يردّد دون انقطاع العبارة التالية وهي: «ارحمني يا ربّ ارحمني». وكانت مدّة بطريركيته ٢١ سنة، أعني من سنة ١٥٥٧ الى ١٥٧٨. وخلفه ابن اخيه اغناطيوس الرابع، وهو داود شاه السابق الذكر، ويقال عنه انه ابتاع كنيسة الاقباط في اورشليم وابتنى بيعاً شتى وتبرّع بمساعدة دير والدة الاله للسريان في صعيد مصر. وتوفي سنة ١٥٩١ في قرية قطربل من ضواحي آمد، ودفن في كنيستها المنسوبة الى مار توما الرسول، بعد ان قضى في البطريركية ١٣ سنة، وتولى البطريركية بعده في حلب البطريرك بيلاطس ابن القس اسطفان من قرية المنصورية في جوار ماردين

وقد تولى السدة البطريركية الانطاكية من اسرة البطريرك نعمة الله ايضاً بطريرك ثالث هو يوحنا الثامن عشر (١٤٨٤—١٤٩٤). وممّن يمتّ اليه بالنسب البطريرك اغناطيوس بطرس الخامس (١٥٩٨—١٦٣٩) وبرز من هذه العترة ايضاً الاساقفة طيماثاوس توما النائب البطريركي العام، وايوانيس ميناس مطران السور ابنا قسطنطين شقيق البطريرك نعمة الله المار ذكرهما، والسيد ديونوسيوس ميخائيل هدايا مطران حلب († ١٨٢٧)

---

١) في خزانة السجلات الواتكانية، عدد ١٦٩، اربع اوراق فيها صورة ايمان سفر بن منصور، ورسالتان باسم السريان عموماً الواحدة الى البابا، والثانية الى الكردينال، ورسالة البطريرك داود الى القاصد لاونرد. (المكتبة الشرقية ٢: ١٨٦). وقد حظي حضرة المونسنيور اسحق ارملة السرياني الفاضل، ابان وجوده في رومية سنة ١٩٣٠، بتقرير سفر ورفاقه باللغة العربية ونشره ملخصاً في كتابه «الرسالة البابوية في الكنيسة السريانية»

٢) عن التقرير الذي رفعه لاونرد هايل، القاصد الرسولي، الى البابا كسطس الخامس، وهو محفوظ في سجلات الواتكان خزانة ٢، صندوقة ٧. وفي الشرق المسيحي للركيان جزء ١، عمود ٣٥ و ١٤٠٦

(له صلة)

امراض الذاكرة

بقلم نقولا حلبه (دمشق)

ذكر الامر او الحادث او الشخص عاد اليه فتصوّره ؛ والذاكرة هي تلك القوة الباطنية التي وهبنا اياها الباري كي نحافظ على جميع المعلومات حسّية كانت ام عقلية ، فنعود اليها ونستعملها عند الحاجة . ولولا الذاكرة لما وجد الانسان سبيلًا الى التقدم ، بل لعجز عن استعمال قواه العقلية ، واصبح كاولئك اللواتي حكم عليهنّ في الازمنة الغابرة بان يملأن اواني لا قعر لها . يضعنّ الماء فيغور ويذهب دون ان يترك اقلّ اثر .

والذاكرة على نوعين : عقلية . وهي من خصال النفس . فلا يمكنها ان تضمحلّ . ولا تؤثر عليها الاسباب والعوارض المادية ، وليست هي التي نبحث عنها الآن . ومادية وهي احدى الحواسّ الباطنية بها علاقة جوهرية بخلايا الدماغ كالمخيّلة . ولا فرق بينها وبين الحواسّ الخارجية كالنظر والسمع والشم واللمس والذوق الا انه لا عضو لها يظهر للعيان كالحواس الخمس . ولقد ذهب هذا المذهب فلاسفة اليونان كافلاطون وارسطاطاليس ، وتبعهم فيه القديس توما الاكويني[1] . ثم ايده كثير من فلاسفة القرن التاسع عشر لا بل بالغوا في الدفاع عنه ، وتجاوزوا تعليم من سبقهم ، فعيّنوا لكل من اقسام الدماغ عملًا خاصًا به كذاكرة السمع ، وذاكرة الشمّ ، وذاكرة النظر . واشهر من جاهد في سبيل

1) Aristote et St Thomas, *op. de Memoria et Reminiscentia*. Mercier, *Psych.* t.1, n° 128 et suiv. Farges, *Le Cerveau*, p. 188 — 189

هذه الاكتشافات بروكا[1] . فانتصر له كثير من الاطباء والفلاسفة ، ثم ما عتموا ان ادعوا ان في الدماغ خلايا خاصة بالعقل والارادة ، وان جسم الانسان ليس بحاجة الى نفس روحانية غير قابلة الفساد والموت.

ليس من غرضنا ان ننقد هذه الدعايات الواهنة التي من شأنها ان تناصر بدعة من البدع لا العلم الحقيقي . لكن يكفينا ان نعلم ان الذاكرة حاسة مادّية كسائر الحواس الخارجية . وبما انها مركبة من خلايا وانسجة فانها معرّضة للعلل كسائر اعضاء الانسان . لكن هذه الامراض عديدة جدًّا ولها مظاهر مختلفة ، فسوف نبحث عن اهمها ، ثم عن الاسباب التي تؤدي اليها.

انواعها

كل منا ، شئنا ام ابينا ، مصاب بداء ، وان كان لا يهددنا بالموت فهو يضعف قوانا وينغّص كثيرًا حياتنا . فيجبرنا على تدوين العلوم التي نتعلمها ، والافكار التي تخطر لنا ، والاعمال التي نعملها ، الا وهو النسيان[2] . فانه علة كل علم وكل عالم. يقضي على اثن واكمل ما شاهدناه وسمعناه. ولولاه لكانت معارف كل منا اضعاف ما هي الآن.

وليس النسيان من العلل التي تميّز صاحبها عن غيره ، لاننا كلنا عرضة لهذا الداء ، كما ان ضعف النظر مثلًا علة تمسّ سائر البشر ولو بدرجات متفاوتة . لكن العلة الكبرى هي ما يدعوه الفلاسفة امنيزيا *amnésie* او النسيان الشامل. وهذا المرض اذا مسّ الانسان محا سابقه وكل ما تعلمه وكل ما شاهده منذ صباه ، فيصبح كالورقة البيضاء خالية خاوية . ولقد عرفت احد الاشخاص ، وهو من علماء اللاهوت الادبي المعدودين في عصرنا هذا ، قد مسّ بهذه العلة . فبينما كان سائرًا يومًا ما في شوارع مدينة الجزائر ، وقد اشتدّ الحرّ ، شعر بخمول مدهش وخلوّ رهيب في كل قواه حتى انه نسي اسمه وكنيته وشخصيته.

1) Ribot, *Maladies de la Mémoire*, 14e éd. — Janet, *Etat mental des hystériques*. — Vaissière S. J. *Eléments de Psychologie Expérimental*. p. 124-130

2) Bain, *Sens et Intelligence*, p. 295-304

فكان يسير خطوة بعد خطوة وهو لا يدري اين يذهب . وظلّ هكذا حتى غياب الشمس يسير في شوارع المدينة كأني به احد المجانين . اخيراً أتي به الى محل اقامته . وهناك كان يدرس ويطالع دون ان يذكر قطعياً ما كان يكتبه او يطالعه . وبعد شهر عادت اليه ذاكرته بغتة فافاق كمن يفيق من سُبات عميق .

وقد تذهب الذاكرة احياناً شيئاً فشيئاً ، فيضمحلّ اولاً ذكر الاعمال الجديدة والعلوم الاخيرة . ولا يزال هذا الظلّ يمتدّ على سائر تاريخ الانسان حتى يستر ماضيه بغشاء اسود . فكأني به غمامة سوداء تظهر في الافق ، ثم لا تمتم ان تحتلّ جميع جهات السماء . والفرق بين النسيان وهذه العلة هو ان الامنيسيا تأخذ في محو آخر ما تعلمناه من حوادث واسماء وعلوم ، ثم تشمل الافكار والعواطف ، ثم تقضي على العادات التي هي نوعاً ما جوهرنا وكياننا . ولقد تمسّ هذه العلة بدرجة ضعيفة كبراء السن والشيوخ . فما تعلموه وهم صغار لا ينسونه ابداً فكأنه منحوت بالصخر ، لكن ما طالعوه وهم كبار ، وان بالغوا في الانتباه ، يضمحلّ بسرعة عجيبة . ولذا نراهم يتذمرون من سوء ذاكرتهم ويصفونها بالخيانة . واما النسيان فلا يشمل الا جزءاً من معلوماتنا القديمة او بعض شذرات مبعثرة قضت عليها السنون .

ذكرنا في اول هذا المقال ما ادعاه العالم الافرنسي الشهير « بروكا » في الذاكرة المحلية . وان كنا لا نسلم تماماً بجميع ما يدعيه ، لا بد لنا ان نعترف بان الانسان قد يُضيع احياناً ذاكرة بعض الحواسّ دون غيرها . وقد اكتشف هذا العالم ، بعد تشريح عليل يدعى « لوبورني Leborgne » [1] قد فقد بغتة استعمال الكلام ، ان قسماً من دماغه قد ارتخى وذبل كالتفاحة اذا انقضت عليها اسابيع . ثم تلا هذا الاكتشاف اكتشافات غيرها ايدت ان كثيراً من العلل والامراض التي تعتري الانسان في حواسه الخمس كالطرش والخرس والعمى وغيرها ليست مسببة عن خلل يطرأ على الاعضاء او على الاعصاب لكن عن فقدان ذاكرة هذه الحواس .

1) Dagnan-Bouveret, *Aphasie et Localisations cérébrales*. (1908) p. 468

. فمنها فَقْدُ ذاكرة الكلام . فان العليل يسمع بكل دقة ما يقال امامه لكنه لا يفقد بتاتاً معنى هذه الدمدمات التي تبلغ اذنه . وقد يحدث انه هو ذاته يصبح كالاخرس. فيردد لسانه الحروف والمقاطع دون ان يذكر ما هي الاصوات التي تركب الكلمة الفلانية . ومنها فقد ذاكرة الكتابة ويدعونها « اغرافيا *agraphie* » اذ يضمحل معنى سائر الاشارات لا الكتابية فحسب لكن الطبيعية ايضاً. فلا يعرف العليل ان الدخان يدلُّ على النار ، وان الابتسام يعني الفرح. ومنها فقدُ ذاكرة اسماء الاعلام ، او بعض صور ومخيّلات خاصة بحقبةٍ من العمر ، او بمكان قضى فيه العليل بعض سنوات . وقد تتعدّد هذه الامراض الخاصة فتكون تارة شاملة العواطف وطوراً التصوّرات ، تارة الازمنة وطوراً الامكنة . فلا يفرقُ العامة بينها وبين الجنون وضعف العقل . ولقد يصيب الشعب في هذا ، لان الجنون في الغالب لا يكون الا خللاً يعتري الذاكرة . بما ان العقل غير ماديّ وليس قابل الامراض.

لقد ذكرنا الحوادث التي تختمل فيها الذاكرة وتضعف وتضمحل. بقي علينا ان نذكر الامراض التي تزيد هذه القوة الحسية الباطنية جلاء ووضوحاً وشمولاً . فمنها « الايرمنيزيا *hypermnésie* » وهي علّة تعتري الذين يموتون غرقاً او خنقاً . فتظهر لهم عند ساعتهم الاخيرة جميع الاعمال التي عملوها والمناظر التي شاهدوها والاصوات التي سمعوها ، منذ نعومة اظفارهم اي من السنة الرابعة او الخامسة الى هذه الساعة المشؤومة . واحياناً هذه الذكرى قد تكون محصورةً بحقبةٍ من العمر او بنوع خاص من الشعور او الصور او بسيرة بعض الافراد[1] . وسبب هذه العلة هو ان الدم الذي يجري في عروق الانسان يصعد بغتةً الى الدماغ فيهيج الخلايا والانسجة ويدفعها الى عمل شاقّ متواتر . فكل ما كان منسياً يظهر وكل ما محته الاعوام ينجلي ويشعّ كالنور في الظهيرة وقد ذكر بعضهم لهذا الانبعاث الاخير اسباباً نفسية ليست من غرضنا الآن.

1) Ribot: *op. cit.* p. 139

وقد يحدث لبعض الافراد انهم كلما عاينوا شخصاً او سمعوا بحادثة او شاهدوا منظرًا خُيّل اليهم ان لهم به علماً سابقاً . وهذه العلة قد تكون مسببةً عن خلل يحدث في الدماغ اذ تُخلطُ معاً ذكريات الماضي والصور الحاضرة. فيظن العليل ان الامور الحاضرة قد سلفت منذ ايام واعوام ، لا يدري عددها وان الامور الماضية حوادث حاضرة.

اسبابها

تلك هي الامراض التي تعتري الانسان في ذاكرته . وليست بالمستهان بها. لانها ، وان كانت بعيدةً عن الجنون الحقيقي الشامل ، تُفسدُ حياة الانسان وتجعله غير صالح للاعمال العقلية . فلا يُحسن قيادة نفسه ، ولا يستطيع ان يضع صلةً بين ابسط الاعمال . ولكي يتحاشاها الانسان لا بدّ له ان يعرف اسبابها فيبتعد عنها.

لقد اختلف الفلاسفة في اسباب هذه العلل . لكن اغلبهم يجمعون على انها تحدث بعد خلل يعتري خلايا الدماغ . وهذا الخلل هو اما تهشم او فساد او جنس آخر من بلاء الانسجة يحدث بعد طوارئ طبيعية مادية او نفسية.

حدث لي يوماً اني كنتُ في احد شوارع دمشق اسير ببطء على الرصيف وبيدي جريدة اطالعها . واذا بمثال يجوز بالقرب مني ، وعلى عاتقه اخشاب خشنة . وبينما هو عابر بسرعة اصابتني تلك الاخشاب فوقعتُ وصادف رأسي حجرًا هناك . فنهضتُ وذهبتُ الى احد المخازن . وهناك استرحتُ قليلاً ثم غبت عن رشدي . وفي الغد نهضتُ واذا انا بفراشي ضمن جدران غرفتي . فدعوتُ الاقارب وسألتهم عما حدث ، ومن الذي نقلني الى هنا بعد تلك الصدمة العنيفة. فقيل لي : انك انت ذاتك رجعت الى محل سكناك فنزعت ثيابك ونمت . فمن جميع هذه الاعمال لم اذكر شيئاً البتة . لان ذاكرتي كانت قد غابت هنيهة . فاذاً من اعظم اسباب الامنيزيا الصدمات التي تصيب الدماغ فتزعجه او تحصره او تتلفُ خلاياه . واما السبب الثاني فهو شدة الحرارة . فكما ان اشعة الشمس تُحدث احياناً الموت او الجنون ، فانها تحدث ايضاً ضياع

الذاكرة اذ يرتخي قسم من الدماغ ويُعدمُ وسائط العمل وحفظ الصور.

وغير هذه الاسباب المادية قد تكشف لنا الفلسفة والفيزيولوجيـة اسباباً اعظم خطورة منها . وهي اولاً تهييج الاعصاب ، والافراط من الملاذ البدنية . فان جسم الانسان آلة في غاية الدقة والشعور كالساعة الصغيرة . اذا اخذنا في تحريك عقاربها او تغيير سير دواليبها لا تُعتمُ ان تأخذ في التقديم او التأخير، ثم تشذُّ عن القوانين والسنن التي وُضعت لها ، اخيرًا تتكسر وتتهشَّم فلا تصلح الا للعب الاولاد . ثانياً الافراط في استعمال الكحول وسائر المشاريب السامّة. اذ انها تسدل على الدماغ ستارًا يحول بينه وبين الصور والشواعر ، ثم يأخذ السمّ الذي كان منذ حين ينبّه الاعصاب في اتلاف الخلايا والانسجة ، ولا يعتم ان يقضي على الذاكرة فتضمحل وتبيد اليوم بعد اليوم . اخيرًا من الاسباب التي تذهب بالذاكرة الانتقال بسرعة من حالة الحزن الشديد الى حالة الفرح الشديد او بالعكس . اذ يُحدث هذا الانتقال صدمةً في الاعصاب جميعها . ولقد ذكر الدكتور ريبو حادثة امرأة اضاعت ذاكرتها اذ أُخبرت ان ابناً لها قد عُفي عنه بعد ما كان قد حُكم عليه بالاعدام . فنسيت تماماً اسمه وسائر الحوادث التي كانت تطرأ عليها بعد ذاك الخبر . ولقد ذكر غيره من الاطباء والفلاسفة حوادث كثيرة غير هذه تبين لنا ان تهييج الاعصاب الفجائي يؤثر على الدماغ وبالوقت عينه على الحواس الداخلية.

تلك هي الامراض التي تعتري الذاكرة وبعض الاسباب التي تؤدي اليها . لكننا لم نذكر ان هذه العلل ليست بخطورة الجنون ، لان الذاكرة تعود في اغلب الاحيان . وقلما سمعنا ان حادثة امنيزيا دامت العمر كله . ومع هذا لا بدَّ لنا من الابتعاد عن الاسباب التي تقود الى هذه العلة . وخصوصاً ان كانت من الاسباب النفسية والاخلاقية.

الصحّةُ والطبُّ في الكتاب المقدّس

بقلم الحكيم ابن الجبيل

٢

(تتمة)

١ً الصحة والوقاية في الكتاب المقدس (تابع)

الاخلاق والفضيلة وقايةٌ وصحة ؛ والرذيلة بليّةٌ وعلّة ؛ تأثير النفس في الجسم

لم يُعرف ، لصيانة الجسم ، أثبت من نفع الطهارة والقناعة والسلم والاعتدال والحلم والصفح والاطمئنان ، وَفقاً للوصايا الالهية وطبقاً للمواعيد المقدسة . فحيثما يسُد السلام الباطني تكن السلامة . وبضدّه ان الفسق والحقد والغضب والحسد والطمع والبخل لآفاتٌ تقرض أصول العافيةُ ، فضلاً عن الرفاهية . ان تُردْ فهم ذلك تأمل رجلاً في ثورة الغضب تزَ اعصابه تضطرب وترتجف ورأسه يحتقن وعضلاته تتوتّر او ترتخي ، وجلده يحمرّ او يعرق ، وقلبه يخفق ، وهضمه يقف ، ومفرّزات غدده الباطنية تفسد او تجفّ . وقد أظهرتْ ذلك جلياً (في معدة الكلب) اختباراتُ پاولو : ففورَ حدوث الغضب كانت تنضب عصارة المعدة الهاضمة ، وبضدّه اذا شاهدتْ عينه شيئاً شهيّاً طيّباً .

والمعاينات في البشر طالما علّمتنا ان الهموم والغموم سموم ، وان الاضطرابات النفسية والعواطف البشرية غير الحميدة تجعل البنية اكثر قبولاً للامراض واقلّ مقاومة لها . واليك كلام « الكتاب » تجده هنا او هناك في بعض الاسفار[1] : « الغمّ في قلب الانسان يصرعه » ، « الامل الممطول يمرض القلب ، والبغية الحاصلة شجرة حياة » ؛ « القلب المسرور دواء ناجع والروح المنكسرة تجفّف العظام » ؛ « صلاح القلب حياة الاعضاء والحسد نخر العظام » ؛ « فافرح ايها

١) سفر الامثال ، والجامعة ، وابن سيراخ ، والمزامير الخ.

الشاب في صباك وليطِب قلبك في ايام شبابك وسِر في طرُق قلبك وفي مرأى عينيك». ولكن ما أحكم الشروط المقيِّدة: «لكن اعلم انَّ هذه كلَّها سيُحضرك الله لتُدان عليها»؛ «فأقصِ الهمَّ عن قلبك وباعد السوء عن جسدك»؛ «تمتَّع ايام حياتك الفانية بالعيش مع المرأة التي أحببتها»؛ «اكفف عن الغضب ودعِ السخط؛ اما الودعاء فيرثون الارض ويتلذَّذون بكثرة السلام.»

وايّ طبيب اي صحّي كتب ما هو أصدق وأحكم مما خطّه ابن سيراخ، الصحّي الكبير: «فان الحزن يجلب الموت وغمّة القلب تخني القوَّة كلها»؛ او مما تقرأه في سفر الجامعة: «فاذهب كل خبزك بفرح واشرب خمرك بقلبٍ مسرور اذا كان الله قد رضي عن اعمالك.»؛ او مما سطّره ايوب: «الغضب يقتل النبيَّ والحسد يُميت الاحمق»؛ «لا أسير مع من يذوب حسدًا لان مثل هذا لا حظّ له في الحكمة»، ولا حظّ له من الهناء والصحة. وقد كُتِب في ما بعد: «صحة الجسد من قلة الحسد».

فاذا تدبَّرنا ما سبق — ويجب ان نتدبَّره — أدركنا وجوبه؛ وان هذا البناء الصحي العظيم لا يقوم الّا على اساس واحد، لانه وحده وطيد، وهو الدين. اي الاطمئنان الى العناية الالهية والاستسلام لها والايمان بخالق علّمنا هو نفسه ان ندعوه في مطالبنا: «ابانا» الذي في السماوات، وهو الرحمان القدير؛ وان نصفح لا الى سبع مرات بل الى سبعة في سبعين»؛ وكذلك ان نُقصي الهموم: «لا تهتموا بالغد لان الغد يهتمُّ بشأنه، يكفي كل يوم شرّه»؛ «اعطنا خبزنا كفاة يومنا.» وأن نحبّ المسالمة والسلام: «سلامي اعطيكم»، «طوبى لفاعلي السلام»؛ وأكّده الرسول: «سالموا جميع الناس قدر ما تستطيعون»؛ «لا تدعِ الشمس تغرب على غضبك»؛ و«لنسلكنّ سلوكًا لائقًا كما في النهار لا بالقصوف والسكر ولا بالدعارة والعهر ولا بالخصام والحسد».

وايضًا لاستاذنا الصحي بولس الرسول اوامر ونواهٍ يردّدها لاهل فيلبي ولاهل تسالونيكي، وما هي الا السلامة والعافية للجميع: «افرحوا في الرب كل حينٍ واقول ايضًا افرحوا»؛ «افرحوا كلَّ حين». بل يبلغ به هذا الفرح، ذلك البلسم الشافي او الترياق الواقي، الى ان يكتب لاهل قورنتس: «قد

امتلأتُ تعزيةً وانا فائضٌ بالفرح في جميع مضايقنا » . والرسول يعقوب يحسب « المتجارب دواعي للمسرّة »

واذ كانت الصحة الصحية نفسها بالفضيلة وكان عكسها بالمخالفة والرذيلة لزم حتماً ان نتقيّد ابداً بما يرسمه « الكتاب » . وحبّ الاختصار نقتصر على بعض نصوصه : « طوبى للنقيّة قلوبهم » ، « اخفروا للناس ليغفر لكم ابوكم السماوي زلاتكم » ؛ « احبّوا اعداءكم وأحسنوا الى من يبغضكم » ؛ « الكبير فيكم فليكن خادماً » . والانجيل طافح بمثل ذلك . وهكذا ايضاً الرسائل : « ان كان احدٌ ممّن يُسمّى اخاً زانياً او بخيلاً او عابد وثن او شتّاماً او سكّيراً او خاطفاً فمثل هذا لا تؤاكلوه » ؛ وله ايضاً : « وان كان احد لا يطيع ما نوصي به في الرسالة لا تخالطوه لكي يخجل » . وبعد ان عدّد بولس تلميذه تيموتاوس انواع النقائص والرذائل من كبرياء وبخل ودنس وتجديف وعقوق للوالدين ونكران للمعروف والوداد والعهود وحبّ للخصام ونفرة من الصلاح الخ أمرَه : ان يُعرض اي يهرب من هؤلاء . سلّط المحبة والقناعة والصفح والطهارة والشجاعة يحصل الجسم عينه على الهناء والعافية والرفاهية . وفي العهد الجديد خاصةً لك من هذا النوع ما ليس اوفر منه ولا افيد لتقوية القلب ونزاهة النفس فالجسم عن المكاره .

العمل والاستراحة

ليس العمل ضرورياً لاكتساب الرزق وحسب ، بل انه لازم لحياة الانسجة واغتذائها وإحراق فضولها ولتشديد القوى على اختلاف انواعها . فالطاعة للوصيّة : « بعرق جبينك تأكل خبزك » ، وهي في اصلها عقاب ، اصبحت بترتيب العناية مقرونةً بجزاء هو العافية . البطالة صدأ للبنية كلها ، علاوةً على انها أمّ الرذيلة ومصدر الطمّ ومنبت الاوهام : « في جميع اعمالك كن نشيطاً فلا يلحق بك سقمٌ » (ابن سيراخ) : وان سُئل الطبُّ ما هو هذا السقم أجابه : التخمة ، النعاس ، الرمل ، فالحمّى ، والامتلاء . وما عن ذلك من بول سكّري وازدياد الضغط (الآفة اللاهجة بها الجميع في يومنا) ؛ « فانه لما كنا

عندكم وصيناكم بهذا انه ان كان احد لا يريد ان يشتغل فلا يأكل . وقد بلغنا ان فيكم قوماً يسلكون على خلاف الترتيب غير مشتغلين بل متشاغلين بما لا يعنيهم » (الرسول بولس) . وما أضبط هذه الملاحظة : ان العاطلين عن العمل يعملون وقد يعملون بكل همة .. ولكن بما لا يعنيهم وينصرفون الى التوافل والتوافه ان لم يكن الى المؤذيات . الشغل يمنع التشاغل بما لا طائل تحته ولا فائدة منه . ولـه قواعده وشروطه وهي ضرورية: واولها الاستراحة لتجديد القوى. ليس مُفيدٌ للعمل واجادته والمثابرة والالتذاذ كالراحة بعد العناء . وبضده ان أقرب الناس الى انحطاط العزائم وخوار القوى وكثير من الامراض كالترستاني (المرض العصريّ) اولئك الجاهدون لقواهم غير حافلين بالراحة بأوقاتها ومقدارها (يوماً في الاسبوع ، كما في الوصية الالهية) وليلاً في اليوم (الوصية الطبيعيّة) . إن المندفعين بإفراط يقفون ويكلّون قبل سواهم ، ولا تلبث تلك الهمّة ان تتحوّل الى تعب وضنك ووصب . العساكر المجهودة فريسة للاوبئة ، وهي فيهم اشدُّ فتكاً . والاختبار في الحيوان المُتعَب أيّد ذلك بسديد البرهان: « يا بُنيَّ لا تتشاغل باعمال كثيرة فانك ان اكثرت منها لم تخلُ من ملام ؛ ان تتبّعتها لم تحصها وان سبقتها لم تنجُ » ؛ « الدرس الكثير يُتعب الجسد .» (سفر الجامعة)

وايضاً ان للقدرة على العمل ووفرة انتاجه واتقانه والتلذّذ به فالتوقان اليه في مقام النفور منه والوناء من الانصباب عليه ، لا بدَّ من عقلية عالية ونظام عادل ومطمح شريف . الشغل اللذيذ لا يُتعب بل يريح ؛ اما شغل السخرة فكروه ثقيل يأتي بالتعب والكلالة سريعاً ، كما ستقرأه بعد هنيهة .

ومن تصفّح رسائل بولس الرسول يجد فيها دستوراً كاملاً للعمل واثمن الارشاد لاحبائه العمّال ؛ وكلنا من هؤلاء . اسمعوا ايها الاشتراكيون والاباحيون، ايها المباهون بنُصرة العمال والوضعاء، والتم تقودونهم حتماً الى مطامع خرقاء تقتل الهناء ، اسمعوا ، اسمعوا: « وليس مرادي ان تكون لغيركم سعةٌ ولبعضكم ضيق بل ان تكون المساواة ؛ لكي تسدَّ زيادتكم في هذا الدهر نقصانهم وتسدَّ زيادتهم نقصانكم حتى تحصل المساواة ، كما كُتب :

المكثر لم يفضل عنه والمقلّ لم ينقص عنه » ؛ اسمعوا ما قاله في مكان آخر: « ... فاني قد تعلّمت ان اكون قنوعاً في اية حالة كنتُ فيها ؛ فاني في كل مكان وكل شيء قد ألفت ان اشبع وان اجوع . اني استطيع كل شيء في الذي يقوّيني » . فهي الحكمة المشهورة : « اذا لم يكن ما تريد فأرِدْ ما يكون . »

لم يكن يوماً اشتراكية جيّدة الا في الكنيسة باول عهدها ، ولن يكون الا بين قوم مبادئهم وغايتهم كما في المسيحيين الاولين اي في الاديار . وهل يمكن ان تحيا في الشيوعية اي البولشفيكية وابوها التحاسد وامها الطمع او الكسل او الغرور ؟ وهل يكون فيها سوى الحقد وخيبة الامل ؟ هل سمع هؤلاء الفوضويون مرةً كلاماً من نحو الآتي : « من كان سارقاً فلا يسرق فيما بعد بل فليكدّ ويعمل بيديه ما هو صالح لكي يكون له ما يشرك فيه المحتاج » ؟ ... « خادمين بنيّة صالحة كخدمتكم للربّ لا للناس ، عالمين ان مهما عمل كلُّ واحد من الخير فسيناله من الرب عبداً كان ام حرّاً » ؛ « وانما نسألكم ايها الاخوة ان تحرصوا على ان تكونوا هادئين تعملون ما يعنيكم وتشتغلون بايديكم كما اوصيتكم حتى تسلكوا سلوكاً لائقاً لدى الذين في الخارج ولا تكون بكم حاجةٌ الى احد » ؛ « كونوا غير متكاسلين في الاجتهاد فرحين من الرجاء صابرين في الضيق مواظبين على الصلاة ؛ باركوا الذين يضطهدونكم ... افعلوا ذلك بالصبر لا بالضجر ... لا تنقسوا ... لا تنغلب للشرّ بل اغلب الشرّ بالخير » . مَن به ذرّة من الاستقامة وحرمة الحق لا يعترف بان هذا هو تعليم الرفاهية والسعادة والصحة ، وما هو سواه هدّامٌ مؤدٍّ اكيداً الى اضطراب النفس وحسرة القلب وسقم الجسم ؟

٢ً الامراض والطبابة في الكتاب المقدس

وانه ايضاً لمن أفيد المباحث الوقوف على الامراض في العصور القديمة ومقارنة طبابة تلك الايام بهذه الأزمان . إن تسمعْ موسى يتكلّم عن داء السيلان (التعقيبة) ، ابن الزنى وآفة الشبيبة ، على ما تقدّم ، ويذكر أعراضه

في حدّته وإزمانه (أقطَرَ السائل او احتبس به: النقطة العسكرية)، وإنْ يلفظ اسمه العبريّ وينعته بالنجاسة او يرتب لأذاه وهوله فيأمر باتقائه بأصرم الحيطة والتطهير، تدرك انه هو هو الى الساعة بشكله واطواره، غير انه زاد ذيوعاً وضرراً بنسبة طغيان فساد الاخلاق ونقص العفاف اي الزواج. واذا نظرنا الى شرّه في عصرنا ظننّا ان دعوة داود[1] على اعدائه (سفر الملوك الثاني) قد حلّت على شبيبة عصرنا.

وقارئ يتتبّع هذا البحث يمرّ على امراض عديدة نقتصر في هذا المقال على بيان بعضها:

التيفوس

وباء شديد الحمّى هائل العدوى والفتك قد رافق، في كل أدوار التأريخ، الحروب والمجاعات على الاطلاق؛ فهو ابداً ربيبها وأليفها حتى انه يعرَّف بها: وشهداء اللبنانيين بعشرات الالوف بأثناء الحرب الاخيرة عليه شهود. وفي بحث لجمعية الاطباء والصيادلة قد أتينا على عشرين نصاً من «الكتاب» تنادي بأن الوباء في تلك المجاعات والحروب وبتلك الاشكال وبذلك الفتك (كما يتبيّن ايضاً من اسمه العبري الموازي في لغتنا: الدَّبر لجماعة الزنابير والدبار اي وفرة الهلاك) انما هو التيفوس. فقد جاء في سفر تثنية الاشتراع: «يهلكون (الكلام عن الاسرائيليين الذين اغضبوا الله بمعاصيهم) وتفترسهم حمّى ملهبة ووباء مرّ». وفي يشوع بن سيراخ: «النار والبرد والجوع والوباء كل هذه خُلقت للانتقام». وفي ارميا وباروخ وحزقيال وغيرهم من الانبياء تتكرّر وتتعدّد الآيات من نحو الآتية: «وقال لي الربّ: لا تصلِّ من اجل هذا الشعب للخير ... بل افنيهم بالسيف والجوع والوباء»؛ «وأرسل فيهم السيف والجوع والوباء حتى يفنوا من الارض التي أعطيتها لهم ولآبائهم»؛

---

(١) «ولا ينقطع من بيت يوآب ذو سيل وأبرص ومتوكّئ على عكاز وساقط بالسيف ومعوز الى الخبز».

« هكذا قال السيد الرب وبالاحرى اذا ارسلتُ اربعة احكامي الشديدة السيف والجوع والوحش الضاري والوباء على اورشليم». ونقرأ في انجيل متى : « ستقوم أمةٌ على أمةٍ ومملكة على مملكة وتكون أوبئة ومجاعات وزلازل في اماكن شتى. »

على العيان او على الشهادة والقرينة يبني القاضي حكمه ، وهكذا يفعل الطبيب او المؤرخ وكل حاكم في امر . ان الحروب والمجاعات وسائر القرائن مكّنتنا ان نميز ما ذُكر اعلاه من الاوباء. ونجهر انه التيفوس (typhus) ، لا ما حصر الاطباء به حديثاً لفظة طاعون (peste bubonique) التي كانت تطلق على كل وباء هائل فتاك . وكم كان يستحيل هذا التمييز قبل علم الجراثيم ! والتيفوس مجهول الميكروب حتى الآن . واما الثاني ، وسببه جرثوم من الشكل المستطيل الى الكرويّة ، فلا صلة له مباشرةً بالحروب والمجاعات بل بالجرذان التي تنقل ببراغيثها الجرثوم من عليل الى سليم كما ينقل النمل الداء السابق في مقام البرغوث هنا، او البعوض جرثوم البرداء. ويُشخّص الطاعون صريحاً بالنصوص الآتية من سفر الملوك الاول : « وثقلت يد الرب على الاشدوديين فدمّرهم وضربهم بالبواسير في اشدود وتخومها وهاجت القرى والصحارى في وسط ارضهم وتولّدت «الفئران» : وحدث اضطراب موت شديد في المدينة». البواسير للتعذيب لا لتُميت ؛ اما الطاعون فللإهلاك الجارف. وكأنه أوحي الى الاشدوديين فادركوا علّة ذلك . وعليه لمّا هدُوا الى التكفير عن خطاياتهم (اغتصاب تابوت الرب) قدّموا قرباناً مؤلفاً من خمسة « فئران » من ذهب

ضربة الشمس

وعربيُّها: الرّعن وهو يحصل كثيراً في بلادنا اذا لفح الحرُّ واصابت الشمس الرأس[1] فينتج عنه صداع واغماء وحمّى والموت عينه .

---

١) لأحد العلماء اختبار اوضح ان كلباً معرّضاً لاشعة الشمس يسلم اذا ظلّ رأسه في الظلّ . ويهلك اذا ظُلّل جسمه وسُلّطت الشمس على رأسه .

وامامنا على ذلك لا شاهدان عادلان فقط بل ثلاثة لثلاثة من الاسفار المقدسة : « وبعدما نشأ الصبيُّ خرج ذات يوم الى ابيه عند الحصادين (زمن وقدة الحرّ) . فقال لابيه : رأسي رأسي . فقال للغلام خُذه الى أُمه فحمله وسار به فبقي على ركبتيها حتى الظهر ومات . »

« وكان منّى (بعل يهوديت) قد مات في ايام حصاد الشعير فصخد الحرُّ رأسه فمات . »

« فلمّا اشرقت الشمس أعدَّ الله ريحاً شرقيّة حارّة فضربت الشمس على رأس يونان فغُشي عليه . . . »

البُرداء

وتسميها العامّة بالطليانية : ملاريا . وهي اكبر آفات أقاليمنا بل البشرية على الاطلاق .

في ضربات مصر (سفر الخروج) وبغير مكان ، ذُكر قُشو البعوض كأداة عقاب من الله . ويستبعَد ان العقاب كان بإزعاج البعوض بلدغه فقط او طنينه بل بما يجيء به من عِلَل ، شرُّها البرداء . ومن الثابت ان لا بعوض الا حيث يأسن الماء وان لا انتقال لجرثوم البرداء الا بلسع البعوض . وبقوّة نور ما تقدّم غُيِّر البرداء في ما يأتي :

« فقال أهل المدينة لاليشاع : ن موقع المدينة (مدينة اريحا ، وهي قائمة في وسطٍ على أتمّ الملائمة لاستنقاع الماء ، اي منبسط من الارض يمرّ فيه فرع من الاردن) حسنٌ كما يرى سيدي ، الا ان ماءها رديء والارض مجدبة . فسار اليشاع الى منبع الماء وطرح فيه ملحاً وقال هكذا قال الرب : اني قد شفيتُ هذه المياه فلا يكون فيها ايضاً موت ولا جدب فشُفيَت المياه » . ما الماء القتّال للناس والنبات — والماء عنصر الحياة والخصب الأوليّ — الا الماء الساكن؟ فهو على الدوام ، يُهلك ببعوضه الانسان وبرطوبته جذور النبات . وبمصر اهميّة « المصارف » لا تقلُّ عن اهمية القنوات الآتية بمياه السقي . فيتبين ان الاعجوبة حصلت بتسييل الماء وجعله جارياً (الملوك الثاني) . ثم نقرأ باشعيا النبي (١٤ :

٢٣) : « اني اقوم عليهم كما يقول رب الجنود واستأصل من بابل الاسم والبقية والذرية والعقب واجعلها ميراثاً للقنافذ ومستنقعات للمياه واكنسها بمكنسة الخراب » ؛ « اما مستنقعاته (البحر الميت) فلا تصلح بل تترك للملح » (وهي ناشئة عن نهر الاردن ؛ وثمت منها المدد العديد والاذى المديد مما كتبنا عنه طويلاً في « علم الصحة » وبيّنا تعليله .)

واي « مكنسة للخراب » افعل من البرداء ! وهل من محنات افظع من مستنقعات في محالّ حارّة كجوار البحر الميت ، وهو يسفل البحر ٤٠٠ متراً .

ولنا من تاريخ رومة واليونان ، وعندنا من مشاهدات بلادنا الآن ما يفهمنا كيف ان وبال بعض المياه فتك بالسكان حتى الانقراض ، خاصةً بقرب البحار .

البرَص

لا تطيل فيه الكلام في هذه اللمحة مع انه ليس مرض شغل في « الكتاب » مكاناً مثله فخصصناه في درسنا الفرنسي بعدّة بيانات تجدها هناك ؛ وقد اضربنا عنه وعنها في هذا المقال ، لانه بعد ان روّع البشرية ، اي روع ، حتى القرون الوسطى ، زال الآن او كاد تاركاً الايذاء لسواه .

الجرَب

في سفر اللاويين ، وفي تثنية الاشتراع ، ذكرٌ لهذا الداء بعينه . ولا نعجب لتحذير الكتاب منه لانه يُعدي كثيراً ويزعج طويلاً ويذيع مديداً ، حيث الزحام والاهمال وفي القرن الماضي عُرف سببه (حُيَيوين) وعلاجه (الكبريت) . ومن يجهل ان اهمّ أعراضه حكاك يثور في الليل ويبدل راحة النوم بعذاب ؛ ويتأتى عنه بثور وخراريج ؟

ولدن تقصّي سفر ايوب اذا بنا امام بيّنات جعلتنا نعتقد ان مرض بطل الاوجاع كان من هذا البلاء . وعلماء كثيرون الآن وافقونا على هذا الرأي ونشروه في الصحف .

أجل ، أجرَبَ كان ايوب ؛ ومن فمه نحكم عليه : « فاخذ له خزفة

ليحتكّ بها » ؛ « في الليل تنخر عظامي » ؛ « علّتي لا تنام » ؛ « وليالي مشقّة قُدِرت لي » ؛ « يتقلّص جلدي ويسيح »

وقد ذهب كثيرون ، ومنهم الآباء اليسوعيون في طبعتهم العربية المشهورة ، بان علّة ايوب كانت « داء الفيل » ، وهو مرض يغلب حدوثه في الرجلين فتصبحان بضخامة « ساقي الفيل » . والحال ان هذا التاعس شكا الهزال : « جلدي لصق بعظامي »

غريب فظيع امر هذا المسكين ايوب : فما كفاه ما حلّ به من المصائب في حياته حتى قام بعضهم بعد اربعة آلاف سنة يتهمونه بالزّهري مع علمهم انه داء الفاسقين الزناة ؛ وهو الرجل الذي يلقبه تعالى بالكامل ، المنادي ببراءته من كل انحراف ودنس ، القائل : « ان كان قلبي قد هام بامرأة او كمنتُ على باب قريبي ، فلتطحن امرأتي لآخر وليقع عليها آخرون » . يقولون بذلك متجاهلين ان هذا الداء ، بعكس « السيلان » ، لم نعثر له على اثر في « الكتاب » . ولعله جاء من اميركة بعد كشفها : فسمّي بعد ان اتى به البحّارون اذ ذاك : مرض نابولي ، وعندنا لقّبوه بالافرنجي . . . !

ولما تعذّر هنا البحث في كل ما ورد في الاسفار من الامراض ، وبينها المهمّ حتى في ايامنا كالصرع والعمى ونزف الدم والجنون ولم تكن مهمّتنا « للمشرق » العزيز سوى موجز ، فانا نقتصر على ثلاثة امراض نستشهد عليها العهد الجديد وحده

التهاب دودة الظهر

معروف الآن باسم عالِمَين «Heine-Médin» بحثا فيه ملياً من مدّة قرن . لكنه قديم العهد كما سيتبين من الآي الآتية . وهو داء وبائي خطر يبدأ بحمّى ثم يسبّب عادة شلّل الاعضاء . وفي السنين الحديثة عاد وطنا : ففي عام ١٩١٦ أصيب بـه في نيويرك وحدها ١٣٠٠٠ وفي رومانية ١٥٧٦ ، ويغلب حدوثه في الطفولية . وفي التفتيش عنه في « الكتاب » تصادف : «فقدّموا له مخلّعاً مُلقى على

سرير» (انجيل متى) ؛ «وكان رجل اعرج[1] من بطن امه يُحمل وكان يوضع كل يوم عند باب الهيكل ليسأل صدقة . . . فقال له بطرس : باسم يسوع الناصري قم وامش.» ؛ ثم نقرأ ايضاً في سفر أعمال الرسل نفسه : « فصادف بطرس في لُدَّة رجلاً اسمه ايناس مضطجعاً على فراش منذ ثماني سنين وهو مخلَّع . » وفي مكان آخر : « وكان مُقيماً بلسترة ، رجلٌ عاجز الرجلين مُقعَدٌ من جوف أمه لم يمشِ قط » .

الروماتيزم الحادّ

داء من ضربات البشرية الاشدّ إيلاماً والاكثر شيوعاً والاعظم اذى لانه يخلف العلل القلبية الهائلة . وقد ظلّ بلا علاج الى عصرنا حيث سُلّط عليه بنجاح باهر الدواء المعروف بساليسيلات الصود .

وجمه لا يُطاق ، فأدنى حركة كأنها ضربة مدية ؛ لذلك اتفق ان دُعينا مرارًا لاناس قيل انهم مصابون بالشلل . ولم يكن قطّ شلل بل ألمٌ يشلّ . والمشلول حقيقةً ، لسكتة دماغية ، لا يحسّ بألم بل قد لا يشعر قطعياً . والروماتيزم يغلب حصوله للاحداث (على عكس الشلل الدماغي وهو داء الشيوخ) ومن الذكور بالاخصّ .

وبعد هذا التمهيد ليتصفّح القارئ فقرةً من متى الانجيلي هاك نصها : « ولما دخل كفرناحوم دنا اليه قائد مئة وسأله قائلاً : « يا ربّ ان فتايَ ملقى في البيت مضروباً بالشلل مُعذَّباً بعذاب شديد.» وانه هنا بكلمات قليلة لنا مدلولات كبيرة تمكننا من تشخيص علّة مضى عليها ١٩٠٠ سنة ، وهي الروماتيزم الحادّ . وبمثل هذا الايجاز بل بأوجز يتضح كنه داء آخر من شرّ أدوائنا وهو :

الرُّحار

وعامّتنا تسمّيه التعنّي ، او بالطليانية دوسنطاريا ، وهو ايضاً بقي الى

١) في القسم الثالث من هذا الدرس تعليق على كلمة « اعرج »

امن يشيع ويُهلك ولا علاج له . وبفضل علم الجراثيم قُسم الى نوعين : نوع قليل الحمّى او معدومها كثير الانتكاس طويل المدّة ينتج عنه خراج الكبد ويغلب وجوده في الشرق ؛ وقد اصبح شفاؤهُ ميسوراً بعلاجات فعّالة منها الامتين والياترن وخمر السيماروبا وبه صحّ الكثيرون ، وعلّته جرثوم من صنف يفترق كثيراً عن الثاني في عالَم المتناهيات صغراً . والنوع الثاني من الزحار تصحبه حمى قوية ، ومظاهره حادّة سريعة ، وهو في الاصل اوروبي بعكس السابق . ولا يكون عنه إزمان ولا خراريج الكبد ولا يُداوى الا بالمصل الخاصّ به .

اما وقد فقهتَ ما تقدم فانك تحكم حالاً وبعد ١٩٠٠ سنة ايضاً بان « ابا بوبليوس وقد اخذته الحمى والزحار فزاره بولس ووضع يديه عليه فبرئ » كان مصاباً بدوسنطاريا من النوع الثاني (اعمال الرسل ٢٨ : ٨) . وقد جرى هذا الحادث في جزيرة مالطة . ولذلك لم نستغرب ما شاهدناه هناك من تكريم الرسول العظيم .

٣ شتى

ولا ريب ان مطالع «الكتاب» يصادف فيه أموراً عديدة وكنوزاً ثمينة ، ليس دينية وفلسفية او طبية فقط بل تأريخية واجتماعية حتى لغوية . من ذلك الكثير : انه اشار غير مرة[1] في العهد القديم الى ما يشار به الآن كثيراً وهو استخدام اليد اليسرى كاليمنى لتصبح مثلها مُجيدةً للشغل بفضل التمرين والممارسة . ومن الفوائد اللغوية نذكر شيئاً على سبيل المثل :

انك تلاقي مراراً في الاسفار عبارة كهذه : « ارض تدرّ لبناً وعسلاً » وبالعبريّة ، وقد تُرجم بالافرنسية (*miel*) وبالعربية عسل ، انما جاء في الاصل هكذا : « دباش » . ولبراهين تُعدّ بالعشرات ولا تُردّ ، لا ندحة عن ترجمة هذه اللفظة بكلمة : دبس ، كما بيّنّاه مطوّلاً في تعليقنا على النصوص الاصلية وفاز بموافقة رجال علم الاصول (*philologie*) .

---

١) سفر القضاة ٢٠ : ١٦ ، وسفر الاخبار الاول ١٢ : ٢

ولا حاجة بنا الى القول بان الدبس غذاء ثمين بل يجمع المفيد الى اللذيذ وطالما كان له شأنه العظيم في بلادنا . وفي الحرب قام مقام السكّر المعدوم وقتئذٍ . والسكر من افضل الاقوات . وبذلك تفهم اهمية الثمار السكرية كالعنب والتين في التوراة.

وفي الترجمات العربية كما بالافرنسية استُخدمت لفظة اعرج لما يراد به حقيقةً : مشلول مُخلَّع او كسيح ، ذلك لتقيُّدهم بحرف العبارة الاصلية ، عنيت اليونانية. تأمل انهم يعبّرون عن رجل عاجز عن الحركة والانتقال على الاطلاق « الا اذا حمله اربعة على سرير » بلفظة : اعرج (اعمال الرسل) . وكذلك قد كُتب في انجيل متى : « العميان يبصرون والعرج يمشون »

ومما يستوجب الاصلاح في طبعة الاميريكان وطبعة اليسوعيين (الاحبار ٢١ : ٢٠) إتيانهم بالنصّ على الصورة الآتية : « مَن كان بـه عيب فلا يتقدّم ليقرّب خبز الهه اي . . . الاجرب والاحدف ومرضوض الخصى » بالجمع ؛ مع ان للانسان خصيتَين فقط.

ويستوقف النظر ان موسى يُسمّي الداء الفظيع ، صايب الشبان ، من لفظ بالعبرية يفيد كما سُمي بالعربية « الذوبان » اي السيلان . وقد تقدّم الكلام عن لفظته وان اصلها مشترك في اللغتين الساميتين العظيمتين. وقد استعمل داود في مزاميره (٣١ : ١٠) لعلّة اعترت عينيه في بؤسه وحزنه كلمة من اصل واحد مع العربية : عشت ، يعني ساء بصره ليلًا ونهارًا ، ومنها الاعشى وعشية وعليه نفضّلها على الترجمة : ذبلت او خسفت عيني.

جعل الله أن ما في « الكتاب » من حكمة وفوائد ، حتى صحية وطبية ، يزيدنا حبًا لاسفاره، واجلالًا لآياته ، وانقيادًا لنبيل تعاليمه !

مغارة الراهب والعين الزرقاء

زيارة حديثة

للاب توتل اليسوعي

الى مغارة الراهب ، وقد تسميها العامة مغارة مار مارون ، والى العين الزرقاء ، وهي نبع العاصي ، وجّهنا رحلتنا الصيفية ، هذا العام . سرنا ونحن قسمان : قسم مرّ بالديمان فتبارك بلثم يدي غبطة البطريرك الماروني ، ثم نام في غابة الارز وقطع المكمل مشياً وبات في القرنة السوداء وانحدر من لبنان على سفحه الشرقي . وقسمٌ قطع المسافة بين بيروت ومحطة الزحلة ، عن طريق بعلبك والراس . وفي مساء يوم الجمعة ٧ تموز تلاقينا اجمعين عند نبع العاصي فضربنا هناك خيامنا وثنا . وقد تمكنا من زيارة المغارة المشهورة ، ومن اخذ الرسوم في تلك الربوع ، وبعضها ننشره في « المشرق » مع الكلام عليه .

اول من كتب على البلاد التي نحن في صددها ابو الفداء . وعليه عوّل روّاد الافرنج في البحث عن نبع العاصي . جاء في تقويم البلدان (طبعة باريس ١٨٤٠ ، ص ١٩)

«نهر حماة ويسمى نهر الارنط والنهر المقلوب ، لجريه من الجنوب الى الشمال ، ويسمى العاصي لان غالب الانهر تسقي الاراضي بغير دواليب ولا نواعير بل بانفسها تركب البلاد ، ونهر حماة لا يسقي الا بنواعير تنزع منه الماء ، وهو يجري بكليته من الجنوب الى الشمال ، واوله نهر صغير من ضيعة قريبة من بعلبك ، تسمى الراس في الشمال عن بعلبك على نحو مرحلة عنها ، ويسير من

الراس شمالاً حتى يصل الى مكان يقال له قانم الهرمل بين جوسية والراس ويمر في وادٍ هناك وينبع من هناك غالب النهر المذكور من موضع يقال له مغارة الراهب ويسير شمالاً حتى يتجاوز جوسية ويصبّ في بحيرة قدس في غربي حمص »

ومن سيّاح الافرنج الذين زاروا النبع والمغارة في النصف الاول من القرن الماضي الانكليزي طومسون ، وهو مسافر من حماة الى بعلبك من ٧ الى ١٠ ايلول سنة ١٨٤٦ ، وقد روى ريتر اقواله مطولةً في جغرافيته (١٧ ص ١٥٩ وما بعد) وفيها الوصف المسهب لنبع العاصي ، والكلام على المغارة ، وعلى قانم الهرمل وضروب المذاهب في ذلك.

وممن يرجعون اليهم في معرفة تلك الاماكن الاب ميشل جوليان في كتابه على سيناء وسورية (ص ١٧٧ وما بعد) والاب لامنس في المشرق(٤ : ٢٦٤). هؤلاء كتبوا على الموضوع فاستوعبوا مادته وقد قربها الى عامة القراء الدليل الازرق الافرنسي ، فبيّن سبيل الوصول الى الهرمل ونبع العاصي ووصف البلاد الوصف المختصر المفيد الكافي . فلا زيادة على اقوالهم سوى بعض الملاحظات نضيفها الى الصور التي ننشرها.

مغارة مار مارون

فيما نحن في بلاد الهرمل ، وبالقرب من نبع العاصي ، كان سيادة المطران الياس ريشا المارونى في راس بعلبك يتأهب لزيارة مغارة مار مارون. وقد بلغنا ان غبطة البطريرك اوفد سيادته الى ذلك الموضع ليرى رأيه فيما يمكن اتخاذه من التدابير لصيانة المغارة ذكراً للقديس اب الطائفة المارونية الكريمة

هذا وقد اتفق المؤرخون اخيراً على ان ليس لمار مارون علاقة بهذه المغارة. لان ديره كان شمالاً ، ما وراء حماة ، قريباً من افامية في وادي العاصي[1]. ولكن مما لا ريب فيه ان موضع المغارة وهندامها واسمها الذي رواه ابو الفداء يؤيد القول انها كانت منسكاً للنساك .

وما ان نقابل بينها وبين ما نعرفه من الصوامع التي رأيناها في فلسطين

١) راجع القاموس اللاهوتي الكبير : مادة موارنة ، للاب ديب.

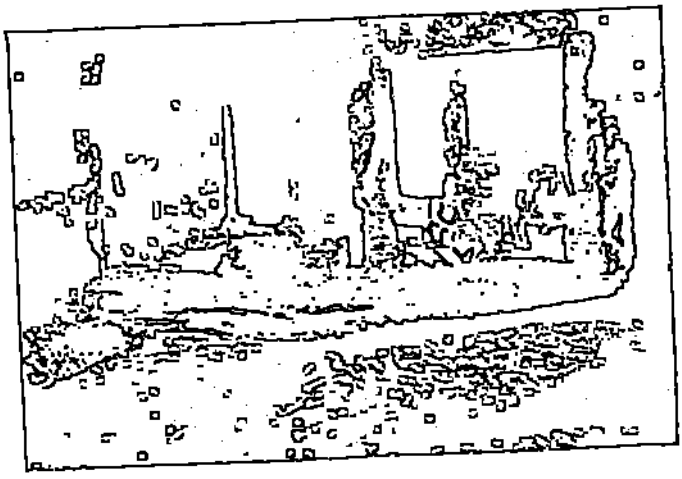

الرسم ١ – داخل منارة الراهب

الرسم ٢ – العين الزرقاء

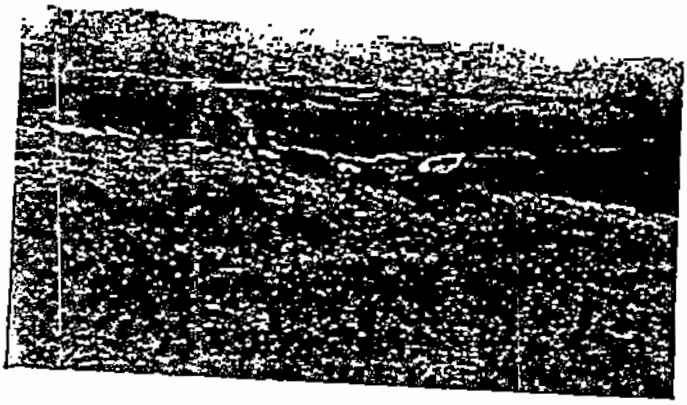

الرسم ٣ – بلاد المرمل مصوّرة من قاع المرمل

الرسم ٤ – كنيسة الناكية (بلاد بعلبك)

وفي سورية ، وخاصة في لبنان ، حتى نكون على بيّنة ان الكهوف الواقعة بالقرب من المياه اتخذها الاقدمون لسكناهم كمغاور نهر الكلب والفرزل ، وبعضها فيه الآثار السابقة للتاريخ ؛ ورب مغارة كانت مدافن ثم توسعت لسكنى الاحياء. وعلى كل فان المغارة الواقعة عند نبع العاصي كانت سكنى للرهبان . قد يميز فيها الزائر قسمين : قسماً مبنية فيه جدران حصن مشقّقة بمرامٍ ، تمكن حامية الحصن من رمي الرصاص منها على المهاجمين ومنعهم عن ارتياد الماء في الوادي. وهذا الحصن حديث البناء ، وقد انهارت واجهته الجنوبية ولا تزال واجهته الشمالية ظاهرة بينة كما هي في الرسم . اما المنسك ففيه بهوان كبيران ، الاول متداعي الجدران ، وهو جهة الجنوب ، والثاني في جهة الشمال وجداره قائم نحو الغرب وفيه المرامي التي ذكرناها وهو جزء من الحصن . وبين البهوين غرف متصلة يأتيها النور من طاقات مفتوحة على الغرب. وقد يبين احد الرسوم داخل المكان والبابين ؛ منها يُرقى بسلّمين الى داخل الغرف . ومن هذا المكان كانوا يصعدون الى الطابق الاعلى وفيه الصوامع . وعند الواجهة الغربية للمغارة ثلاث كوى ربما استعملوها للصلاة على نسق الثلاثة الابواب المعروفة في الكنائس البيزنطية (الايكونوستاز). وقد ذكر الاب لامنس مغر النساك وقابل بينها وبين المغارة التي وصفناها فقال :

« ومغارة الراهب تفوق مغاور عدلون والفرزل بمحاسنها . وكانت في الاصل طبيعية سكنتها ، كما يظهر ، قبائل عادية في الاعصار السابقة التاريخ ولعل هذه القبائل فضلتها على سواها لحسن موقعها قرب نهر كبير . الا ان الخلف حسنوا عمل الطبيعة واضافوا اليه منتديات نقروها في الصخر على احسن هندام مع قبة ذات حنية مقوّسة ودرج داخلي يصعد منه الى الطبقات العليا وبئر عميقة النور تبلغ الى مياه النهر. وكل ذلك منحوت في الصخر الاصم . »

العين الزرقاء

هي في قعر الوادي على مسافة دقائق من المغارة . ماؤها زلال بارد يخرج من الشرق ، وقد ذكر بعضهم انه يأتي لا من الجبل ولكن من سهل البقاع.

ومنه يكوّن الجزء الاوفر من مياه النهر العاصي ولذلك يسمونه نبع العاصي . وقد قدّر الاب جوليان كمّية المياه التي تخرج من ذلك النبع مئتي متر مكعب بالدقيقة. وليس في نواحي راس بعلبك والمحطة الحديدية ما يُنبئ بوجود هذه العين الفتانة . فالحقول في جوارها جرداء والسهول قاحلة . وهي تجري في القاع متجهة شمالاً نحو الهرمل ، فلا يكشف عليها المسافر الا عند انحداره على سفوح الجوف الذي يمرّ فيه العاصي ويفرق بين جبل لبنان وبلاد بعلبك.

قائم الهرمل

هو نصب اسهب ريتر في وصفه ، وعزاه بعضهم الى ملوك بابل . ولكن حقيقته انه من العهد اليوناني الروماني ، فيما قبل المسيح بقرنين . وقد يهتدي به المسافر لمعرفة طريقه وهو ظاهر من بعيد ، مكوّن من مربع مبني بالحجارة المنحوتة ، مساحة واجهته تسعة امتار ، ويعلوه مربع آخر دونه حجماً ، وهو متوّج بهرم مرتفع القمة ١٧ متراً فوق سطح الارض .

اما المربّع الاول فعليه نقوش وتصاوير في كل جهة من جهاته . والمربع الثاني مخطط بعواميد ناتئة نتوءاً خفيفاً على سطح الواجهة . والنصب كان خراباً في احدى زواياه فرممته مصلحة الآثار اللبنانية ، واعادته الى سالف حالته . والتصاوير المنقوشة عليه تمثل حيوانات الصيد وآلاته من رماح وقسي وكنانات وفخاخ . وليس فيها اثر لصورة الانسان . الواجهة القبلية تمثل غزالة تهرب من كلب يطاردها ، والواجهة الشرقية فيها صورة خنزير برّي طعنته رماح ثلاثة ، وهاجمه كلبان . وفي الشمال غزالان احدهما منتصب على اقدامه ، والثاني بارك . اما الواجهة الغربية فعليها صورة دبّ ومعه صغيراه . وعلى التماثيل مسحة يد لها خبرة بالفن ، ولكن ليس فيها ما يدلّ على مهارة فائقة.

هذا النصب قريب من الهرمل وقد تصل طريق السيارات بينه وبين تلك البلدة وتسهل زيارته لمن اجتاز بلاد الراس بالسيارة . فما عليه الا ان يتوجّه من المحطة الحديدية نحو الغرب الى حيث يظهر النصب عالياً فيبلغ اليه ببضع دقائق.

ولا عارض يعترض المسافر وقد تأمنت البلاد بفضل الدورات العسكرية المنظمة .

سنة ١٨٤٥ تفشى في بلاد الهرمل مرض الدسنترية ، ففتك بالسكان فتكاً واباد الربع منهم . زار تلك البلاد آنذاك الرحالة طومسون واستراح في قرية الهرمل من عناء سفره وتعرف الى شيخها المتوالي ؛ ففاخر الشيخ بمياه بلاده وقال ان فيها اثنتي عشرة عيناً كل عين يدور عليها طاحون . وكان شجر الجوز يأتي باثمار وافرة وقد قطفوا من احدى غاباته في تلك الايام مئة الف جوزة ، على ما رواه طومسون ، ولكن ربما كانت تلك الغابة سبب الدسنترية التي فتكت بالسكان لانهم كانوا ينامون في ظلها ، وظل شجر الجوز سيء مضر .

وبينما نحن في جوار الهرمل نمتع النظر بمناظر الجبال والارياف والسهول ، وقد كستها اشعة شمس الشروق بهاء ونضارة ، اذ بسيارة تقطع الطريق من الهرمل الى الراس فهي كعنوان الحياة الجديدة التي دبت في هذه المجاهل وقربتها من بلاد العمران .

لقد شاهدت السهول التي حولنا مرور الجيوش والقوّاد منذ عهد الفرعون توتمس الاول وعهد الحثيين الذين تطاحنوا في البقاع بالقرب من حمص وبحيرتها الى عهد الاسكندر والرومان والبزنطيين والعرب والافرنج والتتر والمماليك والاتراك وبقايا من طغا من المتاولة الحرافشة والدنادشة . وها ان علم لبنان يخفق على تلك البلاد ويدعو ابناءها الى زيارة آثارها الجليلة . فلا تنسَ ، ايها القارئ اللبيب ، في طريقك من شمالي سورية الى جنوبيها ، عن سير نهريها الليطاني والعاصي ، ان تختلس من وقتك سويعات تقف فيها على مفارق المياه وتحيي ذكرى الزمان الماضي في مشاهدة آثار ابائنا الرهبان الاقدمين الافاضل ، أُباس المسح الورعين المتقشفين ، وفي السلام على من مرّوا بهذه المجاهل من قواد وعظماء فقد بات اسمهم محفوظاً في طيات صخور المغارة وعلى جوانب العين الزرقاء .

الامثال والاساطير اللبنانية

المختصّة باشهر السنة الشمسية

بقلم لحد خاطر

آب

آب من لفظة كلدانية بمعنى « الثمر الناضج » ، سمي بها هذا الشهر لنضج الاثمار الصيفية فيه كالعنب والتين والاجاص والرمان والسفرجل وغيرها.

يقابل آب عند الفرنسيين «اوت» ، وعند الانكليز «اوغست» ، وقد اخذ هؤلاء هذا الاسم عن الرومانيين الذين ، عملاً بقرار مجلس شيوخهم ، اطلقوا على هذا الشهر اسم احد امبراطرتهم اغسطوس قيصر ، تكريماً له وتخليداً لذكراه. وقد خصّوا هذا الشهر بذلك دون سواه لان اغسطوس قيصر تقلّد فيه منصب القنصلية ، اي رئاسة الحكومة الرومانية ، وكان يقيم فيه ثلاث حفلات بهيجة: الاولى تذكاراً لاستلامه امرة الجند الروماني ، والثانية تذكاراً لاخضاعه البلاد المصرية ، والثالثة تذكاراً لاخماده نار فتنة اهلية.

وكان الرومان يدعون هذا الشهر قبل تسميته هذه الجديدة سكستيليس اي السادس لانه كان سادس شهر من سنتهم المبتدئة باذار ، وكان اولاً ثلاثين يوماً فجعلوه بعد هذا الابدال واحد وثلاثين يوماً، احتراماً للاسم الذي اعطوه اياه ، ولئلا ينقص عن رديفه تموز الذي اسموه « يوليو » باسم احد امبراطرتهم يوليس قيصر وجعلوه واحد وثلاثين يوماً لمثل الغاية المشار اليها ، واخذوا اليوم المزاد على آب من شباط ، على ما مرّ بك من قبل ، فاصبح شباط في السنة الكبيسة تسعة وعشرين يوماً ، وفي السنين العادية ثمانية وعشرين كما هو الآن.

ولآب عند الميثولوجيين ، اي اصحاب الخرافات الدينية القديمة ، صورة رمزية تمثله برجل عارٍ ذي شعر مشعث ، وفي يديه اناء صغير شبه قرن يشرب

منه، والى جانبه ريش طاووس ووعاء كبير للماء اشارة الى ما يقع فيه من حرّ لافح وميل شديد الى الابتراد بالماء.

. . .

وآب في لبنان شهر نضج الاثمار . واللبنانيون ، قبل ان توافرت لديهم طرق المواصلات واخترعت السيارات التي اصبحت تأتيهم بصنوف الفواكه المبكرة فور نضجها من مواقعها الحارّة فتكتظّ بها اسواقهم ويتناولون حاجتهم منها كانوا يرقبون فواكههم الوطنية بذاهب الصبر وقد وضعوا لها عبارات مأثورة تؤذن بمواعيد ظهورها ، من ذلك ما تعلق عندهم بالعنب الممدود لديهم «ملك الفواكه» والذي يبدأ نضجه في لبنان في هذا الشهر . من تلك العبارات قولهم :« في عيد الرب (٦ آب) نقّي حبّ » اشارة الى ان العنقود ينضج منه في اوائل هذا الشهر بعض حباته. و« في عيد السيدة (١٥ آب) صفّوا العنب عالميدة » اي على المائدة ، اشارةً الى ان العنب يكمل نضجه في هذا التاريخ فيقدم منه للآكلين على مائدة الطعام ، وربما كان ذلك اشارةً الى عادة قديمة لا تزال مرعية عند بعضهم،وهي انهم في هذا العيد يحملون بواكير العنب الى الكنيسة فيضعونها على مائدة فيها ليباركها الكاهن ويوزّعها هو ام يوزعونها هم على المؤمنين ومن ثم يباشرون جنيه لحاجاتهم المنزلية ولبيعه في الاسواق . و«في ٢٠ آب ادخل الكرم ولا تستهاب » ويريدون بذلك ان العنب في هذا التاريخ يتمّ نضجه ويأذن زمن دخول الكرم وتناول ما يراد من العنب منه بدون اي محذور .

وآب في لبنان شهر الحرّ لذلك اسموه « آب اللهّاب ». واوّله موعد انتقالهم الى المصايف ولكل ساحل من سواحل لبنان مصايف معروفة تناوحه في الجبال ، وقد اصبح لبنان لهذا العهد مصيفاً مأثوراً لابناء الاقطار المجاورة يقصدون اليه لانتجاع العافية والتلذذ بمشاهده الخلابة ، وقد كثرت المصايف اللبنانية لهذا العهد واهتمت بها الحكومة اهتماماً مشكوراً فاصبح الاصطياف في لبنان موسماً يدرّ على اهليه اخلاف الربح.

على انه لا تمرّ ايام من آب حتى تأخذ الشمس بالرجوع نحو خطّ الاستواء

فيتلطف الهواء نوعاً وقد قال اللبنانيون في ذلك : « عيد التجلي (٦ آب) يقول للصيف ولِّ » اي اذهب.

وفي منتصف آب تدخل الشمس برج الاسد ويقولون في ذلك : « متى دخلت الشمس برج الاسد قل الحرّ بعد والجوّ فسد » اي تغير واخذ يميل نحو الخريف والهواء المعتدل اللطيف.

وقد يكثر الضباب في اول هذا الشهر ، فيهشّ له المزارعون لتأثيره في انضاج فواكههم ويسمونه باصطلاحهم : « طباخ العنب والتين »

واذا مضى آب برد الماء والهواء في لبنان وخفّت وطأة الحرّ. وقد قال احد الشعراء في ذلك :

برد الماء وطاب الليـــلُ والنُّـدّ الشرابْ
ومضى عنك حزيرا نٌ وتموزٌ وآبْ

وفي آب يواصل المزارعون دراسة حبوبهم وتذريتها وهواء آب في لبنان اوفق الاهوية لتذرية الحنطة وفصل حبها عن قشها فاذا لم يذرّ فيه الفلاح حنطته تولاه الندم بعد حين لان الريح تشتدّ في ايلول وتصبح غير صالحة للغرض المتقدم. ويقول الفلاحون في ذلك مثلهم المشهور : « اللّي ما ذرّى في آب ، شحم قلبه ذاب »

والاجّاص من اكثر الفواكه اللبنانية بعد العنب والتين واسمه العامي عندهم « النجاص » وهو نوعان سكري ومغيزلي وكلاهما لذيذ شهي المذاق ، وقد قال احد الزجالين اللبنانيين القدماء في الاجاص البيتين التاليين :

يقول النجاص انا النجاص بناقه يا مطعمي السكري يا سعد من ذاقه
روحوا لمن عاته بتشد على خناقه وقولوا باني دوا المضنى وترياقه

ويندر في آب سقوط المطر وقد لاحظ اللبنانيون ذلك فقالوا في امثالهم بهذا المعنى : « جدّي خبرني عن جد وأب ، كل الشهور بتشتي ما عدا شهر آب »

ايلول

ايلول من لفظة « اولولو » الكلدانية ، قيل ان معناها « الشر » تدخل فيه الشمس برج الميزان. يقابله من الاشهر الافرنجية سبتمبر اي السابع ، اخذاً

عن الرومانيين ، كان الزراع القدماء يقيمون فيه الحفلات التكريمية لفولكان اله الحدادين ، ويعدّون ادواتهم الزراعية تأهباً للحراثة.

. . .

وايلول في لبنان من الاشهر اللطيفة تخفّ فيه الحرارة ويبرد الهواء والعامة تقول « يقلب الهواء » اي يتغيّر متقلّباً من حار الى بارد. ومن اقوالهم فيه: «ايلول طرفه بالشتاء مبلول» وقال احد شعرائهم :

لقد مضى القيظ واحتثّت رواحله وطابت الراحُ لما جاء ايلولُ

ويعدّ اللبنانيون في ايلول مؤونتهم للشتاء مدّخرين الحبوب على انواعها ، ويقولون في ذلك :« في ايلول دبّر المكيول ، للعدس والحمص والفول »

ومن المؤن الخاصّة التي يعنى بها اللبنانيون ويهيئونها للشتاء « القورما » وهي لحم يغاونه من اغنام يعلّفونها طيلة الصيف لهذه الغاية ، و«الكشك» وهو دقيق يتخذ من منقوع اللبن والبرغل بعد اختماره ، والتين المطبوخ بالسكر المطيّب بقلوب الجوز واللوز والسمسم. هذا عدا ما يحفظون من الجبن والقريشة واللبن (الشديد او المقطوع) ينقعونه بالزيت أكرًا كل منها بحجم الجوزة ، والعسل ومربيات السفرجل والاجاص.

ومن تلك المؤن البيض والزبيب والدبس والمخلّلات بانواعها. وبعض هذه المؤن لا يهتمون بحفظه قبل ايلول مخافة ان تفسده شدة الحر وتبلوه بالعفن.

ومن امثالهم عن التموّن في ايلول قولهم :« في ايلول تموّن لعيالك واخلي الهم عن بالك » ويقولون ايضاً : « تموّن في الصيف كل ما يقول لك الشتاء هاته » ، و«حجار الصيف تنفع للشتاء.»

وقد كان جدودنا يعلقون كثيرًا من الاهمية على اعداد المؤونة للشتاء ، لان المواصلات في ايامهم كانت مستصعبة والطرق غير امينة ، فكان احدهم اذا احتاج الى شيء في فصل الامطار وجد مشقّة عظيمة في الحصول عليه ، لذلك كانوا يطرئون في اغانيهم كل من تجاسر على السفر منفردًا حتى الى دمشق وينعتونه بالبطولة :

جوزك يا مليحة راح على الشام وحده

جوزك يا مليحة بو زيد الهلالي

وفي ايلول ينضج الزيتون لكنهم لا يقطفون منه الا ما ارادوا اعداده « اخضر » لمؤونة الشتاء. ويسمونه ايضاً « المسبّح » من تسبيحه في الماء ، او ما شاؤوا استخراج زيته لحاجتهم الوقتية ويدعونه : « الزيت الايلولي » ويفهمون به الزيت الذي يستعمل موقتاً ولا يصلح للادخار مؤونةً .

وفيه يتمّ نضج العنب في الغالب ويباشر صنعه زبيباً او دبساً او نبيذاً او عرقاً .

ومن عنبهم نوع يعرف « بالصبّاغي » اسود اللون يستوحشون لمنظره ويتخذون نضجه واسوداد عناقيد-نذيراً بزوال الصيف ، زمن الرخاء والسعة ، الصيف الذي يقولون عنه : « بساطه واسع ، ولو كانت له امّ كانت تبكي عليه » ، ومؤذناً بقرب مجيء الشتاء زمن العناء والضيق ، ويقولون في ذلك : « تعي الجدي ولا سواد العنقود » ومعناه ان شباط الذي نسمع فيه تغاء الجداء المبشر بقرب الربيع فالصيف هو خير من ايلول الذي ينذر اسوداد عنبه بحلول الخريف فالشتاء زمن الزمهرير والامطار وانحباس الناس في المنازل انحباساً تنقبض له صدورهم وتستوحش انفسهم .

وفي ١٤ ايلول يقع عيد الصليب ولهذا العيد المبارك عند اللبنانيين احترام بليغ ، وفي مسائه اعتادوا اقامة الزين والتنويرات ورشق الاسهم النارية في الفضاء ، وهذه العادة قديمة يعيدها بعضهم الى عهد الملك هرقل ، وآخرون الى عهد القديسة هيلانة والدة قسطنطين ، وله ايضاً عندهم ادلة على ما يقع في عامهم المقبل من صحو ومطر ورخص وغلاء والذين يعتقدون ذلك يلاحظون يوم وقوعه من الاسبوع وتبدّل الطقس فيه ومنهم من يرقب النجوم في مسائه ، ولملاحظاتهم تلك حسابات يحسبونها واستنتاجات يستنتجونها .

ومن اخصّ اعتقاداتهم تلك ما يسمونه البواحير او الصليبيات ، وهي الايام الاثني عشر التي تبدأ من عيد الصليب ، ويستدلّ من كل منها على حالة الهواء في كل شهر من اشهر السنة القابلة ، على ان يحسب يوم العيد لشهره اي لايلول ، وهذه الايام تعرف عند العرب بالقاقم . وقد عرفت بين اللبنانيين من

يجيد استخدام هذه الطريقة بحسبان عدة ساعات لكل يوم فيكادون يعينون ايام المطر والصحو من السنة القابلة تعييناً قلّما يخطئون فيه.

ولهم في الاستدلال على حالة الجوّ في السنة المقبلة طريقة اخرى يستعملونها مساء عيد الصليب وهي : يأخذون عشية العيد اثنتي عشرة ورقة تين او توت ويشدّونها الى قضيب ينيطونه بجدار معرضاً لسقوط الندى ويخصون كل ورقة بشهر ابتداء من ايلول ثم يبكرون في الغداة لتفحصها فما كان منها جافاً كان شهره جافاً ، وما كان طرياً رطباً كان شهره كذلك.

وكثيراً ما يتجهّم الجوّ بعد عيد الصليب في اواخر ايلول وتتساقط الامطار ويقرس البرد لذلك يقولون :« بعد عيد الصليب الدنيا بتعيب » اي تصير عائبة اشبه بايام الشتاء في اصفرارها وتعكرها ، ويقولون ايضاً :« متى صلّبتْ غربتْ » اي صارت شمس صيفها على وشك الغروب.

وبعد عيد الصليب تكون الغلال قد جمعت من الاملاك ، فتزول هيبتها وحرمتها ويتركها الناطور ، ويدخل اليها الرعاة بماشيتهم ويعيث فيها الحطابون ويقولون في ذلك :« بعد عيد الصليب كل اخضر بيسيب » اي يهمل.

ولعلّ ذلك الاهمال كان سبباً لخراب الغابات اللبنانية وقد احسنت الحكومة الحاضرة بما وضعته من القوانين الصارمة لحماية الاملاك والغابات والاشجار وحقّ لها الشكر ، وعلى الاهلين ان يساعدوها في ذلك وان يقبلوا على تحريج الاراضي الجرداء اغتناماً لما ينجم عنها لهم ولبلادهم من المنافع العميمة.

وتطول في بعض السنين ايام الصحو بعد عيد الصليب ويرتفع الحرّ فيظن الناس انفسهم في صيف جديد وقد قالوا في ذلك:« بعد عيد الصليب الآخراني، صيف ثاني» اي بعد عيد الصليب على الحساب الشرقي. وقالوا:« ما لك صيفية، الا بعد الصليبية.»

وفي ٢١ ايلول يتساوى الليل والنهار ويبدأ من ثم فصل الخريف ، وهو المسمى زمن الاعتدال الخريفي ، او الفصل الذي ينتقل منه تدريجاً من الصيف الى الشتاء. ويقول اللبنانيون في ذلك :« صلّب واعبر » اي بعد عيد الصليب اترك الصيف واستعد لاستقبال الشتاء.

الرهبانية واعمال الرسالة

بقلم الاب انطونيوس شبلي اللبناني
رئيس انطوش جبيل

طلعت الرهبانية اللبنانية في سماء الطائفة المارونية لا بل في الديار الشرقية كالنجوم اللامعة في ليلة صافية الأديم ، تنبعث من جدران اديارها انوار الفضيلة والتقى وتفوح من حياة ابنائها رائحة المسيح الطيّبة فتعشقتهم القلوب وتحالفت على حبهم . وبدأ نطاق هذه الرهبانية يتسع تدريجاً « وتنمو كالشجر المغروس على مجاري المياه الذي يؤتي ثمره في اوانه وورقه لا يذبل » (مز ١ : ٣) وامتدّ سلطانها الروحي في لبنان ، فارتفعت على رؤوس الجبال وفي خفضات الاودية اديارها ومحابسها ومعابدها كالمنائر العالية ترمي اشعّتها حتى الى الامكنة البعيدة . وتصاعدت اصوات نواقيسها من على قمم التلال ومن فجاج الاودية يحمل ريح الهواء مذكّراً الناس بفرض العبادة والصلاة ، فأقبل المؤمنون على كنائسها يقضون فيها واجباتهم الدينية وقد راقهم جمال وجلال حفلاتها الخاشعة فصلّوا واعترفوا وتناولوا القربان الاقدس وشهدوا قداديس متتالية على مذابحها ولا يزالون . وطالما سمعوا كلمة الله من فم كهنتها الرهبان فعادوا الى بيوتهم بقلوب ملأى بعواطف الايمان ، حاملين لعيالهم تذكارات العبادة اللذيذة وامثلة الرهبان التقوية . فكان الشعب يجلّهم ويحترمهم ويقصد كنائسهم من مسافة يومين وثلاثة لوفاء فرضه لربه[1] .

وبما ان غاية الرهبانية لم تحصر في دائرة الزهد والنسك فحسب ، بل

١) تاريخ الرهبانية ، ج ١ : ص ١٢٦ وما يليها

اوجبت القوانين على الرهبان الرسالة احياناً عندما تدعو الحاجة الى ذلك . كان البطاركة والاساقفة ينتدبونهم في كل عصر لهذه المهمة الشريفة فارسوهـا في حلب ومصر واللاذقية والشام وقبرص وصيدا وعكا وفي قرى لبنان ومدنه . وحيثما حلّت قدمهم يؤسسون الاخويات والجمعيات ويشركون المؤمنين بشركة الحبل بلا دنس والوردية وثوب السيدة ، لا يوهنهم عياء في التعليم والارشاد ، ويغسلون الصدور من الضغائن والاحقاد باذرين مواضعها بذور الحبّ المسيحي ، قاطعين دابر النزاع والخصام معيدين مياه السلام الى مجاريها معتبرين الشعب بافعالهم واقوالهم .

واذا راجعنا تاريخ الرهبانية من عهد نشأتها رأينا ان الاب بيين الاهدني ورفيقيه قبلوا في شركة الوردية الفاً ومئتي شخص في قاطع بكفيا ، ١٠ خلا بيت شباب ، في مدة خمسة عشر يوماً . وفي اقامة الاب عبدالله قراعلي في ديرنا رشيا كان يعظ في كنيسة القرية القريبة منه فيتوافد الناس على سماعه للتأثير الناتج عن كلامه ومن طهارة سيرته[1] . ولمّا صار اسقفاً انتدبه البطريرك يعقوب عوّاد لفضّ دعوى كنيسة الموارنة في الشام ، فارجعها اليهم بسعيه وحذقه . ودعا رئيس عام الرهبان اللبنانيين القس جبرائيل فرحات الى دمشق[2] ، فاقام فيها يخدم موارنتها الخدمة الروحية . وكان يعظ في ايام الاحاد والاعياد وفي كل يوم جمعة من الصيام الكبير فيزدحم الناس من جميع الطوائف في كنيسة الموارنة لسماع كلام الخطيب الذي طالما افتخرت به اعوادُ المنابر[3] ولا يخرجون الا وهم سكارى بخمرة بيانه التي أدارها عليهم بخطبه الجامعة الى قوّة المعاني الروحية بلاغة الفصاحة العربية . وهو اول من وعظ عن آلام المسيح في كل يوم جمعة من الصوم عند المساء ، واول من انشأ في مدينة دمشق شركة الوردية وثوب السيدة ، بحسب الاذن المعطى له من رومة[4] . واذاع هذه العبادة للسيدة

١) التاريخ المذكور ص ١٤٠ ، وترجمة قراعلي للاب البودي (المشرق ١٩٠٧)

٢) دخل دمشق في ٣ شباط ١٧١٩

٣) للاب فرحات كتاب في صناعة الوعظ يسمى « فصل الخطاب » ، الطبعة الاخيرة لسيد الشرتوني سنة ١٨٩٦ ٤) انعم عليه الكرسي الروماني بلقب « مرسل رسولي »

العذراء في كل الطوائف الكاثوليكية . وكأنَّ ابليس غاظه ما ينجم من الفوائد الروحية للمسيحيين بواسطة هذا الاب فحرَّك بعض الحسّاد والمتعنتين فوشوا به وشيّعوا عنه كذباً وافتراء انه يقبل بدلاً من المؤمنين الآخذين بهذه العبادات . ولكنه لم يحفل بهم بل ظلَّ ماضياً في خطته بالوعظ والتعليم الروحي وسماع الاعتراف ، وقد عناهم بكلام الشاعر القائل :

اني لأرحمُ حاسديَّ لحرّ ما ضمّت صدورهمُ من الاوغار
نظروا صنيع الله بي فيوضم في جنّةٍ وقلوبهم في نار

انتشر صيته في دمشق بالفضل والعلم واستقرَّ في الاذهان ذكره واحلّه اهلها المنزلة العليا من قلوبهم فقابل اكرامهم بالثناء عليهم ووصف محاسن مدينتهم بشعرٍ ضمّنه الطف الشعور واظرف المعاني . وهذا مطلع قصيدته :

حيِّ الديار ديار جلّقَ واسترد فيها المنى من سفح ذاك الوادي[1]

وقدم اليه بعض الطلّاب فألقى عليهم دروساً في صرف لغة العرب ونحوها[2] .

وكأنَّ مناظر جنّات دمشق ورياضها وغياضها الرائعة نالت من قلبه فاندفع يصفها ايضاً بأرق الشعر معرّضاً ومقرّعاً بكلام آلم من السوط بعض الحسّاد والمبتدعين المستثقلين سكنه فيها يعلّم ويعظ المسيحيين[3] . وبعد ان اتمّ مهمّته فيها برحها في اول آب ١٧١٩ عائداً الى ديره ورهبانه . وممن خدموا موارنة دمشق من الرهبان الاب بيين الاهدني ، والاب مكسيموس رابد من حلب ، فغار على خدمة المطعونين غيرةً عظمى فاحبه اهلها واجلّوه وبقي ذكره حياً عندهم طويلاً لاجلها .

ومن اراد الوقوف على المحلّات التي مارست فيها الرهبانية الرسالة وما نجم عنها من الخير والاصلاح عليه بالمجلّد الاول من تاريخها لحضرة جامعه الاب لويس بليبل .

---

١) اطلب الديوان ص ١٥٩

٢) راجع تاريخ حادثة استرجاع كنيسة دمشق المارونية للاب فرحات وما كان من امره هناك (المجلة السورية لصاحبها الخوري بولس قرألي ، السنة الاولى والثانية منها صفحة ١٦-٢١ و ٩٩-١٠٢)

٣) الديوان ص ١٧٨ و١٩٩

والى القارئ كلمة عن رهبانيتنا البلديّة اللبنانيّة في هذا الموضوع فنقول : ان اخواننا الرهبان تعاطوا عمل الرسالة الشريف بنفس الغيرة والتضحية التي كانت لآبائهم الاقدمين فانبثّوا في كل ناحية من لبنان ، حتى وفي خارجه ، يبشّرون بكلمة الله عاملين على بثّ روح المسيح الطيّب ، داعين المؤمنين الى التوبة وافعال الرحمة ونبذ الشقاق والخصام فبرهنوا على مقدرة وكفاءة بالعلم والفضل كالآباء اغناطيوس التنوري ، ومبارك ابي سليمان ، وانطونيوس حرفوش ، وبطرس ساره ، ولويس البتروني الذي صرف نحواً من ثلث قرن في الرسالة الروحية ، فاذاب حياته سكيباً طيباً على مذبح محبة النفوس ويكاد ان يكون شهيداً في هذا السبيل المقدّس ؛ وبطرس زهره ، وبطرس الحائك البجدرفليّ ، ويوحنا العنداري ، واغناطيوس خليفه الحدتوني ، وبطرس بصبوص ، وبطرس الخوري ، ويوسف ملكون السرعلي ، ويواصاف كرم ، وبولس البزعوني ، وعبد الاحد مطر التنّوري ، وجبرائيل مجلّي السرعلي ، وطوبيا الرعشيني ، وبولس كفرنيس ، ولويس بليبل ، ويوحنا ابي غانم ، ومارون ابي كرم ، ومبارك ثابت الخ ... ولم تحرم من عظاتهم كنائس المدن والقرى الكبرى كبيروت وجبيل والبترون وطرابلس وزحلة وبكفيا وبسكنتا وغوسطا وريفون وعجلتون ودير القمر وزغرتا وبشرّي واللاذقية ودمشق وبعلبك وغيرها .

واما الذين يخدمون النفوس الخدمة الروحية من ابناء الرهبانية فكثيرون وكلّهم غيرة في خدمتهم الجليلة هذه [1] ، ولذلك لم يتمالك الشعب والسادة الاساقفة عن ابداء سرورهم بهم وبالرهبان المرسلين مثنين على الرهبانية بقلبهم ولسانهم اطيب ثناء شاكرين لرئيسها العام . ولدينا منهم رسائل عديدة بهذا المعنى نذكرُ منها رسالةً مؤرخة في ٤ شباط ١٩٢٤ ارسلها موارنة زحلة والمعلّقة والبقاع الكرام الى قدس الاب العام اغناطيوس التنّوري ، قالوا فيها :

« اقراراً بالجميل نبدي عاطفة الامتنان من تلطّف قدسكم وحضرات الاباء المدبّرين اذ تتنازلون في اول كل تشكيل يحصل وترسلون الينا من ابناء رهبانيتكم العزيزة كهنةً من

---

١) من ابناء رهبانيتنا الذين خدموا الموارنة في القطر المصري القس توما الصيداوي سنة ١٧٩٦ (المجلّة البطريركية : السنة السادسة ص ٢٥٧ و٢٦١) .

ذوي الفضل والفضيلة يعتنون بشؤوننا الروحية ويقومون بخدمة نفوسنا حقّ القيام . فلا يسعنا والحالة هذه الا ان نقدر هذه النعمة قدرها ونثني الثناء العاطر على نشاط ابنائكم الكهنة النيورين . فاظهاراً لمعرفة الجميل نشر آلوية الحمد والشكر تذييعين فضل ابناء رهبانيتكم المقدسة الذين هم رائحة المسيح الطيبة ونجأرُ بالدعاء الحميم الى الله ليطيل حياة قدسكم لتزداد هذه الرهبانية الشريفة في ايامكم خيراً وصلاحاً وتقدُّماً ونجاحاً اذ برهبانها الافاضل وقدّيسها العظام يزهو مجد الطائفة ويعلو شأنها ويتعزّز نفوذها . . . »

امّا المحلات التي يخدم فيها رهباننا النفوس باذن البطاركة والاساقفة فهي :

في عكّار والجبة

عودين . جنين . سيدة القلعة . منجز . كفرنون . الدبّابية . البياضيّة (العلويين) . عشاش . كفرحبو . كفرياشيت . كفرشخنا . النخلة . بعرما . كسبا . كفرحاورن . بشنين . حوقا . بان . الفريديس . النهر . العربة . سرعل . رشعين . الخالديّة . قنّوبين .

في جبيل والبترون

تنّورين التحتا . وطاحوب . الزكزوك . المجدل . دوما . قندولا . ميفوق . رام . داريا . كفربعال . مار مقيم . العوينة . طرزيّا . وعيّة السيّدة في قرطبا . جنّة . مزرعة عبود . مدينة جبيل . حبوب . مهرين . معاد . عين كفاع . كفركدّة . جدّايل . المجرّ . حنّوش . شموت .

في كسروان

قسماً من اهل غوسطا . بطحا . غباله . اغبه . عجلتون . الدّ . المامليتين . النهر . زوق الخراب . ديك المحدي . ميروبا .

في الشوف وجزين وما اليها من الجنوب

رشميّا . عين تراز . كنيسة القديسة تقلا . الكحالة . الرويسة . مغرايا . بحتين . عاريه . روم . مشموشة . لبعا . وادي جزين . عين دراقيل . النبطية . الحمرا . المنصوره . بيت لهيا . حوش القنابه . البرامية . بقسطا . الحبابيسة . علمان . البرغوتيه . الجميليه . المغيريه . بسري . الخربة . مزرعة بسري . تعيد . صبّاح . الحمصيّة . الحرف . بتدّين اللقش . بتدّين المير . النساعمة . ياروتة . كفرمتى . كنيسة القديسة تقلا في جلّ البحر . شرتون . الدوير . بيادون .

عين زبدة . عين سعاده . عاليه . حاصبيا وادي التيم . قوزح . رميش . صفد . كفربرعم . القليعة . الخيام . جردا . ابل السقي . وادي شحرور . بيت شول .

في البقاع

زحلة . المعلقه . نيحا . مدينة بعلبك . الكرك . ابلح . تربل . مجدلون . سرعين . دورس . قبعات . بتدعي . حوش الامراء . وادي العرايش . نهر الذهب — ثم موارنة يافا وقبرس . كنيسة دير طاميش في الكرنتينا ومدرستنا ببيروت ، ويساعد رهباننا خوارنة كنائسها بالواجب الروحي .

في المتن

الحلّة . بنابيل . المروج . عين الصفصاف . العيرون . مدرسة نعيم بك صوايا بعبدات . رعية بيت الاشقر بيت شباب . العطشانة . رعية مدرستنا في المتين . قبيع . الكحلونية . صوفر . جوار الحوز . الشانيبة . بريح . حمانا . العبادية . قتاله . حارة حمزة . القرية . محطة بحمدون . بحرصاف . حارة صادر . عمارة شلهوب . مار يوسف ومار ساسين بسكنتا . . . الخ

وهناك من الرهبان من ذهبوا ضحية الامراض السارية كالجدري وغيره كالاب اغوسطين حليحل الحاج البسكنتاوي ، الذي مات في زحلة بعدوى الجدري متفانياً بخدمة المرضى فيه روحاً وجسداً .

واشتهر كثيرٌ من ابناء رهبانيتنا بفنّ الخطابة كالمرحوم الاب العالم اسطفان متى البنتاعلي احد تلامذة كلية القديس يوسف . فانه قد تعاطى الرسالة من حين سيامته كاهناً ، ولا يزال الناس الى يومنا يذكرون مواقفه الخطابية المشهودة على منابر كنائس لبنان الكبرى بعاطفة الفخر والاعجاب ، مترحمين على ذاك الخطيب المفوَّه الذي كان يتدفق الكلام الفصيح من فمه تدفُّق السيل المنهمر فيرسله الى الآذان بصوته الجهوري درراً تطرب لها النفوس . وقد رافق في الرسالة الخوري فرنسيس الشالي (المطران جرمانوس) الخطيب المشهور فأعجب بقوّة عارضته وفصاحة عبارته وابتكار معانيه ونبرات صوته . اضف الى كل ذلك الوقار والرصانة والمهابة التي تزينه والابداع في الحركات والاشارات المرافقة المعاني والعبارات التي اجادها هذا الاب الخطيب .

وعندما سُقف الشمالي مطراناً على حلب حضر لتهنئته ووداعه الاب اسطفان فقال له : « انك ستخلفني في عمل الرسالات في لبنان » وكتب اليه من حلب يذكّره بصفاء ايام قضياها معاً في الرسالة ناعمين مسرورين . تجولُ حلاوة هذه الذكرى في خاطر الحبر الشمالي فتدمعُ عينه حنيناً واشتياقاً الى لبنان فيذكر له فيه عهوداً بالحمى عبرت [1] . وقد قال يوم وداعه لبنان الى حلب بحضرة رفيقه الاب اسطفان :

تنازع مهجتي سفرٌ ومكثٌ وجمعهما يُعدُّ من المحال
واذ أزف الترحُّلُ فاض دمعي وقال مودّعي عند ارتحالي
ألا تبقي لمن ودّعت ذكراً أرختُ لي خذوا قلب الشمالي [2]

ولم يغفل رهباننا عن تأسيس الاخويات حثّاً على العبادة لمريم العذراء التي اشتهر بها ابناء طائفتنا . فان الاب اثاناسيوس الشموتي انشأ اخوية الحبل بلا دنس في مدينة جبيل والاب يوسف البشرّاوي في رشميا . ومن زمن ليس ببعيد احتفل اهل هاتين البلدتين بالتذكار المئوي لتينك الاخويتين.

وقد فتحت الرهبانية اديارها في بلاد جبيل والبترون والجبة وغيرها للكهنة العاملين لعمل رياضتهم السنويّة يلقيها عليهم اباؤنا الافاضل ، فيخرجون منها وكلّهم السنة شكر للرهبانية.

ومن آباء رهبانيتنا الذين زاولوا الرسالة سنين عديدة قدس الاباتي المفضال اغناطيوس داغر التنوري المشهور بفضيلته . فكان المثلث الرحمة البطريرك المغبوط الياس الحويك يُسند اليه هذه المهمة فينهض بعبئها افضل نهوض ، وكانت قداسة سيرته افصح خطيب يحمل الناس على العبادة . وكم من قرى ساد فيها الخصام وتأصّلت جرثومته فاستأصله ، ومن مشاكل تعقّدت فحلّها بحكمته وفطنته ، وله في كلّ محلّ بذر فيه كلمة الله آثارٌ تُذكر.

هذا برضٌ من عدّ ممّا تأتيه رهبانيتنا من الفوائد الجمّة للطائفة في مباشرتها الرسالة ، « فما اجمل اقدام المبشرين بالسلام.» (رومية ١٠ : ١٥)

١) « الدرر النوالي » من حياة المطران جرمانوس الشمالي ، للخوري بشارة الشمالي (المطران بشارة) المطبعة الشرقية ١٩٠٢ ص ١١٦ و ١٢٠

٢) ديوان « نظم اللآلي » للحبر الشمالي ، المطبعة المارونية حلب ١٨٩٥ ، ص ١٩٥

الحياة في بيروت قبل الاسلام

بقلم الاب لامنس اليسوعي

٢

(تتمة)

لقد تقدّم لي ان ذكرت نتوز ، صاحب الملحمة الضخمة في ديونيسوس ؛ وهو ، والحقّ يُقال ، اقدر من تغنى بجمال بيروت الساحر واقربهم الى حرارة الاخلاص وبلاغة الالفاظ والتلاعب بتنسيق الجناسات والمحسّنات البيانية . فلم يبقَ لي الا ان اقدّمه اليكم ، وهو واجب صعب اذ لا نعرف عن هذا الشاعر الكبير اسمه ووطنه . فقد وُلد ، على الارجح ، في القرن الرابع للمسيح ، في مدينة بنوبوليس المعروفة اليوم بأخميم من صعيد مصر . وكان في اول امره وثنيًّا ، الا انه اهتدى الى النصرانية . اما ملحمته الكبيرة فقد خصّها بالاله ديونيسوس او باخوس فذكر فيها جميع مآتيه البطلية وولّد من ذلك مجموعة ضخمة من الابيات لا يتناولها المطالع الا ويشعر بان الشاعر اراد ، دون شك ، ان يعارض هوميروس . ليس في الاوديسية الّا ٢٤ نشيدًا ، اما قريحة نتوز فلا تقف الّا بعد الثامن والاربعين ، وقد ولّدت نحو ثلاثين الف بيت من الشعر اليوناني . فيا للنفس القوي الفيّاض ! ويا للاطلاع الميثولوجي العجيب ! على ان ما يهمنا خاصة هو قيمة هذا الشعر من حيث المعلومات والاسانيد . وهي وافرة حتى يمكن القول ان ملحمة نتوز من المصادر الواجب استعمالها لتاريخ فينيقية في القرن الرابع . فهو يذكر عبادة ادونيس على شاطئ النهر المعروف باسمه

كما يذكر «الصخرة اللبنانية التي اقامت عليها ڤينوس منزلها»[1] وواضح ان المراد معبد افقا . الى غير ذلك من الاشارات المفيدة تاريخ البلاد عامة ، وتاريخ بيروت خاصة . ولا يخفى ان مصادر تاريخ ذاك العصر ليس بالوافرة ، فلا نهمل منها شيئاً.

ولا شكّ ان من عناصر الجمال في بيروت غابة الصنوبر . وهي قديمة جداً، كما يلاحظ رينان ، حتى ان ليس من المستغرب ان تكون بيروت مدينة لها باسمها . ومع كل هذا فكم سمعنا ونسمع من السخافات والاقاويل في اصل هذه الغابة وماضيها ! أوَ لم ينسبها بعضهم الى الفرنسويين الذين اتوا لبنان على اثر مذابح سنة ١٨٦٠ ؟ وهذا لعمري اسخف المزاعم عن اصل تلك الغابة . على ان غيرهم من «المؤرخين» ينسبون شرف غرسها عادةً الى الامير فخر الدين . ولا بأس في ان نلاحظ هنا ان فخر الدين ، والقديسة هيلانة ، وزبيدة امرأة هارون الرشيد ، من الاسماء المتداولة في سورية ولبنان يستعملها العامة،وبعض الخاصة،لاخفاء جهلهم فينسبون الى اصحابها ما يرونه من المباني والآثار القديمة ولا يعرفون اصحابه الحقيقيين . وعلى هذه الطريقة نُسبت القناة الرومانية في نهر بيروت الى زبيدة فقيل «قناطر زبيدة» . اما غابة بيروت فقد ورد ذكرها في زمن الصليبيين ، وقدّر الادريسي ، احد جغرافيي العرب ، مساحتها باثني عشر ميلاً مربّعاً . على انه يمكننا ، بفضل نتوز ، ان نرقى الى ابعد من ذلك في ذكر الغابة . فان الشاعر يشير الى «نفس لبنان المحيي الواصل الى سكان بيريت السعداء ممتزجاً بخفيف السرو المتمايل واريجه العطر .»[2] وان موضوع النشيد الثاني والاربعين يجري في «غابة الصنوبر الجميلة» . ولقد كانت غابة حقيقية اذ انها كانت تتصل حتى مرتفعات لبنان. وفيها اخذ باخوس ونبتون يتنازعان بيرُوه اللطيفة ، بنت الماء الحاملة اسم بيريت . وبعد عراك شديد ظفر نبتون اله البحر ، «فاتحد ببيرُوه في عرس

---

١) النشيد ٢٥ : الايات ١٤٣ وما بعده .

٢) النشيد ٤١ : الايات ٢١ وما يليه .

بحري . واخذ من ثمّ يُحبّ وطن زوجته ، وينيل سكّانه ، ذكرًا لهذا الزواج ، المجدَ الاثيل بان ينتصروا دائمًا في المعارك البحرية . »[1]

ولتطمئنّ امهات البيروتيين ! فلا خوف من هذه المعارك ، ولا سلاح فيها ولا دم مهراق . ان هي الّا معارك اقتصادية كان البيروتيون ولا يزالون — وهم حفدة الفنيقيين — ينتصرون فيها بسهولة . ولكن الا تجدون من الغريب ان نكون مدينين لاقوال هذا الشاعر المصري باقدم المعلومات عن غابتنا ؟

ولعلّ من المفيد بعد هذا ان نذكر ما قاله لامرتين في غابتنا نفسها :

« لقد اصبحت الغابة غاية في الجمال . وجذوع الشجر فيها تبلغ الستين والثمانين قدماً مرتفعةً دفعةً واحدة ، مظلّلةً بفيئها مساحة فسيحة . اما الارض فيغطيها مخمل رقيق من الكلأ نُثرت فيه زهور من الاحمر القاني . وهناك بصلات السوسن البرّي ، وهي كبيرة ضخمة حتى ان نعال الخيل لا تسحقها . ومن خلال اعمدة تلك الجذوع الصنوبرية ، يرى الناظر سهل بغداد (كذا والصواب : بعبدا ، لا بغداد) ومجرى النهر ، وزاوية من الخليج تشبه بحيرة صغيرة . . . وان النور لصافٍ ، والهواء لنقيّ حتى انه يمكن الانسان ان يميّز ، على عدة اميال علوًّا ، اشكال شجرات الارز او الخرنوب في الجبال ، او كبار العقبان السابحة ، دون ان تحرّك اجنحتها ، في اوقيانوس الاثير . وان هذا الحرج من الصنوبر لهو ، دون شك ، اروع مشهد شاهدته في حياتي . »

هذا ولو عاد خيال لامرتين الى هذه الاماكن ، أوَ هل يعرف الغابة التي اوحت اليه هذه الاسطر المملوءة بالاعجاب ؟

ولو وُلد نتوز في لبنان لما كان تغنى بمحاسن بيروت باوفر حماسة وهوس . حتى انه يضيف اليها محاسن قد تكون لم تعرفها ، فيسميها المدينة «ذات الجزُر الانيقة» . ولكن لنتركه يتكلم :

« بيرُوه فتنة الحياة ، وابنة البحر ، وميناء النعيم ، والمدينة ذات الجزر الانيقة والخضرة الغنية . ليس لها ردف برزخ ضيّق يدقّ رأسه حتى تضربه

---

١) النشيد ٣ : الابيات ٢١٤ وما يلي .

امواج البحرين . بل انها تمتدّ من ناحية الجنوب الحارّة حتى سفوح لبنان الوارفة الظلال ... فهي مدينة اوّلية ، بل هي اولى المدن التي عرفها الزمان المخلوق معها ، فشاهدها تظهر مع الارض معاصرتها ... وفي بيرُوه خرجت ڤينوس لاول مرة من الامواج . اما اهل قبرس فليس لهم من مستند الّا الكتب اذ يدلّون الناس على المكان الذي وضعت فيه الالاهة رجليها في خروجها من البحر . »

هذا ما خصّ المدينة . اما السكان « معاصرو الشفق ، فانهم صورة عنصر الهي ؛ وسنبلة ذهبية ، بين البشر الاولين ، نمت على اصلها الخالص . »[1]

فما رأيكم ، ايها البيروتيون ، في هذا المديح ؟

بعد ان تجتهدوا في تبديد بخوره القويّ المتكاثف ، فكّروا قليلًا في الشاعر الاجنبي الذي خصّص ثلاثة اناشيد من ملحمته ، اي ما يقرب من ١٥٠٠ بيت شعر ، ليبرهن ان مدينتكم اقدم مدن العالم ، بل اجملها ، والطفها ، وانكم اكمل المخلوقات في هذا الكون ... فكّروا بهذه الغيرة وتأملوا موقفكم تجاه هذا الشاعر الذي تجهلون حتى اسمه . فلا تمثال ، ولا دمية ، ولا صفيحة تذكارية ، بل لا شارع صغير يمنع الناس من نسيانه النسيان التام ! ...

ولا نجازف اذا قلنا ان نتوز زار مدينتنا . بل اننا نذهب الى ابعد من هذا فنقول لعله كان يتردّد الى جامعتنا القديمة ، فيحضر درس اساتذتها . يظهر ذلك من اعتقاده الشديد بفضيلة علم الحقوق وبصلاح الشرائع الرومانية التي كان اساتذة بيريت يشرحونها ويعلّقون عليها جاعلين من مادّة تدريسهم علماً وفنّاً معاً . عرف كل ذلك ، دون شكّ ، فتأثّر به ، وبدا تأثّره بارزًا من خلال ابياته تأثّرَ شابّ متحمّس لبيريت وما فيها . « بيرُوه جذر الحياة ، ومرضعة المدن ، وكوكب لبنان ، ومقرّ البهجات ... » الى غير ذلك من النعوت التي تفيض بها قريحة نتوز كلّما خطرت على باله محاسن بيريت . على انه يعجب خصوصاً ببيريت « مقرّ العدل ، وسور الفقها ... » فيقول : « ان الاهوية الاربعة التي

---

١) النشيد ٦١ : الايات ١٥ و٤٠ و٨٨ و١١٥ ....

تهبّ على البلدان جميعاً تتايل بالمدينة لتنقل الى العالم احكام بيريت . وان الاوقيانوس ، اول رسول للشرائع ، يحمل امواجها النافعة حتى اقاصي العالم .»
ولو كان بامكان نتوز أوضع مركز جمعية الامم لا في لاهاي ، ولا في جنيف ، بل في مدينتنا . كيف لا «والشقاق ، الذي يكتسح الدول، يكفّ عن التعرّض للسلام اذا ما قامت بيريت ، الساهرة على راحة الوجود ، فحاكت الارض والبحار ، وحصّنت المدن بجادّة الشرائع التي لا تُهدم ، واخذت على نفسها تنظيم بلاد العالم . » وهو يلخص معتقده بهذا الحكم : « لرومة سلطة السلاح ، ولبيريت سلطة الحق . » !

***

رأيتم في ما تقدّم المشهد السحري العجيب الذي تتابعت فيه حياة البيروتيين السعداء على مدة ستة قرون متتالية . ولم يكن في هذا المنظر الطافح بشرًا وسرورًا الّا ظلّ واحد مزعج هو تتابع الهزّات الارضية . وليس من شأن الشاعر نتوز ان يعدّدها ، فضلًا عن انه توفي قبل حدوث تلك السلسلة الهائلة من الزلازل المتتابعة بين السنتين ٥٥١ و٥٥٤ . فقلبت رأساً على عقب هيئة الساحل الفنيقي . ولعلّ نبتون « زوج بيرُوه اللطيفة » غضب في هذا الوقت ، فاغرق « الجزُر الجميلة » التي كانت تحضن زوجته . وقد خربت الجامعة اذ ذاك ، وهلك معها ثلاثون الفاً من السكان . وهكذا كانت نهاية « بيريتوس الرومانيين السعيدة » ، ومركز « معلّمي المسكونة » ، ومدينة يوستنيانوس « الفائقة الجمال » . وقد بكى الشعراء هذا الخطب ، حتى في اقاصي اسبانية ، متأوهين على اقول « نجمة لبنان » .

اني لا اعتذر لديكم عن طول هذا الحديث ولا عن تفاهته . أوَ لسنا جميعاً عشاق بيروت ؟ أوَ يضجر العشاق من حديث احبابهم او من الحديث عنهم ؟

اما ما بقي من مدينتنا فهو ما ستسمعون وصفه الموجز بقلم الاخوين تارو ، قالا : «ان الساحل الفنيقي عاد فدخل في النسيان تيباً من ماضيه المُثقل . وهو لا يزال ذا بهجة وجاذبية ككل الاماكن التي جعل فيها الترك حياته

المائتة ، وخطرات باله ، وقهوته ، وجامعه ... ولكن ما اشبه هذا المظهر بصوت الجلجل الى جنب الجلبة الظيمة التي تصعد شبيهةً بصخب الامواج من الماضي البعيد ! »

***

حان لي الآن ان اختم هذا الحديث ، طالباً ان نجتهد بتخليص ما يمكن الاحتفاظ به من محاسن بيروت . لقد كثرت الاقتراحات في هذه الايام لتعزيز وسائل السياسة ، وهي مادّة واسعة لارباب الصحف . فان الاجانب كثيرو الفضول . ولكن كيف يمكننا ان نستدعيهم وان نستوقفهم ؟ وماذا نعرض امام عيونهم ؟ اي آثار وايّة تذكارات ؟ وقد عملنا طول السنين الغابرة على قلب هيئة مدينتنا فخربنا كل شيء حتى الخرائب نفسها . بل ان المناظر الطبيعية ذاتها ، تلك المناظر التي اهملها الاتراك ازدراء او جهلاً باستخدامها ، فاننا عملنا على تشويه جمالها الفطري . وهل يمكن لامرتين ان يستعيد ذكرى عدن في هذه المدينة الخالية من مزية خاصّة ؟ وماذا يبقى اليوم من غابتها الصنوبرية من غابة الصليبيين وغابة نتوز ؟ ما لا يستحق الذكر ...

لا ازال اذكر اني عرفت في ڤينا جمعيـة يدعونها « جمعيـة التجميل » ([illegible]) غايـة اعضائها الاساسية ان يسهروا على المناظر والمشاهد الجميلة في عاصمتهم وحولها ، عاملين على حفظها من الخراب ، وعلى تجميلها وتقريبها من انظـار الزوّار والسيّاح . واني لارى في عمل هذه الجمعية فكرةً يجب ان تُدرس ، ومثلاً يجب ان يُتّبع . هذا ما اتركه ، مسك الختام ، لاهل بيروت واصدقائها .

طبيعتا يسوع المسيح

للاب ارمند اودين

احد كهنة رهبنة قلب يسوع الاقدس (الناصرة)*

« يحبّني الآب ، لاني ابذل نفسي لآخذها ايضاً ، ليس احد يأخذها مني ، ولكني ابذلها باختياري ، ولي سلطان ان ابذلها ولي سلطان ان آخذها ايضاً » (يو ١٠ : ١٧-١٨)

من ذا الذي جاز له ان يفوه بهذا الكلام المستغرب ؟ واستطاع ان يبذل نفسه فيذوق الموت كسائر البشر ؟ غير ان يد المنون ، لو لم يقدم ذاته لها طوعاً ، لما استطاعت ان تصل اليه . اذاً مات بارادته . . . الا انه كان حائزاً على السلطان ليحيي نفسه ثانيةً . يدلنا كلام المسيح هذا ، على سرّ يفوق ادراك عقلنا الضعيف . ولهذا السرّ يسجد كل مسيحي ، معترفاً بان فادي العالم يسوع المسيح ، جمع حقاً في شخصه ، هاتين الحالتين ، اي انه من جهة تألم ومات كفارةً عن ذنوب البشر ، ومن جهة اخرى تصرف في الحياة والموت كربّ ، ولم يمت الا باختياره . وبعد ان مات قام بقدرة ذاته . فهكذا نراه مشابهاً بالشكل الذي ظهر فيه لاعين الناس ، ومرتفعاً فوقنا بتلك القوة العجيبة التي لم يفقده اياها الموت عينه ، بل بها ردَّ الحياة لجسده المضجع في القبر .

فكيف يلزمنا ان نفهم هذا السرّ الغامض دون ان ننكر شيئاً مما يعلّمناه الكتاب المقدس عن يسوع المسيح مخلصنا ، والوسيط بين الله والبشر ؟ هذا هو السؤال الذي لا يتفق جميع النصارى في الجواب عليه . فان اغلبهم يعتقدون ان قد اتحدت الطبيعتان في يسوع المسيح : اي الالهية والبشرية ، وان هذا الاتحاد هو الذي نعنيه بقولنا : « ان الكلمة صار جسداً » ، وان كل واحدة من الطبيعتين ثبتت في حقيقتها ، وحافظت على صفاتها الخاصة ، ولم تخسر

*) عني بتصحيح عبارته ونشره القس اسطفان فرحات اللبناني .

شيئاً من كمالها . غير ان بعض النصارى الشرقيين رفضوا ذلك التعليم وذهبوا مذهب الطبيعة الواحدة ، زاعمين ان سرّ التجسد تمّ ، لا باقتران الطبيعتين في اقنوم واحد ، بل باختلاطها ، او بتحولها الى طبيعة ثالثة ليست الهية ولا بشرية ، او بفناء الطبيعة الانسانية ، كأن اللاهوت ابتلعها او حوّلها اليه.

ولذلك كان مقصدنا بهذا المقال — ايها القارئ الكريم — تنوير عقلك في هذه المسألة المهمة ، وان نبيّن لك ان الوحي الالهي والعقل السليم يتوافقان على رذل مذهب الطبيعة الواحدة ، فنورد لك اذاً ، اولاً ، من نصوص الآباء القديسين ، ما يتمثّل فيه التقليد الشريف الذي اخذته الكنيسة من الرسل معلّميها الاولين ، ثم نوضح لك ان الكتاب المقدس يعلمنا ايضاً تمايز الطبيعتين في يسوع المسيح . وبعد ذلك نفنّد ما استند اليه من الحجج بعض المدافعين عن مذهب الطبيعة الواحدة ، ونبين لك اخيراً ان هذا المذهب يلاشي حقيقة التجسد ، وان العقل المستقيم يردّه لا محالة.

١ً شهادات آباء الكنيسة

قال القديس اغناطيوس اسقف انطاكية : « ان طبيبنا هو واحد ، وهو جسديّ وروحيّ ، مخلوق وغير مخلوق ، اله في انسان ، من مريم ومن الله . »

وكتب القديس غريغوريوس النزينزي في احدى قصائده : « أتى مَن هو اله وانسان جامعاً طبيعتين متحدتين ، احداهما محتجبة ، والاخرى ظاهرة للناس . »

وعبّر القديس غريغوريوس النيصي عن معتقده هكذا : « تعلمنا ونعتقد ان الطبيعة الانسانية المتحدة بالكلمة هي محفوظة . »

وجميل ما قاله القديس يوحنا فم الذهب في تفسير آية يوحنا هذه : « فالكلمة صار جسداً » قال : « انه صار ابن البشر ، مع انه كان ابن الله الحق ، ولم ينقص طبيعته بانحداره هذا . لانه ليس الجوهر انحطّ الى الجسد — وان هذا الزعم لنفاق — ولكن مع استمراره ، كما كان ، اخذ شكل العبد . فمراد الانجيلي بقوله «صار» لا يعني تغير جوهر ، حاشا ان نقول ذلك ، بل ان يصرّح بحقيقة الجسد المأخوذ ، فان الكلمة الالهي والجسد هما واحد بلا اختلاط ، ومن

غير زوال الجوهرين ، بل باتحاد يفوق الوصف »

وقال القديس افرام : « ان للمسيح طبيعتين كاملتين ، لئلا تفنى الطبيعتان، فان الله لم يظهر على الارض في احدى الطبيعتين فقط ، ولا في الاخرى وحدها صعد الانسان الى السماوات ، بل كان كاملاً من كامل ، وانساناً من انسان ، والهاً من اله ، وهو المسيح ابن العذراء . »

هذه البيّنات كانت لما كان تقليد الكنائس الشرقية ، قبل ان يقوم الجدال في مسألة الطبيعتين ، وكذلك كان في الزمان عينه تعليم الآباء الغربيين ، فحسبك ان تسمع منهم كلام القديس اوغسطين اذ قال : « اخذت صورة الله صورة العبد ولكن لم تتحوّل بذلك احدى الصورتين الى الاخرى ، فان اللاهوت لم يصر خليقة بحيث لم يعد لاهوتاً ، ولم تُضحِ الخليقة لاهوتاً بحيث لم تعد خليقة . »

لكن عندما ابتدأ الخلاف بين اتباع اوطيخا وخصومهم ، كتب القديس لاون البابا رسالته المشهورة التي وجّهها الى فلابيانوس اسقف القسطنطينية ، واعلن فيها معتقد الكنيسة عن طبيعتي المسيح ، ودونك كلماته : « ان الذي هو اله حق انما هو ايضاً انسان حق ، وما من كذب البتة في هذه الوحدة التي اقترن بها وضاعة البشر وسمو اللاهوت ، لانه كما لا يتغيّر الله بتحننه ، كذلك لم يفنَ الانسان بارتفاعه ، ولكل واحدة من الصورتين ما يلائمها من الافعال مع اقترانها بالصورة الاخرى ، فان الكلمة يعمل ما يختصّ بالكلمة ، ويجري الجسد ما يناسب الجسد ، ولمع احدهما بالاعاجيب ، ويبهظ الآخر ثقل الاهانات ، وكما لم ينحطّ الكلمة عن مساواة مجد الاب ، كذلك لم يتجرّد الجسد عن طبع جنسنا . »

ويفيد ان نختم سلسلة تلك الشهادات بايراد الكلمات التي حكم بها آباء المجمع الخلقيدوني في مسألة الطبيعتين ، قالوا : « اننا طبقاً لاقوال الآباء القديسين نعلّم اجمعين ، وبتمام الاتفاق ، ان ابن الله وسيدنا يسوع المسيح هو واحد بذاته، وكامل في اللاهوت وفي الناسوت ، وانه اله حق وانسان حقّ ، مركب من نفس ناطقة وجسد ، وانه باللاهوت واحد الجوهر مع الاب ، وبالناسوت واحد

الجوهر معنا ، ومشابهنا في كل شيء ما عدا الخطيئة ، وباللاهوت ولده الاب منذ الازل ، واما بالناسوت فولدته مريم البتول والدة الله في آخر الايام لاجلنا ولخلاصنا . فنعلم وجوب الاعتراف بالمسيح الرب والابن الوحيد ، الواحد بذاته في طبيعتين بغير اختلاط ، ولا تغير ، وبدون انقسام ولا انفصال ، ودون ان ينفي الاتحاد اختلاف الطبيعتين من اي وجه كان ، بل مع المحافظة على حقيقة كل واحدة منهما.»

٢ً شهادة الكتاب المقدس

قد ظهر لك ، ايها القارئ الكريم ، مما مرَّ بك ان مذهب الطبيعة الواحدة في يسوع المسيح يخالف تعليم الآباء القديسين ، وكأنهم دحضوه سابقاً ، وان الكنيسة رذلته وشجبته بصوت رئيسها القديس لاون ، وباصوات الاساقفة الملتئمين في خلقيدونية. افلا تكفيك هاتان الحجتان ، لتحسب هذا المذهب بدعةً من البدع التي يجب رفضها على كل مؤمن ؟ فماذا تقول اذا بيَّنا لك ان المذهب عينه يناقض تعليم الاسفار الالهية ؟ ولا يصعب هذا التبيان ، لان كتب العهد الجديد تعلمنا صريحاً : ان مخلص البشر هو اله وانسان معاً ، ولا حاجة هنا الى ايراد النصوص العديدة التي تتضمن تأكيد كلتا هاتين الحقيقتين ، ولا الى ذكر الشيع القديمة التي قامت عليها ، فبادرت الكنيسة الى رميها بالحرم . ولكن كيف يصح القول : ان يسوع المسيح هو اله وانسان ، ان لم تكن فيه كلتا الطبيعتين الالهية والبشرية ؟ على انك لا تطلق اسماً على شيء ، ما لم ترَ في هذا ، الطبيعة التي يعنيها الاسم ، هكذا لا تسمي حجراً سوى ما ظهر فيه لك طبع الحجر ، ولا تدعو فرساً سوى ما تحكم بان فيه طبيعة الفرس ، ولا تقول ان فلاناً هو انسان الا دلالةً على ان فيه ما تقوم به ماهية الانسان.

فواضح اذن ان يسوع المسيح ، لو لم تكن فيه الطبيعة البشرية ، لكذب الكتاب كلما دعاه انساناً . وكذلك لو لم تكن له الطبيعة الالهية ، لما جاز ان يسمى الهاً . ولهذا نقول ان الكتاب المقدس يعلمنا وجود الطبيعتين في ابن الله المتجسد.

٣ً رد الاعتراضات

ماذا قال الذين حاولوا الدفاع عن مذهب الطبيعة الواحدة ؟ ، انه مما اعترضوا به ان اتحاد الكلمة بالناسوت في يسوع المسيح يشابه اتحاد النفس والجسد في الانسان.

والحال ان الانسان ، المركب من نفس وجسد، له طبيعة واحدة فقط ، فكذلك تكون لابن الله المتأنس طبيعة واحدة لا غير.

وزادوا على ذلك انه من العبارات التي استعملها الآباء القديسون ان اللاهوت والناسوت امتزجا فصارا لا يتمايزان الا بنظر عقلنا.

فاذاً ليس للمسيح طبيعتان تتمايزان حقيقة.

وايضاً تكلم القديس كيرلس مراراً عديدة عن طبيعة ابن الله الواحدة المتأنسة ، فاعتقد اذن هذا العلامة الشهير ان المسيح ليست له طبيعتان.

فترى من ذلك ان ما اتخذه خصومنا سنداً لمذهبهم يقوم كله ببعض ما ورد في كتب الآباء القديسين من الالفاظ التي ظنوا انها تدل على انكار الطبيعتين او خلطها . وعليه فاذا فسرنا تلك الالفاظ كلها تفسيراً مقبولاً ومتفقاً مع العقيدة الكاثوليكية سلبنا بالفعل عينه خصومنا كل سلاح يستخدمونه للهجوم على قضية الطبيعتين.

فلنعتبر اولاً : بأي معنى قيل ان اتحاد اللاهوت والناسوت في يسوع المسيح يشبه اقتران النفس والجسد في الانسان . ولاحظ — يا هداك الله — ان النفس والجسد فيما لا يختلطان ، ولا يفنى احدهما ، بل يثبت كل واحد منهما محافظاً على خواصه. فمن هذه الجهة لا نجد في هذا التشبيه شيئاً يتفق مع رأي اوطيخا ، غير ان طبيعة الانسان هي واحدة مع تمايز النفس والجسد ، لان الجزئين ليسا بجوهرين كاملين ، بل كل منهما هو متوجه بطبعه الى الاقتران بالآخر ، فلا غرو اذن ان الجوهر المركب منهما هو واحد الطبيعة ، كما ان اعضاء الجسد مع كثرتها وتنوعها لا يقوم بها الا جسد واحد ، لكون كل منها شيئاً ناقصاً يقتضي الانضمام الى غيره ، لتكون له افعال الحياة.

اما اللاهوت والناسوت اللذان نعترف بوجودهما في اقنوم المسيح ، فيستحيل ان نتصورهما كشيئين ناقصين . وهذا واضح جدًا من جهة اللاهوت ، الذي هو الكمال غير المتناهي . والامر اكيد ايضاً من جهة الناسوت لان قولنا : ان يسوع المسيح هو انسان حق يستلزم حصوله على الطبيعة البشرية الكاملة . فاذًا ما من سبيل الى تصوّر طبيعة واحدة تحصل من اتحاد اللاهوت والناسوت ، وليس هذا ما اراده الذين استعملوا تشبيه اتحاد النفس والجسد . لكنهم اعتبروا ان الانسان هو شخص واحد مع تألفه من جزئين يفوق احدهما الآخر ، بما لا قياس له ، كذلك يسوع المسيح هو اقنوم واحد ، مع تمايز طبيعتيه ، واحداهما هي اشرف من الاخرى بما لا حدّ له ، وكما يظهر جسد الانسان وتحتجب نفسه ، كذلك تراءى ناسوت المسيح لانظار الناس بينما كان لاهوته مستترًا عنهم .

فلننتقل الآن الى الاعتراض الثاني المأخوذ من قول بعض الآباء : ان اللاهوت والناسوت في المسيح امتزجا واصبحا لا يتميزان الا باعتبار عقلنا . فهل يسوغ لنا فهم هذه الكلمات وما شابهها بمعنى ينافي ما قاله صريحاً الاباء انفسهم من ان طبيعتي المسيح بقيتا غير متغيرتين ، ولم يبد شيء من خواصهما ؟ كلّا ، فان الصواب يقضي بان نؤوّل مبهم كلامهم وفقاً لجليّه . فنقول اذن : انهم ارادوا بالامتزاج الاتحاد الوثيق الذي يقوم به شيء لا يقبل الانقسام ، مع ثبات كل واحد من الممتزجين . كما اذا مزجت ماء وخمرًا ، مهما ظهر للعين ان السائلين اضحيا واحدًا فلا ريب ان كل واحد منهما بقي محافظاً على طبعه وصفاته . كذلك حينما يمزج الصائغ ذهباً ونحاساً ، نعم ان المعدنين يذوبان معاً ويصيران قطعة واحدة ، فلا تعود تقدر على تمييز الاجزاء المختصة بكل منهما ، غير ان صاحب علم الطبيعيات يوقن ان هذه الاجزاء لم تزل على ما كانت عليه قبل المزج ، ولم تفقد شيئاً من طبع الذهب والنحاس . فلتمنك هذه التشابيه ، مهما كانت ناقصة ، لتدرك ان الاباء الذين تكلموا عن امتزاج الطبيعتين في شخص المسيح ، لم يريدوا قط انكار حقيقتهما وتمايزهما . بل عبروا بهذه اللفظة عن الاتحاد الشديد والدائم الذي يقوم به اقنوم واحد . اما اللاهوتيون الذين عاشوا من زمان المجمع

الخلقيدوني الى يومنا هذا ، فلما اعتبروا ما في لفظة امتزاج من خطر سوء الفهم ، اعتادوا الامتناع عن استعمالها . وآثروا الاكتفاء بالقول ان الطبيعتين اتحدتا واقترنتا .

وقل مثل ذلك عن عبارة القديس كيرلس اي « طبيعة الكلمة الواحدة المتأنسة » فان الذين استدلوا منها على ان القديس كيرلس انكر تمايز الطبيعتين في المسيح غلطوا جداً ، وفاتهم ما كتبه العلّامة نفسه تصريحاً بمعتقده : « لا يجوز تقسيم يسوع المسيح الرب الواحد الى انسان على حدة ، والـه على حدة ، بل نقول : ان يسوع المسيح هو واحد بعينه ، ولا نجهل ما من الفرق بين الطبيعتين . بل نحافظ عليهما بغير اختلاط . » وقال ايضاً في احدى رسائله : « لم تتحوّل طبيعة الكلمة الى طبيعة الجسد ، ولا طبيعة الجسد الى طبيعة الكلمة ، بل ثبتت كل واحدة منهما في حقيقتها . »

فبيّن من اقوال كيرلس هذه ، ومن غيرها ، ان مراده بالطبيعة الواحدة المتأنسة ، هو لاهوت الكلمة ، الذي تأنس اي اتحد بالناسوت في اقنوم واحد . ولم ينفِ التمييز بين الطبيعتين ، بل انكر ان في المسيح اقنومين او طبيعتين تقوم كل واحدة منهما بذاتها ، كما زعم اتباع نسطور ، وبهذا المعنى ليس من خلاف بين كلمات كيرلس هذه ، وسائر تعاليمه ، وتعليم جميع الآباء والاساقفة الكاثوليك . ولذلك رمى المجمع الخامس بالحرم « من يقول ان طبيعة الكلمة الاله المتجسد هي واحدة ، ولا يفهم هذه اللفظات طبقاً لتعليم الآباء القديسين ، يعني ان الطبيعتين الالهية والانسانية اتحدتا بالاقنوم اتحاداً حصل به مسيح واحد ، بل بهذه الكلمات يحاول ابداع طبع او جوهر واحد ، حاصل من لاهوت المسيح وجسده . »

٤ حكم العقل المستقيم

ويفيد ايضاً ان نمعن النظر في ما يتضمنه مذهب الطبيعة الواحدة من المنافاة لحقيقة سر التجسد ، ولمطاليب العقل السليم ، فان كل قائل ان في المسيح طبيعة واحدة فقط يجوز ان نستفهم منه هكذا : هل تركبت هذه الطبيعة من

اللاهوت والناسوت تركبا من جزئين ؟ ام حصلت بتحولهما الى طبع واحد ؟ فاذا اجاب باول الامرين ، ساغ لنا ان نقول له : اذاً نتصور اللاهوت والناسوت كشيئين ناقصين ، بحيث يمكن ان يقترنا تأليف شيء ثالث يكون منهما بمثابة الكل من اجزائه ، ولا يخفى ان الكل هو دائماً اكمل واكبر من جزئه . فيكون على رأيك شيء اكمل واشرف من اللاهوت ، وهو الطبع الثالث المركب من اللاهوت والناسوت . وهذا ضلال مبين بل تجديف فظيع ، فانه تعالى كامل في الغاية ، ومحال ان يقدر شيء يفوقه كمالاً .

امّا اذا جاوب بالامر الثاني ، فنقول له : كيف تزعم ان الطبيعة الالهية تحوّلت الى غيرها ؟ هل تتصوّرها قابلة التغير ؟؟ وهل يخفى عليك ان ما يتحوّل طبعه الى غيره ، فانه بالفعل عينه يفنى ويزول ؟؟ كما تفنى الخمر حين تحوّلها الى خلّ ، ويزول الحطب اذا تحوّل الى رماد . فما بالك تعزو اليه تعالى ما يجعله متغيراً وفانياً ، واي اثر للصواب وللتقوى في مثل هذه الاوهام ؟

اما القائل ان طبيعة المسيح الواحدة حصلت بفناء الناسوت ، كما يفنى الشيء الصغير في الكبير ، وقطرة الماء في اليمّ العظيم ، فنجيبه بان رأيه هذا يلاشي جلياً كل حقيقة التجسد . لان هذه تستلزم صحة قولنا ان الكلمة اخذ الطبيعة البشرية فصار انساناً حقاً . وكيف اخذ الطبيعة التي قد فنيت ، اي صارت غير موجودة ؟ او قل بالحري انها لم توجد قط ، لان ناسوت المسيح لم يكن له وجود قبل آن التجسد ، فيعود اذن هذا الرأي الى مذهب الذين انكروا كل حقيقة التجسد . وزعموا ان جسد المسيح كان خيالياً ، ولا يخفى ان ضلالهم هذا يقوّض أسس الدين المسيحي نفسها .

ولا يسلم من هذه النتيجة الوخيمة مذهب الطبيعة الواحدة ، بأي طريقة حُوّل تفسيره والدفاع عنه . لان سرّ الفداء عقيدة اساسية في ديننا المقدس ، ومن نفى عن يسوع المسيح تمايز الطبيعتين نقض بالفعل عينه حقيقة الفداء . فان هذه تحتوي على امرين : اي تضحية المخلص بذاته ، وكفاية هذه التضحية للتكفير عن خطايا العالم باسره . وقام اول هذين الامرين بشيئين .

اولهما : رضى يسوع بتسليم ذاته لاسباب العذاب والموت ، اطاعةً

لارادة الله .

وثانيها : احتماله تأثير تلك الاسباب في جسده ونفسه .

وهل كان ممكناً شيء من ذلك ، لو لم يكن للمسيح ارادة بشرية خاضعة لمشيئة الله ؟ وجسد ونفس قابلان التألم والموت ؟ اي لو لم يكن له طبيعة بشرية حقيقية .

اما كفاية ذبيحته للكفارة عن جميع مآثم العالم ، فقد اقتضت كون اقنومه الهياً ، اي حصوله على الطبيعة الالهية . فترى اذن ان من انكر وجود الطبيعتين في يسوع المسيح نقض بذلك سر الفداء .

فحسبك هذه البينات — ايها القارئ الكريم — لتدرك ما يختفي من السم القتّال ، والكفر الشنيع في مذهب الطبيعة الواحدة .

فلنعترفنَّ اذن ، من دون خلجة شك ، بحقيقة الطبيعتين اللتين اتحدتا في اقنوم مخلصنا يسوع المسيح . ولنشكره على انه تنازل واخذ طبيعتنا ، لكي ينهض آدم وذريته ، وينصرهم على الشيطان الذي كان قد صرعهم ، ولنوطد رجاءنا باعتقادنا ان ابن الله ليس طبيعتنا ينجيها من كل ما اصابها من انواع الشقاء ويشركها في مجده الابدي .

فليشجعنا هذا الامل على اقتفاء آثار المسيح ، لمعرفتنا انه عاش في منفانا هذا عيشة بشرية ، بجسد كجسدنا ، مباشراً من الاعمال ما يجب علينا مباشرته . ومشابهنا في كل شيء ما عدا الخطيئة . حتى اذا اجتنينا هذه الثمار النفيسة من ايماننا بطبيعتي مخلصنا الالهي نستحق معاينته في بهاء ملكوته الابدي .

الحجر الكريم

في

اصول الطب القديم

ارجوزة طبية مشروحة للشيخ ناصيف اليازجي

نشرها المرة الاولى عن مخطوطة بخط المؤلف

فؤاد افرام البستاني، استاذ الآداب العربية في كلية القديس يوسف

١

توطئة

في كفرشيما، مسقط راس الشيخ ناصيف اليازجي، مدرسة صغيرة ابتدائية يديرها احد رهبان الموارنة اللبنانيين فيعلّم احداث القرية مبادئ القراءة والحساب. ولم يكن احداث كفرشيما ليختلفوا عن سائر الاحداث في سلوكهم المدرسي. فمنهم المجتهدون المتبهون لاقوال المعلّم، المتبعون لشروحه، ومنهم اللاهون اللاعبون كل آن لا فرق عندهم بين زمن الراحة ووقت الدرس والاصغاء. فكان على المعلّم ان يشدّد في الانتباه ويبالغ في المراقبة، وان يوبّخ ويقاصّ، وان يغضب احياناً مستعملاً الكفّ مرة و«الطبشة» مرّات. وان يكن من الغضب ما يُدعى مباركاً فقد كانت احدى غضباته وافرة البركة...

كان ذلك في اوائل هذه السنة. وكان المعلّم يشرح عملاً حسابياً صعباً، وقد فرض على التلاميذ الانتباه الكلي، والنظر الدائم الى اللوح الاسود. وما هو ان حانت منه التفاتة الى الصفوف الاخيرة حتى رأى احد «عفاريت» المدرسة منصرفاً كل الانصراف عمّا يجري على اللوح. فهو حاني الرأس، ظاهر الاهتمام، يخطّ بقلمه يميناً ويساراً، ثم يتوقف فيتأمل ما خطّه، ثم يعاود

الكرة ويختلس النظرات الى المعلّم . فكأنه يرسم صورةً او ينقل مشهداً . عند ذاك غضب الراهب وانتهره بعنف فانتبه . الّا انه سرعان ما عاد الى « شغله » فعاد الراهب الى الانتهار ، حتى انتهى الى قمة الغضب المبارك ، فتخطّى الصفوف وادّب الغلام وانتزع منه الكرّاس الذي كان يرسم عليه ، فرماه بحنق على منبره .

وكان ان زار المدرسة ، في المساء ، حضرة الاب انطونيوس شبلي اللبناني ، متفقدًا شؤونها . فاخذ الراهب المعلّم يلقي اليه بمعلوماته مطالعاً اياه على تقدّم التلامذة ، شارحاً ما يلقاه من الصعوبات ، متشكياً من عقبات لا تخلو منها مدرسة . . . وانتهى بان روى له حادثة صفّ الحساب ، وكانت لا تزال على طراوتها في ذاكرته ، واطلعه على ذاك الكرّاس المشؤوم . وما هو ان القى عليه الاب شبلي نظره حتى عرف به المخطوطة التي يهمّنا امرها اليوم . فاهداها الينا عند رجوعه .

المخطوطة

كرّاس صغير من الورق العادي « أثر جديد » . يبلغ طوله نحو ١٩ سنتيمترًا ، وعرضه نحو ١٢ سنتيمترًا ، ولا غلاف له . تضمّن ١٧ ورقة استُعملت كلها للكتابة على الوجهين ، واشتملت الصفحة منها على ١٧–١٩ سطرًا ، شاغلة ١٤–١٥ سنتيمترًا طولًا ، و٧–٧٫٥ سنتيمترات عرضاً . والكرّاس بحالة حسنة ، وان كان مصفرّ الورق الّا ان في طرف الورقة الاولى خرقاً ذهب بثلاث كلمات في اوائل الاسطر ٥ و٦ و٧ من صفحتها الثانية ، كما يظهر في الرسم ١ . وقد اجتهدنا في اعادتها ، واضعينها بين معقّفين [ ] . ولم تتأثر الصفحة الاولى بشيء من هذا الخرق ، لانها خصّت بالعنوان فقط وهو بعيد عنه . وكذلك تأثرت الصفحة الثانية من الورقة الاخيرة بحبر سقط عليها فطمس ستّ كلمات تمكنّا من اعادتها بالقرينة ، وقد وضعناها ايضاً بين معقّفين .

اما الخطّ فهو فارسي واضح على قسطٍ من الاتقان . وقد استُعمل فيه الحبر الاسود العادي ، الّا في الابيات الشعرية فالحبر الاحمر . ولا شكّ في انه

خطّ المؤلف ، الشيخ ناصيف اليازجي الوارد اسمه في اول المخطوطة ، كما يبدو حالًا لمن ألف هذا الخطّ ، او كان مطّلعاً على شيء من آثار الشيخ بخطّه . ولم نعرض الرسالة على احد من مؤرخي الادب وعلماء المخطوطات في مدينتنا الّا حكم بانها من خطّ الشيخ ناصيف.

وقد صوّرنا الصفحة الاولى منها ، وصوّرنا معها بيتين من الشعر يحملان امضاء الشيخ لتسهل المقابلة على من اراد ذلك ، فيتحقق الشبه التام من الكلمات المشتركة في النصّين، على كون خطّ البيتين اكبر قليلًا من خطّ الارجوزة.

واذًا فانّ للرسالة قيمةً جليلةً بالنظر لكونها الوحيدة الراقية الى عصر المؤلف صادرةً عن يده ، حاملةً اثر اعتنائه العقلي والمادي . ولهذا كانت رغبتنا شديدةً في نشرها تامة . لان ما نُشر سنة ١٩٠٢ ، في مجلة « الطبيب »[1] في باب « المتفرّقات » ، تناول الابيات دون الشرح ، ولم يخلُ من التصحيف كما سنرى . ولعلّ الناشر لم يعرف الشرح الذي نمثله اليوم بالطبع مع المتن لاول مرة ، حراصاً على ابرازه كما خرج من يد المؤلف ، متقيّدين حتى بالنقط التي فصّل بها الشيخ ناصيف فقراته ، وبالحركات التي زيّن بها كلماته ، مستغنين عن الحواشي المشيرة الى اختلاف الروايات — الّا ما كان منها اشارة الى منشور «الطبيب» — لكون نسختنا هي الوحيدة بخطّ المؤلف.

المؤلف

اما عن المؤلف (١٨٠٠—١٨٧١) فلا نطيل الكلام ، بعد ان افضنا في «المشرق»[2] عن حياته ، وآثاره، وقيمته عالمًا وشاعرًا. فليرجع الى ذلك من شاء.

---

١) الطبيب : مجلة طبية علمية صناعية . صاحب امتيازها الدكتور جورج بومت ؛ مديرها ومحررها الدكتور اسكندر البارودي . السنة الرابعة عشرة : الجزء الرابع : اول ايلول ١٩٠٢ ، ص ١٢٥ و١٢٦ ؛ والجزء الخامس : اول تشرين الاول ١٩٠٢ ، ص ١٥١ و١٥٢ .

٢) المشرق (٢٦ [١٩٢٨] : ٨٣٤–٨٤٣ و٩٢٢–٩٢٦) ؛ واطلب ايضًا الجزء الحادي والعشرين من « الروائع » المخصوص بالشيخ ناصيف اليازجي.

بسم الله الشافي

الحمد لله الذي خلق الداء والدواء. وأمات وأحيى من يشاء. أما
بعد فيقول العبد الفقير ناصيف بن عبد الله اليازجي اللبناني أني
قد وضعت هذه الارجوزة على منهج الطب القديم الذي خبت
في هذا العصر ناره. ونبت داره. فصار اذلّ من وتد. بعدما
اعزّ من جهة الاسد. وذلك لاشتغال الناس بالطب الجديد.
يعتقدون انه هو الطب المفيد. وقد علقت على هذا المتن
تنكشف به مقاصده. واضفت اليه زيادات تتم شبها
فوائده. وسميته الجر الكريم في اصول الطب القديم. وانا
التمس من ذوي الانصاف ان يتلقوه بالقبول. ولا يحتسبوه
من الفضول. وبناء على ذلك
اقدم فاقول

الطب علم يستردّ الزائلة من صحة الجسم ويبقي الحاصلة
ذكرنا في هذا البيت تعريف الطب بعلته الغائية. وهي استرجاع
الصحة الزائلة وهو الاكثر. وحفظ الصحة الحاصلة وهو الاقل
لان الطبيب يدعى غالباً لازالة المرض عن المريض لا لحفظ
الصحة على الصحيح لما لا يخفى

وهو

رسم الصفحة الاولى من الارجوزة [١ ق] وهي بخط الشيخ المؤلف كما قدمنا

يحلّ في منازلنا هلالك قد انكسفت بطلعته النجوم
فصادق فاكتب تاريخ اراه بشكر الله نعمتنا قدوم

١٨٥٦

مثال من خط الشيخ ناصيف اليازجي وامضائه: تاريخ ولادة شكرالله بن ميخائيل مدور

٦٧٨١

على اننا نشير الآن الى ان الشيخ تلقى، في ما تلقاه عن ابيه ، فنّ الطبّ القديم ، وكان ابوه يطبّب على مذهب ابن سينا ، فحفظ المبادئ ولم يحترف المهنة ، على ما يظهر . حتى اذا شاهد ميل اهل البلاد الى الاخذ بمرافق المدنية العصرية بما فيها من علوم واساليب ، وتحقّق «اشتغال الناس بالطبّ الجديد لانهم يعتقدون انه هو الطبّ المفيد» ، اشفق على الطبّ القديم «الذي خبت في هذا العصر ناره ، ونبت داره . فصار اذلّ من وتد ، بعد ما كان اعزّ من جبهة الاسد» ، فنظم الارجوزة وشرّحها ، وسماها «الحجر الكريم في اصول الطبّ القديم» [1] ، جاعلًا اياها «كالخلاصة من الاصول التي تتشعب منها الفروع» ، سائرًا على «مذهب اطبّاء الغرب الذين نقلوا عن اطباء اليونانيين» [2] . وكان ذلك سنة ١٨٥٦ ، وعمر المؤلف ست وخمسون سنة .

فواضحٌ اذًا ان عمل الشيخ لا يرمي الى تأليف علمي محض ، ولا الى بسط مذهب تعليمي . انما هو من نوع التمرين العقلي شغل فيه قريحته النظمية بالمعروفات الطبية ، كما قد يكون شغلها بالاصول النحوية ، او بالقيناسات المنطقية .

وعلى هذا فاننا نزف الارجوزة الى اطبائنا الكرام ، والى من يهتمّ بتاريخ الطب القديم من ادبائنا الافاضل .

---

١) الطب توطئة الارجوزة في الورقة [١ ن]
٢) الطب خاتمة الارجوزة في الورقة [١٢ ن]

[١ و]

الحجر الكريم
في اصول الطب
القديم

[١ ت] بسم الله الشافي

الحمد لله الذى خلق الداء والدواء . واماتَ واحيى من يشاء . امّا بعدُ فيقول العبد الفقير ناصيف بن عبد الله اليازجى اللبنانىُّ انى قد وضعت هـذه الارجوزة على منهج الطبّ القديم الذى خَبَت فى هـذا العصر نارهُ . ونَبَت دارهُ . فصار اذلَّ من وتد . بعد ما [كان] اعزَّ من جبهة الاسد . وذلك لاشتغال الناس بالطبّ الجديد . [لانهم] يعتقدون انهُ هو الطبُّ المفيد . وقد علّقت على هذا المتن [شرحاً] تنكشف به مقاصدهُ . واضفت اليـه زيادات تتمُّ بها فوائدهُ . وسمّيتهُ الحجر الكريم. فى اصول الطبّ القديم . وانا التمس من ذوى الانصـاف ان يتلقّوهُ بالقبول.ولا يحتسبوهُ من الفضول . وبناء على ذلك اتقدّم فاقول

١ الطبُّ علمٌ يستردُّ الزائـله من صحّة الجسمِ ويُبقى الحاصله

ذكرنا في هذا البيت تعريف الطبّ بغايتهِ الغائيّة . وهى استرجاع الصحّة الزائلة وهو الاكثر . وحفظ الصحّة الحاصلة وهو الاقلُّ . لان الطبيب يُدعَى غالباً لازالة المرض عن المريض . لا لحفظ الصحّة على الصحيح كما لا يخفى

[٢و] ٢ وَهْوَ على العلم انطوى والعملِ فالعلم منه[1] نظرٌ في العِلَلِ

٣ والعمل القـانون فى العلاجِ ليستقيم أَوَدُ المـزاجِ

١) منه : وفي « الطبيب » : فيه

اى ان الطبَّ ينقسم الى العلم والعمل. فالعلم هو النظر في حقيقة الامراض واسبابها وعلاماتها . والعمل هو معرفة قوانين العلاج . إمّا بالـدوآء كالانضاج والاسهال والحبس ونحو ذلك . او باليد كالفصد والحجامة والشرط وما اشبه

٤ وذلـك المزاج بالاخـلاطِ يقومُ بالعـدلِ أوِ الافراطِ

٥ والخلط فى ابدانـنا هو[1] الدمُ والمِرّتانِ[2] وكـذاك[3] البلغمُ

اى ان المزاج يقوم بالاخلاط التى فى ابداننا . وهى الدم وهو حارٌّ رطب. والصفرآء وهى حارّةٌ يابسة . والسودآء وهى باردة يابسة . والبلغم وهو باردٌ رطب . فيعادل كلٌّ نقيض منها نقيضهُ . وبذلك يحصل من مجموعهـا المزاج الذى يقوم به البدن. وباعتبار هذه الكيفيّات المذكورة يعبّرون عن الدم بالهوآء. وعن الصفرآء بالنار . وعن السودآء بالتراب . وعن البلغم بالمآء . فيقولون ان البدن مركّبٌ من هذه الاربعة ويسمّونها الاركان . وباعتبار هـذا التركيب يطلقون عليها العناصر ايضاً لا باعتبار كونها بسيطـةً كما يتوهّم من يعترض عليهم . ويفرضون لهذه الاخلاط مقادير فى البدن بحسب الوضع . فيقولون ان [٢ ق] البلغم سدس الدم . والصفرآء سدس البلغم . والسودآء ثلثة ارباع الصفرآء . وهاتان هما المراد بالمرّتين فى النظم . والمزاج يكون على حسب هذه الاخلاط فان اعتدلت على حسب وضعها الطبيعىّ كان معتدلاً. والّا فلا. واعلم ان من هذه الاخلاط ما هو طبيعىّ . ولهُ من الكيفيّة والمقدار مـا ذكرناهُ . ومنها ما ليس كذلك. اما الصفرآء فمنها حمرآء ناصعة وهى الطبيعيّة. ومنها مِحّيّةٌ[4] اى شبيهةٌ بمحّ البيض اى صفرتهِ . ومنهـا كرّاثيّة اى زرقآء كلون الكرّاث . ومنها زنجاريّةٌ اى خضرآء كلون الزنجار . والحمرآء الناصعة هى رغوة الدم وتتولّد فى الكبد. والمِحّيّة[4] تتولّد من مخالطتها للمآئيّة ولذلك

١) هو : وفي « الطبيب » : وهو

٢) والمرّتان : وفي « الطبيب » : والمِدّتان ، وهو تصحيف ظاهر .

٣) وكذاك : وفي « الطبيب » : وكذلك ، وهو خطأ واضح

٤) مِحّيّة : كذا بخطّ الشيخ ناصيف ، بكسر الميم . وفي كتب اللغة : المُحّ ، بضم الميم : صفرة البيض

هي اقلُّ حرارةً . والكرّاثيّة تتولّد في المعدة وهي اكثر حدّةً . والزنجاريّة تتولد من شدّة الاحتراق وهي اشدُّ الجميع حرارةً واكثر رداءةً . واما السوداء فمنها ما هو طبيعيٌّ وهو دردىُّ الدم وعكرهُ . وهذه خالصة البرودة واليبوسة . ومنها ما هو خارجٌ عن الطبيعة . وهو ما تولّد عن احتراق الاخلاط . وهذه شديدة السخونة والجفاف ردئيّة الكيفيّة . واما البلغم فمنهُ ما هو تَفِهٌ اي لا طعم لهُ وهو الخلط الاصليُّ . ومنه ما تغلب عليه الحرارة فيكون حلوًا . فان اشتدّت كان مالحًا . او يغلب عليهِ البرد فيكون حامضًا . فان اشتدّ كان [٣ و] زجاجيًّا اي كقطع الزجاج . والتَفِه منهُ خالص البرودة والرطوبة . والحلو يميل الى الحرارة والرطوبة . والمالح اشدُّ حرارةً واقلُّ رطوبةً . والحامض يميل الى البرد واليبس . والزجاجيُّ اغلظ قوامًا واشدُّ برودةً . وكل ما سوى الطبيعيّ من هذه الاصناف متفرّعٌ منه لاعراضٍ اخرجتهُ عن وضعه . أمّا الدم فهو صنفٌ واحدٌ غير ان حرارتهُ تزيد او تنقص بحسب غلبة ما سواهُ من الاخلاط . وهو الخلط الاصليُّ والغذاء الحقيقيُّ وبهِ قوام الحيوة . والثلثة الأُخر فضلةٌ وتوابع لهُ . وهو يتولّد ممّا نضج من الكيلوس اي خلاصة الطعام . ومحلُّهُ العروق والشرايين . والبلغم يتولّد من الكيلوس القاصر النضج . ومحلُّهُ فم المعدة . والصفراء تتولّد من الكيلوس المتجاوز النضج . ومحلّها المرارة . والسوداء تتولّد من الكيلوس المترمّد . ومحلّها الطحال . ولذلك يقولون ان الدم كنضيج . والبلغم كنيّ . والصفراء كمحترق . والسوداء كمتجاوز الاحتراق . ولا يخلو الدم من ممازجة شيء له من بقيّة الاخلاط لتلطيفهِ بالصفراء . وتسليسهِ بالبلغم . وتماسكهِ بالسوداء . ولذلك ترى الدم المُستفرَغ في الاناء يطفو على وجههِ رغوةٌ وهي الصفراء . ويرسب في اسفلهِ عكرٌ اسود وهو السوداء . ويتعلّق بينهما خطوطٌ بيض مشتبكة وهي البلغم

٦ يعتدل الجسمُ لدى اعتدالها فيهِ ويختلُّ لدي اختلالها

٧ والكلُّ باستفراغهِ يُداوَى ان زاد او اصلاحهِ ان ساوى

[٣ق] ٨ فان لَقِي الزيادةَ التعفُّنُ فيهما علاجهُ يُعيَّنُ

اى ان الجسم يعتدل فى صحّتهِ عند اعتدال هذه الاخلاط جاريةً على حسب وضعها . وينحرف عن الصحّة عند انحرافها عن المجرى الطبيعىّ . وكلُّ واحدٍ منها اذا زاد عن مقدارهِ يُداوَى بالاستفراغ حتى يرجع الى القدر الموضوع لهُ . واذا فسد بدون زيادةٍ يُداوى باصلاحهِ حتى يرجع الى الصلاح الذى كان عليهِ . فان اجتمع مع الزيادة التعفُّن كما يكون فى الحُمَّيات عُولج بالاستفراغ لتنقيص الزائد . والاصلاح لتعديل المتعفّن بانتزاع الفساد منهُ

٩ واكثر الامراض عنها يصدر[1] وما اتى عمّا سواها يندرُ

اى ان اكثر الامراض يحدث عن الاخلاط المتولّدة عن الطعام والشراب اذا خرجت عن مجراها الطبيعىّ . وعلى ذلك قول الشاعر

عدوُّك من صديقك مستفادٌ فلا تستكثرنَّ من الصحابِ
فان السقم اكثر ما تراهُ يكونُ من الطعامِ أو الشرابِ

وقد بنى ابن فائدٍ كتاباً فى الطبّ على آيةٍ من القرآن يقول فيها كلوا واشربوا ولا تسرفوا[2] . ومنه الحديث فى كتاب الطبّ النبوىّ ان المعدة بيت الدآء والحمية راس كل دوآء . وما حدث من الامراض عن غير ذلك فهو نادرٌ او راجعٌ اليهِ

١٠ واكثر الصادر عنها الحُمَّى عند اشتعالٍ[3] بعد عفنٍ يحمَى

[٤ و] اى ان اكثر الامراض التى تحدث عن الاخلاط هو الحُمّى . وذلك يكون عند اشتعال الاخلاط التى قد تعفّنت فعملت فيها الحرارة كما يكون فى السرقين الرطب المجتمع ونحوهِ . ومن ذلك تحدث الحُمّى . فان كان الاشتعال شديدًا تقدّمها البرد النافض كما يحدث لمن صُبَّ عليه الماء الشديد السخونة . وان

١) يصدرُ : وفي « الطبيب » : تصدرُ

٢) « يا بني آدمَ خُذوا زينتَكُم عند كلِّ مسجدٍ وكُلُوا واشرَبوا ولا تُسرِفوا إنّه لا يُحبُّ المُسرِفين . » (القرآن ٧ [الاعراف] ٢٩)

٣) اشتعال : وفي « الطبيب » : اشتغال ، وهو تصحيف ظاهر .

كان خفيفاً تقدّمتهُ قشعريرةٌ او بردٌ في الاطراف . واعلم انهم عرّفوا الحُمّى بانها حرارةٌ غريبة تشتعل في القلب وتنبثُّ منهُ بتوسُّط الروح والدم في العروق والشرايين في جميع البدن . وقسموها الى حُمّى مرض وحُمّى عرض . وقسموا حمّى المرض الى حُمّى العفونة وهي تتعلّق بالاخلاط . وحُمّى الدقّ وهي تتعلّق بالاعضاء . وقسموا حُمّى العَرَض الى خارجيّةٍ وهي ما كانت عن سببٍ خارجٍ كالغضب . وهي تتعلّق بالارواح . ويُقال لها حُمّى يوم لان نوبتها تكون في الغالب يوماً واحدًا ولا تعود . وبدنيّة وهي الحادثة عن الاورام ونحوها . ويُقال لها الحُمّى التابعة

١١ وذاك يجري غالباً في المِعْده تنوب معهُ مُدّةً فمُدّه

اي ان الاشتعال الصادر عن تعفُّن الاخلاط يكون غالباً في المعدة . وحينئذٍ يُقال لها المُتوقّد بصيغة اسم المكان . والحُمّى الحادثة عنه تاخذ مدّةً وتترك مدّةً . وذلك انها تاخذ عند اشتعال الاخلاط . وتنقضي عند فناء ما اشتعل منها [؟ ق] الى ان تجتمع طايفةٌ اخرى فيتجدّد ذلك الاشتعال وتاخذ في نوبةٍ اخرى . كما تتوقّد النار عند اشتعال الحطب وتخمد عند ترمُّدهِ الى ان يُطرح لها حطبٌ آخر فتعود الى الاشتعال . والخلط الفاعل لهذه الحُمّى هو ما سوى الدم من الاخلاط لان مُتوقّدهُ لا يكون في المعدة كما ستعلم

١٢ وما عن البلغم يومياً يَرِد وما عن الصفراء غبّاً يفتقد

١٣ وتترك السوداء يومين سِدَى[1] والكلّ بالاسهال عالج ابدا

اي ان الحُمّى الحادثة عن البلغم تنوب كلّ يوم . وذلك لكثرة البلغم ورطوبتهِ الداعية الى التعفُّن . والحادثة عن الصفراء تنوب يوماً بعد يوم لانها اقلُّ منهُ وابعد عن التعفّن ليبوستها . ويُقال لها حُمّى الغِبّ . والحادثة عن السوداء تنوب يوماً وتترك يومين لانها اقلُّ الاخلاط وابعدها عن الاشتعال . ويُقال لها حُمّى الربع لانها تاخذ في الثلثة الايام ثماني عشرة ساعةً وهي ربع

(١) سِدَى: كذا بخطّ الشيخ ناصيف ، بكسر السين . وفي كتب اللغة : سُدى ، بالضمّ .

الاثنتين والسبعين ساعةً التي تشتمل عليها الايام المذكورة . وكلُّ هذه الحُمَيات الثلاث تُعالَج باستفراغ الخلط الفاعل وهو العمدة في علاجها

١٤ وفي العروق ذاك طورًا يجثمُ وهو يكون عن دمٍ فيلزمُ
١٥ وعن سواهُ في القليل يحصلُ والفصد في الكلِّ علاجٌ يُشملُ

[٥ و] اي ان مُستوقَد الحُمَّى يكون احيانًا في العروق . وذلك يكون غالبًا من تعفُّن الدم وغليانهِ . فتكون الحُمَّى الحادثة عنهُ لازمةً لا تفتر . ويُقال لها المُطبِقة . وقد يكون عن تعفُّن احد الاخلاط المصاحبة للدم في العروق فتكون الحُمَّى الحادثة عنه لازمةً ايضًا . ويُقال للصفراويَّة منها المُحرِقة . وللبلغميَّة اللَّثِقة . وللسوداويَّة الربع اللازمة . وكلُّ ذلك يُعالَج بالفصد لان المهل لا سبيل لهُ الى استفراغ ذلك الخلط

١٦ وربَّما نائبةٌ تُركَّبُ مع مثلها او ضدَّها تستصحبُ
١٧ فركِّبِ العلاج مع كلٍّ بما عُولج في الإفراد[1] كلٌّ منهما

اي ان الحُمَّى النائبة قد تتركَّب مع نائبة اخرى . وذلك عند تعفُّن خلطين معًا . فتاخذ كلُّ واحدةٍ في طريق نوبتها كما تتركَّب الحُمَّى الصفراويَّة مع البلغميَّة. فتنوب الحُمَّى كلَّ يومٍ بحسب نوبة البلغميَّة . وتشتدُّ يومًا بعد يومٍ بحسب نوبة الصفراويَّة . وعلى ذلك تكون النوبة يوم انفراد البلغميَّة خفيفةً بالنسبة الى يوم اجتماع الصفراويَّة معها فانها تكون اثقل . وهذه الحُمَّى هي التي يُقال لها شطر النبّ وقد تتركَّب الحُمَّى النائبة مع اللازمة . وذلك عندما يكون التعفُّن في العمدة والعروق جميعًا . فتكون الحمّى دائمةً غير انها تشتدُّ في يوم نوبة الخلط المتعفِّن [٥ ق] في المعدة بحسب نوبتهِ . وعلى ذلك يجب ان يُركَّب العلاج مما تعالَج به كلُّ واحدةٍ منها لو كانت مفردةً

١٨ برِّد ورطِّب أنضجِ أفصُدْ[2] أسهلِ عرِّق وقطعُ الدور ان دام يَلي

١) في الإفراد : وفي « الطيب » : بالافراد
٢) افصُدْ : كذا بخطّ الشيخ ، بضمّ الصاد . وفي كتب اللغة : فصد يفصد ، بالكسر .

١٩ وهوَ علاجُ الحُمّياتِ مطلقاً كلٌّ بما اقتضاهُ مما سَبَقا

اى ان علاج الحُمّيات مطلقاً يكون بالتبريد والترطيب والانضاج والفصد والاسهال والتعريق كلّ واحدةٍ بحسب ما تقتضيهِ من هذه المذكورات. فان لم تنقطع النوبة بعد ذلك يُعطَى ما يقطعها من الادوية . ولا يجوز اعطاؤهُ قبل استيفاء ما ينبغى من هذه المعالجات الا اذا سقطت قوّة المريض فلم يحتمل التمادى فى العلاج . ويدخل تحت هذا الاطلاق حُمّى الدقّ وحُمّى اليوم فان علاجها يكون من هذا القبيل على حسب مقتضى الحال. واعلم ان من الاطبّاء من يختار اعطاء المسهل فى يوم نوبة الحُمّى لان الاخلاط حينئذٍ تكون ثائرةً فيستفرغ منها ما لا يستفرغهُ فى وقت الفترة . ومنهم من يختار اعطاءه فى يوم الفترة لئلا تنضغط الطبيعة باجتماع الحُمّى والاسهال عليها فتضعف بازاء المرض . فان كانت الحُمّى تنوب كلَّ يومٍ اجتهد ان يسبق مجيء النوبة ما امكن . وعلى هذا شاع الاستعمال عند الاطبّاء حرصاً على القوة

[٦و]٢٠ ولا تبالغ حينما تُبرِّدُ فتمنعَ النضجَ بما تُبلِّدُ

٢١ كذاك فى التعريق حرصاً واجملِ لكلِّ خلطٍ ما لهُ من مسهلِ

اى اذا اقتضى الحال التبريد لا يجوز الافراط فيهِ لانه يبلّد المادّة فيمنع النضج . لان الانضاج كالطبخ الذى يتمّ بحرارة النار ورطوبة الماء . وكذلك لا يجوز الافراط فى التعريق لان كثرة العرق تنهك قوّة المريض فيستظهر المرض عليها . وذلك يشمل تدبير الحُمّيات وغيرها من الامراض

٢٢ ودور حُمّى العفن ان تعدّى يوماً وليلاً فعليك الفصدا

٢٣ وحيثما تفصدُ[1] فلا تستكثرِ نزفاً وان بعدُ اقتضى فكرّرِ

اى اذا تجاوز دور الحُمّى الثالثة اربعاً وعشرين ساعةً وجب الفصد لان ذلك لا يخلو من مشاركة العروق . اذ ليس من ادوار هذه الحُمّى ما ينتهى

١) راجع الحاشية ٢ في الصفحة السابقة

الى هذا المقدار . وحينئذ فصدت اى فى جميع الحُمّيات لا تستكثر من اخراج الدم حرصاً على حفظ القوّة وحذرًا من تغلُّب بقيّة الاخلاط . فان اقتضى الحال بعد ذلك تكرار الفصد لقصوره اولًا عن قضآء الحاجة كُرِّر ثانياً . فيكون ذلك اروح للطبيعة واخفّ عليها

٢٤ وما يخصُّ احد الاعضآء فى بدنٍ من سائر الادوآء
٢٥ فقد يكونُ من مزاجٍ سادجٍ او غيرهِ من داخلٍ او خارجٍ
٢٦ فاستعرف الاسباب بالدلائلِ واستفرغ امتلآءها وقابلِ

[٦ ق] اى ان ما يختصُّ باحد الاعضآء من الامراض قد يكون من مزاجٍ سادجٍ كضعف الكبد الذى يكون عن سوء مزاجٍ بسيطٍ لا مادّة معهُ . وقد يكون من مادّةٍ كوجع المعدة الحادث من انصباب اخلاطٍ مراريّة اليها . وكلاهما قد يكون عن سببٍ داخلىّ كالصداع التابع للحُمّيات . او خارجىّ كالتشنُّج الحادث من ملاقاة الرياح الشديدة البرد . فيجب ان تُتعرَّف الاسباب المجهولة بالعلامات التى تدلُّ عليها . وحينئذٍ يُستفرَغ الامتلآء . ويُقابَل المزاج الحارّ [بالبارد] والبارد بالحارّ . واعلم ان الاسباب تنقسم عند الاطبّآء الى السابقة وهى المتقدّمة التى يحدث عنها المرض بعد انقضآئها كالامتلآء الذى تحدث عنه الهيضة . والواصلة وهى الحاضرة التى يُوجَد المرض بوجودها ولا يزول الا بزوالها كالمقرونة التى تحدث عنها الحُمّى . والبادية وهى الخارجيّة كالحرّ الشديد الذى يحدث عنه الصداع ونحو ذلك

٢٧ فما[1] يكُنْ محتبساً فى الراسِ فذاك يُستفرَغُ بالعُطاسِ
٢٨ واستعملوا غرغرةً للحلقِ وهكذا الفصدُ لما فى العرقِ
٢٩ ونفثُ ما فى الصدر والقىُّ لما فى معدةٍ مستوطنًا منها الفما
٣٠ وما انطوى فى جوفها بالمسهلِ يُلقى وبالحقنة ما فى الاسفلِ

١) فما : وفى « الطبيب » : فمن

٣١ وما استقرّ تحت جلدٍ بالعَلَق وما تخلّل الخبايا بالعَرَق[1]

[٧ و] اى ان ما كان من الفضول محتبساً فى الراس يُستفرَغ بالعطاس. وما فى الحلق بالغرغرة . وما فى العروق بالفصد . وما فى الصدر بالنفث . وما فى المعدة بالقىء . وما فى فضائها بالاسهال . وما فى الامعاء السُفلى بالحُقَن . وما استقرّ تحت الجلد بالعَلَق . وما تخلّل مكامن الاعضاء بالعرق . وذلك يكون بان يُستعمل لكل استفراغ ما يستدعيه كشمّ الكُندُس للعطاس وغير ذلك من الوسائط فتدبّر

٣٢ وقابِلِ البارِدَ بالحارِ كما في رطبٍ ويابسٍ واعكسهما

٣٣ والحارُ غيرُ تَفِهٍ وحامضٍ وغير ذى عفوصةٍ وقابضِ

٣٤ واليبس دون تَفِهٍ حلوٍ[2] دسِم وذاك فى الاصل وبعضٌ يتخرم

اى ان البارد يُقابَل بالحار . والرطب يُقابَل باليابس . وكذلك يُدبَّر بالعكس فيُقابَل الحار بالبارد . واليابس بالرطب . والحار من ذوات الطعوم التى يُتداوَى بها هو ما سوى التفه والحامض والعفص والقابض فان هذه الاربعة كلّها باردة فيندرج فى الحار الحلو والمرّ والمالح والحريف والدسم . واليابس ما سوى التفه والحلو والدسم فان هذه الثلثة رطبة والباقى كلّها يابسة . وذلك بحسب الاصل الذى يجرى عليه القياس فلا عبرة بما خرج عنهُ كالهندبآء فانها مع مرارتها باردة رطبة . [٧ ت] والبابونج فانه مع تفاهته حارٌّ يابس . واعلم ان كلّ واحدٍ من المرّ والمالح والحريف والحامض والعفص والقابض لا يكون الا يابساً . وكل واحد من التفه والحار والدسم يكون فى الغالب رطباً . وما ليس كذلك فقد جرى على خلاف القياس

١) ورد هذا البيت في « الطبيب » قبل البيت السابق

٢) حلوٍ : وفي « الطبيب » : حلوٌ

لها صلة

من مظاهر الادب المصري

القصص والحكايات المصرية

عن المستشرق جيب[1]

عثمان جلال ، احمد شوقي ، محمد ابراهيم المويلحي ، محمد حافظ ابراهيم ، محمد لطفي جمعة ، حسين هيكل ، عبد الله عنان ، محمد تيمور ، نازلا جداد ، محمد فريد ابو حديد ، المازني .

هؤلاء هم الكتبة القصصيون الذين نالهم المستشرق الانكليزي جيب بدرس خاص نشره في مجلة معهد لندن الشرقي في المجلد السابع في قسمه الاول من هذا العام . وقد وددنا لو يتاح لنا رواية درس الاستاذ بكماله لما فيه من تحليل قيّم ، ونظرات ثاقبة ، وعبر يفيدنا الاطلاع عليها مع اخلاص في الروايات ، وصدق في الشهادات . لكننا اقتصرنا على عرض اهم الافكار التي بين فيها المؤلف تنقلاً من الآداب العربية وتاريخها يعده عليه اختصاصيونا . ولا بد من ان يطالع قرائنا عليها ، وقد اوردناها مع معرفة قصر الباع في تأديه الكثير مما يروق مطالعته والاضطرار الى الاختصار ، عسى ان يستميض القراء بمطالعة المتن الاصلي عما انقصناه . وهذا المقال يكون صلة لما سبق المشرق ونشره في هذا الباب (٢٧[١٩٢٩] ٦٨٤:٣٨ [١٩٣٠] ٢٣ و٨٦٢) .

ف . ت .

ما هي العلاقة بين نشأة الفنّ القصصي الحديث ونشأة الاداب العربية العصرية ؟

قد يكون ذلك الفن بدأ في مصر حرًّا ليس فقط من تأثير السوريين ، ولكن من تأثير الفن الاوروبي ايضاً . لان الكتبة المصريين عولوا في البدء خاصةً على القصص القديمة فاتخذوها مثالاً لهم ولم تظهر فيهم مظاهر التقليد الاوروبي الا في مؤلفاتهم الاخيرة . نشأ الفن القصصي عندهم وتطور لا بقوة حركة اجمالية متواصلة ولكن بقوة عمل الاشخاص والافراد .

عديدة هي العلل التي سببت تأخر هذا الفن في مصر ، فمنها الميل للمؤلفات

(1) H. A. R. Gibb, *Studies in Contemporary Arabic Literature* [Bulletin of The Oriental Studies, London Institution, Vol. VII, Part I.]

القديمة ، وقلة عدد القراء مريدي القصص العصرية ، وهم يقرأونها في اللغتين الانكليزية والافرنسية . على ان ذلك العدد صار يزيد مع الزمان ويزيد طلبه للقراءة العربية فصاروا يعربون له الروايات الانكليزية او الافرنسية ولم يهتموا بالابتكار . بيد ان اقبال القراء على معرّب الروايات مع ما فيها من جفاف ، ومع ابتعاد مواضيعها عن العوائد المصرية ، شجع الكتاب على الكتابة .

***

عرّب عثمان جلال رواية بولس وفرجيني تعريباً حافظ فيه على روح الرواية واساليبها . لكنه تصرّف فيها فعوّض عن الحكم الفلسفية ببعض الاشعار العربية ووافق في ذلك الذوق العربي ففاق نجاحاً المئات من الروايات المعرّبة . ورواية عثمان جلال مسجعة ، وفيها محاسن لم يحصل عليها المنفلوطي في تعريبه للرواية ذاتها . وان درس تلك الروايات المعربة لا يؤدي تعليمات مهمة على الحياة المصرية الاجتماعية . ولكن لا اقل من الاشارة اليها عند التفتيش عن نشأة الفن القصصي العصري في مصر .

من مزايا الكتبة المصريين العصريين القصصيين ان يطعموا الاسلوب القصصي القديم بمثل موضوع حديث ، مع العناية بالانشاء والتصنع به ، والمثال في ذلك رواية « عذراء الهند » لاحمد شوقي . اخبارها خيالية غير معقولة ، لا في الحوادث ، ولكن في تسليط السحر والشعوذات عليها في كل صحيفة من صحائفها . ولكنها ورثت عن الفن القديم رشاقة الحركة واللطف ، وحيث لم يغال المؤلف في استعمال الخوارق والسحريات الجنية قراءة الرواية لذيذة لما فيها من حركة وحياة . على ان قيمة القصة القيمة انما هي في الاسلوب الانشائي الخاص بشوقي وانتخابه الالفاظ الطيبة التي جعلت له مكانته في الادب العصري . وهناك السجع والقوافي في الكتابة يتخللها الشعر . ويا ليت تلك الجهود بذلت على مادة تساويها قيمة ! . . .

ان المقامات لاقرب من غيرها من الاصناف الادبية شبهاً بالفن القصصي وقد صاروا يعالجونها بطريقة عصرية جددت شبابها . كان ناصيف اليازجي وعبد الله باشا فكري حتى اواخر القرن التاسع عشر قد حافظا فيها على الاسلوب

القديم . ولكن في العشر السنين التي سبقت سنة ١٩١٤ اخذ صنف المقامات يتطور ويظهر باسلوب عصري فاصطبغ بصبغة الادب الحديث ولفت انظارنا . اما المثال فيه فكتاب « حديث عيسى بن هشام » لمحمد ابراهيم المويلحي . واساس القصة : ان احد الباشاوات الذي عاش في عهد محمد علي بُعث الى الحياة في القاهرة زمان المؤلف . فاذا هو في محيط اوربي ! فاخذ يقابل بين احوال واحوال ويتقد تقليد الاوروبيين الاعمى . نجح المويلحي لا بسرد القصة ولكن بالاسلوب النقدي . واعيدت طبعة الكتاب وزيد عليها الرحلة الثانية . وهذه تجري حوادثها في باريس ، على ايام معرض ١٩٠٠ . ولعل المؤلف اتى فيها ببعض ما كان كتبه في القسم الاول . ان الكتاب نال شهرته خاصةً من انشائه اللذاع ومن قوة وصفه . فانه سبق المقامة بمذاقه العصري وملاحة ذوقه ومزج بين السجع الفصيح وبين اللغة العامية في التخاطب . واسدل على السجع حلةً عصرية ، فانستنا الصبغة القديمة . وقد يضاهي المويلحي المنفلوطي رونق انشاء ويفوقه احياناً .

محمد حافظ ابراهيم (١٨٧١–١٩٣٢) زميل شوقي في عالم الشعر . الف « ليالي سطيح » . وهذه تمتّ الى صنف المقامات . تجري حوادثها بين جماعة يتجاذبون اطراف الحديث على الاحوال العصرية . وما بينهم يسمع صوت يتصدى الى اقوال العقل ، وهو لسان حال الناقد . ولم يواصل المؤلف عنايته حتى نهاية الكتاب انشاء فترك السجع الذي كان في اوائله . وكأن القراء استحبوا سذاجة الحديث فاستقبلوا الكتاب بالترحاب .

محمد المخلصي جمعه كتب « ليالي روح الخاتر » وقد تاه نفوذ المدرسة الاميركية السورية ، فاستعمل الشعر المنثور . وجعل الكلام في كتابه على لسان روح لا جسم له ، ونقد الحياة المصرية الاجتماعية . وهو ايضاً على رونق انشائه لم يعطِ المادةَ قيمةَ الصورة .

في هذه المؤلفات مجهودات توافرت ، فتطوّر بها صنف جديد في الادب لبى طلب الجمهور وسدّ احتياجاته ، لما فيه من اتصال بمشاكل الساعة والغد ، وقد يستمدّ رونقه من مخيلة الكتاب . على انهم لم يعالجوا المشكل بالنجاح ،

وكانت لهجتهم بلغة فصحى ابعد من ان ينالها فهم العامة،وعوض ان يكشفوا على آفاق جديدة ويداووا اسقام الحياة ويسدّوا احتياجاتها اكتفوا بان نبهوا الافكار الى تلك الاحتياجات واتبعوا نسق التعليم والارشاد فنظروا الى الادب نظرات القرون الوسطى فاكتفوه بالوعظ والارشاد ، وسواء اتبعوا الاسلوب القصصي القديم او ترجموا كعثمان جلال او المنفلوطي . والكتبة القصاص السوريون ذواتهم لم يتنبهوا دون ذلك النقص ، وقد تظهر تلك المهمة حتى في القصص الغرامية التي دخلت في عالم النسيان منذ عهد بعيد . ومما اثر في تباطؤ نمو هذا الصنف احتقار المتمسكين بالادب القديم له . . . ٥

***

وفي غضونها دخلت اول قصة ، او رواية مصرية حقيقية في العالم الادبي غفلةً . ولم تلفت نظر العلماء المشتغلين بالقدم . وهي قصة زينب . الفها حسين هيكل وهو شابٌ طموح الى النجاح . ولم يرد ان يستعرفها من قلمه فلم يوقع اسمه عليها لئلا تحول دون نجاحه في المحاماة . رواية زينب ظهرت فقطعت الصلة لغةً وانشاء وموضوعاً ونسقاً مع كل ما كان قد سبق من امثال ذلك في اللغة العربية . ليس بين هيكل وزيدان لو فرح انطون من صلة . وما كتابه الا قصة ابنة مصرية ، وفي تفاصيل حياتها عدة حوادث مأخوذة من الحياة الاهلية في الدلتا : زينب زوّجها اهلها بالرغم منها الى حسن . فاطاعت وظلّت امينة نحو زوجها . لكنها كانت قد مالت الى شاب قبل زواجها فحفظت لذلك الشاب ودادها وماتت كمداً لما حشد في الجيش . في هذه الرواية نقائص شتى لكنها انموذج لادب جديد وحقيقة بنقد خصيص .

ان بناية هذه الرواية شائقة من واجهتين : الواجهة النفسية والواجهة الوصفية . اما الواجهة النفسية فالغاية منها البحث على رد فعل النفس المصرية تجاه الظروف المعاكسة .

لم ينجح المؤلف نجاحاً باهراً في درسه ، والشخصيات التي ادخلها على مسرح الرواية لا تبرز في اطوار مشتبكة تؤدي مادةً للبحث والتقليب ، الا شخصية حامد وهو ممثل على ما يظهر المؤلف نفسه . وضعيف ايضاً عمل تحريك الادوار

في مختلف المشاهد ومن ثم لم يتمكن المؤلف من التبسط في تحليل الاحوال النفسية فاشار اليها عرضاً وتعليقاً ، وبضمير الجمع المتكلم فتمّ عن افكاره الشخصية ليس الا ، وكذلك في الوصف . كتب كتابه وهو حبيس غرفته ، مريض في باريس ، فترك العنان الى مخيلته وذهب يصف مطولاً مصر ومشاهدها وطبيعتها واسهب حتى امل القارئ . على ان المصريين احبوا ذلك الوصف على طوله ، وذوقهم في تقدير اوصاف بلادهم واخلاقها غير ذوقنا . وللمؤلف نظرات اجتماعية تزيد في كمال الرواية ، وعليها يلوح شبح هذه الفكرة : ان الشرور علتها كلها في بعض العوائد القديمة التي لم يريدوا ان يغيروها مع ان الدهر اكل عليها وشرب . وهذا التحليل لا يتعب القارئ كالوصف السابق ذكره ، وقد يأتي الكلام عفواً ويحمله على تحليل الاخلاق الاجتماعية والتربية النسائية وعلى اضرار النساء في الانعزال عن الحياة الاجتماعية . . وهناك ذم التربية التي تصير بمعزل عن احتياجات الحياة وهجو الاطباء وشيوخ الطرق الخ . . .

ويمتاز الانشاء بانتخاب الالفاظ والتراكيب النحوية . ويتأثره بالانشاء الافرنسي ، وقد اثر هيكل المتخرج من باريس بالصعوبة في كتابته بالعربية وتلك الصعوبة بينة . وقد يستعمل اللغة الدارجة اذا ما ادخل يشخصين من اهل العامة ويترك لذوي الخاصة من الذين تعلموا لهجتهم المعروفة .

اما مسرح المخيلة في هذه الرواية فاضيق مما هو معهود في امثالها في اللغات الاوروبية . وقد يطغي على ذلك المسرح تيار عواطف المؤلف المتقفي آثار الافرنسيين فكانه يعرب او يتصرف باصل افرنسي . ومع ذلك فالكتاب مصري حقاً ، فهو من مؤلف مصري ولقراء مصريين وعقدته الوسطى مأخوذة من موضوع مصري .

لما ظهر الكتاب سنة ١٩٠٠ لم يلتفت اليه الا قراء الخاصة . ولكنهم اعادوا طبعه سنة ١٩٢٩ عند طلب الجمهور ، فازدادت قيمته بتوقيع اسم المؤلف عليه زيادة العاطفة الوطنية ، وظهوره موضوعاً لرواية سينمائية .

وصار الكتاب في غضونها هدفاً للتقريظ والنقد . على ان مقالات هيكل وعبد الله عنان في السياسة الاسبوعية في اوائل السنة ١٩٣٠ كانت اهم من

رواية زينب فيما يخص مشكل نمو الرواية في مصر الذي عنينا بمعالجته .

ـ ان للمصريين غريزة فطرية للحكايات والقصص ، فلماذا نصيب القصص قليل من الحياة الادبية المصرية . هناك عدة اسباب : منها قلة مقدرة المخيلة البناءة ، والفرق بين لغة التخاطب ولغة الرواية او الادب ، وقلة عدد الكتبة المصريين . ولكن في الحقيقة ليست تلك هي الاسباب المفسرة عدم نجاح الفن القصصي في مصر .

بل هي في نظر هيكل بك كثرة عدد الاميين،وقلة ما يشجعون الكاتب الروائي مادياً وادبياً ، وقلة ما تؤديه له الطبقة النافذة الكلمة والغنية من المساعدة ؛ ولعل ذلك الفتور متأتٍ من النساء لانهن لم يساعدن على الادب القصصي مساعدة النساء الافرنجيات في القرنين السابع عشر والثامن عشر في فرنسة . اضف الى تلك العلل علة مزاحمة قادة الفكر ومنافرتهم المتواصلة في مصر . واهتمام الناس بالامور الاقتصادية والسياسية فحسب ، واهتمام الكتبة بمؤلفاتهم بالاخبار السياسية اولاً ! كل ذلك يحول دون مساعدة الكتبة على التأليف والاختصاص ومن ثم لا صنف حقيقي للادب الروائي المصري في مصر .

اما عنان فلم يشاطر هيكل افكاره كلها بل وضع سبب تأخر الصنف الروائي في حالة المرأة المصرية وقال: سوف تبقى الحالة الى ان تتغير حالة المرأة :

استطعنا ان نقطع بان المجتمع الاخلاقي لا يمكن ، متى بقي تطوره وتقدمه محصوراً في المبادئ الاسلامية الخالدة او في التقاليد التي كانت اثراً لهذه المبادئ ، ان يمد كتاب القصص العربي يوماً بمادة واسعة او غزيرة كالتي يقدمها المجتمع الغربي الى كتاب الغرب او ان يغدو الاثر الذي يفسحه للمرأة ذات يوم وحياً للفن او للخيال .

فنال هذا المقال جواب هيكل . ترك الاسباب الخارجية التي ذكرناها وذهب متعمقاً في البحث على الاسباب التي تجعل القصص والحكايات في مصر دون ما هي في العالم الغربي . قال ان عاطفة الحب التي تنمو وتنشأ في محيط عائلي دافئ لطيف يساعد على ازدهارها فيفوح منها عطر المحبة الطبيعية بما فيها من الفضائل انما هي مشهد من مشاهد الجمال الادبي ! واجمل ما تكون انما

في ربيعها ومن غير ان تبلغ بتطورها الى غايتها المادية ، وان التربية في مصر لا تؤهب لتلك العواطف اللطيفة وذلك لان الحب المادي [او الحيواني] انما هو الذي يبلغ اليه الكاتب حالًا في وصفه . وقبل ان تتعاقب اجيال من الناس سوف لا تتربى تلك العواطف في النفس المصرية .

ومن جملة من تناولوا الكلام رداً على هيكل زكي مبارك في مقال على « حياتنا الادبية » قال : ان الصنف القصصي او الروائي انما هو دون سائر الاصناف الادبية منزلةً . وما هي يا ترى اهمية تلك القصص الغرامية ؟ فهي التي تفسد المصريين وقد يُستغنى عنها بالقصيدة او الرسالة . وعلى الادب الحديث ان ينظر الى الماضي ويقتبس منه روحه لا ان يغترّ بظاهر القصص المصرية الفاجرة الخاوية .

ومهما يكن من امر المناقشة فالواقع هو ان هناك بين متوسط الناس من يلتذون بقراءة الروايات ، وهم الذين شجعوا الكتبة على الخوض في ميدان الكتابة القصصية الروائية المصرية في مصر .

ولا حقيقة للقول ان الادب المصري اذا ما عوّل على التعريب افتقر وخسر من مزاياه . وهناك الادب التركي والهندي وما فيها من اقتباسات عن الاداب الاجنبية ، ومع ذلك لم يفقدا من مزاياهما شيئاً بل استفادا واغتنيا . . .

وهناك عقبة كؤود لا بد من تذليلها اعني بها امر اللغة التي يستعملونها في القصص وقد عالجها محمد تيمور (١٨٩٢–١٩٢١) . وان المشكل ليس خاصاً باللغة العربية . ولكنه مشترك بين اللغات التي لم تنل من تدوينها بالكتابة القواعد المثبتة اوضاعها في الاستعمال ، ومنها كثير في البلاد الاوربية . استعمل تيمور في التخاطب اللغة العامية في كتابه « الشيخ جمعه » ثم في طبعة الكتاب الثانية غير اسلوب الكلام فجعله متوسطاً بين الدارج والفصيح ، ويسهل فيه على القارئ ان يستنطق كل شخص من اشخاص الرواية بلهجته لما في الانشاء من بساطة . ولكن مشكل اللغة العامية واستعمالها في التخاطب غير مشوهة باللحن سوف ينحل من ذاته مع نمو التعليم الابتدائي بين العامة واستعمال الكلام مضبوطاً بضوابطه المهمة .

وخلاصة ما سبق ظاهرة في درس روايات نقولا الحداد صاحب مجلة السيدات والرجال . نجح في كتابه القصصي الشائقة في اجزائها التي تصلح للصحف

اليومية اذ يختم كل عدد بما يشوق الى غيره او الى كماله. لكنه رخو في عقد العقد القصصي المصري. وليس فيه ما يبشر اكيداً بتأثير على مصير الفن. واسوغ منه محمد فريد ابو حديد . الف ابنة المملوك ، وهي رواية تاريخية افاق فيها اسلوب زيدان فلم يعلق القصة على الاخبار التاريخية ولكن وضعها في مسرح تاريخي. ولم يتغنَّ وينفخ ببوق البطولة بل اقتصر على ابراز الحوادث في جو الحياة الواقعية . لم يتجنب جفاف الاسلوب الروائي القديم . ومع ذلك فهو شائق بتصويره الشخصيات.

اما احدث الروايات واهمها منذ ظهور زينب فهو كتاب المازني المعنون « ابراهيم الكاتب ». ترك المؤلف لغة التخاطب واستعمل الفصحى لانها بنظره امرن من العامية او البسيطة واخذ من حياة مصر الاجتماعية مادة لكتابته يعتبرها كافية، على ان تكون للكاتب المخيلة ! وفي كتابه من العقد والطريق الى حلها ما يُعدّ خير ما ظهر من ذلك في اللغة العربية ؛ هناك الحس الدقيق واللطف والقصص الحي. ولكن في الحقيقة ليست الرواية مصرية بالمعنى الذي ادعاه المازني . فان بطل الرواية انما هو غربي باخلاقه ، وقليلون المصريون الذين يستعرفون انفسهم في شخصيته. ودرس الحب ، وتحليله ، والبيئة التي يظهر فيها كل ذلك لغربي هو . واللغة ذاتها وبعض التعابير يستشمّ منها رائحة الغرب. وفي الكتاب جزءان فالاول تبرز فيه المظاهر المصرية خاصةً . اما الثاني فكانه يصف عالماً غير العالم الاول. وفيه الوان قاتمة لا تلبث ان تتضاءل وتتلاشى مع تلاشي شخصية البطل. وكتاب المازني يمتّ الى الغرب ايضاً بكونه مقتبساً عن رواية روسية.

***

ومن ثم فالرواية المصرية ، فيما تظهر عليه في تأليف افضل ممثليها ، لا تزال بعيدة عن تحقيق المثال الاعلى المطلوب منها ، وهمزة الوصل بين المقدرة الصناعية والوحي المصري لم تدخل بعد في الوجود . وما دامت هذه الهمزة مفقودة فسوف يقتات عامة القراء في مصر من الفتات التي تسقط من سفرة غيرهم، الى ان يوفق الكتبة المصريون الى الابتكار في خلق صنف جديد. اما هذا الجديد فلم تظهر طلائعه بعد .

شاعرية كعب بن زُهَير

بقلم فؤاد افرام البستاني ، استاذ الآداب العربية في كلية القديس يوسف

الديوان

ليس من شعر كعب ، في كتب الادب المتداولة ، ما يتناسب وشهرته الواسعة . فاذا استثنينا « بانت سعاد » لم نجد له الا المقطعات القصيرة او الابيات المفردة . ولعلّ هذا ما اثّر في المعاصرين من مؤرخي الادب فلم يهتم احدٌ منهم بشعر كعب ، في ما خلا « البردة »، وكأنهم لم يعلموا ان له ديواناً خاصاً . بيد ان ابن عبد البرّ النمري نقل ان كعباً « كثير الشعر »[1] . وذكر له حاجي خلفا[2] ديواناً اشار البغدادي[3] الى ان ابا العباس الاخول شرحه . اما هذا الديوان فلم يُنشر بعد ، على ما نعلم ، بل اننا لا نعرف له الا نسخة وحيدة في اوربة كان المستشرق كرنكو (Krenkow) قد اهتمّ بدرسها وباعدادها للطبع سنة ١٩١٠[4] . ثم حالت موانع دون تنفيذ مشروعه على ما يظهر . ولكننا لم نعدم معرفة ما في الديوان ، وان لم نتمكن من درسه . فان المستشرق رينه باسيه اطلع عليه ، بفضل امين مكتبة الجمعية الشرقية الالمانية ، فدرسه واستعان به في تدوين حياة كعب ، ناشراً الشواهد بالفرنسوية ، لا بالعربية لئلا يسبق نشرة كرنكو التي كانت على وشك الطبع . فظهر من بحث باسيه ان في الديوان ثلاثين قطعة لكعب ، بين قصيدة ومقطوعة ، تدور كلها حول المواضيع العربية التقليدية من فخر وتهديد ، ومدح وهجاء ، وغزل ورثاء ، واشارات الى الحوادث البدوية المعتادة . وقد شرحها ثعلب ، بعد ان شرح

---

١) ابن عبد البرّ النمري : كتاب الاستيعاب في معرفة الاصحاب ، حيدر اباد ، ١٣١٨هـ ، ١ : ٢٢٦

٢) حاجي خلفا : كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون (طبعة Flügel) ليبسك ١٨٣٥ – لندن ١٨٤٣ ، المجلد ٣ : ٣٠٢-٣٠٤ ، الرقم ٥٦٢٢

٣) عبد القادر البغدادي : خزانة الادب ، بولاق ، ٤ : ١٤٨

٤) René Basset, *La Bânat Sô'âd*, Alger, 1910, p. 6

ديوان زهير في المخطوطة نفسها . وكان بأسيه في استخدامه ابيات الديوان يترجمها الى الفرنسوية ، ويشير الى ورود بعض ابياتها في كتب الادب والتاريخ واللغة . فاستعنا بها في درس شاعريته ، مع الاستناد خاصة الى « بانت سُعاد » ، وهذه اشهر قصائده بل اساس شهرته ، كما لا يخفى .

بانت سعاد

تقسيمها

قصيدة لامية من البحر البسيط ذات ٥٨ بيتاً ، انشدها كعب في مدح النبي والاعتذار اليه . وقد سار فيها على الطريقة الجاهلية القديمة كما يظهر من التقسيم :

١ً – بدأ بالنزل فذكر سُعاد ووصفها ، واشار الى اخلافها بالوعد (الابيات ١ – ١٢)
٢ً – تخلّص الى وصف الناقة (١٣ – ٢٤)
٣ً – تخلّص الى ذكر النبي ووصف حالته هو من الاضطراب (٢٤ – ٢٨)
٤ً – اعتذر الى النبي ومدحه (٢٨ – ٥١)
٥ً – تخلّص الى مدح المهاجرين من قُريش (٥١ – ٥٨)

شرحها : شروحها ومعارضاتها

لا نغالي اذا قلنا ان ليس من قصيدة عربية نالت ما نالته قصيدة كعب من اهتمام النحويين واللغويين والمستشرقين ايضاً . ولا غرابة في ذلك ، والمادح من ذوي التأثير في عصره ، والممدوح نبي الاسلام ، والقصيدة قيلت في زمن كان فيه النبي بحاجة ماسة الى اهتداء شاعر معروف الى الاسلام وانخراطه في سلك الشعراء المدافعين عنه وكم كان يهتم بزيادة عددهم في تلك الحرب الهجائية . وما هو ان دوّنها مؤرخو النبي حتى اصبحت جزءاً من « سيرة » الرسول . ولم تلبث ان نالت حظاً من الكرامات والفضائل ايضاً ، على نحو ما روى ابو جعفر البيري الاندلسي عن بعض اساتذته عن سلسلة من رجال السند عن احد العلماء انه كان يبدأ محاضراته دائماً بانشاد « بانت سُعاد » . فقيل له في ذلك ، فقال : انه رأى النبي في ما يرى النائم فقال له : « اني أُحب قصيدة كعب وأُحب من يُحبها » فحلف

الشيخ ان لا يمرّ عليه يوم الا انشد القصيدة[1] . واذاً فليس بعجيب ان يتبارى الشرّاح في التعليق عليها ، ويتنافس الشعراء والنظّام في معارضتها ، وتشطيرها ، وتخميسها ، حتى جاوزت آثارهم الخمسين .

اما المعارضات فمن اشهرها قصيدة البوصيري صاحب « البردة » ، واسمها « ذخر المعاد في معارضة بانت سُعاد » ومطلعها :

الى متى انت باللذات مشغولُ وانت عن كل ما قدّمت مسؤول

واما التشطيرات والتخميسات فعديدة لا يسعنا المقام لذكرها[2] .

واما الشروح فاقدمها شرح ثعلب (†٩٠٥) مع شرح سائر الديوان ، كما قدمنا ، وهو الذي استند اليه باسيه ، استناده ايضاً الى شرح ابن يَلَلْبَخْت († ١٢١١) . يُذكر بعد ذلك شرح ابن دريد (†٩٣٣) . ثم شرح التبريزي الشهير († ١١٠٩) ، شارح المعلّقات وحماسة ابي تمام ، وقد نشره المستشرق كرنكو كما سيأتي . ومن الشروح المعروفة شرح جمال الدين ابي محمد عبدالله بن هشام († ١٣٦٠) وهو مطبوع مرّات ، وشرح ابراهيم الباجوري († ١٨٦٠) المطبوع مرّات ايضاً ، الى غير ذلك من الشروح التي يطول بنا تعدادها .

طباعتها – ترجماتها

لبانت سُعاد نحو العشرين طبعة في الشرق والغرب ، منها على حدة ، ومنها في مجاميع ادبية . وقد يطول بنا الكلام اذا تعرّضنا لذكرها كلها ، فنكتفي باهمها . كان المستشرقون السابقين الى طبعها فنشرها اولاً ليته سنة ١٧٤٨ في مدينة ليدن ، مع ترجمة باللاتينية ، ومقدّمة ، وشرح[3] . ومما يُذكر من الطبعات الاوربية طبعة فريتاگ في هال سنة ١٨٢٣ ، مع ترجمة لاتينية ومقدمة وشرح[4] . ثم طبعة

---

١) المقّري : (الطبعة الفرنسوية ١ : ٩٣٣) ذكرها Basset, *op. cit.* p. 66

٢) ليراجع اشهرها من اراد في René Basset, *op. cit.*, p. 67-69

٣) Gerardus Joannes Lette, *Caabi ben Zobair Carmen panegyricum in laudem Muhammedis.* Lugduni Batavorum, 1748.

وقد طبع معها معلّقة امرئ القيس وبعض المنتخبات الملكية .

٤) G. W. Freytag, *Caabi ben-Sobair Carmen in laudem Muhammedis dictum.* Halae, 1823. – ومعها قصيدة المتنبي في ابن العميد ، وابيات لاشجع السلمي

گويدي مع شرح ابن هشام في ليبسك سنة ١٨٧١[1]. وطبعة نولدكه في برلين سنة ١٨٩٠ مع بعض الحواشي[2]. ثم طبعة رو مع ترجمة فرنسوية، ومنتخبات من شرح الباجوري في قسطنطينة وباريس سنة ١٩٠٤[3]. وطبعة كرنكو مع شرح التبريزي وتعاليق بالالمانية في ليبسك سنة ١٩١١[4]. ولعل اجمع هذه الطبعات طبعة ريته باسيه المتقدم ذكرها والتي نشرها في الجزائر سنة ١٩١٠ وجمع فيها بين شرح ثعلب وشرح ابن يَلَبَخت، ذاكراً جميع الروايات المختلفة، مقدماً عليها بحثاً في حياة الشاعر، وترجمة فرنسوية للقصيدة[5]. وآخر طبعة اوربية للقصيدة طبعة الدكتور سكوبا- پيكوسلاوسكي مع ترجمتها الى اللغة البولونية، وبعض التعاليق في اختلاف الروايات، في بيروت، المطبعة الكاثوليكية، ١٩٣١[6].

اما الطبعات الشرقية فاقدمها طبعة الشيرواني، في كلكتا سنة ١٢٣١ هـ. (١٨١٦). ومما يستحق ذكراً من سائر الطبعات طبعة بولاق مع شرح ابن هشام سنة ١٢٩٠ هـ. (١٨٧٣). وطبعات القاهرة مع شرح ابن هشام وشرح الباجوري على الهامش سنة ١٣٠٤ هـ. (١٨٨٧) وما بعدها. وطبعة ذي الفقار علي

١ I. Guidi, *Gemaleddin Ibn Hišāmi commentarius in carmen Ka'bi ben Zobair Bānat Su'ād appellatum*. Lipsiae, 1871.

٢ في المجموعة: Noeldeke, *Delectus veterum carminum arabicorum*. Berlin, 1890.

٣ A. Raux, *Bānat Su'ād, poème arabe de Ka'b ben Zobair, publié avec les voyelles, le commentaire d'el-Bādjoūri, un avant-propos et une traduction en Français*. Paris, 1904.

٤ Fritz Krenkow, *Tabrīzī's Kommentar zur Burda des Ka'b ibn Zubair*. [Z. D. M. G., Leipzig, 1911, p. 241-280]

٥ René Basset, *La Bānat Su'ād, poème de Ka'b ben Zobaïr. Publiée avec une Biographie du Poète, une Traduction, deux Commentaires inédits et des Notes*. Alger, 1910.

٦ D^r med. Leon Skuba-Pękosławski, *Kasyda (Oda) Ka'b'a syna Zubajra i Swięty płaszcz Mahometa (Khirka-i-Szerif)*, Beyrouth, Imprimerie Catholique, 1931.

دوبندي مع شرح الباجوري وابن هشام ، وترجمة هندستانية وحواش ، في دهلي سنة ١٩٠٠ . وطبعة القاضي محمد ظهور الدين مع ترجمة نثرية بالهندستاني وترجمة شعرية بالپنجابي ، في لاهور سنة ١٩٠٣ . الى غير ذلك من الطبعات العديدة في بيروت والقاهرة ، وبومباي ، وجونپور ، وحيدر اباد وغيرها .

وقد نُشرت «بانت سُعاد» في جمهرة اشعار العرب لابي زيد القُرشي ، وهو يعدّها من « المشوبات » (طبعة عمرن) مصر ، ١٣٠٨هـ . ص ١٤٨ — ١٥١

ولها ترجمات الى لغات عديدة تقدّم لنا ذكر شيء منها مع الطبعات . وعدا ذلك فان لها ترجمتين المانيّتين احداهما نثرية لويل في ترجمة سيرة محمد لابن هشام[1] ، والثانية شعرية لروكرت[2] ؛ وترجمة انكليزية لردهوس في مجموعة كلوستون[3] ؛ وترجمة ايطالية لگبريالي[4] ؛ وترجمات فارسية منها واحدة للكاملي منشورة مع شرح لعبد الحافظ محمد نظير في لكننو سنة ١٨٧٥ ؛ وترجمة تركية لملجق زاده في احدى مكاتب قسطنطينة[5] .

قيمته

كان لكعب من اسرته تراثٌ شعري ثمين ، وكان له من ابيه مثقّف بعيد حكيم ، وكان له من احوال بيئته ومنافسات احزاب زمانه دوافع متتابعة للتمرين المستمر . فسمع الشعر ، ورواه ، وتذوّقه ، ونظمه في مختلف الفنون ، فاشتهر به حتى قال خلف الاحمر : «لولا ابيات لزهير اكبرها الناس لقلت ان كعباً اشعر منه .»[6]

---

١) Weil, *Das Leben Mohammeds*, Stuttgart. 1864. t. II, p. 254-257

٢) Rückert, *Hamasa*, Stuttgart, 1846, t. I, p. 152-157

٣) J. W. Redhouse, *The « Burda », the Poem of the Mantle... Translated, with preface and notes*, [Clouston. *Arabian Poetry for English readers*, Glasgow, 1881, p. 305-318]

٤) G. Gabrieli, *Al-Burdatân ovvero i due Poemi arabi del Mantello in lode di Maometto*, Firenze, 1901.

٥) R. Basset, *op. cit.*, p. 82 اطلب

٦) ابن قتيبة : الشعر والشعراء (طبعة de Goeje) ص ٥٨

ولكن لا نؤخذنّ بهوس خلف ، وقد عوّدنا مثل هذه الاحكام الجازمة ، ولندرس عن كثب شاعرية كعب ، وحظّها من الابتكار ، وتأثير كل من عناصرها ، فنرى ان الواقع يدفعنا الى شيء من التحفظ والاحتياط تجاه هذا الحكم .

لو استثنينا بعض المواد التي استخدمها الشاعر في الاعتذار الى النبي ، لما وجدنا في اللاميـة شيئاً من الطرافة يستحق الذكر . فالاستهلال بالغزل اسلوب مطروق في العصر الجاهلي ، « والسُعادات » كثيرات ، « وبينُهنّ » معروف متداول بين الشعراء من النابغة الذبياني[1] ، الى الاعشى الاكبر[2] ، الى ربيعة بن مقروم[3] ، الى غيرهم ممن سبق كعباً وعاصره[4] . والتشكي من الفراق ، فذكر الاخلاف بالمواعيد ، فالتخلص الى وصف الناقة متداول كذلك حتى الابتذال .

على ان مدح النبي نفسه لا يخلو من التقليد . فان الشاعر ، بعد ان يتخلّص الى ذكر محمد على اسلوب لا بأس بطبيعته واخلاصه اذ يصوّر موقفه المضطرب من الوشاة ، وتمنع اصحابه عن اجارته ، يعود الى التأثر بغيره فيبدأ اعتذاره على اسلوب النابغة في اعتذاره الى النعمان . ولا يكاد يصل الى المدح فيذكر هيبة النبي ، حتى يترك الممدوح ، ويندفع متوسّعاً في شجاعة الأسد الذي شبّهه به ، وقوّة بطشه ، وشدّة وطأته في واديه . . . الى ان يختم بمدح المهاجرين مدحاً اعتيادياً لا يتعدّى ذكر الشجاعة والاقدام . واكثر هذا من المواد الشعرية الجاهزة ، اذا صحّ التعبير . حتى ان النبي نفسه لم يبدِ اهتماماً بالقسم الاكبر من القصيدة ، فاحتمل صامتاً خمسين بيتاً اكثرها لا يمسّ الموضوع في شيء ، الى ان بلغ الشاعر مدح « الرسول وعصبته » ، فنظر النبي الى من عنده من قريش « كأنه يومئ اليهم ان يسمعوا » كما يقول ابن قتيبة[5] . كأن كل ما تقدم لم يكن ليستحق السماع ! أوَ ليس من الغريب ان

١) ديوانه (مجموعة ابن الورد) ص ٣٥ ، وما يشبهه من « نأي سُعاد » ص ١٧٦ ؛ والسيوطي : شرح شواهد المغني ، مصر ١٣٢٢ هـ . (١٩٠٤) ص ١٨٠

٢) الاغاني ١٦ : ١٩ ؛ والسيوطي : الكتاب المذكور ، ص ١٨٠

٣) السيوطي : ك . م . ص ١٨٠

٤) وقد علت شهرة لامية كعب على زيادة القصائد المتدئة « ببانت سُعاد » حتى ان عادا الرواية انشد الوليد سبعمائة منها ، على ما جاء في الاغاني (٥ : ١٧٣)

٥) ابن قتيبة : ك . م . ٦٨٠

يؤلف شاعر ككعب ، في حالته تلك من اليأس والاضطراب ، قصيدة في مدح شخص كالنبي مغيّر في حياته ومماته ، فيخصّ ثلثيها بوصف محبوبته ، وناقته ، والتخلّص الى الممدوح ، حتى اذا وصل اليه ، لم يتجاوز في مدحه ذكر الهيبة ، والشجاعة ، والهدى ، ثم انتقل يمدح قوم محمد من المهاجرين . فيكون ما نال النبي من الثانية والخمسين بيتاً ثلاثة عشر فقط منها خمسة في الاسد ، بينما نرى سُعاد تختص باستهلال يبلغ اثني عشر بيتاً ، والناقة تتمتع بوصف دقيق يتجاوز العشرين .

كل هذا لان الشاعر سار على الاسلوب المدحي المقرّر في الجاهلية ، فلم يكلّف نفسه على الغالب عناء الابتكار والتفنن — الا في امور اخذها من محيطه القريب فاتت لطيفة جميلة كوصف قلقه واضطرابه[1] — نقول ذلك لا في الافكار العامة فحسب ، بل في ما تفرّع عنها وفي ما اخذ به لشرحها من الافكار الثانوية والصور التشبيهية . فهو لا يتراجع ، امام النبي ، عن استعمال الخمر في تشبيهه ، ولا يُهمل ان يذكر الغول في كثرة التلوّن ، وان ينسب الدروع لداود ، وان يشبّه الابطال « بالجمال الزُهر » ، والنبي « بالاسد الخادر » . ويكاد لا يتجاوز ، في وصف الناقة ، ما نعرفه من اكتناز اللحم وملاسته حتى ليزلق عنه القراد ، وقوّة المرفقين وبعدهما عن الزور ، وصلابة القوائم . اما تلك الصورة الاخيرة ، التي يشبّه فيها ذراعي الناقة ، في سرعة حركتها ، بذراعي امرأة ثاكل تضرب صدرها وتندب ، فان المطلع يخلق طريقة ، على غرابتها ، لاولى وهلة ، حتى اذا طالع الشعر المعاصر ضعفت طرافتها نوعاً . وكذلك القول عما يظهر من السذاجة البدوية الطبيعية في استعماله الفيل للتهويل والتعظيم .

وكذلك نرى الرأي نفسه في غير اللامية مما امكننا الاطلاع عليه من شعر كعب . فان مدحه للانصار[2] تقليدي محض بارزٌ فيه التكلّف . ورثاءه لأبي[3] « من اجفى شعر العرب » ، على قول المبرّد واكثر ما تبقّى جامد العاطفة ، صلب ، حتى ليمكننا القول ان اضعف العناصر الشعرية في كعب كان الشعور . فلا غزل رقيق ،

---

١) اطلب الروائع ٣٢ [كعب] ٨—١٠
٢) الروائع ٣٢ [كعب] ١٤
٣) الروائع ٣٢ [كعب] ١٨

ولا رثاء فاجع ، ولا تهكم لاذع ، ولا فخر عاطفي ، ولا شكوى اسيفة ، ولا رهبة مزلة في التعبير عن قلقه واضطرابه تجاه وعيد النبي ، وهو اخلص قسم في قصيدته . يتحقق ذلك من يقابل قوله هذا باقوال النابغة في موقفه الاعتذاري من النعمان . فبينا يُظهر النابغة كل ما يمدّه به شعوره الرقيق من بوادر الحزن العميق المقرون بالقلق المضطرب الى الاخلاص الشديد[1] نرى كعباً يكاد لا يفسح لشعوره المجال حتى يختم عليه بالحكمة ، فيسكن الى ان « كل ما قدّر الرحمن مفعولُ . »

ولا يضير حكمنا هذا بضعف الشعور ما يتناقل الرواة عن ميل كعب الشديد الى الشعر منذ نعومة اظفاره . اذ لا غرابة في هذا الميل ، والغلام يرى نفسه في اسرة شاعرة . فكان من الطبيعي ان يتأثر بتلك البيئة ، وان يميل الى النظم ، كما يميل ابن الجرّاح الى التشريح وابن المصوّر الى تنسيق الخطوط مثلاً ، دون ان يفرض ذلك في الناظم الحدث شعوراً قوياً ، او عبقرية بارزة .

على ان من الحقّ ان نحتاط بعض الشيء في هذا الحكم ، منتبهين لمواقف قليلة كان يتأثر بها كعب تأثراً عميقاً فيتألم او يتحمس ، فينظم فوراً ، دون ان يجتهد في « صنع » الشعر ، فيأتي قوله على شيء من الفطرة اوفى منه في شعره العادي . نتحقق ذلك في بعض المنافسات الحزبية ثم في ابيات كان يشكو بها دهره او شيبه . بيد انه ، حتى في هذه الموضوعات الخديرة بالعاطفة ، تظلّ على شعره مسحة من التعقل والرزانة تميل به الى نوع الحكم .

اما شعره ، في اكثره ، تصوير ، وتصوير دقيق يسمو الى درجة عالية من الصناعة بل من الفنّ احياناً . ولا عجب ! فبيت زهير وتلميذه ، واحد افراد ذاك المذهب التصويري المادي الذي بدأ بأوس بن حجر ، زوج ام زهير ، وبلغ اوجه مع زهير والنابغة ، وكان من ممثليه شاعرنا كعب والحطيئة كما قدّمنا . وليس من حاجة بهذا المذهب الى كثير من الشعور الرقيق السيال ؛ وان كان الشعور يمدّه رونقاً وتشخيصاً وحياةً تزيد في قيمته . انما حاجته خاصة الى الصبر في تتبع الموصوفات ، واختيار مواد التشبيهات ، والى التعقل في التنسيق والتأليف ، « وتنخّل » التعابير ، « وتثقيف » القوافي ؛ والى قوّة الخيال ايضاً . وقد كان كعب على حظ من

---

١) اطلب درسنا للنابغة في الروائع ٣٠ : ١٠٤

الخيال لا بأس به ، وان لم يصل غالباً الى الابداع . وكان كذلك على قسط وافر من التمثل والصبر في « صنع » الشعر حتى انه فاخر « بتنخله » للقواني « وتثقيفه » اياها[1] كما انه فاخر باقتفائه اثر ابيه في قصائده ، اذ

(يقول) شبيهات بما قال ، عالماً بهنّ ، ومن يشبه اباه فما ظلم !

والحق يُقال انه سار على هذا الاسلوب مستفيداً من ابيه ، ومن أوس ، ومن النابغة ، فترك لنا اوصافاً دقيقة جداً على كثير من التفنن في تنقي صفات المشبه به بعد ترك المشبه ، كوصف الماء في اول «مشربته» ، وكثرة التدقيق في وصف الناقة ، ووصف الخرّ في تلك الجملة الاعتراضية الجميلة[2] ، وتتبع وصف المرأة الشكلي بعيد ذلك ، وتلك الاستدارة التشبيهية التامة في وصف الاسد . يعبّر عنها بتعابير « متنخلة » ، والفاظ تصويرية منتقاة ، قد يرى فيها البعض شيئاً من الضخامة الجاهلية ، فينسبون الشاعر الى الولع بالغريب في وصف الناقة والاسد وما اشبه ، ويرون انه يأخذ باللفظ الرقيق اللين اذا ما ترك هذه الموضوعات وعرض للتعبير عن الشعائر النفسية . والحقيقة ان ليس للشاعر اسلوبان محدّدان يأخذ باحدهما في التعبير عن شيء وبالآخر في التعبير عن غيره . انما هو يجري على طريقة واحدة من المفردات والتعابير . الا انه يعبّر حيناً عن موضوعات تمسّ بيئته الخارجية من رمال متراكمة وتكاوين ارضية لكل مشهد منها نعت خاصّ ، ومن حيوان متنوّع لكل مظهر من مظاهره بل لكل عضو من اعضائه اسم بعينه ، ومن مرافق حيوية خاصة بعصره وعادات مميّزة لشعبه ؛ وحيناً يعبّر عن عواطفه النفسية المشتركة بين جميع الناس . فيكون ان المظاهر الاولى تتباين وتختلف باختلاف الازمنة والامكنة حتى لا نألف في عصرنا شيئاً من مألوفات الجاهليين مثلاً ، وتظلّ المظاهر الثانية على ما هي ، اذ ان مصدرها النفس البشرية وهي واحدة تحت كل كوكب . وبالتالي تصبح التعبيرات عن الموضوعات الخارجية غريبة بالنسبة الينا بل وحشية ضخمة ، وتبقى الاخرى لطيفة رقيقة مقبولة . هذا ، على ما نرى ، هو سرّ الاختلاف بين الاسلوبين المزعومين . واذاً فليس من حاجة الى «التعمق في الدرس» ، فالاستنتاج ان

١) الروائع ٣٢ [كعب] ٢٤
٢) الروائع ٣٢ [كعب] الابيات ٢٨-٣١

كعباً كان في وصفه للناقة والاسد يحتذي اوس بن حجر ، وفي تعبيره عن شعائر نفسه يسير على اسلوب ابيه . . . والحق انه سار على اسلوب ابيه ، وهو في الاصل اسلوب أوس .

وان يكن من اثر واضح لاسلوب زهير ، في ما خلا تلك الاوصاف التي اشرنا اليها، فهو في الميل الدائم الى الحكم والاعتبارات العامة . ولا يحتاج المطالع الى كثير من التدقيق ليتحقق رغبة كعب في الكلام الجامع ، وارسال المثل ، حتى لا تخلو له مقطوعة من محاولة ذلك . فمن « إنَّ الاماني والاحلامَ تضليلُ » ، الى « فكل ما قدّر الرحمن مفعول » ، الى « كلّ ابن انثى . . . » الى « وأقربُ باحلام النساء الى الردى » ، حكم تامة تذكرنا بزهير ، « ومن يُشبه اباه فما ظلم ! »[1] .

وقد تتخذ الحكمة شكل النصيحة كما في « ردّه على احد الجهّال » .[2] وهذا غير غريب عن زهير ايضاً . وقد يرفعه النفس الشعري ، على طريق الحكم ، الى درجة سامية من التحقّق المؤلم فيلقي نظرةً بصيرةً شاملة يصل فيها الى فحص اعماق النفس البشرية فيقيس اتعابها ومشاقّها بالنسبة الى القدَر واحكامه ، ويعود ، وعلى شفتيه ابتسامة تتنازعها الشفقة والهزء ، فيقول :

لو كنت اعجب من شيء لاعجبني سعيُ الفتى ، وهو مخبوءٌ له القدرُ !
يسعى الفتى لامورٍ ليس يُدركها ، والنفسُ واحدةٌ ، والهمّ منتشر !
والمرء ، ما عاش ، ممدودٌ له املٌ : لا تنتهي العينُ حتى ينتهي الاثرُ[3]

هذا كعب بن زهير ، على قدر ما امكننا درسه من خلال شعره المنشور ، وهذا قليل بالنسبة الى ما تبقى في ديوانه المخطوط . وهو يظهر ، على الجملة ، شاعر صناعة وثقافة ، لا شاعر طبع وفطرة . وقد يكون ابن سلّام على صواب اذ جعله في الطبقة الثانية[4] . ولكنه قدّمه على الحطيئة ، وحقّه ان يؤخر في نظرنا . ومهما يكن من امر فان الشاعرين من المذهب الزهيري المعروف ، مذهب « عبيد الشعر » ، على قول الاصمعي ، اي مذهب الذين « نقّحوه ولم يذهبوا به مذهب المطبوعين . »[5]

---

١) الروائع ٣٢ [كعب] ٢ ، ٩ ، ١٩ ، ٢٢
٢) الروائع ٣٢ [كعب] ٢٥
٣) الروائع ٣٢ [كعب] ٢٥
٤) محمد بن سلام : طبقات الشعراء (طبعة Hell) ، ص ١٩ — ٢١
٥) ابن قتيبة : ك . م . ٦١

مطبوعات شرقية جديدة

Maurico Bouyges, S. J.: AVERROÈS, Talkhiç Kitab al-Maqoulat. *Texte arabe inédit publié avec une recension nouvelle du KITAB AL-MAQOULAT (Catégories) d'Aristote. [Bibliotheca Arabica Scholasticorum, série arabe, t. IV] vol. in-8° de XL + 184 pp. Prix: 40 fs. Imprimerie Catholique, Beyrouth,* 1932.

تلخيص كتاب المقولات لابن رُشد

لا يخفى ان شهرة الفيلسوف ابن رُشد انما استندت الى شروحه لكتب ارسطو وتعليقه عليها. وكان من جملة تلك الشروح هذا الاثر المدعوّ « تلخيص كتاب المقولات » الذي عُرف في الغرب منذ القرون الوسطى ، ولم يهتم به العرب الاهتمام الكافي بدليل انه لم يظهر بالطبع قبل اليوم. ولمّا كان حضرة الاب بويج اليسوعي ، القائم بنشر المجموعة الفلسفية الجديدة المعروفة « بمكتبة فلاسفة العرب المدرسيين » ، يهتمّ بجميع آثار ابن رُشد التي عرفها اللاتين في القرون الوسطى ، رأى من الضرورة نشر هذا الكتاب ، فيفيد الفلاسفة والمستشرقين من جهة ، ومن جهة أخرى يسهّل على أدباء العرب الاطلاع على اثر فلسفي لم يظهر بالطبع بعد . والكتاب ، وان لم يكن مثالاً لحسن الانشاء وصحة التعبير ، فالاطلاع عليه ضروري لمن اراد تاريخ الحركة العقلية والفلسفية في الادب العربي. وقد استند الطابع الى بضع مخطوطات عربية منها ثلاث مهمة محفوظة الاولى في فلورنسة، والثانية في ليدن ، والثالثة في القاهرة ؛ فضلاً عن الترجمات العبرية واللاتينية التي اطّلع عليها. ثم رأى ، تتميماً للفائدة ، ان ينشر نصّ « كتاب المقولات » الاصلي الذي « لخّصه » ابن رشد. ولا يخفى ان ابن رشد لم يعرّب النص اليوناني ، بل شرح ترجمةً عربية توصّل الاب بويج الى الاستنتاج انها ترجمة اسحق بن حنين التي كان قد طبعها زنكر سنة ١٨٤٦ ، فاعاد طبعها مستندًا الى مخطوطات لم يقف عليها الطابع الاول. كل هذا خدمة لكتاب ابن رشد الذي بذل الاب في سبيله جهودًا جمّة ، فعارض جميع

مخطوطاته وترجماته ، وقارن بينها مدققاً متقصياً حتى بلغ الغاية التي يرمي اليها العلماء ولا يدركونها في كثير من الاحيان. وقد اتى الطابع من حيث الدقة والترتيب والاتقان موافقاً للمادة ، فظهر نصّ « التلخيص » في القسم الاعلى من الصفحة ، فاختلاف الروايات في الحاشية ، فنص «كتاب المقولات » في الاسفل؛ يجمع بين هذه الاقسام ارقام وحروف واشارات تدلّ على فقرات الكتاب. ومما يزيد قيمته مقدمة واسعة في الاثرين المطبوعين ، وذكر مخطوطاتها المختلفة ، ووصف طريقة الناشر ثم فهارس متعدّدة في آخر المجلد منها ما اختصّ بفصول « التلخيص » ، ومنها ما وافق بين هذه الفصول واسطر « المقولات » ، ومنها ما قارن بين الفصول وفقرات النص اليوناني. ويجب ان نشير اشارة خاصة الى الجدول الابجدي الجامع الفوائد الجمّة والتسهيلات الوافرة لاستخدام الكتاب مشتملاً على ستة فروع : ١ً باسماء الاعلام ، ٢ً بعناوين الكتب المذكورة ، ٣ً بالاقوال المهمّة والامثلة ، ٤ً بالالفاظ الوضعية ، ٥ً بالملاحظات الصرفية والنحوية ، ٦ً بجدول اجمالي.

هذا وصف سريع لمظهر الكتاب الذي يمكن القول انه يبدو ، مع سابقيه في المجموعة نفسها « تهافت الفلاسفة » ، « وتهافت التهافت » ، المثال الاعلى للنشر العلمي الدقيق. ف. ا. ب.

Sobhi Mahmassani : Les Idées Economiques d'Ibn Khaldoun. Essai historique, analytique et critique. *in-8° de 229 pp. Bosc Frères, M. et L. Rion, Lyon*, 1932.

آراء ابن خلدون الاقتصادية

كثرت في ايامنا هذه الابحاث عن ابن خلدون. فمنهم من درسوا تاريخ حياته الحافل بالحوادث والعبر ، ومنهم من رأوا فيه اول من بحث في فلسفة التاريخ، ومنهم من اقاموه اباً للتاريخ العلمي الصحيح، ومنهم من جعلوه سابقاً لمونتسكيو في الكثير من آرائه الاجتماعية ، ومنهم من قارنوا بينه وبين مكيافيلي ، او بينه وبين تارد. . . وقد تطول سلسلة المقارنات. . . ولا عجب فانه لا يصعب على الباحث ان يرى بين مفكري العالم في اي عصر وفي اي بلد كانوا ، من لم يمسّ ، وان قليلاً ، بعضاً من الموضوعات التي ضمّنها ابن خلدون مقدّمته الطويلة . وان

هذا المرّ القليل ليكفي الراغبين بالمقارنات والموازنات . . . ويسرنا اليوم ان نرى احد وطنينا يهتمّ بطائفة من آراء ابن خلدون لم يفرد لها البحاثون كتباً خاصة ، الا وهي آراء فيلسوفنا الاقتصادية. كان ابن خلدون ، كما يُستنتج من اطروحة الاستاذ صبحي المحمصاني ، من كبار علماء الاقتصاد ؛ ولا عبرة في ان يكون ابن خلدون نفسه قد جهل ذلك ، بل لا عبرة في ان يكون قد جهل وجود علم الاقتصاد. امـا البراهين على ذلك فيجدها الكاتب في « المقدمة » التي يستقلّ قسمها الاقتصادي استقلالاً حسناً ، على الغالب ، ثم يقابل بين هـذه الآراء وآراء الاقتصاديين من علماء العصر كجيد وتروشي ، وقد يصل في المقابلة الى من كتب في « السياسة » - والاقتصاد من فروعها - من قدمـاء العرب كابن سينا والفارابي ، مستفيداً من اقوال المستشرقين في كل ذلك. وهو عمل جدير بالثناء لما كلف من الجهود ، ولما وفّر من موادّ للمؤلف حتى انه ولّد من تلك المعلومات الاقتصادية المتفرقة في « المقدمة » كتاباً معتبراً ذا عشرة فصول خصّ الاول منها بعموميات تاريخية واقتصادية وسياسية عن عصر ابن خلدون ، والثاني بحياة ابن خلدون وآثاره ، والثالث بتطوّر الفكرة الاقتصادية قبل ابن خلدون. حتى اذا وصل الى الفصل الرابع دخـل صلب الموضوع فتكلم عن الاقتصاد السياسي والطرق العلمية عند ابن خلدون . منتقلاً الى العناصر المكوّنة البيئة الاقتصادية (الفصل الخامس) ، فالثمن والنقد (الفصل السادس) ، فالعلاقات بين الحاجات والاستهلاك والازمات (الفصل السابع) ، فدور الدولة في الاقتصاديات (الفصل الثـامن) ، فعوامل الانتاج (الفصل التاسع) ، فطرق المعيشة المختلفة (الفصل العاشر). ولا يخفى ان إطاراً كهذا يتطلّب مواد كثيرة قد تفوق ما يراه الباحث في «المقدّمة». واذاً فلا غرابة في ان نرى المؤلف يتوسّع تارةً في استنتاجه، ويبالغ طوراً في مقابلاته ، ويحطّ حيناً آراء الفيلسوف لتملأ إطـاره الواسع. وقد لا يصيب تماماً في التعبير عن فكرة ابن خلدون ، كما حدث له في القسم الثـاني من فصله السابع اذ تكلّم عن طريقة ابن خلدون في قسمة الحاجات (ص ١٣٦) فقال ان الفيلسوف يقسمها الى « ضرورية » « وكمالية » فقط. واندفع ينتقده مبيناً ان هناك من الحاجات ما يقع بين هاتين الدرجتين. ويظهر

لنا ان ابن خلدون يقسم هذه الحاجات الى ثلاث طبقات لا اثنتين: «الضروري» «والحاجي» «والكمالي» كما يُستنتج من فصله المعنون «في ان اجيال البدو والحضر طبيعية»[1]. وهو ما ادركه المؤلف، او كاد، في كلامه عن «تأثير شريعة العرض والطلب في الثمن» (ص ١٢٠ــ١٢١).

على ان ما يؤاخذ عليه المؤلف، وما يبدو عيباً في مظهر كتابه، هو انه لم يهتمّ بكتابة الاسماء العربيــة بالحروف اللاتينية. فبدا فيها اضطراب غريب بـل فوضى تحطّ من قيمة الكتاب لدى الاختصاصيين. وما قولهم مثلاً في «القــاف» التي يعبّر عنها تارةً «بحرف C كما في «*mitbcal*» (ص ١٠) و«*calat*» (ص٣١) وطوراً بحرف K كما في «*Tarik*» (ص١٠) وحيناً بحرف q كما في «*Machreq*» (ص ٢٤)؟ وما قولهم في هذا التعبير عن «مروج الذهب» «*Mourouj ez-tbabab*» (ص ١٥)؟ فضلاً عما هناك من الخلط في تصوير حروف العلة وما اليها مما لا مقابلة له في الافرنسية. اما استشهاد المؤلف بالدكتور غوستاف لوبون في ما يخص المدنية العربية فما يثير الابتسام.

بيد ان كل هذا لا يمنعنا من تقدير جهود المؤلف الجديرة بالثناء.

ف. ا. ب.

Emile Rideau : Les rapports de la Matière et de l'Esprit dans le Bergsonisme. *in-8° de XI+182 pp. Prix : 20 f*

Le Dieu de Bergson, Essai de critique religieuse. *in-16 de 138 pp. Prix : 12 f.. Paris, Alcan, 1932.*

علاقة المادة بالروح في الفلسفة البرغسونية

اله برغسون

لقد قدّم مؤخراً الاب اميل ريدو اليسوعي اطروحتين لنيل شهادة الدكتوراه في الفلسفة درس فيها فلسفة برغسون. ويكفي ان نشير الى الحفاوة التي اولاها الاستاذ الكبير نفسه الكتابين المذكورين لندلّ على اهميتها في درس الفلسفة البرغسونية التي، وان بدت على شيء من السهولة في الظاهر، فانها تمتنع على الطالب الا اذا سار وراء دليل مطّلع كالاب ريدو. وهذا بشهادة برغسون نفسه

---

١) اطلب الروائع ١٥ [ابن خلدون: القبائل والامم الوحشية] ص ٢

فقد كتب الى المؤلف ما يلي: « ان هاتين الاطروحتين تدلان على معرفة تامة ومدققة بما كتبتُ. وانك تدرسني بتعمق ، دون ان تفرض على نفسك التوقف عند مظهر الكلام ، بل تتابع التفتيش عن روحه. هذا واني لاشعر – الآ ان اكون مخطئاً – بانك باشرت درس آثاري بتلك العاطفة الوداديه التي تمدّ الانسان للفهم وتمكنه من الحكم. وقد قادك اسلوبك ، من وقت لآخر ، الى تمديد نظراتي الخاصة على طريقة مفيدة وجديرة بالانتباه. بل ان هذا التمديدَ يبدو لي احياناً نفس ما كنت قد افتكرت به دون ان اعبّر عنه ، او ما لم اعبّر عنه الآ جزءياً.»

وقد خصّ المؤلف الاطروحة الاولى بدرس التطوّر في الفكرة البرگسونية من « القضايا المسلّم بها مباشرة » (*Données Immediates*) حتى « المصدرين » (*Les Deux Sources*) ، فاوجز بطريقة اجمالية سير تلك الفلسفة في مراحلها المتتابعة ، مظهراً توسعاتها المطّردة مبيناً كيف ان ما اتّصفت به اولاً من المماكسة الجوهرية بين المادة والروح والخلاف بين الفكرة والحياة ، اخذ يتحوّر شيئاً فشيئاً مفسحاً المجال لفكرة في الكون اقلّ جزماً واوفر دقائق واحتياطات. حتى ان هذا « الكون » لم يعد يظهر منفرداً « مقفلاً » ، بل اصبح ما فيه من نزوات الحياة يدلّ على وجود نزعة حبّ شديدة منبثقة من الحبّ اللامتناهي.

ولكن هذه الاطروحة التي تجمع الى درس المنطق الداخلي والتاريخي في الفلسفة البرگسونية درس المنطق الخاص في نظرية «الكون» ، لا يمكن في اي حال ان تكون توطئة لقراءة برگسون. لانها تفرض ، على من يقرأها ، ان يكون قد عرف آثار الفيلسوف.

على ان الاطروحة الثانية اسهل منالاً ، وتقل اخذاً بالاسلوب الوضعي. وغايتها ان تبسط آراء برگسون في الاله وتردفها بنقد فلسفته الدينية.

ولا يخفى ما في هذا العمل من الصعوبة من حيث وجهة النظر المسيحية. بيد ان المؤلف عرف ان يميّز النزعات الموافقة لروح النصرانية من التي قد تضلّ المطالع. وعمل على وضع الحدّ الفاصل بكل ما اوتيه من موهبة سامية

دقيقة في كتابة التاريخ ، ومن محبة واسعة سمحة للحقيقة وللجهد المخلص الذي تمثله الفلسفة البرگسونية في التقرب من الحقيقة. فكان بامتنكانه ، والحالة هذه ، ان يهدي من « يفتشون عن النور » في هذه المسائل الحيوية التي لا تزال موضوع نزاع الانسانية المفكرة ؛ وان يساعد من وجدوا النور على « التمييز الضروري في آثار هذا الفيلسوف العصري الذي قد يكون اكثر الفلاسفة قرّاء في العالم باسره. »

وان من فضل هذا الكتاب الصغير الحافل بالنظرات المثيرة والملاحظات المنبهة ان يدفع من يقرأه برزانة الى ان يدقق فكرته بالنصرانية ، فالى ان يحياها في معيشته كلها . هذا وان يكن « الحدس الغريزي قد قاد فكرة برگسون نحو المحور المركزي لتاريخ العالم ، اي المسيحية. » فاننا — بواسطة هذا الشارح الجديد الذي لا يهمل الاشارة ، عند اللزوم وبكل اخلاص وصراحة ، الى نقائص وشوائب الفلسفة البرگسونية — نتمكن من ان نتابع التأمل البرگسوني حتى الوصول الى الحقيقة بكاملها. ب.ش.

O. Lemarié : Précis d'une sociologie. *in-12, 192 pp. Prix : 12 fs. Paris, Librairie Alcan.*

ملخص في علم العمران

تحقق المؤلف ما يناله علم العمران اليوم من إعراض بعض الخاصة لما يرون في استنتاجاته احياناً من تسرع وجزم وتحكم يبعد عن الروح العلمي الصحيح ، فرأى ان يوضح غاية هذا العلم ويبين طريقته بصراحة فخص بذلك القسم الاول من كتابه. اما القسم الثاني فدرس فيه حوادث العمران المستندة الى قابلية الانسان العمرانية. وبحث في القسم الثالث الاخير في المنتخبات العمرانية.

وقد جرّه ذلك الى السؤال : أيجب عدّ الانسان من هذه المنتخبات ؟ فاجاب عنه في خاتمة الكتاب قائلاً : ان المجتمع لا يمثل للانسان قوة داخلية. انما هو حقيقة خارجة عن الانسان تؤثر فيه منذ ولادته. ولكنها تظل بالنسبة اليه واسطةً لا غاية. ج.ل.

René Martol : Le mouvement antireligieux en U. R. S. S. 1917-1932. *Paris, M. Rivière*, 1933. *Prix : 12 /s.*

الحركة المقاومة للدين في اتحاد الجمهوريات الروسية السوفيتية الاشتراكية

من ١٩١٧–١٩٣٢

مؤلف الكتاب من اساتذة الجامعات لا يؤمن بشيء ، وهو غيور على مذهبه الالحادي يعتقد اعتقاد سلفائه بان عصره الحالي هو زمن انتصار الآراء التي ينتمي اليها. وقد اهتمّ اهتماماً دقيقاً بهذا الكتاب. فبيّن اولاً ان الشعب الروسي كان اشدّ تعلّقاً بالخرافات الدينية منه بالدين الصرف ، وان الاكليروس الارثوذكسي ، المتعلق بالحكومة تعلّق سائر الموظفين ، كان على انحطاط عظيم ، فلم يكن بامكانه القيام بواجباته . ثم يميز المؤلف في الثورة الروسية ثلاث حقب بالنسبة الى الاضطهاد الديني : الحقبة الاولى ١٩١٧–١٩٢٠ لم تكن فيها المشكلة الدينية من الامور المهمة ؛ الحقبة الثانية ١٩٢٠–١٩٢٧ هي اقرب الى السكينة النسبية . اما الحقبة الثالثة التي بدأت بالسنة ١٩٢٧ فتمتاز بحملة شديدة على الدين ومظاهره ، حملة يعتبرها المؤلف دفاعاً عن المبادئ الجديدة ، ويفصّل حوادثها بالتدقيق في الفصل الثاني من الكتاب. ثم ، في الفصل الثالث ، يجمع بينها وبين مظاهر القوميّات المختلفة في الاتحاد الروسي . ويخصّ الفصل الرابع بسرد العقبات والانتقادات التي يصادفها هذا العمل . والمؤلف على حق اذ يرى العلاقة متينة شديدة بين الاضطهاد الديني الذي برزت ظواهره في الثورة الفرنسوية ، والاضطهاد الذي يقوم به رجال الثورة الروسية . ولا شكّ ان الروح واحد في الظاهرتين ، على فرق هو ان الاضطهاد الروسي ينال الكنيسة الارثوذكسية خاصة بينما الثورة الفرنسوية كانت غايتها مقاومة الكثلكة.

هذا والمؤلف يظهر طافحاً بالتفاؤل العجيب حتى انه يختم قائلاً : « إنما نحن سائرون نحو النور . وقد اخذ الفجر يظهر على مهله . »

ج . ل .

J. Blouet, P. S. S. : Théologie Pastorale. 1 *vol. in-16 de* 492 *pp.* 5e *édition. Prix :* 25 *fs. Librairie Lecoffre, J. Gabalda et Fils, Paris.*

اللاهوت الرعائي

طبّق المؤلف مادة كتابه واقامه على قول السيد المسيح لتلاميذه : « اذهبوا الآن وتلمذوا كل الامم معمّدين اياهم باسم الآب والابن والروح القدس . وعلّموهم ان يحفظوا جميعَ ما اوصيتكم به . وها انا معكم كل الايام الى منتهى الدهر . » فخصّ الفصل الاول منه بمحبة النفوس ، وهي الشرط الضروري لنجاح الرسالة . ثم بيّن ان تأثير الراعي الاول انما يكون بمثله الحيّ . وذكر في الفصل الثالث ضرورة الطرق والاساليب المؤدية الى معرفة النفوس . وانتقل من ثمّ الى درس طرق الوعاظة وفنونها من خطب ارشاد وتعليم ونشر ، خاصاً بذلك الفصول الرابع والخامس والسادس . ولما كان العمل الذي يفرضه الراعي على نفسه عملاً روحياً فائق الطبيعة كان على المؤلف ان يبيّن كيف يجب ان يحافظ على الحياة الالهية في نفس المسيحي المعتمد بالمواظبة على قبول الاسرار المقدسة ، فاستوفى الكلام على ذلك في الفصول السابع والثامن والتاسع . اما الفصول الباقية من العاشر الى الرابع عشر فقد حدّد فيها طرق الادارة الروحية في ارشاد الاولاد والشبان والعائلات والخورنيات وما الى ذلك . وختم في الفصل الاخير بذكر ادارة الاملاك الضرورية لحياة الخورنيات وما فيها من جمعيات ومؤسسات .

J. Blouet, P. S. S. : Bienséances ecclésiastiques et pastorales. *vol. in-16 de* 234 *pp. Prix :* 12 *fs. Librairie Lecoffre, J. Gabalda et Fils, Paris.*

آداب كنائسية ورعائية

وهذا كتاب آخر للمؤلف نفسه في المكتبة نفسها رمى فيه الى سدّ ثلمة طالما شعر بها رجال الاكليروس . فاراد ان يفيدهم من اختباره الطويل ، وهو رئيس المدرسة الاكليريكية العالية في كوتانس ، فذكر ما يجب ان يتحلى به من الآداب رجال الكهنوت عامة ومن يعهد اليهم بادارة الخورنيات خاصة . وقد عبّر عن مواده الغزيرة باسلوب غاية في الرشاقة يضمن لكتابه ، دون شك ، رواجاً عظيماً يستحقه .

Annuaire pontifical catholique pour 1933. 1 *vol. petit in-8° de 960 pp. avec 151 illustr. Prix : 45 fr. Bonne Presse, Paris.*

التقويم الحبري الكاثوليكي لسنة ١٩٣٣

هي السنة السادسة والثلاثون لهذا التقويم المعروف في جميع الاوساط التي تهتم بالاطلاع على ما يجري في العالم الكاثوليكي . وقد ازدان هذه السنة بـ ١٥١ صورة ، وبما امتاز به في السنين السابقة من الدقة والوضوح ووفرة المعلومات.

M.-M. Vaussard : Charles de Foncauld, Maître de vie intérieure. 1 *vol. in-16 de 238 pp. Prix : 15 fr. Les éditions du Cerf, Juvisy, Seine-et-Oise.*

شارل دي فوكو استاذ الحياة الداخلية

لا تزال حياة الاب دي فوكو تثير في النفوس المسيحية نزعات شريفة عميقة ونزوات سامية نحو الكمال الروحي ، بل انها في اول عملها هذا ، ولا شك في ان ذاك المثل الحيّ سيظلّ مدة طويلة من ينابيع الحياة الروحية في النصرانية. وها اننا اليوم ، بعد ان اطلعنا على تفاصيل تلك الحياة الدقيقة في الكتاب النفيس الذي خصّه رينه بازّن بالاب دي فوكو ، نتقدّم مع مؤلف الكتاب الحاضر نحو مظاهر الحياة الداخلية في نفسية « رسول الصحراء » وما فيها من تشويق لاحياء الدعوات الكينوتية والعواطف السامية التي تتطلب التضحيات التامة . ولهذا لم يهتمّ المؤلف بالتفتيش عن الجديد في حياة بطله ولم يصرف وقته في درس الوثائق والاسانيد التاريخية ، بل اكتفى بدرس حياة الاب دي فوكو اليومية داعياً المطالع الى التأمل بما تتطلّبه تلك الحياة من روح التجرد المطلق والمحبة السامية الصحيحة.

رسالة امراء غسان للمستشرق ثيودور نولدكه

عربها عن الالمانية الدكتور بندلي جوزي والدكتور قسطنطين زريق

٩٤ ص . كبيرة – المطبعة الكاثوليكية – بيروت ، ١٩٣٣

ودعت مجلة «الكلية» ، لسان حال الحركة العلمية في جامعة الاميركان في بيروت، قراءها في مجلدها الثامن عشر والاخير في السنة الماضية ، على ان تظهر

بطريقة انسب الى الاحتياجات الحالية . وهوذا ثمرة من ثمار وعودها ، شهية ، لذيذة ، تقدمها على يد احد اساتذتها الدكتور قسطنطين زريق .

ليس المقام لتعريف القراء بالمستشرق نولدكه الشهير الذي انتقل الى رحمة ربه سنة ١٩٣١ وليس من مجال التوسع في تعريف الدواعي لتأليف كتاب امراء غسان باصوله وفصوله وكل ذلك بيّن في صفحاته العربية الاولى. وحسبنا القول انه ظهر سنة ١٨٨٧ بالمانية ، وعليه من الصبغة العلمية الصادقة ، وفيه من التعليلات التاريخية ، وهو انموذج للتحليل التاريخي ، ما جعله ويجعله الى يومنا خليقاً بان يطالعه خاصة الطلاب والمعلمين ؛ ولذلك بذل السيد زريق العناية في تعريبه بمساعدة الدكتور بندلي جوزي استاذ اللغة العربية في جامعة باكو .

« قد يجد من يطالع هذه الرسالة بعض العناء في قراءتها.» هذه ملاحظة ابداها المعربان في التمهيد فسبقا ودفعا عنهما لوم اللائم ، وما على المترجم الا ان يؤدي اقوال المترجَم ويترك على صاحبها عهدة الوضوح او الغموض . فلا عجب ان يحار القارئ في فهم معنى من المعاني مثلاً صفحة ١ سطر ١٣—١٥ . وصفحة ١٣ ، سطر ١٣—١٧ ، ورب سقطة صدرت عن تسرع في التعريب: جاء في الصفحة ٩ السطر ١٢ ، ان ملالا المؤرخ السرياني. ولم يذكر نولدكه هناك جنسيته . وملالا وضع تاريخه باليونانية لا بالسريانية.

تلك هنات لا تكاد تحسب بالنسبة الى محاسن الكتاب فنهنئ عليه صاحبيه ونتوسم منه خيراً لسائر ما سوف تنشره الجامعة الاميركية من امثاله . وقد ذيّل المعربان الكتاب بفهارس الاعلام عربيةً وافرنجيةً فزادا بمنافعه.

ولا اقل من ان نروي خلاصة ما انتهى اليه المؤلف من وضع الارقام المحددة ازمنة الغساسنة (ص ٥٧—٥٨) ، ولائحته متممة في الموسوعة الاسلامية في مادة غساسنة.

امراء بني غسان :

ابو شمر جبلة حوالي سنة ٥٠٠ ؟

الحارث بن جبلة الشغل وظيفة العامل الاكبر من سنة ٥٣٩ توفي سنة ٥٦٩

ابو كرب المنذر بن الحارث ٥٦٩-٥٨٢
النعمان بن المنذر ٥٨٢-٥٨٣

الحارث الاصغر ابن الحارث الاكبر
([الحارث ؟] الاعرج ابن الحارث الاصغر)
ابو حجر النعمان (ابن الحارث الاصغر ؟)
اخوه عمرو (ولعله قبل النعمان)
حُجر بن النعمان
. . . .
} بين ٥٨٣ و٦١٤

جبلة بن الايهم سنة ٦٣٥

ف. ت.

ادب وذوق

للاب بشير اجيا اليسوعي

١٢٦ ص. متوسطة – المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٣٣

منذ ظهرت اجزاء «المنتخبات الادبية» المعروفة لحضرة الاب بشير اجيا اليسوعي، وارباب المدارس ينتظرون كتاباً للصفوف الابتدائية يدرسه التلاميذ قبل اخذهم بالجزء الاول من المنتخبات. فكان لهم هذا الكتاب اللطيف الحجم، الزاهي الطبع، المتقن الصور، الآخاذ العنوان. وما اجمل «الادب والذوق» يتوّجان كتاب التهذيب الابتدائي، ويسيطران على جميع مواده، وهي وافرة مهمة، فيهديان الصغير الى «مراعاة كرامة وعاطفة الآخرين، وجمال ولطف العلاقات الاجتماعية، حفظاً لتقارب القلوب واتحادها، ومنعاً للتنافر والتباغض بين الافراد والجماعات»، اذ يطّلع على مبادئ التهذيب وطرق تطبيقها في ظروف الحياة جميعها، منفرداً ومجتمعاً، في اشغاله الخاصة وفي معاملاته مع الناس. حتى يكاد المؤلف لا يترك مظهراً من مظاهر المعيشة التي تعترض الولد الا ويذكره ويدل على كيفية السلوك فيه. وقد اردف كل ذلك ببضع عشرة قطعة نثرية وشعرية للاستظهار. فنعم الغاية، ونعم الاسلوب، وهنيئاً لاولئك الصغار!

ف. ا. ب.

الرئاسة البابوية في الكنيسة السريانية

تأليف الخوري اسحق ارملة السرياني

١٩٢ص. متوسطة – المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ١٩٣٣

تاريخ دقيق ، الى استشهاد واسع ، الى شرح رصين ، الى اسلوب سهل ، الى غيرة ملتهبة في سبيل الوحدة الكاثوليكية . هذا ما يؤثر بالمطالع اذ يلقي نظرة اجمالية على الكتاب القيم ،فينتقل في اقسامه الاربعة من وحدة الكنيسة، الى وحدة الرئاسة، الى وحدة الرئاسة البطرسية في عهد الرسل،الى وحدة الخلافة البابوية في الرئاسة البطرسية. وما هو ان يدقق الدرس فتبدو له الشواهد العديدة في الوحدة وما يدعمها من اقوال آباء الكنيسة السريانية من مار اغناطيوس النوراني، الى مار افرام ، الى مار اسحق الانطاكي ، الى ماريعقوب السروجي ، الى ساويرا بطريرك انطاكية ، الى موسى بركيفا ، الى ميخائيل الكبير ، الى ابن العبري الشهير ، حتى يذعن لنتيجة الكاتب ، ويتمنى ان يكون تأثير كتابه في ابناء الطائفة السريانية المنفصلة مناسباً لجهوده الجمة المخلصة ، فيقربهم الى الوحدة الحقيقية التي لا تتزعزع ولا تتجزأ. ف. ا. ب

مراقي النجاح

بقلم الارشمندريت انطونيوس بشير

٢١٦ ص. متوسطة صغيرة – المطبعة المصرية ، مصر ١٩٣٢

مجموعة نصائح نظرية واختبارية للنجاح في هذه الحياة ، وضعها المؤلف خدمة لبني قومه ، ورتبها على اثني عشر فصلاً تدور حول النجاح بين الشك واليقين ، والحق وطريقه اسهل الطرق المؤدية الى النجاح ، والشخصية وقوتها في النجاح ، والخوف وهو العقبة الكأداء في سبيل النجاح ، والفكر الصحيح اساس النجاح ، والموافقة والمؤانسة وتأثيرهما ، والعمل اساس السعادة والنجاح ، والايمان ، والصداقة واثرهما ، والاحساس ودواؤه ، ودستور العمل ، والمحبة وعملها في النجاح. كل ذلك بأسلوب سهل يجعل للكتاب لذة وفائدة.

ف. ا. ب.

الرياضة البدنية وابطالها في سوريا ولبنان

تأليف عارف الحبال

١٤١ + ٢٢ ص . متوسطة – مطبعة وزنكوغراف المعرض ،

بيروت ، ١٩٣٣ – الثمن: ٥٠ غ . س .

يبدأ الكتاب بشيء من تاريخ الرياضة البدنية في بيروت . ثم يذكر اكثر الاندية الرياضية . وينتقل الى الموضوع البارز في العنوان فيعدّد الفنون الرياضية، ومشاهير ابطالها ، وما يُعرف عنهم من المعلومات مع نشر صورهم . ويخص بيروت بالقسم الاوفر من الكتاب . ثم يأتي على ذكر دمشق ، وحلب ، وطرابلس ، وصيدا . ويردف الكتاب بلحق ضمنه « مواضيع ذات اهمية في عالم الرياضة » هذا وقد لاحظنا شيئاً من النقص او الاهمال في ذكر « ابطال » الرياضة . ولكن يشفع بذلك ان الكتاب الاول من نوعه في مدينتنا ، على ما نعرف .

* جمعية تعاون الاكليروس السرياني الكاثوليكي * المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ١٩٣٣ – ١٦ ص . متوسطة – كراسة تضمنت تفاصيل انشاء الجمعية المذكورة ، وقانونها الرسمي . ولا شك في انها ستكون جزيلة الفائدة ومدعاةً لان يقتدي بها اكليروس سائر الطوائف ، على نحو الآية التي تُصدّر بها الكراس : « كونوا مهتمّين بعضكم ببعض برأي واحد » . (روميه ١٢ : ١٦)

* سيدة النجاة في بكفيا ١٨٣٣–١٩٣٣ * ٢٦ ص . صغيرة – نشرة غاية في الاتقان الطبي اصدرتها المطبعة الكاثوليكية بمناسبة مرور مائة سنة على تأسيس دير الآباء اليسوعيين في بكفيا . فضمنتها تاريخ تلك المؤسسة وختمتها بعشرين صورة جميلة طُبعت منفردة على ورق صقيل .

— ضاق نطاق هذا العدد عن استيعاب وصف ما لدينا من الكتب العربية الجديدة ، فارجأنا ذلك الى عدد قادم . فضلاً عن اننا احتفظنا ببعضها لإعداد بحث عامّ عن حركة الدروس الادبية والنقدية في ايامنا الحاضرة . فنرجو المعذرة من اصحابها ، وموعدنا بذلك قريب ان شاء الله . . .

اهم حوادث الشرق في شهرين

١٥ حزيران — ١٥ آب ١٩٣٣

لبنان وسورية — سافر المفوض السامي السيد بونسو الى فرنسة في ٢ تموز . ثم وردت الاخبار انه عُيّن مقيماً عاماً في مراكش . وعيّن مكانه في المفوضية السيد دي مارتل .

* سُوّيت قضية الديون العمومية الفرنسوية بين الدول الواقعة تحت الانتداب الفرنسوي وحملة اسهم هذه الديون على مبلغ مقطوع قدره ٣٢٬٨٥٠٬٥٥٥ فرنكاً .

* قدّم سيادة المطران باسيليوس قطان ، الموجود في رومية ، استقالته من ابرشية بيروت وجبيل ، فقبلها الاب الاقدس .

* وصل الطياران الفرنسيان كودوس وروسي الى رياق (٧ آب) رأساً من نيويرك بعد ان طارا مدة ٥٥ ساعة فاحرزا قصب السبق في قطع ابعد مسافة .

* لا تزال الحكومة السورية توالي تنسيق الموظفين والغاء بعض الوظائف .

العراق — قام الاشوريون بفتنة جديدة لم تلبث ان تفاقم امرها فاضطر الملك فيصل الى الرجوع من اوربة فجأة . وقد اهتمت الاوساط السياسية الاوربية بهذا الامر .

فلسطين — اقيم في القدس الشريف معرض دعي « المعرض العربي » وقد صار افتتاحه في ٧ تموز .

* لا يزال سيل المهاجرين الصهيونيين يتدفق على فلسطين .

مصر — قامت مؤخراً حملة قوية على التبشير بالنصرانية اتصفت بكثير من التهوّر وعدم التمييز .

بلاد العرب — من اخبار جزيرة العرب ان جيوش ابن سعود وجيوش الامام يحيى على وشك الاشتباك بالحرب .

المطبعة الكاثوليكية المدير المسؤول : يوسف ماهر

المشرق

السنة الحادية والثلاثون — تشرين الاول ١٩٣٣

الحياة في بيروت

على عهد الصليبيين

بقلم الاب لامنس اليسوعي

١

في الثالث عشر من شهر ايار سنة ١١١٠ ، تقدم بقدوين الاول ، اخو غودفرويد دي بويون ، وثاني ملك لاتيني على اورشليم ، فانتزع من ايدي فاطميي مصر مدينة بيروت — المدعوّة اذ ذاك « باروت » (Baruth) — بعد حصار دام ثلاثة اشهر . وكانت غابة الصنوبر او « صنوبر باروت » ، كما يقول المؤرخ غليوم الصوري ، قد وفّرت الخشب لتجهيز آلات الحرب المستعملة في الحصار . — واذاً فان الغابة اقدم من عصر الامير فخر الدين !

وان تكن بيروت قد قاومت مدّة ثلاثة اشهر ، فان ذلك بفضل السفن

المصرية التي كانت تأتيها بالمؤن والذخائر . على ان السفائن الجنوية لم تلبث ان وصلت امام بيروت . وكان عددها اربعين سفينة ، فضيقت الحصار ، ومكنت بقدومها من الاسراع في المعارك برًا وبحرًا . وكانت المعركة الفاصلة شديدة الهول ، كما يُستخرج من رواية المؤرخ القلانسي ، القائل ان الناس لا يذكرون ان الفرنجة شهدوا معركة تشبهها شدة وهولًا ، حتى انهم قبل نهاية النهار دخلوا المدينة بحدّ السيف . وكان من ضحايا تلك الموقعة قائد العمارة المصرية .

وبعد مدة لا تبلغ القرنين أجبرت «باروت الصليبيين» على ان تُسلم صلحاً لماليك مصر ، سادة البلاد السورية آنئذٍ . وكان ذلك في ٢١ تموز ١٢٩١ . وهو صلح لم يقم الفاتح بمراعاة شروطه ، بل غدر بمن دخل في الامان اشأم غدر . وهاك ما يقوله في تفصيل ذلك صالح بن يحيى ، مؤرخ بيروت . وسنعود كثيرًا الى تاريخه في هذا البحث . قال ذاكرًا سنجر احد امراء المماليك القادم الى بيروت ، واستقبال الحاكم الفرنجي له ، وذلك بعد الصلح والامان :

« فلما وصل سنجر الشجاعي الى بيروت تلقاه صاحبها وخيالته احسن ملتقى . ونزل في القلعة وامرهم ان ينقلوا اولادهم وحريمهم وانقالهم الى القلعة ففعلوا وظنوا انه يفعل ذلك شفقةً عليهم . فلما صاروا في القلعة قبض على الرجال وقيّدهم والقاهم في الخندق وذلك في نهار الاحد الثالث والعشرين من رجب سنة تسعين وستمائة (١٢٩١) . . . ثم شرع سنجر الشجاعي في هدم سور بيروت وقلعتها وكانت محكمة البناء . ثم جهّز اهلها الى دمشق وانفذهم منها الى مصر باجمعهم فهلك منهم المشايخ والعجائز والنساء . ولما وصلوا الى مصر اطلقهم السلطان وقال : اماني باقٍ عليكم . وخيّرهم بين العود الى بيروت او التوجه الى قبرس باجمعهم . »[1] وكانت قبرس اذ ذاك تؤلف مملكة اللوزينيانيين ، فيجتمع فيها من تبقى من رجال الصليبيين .

وهكذا اضمحلت ، بعد ان ازدهرت مدة ١٧٠ سنة ، « إمارة باروت » ، الدرّة الغالية في تاج اورشليم اللاتيني . وقد كانت مدينةً فرنجية ازهرت فيها

١) صالح بن يحيى : تاريخ بيروت (طبعة شيخو ١٨٩٨) ص ٤٣-٤٤

حياة اوربة وتقاليدها ، مدينةً كانت تجمع الشعوب المختلفة ، على انها ظلّت فرنسوية بلغتها ، وعاداتها ، ومؤسساتها ، كما انها ظلّت فرنسوية بالاسر التي حكمتها . وهاك اسماء هذه الاسر المعروفة « بسادة باروت » (*Sires de Barutb*) : فهناك دي گين (de Guines) ، وبريسبار (Brisebarre) ، ومونفور (Montford) وكلّها قريبة او مصاهرة لاشهر الاسر الفرنسوية من ذوي الاقطاع في الشرق الادنى كآل لوزينيان (Lusignan) ، ومونتگو (Montaigu) ، ومونبليار (Montbéliard) ، ودامپيير (Dampierre) ، ودي لاروش (de la Roche) . وكانت اللغة المنقوشة على نقودهم فرنسوية او لاتينية . وقد اشترك احد افراد هذه الاسر بتصنيف قانون المحكمة اللاتينية المعروف « بقواعد اورشليم » « *Les Assises de Jérusalem* » واكثر الصليبيين الذين دخلوها اولًا كانوا ممن رافقوا الملك الفاتح في حروبه ، على مثال دي گين (Foulques de Guines) امير باروت الاول ، وعلى مثال بقدوين اسقفها اللاتيني الاول ، واصلهما من كونتية بولونية . اما سائر الامراء والصليبيين فكانوا من المقاطعات الواقعة على الحدود بين فرنسة وبلجيكة . واذًا فهي مدنية فرنسوية خالصة تلك التي ازدهرت ، على مدة نحو قرنين ، في هذه النقطة من فنيقية ، وفي ملحقاتها من جبل لبنان . ويمنيني اليوم ان اجتهد في تبيان ما امتازت به من شخصية وطرافة ، مذكّرًا الناس بحياة باروت الفرنجية وعاداتها .

***

ولنبدأ بذكر حدود تلك الامارة . كان يحدّها من جهة الشمال نهر الكلب . ومن جهة الجنوب نهر الدامور . اما في الشرق فانها كانت تتصل بقمم لبنان . وكانت امارة جِبْله (Giblet) ، اي جبيل ، المتعلقة بكونتية طرابلس تتصل بها في الشمال . وفي الجنوب كانت اراضيها متصلة باراضي بارونية ساجيت او سايت (Sagette ou Sayette) وهي صيدا الحالية . يفصل بين المنطقتين نهر الدامور ، كما قدّمنا ، وهو اسم لثنه الفرنجة ثم حرّفوه على طريقة عامية

معروفة في التحريف اللغوي فولّدوا منه اسم « *flumen amoris* » اي « نهر الحب » .

اما في الجبل فكانت مناطق قضاء المتن وقضاء الشوف الشمالي تخضع لامير باروت . وكان سكان تلك المناطق من المسلمين المنشقّين ، تابعي الشيع ذات النظام السرّي . وقد كانوا يعيشون في حرية فوضوية ، متشمّين باستقلال يكاد يكون ناجزاً ، حتى ان السلاطين والخلفاء لم يتوصلوا يوماً الى اخضاعهم . يشهد بذلك انهم ، بعد انصراف الصليبيين ، اجبروا ملوك الاسلام على ان يسيّروا عليهم جيشاً بلغ خمسين الف مقاتل .

أمّا على عهد الصليبيين فان دهاء السياسة الفرنجية عمل على اقرار هذه الشعوب السريعة الهياج ، فوطّد الامن في مناطق الجبل ، تاركاً لنا عبرة تُعتبر ومثلاً يجب ان يُقتدى به . وما ذلك الا لان اولئك السكان شعروا بقوة الفرنجة الفائقة[1] مقرونةً بالاستقامة . كان الدروز والمتاولة يحترمون الصليبيين لانهم كانوا يرونهم شجعاناً وامناء لا يخلفون الوعد ولا ينكثون بالعهد . على ان هذا الاحترام لم يمنع سكان الجبل ، بعض الاحيان ، من التلاعب وخداع الصليبيين ، شأنهم مع سلاطين دمشق والقاهرة ، قبل ذاك العهد . ولا يخفى ان الخداع سلاح الضعيف ومرجع سياسته ايضاً . ولكن الصليبيين كانوا واقفين على هذه الاساليب ، فكانوا يقمعون تلك الحركات بالشدة الصارمة احياناً ، ويغضون عنها الطرف احياناً اخرى . ومهما يكن من امر فان لنا بقول الرحالة المسلم ابن جبير الاندلسي ، وهو من معاصري هذه الحوادث ، شهادةً على حسن سياسة الصليبيين وتساهلهم مع مسلمي سورية قال :

« ورحلنا من تبنين دمّرها الله[2] سحر يوم الاثنين وطريقنا كلّه على ضياع متصلة وعمائر منتظمة سكانها كلّها مسلمون ، وهم مع الافرنج على حالة ترفيه ، نعوذ بالله من الفتنة . . . وكل ما بايدي الافرنج من المدن بساحل

---

١) اطلب تأثير شجاعة الفرنجة في أسامة ابن منقذ : كتاب الاعتبار ، ص ٤٨، ٩٧، ١٠١

٢) لانها بيد الفرنجة . وكذلك دعاؤه على جميع مدن الصليبيين .

الشام على هذه السبيل رساتيقها كلها للمسلمين وهي القرى والضياع . وقد أشربت الفتنة قلوب اكثرهم لما يُبصرون عليه اخوانهم من اهل رساتيق المسلمين وعمالهم لانهم على ضدّ احوالهم من الترفيه والرفق . وهذه من الفجائع الطارئة على المسلمين ان يشتكي الصنف الاسلامي جورَ صنفه المالك له ويحمد سيرة ضدّه وعدوّه المالك له من الافرنج ويأنس بعدله .»[1]

عندما دخل الصليبيون بيروت كان فيها عدد لا يُستهان به من المسيحيين . وكانوا باكثريتهم من الملكيين واليعاقبة . ثم لحقهم عدد من الموارنة . ولم يلبث هؤلاء المسيحيون ، ولاسيما اليعاقبة والموارنة ، ان اتحدوا بالقادمين من اوربة ، وسرعان ما امتزجوا بهم وراحوا يزيدون عدد الاسر الفرنجية . وكان منهم اكثر الاطباء والصيادلة في الجيوش والمعسكرات الصليبية . وكذلك في الدوائر الادارية كانت اعمال الترجمة جميعها بيدهم . حتى ألفوا تلك الفئة الفرنجية ـ السورية من الموظفين التي اعجبت ابن جبير بترتيبها وحسن معاملتها . اما المسلمون ففقدوا طبعاً اهميتهم السابقة واضطروا الى قبول الشروط التي كانوا قد اجبروا المسيحيين على قبولها في ما مضى . على انها كانت اخفّ وطأةً من شروط الفتح العربي بكثير . من ذلك ان شهادة المسلم وشهادة اليهودي كانتا مقبولتين في المحكمة حتى لو شهدا على الفرنجي . وهو تساهل لم تطلعنا على مثله الشريعة القرآنية .

على ان كثيراً من المسلمين فضّلوا المهاجرة من بيروت . حتى اصبح عددهم في المدينة ضئيلاً جداً ، ولم يكن لهم جامع عندما دخلها المماليك[2] .

ايّ اتساع وأية اهمية كانت لبيروت في اوائل القرن الثاني عشر ؟

سؤال يصعب الجواب عنه بدقة وتفصيل . فانه منذ الزلزال الشديد الذي حصل سنة ٥٥٥ ودمّر جامعة بيروت الحقوقية الشهيرة[3] ، واهلك ٣٠,٠٠٠ من

---

١) رحلة ابن جبير (طبعة de Goeje) ص ٢٠١-٢٠٢

٢) صالح بن يحيى : التاريخ المذكور ، ص ٥٨

٣) اطلب محاضرتنا في « الحياة الجامعية في بيروت على عهد الرومان والبيزنطيين » في « مجلة العالم المصري » (ايلول ١٩٢١) ، *Revue du Monde Egyptien* (Sept. 1921)

البيروتيين ، لا نرى ما يشير الى ان المدينة عادت الى ازدهارها السابق . فانها على عهد العرب كانت خاملة الذكر . وان ذكرها الوليد الثاني ، الخليفة الاموي الشاعر ، فانما يذكرها ليشيد بذكر خمرها وهو بالحقيقة خمر لبنان الذهبي . ثم ، اذا استثنينا الامام الاوزاعي ومكحولاً ، لا نرى ذكرًا لاحد من مشاهير مسلمي بيروت في كتب مؤرخي العرب لذاك العهد . اما من حيث التجارة فان عكا وصور وطرابلس كانت قد نازعتها الاسبقية وفازت بها حتى انها كادت تحتكر تصدير حاصلات دمشق وما اليها من مدن الداخلية . على ان بيروت كانت مدينةً محصّنة قوية الاسوار . يدلّ على ذلك ما ذكرناه عن حصار بقدوين الاول لها من طول المدّة وشدّة العراك . مما يفرض ضخامة الاسوار التي زادها الصليبيون قوّة ومناعةً ايضاً ، فجعلوا من المدينة « مركز حرب حقيقياً حتى اصبحت اقوى مدن الساحل وافضلها واحسنها ازدهارًا . » هذا بشهادة المؤرخين المسلمين[1] .

وقد نشر الكونت دو منيل دو بويسون (Comte du Mesnil du Buisson) في مجلة « سيريا »[2] بحثاً دقيقاً نفيساً في اسوار بيروت القديمة . وكان غليوم ري (G. Rey) قد خصّ ، منذ السنة ١٨٧١ ، درساً مهمًّا « بآثار الصليبيين الحربية في سورية وجزيرة قبرص » . ولا اتردّد هنا في الاقرار بقلة صلاحيتي للخوض في مثل هذه الموضوعات . على انني اودّ ان اضيف الى الموضوع بعض وثائق ، وان اعيد النظر في بعض نصوص اعتقد انها لم تُدرس الدرس الكافي :

يفرض ري في كتابه « مستعمرات الفرنجة في سورية »[3] « لبارونت الصليبيين » مساحة ٨٥٠ مترًا طولًا في نحو ٦٠٠ متر عرضاً » . ثم يأتي دومنيل فينقص هذه المساحة الى نحو نصفها . وهي مساحة قد توافق ، في ما اظنّ ، بيروت المماليك او بيروت فخر الدين والجزّار — ولم يكن فيها اذ ذاك الا

---

١) اطلب مجموعة مؤرخي الصليبيين *Historiens Orientaux des Croisades* I, 692

٢) *Syria*, II, 235 etc.

٣) G. Rey, *Colonies franques de Syrie*, p. 321

ستة آلاف ساكن — لا بيروت الصليبيين . فان هذه كانت اوسع واكبر ، كما يُستخرج من قول الرحالة البلجيكي گيلبير دي لانوى (Ghilhebert de Lannoy) اذ زارها في القرن الخامس عشر فقال : « كانت ، في ما سبق ، على عهد الصليبيين ، مدينةً كبيرةً مقفلة » . ثم ان ما كان يجعل اسوار بيروت فخر الدين والجزّار عرضةً لا لمرمى المدافع فحسب ، بل هدفاً للمجانيق ، هو وجود الاكمتين المرتفعتين عن المدينة من خارج تلك الاسوار . وهما الاكمة التي ترتفع عليها السراي الكبرى اليوم — وعلوّها ٤٢ متراً عن سطح البحر — والاكمة الشرقية التي كانت فيها جبّانة المسلمين القديمة وراء السراي الصغرى . امّا ان يكون الصليبيون بلغ بهم الاهمال وعدم التبصّر الى ان يبنوا قلعتهم الضخمة ، التي طالما اعجب بها المسلمون ، عند اقدام هاتين الاكمتين ، فهو ما لا يمكنني التسليم به ، الا اذا اطلعت على برهان قاطع .

ان الفرنجة كانوا ، مع الرومان ، اوفر من مرّ بارض سورية جلداً على البناء . ولا شكّ ان بقاءهم مدة قرنين في هذه البلاد ، على ذاك البعد الشاسع عن موطنهم ، مدينٌ لشجاعتهم اولاً ، وكذلك لمقدرة مهندسيهم ودهاء بُناتهم . نتحقّق ذلك ايضاً اذا اعتبرنا عصرهم المختلف عن عصرنا في ما خصّ العادات الحربية ، اذ كانت فيه الاهمية الكبرى للدفاع اكثر منها للهجوم . وان عظمة اساليب التحصين البادية في قلاعهم واسوارهم اثّرت التأثير الشديد في المسلمين المتصرين عليهم حتى انّ هؤلاء لم يروا طريقةً افضل ولا اسلوباً اوفق ، لكي يمنعوا اعداءهم من العودة ، من ان يخرّبوا الاسوار ويهدموا الحصون التي كان قد انشأها الصليبيون على الساحل . على ان هذا الهدم ، لحسن الحظ ، لم يبلغ مداه في جميع الانحاء . وليس من السهل ان يخرب الانسان ، كما يخرب قصراً من ورق اللعب ، ابراجاً من الحجر الصلب المتماسك البناء تبلغ جدرانها الثلاثة والاربعة امتار سماكةً . وكان من مفعول اسوار الصليبيين ، في العصور المتأخرة ، ان دهاء بونابرت حبط لدى آثارها الباقية حول مدينة عكا ، مما لم تقوَ على التأثير فيه اعمال الحفر ولا كرات المدافع .

وكان من اول اهتمام امراء الصليبيين ، في المدن البحرية ، ان يبنوا قلعةً

حصينة يزينونها بكل ما اوتوا من مهارة في البناء الحربي فتقيهم اشدّ الهجمات حتى اذا تمّ لهم ذلك كانت مناعة اسوار المدن ثنوية في نظرهم . وقد شهد التاريخ على ان اكثر حصونهم في سورية قاومت كل الهجمات . ولم يكن رجالها يسلّمون في الغالب او يتركون الموقع الا لنفاد المؤونة والذخيرة .

وكانوا يفضلون لبناء حصونهم البحرية رأساً متقدّماً ، او مرتفعاً صخرياً ، او صخرةً في وسط البحر كما في صور ، وصيدا ، وعتليت . واذا لم يوفقوا الى ذلك كانوا ينتخبون ، في زاوية الموقع ، اكمةً تتصل بالبرّية . حتى اذا سقطت المدينة لجأت حاميتها الى القلعة فحاصرت وامكنها ان تتناول الذخائر والمؤن من الخارج . ولنا الامثلة على هذا النوع من الحصون في اورشليم ، وجبيل ، واللاذقية . ولم نرَ انهم بنوا حصونهم مرةً واحدة في ارض منخفضة عمّا جاورها .

اما في بيروت فنرجّح ان قرب الميناء دفعهم الى تأسيس قلعتهم على مرتفع الجمّانة القديمة ، مفضّلين هذا الموقع على اكمة السراي الكبرى . وقد ذكر هذه القلعة ويلبران دولدنبورغ (Willbrand d'Oldenbourg) سنة ١٢١٢ فقال انها من جهة يحفظها البحر ، ومن الجهة الاخرى تُشرف على هوّة عميقة *alto rupis precipicio* . اما هذه « الهوّة » فهي دون شك ما يراه الناظر من ذلك المرتفع المشرف رأساً وعمودياً على الميناء . ولا سبيل الى تخيّل مرتفع غير هذا يوافق « هوّة » الكاتب ، في جهة القلعة ، وهي قائمة في الزاوية الشمالية - الشرقية من مركز المدينة .

اما السور الذي جدّد بناءه فخر الدين ، ثم اتمه الجزّار سنة ١٧٧٣ في بضعة اشهر ، فكان يمرّ في اسفل اكمة السراي الكبرى . وكانت آثاره لا تزال ظاهرة لثلاثين سنة خلت . وقد كان للجزّار ان يكتفي به ، اذ لم يكن لديه من المعدّات ولا من الوقت ما يسمح له ببناء افضل منه ، ولم يكن يرمي الى ابعد من مقاومة امراء لبنان . وليس عندهم من المدافع ما يهدمون به سوره .

اما مهندسو الفرنجة فكانت غايتهم ابعد من هذه . وكانوا يعرفون « ان طرق التحصين لا تمكن من الدفاع عن المناطق الواسعة الّا اذا فقدت قسماً من

مناعتها. »[1] ولهذا سواء أكانوا في اوربة ام في الشرق ، فانهم لم يظهروا قط ميلهم الى الاسوار البعيدة الفسيحة . وعليه فان مساحة «بيروت الصليبيين» تظلّ ضئيلة ، وان ادخلنا فيها — كما ارى ضرورياً — الاكمة الغربية ومرتفع الجنّانة الشرقي.

وكان من فضل مناعة القلعة وانحصار نطاقها ، انه لما هجم الالمان فريدريك الثاني على بيروت سنة ١٢٣٢ ، فدخلوا المدينة فجأة ، لجأت الحامية الى القصر الذي تنعته ملاحم القبرصيين (*Les Gestes des Chiprois*) بانه «من اجمل قصور العالم» وبدأ الحصار . فارتقى الالمان المحاصرون المرتفع المدعو شوفر (Chaufor) فاشرفوا على القلعة واخذوا يرمونها بكلاليب . اما شوفر هذا فيجعله ري مكان السراي الكبرى . ويقول دومتيل بل يجب ان يكون وراء السراي الصغرى . امّا انا فاظنّ ان الاسم شوفر تحريف «الاشرفية» وأرى ان المحاصرين أخذوا يرمون القلعة من هذه الاكمة . وهو امر ممكن اذ أن فنّ الرماية بالمنجنيق في ذاك العصر كان من التقدم بحيث انه كان يستخدم الادوات القوية ، «فترمي الى مسافة بعيدة ، على خطّ شلجمي ، كللاً من الحجارة[2] يبلغ وزن الواحدة منها من ١٠٠ الى ١٥٠ كيلوغراماً.» (ري)

---

١) الطاب Rey, *Architecture militaire*, 180

٢) الطاب اسامة ، ص ٨٣

(للبحث صلة)

اثر جليل للقرن السادس عشر

رسالة البطريرك اغناطيوس نعمة الله السرياني

(١٥٧٩م)

عرّبها عن الاصل السرياني ، وافتتحها بترجمة حياة البطريرك المذكور

القس يوحنا عزّو ، كاتم اسرار البطريركية السريانية الانطاكية

٢

الرسالة

..... تهرون اليَّ بأيديكم ، وترفعوني ، أنا المتساقط الى أسافل الأرض ، وتدنون بي كالابن الشاطر من المائدة الروحية ، وتزيّنوني بالحلة الفاخرة ، وتصنعون من متى جابي الاعشار رسولاً وانجيلياً ، وتبرزون من زكا القصير القامة صاحب المكس مبشراً ورولياً ، وتحملونني على الكتف كالخروف الضائع ، وتتخلون عما وجب عليّ كالذي كان مديناً ربوات الوزنات ، وتدعون ابناء البيعة الى وجدان الدرهم المفقود ، وتعاملونني نظير الملك السموي لما وجد آدم يتطالّ الى مساواته وخطف عرش الوهيته اتّشح برداء التواضع وغفر جريرته ، وتقولون على مثال داود المزمّر الالهي لما قتل ابنه ابيشالوم "يا ابني ابيشالوم . يا ابني ابيشالوم . يا ابني . يا ليتني متّ بدلك يا ابيشالوم ابني . يا ابني" (٢ سموئيل ١٨ : ٣٣) وتجازوني بالخيرات شبه يوسف الذي احتمل من اخوته ضروب السيئات ، وتبذلون نفوسكم للموت على شاكلة موسى النبيّ الذي قاسى اذيّات كثيرة من الشعب الاسرائيلي ، وتبتهلون نظير بولس العظيم راغبين ان تضحوا انتم انفسكم محرومين عوض اخوتكم . وانسبائكم في الجسد ، وتتريّون الطلبة عن راجيكم اقتداء باسطفانوس ، وتدمعون اسوة بربكم

عن الذين صلبوه . تصنعون هـذا كله عالمين بالضعف البشري ، لان البشر لا يتمكنون من اللبوث على وجه البسيطة في هذا العالم دون خطيئة . فقد اخذ حزقياه بالكبرياء ، واستسلم بطرس لجحود ربّه . فالاثم اذاً لا يعرض للاشرار فقط بل للاخيار ايضاً ، لان الله وحده لا يأثم البتة ولا يؤخذ بالاهواء . وقد قال مار غريغوريوس : « ان الملائكة لا يستطيعون الخطأ ، والبشر يسقطون فيقومون ، والابالسة وحدهم اذا ما سقطوا لا يتأتى لهم القيام » . والبارّ ، حسبما يعلّم الحكيم ، يسقط في اليوم سبع مرات ويقوم . وقد جزم ربنا ان يكون الغفران سبعين مرة سبع مرات . فانت اذاً ، يا ابانا ، اغفر كوصيّة ربنا ، ليغفر لك ولا يهجس في صدركم الطاهر ابداً في محلّ ما ذكر خطايانا وجرائرنا . بـل اذكرنّ ان مراراً كثيرة تتولد الشرور من الخيور والخيور من الشرور . واذا ما اراد الله ان ينوّه بانسان اسلمه اولاً ليمتحن ويمحّص في التجارب نظير ما فعل مع يوسف لمّا اراد ان يجعلـه ملكاً لمصر . وقد صعد بدانيـال من الجبّ ، واخرج يونان من جوف الحوت ، والفتيان من الاتون . ها ان بطرس لو لم يعـدم صيد الليل لما استحقّ الحظوة بصيد النهـار . ولو لم يصب بولس بالعمى علانية لما ابصر بالروح ورجع عن غيّه . ولو لم يظلم اسطفانوس ويعدّ مجذفاً لما عاين السموات مفتوحة . ولو لم يمحّص مار ميخائيل الكبير كالذهب في الكير لما وضع كاكليل في رأس البيعة . ولو لم تنل التجارب تترى مني انا السقيط النفس وتلين صلابة نفسي كفعل الحديد بالنار لما تعلّمت ان اقول : « خيرٌ لي لانك اذللتني لاتعلّم وصاياك » (مز : ١١٨) . وبعد ان اتخلّى عن الكراسي لمن تطلبون ، وادع ان يكون للبعض العنـاء والكرامـة وللبعض الحرب والنصرة ، ازجي حيـاتي كلّها عبداً وتلميـذاً لكم الى ان اغمر التقوّلات المشبعة اجاجاً ببيّنات مشربة ماء الحقّ الصراح ، اصنع هـذا مرتاعاً لذكر عوزة الذي تلقّى قضاء الموت بغتة لانه تجرّأ على لمس تابوت الربّ السرّي كما جاء في سفر صموئيل الثاني (٦ : ٦ و ٧) : « ولما انتهوا الى بيـدر ناخون مدّ عوزة يده الى تابوت الله وامسكه لان الثـيران انشمصت فاحتمى غضب الرب على عوزة وضربه الله هناك لتجاسره فمات هناك عند تابوت الله » . واولئك الذين كانوا

يخدمون في قبة العهد التهمتهم نار مجامرهم لانهم تشهّوا الشهوات البدنيّة خلافاً للناموس كما ورد في سفر العدد (١٦: ٣٥): «ثم خرجت نار من قدّام الرب واكلت المائتين والخمسين رجلاً الذين كانوا قد قرّبوا البخنة». وما ورد في سفر اللاويّين عن ابني هارون (١٠: ١و٢): «واخذ ناداب وابيهو ابنا هارون كل رجل منهما مجمرة وجعلا فيها ناراً ووضعا عليها بخوراً وقرّبا امام الرب ناراً غريبة لم يأمرهما بها فخرجت من عند الرب نار واحرقتهما فماتا قدام الرب». واني لاذكر بأس تلك اللفظة المفعمة رهبةً وقد فاه بها امتوح العظيم كما ذكر سفر القضاة (١٣: ٢٢) قائلاً لامرأته: «نموت موتاً لاننا قد عاينّا الله». كذلك اشعياء، كبير الانبياء، لمّا استنار من الروح القدس عقل ان منحة النبوّة اسمى من قوّته الخاصة فقال: «الويل لي اني هلكت لاني رجل نجس الشفتين، وانا ساكن بين قوم نجس الشفتين، وقد رأت عيناي الملك ربّ الجنود» (اشعياء ٦: ٥). وارميا كان يتوجّس فرقاً جدًّا لئلّا تحجب خساسة القامة وصغرها سموّ النبوّة فقال: «آه ايها الرب الاله اني لست اعرف ان اتكلم لاني فتى» (ارميا ١: ٦). بل ان موسى من قبل هؤلاء لمّا ارسل الى مصر كان يتلوّم في الامر منقبضاً حياء من رفعة الرسالة وتعذّر عنها بالكنة والجهل، قال: «هوذا بنو اسرائيل لم يسمعوا مني فكيف يسمع مني فرعون وانا الثغ اللسان» (خروج ٦: ١٢). فان كان هؤلاء اذاً الذين كانوا اطهاراً بالقول والفعل يرتاعون لعظمة الخدمة فكم بالاولى نحن الذين منهم على طرفي نقيض، ومأسورون باميال النفس والجسد المنحرفة؟ فخيرٌ لنا ان نتفهّم نفسنا لئلّا تبتلعنا الارض نظير قورح وداثان وابيرام ومن لفّ لفّهم، لانهم قاموا في غير محلهم، كما جاء في سفر العدد (١٦: ٣٢) «وفتحت الارض فاها وابتلعتهم هم وبيوتهم وكل من كان لقورح مع جميع الاموال». وليس فقط هؤلاء الاولون يستعفون من العظمة لكن ربنا نفسه، حسبما يعلّم الرسول عنه، انه لم يمجد نفسه ليكون عظيم احبار حتى قال له الآب: «انت حبر الى الابد شبه ملكصاداق». وشمعون هامة التلامذة ايضاً لم يخطف زعامة الرهط الرسولي حتى اوثق على المقاليد وسمع تلك العبارة القائلة: «ارعَ خرافي.»

ولم يكن في وسع عبدك الذليل العاجز ايضاً الائتمان على الرعاية حتى قبل المفاتيح من يديك ، كما قبل شمعون من المسيح . فان قلتم كيف نستطيع ، والحالة هذه ، ان نخلف كرسي رسالتكم ، بل نجيب بدالة : حاشانا ان نسلب الدرجة السامية كلص بواسطة الاجنبيين ، ونتدنس بماء البيعة ، او نقبل عوض يهوذا اسرائيل ويهوذا ، ونقسم القميص المنسوج باليد من فوق مع الجنود . بيد اننا لما هربنا من ابن اخيك لانه كان يتهددنا باخذ الاسكيم الذي كنا منحناه بواسطته ، والامضاء الذي وقعناه بامركم ، الجأنا الى الليساذ بالهزيمة من امامه . ومن ثم وصلنا الى اورشليم ، وحللنا في دير الارمن ، فأكرم روساؤهم وفادتنا . ثم بعثة كتاباتهم الى الجاثليق طردنا من هناك ، وأخرجنا من الدير الذي كنا معتزلين فيه ، وبتنا ننظم مراثي لذلنا . ولما آب جاثليق الروم من رومة هرع اليه مطرانكم وتوسل بكل الوسائل لديه ، والحف في الطلب منه حتى اعمى عينيه ، فوعد باجلائنا . ولاجل ذلك استدعانا اليه ، ولما جيء بنا الى الوسط امامه وعاين ان ذلك لا يليق بمقامنا ، انتبه حينئذ اثناسيوس ، مطران الارمن ، والم بالضرر الذي انتابنا باعدامنا إقطاعاتنا وارزاقنا . فتشاور الرعاة بينهم لا من جراء طلبتنا والتماسنا ، ولا بارادة الولاة المرغمة ، بل بارادة الله سبحانه وعنايته الخاصة ، فاقمنا عنده بدعة وحب . ولما حضر زمن جباية الاتاوة خفف عنا وقر الدنانير بناء على ما سبق لنا من استرضائه ، ولانه وجدنا ابرياء تجاه من اغتابنا . على ان ذلك الشخص ، اي الجاثليق ، كان يضمر الايقاع بالاسقف لما كان قد خامر قلبه من الحقيدة عليه وتمكن فيه من الحزازات ، فاخذ يتطلب علة يأتي بها عليه لينقع اوامه ويتشفى منه . فلما وصلت رسالتكم المقدسة المسطورة باللغة العربية ناولها البطريرك فوجدها مستهلة بشعار مار ميخائيل ، بطريرك انطاكية سورية ، فغدت له هذه العبارة مسكة سوفسطائية وقال : ليس في وسع بطريرك انطاكية ان يسوس رعية بطريرك اورشليم . ولاجل ذلك امر الا يُنادَى ببطريركنا في القداس . اما الاسقف القديس فلانه لم يصبر على ابطال اسمكم وعده بثلثمائة دينار يؤديها له في الصيام المقدس ، وفي مرجونا اصلاح ذات البين بهبة ما يسيرة .

فاذاً ان كنت ترغب في المجيء الى هذه الناحية وتصعد الى مدينة القدس اورشليم ، تصادف منافع جمة بمجيئك . اولاً تربح عبدك وتطيب نفسك . ثانياً تولي السلام بيعة المسيح فيتجدد الدير ولا يخرب على عهدكم ويُكتشف الذين تجاسروا وابطلوا اسمكم وأوجبوا الخراج واورثوا الدير المضار . ومن يثبت عليه هذا الذنب امامكم فلا يُنبذ ويُحرَم من البيعة كلها فقط ، بل يتحتم عليه ايضاً عدلاً ان يفي الذهب المتعين علينا ولا يتابكم او يتاب الدير او المطران خسارة باي نوع كان . وبمجيئكم تزدادون رفعة وتتوافر لكم العظمة والكرامة . وانا اكون امامكم عبداً وتلميذاً وملبياً لرغائبكم كلها ليس عند شعبنا وحسب ، بل عند بطريرك الفرنجة . وقبل ان تدخل حدوده يسبق اليك كتابه وعهده ، فتحوز الكرامة ، وتدخل اورشليم باحتفاء ووقار حسب عادة البطريرك . فتقوَّ ، ولا تخف ، ولا يختلجنَّ في صدركم خواطر ضعيفة . بل تشجعنَّ ، وانا قدامك بنيَّة مستقيمة ، ويجبَ لا يشوبه رياء ، يشهد عليَّ الله الذي اخدمه بروحي اني متأهب لان اموت في سبيل رفعتكم وتحقيق امنيتكم الالهية ، لكيما انسى بطعم المرائر طعم المخادعة والمداهنة ، ويُتلافى ايضاً ما قد يمكن ان يُحدثه من الاضرار المردة المتطاولون على الحق . انما انت لا تتثبط عن المجيء الينا وحسب . وان كنتَ لا تستطيع المجيء من اجل وقر شيخوختكم ، او من جراء بوائق الزمان ، او لدواعٍ ما موجبة ، فارسل ثلثة او اربعة اساقفة ذوي خبرة يحسنون التكلم ويتفادون من المداهنة والرشوة . واذا ما اتوا بكتاباتكم وراعوا امركم نحقق نحن وهم رغبتكم ، ونصبح عاملين على تدبير شؤون الدير اكثر من جميعهم . ومن يثبت عليه انه تجاسر واوجب الجزية على الدير يُنبذ من السموبين والارضيين ويفي هو ذاته الذهب وتتنصل بقية الاحزاب من اللاعنة . وعليه فلا يقصدنَّ بك امر ، يا ابانا ، عن المجيء الينا لما لنا فيه من جمّ الفوائد . اولاً : تتحقق رغائبكم ، واني متأهب بنفسي لقدومكم . ثانياً : تتثبتون وتتكرمون من جميع المذاهب والالسنة . ثالثاً : يتخلص الكل من اللاعنة ، ويُنادى باسمكم الكريم كالعادة ، وينجز حسب وعدكم الصادق المجمع العام ، وجميع ما كتب مع

الاساقفة القادمين وقداستكم تسطرون درج المجمع العام ، ويتبدل بشهادتهم الحرم السابق بتأدية الصلوات والبركات ، ويُطلق إسار اخوتنا المظلومين وينجون من العذل . ولدن بلوغ هذا الدرج نلازمنّ محلّنا الحالين فيه اذ نعتزل الى الراهب صليبا مختلين بنفسنا دون ان ننبس بكلمة من شأنها ان تثير عثير الشغب والبلبلة ضدّك ، او ضد الاساقفة ، او ضدّ بيعة المسيح . لكنّا نترتب في عداد المعذّبين والمضطهدين الذين مثر بهم الزمان ، ونصلّي على الانباء في اجلكم ، وبناء على امر سيادتكم في الرسالة الثانية نقطن حيث يطيب لنا . اجل هكذا نصنع وان الحاجة ماسة الى قدومنا لاننا نشفق على نفسنا واذ قد بتّ الامر اننا لا مطمع لنا البتة في الائتمان على ازمّة الرعاية ، ان حيينا وان متنا ، فخير لنا ان نسكن ونعمر مع امثالنا في الرتبة ونبتعد عن الدنو منكم بالمكان لا بالجنان ، حتى يضمحلّ جسد الخنّاس وتتصرّم احبولات بهتانه . واما انتم فالله يحفظكم ويرفع شأنكم بالرعاية ، وينوّه بكم كالرسل القديسين ، ويمتعكم بحياة طويلة . ونحن انّى نكون احسبني عبدًا وتلميذًا لكم ورقيقاً اكثر من جميع الذين يتنعمون بخيراتك . آمين.

ينبغي ان تريحوا عن افكاركم الشبهات ، وتتأكدوا اخوتكم واتقين بان ما يقرع الآن مسمعيكم الطاهرين من عبارات التظلم المُبلّلة والاحتجاجات البارزة مع الروح من اعماق قلبي المعذّب ليست من آداب المراسلة في شيء ، وبعيدة عن اسلوب الكتابة المتوجب على العبيد نحو مواليهم ، بل هي اشبه بالميثاق والوصية اللذين يستعجل بابرازهما المدنف ، وهو يجود بانفاسه الاخيرة ، ودموعه تسح حينئذٍ ممتزجة بدم اوردة القلب ، واثقاً بان تكون لي مع آلام السيد المسيح مدعاة للتزكية والتطهير . لان ليس لي قط ولغربتي العلانية منفعة او رفهية او راحة ما دمت بوثاق الجسد او انفككت منه الا حياة البيعة وقوامها ونظامها . واعلموا ، يا اخوتي ، باني اعالن قداستكم بمكنونات صدري كما هي بادية وصحيحة امام فاحص الجميع الذي لا يغرب عن علمه شيء ان نفسي الذليلة تتوق وتحنّ جدًا جدًا الى الفوز بالاختتام الذي اعدته

وهبأته لي رحمة من استشهد في ولاية بنطيوس بيلاطس ، وهو اختتام سعي اصفياء الله الرب الصالح ، أريد به حيازة اكليل الاستشهاد المجيد الشهيّ الذي أُعدَّ لي باذن رأفة من يريد حياة كل انسان . فالذي هاج اليهود أولاً على إراقة دم رب العالم الطاهر وخالق المعمورة الشديد البأس هو هو اثار عليّ جنوده الاشرار وخدمه الكفرة غير المؤمنين . واعلموا بانه لم يصرفنا ويبعدنا عن هذا الاكليل شيء البتة لا رهبة الموت ، وهو آخرة كلّ بشر وليس بوسع احد التملّص منه اذ لا بد لكل مولود امرأة من ان يذوقه مرة واحدة فضلاً عن انني علقت من تلك الساعة فصاعداً اذوق الموت الزؤام الف الف مرة في كل سراح ورواح وعيناي مفتوحتان . ولم يتأتَّ لحب العالم وزهوه ومقتنياته ان تصدفني عن هذا الاكليل لان مثل هذه النهاية شهيّة لديّ لانجو مما يخدش سمعي وسمعكم الطاهر فلا أُجبَر فيما بعد على الاصاخة الى هذر الشعوب في هذا العالم الكاذب الاسم والشكل ، ولاسيما ثلب الاشرار منهم اعداء استقامة المعتقد الذئاب المتطفون بلباس الحملان القائلين بهزء وشماتة : « زه ا زه ! قد رأت به اعيننا » ويتشبّثون باعمال الصلاح مداجاةً ويعزون الى بلواي انبازاً نائية عني نظراً الى استعدادي كنأي المشرق عن المغرب وقصيّة عني ومضادّة لي كمضادّة النور الظلام والموت الحياة . وان كانت المخالفات والاوهام تخلق لي بيّنات وقتيّة فانّ ابراهيم ابا الشعوب كان يأتي بالبيّنات الوقتية لدن الشعوب الكفرة ويتقلب حسب الزمان وكان هؤلاء ينبزونه وامرأته بانباز كاذبة حينئذٍ . وعلى هذا النمط جرى يعقوب اسرائيل في اعماله وتصرّفاته عند خاله لابان الوثني حتى كان يُظنّ انه ايضاً وثني على شاكلة خاله ، مع انه كان مؤمناً بالله . واقتفى خطواتهما ايضاً بهذه الاعمال موسى زعيم الانبياء ، اذ زجّى اربعين سنة في بيت فرعون عابد الاصنام ، وكان يُعَدّ ابناً ومشايعاً ، وزجّى اربعين سنة اخرى عند رعوئيل حبر الابالسة وكان يُظن صهراً وموافقاً ، مع انه نجيّ الله العلي ولم يحسب لدنه تعالى الّا خادم الاسرار والالهيات ورأس الانبياء طرّاً . وقد رُميَ بجهل غير يسير هذا الامين المُشبَع عقلاً لا يعازجه رثاء او شحناء ولم يرّ عليه ظلّ المخالفة . لنتقدّم الآن من اخبار مار بولس اللاهوتي .

فان هذا الاناء المختار والرسول الساعي الهام الذي لم يحتر له نصيباً سوى المسيح وباشارته سار وتدبّر ، كان كلّما شام برق فائدة لربح النفوس لله ، او بَصَّ له وَميضُ منفعةٍ للكنيسة تصرّف بدهاء وفطنة مع الظروف فنسمعه تارة يكتفي ذاته يهودياً ، ونراه طوراً يتفيأ بظل الرومانيّة ، ونلفيه حيناً يتزيّا بالوثنية ، ونشاهده آناتٍ كثيرة يفتخر بهذه الحكمة ويجهر على رؤوس الاشهاد منادياً: « اني اضحيت كلّا للكلّ لاربح الجميع حتى اني صرت بلا اله لاربح الذين بلا اله ، مع اني لست بلا اله . » وعلى هذا المنوال نسج مار اثناسيوس الرسولي بابا الاسكندرية[1] متصرّفاً مع الزمان اذ انه لما حلّ بساحته الاضطهاد من الاريوسيين ولجأ الى الهرب من وجه يوليانس الملك الجاحد الاثيم متنقلاً من مكان الى آخر ومختفياً تارة في المقابر وطوراً عند امرأة بتول كان يُدلي بحجته قائلاً: «لا يشين يا اخوتي اللياذ بالهزيمة من وجه المضطهدين فقد لاذ بها داود من وجه شاول، ويعقوب من وجه اخيه عيسو ، وقد دُلّي مار بولس الرسول بزنبيل في دمشق من السور . اولم يقل ربّنا بفمه القدوس اذا ما طردوكم من مدينة فاهربوا الى اخرى ؟ » . وقد حدث مرة لهذا الاب القدّيس وهو هارب في احدى السفن ان ادركه المضطهدون وطفقوا يسألون عنه من معه ، فاجابهم هؤلاء كاذبين : انه ليس ببعيد عنكم فالحقوه . ولما ذهبوا ليتقصوا اثره عاد اثناسيوس ادراجه الى الاسكندرية واختفى عند راهبة طيلة ايام الملك العاتي يوليانس الجاحد .

(لها صلة)

---

١) قال المقريزي في « كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار » (٢ : ٤٨٤ ، طبعة بولاق في ذكر تأريخ الاقباط) : « وكان بطرك الاسكندرية يقال له البابا ومعناها ابو الآباء ثم انتقل هذا الاسم عن كرسي الاسكندرية الى كرسي رومية من اجل انه كرسي بطرس رأس الحواريين فصار بطرك رومية يقال له البابا واستمرّ ذلك الى زمننا الذي نحن فيه . »

القضاء في لبنان

بزمن الامراء الشهابيين

بقلم عيسى اسكندر المعلوف ، مؤلف تاريخ
الأسر الشرقية وعضو المجمع العلمي العربي

٢

الشيخ عبد اللطيف فتح الله

في بيروت ثلاث أسر باسم « فتح الله » . احداها حسينية تنتسب الى ثلاثة افخاذ : آل فتح الله ، والشيخ ، والقندور ، واصلها من غزة هاشم . ولها بقايا في بيروت منهم الشيخ عبد الباسط فتح الله وغيره . والثانية بنو فتح الله لا نعرف منشأهم . والثالثة آل فتح الله الذين منهم الشيخ عبد اللطيف هذا ، وتعرف اسرته بعده باسم « آل المفتي » الآن . ولا نسابة بين هذه الثلاث ، وهي من المسلمين السنيين .

ومن هذه الثالثة الشيخ عبد اللطيف ابن السيد علي المكنّى بفتح الله المفتي البيروتي . ونرجح ان منها السيد عبد الحيّ بن ابي بكر بن احمد البيروتي اصلاً الدمياطي مولداً وسكناً ، وهو استاذ الشيخ احمد البربير الذي مرّت ترجمته في الجزأين الماضيين من المشرق (٨ و٩) . ومنها السيد وهبه فتح الله المفتي ولم نقف على اخباره لولا ان يؤرّخ عبد اللطيف هذا ولادة ابنه محمد بديوانه المخطوط عندي سنة ١٢٠١ هـ (١٧٨٦ م) ويسمي والده « المفتي » :

أيا هبة المولى المقدس نعته ... ومن يجزيل الفضل كل الورى غمرْ
لينك نجل بالمحامد وصفه ... يفوق محيّاهُ البهيّ على القمرْ
اتاك وثغر الدهر مبتسم لهُ ... بمام كثير الخير ارخته اغرّ

. ولد عبد اللطيف في بيروت ، ودرس على علماء عصره ، وترعرع على القضاء والافتاء . ثم درس على اساتذة مشهورين مثل السيد احمد البربير الدمياطي في بيروت ، والشيخ محمد الداموني الخلوتي البكري في عكا ، والشيخ عبد القادر الرافعي في طرابلس ، والشيخ جمال الدين يوسف الشمسي ، والشيخ محمد الكزبري محدث الشام في دمشق . ومال الى نظم الشعر .

فبرع في الفقه وعلّم واجاز كثيراً من الفقهاء والادباء منهم السيد محمود شهاب الدين الالوسي البغدادي المتوفى سنة ١٢٧٠ ﻫ (١٨٥٣ م) ولديّ كثير من فتاويه واحكامه في اوائل الربع الثاني من القرن التاسع عشر للميلاد .

وله مساجلات ومراسلات نثرية وشعرية مع ادباء عصره وشعرائه منهم مخايل البحري الحمصي ، ونقولا الترك اللبناني ، واستاذه البربير .

وكان قاضياً ومفتياً في بيروت زمناً طويلاً . وتوفي فيها سنة ١٢٦٠ ﻫ (١٨٤٤م) شيخاً . وأرّخ وفاته الشيخ يوسف الاسير الصيداوي ثم البيروتي بقوله :

هذا ضريح ضمّ سيّد لآل فتح الله بنى ، شريف .
في عصره قد كان علّامة صاحب فضل ومقام منيف ؛
والآن قد اصبح في برزخ ضيفاً لمولاهُ ، ونعم المضيف !
يرجى له رضوانه دائماً لانه هادٍ تقيّ عفيف ،
وعن لسان الحال ارّخ بني في جنة الفردوس عبد اللطيف ،

ومن آثاره الباقية « مقاماته » في مكتبة المدينة لشيخ الاسلام في بلاد العرب تدلّ على بلاغته وتفننه ، كما اخبرني من وقف عليها . واما « ديوانه » بخط يده ، على الارجح ، فهو في خزانتي في ١٠٤ صفحات بقطع الربع وفيه منظومات جيدة . وقال عنه العلّامة المرحوم الاب لويس شيخو اليسوعي في كتابه « الآداب العربية في القرن التاسع عشر » (١ : ٢٢) : « وكان شاعراً الا ان شعره مفقود » (اه) لانه لم يقف على ديوانه الذي وقفت عليه . وحبذا الوقوف على بقية آثاره واخباره فاننا بحاجة الى معرفة مثلها بالبحث .

واليك مثالاً من نظمه في القضاء والافتاء هو قوله :

لما تكلمت كان النطق لي شركاً ، والنطق فخٌ لصيد الحاذق الفطنِ ،
وصرت في قفص الافشاء محتبساً في اغدّى بسمّ الهمّ والحزنِ .
فقلتُ : اسكتُ علّي ان يخلصني حسن السكوت من الاحزان والمحنِ .
فقلتُ : اجهل علماً . ان معرفتي لي آفة ويجلي راحة البدنِ .
وقلتُ : ان متّ احيي في الدُّنى فرحاً من مات عاش بعيش طيّب حسنِ .
فلم يفدني شيئاً ما ذكرتُ سوى زيادة الهمّ ، والمولى يخلّصني .

وكأنه كان يذهب مذهب استاذه البربير بتجنب القضاء والافتاء لما فيها من تسخير الوجدان ومعارضة الحكام ولذلك قال النبي : « من ولي القضاء ذبح بغير سكين » وقال بعضهم : « المفتي موقّع عن الله تعالى » . وقال ابن المنكدر : « العالم بين الله وخلقه فلينظر كيف يدخل بينهم » الى كثير من امثال هذه الاقوال الدالة على التهيّب من القضاء عند السلف فكيف بالخلف . وقد قال الشاعر :

ان الفقيه اذا غوى واطاعه قوم غووا معه ، فضاع وضيّعا ،
مثل السفينة ان هوت في لجةٍ غرقت ويغرق كل من فيها معا .

ومن شعر عبد اللطيف هذا قوله في مخايل البحري الحمصي صديقه الذي مدح استاذه البربير ، بعض مقطوعات[1] قال بعدها .

تقمتُ الشعر ممتدحاً بهِ الفاضل البحريّ ، جلّ بفضله ،
وسبكته كالدرّ فيه منظماً ، وقريحتي ليست تجود بمثله ،
قالوا رميت الدرّ في البحر الذي لم يستحقّ لهُ وليس باهله ،
فاجبتُ ان الدرّ هذا اصلهُ ولكلّ شيء قد يعود لاصله .

وقال يمدح استاذه البربير ، وله فيه قصائد ومقطوعات عديدة منها جواب قصيدة جاءته من استاذه المذكور يعاتبه بها لما نوى الذهاب الى دمشق في طلب العلم ، وكان قد انقطع عن الذهاب الى منزله بعد ان كان يتخرّج عليه . فلما اطلع على عتابه نظم هذا الاعتذار ولم يقدمه له بل رجع يتلقى الدرس عليه وعدل عن الذهاب الى دمشق ، وهذا قوله :

---

١) راجع مجلة المشرق في ترجمة آل البحري (٣:١٧)

انا عبدٌ لكم في كل وقتٍ ، ولو اصبحتُ علّام الزمانِ ،
فلولاكم لهبا قد رقّ طبعي ، ولم ادر النساء من المثاني .
فيكفيك الفخار على البرايا باقراري بذلك كلَّ آنِ .

وقال من قصيدة يمدح استاذه المذكور :

الفصيح الشهم ذو النظم الذي خرست نطقاً لديهِ الفصحا ،
احمد البرّ ، كذا البرّ الذي عدّ كسب المدح اني منحا ،
فارق في العلم الا انهُ في بحور الفضل حقاً سبحا ،
ذو بروج عاليات ما لها طرف بدر الافق يوماً طمحا .
لو علمتُ الشر من اوصافه لم احط في عشره ممتدحا .

ومن قصائده واحدة يمدح بها احمد باشا الجزار والي عكا ويذكر رجوع عساكر نابليون بونابرت عليها اذ قال :

يا سعد عكا ، اذ رفعت منارها ، والفيل ترفع قدرهُ الآسادُ .
يا فخر عكا في البلاد ، فانما تاج البلاد وسورها وعمادُ .
وبك احتمت اموالنا وبلادنا ودماؤنا والعرض والاولادُ .
لو انكروا ما قد فعلت فانما انكار فضلك في الدنى الاسآدُ .

الى ان قال :

يا ايها الجزار اعناق العدى يا من هو السادات والامجادُ

ثم يذكر انعطاف الجزار على اهل بيروت بقوله :

هم اهل بيروت الذين تربت منهم بدرّ عطائك الاجيادُ ،
وملكتهم ، ووداهم لك صادق ما ان لهم فيمن سواك وِدادُ ،
لا نقص فيه ، ولست فيه مشاركاً بل فيك دوماً لم يزل يزدادُ .
ولقد خدمتك مادحاً بقصيدة ، ومديح مثلك في الانام رشادُ .

وقصيدة اخرى صدّرها بمقدمة فصل فيها حروب الفرنسيس لعكا ثم ختمها باشعار قال فيها يصف بسالة الجزار :

تفرّ منه اسود الغاب حيث سطا ، وتختشي سهمه الطير الابابيلُ .
يكرّ كرّ الضواري وهي عادية ، وليس يجهدهُ كدٌّ وتنقيلُ .
لا يعرف الموت ، لو دارت سلافته وعمّ في قومه جرح وتقتيلُ ،

وقال يؤرّخ ضريح المرحوم الحاج علي بك ، ابن الوزير الحاج محمد باشا الظلم ، المتوفى بالطاعون سنة ١٢٠٧هـ والمدفون في الباب الصغير، وكان الناظم اذ ذاك في دمشق :

التقى زاد العارف المستقيم ، والرضا بالقضاء شأن الحليم ،
فملامَ القصور عن درك نفع ، والمنايا تنال كل عظيم !
ها عليّ ابن الوزير الذي قد ملك الشام بالطريق القويم
اخذته يد القضاء شهيداً فاجاب القضاء بالتسليم .
ولقد قلتُ للرضا : اين تبغي مذ تبدّى يمرّ مثل النسيم ،
قال : أرخ اروم قبر عليّ كرّم الله وجهه بالنعيم .

ومدح الشيخ عبد اللطيف شعراء كثيرون منهم نقولا الترك من دير القمر مدحه بقصيدتين في سنتي ١٢١٦ هـ (١٨١١ م) وسنة ١٢٢٨ هـ (١٨١٣ م) قال من قصيدته الاولى وقد زاره في بيروت :

الا سعياً لبيروت التي كم رقت اعلى على النزّ المنيف ،
بولّى شُرّف الافتاء فيه ، واشرق منبر الشرع الشريف ،
همام قام فيه العدل يزهو ، واخمد كل ظلاّم جنوف ،
صفوا ما تبتغون من المزايا وحسن الخُلق في عبد اللطيف »

ومدحه ميخائيل البحري بقصيدة ذكر فيها استاذه الجربير (المشرق ٣ : ١٧) الى غير ذلك مما لا محل لتفصيله الآن . ولكننا ذكرناه استطراداً . رحمه الله واجزل ثوابه .

ارتفاع الصليب

سير منسوب الى القديس كيرلس اسقف اورشليم

٣١٣–٣٨٧م

نشره لاول مرّة ، وعلّق عليه

الخوري بولس قرألي ، مدير المجلة البطريركية

٢

البحث الاول

في نسخه واهميته (تابع)

٥ ــ المقابلة بين النصين

لهذه المقابلة اهميتها اولاً لمعرفة المصدر الذي اخذ الناسخان عنه . ثانياً للتثبّت من مصدر الزيادات في مخطوطة حلب وهل هي اصيلة ام دخيلة . ثالثاً لمعرفة اي النصّين أصحّ .

يلوح لاول وهلة ان النصّ الحلبي ، المنسوخ في دير قزحيا سنة ١٥٥٨ ، مأخوذ عن نصّ بكركي الذي سبقه بقليل ، وصاحبه احد كهنة حصرون القريبة من هذا الدير ، ولعله كان ساكناً دير قنوبين في وادي قديشا ، المجاور لدير قزحيا المذكور . بيد ان من تمعن في النصّين وجد ان الواحد لم يأخذ عن الآخر ، بل ان كليهما أخذا عن مصدر واحد . نستدلّ على ذلك من اتفاق النصّين حرفيًا ، الّا في الفقرات الزائدة ، التي يتفرّد بها النصّ الحلبي ، والتي نراها كلها غير ضرورية ، بل غير معقولة ومتناقضة ومنافية لغرض صاحب الميمر . فهي اذًا دخيلة ، خارجة من رأس الناسخ ، أو بالاحرى من رأس مناظره او مناظريه . ويسهل على كل من له ادنى معرفة بالنقد ان يفرزها جانباً ويطرحها

خارجاً ، فيعود النصّان الى الاتفاق التام . فان تثبتنا من ذلك حق لنا البتّ في ان نصّ بكركي أصحّ واقرب الى الاصل ، واليه يجب الاستناد في تعليقنا ودفاعنا ، مع الرجوع الى النصّ الحلبي لتأييد روايته ، واصلاح بعض الاخطاء النسخية فيه ، وترميم ما ذهبت به العثة والايام من حروفه وكلماته.

واليك الادلة على قولنا :

١ً مطابقة النصّين

تجد بين النصّين اتفاقاً غريباً حتى في الاخطاء . واليك بعض الامثلة على ذلك ، مع الاشارة الى الصفحات الواردة فيها[1] :

الاغلاط النحوية

« هي الذي » بدلاً من « هو الذي » ٩ و١٩٩ — « أزالة » بدلاً من «أزالت» ١١ و١٩٩ — الذين شربون ١٧ و٢٠٤ — فتعجّبون ٢٠ و٢٠٦ — كل شيئاً ٢٨ و٢١٥ — كل لغةً ٢٩ و٢١٥ — ان يقتلون ٣٣ و٢١٦ — لما علم ابيه ٣٥ و٢٢١ — المسيح هو صليباً كله ٤١ و٢٢٨ — ذات يوماً ٤٣ و٢٢٩ — فوجدا حجر عظيماً ٥٧ و٢٤١ — يقال لها فهدً عظيم ٧١ و٢٤٩

اغلاط النقل

« يتاوهم » بدلاً من « يثلبهم » ٣٦ و٢٢٦ — « محل الاعتقاد » بدلاً من « محل الاعتماد » ٧٣ و٢٥٠

الاصطلاحات

يضع كلاهما علامة التنوين فوق الحرف دون الاستعانة بالالف : موضعً ١٥ و٢٠١ — مكتوبً ٢٠ و٢٠٦ — بقلبً ٢١ و٢٠٨ — جمعً كثير ٤٦ و٢٣٢ — وقتً طويل ٦٠ و٢٤٢ — زمانً طويل ٦٧ و٢٤٥ . ويحذفان غالباً الف جمع الماضي الغائب : جاو اي جاؤوا ١٣ و١٩٧ — رأو ١٧ و٢٠٤ — أتو ١٩ و٢٠٥ — وغير ذلك.

---

١) الارقام الصغيرة من ١—٧٤ تدلّ على صفحات النسخة الحلبية ، والارقام الكبيرة من ١٨٧ حتى ٢٥١ تشير الى صفحات مخطوطة بكركي.

. ويكتبان اسم الانبا باخوس مستبدلين البـاء بالواو وواضعين نقطة فوق الكاف ليمنعا ترخيمها : ٥أصص ١٠,١٤,١٨ و١٩٧ و٢٠٠ و٢٠٤ و٢٠٥

ويكتبان تارة « اورشليم » وطوراً « يورشليم » حسب اللفظ اليوناني بحيث انهما يتفقان حيناً على كتابتها بالشكل الاول وآخر بالشكل الثاني٩,١٩,٢٢,٣٢ كما في ١٩٥ و٢٠٥ و٢٠٦ و٢١٨ ويفضّل ناسخ مخطوطة حلب كتابتهـا على النمط الاول حسب لفظ اللبنانيين.

وكلاهما يلقبان مريم العذراء بمرت مريم ⲙⲁⲣⲓⲁ ⲙⲉⲣⲓⲙⲛⲏ مع ان الترجمة الاصلية وُضعت في القطر المصري ، كما سنبيّنه.

٢ً اختلافهما

وهذا لا يعني ان ناسخ المخطوطة الحلبية ينقل عن مخطوطـة بكركي ، لانه يخالفه في بعض الاحيـان بطريقة تدلّ على انه لا ينسخ عنه بـل عن مصدر آخر ، هو مصدر مخطوطة بكركي نفسه.

فهو يتجنّب احياناً بعض الاغلاط التي يقع فيها ذاك. ففي صفحة ٤٦ كتب عن عسكر قسطنطين انه رجع سالماً من الحرب « ولم ينثلم منه أحد » مع ان ناسخ بكركي كتبها في صفحة ٢٣٢ « لم يعلم » . وكتابتها على هذا الشكل واضحة في نسخة بكركي لا يسع الناسخ ان يخطئ في قراءتها.

وفي صفحة ٩ كتب « اسرعوا بنا » مع ان ذاك كتبها خطأً صفحة ١٩٥ « اسرعوا فينا ». وفي نص بكركي صفحة ١٩٢ « وكانوا يقولون لا بـد سوف يفتقدنا بالملك » . اما ناسخ المخطوطة الحلبية فكتبها في صفحـة ٦ على صحتها « ابن الملك ».

ومن اظهر الدلائل على ان هذا الاخير لا ينقل عن الاول بل ان كليهما نسخا عن مصدر واحد ما جاء في صفحة ٥٤ من النص الحلبي « وطلع بهم الى محل عالٍ » . فدهشنا لاصابته في حذف الياء للتنوين ، ولما راجعنا نص بكركي صفحة ٢٤٨ رأينا ناسخه قد كتبها اولاً عال ⲗⲁⲗ ، ولجهله قواعد العربية ظن نفسه على خطأ ، فعمد الى حرف اللام ⲗ وكشط السن الثانية منه وابدلها

بياء ، فاصبحت حاجد

وقد وافق ناسخ قزحيا مخطوطة بكركي في كتابة الاشهر القبطية ووضع ما يقابلها عند اللبنانيين او السريان[1] وخالفه في غير مواضع.

ففي صفحة ٦٩ كتب « شهر توت » مع ان ناسخ بكركي أبدله باسم « أيلول » صفحة ٢٤٦ . وقال في صفحة ٧٠ « شهرتوت على رأي المصريين » واكتفى ناسخ بكركي بقوله « ايلول » . وبالعكس فقد كتب في صفحة ٥٧ « شهرتوت الذي هو ايلول » لانه يشتغل للحلبيين ، مع ان ناسخ بكركي أبقاها صفحة ٢٤١ « توت » بدون تفسير.

كذلك اضاف ناسخ دير قزحيا صفحة ٥٥ على كلمة « آلة الحفر » التي امر قسطنطين اليهود بان يجلبوها معهم ، كلمات « ومعاديد وابياك ومجارف » . وفسّر كلمة « طوريه » المصرية التي وردت في صفحة ٢٤١ من نسخة بكركي ، فقال صفحة ٥٧ : « طوريه اي معدور »

كذلك نقل بعض كلمات على حسب اصطلاح كتابتها في العربية مخالفاً في ذلك ناسخ بكركي . فقال « البارقليط » ص ٢٩ بدلاً من « فارقليط » ص ٢١٥

وخالف ايضاً مواطنيه خاصة ، والسريان عامة في كلمة « البطاركة » التي تعني عند اليونان واللاتين جدود العبرانيين . فقال في صفحة ٥ « الآباء البطاركة والانبياء » ولا بد انه وجدها هكذا في النسخة التي نقل عنها . اما ناسخ بكركي فاكتفى في صفحة ١٩١ بكلمتي « الآباء والانبياء » . كذلك لقب ناسخ مخطوطة حلب اسحق والد يعقوب « باسحاق البطريرك » مع ان ناسخ بكركي سماه في صفحة ١٩٧ « رييس الآباء » . ولا يخفى ان هذا اللقب (البطريرك) يخصص عند الموارنة والسريان والشرقيين عامة برئيس الطائفة ولا يطلق على احد جدود العبرانيين.

---

١) لا ننسَ ان المترجم من السريان القاطنين في وادي النيل.

٣ً الفقرات الدخيلة

اذا استثنينا الفقرات الدخيلة في النصّ الحلبي اصبحت الاختلافات التي ذكرناها طفيفة تحدث في كل نقل ، فلا يجوز نسبتها الى اختلاف المصدر لان النصّين ، في ما عدا ذلك ، متفقان حرفياً حتى في الاغلاط ، كما بيّناه سابقاً . ولا يمكننا ان نفسّر كيف ان النص الحلبي يماشي نصّ بكركي حرفياً ، ثم يشطّ عنه فجأة في الروايات الدخيلة ، الا اذا قدّرنا انه نقل من المصدر نفسه ، وانه لقّى هو أو مناظروه تلك الروايات ، أو انهم اخذوها عن مصادر غير ميمر القديس كيرلّس ، كالنشرات السريانية القديمة الحاوية لقصة اكتشاف الصليب ، التي سنقول فيها كلمة خاصة . ونحن نرجّح ان معلمي الناسخ أملوها عليه عن حسن نيّة ، وانهم اخذوها عن كتب اليعاقبة مجاوريهم في قريتهم بقوفا ، كما تقدّم القول ، وفي ظنهم انهم يزيدون بها الميمر رونقاً وتأثيراً وحجته قوةً . ولم يدروا انهم بذلك قد شوّهوه وجعلوا نصّهم غير موثوق به ، الا في ما طابق نصّ بكركي . وان كنا نشكّ في بعض عبارات وروايات وردت في نصّ بكركي نفسه ، ونعزو دخولها الى تداول النساخ للميمر مدة ستة عشر قرناً ، فلا يسعنا ان نقبل تلفيقات زميله دون ان نضطرّ الى طرح الميمر برمته جانباً كسلعة لا قيمة لها . والغريب في النصّ الحلبي انه يسير ونص بكركي جنباً الى جنب في الصفحات الثلاثين الاولى ، ويبدأ بعد ذلك بالابتعاد عنه حيناً ، ثم بالعود الى مصاحبته حيناً آخر ، حتى اذا عنّ له ما خاله حسناً تخلّف عنه الى ان ينتهي من حكايته . وهكذا دواليك . ويظهر ان اليسير الذي اضافه المعلّم المرة الاولى صادف عند رفقائه ، او عنده ، استحساناً شجّعه على المضيّ الى أبعد منه . لاننا نجد في بدء الامر كلاماً وعبارات مغايرة لنصّ بكركي ، ثم يتعدى ذلك الى فقرات ، ومنها الى روايات برمتها خارجة عن الموضوع . ومع ان عبارة الترجمة ركيكة مشحونة بالاغلاط النحوية والصرفية فعبارة هذه الروايات احطّ منها واكثر خطأً . فضلاً عن ان موضوعها سقيم صبياني عقيم . واليك بعض الامثلة .

في صفحة ٤٤ ، بعد أن سرد النص الحلبي رؤيا قسطنطين الملك ليلة المعركة الفاصلة ادّعى ان الملك أسرّ بها الى والدته القديسة هيلانة كأنها صحبته الى معامع الحروب . ولم يعرف أن يضع في فمها ملاحظة او جواباً ما ، كأنها لم تأبه لهذه الرؤيا السموية ، التي جعلت ابنها امبراطور العالم ، وكانت فاتحة انتصار المسيحية على الوثنية.

وفي صفحة ٤٨ ، يضع على لسان هذا الملك مديحاً للصليب قبل اكتشافه، لا يعقل أن يقوله ، وهو لم يتنصر بعد ، ولم يعرف من الصليب سوى رسمه : « أنا عالم انه يخلص الكنيسة وكل اولادها من الشيطان وجميع حباله وأنا باعلم (اي اعلم) ان في هذا الصليب الذي أنا طالبه فهو يهب لي القوة على كل اعداي » . ويتابع طريقه على هذا النسق السقيم رأياً وتعبيراً .

ويروي ، في صفحة ٤٩ ، أن الملكة هيلانة لما تحققت عزم ابنها على الذهاب الى اورشليم للبحث عن الصليب ، أرسلت منادياً ينادي في اهل رومية ليصحبوها في هذه المهمة . ويردف قائلاً: « فاجتمع خلايق عظيمة في طلب الصليب وساروا الى بيت المقدس» كأن المسافة بين رومية والقدس بضعة اميال على اليابسة.

وفي هذه الصفحة ان قسطنطين طلب الى اليهود ان يدلّوه ، لا على مكان القبر والصليب فحسب ، بل على «الحربة واكليل الشوك والاكفان».

وفي صفحة ٥٩ بعد ان اثبت التاريخ نصّ وصية يوسف الرامي ونيقوديموس التي تركاها في القبر حيث خبأا الصلبان ، اضاف النص الحلبي على لسانهما فقرة يحثان فيها من يجد هذه الصلبان ان يضعها على جثة ميت فيعرف صليب المسيح، مع انهما سبقا فنبها ان صليب المسيح هو حامل الكتابة .

وفي صفحة ٦٠ ان الملكة هيلانة بعد ان اكتشفت الصليب « صارت تقبله وتضعه على عينيها» ، مع ضخامته.

وما يضحك الثكلى حديث الميت ، الذي قام من لمس الصليب ، عن الجحيم وعن العذاب الخاصّ المعدّ لليهود في جهنم تكفيراً عن جناية آبائهم صالبي السيد المسيح.(صفحة ٦٢)

وفي صفحات ٦٤ــ٦٦ مديح آخر للصليب بفم قسطنطين ، فيه من الاختلاقات والغرائب ما لا يقبله عقل . وقد نسي الناسخ انه يتكلم باسم قسطنطين فقال في صفحة ٦٥ : « يا اخوتي . . . »

ونحن نحمد الله لظهور هذه المبالغات والسخافات والمناقضات في الفقرات الدخيلة ليسهل علينا تمييزها عن الاصل . وامامنا عقبات كأداء سنضطر الى تمهيدها ترجيحاً لصحة نسبة هذا الميمر الى القديس كيرلس الاورشليمي، الواصل الينا بحالة يرثى لها من الغموض والترقيع ...فان تيسر لنا التخلص منها ، بحجة اجتياز الميمر ستة عشر قرناً وتقلبه في ثلاث لغات مختلفة النسق والاصطلاح ، لا يسعنا التماس العذر لمعلمي راهب قزحيا ، وان كانوا من مواطنينا وبطاركتنا، على حشرهم دفعة واحدة في هذا الميمر كلمات وجملاً وفقرات وروايات يعسر علينا ابتلاعها لكبر حجمها ، فكيف نستطيع هضمها.

هذا لا يعني ان نصّ دير قزحيا المحفوظ في قلاية حلب المارونية لا قيمة له ولا فائدة ترجى منه ؛ بل بالعكس ، اذا طرحنا منه كل هذه الثقالات ، اصبح لنا عوناً كبيراً في التثبت من نص الترجمة العربية الاصلي وفي تلافي اخطاء نصّ بكركي وسدّ نواقصه.

٦ ــ القديس كيرلس الاورشليمي

قبل ان نخوض في درس هذا الميمر وردّ هجمات المعترضين عنه ، لا بدّ لنا من كلمة نقولها في واضعه وعصره ، وفي اهميته من الوجهتين الدينية والتاريخية ، توصلاً الى تعزيز بعض مراكز هذا الدفاع ، وتعيين المكان والزمان والوسط الذي أُلقي فيه.

١ ــ القديس كيرلس

وُلد القديس كيرلس اسقف اورشليم في عصر ولدت فيه البدع وتعددت وتضاربت ، فشوّشت افكار العالم المسيحي واضرت به اكثر من الاضطهادات

التي توالت عليه ثلاثة قرون ، منذ نشأته حتى عهد القديس . امات الاضطهاد الاجساد ، اما هي فقد اماتت النفوس . هو شدّد عزائم الكنيسة ، اما هي فقد هدّتها هدًّا . ما إن اعلن قسطنطين ايقاف الاضطهاد سنة ٣١٣ وأراح الكنيسة من شبحه حتى جاءت عقارب الاضاليل تدبّ في جسمها دبيبها ، فاقلقت راحتها ولم تستعدها البتة .

واولها واخطرها الاريوسية . انكرت الوهية المسيح ، فجعلته صنماً يُعبد او انساناً يؤلّه . اي انها حاولت تحويل النصرانية الى الوثنية . لقيت في القديس كيرلس محارباً جريئاً ، قوي الحجة ، فصيح العبارة ، نيّر العقل ، واسع العلم . حاربها فحاربته . حطته عن كرسيه ونفته ست عشرة سنة ، انا لم تكمّ فمه ولم تطمس تعاليمه ، بل خلّدتها . عدّه العلماء باسلوبه وانشائه من لاهوتيي انطاكية ، وقد قضى بها شطرًا من غربته ، وعدّته الكنيسة من اقدم واكبر معلّميها . ولعله اكبرهم لأقدميته عليهم . فالوارث ليس كالفاتح ، واللاحق ليس كالسابق . لانه اول من بسط عقائد النصرانية وشرح غوامض أسرارها باسلوب واضح فلسفي ، اي انه اول من وطدها على دعائم منطقية منظمة .

ولد القديس كيرلس في اورشليم او في ضواحيها[1] حوالي سنة ٣١٣او٣١٥ ، لان كتاباته تدلّ على معرفته بحالة الاماكن المقدسة قبل ان يرمّها الامبراطور قسطنطين في سنة ٣٢٦ . وأكبر الظن انه مارس منذ شبابه الطريقة الرهبانية . وهو ان لم يسكن ديرًا ولا انزوى في البرية ، فقد عاش عيشة عفاف وزهد وتقشف ، ساعياً في نضارة عنفوانه الى الكمال المسيحي بتقوية النفس على الجسد . فاستحق ان يتشرف بلقب النساك والرهبان وان لم يكن بحصر المعنى من طغمتهم .

اقتبل الكهنوت من يدي القديس مكسيموس ، اسقف اورشليم ، وعكف

١) نأخذ معلوماتنا عنه من مقالة للاب لباشله X. Lebachelet اليسوعي ، نشرت في قاموس اللاهوت الكاثوليكي لفاكان ومنجنو تحت اسم هذا القديس *Dictionnaire de Théologie Catholique par* A. Vacant *et* E. Mangenot. Imp. Letouzey. Paris, 1908. T. III, col. 2527-2577

على الوعظ والارشاد فنال شهرة سريعة ومكانة عالية أهلته الى أن يخلفه حوالي سنة ٣١٨ على كرسي المدينة المقدسة ، وان يُحيي ذكرى واعمال قداسته. وفي بدء اسقفيته ، في السابع من ايار سنة ٣٥١ ، ظهر في سماء اورشليم صليب كبير من نور شاهده كل سكانها . فكتب القديس الى الامبراطور قسطنس ابن قسطنطين يبشره بهذه الاعجوبة الباهرة ، التي ظهرت على عهده، كما ظهرت خشبة الصليب المقدس على عهد ابيه . وحالما مسك مقاليد الرعية حوّل همه الى النشأة الحديثة موضوع آمال النصرانية، فتولى بنفسه ارشادها في التعاليم المسيحية وتسليحها ضد الاضاليل المتفشية في ذاك العهد . فكان يجمع في كنيسة القيامة ، ابان صوم سنة ٣١٨ ، الاحداث المعدّين لاقتبال سر العماد في فصح تلك السنة ، ويُلقي عليهم العظات التي خلدت اسمه ، شارحاً لهم عقائد الدين الاساسية باسلوب سهل ولهجة تختلج فيها نبرة الحماسة والعطف الوالدي ، فتقرّبها الى اذهان سامعيها وقلوبهم. وبعد ان اقتبل تلاميذه اسرار العماد والتثبيت والقربان عاد فجمعهم في معبد القبر المقدس . وعلى ذاك الضريح ، الذي حلّ فيه فادي الانام واظهر فيه مجده ، القى عليهم ثماني عشرة عظة اخرى شرح لهم فيها غوامض هذه الاسرار ، وهي مع ما سبقها تُعدّ من اثمن المصادر لمعرفة آراء الكنيسة في ذلك العهد في عقائدها، وفيها من المعلومات التاريخية والتقليدية ما لا يقوّم بثمن.

وقد شاءت اخلاق البشر ان يختمر الحسد في صدورهم لدى رؤية الفوز ، ادبياً كان ام مادياً . أولدت شهرة القديس حسد المبتدعين ، لانهم رأوا فيه هادماً لاضاليلهم وآمالهم فانقلبوا الى اعداء . وفي مقدمتهم اكاكيوس ، اسقف قيصارية وميتروبوليت فلسطين . هذا كان من اكبر الساعين في ترقية كيرلس الى كرسي اورشليم ، على ان يكون بفصاحته وسعة علومه من اكبر مشايعيه في بدعة الاريوسية . وما عتم ان خبر فيه اكبر مناوئ لآرائه ومزاحم على سلطته ونفوذه . فعمد الى معاكسته ، والتدخل في شؤون أبرشيته . واذا بالقديس يصمد له ويصارحه بامتيازات كنيسة اورشليم أمّ جميع الكنائس واستقلالها عن سلطته . ولما بلغ النزاع أشدّه جمع اكاكيوس عليه مجمعاً من

الاساقفة اتهمه فيه بتبديد اوقاف الكنيسة وحطّه عن كرسيه ، واستصدر من الملك قسطنس امراً بنفيه . وفي الحقيقة كان القديس كيرلّس قد اضطرّ في احدى سني المجاعة الى بيع بعض اوانٍ كنسية لاطعام الجائعين من رعاياه . فذهب ضحية حنانه واستقامة رأيه.

قضى القديس السنة الاولى من منفاه في انطاكية ، حتى اذا توفي بطريركها لاونطيوس انتقل منها الى طرسوس ، حيث لقي في اسقفها سلوانس مضيفاً وصديقاً ومحامياً . فسمح له ، بالرغم من احتجاجات اكاكيوس ، باستعمال الحبريات في ابرشيته وبالقاء المواعظ . ثم سعى له ، مع بعض محبيه ، بالعود الى كرسيه اورشليم سنة ٣٥٩ . بيد ان اكاكيوس تغلّب عليه في السنة التالية وأعاده الى المنفى ، فلبث في انطاكية حتى وفاة قسطنس سنة ٣٦٢

وكانت تنتظره في اورشليم صعوبات جمة . فقد شاهد رعيته في اضطراب من الهراطقة ، ورجل من اليهود الذين تقوى ساعدهم بالامبراطور يوليانس الجاحد ووطّدوا النية على اعادة هيكل سليمان . فأعلنهم القديس بالفشل ، وصدّقت الايام نبوءته . وقد حصر جهده بعد وفاة يوليانس في اصلاح شؤون رعيته . ولما مات اكاكيوس توصل الى تقليد صديقه فيلومينوس وظيفته .

وفي سنة ٣٦٧ استصدر المبتدعون امراً من الامبراطور والنتيوس (٣٦٤ــ ٣٧٨) بتنزيل كل الاساقفة الذين أبعدهم الملك قسطنس وعادوا بعد وفاته الى ابرشياتهم . فاضطر القديس كيرلّس ان يترك للمرة الثالثة رعيته المحبوبة حتى سنة ٣٧٨ التي توفي فيها الامبراطور المذكور . قضى هذه المدة على الارجح في انطاكية . ولما عاد الى ابرشيته وجدها بحالة يرثى لها لتناوب الاساقفة الهراطقة عليها وتفشّي المفاسد فيها . لان فساد الاخلاق يتبع دائماً فساد الآراء . ولو اقتصرت البدعة على النظريات لهان امرها ، بيد انها تتخطّى دائماً الى الآداب، كأن التبسط بلا ضابط في حرية الفكر يؤول حتماً الى التبسط في حرية السلوك .

وفي سنة ٣٨١ حضر القديس كيرلس مجمع قسطنطينية الاول ، وهو ثاني المجامع المسكونية ، بعد المجمع النيقاوي . وكان له في عقده واعماله اليد الطولى ، حتى ان الاساقفة ، الذين اجتمعوا بعد انفضاضه لاذاعة مراسيمه

وتنفيذها ، كتبوا الى البابا الدمشقي Damasus مادحين من القديس وشاهدين بصحة رسامته وآرائه ، ممثلينه كأكبر مناضل عن الرأي القويم ضد الاريوسيين. وقد لقبوا كنيسة اورشليم «بأم كل الكنائس».

جاور القديس مولاه في سنة ٣٨٧ في السبعين من عمره او الاثنتين والسبعين، بعد اسقفية دامت خمس وثلاثين سنة ، قضى منها ست عشرة سنة في المنفى . انما قضى حياته كلها في الجهاد : الجهاد الداخلي ضد ذاته ، والخارجي ضد الخوارج على الكنيسة . وما يُذكر لصالحه انه كان مسالماً، لم يتعرّض قط في حياته للاشخاص ، مهما كانت آراؤهم وسيرتهم على فساد ، املاً في استجلابهم يوماً الى الرأي المستقيم واصلاحهم . اما حسّاده فقد حاربوا دوماً آراءه في شخصه.

وكأن الاشخاص المضطهدين لنبوغهم وفضلهم لا يُنصَفون الا بعد موتهم ، فيصبح موتهم الطبيعي حياتهم الادبية . فقد رفعت الكنيسة الشرقية القديس كيرلّس الى مصافّ اكبر قديسيها ومحاميها ، وعينت له الثامن عشر من ايار تذكاراً خالداً . وشغف لاوون الثالث عشر بسمرّ تعاليمه وقدّر له جهاده حق قدره فعمّم في سنة ١٨٨٢ عيده على الكنيسة جمعاء ومنحه رسمياً لقبه « ملفان الكنيسة ».

وسنقول كلمة في طريقته وآرائه لاثبات نسبة هذا الميمر اليه . ونبدأ اولاً ببيان اهميته. (له صلة)

الامثال والاساطير اللبنانية

المختصّة باشهر السنة الشمسية

بقلم لحد خاطر

التشرينان

جَمَعت الاساطير والامثال اللبنانيــة بين شهري تشرين كما جَمَعتْ بين شهري كانون ، لذلك آثرتُ الكلام عن التشرينين في فصلٍ واحد ، كما تكلمت عن الكانونين :

تشرين من « تشرينو » الكلدانية التي معناها « الابتداء » ، سمي بها تشرين الاول بداءةً ، لانه كان مطلع السنة او ابتداءها . يقابل تشرين الاول من الاشهر الافرنجية « اوكتوبر » . كان الرومان يحتفلون فيه بعيد آلهة الخمور والحقول والرعــاة لانه الزمن الذي يتم فيــه استخراج الخمر وتُسمَن الماشية ويباشر القاء الزرع في الارض ، وكان يرمز اليه بصورة صيّاد عند قدميه ارنب وفوق رأسه عصافير ، والى جانبه دنّ خمر ، اشارةً الى ما يتمّ فيه من الصيد وقطف العنب وصنع الخمور .

اما تشرين الثاني فيقابله من الاشهر الافرنجية «نوفمبر» ، فيه تدخل الشمس برج « الرامي » وهو متوسط الخريف ويسميه الانكليز شهر الرياح ، وكان الرومان يدعونهُ شهر بــداءة الشتاء ، وقد خصّوه بعبودتهم « ديانا » ومثّلوه بهيئة كاهن للاله ايزيس

. . . .

وفي لبنان تتدرّج الطبيعة في هــذين الشهرين من الصيف الى الشتاء ، فتبدأ رويدًا رويدًا بخلع محاسن الصيف وبهارجــه والظهور باكفهرارها الباعث على الانقباض والوحشة ، وكلما مضى منهما يوم قرب الشتاء والطقس البارد ، ويشتدّ البرد عادةً في طرفي النهار والناس لم يتعودوه بعد فينالهم منــه ضرر ، لذلك قالوا : « برد التشارين ، بيهرّ المصارين »

وقد تكثر بسبب هذا البرد النزلات الوافدة والزكامات والالتهابات الصدرية مما يوجب الانتباه والتوقي ، وقد قالت العامة في ذلك : « برد التشارين توقّاه ، وبرد الربيع تلقّاه »

وفي المناطق العالية يبقى من الغلال والثمار ما يستغلّ في التشرينين ولاسيما العنب الزحلاوي ، ويقال في تلك الانحاء : « في تشرين ، ودّع العنب والتين ». ولكن الوسائط التي اخذوا اليوم يستعملونها لحفظ العنب من اضرار المطر والبرد قد تبقيه الى شهري كانون.

وقد يحدث في التشرينين ، رغم ما قدّمناه عن تقلّص ظلّ الصيف وظهور الشيب في هام الطبيعة ، ان يطول الصحو وتتوالى الايام الجميلة حتى لقد يظن المرء نفسه في صيفٍ جديد ، وقد قالوا في ذلك : « ما بين تشرين وتشرين صيف ثانٍ »

وفي التشرينين تشحّ الينابيع والانهار اطول عهد الصحو حتى تكاد تنضب ولكن الماء يطيب لما يمازجه من برودة ، وقد اعربوا عن ذلك بقولهم : « اللي ما شبع من العنب والتين ، يشبع من ماء التشارين »

ويواصل الفلاحون اللبنانيون من مطلع تشرين الاول استعداداتهم التي يكونون بدأوا بها من ايلول لمباشرة الحراثة فيجدّدون سككهم ومعاولهم ويُعدّون الانيار والمحاريث والبذار من مختلف الحبوب والعلف لماشيتهم وغير ذلك من المعدات التي يحتاجون اليها في مهامهم الزراعية ، ويستدلّون على قرب وقوع الشتاء وارتواء الارض بظهور زهرة بيضاء جميلة المنظر سريعة الذبول تظهر عادةً في تشرين الاول تسمى باصطلاحهم « الوَحْوَاح » فاذا رأوها هتفوا قائلين : « هيْ بركك يا فلاح ، طلع الوَحْوَاح » ، وفي التشرينين « يشحّلون » التين بعد انتزاع ورقه وحفظه علفاً للماشية ويقولون في ذلك : « شحالة التين ، في التشارين ».

وفي تشرين الثاني تموت الهوامّ والحشرات وتختفي الدبابات والزحافات والافاعي لقرب هجوم المطر ، ويقولون في ذلك : « جاء تشرين الثاني ، وما عدنا نشوف لا حيّة ولا برغشة ولا دبّانه »

وفي آخر تشرين الثاني تقصر الايام قصراً عظيماً ، وفيها يستقطر الزيت ، ويسميها اللبنانيون : « نهارات الزيت ، اصبحت امسيت » ويقولون ايضاً : « بنهارات الزيت ، بالكاد المرأة الشاطرة تطبخ وتكنس البيت » اي ان هذه النهارات تمرّ سراعاً فلا يكاد الصبح يطلع حتى يهجم المساء.

ولهم في استخراج الزيت عبارات اصطلاحية تدلهم على الطريقة الفضلى فيه ، من هذه العبارات قولهم : « ن عفن زيتونك في بيتك ، حدّحدْ زيتك» اي صار طعمه حريفاً

ومنها : « حوّش ورصّ ، مشّق وسبّح » ومعناه: « الزيتون المقطوف باليد اصلحه «مسبّحاً» اي مغمساً بالماء والملح، والمنتثر تحت الاشجار استعمله «مرصوصاً».

ومنها : « مسبّح السقي ، ومرصوص البعل » ومعناه: الزيتون البعل اصلح « للرصّ » والزيتون السقي اصلح « للتسبيح »

ولهم ايضاً عبارات مثل هذه يرددونها في استقطار العرق ، منها قولهم : « كلما زاد حلو عنبك ، زاد قطر خمرك » و« كلما حلتْ الشمرة ، طابت الخمرة» اي ان العنب الناضج اصلح للخمر من غير الناضج واغزر عائدة .

ومنها : « متى صرت تشوف وجهك بالدغار قيم على النار» اي اترك العنب المنقوع للعرق ريثما يصفو كالمرآة ثم انقله الى الانبيق واستخرجه

ومنها: « نار العرق لهبة سراج ، وحاج » اي استقطر العرق على نار خفيفة كضوء السراج.

ويتخوفون من المرض في التشرينين لان الاجسام تقبل بعدهما على ايام البرد فلا تستعيد عافيتها بسهولة ، ويقولون: « اذا مرضت في تشرين ، لا تشفى حتى تجري الدموية ، في الربيعية ».

وفي اواخر تشرين الاول تصاد السمانى وانواع العصافير والطيور. والصيادون في لبنان قسمان :

الاولون الغواة او الهواة الذين يقدمون على الصيد اجابة لميل مركب فيهم يجدون باتباعه مسرةً ولذة ، والآخرون يتبعون ذلك قصد الربح من بيع ما يصطادون ، وهذا لا ينفي ان يكونوا من الغواة الهواة ايضاً ولكن اهل

البلاد تعودوا الهزء بمن اتخذ الصيد مهنةً للتعيش لانهم وجدوها من المهن القليلة الربح ، وقد قالوا في ذلك: «قطّاع الهيش، ونتّاف الريش» لا يحمد امرهما ولا ينجحان ، ويريدون بقطّاع الهيش الحطّاب ، والحطّاب عادةً يكون كالصياد فقيرًا صعلوكاً سُدّت في وجهه ابواب الرزق فاضطر الى الالتجاء الى هذه المهنة التي لا تسدّ رمقاً رغم ما تقتضيه من الاتعاب والجري في البراري.

وللبنانيين روايات يتسامرون بها عن الحطّابين منها الرواية التالية :

قيل ان حطّاباً كان يجمع حطباً ذات يوم فمرّ به امير كان يتصيد واذ رأى ما يكابده من العناء في مهنته رقّ له وسأله عن مقدار ربحه كل يوم قال : اطال الله بقاء سيدي الامير ، اني اربح كل يوم من عملي مالًا اعيش بقسم منه ، واني بقسم آخر بعض ديني ، وادين منه القسم الثالث ، والقسم الرابع ارميه في البحر . فتعجب الامير من جوابه وسأله ايضاح ذلك . قال الحطاب: اعلم ايها الامير اني اربح كل يوم اربعة غروش ، اعيش بواحد منها وانفق واحدًا على والديّ وفاء لما انا مدين به اليهما من حق التربية ، وواحدًا على اولادي الذكور فادينهم اياه على امل استيفائه منهم متى كبروا وعجزت ، وواحدًا على اولادي الاناث وهو الذي قلت اني ارميه في البحر لاني لست اعلم ماذا سيكون من امر بناتي هؤلاء بعد زواجهنّ وهل يكنّ بارّات بي فيغنيني ديني ام لا. فأعجب الامير بجواب هذا الحطاب الذكي واجازه.

وفي اول مطرة من تشرين تروى الارض فيظهر البزّاق ويسميه اللبنانيون «المرينات» او «البرينات» واحدتها مرينة ، ويدور اولادهم في البراري يجمعونها وهم ينشدون: «يا مرينة يا مرون ، اطلعي لي باربع قرون ، باعت السلطان بيقول بده مرينة زغيّره ، قدّ راس السلطون.»

واللبنانيون لا يأكلون جميعاً البزاق،فان فريقاً منهم يعافهُ ويتقزز منه،وآخر يستطيبه ويستمرئهُ ولا سيما على موائد الشراب ، ومنهم من يمتهن التقاطه وعرضه للبيع في اسواق المدن فيصيب منه ربحاً.

انتهى

ابن عبد ربه و «عقده»

درس ادبي تاريخي

بقلم جبرائيل جبّور
احد اساتذة الادب العربي في جامعة بيروت الاميركية

١٢ (تتمة)

الغزل (تابع)

ويجب ان نذكر هنا ان ابن عبد ربه — على هذه القيود المختلفة التي قيّد بها نفسه — قد وفق في بعض مقطوعاته الغزلية . وليس غريباً ان يكون بعض الشعر الموضوع لغرض خاص علمي او مادي ممثلاً لعاطفة صادقة قويّة. فقد يكون بعض شعر المدح مأجوراً ويكون بالوقت نفسه صادق العاطفة صحيح العقيدة . ويكون بعض شعر الغزل تمثيلاً وتخيلاً ويكون جميل الصورة قوي الخيال ، سائغ المعاني ، صحيح العاطفة ، صادراً عن نفس حساسة تتمثل ما الفته وعانته فتحسن التعبير عنه . وقد لاحظنا ان ابن عبد ربه قد وفق في معارضته لصريع على تأثره له من ناحية القافية والبحر وبعض الالفاظ والمعاني والاستعانة بالبديع وعلى كونه لم ينظم معارضته هذه اثر حادثة خاصة مع حسناء خاصة . واملي من الخير ان نروي لك بعض هذه المقطوعات :

من محبّ شفّه سقمه ، وتسلاشى لحمه ودمه ،
كاتب حنت صحيفته ، وبكى من رحمة قلمه ،
يرفع الشكوى الى قمر ينجلي عن وجهه ظلمه .
من لقون الشمس جبهته ، ولسلمع البرق مبتسمه .
خلّ عقلي يا سفيهه ، ان عقلي لست اقسمه .
« للفتى عقل يعيش به حيث تهدي ساقه قدمه . » (١

---

١) ابن عبد ربه ٣ : ٢٠١

وقوله :

اعطيتُه ما سألا ، حكمته لو عدلا .
وهبته روحي ، فما ادري به ما فعلا ؟
اسلمته في يده عيّشه ام قتلا ،
قلبي به في شغل لا ملّ ذاك الشغلا
« قيّده الحب كما قيّد راعٍ جملا » (١

وقوله :

يا مقلة الرشأ الغرير ، وشقة القمر المنير ،
ما رقت عيناك لي ، بين الاكلة والستور ،
الا وضعت يدي على قلبي ، مخافة ان يطير .
هبني كبعض حمام مكـ ـة ، واستمع قول النذير :
« أنيّ لا تظلم بمكـ ـة لا الصغير ولا الكبير » (٢

واذا تعدّينا هذه المقطوعات التي لم يوفق في اكثرها ، وجزنا هـذا الشعر الذي تحدّى فيه بعض شعراء المشرق مكتفياً بتقليدهم ، ودرسنا ما بقي من شعره الغزلي نرى فنه هذا واضحاً جليّاً . وهو في هذا الشعر يمثل الفن الاندلسي بوجه عام من حيث تفوقهم بالوصف والخيال ، ومن حيث الجزالـة والسهولـة باللفظ والرقة واللين والعذوبة ، وعدم تحميلهم اياه اكثر مما يطيق من المعاني . ونرى في شعره هذا عاطفة قويّة صادقة لم نعرف مثلها في شعره في الهجاء والمدح والزهد واسمع قوله في الفراق :

ودعتني بزفرة واعتناق ، ثم نادت : متى يكون التلاقي !
وتصدّت ، فاشرق الصبح منها بين تلك الجيوب والاطواق .
يا سقيم الجفون من غير سقم ، بين عينيك مصرعُ العشّاق .
ان يوم الفراق افظعُ يوم . ليتني مت قبل يوم الفراق ! (٣

او قوله :

هيّج البين دواعي سقمي ، وكسا جسمي ثوبَ الالم .
ايها البين ، أقلني مرةً ، فاذا عدت فقد حلّ دمي .
يا خليّ الذرع ، كم في غبطةٍ ، ان من فارقته لم ينم .

١) ابن عبد ربه ٣ : ٢٠٨
٢) ابن عبد ربه ٣ : ٢٠٦
٣) ابن عبد ربه ٣ : ١٨٢

ولقد هاج لقلبي سقماً ذكرُ مَن لو شاء داوى سقمي (١

تحسّ ان هذه العاطفة قوية عنيفة ، وهذه المعاني سائغة محبّبة الى النفس ، مع انها تصف الم الفراق ، وترّ هذه الالفاظ رقيقة عذبة سهلة ملائمة موضوعها.

ونظرت اليه فتاة تبكي فقال فيها شعراً منه :

وكأنما غاص الاسى بجفونها حتى اتاك بلؤلؤ منثور (٢

وفي هذا البيت تعبير جميل لمعنى مألوف وضعه بشكل يكاد يكون مبتكراً تخيّل فيه الاسى غواصاً في الجفون عائداً بلؤلؤ منثور . وقد اعجب هو نفسه بشعره هذا ، وقال عنه «انه من رقة التشبيب وحسن التشبيه والبديع الذي لا نظير له والغريب الذي لم يسبق اليه .» (٣

وقال ايضاً :

ادعو عليك ، فلا دعاء يسمع ، يا من يضرّ بناظريه ، وينفعُ .
للورد حينٌ ليس يطلع دونه ، والورد عندك كل حين يطلعُ .
لم تتصدع كبدي عليك لضعفها ، لكنها ذابت ، فما تتصدّع .
من لي باجرد ما بين لسانه خجلٌ ، وسيفُ جفونه ما يقلع ،
منع الكلام سوى اشارة مقلةٍ فبها يكلمني ، وعنها يسمع (٤

وله ابيات نختم بها كلمتنا في شعره الغزلي ، لا يكاد يفرغ منها القارئ الا ويحسّ بالاعجاب فيها ويشعر ببراعة ابن عبد ربه في التعبير عن شعوره وحبه.

بزمام الهوى امتُّ اليه ، وبحكم انعقار اقضي عليه ،
بابي من زها عليّ بوجهٍ كاد يدمى لمّا نظرت اليه !
تأول الكاس واستمل بلحظٍ فسقتني عيناه قبل يديه . (٥

---

١) ابن عبد ربه ٣ : ١٨٢ ؛ اما الثعالبي (١ : ٢٥٧) فيروي هذه الابيات والتي سبقتها لرجل باسم « حبيب بن احمد الاندلسي » . ولعله قد اخطأ في نقله الاسم فقلب « احمد بن حبيب الاندلسي » الى ما ترى . لاسيما وان ابن عبد ربه يقول في عقده عن هذه الابيات « ومن قولنا في البين » وقد اشرنا قبلاً الى ان الثعالبي جعل من ابن عبد ربه صاحبنا شخصين فذكر اشعاراً للاول (١ : ٢٦٠) وسماه احمد بن عبد ربه الاندلسي وذكر الثاني باسم احمد بن محمد بن عبد ربه وروى له اشعاراً في (١ : ٤١٣) والاشعار في كلا الموضعين مذكورة اكثرها في العقد منسوبة لصاحبه ابن عبد ربه .

٢) ابن عبد ربه ٣ : ١٧٦

٣) ابن عبد ربه ٣ : ١٧٦

٤) ابن عبد ربه ٣ : ١٧٦

٥) الثعالبي ١ : ٢٦١

الرثاء

اما شعره في الرثاء فيكاد ينحصر باهله وذويه ، وبالاخص بن فقد من بنيه . ومع ان هذه القصائد قليلة جدًا ، فان الواقف عليها لا يستطيع ان يكتم اعجابه في قوة معانيها ومبانيها . ولعلي لا ابالغ اذا قلت ان ارقّ شعر له واصدقه عاطفة واقواه شعورًا هو شعره في مرض ولديه ورثائهما . وترى ان ابن عبد ربه في احدى هذه القصائد ذا نفس حساسة متألمة ينظر الى ابنه المريض يتقلب على فراش الموت بين يديه ، وقد اعيا الطبيب مرضه ، فيبعث في ذلك الظلام دُعاء الى الله من قلب يتحرك بعاطفة عنيفة صادقة كلها حب ورحمة وحنان وامل :

« بنيَّ ، لئن اعيا الطبيب بن مسلم ضناك ، واعيا ذا البيان المشيّع ،
لابتهلنْ ، تحت الظلام ، بدعوة متى يدعُها داعٍ الى الله يسمع ،
تنلنل من بين الضلوع نشيجُها ، له شافع من عبرةٍ وتضرعِ
الى فارج الكرب المجيب لمن دعا فزعت بكربي ، انه خير مفزع !
فيا خير مدعوّ ، دعوتك ، فاستمع ! وما لي شفيعٌ غير فضلك ، فاشفع ! (١

ويراه ميتاً امامه ثاوياً في قبره فتتقطع كبده وتذوب حشاه ويهلع فؤاده ويكاد يموت عليه كمدًا :

واكبدا ! قد تقطعت كبدي ! قد حرقتها لواعج الكمد !
ما مات حيٌّ لميت اسفًا اعذر من والدٍ على ولد .
يا رحمة الله ، جاوري جدثًا دفنت فيه حُشاشتي يدي .
اي حشًا لم يذب له اسفا ؟ واي عين عليه لم تجدِ ؟
لا صبر لي بعده ، ولا جلد ، فجعت بالصبر فيه والجلد .
لو لم امت عند موته كمدًا ، لحق لي ان اموت من كمدي .
يا لوعةً لا يزال لاعجها يقدح نار الاسى على كبدي . (٢

وتمر الايام فتعاوده ذكراه المؤلمة ، فيتمنى لو يموت ويطوى موضعه ويدرج في اكفانه :

بليت عظامك ، والاسى يتجدّد ، والصبر ينفد ، والبكا لا ينفد !
يا غائبًا لا يرتجى لايابه ولقائه ، دون القيامة ، موعدُ ،

١) ابن عبد ربه ٣ : ٢٩٨ ٢) ابن عبد ربه ٣ : ١٢

ما كان احسن ملحداً ضمته ، لو كان ضمّ اباك ذاك الملحدُ !
باليأس اسلو عنك ، لا بتجلدي . هيهات ! اين من الحزين تجلّدُ ! (١

وله فيه ايضاً :

يا سيدي ومزاج الروح في جسدي ، هلّا دنا الموت مني حين منك دنا !
حتى يمرّ بنا في قبر مظلمة لحدٌ ، ويلبسنا في واحد كفنا !
يا اطيب الناس روحاً ضمّه بدنٌ ، استودع الله ذاك الروح والبدنا !
لو كنت اعطى به الدنيا معاوضةً منه ، لما كانت الدنيا له ثمنا . (٢

اما ولده الآخر فقد تناوله الموت وهو طفل ، ولم يكن جزعه عليه باقل من جزعه على اخيه الاكبر :

على مثلها من فجعة خانك الصبر ! فراق حبيب دون اوبته الحشرُ !
ولي كبد مشطورة في يد الاسى : فتحت الثرى شطر ، وفوق الثرى شطرُ .
يقولون لي : صبّرْ فؤادك بعده . فقلت لهم : ما لي فؤادٌ ، ولا صبرُ .
فُريخ من الحمر الحواصل ما اكتسى من الريش حتى ضمه الموت والقبرُ .
اذا قلت : اسلو عنه ، هاجت بلابل بجدُّدها فكر يجدُّده ذكرُ .
وانظر حولي ، لا ارى غير قبره ، كأنّ جميع الارض عندي له قبرُ .
افرخَ جنان الخلد طرتَ بهجتي ، وليس سوى قبر الضريح لها وكرُ . (٣

الوصف

وقد رأينا ان نفرد للوصف باباً خاصاً لما لابن عبد ربه من الشعر في الرياض والجنائن ، ذكر بعضه في عقده في باب اقوال العرب في الرياض . وهو في هذا الوصف — شأن شعراء الاندلس — متفوّق على الكثيرين من شعراء المشرق . ويظهر انه قد كان لهذه المناظر المبهجة المختلفة في بلاد الاندلس تأثيرٌ في نفوس هؤلاء الشعراء ، فردّدوا ذكر جمالها ، ووصفوا بهيج منظرها بلفظ انيق ومعنى رقيق . واليك مثلاً من شعره هذا :

وروضة عقدت ايدي الربيع بها نوراً بنور ، وترويجاً بترويج ،
بلقح من سواريها ، وملقحة ، وناتج من غواديها ، ومنتوج ؛
توشحت بملاءة غير ملحمة من نورها ، ورداء غير منسوج ،
فالبست حلل المرثيّ زهرتها وجلّلتها بأغاط الدبابيج . (٤

---

١) ابن عبد ربه ٣ : ١٣
٢) ابن عبد ربه ٣ : ١٥
٣) ابن عبد ربه ٣ : ١٨
٤) ابن عبد ربه ٣ : ١٨٧

وله ايضاً :

وموشيّة يهدي اليك سيمها على مفرق الارواح مسكاً وعنبرا
سداوتها من ناصع اللون ابيض ، ولحمتها من ناقع اللون اصفرا
يلاحظ لحظاً من عيون ، كأنها فصوص من الياقوت كلسن جوهرا (١

وله ايضاً من شعر وصف فيه روضة ثم تخلص الى الممدوح :

وما روضة بالحزن حاك لها الندى برودًا من الموشي حمر الشقائق ،
يقيم الدجى اعناقها ، ويميلها شعاع الضحى المستن في كل شارق ،
اذا ضاحكتها الشمس تبكي باعين مكللة الاجفان صفر الحمالق ،
حكت ارضها لون السماء ، وزانها نجوم كامثال النجوم الخوافق ،
باطيب نشرًا من خلائقك التي لها خضعت في الحسن زهر الخلائق . (٢

ولم تنحصر قدرته على الوصف الجميل في ما يختص بالرياض فحسب بل تعدّت الى غير الرياض . فضرب بسهم وافر منه في كل ابواب الشعر التي طرقها ، ولعلّ القارئ قد لمس شيئاً من هذا فيما اوردنا من الامثلة عن شعره في مختلف الفنون التي ذكرنا . وقال يصف فرساً :

ومقربة يشقر في النقع كمتها ، ويغضر حيناً كلما بلّه الرشح
تطير بلا ريش الى كل صيحة وتسبح في البرّ الذي ما به سبح . (٣

وقال في فتاة :

ازف الرحيل فودعتني نبلة اوحت اليّ جفونها بسلام ،
وتطلعت بين الحدوج ، كأنها شمس تطلّع في خلال غمام ،
وشكت تباريح الصبابة والهوى بمدامع نطقت بغير كلام ؛
كدماة رمل قد ترعت الحسى بين الظباء الغر والآرام ،
حتى اذا ضرب المصيف رواقه صافت ظلّ اراكة وثمام . (٤

وقال في اخرى :

ذات دلّ ، وشاحها قلقٌ من خمور ، وحجلها شرق ،
بزّت الشمس نورها ، وحباها لحظ عينيه شادن خرق ،
ذهبٌ خدّها يذوب حياء وسوى ذاك كله ورق . (٥

---

١) ابن عبد ربه ٣ : ١٨٧
٢) ابن عبد ربه ٣ : ١٨٧
٣) ابن عبد ربه ١ : ٦٠
٤) الثعالبي ١ : ٢٦١
٥) ابن عبد ربه ٣ : ٢١٢ وورق بمعنى فضة

ويظهر انه كان يرغب في التشابيه فقد اكثر منها في شعره . وقد وفق في ايرادها . ولعلّ القارئ قد لاحظ هذا فيما ذكرنا له من شعر صاحبنا . وانظر بهذه المناسبة الابيات الميميّة الخمسة التي سبقت هذا الكلام.

والخلاصة ان ابن عبد ربه قد تعرض في شعره الى فنون كثيرة وفق في بعضها ، ولم يوفق كثيراً في البعض الآخر . فقد اجاد في باب الغزل والرثاء اكثر مما اجاد في المدح والهجاء . واتى في بعض الفنون بمعانٍ جديدة وتشابيه جميلة ، بينما كان في البعض الآخر متكلفاً في اكثر الاحيان . اما ديباجة شعره فانها بوجه عام جميلة . فقد كان سبكه جيداً واضحاً ، بريئاً من التعقيد ، فيه رشاقة وطلاوة ، وكان لفظه سهلاً رقيقاً عذباً فيه رونق وحلاوة . لم يقيده بالبديع الا قليلاً ، وذلك حيث جاء البديع على السجية ، ولم يحمله اكثر مما يطيق من المعاني . وهو بهذا يمثل الفن الاندلسي الشعري بوجه عام.

الموشحات

بقي الموشحات . وقد نسب الى ابن عبد ربه انه نظم كثيراً منها ، وانه كان من الاول الذين اخترعوا هذا الفنّ ببلاد الاندلس . ونريد قبل كل شيء ان ندوّن هنا اننا لم نعثر ، في كل المصادر التي بين ايدينا حتى في العقد نفسه وفي اليتيمة ، على موشح ما من هذه الموشحات التي زعم البعض ان ابن عبد ربه نظمها . واذن فبحثنا الآن في امر الموشحات هو من قبيل درس هذا الزعم وتثبيت هذه النظرية او ردّها ، لا من قبيل النظر في شعر ابن عبد ربه الموشح المزعوم ومعرفة خصائصه وميزاته.

اما اول من ذكر ان ابن عبد ربه نظم الموشحات فابن بسام . فقد ذكر في كتابه «الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة» شيئاً عن عبادة بن ماء السماء اتى فيه على ذكر ابن عبد ربه وما نسب اليه من نظم الموشح . وقد كنّا ذكرنا قبلاً اننا لم نوفق في الاطلاع على نسخة خطية من الذخيرة التي لم تطبع بعد ، واننا رجعنا الى بعض الذين اخذوا عنها كالصلاح الكتبي في «فوات الوفيات» او الدكتور ا. ر. نيكل الذي ترجم هذا النصّ الذي يهمنا في مقدمته لترجمة

طوق الحمامة . غير اننا الآن قد عثرنا على النص الاصلي مرسوماً فتكوغرافياً في كتاب المستشرق ريبيرا *Disertaciones y Opusculos*, Madrid, 1928 قبالة صفحة ١٠٢ من الجزء الاول ، ومطبوعة بحرف مغربي في الصفحات من ٩٩ الى ١٠١ ، نقلاً عن نسخة مكتبة باريس الوطنية وهذا هو النص :

« قال ابو الحسن وكان هذا ابو بكر [عبادة بن ماء السماء] في ذلك العصر شيخ الصناعة وامام الجماعة سلك الى الشعر مسلكاً سهلاً فقالت له غرائبه مرحباً واهلاً وكانت صنعة التوشيح التي نهج اهل الاندلس طريقتها ووضعوا حقيقتها غير مرقومة البرود ولا منظومة العقود فاقام عبادة هذا مناآدها ومرسلها ومتادها(١ . فكافا لم تسمع بالاندلس الا منه ولا اخذت الا عنه واشتهر بها اشتهاراً غلب على ذاته وذهب بكثير من حسناته وهي اوزان كثر استعمال اهل الاندلس لها في الغزل والنسيب تشق على سماعها مصونات الجيوب بل القلوب واول من صنع اوزان هذه الموشحات بافقنا واخترع طريقتها فيما بلغني محمد بن معاقر العمري الضرير وكان يضعها على اشطار الاشعار غير ان اكثرها على الاعاريض المهملة غير المستعملة يأخذ اللفظ امي (٢ والعجمي فيسيه المركز ويضع عليه الموشحة دون تضمين فيها ولا اغصان وقيل ان ابن عبد ربه صاحب كتاب العقد اول من سبق الى هذا النوع من الموشحات ثم نشأ يوسف بن هارون الرمادي فكان اول من اكثر فيها من التضمين في المراكيز يضمن كل موقف يقف عليه في المركز خاصة فاستمر (٣ ذلك شعراء عصره كمكرم بن سعيد وابني ابي الحسن ثم نشا عبادة هذا فاحدث التصفير [التضفير] وذلك انه اعتمد مواضع الوقف في الاغصان فيضمها كما اعتمد الرمادي مواضع الوقف في المركز واوزان هذه الموشحات خارجة عن غرض كتابنا هذا اذ اكثرها على غير اعاريض اشعار العرب . »

ثم عقب ابن بسام الصلاح الكتبي ، فذكر في كتابه « فوات الوفيات » ترجمة لحياة الشاعر عبادة بن عبدالله (ابن ماء السماء) نقلها فيما يظهر عن ابن بسام(٤ ، وقال في آخرها شيئاً قد يكون منه والارجح انه مما نقل عن ابن بسام هو :

« واول من صنع اوزان الموشحات محمد بن محمود المغربي الضرير وقيل ان ابن عبد

---

١) في نسخة تونس « وقوّم ميلها وسنادها » راجع كتاب ريبيرا المذكور في الموضع المذكور .

٢) لعلها العامي ، راجع كتاب ريبيرا المذكور في الموضع المذكور .

٣) لعلها « استمر على » او « استمرأ »

٤) الكتبي ١ : ٢٥٥ قال ابن بسام . . .

ربه صاحب العقد اول من سبق الى هذا النوع من الموشحات ثم نشأ يوسف بن هرون الرمادي ثم نشأ عبادة.» (١

وعقب الصلاح الكتبي ابن خلدون، فذكر في مقدمة تاريخه في باب الموشحات والازجال للاندلس خبر استحداث اهل الاندلس لفن الموشح قال:

« واما اهل الاندلس فلما كثر الشعر في قطرهم وعذبت مناحيه وفنونه وبلغ التنسيق فيه النهاية استحدث المتأخرون منهم فناً سموه بالموشح ينظمونه اسماطاً اسماطاً واغصاناً اغصاناً يكثرون منها ومن اعاريضها المختلفة ويسمون التعدد منها بيتاً واحداً ويلتزمون عند قوافي تلك الاغصان واوزانها متتالياً فيما بعد الى آخر الطلة واكثر ما ينتهي عندهم الى سبعة ابيات ويشتمل كل بيت اغصان عددها بحسب الاغراض والمذاهب وينسبون فيها ويمدحون كما يفعل في القصائد. وتجاروا في ذلك الى الغاية واستظرفه الناس جملة الخاصة والكافة لسهولة تناوله وقرب طريقه. وكان المخترع لها بجزيرة الاندلس مقدم بن معافر الفريري من شعراء الامير عبدالله بن محمد المرواني. واخذ ذلك عنه ابو عبد الله احمد بن عبد ربه صاحب كتاب العقد ولم يظهر لها مع المتأخرين ذكر وكدت موشحاتها.»(٢

ويظهر في هذه الروايات كلها شيء من التشويش. فالمخترع للموشحات برواية ابن بسام هو محمد بن محمود العمري الضرير، وفي رواية الكتبي هو محمد بن محمود المقبري الفرير، بينما هو في رواية ابن خلدون مقدم بن معافر الفريري. كذلك هناك اختلاف في اسم ابن عبد ربه فهو عند ابن خلدون ابو عبدالله احمد بن عبد ربه، وقد سبق لنا ان اظهرنا الخطأ في هذه الكنية. ولا يسعنا بعد هذا التشويش ان نقبل هذه الاخبار كما هي، او ان نكتم استغرابنا لنقل نفر من ادبائنا بعض هذه الاسماء عن ابن خلدون او غيره دون ان يضبطوها او يتحققوا من امرها(٣.

اما المستشرقون فقد درسوا هذه الناحية درساً دقيقاً، واعاروا هذا التشويش والاضطراب التفاتهم. فمنهم هارتمن وقد ذكرنا رأيه في كلمة «ابو عبد الله» (هذه الكنية التي دونها ابن خلدون لابن عبد ربه) الذي نشره في

١) الكتبي ١: ٢٥٥ قال ابن بسام...

٢) ابن خلدون: ٥٤٠، وطبعة مصر سنة ١٢٧٤ صفحة ٣٠٥

٣) اطلب كتاب «نظرات في تاريخ الادب الاندلسي» (محاضرات للاستاذ كيلاني في الجامعة المصرية) صفحة ٢٣٢

كتابه « الموشح » «*Das Muwaśśaḥ*» والذي يظهر منه ان هارتمن يرى ان صاحب العقد لم تكن له علاقة بالموشح[1] .

ومنهم بروكلمن فقد اتى في الموسوعة الاسلامية على ترجمة مختصرة لابن عبد ربه صاحب العقد ذكر فيها ان بين اشعار ابن عبد ربه التي اطلع عليها الحميدي كان هناك موشحات له *Among his poems, of which al-Ḥumaidi was acquainted with more than 20 volumes, there were Muwashshahat.*[2]

ولا ندري ايعني بروكلمن ان الحميدي ذكر هذا ام انه يظن انه في ديوانه الذي اطلع على بعضه الحميدي يجب ان تكون قد وردت هذه الموشحات ؟ والغريب انه ليس بين كل المصادر التي دونها بروكلمن في مقالته بالموسوعة المذكورة عن حياة ابن عبد ربه ما يشير الى ان ابن عبد ربه نظم الموشحات من الشعر : فمن اين اتى بروكلمن بهذا الخبر ؟ والغريب ايضاً ان بروكلمن قد رجع الى كتاب هرتمن في الشعر الموشح وذكره في جملة مصادره ولكنه لم يعرض لرأيه في ان ابن عبد ربه احمد بن محمد المكنى بابي عمر صاحب العقد لم ينظم الموشح ، ولم نعلم ما اذا كان بروكلمن يقبل رأي هرتمن هذا ام يرده .

ومنهم ريبيرا فقد ذكر في كتابه « الموسيقى في الجزيرة العربية وفي اسبانيا » وترجم الى الترجمة الانكليزية — « ان رجلاً من بيت ابن عبد ربه يصعب تعيينه قد تبع مقدماً بنظم الموشحات . » ثم يقول : « والذين يقرأون ابن بسام يظنون ان هذا الرجل هو صاحب كتاب العقد ، انما ليس لدينا ما يثبت هذا . » ثم يقول : « واظن ان ابن عبد ربه صاحب الموشحات كان ابن اخ صاحب العقد واسمه ابو عمر سعيد بن عبد ربه . وكان طبيباً وشاعراً ومات سنة ٣٤٢ هـ وكانت ميوله مخالفة لميول عمه الذي كان عربيّ النزعة من اتباع القديم . » ويورد ريبيرا قصة عنه يأخذها عن كتاب التكملة لابن ابار فيها ان

---

1) Hartmann, p. 23

2) Brockelmann, *Ibn ʿAbd Rabbihi* [Encyc. of Islam, vol II, p. 353]

سعيداً هذا كان لا يأنف من استعمال لهجة غير مألوفة في كلامه حتى مع الخلفاء ، مما يدل على انه كان يميل الى الخروج عن سبل القديم وينزع الى غيرها. ويقول ريبيرا: «ان ابن ابي اصيبعة قد ذكر ان هذا الشاعر عمي آخر حياته» ويظن المستشرق انه «في ذاك الزمن ربما نظم الموشحات هذه التي فيها خروج عن طرق العرب المألوفة في النظم.»[1] ولكن فات ريبيرا ان ابن ابي اصيبعة ترجم لرجل باسم سعيد بن عبد ربه ولكن بكنية ابي عثمان[2] لا «ابي عمر». كما وان كنية الرجل هذا في التكملة هي ابو عثمان[3] ايضاً لا «ابو عمر». ترى هل كانت الكنية التي وضعها ريبيرا لسعيد هي الكنية الصحيحة وان عثمان محرّفة عن عمر؟ ولكن ما المصدر الذي استند اليه في ذاك؟ ولماذا لم يشر الى امر اختلاف الكنية او امر التحريف الذي زعمنا امكانية وقوعه؟ والظاهر ان الشخص الذي يشير اليه ريبيرا هو الشخص نفسه الذي ترجم حياته ابن ابي اصيبعة فذكر انه كان طبيباً وشاعراً ، وانه كان ابن اخ ابن عبد ربه صاحب كتاب العقد ، واورد عنه نادرة وقعت له مع عمه هذا وهو نفسه صاحب الترجمة في كتاب التكملة لابن ابار .

ومنهم ايضاً المستشرق الدكتور نيكل فقد تعرّض لهذا الموضوع في مقدمة ترجمته لكتاب «طوق الحمامة» لابن حزم ، واتى على اكثر آراء هؤلاء ، مبدياً ملاحظات قيّمة هنا وهناك[4] . غير اننا لا نرى فيما كتبه ما يهمنا من هذه الناحية التي نتعرض لفهمها.

نستخلص من هذا كله انه يصعب جداً ان نقطع ان صاحب العقد احمد ابن عبد ربه المكنى بابي عمر قد نظم شيئاً من الشعر الموشح بحيث عرف فيه ، لاسيما اذا ذكرنا ان ابن عبد ربه صاحبنا قد افرد كتاباً خاصاً في عقده للشعر ، تصدّى فيه لدرس بحوره ومجزوءاتها ، ووضع لكل منها امثلةً من نظمه كما وانه نظم ارجوزة خاصة تعرّض فيها لاعاريض الشعر وعلل قوافيه ، وبحث بها

١) Ribera, p. 126 ٢) ابن ابي اصيبعة ٢ : ٤٤

٣) ابن ابار ٢ : ٧١٠ رقم ١٩٩٥ : سعيد بن . . . ابن اخي الاديب ابي عمر . . . كنيته ابو عثمان وكان اديباً شاعراً الخ

٤) Nykl, p. LXXXV seq.

في الاسباب والاوتاد والزحاف وكل ما عرفته العرب مما يطرأ على الشعر، ووضع دوائر عليها خطوط تشير الى الحروف الساكنة والمتحركة في كل تفاعيل البحور، ونظم مقطعات على تأليف حروف الهجاء وضروب العروض. ولكنه في كل هذه الابواب لم يذكر موشحاً ما، ولم يشر الى فنّ الموشح، ولم يلمح الى انّ له يداً او اثراً فيه، او انه نظم عليه. مع ان اكثر الشعر الذي اورده مثالاً على البحور المختلفة ومجزوءاتها كان من نظمه.

واملّ ربيبنا لم يكن بعيداً عن الصواب حين لاحظ ان ميول ابن عبد ربه صاحب العقد، كانت تنزع الى المحافظة على القديم والتمسّك به. فقد ذهب ابن عبد ربه في مبدأه من المحافظة على ما الفته العرب الى نقد خروج الخليل ابن احمد عن بعض الامور المعينة في عروض الشعر قال في ارجوزته:

هذا الذي جرّبه المجرّبُ من كل ما قالت عليه العربُ
فكل شيء لم تقل عليه، فانا لم نلتفت اليه.
ولا نقول مثل ما قد قالوا لانه من قولنا محالُ،
فانه لو جاز في الابيات، خلافها، لجاز في اللغات.
وقد اجاز ذلك الخليلُ ولا اقول فيه ما يقولُ.(١)

ولعل القارئ لاحظ ما اورده ابن بسّام من حيث ان العمري، واضع الموشح، كان في اغلب الاحيان يجنح الى الالفاظ الغريبة (الاعجمية) والى الاوزان التي لم تعرفها العرب ولم تألفها. فيستبعد والحالة هذه ان يتبعه ويشايعه في هذا الامر ابن عبد ربه صاحبنا، وقد عرف عنه حبّه للقديم وتقليده للشرقيين العرب، وميله لنقد من يخرج على بعض النظم المألوفة، وكرهه للنصارى وقربه من الامراء الحاكمين، ومعيشته في قرطبة التي كانت اكثر البلدان الاندلسية اتصالاً بالحياة العربية واللغة العربية.

ولنلاحظ ايضاً كلمة ابن خلدون في ان الاندلسيين قد استحدثوا هذا الفنّ لما كثر الشعر في قطرهم، وتهذبت مناحيه وفنونه، وبلغ التنميق فيه الغاية، وان المتأخرين منهم هم الذين استحدثوه. ولا نظن ان ابن عبد ربه صاحبنا يحسب من المتأخرين. زد على ذلك انه كان من الطبيعي — اذا كان

(١) ابن عبد ربه ٣: ١٩٨

ابن عبد ربه قد نظم الموشح — ان يقع ذاك في شبابه . وعندئذ يستبعد جداً ان ينشأ الموشح وقتذاك ثم لا يؤتي ثمره الا في اول القرن الخامس للهجرة. ولنذكر ايضاً ان لابن عبد ربه صاحبنا اقارب تأخروا عن زمنه عرف بعضهم في الشعر والخروج على القديم كابن اخيه الذي ذكرنا ، وعرف بعضهم في انه يكنى بالكنية التي ذكرها ابن خلدون « ابو عبد الله» وقال عنه المقري «انه كان شاعراً وكاتباً وانه من حفداء صاحب كتاب العقد ».

كل هذا يدفعنا الى ان لا نقطع في الامر. ولعل من الخير ان نشير الى انه من الممكن ان يكون بعض القدماء نسبوا هذه الموشحات الى واحد من آل ابن عبد ربه ، ثم لشهرة الاسم اضاف اليه تابعوهم « صاحب العقد » ، او ان يكون في الاصل ذكر لقرابة صاحب الموشحات بابن عبد ربه « صاحب العقد»، فسقطت لامر ما الكلمة التي تشير الى هذه القرابة كأن تكون مثلاً « حفيد» ابن عبد ربه صاحب العقد ، فاهملت كلمة « حفيد » فبقي ابن عبد ربه صاحب العقد ، واختلط الامر على المتأخرين. ومن يدري ايضاً لعل ابن عبد ربه صاحبنا هو صاحب هذا الاثر في الموشحات ، ولكن القرائن التي تدل على ذاك والآثار التي تشير اليه ، والبراهين التي تثبته قد ضاعت كلها او اكثرها فالتبس الامر علينا.

ومن الخير ان نشير في آخر هذا الفصل عن شعر ابن عبد ربه الى ان صاحبنا ظل ينظم الشعر الى ايامه الاخيرة بعد اصابته بالفالج. ويروي لنا الضبي ان آخر شعر قاله ابن عبد ربه كان قبل موته باحد عشر يوماً ، وفيه بيان مبلغ عمره وذكر علته :

بليت ، وابلتني الليالي بكرها ، وصرفان للايام مضوران .
وما لي لا ابلى(١ لسبعين حجة وعشر اتت من بعدها سنتان !
فلا تسألاني عن تباريح علتي ، ودونكما مني الذي تريان .
واني بحمد الله راج لفضله ، ولي من ضمان الله خير ضمان ،
ولست ابالي عن تباريح علتي ، اذا كان عقلي باقياً ، ولساني.(٢

١) في ياقوت ٢ : ٦١ ابكي. ولعل الصواب « ابلى ». وقد وردت هكذا في الضبي. (انتهى)
٢) الضبي : ١٣٩

الحجر الكريم

في

اصول الطب القديم

ارجوزة طبية مشروحة للشيخ ناصيف اليازجي

نشرها للمرة الاولى عن مخطوطة بخط المؤلف

فؤاد افرام البستاني، استاذ الآداب العربية في كلية القديس يوسف

٢

٣٥ والحرُّ والبردُ الى الرابعِ من دَرَجةٍ والغير بالثاني رُهِن

٣٦ والبعض لا يفعلُ بالمزاج بل بما عليهِ من خواصهِ اشتمل

اى ان الحرارة والبرودة تكونان الى الدرجة الرابعة من درجاتهما . وهي غاية ما تنتهيان اليهِ . واما الرطوبة واليبوسة فانهما تكونان الى الدرجة الثانية فقط . فيتطرّق الحار والبارد من الدرجة الاولى الى الرابعة . ويقف الرطب واليابس عند الدرجة الثانية . ويُقال للحرارة والبرودة الكيفيّتان الفاعلتان . وللرطوبة واليبوسة الكيفيّتان المنفعلتان . والادوية تفعل غالباً بحسب هذه الكيفيّات كتبريد المحرور وتجفيف المرطوب . وبعضها يفعل بخاصيّةٍ فيه دون اعتبار كيفيّتهِ كالاسهال وقطع نوبة الحُمّى وما اشبه ذلك

٣٧ وكلُّ اسهالٍ لذاتهِ جرى فذاك عن حرارةٍ قد صدرا

٣٨ وكلُّ ما اسهلَ حارٌّ الا ما شذَّ عن قياسهِ وقلّا

اى ان كل اسهالٍ حدث لذاتهِ من غير اخذ مسهلٍ فهو قد حدث عن حرارةٍ . لان الاسهال من قبيل السيلان والسيلان لا يكون الا [٨ و] عن الحرارة . وبهذا الاعتبار كان كلُّ مسهلٍ حارًّا الا ما شذَّ عن القياس وهو قليلٌ كملح الطرطير فانه مع برودتهِ مسهلٌ

٣٩ وهكذا كلُّ دواءٍ حابسِ فانهُ من باردٍ ويابسِ
٤٠ وكلُّ ما يُنضِجُ او[1] يرقِّقُ حارٌ وما فتّح والمعرّقُ
٤١ وكلُّ ما غرّى فذاك اللزجُ كذاكَ ما التسديد منهُ ينتجُ

اى ان كلَّ ما يحبس الاسهال او غيرهُ من الادوية يكون باردًا يابسًا . وكلَّ ما ينضج الاخلاط او غيرها او يرقق الموادَّ الغليظة فهو حارٌّ . وكذلك ما يفتح السدد او يعرّق . وكل ما يغرّى او يسدّد لا بدَّ ان يكون لزجًا اى غليظ القوام فيهِ لعابيّةٌ كماء الصمغ العربيّ ونحوهِ

٤٢ والفصد للتنقيص فى الكميَّه يُبغَى أوِ الإصلاح فى الكيفيَّه
٤٣ أوْ لهما عند اقتضاء الحالـه وتارةً للجذبِ والإمالـه

اى ان الفصد يُقصَد بهِ تنقيص كميَّة الدم او اصلاح كيفيَّتهِ وقد يُقصَدان به جميعًا . وذلك عند امتلاء العروق منه وغليانهِ فيها . ويكون احيانًا لجذب المادَّة وامالتها عن احد الجانبين الى الجانب الآخر . فيُفصَد من العضو الاسفل للجذب مما فوقهُ كما تُفصَد من رجليهِ من احتبس دمها . او من الجانب المخالف لامالة المادَّة عن مركزها نحوهُ كما يُفصَد من يدهِ اليُسرى من رمدت عينهُ اليمنى . [٨ ق] وبعضهم فى مثل هذا يختار الفصد من الجانب الموافق لانهُ الاقرب غير ناظرٍ الى امر التحويل المذكور . والاول هو المختار عند الجمهور وعليه اكثر الاستعمال

٤٤ وفصدَ قيفالٍ لراسٍ عيّنِ والباسليق أفصد لما فى البدنِ
٤٥ ولَهما الاكحل مطلقاً تُرِك لذاك ما يدعونه بالمشترك
٤٦ والفصد للصدرِ من الأسيلِم ودونهُ من صافنٍ فى القدمِ

اى انه يُفصَد من العرق الذى يسمّونهُ القيفال لامراض الراس وما يشتمل عليهِ . ومن الباسليق لامراض البدن وهو ما دون الرقبة . ويُقال للاول عرق

---

١) او : وفي « الطبيب » : اذ

الراس . وللثانى عرق البدن . ويُفصَد من الاكحل لامراض الفريقين جميعاً . ولذلك يُقال لهُ المشترك . ويُفصَد لامراض الصدر من الأسيلم وهو ما بين الخنصر والبنصر من رسغ اليد . ولما دون الصدر من الصافن وهو الذى بين الكعب والعظم الناشز المعروف بالزورقىّ من جانب القدم الانسىّ . وهى العروق المعتاد فصدها فى الغالب

٤٧ وافصد لدى الحاجة غيرَ سامعٍ لمن نهاك عنهُ بعد الرابعِ
٤٨ وهو مقدَّمٌ على الاسهالِ وبعدهُ الاسهال حتماً تالِ[1]

اى ان الفصد يُؤمَر بهِ عند الحاجة اليهِ فى جميع الاوقات غير معتبرٍ قول من نهى عنهُ بعد اليوم الرابع من ابتداء المرض . وقد [٩و] نصَّ على ذلك الشيخ الرئيس فى القانون بقولهِ لا يُلتفت الى قول من يقول انهُ لا يجوز بعد الرابع فسبيلٌ اليهِ ان وجب ولو بعد الاربعين . والفصد يقدَّم على الاسهال اذا دعت الحاجة إلى كليهما . ومتى فُصد يجب الاسهال بعد ذلك وان لم تكن الحاجة داعيةً اليه . وذلك لاجل موازنة الاخلاط ومساواتها

٤٩ وربَّما تقوِّتِ الطبيعه اذ خفَّفا اثقالها المدفوعه
٥٠ والفصد والاسهال فى يومٍ معاً[2] واخذ مسهلين فيه امتنعا

اى ان الفصد والاسهال ربَّما يقوِّيان الطبيعة لتخفيفهما الاثقال التى يدفعانها عنها . وعليه قول الشيخ الرئيس فى قانونهِ وقد يكون الاستفراغ مقوِّياً للطبيعة بتخفيفهِ عنها . ولا يجوز الفصدُ والاسهالُ معاً فى يومٍ واحدٍ . ولا أخذُ مُسهلَين فى اليوم الواحد لان الطبيعة لا تحتمل كل ذلك . فان ارتُكِب اخذهما يُتدارك الضرر الحادث منهما بالفصد ولو اجتمع مع الاسهال فى اليوم الواحد . وقد نصَّ على ذلك الشيخ الرئيس فى ارجوزتهِ بقولهِ

واخذ مسهلين فى يومٍ خطر والفصد حتمٌ ثمَّ فى وقت الضرر

---

١) تالٍ : وفي «الطبيب» : تالي
٢) معا : وفي «الطبيب» : معه

٥١ وان اصابَ عرضٌ في المرضِ يُخاف منهُ فاشتغل بالعَرَض
٥٢ واعتبر المزاجَ والقوّةَ من ذي الدآء مع فصلٍ وعادةٍ وسِن

اى اذا حدث مع المرض عرضٌ عظيمٌ يُخاف منه على المريض يجب ان [٩ ق] يُشتغل بعلاج ذلك العرض حتى يزول ثم يُرجَع الى علاج المرض. كما اذا عرض مع الحمّى اسهالٌ مفرطٌ يُخشى منهُ هلاك المريض فيجب ان يشتغل الطبيب بعلاج الاسهال وان كان لا يوافق الحمّى ثم يعود الى علاجها . ويجب عليهِ ان يراعى مزاج المريض وقوّتهُ وعادتهُ وسنّهُ والفصل الحاضر من فصول السنة فينظر فى كل واحدٍ من هذه المذكورات ويعمل بما يليق بهِ من التدبير

٥٣ وحيثُ مالت الطبيعة استَمِلْ ألّا لدى الخوف فللعكس انتقلْ
٥٤ وأقلِلِ الغذآء مهما امكنا واجعلهُ من اضداد ما الدآء[1] جَنى

اى ان الطبيب ينبغى ان يميل الى حيث مالت الطبيعة ولا يعارضها الا اذا خِيفَ من سوء العاقبة . كما اذا عرض ميل الطبيعة الى اللين فينبغى ان يسعفها بما يليّنها ايضاً الا اذا خيف من افراط الاسهال فيجب ان يعارضها باعطآء القوابض الحابسة اه . ويجب ان يقلّل غذآء المريض مهما امكن . وان يجعل ذلك الغذآء من اضداد الخلط الفاعل للمرض . كما اذا كان المرض صفراوياً فيجب ان يُغذّى بما يضادُّ الصفرآء كالحوامض ونحوها . وعلى كلا الحالين يجب ان لا يستكثر من الغذآء لان الكثير منه كيفما كان ترتبك بهِ المعدة فلا تقدر على هضمهِ فيتولد منهُ كيلوسٌ ردىٌ يزيد بهِ المرض . والقليل تحسن التصرّف فى هضمه فاذا خلت منه تفرّغت لاصلاح [١٠ و] ما فيها من الفضلات واجادت هضمها فتخفُّ مؤونتها على الطبيعة

٥٥ وان يكُ العلاجُ بالغذآء يكفى فلا تعدل الى الدوآء[2]
٥٦ وان غنيتَ بالدوآء المفردِ فاعدل عن المركّبات وابعدِ

---

١) الدآء : وفي « الطبيب » : الداء ، وهو خطأ .
٢) الدوآء : وفي « الطبيب » : الدماء ، وهو تصحيف ظاهر .

اى اذا كان العلاج بالغذآء يكفى فلا يُعدَل عنه الى العلاج بالدوآء . كما اذا كان يكفى المحرور ان يتغذى بالخسّ فلا يُعدَل عنهُ الى سقى روح الزاج. وكذلك اذا كان يُستغنَى بالدوآء المفرد كالصبر لتقوية المعدة فلا يُعدَل عنهُ الى الجوارش والمعاجين

٥٧ واحرص على القوّة كالذخائرِ فانها كالزاد للمسافرِ
٥٨ ولا تجرّب فالتجاريب[1] خطر الّا بما يُؤمِنُ شبهة الضرر
٥٩ ولا تُعالج دون ادراك السَبَب لكن على دليلهِ جِدَّ الطَلَب

اى انه يجب الحرص على قوّة المريض كما يجب الحرص على الذخيرة . لانها كالزاد للمسافر الذى اذا نفد منه مات جوعاً . ولا يجوز ان تُعطى الادوية على سبيل التجربة الا بما كان لا يضرُّ عن ثقةٍ اذا لم ينفع . لان التجربة خطرٌ لا يجوز التهافت فيهِ . ويجب ان لا يعالج الطبيب من غير ان يعرف سبب المرض ليعرف بماذا يداويهِ عن بصيرةٍ . فيتوقّف عن العلاج ويجتهد فى طلب الدليل على السبب حتى يدركهُ ثم يأخذ فى العلاج بحسبهِ . وبهذا الاعتبار قالوا ان كلَّ مرضٍ معروف السبب موجود الشفآء

[١٠ق]٦٠ والدآء يبدا فيزيد فيَقِف وبعدهُ ينحطّ ثم ينصرف
٦١ والموت من قبل انحطاطهِ فقط وبعدهُ لا موت الا عن غلط
٦٢ فاحرص اذا انحطَّ كما كنت ولا تطمع بهِ كيلا[2] تُسيء العملا

اى ان للمرض اربع مراتب . وهى الابتدآء والتزايد والوقوف على حالهِ ويُقال له الانتهآء . ثم الانحطاط وهو استظهار الطبيعة على المرض واتّجاه المريض الى الصحّة. والموت يقع فى كل واحدٍ من الثلثة الاولى. واما الانحطاط فلا يقع الموت بعدهُ الا من غلط الطبيب او المريض فى سوء التدبير . ولذلك

١) فالتجاريب : وفي «الطبيب» : فالتجارب
٢) كيلا : وفي «الطبيب» : كي لا

يجب الحرص بعد الوصول اليه كما كان قبلهُ غير مطموع فيه حذرًا من سوء العاقبة . واعلم ان الامراض تنقسم الى مشتركة وهى التى تعمُّ جميع البدن كالحُمّى . وخاصة وهى التى تصيب عضوًا دون غيره كالرمد . ويُقال للاعضآء التى تصيبها الاولى الاعضآء المتشابهة الاجزآء . وللتى تصيبها الثانية الاعضآء الآليّة . وتنقسم ايضاً الى مفردة وهى ما كانت مرضاً واحدًا كالزَّبر . ومركّبة وهى ما كانت مؤلّفة من مرضين كالسلّ فانه مركّبٌ من ذات الرئة وحُمّى الدقّ . والى مزمنة وهى تطول مدّتها كالفالج . وحادّة وهى بخلافها كالحُمّى الصفراويّة . ومن الامراض ما يُقال لها الامراض الوافدة وهى التى تعمُّ خلقاً كثيرًا كالامراض الوبآئيّة . [١١ و] وفيها تفاصيل اخرى لا موضع لها فى هذه الرسالة . واما العلاج فمداره على استفراغ الحاصل وقطع الواصل . كتنقية المعدة من الفضول الفاسدة وتقويتها حتى لا تولّد فضولًا اخرى مثلها . ومنهُ ما يكون من الداخل كالمعاجين والاشربة . وما يكون من الخارج كالضمادات والكمادات وهى ما يلاقى سطح الجلد باردًا كالتضميد بدقيق الشعير والخلّ . او سخنًا كالتكميد بطبوخ بزر الكتان ونحوه

٦٣ وشَجِّعِ المريضَ فالشجاعه تنعشهُ واستعمل الوداعه

٦٤ وافرض عليهِ حميةً فى الاغذيه وغيرها فتلك راس الادويه

اى ان الطبيب يجب ان يشجع المريض لان الشجاعة تنعش طبيعتهُ فتنهض لدفع المرض . لانها هى العمدة فى ذلك والطبيب انما يمدها بالدوآء تقدر على النهوض لمقاومة المرض ودفعهِ عنها . فاذا ضعفت وانحلّت قوّتها لا يقدر الدوآء ان يصنع شيئاً . وبناء على ذلك يجب ان يحترز من ان تظهر عليه لوائح الخوف او الكمد لئلّا يشعر المريض بذلك فيقتلهُ الخوف او يعجل موتهُ . لان كثيرين من الناس يموتون من الخوف وهم فى حال الصحّة المتينة . فان اقتضى الحال انذارهُ لاجل وصيّة او غيرها فليكن بلسان من لا يعتقد صحّة انذاره بجمل [١١ ق] ذلك منه على سبيل الاحتياط احتساباً مما يمكن ان يجدّ فى

المستقبل لا خوفاً من الواقع فى الحال . وكذلك يجب على الطبيب ان يستعمل الوداعة مع المريض ليستأنس بهِ ولا يتهيَّب ان يستوفى شرح حالهِ لهُ او بثَّ ما فى نفسهِ من الامور التى يريد ان يستشيرهُ عنها . ويجب ان يلزمهُ الحمية فى الاغذية وغيرها ويحذّرهُ من التخليط . فقد قيل ان المعدة بيت الدآء والحمية راس كل دوآء . غير انه اذا غلبت عليهِ الشهوة جاز ان يرخّص لهُ فى تناول شىء يسير مما اشتهاهُ . فقد قالوا ان القليل من الضار خيرٌ من الكثير من النافع . لكن يكون ذلك نادرًا بعد تناول غيرهِ من الاغذية الصالحة لا على الخلاء

٦٥ واذ تراهُ قد تعافى لا تَرِد من العلاجِ بعد نيلِ ما قُصِد

٦٦ واحرص على الناقِهِ من نكسٍ ولا تطعمهُ ما وافق خلطاً فعَلا

اى متى راى الطبيب المريض قد تعافى يجب ان يقتصر عن العلاج . لان المقصود انما هو الصحّة وقد نالها فلا يجوز ان يسعى فى زيادتها لئلّا يقع فى نقصانها . قال الشيخ داود البصير بالغ فى الدوآء ما احسست بمرضٍ ودَعْهُ ما وثقت بالصحّة . لان استعمال الدوآء عند الاستغناء عنهُ [١٢ و] كتركهِ عند الحاجة اليهِ . وكذلك يجب ان يحرص من النكس على الناقِه وهو المريض الذى تعافى وفيهِ بقيّة ضعفٍ . فان الرجوع الى المرض ثانياً اشرُّ من الدخول فيهِ اولًا . لان المرض الذى دخل على الطبيعة فى حال قوّتها فاضعفها اذا عاد اليها فى حال ضعفها اتلفها . وبناء على ذلك يجب ان يامر بالمحافظة عليهِ فى طعامهِ وشرابهِ ومنامهِ . وان لا يُطعَم شيئاً مما يوافق الخلط الفاعل لمرضهِ لئلا ينمو فيعود الى ما كان عليهِ

٦٧ والشيخ ان اسهلتهُ لا تُسهِل صفراءهُ لكن لها[1] الكسر اجعل

٦٨ واحرص على دمآئهِ المفيده لهُ بدون حاجةٍ شديده

اى اذا احتيج الى اسهال الشيخ لا يُعطَى ما يُسهِل الصفراء لان مزاجهُ

---

١) لها : وفي «الطبيب» : جا .

قد مال الى البرد فيزيدهُ استفراغ الصفرآء برودةً . وبذلك تخمد الحرارة التى هى قوام حياته . ولكن اذا احتيج الى علاجها يُستعمَل لها ما يكسر عاديتها كالسكر الهندىّ ونحوهِ . وكذلك يجب الحرص على دمهِ فلا يُفصَد الّا عند الحاجة الشديدة لان الدم هو ركن الحيوة الاعظم وقد صار تولُّدهُ فيه قليلًا. غير انهم قد يرخّصون فى فصدهِ عن غير ضرورةٍ اذا كان قد اعتاد على[1] الفصد . وقد نصَّ على كل ذلك الشيخ الرئيس فى ارجوزتهِ بقولهِ فى تدبير الشيوخ

[١٢ق] واستَبقِ ان اسهلتهُ الصفرآء دَعها تَكُنْ فى جسمهِ دوآء
وان يكن تعوَّد الفصاده فلا تكن قاطعَ تلك العاده

وذلك لان حبس ما قد اعتيد استفراغه يجعل ذلك المحتبس خبيثًا . وعليهِ قولهم عودوا كلَّ جسدٍ بما اعتادهُ . غير انهُ يجب الرفق فى فصدهِ والتلطُّف بتقليل الاستفراغ وتضييق البضع . وان لا يكون اكثر من مرَّةٍ فى السنة. فتدبَّر

١) اعتاد على : كذا في الاصل ، والمعروف ان «اعتاده» يتعدّى بنفسه .

(لها صلة)

الذكرى الذهبية

لاول قداس

في كنيسة بيروت السريانية

١٨٨٣-١٩٣٣

لحضرة المورفسقفوس ميخائيل اليان سركيس السرياني

١

توطئة

كلّما مرّت بمخيّلتي ذكرى الاحتفال بالقدّاس الاول في كنيستنا السريانيـة ببيروت شعرتُ في قلبي بعاطفةٍ شهيّةٍ لذيذةٍ تجتذب روحي الى السماء العلويّة فاشاهد بعين الايمان اجواق الملائكة محتفين بعرش الحمل الالهي وأسمع تسابيح الكواريب وتقاديس السواريف الثلاثية للثالوث القدّوس المسجود له . فتغتبط نفسي بهذه الذكرى الذهبية الجميلة ويترنّم لساني الحقير باناشيد الحمد والشكر للمراحم الازلية التي منّت عليّ بالبلوغ الى هذا اليوم السعيد المجيد ، ووفّقتني لاثبت كلمة وجيزة عن هذه الكنيسة العزيزة على قلبي جدًّا انقلها عمّا ادرجته منذ خمسين سنة في صكوكها وعمّا علق بحافظتي الضئيلة من ماجرياتها معتقدًا انه فاتني شيء وشيء كثير ممّا لم انتبه اليه او ممّا لم اقف عليه ، راجياً الغفر عمّا اقصّر فيه في هذا الصدد سهوًا او جهلًا مني فاقول :

١ً الاحتفال بوضع الحجر الاول في كنيسة مار جرجس السريانية

عزم السيد اغناطيوس جرجس شلحت ، البطريرك الانطاكي (١٨٧٤-١٨٩١) على وضع الحجر الاوّل في كنيسة مار جرجس صباح عيد البشارة ٢٥ آذار ١٨٧٨ بحضور جمهور غفير من اكليرس الملل الكاثوليكية واعيان الطائفة السريانية وأرباب المناصب المدنية . فاستكتب رقعة رقّ في السريانية والعربية

وضعها بيمينه المباركة في اساس الكنيسة الشرقيّ وفقاً للتقاليد الابوية هذا مضمونها : « تمجيداً للثالوث الاقدس وتعظيماً لشهيده البطل مار جورجيوس وُضع اول حجر لكنيسة مار جرجس الشهيد للسريان الكاثوليك في بيروت بيد اغناطيوس جرجس شلحت بطريرك السريان الانطاكيّ . في عهد البابا بيوس التاسع ، رئيس احبار بيعة الله المقدّسة الكاثوليكية ، وفي خلافة السلطان ابن السلطان السلطان عبد العزيز خان ، في ٢٥ آذار سنة ١٨٧٨ مسيحية » . وأمضى غبطته تلك الرقعة بامضائه ، ووقّعها القاصد الرسولي السيد لودفيكس بياني ، والاساقفة الحاضرون ، والسادات نصر الله طرّازي ورزق الله شمّال وميخائيل موصلي وغيرهم .

ثم اوفد السيد البطريرك الخوري يوحنا معمارباشي نائبه في بيروت الى قسطنطينية ليسعى في الحصول على الفرمان الشاهانيّ . فبذل الاب المومأ اليه الجهود في ذلك سنتين حتى اذا كانت السنة ١٨٨٠ ارسل بيشر صاحب الغبطة واعيان الملّة بصدور الفرمان . فتهلّلت قلوبهم جذلاً ، واستأنف العملة عملهم حتى السنة ١٨٨٣ فاكتمل بناء الكنيسة على احسن طراز ، وزُيّنت بثلاثة مذابح من الرخام اوسطها مذبح مار جرجس ، والى يمينه مذبح سيّدتنا مريم العذراء ، والى يساره مذبح ابينا مار افرام السرياني الملفان . وفُتحت فيها خمسة ابواب ثلاثة في غربيها وبابان في شماليها وجنوبيّها . ونُقش على بابها الغربي الوسطانيّ هذا التاريخ : « كنيسة مار جرجس للسريان الكاثوليك أُنشئت في عهد السعيد الذكر البطريرك اغناطيوس جرجس شلحت ١٨٧٨ » . وهي تشتمل على ٣٥ ذراعاً طولاً ، و ١٨ ذراعاً عرضاً ، في مثلها علوّاً . يلاصقها في ناحيتها الغربية ثلاث قناطر تتخللها فسحة طولها ١٧ ذراعاً وعرضها ٦ اذرع .

على هذا الاسلوب انتهى بناء الكنيسة وزُيّنت جدرانها بصور آبائنا الرسل ، ودرب الصليب ، ونتة من القدّيسين ، أُضيف اليها مع كرور الازمان عدة صور ومذابح صغيرة وقناديل فضيّة وبلورية كما سترى .

٢ً الاحتفال بالقداس الاول

هذه خمسون سنة مرّت على الاحتفال بالقدّاس الاوّل في كنيستنا السريانية ببيروت . وما برحتُ كلّما دخلتها لقضاء فروضي الدينية أتمثّلُ ابناء جماعتنا الاتقياء الافاضل منتصبين بخشوع يحضرون الذبيحة الاولى في كنيستهم الجديدة ببهجة مقدّسة شديدة . وكنتُ اسمعهم قبل ذاك الحين يهتفون مرارًا بكلّ جوارحهم مع داود المرتّل قائلين : « اننا لن نعطي عيننا وسناً ولا اجفاننا نوماً الّا ان نجد مقاماً للربّ » (مز ١٣١ : ٤ و٥) . فكانوا يتوقون كل التوق الى رؤية كنيسة خصوصية يجتمعون اليها ويعاينون فيها الاحتفالات الدينية ويسمعون فيها الليترجية السريانية أسوةً بآبائهم واجدادهم الصالحين . وقد ظلّوا اعواماً طويلة يتردّدون الى كنيسة الآباء الكبوشيين ويحضرون فيها القدّاس الالهي الذي كان يقيمه ثمّ احد الآباء الكهنة السريان . وفيها كانوا يمارسون جميع الاسرار الدينية والفروض الطقسية .

ولما لاح فجر احد تجديد البيعة ١١ تشرين الثاني ، وفقاً للطقس السرياني ، صحّت فيهم ترنيمة داود النبي : « كما ان العصفور وجد له ماوى واليمامة عشًّا » (مز ٨٣ : ٤) فوجدوا المأوى المقدس متقناً مهندماً مزيّناً كاملًا . وشاهدوا بامّ عينهم ما لم يشاهده اسلافهم . شاهدوا احد الآباء الكهنة السريان ، وهو القسّ افرام ابيض الحلبيّ خادم نفوسهم ، مرتقياً درجات المذبح باسطاً ذراعيه الى المولى عزّ وجلّ شاكرًا له منحه الوافرة ، يحفّ به فئة من القسّان وتلاميذ دير الشرفة يترنّمون بالاناشيد السريانية . ولما اخذ ينضح الكنيسة بالماء المبارك كانت دموع الافراح تتحدّر على وجناتهم وعوامل السرور تشغل افئدتهم وهم يرقصون طرباً ويسبّحون الله القدير ويمجّدونه وينشدون « في بيت الرب » (مز ١٣٤ : ٢) هاتفين باعلى اصواتهم : « ما احبّ مساكنك يا ربّ الجنود » (مز ٨٣ : ٢) .

باشر القداس القس افرام ثم رتّل انجيل ذلك الاحد : « وكان عيد التجديد باورشليم » (يو ١٠ : ٢٢) وأردفه بخطبةٍ رنّانة استهلّها بآية النبي داود : « هذا هو اليوم الذي صنعه الربّ فلنبتهج ونتهلّل فيه » (مز ١١٧ : ٢٤)

واستأنف الذبيحة الالهية وكان المؤمنون الحاضرون يصغون اليه بمزيد التقوى والورع ويلهجون بآيات الشكر والحمد لله تعالى.

٣ً الاحتفال بتدشين الكنيسة

ظلّ القس افرام ابيض يخدم كنيسة مار جرجس الجديدة سنتين كاملتين . وكان السيّد البطريرك متغيباً اثناء ذلك في ماردين مركز الكرسيّ البطريركيّ. ولمّا رجع الى حلب كتب اليه وجهاء الملة يستقدمونه الى بيروت ليدشّن كنيستهم الجميلة تدشيناً احتفالياً. فاجاب البطريرك الانطاكيّ الى رغبتهم سروراً ووصل الى بيروت في كانون الاول ١٨٨٤ مستصحباً نائبه الخوري انطون قندلفت وحاشيته البطريركية . وعيّن صباح الاحد ٢٧ كانون الاوّل موعداً للاحتفال. فزيّنت الكنيسة داخلاً وظاهراً بافخر زينة ودُبّجت جدرانها باغصان الزيتون وسعف النخل محبوكة باوراق الغار. ودقّ ناقوس الافراح واخذ المؤمنون يتقاطرون افواجاً الى الكنيسة . فاتشح السيد البطريرك بالحلة الحبرية وتوجّه الى الكنيسة تتقدّمه راية الصليب فتلاميذ دير الشرفة ورئيسهم الخوري باسيل قندلفت فالآباء الخوارنة والكهنة حاملين المباخر وذخائر القديسين والشموع والمروح وهم ينشدون الانغام السريانية . حتى بلغ السيد البطريرك الى قدس الاقداس فجثا وصلّى حامداً الله تعالى ثم نهض وبدأ برتبة التدشين التي استغرقت ثلاث ساعات . وما برحتُ اتذكّر الى هذا اليوم وقفته امام مائدة الحياة كأني اعاين حركاته وسكناته واصغي الى صوته الرخيم واسمعه يتغنى بانشيد التسبيح والشكر لله العليّ ويمسح بالميرون المقدّس مائدة الحياة وهو يقول : « زيّنوا العيد باغصان مشبّكة الى قرون المذبح » (مز ١١٧ : ٢٧) . ويذرف دموع البهجة والسرور والحمد.

وبعد ما مسح جهات الكنيسة الاربع بالميرون وختم صلاة التدشين احتفل نائبه الخوري انطون قندلفت بالذبيحة الالهية بحضور السيد لودفيكس بيانقي القاصد الرسوليّ ، واحبار الطوائف الكاثوليكية ، ورؤساء الرهبنتين الكبوشية واليسوعية ، وممثل الحكومة ، والقنصل الفرنسيّ مسيو باتريونيو ، ومتصرّف

جبل لبنان واصه باشا ، واصحاب المقامات المدنية في بيروت ولبنان . وما انتهى الخوري انطون من القدّاس حتى انبرى يخطب بفصاحته المشهورة وعباراته البليغة مفيضاً في رفع آيات الحمد لله عزّ شأنه لاهجاً بالثناء على الحبر الروماني والبطريرك الانطاكي والقاصد الرسولي شاكراً للحاضرين مشاطرتهم ابناء الملة السريانية مسرّاتهم في ذلك اليوم التاريخيّ الشهير . ولمّا ختم خطبته الشائقة منح السيد البطريرك البركة الرسولية لجميع المؤمنين الحاضرين ثم خرج الى ردهة الاستقبال ورحّب باصحاب المقامات الدينية والمدنية وابدى لهم عبارات الشكر ثم أطلق لسانه بالاثينة الجميلة على أريحية أعيان الملّة السريانية وعلى أتعابهم في سبيل بيت الله عزّ وجلّ .

وعند المساء أُنير خارج الكنيسة وفناؤها بكواكب من المصابيح اللامعة الملوّنة وتطايرت السهام في الجوّ . وكان اعيان الملّة ووجهاؤها ولاسيما السادات دي طرّازي وشقّال وموصلي وغيرهم محتفين اذ ذاك بالسيد البطريرك مسرورين شاكرين وكانت دورهم ايضاً تشعّ بالاضواء الجميلة عربوناً لفرحهم بذلك اليوم السعيد .

هذا ما تذكره حافظتي الى هذا الآن عن هذين الاحتفالين الجليلين اعني الاحتفال بالقدّاس الاول وتدشين الكنيسة . على اني وقفت منذ ذاك نفسي على القيام بخدمتها وضبط حساباتها واثبات جميع ما يحدث فيها من الامور المهمة .

وقد رأيت بهذه الفرصة ان اذكر شيئاً عن النواب البطريركيين لطائفتنا في بيروت قبل بناء الكنيسة وبعده ، مقدّماً على ذلك كلمة في اساقفة بيروت السريان :

٤ً اساقفة بيروت

لمّا عادت بيروت الى رونقها القديم في القرن الماضي شاء آباؤنا البطاركة الانطاكيون ان يقيموا اسقفاً لبيروت كسائر المدن المسيحية لانهم رأوا أنّ أبناء الملّة السريانية يتوافدون اليها من المدن القريبة ولاسيما من حلب . واول اسقف

سرياني سكن بيروت منذ السنة ١٨١٧ ، هو السيد كوارتس انطون الديار بكري الذي اثبت اسمه ونتفاً من اخباره حضرة الفيكنت فيليب دي طرّازي في كتابه « السلاسل التاريخية في اساقفة الابرشيات السريانية » (صفحة ٤٠٣—٤٠٥) . وقد اقام هذا الاسقف الورع في دار الخواجات دي طرّازي زماناً . ثم استأجر له الخواجا انطون عميد تلك الاسرة السريانية النبيلة ، داراً في محلة « الكراويا » خصّص قسماً منها بمصلّى وقسماً بمدرسة . وكان يجتمع اليه بعض الفتيان يعلّمهم المبادئ السريانية والعربية ليساعدوه في الصلوات الطقسية . وقضى هذا الحبر التقيّ حياته بالتقشف والنسك حتى وافته المنون في ١٦ كانون الثاني ١٨٤١ في دار المرحوم بطرس لورلّا اثناء زيارته له . ثم نقل جثمانه الى كنيسة الآباء الكبوشيين بمحلة الدركاه ، ومنها شُيّع الى دير الشرفة ولُحد في مدفن الآباء .

وبعد هذا الحبر الورع رقّي السيّد البطريرك مسار اغناطيوس بطرس جروة (١٨٢٠—١٨٥١) الى اسقفية بيروت السيد كوارتس يوسف حائك الحلبي نحو السنة ١٨٤٢ . الا ان هذا الاسقف الجليل لم يسكن في بيروت بل أقام في دير الشرفة حتى السنة ١٨٤٥ ، ثم تولّى ابرشية حلب حتى السنة ١٨٥٧ . وانتقل الى جوار ربه في ٢٨ شباط ١٨٦٣ ، ودُفن في كنيسة والدة الله بحلب .

وظلّت ابرشية بيروت السريانية دون راعٍ يقيم فيها حتى عهد السيّد اغناطيوس انطون سمحيري (١٨٥٣—١٨٦٤) ففوّض شؤون أبنائها الروحية الى الخوري ميخائيل ازرق الحلبي رئيس دير الشرفة فكان يتعهدهم ذات المرار ويعمد اطفالهم في كنيسة الآباء الكبوشيين حتى السنة ١٨٦١ . ويرى مجراه الخوري بولس راضية الدمشقي حتى السنة ١٨٦٤ .

٥ النواب البطريركيون في بيروت قبل بناء الكنيسة

اوّلهم : الخوري يوحنا مهارباشي المارديني (١٨٦٥—١٨٧٢)

كان يقيم الذبيحة الالهية في كنيسة الآباء الكبوشيين . وكنتُ اقصد تلك الكنيسة صبيحة كل يوم لاقوم بخدمته . وهو اول نائب بطريركي تعين

المتوري بطرس بوصيك

المتوري يوحنا معارباشي

المتوري يوسف معارباشي

لبيروت وجعل سكناه في انطوش دير الشرفة بحيّ النورية . وكان يعاونه في خدمة النفوس القس لويس صابونجي (١٨٦٥ - ١٨٦٩) ، والقس الياس شدياق الحلبيّ (١٨٦٩–١٨٧٤) . وانشأ القس لويس في عهد نيابة الخوري يوحنا نسيبه مطبعةً في بيروت لنشر الكتب في العربية والسريانية والتركية . وأسس مدرسة صار لها شأن عظيم حتى قصدها طلبة العلم من ارجاء المدينة . فصارت تباري غيرها من المدارس العالية . وكان من جملة تلامذتها أنجال متصرّف بيروت كامل باشا الذي صار بعد ذلك صدرًا اعظم[1] . وكان الخوري يوحنا معارباشي يساعد القسّ لويس ويعلّم الطلبة في تلك المدرسة الزاهرة اللغتين الايطالية والفرنسية والعلوم الرياضيّة . والى القراء نتفاً من اخباره :

وُلد الخوري يوحنا معارباشي في ماردين عام ١٨٣٠ . وقصد دير الشرفة عام ١٨٤٦ . وفي القابل يمم مدرسة الآباء اليسوعيين في غزير ، وعكف على العلوم الكهنوتية حتى ٢٣ نيسان ١٨٥٤ . فرقّاه السيد اغناطيوس انطون سمحيري البطريرك الانطاكي ، في كنيسة دير سيّدة النجاة بالشرفة ، الى الرتبة الكهنوتية المقدّسة واتخذه كاتباً لاسراره ، واستصحبهُ في رحلته الشهيرة الى عاصمة الكثلكة والى فرنسة وبلجيكة وهولندة . ثم عاد معه الى ماردين .

وفي السنة ١٨٦٥ رقّاه السيّد ديونوسيوس جرجس شلحت الى رتبة خورفسقفوس وعيّنه نائباً بطريركيًّا في بيروت . فطفق يخدم النفوس بغيرة متوقدة . واتفق انه تفشّى فيها في تلك السنة عينها الهواء الاصفر . فنهض الخوري يوحنا بخدمة المصابين من جميع الملل نهوضاً وقف عنده المؤمنون موقف الاعجاب بنشاطه وجهاده . وقد كتب غبطة السيّد غريغوريوس الثالث وهو بطرس الثامن بطريرك الارمن (١٨٤٣ — ١٨٦٦) الى الخوري يوحنا يثني على غيرته الكهنوتية ويشكر له خدمته النصوح لابناء ملّته الكريمة بدلًا من خوري طائفته الذي توفّاه الله في تلك الغائلة . والخلاصة ان الخوري يوحنا الفاضل اصبح اثناء المحنة قدوة الشهامة وعنوان المروءة والاخلاص ومثال محبة القريب . وقد أُصيب هو

---

١) عن « تاريخ الصحافة العربية » لمؤلفه الفاضل الفيكنت فيليب دي طرّازي (٢ : ٧٣)

نفسه بالوباء المذكور لكنّ العناية الالهية أنجته باعجوبة باهرة.

وفي السنة ١٨٦٩ توجه الخوري يوحنا الى عاصمة الكثلكة صحبة غبطة السيد اغناطيوس فيلبس عركوس البطريرك الانطاكي (٨٦٥ — ١٨٧٤) وكان في زمرة الاثني عشر الذين عدل البابا بيوس التاسع، خليفة مار بطرس هامة الرسل، اقدامهم يوم خميس الاسرار عام ١٨٧٠. وفي السنة ١٨٧٨ اوفده السيد اغناطيوس جرجس شلحت الى قسطنطينية بشابة نائب بطريركيّ ليسعى في استحصال الفرمان الشاهانيّ المؤذن ببناء كنيسة بيروت فبذل الجهود المشكورة في الحصول عليه عام ١٨٨٠ كما ذكرنا آنفاً.

وفي السنة ١٨٩٢ رقّاه السيد اغناطيوس بهنام بني(١٨٩٣—١٨٩٧) النائب الرسوليّ الى مطرانية دمشق في كاتدرائية حلب خلفاً للسيد اقليميس يوسف داود الحميد الاثر. وفي السنة ١٨٩٣ حضر السيّد اقليميس يوحنا معمارباشي المجمع القرباني في اورشليم. ثم استعفى من مطرانيّة دمشق وتولى النيابة البطريركيّة في ماردين. وعيّنه الكرسي الرسولي نائباً رسولياً عاماً على الطائفة جمعاء، على اثر وفاة السيد البطريرك المشار اليه. وظلّ يسوس الرعيّة في ماردين وطنه حتى لفظ روحه بيد خالقها في حزيران ١٩١٤. وهو الذي وقف على طبع كتاب المدعدان مدحجدبلا في المطبعة الكاثوليكية ببيروت عام١٨٧٧. وقد خلف في قلوب ابناء الطائفة البيروتية اجمل تذكار رحمه الله تعالى.

ثانيهم : الخوري بطرس برصيك الماردينى (١٨٧٢—١٨٧٤)

تولى هذا الاب الفاضل النيابة البطريركية في بيروت دفعتين استغرقت الاولى سنتين كاملتين (١٨٧٢ - ١٨٧٤) والثانية سنةً واحدةً وهي السنة١٨٨٦. وكان يعاونه في خدمة النفوس الاب باسيليوس توماجان الماردينى الذي حضرته الوفاة في دمشق عام ١٨٧٩.

وُلد الخوري بطرس برصيك في ماردين عام ١٨٣٣. وشخص الى دير الشرفة عام ١٨٤٦ وفي تشرين الثاني ١٨٥٢ قصد اكليريكية الآباء اليسوعيين في غزير حيث اكبّ على العلوم الكهنوتية حتى السنة ١٨٥٤ فاستصحبه السيّد

المثلث الرحمات

البطريرك اغناطيوس حرجس شلحت

١٨٧٤ ــ ١٨٩١

اغناطيوس انطون سمحيري الى رومية . وقرأ العلوم الفلسفية واللاهوتيسة في مدرسة البروبغندة . وفي ٢٥ ايار ١٨٦١ ارتقى الى الرتبة الكهنوتية في كنيسة مار يوحنا اللاترانيَّة الكبرى . وفي ١٦ شباط ١٨٦٢ غادر عاصمة الكثلكة الى وطنه ماردين ، وتقلّد رئاسة الابرشيَّة حتى السنة ١٨٦٩ . واتخذه السيّد نيقولا كستلس القاصد الرسولي كاتباً لاسراره حتى السنة ١٨٧٠ ، وفيها توفي القاصد المشار اليه في ماردين ولُحد في كنيسة الآباء الكبوشيّين.

وفي ايار ١٨٧٢ وافى الخوري بطرس الى بيروت ونصبه السيّد اغناطيوس فيلبس عركس نائباً عنه . واصطفاه السيّد لودفيك بياڤي القاصد الرسولي عام ١٨٧٣ كاتباً لاسراره . ثم اوفده السيد اغناطيوس جرجس شلحت عام ١٨٧٤ الى قسطنطينية في استحصال البراءة الشاهانيَّة لغبطته . فغاز بها في حزيران ١٨٧٥ بيد انه توقف ارسالها حتى ١٤ تشرين الثاني ١٨٧٦ . فحملها الخوري بطرس الى السيد البطريرك الذي كان ينتظرها في دير الشرفة بذاهب الصبر . وفي ١٤ كانون الثاني ١٨٧٧ رقّاه السيد البطريرك الى رتبة خورفسقفوس مكافأة لاتعابه .

وفي ١٠ حزيران ١٨٨٦ عاد الخوري بطرس الى بيروت ، وتولى النيابة ثانيةً حتى ٨ تشرين الثاني ، فنصبه صاحب الغبطة رئيساً على دير الشرفة . وفي ٦ تشرين الاول ١٨٨٧ ارتحل الى ماردين وثابر على خدمة النفوس حتى وافاه الاجل في ٢٥ كانون الاول ١٩٠٦ وكان رحمه الله تعالى عالماً فاضلاً خبيراً باللغات اللاتينية والفرنسية والايطالية والسريانية والعربية ممتازاً بالعلوم الفلسفية واللاهوتية .

ثالثهم : الخوري يوسف بعارباشي الماردينى (١٨٧٥–١٨٧٨)

افضت اليه النيابة البطريركية عام ١٨٧٥ وساس الرعيَّة البيروتيَّة ثلاث سنوات بما اتصف به من الحزم والنشاط . ولقي حظوة عند السيد البطريرك الذي أنس منه الاخلاص والامانة فنصبه رئيساً على دير الشرفة في ٢٣ حزيران ١٨٧٩ ثم ارسله عام ١٨٨٠ صحبة ابن اخيه يوسف شلحت الى رومية واسبانية

واميركة ليجمع حسنات المؤمنين في سبيل ابتناء دير مار افرام السرياني باردين وانجاز كنيسة دير الشرفة (١٨٧٤ - ١٨٨٢) . وفي ٢٨ ايلول ١٨٨٢ عاد الى دير الشرفة وظلّ يرئسه حتى ١٥ نيسان ١٨٨٣ فسافر الى ماردين وطنه ووكل رئاسة الدير الى عمنا القس موسى سركيس حتى عاشر تشرين الثاني من تلك السنة . وفي ٢٣ آب ١٨٨٤ اقامه السيد البطريرك نائباً في النبك وهناك أصيب بالفالج عام ١٨٨٦ فعاد الى ماردين ولقي ربّه صباح خميس الصعود ٢٢ ايار ١٨٨٩ وله من العمر خمسة واربعون ربيعاً .

وكان ولاد هذا الاب الغيور الهمام في ماردين في ١٤ شباط ١٨٤٤ وقصد دير الشرفة عام ١٨٥٨ وتوجه الى مدرسة انتشار الايمان المقدّس عام ١٨٥٩ واحرز اكليل الملفنة في الفلسفة واللاهوت . وارتقى الى المنصب الكهنوتي عام ١٨٦٩ ، وعاد الى دير الشرفة وتولى رعاية التلاميذ حتى السنة ١٨٧٥ . وكان رحمه الله تعالى ممتازاً بذكاء القريحة وسرعة الخاطر وشريف الاخلاق ولا سيما اخلاصه المحبة والطاعة لرئيسه المغبوط . وعاش عيشة مفعمة من المبرّات والحسنات . وتوفي برائحة القداسة . وما برحتُ اذكر صفاته النادرة ، واترحم على نفسه الطاهرة كلما لمحت صورة القديس يوسف شفيعه التي زيّن بها احد جدران كنيسة مار جرجس .

(لها صلة)

المطران جرمانوس فرحات

بشر « المشرق » في طليعة العام الماضي بيوبيل فرحات المئوي الثاني وعرض منهاجاً لما يمكن القيام به اكراماً لذلك الرجل الشهير في تاريخنا الديني والادبي . ثم حالت الظروف دون اقامة حفلات اليوبيل بسنتها . على ان ارجاء العيد الى ايار القادم سوف يزيده رونقاً بعد طيلة مدة الاستعداد اليه . وها ان مجلة « الشهباء » الحلبية المعروفة سابقاً « بالقربان » اتت في اعدادها الاخيرة تحدثنا عن الاسقف وحياته قالت بلسان منشئها المتوري الاسقفي اغناطيوس سعد المفضال (ايار ١٩٣٣ ص ٢٠) :

تتلخص حياة فرحات مطراناً على حلب في الشعار الذي اتخذه لاسقفيته وهو لا يزال مرسوماً على جميع الكتب الطقسية والمؤلفات النفيسة التي اقتناها من ماله الخاص ووقفها لابرشيته ، فيمثل هذا الشعار في وسطه القس جرمانوس بطريرك القسطنطينية وفي يده اليمنى سيف من لهيب اشارة الى ما يجب على الاسقف ان يتصف به من الغيرة على الدين وخلاص النفوس او ان يكون لسانه ذا حدين في اقواله فيقضي بالحق لا تأخذه لومة لائم ويوبخ ويؤنب بلا تهيب ولا مراعاة خاطر ، وفي يده اليسرى درج مكتوب دلالة على ما يجب على الاسقف ان يتلي به من المعارف والاداب الدينية والدنيوية ليكون منارة علم وتقى او على ما يجب عليه ان يتبعه من الشرائع في اقواله وافعاله وعلى جانبي رأسه اغصان الارز رمزاً الى وجوب تصون الاسقف وخلوه من الفساد في سيرته واقواله واعماله ليستنير الناس بسيرته ويستنيروا بانوار فضائله وفي الاطارين

الخارجيين مكتوب باللاتينية والسريانية : الحقير جرمانوس مطران حلب

تلك كانت حياة فرحات ويمكن اختصارهـا بثلاث كلمات : غيرة وعلم وفضيلة تجلت في كل اعماله ...

الشيخ كامل الغزي

في بدء هذا العام نعت مجلة الحديث الحلبية الشيخ الوقور والاديب المعروف كامل الغزي انتقل الى رحمة ربه وقد جاوز الثانين. قالت في عدد شباط ، ص ١٥١ :

كانت صلاته وثيقة مع كافة الطبقات ومع مختلف المذاهب ...

سمي عضواً مراسلاً للمجمع العلمي العربي في دمشق مع بضعة عشر عضواً من حلب ومع انه كان اكبر جميع الاعضاء سناً فقد كان انشطهم جميعهم في البحث والدرس بل كأني به قد طواهم في جبته واخذ يمثل حلب في الكتابة الحين بعد الحين ! ...

وسمي رئيساً للجنة الآثار في حلب ورئيساً لتحرير مجلتها ، ومع ان هـذه اللجنة تضم اكثر من عشرة اعضاء فتشاء الظروف ان تقوم اعمال اللجنة والمجلة على مدير المتحف النشيط وعلى شيخهـا الراحل ، اما بقيـة الاعضاء فكانوا يكتفون بفخر انتسابهم الى الجمعية دون ان يقوموا بعمل محسوس ! ...

كتب تاريخ حلب فلم يخرج عن القصد ولم يلتو كغيره الى منحدرات لا صلة لها بقمة الموضوع ! ...

في اعتقادي ان الشهباء خسرت هذا الشيخ الجليل الذي كانت تتمثل فيه طبيعة العلماء وذوق الادباء ونزعـة المجددين ووداعة ورقة الظرفاء وجمـال الشيخوخة في فتوتها الباسمة ــ احسن تمثيل.

رحمه الله وعزى حلب والعلم بفقده.

وتكملةً لما سبق يفيدنا ان نروي عن كتاب السيد قسطاكي الحمصي : « ادباء حلب ذوو الاثر في القرن التاسع عشر » (ص ١١٥ وما بعد) خلاصة ما لا بد من حفظهُ من ذكر الفقيد صيانةً لحقوق التاريخ الادبي العربي الحلبي.

كامل الغزي ابن الشيخ حسين الامام في علوم الشريعة والحديث والمنطق

والادب ولد في حلب سنة ١٨٥٢ ودرس على محمد الكحيل ومصطفى الكردي فنال حصةً وافرة من علوم الفقه والحديث والمنطق والعربية ونظم الشعر وهو فتى .

تقلب في المناصب في الحكومة ومن مؤلفاته واكثرها لم يطبع «جلاء الظلمة في حقوق اهل الذمة» ، و«تاريخ حلب» طبع جزءه الثالث . ومن شعره قوله في طفله شاكراً الله نعمته .

حققتَ لي بعد القنوط المرتجى ما خاب ذو رجو عليك يعول
فمنحتني كرماً غلاماً وجهه اضحى به وجه المسرة يقبل
ابني انت وديعة الله الذي هو بالودائع خير من يتكفل
ابصرت نجمك في الديار وانني لاخال شمسي عن قليل تافل

الماسونية

تقول مجلة المعارف الشويفاتية الارثوذكسية انما تصبرة الماسونية ولبنان حالها . وقد اتت في اعدادها الاخيرة تحدثنا عن المحافل في مصر وفي لبنان فتشكو غالباً كساد البضاعة الماسونية وانقسام الاخوان بعضهم عن بعض وفقدان روح النهضة فيهم وتهافت ابناء الارملة على اقتسام المناصب وخذلان البعض وانتصار غيرهم . كل ذلك مما يضحك الثكلى فضلاً عن الارملة . على ان في كلام المعارف لجديداً ! وما عسى يعدّ عند ابناء المشيرة ؟ هو انهم كانوا يتحاشون الظهور في النور ، والماسونية جمعية خفية سرية تكتم اسرارها واسماء اعضائها رؤساء واخواناً . فالمعارف اليوم تشهر الاسماء وشدّ ما هو عجبنا ان نرى في لائحتها اسماء من عهد اليهم تهذيب الناشئة في بعض المعاهد الكاثوليكية الكبرى في بيروت . افلا يخشى صاحب المعارف الفضيحة

جاء في عدد ايار على المحافل المصرية ص ٤٠٥

وصلنا مصر واول ما عزمته درس حالة الماسونية فيها بعد اندماج المحفلين الاكبرين في محفل واحد وايقاظ الشرق الاكبر الوطني المصري .

زرت الكثيرين من اقطاب الماسونية واجتمعت برجال الفريقين فوجدت شيئاً جوهرياً هو ان اندغام المحفلين كان لغايات شخصية قسمت الوظائف بين افراد قلائل وفقاً للمآرب والغايات وقد جرت بطريقة غير قانونية فلم يقبل فريق من احرار مصر الحقيقيين ان يجري في مصر ما جرى فايقظوا الشرق الاكبر الذي هو ابو الماسونية المصرية واجروا انتخاباً قانونياً ففاز بالرئاسة رجل

الوجاهة والفخر عثمان باشا مرتضى وبالسكرتارية العظمى زنبرك (كذا) الماسونية وركنها الوطيد محمد رفعت بك الذي آلمه ان يرى الغايات تدب في الماسونية فايقظ الشرق وسار به.

وصلت اخبار الشرق الى بيروت فاستقبلها الاخوان بشوق وانسحبوا من المحفل الاكبر وارتبطوا به والفضل في ذلك لامين ابي مرشد « رجل الماسونية الحر ... »

درسنا في مصر وتقبنا فوجدنا ان غاية الشرق تنقية الماسونية من ادرانها وفصل قمحها عن زوانها.

وجاء في المعارف (حزيران ص ٤١٢)

انقسمت العشيرة ... وهناك غير ذلك من عوامل الخراب.

عاقت المحافل عن القيام بما تفرضه المبادئ الماسونية وشغلتهم عن واجباتها نحو الانسانية حتى تعطلت المنشآت الخيرية من هيئات اسعاف ومدارس وعيادات طبية وحبست الاعانات عن عائلات كريمة ... ولا جدال في ان هذه العوامل أدت الى انحلال اخذت مظاهره تبدو على المحافل الرمزية سواء في مصر او سورية او فلسطين فمنها التي عطلت ومنها ما انفصلت.

وفي عدد تموز ص ٥٢٩ عدّ صاحب المعارف المحافل ورجالها معظماً منخماً الالقاب. نكتفي من اقواله بالاعلام.

محفل لبنان، وهو اقدم محافل بيروت وسورية، يرأسه سعيد صباغه.

محفل الحكمة وهو يشتغل بالسياسة مع السابق.

محفل نيويرك والسوري الاميركي وفخر الدين يراقبها خالد ثابت والاخوان التابعون الطريقة المصرية.

المحافل المصرية في بيروت ولبنان كانت تتبع المحفل الاكبر الوطني المصري وانحلت بانحلاله. واستقال الداماد احمد نامي بك من وظيفة استاذ اعظم. وتشكلت محافل في بيروت ولبنان عددها ١٤، رجالها في صدورهم الروح الوثابة لخدمة البلاد والعشيرة وفي تعزيز المحافل والنهوض بالماسونية وهي تقوم على اكتافهم كالمنذر وبربابي وغيرهم من الرؤساء الناهضين. ف.ت.

مطبوعات شرقية جديدة

Am. Giannini : L'ultima fase della questione orientale, 1913-1932. *Pubblicazioni dell' Istituto per l'Oriente. in-8° de* 416 *pp. et* 3 *cartes hors-texte. Roma, Istituto per l'Oriente*, 1933. *Prix* : L. 50

المظهر الاخير للمعضلة الشرقية من ١٩١٣ الى ١٩٣٢

صاحب الكتاب من ذوي الاختصاص بالامور الشرقيّة . وقد كان لآثاره الاخيرة تقدير جدير بالذكر . وها هو ينشر اليوم كتاباً ذا فائدة جمة لجميع المشتغلين بالتاريخ الشرقي المعاصر ، دارساً مظاهر المعضلة الشرقية متتبعاً ازماتها حتى اصولها . ولا يخفى ان من هذه المشاكل ما بدت آثاره الاولى قبل الحرب العظمى كالمشكلة العربية البادئة على عهد عبد الحميد . ولهذا بدأ المؤلف درسه منذ الحروب البلقانية ، متوقفاً عند النقاط المهمة كمعاهدة سيفر ، واتفاق انقرة ، وهدنة ميدانية ، واتفاقات لوزان ، وما يلتحق بها من مشاكل الارمن ، والاكراد ، والعرب ، واليهود ، ومسائل الاراضي المقدسة ، وقبرص ، ولبنان ، الى غير ذلك من الموضوعات التي يظهر فيها المؤلف على اطلاع واسع ، ونقد دقيق . ولم يكن استناده الى مجلة « الشرق العصري » الايطالية Oriente Moderno » ليقلل قيمة اسانيده بل بالعكس ، وكلنا يعلم ان هذه المجلة اخذت منذ السنة ١٩٢١ بتطبيق اصول النقد الصحيح على جميع ما تنشره من الحوادث والاخبار ، مستقلة المجلات والجرائد الشرقية المتباينة النزعات ، حتى اصبحت تمثل اليوم كنزاً ثميناً من المعلومات عن جميع الاحداث الشرقية التي شهدناها قريبة منا دون ان نجهد الفكر في تفهمها . هذا ونتائج المؤلف جديرة بالذكر . فان المؤسسات التي ادخلت في الشرق الادنى ابعد من ان تكون قد توصلت اليوم الى شكلها النهائي الثابت . على ان هناك مبدأ جديداً قد أدخل وأقرّ ، وهو مبدأ القوميات . ومهما يأتِ به المستقبل فاننا قد حصلنا على امر واقع ، وهو انفصال هذه المناطق عن الامبراطورية العثمانية . من الحق ان الجهد في ذلك كان طويلاً ، ولكنه انتهى لحسن الحظ . حتى يمكن الانسان

ان يرجو للشرق الادنى ، بفضل جوّ مطمئنّ مسالم ، ان يستعيد مركزه القديم على شاطئ المتوسط ، ان شاء الله !

ج. ل.

J. Maritain : Eléments de philosophie. t. II L'ordre des concepts ; fasc. I Petite logique. 8° *mille revu et corrigé.in-8° de XI—353 pp., 20 fs. Paris, Pierre Téqui.*

مبادئ في الفلسفة : المجلد الثاني

يشمل كتاب المبادئ الفلسفة لماريتن سبعة مجلدات وصلنا مؤخرًا الثاني منها . وان ما قابل به المفكرون ما ظهر حتى الآن يؤمل بنجاح الكتاب نجاحاً باهرًا . ولا شك في ان طلّاب بلادنا كزملائهم في فرنسة يستفيدون الفائدة الجلى من هذا التأليف الواضح المفصّل . على انه لما كان يزيد عن موادّ المنهاج المقرّر ، طُبعت الفقرات الزائدة بحرف اصغر من الحرف العادي .

Norbert Casteret : Dix ans sous terre, campagnes d'un explorateur solitaire. I *vol. in-16 illustré. Prix : 15 fs. Librairie académique Perrin, Paris.*

عشر سنوات تحت الارض

هذا كتاب سيحدث دون شك اثرًا بعيدًا . فهو كتاب مغامرات جريئة وكتاب علم صحيح . يورد فيه المؤلف باسلوب بسيط دقيق ما توصّل اليه من الاكتشافات الغريبة في ارتياداته العديدة . ارتاد اولا كهف مونتسبان حيث اكتشف اقدم تماثيل في العالم . ثم مغارة لاباستيد حيث اطلع على امثلة فنية ترقى الى خمسة عشر الفاً او عشرين الفاً من السنين . وهو يصف لنا اعلى مغارة جليدية معروفة في العالم ، ويشرح ما كان لا يزال حتى اليوم من المشاكل الغامضة في ما خصّ ينابيع الكارون . ولا يخفى ما يتطلّب كل ذلك من جرأة على المغامرة والمخاطرة قرنها المؤلف بالدقة العلمية الوافية . وقد ظهر اثر ذلك في الكتاب حتى ان المطالع يشعر بقشعريرة الايجاس اذ يدخل به المؤلف ظلمات الارض . فيبدو له رجل رياضة ومغامرة ، ولكنه يستعمل ذلك في سبيل توسيع نطاق المعارف وخدمة العلم . فيلذّ ويفيد ويدفع الى الجرأة والاقدام .

L. Garriguet : La Vierge Marie. *in-8° de 400 pp. Prix : 15 fs. Paris, Pierre Téqui.*

العذراء مريم

غاية المؤلف ان يبسط للجميع خلاصة العقائد المريمية المتضمنة في كتب الخاصة. وقد توفق الى ذلك بدرس دور العذراء مريم وخصائصها ، وفضائلها ، واستحقاقاتها ، ومجدها ، وشفاعتها ، ومظاهر تكريمها . ومما يدل على مزايا الكتاب ورواجه انه ادرك في سنوات قلائل طبعته الثامنة .

René Gobillot : Architecture moderne et contemporaine. [*Biblioth. Cathol. des Sciences Religieuses*] 1 *vol. in-12 de* 216 *pp. illustré. Prix* 12 *fs. Bloud et Gay, Paris,* 1933.

هندسة البناء العصرية والحاضرة

اراد المؤلف ان يدرس مظاهر التطور في هندسة البناء الدينية مدة القرون الخمسة الاخيرة . ولم يخف عليه ان موضوعاً كهذا اوسع من ان يحصر بمائتي صفحة ، فرأى ان يكتفي بذكر المظاهر العامة للموضوع ليسهل على المطالع القاء فكرة شاملة ، وهو امر لم يسبق اليه احد في عرفنا .

لقد قام كثير من العلماء وارباب الفن فدرسوا نواحي متنوعة من هندسة البناء ، وبحثوا في جميع عصورها . الا ان عملهم في ما خص هندسة البناء الدينية ظل قاصراً بحد نفسه ومتعلقاً بالهندسة العامة التي درسوها . ولا يخفى ما في ذلك من النقص لان الهندسة الدينية اقل تطوراً من الهندسة المدنية ، اذ ان مهندسي البنايات الدينية لا يتركون تقاليدهم بسهولة . وعليه فلا نرى في هذه الهندسة ما نراه في تلك من الاختلاف الجسيم بين بنايات قرن وبنايات ما يليه من القرون . ومن مظاهر هذا التقليد ان النفحة التجديدية التي اثارتها النهضة الايطالية في كل شيء لم يبدُ اثرها في الهندسة الدينية الا بعد مرور اكثر من قرن على ظهورها . على انها لم تظهر حتى في القرن السابع عشر الا بمقدار ، اذ حفظت تلك الهندسة شيئاً من ميزاتها في القرون الوسطى . ثم ان هندسة القرون الوسطى نفسها ، التي انصرف الناس عنها على عهد لويس الرابع عشر ، عادت الى شيء من الازدهار في زمن لويس الخامس عشر ، حتى اذا

نشطت الحركة الرومانتيكية ، لجأ اليها المهندسون دفعةً واحدة فنقلوا معالمها على طريقة خلت من الابتكار في الغالب. اما في عصرنا فلا تزال الهندسة الدينية تفتش عن المظهر المبتكر اللائق . وقد بذل المهندسون جهوداً جديرة بالثناء ، فاستخدموا الموادّ المختلفة . على انهم لم يصلوا بعد الى الشكل النهائي. ولعلهم يعودون الى شيء من آثار القرون الوسطى فتتم الحلقة التقليدية ، وتعود الهندسة الدينيّة الى ماضي ازدهارها .

M. Appert : Le bananier et sa culture. *vol. in-12 de* 120 *pp.* *Paris, Larose.*

الموز وزراعته

كتاب جزيل الفائدة في بلادنا خاصة ، وقد اخذت زراعة الموز بالتقدم المتواصل . ومؤلفهُ من ذوي الاختصاص في الموضوع ، وافر الاطلاع ، واسع الخبرة ، على ما يظهر . وهو يدرس اولاً اختيار الارض ، واعدادها ، وطرق العناية ، وجني الموز ، ومخازنه ، واساليب شحنه ، ومكافحة المضارّ التي تنزل به . كل ذلك مفيد يحسن الاطلاع عليه لان هذه الزراعة الوافرة الربح قد تفقد كثيراً من محصولها اذا ما اهملت طرق العناية بها .

E. de Moreau S. J. - Saint Anschaire missionnaire en Scandinavie au IXe s. I *vol. in-8° de* 159 *pp. illustré.* (*Museum Lessianum, section missiologique, n° 12*) *Louvain*, 1930. *Prix* : 30 *fr.*

القديس أنشير المرسل في بلاد سكانديناڤية في القرن التاسع

ولد هذا القديس في المنطقة الشمالية الغربية من امبراطورية شرلمان ، اي في پيكاردية او في الفلاندر . وقد كان مرسلاً في بلاد سكانديناڤية ، واسقفاً على هامبورغ . وهو معروف عند الالمان، وواسع الشهرة في بلاد الدانمرك واسوج . اما في فرنسة فلم يترجم له احد بعد . وكان ان العلاقات توثقت بين بلجكة واسوج بزفاف البرنسيس استريد الاسوجية الى ولي عهد بلجكة ، فحسن ان تُنشر حياة مُرسل الشمال هذا . وقد نجح فيها المؤلف نجاحاً تاماً بما دقق في المعلومات وبما اظهره عن حياة مرسلي الكاثوليك في تلك الاصقاع وفي ذاك الزمن .

Mgr Aug. de Clercq : Recueil d'instructions pastorales *in*-8° *de* 131 *pp. Prix* : 15 *fs.*

مجموعة مواعظ رعائية

القى المونسنيور دي كليرك ، النائب الرسولي في الكونغو البلجيكي ، سلسلة مواعظ وتعليمات على مرسليه ، قاصداً بذلك تمهيد السبيل الى فهم عقلية الزنج في تلك الاصقاع ، ومن ثمّ تسهيل عمل الرسالة ، فاتت مجموعة نفيسة تدل على مشاكل الرسالة هناك وما تقتضيها من الجهود في سبيل حلّها ، والطريق القويم الى هذا الحلّ ، مما يشكر عليه المؤلف . ولعلّ الكتاب المذكور افضل ما خُطّ في درس عقلية اولئك القوم . وهو فضلاً عن ذلك مثال لكل من يرجو التأليف في هذا النوع من الدروس .

اللآلي في حياة المطران عبدالله قرألي

بقلم الخوري بولس قرألي

القسم الاول : الراهب — ١٩٣ ص . متوسطة — مطبعة العلم ، بيت شباب (لبنان) ١٩٣٣ — الثمن : ٢٠ فرنكاً

اذا قامت الطائفة المارونية بحساب مقدّراتها الروحية ، فانها تدرك كل ما هي مدينة به لرهبانها الافاضل . واذا قام هؤلاء الرهبان بدورهم يدرسون تاريخهم الروحي ، فانهم يتحققون كل ما هم مدينون به للمثلث الرحمات المطران عبد الله قرألي (١٦٧٢ــ١٧٤٢) . فلم يكن من الممكن ، والحالة هذه ، ان تظلّ هذه الشخصية البارزة قيد النسيان ، او قيد معرفة القليلين من مؤرخينا الكرام . ولم يكن اجدر بان يكتب هذا التاريخ الطافح بالامثال والعبر من حضرة المنقّب الجلود الخوري بولس قرألي ، وهو يقرن بالدقة التاريخية وسعة الاطلاع تلك الصلة بالحبر الكبير التي تخفف من مشقّات التفتيش ، وترغب في مواصلة التنقيب ، وتمهّد السبيل للتفهم والاستنتاج . وعليه فقد قام المؤلف بعمل خدم به الرهبانية والطائفة خاصّة ، والحياة الروحية في لبنان عامّة . وقد نشر منه القسم الاول بعنوان « الراهب » ، فخصّ الفصل الاول منه بحداثة المترجم له ودعوته ، والثاني بوصف الرهبانية القديمة في لبنان ، والثالث برئاسة القس

جبرائيل حوا ، والرابع بانتخاب القس عبد الله (اي المترجم له) رئيساً عاماً . ثم انتقل الى ذكر سيرة الرئيس الجديد ، وانتشار الرهبانية في ايامه ، وازدهار اديارها ، وما لاقته من صعوبات وتجارب في سبعة فصول ختم بها القسم الاول . فنحن نرجو بكل اخلاص ان يستفيد ابناء الوطن من هذا الكتاب بقدر جهود مؤلفه الذي نأمل من عنايته ان يتابع العمل حتى النهاية. ف.ا.ب

المختصر الحديث في الجغرافية

تأليف يوسف عماد

٤٩ ص. كبيرة – مطبعة صادر ، بيروت ، ١٩٣٣

تقدم لنا (ص ٧٩ من « مشرق » السنة الحالية) ذكر « المختصر المفيد » للمؤلف نفسه في تاريخ سورية ولبنان . وها انه يردفه اليوم « بمختصر » آخر في جغرافية سورية ولبنان وفلسطين والشرق العربي ، مقدماً على ذلك دروساً تمهيدية في الجغرافية العامة ، سائراً على منهاج المعارف العامة للشهادة الابتدائية الاعدادية ، متصفاً بالايجاز والفائدة.

الضاحك الباكي

تأليف فكري اباظه المحامي

٢١٥ ص. صغيرة – مطبعة الهلال ، مصر ، ١٩٣٣

رواية مصرية عصرية واقعية اسدل عليها المؤلف مسحة جذابة من اسلوبه الظريف فصور فيها تهورات «الضاحك الباكي» ، احد الشبان المصريين ، بين السياسة والغرام ، وقدمه الى الشبان من القراء «شاباً مستهتراً لينتفعوا بآسيه ومباذله . . . » وقد قبل بطل الرواية بذلك على شرط ان يقبل اخوانه الشبان منه نصيحتين اثنتين وهما : « اولاً ان يتزوجوا قبل الخامسة والعشرين . وثانياً ان لا يشتغلوا بالسياسة قبل الخامسة والثلاثين . » (ص ٢١٤–٢١٥)

الشخصية

تأليف : لي أرلن – تعريب : دلال صفدي

٦٨ ص. صغيرة – مطبعة العرفان ، صيدا ، ١٩٣٢

كتيب لطيف مفيد اختارته حضرة الاديبة دلال صفدي من مؤلفات

الكاتبة الانكليزية للي أرن وارادت ان تفيد بني قومها بما احتواه من آراء نفيسة وملاحظات قيّمة تدور حول تعزيز الشخصية كمعرفة الانسان نفسه ، والثقة بها والاتكال عليها ، والثبات في القصد ، والاتقان في العمل ، والثقافة البدنية والعقليّة والاخلاقيّة وما الى ذلك من الموضوعات التي يجدر بالمربّين والمهذّبين الاطلاع عليها والاستفادة منها . وقد عرّبتها الادبية بتصرّف يناسب المقام والبيئة ، فاستحقت الشكر . ف . ا . ب .

البخيل

تأليف : موليير — تعريب : الياس ابو شبكة

١٠٠ ص متوسطة صغيرة – مكتبة صادر ، بيروت ، ١٩٣٣ – الثمن : ٦ فرنكات

رواية البخيل لموليير اشهر من ان تُعرّف . وقد نقلها الاستاذ ابو شبكه جارياً فيها على الاسلوب الذي اتبعه في نقل ما سبقها مما اشرنا اليه . فاضافتها مكتبة صادر الى سلسلة الروايات التي عُنيت جديداً بطبعها .

جنفياف

بقلم نبيل البستاني

٨٤ ص . متوسطة صغيرة – مكتبة صادر ، بيروت ، ١٩٣٣ – الثمن : ٥ فرنكات

وهذه ايضاً من الروايات التي تنشرها مكتبة صادر ، وهي تمثيلية ذات اربعة فصول ؛ نثرية يتخللها شيء من الشعر ، تصلح لتلامذة المدارس .

* رسالة رعائية * وجّهها صاحب السيادة المطران انطون عبد رئيس اساقفة طرابلس على الموارنة الى ابناء ابرشيته الكهنة والملايين . – ٨ صفحات متوسطة ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ١٩٣٣

* آثار جبيل * بقلم يوسف ابي فرنسيس – ٢٢ ص . صغيرة ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ١٩٣٣ – كرّاس جمع فيه صاحبه لائحة بجميع المكتشفات التي ظهرت في جبيل منذ فسنة بدء بالحفر المنظّم من سنة ١٩٢٦ الى السنة ١٩٣٣ ، مع بعض اجماليات في الموقع .

* الذكرى المئوية لتأسيس شركة القديس منصور في باريس * ١٦ ص . صغيرة ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ١٩٣٣ . كرّاس في تاريخ الشركة المذكورة ، وغايتها ، وطرقها ، وحالتها الحاضرة في لبنان وسورية خصوصاً .

اهم حوادث الشرق في شهر

١٥ آب — ١٥ ايلول ١٩٣٣

لبنان وسورية — احتفلت الجمهورية اللبنانيَّة بعيد الاستقلال في ١ ايلول وبعيد الشهداء في ٢ منه.

* بمناسبة عيد لبنان اصدر رئيس الحكومة مرسوماً يمنح العفو العام جميع الموظفين الاداريين والعدليين عن جميع الجرائم التي ارتكبوها اثناء قيامهم بوظائفهم قبل ٩ ايار ١٩٣٢

* عاد غبطة بطريرك الارمن الكاثوليك من رومة الى مقرّه في بيروت.

* عيّن الكرسي الرسولي الورتبيت كريكور هندية مطراناً على الارمن الكاثوليك في ابرشيَّة حلب خلفاً للمطران جرجس كورتيكيان المتوفى.

* احتفل في بكفيا بمرور مائة سنة على وصول الآباء اليسوعيين اليها، وعلى بنائهم فيها اول دير في الشرق في عهد رسالتهم المجدّدة.

مصر — عُيّن السر مايلز لامبسن مندوباً سامياً في مصر خلفاً للسر برسي لورين.

* وافق مجلس الوزراء على اتفاقية الحدود الغربيَّة مع ايطالية.

* عاد صدقي باشا من رحلته في اوربة.

العراق — توفي الملك فيصل في برن (سويسرة) ونُقل جثمانه الى بغداد وقد نودي بابنه الامير غازي ملكاً على العراق.

* اثارت مذابح الاشوريين الرأي العام في اوربة، وقد اهتمّت جمعيَّة الامم باحتجاج الاقليَّة الاشورية.

بلاد العرب — لا تزال العلاقات متوتّرة بين اليمن والحجاز.

المطبعة الكاثوليكية المدير المسؤول : يوسف ماهر

المشرق

السنة الحادية والثلاثون — تشرين الثاني ١٩٣٣

١٧٠ البدأ

الاب جبرائيل دنبو (١٧٧٤ـ١٨٣٢)

مؤسس الرهبانية الانطونية الكلدانية من مجمع مار هرمزد ؟

بقلم الشمس يوسف نادر الانطوني الماروني

نوطة

ص الثابت ان السيرة الرهبانية قد انتشرت في مختلف البلاد المشرقية انتشاراً سريعاً يذهل العقول . ففي ارض بابل وكلدو واثور قد بثّ مبادئها ماري أورن او اوجين احد رهبان دير تابتة وتلميذ القديس بخوميوس الشهير († ٣٤٨) كما اشار الى ذلك المؤرخ اليوناني سوزومينوس[1] فكثر عدد تلاميذه وفاح اريج نسكهم حتى ان القديس

(١ Sozomène. *Hist. VI*, 38, 1391

ايرونيموس[1] اضطرَّ ان يكتب بهذا الصدد : « انه لا يوجد بلاد بعد مصر غا فيها الرهبان اكثر من بلاد ما بين النهرين . »

وفي غروب القرن الرابع قد زارت تلك البلاد التقية سيلفيا[2] وشهدت اديارها ومحابسها ودهشت بفضائل رهبانها ونساكها وعابداتها . ولا حاجة الى ذكر اسماء القديسين الاماجد افراط ويعقوب وافرام وتلاميذهم الابرار لانهم اشهر من نار على علم . لكن ما كادت السيرة الرهبانية تنمو وتزهو وتثمر اثاراً شهية وفقاً لتعليم الكنيسة الكاثوليكية حتى ظهرت الشيعة النسطورية[3] في القسطنطينيه ونفثت في بلاد ما بين النهرين وفارس سمومها القتالة في المعتقد القويم وسيّبت مفاسد شتى في الآداب .

لا نكير ان المذهب النسطوري قد عرف رهباناً كثيرين وذُكرت سجاياهم الطيبة ومؤلفاتهم النفيسة في ادب اللغتين السريانية والعربية ، خاصة في القرنين السادس والسابع . لكن شتان ما بينهم وبين آبائهم الكاثوليكيين الاقدمين سواء في قواعد الايمان والآداب او في نتائجها العملية العديدة .

فشذوذهم عن الايمان المستقيم وتوارد الاضطهادات والمحاولات المذهبية العقيمة وتخييم الجهل المُطبق أوصلهم رويداً رويداً الى انحطاط عظيم يُرثى له . حتى امحى ذكر الرهبانية تماماً في اوائل القرن السابع عشر .

١ً تجدد الرهبانية في بلاد ما بين النهرين

لكن الرب القادر على كل شيء اراد ان يقيم على اطلال اديار الرهبان النساطرة وآثارهم المبعثرة رهبانية كلدانية كاثوليكية تستمد من السدة البطرسية نفسها انوارها ومبادئها وقوتها ، وترتكز على صخرتها ، وتجدد امجاد الرهبان القديسين الاولين الذين بفضائلهم قدسوا البلاد الكلدانية الاشورية . فما بزغت شمس القرن التاسع عشر حتى اختار الرب لتلك الغاية الشريفة تاجراً كلدانياً

١) S. Hieronymus, *Comm. in Isaiam* V, 20

٢) *Sylviæ Peregrinatio*, 64 *etc.*

٣) راجع مقالتنا في هذا الموضوع في مجلة « المشرق » (٢٩ [١٩٠١] : ٦١٢، ٧٢٩)

كاثوليكياً من ماردين عُرف باستقامة معتقده وحسن تعبده وشدة نشاطه ، الا وهو الاب جبرائيل دنبو (١٧٧٤—١٨٣٢) . ففي سنة ١٨٠٨ وفقه الرب الى انشاء رهبانية كلدانية كاثوليكية في دير ربّان هرمزد بالرغم من الصعوبات الشديدة والاضطهادات العنيفة التي سبقت تأسيسها ، ورافقته ، وتبعته . لكنها ثبتت قوية بتدبير الرب وعونه . وقد ختم الاب المؤسس البار سيرته العجيبة بالاستشهاد فاصطبغت رهبانيته الجديدة بدمه الزكي الذي اصبح بذاراً مباركاً لرهبان عديدين نشيطين في كرم الرب . وقد وصف ذلك كله وصفاً بليغاً حضرة القسّ اسطفان كنجو على صفحات مجلة « النجم » الغرّاء في اعدادها لسنتي ١٩٣٠ و١٩٣١ ، وفي حياة المؤسس التي نشرها على حدة في المطبعة الكلدانية بالموصل سنة ١٩٣٢

٢ً ابن ابتدأ الاب جبرائيل دنبو ؟

ذكر هذا المؤرخ الناهض في كتابه الآنف الذكر (صفحة ٥) ما يلي : « وانتقل جبرائيل من بين احضان والديه وذهب الى جبل لبنان حيث دخل الى دير للموارنة في سنة ١٨٠٠ وكان عمره حينئذٍ ستاً وعشرين سنة . »

وفي ملخص سيرة الاب المذكور التي نشرتها مؤخراً رسالة قلب يسوع البيروتية [1] . « ذهب جبرائيل الى لبنان سنة ١٨٠٠ ودخل في احد اديار الرهبانية الانطونية المارونية . وكان وقتئذٍ ابن ستّ وعشرين سنة . »

بعد الدرس الطويل قد تحققنا ان الاب جبرائيل دنبو قد ابتدأ في دير مار اشعيا، مهد الرهبانية الانطونية المارونية ، بجوار برمانا . وهذه حقيقة تاريخية راهنة لا شك فيها نثبتها الآن بالبراهين الآتية :

١ً ان التقليد في الرهبانية الانطونية المارونية يفيد ان الاب جبرائيل دنبو الكلداني قد ابتدأ فيها .

اخبرني بعض مشايخ رهبانيتنا (اخص بالذكر منهم حضرة القس سمعان

١) رسالة قلب يسوع (١٤ [١٩٣٣] ١٤٢)

مطار من جديدة كسروان المترهب منذ ٦٠ عاماً بنيف ، وقدس الاباتي لويس عبيد النائب العام لدى الكرسي الرسولي ، نقلاً عن الشيخ الجليل مؤرخ الرهبانية المرحوم الاباتي عمانوئيل بعبداتي (١٨٤٢—١٩٣٢) ، الذي اخذ ذلك عن الرهبان رفقاء جبرائيل دنبو في الابتداء وغيرهم لا حاجة لذكرهم) انهم حين انخراطهم في سلك الابتداء سمعوا قدماء الرهبنة يحدثونهم عن فضائل تاجر كلداني تقي الهمه الرب ان يترك بلاده ، ما بين النهرين ، واشغاله العالمية ، ويأتي الى جبل لبنان ويبتدئ في ديرنا مار اشعيا . وبعد الابتداء رجع الى وطنه حيث اسس لطائفته الكلدانية رهبانية كاثوليكية على شكل رهبانيتنا وقانونها .

وما هذا التاجر سوى الاب جبرائيل دنبو الذي لا تنطبق هذه الاوصاف على آخر سواه .

على اننا قلبنا كثيراً سجلّي الناذرين الاحياء والموتى في الرهبانية الانطونية المارونية فلم نعثر فيها على ذكر اسمه . وما ذلك الا لان سجلّ الاحياء قد خصص بالذين ابرزوا نذورهم فيها دون سواهم . نعم ان جبرائيل قد دخل في رهبانيتنا بين المبتدئين في دير مار اشعيا ، لكنه لم ينذر فيها . فلذلك لم يسجل اسمه بين الناذرين . وهذا كما ترى برهان لا ردّ عليه .

ومثل ذلك ان مؤرخ الرهبانية لا يدوّن في سجلّ الموتى الا اسماء الرهبان الذين ماتوا في حضنها . اذ اننا نجد بعض من نذروا دُوّنت اسماؤهم في سجل الناذرين الاحياء ، ولا نجد لها ذكراً في سجلّ الذين ماتوا في حظيرتها . وما ذلك الا لانهم لم يثبتوا في جسم الرهبانية الى النفس الاخير .

وكثيراً ما فتشنا بين اوراق مكتبة دير مار اشعيا وآثارها النفيسة لعلنا نعثر على شهادة خطية تصرّح بابتداء جبرائيل دنبو في الرهبانية الانطونية فلم نوفّق الى ضالتنا المنشودة . لكننا وجدنا بين سجلات هذا الدير لسنة ١٨٤٠ ، في ٩ كانون الاول ، على عهد رئاسة القس ابراهيم نصر البسكنتاوي العامة ، اسم راهب كلداني كان من الرهبان ساكني دير مار اشعيا يدعى « القس مرقس الكلداني . » ولربما قصد هذا « القس مرقس » لبنان وترهب في الرهبنة الانطونية المارونية محولاً بمثل القس جبرائيل ، وهو من معاصريه .

لكن لا يخفى على احد ما سببته من الاضرار الفادحة في الآثار التاريخية تلك الاضطرابات الدينية السياسية التي صبغت لبنان وجواره بدماء ابنائه المشرّدين تحت كل كوكب مكتفين بالسلامة غنيمة تاركين وراءهم الثوّار يدلعون السنة النار في بيوتهم واديارهم وكنائسهم ومكاتبهم ، اعني المذابح اللبنانية بين السنة ١٨٤٢ والسنة ١٨٦٠. ولسوء الحظ قد كان دير مار اشعيا ، مهد الرهبنة واهم مراكزها ، حيث عاش جبرائيل دنبو ، واقفاً في ميدان تلك الحوادث المشؤومة . لم يهب الثوار الجهلة ان يتركوا النار تذهب بتلك الآثار التي ذهب معها تاريخ الرهبنة جلّه.

فاذا لم يتوفر لدينا شهادة خطية تصرّح بابتداء جبرائيل في الرهبنة الانطونية المارونية فلا يحصل من ذلك حجة بان جبرائيل دنبو لم يأتِ لبنان ويبتدئ في الرهبنة المذكورة . فعوضاً عن المخطوطات لا يزال التقليد حياً في رهبانيتنا لاسيما لقربه منا.

٢ وصدى هذا التقليد يتراجع بامانة بين ارجاء اديار رهبانية الاب جبرائيل نفسه على غير سابق علم ، قبل دخولنا في هذا البحث ، كما رأيت في تأليف القس اسطفان كجو ورسالة قلب يسوع. وما هذا التوافق بين التقليدين الا حجة دامغة يجب احترامها.

٣ وزد على هذا التقليد المستمرّ في الرهبانيتين الانطونيتين المارونية والكلدانية تقليداً آخر خارجاً عنهما سمعناه من مصدر ذي ثقة في رومية ايام دروسنا الكهنوتية العالية في مدرسة مجمع انتشار الايمان.

ذلك ان الطيب الذكر السيد رولاري (Mgr. Rulleri) ، آخر كتبة اسرار مجمع نشر الايمان المقدس في الفرع الشرقي قبل انشاء مجمع الكنيسة الشرقية ، الخبير بتاريخ الطوائف الشرقية ورهبانياتها بما لديه من الآثار الرسمية في خزائن المجمع المشار اليه والتسليم المتواصل عن سلفائه في الوظيفة . قال يوماً امامنا :

« ان مؤسس الرهبانية الانطونية الكلدانية قد ابتدأ عندكم في دير مار اشعيا وقد اخذ قوانينكم المثبتة . »

٤ً لما امّ الاب جبرائيل دنبو رومية السنة ١٨٢٧ ، وبقي فيها ثلاثة اعوام باذلاً الجهد للحصول على تثبيت الكرسيّ الرسولي لرهبانيته الحديثة ، قدّم كتاب قوانين الرهبنة الانطونية الذي اخذه معه حين ترك دير مار اشعيا بعد ابتدائه ، فيه طالباً اعطاء هذه القوانين مثبتة ثانية لرهبنته الحديثة. وهذا ظاهر من ان الكرسي الرسولي اعاد طبع كتاب قانون وفرائض رهبنة القديس انطونيوس من مجمع مار اشعيا بالنصّ اللاتيني فقط ، ووزّعه على نيافة الآباء الكرادلة وحضرات المستشارين الرسوليين ليدرسوا تلك القوانين ويوفقوا بينها وبين اصول الطقس الكلداني الكاثوليكي . وما اقرب تلك الفكرة الى العمل اذ بعد قليل بان لهم الامر سهلاً فعملوا به.

فجاءت قوانين الرهبنة الكلدانية نسخة طبق الاصل عن قوانين الرهبنة الانطونية المارونية ، ما عدا ما كان منها خاصاً بالموارنة دون سواهم.

أدخلت في القوانين الكلدانية شريعة النذور البسيطة المؤبدة التي لم تكن قد أدخلت في الرهبنات القانونيّة وقت تثبيت القوانين المارونيّة ، كما قد أعطي رهبان الاب جبرائيل ثوب (*Scapolare*) القديس مبارك ، تمييزاً لهم عن ثوب الرهبان الموارنة.

وفي دير مار يوحنا مارون في رومية العظمى التابع الرهبنة الانطونية المارونية ثلاث نسخ من هذه الطبعة اللاتينية الصرفة المحكي عنها قدمها السيد رولاري المذكور.

٣ً في اي دير من اديار الرهبنة الانطونية المارونية ابتدأ جبرائيل دنبو ؟

١ً في مهدها دير مار اشعيا المخصص آنذاك لقبول المبتدئين في الرهبنة المذكورة . فان سجل الناذرين يصرّح بذلك « دير مار اشعيا المخصص للمبتدئين » وذلك من السنة ١٧٤٠ الى السنة ٨١٥.

وعند مجيء جبرائيل الى دير مار اشعيا ١٨٠٠ ، كان الاب مرتينوس الحاج بطرس رئيساً عاماً.

٢ً زد على ذلك ان السيد رولاري اكد الامر بقوله: « ان الاب جبرائيل

دنبو قد ابتدأ عندكم في دير مار اشعيا . »

فلم يبقَ اذاً من شك في ان البار جبرائيل قد تمرّس على مبادئ النسك الرهباني في الرهبنة الانطونية المارونية في اكبر اديارها واولها ، دير مار اشعيا الراهب الحلبي ، الواقع في جوار قصبة برمانا القريبة من مدينة بيروت.

٤ لماذا لم يسِ جبرائيل دنبو في الرهبنة الانطونية المارونية ؟

بعد ان انجز جبرائيل مدة سنتي الابتداء ، وكان فيها قدوة صالحة لاخوته الذين لا يزالون حتى يومنا يذكرون باعجاب سمو فضائله ، تردد في امره هل يستمر في لبنان او يعود الى وطنه . فكشف افكاره لرئيسه حسب امر القانون . فامره بالالتجاء الى الصلاة طلباً للاستنارة الروحية ففعل .

وكان احد الآباء العازاريين قاطني دير عنطورة يتردد غالباً الى دير مار اشعيا لعلاقات كانت بين الديرين ، وذلك ان الرؤساء قد فوّضوا الى قدس الرئيس العام ارسال احد رهبانه ليقوم بارشاد راهبات دير الزيارة في عنطورة التابعات قانون القديس فرنسيس سالس مع بقائهنّ في الطقس الماروني . وكان هذا المرسل من جملة من استشارهم جبرائيل في دعوته ، فاشار عليه ان يعود الى بلاده ، وهناك يؤسس رهبنة كلدانية لفائدة الكنيسة في تلك الامصار . وكانت هذه ارادة الله كشفها جبرائيل على يد هذا المرسل وشجعها وباركها الرئيس العام ، وفرح بها الرهبان الذين زوّدوا اخاهم جبرائيل النصائح والارشادات مع كتاب القوانين وكتاب الصلوات الصغيرة المارونية القانونية المفقودة من الطقس الكلداني . وخرج من دير مار اشعيا تاركاً مهده الرهباني الى كلدو حيث دعاه الله ليكون رئيس رهبان كثيرين كما دعا ابراهيم قديماً من البلاد ذاتها الى الارض المقدسة ليكون ابا شعب عظيم[1]

فيا لها من نعمة سامية ظهرت في دير مار اشعيا ، وتحققت في دير ربّان هرمزد ! ابتدأ جبرائيل عمله الخطير مبتدئاً انطونياً مارونياً ، واكمله راهباً

---

١) راجع سيرة الاب جبرائيل دنبو للقس اسطفان كجو صفحة ٥ و ٢١

انطونياً كلدانياً ، ليظهر الله بذلك ارادته ومسرته باتحاد هذه الطوائف الشرقية وتعاونها على عمل البر ونشر مملكة المسيح في شتى الوسائل . ان القديسين لا طائفة لهم بل هم اخوة من اين كانوا ، وباي اسم تسموا هم جنود الله والكنيسة . هكذا كنت ترى جبرائيل الكلداني مكرماً معززاً محبوباً بين معلميه الموارنة . وهكذا كنت تراه كلدانياً جالساً ازاء الماروني اخوين يرضعان ثدياً واحداً لام واحدة في مهد واحد ، فيا لسر محبة رجال الله القديسين !

فبالحق ان مهد ونشأة الرهبنة الانطونية الكلدانية كان في حضن امها الرهبنة الانطونية المارونية في دير مار اشعيا حيث خرج جبرائيل دنبو بعد مدة امتحانه القانوني ، حاملاً ليس فقط كتاب قانون وصلوات هذه الرهبنة بل عوائدها الصالحة وروحها المقدس وارشاداتها ونصائحها وترتيباتها الحسنة .

الخاتمة

هكذا دبرت العناية الالهية انْ يكون ابتداء جبرائيل في دير مار اشعيا الحلبي (+ ١٤٠) تلميذ القديس اوجين ليكتسب مبادئ النسك الصادق تحت حماية القديس اشعيا ويجدد في بلاده الكريمة في مستهل القرن التاسع عشر السيرة الرهبانية التي كان قد نشرها فيها من قبل بنحو اربعة عشر قرناً معلم مار اشعيا القديس اوجين الجليل ويعززها بمتين التثبيت الرسولي الروماني ويصبغها بدمه الزكي المسفوك شهادة للايمان المقدس .

فاليكم يا انطوني كلدو واثور من انطوني لبنان الف تحية وسلام بالرب وما تجمع بينكم وبيننا وحدة الاسم فقط ، بل وحدة الروح ايضاً ، فضلاً عن وحدة العوائد والرسوم الرهبانية . وليكن مباركاً اسم « المبتدي الانطوني الماروني » « المؤسس الانطوني الكلداني » جبرائيل دنبو !

ومن الرب نطلب ان يتنازل ويرفع باقرب وقت عبده الامين المنشئ البار على مذابح العالم .

الخوري افرام ابيض الحلبي

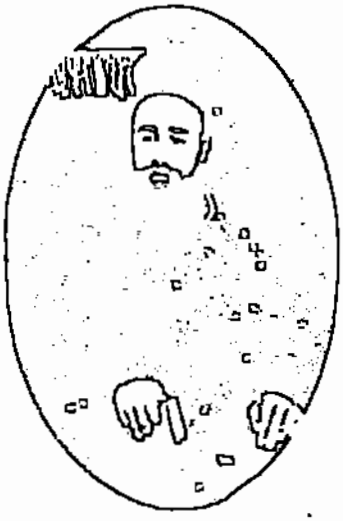

الخوري موسى مركيس الدمشقي

الخوري روفائيل بردخاني المارديني

المطران ثيوفيلس انطون قندلفت

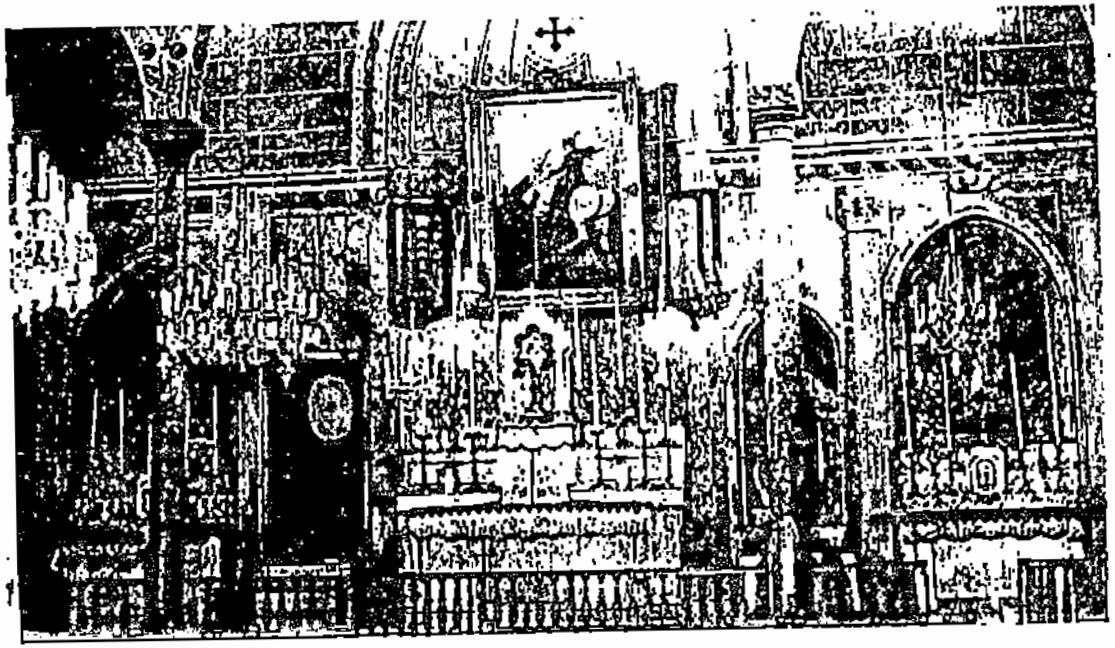

داخل كنيسة القديس جاورجيوس السريانية في بيروت

الذكرى الذهبية

لاول قداس

في كنيسة بيروت السريانية

١٨٨٣ - ١٩٣٣

حضرة المتورفسقفوس ميخائيل اليان سركيس السرياني

٢ (تتمة)

٧ً الواب البطريركيون في بيروت بعد بناء الكنيسة

اولهم : المتوري افرام ايض الحلبي (١٨٧٨-١٨٨٦)

ابصر النور في حلب عام ١٨٤٩ وأقبل الى دير الشرفة عام ١٨٦٢ . وفي السنة التالية قصد اكليريكية الآباء اليسوعيين في غزير . واعتكف على اقتباس الفضائل والعلوم الكهنوتية اربع عشرة سنة فاحرز منها نصيباً وافراً . وفي غرة السنة ١٨٧٧ رقّاه السيد اغناطيوس جرجس شلحت الى الدرجة المقدسة وفوّض اليه خدمة النفوس في بيروت وكنت اخدم قدّاسه في كنيسة الآباء الكبوشيين حتى ١١ تشرين الثاني ١٨٨٣ وفي عهده بوشر بناء الكنيسة عام ١٨٧٨ فكان يراقب العملة مدة خمس سنوات بنشاط لا يعرف الكلال . وهو الذي نضحها بالماء المبارك واحتفل فيها بالقداس الاول كما ذكرت .

وقد تولى هذا الاب الورع رئاسة دير الشرفة في فترات مختلفة وفي السنة ١٨٨٦ نصبه صاحب الغبطة نائباً عنه في القاهرة ، فخدم النفوس فيها بالغيرة والحكمة والامانة حتى توفاه الله عام ١٩١٣ . وتفرّد هذا الاب الجليل بمواعظه الكثيرة التي القاها في دير الشرفة وكنيسة بيروت والقاهرة ، وهي تنيف على المائة موعظة حذا فيها حذواً جديداً وافرغها في قالب يلذّ المطالع والسامع . ومن جملتها موعظته التي القاها يوم افتتاح الكنيسة وقد أشرنا اليها

على ان معرفة الجميل تضطرّني ان أبدي في هذا الفصل عواطف الثناء

لآباء الرهبنة اليسوعية الافاضل فان رؤساءهم الاجلاء اجابوا الى طلب حقارتي فعيّنوا كاهناً من كهنتهم يحضر صباح كل احدٍ وعيدٍ الى كنيستنا هذه الجديدة ويقرّب فيها الذبيحة الالهية.

وظلّ اولئك الاباء الافاضل يواصلون تلك الخدمة المقدّسة مدة تسع وعشرين سنة كاملة اعني منذ السنة ١٨٨٣ حتى ١٤ ايلول من السنة ١٩١٢ التي فيها اصدر الحبر الاعظم البابا بيوس العاشر براءته المشهورة في منح الاجازة لجميع المؤمنين كي يتناولوا القربان الاقدس في ايّ كنيسة كاثوليكية أحبوا. وكان الوسيط بيني وبين رؤساء الرهبنة اليسوعية في منال تلك المنحة المجّانية حضرة صديقي الجليل الاب انطون صالحاني اليسوعي الذي ما برحت تربطني به عهود الولاء الاخويّ منذ ستين سنة . كافأهم الله تعالى باوفر الاجور في النعيم السرمديّ .

وما عدا الاب اليسوعيّ فقد كان يقيم القدّاس الالهي في كنيستنا البيروتية عينها المرحوم الاب يوسف فليفل المارونيّ فخدمها خمساً وعشرين سنة حتى لقي ربه في ٢٥ تشرين الثاني ١٩١٤ .

وكان يقام في كنيستنا البيروتية عينها منذ افتتاحها الى هذه السنين الاخيرة قداس حسب الطقس الكلداني . واول كاهن كلداني كان القس لويس اخرس . وخلفه الخوري يوسف طويل الذي جعل مركزه في الدار الاسقفية نيفاً وعشرين سنة اعني حتى السنة ١٩٠١ . وجاء بعده الاب عمنوئيل قشاً . وكنتُ انا الحقير اقوم بخدمة قداس هؤلاء الآباء الثلاثة كلٍ واحدٍ حسب طقسه اعني الطقس اللاتيني والماروني والكلدانيّ .

ثانيهم : الخوري موسى سركيس الدمشقي

هو عمنا الذي تولى خدمة النفوس في كنيسة بيروت في عهد الخوري افرام ابيض وخلفائه . ولد في دمشق عام ١١٤٨ وشخص الى بيروت عام ١٨٦٠ مع شقيقه والدنا اليان سركيس ووالدتنا مريم يوسف قرواني . ذلك على أثر حوادث الشام المشؤومة . وفي السنة ١٨٦٣ قصد اكليريكية الآباء اليسوعيين في غزير وعكف على استحصال العلوم الكهنوتية اثنتي عشرة سنة . وفي ٢٨

تشرين الثاني ١٨٧٥ رقاه السيد غريغوريوس يعقوب حليساني ، رئيس اساقفة دمشق ، الى المقام الكهنوتي . وولاه خدمة الرعية فيها حتى السنة ١٨٨١ . فاقبل الى بيروت وانقطع الى خدمة ابناء الطائفة حتى ١٥ نيسان ١٨٨٣ فنصبه السيد اغناطيوس جرجس شلحت رئيساً على دير الشرفة . وحضر عام ١٨٨٨ المجمع الطائفي الذي عقده البطريرك الانطاكي واقيف احبار الملة في ذلك الدير منذ ٢٢ تموز حتى ١٣ تشرين الاول . ويشاهد رسمه مع السيد البطريرك والاحبار المشار اليهم في ذلك المجمع الشهير . وفي ٢٧ كانون الاول ١٨٩٣ انصرف الى القدس الشريف حيث تولى النيابة البطريركية حتى ايلول ١٩٠٣ ، فعيّنه السيد اغناطيوس افرام رحماني رئيساً لدير الشرفة . وفي ٢٤ تشرين الثاني ١٩١٢ رقاه في كنيسة بيروت الى الكرامة الاسقفية على حمص وحماة وتوابعها . وانتقل الى جوار ربه في ١٩ آب ١٩١٨ ودُفن في ضريح الآباء بدير الشرفة .

ومما لا يسعني السكوت عليه انه رحمه الله تعالى كابد مزيد العناء والتعب مدة ثلاثة اعوام في سبيل بناء المركز الطائفي في القدس (١٩٠٠–١٩٠٣) وما عدا ما تبرّع به على ذلك المعهد المبارك من المال الذي بلغ زهاء مائتي ليرة ذهبية ، فقد كان يناظر العملة اثناء اخرّ اللافح والبرد القارس حتى انجزه . وهو الذي ابتنى في دير الشرفة بهو الاستقبال وبيت المنام . سكب الله على ضريحه سيول الغفران وعامله بالرحمة والرضوان .

ثالثهم : الخوري روفائيل بردعاني الماردني (١٧٨٧–١٨٩٣)

نُصب هذا الاب الفاضل نائباً بطريركياً في بيروت عام ١٨٨٧ وخدم الرعية مدة خمس سنوات بما امتاز به من الخصافة والغيرة والامانة . وكان يعاونه تارة عمنا الخوري موسى ، وطوراً الخوري يوحنا حمصي ، وآونةً القس بطرس حداد الانخلي .

وكان مولد الخوري روفائيل في ماردين عام ١٨٥١ . ويتم دير الشرفة عام ١٨٦٦ وفي ايلول ١٨٦٧ ارتحل الى رومية وقرأ العلوم الكهنوتية في مدرسة البروبغندا ثم انطلق الى ماردين . وارتقى الى الدرجة المقدسة عام ١٨٧٦ بوضع يد السيد ايرنيس ايليا عتمة مطران القلاية البطريركية . وفي السنة ١٨٨٧

استدعاه الى حلب غبطة السيد اغناطيوس جرجس شلحت ورقّاه الى رتبة خورفسقفوس وسمّاه نائباً عنه على ابرشية بيروت . وكان في عداد الآباء الذين تولوا فحص الفناقيث ܦܢܩܝܬܐ اعني الكتب الفرضية في دار القصادة الرسولية ببيروت وهيأوها للطبع في مطبعة الآباء الدومنيكيين في الموصل .

وفي السنة ١٨٩٣ عاد الخوري روفائيل الى ماردين ، وتوجه الى سعرد لخدمة النفوس ، وناله ما ناله من الغوائل والاهوال اثناء ثورة الاتراك على النصارى عام ١٨٩٥ ، فاضطرّ الاب روفائيل ان ينهزم الى ماردين ، وظلّ يخدم النفوس فيها وفي ضواحيها حتى السنة ١٩١٥ . فاستاقه الاتراك في عاشر حزيران من السنة المذكورة مع السيد اغناطيوس مالويان ، مطران الارمن الكاثوليك ، ومع عدد غفير من الكهنة واعيان الملل الى ضواحي ديار بكر وانزلوا بهم ضروب الاعذبة الفادحة وفتكوا بهم كافة فتكاً ذريعاً وكان عددهم اربعمائة وسبعة عشر[1]

وكان هذا الاب الشهيد خبيراً بلغات شتى ، متضلعاً من الفلسفة واللاهوت مشهوراً بفنّ الخطابة . وقد نقل عن الايطالية الى العربية كتاب « منّ النفس » تأليف الاب بولس سنيري اليسوعي في ١٣٤٠ صفحة كبيرة وهيأه للطبع . وكان يتأمل به كل يوم مدّة اربعين سنة كما أثبت في مقدّمته . وترجم كذلك الى العربية شرح الكتاب المقدّس من سفر التكوين الى نبوءة صفنيا في ٢٣٤٠ صفحة كبيرة بعبارة فصيحة . الا انه لم يتوفق في طبع الكتابين المذكورين المحفوظين في يومنا لدى حضرة الخوري اسحق ارملة الموقر .

راجعهم : السيد المغفران ثيوفيلس اطون قندلفت (١٨٩١–١٨٩٨)

حضر هذا الحبر النبيل الاحتفال بتدشين كنيسة بيروت عام ١٨٨٤ كما ذكرنا وكان يومئذ كاتباً لاسرار غبطة السيد اغناطيوس جرجس شلحت البطريرك الانطاكي . وفي ٢٠ حزيران ١٨٨٦ رقّاه البطريرك المومأ اليه في كنيسة بيروت الى الكرامة الاسقفية على طرابلس ولبنان موازراً غبطة السيد

---

١) اطلب كتاب « النصارى في نكبات النصارى » لمؤلفه الخوري اسحق ارملة (ص ١٨٤–١٩٨)

البطريرك في حلب حتى السنة ١٨٩١ فعينه نائباً عنه في بيروت . ومن جملة الآباء الذين تولّوا خدمة الرعية البيروتية في عهده نذكر الاب ميخائيل بخاش[1] ، والاب يوحنا حمصي ، والاب بولس بخاش ، والاب افرام مصري.

وقد احرزت كنيسة بيروت ، في عهد السيد انطون قندلفت الطيب الذكر، مجداً مؤثلاً اذ كان يقيم فيها الاحتفالات الطقسية ويلقي العظات الدينية على المؤمنين الذين كانوا يتقاطرون الى الكنيسة لاستماع عباراته البليغة والاستفادة من براهينه المبتكرة الجديدة . والتلذذ بكلام الله الحي . ويعودون الى بيوتهم وصدورهم ملأى بعواطف الايمان المقدس . امّا ناديه فكان يغصّ بالاعيان والعلماء الذين كان يخلب اذهانهم بحديثه . وامتاز رحمه الله بالتضلّع من المسائل الدينيّة والشرعية . فكان يحلّ المشاكل بفطنته وحكمته وصنّف كتباً شتى أخصها كتاب مواعظه الذي سماه « عقود الجمان في شرح قانون الايمان » ونشره عام ١٨٨٣ في ثلاثة مجلدات . وكتابه الثاني الذي سماه « القلادة الدرّية في شرح الوصايا العشر الالهية » الذي نشره شقيقه السيد يوليوس باسيل قندلفت عام ١٩٠٠ . و « السراج الوهّاج وهو منهاج لصيغة سنة الزواج » ، و « الرأي الامين في حلّ بعض المشاكل الزواجيّة عند الشرقيين » ، و« القيثارة الشجيّة في التسابيح الالهية » الى غير ذلك من الكتب المفيدة.

وفي عهد نيابة السيد انطون قندلفت تبرّع الكنت شرلي كابل البلجكي الفاضل على كنيستنا البيروتية في ٢٨ شباط ١٨٩٢ بستة شمعدانات كبيرة جميلة. وشيّد ابناء الطائفة الافاضل الدار الاسقفية. واكملوا بناء المدرسة التي ازدهرت ازدهاراً يُذكر بهمة القس الياس مصري الدمشقيّ الذي علم فيها ستة اعوام.

خامساً : المتوري سليمان تبوني الموصلي (١٨٩٨-١٩٠٢)

زهد هذا الاب الفاضل في الحطام الدنيا ، وأقبل في شرخ شبابه الى دير الشرفة في ٥ كانون الاول ١٨٦٨ ، وقضى ثلاث سنوات معتكفاً على استكمال الفضائل المسيحية والتزيد من العلوم الكهنوتية . وارتقى الى الدرجة المقدسة في ٨ ايلول ١٨٧١ . وانطلق بامر السيد البطريرك مار اغناطيوس فيلبس

---

٢) هو السيد اقليمس ميخائيل بخاش الذي ارتقى الى مطرانية دمشق في ٣ حزيران ١٩٠٠

عركوس الى ديار بكر وماردين ، وخدم فيهما ابناء الملة زماناً ، ثم توجه الى طور عبدين فأبدى هناك من المساعي الطيبة ما برهن عن شجاعة نفسه وقوة عزيمته اذ كان يقتحم كل خطر في سبيل تعزيز الايمان الكاثوليكي المقدس . ثم سيّره السيد البطريرك الى دير الزور فانشأ فيها كنيسة على اسم العذراء مريم عام ١٨٧٣ وحبس لها الاوقاف وخلّف فيها ذكراً طيباً ما برح الاهالي يتغنون به حتى اليوم. ثم انتقل الى النبك وساس الابرشية بمثابة نائب بطريركي حتى السنة ١٨٩٧ فرقّاه السيد اغناطيوس بهنام بني الى رتبة خورفسقفوس ونصبه وكيلاً عنه في بيروت ، فخدم الرعية خمس سنوات بجدّ واجتهاد . وبعد هذا عاد الى الموصل وطنه ، وثابر على اعمال التقوى حتى فارق الحياة في ٥ حزيران ١٩٢٤ بشيخوخة صالحة. واشتهر خصوصاً بانقياده الى اوامر رؤسائه وخبرته بالامور الدنيوية. وله في ذلك مواقف مشهورة يردّدها كل من عرفه الى هذا اليوم.

سادسهم : الخوري يوسف اسطنبولي الماردبني (١٩٠٢–١٩٢٠)

قام بامر النيابة بعد الخوري سليمان تبوني فخدم الرعية ثماني عشرة سنة كان في اثنائها امثولة شريفة في الفضيلة والفضل ولاسيما في التضحية حباً لتعزيز الابرشية . وامتاز برخامة الصوت فقام بخدمة السيد البطريرك مار اغناطيوس افرام رحماني في جميع الاحتفالات الطقسية التي كانت تجري في كنيسة مار جرجس . وساعده في خدمة النفوس الاب افرام مصري الدمشقي اثنتي عشرة سنة ، والاب روفائيل جبري الموصلي (١٩٠١–١٩٠٣) الذي عُيّن في السنة ١٩٠٣ نائباً بطريركياً في القدس الشريف ثم في الاسكندرية . ومن جملة الآباء الذين خدموا ابرشية بيروت في عهد الخوري يوسف اسطنبولي اذكر الاب عبد المسيح زهر والاب جبرائيل نجّاش الحلبي (١٩١٦–١٩١٩) الذي انشأ اخوية الوردية للنساء في ٣٠ نيسان ١٩١٧ واستحصل من فضل الكرسي الرسولي المقدس الانعامات الشتى للمشتركات فيها . وقد اجاب الاب الاقدس الى طلبته فمنح الغفران لكل من يقرّب الذبيحة الالهية على مذبح سيدتنا مريم العذراء الجليلة في كنيسة بيروت.

ومن جملة الآباء الذين خدموا الرعية في تلك الاثناء الاب يوسف مجودة

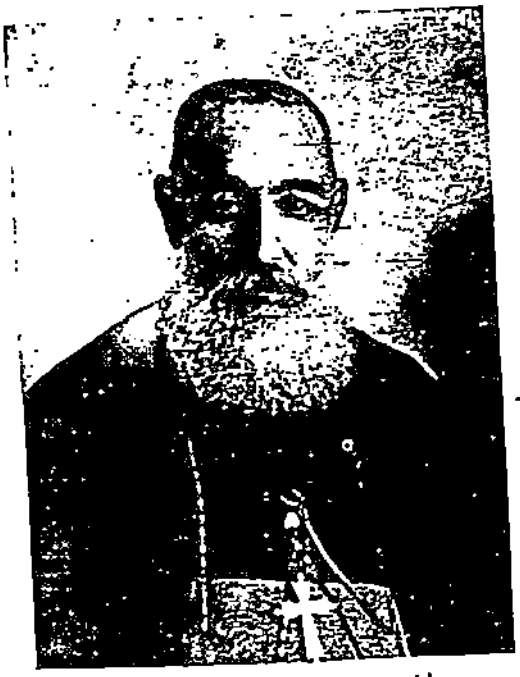

الخوري يوسف اسطنبولي المارديني

الخوري سليمان تيّوني الموصلي

الخوري اقرام حيقاري

البغـدادي (١٩١٦–١٩١٩) ، والاب يوحنـا عزو الموصلي (١٩١٩–١٩٢١) وكلاهما تولياً تعليم الاحداث ايضاً في المدرسة الطائفية.

على ان رؤساء الملة المنبوطين قـدروا للخوري يوسف اسطنبولي الجليـل اتعابه في سبيل الانفس فرقاه السيد اغناطيوس بهنام بني الى رتبة خورفسقفوس في كنيسة ماردين عام ١٨٩٣ ، وجاد عليه الحبر الاعظم البابا بندكتس الخامس عشر بلقب مونسنيور برتبة حاجب بابوي اجابةً الى طلب السيد البطريرك مار اغناطيوس افرام رحماني . وقد أبدت له الطائفة البيروتية عربون الاخـلاص والاقرار بمرارفه فاحتفلت بيوبيله الكهنوتي الفضي عـام ١٩٠٨ ، ويوبيلـه الكهنوتي الذهبي عام ١٩٣٢ . وكان ميلاده في ماردين عـام ١٨٦٠ وزاول العلوم الكهنوتية في دير الشرفـة (١٨٧٦-١٨٧٨) وفي اكليريكيـة الآباء اليسوعيين ببيروت (١٨٧٨–١٨٨٢) . وفي ١٣ ايار ١٨٨٣ ارتقى الى الرتبـة الكهنوتية وخدم النفوس في ماردين ومذيات بطورعبدين وفي بيروت وطرابلس

وبساعي هذا الاب الغيور وقفت عام ١٩١٨ مريم اسحق موصلي لكنيسة مار جرجس والفقراء داراً بلغت قيمتها الف ليرة ذهبية على ان يقرب في هذه الكنيسة كل سنة اثنا عشر قداساً لراحة نفسها رحمها الله تعالى.

سابعهم : الخوري افرام حبقاري السمردي (١٩٢١–١٩٣٣)

تولى النيابة البطريركية في بيروت في نيسان ١٩٢١ فافرغ الجهود الطيبة في خدمة ابناء الطائفـة وصرف المساعي في انشاء يانصيب خيري عام ١٩٢٨ انفق ريعه البالغ مائة وخمسين ليرة ذهبية في ترميم موفه كنيسة بيروت وتعبيد فنائها . وسعى كذلك في انارة الكنيسة بالاضواء الكهربائيـة على الطراز الحديث . ومما نذكره له بالشكر انه بذل قصى وسعه في مساعـدة السريان المهاجرين الذين قدموا الى بيروت من اطنه واورفا منذ السنة (١٩٢١–١٩٢٣) ، فانه اتفق مع رئيس الجمعية الخيرية شقيقنـا يوسف اليـان سركيس ، ومع معاونيه الفاضلين الفيكنت فيليب دي طرازي والخواجا نجيب موصلي وحضلوا لهم ما كفاهم لسد حاجتهم من الطعام والكسوة ، وقبلوهم جميعاً ضيوفاً كراماً في القلاية الاسقفية اثناء شتاء السنة ١٩٢٢ وكان عددهم يربو على الخمسمائـة

فشطلوا غرف الكهنة والردهة والمدارس مدّة اربعة اشهر وافرغ الخوري افرام ومعاونوه الوسع في اجتذاب اغلبهم الى حضن الكنيسة الكاثوليكيّة المقدّسة فاحرزوا باتعابهم المبرورة افضل ذخر واعظم أجر عند الله تعالى . وعلاوةً على ذلك كله فقد جدّ الخوري افرام مع الفيكنت فيليب والخواجا نجيب المشار اليها في جمع طائفة من المال عام ١٩٢٤ من ابنـاء الملّة وغيرهم واشتروا ارضاً فسيحة ابتنوا فيها بيوتاً خشبيّة لايوائهم واطلقوا عليها اسم « حارة مار يعقوب »

ومن اعمال الخوري افرام التقويّة تجديده الجوقة الوردية للنساء ، وانشاؤه عام ١٩٣٠ اخوية ثانية لهنّ تسمّى باسم القديسة تريزيا الطفل يسوع . وقد انضمّ اليهما كلتيهما عدد صالح من السيدات الورعات يجتمعنَ صباح كل اثنين الى الكنيسة يحضرن الذبيحة الالهية ويتلون فرض السيدة العذراء المغبوطة ويسمعن من فمه كلام الحياة ويتقرّبن من سرّ المحبة .

وقد عرف آباء الطائفة المغبوطون للخوري افرام فضيلته وفضله ولاسيما غيرته على خلاص النفوس . فانه بعد مزاولته العلوم الكهنوتيّة في اكليريكية الآباء الدومنكيين بالموصل احدى عشرة سنة وارتقائه الى الدرجة المقدّسة في ايار ١٩٠٤ وهو في السنّ الثالثة والعشرين انتدبه السيد البطريرك مار اغناطيوس افرام رحماني الى بيروت وجعله معاوناً لكاتب اسراره ، ثم عيّنه عام ١٩٠٥ خادماً للنفوس في زحلة . ثم فوّض اليه النيابة البطريركيّة في النبك عام ١٩٠٨ وتفقّد شؤون القرى المجاورة لها . وفي السنة ١٩١٢ ولّاه رئاسة دير الشرفة ورقّاه عام ١٩١٣ الى رتبة خورفسقفوس واستصحبه الى رومية واستحصل له عام ١٩١٩ من مكارم الكرسيّ الرسولي المقدّس رتبة مونسنيور وحاجب بابويّ . وفي السنة ١٩٢١ عيّنه نائباً في كنيسة مار جرجس ببيروت كما ذكرنا . وما برح الى هذا اليوم قائماً بالنيابة بالحزم والغيرة والتفاني .

هذا ما تحرّيت اثباته في هذه «الذكرى الذهبية» متوسلاً الى يسوع المسيح فادينا الالهي ان يكافئ بالمثوبة الصالحة جميع من تعب في هذه الكنيسة ويمنّ عليهم وعليّ بالتمتع بمشاهدته السعيدة في كنيسة الابكار المكتوبين في السماوات (عبر ١٢ : ٢٣) الذين « يعبدونه نهاراً وليلاً في هيكله» (رؤيا ٧ : ١٥) آمين .

القضاء في لبنان

بزمن الامراء الشهابيين

بقلم عيسى اسكندر المعلوف مؤلف تاريخ
الاسر الشرقية وعضو المجمع العلمي العربي

٣

الشيخ احمد الغر[1] البيروتي

هو من اسرة سنية اسلامية في بيروت . ولد فيها سنة ١١٩٨ ﻫ (١٧٨٣م) وتوفي سنة ١٢٧٤ ﻫ (١٨٥٧ م) . ولم يذكره العلامة المرحوم الاب لويس شيخو اليسوعي في « تاريخ ادباء القرن التاسع عشر » وقد مرت ترجمته في مجلة المشرق لهذه السنة (٣١ : ١-٤) فازيد عليها الآن بعض ما عرفته عنه غير ما ذكر هناك :

من اسرة الشيخ احمد نسيبه الشيخ علوان الغر ، قاضي بيروت ايضاً ، وقفتُ له على قصائد ومقاطيع في بعض المجاميع المخطوطة منها قوله من قصيدة بعنوان «يا حبّ» وهي ثلاثون بيتاً كرر في اول كل بيت كلمة ذلك العنوان ، ومنها في القضاء قوله :

يا حبّ ، كم سألوا «الافتا» بسفك دمي ... اجبتَ بالحلّ في قتلي وافتاني
يا حبّ ، يا «حاكم» في قتل مدنفه ... وصبّه ، أصغ لي ، واقبل «لدعواني»
يا حبّ ، لي «بينات» ان اقدمها ... لحاكم العشق ، ان العشق انساني ،
يا حبّ ، حزني ، انيني ، سكرتي ، ولهي ، ... رقي ، سهادي ، وتعذيبي ، واخفاني
يا حبّ ، ذلي ، سكوني ، لوعتي ، حرقي ، ... ذوبي ، انتحالي ، وافرادي ، وارواني
يا حبّ ، وجدي ، جنوني ، صبوتي ، ارقي ، ... شجوي ، فناني ، غمومي ثم اغماني

---

١) ويقال الاغرّ ايضاً كما رأينا في مظانّ كثيرة .

يا حبّ ، لي بينات ان تكن قبلت ، فاحكم بوصلي وعزي بين احياني
يا حبّ . او ان تكن في شرعكم نفيت ، فاحكم بقتلي وتشتيتي واشفاني

وقوله من قصيدة ثانية :

حكمتم في فؤادي طبق ما أمروا ، جاروا به ، غيرهم لم ارضَ ، او عدلوا
هم سادتي ، وانا في الحب عبدهمُ ، فما اعتراض بما في عبدهم فعلوا

وقوله من قصيدة اخرى مختتماً :

وما تشرف في سامي مديحك « علوان الاغرّ » بنظم الدر في الكلِم
وما بنشرتنا غالي صفاتك قد غالى الفريض بمك البدء والختم

وسنة ١٨٧٣ في نيسان توفي الشيخ مصطفى الغرّ بن السيّد احمد المذكور ، قاضي بيروت ومفتيها قديماً ، عن نحو ٧٠ سنة ، وكان من اعضاء مجلس الادارة في بيروت ، وخدم الحكومة نحو ٣٠ سنة .

اما ما نعرفه عن الشيخ احمد الغر المذكور فهو :

انه كان شاعرًا وله منظومات منها تخميسه للبيتين في عكاء وهو :

عكّاء شرّ للبرية قد سرى اذ ذاق ساكنها الهلاك الاكبرا
قد اخبر الشعراء صدقًا حيدرا « قالوا بأن جنسًا تحت الثرى
مالي اراها فوق عكا تضرمُ »
دار الشقاوة ليس فيها نعمةٌ بل ليس في قلبيْ ذويها رحمةٌ
فخذ الدليل وانه لك حجةٌ « لو لم تكن دار الشقاوة عكّةٌ ،
ما امطرتها بالشرار جهنم . »

وكانت بينه وبين شعراء عصره مساجلات ومراسلات منها قول المعلم نقولا الترك في مدحه بديوانه المخطوط عندنا (ص ٢٦٨)

فاجابه الغرّ بهذه القصيدة سنة ١٢٣٢ هـ (١٨١٦ م) قال في مطلعها (ديوان الترك ، مخطوطتنا ، ص ٢٦٩) :

الطرف خمارنا ، والريق صهباء ، والثغر كاس الطلا يشفى به الداء

الى ان قال :

كم بتّ من هجر « بنت العُرْب » في غسق وكم بدت لي « بنت الترك » اضواء
هو الذي لا يجارى في بلاغته وهل تجاري جواد الخيل عرجاء

«نون» الثالثة، «قاف» في القريض كذاء «واو» الوفاء، و«لام» اللطف زهراء
وبعد ذا «الف» جاءت لتكملة فاحفظ «نقولا» لها في الفكر اسراء

وختمها بقوله :

ودم بعيش هنيّ ما بدا قمرٌ وما تغنت على الافنان ورقاء
ما احمد الفرّ يشدو ، وهو بنظمها ، «الطرف خارنا والريق صهباء»

واما قصيدة نقولا الترك في الفر فمنها (ديوان الترك مخطوطتنا ص ٢٦):

خوّلت مدتك المنيفة عزة حمدت معالي افقها الجوزاء
ورقيت بالفقه المنضّد رتبة لم ترقها من قبلك القدماء
بيروتنا بكم غدت تحدى الثناء وتجلك الصغراء والكبراء

وختمها بقوله :

فسقى الحيا سنة انار ثناءهُ فهي التي تأريخها الغراء
١٢٣٣ هـ

وقال الشيخ ناصيف اليازجي يمدحه من قصيدة :

شاعر ينظم القوافي عقودًا دونها في الرؤوس عقد الاكلّه
وهو قاضٍ ، يقوم بالقسط بين الناس قد احكم الخطاب وفصله
راحمٌ في سوى القضاء، رؤوفٌ يبتغي عفوه ، ويضمر عدله
صحّ نحو ابن حاجب عنده ، واعقل خطّ ابن مقلة اي علّه
والفتاوى لاحمدياته الغرّاء لا خيريات صاحب رمله (١
طالما طال فاصلًا بيراعٍ تشتهي ان تكون كلّ فصله
سوّد الطرس فاستنار ، فذاك سواد العيون يهدي الاضلّه
يا امام الكرام في خير محراب من المنبر خيرهُ لك قبله
انت ندب لهُ التقى سنّة ، والعدل فرض ، والله يعلم نفله

وقال يمدحه من قصيدة ثانية :

خذ ما اردت سوى اغرّ محجّلٍ القى به الشيخ الاغرّ معجّلا
وارى لطائفه التي نعت بها الشعراء ابيات القريض تنزلا
العالم الصدر الكبير ، العامل البدر المنير ، اللامع السامي العلى
اقوالهُ دررٌ تقلّدها النهى ، وفعاله غررٌ تقلّدها الطُلى
اجرى من البحر الخضرم لجة ، وألذّ من سلسال دجلة منهلا
واشدّ من زهر الحدائق نضرة ، واجلّ من زهر الكواكب منزلا
يمشي، وقد كثر الوقوف امامه ، فردًا يجرّ من المهابة جحفلا

١) يريد «الفتاوى الخيرية» للفقيه الشهير خير الدين الرملي من اهل القرن التاسع للهجرة .

واذا اشار الى الكتيبة اجفلت، فكأن من سمر الذوابل اغلا
هو يشغل الاقلام، وهي بوصفه في الناس قد شغلت فكانت اشغلا

الى غير ذلك مما نقتصر منه الآن على هذه العجالة المؤلمة على ما لهذا الفقيه من الشهرة رحمه الله.

٤

الشيخ شرف الدين القاضي الدرزي

اخبرني كثير من شيوخ الطائفة الدرزية الكريمة، ومنهم فضيلة النقابة الشيخ حسين حماده، شيخ العقل الحالي، ان «آل القاضي» هم اقدم القضاة في طائفتهم، وهم ثلاثة فروع:

اولهم: آل القاضي الذين قضوا في زمن الامراء التنوخيين، وبقيتهم الآن في بيصور، وهم الفخذ الثاني منهم. ولقد اندثر اصلهم الذي هو الفخذ الاول حتى لم نعرف ان لهم بقية. ومنهم المشايخ آل امين الدين، وناصر الدين في عبيه والسقانية وكفرمتى وهؤلاء جميعهم من ذرية الشيخ بدر الدين العنداري، خال آل تنوخ امراء الغرب. واشتهر من قضاتهم المشايخ عبد الله وبدر الدين وزين الدين الذي بنى «جسر القاضي» على نهر الدفا بين مقاطعتي الشحار والمناصف[1] وهو باقٍ الى يومنا بهذا الاسم.

ومن قضاتهم الشيخ محمود بن منصور الذي كتب على ظهر حجة وقف ما نصه:

---

(١) قيل ان السبب في بناء ذلك الجسر هو: ان القاضي زين الدين المذكور كان بني طاحونًا في ذلك المكان. وبينما هو يراقب الفعلة رأى صبية قروية درزية تريد ان تجتاز النهر الى الجانب الثاني. وكانت المياه متراكمة والنهر هائجًا. فشمرت عن ساقيها ومشت في النهر. ولما توسطت المياه اضطرت الى ان تشمّر اثوابها لئلا تتبلل، فضحك الفعلة من منظرها. فوبّخ القاضي الفعلة واوقفهم عن بناء الطاحون، وامرهم ان يشيدوا الجسر فوق النهر للعبور عليه. واستدعى فعلة آخرين لسرعة العمل. ونصب له سرادقا بقي فيه واحدًا واربعين يومًا يحث الفعلة على الاسراع. ولم يبرح مكانه حتى تم بناء الجسر فنسب اليه وذلك سنة ٩٦٣ هـ (١٥٥٥ م). وكان قد تزوج ابنة السيد عبدالله التنوخي من عبيه، فابتنت حجرة لها في بيصور تعرف باسمها وذلك سنة ٩٦٦ هـ (١٥٥٨ م)

« الحمد لله وحده – عرضت علينا هذه الحجة الشرعية فرأيناها محررة مكفية وعند المخاصمة بين حضرة ابن عمنا بونجم يوسف ناصر الدين وولده ناصر الدين قدم ناصرالدين شهود عدول بحضور والده وشهدوا بصحة هذا الوقف فيلزم العمل بها شرعاً ويمنع من البيع والتفريط قطعاً والحالة هذه والله اعلم »

الحقير	حرره العبد الحقير
يا رب يا غفور ارحم	محمود بن منصور
عبدك محمود ابن منصور	م

ومما في حوزة آل ناصر الدين في كفرمتى صك مشترى احد اجدادهم :

«الجناب العالي المكرم الشيخ جمال الدين بن المرحوم الجناب العالي المكرم الشيخ شرف الدين من قرية عين دارة الساكن يومئذ بقرية كفرمتا من قرى شحار غرب بيروت المحروسة من يد يزبك بن حمزة من كفرمتا ثلاثة اصول زيتون بثلاثة غروش وثلث من الفضة الجيدة العددية المتعامل بها يومئذ بدمشق المحروسة . . . وذلك في شهر صفر سنة ١٠٨٠هـ(١) وشهد بذلك وكتبه عبد الوهاب ابن ابا (كذا) الجد وشهد بذلك في تاريخه وعنه باذنه وحضوره عبد الملك ابن محمد » (انتهى ملخصاً بالحرف)

وثانيهم : آل القاضي الذين خدموا الامراء المعنيين قضاة . ومسكنهم جباع الشوف ، ثم المختارة . واشتهر منهم المشايخ زهر الدين ، ونور الدين ، وعلم الدين ، وآخرهم الشيخ قبلان جد الشيخ علي جنبلاط وبوفاته انقرضوا.

وثالثهم : آل القاضي الذين قضوا للامراء الشهابيين ومسكنهم دير القمر ، ودميت ، والسمقانية . وبقيتهم الآن في القريتين الاخيرتين ، ونسبتهم للشيخ بدر الدين العنداري الآنف ذكره.

واشتهر من قضاتهم الشيخ عبدالله(٢) بزمن الامير حيدر الشهابي،ثاني حاكم في لبنان منهم (١٧٠٦ ١٧٣٢ م) والشيخ محمد والد الشيخ شرف الدين الآتي ذكره بزمن الامير ملحم الشهابي (١٧٣٢–١٧٥٤ م) ثم الشيخ شرف الدين

---

١) الموافقة لسنة ١٦٦٩ م

٢) سنة ١٢١٣ هـ (١٧٩٨ م) كان الشيخ عبدالله القاضي مقيماً في بيصور وكان خاطر الامير بشير الكبير متكدراً عليه لانه من غرض اولاد الامير يوسف فضبط ارزاقه وصادره . فسعى عبدالله باسترضاء الامير بشير واستماله اليه فرفع عنه المصادرة وترك له ارزاقه وعفا عنه .

هذا بزمن الامير بشير الشهابي الكبير (١٧٨٨—١٨٤٠م) وهو اشهرهم نال منزلة كبيرة عند الامير بشير . ولكنه اضطرّ الى عزله وقتله لاسباب رواها الامير حيدر الشهابي الشملاني في تاريخه « الغرر الحسان »[1]

ونحن نروي هذه القصة كما سمعناها من كثير من شيوخ دير القمر ، ومنهم الراوية الفقيه جرجس بك صفا صديقنا ، وهذا ملخصها :

في سنة ١٨١٩، على اثر الاضطرابات التي حدثت في لبنان، سعى الامير بشير بقتل الشيخ بشير جنبلاط فاستخدم لذلك الشيخ شرف الدين القاضي المعروف عند العامة بالشيخ شرّوف ، وكان ينتهز الفرصة المناسبة لذلك . فعرف الشيخ محمد بن الشيخ شرّوف ، بسعاية ابيه بالجنبلاطي ، فوقف لذلك بالمرصاد حتى عرف اسرار المؤامرة وسعي والده بها لينال مقاماً رفيعاً عند الامير بشير . فاخذ محمد يتقرب من الشيخ بشير وينادمه والشيخ يستطلع اخباره موجساً خوفاً من الامير، وبقي يستنزله الى ان عرف المكيدة التي ينصبها له والد محمد والامير . فاجزل على محمد الصلات حتى تثبت من الخبر . فاراد الجنبلاطي ان يجسّ نبض الامير بشير عدوه . فبعد ان كان يزوره في بتدين بموكب مؤلف من ثمانية فرسان وحاشية زاده بثمانين فارساً وكثير من حشمه . فقلق بال الامير من هذه الابهة واحتفى به ، وسأله عن سبب مجيئه بهذا الموكب على غير عادته فقال له الشيخ بشير : « صار يجب ان نأخذ حذرنا » — ففطن الامير وتفاءل قائلاً له : « ولماذا ؟ » — فقال له : « لان الشاعر يقول :

الى الماء يعدو من اغصّ بلقمة الى اين يعدو من اغصّ بماء ؟

فانت ساعٍ بقطع رقبتي » فقال له : « لماذا ؟ » — قال : « اجلب الشيخ شرّوفاً القاضي لتعلم الحقيقة . »

فانتبه الامير الى ان الجنبلاطي اكتشف سرّ المؤامرة ، وارسل فارساً ليجلب الشيخ شرّوفاً من السمقانية ، ورجلاً درزياً من خاصته من دير القمر ليكمن للشيخ شرّوف على الطريق ويقتله قبل ان يصل اليه . ففعل ذلك كما

---

(١) طبعة مصر ، ص ٦٤٩ .

امره الامير . وانتظر الجنبلاطي وصول الشيخ شرّوف . فلما طال الوقت ولم يحضر فطن للامر وذهب برجاله ممتعضاً . وكانت هذه الحادثة من اسباب استفحال العداء بين الجنبلاطي والامير بشير .

وكان الشيخ محمد كلما سُئل عن سبب قتل والده شرّوف يقول : لا اريد اذكر هذه القصة لتأثري انني انا سببت قتله .

ويرجّح ان الشيخ شرف الدين درس الفقه على الشيخ عرابي في طرابلس الشام . وذكر الدكتور مخايل مشاقه في تاريخه المخطوط ان الشيخ شرّوفاً كان قاضياً سنة ١٨١١ م وكان الشيخ يعقوب حبيش ، الذي صار بطريركاً مارونياً باسم يوسف ، يدرّس الفقه ويرافع عند شرّوف مع خصم له اسمه الشيخ شمين (لعله من بيت الخازن) الى ان قال بالحرف عن شرّوف :

« وقتله الامير بشير لما كان قاضي دير القمر وكان الشيخ شرف الدين هذا مصاباً بفقد عينه الواحدة وهو من الاذكياء المهذبين ممدوح السيرة غير انه قد وجد من جحي (كذا) الورد فقال فيه احد الشعراء بعد مقتله :

الحق ميزان الرضى في عينين بلا نقط
هل شفت ميزاناً اتى للحق في عين فقط . »

انتهى كلام مشاقه بنصه

وللشيخ شرّوف هذا احكام وتواقيع اذكر منها توقيعه على صكّ بيع شقيق جدّ والدي لابيه طنوس شبلي المعلوف في كفرعقاب (المتن) هذا نصّهُ :

« الحكم يسوغ بموجب هذه الحجة حيث مجراها بعد المحاقة والوفق على الشفعة الحكم بموجبها شرعاً والحالة هذه في شهر جمادى الآخر سنة ١٢٣٤ » (١

علقه الفقير
شرف الدين القاضي

(صورة الختم)

م

وبعد عزل الشيخ شروف تولى القضاء الشيخ احمد البزري المسلم السني كما سيأتي تحت رقم (٥)

١) السنة هجرية توافقها السنة ١٨١٨ مسيحية

(لها صلة)

الحجر الكريم

في

اصول الطب القديم

ارجوزة طبية مشروحة للشيخ ناصيف اليازجي

نشرها للمرة الاولى عن مخطوطة بخط المؤلف

فؤاد افرام البستاني ، استاذ الآداب العربية في كلية القديس يوسف

٤

(تتمة)

٦٩ وان تُبرّدْ شيخك المحرورا[1] فلا يَكُنْ عكس الفتى كثيرا

٧٠ واعكس لبرودهما مسخّنا والبعض عكسَ كل ذاك استحسنا

اي اذا أُريد تبريد الشيخ المحرور فلا يكن تبريده كثيرًا بخلاف الفتى فانه يقتضي المبالغة في تبريده . وذلك لان الشيخ قد غلب على مزاجه البرد والفتى بخلافه . فاذا خرج مزاجهما عن مركزه امكن عوده اليه في الشيخ بتبريد يسير . واحتاج في الفتى الى تبريد شديد . وبالعكس في المبرودين منهما فان الشيخ يحتاج الى تسخين شديد . والفتى يكتفي بتسخين يسير . واختار بعضهم عكس ذلك لان مزاجهما لم يخرج الى ضده الا لداع قوي فيحتاج المبالغة في ما يردّهُ الى مركزه . فان خرج عن مقداره فقط امكن عودهُ الى ما كان عليه بادنى واسطة . والاول هو الاصوب وعليه الجمهور . [١٣و] واعلم انه يجب على الطبيب ان يكون مستوفياً حقّ علمه واثقاً بنفسه عن يقين . وان يكون رصيناً مهذّباً اميناً ناصحاً مخلصاً متمسّكاً بدينه سهل الاخلاق ليّن العريكة تنوعاً بما ياخذهُ من كل مريض بحسب حاله مجتهدًا في تدبيره حريصاً عليه . غير مخاطر في اعطاء الادوية العنيفة . ولا فارق في

١) المحرورا . وفي « الطبيب » : المحرورَ

العناية بين الاكابر والاصاغر والاغنياء والفقراء فان الجميع باعتبار الانفس في رتبةٍ واحدة . وان لا يكون مهذارًا في كلامه فيضجر الطبيل منه . ولا عزيز الكلام فلا يشفيه بالجواب . وان لا يذخر الادوية زماناً طويلًا فتتلاشى قواها . ولا يسترخص ما يشتريه منها اذا كان الاغلى منهُ انفع . وان لا يدخل في علاج المرض ما لم يعرف السبب الذي احدثهُ . ويقف على حقيقة تشخيصه ومركزهِ . واذا احتاج ان يختبر فليتلطف بما تُؤمَن غائلتهُ ويمكن استدراكهُ . وليكن ما يختبر بهِ أميَل الى الحرارة فقد قالوا ان الخَطأ الى جانب الحارّ اسلم منهُ الى جانب البارد . ومما ينفع الطبيب والمريض جميعاً ان يتعرَّف الطبيب ما تيسَّر لهُ من الدلائل المنذرة بما يحدث للمريض قبل حدوثهِ . ويُنذِرهُ بما لا يُزعِجهُ [١٣ ق] منها كاختلاج الشفة المنذر بحدوث القيء . فان ذلك ينفع الطبيب لانهُ اذا انذر بامرٍ ثم وقع ذلك الامر عظم في عين المريض واهلهِ فبالغوا في اكرامه . ونشروا لهُ ذكرًا حسناً يجعل الناس يعتبرونهُ ويرغبون فيهِ . وينفع المريض لانهُ يجعل عنده ثقةً بانتفاعهِ وشفائهِ عن يد ذلك الطبيب لاعتقادهِ الكفاية عندهُ . وبذلك تنتعش طبيعتهُ وتتقوَّى على دفع المرض . ويجب على المريض ان يكرم الطبيب ويتلقَّاهُ بالبشاشة وحسن القبول ليجتهد في علاجهِ بالرغبة واخلاص النيَّة . قال الشاعر

ان المعلّم والطبيب كلاهما لا ينصحان المرء ان لم يُكرَما
فاصبر لدائك ان اهنت طبيبَهُ واصبر لجهلك ان اهنت معلّما

ويجب ان يكون حريصاً على استعمال كل ما امرهُ بهِ واجتناب كل ما نهاه عنهُ . فقد قال بعضهم اذا كان الطبيب حاذقاً والصيدلانيُّ صادقاً والعليل مرافقاً فما اقلَّ لبث العلّة . والمراد بالصيدلانيّ بائع الادوية . وقيل ان الفاضل جالينوس قال يوماً لمريضٍ كان يعالجهُ اعلم انني انا وانت والمرض ثلثة . فان طاوعتني كنت انا وانت اثنين والمرض واحدًا فنغلبه . وان خالفتني كنت انت والمرض اثنين وانا واحدًا فتغلبانني . [١٤ و] ومما يجب على المريض ان لا يعاف شرب الدواء الكريه الطعم . بل يُقدِم عليهِ ويتناولهُ غير نافرٍ منهُ لان ما تنفر منه الطبيعة لا ينجع فيها . وان يعتقد فيهِ المنفعة فترتاح نفسهُ اليه

وتتمش طبيعتهُ بواسطتهِ . وان لا تشرهَ نفسهُ الى ما يضرهُ من الاطعمة اللذيذة فانها تكون خبيثةً بعد ذلك . وعليهِ قول الشاعر

وان المرَّ حين يسرُّ حلوٌ وان الحلو حين يضرُّ مرُّ
فخذ مرًّا تصادف منهُ نفعاً ولا تعدل الى حلوٍ يضرُّ

ويجب عليهِ ايضاً ان لا يكتم عن الطبيب شيئاً من امره . فربَّما كان ما لا يُعتبر عنده مُعتبرًا عند الطبيب . وان لا يستعمل شيئاً مما وصفهُ طبيبٌ غيرهُ الا باطلاعهِ واذنهِ . فان كان قد وجده ليس كفوًا يرفع يدهُ ويعد ذلك يدعو غيرهُ ويعمل برأيهِ . غير ان المرض كما ذكرنا آنفاً له درجاتٌ منها التزايد والوقوف على حالهِ . والطبيب لا يقدر غالباً ان يمسكهُ عنها . فاذا تدرَّج اليها لم يكن ذلك برهاناً قاطعاً على ضعف الطبيب وعجزهِ . وقد يتَّفق احياناً ان المريض اذا رأى مرضه قد تزايد او وقف ييأس من ذلك الطبيب [١١ ق] فيرفضهُ ويدعو غيرهُ . وحينئذٍ يكون قد اقبل انحطاط المرض فينحطُّ من نفسهِ . وعلى ذلك يُنسَب القصور الى الاول والبراعة الى الثاني بخلاف الصواب . وينبغي للمريض ان يُحسِن ظنَّهُ بالسلامة ويشدّد قلبهُ مطمئناً فان ذلك يكون من انفع العلاجات لهُ . لانهُ يقوّي الطبيعة امام المرض فلا يَدَعهُ يقهرها ويستولي عليها بخلاف الخوف فانهُ يحلّ الطبيعة فيتغلَّب المرض عليها ويغلب الطبيب والدواء . وعلى ذلك تكون الطمانينة دواءً والخوف مرضاً ثانياً . ويجب على اهل المريض ان يبذلوا الجهد في ملاحظة كل ما يأول الى راحتهِ . ويهتمّوا في قضاء حوائجهِ العلاجيَّة وغيرها . ويجتنبوا ازعاجهُ جسماً وفكرًا . ولا يفتروا عن تسليتهِ وتطمينهِ . ولا يظهروا لهُ خوفاً ولا جزعاً . ولا يحدّثوا بعضهم سرًّا بحضرتهِ . ولا يشير بعضهم الى بعض . واذا رأوه في ضنكٍ وانتهاكٍ يكلّفون انفسهم البشاشة ويسهّلوا الامر عليهِ . ولا يمكّنوا من الدخول عليهِ الّا من يستأنس بهِ وترتاح نفسهُ الى معاشرتهِ . فان ذلك مما يفيدهُ لان خلوة المريض بنفسه دائماً تجلب عليهِ الضجر فيضيق صدره [١٥ و] وتتردَّد في قلبهِ الهواجس والافكار المزعجة . ويجب على الذين يزورونهُ ان لا يدخلوا عليهِ الا باذنهِ . ومتى جلسوا عندهُ لا يكثرون عليهِ المسائل . ولا

يتحدّثون الا بما تطيب نفسهُ بسماعهِ . ولا يسرّ بعضهم الى بعض كلاماً خفيًا . ولا يطيلون الجلوس عندهُ لان ذلك يمسكهُ عن قضآء بعض حوائجهِ . ويشغل اهل بيتهِ عن تدبير ما يحتاج اليهِ

٧١ وتُحفَظ الصحّةُ بالقناعه في الاكل بعد صادق المجاعه

٧٢ وقلّة التخليط في الالوانِ وجودة المضغ مع التوانى

٧٣ وهكذا تنقية الفُضُولِ بالرفق في معتدل الفصول

اى ان الصحّة تُحفَظ بتقليل الاكل وكونهِ بعد الجوع الصادق . فقد قيل ان الدوآء الذى لا دآء فيهِ ان تجلس على الطعام وانت تشتهيهِ وتقوم عنهُ وانت تشتهيهِ . وقال الشيخ في ارجوزتهِ

وقسِّمِ الجوفَ الى ثلاثِ ان شئت ان تنجو من الاخباثِ
الثلث للمآء وللغذآء ثلثٌ ويبقى الثلث للهوآء

ومن هذا القبيل تقليل الوان الطعام لان كثرتها واختلافها يفسدان الكيلوس في المعدة بخلاف قلّتها واتّفاقها . ولذلك نرى امراض الحيوانات قليلةً كما لا يخفى . وكذلك جودة المضغ [١٥ ق] مع التأنّي فيه يسهل هضم الطعام على المعدة ولا يزدحم عليها . وعليه قول الشيخ في الارجوزة

أَطِلْ زمان الاكل تستبنهُ ودقّق المضوغ تستهضمهُ

وبهذا الاعتبار ينبغي ان يكون ما يُراد مضغهُ سهل المضغ ليمكن تنعيمهُ فيسهل على المعدة هضمه بخلاف الاشيآء العَلِكة والصلبة فانها ترد على المعدة قاصرة المضغ فتكون عسرة الهضم . وعلى ذلك قول الشيخ

وكلُّ ما شقَّ عليك قضمهُ فانه صعبٌ عليك هضمهُ

وممّا يُؤمَر به لحفظ الصحّة تنقية الاخلاط في الفصول المعتدلة بين الحر والبرد . وقد اقتصر بعضهم في حفظ الصحّة على قولهِ من لم يمتلئ من الطعام ولم يأكل عند المنام ونقّى الفضول في معتدلات الفصول كان حريًّا بان لا يطرقهُ المرض الا اذا حان الاجل . وقال الشيخ الرئيس في بعض منظوماتهِ

من رام ان يحظى بصحّة جسمهِ ويجيز مدّة عمرهِ بتمامها

فليجعلنَّ غذآءهُ من اربعٍ ويبادر التقسيم فى احكامها
من خبز ساعتهِ ولحم نهارهِ وطبيخ ليلتهِ وخمرة عامها

والعمدة فى ذالك ما استوفاه فى الارجوزة كما ذكرنا آنفاً . وهى [١٦ و] ارجوزةٌ طويلةٌ جامعة اصول الطبّ وفروعهُ يقول فى مطلعها

الطبُّ حفظ صحةٍ برءٌ مرض من سببٍ فى بدنٍ عنهُ عرض

شرحها العلامة الشيرازىُّ شرحاً طويلاً مستوفياً سمّاهُ الجوهر النفيس فى شرح ارجوزة الشيخ الرئيس : وقال فى ترجمته هو الشيخ ابو علىّ الحسن[1] بن عبد الله بن الحسين بن علىّ بن سينا البخارىّ . ولد فى شهر صفر سنة سبعين وثلثمائة . وتوفى يوم الجمعة اول شهر رمضان سنة ثمانٍ وعشرين واربعمائة . ودُفن فى همدان

٧٤ وليُحذَر التزام اكل اللحمِ مواظباً والنوم قبل الهضمِ
٧٥ واكل ثانٍ قبل هضمِ الاولِ وتعبٌ للاكل مطلقاً[2] يلى

اى ومما ينبغى لحفظ الصحّة ان لا يُواظَب على اكل اللحم لانهُ غذآءٌ غليظ مرضٌ للفساد . وعلى ذلك قول الفاضل جالينوس لا تجعلوا بطونكم مقابر للحيوانات . وكذلك يُحذَر النوم قبل الهضم لانهُ يستوقف المعدة عنهُ . والاكل قبل هضم الطعام الاول لانهُ يشغلها عن هضمهِ واصلاحهِ . وان امكن يُقتَصر على اكلةٍ واحدةٍ فى اليوم . وقد جمعها الشيخ الرئيس بقولهِ

[١٦ ق] اجعل غذآءك كل يومٍ مرّةً واحذر طعاماً قبل هضم طعامِ

ومما ينبغى ان يُحذَر منهُ التعب بعد الاكل كيفما كان لانهُ يضغط المعدة ويزعجها فلا تطمئنّ لهضم الطعام واصلاحهِ . وامّا قبل الاكل فانهُ نافعٌ لانهُ يقوّى الحرارة الغريزية ويعين المعدة على افنآء ما بقى فيها من الفضلات . ولكن ينبغى ان يكون لطيفاً بحيث لا يبلغ الى اسراع النَفَس . قال ابقراط ان الرياضة المعتدلة تحفظ الصحّة . واما القويّة فانها لا تدع الطعام يستقرّ فى

١) الحسن: كذا فى الاصل . والصواب: الحسين.
٢) مطلقاً : وفي « الطبيب » : مطلقٌ

المعدة فيفسد الهضم . وعليه قولهم ان الرياضة قبل الغذآء خيرٌ عظيمٌ وبعده شرٌّ جسيم

٧٦ وحكموا فى العادة المضرّه بقطعها المرّةَ بعد المرّه

٧٧ وما سواها حكموا بالمنعِ عن قطعها فانها كالطبعِ

اى ان الاطبآء يحكمون بقطع العادة المضرّة-تدريجاً لا دفعةً واحدةً كما صرّح الشيخ الرئيس حيث يقول

وكلُّ عادةٍ تضرُّ اهلها فاقطع بتدريجِ الزمانِ اصلها

واما الغير المضرّة فيمنعون عن قطعها لان البدن قد ألف عليها[1] فصارت له كالطبيعة . وعليه قول الشاعر

الطبع شيءٌ قديمٌ لا يُحسُّ بهِ وعادة المرء تُدعَى طبعهُ الثانى

[١٧ و] ولذلك جعلوها مما يُراعَى فى قوانين العلاج كما علمت آنفاً

٧٨ واعلم بانَّ اكثر الاوصابِ يأتى من الطعام والشرابِ

٧٩ فقد[2] يكونُ بها المماتُ كما تكونُ بها الحياةُ

اى ان اكثر الامراض يحدث من الطعام والشراب فيكون الموت بها كما تكون الحيوة . ومنه قول الشاعر

كم دَخلت اكلةٌ حشى نَشرهِ فاخرجت روحهُ من الجسدِ

لا بارك الله فى الطعام اذا كانَ هلاك النفوس بالمددِ

وذلك لان اكثر الامراض يحدث عن الاخلاط وهى تتولد منها . ويقل حدوث الامراض عن غيرها كما مرَّ

٨٠ وحمية الصحيح فى التمثيلِ تُحسَب كالتخليط للعليلِ

٨١ فاسلك طريق الاعتدال فيها وسلّم الامرَ الى ربّ السما

---

١) أَلِف عليها : كذا في الاصل . والمشهور ان أَلِف يتعدّى بنفسه

٢) فقد : وفي « الطبيب » : وقد

اى ان الصحيح اذا احتمى كما يحتمى المريض يُحسَب ذلك منه مثل التخليط من المريض . لانه يُضعِف الطبيعة ويجعلها قابلةً للتأثر بادنى سببٍ من اسباب المرض . ولذلك يجب ان يسلك طريق الاعتدال فى طعامهِ وشرابه بحيث لا ينهمك فى النهم والشراهة . ولا يقتصر على تناول ما يتناولهُ المريض من الاغذية الخفيفة القليلة الغذآء . وبعد ذلك يسلّم امرهُ الى الله

٨٢ [و] الآن تمّت نبذةٌ كلّيّه ضمّنتها القواعد الطبّيّه

[١٧ق] ٨٣ وهى نظير الدرّة اليتيمه فى منهج الصناعة القديمه

٨٤ فقل لقومٍ طلبوا طبَّ العرب قديمُ تاريخ [ظفرتم بالارب]

اى الآن تمت هذه النبذة المشتملة على كليات [قواعد] الطبّ التى تُبنى عليها المسائل الجزئية المذكورة فى [مطوّلات] الاطبّآء الذين يستقصون فيها انواع الامراض واسبابها وعلاماتها ومعالجاتها . وذلك على مذهب اطبّآء العرب الذين نقلوا عن اطبّآء اليونانيين الذين اخترعوا هذه الصناعة وفرّعوا على ما نقلوهُ عنهم ما هداهم الله اليه من المسائل الكثيرة . وقد جعلت هذه الرسالة كالخلاصة من الاصول التى تتشعّب منها الفروع . وكان الفراغ من تأليفها سنة الف وثمانماية وستّ وخمسين للمسيح كما يشعر قولى ظفرتم بالارب فانه يشتمل على العدد المذكور بحساب الجُمّل . والحمد لله اولا وآخرًا وهو حسبنا ونعم الوكيل

تمت

اثر جليل للقرن السادس عشر

رسالة البطريرك اغناطيوس نعمة الله السرياني

(١٥٧٩م)

عربها عن الاصل السرياني ، وافتتحها بترجمة حياة البطريرك المذكور
القس يوحنا عزو ، كاتم اسرار البطريركية السريانية الانطاكية

٣

الرسالة (تتمة)

وتبرهن صريحاً هذه اللباقة التي يعالجها من يهتمّ بثبات البيعة المصطفاة وينشط لقوامها وتوضحها جلياً قصة رسامة الاب السامي القدر مار ملاتيوس الانطاكي الذي كان يتظاهر في بدء اصطفائه بانحيازه الى الاريوسية ويتزيّى بزيّها بحذاقة . ولهذا خُدعَ به الاريوسيون واختاروه لتبوّء السدّة البطريركيّة الجليلة . واخيراً لما اسفر عن استقامة ايمانه حطّوه عن الكرسي ونبذوه ، وهو غير متبوذ من المسيح ابي الآباء قاطبةً ، وهو الذي رسم اسقف قيصريّة قبادوقيا مار باسيليوس الكبير والملفان الخطير وهذّب وثقّف مار يوحنا فم الذهب صاحب الكرسي القسطنطيني الواسع السمعة . وعليه فاذا ما انعمنا النظر فيمن ذكرنا وتقصّينا اثر العدد الجمّ من الآباء القديسين غيرهم نظير مار ساويروس ورفاقه الذين اجتهدوا ويجتهدون في قوام البيع ، فنشاهدهم انهم كانوا يتوسلون بوسائل جمّة ويتدبّرون بأرابة ، ولاسيما اوان الشدائد ليدرأوا عن جماعة المؤمنين باسرها الاوازم المضرّة . فينجم ان خساستي ايضاً تتوافر لها دواعي النجاة ، وانها كانت بعيدة عن مواطن التقاعس والفشل ، ولم امل قطّ مقتنعاً بان يمتني ترد قليل من ضروب التواني والرخاوة . بيد ان كل ما بدا من وضاعتي وما

عالجته من الدهاء وسلوك الملاوي ومنازلة بأس جبابرة الجدّ والاجتهاد لم يكن الّا من اجل كرامة محبة البيعة وثباتها لا غير اذ وحدها تسمو على كلّ عاطفة وشاعرة فيّ انا الذليل . ولم استطع وليس في وسعي الآن ايضاً ان اتصوّر او يعلق في وهمي طرو ضيق ما او الم او مصيبة او هزء الاعداء واستخفافهم ممّا يمسّ كرامة البيعة الغالية على المسيح . وعليّ انا المصاب بداء لا دواء له البتة . ولاني صارحت حضرتكم فقط بالامر جرى لي ما جرى وكلّما يجرى الآن ، غير اني متأهب لان ارتضي للذود عن حياضها بكل ما يعرض لي من البلايا والرزايا ، وقد ازدادت فعلًا الآن اشجاني وتضاعفت الواحد مائة ولاجل ذلك عادت خشيتي الى الاستمساك بحبال البنود والمصانعة المجدية مثل هذه الطوارئ نفعاً ، ريثما تتاح لي نهزة للتنصّل منها . لكنها تتفنن في استلابي الآخرة الثمينة التي يتوقعها الصناديد الشجعان فتدهورت الى اقصى الدركات السفلية خيفةً من ان ترى عيني او تسمع اذني شيئاً يضير البيعة المحبوبة او يؤلمها .

واعلموا باني منذ ساعة انفصالي عنكم لم اعدّ نفسي الّا مع اولئك الرصفاء الذين تقدّموا فتنعموا بالراحة الهنية السعيدة ، اعني الآباء السعداء الذين اضطُهدوا وعانوا الاخطار والآلام والضيقات الى ان تخطّوا هذا العالم الفاني وفازوا بالراحة الابدية في العالم الباقي . ولذا فلا يخطر لي شأن في هذا العالم ولا في العالم المرتجى ممّا يعود اليّ بالجدوى الّا ما يؤول الى نفع البيعة المقدّسة ونجاحها اولًا فترونني اتجلد مستخفاً بكلّ ضروب العذاب وصنوف الانصاب التي تنتابني متلوّنةً يوماً فيوماً راجياً وواثقاً بوجدان ضالتي المنشودة وهي راحة البيعة ونفعها . فها قد افضيت اليكم ، يا اخوتي ، بما تنطوي عليه سريرتي ، واطلعتكم على هدف آمالي وآلامي العميقة والمستكنّة في مخادع جناني . فارغب اليكم بحبّ ربنا ان تلبّوا ندائي وتحضيني بالمثابرة على حفظ النواميس والقوانين البيعيّة ، ولا تتهاونوا بها البتة . واعلموا انّ منية قلبي ومطمح اشواقي وقصارى املي الوحيد من رأفتكم ما اقتصر على ابرازه لكم بالتلميح ، لاني لا اتجرّأ على الاجهار به بالتصريح لاخوّتكم الاسرائيليّة والصادقة حقاً ، وهو ما قاله حليف البلايا يوسف الحسن واوصى به اخوته حين دنوّ اجله : « ارغب

اليكم ان تصعدوا بعظامي من مصر لاكون برفقتكم دائماً » . ولاني آنس من ذلك ولا يخطر لي ببال ابداً هذا الامر فاجترئ بالتذلل بين يديكم مستطفاً ان لا تنسوا نفسي التي حُرمت نجواكم في هذه العاجلة المحبطة المساعي والمثبطة الهمم ولا تدعوا ان يزول ذكري تماماً بعد ان اصير في الآجلة من سفر الآباء الذين عانوا برحاء الاضطهاد ومرارة الغربة ، ولا ترضوا ان يتوارى ويحتجب اسمي مع مواراة جسمي واحرم المساعدة والصلوات من احدى البيع والاديرة القويمة المعتقد المبثوثة في كل قطر وضاحية . بل ليذكرني الجميع في تقدمة القرابين لاجل عنائي واهتمامي بقوام البيع وتشييدها ورفعة شأنها وحفظها كما تعرفون ذلك حقّ المعرفة ، وهو بادٍ لكثيرين ممن يعترفون بالحقيقة ولا يتأتى لهم جحودها . الا رحماكم عِدُوني بصدق المسيح بان تنظموا حثيث سعيي في سبيل بنيان بيعة الله في سلك الآباء المجاهدين الصلّاح ذاك السعي المحفوف بصنوف الاخطار وضروب السجن والبلايا . وانا شدكم بحبّ يسوع الهي ان لا تظلموني وتبخسوا حقوقي ، وتفسحون المجال للمتقوّلين بايجادهم علة للتشبث بما توحيه اليهم فكرتهم النازحة عن جادّة الحقّ والصواب فينحون عليّ باللوائم مستخذين لروح الحقيدة ، ولما أُشربت قلوبهم من البغض والعدوان . وابذلوا الهمة ، يا احبائي ، بتنظيم ايام ذلي وبلواي وألمي وعنائي ، لاجل بيعة الله في كل صقع وصوب وعلى الخصوص في المحالّ التي تعبت مع اهلها وتعبوا معي وارغب ان يذكروني بقربان مرة واحدة في السنة في الاعياد السيدية في جميع كنائس الكرسي ماردين وفي اديرتها وقراها كافة ، وفي مدينة آمد (ديار بكر) وكل قراها ، وفي مدينة حصن كيفا وقراها ، وفي جميع كنائس الجبلين المباركين الفوقاني والتحتاني واديرتها ، وفي مدينة السور ، والجزيرة ، وسعرد ، والموصل ، ومعدن ، والبشيرية ، والمتخي (وتدعى اليوم حاح) وميافرقين ، وخرتبرت ، والجرجر ، والرها ، وحلب ، وحمص ، وحماه ، وطرابلس ، ودمشق وقراها واديرتها ، وفي سائر كنائس الشرق والمغرب ، ولاسيما في المحلّ الجليل المقدّس الذي اتمّ فيه الهنا المتأنس تدابير خلاصنا ، اعني اورشليم ، وبالاخصّ حيث دفن جسده الطاهر . ولتكن تقدمة هذا القربان على النسق الآتي : وهو ان

يُقام في كل بيعة او دير قدّاس واحد في يوم معروف من السنة على مذبح تلك البيعة او الدير ذكرًا وراحة لنفسي البائسة المُضطهدة ، ولتكن سنة ثابتة مع ثبات الطائفة السريانية للاجيال المقبلة . فاسأل اذًا بدالة مستعطفاً قداستكم ان تُعنوا بهذا الامر.

واخيرًا التمس منكم ان تبلّغوا سلامي مقروناً بغزير البركات وجميع الصلوات وتواتر الادعية نسمةً نسمة وصنفاً صنفاً وفردًا فردًا من سكان تلك البلاد المباركة الاعزّاء وسائر جماعة المؤمنين الاحبّاء اجمالًا وافرادًا ، مستمطرًا غيوث الرحمات الالهيّة على نفوس آبائهم المرحومين كلّ باسمه ورتبته وميزته. لا زلتم اصحّاء متعافين ومباركين بربّنا الذي يليق به الوقار والكرامة الى ابد الابدين. آمين.

انباء الايالات الفرنجية وبهوردها وملوكها

اولًا : رومية العظمى . يبلغ طولها ، اعني بعد مسافتها عن جزائر الطوباويّين ، ٥٠ درجة و٢٧ دقيقة ، وعرضها ، اعني انحناءها عن قوس منتصف النهار اي خطّ الاستواء ، ٤١ درجة و٥٠ دقيقة . وهي مدينة كبيرة واسعة الارجاء مترامية الاطراف لا يسع الفارس ان يجوبها في خمس عشرة ساعة . وهي حديثة البناء ، لان المدينة القديمة التي تخبرنا عنها الكتب هي اليوم وحش لا ديّار فيها ، وقد خربت وتقوّضت من آساسها . وهذه الحديثة هي المأهولة الآن ، وهي قسم من تلك وملاصقة لها من ناحية الشمال الشرقي ، وموقعها شرقيّ جنوبي البندقيّة . ومناخها ردئ غير معتدل ، فهو شديد اللفح صيفاً وقارس النفح شتاء . وفيها امراض متنوعة . وكل موجوداتها تُباع باسعار مرتفعة غالية جدًّا . واهلها غريبو الاطوار لا يمازجون احدًا البتّة. وفيها شعوب ولغات من كل جنس مبثوثون داخلها . وهي غنيّة بضروب العلوم ، وعلماؤها يعيشون تباهياً بها خارجياً مجاراة لابناء العصر ولكنّهم ينبذون ظهرياً الاكباب على تفهّم كنه معانيها ولا يتنبّهون على سبر غورها لادراك نبطها والرسوخ في الاحاطة بها . ورومية مشحونة بالكنائس والاديرة المتجمّلة بانواع الزخارف

والزينات يربو عددها على الالفين عداً ، ويوجد فيها من الكهنة ما يوفي على العشرة آلاف ، ومن الرهبان ما ينوف على الستين الفاً بمختلف الرهبنات ، وفيها نحو ثمانين كردينالاً لكلّ منهم راتب حسب درجته ، فمنهم من يتقاضى سنوياً خمسة آلاف دينار ، ومنهم عشرة آلاف ، ومنهم عشرين وثلاثين وستين وثمانين وتسعين ومائة الف دينار ، ومنهم من يتقاضى مائتي الف دينار . هذا خلا ما يستوردونه من ريع اموالهم واملاكهم من مدن وقرى وحقول . اما المطارنة والاساقفة فيعدّون بضعة آلاف ، ورواتبهم كالكرادلة ، بل يوجد اسقف يرد عليه في السنة ثلثمائة الف دينار ويوجد من الكهنة من يدخل عليه في السنة الفان وثلاثة آلاف دينار . وراتب البابا اربعة وعشرون ديناراً في اليوم ما عدا الهدايا والتقادم والتحف التي ترد عليه يومياً من جميع الاقطار . وفي السبت الثالث من الصوم الكبير سنة ١٨٩٠ يونانيّة (١٥٧٩ م) رُقّي تسعة الى الرتبة الكردينالية ، واهدى اليه احدهم مائتي الف دينار .

ويوجد في اوربة مدن عظيمة كبيرة يعسر احصاؤها ، وكلّها جليلة جميلة . واحسنها مدينة البندقية اذ لا يُلفى في المعمورة مدينة تضارعها رخاء وسناء على رغم انّ ممالك ومدن اوربة كافة تتلألأ حسناً وجمالاً بما يفوق بقية اقاليم الكرة الارضية طرّاً . وتبعد البندقية عن رومية مسيرة اثني عشر يوماً ، وهي مملكة رفيعة الشأن جليلة ، مكتظّة بالمدن الكبيرة والبلدان والدساكر والقرى والضيع ما لا سبيل الى استقصائه عدّاً بحيث لا يتأتّى لاحد ان يعثر فيها على قيد شبر بائراً او مقفراً . ومع ان في اوربة يوجد نحو مائة مدينة تحاكي رومية عظمةً فهذه وحدها استأثرت بالسمعة لدى الجميع . اما المدن التي تصغرها فتنيف على الثلاثة آلاف مدينة .

وفي هذه البلاد الغربية ملوك مسيحيون عظماء يطلق على كل منهم لقب سلطان السلاطين او عاهل (امبراطور) وعددهم ستة .

اولهم واعظمهم عاهل اسبانية . تحتوي دولته الجهة الغربية باسرها وجزيرة صقلية العظمى التي تعدّ اليوم اكثر من مائة وخمسين مدينة مشهورة عامرة . وفي اسبانية ما يربو على الثلاثمائة مدينة ، ويخضع لعاهلها اربعمائة

وخمسون مدينة في جزيرة اورغيس واكثر من ستين مدينة في قارة افريقية ، ومثلها في ايطالية . وتمتدّ مملكته الواسعة الى بلاد الهند الداخلية ، وله فيها سبع جزائر كبيرة يحيط بكلٍّ منها ثلاث وستون مدينة ما عدا مدن العالم الجديد (اميركة) التي اكتشفها هو واستولى عليها ، وهي خارجة عن الاقاليم السبعة ، ويقال انه هو الذي سعى في تنصّر اهلها . وفي كل سنة يرد عليه منها سبع سفن كبيرة موسقة ذهباً وفضة لان المناجم المعدنيّة متوافرة فيها .

ثانيهم عاهل البرتغال . وولايته تشتمل على مائتي مدينة في ايطالية وافريقية وتنبسط سيطرته مستولية على جميع المدن الشهيرة الذائعة الصيت . وفي مملكته ولايات ومقاطعات متنوّعة تمتدّ من حدود الغرب الخارجي الى بلاد الهند الداخليّة وتخوم الصين ما يتعادّ على الخمسمائة مدينة .

ثالثهم عاهل الفرنج اي فرنسة،وعنه نجم اسم الفرنجة.وهو يسود على فرنسة برمّتها ويبلغ عدد مدنها ثلاثمائة وستين مدينة ، ويملك ايضاً على قسم من بلاد فروجية يعدّ مائتين وثلاثين مدينة. وكان هذا العاهل في اول امره اعظم من عاهل اسبانية . اما اليوم فلاسبانية التقدّم عليه .

رابعهم عاهل المانية . ومملكته واقعة غربي كيت وسيدوار التي اغتصبها الترك في عهدنا ، وتمتدّ الى اقصى بلاد المغرب . وعدد المدن التي تحت سلطانه يتعدّى الخمسمائة مدينة ، وعاصمته الآن بيج الشهيرة .

خامسهم عاهل المجر . وهو من اعظم الملوك واشدهم صولة وبأساً وهو ملك بلاد اللاد المتاخمة بلاد كفا والروملي وبودون وهي تتصل بمملكة الالمان والروس والبلغار ، وفيها ما يجاوز الاربعمائة والسبعين مدينة .

سادسهم عاهل موسكو (روسية) . ولا يوجد الآن في هذا الزمان بين الملوك من يماثله بالصولة والشوكة يخضع لسلطته شعوب مختلفة اي الروس والبلغار والسرب والتتر والشركس ، وتشتمل مملكته على الاقطار الغربية الشمالية من حدود بلاد الالمان واللاه وقرابوجدان وفلق ، وتحيق بالبلاد الشمالية كلها الى ان تتصل ببلاد الايبريين اي الكرج والترك الشرقيين.يدين هذا العاهل بديانة الملكيين اي اليونان . وكل من هؤلاء الملوك الستة العظام

تسمّى عاهلًا (امبراطورًا) .

وفي هذه الاقطار يوجد ايضاً ملوك عظام غير الذين اتينا على ذكرهم ، ولهم ممالك عظيمة تضارع الممالك الآنفة الذكر .

اولها فينيسية اي البندقيّة ، وهي مملكة مستقلّة بنفسها ، لا تعنو لاحد البتة ، وهي عزيزة قويّة خصبة غنية بل هي اغنى من مملكة تركية الاسلامية يخضع لها اكثر من مائة وسبعين مدينة مشهورة وعشر جزائر كبيرة تحاكي جزيرة قبرس .

ثانيها مملكة جنوة ، ونظامها يشبه نظام البندقية ، وهي جمهورية يرئسها واحد منهم ينتخبونه ويلقون عليه القرعة مع اربعة او خمسة آخرين يتعادلون فضيلة وعدالة ، فمن تصيبه القرعة ينادى به طوعاً اي ملكاً ، فيعنون له ويضربون الدراهم باسمه . على ان هاتين الجمهوريتين متساويتان بالقوّة والثروة والبلاد والمدن .

ثالثها ، وتدعى مملكة لوكا ، وهي تضارع المملكتين المتقدّمتين وتعادلها قدرًا وولاية .

رابعها مملكة مالطة تحاكي من سبقوها باقامة الملك فقط . اما في بقية الامور فهي افقر واحطّ واصغر . وهذه الممالك الاربع هي جمهوريات .

وفي هذه الاقطار ملوك أخر عظام مستقلون بنفسهم لا يخضعون لغيرهم من الملوك ، وتحت حوزتهم عدّة ولايات ومدن كبيرة . اولهم ملك فلورنسة ، يحكم على مائة وخمس وثلاثين مدينة . ثانيهم ملك سافونة ، تحت حوزته مائة وسبعون مدينة ولا يدين لاحد البتة . ثالثهم ملك اوركين ، تحت حوزته مائة واثنتا عشرة مدينة . رابعهم ملك بارما ، يضمّ مملكته ما يتعدّد على المائة والسبعين مدينة . وكل من هؤلاء الملوك مستقلّ بنفسه . وما عدا هؤلاء الملوك ففي بلاد المغرب امراء كثيرون يقال لهم دوكاوات يتولى كل منهم اربعين او خمسين او ستين مدينة .

فاعلموا ، يا اولادنا الاحباء ، واعتبروا انّ هؤلاء الملوك والسلاطين والولاة بقاطبتهم مع ما يتولّون من البلاد كما وصفنا خاضعون لسلطان الحبر الاعظم بابا

رومية الجليل ، ما عدا واحداً منهم فقط ، وهو عاهل روسية فانه بمعزل عنهم يخضع للبطريرك القسطنطيني القائل بمقالة اليونان الملكيين ، والبقية جميعاً تحت ولاية رئاسة بابا رومية الاكرم . ولا تكتم نيّرتكم ، ايها الاعزاء ، ان للبابا الاثيل صاحب الكرسي الرسولي الروماني السامي مملكة في بلاد ايطالية ممتازة تختصّ بسيادته ، غير التي اوردناها ، يديرها هو بنفسه ، وهي مملكة ايطالية كلها وليس لسواه الحقّ في الولاية عليها من الملوك المذكورين وهي تشتمل على اكثر من اربعمائة وستين مدينة شهيرة ، وله ما للملوك السابقي الذكر من السلطان والنفوذ.

والخلاصة يجدر بقداستكم ، يا تاج رأسي ، ان تعقلوا وتحيطوا علماً بان هذه هي ولاية المسيحيين الفرنج . فالمجد لربوبية ربّنا يسوع المسيح الملك الشديد البأس الذي امتدّت مملكته وتجلّت في هذه الاصقاع واتسعت هذا الاتساع العظيم.

تمّت الاخبار المختلفة في شأن ممالك المدن وولايتها وكيفية قوامها ونظامها وملوكها . ما سطّره وارسله الينا ليعرّفنا به البطريرك المظلوم نعمة الله الذي غادر بلادنا على اثر مصيبة حلت به فيها ، فلاذ بالهرب الى رومية العظمى بين الفرنجة وعلق يبحث بكل دقة عن المدن وولاياتها فألمّ بها واطلعنا عليها بهذا النسق . ليرحمه الربّ .

ارتفاع الصليب

ميمر منسوب الى القديس كيرلس اسقف اورشليم
٣١٣-٣٨٧م

نشره لاول مرّة ، وعلّق عليه
الخوري بولس قرألي ، مدير المجلة البطريركية

٣

البحث الاول

في نسخه واهميته (تابع)

٢ً اهمية الميمر

لعظات وتآليف القديس كيرلس الاورشليمي أهميـة خاصة . فنها نعرف الدرجة التي أدركتهـا ، في ذاك العهد ، الحياة المسيحية والعـادات والرتب الكنسية ، والجهود المبذولة لفرز الزؤان من الحنطة في الآراء الحديثة الحائمـة حول كل ناحية من نواحي الديانة . لان كثيراً من هذه الآراء لم يكن بعـد قد تحدّد بصفة راهنة واضحة ، ولان القديس كيرلس قد سبق طغمة ملافنـة البيعة الكبار ، الذين برزوا في اواخر القرن الرابع واوائل الخـامس . فكان اول من تصدّى لدحض هذه البدع وبسط وجهة نظر الكنيسة الارثوذكسيـة فيها ، وشرح بقية العقائد والاسرار النصرانية بصفة وافية منطقية[1] .

فان صحت نسبة هذا الميمر اليه ، اصبح وثيقة غالية الثمن عاليـة القيمة من الوجهتين الدينية والتاريخية ، وحقّ لـه ان يُضمّ الى مجموعـة تآليف آباء الكنيسة الرسمية ، وان تُدرج معلوماته في تاريخهـا كمرجع اصيل لتقاليدهـا الدينية والتاريخية في القرون الاربعـة الاولى ، وخـاصة للحوادث التي سبقت ولحقت اكتشاف قبر الفادي وصليبه .

---

١) راجع معجم اللاهوت لفاكان مج ٣ ، ع ٢٥٢٨ و٢٥٢٩ و٢٥٧٥

كان هذا الميمر حتى الساعة مجهولاً ، وما زال اصله اليوناني وترجمته السريانية مفقودين . وصل الينا باللغة العربية المتنضرة وبعبارة سقيمة مضطربة . بيد ان هذا المظهر الرث ، ان افقده كثيراً من رونقه وقليلاً من معانيه ، لا يفقده قيمته . فالعبارة ثوب شفاف لُفّ به ، لا يُحرم العين النيّرة الحادة رؤية جماله ، كالوشاح اذا اكفهرت ألوانه واهترت خيطانه ، لا يُخفي رشاقة الجسم المرتدي به وتناسب اعضائه . ناهيك بما خلص من هذه الاعضاء من تلابيب الخلقان ، فانها تظهر على اصلها وطبيعتها بضة مفتولة . فمع مرور القرون الطويلة على الميمر وذهاب طلاوة اللغة الاصلية عنه ودقة تعابيرها ، ما زلنا نسمع منه نبرة الفصاحة والحماسة خافتة ، انما عذبة جذابة ، تلتقطها الآذان المتمرنة بارتياح ، وتستوعبها القلوب بسرور واعجاب ، وتعرف فيها صوت ذاك الراعي الصالح والخطيب المفوّه ، صاحب التعاليم السامية والتفاسير الخالدة التي كان يلقيها فوق ضريح الفادي على الجماهير الوافدة من انحاء الامبراطورية الرومانية للاحتفاء بتكريم الصليب المنتصر على الوثنية والرذيلة .

هذه الحفلات العظيمة والذكريات المؤثرة يستعيدها لنا الميمر ، ويطلعنا على التقاليد الشائعة في ذاك العصر حول فوز رسالة الاله المتجسد ، من عهد ارتفاعه على صليب الجلجلة مهاناً معذباً ، الى عهد ارتفاعه سيداً مطلقاً على ممالك الارض .

يصف لنا الخطيب القديس الآيات الباهرة التي ظهرت على قبر المسيح بعد قيامته ، خاصة شفاء اكلاوبا المقعد واقامة ابنه اهروقوس من الموت . وكيف اخفى نيقوديموس ويوسف الرامي الصليبان في القبر خوفاً من ان يحرقها اليهود ، وكيف اقدم هؤلاء على ردم القبر بزبالاتهم ، فقاصمهم الرب بخراب مدينتهم اورشليم وهيكلها واهلاك قسم كبير من شعبهم وتشتيت البقية واذلالها . وانتقم ايضاً من الملوك اعداء صليبه : ديوقلتيانوس ومكسيميانوس وخاصة يوليانوس الجاحد . بينما قد عزّز اصدقاءه : عطف قسطنطين الملك على المسيحيين فاظهر له صليبه لامعاً في الجوّ وخوّله به النصر والسلطة المطلقة في الامبراطورية الرومانية . فقصد مع والدته الى اورشليم للبحث عن عود هذه العلامة الظافرة ، وحقق بنفسه عن مكانه مع علماء اليهود السبعة ، الذين يذكر الميمر اسماءهم .

واذ علم من احدهم انه مطمور في الجلجلة ، آمرهم برفع الردم عنه ، وعاد الى رومية تاركاً والدته وغلمانه واسقف اورشليم للاشراف على اعمال الحفر. حتى اذا ظهرت الصلبان الثلاثة داخل مغارة القبر ، وعُرف الصليب المقدس من الكتابة الباقية عليه ، هرول الملك الى اورشليم وسجد له وقرر بناء كنيسة لائقة به ، وعيّن لتدشين كنيسته عيداً رسمياً عظيماً في كل الامبراطورية.

وكان المؤمنون يتقاطرون الى اورشليم في هذا العيد لحضور حفلة ارتفاع الصليب والتبرّك من ذخيرته . منهم حجّاج خرجوا من يافا فرافقهم اسحق السامري باسرته وحاشيته وآنيته للتطهر في عين اورشليم . وفي اول مرحلة قطعوها ، وجدوا عند حقل يندوم ماء الجبّ مرّاً . فشت بهم السامري لتجشمهم عناء السفر وتعرضهم للموت عطشاً في سبيل السجود لخشبة . وكان بين الحجاج قديس يدعى الانبا باخوس ، هذا لما سمع كلام السامري وتجنه وانهه ما يجهله عن الصليب . ثم اخذ عودين وربطهما بشكل صليب ورماه في البئر ، فلمع كالمصباح واصبح الماء حلواً لذيذاً . وبنى سكان الجوار كنيسة للصليب على ذلك الجبّ وكرسها القديس كيرلس بنفسه . اما اسحق فتأثر لرؤية الاعجوبة ولحق المؤمنين حتى كنيسة القيامة حيث سمع عظة القديس كيرلس وآمن واعتمد منه مع جماعته . فكانت هدايته اعجوبة رابعة اجترحها الصليب.

هذه المعلومات وغيرها يرويها القديس كيرلس كشاهد عيان او معاصر . ناهيك عن تقاليد ثمينة قديمة عرفناها من ميمره عن معاصري السيد المسيح كنيقوديموس وابنه القديس اسطفان ، اول شهيد في النصرانية ، ويوسف الرامي ، وبرنابا ، وارملة نائين ، وحنه ابنة يائيروس ، واكلاوبا ، واهروقوس ولده ، ومريم المجدلية ، واليعازار ، ووجوه قرابة هؤلاء مع مريم العذراء . هذه الفوائد ان لم تكن كلها حقائق تاريخية ، فهي على الاقل تقاليد جليلة اوصلها الينا احد علماء الكنيسة الاقدمين واساقفتها ، منها ما كنا نجهله تماماً ، ومنها ما كنا نعرفه على غير حقيقته.

ولا ننسَ ان رواية القديس كيرلس عن رؤيا قسطنطين وظهور القبر

وخشبة الصليب بعناية هذا الملك وحضور والدته هيلانة توفق بين روايات المؤرخين المتناقضة الغير المعقولة ، وتتحاشى اغلب ما يقوم في سبيل تصديقهم من الصعوبات والمغالاة . ولعلها الرواية الصحيحة التي يجب اعتمادها بعد اليوم في تاريخ الكنيسة ، كما سنبينه في حينه .

وقبل ان ننتقل الى درس الدلائل التي ترجح نسبة هذا الميمر الى القديس كيرلس الاورشليمي علينا ان نبسط الاعتراضات التي قد تقف في طريقه ، وان نبين ما في هذه الاعتراضات من وجوه الضعف ، وانها لا تنطبق على ميمرنا .

البحث الثاني

الاعتراضات

نبسط في هذا البحث الاعتراضات التي قد تقوم ضد رواية ميمرنا بخصوص رؤيا قسطنطين وعلاقة والدته هيلانة باكتشاف القبر والصليب . وهي تمس الاعتراضات الموجهة ضد الاساطير السريانية التي تسرد روايتها والصعوبات الراقدة في سبيلها ، لنثبت انها لا تنطبق على ميمرنا ، وان انطبقت لا تنفي نسبته الى القديس كيرلس .

٧ رؤيا قسطنطين

لم نتقدم بعد بميمرنا الى محك النقدة ، انما نتصورهم ، منذ الآن ، يشزرونه بعين الحذر والريب ، شأنهم في كل اكتشاف جديد لاثر قديم ، لاسيما اذا اتاهم من الشرق . وقد بالغوا في ذلك حتى امسوا يشكون في اوثق الوثائق ، وينقضون دعائم التاريخ الكنسي القديم القائمة على تآليف اوسابيوس وثيودوريطوس وسقراط وسوزومين وغيرهم ، دون ان يكون لهم ما يعوضوننا به منها ، بل نراهم يملأون فراغها بالتخمينات والتأويلات ، كمن يترك ما في يده سعياً وراء الخيال . والغريب انهم عند غرضهم يستخدمون الوثائق التي نبذوها بالامس اداةً لهدم غيرها . ولعلّ ما يحملهم على المغالاة في النقد حُبّ الظهور بمظهر الحكيم الرصين الضليع الذي لا يجوز عليه ما جاز على الساذج او المبتدئ . وكأني بهم ذلك الجرّاح ، الذي اذا كُلّف بترّ عضو فاسد ، ارتأى بتر عدة اعضاء ، بحجة انها غير صحيحة ، ولا يزال يعمل مبضعه في المريض حتى يتركه

جثة. لا تصلح سوى للتشريح . فلنتدارك مباضعهم في ميمرنا ، عسانا نتقيها او نخفف من حدتها . ولنحذر محذرهم الا في دائرة التعقل والاعتدال.

اهم ما تخالهم موجهين النقد اليه رواية الميمر في رؤيا قسطنطين الملك وعلاقة والدته باكتشاف القبر المقدس والصليب . وحجتهم ان هذه الرواية مستندة الى الاساطير السريانية القديمة ، التي نشرها المستشرق نستله ، والحاوية للاشاعات الملفقة ، التي راجت في القرن الرابع في عالم النصرانيّة ، خاصة في الشرق ، حول هذا الاكتشاف.

واليك مختصر رواية ميمرنا في رؤيا قسطنطين وردت في الصفحات ٢٢٩–٢٣٢ من مخطوطة بكركي التي نعتمد عليها :

« كان الملك قسطنطين ابناً لوالدين مسيحيين ، متسلّلاً من الملوك الرومان الاصليين. انما لم يكن في شبوبيته قد تنصر بعد ولا عارفاً بعلامة الصليب . لان الملكين ديوقليانوس ومكسيميانوس كانا قد بسطا عبادة الاوثان في كل مكان ، ولم يكن بعد من كنائس قائمة ولا صلبان ظاهرة . وحدث انه خرج يوماً لقتال الفرس وعسكر في تل رامح ، فوجدهم قد تحالفوا مع سبع امم وحشدوا عليه جيشاً هائلاً وجاؤوا بآلة يغيرون بها السراديب والمغر، وصمموا على الفتك به واجتياز حدود الكورة الرومانية واحتلال انطاكية. وفي ذات ليلة ، وقد اشتد به القلق ولازمه الارق للتفاوت بين قوات العدو وقواته ، رأى وهو يتفرس في السماء صليباً من نور وحوله كتابة « بهذه العلامة تغلب جميع اعدائك » . وفي الغد نهض باكراً واستفهم من الكهان والعرّاف لمن هذه العلامة ، فاجابه بعضهم انها لداريون اله الحرب وآخرون انها للبطل هرقل . وان غلاماً يسمى اوسيكيتوس اقترب منه سراً خوفاً من الطارد ، لان الحادث كان في زمن الطرد ، وأكد له ان العلامة للسيد المسيح . فنذر قسطنطين ، ان هو نال الغلبة بها ، آمن بإله آبائه . وللوقت علّق صليباً من ذهب في رأس رمحه وامر ان يتقدمه ، فحاز نصراً مبيناً على الاعداء . وفيما هو يقتفي أثرهم شاهد جمعاً كبيراً في السماء يطاردونهم بسيوف مسلولة في ايديهم . »

وهاك الآن ملخص ما قد يُعترض به على هذه الرواية نأخذه عن مقالة للاب لكلير ، نشرها في قاموس الآثار والطقوس المسيحيّة تحت اسم قسطنطين[1] .

هذه الرواية مخالفة للتاريخ ، الذي ينبئنا ان قسطنطين ، حين كان ملكاً

1) *Dictionnaire d'Archéologie Chrétienne et de Liturgie, publié par.* dom Ferd. Cabrol et dom Henri Leclerq. Paris, 1914. Tome III, 2° partie, col. 2622-2695 – راجع عن الرؤيا وحدها ع ٢٦٦٣–٢٦٦٧ من هذا الجزء.

على غالية وبريطانية[1] ، زحف على مناوئه مكسنس عاهل رومية . ولما صار على جسر ميلفيوس من ضواحي رومية رأى حلماً أوعز اليه فيه ان يرسم علامة الصليب على تروسه . ففعل وانتصر على مكسنس وطرحه في نهر التيبر في ٢٩ تشرين الاول سنة ٣١٢م . وفي اليوم التالي دخل رومية وضم ايطالية الى مملكته . هذا ما كتبه لاكتنس استاذ كريسبوس بكر قسطنطين.

اما اوسابيوس مؤرخه ، فروى انه في اثناء زحفه من غالية الى رومية شاهد ، ساعة الغروب ، هو وجيشه ، صليباً من نور فوق قرص الشمس مع كتابة « بهذه العلامة تنتصر » . وفي الليل ظهر له السيد المسيح في الحلم مع العلامة التي رآها في النهار وآمره ان يصنع مثلها ويحملها في حروبه فينال الغلبة. ولما استيقظ امر الصياغ فصنعوا له صليباً من ذهب وحجارة كريمة ، رسمه ايضاً على تروس جنوده.

فالرؤيا اذاً ظهرت لقسطنطين في اثناء زحفه على مكسنس لا في محاربته الفرس ، وعلى جسر ميلفيوس ، وليس في تل رامح . ولا يُعقل ان يرتكب القديس كيرلس مثل هذا الخطأ وهو معاصر لقسطنطين . فالميسر اذاً ليس له .

زد على ذلك ان والدي قسطنطين لم يكونا مسيحيّين ، كما يدّعي صاحب الميسر . فوالده قسطنس كلوروس عاش وثنياً ومات وثنياً ووالدته هيلانة لم تتنصر الا بعد ان تسنّم ابنها عرش رومية سنة ٣١٢م ، ولا يُعرف تاريخ عمادها . وهل يُعقل ان يكون والداه مسيحيّين ويظلّ هو جاهلاً علامة الصليب ؟ فضلاً عن انه لم يتنصر الا قبيل وفاته سنة ٣٣٧ من اسقف نيقوميدية الاريوسي.

فنجيب اولاً ان لاكتنس انفرد وحده بذكر جسر ميلفيوس على التبر ، وروايته ، على رأي يوحنا روسي الاثري الشهير وغيره يصعب تصديقها[2] . وهو لم يصرّح لنا من اي مصدر استقاها . امن الملك نفسه ام من حاشيته . وقد راجت في عهده اشاعات شتى عن رؤى عديدة كانت تظهر فيها الالهة لقسطنطين قبل كل معركة يخوض غمارها[3] . وبينما لاكتنس يقتصر على ذكر حلم تراءى

---

١) فرنسة وانكلترة
٢) كابرول ع ٢٦٦٧ حاشية ٢
٣) كابرول ع ٢٦٦٦

لقسطنطين في المنام رؤى اوسابيوس مؤرخه وامين سره يتكلم عن رؤيا ظهر فيها الصليب قبيل الغروب لقسطنطين ولكل جيشه ، وعن حلم ظهر فيه المسيح له مع علامة الصليب وامره ان يتخذها له شارة . وهو لم يعين مكان الرؤيا بل يُفهم من سياق كلامه انها كانت في بدء زحفه على روميـة اي في غالية ، او على حدود ايطالية الشمالية . وهو يخلط ايضاً بين الشارة التي اتخذها قسطنطين من حرفي اسم المسيح ☧ او ☧ ورسمها على رايته *labarum* وعلى تروس جنوده ، وبين علامة الصليب نفسها . ويدَّعي ان الملك اسرّ له بهذه الرؤيا في آخر حياته . فالرؤيا حدثت في سنة ٣١٢ ، وكتبها اوسابيوس بعد موت قسطنطين سنة ٣٣٧ . فكيف بقيت سراً طيلة هذه المدة وقد شاهدها الجيش كله[1] ؟

كل هذه المناقضات حملت العلماء على الشكّ في امر هذه الرؤيا والوقوف موقف الحذر في تصديق تفاصيلها ، مع ان راويَيها معاصران لقسطنطين واحدهما امين سره والمرجع الاوثق لكل ما يختصّ به وبعصره . فهل يجوز نقض رواية القديس كيرلس استناداً الى مصدر مشكوك فيه ومتناقض ؟

ثانياً الرؤيا حدثت سنة ٣١٢ اي قبل ولادة القديس كيرلس بسنة ، اذا كانت ولادته سنة ٣١٣ ، وبثلاث اذا كانت سنة ٣١٥ . فهو غير معاصر لها . فضلاً عن ان الميمر يصف مصرع الملك يوليانوس الجاحد سنة ٣٦٣ . فهو لم يُلقَ قبل هذا التاريخ . وسنورد لك ما يرجح القاءه في آخر حياة القديس كيرلس . فان قدَّرنا ان القديس اخطأ في تعيين مكان الرؤيا فلا حرج عليه ، فقد رواها بعد حدوثها بخمسين او بخمس وستين سنة ونيف . ولعله استند الى رواية مغلوطة في هذه النقطة او تأثر من ذكر الحرب التي نشبت ما بين النهرين بين الرومان والفرس ودامت سنة كاملة[2] . وقد اعلن هو نفسه في الميمر انه غير شاهد عيان بل انه يرويها « عن الآباء المعلمين الذين كتبوها »[3] . فخطأه

١) هذه الملاحظة للاب لكلير ذاته . كايرول ع ٢٦٦ .
٢) راجع معجم اللاهوت للاب فاكان مج ٣ ع ٢٥٣٦
٣) صفحة ٢٢٢ من مخطوطة بكركي

هذا ، اذا كان هناك خطأ لا ينفي نسبة الميمر اليه.

ثالثاً : اما ادعاء المعترضين ان والدَي قسطنطين كانا وثنيَّين ففيه نظر . لان والده قسطنس ، ان لم يتظاهر بالنصرانيَّة ، فقد تظاهر بالعطف على المسيحيين وبعبادة « الاله الواحد » ، اي اله المسيحيين . وكان يلجأ اليه في كل محنة ومهمة وينسب اليه كل توفيق ونجاح. ويستنكر اضطهاد رئيسَيه الامبراطورين ديوقلسيانوس ومكسيميانوس للمسيحيّين واتكالهم على كثرة الآلهة[1] . اما هيلانة فلا نعرف تاريخ عمادها فلا يمكننا الجزم بامرها . ولعل نصرانيَّتها ونصرانيَّة زوجها لم تبلغا النضج في عهد حداثة ولدهما . والملوك لا يتعاطون تربية اولادهم رأساً . وقد طلّقها قسطنس سنة ٢٩٣ ، حين لم يكن ابنها قد تجاوز الثالث عشرة ، اذا كان من مواليد سنة ٢٨٠ ؛ لانه رأى ان لقب « قيصر » الذي مُنحه تلك السنة لا يتفق واصلها الوضيع[2] . اما ولدها فقد قضى حداثته وشبابه بعيداً عنها ، في جيشي ديوقلسيانوس وجاليريوس . ولم يعد الى وطنه الا قبيل وفاة والده ، فبايعه الجيش في ٢٥ تموز سنة ٣٠٦ خلفاً له على غالية وبريطانية . والوثنيَّة كانت منتشرة في كل الامبراطورية الرومانية ، والنصرانية ضعيفة مضطهدة.

رابعاً : اذا تركنا تعيين المكان جانباً ، وجدنا رواية ميمرنا عن رؤيا قسطنطين اصح من غيرها واقرب الى التصديق . فالميمر يتجنَّب الصعوبات التي تعترض تلك الروايات والمناقضات التي تسقط فيها ، بل انه يوفق بينها . فقسطنطين ، حسب ميمرنا ، قد رأى علامة الصليب بينما كان متمدداً على فراشه متفرساً في السماء يتفكَّر في المعركة ومصيره . وفي الغد شاهد ، وهو يتعقب العدو ، ملائكة في السماء شاهرين السيوف يطاردونه . والميمر يتفق مع المؤرخين في ان الملك كان عندئذٍ غير متنصر ، لا يعرف علامة الصليب ، وان الرؤيا حدثت في بدء عهده بالملك وفي زمان الطرد ، اي الاضطهادات ، وانه شاهدها

---

١) كابرول مج ٣ ع ٣٦٦٣ ، وهو يستند في ذلك الى قول اوسابيوس نفسه في ترجمته لقسطنطين مج ١ فصل ٢٧ رقم ٣ ٢) كابرول ع ٣٦٢٤ و٣٦٢٥

ليلة المعركة الفاصلة ، وصاغ على اثرها صليباً من ذهب مرصعاً بالحجارة الكريمة جعله قدام الجيش فانتصر ، والغى الاضطهاد الذي كان ديوقلسيانوس قد شهره على المسيحيين ، وبنى للصليب كنيسة القيامة في اورشليم وحضر تكريسها اساقفة كثيرون ، وعيّن له عيداً رسمياً كان يدوم عدة ايام . وغير ذلك مما سوف تطالعه في الميمر ونشير اليه في تعليقنا .

٨ً الاساطير السريانيّة

وربّ معترض يقول : « لو سلّمنا ان القديس كيرلس لم يكن معاصراً لرؤيا قسطنطين في سنة ٣١٢ ، فقد كان معاصراً لاكتشاف قبر المسيح حوالي سنة ٣٢٦ ، وبالاحرى شاهداً لاكتشاف الصليب المقدس بين سنتي ٣٣٥و٣٤٧م . ولما كانت رواية الميمر لا تختلف في اغلاطها التاريخية عن رواية الاساطير السريانيّة الملفقة ، فالميمر ليس له »

نحن لا ننكر وجاهة هذا الاعتراض ، بل نعدّه اكبر حاجز يقف بين الميمر وصحة نسبته الى القديس كيرلس . وللرد عليه لا بدّ لنا من التمهيد بكلمة نقولها في هذه الاساطير وفي اهم ما يوجّه الى رواياتها من الانتقاد ، ليتسنى لنا مقارنة ميمرنا بها ، ومعرفة درجة نسبته اليها ، فنحكم في درجة نسبته الى القديس كيرلس . ولا ريب عندنا ان القراء يسلّمون بضرورة هذا التمهيد ، فضلاً عن فائدته . لان الاساطير المذكورة من اقدم ما لدينا عن اكتشاف القبر والصليب ، وهي مبنية على الاشاعات التي راجت في القرن الرابع حول هذا الاكتشاف . فنقدها يفرز لنا غثّها من سمينها .

وقد رأينا ان نراجعها بنفسنا لنلخص للقراء رواياتها ، وان نقتطف المعلومات عنها من مقدمة ناشرها ، والاعتراضات عليها من مقالات الاب لكلير المذكور اعلاه . المنشورة في « معجم الآثار المسيحيّة » الذي يشرف عليه مع الاب كابرول[1]

---

(١) كابرول مج ٣ : ع ٢١٢١–٢١٢٩ عند كلمة *Croix* اي الصليب ومج٦ : ع ٢١٢٢–٢١٢١ عند كلمة *Hélène* اي هيلانة

في سنة ١٨٧٤ عثر السيد روبرت هونتينجتون (Huntington) في مدينة حلب على مخطوط سرياني قديم ، كتب بالحرف الاسطرنجلي ، يحتوي قصص قديسين ، بينها قصتان تروبان حكاية اكتشاف القبر والصليب . فاودعها المتحف البريطاني بلندرة (*British Museum*) وعني المستشرق ايرهارد نستله بنشرها والتعليق عليها ، وبالحاق قصة ثالثة بها ، نقلاً عن نسخة قديمة جداً محفوظة في مكتبة باريس الوطنية[1]

ولنبدأ بخلاصة اقدم هذه الاساطير والمخطوطات ، اي مخطوطة مكتبة باريس الوطنية الموضوعة تحت رقم ٢٣٤ ، التي ترتقي نسختها ، حسب رأي العلماء ، الى اواخر القرن الخامس او اوائل السادس[2] . وهي تروي قصة اكتشاف الصليب لاول مرة بسعي القديسة بطرسية ܗܠܢܐ زوجة كلوديوس قيصر . هذه قصدت الى اورشليم في عهد يعقوب الرسول وأمرت اليهود ان يأتوها بصليب السيد المسيح ، فجاؤوها بثلاثة صلبان لم تعرف ايها الحقيقي . وفي هذه الاثناء ماتت ابنتها فوضعت عليها الصليبين الاول والثاني بدون جدوى ، ولما وضعت الثالث قامت الفتاة من الموت . فعرفت والدتها انه صليب المسيح وبنت له كنيسة فخمة ، فضلاً عن كنيسة اخرى شيدتها على الجلجلة .

اما مخطوطة المتحف البريطاني[3] رقم ١٤٦٤٤ من ملحق فهرس مخطوطاته السريانية ، فرجعها العارفون الى اوائل القرن السادس . وهي تنسب اكتشاف الصليب الى القديسة هيلانة والدة قسطنطين وتعطيها الدور الذي اعطته الاسطورة السابقة الى القديسة بطرسية . فقد جاءت الى اورشليم في ٢٨ ايار سنة ٣٥١[4] فوجدتها خربة ، يتزل في جوارها نحو ثلاثة آلاف يهودي . ولما

(١ Eberhard Nestle : *De Sancta Cruce*. Berlin. H. Reuthers Verlagsbuchandlung. 1880.

(٢ راجع في تاريخ هذه النسخ معجم كابرول مج ٣ ع ٣١٣٣ في الحاشية ١٠

(٣ راجعها في نستله صفحة ٢٥-٢٦

(٤ اذا لم يكن هذا الرقم خطأ من الناسخ فقد خلط واضع الاسطورة بين تاريخ اكتشاف القبر والصليب وتاريخ اعجوبة ظهوره لامعاً في سماء اورشليم بين القبر والجلجلة ، التي كتب فيها القديس كيرلس رسالته الى قسطنس سنة ٣٥١

سألتهم عن مكان الصليب قدموا لها الفاً من علمائهم . فوبختهم على قساوة قلوبهم وصمّ آذانهم عن تعاليم المسيح ، ثم امرتهم ان ينتخبوا من يجيبها على بعض اسئلة تطرحها عليهم . فاختاروا منهم خمسمائة ، بينهم يهوذا ، الذي اسرّ الى رفقائه ان والده سمعان حدّثه عن جدّه زكي ان المسيح صُلب على القرقفة ܩܪܩܦܬܐ . ولما ضايقت الملكة اليهود في السؤال وتوعدتهم بالتعذيب، ان تمنعوا عن اجابة مطلوبها ، قدموا لها يهوذا المذكور . هذا انكر في بدء الامر معرفته بمكان الصليب ، انما بعد ان طرحته في بئر لا ماء فيها ومنعت عنه الشرب والطعام وعدها في اليوم السابع ان يبوح بما لديه . فقصد بجمهور من المسيحيّين الى القرقفة ، حيث صلّى قائلاً : اذا كان الرب يرغب في ان يملك ابن مريم على الارض ، واذا كان ابن مريم المسيح المنتظر ، فلتصعد من هذا المكان رائحة بخور . فصعدت . وحفر نحو عشرين ذراعاً ، بمعاونة الحاضرين ، فوجد ثلاثة صلبان حملها الى الملكة ، التي كانت تنتظر في المدينة . وفي الساعة التاسعة مرّت من هناك جنازة شاب فوضع يهوذا عليه الصليبين الاولين بدون فائدة ، ولما وضع الثالث قام حيّاً . وكان الشيطان في احد الحضور فصرخ متهدّداً « اني غلبتُ العالم بيهوذا الاول ، وغلبتُ بك الآن يا يهوذا الثاني . فانا ذاهبٌ الى ملك آخر يقتصّ منك »[1] . فانتهره يهوذا واخرجه من الرجل . واخذت الملكة الصليب ، ووضعته بالجواهر ، وحفظته في ذخيرة ثمينة اودعتها كنيسة عظيمة اقامتها له على القرقفة . اما يهوذا فعمّده اسقف اورشليم . ولما توفي هذا الاسقف اوعزت الملكة الى اوسابيوس اسقف رومية ، الذي كان حاضراً ، ان يسقّف يهوذا مكانه ، فرسمه واطلقت الملكة عليه اسم قرياقوس . ثم طلبت اليه ان يبحث عن مسامير المسيح . فتوجه يهوذا - قرياقوس الى المكان نفسه ، وشاهد هناك نوراً ساطعاً كالشمس والمسامير تلمع كالذهب . فحملها الى الملكة التي صاغتها لجاماً لفرس ابنها قسطنطين ليحرسه في ذهابه وايابه وينصره في الحروب . ووقفت الملكة اموالاً طائلة على

١) اشارة الى استشهاد يهوذا المذكور في عهد ادريانوس قيصر .

المساكين والكنائس وجعلت قرياقوس قيماً عليها ، وعيّنت لاكتشاف الصليب عيداً سنوياً.

ويختم المخطوط القصة بقوله : « هذه قصة ظهور الصليب للمرة الثانية » ، مشيراً بذلك الى ظهوره لاول مرة على يد بطرسية الملكة القديسة ، التي حلت كما ترى ، هيلانة الملكة القديسة محلها في القصة الثانية.

اما الاسطورة الثالثة فواردة في المخطوطة رقم ١٢١٧٤ من ملحق فهرس المخطوطات السريانية في المتحف البريطاني[1] . ترتقي نسختها الى القرن الثاني عشر ، وتجمع بين اسطورتي الملكتين بطرسية وهيلانة وتلحمها ببعضها. فتدعي ان الملكة بطرسية استصدرت ، عند عودتها الى رومية ، امراً من زوجها كلوديوس قيصر باخراج اليهود منها . بيد ان الملك طرايانوس الآتي اضطهد المسيحيين وعزز اليهود . فسعوا في حبس شمعون بن قيلوفا ، خليفة يعقوب الرسول على اسقفية اورشليم ، واستولوا على الصليب وطمروه . فبقي مطموراً مدة ولاية اساقفة اورشليم الاربعة عشر الاولين.

وفي شهر كانون الثاني اجتمع البرابرة على نهر الدانوب[2] ليعبروه ويخربوا مملكة الرومانيين . فتوجه قسطنطين لصدّهم . وفي الليلة التي كانوا ينوون في غدائها ان يعبروا النهر رأى في السماء صليباً من نور يحمله ملاك من نور . وعليه كتابة : « بهذه العلامة تنتصر »

وفي الغد امر ان يصنعوا له مثل هذه العلامة وتواقع مع البرابرة فدحرهم . ثم عرف من احبار المسيحيين ، الذين كانوا يُدعون في ذاك العهد نصارى ، ان

---

١) نشرها نستله في الصفحات ٧-١١ من كتابه ، والاب بدجان الكلداني في الجزء الاول من مجموعة قصص الشهداء صفحة ٢٢٦-٢٤٣

٢) نهر يصبّ في ممالك اوربة الوسطى . وقد اصلح بدجان اسمه باسم امخنمص اي النيل ، مع ان الاسمين لا يتشابهان في الكتابة . وهناك اساطير لاتينية تذكر ايضاً ان رؤيا قسطنطين صارت على نهر الدانوب في السنة السادسة لملكه . راجع مخطوطة باريس في مجموعة الوثائق عن اكتشاف الصليب لهولدر A. Holder, *Inventio Sanctæ Crucis*. Paris. 1889. P. 1 Secundum cod. Paris. N° 2761.

هذه العلامة للمسيح ، فاستدعى اوسابيوس اسقف رومية وتلقن منه مبادئ الديانة المسيحيَّة واعتمد من يده هو واهل بلاطه . واوفد والدته هيلانة الى اورشليم برفقة الاسقف اوسابيوس المذكور لتبحث عن الصليب ، وتقيم له كنيسة لائقة به . فقصدت اليها في شهر آب واستدعت علماء اليهود . فتقدم الف اختاروا منهم ثلاثين ، بينهم يهوذا الذي اسرّ الى رفقائه بما يعلمه عن مكان الصليب نقلًا عن والده ، الذي عرف من الكاهن زكي ، نيقوديموس الانجيل ، انه مطمور في الجلجلة ، لا في القرقفة . . . الى آخر ما جاء في الاسطورة الثانية عن كيفية اكتشاف القبر والصليب والمسامير وبناء الكنيستين ، وتعميد اوسابيوس ليهوذا وتسقيفه على اورشليم ، مما لا حاجة الى تكراره ، لانه مطابق الاسطورة التي سبقتها .

(للبحث صلة)

الحياة في بيروت

على عهد الصليبيين

بقلم الاب لامنس اليسوعي

٢

قلنا ان امارة « باروت » الصليبيّة كان يحميها من جهة الشمال امارة جبله (جبيل) ومن جهة الجنوب امارة سايت (صيدا) . وكان البحر يمنعها من جهة الغرب . فلم يكن لاربابها ، والحالة هذه ، الا ان ينصرفوا لتحسين مقاطعتهم الفنيقية ، تلك المقاطعة التي اختصت بالسعادة على عهد الرومانيين فدعيت « بيريتوس فليكس » ، والتي عمل الصليبيّون على تجميلها حتى اصبحت من اجمل مدن الساحل واوسعها ازدهاراً ، على قول ابن الاثير .

على ان اهتمام الصليبيّين العسكري ، بل شغلهم الشاغل ، كان بان يحموا حدودهم الشرقيّة من غزوات عرب البقاع ، وتدخلات عساكر دمشق . واذا انحدرنا بضعة قرون ، نرى المشكلة نفسها تعرض للجنرال غورو على عهد فيصل . فالتاريخ يعيد نفسه . وما حدث في زماننا هذا ، حدث لثمانمائة سنة خلت ، اذ كان الصليبيون والمسلمون يتنازعون ارض البقاع الخصبة . وان لم يتمكن الفرنجة من الاستقرار في تلك الارض ، فلقد نجحوا بان جعلوا لهم حقاً بثلث محصولاتها ، وتسلّطوا على الطرقات المؤدّية اليها من البحر . وقد كان لاتباعهم من الولاة اللبنانيين المعروفين بامراء الغرب كثير من القرى والمزارع في تلك السهول ، يستثمرها ابناء الجبل ، حتى امكن القول بحقّ ان في البقاع امراء لبنان ومدن الساحل .

اما مدينة دمشق فقد اذعنت ودفعت الجزية لفرسان الغرب . وكان للصليبيّين فيها ممثلون سياسيّون وتجاريون ، فضلاً عن الارصاد ورجال الخفية المكلّفين ان يطلعوا ارباب الساحل على جميع ما يُحاك من الدسائس وراء جبال انتيلبنان . ومما يجب الاشارة اليه ان امراء دمشق كثيراً ما كانوا يتحدون والفرنجة على جيرانهم من امراء الاسلام كنور الدين مثلاً . الا ان هذه الاتفاقات

الوقتية لم تمنع دمشق من ان تشتغل في الخفاء على هياج رعايا الامارة اللاتينيّة . وكان اسرع الاقوام تلبيةً لدواعي هذا الهياج دروز لبنان المتوسّط . فكانوا يصيخون بالسمع الى همسات الدمشقيين ، لا رغبةً منهم في الاسلام ، بل اعتقادًا انهم يرون في دمشق عونًا لهم على الصليبيين . وكان بين العشائر الدرزية اسرة عربية شريفة ، تتصل بقبيلة تنوخ ، وهي اسرة بني مُجثّر ، امراء الغرب، الحاكمة في منطقة الشوف الحالية . فرأى سادة « باروت » ان يستصفوا هؤلاء الامراء ، وان يجعلوهم من خاصة رجالهم ، فاقطعوهم الاقطاعات الواسعة في الجبل، على ان يقدّموا عددًا من رجال الحرب ، ويضمنوا ضبط بلادهم والمحافظة على الامن فيها ، ويردّوا عن الحدود هجمات الاجانب . فقبل امراء الغرب المقاطعات والاعانات . ولكنهم لم يفتأوا يدسّون سرًّا على الصليبيين ، متفقين مع اعدائهم . وسنعود الى وصف هذه السياسة الملتوية « اللاعبة على الحبلَين » ، كما يُقال ، والتي لم تفقد تقاليدها في سورية حتى اليوم.

في سبيل تلافي هذه الاخطار ، اعتزم بقدوين الثاني ملك اورشليم ، في نحو السنة ١١٢٥ ، ان يبني حصنًا على جبل گلاثيان ، في «ارض كافية الخصب ، على ستة اميال من باروت . »[1] اما موقع هذا الحصن فترجّح تعيينه في مرتفع دير القلعة قرب بيت مري . وهو مركز يوافق المسافة المذكورة ، فضلًا عن انه يبرّر تسمية ذاك المكان « بدير القلعة » وهو اسم لم يشرحه احد حتى اليوم على طريقة اوفق من هذه . وقد تأكدنا ، بما عرفناه عن بعلبك التي لا تزال خرائبها تدعى باسم « القلعة » ، ان من عادة المحاربين ان يحوّلوا اسوار الهياكل القديمة الى حصون وقلاع . على اننا نرى في امر « دير القلعة » صعوبةً واحدة وهي ان تلك النواحي لم تشتهر بخصبها . ومهما يكن من امر فاننا نظنّ ان الملك بقدوين لم يبنِ قلعةً كبيرة بل حصنًا صغيرًا . اما آثاره فلا شك انها دخلت ، مع كثير من آثار الهيكل القديم ، في بناء الدير الحالي وفي ابنية قرية بيت مري ، حيث لا يزال بعضها يظهر حتى اليوم.

واذا استثنينا هذا الحصن ، لا نجد ذكرًا لايّ بناء او اية قلعة صليبية في

١) راجع *Hist. Occident. des Croisades*, II, 473

الجبل ، داخل امارة باروت . ولو كان شيء من ذلك لما سكت عن الاشارة اليه صالح بن يحيى ، مؤرّخ امراء الغرب . على اننا نعرف في الساحل بضع قرى كالناعمة ، ومزداسية ، وجونية كانت محصّنة ، او على الاقل محاطة بالاسوار[1] . وذلك كي تتمكن من مقاومة القرصان وارباب المراكب المصرية .

اما العساكر التي كانت تحت تصرّف امير « باروت » فكانت قليلة العدد ، ضئيلة الخطر . ولا شيء اعجب مظهراً ، ولا اغرب تركيباً ، ولا اقلّ وحدة وتآلفاً من جيوش الفرنج الشرقية . كل الشعوب وكل الديانات المتمازجة المختلطة في الشرق كانت تجد ممثلين لها في تلك الجيوش ، كما هي الحال تقريباً في ما ندعوه اليوم « بجيوش المستعمرات » . ولم يكن في تلك الفرق الا عدد قليل من الصليبيين بين قوّاد ومنظّمين . حتى يمكن القول ان الاطار كان وحده افرنجياً ؛ اما ما يملأه من الانفار ، وصغار الضبّاط ، فكانوا من ابناء البلاد على اختلاف مللهم ونحلهم . وكان على امراء الغرب ان يقدّموا عدداً منهم لم يكن يتجاوز على ما نظنّ الثلاثين نفراً ، وهو العدد الذي فرضه بعد ذلك على الامراء انفسهم ؛ امراء بني ايوب وامراء المماليك ، كما يذكر المؤرخ صالح بن يحيى . ولا نرى ما يدفع الى الظنّ انهم قدّموا اكثر من ذلك الى امير «باروت» الفرنجي .

اما سائر العسكر فكانوا من المسلمين المدعوّين « تركوبول » (*Turco-poles*) ، من شذّاذ الطرق والمتشرّدين تضيق بهم الحياة بين السكر واللهو ، فيؤجرون شجاعتهم ويحاربون في جيش من يضمن معيشتهم . وكان في تلك الجيوش ايضاً فريق من الارمن والموارنة . واذا ما حُمّ الخطر ، كان سكّان بيروت انفسهم ، يحملون السلاح ويشتركون والعسكر النظامي في الدفاع عن المدينة . وهو امر يفرض استعداداً عسكرياً وتدريباً حربياً . يشهد بذلك ما قام به السكان وحدهم ، سنة ١١٨٧ ، اذ قاوموا جيش صلاح الدين في غياب الحامية العسكرية ، فاوقفوه مدة ثمانية ايام[2] .

١) راجع بحثنا *Notes de Géographie Syrienne* [Mél. de la Faculté Orient. de Beyrouth, I, 248, 249]

٢) اطلب *Hist. Orient. des Crois.* I, 692

ومع انه لم يكن من تلك الجيوش فرقةٌ دائمة الّا حامية قلعة المرفأ القليلة العدد ، فان تكاليف العساكر كانت باهظة . على ان امراء « باروت » كانوا اغنياء لحسن الحظ . وكان من موارد خزانتهم الضرائب العادية ، والخراج المفروض على غير المسيحيين ، وبدل الطريق . وفوق كل ذلك كانوا يتكلون على رسوم التجارة المحلّية ، وواردات الجمرك . فنتج ان الصليبيين كانوا لا يألون جهدًا ، ولا يتراجعون امام اية تضحية في سبيل تعزيز علاقاتهم مع الدول الاجنبية . كانت مرافئ المملكة اللاتينية العظمى عكا ، فصور ، فطرابلس ، وكانت عكا في ذاك العهد تنازع الاسكندرية ، بل تنازع القسطنطينية نفسها . وكانت سائر مدن الساحل الفنيقي ، تنافس بيروت منافسة قوية لكون مرافئها افضل واوسع من مرفأ بيروت . على ان سياسة امراء « باروت » الرشيدة ودهاءهم المتواصل وجهودهم الدائمة جعلت لبيروت مركزًا حسنًا في تصدير البضائع الشرقية المطلوبة بالحاح في اسواق اوربة . من ذلك الحرير ، والكتان ، والقطن ، والزجاج ، والقاشاني . وان من هذين الصنفين الاخيرين آثارًا قويت على تقلّبات الاحوال فوصلت الى زماننا حيث تباع بالذهب ثقلًا بثقل . وكان من تلك الاصناف ايضًا الافاويه والابزار المتنوّعة ، والعقاقير ، والاطياب ، وسكّر القصب ، والقرفة ؛ وفوق كل ما تقدم البهار ، ذاك الصنف الذي بلغ من ارتفاع ثمنه في اوربة انه كثيرًا ما قام في العقود التجارية مقام النقد ، وان العروسات كنّ يتطلبن ، في جملة مطاليبهنّ ، ان يجدنَ كيسًا من البهار في هدية العرس[1] . ويشهد بنفاسة هذا الصنف وغلاء سعره اذ ذاك ما يذكره صالح بن يحيى من ان الجنويّة نهبوا للبنادقة المقيمين في بيروت البهار المخزون في خانهم . وقد بلغت قيمة المنهوب عشرة آلاف دينار[2] . وهو رقم يفيدنا في معرفة ما كانت عليه من الاهمية المعاملات التجارية في اسواق مدينتنا .

كان المركز الاول بين التجار الاوربيين في بيروت لاهالي جنوى او الجنويّة . وذلك ان اسطولهم كان قد ساعد على فتح المدينة فلزم ان يُقطعوا

(١) Schaube, *Handelsgeschichte*, 163, 164

(٢) صالح بن يحيى : تاريخ بيروت ، ص ٥٨

ثلث ارضها وان يعفوا من رسوم الجمرك ومن سائر المكوس . ولا يخفى ان الجمهوريات الايطالية في القرون الوسطى كانت ترى في الحركة الصليبيّة وجهتها الاقتصادية خاصةً . وكان الجنويّة من اعظم اولئك التجار سعياً في سورية ، ورغبةً في بسط معاملاتهم على جميع المناطق ، مما قد ننعته بالانانية والاستئثار لو كان من المعقول ان نطلب من التجارة صفات التجرّد والقناعة . وكان البنادقة قد استأثروا بالتجارة في القسطنطينية . فكان اذًا من مصلحة الجنويّة ، بل من حقهم على زعمهم ، ان يستأثروا بتجارة السواحل السورية ويقتصروا على كل منافسة . حتى لقد يمكننا ، اذا ما نظرنا الى هذا التطاحن الاقتصادي ، ان نصوّب اليهم ما فاهت به « اميرة » ادمون رستان من لوم عنيف لاولئك الصليبيين الذين راحوا يفتشون عن الارباح المادّية فحسب ، اذ قالت[1] :

يا من تفتشون عن الارباح في فلسطين ، اجعلوا
على صدوركم ، لا اشارة الصليب ، بل رسم الدينار الذهبي .
انكم لتفتنون في الحروب الصليبية . وبئس ما تفعلون !
فان المجد للفرنجة في ذلك . ولكم الفائدة المادية .

على ان هذا الاستئثار بالتجارة الجانح الى الاحتكار الفعلي لم يكن ليروق امراء باروت ، اذ كان يحدّد نطاق المعاملات في مدينتهم . فعملوا شيئاً فشيئاً على التخلّص منه بان اخذوا يسهّلون على البنادقة المعاملات التجارية في بيروت . وكان التجار الايطاليون يتمتعون ، في جميع مدن الشرق ، باستقلال يكاد يكون تامًّا عن السلطات المحلية . فقد كان لهم كنائسهم يخدمها اكليروسهم الخاص ، وخاناتهم الخاصة ، وحماماتهم ، وافرانهم الخاصة ايضاً . وكان يحكمهم اولًا رئيس منهم يُدعى الفيكونت ، ثم حلّ محلّه قنصل بلادهم ؛ الذي كان يفصل في المنازعات الناشبة بينهم ، فهو حاكم وقاضٍ معاً . الى غير ذلك من الخصائص التي كانت تؤلف « امتيازات اجنبية » تامّة ، قبل عهد فرنسوا الاول بثلاثة قرون . وكذلك كانت امتيازات تلك الجمهوريات الايطالية في الامبراطورية البيزنطية .

(1) E. Rostand, *La Princesse lointaine*, Acte II, scène 5

فكان ان الجنوية استفادوا من هذه الامتيازات ، واخذوا يعملون من جهتهم على تعزيز تجارتهم ، وعلى تقوية احتكارهم لاسواق سورية ، حتى دفعتهم « انانيتهم المقدسة » الى خنق التجارة الفرنسوية مع الشرق. فعقدوا ، في متوسط القرن الثاني عشر ، اتفاقات خاصة مع مرافئ جنوبي فرنسة كمونبيليه ، وارل ، وسان جيل ، ترمي الى حصر اعمال البحارة الفرنسويين بنقل زوار الاراضي المقدسة او الى اجبارهم على استئجار المراكب الجنوية . ولكن لم يطل الحال حتى اخذ اولئك البحارة يعملون على التملص شيئاً فشيئاً من هذه الشروط الشديدة . وقد ساعدهم امراء بيروت في ذلك ، فانالوهم الاعفاءات الجمركية واعطوهم الحق بفتح قنصلية في بيروت . وكان اول من استفاد من هذه الامتيازات اهالي مرسيلية سنة ١٢٢٣

ولقد كان من حق امراء الفرنجة ، وقد اغدقوا على الجوالي التجارية تلك الانعامات والامتيازات الكثيرة ، ان يطلبوا منها ان تقوم ببعض الواجبات . فكان على الجوالي ان تشترك والسلطة في الدفاع عن الاراضي المقدسة بحرياً وبرياً بمراكبها وبمن تعولهم على حسابها من العساكر . ولا يخفى ان هذا الامر كان يخفف كثيراً من تكاليف الجيش في الدول الفرنجية . فضلاً عن ان حركة التجار واستثمار اموالهم وتعداد مشاريعهم كانت من عوامل ازدهار المرافئ . ولقد استفادت بيروت من ذلك فائدة عظيمة حتى اصبحت « المدينة الوافرة الغنى » « *Opulentissima civitas* » كما يقول من زارها في ذاك العهد من امثال جان دي ويرزبورغ (Jean de Wirzbourg) . وكأن هذا اللقب صدى لذاك اللقب القديم «المدينة الوافرة الجمال» « *Splendidissima civitas* » الذي منحه مدينتنا في القرن السادس ، الامبراطور يوستنيانوس العظيم ، والسائح البليزني المجهول الاسم.

***

كانت الضرائب التي سنتها الادارة البيزنطية ثقيلة الوطأة على سورية ، ولاسيما بعد ان اجتاحت اطرافها الحروب والغزوات الفارسية والبدوية مدة قرن كامل حتى انهكت قواها . ثم جاء الفتح العربي . ومنذ ذاك الحين لا

اعلم هل من منطقة اخرى قاست ما قاسته سورية من استئثار الحكام بمواردها الحيوية ، استئثاراً منظماً واستغلالاً مرتباً يجعل الحاكم او ممثليه ان يهتموا قبل كل شيء بما يحصلونه من المال وبما يتناولونه من « الطُعمات ». وهذه الكلمة نفسها ، التي كانت جارية الاستعمال في الانشاء الاداري اذ ذاك ، تدلّ على ما نزل بسورية من مصايب الضرائب وجباتها ولاسيما منذ عهد العباسيين ، تلك « الدولة المباركة » ، كما كانوا يدعونها رسمياً . ولقد بلغ من هذا الاستثمار الفاحش ان احد حكام سورية ترك لبيت المال في بغداد ، عند انتهاء وظيفته ، مبلغ ٣٦٠٬٠٠٠ دينار ، وهو مبلغ لا نبعد فيه عن الحقيقة ، اذا حوّلناه اليوم ، بالنظر الى القيمة الاصلية والى اختلاف اسعار المعيشة ، الى مبلغ ٣٦٠٬٠٠٠ ليرة استرلينية . اما هذه التضحية المالية من قبل الوالي فكانت جارية تعرف « بالمقاسمة » وغايتها ان تجعل للدولة نصيباً من ارباح الوالي فتسكتها ، وتبرّر نوعاً ما يقوم به هذا من طرق غير مشروعة في جمع المال . على انها لم تكن لتفقر الوالي المذكور ، وقد حصّل اضعاف اضعافها . واذا انتقلنا من عهد العباسيين الى عصر الفاطميين نجد ان احد ولاة دمشق ، من متشرّدي الاتراك ، ترك بعد وفاته مبلغ مليون دينار . وقد بلغ ما وُجد من ثروة خاصة في خزانة آخر سلاطين المماليك ، على اثر انتصار سليم الاول ، مائة مليون دينار ، اكثرها نتيجة ما امتصّه هذا السلطان من اموال السوريين حتى انه وضع المكوس على جامعي زبل البقر .

اما على عهد العثمانيين فلدينا تقرير لقنصلية البندقية من اواخر القرن السادس عشر ، يقول ان مقاطعة سورية كانت تباع في استانبول « بثمانين الى مائة الف دوقة » . وان « وظيفة الدفتردار (اي امين الصندوق العام) كانت تُشترى باربعين الى خمسين الفاً . ووظيفة القاضي ارخص قليلاً . وكان جميع الموظفين يعوّضون في مدة قريبة كل ما يبذلونه في ثمن وظائفهم . فان الباشا كان يسلخ (*scortica*) كل المقاطعة ؛ والدفتردار يسلخ الامراء وموظفي المكس ، والقاضي يسلخ جميع من يقع تحت يده . » وكان الجزار ، الناعس الذكر ، يستخرج كل سنة من مقاطعة عكا عشرة ملايين فرنك لحسابه الخاص .

وقد « سحب » من امير لبنان وحده ٤٠٠٠٠٠٠ فرنك في خمس سنوات ، على قول ثولني . ولم يبلغ ما جمعه في ولايته مدة خمس وعشرين سنة اقل من نصف مليار.

ويقرب من ذلك حالة سائر الولايات . فان عبدي باشا ، والي حلب ، جمع في خمسة عشر شهراً ، كما يذكر ثولني ايضاً ، « ٤ ملايين ليرة ، فارضاً الرسوم على جميع ارباب المهن حتى منظفي الغلايين . » وان من عاشوا على عهد عبد الحميد يؤكدون ان هذه التقاليد ظلت جارية في سورية. حتى يحملنا الظنّ ان في سورية نهراً من الذهب جارياً دون انقطاع . والا فكيف احتملت الف سنة من الفوضى والنهب على جميع الاساليب . وقد تفنى سورية اليوم ، هذا الماضي المؤلم ، منصرفةً الى التأمل المحزن بصعوبات الحالة الحاضرة ، والى التشاؤم بالمستقبل ، غير منتبهة الى ان مصايب الحرب نفسها لم تفقرها الا جزئياً بالنسبة الى غيرها.

اما سرّ هذا الغنى فمصدره ، على ما نرى ، في موارد البلاد الطبيعية ، وفي مركزها الجغرافي ، وفي ما ورثه ابناؤها عن اجدادهم الفنيقيين من مقدرة على المعاملات التجارية ، وجلد في متابعتها وملاحقتها . وهم لا يطلبون ، في سبيل تحقيق هذه المقدّرات ، الا حكومة بصيرة مخلصة . وقد وجدوا هذه الحكومة في امراء باروت الصليبيّين.

كان اولهم الامير دي گين(Foulques de Guines)فابتدأ التنظيم.والى بعده من اجتهد في متابعة عمله. الا ان هؤلاء لم يعرفوا حتى اواخر القرن الثاني عشر اذ انتقلت الامارة الى جان ديبلّن (Jean d'Ibelin) . كان هذا من اشرف ممثلي الفرسان النصارى في الاراضي المقدّسة ؛ وكان سيّد ايبلّن (وهي يَبْنِيَة القديمة جنوبي يافا) وآصوف ، وكونت يافا والرامة ، ومن قوّاد المملكة اللاتينيّة ، وحاكم قبرص . على انه معروف خاصة في تواريخ الصليبيّين باسم « امير باروت الشيخ » ، وباروت المنطقة التي كان يفضّلها على سائر اقطاعاته . وقد دافع عنها جهده عندما هاجمتها جيوش فريدريك الثاني . وهي مدينة له بازدهارها الاقتصادي ، اذ عرف ان يستدرج اليها تجار اوربة واموالها. وكذلك

رفع اسوارها ، ورمّم قلعتها واتمّ طرق تحصينها حتى جعلها من « اجمل قصور العالم » كما تقول ملاحم القبرصيين (*Gestes des Chiprois*) . وقد مثّل في ملاحم الصليبيين ، دور نسطور الحكيم في الالياذة ، فدعاه فيليب دي نوفارا « المتكلّم الرائع الحكيم » . وكان فوق ذلك ، وقبل ذلك ، رجل عمل وجدّ تروعه عظمة الفنّ وفخامته ، فباشر ترميم بيروت على رغم التكاليف المادية الثقيلة ، لان المدينة كان قد خرب اكثرها على اثر فتح صلاح الدين الموقّت . وقد اشار هو نفسه الى ذلك بقوله : « لقد تسلّمت المدينة عندما استعادتها النصرانية ، وهي مهدّمة حتى ان التامبلية والاسبتالية وسائر امراء سورية تركوها . وقد اصلحتها واعدت بناءها بفضل صدقات النصارى وعملي انا . »

والآن ، أوَ ليس من الاجحاف بحقّ التاريخ ان لا نرى شارعاً في بيروت يحمل اسم هذا الامير العظيم ؟ . . .

وهناك جان ديبلَن آخر نبغ من هذه الاسرة وعُرف بقدرته الحقوقية عاملاً في تأليف المجموعة الشهيرة « بقواعد اورشليم » . وهو ابن اخ الامير الكبير ، ويدعوه : « عمي الشيخ امير باروت » . وقد ملك بعد الامير الشيخ المذكور ابنه باليان ، ثم حفيده جان ديبلَن الثاني . ثم ورثت الامارة ايزابيل ابنة جان ديبلَن الثاني . وقد تزوّجت اربع مرّات ، ولكنها لم تُرزق ولداً ، فتركت الامارة والالقاب لاختها ايشيف التي اصبحت « سيدة باروت » . فاقترنت اولاً بيونفروا دي مونفور (Honfroi de Montford) . وقد حفظ صالح بن يحيى فرماناً اصدره هذا الامير سنة ١٢٨٠ باقطاع اقطعه امراء الغرب . وعلى عهد الاميرة ايشيف ، في شهر تموز ١٢٩١ ، سقطت بيروت في يد المسلمين .

وكان امراء بيروت الصليبيون يسكّون النقود . الا ان الامثلة التي وصلت الينا من نقودهم قليلة جداً ، واكثرها نحاسية ، عليها كتابات باللاتينية او الفرنسوية . وقد رُسم عليها من الجهة الاولى صليب ، ومن الجهة الاخرى باب او برج مُقوّض[1] .

(لها صلة)

---

١) اطلب في ذلك Schlumberger, *Numismatique de l'Orient Latin*, 118, 119

بين الرهبان

بقلم الاب انطونيوس شبلي اللبناني
رئيس انطوش جبيل

رأى الرهبان اللبنانيون شريعة العمل واجبة فتقيّدوا باحكامها مستبشرين وانقادوا لاوامرها طائعين ، واندفعوا يديرون ايدي العمل في شقّ الارض وخدّها غير حاسبين للتعب حساباً . وما فتئوا يغالبون صعابها وصدامها بصبرهم ونشاطهم حتى ذلت لهم واستكنت فجنوا من جيّد البذار وفر الخيور والثمار .

توعرت الرهبانية بالعوز والفقر . وكانت اراضيها لا تفي بحاجة ابنائها ، فاضطرّت ان تستأجر اراضي عين بقره سنة ١٧١٣ من الحاكم الشيخ عيسى حماده بثمن عشرة غروش في السنة ، واراضي بسبعل سنة ١٧١٥ من مشايخ ناحية الزاوية في طرابلس مدّه عشرة عقود يبلغ خمسة وثلاثين غرشاً في كل عام[1] . فأجال الرهبان فيها آلات الحراثة فدرّت عليهم بالنتاج والنماء . وبكدّهم وجدهم وعرق جبينهم وبسواعدهم القويّة حوّلوا صخور بعض بقع لبنان الصمّاء وارضه الجدباء الى تربة خصبة وجنان نضرة غناء تُشبع القلب غبطةً ومسرّةً والعين بهجةً ورواء . وهم الذين علّموا الشعب قواعد الزراعة ودرّبوهُ على العمل بها وكانوا له فيها مثال الحزم والاجتهاد .

قال السيد ميسلن في سياحته بلبنان سنة ١٨٤٨ ، في معرض كلامه عن دير قزحيّا ودير مار سركيس وباخس قرطبا :

---

(١) تاريخ الرهبانية ١ : ٨٥-٩١

« ان رهبان دير قزحيا يقسمون وقتهم بين الصلاة وحراثة الارض . وما كان ذلك الوادي الا خراباً فأجال الرهبانُ فيه يد العمران بنشاطٍ لايعرف الملل فأخصب بشغلهم وتزينت تلك الجبال غير المحروثة وغير المسكونة بما غرسوا فيها من الاشجار وأكتست بثوبها الاخضر . وعليه فلا يوجد ملك مكتسب بعدل كاملاكهم . والرهبان في لبنان ، دأجم في كل مكان ، هم الذين بدأوا بكري الارض وعزقها واوجدوا للزراعة قواعد ضامنة لهم النجاح وقدّموا لغيرهم من انفسهم امثلة صبرٍ ونشاط . »

وليس في العمل من ذُلّةٍ ولا غضاضة والمرء مجبرٌ على السعي لرزقه ، أما الحقارة والصغار ففي البطالة . لذلك اوجب القانون الرهباني على الراهب العمل روحياً كان او جسدياً ، وحذّر عليه البطالة تلافياً للسوءى الناجمة عنها . وهذا ما علّقه مؤسس الرهبانية المطران عبد الله قراعلي على فقرة القانون :

« عمل اليد الرهباني يجب ان يكون بقدر القوّة لا ازيد ولا انقص لانّ الله سيطالب كلًّا منا عن عمل ايدينا بمقدار القوّة التي اعطاناها . وسيطالبنا بجسمنا الذي خلقه سالماً ان عملنا فوق طاقتنا فجعلناه آلةً لا نفع منها عاجزة عن العمل . . . فيجب على الراهب الصحيح الجسم ان يلازم العمل روحياً كان ام جسدياً لئلا يتغلب للبطالة بل ليفلت من شرّها وينجو من الرذائل المتولدة منها . لانّ البطالة آفة الاعمال الصالحة كافةً ، والراهب العامل يقاتل شيطاناً واحداً اما البطّال فيلتزم قتال شياطين كثيرة . وقد حتم القديس بولس على البطّال بالنفي والطرد من الجماعة . . . واذا كان العمل غير مفيدٍ للاخوة فيخطئ صاحبه الى النفر والى المحبة . . . ولا يأتي الراهب عملاً الا ما يقلّده رئيسه لئلا يصبح عمله خطيئةً ضد القانون » (١

رسخ حبُّ العمل في قلوب الرهبان فاقبلوا عليه بنفسٍ طيبة ومضاء عزمٍ يشحذه التمرّن والجلد على الاشغال الشاقة حتى افرط بعضهم فيه وانهكوا البدن مما دعا شارح القانون الى ايجاب العمل على قدر القوّة كما مرّ . وكانوا كلما كثر عددهم كثرت فيهم الايدي العاملة لانّ معاشهم لم يكن الا من الاراضي فراحوا يقتلونها بالمعول ويزرّعون احشاءها بالمحراث ، وما انفكوا حتى استخرجوا من قلبها الكنوز والخيور واقتنوا بجدّهم ونصبهم ما اقتنوا وورّثوا احفادهم من الاملاك ما ورّثوا « وبعرق جبينهم اكلوا خبزهم » (تكوين ٣: ١٣) ، وهم « يتعبون عاملين بايديهم » (١ كور ٤: ١٢) . ولهم ان يردّدوا بكلّ حقٍ وصواب آية الرسول الشريفة : « ما اكلنا خبز احدٍ مجاناً بل اشتغلنا

١) كتاب المصباح الرهباني في شرح القانون اللبناني الحطّي ، للمطران قراعلي ، الفصل الحادي عشر في عمل اليد .

بالتعب والكدّ ليلاً ونهاراً لئلا نثقّل على احدٍ منكم » (٢ تسالونيكي ٣ : ٨) ونحن نستغرب المنّ الذي يمنّنا به بعض العالميين بقولهم : « ان اوقاف الرهبان هي من جدودنا » فاين هي هذه الاوقاف ؟ ليدلنا اصحابها عليها ويأتوا بالحجة والبرهان لاثبات هذا الادّعاء حتى نسلّم لهم مقتنعين . واذا كان من ثمّ بعض اوقاف من الاراضي فهي قليلة جدًّا . وقد كانت بائرة قاحلة فاشتغلها الرهبان وصيّروها جيّدة خصبة وقابلوا اصحابها بتعليم اولادهم واحفادهم مبادئ الديانة والقراءة بدون بدلٍ، وتقديم قداديس معيّنة لاجل نفوس امواتهم وغير ذلك من المنافع الروحية والمادية التي يسرقها اليهم الرهبان . فكانّ هذه الاوقاف قد صارت، بحصر المعنى، مبتاعةً ابتياعاً لا عطاء ولا هبة . اذاً فلينصف العقلاء المنصفون .

واذا كانت الرهبانية تسلّمت بعض اديار فقد انتهت اليها رمّةً وخراباً وعجز المتولون عليها عن قيامها ووفاء الديون عنها[1] ، ولمّا آلت الى التلف والدثور تداركتها الرهبانية ووفت ديونها وبذلت على عمارها وتجديدها مالاً كسبته بتعب ابنائها . واليك ما يثبت كلامنا : انّ الرهبانية انفقت على ترميم بعض الديورة اربعة وثمانين الفاً وتسعة وعشرين غرشاً[2] ، ويعادل الغرش في ذاك العصر نحو مئة غرش ذهباً من النقود الحاضرة[3] . ومن تصفّح سجلات اديارها واطّلع على الصكوك والحجج المصونة في خزائنها ظهر له انّ املاكها ومقتنياتها ابتاعها رؤساؤها وابناؤها بمالٍ حصّلوه بكدّ ايديهم وبدمٍ هرقوه ثمناً لها وحفاظاً عليها

واذا راجعنا تاريخها وامعنّا النظر في واقع الحال الآن رأينا انّ كثيرين من اهل القرى يعيشون وعيالهم بفضل الديورة المجاورة لهم ، اذ تفرز لهم الرهبانية حصةً من املاكها فيشتغلونها ويُقسم ريعها بين الفريقين ويُسمّى هؤلاء شركاء مساقاة . واذا ألمت بهم حاجةٌ او مصيبة اسرعت الرهبانية الى دفعها عنهم وحضنتهم كما تحضن الامّ اولادها . ناهيك من الفوائد الروحية المبذولة لهم .

وكم من قرًى عديدة هجرها اهلها المسيحيون فاقفرت بسبب الغزو والسلب

---

١) طالع تاريخ الرهبانية ج ١ و٢ ٢) سجلّ دير اللويزة المخطوط

٣) تاريخ الرهبانية ١ : ٤٢٠ وفيه اسعار الحاجيات في ذاك العهد ، وتجد في ص ٤٠ بيان نفقة ترميم مطحنة نهر ابي علي

والاضطرابات والحروب ، وتشتتوا في كل مكان يقاسون عناء المرارة والفقر والهجر . ثم رجعوا الى قراهم وعمروها وتوطنوها بتوطن الرهبان جيرانهم فاستأنسوا بهم وزالت مخاوفهم بجوارهم وعادت السكينة الى قلوبهم اذ كان الرهبان يتلقون عنهم الضربات ويقحمون الاهوال والمخاطر ويعلمونهم الصبر والجرأة على مقارعة الخطوب والنوازل .

واننا نورد هنا شهادة اثريّ خطير وعالم جليل درس تاريخ بلادنا بدقة وروية وكتب فيه فصولاً تاريخية ثمينة قال :

« ان ظهور النصرانية فتح باباً جديداً للتمدن والحضارة في لبنان . فانّ المستعمرات الرهبانية اتخذت لبنان منزلاً لاعمالها النسكية وقد اختارت لذلك اقفر ما وجدته من الاودية فصار النساك يجيلون فيها يد الحراثة حتى اضحت هذه المناسك بعد زمن مراكز لضياع عديدة كما جرى في اوربة حيث نرى مدناً كثيرة كانت في اول امرها ديورةً للرهبان اوى اليها القوم فصارت مع تمادي الايام بلاداً واسعة » (١)

خذ لك ما يدعم هذه الحقيقة الواضحة : نشبت الحروب والاضطرابات في بلاد جبيل والبترون واستعرت نيرانها واندلعت السنتها في امكنة كثيرة ولاسيما في وادي ابليج (ميفوق) ونزل باهلها من ضروب المكاره والمظالم ما اضطرّهم الى النزوح عنها الى اماكن تسودُ فيها الراحة والسكينة . فهال الامير يوسف شهاب ، الحاكم المسلم ، ما صارت اليه البلاد من الخراب والدمار لانه لم يجرؤ احدٌ على السكن فيها ، فعقد مجلس ديوانه وشار عليه كاتبا سرّه الشيخان المارونيّان ابوفارس سعد الخوري وسمعان البيطار ان يسهّل الطرق لقيام الرهبان اللبنانيين في هذه البلاد رغبةً في عمرانها لانها امست قاعاً صفصفاً ومأوى للدببة والنمورة كعدتون ورام وراشا ومار ماما والسدوق ومحمرش وميفوق الخ . . . وان النمورة كانت منتشرةً على الطرق لاسيما على طريق حاقل وخفد الى قرب جبيل وتقطعها على المارّة ، وكان النمر موجوداً بكثرة في ارض دير ميفوق كالعريا ووطا عيطا ، فملّك الامير يوسف الاب اقليموس المزرعاني رئيس الرهبانية اللبنانية العام خرائب دير ميفوق ، ودير كفيفان ، ودير حوب ،

(١) الاب هنري لامنس اليسوعي

وانطوش جبيل وكنيسته الكبرى ، وباقي كنائس سهل جبيل وما يتبع هذه الاماكن من الاراضي ، بصكوك شرعية سنة١٧٦٦ ، وكان يستوفي منها الاموال الاميرية . انتشر الرهبان في هذه المحال يقيمون فروض العبادة والصلاة ، ويعكفون على عمل اليد تحصيلاً للقوت ، وقد عانوا من صنوف الظلم والجور الذي الحقه بهم القوم الغزاة الطامعون السفاكو الدماء ما لا يستوعب وصفه هذا المقال حتى ألجئ رهبان دير ميفوق الى الفرار منهزمين احياناً الى الاودية والمغاور يختبئون فيها متوسدين الحجر وملتحفين الفضاء ومخبئين آلات العمار وآنية الدير النحاسية في شقوق الارض وكهوفها.

وكان الامير يوسف شهاب والشيخان البيطار والخوري لا يفترون عن مساعدتهم وحمايتهم على قدر الاستطاعة وتنشيطهم على احتمال الكوارث والملمّات ، وما انفكوا ينازلونها حتى ذللوها بصبرهم وجهادهم وصرفوا ، وسائر اخوانهم الرهبان ، الهمّة الى تعمير الاديار في بلاد جبيل والبترون واحياء موات الاراضي السباخ وذات الصخور والاشواك ، فعاد الاهالي الى قراهم يمارسون واجباتهم الدينية بانبساط وسرور لائذين بحماهم مستطيبين العيش في جوارهم . وتقلّص ظلّ الخوف والجور رويدًا رويدًا ، فعمرت البلاد ورفرفت فوق ربوعها طيور الامن والرخاء.[1]

أليست هذه مأثرة من مآثر الرهبانية البيضاء في جنب الدين والوطن والبلاد ؟

. . . .

واذا اجلنا الفكر بالصناعة في الرهبانية رأيناها في كل عصر قد مثلت فيه ادوارها ، وكانت زاهية زاهرة . فرأينا الرهبان ابعد مطلباً ومطمحاً واحدّ ذهناً من عامّة الناس واسبقهم الى اتقانها والمهارة فيها . فكان منهم البنّاؤون ، والحدّادون ، والنجّارون ، والحيّاكون ، والطبّاعون ، والخيّاطون ، والاسكافون ، والسنكريّون ، والمصوّرون ، والاطبّاء . وقد ازدهرت هذه الصنائع في الرهبانية ايّما ازدهار واتسع نطاقها في الاديار فاصبحت بغنى عن اسعاف الايدي الغريبة.

١) عليك بالنبذة التاريخية في دير سيدة ميفوق التي نشرناها في مجلة المشرق (٢٦ [١٩٢٦] : ٥٦٧–٥٧٥ و٦٤٩–٦٥٧)

وعن ابنائها تلقّن بعض العالميين اصولها فكانت مرتزقاً لهم ولعيالهم.

وقد دهش السيد ميسلن لدن رأى المطبعة في دير قزحيا ودار التجليد وسائر الصنائع قائمة على قدم وساق فقال :

« زرنا كل معاهد الدير وأُعجبنا بالمطبعة التي هناك فانَّ الرهبان يتمكّنون ان يطبعوا عليها ، مع قلّة ادواتها ، ما يشاؤون باللغتين العربية والسريانية مما يدلُّ على نشاطٍ لا يعرف الملل وهمٍ تستهين بالمصاعب . وهناك مصانع لتجليد الكتب والنجارة وغيرها من الصنائع . ولقد طفتُ فلسطين ولبنان كله فلم اجد مطبعة او مكتبة الا في الاديار . وهذا ما يؤيد قول القائلين انَّ الرهبان هم اعداء الجهل . »

ولمّا اتى محبسة الدير واراه الحبيس ، الذي مضى على سكنه فيها خمس واربعون سنة ، مغارته التي يُحفظ فيها القربان الاقدس على مذبح جميل من نحت يده قال : « انَّ امهر النحّاتين لا يمكنه ان يأتي بمثل ذلك التنضيد الذي صنعه الحبيس على مذبح مغارته . »

زرنا في ١٩٢٥ دير القديس اليشع القديم ، في سفح الوادي المقدّس ، فوجدنا هناك صندوقاً كبيراً للحنطة من خشب الشربين يسع نحو ستين شنبلاً ورأينا اجزاءه فاذا هي ملتحمة متداخلة بعضها في بعض بدون ثقبٍ ولا مسمار ، وهو اثرٌ جميلٌ للمتانة في هذه الصناعة وقد حُفر اسم صانعه على عارضةٍ منه وهو « القس بيمين العراموني سنة ١٧١٩ »

والذين مهروا واشتهروا في هذه الصنائع من ابناء رهبانيتنا البلدية اللبنانية كثيرون ، نأتي على ذكر بعضهم .

في البناء

الآباء : عبد الله الاهمجي ، وعبد الاحد البكاسيني ، ويوسف القليطاني ، وتادروس صليبا الشوف[1] ، ومرتينوس ديك المحدي ، ومخائيل الخرّاط الكفاوي ، وتادروس البشرّاوي . ومن الاخوة : حنا حراجل ، وحنا الشنميري ، وبولس المشمشاني ، وعبد المسيح القلبوني ، ويوسف المعادي ، ويعقوب الدلبتاوي ، ومبارك شقيق الاب تادروس صليبا المذكور ، واجناديوس وعبد الله التنّوريان . واقدرهم واشهرهم الاخ عبد الله الخيّاز المزرعاني اصلاً ، ومزرعة شرمار[2] مولداً .

١) قرب دير سيدة مشموشة في جزين. ٢) شرقي دير قزحيا

تلقّى صناعة البناء على الاب عبد الله الاهمجي ، وسمّي باسمه وقد عُرف باسم : الاخ عبد الله الحجار ونُعت « بمقدام الحجّارين والبنّائين ومعلّمهم .[1]» وعليه أتقن هذه الحرفة وبرع فيها ابن شقيقه الاخ ميخائيل الحجّاز الذي اخذ عنه صناعة البناء والنحت بعض اهالي قرية ميفوق . وقد اشتغل هؤلاء الرهبان البنّاؤون ولاسيما الاخوين عبد الله وميخائيل في عمار وبناء وترميم معظم اديارنا كرشميا، ومار روكس مراح المير[2]، ونسبيه ، والقطارة ، وميفوق ، وعنّايا ، ومار ساسين بسكنتا ، وقزحيا ، والجديّدة ، وفي الجسور والطواحين والسدود والمعابر[3].

في النجارة

الآباء : مرتينوس بقسميا ، وعمانوئيل مطر اللحفدي وقد أتقنها على يد الاخ برتلماوس خير الميفوقي ، وبولس نون الجرانيّ . ومن الاخوة : جبرائيل العراموني ، ويعقوب المزرعاني ، وبطرس بقسميا ، وانطونيوس الحدتوني ، واندراوس حرب التنوري ، واسطفان ابي هيكل اللحفدي . وكان أبرعهم واقدرهم تفنناً المرحوم الاخ برتلماوس خير المذكور ، وله في اديار بلاد جبيل والبترون آثارٌ تشهد له بالتفنن والمهارة في هذه الصناعة[4].

في الحياكة

من معاصرينا ، الآباء : سمعان لبعه ، واسطفان النيحاوي ، وجرجس ابي نادر المعادي ، وفرنسيس صليبا السبريني ، ونعمةالله ابي لطف الله الصغاري . ومن الاخوة : حنا بيت لهيا ، ومبارك حوقا ، ومبارك البزعوني ، ومرتينوس العنداري ، وروكس الكفيفاني ، وبولس الحشاش الميفوقي ، واندراوس حرب ، ويوسف سنجب مطر التنوريان . . .

في السكرة

الاب اقليموس مراد التنوري ، والاخوان بطرس الفريديسي ، وجبرائيل

---

١) كذا دعاه كاتب ترجمة الاب لورنسيوس الشبابي الخطية . توفي الاخ عبد الله في دير الجديّدة في ٢٠ آذار سنة ١٨٧٢ وذكر الاب الكبري : «انّ له اتعاباً وافرة في الرهبانية .»

٢) قرب عجلتون ٣) اخذنا اسماءهم عن نبذٍ تاريخية بيدنا .

٤) ادركته الوفاة في دير ميفوق في ٨ شباط ١٩٢٦

غبروش الكفيفاني ...

في الطباعة والحفر

الآباء : ساروفيم شوشان البيروتي ، ومرقس الاهجي ، وهارون أيطو الذي ادار مطبعة دير قزحيا خمساً وخمسين سنة[1] ، ومتى تولا الجبّة ، والاخ ساروفيم حوتا ... ويدير الآن مطبعة دير سيدة المعونات (جبيل) الاخ جرجس حرب التنوري .

في التجليد

الآباء : اغناطيوس بليبل ، ونعمة الله الحرديني المشهور « بقديس كفيفان » ، وبولس كفرحتنا ، وهارون ايطو ، وحنا الشبطيني ، وسمعان ايطو ، ومرقس ايطو ، وبولس غوما ...

ولا نعرف من الذين اجادوا حرفة الخياطة واتقنوها سوى الابوين مارون السرعلي الحبيس ، ورافائيل الحصروني اللذين كانا يخيطان وشاحات (بدلات) جميلة للتقديس .

في الطب

الآباء : اليشع المعادي ، ومتى تولا الجبة ، ومارون الصغابي ، واقليموس مراد التنوري ، ودانيال الحدثي المعروف « بقديس ترطبا » . والاخوة عبد المسيح الشبابي ، وناوفيطوس وحنا السرعليان ، وبطرس ابي موسى الاهجي ...

في التصوير

الآباء : نستير الطرابلسي ، وبطرس القبرسي ، ونستير مدلج قيتوله ، واسطفان وشربل الديرانيان ، والاخ نعمة الله نعمة المعادي ، درس هذا الفنّ على الفنان البارع الاستاذ حبيب سرور الماروني ، وارسلته الرهبانية الى باجكة فاتقنه هناك كما اتقن الحفر وصبّ التماثيل من الجبص . وان الصور التي رسمتها يده في الاديار وكنائس القرى ، وقبب النواقيس ، والمذابح الرخامية ذات الحفر والنقوش البديعة تنطق بمهارته وخبرته .

---

١) راجع ترجمة حياته التي اثبتناها في المشرق (٢٣ [١٩٢٥] : ٥٩٠-٥٩٤)

في الحدادة والفردحة

الاب مارون علوان ايطو ، والاخ نعمة الله المحمرشي الذي أعجب به حنا الياس واولاده المشهورون في دوما (لبنان).

ومن جال في انحاء لبنان رأى اديار الرهبانية المارونية القائمة على قمم جباله وفي سفوح اوديته كطيور الحمام البيضاء او كالاسود الرابضة في اجماتها تملأ العين قرةً والنفس مسرةً ، يحيا فيها الرهبان حياة العبادة والصلاة والعمل باثين في الشعب هذه الروح الطيبة . واننا نختم هذا المقال بكلام بليغ من خطاب شائق القاهُ سعادة سفير فرنسة لدى حكومة الجمهورية الفضيّة في حفلة اكرامية اعدّها الشعب الارجنتيني والجاليات اللبنانية والسورية لسيادة المطران شكرالله خوري ، الزائر البطريركي الماروني في اميركة ، وقد ترجمته جريدة البشير البيروتية المعتبرة ونشرته[1] . قال السفير صاحب الخطاب :

« انا زرتُ سورية في صباي ، واجاهر امامكم ، ايها السادة ، بعد ما عشت متنقلاً في جميع اقطار العالم تقريباً ، انّ ما من تذكار في مخيّلتي اجمل من مناظر الاديار المارونية القائمة على ضفاف العاصي تحيط بها الجبال المتطحة السلسلة المفروسة باشجار الزيتون والدفل . لقد نزلتُ ، والحق يقال ، في ضيافتهم فعاملوني معاملة الابن . ولكن الذي يترقّل الى اعالي قمم لبنان يشاهد إديارًا أخرى لبنانية اجمل من الاولى ، لا يقف امام البصر الممتدّ منها نحو الغرب الا غابات الصنوبر وخط البحر الازرق !

« هنالك نمتْ في الماضي قوى نشاط حيّة وحالات شعور ، واصول مدنية وحضارة وقوى روحية ، غيّرت شكل البشرية المفكرة فارتكز الحبُّ مكان اللذّات القديمة .

« لا شك انّا ملتزمون بعرفان جميل كثير للرهبان الذين يصلّون ويتأملون في الحقائق الازلية غير المتناهية لان الافاضل بينهم طرّقوا الروح العصرية وهذّبوها ، ورفعوا ان اوج سامٍ روح الانسان وقلبه وعلّموا البشر الصلاح والاخلاص والتقوى والفضيلة . ونحن جميعنا ، كنا مسيحيين او لم نكن ، تعبد لهذه الاشياء السامية ونحنُّ اليها ونفتخر بها . . . »

---

١) جريدة البشير في ٨ شباط سنة ١٩٢٣ عدد ٢٩٧٦

شذرات

التذكارات الفرنسية

لدى اطلاعي صدفةً على عدد مجلة المنارة الصادرة في جونية في شهر تموز المنقضي ، وجدت ان صاحبنا المنتقد المتستر لم يقتنع بما كتبناه اولاً وثانياً في « المشرق » الاغرّ (عدد شهر آذار وعدد شهر حزيران) بل اتى بمقال طويل عريض شغل ثلاث صفحات من مجلته « المفيدة » لم نجد فيه اقل برهان يدعم كلامه ، كانه التهى عن البراهين الجدلية باقب « سماحة الشيخ » الذي اتحفني به . ولهذا فانني اضنّ بوقت القراء الكرام ، فلن اضيعه بالرد على هذا الكلام الذي يراه كل عاقل اوهى من بيت العنكبوت ، وفيه تطاول بلا جدوى . وانني اكتفي بما قدمته اولاً من البراهين ، وبما اوردته من كتابات المثلثي الرحمات المطرانين يوسف دريان وبطرس شبلي في هذا الموضوع ، ولن اتعب نفسي بمجادلة من لا يفهم ، او لا يريد ان يفهم ، قوة البرهان وحقيقة التاريخ . واختم مستغرباً صدور هذا الجواب الاخير على صفحات مجلة قيل في صدرها « انها بادارة الاباء المرسلين اللبنانيين » ، مع ان هؤلاء الاباء الذين اجلهم هم موارنة مثلي ، ويقطنون في بلاد مارونية تعرف المشايخ الموارنة ، وتعرف ان بينهم مشايخ يدعون باسم « الدحداح » ، فلا ينعتون الفرد منهم بلقب السماحة كما شاء ذلك تهكماً المنتقد المتستر ، ولا يتستر الا الجبان . ولاسيما ان لعائلتنا علاقة وطيدة بمؤسس جمعيته السعيد الذكر ، فلو طالع مكتبته وآثاره الخطية ، وما فيها من المراسلات ، ولو راجع تاريخ بناء ديره الكريمي العامر ، لعرف علاقتنا معهم ، واللبيب من الاشارة يفهم !

٢٩ ايلول سنة ١٩٣٣ سليم الدحداح

ايضاح

لقد اثار وصفنا لكتاب الاديب بشر فارس (في مشرق هذه السنة ، ص ٥٤٨—٥٤٩) حماسة المؤلف فاتحفنا بكتاب طويل ، نسي فيه ان يشكر لنا

التقريظ ، ولكن لم ينسَ ان يحتجّ شديداً على النقد . اما نحن فليس علينا الا ايضاح واحد ، وهو اننا لم نقل ان المؤلف يجهل موضوعه ؛ بل اشرنا الى انه يكتفي غالباً بشاهدٍ او شاهدين في تأييد امر يسهل على الناقد نقضه بعشرة شواهد تفيد عكس ما يرمي اليه الكاتب.

هل يجوز اذاعة السور القرآنية بالراديو ؟

رأي مشيخة الازهر

في كل اذاعة من اذاعات الراديو في مصر وقت محدد لسماع قراءة القرآن من احد المشايخ ! ... مع اغاني «احب اشوفك كل يوم» و«اللي انكتب على الجبين» ! ...

وقد احتج بعض رجال الدين على نشر الآيات القرآنية بواسطة الراديو وقامت ضجة حول هذا الموضوع !! فحللها البعض ، وحرّمها البعض الآخر. وقد وصل الامر اخيراً الى مشيخة الازهر ، لاخذ رأيها فيه ، فاحالت المشيخة هذا الطلب على قسم الافتاء لبحثه ودرسه من الناحية الشرعية واعطت هذا الجواب:

« ان الذي يُسمع من الكلام بواسطة الراديو هو كلام المتكلّم وصوت القارئ ، وليس صدى كلمات كالذي يُسمع في الجبال والصحاري وغيرها. وعلى هذا يكون المسموع من الراديو قرآناً حقيقة . فمتى كان القارئ جالساً في محل غير ممتهن ، وكان في قراءته مراعياً ما يجب مراعاته ، مستوفياً شروط القراءة وليس في قراءته خلل ، كانت قراءته جائزة ، والمسموع منه قرآناً سماعه جائز ومثاب عليه . اما اذا لم يستوفِ الشروط كأن جلس في محلّ ممتهن ، او اخلّ بشروط القراءة ، او قصد من قراءته اللهو واللعب ، فلا تجوز . ولا يضر القارئ ، متى كان مستوفياً الشروط مراعياً احكام التجويد ، وكان على الوصف الذي قدمنا ، ان يسمع صوته في محل لا تجوز القراءة فيه ، وعلى السامع ان يستمع ، واذا وجد من يشوّش نهاه عن التشويش . ومثل القراءة مثل غيرها في ان المسموع هو نفس المتكلّم ، فان كان مغنياً فحكمه حكم الغناء — وان تكلم بما هو مباح — فحكمه الاباحة ، وان تكلم بمحرم كان حراماً ، والله اعلم » !

(عن الجرائد المصرية)

مطبوعات شرقية جديدة

J. Walker : Bible characters in the Koran. *in*-8°, 1931. *Paisley, Alexander Gardner Ltd.*

رجال الكتاب المقدس في القرآن

لقد درس كثير من المستشرقين مصادر الاخبار والحكايات التي يرويها القرآن عن رجال الكتاب المقدس بعهديه القديم والحديث. وها ان المؤلف يضع كتابه الحالي في هذه الغاية فيرتب اسماء الانبياء على الأبجدية، ويضيف الى كل منهم ما ورد عنه في القرآن ناشراً النصوص بكاملها. على ان ذكره لمآخذ البحث قليل، وقد رأينا مصادره ضئيلة كذلك، وقد كان بوسعه ان يشير الى اكثر ما ظهر قبله من الابحاث في الموضوع. اما ما يجدر بالذكر فتعليقه على اسم «عُزَير»، ولا يخفى ان القرآن يُشير الى ان اليهود عبدوا عُزَيراً هذا اذ جعلوه «ابن الله» (القرآن ٩ : ٣٠). وهي تهمة لا نرى لها اصلاً في العهد القديم. وقد قدّر المؤلف ان نبيّ الاسلام استقى هذه الفكرة من احد السامريين... وهناك ايضاً شرح المؤلف للقب «ذي الكفل» الذي يدلّ به القرآن على احد الانبياء (٢١ : ٨٥ و ٣٨ : ٤٨). ولم يتمكن احد حتى اليوم من تعيين من يقابل هذا النبي في الكتاب المقدّس. حتى رجّح المؤلف ان المقصود به ايوب البارّ. ه. ل.

Richter : Das Geschichtsbild der arabischen Historiker des Mittelalters. *in*-8°, 28 *pp.* [*Philosophie und Geschichte* n° 43] *Tübingen J. C. B. Mohr* (*Paul Siebeck*) *M.* 1,50.

موضوعات مؤرخي العرب في القرون الوسطى

يدرس كاتب هذا الكرّاس الموضوعات التي اهتم بها مؤرخو العرب خاصة في القرون الوسطى، وكلها ترمي الى تمجيد الشعب العربي، والدين الاسلامي. وهو يذكر من اشهر الممثلين لهذه النزعة الطبري واليعقوبي. يظهر الاول لسان حال السنّيين، والثاني لسان حال الشيعيين. ثم يذكر الكاتب ابن خلدون الذي

توسّع في مقدمته بمبادئ فلسفة التاريخ . على انه لم يظهر احد فيخلفه في عمله . بل هو انه نفسه لم ينتبه في تاريخه العام للمبادئ التي اقرّها في المقدّمة . ه.ل.

Félix Vernet : Les Ordres mendiants. [*Biblioth. Cathol. des Sciences Religieuses, n° 54*]. *in-12 de 232 pp. 12 fr. Bloud et Gay. Paris*, 1933.

رهبنات السائلين

في الكنيسة الكاثوليكية عدد من الرهبنات تُعرف « بالرهبنات السائلة » . وقد شاء المؤلف ان يصفها ، ويطلع الناس على ما اختصت به من روح ونظام ، وعلى ما افادته الكنيسة من تجديد . فوضع هذا الكتاب ، مقدّماً اجماليات في الرهبنات المذكورة ، مشيراً الى الصعوبات التي قاستها كل منها في سبيل الحياة ، خاصاً ، بعد ذلك ، كل رهبنة بفصل يدرس فيه نشأتها وتاريخها حتى يومنا ، ويدلّ على حياتها العقلية والروحية والخارجية ؛ خاتماً الكتاب بفصل يعيّن فيه المركز الذي تحتلّه هذه الرهبنات في الجماعة المسيحية ، وقد رمزت الى هذا المركز تلك التماثيل العظيمة الممثلة قدّيسيها ومؤسسيها ، والتي قامت بشكل حرس مزدوج في كنيسة القديس بطرس في رومة العظمى ، من الباب حتى ايوان الرسول الذي بنى عليه السيد المسيح كنيسته .

Hans Schmidt : Der heilige Fels in Jerusalem. 1 *vol. in-16 de VIII+ 102 pp. accompagnées de plans et de 8 gravures. J. C. B. Mohr, Tübingen*, 1933.

الصخرة المقدّسة في اورشليم

ان اعتقاد الناس الجاري ان موقع الصخرة القائمة في جامع عمر في اورشليم يوافق موقع المذبح في هيكل سليمان . وقد شاء المؤلف ان يبرهن ، خلافاً لهذا المعتقد الجاري ، ان الصخرة المذكورة تحلّ محلّ قدس الاقداس . وهو يستند في ذلك الى درس دقيق للصخرة وما يفيده التاريخ عن هيكل هيرودوس ، وهيكل زرّبابل ، وهيكل سليمان ، مما يدلّ على اطلاع واسع ومقدرة على استغلال كثير من البراهين القيّمة ؛ ولكن هل من الممكن الوصول الى اليقين في موضوع كهذا ؟ ب. م.

Museum Lessianum : Section missiologique, *n°* 11, 14, 16, 18, *Louvain, Belgique.*

ابحاث في الارساليات

هذه اربعة اجزاء تمثل الاسابيع الاربعة التي اجتمع فيها مندوبو المرسلين في لوفان في السنوات ١٩٢٩ و١٩٣٠ و١٩٣١ و١٩٣٢ ، وعناوينها : العقبات في سبيل التبشير – الاهتداءات – بعد الاهتداء – العمل الكاثوليكي في الارساليات . وقد جمعت هذه المجلدات ما تداول به المرسلون القادمون من جميع انحاء العالم ، فكان فيها نتيجة اختباراتهم المتنوّعة ، ومحطّ آمالهم الواسعة ، وزبدة ملاحظاتهم الثمينة حتى اصبحت كنزاً لا تستغني عنه اي مكتبة شاءت ان تقف على حركة الارساليات الدينية.

وان ما نراه خليقاً بالذكر في المجلد الاول « العقبات في سبيل التبشير » بعض آراء تهمّ مناطق البحر المتوسّط كالابحاث في الصهيونية ، والاسلام في بلاد الجزائر ، وفي سورية ، والحالة في تونس . وفي المجلد الثاني بحثان عامان عن احصاء الاهتداءات ، وعن حالة المجموع الاسلامي في الجزائر خصوصاً . وهناك في المجلد الرابع نظرات تُذكر في التعليم المسيحي بواسطة الغناء والتصوير . مع تقرير مفيد عن القبائل الاشورية والطرق التي قام بتبشيرها بها المرسلون الدومنيكان.

ج. ل.

Nogues (R.) : Cours de mathématiques spéciales sous forme de problèmes. *in-8° de* 394 *pp. Prix :* 32 *f*. *Nouvelle édition. Paris, Librairie Vuibert.*

دروس في الرياضيات الخاصة على طريقة العمليات

ان جميع العمليات الرياضية المحلولة في هذا الكتاب تتعلّق كلها بمنهاج الرياضيات الخاصة (من جبر خاص ، وهندسة تحليلية ، وميكانيك ، وهندسة تصويرية) . وهي تعمل على افهام الطريقة الرياضية بواسطة تطبيقها ، وتفيد فائدة جليلة من يدرسون وحدهم من الطلاب ومن لا يتمكنون من متابعة الدروس المذكورة الا بالمراسلة .

P. Chenevier ; Cours de Mécanique (*classe de Mathématiques*) *in-8°, broché :* 15 *f*^a^. *Hachette, Paris.*

درس في الميكانيك

هو آخر حلقة ظهرت من مجموعة كادت تتمّ لموادّ الرياضيات التمهيدية في صفوف التعليم الثنوي . وهو مكتوب باسلوب شخصي جزيـل الفائدة لا لمن اراد من الطـلاب ان يصل الى البكالوريا فحسب ، بل لمن شاء ان يستفيد تلك الثقافة العقلية المنظمة التي توليها الدروس الرياضية .

Sœur Marie Germaine : Le Christ au Gabon. [*Museum Lessianum, section missiologique, n°* 15] *in-8° de* 170 *pp. Prix :* 20 *f*^a^. *Louvain,* 1931.

المسيح في الغابون

هو وصف لارسالية في افريقية يبدو باسلوب رشيق من قلم راهبة مرسلة من الراهبات المعروفات « بالراهبـات الزرق » . ولا يخفى ما يكتنف تلـك الارسالية من الصعوبات وما يحييها من الامل الـذي يفوق كل شيء ويبشر بالمستقبل الزاهر .

Georges Cront : La lutte contre l'hérésie en Orient jusqu'au IX° siècle. Pères, Conciles, Empereurs. *in-8° de* 200 *pp.* 25 *f*^a^. *Paris. Les Editions Domat-Montchrestien.*

مقاومة الهرطقة في الشرق حتى القرن التاسع

يبحث هذا الكتاب في موقف السلطات الدينيّة والمدنيّة من الهرطقة حتى القرن التاسع ، فيتناول جميع تلك المظاهر على طريقة قد يكون فيها شيء من تجاوز الحـدّ في اقرار التقسيم والترتيب حتى ان المؤلف يجبر نفسه على تمييز العصور المختلفة وذكر آراء آباء الكنيسة والمجامع والامبراطرة في حركات كل منها . على ان النتيجة تسدّ ما يبدو في هذا التقسيم من الثلم . وقد لا نكون بحاجة الى القول ان الكتاب نظريّ محض اي ان المؤلف لا يهتمّ الا بعرض

النصوص صارفاً النظر عن تطبيقها وهو امرٌ يتطلب درساً خاصاً فلحقاً للكتاب الحاضر . على ان هذا ينال غايته باسلوب سهل يدلّ على جهد المؤلف الموضوعي . كما تدلّ سلسلة المآخذ على الجدّة في الموضوع . مما يجعل الكتاب جزيل الفائدة لكل من يهمه درس ذاك العصر ، عصر الآباء ، من تاريخ الكنيسة.

ج. ل.

Jos. Van Oost : Monseigneur Bermyn apôtre des Ortos [*Museum Lessianum, section missiologique. n° 17*] *in-8° illustré de* 156 *pp. Prix :* 18 /*. Louvain* 1932.

المنسنيور برمين رسول الارتوس

كتاب لذيذ السرد شائق الاسلوب يصف ما لاقاه احد المرسلين منذ السنة ١٨٧٨ في بلاد المغول ، وكيف اصبح رئيساً لتلك الارسالية،فاسقفاً ، وما قام به من اعمال ، وما وصل اليه من نتائج باهرة في تلك المنطقة القاحلة من فائدة للاهلين وتحسين في البلاد.

الكنيسة عروس يسوع المسيح

محاضرات الخوري تيوفانس شار

مطبعة القديس بولس في حريصا ١٩٣٣ ، ص ٢٦٥ ، ق ٨

استبشرنا العام الماضي (ص ١٥٦) بظهور المحاضرات على يسوع الملك ، وهوذا بين يدينا كتاب آخر وهو تتمة للاول ، يشابهه اسلوباً وقلباً وقالباً ، وفيه ١٩ محاضرة يضمّ مجموعها اهم تعاليم الكنيسة الكاثوليكية في اصل الكنيسة وعلاماتها ، ونظامها ، واعمالها ، وحياتها . فالشكر كل الشكر للكاهن والواعظ الغيور على ما انتجه في جهوده من اثمار خلاصية سوف يستفيد منها الكثيرون.

وفيما نحن في وصف محاضرات الاب تيوفانوس المحترم خطر على بالنا ان نراجع في زوايا المكتبة طبقات ما وضعه الوعاظ الافرنج واخصهم الافرنسيين في مثل ما قرأناه في كتابي المؤلف فلم نلبث ان تحققنا الصلة والقرابة بين

الاب مونسابره والسيد بسون وصاحب كتابي « يسوع الملك » و« الكنيسة عروس المسيح » ، وان تلك القرابة ليشفّ عنها حتى اسلوب الانشاء وحركته وانسجامه ، وكنا نودّ لو ان الواعظ العربي اشار الى المصادر ، فيكون قد زاد فضلًا على افضاله بتوسيع مجال المراجعة والبحث لقرائه ووفاء من اخذ عنهم حقهم .

لا ادري متى يأتي دور تاريخ المنبر المسيحي في سلسلة ما يكتبه المؤلفون على الاداب العربية . ولعل التحقيق في هذا الباب سوف يؤدي الى الاقرار اننا لفيه مدينون كثيرًا للافرنج كما في ابواب كثيرة من الادب الحديث (راجع ما ظهر في المشرق عن مظاهر الادب العصري في آب وايلول الماضي) على ان حضرة الاب تيوفانس استعان بالافرنج ولم يُستعبد لهم فيما اخذه عنهم بل اتى بالمبتكر عبرًا واقوالًا من تاريخ الشرق عامةً وكنائسه خاصةً ومن مشاكله الحالية ، وان ذلك مما ينبه السامعين ويزيد الكلام رونقًا ولذةً .

ف . ت .

الروائع

سلسلة ابحاث في الادب ، ومنتخبات من اشهر اعلامه

بقلم فؤاد افرام البستاني

السلسلة الثالثة : ٦٤٠ ص . قطع ١٢ ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت

٢١ : ناصيف اليازجي : منتخبات شعرية في الدينيات ، والحكميات ، والمراثي ، والتعازي ، والمدائح ، والوصف ، والتشكي . ونقد الاستاذ البستاني الشيخ ناصيف ، بعد ان لخص حياته ، في ما رواه عنه من الشعر ، وهو ناحية من شخصية احد زعماء النهضة العربية في القرن التاسع عشر ، فاصاب . على ان القول الفصل في قيمة الرجل وقوة تأثيره سوف لاينجلي الا بعد مرور الاحقاب لان البعد في الزمان شرط لا بد منه للاحاطة بموضوع النقد من كل وجوهه .

٢٢ : بطرس البستاني : ومن آثاره تعليم النساء ، وآداب العرب . وهو اول من الف قاموساً عربياً مطولًا وابتدأ بمشروع دائرة المعارف باللغة العربية ، واليه

ينسب الاستاذ فؤاد . فقرّظ فيه البساطة والتواضع في الاستشارة والنصائح وصدق العاطفة ولين العريكة. فنعم التقريظ !

٢٣ : ولي الدين يكن . ومن منتخباته اقوال في السياسة والاجتماعيات والادبيات والشخصيات . شعرًا ونثرًا . ويكن مثال لمن جاهد في العصر الحميدي ليكسر نير العبودية ، وذهب ضحية الغباوة ، وفي نفسه اباء وعظمة اسدل الحزن عليها سدوله فطمش معالمها ، ولعل المتشائمين من كل زمن يتعزون بمطالعة الصحائف السود ، فهي على ما فيها من غلو في التأثر لتجد صداها في القلوب المكتئبة.

ثم الحلقات التالية :

٢٤ : طرفة ولبيد ــ ٢٥ : زهير بن ابي سلمى . ــ ٢٦ : عمرو بن كلثوم والحرث بن حلزة ــ ٢٧ : عنترة بن شداد ــ ٢٨ : الخنساء ــ ٢٩ : الحطيئة ــ ٣٠ : النابغة الذبياني.

ترجم المؤلف لكل من هؤلاء الاعلام ، فتكلم على حياته وآثاره والمصادر العربية والاوربية التي يرجعون اليها في شؤونه . ونقده النقد الادبي المدرسي المفيد ، وشرحه .

ختمنا كلامنا على سلسلتي الروائع الاولى والثانية في مشرق سنة ٢٩ ، ص ٤٧٨ ، مستبشرين بنجاح الكتاب مما كنا نعرفه من اقبال القراء على اقتنائه . وان هذا الاقبال لا يزال متواصلًا حتى نفدت طبعة بعض الحلقات واعيدت بعدة سنوات قلائل . وكفانا ذلك شاهدًا على تقدير الادباء الكتاب حق قدره . وقد ساعد على نجاح الروائع اجتهاد الطلبة في سبيل الحصول على البكالوريا، ومواضيع الروائع اجمالًا انما هي من صميم المواد المفروضة في البرامج التعليمية الثانوية سواء ذلك في لبنان وسورية او في مصر . واسلوب تأليفها مدرسي مقنع ، واضح . ولا عيب فيها الا استبطاء الطلبة ظهورها . فنتمنى ظهور سلسلة بكاملها في كل سنة حتى لا تمضي السنوات الا وتكون روائع الاداب العربية قريبة المنال من الجميع قيمةً ادبيةً ومادية .

ومما يدل على تأثير اسلوب « الروائع » في الحركة الادبية ان بعضهم

حاولوا حذو الاستاذ البستاني في التأليف ، بالاكثار من نشر « الكراريس » ظناً ان الناس سوف يقبلون عليها اقبالهم على « الروائع » . ولكن وقوف حركة تلك النشرات في مهدها بينت ان تحقيق المشروع لاصعب من ان يقوم به من شاء .

فالجو للروائع لا يزال فسيحاً ، وعلى بركة الله ! ف . ت .

تاريخ الامير بشير الكبير

جزءان في ١٥٠ + ١٢٤ ص . متوسطة – مطبعة جريدة العلم ، بيت شباب ، ١٩٣٣

يمثل هذا الكتاب ملحقاً لتاريخ الامير بشير المكتوب بقلم الامير حيدر الشهابي . وقد اكتشف مخطوطته حضرة الخوري بولس قرألي في مكتبة حضرة القس بطرس بدر حبيش ، فنشرها ملخصاً فيها ما ظهر بالطبع من تاريخ الامير حيدر ، تاركاً بنصه ما زاد على مواد الطبعة المصرية من ذاك التاريخ . وقد قدّم عليها درساً في المخطوطة ومؤلفها جرّه الى القول ان المؤلف هو الامير حيدر نفسه ، فاتى بمادة صالحة لتاريخ لبنان على عهد الشهابيين .

سلّم اللسان في الصرف والنحو والبيان

تأليف جرجي شاهين عطيه

الدرجة الخامسة ، ٢٢٢ ص . صغيرة – مكتبة صادر ، بيروت ، ١٩٣٣ – الثمن : ١٠ فرنكات ونصف .

انجزت مكتبة صادر طبع الدرجة الخامسة من هذا الكتاب الذي اشرنا الى درجاته الاربع في ما تقدم من المشرق (٣٠ [١٩٣٢] : ٣٧٨ و٧١٨ و٨٧٨) وهذه الدرجة مختصة بقواعد البيان والمعاني والبديع على اسلوب لا شك في انه يسهّل على الطلاب هذه القواعد الصعبة .

* خلاصة اعمال شركة القديس منصور دي بول في بيروت عن سنة ١٩٣٣ * ٦١ ص . صغيرة – المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ١٩٣٣ – فيها خلاصة اعمال الجمعية بفروعها التسعة في بيروت ؛ ثم اعمال الجمعيات في زحلة ، ومطلقة زحلة ، وحمانا ، وكفرسلوان ، وبكفيا ، وحوش حالا ، ورياق ، واسكلة طرابلس ، والبترون ، والاسكندرونة .

اهم حوادث الشرق في شهر

١٥ ايلول ــ ١٥ ت ١ ١٩٣٣

لبنان وسورية ــ وصل الى بيروت الكونت دي مارتل المعيّن مفوّضاً سامياً للجمهورية الفرنسوية في سورية ولبنان ، وباشر زيارة المناطق المنتدَبة.

* رسم غبطة بطريرك السريان الكاثوليك ، في دير الشرفة ، الخورفسقفوس جرجس ستيته رئيس اساقفة على ابرشية دمشق ، والخورفسقفوس يوحنا حبي اسقفاً على اورم شرقاً ونائباً بطريركياً في الجزيرة العليا.

* عيّن الكرسي الرسولي سيادة المطران مكسيموس صائغ متروبوليتاً لبيروت وجبيل وتوابعها على طائفة الروم الكاثوليك.

* اهدي وسام الاستحقاق اللبناني الممتاز الى صاحب الجلالة ملك مصر.

* زارت بيروت جلالة امبراطورة الحبشة مع كريمتها الاميرة صاهاي ونجلها الامير ماكونن

مصر ــ استقالت وزارة اسماعيل صدقي باشا. وقد خلفتها وزارة برئاسة عبد الفتاح يحيى باشا (الخارجية) وعضوية احمد علي باشا (الحقانية) ومحمد نجيب الغرابلي باشا (الاوقاف) ومحمد حلمي عيسى باشا (المعارف) وابراهيم فهمي كريم باشا (المواصلات) ومحمود فهمي القيسي باشا (الداخلية) وعلي المنزلاوي بك (الزراعة) وصليب سامي بك (الحربية والبحرية) وعبد العظيم راشد باشا (الاشغال) وحسن صبري بك (المالية).

فلسطين ــ توفي صاحب النيافة السيد ريشار بارتولوني القاصد الرسولي في مصر وبلاد العرب والحبشة والاريترة.

* اخذت بوادر المظاهرات الاحتجاجية تبدو في بعض المدن ، على ان الحكومة مستعدّة لقمعها بشدّة.

المطبعة الكاثوليكية المدير المسؤول : يوسف ماهر

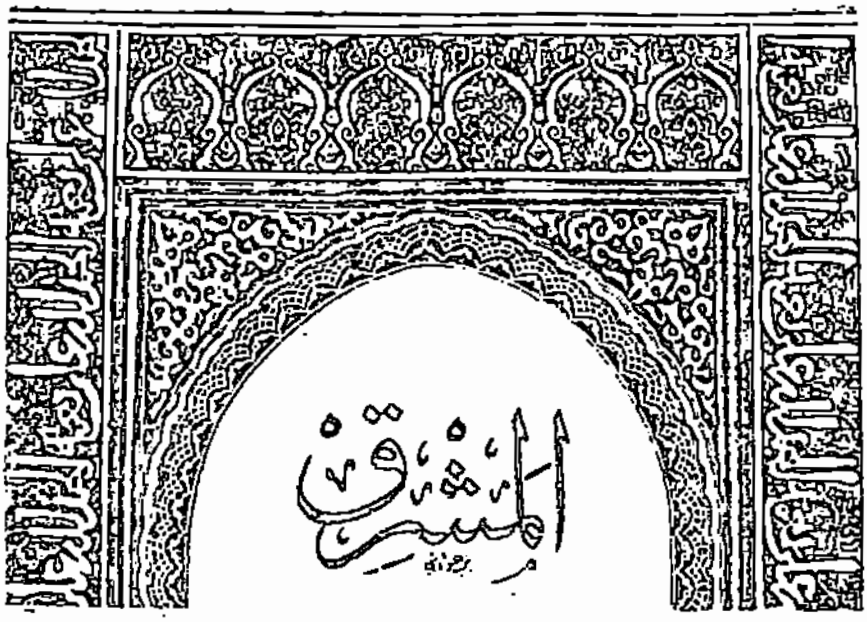

السنة الحادية والثلاثون — كانون الاول ١٩٣٣

الدرة الثمينة

في صلوات الكنيسة البيزنطية

تاريخ ترنيمتين من ترانيم الطقس البيزنطي

بقلم الشماس انطون هي

اولاً: ترنيمة الشكر المائية المعروفة بأسمها النور البهي ἡ ἐπιλύχνιος εὐχαριστία

أمّ ثمين من ترانيم الاجيال المسيحية الاولى ترنيمة الشكر المائية التي تقال في الغروب . كان مؤمنو الكنيسة القديمة يرتلون في اجتماعاتهم الدينية عدداً غير محدود من المزامير المقدسة ، ثم يرتجلون ، لاسيما في بعض الاعياد الرسمية او التقدمات (*Vigiles*) الجزيلة الاهمية صلوات سموها : « مزامير خاصة » « *psalmi idiotici* »[1] وقد بالغ اريوس وآله في استعمال هذه الترانيم الخاصة الشعبية لبث اضاليلهم ، فنفت

1) *cf.* P. Rebours, *La Musique grecque*. p. 130 et 132

الكنيسة من معابدها عوائد الارتجال في الصلاة ، وحذفت كثيراً من المزامير الجميلة المرتجلة التي كانت احياناً غاية في رونق المعاني والالفاظ كما يتضح لنا ذلك من ترنيمة الشكر المسائية التي نحن الآن بصددها وهي من عداد «المزامير الخاصة» القليلة التي لم يقع عليها الحكم المبرم، فوافقت عليها الكنيسة ، واثبتتها في ليتورجياتها وطقوسها.

ومما يجدر بنا ذكره انّ هذه الترنيمة الانيقة قد نبتت بارض انسدتها الهرطقات المضادّة للثالوث كهرطقة اريوس الذي انكر الوهية السيد المسيح ، وهرطقة مكدونيوس بطريرك القسطنطينية الذي انكر الوهية الروح القدس وادّعى ان الاقنوم الثالث من الثالوث الاقدس ما هو سوى خادم الآب والابن، الى غير ذلك من الهرطقات المضلّة . فكانت ترنيمة الشكر المسائية ترنيمة الثالوث الاقدس الخاصة تجمع في صلاة الغروب الشعب المؤمن حول عقيدة الايمان المهدّدة ، حول حقيقة الوهية الثالوث . كانت قانون ايمان المؤمن ونشيد الشهداء الظافرين في حلبة العذاب والاستشهاد.

اما مؤلف هذه الترنيمة فمجهول بعد ، وغيوم كثيفة حائلة دونه ودوننا . فان القديس باسيليوس في مؤلفه عن الروح القدس περὶ τοῦ ἁγίου πνεύματος قد نوّه بهذه الترنيمة الانيقة وصرّح بجهله مؤلفها ؛ ثم تابع كلامه مقدّماً شواهد انتقاها من التقليد تبرهن عن الوهية الروح القدس . فذكر ترنيمة خلّفها القديس اتينوجينوس لتلاميذه فقال : « من عرف ترنيمة اتينوجينوس ، النشيد الذي خلّفه كورث لتلاميذه حين كان متجهاً الى ميدان الاستشهاد ، فهذا يعرف بذات الحال ايمان الشهداء بالروح القدس.» وقد استنتج البعض من هذا النص ان مؤلف ترنيمة الشكر المسائية هو نفس القديس اتينوجينوس . على ان نصّ القديس باسيليوس لا يقبل قط نتيجة كهذه ، لا بل ان رأياً كهذا هو نتيجة قراءة سريعة وسوء فهم في نصّ العالم القديس[1].

الاورولوجيات (السواعيات) السلافية والاورولوجيات العربية القديمة تنسب

(1 cf. *Dict. d'archéologie* ... col. 3106 : *Athénogène.* — et Cardinal Pitra, *Hymnographie grecque.* p. 122.

هذه الترنيمة الى القديس سوفرونيوس بطريرك اورشليم المتوفى سنة ٦٣٨ . بيد ان هذا الرأي ليس له اصل ثابت اذ نجد في الرق الاسكندري (*codex alexandrinus*) المنتمي الى الجيل الخامس ترنيمة الشكر المسائية ، في حين ان القديس سوفرونيوس لم يكن ولد بعد . لا بل ان القديس باسيليوس الذي عاش في الجيل الرابع ينعت هذه الترنيمة بالقدم : ἀρχαίαν τὴν φωνήν . ولذا حذف المرسلون البولسيون الكرام في طبعتهم الجديدة لكتاب الاورولوجيون تلك العبارة التي تنسب للقديس سوفرونيوس ترنيمة الشكر المسائية الجميلة .

واليوم ظلام ادكن يكتنف مؤلف الترنيمة التي ننشدها . فربما يوماً ما ينبعث النور من رقّ من الرقوق المنطرحة في زوايا المكاتب الكبرى فيبدّد هذه الظلمات ، ونكتسب به علماً ومنفعة .

على اننا ان كنا نجهل مؤلف ترنيمة الشكر المسائية فلا نجهل ما لهذه الترنيمة من بديع المعاني وعظيم الشأن في طقس صلاة الغروب الخشوعية . فهي اليوم من ترانيم الغروب الاساسية « هي محور تدور حوله كافة صلوات الغروب . »[1] فالكهنة والمرتلون يرنمونها بافخر الالحان الكنسية وامجدها باللحن الثاني البيزنطي . هي ملخص ايماننا بالالوهية . فاينما حلّ الزائر ودخل كنيسة من كنائس الطقس الملكي ساعة الغروب يسمع اصوات الكهنة والمرتلين تنشد ترنيمة الشكر المسائية بنغمة قد تلذّذت وترنمت بها الاجيال الطوال المتعدّدة . على ضفة النيل ، على ذرى جبال صهيون ، على آكام لبنان ، في وهاد بردى والعاصي ، يسمع نفس الكلام وذات النغمة تصعد ذاهبة في الفضاء معربة عن وحدة الايمان بالوهية الثالوث الاقدس .

ثانياً : ترنيمة « براجب الاستهال . . . » Ἄξιόν ἐστιν...

ان كانت ترنيمة الشكر المسائية حائزة على منزلة رفيعة ومقام سامٍ بمعانيها اللاهوتية الخطيرة واستعمالها في الليتورجية الالهية البيزنطية . فان ترنيمة البتول

(1) R. P. Couturier, *Liturgie grecque melchite*. T. II, les Vêpres — *cf.* L'Union des Eglises, 1925. p. 470

« يواجب الاستهال » لن تكون اقل اهمية معنى واستعمالاً في الطقوس ، وهي آخذة بافئدة الشعب المؤمن مأخذها ، ولا عجب في ذلك اذ انها تخص والدة الاله التي عشقها شرقنا المحبوب.

تتألف هذه الترنيمة الانيقة من قسمين : القسم الاول: « يواجب الاستهال حقًا نغبط والدة الاله الدائمة الطوبى البرينة من العيوب امّ الهنا ». والقسم الثاني: « يا من هي اكرم من الشاروبيم وارفع مجدًا بغير قياس من الساروفيم التي بغير فساد ولدت كلمة الله حقًا انك والدة الاله اياك نعظم » .

وقد آثرنا ان نشرح اولًا الجزء الثاني لما في تاريخه من الوضوح . فهو طروبارية مأخوذة عن ديوان للقديس كوزماس[1] تستعمله الكنيسة البيزنطية في ليتورجيتها نهار الجمعة من اسبوع الآلام . وقد اخذت هذه الطروبارية في الطقوس دورًا مهمًا ، فيرنمها المرتلون تارة منفردة كما في الاودية التاسعة ، وطورًا مع القسم الاول «يواجب الاستهال» كما في القداس والمديح والبركليسي والتطوافات . وقال عنها العالم اليوناني جورج پاپاذوپولس في مؤلفه عن الترانيم الكنسية ، ان القديس كوزماس قد حذا في تأليفها حذو القديس افرام السرياني في نشيده :

«Ὑψωτέρα τῶν χερουβὶμ καὶ ἀσυγκρίτως πάντων τῶν οὐρανίων στρατιῶν»

« يا من هي اكرم من الشاروبيم وارفع سموًا من جميع الطغمات السماوية »

ومهما يكن من امر تأليفها فانها تلبث اليوم من طروباريات الطقس البيزنطي الاساسية.

---

(١) ولد القديس كوزماس في دمشق . وكان اخا القديس العلامة يوحنا الدمشقي بالبنوّة . درسا معًا العلوم الراهنة على كبار المعلمين وترهب القديس كوزماس كأخيه الملقان ثم اقيم اسقفًا على مدينة مَيُوما (Mayuma) او جينا الواقعة جنوبي يافا (ويضمها فريق مكان غزّة) التي اشتهرت بيالتها الاسرائيلية وربّانيها الملاءمة ، وقد حفظ التلمود كثيرًا من اقوالهم وتعاليمهم.

فكان لجينا منذ اوائل الجيل الرابع كنيسة واسقف ، والقديس كوزماس حلقة من سلسلة مطارنة هذه المدينة الآهلة قديمًا بالسكان . وكان من كبار الشعراء والمرتلين في عصره (القرن الثامن) وهو مؤلف التراتيل المثلثة الاودية (Τριῳδία) التي تقال في السبّة العظيمة.

اما الجزء الاول « بواجب الاستهال ... ام الهنا » فقد نسجت الرواية حول تاريخه معطفاً من القصص والحوادث الخيالية ، وامتزج مع تعاقب الايام الغثّ بالسمين ، فاصبحت معرفة الحقيقة التاريخية ضرباً من المحال. وان رواية[1] شائقة بين رهبان جبل آثوس المقدس[2] تنسب ترنيمة « بواجب الاستهال » ... الى الملاك جبرائيل . واليك ايها المطالع اللبيب هذه الرواية بكاملها.

في اواخر القرن العاشر لمّا كان « جبل آثوس المقدّس » في اوج الرقيّ والازدهار ، وقد شيّدت على آكامه وفي وهاده الاديرة العامرة والمعابد الفخمة ، كان في وادٍ من الوديان كسته الطبيعة ثوب الجمال والبهاء كوخ صغير ، تحت حماية العذراء سيدة النياح ، يبعد عن دير كاريس (Karyés) والبندوكراتور (Pandocrator) مسافة ضئيلة ، يقطنه راهب جليل قد كلّل الشيب هامته وتلميذ له في زهرة العمر والشباب قد دربه على ممارسة اسمى الفضائل الرهبانية . فدعا الراهب الشيخ يوماً تلميذه وقال له : « يا بنيّ ، اليوم يوم سبت وتقام في كنيسة البروتات (رئيس اديرة الجبل) صلاة الغروب والاغرينيّة. فانا ذاهب الى الصلاة. اما انت فابقَ هنا الى مجيئي وصلّ على قدر استطاعتك صلاة الفرض المقدّس . » ثم بارك الشيخ تلميذه وسار في سبيله . فاقتربت ساعة الغروب وعقب اضطرابٌ واضطرامٌ النهار السكونُ والسلام. وارخى الظلام سدله الدكناء على الطبيعة باسرها . فقام الراهب التلميذ يناجي تحت اجنحة الظلام بارئ الطبيعة والخليقة . وفيما هو يصلي سمع باب الكوخ يقرع. فاوقد سراجه وفتح لزائره الباب . فظهر له شيخ جليل يتجلى البشر والجمال على طلعته مرتدٍ ثوب الرهبان القشف . فامسكه بيده وادخله واجلسه على حصيرة النسّاك وقدّم له من الطعام ما عنده . ثم اضافه تلك الليلة في كوخه . ولما حان وقت صلاة الصبح المعروفة بالاورثروسي (ὄρθρος) ، نهض الناسك

---

(١) cf. *Echos d'Orient* 1898-1899, p. 227

(٢) جبل آثوس رأس (*promontoire*) من شبه جزيرة كلسيديك اليونانية ، طوله ٥٠ كيلومتراً وعرضه ٦ كيلومترات . ابتدأت فيه الحياة الرهبانية في القرن العاشر. وهو اليوم جمهورية رهبانية يدير شؤونها عشرون راهباً مقيمون بدير كاريس .

الشاب وضيفه لتلاوتها فصليا قسماً وافراً منها وافضيا الى ترنيمة « يا من هي اكرم من الشاروبيم . . . » فرتلها الناسك كعادته. اما الضيف الجليل فلم يتابع الصلاة بل راجع الترنيمة نفسها مضيفاً اليها في الابتداء هذه العبارة : « يواجب الاستهال حقاً تغبط والدة الاله الدائمة الطوبى البريئة من العيوب ام المنا . » فذهل الناسك لهذه الصلاة الجديدة وقال لضيفه بملء العجب والاستغراب : « اننا لا نرتم بجبلنا المقدس سوى « يا من هي اكرم من الشاروبيم » ولم نسمع قط ترنيمة « يواجب الاستهال » واجدادنا لم يعرفوها ايضاً ، ومع ذلك ارجو منك ايها الاخ الوقور ان تكتب لي هذه الترنيمة البديعة كي يتسنى لي ان ارنمها انا ايضاً .

— « اليَّ اذاً بقرطاس ومحبرة » ، اجاب الشيخ الغريب .

— « ليس عندنا ههنا من القرطاس والحبر شيء . . »

— « اتني بلوح . . . »

فقدَّم له الراهب اليافع لوحاً ، واخذ الشيخ يرسم باصبعه على اللوح تلك الصلاة العجيبة التي رنمها . ثم قدمها للناسك الشاب . وقال له : « هكذا يترتب عليك وعلى سائر الارثوذكسيين ان ترنموا هذه الصلاة . » وتوارى عن الانظار . فتعجب الناسك مما حدث وذهل لرؤيته الترنيمة المرسومة على اللوح محفورة عليه كانها على شمع . فتحقق لساعته ان السماء قد جادت على الارض بانشودة جديدة لتمجيد والدة الاله .

ولما رجع الراهب الشيخ من الاغريبية قصَّ عليه تلميذه ما حدث له وأراه اللوح ورنَّم له الترنيمة الملائكية . فسرَّ الشيخ غاية السرور وحمل اللوح الى البروتات والى سائر الآباء ، وقصَّ عليهم الحادث العجيب . فحمد الجميع البتول الطاهرة التي لا تزال تظهر عطفها نحو الارضيين . وبعثوا باللوح الى القسطنطينية حيث استلمه البطريرك والملك بغاية الجذل والاحترام ، واوعز البطريرك المسكوني الى سائر الكنائس البيزنطية ان تدخل هذه الترنيمة الانيقة في عداد ترانيمها وصلواتها . فدعي الكوخ « كوخ يواجب الاستهال » وسمي الوادي وادي الترتيل « Τὸ ἆδειν » تذكاراً للنشيد الملائكي الذي

رغه فيه الملاك لاول مرة.

هذا ما تحدثنا به الرواية الآثوسية عن اصل ترنيمة « يواجب الاستهال » الخشوعية . وزعم الراهب مبارك من رهبان جبل آثوس المقدس المتوفى في اوائل القرن المنصرم ان هذه الحوادث التي تسردها الرواية قد جرت سنة ٩٨٠ على عهد باسيليوس وقسطنطين پورفيروجينية Porphyrogénète والبطريرك نيقولاوس كريزوڤرجيس Chrysovergès. وبرهاناً على ادعائه هذا قدّم نصوصاً انتقاها من سينكسارات وميناوات القرن العاشر والحادي عشر التي تعيّن في الحادي عشر من حزيران عيد العذراء في وادي الترتيل ἐν τῷ ἄδειν . على ان ادلته ليس لها معنى كبير وقوّة مقنعة. ومما لا مرية فيه ان وادي الترتيل قد اطلق عليه هذا الاسم حتى اواخر القرن الرابع عشر. وقد ذكر سمعان التاسالونيكي في كثير من مؤلفاته هذه الصلاة العجيبة التي لم تزل حتى اليوم من ترانيم الطقس البيزنطي الاكثر استعمالاً وشهرة وكثيراً ما تقال مع « يا من هي اكرم من الشاروبيم . . . » حتى انه يخال المرء ان هاتين الترنيمتين هما ترنيمة واحدة ونشيد واحد . وقد جعلها الموسيقيون الكنسيون موضوع حبهم وتأليفهم ، فعلقوا عليها الالحان الجميلة المتنوعة . حتى انه قلما يوجد نشيد كنسيّ وفرت الحانه وتعددت نغماته مثل النشيد المزدوج الذي نحن الآن بصدده ، نشيد مريم البتول الخاص . نفعنا الله بشفاعاتها وزادنا حباً وتعلقاً بها وبابنها الحبيب.

القضاء في لبنان

بزمن الامراء الشهابيين

بقلم عيسى اسكندر المعلوف ، مؤلف تاريخ
الاسر الشرقية وعضو المجامع العلمية العربية
في دمشق وبيروت ومصر

٥

الشيخ احمد البزري المسلم السني

لما قتل الشيخ شرف الدين (شرّوف) القاضي كما سبقت الاشارة في الرقم (٤) من هذه المقالة، اسند منصب القضاء الى الشيخ احمد البزري من برجا (اقليم الخروب في لبنان) وهو من اسرة البزري الحسينية في صيدا التي انتقل بعضها الى برجا ولا تزال بقيتها فيها .

فكتب اليه الامير بشير الكبير « الاخ العزيز » رفعاً لمقامه واذاع ، في البلاد قتل شرّوف وتنصيب البزري عوضه في القضاء . وكان البزري فقيهاً بارعاً درس عليه كثير من فقهاء لبنان وادبائه ، ومنهم بطرس كرامه الحمصي مدبّر الامير بشير وشاعره ، وغيره . وله احكام وفتاوى وقفت على كثير منها تدلّ على مقدرته ونزاهته .

وتوفي البزري هذا سنة ١٢٣٤ هـ (١٨١٩ م) فرثاه تلميذه بطرس كرامه بقصيدة قال فيها (ديوان كرامه ص ٢٣٨) :

لا رزء اعظم من رزء رميت به ... منه فصيرني ولساني ارتعش
سهم اقام له قلبي الشجي هدفاً ... وليس يعلم ما يلقى به الغرضُ
فقدان من كان ذا علم وذا حكمٍ ... تجلى به ناثبات الدهر والعرضُ
العالم العامل البزريّ احمد من ... لم يبقَ من بعده بالعيش لي غرض
ابي التقى والحجى من لا يراودهُ ... عن قوله الحقّ لا مالٌ ولا عرض

من كان للعلم بحرًا فاض نائله للطالبين ، فنعم الفوز والعرضُ
من كان جوهر فضل والثنا عرضًا ولن يقوم بغير الجوهر العرضُ
الالمعي الذي اربت براعته ومن فصاحته سحبان يقترضُ

الى ان قال يذكر تتلمذهُ له وحزنه عليه :

ابكيت عيني ، كما اودعت في اذني درًّا ثمينًا لديه الدرّ يرتمضُ (١
قلّدتني منّاً ليس النظام بني بشكرها هل بني بالجوهر المفضُ

ثم ارّخ ضريحه بقوله :

لقد ثوى فيه بدر العلم والأدبا عليه من بعده ركن العلوم وهى
مفتي الانام هو البزريّ احمد من قد كان شمس هدًى فيها وعى وحى
زها بفضل تقى في ذي الدنى رقمى كذاك ارختُ في نال النعيم زها

٦

الشيخ محمد القاضي الدرزي

هو ابن الشيخ شرّوف الآنف ذكرهُ ، صار قاضياً بعد وفاة الشيخ احمد البزري الذي لم يطل بقاؤه في منصبه ، وذلك سنة ١٢٣٥ هـ (١٨١٩م)[٢] وبقي يخدم القضاء حتى حرب ابرهيم باشا المصري ، فتغيّر عليه الامير لتحزبه ضده.

وسنة ١٢٤٧ هـ (١٨٣١ م) امر الامير بشير الكبير بهدم دور بيت ابي نكد مشايخ الدروز في دير القمر ، ودار الشيخ محمد القاضي ، فهدمت للارض . وثاني سنة فرّ من لبنان الشيخان حمود وناصيف النكديان مع الباشوات والجنبلاطيين الى خارج لبنان . اما الشيخ محمد القاضي فسار الى ترسيس ومنها الى جزيرة قبرص . وبعد سنة ، اي سنة ١٨٣٣ ، رجع الشيخ محمد الى بتدين وترامى على الامير بشير واعتذر له عن فراره فأمّنه الامير

١) اخذ معناه من قول الزمخشري في استاذه ابي مضر النحوي الاصبهاني :
وقائلة ما هذه الدرر التي تساقطها عيناك سمطين سمطين
فقلت هو الدرّ الذي قد حشابه ابو مضر اذني تساقط من عيني

٢) راجع تاريخ الامير حيدر الشهابي الشلاني (طبعة مصر) ص ٩٤٦

واسكنه مزرعة دميث . وكان على خاتمه هذا البيت من قصيدة البردي :

فان لي ذمّة منه بتسميتي «محمّداً» وهو اوفى الخلق بالذمم

ثم قضى في قائمية مقام الدروز بالشويفات.

وسنة ١٨٤٠ م كان في دير القمر من بيت القاضي ثلاثة اخوة هم المشايخ محمد ، وقاسم ، وعبد اللطيف . وكثرت علاقاتهم مع مرسلي الاميركان ففتحوا لاولادهم المدارس ؛ وهم اولاد الشيخ شروف ، واكبرهم هو المذكور هنا.

٧

الشيخ احمد الخطيب السني

هو من اسرة الخطيب في شحيم (شوف لبنان) اصلها اندلسية حسينية هجرت عند حرب الاندلس الى المغرب ، ثم الى مصر ، ومنذ قرنين جاء الى ساحل بيروت ثلاثة اخوة احدهم استقر في مزبود ، والثاني في شحيم وهو الشيخ احمد ، والثالث في جهات اللاذقية وغيرها. ويقال لها «آل الفقيه» ايضاً نسبةً الى جدها الاكبر الشيخ احمد الفقيه ، باني الجامع الاكبر في شحيم . ومنهم الشيخ احمد هذا الذي ولي القضاء بعد الشيخ محمد القاضي الدرزي نحو ستة اشهر فقط ، وذلك سنة ١٢٤٧ ه (١٨٣١ م)

٨

الشيخ يونس البزري السني

وقضى بعد الشيخ احمد الخطيب المارّ ذكرهُ في رقم (٧) الشيخ يونس هذا نسيب الشيخ احمد المذكور في رقم (٥) . ورأيت بعض فتاويه الدالة على مهارته منها فتوى بتاريخ سنة ١٢٤٨ ه (١٨٣٢ م) [1] . ودرس عليه الشيخ بشاره الخوري الفقيه اللبناني من اسرة آل الخوري صالح في رشميا وغيره.

١) هذه الفتوى ليعقوب اليطار من الاسرة المعروفة في غوسطا (كسروان - لبنان)

واخبرني صديقي الفقيه المرحوم جرجس بك صفا انه كان يدرس الفقه على العلامة الشيخ يوسف الاسير ، ومعه رفيق هو الشيخ محمد البزري من صيدا من هذه الاسرة.

٩

الشيخ احمد تقي الدين الدرزي

هو من اسرة كريمة عرف ابناؤها بالعلم والفضل نشأ منها الشيخ احمد هذا، وكنيته ابو صالح ، درس في دمشق على الشيخ عبدالله الميداني وغيره ، وانتدبه الامير بشير للقضاء سنة ١٢٤٨ هـ (١٨٣٢ م) بتحريض بعض وجوه الدروز اخصهم الشيخ حسين حماده ، شيخ العقل اذ ذاك ، فظل بتنصيبه الى سنة ١٨٤٠ م عندما ترك الامير بشير لبنان الى مالطة فالاستانة.

ولا يزال امر الامير بشير الكبير الى الشيخ احمد بتنصيبه قاضياً بيد حفيده الشيخ احمد ، وهذا نصه :

حضرة الاخ العزيز احمد ابو تقي الدين المكرم حفظه الله تعالى

اولاً مزيد الاشواق لمشاهدتكم بكل خير. انه بحسب تأكيدنا صدق خدمتكم وحسن سرفتكم وتقواكم وبذل جهدكم بما يرضي الله ويرضي خاطرنا قد انعمنا عليكم ونصبناكم قاضياً بين الناس تحكموا بينهم بفصل المقام على ما يطابق الشريعة الغراء المصطفاوية على منهج مذهب الامام ابي حنيفة النعمان عليه الرحمة والرضوان فالمراد حالاً تتوجهوا الى دير القمر تستقيموا بالمحكمة تتعاطوا الاحكام الشرعية على منهج الاستقامة حسب ظننا بتقواكم ولا تقطعوا اخباركم عنا.

محب مخلص
بشير
شهاب

(والختم على قفا الورقة مقابل التوقيع علامة الرضى)

وكان الشيخ احمد هذا ظريف المعشر ، لطيف البادرة ، حسن المحاضرة ، رقيق الاخلاق.

وخدم قائمية مقام الدروز[1] بعد ذلك الى ان توفي سنة ١٢٧٤ هـ (١٨٥٧ م) فأرخ ضريحه العلامة الشيخ ناصيف اليازجي بقوله (ديوانه الثالث ص ١٢٠) :

هذا مقام السيد العلم الذي ورث الكمال عن الامير السيد
نسل التقي الدين عمدة قومه قاضي البلاد الصالح المتعبّد
قد كان للقصاد في ايامه ركنًا وللوراد اعذب مورد
ولقد ثوى يوماً برحمة ربّه في قبة لاحت لنا كالمشهد
صلّى مؤرخها وبارك قائلًا حيّاك يا من زار قبة احمد

الختام

هذه كلمة مختصرة في القضاة بزمن الامراء الشهابيين حتى اواخر النصف الاول من القرن التاسع عشر للبلاد من المسلمين والدروز.

وسنعود ، ان شاء الله ، الى ذكر القضاة من النصارى في ذلك العهد ولاسيما في لبنان الشمالي ، مشيرين الى شؤونهم وانواع الدعاوى التي كانوا يقضون فيها. والله اعلم ، وهو ولي التوفيق.

١) وعند آل تقي الدين اوامر من الامير امين ارسلان ، قائم مقام الدروز ، بتعيين الشيخ احمد هذا عضوًا في مجلس الشورى ، ومفتيًا ، ثم بتعيينه مفتيًا فقط بتاريخ ١٢٦٢ هـ (١٨٤٥ م) ورسالة من محمد كامل باشا ، مشير ايالة صيدا ، تدلّ على رضاه من الشيخ بتاريخ تلك السنة ، ومضبطة من قائمية مقام الدروز بتعيين الشيخ سليمان تقي الدين عوض شقيقه الشيخ محمود المتوفى كاتب المجلس ، وذلك سنة ١٢٦٦ هـ (١٨٤٩ م)

ارتفاع الصليب

سفر منسوب الى القديس كيرلس اسقف اورشليم
٣١٣–٣٨٧م

نشره لاول مرّة ، وعلّق عليه
الخوري بولس قرألي ، مدير المجلة البطريركية

٤

البحث الثاني

الاعتراضات (تابع)

٩ ــ تأثرها واسرها التاريخية

١ً ــ نشأتها

فانت ترى ان الاسطورة الثالثة تضم الاسطورتين السابقتين وتلحمها بقولها ان عود الصليب الذي استخلصتهُ القديسة بطرسية من ايدي اليهود ، عاد هؤلاء فطمروه لما تقووا في عهد طرايانوس وظل مطمورًا حتى جاءت القديسة هيلانة فاخرجته من الردم وبنت له كنيسة عظيمة. وقد تضمنت هذه الاساطير من المبالغات والاختلاقات والاغلاط ما حدا العلماء الى الاعتراض عليها وتفكيكها قطعة قطعة. فتركوها آلة لا نظام لها ولا حراك ولا قيمة ، وعدّوها ملفّقة ، مع تسليمهم بانها قديمة في نشأتها ونسخها ، ومستندة الى بعض حقائق تاريخية.

واليك خلاصة آرائهم فيها ، نأخذه عن مقالات الاب لكلير المذكور :

في اواسط القرن الرابع نشأت في كنيسة الرها اسطورة القديسة بطرسية . تجدها في كتاب تعليم أداي الحاوي للاساطير الحافة حول نشأة هذه الكنيسة . وهي موضوع المخطوطة الباريسية رقم ٢٣٤ ، المنسوخة على الارجح في اواخر

القرن الخامس .

وبعد مضي زهاء ثلاثين سنة ، اي في العشرين سنة الاخيرة من القرن الرابع ، حلّت القديسة هيلانة الملكة محل القديسة بطرسية الملكة . فجاءت مثلها الى اورشليم ، واستعلمت مثلها من اليهود عن الصليب ، ووجدت مثلها ثلاثة صلبان، وعرفت مثلها الصليب الحقيقي من اقامته الميت ، وبنت له مثلها كنيسة كبيرة .

اما قصة يهوذا ، الذي دلها على مكان الصليب وتنصّر ثم سيم اسقفاً على اورشليم باسم قرياقوس ، فقد نشأت في مخيلة مسيحيي فلسطين ، الذين ادغموا يهوذا المذكور بقرياقوس اسقف اورشليم الخامس عشر المستشهَد حسب قول اوسابيوس ، في عهد ادريانوس . ولما بلغت هذه القصة الى الرها تألفت منها اسطورة هيلانة - قرياقوس موضوع المخطوطة رقم ١٤٦٤٤ من المتحف البريطاني، المنسوخة ، على الارجح ، في اوائل القرن السادس .

ثم ضمت الاسطورتان معاً في الرها ايضاً ، للتوفيق بينها ، وتألفت منها اسطورة بطرسية - هيلانة - يهوذا - قرياقوس ، موضوع المخطوطة الثالثة الاحدث عهداً رقم ١٢١٧٤ من المتحف البريطاني ، التي ترتقي نسختها كما قلنا الى القرن الثاني عشر .

فاصبح اكتشاف الصليب مرتين : الاولى على عهد يعقوب الرسول بسعي القديسة بطرسية ، والثانية على عهد قسطنطين الملك بسعي والدته هيلانة . وفي اواخر القرن الرابع كانت هذه الاساطير قد شاعت في كل النصرانية فردّدها مؤرخون ولدوا في اوائله ونسبوا الى القديسة هيلانة ، التي زارت اورشليم في الربع الاول منه ، فضل اكتشاف الصليب المقدس: كالقديسين امبروسيوس ، ويوحنا فم الذهب ، وبولينوس من نولي،والمؤرخين سولبيس ساويرس وروفينوس الاكويلاني . ومن اليونانيين سُقراط وسوزومين وتلودوريطوس.

ومما لا شك فيه ان حكاية اعتماد قسطنطين ويهوذا من يد اوسابيوس اسقف رومية مصدرها رهاوي . لانه لا يعقل ان غربياً يخلط بين هذا الاسقف واوسابيوس اسقف نيقوميدية ثم اسقف القسطنطينية ، الذي عمد قسطنطين في

آخر حياته ولهذه الاسباب نبذ المؤرخون الغربيون هذه الاسطورة بعد ظهورها بنصف قرن.

٢ ـ اسسها التاريخية

ولننظر الآن ما لهذه الاساطير من الاسس التاريخية ، ملخصين مقالة الاب لكلير في هذا الصدد[1]

في بدء القرن الرابع كان القبر المقدس في حالة يرثى لها . فقد كان مطمورًا في تلّ من التراب المكدَّس ، يعلوه هيكل الزهرة الهة العشق . ففكر قسطنطين الملك في ان يضع حدًّا لهذه الاهانة اللاحقة بالصليب المقدس ، وامر بهدم هيكل الزهرة ورفع الانقاض والردم . ولما ظهرت مغارة القبر امر بان تقام عليه كنيسة فخيمة ، قدمت المقاطعات الشرقية نفقاتها . وكتب الملك الى مكاريوس اسقف اورشليم ان يسهر على فخامة البناء ، والى دراسيليانوس ، حاكم المقاطعة ، ان يشرف على الاعمال ويؤمّن سيرها .

عرفنا هذه التفاصيل من المؤرخ اوسابيوس ، الذي اثبتها في ترجمة قسطنطين[2] وزاد عليها قوله : ان كنائس اخرى اقيمت في بيت لحم وعلى جبل الزيتون بعناية هيلانة والدة الملك ، حين زارت فلسطين سنة ٣٢٦[3]

وفي سنة ٣٣٥ تمت كنيستا القيامة والجلجلة وحضر تدشينهما الاساقفة العائدون من مجمع صور ، حيث حطوا القديس اثناسيوس الاسكندري عن كرسيه ، لاسباب سيأتي ذكرها . وقد اسهب اوسابيوس في وصف فخامة الكنيستين وافادنا ان قسطنطين عيّن لتدشينهما عيدًا رسميًا في كل الامبراطورية كان المؤمنون يتقاطرون من كل الجهات الى اورشليم لحضوره .

امّا ميعاد اكتشاف الصليب فلا علم لنا به .

وقد انبأتنا السائحة أتيريا الفرنسوية ، التي زارت فلسطين في اواخر القرن الرابع ، ان الصليب ظهر في احد اعياد تدشين الكنيستين . وعرفنا من غير

١) راجع كابرول مج ٣ : ع ٢١٢٤-٢١٢٧
٢) كتاب ٣ : فصل ٢٦
٣) فصل ٢١

وثائق ان حفلة تكريم الصليب ، التي كانت قسماً من حفلة التدشين ، ما عتمت ان فاقتها اهمية واصبحت اكبر مظاهرها.

بيد اننا لا نرى ذكرًا للصليب قبل سنة ٣٤٧ ، ولا ذكرًا لعلاقة القديسة هيلانة باكتشافه قبل اواخر القرن الرابع.

ففي سنة ٣٤٧ يشير القديس كيرلس الاورشليمي ، في مواعظه ، الى تزاحم المؤمنين للفوز بذخائر عود الصليب[1] . وقد عُثر في جزائر الغرب على كتابتين تشيران الى « خشبة الصليب المقدس » ، ترتقي الاولى منها الى سنة ٣٥٩

وفي سنة ٣٦٣ نرى يوليانوس الجاحد يتهم المسيحيين بعبادة خشبة الصليب. وكانت القديسة ماكرينا ، شقيقة القديس غريغوريوس النيصي ، تحمل في سنة ٣٧٩ ذخيرة عود الصليب . وقد وصفت السائحة أتيريا ، في سنة ٣٨٥ ، الاسقف حاملاً بين يديه ذخيرة عود الصليب في حفلة الجمعة الحزينة والمؤمنين مزدحمين حوله للتبرك منها[2] . واردفت بقولها : ان الصليب وُجد في احد اعياد تدشين كنيستين ، دون ان تذكر علاقة القديسة هيلانة باكتشافه . انما اخبرتنا ان قسطنطين امر ببناء الكنيستين بحضور والدته . وبعد هذا التاريخ تُعطى القديسة هيلانة الدور الاول في حادثة اكتشاف عود الصليب :

ففي سنة ٣٩٥ نسمع القديس امبروسيوس ، في اثناء رثائه للملك تيودوسيوس[3] ينسب اليها فضل اكتشاف خشبة الصليب . كذلك القديس يوحنا فم الذهب ، في عظته عن مار يوحنا ، التي لفظها بين سنتي ٣٩٠ و٣٩٥ يقول قوله ويضيف اليه ان « الحفريات قد اظهرت ثلاثة صلبان كان اوسطها حاملاً الكتابة المذكورة في الانجيل ، فعُرف منها انه الصليب الحقيقي »[4]. وفي سنة ٤٠٢ يؤكد لنا المؤرخ روفينوس[5] ، وعنه اخذ سقراط[6] ، ان مكان الصليب

١) العظة ٤ رقم ١٠ ، والعظة ١٠ رقم ١٩ ، والعظة ١٣ رقم ٤ ، من مجموعة مين للاباء اليونان مج ٣٣ ع ٤٦٩، ٦٨٨، ٧٧٦

٢) هي تعني القديس كيرلس الاورشليمي لانه توفي في سنة ٣٨٧ كما سبق القول .

٣) مجموعة مين للاباء اللاتين مج ١٦ ع ١٣٩٩

٤) مجموعة مين للاباء اليونان مج ٨٥ رقم ١

٥) روفينوس : تاريخ الكنيسة مج ١ ف ٧و٨

٦) مج ١ ف ١٧

كان مجهولاً قبل مجيء هيلانة الى اورشليم ، انما الرب قد الهمها فأمرت بالحفر ووجدت ثلاثة صلبان حارت في ايها الحقيقي . فاستحضر القديس مكاريوس امرأة مشرفة على الموت ، نالت الشفاء التام بمجرد لمس الصليب الحقيقي ، فشيدت له هيلانة كنيسة عظيمة.

وفي هذه السنة ايضاً ٤٠٢ يخبرنا القديس بولينوس من نولي[1] وسولبيس سويرس المستقي منه[2] ان الملكة استرشدت الى مكان الصليب من اجماع آراء اليهود ، فأجرت الحفر. ولما ظهرت الصلبان ، استحضرت ، هي لا مكاريوس ، جثة ميت ، لا مريضة ، وعرفت الصليب المقدس من اعجوبة اقامته.

واقدم الشهادات عن الصليب هي للقديس كيرلس الاورشليمي . ففي الرسالة التي ارفدها سنة ٣٥١ الى الملك قسطنس ابن قسطنطين يعلمه بانتخابه اسقفاً على اورشليم ، ويخبره عن اعجوبة ظهور صليب من نور في الجو بين الجلجلة وجبل الزيتون ، شاهده كل سكان اورشليم . ويبدأ كلامه بقوله «في عهد والدك ، ذي التقى والذكر الصالح ، وُجدت في اورشليم خشبة الصليب المقدس . لان الله انعم على هذا الرجل بان يجد الاماكن المقدسة.»[3]

وقد انكر بعضهم نسبة هذه الرسالة الى القديس كيرلس للفقرة الاخيرة الواردة فيها عن الاستحالة . انما يعتقد اغلبهم بصحة نسبتها وان الفقرة دخيلة.

١٠ ــ الاعتراض عليها

يلخص الاب لكلير ، في مقالاته المنشورة في معجم الآثار ، آراء الذين سبقوه في درس هذا المشكل التاريخي وانكروا علاقة القديسة هيلانة باكتشاف القبر والصليب وبناء كنيسة القيامة وحججهم :

١ ــ سكوت المعاصرين عن ذكر خشبة الصليب قبل سنة ٣٣٧

٢ ــ لم ينسب احد الى الملكة هيلانة فضل اكتشاف الصليب قبل

---

١) رسالة ٣١ رقم ٢ ٢) التاريخ المقدس مج ٢ ف ٢٣

٣) مجموعة مين للآباء اليونان مج ٣٣ ع ١١٦٨

سنة ٣٩٠

٣ ــ لم ترَ هذه الملكة اورشليم قبل سنة ٣٢٦ ، وقد بلغت الثمانين ولم يبقَ امامها من الحياة سوى سنتين او ثلاث.

فقسطنطين في رسالته الى مكاريوس ، التي يوصيه فيها بالسهر على فخامة بناء كنيستي القيامة والجلجلة ، لا يذكر اكتشاف الصليب ولا علاقة والدته به

ناهيك عن ان مؤرخه اوسابيوس ، الذي اسهب في ترجمة حياته وذكر زيارة والدته لبيت لحم وجبل الزيتون سنة ٣٢٦ ، لم يأتِ بذكر حفريات الجلجلة ولم يشر بكلمة الى الدور الذي نُسب الى الملكة في اواخر القرن الرابع بانها شرعت في التحقيق عن مكان الصليب ، وامرت بالحفر للبحث عنه، واقامت له كنيسة بعد ظهوره.

وهكذا قل عن القديس كيرلس الاورشليمي ، الذي اشار في رسالته الى قسطنس الى اكتشاف الصليب في عهد والده ، وذكر في عظاته انتشار عبادة الصليب وذخائره ، قد سكت سكوتاً تامًّا عن علاقة والدته به.

والسائحة أثيريا التي زارت اورشليم سنة ٣٨٥ قد اخبرتنا ان الصليب اكتشف في اثناء تدشين كنيستي القيامة والجلجلة سنة ٣٣٥ ، اي ثماني سنين بعد اكتشاف القبر ، دون ان تشير بكلمة الى القديسة هيلانة.

وهَب ان القبر ظهر قبل الصليب ، وان الصليب لم يكن مدفوناً في القبر بل في مكان الصلب نفسه ، وانه لم يكن بعد قد اكتشف حين كتب قسطنطين رسالته الى مكاريوس ، فكيف نفسر سكوت اوسابيوس المؤرخ عن هذا الحادث ، وهو قد كتب حياة قسطنطين بعد وفاته سنة ٣٣٧ ، والاسطورة السريانية تدعي ظهور الصليب سنة ٣٢٦ . هذه العقدة لا تُحلّ . فالعقل لا يتصور ان قسطنطين واوسابيوس ، المتحمسين لظهور القبر ، لا يكترثان البتة لاكتشاف الصليب.

زد على ذلك ان سائح مدينة بوردو ، الذي زار اورشليم سنة ٣٣٣ ووصف عمود الجلد ودار قيافا وايوان بيلاطس وجبل الجلجلة ومغارة القبر وكنيسة القيامة ، كيف امكنه السكوت عن ذكر الصليب المقدس ، لو كان

الصليب موجودًا.

وخلاصة القول : ليس لدينا دليل على ان الصليب قد وُجد في سنة٣٢٦، حين زيارة القديسة هيلانة لاورشليم ، ولا قبل سنة ٣٣٣ التي حجّ فيها سائح بوردو الى المدينة المقدسة ، ولا قبل سنة٣٣٥ ، التي قصد فيها المؤرخ اوسابيوس الى هذه المدينة لحضور حفلة تدشين الكنيستين.

بيد انه يتحتم علينا ان نحدد ميعاد اكتشافه قبل سنة ٣٤٧ ، التي وصف فيها القديس كيرلس تهافت المؤمنين على اكرام ذخيرته والحصول على جزء منها، وبعد سنة ٣٣٥ التي حضر فيها اوسابيوس حفلة التدشين . انما نجهل زمان هذا الاكتشاف والظروف التي احاطت به. هل كان في سنة ٣٣٤ ، التي تكرست فيها الكنيستان ، كما يستدل من اقوال السائحة أثيريا ، وما هي الوسائل التي اتخذت لمعرفة مكانه وتمييزه عن الصليبَين الآخرين ؟ هل استرشدت الملكة باقوال اليهود ام خضعت لالهام الهي ؟ هل عرفته من اقامة الميت ام من شفاء المريضة التي استحضرها الاسقف مكاريوس ؟ . . . فالاقوال متناقضة بهذا الخصوص . ومهما كان الامر فليس لدينا اشارة الى علاقة هذه الملكة باكتشاف الصليب قبل سنة ٣٩٠ . ففي هذا الحين تظهر الملكة فجأة في هذا الحادث وتمثل فيه دورًا مهمًا ، كما ان الآراء فيه تتعدد وتتضارب ، مما يحملنا على الشك في الامر ، ان لم نقل على نبذه كرواية خيالية.

اما الليتورجيّة فلا تطفئ لنا غلة بهذا الصدد. جاء في المونولوج الباسيلي انه بعد تدشين الكنيستين سنة ٣٣٥ : أذن للشعب في مشاهدة عود الصليب للمرة الاولى . وقد جاءت هذه الوثيقة متأخرة فلا يسعنا التعويل عليها.

وقد عرفنا من سوزومين المؤرّخ(٤٤٣–٤٤٤) انه تعين لتدشين الكنيستين عيد رسمي كان يدوم ثمانية ايام ويُحتفى به في كل الامبراطورية. انما لا يذكر عيدًا خاصاً بارتفاع الصليب . اما اسكندر الراهب الذي عاش في القرن السادس ، فيؤكد لنا ان الآباء القديسين ، بناء على ايعاز الملك قسطنطين ، حددوا يوم ١٤ ايلول عيدًا واحدًا لتدشين الكنيستين ولظهور الصليب . وقد كانت حفلة ارتفاع الصليب هِبسوزيس ὑψωσις أحد اقسام حفلة التدشين ،

وما لبثت ان اصبحت اكبر مظهر فيها ، كان المؤمنون يتوافدون من كل انحاء الامبراطورية لحضورها . وجاء في قصة مريم المصرية انها ركبت البحر من الاسكندرية في سنة ٣٨٠ برفقة الحجاج المسيحيين القاصدين الى القدس لمشاهدة حفلة ارتفاع الصليب . ولما شاهدت الخشبة التي عُلق عليها الفادي الالهي تخشعت وآمنت وتابت توبة نصوحة . وجاء في سياحة اثيريا ان عيد التدشين يُحتفى به احتفاء عظيماً ، لان فيه قد وُجدت خشبة الصليب ، وان الآباء قد وحدوا العيدين زيادةً في حفاوتها وفي سرور المؤمنين ، واردفت بقولها : « ان الجماهير كانت ترد لحضور هذا العيد العظيم من عدة مقاطعات : من بين النهرين وسورية ومصر العليا والسفلى . » وكلامها يثبت ان عيد ارتفاع الصليب كان منذ ذاك العهد يحتفى به في الرابع عشر من ايلول . وقد وافقها في ذلك القديس ثيودوسيوس . وذكر المؤرخان تاودوريطوس وتاوفانوس ان الخشبة المقدسة قسمت الى قسمين . الاول اودع ذخيرة ثمينة من فضة ابقيت في اورشليم ، والآخر حُمل الى القسطنطينية حيث اجتمعت ، فيما بعد الذخائر الثلاث ، كما ذكرنا ، وبلغت الحفاوة بها حداً بعيداً من الابهة . ويرجح الاب لكلير ان تعميم هذا العيد على الشرق كله يرجع الفضل فيه الى العاصمة البيزنطية . وقد كان يجري الاستعداد له في الايام الاربعة السابقة . وتقام حفلة الارتفاع « هيبوزيس » في الرابع عشر . ويُختم العيد في الاحد التالي .

١١ — قبر الفقر

ولننظر الآن اولاً ما قيمة هذه الاعتراضات ثانياً هل يصح تطبيقها على ميمرنا . ثالثاً اذا صح تطبيقها عليه هل تنفي نسبته الى القديس كيرلس .

١ — قيمة الاعتراضات

قد مر بك ان اهم ما يستند اليه الاب لكلير والقائلون قوله لانكار علاقة القديسة هيلانة باكتشاف القبر والصليب وبناء كنيسة القيامة ، او بالاحرى لانكار صحة معلومات الاساطير السريانية ، هو ، اولاً سكوت المعاصرين عن

هذا الاكتشاف وهذه العلاقة . خاصة قسطنطين في رسالتـه الى مكاريوس ، واوسابيوس في ترجمته لقسطنطين . ثانياً لم يذكر احد هذه العلاقة قبل سنة ٣٩٠ . ثالثاً لم تزر هذه الملكة فلسطين قبـل سنة ٣٢٦ ، وكانت في سن الثمانين . رابعاً مغالاة الاساطير وتناقضها في تفاصيل الاكتشاف .

فليسمح لنا حضرته بلفت نظره اولاً الى ان السكوت عن امر لا يصح اتخاذه قاعدة لنفيه . فالسكوت عن اكتشاف الصليب لا ينفي ظهوره الا اذا ثبت ان رسالة قسطنطين الى الاسقف مكاريوس ذكرت كل ما له علاقة بالقبر والاماكن المقدسة ، وان تاريخ اوسابيوس ذكر كل ما له علاقـة بقسطنطين ومعاصريه وانه وصل الينا كاملاً سالماً . وهذا ما لا يسلّم به احد . نعم ان مثل هذا السكوت يثير الشك انما لا ينقض وثيقة صريحة معـاصرة ، الا اذا ظهرت وثيقـة احق منها بالتصديق . والى ان يبرز لنـا حضرته ومظاهروه مثل هذه الوثيقة ، لنا ملء الحق ان نتمسك بما لدينـا . لاسيما ان حضرته لم يتحفنا بسوى التأويلات والاوهام . واذا عثرنا في الاساطير على بعض المغالاة ، وفي روايات القرن الرابع على بعض التناقض ، فهي في التفاصيل الثانوية التي لا تجيز نبذ الاصل برمته . ولو تخلينا عن هـاتين القاعدتين لقلبنـا التاريخ رأساً على عقب .

فضلاً عن ان الاب لكلير نفسه يقول[1] في ترجمة قسطنطين التي نظمهـا اوسابيوس انها « عبارة عن تقريظ مقـدّم لشخص جعلـه اليونان بين مصاف القديسين ، وغالوا منذ ذاك الوقت في مديحه » . فلا غروَ من ان يهمل المطرئ في كتابـه ما ليس لمترجمه فيه فضـل ، او ان ينسب اليـه ما لم يأته من الحسنات .

وقد راجعنا رسالة قسطنطين الى الاسقف مكاريوس فلم نجد فيهـا اشارة صريحة الى اكتشاف القبر المقدّس ، والارجح انـه يشير الى اكتشاف الصليب والمسامير . فهو يتكلم عن ظهور « تمثال الآلام » (*monumentum passionis*)

---

١) كابرول : ع ٢٦٣٤

ولا يصح اطلاق هذا التعبير على القبر المقدس لان المسيح لم يتألم فيه بل على الصليب.

وقد داخلنا الريب في صحة الترجمة وعدنا الى النص الاصلي اليوناني[1] ، فتحققنا خطأ المترجم لانه عبّر عن كلمة ܡܬܬܪܥܐ بكلمة monumentum اي تمثال او بناء مع ان معناها الحقيقي « علامة ، شارة » . وهي لا تأتي بالمعنى الذي اختاره المترجم الا نادرًا او بصيغة الجمع لا المفرد ؛ كما نبّه الى ذلك اصحاب القاموس المطوّل المسمى «كنز اللغة اليونانية» المستندين الى الكتبة اليونان القدماء[2] . اما بايلي الذي يستند في قاموسه الى القدماء والمتأخرين معًا[3] ، كالآباء القديسين ، فلا يذكر مطلقًا هذه الكلمة بمعنى تمثال بل يكتفي بقوله : *Signe. Marque. Ce qui fait reconnaître* اي علامة ، اي ما يستدلّ منه على الشيء.

وقد اصاب مترجم المؤرخ تاودوريطوس الذي اثبت نصّ هذه الرسالة[4] فنقل الجملة المذكورة بقوله *passionis illius sanctissimæ signum* اي علامة آلامه المقدسة . ونجد ايضًا كلمة ܡܬܬܪܥܐ بصيغة المفرد في سقراط المؤرخ[5] الذي اورد نص هذه الرسالة.

فان صحّ القول بان قسطنطين يقصد بهذه الرسالة ظهور « اداة الآلام » اي الصليب والمسامير ، لا القبر وحده ، تسنى لنا للمرة الاولى ترتيب الحوادث التي سبقت ولحقت هذا الاكتشاف وتعيين سنة ٣٢٦ تاريخًا له ، وهدم رأي الاب لكلير والقائلين قوله بان الصليب ظهر بين سنتي ٣٣٥ و٣٤٧ ، وتعيين تاريخ الرسالة المذكورة.

(١ Eusebius, *De Vita Constantini* l. III. XXX P. G. 1090

(٢ *Thesaurus Græcæ linguæ ab* Henrico Stephano. Carolus Bened. Hase, Gulielmus et Ludovicus Dindorfus... Parisiis. Firmin Didot, 1833, p. 688.

(٣ A. Bailly. *Dict. Grec-Français*. Hachette. Paris, 1894 p. 411

(٤ P. G. 82 col. 955

(٥ Socr l. IX P. G, 67, col. 95

وما يخوّلنا الحق في ذلك قول قسطنطين في هذه الرسالة « جاء هذا الاكتشاف العجيب على اثر تخلص المسيحيين من عدوّهم الاكبر» . وقد ادلى مترجم تاريخ اوسابيوس[1] ببراهين تدلّ على ان قسطنطين يقصد « بالعدو » صهره ليشينيوس (Licinius) الذي كان يشاطره الملك . فقد جدد هذا الاضطهاد على المسيحيين فحاربه قسطنطين ودحره في ١٨ ايلول سنة ٣٢٤ ، واضطرّه الى التنزّل له عن حصته في المملكة الرومانية . ونحن نعلم ان ليشينيوس توفي سنة ٣٢٥ [2] ، التي التأم فيها المجمع النيقوي ، في شهر آب . وان مكاريوس اسقف اورشليم عاد من هذا المجمع متسلحاً باذن من قسطنطين بان يهدم هيكل الزهرة الذي كان يعلو قبر المسيح . وان الملكة هيلانة وصلت الى اورشليم بعيد ذلك اي في سنة ٣٢٦ كما اخبرنا اوسابيوس نفسه . فهي اذاً قد اشرفت على اعمال رفع الانقاض عن القبر المقدس فظهرت مغارة القبر وداخلها الصلبان والمسامير كما روى ميسرنا . وحضرت ايضاً مباشرة بناء كنيسة القيامة فوق الجلجلة التي ضمت ضمن جدرانها مكان الصلب والقبر . ولما علم قسطنطين بهذا الاكتشاف كتب الرسالة التي نحن بصددها الى مكاريوس اسقف اورشليم يكلفه السهر على زخرفة الكنيسة . ولعل قسطنطين يعني «باداة الآلام» القبر والصليب والمسامير معاً وقد ظهرت كلها في آن واحد كما يروي القديس كيرلس في الميمر .

كل هذه المعلومات الثمينة تصبح حقائق تاريخية يصحّ تدوينها على هذا الترتيب في تاريخ الكنيسة . فيرتفع الغموض الذي حام حتى الآن حول ظهور هذه الآثار المقدسة وتتبدد الشكوك التي رافقت حتى اليوم علاقة القديسة هيلانة باكتشاف القبر والصليب وبناء كنيسة القيامة .

اما تعيين الاب لكلير[3] تاريخ اكتشاف الصليب بين سنة ٣٣٥ ، التي حضر فيها المؤرّخ اوسابيوس تدشين كنيستي اورشليم ، وسنة ٣٤٧ التي وصف

---

١) P G. XX. 1090, nota 94.

٢) راجع ، في تاريخ انكار ليشينيوس ووفاته ، معجم كابرول ٣ : ٢٦٢١ و٢٦٢٢

٣) كابرول : ع ٢١٢٧

فيها القديس كيرلس الاورشليمي المؤمنين متهافتين على الفوز بذخيرة عود الصليب ، فلنا عليه ثلاث ملاحظات :

الاولى نرى ان نحج حضرته بحجته ونقول : اذا كان سكوت اوسابيوس كافياً لنفي علاقة الملكة هيلانة باكتشاف الصليب ولانكار ظهوره قبل سنة ٣٣٥ ، تحتم على الاب لكلير ان يؤجل ميعاد هذا الاكتشاف الى بعد وفاة قسطنطين سنة ٣٣٧ . لان اوسابيوس لم يكتب ترجمته الا بعد هذه الوفاة فادخاله سني ٣٣٥-٣٣٧ في ميعاد هذا الاكتشاف يخرج به عن القاعدة التي وضعها لنفسه ولغيره ويناقض به ذاته بذاته.

الثانية : وتراه قد ناقض نفسه ايضاً في جعله سنة ٣٤٧ حداً اقصى لظهور الصليب ، مستنداً الى اقوال القديس كيرلس الاورشليمي في مواعظه عن ذخيرة الصليب[1] ، وهو يأتي بعد ذلك بشهادة اخرى للقديس كيرلس نفسه وردت في رسالته الى قسطنس الثاني ابن قسطنطين[2] حيث يقول «في عهد والدك التقي وصاحب الذكر الصالح وُجدت في اورشليم خشبة الصليب المقدس» . ولما كان قسطنطين قد توفي في ١٢ ايار سنة ٣٣٧ ، فتحتم على الاب لكلير ان يُقدّم ميعاد اكتشاف الصليب الى ما قبل هذه السنة ، لا ان يؤخره الى سنة ٣٤٧ .

الثالثة : يقول حضرته[3] نقلاً عن اوسابيوس ان مكاريوس اسقف اورشليم ، بعد عودته من مجمع نيقية ، الذي انتهى في ٢٥ آب سنة ٣٢٥ ، باشر باذن قسطنطين هدم هيكل الزهرة ، الذي كان يعلو القبر المقدس ، وتنظيف المكان وحفر أساسات كنيسة القيامة . ولما ظهرت مغارة القبر كتب اليه قسطنطين يهنئه ويخبره عن الاوامر التي اصدرها الى الحكام في شأن بناء الكنيسة ويوجه

---

١) كابرول مج ٣ : ع ٣١٣٥

٢) ع ٣١٣٦ ، راجع ايضا معجم فاكان مج ٣ : ع ٢٥٢٦ ، عن صحة نسبة هذه الرسالة الى القديس كيرلس

٣) ٣١٣٤ راجع ايضاً مقالة الاب آيل في معجم كابرول مج ٧ : ع ٢٢١٣

الاشراف على زخرفتها . وجاء في مقالة الاب آبيل في المعجم نفسه[1] « ان القديسة هيلانة لما زارت اورشليم كان حفر اساسات كنيسة القيامة قد بلغ الى آخر عمقه ، لان الاسطورة تنسب اليها اكتشاف الصليب. »والاب آبيل يمثل آراء كثيرين غيره من العلماء الذين يعتقدون ان الصليب اكتشف في اثناء حفر اساسات كنيسة القيامة . ونحن نعلم ايضاً من اوسابيوس ان كنيستي بيت لحم وجبل الزيتون بنيتا بسعي المليكة هيلانة حينما كانت في فلسطين[2] . ونعلم من اثيريا[3] ان كنيسة القيامة بنيت ايضاً بحضورها . فاذا كانت القديسة هيلانة في اورشليم سنة ٣٢٦ فقد حضرت عملية ازالة الردم ، التي اظهرت مغارة القبر ، وحضرت ايضاً حفر اساسات كنيسة القيامة ، حيث يُرجح العثور على الصليب ، فضلاً عن انها بقيت في اورشليم الى قبيل وفاتها سنة ٣٢٩[4] ، فكيف ينكر الاب لكلير علاقتها باكتشاف القبر والصليب وبناء كنيسة القيامة ؟ لاسيما ان اثيريا التي زارت اورشليم سنة ٣٨٥ اي في عهد القديس كيرلس تفيدنا انها بنيت بحضورها[5] . وكيف نتصوّر ان تكون شاهدت هذه الحوادث الخطيرة في تاريخ النصرانية ولا تعيرها الاهمية والمساعدة ؟ وهي التي تجشمت عناء سفر طويل في سن الثانين لزيارة الاماكن المقدسة ، وكان ابنها قد وضع تحت تصرّفها خزنة المملكة[6] . ولا بأس ان تتم كنيسة القيامة وتُدشن بعد موتها اي في سنة ٣٣٥ ، بل يكفي ان تشرف على بدء الاعمال ليجوز لنا القول انها سعت وساعدت فيها . وهي التي اقامت وحدها كنيستي بيت لحم وجبل الزيتون . والغريب ان الاب لكلير يقول عنها في المحل ذاته : « حالما اعتنقت

---

١) مج ٧ : ٢٢١٣ ، راجعه ايضاً في كتابه عن اورشليم ج ٢ صفحة ٩٠٣ H. Vincent et F. M. Abel. *Jérusalem*. Paris, Lecoffre, 1914.

٢) كابرول مج ٣ : ع ٢١٢٤

٣) كابرول مج ٣ : ٢١٢٥

٤) كابرول مج ٣ : ع ٢٦٢٢ ومج ٦ : ع ٢١٢٩

٥) مج ٣ : ع ٢١٢٥

٦) مج ٦ : ع ٢١٢٨

النصرانية اظهرت عبادة حارة نشيطة ، حتى ان اسمها اصبح مقروناً بتاريخ الاماكن المقدسة واكتشاف الصليب » . فنحن لا نرى بعد ذلك في علاقتها بهذا الاكتشاف « امراً غريباً وعقدة لا تُحل » كما يدعي حضرته[1] ، بل نرى غريباً ومعقداً ان لا يجري الامر بخلاف رأيه .

ولنختم ردنا بملاحظة اخيرة على تناقض الاب المذكور . يقول في مقالته المذكورة[2] : يُستدل من كلام القديس كيرلس الاورشليمي في عظته ٤ : رقم ١٠ و١٠ : رقم ٩ ان عبادة تكريم الصليب قديمة . واليك عبارته بالفرنسوية « *Cyrille de Jérusalem (catech. IV, 10, X, 9) parle déjà du culte de la croix comme ancien.* » ولما كان حضرته يصرح[3] ان هاتين العظتين أُلقيتا في صوم سنة ٣٤٧ فكيف جاز له بعد ذلك ان يعين اكتشاف الصليب بين سنتي ٣٣٥ و٣٤٧ ؟ هل هذه المدة كافية لتلقيب عبادة تكريم الصليب « بالقديمة » ؟

---

١) مج ٣ : ع ٢١٢٧
٢) ع ٢١٢١ حاشية ١ :
٣) ع ٢١٢٥

(لها بقية)

المبتذلات !

بقلم يوسف غصوب

قد يتوهم القارئ اني حامل على الكتاب والشعراء حملة شعواء لما افرطوا في المبتذل نثرًا وشعرًا حتى جاوزوا الحدّ المباح . لا فما انا والج هذا الباب ، ولا راكب مطية نقدٍ قعودًا سهلة القياد ، بل منشدٌ انشودة الشكر ، ناشرٌ راية الفضل لهذه « المبتذلات » التي تحفّ بنا من كل جانب ، وتغمرنا بخيرها وصلاحها ، كما يحفّ بنا الاثير ، ويحفظ فينا الحياة فيجدّدها كلما رثّت او تغيّرت.

كنت في نزق الصبا اتذمّر من كل حديث خلو من لذة او فكرة يتمتع بها القلب او يرضاها العقل ، فكنت أتأفف واحاول الهرب والاعتزال ، بعيدًا عن المخاطبات الجوفاء ، والمناقشات العجفاء . ثم لما اضطررت الى الاخذ والعطاء والتعامل مع الناس اخذت هذه الكراهية للمبتذل من كل شيء تخف وتتضاءل حتى اضمحلت ، وتركت مكانها عاطفة رأفة ، ثم ميل ، ثم مودة لهذه التوافه العادية التي تعترضنا في كل خطوة نخطوها ونسمة نتنشقها.

ليس الابتكار مما يقرب تناوله في كل حين ، والتمتع به في كل لحظة . فهو اعزّ من عنقاء مغرب ، واثمن من الجواهر النادرة ، فمن جعل دأبه السعي وراءه حمّل قلبه همًا ناصبًا،وانغص عيشه تنغيصًا،وقد لا تجديه «المبتكرات» نفعًا ولا تدفع عنه ضرًا ولا تسهّل له امرًا . اما « المبتذلات » فانها نعمة الله في ارضه قريبة المأخذ ، سهلة الاستعمال ، تغذّي الاحاديث ، وتقصّر الاوقات ،

وتملأ الجرائد ، وتمدّ الخطباء ، وقد تكون واسطة التعارف بين القلب والقلب وهمزة التقرب من الاغنياء ، ومرقاة الى العظماء ، وطريقاً الى «رجال الساعة» . وانها لتعزّي الحزانى ، وتسلي الايامى ، وتخدع العذارى ، وتحلي الشبان ، وتحيي السهرات في الشتاء ، والنزهات في الصيف ، وتحول دون الضجر ، وتكون عوناً على كتمان الاسى ، وستراً للحقد والضغينة ، وقد تمنع من اثارة العداء بين المتحاسدين والمتنافسين ، وقد ... وقد ...

فلله درّها ما انفعها !

تصوّر ، يا سيدي ، سيّدات مجتمعات في احدى القاعات ، وقد دار الحديث ، وعلت الضجة ، وتطاير الضحك ، وافلتت الالسنة ، فهل يتمكنّ من التعاشر والتآنس لولا الالتجاء الى ما اعتدنه من مبتذلات الاحاديث كالتشكي من الخدم ، والتذمر من الرجال ، والتوسع في كيفية اعداد المآكل والمشارب والمربيات ، والاسترسال في اخبار القبعات والفساطين ، وفي القال والقيل ، وافراغ قلوبهنّ من كل ثقل او سرّ او نميمة ، وقد تتكلم احداهنّ ولا تنتبه الاخرى لحديثها ، فتردّ لها الجواب في موضوع غريب عنه ، وليس في ذلك كبير امر ، فما القصد الا «قتل الوقت» بكل مبتذل من افكار او اخبار . ولو فرض على كل سيدة من المجتمعات ان تبتكر جملة او فكرًا لقضين الوقت في صمت شامل .

دع السيدات واسأل التجار عن احاديثهم مع زبائنهم من نساء ورجال ، فهل في طاقتهم ان يلجأوا الا الى ما اعتادوه من مبتذلات الجمل التحيّة والتبجيلية ، فهم يمدحون فطنة الشاريات وجمال الآنسات وذوق الأمهات ، ويحلفون الاقسام المحرّجة والايمان المغلظة ، ويرددون ذلك كل يوم من صباحهم حتى مسائهم ، ولو عمدوا الى الابتكار في الحديث لما باعوا ولا شروا

خذ الطبقة الراقية من الادباء فهل لهم اذا اجتمعوا على شرب او في حفل ان يخرجوا عن المبتذل من آرائهم واقوالهم ؟

خذ قادة الرأي العام ، واصحاب السلطة والمقامات ، فهل هم يسيرون على

غير ما اختط لهم السابقون ! فكلهم يخشى ان يحيد عن الطريق المعبد ، ويفضل الابتذال على خطر الابتكار .

كل شيء مما يحيط بنا مبتذل . فالحديث مبتذل ، والثياب المبتذلة لولاها لعري الناس ، وان من دعاها في لغتنا الكريمة « بذلات » ، فانه ، ولا شك ، قد نظر الى هذا المعنى فيها .

اما المبتذل من البناء فهو في جميع المدن والقرى فلا تكاد تقع العين الا عليه . فبيوت بيروت مثلاً هي على طراز واحد ولم تخرج عن ابتذالها الا قليلاً ، وذلك بعد الحرب . اما قبل الحرب فكانت نسخة واحدة .

والمبتذل من الناس تكاد ان لا ترى غيره . فالبلدان الواسعة الاوجاء المترامية الاطراف تضيق بالرجال العاديين المتساوين في الدرجات الانسانية ، والافكار الشائعة ، والعواطف العامة ، والمخاوف والخرافات والعقائد والعادات ، حتى ان النوابغ منهم لا يطيقون الافلات من المبتذلات . فكم من كتاب وكم من خطبة وكم من مقالة دبجتها يراعة المشاهير منهم هي مفعمة ابتذالاً ! وكم من قصيدة جادت بها قرائح فحول الشعراء هي دون المبتذل من النظم ! فالمبتذل هو الخزينة العمومية الطافحة الفائضة بالغنى تمد اليها الايدي من كل طبقات الناس . فالصعاليك لهم فيها نصيب ، والملوك لهم فيها نصيب اوفر . هي الغنى والسعادة ، هي قوة البلاد ، وحياة العباد .

فلو فرض المستحيل وحظر على الناس التبذل فما اهول الشر وافدح الخطب ! فلا سبيل عندئذ للعيش ، ولا للتعامل ، ولا للاجتماع ، ولا للحديث . فكم من سيدة تقفل باب قاعتها ! وكم من خطيب يخرس ! وكم من شاعر يصمت ! وكم من كتاب يطوى ! وكم من جريدة تصدر بيضاء ! وكم من عشرة تبطل ! وكم من صداقة تحل ! وكم من فكاهة تذوي ! حتى انه ليقضى على تسليم الناس بعضهم على بعض . حتى انه ليبتلى القوم بالخرس والصمم والعمى !

فاذا عرفت ذلك ، ايها القارئ الكريم ، فافض بالحمد لله على هذه المنة ، واشكره كثيراً ، وانظم المدح اشكالاً والواناً في تقريظ « المبتذلات » ، ولا تقتصد ولا تبخل بما عندك من الفاظ طنانة واوزان رنانة فانها لا تذهب

سدى.

***

اما اذا هلّلنا لهذه النعمة في الحياة الدارجة والمعاملات والمجاملات ، فيحق لنا ان نكون اشد تطلباً واصعب مراساً عندما نحاول ان نخرج طوعاً من عالم « المبتذلات » الى عالم ارقى واشرف ، فنأخذ مثلاً ديواناً من الشعر او قطعة من الموسيقى ، او صورة من الصور ، لتحول مجرى حياتنا ولوقليلاً وتغذي نفوسنا بغير هذا الطعام العادي ، فيجب على الاقل ان لا تكون هذه الآثار التي نمنحها ثقتنا فارغة كل الفراغ من شيء مبتكر غريب يثلج الصدر ويكون لنا مكافأة على محاولتنا ترك حياتنا الهادئة المستكينة المبتذلة ، واقتحامنا المتاعب والعقبات للاشراف على شيء جديد.

وما نحن بالطامعين كثيراً ، بل نرضى ان نرجع من جولتنا بالشيء اليسير، بالفكر الواحد من كتاب ضخم ، بالبيت الواحد من قصيدة مثوية ، بالصورة الواحدة من معرض تصوير ، بالنغمة الواحدة من مغناة . ولكننا كم رجعنا بعد طول العناء بخفي حنين !

اثر قديم

للبطريرك مكاريوس ابن الزعيم

نشرها الياس حسون المعلوف

اتانا من حضرة الاديب الياس حسّون المعلوف في المحيدثة – بكفيا ما يلي :

. . . طالعت بامعان كلي المقال المنشور في العددين ٨ و٩ (آب وايلول) من مشرقكم الزاهر بشأن الاعتقاد بطيبتي السيد المسيح له المجد.

ولما كان لدي مقالة تشير الى هذه العقيدة اخذتها عن مخطوط قديم وضعه المثلث الرحمات البطريرك مكاريوس ، بطريرك انطاكية وسائر المشرق ، المعروف بابن الزعيم حينما كان في تفليس عائداً من المرة الثانية الى روسية ، انقلها اليكم راجياً نشرها في مجلتكم الموما اليها لانها مما يستحق النشر. قال ، رحمه الله ، بعد ان اورد وقائع فتح السلطان محمد الثاني العثماني القسطنطينية وكيف اباح لعساكره السبي والنهب والتدمير الخ.

ثم بعد ثلاثة ايام امر السلطان ونادى بالامان وبرجوع النصارى الروم الى المدينة لانها بعد الفتح اقفرت من السكان ولم يبقَ فيها غير العساكر واطلق التنبيه بان لا يعترضهم احد في معتقدهم وعوايدهم وقضائهم وان يسكنوا في محلاتهم بكل حرية ويباشروا اشغالهم بحسب احوالها.

فعاد الروم الى المدينة حسبما امر السلطان واوعز الى الاساقفة والقسس ان يختاروا بطريركاً جديداً فاختاروا الصالح الذكر والطيب الاثر جاروجيوس سكولاريوس الذي كان قاضياً معروفاً بالنزاهة والحكمة والعلم الواسع ورقّوه بسرعة الى درجة الاسقفية وانتخبوه بطريركاً باسم جناديوس ولما كانت الاصول المتبعة من ملوك الروم انه حين ينتخب بطريرك يعطيه الامبراطور من يده عصاً من الذهب مرصعة بالحجارة الكريمة ويركبه على فرس كريم مسرج بسرج مذهب ويطاف به بكل اكرام في كل المدينة محاطاً بعظماء المملكة اكراماً له:

فهذا جميعه صنعه السلطان المذكور مع البطريرك المومأ اليه اكراماً له وارضاء لملته. وسارت جميع الملوك بني عثمان مع الروم على هذا السبيل.

وفيما بعد انطلق السلطان الى البطريرك وصار بينهما جدال في شؤون الدين المسيحي وايمانه.

وامر السلطان ان تكتب الاسئلة والاجوبة على صحيفة باللغات اللاتينية واليونانية والتركية والعربية. فابتدأ البطريرك يشرح للسلطان والكتبة تكتب باللغات المذكورة.

قال البطريرك :

اننا نؤمن بان الله خلق كل موجود مما لم يوجد. وانه غير ذي جسم تام بالحكمة لا بداية ولا نهاية له موجود في العالم وهو يفوق العالم . لا يخلو منه مكان. وهو في كل مكان. وهو حكيم صالح حقيقي وهو الحق نفسه قد حوت صنائعه التوزيع بسابق ايعازه وهو وحده ارفع سموًا وكمالًا. وهذا الكمال حوته خليقته بانعامه عليها. وخليقته هي غيره لانه بما انه حكيم يحكمها. وبما انه الحق يحققها وامثال ذلك من هذه الاشياء. بما انه اله ورب قد حواها. واما خليقته فبحسب الشركة والاستنهال فقد انالها ذلك . ونؤمن ايضاً ان الله ثلثة خواص وهي عنصر خواصه وينبوعها لاجل هذه الثلثة هو اله حي ازلي في ذاته قبل ان يبدع العالم منه . ولذلك ابدع العالم وهو مدبر العالم. وهذه الثلثة خواص ندعوها الثلثة الاقانيم اي ثلاثة وجوه. وهذه الثلثة الخواص لا تنقسم بالوحدانية لاجل ذلك هو اله وليس ثلثة الهة . ونؤمن ان من طبيعة اللاهوت اشرقت الكلمة والروح كما انه من النار يكون النوار (النور) والحرارة. وكما ان من النار يُستمد النور والحرارة. وهذه النار لا يخلو منها النور والحرارة بل تبعث لنا نورها وحرارتها. فعلى هذه الجهة قبل ان يبدع الله العالم كانت الكلمة والروح مساهمين طبيعة اللاهوت لان الله عقل وهذه الثلثة الاقانيم عقل وكلمة وروح اله واحد كما ان في نفس الانسان الواحدة عقل وكلمة. اي كلمة عقلية ونطق وارادة عقلية وهذه الثلثة هي نفسها واحدة بحسب الجوهر. وكذلك كلمة الله ندعوها حكمة الله وقوة الله وابنه. لانها مولودة من طبيعته وبحسب

ولادة نفسه. وندعوه[1] ايضاً ارادة الله وروح الله ومحبة الله. فندعو العقل ابناً لانه غير معلول وغير مولود. والابن والروح معلولان. وان الله ليس يعقل خليقته فقط بل يعقلها ويعرفها ذاته. لاجل ذلك له كلمة وحكمة وبها يعقل ذاته كثيراً. فلذلك كلمته وروحه ازليتان منه. وهو ازلي معها. وهذان الاقنومان من الله اله واحد.

ونومن بان الله بواسطة حكمته وكلمته وقوته ابدع العالم وبواسطة ارادته وروحه الصالح يدبر العالم ويحرك كل طبيعة في العالم نحو الخير حسب رتبته. لاجل ذلك نومن انه لما اراد الله برحمته ان يرد العالم من ضلالة الشيطان وعبادة الاصنام كون ان ما كان بالله تعالى وبشريعة موسى غير موضعاً صغيراً من الارض وهي ارض اليهودية[2] وكان باقي المسكونة يعبدون الاصنام والالهة الباطلة عوض الاله الواحد الحي الحقيقي فيعبدون ويسجدون كل واحد بحسب شهوته. فصنع الله دواء لمثل هذه الخديعة بان اعاد خليقة الطبيعة البشرية بواسطة كلمته وروح قدسه. لان ليس لكلمة الله طبيعة بشرية مثل الانسان كي تخاطب الناس. وبما ان كلمة الله وحكمته تعلم الناس بان يؤمنوا بالاله الحقيقي الواحد ويسيروا بحسب الشريعة التي سلمها اليهم وايضاً بما انه انسان تكون سيرته شهادة لتعليمه. اولاً حفظ الشريعة التي كان اعطاها للناس بذاته اعني شريعة موسى. وبما انه كلمة الله وقوته فله القدرة ان يتقن زينة الصلاح بعمله لانه غير ممكن ان قوة بشرية ترد المسكونة الى الله بالكلمة. فبما انه كلمة الله زرع تعليم الحق في اورشليم. وبواسطة روح قدسه اثار الرسل وقوّاهم حتى

---

١) ان ضمير الغائب في « ندعوه » عائدٌ، ولا شك، الى الاقنوم الثالث دون الثاني. فان « الارادة والروح والمحبة » انما هي من خواصّ الاقنوم الثالث. ومن ثم نرجّح ان النصّ ناقص قبل لفظة « وندعوه » ذلك لانّ الاسم الظاهر « اي الاقنوم الثالث »، الذي يحلّ محلّه ضمير الغائب في لفظة « وندعوه »، لا ذكر له فيما قبلها (المشرق)

٢) لا يُفهم لهذه الجملة معنى ما لم يُضف اليها فعلٌ، قد يكون سقط منها، وهو « يدين » او ما هو بمعناه، فتكون الجملة على ما يلي: « الاصنام، لكون ان ما كان يدين بالله تعالى وبشريعة موسى غير موضع صغير من . . . » والله اعلم (المشرق)

زرعوا هذا التعليم الحقيقي في هذا العالم اجمع لاجل محبة الله الذي ارسله محبةً لخلاص العالم حبا صار ان يسوع كان نموذجاً الذي مات طوعاً بطبيعته البشرية من اجل العالم ليخلصه. فهكذا نؤمن نحن باله واحد في ثلاثة آب وابن وروح حبا علمنا ربنا يسوع المسيح. وبما انه هو الحق فجميع ما هو منه حق. وهكذا علمنا تلاميذه بايضاح بان نؤمن ونفعل بحكمة الله. وان حيوة المسيح في جسده كانت حياة انسان بالقداسة. واما القوة والحكمة وافعال العجائب فكانت قوّة الله.

ونؤمن انه كما ان النفس والجسم في انسان واحد يكونان انساناً واحداً هكذا كلمة الله التي هي المسيح من جهة واحدة. ومن جهة اخرى هو نفس وجسم ذو طبيعتين تامتين متقسمتين في انسان واحد. وهكذا اللاهوت والناسوت في المسيح الواحد متقسمان[1] وكل طبيعة تامة بذاتها. واما الاقنوم فهو اتحادهما بوجه واحد. فلا كلمة الله استحالت الى جسد المسيح. ولا جسم المسيح ونفسه استحالا الى كلمة الله. بل كانت وتكون في المسيح بعد هذا التدبير العجيب. اما كلمة الله فهو الكلمة الواحدة من الاقانيم. ومن جهة الناسوت فهو انسان. ولا نقول ان ناسوت المسيح اشتمل على اللاهوت. ولكن اللاهوت[2] كلمة الله اشتمل على طبيعة الناسوت. واتحد فيها قواماً فكل الامور التي بالله ومن الله فهي طبيعته الالهية فلذلك كلمة الله العقلية ندعوه الهاً ونؤمن به ان كلمة الله المسيح الاله والانسان. اما الانسان فلاجل النفس والجسم واما الاله لانه كلمة الله. وكما الشمس التي نورها في كل مكان هكذا ايضاً كلمة الله كانت في المسيح وفي العالم وفي السماوات وفي الله الاب. لان كلمة الله غير محصور كما ان الله جلّ عزّته غير محصور الذي العقل مولود منه اي الكلمة ولكن في الله الآب.

١) قد يُفهم من اللفظة « متقسمان » ان اللاهوت والناسوت ، في الكلمة المتأنس ، هما منفصلان . ولذلك تفضل لفظة « متميزان » على لفظة « متقسمان » (المشرق)

٢) المراد في اللاهوت هنا الاقنوم الالهي الثاني ، الذي هوّ ولاهوته شيء واحد . . . (المشرق)

ونومن ان هذه خليقة الله بساهمتها صلاحه ونعمته لا ينالها نقص البتة. لان بصلاح خليقته وفضيلتها يستبان علو شرفه. وبمقدار ما تحسن خليقته يزداد صلاحه وتوضح جودته وقدرته. فعلى هذه الجهة تفاقت محبة الله وقدرته وجودته لجنس البشر حتى اتى هو الاله كلمة الله بكامل قدرته يسوع المسيح. ونؤمن ان المسيح صُلب ومات طوعاً بارادته لاجل فوائد عظيمة كثيرة ولمعانٍ جميلة جزيلة فعل ذلك بحسب البشرية. لان كلمة الله لا يقع عليها عذاب ولا موت ولا قيامة[1]. واقام معه جميع الاموات بقيامته بالجسد الذي لبسه.

ونومن ان المسيح صعد الى السماوات وسوف يأتي بمجدٍ ليدين العالم. ونومن ان نفوس الناس غير مائتة وكل اجساد القديسين تقوم عديمة البلاء مضيئة خفيفة لا تحتاج الى طعام ولا لباس. وانهم يتمتعون في الفردوس السماوي بمشاهدة الله تعالى. واما الخطأة الذين ماتوا مصرين على خطاياهم منعكفين على لذات هذا العالم ففي جهنم يعاقبون الى ابد الدهور واذا وصلت النفس الى هذه المعرفة فتنظر نظرًا عقلياً اسرار الله التي لا يعرفها عارف الا بالايمان بيسوع المسيح. وان تجسد كلمة الله كان لعلل جليلة. ونحن نقنع من تلك المعاني لتحقيق امانتنا ان انبياء تقدموا فأنبأوا ونحن نؤمن مصدقين بجميع ما صنعه المسيح. وان سائر الكائنات منه وجميع ما صنعه وعلّم به تلاميذه كان بقوّته. لانهم جميعهم اشاعوا عظائم المسيح واعلنوها لنا وكانوا أمينين: ونؤمن ان جميع كتب امانتنا متفقة في كل شيء. لان الذين كتبوها تلقنوها وأُوحي لهم بها من معلم واحد وهو كلمة الله.

ونؤمن ان هذه الامانة كانت معجزة جديدة قبلها الناس بنشاط واحتملوا لاجلها شدائد وعذابات كثيرة. وليس فقط الجهّال العديمو العلم بل الفهماء والفلاسفة. وبواسطتها انحلت واضمحلت عبادة الاصنام والابالسة.

---

١) أجل لا يقع شيء من هذا على كلمة الله، من حيث طبيعته الالهية. وانما وقع هذا كله على كلمة الله، اي على الاقنوم الالهي الثاني بذاته، من حيث انه تدثر طبيعةً بشرية مخلوقة (المشرق)

وهذه الامانة لا تتضمن شيء غير ممكن ولا غير متفق ولا جسداني بل كلها روحانية جاذبة نفوس الناس الى محبة الله والحيوة الابدية المتيدة .

ونومن ان كل الذين نالوا هذه الامانة وساروا سيرة فاضلة حسب شريعة المسيح قد اخذوا من الله مواهب جسيمة وصنعوا باسمه قوّات كثيرة .

ونؤمن ان جميع ما يقوله المخالفون على هـذه الامانة من الاعتراضات يمكن ان يحلّ ويدحض بكل سهولة اذ ليس في هذه الامانة شيء يضاد الحق . وقد اضطهدها كثيرون من المتعصبين والملوك فلم يقدروا ان يبطلوها بل غلبتهم هـذه الامانة . ولم تزل ثابتة مستمرّة الى مجيء المسيح الثاني . لان هذه الامانة هي ارادة الله . ولو لم تكن بارادة الله لاضمحلت بسهولة .

فهذا ما شرحناه عن امانتنا باختصار وبكلام وجيز امام مولانا وسلطاننا المعظم أيّد الله ملكه بعدل يرضي عزته امين (اه .)

فلما نظر السلطان محمـد الى ما كتبه البطريرك اعجبه كثيراً وامر ان تحفظ هذه الكتابة باللغة العربية والرومية والتركية والاناضوليـة في خزينة المملكة .

الحياة في بيروت

على عهد الصليبيين

بقلم الاب لامنس اليسوعي

٣ (تتمة)

كيف كان يقضي الصليبيون ايام السلم والطمأنينة في بيروتهم الجميلة ، تحت سماء فنيقية اللطيفة ؟ اذ ان حياتهم لم تكن كلها منقسمة بين نقل السلاح ووزن الدنانير .

كانت المراكب التجارية تستفيد من ايام الخريف الاخيرة فتشرع اشرعتها للهواء الشرقي ، او هواء البرّ ، فتغتنم الفرصة لتعود مسرعةً الى مرافئ الغرب . لان مرفأ بيروت كان اصغر واقلّ معدات من ان يقوم بوقاية الخلايا الكبيرة ابان الشتاء . اما الامراء والاعيان فكانوا ينصرفون الى الملاهي ، وقد خففت الامطار الاولى وطأة الحرّ ، فبدأ فصل اللذة والسرور .

ولم يكن لبنان حينذاك تعرّى من ردائه الاخضر . من الحق ان غاباته لم تكن على كثافتها المذكورة في زمن تلّ العمارنة في القرن الخامس عشر قبل المسيح ؛ اذ كانت تمنع حتى مرور الاشعة الشمسية ؛ ولكنها كانت وافرة واسعة المساحة . واننا نعتقد ان تلك الاحراج الارزية اللاجئة اليوم في اعالي البارك كانت تنحدر حتى مقاطعات الغرب الاعلى ، فتحيط بالاقطاعات اللبنانية المذكورة اسماؤها في فرامانات آل إيبلن الى امراء الغرب[1] . كما ان غابة الصنوبر كانت تنبسط على ابواب بيروت حتى مرتفعات الجبل ، على قول الادريسي وغليوم الصوري . وقد بيّنتُ سابقاً كيف عرف الافرنج ان يستغلّوا هذه الثروة الشجرية ، حتى جاء بعدهم المماليك والاتراك فاهملوها وعملوا على ملاشاتها[2] .

---

١) راجع بحثنا المعنوَن *Topographie franque du Liban*, dans les *Mélanges* I, 250

٢) اطلب كتابنا *La Syrie*, II, 7

وكان يعيش في هذه الغابات كثير من الحيوانات المتنوّعة كالدببة ، والخنازير البرّية ، والضباع ، والهررة البرّية ، والذئاب ، وقد يكون فيها حمار الوحش ، وحتى الاسد ، ان صدقنا صالح بن يحيى[1] . واننا نرى في مذكرات الامير السوري أسامة بن منقذ عدّة اشارات الى صيد الاسد[2] . على أننا نعتقد ان هذا الامير يفخر بانتصاره على اسود كثيرة لم يرَها حقيقةً ، فيسرد عدداً من الحوادث المضحكة[3] . ولعلّه قام بذلك ليُنسي الناس ما كانوا يتناقلونه من هجائه لجبنه وخوفه ، اذ كان حاكم بيروت ، على عهد صلاح الدين ، فهرب مع اسرته ورجاله ، قبل ان يصل اليها الفرنجة . ولعلّ الاسود التي صادفها كانت خاصةً من رجال الفرنجة ! فهو لا يتهاود في شتمهم ، ولكنه لا ينكر عليهم صفة واحدة ، على الاقل ، وهي الشجاعة .

على ان ما يرويه أسامة من هذه الاخبار يدلنا على طريقة تنظيم الصيد والقنص في عصر الصليبيين . فكانوا ، اذا خرجوا الى هذه الملاهي ، استصحبوا اصحاب البزاة ، ورجال الشباك ، ورماة النشاب ، وحملة الحراب والفؤوس . فينظرون نوع الطرائد ويطلقون عليها تارة البزاة والصقور ، وطوراً كلاب الصيد ، واحياناً الفهود المدرّبة[4] .

وقد كانت رغبة امراء الصليبيين في الصيد تعادل رغبتهم في اقتناء الخيول المطهّمة حتى انهم كانوا يمثّلون دائماً فرساناً بخيلهم واسلحتهم في اختام فرماناتهم[5] وكان الصيد بواسطة البازي من ملاهي السراة والامراء . وقد ذكر صالح البزاة بين الهدايا القيّمة التي كان يرسلها امراء باروت الى عمّالهم من امراء الغرب[6] .

---

١) صالح بن يحيى : تاريخ بيروت المذكور ، ص ١١٢ – واطلب ابن بطوطة : رحلته ١ : ١٨٥

٢) اسامة بن مُنقذ (طبعة Derenbourg) ص ٥٦ ، ٥٧

٣) خصوصاً في الصفحات ٧١ ، ٨٠ . . .

٤) أسامة (طبعة Derenbourg) ص ٩٢ ، ١٤٦ ، ١٥٦

٥) صالح : الكتاب المذكور ، ص ١١٢ – واطلب Rey, *Colonies*, 28

٦) صالح : ص ٨٧

على انني اجهل هل استعملوا الفهد المدرّب في صيدهم . بيد ان أسامة يذكر ان احد فرسان الفرنجة كان قد درّب نمراً وروّضه حتى كان يتبعه كالكلب .

وهكذا كان يسير امراء بيروت مع عمّالهم اللبنانيين الامراء الى رحلات عديدة طويلة في سبيل الصيد والقنص . وكان امير بيروت ، في احيان اخرى ، يدعو امراء الجبل الى الحفلات في جنائنه وبساتينه ، ولاسيما عندما كان يزوّج احد اولاده . وهي دعوات رسمية اكثر منها عن اخلاص وسلامة طوية ، كما يظهر من بعض المحاولات التي قام بها الامراء احياناً في سبيل خيانة وليّهم ، ومن اقتصاص هذا منهم بشدّة وصرامة .

كان امراء الغرب يعتقدون انهم يجدون في الحيلة والمراوغة حلّاً لموقفهم الدقيق . كانوا واقعين بين سادة الاسلام السنيّ وامراء الفرنجة ، وهم لا يحبون الاولين ولا الآخرين ، انما يهمّهم امرٌ واحد ، وهو العمل على ضمانة استقلالهم الداخلي . وكيف يكون ذلك الا بان يرضوا سادتهم وجيرانهم من الفرنجة ، دون ان يغيظوا المسلمين الذين يمكنهم ، بين ليلة وضحاها ، ان ينتصروا على الفرنجة ويحلّوا محلّهم . فعلى امراء الغرب اذاً ان يظلّوا على علاقات حسنة مع دمشق والقاهرة ، وان يقبلوا من امير بيروت ، لا الدعوات الى الصيد والاعياد فحسب ، بل الهدايا ، والاقطاعات . بل انهم يطلبون الاقطاعات من امير سايت او صيدا ، ايضاً[1] . فيكونون عمّال الفرنجة ، دون ان يحنقوا المسلمين . هذه السياسة المزدوجة « اللاعبة على الحبلين » ، كما يقال ، قادتهم احياناً الى التضحية بواجباتهم تجاه سادتهم الفرنجة بل الى خيانة هؤلاء . فلم يمتنعوا قطّ عن مراسلة امراء دمشق سرّاً ، فاطلاعهم على حركات الفرنجة وحالة عساكرهم . حتى لقد يمكننا نعت تلك المراسلات بالجاسوسية المنظمة . على ان امراء الفرنجة من جهتهم كانوا قد نظّموا مصلحة اخرى تطلعهم على تجسّس امراء الغرب انفسهم . وقد جروا طويلاً على هذه الحالة حتى اذا تأكدوا سوء نية عمّالهم المذكورين

---

١) صالح : ص ٨٣

عزموا على البطش بهم بطريقة حاسمة تحدث دوياً وتأثيراً في البلاد . وذلك ان امراء الغرب انشأوا حصناً في سرحمور قرب الشويفات . فكان عملهم خطراً على امارة بيروت في زمن كان فيه الصليبيون يواقعون بشدّة السلطان نور الدين ، فحفظوها لهم .

وكان من الصليبيين من يعزهم اسامة عن لهيرهم بتقدمهم في الشرق ، حتى انهم « تبلدوا »[1] ، فاتخذوا عادات الشرقيين ، وعاشوا على اتفاق مع جيرانهم المسلمين ، وكان منهم امراء بيروت . على ان هؤلاء لم يمكنهم غض الطرف عن مراوغة عمالهم امراء الغرب . فعزموا على اتقاء الحيلة بالحيلة . ولم يكن من شك في الخيانة ، وهي تستحق الموت في الشريعة الاقطاعية النافذة في حكومات سورية اللاتينية . ويجب ان لا نسهو عن امر مهم . وهو ان امراء الغرب اللبنانيين بقبولهم اقطاعات الصليبيين اصبحوا عمالهم ورجالهم واشهدوا الله على امانتهم لهم . فهم ان خانوا لزمهم العقاب ، والعقاب الشديد في نظر امراء بيروت . على ان الصعوبة كانت في استدراج امراء الغرب واخراجهم من ملجأهم الحصين ، كي يتمكن الصليبيون من هدمه في غيابهم . فضلاً عن انه كان من متطلبات الاحوال ان يكون العقاب شديداً سريعاً يؤثر في سكان الجبل ومجاوريهم . فتخيل امراء بيروت طريقة موافقة أثرت دون شك في الشرقيين ، اعرف الناس بتقدير القوة الرشيدة .

ومن حسن الاتفاق ان امير بيروت كان يهم بتزويج احد ابنائه . فدعا جميع الامراء المجاورين كآل لمبرياك (Lembriac) سادة جبلة (جبيل) ، وسادة سابيت (صيدا) وذوي اقطاعاتهم . ولم يكن من اللائق ان ينسى امراء الغرب . ولا يخفى ان اعراس الصليبيين كانت على غاية من الابهة والفخامة ، لا نعرف ذلك من وصف صالح بن يحيى ، فانه تجنب ، وسنرى لماذا ، ان يفيض في تفاصيل هذا العرس . على اننا نجد في رحلة ابن جبير ، المعاصر لهذه الاحداث ، وصفاً لعرس افرنجي حضره في صور ، وقد لفت نظره خاصة مشهد

---

١) اسامة : ص ١٠٣ ، في اسفلها

العروسة البارزة «في ابهى زيّ وافخر لباس تسحب اذيال الحرير المذهب سحباً على الهيئة المعهودة من لباسهم وعلى رأسها عصابة ذهب قد حُفّت بشبكة ذهب منسوجة وعلى لبتها مثل ذلك منتظم وهي رافلة في حليها وحُلاها تمشي فترًا في فتر مشيَ الحمامة ، او سير الغمامة ... والمسلمون وسائر النصارى من النظّار قد عادوا في طريقهم سماطين يتطلعون فيهم ...» وزاد الكاتب: وهم «لا ينكرون عليهم ذلك» ... اما هو فقد استعاذ بالله «من فتنة المناظر»[1]

ولم تكن عروسة صور ، على ما يظهر ، الا ابنة احد السراة ، او اغنياء التجار . فكيف بعرس يقيمه بلاط امير بارون ؟

وقد اسرع الامراء اللبنانيون لتلبية دعوة متبوعهم . وكان لديهم السلاح الفاخر ، والخيول المطهمة . ولم يكونوا ليتراجعوا عن التفاخر بها امام سادة بيروت وسكانها ، ليتنافسون واولئك الفرسان لابسي الخُوذ وحاملي الريش ، الذين يدعوهم صالح بن يحيى ، بشيء من التفخيم ، «ملوك الفرنج» . وهاكم ما يقوله في تفصيل ما آلت اليه هذه الحفلة :

«فلما كان وقت العرس نزل الثلاثة (اي الامراء اولاد كرامة بن يُجقر) الى بيروت ، فانزلهم صاحبها في بستان ظاهر البلد ، واعتذر اليهم لايوائهم خارج البلد لكثرة ما اجتمع فيه من طوائف الفرنج لوليمة العرس،وزاد في اكرامهم . ولما دخل الليل سألهم الحضور الى مجلس خاصّ قد هُيئ لهم وللملوك الفرنج . فدخل الثلاثة الى القلعة ومعهم نفرٌ قليل . فكان آخر العهد بهم . وركب صاحب بيروت بمن عنده من جموع الفرنج في صبيحة تلك الليلة ، وطلعوا الى الحصن ، وكان خالياً من الرجال . فهرب من كان به ... فنهبت الفرنج الحصنَ وهدموه والقوا حجارته في الوادي ولم يبقوا له اثرًا واحرقوا القرى واسروا من تخلّف عن الهرب .»[2]

ولا حاجة الى القول ان مأساة هذا العرس كان لها الاثر البعيد في تاريخ

---

١) ابن جبير: الرحلة ٢٠٥-٢٠٦

٢) صالح بن يحيى : ص ٧٤-٧٥

امراء الغرب،فنزعت من فكر خلفائهم كل رغبة في بناء الحصون والمعاقل. على ان الصليبيين لم يكونوا ثقيلي الوطأة في حكمهم ، اذ ان ابن جبير لا يتمالك ان يستعيذ بالله اذ يرى مسلمي سورية يرحلون الى مناطق الفرنجة ليخلصوا من ظلم امرائهم المسلمين.

وقد كان لامراء بيروت وسكانها اعياد واحتفالات دورية لا تتخضب بالدماء كالحفلة السابقة، يذكر منها صالح بن يحيى عيداً كان يحتفل به النصارى والمسلمون على السواء ، فيخرجون الى نهر بيروت ، ويدعونه «عيد النهر». ويزيد الكاتب انه «من البدع»[1] . اما موقع ذاك العيد فكان في الثالث والعشرين من شهر نيسان ، وهو الموافق لعيد القديس جرجس. ولا يخفى ان قرب جسر بيروت يقع معبد اسلامي معروف بالخضر ، وهو في الاصل كنيسة قديمة على اسم القديس جرجس. ونحن نعرف ان بيروت من المدن التي اختارتها الاسطورة موقعاً لعراك القديس والتنين . وقد راقت هذه الحادثة المؤرخ المذكور فلم يتراجع عن ذكرها بالتفصيل . واثرت كذلك في تسمية الخليج الصغير الواقع قرب النهر فدعي «خليج مار جرجس» . ويقول صالح : «والنصارى تصور هذه الكائنة في سائر كنائس بلادهم قلّ ما يخلو منها كنيسة.»[1] ومن السهل ان نتحقق كم كان شعبياً ذاك العيد بتهافت المسلمين على الاحتفال به مع النصارى ، وعلى السرور والاغتباط بعودة الربيع . ولا غرابة في ان يكون امراء الصليبيين كانوا يشتركون في ذلك ايضاً ، وقد اتخذوا القديس جرجس ، صاحب العيد ، شفيعاً لهم . وقد يكون من جملة ملاهيهم القيام بالاعيب الفروسية[2] من سباق ولعب جريد ، وهذا النوع كان مرغوباً فيه كل الرغبة في حلقات الصليبيين بشهادة كثير من مؤرخي ذاك العصر.

يظهر من كل ما تقدم ان فرنجة بيروت لم يكونوا من النساك ولا الزهاد . كانوا يحبون الصيد والالاعيب الحربية . وكانت جميع فرماناتهم

---

١) صالح بن يحيى : ص١٦

٢) اسامة بن منقذ : ١ : ١٠٢

التجارية تذكر دائماً اعطاء حمامات الى التجار من افراد الطوارئ . ولرب من ينسبهم ، في طمأنينتهم تحت سماء فنيقية ، الى نسيان بيت المقدس وتخليص القبر المقدس . على انه نسيان ظاهري فقط ، ولقد كان بامكانهم ان يردوا على ذلك بان يشرحوا دعاء الصليبيين الجميل : « الله يشاء ذلك ! » على طريقة الاخ تروفيم في رواية « الاميرة البعيدة » لروستان ، اذ يقول [1] :

ان ما يشاء الله ليس بذاك التخليص فحسب .
--اعتقدوا انه لو اهتم فقط --
بطرد جماعة الكفرة من القبر ،
لكان ملاك واحد قام بذلك بضربة واحدة من جناحيه ،
ولكن لا . ان ما شاء الله هو ان يترع
جميع اولئك العائشين في البطالة ، اولئك المتكبرين ، الكسالى ،
ذوي الاثانية الفاتنة ، والتهاون الاغبر ،
ليرميهم وسط الحراب يمزجون ، ويفخرون ،
ثملين بخمرة التضحية ، راغبين في الموت بيداً ،
في ذاك التجرد الذي كانوا جميعاً بحاجة اليه .

***

لقد حاولت ، في ما تقدم ، ايجاد موقع القلعة الفرنجية الضخمة . فقلت ان سورها المزدوج ، المردف بالخندق ، كان يرتقي المرتفع فيمتد على القمة الصخرية المشرفة على المرفأ . ومن هذا المكان كان يُلقى النظر على اجمل مشاهد المدينة . وعندما وصلت الامارة الى جان ديبلن ، عمل على ترميم الصرح القديم ، وتوسيع نطاقه . فحوّله الى قصر من اجمل القصور لا في سورية فحسب ، بل « في العالم » اجمع ، كما تقول «ملاحم القبرصيين» بشيء من السذاجة . وكان من اعجب ما في هذا القصر الملكي زخرف القاعة الكبرى قاعة الاعياد

(1) E. Rostand, *la Princesse lointaine* I, sc. 2.

والاحتفالات . وان لـدينا وصفاً لهذه القاعـة خطّه ويلبراند دولـدنبورغ (Willbrand d'Oldenbourg) اذ مرّ في مدينتنا سنة ١٢١٢ ، قال :

« تُشرف هذه القاعة من جهةٍ على البحر ، ومن الاخرى على الجنان المحيطة بالمدينة وقد رصفت ارضها بالفسيفساء ممثّلةً ماء قد هبّ عليـه نسيمٌ خفيف فتجعّد، حتى ان الماشي في ارضها ليدهش اذ لا يرى اثر قدميه على الرمل المصوّر في الآخر . اما الجدران فمغطّاة ببلاط رخامي غـاية في الجمال . وامـا السقف فمصوّر فيـه شبه السماء . ومعلومٌ ان السوريين والعرب والروم من النوابغ في فنّ الزخرف . وفي الوسط بركة من الرخام المتعدّد الالوان بارزة في غاية الحسن ، وعجيب المـلاسة . وفي منتصف البركة تنّين يظهر مفترساً حيوانات مصوّرة بالفسيفساء ، وينفخ في الهواء عموداً من الماء الصافي فيفيض في القاعـة رطوبة لذيذة ، بفضل ما فيها ايضاً من النوافذ العالية المتعدّدة . »

ولا يزال لدينا حتى اليوم مثلٌ على اعمال سادة بيروت الصليبيين في هندسة البناء ، وهو كاتدرائية القديس يوحنا المعمدان التي كثيراً ما اقام فيها الطقسيات اساقفة المدينة وكهنتها من اللاتين . وقد تحوّلت الكاتدرائية الى جامع ، وهي تدعى اليوم « المسجد العمري » ، ولا اعلم لماذا ؟ ولم يكن للصليبيين المكان الواسع ، ضمن ذاك السور الضيق ، لاقامة كاتدرائية فسيحة فاكتفوا بهذه . وقد درسها الاثري العالم السيد انلار ، وخصّ بها بحثاً دعاه « كاتدرائية القديس يوحنا البيروتية » وفيه يقول : « انها مثل جميل لكاتدرائية المستعمرات الصغيرة ، قليلة الاكلاف ، رشيقة ، متينة ، موافقة . تصميمها بسيط يحتوي على سوق متوسط يحيط به سوقان على الجانبين اقل منه ارتفاعاً ، ويتّصل الثلاثة بثلاث حنايا . » وان من شاء مزيد اطّلاع على هذا الاثر الجميل فعليه بزيارة الكاتدرائيـة نفسها .

اما ماذا حدث بهـذه الكاتدرائية بعـد خروج الصليبيين من بيروت ، وكيف تحوّلت الى جامع ، فمعلومات يطلعنا عليها صالح بن يحيى ، قال :

« لمّا قدّر الله بنزعهـا (بيروت) من يـد الفرنج استقرّت كنيستهم جامعاً وكانت تُعرف عنـدهم بكنيسة مار يُحنّا . وكان بها صور فطـلاها

المسلمون بالطين ، وبقي الطين الى ايام الجد[1] فبيّضه وازال عنه آثار تلك الصور .»[2]

وهناك كنيسة اخرى للفرنجة كان حظها اسوأ من حظ هذه الكنيسة . وكانت تقع « شرقي البلدة داخل السور ، على قول صالح نفسه ، وتُعرف بكنيسة إفرَنسيسك . ويزعم الفرنج ان افرنسيسك هذا قديس ظهر متأخرًا من مدة مئتي سنة مضت الى هذا التاريخ ، وكانت هذه الكنيسة كبيرة فجعلها السلف اسطبلًا . . . وهي في وقتنا هذا[3] خراب بيت لبني الحمراء فنقلوا حجارتها الى مدرستهم .»[4]

هذا وانا لا نعرف شيئاً عن مصير كنيسة القديس جرجس خاصة الجنوية ، ولا عن مصير كنيسة القديس مرقس خاصة البنادقة . ثم ان ميشيليه (Michelet) يذكر في جزيرة ، في بيروت ، ديرًا لرهبان البريمونتري (Prémontrés)[5] . ونحن نذكر المطالع ان نتوز ، ناظم ملحمة ديونيزوس ، يدعو بيروت « مدينة الجزر الجميلة » . اما كيف اختفت تلك الجزر واي اعصار ابتلعها فما لا نعرفه . ولا نعرف كذلك اثرًا آخر لديورة الفرنجة في امارة بيروت . فان التامبلية والاسبتالية لم يبنوا فيها واحدة من تلك القلاع الممحَنة التي عملت كثيرًا على الدفاع عن المملكة اللاتينية على ان الاسبتالية ، وهم فرسان رودس ومالطة بعد ذاك ، كان لهم في لبنان عدد من القرى والمزارع اقطعهم اياها سادة بيروت ، فكانوا يستغلونها . وان الشهادات والفرمانات الحافظة اسماء هذه الاماكن لمن اثمن الاسانيد لتاريخ لبنان وجغرافيته في القرون الوسطى[6] . وقد كان المزار المهمّ الوحيد في جميع فنيقية الفرنجية معبد سيدة طرطوس وهو من

---

١) اي جدّ المؤلف

٢) صالح بن يحيى : ص ٥٨–٥٩

٣) اي في اواسط القرن الخامس عشر

٤) صالح بن يحيى : ص ١٤٩

٥) *Procès des Templiers* I, 647. Cité par Rohricht, ZDPV, X, 310.

٦) اطلب بحثنا *Topographie franque du Liban*, dans *Mélanges*.

افخم الآثار في هندسة الصليبيين.

***

بعد ان سقطت بيروت من يد امرائها الصليبيين ، لجأ هؤلاء الى جزيرة قبرص . على انهم لم يفقدوا الامل باسترجاع امارتهم . فسايجروا على مراكب اللوزنيانيين ، واتوا ، منذ السنة ١٢٩٩ ، يرقبون المراكز ، ويدورون امام الشاطئ الفنيقي[1] . فتحققوا ما انزل المماليك باراضيهم من الخراب والدمار . وكان المنتصرون ، خوفاً من رجوع الفرنجة ، قد اسرعوا في هدم اسوار المدينة ، ودك ابراج القلعة الضخمة ، وتحويل الكنائس الصليبية . حتى لم تبقَ بيروت الا مجموعة من الخرائب يقيم في وسطها ، حول الاسواق ، وبالقرب من المرفأ الذي هجره تجار جنوى والبندقية الاغنياء ، بضع مئات من السكان . وكانوا يهربون لاجئين الى الجبل كلما ظهر شراع افرنجي في الافق البعيد[2] . اما « امارة باروت » فلم تبقَ سوى عنوان شرف ، ولقب مجد ، له مركزه في سلسلة كبار السراة من مملكة لوزينيان.

١) صالح بن يحيى ، ص : ١١٠ ، ١٩٠ ، ١٩١
٢) اطلب تاريخنا لسورية ٢ : ٣ وما بعدها.

حول تحديد الشعر

بقلم القس اسطفان فرحات اللبناني

ليسمح لي الشعراء والادباء اللغويون ، بالسؤال عما اذا كان تحديد العروضيين الشعر كافياً لان يتبع في صناعة الشعر ؛ وليأذنوا لي في رمي هذه الحصاة في بحر هذا الموضوع ، واني لراض بما يكون من مفعولها ، اصابت تمام الاصابة او بعضها ، ام اخطأت الخطأ كله او بعضه .

لقد عرف العروضيون الشعر بقولهم : « انه الكلام الموزون المقفى » ووقفوا عند هذا الحد ، فخيل الى الذهن ، انهم راضون بتمييزه عن النثر بهذا التعريف وكفى . على حين ان هذا التعريف لم يكن الا فارقاً لفظياً بينهما ، وان الشعر كان ولم يزل واسطة لاظهار الاحساس العقلي والتأثير النفسي . والحال ان هذا يتطلب من الكلام ان يكون مفرغاً بقالب فني من البديع اللفظي والمعنوي لما فيها من الكفاءة على اظهار ذلك الاحساس والتأثير . واذن فذلك التحديد ، الذي ادلى به العروضيون الينا ، لم يفِ بالمقصود ، لانه بات قاصراً عن ادراك كنه الشعر الحقيقي ، واظهار اغراضه الخاصة به ، اذ ليس كل كلام موزون مقفى يدعى شعراً . لذلك كان لا بدَّ للشعر من تحديد كامل يكون اضمن لماهيته واظهر لاسلوبه ، وما الاسلوب الكتابي بالاجمال ، الا عبارة عن منوال تنسج عليه التراكيب ، وقالب تفرغ فيه الالفاظ ، فيجيء الكلام مطابقاً لواقع الحال .

واذن فلعلّ التعريف الاصدق ، او الاقرب الى الصدق للشعر هو هذا: انه الكلام البليغ ، الخارج من النفس المتأثرة به ، المفرغ بقالب الاستعارة ، المربوط بالوزن والقافية .

قلنا : هو الكلام البليغ ، اخراجاً للكلام المجرّد من البلاغة ، فانه لا يكاد يميز ماهية الشعر عن ماهية النثر التي هي سهولة المبنى وصراحة المعنى ، والنثر — كما اظن — لا يحسن ان يخرج عن ماهيته هذه الطبيعية ، لانها افضل طريقة موضوعة لاظهار ما يدور في خلد الانسان من المعاني للمفاهمة بين الجميع . لذلك وجب ان يكون النثر جلياً واضحاً ، بحيث يسهل الوصول الى معناه فوراً حال مطالعته دون ما ادنى اجهاد فكر .

اما الشعر فلا بأس ان يختصّ بفئة من الناس ترفعت في علومها ومداركها عن الفئة الاخرى منهم التي لم يتسنَّ لها ذلك ، لان الشعر كالفنّ ، فالفنان اذا لم يكن لما يتحفنا به مغزًى او كان له كناية صادقة عن حقيقة من الحقائق ، لا يكون لفنه شيء من ارتفاع الشأن . وذلك لان غاية الفن هي ان تخيل الينا النفوس من وراء الاجساد . كذلك يجب ان يرينا الشاعر الحقائق من وراء الالفاظ ، لان غاية الشعر هي ان ترمي الى ما وراء الالفاظ ، الى المعاني الجميلة ، موارية الاغراض النبيلة تحت الصور الخيالية . اذ في الشعر حقائق ادبية خالدة خلوداً يمتنع على الحقائق الخارجية التي يدركها الزوال ويفنيها الاضمحلال . فأيُّ شعر كانت هذه صفته فلا غروَ ان يستولي بمعانيه على قوى النفوس ، ويأخذ بمجامع القلوب ، بل ويختصّ — كما تقدم — بالفئة المتأدبة بالادب الكامل ، اذ لكل قوم ادب خاص به دون سواه ، والادب الذي لا يوضح عن البيئة التي يقوم فيها فليس هو بادب .

الا ان ذلك لا يعني ان يكون النثر خالياً من البلاغة ، كلّا ، سيما وان للبلاغة مراتب شتى على حد قول القزويني : «ان للبلاغة طرفين ، اعلى ، وهو حدّ الاعجاز ، او ما يقرب منه ، واسفل ، وهو ما اذا عدل عنه الى ما هو دونه ، التحق عند البلغاء ، باصوات الحيوانات . وبينهما مراتب شتى ووجوه اخر تورث الكلام حسناً» ؛ او ان يكون غير موشى باثواب البديع اللفظي ، فكّ

ان الشعر هو من تراث العرب الادبي ، كذلك النثر ايضاً ، والشاهد واضح. فكم ينفر الذوق السليم من مطالعة مقال وحشيّ الالفاظ ، جافي التعابير ، مبتذل المعاني . الا ان ذلك النفور منه يكون الى حدّ ما ، ثم ينقضي ، لانه يُعذر عليه ، نظراً لماهية النثر كما اشرنا اليه . ولكنه لا يعذر قط على عدم النفور الشديد من الشعر اذا كان فيه جفاء وابتذال ، بل وعلى السماح فيه ، ولو كان ببعض ظروف. ذلك لان الشعر لم يكن قط لغرض تنفر منه النفس ، او لمعنى ينبذه الذوق السليم .

هذا ، وان الاغراض الشعرية تكاد تنحصر في نقطة من الادب ، وهي سموّ المعنى ، والمبالغة في اظهاره ، وتكييفه بكيفية تجعل النفس مأخوذة به متأثرة بعوامله التي يرمي اليها ، سواء أكان من فرح او ألم ، انس او وحشة ، حب او بغض ، رجاء او يأس ، الى غير ذلك من العوامل التي من شأنها ان تؤثر في النفس ، وتحملها الى ما فوق المادة ، فتسبح في عالم الخيال الشعري.

قلنا : الخارج من النفس المتأثرة به . وبالاحرى المفطورة عليه ، اذ لا يكفي في النفس ملكة الكلام على وجه الاجمال ، بل تحتاج الى ميل خاص الى رعاية اساليب الشعر . لان كل كلام مصدره النفس ، ولكنّ فرقاً عظيماً بين ان تكون تلك النفس متحركة الى اظهار ذلك الكلام ، عن عاطفة فطرية فيها ، وكان باعثها الى ذلك كل من حسن الافتنان في التعبير والمعنى المبتكر ، وانتقاء الوزن والقافية ، لما في ذلك من الموافقة لمطابقة واقع الحال والمقال ، بحيث يشعر القارئ انه صورة مصغرة لتلك النفس ، يقرأ في خلاله آلامها وافراحها ، ويفهم من اساليبه معنويتها الفطرية التي انتهت فيها الدراسة ، او التربية ، او المحيط ، او الظروف ، او الاحوال دينية كانت ام عالمية ، وبين ان تكون تلك النفس مضطرة لاظهار ذلك الكلام ، من بعض العوامل الطارئة عليها عرضاً ، حال كونها خالية من كل تأثير يجعل الشعر حقيقياً ، فيشعر به القارئ كانه مسحوب من بين حناياها سحباً ، لذلك جاء خالياً من كل صبغة شعرية . وبعبارة اوضح ان الشاعر الذي لا يتأثر باحد هاتيك العوامل الطبيعية التي من شأنها ان تلهج النفس فتلهبها ، فيتزى فيها من العواطف ما يجير الغير

على الاحساس بها ، لا يمكن ان يكون شاعراً . وهاك مثالاً ، لا اخالك عند مطالعته ، الا مسلماً بهذا الكلام ، وهو من قول الاخطل ، وابن ذي الكلاع ، حين بلغهما ان الخليفة عبد الملك قرّب منه زفر بن الحرث ، وكان هذا رئيس القيسية وطالما كان قد اعمل سيفه بالتغلبيين لاطاعتهم عبد الملك . ثم قضت الظروف عليه بالانقياد لبني امية بعد ان كان عصاهم ، فاضطر امير المؤمنين عندئذٍ ان يقربه منه لاستمالة قومه . وكان ان دخل ابن ذي الكلاع على الامير ، فرأى ابن الحرث هذا جالساً معه على السرير ، فبكى ، فسأله الامير عما ابكاه فقال : « كيف لا ابكي ، وسيف هذا يقطر من دماء قومي في اطاعتهم لك وها هو معك على السرير ، وانا على الحضيض ! » فقال الامير : « اني لم اجلسه معي لكونه اكرم عليّ منك ، كلا ، ولكنّ لسانه لساني وحديثه يعجبني » فاتصل ذلك بالاخطل فقال : « والله لاقومنّ من ذلك مقاماً لم يقمه ابن ذي الكلاع » . ثم دخل على امير المؤمنين ، وبعد التفطّن به قال :

وكأس مثل عين الديك صرف تنسي الشاربين لها العقولا
اذا شرب الفتى منها ثلاثاً بغير الماء ، حاول ان يطولا
مشى قرشيّة لا شك فيها وارخى من مآزره فضولا

فقال الامير : « ما اخرج هذه منك ، يا ابا مالك ، الا خطة في رأسك »

فقال : « اجل يا امير المؤمنين ، حين يجلس عدوّ الله معك على السرير ، وهو القائل :

« فقد ينبت المرعى على دمن الثرى وتبقى حزازات الصدور كما هيا »

فغضب الخليفة ، ورفس ابن الحرث برجله فرمى به من عن السرير ، فذهب هذا يقول : « والله ما كنت لاوقن بالموت قط ، الا حين قال الاخطل ما قال . »

فهلّا رأيت ان هذا الشاعر اندفع بعامل فطري انته فيه الاحوال السياسية ، الى ابراز عاطفة في نفسه اثّرت بها الى حدّ انها اضطرت امير المؤمنين ان يتأثر بها ، ويرفس ابن الحرث ، الذي لم يكن خطاب ابن ذي الكلاع النثري ، ليؤثر به ، فيطرد زفر دون ان يلحق به اذىً ؟

قلنا : المفرغ بقالب الاستعارة : اخراجاً له من الكلام الذي لا يحتاج الى اعمال فكرة لفهمه ، بل يشعر القارئ كأنه يقرأ من شيء محسوس سطّرت روايته تسطيراً واضحاً واقعياً ، دون ان يعمد الى اي استعمال مجازي او استعارة فيه ، يجتل ذلك الكلام ، مثلاً كأن تقول : «رأيت ثعلباً» ، بدلاً من ان تقول : رأيت محتالاً ، وانت تقصد ثعلباً ، على شرط انه لا بدَّ للكلام المجازي من قرينة تنفي عنه ارادة المعنى الاصلي لمنع اللبس في اداء المعنى المقصود . فالكلام في التعبيرين وافٍ بالمقصود ، مشيرٌ الى ان المرئيَّ هو ثعلب حقيقي ، الا ان التعبير في الاول هو اسلوب نثري ، خلافاً للتعبير الثاني فانه اسلوب شعري . واذاً فوجه الجمال في النثر غيره في الشعر ، فالكلام المرسل هو ما وضح معناه ، ولم يحتج الى اعمال الفكر لفهمه . اما الشعر الجميل فهو ما احوج القارئ الى التروي والتدقيق في اظهار حقيقته ، لان الكلام الواضح المعنى ، ولاسيما الخالي من كل استعارة ، او كان معناه مجازياً مبتذلاً ، فانه لايؤثر في النفس كالكلام الذي تحتاج الى الغوص على معانيه ، حتى اذا ما استخرجتها كالدر من العباب ، وجدت لذةً فيها مـا كانت انجدها في المعنى الذي داهمها عفواً من دون ما ادنى تروٍ واجهاد فكر .

قلنا : المربوط بالوزن والقافية ، اخراجاً له من الكلام المنثور ، الغيرالمربوط بشيء من ذلك . على حين ان هذا الشرط ، وان كان من اركان الشعر اليوم ، فلم يكنه في الماضي ، واذن فليس ضرورياً لان يكون داخلاً في مـاهيته ، واصل وضعه . والشاهد ظاهر لنا على هذا من مطالعة الشعر القديم الوارد في كتب الديانات كالتوراة ، والنبوآت ، والقرآن . فان الشعر لم يكن على شيء من هذا ، بل كان يُعرف من سموّ معانيه ، ونبـاهة اغراضـه ، وحسن اسلوبه ، وتسلطه على الاحساس والشعور النفسي الـذين كانا ولم يزالا من قوام الشعر ابن العاطفة ، والعاطفة بنت البيئة والتاريخ ، وغير ذلك من مختلف العناصر التي تغذّي الشعور والاحساس باحسن الاغذية الادبية .

اما القافية ، فيظهر انها وان كانت من موضوعات العرب الاقـدمين في الشعر ، فهي من التحسينات التي ادخلها عليه المتأخرون لزيادة جمـاله وحسن

انشاده ، وبالاحرى ليجيء كاملاً معنى ومبنى .

على ان من الصيغ النثرية ما يقارب الشعر في الانشاد جدّ المقاربة ، فالسجع المتقارب الفواصل يشبه الشعر بقافيته ووزنه ، وبقدر الاحسان في انشائه ، بقدر ذلك تتأثر به النفوس تأثرها بالشعر ، اذ لا يضرّ ان يكون النثر منحوًا فيه نحو الشعر في البلاغة والتأنق في التراكيب ، واستخارة المعنى الجميل كما تقدم الكلام عنه . الا ان ذلك هو من اغراض الشعر واساليبه ولذلك كان أولى من النثر به . واني احيلك الى مطالعة فصل طريف دبجته يراعة حضرة الأديب فؤاد البستاني ، استاذ الادب العربي في كلية القديس يوسف ، نشرته مجلة « المشرق » الغراء في عدد ايار سنة ١٩٣٢ أسماه « حول النثر الجاهلي » ، تناول فيه مغزلية الشعر الادبية ، التي نحن في صددها ، لما اضطره اليه داعي المقال للمقايسة بين النثر المسجع المتقارب الفواصل ، والشعر الموزون المقفى . وفي ذلك الفصل خير برهان ، على تحقيق هذا .

اعاجيب النقد الحديث

نظرة في « ادب » جرائدنا البيروتية

تكاد لا تخلو جريدة بيروتية من « صفحة ادب » او « زاوية ادب » عوّدتها قرّاءها مرّة او مرّتين اوثلاث مرّات في الاسبوع ، فقلنا : لقد اصلح الادب في جرائدنا ما افسدته السياسة . ولكن سرعان ما تحققنا انتصار السياسة على الادب ، اذ ادخلت هذه فسادها فانقلبت النعمة المرتجاة منه مصيبة دهماء على الادب الصحيح وانصاره . ومن مصائب الادب الجرنالي الحديث هذا الاسلوب النقدي الذي تطوّر على صفحات الجرائد وغدا وازدهر في كتابين صغيرين : « انتم الشعراء » ، و« اجل نحن الشعراء » .

ولا ادري امصيبتنا « بانتم الشعراء »[1] ام « باجل نحن الشعراء »[2] هي اكبر ؟ وذلك لانني لا ادري من يكون اوفر مسؤولية أهو مختط الطريق ام متبعه عليها .

لقد اسفنا قبل كل شيء للريحاني يهبط من مستوى «ملوك العرب» و«تاريخ نجد الحديث» الى مستوى « انتم الشعراء » ، الى هذه الدركة من المغالطة والابتذال . ولقد كان من المحتمل التغاضي عن « انتم الشعراء » لولا ما احدثه من نتائج سيئة في الاسلوب النقدي في لبناننا هذا الصغير .

ما كاد هذا الكتيب يصدر من عن الآلة الطابعة حتى تناولته ايدي المتشوّقين ، وعلت من كل فجّ وصوب اصوات الاستحسان والامتهجان . لقد انشأ مناصرو الريحاني ومريدو افكاره مقالات كانها مقالات « انتم الشعراء » بروحها واسلوبها ؛ واصدر معاكسوه ومتتبعو آرائه مقالات ومؤلفات كانها « انتم

---

١) « أنتم الشعراء » بقلم امين الريحاني — ٩٢ ص . متوسطة صغيرة ، مطبعة الكشّاف ، بيروت ١٩٣٣

٢) « اجل نحن الشعراء » بقلم ا . ا . معوّض ، طانيوس نعمه ، مسيو معوّض — ١٢٢ ص . بالحجم نفسه ، مطبعة خليفه اخوان ، بيروت ١٩٣٣

الشعراء » بعينه . وما كان وقت طويل الا رأينا هذا الكتاب الواحد الف كتاب وكتاب . فما الخبر ؟ وما هذه الاعجوبة ؟ . . . ذلك ان « انتم الشعراء » احدث اسلوباً ، في النقد ، جديداً او قل عاون على تكوين اسلوب نقد كان لم يزل غامضاً بعد .

أما صفات هذا الاسلوب الجديد فالسباب والشتائم ، والتهكم المستهجن ، والفكاهات المزعجة ، والتضليل . واما صفات اربابه فالتخمين ، والغرور ، والادّعاء والاعلان .

قلنا ان السباب والشتائم هي من صفات هذا الاسلوب ، وان ترفعنا عن ذكر ما سفُل منها وانحط مراعاةً لحرمة القراء الكرام ، فلا يسعنا العبور دون ايراد مثل او اثنين للاستشهاد . وهي ، والحق يقال ، قليلة في كتاب الريحاني ، على كونها من الصنف الثاني عنده ، ولكنه ليس بريئاً منها كما يشهد عليه قوله[1] : « والمتنبي سيّد الكذّابين لانه لم يشب في سن العشرين وكان في الارض من المتكبرين . »وتريد شيئاً فشيئاً في ابناء مدرسته النقدية فتراها مع منتقدي «انتم الشعراء » على نحو هذا[2] : « اين كان فيلسوفنا صاحب الريحانيات عندما كان الاخطل الصغير يستنهض الهمم للذود عن حقوق الوطن . . . وماذا كان يعمل في الصحراء وفي وطن العم سام ذو الوجهين واللسانين »

ونحجم عن ذكر ما جاء في « صوت الاحرار » البيروتية فيما يخص الاب لويس شيخو اليسوعي حيث لم يراع الشاتم في الاب شيخو حرمة ما من حرمات الدين والعلم والكبر التي اتصف بها هذا الاديب الكاهن

اما التهكم المستهجن والفكاهات المزعجة فجميعها على مثال : « اجل ان الطبيعة نفسها لتبكي معهم — اي مع الشعراء — فهاكم الحمام النوّاح . . . والخرفان الحزينة المعدّة للذبح وهي انصار الشعراء بالبكاء »[3] وهذا : « واما انت يا فيلسوف الفريكه بالله عليك تقدّم الينا مسرعاً فان تجر الدموع اوشك ان يغرقنا في لجة العميقة »[4] .

---

(١) انتم الشعراء : ص ٦٥
(٢) اجل نحن الشعراء : ص ٤٥
(٣) انتم الشعراء : ص ٦٤
(٤) اجل نحن الشعراء : ص ١٠٦

هذا وان قلنا ان احدى صفات النقد الحديث التضليل فاياه نعني لا سواه. ان هذه الصفة مجسّمة في مؤلفات « الامام » الريحاني ولها عنده مجالٍ عديدة فتارةً ترى تضليله اجتماعياً وذلك حين يقول : « اننا والحق يقال اكثر بكاء واشد انتحاباً من جميع الشعوب ... انه لمرض يفوق انتشاراً كل امراضنا... بل هو الوباء الاخبث . فتراه يفتك بالسياسيين ورؤساء الدين كما يفتك بالادباء والتجار والفلاحين، هو وباء الدموع وباء النحيب والنواح.»[1] وتارةً ترى تضليله ادبياً كتحل رجالات الادب العظام ما ليس لهم مما يصلح لغاية الناقد، او كذكر كلامهم دون الاشارة الى مصدره ، او الاشارة الى ذلك المصدر بقول مبهم غامض يزيد في تضليله الاول تضليلاً جديداً.

وذلك حين يقول[2] : « قال سنت بوف ما معناه » — ويذكر هنا الريحاني حديثاً طويلاً لسنت بوف عن موسه — وفي الختام يشير الى المصدر قائلاً : « راجع مقالاً لسنت بوف في الفرد ده موسّه »[3] او يقول : [4]« وقد قال النقادة الاكبر تان... وعندما ذكر المصدر قال : «في كتاب تاريخ الاداب الانكليزية».

ولم يتفرّد الريحاني في التضليل هذا بل اتبعه عليه بعض افراد من مدرسته ليسوا بالقليلين. وقد برّه في هذا المضمار « عمر فروخ » وخاصة في تحامله على الاب شيخو [5].

هذه هي بعض صفات النقد الحديث الذي ساعد في تكوينه مساعدة تذكر الريحاني في « انتم الشعراء » . ولا يسعني الاتيان على جميع ما فيه لان هذا الاسلوب لم يزل في طور تطوّر وانقلاب.

اما صفات اربابه فاولاها التخمين والتقدير كما قلنا. اجل ان الناقد البيروتي الحالي مخمّن ، بل نبي ، قبل كل شيء ، ولكنّه مخمّن على طريقة له حديثة ايضاً فهو لا يحتاج الى سابق علم ودراسة لاطلاق احكامه الادبية.

فما اسرعه قائلاً دون تردّد او تحفظ : « لا اظنك تجد من الدموع في

---

١) انتم الشعراء : ص ٦ ٢) انتم الشعراء : ص ٦٩ السطر الثاني عشر
٣) انتم الشعراء : ص ٧٠ السطر الاخير ٤) انتم الشعراء : ص ٧١
٥) اطلب البشير العدد ٤٦٤٦، في ٢٥ تشرين الثاني ١٩٣٣

شعر الامم الاوربية كلها مقدار نصف ما عندنا في الشعر العربي . ولا اظنني في ما اقول مبالغاً »[1] .

لم يكلف الريحاني نفسه الم البحث والتنقيب عمّا في شعرنا من « الشعر الباكي » — كما يقول — وعمّا في شعر الاوربيين منه ، بل اطلق حكمه هذا على سبيل التخمين فجاء تخمينه مخالفاً للواقع ، ويا للاسف ! ومثل هذا التخمين كثير في « اجل نحن الشعراء » وغيره من المقالات الانتقادية الحديثة . ولا يخفى ان سبب ذلك حب الكسل والتضليل ، وكره الحقيقة العلمية والامانة الادبية ، وكل هذا لما يحط من قدر الاديب الناقد ويؤذيه بسمعته وشهرته .

لم يتفرد نقدتنا اليوم بالتخمين ، بل ضموا اليه الغرور والادّعاء والاعلان . وليس الغرور والادعاء باقلّ من التخمين عند هؤلاء النقدة . . . فالكل عندنا امام . . . والكل ثقة . . . والجميع لا يشقّ لهم غبار في مجالات القلم ، فمن اعلان عمر فروخ « تمزيق الاب شيخو وتركه لتمزيق غيره من الادباء » ، الى اقدام ابي شبكه على « وضع التوراة في الميزان » الى . . . الى . . . ترى الغرور والادعاء متجليّين باجلى مظاهرهما .

وما الاعلان الا نتيجة الادعاء والغرور . . . انا . . . انا . . . فلكل ناقد حديث عندنا خطة يتلوها على رؤوس الملأ . وكل من نقدتنا مجدّد . . . محدث . . . وكلهم الهادم الباني . . . المصلح . وخير مظهر للتثبت من حب الاعلان عند هؤلاء عناوين مقالاتهم . ونظرة واحدة الى « صفحات الادب » في جرائدنا تبيّن ان معظم نقادنا من اصحاب « الاعلانات » ، ليس غير .

يجرّنا هذا الى الاستنتاج ، بكل أسف ، ان اكثرهم نسوا اساليب النقد الفني ، وآثروا عليها الشتائم والتباب ، واخذوا في سباق ليس له مثيل في طبقة من الشعب تضنّ بسمعتها الادبية ان تبتذل . . فتعقّلوا يا معشر الادباء !

ا . ح .

---

١) انتم الشعراء : ص ٦٣

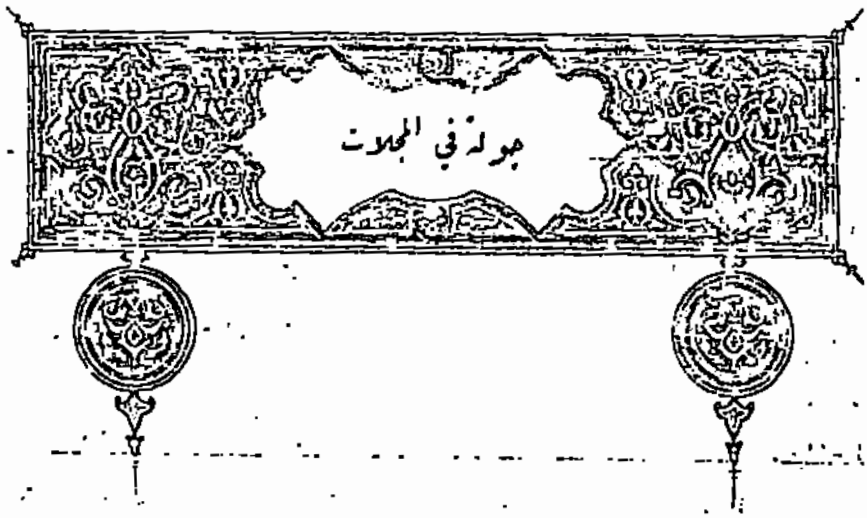

فيصل بين فرنسة والكلترة

نشر الدكتور جورج سمنه في مجلة « مراسلات الشرق » الفرنسوية (*Correspondance d'Orient*, septembre 1933, p. 97-103) مقالاً شائقاً عن الملك فيصل وما اتصف به من تعقل وحزم ، وما كان يجول في نفسه من مطامح وآمال . ولما كان الفقيد من رجالات الشرق في العصر الحاضر ، ولما كان الكاتب من مشهوري المطلعين على حوادث الشرق الادنى في زماننا ، وممن عرفوا الملك الراحل عن كثب ، رأينا من المفيد تعريب شيء من كلامه في سبيل الحقيقة التاريخية . قال بعد ان وصف مظهر الملك وصفاً دقيقاً (ص : ٩٨) :

كان يحكم على الاشياء ببرودة . فلا يجهل ان مساعدة اوربة امر لا بد منه لبلاد الشرق ، وان الانتداب كان لها من احسن الامور . لان هذه البلاد، لو ارادت ان تضمن الامن على الحدود ، وتوطد النظام في الداخل وتستثمر مواردها الطبيعية ، لكانت مهمتها شاقة تتجاوز الحد ، ولهبطت موازناتها تحت ثقل الاعباء ، ولما وجدت من يمدّ لها يد المساعدة . ولكنّ فيصلاً ، وهو العالم بكل ذلك ، ادرك ايضاً ان فكرة كهذه غير شعبية ، وانه اذا تمسك به لا ينال رضى الشعب . فاخذ يعلن وطنية اكثر ملاءمةً للرأي العام ، لانه ما كان يرى ايّ خطر في مشايعة عاطفة قد قضي عليها ان تظل زمناً طويلاً في دور التوق ، فلا تصبح قابلة التحقيق الا في المستقبل البعيد . . .

ثم ينتقل الى موقف فيصل من الانكليز والفرنسويين فيقول (ص: ٩٩) :

وكثيراً ما اعتقد الناس ان الملك فيصلاً انكليزي الميل. والحقيقة انه كان يحفظ الجميل لانكلترة على ما اتت في سبيله. فعاطفته هذه نفعية. ولقد مثله البعض خصماً لفرنسة، والحق انه ظهر كذلك احياناً. ومع هذا، فقد كان يود فرنسة وداً لم يكن مفروضاً دائماً. وكم من مرة قال لي: «اننا نميل الى فرنسة. فهي بمزاجها اقرب الشعوب الى شعبنا. وهي تعرفنا من امد بعيد، وتاريخها مشتبك بتاريخنا. اننا واياها نتفق دائماً، بل نحن بحاجة اليها لتثقفنا. وهي غنية، فلا نخشى ان تفرقنا يوماً بان تفيض عليها فضل سكانها. واخيراً فان مصالحنا، نحن العرب، تقضي علينا ان لا نظل وجهاً لوجه مع انكلترة.» وكم شكا فيصل الظروف التي جعلته يتحالف مع الانكليز وحدهم. وكم كان يوده ان يستخدم سياسة التوازن، فيتعاون بوقت واحد مع فرنسة وانكلترة. ويكون عميل الواحدة في سورية وعميل الاخرى في العراق. وهكذا، يصبح قادراً على ان يتلافى من جهة ما يخيبه القدر من آماله في الجهة الثانية، ويعمل في كل ذلك على الاسراع لتحقيق رغائبه.

ومن الطبيعي ان لا تكون هذه الفكرة من ذوق العمال الانكليز في الشرق. لان فيصلاً، في نظرهم، ما كان الا آلة مناسبة تمكنهم من تثبيت الاستعمار البريطاني على طريق الهند البرية.

ويذكر الكاتب محاولات الانكليز في تعزيز مصالحهم «مختفين وراء فيصل، بطل الفكرة العربية»، وما كان من جهود فيصل للاتفاق مع الفرنسويين ساعياً في سبيل وضع اخيه علي عرش سورية. بيد ان هذه المساعي انتهت به الى التفكير بانه «قادر على الانتفاع شخصياً من جهوده، وبانه قادر ان يملك يوماً ما في دمشق وبغداد.» وهنا يشير الدكتور الى بعض الذكريات الشخصية فيقول (ص ١٠٠):

حدثني الملك فيصل في احد اسفاره الاخيرة الى باريس، بالحاح اشد مما كان يظهر عادة، عن آماله في تأسيس مملكة سورية، قائلاً ان هذا العرش يعود دون شك الى احد افراد العائلة الهاشمية، الى اخيه علي، مؤكداً ان الوطنيين السوريين لا يعارضون في ذلك.

ثم التقيت بعد ايام، بالزعماء الوطنيين، فكلمتهم عن نيات فيصل الغالية

عليه . فلم يخفوا عليّ انهم بعيدون عن تحبيذ هذه الفكرة . على ان القدر شاء ان يجمعني واياهم في مجلس فيصل في اليوم الثاني . وعادت قضية المملكة السورية على بساط البحث . وكم كان عجبي شديداً اذ تحققت ان الملك والوطنيين يظهرون على اتفاق في ما خصّ المبدأ . فخيّل لي من واجبي ان الفت نظرهم الى ان هذا الاتفاق يستند ولا شك الى سوء تفاهم . فقلت مذكراً زعماء السوريين : « انكم انفسكم صرّحتم لي بانه لا يظهر لكم ملائماً ان تنصبوا عرشاً في دمشق ، ولا سيما اذا كان الجالس على هذا العرش الملك علي . نعم ، لقد قلتم ان القضية تتطور اذا كان الملك فيصل نفسه المدعوّ الى ملكية دمشق . ولكن هذا فرض غير محتمل ، لان صاحب الجلالة ذاته يعترف بان الملك عينه لا يمكنه ان يحكم مملكتين الواحدة تحت الانتداب البريطاني ، والاخرى تحت الانتداب الفرنسي » .

وكان فيصل يصغي الى الحديث فلم يوضح فكره بالنظر الى قولي . بل اكتفى بان اعرب عن رأيه في هذا القالب الاعتيادي الطقسي : « انني اظل تحت تصرف الشعب والدولة المنتدبة في سبيل الخير المشترك . » اذ ذاك فهمت ان الفكرة اصابته ، ولكنه كان يبعد تحقيقها باقل وضوح مما كنت اتصور . كان يعلم انه يتمتع بنفوذ عظيم لدى الشعب السوري وانه مدين به الى ماضيه لا الى كونه اميراً هاشمياً . فكان يؤمل استخدام هذا النفوذ في ارتقائه عرش دمشق . وهكذا ، فقد يتمكن من خلق صلة شخصية بين الدولتين ، دولة سورية ودولة العراق ، شبيهة بالصلة التي ربطت سابقاً زوج باسوج .

وان اموراً هذه احوالها كانت ملائمة لسياسة التوازن التي شاء اتخاذها بين فرنسة وانكلترة . وعلى كل ، فانه لمن المحقق ان فيصلاً ما كان ليهمل اية فرصة ليجذب اليه وجهة نظر السوريين . وقد ادعى مراراً انه يدافع في باريس عن مقاصدهم ومصالحهم .

ثم سرت هذه الفكرة في عقله . حتى انه ، عقيب سفرة ثانية الى فرنسة ، حيث واجه اشخاصاً بارزين استقبلوه بكل لطف ، خيّل اليه انه قادر بعد زمن قريب على ان يعقد تاجين على جبينه . ولكن حاشيته التي ما كانت تقاسمه

الامانة في حفظ السر ، اعلنت مقاصده بصوت عالٍ . فكان ان حدثت عن ذلك الشكوك ،فصار من الواجب تكذيب الاشاعة .والحقيقة ان الفرنسيين لم يغيروا ابدًا موقفهم . فقد صرحوا دائمًا بان سورية حرّة في اختيارها ، وبانهم لا يعارضون ابدًا نوع الحكم الذي تتخذه لها ، سواء أكان جمهوريًا ام ملكيًا . واذ كان ولاة الامور في فرنسة يتحدثون بهذا الكلام ، ما كانوا ليروا بأسًا في قبول ترشيح احد امراء العائلة الهاشمية . على انهم لم يتصوروا ان فيصلًا نفسه يكون موضوع بحثهم . فلم تفتح عيونهم الا في النهاية . وليس من شك في انهم لو ادركوا ذلك لكانوا قاوموا هذه الفكرة فنحوا شخصية فيصل . لان الفرنسي الوسط لا يمكنه ان يفهم معنى لجلوس فيصل على العرش ، وهو يدري رأي فرنسة فيه وحكمها عليه . وقد شعر فيصل بهذا ، حتى انه لم يطلب ، عوضًا عن الامتيازات الاقتصادية التي كان يعرضها على فرنسة ، وعوضًا عن عمله الشخصي تجاه الوطنيين السوريين في سبيل فرنسة ، الا شيئًا واحدًا وهو ، اذا تقرر تأسيس مملكة في دمشق ، ان لا يتم انتخاب الملك بدونه . وهكذا فانه كان يبعد المرشحين في سبيل عائلته .

وعليه ، فقد وصل بنا الامر الى طريق لا تنفذ : ان السوريين ما كانوا ليفهموا الملكية الا بفيصل ، فكانوا يبعدون كل مرشح ، غافلين عن ان ملك العراق رجل ، واذًا فانه مائت . وها ان موته الصاعق وضعهم امام الحقيقة . فعلى كل امة ان تشيد مستقبلها على مبادئ ، لا على حياة رجل .

شذرات

الصناعة اللبنانية سنة ١٩٣٢

ننشر في ما يلي ملخصاً عن حالة الصناعة اللبنانية مدة السنة ١٩٣٢ ، نأخذه عن نشرة بنك سورية ولبنان الكبير .

ان الصناعة في مناطق الانتداب الفرنسوي تتابع ، على رغم الازمة الاقتصادية العامة التي لم تكفها شرها ، تطورها الحسن الذي ظهرت بوادره منذ ان تخلصت هذه المناطق من الامبراطورية العثمانية البائدة فشعرت بضرورة ايجاد سياسة اقتصادية خاصة ومن مظاهر هذا التطور نقص الصناعات القديمة عدداً واهمية وليس امام هذه الصناعات الا ان تتجدد او تضمحل . ومن ذلك انشاء صناعات جديدة كثيرة توافق مبادئ الفن العصري .

وهكذا فاننا رأينا في السنة ١٩٣٢ انحطاطاً سريعاً في الصناعات القديمة كالصابن المتعددة في المناطق الزيتية ، والدباغات في بعض الانحاء اللبنانية ، والانوال وكراخين الحرير القديمة في لبنان . والانوال القديمة في حمص وحماه ، حتى ان كثيراً من هذه المعامل اقفلت ابوابها . اما معامل المنسوجات في دمشق وحلب فقد حافظت تقريباً على حركتها السابقة بفضل ما قامت به الحكومة من حمايتها بالاحكام الجمركية . على ان هناك كثيراً من المنشآت الصناعية الجديدة ظلت على ازدهارها بل تقدمت ايضاً على رغم الازمة الاقتصادية ، بفضل جهود اربابها وبفضل احكام الحماية الجمركية التي اصدرتها الدولة المنتدبة . حتى ان ادارة الجمرك سجلت ، مدة السنة ١٩٣٢ ، ١٤٠ طلباً بالاعفاءات الجمركية منها ٣٨ عن مواد اولية لانشاء المعامل . وكذلك فاننا نشير الى تأسيس معمل عصري للجعة (البيرة) وآخر لشفرات الحلاقة في بيروت ، ومعمل جديد لقساطل البتون في طرابلس ، وآخر للبسكوت ، ومعمل لمواد البناء في قرق نتان (سنجق الاسكندرونة) .

اما الغاية الاساسية من انشاء الصناعة العصرية في مناطق الانتداب الفرنسوي

في تخليص هذه المناطق على قدر الامكان من التعلق بالاسواق الخارجية تعلقاً يكلفها غالياً دون ان يكون لها تجاه تلك الاسواق ما يقوم بمقابلة هذه الاكلاف. فيكون من ثمّ ان الغاية الاساسية ان تكفي هذه المعامل حاجة البلاد اولاً. على ان ذلك لا يمنع اصدار المحصولات الى الخارج اذا امكن الامر. وفعلاً فقد باشرت بعض المعامل الصناعية ان تضع كميات وافرة في سبيل الاصدار. من ذلك ما ينتج من احصائيات الجمارك ان حصة صناعات النسج وما اليها بلغت وحدها قيمة تجاوز المليونين من الليرات اللبنانية السورية في فرع الاصدار. وان حصة صناعة الاحذية ٦٠٠ ٨١ ل.ل.س. وقيمة الصادرات من الموبيليا وما اليها بلغت ٠٠٠ ١١٤ ل.ل.س. وقيمة الزيوت المصدرة بلغت ٠٠٠ ٤٧٩ ل.ل.س. وقيمة المصدر من الفواكه المجففة والمربيات بلغت ٠٠٠ ١٦٣ ل.ل.س.

هذا وان ما يمثل « الصناعات القديمة » انما هي صناعات النسج خاصة البالغة في حلب ٦٥٠٠ نول، وفي دمشق ٣٥٠ نولاً، وفي حمص ١٥٠٠ نول، وفي حماه ٢٠٠ نول. وكذلك المصابن القديمة وهي تبلغ ٣٨ منها ١١ في انطاكية، و٥ في حلب، و١٢ في بيروت.

اما المنشآت الصناعية الجديدة، واكثرها من النوع المعروف بالصناعة الصغيرة او المتوسطة، فانها تختص بكثير من المحصولات وتشمل ما يلي:

في بيروت وضاحيتها: معمل للنسج الحرير، ٦ معامل لحلّ الحرير، ٤ معامل للبرانيط والكلسات، ٥ معامل للسَّرْد، معمل للاحذية، معمل للفراشي، معمل لتقطير السيرتو، معملان للقرميد والبلاط القرميدي، ٧ معامل للدخان والسكاير، ٧ دباغات، ٩ معامل للثلج، ٣ معامل للمعجونات الغذائية، ٥ معامل للشكولاته والمربيات، ٣ معامل للاسرّة الحديدية، ٨ معامل للبلاط السيمنتو، معمل لقساطل البتون، ٤ مطاحن، معملان لاعواد الثقاب.

في حلب: ١٠ معامل ميكانيكية للنسج، دباغة، ١٥ معمل ميكانيكي للنجارة، ٥ محالج قطن، ٢٠ مطحنة، ٦ معامل لبلاط السيمنتو، ٦ معامل

للدخان والسكاير ، ٣ معامل للسَّرْد.

في دمشق : دباغتان ، ٨ معامل ميكانيكية للنسج ، معملان للجوخ ، ١٨ مطحنة ، ٦ معامل لبلاط السيمنتو ، مكبسان للزيت ، ٥ معامل للدخان والسكاير ، ١٣ معمل للبرانيط والكلسات.

في اللاذقية : معمل لاستخراج الزيت من نوى الزيتون ، ٣ محالج قطن ، ٥ مكابس زيت ، معمل سكاير ، معمل لتعدين الصخور الاسفلتية.

في طرابلس : معمل لحلّ القطن ، معمل سيمنتو ، مطحنتان ، معمل سكاير ، معمل لقساطل البتون.

ويجب ان نفرد ذكرًا خاصاً لصناعة اللحام الذاتي التي ادخلتها وقدّمتها في مناطق الانتداب شركة « الهواء السائل ». ولهذه الشركة معمل في بيروت مستعدّ لتوليد الاوكسجين على طريقة جورج كلود ، ومعمل آخر لتوليد الاسيتيلين المحلول . وقد قامت هذه الشركة ، فضلًا عن ذلك ، بايجاد مستودعات للاوكسجين والاسيتيلين المحلول ، وما الى ذلك من الادوات اللازمة للحام الذاتي والكهرباء في دمشق وحلب وطرابلس. وكان من فضل هذه المنشآت ان تمكنت المعامل الصناعية بالقيام بكثير من اشغالها مدة الخمس السنوات الاخيرة كما انها عملت على انشاء كثير من دكاكين اللحام في كثير من المدن والقرى اللبنانية ــ السورية ، حتى انها بلغت في بيروت وحدها المائة. ولا يخفى ان هذا العمل يمكن مئات العمّال من الشغل فالمعيشة.

تمثال قلب يسوع الاقدس في غزير

فكر الاستاذ شكري بشلي في اقامة تمثال كبير لقلب يسوع الاقدس على احدى روابي غزير فراقت فكرته هذه للغزيريين وتبرعوا لتحقيقها باكف سخية ودُشّن التمثال الجميل يوم عيد المسيح الملك الواقع في ٢٩ ت١ ١٩٣٣ في حفلة شائقة كرّس الغزيريون بلدتهم وعيالهم لقلب يسوع الاقدس بين مجالي التقوى والعبادة. (علو التمثال ثلاثة امتار وعشرة سنتيمترات وعلو القاعدة ستة امتار . ويرى المطالع صورته في الصفحة التالية)

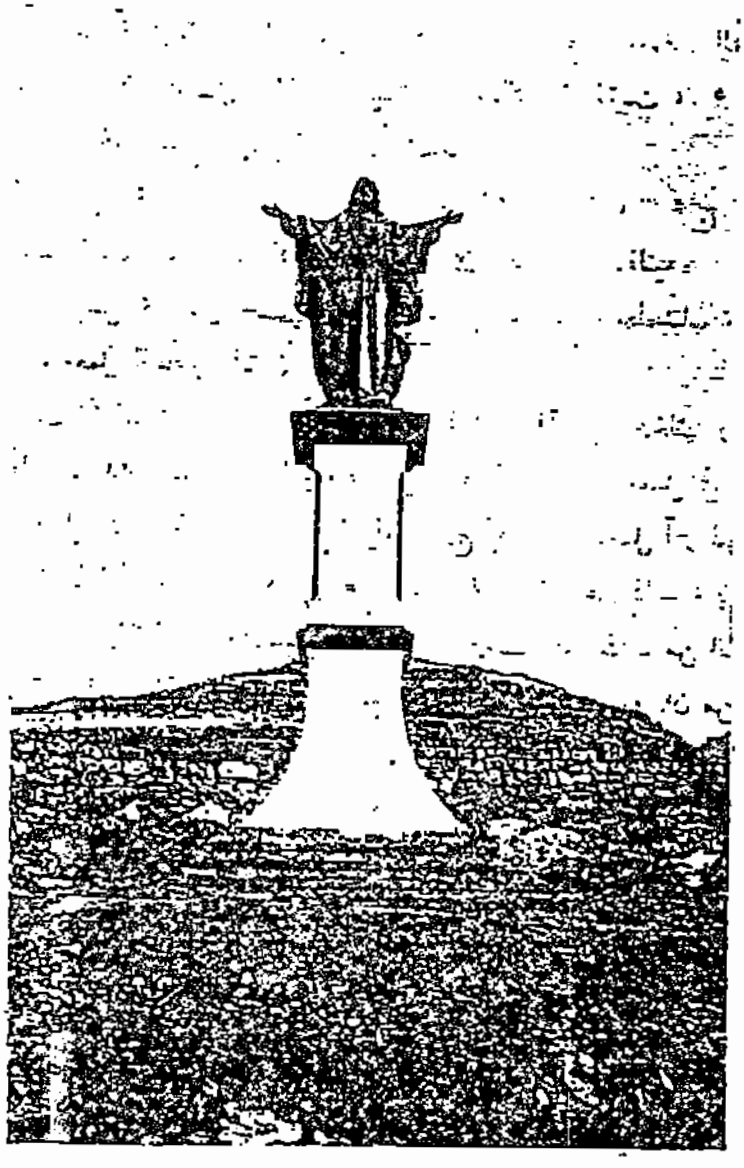

تمثال قلب يسوع الاقدس في غزير

مطبوعات شرقية جديدة

Miguel Asin Palacios: Vidas de Santones Andaluces. La « epistola de la Santidad » de ibn 'Arabi de Murcia. [*Escuelas de Estudios arabes de Madrid y Granada.*] *Madrid, Estanislao Maestre* 1933. *in*-8°. *Prix* : 8 *pesetas*.

رسالة القدس

هذه ترجمة اسبانية لرسالة القدس للصوفي الاندلسي الشهير ابن العربي المرسي . استند فيها المترجم الى مخطوطة من مكتبة الاسكوريال . واهم ما فيها نحو خمسين ترجمة حياة كتبها ابن العربي مترجماً لصوفيي عصره في بلاد الاندلس من الذين عرفهم وعاشرهم ، كما يقول ، وبين هؤلاء امرأتان صوفيتان تتلمذ لهما ابن العربي . اما طول هذه التراجم فتتفاوت بين عدة صفحات وبعض اسطر فقط . واذا غيّر المطالع اسماء هؤلاء الصوفيين فانه يخال نفسه قارئاً حياة ارباب الروحانية من المسيحيين لما هناك من الشبه بين التعابير وبين الحالات التي يذكرها المؤلف . هذ وقد زاد المترجم ملاحظات وحواشي مفيدة جديرة باسمه وبتضلعه من تاريخ الصوفية الاسلامية في بلاد الاندلس . ه . ل .

Jean Gaulmier : Notes sur le mouvement syndicaliste à Hama [*Extrait de la Revue des Etudes islamiques*, 1932] *Paris, Geuthner*

آراء في الحركة النقابية في حماه

هو بحث قيّم بما فيه من سعة اطلاع ودقة معلومات في ما خصّ المظاهر الاولى للحركة النقابية في مدينة لم يكد يكون فيها شيء من اتحاد اصحاب المهن . وقد وفق المؤلف الى وصف هذه الحركة التي نشأت زمن الانتخابات فكانت سياسية قبل كل شيء ، وكان محدثوها من ارباب الرساميل ذوي الاحتكاك بمدنية يدعونها غربية . اما العمال انفسهم فلم يكونوا في شيء من هذه الحركة . واما قوانين هذه النقابات فان نصوصها خالية من كل تعبير ديني ، بل انها تنمّ عن اسلوب فلسفي ورغبة في الوضوح والدقة ، يشيران الى مصدرها

الغربي المتأثر بذاك المجرى الصادر عن « جامعة فرنسة » . هذا ، ويلاحظ المؤلف ، في اول بحثه ، ان جميع الحكومات التي تتابعت في سورية منذ اثنتي عشرة سنة ، كانت تصرف همتها الى المظاهر السياسية ، حتى انها لم تمنح مشاكل العمل الا اهتماماً ضئيلاً جداً . ج . ل .

Louis Milliot : Les institutions kabiles. [*Extrait de la Revue des Etudes islamiques*, 1932]. *Paris, Geuthner*

المؤسسات القبيلية بين البربر

يشمل هذا الكتيب درساً واسعاً في العادة القبيلية كمصدر للشرع البربري، ومركزها في الحقوق الجارية في شمالي افريقية ، وعلاقاتها بالعادة المغربية وبالشرع الاسلامي ، ثم درساً خاصاً في القاعدة الحقوقية في الشرع القبيلي ، وتطورها . وهناك ايضاً بحث عن القبيليين او البربر في باريس ، وهو بحث مهم مفيد بالنسبة الى عدد هؤلاء الافراد البالغين من ٣٠ الى ٤٠ الفاً في العاصمة الفرنسوية . ج . ل .

Dwight M. Donaldson : The Shi'ite religion. A history of Islam in Persia and Irak.[*Luzac's Oriental religions series, vol. VI*] *in-8° illustr.* 1933 *Prix* 15.

الديانة الشيعية

كنا نفتقر الى تاريخ يتتبع ديانة الشيعيين في نشأتها وتطورها . فكان لنا هذا الكتاب الذي سد الثلمة على طريقة مقبولة كافية بالاجمال . وذلك ان المؤلف استند في الاكثر الى المصادر الفارسية الشيعية ، وكان من حظه ان عاش في وسط شيعي محض هو المشهد .

يبدأ الكتاب بموت محمد ومبايعة الخلفاء الثلاثة ، فتأثر علي وحبوط آماله اذ كان يرى ان له وحده الحق بذلك المركز السامي . ثم يسرد المؤلف تاريخ الائمة الاثني عشر ، ويصف المعابد الشيعية الكبرى كمشهد كربلاء والنجف وغيرهما ، ويشير الى طرق العبادات التي يقيمها الحجاج . ومما كنا نود ان نراه في هذا الكتاب بعض التفاصيل عن النحل المختلفة التي تفرعت عن الشيعة ، وبعض التدقيق في كتابة الاعلام العربية فلا يكتب عمرو بن العاصي ، فاتح

مصر ، بصورة « ابن اوص » ولا يصبح ابن الخليفة عمر على هيئة « ابن عامر » .
هذا وينتهي الكتاب بذكر المآخذ وبفهارس واسعة غاية في الافادة. ه.ل.

Franciscus - Xav. Kortleitner Ord. Praem. : Formae cultus Mosaici cum ceteris religionibus Orientis antiqui comparatae. 1 *vol. in-8° XII — 432 pp. Maria Vereinsbuchhandlung, Innsbruck*, 1933.

مظاهر الديانة الموسوية والديانات الشرقية المعاصرة

هو مشكل قديم في المشابهات الظاهرة بين الديانة الموسوية للاله الحق ، وعبادات الديانات الوثنية المجاورة . وقد درسه كثير من المؤلفين على الوجهات المختلفة ، حتى قام الاب كورتلتنر فخصّ به مجلدًا كبيرًا ، بعد ان كتب في الموضوع ابحاثًا متنوعة . وهو يقرّر الفرق اولًا بين الديانة الشرعية ، والاعتقادات الخرافات ، و العبادات الوثنية التي كان يجري عليها الشعب او سادته . ويحجم كذلك عن اتباع بعض المؤلفين في الاكثار من ذكر المشابهات دون برهان كافٍ . اما ما يظلّ من مظاهر الشبه او الاتفاق الجوهري ، بعد هذه التحفظات ، فيشرحها المؤلف بعضها بالاصول المشتركة الراقية الى الوحي الاصلي القديم ، وبعضها باستعارات مفيدة ومشروعة تتعلق ، لا بعبادة يهوه بما فيها من ميزة جوهرية ، بل بالطرق الخارجية لتأدية تلك العبادة ، وهي امور كثيرًا ما تُترك للاختيار البشري . فيكون ان المؤلف اتانا ببحث قيّم وددنا لو زاد في تقريبه من الافهام بالسير على اسلوب اقرب الى التطبيق. ب. م.

Fr-Xav. Kortleitner : Aegyptiorum auctoritas quantum ad Israelitarum instituta sacra pertinuerit. [*Commentationes biblicae VIII*] *pp. VIII + 84 in-8°*, 1933. *Prix M. 2, 40. Verlag Felizian Rauch, Innsbruck*

اشتراك المصريين بعبادات الاسرائيليين

في هذا الجزء الثامن من تفسير التوراة يفتش المؤلف عما اذا كان المصريون يشتركون ببعض الحفلات الاسرائيلية او كان لهم دخل ببعض تفاصيل تلك العبادة كمظاهر الطقوس المتعلقة بتابوت العهد ، وثياب الكاهن ، ونهار السبت ، والختان وما الى ذلك . وهو ينقل كثيرًا من النصوص المهمة ويستقلها على طريقة جزيلة الفائدة للطلاب . وان استعماله للغة اللاتينية في ابحاثه لمما يسهّل

انتشار هذه الابحاث في جميع الاوساط الكتابية.

Dom F. Cabrol: Saint Benoît. [*Collection « les Saints »*] *Paris, Gabalda,* 1933

القديس بنديكتوس

كانت مجموعة القديسين بحاجة الى من يكتب لها حياة القديس بنديكتوس، فرغبت الى المؤلف في ذلك، فكانت كمن اعطى القوس باريها. ولم يكن العمل سهلاً لان القديس بنديكتوس غير معروف الا بترجمة قصيرة كتبها البابا القديس غريغوريوس واهتمّ فيها خاصة بذكر عجائب القديس الكبير. على ان المؤلف، وهو من اهل البيت، عرف كيف يدرس روح القديس ويستغلّ تلك المعلومات الضئيلة. ثم اضاف الى ذلك محاولة توقيتية مفيدة وسلسلة باسماء الكتب المذكورة في ترجمته.

Lady Blennerhasset : Marie Stuart 1542-1587. *in-12 de* 316 *pp. Paris, Plon,* 1933

ماري استوار

في هذا الكتاب سرد متتابع شائق لحياة ملكة من اعظم الملكات في عهد النهضة الاوربية هي ماري استوار التي كانت ملكة اسكتلندة وملكة فرنسة مدةً ما بسبب زفافها الى فرنسوا الثاني. وقد سجنتها «اختها» ملكة انكلترة فاقامت في السجن مدة ١٨ سنة، وفاضت روحها على المقصلة في ٨ شباط ١٥٨٧. فكان من نتيجة ذلك ان القسم الاخير من حياتها وقتلها على تلك الصورة كوّن حولها شبه اسطورة ممتزجة بالالم والتعاسة جديرة بالاشفاق والعطف. وهو ما يدفع المطالع الى التلذذ بقراءة هذه الترجمة الواضحة الدقيقة الملمة بجميع ما اكتنف تلك النفس من طموح وشهوة ونشاط عجيب. وفي الكتاب رسوم ثمانية متقنة. ج. ل.

L. de Grandmaison s. j. : Ecrits spirituels. I. Conférences *in-12 de* 317 *pp. Paris, Gabriel Beauchesne.*

محاضرات روحية للاب دي گرانميزون

لا شكّ في ان جميع من تعوّدوا قراءة تآليف المرحوم الاب دي گرانميزون يستقبلون هذه المحاضرات برغبة وغبطة فائقتين. فيرون فيها تلك الميزة الخاصة

التي من الاسهل على الانسان ان يتذوقها من ان يصفها. هذا وللكتاب مقدمة بقلم السيدة داميلو شرحت فيها الظروف التي دفعت المؤلف الى القاء محاضراته، وفي اي وسط ألقيت. اما المحاضرات فقد قسمت الى خمسة اقسام: الخضوع لله، وشروط العمل الارسالي والعمل نفسه، والصلاة ينبوع الحياة الارسالية، وطهارة المرسل، والفرح الارسالي.

Jean Balde : La touffe de gui. *in*-12. 1933. *Paris, Plon.*

باقة المنّم

لقد نال المؤلف بعدة روايات لطيفة شائقة ادبية رغبة قرّاء ما انفكوا يزدادون يوماً فيوماً. وهذه الرواية ما كانت لتشذ عما نعرف. يصوّر فيها المؤلف امرأة شابة مريضة تأتي مع زوجها وابنتها البالغة ١٥ شهراً الى مدينة بالقرب من أركشون في فرنسة. فيتركها الزوج ذاهباً الى مركزه في سيغونة؛ اما الطفلة فتعتني بها صديقة قديمة للام. ثم تزداد العقدة بوفاة هذه الام المريضة وبزواج الاب ثانية. فتحتلّ المربية المركز المهمّ في الرواية محافظةً على الطفلة حتى تصير فتاةً في سنّ الزواج. كل ذلك باسلوب لذيذ جذّاب.

Islamica, *Sechster Band, Heft I*, 1933

مما يجدر بالذكر في هذا الجزء مقالان مهمان: الاول في «اصول القراءة القرآنية» يحلّل فيه الكاتب عدة مخطوطات في الموضوع لم تطبع بعد. والثاني في العلاقات الاجتماعية بين البدو من نسب، وسلطة، وثأر، وهو لم يستوفِ المادة كلها بل له تابع يظهر في جزء قادم.

ابن عبد ربه وعقده

بقلم جبرائيل سليمان جبور

١٦٤ ص. متوسطة – المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٣٣

لا نتبسط في ذكر محتويات هذا الدرس القيّم، وقد تحقق المطالع ما فيه من معلومات واسعة، ونقد دقيق متين. وهي الصفات التي دفعت ادارة «المشرق» الى نشر البحث على طوله. وهي الصفات نفسها التي حملت الجامعة الاميركية على اعطاء المؤلف شهادة «استاذ في العلوم»، فنهنئه. ه.ل.

الوحي المحمدي

تأليف محمد رشيد رضا

مطبعة المنار ، مصر ١٣٥٢هـ ١٩٣٣م ، قطع ٨ ص ٢٠٠

لا حاجة الى تعريف القراء بالسيد محمد رضا ، منشئ مجلة المنار الاسلامية ومحررها المجاهد ، وقد سبق للمشرق (٣٠ [١٩٣٢] ٢٣٧) ان ذكر له مؤلفاته خاصة في التفسير ، ونقض بعض اقواله فيما يمس النصرانية . والشيخ محمد علم من اعلام الادب الديني الاسلامي المحافظ ، في مصر ، وصديق ابن سعود الوهابي ، واحد دعاة المسلمين الى التمسك بالقديم ونبذ ما يستحدثه المحدثون مخالفاً لتقاليد السلف.

ليس في الكتاب الذي اهداه الى المكتبة الشرقية ما يزيدنا معرفة في المشاكل الجوهرية التي يدور الجدال حولها بين المسيحيين والمسلمين ، وقد استقصتها كتب مطولة ككتاب « الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح » لتقي الدين بن تيمية ، و«هداية الحيارى من اليهود والنصارى » لابن قيم الجوزية ، و«السيف الحيدي الصقيل » لبكر بن عمر التميمي ، و«لسان الصدق» للبحراني ، و«نجوم المهتدين » للنبهاني ، و«الاسلام والنصرانية » لمحمد عبده ؛ وليس مؤلف السيد رضا مستنفد المواد متناسب الاجزاء متسلسل القضايا فيغور فيه فكر المفكرين ، بل هو مجموعة عجالات ظهرت اولاً في المنار ثم برزت بكتاب مستقل . على ان سهولة مطالعتها لما فيها من العناوين والفهارس ووقع المواضيع التي عالجتها ردًا على مسائل تجددت ، ومسها الدين المسيحي تحول دون الاغضاء عنها من غير اعادة النظر فيها عسى ان نوفق الى نتيجة صالحة.

قدم المؤلف كتابه دستوراً وحجة للاسلام على المسيحية ، واهداه الى المؤتمرات والجماعات الاسلامية في العالم (القدس ، جنيف ، لاهور ، مصر ، وسائر الاقطار) ودعا به شعوب المدنية الى الاسلام فلا بد من ان نطالع اهم مواده ثم

تنعم النظر في عقدته الوسطى وقد اعلنها بعنوان الكتاب وهي « ثبوت الوحي الالهي في الاسلام بالقرآن »

تشاءم السيد محمد رضا ووصف عصرنا بعصر ساقط اعوج يحتاج الى مصلح جديد . فاين هو من الصواب ؟ قد يتساءل العلماء الاجتماعيون هل يكون عصرنا احطّ ادباً واخلاقاً من العصور الماضية ؟ وهل هبطت الاداب وساءت الاخلاق الى مستوى يدعو الى المناداة بالويل والثبور بصوت اجهر مما كان في القرون الخوالي ! فاغلبهم يقولون : كلا . ولسنا في البعد الكافي عن حوادث اليوم لنبتّ فيها حكماً منصفاً لان تأثيرات الوقائع اليومية فينا تزيدها في اعيننا شرّاً ان كانت شريرة ، وخيراً ان كانت صالحة .

وانفعالنا في الواقع يضلل حكمنا وصوابنا ، فنجسم الحوادث اليومية ، ويخيّل الينا ان الماضي لم يشهد ما يشهده الحاضر . والحقيقة ان في الماضي شروراً عظيمة . ولكل عصر آفاته واذا ما قابلنا بين شرور اليوم وبين خيراته ، في الكون ، فقد نرى كفة الميزان ارجح الى الخيرات منها الى الويلات . نسب المؤلف الى ارتقاء البشر المادي هبوط الاخلاق واطلق حكمه على البشر اجمعين وان في ذلك لمغالاة لانه من المؤكد ان ذلك الارتقاء رفع بالالوف والملايين ممن كانوا في الامس يعيشون بالعزلة عن العالم المتمدن وصاروا اليوم يتعلمون ويتمدنون ، وهم في ذلك يرقون في دينهم ودنياهم ، شأن الالوف الداخلين سنوياً في الدين المسيحي من البلاد الوثنية بفضل سهولة الاسفار ، وسرعة المواصلات ، واحتكاك الشعوب وتفاهمها فليس من ثم انحطاط . فضلاً عما في البلاد الاوربية من النهضة الدينية ولا يخفى ان الفضيلة الساكتة وتواريها في ظلال المعابد لا يحول دون وجودها الحقيقي وشهادتها بان الاصلاح الذي ينشده السيد رضا ليس مما تحتاج اليه البشرية طرّاً كما توهم . فليس مطابقاً الواقع ما قاله ان البشر يرجعون القهقرى في الآداب والفضائل على نسبة عكسية مطردة لارتقائهم في العلوم المادية (وماذا يعني بالعلوم المادية ؟ والعلوم بجوهرها روحية فتصير آلةً للشهوات بيد الاشرار لكنها بذاتها تصلح للخير) وكان الاحرى به ان يميز بين حالة وحالة فلم يفعل وطرح الكلام جذافاً .

ومضى المؤلف يعلل علل الهبوط وهي في زعمه صادرة عن جهل العالم لدين الاسلام.

الاسلام مجهول

قال : ثلاثة حجب تحول دون النظر الصحيح في الاسلام.

اولًا : الكنيسة او الكنائس . ونسب اليها من الصفات ما نترفع عن اعادته ، وآداب المناظرة تحول دون الرمي بقذائف الكلام . ثم قال ببساطة صبيانية « والحق ان الاسلام هو صديق المسيحية المتمم لهدايتها وان محمدًا هو البارقليط . . . » ابهذه الادلة يدعو العالم المتمدن الى اعتناق الاسلام ؟

ثانياً : رجال السياسة الاوربية وايثارهم الاستعمار . . . ونسب اليهم ما نسبه من صفات مستقبحة . ولكن ماذا يقول الشيخ لمن يصف رجالات الفتوح الاسلامية العظام كخالد بن الوليد وعمرو بن العاص وغيرهم وصفه لرجال الاستعمار المحدثين ؟

ثالثاً : سوء حال المسلمين . قال : « قد فسدت حكوماتهم وشعوبهم واستحوذ عليهم الجهل بحقيقة دينهم ومصالح دنياهم حتى صاروا حجة لاعدائهم » . والسبب الاساسي لذلك كله انما هو ، في عين المؤلف ، جهل القرآن . فما ان يعرف الناس ذلك الكتاب حتى يتم الاصلاح الشامل وتعمّ الخيرات . ومضى يعدّد فضائل القرآن في مقاصد عشرة ، وقال ان فيه اصلاح اركان الدين ، وبيان النبوة ، وفيه الاصلاح السياسي ، والدولي ، والمالي ، والحربي ، والنسائي ، والاجتماعي ، الخ الخ . وتكلم في الوحي ، وتطرق الى المقابلة بين جان دارك وبين محمد ، وبين السيد المسيح وعجائبه ومحمد وعجائبه . ففسح لنا مجالًا للنقد ابعد مما نرومه لهذا المقال ، لو شئنا مناقشة المؤلف كل المواضيع التي مس بها النصرانية مسًّا صريحاً او غمزًا ، والبعض من اقواله لا يثبت لنقد ، وهو المردّد : « ان مجمعاً مسيحياً وضع موضع الشك هل للنساء نفوس بشرية » فهذا حذو الشيخ المغربي وقد رد عليه المشرق (٢٦ [١٩٢٨] ٣٨٦) مبيناً ان الشيخ لو فقه اللاتينية لعرف ان المشكل انما كان لغوياً محضاً ومفاده : هل كلمة انسان باللاتينية homo تطلق على الرجل والمرأة معاً ام لا ؟ ولا حاجة الى

تبيان ما في مقاصد الشيخ محمد رضا من التناقض في قوله ان الاسلام هو دين الحرية والتآخي وانه يضمن للناس اجمعين حقوقهم ، وقوله بعد ذلك ، ان الاصلاح الاجتماعي والسياسي لا يتم الا بوحدة الامة والجنس والدين والتشريع والاخوة الروحية والمساواة في التبعة والجنسية السياسية والقضاء واللغة (١١٩—١٢٥) اي بان يصبح العالم كله مسلماً عربياً . فتصوّر !

معجزة القرآن

من المعلوم ان المسلمين يستشهدون بكتابهم على صدق نبوة محمد فهو عندهم آية الآيات ، والاعجوبة الصريحة ، والدليل القائم بذاته على مدى الايام داعياً الى الهدى من غير شاهد يشهد بصحة نسبته الى اصله ، كأن به توقيع الله بالذات . ويدعون قولهم بما ينسبونه الى مفاعيل القرآن من الحوادث العظمى التي قلبت فئةً عظيمة من البشر ظهراً لبطن ، وبالاختصار فالقرآن عندهم كما يقول السيد محمد رشيد رضا هو معجز للخلق بلفظه ، ونظمه ، واسلوبه ، وعلومه ، وهدايته ، وبذلك هو « آية لا كالايات ونور لا كالانوار » (ص ٥٩)

ولكن ما هي قيمة تلك المعجزة وما هي حقيقة مفاعيلها ؟

قال الاب دي لانثرسان محرر مجلة « في ارض الاسلام » الافرنسية (*En terre d'Islam*) :

«ليس في يومنا من يخالف في قيمة القرآن الادبية ، كما وانه ليس من يشكّ في قيمة التوراة اللغوية في الترجمة الانكليزية او في الترجمة الالمانية لمؤلفها لوتر . على ان تلك القيمة لبشرية محضة . وقد يتاح لكل انسان مثقف ان يتحققها تحققاً متفاوتاً مع تفاوت تضلّعه من اللغة ومن آداب البلاد التي وضع فيها الكتاب . ولكن تلك القيمة الادبية ليست مما يزيد او ينقص في قيمة المتن الدينية .

اننا لا ننكر على القرآن القيمة الدينية ، ونحن على بيّنة من مفعوله في اثارة عواطف السجود والصلاة والتسليم لارادة الله . وهناك جمهور المتصوفين الصادقين من استقوا من مناهل القرآن على مدى الزمان مياه العبادة الصادقة لله عزّ وجلّ .

ولكن محور كلامنا لا يدور على تأثير القرآن في النفوس بل على السؤال هل القرآن بذاته دليل ؟ هل هو بذاته آية الآيات ومعجزة المعجزات كما يسميه

السيد محمد رضا (ص ٥٩) وقبله الكثيرون من كبار ائمة المسلمين ؟ هل القرآن هو كلام الوحي ، لا بمعنى الوحي الشعري او الفني المعروف عند أهل الفن والادب بالوحي النفسي (كما ذكره المؤلف ص ٢٩) ولكن بالمعنى الكامل المألوف عند رجال الدين اعني به كلام الله الحي ؟

بعيدٌ عنا القول ان كتاباً موحى به من الله وحياً بيّناً لا يمكن ان ينمّ عن اصله الالهي من غير ادلة خارجة عنه ، وانه من المستحيل ان يشهد الكتاب بذاته لصاحبه فتثبت فيه علامة الله وتوقيعه . ولكن الصعوبة كلّ الصعوبة هي في ان نتحقق تلك العلامة من غير ما ان نخشى الضلال ، ولا نخاف ان نكون غلطنا في تحقيقنا . وما المشكل الا مشكل الدليل الباطني ، وهو شهير عند اهل التفسير . فان قيمة الدليل الباطني على صحة الوحي لم تقع قط في الجدال . ولكن الجدال انما هو في تطبيق العلامة والدليل الباطني تطبيقاً لا يترك مجالاً للريب . ولذلك فقد اجمع المفسرون على القول ان الدليل الخارجي هو اشد تأثيراً من الباطني لانه ابعد منه عن خطر الغلط وآمن على سلامة التأكيد .»

ففي الامر الواقع ليس للدليل الباطني قيمة الا القيمة السلبية اي انه ينفي كون مؤلف من المؤلفات يمكن ان يكون قد خرج من عقل بشري .

هذا وان كان الكلام على كتاب فيه ما فيه من العيوب ، رغم ما يحويه من محاسن الجمال واساليب البيان ، فلا بد من القول ان ذلك الكتاب غير ممكن ان ينسب الى الله . فمن اجل ذلك لا نرضى بالقرآن اعجوبة ولا دليلاً .

قد دوّن بعضهم نقائص القرآن لا في امر اللغة فحسب ، بل في سرد الحوادث والاخبار مما يطول بنا الكلام عليه وحسبنا ان نرسل القارئ الى مطالعة المقالة التي ذُيل بها كتاب صال في الاسلام وعنها اخذنا ما يلي مختصراً :

ان في طريقة كتابة القرآن وجمعه دليلاً على انه سقط منه شيء ، وانه ليس بايدينا كل ما زعم محمد انه نزل عليه ، فانه نسي منه شيئاً . وقد ثبت ايضاً ان الصحابة نسوا منه شيئاً . وكثير من آياته لم يكن لها قيد الا في ذاكرة الصحابة فضاع منها الكثير .

ثم ان في القرآن مناقضات . فهو اللسان العربي المبين وهو مع ذلك يحتاج

الى التأويل لما فيه من الآيات المتشابهات ، والشواهد في ذلك كثيرة ، يحاول المسلمون ان يفكوا مشاكلها ، لكنها دليل على ان الوضوح والبيان ليسا من ميزة الكتاب . وقد عالج المفسرون المشكل بامر الناسخ والمنسوخ . ولكن حجتهم واهية لان ذلك لا يصحّ في الاخبار . واما في الاحكام فلا يتمّ ذلك الا بنصّ الشارع نفسه ، وبالا يُنسخ حكم الا بداعي ضرورة من تغيير الظروف ، وان يكون الناسخ تالياً للمنسوخ ، لكن القرآن لم يراع شيئاً من هذه الشروط ، وربما علّل المسلمون ذلك بسبب ما . ولكن لا بد من الاقرار في ان هذه الشواذات مخلّة في اساليب البلاغة . وعلى كل حال فما الافادة من نسخ آية والاتيان بخير منها ؟

وهناك اغلاط جسيمة في الحوادث التاريخية وتعريف الاعلام ، ومن امثال ذلك انه دعا مريم العذراء بنت عمران واخت هارون ؛ ولكن عمران ابو موسى سبقها بالف وستمئة سنة . وكذلك جعل هامان وزيراً لفرعون ، وفي الحقيقة تأخر هامان عن فرعون زهاء الف سنة . ولا تسأل عن الفرق بين يوسف ابن يعقوب وبرارته كما وردت في التوراة ، وقصته في القرآن حيث يتراخى للشهوة من ذاته . وتكلم القرآن على اسكندر ذي القرنين ونسب اليه ما لا يوافق اخبار التاريخ المحققة . وقال محمد انه اسري به الى المسجد الاقصى اي هيكل سليمان وزعم انه زاره وصلى فيه مع الانبياء ووصفه وصفاً يقضي بانه شاهد عيان . مع ان الهيكل ايام محمد كان خراباً . فينتج من هذا وغيره ان القرآن انما كلام بشري هو ، وليس فيه حجة للاقناع باصله الالهي .

ولعل مقتنعاً من الأعراب يقول : « وما بالكم تناقشونا امر القرآن ، وهو موضوع بالعربية للعرب ونحن رضينا به دليلاً » . فنقول : ما كنا لندخل بالجدال مع السيد محمد رضا لولا تحرشه للمسيحية ، وتسلّحه عليها وعلى الشعوب المتمدنة بما سماه اعجوبة القرآن . فكان ولا بد من الردّ عليه ، ولو بالايجاز . كيف يكون الكتاب بذاته دليلاً على اصله الالهي ، وفيه ما فيه من الشائبات ؟

هذا من امر اعجوبة القرآن باعجازه اما في مفاعيله وفي ما احدثه من التغيير في العالم ، وفي سرعة انتشاره ، فكل ذلك يفسّر من غير ان نعزو امره الى

اعجوبة خارقة . لان العرب فتحوا البلاد فيما كانت هذه في حالة انحطاط سهل السبل للفاتحين ، وكثيراً ما اتت على وصف تلك الحالة كتب التاريخ ، ويتاح مراجعتها لكل من اراد ذلك . ومن المعلوم ان التدابير التي ادخلها الاسلام في البلاد التي فتحها انما تعلمها ، لا من القرآن ، ولكن من الشعوب التي غلبها . وليس ما كان في سكان الجزيرة العربية وآدابها واخلاقهم ما كان يؤهبهم للقيام بالمهمات العظمى التي القت عليهم الفتوحات اعباءها . والمؤرخون يشهدون عزاً على ان المسلمين اخذوا عن اليونان والسريان والفرس كلما ادخلوه في انظمتهم وآدابهم وعلومهم . ولولا الشعوب التي انتصروا عليها لما كانت مدنيتهم ترقى عما كانت عليه ايام كانوا محصورين في اقفار الجزيرة وعما هي عليه اليوم . واما سعة انتشار الاسلام وعدد تباعه اليوم فليس منه دليل على كونه الدين الالهي الهادي النفوس الى السعادة القصوى عن اعتقاد معقول ، وتمحيص براهين ، وقوة عارضة . ان السيد محمد رضا وضع كتابه داعياً فيه الشعوب المتمدنة الى الاسلام . ولماذا الشعوب المتمدنة ؟ لانه يعلم حق العلم ان الاسلام لم ينل الى يومنا من البلاد المتمدنة نصيباً يُذكر . فان يعدّ اليوم ما ينيف على مائتين واربعين مليوناً من البشر فاكثرهم من العبيد او من الطبقات البشرية التي تجد في الاسلام رقياً بالنسبة لما كانت عليه من عبادة الاوثان . اما البلاد الراقية فلم تدخل في الاسلام بعدد يُعدّ فيذكر بالنسبة الى الشعوب المسيحية ، وهذه تُعد بما يزاهي الستمئة مليون ، وهم يدينون بدين الصليب وليسوا خاصة من سكان افريقية ومجاهلها ، بل هم من الذين يقبضون على ناصية العالم في كل صنف من اصناف العلوم والفنون والسياسة . فهؤلاء لن يرضوا ابداً بدين الاعراب بديلاً عن دينهم .

وما كنا لنخاطب السيد محمد رشيد رضا بهذا الكلام لولا اضطرارنا الى الردّ عليه ، ومجلة المنار لا تكاد تخلو بعدد من اعدادها من الطعن بالمسيحية . فلا اقل من ان تسمع جواباً بالتي احسن .

ف . ت .

تاريخ اسرة آل فرعون باصولها وفروعها

بقلم الخوري قسطنطين الباشا المخلصي

١٩٣٣ مطبعة القديس بولس، حريصا، ق ١٢ ص ٢٥٢

احب الاب قسطنطين آل فرعون، لما امتازوا به من خصال تحببهم الى معارفهم ولكونهم من كبار المحسنين الى الرهبانية المخلصية، فلم يألُ جهدًا في اطرائهم كلما سنحت الفرصة الى ذلك. والحق يقال ان في المقامات التي برز فيها بعض افراد تلك الاسرة في بلادنا وفي البلاد الاوربية لمبررًا لاطراء مؤرخهم. فلا يدع اثرًا من الاثار التي عثر عليها الا اوله في مديح ابطاله وان يكن ذلك غير ثابت الثبوت التاريخي النافي الشك فقال (ص ١١٥) عن الياس فرعون « انه كان برفقة بونابرت في موقعة جبل طابور الشهيرة فاصابه حينئذٍ جرح ولعله تعرض له وقاية لمولاه الذي كان يقصد بالضربة دونه . . . »

ولكن في الوثيقة الافرنسية المنشورة ص ٣٢٣ ليس من ذكر لذلك الجرح ولا للوقاية. ومن المؤكد انها تكون قد ذكرت لو كانت قد وقعت حقيقةً.

جاء (ص ١٢٢) في لائحة مؤلفات يوحنا فرعون الافرنسية: «محمد الثاني ونيقولا الثاني» والصواب نيقولا الاول. على ان بعض الهنات لا تذكر بالنسبة الى فضائل الكتاب وفيه الاستطرادات على عادات المسيحيين الشرقيين في القرن الماضي وعلى مواقفهم في الحوادث السياسية الخطيرة التي جرت في سورية ومصر في القرن التاسع عشر، وعلى حياة الطائفة الملكية. فنشكر الاب الفاضل عنايته، ونهنئ آل فرعون الكرام بما استحقوه من اطراء ف. ت.

اللاسلكي

تأليف ادمون عبد النور

هدية المقتطف السنوية

قراءة هذا الكتاب سهلة لذيذة لما فيه من مواد جديدة لقراء العربية، واضحة مفهومة من كل اديب له بعض الالمام في العلوم، وفيها الكلام على فن اللاسلكي مع ذكر الحوادث المعاصرة التي كان للاسلكي فيها دوره سواء

اكان ذلك في مد المواصلات ما وراء الجبال والبحار والتقريب بين الشعوب او في تجهيز الاطباء بوسائل جديدة لمعالجة الامراض، او في ترقية العلوم والفنون بين المراصد الفلكية والغرف والنوادي الموسيقية او التعليمية.

على ان فائدة الكتاب العظمى هو تمرين اللغة العربية على التحدث بالعلوم. وجهود المؤلف في هذا السبيل جديرة بكل ثناء. جابه المصاعب فغلبها، ووفق في تعريب عدد عديد من الالفاظ والاصطلاحات في فن الكهرباء. فله الفضل. وقد وضع لتلك الالفاظ معجماً في ذيل الكتاب. وقال: « من اسباب وضعنا المعجم لتلك الالفاظ والاصطلاحات مع ما يقابلها باللغة الانكليزية ان تساعد من اراد بحثاً مستفيضاً بالموضوع ان يعول عليه في اصوله الانكليزية(١٧٢)» وان في ذلك اقراراً على ان استيعاب العلوم في اللغة العربية وحدها غير ممكن ولا بد لمن رام التبحر والاختصاص من التعويل على كتب في اللغات الاوربية.

وددنا لو عرض المؤلف الفاظ المعجم مصفوفة طبقاً للابجدية العربية في سلسلة ثانية ليسهل مناولها عند الاحتياج اليها يوم يوضع قاموس كامل للغة العربية.

ف. ت.

رجال المال والاعمال

هدية المقتطف (ثانية) ١٩٣٣

ظهرت تراجم رجال المال والاعمال في سني المقتطف السابقة. وها ان الادارة اعادت طبع تلك التراجم؛ وفي الاعادة افادة. على ان المقتطف مجلة انكليزية او اميركية بنزعتها واميالها فتكاد لا تشهد الا برجال العالم الانكلوساكسونيين على اقوالها في العلم والعمران. ولعلها متطرفة في ذلك، فتأتي ببعض الاحكام المطلقة حيث الواقع يوحي التحفظ والتمييز.

أمن الصحيح ان « من يجول في البلاد الاوربية لا يرى جمهور الاهالي على ثروة طائلة، بل بالضد من ذلك يراهم فقراء يعيشون من يدهم الى فمهم ؟ وان تسعة وتسعين بالمئة لا ينالهم شيء من ثروة البلاد » ؟ لا ادري هل يطلق هذا الكلام على البلاد الانكليزية، واذكر فيما اذكر قول احد رفقتنا الانكليز

يوماً ، ونحن نمر بالقرب من بيوت العمال في احدى مدن انكلترة ، وقد بلغ الى مسمعنا صوت التوقيع على البيانو من داخل البيت ، قال يكاد كل عامل انكليزي في يومنا يملك البيانو في بيته». فهل بلاد تحوي عامتها آلة الطرب الغالية الثمن في بيوتها ، تكون عامتها من الذين يموتون جوعاً اذا ما وقفوا يوماً عن العمل ؟ــ اما في فرنسة فلا يصح فيها قول الرصيفة ؛ لان ثروة فرنسة، على ما هو معروف ، انما هي في ما يسمونه« جراب الصوف » وهم يعنون بذلك المال الذي يدّخره الصانع او الفلاح في جعبته وهو وافر كثير . على اني لاواخذن نفسي بمناقشة الرصيفة امراً لم تتوخ في الكلام عليها الا التنشيط على تقفي آثار رجال المال والاعمال. ف . ت .

مفكرات رياضة

الجزء الاول ــ للاب بطرس زهرة الاهمجي اللبناني

مطبعة ثابت ، بيروت ١٩٣٢

مؤلف الكتاب معروف بمواعظه واتعابه في الارساليات ، وهو جدير ان يحدثنا عن مواد الرياضة ويهدي اليها الكهنة . بسط المواضيع الاساسية : غاية الانسان ، الخلاص ، الصلاة ، التوبة ، الايمان ، القربان المقدس ، محبة الله ، والقريب ، الخطيئة وشرورها ، وعقاباتها ، العبادة لسيدتنا مريم العذراء ، الخ الخ . واكثر من سرد آيات الكتاب المقدس فاحسن . اما تفسيرها المطول فلم يكترث له واكتفى بعرض اقواله بالاسلوب الاقرب الى نفوس المؤمنين ، وان لكهنة الرعايا من مطالعة كتابه خيراً وافادة. ف . ت .

* روزنامة سيدة التلة الكنسية لسنة ١٩٣٦ * هي السنة الثانية والعشرون لهذه الروزنامة المفيدة التي يصدرها حضرة الاباتي افرام حنين الديراني الحلبي اللبناني في ديرالقمر . وهي تطلب منه ومن مخزن المواجات خليل حنين واولاده في سوق الجميل ، بيروت .

اهم حوادث الشرق في شهر

١٥ ت ١ — ١٥ ت ٢ ١٩٣٣

لبنان وسورية — رسم غبطة بطريرك الارمن الكاثوليك ، في كنيسة كلية القديس يوسف ، الورتبيت غريغوريوس هنديه رئيس اساقفة على ابرشية حلب ، والاب لويس بطانيان رئيس اساقفة على ابرشية ماردين.

* اتى غبطة البطريرك الماروني بيروت للسلام على فخامة العميد السامي الجديد . وردّ العميد الزيارة في بكركي.

* اهدي الى غبطة بطريرك السريان الكاثوليك وسام الاستحقاق اللبناني

* اقيم في دمشق مظاهرة بسبب حوادث فلسطين فقمعتها قوة الامن العام.

* انتهت الامتحانات في مكتب الحقوق الفرنسي في بيروت فكان عدد الفائزين بشهادة الليسانس ٣٠ بينهم آنسة واحدة.

فلسطين — دُشن مرفأ حيفا الجديد (٣١ ت ١) بحضور المندوب السامي البريطاني وبعض الاعيان.

* اقيمت مظاهرات في بعض المدن احتجاجاً على دخول اليهود بكثرة ، تقمعتها السلطة ، وقد سقط فيها عشرات القتلى ومئات الجرحى.

مصر — اعيدت المواصلات التجارية بين مصر وطرابلس الغرب.

* عزمت الحكومة على تحويل تكايا المولويين الى مدارس صناعية.

* توفي في باريس عدلي باشا يكن من رؤساء الوزارة السابقين.

* توفي داود بك بركات رئيس تحرير الاهرام.

العراق — جُدّد تمديد الاتفاق الموقت بين العراق وايران لمدة ستة اشهر.

جزيرة العرب — ظهرت بوادر الحرب بين اليمن والمملكة السعودية وقد استولت قوّات الامام يحيى على بدر عاصمة نجران.

المطبعة الكاثوليكية المدير المسؤول : يوسف ماهر

فهارس المشرق

السنة الحادية والثلاثين
١٩٣٣

فهرس اوّل

لموادّ اعداد السنة الحادية والثلاثين من مجلة المشرق

(الرقم الاسود يدلّ على اعداد المجلة ، والرفيع على الصفحات)

العدد ١ (كانون الثاني) نقل الكتب المقدّسة الى العربية قبل الاسلام ، بقلم عبدالمسيح المقدسي (١-١٣) = المناذرة ملوك الحيرة (تتمة) ، بقلم يوسف غنيمة (١٣-٢٢) = الفقه الاسلامي: تاريخه وتطوّراته ، بقلم الاب لامنس اليسوعي (١ : ٣ ؛ ٢٠-٣٠ ؛ ٢ : ١١٦-١٢٤ ؛ ٣ : ٢٠٨-٢١٥ ؛ ٤ : ٢٨٩-٢٩٦ ؛ ٦ : ٤٥٣-٤٥٩) = الخرائط الكهربائية (مصوّرة) ، بقلم انطوان باز (٣٠-٣٦) = ابن عبد ربه و« عقده » ، بقلم جبرائيل جبور (تابع) ١ : ٣٦-٤٥ ؛ ٢ : ٩١-١٠٢ ؛ ٣ : ١٧٧-١٨٧ ؛ ٤ : ٢٤٨-٢٦٣ ؛ ٥ : ٣٢٧-٣٥١ ؛ ٦ : ٤١٨-٤٢٣ ؛ ٧ : ٥٠٤-٥١٥ ؛ ٨ و ٩ : ٥٨٩-٦٠٧ ؛ ١٠ : ٧٥٨-٧٧١) = الامثال والاساطير اللبنانية المختصة بالشهر السنة الشمسية ، بقلم لحد خاطر : الكانونان الاول والثاني ١ : ٤٥-٥٤ ؛ شباط ٢ : ١٢٤-١٢٩ ؛ آذار ٣ : ٢٠٣-٢٠٨ ؛ نيسان ٤ : ٢٩٦-٣٠١ ؛ ايار ٥ : ٣٨١-٣٨٥ ؛ حزيران ٦ : ٤٥٩-٤٦٤ ؛ تموز ٧ : ٥٣٤-٥٣٧ ؛ آب وايلول ٨ و ٩ : ٦٤٨-٦٥٤ ؛ التشرينان ١٠ : ٧٥٤-٧٥٨) = حول « الشعر والشعراء » ، بقلم فؤاد افرام البستاني : شعراء مصر ١ : ٥٤-٦٣ ؛ شعراء الوطن ٢ : ١٢٢-١٢٩ ؛ شعراء المهجر ٣ : ٢٢٢-٢٢٧) = طاغية القرية : مأساة ذات فصلين ، بقلم يوسف غصوب (١ : ٦٣-٦٨ ؛ ٢ : ١٢٩-١٤٦ ؛ ٣ : ٢١٥-٢٢٢ ؛ ٤ : ٣٠١-٣٠٦) = جولة في المجلات : استعمال اللغة السريانية في الطقس البيزنطي في صيدنايا (مصوّرة) (٦٨-٧٢) = تذكارات : حفريات افامية في خريف ١٩٣٢ . مجمع اللغة العربية الملكي في مصر (٧٢-٧٤) = مطبوعات شرقية جديدة (٧٤-٨٠) = اهم حوادث الشرق في شهر (٨٠)

العدد ٢ (شباط) القضاء في لبنان على عهد الحكم الاقطاعي، بقلم وجيه خوري (٢: ٨١-٩١؛ ٤: ٢٦٢-٢٧٠؛ ٥: ٢٥٧-٢٦٦) = من مظاهر البسالة النسوية، بقلم الخوري بطرس روفائيل (١٠٣-١٠٨) = يسوع الانجيل ويسوع جبران، بقلم امين خالد (٢: ١٠٨-١١٦؛ ٣: ١٩٧-٢٠٣؛ ٤: ٢٧٨-٢٨٣) = صوفية ابن العربي، بقلم الاب فليكس تريسيرا (١٢٩-١٣٣) = شذرات: اكتشاف اثري قرب بعلبك قبل ١٣٢ سنة. المسيح ملك الامم والشعوب. كيف امسى الموت اهمى! (١٤٦-١٤٩) = مطبوعات شرقية جديدة (١٤٩-١٦٠) = ام حوادث الشرق في شهر (١٦٠)

العدد ٣ (اذار) المجازفة بالارقام في التاريخ، بقلم حبيب زيات (١٦١-١٦٨) = النسك والنساك في لبنان (مصوّرة)، بقلم الاب انطونيوس شبلي اللبناني (٣: ١٦٨-١٧٧؛ ٦: ٤٤٦-٤٥٣) = التذكارات القرنية اللبنانية في السنة ١٩٣٣، بقلم الشيخ سليم الدحداح (٣: ١٨٧-١٩٧؛ ٦: ٤٧٠؛ ١٠: ٨٧٠) = جولة في المجلات: شيء عن الربع الشمالي – لاتينيون وسكسونيون (٢٢٨-٢٣٤) = مطبوعات شرقية جديدة (٢٣٤-٢٤٠) = ام حوادث الشرق في شهر (٢٤٠)

العدد ٤ (نيسان) البطريركية الانطاكية بين الاتحاد والانفصال، بقلم الاب اثناسيوس حاج قب (٤: ٢٤١-٢٤٨؛ ٥: ٢٥١-٢٥٧) = لامرتين في لبنان وسورية (مصوّرة)، بقلم اغناطيوس سركيس قب (٤: ٢٧٠-٢٧٨؛ ٥: ٢٧٢-٢٨١؛ ٦: ٤٣٩-٤٤٦؛ ٧: ٥٢٦-٥٣٤؛ ٨ و ٩: ٦٠٧-٦١٣) = الامير حيدر احمد الشهابي وتاريخه، بقلم الدكتور اسد رستم وفؤاد افرام البستاني (٤: ٢٨٣-٢٨٩؛ ٥: ٢٦٦-٢٧٣) = شذرات: سكة حديد بين مكة وجدّة (٢٠٦-٢٠٨) = مطبوعات شرقية جديدة (٢٠٨-٢٢٠) = ام احوادث الشرق في شهر (٢٢٠)

العدد ٥ (ايار) شهد نجران: رسالة شمعون اسقف «بيت ارشم»، عرّبها عن الاصل السرياني القسّ يوحنا عزّو (٥: ٢٢١-٢٢٩؛ ٦: ٤٠٩-٤١٨) = المزينة (قصيدة) بقلم كرم البستاني (٤٢٩) = السُلافة او آخر ما كتبه جبران خليل جبران، بقلم امين خالد (٢٣٠-٢٣٧) = شذرات: صيحة على «التفرنج» في المحادثات في بيروت قبل ستين سنة. الحدّ الاقصى لسرعة السيارات (٢٨٥-٢٨٧) = مطبوعات شرقية جديدة (٢٨٧-٤٠٠) = ام حوادث الشرق في شهر (٤٠٠)

العدد ٦ (حزيران) الشيخ احمد النرّ والقضاء في بيروت قبل مائة عام (مصوّرة) بقلم الدكتور اسد رستم (٤٠١-٤٠٩) = الاشمة المجهولة (مصوّرة)، بقلم انطوان باز (٦: ٤٢٣-٤٢٩؛ ٧: ٤٩٧-٥٠٤) = جولة في المجلات: اليوبيل الذهبي الكهنوتي لغبطة بطريرك الروم الكاثوليك – الشهر المريمي في الكنيسة البيزنطية – ناحية جديدة بالنقد من نواحي

الآداب العربية – الاسلوب اللاذع في الادب العربي (٤٦٤-٤٧٠) = شذرات : البويل الذهبي للمعهد الطبي الفرنسوي . التذكارات الفرنية اللبنانية (الشيخ سليم الدحداح) (٤٧٠-٤٧٢) = مطبوعات شرقية جديدة (٤٧٢-٤٨٠) = اهم حوادث الشرق في شهرين (٤٨٠)

العدد ٧ (تموز) الحياة في بيروت قبل الاسلام ، بقلم الاب لامنس اليسوعي (٧ : ٤٨١-٤٨٩ ؛ ٨ و٩ : ٦٦١-٦٦٧) = الصحة والطب في الكتاب المقدّس ، بقلم الحكيم امين الجميّل (٧ : ٤٨٩-٤٩٧ ؛ ٨ و٩ : ٦٣٠-٦٤٢) = المثلث الاموي : الاخطل – الفرزدق – جرير : محاولة مختصرة في الموازنة بينهم ، بقلم فؤاد افرام البستاني (٥١٥-٥٢٦) = نجمتان صغيرتان عطوفتان : حكاية بقلم الاب انطونيوس شبلي اللبناني (٥٢٧-٥٤١) = جولة في المجلات : عقلية العرب – النهضة النسائية في مصر (٥٤١-٥٤٥) = مطبوعات شرقية جديدة (٥٤٥-٥٦٠) = اهم حوادث الشرق في شهر (٥٦٠)

العددان ٨ و ٩ (آب وايلول) سنة الفداء ، بقلم الاب بولس موترد اليسوعي (٥٦١-٥٦٧) = القضاء في لبنان بزمن الامراء الشهابيين (٨ و٩ : ٥٦٧-٥٧٤ ؛ ١٠ : ٧٢٨-٧٤٢ ؛ ١١ : ٨١٧-٨٢٤ ؛ ١٢ : ٨٨٨-٨٩٣) = ارتفاع الصليب : ميمر منسوب الى القديس كيرلس اسقف اورشليم (مصوّرة) ، بقلم الخوري بولس قرألي (٨ و٩ : ٥٧٤-٥٨٩ ؛ ١٠ : ٧٤٢-٧٥٤ ؛ ١١ : ٨٣٩-٨٥٣ ؛ ١٢ : ٨٩٣-٩٠٧) = رسالة البطريرك انطونيوس نعمة الله السرياني (سنة ١٥٧٩ م) (مصوّرة) عرّبها عن الاصل السرياني وافتتحها بترجمة حياة البطريرك المذكور القسّ يوحنا عزّو (٨ و٩ : ٦١٢-٦٢٤ ؛ ١٠ : ٧٢٠-٧٢٨ ؛ ١١ : ٨٢١-٨٣٩) = امراض الذاكرة ، بقلم نقولا عطية (٦٢٤-٦٣٠) = منارة الراهب والعين الزرقاء (مصوّرة) بقلم الاب توتل اليسوعي (٦٤٣-٦٤٨) = الرهبان واعمال الرسالة بقلم الاب انطونيوس شبلي اللبناني (٦٥٤-٦٦١) = طبيبنا يسوع المسيح بقلم الاب ارمند اودين (٦٦٧-٦٧٦) = المجرّب الكريم في اصول الطب القديم : ارجوزة طبية مشروحة للشيخ ناصيف اليازجي (مصوّرة) نشرها عن مخطوطة بخطّ المؤلف فؤاد افرام البستاني (٨ و٩ : ٦٧٦-٦٨٩ ؛ ١٠ : ٧٧١-٧٧٩ ؛ ١١ : ٨٢٤-٨٣١) = القصص والحكايات المصرية عن المستشرق جيب (ف . ت) (٦٨٩-٦٩٧) = شاعرية كعب بن زهير ، بقلم فؤاد افرام البستاني (٦٩٧-٧٠٧) = مطبوعات شرقية جديدة (٧٠٧-٧٣٠) = اهم حوادث الشرق في شهر (٧٣٠)

العدد ١٠ (تشرين الاول) الحياة في بيروت على عهد الصليبيين ، بقلم الاب لامنس اليسوعي (١٠-٧٣١-٧٣٠ ؛ ١١ : ٨٥٢-٨٦١ ؛ ١٢ : ٩٣١-٩٣١) = الذكرى الذهبية لاول قداس في كنيسة بيروت السريانية (١٨٨٣-١٩٣٣) (مصوّرة) ، بقلم المطران قسطنطين ميخائيل اليان سركيس (٠ : ٧٧٩-٧٨٩ ؛ ١١ : ٨٠٩-٨١٧) جولة في المجلات : المطران جرمانوس فرحات – الشيخ كامل الغزي – الماسونية (ف . ت .) (٧١٨-٧٢٣) = مطبوعات شرقية جديدة (٧٢٣-٨٠٠) = اهم حوادث الشرق في شهر (٨٠٠)

العدد ١١ (تشرين الثاني) ابن ابتدأ الاب جبرائيل دنبو (١٧٧٦-١٨٣٢) مؤسس الرهبانية الانطونية الكلدانية من مجمع مار هرمزد ؟ ، بقلم القس يوسف نادر الانطوني (٨٠١-٨٠٩) = الزراعة والصناعة بين الرهبان ، بقلم الاب انطونيوس شبلي اللبناني (٨٦١-٨٧٠) = شذرات : التذكارات القرنية (الشيخ سليم الدحداح) . ايضاح . اذاعة السور القرآنية بالراديو (٨٧٠-٨٧٣) = مطبوعات شرقية جديدة (٨٧٣-٨٨٠) = اهم حوادث الشرق في شهر (٨٨٠)

العدد ١٢ (كانون الاول) الدرّة الثمينة في صلوات الكنيسة البيزنطية : تاريخ ترنيمتين من ترانيم الطقس البيزنطي ، بقلم الشماس انطون هبي (٨٨١-٨٨٨) = المبتذلات ! ، بقلم يوسف غصوب (٩٠٧-٩١١) = اثر قديم للبطريرك مكاريوس ابن الزعيم ، نشره الياس حسون المعلوف (٩١١-٩٢١) = حول تحديد الشعر ، بقلم القس اسطفان فرحات (٩٢٩-٩٣٧) = اعاجيب النقد الحديث ، بقلم ا. ح. (٩٣٧-٩٤١) = جولة في المجلات : فيصل بين فرنسة وانكلترة (٩٤١-٩٤٤) = شذرات : الصناعة اللبنانية في سنة ١٩٣٢ . عقال قلب يسوع في غزير (٩٤٥-٩٤٩) = مطبوعات شرقية جديدة (٩٤٩-٩٦٤) = اهم حوادث الشرق في شهر (٩٦٤) = فهارس المشرق

تنبيه

وقع شيء من السهو والخطأ في مقالة «القضاء في لبنان بزمن الامراء الشهابيين» رأينا ان نتداركه في ما يلي :

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٨١٦	١٧	واعقل خط	واعتلّ خط
٨٢٠	٢	المجالة المؤلمة	المجالة الدالّة
٨٦١	٨و٦	سقط من بين هذين السطرين عبارة طويلة من بين قوله «احمد هذا» وقوله «وكنيته ابو صالح» وهي:	

احمد هذا-(وهو ابن محمود بن يوسف بن شرف الدين بن ابي جنبلاط حسين بن محمود بن شرف الدين بن تقي الدين بن زين الدين عبد الغفار المتوفى سنة ٩٦٥ ه (١٥٥٧ م) والمشهور بعلمه ومؤلفاته الدينية من سلالة الشيخ مجب ابن ابي المكارم وكان بعض اسلافه قضاة للامراء التنوخيين – ولد احمد سنة ١٢١٣ ه (١٧٩٨ م) وترك بعد وفاته ولدين هما حسين وسلمان وكنيته ابو صالح) '

وبعد هذا يتصل الكلام بقوله : « درس احمد » الخ .

– وقد وقع سهو كذلك في ترقيم بعض الصفحات فانتقل الرقم فوراً من ٩١٢ الى ٩١٧، واذا فلا وجود للصفحات (٩١٣-٩١٦) فاقتضى التنبيه .

فهرس ثانٍ

يحتوي اسماء كتبة المشرق ومقالاتهم

اودين (الاب ارمند) : طبيعتا يسوع المسيح ٦٦٧-٦٧٦

باز (انطوان : الحراثة الكهربائية ٢٠-٢٦ – الاشعة المجهولة ٤٢٣-٤٢٤؛٤٩٧-٥٠٤

البستاني (فؤاد افرام) : حول « الشعر والشعراء » : ١ شعراء مصر ٥٤-٦٣؛٣ شعراء لوطن ١٢٢-١٢٩؛٣ : شعراء المهجر ٢٢٢-٢٢٨ – الامير حيدر الشهابي وتاريخه ٢٨٣-٢٨٩؛٢٦٦-٢٧٣ – الملك الاموي الاموي : الاخطل – الفرزدق – جرير : محاولة مختصرة في الموازنة بينهم ٥١٥-٥٢٦ – الحجر الكريم في اصول الطب القديم : رجوزة مشروحة للشيخ ناصيف اليازجي : نشرها وعلّق عليها ٦٧٦-٦٨٩؛ ٧٧١-٧٧٩ ؛ ٨٢٤-٨٣١ شاعرية كعب ابن زهير ٦٠٧-٧٠٧ – وله جولات في المجلات ٢٢٨-٢٢٢ : ٦٤ ؛٤٧٠-٥٤١ – ٥٤٥ – وله وصف مطبوعات ٧٨ : ٧٩ ؛ ١٥٩؛٢٣٨-٢٤٠؛٢١٠ : ٢١٨-٢٢٠ : ٢٩٦ : ٣٠٤ ؛٥٥٦-٥٥٧؛٥٥٨ ؛ ٥٦٠-٧٠٧ ؛٧١٠-٧١٧ ؛ ٧٢٠ ؛ ٧٩٧-٨٠٠ – وتعريبات وشذرات متفرقة

البستاني (كرم) : الحزينة (قصيدة) ٢٢٩

تربيرا (الاب فليكس) : صوفية ابن العربي ١٢٢-١٢٩

توتل (الاب فرديشان اليسوعي) : منارة الراهب والعين الزرقاء ٦٤٢-٦٤٨ – اطاب جيب – وله جولات في المجلات ٧٨٩-٧٩٢ – وله وصف مطبوعات ١٥٢-١٥٨؛٥٥١؛٥٥٢-٥٥٦ ؛ ٥٥٧-٧١٥ ؛ ٧١٧؛٧٧٦-٨٧٩ ؛ ٩٥٤-٩٦٤

ثيان (اميل) : له وصف مطبوعة ٥٥٢

جبور (جبرائيل) : ابن عبد ربه و« عقده » ٢٦-٤٥؛٩٠-١٠٣ ؛ ١٧٧-١٨٧؛٢٤٨-٢٦٢؛ ٢٢٧-٢٥١؛٤١٨-٤٢٢ ؛ ٥٠٤-٥١٥ ؛ ٥٨٩-٦٠٧؛٧٥٨-٧٧١

الجميّل (الحكيم امين) : الصحة والطب في الكتاب المقدس ٤٨٩-٤٩٧؛٦٢٠-٦٤٢ – وله وصف مطبوعات ٤٧٧-٤٧٩

حبيب (ه. ا. ر.) : القصص والحكايات المصرية ٦٨٩-٦٩٧

حاج (الاب اثناسيوس قب) : البطريركية الانطاكية بين الاتحاد والانفصال ٢٤١-٢٤٨؛٢٥١-٢٥٧

ح. ا. : اعاجيب النقد الحديث ٩٢٧-٩٤١

خاطر (الحد) : الامثال والاساطير اللبنانية المختصة باشهر السنة الشمسية ٤٥-٥٤؛ ١٢٤-١٢٩؛٢٠٢-٢٠٨ ؛ ٢٦٦-٢٠١ ؛ ٢٨١-٢٨٥؛٤٥٩-٦٦٤؛٥٢٤-٥٢٧ ؛ ٦٤٨-٦٥٤؛ ٧٥٤-٧٥٨

خالد (امين) : يسوع الانجيل ويسوع جبران

١٠٨-١١٦ ؛ ١٩٧-٢٠٣ ؛ ٢٧٨-٢٨٢ – السُلافة او آخر ما كتبه جبران خليل جبران ٢٢٠-٢٢٧

خوري (وجيه) : القضاء في لبنان على عهد الحكم الاقطاعي ٨١-٩١؛ ٢٦٢-٢٧٠؛ ٢٥٧-٢٦٦

الدحداح (الشيخ سليم) : التذكارات القرنية اللبنانية في السنة ١٩٣٣ ١٨٧-١٩٧؛ ٤٧٠-٤٧٢؛ ٨٧٠

رستم (الدكتور اسد) : الامير حيدر احمد الشهابي وتاريخه ٢٨٣-٢٨٩؛ ٢٦٦-٢٧٢ – الشيخ احمد الفرّ والقضاء في بيروت قبل مئة عام ٤٠١-٤٠٩

روفائيل (الخوري بطرس) : من مظاهر البسالة النسوية ١٠٣-١٠٨

روتزفال (الاب سبستيان اليسوعي) : له وصف مطبوعات ١٤٩-١٥٠؛ ٢٢٤-٢٣٦؛ ٣٠٨

زيّات (حبيب) : المجازفة بالارقام في التاريخ ١٦١-١٦٨

سركيس (اغناطيوس قب) : لامرتين في لبنان وسورية ٢٧٠-٢٧٨؛ ٢٧٢-٢٨١؛ ٤٣٩-٤٤٦؛ ٥٢٤-٥٢٦؛ ٦٠٧-٦١٢

سركيس (المورفقفوس ميخائيل اليان) : الذكرى الذهبية لاول قداس في كنيسة بيروت السريانية (١٨٨٣–٩٣٣) ٧٧٩-٧٨٩؛ ٨٠٦-٨١٧

شاتيه (الاب ب. اليسوعي) : له وصف مطبوعات ٧١٠-٧١٢

شبلي (الاب انطونيوس اللبناني) : النسك والنساك في لبنان ١٦٨-١٧٧؛ ٤٤٦-٤٥٢ – نجمتان صغيرتان عطوفتان : حكاية ٥٢٧-٥٤١ – الرهبان واهمال الرسالة ٦٥٤-٦٦١ – الزراعة والصناعة بين الرهبان ٨٦١-٨٧٠

عزّو (القس يوحنا) : شهداء نجران : رسالة شمعون اسقف « بيت ارشم » : عرّبها ونشرها ٢٢١-٢٢٩؛ ٤٠٩-٤١٨ – رسالة البطريرك اغناطيوس نعمة الله السرياني (١٥٧٩ م) : عرّبها ونشرها مع مقدّمة ٦١٣-٦٢٤؛ ٧٢٠-٧٢٨؛ ٨٢١-٨٢٩

عطيّه (نقولا) : امراض الذاكرة ٦٢٤-٦٣٠

غصوب (يوسف) : طاغية القرية : مأساة ذات فصلين ٦٢-٦٨؛ ١٢٩-١٤٦؛ ٢١٥-٢٢٢؛ ٣٠١-٣٠٦ – المبتذلات ٩٠٧-٩١١

غنيمه (يوسف) : المناذرة ملوك الحيرة ١٢-٢٣

فرحات (الاب اسطفان اللبناني) : حول تحديد الشعر ١٢١-١٢٧ – راجع اردبن (الاب ارمند)

قرألي (الخوري بولس) : ارتفاع الصليب : ميمر منسوب الى القديس كيرلس الاورشليمي ٥٧٤-٥٨٦؛ ٧٤٣-٧٥٤؛ ٨٢٩-٨٥٢؛ ٨٩٢-٩٠٦

كابياو (الاب يوحنا اليسوعي) : له وصف مطبوعات ٧٧؛ ١٥٢؛ ٢١٢

لامنس (الاب هنري اليسوعي) : الفقه الاسلامي : تاريخه وتطوّراته ٢٢-٣٠؛ ١١٦-١٢٤؛ ٣٠٨-٣١٥؛ ٢٨٩-٢٩٦؛ ٤٥٢-٤٥٩ – الحياة في بيروت قبل الاسلام ٤٨١-٤٨٩؛ ٦٦١-

٦٦٧–الحياة في بيروت على عهد الصليبيين ٧٢١-٧٣٠؛ ٨٥٢-٨٦١؛ ٩٢١-٩٣١ – وله وصف مطبوعات ٧٥ ؛ ٧٦ ؛ ١٥٠؛١٥٣؛ ٢٢٦ ؛ ٢٨٩ ؛ ٤٧٦ ؛ ٥٤٨؛٥٥١؛٨٧٣؛٩٤٩؛ ٩٥٠ ؛ ٩٥٣

لوقنك (الاب جبرائيل اليسوعي) : له وصف مطبوعات ٧٧؛١٥١-١٥٣؛٢٣٧؛٣١٥-٣١٧؛ ٣٩٠-٣٩٣؛٣٩٤-٣٩٦؛٤٧٥ ؛ ٥٤٦ ؛ ٥٤٧؛ ٥٤٩-٥٥١؛ ٧١٤-٧١٣؛٧٢٣؛٨٧٤؛٨٧٥ ؛ ٩٤٩ ؛ ٩٥٠ ؛ ٩٥٣

الملوف (الياس حسون) : اثر قديم لاطريرك مكاريوس ابن الزعيم ٩١١-٩٢١

الملوف (عيسى اسكندر) : القضاء في لبنان بزمن الامراء الشهابيين : ٥٦٧-٥٧٤؛٧٣٨-٧٤٢؛٨١٧-٨٢٤؛٨٨٨-٨٩٣

المقدسي (عبد المسيح) : نقل الكتب المقدسة الى العربية قبل الاسلام ١-١٢

موترد (الاب بولس اليسوعي) : سنة الفداء ٥٦١-٥٦٧ – وله وصف مطبوعات ٢٢٧؛ ٤٧٣؛٨٧٣ ؛ ٩٥١

نادر (القس يوسف الانطوني) : اين ابتدأ الاب جبرائيل دنبو ؟ ٨٠١-٨٠٩

هي (الشماس انطون) : الدرة النفيسة في صلوات الكنيسة البيزنطية ٨٨١-٨٨٨

هيوز (الاب ك. ب. اليسوعي) : له وصف مطبوعات ٧٤؛٢١٢؛٢١٤؛٢٩٣؛٤٧٣؛٥٤٧

اليازجي (الشيخ ناصيف) : راجع البستاني (فؤاد افرام)

فهرس ثالث

للمطبوعات التي ورد وصفها في السنة الحادية والثلاثين للمشرق

١ – المطبوعات العربية والسريانية الخ

ا

آجيا (الاب بشير اليسوعي) : ادب وذوق (٧١٧)

اباظه (فكري) : الضاحك الباكي (٧٩٨)

ابو شبكه (الياس) : لامرتين (٥٥٧)

ابو العز (احمد عبد الوهاب) : اثني عشر عاماً في صحبة امير الشعراء (٣٩٨)

ابي زيد (الارشمندريت بطرس) : مرشد الوعاظ والكتاب الى كنوز آيات الكتاب : ١ (١٥٦) – ٢ (٥٥٨)

ابي فرنسيس (يوسف) : آثار جبيل (٧٩٩)

ارملة (الخوري اسحق) : الرتب الكهنوتية في الطائفتين المارونية والسريانية (٧١) – الرئاسة البابوية في الكنيسة السريانية (٧١٨)

الاصفهاني (ابو الفرج) : كتاب الاغاني : ٥ (٢٣٩) – رثاء المثالث والمثاني في روايات الاغاني (اتخذها الاب صالحاني

اليسوعي) (٢١٩)
ألن (اللي) : الشخصية (تعريب دلال صفدي) (٧٩٨)

ب

بارودي (واصف) : محاضرات في التربية والتعليم (٢١٨)
الباشا (الخوري قسطنطين) : تاريخ اسرة آل فرعون باصولها وفروعها (٩٦١)
البستاني (فؤاد افرام) : الروائع : السلسلة الثالثة (٨٧٧)
البستاني (نبيل) : جنفياف (٧٩٩)
بشير (الارشمندريت انطونيوس) : مراقي النجاح (٧١٨)
بوردو (بول هنري) : اميرة بابلية لدى الدروز (تعريب ميشيل سليم كميد) (٢١٩)

ت

التنوري (الاب اغناطيوس) : خزانة الواعظين والمتأملين : ٣ (٧٩)

ج

جاماتي (حبيب) : تاريخ ما اهمله التاريخ : ١ : الضحايا (٥٥٧)
جبور (جبرائيل سليمان) : ابن عبد ربه وعقده (١٥٢)
جعجع (الخوري اغناطيوس) : بشري مدينة المتدمين (١٥٩)
جمعية تعاون الاكليروس السرياني الكاثوليكي (٧١٩)
الجميّل (انطون) : شوقي (٢٩٦)

ح

الحبال (عارف) : الرياضة البدنية وابطالها في سورية ولبنان (٧١٩)
حبيقة (الخوري اسقف بطرس) : مآثر مريضه (١٥٩)
حضارة مصر الحديثة (٤٥٤)
حنين (الاباتي افرام) : روزنامة سيدة التلة الكنسية لسنة ١٩٣٤ (٩٦٢)

خ

خالد (امين) : محاولات في درس جبران (٥٥٦)
خلاصة اعمال شركة القديس منصور دي بول عن سنة ١٩٣٢ (٨٧١)

د

دانتي : رحلته ٣ : النعيم (تعريب نعوم ابي راشد) (٥٥٩)

ذ

الذكرى المئوية لتأسيس شركة القديس منصور في باريس (٧٩٩)

ر

رجال المال والاعمال (٩٦٢)
رضا (محمد رشيد) : الوحي المحمدي (٩٥٤-٩٦١)
روفائيل (الخوري بطرس) : اعمال المرأة في الحرب الكبرى (٥٥٢)

ز

زهره (الاب بطرس) : مفكرات رياضية : ١ (٩٦٢)
زيات (حبيب) : خبايا الزوايا من تاريخ صيدنايا (٤٧٦)

س

سباط (القس بولس) : بلوغ الارب في علم الادب للمطران جرمانوس فرحات (١٥٩)
سَنْ بيير (برنردن دي) : بولس وفرجيني (تعريب الياس ابو شبكه) (٤٧٩) — الكوخ الهندي (تعريب الياس ابو شبكه) (٥٥٨)
سيدة النجاة في بكفيا (٧١٩)

ش

شار (الخوري نيوفانس) : الكنيسة عروس يسوع المسيح (٨٧٦)

شرقي (جورج) : الحلة (٥٥٢)

ص

صادر (الدكتور حبيب) : الامراض المُعدية في الاقطار العربية (٤١٧)

صالحاني (الاب انطون اليسوعي) : راجع الاصفهاني (ابو الفرج)

صيام (عباس علي) : تاريخ الآداب العربية للسنة الثالثة الثانوية (٢٣٨) – اطلب عيفي

ض

ضاهر (خليل) : الشعر والشعراء ٥٤–٦٢ ؛ ١٢٢–١٢٩ ؛ ٢٢٢–٢٢٨

ع

عبد (المطران انطون) : رسالة رعائية (٧٩٩)

عبد النور (ادمون) : اللاسلكي (٩٦١)

عطيه (جرجي شاهين) : سلّم اللسان في الصرف والنحو والبيان ٥ : (٨٧٩)

العظم (عبد القادر) : علم الاقتصاد : ١ : المقدمة (٥٥٢)

عيفي (محمد موسى) – وصيام (عباس علي) : تاريخ الآداب العربية للسنة الرابعة الثانوية (٢٣٨)

عماد (يوسف) : المختصر المفيد في تاريخ سورية ولبنان المدني (٧٩) – المختصر الحديث في الجغرافية (٧٩٨)

غ

غصوب (يوسف) : طاغية القرية (٣٩٩)

الغلبوني (يوسف) : سياحتنا الصيفية الى بلدة المرمل وضواحيها (٢٣٩)

ق

قرألي (الخوري بولس) : السوريون في مصر (٣١٨) – النصرانية والاسلام (٣٩٨) – اللآلي في حياة المطران عبدالله قرألي : ١ (٧٩٧) – تاريخ الامير بشير الكبير (٨٧٩)

ك

كرم (الاب واصاف اللبناني) : المسيح اله (٣٩٩)

كيلاني (كامل) : مكتبة الاطفال (٧٨)

م

محمد (محمود حامد) : المناخ في العالم (٥٥٥)

المعلوف (الفريق امين) : معجم الحيوان (١٥٢)

مكتبة العرب : فهرسها للسنة ١٩٣٣ (١٥٩)

مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي : فهرسها لسنة ١٩٣٣ (٥٥٩)

مكتبة الهلال : قائمتها لسنة ١٩٣٣–١٩٣٤ (٥٥٩)

موليير : مريض الوهم (تعريب الياس ابو شبكه) (٢١٨) – البخيل (تعريب الياس ابو شبكه) (٧٩٩)

ن

نولدكه (ثيودور) : امراء غسان من آل جفنة (تعريب عدلي جوزي وقسطنطين زريق) (٧١٥)

هـ

الهلال في اربعين سنة (١٥٥)

٢ — مطبوعات اوربية

A.-L. (F.) : Géographie du bassin du Nil. Egypte et Soudan anglo-égyptien. (475)
Almanach catholique français pour 1933. (311)
Andrae (Tor) . Mohammed, sein Leben und sein Glaube (150)
Annuaire pontifical catholique pour 1933 (715)
Appert (M.) : Le bananier et sa culture (796)
Asin Palacios (Miguel) : El Islam cristianizado. (129-133) — Vidas de Santones Andaluces. (949)
Auerbach (Elias) : Wüste und gelobtes Land. (337)
Augustin (S^t). Cf. Humeau
Averroès Cf. Bouyges

Baldo (Jean) : La touffe de gui. (953)
Blennerhassett : Marie Stuart 1542-1587. (952)
Blonet (J.) p. s. n. : Théologie pastorale. Bienséances ecclésiastiques et pastorales. (714)
Boret (Victor) : Le paradis infernal. La vérité sur la Russie. (546)
Bouyges (Maurice) s. j. : Averroès. Talkhiç Kitab al-Maqoulat. (707)
Bremond (Henri) : Newman (390)
Browne (E. G.) : La médecine arabe. (545)
Bulgakhoff : L'Orthodoxie. (312)

Cabrol (F.) : Saint Benoit (952)
Castorat Norbert : Dix ans sous terre, campagne d'un explorateur solitaire. (794)
Chenevier (P.) : Cours de mécanique. (875)
Chrysostome (St Jean) : Dialogue sur le sacerdoce. Discours sur le mariage. Lettres à une jeune veuve. *trad de* P. Martin. (549)
Clauss (Dr Ludwig F.) : Als Beduine unter Beduinen. (315)
Clercq (Mgr Aug. de) : Recueil d'instructions pastorales. (797)
Collection « Les cahiers du blé qui lève », n° 5. (392)

Mme Compaign de la Tour-Girard . L'histoire sainte de mes tout-petits (317)
Coolen (Georges) : Histoire de l'Eglise d'Angleterre. (313)
Cront (Georges) : La lutte contre l'hérésie en Orient jusqu'au IXe s. (875)

Daghestani (Kazem) : Etude sociologique sur la famille musulmane contemporaine en Syrie. (310)
Debrunner (Blass) : Grammatik des neutestamentlichen Griechisch.(237)
Dosson (H.) : Ce qu'il faut connaitre de l'Islam. (315)
Donaldson Dwight (M.) : The Shi'ite religion (910)

Ebeling (E.) Meissner (B.) : Reallexikon der Assyriologie. *II*, 1. (234)
Ehrhard (A.) : Die Kirche der Märtyrer. (390)
Errandonea (Ignatius) s. j. : Epitome grammaticae graeco-biblicae. (473)

Faguet (Emile) : Histoire de la poésie française, de la Renaissance au Romantisme. t. VI. (316)
Farage (Mgr. Ant.) : Le Cardinal Lavigerie et l'esprit d'apostolat en Orient (77)
Farès (B.) : L'honneur chez les Arabes avant l'Islam. (548)
Finet (Albert) : Au pays de la Bible. (316)
Folliet (Joseph) : Le droit de colonisation. (546)

Garriguet (L.) : La Vierge Marie (795)
Gaulmier (Jean) : Notes sur le mouvement syndicaliste à Hama. (949)
Gemayel (Dr Amin) : L'hygiène et la médecine à travers la Bible.(536)
Giannini (A.) : L'ultima fase della questione orientale 1913-1932. (793)
Gobillot (René) : Architecture moderne et contemporaine. (795)

Gorra (Mgr. Philippe) : Sainte Anne de Jerusalem, à l'occasion de son cinquantenaire 1882-1933. (77)
Grandmaison (L. de) s. j. Ecrits spirituels : I (952)
Guernier (E. L.) : L'Afrique, champ d'expansion de l'Europe. (475)
Guerrin (Aymé) : La mort du Christ. (547)
Guisard (P. P.) : Portraits assomptionistes. (317)

Halecki (O.) : Un empereur de Byzance à Rome. (151)
Hamoui (Fr. Robert) : o. f. m. : Alfarabi's Philosophy and its influence on scholasticism. (551)
Hanssens (J. M.) s. j. : Institutiones liturgicae de ritibus orientalibus. *t. II et III.* (394)
Hatem (Anouar) : Les poèmes épiques des Croisades. (392)
d'Hérouville (P.) : Le Vincent Ferrier du dix-septième siècle. (395)
Honnorat (Michel) : Démonstration de la parenté des langues indo européennes et sémitiques. (474)
Huby (Jos.) : s. j. : La discours de Jésus après la Cène. (391)
Humbert (P.) : Pierre Duhem. (550)
Humeau : Les plus beaux sermons de St Augustin. (237)

Islamica, *vol. V. fasc.* 5 (153) — *VI*, 1. (953)

Khan Sahib Khaja Khan : The philosophy of Islam. (389)
Khoury (Mgr. Basilios) : Chez les anciens supérieurs et directeurs de Ste Anne. (77)
Kortleitner (Fr.-X.) : Religio Jahvae cohaeratae cum simplicitate vitae nomadum. (151) — Formae cultus Mosaici cum cultoris religiosibus Orientis antiqui comparatae. (951) — Aegyptiorum auctoritas quantum ad Israelitarum instituta sacra pertinuerit. (951)

Lacombe (Emmanuel) : Les éléments d'un programme social catholique. (77)
La Monte (John L.) : Feudal Monarchy in the Latin Kingdom of Jerusalem 1100 to 1291. (473)
Lemarié (O.) : Précis d'une sociologie. (712)
Lesourd (Paul) : Le missionnaire catholique des temps modernes. (547)
Les grands jours de la Rédemption. (545)
Littmann (Dr Enno) : Finiauus. (76)

Macnaughton (Duncan) : A scheme of egyptian chronology, with notes thereon including notes on Cretan and other Chronologies. (235)
Mahmassani (Sobhi) : Les idées économiques d'Ibn Khaldoun. (702)
Marchi (Luigi de) : Climatologia. (391)
Marie Germaine (Sœur) : Le Christ au Gabon. (875)
Maritain (J.) : Eléments de philosophie. *t. II.* (794)
Martel (René) : Mouvement antireligieux en U. R. S. S. 1917-1932. (713)
Martin (F.) : Cf. Chrysostome (St Jean)
Meissner (B.) : Cf. Scheling (E.)
Menzel (Theod.) : Festschrift Georg Jacob. (388)
Millot (Louis) : Les institutions kabiles. (950)
Moch (Maurice) : Le mandat britannique en Palestine. (312)
Mollat (G.) : La Question romaine de Pie VI à Pie XI. (152)
Moreau (E. de) s. j. : St Anschaire missionnaire en Scandinavie au IX s. (796)
Morison (Frank) : Le Tombeau Vide. (393)
Mouterde (René) s. j. : Précis d'histoire de la Syrie et du Liban. (75)
Museum Lessianum : Section missiologique, no 11, 14, 16, 18. (874)

Nilsson (Martin P.) : The mycenaean origin of greek Mythology. (149)
Nogues (R.) : Cours de mathématiques spéciales sous forme de problèmes. (874)

Ossendowski (F. A.) : Lénine. (391)

Pastor (Louis) : Histoire des Papes, tome XIV (550)
Pernot (Hubert) : Leçon d'ouverture de cours de grec postclassique et moderne et de littérature néo-hellénique. (153)
Perroy (Marguerite) : St François Régis. (547)
Picard (Charles) : Les origines du polythéisme hellénique. L'ère homé-

rique. (208)
Pins (Raoul) s. j. : Marie dans notre histoire divine. (317)
Pons (Mgr. A.) : La nouvelle Eglise d'Afrique (76)

Rameau (M.) et H. Yvon : Dictionnaire des antonymes ou contraires avec indication des synonymes. (548)
Renaudin (P.) : Assumptio B. Mariae Virginis Matris Dei. (550)
Richter : Das Geschichtsbild der arabischen Historiker des Mittelalters. (872)
Rideau (Emile) : Les rapports de la Matière et de l'Esprit dans le Bergsonisme. — Le Dieu de Bergson. (710)
Rigaux (M.) s. j : L'équipement social des jeunes. (395) — A la découverte du monde social. (396)
Roz (Firmin) : Washington. (549)

Salaville (S.) : Liturgies Orientales. (152)
Spath (P.) : Le formulaire des hôpitaux d'Ibn abul Bayan. (551)
Schmidt (Hans) : Der heilige Fels in Jerusalem. (873)

Van der Moulen und Von Wissmann : Hadramaut, some of its mysteries unveiled. (75)
Van Oost (Jos.) : Mgr. Bernyn apôtre des Orins. (876)
Vaussard (M.-M.) : Charles de Foucauld. Maître de vie intérieure. (715)
Vernet (Félix) : Les ordres mendiants (373)
Vichniac (Marc) : Lénine. (314)
Vilnay (Zev) : Legends of Palestine. (74)
Walker (J.) : Bible character in the Koran. (872)
Wehrlé (Johannès) : Victor Delbos. (237)
Wissmann (Von) Cf. Van der Moulen
Yvon (H.) Cf. Rameau (M.)

فهرس رابع

للمجلات التي ورد ذكرها في باب «جولة في المجلات»

الثقافة (دمشق) : ناحية جديدة بالنقد من نواحي الآداب العربية (عبد القادر المغربي) ٤٦٦
الحديث (حلب) النهضة النسائية في مصر (سامي الكيالي) ٥٤٤ — الشيخ كامل الغزي ٧٩٠
الرسالة (القاهرة) : لاتينيون وسكسونيون (طه حسين) ٢٣١ — عقلية العرب (توفيق الحكيم) ٥٤١
الشباب (حلب) : المطران جرمانوس فرحات (الخوري اسقفي اغناطيوس سعد) ٧٨٩
صوت الحجاز (مكة) : سكة حديد بين مكة وجدة ٣٠٦
مراسلات الشرق (فرنسوية) : فيصل بين فرنسة وانكلترة (الدكتور سمنه) ٩٤١
المدرة (حريصا) : استعمال اللغة السريانية في الطقس البيزنطي في صيدنايا (حبيب زيات) ٦٨ — اليوبيل الكهنوتي الذهبي لغبطة بطريرك الروم الكاثوليك ٤٦٤ — الشهر المريمي في الكنيسة البيزنطية (الاب اندراوس) ٤٦٤
المعارف (الشويفات) : الماسونية ٧٩١
المقتطف (القاهرة) : شيء عن الربع الخالي (فؤاد حمزة) ٢٢٨
الهلال (القاهرة) : الاسلوب اللاذع في الادب العربي (طاهر الطناحي) ٤٦٨

فهرس خامس

لجميع مواد السنة الحادية والثلاثين من المشرق

على طريقة حروف المعجم

ا

آب وايلول ٦٤٨–٦٥٤
آذار ٢ ٢–٢٠٨
آلهة الارض لجبران ٢٢٠–٢٢٧
ابن عبد ربه وعقده ٣٦–٤٥؛٩١–١٠٢؛١٧٧–١٨٧؛٢٤٨–٢٦٢؛٢٢٧–٢٥١؛٤١٨–٤٢٢؛٥٠٤–٥١٥؛٥٨٩–٦٠٧؛٧٥٨–٧٧١
ابن العربي: صوفيته ١٠٩–١٢٢
اثر قديم للبطريرك مكاريوس ابن الزعيم ٩١١–٩٢١
الاخطل والفرزدق وجرير ٥١٥–٥٢٦
الادب العربي: ناحية من نواحيه جديرة بالنقد ٤٦٦ — الاسلوب اللاذع فيه ٤٦٨
ارتفاع الصليب: ميمر منسوب الى القديس كيرلس الاورشليمي ٥٧٤–٥٨٩؛٧٤٢–٧٥٤؛٨٣٩–٨٥٢؛٨٩٢–٩٠٧
الارقام: المجازفة بها في التاريخ ١٦١–١٦٨
استعمال اللغة السريانية في الطقس اليزنطي في صيدنايا ٦٨
الاسلوب اللاذع في الادب العربي ٤٦٨
الاسلام: الفقه الاسلامي ٢٢–٣٠؛١١٦–١٢٤؛٢٠٨–٢١٥؛٢٨٩–٢٩٦؛٤٥٢–٤٥٩
الاسود ملك الحيرة ١٤–١٨
الاشعة المجهولة ٤٢٢–٤٢٩؛٤٩٧–٥٠٤
اغاجيب النقد الحديث ٩٢٧–٩٤٢
اغناطيوس نعمة الله السرياني (البطريرك): رسالته ٦١٢–٦٢٤؛٧٢٠–٧٢٨؛٨٢١–٨٢٩
افامية: حفرياتها في خريف ١٩٣٢ ٧٢
اكتشاف اثري قرب بعلبك قبل ١٣٢ سنة ١٤٦
الامثال والاساطير اللبنانية المختصة باشهر السنة الشمسية ٤٥–٥٤؛١٢٤–١٢٩؛٢٠٢–٢٠٨؛٢٩٦–٣٠١؛٢٨١–٢٨٥؛٤٥٩–٤٦٤؛٥٢٤–٥٢٧؛٦٤٨–٦٥٤؛٧٥٤–٧٥٨
امراض الذاكرة ٦٢٤–٦٣٠
امرؤ القيس الثالث ٢٠
ايار ٢٨١–٢٨٥
ايضاح ٨٧٠
اين ابتدأ الاب جبرائيل دنبو ؟ ٨٠١–٨٠٩

ب

البريد (الشيخ احمد) ٥٦٨–٥٧٤
البزري (الشيخ احمد) ٨٨٨
البزري (الشيخ يونس) ٨٩٠
البطريركية الانطاكية بين الاتحاد والانفصال ٢٤١–٢٤٨؛٢٥١–٢٥٧
بيروت: القضاء فيها قبل مائة سنة ٤٠١–٤٠٩ — «التفرنج» في عادثات اهلها قبل ٦٠ سنة ٢٨٥ — الحياة فيها قبل الاسلام ٤٨١–٤٨٩؛٦٦١–٦٦٧ — الحياة فيها على عهد الصليبيين ٧٢١–٧٣٠؛٨٥٢–٨٦١؛٩٢١–٩٢٦
اليزنطي (الطقس) استعمال اللغة السريانية

فيه في صيدنايا ٦٨ — تاريخ ترنيمتين من ترانيمه ٨١-٨٨٨
اليزنطية (الكنيسة): الشهر المريمي فيها ٤٦٤

ت

التاريخ: المجازفة بالارقام فيه ١٦١-١٦٨
التذكارات الفرنية اللبنانية في السنة ١٩٣٣ ١٨٧ ؛١٩٧ ؛٤٧٠ ؛٨٧٠
التشريفات ٧٥٤-٧٥٨
«التفرنج» في المحادثات في بيروت قبل ٦٠ سنة ٢٨٥
تقي الدين (الشيخ احمد) ٨٩١
تمثال قلب يسوع الاقدس في غزير ٩٤٧
تموز ٥٢٤-٥٢٧

ج

جبران: كتابه «يسوع ابن الانسان» ١٠٨-١١٦ ؛١٩٧ ؛٢٠٢-٢٧٨ ؛٢٨٢ — كتابه «آلهة الارض» ٢٢٠-٢٢٧
جرير والاخطل والفرزدق ٥١٥-٥١٦

ح

الحجر الكريم في اصول الطب القديم ٦٧٦-٦٨٩ ؛٧٧١-٧٧٩ ؛٨٢٤-٨٢١
الحراثة الكهربائية ٢-٢٦
حزيران ٤٥٩-٤٦٤
الحزينة ٢٢٩
حفريات افامية في خريف ١٩٣٣ ٢٢
حول تحديد الشعر ٩٢١-٩٢٧
حول «الشعر والشعراء» ٥٤-٦٢ ؛١٢٢-١٢٩ ؛٢٢٢-٢٢٨
الحياة في بيروت قبل الاسلام ٤٨١-٤٨٩ ؛٦٦١-٦٦٧
الحياة في بيروت على عهد الصليبيين ٧٣١-٧٣٠ ؛٨٥٢-٨٦١ ؛٩٢١-٩٢١
الحيرة: ملوكها المناذرة ١٢-٢٢

خ

الخطيب (الشيخ احمد) ٨٩٠

د

دنبو (الاب جبرائيل): ابتداؤه ٨٠١-٨٠٩

ذ

الذاكرة: امراضها ٦٢٤-٦٣٠
الذكرى الذهبية لاول قداس في كنيسة بيروت السريانية ٧٧٩-٧٨٩ ؛٨٠٩-٨١٧

ر

الراديو والقرآن ٨٧١
الربع الخالي: شيء عنه ١٢٨
رسالة البطريرك اغناطيوس نعمة الله السرياني ٦١٢-٦٢٤ ؛٧٢٠-٧٢٨ ؛٨٢١-٨٢٩
رنتجن: اشعته ٤٢٢-٤٢٩ ؛٤٩٧-٥٠٤
الرهبان واعمال الرسالة ٦٥٤-٦٦١
الرهبان والزراعة والصناعة ٨٦١-٨٧٠
الروم الكاثوليك: يوبيل بطريركهم ٤٦٤

س

السريانية (اللغة) في الطقس اليزنطي في صيدنايا ٦٨
السريانية (كنيسة بيروت): ذكرى اول قداس فيها ٧٧٩-٧٨٩ ؛٨٠٩-٨١٧
سكسونيون ولاتينيون ٢٢١
سكة حديد بين مكة وجدة ٢٠٦
السلافة او آخر ما كتبه جبران ٢٢٠-٢٢٧
سنة الفداء ٥٦١-٥٦٧
سورية: لامرتين فيها وفي لبنان ٢٧٠-٢٧٨ ؛٢٧٢-٢٨١ ؛٤٢٩ ؛٤٤٦-٥٢٦ ؛٥٢٤-٦٠٧ ؛٦١٢
السيارات: الحد الاقصى لسرعتها ٢٨٦

ش

شاعرية كعب بن زهير ٦٩٧-٧٠٧
شباط ١٢٤-١٢٩
الشعر: حول تحديده ٩٢١-٩٢٧

«الشعر والشعراء» ٥٤-٦٣؛ ١٢٢-١٢٩؛ ٢٢٢-٢٢٨
شعراء مصر ٥٦-٦٣
شعراء المهجر ٢٢٢-٢٢٨
شعراء الوطن ١٢٢-١٢٩
شهاب (الامير حيدر احمد) وتاريخه ٢٨٢-٢٨٦؛ ٢٦٦-٢٧٢
الشهابيون: القضاء في لبنان بزمانهم ٥٦٧-٥٧٤؛ ٧٢٨-٧٤٢-٨١٧؛ ٨٢٤-٨٨٨؛ ٨٩٢-
شهداء نجران ٢٢١ ٢٢٩؛ ٤٠٩-٤١٨
الشعر المريمي في الكنيسة البيزنطية ٤٦٤

ص

الصحة والطب في الكتاب المقدس ٤٨٩-٤٩٧؛ ٦٣٠-٦٤٢
الصليب: ارتفاعه ٥٤٧-٥٨٩؛ ٧٤٢-٧٥٤؛ ٨٢٩-٨٥٢؛ ٨٩٢-٩٠٧
الصليبيون: الحياة في بيروت على عهدهم ٧٢١-٧٢٠؛ ٨٥٢-٨٦١؛ ٩٢١-٩٢١
الصناعة اللبنانية سنة ٢-١٩ ٩٤٥
صوفية ابن العربي ١٢٩-١٣٢
صيحة على «التفرنج» في المحادثات في بيروت قبل ٦٠ سنة ٢٨٥
صيدنايا: استعمال اللغة السريانية في الطقس البيزنطي فيها ٦١

ط

طاغية القرية: مسأساة ذات فصلين ٦٢-٦٨؛ ١٢٩-١٤٦؛ ٢١٥؛ ٢٢٢؛ ٣٠١-٣٠٦
الطب والصحة في الكتاب المقدس ٤٨٩-٤٩٧؛ ٦٣٠-٦٤٢
الطب القديم: الحجر الكريم في اصوله ٦٣٦-٦٨٩؛ ٧٧١-٧٧٩؛ ٨٢٤-٨٢١
طيمنا يسوع المسيح ٦٦٧-٦٧٦

ع

العرب: عقليتهم ٥٤١
العربية (اللغة): تجسمها الملكي في مصر ٧٢
علقمة ابو بقر ٢٠
العين الزرقاء ومنارة الراهب ٦٤٣-٦٤٨

غ

الغرّ (الشيخ احمد) والقضاء في بيروت قبل مائة عام ٤٠١-٤٠٩؛ ٨١٧-٨٢٠
الغزّي (الشيخ كامل) ٧٩٠
غزير: تمثال قلب يسوع الاقدس فيها ٩٤٧

ف

فتح الله (الشيخ عبد اللطيف) ٧٣٨-٧٤٣
الفداء: سنة ٥٦١-٥٦٧
فرحات (المطران جرمانوس) ٧٨٩
الفرزدق والاخطل وجرير ٥١٥-٥٢٦
الفقه الاسلامي ٢٢- ٢؛ ١١٦-١٢٤؛ ٢٠٨-٢١٥؛ ٢٨٩-٢٩٦؛ ٤٥٢-٤٥٩
فيصل بين فرنسة وانكلترة ٩٤١

ق

القاضي (الشيخ شرف الدين) ٨٢٠-٨٢٤
القاضي (الشيخ محمد) ٨٨٩
القرآن والراديو ٨٧١
القصص والحكايات المصرية ٦٨٦-٦٩٧
القضاء في بيروت قبل مائة عام ٤٠١-٤٠٩
القضاء في لبنان بزمن الامراء الشهابيين ٥٦٧-٥٧٤؛ ٧٢٨-٧٤٢؛ ٨١٧-٨٢٤؛ ٨٨٨-٨٩٢
القضاء في لبنان على عهد الحكم الاقطاعي ٨١-٩١؛ ٢٦٢-٢٧٠؛ ٣٥٧-٣٦٦

ك

الكانونان الاول والثاني ٥٠-٥٤
الكتاب المقدّس: الصحة والطب فيه ٤٨٩-٤٩٧؛ ٦٣٠-٦٤٢
الكتب المقدّسة: نقلها الى العربية قبل الاسلام ١-١٢
كعب بن زهير: شاعريته ٦٩٧-٧٠٧
كيرلس الاورشليمي: ميمر منسوب اليه في

« ارتفاع الصليب » ٥٧٤-٥٨٩؛٧٤٢-٧٥٤؛٨٢٩-٨٥٢؛٨٩٢-٩٠٧
كيف امسى الموت احمى ١٤٨

ل

لاتينيون وسكسونيون ٢٢١
لامرتين في لبنان وسورية ٢٧٠-٢٧٨؛٢٧٢-٢٨١؛٤٢٩ ٤٤٦؛٥٢٦-٥٢٤؛٦٠٧-٦١٢
لبنان: امثال واساطير مختصة باشهر السنة ٤٥-٥٤؛١٢٤-١٢٩؛٢٠٢-٢٠٨؛٢٩٦-٣٠١؛٣٨١-٣٨٥؛٤٥٩-٤٦٤؛٥٢٤-٥٢٧؛٦٤٨-٦٥٤؛٧٥٤-٧٥٨ — شعراؤه ١٢٦-١٢٩؛٢٢٢-٢٢٨ — القضاء فيه على عهد الحكم الاقطاعي ٨١-٢٩١؛٢٦٢-٢٧٠؛٣٥٧-٣٦٦ — القضاء فيه بزمن الامراء الشهابيين ٥٦٧-٥٧٤؛٧٢٨-٧٤٢؛٨١٧-٨٢٤؛٨٨٨-٨٩٢ — النسك والنساك فيه ١٦٨-١٧٧؛٤٤٦-٤٥٢ — التذكارات الفرنية اللبنانية ١٨٧-١٩٧؛٤٧٠-٨٧٠ — لامرتين فيه وفي سورية ٢٧٠-٢٧٨؛٢٧٢-٢٨١؛٤٢٩-٤٤٦؛٥٢٦-٥٢٤؛٦٠٧-٦١٢ — تاريخه للامير حيدر احمد شهاب ٢٨٢-٢٨٩؛٢٦٦-٢٧٢

م

الماسونية ٧٩١
المبتدلات ٩٠٧-٩١١
الملك الاموي: الاخطل والفرزدق وجرير ٥١٥-٥٢٦
المجازفة بالارقام في التاريخ ١٦١-١٦٨
المجمع الملكي للغة العربية في مصر ٧٣
المسيح: طبيعته ٦٦٧-٦٧٦ — المسيح ملك الامم والشعوب ١٤٧
مصر: مجمع اللغة العربية الملكي فيها ٧٣ — شعراؤها ٥٦-٦٢ — نهضة النساء فيها ٥٤٤ — القصص والحكايات فيها ٦٨٩-٦٩٧
المعهد الطبي الفرنسوي: يوبيله الذهبي ٤٧٠
مغارة الراهب والعين الزرقاء ٦٤٣-٦٤٨
مكاريوس ابن الزعيم: اثر قدم له ٩١١-٩٢١
مكة وجدة: سكة حديد بينهما ٣٠٦
من مظاهر البسالة النسوية ١٠٣-١٠٨
المناذرة ملوك الحيرة ١٢-٢٢
المنذر الاول ١٢
المنذر الثاني ١٨

ن

ناحية جديرة بالنقد من نواحي الاداب العربية ٤٦٦
نجران: شهداؤها ٣٢١-٣٢٩؛٤٠٩-٤١٨
نجمتان صغيرتان عطوفتان ٥٣٧-٥٤١
النساء: من مظاهر بسالتهن ١٠٣-١٠٨ — نهضتهن في مصر ٥٤٤
النسك والنساك في لبنان ١٦٨-١٧٧؛٤٤٦-٤٥٢
النعمان الثاني ملك الحيرة ١٨
النقد الحديث: اعاجيبه ٩٢٧-٩٤١
نقل الكتب المقدسة الى العربية قبل الاسلام ١-١٢
نيسان ٢٩٦-٣٠١

ه

هل يجوز اذاعة السور القرآنية بالراديو؟ ٨٧١

ي

اليازجي (الشيخ ناصيف): ارجوزته في الطب ٦٧٦-٦٨٩؛٧٧١-٧٧٩؛٨٢٤-٨٣١
يسوع الانجيل ويسوع جبران ١٠٨-١١٦؛١٩٧-٢٠٣؛٢٧٨-٢٨٣
يوبيل بطريرك الروم الكاثوليك الذهبي الكهنوتي ٤٦٤
اليوبيل الذهبي للمعهد الطبي الفرنسوي ٤٧٠

AL - MACHRIQ

Revue Catholique Orientale Mensuelle

SCIENCES—LETTRES—ARTS

Sous la direction des Pères de la Cie de Jésus

UNIVERSITÉ St JOSEPH

Trente et unième année

1933

BEYROUTH
Imprimerie Catholique
1933

TABLE DES SOMMAIRES

XXXIe ANNÉE 1933

JANVIER

La traduction des Livres Saints en langue arabe avant l'Islam. (p. 1) *Mr A.-M. Maqdisi.*

Les Mondirs, rois de Ḥira : II (*fin*) (p. 13) *Mr J. Ghanimé.*

La Jurisprudence de l'Islam ; histoire et évolution : I (p. 23) *P. Lammens S. J.*

Le labourage électrique. (*illustré*) (p. 30) *Mr A. Baz.*

Ibn 'Abd Rabbihi et son 'Iqd : IV (p. 36) *Mr G. Jabbur.*

Légendes et proverbes libanais concernant les mois de l'année : I (p. 45) *M. L. Khater.*

Poésie et poètes contemporains : I, poètes d'Egypte (p. 54) *Mr F.-E. Boustany.*

Un tyranneau de village, *drame* : I (p. 62) *Mr J. Ghossoub.*

Revue des Revues : L'emploi de la langue syriaque dans la liturgie byzantine à Saidnaya (illustré) (p. 68).

Varia : Les fouilles d'Apamée en 1932. — L'Académie royale du Caire. (p. 72).

Bibliographie : (p. 74).

Epbémérides du mois : (p. 80).

FÉVRIER

La justice féodale au Liban : I (p. 81) *Mr Wajih Khoury.*

Ibn 'Abd Rabbihi et son 'Iqd : V (p. 91) *M.G. Jabbur.*

La femme et la guerre mondiale. (p. 102) *Abbé P. Raphaël.*

Le Christ de l'Evangile et le Christ de Gibran : I (p. 108) *Mr Amin Khaled.*

La Jurisprudence de l'Islam : histoire et évolution : II (p. 116) *P. Lammens S. J.*

Légendes et proverbes libanais concernant les mois de l'année : II, Février (p. 124) *Mr L. Khater.*

Le « Soufisme » d'Ibn al-'Arabi. (p. 129) *Abbé F. Treserra.*

Poésie et poètes contemporains : II, poètes du Liban (p. 133) *Mr F.-E. Boustany.*

Un tyranneau de village, *drame* : II (p. 139) *Mr J. Ghossoub.*

Varia : Découverte archéologique à Baalbek, il y a 132 ans. — Le Christ roi des nations. — Comment la mort devint aveugle ! (p. 146).

Bibliographie : (p. 149).

Ephémérides du mois : (p. 160).

MARS

Le mirage des chiffres en histoire (p. 161) *Mr H. Zayat.*

Ermites et Ermitages du Liban : I (p. 168) *P. A. Chibli O. S. A.*

Ibn 'Abd Rabbihi et son 'Iqd' : VI (p. 177) *Mr G. Jabbur.*

Les centenaires libanais de l'année 1933 (p. 187) *Cheikh S. Dahdah.*

Le Christ de l'Evangile et le Christ de Gibran : II (p. 197) *Mr A. Khaled.*

Légendes et proverbes libanais concernant les mois de l'année : III, Mars (p. 203) *Mr L. Khater.*

La Jurisprudence de l'Islam : histoire et évolution : III (p. 208) *P. Lammens S. J.*

Un tyranneau de village, *drame* : III (p. 215) *Mr J. Ghossoub.*

Poésie et poètes contemporains : III, poètes d'Amérique (*fin*) (p. 222) *Mr F.-E. Boustany.*

Revue des Revues : Ar-Rob' al-Hali — Latins et Anglo-Saxons (p. 228).

Bibliographie : (p. 234).

Ephémérides du mois : (p. 240).

AVRIL

Le Patriarcat d'Antioche : I (p. 241) *P. A. Haye.*

Ibn 'Abd Rabbihi et son 'Iqd : VII (p. 248) *M. G. Jabbur.*

La justice féodale au Liban : II (p. 262) *Mr Wajih Khoury.*

Lamartine au Liban et en Syrie : I (p. 270) *Mr I. Sarkis.*

Le Christ de l'Evangile et le Christ de Gibran : III (*fin*) (p. 278) *Mr Amin Khaled.*

L'émir Ḥaïdar Aḥmad Chihâb et son Histoire du Liban : I (p. 283) *Dr A. Rustum* et *Mr F.-E. Boustany.*

La Jurisprudence de l'Islam : histoire et évolution : IV (p. 289) *P. Lammens S. J.*

Légendes et proverbes libanais concernant les mois de l'année : IV. Avril (p. 296) *Mr L. Khater.*

Un tyranneau de village, *drame* : IV (*fin*) (p. 301) *M. J. Ghossoub.*

Varia : Un chemin de fer entre la Mecque et Djedda (p. 306).

Bibliographie : (p. 313).

Ephémérides du mois : (p. 320).

MAI

Les Martyrs de Najrân : *un document de l'époque* : I (p. 321) *Abbé J. Lasso.*

La douleur, *poésie* (p. 329) *Mr K. Boustany.*

Le dernier ouvrage de Gibran (p. 330) *M. A. Khaled.*

Ibn 'Abd Rabbihi et son 'Iqd : VIII (p. 337) *Mr G. Jabbur.*

Le Patriarcat d'Antioche : II (*fin*) (p. 351) *P. A. Haye.*

La justice féodale au Liban : III (*fin*) (p. 357) *Mr Wajih Khoury.*

L'émir Ḥaïdar Aḥmad Chihâb et son Histoire du Liban : II (*fin*) (p. 366) *Dr A. Rustum* et *Mr F.-E. Boustany.*

Lamartine au Liban et en Syrie : II (*illustré*) (p. 372) *M. I. Sarkis.*

Légendes et proverbes libanais concernant les mois de l'année: V, Mai (p. 381) *Mr L. Khater.*

Varia : Contre les abus de la « francisation ». — Le record de vitesse en automobile. (p. 385).

Bibliographie : (p. 387).

Ephémérides du mois : (p. 400).

JUIN

La justice à Beyrouth il y a cent ans. (*illustré*) (p. 401) *Dr A. Rustum.*

Les Martyrs de Najrân : *un document de l'époque* : II (*fin*) (p. 409) *Abbé J. Azzo.*

Ibn 'Abd Rabbihi et son 'Iqd : IX (p. 418) *Mr G. Jabbur.*

Les Rayons X : I (*illustré*) (p. 433) *Mr A. Baz.*

Lamartine au Liban et en Syrie : III (p. 439) *M. I. Sarkis.*

Ermites et Ermitages du Liban : II (*fin*) (*illustré*) (p. 446) *P. A. Chibli O. S. A.*

La Jurisprudence de l'Islam ; histoire et évolution : V (*fin*) (p. 452) *P. Lammens S. J.*

Légendes et proverbes libanais concernant les mois de l'année : VI, Juin (p. 459) *Mr L. Khater.*

Revue des Revus : Le Jubilé sacerdotal de S. B. le Patriarche Grec Catholique. — Le mois de Marie dans l'Eglise byzantine. — A propos de littérature arabe (p. 464).

Varia : Le cinquantenaire de la Faculté Française de Médecine. — A propos des Centenaires de l'Année. (470).

Bibliographie : (p. 473).

Ephémérides du mois : (p. 480).

JUILLET

La vie dans la Béryte préislamite : I (p. 481) *P. Lammens S. J.*

L'hygiène et la médecine à travers la Bible : I (p. 489) *Dr A. Gemayel.*

Les Rayons X : II (*fin*) (*illustré*) (p. 497) *Mr A. Baz*

Ibn 'Abd Rabbihi et son 'Iqd : X (p. 504) *Mr G. Jabbur.*

La triade poétique omayyade : al-Ahtal — Al-Farazdaq — Jarir (p. 515) *Mr F.-E. Boustany.*

Lamartine au Liban et en Syrie : IV (p. 526) *Mr I. Sarkis.*

Légendes et proverbes libanais concernant les mois de l'année : VII, Juillet (p. 534) *Mr L. Khater.*

Deux petites étoiles, (*conte*) (p. 537) *P. A. Chibli O. S. A.*

Revue des Revues : La mentalité arabe. — Le progrès du féminisme égyptien. (p. 541).

Bibliographie : (p. 545).

Ephémérides du mois (p. 560).

AOUT-SEPTEMBRE

L'année de la Rédemption (p. 561) *P. P. Mouterde S. J.*

La justice au Liban à l'époque des Chihab : I (p. 567) *Mr I. A. Malouf.*

L'Exaltation de la Croix, *homélie attribuée à St Cyrille de Jérusalem* : *I* (*illustré*) (p. 474) *Abbé A. Carali.*

Ibn 'Abd Rabbihi et son 'Iqd . XI (p. 589) *Mr G. Jabbur.*

Lamartine au Liban et en Syrie : V (*fin*) (p. 607) *Mr I. Sarkis.*

Un message du Patriarche Ignace Nemétallah (1579) : I (*illustré*) (p. 613) *Abbé J. Azzo.*

Les maladies de la mémoire (p. 624) *Mr N. Atieh.*

L'hygiène et la médecine à travers la Bible : II (p. 630) *Dr A. Gemayel.*

Aux sources de l'Oronte. (*illustré*) (p. 643) *P. Taoutel S. J.*

Légendes et proverbes libanais concernant les mois de l'année : VIII, Août et Septembre (p. 648) *Mr L. Khater.*

Les moines et l'apostolat. (p. 654) *P. A. Chibli O. S. A.*

La vie dans la Béryte préislamite : II (*fin*) (661) *P. Lammens S. J.*

Les deux Natures du Christ (p. 667) *P. A. Audin.*

Un traité médical inédit du Cheikh Nasif el-Yazigi : I (*illustré*) (p. 676) *Mr F.-E. Boustany.*

Contes et romans égyptiens. (p. 689) *Mr Gibb.*

La personnalité poétique de Ka'b ibn Zohaïr (p. 697) *Mr F.-E. Boustany.*

Bibliographie : (p. 707).

Ephémérides du mois : (p. 720).

OCTOBRE

La vie à Beyrouth sous les Croisés : I (p. 721) *P. Lammens S. J.*

Un message du Patriarche Ignace Nemétallah (1579) : II (p. 730) *Abbé J. Azzo.*

La justice au Liban à l'époque des Chihab : II, Le Cheikh Abd-el-Laṭif Fatḥallāh (p. 738) *Mr I. A. Malouf.*

L'Exaltation de la Croix, *homélie attribuée à St Cyrille de Jérusalem : II* (p. 743) *Abbé P. Carali.*

Légendes et proverbes libanais concernant les mois de l'année : IX, Octobre et Novembre (*fin*) (p. 754) *Mr L. Khater.*

Ibn 'Abd Rabbihi et son 'Iqd : XII (*fin*) (p. 758) *Mr G. Jabbur.*

Un traité médical inédit du Cheikh Nāṣif el-Yāzigi : II (p. 771) *Mr F.-E. Boustany.*

Le cinquantenaire de l'Eglise syriaque de Beyrouth : I (*illustré*) (p. 779) *Chorévêque M. Sarkis.*

Revue des Revues : Mgr Germanos Farḥāt. — Cheikh Kāmil al-Gazzi. — La Franc-Maçonnerie (p. 789) (F. T.).

Bibliographie : (p. 793).

Ephémérides du mois : (p. 800).

NOVEMBRE

Le noviciat du P. Gabriel Denbo (1772-1832) (p. 801) *P. J. Nader R. A.*

Le cinquantenaire de l'Église syriaque de Beyrouth : II (*illustré*) (*fin*) (p. 809) *Chorévêque M. Sarkis.*

La justice au Liban à l'époque des Chihab : III, Cheikh Aḥmad el-Ġarr; IV Cheikh Šaraf-addīn el-Qadī (p. 817) *Mr I. A. Malouf.*

Un traité médical inédit du Cheikh Nāṣif el-Yāzigi : III (*fin*) (p. 824) *Mr F.-E. Boustany.*

Un message du Patriarche Ignace Nemétallah (1579) : III (*fin*) (p. 831) *Abbé J. Azzo.*

L'Exaltation de la Croix, *homélie attribuée à St Cyrille de Jérusalem : III* (p. 839) *Abbé A. Carali.*

La vie à Beyrouth sous les Croisés : II (p. 852) *P. Lammens S. J.*

Agriculture et Industrie chez les Moines (p. 861) *P. A. Chibli O. S. A.*

Varia : A propos des Centenaires de l'année. (Cheikh S. Daldah). — Explication. — Le Qoran et la Radio. (p. 870).

Bibliographie : (p. 872).

Ephémérides du mois : (p. 880).

DÉCEMBRE

Deux hymnes byzantins (p. 881) *Mr A. Hebbi.*

La justice au Liban à l'époque des Chihab : V, Aḥmad el-Bazrī, VI, Moḥammad el-Qāḍī ; VII, Aḥmad el-Ḫaṭīb ; VIII, Younès el-Bazrī ; IX, Aḥmad Taqy-ed-Dīn (p. 888) *Mr J. A. Malouf.*

L'Exaltation de la Croix, *homélie attribuée à St Cyrille de Jérusalem IV* (p. 893) *Abbé A. Carali.*

Les clichés littéraires (p. 907) *Mr J. Ghossoub.*

Un texte du Patriarche Macaire (p. 911) *Mr E. H. Malouf.*

La vie à Beyrouth sous les Croisés : III (*fin*) (p. 921).

La définition traditionnelle de la poésie (p. 931) *P. E. Farhat O. S. A.*

A propos de critique contemporaine (p. 937) *Mr E. H.*

Revue des Revues : Faisal entre la France et l'Angleterre (p. 940).

Varia : L'Industrie au Liban et en Syrie en 1932. — Un monument au Sacré-Cœur à Ghazir (p. 945).

Bibliographie : (p. 949).

Ephémérides du mois : (p. 964).

Tables de l'année. — Errata. (965)

المشرق

السنة الثانية والثلاثون — كانون الثاني – آذار ١٩٣٤

حالة الاسلام

في القرن الرابع للهجرة

بقلم الاب لامنس اليسوعي

اذا من يُلقي نظرة دقيقة على حالة الاسلام السياسية في اوائل القرن الرابع للهجرة يتحقّق ان تلك الحالة ليست على شيء من الازدهار. فان الخلافة، اذ ذاك، اصبحت عرضةً للفوضى والانقسام فالتجزؤ. حتى ان تلك الامبراطورية الفسيحة التي اورثها الامويون العالمَ الاسلامي غدت مجموعة دويلات تتناظر وتتنافس ان لم تتقاتل وتتطاحن. فاستقلّ ببلاد فارس بنو بويه؛ وبالعراق والجزيرة بنو حمدان؛ وبسط الاخشيديون سلطتهم على مصر وسورية؛ والفاطميون على افريقية؛ وظلّ الامويون سائدين في اسبانية؛ وبنو سامان في خراسان وما وراء النهر؛ وكانت بلاد العرب الجنوبية ومنطقة البحرين تخضع للقرامطة؛ وجرجان وطبرستان في حكم الديلم؛ والبصرة وواسط في حكم البريدي. اما الخليفة فلم يبقَ له الا مدينة بغداد

وقسم من السواد . هذه ، بالاختصار ، حالة البلاد الاسلامية في اواخر القرن الثالث للهجرة.

على ان ملوك هذه الدويلات الاسلامية وامراءها كانوا يحتفظون للخليفة ببعض الميزات الشرفية . فكانوا يقرّون بسلطته العالية بان يجعلوا اسمه في المكان الاول من خطبة الجمعة ، ويطلبوا منه تثبيت القابهم ، ويرسلوا اليه الهدايا والتقادم . وان هذه الاشارات التكريمية هي التي دفعت بعض المؤلفين الى المقابلة بين الخلافة والبابوية . كما ان هذه الميزات الشرفية وحدها تبرّر ما كتبه المسعودي في نحو السنة ٣٣٢ هـ (٩٤٤) من ان « عَدَل امير المؤمنين من فرغانة واقصى خُراسان الى طنجه بالمغرب ثلثة آلاف وسبع مائة فرسخ . »[1] وهي مساحة عظيمة . الا ان الخليفة لم يكن له فيها سوى شبح من السلطة ضئيل.

ولم يقف الانحطاط عند هذا الحد . فان كرامة الخلافة اصبحت العوبة الثورات المتتابعة في البلاط ، يلعب بها الوزراء وقوّاد الجيش من الترك او الديلم كيف شاؤوا ومتى شاؤوا . فتراهم يخلعون من الخلفاء ، ويقتلون ، ويولّون ، دون سبب سوى مشيئتهم الغلّابة . وقد يولّون الخلافة ولدًا ابن ثلاث عشرة سنة ليستبدّوا بالحكم استبدادًا تامًا ، فيشركون بالسلطة امّ الخليفة ، واكثر ما تكون من الجواري المولدات ، مشفقين وخصيان البلاط . وقد كثر عدد هؤلاء في العصر الذي يهمّنا فاحتلّوا المراكز المختلفة وبلغ بعضهم اعلى الدرجات حتى في مراتب الجيش . وقد يكتفي هذا الجمهور المستبدّ بخلع الخليفة وسمل عينيه فقط كي لا يقوى على استعادة السلطان[2] . وفي اثناء هذه العملية الفظيعة كان الترك يأمرون بضرب الطبول كي يغطّوا صراخ الخليفة المسكين وعويل نسائه فلا يُسمع شيء من الخارج . ثم يتركون هؤلاء المخلوعين ، فيتلاشون شيئاً فشيئاً في الفقر والمسكنة ، حتى لقد كان منهم من يقضي العمر لابساً الصوف ومحتذياً

١) المسعودي : مروج الذهب ٤ : ٢٧-٢٨

٢) المسعودي : التنبيه ، ص ٢٨٨

قبقاب الخشب[1].

وفي هذا العصر كان الخلفاء ، وقد هبطوا الى درجة لا يؤبه لها ، يمدّدون الالقاب الشرفية كالسلطان ، والملك ، والامير ، وامير الامراء ، وما شاكل ، ويمنحونها جُزافاً مخترعين نوعاً جديداً منها ينتهي « بالملّة » او « الدولة » او « الامة » كبهاء الدولة ، وتاج الملّة ، وما الى ذلك. وليس لهم من غاية الا تذكير الناس بوجودهم ، واخفاء ضعفهم الحقيقي ، والسعي في سبيل الربح المادي . فان هذه الالقاب والميزات الشرفية كانت تدرّ عليهم كميات من المال لا يُستهان بها . وكان اول من لقّب بلقب « السلطان » محمود الغزنوي ، انعم عليه بذلك القادر (٣٨٢–٤٢٢ هـ)[2] فعرفها له .

ومما يجب ان نشير اليه ان سوقة بغداد تعوّدوا في هذا العصر ، اذا ما بلغهم موت خليفة ، ان يهجموا على قصره وينهبوا كل ما تصل اليه ايديهم . حتى لقد بلغ منهم ان خلعوا الابواب والنوافذ احياناً . وكان يجاريهم في ذلك خدم القصر ، وقد يستقلّون دونهم بهذه الاعمال .

***

كان خلفاء الامويين ، واول خلفاء بني العباس ، يهتمون بالقاء الخطبة بانفسهم في صلاة الجمعة . وقد اشار التاريخ الى بلاغة معاوية وخلفائه الاولين في هذه الخطب ، والى رغبتهم في ان ينعتهم الشعراء « بفرسان المنابر . »[3] ويقول الخليفة عبد الملك ان همّ القاء الخطبة شيّبه قبل الاوان . على ان العباسيين تخلصوا شيئاً فشيئاً من هذه العادة . فكان الرشيد اول خليفة القى خطبةً الفها غيره وحفظها هو عن ظهر قلبه . ولم يدخل القرن الثالث الهجري حتى اخذ الخلفاء يستنيبون من يلقي عنهم خطبة الجمعة من عن منبر الجامع . وقد اشتهر من هؤلاء الخطباء ابن نباتة († ٣٧٤ هـ) خطيب سيف الدولة امير حلب . فترك مجموعة خطب يمكن ان نعتبرها مثالاً للبلاغة الدينية في هذا العصر .

---

١) ابن الاثير : الكامل ٨ : ٢٢٢

٢) ابن الاثير : الكتاب المذكور ٩ : ٩٢

٣) اطلب في ذلك كتابنا *Mo'âwia Ier*, p. 62-64

وهي تخالف كل المخالفة ما نعرف من امثلة الخطابة الدينية في القرنين السابقين. فبينا نرى خطب زياد ابن ابيه والحجاج بن يوسف وغيرهما طافحة بالحماسة القوية والعاطفة المخلصة اذا بآثار ابن نباتة لا تعدو الافكار العامة معبرًا عنها باسلوب مسجع ابعد من ان يعزز نزوات البلاغة الخطابية . وقد نشأت عادة الاسجاع هذه في منتصف القرن الثالث ، ولم تلبث ان تجاوزت الفنّ الخطابي الى انواع الادب عامة فسارت مسيطرةً على الادباء سيطرتها على الخطباء فاضرتهم جميعاً. وكان خطيب الجمعة في البلاد المقرّة بالخلافة العباسية يلبس ، على المنبر ، الجبة السوداء . اما في بلاد الفاطميين فكان يرتدي جبةً بيضاء. وفي بعض الجوامع كانوا يرفعون ، فوق الصحن ، ستاراً واسعاً يظلل المستمعين اثناء الخطبة[1].

* * *

لا يأتي القرن الرابع الهجري كثيراً على ذكر الخوارج الذين كانوا قد خضبوا البلاد الاسلامية بالدم مرات عديدة مدة القرنين السابقين . على ان هناك حركات اخرى تستحق الذكر ، هي حركة الشيعة المتحفزة للاقتاع بعد ان استكنت طويلاً ، وحركات البدع والفئات المتولدة عنها كالاسماعيلية ، والنصيرية ، والقرامطة ، والفاطميين . . . وقد كانت بلاد الشام حتى هذا العهد سنية بجملها بفضل ما ترك فيها الامويون من الاثر الحسن . يدلنا على ذلك ان الامام الشهير النسائي ، مؤلف « جامع السنن » ، احد « الكتب الستة » الشرعية ، لاقى الامرّين في جامع دمشق ، في اوائل القرن الرابع ، لانه رفض التبسّط في ذكر مناقب معاوية واراد وضع عليّ فوقه .

ولكن لم يستتبّ الامر للدويلات الشيعية الاصل كبني حمدان في حلب ، وبني عمّار في طرابلس ، حتى اخذ امراؤها بتعزيز مذهبهم في جميع مناطق حكوماتهم . فانشأ بنو عمّار مكتبةً دعوها « دار العلم » في سبيل نشر الآراء الشيعية ، وقد نجحوا في ذلك ، على قول ناصري خسرو . وازدهرت البدع الشيعية في الجبال خاصة كبعض انحاء لبنان ، وجبل عامل ، وبلاد العلويين.

---

١) المقدسي : احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، ص ٢٠٥ ، ٤٢٠

في زمننا الحاضر نرى الشيعة دين الاكثرية الساحقة في بلاد فارس،بل دين الدولة الرسمي ، فنتصوّر ان الفرس كانوا شيعيين منذ العصور الاولى للاسلام . والحقيقة ان هذه السيادة الشيعية بدأت باستتباب الامر للدولة الصفوية في القرن السادس عشر للمسيح . اما في القرن الرابع للهجرة فقد كانت بلاد فارس سنّية في اكثرها ، ما عدا بعض الولايات كقُمّ والمشهد وفيه قبور افراد من « اهل البيت » . ثم استفاد الشيعيون على عهد الدولة الصفوية الشيعية ، فسيّروا الدعاة من جبل عامل يبشّرون الفرس فنجحوا نجاحاً باهراً ، وحوّلوا الى الشيعة تلك الاكثرية التي كانت لا تزال سنّية ، حتى ان الجغرافي المقدسي[1] يذكر ان في زمانه كان اهل اصفهان من الغلاة في التشيّع لمعاوية[2] . وكذلك في القرن الرابع الهجري ، لا قبله ، اخذت المعابد الشيعية الكبرى في النجف وكربلاء تنال شيئاً من شهرتها التي ما برحت تزيد عصراً فعصراً . يدلّ على ذلك ان المسعودي يؤكد في السنة ٣٢٢ هـ ان قبر عليّ لا يعرف مركزه الحقيقي ، فيقول : « وقد تنوزع في موضع قبره . فمنهم من قال انه دُفن في مسجد الكوفة . ومنهم من قال انه حُمل الى المدينة فدفن عند قبر فاطمة . ومنهم من قال انه حُمل في تابوت على جمل ، وان الجمل تاه ووقع في بلاد طي . »[3] ولكن الشيعيين اخذوا بعد هذا العهد يبنون في النجف اثراً فخماً في محل زعموه موضعاً لهذا القبر . ولم تلبث ان جرت عادة بينهم تدفعهم الى اختيار مدافنهم في جوار ذاك الاثر . وقد اعادوا كذلك في كربلاء قبر الحسين ابن علي الذي كان الخليفة المتوكل قد هدمه ، وحرث مكانه بالسكة ، فحوّله الى حقل يُزرع . وكذلك اعتاد الشيعيون ان يختاروا مدافنهم في كربلاء . ولا يزالون على هذه العادة الى يومنا هذا . ولا يندر ان نسمع بمن يوصي ان تُحمل

---

١) المقدسي : الكتاب المذكور ، ص ٣٦٩

٢) لِيُراجَع في هذا الباب المقال النفيس الذي نشره في المشرق (٢٦[١٩٢٨] ٤١١...) زميلنا الفاضل حبيب زيات بعنوان « التشيّع لمعاوية في عهد العباسيين » ، وفيه الادلة الوافرة على الهوس في تكريم مؤسّس الخلافة الاموية .

٣) المسعودي : مروج الذهب ٤ : ٢٨٨–٢٨٩ ؛ ٥ : ٦٨

جثته على مسافة ايام لتُدفن في تلك الارض المقدسة في النجف او كربلاء . كما حدث لكافور الشهير ، الوزير المصري ، اذ اشترى بيتاً في المدينة ، الى جنب قبر النبي ، واقام فيه قبرًا واوصى بان يُنقل اليه فيدفن فيه[1] .

***

وهناك القرامطة الذين حلّوا محلّ الخوارج في اعمال الهمجية والتفظيع . فاخذوا ، منذ منتصف القرن الثالث ، يقطعون الطرق وينكّلون . وقد دخلوا البصرة والكوفة ونهبوهما ، وكادت بغداد نفسها تقع في ايديهم . وفي السنة ٣١٧هـ هجموا على مكة فدخلوها واعملوا السيف في الحجّاج ، ونهبوا الكعبة ، وقد عاونهم سكان مكة انفسهم في هذا النهب . ثم رجعوا حاملين الحجر الاسود . ولم يردّوه الا في السنة ٣٣٩ لقاء فدية اقام العالم الاسلامي ٢٢ سنة حتى جمعها . ممّا يدفعنا الى السؤال : لِمَ تأخر المسلمون طول هذه المدة في افتداء حجرهم ؟ أوَ يكون في ذلك شيء من عدم الاهتمام او الاهمال ؟ . على ان الحجر المذكور أُصيب بعدة نوائب منها ما كان اشدّ مما انزل به القرامطة . من ذلك ان احد المصريين في السنة ٤١٣ هـ على عهد الخليفة الفاطمي الحاكم ، هجم على الحجر الاسود وضربه بدبوس فكسر منه قطعاً . فأُخذ الجاني وقُتل في الحال وجُمعت القطع وأُلصقت بعضها الى بعض . وهناك غيرها من الاعتداءات على الحجر يطول بنا سردها[2] .

وكان من نتيجة فظائع القرامطة هذه وجشع البدو الدائم ان اصبح من الصعب على المسلمين ان يؤدّوا فريضة الحجّ . اذ كانوا يتعرّضون للقتل المؤكد بعض الاحيان . وقد شاهدت السنة ٣٨٤ هـ . قافلة السلطان الرسمية ترتدّ عن طريق الحجّ ، لان البدو قطعوا عليها الطريق بحجة انها دفعت لهم دراهم زائفة[3] . وفوق المصيبة بالبدو ، كانت المصيبة بالعطش تزيد الصعوبات . وذلك

١) ياقوت : ارشاد الاريب ٢ : ٤٠٨

٢) ورد شيء من ذلك في مشرق السنة (٣٠ [١٩٣٢] ص ٦٩٦) عن جريدة « صوت الحجاز » المكية بمناسبة اعتداء احد الحجاج الافغان على الحجر المذكور سنة ١٩٣٢

٣) ابن الاثير : الكتاب المذكور ٩ : ٧٤

ان الآبار ومخازن الماء ، على طريق الحج ، كانت قد خربت او كادت بسبب الاهمال او التعديات الجمة . وقد بلغ ثمن قربة الماء سنة ٤٠٢ هـ مائة درهم . وفي السنة التالية افرغ البدو مخازن الماء ، فاتلفوا الوف الحجاج عطشاً ، ومن لم يمت اسروه حتى بلغت ضحاياهم خمسة عشر الفاً . وفي السنة ٤٠٥ بلغت ضحايا الحج ٢٠,٠٠٠ ماتوا جوعاً وعطشاً ، و ٦,٠٠٠ دفعوا الى شرب بول الجمال كي لا يموتوا . فنشأ عن هذه الصعوبات عادة جديدة ، في القيام بفريضة الحج ، وهي ان يوكّل الانسان من يحجّ مكانه ، فيدفع له مبلغاً من المال ، فيستفيد الرجلان : الموكَّل الفائدة المادية ، والموكِّل الفائدة الروحية . على ان القائمين بهذا الحجّ المأجور لم يكونوا ليستفيدوا شيئاً لا في تحسين اخلاقهم ، ولا في زيادة مالهم ، على ما حكم به الجغرافي المقدسي اذ قال : « رأيت من حجّ باجرة انتكس قلبه . فان عاد ازداد نكوساً وقلّ ورعه ، حتى ربما اخذ الحجتين والثلاث ، ولم أرَ لهم بركة ، ولا جمعوا منه مالاً قط . »[1] ولا شكّ في ان هذه العادة انتشرت بسرعة حتى تمكن ابو حيّان التوحيدي من ان يؤلف سنة ٣٨٠ هـ رسالة في « الحجّ العقلي »[2] . وكان ابو حيّان هذا صوفياً ، ولا يخفى ان الصوفيين لم يكونوا ليعزّزوا الحجّ .

واذا نظرنا الآن الى سياسة الاسلام الخارجية في القرن الرابع الهجري رأينا ان البيزنطيين ظهروا في مواضع عديدة على المسلمين ، وتوسّعوا في فتوحاتهم . وقد دفعت هذه المظاهر كلها بعض المسلمين المخلصين فكانوا يرفعون الى الله تشكياتهم من ضعف سلطة الخليفة ، ومن اهمال فريضة الحجّ ، ومن تقدم « الكفار » السريع . ووافق هذا التضعضع في السلطة الاسلامية العليا تتابع ثلاثة قوّاد عظام على عرش بيزنطية هم نيقفور ، وزمسقس ، وباسيليوس . وكان هذا من اعظمهم وقد ملك اكثر من نصف قرن . ومما يُذكر من همة نيقفور انه مشى على البلاد الاسلامية فافتتح مدن كليكية ، وترسيس ، فحلب ،

---

١) المقدسي : ك . م . ص ١٢٧

٢) ياقوت : الكتاب المذكور ٥ : ٢٨٣

فانطاكية ، فحماه ، فحمص ، فبعلبك ، فبيروت . وافتدت دمشق نفسها بان دفعت ٦٠,٠٠٠ دينار . فثار الشعب في بغداد على اهمال السلطة وضعفها وكسر المنابر في المساجد وهجم على قصر الخلافة.

وكانت هذه الحوادث الخارجية تزيد في الفوضى السائدة في بغداد نفسها ؛ بسبب المشاحنات القديمة بين السنة والشيعة التي كثيراً ما كانت تؤدّي الى التقاتل الفعلي . وكذلك كان شأن الحنابلة مع تبّاع سائر المذاهب السنية ، فانهم كانوا ينعون عليهم التهتك والخروج عن طرق الدين القويمة فيردّ عليهم هؤلاء وينشب العراك ، وتسفر النتيجة عن بعض الجرحى او القتلى وعن حرق الجوامع والمكاتب . واذا قُيّض الظفر للحنابلة ، فانهم كانوا يدخلون دور الاشراف وكبراء الدولة فيكسرون ادنان الخمر وآلات الموسيقى ، والحكومة عاجزة عن ان تردعهم . واذاً فلا غرابة ان يقوم في السنة ٣٣١ هـ رئيس عصابة من قطاع الطرق يُدعى ابن حمدي فيطلق رجاله على بغداد ينهبون ويسلبون ، متفقين مع عدة من كبار رجال الدولة على ان يدفع لهم ابن حمدي راتباً شهرياً يبلغ ١٥,٠٠٠ دينار . ولا غرابة ان يميل سكان بغداد الى هجرها ، بعد ذلك ، حتى يخاف المقدسي ان تُصبح مقفرةً كما اقفرت سامرّاء من قبل[1] . ومما زاد في هذه المصايب حريق هائل شبّ سنة ٣٦٢ هـ فاتلف ٣٣ جامعاً ، واهلك ١٧,٠٠٠ نفس . فاتهم الناس السلطة بانها دبّرت هذا الحريق عقاباً للسكان وتمهيداً لقمع الحركات الفوضوية.

ولم تكن حالة الاسلام في الغرب بافضل منها في الشرق . فان مسيحيي الاندلس كانوا ، كمسيحيي آسية الصغرى ، يتقدّمون تقدّماً متواصلاً على المسلمين.

الا ان هناك مكاناً كان يتقدّم فيه الاسلام تقدّماً جغرافياً . هو الحد الشرقي . فان السنة ٣١٣ هـ شاهدت فتح بلوخستان ، وكانت لا تزال على وثنيّتها حتى ذاك الوقت . وفي السنة ٣٤٩ هـ اسلم نحو ٢٠,٠٠٠ مضرب من مضارب الترك الرحّل في آسية الوسطى . وقبل آخر القرن دخل الاسلام بلاد

---

١) المقدسي : ك . م . ص ١٢٠

قشغار وبلاد خُتن ، بينا كان السلطان محمود الغزنوي يفتح افتتاحات جديدة في بلاد الهند.

***

كان القرن الاول للاسلام عصر اتساع وفتوح صرفت فيه قوى المسلمين الى العمل والجدّ الخارجيين، حتى لا يمكننا ان نتخيّل خالد بن الوليد او عمرو ابن العاص او زياد ابن ابيه او الحجّاج يهتمون بالمناظرات الكلامية او جمع الاحاديث .

ثم كان القرن الثانيّ فاتخذ الاسلام فيه وفي القسم الكبير من القرن الثالث ، يستجمع امره ، ويُتم نظامه الداخلي ، فيحدّد لاهوته وفلسفته وتقاليده الدينية وفقهه : فيعيّن طريقة تفسيره للقرآن ، ويعيد النظرة الاخيرة في تأليف سيرة الرسول . فتنشأ المذاهب الفقهية المهمة : مذهب مالك بن انس († ٧٩٥) ومذهب الشافعي († ٨١٩) ومذهب ابي حنيفة († ٧٦٧) ومذهب احمد بن حنبل († ٨٥٥) ولم يكن ابن حنبل في اول امره الا محدّثاً بسيطاً . ولكن مذهبه توصل الى ان يُعتبر مذهباً فقهياً من جملة المذاهب الشرعية مع الثلاثة الاولى. وقد حصل اختلاف شديد ونزاع قوي ، بل عراك ، بين هذه المذاهب ولكن المشاحنات هدأت كلها في القرن الرابع الا ما خصّ المذهب الحنبلي . على ان المذاهب الاربعة جميعها ، وان اختلفت في الفروع التطبيقية ، تظهر على وفاق تامّ في المسائل الجوهرية ، وكلها تعتبر شرعية سنيّة ، ينتمي اليها كل السنيين تقريباً في القرن الرابع . وهناك اقلية كانت تنتمي الى مذهب الاوزاعي الشامي († ٧٧٤) ومذهب داود بن علي († ٨٣٣) المعروف بالظاهري، ومذهب المؤرخ الطبري († ٩٢٣) التي كانت تفقد من تبّاعها يوماً فيوماً حتى تنتهي بالانحلال والتلاشي كما حصل لمذهب سفيان الثوري.

وقد عرف القرن الثالث حركة شديدة ورحلات متواصلة في طلب الحديث. فنشأ عن ذلك المجاميع المهمة المعروفة « بالكتب الستة » ، واصحابها البخاري († ٨٧٠) ومسلم († ٨٧٤) المدعوّان «بالشيخين» وهما اشهر المؤلفين في الحديث كما ان صحيحيهما اشهر المجاميع في هذا الفنّ ، يأتي بعد ذلك كتب ابي داود

(† ٨٨٨) والترمذي († ٨٩٢) والنسائي († ٩١٥) وابن ماجة († ٨٨٦) . وقد لاقى ادخال مجموع ابن ماجة بين « الكتب الستة » مقاومة شديدة اول الامر . ويُضاف الى هذه الكتب احياناً « سُنن » الدارمي († ٨٦٩) . ومن المجاميع المعتبرة « مُسنَد » ابن حنبل وهو في ستة اجزاء كبيرة تبلغ ٢٨٨٥ صفحة محتوية على نحو ٣٠,٠٠٠ حديث . ويكتفي المؤلفون عادةً ، منذ ظهور هذه المجاميع ، بشرحها ، وتلخيصها ؛ واذا زادوا شيئاً فانما يزيدون بعض الحواشي والاستدراكات . اما التفتيش الشخصي فقد انتهى زمنه .

والكتب الستة مدينة بشهرتها لكونها ظهرت في زمن سبق عن قرب « اقفال باب الاجتهاد» ، ثم لانها جمعت احاديث اتفق عليها اصحاب كل النزعات تقريباً، فكان موقفها متوسّطاً بين ارباب النقد الشديد وتبّاع التصديق الاعمى مع ميل قليل الى هؤلاء ، واخيراً لانها اعرضت كل الاعراض عن الاحاديث الشيعية المحضة . ولهذا لا يرى الشيعيون بعين الرضى البخاري ومسلماً ، ولا يستندون في الغالب الى صحيحيهما .

ومما يجدر بالذكر في ما خصّ الحركة العقلية ان نظريات المعتزلة كانت قد وضعت شيئاً من الاضطراب في عقائد القرن الثالث . وذلك بما جاهرت به من خَلق القرآن ، وارادة الانسان الحرّة ، وضرورة عدم التمييز في الله بين الجوهر والصفات والا فان المؤمن يُفسد عقيدة التوحيد ويقع في التجسيم . فكان ان الاشعري († ٩٦٥) انفصل عن المعتزلة وعمل على ايجاد مذهب متوسط يرتكز على تعابير مرنة رآها جديرة بالتوفيق بين العقل والوحي وبارضاء ارباب المنطق وسذّج المؤمنين جميعاً . وقد تبعت السنة مذهب الاشعري حتى يومنا هذا .

وفي ذاك الوقت انتهى التفسير القرآني الى حدّه المعروف . واعظم ممثّليه المؤرّخ الطبري الشهير ، وقد ترك تفسيراً ضخماً في ٣٠ مجلداً جمع فيها كل ما تركه سابقوه من المعلومات التفسيرية فذكر نصوصها وقابل بينها ، مائلاً دائماً الى جهة المحافظين التقليديين .

***

عند ذاك ، بعد عمل دام نحو مائتي سنة ، وقد أُلّفت المذاهب ، ووُضعت

« الكتب » ، وانتصرت نظريات الاشعري الكلامية وما اتت بـه من حلول متوسطة ، وأقرّ التفسير التقليدي للقرآن ، عند ذاك ، واعتباراً من القرن الرابع ، اتفق المسلمون على « اقفال باب الاجتهاد » . ومنـذئذٍ اضحى العلماء والمؤمنون البسطاء لا يمكنهم ان يتجاوزوا في شيء تقليـد السلف الصـالح ، واحكام المذاهب الاربعة ، وهم يعتبرون ، في ذلك ، ان جميع المشاكل العويصة درسهـا علماء السلف ومحّصوها واشاروا الى حلّها .

وهكذا بينا نرى الخلافة يضعف شأنها ، والفئات الشيعية المختلفـة ترفع رؤوسـها في مختلف انحاء العالم الاسلامي ، اذا بنا نشهد الاسلام السني يستجمع امره ، ويسهر على عقائده ، فيضمّ في وحدة محدودة جميع الموادّ الضرورية لحياته الايمانية والفقهية . هذه هي الظاهرة التي اشار اليهـا المستشرق السويسري ميز (A. Mez) فسمّاها « احياء الاسلام »[1] كما لو كان تمركز العقيدة التقليدية ، واقرارها بواسطة « الاجماع » ، ميلاداً جديداً او حياةً جديدة للاسلام .

واذا اردنا ان نحدّد ميزةً دينية للاسلام في القرن الرابع الهجري فـاننا نشير الى اقرار عقائده ومؤسساته الدينية ، هذا الاقرار الـذي مكّن الاسلام ، بفضل منع المناظرة والاستقلال العقلي ، من الحياة حتى ايامنا هذه . ولكن بقي عليه ان يقاوم حملات الالحاد والبدع العصرية . . .

(١ A. Mez, *Die Renaissance des Islâm*, Heidelberg, 1922.

أيمان النصارى الملكانيين* ـ

من قلم حبيب زيات (افالون : فرنسة)

روى ابن فضل الله العمري ، بهذا العنوان ، نصّ اليمين التي كان الملكيون يُستحلفون بها في زمانه ، في الدولة المصرية. ويدخل في هذا اللقب خصوصاً ملوك الروم والافرنج وامراء الصليبيين ، فيما عدا الروم البلديين في مصر والشام . وكانت اليمين تُطلب منهم في اوقات الهُدَن والموادعات والعهود . وان الحلف بها كان يجري دائماً بين يدي بعض اساقفة الملكيين ورؤساء دياراتهم ورهبانهم ، وبحضور تراجمة الديوان . ومن طالع اليوم هذه الاقسام يعجب كيف كان يتسنّى للتراجمة فهم بعض الفاظها وعباراتها وتأدية معناها . ومن اشد الحرمان والخسران ان لا يكون حُفظ لنا متن ترجمة منها في اللسان الرومي او الفرنجي لنرى هل كان المستحلَفون يستطيعون ان يسمعوها او يتلفظوا بها دون ان يغلب عليهم الاشمئزاز والارتياع ، او الاندهاش والضحك ، لما فيها من المظالم والنقائض والسخافات . وهو ما يدلّ على ان اول من لفّق هذه اليمين الغريبة كان احد كتاب المسلمين ، جمع رُقَعها من كل ثوب ، وتلقّط الفاظها وجملها من كل حدب وصوب ، وقرن بعضها ببعض على ما بينها من التنافر والشذوذ ، وألّف منها هذا الاسلوب السمج الذي أُريد به التهويل والسخرية والاهانة . وقد روى القلقشندي عن محمد بن عمر المدائني في كتاب « القلم والدواة » ان اصل هذه الأيمان التي يُحلَّف بها النصارى كان في زمن الفضل بن الربيع . فحكى عن بعض كتاب العراق انه قال :

« اراد الفضل بن الربيع ــ يعني وزير الرشيد ــ ان يستحلف كاتبه عوناً النصراني . فلم يدرِ كيف يستحلفه . فقلت : وَلّني استحلافه . قال : دونك . فقلت له : احلف بالملك الذي لا تعبد غيره . ولا تدين الا له . وإلّا فخلعتَ

*) فصل من كتاب للمؤلف بعنوان « الروم الملكية في الآثار الاسلامية »

النصرانية . وبرئت من المعمودية . وطرحت على المذبح خرقة حيضة يهودية . وقلتَ في المسيح ما يقوله المسلمون « ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم . خلقه من تراب . » وإلّا فلعنك البطريرك الاكبر والمطارنة والشمامسة والقمامسة والديرانيون . واصحاب المجامع عند مجتمع الخنازير (كذا) . وتقريب القربان . وبما استغاثت به النصارى ليسوع . والّا فعليك حرم[1] ثلثمائة وثمانية عشر اسقفاً الذين خرجوا من نيقية حتى اقاموا عمود النصرانية . والّا فشققتَ الناقوس وطبخت به لحم جمل . واكلته يوم الاثنين مدخل الصوم . . . ورميت الشاهد بعشرين حجرًا جاحدًا بها . وهدمت كنيسة لدّ وبنيت بها كنيسة اليهود . وخرّقت غفارة مريم وكهنونة داود . وانت حنيف مسلم . وهذه اليمين لازمة لك ولعقبك من بعدك . قال . فقال عون : انا لا استحلّ ان اسمع هذه . فكيف اقولها . وخرج من جميع ما طالبه به الفضل . فامر بها الفضل فكُتبت نُسخاً وفُرقت على الكتاب . وامرهم بحفظها وتحليف النصارى بها . »[2]

وما لبث الكتاب ان اضافوا الى هذا الخلط والسخف — كطبخ لحم الجمل بشقاق الناقوس — شناعات ورقاعات اخرى . واستقرّت صورة اليمين على نُسخ شتى ، لا تتباين الا في بعض زياداتها . نختار منها اقلها خَطَلًا وقَذَرًا . وهي الصورة التي اشار اليها العمري في الفصل المفرد على أيمان النصارى الملكانيين . وهذا نصّها ببعض اصلاح فيه :

« انني والله . والله . والله العظيم . وحق عيسى بن مريم . وامه السيدة مريم . وما اعتقد من دين النصرانية (افعل كيت وكيت) وإلّا ابرأ من المعمودية . واقول ان ماءها نجس . وان القرابين رجس . وبرئتُ من مريوحنا المعمدان والاناجيل الاربعة . وقلت ان متّى كذوب . وان مريم المجدلانية باطلة الدعوى في إخبارها عن السيد ايسوع المسيح . وقلت في السيدة مريم قول اليهود . ودنت بدينهم في الجحود . وانكرت اتحاد اللاهوت بالناسوت وبرئت

---

١) في الاصل المطبوع : جرم ، بالجيم . وهو غلط

٢) صبح الاعشى ، ج ١٣ : ص ٢٨٧–٢٨٨

من الآب والابن والروح القدس . وكذبت القسوس . وشاركت في ذبح الشامس . وهدمت الديارات والكنائس . وكنت ممن مال على قسطنطين بن هيلاني وتعمد أمه بالعظائم . وخالفت المجامع التي اجمعت عليها الاساقفة برومية والقسطنطينية . ووافقت البردعاني بانطاكية . وجحدت مذهب الملكانية . وسفهت رأي الرهبان . وانكرت وقوع الصلب على السيد ايسوع . وكنت مع اليهود حين صلبوه . وحدتُ عن الحواريين . واستبحت دماء الديرانيين . وجذبت رداء الكبرياء عن البطريرك . وخرجت عن طاعة الباب . وصمت يوم الفصح الاكبر . وقعدت عن اهل الشعانين . وابيت عيد الصليب والغطاس . ولم احفل بعيد السيدة . واكلت لحم الجمل . ودنت بدين اليهود . وابحت حرمة الطلاق . وخنت المسيح في وديعته . وتزوجت في قَرَن بامرأتين . وهدمت بيدي كنيسة قامة . وكسرت صليب الصلبوت . وقلت في البثوة مقال نسطورس . ووجهت الى الصخرة وجهي . وصديت عن المشرق المنير حيث كان المظهر الكريم . والّا برئت من النورانيين والشعشعانيين . ودنت بغير دين النصارى . وانكرت ان السيد ايسوع احيا الموتى وابرأ الاكمه والابرص . وقلت انه مربوب . وانه ما رؤي وهو مصلوب . وانكرت ان القربان المقدس على المذبح صار لحم المسيح ودمه حقيقة . وخرجت في النصرانية عن لاحب الطريقة . والا قلت بدين التوحيد . وتعبدت لغير (ربّ) الارباب . وقصدت بالمطانيات غير طريق الاخلاص . وقلت ان المعاد غير روحاني . وان بني المعمودية لا تسيح في فسيح السماء . واثبتُّ وجود الحور العين في المعاد . وان في الدار الآخرة التلذذات الجسمانية . وخرجت خروج الشعرة من العجين من دين النصرانية . واكون من ديني محروماً . وقلت ان جرجس لم يُقتل مظلوماً . »[1]

ولا يخفى ما في هذا الخلط والخبط الغريب من اللغو والحشو والابهام ، وعدم التلاؤم والتناسب في نسق المعاني حبًّا بالسجع ، مع كثرة التكرار للمعنى الواحد بالفاظ مختلفة ، كقوله : «دنت بدين اليهود . ودنت بدينهم في الجحود .

١) التعريف بالمصطلح الشريف ، ص ١٥٢-١٥٣

وقلت بدين التوحيد . ودنت بغير دين النصارى . وخرجت خروج الشعرة من العجين من دين النصرانية . واكون من ديني محروماً . » وفيه ايضاً ما هو غامض كالمعمى لا يتبين له تفسير صحيح ، كقوله « جذبت رداء الكبرياء عن البطريرك . وقعدت عن اهل الشعانين » . ولا يبعد انه اراد برداء البطريرك ما يُسمَّى عند الملكية بالمنتية . ويعني بجذبه خلعَ سلطان البطريرك كالخروج عن طاعة الباب . واظرف ما هنالك اكل لحم الجمل . ولا ندري في اي كتاب من كتب الفِرَق النصرانية وردت حرمته . وانما هي معروفة عند اليهود . ويُشبه ان يكون التقزّز من اكله عادة كانت مختصة بالملكيين فقط ، دون النساطرة واليعاقبة ، لرغبة هاتين الطائفتين دائماً في مجاملة المسلمين ، ومجاراة اشياعهم من نصارى قبائل العرب المشهورين بقَرَمهم الى هذا اللحم . ومما يثبت ذلك ما رواه البطريرك ميخائيل السرياني في تاريخه ، بعد ان ذكر توسط البطريرك الملكي افرام الانطاكي لدى الحارث بن جبلة لاقناعه بقبول المجمع الخلقيدوني . قال : « ولما تعذر على افرام ان يثني الحارث عن رأيه الحّ عليه ان يتقرّب من يده . فقال له الحارث : « ادعوك الى تناول الطعام معنا . واوعز الى جماعة باللسان العربي[1] ان لا يُحضروا على الخوان الا لحم الجمل . فلما اتوا به . قال الحارث لافرام : « بارك مائدتنا . » فاضطرب البطريرك وامسك . فاخذ الحارث في الاكل كعادته . فقال له افرام : « قد نجست المائدة لانك احضرت امامنا لحم الجمل . » فاجابه : « لماذا تُريد ان تُكرهني على تناول قربانك . وانت ترى انك تتنجس بطعامي . »[2]

وقد تكلف القلقشندي تفسير بعض ما في هذه اليمين . وبنى على اقوالها اعتبارات ونتائج شتى ذكر من اجلها ان للنصارى اشياء يعظّمونها ، واشياء

---

١) هذا دليل ظاهر على ان البطريرك افرام كان لا يفهم العربية . ولا شك ان الحارث ابن جبلة كان يخاطبه بالسريانية او الرومية . وكان الحارث بطريقاً للروم في الشام ملكاً على بني غسان . وقد سافر غير مرة الى القسطنطينية ، وتوسط لدى يستينيانوس ويستينوس في شؤون كنيسته اليعقوبية . فلم يكن له بدّ من تعلم الرومية .

٢) *Chronique de Michel le Syrien*, t. II, p. 247-248.

يحرّمونها واخرى يستعظمون الوقوع فيها . قال في بعضها :

« اما ما يحرمونه فانهم يقولون بتحريم لحم الجمل ولبنه كاليهود . ويقولون بحلّ لحم الخنزير خلافاً لليهود . وهو ما ينكره عليهم اليهود من مخالفة احكام التوراة .

« ويحرمون صوم الفصح الاكبر . وهو يوم فطرهم من صومهم الاكبر .

« واما الاشياء التي يستعظمون الوقوع فيها :

« فمنها القعود عن اهل الشمانين . وهم اهل التسبيح الذين كانوا حول المسيح عليه السلام حين ركب الحمار بالقدس . ودخل صهيون يأمر بالمعروف وينهي عن المنكر . وهم حوله يسبّحون الله تعالى ويقدسونه .

« ومنها صوم يوم الفصح الاكبر (وقد نسي انه سبق وذكره بين المحرمات) . وصرفُ الوجه في الصلاة عن الشرق . واستقبال صخرة بيت المقدس موافقة لليهود .

« ومنها خيانة المسيح في وديعته . وذلك انهم يزعمون ان كل ما خالفت فيه فرقة من الفِرَق الثلاث الفرقة الاخرى كقول الملكانية ان المعاد جسماني . وقول اليعقوبية ان المعاد روحاني . فان الفرقة الاخرى يستعظمون الوقوع في ما ذهب اليه مخالفها . وكذلك كل ما جرى هذا المجرى . »[1]

ولا ندري اين وجد القلقشندي مثل هذه الشروح على ما في بعضها من سوء التأويل وقلة الوضوح . ومن الغريب انه بعد ان نسخ قول الملكية في اليمين المتقدمة « قلتُ ان المعاد غير روحاني » ، لم يفطن الى ما فيه من المناقضة لما رواه عنهم ان من اقوالهم « ان المعاد جسماني » . ومع انه نقل إنكارهم في التتمة « ان في الدار الآخرة التلذذات الجسمانية » وهو في غاية الجلاء والصراحة عاد فزعم ان من معتقدهم « ان في الآخرة التلذذات الجسمانية بالاكل والشرب والنكاح وغير ذلك كما يقوله المسلمون »[2] . وهو في غاية الذهول والتشنيع والتخليط والتناقض .

---

١) صبح الاعشى ، ج ١٣ : ص ٢٨١–٢٨٧

٢) صبح الاعشى ، ج ١٣ : ص ٢٧٧

الاسكندر الكبير

في سورية وفنيقية *

بقلم الاب ربنه موترد اليسوعي

تمهيد

في شهر تشرين الثاني من السنة ٣٣٣ قبل المسيح ، دخل الاسكندر المقدوني بلاد سورية ، انتصر في معركة ايسوس ، شمالي الاسكندرونة ، فهدت امامه الطريق الى داخلية بلاد الشام والى الشاطئ الفنيقي . ومن فنيقية مشى على مصر . ومن مصر عاد سائرًا الى ما بين النهرين حيث انتصر انتصارًا باهرًا في معركة أربل ، فاصبح مملكة فارس تحت مطلق تصرفه . وبعد ان اخضع بطائع ايران ، صعد نحو الشمال حتى منطقة بحر قزبين . وقد بدأ اكتساح آسية برمتها حتى وصل الى قلب بلاد الهند ، الى اقصى حدود المناطق المعروفة اليوم بمناطق البنجاب وكشمير . هناك توقفت جيوشه فرفضت ان تتبعه في التقدم على الكانج . عند ذلك عاد الاسكندر منحدرًا مجرى نهر الاندوس ، ثم صعد في مقدمة جيوشه على شاطئ خليج فارس الشمالي ، بينما كان اسطول نيارك يصعد في مياه الخليج موازيًا لسير الجيش . حتى وصل الفاتح العظيم الى مدينة بابل ، فمات فيها في ١٣ حزيران سنة ٣٢٣ ، وهو يعدّ المعدّات لاكتساح جزيرة العرب .

وغير خافٍ على احد ان هذه العشر السنوات الملأى بالغزوات والمعارك

---

* هي اول المحاضرات الملقاة في « معهد الآداب الشرقية » ، في فرع « تاريخ سورية على عهد اليونان والرومان . »

والفتوح تؤلف حلقةً مهمّةً ، وحقبةً حاسمة في تاريخ العصور القديمة ، ولم يكن الشرق والغرب قد تعارفا هذه المعرفة ، ولا أثّر احدهما في الآخر الآثار الواضحة التي حصلت على عهد الاسكندر . ولقد كان لسورية وفنيقية نصيبها في هذا التأثير المتبادل من حيث السياسة والثقافة، كما كان لهما نصيبهما كذلك في المعارك والاكتساحات. واني اودّ ان اشير باختصار الى حالة هذه المناطق اذ دخل الفاتح الكبير آسية ، وان ألمّ بوصف معاركه على الارض التي نطأها اليوم ، تمهيدًا لما سأحاوله من تقدير التأثير الذي احدثه مُلكه في الشرق الادنى. وقد ظهر مؤخرًا كتابان عن الاسكندر الكبير اتانا صاحباهما بمعلومات مفيدة في الموضوع[1].

فنيقيا وسورية على عهد السيادة الفارسية

كانت بلاد فنيقية وسورية ، عندما مشى عليها الاسكندر ، تؤلف قسماً من المملكة الفارسية . ولا يخفى ان المملكة الكلدانية ، او البابلية المستحدَثة ، كانت قد سقطت امام هجمات سيروس سنة ٥٣٨ قبل المسيح ، فاستولى هذا على ممتلكات تلك الامبراطورية الفسيحة . على انه اتبع سياسة الرفق واللين مع الملوك والامراء الوطنيين ، وهي تلك السياسة التي اتبعها مع اليهود ، ففكّ اسارهم وسمح لهم بالعودة الى بلادهم وتجديد بناء اورشليم . ونحن نعرف انه ، على عهد ملوك الفرس الأوّل، كانت المدن الفنيقية لا تزال تحت حكم ملوكها الوطنيين ، يدفعون الجزية للملك الاعظم ، ولكنه لا يتدخل في شؤونهم الداخلية . وكان لهم مجلس اعلى يُعقد مرة في السنة في مدينة طرابلس، فيجتمع فيه ممثلو المدن فيخوضون في الامور العامة التي تهمّ البلاد الفنيقية بجملها.

ولقد كانت المنافسة شديدة بين تلك المدن ، ولاسيما بين تير (صور)

(1 U. Wilcken, *Alexandre le Grand*, Leipzig, 1931; trad. française, Paris, Payot, 1933.

G. Radet, *Alexandre le Grand*, Paris, L'artisan du livre, 1931.

وصيدون (صيدا) . على ان صيدا لم تلبث ان نالت الاسبقية . فان ملوك الفرس كانوا قد انشأوا ضمن سورها (او على مقربة منها بالارجح) فردوساً [1] بنوا فيه قصراً شامخاً . وقد اكتُشف شيء من آثاره المهمة في عصرنا فدخلت المتحف الوطني اللبناني سنة ١٩٣٠ مع مجموعة فورد . وهي آثار اعمدة متوّجة على الطراز الفارسي تشبه تيجان الاعمدة المعروفة في قصر احشورش في مدينة برسيبوليس ، او تيجان الاعمدة المكتشفة في سوس والمحفوظة في متحف اللوفر [2].

اما سبب هذا الميل الظاهر من ملوك الفرس الى صيدا فالخدمات المهمة التي قام بها الاسطول الفنيقي في سبيل اولئك الملوك . حتى لقد بلغ نحو الثلاثمائة عدد السفن الفنيقية التي عاونت الملك احشورش في مناجزة الاغريق ، سنة ٤٩٠ ق. م. في الحرب الميدية الاولى.

على ان سلطة ملوك الفرس اخذت تضعف شيئاً فشيئاً منذ اواخر القرن الخامس . فاخذ الفرعونان نِكتانبو وتاكوس بمقاومة النير الفارسي في السنوات (٣٧٩ — ٣٥٩) . وكان امراء فنيقية يذوقون الامرّين من المرازبة فثاروا بدورهم على السلطة الفارسية . ولكن لم تأتِ السنة ٣٥١ حتى استقل بالسلطة في بلاد فارس ملك جريء حازم هو ارتحششتا الثالث اوكوس (٣٥٩—٣٣٣) فامر بقتل الرهائن الذين قدّمهم اليه تنيس ، ملك صيدون ، وكان عددهم مائة . فسار وفد كبير من الصيدونيين ، بلغ خمسمائة شخص ، راجين من ارتحششتا ان يرفق بمدينتهم . فما كان من هذا الا ان امر بقتلهم جميعاً . عند ذلك عرف اهل صيدون ان لم يبقَ امامهم الا الموت ، فاقفلوا مدينتهم واعملوا فيها النار حتى احترقت بمن فيها، وكان عددهم، على قول المؤرخين، ٤٠,٠٠٠ نفس (سنة ٣٥١) .

فاذا انتبهنا لهذه الحوادث، ادركنا كيف رأى الصيدونيون في الاسكندر

---

١) اي روضة . والكلمة يونانية (παράδεισος) مأخوذة عن الفارسية « فرديس »، وقد ادّت في اللغة العربية الى لفظة « الفردوس » وفي الفرنسوية الى لفظة « *paradis* »

٢) راجع في ما تقدم ذكره : Diodorus, *Bibliotheca historica*, XVI, 41-45
Cf. Eiselen, *Sidon*, 1907, p. 61 ; Clermont-Ganneau, CRAI, 1920, p. 405 ss.

الكبير ، منقذاً اكبر عندما وصل الى مدينتهم ولم يمرّ على هذه المصيبة عشرون سنة.

مزاعم الاسكندر وحظه من الظفر

لنقف بالاسكندر المقدوني على حدود البلاد السورية ولنسأله : ١ً بايّ صفة يأتي هذه البلاد ؟ ٢ً ما هي معدّاته ؟

١ً هل يتقدّم الاسكندر بصفة فاتح العالم الشرقي ، وبكلمة اخرى ، هل أمّل الاسكندر ، وهو على ابواب البلاد السورية ، بالوصول الى ما سيصير اليه من فتح العالم ؟ لا ، اذ ليس لنا ما يدلّ على كون هذه الفكرة مرّت ، ولو سريعاً ، في ذهن الاسكندر . انما هو يأتي هذه البلاد ، لا فاتحاً ، بل ثائراً لالهة اليونان من احشورش وخلفائه . ولو اظهر رغبته في الفتح لاثار نفور المدن اليونانية نفسها التي كانت قد انتدبته ، بلسان حلف كورنتية ، لقيادة حملة على بلاد فارس ، مؤلفة من رجال مختلف المناطق اليونانية.

وقد كان والد الاسكندر ، فيلبوس المقدوني ، هو الذي أسس ذاك الحلف فجمع بدهائه بلاد اليونان كلها حول جيش مقدونية ، في سبيل غاية مقدّسة الا وهي محاربة العدو التقليدي او ملك فارس الاكبر.

٢ً والاسكندر مدين كذلك لوالده فيلبوس باكثر معدّاته وبجيشه خاصة.

كان هذا الجيش مؤلفاً من قسمين : قسم الخيّالة وهم فرسان شرفاء ، شاكو السلاح ، جميلو المظهر ، ينتمون كلهم الى ارفع أسر الدولة ويدعون « اصدقاء الملك ». وقسم المشاة ، وسلاحهم الحراب الطويلة ، وقد تمرّنوا التمرين المتواصل على الحركات المتنوّعة السريعة . اضف الى ذلك ان فنّ التحصين واعمال الحصار كان على تقدم في مقدونية . فاضطلع به رجال الاسكندر ولاسيما القواد المشهورون المدرّبون ومنهم بارمينيون ، قائد الجيوش . ويجب ان ننسب ايضاً الى فيلبوس خطة حربية كثيراً ما أدّت الى انتصار الجيوش المقدونية ، وهي الخطة المعروفة « بالجبهة الزوراء » او المنحرفة . وسنتكلم

عنها في معرض كلامنا عن معركة ايسوس.

على ان الاسكندر كان ينقصه عاملان مهمّان من معدّات الحرب هما : الاسطول والمال.

كانت جميع المدن والمرافئ في آسية الصغرى وقيليقية وفنيقية ومصر في يد ملك الفرس . فكان بامكانه ان يسيّر الجيوش والذخائر في تلك المناطق جميعها ، فيهاجم المقدونيين حتى في بلاد اليونان . وكان له اسطول يبلغ ٤٠٠ سفينة يديّر اكثرها رجال من امهر بحّارة العصر من الفنيقيين والقبارصة . اما « الاسطول اليوناني » — اذا صحّ ان نعبّر بهذه اللفظة عن المراكب التي جهّزتها المدن والجزر الداخلة في حلف كورنتية — فكان ينحطّ كثيراً عن الاسطول الفارسي عدداً وعُدداً. كان عدد مراكبه لا يتجاوز ١٦٠ ، وكان ينقصه الاتحاد ، وقد ينقصه الاخلاص ايضاً . ولهذا كان من الكافي ان تحصل معركة بحرية واحدة للقضاء على اكثر آمال الاسكندر.

ثم هناك المال . وكنوز داريوس الوافرة تمكنه من شراء رجال السياسة ، ومن اثارة الانتقاض على الاسكندر . وقد عرفنا ان ديموستين ، عندما قام ، على اثر وفاة فيلبوس المقدوني سنة ٣٣٦ ، يدعو الى حرية اثينة وكسر النير المقدوني ، كان على اتصال بملك الفرس الاكبر . وكذلك ، حتى بعد دخول الاسكندر آسية الصغرى ، نرى قائداً يونانياً اسمه ممنون يخدم الفرس ويهم بقود جيش فارسي للهجوم على مقدونية . وحتى بعد معركة ايسوس ، نرى أجيس ، ملك اسبارطه ، يتناول من اميرالية الفرس ، الذهب والمراكب ، فيعدّ العدّة لاحتلال كريت ومحاربة الاسكندر .

اما حالة الاسكندر المالية فكانت بضدّ حالة خصمه . كان مديناً بمائتي وزنة عندما دخل آسية . ولم يكن له ، على ما يقدّر البعض ، الا سبعون وزنة فضة من النقد ، ومؤونة ٣٠ يوماً من الذخائر[1] .

---

١) راجع في ذلك : A. Andréadès, *Les finances de guerre d'Alexandre le Grand*, dans *Annales d'histoire économique et sociale*, I, 1929, p. 321 ss.

خطة الاسكندر

هذا الاسكندر يظهر فقيراً بالمال ، لا اسطول له ، معرَّضاً لهجوم فارسي يعاكس هجومه فيفتّ في عضده . وعليه فقد رأى ، درءاً لهذا الخطر ، ان يقوم بخطّة عجيبة ، فيحتلّ شاطئ البحر المتوسط ، قبل ان يهاجم بلاد الفرس متوغلاً في المناطق الاسيوية . وهكذا فانه يشلّ حركة القرس البحرية ، بل انه يتمكن ، اذا ما احتلّ مرافئ آسية الصغرى وفنيقية ، ان يكسب مراكبها فيحوّل اليه السيادة البحرية . وسنرى ان دخول الاسكندر مدينة صور اظهر دقة هذا الحساب وصواب هذه الخطة ، وقد بذل الفاتح في تحقيقها قوة عزيمة ورباطة جأش جديرتين بكل اعجاب . فكان الاسكندر اوفر حظاً في ذلك من نابوليون الذي لم يتمكن من مناجزة انكلترة المعتصمة بجزيرتها ، وما كانت خطته في حصرها منفردةً عن الشواطئ الاوربية لتوهنها حتى التسليم . اما المملكة الفارسية فلم تكن ضمن جزيرة بل كان لها الشواطئ على البحر المتوسط ، وكان من الكافي ان يحتل الفاتح هذه الشواطئ ليحاربها ويتوغّل في بلادها . وهو ما قام به الاسكندر .

الزحف على الاناضول وعلى سورية الشمالية

من الغريب في هذا الامر ان الاسطول الفارسي لم يحاول منع مراكب الاسكندر (البالغة ١٦٠ خليّة مع بعض المراكب التجارية) ان تمرّ في الهلسبنطس (بحر مرمره) .

فكان ان الاسكندر وصل في ايار ٣٣٤ ، فنزل على الشاطئ الاسيوي ، ومعه ١٢,٠٠٠ من عساكر المشاة ذوي الحراب الطويلة ، و ١٥٠٠ من فرسان مقدونية ، و ١٥٠٠ من فرسان تسالية . وسرعان ما كسر الجيوش الفارسية المتجمّعة على الكرانيك ، وهو نهر صغير ينحدر من جبل إيدا ويصبّ في بحر مرمره . ثم احتلّ مدينة ميله ، فمدينة هاليكرناس ، وهما مدينتان حصينتان لم يجرؤ غيرهما على مقاومته في شاطئ الاناضول الغربي . واعاد الحرية للمدن

اليونانية (المستعمرات اليونانية) القائمة في تلك الجهات ، وطرد المراكب والجيوش الفارسية حتى قيليقية.

وفي ربيع السنة ٣٣٣ جاز الاسكندر أنسير (انقرة او انكرة الحالية ، عاصمة تركية) وقبادوقية ، آخذًا الطريق الجبلية في ممرات جبل طوروس ، جادًا في سيره حتى فاجأ المرزُبان ارساميس ، حاكم قيليقية من قبل الفرس . وكذلك كان شأنه مع مرابطي المراكز الفارسية المحافظين على الممرّات الصعبة من الداخلية الى بوزنتي ، اذ هبط عليهم في الليل في شرذمة خفيفة من رجاله فاركنوا الى الفرار . فاسرع الفاتح منحدرًا نحو السهل واحتل مدينة تارس (وهي طرسوس اليوم) قريباً من مرسين.

وفي تارس اخذ الاسكندر يعدّ المعدّات لملاقاة داريوس الثالث في الناحية الشرقية . وكان داريوس قد عرف ان الاسكندر دخل قيليقية ، فصعد موازياً مجرى الفرات في آخر الصيف سنة ٣٣٣ ، في جيوشه الكثيرة ومعدّاته الوافرة. ولم يقف الا في سهل فسيح في محل اسمه سوشوا في شمالي سورية ، على يومين من ممرّ بيلان الحالي . ولم يتمكن العلماء حتى اليوم من تقرير موقع سوشوا المذكور ، على ان الواضح ان هذا المحلّ كان يقع على حدود سهل العمق الفسيح في الشمال الشرقي من انطاكية ، وقد يكون في اول الممرّ الذي كانت تتبعه الطريق التركية القديمة الآخذة من قِرق خان الى اصلاحية . وقد كان هذا المحلّ موافقاً للجيوش الفارسيّة الكثيرة العدد ولخيالتهم الوافرة التي ستحاول طبعاً ان تدور بجيش الاسكندر القليل فتلتفّ حوله . فاقام داريوس ينتظر خصمه في ذاك المكان مدة طويلة .

على ان الجيشين لم يلتقيا على هذه الجهة السورية من جبل الامانوس ، اي في سهل العمق ، بل كان تطاحنهما في الجهة الاخرى ، بين الامانوس والبحر ، قرب مدينة صغيرة تدعى إيسوس .

وذلك ان الاسكندر في قدومه من قيليقية كان قد وصل دون مقاومة تذكر الى مدينة إيسوس ، فترك فيها الجرحى والمرضى من عساكره ، وتابع سيره حتى مدينة ميرياندوس (وهي الاسكندرونة الحالية) فخيّم في عسكره ، وقد

هطلت عليهم الامطار الشديدة في اوائل تشرين الثاني فقاسوا بعض المشقات . ولم يكد الاسكندر يقضي اربع وعشرين ساعة مستريحاً مع جنوده حتى ادركه بعض الفارّين من وجه الفرس فاعلموه ان الجيش الفارسي مخيّم بين الامانوس والبحر في المنطقة نفسها التي جازها مؤخرًا ، وهو قاطع عليه علاقاته مع قيليقية.

وكيف كان ذلك ؟

كنا قد تركنا داريوس ينتظر الاسكندر في سهل العمق . ولكن طال به الانتظار ، فصمّم على ان يطلب خصمه في قيليقية ، فسار الى شرقي الامانوس قاطعاً ممرّ الاسد (ارسلان بوغاز) ، ثم الى الجنوب الغربي مارًّا بابواب الامانوس (طوبراق - كليسي) . وقد وافق مسيره هذا سير الاسكندر من قيليقية على ميرياندوس ، فكان ان الجيشين تعارضا في طريقيهما دون ان يرى احدهما الآخر .

ولما علم داريوس بمرور الاسكندر لحقه منحدرًا حتى الشاطئ فوقف عند نهر هناك يدعى بيناروس ، واسمه اليوم دلي تشاي . وكانت خطته دون شك ان يترك المقدوني يقطع ممرّ بيلان وينحدر وراءه الى ذاك السهل . وهناك تلتفّ حوله جيوش الفرس،وهي تفوق المقدونيين عددًا ، وقد سهل عليها التوسّع والانتشار ، فتحيق به وبعساكره .

على ان الاسكندر افسد هذه الخطة . وقد ادرك ، بلمحة من العبقرية ، ان الجيش الفارسي ، واقعاً بين الجبل والبحر ، يفقد كثيرًا من فوائد عدده الكبير . فانشب المعركة على نهر بيناروس . وهي من المعارك القديمة التي نعرف سيرها معرفة واضحة بفضل ما تركه لنا المعاصرون عن وصفها ، ولنا في ذلك وصفان يتفقان في النقاط المهمّة وهما وصف بطلميوس الذي كان بين المحاربين[1] ، ووصف كاليستين ، مؤرخ الاسكندر الخاصّ المتعلّق بشخصه ، وبالتالي العارف الدقيق المعلومات ، دون شك[2] .

---

١) وهو الوصف الذي اورده خاصّةً اريان Arrien, *Anab.*, II, 6-11

٢) وهو الوصف الذي استند اليه بوليب Polybe, XII, 17-22

وقد اسفرت المعركة عن انتصار الجيوش المقدونية انتصاراً باهراً ، بفضل تطبيق خطة « الجبهة الزوراء » التي اشرنا اليها ، والتي كان الاسكندر قد اخذها عن ابيه فيلبوس . وهذا كان قد اخذها بدوره عن ريامينُنداس القائد الطيبي . ولقد افادت هذه الخطة الاسكندر في انتصاره في معركة گرانيك ايضاً .

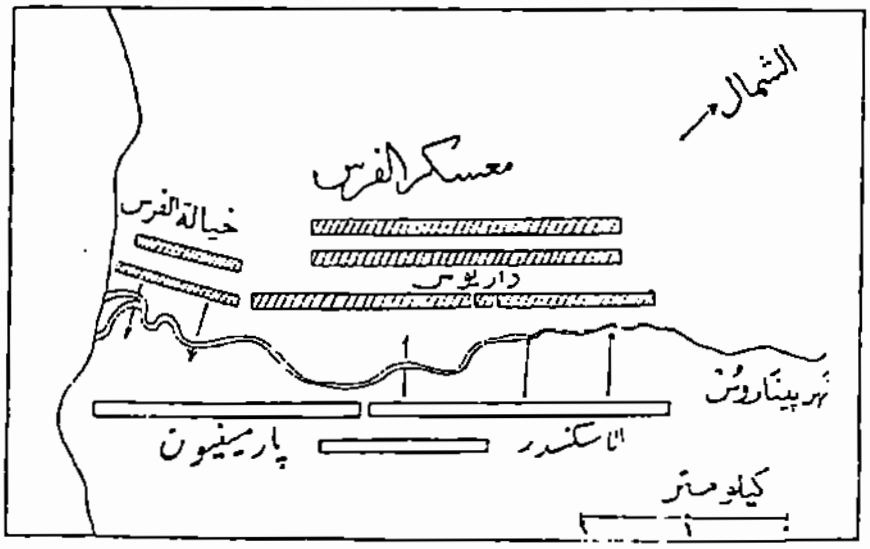

الرسم ١ : معركة إيسوس

اما تفصيل حوادث المعركة فملخصها ان الفرس كانوا يحتلّون بجناحهم الايسر اعالي منحدرات الامانوس . وكان في قلبهم جيش من المشاة الاشداء المهرة ، يؤلفه جماعة من مأجورة اليونان والكرداك ويردفهم جمهور كبير . وكان الجناح الايمن الفارسي يتألف خاصة من الخيّالة ، وقد كان بامكانهم ان ينتشروا في ذلك السهل حتى البحر . وكان داريوس نفسه قائماً على عجلة حربية في قلب جيشه وراء العسكر المأجور من اليونان .

اما في الجيش المقدوني فخصّ الاسكندر بنفسه الجناح الايمن او جانح الخيّالة . وعهد في قيادة الجناح الايسر الى القائد پارمينيون الخبير ، وامره ان يحتفظ بمركزه مهما كلّف الامر فلا يدع الفرس يتقدّمون على شاطئ البحر .

وكان الاسكندر في مساء اليوم السابق ، رغبةً في استطار مراحم الآلهة البحرية على هذه النقطة من مجال المعركة ، قد ضحّى للاله فوسيذون بمركبة ذات اربعة افراس فاطلقها في البحر . وكان ذوو الحراب الطويلة يحفظون قلب الجيش.

ولم يكد الاسكندر يرتّب صفوفه حتى هجم متقدماً فرسانه الشرفاء على جناح العدوّ الايسر اي من جهة الجبل . فتراجع الفرس لدى وقع هذه الخيّالة الثقيلة . وكان من تأثير هذا الهجوم المفاجئ ان حصل بعض الاضطراب بين ذوي الحراب في قلب الجيش المقدوني ، فاغتنم اعداؤهم الفرصة ، وهم من مأجوري اليونان ، وهجموا متقدّمين . فكانت معركة هائلة بين هؤلاء المشاة وكلهم من ذوي الحنكة والتمرين في الحروب . على ان الاسكندر كان قد اتمّ حركة هجومه الدورية ، ووصل الى قلب جيش العدوّ بسرعة لم تكن منتظرة . وعندما شاهد داريوس هذه الحركة تملكه الذعر فأفقده رباطة الجأش ، فادار عجلته نحو الشمال واركن الى الفرار . وقد دوّن هذا الحادث المهمّ المؤرخ كليتارك ، جامع اقدم اساطير الاسكندر في نحو السنة ٣١٠ ، فجعله بعض الشيء حتى اصبح من موضوعات الفن ، فمثلته قطعة من الفسيفساء مدعوة « بفسيفساء الاسكندر » ومكتشفة في « الكازا ديل فونو » في بومبي (اطلب الرسم ٢) وهي قد تمثل لوحة تصويرية لفيلوكسين ترتقي الى السنة ٣١٨ . وكان من نتائج هرب داريوس ان جيشه تضعضع ، فانتهت المعركة بين كوكبتي الفرسان على شاطئ البحر . ولم يلبث الجيش الفارسي ان لاذ بالفرار باجمعه فاخذ جيش الاسكندر يتعقّبه بنشاط غريب ، على انه لم يتمكن من اللحاق بداريوس ، فعاد مساء الى موقع المعركة.

وكان بين الاسلاب سرادق الملك الاكبر وفيه امه وامرأته واولاده الثلاثة . فعاملهم الاسكندر باحترام.

وان جاز لنا الآن ان نحاول نقد خطة الاسكندر في معركة ايسوس — وذلك بفضل المبادئ الاولية في فنّ الخطط الحربية التي عمّمها مؤرّخو نابوليون ودارسو مواقع الحرب الكبرى — فاول ما يطرق فكرنا السؤال التالي: أوَ لم

الرسم ٢ : معركة إيسوس ، كما تمثلها قطعة من الفسيفساء مكتشفة في بومبي

ارمور ٣

قطعة نقود تمثلان الاسكندر الكبير

يبدو الفاتح في الدرهم منحوتاً على رأسه خوذة قبل رمزاً الى القائد بديوبروس الهندي .

وفي الثانية رأس حسنة الصورة الى انه من ابناء هرقل

يكن من التهوّر ان يهجم الاسكندر بنفسه في مقدّمة « اصدقائه » من الفرسان الشرفاء ؟ وقد اصابه جرح في معركة ايسوس، وكذلك كاد يُقضى عليه في معركة گرانيك اذ هجم المرزُبان سپيتريدات طاعناً اياه في ظهره ، لو لم يبادره المقدوني كليتوس فيقطع يد المرزبان بضربة سيف. او ليس من واجب القائد ان يراقب تطور المعركة عن بُعدٍ قليل، فيصدر الاوامر الموافقة للتقلُّبات المتنوعة ؟ من الحق ان هذه الملاحظات توافق خطط الحرب العصرية . اما في العصر القديم فكان الامر بخلاف ذلك ، والقدماء يجهلون استخدام العسكر الاحتياطي ، فكانوا يرمون بجيوشهم كلها دفعةً واحدة . وهكذا لم يكن للقائد ان يراقب حركات الجيش وسير المعركة. واذا انتبهنا الى ما تتصف به خطة « الجبهة الزوراء » ، رأينا كثيراً من المبرّرات لوجود الاسكندر وسط المعركة ، تحميساً لجنوده واهتماماً بالاسراع بالضربة الحاسمة.

الزحف على فنيقيّة — مصار صور

لم يختص القائد الشابّ بدقة النظر وسط المعركة فحسب ، بل كان له تلك النظرات البعيدة التي يتصف بها السياسي المحنك ، وتلك العزيمة المتابعة التي تميز ارباب الممالك وسادة الدول . وقد اظهر هذه الصفات بعد انتصار ايسوس ، اذ لم يدع نشوة الفوز تشله فيحمله الهوس على اللحاق بملك الفرس والتوغل في بلاده ، قبل ان يتمكن من تنظيم جيوشه الشاردة . أوَ لم يكن من الممكن ان يغرّ الفوز قائداً ابن ثلاث وعشرين سنة فيدفعه الى مثل هذا التهوّر ؟ على ان الاسكندر لم يغترّ ولم يملكه الهوس . بل فكر في مقدّراته ببرودة وقاس اليها مقدّرات العدوّ ، فقرّر اتباع الخطة الآتية : قبل ان يتوغل في داخلية بلاد الفرس ، عليه ان يحتلّ جميع ممتلكاتهم على البحر المتوسط من ابيدوس ، قرب الدردنيل ، حتى مصر.

فكان ان الفاتح ، بعد ان قطع ممرّ بيلان ، اكتفى بارسال پارمينيون الى دمشق ، فوضع هذا يده على كنوز داريوس . فتخلص الاسكندر من مشاكله المالية . وتابع سيره نحو مصر . وكانت المدن الفنيقية تخضع له الواحدة بعد

الاخرى من ارادوس (ارواد) الى جبيل الى صيدون حتى وصل امام صور.

وهنا اراد الاسكندر ان يضحّي في جزيرة صور . ولقد كان مخلصاً في الاعتقاد باصله الالهي . يؤمن بانه ينتسب ، بابيه فيلبوس ، الى هرقل ، وبامه اولمبياس ابنة ملك الملوسيين ، الى اخيل . وان ما لدينا من رسوم للاسكندر — سواء اكانت نقوشاً منحوتة كما في ناروس الاسكندر المكتشف في صيدا او مصكوكة في قطع النقود — تزين كلها رأسه برموز الهية ثلاثة : ١ً قرنا آمون اشارةً الى انه ابن زَفس، ٢ً جلد الاسد دلالةً على انه ابن هرقل، ٣ً جلد الفيل رمزاً الى اتحاده بديونيزوس الهندي . على هذا الاعتقاد، طلب الاسكندر من اهل صور، وقد وصل امام جزيرتهم، ان يفتحوا له الابواب لكي يضحّي للاله هرقل الصوري في الهيكل الشهير الذي بناه الفنيقيون وسط الامواج . وان لم يكن بين البطل اليوناني وملكارت ، اله الصوريين المكرَّم قديماً ، الا شبه اسطوري او اتفاق في بعض الصفات ؛ فان الموافقة بين ملكارت وهرقل اليونان ترقى الى عصر قديم اذ نراها ظاهرة في آثار هيرودوت في القرن الخامس قبل المسيح . وهذا ما يشرح لنا مزاعم الاسكندر ، سليل هرقل ، ورغبته في التضحية في هيكل ملكارت.

على ان الصوريين رفضوا تلبية هذه الرغبة . وهم لو سمحوا لهذا الغريب أن يضحّي في هيكلهم لاعترفوا بـه ملكاً عليهم . لانه ، تبعاً للعقائد السامية ، كانت التضحية من حقّ الملك وحده. فاعلن الصوريون انهم لن يسمحوا بدخول جزيرتهم لا لليونان ولا للمقدونيين . اوَ لم يكونوا قد قاوموا في ما مضى فاتحَين اشوريَين شهيرَين هما سلمنصر الثاني وسرجون عندما اقاما الحصار على صور دون نتيجة فرجعا عنها خاسرين ؟

اما الاسكندر فلم يكن بامكانه قبول هذا الرفض . لانه ، فضلاً عما فيه من الاهانة ، كان يحول بينه وبين تنفيذ خطته ، ولا يمكنه ان يترك الحرية على شاطئ المتوسط لاهمّ مركز فنيقي بامكانه ان يعيد تجهيز الاسطول الفارسي ويستدعي اليه مراكب قرطاجة التي لم يكن الاسكندر ليجهل قوتها وغناها بالمعدّات . فقرّر ان يقيم الحصار على صور مهما كلّفه الامر.

وقد كلّفه سبعة اشهر من الجهود المتواصلة.

تظهر مدينة صور، مع ارادوس (ارواد)، مثالاً للمدينة الفنيقيّة. جزيرة (وقد تكون احياناً شبه جزيرة)، ومدينة اخرى تقابلها في البرّ قريبة منها، يسكنها الشعب الواحد ويحصّنها ويحميها بواسطة البحارة المعروفين بالجرأة والشجاعة. وهكذا كان للفنيقيّين جزيرة ارادوس (ارواد) ومقابلتها على الشاطئ مدينة انترادوس (طرطوس)؛ وجزيرة تير (صور) التي بنى اكثرها حيرام، معاصر سليمان الحكيم، ومقابلتها باليتير التي لا يُعرف موقعها تماماً في عصرنا. ولقد كانت جزيرة تير منذ القرن الثامن ق. م. عاصمة لتجارة البحر المتوسط، نتحقق ذلك حتى في نبوة حزقيال عن خرابها اذ يرسم ذاك المشهد الرائع لترفها ورخائها. وكانت ايضاً مدينة حصينة وثيقة الاركان، يفصلها عن الشاطئ ساعد من البحر يبلغ ٦٠٠ الى ٧٠٠ متر، وتحيط بها اسوار منيعة تبلغ ٤٥ متراً ارتفاعاً، وتدور حول المدينة على طول نحو ٤ كيلومترات[1]. وكان للجزيرة مرفآن: «المرفأ الصيدوني» في الشمال الشرقي، و«المرفأ المصري» في الجنوب الشرقي يتصلان احدهما بالآخر بواسطة نهر يقطع الجزيرة. وكان اسطول المدينة — او على الارجح قسم من هذا الاسطول — يحتلّ المرفأين فيقوم بحركاته بملء السهولة والحرية.

كان على الاسكندر ان يزحف على المدينة من البرّ. فاخذ منذ شهر كانون الثاني سنة ٣٣٢ بانشاء ممرّ في البحر يصل بين الشاطئ والجزيرة. وهو عمل عظيم كلّفه جهداً كبيراً ومعدّات وافرة وكميّات كثيرة من التراب والحجارة ليقوم هذا الجسر البالغ ستين متراً عرضاً. وكان من اول ما قام به الاسكندر ان خرّب مدينة باليتير، القائمة على الشاطئ مقابلة تير، ورمى باثارها في البحر طامراً قسماً منه. وكان كلما تقدّم العمل في بناء الجسر ازداد عمق البحر فتضاعفت الصعوبات، فضلاً عن ان المراكب الصورية كانت تهاجم العملة من

١) اطلب في ذلك: Kromayer-Veith, *Schlachten Atlas*, Griech. Abt., Blatt 7, 1929 : cf. Chaussard, Arrien, *L'expédition d'Alexandre*, Atlas, pl. V, p. 67 ss.

وقت الى آخر ، فتميتهم . وكأن العناصر الطبيعية ارادت معاونة صور فهبّ اعصار هائل من الجنوب الغربي ، ففصل الجسر قسمين . فاعاد الاسكندر بناءه ، بعد ان امر بغرز الاساطين القوية الضخمة في الماء من عن الجانبين لتحفظ تلك الكميات العظيمة من الاخشاب والحجارة الملقاة وسطها . عند ذاك اتى دور المهندسين الصوريين ، وقد طالما اختبروا اعمال الملاحة والمنشآت البحرية ، فقاموا بواجبهم خير قيام على نحو ما وصف الاميرال جورّين دي لاگرافيير في سرده الحيّ «للمأساة المقدونية» ، قال مخاطباً المحاصرين: «آه ! يا جنود مقدونية ، اتهاجمون ابناء البحر ؟ سترون اذاً — كما رأينا نحن ايضاً في سباستوپول — كم للبحري من حيل متنوّعة في جرابه . »[1] وسرعان ما انزل مهندسو صور الى البحر حرّاقة مشحونة بانواع الوقود ، ومثقلة من مؤخرها كي يرتفع مقدّمها عالياً . ولم يكن هذا المقدّم الا محترَقاً واسعاً يعلوه صاريان عُلقت بهما المراجل الملأى بالمواد السريعة الالتهاب . سار المركب الحرّاق تدفعه ريح موافقة ، ويقوده القذّافون في مركبين موازيين . فوصل الى طرف الجسر مما يلي الجزيرة ، وكان الاسكندر قد بنى فيه برجين وغطاهما بجلود حيوانات مقلوبة وقريبة العهد بالسلخ ، وهي من افضل ما تقاوم به النيران حتى انها تصمد لنار الحرّاقات مدة يوم كامل . ولكن اين مقاومتها من قوّة تلك النار الهائلة الملتهبة فجأة في مراجل المركب الحرّاق ، وقد انقلبت على البرجين من اعالي الصاريين ؟ فلم يلبث ان احاط اللهيب بالبرجين وبمقدّمة الجسر ، بينما كان الاسطول الصوري ، وقد خرج من مرفأيه ، يمطر الممرّ بالسهام المتتابعة ، فيمنع الجيش المقدوني من الوصول الى الطرف ، وتتقدم مراكبه من الجسر فتخرب المعدّات وتدك الاركان الواقية التي شيدها المقدونيون . بعد هذا الفشل تأكد الاسكندر ان من المستحيل اخذ مدينة بحرية او جزيرة الا بمساعدة اسطول ، وادرك انه يجب ان يغيّر خطة هجومه على صور من البرّ الى البحر .

(١ Jurien de la Gravière, *Le Drame Macédonien*, p. 103

وكان من حسن حظه ان عمارة المدن الفنيقية الشمالية تركت الاسطول الفارسي في ذاك الوقت ، وقد علمت ان ارباب مدنها اعترفوا بسلطة الاسكندر، فاتت مقتربة من الشاطئ . فما كان من الاسكندر الا ان اسرع الى صيدون، فجمع ٨٠ مركباً فنيقياً ، و ١٢٠ مركباً من ممتلكات امراء قبرص كانت آتية من رودس وليقية[1] . ثم سار في هذا الاسطول الى عرض جزيرة صور ، فهاجم مراكبها بشدة . ولم يمكن هذه المراكب ان تقاوم طويلاً فلجأت الى المرفأين. وهنا بدأ الحصار البحري ، بينما كان العملة يتمون بناء الجسر ، وقد خلا لهم الجوّ بحصر المراكب الصورية . وكان على الاسطول القبرصي ان يحصر المرفأ الصيدوني ، وعلى المراكب الفنيقية ان تقوم حاجزاً امام المرفأ المصري.

ولا يسعنا المجال لسرد ما حصل من الحوادث والمناوشات والخطط مما افاض به المؤرخون في ذكر هذا الحصار الشهير . وعندما انتهت الاعمال في بناء الجسر ، وامر الاسكندر بالهجوم ، قاومته المدينة بغاية ما يمكن من الشدة والصبر والفن الحربي . وقد كان من اعظم مخترعاتهم في المقاومة ومن اشدّها وطأة على الجيش المقدوني اختراعهم النار الملتهب الذي كانت تثيره في الفضاء على المهاجمين تروس النحاس وقد أحميت في النار حتى درجة البياض . فكان هذا النار الملتهب المتناثر رملاً وهاجاً لا يكاد يعلق بالجسم من خلل فروج الدرع حتى ينفذ في اللحم الى العظام ، وليس للجندي واسطة في مقاومته او اخراجه . فكان من يُصاب به لا يمكنه ، من قوة الالم ، الا ان يطرح سلاحه ويشقّ ثيابه ، فيظهر اعزل حاسراً امام العدوّ ولا يبالي.

على ان هذه المقاومة الشديدة كان لها نهاية . فكان الهجوم الحاسم من جهة الجنوب بواسطة مراكب تحمل الآلات الهدّامة فتضرب الاسوار ، وتليها مراكب تحمل الجنود ، بينما كان الهجوم موجّهاً كذلك نحو المرفأين . وهنا تبدأ المجزرة فيُقتل ٦ آلاف من الصوريين على الاسوار ، ويؤسر الفان فيأمر الاسكندر بصلبهم على طول الشاطئ . ثم يطلق جنوده على المدينة فيأسرون

(1 Chaussard, Arrien, *Expédition d'Alexandre*, Atlas, p. 71

ثلاثين الفاً من سكانها ، وطنيين واجانب ، فيبيعونهم عبيداً . فيخلو الجو للاسكندر ، فيضحي في هيكل ملكارت ، ويعفو عن جميع من لجأ اليه اوان النهب والتخريب . ثم يحتفل بانتصاره باقامة الالعاب واساليب اللهو . ويتابع سيره ، على الشاطئ ، نحو البلاد المصرية .

وكان عليه ان يعيد تجهيز آلات الحصار امام غزة ايضاً[1] ، وهي مدينة حصينة كان يحكمها خصيٌّ اسمه باتيس ، فلم يشأ ان يخون اميره ، ملك الفرس الاكبر ، فيسلم المدينة للمقدوني . اما حامية المدينة فكان فيها كثير من النبطيين[2] اي سكان منطقة بترا (بين مدينة بترا او صُلع او البطراء وجنوبي دمشق) . ويظهر من اقوال المؤرخين ان الاسكندر ، بينا كان يحاصر صور ، توقع هجوماً على جيشه من قبل النبطيين (وقد يكون هؤلاء من محالفي صور سياسياً وتجارياً) ففاجأهم بغزوة سريعة الى داخلية البلاد هاجم فيها عرب انتيلبنان ، على قول بلوطرخوس[3] ، ورجع بعد احد عشر يوماً .

على ان غزة لم تكن لتقوى على ما لم تقوَ عليه صور . فدخلها الاسكندر على الرغم من المقاومة الشديدة ، واسر حاكمها باتيس فربطه حياً الى عجلته وجرّه حول المدينة ، كما فعل اخيل في سالف الحقب بجثة هكتور اذ جرّها حول اسوار اليون .

. . .

ولم يكن للاسكندر ان يعود الى ارض فنيقية الا بعد ان يحتلّ مصر وينظّمها . فكان له ما اراد . وكان من آثاره المهمة هناك ان بنى الاسكندرية في اواخر السنة ٣٣٢ . وفي ربيع ٣٣١ ، عاد الى صور ، فاقام فيها مدة قصيرة . ثم صعد نحو الفرات وسهول العراق حيث كانت تنتظره موقعة أربل فتفتح امامه ابواب مملكة فارس . وقد يكون زار اورشليم في سيره نحو الفرات .

---

١) اطلب Radet, *op. cit.* p. 103-105

٢) Wilcken, *op. cit.*, p. 119

٣) Plutarque, *Alexandre*, 24 – واطلب في ما تقدم : Chaussard, Arrien, *op. cit.*, p. 71 – Kahrsted, *Syrische Territorien...*, 1926, p. 88

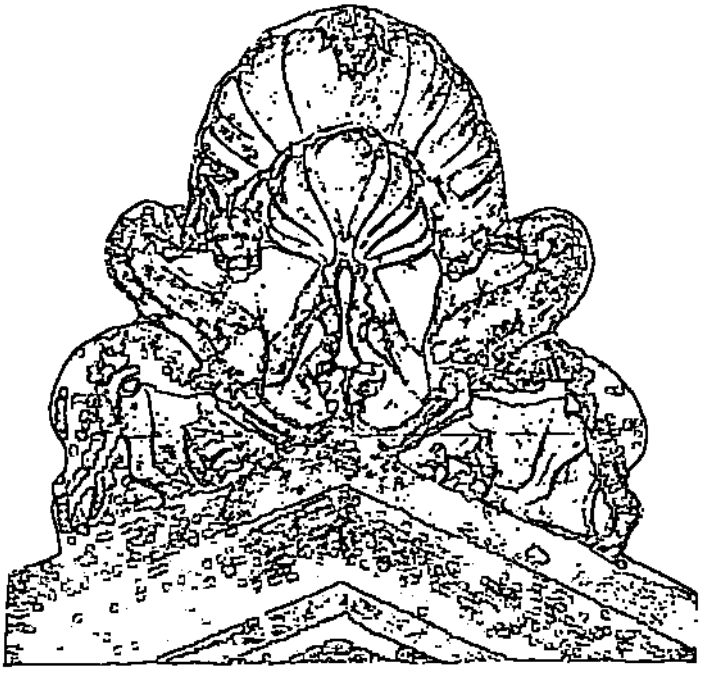

الرسم ٥ : منظر قمة الغطاء من الجهة الجنوبية

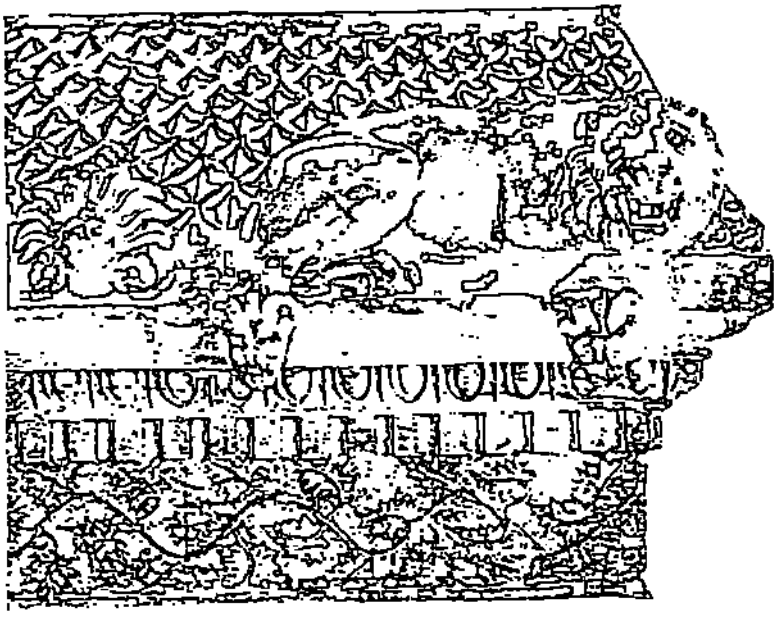

الرسم ٦ : منظر احدى زوايا الغطاء ، وعليها شخص أسد

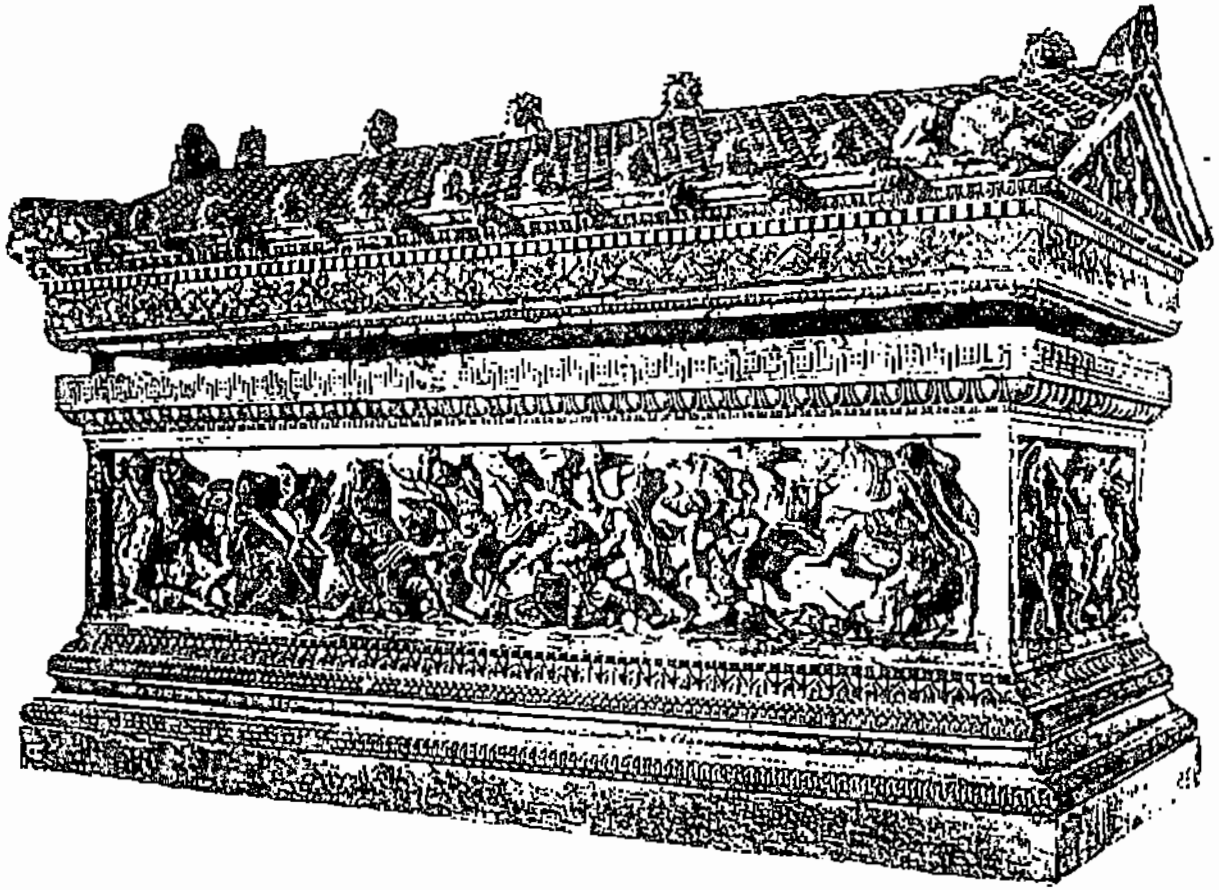

الرسم ٤ : منظر شامل لتابوت الاسكندر ، كما اكتُشف في صيدا

نتائج فتوح الاسكندر

في ما خصّ الشرق الادنى ، ولاسيما سورية وفنيقية

من السهل ذكر هذه النتائج باختصار ، بل من الممكن تلخيصها بتعبير واحد: وهو ان فتوح الاسكندر ادّت الى بسط النفوذ اليوناني على الشرق ، او الى « يَوْنَنة » الشرق ، ان صحّ التعبير.

ولا يُفهَم من هذا ان الفاتح نجح في جميع مراميه ، او ان مشاريعه تحققت بجملها. ونحن اذا فحصنا مراميه السياسيّة مثلًا نرى ان حلمه في تأسيس مملكة عالمية تلاشى بوفاته. وهو وان ترك دولًا يونانية في مصر وسورية : البطالسة والسلوقيين ، فلم يكن افراد هذه الدول من نسل الاسكندر . فضلًا عن كونهم لم يملكوا الا جزءًا من الامبراطورية الفسيحة التي اخضعها الفاتح الكبير.

ثم ان مشروعه في مزج المدنية اليونانية بالمدنية الآرية بواسطة الزواج بين الاغريق والفرس لم يتحقق كذلك . فان الطوارئ المقدونية تلاشت شيئاً فشيئاً وسط السكان الوطنيين دون ان يتأثر هؤلاء بالعادات والاخلاق اليونانية.

على انه مثّل في شخصه ، وترك للعصور الآتية مثال « الملك اليوناني » : حاكم مطلق ، وقائد جيش ، ومدير اعلى لجميع افراد الرعية ، يجالس العلماء ، ويستصحب رجال الدولة. وهذا المثال العالي للملك قريب جدًّا من فكرة الملكية المعبّر عنها « بالمستبدّ المستنير . »

ويجدر بنا الآن ان نسأل هل استفاد الاسكندر من الشرق ، وخاصة من بلاد فارس ، نظريته في الملكية ؟ وهل أسس ، في سبيله هو ، عبادة الملك ، كما نراها في الملكيات اليونانيّة ؟

هو سؤال ادّى الى كثير من المشاحنات بين المؤلفين دارسي شخصية الفاتح الكبير . فكان من المجيبين بالايجاب سهنابيل ، والآنسة تيلر . ومن معاكسيهم برف ، وتَرن ، وفرنل ، واخيرًا ولكن . وقد يكون الارجح ان الاسكندر اتخذ مظاهر الملكية الفارسيّة اكثر من اهتمامه بمبادئها الجوهرية الاساسية . وعدا ذلك فان ملوك الفرس لم يكونوا معتبَرين من الالهة . ولعلّ

الاصحّ ان نعتبر الاسكندر ملكاً يونانياً ليس غير في نظر المقدونيين ، على انه كان يتطلب من رعاياه الشرقيين امارات الاكرام والاحترام جميعها التي كانوا يولونها ملوك الفرس. وهو ، وان جرّب ان يدفع جنوده المقدونيين الى تكريمه باشارة العبادة المدعوّة « بروكسينيز » ، فلم ينجح في تجربته ، فضلاً عن ان هذه الاشارة نفسها ليست اشارة دينية . اما كون الاسكندر ظهر موضوعاً لعبادة دينية ، فانما كان ذلك بعد وفاته ومن قِبَل خلفائه وحدهم .

وهناك نتائج سياسية لحكم الاسكندر لا يهمّ هذه البلاد منها الا واحدة هي تأسيس دولة السلوقيين.

اما النتائج الاقتصادية لتلك الفتوح في الشرقين الادنى والاقصى فكانت اعمق تأثيراً في سورية وفنيقية . هناك بلاد جديدة واسعة فُتحت للتجارة الدولية ، وهناك تقدّم عظيم في طرق التجارة . نتج هذا من ان الاسكندر سكّ قسماً كبيراً من كنوز ملوك الفرس ، فاكثر النقود ودفع جميع العالم الشرقي الى استعمالها في المعاملات . فلم يلبث النقد الذهبي والفضي ان عمل على ملاشاة الطريقة القديمة في التجارة ، اي تبادل البضاعات باعيانها . ومهّد السبيل في ذلك الى تأسيس المصارف المهنة مسهّلاً اعمالها ، وبالتالي اساليب التجارة الواسعة ، وتقدّم الصناعة . وعندما تستعيد مدينة صور حياتها ، بعد ذلك العقاب الهائل الذي انزله بها الاسكندر ، فتحتلّ مركزها السابق في التجارة ، فانها تستفيد الفائدة الحسنة من هذا التحسين الاقتصادي حتى ان نقودها ذات الاربعة الدراهم المزدانة بالصور الجميلة لملوك اللاجيديين والسلوقيين ، والمشهورة بصحتها ودقة وزنها ، تكوّن المثال النقدي الاعلى في السوق التجارية . فيتخذها المتعاقدون وحدةً في معاملاتهم ، وتصرّح الصكوك ، حتى في انحاء المملكة الفارسية وفي القرن الثاني بعد المسيح ، ان الدفع يكون « بالنقد الصوري الصحيح . »[1]

---

(١) اطلب في هذا البحث M. J. Rostovzeff a. C. Bradford Welles, *A Parchment Contract of loan from Dura-Europos*.., Yale Class. Studies, II, p. 6, li. 6; p. 60 ss. حيث يكتفي المؤلفان بدرس صفة القطعة ذات الاربعة الدراهم على عهد ترايانوس فحسب.

الرسم ٨ : مشهد من الجانب الغربي للناووس يمثل الاسكندر في صيد الوحوش الضارية ، وقد هجم ليخلص رفيقه من الاسد

الرسم ٧ : مشهد من الجانب الشرقي للفاروس يمثل الاسكندر في معركة إيسوس ، وقد رشق حواده على فارس من الاعداء وداس فارساً آخر

واهم من هذه النتائج الاقتصادية كانت النتائج العقلية والفنية التي سببتها فتوح الاسكندر ، تلميذ ارسطو ، المشبع بحب التفتيش والاكتشاف . فتقدم العلم اليوناني خطوات واسعة ولاسيما في ما خص الجغرافية . وكذلك القول عن الفلسفة اليونانية ، فانها استفادت ، بفضل هذه الفتوحات ، آراء جديدة في العلاقات الدولية والحق المشترك بين جميع الشعوب ، بل انها اغتنت بفكرة مساواة الشعوب في الاصل الجوهري ، لا فرق في ذلك بين اليونان والبرابرة .

تقدم لنا القول ان الاسكندر لم يتوفق في ايجاد عنصر متولد من الفرس واليونان ، وكذلك لم يتوفق الى تأسيس مدنية مختلطة تمتزج فيها ثقافة الشرق القديم وثقافة اليونان المدرسية .

على انه كان له الفضل الاكبر بنشر الثقافة اليونانية حتى اقاصي العالم المعروف في زمانه .

وكان لفنيقية ان تستفيد من ازدهار هذه الثقافة في محيط الفن خاصة . فعرفت صيدون كثيراً من الملوك المشغفين باليونانية ، وذاقت كذلك جمال الفن الاغريقي . وقد يكون ملوكها استدعوا الفنانين اليونانيين فنحتوا تلك النواويس الجميلة المكتشفة في صيدا والمحفوظة اليوم في متحف استامبول . واشهرها الناووس المعروف « بناووس الاسكندر » يمثل عراك المقدونيين والفرس ، وبين رجال الحرب صورة للاسكندر تستوحي ميزاتها من الصور الرسمية التي امر الفاتح اشهر مصوري عصره فرسموها له . وقد يكون من المفيد ان نشير ، في مختلف انحاء فلسطين وفنيقية وسورية ، الى آثار هذا الفن الاغريقي ، وهي عديدة مهمة يراها الباحث منتشرة من بترا الى الاسكندرونة . حتى ان الديانات الشرقية نفسها ، وهي معروفة بمحافظتها على تقاليدها وبعدها عن كل تأثير خارجي ، قد تأثرت بروعة هذا الفن . فارتدت آلهة الشرق القميص العسكري اليوناني والرداء الاغريقي ، قبل ان تحاول بدورها التأثير في بلاد الغرب . بل ان الشرق الاقصى ، على بعده ، لم يخلُ من التأثر بالامثلة اليونانية في الفن . فهناك تمثال لبوذا يرقى الى القرن الخامس او السادس

للمسيح ، يظهر لابساً البردة الرومانية التي كان يرتديها الخطباء[1] . وهناك ايضاً في هَضَّة من بلاد الافغان، اكتشف احد المنقّبين الفرنسويين في هيكل بوذي ، دمية تمثل احد الاشخاص المؤلهة بوجهٍ يشبه في قسماته وجه الاسكندر كما نراه في صوره العديدة[2] .

وهكذا يكون ذاك الفاتح العظيم قد تجاوز حياة امبراطوريته الفسيحة ، في فتوحاته العقلية والفنية.

---

١) Foucher, *Conférences au Musée Guimet*, 1912, p. 270 et pl. XII

٢) Foucher, *Monuments Piot*, XXX, 1929, pl. IX, p. 101-110

ارتفاع الصليب

سِفر منسوب الى القديس كيرلس اسقف اورشليم
٣١٣-٣٨٧م

نشره لاول مرّة ، وعلّق عليه
الخوري بولس قرألي ، مدير المجلة البطريركية

٥

البحث الثاني

الاعتراضات (تابع)

١١ ــ قدر النفر (تابع)

٢ ــ تطبيق الاساطير على الميمر

ولنفرض تلفيق الاساطير السريانية وخطأها في معلوماتها الرئيسية. فهل يجوز ان تطبق على ميمرنا الاعتراضات الموجهة اليها ؟ او بالاحرى هل يجوز القول بان معلومات ميمرنا مستقاة منها ، وانه لذلك احدث عهداً واقل ثقة وقيمة ؟ للاجابة على هذه الاسئلة لا بدّ لنا من تلخيص رواية ميمرنا عن اكتشاف القبر والصليب ومقابلتها على رواية الاساطير لنثبت اولاً انه لا يتناقض مع مؤرخي ذاك العهد . ثانياً انه لا يتناقض مع نفسه . ثالثاً ان روايته مستقلة عن رواية الاساطير . واليك خلاصة روايته :

اولاً : لما استتب الامر لقسطنطين واصبح امبراطور رومية ، رغب في زيارة الاماكن المقدسة والبحث عن عود الصليب ، الذي خوّله النصر وصار شارة مملكته ومجده . فقصد الى اورشليم برفقة والدته هيلانة وزوجته وشقيقته العذراء (صفحة ٢٣٤) .

كل هذا معقول ومختلف عن الاساطير ، التي تدعي ان الملكة هيلانة

سافرت برفقة اوسابيوس اسقف رومية لا برفقة ابنها قسطنطين.

ثانياً : سأل الملك اليهود عن مكان القبر فأحضروا له سبعة من علمائهم ادّعوا الجهل. وقد ذكر الميمر اسماءهم واحداً واحداً. فطرحهم الملك في جبّ لا ماء فيه ومنع عنهم الاكل والشرب الى ان يُدلوا اليه بمعلوماتهم. فأسرّ اليهم احدُهم يهوذا « انه يعلم من والده سمعان، نقلاً عن جدّه يهوذا (وفي الاساطير « زكي »)، بان اجدادهم اساؤوا الى المسيح في حياته وطمروا قبره بالزبالات بعد مماته ليخفوا العجائب التي كانت تظهر عليه ». ولما اشتدّ بهم الجوع والعطش تقدّم يهوذا ودلّ الملك على محل الجلجلة، مستنداً الى قول الانجيل ان المسيح دُفن فيها. ولما رأى الملك الردم العظيم حزن، فاشار عليه يهوذا بان يجبر اليهود انفسهم على رفعه. فاصدر اوامره بذلك وعاد الى رومية حيث كانت تستدعيه مهام المملكة، تاركاً كثيراً من غلمانه لحثّ اليهود على الاسراع في العمل، ووالدته للاشراف عليه بمساعدة اسقف اورشليم (صفحة ٢٣٥ — ٢٤٠).

فانت ترى ان الملكة هيلانة لم تخوّل في رواية الميمر الا دوراً ثانوياً لان الملك هو الذي افتتح التحقيق وامر بالحفر. والميمر يتحاشى المغالاة في عدد العلماء فهم سبعة لا الف. ويتحاشى ايضاً التصنع الظاهر في الاساطير ان اليهود انتخبوا من الالف خمسمائة ومن الخمسمائة ثلاثين ومن الثلاثين واحداً. وهو يختلف عنها في تسمية جد يهوذا فيسميه يهوذا لا زكي.

ثالثاً : استغرقت عملية ازالة الردم ستة اشهر من ١٢ اذار حتى ١٣ ايلول. وفي هذا اليوم ظهرت مغارة المقبرة وداخلها ثلاثة صلبان وكتابة تركها نيقوديموس ويوسف الرامي مفادها انهما خبآا الصلبان خوفاً من ان يحرقها اليهود، وان الصليب الحامل اللوح والكتابة هو صليب المسيح (صفحة ٢٤٠—٢٤٢).

فالصليب عُرف حسب رواية الميمر من اللوح المعلق عليه، وليس من العجائب المتناقضة التي اتحفتنا بها الاساطير واشاعات اوائل القرن الخامس، والتي نبذها العلماء. ولا ذكر هنا لاوسابيوس اسقف رومية، الذي خلطته الاساطير باسقف نيقوميدية. والميمر يتفق مع اقوال القديسين امبروسيوس ويوحنا فم الذهب ان الصليب عُرف من الكتابة المعلقة عليه. وهكذا قل عن

العجائب الحاصلة حول زمن اكتشاف الصليب ومكانه. لانه وُجد ، حسب ميمرنا ، داخل القبر. وهب انه وُجد بجانبه ، في اثناء حفر اساسات الكنيسة ، كما يرجح الاب آبيل ، فذلك لا يخالف رواية ميمرنا في جوهرها. ولعل وجود الصليب في القبر او بجانبه يفسّر سكوت قسطنطين واوسابيوس عنه. لان اكتشاف القبر كان يعني اكتشاف الصليب ، من قبيل ذكر الجزء في الكل ، كما ان زيارة القدس تعني زيارة القبر والجلجلة وبقية الاماكن المقدسة. واغلب الظن ان الاهمية الاولى كانت في ذاك العهد للقبر لا للصليب. وفي يومنا عبادات كثيرة كعبادة قلب يسوع ، واعياد كثيرة كعيد القربان والجبل بلا دنس لم يكن لها ذكر ولا وجود واصبحت الان من اشهر العبادات واعظم الاعياد . والتاريخ ينبئنا ان اكبر عيد في عهد قسطنطين كان لتدشين الكنائس ؛ ولم يكن اكرام الصليب ، في بادئ الامر ، سوى احد مظاهره. وما عتم ان فاقه اهمية وتركه نسياً منسياً. ولا ننسَ ان اوسابيوس كان يميل الى الاريوسية التي لم تكن تعبأ بامر القبر والصليب ، وانه لم يذكر القبر الا عرضاً ليحكي عن اهتمام الملك ببناء كنيسة القيامة الفخيمة. ولا ننسَ ايضاً ان معلوماتنا عن القبر والصليب ، في ما سوى الميمر والاساطير ، نادرة مقتضبة ، ربما امكننا اتخاذ قلتها دليلاً على اكتشاف كليهما في بدء العهد الذي خرجت فيه النصرانية من الاضطهادات ، ولم يتسع لها الوقت لتنظيم شؤونها الثانوية والاهتمام بتسجيل حوادث تاريخها.

رابعاً : حُمل الصليب بعد ظهوره الى القديسة هيلانة فقبّلته والبسته حلة ثمينة وكتبت الى ابنها قسطنطين تبشره وتدعوه للحضور : « طوباك يا بني الحبيب والخير يكون لك لانك طلبتَ فوجدت . . . تعالَ لتعاين ما هو افضل من الجواهر الكريمة . . . فاذا رأيتـه في حسنه يتجدّد شبابك مثل النسر ». فجاء قسطنطين وسجد للصليب وامر ببناء كنيسة لائقة به وبالقبر ، وترك لوالدته اموالاً طائلة تُنفقها على تشييد الكنائس ، وخاصةً كنيسة المقبرة. وقد شيّدت كنيسة اخرى على الجلجلة باسم الصليب ، ورجع الملك الى مدينته بالسلام (صفحة ٣٤٢ – ٣٤٦).

هذا يوافق ما نعرفه عن سعي قسطنطين ووالدته في اقامة الكنائس ،

ومن جهة اخرى عن ان كنيسة القيامة أقيمت بحضور والدته التي بنت ايضاً كنيستي جبل الزيتون وبيت لحم.

ولاحظ هنا ان قول الملكة هيلانة لابنها بتجديد شبابه ، اذا شاهد الصليب ، يوافق ما نعرفه عن سنه في ذاك الحين. فقد وُلد في سنة ٢٧٤، او على الاكثر سنة ٢٨٠ ، فيكون في سنة ٣٢٧ شيخاً في الثالثة والخمسين او كهلاً في السابعة والاربعين.

خامساً : لما تمت الكنائس وتزينت باجمل مظهر احتفل اسقف المدينة بتكريسها بحضور اساقفة كثيرين جاؤوا « لتمجيد الصليب ». وكانت الحفلة في ١٤ ايلول ، يوم ظهور الصليب المقدس والقبر (صفحة ٢٤٦).

هذا يدلّ على ان تدشين الكنائس صار في يوم تذكار ظهور الصليب ، وان ظهور الصليب سبق حفلة التدشين سنة ٣٣٥. ولعله السبب الحقيقي لتعيين حفلة اكرام الصليب في عيد التدشين ، وان التقليد الذي اوردته السائحة اتيريا سنة ٣٨٥ كان قد عكس الحقيقة فجعل ظهور الصليب في تذكار التدشين ، او ان اتيريا فهمت عكس الحقيقة . على كل حال فالميمر يوافق قول اوسابيوس في حضور اساقفة مجمع صور حفلة التدشين سنة ٣٣٥ . ونلفت النظر هنا الى اهمال الميمر ذكر حضور القديسة هيلانة هذه الحفلة. فهي قد تركت اورشليم قبيل وفاتها بقليل سنة ٣٢٩ .

سادساً : اما يهوذا ، دليل القبر ، فقد آمن لدى مشاهدة الآيات التي رافقت ظهوره واقتبل العماد هو وجماعته من يد الانبا يوسف اسقف اورشليم واصبح « مكرّماً من اجل امانته الارثوذكسية » ومن اكبر الساعين في هداية بني أمته ، فاستحقّ ان يخلف الانبا يوسف على كرسي اورشليم (صفحة ٢٤٧).

فلا ذكر هنا لقرياقوس ، الذي يعترض العلماء على إدماجه بيهوذا ، ولا لحكاية وجود المسامير المقدسة وصوغها لجاماً لفرس قسطنطين ، مما يدعم قولنا باستقلال ميمرنا عن الاساطير السريانية ، التي ترتقي نسخها الى اواخر القرن الخامس او اوائل السادس ، وباقدميته عليها وتنزهه عن اغلب غلطاتها. اما اتفاق الميمر مع اقوال القديسين امبروسيوس وفم الذهب (٣٩٠ — ٣٩٥) فدليل

على انه معاصر لها او سابقها بقليل.

٣ ــ الاساطير ونسبة الميمر

هب ان الاعتراضات على الاساطير وجيهة ، وانها تصيب الميمر كما اصابتها، لوقوعه في نفس اغلاطها ، فهل يتحتّم بعد هذا ان ننكر نسبته الى القديس كيرلس ؟

قلنا اذا ثبت اكتشاف القبر سنة ٣٢٦ او قبيلها كان سنّ القديس كيرلس حينئذٍ احدى عشرة او ثلاث عشرة سنة ، ولعله كان في ضواحي اورشليم ، فخطأه في رواية هذا الحادث ، اذا كان هناك خطأ ، يُعزى الى صغر سنه او الى غيابه عن اورشليم ، او الى الاثنين معاً.

وان سلّمنا ان الصليب لم يظهر مخبوءاً في القبر ، كما يُستنتج من اقوال الميمر ، بل ظهر بين سنتي ٣٣٥ و٣٣٧ ، فيكون القديس قد بلغ العشرين او الثالثة والعشرين ، فلا يُعذر كثيراً على الخطأ، اذا ثبت حضوره الاكتشاف. ولكن من يُثبت لنا ذلك ؟ ومن يثبت خطأه ؟

وذكر مصرع يوليانوس في سنة ٣٦٣ الوارد في الميمر يجبرنا على تأجيل القائه بعد هذه السنة. وسنورد ما يرجّح القاءه في آخر حياة القديس بين سنتي ٣٧٨ و٣٨٧. فتكون المدة بين القائه وظهور الصليب زهاء اربعين او خمس وخمسين سنة. وقد شاعت في ذاك الحين ، كما سبق القول ، روايات نسبت الى الملكة هيلانة فضل اكتشاف الصليب ، فان اتبعها القديس كيرلس ، كما اتبعها القديسان امبروسيوس وفم الذهب ، يكون قد بنى معلوماته مثلها على رواية مغلوطة ، اذا كانت كذلك . بيدَ ان مطابقة اقواله لاقوال هذين القديسين المعاصرين ، دليل على صحة نسبة الميمر اليه لا على نفيها.

ومهما كان من الامر فالخطأ في رواية حادث كما قلنا لا ينفي حتماً نسبتها الى معاصر. ونحن نرى الجرائد في عصرنا تروي حادثاً وقع بالامس في المدينة او القرية التي تصدر فيها ، وامام اعين مخبريها ، وهي تختلف في روايته وتعليله مع سهولة المواصلات والمخابرات. ولا يخطر على بال احد ان ينفي نسبة

الرواية الى الجريدة التي نشرتها. وقد خطأ الاب لكلير واتباعه رواية اوسابيوس عن رؤيا قسطنطين ، مع انه مترجمه ومعاصره وامين سرّه ، ولم ينكروا نسبة تاريخه اليه. وهكذا فعلوا في تخطئة روايتي القديسين امبروسيوس وفم الذهب عن اكتشاف الصليب على يد الملكة هيلانة ، ولم ينكروا عليها الخطابين اللذين وردت فيها تلك الرواية.

اساقفة اورشليم

بقيت امامنا صعوبة لا تقل عما سبقها خطورة ، وهي خطأ الميمر في اسماء اساقفة اورشليم سلفاء القديس كيرلس. فان لم يكن هذا القديس معاصراً لرؤيا قسطنطين واكتشاف القبر والصليب ، فكيف يجهل اسماء الاساقفة الذين سبقوه بقليل. فالميمر ليس له. وفي الواقع ، اذا راجعنا سلسلة هؤلاء الاساقفة المؤرخين المعاصرين ، رأيناها مختلفة عن سلسلة الميمر اختلافاً كلياً. وهاك ما وجدناه في كتاب الاب لكويان[1] نقلاً عن اوسابيوس وغيره :

حرمون	انتخب سنة	٣٠٢	وهو الثامن والثلاثون
مكاريوس قرياقوس	« «	٣١٣	« التاسع والثلاثون
مكسيموس الثاني	« «	٣٣٥	« الاربعون
كيرلس	« «	٣٤٨	« الواحد والاربعون

وقد ذكرت الاسطورة السريانية[2] اسماء العشرة الاولين واردفت بقولها « وغيرهم » من غير ان تذكر اسماءهم. ثم تكلمت عن يهوذا مكتشف القبر والصليب وجعلته الخامس عشر كما فعل ميمرنا. فتكون قد اهملت اسماء الاربعة الذين تولوا كرسي اورشليم قبل يهوذا.

اما ميمرنا فيذكر الانبا يوسف بدلاً من مكاريوس ، وينسب اليه ما نُسب الى المذكور من الاشراف مع الملكة هيلانة على رفع الردم وظهور القبر والصليب وتدشين الكنائس ، ويجعل يهوذا خليفة له ، وبعده مرقوس. واليك

---

١) Lequien, *Oriens Christianus*. t. III, p. 152

٢) نسخة : صفحة ١١

النصين الواردة فيها اسماء هؤلاء الاساقفة صفحة ٢٤٠ : « وعاد قسطنطين الى رومية... وترك والدته وخلف عندها اساقفة قديسين وهم اثناسيوس ريس اساقفة انطاكيـة ، وانبا يوسف ريس اساقفة اورشليم الذي هو الرابع عشر الذي جلس في اورشليم بعد التلاميذ في الختان . وانا ايضاً كيريللوس واحـد منهم ».

وفي صفحة ٢٤٦ يقول: « كلوا الكنائس المقدسة... وكرزوهم انبا يوسف اسقف المدينة المقدسة ومعه اساقفة كثير ارثوذكسين... »

وفي صفحة ٢٤٧ : « وعمدوا يهوذا والذين معه على يدي الاب انبا يوسف... ومن بعد هـذا تنيح الاب انبا يوسف واقاموا عوضه يهوذا وهو الخامس عشر من بعد الآبا الرسل في الختان... ولما تنيح اخذ اسقفيته واحد يقال له [٢٤٨] مرقوس وهو اول من صار اسقف لاورشليم بغير ختان ».

فالميمر يخطئ اولاً في اسم بطريرك انطاكيـة اذ يسميه اثناسيوس وهو اسطاتيوس

ثانياً في اسم مكاريوس الذي يبدله بيوسف

ثالثاً في رتبة يهوذا الذي يجعله الخامس عشر مثل الاساطير

رابعاً في اسم مكسيموس، سلف القديس كيرلس، اذ يجعله مرقوس ويقول انه اول من رقي كرسي اورشليم من غير اليهود.

فنجيب على الخطأ الاول ان اسم اسطاتيوس مأخوذ عن تاريخ ابن العبري (القرن ١٣) حيث ورد بدلاً من اثناسيوس ولا نعرف في اي جانب وقفت الحقيقة ، ولا نعرف لبطاركة انطاكية سلسلة ثابتة. ولعل تلقيبه برئيس اساقفة يعني به نائب البطريرك لا البطريرك نفسه. ولا حرج على القديس كيرلس اذا غلط في اسم بطريرك جلس على الكرسي الانطاكي في اوائل القرن الرابع، اذا لم يكن هناك سهو ناسخ.

ثانياً : اما جعله يوسف بدلاً من مكاريوس فلا نرى له فيه عذراً مقبولاً، الا اذا كان هـذا الاسقف يحمل اسمين. ولعله كان مشهوراً عند اليونان باسم مكاريوس وعنـد ابناء وطنه باسم يوسف. وقد ورد في ميمر المتحف القبطي

باسم « يوساب » وهو قريب من يوسف او تحريفه بابدال الفاء السريانية ܦ باء ܒ. هذا اذا لم نفترض هنا خطأ الناسخ او الناقل. لان القديس كيرلس ، كما جاء في ترجمته ، لم يكتب مياره بل اكتفى بالقائها. وجاء مَن التقطها عنه ودوّنها بالكتابة حسب معرفته وفهمه. فاذا كان القديس كيرلس معاصراً لخليفتيه فلا يتحتم ذلك على كاتب عظاته. على كل حال فالقبر قد اكتُشف ، حسب ترجيح اغلب العلماء ، حوالي سنة ٣٢٥ حين كان القديس كيرلس لم يتجاوز العاشرة من سنه.

ثالثاً : وخطأه في ترتيب عهد اسقفية يهوذا قد يعني به انه الخامس عشر من اليهود . نعم ان اليسر يجعل خلفه مرقوس اول اسقف من غير اليهود ، فان لم نفرض هنا خطأ نساخ ، تحتم علينا تخطئة القديس كيرلس في ترتيب هذه السلسلة ، وان نلقي هذا الخطأ على عاتق التقليد الذي نقل عنه القديس كيرلس ، كما صرح هو نفسه . ولعل هذا التقليد اصح من السلسلة المعروفة التي تقيم اربعين اسقفاً على اورشليم في مدة تقل عن قرنين . ولا يخفى ان القديس كيرلس لم يكن لديه تواريخ مطبوعة منسّقة كما في عهدنا . والسلسلة التي وتبها لكويان ليست بثابتة نهائية . ومهما كان الامر فيمونا لا ينقل عن الاساطير السريانية التي اهملت ، كما قلنا ، اسماء الاساقفة الاربعة الذين سبقوا يهوذا ولم تذكر بعد هذا الاخير احداً غيره.

رابعاً : اما خطأه في اسم سلفه ، اذ جعله مرقوس بدلاً من مكسيموس ، الذي ارتقى الاسقفية سنة ٣٣٥ ، ورسم القديس كيرلس بيديه ، فليس في الواقع خطأ . فان تمعنا في العبارة تحققنا انه لا يعني سلفه الاخير بل احد سلفائه . لانه يقول عن الانبا يوسف « الذي هو الرابع عشر الذي جلس في اورشليم بعد الحنان وانا ايضاً كيرلوس واحداً منهم » اي واحداً من اساقفة اورشليم .

نقول هذا ونحن عالمون بان روايات اوسابيوس قد لا تتفق مع هذه الافتراضات . ولعل الايام تظهر ما يعزّز هذه الافتراضات . ونقر ايضاً ان اغلب ما اجبنا به على الاعتراضات القائمة ضد الاساطير ، والتي قد يمكن تطبيق

بعضها على ميمرنا ، لا يخرج عن حيّز التخمين والتأويل . بيد ان الاعتراضات نفسها لا تخرج ايضاً عن حكم الرجم في الغيب . ولعلّ قدمها اقل ثباتاً من دفاعنا .

ولو لم يكن لدينا في نصوص الميمر دلائل ترجّح كفتنا عليها لضربنا به وباجوبتنا عرض الحائط . انما ان درسنا هذه النصوص عثرنا فيها على ما يرجح نسبته الى القديس كيرلس ترجيحاً يقرب كثيراً من اليقين ، ويبرر تمسكنا بصحة نسبته وموقفنا في ردّ الهجمات عنه . فلننتقل اذاً من البراهين السلبية التي قدمناها حتى الآن ، الى البراهين الوضعية ، التي يمكننا استخراجها من هذه النصوص ، ومن المقابلة بينها وبين ما نعرفه لهذا القديس من الآراء والاساليب والنزعات .

البحث الثالث

دلائل نسبته

للوصول الى ترجيح نسبة الميمر الى القديس كيرلس الاورشليمي رأينا ان نلتقط من نصوصه ما يدلنا على لغته الاصلية ، والجمهور الذي ألقي عليه ، والمكان الذي ألقي فيه ، وعلى جنسية المؤلف ومذهبه وأسلوبه . وان نمرّ بنظرة سريعة على نظام الميمر لنثبت ان ليس فيه علائم التلفيق . فنتقرأ بعد ذلك الى سماء تصريحات الميمر نفسه عن صاحبه وعصره .

١٢ — لغة الميمر

مرّ بك ان ناسخي مخطوطتي بكركي وحلب قد نقلا عن مصدر واحد، هو مجموعة لاحد السريان اليعاقبة القاطنين في القطر المصري . بقي ان نعرف اللغة التي عُرّب عنها . فان لم تكن الاصلية ، فبأي لغة كُتب اولاً ، وما هي جنسية المترجم والمعرّب ؟ كل هذه اسئلة يمكننا الاجابة عليها بعد التبحر في نصّ الميمر نفسه .

فقد وصل الينا بلغة عربية سقيمة مضطربة مشحونة اغلاطاً نحوية ولغوية ، مما يحملنا على الظن ان معربه عاش في القرون الوسطى، لانحطاط اللغة فيها ، ولم

يتعدّ القرن الثالث عشر. ونستدلّ من بعض تعابيره ان المعرب هو احد السريان النازلين في القطر المصري ، نقله عن نصّ سرياني منقول بدوره عن النص اليوناني الاصلي ، وهي اللغة التي وصلت الينا بها كل تآليف القديس كيرلس.

١ ــ ترجمته في القطر المصري

من ادلّة ترجمته في القطر المصري ما ذكرناه سابقاً عن ورود اسماء الاشهر فيه حسب الاصطلاح القبطي :

فقد جاء في صفحة ٢١٣ و٢٦ [1] : « قال الربّ لموسى ان يعيّدوا ثلاث دفعات في السنة في الرابع عشر من الشهر الجديد الذي هو برموده »

وفي صفحة ٢٤١ و ٥٧ : « كان اول يوم بدأ اليهود العمل (في رفع الردم عن القبر) الثاني عشر من شهر ماردیوس الذي هو برمهات . ولم يزالوا يعملوا فيه الى يوم الثالث عشر من شهر توت »

وفي صفحة ٦٩ من نسخة حلب : « كرّزوا كنيسة القيامة في الرابع عشر من شهر توت الذي هو ايلول »

وفي صفحة ٧٠ منها نبّه الناسخ قرّاءه الى هذا الاصطلاح بقوله : « كان تكريس كنيسة القيامة في الرابعة من شهر توت الذي هو ايلول على رأي المصريين »

ومن هذه الدلائل قوله في صفحة ٢٣٨ و٥٤ عن مساحة الارض المردومة فوق القبر انها « تل عالي على كل المدينة قدر ماية ذراع يجي قدره عشرين فدان » ، والفدّان قياس مستعمل في وادي النيل خاصة ، كما لا يخفى.

وفي صفحة ٢٢٤ و٣٦ : « كتب اسبيانوس الى بطلماوس رييس القبط » مع ان المذكور كان ملكاً على كل سكان القطر المصري ، وبينهم عدد يذكر من اليونانيين واليهود.

ويقول في صفحة ٢١٥ و٢٨ : « ان الانسان الحكيم يمضي الى حقله وينقي منه السنط والشوك » . ومعلوم ان السنط غير معروف في سوى وادي النيل

١) لا تنسَ ان الرقم الكبير يدل على مخطوطة بكركي والصغير على مخطوطة حلب.

ولا ينبت الا فيه .

فضلًا عن لقب انبا الخاص بالاقباط الذي يرد غالباً مرافقاً لكلمة اب : الانبا واكس صفحة ١٩٧ و٢٠٠ و٢٠٦ ، والاب الانبا يوسف ٢٤٦ و٢٤٧[1]

وفي صفحة ١٩٣ : «يجروا خلفهم»، وفي صفحة ٢٢١ : «فصار يمشي ويجري»، مستعملًا جرى بمعنى ركض واسرع . وهو تعبير خاص باللهجة المصرية . وغير ذلك لا حاجة الى الاطالة فيه . ويغلب على الظن ان ميمر القديس كيرلس المحفوظ في المتحف القبطي مأخوذ اكثره عن نصّ ميمرنا . البسه منقحه ثوباً عربياً مسجعاً ليتلى في الكنيسة .

٢ — تعريبه عن السريانية

وهذا لا يعني انه معرّب عن القبطية او ان المعرب قبطي . فالاقباط لم يتعلموا قط السريانية . وآثار السريانية بادية في التعريب ، مما يحملنا على القول ان التعريب منقول عن السريانية ؛ ولو كان المعرب قبطياً . نقول هذا نفياً للشك الذي قد يطرأ على ذهن القارئ بان واضع الميمر قبطي كواضع بقية الميامر المنسوبة زوراً الى القديس كيرلس ، والتي سبق الكلام عنها . وسنسرد في ما يلي امثلة من التعابير التي ليست بعربية بل سريانية او بالاحرى يونانية . ونكتفي الآن بالاشارة الى بعض الآثار السريانية الباقية في نصّنا العربي :

ففي صفحة ٢٠٣ يلقب السيدة العذراء «مريت مريم» اي السيدة مريم . وهو تعبير سرياني محض .

ولا يخفى ان السريان يعبرون عن البا العربية الغليظة بحرف الفاء والعرب بالباء . بيد انك تجد في الميمر صفحة ٢١٥ الفارقليط بدلًا من البارقليط . وفي صفحة ٢٢٣ اسفسيانوس . وفي صفحة ٢١٥ البنديقوسطي بالقاف ، بدلًا من البنديكوستي .

والاظهر من ذلك ايراده في صفحة ٢٢٤ ܟܐܦܐܠܐ حسب كتابتها بالسريانية بدلًا من كيفانا ܟܝܦܐܢܐ حسب لفظها العربي .

١) نكتفي بذكر صفحات مخطوطة بكركي حيث توافقها مخطوطة حلب

والاكثر دلالة على قولنا سير المعرب على القاعدة السريانية في التذكير والتأنيث . فيذكر ما هو مؤنث في العربية لانه مذكر في السريانية وبالعكس، تأثرًا بالاصل الذي يعرب عنه . فيقول في صفحة ٢١٢ : « ليس تحل عليه روح القدس » مع ان الروح مذكر في العربية اذا عني بـه الاقنوم الثالث ، لكنه مؤنث في السريانية . والاغرب من ذلك تذكيره لخشبة الصليب بقوله في صفحة ١٩٩ : « خشبة الصليب يكون والذي » لانه يترجم كلمة ܨܠܒܐ المذكرة في السريانية.

٣ — اصله اليوناني

ان عدم تضلع المعرب من السريانية والعربية ، وضعف المترجم في اللغتين السريانية واليونانية وتوخيهما الترجمة الحرفية جعل العبارة في الترجمتين غريبة غامضة ، واحيانًا غير مفهومة . انما جاء هذا العيب دليلًا كبيرًا على النص الاصلي وحافظًا بقدر الامكان للتعابير الخاصة به وبلغته ؛ كالصفحة الحاسة من الآلة المصوّرة ، التي تطبع الصورة الاصلية بزواياها وعيوبها وخطوطها ، فتأتي صورة طبق الاصل مهما تعدّدت عيوبه . فحقّ لنا ان نغتبط بهذا الجهل لان الغموض في نصنا العربي يرجع اغلبه الى الغموض الذي عثر به المعرب في الترجمة السريانية . والغموض في النص السرياني يغلب على الظن انه عائد الى ضعف المترجم في السريانية واليونانية . ولعل بعضه متأتٍ من تشويه النساخ للاصل اليوناني . نعم ان السريانية قد تأثرت من اللغة اليونانية في معجمها واصطلاحاتها وانشائها ، انما احتفظت بوضوحها وبكثير من سلاستها . ونحن نرمي من وراء ما ندلي به هنا الى ازالة احدى الصعوبات التي قد تعترض نسبة ميمرنا الى القديس كيرلس ، لان تآليفه وصلتنا كلها باليونانية ، والى تبديد الشبهة التي قد تحوم في ذهن العلماء حول واضع ميمرنا ، او بالاحرى ملفقه ، انه احد الاقباط ، ام ان الميمر مأخوذ عن الاساطير السريانية الملفقة او عن الاشاعات التي تضمنتها.

واليك نماذج من تراكيب غريبة ، بعيدة عن العربية بعد هذه اللغة عن

اليونانية ، نلتقطها من نصنا العربي بين مئات من امثالها :

ففي صفحة ١٨٧ يقول « الذي له نعبد » ، وفي صفحة ١٨٨ « لكي أن نفتش في نواميسه » ، وفي صفحة ١٩٣ « فعندما هم حاملوه ، مدّ يده الاله المتجسد ولمس النعش . فعند ذلك وقف الذين حاملوه » ، وفي الصفحة نفسها «معطيهم الحياة يريدوا قتله». وكثيراً ما يقول «الذين يرتلون» بدلاً من المرتلين.

ومن التعابير الخاصة باليونانيين اطلاق كلمة « بطريرك وبطاركة » على جدود العبرانيين ، على كون هذا اللقب مخصصاً عند السريان والعرب برئيس الطائفة المسيحية . ففي صفحة ٥ من مخطوطة حلب نقرأ : « ورؤساء الآباء البطاركة والانبياء » ، وفي صفحة ١١ منها يقول عن والد يعقوب « لانه اسم اسحاق البطريرك رأس الآباء »

ومن اغرب الدلائل على الاصل اليوناني كلمة « الاترانيون » الواردة في النصّ العربي بدلاً من الجلجلة والقرقفة . وهي مركبة من ال التعريف ὁ وكلمة κρώνιον اي الجمجمة . وقد تركها المترجم السرياني على صيغة المفعول به كما وجدها في الاصل اليوناني ، عوضاً عن ان يوردها بصيغة الفاعل ὁ κρώνιος . اما المعرّب فلجهله انها تحمل اداة التعريف اليونانية اضاف اليها ال التعريف العربية. فاصبحت الاترانيون ܐܬܪܢܝܘܢ ، كما وردت في صفحة ٢٣٨ : « ان راا سيدي يتعنا ويجي معي . فانا اوريه الجلجلة الذي هو موضع الاترانيون » . وفي اسفل الصفحة يشير يهوذا الى التلّ المردوم موجهاً كلامه الى قسطنطين : « هذه هي الجلجلة على قدر لغتك . وعلى قدر لساننا نحن العبرانيين كيفانا ܓܘܠܓܘܬܐ » . وجاء في صفحة ٢٢٤ : « واما اليهود الذين بقوا في اورشليم (بعد خرابها) نسوا عادة ابايهم ولم عادو يرموا تراب على قبر يسوع ولانه قد صار تل عظيم على مقبرة يسوع وموضع الجلجلة حتى ان لا بقا احدهم يذكرهم البتة . وكانوا يسموا ذلك التل اترانيون اي يسوع ويسموها الجلجلة . »

ومن دلائل الاصل اليوناني كتابته اسم الانبا باخوس مبدلاً الباء بالواو واضعاً نقطة فوق الكاف ليمنع ترخيمها ويجبر القارئ على لفظها كافاً : واكس ، ܒܐܟܘܣ ، وفي اليونانية ὁ Βάκχος . وهو اسم لاتيني الاصل كان الرومان

يطلقونه على اله الخمر ويكتبونه بالباء والكاف *Baccus* . بيد ان اليونان يرخون حرف الباء ويلفظونه كحرف *v* اللاتيني . فاستعاض عنه مترجمنا بحرف الواو تبعاً للفظه اليوناني ، بدلاً من الباء . ووضع النقطة على الكاف السريانية خوفاً من ترخيمها مع ان الاسم يلفظ عادة بالباء والخاء في السريانية والعربية باخوس ܒܰܟܘܣ . تجدهما على هذه الصورة في صفحات ١٩٧ و٢٠٠ و٢٠١ و٢٠٦ . ولحقه في ذلك ناسخ المخطوطة الحلبية .

كذلك كتب في صفحة ١٩٥ : يورشليم ܝܘܪܫܠܝܡ بدلاً من اورشليم ܐܘܪܫܠܝܡ ، حسب لفظها العربي والسرياني . وهي مركبة من ܐܘܪ و ܫܠܝܡ انما المترجم السرياني قد تأثر من لفظها اليوناني فكتبها على هذا الشكل ثلاث مرات في الصفحة المذكورة . وعاد فاوردها هكذا في صفحة ٢٤٦ . وتبعه في ذلك ناسخ مخطوط حلب . اما في بقية الميمر فقد عاد كلاهما الى نقلها : اورشليم ، كما اعتادا لفظها في العربية والسريانية .

ومن هذا القبيل ايضاً كتابته في صفحتي ١٩٩ و٢٥٠ لاسم يسوع بالالف إيسوع ܐܝܣܘܥ حسب لفظه اليوناني Ἰησοῦς بالرغم من كثرة تردده على شفاه المسيحيين الشرقيين بدون الف وبفتح الياء في العربية يَسوع ، وخفضها في السريانية ܝܰܣܘܥ

وقد حذف العين من اسم احد العلماء العبرانيين السبعة لانها لا توجد في اليونانية فكتب « يسُوا » ܝܣܘܐ

وكتب ايضاً في صفحة ٢٢٣ : برنياس ܒܪܢܝܐܣ ، وفي صفحة ٢٢٧ : برناوس ܒܪܢܐܒܐܣ بدلاً من برنابا حسب الاصطلاح السرياني والعربي .

وفي صفحة ٢٣١ كتب هرقليس ܗܪܩܠܝܣ بالياء والين بدلاً من هرقل بالعربية ، او هركولوس *Herculus* باللاتينية .

وفي الصفحة ذاتها ورد اسم « عفقلاداريون » اله الحرب ܥܦܩܠܐܕܐܪܝܘܢ وهو اسم مركب من كلمتي ܥܦ ܩܠܐ اللتين لم ندرك اصلهما ومن دال الاضافة و ومن اسم « اريون » اله الحرب عند اليونانيين . انما جاء به بصيغة المفعول به كما وجده في الاصل اليوناني .

ونختم بياننا بلم شهر اذار الذي يورده مارديوس ܡܪܕܝܘܣ نقلاً عن اليونانيـة ΜΑΡΤΙΟΣ . فـانك تقرأ في صفحة ٢٤١ : « وكان اول يوم بدو بالعمل الثاني عشر من شهر مارديوس الـذي هو برمهات » . وهو من الغرابة بمكان ويدل على جهل مطبق ، مع ان لهذا الشهر في السريانية والعربية اسماً شهيراً خفيف اللفظ ܐܕܪ ادار .

ونأمل ان نكون قد وفينا هذا الموضوع ادلةً وشواهد . وحق لنـا ان ننتقل الى ما هو اهم منه ، وهو الاستدلال من نصّ الميمر على جمهور السامعين وعلى المكان الذي القي فيه هذا الميمر فنعرف منه ايضاً الواعظ ، ونستدرج من ذلك الى معرفة اسم المؤلف .

١٣ — الجمهور والمكان

تدلنا نصوص الميمر اولاً على انه قد أُلقي على جمهور مسيحي فلسطيني عائش بين ثلاثة عناصر يهودية واريوسية ووثنية ، وان العنصرين الاول والثاني قويان .

وتصرّح لنا ثانياً انه قد أُلقي في كنيسة القيامة ، يوم الاحتفـال بارتفاع الصليب ، قبل البدء بهذه الحفلة .

١ — العنصر اليهودي

جاء في مستهلّ عظات القديس كيرلس ما حرفيته[1] : « ان قصـدي هو تسليحكم ضد العدو اي الهراطقة واليهود والسامريين والخوارج (اي الوثنيين) » الى هذا الغرض يرمي ايضاً صاحب الميمر . فحملاته الشديدة على اليهود ، وكثرة كلامه عنهم والاستشهاد ضدهم باقوال انبيائهم ونصوص كتابهم ، وتفسيرهـا لمصلحة النصرانية ، اي لاثبات الوهية المسيح وصحة رسالته ؛ واشاراته العديدة الى عاداتهم واخلاقهم وخيانتهم ، لدليل لا يسع المنصف اهماله ، على وجود عنصرهم بين ابناء مذهبه بكثرة يخاف من تأثيرها عليهم ، والوقوف في سبيل جهوده لهداية هذا العنصر .

---

١) راجع معجم فاكان مج ٣ : ع ٢٥٢٨

فقصة اسحق السامري ، المتشبث بعادات اليهود من تطهير الآنية والاستحمام في عين اورشليم والختان وزيارة الاماكن المكرمة عندهم ، واهتدائه اخيراً مع ذويه تستغرق قسماً مهماً من العظة وتشغل الصفحات ١٩٥ – ٢١٠ و٢٥٠ و٢٥١ من الميمر . ثم ان محاولة الواعظ اقناع اليهود والسامريين ، على لسان الانبا باخوس ، ببطلان تقاليدهم وان ما خلقه الله طاهر غير نجس ، دليل على انه وساميه عارفون بهذه التقاليد .

وحكاية اقامة ابن ارملة نائين وابن اكلاوبا ، وشفاء اكلاوبا ذاته ، وشهادته للمسيح وادانته لبني جنسه بأنهم ظلموا المسيح ، تشغل الصفحات ١٩٣ و١٩٤ و٢١٨ – ٢٢٢ ، وتدلّ على اهتمام الواعظ بارشاد اليهود الذين لم يؤمنوا بعد ، والمحافظة على الفئة التي اعتنقت منهم النصرانية .

كذلك قل عن اسهابه في الكلام على اضطهاد اليهود للمسيح ، وقساوة قلوبهم في معاملته ، وصمّ آذانهم عن نصائحه ، وعماهم عن الخوارق التي اجترحها في حياته وبعد موته ، ومحاولتهم حرق صليبه وطمس العجائب التي ظهرت على قبره ، وتهافتهم على ردم قبره بزبالاتهم . وكيف ان الرب عاقبهم بصرامة على ذلك بخراب اورشليم وهيكلها ، وذبح قسم كبير من شعبهم ، وتشتيت البقية واذلالها اينما حلت . الى ان جاء قسطنطين واجبرهم على رفع الردم عن القبر تكفيراً عن ذنب آبائهم . فاشتغلوا به هم وبهائمهم ستة اشهر طويلة . هذه القصة ملأت الصفحات ٢٢٤ – ٢٤٢ من الميمر .

فان جمعنا ما يختص منها باليهود اصبحت اثنتين واربعين من الثلاث والستين التي يتألف منها الميمر . ويمكننا القول ان كلام الواعظ عن اليهود يستغرق تقريباً الميمر كله ، فهو لا يفتر عن ذكرهم او تقريعهم .

زد على ذلك استشهاده بالنصوص الواردة في التوراة عن ألوهية المسيح ورسالته . فهو ابن داود بالجسد (صفحة ١٨٧) وملك اليهود (ص ١٨٩) . والاله عمنوئيل (ص ٢٤٨) وكبش اسحق الذي هو اله بالحقيقة (ص ٢٤٩) والكاهن والقربان (ص ٢٥٠) والخروف بلا عيب الذي امر الرب موسى بأن يذبحه (ص ٢١٣) . اما صليبه فهو الحية النحاسية (ص ١٩٨) وسفينة نوح

(ص ١٩٩) . وعيد ارتفاع الصليب يدوم عـدة ايام كالمنصرة عنـد اليهود (٢١٥ و٢١٧) . وقد ذُبح المسيح في الرابع عشر من الهلال ودمه ملطّخ على حجر الجلجلة مميزة وتوبيخاً لليهود والغير المؤمنين بالله. اما نحن معشر النصارى فقد اخذناه ولطخنا به عتبات بيوتنا اي افواهنا وشفاهنا! كما فعل بنو اسرائيل ليلة خروجهم من مصر فقد لطخوا به عتبات بيوتهم لينجوا من الملاك المفسد) (ص ٢١٣ و٢١٤)

ناهيك عن تقريعه لليهود : فهم آلة الشيطان ينطق بها (ص ٢٢٥). وهو يعني بهم الامم التي غضبت لما ملك الرب (ص ١٨٧) الذي هو المسيح المنتظر جاء ليخلص سبينا (١٩١). وغير ذلك مما ستقرأه في الميمر مفصّلاً.

٢ — العنصر الاريوسي

قبل ان يختم القديس كيرلس ميمره نراه يحذّر المؤمنين من اتباع اريوس كعنصر كثير الخطر على صحة العقيدة . فيحمل عليهم حملة شعواء ، ويـدلّ عليهم ، دون ان يسميهم ، دلالة صريحة بقوله « الهراطقة الـذين ينكرون الوهية المسيح » . وكلمة « هراطقة » مرادفة لديه لكلمة « اريوسيين » ممـا يدلّ على ان بدعتي النسطورية واليعقوبية لم تظهرا بعد . ولا يخفى ان الاريوسية كان لها الشأن الاكبر طيلة القرن الرابع ، وفي اوائل الخامس قام ضدها النساطرة فضلاً عن الكاثوليك ، فما عتمت ان فقدت اهميتها ، ان لم نقـل انطفأت ، في اواسط القرن الخامس المذكور. مما نستدل به على صحة نسبة الميمر الى القديس كيرلس ، الذي نفي مرتين من ابرشيته بسعي الاريوسيين ، وكان اكبر مناضل ضدهم ، كما شهد آباء المجمع القسطنطيني الاول سنة ٣٨٢

ففي صفحة ٢٤٩ يحذر القديس ابناء رعيته من مظاهر الاريوسيين الخادعة ، ويشبههم بذلك الوحش الميتولوجي ، الذي يظهر حملاً بقدمه وثوراً بمؤخره ، مع انه في الحقيقة فهد هائل يأكل لب الاشجـار العوالي ، انما نجس في قلبـه وجسده » . وهم متقلبون لا يثبتون على فكرة ومتنـاقضون في خطتهم . ينكرون من جهة الوهية المسيح « ويجعلونـه انساناً لا غير » وهم مع ذلـك

يعبدونه . فعبادتهم له تثبت انه اله او انهم وثنيون . اما آراؤهم فضيفة « كقش الشيح الذي ينكسر تحت يد من يرتكز عليه » ويتدرج من ذلك الى تحذير سامعيه منهم بقوله : « لا تذكروا يا احبائي كلام المراطقة ولا تدخلوا كنائسهم وتصلوا فيها ، لان ليس لهم كنائس . ولنعترف بلساننا وقلبنا ان عمنوئيل اله حقيقي . »

كل هذا ينطبق على الاريوسيين ، الذين استجلبوا قسطنطين الى رأيهم فاعتمد منهم في آخر حياته[1] ، وتسيطروا على ابنه قسطنس ، فنفى القديس كيرلس مع لفيف كبير من الاساقفة المضادين لبدعتهم ، وعادوا فاستصدروا من والنتيوس امراً باعادته واعادتهم الى المنفى . وقوله « ليس لهم كنائس » يوافق ايضاً ما نعرفه عنهم . فقد كانت خطتهم ان لا يتميزوا بطقوسهم وعاداتهم ومعابدهم عن بقية المؤمنين ليسهل عليهم الانسلال بينهم . وكانوا ، اذا تغلبوا في مدينة ، او استولوا على ابرشية ، مارسوا في الكنائس التي وقعت بين ايديهم الطقوس الدارجة فيها ، واكتفوا ببث بدعتهم في العظات والمياصر التي يلقونها على الشعب المجتمع[2] .

وما تقدم يخوّلنا الحق بان نرجح ان القديس كيرلس يقصد اقحام الاريوسيين بقوله في صفحة ١٩٢ عن المسيح : « انه لبس السلاح الذي حارب به ذلك الخارجي اعني هذا الجسد الذي اتحد به مع اللاهوت » ، وتلقيبه السيد له المجد في صفحة ١٩٣ « بالاله المتجسد » . ولعله يقصدهم ايضاً بقوله في صفحة ٢٢٣ : « ان الدم الملطخ على حجر الجلجلة معيرة وتوبيخ لليهود « وللغير المؤمنين بالله » ، اي الذين لا يؤمنون بالوهية المسيح .

٣ — العنصر الوثني

نجد في الميمر نصوصاً تشير الى عنصر وثني لم ينقرض بعد ، يحذر الواعظ سامعيه من الاقتداء باتباعه .

ففي صفحة ٢٤٨ ، قبل ان يحمل على الاريوسيين حملته المذكورة آنفاً ، يناشد

---

١) كابرول مج ٣ : ع ٢٦٢٢ ٢) كابرول مج ١ : ع ٤ ٢٨

سامعيه بان لا يفتكروا بالهة الوثنيين قائلًا : « لا نعبد الصليب المقدس بتوانٍ ولا نعبد المسيح بلساننا لا غير ونباركه بافواهنا ونفكر في قلوبنا بكثرة الالهة التي للوثنيين » وهنا يضرب لهم مثل الوحش الميثولوجي ، وهو كما لا يخفى من خرافات الوثنيين.

وحملته الشديدة في صفحتي ٢٢٦ و٢٢٧ على يوليانس الجاحد ، الذي جاهد باعادة الوثنية الى عزّها الاول على حساب النصرانية ، وتنسيقها على نظامها ، لا تخلو من دلالة على خوف الاسقف من سيطرتها على رعاياه ، ولو بطريق الاغراء واطلاق الحرية للشهوات الجسدية.

كذلك قل في برهانه عن ألوهية المسيح : انه انزل العقاب في اعدائه الامبراطرة ديوقلسيانس ومكسيميانس ويوليانس ، ومنح النصر والعز لقسطنطين محبه ورافع لواء صليبه .

ومن دلائل خوف الواعظ من الوثنية تحذير سامعيه من الاقتداء باعيادها وحفلاتها ، التي كانت تحمل الشعب على الاسترسال في ملاذّ الشره والدعارة ، بقوله في صفحة ٢١٦ عن عيد ارتفاع الصليب الذي اصبح ، في القرون الرابع والخامس والسادس ، من ابهج الاعياد المسيحية[1] « هذا الزمان الذي نفرح فيه يا احباني كما امر الرب . وليس ذلك بكثرة مأكول ولا بكثرة مشروب ولا بكثرة غناء بل بكثرة تسابيح ومزامير نرتل له ونشكره لانه الاهنا ونحن شعبه وغنم رعيته . »

٤ ــ فلسطيني

كل هذا يوصلنا الى معرفة جنسية الجمهور الذي خطب فيه صاحب الميمر انه ، كما قلنا ، مسيحي فلسطيني مخاط بعناصر يهودية واريوسية ووثنية . وهو يوافق ما نعرفه عن مسيحيي فلسطين في اواسط واواخر القرن الرابع.

تنبئنا نصوص الميمر ان الواعظ فلسطيني وان سامعيه من مسيحيي اورشليم ، بينهم عدد كبير من الحجاج الآتين من المقاطعات المجاورة ، وبعض

---

١) راجع فنسان وآيل : اورشليم ٢ : ٢٠٤ ؛ ورحلة اثيريا ٨ : ١ و٢

الاجانب الذين جاؤوا من الاقطار القريبة ، لحضور حفلات ارتفاع الصليب « الهوزيس » الباهرة . والواعظ متشبع من التقاليد المحلية عن معاصري السيد المسيح ووجوه قرابتهم منه ، ويعرف الاماكن المقدسة معرفة تامة ، ليس في اورشليم فحسب ، بل في كل فلسطين ، ويلمّ هو وسامعوه الماماً دقيقاً بعادات اليهود والسامريين ومعتقداتهم التلمودية من تطهير الآنية والاثار والاستحمام ، وغير ذلك مما المعنا اليه اعلاه .

وتكفي حكاية اسحق السامري للتثبت من تضلّعه من جغرافية فلسطين . فهو يتتبع رحلة حجاج يافا القاصدين الى اورشليم ، ونزولهم في مساء اول يوم على « جبّ في حقل يندوم على حدود مدينة فلسطين » (صفحة ٢٠٧) . حيث حوّل الانبا واكس الماء المر حلواً بقوة صليب من عود رماه في قعره فلمع كالمصباح . فبنى المجاورون كنيسة للصليب كرسها الانبا كيرلس بنفسه (صفحة ٢٠٨) . وقد لحق اسحاق السامري بالحجاج ليأمن بصحبتهم على آنيته الكثيرة الثمينة ، لئلا يخطفها اللصوص اذا خرج بها وحده مع جماعته . فانتهز الفرصة وحملها بكاملها ليطهرها في العين التي بنى عليها يشوع بن نون مذبحاً لما قسم الارض على بني اسرائيل ، لان من غسل آنيته بهذه العين لا يعود بحاجة الى تطهيرها مرة اخرى (صفحة ١٩٥)

والواعظ يعرف جيداً الاماكن المقدسة : القبر والجلجلة واسماءها القديمة في العبرية واليونانية ، وحالتها قبل العثور عليها وبناء الكنائس عليها[1] ، وهيئة القبور القديمة ، ومغارة القبر ، والعجائب التي ظهرت عليه والتي حملت اليهود على ردمه . وما كانت عليه اورشليم بعد خرابها ، وقبل اكتشاف القبر ، وعدد اليهود في جوارها واسماء علمائهم السبعة ، وسلسلة اساقفة اورشليم قبل القديس كيرلس ، ومن كان منهم من غير اليهود . وقد صرّح ان هذه التقاليد ينقلها عن الآباء الذين سلفوه وان جزءاً منها حدّث به نيقوديموس ويوسف الرامي وبرنابا العبرانيين . ناهيك عن اشارته الى حفلات ارتفاع الصليب الفخمة ،

---

١) معجم اللاهوت لنجان في ترجمة القديس كيرلس ٣ : ع ٢٥٢٧

التي كانت تجري سنوياً في اورشليم ، والى تقاطر المؤمنين اليها من كل صوب، وهي قد فاقت حفلات تدشين الكنيسة اهمية ، انما لم تمحها بعد . كل ذلك يطابق عصر القديس كيرلس ، خاصة الحقبة الاخيرة منه ، التي أُلقي فيها الميمر ، كما سنبيّنه.

٥ ـ المكان

ونصوص الميمر وعنوانه تصرح انهُ أُلقي في عيد ارتفاع الصليب ، قبل الحفلة ، في كنيسة القيامة بجانب القبر المقدس.

ففي عنوان النسخة الحلبية ما حرفيته :

« نقرأ ميمر القديس كيريللوس رئيس اساقفة اورشليم قاله لعيد الصليب النير المقدس ... في كنيسة القيامة في ١٧ من شهر ايلول . وكان شعب الارثوذكسيين مجتمعين ليمجدوا الصليب المقدس »

وفي صفحة ١٨٧ من مخطوطة بكركي يشير الخطيب في مستهلّ عظته الى الجموع المزدحمة في كنيسة القيامة : « هوذا نرى الآن علوم كثيرة تتفاضل عن بعضها في هذا المكان الطوباني » . وفي صفحة ١٨٨ يقول « وهذا المجمع الذي اجتمع في هذا الموضع من كل كورة لكي يعاينوا مجده ويقبلوه اعني الصليب المخلص يسوع المسيح »

وفي صفحة ٢٠٥ يقول الواعظ ان الانبا واكس اشار على اسحق السامري بالذهاب الى كنيسة القيامة في اورشليم ، حيث يجد الجموع محتشدة والاب كيرلس : « لكن اذا اردت ان تكون كامل توم وامضي الى اورشليم واسأل عن كنيسة القيامة . فادخل اليها فانك تجد الاب كيرللوس هو هناك وجموع كثير من المؤمنين الذين اتو من كل كورة ليعبدوا الصليب المقدس لانه يوم ظهوره . وانت اذا مضيت اليه هو يعرّفك طريق الخلاص وتعاين قوة المسيح وصليبه » .

وفي صفحة ٢٠٨ يتابع القديس قصة السامري ويشير الى ازدحام الحاضرين وظهورهم بثياب العيد بقوله : « لما دخل اسحاق الى يورشليم سأل عن مسكنتي

انا كيرللوس فعرّفه شماس اني في كنيسة الصليب اصنع العيد ... فجاء فرأى مجدًا عظيماً وجميع الناس حاضرين بلباس حسن.»

وفي صفحة ٢١٤ يشير الواعظ الى قبر المسيح في كنيسة القيامة سائلًا: «اين وضعوا جسد المسيح . هوذا هو [كان] موضوع في قبره في هذه الكنيسة التي نحن نعيد فيها اليوم.»

وفي صفحة ٢٤٨ يشير ايضاً الى الكنيسة نفسها وحفلة ارتفاع الصليب التي تقام فيها ، واحتشاد الجموع لحضورها وحضور حفلتي العماد والمناولة اللتين كانتا تسبقان حفلة ارتفاع الصليب قائلًا: «والآن فلنكفّ ها هنا من القول ولنقرب الى الاهتمام بالمعمودية المقدسة والقربان في دفعة واحدة . لان الوقت (المعين لحفلة ارتفاع الصليب) قد اقترب . وايضاً من اجل تعب الذين اتوا الينا اليوم الى هذا الموضع المقدس ليمجدوا الاله عمنوايل يسوع المسيح وصليبه المقدس المخلص للذين يؤمنون به.»

كل هذه الشواهد تنطق صريحاً بان الميمر قد أُلقي في كنيسة القيامة باورشليم قبيل حفلة ارتفاع الصليب . فهل يعقل ان يُلفق ويُنسب زورًا الى القديس كيرلس الاورشليمي ؟ وما هي غاية المزوّر والملفق ؟ . لننظر في ذلك بعين الانصاف والنقد المجردة عن الهوى والكبرياء الفارغة.

١٤ — المؤلف

اذا رمنا الوصول الى معرفة مؤلف هذا الميمر علينا ان نسأل نصوصه عن جنسيّة صاحبه ومذهبه وأسلوبه وافكاره ، فنتدرّج من ذلك الى فحص نظام الميمر والعصر الذي وُضع فيه وتصريحاته بشأن صاحبه.

١ً — جنسيته

اولًا : هل هو قبطي ؟

ان ترجمة هذا الميمر في القطر المصري والعثور عليه ضمن مجموعة وُضعت في هذا القطر واتصلت من رهبان الاقباط الى موارنة لبنان ، واحتفاظ الاقباط بميامر أُخر موضوعة على ظهور الصليب ومنسوبة ايضاً الى القديس كيرلس

الاورشليمي ، تزيد الشك في ميمرنا انه مُلفق مثلها من احد اقباط العصور الوسطى ، ومنسوب زورًا مثلها الى هذا القديس .

وكنا قد استشرنا في الامر حضرة المستشرق الاب القانوني جورج گراف الالماني ، من اكبر الواقفين على تآليف الكنيسة القبطية ، فدلنا على ثلاثة ميامر بهذا الموضوع ، احدها محفوظ في مكتبة البطركخانة القبطيَّة بالقاهرة تحت رقم ٧٠ صفحة ١– ٢٤ . وهو مخروم ومنسوخ سنة ١٥٨١ م اي ان نسخته احدث عهدًا من نسختي ميمرنا المرتقيتين كما مر بك ، الى سنة ١٥٥٧ و١٥٥٨ . والآخران مصونان في المتحف القبطي بهذه العاصمة تحت رقم ٣٠ من مجموعة الكتب الطقسيَّة ، فكلفنا حضرة صديقنا الاب العالم بولس سباط استنساخهما فلبَّانا . انما لم يفلح في الحصول على نسخة من الميمر الاول . وسألنا ايضاً بهذا الخصوص الاب بيترس البلجكي اليسوعي ، احد مشاهير المشتغلين بتآليف الآباء القديسين وتراجمهم ، فدلنا على ميمر في خزانة مدينة ليسيك الخطية بالمانية محفوظ تحت رقم ٢٤٢ وتكرم الاب گراف بنسخ الفقرة الاولى منه . فاذا هي :

« ميمر قاله القديس كيرلس . . . يشرح فيه كرامة عود الصليب المقدس ووجوده . في اليوم العاشر من برمهات . قال المجد لله الواحد ذي الحكمة والصنيع العجيب . الجايد علينا بتجسد الابن الحبيب »

ونبهنا حضرته الى ان هذا الميمر ملفق ومنسوب زورًا الى القديس كيرلس الاورشليمي . وقد وجدناه مطابقاً للميمر الثاني من المتحف القبطي ، ويدور مثله على ظهور الصليب على يد هرقل الملك سنة ٦٢٩ ، اي ثلاثة قرون بعد القديس كيرلس . وهو اقرب الى الرواية منه الى العظة ، اذ ان بطلته فتاة قبطية حسناء سباها الفرس ، فدلت الملك هرقل بعد انتصاره عليهم ، على المكان الذي خبأوا فيه الصليب . وهو غير موضوع ميمرنا فلا حاجة للاسهاب فيه .

اما الميمر الاول من خزانة المتحف القبطي فموضوعه ، مثل ميمرنا « ظهور الصليب على يد البار قسطنطين وامه هيلانة » . بيد انه حديث العهد مسجع العبارة وُضع ليقرأ في السابع عشر من شهر توت . واليك اوله :

« المجد لله الذي خلقنا نحن المؤمنين باشرف المواهب السنية وانعم علينا بجوده وكرمه بأعظم العطايا الالهية . وجعل لنا موضعاً على الارض شبيهاً بالاماكن السمائية . . . »

تكفي هذه الديباجة للتثبت من حداثته . وهو في مقدمته ، التي تشغل الصفحات التسع الاولى منه ، مختلف عن ميمرنا اختلافاً كبيراً . وقد سقطت منه قصص اسحق السامري واكلاوبا وبنت يائيروس وغيرها . بيد انه ، في الصفحات العشرين الباقية يتفق مع الاساطير السريانيَّة ، واحياناً مع ميمرنا ، مما يبعث على الظن انه منقول عنها وان واضعه انتقى بعض التفاصيل من ميمرنا . فهو يروي حكاية ردم اليهود للقبر بزبالاتهم مدة مئتين وثلاثين سنة ، كأنهم تابعوا الردم بعد خرابها سنة ٧٠ م . وهذا يخالف ميمرنا كما رأيت . انما يوافقه في ما رواه عن رؤيا قسطنطين لعلامة الصليب بهيئة نجوم زاهرة ، وانه عرف من يوسيفوس الجندي الشيخ الموقر (وهو في ميمرنا شاب يُدعى يوسيكينوس) انها للمسيح ، فصاغ صليباً من ذهب رفعه على علم ونقش مثله على تاجه وعلى آلة الحرب فظفر باعدائه ، الذين لا يسميهم قال : « وأشرقت بشعاعه الدولة اليونانيَّة » ، واعتمد في السنة السابعة من ملكه من يد سيبطرس بابا رومية[1] . وقصد الى القدس مع والدته هيلانة وسأل اليهود عن مكان الصليب ، فانكروا في بدء الامر ثم حولوه على يهوذا الذي دله على تل الجلجلة . فامر اليهود بتنظيفه (هنا ورقة مخرومة كما في نسخة حلب) فكشفوا عنه في السادس عشر من توت . وعُرفت حقيقته من وضعه على الميت ، مما يخالف ميمرنا . ثم تنيح الانبا يوساب اسقف اورشليم (لعله « يوسف » ميمرنا) وكرّز بعده يهوذا ودعي كيرياكوس (وهذا يخالف ايضاً ميمرنا ويوافق الاساطير السريانيَّة) . وبعد ذلك اجتهدت الملكة في طلب المسامير فاكتشفها الانبا كيرياكوس وصاغتها لجاماً لركوب ابنها ، كما في الاساطير السريانيَّة . فانت ترى ان واضع الميمر القبطي قد اخذ كثيراً عن هذه الاساطير وبعض الشيء عن ميمرنا ، وانفرد ببعض المعلومات ، مما يدل على انه استقى من هذا وتلك ومن غيرها .

ولا بد انك قد استغربت قوله عن « اشراق الدولة اليونانيَّة بشعاع

---

١) لعله يريد القديس ميلشيادس الاول الذي جلس على كرسي رومية في عهد قسطنطين اي من سنة ٣١٤ حتى ٣٣٥ ، مخالفاً بذلك الاساطير السريانية التي تدعي ان البابا اوسايوس اسقف رومية (٣١٠–٣١٤) هو الذي عمّده .

قسطنطين » ، والاقباط كانوا يكرهون اليونان كرهاً عظيماً . وقد استسلموا للباقية ديناً ، وللعرب دنيا ، ليتخلصوا من استبداد رؤسائهم وامبراطرتهم .

وفي هذا الميمر يرد اسم اورشليم بصيغته اليونانيَّة « يورشليم » فهل هذه دلائل نقل اصله عن اليونانيَّة ، ونقله رأساً بعض التفاصيل عن ميمرنا ، والبقية عن الاساطير السريانية ، فيكون احدث عهداً من ترجمة ميمرنا عن السريانية ! نحن نرجح ذلك ، انما لا نعني به ان مؤلف ميمرنا قبطي الاصل .

اولاً : لانه مترجم كما قلنا عن السريانية ، ولا معرفة للاقباط بهذه اللغة .

ثانياً : اذا كان مترجمه سريانياً فمؤلفه غير يعقوبي اي غير سرياني وغير قبطي . لان ليس فيه ما يشتم منه رائحة البدعة اليعقوبية ، كما سنبيّنه في ما يلي .

ثالثاً : يشير الميمر في صفحة ٢١٥ الى نمو الزرع بواسطة مطر السماء . مما يدل على انه وُضع في بلد تعتمد على مطر السماء . وهو غير الحال في وادي النيل حيث يروى الزرع بماء النيل ، ولا مطر يهطل الا نادراً . واليك العبارة : « كمثل انسان حكيم يمضي الى حقله وينقي منه السنط[1] والشوك الذي يطلع فيه . وبعد ذلك يزرع فيه الزرع بيد سمحة ويحرثه بالمحراث وينظر الى زمان الشتاء ليأتي المطر عليهم ويطلعوا وينموا ويعودوا زرعاً صالحاً من اجل الريح الندى الذي نزل من السماء من عند الله » .

ثانياً : هل يوناني ؟

سنبين في ما يلي ان الميمر قد وُضع في بلاد مسيحيَّة يحكمها ملوك مسيحيون . فيجب ان نؤخر وضعه الى ما قبل الفتح الاسلامي للبلدان الشرقيَّة ، وهذا يفتح باباً للسؤال هل مؤلفه احد يوناني العصور الوسطى . لاسيما ان الدلائل عديدة كما قلنا على اصله اليوناني . فنجيب ان ذلك لا ينطبق على يوناني القطر المصري لان حكمهم حكم الاقباط في خضوعهم للاسلام بعد الفتح . بقي علينا ان نعرف هل هو تأليف احد يوناني الدولة البيزنطية التي لم تسقط في ايدي الاتراك الا اواسط القرن الخامس عشر .

---

(١) قلنا سابقاً ان استعمال المترجم لهذه الكلمة يدل على ترجمة الميمر في القطر المصري ، لا على تأليفه في هذا القطر .

لهذا الاعتراض بعض الوجاهة ، انما ليس لمقدّميه برهان عليه . ولا ينطبق على الجمهور الذي كان حاضراً سماع الميمر ، وهو ، كما بيّنا ، مسيحي فلسطيني محاط بعناصر أريوسية ويهودية ووثنيّة . فالاريوسية انطفأت في اواسط القرن الخامس ، وكانت الوثنية قد اندثرت قبلها في البلدان المسيحية ، خاصة القسطنطينية . ولم يكن لليهود في هذه العاصمة ، في العصور الوسطى ، الشأن الذى يشير اليه صاحب الميمر ولا الخطر الذي يخافه من تعاليمهم وتقاليدهم .

فضلاً عن ان الميمر يصرّح ، كما رأيت ، انه تُلي على جمهور مجتمع حول القبر المقدس في كنيسة القيامة باورشليم . وليس فيه ما يؤيد آراء المنشقين من اليونان ، الذين انفصلوا اولاً عن كنيسة رومية بعد القرن التاسع ونهائياً بعد اواسط الحادي عشر . ولو كان لاحدهم لقاوم صراحةً بدعتي النسطورية واليعقوبية . نعم ان صاحب الميمر غير يعقوبي وغير نسطوري ، كما سنبيّنه من اقواله ، انما جاءت تصريحاته في ناسوت المسيح ولاهوته مضادة عرضاً لهؤلاء المبتدعين . فهو لا يقصدهم ولا يشير اليهم البتة ، بخلاف الاريوسيّين . وانك تجد في عظات القديس كيرلس تصريحات واضحة في شأن الطبيعتين والمشيئتين[1] ، مع انها قيلت في سنة ٣٤٨ قبل ظهور اليعاقبة والنساطرة بقرن ونيّف . نلفت النظر الى ذلك لئلا يخيّل الى احد ان الميمر وُضع بعد القرن الخامس .

٢ً — مذهبه

ان واضع الميمر كاثوليكي اي انه غير تابع لاحدى البدع التي نشبت في الكنيسة الشرقية وفصلتها عن الكنيسة العامة : اي الاريوسية ، والنسطورية ، واليعقوبية ، او اليونانية . وقد مر بك انه ليس باريوسي ولا يوناني فلعله نسطوري او يعقوبي .

اولاً : ليس بنسطوري . ان حملته على الاريوسيّين قد تحمل البعض على نسبة الميمر الى احد النساطرة اعدائهم . على ان تصريحه باتحاد لاهوت المسيح مع ناسوته يبدّد هذا الظن . فقد جاء في صفحة ١٩٢—١٩٣ : « هذا الجسد اتحد

١) راجع معجم اللاهوت لفاكان مج ٣ : ع ٢٥٢٦

به مع اللاهوت ... والاله متحد به داخله وخارجه » وفي صفحة ٢١١ « هذا الجسد الذي اخذه من مريم العذرى ولبسه وجعله واحد مع لاهوته » . فضلاً عن انه ذمّ في صفحة ١٩٧ السامريين لادعائهم بان المسيح لم يصلب بل ابدل بنبي آخر وهو ما اخذه النساطرة عن باسيليوس المبتدع[1] ولقنوه نبي الاسلام .

ثانياً : وهو ليس بيعقوبي لانه يسلم ضمناً بطبيعتي المسيح الالهية والانسانية بقوله في صفحة ١٩٢ « ان الملك (اي المسيح) جاء الى عبيده بهوى قلبه ... ولبس السلاح الذي حارب به ذلك الخارجي اعني هذا الجسد الذي اتحد به مع اللاهوت . وذلك الجسد من غير زرعة بشر وعمل الاشياء كلها مثلنا ما خلا الخطيئة . وهو لم يخطئ قط ولم يوجد فيه دغل فسد والاله متحد داخله وخارجه » .

هذه التعاليم جاءت في هذا الميمر عفواً . فصاحبه ليس بنسطوري ولا يعقوبي . انما لا يحارب هؤلاء علناً . ولا يعقل كما قلنا ان يكون واضعه عاش بعد ظهور هاتين البدعتين ويكتفي بمحاربة الاريوسيّين فقط ويعنيهم وحدهم بالمراطقة دون ان يتعرّض للبدعتين اللتين نشأتا لمقاومة ضلال نسطور ، او يدافع عن احداهما ، فنعرف انه من اتباعها .

ثالثاً : مركلوس الانقيري . في الحقبة الاولى من القرن الرابع ظهرت ضلالة مركلوس الانقيري الذي انكر ازلية ملكوت المسيح ، بدعوى ان ملكه ابتدأ فقط حين تجسده . وقد ذهب تلاميذه ، اخصهم فوتينوس ، الى ابعد من هذا ، فانكروا ازلية المسيح في جوهره والوهيته وملكوته . تخبطت النصرانية ردحاً من الزمن في شراك هذه البدعة ، وكاد القديس اثناسيوس الاسكندري يعلق بها لصداقته مع مركلوس المذكور ، فحطه مجمع الاساقفة في صور سنة ٣٣٥ عن كرسيه وحرم صديقه مركلوس . وقد جاهد عبثاً امبراطورا الشرق والغرب في سنتي ٣٤٢ و٣٤٣ للتوفيق بين المبتدع المذكور والرأي الكاثوليكي . ومات مركلوس سنة ٣٧٤ وآل تطرّف تلاميذه الى اضعاف شأنهم وزوال خطر بدعتهم في اواخر القرن الرابع[2] ، وهي الحقبة التي

١) راجع مجموعة مين في تليفه على عظة القديس كيرلس الرابعة رقم ٣٠ ع ٤٦٧

٢) راجع في هذه البدعة معجم ڤاكان ومنجنو : مج ٩ قسم ٢ ع ١٦٦٥

نرجح القاء الميمر فيها.

اوردنا ذلك اولاً لتبيان غرض صاحب الميمر من استهلاله بآية المزامير « ملك الرب » وايراده غيرها من الآيات المثبتة ملكوت المسيح ، ثانياً لنلقي في كفة نسبة الميمر الى القديس كيرلس برهاناً يزيد في ترجيحها. واليك بعضها:

« ملك الرب فلتهلل جميع الامم » (صفحة ١٨٧) . « أترى هو منتظر الى زمان ليملك . اليس الملك كله له والربوبية من الابتداء. كما قال دانيال النبي ان مملكته دائمة الى الابد وربوبيته من البحر الى البحر ومن النهر الى اقصى المسكونة . فان كنت تريد ان تعلم ايها المناصب ان المسيح ملك الملوك فاسمع . . . الخ » (صفحة ١٨٨)

الا تراه يعني مركلوس بلقب « مناصب » وانه يرمي الى الردّ عليه بالآيات المذكورة ؟ ونحن نعلم ان هذه البدعة كادت تنطفئ في اواخر القرن الرابع فلم يعرها صاحب الميمر الا قليلاً من الاهمية . وهذا دليل على ان الميمر ألقي في هذه الحقبة ، اذ لا داعي لتفنيد ما لا يقول به احد.

ولما كان هذا الميمر خالياً من رائحة كل البدع الشرقية ، حقّ لنا ان نسأل الذين يعارضون في نسبته الى القديس كيرلس: ما هي غاية واضعه من هذا التزوير ؟ لو انه دسّ فيه ادنى سم هرطقة ام رأي شاذ ، لادركنا انه اقدم على هذا التزوير ليتسنى له تسميم عقيدة المسيحيين بسهولة دون ان يتخذوا حيطتهم ؛ اذ انه ينسب آراءه الفاسدة الى قديس قديم من اشهر علماء الكنيسة واوسعهم حجة. اما والواقع غير ذلك فما هو غرضه من اخفاء اسمه ؟ او جرّدنا هذا الميمر من ثوبه المستعار وعبارته الركيكة الغريبة ، لالفيناه من أجمل المواعظ التي ورثناها عن الآباء الاولين معنى ومبنى ، وأغزرها فوائد تاريخية وتقاليد ثمينة . فهل حمل فرط التواضع صاحبه على التستر وراء هذا القديس ؟ ولكن ما قول اصحاب هذا الرأي في رجل صالح ساعٍ في طريق الكمال المسيحي يرتكب الكذب والتلفيق والتزوير ، فيسند اقواله الى احد اعاظم معلمي الكنيسة ويصفها على لسانه بصورة المتكلم « انا كيرلس . مسكنتي انا الحقير كيرلس » ، وما شاكل ذلك ! (للبحث صلة)

بغداد عاصمة الادب العباسي*

بقلم فؤاد افرام البستاني
استاذ الآداب العربية في كلية القديس يوسف

تمهيد

لقد اصبح من النافل ان نتبسّط في البرهان على تأثير البيئة في الادب، ودلائلُ هذا التأثير ظاهرة واضحة في الفنون الادبيّة جميعها، بل في ما وراء ذلك من مفردات وتعابير لغوية. حتى اجمع ذوو البحث على ان البيئة تكيّف الفرد بل الشعب، وتسم بسمتها الخاصة كل ما يولده هذا الشعب من آثار متنوّعة المظهر والغاية، فلخّصوا ذلك بالقول المأثور: «الانسان ابن بيئته!»

وما كان الشعب العربي ليشذّ عن هذا الناموس، وما كان الادب العربي ليبقى بمعزل عن هذا التأثير. ونحن لا نفهم الشعر الجاهلي حقّ الفهم، بل لا ندرك معاني التعابير العربية نفسها، الا اذا عرفنا حياة العرب في تلك الصحراء القاحلة، الحارّة، القليلة المطر؛ فنفقه اذ ذاك لماذا يدعو العرب بالشرّ فيقولون: اسخن الله عينك! ويدعون بالخير فيقولون: سقاك الله! رعاك الله! واقرّ الله عينك! ثم يغدقون الرحمات على قبور موتاهم فيتمنّون الرطوبة لثراها ويبكون عليها «الغوادي الرائحات»! وهم، لو عاشوا في بلاد غزيرة المياه، شديدة البرد، لعكسوا تعابيرهم دون شك، فتمنوا الجفاف لقبور موتاهم، والدفء والحرارة لاحبابهم![1]

هذا مثال ضئيل على تأثيرات البيئة الجغرافيـة المادية. فكيف بها، لو

*) مادة المحاضرتين الاولَيين من محاضرات «معهد الآداب الشرقية»، في فرع «الفلسفة والآداب السامية».

1) راجع في ذلك ما كتبناه في «المشرق» (٣٠ [١٩٣٢]: ٢٠٥-٢٠٦)

اقترنت بتلك البيئة عوامل خُلقية شتى ، ومظاهر ثقافيـة متعدّدة ؛ كما كانت الحال في بغداد العباسيين ، في القرنين الاول والثاني لتأسيسها ؟

هو مجال رحب سنحاول جوسه شيئاً فشيئاً مستندين بالاكثر الى ما تركه لنا القدماء من معلومات واحاديث واساطير ايضاً ، اذ ان للاساطير قيمتها ، لا في معرفة تاريخية الامر الدائرة حوله ، بل في الدلالة على عقلية واضعيها وناقليها. فندرس اولاً تأسيس بغداد وازدهارها ، ثم تمازج العناصر البشرية فيها ، وما كان لها من اثر في تكوين ذاك الادب العباسي . ونزيد بالادب العباسي مجمل المولّدات العقلية المطبوعة بطابع تلك الثقافة الخاصة بالقرنين الاولين من حكم العباسيين ، قبل ان تتشعّب السلطة ، فتتعدّد عواصم المدنية والادب.

١

تأسيس بغداد وازدهارها

اسم بغداد

لمؤلفي العرب آراء عديدة وتخريجات متنوّعة في شرح هذه اللفظة ، شأنهم تجاه كل لفظة غريبة عن لغتهم. وقد جمع ياقوت[1] اكثر هذه الآراء . واشهرها ما نُقل عن بعض الاعاجم من ان معنى بغداد : بستان رجل اسمه داد ، من الفارسية باغ او بغ = بستان ، وداد او داذ = اسم الرجل.

وقال غيرهم: بل بغ = اسم صنم ، وداد = عطية . وأصل ذلك ان كسرى كان قد اقطع احد خصيانه هذا المحل فقال : بغ دادي ، اي : الصنم اعطاني .

وقد نقل ابن الجوزي[2] قول عبد الله بن المبارك في بغداد : « ان بغ شيطان ،

---

١) ياقوت : معجم البلدان (طبعة Wüstenfeld) ، ليبسيك ١٨٦٦ ، ١ : ٦١٧ – ٦٧١

٢) ابن الجوزي : مناقب بغداد (طبعة الاثري) ، بغداد ١٣٤٢ (١٩٢٣) ، ص ٦

وداذ عطيته ، فانها يشرك » . . .

واراد حمزة بن الحسن ان يشرح ، لا اصل اسم « بغداد » فحسب بل اصل معنى « دار السلام » ايضاً فقال ، في ما نقل ياقوت : « بغداد اسم فارسي معرّب عن باغ داذويه ، لانّ بعضَ رُقعةِ مدينة المنصور كان باغاً (= بستاناً) لرجل من الفرس اسمه داذويه . وبعضها اثر مدينةٍ دارسة كان بعض ملوك الفرس اختطّها فاعتلّ . فقالوا : ما الذي يأمر الملك ان تُسمّى به هذه المدينة ؟ فقال : « هِليدوه وروز » اي : خلّوها بسلام . فحكي ذلك للمنصور فقال : سمّيتُها « مدينة السلام » . (كذا !)

ولهم كذلك اختلاف في لفظها . فهي بغداد ، وبغداذ ، وبغدان ، ومغداد ، ومغداذ ، ومغدان[1] .

وزاهم في تعليلاتهم هذه لا يتجاوزون اللغة الفارسية .

على اننا نجد ذكرًا قديماً لبغداد في الآثار المسمارية حيث ورد اسمها بصيغة بَغْدَدو او بَكْدَدو على حجرٍ يرقى الى عهد الملك البابلي مردخ بلدان الاول (١١٩٤–١١٨٢ ق. م.)[2] . ولكن ستريك[3] يضعّف هذا الرأي ، ويرى ان الفرضية لا تظهر قابلة للاحتمال بحجة ان قراءة لفظة بَكْدَدو غير ثابتة ، وانه ليس من الممكن ان نرقى باسم ايراني الاصل الى زمن بعيد في القدم هذا البعد . اما قراءة لفظة بَكْدَدو فعليها كثير من العلماء ، وقد اوردها مؤخرًا اصحاب

---

١) اطلب في اسماء بغداد وشرحها الخطيب البغدادي في : G. Salmon, *L'introduction topographique à l'histoire de Bagdâdh d'al-Khatîb*, Paris, 1904, p. 23-24

وسلمون يشير في احدى حواشي الصفحة ٢٤ الى رأي ارطيخيوس (Eutychius, *Annales* éd. Pocock, II, p. 399) القائل ان بغداد اسم راهب كان يسكن الدير القائم مكان مدينة المنصور حين قصد الخليفة بناءها . وهو غريب .

واطلب ايضاً في اسماء بغداد ملاحظات دي غويه في المجلة الاسيوية *J. As.* série X, t. 3 1904, p. 159

٢) اطلب في ذلك : Scheil, *Mém. Délég. en Perse*, VI, 1905, p. 31 ss.

٣) Streck, *Baghdâd* [*Encycl. de l'Islam*, I, 575]

« الدليل الازرق » ايرادهم لامر ثابت[1] . واما كون اصل لفظة بغداد ايرانياً — وستريك يؤكد ذلك تأكيد قدماء مؤلفي العرب ويشرحه بمعنى «عطية الله »[2] — فهو ما نشك فيه ، وقد عرفنا قِدَم اللفظة ، وقِدَم المدينة نفسها بشهادة ما وجد فيها بعض العلماء من آثار الرصيف الآجري الراقي الى عهد بختنصر الثاني (٦٠٤—٥٦١) . فان راولنصون في السنة ١٨٤٨ ، وأوبرت في السنة ١٨٥٣ ، وبونيون وهارپر في السنة ١٨٨٩ وجدوا في بغداد ، على رصيف الشاطئ الغربي من دجلة ، قطعاً من الآجر محفوراً فيها اسم بختنصر الثاني[3] . ولا يزال ظاهراً قسم من هذا الرصيف الكلداني حتى ايامنا هذه ، على قول ستريك ، واصحاب « الدليل الازرق » ، وماسينيون الذي ذكر موقع تلك الآثار في محلّة خضر الياس في الكرخ[4] .

افلا يكون اسم بغداد سابقاً للعهد الفارسي ؟ وهل من غرابة في ان يكون آرامي الاصل ، وهو اسم محلة في بقعة نزلها الآراميون منذ القدم بشهادة اسماء عدة اماكن في جوار بغداد كالكرخ والشماسية وغيرهما ؟ أوَ نكون على خطأ اذا قلنا ان لفظة « بغداد » اصلها بيت گداد ܒܝܬ ܓܕܕ الآرامية ومعناها « بيت القطيع » او « الحظيرة »[5] ، فاكتفي بالباء من «بيت»[6]

---

١) اطلب « *Syrie — Palestine — Iraq — Transjordanie.* [« *Les Guides bleus* » *sous la direction de* Marcel Monmarché] Hachette, Paris, 1932, p. 480

٢) راجع ايضاً — Streck, *loc. cit.*, p. 574-575 — G. Le Strange, *Baghdad during the Abbasid Caliphate*, Oxford, 1900, p. 11

٣) يشير ستريك الى كل هذا ذاكراً مصادر منها :

H. Rawlinson, *Baghdad* [*Encyclop. Britannica*, II, 234. a].

J. Oppert, *Expédit. scientif.*, I, 92

٤) L. Massignon, *Mission en Mésopotamie* 1907-1908, t. II. *Epigraphie et topographie historique* [*Mémoires de l'Inst. français d'arch. orientale du Caire*, XXXI], 1912, p. 91, note 3

٥) كما يستعملها ابن جلول (طبعة Rubens Duval) عمود ٤٤٦

٦) وهي ظاهرة لغوية معروفة واسعة الانتشار ، ولاسيما في لبنان في القرى الآرامية

واصبحت اللفظة بكداد او بغداد . ثم فُرّست بتنقيط الذال الاخيرة فغدت بغداذ ، واخذ اللغويون من ثمّ في شرحها عن طريق الفارسية.

واذاً فقد يكون من الممكن ، بدل ان نشكّ في قدم ذكر بغداد بحجة اسمها الايراني ، ان نشك في ايرانية هذا الاسم بدليل قِدَمه ...

قدم بغداد

ومهما يكن من امر فلا شك في قِدَم محلة بغداد ، وفي وجودها قبل ان يفكر المنصور ببناء مدينته ، بل قبل ان يصل المسلمون الى ارض العراق . وقد ذكر ستريك ان التلمود يشير اليها مرتين على كونها سابقة لهذا العصر[1] . وذكر مؤرخو العرب انها كانت سوقاً جامعة يقصدها تجار العراق وفارس وسائر البلاد المجاورة ، بل تجار الصين انفسهم ، على قول ياقوت[2] ، وهي هذه السوق التي اغار عليها المثنى بن حارثة الشيباني ، القائد المسلم ، ابان عقدها ، فنهبها ، في اول الفتوح الاسلامية السنة ١٣ للهجرة (٦٣٤ م) كما يروي ابن الجوزي وياقوت عمن تقدمهما من المؤرخين . وخلاصة الخبر ان اهل الحيرة اخبروا المثنى عن هذه السوق وما يجتمع فيها من الاموال ، فسار بعسكره حتى اتى الانبار فكلّم سُفروخ مرزبانها وأمّنه على شرط ان يمدّه في مشروعه ، قائلاً : « اريد ان اغير على سوق بغداد واريد ان تبعث معي ادلاء فيدلوني الطريق ، وتعقد لي الجسر لاعبر عليه الفرات . ففعل المرزبان ذلك . وقد كان قطع الجسر قبل ذلك لئلا تعبر العرب عليه . فعبر المثنى مع اصحابه ، وبعث معه المرزُبان الادلاء ، فسار حتى وافى السوق ضحوةً فهرب الناس وتركوا اموالهم — ويقول ابن

الاسماء ، كما نرى في بتدين = بيت الدين ، وبكيفا = بيت كيفا (اي بيت الصخرة) ومثلها كثير .

1) Streck, *loc. cit.*, p. 575

٢) ياقوت : الكتاب المذكور ١ : ٦٧٨ — ولم يترك ياقوت هذه الفرصة تذهب سدى ، فاستخرج اسم بغداد من اسم ملك الصين ، قال : « وكان اسم ملك الصين بغ فكانوا (تجار الصين) اذا انصرفوا الى بلادهم (بارباحهم الطائلة من تلك السوق) قالوا : « بغ داد » اي ان هذا الربح الذي ربحناه من عطية الملك . »

الجوزي : بل ان المثنى « وضع فيهم السيف »[1] — فاخذ المسلمون من الذهب والفضة وسائر الامتعة ما قدروا على حمله . ثم رجعوا الى الانبار ووافى معسكره غانماً موفوراً . »[2]

وحول تلك السوق ، على الضفة اليمنى ، كان كثير من القرى والمزارع الآرامية دخل بعضها في تكوين حي الكرخ وما اليه في جنوبي الجانب الغربي من بغداد الكبرى. وقد ذُكر من تلك القرى بَياوَري او بَناوَري ، وسال ، وشوانية ، وسونابة ، ووردانية ، وورثال او وَرْثالة ، ويراثا ، واشهرها مدينة الكرخ. واسمها آرامي الاصل معناه « المدينة المحصَّنة » . وهي قديمة ينسب بعض المؤرخين بناءها الى سابور الثاني (٣١١—٣٨٠) . وليس غريباً ان تكون الكرخ المدينة المهمة المسوّرة قبل الاسلام ، وان يكون كل ما تقدم ذكره من المحالّ ، حتى بغداد ، من مزارعها وبساتينها .

وفي النصف الاعلى من مدينة المنصور ، في الربع المسمّى الحربية ، كان قبل العهد العباسي مدينتان معروفتان هما الخطابية والشرقانية .

وكل هذه الاماكن كانت مشهورة ببساتينها ورياضها على عهد الساسانيين ، بفضل ما كان يخترقها من الانهر والاقنية المتفرّع اكثرها عن الفرات حتى يصبّ في دجلة (اطلب الرسم ٢) ، كما يظهر لمن يلقي نظرة اجمالية على ما تصوّره لوسترانج من نظام شبكة الريّ في تلك الناحية ، في عدة خرائط[3] قد يتناولها نقد مساسينيون في ما خصّ انهر الكرخ[4] ، ولكنها تلخّص على اسهل طريقة معلومات مؤرخي العرب في هذا الشأن ، تلك المعلومات التي استفاد منها سالمون فكتب فصلاً وافياً في « سواد العراق ونظام الريّ في بابل »[5] .

---

١) ابن الجوزي : الكتاب المذكور ، ص ٧

٢) ياقوت : ك.م. ١ : ٦٧٦

٣) G. Le Strange, *op. cit.*, Map. III, IV, V, VI...

٤) L. Massignon, *op. cit.*, p. 118-119

٥) G. Salmon, *op. cit.*, p. 32-42

وقد كان ينزلها ملوك الساسانيين احياناً ، وهي على مسيرة يوم من عاصمتهم المدائن (نحو ٣٠ كيلومتراً) ، فيقيمون في قصر بنوه على مقربة من مصبّ نهر عيسى . وهو القصر الذي تحوّل اسمه في ما بعد الى « قصر عيسى » .

فيتضح مما تقدّم ان المنصور لم يبنِ مدينته في مكان مقفر من السكان.

اما هؤلاء السكان فكانوا في اكثرهم من العنصر الآرامي الغالب على تلك الانحاء ، بدليل اسماء الاماكن الآرامية الاصل والصيغة احياناً ، وبدليل ما نعرفه من كثرة الديورة النصرانية الزاهرة على عهد الساسانيين . ولا يخفى ان قصر الخلد الذي بناه المنصور على الضفة اليمنى ، بعد بناء مدينته ، كما سنرى ، قام محل دير قديم . وانه كان في جوار مصبّ الصراة في دجلة دير آخر[1] ترك اسمه لذاك الحي باجمعه فكان الناس يدعونه حتى بعد العهد العباسي « الدير العتيق » . ويذكر ياقوت ايضاً بيعةً كانت في موضع مدينة المنصور[2] .

بيد ان كل ما تقدم ذكره من القرى والمزارع كان ابعد من ان يمثل الدور السياسي والاقتصادي والاجتماعي والادبي الذي مثلته بغداد . وعليه يمكننا ان نقول ان المنصور انشأ حقاً مدينة بغداد .

لماذا اختار المنصور هذا الموقع ؟

كانت دمشق ، عاصمة الدولة البائدة ، لا تزال مخلصةً امينة لخلفائها الامويين . وهي ، فضلاً عن ذلك ، اصبحت كثيرة الانحراف نحو الغرب بالنسبة الى مملكة كان اكثر اتساعها الى الشرق من البحر المتوسط حتى نهر الاندوس .

فكان من الضروري ان تحوّل الدولة الجديدة مركز حكمها من الشام . ولم يكن من المعقول ان تعود به الى الحجاز ، وقد فقد اهميته السياسية منذ عصر الراشدين ، فضلاً عن انحرافه عن متوسط العالم الاسلامي . واذا ذكرنا ما قام به الفرس ، ولاسيما الخراسانيون ، من الجهود والتضحيات في نصرة بني العباس ، قدّرنا ان العاصمة الجديدة ستتجه نحو بلاد فارس ، فتكون الدولة

---

١) ياقوت : ك . م . ١ : ٦٨١ ٢) ياقوت : ك . م . ١ : ٦٨٠

الحديثة قريبة من انصارها ، ويكون مقامها متوسطاً بين الفرس والعرب ، وهما العنصران المهمان في الجامعة الاسلامية اذ ذاك .

فكر السفاح بهذا الامر ، فجعل مركزه اولاً على شاطئ الفرات . ولم يقم في البصرة لانحرافها عن المتوسط الجغرافي المقصود . وتجنب الكوفة ، عاصمة علي ، لتعلق اهلها بالعلويين تعلقاً شديداً كان يخشى منه العباسيون . فبنى الهاشمية ، موسعاً قصراً كان لابن هبيرة . ثم اختط تجاهه مدينة جديدة سماها الهاشمية ايضاً ، واتمها المنصور بعده [1] .

اما المنصور فاقام في الهاشمية مدة ، ثم شعر باذى من جيرانه اهل الكوفة الذين كانوا « يفسدون جيشه » ، على قول المؤرخين . ولا ننسَ ان العباسيين انما نالوا الخلافة بفضل الفرس العلويين الذين لم يثوروا على بني امية الا لارجاع هذا الحق الى اصحابهم من ابناء علي ، لا لاعطائه بني العباس . فكان ان هؤلاء ، عندما تخلصوا من الامويين ، ضبطوا الحكم وعملوا على التخلص من احزاب العلويين . فقتل المنصور ابا مسلم الخراساني ، « صاحب الدعوة » ، مَن كان اعظم مؤسس للخلافة العباسية على غير قصدٍ منه ، ثم تخلص كذلك من ابراهيم الثائر في البصرة . فاضحى يتجنب جوار العلويين فابتعد عن الكوفة والبصرة ؛ وخشي ان يكون عرضةً لزحف قد يقوم به الفرس فجعل دجلة بينه وبينهم ، واختار موقع بغداد على الضفة اليمنى .

وهنا يتبسط مؤرخو العرب في اسباب هذا الاختيار . وكلها تعود ، في نظرهم ، الى جودة المناخ ، وخصب الموقع ، وحسن مركزه الاقتصادي والتجاري والسياسي .

اما جودة المناخ فنسبيَّة . لان بغداد لا تعلو عن سطح البحر الّا ٣٧ متراً وهي في منطقة حارة [2] ، تكتنفها المياه البطيئة السير ولا يندر ان تؤلف ،

---

١) ياقوت : ك . م . ٤ : ٩٤٦

٢) يندر جداً ان يسقط الثلج في بغداد . فاذا سقط اهتمّ به الناس وارّخه المؤرخون . من ذلك ما ذكر ابن العبري في تاريخ السنة ٢٩٦ للهجرة (٩٠٨ م) قال : « سقط ببغداد ثلج كثير من بكرة الى العصر ، فصار على الارض اربع اصابع . وكان معه برد شديد ، وجمد

بسبب فيضان دجلة ، مستنقعات يتولّد فيها كثير من البعوض والذباب[1] . ولعلها كانت ، قبل ان تكثر فيها السكان ، اقلّ فضلات ، وانقى هواء.

واما خصب البقعة فمشهور بفضل وقوعها بين دجلة والفرات في نقطة اقترابهما احدهما من الآخر ، وبفضل ماكان يخترقها من الاقنية او الانهر السائرة بين النهرين الكبيرين ، القائمة بريّ تلك البقعة بمجملها ، كما قدّمنا.

واما حسن المركز الاقتصادي والتجاري والسياسي فناتجٌ عن موافقة الموقع في بقعةٍ متوسطة بين مراكز المدنيات الزاهرة منذ القدم من البابليين الى الاشوريين الى الفرس الاول الى السلوقيين الى الساسانيين الى البيزنطيين ، حتى كانت تلك البقعة نقطة اتصال بين الامم المختلفة فازدهرت فيها بابل ، ثم سلوقية ، ثم المدائن ، واخيراً بغداد في العصر الذي يهمنا امره.

انتبه مؤرخو العرب وجغرافيوهم لهذه الاسباب فذكروها في القول على تأسيس بغداد. انما اضافوا اليها شيئاً من الحكايات والاساطير يصعب تحقيقها . فخلطوا المحتمل بالممتنع والمعقول بالمستحيل . وقد يكون من المفيد ان نذكر مثلاً على كل من هذين النوعين.

من النوع الاول ما ذكره كل المؤرخين ، على شيء من الاختلاف في الرواية ، قالوا: « ان المنصور استشار دهقان بغداد في موضع البناء فقال الدهقان: « الذي اراه، يا اميرَ المؤمنين ، ان تنزل في نفس بغداد . فانك تصير بين اربعة طساسيج[2] : طسوجان في الجانب الغربي ، وطسوجان في الجانب الشرقي فاللذان في الغربي قطرّبل وبادوريا ، واللذان في الشرقي نهر بوق وكلواذى . فان تأخر عمارة طسوج منها كان الآخر عامراً . وانت ، يا امير المؤمنين ، على الصراة ،

الماء والمقلّ والبيض وهلك النخل وكثير من الشجر . » (تاريخ مختصر الدول (طبعة صالحاني) بيروت ، ١٨٩٠ ، ص ٢٦٩) . والبرد يشتدّ ، شتاء ، في اكثر السنين ، حتى يلتزموا ان يضرموا النار للاستدفاء.» (البستاني: دائرة المعارف ٥ : ٥٠٥)

١) وقد اشار جلّ من ذمّوا بغداد، شعراً ونثراً ، الى كثرة ما فيها من المسايل والمزابل والهوامّ . اطلب شيئاً من ذلك في ياقوت : ك. م. ١ : ٦٩٠-٦٩٢

٢) ج. طسوج : الناحية ، القرية.

ودجلة تجيئك بالميرة من القرب ، وفي الفرات من الشام والجزيرة ومصر وتلك البلدان . وتُحمل اليك طرايف الهند والسند والصين والبصرة وواسط في دجلة ، وتجيئك ميرة ارمينية واذربيجان وما يتصل بها في تامرّا ، وتجيئك ميرة الموصل وديار بكر وربيعة . وانت بين انهار لا يصل اليك عدوّك . الا على جسر او قنطرة فاذا قطعت الجسر والقنطرة لم يصل اليك عدوّك وانت قريب من البرّ والبحر والجبل . ودجلة والفرات والصراة خنادق مدينتك . »[1] فاقتنع المنصور.

ومن النوع الثاني ما تناقله المؤرخون ايضاً مما يمكننا تسميته باسطورة «مقلاص» ، وقد اشار اليها ابن الجوزي والخطيب البغدادي بشيء من الاختصار ، ووردت مفصّلة في الفخري ومعجم البلدان ، وهي عن علي بن يقطين ، قال :

« كنت في عسكر ابي جعفر المنصور حين سار الى الصراة يلتمس موضعاً لبناء مدينة . (قال) فنزل الدير الذي على الصراة في العتيقة . فما زال على دابته ذاهباً جائياً منفرداً عن الناس يفكر . (قال) وكان في الدير راهب عالم فقال لي : كم يذهب الملك ويجيء ! قلت : انه يريد ان يبني مدينة . قال : فما اسمه ؟ قلت : عبد الله بن محمد . قال : ابو مَن ؟ قلت : ابو جعفر . قال : هل يلقب بشيء ؟ قلت : المنصور . قال : ليس هذا الذي يبنيها . قلت : ولِمَ ؟ قال : لانا قد وجدنا في كتاب عندنا نتوارثه قرناً عن قرن ان الذي يبني هذا المكان رجل يُقال له « مقلاص » . (قال) فركبت من وقتي حتى دخلت على المنصور ودنوت منه فقال لي : ما وراءك ؟ قلت : خيرٌ القيه الى امير المؤمنين وأريحه من هذا العناء . فقال : قُلْ . قلت : امير المؤمنين يعلم ان هؤلاء معهم علم . وقد اخبرني راهب هذا الدير بكذا وكذا . فلما ذكرت له «مقلاص» ضحك واستبشر ونزل عن دابته فسجد واخذ سوطه واقبل يذرع به . فقلت في نفسي : لحقه اللجاج . ثم دعا المهندسين من وقته ، وامرهم بخطّ الرماد . فقلت له :

---

١) راجع خصوصاً ياقوت : ك.م. ١ : ٦٨٠-٦٨١ ؛ وابن الجوزي : ك.م. ص ٨ ؛ وابن العبري : ك. م. ، ص ٢١١ ؛ والطبري : تاريخ الرسل والملوك (طبعة de Goeje) ليدن ١٨٨٠ ، ٣ : ٢٧٥

اظنك ، يا امير المؤمنين ، اردت معاندة الراهب وتكذيبه . فقال : لا والله . ولكني كنت ملقباً بمقلاص . وما ظننت ان احداً عرف ذلك غيري . وذلك اننا كنا بناحية الشراة ، في زمان بني امية ، على الحال التي تعلم ، فكنت انا ومن كان في مقدار سني من عمومتي واخوتي نتداعى ونتعاشر . فبلغت النوبة اليّ ، يوماً من الايام ، وما املك درهماً واحداً ، فلم ازل افكر واعمل الحيلة الى ان اصبت غزلاً لدابة كانت لهم . فسرقته ثم وجّهت به فبيع لي واشتُري لي بثمنه ما احتجتُ اليه . وجئت الى الدابة وقلت لها : افعلي كذا ، واصنعي كذا . قالت : من اين لك ما ارى ؟ قلت : اقترضت دراهم من بعض اهلي . ففعلت ما امرتها به . فلما فرغنا من الاكل وجلسنا للحديث طلبت الدابة الغزل فلم تجده ، فعلمت اني صاحبه . وكان في تلك الناحية لصٌ يقال له مقلاص مشهور بالسرقة . فجاءت الى باب البيت الذي كنا فيه ، فدعتني ، فلم اخرج اليها لعلمي انها وقفت على ما صنعت . فلما الحّت وانا لا اخرج قالت : اخرج ، يا مقلاص ! الناس يتحذّرون من مقلاصهم ، وانا مقلاصي معي في البيت ! فزعم معي اخوتي وعمومتي بهذا اللقب ساعة ثم لم اسمع به الا منك الساعة . فعلمت ان امر هذه المدينة يتم على يدي لصحة ما وقفت عليه . »[1]

افتكون هذه الاسطورة من اختراع الرواة ؟ ام تكون صحيحة النسبة الى الراهب ؟ فيكون هذا ، وقد عرف قصد امير المسلمين في النزول هناك ، وتحقق اسمه واسم ابيه وكنيته ولقبه ، رأى ان يخترع هذه الحكاية فينسب الى كتاب قديم أن لا يبني المدينة الا رجل اسمه بعيدٌ البعدَ كلّه عن اسم الخليفة المذكور ، لعله بذلك يصرفه عن البناء في تلك البقعة ، فيبعد المسلمين عن الدير . . . فيكون المنصور ، والحالة هذه ، اشدّ دهاء من الراهب اذ يستفيد من القصة ويخترع اسطورةً اخرى تُتمم اسطورة الراهب ، ناسباً الى نفسه لقب مقلاص . . .

ومهما يكن من امر الاختراع هذا فقد تمّ بناء المدينة على يد المنصور .

---

(١) ياقوت : ك . م . ١ : ٦٨١ – ٦٨٢ ؛ وابن الطقطقي : الفخري (طبعة Derenbourg) ، باريس ١٨٩٥ ، ص ٢١٧ – ٢١٨

فأمر اولاً ان يخطّ رسمها بالرماد مع ابوابها وبناياتها وسورها. وان يكون تصميمها على شكل دائرة تامة «لئلا يكون بعض الناس اقرب الى السلطان من بعض.»[1] ومؤرخو العرب يفتخرون بهذه الهندسة التدويرية، ويرددون على اثر الخطيب البغدادي: «لا يُعرف في اقطار الدنيا كلها مدينة مدوّرة سواها.»[2] ولعلهم معذورون لكونهم لم يسمعوا بغيرها من المدن على هذا التصميم. اما الحقيقة فهي ان «اقطار الدنيا» عرفت كثيراً من المدن المدوّرة، بل ان ذاك القُطر نفسه الذي اختاره المنصور عرف تدوير المدن منذ القديم. كما تفيدنا الآثار التاريخية واللغوية، وهي ما سنستند اليه في الجواب عن هذا السؤال:

ايه اخذ المنصور فكرته في الاستدارة؟

لنا في الجواب طريقان كما قدّمنا: طريق تاريخي، وطريق لغوي.

اما التاريخ فيفيدنا عن مدنٍ كثيرة بناها الحثيون والميديّون على تصميم مستدير، حتى ان مثال المدينة الحثية المحصنة يظهر على شكل الاسوار المستديرة الواحد بعد الآخر تحيط بالمركز او النقطة المتوسطة؛ كما افادتنا الحفريات في موقع مدينة زنجرلي عند اقدام الامانوس[3]، وفي موقع قادش في تل النبي مَنْد في سهل حمص[4]، وكذلك في موقع كركميش على الفرات مكان جرابلس. وان الملاحظ المدقق ليجد في تصميم كركميش الشكلَ المستدير في الاصل ثم المِلَ به الى التربيع[5].

واذا انتقلنا الى الميديين، ارباب ميدية او بلاد فارس، نرى شاهداً واضحاً على استدارة المدن في تأسيس عاصمتهم المدعوّة اكبتان، القائمة مكانها اليوم مدينة همذان. فان هيرودوت المؤرخ يذكر ان ديجوسيس ملك الميديين

---

١) كذا، في ابن العبري: ك.م. ص ٢١١.

٢) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد (طبعة Salmon) ص ١

٣) اطلب تصميم المدينة في E. Pottier, *L'art hittite*, 3° art. [*Syria*, II, 1921, pl. III, fig 41]

٤) اطلب في ذلك *Syria*, III, 1922, p. 89ss

٥) Pierre Lavedan, *Histoire de l'Architecture urbaine*, Paris, 1926, p. 59

« حتّم على ابناء رعيته ان يتركوا منازلهم ، ويبنوا مدينة يقيمون فيها. فبُنيت المدينة على اكمة . وكان يحيط بها سبعة اسوار مستديرة لا يعلو واحدها عن الآخر الا بمقدار المشارف المصبوغة بالوان مختلفة : من ابيض ، واسود ، وارجواني ، وازرق ، واحمر ، وفضي ، وذهبي. وجعل الملك قصره وبيت ماله (او كنوزه) داخل السور الاخير . اما البيوت فكانت بين سائر الاسوار . . . »[1] (انتهى كلام هيرودوت).

قلنا : اوَ لا يكون احد مهندسي المنصور من الفرس اتى بهذه الفكرة من بلاده ؟ ولا سيما اذا انتبهنا لأوجه الشبه البارزة بين المدينتين ومنها ان « دار السلام » كان لها سوران مستديران ، وان الرعية كانت تسكن بين هذين السورين ، وليس ضمن السور الداخلي الا قصر المنصور ، والجامع ، ودوائر الحكم.

ثم هناك الطريق اللغوي ؛ وقد يؤدي بنا الى نتيجة اقرب من هذه.

عرفنا ان بين القرى والمزارع والديورة التي كانت قائمة مكان بغداد مدينة قديمة اسمها « الكرخ » ، وقلنا ان لفظة « الكرخ » او « الكرك » تعني المدينة المحصنة باللغات الآرامية[2]. على اننا اذا فتّشنا عن اصل المعنى في اللفظة ، فاننا نرى ان الكرخ = كَرْخا ܟܪܟܐ اسم من فعل كَرَخ او كَرَكَ ، ܟܪܟ ومعناه احدق بالشيء ، واحاط به ، واستدار بجوانبه . وفي كل مشتقاته معنى الإحاطة ، والطواف ، واللف. وبهذه المعاني جميعها استُعملت اللفظة في الاسفار المقدسة[3] . فيكون من ثَمَّ معنى الكرخ المدينة المحصنة وبالتالي المستديرة السور.

---

١) نقله عن تاريخ هيرودوت (I, 98) لافيدان في كتابه المقدم ذكره : Lavedan, op. cit., p. 63

٢) ومن هذا الاصل اسماء بعض القرى اللبنانية والسورية ، المدعوّة « بالكرك ».

٣) ومن معاني ܟܪܟܐ المَلَفّ من الكتب ، او المجلّد الملفوف ، لان المجلّدات كانت في ما مضى ، قبل عهد الطباعة ، تُلفّ لفّاً . وشبه هذا الاصل اللغوي معروف في لفظة volume الفرنسية المشتقة من اللاتينية volumen من فعل volvere = لَفَّ . ومن معاني ܟܪܟܐ ايضاً

ولنا شاهد آخر على هذا المعنى في اسم احد الانهر المحيطة بتلك البقعة على شكل يقرب من نصف الدائرة،واسمه، حتى في الآثار العربية جميعها، «نهر كرخايا» . ولا يخفى ان كرخايا ܟܪܟܝܐ السريانية معناها «الالتفافي»، او المحيط والمستدير او ما يشبه معنى «التحويطة»

أفلا يكون المنصور رأى استدارة تلك المدينة ، او سمع بها ، او سأل عن معنى الكرخ ، فأُفيد ، فافتكر بالمدينة المدوّرة ؟

دار السلام

وقد استعان على تحقيق فكرته باشهر مهندسي العصر من فرس وآراميين وعرب ، منهم الحجاج بن ارطاة ، وابو حنيفة النعمان بن ثابت. واستحضر الصنّاع والعمّالة والنجّارين والحدّادين والحفّارين من الشام والموصل وجبل خراسان والكوفة وواسط، «وكتب الى كل بلد في حمل من فيه ممن يفهم شيئاً من امر البناء» .[1] حتى بلغوا الالوف . فامر ببدء العمل سنة ٧٦٢ م. ووضع اول لبنة بيده قائلاً : «بسم الله ، والحمد لله ، والارض لله يورثها من يشاء من عباده ، والعاقبة للمتقين .» ثم تتابع الشغل فكانوا يضربون اللبن ويطبخون الآجرّ ثم يبنون. وقد حفظ لنا ابن الجوزي[2] وغيره شيئاً من المعلومات في هذا الشأن قال : ان ابا حنيفة كان يعدّ اللبن بالقصب... وكانت اللبنة ذراعاً في ذراع ، ووُزنت لبنة فكانت مائة وسبعة عشر رطلاً.[3]

على ان هذا العمل لم يغنِ المنصور عن طلب الأنقاض ومواد البناء. وكانت المدائن ، عاصمة الاكاسرة ، قريبةً منه على مسيرة يوم ، وفيها القصر

الزنّار ، نظرًا لالتفافه واستدارته . وقد حفظت اللغة العامية في بعض مناطق لبنان المتأثرة باللغة السريانية هذا المعنى في اللفظة «الكَرَكَة» التي يسمّون بها الإبريق، او آلة التقطير، لما فيها من استدارة الانابيب والتفافها بعضها حول بعض.

١) الخطيب البغدادي : الكتاب المذكور ، ص ١

٢) ابن الجوزي : ك. م. ص ٨

٣) بالرطل البغدادي ، وسنقدّر وزنه عند كلامنا عن اسعار الحاجيات ، بُعيد هذا.

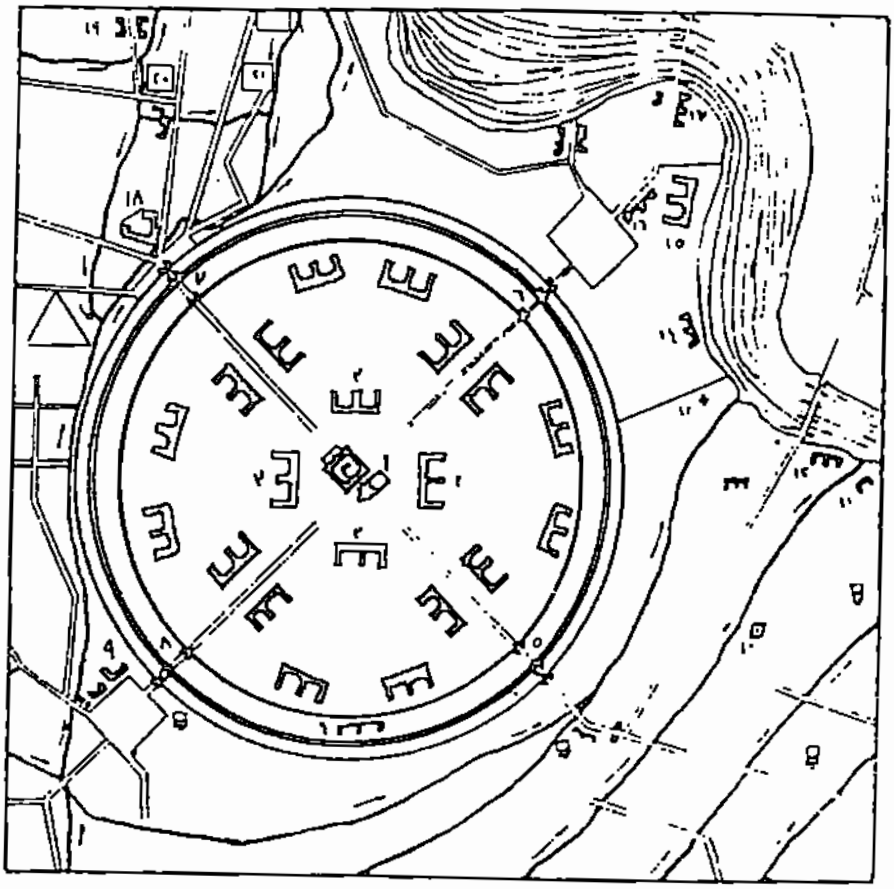

الرسم الاول

المدينة المدوّرة كما بناها المنصور

عن تصميم وضعه لسترانج ، (Le Strange, op cit. map. II.) وقد حوّرنا فيه شيئاً طفيفاً ، فوسمنا قبلا يحيط بين « السورين » . وهذه اسماء المحلات المهمة :

١ - جامع المنصور
٢ - قصر الذهب ، او باب الذهب ، او القبة الخضراء
٣ - ٣ مراكز الادارات العامة
٤ - السجن المعروف «بالمطبّق»
٥ - باب البصرة
٦ - باب خراسان
٧ - باب الشام
٨ - باب الكوفة
٩ - ديوان الصدقة وبعض الاصطبلات
١٠ - قبر معروف الكرخي
١١ - دار الجوز
١٢ - باب الشعير
١٣ - الدير العتيق قرب مصبّ الصراة
١٤ - قصر زبيدة
١٥ - قصر الخلد
١٦ - اصطبلات الخليفة
١٧ - مركز شرطة الجسر
١٨ - سجن باب الشام
١٩ - دكّان الابناء
٢٠ - مربّعة الفرس
٢١ - مربّعة شبيب

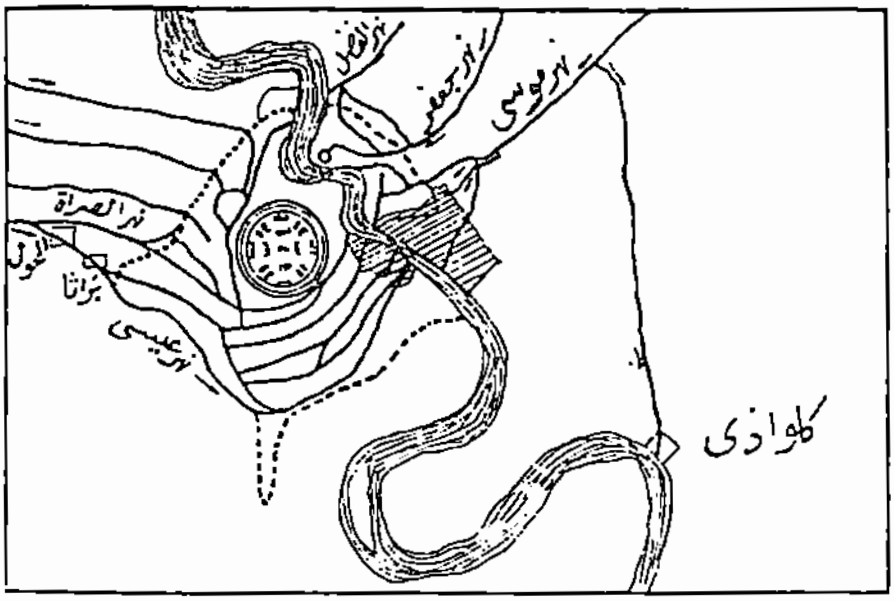

الرسم الثاني

مدينة المنصور ومركزها في بغداد الكبرى بعد عهد المهدي

الخطوط السوداء تمثل الانهر . والخط المنقط حدود المدينة الكبرى . وقد ظهرت في الجانب الشرقي خاصة بغداد الحالية مشيرًا اليها بالخطوط النحيفة المتوازية باعراف .

(عن وسترانج في كتابه المذكور : Map I — واطلب نقد ماسينيون في ما تعلّق باتجاه الانهر خاصة ، في الصفحة ٨٦ من هذا الجزء من المشرق)

الابيض المشهور ، وايوان كسرى . فاستشار خالد بن برمك في نقض تلك البنايات ونقل انقاضها الى بغداد . فقال خالد : لا ارى ذلك . فلم يسمع له المنصور وقال : أبيت الا الميل الى اصحابك الاعاجم . ثم امر بنقض القصر الابيض . فهُدم قسم منه . وأخذ بنقل انقاضه الى موقع بغداد . ولكن سرعان ما انتبه المنصور ، وهو المالي المدقق المقتصد[1] ، لنتيجة هذا العمل ، فرأى ان نفقات النقض ونقل المواد الى بغداد تزيد على نفقات عمل اللبن ، فترك النقض .

وامر ان يجعل عرض السور الخارجي من اسفله خمسين ذراعاً ومن اعلاه عشرين ذراعاً . فكان في كل ساف مائة الف لبنة واثنتان وستون الف لبنة ، على ما نُقل عن رباح البنّاء ، وكان ممن يتولى البناء . هذا في اسفل السور . ولما وصلوا الى الثلث لطّفوا الساكة فصيّروا الساف مائة الف لبنة وخمسين الف لبنة . فلما جاوزوا الثلثين لطفوا الساكة ايضاً ، فجعلوا في الساف مائة واربعين الفاً[2] . ثم بنى سوراً ثانياً داخلياً . واحاط المدينة بخندق . وجعل لها اربعة ابواب : باب خُراسان الى الشرق الشمالي ، وباب الكوفة ناحية الحجاز ، وباب الشام ناحية المغرب ، وباب البصرة ناحية الاهواز وواسط واليمامة والبحرين (اطلب التصميم في الرسم ١) . ولم يضع عليها ابواباً من عمل صنّاعه ، انما نقل ابوابها من الخارج ، فوضع على باب خراسان باباً جيء به من الشام « من عمل الفراعنة »[3] ، وعلى باب البصرة باباً جيء به من واسط وكان الحجاج قد اخذه من مدينة اسمها زَنْدَوَرْد « يزعمون انها من بناء سليمان بن داود »[4] ، واقام على باب الكوفة باباً جاء به من الكوفة من عمل خالد القسري ، وعمل هو

---

١) في كتب المؤرخين كثير من الحوادث تدلّ على اقتصاد المنصور بل على بخله ، وعلى تنبّهه لطرق جمع المال . منها ما ذكره ابن العبري مما يصلح ان يكون مثالاً لموزّعي الضرائب قال : « امر المنصور بعدّ دور اهل الكوفة ، وقسمة خمسة دراهم على كل دار . فلما عرف عددهم جباهم اربعين درهماً اربعين درهماً . » (ابن العبري : ك . م . ٢١٢) .

٢) ابن الجوزي : ك . م . ٩—١٠

٣) ياقوت : ك . م . ١ : ٦٨٤

٤) ياقوت : ك . م . ١ : ٦٨٤ ؛ وابن الجوزي : ك . م . ١٠ ؛ والخطيب ك . م . ص ١٢

باباً لباب الشام ، « وهو اضعفها »[1] وكلها من الحديد كل باب منها فردان[2] . وجعل على الابواب القبب والابراج ، وفيها الحرّاس . وكان على رأس كل قبة منها تمثال تديره الريح .[3]

اما مساحة هذه المدينة فيمكننا معرفتها بما يُذكر من انه كان بين الباب والآخر مسافة ميل[4] . والميل يعادل ٤,٠٠٠ ذراع سوداء او مأمونية ، وهذه تقرب من نصف متر . فتكون المدينة صغيرة بالنسبة الى ما ستصير اليه بغداد الكبرى بعد المنصور ، كما سنرى .

وبنى المنصور داخل السور الثاني ، وسط المدينة ، جامعاً ، والى جنبه دار الخلافة ، المعروفة « بقصر الذهب » ، او « بالقبة الخضراء » لانه بنى فوق الايوان قبةً عالية ذات لون اخضر بلغ علوّها ثمانين ذراعاً ، وعلى رأسها صنمٌ على صورة فارس في يده رمح[5] .

هذا ما يتفق المؤرّخون على ذكره دون ان يشكّ احدٌ منهم في صحته . واذا احتجوا فانما يحتجون على الخرافة العالقة بذلك الصنم ، لا على وجود الصنم نفسه . اما كيف امكن خليفة المسلمين ، وهم المشهورون بالامتناع عن تمثيل الكائنات الحيّة بالرسم والتصوير فضلًا عن النحت والتجسيم ، ان يُقرّ هذا العمل ويسمح بوضع تمثال على قبة قصره ، فهو ما يحار فيه المطالع لاول وهلة . على ان الامر لا يظهر مستحيلًا ، اذا ما عرفنا ان بغض الاسلام الذي لمظاهر تصوير الكائنات الحية ، واهتمام الائمة بتحريم هذا التصوير لم يتقدّما العصر العباسي . بل ان ذلك المجرى التحريمي قد يكون من نتائج تأثير العقائد التلمودية في الحديث الاسلامي ، ولم يسبق هذا التأثير العصر الذي يهمنا امره[6] . فضلًا عن

١) الخطيب : ك . م . ص ١٤ ؛ ياقوت ك . م . ١ : ٦٨٤

٢) الخطيب : ك . م . ص ١٣

٣) ابن الجوزي : ك . م . ص ٩ ؛ والخطيب ك . م . ص ٨

٤) الخطيب : ك . م . ص ١١ ؛ ابن الجوزي : ك . م . ص ١١ ؛ ياقوت : ك . م . ١ : ٦٨٣

٥) اطلب في ذلك الملاحظات الدقيقة التي اوردها حضرة الاب لامنس في بحثه النفيس :
P. H. Lammens, *L'attitude de l'Islam primitif en face des arts figurés*, dans *Etudes sur le siècle des Omayyades*, Beyrouth, 1930, p. 351-389

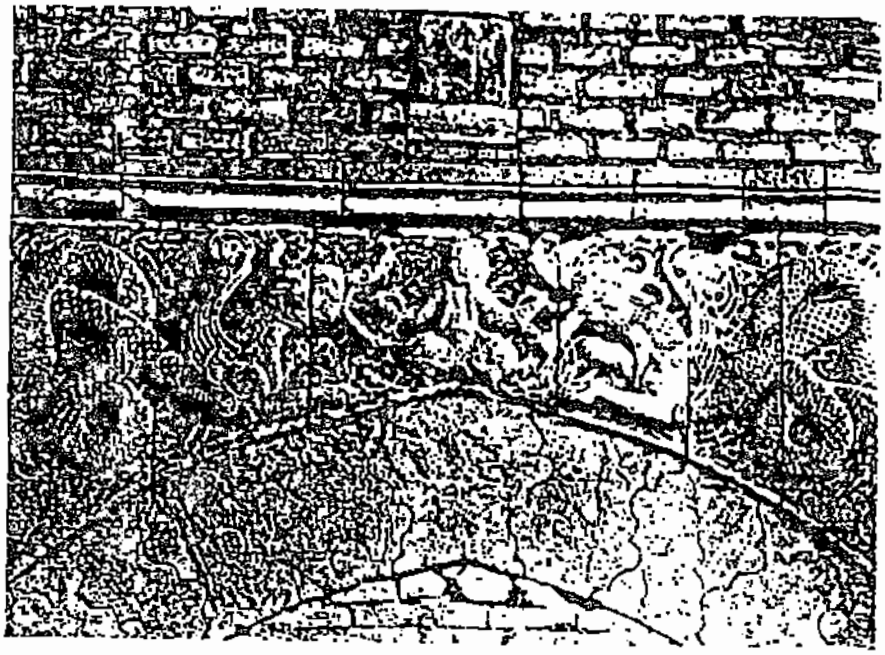

الرسم ٣ : باب الطلسم في بغداد

بني في السنة ٦١٨هـ (١٢٢١) على عهد الخليفة الناصر لدين الله العباسي (١١٨٠-١٢٢٥) والرسم يمثل رجلا جالسا القرفصاء بين تنينين مجنحين مذنبين ، وقد فغرا فيهما واخرجا لسانيهما ، فقبض عليهما الرجل . ولا يخفى الشبه بين هذا الشخص والمعروف من تماثيل بوذا مما يدل على شدة التأثير المغولي في هذا الأثر . ويرى بعض العلماء ان الشخص المذكور يمثل الخليفة الناصر نفسه . ولا يزال الباب قائما في بغداد . الا ان مدخله سد منذ مرور السلطان مراد الرابع (١٦٣٨) وقد اخذنا الرسم عن Strzygowski *Asiens bildende Kunst*, Augsburg, 1930. fig. 282

الرسم ٤ : رسم تنينين على احد ابواب حمص

(عن صورة حضرة الاب ريه موترد اليسوعي لم يسبق نشرها)

ان هناك حتى في العصر العباسي ، بل في ما بعد العصر العباسي ، مظاهر عدة لتمثيل الاشخاص والحيوانات ، منها في بغداد نفسها ، ما مُثّل على رؤوس قبب الابواب في « دار السلام » ، كما تقدّم في الصفحة السابقة ؛ وما مُثّل حول « بركة الشجرة » في دار المقتدر كما سنرى[1] . وخصوصاً ما مُثّل في اعلى الباب المعروف «بباب الطلسم» المبني سنة ٦١٨ هـ (١٢٢١م) على عهد الخليفة الناصر لدين الله العباسي (١١٨٠–١٢٢٥) كما يظهر من الكتابة الظاهرة فوق الاثر[2] . وقد نشرنا صورة هذا الاثر ، عن ستزيغوسكي[3] ، لاهميته في تاريخ الفنّ الاسلامي ، وذلك انه يمثّل ، في رأي علماء الآثار ، الخليفة الناصر نفسه ، وعلى رأسه تاج محاطٌ بهالة ، وهو جالس القرفصاء بين تنّينين مجنّحين مذنّبين ، وقد فغرا فيهما واخرجا لسانيهما فقبض عليهما الخليفة[4] .

واذاً فان يكن من شكٍّ في صحة رواية الصنم ، فلا يكون هذا الشكّ مستنداً الى المبادئ الدينية .

اما الخرافة التي حاكتها مخيّلة العامة حول هذا الصنم ، وتجاوزت الى المؤرخين ، فخلاصتها ان الخليفة كان ، اذا رأى ان ذلك الصنم قد استقبل بعض الجهات ومدّ الرمح نحوها ، علم ان احد الخوارج يظهر من تلك الجهة . فلا يطول الوقت حتى ترد عليه الاخبار بان خارجياً قد نجم من تلك الجهة[5] . وقد

١) اطلب الصفحة ١٨ من هذا البحث .

٢) اطلبها مع ترجمتها الى الفرنسوية في Massignon, *op. cit.*, p. 47-48

٣) Strzygowski, *Asiens bildende Kunst*, Augsburg, 1930, fig. 282

٤) اطلب وصفاً مختصراً لهذا الاثر في Strzygowski, *op. cit.*, p. 645 ووصفاً مطوّلاً في Van Berchem, *Amida*, Heidelberg, 1910, p. 82 ss. et fig 31, p. 83 وايضاً في Hartmann et Sarre, *OLZ*, 1905, p. 277 ss., 541 ss. ; 1906 p. 173 ss. هذا وان تمثيل التنّينين المتقابلين معروف على كثير من الابواب المشهورة المبنيّة في القرن الثالث عشر ، من ذلك واجهة « باب حلب » في ديار بكر ، وباب قلعة حلب ، وباب جامع « چفته مناره » في ارضروم . (اطلب Van Berchem, *op. cit.*, p. 83 et 84 و Strzygowski, *op. cit.*, p. 292) . ومن ذلك ما وجده حضرة الاب رينه موترد على احد ابواب حمص فتفضّل علينا بصورته ، فنشرناها ، لاول مرّة ، تحت صورة « باب الطلسم » .

٥) ابن الجوزي : ك . م . ١١–١٢ ؛ الخطيب : ك . م . ١١

نقل ياقوت هذه الخرافة وفندها بقوله :

« هو من المستحيل والكذب الفاحش . وانما يُحكى بمثل هذا عن سحرة مصر وطلسمات بليناس التي اوهم الاغمارَ صحتَها تطاولُ الازمان والتخيُّلُ ان المتقدمين ما كانوا بني آدم . فاما الملة الاسلامية فانها تجلّ عن هذه الخرافات . فان من المعلوم ان الحيوان الناطق مكلّف الصنائع لهذا التمثال لا يعلم شيئاً مما يُنسب الى هذا الجماد ولو كان نبياً مُرسلاً . وايضاً لو كان كلما توجهت الى جهة خرج منها خارجي لوجب ان لا يزال خارجي يخرج في كل وقت لانها لا بد ان تتوجه الى وجه من الوجوه . والله اعلم . »[1]

ويتفق من سبق ذكرهم من المؤرخين على القول ان تلك القبة الخضراء سقطت «يوم الثلثاء لسبع خلون من جمادى الاخرى سنة تسع وعشرين وثلثمائة» اي في ٩ اذار ٩٤١ بعد ان مرّ على بنائها نحو مائة وثمانين سنة .

ولم يكد المنصور ينتهي بناء المدينة في السنة ٧٦٦ حتى نقل اليها دوائره المتعدّدة فاقام اربابها في البنايات الداخلية ، اي ضمن السور الداخلي . وجعل الرعية بين السورين . ولم يكن يؤذن لهم في تجاوز السور الا نهار الجمعة للصلاة في جامع القصر . فكانت مدينته مثالاً للمدن المحصّنة في القرون الوسطى . وقد دعاها « دار السلام » وتُسمى ايضاً « مدينة السلام » . ولمؤرخي العرب اختلاف في اشتقاق هذا الاسم ، وبعضهم ينسبون المدينة الى نهر دجلة المدعو « نهر السلام » . على اننا نرى ان المنصور دعاها تفاؤلاً بما ورد في القرآن عن الجنة اذ يدعوها « دار السلام » في قوله : « لهم دار السلام عند ربهم وهو وليّهم بما كانوا يعملون . »[2] « والله يدعو الى دار السلام ويهدي من يشاء الى صراط مستقيم . »[3] ولا يخفى ان بعض المسلمين كانوا يجعلون الفردوس الارضي في اربعة مواضع منها بغداد ، والثلاثة الاخر هي غوطة دمشق ، والابلة ، وشعب بوّان في بلاد فارس .

ولكن اسم دار السلام لم ينتشر بين الناس ، على ما يظهر ، ولم يكد

---

١) ياقوت : ك . م . ١ : ٦٨٣ ٢) القرآن ٦ [الانعام] ١٢٧

٣) القرآن ١٠ [يونس] ٢٦

يتجاوز الّا قليلًا الوثائق الرسمية والنقود . اما العامة فانها ظلت تدعو المدينة بغداد وبغداذ وبغدان ، والمؤرخون والشعراء كذلك . يدل على الامر الشعر العباسي بجمله وكتب التاريخ كلها ، وما نُقل عن موسى بن عبد الحميد النّاعي قال : كنت جالساً عند عبد العزيز بن ابي روّاد فاتاه رجل فقال له : من اين انت ؟ فقال له : من بغداد . فقال : لا تقُل بغداد ، فان بغ صنم وداد اعطى . ولكن قل مدينة السلام . فان الله هو السلام والمدن كلها له[1] .

ودعيت بغداد ايضاً المنصورية والزوراء . اما المنصورية فنسبة الى المنصور . واما « الزوراء » فاسم يراه ستريك محرّفاً عن الفارسية[2] . ويراه مؤرخو العرب مأخوذاً عن ازورار ابوابها الداخلية ، او عن ازورار القبلة في الجامع الكبير على الضفة الشرقية ، او عن ازورار نهر دجلة فيها[3] .

نفقات البناء

لمؤلفي العرب تقديرات متنوعة لما تكلفه المنصور في بناء مدينته ، قد لا يخلو اكثرها من المجازفة . ولعل اقربها الى المعقول ما نقله ياقوت من ان هذه النفقات بلغت ثمانية عشر الف الف دينار[4] اي ١٨ مليوناً من الدنانير . ويهمنا ان نعرف قيمة الدينار وما يعادل في عصرنا كي يمكننا ان نتصوّر مبلغ هذه النفقات ، فنحكم فيها .

كان الدينار يزن شرعاً ٤,٢٥ غرامات[5] ، وقيل بل كان يزن ٤,٤ الى ٤,٧ غرامات من الذهب بعيار ٧٦٧ من الالف على الاقل . وهو ما يعادل في عصرنا ١١,٥٠ فرنكاً ذهبياً او ٧٢ فرنكاً ورقاً على التقريب[6] ، اي ما يقرب من ٣٦٠

---

١) ياقوت : ك . م . ١ : ٦٧٨

٢) Streck, *loc. cit.*, p. 375

٣) راجع في ذلك Le Strange, *op. cit.*, p. 11 ; Salmon, *op. cit.*, p. 94, note 2 ; Massignon, *op. cit.*, p. 98

٤) ياقوت : ك . م . ١ : ٦٨٢

٥) T. V. Zambaur, *Dīnār*, [*Encyclop. de l'Islam*, I, 1002]

٦) Massignon, *L'influence de l'Islam au Moyen Age sur la fondation et*

غرشاً لبنانياً سورياً . فاذا اعتبرنا هذه المعادلة بلغت نفقات البناء ما يقرب من ثلاثة عشر مليوناً ونصف المليون من الليرات الفرنسوية ذهباً .

وهو معقول لان اليد العاملة لم تكن، اذ ذاك ، من الرخص بحيث نتصوّره اليوم ، وان كانت الحاجيات تبدو رخيصةً بالنسبة الى عصرنا . ولنا في روايات المؤرخين ادلة كافية على الامرين .

فقد ذكر الخطيب ان الاستاذ من الصناع كان يعمل يومه بقيراط الى خمس حبات[1] ، اي ما يدور حول ١٨ الى ٣٠ غرشاً لبنانياً سورياً ، والروزجاري اي البنّاء ، يعمل بحبتين الى ثلاث حبات او ما يعادل نصف اجرة الاستاذ تقريباً .

وذكر المصدر نفسه[1] ، في ما خصّ اسعار الحاجيات ، ان الكبش كان يباع بدرهم ، اي ما يقرب من ٣٦ غرشاً لبنانياً سورياً[2] ، والحمل[3] باربعة دوانيق[4] اي بثلثي الدرهم = ٢٤ غ . ل . س . والتمر ستين رطلاً[5] بدرهم ،

---

l'essor des banques juives. [Extr. du *Bullet. d'études orientales* de l'Inst. franc. de Damas, t. I] p 6, note 4

١) الخطيب : ك . م . ص ٦ – كانت الحبة تعادل ثُلُث القيراط . اما القيراط فهو في الاصل ١/٢٠ من الدينار ، الا ان قيمته كانت تعلو وتهبط فتارةً كان يعادل ١/٣ درهم وطوراً ١/١٢ من الدرهم . اطلب Sauvaire, *Matériaux pour servir à l'histoire de la métrologie et de la numismatique arabes*, I, p. 102

٢) نعتبر ان الدرهم كان يعادل ، في اوائل العهد العباسي ، اي في الزمن الذي جمعنا امره ، عشر الدينار . وذلك قبل ان تسقط قيمة الفضة فيبلغ الدينار عشرين الى اثنين وعشرين درهماً ، على عهد الرشيد . اطلب Massignon, *op. cit.*, p. 7, note 1 . على ان زمبور يرى ان الدرهم ، حتى في اوائل الاسلام ، كان يعادل جزءاً من عشرين من الدينار . T. V. Zambaur. *Dirhem* [*Encyclop. de l'Islam*, I, 1005-1006] ويعتقد سلمون ، جارياً على اثر سوفير ، ان الدينار كان يعادل في زمن المنصور ١٤ درهماً : Salmon, *op. cit.*, p. 82 Sauvaire, *op. cit.*, supplément p. 203

٣) وفي ياقوت : الجمل ، وهو خطأ مطبعي . ٤) الدانق = سدس الدرهم .

٥) اي الرطل البغدادي ووزنه ٣٩٧,٢٦ غراماً . اطلب Sauvaire, *op. cit.*, II, p. 181 ويرى زمبور ان رطل الوزن ، وهو الليبرة ، كان يعادل ٣٢٧,٤٥ غراماً . اطلب Zambaur, *Kirāṭ* [*Encyclop. de l'Islam*, II, 1083]

والزيت ستة عشر رطلاً بدرهم ، والسمن ثمانية ارطال بدرهم . وزاد في خبر رفعه الى ابي نعيم الفضل بن دكين قال : كان يُنادى على لحم البقر في جبّانة كندة تسعين رطلاً بدرهم ، ولحم الغنم ستين رطلاً بدرهم . . .

كانت اسواق المدينة في اول الامر بين السورين حتى حصل ما غيّر رأي المنصور في ذلك[1] . فأمر سنة ٧٧٣ باخراج الاسواق الى ما وراء السور الخارجي وجعلها في محلة الكرخ ، جنوبي دار السلام ، على تصميم خطّه بيده ، وحققه على نفقته ، ورتّب كل صنف منها في موضعه ، وقال : « اجعلوا سوق القصابين في آخر الاسواق ، فانهم سفهاء وفي ايديهم الحديد القاطع . » ولعلّ لهذا القول صلة بحكاية يوردها المؤرخون وخلاصتها ان المنصور ، قبل اخراجه الاسواق ، بينا كان يستقبل وفد ملك الروم ، سمع صرخة قوية تحت القصر ، ثم صرخة ثانية وثالثة ، فامر ان يُنظر في الامر . فقيل له : « يا امير المؤمنين ، بقرة قُرّبت لتذبح فغلبت الجازر وخرجت تدور في الاسواق . »[2] ولعلّ الارجح في سبب نقل الاسواق والعامة الى الكرخ ما ذكره الخطيب من ان المنصور كان قد « ولّى الحسبة يحيى بن زكريّاء ، فاستغوى العامة وزيّن لهم الجموع فقتله ابو جعفر بباب الذهب — اي باب قصر المنصور — وحوّل اسواق المدينة الى باب الكرخ وباب الشعير وباب المحوّل . »[3]

ثم امر المنصور بتوسيع الطرق في مدينة السلام « وجعلها على اربعين ذراعاً ، وامر بهدم ما شخص من الدور عن ذلك القدر . »

ولما كان لا بد من المياه ، امر فمدّت الى دار السلام قناة من نهر دُجَيل الآخذ من دجلة ، وقناة من نهر كرخايا الآخذ من الفرات ، وبُرّتا « في عقود وثيقة من اسفلها محكمة بالصاروج والآجرّ من اعلاها . فكانت كل قناة منها تدخل المدينة وتنفذ في الشوارع والدروب والارباض وتجري صيفاً وشتاء لا ينقطع ماؤها في وقت . »[4]

---

١) راجع ابن الجوزي : ك.م. ص ١٢ — ١٤؛ والخطيب : ك.م. ص ١٨ — ١٩
٢) الخطيب: ك.م. ص ١٨ ٣) الخطيب: ك.م. ص ٢٠
٤) الخطيب: ك.م. ص ١٩

وكذلك زاد الافنيـة او « الانهر » التي كانت تصل الى محلـة الكرخ وغيرها من ضواحي المدينة. وقد ذكر الخطيب خمسة منها مستحدثة، فضلاً عن القديمـة السابقة عهد المنصور كنهر كرخايا ونهر عيسى وغيرهما، قال: « وجرّ لاهل الكرخ وما اتصل بها نهراً يقال له نهر الدجاج وانما سُمي بذلـك لان اصحاب الدجاج كانوا يقفون عنده؛ ونهراً يقال له نهر القلانين حدّثنا من ادركه جارياً يلقي في دجلة تحت الفرضة؛ ونهراً يسمى نهر طابق؛ ونهراً يقال لـه نهر البزّازين، فسمعت من يذكر انه توضأ منه؛ ونهراً في مسجد الانبـاريين رأيته لا ماء فيه ». ويزيد الخطيب عن هذه الانهر في زمـانه، اي في القرن الحـادي عشر[1]: « تعطلت هذه الانهار ودرس اكثرها حتى لا يوجد لـه اثر. »[2] وقد اجتهد لوسترانج في تمثيلها مستنـداً الى الآثار القديمـة فخطّط التصميم الذي نشرناه في الرسم ٢. الا ان ماسينيون، بعد ان اقام منقّباً في بغـداد وجوارها مدة خمسة اشهر من اوائل السنة ١٩٠٨، يرى ان اتجاه الانهر على شكل نصف دائرة من الجنوب الغربي الى الشمال الشرقي في الكرخ، كما يظهر في خارطة لوسترانج، لا يوافق مستوى الارض في بغداد. بل ان ماسينيون يميل الى موافقة ستريك في تخطيط نهر عيسى على خط مستقيم حتى مصبه في دجلة[3].

اما اسواق الكرخ فكانت عديدة اشهرها، في ما يهمّنا، ما يكثر ذكره في كتب الادب كسوق الصاغة، والقيسارية اي سوق الحرائر والانسجة النفيسة، وسوق الثلاثاء، وسوق الريحانيين، وسوق العطارين[4]، وسوق الصفارين، وسوق الصيارفة، وسوق الفرّانين، وخصوصاً دار البقل، التي كانت تقابل ما نعرفـه اليوم « باسواق الخضرة »، ودار البطيخ التي لم تكن تقتصر على بيع البطيخ وحده بل تباع فيها الفواكه بجملتها[5]. يدل على ذلك ان الناس سموا « دار

---

١) عاش ابو بكر احمد بن ثابت الخطيب البغدادي من ٣٩٢ الى ٤٦٣هـ. (١٠٠٢-١٠٧١)

٢) الخطيب: ك. م. ص ١٩-٢٠

٣) Massignon, *Mission en Mésopotamie..*, II, p. 119

٤) ذكرها ماسينيون كلها مرجّحاً انها لم تزل في محلها القديم Massignon, *Mission...*, II, 90-93

٥) ابن الدقاق: الكتاب المذكور، ص ٢٢٦؛ وياقوت: ك. م. ٣: ٥١٧

البطيخ » قصيدة ابن الرومي النونية الطويلة التي مطلعها :

اجنت لك الوصل اغصانٌ وكثبانُ فيهنَّ نوعان تفاحٌ ورمّان

والتي يكثر فيها من ذكر الفواكه. ويدل على ذلك ايضاً قول ابن لنكك في هجو ابي الهيذام كلاب بن حمزة :

انت ابن كل البرايا ، لكن اقتصروا على اسم حمزة ، وصفاً غير تشبيهِ
كدارَ بطيخَ تحوي كل فاكهةٍ وما اسمها الدهرَ الا دارُ بطيخِ[1]

وقد كانت هذه الدار اولاً في مدينة السلام في درب الاساكفة ، ودرب الزيت ، ودرب العاج، ثم نقلت الى الكرخ في ايام المهدي، على قول الخطيب[2]. مما يدل على ان الاسواق لم تُنقل كلها دفعةً واحدة الى الكرخ ، وهو معقول خصوصاً اذا انتبهنا الى ان المنصور لم يعش طويلاً بعد مباشرته بناء الكرخ ، فقد توفي في السنة ٧٧٥.

وبعد ان اهتم المنصور ببناء الاسواق في الكرخ باشر بناء قصر له خارج سور دار السلام مما يلي باب خراسان في الشرق الشمالي ، على شاطئ دجلة في محل دير نسطوري قديم . وقد سماه « الخلد » « تشبيهاً بجنة الخلد لما حوى من العجائب . »[3]

هذا ما يهمنا امره من الابنية في الجانب الغربي من بغداد . ومما يجدر بالذكر ان المنصور لم يتجاوز قط في ابنيته الضفة الغربية ، رامياً الى ان يبقى نهر دجلة بينه وبين الفرس.

عسكر المهدي او الرصافة

اما الجانب الشرقي فمن اشهر ابنيته واقدمها الرصافة او عسكر المهدي كما دُعيت اولاً . وذلك ان المهدي قدم من الري في السنة ٧٧٠ في جيش اكثره من الفرس ، فرأى المنصور ان يبقيهم ما وراء النهر . فارسل الى ابنه ان

١) الثعالبي : يتيمة الدهر ، دمشق ١٣٠٤ هـ. (١٨٨٦) ٢ : ١٢٢
٢) الخطيب : ك.م. ص ٢٢ – واطلب في « دور البطيخ ببغداد ودمشق في عهد العباسيين » بحثاً لحبيب زيات في المشرق (٢٧ [١٩٢٩] ٧٦١-٧٦٥)
٣) ابن الجوزي : ك.م. ص ١٢

يعسكر هناك. وبدأ ببناء المدينة الجديدة مع قصر وجامع، واجرى اليها الماء، كما فعل في دار السلام والكرخ. ثم اتمها المهدي بعد وفاة والده وبنى سورها ومسجدها وحفر خندقها سنة ٧٧٥، وظل مقيماً فيها. وكانت دار السلام — بعد ان هجرها المنصور منتقلاً الى قصر الخلد، ثم لم ينزلها المهدي مكتفياً بقصره في الرصافة، ثم اعرض عنها الرشيد مقيماً في الخلد — قد اخذت بالانحطاط والخراب شيئاً فشيئاً بسرعة غريبة، مما يدلّ على انه لم يكن يسكنها الا ارباب الدوائر من الموظفين.

وكان يصل بين الضفتين ثلاثة جسور، على قول ابن الجوزي[1]، عقدها المنصور، واحدٌ منها للنساء خاصة، وواحد عند باب الشعير. وكلها خشبية على السفن المتصلة احداها بالاخرى. ثم زادت على عهد الرشيد فصارت خمسة وكان الجسران الجديدان في ناحية الشماسية، حيث دور البرامكة. ثم تعطل اثنان في الثورة على الامين فبقي ثلاثة. ثم تعطل اثنان آخران فلم يبقَ في زمان المسترشد (١١١٨ — ١١٣٥) الا جسر واحد عند نهر عيسى. وقد وصف ماسينيون، في بعثته الى ما بين النهرين، السنة ١٩٠٨، ثلاثة جسور: اولها في الشمال بين الكاظمين والاعظمية، وهو خارج عن مدينة بغداد الحالية، وثانيها الجسر المتوسط في الكرخ، وهو المقصود في اقوال المؤرخين والكتاب اذا ما قالوا «الجسر»، على الاطلاق، وثالثها في الجنوب في ناحية قراره او گرار، وكلها خشبية على السفن[2]. وفي المدينة اليوم جسران احدهما محدّث[3]. هذا عدا الجسر الشمالي بين الكاظمين والاعظمية او المعظّم.

ولم يكن قصد المنصور، على ما يظهر، ان يبني مدينةً ذات اهمية عالمية، بل قد تكون غايته الاولى ان يقيم معسكرًا لجنوده من الخراسانيين فيبعدهم عن الكوفة. ولهذا نراه يوزّع كل ما اتصل بمدينته من الاراضي بين انسبائه ورجاله ومواليه. وكذلك فعل عند بناء الرصافة فاقطع رجاله كل الاراضي

١) ابن الجوزي: ك. م. ص ٢٠
٢) Massignon, *Mission*.., II, 50
٣) *Les guides bleus*, p. 479

القائمة حول البناء . وتبعه على ذلك ابنه المهدي . وقد ترك لنا اليعقوبي لائحة بهذه الاقطاعات ترجمها سلمون الى الفرنسوية[1]

بغداد بعد المنصور

ثم تتابع البناء على الضفتين في زمن المهدي والهادي والرشيد . فقام قصر زبيدة ، امرأة الرشيد ، قرب قصر الخلد ؛ واتسع الكرخ باسواقه المتعددة حتى بلغ نهر عيسى فاصبح النهر المذكور حدًّا جنوبيًا للمدينة بينما كان باب قطربُل يحدّها شمالًا ، واقعاً في حيّ الحربية العامر وبقربه اقطاع السيدة زبيدة زوجة الرشيد . وفي الغرب كانت المدينة تتصل بالمحوّل . اما في الشرق فكانت تحدّها دجلة . وقامت في الضفة الشرقية قصور البرامكة في حي الشماسية ، واشهرها قصر جعفر تجاه الخلد ؛ تفصل بينهما دجلة . وجذب البرامكة كثيرًا من القوم ، كبارًا وصغارًا ، الى المعيشة في جوارهم فتتابعت البنايات في الضفة الشرقية من الشماسية الى دار الروم ، الى المخرّم ؛ حتى اصبحت الرصافة في اوائل عهد الرشيد تضارع المدينة الغربية سعةً وازدهارًا . وكان لها من الشمال ثلاثة ابواب شهيرة : باب الشماسية ، وباب البَرّدان ، وباب خراسان[2] . ومن مشاهير سكان المدينة الشرقية الفضل بن الربيع ، وكان مجاورًا للفضل بن يحيى في الشماسية ، كما يُستخلص من احدى روايات الاغاني[3] .

واخذ البرامكة يبالغون في مظاهر الترف متأثرين بتلك الحضارة الفارسية المتأنقة التي ادخلوها دار الخلافة العباسية وصبغوا بها مجالي الدولة الجديدة جميعها فباهوا بتعلية القصور ، ورفع الشرفات والقبب ، وتضخيم الابواب ، والاكثار من الحجاب ، والمنافسة في الرياش الفاخر والمقتنيات الثمينة من جماد وحيوان . ولم يكن من اللائق ان يقلّ الخليفة عنهم بذخاً ، بل لم يكن من

---

١) Salmon, *op. cit.*, p. 70-73

٢) يجب التمييز بينه وبين الباب القديم في مدينة المنصور المدوّرة المدعو ايضًا باب خُراسان .

٣) ابو الفرج الاصبهاني : كتاب الاغاني ، بولاق ١٢٨٥ (١٨٦٨) ، ٥ : ٧

اللائق ان يساويهم ، فبزّهم في كل شيء . وجرى على اثرهم كبار القوم . ووافق ذلك ازدهارٌ في التجارة والصناعة ، وتوفّقٌ في الغزوات ، فحياة رخاء وسعة ومال كثير يتدفق الى بغداد ، والى رجال الدولة منها خاصة ، من جميع انحاء تلك الامبراطورية الواسعة . حتى اصبحت بغداد في مجالي مدنيّتها ورخائها وترفها وملاهيها وحركتها المتواصلة اعظم مدينة في العالم الاسلامي ، وقد لا نكون مبالغين اذا زدنا : بل اعظم مدينة في العالم اذ ذاك ؛ وهو ما سنشير اليه اذ نعرض لاحصاء سكان بغداد ، في آخر هذا الدرس ، وما سنتبسّط فيه في بحث مقبل نخصّه بذكر الشعوب المختلفة التي كانت تتعايش في هذه المدينة العظيمة . انما تكتفي الآن بالاشارة الى شيء من هذه المظاهر المدنية والترفية مما افاض به الشعراء . فمن ذلك قول ابي صفوان الاسدي ، مشيرًا الى تلك الصروح الشامخة :

واضحت ببغداد في منزلٍ له شرفاتٌ دونَ السما
وجيشٌ ، ورابطةٌ حولـه غلاظ الرقاب كأُسد الشرى
بايديهم خذَّات الصقال سُريجيَّةٌ يختلبنَ الطُلى (١

وقول عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير يصف طيب الحياة في بغداد وما في دجلتها من السفن الشامخة :

ما مثل بغداد في الدنيا ولا الدين ، عن نفسها في كلِّ ما حسنٍ ،
ما بين قَطْرَ بُلٍّ فالكرخ نزهةٌ تندى ، ومنت خيريّ ونسرين ،
تحيا النفوسُ بريّاها اذا نفحت وحرّكت بين اوراق الرياحين .
سقيًا لتلك القصور الشاهقات ، وما تحفي من البقر الأنسية العين !
تنتنُ دجلةُ فيا بينها ، فترى دهم السفين تعالى كالبراذين ،
مناظرٌ ذات ابوابٍ مفتّحة أنيقة بزخارفٍ وتزيين ،
فيها القصور التي ضوي باجنحةٍ باثرائرين الى القوم المزورين ،
من كل حرّاقةٍ يعلو فنارتها قصرٌ من الساج عالٍ ذو اساطين (٢

وفي وصف الحراقات في دجلة بيتان لابي نواس قالهما عندما امر الامين ان يُعمل له ، في سبيل لهوه ومسرّته ، خمس حرّاقات على صور الاسد والفيل

١) التالي : الامالي (طبعة دار الكتب المصرية) القاهرة ١٩٢٦ ، ٣ : ٢٢٧
٢) ياقوت : ك . م . ١ : ٦٨٦ — ٦٨٧

والعقاب والحية والفرس . فعُملت وسُيّرت في دجلة ، وركب الامين في حرّاقة الاسد . فقال ابو نوّاس :

عجب الناسُ ، اذ رأوك على صو رةِ ليثٍ تمرُّ مرَّ السحابِ .
سبّحوا ، اذ رأوك سرت عليه ، كيف لم يصروك فوق العُقابِ!(١)

نكبات بغداد

على ان هذا الازدهار العجيب توقف فجأة بسبب تلك الفتنة الهائلة التي حدثت بين الامين والمأمون ، بل بين العرب والفرس ، فقاست بغداد حصارها الاول سنة ٨١٢ ، مدة اربعة عشر شهراً ، فكان شديد الوطأة على الجانبين . وكان المأمون قد سيّر لحصار اخيه جيشاً انقسم قسمين : قسماً حاصر الجانب الشرقي بقيادة هرثمة بن أعيُن ، فعسكر قرب باب خُراسان المذكور آنفاً ، وقسماً حاصر الجانب الغربي بقيادة طاهر بن الحسين فاحتلّ الابواب الغربية واخذ يتقدم شيئاً فشيئاً . اما الامين فالتجأ الى المدينة المدوّرة وتحصّن فيها . حتى اذا يئس من الظفر خرج ليلاً من باب خراسان وركب سفينة قاصداً معسكر هرثمة على الجانب الشرقي ، فعُرف ، فأُمسك ، وقتل .

فكان من نتائج هذا الحصار ان نُكبت بغداد نكبة عظيمة فخربت احياء برمّتها ولاسيما في الرصافة والشماسية ، وكانت قصور البرامكة في هذا الحي قد انتقلت ، بعد ايقاع الرشيد بهم سنة ٨٠٣ ، الى الخلافة ، وقصر جعفر الى المأمون خاصة . ومما زاد المصيبة على بغداد ان الرعاع اعملوا يد النهب والتخريب والحريق في المدينة ، اثناء حرب الاخوين ، وبعد مقتل الامين . فاحترقت دور الحكومة وقصور الامين الخاصة .

ولم يتمكن المأمون من ترميم المدينة حالاً بعد انتصاره ، لانه ظل في خراسان ، ولم يدخل بغداد الا بعد مقتل اخيه بخمس سنوات .

وكان ، اثناء ذلك ، قد اعلن سنة ٨١٧ انه بايع بولاية العهد امام العلويين ، علي الرضا ابن موسى الكاظم . فنقم عليه العباسيون في بغداد وخلعوه وبايعوا

(١) ابن العبري : ك . م . ص ٢٢٢

عمه ابراهيم بن المهدي المشهور بالغناء ، ولقبوه « المبارك » . الا انه لم يكن مباركاً في خلافته القصيرة . وهو لم يهتمّ في حياته الا بالشرب وضرب العود والغناء ، فاين منه ضبط الاحكام ؟

وكان افراد الجيش وغوغاء العامة قد اعتادوا النهب والتخريب فلم يغيّروا عادتهم ، فظلّت الفوضى سائدة في المدينة . وليس ما يشير الى ان اهل بغداد اهتموا الاهتمام الكافي بهذا الخليفة الجديد . بل قد لا نبعد عن الصواب اذا قلنا انهم نادوا به غيظاً للمأمون ، ورغبةً في الشغب ليس غير . يدل على ذلك ما اورد صاحب الاغاني من حديث رفع الى اسحق مفاده ان ابراهيم بن المهدي بويع وقد قلّ المال عنده . « وكان قد لجأ اليه اعراب من اعراب السواد وغيرهم من اوغاد الناس فاحتبس عنهم العطاء . فجعل ابراهيم يسوّفهم ولا يرون له حقيقة . الى ان خرج اليهم رسوله يوماً ، وقد اجتمعوا وضجوا ، فصرّح لهم بانه لا مال عنده . فقال قوم من غوغاء اهل بغداد : « اخرجوا الينا خليفتنا يغني لاهل هذا الجانب ثلاثة اصوات ، ولاهل هذا الجانب ثلاثة اصوات ، فتكون عطاء لهم . . . » [1] وكفى بهذا القول دليلاً على روح التهكم في اهل بغداد ، وعلى انهم لم يقيموا وزناً لهذا الخليفة الجديد . ومن الادلة ايضاً انه عندما مات علي الرضا ، في السنة التالية ، وكتب المأمون الى اهل بغداد قائلاً : « انا نقمتم عليّ بسبب علي الرضا وقد مات . . . » ثاروا على ابراهيم بن المهدي فخلعوه ، فهرب واختفى . ولم ينل بغداد من خلافته الا مزيد فوضى ، وتتابع خراب .

على عهد المأمون

وفي ١٥ صفر سنة ٢٠٤ للهجرة الموافق الى ١١ آب ٨١٩ دخل المأمون بغداد ، فنزل الرصافة اولاً [2] واقام في قصره على شاطئ دجلة ، وهو قصر

١) الاغاني ١٨ : ٤٢ – ومن هذا النوع قول دعبل في هجوه ابراهيم :
خليفةٌ مصحفهُ البربطُ

٢) الطب : ابو الفضل احمد بن ابي طاهر طيفور : الجزء السادس من كتاب بغداد (نشر Keller) ليبسيك ١٩٠٨ ، ص ٢

جعفر القديم المعروف بالقصر « الجعفري » ، و«الشطي» ، ثم « المأموني ».

فرمّمه ووسّعه ، « واقتطع جملةً من البرية عملها ميداناً لركض الخيل واللعب بالصوالجة ، وحيّزًا لجميع الوحوش ، وفتح لـه باباً شرقياً الى جـانب البرية ، واجرى فيه نهرًا ساقه من نهر المعلّى . وابتنى مثلـه قريباً منه منـازل برسم خاصته واصحابه سُميت المأمونية »[1].

ثم انتقل المأمون الى قصر الخلد ، واهتم بترميم عاصمته ، وتزيينها ، فضلًا عن اساليب اللهو والسرور ، بكتب العلم والادب مما افاض به المؤرخون . حتى بلغت بغداد في عصره درجةً ساميةً من الازدهار انستها النكبات السابقة. فكثرت الثروات فيها ، وانغمس اربابها في الترف. انغماساً شديدًا . ولعلنا نرى شاهدًا على هذا في وصف عرس المأمون ، اذ عُقد له على بوران بنت الحسن بن سهل سنة ٨٢٥ ، مختصر ذلك عن المؤرخين ولا سيما المسعودي[2].

كان الحسن بن سهل ، ابو العروس ، يقيم في فم الصلح ، وهي بلدة على ضفة دجلة بالقرب من واسط . فانحـدر المأمون في النهر مع اهله واصحـابه وامرائه وبعض جنده . وحل ضيفاً على الحسن تسعة عشر يوماً حتى كان ميعاد العرس . فخرج الناس لحضوره ، بطريق النهر ، حتى قيل ان عدد المـلاحين في السفن التي كانت تنقل الناس بلغ عشرة آلاف وقيل : بل كان ستة وثلاثين الفاً . هذا عدا الزوارق والسفن الخاصة .

« ونثر الحسن في ذلك الاملاك (العرس) ما لم ينثره ولم يفعله ملـك قط في جاهلية ولا اسلام. وذلك انه نثر على الهاشميين والقواد والكتاب والوجوه بنادق مسك فيها رقاع باسماء ضياع واسماء جوار وصفات ودواب وغير ذلك . فكانت البندقة اذا وقعت في يد الرجل فتحها فيقرأ ما في الرقعة فيجـد على قدر اقباله وسعوده فيها . فيمضي الى الوكيل الذي نُصب لذلك ، فيقول له : ضيعة يُقال لها فلانة من طسوج كذا من رستـاق كذا . وجارية يقال لهـا

١) ياقوت : ك. م. ١ : ٨٠٧

٢) المسعودي : مروج الذهب (طبعة Barbier de Meynard) ٧ : ٦٥-٦٦

فلانة . ودابة صفتها كذا وكذا . ثم نثر بعد ذلك على سائر الناس الدنانير والدراهم ونوافج المسك وبيض العنبر . وانفق على المأمون وعلى جميع قواده واصحابه وسائر من كان معه من جنوده ايام مقامه عنده حتى المكارين والملاحين والحنالين ، وكل من ضمّه عسكره من تابع ومتبوع ومرتزق وغيره . فلم يكن احد الناس يشتري شيئاً في عسكر المأمون مما يتطعم ولا مما تعلفه البهائم .»

هذا بعض ما انفقه الحسن بن سهل . عدا ما انفقه المأمون . ومهما يكن من مبالغة فان الاحتفال بهذا العرس ، واهتمام الناس به على اختلاف طبقاتهم لدليل على الرخاء الذي كانت تتمتع به الدولة اذ ذاك . وكان من جملة تقادم المأمون أن اهدى الى عمه قصره المأموني ، قصر جعفر القديم ، فعُرف من ثم « بالقصر الحسني » . وقد انتقل هذا القصر الى بوران بعد وفاة ابيها فاقامت فيه حتى خلافة المعتمد على الله (٨٧٠–٨٩٢) فطلبه منها ، فاصلحته واهدته اليه .

الانتقال بالخلافة الى سامرّا

ولي الخلافة بعد المأمون اخوه المعتصم فكان من آثاره في بغداد انه شق نهر موسى . ولكن لم يقم فيها طويلاً ، حتى اخذ اهل المدينة يتشكون من جنوده من الترك ، وقد كثروا حتى بلغوا السبعين الفاً فكانوا يؤذون الناس . فرأى المعتصم ان يبعدهم عن المدينة . فانتقل بهم ، وبارباب دوائره ، الى محلة تبعد ثلاثة ايام عن بغداد صعوداً على ضفة دجلة ، فبنى فيها مدينة سامرّا او سُرَّ من رأى ، التي صارت عاصمةً للخلافة مدة ٥٦ سنة (٨٣٦-٨٩٢) فاقام فيها ثمانية خلفاء .

اما بغداد فكان يحكمها الولاة في تلك المدة . وكان اكثرهم من اسرة طاهر بن الحسين . ولا يظهر ان انتقال الخلافة والدوائر الرسمية منها أثر كثيراً فيها من حيث التجارة وازدهار الاعمال .

نكبات جديدة

على ان انتقال الخلافة لم يكن ليجعل بغداد بمعزل عن الحركات الثورية وما تجرّه عادة من ملمّات ونكبات متنوّعة . من الحق ان الجيش التركي وما

يتعلق به من مرتزقة وشذّاذ وغوغاء ، وطبقات الحاشية التركية جميعها ، كانت قد انتقلت مع الخليفة فسلمت بغداد نوعاً من نتائج فوضاها المباشرة . الا انها لم تسلم من تأثير هذه الفوضى ، عندما كانت تقوى في سامرّا فتتجاوز الى الثورة . كما حصل في السنة ٨٦٥ ، اذ ثار الجيش على المستعين (٨٦٢–٨٦٦) ، ولم يكن ذلك الا مظهراً من مظاهر استبداد الاتراك بالخلفاء البادئ منذ عصر المعتصم (٨٣٢ – ٨٤٢) . فهرب الخليفة ليلاً ، وانحدر الى بغداد . فبايع الخدم في سامرّا المعتزّ بالله . فكان من اول اعمال الخليفة الجديد ان جهّز جيشاً لمحاصرة بغداد والظفر بالمستعين . وكان حصار بغداد الثاني ، مؤدياً الى ما ادّى اليه الحصار الاول من خراب وحريق ونهب . وكأن الله خصّ الجانب الشرقي بتحمّل القسط الاوفر من النكبات فخربت محلات الشماسية والمخرّم

ثم تتابعت الثورات المتنوّعة في بغداد فدامت الفوضى اكثر من ثلاث سنوات (٨٦٦–٨٦٩) بين ظهور وخفوت .

اما في سامرّا فاخذت رقابة الاتراك على الخلفاء تشتدّ وطأة شيئاً فشيئاً . حتى كره المعتمد على الله (٨٧٠–٨٩٢) ان يظلّ في تلك البيئة الفاسدة ، فعاد بالخلافة الى بغداد في آخر ايامه .

الرجوع من سامرّا

القصر الحسني ، والتاج ، والثريا

وكان قد طلب من بوران[1] ، ارملة المأمون ، ان تعطيه القصر الحسني الذي كان المأمون قد اهداه الى عمه الحسن فانتقل اليها بعد وفاته . » فاستنظرت المعتمد[2] اياماً حتى رمّته وبيّضته وجصّصته وفرشته باجمل الفرش واحسنه .

١) عاشت بوران ٧٦ سنة (٨٠٨–٨٨٤) وتزوّجها المأمون سنة ٨٢٥ ، كما تقدّم . وماتت في خلافة المعتمد المذكور فلم تدرك المعتضد (٨٩٢–٩٠٢) . واذاً فلا صحة لما ذكره بعض المؤرخين من انها اهدت القصر الحسني الى المعتضد . انما اهدته الى المعتمد ، كما ذكرنا اعلاه .

٢) لا المعتضد كما اورد الخطيب : ك . م . ص ٤٨ ، ونقل عنه ابن الجوزي : ك . م .

وعلّقت اصناف الستور على ابوابه وملأت خزائنه بكل ما يُخدم الخلفاء به . ورتّبت فيه من الخدم والجواري ما تدعو الحاجة اليه.»[1] ثم اهدته الى المعتمد فكان يقيم مدة فيه ومدة في سامرّا حتى انتقل اليه نهائياً . ومات فيه.

ووليه المعتضد بالله (٨٩٢-٩٠٢) ثم ابنه المكتفي (٩٠٢-٩٠٨) . وكانا من ارباب السطوة والهيبة ، ومن الراغبين في البناء والعمران . فقضت بغداد في عصرهما عهد راحة وطمأنينة واستعادت ماضي ازدهارها.

وكان من آثار المعتضد ان وسّع القصر الحسني واضاف اليه دوراً عديدة ، واقتطع قسماً من البرّية فجعله ميداناً . واحاط الجميع بسور . ثم وضع آساس قصر آخر سماه « التاج » . وكان ان خرج الى آمد في اثناء حفر الاساسات . فلما عاد « رأى الدخان يرتفع الى الدار ، فكره ذلك » وترك التاج . ثم اختطّ على ميلين منه ، على نهر موسى ، قصراً جديداً دعاه « الثريا » . ووصله بالقصر الحسني بواسطة سرداب معقود تحت الارض تمشي فيه الجواري والحرم والسراري . وجعل حول الثريا الجنائن الزاهرة تترقرق فيها المياه ، على نحو ما وصف ابن المعتز في قوله :

سلمت ، امير المؤمنين ، على الدهر ! فلا زلت فينا باقياً واسع العمر !
حللت الثريا خير دار ومنزل ، فلا زال معموراً ، وبورك من قصر ! . . .
جنان واشجار تلاقت غصونها ، واورقن بالاثمار والورق الخضر ،
ترى الطير في اعطافهن هواتفاً تنقل من وكر لهنّ الى وكر . . .
وبنيان قصر قد علت شرفاته كصفّ نساء قد تزين في الأزر
واسرار ماء كالملاس وحفّت اترنجّ اولاد الرياحين والزهر
وميدان وحش تركض الخيل وسطه فيؤخذ فيها ما يشاء على قدر . . .
عطايا امير مثلهم كان عالماً بانك اولى الناس فيهنّ بالشكر.[2]

وظلّ القصر قائماً حتى فاضت دجلة فيضاناً قوياً سنة ٤٦٦ هـ.[3] (١٠٧٣-

---

ص ١٥ : على انها اشارة الى ابي الآخر القائل ان المعتمد طلب القصر.

١) الخطيب : الموضع المذكور ؛ وياقوت : ك. م. ١ : ٨٠٨

٢) ابن المعتز : الديوان . طبعة الانسي ، بيروت ١٣٣١ (١٩١٣) ص ١٢٨-١٢٩

٣) ابن الجوزي : ك. م. ص ١٧

١٠٧٤) وهو « الفرق الاول » كما يدعوه ياقوت[1] ، فاحدثت خراباً عظيماً في بغداد ، وكان من جملة ذلك خراب الثريا .

اما التاج فقد اتمّ بناءه المكتفي بالله (٩٠٢-٩٠٨) ابن المعتضد ، بواجهة مبنية على « خمسة عقود كل عقد على عشرة اساطين خمسة اذرع »[2] . وكان المعتضد قد امر بنقض القصر الابيض الكسروي في المدائن ، ذلك الذي باشر نقضه المنصور ثم اقلع ، فنُقضت مشارفه ورُضمت في الاساس . ثم نُقض ما تبقّى منه ، على عهد المكتفي ، ووُضعت آجرّه في مشارف التاج . وكان يتولى العمل رجل اسمه ابو عبد الله النقري ، فاعتبر هذا الامر وبكى ، على ما اورد ياقوت ، وقال : « ان فيما نراه لمعتبراً : نقضنا شرفات القصر الابيض وجعلناه في مسناة التاج ، ونقضنا اساساته فجعلناها شرفات آخر . فسبحان من بيده كل شيء حتى الآجرّ . »[3]

وبنى المكتفي الى جنب القصر قبة دُعيت قبة الحمار « لانه كان يُصعد اليها في مدرج حولها على حمار لطيف ، وهي عالية مثل نصف الدائرة . »[3]

فكانت هذه البنايات من اعاجيب بغداد . وبقيت كذلك مدة قرنين ونصف حتى كانت السنة ٥٤٩ هـ. (١١٥٤) ، في عهد المقتفي لامر الله (١١٣٦-١١٦٠) ، فوقعت صاعقة على القصر فتأججت النار فيه وفي القبة « وبقيت تعمل تسعة ايام . ثم اطفئت وقد صيّرته كالفحمة . »[3]

بعد المكتفي بالله ارتقى عرش الخلافة المقتدر بالله (٩٠٨-٩٣٢)[3] . وكان ، على ضعف سلطته تجاه تأثير الخدم النافذ[4] ، وافر رغبة في مظاهر الاناقة والترف . فزاد في زينة دار الخلافة زيادةً عجيبة قد يفوق وصفها

١) ياقوت : ك. م. ١ : ٨٠٨ ٢) ياقوت : ك. م. ١ : ٨٠٩

٣) تخلل خلافته خلافةُ ابن المعتز يوماً واحداً ، بل بعض يوم ، سنة ٩٠٨ ، وخلافة القاهر يومين سنة ٩٢٩

٤) من الامثلة على هذا التأثير ما يذكر ابن العبري في تاريخ السنة ٣١٧ هـ. (٩٢٩) : « وفي سنة سبع عشرة وثلاثمائة خُلع المقتدر بالله عن الخلافة ، وبويع اخوه القاهر بالله محمد ابن المعتضد فبقي يومين . ثم اعيد المقتدر . وكان السبب في ذلك استيحاش مؤنس الخادم . » (ابن العبري : ك. م. ص ٢٧٢-٢٧٣)

وصف قصور الاساطير والحكايات . وقد نقل لنا الخطيب البغدادي تفصيل مظاهر هذه الفخفخة عند ذكره وفد الروم القادم على المقتدر. واننا نستند اليه في الاشارة باختصار الى ما كان في دار الخلافة من مظاهر الابهة . من ذلك « دار الفيلة » فيها اربعة فيلة مزينة بالديباج والوشي. و« دار السباع » فيها مائة سبع. وبستان في وسطه « بركة رصاص قلعي حواليها نهر رصاص قلعي احسن من الفضة المجلوّة ، وطول البركة ثلاثون ذراعاً في عشرين ذراعاً ، فيها اربع طيارات لطاف مذهبة مزيّنة بالدبيقي المطرّز . » وفي البستان اربعمائة نخلة طول كل واحدة خمس اذرع. و« دار الشجرة » وفيها « شجرة في وسط بركة كبيرة مدوّرة فيها ماء صافٍ . وللشجرة ثانية عشر غصناً ، لكل غصن منها شاخات كثيرة عليها الطيور والعصافير من كل نوع مذهبة ومفضّضة . واكثر قضبان الشجرة فضة وبعضها مذهّب. وهي تتايل في اوقات ، ولها ورق مختلف الالوان يتحرك كما تحرّك الريح ورق الشجر . وكل من هذه الطيور يصفر ويهدر . »[1] ويزيد الخطيب ذاكراً تماثيل الفرسان القائمة حول البركة ، وهو يؤيد ما قلناه سابقاً عند ذكر صنم « القبة الخضراء »[2]. وهذا كلامه بنصه: « وفي جانب الدار يمنة البركة تماثيل خمسة عشر فارساً على خمسة عشر فرساً قد البسوا الديباج وغيره . وفي ايديهم مطارد على رماح يدورون على خط واحد ، فيظنّ ان كل واحد منهم الى صاحبه قاصد . وفي الجانب الايسر مثل ذلك . »[3] الى ما هنالك من مخازن السلاح ، وانواع الفرش والبسط الفائقة ، والرياش الفاخر ، وكثرة الخدم والغلمان وتنوّع مراتبهم واختصاصياتهم حتى لقد كان في دار الخلافة سبعة آلاف خادم : اربعة آلاف بيض ، وثلاثة آلاف سود ، وسبعمائة حاجب ، وكان عدد الجيش مائة وستين الف فارس وراجل[4] . الى غير ذلك من آلات الابهة ومظاهر العظمة مما حار به موفدا الروم فخلب لبهما كما يُستخلص من الوصف الطويل الذي خصه المؤلف بتلك الوفادة[5] .

---

١) الخطيب : ك. م. ص ٥٣-٥٤ ٣) راجع ص ٨١

٢) الخطيب : ك. م. ص ٥٤ ٤) الخطيب : ك. م. ص ٥١

٥) الخطيب : ك. م. ص ٤٩-٥٦ . — اما الموفدان فكانا البطريق جان رادينوس

وقد لا نكون مخطئين اذا قلنا ان عصر المقتدر كان ، كعصر الرشيد والمأمون ، من اعظم العصور عائدةً على بغداد من حيث ازدهارها ، واتساع حركتها ، ووفرة مظاهر البذخ والترف فيها[1] .

على ان للمدن ، كما للافراد والشعوب ، سني نعيم وسني شقاء ، وعصور ازدهار وعصور انحطاط . وقد مرّ بنا ذكر شيء مما توالى على بغداد من النوائب . وكان لها ان تقاسي شيئاً من ذلك ايضاً بعد عصر المقتدر . فقد تعدّدت مظاهر الشغب ، ولاسيما في الجيش ، وما يليها من نهب وحريق ، حتى ضعُفت الخلافة شيئاً فشيئاً منذ عصر الراضي (٩٣٤—٩٤٠) فقويت شوكة الخدم وازداد نفوذهم ، بل اصبحوا الحكام المطلقين . فامتدّ الانحلال في عناصر السلطة الاصلية ، وكثرت الفوضى والفتن الداخلية والنكبات ، مما مهّد السبيل لدخول البويهيين بغداد سنة ٩٤٦ ؛ فتشعّبت السلطة ، وتعدّدت بلاطات الملوك والامراء ، وفي كل منها طائفة من الادباء . فلم تبقَ بغداد تلك العاصمة الادبية العظمى ، بل انحطت الى درجة غيرها ، بل الى احطّ من درجة غيرها من العواصم التي تقاسمت مظاهر الادب العربي منذ القرن العاشر . ولا يدخل في بحثنا هذا درس بغداد بعد ذاك العصر[2] .

وميشال توكاراس ، اوفدهما الامبراطور قسطنطين بورفيروجينيت في طلب المهادنة والفداء . فاحسن المقتدر وفادتهما ، واجابهما الى رغبة الامبراطور . اطلب ابن العبري : ك . م . ٢٧٠ ؛ و Salmon, *op. cit.*, p. 132, note 1.

١) وبينا كانت بغداد تتقدّم وتستعيد ازدهارها بسرعة عجيبة ، كانت سامرّا تنحطّ وتتأخر بسرعة عجيبة كذلك . فبعد ان اوجدها المعتصم كبيرةً ضخمةً دفعة واحدة ، وبلغ بها المتوكل اسمى درجات الفخامة ، هبطت اذ انتقل عنها المعتمد هبوطاً عظيماً ، حتى لم يمضِ على ذلك الانتقال بضع عشرة سنة الا كان الخراب قد شمل اكثرها ، واخذ الناس يسلّون انقاض قصورها المتداعية « كالفيل الماشت تُسلّ منه العظام » على قول ابن المعتزّ :

قد افقرت مُرّ من را ، وما لشيء دوامُ !
فالنقض يُحمل منها ، كأنما آجامُ ،
ماتت ، كما مات فيلٌ تُسلّ منه العظامُ !

٢) يجد المطالع في بعثة ماسينيون Massignon, *Mission...*, p. 77-118 وصفاً اجمالياً لما تبقّى من آثار بغداد القديمة حتى السنة ١٩٠٨

عدد سكان بغداد

احصائيات متنوّعة

كم كان يعيش من الناس في هذه المدينة العظيمة ؟

نُقرّ بكل بساطة ان مؤرخي العرب ، الذين حسبوا لنا كم دخل من لبنة في كل ساف من سور مدينة المنصور ، وعدّوا الدنانير والدراهم المنفقة على بناء تلك المدينة ، وذرعوا كل ما بناه الخلفاء طولاً وعرضاً وارتفاعاً ، لم يكلفوا انفسهم القيام باحصاء معقول لسكان تلك المدينة . ولا يعني هذا ان ليس لدينا ارقام . . . ان الارقام لكثيرة حتى تدفعنا تلك الكثرة الى الارتياب والشك فالظن ان اربابها لا يقدّرون ماهيتها ، ولا ما تمثّل في الحقيقة . وكل هذه الارقام ترجع الى خراب بغداد على يد هولاكو سنة ١٢٥٨ ، زمن انقراض الدولة العباسية ، وكانت العاصمة قد انحطت كثيراً عن عظمتها السابقة ، فدخلها التتار واعملوا السيف في اهلها . وهنا يتبارى المؤرخون في عدّ القتلى فيتجاوزون مئات الالوف الى الملايين ، متنقّلين بين « ثمانمائة الف » ، « وما ينيف على الفي الف وثلثمائة الف وثلاثين الف نفس » لا اكثر ولا اقل[1] .

فاذا كان هذا عدد القتلى في بغداد ، آخر زمن الخلافة العباسية ، وقد خرب الكثير من احيائها بسبب الثورات والحرائق والمشاغبات المتتابعة . فكم وجب ان يكون عدد سكانها على عهد المأمون او المقتدر ؟

فواضحٌ اذاً ان هذا الاحصاء غير معقول ، وان هذا القياس لا يمكن ان يؤخذ به .

على ان هناك قياساً آخر يُخيّل الى الدارس ، اول وهلة ، انه يمكن الاعتماد عليه . وهو عدد الحمامات والمساجد في بغداد ابان ازدهارها ، وقد عُني الخطيب بذكرها .

اما الحمامات فقد نقل الخطيب عمن قرأ في «كتاب بغداد» لطيفور الكاتب

---

١) اطلب في ذلك بحثاً دقيقاً لحبيب زيات : « المجازفة بالارقام في التاريخ » في المشرق (٣١ [١٩٣٣] : ١٦٦-١٦٧)

في القرن التاسع (+ ٨٩٣) انها كانت ستين الفاً . وزاد : « اقل ما يكون في كل حمام خمسة نفر : حمّامي ، وقيّم ، وزبّال ، ووقّاد ، وسقّاء . يكون ذلك « ثلثمائة الف رجل» . ثم حسب كم يُنفق من الصابون فمن الزيت ليلة العيد[1] . . .

اما المساجد فذكر المؤرخ نفسه « انه يكون بازاء كل حمام خمسة مساجد ، يكون ذلك ثلثمائة الف مسجد . وتقدير ذلك ان يكون اقلّ ما يكون في كل مسجد خمسة انفس ؛ يكون ذلك الف الف وخمسمائة الف انسان . »[1]

٣٠٠,٠٠٠ شخص لخدمة الحمامات ، و١,٥٠٠,٠٠٠ شخص لخدمة المساجد ! أوَ يمكن ان نتصوّر هذا في بغداد مهما كانت ضخمةً ، ومهما بلغ من رغبة اهلها في النظافة ، ومهما كان من تقواهم وشعورهم الديني . لا شك في ان الحمامات كانت عديدة لاسباب منها كثرة الغبار والعرق في تلك المنطقة الحارة ، ومنها الرغبة في التنعم والرفاهية ، ومنها فروض الاسلام الدينية من وضوء وتطهير . . . ولا شك في ان المساجد كانت عديدة كذلك ، بل كان من عادة الوزراء والكبراء ان يبنوا المساجد بدليل ما يُستخرج من قول مَن هجا البرامكة بريائهم وتظاهرهم بالدين الاسلامي على كفرهم الباطني ، قال :

ان الفراغ دعاني الى بناء المساجد
وان رأيي فيها كرأي يحيى بن خالد !

اما ان تبلغ الحمامات والمساجد الى العدد المذكور اعلاه فغير معقول . وما قولكم في مدينة يبلغ عدد خدمة الحمامات والمساجد فيها مليوناً وثمانمائة الف ! . . . ايجب ان يقلّ عدد سكانها عن الخمسين مليوناً ؟ . . . وهي ارقام اقرب الى الخيال والمجازفة منها الى العقل السليم .

ولعل عدد الحمامات كان يدور حول ثلاثة آلاف ، كما ذكر الخطيب نفسه في احدى رواياته المتعدّدة[2] ، وقد يكون عدد المساجد قريباً من هذا الرقم .

وهناك احصاء آخر قد يقدّمنا بعض الشيء في تقدير عدد السكان ، وهو احصاء الاطباء . وتفصيل ذلك ان المتطببين كثروا في بغداد في اوائل القرن العاشر ، وكان فيهم عدد من الدجالين يجازفون بارواح العباد بل ان بعضهم سقى

١) الخطيب : ك . م . ص ٧٤-٧٥ ٢) الخطيب : ك . م . ص ٧٥

رجلًا دواء فاسدًا فمات الرجل . فامر الخليفة ، إما المقتدر وإما القاهر ، بمنع جميعهم عن التطبيب الّا من امتحنه سنان بن ثابت († ٩٤٣) واعطاه تصريفاً . فصاروا اليه فامتحنهم وصرّف كلًّا منهم بما يصلح له . وقد بلغ ما اعطى من المأذونيات ثمانمائة وستين في جانبي بغداد . هذا عدا مَن استغنى بشهرته عن الامتحان ، وعدا من كان متملّقاً بخدمة السلطان . فاذا قدّرنا عدد هؤلاء الاطباء المشهورين قريباً من المائة والخمسين ، كان لنا في بغداد ، زمن ازدهارها ، نحو الف طبيب .

واذا اعتبرنا الآن مدينة بيروت ، وهي مشهورة بكثرة اطبائها ، رأينا ان عددهم فيها يبلغ ٢٦٥ طبيباً . اما سكان بيروت فيبلغون ، بحسب احصاء سنة ١٩٣٢ ، ١٦٠,٧٥٩ يُضاف اليهم كثير من سكان العاصمة الذين تقيّدوا في الجبل ، وعدد من الذين لم يحصوا . وعليه فاننا لا نبالغ اذا رفعنا هذا الرقم الى المائتي الف . فيكون فيها طبيب لكل ٧٥٤ شخصاً تقريباً . هذا في بيروت المشهورة بكثرة الاطباء . اما في بغداد العباسيّين فيمكننا بكل سهولة ان نقدّر طبيباً لكل الف شخص ، فيكون لنا مجموع من السكان يقرب من المليون . وهو معقول .

وقد نصل الى النتيجة نفسها اذا ما استندنا الى مساحة بغداد في ذاك العصر . وهنا لا بد من العودة الى الخطيب . وقد ذكر عدة روايات في مساحة عاصمة العباسيين ، منها رواية طيفور وخلاصتها ان مساحة بغداد كانت ، في القرن التاسع ، ٥٣,٧٥٠ جريباً . ورواية محمد بن يحيى البالغة مساحة بغداد ٤٣,٧٥٠ جريباً[1] .

اما الجريب فيختلف مقداره باختلاف البلدان . وفي كتب اللغة ومجموعات المكاييل تقادير عديدة . منها انه كان يبلغ عشرة اقفزة والقفيز من الارض مائة واربع واربعون ذراعاً ، ومنها انه اربعة اقفزة ، ومنها انه عشرة آلاف ذراع ؛ وهذا الاختلاف ناتج عن ان الجريب كان مقياساً للكيل ، ثم قياساً للمساحة التي تتسع لبذار جريب من الحنطة . فخلط الناس بينهما وبين كسر

١) الخطيب : ك . م . ص ٧٤

الكيل وكسر المساحة . ولعلّ الاقرب الى الصواب ما ذكره قدامة من ان الجريب ثلاثة آلاف وستمائة ذراع ، ويريد الذراع السوداء او المأمونية المربعة ، وقد تقدم لنا انها تعادل نحو نصف المتر.

فاذا اعتبرنا هذا المقدار للجريب وضربنا به العدد المذكور لمساحة بغداد عن طيفور كان لنا ٥٣,٧٥٠ × ٣,٦٠٠ = ١٩٣,٥٠٠,٠٠٠ ذراع مربعة . واذا حوّلناها الى امتار على حساب الذراع السوداء المتقدّمة الذكر كان لنا ٤٨,٣٧٥,٠٠٠ متر مربّع[1] ، وهو ما يقرب من تقدير ستريك لمساحة بغداد في عهد المهدي ، اذ يقول انها كانت تبلغ من سبعة الى ثمانية كيلومترات في مثلها[1].

هذا معدّل ما ذكره طيفور (+ ٨٩٣) . ولا يخفى ان بغداد اتسعت بعد هذا العهد ، ولاسيما زمن المكتفي والمقتدر ، حتى اننا لا نخطئ اذا اضفنا الى تقديرنا وتقدير ستريك ثلث قيمته ، فتبلغ مساحتها من ٦٠ الى ٧٠ مليوناً من الامتار المربعة ، يخرج منها لا اقل من عشرة ملايين مساحة القصور والبساتين والشوارع والساحات العامة والمقابر . ثم اذا جعلنا للبيت الصغير المتسع خمسة انفار فقط من ٣٠٠ الى ٤٠٠ متر مربع كان لنا ما يقرب من مائتي الف بيت مجموع سكانها نحو مليون نفس ، عدا ارباب القصور وحاشية الخلافة ، وهو معقول . وقد وصلنا الى مثل هذا التقدير في الاستناد الى عدد الاطباء.

هذا ومما يدل على سعة بغداد القديمة ووفرة عدد سكانها ان بغداد الحالية

١) لقد عرض الامير شكيب ارسلان لهذا الموضوع في مقال دعاه « مدينة السلام » وصف فيه تاريخ بغداد للخطيب (مجلة « الثقافة » دمشق ، العدد الاول : نيسان ١٩٣٣ ص ٤–١٥) فاعتمد الرواية الثانية الناقلة : ٥٣,٧٥٠ جريباً ، واعتبر الجريب عشرة اقفزة ، والقفيز مائة واربع واربعين ذراعاً ، فكان له « ثلاثة وستون مليون ذراع مربع » (كذا في ص ١) ثم اعتبر الذراع ثلثي المتر فطرح من قيمة المساحة ثلثها فكان له ٤٢,٠٠٠,٠٠٠ متر مربع . وفاته ان عملية الطرح هذه فاسدة ، لان الذراع البسيطة اذا كانت ثلثي المتر البسيط ، لا يمكن ان تكون الذراع المربعة ثلثي المتر المربع ، وهو من بديهيات علم الحساب . . . واذاً ، فتكون النتيجة انه بالغ في تصغير بغداد ، واعطاها مساحةً لا يمكنها ان تسع « الثلاثة الملايين » التي يريد ان يجعلها فيها (ص ١٤) .

١) Streck, *loc. cit.*, p. 577

لا تحتل اكثر من ربع المساحة القديمة ، على كون سكانها يقربون اليوم من ثلثمائة الف . وكذلك ان مدينة الكاظمين التي كانت سابقاً في اطراف بغداد الكبرى تبعد عن بغداد اليوم نحو عشر دقائق بالسيارة .

وللقدماء شهادات عديدة على كثرة السكان في هذه المدينة الهائلة . من ذلك قول ابن الجوزي ان المجتاز كان «لا يخلص في سوق الكبش والاسد — وهما في اطراف المدينة — من كثرة الزحمة .»[1] وما رواه ياقوت عن عبد الملك ابن صالح بن علي بن عبد الله بن عباس ، انه قدم بغداد فرأى كثرة الناس بها فقال : «ما مررت بطريق من طرق هذه المدينة الا ظننت ان الناس قد نودي فيهم .»[2]

واذاً فلا نستغرب ان يبدأ ياقوت مقاله عن بغداد بقوله : هي «أمّ الدنيا وسيدة البلاد .»[3] ولا نستغرب كذلك ان يسأل الامام الشافعي تلميذه يونس بن عبد الاعلى : «يا يونس دخلت بغداد ؟» فيجيب يونس : لا . فيقول الامام : «يا يونس ، ما رأيت الدنيا ، ولا رأيت الناس !»[4]

اما العناصر البشرية التي كانت تتعايش في هذه «الدنيا» ، فتمازج ، وتتنافس ، وتتطاحن في سبل الحياة المتنوعة ، فسنخصّ بدرسها بحثاً آخر ، ان شاء الله .

ملحق

رأينا ان نلحق بهذا البحث جدولين :

الجدول الاول باسماء الخلفاء العبّاسيين في الحقبة التي يعنينا درسها ، وهو معروض على مظهرين : ١ً حسب تسلسل خلافاتهم — ٢ً حسب تسلسل انسابهم

الجدول الثاني باسماء مؤرّخي بغداد عصراً فعصراً .

---

١) ابن الجوزي : ك . م . ص ٢٤

٢) ياقوت : ك . م . ١ : ٦٨٧

٣) ياقوت : ك . م . ١ : ٦٧٧

٤) ابن الجوزي : ك . م . ص ٢٢

الجدول الاول

١ً ـــ الخلفاء حسب تسلسل خلافاتهم

١ السفّاح	٣٠ ت ١	٧٤٩ – ٧٥٤		الهاشمية
٢ المنصور	٩ حزيران	٧٥٤ – ٧٧٥		دار السلام
٣ المهدي	٧ ت١	٧٧٥ – ٧٨٥		امّ الرصافة
٤ الهادي	٤ آب	٧٨٥ – ٧٨٦		قُتل
٥ الرشيد	١٥ ايلول	٧٨٦ – ٨٠٩		قصر جعفر
٦ الامين	٢٤ اذار	٨٠٩ – ٨١٣		حصار بغداد الاول ٨١٢ – قُتل
٧ المأمون(١	٢٦ ايلول	٨١٣ – ٨٣٣		دخل بغداد ٨١٩ – المأمونية
٨ المعتصم بالله(٢	٧ آب	٨٣٣ – ٨٤٢		قصر ثمر موسى – سامرّا ٨٣٦
٩ الواثق بالله	٥ ك ٢	٨٤٢ – ٨٤٧		في سامرّا
١٠ المتوكل على الله	١٠ آب	٨٤٧ – ٨٦١		في سامرّا
١١ المنتصر بالله	١١ ك ١	٨٦١ – ٨٦٢		في سامرّا
١٢ المستعين بالله	٦ حزيران	٨٦٢ – ٨٦٦		عاد الى بغداد – الحصار الثاني ٨٦٦
١٣ المعتزّ بالله	٢٥ ك ٢	٨٦٦ – ٨٦٩		في سامرّا – قُتل
١٤ المهتدي بالله	١١ تموز	٨٦٩ – ٨٧٠		في سامرّا – قُتل
١٥ المعتمد على الله	٢١ حزيران	٨٧٠ – ٨٩٢		عاد الى بغداد
١٦ المعتضد بالله	١٦ ت ١	٨٩٢ – ٩٠٢		الثريا والتاج
١٧ المكتفي بالله	٥ نيسان	٩٠٢ – ٩٠٨		امّ التاج
١٨ المقتدر بالله(٣	١٣ آب	٩٠٨ – ٩٣٢		وفد الروم ٩١٧
١٩ القاهر بالله	٣١ ت ١	٩٣٢ – ٩٣٤		خُلع
٢٠ الراضي بالله	٢٤ نيسان	٩٣٤ – ٩٤٠		انحطاط الخلافة
٢١ المتقي لله	٢٣ ت ١	٩٤٠ – ٩٤٤		خُلع
٢٢ المستكفي بالله	١٢ ت ١	٩٤٤ – ٩٤٦		خُلع وقُتل ١٥ ك ٢ ٩٤٦

١) بينما كان لا يزال في خراسان ، بويع في بغداد عمه ابراهيم بن المهدي ولُقّب « بالمبارك » (٢٤ تموز ٨١٧ - ١٨ ك١ ٨١٨)

٢) بويع المعتصم من المأمون في دمشق ٨٣٣ – وبايع العلويون محمد بن القاسم العلوي ٨٣٣

٣) تخلّل خلافة خلافة ابن المعتزّ « المرتضى » يوماً واحداً (١٨ ك ١ ٩٠٨)، وخلافة القاهر يومين (٢٨ شباط ٩٢٩)

الجدول الاول

٢ ـ الخلفاء حسب تسلسل انسابهم

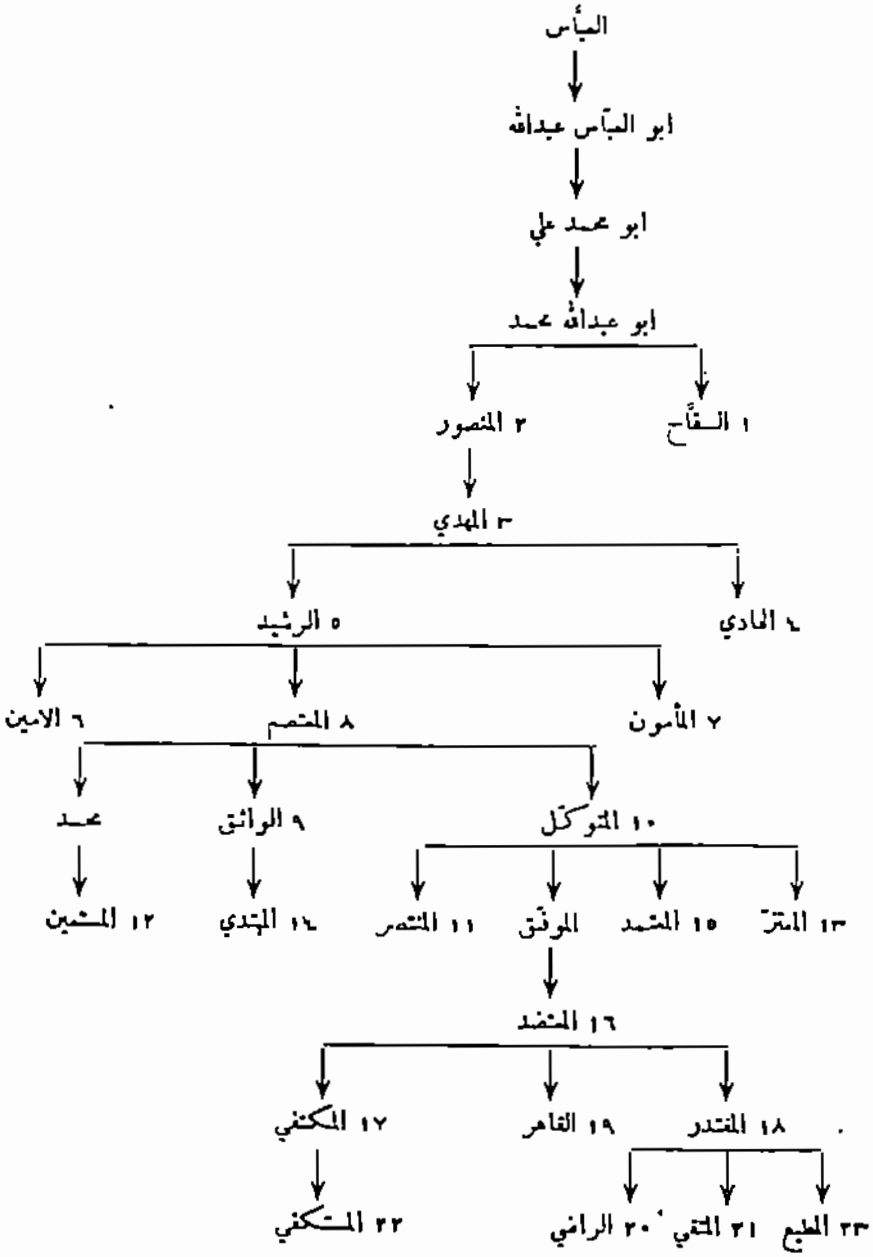

الجدول الثاني

مؤرّخو بغداد

نذكر في هذا الجدول اشهر من كتب عن بغداد من مؤرّخين ، وجغرافيين ، ورحّالة ، ممن امكننا الوقوف على آثارهم :

القرن التاسع :

ابو الفضل احمد بن ابي طاهر طيفور : كتاب بغداد . لم يصل الينا منه الا الجزء السادس ، محفوظًا في المتحف البريطاني في لندن ؛ وقد نشره هنس كلر بخطّه ، في ليبسك سنة ١٩٠٨ :

Dr H. Keller, *Sechster Band des Kitâb Baġdâd von* Aḥmad ibn abî Ṭâhir Ṭaifûr, Leipzig, 1908

البلاذُري : فتوح البلدان (طبعة de Goeje) ليدن ، ١٨٦٦

ابن رُسته : الاعلاق النفيسة (طبعة de Goeje) ليدن ، ١٨٩١

اليعقوبي : كتاب البلدان — في آخر كتاب ابن رسته ، في الطبعة المتقدم ذكرها .

ابن خُرداذبَه : المسالك والممالك (طبعة de Goeje) ليدن ، ١٨٨٩

قُدامة بن جعفر : كتاب الخراج وصنعة الكتابة : منتخبات منه في آخر كتاب ابن خُرداذبه ، في الطبعة المتقدم ذكرها .

ابن الفقيه الهمذاني : مختصر كتاب البلدان (طبعة de Goeje) ليدن ، ١٨٨٥

الطبري : تاريخ الرسل والملوك (طبعة de Goeje) ليدن ، ١٨٨٠

القرن العاشر :

المسعودي : مروج الذهب ومعادن الجوهر (طبعة Barbier de Meynard) باريس ، ١٨٧٧

الاصطخري : مسالك الممالك (طبعة de Goeje) ليدن ، ١٨٧٠

ابن حوقل : المسالك والممالك (طبعة de Goeje) ليدن ، ١٨٧٣

المقدسي : معرفة الاقاليم (طبعة de Goeje) ليدن ، ١٨٧٧

ابو الفرج الاصبهاني : كتاب الاغاني ، بولاق ، ١٨٦٦

ابن النديم : الفهرست (طبعة Flügel) ليدن ، ١٨٧١

ابن مسكويه : كتاب تجارب الامم (طبعة Amedroz) مصر ، ١٩١٦

القرن الحادي عشر :

الهلال الصابئ : تحفة الامراء في تاريخ الوزراء ؛ ويليه الجزء الثامن من تاريخه (طبعة Amedroz) بيروت ، ١٩٠٤

الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد – نشر مقدّمته جورج سلمون في كتابه الآتي ذكره ، وهي وحدها ضمّنا في الموضوع الحالي . ثم نشر التاريخ في القاهرة ، ١٩٣١

القرن الثاني عشر :

ابن الجوزي : مناقب بغداد (طبعة الاثري) بغداد ، ١٣٤٢ هـ. (١٩٢٣)

ابن جبير : رحلته (طبعة Wright) ليدن ، ١٨٥٢

القرن الثالث عشر :

ياقوت : معجم البلدان (طبعة Wüstenfeld) ليبسيك ، ١٨٦٦

ابن الاثير : الكامل ، مصر ١٣٩٠ هـ. (١٨٧٣)

ابن العبري : تاريخ مختصر الدول (طبعة صالحاني) بيروت ، ١٨٩٠

ابن الطقطقي : الفخري في الآداب السلطانية (طبعة Derenbourg) باريس ، ١٨٩٥

القرن الرابع عشر :

ابو الفداء : تقويم البلدان (طبعة de Slane et Reinaud) باريس ، ١٨٤٠

ابن بطّوطة : تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار (طبعة Defrémery et Sanguinetti) باريس ، ١٨٥٩

القرن التاسع عشر :

البستاني : دائرة المعارف : المجلد الخامس ، بيروت ، ١٨٨١

نابليون الماريني : نزهة العباد في مدينة بغداد ، بيروت ، ١٨٨٧

القرن العشرون :

G. Le Strange, *Baghdad during the Abbasid Caliphate*, Oxford. 1900

Clément Huart, *Histoire de Bagdad dans les temps modernes*. Paris, 1901

G. Salmon, *L'introduction topographique à l'histoire de Bagdâdh d'al-Khaṭib al-Bagdâdhi*, Paris, 1904

وانظر نقدًا لهذا الكتاب بقلم دي غويه *J. As.*, 1904, p. 159-169

Habib Chiha, *La province de Bagdad*, Le Caire, 1908

L. Massignon, *Mission en Mésopotamie 1907-1908* [*Mémoires de l'Inst. français d'arch. orientale du Caire*, XXVIII, 1910 et XXXI, 1912]

M. Streck, *Baghdâd* [*Encyclop. de l'Islam, I*]

علي ظريف الاعظمي: مختصر تاريخ بغداد القديم والحديث ، بغداد ١٣٤٤ هـ. (١٩٢٦)

ومن اراد زيادة معلومات عن مؤرخي بغداد من عرب وفرس وترك وافرنج فعليه بلائحة واسعة في كتاب ماسينيون السابق الذكر المجلد ٢ : ٥٥-٥٦

اخبار

سفر المونسنيور فرنسيس پيكيت

الى بلاد ارمينية والعجم ١٦٨١–١٦٨٤

كتبها السيّد اثناسيوس سفر العطار السرياني اسقف ماردين ،
مرافق المسافر وترجمانه

نشرها المنوري اسحق ارملة السرياني

توطئة

منذ ربع قرن فنشرنا على صفحات « المشرق » الاغرّ (١١ [١٩٠٨] : ٥٦٣) ترجمة السيد اثناسيوس سفر العطّار ، مطران ماردين ، وأشرنا هناك (ص ٥٦٩) الى كتابه هذا الذي ضمّنه اخبار رحلة السيد فرنسيس پيكيت الى بلاد ارمينية وفارس . وقلنا ان نسخة تلك الرحلة مصونة في المكتبة الواتكانية برومية تحت الرقم ٢٣٢ . ثم جاء الاب الفاضل القس بطرس سارة ، الراهب اللبناني ، فنشر على صفحات هذه المجلة عينها ، عام ١٩٢٥ ، ترجمة هذا الحبر القدّيس والقنصل والسفير الفرنسي المجيد ، وأشار الى صلات الاب سفر السرياني به ومرافقته اياه في رحلته من ديار بكر الى ارمينية وفارس .

مرّت الايام تلو الايام حتى قيّض الله تعالى لنا ان نزور عاصمة الكثلكة ، عام ١٩٣٠ ، ونحظى في دار كتبها الواتيكانية العامرة بهذا المخطوط الفريد النفيس . فنسخناه بالحرف نزوم نشره . وهو مخطوط صغير الحجم يقع في ٢٠٨ صفحات طوله ١٢ س في عرض ١٠ س . كتبه مؤلفه القس سفر بالعربية بحروف كرشونيّة جميلة على ورق صقيل متين ، مكسوّة دفتاه بجلد ابيض ، واورد فيه بعبارة سهلة أخبار رحلة السيد پيكيت من ديار بكر الى همذان من السنة

١٦٨١ الى السنة ١٦٨٤ ؛ معرباً عن مزايا ذلك الحبر الجليل ، ومشيراً الى اخلاصه وتفانيه في خدمته مدّة ثلاث سنوات واربعة اشهر اذ كان وكيله وترجمانه الامين في العربية والتركية والفارسية والارمنية .

وُلد السيد فرنسيس بيكيت في ليون في ١٢ نيسان ١٦٢٦ . ونُصب قنصلاً في حلب (١٦٥٢-١٦٦٢) خلفاً للمسيو انج يونين . ومن جملة مآثره في تلك الحاضرة انه صرف المساعي المشكورة في ترقية السيد اندراوس اخيجان الى الرتبة الاسقفية عام ١٦٥٦ ، بوضع يد السيد يوحنا الصفراوي ، بطريرك السريان الموارنة الانطاكي . واستحصل صكّ الموافقة على سيامته من اغناطيوس شمعون بطريرك السريان المنفصلين . وسعى كذلك في ترقيته الى الكرسي الانطاكي عام ١٦٦٢ ، وساعده في محنه وشدائده الكثيرة . وقد ورد في اخبار الكنيسة السريانية ان السيد اندراوس اجاب الى طلب صديقه القنصل الورع فرقاه الى رتبة مطران الرتل في كنيسة حلب في ١٠ كانون الاول ١٦٦٠ ، حسب الطقس السرياني .

وفي السنة ١٦٦٢ ، غادر السيد بيكيت مدينة حلب الى رومية وحظي بالمثول لدى الحبر الاعظم البابا اسكندر السابع (١٦٥٥-١٦٦٧) واطلعه على تفاصيل احوال الملل الشرقية عامة . ثم انطلق الى ليون وطنه ، وحلّ في دار غودفروا والده . وما عتم ان نزعت نفسه كشقيقه الى الزهد في الدنيا . ونصبه البابا اقليمس العاشر (١٦٧٠-١٦٧٦) نائباً رسولياً عاماً على بلاد ما بين النهرين طبقاً لبراءة مؤرخة في ١٥ كانون الثاني ١٦٧٥ وفي ١٦ ايلول ١٦٧٧ ارتقى السيد بيكيت الى الكرامة الاسقفية بوضع يد نيافة الكردينال غريمالدي . واوفد اليه الحبر الروماني مار اينوشنسيوس الحادي عشر (١٦٧٦-١٦٨٩) براءة رسولية عام ١٦٧٨ يسميه بها زائراً رسولياً لقبرس ، وحلب ، وطرابلس ، ولبنان ، وابرشية نخجفان بارمينية .

أبحر السيد بيكيت في ١١ ايلول ١٦٧٩ من فرنسة الى مالطة ووصل الى الاسكندرونة في ٦ تشرين الثاني . ثم عرّج على انطاكية ، وشخص الى حلب مركز قنصليته سابقاً . وفي ٢٨ آب ١٦٨٠ حضر في كنيسة السريان رسمياً

الاحتفال بتقليد الدرع المقدّس للسيد اغناطيوس بطرس شاهبادين ، بطريرك السريان الانطاكي (١٦٧٨–١٧٠٢) ، وألقى اثناء الاحتفال خطبة عربية في الثناء على فضائل ذلك الحبر الانطاكي النبيل الذي توفاه الله تعالى برائحة القداسة ، منفياً في قلعة آطنه .

ظلّ السيد پيكيت نحو سنتين في حلب ينتظر بذاهب الصبر وصول جواز السفر من قسطنطينية العاصمة . وكان نصارى ارمينية وبلاد فارس من ارمن وسريان وناطرة يكاتبونه اذ ذاك ويستعجلونه على الذهاب اليهم . فكتب الى لويس الرابع عشر ، ملك فرنسة (١٦٤٣–١٧١٥) ملتمساً ، ان يستميه سفيراً خارق العادة لدى شاه العجم . فاستحسن الملك اقتراحه وكتب في ذلك الى سفيره في قسطنطينية ، والى شاه العجم نفسه . وما كادت تصل الكتب الى السيد پيكيت ، السفير الجديد ، حتى غادر الشهباء في اواسط نيسان ١٦٨١ وشخص الى ديار بكر فبلغها في ١٠ ايار . وهناك قرّ رأيه على اتخاذ القس سفر العطار الماردينيّ السرياني ترجماناً له . فاغتنم القس سفر تلك الفرصة ليكتب اخبار معلّمه مياومةً . ولما اعتزم على الاقامة في رومية انصرف الى جمعها في هذا المخطوط الفريد الذي نتحف به القراء ، تاركين النصّ على حالته مشيرين الى صفحاته تباعاً بين معقفين ، مثبتين في الهامش نتفاً من الفوائد التاريخية والجغرافية ، مع شرح الالفاظ الغريبة .

وقبل اثبات نصّ هذه الرحلة نرى ان ننبّه القراء الى ما كان يعترض المسافر في الامس من الموانع والصعوبات ، وما كان ينفقه من المبالغ الوافرة ، ويقضيه من الايام الطويلة توصلاً الى غايته . فقد لبث المونسنيور پيكيت الجليل مدة سنتين في حلب ينتظر ورود اوراق جواز السفر من الاستانة . ولولا توسط السفارة الفرنسية في ذلك لاقتضى لمنال الجواز مدة اطول ومبالغ اوفر . ثم استدرك ما قد يطرأ عليه في طريقه الشاقة الطويلة من الغوائل والاخطار والطوارق ، فأعدّ ما يلزمه من المحافظين والجنود ليقوه شرّ الاكراد وقطاع الطريق في بلادٍ استفحل فيها الاستبداد ، وتفاقم السلب والنهب والقتل . وهيّأ من المؤونة والامتعة ما يكفيه ويكفي اصحابه ، ويقيهم لوافح الحرّ

ونوافح البرد وهبوط الامطار والثلوج ، وهبوب الرياح والعواصف . واذدخر من الادوية والعلاجات ما يدفع عنه وعنهم صنوف الامراض لداعي تقلبات الجوّ واختلاف المناخ ، في رحلة استغرقت اربعين شهرًا ، وفي بلاد خلت من طرق العربات والسيارات والقطارات . وما عدا هذا كله فقد اضطرّ المونسنيور بيكيت ان يجامل المكارين ويجاريهم في مطامعهم ، ويُعدّ لهم ما يحتاجون اليه من الطعام ، وينفحهم بالهدايا والحلوان ، خيفةَ ان يطوّحوه في مفاوز لا زاد فيها ولا ماء ، او ينتقضوا عليه فيثبّطوه عن استئناف سفره ، او يفتكوا به . وكان ، اذا عزم على التنقّل من مرحلة الى أخرى ، نهض ليلًا وامتطى دابّته ساعات طويلة . حتى اذا انتهى الى بلدةٍ او قريةٍ حطّ رحاله في خانٍ حقير فيها ، خالٍ من المعدات اللازمة ، او خلد الى مغارة ضئيلة ، او بات في صحراء قاحلة تحت خيمةٍ ينقلها معه ويجتمع فيها هو واصحابه ودوابه معاً .

واذا لاحظ القارئ حسب المونسنيور بيكيت ونسبه ، ومقامه الديني والمدني ، ونخافة بنيته ، ورفاهية معيشته في دار والده او في قصر قنصليته ، أدرك ما عاناه من التضحيات حبًّا للايمان الكاثوليكي المقدّس ، واستنتج ما كابده المرسلون في عصره من الضيم والتلف استجلابًا للخراف الضالة الى حظيرة السيد المسيح الواحدة ، وعرف كذلك ما تذرّع به الاحبار الرومانيون العظام من الذرائع الفعّالة لبلوغ غايتهم المقدّسة ، وما توسّل به ملوك فرنسة الفخام من الوسائل لنشر الايمان المقدّس في الاقطار السحيقة .

واليك ، بعد هذا التفصيل ، نصّ الرحلة بحرفها الواحد :

[١] اخبار سفر المونسنيور فرنسيسكوس بيكيت اسقف بابل[١] الذي رافقته انا الفقير اثناسيوس[٢] سفر اسقف ماردين لما كنتُ قسيساً . وكتبتُ بعض فضائله

١ً المونسنيور بيكيت في ديار بكر[٣]

لما كان بتاريخ سنة الف وستمائة واحدى وثمانين مسيحية في ١٠ ايار دخل المونسنيور بيكيت الى مدينة آمد[٤] من باب الروم راكباً فرساً في ثياب زي ثياب التجار . وانا كنتُ جالساً بجانب الباب . وكان أمامه شابٌ ارمني فاخذه الى بيت البادرية الكبوجيين ونزل هناك . حينئذٍ جاء اليه مار[٥] يوسف بطرك الكلدانيين وزاره . وبعده رحتُ انا اليه وزرته وبستُ [٢] يده . فاوّل ما دخلتُ اليه عرفني ولم يكن نظرني . لكنه لما كان في حلب كنتُ قد ارسلتُ له مكتوباً مع اخي اشتكي من الهراطقة الذين كانوا يضادّوني . وهو ارسل لي جواب المكتوب ليسلّيني ويعزّيني بالصبر .

ولما دخل الى آمد اخذوا أحماله وانزلوها في الكمرك كالعادة . ثم راح البادري يوسف الكبوجي عند الكمركجي وأدّى له قدر عشرين قرشاً هدية من عند المونسنيور . اما الكمركجي فلم يفتح احماله بل أرسلها له مع خروف هدية . وثاني يوم أخذ[٦] له البادري بيتاً قريباً من بيته وانتقل اليه . ثم رحتُ

١) وقّع المونسنيور بيكيت امضاءه في وصيّته الاخيرة هكذا : « فرنسوا بيكيت اسقف بابل ونائب رسولي على العجم » . وكان مطراناً على سيزاروبوليس بقدونية . ثم سُمّي زائراً رسولياً لبابل وفارس ومطراناً على خسروبوليس اعني مدينة كسرى وهي اصفهان عاصمة الفرس .

٢) كان اسمه حين مرافقته السيد بيكيت في رحلته : « القس سفر » . ولكنه لما يتمّ الترجمة في رومية كان قد رُقّي الى الدرجة الاسقفية على ماردين باسم اثناسيوس سفر .

٣) هذه العناوين المتسلسلة من وضعنا ٤) ديار بكر

٥) هو يوسف الاول بطريرك الكلدان (١٦٨١-١٧٠٧) اطلب ترجمته في المشرق (٩ [١٩٢١] : ١٢٤-١٢٨) ٦) استأجر

اليه [٣] وقلت له ايش تأمرني حتى اخدمك ؟ قال تفتّش لي عن واحد يصير لي ترجماناً . فلقينا شاباً ارمنياً يُسمّى جبرائيل تلميذ وانيس مرتبيد[١] الارمني القاثوليقي . لان هذا الشابَ كان في رومية وتعلّم الايطالياني فدار له ترجماناً

ويوم الاحد راح المونسنيور وقدّس في كنيسة (البطريرك) مار[٢] يوسف التي تسمى مار فثيون . و كان مار يوسف قد عزم[٣] مطران الارمن ومطران الروم مع اكابر الارمن والسريان والروم والكلدانيين . فامتلأت الكنيسة والحوش من الناس . فقدّس المونسنيور قدّاساً كبيراً وكان هناك ثمانية بادريّة كبوجيين [٤] وسكولند[٤] ويسوعيين فرتلوا . وبعد خلوص القداس تقدّس[٥] بعض اناس من يد المونسنيور . ثم جلس المونسنيور على كرسي والتاج على رأسه . وجاء الرجال والنساء وتباركوا منه . فكان ناس منهم يبوسون يده . وناس ركبته وناس رجله . واكثرهم كانوا هراطقة . ولما انتهوا ادخلنا المونسنيور الى قلاية مار يوسف[٦] مع المطارين والقسوس واكابر الطوائف . وكان مار يوسف قد عمل ضيافة عظيمة وأطعم كل الناس الذين دخلوا اليه . وانا كنتُ واقفاً على رجلي اترجم بينهم . لان المونسنيور كان يتكلم معي باللسان العربي الكتابي وكنتُ انا اشرحه بالتركي لان ارمن ديار بكر لا يفهمون [٥] العربي .

ثم وضعوا مائدة في الوسط حيث كان المونسنيور والمطارين والاعيان . وجعلوا مائدة اخرى في بيت آخر للكهنة والشمامسة وباقي الدولتلية[٧] . وانا جلستُ في هذه المائدة . لان مار يوسف كان جعلني وكيلاً للمائدة الثانية . ثم جعلنا مائدة ثالثة لباقي الناس في مكان آخر . فبعدما اكلتُ مع الجماعة في مائدتي بعث صاحبي[٨] المونسنيور حتى اترجم . لان الجماعة كانوا يريدون ان يسمعوا الفاظه . ولما حضرتُ امرني بالجلوس فجلست قريباً منه وبدأ يلقش[٩]

١) المرتبيد او الورتبيد وظيفة كنسية تقابل وظيفة الخورفسقفوس عند السريان .
٢) مار هذه لفظ سرياني يُراد به السيد ويُنعت به الاسقف والبطريرك ٣) دعا
٤) سكولند يُطلق هذا اللفظ على التلامذة الذين يدرسون العلوم الكهنوتية ويقال لهم في السريانية أسحقا : الدارسون

٥) تناول القربان ٦) البطريرك ٧) الاغنياء
٨) استدعاني ٩) يتكلّم

مع الجماعة مقدار ساعة بعد الغدا . ثم قاموا جميعهم [٦] وباسوا يده وراحوا.

وبعد ذلك قام المونسنيور واراد ان يروح فرافقته انا وقشيان . وبينما كنّا رائحين الى البيت عبرنا على بيت واحد ارمني يسمى هزرشا دولتلي[1] وكان قد مات في تلك الايام . فلقينا اخاه الاسقف واقفاً في الباب يستنى[2] المونسنيور فتعلّق به وألزمه بالدخول . فلما دخلنا لقينا النسوان والبنات كلهن لابسات ثياباً سودا. وهنّ حزانى . فجاء الجميع وارتموا على اقدام المونسنيور وتباركوا منه وبدأوا يبكون . فعزّاهم وسلّى خاطرهم بكلامه الطيّب . وجابوا[3] [٧] ووضعوا امامنا مائدة من جميع الحلويات والسكر والعرق والنبيذ والماء ورد والبخور مثل عادة البلاد . فامتنع المونسنيور من المائدة . ثم توسلوا اليه باكين ان يبارك على مائدتهم وبيتهم فباركهم جميعاً . وبقينا هناك مقدار نصف ساعة . وامّا الاسقف المذكور فكان قاتوليقياً . فلما قمنا حتى نروح جاء جميعهم وجثوا امام المونسنيور وتباركوا منه ومن ثيابه كعادة البلاد . وايضاً الاسقف باس يده . ثم وصلنا المونسنيور الى بيته ورجعنا عند مار يوسف.

ولما كان يوم [٨] الخميس الذي هو عيد الجسد قدّس مار يوسف قدّاساً كبيرًا وطقّس[4] الكنيسة كعادة [الكلدان] . ثم لبس القسوس والشمامسة مع مار يوسف . وداروا ونزلوا من المذبح في الجسد المكرّم . وداروا ثلاث دورات في الكنيسة مبتدئين من يمين المذبح مرتلين : « ܗܢܘܢ ܕܒܥܘ ܘܐܬܘ ܠܡܫܝܚܐ ܡܠܟܐ ܕܫܡܝܐ »[5] . وهذا العيد ما هو عند السريان ولا عند الكلدانيين . لكن مار يوسف عمله[6] . اما المونسنيور فكان جالساً على كرسي في باب المذبح والتاج على رأسه . فكرز[7] مار يوسف كرزة[8] باللسان التركي [٩] ووصف فيها المونسنيور وفضائله . ولهذا كرز بالتركي لكي يفهم الارمن والطوائف الحاضرون كلامه . وبعد خلوص القدّاس جاء الناس وتباركوا من

١) غني ٢) ينتظر ٣) احضروا ٤) بارك

٥) هي ترنيمة سريانية من نظم مار افرام، ملفان الكنيسة الكاثوليكية، ينشدها السريان والكلدان اثناء الذبيحة الالهية. ٦) وضعه ٧) خطب

٨) الكرزة سريانية ܟܪܙܘܬܐ يُراد بها الوعظ والارشاد والتبشير.

المونسنيور ورجعوا . ونحن دخلنا الى قلاية مار يوسف وتغدّينا هناك . ثم اخذنا المونسنيور ووصّلناه الى بيته . ولما كان نهار عيد الفنطقوسطي[1] حضر المونسنيور ايضاً الى كنيسة مار يوسف وقدّس مار يوسف ايضاً وبعد القدّاس دخلنا اليه وتغدّينا عنده .

وفي الاحد التابع عزم الارمن المونسنيور ومار يوسف الى كنيستهم الصغيرة التي تُسمّى سورب كراكوس [١٠] اعني مار عبد الاحد . وعندما قربنا من الكنيسة رأينا القسوس والشمامسة لابسين طقوسهم[2] وقد خرجوا خارج الحوش بالزياح العظيم حاملين صناجق الصليب المكرّم والاناجيل والمباخر والنواقيس والصنوج تدقّ وهم يرتلون باطيب النغمات . وكان المسلمون يتفرّجون من الاسطحة ولم يتكلّموا ابدًا مع انهم اشقياء اشرار اشرّ من اسلام غير بلاد . فلما دخلنا الى الكنيسة نظرناها ملآنة من الناس . ثم وضعوا كرسيًا للمونسنيور عن يمين المذبح وألبسوه بدلة [١١] جميلة وتاجاً . ثم كرز مطران الارمن ووصف في كرزه المونسنيور وصفاً عظيماً . وهذا العجب ان المطران كان رجلًا هرطوقيًا كبيرًا وعمل طاعة زائدة للمونسنيور وكمل فيه قول الكتاب : « ان الله ينطق المنافقين غصباً » . ثم من بعد خلوص القدّاس جاء الكبار والصغار وتباركوا من المونسنيور وهو جالس على كرسي بتاجه .

ثم خرجنا من الكنيسة حتى نعدّي[3] الى مكان الضيافة . فما امكننا العبور من كثرة الناس . لان الكنيسة والاحواش كانت ملآنة . وانا كنتُ حاملًا جوخة[4] المونسنيور على كتفي وكانت من السمّور[5] . وكان قسيسان آخران حاملين اذيال بدلته [١٢] . وباقي قسوس الارمن والكلدانيين كانوا محتاطين حوله ليحموه من الناس . ومع هذا جميعه لم نقدر نحميه من الناس الذين كانوا يجبون يتباركون منه وكانوا يزحمونه . وكنتُ اخاف عليه لضعف قوّته . ثم اني زعقتُ على الناس باللسان التركي وقلت . « لاجل محبة الله ساعدونا حتى

١) النصرة ٢) حللهم الكهنوتية ٣) نذهب ٤) جبّة
٥) السمّور حيوان برّي يشبه ابن عرس واكبر منه . لونه احمر مائل الى السواد يُتّخذ من جلده فراء ثمينة .

يخلص المونسنيور لانه ضعيف القوّة . عند ذلك جاء اناس اقوياء وهجّجوا[1] الناس عنا . ثم دخلنا الى بيت المطران ودخل المونسنيور الى مكان منفرد وبدّل ثيابه من العرق . لاننا دائماً كنا نأخذ ثيابه معنا حتى يبدّل. ثم جلس المونسنيور ومدّوا [١٣] امامه مائدة شريفة . وكان هناك اكابر الارمن وباقي الطوائف . فتغدّينا وبقوا يتكلّمون معه مقدار ساعة وانا كنتُ اترجم بينهم بالتركي . وبعد ذلك قمنا وحنا ورافقنا بعض قسوس ارمن الى بيت المونسنيور. ثم تركناه ورجعنا كل واحد الى بيته.

ولمّا كان الاحد الآخر عزم الارمن المونسنيور ايضاً الى كنيستهم الكبيرة التي تسمّى خضر الياس . ولما وصلنا الى باب الحوش خرجوا امامنا بالرّياح المذكور اعلاه وادخلوه الى الكنيسة ولبسوه بدلة ووضعوا التاج على رأسه [١٤] واجلسوه على كرسي عن يمين المذبح مكان مطرانهم. ثم كرز مطرانهم ووصف المونسنيور . وبعد خلوص القداس جاء الكبار والصغار وتباركوا منه . ومن هناك اخذونا الى بيت المطران داخل حوش الكنيسة . لان المطران له مسكن في كل كنيسة . وبالجهد العظيم قدرنا نتخلّص من الناس . ودخل المونسنيور وبدّل ثيابه وتغدّينا هناك . وعزمه كثيرون حتى يروح الى بيوتهم ويباركهم. ولكن لم يمكنه ان يروح عند احد . لانه لو راح عند واحد كان يطلبه الكل حتى يروح اليهم . وكان يتعوّق في [١٥] آمد.

ونحن كنّا نخاف عليه من ظلم المسلمين وحسد الهراطقة وعرانيتهم[2] ولكن عناية الله اعمت عنه ابصارهم بعد ما صار له هلقدر[3] عزّ ووقار الذي ما صار ابداً لاحد غيره . وكان الناس يجون[4] اليه الى البيت ليزوروه ويتباركوا منه . وكان بعضهم يهدون اليه بعض المأكول والمشروب . ولم يكن يقبل ان يأخذ من احد شيئاً . لكن البعض كانوا يتوسّلون اليه كثيراً فكان يقبل ذلك ويعوّض لحاملها ضعفين عمّا جاء به.

وذات يوم انا الحقير اردت ان اهدي اليه جرّة نبيذ [١٦] مليح ممّا كان

---

١) كشفوا ٢) جاسوسيّتهم ٣) كل هذا ٤) يجيئون

يعجبه وصينيّة بقلاوى التي يصلونها من السكر والعجين واللوز والسمن وغير اشياء. ثم اني حملتُ النبيذ خادماً كان عندي وفتّشت عن آخر فوجدتُ واحداً نصرانياً فقيراً فاعطيته حقّه وحملته الصينيّة. فلذا ودّيا[1] له ذلك اعطى كل واحدٍ نصف قرش. فرجع النصراني فرحان وهو يشكر فضل المونسنيور ويدعو لي. فقلتُ له مالك؟ قال ان اخي كان منذ يومين محبوساً لاجل الخراج لاجل نصف قرش. وكنت افتّش حتى اتدبّر له نصف قرش وافكه من الحبس [١٧]. والآن اعطاني هذا الرجل المبارك نصف قرش. حينئذٍ راح فكه.

٢ً اخبار القس سفر ترجماناً للمونسنيور يكبت

اما جبرائيل ترجمان المونسنيور فمرض ومات وخسر المونسنيور دراهم على دفنته وأعطى القسوس وبقي بغير ترجمان. فصاح[2] مار يوسف والبادري يوسف وقال لهما ليفتّشا له عن ترجمان. فقالا له اننا نتكلم مع القسيس سفر المارديني. فقال لهما لعله لا يقبل. فقالا نحن نكلمه. ثم استدعياني وتكلما معي في بيت مار يوسف وقالا انك تعلم ان المونسنيور ما له ترجمان وانت الآن بطركك معزول[3] وما تقدر تروح الى [١٨] ماردين لخوفك من الهراطقة. فيلزم ان تروح مع المونسنيور وتوصله الى بلاد نقشوان[4] لان هناك قاتوليقيين من الارمن لا يعرفون اللسان. وعندما ينصب بطركك ترجع الى ماردين. فقلت لهما السمع والطاعة. وثاني يوم اخذاني عند المونسنيور فبستُ يده وباركني وقالا له ان القسيس يجيء معك. فقال لي هل تجيء؟ قلت نعم انا عبدك وفي خدمتك. فاحتضنني وقال لي رُح اقشع شغلك لاننا بعد كم يوم نطلع. فقلت له ما لي شغل سوى اني آخذ لي فرساً. قال ما تحتاز الى فرس لاني أستكري دوابّ للتحميل [١٩] والركوب. ثم اعطاني كم قرش خرجية لاشتري عازتي.

وكان المونسنيور قد استكرى من واحد مكاريّ ارمني حتى يودّيه الى

---

١) أخذا ٢) استدعى ٣) يشير الى السيد اغناطيوس بطرس شاهبادين البطريرك الانطاكي (١٦٧٨–١٧٠٢) المنبوط الذي ظهر عليه البطريرك عبد المسيح واستولى على كنيسة حلب عام ١٦٨١ ٤) نخجوان

تبريز على درب بدليس وفصل معه بثلاثمائة قرش مكفى مجفر[1] ودفع له من المبلغ المذكور ستين قرشاً . وبعد يومين جاء ناس وخوّفوا المونسنيور ان لا يروح على درب بدليس لان الكروان[2] ما هو كبير والدرب مخوف. فاستدعى اليه مطارين الارمن ومار يوسف واستشارهم . فقالوا له ما هو لازم ان تروح على درب بدليس بل سافر على درب ارز الروم (ارضروم) الى ايروان[3] . فقال كيف يصير [٢٠] هذا وقد اعطيت ستين قرشاً للمكاري . فقالوا نحن نصيح المكاري ونأخذ منه الدراهم . ثم صاحوا المكاري وتكلموا معه فانكر وقال اني قد خرجتُ[4] الدراهم واشتريتُ دوابّ . فقالوا اعطنا كفيلاً صادقاً بانك توصل هذا الرجل الى تبريز بغير ضرر ونحن نعطيك باقي الدراهم . ولما لم يقدر ان يوجد الكفيل اعطى اربعين قرشاً ولم يقدر يعطي العشرين قرشاً الباقية . فجاز عنه المونسنيور ثم امرني ان افتش عن قاطرجية[5] آخرين يأخذونا الى ايروان على درب ارز الروم. فرحتُ مع بعض ناس وفتشت عن [٢١] مكاريّة فوجدتُ رجلين نصرانيّين من ماردين وثلاثة مسلمين من بالو[6] واستكرينا منه خمس عشرة دابة لاجل التحميل والركوب وفصلنا معهم القنطار اعني مائة رطل حلبي بستة قروش ونصف الى ارز الروم . وعادةُ المركوب هو نصف قنطار . ثم اعطاني المونسنيور دراهم معلومة حتى اروح اتسوّق خبزاً وشراباً وارزاً وسمناً وكل ما نحتاجه في الدرب . فرحتُ وتسوّقت بقساط[7] وحملين شراباً وباقي اشياء . وبعدما بقي المونسنيور سبعة وعشرين يوماً في آمد امرني ان اعطي الكروة لاصحاب البيت فاعطيتهم مثلما [٢٢] كنا فاصلناهم . وانعم عليهم ازيد . وانعم كذلك على الذين كانوا يخدمونه حتى على الذين جابوا له شربة ماء . فدعوا له كلهم بالسلامة .

اما البادري يوسف فراح عند الكمركجي وعند الصوباشي[8] وطلب منهما

---

١) خالص ٢) القافلة ٣) اريفان وهي عاصمة ارمينية الحاليّة
٤) صرفتُ ٥) مُكارين
٦) بالو: قرية من اعمال ديار بكر ٧) البقساط : خبز يابس كالكعك
٨) مأمور التفتيش

الدستور في ان تخرج احمال المونسنيور من باب البلد بغير تكليف وتفتيش . لان القانون يحكم بانه اذا خرجت احمال يفتشانها ويأخذان عن كل حمل ثلاثة قروش . ثم بعث الكمركجي والصوباشي اناساً الى الباب لكي يمنعوا البوابين من التفتيش .

٣ سفر المونسنيور يكيت من ديار بكر الى ارضروم

وكان خروجنا من آمد نهار الخميس ٧ حزيران بالحساب الشرقي [٢٣] في السنة المذكورة اعلاه (١٦٨١) . وجاء مطارين الارمن عند المونسنيور ليودّعوه وكان بينهم مطران قاتوليقي يسمى اوهان . فكتب مكاتيب الى ارز الروم لبعض اصحابه الارمن يوصيهم بالمونسنيور واعطاني المكاتيب . ثم خرجنا من باب آمد مع الاحمال وخرج معنا مار يوسف والمطران اوهان الارمني القاتوليقي وبعض المحبين ليودعوا المونسنيور . فسانهم المونسنيور على البوابين ببعض دراهم فشكروا فضله ودعوا له بالسلامة . اما الذين خرجوا معنا فانهم تودعوا ايضاً من المونسنيور وباسوا يده ورجعوا متأسفين على الفراق[٢٤]ومشينا مقدار ميلين عن آمد ونزلنا في برية وبتنا تلك الليلة هناك . وثاني يوم تلاقينا مع قفل ارز الروم . وكان يرفقننا ثلاثة بادرية كبوجيين وهم البادري يوسف والبادري لورنسيوس والبادري فرنسيس . وكان الكروان كله مسلمين واكثرهم لازيون من بلاد اللاز وهم يبغضون النصارى جداً . واما نحن فكان لنا خيمة كبيرة كنا ننصبها ونحتوي تحتها نحن واحمالنا . لانه في تلك البلاد مطر زائد وما فيه مكان يحتوي الانسان . واكثر درب ارز الروم جبال عالية عليها الثلج دائماً . وهي ملآنة من كل الزهور [٢٥] روائحها كروائح الفردوس .

وذات يوم حملنا من بكرة من ذيل الجبل والماء وصلنا الى راس الجبل دائماً صاعدين . وثاني يوم حملنا من راس الجبل والماء وصلنا الى ذيل الجبل دائماً نازلين . وكنتُ انا دائماً قريباً من المونسنيور . وكان يسألني بعض اسئلة فكنت اترجم بينه وبين الذين كانوا يقربون اليه من المسلمين في الكروان

حتى يتكلموا معه . وكانوا اذا سألوه عن شيء من امور الدين ام من احوال بلاده كانوا يكلمونه بالادب والحشمة مثلما [٢٦] يكلم العبد سيده لما كانوا يسمعونه من عذوبة كلامه . وكانوا يسمونه الحكيم الكبير ويسمون مسيو وينسا الحكيم الصغير . وقد صدقوا بقولهم لانه كان حكيماً روحانياً كبيراً.

وكان المونسنيور يجتمع مع البادرية ومسيو كازهولب اعترافه تحت الخيمة ويصلّون بحسّ عال . وكان المسلمون يجيئون الى قرب الخيمة ويسمعون. وما كانوا يتكلمون ابدًا ولا يتضحكون كعادتهم مع النصارى ولا يمنعونهم عن الصلاة جهرًا وعن ارتفاع الحس بل كانوا يتحيرون ويستهيبون لما كانوا ينظرون المونسنيور واقفاً في الصلاة [٢٧] بالحشمة واجتماع الحواسّ والمخافة مثل ملاك الله . وكانوا ينصرفون الى خيامهم بغير كلام ابدًا.

ولما كنّا نتغدّى كنّا نُحضر الشراب ونشرب كعادتنا وهؤلاء ينظروننا ولا يتكلمون مع انهم يبغضون الشراب وشاربيه . وكانوا يتعجبون في شربنا لما كانوا ينظروننا نشرب كل واحد منّا قدحين او ثلاثة ممزوجة بالماء . وكانوا يقولون لي بما ان نصارى بلادنا ما يشربون مثلكم بل يشربون مثل الخنازير ويسكرون فلهذا نبغضهم. وكان بينهم واحد مريض فجاؤوا به الى الحكيم واعطاهم دواء بغير ثمن فبقوا يراعونا كثيرًا. والمكان الذي كنّا نحط فيه كانوا يعطونا المحطّ الاحسن [٢٨]. وهكذا رافقونا بغير ضرر بل نالنا منهم اكرام.

ولما بقي بيننا وبين ارزالروم مسافة يوم واحد امرني المونسنيور ان اسبق الى البلد واعطي المكاتيب لاصحابها حتى يفتشوا لنا عن بيت نسكنه . فركبتُ ورحتُ الى ارز الروم ولاقيتُ في دربي الكمركجية راكبين قدام الكروان حتى يكتبوا الاحمال . وسألوني قائلين قد سمعنا بان مع الكروان رجلًا فرنجياً تاجرًا كبيرًا ومعه عدة احمال . فقلت لهم ان هذا الرجل الذي سمعتم عنه هو قسيس واحماله هي كتب وهو رائح الى بلاد نقشوان عند الفرنج الذين [٢٩] هناك . ومعه طبيب حاذق واحماله هي ادوية . فقالوا لي اننا ما نصدّق قولك لاننا سمعنا ان احماله جوخ وبضاعة افرنجية . فقلتُ لهم غدًا عندما تفتحون الاحمال في ارزالروم يظهر صدقي او كذبي . فمضيتُ

ودخلتُ الى ارزالروم ولم اكن قد دخلتها ابدًا . وسألتُ عن حارة النصارى فقالوا لي هذا خارج البلد الذي ترى كله خانات التجار وبيوت النصارى . فرحتُ الى احد الخانات ورأيتُ الخواجكية الارمن الذين جبتُ لهم مكاتيب: فالواحد اسمه بدروس وهو رجل قاتوليقي والآخر اسمه بشارة والآخر اسمه الله‌وردي[1] وهو عند الكمركجي . فدفعت اليهم المكاتيب فاخذوا وقرأوها [٣٠] وجاؤوا معي واستكروا لي بيتاً فيه خمس حجر الشهر بقرشين . ثم نمت تلك الليلة في الخان . وثاني يوم ركبتُ من بكرة ورحتُ قبال المونسنيور فوجدتُ الكروان قد قارب البلد نحو ميل.

٤ً وصول المونسنيور بيكيت الى ارضروم

ثم اخذت المونسنيور والجماعة والاحمال تتبعنا ودخلنا الى ارز الروم بعد سبعة عشر يوماً[2] ونزلنا في البيت . فجاء ناس الكمرك وختموا الاحمال. وثاني يوم جاؤا طلعوا عليها فما وجدوا فيها كما سمعوا . واما الخواجكية الارمن المذكورون اعلاه فجاؤا عند المونسنيور وزاروه وتباركوا منه وفرحوا به وتكلموا معه ورجعوا . وثالث [٣١] يوم جاء الينا مطرانان ارمنيان الواحد يُسمّى عزريا مطران ارزالروم وهو قاتوليقي مخفي والآخر يُسمّى المطران ابرهيم مع بعض تجار ارمن . وجايوا معهم قسماً من الفواكه في صينيتين وشيئاً من النبيذ وتباركوا من المونسنيور وبقوا عندنا مقدار ساعة يلقشون . واحضرنا امامهم مائدة من الحاويات مع عرق فانشرح خاطرهم مما نظروه وسمعوه من المونسنيور. ثم رجعوا الى بيوتهم . وفي اليوم الرابع جاءنا من بيت الخواجا بدروس ثلاث صواني الواحدة بقلاوة والثانية لقم القاضي مصنوعة بسكر وعجين وسمن والثالثة [٣٢] خبز معجون بسمن على عادة البلاد . فامرني المونسنيور ان اعطي الذين جايوا الصواني لكل واحد نصف قرش.

وبعد ذلك جاءنا من عند الخواجا بشارة جرّة نبيذ الكرج . لانه في ارزالروم ما يوجد شراب لقلة العنب فيها ولسبب الخوف لئلا يشرب

---

١) عطاالله ٢) ٢٦ حزيران

الحنجكارية[1] ويسكروا ويعملوا ماريولية[2] . فلهذا السبب عملوا يسق[3] مجي الشراب الى ارزالروم . والنصارى هناك بالجهد العظيم كانوا يلاقون شراباً عاطلاً . ونحن كان معنا ظرف شراب من شراب آمد . ولما جاء الكمركجية وفتشوا احمالنا ووجدوا الشراب ما تكلموا لعلمهم ان الافرنج [٣٣] لا يقدرون يصبرون بدون شراب .

وكان في ارزالروم ارمن قاتوليقيون منهم كانوا قد سافروا الى بلاد الافرنج وصاروا جهرًا قاتوليقيين ومنهم كانوا قاتوليقيين مستورين . ونحن كنا عملنا الحجرة الواحدة كنيسة لاجل القدّاس . وكان المونسنيور يقدّس كل يوم . فطلب هولاء القاتوليقيون ان يحضروا القدّاس ويتقرّبوا[4] فامرني المونسنيور ان اعرّفهم فعرّفتهم باللسان التركي وتقدّسوا[5] كلهم . وأوصيتهم ان لا يُعلموا احدًا . لانه هناك ما يقدر احد ان يقدّس خارجاً عن كنيسة معلومة خوفاً من ظلم الترك .

وفي اليوم السادس رحنا الى [٣٤] كنيسة الارمن وزرناها فاخذنا مطران الارمن واحضروا امامنا مائدة شريفة واكرموا المونسنيور اكراماً زائدًا . ثم رجعنا الى البيت ورافقتنا جماعة منهم .

وفي اليوم السابع رحتُ انا ومسيو وينا الحكيم (الطبيب) واخذنا هدية الى الكمركجي فقبلها واكرمنا وسقانا قهوة . وبعده رحت انا ومسيو كازمو واخذنا معنا ثلاثة كتب ارمنية مطبوعة وبعض اشياء من بركة رومية وقصدنا دار الخواجا بدروس حتى نزوره . وكان بيته داخل البلد . ولما وصلنا قدمنا له الهدية وسلّمنا عليه نيابةً عن المونسنيور . فاعزّنا واكرمنا واحضر امامنا [٣٥] مائدة شريفة . وبعدما تحدّثنا عنده مقدار ساعة رجعنا الى بيتنا .

وبعد يومين جاء الينا الله وردي المذكور وقال ان الكمركجي ما يقبل الهدية وحدها بل يريد له شيئاً آخر . فقال له المونسنيور انا ما عندي شي

١) الحنجكارية او الهنكشارية او الينشرية ، اعني العسكر الجديد ، قوم من المماليك اتخذهم السلطان مراد الاول (١٣٦٠-١٣٨٩)

٢) ضوضاء ٣) مشوا ٤) يتناولون القربان الاقدس ٥) تناولوا

يستحقّ الكمرك لاعطيه . فقال ان هولاء قوم ظالمون ما يخافون الله ولا يعرفون الحقّ . ثم قال لي المونسنيور رُحْ اعطيه مها اراد . فرأيتُ ان اروح اتكلم مع الكمركجي فمنعني الله وردي وقال انا اروح اتكلم معه وما يعتاز ان تجيء انت . فراح كلّمه وجاء وقال لي انه اراد سبعين قرشاً [٣٦] لكن انا ارضيته بثلاثين . فرحتُ وحكيتُ المونسنيور فقال اعطه كل ما يريد واستكرِ لنا دوابّ لنطلع من ارز الروم . اما هذا الله وردي فكانوا حقيقةً قد وصوه بالمونسنيور بواسطة مكتوب والمونسنيور بعث له هدية من كتب وغير اشياء . ولكن بما انه كان رجلًا هرطوقياً ما صار لنا منه مساعدة . وقالوا لنا انه هو صار سبب هذه الثلاثين قرشاً . امّا انا فرحتُ وفتشت عن دوابّ حتى استكريها فلم اجد مكارية مناسبين غير المكارية الذين جابونا من آمد . فاستدعيتهم عند المونسنيور وفصلنا معهم الى ايروان القنطار [٣٧] باربعة قروش ونصف .

وكان كروان حاضر في ارزالروم رائح الى ايروان ولكنه لم يكن قد قضى شغله . والمونسنيور كان يريد يطلع من ارزالروم بالعجل لخوفه من شرّ الحكام الظالمين . واشار علينا بعض اصدقاء ارمن قائلين انه يوجد دير خارج عن ارزالروم يومين يسمّى دير السيدة[1] وفيه اسقف ورهبان ارمن ورأوا ان نروح نقعد هناك نستنى الكروان . لان الكروان عندما يخرج من ارز الروم يمر قدّام الدير . ثم رحتُ عند الكمركجي وطلبتُ منه دستور الرواح فبعث معي اناساً جاوًا وطلعوا على احمالنا [٣٨] لما ربطناها . لانهم هكذا يعملون حتى اذا خرج الكروان من ارزالروم ورحل ثلاث مراحل يأتي ناس الكمرك ويطلعون على الختوم . فالذي يكون حمله مختوماً يأخذون منه نصف قرش والذي ما هو مختوم او ينتزع ختمه يفتّشونه فاذا وجدوا فيه فضة يأخذون الكمرك .

---

١) دير السيدة ابتناه مار نرسيس الجاثليق الكبير وكان يُدعى دير الاحمر . والآن يُسمى دير السيدة وهو في حوزة الارمن الغريغوريين .

٥ سفر المونسنيور بيكيت من ارضروم الى دير السيدة

ونحن بعد ما مكثنا في ارزالروم خمسة عشر يوماً اعطيتُ كروة البيت قرشاً وطلعنا (في ٩ تموز) . وارسل مطران الارمن معنا قسيساً الى الدير المذكور . وبعد يومين وصلنا الى الدير ونصبنا الخيمة خارجاً [٣٩] ونزّلنا احمالنا فيها . وخرج الينا اسقف الدير ورحب بالمونسنيور (واخذه الى الدير) وفرش له حجرة. وبقي المونسنيور ينام هناك في الليل وكان ينام عنده واحد يخدمه. اما نحن فكنا ننام جميعنا خارج الدير عند الاحمال تحت الخيمة. ولخوفنا من الحرامية كنا ننام بالنوبة . وانا كنتُ انظر اكثر منهم . ولكن الله نجّانا وما نالنا مكروه ابداً . والمونسنيور ومسيو كازمو والبادريّة كانوا كل يوم يقدّسون في الكنيسة . وكان المونسنيور بعد خلوص القدّاس يسمع باقي القداديس ثم يطلع يفطر ويدور يتنزّه مقدار ساعة ثم يجوز الى حجرته ويبدأ يصلي الى [٤٠] نصف النهار . ثم يتغدّى ويدور ايضاً وبعد ذلك يستريح قليلاً ويرجع يصلي الى وقت العشاء ثم ينام . ووقتما كان يتعشّى كنت اقف عنده حتى يتحدّث معي . وبعد ذلك كنت ارجع الى الخيمة ونتعشّى هناك.

اما مطران الدير فكان هرطوقياً غشيماً[1] ويوم نزولنا في الدير جاب لنا خروفاً هديّة . وكان من قبلُ في هذا الدير مطران يُسمّى ورتان وهو مطران بلاد بولونية على طائفة الارمن وأصله من طوقات بجانب سبسطية . وكان قد قرأ في مدرسة بروبغندا فيده في رومية وارتسم هناك من مطارين ارمن قاتوليقيين . فلمّا نزلنا هناك [٤١] سألنا عنه فقالوا انه راح الى بعض قرى الارمن ليجمع حقوق الدير . ثم ارسل المطران اناساً خلفه حتى يعلموه بحضور المونسنيور . وبعد ثلاثة او اربعة ايام حضر المطران ورتان مع فرسين وخادمين وتلاقى مع المونسنيور وقبّل يده وفرح به الفرح العظيم وجاب لنا الى الخيمة خروفاً وجبناً اخضر وغير اشياء هدية الى المونسنيور . ويوم الاحد قدّس قدّاساً

---

١) بسيطاً

كبيراً وذبح عجلاً واضافنا . وكان في خاطره ان يبني في حوش الدير بعض قلالي ويعلّم في الاسكول[1] اللسان الارمني واللاتيني.

واما المكاريّة فلما بقوا معنا [٤٢] في الدير سبعة ايام يستنون الكروان ولم يجيء بل جاء بعض ناس راحين الى القرص ولم نكن نعرفهم حتى نرافقهم لانهم ما كانوا من التجار . وكنّا ايضاً نخاف نروح الى القرص لان حاكمها كان ظالماً . فجاء المكارية وقالوا لي الى متى تنتظر الكروان قاعدين ههنا . ها قد جاء اناس قوموا حتى نروح على درب القرص فقال لهم المونسنيور انا ما قاولتكم حتى نروح على درب القرص بل على درب قلعة بيازيد . فما قبلوا بل ارادوا ان يرجعوا الى ارزالروم وياخذوني الى القاضي ويدّعوا معي . فلما نظر المونسنيور شقاوتهم وشرّهم صاحهم وزادهم على القنطار قرشاً . فرضوا وقالوا قم حتى نحتمل ونروح الى ايروان والا نروح الى الشرع[2] وندّعي معك . فقلت لهم ألم تقرّوا انكم تنتظرون الكروان ولو كان شهراً ؟ فجحدوا ذلك وقالوا نحن قاولنا الى ثلاثة ايام وها قد كملت . فلما نظر المونسنيور عنادهم هذا زادهم ايضاً على القنطار قرشاً آخر [٤٤] فقبلوا.

٦ سفر المونسنيور يكيت من دير السيدة الى دير سورب كرابيد

وفي اليوم الحادي عشر (٢٠ تموز) جاء ناس الى الدير وبشرونا ان الكروان قد عدّى تحت قلعة حسن التي هي خلف الدير . وبينها وبين الدير جبل . فقمنا حمّلنا قاصدين الكروان . وجاء معنا مطران الدير والمطران ورتان . ورافقنا مطران الدير مقدار ميلين او ثلاثة ثم رجعه المونسنيور الى ديره . اما المطران ورتان فبقي معنا . وبعد خمس ساعات وصلنا الى الكروان . وجاء ناس الكمرك وتطلّعوا على ختوم الاحمال . وثاني يوم رحل الكروان . وبينما كنّا ماشين تغلّبت علينا الذبّان الكبيرة التي تقرص الدواب . وكان المونسنيور راكباً فرساً عالياً [٤٥] فمن كثرة الذبّان التي قرصت فرسه بقي الفرس ينطّ

---

١) المدرسة ٢) المحكمة

ويرقص ويخبط بيديه حتى رمى المونسنيور عن ظهره الى الارض . فركضنا كلنا وأقناه ولم يُصبه ضرر . ثم أمرني المونسنيور ان الاقي له فرساً حتى يشتريه . فقلت له يا سيدي اركب فرسي حتى نصل الى ضيعة افتّش فيها عن فرس . ثم جاء المطران ورتان وقدّم فرسه للمونسنيور وركبه اياه وركب هو فرس المونسنيور . وجاء معنا درب ثلاثة ايام . ثم قال له المونسنيور يكفي ارجع الى ديرك . فاعطى فرسه للمونسنيور هديةً والمونسنيور ايضاً اهدى اليه فرسه .

ثم اننا [٤٦] مشينا بعض ايام حتى وصلنا الى دير هو على جانب نهر الدجلة يُسمّى دير سورب كرابيد اعني مار يوحنا المعمدان . فتجاوز الكروان الدير وراح . اما المونسنيور فامرنا ان ننزل فنزلنا على جانب النهر ونصبنا الخيمة وركبنا خيلنا وعبرنا النهر حتى وصلنا الى الدير . فخرج المطران للقاء المونسنيور ومعه الرهبان واستقبلوه بفرح عظيم . وهذا المطران هو مطران تبريز واسمه سهاك[1] مرتبيد وهو قاتوليقي صالح محبوب من طائفة الارمن لسبب قداسته . ثم دخلنا الى الكنيسة . وهي عالية كبيرة جدًّا [٤٧] لكنه من مدة ثلاثمائة سنة كانت قد انهدمت قبتها وخلا الدير من السكان . فاجتهد هذا المطران الصالح في عمارته بمساعدة امير تلك الكورة واسمه امير محمد وهو رجل عادل كان يحبّ المطران ويكرمه وهو الذي امره ببناء الدير وساعده بدراهم . وكان الافعول[2] يشتغلون وقد نصبوا حوالي الدير دكاكين وعملوا شهرًا[3] اعني فيهدا[4] يبيعون هناك من جميع البضائع لاناس تلك الكورة .

اما المطران فاحضر مائدة امام المونسنيور واكرمه اكراماً زائدًا . ثم اخذنا ودوّرنا حوالي الدير فنظرناه ببناء عظيم [٤٨] قديم . وذكر لنا المطران بانه ههنا عند مار غريغوريوس المنوّر اثني عشر نفس بيده في هذا النهر . وبعدما حكينا

---

١) اسحق ٢) العَمَلة

٣) الشهر (ܝܪܚܐ) لفظ سرياني يراد به الاحتفال بالمواسم العمومية ليلاً . فكان المؤمنون يقصدون مقام صاحب العيد ليلة عيده ويبيتون فيه ليلتهم ساهرين في الصلاة .

٤) سوقًا عمومية

عنده مقدار ساعتين توسّل في المونسنيور ان يمكث عنده كم يوم وهو يبعث معنا اناساً حتى يوصلونا الى ايروان فلم يُرد المونسنيور ان ينفرق من الكروان بل ودّع المطران ورحنا الى مكان خيمتنا وحملنا ووصلنا الى الكروان وقت المساء.

٧ وصول المونسنيور يكبت الى طوبراق قلا وقلعة بيازيد

وبعد يوم (٢١ تموز) وصلنا الى قلعة تسمى طوبراق تلا اعني قلعة التراب وهي في حكم الامير محمد المذكور . وهناك يأخذون عن كل حمل نصف قرش . وثاني يوم وصلنا الى قلعة بيازيد [٤٩] التي فيها الامير محمد . فحطّ الكروان تحت القلعة وجاء ناس الامير وعدُّوا احمال الكروان . ثم جمع رئيس الكروان من كل حمل قرشين حتى يروح يعطي للامير . وكان الكروان ثمانين حملاً . وبينما اراد رئيس الكروان الرواح جاء ناس من عند الامير يقولون لرئيس الكروان ان ياخذ المطران الافرنجي والحكيم الى الامير لانه يطلبهما . ثم ارسل الرئيس صاحبي وبلغني هذا الكلام. فرجعتُ وحكيتُ مع المونسنيور فقام وركب متكلاً على الله ورحنا معه انا والحكيم والخادم ورئيس الكروان وبعض التجار .

[٥٠] ثم وصلنا الى القلعة ونزلنا في بيت رجل نصراني اسمه اوهاديس خياط ثياب الامير . فرحّب بنا وجاء هو وعياله وتباركوا من المونسنيور . واحضر قدّامنا مائدة ملآنة من كل الخيرات والنعم . وكان هناك قسيس ارمني فجاء وزار المونسنيور . والمونسنيور ما كان ياكل ولا يشرب الا الشيء القليل اينما حضر على عادته . ومن هناك اخذونا وصعدنا الى راس الجبل حيث سراي الامير فادخلونا اولاً الى حجرة عمّ الامير واسمه ابرهيم بك وهو رجل معقول صاحب معرفة [٥١] فاستقبل المونسنيور بالمحبة وابتدأ يكلمه بادب وسقانا قهوة. وبعد ذلك جاء الامير من دار الحرم الى الديوان وامر باحضار المونسنيور والتجار . فادخلونا اليه فنظرناه قاعداً في صدر المجلس فوق الصفّة[1] مثل طقس

١) الصفّة بيت صيفي يكون مسقوفاً بجريد النخل ونحوه . ويراد بها ايضاً مقعدٌ عال في جهو الاستقبال .

الملوك . وجميع ارباب دولته واقفين حوله على ارجلهم مكتفين . ثم سلّم عليه المونسنيور فردّ سلامه بالحشمة واستدعاه اليه حتى اقترب منه وأمره بالجلوس . واجلس الحكيم ايضاً والتجار كل واحد في مكانه . وانا كنتُ واقفاً على رجلي بجانب المونسنيور . فامرني الامير بالجلوس فجلست.

[٥٢] وابتدأ الامير يتكلم مع المونسنيور ويسأله عن البلاد وعن الملوك المسيحيين وعن كل شيء . وكان يجاوبه بالحكمة وانا كنتُ اترجم بينهما . ثم التفت الى عمه ابرهيم بك وقال له باللسان الكردي ما احسن هذا الرجل ! وما احلى كلامه ! اظنّ انه من نسل الملوك . فيا حيف انه نصرانيّ . وانا كنت افهم اللسان الكردي مثلما افهم اللسان العربي . ولكني ما اظهرتُ ذاتي اني اعرف . وبعد ما حكى مع المونسنيور زماناً طويلاً وكان جميعهم ساكتين التفت الى رئيس الكروان وقال له قدّم واعطِ حقّ الاحمال . اما رئيس الكروان فكان قد [٥٣] اخذ معه هدية الى الامير تساوي عشرين قرشاً فقدّمها له مع مائة قرش . فقال له ان عندك ثمانين حملاً تعمل مائة وستين قرشاً . فهذه مائة اعطِ ستين قرشاً اخرى . فاعطى الرئيس عشرين قرشاً فقال له الامير يبقى عندك اربعون قرشاً . اعطِ العشرين وانا انخششك العشرين قرشاً . فتقدّمتُ انا من الامير وبستُ يده وقلت له هذه العشرون بخششها لي انا . فقال وهكذا يكون . ثم قال لي وكم حملاً عند سيدك ؟ قلت عشرة . فقال لا تعطِ شيئاً للرئيس . ثم اوصى الرئيس ان لا يأخذ مني شيئاً [٥٤] . غير ان الرئيس كان قد اخذ مني قبل يوم حقّ الاحمال . فبعد ما رضي طلبنا منه دستوراً حتى نروح . فقال لنا اصبروا تعشوا . فصبرنا وجابوا المائدة ووضعوها . فنزل من الصفّة وجلس في راس المائدة واجلس المونسنيور عن يمينه وعمه عن يساره واجلس باقي التجار كل واحد في رتبته .

ولما كان يتعشى كانت تُضرب له النوبة بالطبول والزمور والنفير كعادة الملوك . فبعد ما تعشّينا وشربنا القهوة قام عمه ابرهيم بك واخذ المونسنيور والحكيم وانا ونزلنا الى حجرته وبقي يتكلّم مع المونسنيور ويسأل ايضاً الحكيم [٥٥] عن مرض كان به . ثم بعث الامير خادماً الى عمه يقول له

باللسان الكردي ان لا يترك المونسنيور والحكيم يذهبان بل يبقيان عنده كم يوم لبينا الحكيم يطبب ابنه المريض . فقلت للمونسنيور عما يتكلمون فقال لي قل لابرهيم بك حتى نقوم نروح بدستوره[1] فقال لي ابرهيم ان الامير اوصى ان تبقوا عنده كم يوم . لكي يعالج الحكيم ابنه لانه مريض . فاعتذر الحكيم وقال ما عندي الآن حوائج الادوية لانها في ايروان . ثم اني توسلتُ الى ابرهيم بك [٥٦] ان يطلقنا . فقام واخذنا وصعدنا عند الامير. وكان الوقت الساعة الاولى من الليل . فدخلنا اليه وكان عنده اثنان اعني كاتبه وخازنه. فاجلس المونسنيور جنبه[2] وابتدأ يحكي معه مدة نصف ساعة . وسألني قائلًا : انت ما انت فرنجي؟ قلت لا بل انا من بلاد الترك . قال وكيف استخدمت عند هذا المطران؟ قلتُ اني كنت اعرفه . ولاجل فضائله خدمتُ عنده . قال ارمني انت ام سرياني؟ قلت انا سرياني . قال تعرف تقرأ السرياني وتكتب؟ قلت نعم . فاحضر لي دواة وقلماً وقال اكتب لي الف با. باللسان السرياني [٥٧] فكتبتُ . ثم قال لي هل تعرف الكلداني؟ قلت نعم. فكتبتُ له بالكلداني . قال تعرف العربي؟ قلتُ نعم . فكتبت له بالعربي والتركي والفارسي . قال اتعرف الارمني؟ قلت لا . قال ما لنا حاجة الى الارمني لانه عندنا ارمن كثيرون . ولكن اقعد عندي وعلمني السرياني والعربي فاعطيك كل شهر عشرة غروش وكسوتك . واعطيك خادماً وفرساً . وتكون عندي كواحد من خواصي معزوزًا مكرمًا . ولا تخف لاني انا احبّ النصارى كثيرًا. فقلت له يا سيدي كيف اقدر اترك سيدي في هذه البلاد الغريبة وحده . وانا لسانه وما عنده احد غيري . لكني اذا وصلته الى مكان يكون فيه [٥٨] احد يعرف اللسان فحينئذٍ أتركه واجيء اليك . وطالت المصاحبة بينه وبين المونسنيور.

---

١) برخصته. ٢) قريباً منه

(لها تابع)

شذرات

دروس الآداب الشرقية

معهد جديد في جامعة القديس يوسف

لقد انشأت جامعة القديس يوسف ، في هذه السنة الدراسية ١٩٣٣–١٩٣٤، معهداً جديداً « لدروس الآداب الشرقية » غايته التعمق في دراسة العلوم اللغوية والآداب والتاريخ والآثار القديمة ، وفقاً للاحتياجات الفكرية في الشرق الادنى. وافضل تفصيل اماية هذا المعهد ان ننشر البيان الذي اذاعه حضرة الاب كوستا دي بورغار رئيس الجامعة وهو :

تفتتح جامعة القديس يوسف في شهر تشرين الثاني من السنة الجارية ١٩٣٣ « دروساً في الآداب الشرقية » ، وهي واثقة من انها ، وقد ظهرت الرسالة الحبرية المستهلة بالعبارة الآتية « Deus Scientiarum Dominus » ، الداعية الجامعات الكاثوليكية الى توسيع فروعها ، تقوم بعمل نافع بانشائها فرعاً عالياً لدراسة العلوم اللغوية والآداب والتاريخ وعلم الآثار القديمة وفقاً للاحتياجات الفكرية في الشرق الادنى.

ويثابر اليوم محبو العلوم ، في العالمين القديم والجديد ، على التوغل في هذه الدروس الشرقية ، لما يجدون فيها ، بكل صواب ، من تدريب لا بد منه الى ثقافات ذات فائدة جُلى في تاريخ الديانات والشعوب السامية ، وفي تاريخ صدر النصرانية والاعصار الاولى للكنيسة ، وفي معرفة كنه الاسلام بل الشرق الحالي . ومع ذلك لم يكن لها حتى الآن الرواج الموصوف نفسه في المحافل الشرقية ، حيث تفرّدت العقول السامية وحدها في ان تقدر ابحاث العلماء الاوربيين في هذا الشأن ، حقّ قدرها . وكانت كلية القديس يوسف ترى انها ، سعياً وراء ايجاد صلات تربط الشرق بالمستشرقين ، قد بذلت جهدها المستطاع بان انشأت في السنة ١٨٩٨ مجلة « المشرق » ، ثم « المعهد الشرقي » الذي استمر

من السنة ١٩٠٢ حتى السنة ١٩١٤ ، ثم مجموعته المعنونة « مؤلفات شتى » (Mélanges) ، التي ما زال يُتابَع نشرها منذ السنة ١٩٠٦

على انه لا بد من خطوة جديدة في هذا المضمار . فان التاريخ والادب الشرقيين قد اصبحا ، بفضل تقدّم التعليم الثانوي لدى النشء ، ميراثاً بديعاً ليس في الوسع التخلي عن استثماره للعلماء الاجانب وحدهم ؛ فكان من الموافق ، والحالة هذه ، تمهيد الصعاب امام هذه النخبة من مفكري الشرق ، كيما تتمكن من ادراك النتائج التي قد وصل اليها المتخصصون بالعلوم الشرقية ، ومن احتذاء طرق الاجتهاد العلمي المؤذن بارتقاءات جديدة .

تلك هي الغاية الاولى من «دروس الآداب الشرقية » ، التي تهمّ ايضاً بعضاً من الاوربيين المقيمين في الشرق ، كما تهمّ ايضاً اساتذة المدارس الذين يلجئهم نظام البكالوريا اللبنانية والسورية الى تدريس التاريخ المحلّي ، والآداب ، والتاريخ ، والفلسفة العربية .

اولئك هم الاولى يُقدَّر لهذا التعليم الجديد ان يجمعهم حوله . وستلاقي هذه الدروس تأييداً قيّماً بما يأتيها من المعاونات ، ولاسيما من قبل المعهد الفرنسي في دمشق .

على ان فرعنا هذا ، وان لم يكن ليتشبه بالمعاهد العليا للدروس اللغوية والادبية المنشأة في البلدان الاخرى ، فانه يستوحي برامجها . فعلى مثالها يؤثر على « الفصول » ، اي الابحاث التي تقرب النظريات الصعبة من فهم الجمهور ، منهاج الامثولات او المحاضرات الفنية ، التي تتوخى بنوع خاص ارشاد الدرس الشخصي والتخريج في نقد النصوص وتفسيرها . وقد يفضي الدور الدراسي عند نهايته الى شهادة ذات صفة تُمنح بعد تأدية الامتحان .

وسيُنشر في مجلة المشرق بعض ما يلقى من « دروس الآداب الشرقية » . فان هذه المجلة سيحوّر نسقها ابتداء من ك ٢ في السنة ١٩٣٤ وتصبح لسان حال للمعهد الجديد ، مما لا يمنعها من ان تواصل ، بمقالاتها ونشرياتها وما تعالجه من وصف المؤلفات ، تنشيط حركة التعاون العلمي بين الشرق والغرب[1] .

١) يرى المطالع في الجزء الحاضر من « المشرق » نوعية هذا التحوير .

يلي ذلك تلميحات متنوّعة مما قد جمّ القراء الكرام الاطلاع على بعضها :

عُهد الى الاب رينه موترد ، كنشليار مكتب الحقوق الفرنسي ، في ادارة « دروس الآداب الشرقية ».

تُلقى هذه الدروس في بناية معهد الحقوق والهندسة الفرنسيّين بشارع هوفلين ، عادة من الساعة ١٨ الى الساعة ١٩ ، بمعدل ساعتين الى اربع ساعات في كل اسبوع.

ويكون موعد الدرس الافتتاحي الاربعاء ٢٢ ت ٢ من السنة الحاضرة ١٩٣٣ ، وتختم الفصول في نحو ١٥ ايار.

وهذا تفصيل منهاج الدروس في السنة الحالية : (١

١ً : الفلسفة والآداب السامية

تاريخ الآداب العربية :

عواصم الادب العربي : السلسلة الاولى : بغداد عاصمة الادب العباسي

١٥ امثولة يلقيها فؤاد افرام البستاني ، استاذ الآداب العربية في جامعة القديس يوسف . من ٣٠ تشرين الثاني ١٩٣٣ الى ٢٢ آذار ١٩٣٤ (٢

٢ً : التاريخ

تاريخ سورية في العصر اليوناني - الروماني.

٨ امثولات يلقيها الاب رينه موترد اليسوعي. من ٢٢ تشرين الثاني ١٩٣٣ الى ٢٤ كانون الثاني ١٩٣٤ (٣

٣ً : علم الآثار القديمة

١ – الفنّ المسيحي في سورية.

٦ امثولات يلقيها جان لاسوس ، استاذ في الادب من الجامعة الفرنسوية ، وعضو المعهد الفرنسوي في دمشق. من ٣١ كانون الثاني الى ٢ آذار ١٩٣٤

---

١) لم يذكر في هذا المنهاج فصل اللغة العبرية ولا فصلا اللغة السريانية التي يلقيها الابوان بولس موترد ولويس رينوله في معهد القديس فرنسيس كسافاريوس الاكليريكي الشرقي.

٢) نشرنا في هذا الجزء الامثولتين الاولَيَين من هذه السلسلة

٣) نشرنا في هذا الجزء الامثولة الاولى من هذه السلسلة.

ب – الطقوس والعادات المدفنية في فنيقية.

٦ امثولات ، او زيارات للمتحف ، يلقيها الامير موريس شهاب ، امين المتحف الوطني اللبناني . من ٧ اذار الى ١٨ نيسان ١٩٣٦

٤ً : علم الشؤون الارمنية

دروس مقابلة في البيئة الارمنية منذ اصولها حتى الفتح العربي.

٩ امثولات يلقيها الاب جان مصيريان ، الاستاذ في كلية اللاهوت من جامعة القديس يوسف . من ١٢ كانون الاول ١٩٣٣ الى ٢٧ شباط ١٩٣٦

٥ً : تاريخ الكنائس الشرقية القديمة ومؤسساتها

اللغات الطقسية ، وامكنة العبادة.

٦ امثولات يلقيها الاب جان مصيريان . من ٦ آذار الى ٢٤ نيسان ١٩٣٦

حول مقال «القضاء في لبنان»

كتب الينا احد القراء الكرام في جونيه ، تعليقاً على ما ورد في القسم الاخير من مقال « القضاء في لبنان بزمن الامراء الشهابيين » للاستاذ عيسى اسكندر المعلوف ، المنشور في « مشرق » كانون الاول الفائت (ص ٨٩١–٨٩٢) ، جاء فيه ما ننشره شاكرين:

«اولاً – ان كنية الشيخ احمد تقي الدين القاضي في زمن الامير بشير هي ابو حسين ، وكنية ابي صالح هي لولده الشيخ سلمان[1] .

ثانياً – ان الشيخ حسين حماده القديم لم يكن شيخ عقل ، بل كان موظفاً في معية الامير ، والشيخ حسن تقي الدين هو شيخ العقل وقتئذٍ.

ثالثاً – في آخر الصفحة ٨٩٢ خطأ وهو ان الذي عُين عوض الشيخ محمود تقي الدين هو الشيخ سلمان تقي الدين ابن الشيخ احمد . وهو ابن عم الشيخ محمود لا شقيقه . لان الشيخ سلمان لم يكن له سوى شقيق واحد هو الشيخ حسين جدّ الشيخ احمد تقي الدين حاكم صلح جونية الآن . »

١) هذا الخطأ نتج من سقوط عبارة بين سطرين من المقال ، وقد نُبّه الى الامر في الصفحة ٩٦٨ من الجزء نفسه.

مطبوعات شرقية جديدة

CARL WATZINGER, Denkmaeler Palaestinas. Eine Einführung in die Archäologie des Heiligen Landes. I, Von den Anfängen bis zum Ende des Israelitischen Koenigszeit. VIII+117 pp. In-8°, 10 fig. dans le texte et 88 sur 40 pl. Hinrichs, 1933.

الآثار الفلسطينية

توطئة لدرس الاثريات في الارض المقدسة : الجزء الاول

نعم الفكرة فكرة خطرت لمؤلف هذا الكتاب ، العالم الاستاذ في جامعة توبنگن ، فرأى ان يجمع ، في سبيل جمهرة القراء ، صور اشهر الآثار المكتشفة في فلسطين منذ الحرب الكبرى خاصة ، فيوردها حسب التسلسل التاريخي منذ اقدم العصور حتى العهد الروماني ؛ ويصفها وصفاً يظهر فائدتها الجزيلة لتاريخ تلك البلاد ، ولاسيما لفهم نصوص الكتاب المقدس. وقد جعل مؤلفه جزءين بين يدينا الاول منهما منتهياً بآخر ملوك اسرائيل ؛ والثاني قيد التأليف.

ولا يخفى ان الكثيرين من علماء الكاثوليك والبروتستان قاموا ، منذ مدة طويلة ، بجهود جمة في اطلاع الجمهور على حالة الاكتشافات الفلسطينية وتقدمها . على ان مؤلفاتهم لا تغني عن الكتاب الحاضر ، وهو قبل كل شيء عمل عالم اثري بارع شاهدته سورية ، قبل الحرب وفيها ، يجوس ارضها منقباً في فلسطين ودمشق وتدمر ، فضلاً عن مشاركته في متنوع المؤلفات عن هذه البلاد . ومن مزايا مؤلفه الحالي انه آخر ما ظهر في الموضوع ، وقد برز كثير من الاكتشافات الحديثة ، فعرفها الكاتب واستفاد منها كالاكتشافات المتعلقة بزمن العصر الظرّاني ، وباقصى الازمنة السابقة للتاريخ ، وبتوقع « تليلات غسول ». ومن مزاياه ان فيه كثيراً من النظرات في المقابلة بين الآثار الفلسطينية وما في البلدان المجاورة كسورية ، ومصر ، وآسية الصغرى ، والعالم الايجي ، مما لا نراه دائماً في المؤلفات السابقة . فضلاً عن كثرة الرسوم والصور الضرورية

في تأليف من هذا النوع. والمؤلف يرمي الى اظهار توطئة او تمهيد لدرس الاثريات في الارض المقدسة ، ليس غير. واذاً ، فيمكننا القول انه ينال حقاً غايته هذه.

وان يكن لنا من ملاحظة نبديها فاننا نشير الى ما في الكتاب من ايجاز شديد ، وازدحام في المواد كان من السهل تلافيه بوضع التقاسيم والعناوين الصغيرة . ولكن هذه الملاحظة ثنوية بالنظر الى ان الكتاب ليس تأليفاً منظماً في الاثريات الكتابية . وكذلك يمكن ان نختلف والكاتب في عدة آراء. الا ان حكمه يظل رزيناً وعلى قسطٍ من التحفظ في غالب الاحيان.

اما مظهر الطبع والتصوير فحسن يحقّ للناشر ان يُهنَّأ عليه. س. ر.

A. Reubeni, Shem, Ham and Japhet. The Peoples of the Bible, their racial connections and place in Ancient History. A Summary, 14 pp. in 8°, Tel-Aviv, 1932.

سام وحام ويافث

اهدى الينا المؤلف هذا الملخص الانكليزي لكتاب وضعه باللغة العبرية الحديثة ، وهو واضح كافٍ للدلالة على موقف المؤلف من موضوعه ، وان يكن اخصر من ان يطلعنا على براهينه وقيمتها.

من المعلوم ان سلسلة الانساب الواردة في سفر التكوين لا تزال عرضة لكثير من الشروح والتأويلات ، ولا تزال غامضةً على كل ذلك . وها ان المؤلف يزيد طريقة جديدة للتأويل قوامها ان يُنيل بعض الاعلام قيماً جنسية او شعبية تقوده حتى يحدّد آفاق النصوص الكتابية في آسية وحدها . وهي نتيجة عرضة لكثير من النقد مرتكزة على براهين هي نفسها غير ثابتة . من ذلك ما يستند اليه من المطابقة بين « الخبيريين » و«العبرانيين» ، والمقاربة بين « الاخلاميين » و« الايلاميين » . س. ر.

Urbanus Holzmeister, S. I., Chronologia vitae Christi. Vol. in 8° de XII+246 pp. Rome, Institut Biblique, 1933, Prix : 16 lires

توقيت حياة المسيح

ان السنة اليوبيلية الحاضرة لفتت نظر الكثير من العلماء الى تاريخ آلام السيّد المسيح في اي سنة حصلت ، والى درس توقيت حياته اجمالاً . وكان

الاب هولزميستر اليسوعي قد قام، منذ مدة طويلة، ببحث دقيق في هذه المسألة على اختلاف وجوهها؛ فمثل كتابه للطبع. وهو اثر يفوق، دون شك، اكثر ما ظهر من المؤلفات في الموضوع، ان لم نقل كلها، بما فيه من التدقيق وسعة المعلومات. والمؤلف يعتبر، مع كثير من الاختصاصيين، ان التاريخين الممكنين لوفاة المسيح على الصليب هما السنتان ٣٠ و٣٣ من تاريخنا الجاري، على انه يميل الى ترجيح السنة الثلاثين. ب. موترد

Aug. Merk, S. I., Novum Testamentum graece et latine apparatu critico instructum. Vol. in-16 de 36+854 pp., 4 cartes géographiques. Rome, Institut Biblique. Prix, relié toile : 16 lire.

العهد الجديد باليونانية واللاتينية

تظهر هذه الطبعة العلمية الجديدة مشابهةً لطبعات تيشندورف وفوگلس ونستله في ما خصّ حجم الكتاب اللطيف وثمنه البخس، فتفيد الكهنة والاكليريكيين، وغيرهم من الطلاب، نصاً صحيحاً للعهد الجديد بلغته اليونانية الاصلية وباللغة اللاتينية ايضاً. اما النص اليوناني فمحقّق من جديد بكل دقة وامانة، وبالاستناد الى كل المصادر الممكنة. واما النص اللاتيني فهو نص الترجمة الجارية المعروفة. والكتاب مزدان بظاهر النقد الكاملة التي تسهل على المطالع ان يعرف بسرعة وسهولة جميع الاختلافات المهمة في النصين المذكورين. ولا شك في ان هذه الطبعة، بما تمتاز به من الصفات المذكورة، تفوق الطبعات السابقة، وتُفضّل عليها. ب. م.

Solomon Grayzel, Ph. D., The Church and the Jews in the XIIIth Century. Vol. gr. in-8° de X + 377 pp. Prix, broché : 3 dollars, Philadelphia, the Dropsie College, 1933.

الكنيسة واليهود في القرن الثالث عشر

هذا الكتاب أطروحة للدكتوراه جمع فيها المؤلف كثيراً من الوثائق، واستند اليها مختصراً في ثمانين صفحة علاقات يهود اوربة بالسلطات الكنسية وبالكرسي الرسولي خاصة في القرن الثالث عشر. ثم سرد منتخبات من

مراسلات الاحبار الاعظمين ، ومن قرارات المجامع . سردها بلغتها اللاتينية الاصلية ثم ترجمها الى الانكليزية . على اننا رأينا في الترجمة وهناً يقود المترجم احياناً الى عدم التدقيق في التعبير عن المعاني الثنوية ، وقد يقوده الى سوء الفهم فمخالفة الاصل . مما يدفعنا الى السؤال عن هذه النصوص والوثائق الثمينة لو وقعت في مقدور مؤرخ اوفر تضلعاً من دقائق اللاتينية في ذاك العصر ، الا يكون استخرج منها نتائج اغنى وادق مما استخرجه مؤلف هذا الكتاب ؟ على ان مما يشفع بالمؤلف حسن نيته ورغبته في فهم الاسباب الاصلية في هذا الخلاف الظاهر بين المسيحيين واليهود. ك. ب. هيوز

Chanoine HENRI MORICE, La voix du Crucifix. In-12, 224 pp. Aux éditions de l'Evangile dans la vie, Paris XVII. Prix : 10 f.

صوت المصلوب

كل ما يظهر من الكتب الدائرة مواضيعها حول السيد المسيح يأتي في حينه في هذه السنة اليوبيلية ، ولاسيما اذا اختص كهذا الكتاب بذكر الصليب وتعاليمه التي لا تزال حية في نفوس مئات الملايين ، انما هي بحاجة الى ايقاظ وتنبيه باسلوب شائق لطيف كاسلوب المؤلف. ج.ل.

JOHANNES FRIEDRICH, Ras schamra. Ein Ueberblick über Funde und Forschungen. [*Der alte Orient*, 33, 1/2]. In-8°, 38 pp. 13 fig. sur 8 pl. Hinrichs, 1933.

راس شمرا
نظرة في المكتشفات والتنقيبات

يحق لقرائنا الشرقيين ان يفتخروا بالآثار المكتشفة في « مينة البيضا » وفي « راس الشمرا » قرب اللاذقية شمالاً ، ويحق لهم ان يفتخروا كذلك متى عرفوا ان عالماً المانياً بالاشوريات والاثريات رأى ان يطلع جمهور المثقفين في بلاده على هذه المكتشفات فكتب رسالة موجزة ، انما جامعة ، لخصت ، مع ايراد الرسوم الضرورية ، تاريخ الحفريات في ذاك المحل الذي نال شهرة بعيدة منذ السنة ١٩٢٨ ولم يكن قبل ذلك ليذكر اسمه على اي خارطة من خرائط فنيقية . الا انهم يأسفون اذ لا يرون في اللغة العربية ما يماثل هذه الرسالة

الموجزة . بل اننا لا نكاد نرى ما يماثلها في اللغة الفرنسوية نفسها . من الحق ان مجلة « سيريا » المعروفة تُعنى بجميع هذه المكتشفات فتدوّن نتائج الحفريات شيئاً فشيئاً ، وتنشر ما يؤلف فيها من ابحاث . الا ان المؤلفين في فرنسة قد ينتظرون اختتام التنقيات ، وخصوصاً نشر ابحاث المنقّبين النهائية ، ليأخذوا منها الملخّصات في سبيل جمهرة القراء . هذا ومما يؤسف له حقاً اننا لا نرى في هذه البلاد نشرةً واحدة باللغة العربيّة تُخصص بعلم الآثار . نعرف المجلة الحلبيّة التي تدعو نفسها «مجلة العاديات» ونعرف ان فيها قسماً مكتوباً بالعربيّة ؛ على ان هذا القسم الضئيل جدًّا تحرّره اقلام ليست على شيء من الاطلاع والتضلّع . بل ان ما يُثير الاسف ، فوق ما تقدّم ، ما نتحقّقه من اعراض السوري اعراضاً تاماً عن ماضي بلاده الاثري والتاريخي ، وهو ذاك التاجر المتنوّق الماهر في بيع القطع الاثرية ! . . . «سمط بالخرج !»

اما بعد فان مؤلف هذه الرسالة يلخّص حالة الحفريات ، ويصف طبقات الارض محاولًا تقدير توقيتها . ثم يعرض لذكر النصوص المسمارية المكتشفة ، وبعضها باللغة البابليّة ، وبعضها بلغة لا تزال مجهولة ، والبعض الآخر ، وهو اكثرها ، بلغة ساميّة قريبة جدًّا من اللغة الفنيقيّة القديمة وهي مكتوبة بحروف ابجدية على كونها ظاهرة بالمظهر المسماري ، وذلك ان عدد هذه الحروف لا يتجاوز التسعة والعشرين . وكل هذه النصوص الاخيرة في موضوعات دينيّة وميثولوجية ترتقي الى القرن الثالث عشر ق. م. ولا يُعرف شيء عن تاريخ راس الشمرا في ما سبق هذا العصر الا ما يُرجح من انها كانت تُدعى « اوجريت » وكانت تلك المدينة على غاية من الازدهار في القرن الرابع عشر . ثم خربت في نحو السنة ١٢٠٠ ، ولم تستعد عمرانها الا بجهد . وقد دلت الآثار المكتشفة على انه كان لها علاقات ، لا مع جيرانها الاسيويين كالحثيين والميتانيين فحسب ، بل مع قبرص والعالم الايجي ايضاً بواسطة التجارة . ولا يفوت المؤلف ان يعرض مثالًا مما تشتمل عليه تلك النصوص . وهو يصف ايضاً التماثيل الالهية المكتشفة ويلخّص ما يُعرف عن ديانة ذاك المكان . هذا وبالامكان ان نعدّد الملاحظات على بعض من هذه النقاط الثنوية . على ان الملخص حسن بجمله .

ولا ننسَ ان الحفريات لم تنتهِ بعد فتنشر نتائجها. س. ر.

JAMIL IBRAHIM ABOU-KHATER, La condition des étrangers en Syrie et au Liban. In-8° de 166 pp. Paris, Librairie générale de Droit et de Jurisprudence, 1933

حالة الاجانب القضائية في سورية ولبنان

انها لحالة ممتازة ! هي النتيجة التي يصل اليها مطالع الكتاب برفقة مؤلفه اذا جال في هذا التأليف الوافر المعلومات . على ان هذا الامتياز يستند الى اسباب وظروف لا ينكرها المؤلف . ولكنه يتمنى زوالها يوماً .

ولا يمكننا الا ان نوافقه على تمنياته ، فينال الجميع تلك المساواة التي طالما سمعوا باسمها ويكون من اشهى تمنياتهم ان يروها محققة بالواقع. ج. ل.

H. ST. J. B. PHILBY, The Empty Quarter. Vol. in-8° de 458 pp. Prix, net : 21 shillings. Constable, Londres, 1933

الربع الخالي

يعلم قرّاؤنا الكرام ان مؤلف الكتاب ، وهو من قدماء موظفي الهند ، قام ، تحت رعاية ابن سعود برحلة في بلاد العرب على مسافة ثلاثة آلاف كيلومتر . فكانت ، على ما نعتقد ، اول رحلة علمية تنظمها حكومة الوهابيين . اما غايتها فارتياد مجاهل تلك الصحراء المنبسطة في جنوبي جزيرة العرب ، والمعروفة باسم لا يخلو من اثر في نفس المسافر ، وهو « الربع الخالي » . سارت قافلة المؤلف الصغيرة اولاً من الغرب الى الشرق فوصلت الى خليج العجم قرب سلوى . وثم اتجهت نحو الجنوب حتى حدود حضرموت . ومن هناك اندفع المؤلف ورفاقه ، بجرأة فائقة ، في الصحراء الحقيقية ، في تلك المنطقة المقفرة التي يجهلها البدو وتهجرها الغربان نفسها . وقد قضوا في تلك المجاهل تسعة ايام كاملة . فنال المستر فلبي غاية كان يرمي اليها منذ سنوات ، وقام باعجب مغامرة معروفة في تاريخ ارتياد جزيرة العرب .

وقد دوّن الرحالة حوادث مغامرته بلغة لطيفة لذيذة . فتوفق بان جمع بين وضوح تقرير ضابط الاستخبارات ، ولذة المحدّث المعجب ، ذاك الذي يشاهد

ويراقب كل ما يراه من بشر وحيوان وجماد فيميل اليه ويجتهد في فهمه . فكان لكتابه فوائد جمة . يتناوله العالم النفسي الذي يدرس اخلاق البدو فيجد فيه ملاحظات واحكاماً جديرة بلفت نظره ؛ ويرجع اليه الجيولوجي فيستفيد اكتشافات جديدة متعلقة بالرجوم والنيازك . على ان فائدة الكتاب العظمى انما هي في محيط الجغرافية ، لما جمع في ذلك من معلومات نفيسة تكملها خارطتان قيمتان. ويزين النصّ عدد من الصور المتقنة يبلغ الخمسين. وهناك آثار متفرقة من جماد ونبات جمعها الرحّالة فحللها اختصاصيّو الطبيعيات والجيولوجية وفروع التاريخ الطبيعي ، ودرسوها ودوّنوا نتيجة دروسهم في سلسلة من الابحاث ألحقت بالكتاب. ك.ب.هيوز

JOSEPH SCHACHT, Zu meinem Islam-Lesebuch. [*Religiongeschichtliches Lesebuch*, Heft 16]. In-8°, 27 pp. Tübingen, J. C. B. Mohr (Paul Siebeck). Prix : 1 M.

حول كتابي في « القراءة الاسلامية »

كان مؤلف هذه الرسالة قد نشر مجموعة المانية انتخب نصوصها من المصادر الاسلامية المهمة وهي الحديث والفقه والصوفية ، وغايته العمل على بسط المعلومات عن الديانة الاسلامية . فحمل على هذه المجموعة النقّاد المتشدّد الاستاذ اوغست فيشر حملةً شعواء مبيّناً ان فيها كثيراً من سوء الفهم والاغلاط . فرأى المؤلف ان يردّ عليه بهذه الرسالة حيث يُقرّ بثلاثة او اربعة اخطاء بدرت منه سهواً . اما ما تبقّى من الشروح والترجمات فيتشبّث بها مبيّناً ان اصلاحات الناقد المزعومة ان هي الا ترجمات مقابلة او مرادفة لترجماته هو.

ه. ل.

L. MASSIGNON, Salmân Pâk et les prémices spirituelles de l'Islam iranien. [*Publication de la Société des études iraniennes et de l'art persan*, n° 7]. In-8° de 52 pp. Tours, Imprimerie Arrault et Cie, 1934.

سلمان الفارسي واوائل الروحانية في الاسلام الايراني

طالما شكّ كثير من المستشرقين في حقيقة ما يُنسب الى الصحابي سلمان الفارسي ، بل في وجوده نفسه . وقد اتانا الاستاذ ماسينيون بمحاضرة مشحونة

بالمعلومات المتراكمة المزدحمة حتى الغموض ، على انها تعيد النظر في تلك المشكلة وتبرهن على ان سلمان المذكور قد وُجد حقيقة . وان من يطّلع على ما تنسب الفرق الشيعيّة الى سلمان من دور عظيم لا يعجب اذ يرى هذا الدور يرتقي في نظام النصيرية الديني حتى يكاد يبلغ درجة الالوهية. ه. ل.

EDOUARD MONTET. **Choix de proverbes, dictons, maximes et pensées de l'Islam.** In-12, 205 pp. Paris, Librairie orientale et américaine G. P. Maisonneuve. Prix : 20 f.

منتخبات من الامثال والاقوال والحكم والاراء الاسلامية

ان نسبة هذه الامثال والحكم ... العربية اللغة الى الاسلام تكفي وحدها للدلالة على ضعف النقد . بيد ان تحقق هذه النسبة صعب شاقّ يتطلّب جهودًا طويلة . ولقد كان بمقدور المؤلف ، ولم تُحقَّق هذه الجهود بعد ، ان يسير على اثر من استقى منهم من المؤلفين الاقدمين كاصحاب « المجموعة العربية » و« المنتخبات العربية » و«الامثال العربية » . اما المنتخبات في الكتاب الحاضر فمقسومة الى اربعة اقسام : الحياة ، والاخلاق ، والدين ، وانواع شتى . وفي كل منها يعدّد الامثال والحكم والآراء على طريقة تظهر كذلك ضعف النقد الذي اشرنا اليه . واي فائدة مثلًا في ذكر فكرة شاملة للانسانية جمعاء ، يوردها المؤلف دون اسناد كما في القول: « العمل يزيد البحبوحة » او « اغتنم الفرص». وهو يورد الحكمة التالية : « الخمر مفتاح الشرور جميعها » ويشرحها بقوله : « ان الخمرة تنسي شاربها الشرور جميعها . » وهي كما لا يخفى تحتمل شروحاً عديدة . ولا يمكن الرجوع الى النص الاصلي لفهم المقصود ، لان المؤلف لم يشر الى الاسانيد. ج. ل.

W. H. INGRAMS, **Abu Nuwas in life and in legend.** In-8°, VIII + 96 pp. Privately printed, Port Louis, Mauritius, 1933. [Chez Luzac, à Londres, 3 s. 6 d].

ابو نواس : في التاريخ وفي الاسطورة

يختص القسم الاول من هذا الكتاب بدرس ابي نواس : الرجل التاريخي والشاعر العباسي . يلي ذلك محاولة في ترجمة شعره الى الانكليزية شعرًا ،

وسرد لبعض الحكايات التي شوهت تاريخية الشاعر منذ القديم فولدت ابا نواس مزيفاً . وكان من نصيب المؤلف انه اقام مدة طويلة في جزيرة زنجبار فسمع فيها كثيراً من الاساطير الدائرة حول شخصية ابي نواس المجونية على طول الشاطئ الافريقي الشرقي ، فحفظها ونقلها الى الانكليزية واودعها القسم الاخير من كتابه . ولا شك في ان هذا القسم اوفر اقسام الكتاب قيمة وطرافة اذ يظهر كيف عملت تلك الحكايات على التأثير في عقلية الجمهور فحولت في نظرهم ذاك الشاعر التاريخي المعروف الى شخصية زائفة من شخصيات « الف ليلة وليلة » ، فالى شخصية اسطورية محضة في شرقي افريقية .

ويذكر المؤلف بكل بساطة ان درسه لابي نواس ابعد من ان يكون كاملاً . وهذا النقص كان من الاسباب التي منعته من وضع الكتاب في التجارة . على ان هناك سبباً آخر يذكره المؤلف ولعله اهم من السبب المتقدم . وهو ما في حكايات القسم الثاني من تطرف في المجون يمنعه من طرحه بين جميع الايدي .

ك . هـ . هيوز

PIERRE MONTET, Les nouvelles fouilles de Tanis 1929-1932. [*Publication de la Faculté des Lettres de Strasbourg*, Deuxième série, vol. 10] Paris, Belles-Lettres, 1933. Prix : 50 f°.

حفريات تنيس الجديدة

على مستوى القنطرة تقريباً ، وعلى ٤٢ كيلومتراً غربي قناة السويس ، تقع خرائب تنيس متسعة على نحو من اربعمائة هكتار ، ظاهرة عن بعد ، لافتة انظار العلماء من زمن بعيد حتى ان الحملة الفرنسوية على مصر باشرت الحفريات فيها . لكنها تركتها بعيد ذلك ، وظلت مهملة الى ان اعاد العمل الاستاذ مونته فاستفاد مكتشفات وملاحظات جمة عرضها في المجلد الحاضر . منها قدم تنيس ، وكونها مدينة اقاريس نفسها ثم مدينة بيك رعمسيس نفسها ايضاً . ومنها ما يفيد تاريخ خروج الاسرائيليين من مصر . ومنها ما يظهر اهمية النفوذ الاسيوي في تلك الناحية حتى ان الاله سيت الاسيوي كان الاله الاهم ، على عهد الرعاة «الهكسوس» ، وحتى عهد رعمسيس الثاني . وكذلك الالاهة الاسيوية أنتا التي

اظهرت الحفريات تمثالين من تماثيلها هما كل ما ظهر من ذاك النوع. هذا ويزدان الكتاب بـ ٩٠ لوحة تصويرية. ج. ل.

SBATH (PAUL), Le livre des temps d'Ibn Massawaïh, médecin chrétien célèbre décédé en 857, annoté et publié pour la première fois. [Extrait du *Bulletin de l'Institut d'Egypte*, t. XV, session de 1932-1933].

كتاب الازمنة لابن ماسويه

هو نوع من الوزنامة الطبية يذكر فيه المؤلف باي يوم من الشهر وتحت اي تأثير من النجوم يجب ان يتناول الدواء الفلاني وما اشبه ... مما لا يقدّم الطب في شيء، انما يفيد المعلومات الكثيرة عن الخرافات والمعتقدات الشعبية العامة. ولقد كان على الناشر ان يبرهن على صحة نسبة هذا الاثر لابن ماسويه بتدقيق اوفر مما قام به. ه. ل.

J. L. MYRES, The Cretan Labyrinth, A Retrospect of Aegean Research. [*The Huxley Memorial Lecture for* 1933], *Journal of the Roy. Anthropolog. Instit.*, *LXIII*, 1933.

المتاهة الاقريطشية

ليس المقصود بهذا العنوان درساً للمتاهة الاقريطشية الشهيرة في آثار الاقدمين. انما هو لمحة تاريخية شاملة لما قام به الاثريون من الحفريات والتنقيبات، وما وصلوا اليه من نتائج مكنتهم من وصف ماضي العالم الايجي، ذاك العالم الذي مثّل في محيط البحر المتوسط الشرقي دوراً في السياسة والفن لم يكن العلماء ليتصوّروه قبل الحفريات العصرية. قام المؤلف، وهو من انشط العلماء، في الموضوع بعرض تلك المكتشفات عرضاً واضحاً، متتبعاً تغيّر الاحكام والاراء بتجدّد نتائج الحفريات، معدّداً الملاحظات الثمينة المفيدة لكل من له المام بالموضوع. على ان الكتاب مفيد كذلك، فائدة التمهيد، لكل من يرغب في الاخذ بهذه الدروس الجديدة، وهي ضرورية لا يمكن ان يستغني عنها اليوم احد من مريدي الابحاث التاريخية والاثرية في ماضي بلاد اليونان، بل في ماضي الشرق نفسه. س. ر.

حاضر العالم الاسلامي

نظر انتقادي بقلم الاب توتل اليسوعي

لوثروب ستودارد الاميركي نشر سنة ١٩٢١ كتاباً عنوانه *The New World of Islam* اي «العالم الاسلامي الجديد» نقله الى الافرنسية ابيل دوزيه سنة ١٩٢٣، ووصفه في المشرق حضرة الاب لامنس (٢١ [١٩٢٣] ١٥١) فقال في المؤلف انه، مع كونه ليس من المستشرقين، «لم تفته المعرفة الصادقة لاحوال الشرق».

ولفت الكتاب نظر ادباء الشرق، فنقله الى العربية الاستاذ عجاج نويهض وطبعه سنة ١٩٢٥ بعنوان «حاضر العالم الاسلامي». وكان الاقبال على اقتنائه مدعاةً لتجديد طبعته، فتمّت في السنة ١٩٣٣ وظهرت بمجلدين جميلين كل مجلد يحوي زهاء ٨٠٠ صفحة من القطع ٨ الكبير، والطبعة الثانية تمتاز عن الاولى بما فيها من فصول وتعليقات وحواشٍ عن احوال الامم الاسلامية وتطوّرها الحديث وهي بقلم من سمّوه «امير البيان والمجاهد الكبير»، الامير الدرزي شكيب ارسلان.

لنهنئ حالًا السادة عيسى البابي الحلبي وشركاءه، اصحاب مكتبة ومطبعة دار احياء الكتب العربية بمصر، على عناية بذلوها في تنسيق الطبع والباس الجلدين حلتهما الارجوانية الملوكية مما يزيد في رونق الكتاب ويرغب في مطالعته، لولا الاغلاط المطبعية التي شوهت عددًا غير قليل من وجوهه لاسيما في الالفاظ الاعجمية اذا ما كتبت بابجديتها الاوروبية.

واننا لنسرّ ان يستحق اديب من ادبائنا اللبنانيين، وتلميذ مدرسة الحكمة المارونية البيروتية سابقاً (راجع ٢: ٢٤٢) لقب امير البيان، لكننا لا نجرأ على مسابقة الايام واستعجالها في مبايعة الملوك والامراء، لان عالم الادب والبيان والشعر والنثر اوسع افقاً في الزمان والمكان من ان نحتكر ناحية من نواحيه لابن من ابناء زماننا. فحسبنا ان نترك لمن يأتي بعدنا القول الحكم في تقدير القيم الادبية على الاطلاق.

مواد الكتاب

قسم منها يُعزى الى ستودارد وقسم الى الامير شكيب ارسلان . فالاول يتناول الكلام على اليقظة الاسلامية وتأثرها بعوامل المدنية الحديثة ، وعلى الجامعة الاسلامية المحاولة ضمّ شمل المسلمين من جميع الاقطار تحت لواء الدين في وحدة الخلافة ووحدة القبلة ؛ وعلى النفوذ الغربي في العالم الشرقي ؛ وعلى العصبية الجنسية في الشرق ، وخاصةً في الهند ؛ وعلى التطوّر الاقتصادي والاجتماعي المتغلغل دبيبه في حياة الاسلام الحاضر ، مع انتشار المبادي الشيوعية في الاصقاع الواقعة تحت حكم الاوروبيين واستثارتها في النفوس روح القلق والثورة .

وان المؤلف الاميريكي لا يواري ما في تصرف الغربيين وسياستهم من نقائص تحول دونهم ودون التآلف مع اهل الشرق ، ويأخذ من المؤلفات العصرية شواهد جمة مصداقاً لاقواله ، ويتكلم عن الاسلام بلهجة وداد اخذت من قلوب المسلمين مأخذها فذهبوا يطرئون كتاب ستودارد اطراء بلغ المبالغة . وجاوزها المعرّب اذ ادّى معاني الكتاب وافكاره بقالب خطابي مسهب ضافي الذيول ، حتى اخرج اللفظة الافرنجية باللفظتين العربيتين من غير ان يزيد بالمعنى . وهذا ما يعاتب عليه المترجم . فضلاً عن ان هناك مقاطع بكمالها لا يجدها القارئ في الاصل الافرنجي ، وعبارات عربية لا تفي بالمعنى المطلوب او تشوّهه تشويهاً ينمّ عن انحياز في نفس المعرّب ، وعواطف شخصية يكون منها المؤلف براء . فكلما سنحت فرصة في تسويد صفحة فرنسة او انكلترة ترى غلائظ الاوصاف تصطك صكاً فهو « الجشع والاستكلاب والسلاح والسيف والنار » للتعبير عن الالفاظ الافرنسية (٤ : ص ١٤٣–١٤٦) La manière forte. la cupidité. لكنها في عين القارئ العربي هنات لا تذهب برونق لغة فصحى نالت من الفكر الاميركي قوةً فظهر فيها كما يظهر الغربي المشوق القامة المفتول الاعضاء زاهياً مهيباً اذا ما ارتدى لباس الشرق وجرّ ذيل الافتخار .

اما قسم الكتاب الثاني فهو بقلم الامير شكيب ارسلان ، وهو الزعيم

المعروف في تطورات حياتنا السياسية الشرقية ، منذ اوائل هذا القرن الى يومنا . وله من ذكرى الحوادث التي قلبت البلاد السورية ظهراً لبطن منذ ظهور فتيان الترك على مسرح السياسة الى دخول تركيـة في الحرب العظمى وتقرير نظام الانتدابات ، ما يُفيد كثيراً ويصبغ الكتاب بصبغة الابتكار . فقد اتصل الامير شكيب مباشرة او بالواسطة ، برجالات الاسلام العظام كجمال الدين الافغاني ، ومحمد عبده ، والامام السنوسي ، وعبد الكريم الريفي ، وكبار قواد الترك وله مع بعض المتطرفين الغربيين ودعاة الانقلاب العام علاقات وصداقات شخصية ادّت له تعليقات قيمات على عناصر المشكل الكبير المطروح في زماننا امام المفكرين ممن يهمهم مصير الشرق.

ونحن[1] ، اذا ما تناولنا الكلام في المواد المجموعة في كتاب حاضر العالم الاسلامي ، فسوف نبدي فيها حكمنا كما ظهرت بقالبها العربي سواء أتعزى الى ستودارد او الى الاستاذ عجاج نويهض او الى الامير شكيب ارسلان ؛ والنقد ليس على الاشخاص ولكن على المبادئ والافكار والاقوال الموضوعة تغذيةً لنفوس القراء ، فلا بد من اعمال الروية فيها تمييزاً بين السم والدسم والغثّ والسمين .

ونحن ايضاً شعارنا الوطنية

ولنسرّ ايضاً ونطرب في مطالعة كل مؤلف موضوعه شرقنا العزيز وتاريخه ومعرفة احواله . ونحن رجال الدين المسيحي ، على معرفتنا تمام المعرفة البون الشاسع الواقع بين تعليم الانجيل وتعليم القرآن في مسائل جوهرية دينية ، لا ننفك نحنُ الى اخواننا المسلمين ، لان واجب الدين والوطنية يأمرنا بمصافاتهم وتحاشي مسّ ما تهتز له جوانحهم وجوانحنا شبنا بكل عاطفة طيبة شريفة ورثناها واياهم ، ونحن كلّنا اهل بلاد واحدة تشرق علينا شمس سماء واحدة ، وتغذينا تربة ارض واحدة .

---

١) ولا نتكلم عن الفصول التي لا تدخل في موضوعنا كحياة محمد لدرمنغم وسائر ما جاء على الفتوح العربية وعلى احوال العالم الاسلامي مما يطول الكلام في تمحيصه . بل اقتصرنا على معالجة مشكل الوطنية السورية تجاه الجامعة الاسلامية .

فان يكن بين المسلمين مواطنينا دعاة للوطنية صادقون فنحن في مقدمتهم، واننا بواجب الوطنية لصادقون، على ان يسودنا مبدأ الوطنية الصادقة وانّها العدالة والنظام والامن والسلام. ولكن اذا التبس الامر ودخلت البلاد في حكم سلطان غريب عنها، وكان ولا بد من الطاعة دفعاً لشر الفتن واتقاء الفوضى تحتّم على من بيدهم مقاليد الشعب ان يختاروا بين الهولين الاصغر. حتى اذا استتب الامر تضافروا مع صاحب الحكم فاحسنوا التفاهم وفكوا المعضلات الناشئة طبعاً من احتكاك شعب بشعب ومصلحة بمصلحة.

فاذا ما حلّ بين ظهرانينا اجنبي، معلماً او ضيفاً او سيداً، علينا الاتفاق معه طبقاً للظروف الامّارة، ودفعاً للشرّ الاعظم. وليس في ذلك خيانة نحو الوطن بل واجب يوحيه العقل والدين، وقد قال الرب يسوع: «اعطوا ما لقيصر لقيصر!» مع ان قيصر كان وثنياً ايام كانت اليهودية في حماية الرومان. تلك المهمة الصعبة لم يعارض بالقيام بها سفرونيوس، بطريرك اورشليم لما عاهد عمر ابن الخطاب على صيانة حقوق البلاد الدينية، ومثله جناديوس، بطريرك القسطنطينية، عندما فتحها محمد الثاني سلطان الترك؛ والبطريرك اللبناني الحويك لما تدخل في شؤون مصير البلاد في رعاية الانتداب.

ولعلّ معارضاً يقابل بين هؤلاء الاحبار وبين غيرهم من بلاد الافرنجة ممن قاوموا بسلطتهم الادبية ونفوذهم سلطان الاجنبي. ولكن المقابلة لا تصحّ لما يوجد من فروقات بين حالتنا الجغرافية والاثنولوجية واحوال غيرنا من الشعوب. ما اشدّ ما يظلم الجو في اعين الناس اذا ما تبدلت دولة بدولة وحكم بحكم! ولن تكن تلك الانقلابات بعيدة مرامي التأثير خصيبة المشاكل في بلاد الله طرّاً فهي في بلادنا بحر من المعضلات، لا يسبر غوره، في مساحة من الارض كانت على مدى التاريخ وما زالت الى يومنا معبراً لكل رائح وغادٍ من المشارق الى المغارب. فتعددت الروحات والجينات، وكثر عدد المارّين حتى طغوا وذهبوا بوحدة البلاد الاهلية، فانقسم الملايين الثلاثة او الاربعة المكوّن منهم قطين سورية ولبنان وفلسطين الى امم صغار ومذاهب وطوائف ينيف عددها على الاثنتي عشرة طائفة. هذه حالتنا، شئنا ام ابينا، وتلك كانت على ايام ابدل

الحكم البيزنطي بالحكم العربي ، والحكم العربي بالحكم التركي ، والتركي بالافرنجي.

وبطبيعة الحال سواء اكان اتى من الشرق او من الغرب او من الشمال او من الجنوب ؛ فالفاتح فاتح ومهما يكن من امره فالنظام خير من الفوضى ، والوحدة افضل من التقسيم ، وان تلك الوحدة وحدتنا انما قوامها صاحب الامر عربياً كان او تركياً او افرنجياً.

وطنيّ الامير شكيب : الجامعة الاسلامية

بلاد الشرق هي وطن الامير شكيب الدرزي اللبناني. وافهم ببلاد الشرق لا ما اعتدنا حصره بين القسطنطينية ومصر وخليج فارس من اصقاع يسمونها الشرق الادنى ، وهي موطن الشعوب السامية ومنبت عناصرها وبلادنا ووطننا حقيقة ، ولكن كل بلد تمثل فيها الدين الاسلامي بفئة مهمة من تباعه كالصين وجاوى والهند وفارس وبلاد افريقية الشمالية والوسطى وغيرها . وبهذا المعنى يرى الامير شكيب الدرزي ان الصيني او الزنجي المسلم هو اقرب اليه وطنية منا نحن المسيحيين جيرانه في بلاد لبنان وسورية.

تلك النظرية لم تكن مجهولة في الغرب على ايام الجامعة المسيحية السياسية ، اذ كان الحبر الروماني يقلد ملوك الفرنجة حقوق الملك ويربط الرعايا بطاعتهم . وازدهرت تلك الجامعة المسيحية السياسية خاصة في القرون الوسطى ، ثم تلاشت ولم تترك بعدها الا الجامعة المسيحية الروحية . وفيها حقيقة الكثلكة . بموجب مبدئها يشترك الكاثوليك بوحدة الايمان والطاعة لرئيس واحد ، لكنهم مع ذلك ينقسمون سياسياً الى امم وشعوب مستقلة مختلفة المصالح بعضها عن بعض.

اما الامير شكيب ، وهو من القائلين بالجامعة الاسلامية السياسية والدينية معاً ، حتى في القرن العشرين ، فيعقد الآمال على ان يراها حيةً ظافرة ويحدّ حدودها بلاد الغرب او بالاحرى بلاد المسيحيين . وهو يرى في السياسة الاوروبية الحالية اعظم والدّ عدوّ لها فيسميها سياسة الاستعمار او الغرب ويدعو امم الشرق الى مناوأتها وكسر شوكتها.

وللجامعة الاسلامية انصار يتفاوتون غلوًّا في عرض مبادئها والدفاع عنها ؛ جاء في الكتاب الحاضر ذكر اسمهم وصدى اقوالهم ولا بد من الاشارة اليها لنكون على بيّنة من غرض الكتاب الاساسي قبل ان نرى رأينا فيه.

قال الامير شكيب في مقدمته (ص: ي):

« ان الشرق اجمع سيتنبّه من رقدته وانهُ كما شهد القرن العشرين استقلال اميركة باسرها فسوف تشهد بقية القرن العشرين استقلال آسية بعروضها وزرها وانه لا تمضي الثمانون سنة الباقية لتمام هذا القرن حتى يلي الاسلام بلاده ويبلغ من نعمة الاستقلال مراده ... فلا مندوحة للامم الشرقية عن الاقتداء باليابان في التماس المنعة ومضارعة الدول الغربية في ارتياد العلم واقتباس الصنعة حتى اذا وقع النصل على النصل اقتنع كلٌّ بدياره وامسك الجار عن هضم جاره ...

فليحرص الشرقيون من كل فريق ان يكونوا اولى قوة مانعة وان يوحدوا كلمتهم فيجعلوها كلمة جامعة فان بقوتهم خلاص الغرب والشرق. »

ومن تضاعيف الكتاب نفهم معنى « خلاص الغرب بالشرق » اي ان آمال الامير معقودة على اصلاح العالم بنشر الدين الاسلامي حتى اذا عمَّ الخافقين عاشت البشرية عمرها الذهبي.

تلك القضية لا يوضحها بعبارات جلية ، لكنها مفهومة من النصوص الكثيرة التي رواها عن ستودارد وعن زعماء الحركة الاسلامية الجامعة ، ولم يفندها بل مال اليها وكل ما كتبه في مؤلفه مثبت لها.

اليك ما جاء في كتاب « الحاضر » عن الشيخ عبد الحق (١: ٢٧٥) في مخاطبته المسيحيين :

« اجل الدين الاسلامي لم يجرح ولن يجرح على عداء حضارتكم وتقدمكم فاعلموا يا جهابذة الغرب ان النصراني ، أرفيًا كان ام وضيعًا دنيئًا ، فانه بمجرد كونه نصرانيًا ، ليس له عندنا منزلة ولو حقرت مهما حقرت من منازل الانسانية. وهذه مقالتنا لكم سهلة واضحة ان من ضل سبيله فانكر وحدانية الله الواحد الاحد ، واتخذ له من دون الله ارباباً ، فقد ضرب بالبله والخبال ، فان رمنا صلته كان ذلك منا احتقارًا لديننا وانكارًا لباري الكائنات : وعلى ذلك فالمتخذ انفًا غير الله والجاحد الوحدانية لمستحق للمنة الابدية وليس ذلك جميع الامر بل ان اقدس عمل يقوم به المؤمن هو قتاله لهذا المنكر الجاحد حتى يحمله على دخول الاسلام او يستأصل شأفته من على وجه الارض . نحن لانعرف في هذا العالم سوى المؤمنين او الكفار اما نحن المؤمنين فتصل صلات المحبة والاحسان والاخوة بعضنا ببعض ، واما انتم الكفار فانا لكم ماقتون ومبغضون ومقاتلون . »

فينعت الامير شكيب ذلك الكلام بالغلوّ العظيم ، لكنه لم يكذبه بل عذره لكونه موجودًا في « اتباع كل امة » على زعمه .

ولكن تعليق المؤلف ستودارد عليه لا يزال صحيحاً وهو ان هذا الكلام يلاقي في جمهور المسلمين وسوادهم اذانًا صاغية (في جريدة شريف باشا مشروطية آب ١٩٢١) فتأثيره باقٍ ودويّه يترامى من افق الى افق من الشرق الى الغرب !

ومن تعاليم جمال الدين الافغاني الداعي العظيم الى الجامعة الاسلامية اقوال تضطرم لظًى ونيرانًا . وما كان احرانا باهمالها لولا وجوب التيقظ لها وارشاد الرأي العام الى ما فيه الرشاد فلا ننقاد الى كل رائح وغاد ، قال :

« العالم النصراني ، على اختلاف امه وشعوبه عرقًا وجنسية هو عدو مقاوم مناهض للشرق على العموم وللاسلام على الخصوص . فجميع الدول النصرانية متحدة معًا على دك الممالك الاسلامية ما استطاعت الى ذلك سبيلًا .

جميع الشعوب النصرانية مجمعة متفقة على عداء الاسلام ، وروح هذا العداء متمثلة بجهد جميع هذه الشعوب جهدًا خفيًا مستمرًا متواليًا لسحق الاسلام سحقًا .

جميع هذا يوضح ان العالم الاسلامي يجب عليه ان يتحد اتحادًا دفاعيًا عامًا متمسك الاطراف وثيق العرى ليستطيع بذلك الذياد عن كيانه ووقاية نفسه من الفناء المنبل ، وللوصول الى هذه الغاية الكبرى انما عليه اكتناه اسباب تقدم الغرب والوقوف على تفوقه وقدرته . »
(١ : ٢٠٨)

وان من يتقصى اسباب الاضطرابات والفتن التي حدثت في سورية ايام حوادث سنة ١٩١٩ و١٩٢٥ ، وفي المغرب وطرابلس الغرب يرى ان روح تلك الحركات انما هي المبادئ التي ذكرناها وعليها يبني دعاة الجامعة العربية او بالاحرى الاسلامية آمال مستقبلهم .

وكل يعرف ان للبلشفية يدًا تحرك الثورة ، لا غيرةً على العقيدة الاسلامية ، ولكن استخدامًا لها في معاداة دول اوروبة وترويجًا للشيوعية ، فصار المشكل القاسم بين الشرق والغرب خطرًا على السلم العالمي ، وصار بعض كتبة الغرب ينبهون اوربة الى ما يحدق بها من الويلات اذا ما ابادت شعوبها بالحروب الدولية الاوروبية وانهكت قواها واتى يوم لا يبقى لها ما يكفيها مؤونة الدفاع عن كيانها وعمرانها ومدنيتها دون تأر مهاجمة الشعوب الشرقية .

فترى الحالة العصيبة التي اوصلنا اليها كتاب « الحاضر » باحتكاك متناقض

الآراء عن غير روية وتدارك منية . فهل هذا ما نرغبه لمجموعة اراد صاحبها ان تكون موسوعة علوم ومرشدة الى الهدى.

تحفز الغرب لمصادرة الحركة القومية الشرقية ونظر علماء الكثلكة فيه

ان دعاة الجامعة الاسلامية يريدون تجنيد الشرق على الغرب . ولكن هل دروا ان في الغرب من يتحفز لملاقاتهم . ان من هؤلاء المتحفزين من ليس له سلاح سوى قلمه شأن الامير . لنسمعهم لان في اقوالهم عبرًا مفيدة سوف تساعدنا على ختام المقال بالمحبة والوداد ان شاء الله.

سنة ١٩٢٧ ظهر كتاب بقلم هنري ماسي وعنوانه « الدفاع عن الغرب » وصفه الاب لوثنك في المشرق (٢٥ [١٩٢٧] ٦٣٠) وفكرته الجوهرية ان بلاد الغرب اعني اوروبة ، وكل من يمتّ اليها تمدينًا واخلاقًا ، امست في خطر يحدق بها ، وهو مهاجمة الامم الشرقية . وقال ما خلاصته ان المسيحية والتمدن الاوروبي او الغربي هما رضيعا لبان او يكادان ان يكونا كذلك وان كل خراب يحل في العالم الغربي يعود بالويل على المسيحية . فنظريته في نوعها تشبه نظرية الامير شكيب كانه يدعو الى الدفاع عن كيان الغرب والمسيحية معًا كما يدعو الامير ومن حذا حذوه الى الدفاع عن الشرق والاسلام معًا زعمًا منهما ان الغرب محتكر المسيحية ، والشرق الاسلام.

على ان ذلك لمخالف للحقيقة . وهذا ما بيّنه حضرة الاب لوبروتون في نقده كتاب هنري ماسي في مجلة الابحاث الافرنسية (*Etudes*, 192-129) وقوله صوابي وسنروي القضية على علاتها بالاخذ عنه ، وهي ، مع معالجة المشكل من الجانب المسيحي لا تنفكّ تؤدي لنا الجواب النهائي على دعاة الجامعة الاسلامية. عرض الاب لوبروتون اراء ماسي في ارتباط الغرب بالمسيحية الشديد العرى ثم قال : « ولكن ايانا ان ننظر الى الكنيسة كما لو كانت قوةً غربية فحسب . لا شك ان كل ما للغرب من ايمان وحياة لقد اتاه من المسيحية ، ولكن تلك الكنوز ليست خاصة اللاتين وحدهم ولا خاصة الغربيين وحدهم وهي عطية الله للبشر اجمعين لكي تجدد حياة الشعوب.» ثم عرض نظرية من قالوا بارتباط

الغرب بالمسيحية بحيث لا تنتشر المسيحية الا غربية .

وروى الاب لوبرتون نظرية السيد دوشان احد اعلام التاريخ المسيحي ، فيما يخص اتصال المسيحية بالغرب فقال :

« من نظر الى المسيحية نظرة مجردة عن روح الدين رأى انها دين اوروبية وان عناصر تمدينها كالتشريع والفن والادب والفلسفة الطبيعية هو اوروبي ، اي انها في نموها اتخذت لها مادة ساغتها طبقاً لطبيعتها ، لكنها مدينة بها الى عناصر خارجية سبقت وجودها . فان صيغة تعاليمها الدينية واصطلاحاتها اللاهوتية مستندة الى الفلسفة اليونانية ، وطقوسها تحوي عدداً غير قليل من خطط الطقوس التي كانت قبلها وتشريعها مطبوع بطابع الحق الروماني فهي سامية الاصل رومانية يونانية النمو . تلك الحالة تساعد رداً على سؤال من سأل : ما بال المسيحية لم تمد ظلها الظليل ابعد من البلاد الاوروبية والاميركية ؟ فالجواب ان الدين المسيحي كونه الدين الحق لا بد ان يكون يوماً الدين العالمي الوحيد . ولكن لما كانت العلاقات بينه وبين التمدين الاوروبي مشدودة العرى صار من المعقول ان يمتد ويسير مع امتداد وسير تلك المدنية ذاتها . وليس من يشك في فوز المسيحية النهائي مع انتشار التمدين الغربي .

وسوف يأتي يوم تخلف فيه العوائد والتقاليد والمؤسسات السياسية والاوروبية وانظمتها ما هو معهود مثلها في داخلية افريقية والهند والصين . حينئذ تأذن ساعة النصر المسيحي العظيم . نعم ان ذلك النصر سوف يكون في اوله مزيجاً مشوهاً مما تأتي به العناصر الاوروبية من افكار لادينية ومن مساع ومهمات مادية ومن جشع في ارتشاف اللذات . ولكن سوف يأتي يوم يتحد فيه بالرب يسوع كل من كان من البشرية تواقاً الى الله والى الحق والجمال والصلاح حينئذ سوف تبلغ الكنيسة ابعد ما يمكنها بلوغه في الكثلكة . وكما ان تمدين اثينة ورومة فتح العالم في اقصى ما كان عليه ، هكذا سوف تفتح المسيحية العالم على قدر ما في العالم قابلية لينفتح للحقيقة والفضيلة بواسطة التمدين الغربي الصالح . »

الدين الحقيقي لا شرقي هو ولا غربي

وردّ الاب لوبروتون على دوشان وقال في ذلك :

تلك كانت نظرية دوشان منذ زهاء نصف القرن ولكن صارت الافكار تتغير في حقيقة ضرورة التمدين الاوروبي لانتشار الدين المسيحي ، وليس من الراهن ان انظمة اوروبة السياسية سوف تجتاح الانظمة السائدة في الصين لتُدخل الصين في الدين المسيحي . وللكنيسة امل وطيد انها تستطيع فتح ممالك العالم بقوة الصليب لا بقوة غيرها.

فان كان الدين المسيحي يطمح باكتساب الشعوب الى الانجيل بسلاح غير سلاح الصليب فلا ينال منهم الا جفاء . لانه اذا طلب تمدينهم بمدنية الغرب اجاب بعضهم انهم اعرق قدماً بالمدنية من الغرب . واذا اخذنا لنا مثالاً من اهل الصين وأيناهم متحضرين بحضارة خاصة بهم قبل شروق شمس الحضارة على اوروبة او اميركة بقرون . فمن اشترط عليهم باعتناق المدنية الاوروبية ليقبلهم في الدين المسيحي لم يجد فيهم الا اباء واحتقاراً.

وليس من كرامة الكنيسة ان تطمح الى استعمال وسائل المدنية ، ولو كانت راقية كالمدنية الغربية ، لفتح العالم للمسيح ، وقد قال له المجد : « مملكتي ليست من العالم» وقال الرسول : « ان في الدين المسيحي ، لا يوناني ، ولا يهودي ولا ختان ولا قلف ولا اعجمي ولا اسكوتي ولا عبد ولا حر بل المسيح هو كل شيء وفي الجميع .» (كول ٣ : ٩–١١) فما ابعد عن روح الانجيل والتبشير المسيحي فكر القائلين ان ملكوت الله لا ينتشر الا تحت لواء المدنية الاوروبية وانه يعجز عن هداية الشعوب التي لم تستعد له باقتبال المدنية الاوروبية .

ان السيد له المجد مثّل لنا الملكوت بالخميرة التي تخمر عجين البشرية كلها ، واوحى لنا القديس بولس حكمة الله وقوته بالمسيح ، فبها يبسط سلطانه على كل حكمة وقوة في العالم وشدّ ما قد يكون دهشه لو سمع الناس يشترطون عليه بنشر المدنية اليونانية او ببسط السلطة الرومانية في البلاد المدعوة الى المسيحية قبل تبشيرها.

وبالامر الواقع قد فتحت الكنيسة المسيحية شعوباً لم تكن قد نالتهم من صبغة المدنية اليونانية الا قشرة رقيقة سطحية. فنصر الدين المسيحي امم الجرمان والقلت ومصر وليبية ولم ينصرها الا بقوة الصليب.

ودخل بلاد الشرق بسرعة مدهشة. فارمينية اضحت مملكة مسيحية منذ اوائل القرن الرابع. وكذلك بلاد سورية وآسية منذ فجر التاريخ المسيحي.

وكما كان انتشار الدين المسيحي مستقلًا عن التمدن اليوناني الروماني في نشأته كذلك ظلّ في امتداده ونموّه على مدى التاريخ الى يومنا. ذلك ما تشهد له اعمال الرسالات الكاثوليكية في العالم. واعلم ان المسيحية لا تصطبغ بالصبغة الغربية المحضة الا وتكذب اصلها. فالمسيح ذاته قال ان الخلاص لا يأتي الا باليهود. فالعهد القديم وكتب الاباء والانبياء اسّ للعهد الجديد ولم يمسخ عهد ما اتى به عهد. والكنيسة تقرّ باصلها اليهودي السامي اذ تقول مع ترتوليانوس: « لسنا من اثينة ولكن من اورشليم ، وتعليمنا صادر من رواق سليمان. »

ذلك النور العظيم الذي اضاء علينا من المشرق كشف لنا على آفاق لم يحلم بها يوناني ولا روماني. فاستبانت اسرار الدين العظام في تعاليم الانبياء والمزامير وموضوعها عظمة الله ولطفه وقداسة الناموس وبغض الخطية. ثم اوضحها الوحي المسيحي وعلى تعليمها نشأنا وبها صرنا ابناء ابراهيم وبني اسرائيل بالحقيقة.

نعم ان الفتح الاسلامي افقد المسيحية في الشرق عدداً غير قليل من ابنائها ، ومن ثم فقد ظهرت في ايامنا سحنة المسيحية غربيةً اكثر منها شرقية ، لكن المسيحية بجوهرها ليست شرقية ولا غربية. وها ان مسيحيي الشرق ظلوا شرقيين ولم يفقدوا شخصيتهم. فالمسيحية تحب تقاليد الشرق وتراعي اميال الشرقيين فيما هو فيها من خير. وهي تعتبر الشرق مهدها وقد خرج منه الرجال العظام من حملوا اليها نور الايمان الى الغرب ؛ وفي الشرق اي في مصر وسورية وكبادوكية تعلم كبار معلمي الغربيين في القرن الرابع وفي الشرق تدرب النساك الاوربيون على ممارسة الحياة النسكية.

وخلاصة الكلام ان الدين المسيحي لا يحتاج الى الوسائل البشريه من تمدين او سلاح لينشأ وينتشر. ومن ثم نستنتج ونقول ان هذه النظرية لحقيقة

بان تلفت انظار الدعاة الى الجامعة الاسلامية.

يرغبون ان يتذرعوا لها بالعنف او بالوسائط البشرية ، وهذه الوسائط لها قيمتها وهي مساعدة على نشر الدعوة . لكنها ليست ضرورية لنشر دين الحق ومناصرته . فالحق يعلو بذاته على القوة وله في العناية الالهية نصير . والا فاي فضل لديانة قوامها السيف !

وهناك نظرية تهمنا نحن ابناء هذه البلاد اللبنانية السورية المسيحيين والمسلمين معاً وهي اننا نخسر شيئاً من جنسيتنا بمعاداتنا العنصر الغربي . ان التعويل على الجامعة العربية العامة لخبط في عالم الخيال ، وهضم لحقوق البلاد ، ومس بواجب الوطنية الصادقة . اي صلة بيننا وبين الصيني او الهندي او الزنجي من اقاصي آسية او من مجاهل افريقية . ولم نغفل عن كنوز بلادنا الادبية التي وضعت اس التمدن الاوروبي وهي تجعلنا اقرب صلة الى شعوب الغرب منا الى الشعوب الاسيوية ؟ فلنجمعن شملنا ، ونضم كلمتنا ، ونسعى على اختلاف المذاهب في احياء تقاليدنا وآثارنا وحياتنا القومية ، ولنا حياة قومية حقيقية ، لا حاجة الى ارتباطها بمشارق الارض ومغاربها . وكل من يغار على مصالح هذه البلاد العزيزة وعلى حفظ كرامتها واعلاء شأنها عليه ان يصل بين حاضرها وماضيها ويذكر انها بلاد الوحي ومنها صدر النور الى اقاصي العالم ، ومنها تقتبس ملايين الناس شعلة الهداية في حياتهم الادبية والاجتماعية ؛ فحسبنا بذلك فخراً.

وهذه البلاد بلادنا مهد التاريخ والمدنيات القديمة ايام لم تدرج اليونان من مهد حضارتها . تعالوا ننعش فيها ذكر تلك الامجاد ، فنجعلها اراضي يزورها الناس ويتعلمون فيها تاريخ اجيالهم واسلافهم من طيات تاريخنا . تعالوا نعزز الامن والسلام والوئام ، فنعيش متفقين وننبذ كل عارض يحول دوننا ودون السير الى الامام ، فيكون مقامنا في مصاف شعوب العالم المتمدن وهذه تحوم حول البحر المتوسط وهو شرقي غربي وفي ذكره رمز حياتنا وعنوان مستقبلنا.

في شمالي اوروبة بين تطاحن الدول العظام وتصادم فرنسة والمانية وانكلترة تحيا امة صغيرة بحدودها وعدد شعبها ، وقد تألمت على مدى التاريخ لتحافظ على كيانها لكنها ، كبيرة بنفسها ، هي الامة البلجيكية . لعلها لو

انضمت الى جارتها الشرقية او الغربية لنالت من رحمة جيرانها اسماً يدوي في ارجاء العالم ، ولكنها تفقد وجدانها. اما وقد رضيت بما قسمه لها الله فعاشت في العمل والجد والصدق والكرامة وبرهنت في ساعات التاريخ العصيبة على ان العظمة انما هي عظمة النفوس لا عظمة العدد والعُدد ! فما احرانا بتقفي آثارها.

قانون الموجبات والعقود : المبادئ العامة

تأليف بشارة خليل الخوري

٢٢٤ ص. كبيرة ، مطبعة المعرض ، بيروت ، ١٩٣٣

انه من اهم الاصلاحات التي اتت بها السلطة في لبنان وانفعها للبلاد هي ولا شك الاصلاحات القانونية . ان المجلة كانت لم تزل مجموعة الاحكام الوحيدة للمعاملات المدنية. ولا يخفى على احد ان المجلة لم تعد تفي بالاحتياجات العصرية الحاضرة ، ولو انه كان لها اعتبارها بزمن مضى.

لذلك قد نشرت الحكومة اللبنانية من مدة قانوناً جديداً سمي بقانون الموجبات والعقود وضعه القانوني الكبير الاستاذ جوسران ، عميد معهد الحقوق في مدينة ليون ومحصته اللجنة التشريعية في لبنان.

لكنما وضع القوانين بنصوصها لا يكفي للامكان من تطبيقها ، بل يلزمها شرح واف مفصل خصوصاً ان كانت هذه القوانين جديدة في البلاد ، تختلف نظرياتها عن نظريات القوانين المعمول بها سابقاً كما هي حالة قانون الموجبات الجديد في لبنان . لذلك كان المؤلف التي اتحفنا به حضرة الشيخ بشارة الخوري ، رئيس مجلس الوزراء سابقاً ، واقعاً بمحله ومسدداً لحاجة ماسة . فمن قريب تبتدئ المحاكم بتطبيق القانون الجديد والمحامون واصحاب المصالح يتصفحون هذا القانون لدرس كل مادة من مواده والاجتهاد في استنباط معانيها. فيكون شرح قانون الموجبات دليلاً نيّراً كاملاً للقضاة والمحامين واصحاب المصالح جميعاً في عملهم . ومن فوائد هذا الكتاب المحرر باللغة العربية انه بفضل الصفات التي يمتاز بها من وضوح وعلم وافر سيساعد مساعدة كبرى لنشر وفهم النظريات الحقوقية الحديثة في جميع طبقات الاشخاص الذين يشتغلون بالمسائل

الحقوقية ، اذ انه لتاريخ اليوم كان يصعب للمتفقهين الجاهلين اللغة الافرنسية ام غيرها من اللغات الاجنبية ان يطلعوا على النظريات المذكورة وكيفية تطبيقها وتطوّرها وتفرعاتها . فالآن هؤلاء المتفقهون يجدون زبدة ما يلزمهم من المعلومات في المؤلف الجديد الذي نتمنى له ، نفعاً لعموم اهل بلادنا ، رواجاً كبيراً .

اميل تيان

شهداء حلب

وثائق تاريخية جمعها الاكسرخوس اكاكيوس كوسا قب ، من مصادرها الرسمية ؛ وعربها الارشمندريت داميانوس شبارخ قب

مطبعة الغدير بولس ، حريصا ، ق ٨ ، ص ٢٢٠ ، ١٩٣٣

هذا الكتاب هو الحلقة الخامسة من سلسلة « الوثائق » . عني به الجامع والمعرب ، بناء على رغبة السيد مكاريوس سابا ، متروبوليت حلب وتوابعها ، وفيه اخبار داود الرومي المقتول سنة ١٦٦٠ ، وابراهيم الدلال سنة ١٧٤٢ ، والحلبيين الاحد عشر الذين قتلوا سنة ١٨١٨ . قلنا هي اخبار بل قل هي اعمال تذكرنا «باعمال الشهداء» ، وقد تشفعها شهادات عديدة تؤكد صحتها . ومن ثم لنا الامل انها ستنال اهتمام السلطة الكنائسية ، وتؤدي ، ان شاء الله ، الى تطويب مَن اهرقوا دماءهم في سبيل الايمان الكاثوليكي . ولا يخفى علينا ما لتلك المذكرات من صدى الم نود ، واخواننا المنفصلين ، ان يتضاءل مع مرور الايام فيضيع ويُنسى . على اننا لا نردده في قلوبنا الا عن غاية صالحة وهي التي من اجلها تعظم الكنيسة ذكر شهدائها ، اي ليكونوا قدوة لسائر ابنائها ببسالتهم في المحافظة على ايمانهم . ومن ثم ننتهز فرصةً لنصلي من اجل من تمجد الله على يدهم بشهادة اصفيائه ولا سبيل بيننا الى حزازات ولا الى مباغض . ونسأل الله ان يُتمّ ما قد ابتدأه منذ ذلك العهد باحياء روح الانضمام الى الكثلكة في حلب وفي سائر البلاد فلا يكون الا راع واحد ورعية واحدة .

كل يعرف ما لوثائق رباط اليسوعي من القيمة في نظر المؤرخين ، وان وثائق حريصا لتنال قيمة تستحق لها في المكاتب مقاماً مجاوراً لوثائق رباط على ان توضع لها الفهارس الابجدية فتسهل استنباط موادها . ف . ت .

دائرة المعارف الاسلامية

نقلها الى العربية

محمد ثابت الفندي ، احمد الشنتناوي ، ابراهيم زكي خورشيد ، عبد الحميد يونس

تصدر كل شهرين عدداً – العدد الاول والثاني.

لجنة الترجمة – شارع قصر النيل رقم ٣٣ ، مصر

سنة ١٩١٣ ظهرت الدائرة المعارف الاسلامية الافرنجية باللغات الاوروبية الثلاث : الفرنسوية والانكليزية والالمانية في نشراتها الاولى . وتتابعت تلك النشرات قبل الحرب ثم تباطأ ظهورها من جراء انشغال الناس عن الدروس والمطالعات والطبع بالكارثة العالمية الكبرى وانتهت الحرب واذا بالمواد المعهود بامرها الى بعض المستشرقين لم يتيسر امرها للناشر ، فصار يطبع الكراريس بحسب اسبقيتها بالوصول الى المطبعة لا بحسب ترتيبها الابجدي.

ومن اجل ذلك سبقت بعض المواد غيرها في السلسلة . والآن بين يدينا من الموسوعة ، عدا المجلدين الاولين ، حلقات متقطعة من المجلدين الاخيرين . وهناك حلقات لم تصل الينا بعد.

وكنا نتوقع نقل هذا المؤلف الكبير الى اللغة العربية لما فيه من الاهمية ولما لقراء العربية من حاجة اليه . لكننا لم نكن لنعلل النفس ان نرى تحقيق المشروع بالعربية قبل نهايته باللغات الاوروبية . وهناك احرف كالتاء مثلاً فانها لم تأتِ بعد بالكتاب الافرنجي . اما النسخة العربية فسوف تضطر الى نشرها في مجلدها الاول . ولنا الامل ان يكون المعربون قد اتفقوا مع الادارة ولم يباشروا العمل الا بعد ان رتبوا المواد بتمامها وهم غير غافلين عما يعتور المسلك من العقبات ، مصممون النية على تذليلها . وهل توفقوا الى ذلك في الكراسين الاولين وقد ظهر احدهما في تشرين الاول والثاني في كانون الاول من العام ١٩٣٣ ؟

لا يسعنا الا ان نحيي فيهم النشاط والغيرة وفضائل الشباب . وان ما نراه من عنايتهم بنقل من غير زيادة ولا نقصان يذكر لهم فيشكر . وان يكن هناك شيء من سوء الفهم والخطأ في التعريب والخلط في بعض الاسماء ، فانما

يُعزى الى التسرّع وعدم التدقيق ، ولنا الأمل بتجنب ذلك في الاجزاء المقبلة.

انما لنا ملاحظة نستسيح عذراً بابدائها في سبيل ما نراه خير المصلحة:

جاء في المقدمة ص ٦ : «ان اعلام مصر من الازهر او من الجامعة ساهموا بنصيب وافر في مراجعة الترجمة وفي التعليق على بعض الفقرات وفي ابداء الملاحظات عليها . »

وفي الامر الواقع لقد تذيلت صفحات الكتاب بغير ما هو في الاصل الافرنجي . واحب ان احسن الظن واعتقد ان المعربين اتفقوا مع اولياء الامر الافرنج في التصرّف بالمواد كما تصرفوا بها ، لان غرضهم انما هو قراء العربية ورأوا ان لا بد من تعليق بعض الحواشي.

وهذه نظرية قيمة على ان يجرى بموجبها في الكتاب كله. ومن ثم لا نرى افادة في نقل المصادر العديدة المذيّل فيها كل مقال من الموسوعة الافرنجية، لان تلك المصادر انما هي آلة عمل للمتوسعين الذين يريدون درس المواد بحذافيرها. وهؤلاء اما ان يحسنوا قراءة اللغات الافرنجية فلا يعولون على الدائرة المعربة في بحوثهم ، واما انهم يجهلونها فاي فائدة لهم من الاسطر العديدة المتعلقة على الصفحات العربية وقد ضاقت رحباً بموادها المطبوعة بالحرف الكبير . فيتضخم الكتاب ويوازي حجمه ضعف ما هو عليه بالافرنجية . ان مادة ابراهيم بالمتن الافرنسي مثلاً محصورة باقل من عمودين ونصف العمود ، اما في المتن العربي فتستغرق ثمانية عواميد. على ان المشروع لخطير وجدير بان يشجع لان فيه نوال الدائرة الكبرى ضالتنا المنشودة. وللعربية في حماية الملك فؤاد وروح النهضة الادبية المصرية خير كفيل لتحقيق الامال ان شاء الله .

ف. ت.

السنة الثانية والثلاثون — نيسان — حزيران ١٩٣٤

نوطة لدرس

الفنّ المسيحي في سورية

في القرنين الخامس والسادس(*)

بقلم جان لاسوس

استاذ في الادب من الجامعة الفرنسوية ، وعضو المعهد الفرنسوي في دمشق

تمهيد

لقد سألت نفسي مرّات عمّا دفع جامعة القديس يوسف ، وقد جعلت « الفن المسيحي في سورية » من دروس « الآداب الشرقية » هذه السنة ، الى ان تهبط دمشق فتفتّش عن رجلٍ علماني يلقي هذه الدروس . لم يكن ذلك لقلة العلماء بين جدرانها ، ولا لعدم تمكنهم من خوض هذه الابحاث . فان حضرة الاب موترد ، مَن قدرتم علومه التاريخية ، قد شاهد وفهم

(*) اولى المحاضرات المُلقاة في « معهد الآداب الشرقية » ، في فرع « الآثار القديمة » .

جميع آثار هذا الفن، كما ان حضرة الاب مصيريان بدأ دروسه في هذا الموضوع بان كشف دير القديس سمعان العمودي الصغير، ولقد كان بامكانه ان يحدثكم عن هذا الاكتشاف. وكذلك القول عن حضرة الاب ماترن الذي اظهر مقدرته في فنّ البناء في كتاب شائق نشره مؤخرًا عن «المدن المائتة في سورية». وقد علّمني هذا الكتاب كثيرًا من الامور.

واذًا فلم تكن الجامعة بحاجة اليّ. ولكن اظنني ادركت بعد التأمل فكرة رؤساء هذه الجامعة. فظهر لي كأنهم خشوا ان يرى الناس طبيعيًا درسَ الفنّ المسيحي في جامعة كاثوليكية، وطبيعيًا كذلك، بل من متطلبات المهنة، ان يتحسس الراهب في درس هذا الفنّ. وعليه فان رجلًا علمانيًا، ملتحقًا بالتعليم الرسمي اي علمانيًا مزدوجًا، لا يُتّهم في نظر احد اذا ما نادى عاليًا بضرورة درس الآثار المسيحية في العهد المتصل من ملك قسطنطين الكبير حتى الفتح العربي، مؤكدًا منفعة هذا الدرس بل اهميته العظمى في تاريخ سورية وفي تاريخ الفنّ العام. وهذا، على ما اعتقد، ما يولي شهادتي قيمتها العالية.

انتباه العلماء للفنّ المسيحي في سورية — بعض آثاره

ان تكن سورية قد نالت، في عهدٍ من تاريخها الطويل، فنًا خاصًا وقوة مبدعة؛ ان تكن قد ولدت روائع عجيبة، فأثرت في عالم الاشكال البنائية والزخرفية اثرًا عظيمًا بفضل قوّته واتساع مجاله وطول دوامه، فلقد كان ذلك عهدَ كانت كلها مسيحية؛ اي في القرنين الخامس والسادس، اذ قامت البنايات المتنوّعة في جميع الانحاء السورية بفضل تلك الرفاهية الناشئة عن السلام البيزنطي. وان هذه البنايات لتتصف بظاهرة نادرة في الزمان والمكان، وهي ان جميع الكنائس بل جميع البيوت، التي قامت، تمتاز بميزة فنّية. التناسق في النسب والاقسام، والغنى في الزخرف، والرشاقة في الصنعة، كلها صفات تجعل من بنائي سورية المسيحية ونحّاتيها اساتذة ذوي خبرة ومهارة وقيمة ترتفع عن المستوى العاديّ. ولم تكن المدن الكبرى وحدها لتختصّ بهم، بل قد عُرف من فنّاني الفسيفساء، والنحّاتين، ومهندسي البناء، من اقام في المدن الصغيرة

والقرى الحقيرة الضائعة في الجبال الحجرية او المنعزلة على حدود الصحراء . حتى امكن علماء المتأخرين ان يعتبروا ، بدون مبالغة ، ان الفنّ الاصلي في سورية الاسلامية ، ذاك الفنّ الـذي ولّد الرائعتين الشهيرتين وهمـا قبة الصخرة في اورشليم والجامع الاموي في دمشق ، لم يكن الا امتـدادًا للفنّ المسيحي في سورية .

ومع كلّ هذا فقد جهل العلماء مدةً طويلة وجود هذا الفنّ . حتى قـام دي ڤوگويه (de Vogüé) برحلته الدراسية سنة ١٨٦٠ ، فارتاد انحاء سورية ونشر نتائج دروسه مزدانةً برسوم المهندس دوتوى (Duthoit) ، فلفتت نظر علماء الغرب فادركوا انه ، الى جنب الفن البيزنطي المعروف ، كان في سورية وفي العهد نفسه فنٌّ سوري مسيحي ممتاز باساليبه الخاصة ، وبتقاليده ، وبروائعه . ولقد اثارت هذه الاكتشافات همم الروّاد فقاموا بالابحاث المتنوّعة . واني اكتفي من ذلك بذكر الجهود الاميركية القيّمة التي بُذلت من السنة ١٨٩٥ الى السنة ١٩١٠ ، في خمس بعثات تفقّدت مناطق البلاد تحت ادارة الاستاذ بتلر (Butler) وقد جُمعت ابحاثها في عدة مجلّدات واصفـةً اكثر من ١٥٠ كنيسة ، ناشرة كثيرًا من الرُقُم . ولكن هذا العمل ظلّ ناقصاً على سعته . ولا نزال حتى اليوم نسمع كل سنة باكتشاف كنيسةٍ ، او دير ، او مدينة كاملة في منطقة حوران ، او في جوار حلب .

لدينا عدد كبير من آثار هـذا الفنّ المسيحي السوري . وليست غايتي ان اصفها كلها ولا ان اعدّد اسماءها . انما اودّ ان ينتبه دارسوها لكل ما فيها من ابتكار واستقلال كما ينتبهون لاصلها وتطوّرها . وافضل طريقة لهذا تقوم بان ندرس بعض الامثلة بتدقيق تامّ ، ولاسيما الكنائس منها ، لان بيت الله اوضح مظهر لتطبيق نظرية الفن المسيحي . وهناك مظاهر اخرى هي بيوت الخاصة والبنايات العامّة . وما يلحق بالفنّ العالي من الصناعات او الفنون الثنوية كالتنزيل والفسيفساء ، ودور السوريين في ايجاد وتطوّر فن الايقونات المسيحية . وقد اثار هذا الموضوع الاخير مشاكل لم يُفرغ منها بعد .

واني لأسرّ بنيل غايتي ان تمكنت من بثّ الرغبة في زيارة الآثار الباقية

في سورية الشمالية من ذاك الفن القديم . لا آثار قلعة سمعان فحسب ، وقد اصبحت زيارتها من برنامج السيّاح العادي ، بل ما هو اصعب من ذلك كأن يترك المسافر الطريق المعبّدة فيصعد، من معرّة النعمان او من باب الهوا ، تلك الهضبات في شمالي سورية ، فيسير مقدار ساعة ، واذا به في وسط تلك المدن المائتة ، التي هُجرت على اثر الفتح العربي ، ثم خربتها الزلازل الارضية فظلّت انقاضها ماثلة شهودًا على مدنيّة عريقة تلاشت الّا من زوايا التاريخ.

تاريخ الفن وحالة سورية في القرنين الخامس والسادس

ليس الفنّ الهامًا فحسب . فان الفنّان ، والبنّاء والزخرف خاصة ، اذا باشر عملًا ما ، لا يأتيه من لا شيء . فهناك علم خاص او مجموعة قواعد تظهر نتيجةً للجهد الفني السابق ويلزم الفنّان ان يعرفها . يلزم البنّاء ان يعرف ماهية السطح مثلًا ، كما يلزمه ان يعرف نوعية المواد التي يستعملها وطريقة استعمالها . كذلك يلزم النحات ان يُحسن استعمال المقطع والازميل . ولا يخفى ان هذه المبادئ الاولية يتلقنها الطالب في مدرسة رجل يكون قد اشتهر ببنائه او بنحته ، فيستفيد منه طريقته العملية كما يستفيد اسلوبه النظري وفكرته الخاصة في الفن والامثلة الفنّية. فليست مخيّلة الفنّان اذًا مطلقة الحرية تجاه الموضوع المقصود تمثيله . انما هي محدودة مستندة الى فكرة فنية في الجمال يحدّها استاذ الفنّان المذكور وزمانه وبلاده . ولا يخفى ان المظاهر والاشكال التطبيقية التي يفرضها مذهب فني ، تتمتع بحياة طويلة . لنأخذ فنّ العمارة مثلًا فنتحقّق كم يبدو صعباً على المهندس ، حتى في ايامنا ، ان يضع في رأس احد الاعمدة تاجاً لا يكون دُورياً ، ولا يونياً ، ولا كورنثياً ! فان يكن من مجال لحرية الفنّان فانما يكون ذلك ضمن حدود المذهب الفني على الغالب. واذا كان الفنّان ضيّق الافق المبدع ، قلّد ، دون اهتمام بما وراء ذلك ، ما عرفه من المظاهر الفنّية ، فعدّد الى ما لا نهاية له تلك الاشكال التي قيل له انها جميلة. واذا كان على شيء من الرغبة في الابتكار ، حاول التخلّص من ربقة التقليد الى الابداع . على ان ابداعه يتولّد حكماً من معارفه ودروسه . يُبدع الشاعر

في اللغة التي يعرفها ، فهو لا يخلق مفرداته ، وفي الكثير من الاحيان لا يخلق حتى تتماته . وهكذا القول عن الفنان ، فبين يديه مواد ضرورية لفنه ضرورة المفردات والانغام للشعر . فهو يسير مستنداً اليها في ابداعه حتى يمكن القول ان اعظم الروائع الفنية ابتكاراً في الظاهر واشدّها طرافة وابداعاً ، تكون غالباً المظهر الاسمى لشكل من الفنّ معروف سابقاً ، او لمذهب فني ولّد قبلها كثيراً من الآثار المشابهة وان ثنوية غير رائعة ؛ او تكون المرحلة القصوى لتطوّر فني مرّ سابقاً بمراحل استعدادية معروفة.

كل هذا يبرّر وجود تاريخ للفن . وانّ الدارس ليشعر ان الشكل الفني يعيش ويتطوّر بادئاً بالمحاولات ، حتى اذا استقرّت قدمه مدةً برز ظافراً في روائعه الشائقة ؛ ثم لا يلبث ان يشيخ ، فيتحوّل ، ويضمحل ، وقد يعيش في الاشكال المحرّفة عنه ، او يُبعث فجأة اذا صادف فرصة تعيده الى ذوق العصر .

وللفنان العبقري ، في هذا التطوّر ، ان يأخذ باحدى طريقتين فيمثل دوراً من اثنين : إما ان يكون كرافائيل معبّراً عن كمال الميول الفنيّة في عصره ، فيتسلّط على كل ما حاوله سلفاؤه ويظهر كالرجل المكتمل الرجولة تجاه الولد الصغير . واما ان يكون كميكال انج ، سيّداً مطلقاً لعقيدة فنية ، فيتقدّم سيرها ، ويسبقها فيسرع في تطوّرها ، وقد يضعضعها ، محوّلاً هدف هذا التطوّر .

بيدَ ان اشباه ميكال‌انج قليلون . فيكون ان اكثر الفنانين من اشباه رافائيل ، ولاسيما في فنّ العمارة ، حيث لا يبدو التقدّم الا بطيئاً على اثر الكثير من المحاولات والتفتيشات حتى لا يُعرف مثلاً في ايّ مكان ولا في اي زمان أُتمّ صنع القبة لاول مرة . ومهما يكن من مظاهر الطرافة في اثر ما ، فانه يظهر على الغالب مهيّئاً ممدّاً . فيمكن مؤرخ الفنّ مثلاً ان يتتبّع ، قبل بناء كنيسة القديسة صوفية في القسطنطينية ، تاريخ الكنائس ذات القبب . وكذلك فان مهندس كنيسة القديس سمعان العمودي لم يبدأ من لا شيء .

ولهذا قبل ان نبدأ درس الفنّ المسيحي في سورية يجب علينا ان نحاول

فهم مصدره . فنقوم بتحديـد الكلمات ، مشيرين الى ما نقصد بلفظة فنّ « مسيحي »، مفتشين عن التأثير الذي من الممكن ان يحدثه في فنّ «مسيحي» كونه نشأ وعاش في « سورية » .

الفن السوري في القرنين الخامس والسادس يتّصل بالفن المسيحي

أ – بالايمان الحيّ الظاهر فيه

ما المقصود بقولنا : فنّ مسيحي ؟

لهـذا التعبير معنيان متميّزان : معنى ديني يكون فيه « الفن المسيحي » التعبيرَ الفني الخاصّ بالمسيحية ، ومعنى تاريخي يكون فيه « الفن المسيحي » فنَّ بلادٍ تسودها المسيحية .

فان قصدنا المعنى الاول اصبح عملنا في درس الفنّ المسيحي ، قبل انتصار الكنيسة وبعدهـا ، محدودًا بدرس الآثار المسيحية في الفن : كشكل الكنائس ، وفن الايقونات ، ورموز الزخرف والتصاوير . امـا في سورية فنرانا مدفوعين الى اتباع المعنى الثاني لان « الفن المسيحي » في سورية هو فن سورية كلها منذ انتصار الكنيسة حتى الفتح العربي ، اي ما بين السنتين ٣١٣ و ٦٣٠ . وليس من مظهر فني ، طول هذه المدة ، سواء أكان بيتاً خاصاً ، او قلعةً او حمّاماً ، او نقشاً او اثر فسيفساء الا وهو متعلق بالفنّ المسيحي . اما في ما خص الآثار الفنية الراقية الى ما قبل هذه المدة ، او الظاهرة بعدها ، فيستعيد تعبيرنا « الفنّ المسيحي » معناه الديني .

وان هذا المعنى الواسع الذي نوليه التعبير المذكور يبرّره ، من جهة ، حالة الفنّ في ذاك العصر ؛ ومن جهة اخرى نفوذ المسيحية الشامل اما حالة الفنّ فلا تسمح لنا في تلك الحقبة ان نفرّق بين المظاهر الفنية المتعدّدة . واما النفوذ المسيحي فهو ظاهر في كل شيء . اذا بنى احد الناس منزلًا له كتب على الباب : « اله واحـد ! احفظنا . » واذا اقيمت قلعة حربية نُقش عليها : « كن لي ، ايها الربّ ، الهًا حافظًا وحصنًا حصينًا يخلصني . ايها المسيح

الرسم ١ : مكان العباد في نمبرخة ، وهي بلدة قديمة في شمالي سورية ، ويظهر في اعلى الصورة طلل كبيرة

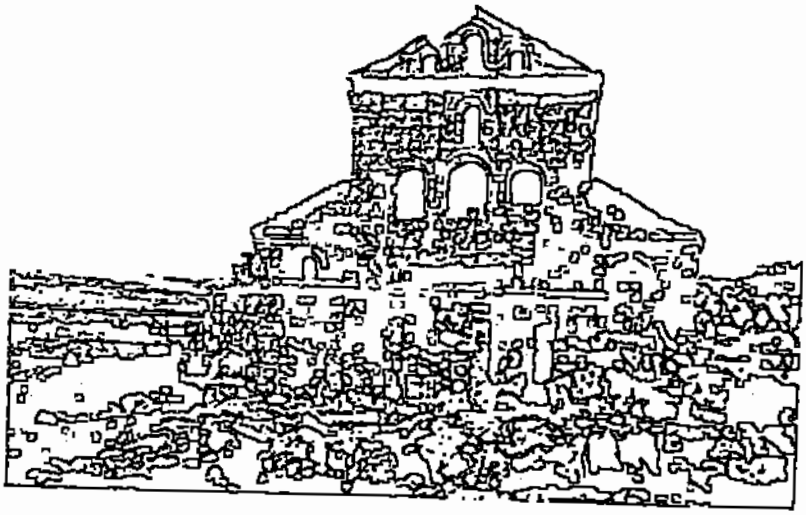

الرسم ٢ : واجهة الكنيسة المذكورة .

ابن مريم ! يحفظ الرب دخولك وخروجك ، يخلصك الرب من كل شرّ . وضع هذا الحجر مكانه بمعونة الله في شهر بنيموس من السنة الثالثة لسنّ الخراج الموافقة للسنة ٨٨١ يونانية » (تموز ٥٧٠ م.)

ومن هذه العبارات،المأخوذ بعضها من آيات المزامير،عددٌ وافر جدًا منقوش على عتبات الابنية في جميع انحاء سورية حتى ان الدارس لفنّ ذاك العصر لا يرى رُقم الكنائس اقرب الى العبادة والتقوى من رقم البيوت الخاصة او البنايات العامة. وها لكم ترجمة حرفية لرقيم حمّام اندرين: « هذا الحمّام ، انا ، توما، مجددًا كرمي نحو الجمهور ، وهبته لجميع السكان حتى يذكروني... » اوَ لا تدلّ هذه التقدمة على ادّعاء المحسن وتبجّحه . انما مقصودنا ما يلي ، لقد سمى الباني حمّامه حمّام « الصحة » وتابع النقش : « من هذا الباب هو المسيح الذي فتح لنا حمّام الشفاء. » وهكذا نجد في كل الرقم ان المسيحية تصبغ جميع مظاهر الحياة .

ولم يكتفِ المسيحيون بذكر المسيح وتقديسه بايمانهم في آثارهم الفنية ، بل عدّدوا الاشارات التقوية في تزيين بيوتهم تعديدًا عجيبًا: بلاطات الافاريز ، الابواب المتخذة من الحجارة البركانية (البازالت) ، عتبات الابواب ، كلها مزدانة برسم الصليب منقوشًا ضمن دائرة او ضمن مربّع،يبدو احيانًا بسيطًا ، واحيانًا محافظًا على شيء من الرمز القديم ، كذلك الطابع المسيحي ☧ الذي كان يتألف بجمع الحرفين الاولين من اسم المسيح باليونانية X وP . واذا اضيف اليها اشارة الصليب توصل الفنّان الى ايجاد كثير من الرسوم والاشكال ، انما تظلّ جميعها محتفظة بالصفة الدينية. ونحن نجد كثيرًا من هذه الرسوم حتى وسط المطاحن ، وفوق النوافذ ، وعلى الابواب الداخلية ، بل على الخزائن ، وفي وسط الاقواس المزينة طُنف البنايات.

وبالتالي فان فنّ سورية ، في القرنين الخامس والسادس ، يظهر بجملته فعلَ ايمان حي. فالدين لا يؤثر في وقتٍ معين من الحياة ، ولا يحتفظ بنصف ساعة كل نهار احدٍ مثلًا ، ولا يظهر طقسًا يتبعه الانسان في بناء معروف. انما هو همّ الانسان الدائم ، ماثلًا لدى الفلاح مثوله لدى المدني في جميع مظاهر الحياة .

أو يُستنتج من هذا ان مسيحي سورية في ذاك العهد كانوا كلهم قديسين ؟ اننا لا نعتقد ذلك ، ولا يمكن ان نعتقده الا اذا فرضنا ان انقلاباً شاملاً في الاخلاق حصل على اثر مواعظ القديس يوحنا فم الذهب . . . على ان ما يستطيع علم الآثار القديمة تأكيده هو ان جميع مظاهر الحياة في هذا الشعب المسيحي كانت محاطة بالعبارات المسيحية ، وان الدين كان صفة رسمية عامة شاملة كاكثر ما يمكن ان تكون ؛ وان المسيحيين لم يكن بامكانهم ان يعيشوا الا في حماية الصليب : « اذا كان الله معنا فمن علينا ؟ » وهناك الكنائس العديدة ، التي قد تبلغ الثلاث والاربع في القرية الحقيرة ، والمبنية على الغالب وفاء لنذر ، تأتي بشهادة جديدة فوق الشهادة الحاسمة الناطقة بالرُقم والرسوم الرمزية : « انا يوحنا قد صليت فأُجبت ، فأقمت هذه الكنيسة شكراً لله ورجاء لمغفرة خطاياي . »

٣ – بالعناصر الفنية الخاصة

هل هناك ، عدا هذه الشهادات المتتابعة ، من صفة تميز الفن المسيحي ؟ وبكلمة اخرى هل اثر الايمان المسيحي في نظريات الفنّ واساليب تطبيقها ؟

عندما انتشرت المسيحية في حوض البحر المتوسط صادفت مدنيةً كانت في قمة ازدهارها ، هي المدنية الرومانية ، ولا يهمنا منها اليوم الا المظهر الفني . وقد طالما اعتبر العلماء الفنّ الروماني نوعاً من تعميم الفنّ اليوناني . ولا يخفى ان كلمة تعميم (*vulgarisation*) لها معنيان : فيها معنى نشر الاثر المعتم في مناطق اوسع من منطقته الاصلية ، ولكن فيها ايضاً معنى الانحطاط بقيمة الآثار ، اذ ان الكمية تؤثر في الكيفية دون شك . وليس هنا مجال الخوض في هذه النظرية . انما علينا ان نذكر مريدي هذه الابحاث ان الفن الروماني لم يكن واحداً في مختلف انحاء الامبراطورية . وانه في البلاد اليونانية والبلاد المتأثرة باليونانية ، ومنها سورية بمقدار لا يستهان به ، كان تأثير العاصمة الرومانية في الفنّ اضعف من ان يلاشي التأثيرات القديمة . فكانت التقاليد اليونانية تُحفظ فيها على خلوص لا تصادفه في رومة حيث سادت الروح الرومانية مظاهر الفنّ . وبعد ان سارت به من الاصل اليوناني ، ادخلت فيه نزعتها التحقيقية ورغبتها في

مظاهر الفخامة والعظمة ، فامتلكت علم المهندس وسيّرت اسلوب البناء ، فولّدت شيئاً جديداً .

على ان الفاتح الروماني الخبير ، كما انه توفق في السياسة بفضل دهائه في اختراع التعابير والصيغ الاكثر موافقة لحكم المقاطعات السحيقة والاقل مساساً بعقليات الشعوب الغريبة ، متباطئاً في تغيير شكل الحكومات القديم بل تاركاً لبعض المقاطعات حكماً ذاتياً يرضيها،فقد ظهر كذلك على حكمة وبصيرة في ما خصّ الفنّ فاحترم التقاليد المحلية والنزعات الخاصة. على ان هذا الحكم لا ينطبق على البلاد التي لم يكن فيها فنّ يُذكر قبل الفتح الروماني ، كما هي حالة افريقية الشمالية ، فان الرومان ادخلوا فيها ما يمكن تسميته بالفنّ الروماني المقاطعي اي الخاصّ بالمقاطعات الرومانية. وهناك اماكن تظهر فيها آثار رومانية محضة حتى كأنها منقولة من ارض ايطاليـة ، كالميدان المكتشف مؤخراً في انطاكية، فانه محدّد ومبني على اسلوب ميدان مكسيموس في رومية . اما سبب ذلك فهو ان الميـدان المذكور هدية قدّمها احد كبار الموظفين الرومانيين الذي كان قد أرسل ليفتش المقاطعة السورية واسمه كنتوس مركوس ركس (Q. Marcus Rex) ولا ينتج من هذا ان الفنّ اليوناني في انطاكية كان قد اضمحلّ .

المظهر الرمزي

كان في هـذا الفنّ اليوناني - الرومـاني ميلٌ عجيب الى نحت الاشكال البارزة وتمثيل الاشخاص . فهو يجسّم الالهة ويصوّرها بالاشكال البشرية . وقد اتفق قدماء اليونان حظاً وافراً من عبقريتهم الفنية في هذا السبيل. اما المسيحي فلم يكن ألّا ليحتقر هذه الآلهة المجسمة في الرخام او البرونز . فهو يعبد الهه الحقّ بروحه وفكره ، ويرى في هذه الصور الوثنية اباطيل الشيطان ، اعداء عبادته . أوَ لم يكن ارباب الامر ، بإبان الاضطهادات الشديدة ، يجبرونه على التضحية لهذه الصور ؟ أوَ لم يكن يموت شهيداً بغضاً لها وحبّاً لالهه الواحد ؟ ويمكن القول نفسه عن تمثال الامبراطور الروماني المؤلّه الذي كانت تُفرض عبادته وحده على جميع الوطنيين والرعايا الرومانيين. فلم يكن بامكان المسيحي

الا ان يشمله بالاحتقار والازدراء. هذا ما دفع المسيحية الى ان تبتعد في نشأتها عن تمثيل الاشخاص بالنحت بعداً تاماً شاملاً. ولا نعرف مظهراً واحداً شذّ عن هذه القاعدة الا ما نراه على النواويس المسيحية العديدة.

وان هذا الابتعاد عن نحت التماثيل، الرامية به المسيحية الى صرف ابنائها عن الاخذ بمظاهر الوثنية، يشرح نوعاً ما اهتمام الفنّانين في اول عصور النصرانية بالفنّ الرمزي. لقد شاء البعض ان يروا في هذه الاشارات الرامزة الى امور لا يعرفها الا المسيحيون، نتيجةَ الاضطهادات المديدة التي حملت ارباب الدين الجديد على ان يتحاشوا عن الظهور، وان يجعلوا لمعتقداتهم اشارات رمزية يتعارفون بها. اما انا فأرى فيها خاصةً نتيجة الرغبة في البساطة، وعلامة الفقر والضعة، بل حاجة نفسية الى الرمز والتعبير بمظهر بسيط عادي عن حقيقة سامية تُثير في النفس التأملات الفسيحة. وهكذا اصبحت السمكة رمزاً الى المسيح[1]؛ وهكذا اصبح من الرموز ما نراه في تصاوير السدياميس: ذاك الرجل الحامل سريره، هو المخلّع دون شك، وانما هو، فوق ذلك، رمزٌ الى مغفرة الخطايا. فان المسيح قال اولاً: «مغفورةٌ لك خطاياك!» ولم يأتِ بالاعجوبة الا ليبرهن عن حقه بغفران الخطايا. ذاك الرجل النائم تحت معرّش يتدلى منه الكوسى! هو يونان وقد طرحه الحوت، بل هو رمز الى قيامة المسيح. حتى اصبح فنّ الدياميس الرومانية فنّاً مقدساً يرمي الى شرح الآيات، ولا يفهمه الا المؤمنون.

وهكذا غدا نفوذ النصرانية في الفنّان مزدوجاً: تصرفه من جهة عن المذهب القديم القائم بالنحت المجسّم، وتنيله من جهة اخرى موضوعات جديدة يعبّر عنها باشارات ورموز.

تصميم البنايات الجديدة

ما عسى ان تكون، في فن العمارة، احتياجات العبادة الجديدة؟ كان

---

١) اسم السمكة باليونانية (ἰχθύς) يتألف من خمسة احرف كل منها يبدأ كلمة من هذه الكلمات الخمس: Ἰησοῦς (يسوع) Χριστός (المسيح) Θεοῦ υἱός (ابن الله) Σωτήρ (المخلّص).

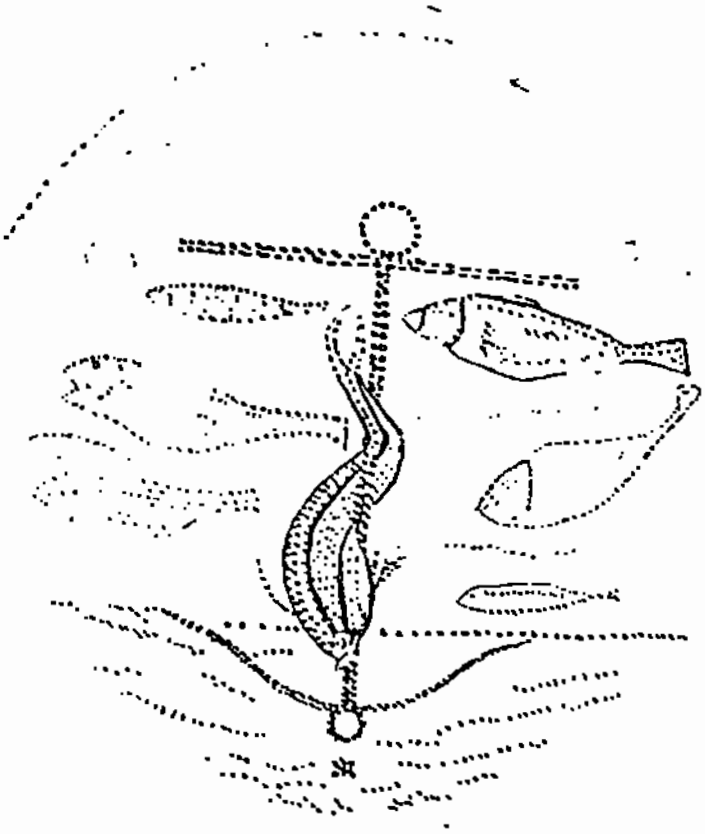

الرسم ٣ : قطعة فسيفساء من القرن الثالث مكتشفة في سوس (الجزائر)
تدل على الفكرة الرمزية في الفن المسيحي القديم. وهي تمثل السمكة رمز المسيح ،
والمرساة اشارة الى الصليب

المسيحيون يجتمعون ، في اول عهدهم ، في بيوت خاصة ، فيصلّون ويحتفلون بتذكار العشاء السرّي . ولم يكن لهم مقام معين ، انما كانوا ينتقلون من بيت الواحد الى بيت الاخر . حتى قام احد المسيحيين الاغنياء فافرد لاخوانه محلاً خاصاً من بيته يجتمعون فيه دائماً . وقد فقدنا ، لسوء الحظ ، اكثر الاثار الدالة على هذه المجامع الاولية قبل عهد الكنائس الفخمة . على ان الحفريات الدقيقة التي أُجريت تحت كنائس رومية وخصوصاً في محل سان مرتن أو مون (Saint Martin au Mont) دلّت على كيفية تحويل منزلٍ خاصّ الى مجمع ديني . واشهر الامثلة على ذلك ما اكتُشف منذ سنتين ، بفضل الحفريات الاميركية في دورا - اوربس او الصالحية على الفرات ، وقد ظهر فيها ان اوسع غرفة من المنزل كانت تقوم مقام الكنيسة ، يشهد على ذلك الحنية الموجودة فيها على شكل المحراب وما على جدرانها من التصاوير ، وهي اقدم التصاوير المسيحية المعروفة في الشرق.

وكان المسيحيون حتى في العهد السابق لانتصار الكنيسة ، اذا ما توفّقوا الى الاستقرار والطمأنينة في مكان ما فحصّلوا المال الكافي ، ونالوا الحرية والراحة ، باشروا ببناء الكنائس . ومنذ اول عصور هذا البناء يظهر تصميم الكنيسة المعروفة بالملكية (بازيليك) تاماً واضحاً . لم يكن المعبد المسيحي ليُشبه في شيء المعابد الوثنية . واننا نرى ، في واقع الامر ، ان عدد المعابد الوثنية التي تحوّلت في ما بعد الى كنائس مسيحية ظلّ قليلاً جداً . لان المعبد القديم كان يُبنى للاله وحده ، فهو منزله على الارض ، وبكلمة أخرى هو إطار تمثاله . اما المعبد المسيحي فهو بيت المؤمنين ، منزل الجماعة ، المجمع ، وهذا معنى لفظة كنيسة اليونانية الاصلية ἐκκλησία . كان المذبح الوثني يقوم في ساحة غير مسقوفة ، امام المعبد ؛ وكان على الغالب ، صغير الحجم ، كما نراه في اثينا ورومة ، وان لم يكن كذلك في الهياكل العظيمة التي شادها السوريون في بعلبك وتدمر . اما عند المسيحيين فالامر على خلاف ذلك . على المسيحيين المجتمعين في الكنيسة ، في المجمع ، ان يشتركوا في الحفلة المقامة في الهيكل . واذاً فان تصميم المعبد سيتحوّر وفقاً لهذه الغاية . سيرتفع المذبح عن مستوى

ارض الكنيسة ، ويكون لا في الوسط بل في آخر تلك القاعة الفسيحة . وسيكون ، في كل جهة من جهتي ذاك المرتفع القائم عليه المذبح مخادع او غرف صغيرة لاعداد الحفلة . وسيهتم البناء كذلك بوضع سقف على تلك القاعة الفسيحة . هذا تصميم الكنيسة الملكية كما يبدو لنا كاملاً منذ اقدم العصور ، باسواقه الثلاث ، ومذبحه القائم بين الموفهين (السكرستيتين) . اما ما يلحق بالهيكل من البناء ، ما عدا الموفه ، فاهمه البناء الذي تجري فيه حفلة التنصير او العماد . ولم يكن يقبل العماد ، في غالب الاحيان ، الا البالغون بعد ان يُوَجَّهوا بالتعليم والارشاد . ولم تكن تجري تلك الحفلة الا في ايام معلومة من السنة كخميس الاسرار مثلاً . وهي تتطلب مرافق لا محل لها في تصميم الهيكل . ونحن نراها خارجاً عنه في بناء صغير خاصّ غاية في الفن على الغالب وعلى قسط وافر من الطرافة ، لان تصميمه لم يُحدَّد منذ البدء فأخذت مخيلة الفنّان تعمل فيه ما شاء لها الابتكار .

واقدم مثال معروف اليوم للكنيسة التامّة مع مكان العماد هذا (*baptistère*) الملحق بها ، هو ما بقي من آثار كنيسة عمّاوس (المدعوّة اليوم عمواس) التي أُقيمت تذكاراً لظهور المسيح بعد قيامته . ولقد خصّ حضرة الاب ڤنسان مجلداً كبيراً بوصف هذه الكنيسة ، وهو يرى انها ترقى الى اوائل القرن الثالث .

ان الفنّ المسيحي وجد امثلة وافية في تصوير رموزه ، وتحت نواويسه ، وبناء كنائسه . وقد لزمه كذلك ان يجد المصوّرين والفنّانين ومهندسي البناء . ولا شكّ في انه استعان اول الامر بالفنّانين الوثنيين ، ولا شكّ في ان الفنّانين المسيحيين انفسهم استفادوا معلوماتهم الاولية من مذاهب الفنّ الوثني . نرى ذلك في القرابة الظاهرة بين تصاوير الدياميس الرومانية وتصاوير پومپي ، كما نراه في الشبه البادي بين رسوم دورا - اوربس سواء أكانت وثنية ام مسيحية ام يهودية . حتى يمكننا القول ان الفنّ المسيحي يخرج في اصله من الفنّ اليوناني - الروماني او الفنّ اليوناني - الساميّ ؛ على انه يحوّر في المظاهر الفنية رامياً الى سدّ الاحتياجات الجديدة فيدفع بتلك التقاليد الفنية القديمة في تطوّر محسوس الى اشكال جديدة لم يكن بالامكان ان تنشأ فجأةً من لا شيء .

وهـذا ما نراه ايضاً في نهاية الفن المسيحي السوري اذ يتطوّر مظهرُه تطوّراً بطيئاً موافقةً لمعتقدٍ جديد يبدو مثاله في الجامع الاموي.

وكان من نصيب هذا الفن المسيحي ان قسطنطين الكبير فتح امامه العالم المتمدن اجمع، فاطلق له مجال العمل حرّاً فسيحاً. رأينا في ما تقدّم، ان العقيدة المسيحية كانت تحرّم على اتباعها القيام بواجبات العبادة نحو الامبراطور. واذاً فقد كانت تؤلف دولة ضمن الدولة. ومهما يكن من خضوع المسيحيين الحقيقي للسلطة النظامية الشرعية، فانه لم يكن بامكان هذه السلطة الا ان تعتبرهم من الخوارج على النظام الروماني. فلم تتراجع عن العمل على اذلالهم بجميع الطرق حتى الاضطهاد الفظيع. على انها لم تنجح. فلم يبقَ للامبراطورية الرومانيـة الا التسليم وطلب حماية هذا الاله الجديد الذي لم تقوَ على مقاومته وغلبته آلهتُها القديمة. وكان تاريخ الامبراطورية قد عرف عدداً من الآلهـة تمكنت من الظفر بمكان حسن بين آلهة الدولة الاصلية. فأضيفت اسماؤها الى اللائحـة المقدسة، ووُضعت تماثيلها في الهيكل الاعظم. ولم يكن دين الامبراطرة الآخـذ بمبدأ الاختيار والانتخاب ليتأثر بهذا الامر. على ان اله المسيحيين يختلف عن جميع الالهة. فهو غيور لا يرضى الا بكل شيء. وقد نال كل شيء. فاصبحت المسيحية دين الدولة منذ السنة ٣١٣.

امـا في مجال الفنّ فكان تأثير مرسوم ميلان، الذي اقرّ به قسطنطين انتصار الكنيسة، عظيماً جـداً. وقد عبّر عن مبلغ هذا التأثير اوسابيوس القيصري صديق الامبراطور. كان اوسابيوس اسقفاً على شيء من التقلقـل في العقيدة، الا انه مثـل في الحياة الدينية في عصره دوراً مهماً. فباشر كتابة اول تاريخ للكنيسة، وهيّـأ نصّ قانون الايمان الذي اصلحه اصلاحاً جوهرياً مجمع نيقية. وكان من آثاره انه عبّر عن تلك الحركة الفنيـة التي دفعت المسيحيين اذ ذاك الى تشييـد المعابد فقال: «في جميع المدن تُقام الاحتفالات لتقديس المعابد المبنية حديثاً. فيجتمع الاساقفة، ويأتي الزوّار من الانحـاء البعيدة فيشعر الانسان بظاهر حب الشعوب بعضها لبعض. وما هؤلاء جميعهم الا اعضاء المسيح تجمعهم ألفة واحدة.» على اننا لا نعرف اكثر هذه المعابد

الا بما كُتب عنها : ففي القسطنطينية ، وانطاكية ، وبيت لحم ، واورشليم ، وروما ، قامت الكنائس الملكية ، والكنائس المستديرة ذات القبب . ولم يصل الينا من كل ذلك بحالة صالحة الا كنيسة القديس كونستانس في رومة وكنيسة بيت لحم . وهناك بعض الآثار في قبة كنيسة القبر المقدس تدلّ على تصميمها الاصلي . وكذلك اطلعتنا الحفريات الحديثة على تصميم كنيسة ايليونا (Eleôna) في جبل الزيتون . اما الكنيسة المثمنة التصميم ذات القبة الذهبية التي كانت في انطاكية فلم تكشف الحفريات حتى اليوم على اي اثر منها .

وان هذه السلسلة من الآثار تدلّ على فنّ متقدّم في الازدهار . يسمو بفخامة التصوّر ، وتنوّع طرق التصميم فيدلّ على عمل استعدادي ادرك قمته في عهد قسطنطين ، وفي سورية وفلسطين خاصة . ومهما يكن من الاساطير التي حاكتها العامة ، في ما بعد ، حول زيارة هيلانة للاراضي المقدسة ، فان ما قام في فلسطين من المعابد، على اثر هذه الزيارة ، يراه علم الآثار القديمة على جانب خطير من الاهمية . والى جنب هذه البنايات الفخمة التي اوجدتها المشيئة الامبراطورية ، والتي تمثل في نظر الناقد الفني والى حدّ ما ، تأثير الفنّ الروماني، نرى ان الحركة تنابعت بسرعة فجاءت ببنايات ذات صبغة محليّة . وقد وصف اوسابيوس مطولاً كنيسة صور في خطاب القاه في حفلة تقديسها . على ان هذه الصبغة لم تكن لتخلص تماماً من التأثر بالكنائس الامبراطورية . وسنرى كيف توصل مهندسو سورية الى سنّ طريقة خاصة بهم دون ان يهملوا الاستفادة من هذه الآثار الفنية .

الصبغة المحلية في الفنّ السوري وعلاقته بالفنّ اليوناني — الروماني

١ً — بظهر البنايات

على ان هذا الفن السوري لم يكن بحاجة الى الاخذ باساليب الفنّ الامبراطوري . فقد كان له في بلاده تقاليد متصلة . وهذا تاريخ الفن السوري ، والاصح ان نقول: الفن اليوناني في سورية ، يتتابع غير منفصم الحلقات مدة

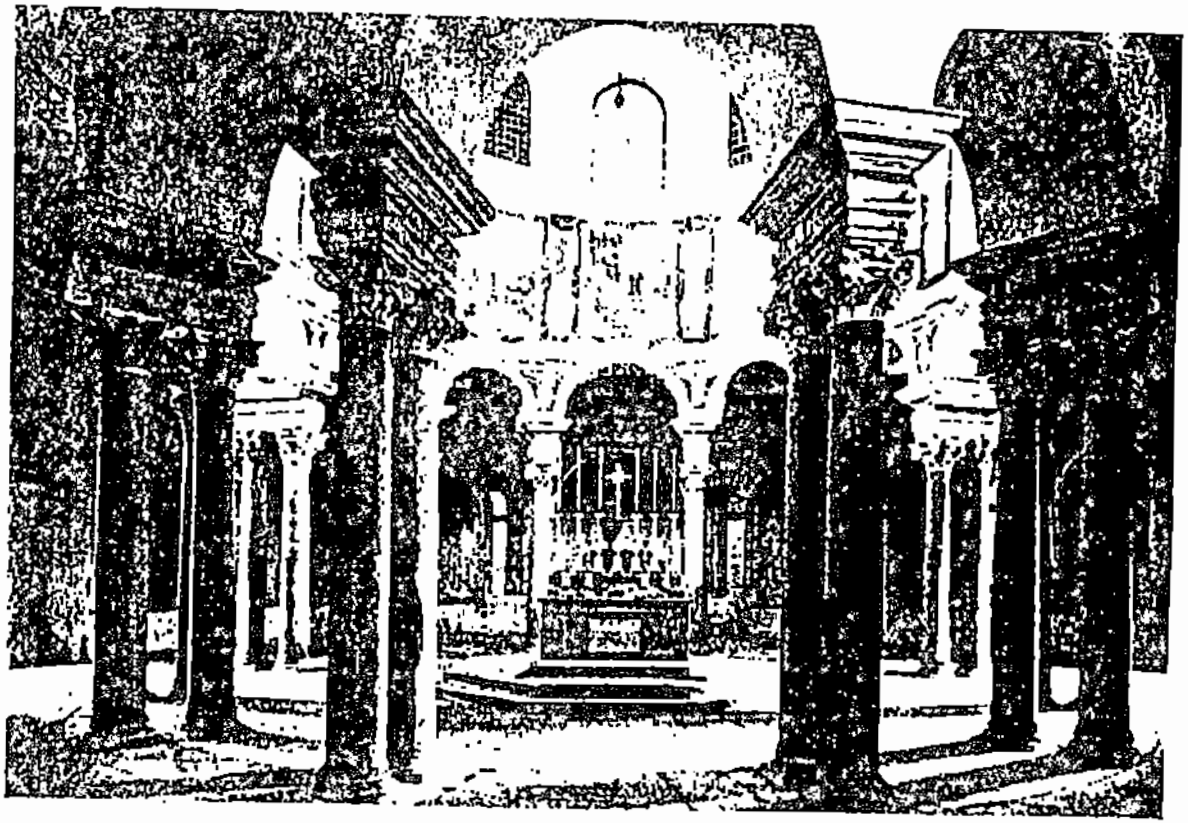

الرسم ٤ : منظر داخلي لكنيسة القديسة كونستانس في رومة

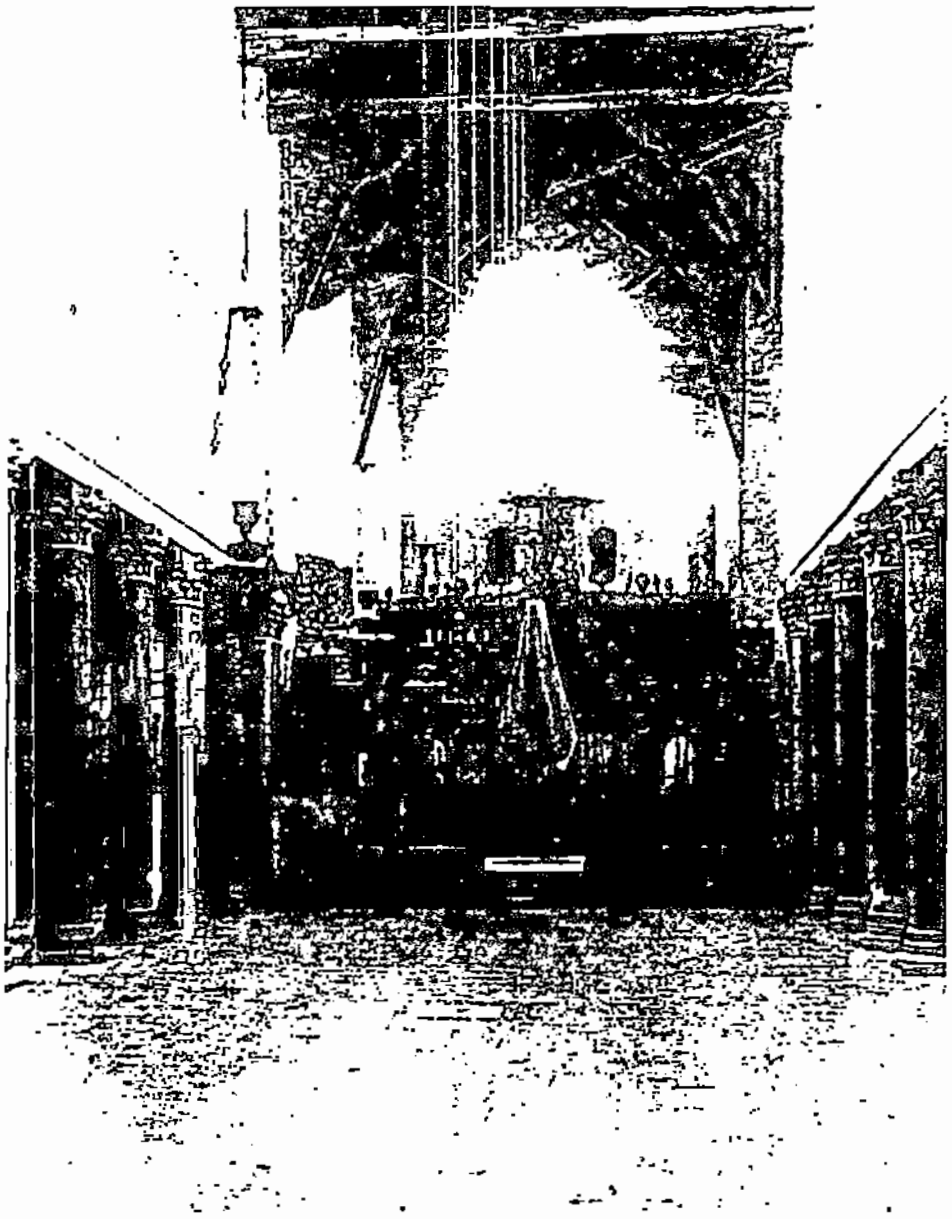

الرسم ٥ . كنيسة القديسة هيلانة في بيت لحم. وهي مثال الكنائس الملكية

الاحتلال الروماني . ولكن هذا التأثير اذا بدا واضحاً في بعض الآثار فانه معدوم في غيرها . وهذا ، في ما يلي ، عدد عن الابنية المعروفة في سورية :

في القرن الاول : اعمدة طيباريوس في انطاكية — المسرح — حمامات ترايانوس — هيكل بعلبك — هياكل تدمر الكبرى — هيرودس يزيد اعمدة انطاكية على مسافة كيلومترين.

في القرن الثاني : ميادين الالعاب الاولمبية في انطاكية — مجلس مسميّه — هيكل صنمين — ابنية فيلبس العربي في شهبا (جبل الدروز).

في القرن الثالث : كنيسة شقّا الملكية — قصر ديوقلسيانوس في انطاكية — الحمّام الكبير في انطاكية — الكنيسة والهيكل اليهودي المصوّرَين في دورا — كنيسة عمّاوس — مجلس ديوقلسيانوس في تدمر .

في القرن الرابع : كنيسة قسطنطين المثمنة في انطاكية — ميدان قالنس — كنيسة تيودوسيوس الثاني.

هذا قليل من كثير من تلك الآثار الفخمة الدالة على نشاط في البناء عجيب ابداه مهندسو سورية ، وخصوصاً مهندسو انطاكية ، مدة اربعة قرون متوالية . وقد استفاد الفن المسيحي من تلك الاوساط الفنية الوثنية . حتى انه ، لولا انطاكية ، لما امكننا ان نفهم اتصال التقاليد اليونانية بفنّاني المسيحية .

٣ — بمظهر الصور او الايقونات

والى هذا العصر نفسه يجب ان ننسب تأليف الحلقات الواسعة من الصور القصصية . رأينا ، في ما تقدم ، ان فن التصوير المسيحي كان في اول امره رمزياً . على انه تحوّل فاتخذ مظهرًا جديدًا منذ اوائل القرن الرابع . ذاك ان الاساقفة فكروا في استعمال الصور في تعليم العامة . وسرعان ما ظهرت الاساليب التصويرية ، وسرعان ما تقرّرت صور المشاهد الدينية المهمة ، فنشأ فنّ الايقونات . فاخذ ارباب الفن يمثلون الحوادث التاريخية الدينية او يشرحون النصوص المقدسة بالتصوير اللوحي ، او بالفسيفساء ، او بالرسم الدقيق على المخطوطات . ولقد ذكر المونسنيور ڤيلپر (Mgr. Wilpert) ان على جدران كنيسة القديسة مريم

الكبرى صورة بعض حوادث العهد القديم ترقى الى السنة ٣٦٠ ، ولا يزال القسم الاكبر منها محفوظاً . وعلى هذه الطريقة كان المصوّرون يشرحون الانجيل ، والكتب التقوية المنحولة . وفي كل ذلك كان اللاهوتي يُعين الفنان ، فيرشده لا الى الموضوع فحسب ، بل الى طريقة عرضه . واننا نجد الموضوعات التصويرية مقررة منذ القدم لا تكاد تختلف على طول تاريخ الفن المسيحي في الشرق. وقد اكتُشف منذ اقل من مائة سنة في جبل اتوس كتاب قديم يرقى الى عدة قرون ، مُثل فيه تقليد اقدم من ذلك ايضاً . وكان هذا التقليد لا يزال يوحي الموضوعات التصويرية الدينية الى فناني اليونان في القرن التاسع عشر . وانه لمن مفاخر الفنّ البيزنطي ان يكون قد توفّق الى تحقيق هذا الفن التصويري الذي لا يزال منذ القدم يجذب انتباه الناظرين بما فيه من دقة التأليف وضبط التنسيق وروعة الزينة الملوّنة ، وسواء في ذلك التصاوير القديمة في كنيسة القديس ابولينير الجديد في راڤينة ، ورسوم مخطوطات القرن الحادي عشر ، وحلقات التصاوير الفخمة في كنيسة القديس مرقص في البندقية .

ولكن ، لسوء الحظّ ، يصعب علينا جدًّا ان نحدّد الدور الذي مثّلته سورية في هذا الفن التصويري . وليس لنا عدد يذكر من الآثار التي احتفظت بتصاويرها الاصلية . حتى ان الاستاذ بتلر ، مدير البعثات الاميركية ، انتهى الى حلّ المشكل بالسلب ، فانكر وجود التصاوير البشرية في الكنائس السورية . بيدَ ان لدينا ، فضلاً عن شهادات قدماء المؤلفين كشهادة المؤرّخ النزّي الذي وصف التصاوير المزدانة بها كاتدرائية غزة ، شهادات اخرى تظهر في الاناجيل السريانية المصوّرة الراقية الى القرن السادس ، وفي الآنية الفضية المصدّرة من اورشليم الى ايطالية في العهد نفسه ، وفي الصحاف الفضية كذلك التي نقش فيها تاريخ داود . وكلها تذكارات تشهد لوجود هذا الفنّ التصويري .

ثم اتت حفريات دورا . فكشفت في السنة ١٩٣٢ عن كنيسة مزدانة بصور اشخاص من العهد القديم والعهد الجديد ، وكشفت في السنة الفائتة ،

الرسم ٦ : صفحة من انجيل رَبولا . وهو مثال للاناجيل المصورة الظاهرة من آثار الفن السوري في القرن السادس . والصفحة تمثل ، عن اليمين ، دخول المسيح الى اورشليم احد الشعانين ؛ وعن اليسار ، تناول الرسل

عن هيكل يهودي مزدان بصور مؤرخة في السنة ٢١٥ مسيحية تمثل حياة موسى وغيره من الانبياء. فوضع هذا الاكتشاف اساساً جديدة ثابتة للموضوع، ومكن من القول انه وُجد، منذ القرن الثالث، فنّ تصويري سوري لا يتأخر، من حيث العصر، عن اقدم الحلقات التصويرية الرومانية.

واننا نقف هنا في مشكل اثار كثيراً من المناظرات والمشاحنات، هو المشكل التقليدي بين «رومة والشرق» الذي لا يزال ماثلاً امام علماء الآثار القديمة. وقد اردت ان اشير الى هذا المظهر منه. وان يكن نصيب سورية من الفنّ الديني لا يبدو جلياً واضحاً فيه، فلا يعني هذا انه لا يستحق الاعتبار والتقدير.

***

لو شئنا ان نعدّد العوامل التي ادّت الى ازدهار الفن المسيحي في سورية لوجب علينا ان نخصّ بالذكر الحالة السياسية والاقتصادية. فان تكن القرى السورية اصبحت مدناً، وان تكن البنايات الحجرية قامت وارتفعت؛ فقد كان ذلك بفضل السلام الذي اقرّه في سورية السلطان البيزنطي على رغم الغزوات الفارسية. كان ذلك بفضل النظام الحربي والاداري السائد في سورية. وان هذه الامور لتستحق اكثر من اشارة سطحية. ثم يجب علينا ان نشير كذلك الى غنى السكان، لا في المدن فحسب، بل في القرى والمزارع. غنى مدين للسلام دون شك. الا ان السلام وحده لا يكفي ليضمن رفاهية العيش فضلاً عن الغنى. انما هناك موارد عديدة كانت تدرّ الاموال على السوريين. منها اتساع الزراعة، فان سهول حوران الخصبة كانت تغلّ الحبوب بكثرة، والمرتفعات الصخرية كانت تغطّيها اشجار الكرم والزيتون. ومنها الاتحاد مع آسية الصغرى الذي كان يضمن المنافذ لجميع هذه المحصولات، فتزدهر المدن بالتجارة كما تغتني القرى بالمنتجات الزراعية.

ولا يسعنا المجال للتبسّط في هذه الاحوال. انما نكتفي بايراد ذلك المثل القديم القائل: ازدهار البناء دليل على ازدهار الاحوال. والبناء كان في سورية على ازدهار باهر كما قدمنا. واذاً فان احوال السوريين المسيحيين كانت على غاية

من النجاح .

الخاتمة

هذا مـا رأينا ذكره من الآراء العامة توطئة لـدرس الفن المسيحي في سورية . اما هذا الدرس نفسه فيتطلب التدقيق في الوصف ، والانتباه التام في فحص عناصر الاثر الفني الماثل امامنا . يوصل الدرس الاثري صاحبه الى قلب الاثر الرائع ، فيفهم غايته ، ويتلمس فكرة مهندسه من خلال جدرانه بل من خلال طلوله المتداعيـة وحجارتـه المبعثرة . يقف الشاعر امام هذه الاطلال فتحمله مخيلته الى العصور الزاهية ويتأثر شعوره بتقلبـات الاحوال ، فيقول الشعر المؤثر الجذاب . على ان الاثري يفعل فوق هذا . قد يتأثر الاثري وقد يفيض شعوره . الا انه يشعر بالجمال الباقي في هذه الاطلال من تكوينها الرائع السابق ، لا بما توحيه من جمال شعري ناتج من حالتها الخربة المتداعية . يتأثر المؤرخ والاثري بحالة المدن الماثلة . على انهما لا يكتفيان بالرثاء بل يفتشان عمّا وراء ذلك ، يفتشان عن حياة هذه المدن : كيف نشأت ، وكيف عاشت ، وكيف تلاشت . وان هذا الامتداد في الماضي ، هذا التكوين المجدّد ، هذا البعث لا يمكن ان نستند فيه الى مخيلتنا وحدها ، ولا الى شعورنا فقط . انما يقوم به الفحص الدقيق والدرس الموضوعي الخالص فيشعر الاثري اذ ذاك بانه يقترب شيئاً فشيئاً من الحقيقة الثابتة ، فيطمئن الى عمله والى تأكيده . وان هذه الطمأنينة الرصينة لهي افضل ما يرجو العالم الاثري من العوائد والمكافآت .

شهود العيان
على فتح الصليبيين انطاكية

بقلم انور حاتم (دمشق)
دكتور في الادب من جامعة باريس

ملخص تاريخي

كان فتح انطاكية اول والمع موقعة فاز بها الصليبيون في اراضي الشام. غادروا ديارهم افرنسيين ، والمانيين ، وبلجيكيين ، وايطاليين ، بعد ان رنّ في كليرمون صوت البابا الافرنسي أربان الثاني الذي اعلن الحروب الصليبية بتأثير رهبان (Cluny) [1] حيث نشأ وتعلم. خرجوا من ديارهم ، والصعوبات تعرقل كل خطوة يخطونها في سيرهم نحو القدس ؛ وكان قد سبقهم الراهب بطرس الناسك برفقة شخص الماني يدعى گوتييه Gauthier Sans Avoir يصحبهما جماعات من المان وايطاليين وافرنسيين، وكلهم فقراء صعاليك . وصل بطرس الناسك ورفاقه الى القسطنطينية في ٣٠ تموز عام ١٠٩٦ . وكان سفره بالرغم من ارادة البابا اربان الثاني . فهو اذاً المسؤول ، مع القائدين الالمانيين كونشلك والكونت ايمكو ، عن كل ما حدث اثناء تلك الرحلة التاعسة التي انتهت في مرفإ على خليج نيكوميديا يدعى كيفوتوس

---

١) لا نستطيع هنا ، لضيق المجال ، ان نبحث عن اصل الحروب الصليبية وكيفية تولدها . وقد كانت غايات البابا أربان الثاني من اعلانها عديدة : منها الدفاع عن مسيحيي الاندلس وايطالية الذين كانوا معرضين دوماً للغزوات العربية بشغل المسلمين عن تلك الغزوات ، ومنها توحيد الكلمة بين امراء اوربة المسيحية الذين كانوا يتقاتلون ، ومنها انقاذ قبر السيد المسيح من ايدي المسلمين وتأمين حياة من يقصدونه من الشرقيين والغربيين. راجع اقدم وأكمل سيرة للبابا أربان الثاني في مجموعة مين : Dom Ruinart : *Vita Urbani* II, (Migne, *Patrologia latina*, t. CLI, col. 160 sqq.)

Civetot يوم ٢٠ ايلول من السنة نفسها ، حيث انكسرت تلك الزمر الثائرة، وتشتت شملها ، بعد ان ذُبح اكثر جنودها .

وفي نصف شهر آب من السنة ١٠٩٦ ، بدأت الجيوش المنظمة تزحف الى الشرق تحت قيادة ادهيار دي مونتي ، ممثل البابا الاعلى ومطران مدينة البوي، Adhémar de Monteil, évêque du Puy فكان الصلة الكبرى بين القواد على اختلاف اوطانهم ونزعاتهم . وقد انقسم الصليبيون الى اربع فرق:

فالفرقة الاولى كان يقودها گودفروا دي بويون دوق لورين الجنوبية Godefroy de Bouillon ، واخوه بغدوين Baudouin وهي مؤلفة من الالمان وافرنسيي الشمال والشرق . اتجهت هذه الفرقة نحو وادي نهر الدانوب ، وبعد ان اجتازت هنغاريا ، اتصلت بالقسطنطينية .

وألفت الفرقة الثانية من جنود هوك شقيق ملك فرنسة ، وجنود روبير كونت الفلاندر ، وروبير دوق نورمنديا ، واتيان كونت بلوا وشارتر . عبروا جميعهم جبال الالب واجتازوا من مرافئ ايطالية الجنوبية الى البانية ومنها الى القسطنطينية .

والفرقة الثالثة كانت تضم رجال فرنسة الجنوبية ، وقائدهم اغنى رؤساء الصليبيين واكبرهم سناً، وهو ريمون دي سان جيل Raymond de Saint Gilles المعروف عند العرب بصنجيل[1] وهو كونت مدينة تولوز ، واحد اعداء عرب الاندلس . كان يفهم اللغة العربية ، ومطلعاً على اخلاق العرب وعوائدهم . سار برفقة المطران ادهيار واتصل بالقسطنطينية بعد مواقع عديدة في بلاد اوربة الشرقية . وقد اخذ الكونت دي سان جيل على نفسه ان لا يعود ما بقي حياً الى فرنسة .

اما الفرقة الرابعة فكانت مؤلفة من نرمان صقلية يقودهم بوهيمون

---

١) كانت شهرة ريمون دي سان جيل واسعة عند العرب . وعلى اثر احتلال القدس مدحه بعض شعراء الاسلام بقصائد منها قصيدة مطلعها :

نصرتَ بسيفك دين المسيح فلله درك من صنجيل!

وقد قُتل الشاعر ناظم تلك القصيدة .

Bohémond ، المعروف عند المسلمين بيمند ، وابن اخته تنكريد.

وفي شهر ايار من عام ١٠٩٧ اجتمعت كل الفرق في نواحي القسطنطينية . وكان على رأس البلاد البيزنطيـة امبراطور (بازيلوس) محتـال حاول بعض المؤرخين عبثاً تبرير اعماله. فكان ، بالاشتراك مع بطرس الناسك ، العامل الاكبر على الخلاف الذي وقع بين الروم واللاتين . وكانت نية هذا البازيلوس المدعو الكسيس كومنين ان يستعمل العاطفة الدينية التي انقاد اليها اللاتين ، في سبيل استرداد البلاد التي اغتصبهـا الاتراك من الروم . فما كان منـه الا ان منع جيوش الصليبيين عن اجتياز البوسفور قبل ان يقسموا له يمين الطاعة ، بعد ان قطع عنهم الزاد واحاطهم بجنوده وجواسيسه ، فاذعنوا لارادته ما عدا الكونت دي سان جيل وتنكريد.

وقد برهن الامبراطور الكسيس كومنين على خيانته باول فرصة سنحت له . وذلك عند احتلال مدينة نيقية ، بعـد حصار دام اكثر من خمسين يوماً (من ٦ ايار الى ٢٦ حزيران) . وكان الامبراطور اثناء هذا الحصار قد تمكن بواسطة جواسيسه ، من الاتفاق مع سكان المدينة ، فسلموه القلعة . حينئذ منع البيزنطيون جنود اللاتين من الدخول الى نيقية التي حينما وقعت تحت حكم الروم كان يحكمهـا امير تركي توفي في عام ١١٠٧ يدعى قيلج ارسلان ابن سليمان .

ترك الصليبيون نيقية ، واعلام البازيلوس ترف فوقهـا ، وتوغلوا في طرق آسية الصغرى ، وفتحوا مـدناً عديدة اهمهـا طرسوس ، وادنة ، ومرعش ، ومامبيترا ، واورفا (او الرها) . وقد احتل اورفا بغدوين ، وتزوج بابنة احد كبار الارمن المدعو تغنوذ ، واسس اول مملكة لاتينيـة في الشرق . اخيراً وصل الصليبيون امام انطاكية في العشرين من شهر تشرين الاول عام ١٠٩٧

انطاكية ! وصلوها بعد الكدّ والعناء ، وبعد ان تركوا اكثر من نصف مليون جندي امواتاً على طرق اوربة الشرقية وآسية الصغرى . بلغوا انطاكية بعد ان تلعوا اياماً عديدة في جبال طوروس ، تلك الجبال الجهنمية ، كما دعاها احد المؤرخين ، حيث قاسوا الاهوال من جوع وعطش وتعب . وقد فشت فيهم

الامراض وفتك بهم مناخ تلك النواحي الرديء ، وهلكت خيولهم ، فاضحوا يقطعون الجبال والاودية والصخور حفاة لا يستطيعون النهوض اذا سقطوا . انطاكية ! كم تمثلت لهم تلك المدينة في احلامهم ، وهي المدينة « الملوكية » ، مهد الفن في عهد اليونان والذ مقام شرقي لسلاطين الرومان ، مدينة مار بطرس وعاصمة النصرانية قبل رومة !

احتلّ الصليبيون انطاكية بعد مواقع عديدة دامية ما عرف تاريخ القرون الوسطى لها نظيراً . فكان لانتصارهم صدى عظيم في الشرق والغرب . وقد ايقن الجند من تاريخ هذه المواقع بان اصل تلك الحروب الهام الهي ، وان القائد الاكبر للجيوش هو خالق البشر نفسه . فتكاثرت الرؤى والعجائب ، وجادت قريحة الشعراء فتغنوا بفوز الصليبيين باللاتينية ، وبلغة فرنسة الشمالية *langue d'Oil* ، وبلغة الجنوب *langue d'Oc* وانتشرت اناشيدهم في الغرب ، وقد ألفت بعد الانتصارات بقليل من الزمن . وتبع الشعراء المؤرخون فاطنبوا بذكر المواقع ، وبمدح القوّاد . فغرقت الحقيقة تحت امواج الاشاعات ، وغدا من الصعب كثيراً على المؤرخ النزيه التفريق بين الحقائق والاوهام ، ولم يبقَ عليه الا فحص آثار من شاهد عياناً احتلال انطاكية .

مؤرخو العرب

ليس بين مؤرخي العرب من شاهد عياناً احتلال انطاكية ، وقد فاجأ الافرنج مسلمي الشرق ، وهم لاهون بمحاربة بعضهم بعضاً ، ودأب كل من الامارات السورية مقاومة جارتها . ولم يكن امراء الاسلام ليتوقعوا زحف الصليبيين الى بلادهم . وهذه علامات الدهشة بيّنة ظاهرة في التواريخ الاسلامية التي كتبت عن الزحفة الصليبية الاولى ، حتى ما كتب منها بعد تلك الزحفة بقرن او بقرنين . والتواريخ العربية القديمة التي تتكلم عن هذه الزحفة قليلة الفائدة اتت بعد الحوادث بزمن طويل . على انه يُستثنى من المؤرخين ابن الاثير وكمال الدين :

ولد ابو الحسن علي بن محمد عزّ الدين بن الاثير في اليوم الرابع من

جمادى الاولى عام ٥٥٥ هـ (١٢ ايار ١١٦٠) في جزيرة بني عمر على الضفة اليسرى من نهر الدجلة . وتوفي في الموصل عام ٦٣٠ هـ (١٢٣٢). وقد ترك بين مؤلفاته العديدة كتابين لها اهمية كبيرة في ما يتعلق بالحروب الصليبية وهما « الكامل في التاريخ »[1] ، و« تاريخ الدولة الاتابكية »[2]. وابن الاثير مؤرخ بعيد عن التصنعات الانشائية دأبه اظهار الحقيقة (او ما يعتقده حقيقة) . ففي تاريخه تتبيّن لنا الانقسامات القاتلة التي حصلت بين المسلمين ، وحالة البلاد الشامية عند وصول الصليبيين ، وما حلّ بامراء الشرق تحت حكم الافرنج . وفي «الكامل» بعض اخبار مهمّة عن فتح انطاكية ، وفوز الافرنج على كربوقا ، صاحب الموصل ، لا نجدها في سواه.

اما كمال الدين ، ابو حفص عمر بن ابي جرادة العقيلي المعروف بابن العديم ، فهو حلبي الاصل . وله كتابان مشهوران في تاريخ وطنه حلب ، الاول منهما معجم كبير عن مشاهير الشهباء عنوانه « بغية الطلب في تاريخ حلب »[3] . والثاني معروف بين المستشرقين تحت عنوان « زبدة الحلب من تاريخ حلب »[4] ، وهو مرتب على السنين الى السنة ٦٤١ هـ . توفي كمال الدين في السنة ٦٦٠ هـ اي ١٢٦١ مسيحية . وفي تاريخيه حوادث كثيرة كان يستحيل على مؤرخي

١) طالعنا هذا الكتاب في الطبعة الكاملة التي نشرها المستشرق تورنبرغ في مدينة ليدن ، وهي تحتوي على اربعة عشر مجلداً.

٢) نُشر تاريخ الدولة الاتابكية في مجموعة مؤرخي الصليبيين ، في القسم الثاني من المجلد الثاني ، ص ١–٢٧٥

٣) في المكتبة الوطنية في باريس (غرفة المخطوطات) مخطوط يحتوي على قسم من « بغية الطلب » . يبدأ باسم : اسحاق بن منصور ، وينتهي باسم : امين بن عبدالله الاموي . وهو موضوع تحت رقم ٢١٣٨ . وقد نشرت قطع من هذا المخطوط في مجموعة مؤرخي الصليبيين الشرقيين ، في المجلد الثالث .

٤) يوجد نسخة من « زبدة الحلب » في المكتبة الوطنية في باريس تحت رقم ١٦٦٦ . وقد عرف هذا الكتاب ، او استعمله ، او ترجمه ، عدد كبير من المستشرقين اولهم الراهب الدومينيكي دوم برترو الذي كان يجمع مُواد لتاريخ الصليبيين في القرن الثامن عشر ، ثم تبعه سيلفستر دي ساسي ، وفيلكن ، وريو ، وفريتغ ، ودفرمري ، ومولّر ، وبلوشه ، وغيرهم . ونشر قسم من هذا التاريخ في مجموعة مؤرخي الصليبيين الشرقيين : المجلد الثالث .

الافرنج الاطلاع عليها ، وهو واقف على كل ما جرى في شمالي سورية في عهد المملكة اللاتينية القدسية .

غير العرب من المؤرخين الشرقيين

وقد تكلم عن الحروب الصليبية ، وعن احتلال انطاكية خاصة ، فضلاً عن مؤرخي العرب ، مؤرخون سريانيون وارمن وبيزنطيون . واشهر من كتب عن ذلك العهد من البيزنطيين الاميرة انّا كومنينا (١٠٨٣ - ١١٤٨) ابنة الامبراطور الكسيس الذي سبق ذكره . وقد رأت بعينها جيوش الافرنج تحيط باسوار القسطنطينيّة . وكتبت كتابها الذي دعته «الكسياد»[1] لا للدفاع عن والدها فحسب ، بل لتعظيمه وتمجيده وتخليد اعماله التي جعلته بنظرها بطلاً يضاهي ابطال هوميروس . فلهذا السبب لا يحق لنا ان نستند الى اقوالها ، وهي خالية من تلك النزاهة التي يجب ان يتحلّى بها المؤرخ قبل كل شيء ، عدا انها كانت صغيرة السن عندما اجتاز الصليبيون القسطنطينية وخانتها حافظتها لما باشرت الكتابة ، ولم ترَ بعينها فتوح انطاكية بل روت ما سمعته في بلاط ابيها ، وقد سمعت كثيراً من الاشاعات التي لا اصل لها . وكتبت الالكسياد بين السنتين ١١٣٧ و ١١٤٠ اي اربعين عاماً ، على التقريب ، بعد الحوادث التي تكلمت عنها .

يُستنتج من ذلك البحث انه اذا اردنا ان نفتش عن الشهود العيانيين فلا يبقى لنا الا الافرنج . وبين الافرنج ثلاثة مؤرخين معروفين شاهدوا عياناً حروب الزحفة الصليبيّة الاولى .

مؤرخو الافرنج

اولهم اسمه فوشه دي شارتر (Foucher de Chartres) . ولد في مدينة شارتر ، عام ١٠٥٨ ، وكان كاهناً فيها . رافق الى سورية روبير دوق نورمنديا ،

---

١) احسن طبعة لهذا الكتاب هي طبعة رفترشيد (ليبسيك عام ١٨٨٤)

واتيان كونت مدينتي بلوا وشارتر ، وشاهد كل ما جرى بين قواد اللاتين والامبراطور الكسيس ، واشترك في احتلال نيقية وفي اغلب المواقع التي جرت في آسية الصغرى. ولكنه لم يحضر حصار واحتلال انطاكية ، لانه رافق بغدوين اخا گودوفروا دي بويون الى مدينة الرها ، وكان كاهنه الخاص. ولما ملك بغدوين على الرها وتزوج بارمنية بعد وفاة امرأته ، ترك عنده فوشه دي شارتر . وبعد وفاة بغدوين عُيّن فوشه محافظاً لكنيسة القبر المقدس سنة١١١٨ . ويقف تاريخه عند السنة ١١٢٧ ، وعمره اقترب عندئذٍ من السبعين. كان فوشه المؤرخ الرسمي لاول ملوك مملكة القدس اللاتينية ، وخير شاهد على كل ما جرى لبغدوين في الرها ، وعلى مواقعه في آسية الصغرى ، وعلى علاقاته مع الارمن والروم والمسلمين، وعلى الحوادث التي جرت في عهد ملكه في القدس وعهد بغدوين الثاني.[1]

والثاني ريمون داغيلر Raymond d'Aguilers واضع كتاب « تاريخ الافرنج الذين احتلوا القدس » . كان كاهناً قانونياً (chanoine) لكنيسة سيدة البوي في مدينة بوي دي دوم في منطقة اوفرنية . وعندما ترأس اسقفه ادهيمار جنود الصليبيين رافقه ريمون داغيلر ، والتحق بجنود ريمون دي سان جيل ، كونت تولوز ، واصبح رفيقه ومستشاره وكاهنه الخاص ؛ وكتب تاريخ الزحفة الصليبية الاولى « ليكذب الاشاعات المشوهة التي نشرها في الغرب الجنود الجبناء الذين هربوا من ساحة الحرب المقدسة ورجعوا الى اوطانهم». وقد روى كل ما اتوا به من الاعمال اللامعة . ووصف جهادهم وذكر العجائب التي انعم بها الله عليهم . وريمون داغيلر اكثر المؤرخين سذاجة ورقة، خفيف الروح ، بسيط القلب ، قوي العقيدة ؛ يتحدث مراراً عن التوسط الالهي في المواقع وظهور القديسين بين صفوف المقاتلين ؛ واكتشاف الحربة المقدسة في كنيسة مار بطرس[2] بانطاكية . وقد شاهد بعينه كل ما وقع من المعارك في

---

١) راجع تاريخه في مجموعة مؤرخي الصليبيين الغربيين ٣ : ٢٠٥ – ٤٤٥

٢) روى بعض المؤرخين المسلمين اكتشاف الحربة المقدسة . ومنهم ابن الاثير ، قال: « وكان معهم (اي مع الافرنج) راهب مطاع فيهم وكان داهية من الرجال ايعتمد بذلك بطرس

سبيل احتلال انطاكية واستملاكها ، واشترك في كل هذه المعارك . فشهادته صادقة ، وقد روى جميع الحوادث باخلاص .

اما المؤرخ الثالث فلم يذكر اسمه وقد ترك كتاباً عنوانه « ملاحم الافرنج والقُدسيين الآخرين »[1] وهو اقدم تاريخ كتب عن الزحفة الصليبية الاولى ، ومؤلفه بدأ بانشائه في المعسكر في الوقت الذي كانت تجري به الحوادث ، حتى انه يتكلم احياناً بصيغة الحاضر ، واحياناً بالمستقبل عن المواقع التي يُنتظر انتشابها . وكان هذا الجندي المؤرخ من رجال بيمند القائد الصقلي ، اجتاز البوسفور برفقة تنكريد ابن اخت بيمند ، دون ان يتأخر في القسطنطينية ، واشترك في احتلال نيقية ومواقع انطاكية مع جنود بيمند . وينتهي تاريخه بعد موقعة عسقلان (١٢ آب ١٠٩٩). ويظهر انه من سكان ايطالية الجنوبية ، ويمثل الطبقة الوسطى من جنود الصليبيين . وقد روى ما شاهده بكل دقة . وفي تاريخه حوادث كثيرة لا نجد لها ذكراً في كتب سائر المؤرخين.

***

الثالث . وهذا خطأ لان مكتشف الحربة قروي مسكين من احدى مقاطع فرنسة الجنوبية عاجز عن ارتكاب الحيلة التي ينسبها له ابن الاثير بدون حق) فقال لهم : ان المسيح عليه السلام كان له حربة مدفونة بالقسيان الذي بانطاكية وهو بناء عظيم . فان وجدتموها فانكم تظفرون وان لم تجدوها فالهلاك متحقق . وكان قد دفن قبل ذلك حربة في مكان فيه وعفى اثرها وامرهم بالصوم والتوبة ففعلوا ذلك ثلاثة ايام فلما كان اليوم الرابع ادخلهم الموضع جميعهم ومعهم عامتهم والصناع منهم وحفروا في جميع الاماكن فوجدوها كما ذكر فقال لهم اشروا بالظفر . » (راجع مجموعة مؤرخي الصليبيين الشرقيين : ١٩٥) وذكر البابا باسكال الثاني اكتشاف الحربة المقدسة في الكتاب الذي هنأ به الصليبيين المرسل في شهر ايار من السنة ١١٠٠ (Mansi, *Concilia*, II, 979)

(١) *Gesta Francorum et aliorum Hierosolimitanorum* . كان يطلق في الغرب اسم « القدسي » على الحاج الذي زار القدس . — لهذا التاريخ طبعة حديثة ، غير المنشورة في مجموعة مؤرخي الصليبيين ، نحن مدينون بها للاستاذ برجيه :

Louis Bréhier, *Histoire anonyme de la première Croisade* [*Classiques de l'Histoire de France.* Paris, 1924]

ملحمة انطاكية

اولئك هم المؤرخون الـذين لم يشك احد في اشتراكهم بالزحفة الصليبية الاولى. وقد عثرنا في يوم من السنة ١٩٢٩ ، على اثر شعري لم نكن نتوقع في بادئ الامر اهميته . وهذا الاثر محفوظ في باريس في ستّ نسخات خطية خمس منها في المكتبة الوطنية (تحت ارقام٧٨٦ و٧٩٥ و١٦٢١ و١٢٥٥٨ و١٢٥٦٩) وواحدة في مكتبة الأرسنال (تحت رقم ٣١٣٩)، وهو معروف بعنوان «ملحمة انطاكية» : *La Chanson d'Antioche*

لم نكن اول من اهتم بملحمة انطاكية . فقد نشر قسماً منها احد علماء اللغة الافرنسية القديمة في عام ١٨٤٨[1] . ولكن هذه الطبعة مشوّهـة مملوءة بالاغلاط ، قديمـة الاسلوب ، اكتفى ناشرهـا بلصق قطع مختلفة من ملحمة انطاكية نقلها عن النسخات الخطية بدون نظام . ثم قام استـاذ آخر ونظر في ملحمة انطاكية في اطروحة قدمها لجامعة باريس عـام ١٨٧٧[2] . ولكنه لم يتمكن من فحصها الا فحصاً سطحياً اكتفى فيه بنقد آراء من تقدّمه ، على كونه لم يتوفق لفهم اهمية ملحمة انطاكية التاريخية حتى ولا لقراءتهـا قراءة كاملة في المخطوطات . فجاءت الصحـائف القليلة التي خصصها لدرس ملحمة انطاكية ضعيفة الاساس ، مخالفة للحقيقة الواقعة ، متناقضة الاجزاء. فلا عجب اذا لم تنل ثقة المهتمين بدراسة الآداب الافرنسية في القرون الوسطى.

ولما اتيح لنا ان نفحص ملاحم الصليبيين وصلنا الى نتائج تختلف عمّا اتى به الاستاذان المذكوران اللذان اهتما بملحمة انطاكية. وتبيّن لنا بعد ان فحصنا المخطوطات ان ملحمة انطاكية الاصلية اختفت ولا يُعرف لها اثر ، وقد جدّدها في اواخر القرن الثاني عشر شاعر من سكان فرنسة الشماليـة اسمه غراندور

(١ Paulin Paris, *Roman des douze pairs, la Chanson d'Antioche* - 2 vol. in-8°. Paris, 1848, (chez Techener)

(٢ Pigeonneau, *le Cycle de la Croisade et de la famille de Bouillon*, in-8°. S' Cloud, 1877.

دي دوي Graindor de Douai ومزجها مع غيرها من الملاحم التي أُلفت في سورية لتمجد افرنج الشام ، وتخلد اعمالهم كملحمة القدس La Chanson de Jérusalem وملحمة الاسارى La Chanson des Chétifs . والآن لا نعرف ملحمة انطاكية الا بقالبها الجديد ، اي غير مستقلة ، بل محفوظة في النسخات الخطية كقطعة صغيرة من الملاحم الصليبية التي سبكها الشاعر المجدّد غراندور دي دوي في كتاب واحد لا يقل عدد ابياته عن الخمسين الفاً .

حللنا ملحمة انطاكية وقابلناها بمذكرات مؤرخي الزحفة الصليبية الاولى من مسلمين وافرنج ، فرأينا ان هذا الاثر الشعري الحماسي هو بالحقيقة خير وثيقة تاريخية لاحتلال انطاكية ، ومؤلفه الاصلي يدعى ريشار الحاج[1] . Richard le Pélerin ، ولم يحفظ لنا التاريخ سوى اسمه . ويظهر من ملحمته انه بلجيكي الاصل ، او من سكان فرنسة الشمالية ، وقد تجند تحت راية الكونت روبير دي فلاندر وبلغ القسطنطينية عن طريق ايطالية الجنوبية ، ورافق القائد تنكريد في غزواته باراضي آسية الصغرى . وكان ريشار ممتزجاً مع الشعب حين جرت الحملات الشديدة حول انطاكية . فاتت اشعاره صدى لعواطف الشعب وتضحياته وآماله وايمانه . والمجدّد حفظ لنا عدة ابيات تشهد بوجود ريشار بين المقاتلين حينما اشتعلت المواقع واشتد القتال . وعدا هذه الدلائل ، فقد عثرنا على شواهد اخرى تثبت اشتراك ريشار في الزحفة الصليبية الاولى اهمها شهادة وردت في المجموعة الاسبانية المعروفة تحت عنوان[2] . *La Gran Conquista de Ultramar* التي رُوي فيها اعمال الامبراطور شارلمان واعمال الصليبيين واساطير كثيرة تتعلق بتاريخ فرنسة واسبانية في القرون الوسطى . وتقف الحوادث التي ترويها هذه المجموعة في السنة ١٢٧١ ، وقد عرف مؤلفوها ملحمة انطاكية الاصلية وذكروا اسم ريشار الحاج عندما تحدثوا

---

١) اطلق المؤرخون المعاصرون للزحفة الصليبية الاولى لقب الحاج (pélerin) على كل من تجنّد ليحارب في سبيل القبر المقدس .

٢) راجع هذه المجموعة ، ص ٢٦٩ من العمود الاول في طبعة كايكوس :
La Gran Conquista de Ultramar., édit. Gayangos. Madrid, 1858

عن احتلال مدينة انطاكية ، وشهدوا بوجود ريشار بين صفوف المقاتلين.

وعثرنا على شهادة اخرى تعدّ من اوضح الدلائل على بعض العادات التي انتشرت في الحروب الصليبية ، وهي اهتمام القواد بشهرتهم الشخصية وتعلقهم بسمعتهم بين ابناء اوطانهم. فمنهم من كان يدفع للشعراء او للمؤرخين اموالاً طائلة حتى يذكروا اعماله في اراضي الشام ، ويخبروا عنها ابناء الغرب . ونحن مدينون بالشهادة المذكورة الى احد صغار مؤرخي القرن الثالث عشر المدعو لامبر من سكان مدينة اردر[1] Lambert d'Ardres ، واردر مدينة صغيرة في شمالي فرنسة كتب لامبر تاريخ حكامها ، ومنهم حاكم يدعى ارنول الشيخ رافق روبير دي فلاندر وجاهد الى جانبه في مواقع نيقية وانطاكية واورشليم. ولم يذكر ريشار الحاج اسمه بين القواد ، وحتى ولا بين الجنود . هذا ما دعا المؤرخ لامبر الى ان يحمل على ريشار حملة عنيفة ويتهمه بالبخل والسفالة وحب المال والملق، ويذكر السبب الذي منع ريشار، في نظره، عن ذكر ارنول وتمجيد اعماله. وهذا السبب يستحق الذكر على قول لامبر[2]: لما حاصر الافرنج انطاكية نقصت الذخائر واشتد الغلاء وساد الفقر ، حتى ان الجند غدوا حفاة ومنهم شاعرنا ريشار الحاج . فما كان منه الا الذهاب الى مواطنه ارنول الشيخ طالباً منه ان يقدم له هدية « زوج احذية قرمزية لامعة » رآها معه[3]. فابى ارنول تقديم هذه التحفة السنية الى مغنٍ ذليل. فحينئذٍ انتقم ريشار وامتنع عن ذكر ارنول في ملحمته ، محاولاً ان يمدّ بساط النسيان على اعماله اللامعة.

معلومات ملحمة انطاكية

واذا اردنا ان نورد المعلومات الجديدة التي حفظتها لنا ملحمة انطاكية

---

١) Lambert d'Ardres : *Chronicon Ghisnense et Ardense* Edit. Grodefroy-Ménilglaise. Paris, 1855

٢) راجع القطعة التي ذكرناها باصلها اللاتيني في كتابنا : *Les poèmes épiques des Croisades* Paris, 1932, p. 336

٣) يقول الاصل اللاتيني : *duas caligas scarlatinas*

(والتي لا نراها في كتب المؤرخين الآخرين) عن الزحفة الصليبية الاولى ، فيمكننا ان نقسم الملحمة الى ثلاثة اقسام :

أ- من خروج الصليبيين من بلادهم الى وصولهم لانطاكية

اضمنا افتتاح ملحمة انطاكية كما كتبها ريشار الحاج ، ولم يبقَ لنا الا ما زاده المجدّد غراندور . وقد وضع مقدمة جديدة ليسبك ملحمة انطاكية مع ملاحم اخرى ، وليحثّ شبان الغرب على التجنّد للدفاع عن الاراضي المقدسة. ومقدمة غراندور تبتدئ بوصف المسيح مصلوباً بين اللصّين ، وتقول: لما استنجد اللص الصالح بالسيد المسيح اجابه : « اعلم يا بنيّ ان ايام نصري لم تأتِ بعد . وعندما يمضي الف عام على يومنا هـذا ، سيسير شعب قوي تقي من بلاده ، ويحتلّ هذه الديار بسيفه ، وينتقم من الامم التي كانت سبب آلامي . وهذا الشعب المبارك هو الشعب الافرنسي.»

وبعد هذه المقدمة الشعرية المختلقة ، يقصّ الشاعر غراندور على سامعيه سفر بطرس الناسك الى القدس ، وزيارته القبر المقدس ، ومقابلته بطريرك القدس ، وظهور المسيح امامه عندما رقد في كنيسة القبر المقدس ، وقد طلب منه يسوع المسيح ان يذهب الى الغرب ويقابل ملوك النصارى ويبلّغهم دنوّ الساعة التي لاجلها ضحّى بنفسه في سبيل البشر ، فالكفر سائد في البلاد التي ولد وترعرع وعاش وصُلب ودُفن فيها . وهذه البلاد بلاده . فنهض حالاً بطرس الناسك، ورجع الى فرنسة ، وجمع جيوشاً عظيمة وزحف الى الشرق.

طبعاً كل هذه الاخبار حماسية ، لا تاريخية . والحقيقة ان بطرس الناسك ما وصل الى القبر المقدس ، ولا الى فلسطين ، قبل الزحفة الصليبية الاولى . ولم يكن القائد المطاع الذي صوّره بعض المؤرخين ، وما برح طول الرحلة رفيقَ عامة الشعب ، وصديق الفقراء.

تفتتح ملحمة انطاكية الاصلية عند وصول الصليبيين امام القسطنطينية . وهنا تبتدئ اهميتها التاريخية ، وقد بيّن لنا ريشار خيانات امبراطور الروم الكسيس ، واحتياله على قواد الصليبيين ، وقطعه عنهم الطعام . وريشار المؤرّخ الوحيد الذي حفظ لنا الموقف الشريف الذي وقفه احد اقرباء الامبراطور،

الرسم ١ : الطاكية : باب الحديد

الرسم ٢ : صورة قديمة تمثل باب الحديد

الرسم ٣ : انطاكية : باب القديس جرجس
(عن Cᵗ Jacquot, « *Antioche*)

المدعو تاتيكيوس، تجاه اللاتينيين ، فهو الذي قدّم لهم الذخائر والقوت اليومي، على الرغم من ارادة الكسيس ، الى ان عبروا البوسفور . وقد سار برفقتهم على رأس فرقة مؤلفة من جنود الروم . وهذا الدور الذي مثله تاتيكيوس مهم جدًّا . اذ لولاه لمات عدد كبير من الجنود جوعاً . وريشار الحاج اكثر جرأة من بقية المؤرخين . فهو الوحيد الذي روى خيانة الكونت اتيان دي بلوا في ضواحي نيقية ، حيث هرب امام الترك ورمى علمه على الارض . وفي طرق آسية الصغرى، دوّن ريشار في ملحمته ذكر الخصام الذي وقع بين بغدوين وتنكريد ، وذكر اشتراك النساء الافرنجيات في المواقع ، وتضحياتهنّ في سبيل ايمانهنّ ، والقتال العنيف الذي اشتعل في جسر الحديد بالقرب من انطاكية (بين انطاكية وحارم) .

٢ً حصار الصليبيين انطاكية

تتعدّد الادلة على وجود ريشار بين صفوف المقاتلين منذ وصول الجنود الى اسوار انطاكية . وقد وصف لنا المجاعة التي انتشرت في معسكر اللاتينيين بصور وعبارات بليغة ، وذكر لنا اسعار الاطعمة التي كان يقتات بها الافرنج، وبين هذه الاطعمة فخذ الحمار وسعره خمسة دنانير . وقصّ علينا الاعمال الباهرة التي قام بها فرسان فرنسة الشمالية ، ومنهم الفارس انكرّان دي سان بول Enguerrand de Saint-Pol ، ورنبو كروتن Raimbaut Creton ، ورينو بركه Renaud Porquet ، وهم من ابناء مقاطعة ريشار . فلولاه لما كنا استطعنا ان نعرف ونقدّر شجاعتهم واقدامهم في الحرب ، كما ان ريشار تجرأ وروى بعض الفظائع التي ارتكبها المقاتلون ومنها اكل اللحوم البشرية .

ولكن في ملحمة انطاكية ، كما في كتب بقيّة المؤرخين ، نقصٌ مهم جدًّا وهو ان جميعهم سكتوا عن كل ما يتعلق بصاحب انطاكية ، واكتفوا بذكر اسمه واسم والديه اللذين ذهبا لطلب النجدة من ملوك المسلمين وقد فتشنا لدى مؤرخي الاسلام وجمعنا كل ما حفظوه لنا عن صاحب انطاكية ، فاذا هو ياغي سيان التركماني . وما استطعنا ان نعثر على تاريخ ولادته ، ولا على المحل الذي ولد فيه . واول مرة رأينا له ذكرًا في التاريخ هو في السنة ١٠٦٦ اذ كان

يهنئ الخطبة في قزوين (في فارس) باسم السلطان السلجوقي الب ارسلان ، وقد ساعده تتش بن الب ارسلان على الاستيلاء على انطاكية . ولما مات تتش التحق برضوان ابن تتش وزوّجه بابنته ، وغزا برفقته مدينة الرها وحصّنها . وحاول بالاتفاق مع رضوان احتلال دمشق التي كان يملكها دقاق شقيق تتش . ولكن وصول الافرنج حال دون هذه المساعي . ولما حاصر الافرنج انطاكية خاف ياغي سيان من النصارى الذين بها ، فابتدأ باخراج المسلمين وحدهم من انطاكية ، وامرهم بحفر خندق في خارج المدينة . ثم اخرج في اليوم التالي نصارى المدينة لاكمال حفر الخندق ، وما كان معهم مسلم ، فاشتغلوا في الخندق الى العصر ، ولما ارادوا دخول المدينة منعهم وقال لهم : « انطاكية لكم فهبوها لي حتى انظر ما يكون منا ومن الافرنج .» فقالوا له : « ومن يحفظ اولادنا ونساءنا .» فقال : «انا اخلفكم فيهم .» فرجع النصارى واقاموا في معسكر الافرنج[1] . ولما احتل الصليبيون انطاكية هرب ياغي سيان مع جماعة من اصحابه . وعند وصوله بالقرب من ارمناز ، ومعه خادم من غلمانه ، وقع عن ظهر فرسه . فحمله الخادم واركبه على ظهر الفرس ، فلم يثبت ، وعاد فسقط مرة ثانية . وادركه حينئذٍ الارمن . فهرب الخادم وقتل الارمن ياغي سيان ، وحملوا رأسه الى الافرنج[2] .

بقيت الظروف التي احاطت احتلال انطاكية سرية . وقد جرى بين بعض قواد الافرنج وحراس اسوار انطاكية تدابير ما عرف احد غايتها . وعقد قواد النصارى اجتماعات ما استطاع المؤرخون ولا الجنود ان يعلموا بها ، وقد قال مؤرخ شاهد الوقائع عياناً : « لا يمكنني ان اقص كل ما فعلناه قبل استيلائنا على انطاكية ولا يستطيع احد، اكليريكياً كان او علمانياً، ان يكتب او يروي كيف جرت الامور »[3] . ومع هذا لم تزل رواية ريشار الحاج عن احتلال انطاكية اكمل الروايات وادقها واقربها الى العقل . وسنأتي بما رواه مؤرخ حلب

١) راجع ابن الاثير (طبعة تورنبرغ) ١٠ : ١٨٧

٢) راجع كتابنا عن ملاحم الصليبيين ، ص ١٩٧ و١٩٨

٣) راجع طبعة بريجيه ، ص ١٠١

كمال الدين بن العديم، قبل ان نشرع بتحليل رواية ملحمة انطاكية.

قال ابن العديم : « فلما كانت ليلة الخميس اول ليلة من رجب (٣ حزيران ١٠٩٨) واطأ رجل يعرف بالزراد من اهل انطاكية وغلمان له على برج كانوا يتولون حفظه وذلك ان ياغي سيان قد كان صادر هذا الزراد واخذ ماله وغلته فحمله الحنق على ان كاتب بيمند قال : انا في البرج الفلاني وانا اسلم اليك انطاكية ان أمنتني واعطيتني كذا وكذا . فبذل له ما طلب وكتم امره عن باقي الافرنج ... وجمع بيمند القوامص (Comtes) المقدمين عليهم وقال لهم : هذه انطاكية ان فتحناها لمن تكون ؟ فاختلفوا وكل طلبها لنفسه . فقال : الصواب ان يحاصرها كل رجل منا جمعة فمن فتحت في جمعته فهي له فرضوا بذلك . ولما كانت نوبته دلّى لهم الزراد ، لعنه الله ، حبلاً فطلعوا من السور وتكاثروا ورفع بعضهم بعضاً وجاؤوا الى الحراس فقتلوهم وتسلم بيمند ابن الاسكرت (Guiscart) وطلع الفرنج في سحرة هذه الليلة الى البلد وصاح الصايح من ناحية الجبل فتوهم ياغي سيان ان القلعة قد اخذت وخرج من البلد . »[1]

هذا ما قاله ابن العديم . وقد صدق في قوله ، عدا ما يتعلق باقتراح بيمند على ان يحاصر انطاكية كل قائد اسبوعاً كاملاً ومن يحتلها باسبوعه تكون له . والحقيقة ان القواد تركوا انطاكية لبيمند خوفاً من ذهاب الوقت سدى، ومن قدوم صاحب الموصل كربوقا الذي كان يبني جنوده لنجدة ياغي سيان. وانا نستخلص من رواية ابن العديم حادثين مهمين : اولهما ان الافرنج استطاعوا ان يفتحوا انطاكية بمساعدة احد المسلمين الذي كان يتولى حراسة برج من ابراج المدينة. والثاني ان هذا « الخائن » كان زراداً وقد خابر الافرنج بواسطة بيمند .

ولكن علاقات الزراد (واسمه فيروز) ببيمند بقيت سرّية الى آخر ساعة. حتى ان اتيان دي بلوا هجر المعسكر ورجع الى بلاده قبل سقوط المدينة بيوم واحد . ولو علم اقتراب النصر لما هرب . وما عرف المؤرخون تاريخ ابتداء

١) مجموعة مؤرخي الصليبيين ، ص : ٥٨١

هذه العلاقات ولا سببها . فمنهم من زعم ان بيمند اسر في احدى غزواته ولداً صغيراً كان ابن الزراد فاعاده الى والده . فاراد الوالد ان يثبت معرفته الجميل فساعد الافرنج . ومنهم من زعم بان الزراد رأى في منامه المسيح ، او قديساً من القديسين ، ولما استفاق من غفلته تنصر حالاً والتحق بالافرنج بعد ان سلّمهم البرج . والحقيقة ان الزراد اراد ان ينتقم من ياغي سيان لانه صادر امواله ، كما روى كمال الدين ، وذلك وقت الحصار حيث وقعت مجاعة عظيمة في انطاكية واكره ياغي سيان كل من جمع عنده حبوباً على ان يضعها تحت تصرفه ...

تكلم المؤرخون عن سقوط انطاكية . ولكنهم كتموا من الحوادث اهمها . والفضل لريشار الحاج ان كنا نحفظ الآن بياناً كاملاً عن كل ما جرى في ليلة ٣ حزيران من عام ١٠٩٨ ، حول اسوار هذه المدينة العظيمة[1] : لما الحّ بيمند على الزرّاد طالباً ان يسرع في العمل بموجب وعده ، بلّغ الزراد بيمند ان يجمع عساكره ويفعل كانه سيقودهم الى غزو الاراضي الاسلامية البعيدة عن انطاكية . ويمكنه هكذا ان يخفي نيته الحقيقيّة ، وفي الليل يزحف على انطاكية بغتة . وعيّن له ساعة يكون قد تهيّأ فيها لتسليمهم البلدة . ولما اتى الليل واقترب وقت الميعاد استحضر الزرّاد سلّماً طويلاً وانزله من اعلى البرج الى اسفله ، وحمل بيده مصباحاً ساطعاً ووجّهه نحو الافرنج لكي يروا السلّم جيّداً . وكان الزرّاد قد سلّمهم احد اولاده وديعةً ...

الا ان الافرنج لم يسرعوا في تسلّق السلم بجرأة ، كما زعم المؤرّخون . في ذلك الظلام الحالك ، وامام ذلك الرجل الذي خان دينه وبلاده ، وتجاه ذاك البرج العالي ، وذلك السلم الذي لم يكفل متانته احد ، ارتجف اشجع قواد الافرنج . فاراد روبير دي فلاندر ان يحوّل الى بيمند شرف الطلوع على السلّم في مقدمة الجيش فاجاب بيمند : « يا اخي ، لا تتعب نفسك ولا تطل شرحك . فانا لا اتسلق السلم ، ولو كان البرج كله من ذهب لاني لا احب ان اعرّض نفسي للهلاك . » وفي الوقت ذاته كان الزرّاد يناديهم قلقاً طالباً منهم

١) يبتدئ ذكر سقوط انطاكية في المخطوط عدد ١٢٥٥٨ ، في الصفحات ٩٠، ٩١، ٩٢، ٩٣

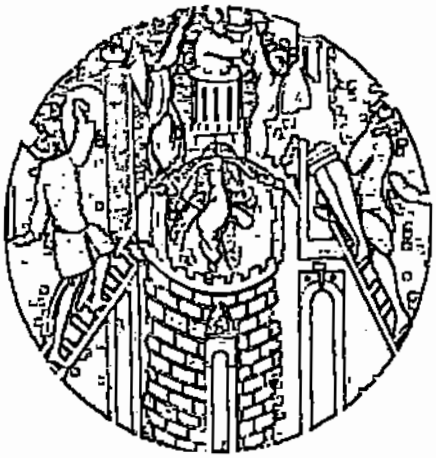

الرسم ٤ : صورة قديمة تمثل الصعود على البرج

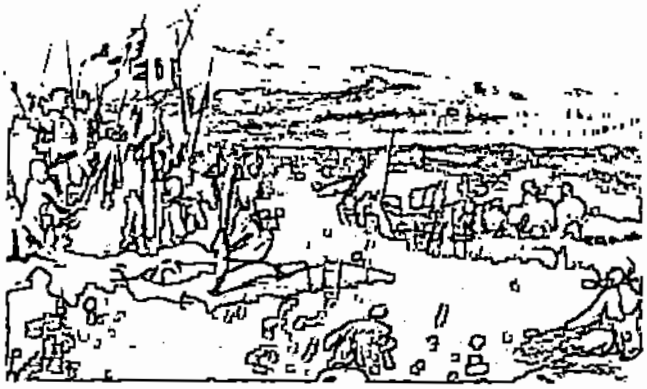

الرسم ٥ : صورة قديمة تمثل المعركة بين الصليبيين والمسلمين

(عن « Antioche » Cte Jacquot.)

الاقدام على عملهم ، او ارجاع ولده . ولما رأى روبير دي فلاندر الحالة التي وصلوا اليها ، يئس وبكى حزناً . . .

ولم يزل الافرنج مضطربين حائرين ، والوقت يمضي ، ولا يمكن لفرصة كهذه ان تُعاد الى ان وصل گودفروا دي بويون ، فناداه روبير دي فلاندر قائلاً : «افلا ترى ، يا ابن عماه ، الرعب الذي وقع في قلوبنا . وما احد منا يقترب من البرج ؟» فاجابه : «ما كنت اتوقع ذلك من الابطال .» ثم تضرّع الى الله وطلب عونه واقترب من السلم . ولكن روبير دي فلاندر سبقه وقبض بيده على السلّم وكاد يتسلقه ، لو لم يوقفه صعلوك من سكان مقاطعة الفلاندر اسمه فوشه اليتيم . ولا بأس هنا ان نعرّب قطعة من الشعر الافرنسي القديم كتبها ريشار الحاج في انطاكية بعد سقوط المدينة بايام قليلة ، قال :

ثم ادرك روبير دي فلاندر السلّم وقبض عليه بيديه الاثنتين . . .
حينئذٍ هجم عليه فوشه اليتيم ، ولفّ ذراعيه حول جوانبه .
– ولد فوشه في الفلاندر حيث يوجد فرسان شجعان ، –
وقال فوشه للكونت روبير : «سيدي اسمع كلامي :
انت ابن القديس جرجس ، وهكذا يدعوك الناس ،
فاذا اضعناك سنخسر خسارةً عظيمة .
اما انا فاذا متّ فلا احد يبكيني ، لانني يتيم ؛
ساطلع على السلم ، سيدي النبيل ، ويسوع يساعدني .»
سمع الكونت روبير كلامه ، ورفع يده عالياً ،
ودمور فوشه على الارض ، ورسم اشارة الصليب ،
وقطع اول درجات السلم .
كان الكونت روبير قد اخذ منه الغضب ،
وطلع فوق درجتين من السلم بسهولة .
ولكن فوشه اليتيم هجم ، وقبض عليه من جانبيه ،
وقال له : «سيدي روبير دي فلاندر ، انت لم تزل باسلاً
ولا يوجد بين القواد البسلاء من هو اكثر شجاعة منك .
وان كان يجب عليك ان تموت ، فسيحصل لنا ضررٌ عظيم .
وعندك ، يا سيدي النبيل ، اراضٍ واسعة يجب عليك ان تتولى حفظها .
ولك زوجة واولاد جمك الله بهم .

اما انا فلا املك الا روحي التي سابذلها ، وليس لي في الدنيا مطامع .
فدعني اتسلق قبلك ، باسم روح القدس .
فاذا متُّ انا فوتي لا يضرّ احدًا وسيكون موتي في خدمة الله .
في الجيش كثيرون افضل مني ، ويستحقون الكرامة اكثر مني . » (١

وسمح روبير لفرشه ان يتسلق البرج امامه . فاستنجد فرشه بالله ، وبدأ بالطلوع ، ولحقه بقية القواد . وبعد ان بلغ بعضهم البرج ، انقطع السلم ووقع من عليه على الارض فقُتل فارسان . ولكن فرشه ورفاقه قتلوا حرّاس الاسوار وفتحوا ابواب المدينة التي سقطت بعدة وجيزة بايدي الافرنج .

تلك هي رواية ملحمة انطاكية . ولا يمكن لمؤرخ ، من الآن فصاعدًا ، ان يقصّ الزحفة الصليبية الاولى بدون ان يستعين بها . لان ريشار الحاج هو الكاتب الوحيد الذي مثل لنا قواد ذلك الجيش العظيم رجالًا مثلنا يتألمون مثلنا ، ويخافون احيانًا ، ويحارون ويبكون ، ويمرضون . واورد لنا الاخبار التي تتعلق باحتلال انطاكية بكاملها ، وبدون تصنع ، وباخلاص لا يمكن لاي رجل كان ان يشكّ به .

٣ حصار كربوقا انطاكية

احتلّ الافرنج انطاكية ووجدوا فيها من الاموال والاقوات ما شفى غليلهم . ولكنهم ما استطاعوا ان يهنأوا بفوزهم . ففي اليوم الخامس من شهر حزيران هاجمهم عدوّ جديد بشخص صاحب الموصل قوام الدولة كربوقا(١٢) . عرف كربوقا بوصول الافرنج الى اراضي الشام فجمع عساكره وقطع بهم الفرات ، وسار الى مرج دابق ، وقد اجتمع اليه هناك دقاق بن تتش صاحب دمشق ، والاتابك طغتكين ، وجناح الدولة صاحب حمص ، وارسلان تش صاحب سنجار ، وسقمان بن ارتق الذي ملك القدس وخسرها ، ووثاب

(١) المخطوط ١٢٥٥٨ : الورقة ٩١ ، الصفحة ٢ ، العمود الاول .

(١٢ وأينا في المخطوطات : كربوغا ، وكربوقا ، وكربقا ، وقربغا . ولا نعلم اي لفظ اصح . راجع ، بخصوص كل ما تركه لنا المؤرخون عن كربوقا ، كتابنا عن ملاحم الصليبيين ص ٢٠٢-٢٠٤

ابن محمود ومعه جماعة من البدو . ولما بلغهم سقوط انطاكية بيد الافرنج رحلوا جميعهم الى انطاكية وحاصروها.

كان كربوقا من ابطال ملاحم الصليبيين . وقد روت عنه ملحمة انطاكية عدة اخبار لا اصل لها في التاريخ منها محاورته مع امه الساحرة ، وكتابه الى السلطان السلجوقي برقيارق الذي يتعهد فيه ان يكسر الافرنج. ويوجد ملحمة خصوصية محفوظة في المخطوط عدد ١٢٥٦٩ موضوعها اعتناق كربوقا النصرانية.

احدث حصار كربوقا انطاكية تأثيرًا عظيماً في عقلية الصليبيين. واصل سمعة كربوقا بين الافرنج تلك الآلام التي قاسوها مدة حصار انطاكية ، والمجاعة التي فتكت بهم ، وكان ريشار ابلغ معبّر عنها . اشتد الحصار فمادوا يقاسون الاهوال التي قاسوها عندما حاصروا المدينة . ووقع يأس عظيم في جيش النصارى حتى ان عددًا كبيرًا منهم بدأوا يهربون من انطاكية بواسطة حبال كانوا ينصبونها من فرق الاسوار فيفرّون قاصدين البحر حيث يمكنهم ان يعودوا الى بلادهم. وقد اطلق الصليبيون على هؤلاء الجبناء لقب البهالين (جمع بهلوان) *les funambules*

وان ريشار الحاج يقص علينا ، كسائر المؤرخين ، رُؤيا الكاهن التقي ، واكتشاف الحربة المقدسة في كنيسة مار بطرس ، وسقوط صاعقة بين صفوف المسلمين ، وبناء الصليبيين سورًا بين المدينة ومعسكر كربوقا ، والحريق الذي اشعله بيسند في انطاكية ، وقد هدم هذا الحريق اكثر من الفي بيت . ولما اشتد الحصار ، واشتدت المجاعة ، اراد الافرنج ان يفاوضوا كربوقا فارسلوا اليه بطرس الناسك مع جندي افرنسي يتكلم العربيّة . وقد اختلف المؤرخون في ذكر غاية هذه المفاوضة . قال ابن الاثير :« واقام الافرنج بانطاكية بعد ان ملكوها اثني عشر يوماً ليس لهم ما يأكلونه وتقوت الاقوياء بدوابهم والضعفاء بالميتة وورق الشجر . فلما رأوا ذلك ارسلوا الى كربوقا يطلبون منه الامان ليخرجوا من البلد فلم يعطهم ما طلبوا وقال لا تخرجون الا بالسيف.» ولكن المؤرخين اللاتينيّين زعموا بان غاية بطرس الناسك ورفيقه هي ان يطلب من كربوقا ان يقلع خيامه ويهرب لان انطاكية مدينة نصرانية . واذا لم

يفعل فليقبل موقعة فردية او مبارزة تنحصر في بعض الاشخاص، فالمنتصر منهم تنح النصر لامته . ويصعب علينا الآن ان نعرف حقيقة مهمة بطرس الناسك. ومما لا شك فيه هو ان كربوقا ظهر امام رسل الافرنج بسفاهة لا تطاق. وقد سببت هذه السفاهة استياء بقيّة امراء الاسلام حتى انهم اتفقوا على تسليمه للافرنج، واضمروا في انفسهم الغدر.

وروى ريشار الحاج وصول بطرس الناسك ورفيقه الى معسكر الاسلام . وذكر مقابلتهما لكربوقا، ووصف لباسه. ونقل اقواله التي تدل على كبريائه، وخطاب بطرس الناسك الذي لا يقل عجرفة عن جواب صاحب الموصل . ولما تأكد بطرس فشل مهمته، رجع الى معسكر الافرنج واطلعهم على جواب كربوقا الذي يريد ان يقاتلهم باسرع حين. وطلب منهم ان يتهيأوا للخروج من المدينة، وللهجوم النهائي . واراد كربوقا ان يعرف اهميّة جيش الافرنج فارسل اليهم جاسوساً استطاع ان يطّلع على سلاحهم وعددهم . ولما عرف كربوقا استعدادهم ندم على رفضه اقتراح بطرس الناسك، وحاول سدّى ان يفتح سبيلاً لمفاوضات جديدة . وفي هذه اللمحة يمكننا ان نقتبس من ريشار الحاج معلومات جديدة ما حفظها سواه، واهمها استشارة بيمند الشعب :

عرفنا ان بيمند غدا صاحب انطاكية . ولما مرض صنجيل اصبح رئيس قواد الجيش . وقبل خروجه من انطاكية اراد ان يأخذ رأي الجند، فسألهم هل يرغبون حالاً في محاربة كربوقا . فكان جوابهم بالاجماع انهم يفضلون ان يموتوا في القتال على ان يموتوا جوعاً، والموت جوعاً لا مناص منه ان طالت بهم الحالة التي هم فيها.

ومن المشاهد التي رآها ريشار بعينه وحفظها في كتابه قصة پيير بستيو وايثرڤين دي كرايل Pierre Postiaus et Evervins de Creil وهما فارسان من شمالي فرنسة، قال : لما حصل الضيق العظيم الذي ذكرناه في انطاكية افتقر پيير ولم يبق عند ايثرڤن سوى حماره . فيوماً من الايام بينما كان ايثرڤن في احدى الكنائس منقطعاً للصلاة، اتى رجال پيير الى سيّدهم وقالوا له : سيدي نحن على وشك ان نموت جوعاً، وها قد مضى علينا سبعة ايام ولم نذق طعم الخبز.

فاجابهم بيير: «اذهبوا، يا اصحابي، واقبضوا على حمار ايفرثن واشووه، فلحمه فاخر جداً وبركة الله عليكم.» فذهبوا وذبحوا الحمار وطبخوا منه غذاء لذيذاً. وشمّ رائحته ايفرثن عندما رجع فالتذّ بها، وطلب حصته ليأكلها حالاً، بعد ان هنأ رفاقه بعثورهم على طعام طيب كهذا. ولكنه لما علم بان حماره قُتل وطُبخ وأُكل، اخذه الغضب، فاجابه بيير: «يا اخي، اشتد ضغطنا من الجوع. وغداً سنقاتل الاعداء. فان انتصرنا سنصبح اغنياء. وان انكسرنا فسنُقتل في سبيل الله. وفي الحالتين لا لزوم لحمارك. فعوضاً عن ان نتشاجر، تعالَ نتضرّع ونطلب من الله ان يحفظنا ويحفظ جيشنا ويحقق امانينا.» فتعانق الفارسان واكلا من لحم الحمار. ثم باشرا الصلاة...

وامر القائد الروحي لجيش الصليبيين، وهو الاسقف ادهمار، جيوشه ان يصلّوا ويصوموا ويعترفوا ويتناولوا القربان المقدس، ويتصدقوا على الفقراء. مدة ثلاثة ايام. وفي الثامن والعشرين من شهر حزيران شرعوا بالخروج من انطاكية، وقد حمل المطران ادهمار الحربة المقدسة، وقاد بنفسه جيوش صنجيل لان صنجيل بقي في انطاكية ليحافظ على المدينة. وكان خروج الجيوش من احد ابواب المدينة المسمى بباب البحر، لانه اقرب الابواب لمرفأ السويدية، وقد خرجوا من انطاكية متفرقين شرذمة وراء شرذمة كما وصفهم ريشار والمؤرخون المسلمون. فلو هاجمهم كربوقا في هذا الوقت لانتصر عليهم، فان انتظاره اياهم ليتكامل عددهم، بالرغم من رأي بقيّة الامراء المسلمين، سبّب انكساره. ولما اجتمع الافرنج خارج المدينة ولى المسلمون هاربين لما كان قد عاملهم به كربوقا من الاهانات والاحتقار، ثم انهزم كربوقا خوفاً. وظن الافرنج ان هربهم حيلة، لما لاحظوا انّ قسماً منهم ظلّ في محلّه لمقاومتهم، فاعتقدوا ان القسم الآخر سار من جهة البحر لكي يعود ويلتفّ حولهم. فلحقوا بالهاربين وفتكوا بهم، ولم يتركوا منهم في قيد الحياة الا القليل. واخيراً احرق جنود كربوقا خيامهم وما استطاعوا حرقه من اموالهم واختفوا بين الجبال. فتمّ النصر للافرنج واكتسبوا اموالاً وخياماً وآلات حربيّة لا تحصى. وكانت قلعة انطاكية قد بقيت بين يدي المسلمين، وكان المتولي عليها اسمه احمد بن مروان. فلما عاد

الافرنج الى انطاكية منحوه الامان ومن معه . فسلمهم القلعة يوم الاحد في ٥ تموز من عام ١٠٩٨ ، وخرج منها وعامله الصليبيون بلطف وانسانية وانزلوه في قصر من قصور انطاكية ، ثم ارسلوه الى حلب مع شرذمة من رجالهم ليحموه .

هكذا تم النصر للصليبيين وكانت المواقع التي جرت في سبيل انطاكية اعظم مواقع الزحفة الصليبية الاولى ، كما قلنا في اول مقالنا هذا . وقد انتجت آثارًا شعرية عديدة. ومما يستحق الذكر ان هذه الآثار الشعرية تولدت وانتشرت في اراضي سورية ولبنان وفلسطين ، قبل ان تُعرف في الغرب . وقد كان لافرنسي مملكة القدس اللاتينيَّة ادب يمتاز عن ادب افرنسي فرنسة . وملحمة انطاكية التي كتبها جندي صليبي في سورية ، تحت غبار الغزوات والحروب ، بين رفاقه الذين كانوا يقاسون الاهوال نظيره ، لهي اول ملحمة بل اول اثر خالد لادب افرنسي الشرق الذي ازدهر في القرنين الثاني عشر والثالث عشر ، كما هي اثر من اصدق واكمل الآثار التاريخيَّة التي حفظت لنا احتلال انطاكية .

حول « القوانين الفردية »

عند الطائفة المارونية في زمن الامراء الشهابيين(*)

نظرة نقدية

بقلم وجيه خوري
مستشار في محكمة الاستئناف والتمييز المختلطة

لا ريب في ان كتاب الاستاذ ابراهيم عواد يعدّ حدثاً في تاريخ التأليف القضائي في لبنان . ومما يزيد في قيمته ان المشتغلين في القانون عندنا اهملوا هذه الناحية من التأليف ، رغم تأثيرها في مقدّرات الشعوب وسياسة الدول ، فضلاً عن الفائدة العلمية التي تنتج منها . وليس من ينكر ان الامة اللبنانية ، وهي في بدء نهضتها ، احوج ما تكون الى الوقوف على تاريخ شرائعها . لان الامم لا تستطيع حكم نفسها بقوانين ارتجلت ارتجالاً . واذا كان من المبادئ المسلّم بها أنّ الاحكام تتغيّر بتغيّر الازمان فمسألة لا يمنع ان يكون الوقوف على تطوّر التشريع ضرورياً لجعل القوانين المحدثة اوفق لحاجة الذين وضعت لاجلهم . فالقانون هو عادات وتقاليد اوجب الشارع التقيّد بها . ومما يزيد في اهمية مؤلّف الاستاذ عواد ان جمعية الامم تنبهت في المدة الاخيرة الى القوانين التي يخضع لها ، في احوالهم الشخصية ، المسيحيون المقيمون في الدول الواقعة تحت الانتداب ، واخذت في درسها الدرس الكافي.

شاء المؤلف ان يحصر تدقيقاته في القوانين الفردية التي كان يعمل بها عند

---

*) Ibrahim Aouad, Le droit privé des Maronites au temps des Emirs Chihab (1697-1841). Préfaces par Edouard Lambert et Paul Rouhier, [*Travaux du Séminaire Oriental d'Etudes Juridiques et Sociales*. t. 6] In-8°, XXVII+309 pp. Paris. Geuthner, 1933.

الطائفة المارونية ، على عهد الامراء الشهابيين ، اي ما بين سنة ١٦٩٧ وسنة ١٨٤١ . فاستهلّ كتابه بوصف الهيكل الاجتماعي اللبناني ، او بالاحرى الجبلي، في ذلك العهد . فوصف اولاً حالة الاكليروس الذي مثّل دوراً مهمّاً في تاريخ لبنان ، منذ عهد مؤسس الطائفة المارونية ، وهو راهب هرب مع اتباعه في القرن الخامس من الاضطهاد فنزلوا على ضفاف العاصي. فتألفت منهم اول نواة للطائفة المارونية . ومن ذلك التاريخ كان لخلفائه البطاركة القدح المعلّى ، سواء في الامور الروحية او الزمنية.

وقد اراد الاستاذ عواد ان يظهر الحالة الخصوصية التي كان يتمتع بها البطريرك الماروني الذي كانت طائفته تعتبره لا كرئيسها الروحي فحسب بل « كملكها الزمني ، وقائد جيوشها ، وحاكمها الاعلى » فكان يستمد سلطته من التقاليد القديمة ، ومن رضى الشعب ، وليس من سلطة اخرى مدنية . فلهذا السبب اخذ الاتراك في القرن التاسع عشر يعملون للقضاء على هذه السلطة ما استطاعوا الى ذلك سبيلاً.

وكان يعاون البطريرك المطارنة ، وقد اختلف عددهم باختلاف الظروف . ثم يجيء بعد المطارنة الكهنة من علمانيين وقانونيين.

ولا شك ان للرهبانيات المارونية اليد الطولى في المحافظة على المعتقدات الدينية ، وعلى انتشار الموارنة حتى خارج حدودهم ، بعد ان كانوا محصورين في لبنان الشمالي . لانه كثيراً ما كان الامراء والمشايخ ، الذين كانوا يتمتعون في ذلك العهد بثروات طائلة ، يهبون الاراضي للرهبانيات لكي تبني الاديرة . وكانوا يرمون من وراء ذلك الى تعزيز الزراعة ، والزيادة في الضرائب والمداخيل. وهكذا نشأت القرى وسارت في طريق الازدهار شوطاً بعيداً . فيرى القارئ ، لو بقيت هذه السياسة متبعة في عهدنا ، ايّ مجال قد يكون فسح امام اللبنانيين للتوسع والانتشار ، بعد ان انضمت الى لبنان اراض واسعة مخصبة يمكن ان تدر عليهم الخيرات . وقد بلغ نفوذ رجال الدين اقصاه حتى اصبحوا يناوئون الامراء والمشايخ في اعمالهم الاستبدادية ، ويقفون في وجه الاعداء الغرباء.

والى جانب الاكليروس ، نرى في ادارة شؤون البلاد ، الزعماء الاقطاعيين.

وقد تحدث الاستاذ عواد عن تاريخهم فذكر شيئاً عن سطوة الامراء والمقدمين ، وعن تطوّر الحياة الاقطاعية تطوّراً جعلها كثيرة الشبه بالاقطاعية الغربية . وقد يكون السبب في هذا التشابه احتكاك اللبنانيين بالحملات الصليبية واقتباسهم تلك الانظمة . ولكن لا بد ان يكون اللبنانيون قد اخذوا قسماً من عاداتهم عن القبائل العربية التي يتزعم الشيخ فيها ويستقلون بالسلطة والنفوذ . ولكن الاستاذ عواد لم يتعرض لهذا الافتراض الاخير.

وقد كانت الاسر اللبنانية القوية تجمع حولها رهطاً من الانصار مؤلفاً من القرويين الذين كانوا يعيشون مما تجود به تلك العائلات عليهم . فاصبح زعيم العائلة سيداً مطلقاً في المقاطعة التي يملكها . واخذ الامير الكبير فيما بعد يوزّع الرتب والالقاب على مستحقيها ، وخصوصاً على الذين كانوا يقومون له بخدمة ما . وقد درس المؤلف حالة هؤلاء النبلاء وامتيازاتهم درساً وافياً.

عمل رجال الدين والاشراف يداً واحدة على خدمة لبنان واسعاده . فكانوا منذ ابتداء تاريخ المارونية يجتمعون معاً لانتخاب البطريرك ، كما ان المطارنة كانوا يشتركون بانتخاب الامير . وبالنتيجة يعتقد الاستاذ عواد ان الاكليروس والاقطاعية كانا الاساس الذي قام عليه استقلال لبنان . ولم يستطع الاجانب بسط نفوذهم على هذه البلاد الا بعد ان ضعفت شوكة رجال الدين والاقطاعيين ، وتلهّوا بمصالحهم الخاصة عن الانصراف الى خدمة البلاد والاهتمام بالشؤون الوطنية العامة.

ويأتي ، بعد طبقة النبلاء ورجال الدين ، الشعب ، وهو ينقسم الى ثلاث فئات : الملاكين ، والشركاء ، والارقاء .

اما الفئة الاولى فلم يكن لها ، على عهد الامراء الشهابيين ، الا اثر ضئيل في الجبل اللبناني ولم تبدأ بالظهور الا في اواخر العهد الاقطاعي . فتألفت من القرويين الذين ابتاعوا الاراضي من المشايخ والامراء ، من اللبنانيين الذين اثروا في المهجر والشبان الذين تلقوا علومهم في المعاهد الاجنبية . ولكن هذه الطبقة التي ورثت ثروة الاقطاعيين ، لم ترث منهم الغيرة على الوطن ولم تحسن تنظيم الدفاع عن مصالح البلاد.

اما طبقة الشركاء فهي لا تزال موجودة حتى اليوم . كانت مؤلفة من القرويين الذين انصرفوا الى العناية بالارض وحراثتها . وكان المشايخ والامراء يعهدون اليهم بالسهر على املاكهم ، ويعطونهم جزءاً من الريع متفقاً عليه . وقد استطاع هؤلاء الشركاء بفضل صبرهم وسهرهم على المهمة الموكولة اليهم ، وبفضل الانظمة التي كان يتمتع بها لبنان ، ان يستدروا الخيرات من تلك الاراضي الجبلية القاحلة .

اما طبقة الارقاء فلم يعرفها لبنان في عهد من عهوده . ولم يمكن للبحاثة ان يعثر على واحد منهم الا بين خدم الامراء ، وقد جلبوا من الخارج .

هذه صورة ملخصة عن الهيكل الاجتماعي ، كما رسمتها ريشة الاستاذ عواد في عهد الامراء الشهابيين .

***

وقد تطرق المؤلف اثناء تحدثه عن امتيازات رجال الدين الى البحث عن النظم التشريعية والقضائية في ذلك العهد .

كانت الاديان في لبنان ، كما كانت في بلاد العالم عامة في مستهل تكوينها ، مستقى الشرائع . وكانت القوانين على عهد الامراء الشهابيين متعددة بتعدد الطوائف ، اذ كانت كل ملة تسن شرائعها وتطبقها . وكان للطوائف المسيحية قضاة مستقلون هم المطارنة .

يعتقد الاستاذ عواد ان هذا الامتياز في الاصل هو منحة من الفاتح محمد الثاني الذي عين ، حين احتلال القسطنطينية سنة ١٤٥٣ ، البطريرك جناديوس قاضياً اعلى يفصل في جميع القضايا المدنية والدينية بين افراد الطائفة اليونانية الشرقية . ثم اعطيت الصلاحية نفسها للبطاركة الارمن الثلاثة ، ثم لرؤساء الطوائف المسيحية جميعها .

وبالواقع ان البطريرك الماروني لم يستمد سلطته يوماً من الباب العالي . فانه كان يحكم مع المطارنة حسب العرف والعادة الموروثة من اقدم الازمان . ان الكنيسة المسيحية في بدء نشأتها كانت تحتم على المسيحيين ان يحكموا في قضاياهم الزمنية المطارنة . ثم على اثر ظهور مرسوم ميلان ، سنة ٣١٣ ،

اعترف امبراطرة الرومان بصلاحية المطارنة لفصل الخلافات ، على ان تنفذ السلطة الزمنية احكامهم ، وقد استمرت هذه العادة في لبنان اذ كان المتقاضون ينتخبون قضاتهم بين الكهنة ، ويقوم الامراء بتنفيذ المقررات التي يتخذها هؤلاء الاخيرون . وفي المؤلفات عن القوانين الرومانية السورية ذكر لهذه العادة القديمة . والشريعة التي كانت متبعة في لبنان مستقاة اكثرها من المؤلف المدعو الكتاب السوري - الروماني (*Livre Syro-Romain*) كما سنبين ذلك فيما بعد[1] .

وبين الشهود العديدين على هذه المسألة اورد الاستاذ عواد شاهدين زارا لبنان : الاول اوجين روجه في السنة ١٦٤٦ ، والثاني دومنيكو لافي بولونياز في السنة ١٦٧٨ ، وهما يؤكدان ان المارونيين كانوا يحتكمون الى الاكليروس في قضاياهم الزمنية . ثم ان هنالك احكاماً عديدة اصدرتها السلطات الكنائسية . فوجود قسم منها حتى اليوم ، ما خلا الوثائق التاريخية العديدة المثبتة بكتاب الاستاذ عواد ، ينطق بصحة ما ذهبنا اليه .

ومما يجب الانتباه اليه ان هنالك تبايناً بين القضاء الكنائسي في لبنان وبين القضاء نفسه في اوربة اثناء القرون الوسطى . فالمحاكم الكنائسية في اوربة كانت موجودة مع المحاكم المدنية . وصلاحيتها كانت منحصرة خصوصاً في القضايا التي لها علاقة بالدين ، والقوانين التي كانت تطبقها هي القوانين الكنائسية . واحكامها كانت تستأنف الى رومة . اما في لبنان فقد كان المطارنة يطبقون تارة التقاليد المحلية ، وطوراً الشرع الاسلامي ، وحيناً

---

١) ولكن الاستاذ اسد رستم لا يرى هذا الرأي . فانه علق على درس نشرناه في هذه المجلة (٣١ [١٩٣٣] ٨١-٩١، ٢٦٢-٢٧٠ : ٣٥٧-٣٦٦) عن القضاء في العهد الاقطاعي ملاحظة يستنتج منها انه يشك بان للكهنة سلطة قضائية ما . وهو يورد اسماء بعض قضاة المسلمين في بيروت ، ويذكر احكاماً لهم اصدروها بين متقاضين مسيحيين . ولكن هذا القول لا ينافي ما ذهبنا اليه ، فقد كان يحق للمتقاضين المسيحيين ان ينتخبوا قضاتهم . فكان بوسعهم اذاً ان يحتكموا الى القاضي المسلم . وقد اشار الاب زياده في كتابه « القانون الماروني » الى حكم اصدره القاصد الرسولي ، وهو من تبعة اجنبية ، وامر الامير بشير بتنفيذه .

القانون الروماني .

***

ما هي القوانين التي كانت تطبق في لبنان ؟

ان الاستاذ عواد بحث هذا الامر واورد شواهد هي دون ريب اهم ما جاء في مؤلفه . ولكن المؤلف لم يشر الى امر له اهميته وهو انه لم يكن في لبنان قوانين مكتوبة وصادرة عن السلطة التشريعية . فكتب القانون لم تكن الا عبارة عن تقاليد مكتوبة.

كان المارونيون في اوائل القرن الثامن عشر يطبقون الشريعة المسيحية والتقاليد المحلية ، ويلجأون احياناً الى الشريعة الاسلامية . وكانت القوانين المسيحية مجموعة في كتاب « مختصر القوانين » وكتاب « الفتاوي » لمؤلفهما المطران عبدالله قرألي وهما اللذان اتفق الاكليروس الماروني ، في السنة ١٧٤٤ ، على الاستناد اليهما في احكامه.

اما المآخذ التي استقى منها هذا الحبر مؤلفيه فهي اولا كتاب « الهدى » الذي عرّبه عن السريانية الاسقف داود الماروني في السنة ١٠٥٩ ، وقد وقف المؤلف اكثر كتابه على درس الامور الدينية . ويتألف آخر فصوله من المراسيم التي اصدرها الامبراطورة قسطنطين وتيودور وليون . فمن هذه المراسيم يتألف كتاب الشريعة السورية الرومانية (*Livre Syro-Romain*) وفي عهد المماليك ، اي بعد ذلك بقرنين ، اراد الموارنة ان يملأوا الفراغ في قوانينهم فاخذوا شيئاً من مؤلف ابن العسّال ، وهو مشترع قبطي عاش في القرن الثالث عشر بعد المسيح .

والاستاذ عواد يرى ان المبادئ التي يرتكز عليها هؤلاء المؤلفون مستقاة من التوراة والاناجيل واعمال الرسل والقانون الروماني.

ومن الثابت ان المارونيين ، قبل عهد الامير بشير الثاني ، اي قبل اواخر القرن الثامن عشر ، كانوا يطبقون شرائعهم الخاصة الا في بعض الحالات الاستثنائية . حتى اتى الامير بشير فكان اول من اصدر امره الى القضاة بان يطبقوا الشريعة الاسلامية في المواضع التي لا تخالف المعتقدات المسيحية والتقاليد

المحلية . فمن الخطاء اذن ، والحالة هذه ، ان يقال انه لا يمكن تحوير قوانين الاحوال الشخصية المعمول بها الآن عند المسيحيين خوفاً من ان يكون في ذلك التعديل تجاوز على تقاليد وعوائد عريقة في القدم .

***

هذه لمحة موجزة عما جاء في القسم الاول من كتاب الاستاذ عواد . وقد صوّر فيه المجتمع الماروني في ذلك العهد . وانتقل في القسم الثاني الى البحث عن القوانين العائلية وكل ما يتعلق بالاحوال الشخصية عند الموارنة .

يبدأ المؤلف درسه بالتحدث عن العائلة ، فيقول ان عقد الزواج وما يتبعه كان مبنياً على التعاليم الكاثوليكيّة . فقد كان على الزوج ، وهو راس العائلة ، ان يحافظ على امرأته ، وكان على هذه الاخيرة ان تقدم له الطاعة . وهذا العقد هو ابدي لا يمكن حله ، الى ما هنالك من القواعد الدينيّة .

ويشير الاستاذ عواد الى عادة كانت شائعة لدى الموارنة ، كما كانت شائعة لدى الشعوب الشرقية جميعها ، وهي الزواج بالشراء . وهذه العادة نظمت قواعدها لا التقاليد المحلية فحسب بل القوانين المكتوبة ايضاً . وقد جعل احد البطاركة ثمن المرأة ثلاثة وثلاثين غرشاً . كما ان الزواج بالمهر ، وهو الهدية التي كان يقدمها الزوج قبل العقد ، كان كثير الشيوع عند الموارنة .

اما قانون الميراث ففيه ميزة على باقي القوانين اذ ان المورث كان يستطيع ان يهب كل تركته لواحد من ورثته . فالاب مثلاً ان يخصص احد اولاده بجميع امواله او ان يحرمه . وكان التمثيل في مسائل الارث مقبولاً ، يعني ان وارث الميت يقوم مقامه في الارث . اما البنات فلم يكن لهن الحق في ان يرثن والديهن في حال وجود اخوة لهن .

واذاً ، فان الموارنة كانوا يطبقون ، في مسائل الارث ، شرائع خاصة بهم . ويذكر المؤلف ، تأييداً لنظريته ، مستندات ذات اهمية كبيرة استطاع بفضل درسه وتنقيبه ان يعثر عليها ويحلّ رموزها .

اما الوصية فقد افرد لها فصلاً خاصاً . فان القانون الماروني ، خلافاً للشريعة الاسلامية ، يأذن للموصي بان يتصرّف بجزء كبير من تركته ، وكثيراً ما

يعطيه الحق بان يتصرف بكل امواله على الصورة التي يراها ، كما بينا ذلك آنفاً . ولكن كان عليه ان يخصص في وصيته مبالغ لاقامة الصلوات عن نفسه فان خلت الوصية من هذا التخصيص لا تصبح لذلك ملغاة ، ولكن يحق للكاهن ان يأخذ مبلغاً من التركة في السبيل المذكور .

فيمكن القول اذن ان القانون الصادر في ١٧ اذار سنة ١٩٢٩ الذي اعطى ابناء الطوائف المسيحية الحق بان يتصرفوا بوصيتهم بجزء كبير من ثروتهم ، قد اعاد لهم الحقوق التي تمتعوا بها طويلاً .

وقد بحث الاستاذ عواد مطولاً في القوانين التي اكتفينا بالاشارة اليها لان هذا القسم الفني من كتابه لا يفيد الا رجال القانون .

***

وبعد ان يفرغ المؤلف من القسم الثاني ينتقل الى القسم الاخير المتعلق بالاراضي .

كانت حقوق الملكية في جميع العهود مقدسة لدى اللبنانيين عموماً . وظلوا مدة طويلة لا مورد لهم غير منتوجات ارضهم التي كانوا متعلقين بها تعلقهم بكيانهم واستقلالهم . واللبناني فلاح بطبيعته . لذلك رأيناه بقي بمعزل عن التطور الذي حدث في المدن بين العمال ، واستطاع بذلك ان يحافظ ، في جميع الادوار ، على قوميته وايمانه واخلاقه . ان اللبنانيين تمكنوا ، بالصبر والمثابرة ، من ان يبعثوا الخصب في جبالهم الوعرة واراضيهم القاحلة حتى ان جهودهم لفتت انظار الغرباء الذين زاروا هذه البلاد فاظهروا التقدير والاعجاب .

فالفلاح اذن هو الذي كوّن لبنان واذا كانت الزراعة لم تجلب له الثروة فقد سهلت له سبل الحياة فعاش براحة ، وابعدت عنه البؤس والفاقة التي تتألم منها الآن الشعوب التي تمتعت بثروة كبيرة بفضل صناعاتها . ولعل اصدق دليل على النعمة التي توافرت للبنانيين بانصرافهم الى الزراعة هذه القرى العديدة المنتشرة على سفوح الجبال والمنازل الجميلة التي تزينها . والفضل بذلك يعود الى النظام الحرّ الذي تمتع به لبنان ، وقد حاولنا ان نعطي فكرة صحيحة عن الاحكام العادلة التي كان يصدرها الزعماء الاقطاعيون ورؤساء الدين الذين لم

يكونوا قضاة وحكاماً فقط بل حراساً على راحة الرعية ، وهم بحاجة اليها لاستغلال ارضهم وللدفاع عنها.

ثم ان القوانين العقارية كانت غاية في العدل والمساواة اذ انها اعطت اللبناني الحقّ المطلق بان يتمتع بممتلكاته. فكانت قوانين الملكية في لبنان مثلها عند الرومانيين وهي المعمول بها حتى الآن في اقدم الدول رقياً . فهكذا ترى القواعد واحدة فيما يتعلق باكتساب الحقوق العينية كالعقود ومرور الزمن الخ . اما الضرائب فلم يكن اللبناني يدفع منها الا الضريبة المسماة « الميري » نسبة الى « المير » او الامير ، لان هذا كان يجبيها ثم يرسلها الى الامير الاكبر في دير القمر ، بعد ان يحتفظ بجزء منها . ولم تكن هذه الضريبة شديدة الا في ظروف نادرة . وبالاجمال فقد كانت الحالة في لبنان غير ما هي عليه في سورية وسواها من مقاطعات تركية.

لقد اصبحنا في عهد انتهجت فيه الامم سياسة شديدة للمحافظة على كيانها، اذ اخذت تسعى لانماء اقتصادياتها والاستغناء عن كل ما هو اجنبي ، فاوجدت العراقيل الجمركية في سبيل المصنوعات الاجنبية ، ومنعت تسرّبها اليها ، واوصدت ابوابها بوجه المهاجرين . اما اللبنانيون الذين كانوا قد اوجدوا لهم في الزمان الاخير باباً للارتزاق من المهاجرة واصابوا فيها كثيراً من النجاح ، فلم يعد باستطاعتهم الا ان يعتمدوا على الزراعة كاسلافهم. وذلك نظراً لطبيعة ارضهم الخالية من المناجم ، ولمركز البلاد الجغرافي والسياسي . ومن ذلك يتضح اهمية قانون الاراضي في هذه البلاد . لقد اوضحنا الفرق الذي كان موجوداً بين لبنان والبلاد المجاورة بفضل النظام الحرّ الذي كان يتمتع به لبنان ، وبفضل تقدم قوانين الاراضي فيه . اما الآن فقد اصبح لدينا قانون للملكية من احدث القوانين ، فعسى ان نرى التقدم ظاهراً ، من الجهة الاقتصادية ، لان الزراعة بحاجة الى التشجيع.

يشير الاستاذ عواد في فصل اخير ، تحت عنوان « نظرة عامة الى الموجبات في القانون الماروني » الى ان الموارنة كانوا يطبقون القانون البيزنطي فيما يتعلق بالعقود والموجبات . اما المطران قرألي فيبحث هذا الموضوع بثلاثة عشر فصلاً

من كتابه.

***

هذه لمحة سريعة في كتاب الاستاذ عواد الذي تترك مطالعته في النفس اثرًا حيًا اشار اليه الاستاذ روبيه كاتب المقدمة فقال :

« انه لعميق الاثر مشهد التاريخ اللبناني ، وتتابع الحياة في الشعب الماروني المستند الى ايمانه والى عاداته ، وسط الاجتياحات المتتابعة . »

ولا يخفى ان الاستاذ عواد لا يكتب مؤرخاً وحقوقياً فحسب ، بل يكتب مؤمناً ووطنياً مخلصاً ، وهو شديد الاعتقاد بتفوق التقاليد التي نظمت، مدةً طويلةً ، علاقات اللبنانيين بعضهم ببعض . فاعانتهم على مجابهة العواصف التي هبت مرات عديدة على هذه البلاد . وكان الفضل في هذه المقاومة لذلك التنظيم الذي كان يتمتع به لبنان . هو تنظيم قليل التشعبات ، بسيط المظهر ، الا انه تنظيم قومي كامل . فقد كان اللبنانيين ادارتهم الخاصة ، وجيشهم الصغير ، وشرائعهم ، وقضاتهم . وكان لهم فوق كل ذلك غاية سامية ومثل اعلى : ان يحافظوا بكل قواهم على استقلالهم الذاتي ، وعلى ايمانهم الحيّ المتوارث .

على ان المؤرخ المخلص لا يسعه الا ان يتحقق تضعضع هذا التنظيم بل اضطراب هذا المثل الاعلى نفسه على اثر ملاشاة الامارة اللبنانية واخضاع اللبنانيين لنظام السنة ١٨٦٤ الواضع هذه البلاد تحت حماية الدول السبع . فكان ان اللبنانيين اخذوا ينصرفون شيئاً فشيئاً عن الاهتمام بشؤونهم العامة . ومما ساعد هذا الاهمال، فعجل في انحطاط البلاد ، أنه لم يقم شيء من المؤسسات او التنظيمات فيحلّ محلّ النظام الاقطاعي في الدفاع عن المصالح اللبنانية . فلم نرَ من ثمَّ في هذا المجال الا جهودًا فردية متفرّقة كانت اضعف من ان تحدث تأثيرًا عامًا .

وان من مزايا كتاب الاستاذ عواد ان يذكّر الكثيرين من مواطنينا اللبنانيين بهذه العاطفة القومية التي نراها تتضاءل شيئاً فشيئاً في اذهان الكثيرين محجوبةً بغيوم الماضي . فقد توثق ، بالاستناد الى تلك الوثائق الوافرة الغنيّة التي

جمعها ، الى احياء هذا الماضي . وهي صفات جديرة بالذكر تنبي المطالع بعض النقائص البسيطة . من ذلك ان الاستاذ عواد لا يهتمّ كثيرًا باظهار اصول تلك المؤسسات والعادات ، وكذلك يكاد يُهمل بعض الاحيان ذكر تأثيرها في الحياة الاجتماعية والشعبية. ومع اننا نقر بحقّه في حصر موضوعه بدرس القوانين المارونية الخاصة ، فقد كان بودّنا ان نرى مشهدًا عامًا للحالة السياسية والاجتماعية في لبنان . وهي البيئة التي عاش فيها الموارنة . وليس من يشكّ في ان قوانين سائر الطوائف العائشة في لبنان وعاداتها تأثرت بالقوانين المارونية وأثرت فيها . ولقد كان من المفيد ان نرى مظاهر هذا التأثير المتبادل.

ثم ان الاستاذ عوّاد تبسّط في درس القوانين الفردية المتعلقة بالاحوال الشخصية ، فاوجز في ذكر الموجبات.

على ان كل هذه الملاحظات تتناول الكتاب في ما لو كان موضوعه اوسع ومجاله افسح ، وهو ما لم يقصده الاستاذ عواد في درسه الحاضر . الا اننا اوردناها مؤملين ان المؤلف يهتم بها في درس اوسع يشمل به كل مظاهر الحق الماروني فيتمّ ما بدأ به احسن تمام.

هذا ، واسلوب الكتاب السهل واضح بسيط ، لا يُعن فيه المطالع حتى يشعر بعاطفة حلّلها الاستاذ ادوار لامبر في مقدمته فنسبها الى « تلك الانشودة السامية في حب الدين والمدنية ، بل في حب جميع المظاهر المأثورة عن الجدود ، البادية في حياة وتفكير المجتمع القومي الذي ينتسب اليه المؤلف ، انشودة حب تتلبل في جميع تضاعيف الكتاب من اوله الى آخره . »

ارتفاع الصليب

سِفر منسوب الى القديس كيرلس اسقف اورشليم

٣١٣–٣٨٧م

نشره لاول مرّة ، وعلّق عليه

الخوري بولس قرألي ، مدير المجلة البطريركية

٦

البحث الثالث

دلائل نسبته (تابع)

٣ً – أسلوبه

وان قارنّا بين أسلوب صاحب هذا السِفر وآرائه ومعلوماته عن الصليب المقدس واسلوب القديس كيرلس الاورشليمي وافكاره ومعلوماته ، وجدناها مطابقة متوافقة .

لهذا القديس اربع وعشرون عظة مشهورة باسمه لا ينكرها عليه أحد[1] ، القاها في بدء اسقفيته في سنة ٣٤٨ . منها ثماني عشرة عُرفت باسم كتكيزيس *Catecheses* , Κατηχήσεις اي عظات الموعوظين ، استهلّها بمقدمة *Procatechesis* القاها في كنيسة القيامة ، في صوم سنة ٣٤٨ ، على الاحداث المتقدّمين لاقتبال اسرار العماد والتثبيت والمناولة في فصح تلك السنة . وفي الاسبوع الذي جاء بعد هذا العيد ، شرح لهم الاسرار في خمس عظات أخرى دُعيت مستاجوجيكا *mystagogica* اي شرح الاسرار القاها في معبد القبر المقدس . فلننظر اولاً في اسلوبه .

في المثل الفرنسوي : « الانشاء هو الانسان » ، اعني ان الانشاء ينبئك عن

---

١) راجع معجم اللاهوت لفاكان مج ٣ ، ع ٢٥٢٢ ، ٢٥٢٤

صاحبه ممثلاً لك طريقته وعقليته ومزاجه . فمن راجع هذه العظات وطالع الميمر عرف فيه القديس كيرلس بطريقته وميزاته وعيوبه .

في المقالة التي نشرها الاب لباشله اليسوعي في معجم اللاهوت الكاثوليكي[1] في ترجمة القديس كيرلس الاورشليمي لخص فيها تعاليم هذا القديس في عظاته ، وقال في صدرها[2] ، ان انشاءه ملائم لسامعيه الاحداث ، بسيط واضح ، مهما ست افكاره ، خالٍ من الاصطلاحات اللاهوتية ، ذو لهجة ودّية ابوية ممتزجة بنبرة حماسية تساعد على الاقتناع . وفي جانب هذه المزايا بعض العيوب . فانك تعثر بعبارات غير كاملة المعنى ، وبفقرات طويلة خارجة عن الموضوع الاصلي . ناهيك عن مراجعات مملة ونصوص من الكتاب المقدس مشوّهة أو مختلفة عن الاصل . والسبب في ذلك ان القديس لم يكتب عظاته بنفسه بل كان يلقيها بداهةً كيفما اتفق له . وجاء بعده من التقطها واختصرها وكتبها لنا كما علقت بذهنه وعلى قدر معرفته وقوّة ادراكه .

هذا الوصف يطابق تماماً انشاء الميمر واسلوبه . وان فات بعض تعابيره الوضوح ، الذي يشير اليه صاحب المقالة ، فالذنب على المترجم الفشيم او على النصّ الذي وقع في يده . وقد اشرنا سابقاً الى الحكايات الطويلة التي تتخلل الميمر وتشغل القسم الاكبر منه . وسنعود اليها في كلامنا عن نظامه .

ومن خصائص القديس كيرلس انه يشيّد عظاته وبراهينه على نصوص الكتاب المقدس . ولعله اول من ابتدع استهلال الخطاب بآية كتابية وتعليقه برمته بها ، وتفسيره على حسب معانيها . لانه « كان يعتبر الكتاب المقدس اساس كل التعليم الكنسي »[3] وكان ينتقد به اقوال الهراطقة واليهود والسامريين[4] .

وسترى ان الميمر كله قائم على آيتي المزامير « ملك الرب فلتهلّل الامم . ملك الرب فلتغضب الامم . »[5] وهما تمثلان قسمي العظة يشرحهما ويدعم كل

---

١) ڤاكان مج ٣ ، ع ٢٥٢٢-٢٥٧٧
٢) ع ٢٥٢٤
٣) ع ٢٥٤٢
٤) ع ٢٥٢٨
٥) ص ١٨٧,١٨٨,١٩٤

اقواله بآيات ونصوص الكتاب المقدس وببعض البراهين العقلية والتقليدية.

٤ – افكاره

ان اخبار عجائب الصليب واخفائه واكتشافه تستغرق تقريباً الميمر كله، ولا تترك فيه مجالاً للارشاد، اي الوعظ بجصر المعنى، سوى القليل، مما لا يتجاوز خمس صفحات. فالآراء اللاهوتية فيه نادرة. ومن جهة اخرى لم يتسنَّ لنا مقابلتها مع عظات القديس كيرلس المذكورة، تاركين لغيرنا هذه المهمة، التي تجرنا الى ابعد مما نقصد من هذه التوطئة. فاكتفينا بمقابلتها مع الخلاصة التي نشرها الاب لباشله المذكور آنفاً. فوجدنا بين المصدرين شبهاً كبيراً، وعثرنا في بعضهما على الفكر نفسه مكرراً حرفياً. واليك بعض ما لاحظناه من هذا التوارد:

الروح القدس – استهلّ صاحب الميمر كلامه بقوله، في صفحة ١٨٨: «نحن نسأل الفارقليط روح الحق الواحد مع الاب والابن. والاب والابن واحد معه. الثالوث المقدس. وثالوثاً من اجل ان فيه ثلاثة اسماء. الاب والابن والروح القدس.»

وجاء في عظة القديس كيرلس السادسة عشرة رقم ٤، ع ٩٢١ ضد المرقيانيين[1]: «نعلق رجاءنا على الاب والابن والروح القدس. نحن لا نقول ثلاثة الهة بل الهاً واحداً مع الابن والروح القدس». وفي العظة ١٧ رقم ٥ ع ٩٧٣ يقول[2]: «ان الروح القدس واحد مع الاب والابن في كل شيء، في الاعمال الخارجية وفي الحياة الداخلية.» ويلاحظ الاب لباشله ان القديس قال هذا القول قبل ظهور بدعة المكدونيين وقبل ان يكتب القديس اثناسيوس الاسكندري رسالته الشهيرة الى سرابيون.

الكاهن والقربان – تتردد في الميمر مراراً فكرة «المسيح الكاهن والقربان. وكبش اسحاق الذي هو اله بالحقيقة. والخروف الذي بلا عيب

١) معجم ڤاكان مج ٣، ع ٢٥٤٦
٢) ڤاكان ع ٢٥٤٧

المذبوح على صليب الجلجلة ، ودمه ملطخ على ابواب قلوبنا وشفاهنا » الصفحات ٢١٣ و٢١٤ و٢٤٨ و٢٤٩ و٢٥٠

وهي نفس فكرة القديس كيرلس يوردها في العظات العاشرة رقم ٤ و١٤ والحادية عشرة رقم ١ و٤ ع ٦٦٤ و٦٨٠ و٦٩٢. وخاصة في الرابعة والعشرين رقم ٩ ، التي يشرح فيها نظام القداس ومعانيه ، فيسمي المسيح « الضحية المذبوحة على الجلجلة » و«الكاهن والذبيحة » وما الى ذلك من التعابير الحائمة حول المعنى ذاته[1] .

في ولادتي المسيح — في صفحة ٢١٩ من الميمر يقول عن السيد المسيح : « ولدته مريم العذراء من الروح القدس ». وفي صفحة ١٩٢ : « ولدته من غير زرعة بشر » وفي صفحة ١٨٧ : « هو ابن داود بالجسد » وفي صفحة ٢٥٠ يورد هكذا فقرة قانون الايمان الخاصة بالتجسد : « تجسد من مريم العذراء. وولد في العالم » ليميز هذا التجسد عن ولادته الاولى الازلية من الاب.

وفي العظتين الحادية عشرة رقم ٥ والثانية عشرة رقم ٤ ع ٦٩٦ و٧٢٩ نقرأ « هو ابن الله وابن داوود. وُلد المرة الاولى من الاب والثانية من العذراء» وخلاف ذلك مما يقرب من هذا التعبير ويرجع الى المعنى نفسه[2].

الاله المنظور — في صفحة ١٩٣ من الميمر يقول عن السيد المخلص : « انه لبس الجسد واتحد به لاهوته ليخلص عبيده . وعمل الاشياء كلها مثلنا ما عدا الخطيئة . . . والاله متحد به داخله وخارجه اما القول داخل الجسد من اجل انه ليس يعاين احدٌ مجده وهو لابس اللاهوت فيحيا . واما القول خارج الجسد فمن اجل انهم كانوا ينظرونه يصنع الشفاء..»

هذا القول وارد بمعناه في عدة فقرات من عظات القديس كيرلس ، لاسيما في عظته عن المخلع رقم ٦ حيث يقول: « الكلمة اتخذ جسماً معرضاً مثلنا للانفعالات . ولكن ليس هنا مسيحان بل مسيح واحد بطبيعتين.» وفي العظة ٤ رقم ٩ ع ٤٦٦ يقول: « هو انسان من الجهة المنظورة واله من الجهة الغير المنظورة . انسان يأكل مثلنا وينام . واله يسير على المياه ويشبع خمسة آلاف

(١) ثاكان ع ٢٥٢٦، ٢٥٤٨، ٢٥٧٥ (٢) ع ثاكان ٢٥٥٠

رجل بخمس خبزات »[1] . ولاحظ ان القديس كيرلس لفظ هـذه العظات في اواسط القرن الرابع،قبل ظهور بدعة اليعاقبة في القرن السادس.

عبودية الخطية وأسر الجحيم — يقول القديس كيرلس في عظته الثالثة رقم١ ع ٧٧٢ : « ان يسوع المسيح قد اعتتق كل الـذين كانوا مأسورين تحت نير الخطية[2] » . وفي العظة الرابعـة رقم ١١ و١٤ والرابع عشرة رقم ١٩ و٢٤ ع ٤٦٩ و٨٤٩ و٨٥٧ يتكلم عن نزوله الى الجحيم وعتقه الابرار الذين كانوا مسجونين فيه واصطحابهم معه في صعوده منتصراً الى السما.[3]

هذه الفكرة قد توسع فيها صاحب الميمر في الصفحات ١٨٩—١٩٢ ، حيث مثل الشيطان بالخارجي الـذي سطا على كورة الملك واسر غلمانه وحاشيتـه . فخرج اليه الملك وغلبه ونزل الى الجحيم واسترد خواصه المأسورين فيه وأتى بهم الى محل ملكه . . . هذا كان في الزمان الذي تملكت فيه الخطيئة في العالم . . . وكان الناس تحت رق عبوديتها »

سلاح الجسد — واظهر من ذلك ما قاله القديس كيرلس في عظته الثانية عشرة رقم ١٣- ١٥ ع ٧٤٠ « ان المسيح قد استعمل لخلاصنا نفس الاسلحـة التي استخدمها الشيطان ليغلبنا . »[4]

هذه الفكرة واردة تقريباً حرفياً في الميمر في صفحة ١٩٢ منه حيث يقول عن السيد المسيح : « انه لبس السلاح الذي حارب به ذلـك الخارجي ، اعني به هذا الجسد الذي اتحد به مع اللاهوت . »

٥ — معلوماته عن الصليب

ان تخصيص القديس كيرلس ميمراً بكامله لاكتشاف القبر والصليب ليس بالامر المستغرب ، بل المستغرب ان لا يكون له في هـذا الموضوع اكثر من هذا الميمر . فهو اسقف اورشليم المدينة التي قدسهـا الفادي الالهي بموته على الصليب فيها ودفنه وقيامته وعجائبه .

---

١) فاكان ع ٢٥٥٠
٢) فاكان ع ٢٥٥٤
٣) فاكان ع ٢٥٥٦
٤) فاكان ع ٢٥٥٠

وقد كانت حفلة ارتفاع الصليب بلغت في عهد القديس أوج عزها واصبحت مظهراً لاكبر عيد في النصرانية ، تتقاطر الجماهير الغفيرة لحضورها في كرسي هذا الاسقف وتنحني عشرات الالوف من الرؤوس تحت يديه الرافعتين الذخيرة الثمينة ، هاتفين لدى رؤيته بكل حماستهم : كيرياليسون ! فكيف لا يتحمس القديس لهذا المظهر الكبير من مظاهر النصرانية في مدينته وامام عينيه وتحت رئاسته ! وهل يصحّ في ذلك اليوم العظيم ان لا يكلّم الجموع عن الصليب الذي جمعهم من اقطار المسكونة لتكريمه فيخبرهم عن امجاده وآياته وظهوره وبناء كنيسته !

فلا غرو اذا قدّم لنا هذا القديس اقدم شهادة عن وجود الصليب وهي الواردة في رسالته الى قسطنس الملك حيث يصرّح ان الصليب وُجد في عهد والدة قسطنطين ، اي قبل وفاته سنة ٣٣٧.

وفي عظاته الملقاة على الموعوظين في صوم سنة ٣٤٧ معلومات اخرى عن الصليب وعبادته استنتج منها الاب لكلير وغيره ان هذه العبادة قديمة [1] . ففي العظة الرابعة يقول عن المسيح « انه صُلب حقيقة لاجل خطايانا . وان عنّ لك ان تنكر ذلك فهذا المكان الشهير يكذّبك . » [2] وفي العظة عينها يقول [3] « ان ذخائر الصليب قد توزعت الآن في كل اقطار العالم » . وفي العاشرة يصرح [4] : « للمسيح شهادات كثيرة . . . منها هذا الصليب المقدس الذي نراه بيننا حتى اليوم ، والذي يتهافت المؤمنون على اقتسام ذخائره وقد ملأوا منها الارض كلها . »

---

١) كابرول مج ٣ ع ٢١٢٢ حاشية ١٠

٢) كابرول مج ٣ ع ٢١٢٥ . راجع النص في مجموعة مين للآباء اليونان مج ٣٣ عظة ٤ رقم ٩ و ١٠ ع ٤٦٧ حيث يبينا ان القديس يقصد المانويين القائلين بان الفيروانى صلب بدلاً من المسيح .

٣) مين ع ٤٧٠

٤) رقم ١٩

١٥ — نظام الميمر ونصر بحاذ وعصره

١ً — النظام

ان نظام الميمر ، او بالاحرى عدم نظامه ، دليل على انه غير مصطنع . هب ان الملفق شطّ عن البرنامج الذي اختطه نفسه ، فما الداعي لاعتذاره وابقاء العيب الذي اعتذر عنه في الميمر . فقد كان احرى به ان يحذفه او يصلحه ، قبل ان ينشر ميمره .

وقد سبق لنا القول ان القديس كيرلس كثيراً ما ينسى نفسه وموضوعه ، فيتوغل في حكايات جاء بها عرضاً على سبيل المثل فتصبح اصلاً . واليك برنامج الميمر واستدراكاته .

اولاً : البرنامج قلنا ان الميمر معلّق حكمه على آيتي المزامير « ملك الرب فلتهلل الامم . وملك الرب فلتغضب الامم . » غضب اليهود من حسنات المسيح : في سيرته الصالحة وعجائبه مدة حياته وبعد موته ، فاضطهدوه وقتلوه وردموا قبره وغضبت الوثنية من حسنات النصرانية ونجاحها فاعلن الامبراطرة عليها الاضطهاد من اول نشأتها حتى قسطنطين . وعاد يوليانوس فجدده .

ومن جهة اخرى ملك المسيح وانتصر على الشيطان وخلص اتباعه من اسر الخطية وعاقب اليهود بخراب اورشليم وهيكلهم وتشتيت شملهم واذلالهم . واهلك ايضاً اعداءه الملوك : كديوقلسيانوس معلن الاضطهاد العام على المسيحية ، ومكسيميانوس دازا ، ذابح الفرقة المسيحية من الجيش ومواصل الاضطهاد ، ويوليانوس ، الذي جحد المسيح وحاول قتل ديانته ، فاماته شرّ ميتة . بيد انه نصر قسطنطين محبه بعلامة صليبه ، فبحث عن خشبته ، واجبر اليهود على رفع الردم عنها وبنى لها كنيسة القيامة الفخيمة واغلق هياكل الاصنام وحوّل بعضها الى كنائس أغدق عليها الاموال .

ثانياً : الاستدراكات — هذا برنامج الميمر العام ، يظهر لنا منظماً بخطوطه العامة متماسكاً باجزائه ، لولا الفقرات والحكايات الطويلة التي تصبح جوهراً في

الميمر مع انها عرض . وترى الواعظ ينتبه كل مرة لشططه فيعتذر للسامعين ويعود الى الموضوع ليخرج منه في اول فرصة منقاداً لمخيلته القوية. ثم لا يلبث ان يفطن لخطاه فيصلحه برجوعه الى البرنامج الاصلي.

ففي صفحة ٢٠٨ بعد ان أسهب في قصة اسحق السامري وعادات تطهير اليهود ، وهو يقصد في الحقيقة سرد اعجوبة تحلية ماء البئر في حقل يندوم بصليب رماه فيه الانبا واكس ، نسمعه يقول للحاضرين: «هوذا قد صرنا كمن نسي القول.» ثم يعود ليخبر عن اعتماد اسحق السامري فيحكي كيف انه دخل كنيسة القيامة وطلب مقابلته ويشغل بقصته الصفحتين ٢٠٩ و٢١٠ ثم يستدرك بقوله: «والآن نكمل تأويل الكلام من اجل المكتوب في المزامير.» ويخوض في الشرح عن تجسد المسيح وفوائد صلبه وصليبه الروحية . وفيما هو في ذلك يلاحظ تكاثر الجموع في الكنيسة وذهاب الوقت فيستدرك قائلاً صفحة ٢١٢: « ولكن ، يا احبائي ، انا ارى الوقت قد اقترب والجمع الذي اتوا الى العيد يريدوا يسمعوا تمام القول الذي قاله الرب لموسى ان يعيدوا ثلاث دفعات في السنة. » فيشبه حينئذ عيد ارتفاع الصليب بعيد اليهود ويفسر لسامعيه ان الدم الملطخ على اعتاب منازل اليهود هو رمز لدم المسيح الذبيحة والكاهن (صفحة ٢١٢-٢١٦) الذي قام من الموت «ولما صعد الى ابيه صرخوا الملائكة قايلين: ملك الرب على جميع الامم . الله القدوس جلس على كرسيه» .

وهكذا يرجع الى الآية ويشرح كيفية انتصار المسيح بظهوره لقسطنطين، الذي القى الاضطهاد وبحث عن الصليب فوجده وبنى له كنيسة عظيمة . حتى اذا جاء على آخر القصة وجد ان الميمر قد استغرق الوقت المعدّ لحفلتي العماد والمناولة ، اللتين كانتا تسبقان حفلة ارتفاع الصليب ، فلا يرى بدًّا من اختصارهما وادماجهما الواحدة بالاخرى . فيختم عظته قائلاً في صفحة ٢٤٨: «والآن فلنكفّ ها هنا عن القول ولنقرب الى الاهتمام بالمعمودية المقدسة والقربان دفعة واحدة لان الوقت اقترب . وايضاً من اجل تعب الذين اتوا الينا اليوم الى هذا الموضع المقدس. »

فهل يعقل ان تكون مصطنعة ملفقة كل هذه الاستدراكات البديهية

والمواقف الطبيعية والمخاطبات الموجهة الى السامعين والملاحظات على تكاثر الجمع رويدًا رويدًا وازدحامه فضلًا عن الاشارات المتكررة الى حفلة الهيموزيس وكنيسة القيامة والقبر المقدس ؟ هذا غير معقول وغير مقبول . لان التصنع يوجب التفكر والتروّي ويؤذن لصاحبه في تنظيم ما يلفقه كما يشاء ، لاتساع الوقت معه ، وليس ما يحوجه الى ابقاء شطحاته على عيبها والاعتذار عنها ، بدلًا من اصلاحها قبل تقديم خطابه الى الجمهور .

٢ً — عصره

حان لنا ان نتساءل في اي عصر وُضع هذا الميمر ، او بعبارة اخرى هل عصر القديس كيرلس ملائم له ؟

لقد اجبنا على نصف هذا السؤال حين سردنا النصوص الدالة على انه ألقي في كنيسة القيامة باورشليم بجانب القبر المقدس على جمهور مسيحي فلسطيني مجتمع للاحتفال بعيد ارتفاع الصليب وتدشين الكنائس . واذا التقطنا بقية نصوص الميمر المشيرة الى العصر والحقبة واليوم الذي ألقي فيه ، عرفنا انه قد ألقي قبل الفتح الاسلامي ، في عهد اشتداد بدعة آريوس وانخفاض شأن بدعة سركلوس الانقيري ، قبل ظهور بدعتي النساطرة واليعاقبة ، بعد مصرع يوليانوس الجاحد ، في الحقبة التي اخذت فيها حفلات الصليب التقدم على عيد التدشين ، والتي شاعت فيها رواية علاقة القديسة هيلانة باكتشاف القبر والصليب ، في عيد ارتفاع الصليب ، قبيل حفلة تكريسه .

اولًا : قبل الفتح الاسلامي تدل نصوص الميمر على انه ألقي في اورشليم قبل وقوعها في ايدي الاسلام : فقد ورد في صفحة ٢٢٥ ما نصه : « الصليب مقوي الملوك محبي الله ويجاوره لهم تاج . وهو على القضيب الذي في ايديهم . والصليب مصوّر في بيوت الملوك ويجاوره في الطريق على السُمد وزوايا البيوت ليكون لهم قوة ولجميع العابرين . والصليب مكتوب على السفن ينجيهم من الرياح والعواصف الردية [٢٢٦] وهو مكتوب على تاجات الملوك ليعطيهم النعمة .

الصليب المقدس هو قدام كل كتابة تكتب[1] . يا لهذه القوة والفخر الذي للنصارى . لانهم ليس يصنعون شيء من امور العالم الا بالصليب ... الصليب هو على موايد المومنين ويبارك طعامهم هو في ولائمهم .» كل هذا الكلام لا ينطبق على بلد يحكمه الاسلام .

ثانياً: البدع — رأيت الحملة التي حملها صاحب الميمر على الاريوسيين الدالة على استفحال امرهم ولا يخفى ان قسطنطين مال اليها وتنصر في آخر حياته من اوسابيوس اسقف نيقوميدية الاريوسي . واخذ ابنه قسطنس يناصرها[1] ونفى القديس كيرلس واساقفة كثيرين غيره لمقاومتهم لها . ولما عاد القديس بعد وفاة قسطنس سنة ٣٦٢ استصدر الاريوسيون سنة ٣٦٧ امراً من والنتنيانوس باعادته الى المنفى ، كما سبق القول . ولا يخفى ان هذه البدعة قد تلاشى شأنها او ضعف كثيراً في اواسط القرن الخامس . ولم يعد محل لخوف الواعظ منها ولا داعٍ لحملته الشعواء المذكورة .

ومعلوم ان بدعة نسطور قامت ضدها في اوائل القرن الخامس واشتد ساعدها طول هذا القرن فقاومتها بدعة ديوسقوروس ، التي انتشرت بين السريان في القرن السادس وحاربها تلاميذ مار مارون واتباعه الموارنة . فان تمعنا في كلام صاحب الميمر نراه يعني بالهراطقة الاريوسيين فقط . ففي صفحة ٢٤٩ بعد ان تكلم عن الوحش الذي ظاهره كالحمل وهو بالحقيقة فهد هائل قال : « هكذا الهراطقة الغير المؤمنين ... ان كان المسيح انسان وليس هو اله يا ايها الهرطيقي ... فلا تذكروا يا احباي كلام الهراطقة ولا تدخلوا كنايسهم لان ليس لهم كنايس . » وقد اثبتنا في ما سبق انه يقصد بالهراطقة هؤلاء الاريوسيين . فالميمر قد القي قبل اواسط القرن الخامس .

ومما يزيد رأينا رجوحاً اهمال صاحب الميمر ذكر بدعتي نسطور وديوسقوروس

---

(١) لا بد انه يعني الكتابات الرسمية لان العصر لم يكن فيه تقريباً سوى هذه الكتابات او الرسائل ذات الاهمية الاولى .

(١) فاكان مج ٣ ع ٢٥٢٦

مع ان تلامه يثبت انه ليس من القائلين بها ، كما بيّنا سابقاً ، وهذا ايضاً من دلائل القاء الميمر قبل اوائل القرن الخامس .

وفي الميمر ، خاصة في صدره ، نصوص تتكرر تكرراً مدهشاً لاثبات ملكوت المسيح سردناها اعلاه واستنتجنا منها ان الواعظ يقصد بدعة مركلوس الانقيري وتلاميذه . انما ليس هناك تحمس ضدهم ولا تحذير المؤمنين منهم ، كما كان شأنه ضد الاريوسيين ، مما يدل على ان البدعة قاربت التلاشي او تلاشت من عهد قريب ، انما بقي ذكرها في ذهنه وذهن السامعين .

وقد سبق القول ان مركلوس حُرم في مجمع صور سنة ٣٣٥ وتوفي في سنة ٣٧٤ . ولم تعش بدعته بعده كثيراً ، مما يوصلنا الى الربع الاخير من القرن الرابع .

ثالثاً : بعد مصرع يوليانس سنة ٣٦٣ -- من البراهين التي يقدمها صاحب الميمر على عظمة الصليب والوهية المصلوب قوله في صفحة ٢٢٦ انه أهلك الملوك اعداءه ونصر محبيه . وهو يقتصر في ذلك على ذكر الامبراطرة الاربعة الاخيرين : ديوقلسيانس (٢٨٤ - ٣٠٥) ومكسيميانوس دازا (٣٠٧-٣١٤) وقسطنطين الملك (٣٠٦-٣٣٧) وابن اخته يوليانوس الجاحد . (٣٦١-٣٦٣)

والواعظ يصف مصرع هذا الاخير وصفاً رائعاً مقروناً بتفاصيل ونعوت تدل على تأثير هذا المصرع في مخيلته وعلى رغبته في التأثير على سامعيه بقوله في صفحتي ٢٢٦ و٢٢٧ : « واهلك يوليانس الكافر لانه لم يتبعه وخلّاه خلفه . وذلك المنافق الكافر صار قرن الهلاك امام الرجال ورذل الانبياء الاطهار . وكان يثلبهم دفوع كثيرة . ويعترف فيهم الذي لا يجب فتحه فيه[1] ولسانه المقطوع ويقول اني قرأتهم وفهمتهم . بالحقيقة يا احباي انه لم يقرأهم ولم يفهمهم . ولو انه عرف معناهم ومجد فخر النصارى فلم يكن يموت موت شرير . لانه صار عدو الصليب في حياته فلاجل هذا الماء الذي كانت الخنازير تشبع منه مات ذلك المنافق وهو عطشان منه[2] . وشرب من بول الخيل ومن بوله هو

١) العبارة مضطربة ، كما ترى ، وغامضة .

٢) لاحظ ان الانشاء بعيد جداً عن العربية وقريب جداً من اسلوب اللغة اليونانية .

ايضاً . ولم يكن جسده يستحق ان يجعل في قبر ولا كفن لجسده من اجل انه صار عدوًّا للصليب » . فالميمر اذًا القي بعد سنة ٣٦٣ وبمدة لا تزيد عن ٢٥ سنة من هذا التاريخ .

اما اهماله ذكر قسطنس خلفه المتوفى سنة ٣٦٢ ، واهمال الثناء عليه فيسهل تفسيره بان المذكور نفى القديس كيرلس مرتين من اورشليم .

وانك لا تجد في الميمر كله اشارة الى اسم او حادثة وقعت بعد هذا التاريخ بكثير .

رابعاً : حفلات الصليب — اذا جمعنا اقوال الخطيب في العيد الذي يلقي فيه ميمره رأيناه يسميه عيد الصليب ويفضله على كل الاعياد ، حتى عيد الفصح ، مع اشارته الى عيد تدشين الكنيسة الذي حلّ محله وما زال له بعض الاهمية انما ثانوية بالنسبة اليه . ولا يخفى ان قسطنطين جعل لعيد تدشين الكنائس سنة ٣٣٥ المقام الاول بين الاعياد ، وعيّن له ثمانية ايام وعممه بصفة رسمية على كل الامبراطورية . ولم تكن حفلة اعطاء البركة بالصليب سوى مظهر من مظاهر عيد التدشين فاصبحت في الربع الاخير من القرن الرابع في المقام الاول حتى اضطر الآباء ، كما تشهد اثيريا ، ان يضموا العيدين معاً « ليزيدوا في بهجة العيد » وفي الحقيقة انهم خافوا من ذهاب شأن العيد الاصلي . وسنورد عناوين الميمر الدالة على ان القديس كيرلس « قاله لعيد الصليب » ، فضلًا عما جاء في صدره صفحة ١٨٧ « وهذا المجمع الذي اجتمع اليوم في هذا الموضع من كل كورة لكي يعاينوا مجده ويقبلوه اعني الصليب المخلص » . وغير ذلك من النصوص التي سنلتقي بها عند مطالعة هذا الميمر ، والتي تؤيد قولنا .

أضف الى ذلك ان العصر الذي وُضع فيه الميمر كان لا يزال عصر التقاليد ، سابقاً لعصر المؤلفات التاريخية المنتشرة . فصاحب الميمر لا يستند الى مؤرخي اوائل القرن الخامس ، وهم كثر ، بل الى التقاليد في ما يرجع الى القرون الثلاثة الاولى ، والى معلوماته الشخصية في حوادث القرن الرابع . وهذا يدل على ان الميمر وضع قبل اوائل القرن الخامس ، وان صاحبه شهد عياناً كثيراً من الحوادث التاريخية التي يوردها .

ففي صفحة ٢١٨ ، في صدد اعجوبة شفاء اكلاوبا واقامة ابنه ، التي جرت في اواسط او اواخر القرن الاول ، يقول : « حدثنا بها ساداتنا الاولين » . وفي صفحة ٢١٧ لما روى حكاية اخفاء الصلبان الثلاثة في مغارة القبر ، قال : « هوذا أبيّن لكم القول كما عرّفنا نيقوديموس ويوسف الرامي » . وفي صفحة ٢٢٧ يستند ايضاً الى يوسف الرامي وبرنباس في حكاية ردم اليهود لقبر المسيح بزبالاتهم وفي صفحة ٢٢٧ يعود الى القول : « ان اليهود ارادوا ان يحرقوا [1] خشبة الصليب ، كما عرّفنا يوسف وبرنباس العبرانيين . »

نعم ان هذه التقاليد قديمة من القرن الاول ، انما يدلّ الكلام عنها على ان راويها من العصور القريبة منها . بينما نراه لا يستند مطلقاً الى تاريخ مكتوب ، كتاريخ اوسابيوس ، في رواية حوادث القرن الرابع : كرؤيا قسطنطين واكتشاف القبر والصليب وبناء الكنائس والملكة هيلانة ويهوذا واساقفة اورشليم واسماء علماء اليهود ، والملوك ديوقليسيانس ومكسيميانوس وقسطنطين ويوليانوس . وحفلات ارتفاع الصليب وتدشين الكنائس وهرطقتي الاريوسيين ومركاوس الانقيري ، وبقية الحوادث التي جرت في هذا القرن ووصفها او ذكرها او اشار اليها عرضاً او ضمناً . الا ترى في كل ذلك دليلاً على انه كان معاصراً لها او قريباً جداً من عهدها ؟

خامساً — لقد مر بك ان رواية علاقة القديسة هيلانة والاسقف يهوذا باكتشاف القبر والصليب قد نشأت في اواسط القرن الرابع وشاعت في اواخره في العالم المسيحي شرقاً وغرباً . فرددها القديسان امبروسيوس في رثائه لتودوسيوس الملك سنة ٣٩٥ ، والقديس يوحنا فم الذهب في عظته الخامسة والثمانين ، التي القاها بين سنتي ٣٩٠ و٣٩٥ . وقد صرّح هاذان القديسان ان الملكة هيلانة عرفت الصليب الحقيقي بين الصلبان الثلاثة من الكتابة الباقية عليه [2] . خلافاً للاساطير السريانيّة وللمؤرخين الذين جاؤوا بعدهما في اوائل القرن الخامس .

---

١) في الاصل : يخفوا

٢) كابرول مج ٣ ق ٢ ع ٣١٢٥

فروفينوس المؤرخ (سنة ٤٠٢)، وعنه اخذ المؤرخ سقراط، يصرح ان الصليب الحقيقي عُرف من وضعه على امرأة مشرفة على الموت استجلبها القديس مكاريوس اسقف اورشليم، فبنت له الملكة كنيسة. وعلى قول القديس بولينوس من نولي (سنة ٤٠٢) وعنه اخذ سولبيس ساويرس، ان الملكة هي التي عرفت مكان الصليب من اجوبة اليهود والمسيحيين فامرت بالحفر في الجلجلة. ولما ظهرت الصلبان الثلاثة استجلبت، هي لا مكاريوس، جثة مائت ووضعت عليها الصلبان الثلاثة فقام من لمس الصليب الحقيقي.[1]

ولما كانت رواية الميمر، المنسوب الى القديس كيرلس، توافق من جهة رأي القديسين امبروسيوس ويوحنا فم الذهب (٣٩٠-٣٩٥)، ومؤداه ان الصليب عرف من الكتابة الباقية عليه؛ وتخالف من جهة اخرى آراء مؤرخي اوائل القرن الخامس المذكورين اعلاه، فتنسب التحري عن مكان الصليب الى الملك قسطنطين لا الى والدته، وتصرّح انه عُرف من الكتابة الباقية عليه لا من اعجوبة شفاء مُدنفة او اقامة ميت، فالميمر اذاً ألقي قبل اوائل القرن الخامس. ولعله سبق بقليل السنين العشر الاخيرة من القرن الرابع.

ولما كان الميمر قد ذكر مصرع يوليانس سنة ٣٦٣، والقديس كيرلس قد عاد من النفي الى كرسيه اورشليم سنة ٣٦٢ ومكث فيها حتى سنة ٣٦٧، التي نفي فيها للمرة الثانية، فقد لفظ هذا الميمر بين سنتي ٣٦٣ و٣٦٧، او بين سنة ٣٧٨، التي رجع فيها من منفاه للمرة الاخيرة، وسنة ٣٨٧ التي توفي فيها.

اما اليوم الذي القاه فيه فمعروف من العبارات التي اثبتناها آنفاً، والتي تصرح انه لفظه في عيد ارتفاع الصليب الواقع في الرابع عشر من شهر ايلول، قبيل حفلتي العماد والمناولة السابقتين لحفلة تكريم الصليب، اي الهيوزيس، كما شرحنا سابقاً.

٣ً – تصريحاته

كل ما سبق يحملنا على تصديق ما صرّح به الميمر، تصريحاً لا يدع

١) كابرول ع ٢١٢٥ و٢١٢٦

مجالًا للشك ، بان قائله هو القديس كيرلس الاورشليمي.

واليك اولًا عناوين المخطوطات الثلاث.

جاء في مخطوطة بكركي في صفحة ١٨٧ :

« نبتدى نكتب ميار من قول القديس كيريللوس ريس اساقفة اورشليم قاله لعيد الصليب الكريم بركة صلاته تحفظنا امين »

وهاك نص عنوان مخطوطة حلب :

« نبتدى بعون الله وحسن توفيقه نقرأ ميمر للقديس كيرللوس ريس اساقفة اورشليم قاله ايضًا لعيد الصليب الناير المقدس . ايضًا من اجل الكلام الذي قاله الله لموسى اصنع لي العيد ثلث دفعات في السنة . وايضًا منجل (من اجل) الصليب النور الذي ظهر في مغبرة سيدنا يسوع المسيح . وايضًا من اجل اسحاق السامري الذي عمده . قال هذا الميمر في كنيسة القيامة في سبع عشر من شهر ايلول (١ المبارك وكان شعب الارثذوكسيين مجتمعين ليسجدوا الصليب المقدس بسلام الرب امين »

واليك ايضاً عنوان ميمر المتحف القبطي :

« ظهور الصليب »

« ميمر قاله الاب القديس كيرلص اسقف مدينة اورشليم من اجل كرامة الصليب المجيد وظهوره على يد الملك البار قسطنطين وامه هيلانه : — يقرى ذلك في اليوم السابع عشر من شهر توت المبارك بسلامة من الرب آمين »

ثانياً ان القديس كيرلس يخطب في الميمر بصيغة المتكلم ويشير الى نفسه مرارًا : ففي صفحة ٢٠٨ يخبرنا ان المؤمنين بنوا كنيسة على جب حقل يندوم ويردف قائلًا :« ودعوا اسمها كنيسة الصليب وعرّفوا مسكنتي انا الحقير كيرللوس فكرّزتها ونظرتُ انا ايضاً بعيني تلك الآية التي ظهرت اسفل الجب»

وفي صفحة ٢٠٥ عندما يخبر عن الانبا واكس صانع اعجوبة تحلية الماء ، لا يُلقب نفسه بانبا ولا بقديس ولا باسقف ، بل يكتفي بلقب « الاب كيرلس » ، بينما نراه ينفح الاب واكس بهذه الالقاب الثلاثة . واليك النص : « وقال الانبا واكس الى اسحاق:« قوم وامضي الى اورشليم واسأل عن كنيسة

١) نظن ان الاصل ١٧ توت الموافق للرابع عشر من ايلول . راجع ڤنسان وايل : مج ٢ صفحة ٣٠٤ . ويظهر ان الناسخ ترجم شهر توت بايلول تاركًا تاريخ اليوم على ما كان .

القيامة فادخل اليها فانك تجد الاب كيرللس هو هنـاك . وهو يعرّفك عن طريق الخلاص.» ويتابع القديس كيرلس حكايته قائلاً: «لما دخـل (اسحاق السامري) اورشليم سأل عن مسكنتي انا كيرللوس . فعرّفه رجل شماس اني في كنيسة الصليب اصنع العيـد ... وللوقت جاء ذلـك الشماس وعرّفني وامرته ان يأتي به اليّ ، ثم قلت له : امضي وأتِ بهـذا الخروف الضـال الذي وجدته ليسمع كلام الله . واذا ما ظهرتْ توبته لكل احد نحن نعمده. والآن نكتمل تأويل الكلام ...»

وفي صفحة ٢٤٠ يذكر ايضاً نفسه بتواضع بين اساقفة اورشليم فيقول : « الانبا يوسف رييس اساقفة اورشليم الذي هو الرابع عشر الذي جلس بعـد التلاميذ في الحنان. وانا ايضاً كيرللس انا واحد منهم لان المسيح رحمني ودخل بي الى البيعة وبشرت باسمه القدوس.»

١٦ — خلاصة الردود والبراهين

ان الاعتراضات التي قد تقوم ضد صحة نسبة الميمر الى القديس كيرلس ، اسقف اورشليم ، لمخالفته مؤرخي عصره في رواية رؤيا قسطنطين وعلاقة والدته هيلانة باكتشاف القبر والصليب ، لا تنفي حتماً هذه النسبة . اولاً لان هذه الاعتراضات غير قائمـة على أساس راهن . ثانياً لان القديس كيرلس لم يكن معاصراً لهذه الحوادث . ثالثاً لاننا نجد في الميمر دلائل ترجح نسبته اليه رجوحاً يقرب من اليقين.

١ً رؤيا قسطنطين

يستند المعارضون الى روايتي لاكتنس واوسابيوس اللـذين يتفقان على ان الرؤيا حصلت في اثناء زحف قسطنطين على مكسنس ، عاهل رومية ، لا على الفرس ، كما جاء في الميمر. انما لاكتنس ينفرد بتعيين جسر ميلفيوس بضواحي رومية ، مكاناً للرؤيا ، والميمر يعينه في تل رامح شمال سورية . بيـد ان لاكتنس لا يذكر مستنـدَه ، فيحملنا على الشك في روايته ؛ لان الاشاعات

عن ظهور آلهة لقسطنطين قبيل كل معركة كانت في عصره كثيرة متناقضة.

اما اوسابيوس فلم يعيّن للرؤيا مكاناً وناقض نفسه اولاً بزعمه ان الرؤيا ظهرت للملك وللجيش كله ، وانها بقيت سرًّا افضى به اليه قسطنطين في آخر حياته . ثانياً يخلط بين هذه الرؤيا وبين حلم ظهر فيه السيد المسيح ليلاً للملك مع علامة الصليب . ثالثاً يخلط ايضاً بين هذه العلامة والشارة التي اتخذها قسطنطين من حرفي اسم يسوع المسيح الاولين.

فهل يجوز نقض وثيقتنا برواية مضطربة متناقضة ؟

فضلاً عن ان رواية ميمرنا غير متناقضة ، لا بل هي موفقة بين تناقض المؤرخين . لانها تذكر ان قسطنطين ليلة المعركة رأى ، وهو يتفرّس مفكرًا في السماء ، صليباً لامعاً مع كتابة «بهذه العلامة تنتصر» . وفي الغد شاهد ، وهو يطارد الاعداء ، ملائكة يلاحقونهم بسيوف مسلولة.

واذا استثنينا تعيين المكان فالميمر يتفق وروايات المؤرخين في ان الرؤيا ظهرت لقسطنطين في اول عهده بالملك قبل ان يتنصّر . ويوافقهم ايضاً في كلامه عن اصل هذا الملك واولاده وسلفائه وخلفائه وبقية حوادث عصره . وهو لا يذكر حادثة جرت بعد عهد القديس كيرلس الاورشليمي.

وهب ان الميمر اخطأ في هذه الرواية ، فخطأه لا ينفي نسبته الى هذا القديس ، لانه لم يكن معاصرًا للرؤيا. فقد ولد في سنة ٣١٣ ، وعلى الارجح في سنة ٣١٥ ، والرؤيا ظهرت في سنة ٣١٢ .

٢ً الملكة هيلانة

كذلك الاعتراضات القائمة حول علاقة الملكة هيلانة باكتشاف القبر والصليب وبناء كنيسة القيامة ، والموجهة ضد الاساطير السريانية ، لا تنفي نسبة الميمر الى القديس كيرلس الاورشليمي. اولاً لان هذه الاعتراضات تستند فقط الى سكوت أوسابيوس وقسطنطين الملك . ثانياً لانها متناقضة. ثالثاً لان رواية الميمر تختلف عن رواية الاساطير المذكورة . رابعاً لان ظهور القبر والصليب كان في عهد حداثة هذا القديس او في غيابه عن اورشليم . خامساً

لان هذه الرواية تتفق مع اشاعات عصره.

١ً – السكوت

لا يصح اتخاذ السكوت عن امر قاعدة لنفيه . فسكوت قسطنطين الملك في رسالته الى مكاريوس اسقف اورشليم ، وسكوت اوسابيوس في ترجمته لقسطنطين عن علاقة والدته بهذا الاكتشاف لا ينفيها ، الا اذا أثبت الاب لكلير ، لسان حال المعارضين ، ان الرسالة ذكرت كل ما له علاقة بالقبر والصليب والآثار المقدسة ؛ وان تاريخ اوسابيوس ذكر كل ما له علاقة بالملك ووالدته ومعاصريه ، وانه وصل الينا صحيحاً كاملاً . والاب لكلير واغلب جهابذة النقد يعترفون بان ترجمة اوسابيوس عبارة عن قصيدة نظمها في مديحه فاغرق في الاطراء كمعاصريه . فلا غروَ اذا اهمل ما ليس للملك فضل فيه ، او نسبه اليه بغير حق.

فضلاً عن ان قسطنطين يتكلم في رسالته عن اكتشاف « علامة الآلام » وهذا التعبير لا يصح اطلاقه على قبر المسيح بل على « اداة الآلام » ، اي على صليبه والمسامير . لان السيد المسيح لم يتألم في القبر . ثم زد على ذلك ان قسطنطين يقول ان هذا الاكتشاف العجيب حدث على اثر انتصاره على ليشينيوس عدوّ المسيحيين اي بعد سنة ٣٢٤ . ولما كان اوسابيوس يذكر مجيء القديسة هيلانة الى اورشليم سنة ٣٢٦ فما المانع من ان تكون حضرت اكتشاف مغارة القبر ، حيث خُبئت الصلبان والمسامير ، واشرفت ايضاً على بناء كنيسة القيامة ، كما روى الميسر ؟

٢ً – التناقض

يحدد الاب لكلير اكتشاف الصليب بين السنة ٣٣٥ ، التي جاء فيها اوسابيوس الى اورشليم ، والسنة ٣٤٧ ، التي وصف فيها القديس كيرلس الاورشليمي تهافت المؤمنين على ذخائر عود الصليب ، ويقول ان ذلك دليل على ان عبادة الصليب قديمة. ويعود فيورد ما يقوله القديس نفسه ، في رسالته الى الملك قسطنس ، عن الصليب انه وُجد في عهد ابيه قسطنطين ، اي قبل سنة ٣٣٧ . ومن جهة اخرى نرى الاب لكلير يستند الى قول اوسابيوس عن

مكاريوس اسقف اورشليم انه باشر ، حال عودته من مجمع نيقية المنتهي في ٢٥ آب سنة ٣٢٥ ، حفر أساسات كنيسة القيامة فظهرت مغارة القبر . ويضيف الى ذلك شهادة اوسابيوس المذكور بان الملكة هيلانة زارت اورشليم سنة ٣٢٦ وبقيت فيها حتى قبيل وفاتها سنة ٣٢٩ ؛ وانها في هذه الاثناء بنت كنيستي جبل الزيتون وبيت لحم . فهي اذاً كانت حاضرة عملية رفع الردم وحفر أساسات كنيسة القيامة ، حيث وُجد القبر ، وحيث يرجح الكثيرون وجود الصليب ايضاً . كما انها حضرت بدء الاعمال في بناء هذه الكنيسة ، ان لم تكن قد شاهدت بناءها بكامله . والاب لكلير يشهد لها بعبادة حارّة نشيطة حملت المؤمنين على ان يقرنوا اسمها بذكرى بناء هذه الاماكن المقدسة ويقول ، نقلاً عن اوسابيوس ، ان قسطنطين ولدها وضع تحت تصرفها خزينة المملكة فانفقت مالاً كبيراً على بناء الكنائس . فكيف ينكر بعد ذلك علاقتها بهذه الحوادث ؟

٣ – اختلاف الميمر عن الاساطير

ولنفرض خطأ الاساطير السريانية في هذه الرواية فيمرنا لم يستقِ منها ، ويظهر انه اقدم منها عهداً . لانه يخالفها في كثير من التفاصيل وينسب الى الملك قسطنطين فضل البحث عن القبر ، وفتح التحقيق مع اليهود ، وتأمين اعمال الحفر ، والاهتمام ببناء كنيستي القيامة والجلجلة ، ويكتفي بقوله انه كلّف والدته في غيابه الاشراف ، مع اسقف المدينة ، على هذه الاعمال ووضع تحت تصرفها اموالاً كبيرة أنفقتها على بناء الكنائس وأعمال البرّ . والميمر يهمل ذكرها في كلامه عن تدشين الكنائس سنة ٣٣٥ ، لانها توفيت سنة ٣٢٩ ، كما قلنا .

٤ – الخطأ

هَب ان الميمر أخطأ في روايته ، فخطأه لا ينفي نسبته الى القديس كيرلس . اولاً لان هذه الحوادث جرت في سنة ٣٢٦ ، وهو في الحادية عشرة من سنه ولعله كان غائباً عن اورشليم . فليس لدينا ما يثبت ولادته او اقامته فيها في عهد الحداثة . ثانياً الخطأ في رواية لا ينفي حتماً نسبتها الى راويها ، كما ان

غلط اوسابيوس في رواية الحوادث المعاصر لها لم يحمل احدًا على انكار تاريخه عليه. وفي يومنا تروي الجرائد حادثة وقعت في المدينة التي تصدر عنها وتختلف في رواياتها مع سهولة المواصلات والاستعلامات.

٥ً – ان رواية الميمر لا تنفي نسبته الى القديس كيرلس بل تعززها. لانها توافق رواية معاصريه القديسين يوحنا فم الذهب وامبروسيوس (٣٩٠–٣٩٥) القائلين بان الصليب اكتشف تحت اشراف القديسة هيلانة، وانه عُرف بين الصلبان الثلاثة من الكتابة الباقية عليه. وتخالف رواية روفينوس وبولينوس من نولي (٤٠٢) واتباعهما من مؤرخي اوائل القرن الخامس، القائلين بان الصليب الحقيقي عُرف من شفاء مدنفة او من اقامة ميت. وسندلي بذلك بما يرجح ان القديس كيرلس لفظ هذا الميمر في آخر حياته.

٣ً دلائل نسبته

للوصول الى معرفة مؤلف الميمر رأينا ان نبحث بين نصوصه عن دلائل لغته الاصلية وطريقة انتقاله الى اللغة العربية، وعن الجمهور الذي أُلقي عليه، ومذهب صاحبه وجنسيته وأسلوبه وافكاره وعن نظام عظته وعصرها.

١ً – لغة الميمر

عربية ركيكة مضطربة مشحونة اغلاطًا نحوية وصرفية، من عنصر الانحطاط. ويستدل من تعابير الميمر ان التعريب لاحد السريان الارثوذكس القاطنين في القطر المصري، نقله عن نص سرياني منقول بدوره عن اليونانية لغة الميمر الاصلية، التي وصلت لنا بها بقية تآليف القديس كيرلس. فضعف المعرّب في اللغتين العربية والسريانية، وضعف المترجم في اللغتين السريانية واليونانية وتوخيهما الترجمة الحرفية حفظ لنا في الانشاء الصبغة الاصلية اليونانية، وفي التعابير آثارًا واضحة للغتين السريانية واليونانية ولتعريبه وترجمته في وادي النيل.

٢ً – الجمهور

تصرّح نصوص الميمر انه أُلقي على جمهور مسيحي فلسطيني انضمّ اليه بعض الحجاج الغرباء الوافدين الى اورشليم لحضور حفلة ارتفاع الصليب في كنيسة

القيامة ؛ وأن هذا الجمهور محاط بعنصر وثني ضعيف الشأن ، وعنصرين يهودي واريوسي شديدَي الوطأة ، يخاف الواعظ من تأثيرهما على المؤمنين فيحمل عليهما، وخاصة على الاول ، حملات متواصلة عنيفة. كل هذا يوافق عصر القديس كيرلس وحالة المسيحيين في المدينة المقدسة في اواخر القرن الرابع .

٣ً – مذهب المؤلف وجنسيته

المؤلف فلسطيني كاثوليكي ، اذ ليس في ميمره ما يشتم منه رائحة الهرطقات الشرقية ، بل بالعكس نجد في اقواله ما ينافيها . وهو لا يتعرّض رأساً الّا للاريوسية ولبدعة مركلوس الانقيري ، اللتين استفحل امرهما في عصر القديس كيرلس اي في اواسط واواخر القرن الرابع . فهو اذاً غير يوناني ولا سرياني منشق . وهو ايضاً ليس بقبطي ، وان تُرجم ميمره وعُرّب في القطر المصري ؛ لان الاقباط يعاقبة ويجهلون السريانية . فضلًا عن انك تجد في الميمر دلائل تنفي تاليفه في القطر المصري. كقوله عن الزرع الذي ينمو بماء المطر ، والمطر نادر بمصر ، ولا يعتمدون عليه في الزراعة بل على ماء النيل.

اما المياسر القبطية الموضوعة على ارتفاع الصليب والمنسوبة زوراً الى القديس كيرلس فهي تختلف عن ميمرنا بالتفاصيل ، وأحدها ، الذي يقرب منه ، يأخذ عنه بعض المعلومات وعن الاساطير البعض الآخر ، وينفرد بشيء منها لا تجده في هذا ولا في تلك . فان لم تكن غاية المزوّر بثّ رأي فاسد باسم القديس كيرلس فما غرضه من نسبته اليه ؟

٤ً – الاسلوب

أسلوب الميمر وانشاؤه مطابقان لاسلوب القديس كيرلس وطريقة انشائه . فهو مثله بسيط واضح خالٍ من الاصطلاحات اللاهوتية ، وَدود ، حماسي ، مستند الى الآيات الكتابية ؛ وبجانب ذلك مراجعات مملّة ، وعبارات مبتورة ، وحكايات طويلة خارجة عن الموضوع ، ونصوص من الكتاب المقدس مشوّهة .

٥ً – الافكار

الآراء اللاهوتية النادرة الواردة في الميمر مشابهة لما ورد في عظات القديس كيرلس ، عن الروح القدس وولادة المسيح الاولى الازلية والثانية الجسدية .

وعن ملكوته الازلي وكهنوته وتضحيته ، ولاهوته المتحد اتحاداً تاماً والمحتجب بالناسوت ، فلا يُرى الا بالعجائب ؛ وعن عتقه اصحابه من عبودية الخطيئة وأسر الجحيم . ومن هذه الافكار ما هو مكرر تقريباً حرفياً ، كقوله عن المسيح انه اتخذ لفدائنا سلاح الجسد الذي حاربنا به عدوّنا .

٦ – نظام الميمر

الميمر قائم على آيتي المزامير عن مُلك الرب وتهليل الامم او غضبها . انما لا نظام راهن فيه ، مما يدل على انه ألقي عفواً بعد قليل من الاستعداد . والحكايات التي يسردها تستغرق اكثر الميمر ، فيعتذر عن الاطالة فيها ويعود بعد قليل الى ارتكاب الشطط نفسه والى نفس الاعتذار . فهذه الاستدراكات تدل على ان الميمر غير ملفّق لان الوقت متسع للملفّق ليرفع او يصحح او يختصر ما يراه عيباً في عظته فيستغني عن الاعتذار . ناهيك عن اشاراته الى القبر وتوارد الحجاج وازدحامهم لسماع العظة وحضور حفلة ارتفاع الصليب ، والى تعبهم من الطريق ، وتململهم من طول العظة ، ومطالبتهم اياه بالسير على البرنامج الذي اعلنه في صدر العظة . وضيق الوقت عن القيام بحفلة المعمودية والمناولة والهوزيس ودفع الاولين معاً لاكتساب الوقت ، وغير ذلك مما لا يعقل ان يشير اليه مصطنع الميمر او ملفقه .

٧ – عصره

تصرّح نصوص الميمر ان القديس كيرلس اسقف اورشليم ألقاه في كنيسة القيامة في حفلة ارتفاع الصليب وتدل على انه قاله في آخر حياته .

فكلامه عن اكرام الصليب يدل على انه القي في بلد مسيحي ، اي قبل فتح الاسلام لاورشليم سنة ٦٣٦ . ووصفه مصرع يوليانوس الجاحد يدل على القائه بعد سنة ٣٦٣ . واهماله ذكر بدعتي نسطور وديوسقوروس دليل على انه أُلقي قبل القرن الخامس . وحملته على الاريوسية وعلى بدعة مركلوس توجب علينا تعيينه في ابان استفحالها اي بين اواسط القرن الرابع واوائل الخامس . ناهيك عن اعتماده على معلوماته الشخصية في اغلب حوادث القرن الرابع ، وعلى التقاليد في ما سبقه ، واهماله تماماً كل ما تجاوز هذا القرن .

أضف الى ذلك موافقته لرأي معاصريه القديسين فم الذهب وامبروسيوس (٣٩٠-٣٩٥) في ان الصليب الحقيقي عُرف بين الصلبان الثلاثة من الكتابة الباقية عليه ، ومخالفته لروفينوس وبولينوس من نولي (١٠٢) وأتباعهما في انه عُرف من شفاء مدنفة او اقامة ميت.

فالميمر ألقي اذاً اما بين سنة٣٦٣التي عاد فيها القديس كيرلس من المنفى ، او ، على الارجح ، بين سنة ٣٧٨ التي رجع فيها القديس كيرلس نهائياً من هذا المنفى الى كرسيه اورشليم ، وسنة ٣٨٧ ، التي جاور فيها ربّه . قاله، كما يصرح الميمر نفسه، في كنيسة القيامة في الرابع عشر من شهر ايلول قبيل حفلة الهسوزيس .

***

هذا لا يعني اننا نجرأ على البتّ في ذلك ، بل نحن ندلي بدلونا بين الدلاء لعله يغترف الحقيقة او بعضها . وعسى أن نجد بين العلماء المتضلعين من تاريخ الكنيسة والواقفين على آراء القديس كيرلس الاورشليمي مَن يأخذ بناصر هذا الرأي ويدعمه بما خفي علينا ، أو حال الوقت وخوف الاطالة بيننا وبينه . وان ظهر من ينقده فقد افادنا الهداية الى الحقيقة ، التي ننشدها من صميم القلب.

واليك الآن نصّ الميمر ننقله حرفياً عن مخطوطة بكركي ، مع الاشارة الى ما يخالفه في النصّ الحلبي ، والمقابلة بينه وبين رواية الميمر القبطي والاساطير السريانية ، معلقين على بعض نصوصه بشرح وجيز او اشارة سريعة . وقد قسمناه الى اجزاء حسب موضوعاته ، وقسمنا هذه الاجزاء الى فقرات. ووضعنا لكل منها عنواناً ورقماً تسهيلاً على القارئ . وعلى المولى الاعتماد اولاً وآخراً.

اصطلاحات

ب نصّ بكركي
ح النصّ الحلبي
ق الميمر القبطي
س الاساطير السريانية

بكاء ، وشعر ، ونقد

نظرة في ناحية من « الادب » الحاضر

بقلم ادوار ابراهيم حنين

حمل امين الريحاني ، في يوم من حزيران الفائت ، حملةً شديدة على ابيات عاطفية لبشاره الخوري (١) يردّدها الناس والفونغراف في بلادنا وما جاورها ، بحجة انها تغرق بالدعوة وتنزّ عن الضعف . فكانت تلك الحملة مبدأ مناظرات ومناقشات ومهاترات تتابعت اسابيع طويلة على صفحات الجرائد البيروتية ذفع اصحابها الى الطلام على الادب ، والبكاء ، والشعر ، والنثر ، والنقد ، والتجديد ، والتقليد وما شاكل من مفردات اضطرب في تحديدها اعاظم المتناظرين وقد ادّى كل ذلك الى حقيقتين : « اتنثر الشعراء ! » و « اجل نحن الشعراء ! » يستريان مظهرًا وقيمة ، وقد لا يستحقّان هذا النقد الطويل ، الا اننا نشرناه كي لا يتوهّم الاديب الغريب انهما — وقد ظهرا ختامًا لتلك المناقشات — يمثّلان الحالة الحاضرة من ادبنا المصري ، فيبخس هذا الادب حقه .

توطئة

يجتاز الادب العربي اليوم في لبنان مرحلةً يُخاف عليه من مخاطرها . فمن زاعم انه المجدّد المُصلح ، فيثور على « الادب الباكي » طالبًا دكّ ما شيّدته القرون والاجيال ؛ ومن نافخ في البوق « ان الادب الحديث تضرّع اليه لينصره على الادب القديم ويريحه من ايادي الكذّابين المنافقين » ؛ الى مغرور ينظر نفسه بعين مكبّرة فيخال انه نبيّ ملهم بعث به الله الى عباده في هذا القرن العشرين ليخلّصهم من سخافات انبيائه الاقدمين ؟ الى معلن « تمزيق » هذا وذاك من الادباء الذين احيوا في عصرهم اللغة والادب والبحث العلمي الصحيح ورفعوا لها منارًا عاليًا في سماء الشهرة .

ومن ميزات الادب في هذه المرحلة التي نجتازها اليوم ان هؤلاء المجدّدين ،

---

١) هي الابيات :

الهوى ، والشبابُ ، والاملُ المنـ ـشودُ توحي فتبعث الشعر حيًّا ،
والهوى ، والشبابُ ، والاملُ المنـ ـشودُ ضاعت جميعها من يديّا .
يشرب الكأس ذو الهجى ، ويبقّي لغدٍ في قرارة الكأس شيًّا ؛
لم يكن لي غدٌ ؛ فافرغت كأسي ، ثم حطّمتها على شفتيّا ! . . .

المصلحين ، المناصرين ، المزّقين ، الذين جمعتهم غـاية واحدة — على علم او على غير علم منهم — يتناوشون ويتشاغبون كأنّ الله قد سلّط بعضهم على بعض ليأكل بعضهم بعضاً ويذهبوا من حيث اتوا.

وليس من الصعوبة في شيء تأريخ هذه الحركة الفكرية القريبـة النشأة الحديثة الميلاد. لقد غرس بذورها الاستاذ امين الريحاني في يوم من ايام حزيران الملتهبة، فاخذت تنمو وتكبر الى ان شجرت وازهرت وعقدت واثمرت، ومما يجدر بالذكر ان النموّ كان سريعاً جداً . فرأينا من هذه الاثمـار اشكالاً والواناً وقد كثرت ما بينها الاثمار الرجعيّة. وكان منها كتيبان سنتناولهما بالدرس تباعاً.

١ً انتم الشعراء

كان يقرأ الرائح والجائي ، في شوارع العاصمة اللبنانية وقرى الاصطياف ، لبضعة اشهر خلت ، خبر كتاب جديد للاستاذ الريحاني كان مزمعاً ان يحـدث ثورة في الادب ، بل كان مقدراً له ان يقوم بحملة شديدة على الادباء . وان في اسمه «انتم الشعراء !» اعلاناً لهذه الحملة. اما المسمى فمؤلف صغير يناهز ٢٠ سنتيمتراً طولاً ، و١٤ سنتيمتراً عرضاً ، طبع في مطبعة «الكشاف» البيروتية ، على ورق صقيل، باحرف جلية وقع في ٩٢ صفحة ، وغُلّف بورق ملوّن يختلف عن ورق الكتاب بقليل من السماكة والخشونة.

هذا هو انتم الشعراء مادياً اما مضمونه فسنحلّله تدريجاً . واليك ابتداء عناوين المقالات التي يحتويها هذا الكتيب كما جاءت في الفهرست :

قلوب تذوب — داء البكاء — عشر وصايا الشعراء — ربّة الشعر — الشاعر والوطن — الشاعر والفيلسوف — الالم الشخصي والقومي — الدموع — دموع الشاعر — ندب وانتداب — خمس عشرة وصية اخرى للشعراء.

يتضح من هذه العناوين ان « انتم الشعراء» حلقة جديدة من سلسلة مقالات الريحـاني ومؤلفاته التي يهاجم بهـا الشعراء اذ يقبح دموعهم وينكر عليهم بكاءهم ؛ فهو اذاً سهم ، ربما كان آخر مـا في جعبته من الاسهم ، يطلقه

من كنانته رامياً به وجوه شعرائنا الافاضل . فهل اصاب ام ارتدّ خائباً ؟ هذا ما سنحاول درسه في النقد الحاضر .

حجر زاوية هذا النقد ، بل محور الخلاف بين الريحاني والشعراء ، تحديد الشعر . ولهذا ترانا مبتدئين به فنقول ، متبعين جمهور الشعراء والنقّاد ، بل متبعين الطبيعة نفسها : ان الشعر هو التعبير باسلوب انيق عمّا يجول في النفس من العواطف الشخصية رقّت او غلظت ، لانت او اشتدّت غير مستثنين واحدة منها . والعاطفة تكون شخصية اما لانها للشاعر ومنه ، واما لان الشاعر يشاطر من يتكلم عنهم عاطفة مشتركة .

وقد عبّر عنه الاستاذ فؤاد افرام البستاني في « روائعه » اذ قال : «الشعر هو مجمل عواطف النفس ونزواتها ، يبدو تارة زفرات حرّى يصعدها صدر هائج ، وطوراً ابتسامات عذبة تعلو ثغراً جميلاً . وقد تتّسع دائرته بعض الاحيان فيعبّر عن عواطف اكثر من نفس بل ربّما عبّر عن عواطف أمة باسرها »

والشاعر يكون القائم بهذه المهمة اي «هو الذي يشعر ويحسّ بعواطفه الشخصية او بعواطف غيره من حبّ وبغض ، وفرح وحزن ، فيراها منعكسة على مرآة نفسه ، فيبرزها الى الخارج بطريقة تجعلنا شاعرين بكل تلك العواطف.»[1]

اذا ما وقفنا على بيّنة من ذلك ففهمنا الشعر كما يجب ان يفهمه كل اديب ، اصبح من النافل ان نخطو خطوة اخرى لهدم كل ما بناه الريحاني في ٩٠ صفحة كاملة ، اذ انه يقول ان البكاء ليس من الشعر في شيء . ونحن نقول ان البكاء يصدر عن الالم ، والالم عاطفة ، وكل عاطفة ، مهما قيل ويقال ، ينبوع للشعر .

فان كان الامر على ما قلنا ، وان كان هذا النذر القليل يكفي لهدم نظرية الريحاني ، فلمَ لا نكتفي بما بلغنا اليه ونسكت عمّا بقي ، مريحين نفسنا والقرّاء من الم البحث والتمحيص والم المطالعة وكدّ الذهن ؟ ذلك لان الريحاني لم يكتفِ بالتصدّي لهذه الحقيقة الكبرى بل انه تعدّاها الى غيرها :

---

١) الروائع : الجزء الثاني : الشعر الجاهلي ، صفحة ٤

وابدى في طريقه اليها نظريات شتى انتقادها والتعليق عليهـا فرض واجب . والامانة الادبية تقضي بان لا ننقد المؤلف في نصف ما يقول ونطمس النصف الآخر عابرين عنه ساكتين.

نبتدئ « بقلوب تـذوب » و«داء البكاء» ، متخلصين الى « الدموع » و« دموع الشاعر » و « ندب وانتداب » ، لما لامسنا فيها من المشابهة المعنوية واللفظية . وبعد ذلك ننتقل الى مـا يبقى من المقالات في الكتاب . وعند الانتهاء من هذا العمل التحليلي المفصل نباشر عمـلاً آخر مجملاً نعرض فيه ما يبدو لنا صحيحاً عن الاديب وكيفية تفكيره وانشائه.

فالريحاني، في مقالتيه الاوليين «قلوب تذوب» و«داء البكاء» ، ينسب الى ابناء بلاده،والى ابناء الشرق العربي اجمع،كثرة البكاء والاكثار من الدموع. فمن قوله : « في هذه البلاد الشرقية كثير من القلوب اللينة المترهلـة بل القلوب المائعة الذائبة.قلوب تذوب كلما ناح الحمام ، قلوب تميع كلما اهتز الورد في الاكمام، قلوب تسيل هياماً كلما تلألأت شمس الاحلام، قلوب مائعة ذائبة على الدوام . . . » الى قوله : « اننا والحق يقال اكثر بكاء واشد انتحاباً من جميع الشعوب . . . انه لمرض يفوق انتشاراً كل امراضنا . . . فتراه يفتـك بالسياسيين ورؤساء الدين كما يفتك بالادباء والتجار والفلاحين هو وباء الدموع وباء النحيب والنواح . . . »[1] نراه يتحامل على ابناء جلدته تحاملاً لا مبرّر له ، فيعيب عليهم ما ليس بهم ، او ما هم عليه كغيرهم من الشعوب . وهب ان الحقيقة في جانب الاديب ، فهل يلام الشرق العربي على عاطفة له رقيقة وعلى قلب له حساس ؟

ولا ادري في اية مناسبة رأى الريحاني السـاسة عندنا ورؤساء الـدين فينا يبكون وينتحبون حتى امكنه ان يطلق على جميعهم هذا الحكم المخطئ في عمومه وشموله ؟

هذا الذي يجعل قارئه وسامعه يخال اننا، في هذه البلاد، في مأتم مستديم.

---

(١) انتم الشعراء ، ص ٤-٦

واننا نسبح الله بالبكاء والعويل، ونلعن الشيطان بالبكاء والعويل، ونتوصل الى مآربنا السياسية والادبية ، وغيرها من المآرب الحيوية ، بالنواح والبكاء والعويل . ويظن سامع هذا الكلام ، اذا ما كان ممن يركنون للريحاني ، اننا في وادي الدموع ، وان لغة التفاهم ما بيننا النواح والبكاء والعويل . هذا ما يظنه البعيد ان سمع الريحاني يتكلم . ولسنا في لبنان ولا في شرقنا العربي اجمع على شيء من ذلك .

واخاف على ذاك البعيد الذي يتخذ كتاب الريحاني هذا مرشداً له في تفتيشه عن لبنان ، وعن هذا الشرق الضاحك ، ان يسير في الكون الواسع هائماً على وجهه يفتش عن لبنان الموصوف فلا يراه ويمرّ به ويخالط ساسته ورؤساء الدين فيه وتجاره وفلاحيه وادباءه ويعبر عنه ، غير شاعر هل مرّ في لبنان ام لا ، فيهيم ويهيم . . .

واعجب ما عجبت له في هذا المقال تلك العقلية التي لم اعرف بها بعد رجلاً ادبياً يدعي العلم والفن والفلسفة وهو على شيء منها جميعها — على ما يقال — والتي تظن ان حاملي القلوب الحساسة والعيون الدامعة « هم اعجز في المحن والنكبات من فراخ القطا واجبن من صغار الارانب » .

فجبان هو مار بطرس اذاً ، وجبان هو نابليون . . . وجبان سعد زغلول لانهم بكوا . . . واراقوا دموعهم في مواقف عديدة . فمار بطرس مثلاً لم يكن الا إمام الباكين . وقد نقلت الينا الاسطورة ان الدمع اختط قناة على وجنتيه لكثرة تذرافه الدموع تكفيراً عن خطيئة جحوده السيد المسيح ، ولم تمنعه دموعه من جوب الارض من اقصاها الى اقصاها ومن نشر الدين المسيحي فيها ، ولم تحل هذه الدموع بينه وبين الاقدام واقتحام الموت والقضاء على الصليب . . . ومن اطلع على رسالات نابليون بونابرت التي كان يبعث بها الى جوزفين اذ كان لم يزل بعد في اول حياته اللامعة العظيمة ، يرى انه كان يبكي بكاء مراً . على ان هذه الدموع لم تمنعه من ان يكتسح العالم . . . وكذلك القول عن سعد زغلول وكثيراً ما ذكر عن عاطفته الرقيقة حتى الجزع والبكاء في بعض المواقف . والتاريخ العصري يعلم هل كان زغلول رجل حزم

وعزم ! ! !

على ان خطأ الريحاني عائد ، في نظري ، الى الخلط بين موقفين اثنين كان من الواجب تمييز احدهما عن الآخر . خلط بين موقف الرجل السياسي او القائد او الزعيم رجلاً فحسب ، وموقفه سياسياً او قائداً او زعيماً ، فجرّه هذا الخلط طبعاً الى عدم التمييز بين دموع ودموع .

ويجرّنا هذا الى ان نعرض لثلاث مقالات انزلها المؤلف في الصفحات الاخيرة من كتابه وهي : « الدموع » ؛ « دموع الشاعر » ؛ « ندب وانتداب » .

ففي المقالة الاولى يسأل الريحاني عمّا اذا كانت الدموع في البلاء مفيدة ؟ وبعد ان يحدّد الدمع « علمياً » — كما يقول — يجيب بعدم فائدتها مكذباً اعتقاداً « يصعب اثباته « علمياً » وينزله الكثيرون من اهل الادب والعلم منزلة اليقين » وهو : « ان في البكاء راحة من كرب او حزن او مرض وفيه تنكشف الغموم » .[1] هذا جواب يعطيه المؤلف بعد ان يدلي بملاحظات عجيبة غريبة يظنها تؤيد زعمه ، منها بالحرف : « الولد يبكي حينما تصطدم ارادته اصطداماً شديداً بارادة امه او ابيه او اخيه الاكبر . والمرأة تبكي اذا اشتدّ عليها كيد الزمان او كيد زوجها ، اما الرجل فهو على الاجمال اقل بكاء من المرأة » . ويزيد : « فاذا كانت الدموع تفيد فلماذا تخص فائدتها بالاطفال قبل الاولاد وبالاولاد قبل النساء وبالنساء قبل الرجال . ويكاد يحرم الرجال خيرها . »[2]

وليس من العسير على كل قارئ لبيب ان يخطئ الريحاني في برهانه هذا الذي يبني عليه مقاله « الدموع » .

وله برهان ثانٍ لاثبات ما قدم ، وهو لا يقل عن الاول ضعفاً . اذ يقول « يرى الطفل القمر فيمد يده اليه يطلبه ثم يطلبه فتعريه سورة من البكاء لانه ابى ان يجيبه وبعد صراخه ودموعه يهدأ جأشه ويدري ان القمر عصاه . » ويزيد : « فهل افادت الطفل الدموع بعد ان حرق ملحها وجنتيه ومآقيه » ؟[2] .

---

١) انتم الشعراء ، ص ٥٥ ٢) انتم الشعراء ، ص ٥٧ ، ٥٨ ، ٥٩

فلنفرض ان الدموع وسيلة كما يزعم الريحاني — وهذا خطأ بيّن لان الدموع نتيجة لا وسيلة — فاين يكون موقع كلامه من الحقيقة ؟

بكى الصبي ليتوصل الى القمر . فالغاية تكون القمر ، والمبتغي يكون الصبي ، وطريقة الوصول (اي الوسيلة) تكون البكاء . فشل الصبي في مسعاه فما هو سبب الفشل ؟

اتكون الطريقة ؟ — لا اذ ان الصبي لو اتخذ وسيلة غير البكاء لنيل طلبه لما كانت اجدته نفعاً . فهو لو اتخذ كرسياً واعتلاه لما كان ابلغه القمر ، ولو تسلق شجرة لما كانت ابلغته القمر ، ولو صعد الى اعلى سلّم طويل لما كان بلغ القمر ، وهو لو اشرف على الجبال الشامخات والبروج وناطحات السحاب لعجز عن نيل القمر .

فالنقص اذاً من جهة الصبي ؟ نعم اذ انه ليس في استطاعة الرجال التوصل الى القمر بمجرد قواهم البشرية . فانت ترى معي ، ايها القارئ ، ان الذنب في هذا المقام هو ذنب المبتغي لا ذنب الوسيلة (الدموع) .

هذا . ومن الثابت الاكيد ان البكاء نفع الصبي وانه قام بواجبه خير قيام . ولم نكن لنطلب منه في حياتنا اكثر مما كان لنا منه الان . . . اننا لا نرتجي من البكاء عندما نبكي ان ينيلنا القمر او يعيد الينا حبيبنا او نسيبنا ، ابانا او امنا او اخانا الراحلين . ولكن جلّ ما نرجو منه ان يسرّي عنا ويفرّج كربنا وغمنا ، وما كان بالمقصر يوماً .

نحن اذاً . . . لا نطلب من البكاء ان يبلغ بنا الى القمر ، والى المال الذي نرجوه ، والى الحبيب الذي يجفونا ، والى غيرها من الامال المنشودة . وانما نبكي لحرقة في قلوبنا ناتجة عن عدم مقدرتنا للبلوغ الى القمر . . . الى المال . . . الى الحبيب . . . الى آمالنا المنشودة . فالدموع اذاً ليست وسيلة ، كما يعتقد الريحاني ، وانما هي نتيجة ، فنبكي لان الشيء قد فاتنا ولا نبكي لنتوصل الى الشيء . .

ولنعد الان الى النظريات التي يبديها المؤلف في سياق الموضوع ، والتي لا تزيد الموضوع الا غموضاً وابهاماً . ولنلتفت الى « الحقائق الراهنة » التي يلفت الريحاني نظر القارئ اليها بقوله : « اننا نلفت نظر القارئ الى هذه الحقائق

الراهنة ».[1]

الحقيقة الراهنة الاولى : « ان البكاء في بعض الشعوب الشرقية اكثر منه في الشعوب الغربية . وانه في الشعوب اللاتينية اكثر منه في الشعوب الانكلوسكسونية . وان في الشعوب القاطنة الشمال مثل اهل اسوج ونروج يضعف فيهم (كذا!) الميل الى البكاء ويكاد يزول . فهم قلما يبكون في الملمات . »

«واني فوق ذلك استرعي نظر القارئ الى هذه الحقائق الاخرى الثابتة .»[2]

الحقيقة الاخرى الثابتة: « الصغار اسهل دموعاً من الكبار ، والنساء اكثر بكاء من الرجال ، والرجال في الشعوب الهمجية والمتأخرة في التمدن هم اسرع الى ذرف الدموع والنحيب من الرجال المتمدنين. تنبئنا بذلك المنادب الافريقية وما لا يزال من اثرها في بعض البلدان » وقد زاد، عافاه الله : « وقل في جبل لبنان »

اما ما جاء في اولى حقائقه الراهنة فاشك في صحته ، لا لانني طفت البلدان وتعرفت الى العيون الشرقية والغربية والعيون اللاتينية والانكلوسكسونية وعيون الشعوب القاطنة الشمال مثل اهل اسوج ونروج ، لا. ولا لانني قرأت عن دموع هذه الشعوب المجلدات الضخمة والمطبوعات القيمة اذ ان اول ما اقرأه في هذا الصدد هو كلام الريحاني هذا . ولكنني اشك في صحة هذا الكلام لانه تدمه بقوله : « انني ألفت نظر القارئ الى هذه الحقائق الراهنة ».

اخاف ان لا يفهمني القرّاء . فالامر بسيط . انكم تذكرون ما جاء في المقالتين الاوليين « داء البكاء » وقلوب تذوب » « من اننا اكثر بكاء واشدّ انتحاباً من جميع الشعوب » وان « السياسيين ورؤساء الدين والادباء والتجار والفلاحين يبكون عندنا كثيراً ».

---

١) انتم الشعراء ، ص ٥٥

٢) انتم الشعراء ، ص ٥٦-٥٧

فخرفي عظيم ان تكون حقائقه الراهنة هذه كالحقائق تلك ، حقائق ليست على شيء من الحقيقة.

وليس ما ضمّنه حقيقته الثانية الراهنة باوفر نصيباً عند النقّادة الرصين من مضمون الحقيقة الاولى ، اذ انه ما رأيك في هذه النظرية : ان البكاء القليل عند المرء دليل على رجاحة عقله ووفرة رقيه وتمدنه ، والبكاء الكثير دليل على قلة عقله وعلى همجيته وعدم تمدنه ؟

فان صحّ ما توهمه الريحاني من ان البكاء الكثير دليل على نقص في العقل وعدم الرقي والتمدن ، نتج ان اصحاب القلوب الحساسة والمدامع الغزيرة كاعاظم الشعراء هم اقل عقلاً من هذا الحوذي وذاك البويجي ومن هذه وتلك وهذا وذاك من الذين سوّاهم عهرهم وفجورهم بالحيوانات ، حتى نضبت عواطفهم وجفت مآقيهم والفيناهم لا يبكون ولا ينتحبون.

كل هذا بسيط اذا ما قسناه الى ما يحب الريحاني ان يدخله باسم العلم في عقول العامة من الخطأ المبين.

لقد قال : « ان هذا الاعتقاد — اي ان الدموع تخفف من الحزن وتفرج الكرب والغم — الذي يتزله الكثيرون من اهل العلم والادب منزلة اليقين « يصعب اثباته علمياً »[1]. ذكر العلم ، ومشى تحت راية العلم ، وتوسم باسم العلم ليوهم سامعيه ان الحقيقة في جانبه ، وانه هو العالم والمشترع والمدقق والمنحص . . . يحدّد الدمع علمياً ، وينكر كل فائدة للدموع علمياً ؛ ويكذبنا اخبر وحقيقة الواقع علمياً ؟

***

دموع الشاعر

لم يكتف الريحاني بمقاله عن الدموع بل اردفه بمقال آخر اسماه : « دموع الشاعر » يشفله بما فاته في المقالات الاولى من النظريات الغير المنظورة.

« دموع الشاعر » كناية عن مقالة لا يعرف اولها من آخرها ، يبتدئها

---

١) انتم الشعراء ، ص ٥٥

الريحاني بتهمة زور يتهم بها شعراء القطر العربي ويحشرها بثرثرات ونكات مزعومة ليست على شيء من الفكاهة.

هي مزيج اخبار وفكر مختلفة لا يدري القارئ لماذا يعرضها المؤلف اذ انها لا تبرهن عن غاية ولا تحقق مقصداً ، فهي اشبه بحديث سيدات لهن بعض الثقافة ، وقد سمعن فيما مضى ان هناك ابا العلاء المعري وابن المعتز عند العرب وموسيه ولامرتين وهيجو وفينيه عند الافرنسيس ، فاخذن يتحدثن عنهم حديثاً يبعد البعد كله عن حديث الاديب العالم.

انه يستهل القطعة بقوله : « لا اظنك تجد من الدموع في شعر الامم الاوربية كلها مقدار نصف ما عندنا في الشعر العربي . ولا اظنني فيما اقول مبالغاً »[1] . اما انا فاقول ان اتخذنا عدداً معدوداً من جهابذة شعراء الافرنسيس فقط ، لا شعراء الامم الاوربية كلها كما يقول ، وقابلناه بعدد يوازيه من جهابذة شعرائنا ، وان تصفحنا مؤلفات هؤلاء واولئك ، نجد ، رغم ما قال الريحاني ، ان شعراء الافرنسيس العشرة مثلاً يبكون ويتألمون اضعاف اضعاف ما يبكي ويتألم شعراؤنا العشرة . واحب ان لا اكتفي بالتأكيد ، كما فعل الريحاني ، بل ارغب ان اجول وقراني الكرام جولة في ليالي موسيه الشاعر الفرنسوي ، ليتحققوا بانفسهم ما في شعر هذا الشاعر النابغة من الدموع . . . والبكاء ، ولكي يقولوا معي ان في شعر هذا الغربي من الدموع ما ليس يتفق لمائة شاعر شرقي عربي . وقد اخترنا موسيه خاصة لان الريحاني اكثر من ذكر اسمه ، على غير معرفة بميزة شعره . قال شاعر البكاء في قصيدته *La Nuit de Mai* والقول صادر عن ربة الشعر :

Poète, prend ton luth ; c'est moi ton immortelle
Qui t'ai vu, cette nuit, triste et silencieux
Et qui, comme un oiseau que sa couvée appelle,
Pour pleurer avec toi descends du haut des cieux.

وتزيد :

Dis-moi, quel songe d'or nos chants vont-ils bercer ?
D'où vont venir les pleurs que nous allons verser ?

---

(١) انتم الشعراء ، ص ٦٢

Est-ce donc vrai ? le cœur se lasse
Comme le corps va se courbant ?
En moi seul toujours m'absorbant
J'irais, vieillard à tête basse.

Oh ! les cheveux blancs et les rides
Je les accepte, j'y consens,
Mais au moins, jusqu'en mes vieux ans
Que mes yeux ne soient pas arides !

Car l'homme n'est laid ni pervers
Qu'au regard sec de l'égoïsme
Et l'eau d'une larme est un prisme
Qui transfigure l'univers.

فالقصيدة هذه تنطق بما اقصر عن تعبيره انا.

قد يبكي شعراؤنا وينوحون ويندبون ، قد يذرفون باسراف دموعهم ويكثرون من تسكابها . ولكنني لم اسمع قط ان شاعراً شاخ وعاد في الذكرى الى حياته الماضية ولم يتألم الا على دموعه الناضبة . كانت خطيئة صاحب « الهوى والشباب » عظيمة عندما بكى آماله المنشودة ، وهواه، وشبابه الضائع ، فأي خطيئة هي خطيئة Coppée اذاً في عين الريحاني لانه يتألم على مدامع له قد جفت . . .

وعلى اثر هذه المنتخبات نناقش رأياً عرضه الريحاني للبحث والمناقشة وهو «ان الترجمة تفضح السخيف من الشعر مهما عذبت او جزلت الفاظه وتثبت الجيد فيظل شعراً اذا ترجم لاية لغة من اللغات »[1] . وباختصار فهو يقول : ان الترجمة لا تفقد القطعة الفنية شيئاً من قيمتها الادبية. وهذا كلام مغلوط. قد لا تنقص الترجمة شيئاً من قيمة القطعة العلمية المترجمة ، وتنقص شيئاً قليلاً من قيمة القطعة الادبية النثرية ، اما انها لا تنقص شيئاً من قيمة الشعر المترجم فهذا غلط بيّن . وقد اثبت سليمان البستاني في مقدمة الالياذة شيئاً من ذلك في

---

١) انثم الشعراء ، صفحة ٥٢ حاشية ١

كلامه عن الترجمة والتعريب[1]. اما نحن فنقول :

ان ترجمة القطعة الادبية ، شعرية كانت او نثرية ، من لغة الى لغة اخرى تفقد القطعة المترجمة الكثير من حسناتها ، وهذه الخسارة تكبر وتصغر حسب كيان اللغات المترجم منها واليها . فاذا كانت الترجمة من لغة مزجية الى لغة تحليلية او العكس ، فالخسارة جسيمة اذ ان اللغة المزجية بمفرداتها وتعابيرها لا تعطي المراد كما تعطيه اللغة التحليلية او العكس . واذا كانت الترجمة من لغة مزجية او تحليلية الى لغة احدية ، فالقطعة المترجمة خاسرة دون شك. اما اذا كانت الترجمة من تحليلية الى تحليلية او مزجية الى مزجية او احدية الى احدية فتصغر الخسارة ولكنها لا تضمحل . وقد تفدح الخسارة او تقل اذا كانت الترجمة قائمة بين لغات متنافرة الاصل او متشابهته،من لغة انكلوسكسونية او جرمانية مثلاً الى لاتينية فالخسارة فادحة طبعاً. وان قامت الترجمة بين لغات ذات اصل واحد كالافرنسية والايطالية فالخسارة كائنة ولكنها تقل . وهناك اسباب اخرى غير هذه الاسباب الجوهرية لا يدخل في موضوعنا اليوم التبسط فيها.

ندب وانتداب

على اثر « دموع الشاعر » تأتي مقالة « ندب وانتداب » التي تمت ببعض الصلة الى ما تقدم من المقالات المنتقدة ، وقد حشاها باحاديث سياسية لا جدوى من ذكرها في هذا المقام ، الا اننا نتوقف عند ما قاله من انه لا يشك في ان عقلية الافرنسي « في ما يجدّ له ويعده من خطير الامور هي في المحن كعقلية الالماني والانكليزي. فهو لا يبكي. واذا اعتدي عليه او حرم عزيز (كذا !) لديه يشمر عن ذراعه ويقاتل ليظفر بامله المنشود. اجل ان الفرنسي والانكليزي والالماني سواء من هذا القبيل ، اما نحن فنئن ونتأوه ونندب وننوح ثم ننام على ظهورنا مستسلمين مسترحمين :

حبيبي راح، يا من يرد لي حبيبي
حريتي راحت ، يا من يردها لي

1) اطلب مقدمة الالياذة العربية ، ص٧٤ وما بعدها .

استقلال بلادي راح يا من يرد لبلادي استقلاله »[1] (كذا)

تُرى اذا اعتدى معتدٍ على اللبناني او حُرم عزيزاً لديه الا يُقاتل وينتقم حتى انقطع الانتقام احياناً ؟

أوَ هـل يعتقدنا الريحاني على ما يتصوَّر من الذلّ والخنوع ؟ اذاً فليتصفح الجرائد يرَ ما يصدّه عن رأيه ذاك فيذعن للحقيقة ، اللهم ان اعتقد بوجود حقيقة الا في عقله واحكامه . بل انه يرى من خـلال جرائدنا ميلاً شديداً فينا الى اراقة الدم والانتقام يفسد عليه كل ما بناه في كتابه ، بل يعكس آياته من تطرّف الى تطرّف آخر .[2]

يبقى ان نقول كلمة في الوصايا التي يرفعها الى الشعراء : « عشر وصايا للشعراء » و « خمس عشرة وصية اخرى للشعراء » ، وفي حديثه مع « ربة الشعر» وما قاله فيما يخص «الشاعر والوطن» ، « والشاعر والفيلسوف» ، و«الالم الشخصي والقومي » .

اما وصاياه فقد تعمد الفكاهة في العشر الاولى منها كمثل قوله :

« انا هو القاموس الهك لا اله لك غيري .

« اكرم سيبويه ونفطويه والكسائي واخوانهم اجمعين .

« لا تحلف باسم ليلى بالباطل .

« لا تبكِ . . . »[3] وما اليها .

---

١) « انتم الشعراء » ص ٧٧ – ٧٨

٢) هذا عدد واحد من احدى الجرائد البيروتية طالعته عرضاً ، يوم قرأتُ هذا الفصل للريحاني ، في ١٧ تشرين الثاني ١٩٣٣ ، ولا ازال ارى خلاصة اخباره معلقة على الصفحة ٧٧ من كتاب الريحاني بين يدي ، وفيها :

١ً خبر والدٍ يذهب ضحية جمال ابنته .

٢ً حكاية اخ يصرع شقيقه من اجل نصف ليرة سورية .

٣ً امرأتان تتقاتلان فتتجارحان لاسباب تافهة .

فهل هذا مصداق للقول اننا نجود دائماً بالبكاء . نحن لا نطرئ هذه الطريقة في تحصيل الحقوق . انما نورد الواقع ، ولعله في اخبار الجرائد اليومية اقرب الى الحقيقة منه في خيال الريحاني !

٣) انتم الشعراء ، ص ٩

ونترك للقارئ امر الحكم في نكاهتها !

اما الخمس عشرة وصية الاخرى التي وردت في آخر الكتاب فهي جدية حسنة على الاجمال لا عيب فيها غير انها قيلت الف مرة ومرة قبل الريحاني. والجديد منها — وهو القليل — سخيف تافه كمثل هذه :

« وقبل كل شيء وبعد كل شيء. كفكفوا دموعكم — كفكفوا دموعكم فالشمس لا تزال لكم ، والقمر لا يزال رفيقكم ، والربيع لا يخونكم»[1].

اما مناجاته لربة الشعر فهي من نوع ما يكتب ويقرأ للتسلية ، فليس فيها ما يجدر بالذكر.

الا ان حديث ربة الشعر للريحاني مشبوه به واعتقد ان اديبنا خاطب واحدة من وصائف ربة الشعر متجددة في الخدمة لا تفهم عن ربتها تمام الفهم ولا يمكنها افهام ما فهمته منها. فجاء حديثها للامين على نقص ظاهر بين.

الشاعر والوطن

ولننتقل الان الى القسم الاخير من الكتاب حيث وضع المؤلف المقالات الثلاث: «الشاعر والوطن» ، «الشاعر والفيلسوف» ، « الالم الشخصي والقومي».

فالشاعر والوطن ، رغم ما يوحيه هذا العنوان من المعاني والابحاث النافعة ، اشبه بصفحة من مذكرات اديب منها بمقالة يُراعى فيها البحث والتمحيص والانتقاد المعقول. وهي ، ان رجحت في عيون قارئيها ، تعتبر كمقدمة صغيرة لها جميع صفات المقدمات من المحاباة والقول المالق الجاري مع جري القلم دون تفكير ولا تنسيق.

اما ما تبع هذه المقالة « كالشاعر والفيلسوف » و «الالم الشخصي والقومي» ففيها بعض ما نتوقعه من الريحاني. الا ان ما ادخله عليها من السياسة المحلية افسد غايتها وباتت حسناتها القليلة غرقى في بحر من السخافات.

... وعلى كل ان في عناوين هذه المقالات اكثر مما في مادتها ، فالعنوان منها في واد وهي في واد...

* * *

(١) انتم الشعراء ، ص ٩٢

الانشاء

قد يكون انشاء الكتب من النوع الذي يُطلق عليه ارباب الادب والنقد اسم السهل البسيط ، وهو الذي يستعمله معظم الصحافيين في يومنا . على ان الريحاني يشوّه هذه البساطة احياناً بما يتعمده من السجع المضحك ، وبما يكثر فيه من الحشو وتكرار الكلمة الواحدة في مواقع عديدة ، كما يتراءى ذلك من النتف المذكورة في انتقادنا . . . وكثيراً ما نعثر باغلاط نحوية واملائية تدلّ على ان الريحاني يتساهل كثيراً وقواعد النحو واللغة . فان صحّ ان الانشاء هو الرجل ، فيجب على الريحاني ان يكون متساهلاً وديماً . . . ولكننا نراه على جانب عظيم من القوة والشدة فهو لا يبكي ويطلب من مواطنيه ان لا يبكوا . . . فيا لاجتماع النقيضين ! ! !

ثم ان من يُمعن النظر قليلاً في طريقة المؤلف ولهجته يتحقق انه من ارباب الاعلان ومحبي الطنطنة ، كأنه من اولئك التجار الذين يبذلون جهداً كبيراً في نشر الدعاية لبضاعتهم وعرضها على الناس على الوجه الامثل . فاذا رأيت مثلاً تحت هذا العنوان: «الشاعر والوطن» وهذا: «الالم الشخصي والقومي» وغيرهما ؟

والريحاني ثرثار في ادبه . خذ المقالة الطويلة من مقالاته واقرأها وتفهم ما حوته سطورها ثم عد واحصرها في مفكرة لك فهل تشغل فيها الخمسة الاسطر . وقد تنجلي لنا هذه المزية في وصاياه الـ ٢٥ التي تعود كلها الى وصيتين او ثلاث ، وفي المراجعات التي نلمسها في كل مقالة من مقالاته .

والريحاني كثير النظريات قليل الاثبات . لا تكاد تخلو صفحة من صفحات كتابه من نظرية او اثنتين ، وقلما تجد في المؤلف اجمع برهاناً او حجة او استشهاداً للاثبات .

وان في ادب الريحاني ميزة خاصة هي : اجتناب كل ما هو صعب متعب : ان ايجاد البراهين لشيء صعب مؤلم ، فلا كانت البراهين ! ان الاستشهاد باقوال هذا الشاعر وذاك من شعرائنا الباكين المزعومين يتطلب قراءة دواوين وقصائد عديدة وكل هذا متعب صعب ، فسلام على الاستشهادات والف سلام . وصعب ايضاً ان يتذكر ما قاله في ابتداء حديثه لكي لا يناقض نفسه فيما سيقول ، فيا

ما احيلى التناقض عند التعب ! ويظهر هذا التساهل التام باتم مظاهره في انشائه الذي سبق الكلام عنه . ورأى ان تعليل هفوات الشعراء ونقائصهم صعب متعب فاقلع عن تعليلها واكتفى بالذكر ، وهيهات ان يكفي الذكر .

واليك مظهراً جديداً من عقلية الريحاني : انه يسير بالوهم وينطلق فيه انطلاق غيره في الحقيقة . فمن قوله : « في هذه البلاد الشرقية كثير من القلوب اللينة . . . » الى قوله : « اننا اكثر بكاء واشد انتحاباً من جميع الشعوب . . . » الى غيرهما من اقواله نراه يخبط في الوهم خبط عشواء .

ومن مجالي هذا المظهر الجديد الذي لمسناه في عقليته انه يتكلم عن اداب الافرنج وعن اداب الافرنسيس خاصة كعارف خبير ، وهو على ما يظهر اقل الناس علماً بها . ويثبت ذلك قوله : «لا اظنك تجد من الدموع في شعر الامم الاوربية كلها مقدار نصف ما عندنا في الشعر العربي ولا اظنني مبالغاً» . وقد اظهرنا العكس . وقوله : «الشعراء الكبار كالمعري وهينه ودهموسه قاسوا من الام الحياة وانواعها ولكنهم لم يبكوا . لا لم يذرفوا الدموع» وقد اثبتنا العكس كذلك .

اجل نحن الشعراء !

هذا ومما يزيد مصيبتنا « بانتم الشعراء » انه سبب لنا مؤلفاً آخر قام بتأليفه ثلاثة وسموه باسم «اجل نحن الشعراء ! » وهو اسم معنوي ؛ دليل على ماهية الكتاب ، كما سترى مما سنذكره في هذا الصدد .

« اجل نحن الشعراء » كتيب لا يزيد حجماً عن « انتم الشعراء » الا سنتيمتراً واحداً في الطول . اما العرض فهو هو في المؤلفين . قد وقع في ١٣٠ صفحة منثرة من اسفل ، كما في « انتم الشعراء » . طبع في مطبعة « خليفة اخوان » في بيروت ، على ورق صقيل لا يختلف البتة عن ورق « انتم الشعراء » وباحرف هي الاحرف نفسها التي طُبع بها كتاب الريحاني وقد غُلف بورق يشابه بطبيعته غلاف « انتم الشعراء » .

اما ماهية هذا المؤلف الصغير من حيث الادب فهو معارضة — لها جميع صفات المعارضات — لكتاب الريحاني المذكور .

نعم ان « اجل نحن الشعراء » لمعارضة « انتم الشعراء » . عارضه بالطول والعرض ، والحرف ، والورق ، ونوع الطبع .

« واجل نحن الشعراء » يعارض « انتم الشعراء » باسمه ، وهذا واضح لا حاجة للتوقف عنده ، خاصة عندما نعلم ان « اجل » قد طبعت بالحرف الرفيع و « نحن الشعراء » بالحرف الغليظ العريض . وهو معارضة « لانتم الشعراء » بترتيب مقالاته وبمحتوياته ، والبرهان واضح لمن يطالع الكتابين ، وان مطالعة سطحية . واننا مظهرون هذه المعارضة فيما يلي ، مردفون ببحث سريع عن اسلوب النقد المتبع في كتاب « المثلث الشعري » .

لقد جاء في فهرست « انتم الشعراء » ما ذكرناه آنفاً من عناوين المقالات . وها نحن نذكر الان ما جاء في فهرست « اجل نحن الشعراء » من العناوين : قاوب تذوب — داء البكاء — عشر وصايا للشعراء والفلاسفة (و« الفلاسفة » زيادة من عنديات المثلث) — ربة الشعر — الشاعر والوطن — الشاعر والفيلسوف — الالم الشخصي والقومي — الدموع — دموع الشاعر — ندب وانتداب .

ويرى القارئ ان لا فرق بين عناوين كتاب « المثلث » وعناوين كتاب الريحاني ، كما ان لا فرق في ترتيب هذه العناوين . اما مزيدات « المثلث » فهي القسم القليل من الكتاب ، وهي الواردة تحت هذه العناوين : مقدمة نحن الشعراء — الناقد — تحديد الادب — الادب الباكي لا بل الادب الحساس — نواحي الشعر الاربع — وهذه : نصائح للاستاذ الريحاني .

اما القسم الاول الذي ذكرناه قائلين انه معارضة « لانتم الشعراء » فقد جاء على وتيرة واحدة . ولهذا فاننا نخصّ له في نقدنا قسماً واحداً واما ما جاء تحت العناوين الجديدة — وهو القليل كما قلنا — فله ميزة تفرقه عن القسم الاول . وهذه الميزة هي انه لا يمكن عدّه معارضة « لانتم الشعراء » ، وهو قسم سنتناوله بالنقد على حدة مبتدئين به منتهين بالقسم الثاني .

يفتتح « المثلث » مقدمة الكتاب بكلمة تأوه على هبوط رجالات الادب العربي في الشرق من مكانتهم الرفيعة الى دركات « كانوا في غنى عنها »

ويخص بالذكر الريحاني . وقد ذكر محاولات الاستاذ ونياته في كتاب « انتم الشعراء » قائلاً : « انه تحرّى ان يذرّ على العيون الرماد » [1] « وتجريد نفسه من نزوات الجريح المهشم » . وقد اتهمه « المثلث » في سياق ذلك بالغش والخداع ، وزيّف عليه وطنيته قائلاً انها تدرّ عليه « موارد مادية فائضة » [2] . وقد قال ان محور الكلام في كتاب الريحاني « النيل من شخصية في لبنان محترمة صاحب الاغنية المعروفة « الهوى والشباب » [3] خاصة والحط من منزلة الشعراء والادباء عامة ... وقد انذر « المثلث » الريحاني « بافول نجمه » [4] . ويذكر « المثلث » بهذه الاثناء برنامج اعماله مما سيطالعه الاديب في كتابه ، ومما سيلمس فيه من الذود عن ادباء الشرق وشعرائه . وقد عاد « المثلث » وقال ان سكوته عن الريحاني وكتابه جريمة ، وزاد ان المطالع يتعثر في هذا الكتاب بكلام بذيء جارح واغلاط نحوية بيانية يضرب صفحاً عنها ، وهو يذكر قبل الانتهاء معايب « انتم الشعراء » ...

صفات هذه المقدمة عدم الترتيب قبل كل شيء ، فالمؤلفون يعلنون برنامجهم وغايتهم من كتابهم في اثناء الحديث عن الريحاني ، وهكذا يتراءى لنا هذا الحديث مبتوراً . ثم هناك ملاحظات لا فائدة منها كالتنبؤ بافول نجم الريحاني ...

وما ان ينجز « المثلث » مقدمته هذه الا وينطلق في بحث عن « الناقد » ذاكراً في الابتداء كلاماً لسنت بوف — دون الاشارة طبعاً الى مصدره — ومقطعاً « لصديق اديب في البرق » — ولا اشارة هناك لعدد البرق المذكور — جاء فيه تحديد للادب ، وكلام منقول عن « امرسون » في الادب — دون الاشارة الى مصدره كذلك — ويعلق عليه ما صحّ له من الاقوال والاحاديث .

وقد جاء على إثر ذلك مقال في « الادب الباكي » فوعدنا « المثلث » « بتحليل » [4] هذا الادب وانطلق ناسياً وعوده ، عابثاً بحرمتها ، مقاماً عن

---

١) اجل نحن الشعراء ، ص ٢
٢) اجل نحن الشعراء ، ص ٣
٣) اجل نحن الشعراء ، ص ٤
٤) اجل نحن الشعراء ، ص ١٢

التحليل الذي يتطلب تعباً وعناء وقوة عقلية . . . الى ايراد ابيات منها ما يعود الى مراثي الاخطل الصغير ومنها ما يعود الى شعر امين نخله من ذاك « الشعر الاخضر العابق بالافراخ والنسمات والذي ملأ برديته الوان وشعور وحياة »[1] كما قال بادلاً تحليل « الشعر الباكي » بشواهد من « الشعر الضاحك » كأن لا فرق عنده يذكر بين التحليل والاستشهاد .

وما ان فرغ من كلامه في « الناقد » حتى انتقل الى كلام له في « نواحي الشعر الاربع » الحس ، الخيال المقيد بالعقل ، قوة التصوير ، واخيراً التعبير . فشحنها بمعروفات عامة منها الصالح ومنها السخيف وكان الاولى به ان يستبدل بها تحديدات موجزة تامة تفهم المطالع ماهية كل ناحية من نواحي الشعر المذكورة .

هـذا فضلاً عن انه فصل قوة التصوير عن الخيال وهي نتيجة من نتائج الخيال ؛ فالخيال الحاد ينتقل بصاحبه الى عوالم خفية حيث المحاسن والجمال وحيث يعتقد المنتقل نفسه انه في عالم الحقيقة لقوة خياله الذى يريه الاشياء الغائبة كما لو كانت موجودة يرمقها بعينيه . وما يثبت ان قوة التصوير هي نتيجة من نتائج الخيال ما نراه من ان تصوير المرء للاشياء او تصوره لها يكون قوياً جلياً عندما يكون خياله قوياً حاداً ، ففكتور هيجو مثلاً ان تصور شيئاً فهو يتصوره بقوة تامة . تأمل كيف تصور معركة وترلو ؟ واحيا اسطاها ؟ وكيف تصور الراقصة الاسبانية تتنقل من سطح الى سطح ومن آجر الى آجر ؟ ذاك لان هيجو كان حاد الخيال واسعه .

ونحن نضرب صفحاً عما جاء في النصائح التي خصها «المثلث» بالامام الريحاني .

وقبل الانتقال الى القسم الثاني من النقد ، اي الى القسم الذي يعارض فيه « المثلث » كتاب « اتم الشعراء » ، يجب ان يعلم القارئ ان كل ما انتقد الى الان ، اي القسم الذي يخرج عن المعارضة ، جاء في ما لا يزيد عن العشرين صفحة وما يبقى من الـ ١٣٠ صفحة فمعارضة تامة .

فاجتناباً للملل واعفاء للقراء من عبء ثقيل ، نقتصر في القسم المعارض

---

١) احل نحن الشعراء ، ص ١٤

الذي يتشابه في جميع اقسامه ، على عرض اسلوب النقدة ونقده حيث يستلزم النقد .

ولا نتعرض لكل مقالة بمفردها مختصرين ملخصين كما صنعنا في نقد كتاب الريحاني لان « اجل نحن الشعراء » ، وخاصة في القسم الثاني ، لا فكر فيه يستدعي النقد ، وانما هو في مجمله فكاهات ونكات تتبرأ خفة الروح من اكثرها .

ونحن ان توقفنا عند هذا المؤلف الصغير فلأن اسلوب النقد الغث الذي وصفناه في مقال سبق نشره في المشرق [1] متجسم فيه وظاهر بكل صفاته ومميزاته .

فضلاً عن الشتائم والسباب التي ذكرنا شيئاً منها في مقالنا « اعاجيب النقد الحديث» ، وفضلاً عن الادعاء والغرور والاعلان التي اقصحنا عنها ، نرى في « اجل نحن الشعراء » كيف ان نقدة اليوم يعرضون انتقاداتهم .

فهي تعرض جميعها على هذا النمط : انهم يذكرون مقطعاً من المقال المنتقَد ويعارضونه بمقطع آخر شاحنينه بالتهكم المستهجن،او انهم يعلقون عليه ملاحظة نافهة . وهاك مثلاً على ذلك :

لقد جاء في كلام للريحاني صادر عن ربة الشعر [2] : « ولكنهم في شرقك العربي مسخوا اسمي وشخصي فأسموني شيطاناً وحملوني دناً فارغاً طيب الرائحة ومصباحاً دخانه اكثر من نوره وقالوا للشعراء : اتبعوا شيطانكم فتبعوه الى دور الامراء والى المقابر مديح ورثا ورثاء ومديح . . . »

وكل ما يقوله النقّاد تعليقاً على ذلك : « رويدك ايها الريحاني ، رويدك ايها القابض على زمام الحكم في الشريعتين الادبية والفلسفية رويدك ولا تنزل صواعق غضبك على الشعر والشعراء ! » [3]

وهم ان قرأوا للريحاني مثل هذا المقطع : « ربة الشعر عدلي فينا . ربة

١) المشرق (٣١ [١٩٣٣] ٩٢٢)
٢) انتم الشعراء ، ص ١٢
٣) اجل نحن الشعراء ، ص ٢١

الشعر انصفينا . » وهذا : « اسمع وع ان عندكم لكل وتر من اوتار الوحي شاعراً يفوق جميع الشعراء . عندكم المتنبي في فخامة القول والحماسة والمعري في حرية الفكر والحكمة . . . اما الافرنج فانك لتجد كل هؤلاء في شاعر واحد كبير من شعرائهم . . . »[1] يعلقون عليه : « لماذا كل هذا الاضطهاد الاعمى يا ابن الفريكة ؟ وعلامَ هذه الثورة على الشعر والشعراء ؟ ألانهم ملأوا خزائن الادب بمؤلفاتهم الضخمة التي اخذت عنها فلسفتك وحكمتك وادبك ؟ »[2] .

يقولون ان هذا اضطهاداً — وهو في الواقع اضطهاد — ولكن ليظهرون للملأ ان الريحاني في قوله هذا اضطهد الشعراء ؟ ايقولون لماذا ؟ لا فتزعتهم نزعة الامام : التأكيد عندهم يغني عن الاثبات وهو حجة . . . وبرهان . . فهم كالامام الريحاني انصاف آلهة . . . هم الحق او منبثقون من الحق .

وما جاء على غير هذا النمط في انتقاداتهم فهو على هذا :

« . . . يا فيلسوفنا ما كان اغنانا عن كتيبك « انتم الشعراء » وما كان اغناك عن هذه الناحية من النقد تتخذها عوناً لاظهار الحق الموهوم بحجج ضعيفة وبراهين سخيفة فتنقلب على مقامك الادبي المعروف انقلاباً محزناً مؤسفاً »[3] .

ونحن نقرأ « اجل نحن الشعراء » من أوله الى يائه ولا نرى مقطعاً واحداً يظهر فيه اصحابه « حجج الريحاني الضعيفة » « وبراهينه السخيفة » ، على كونها كثيرة .

فيتضح ان هؤلاء النقدة يرون بعض ما يجب ان يرى في المقال او الكتاب المنتقَد ، ولا يعرفون كيف يظهرونه للادباء . ويخيل الي بهم ، ان رأوا السخافة والركاكة وضعف البراهين ، يعتقدون ان غيرهم رآها مثلهم فلا حاجة للاشارة اليها واظهارها .

ومن اعاجيب هذا النقد الحديث ان الناقد يهاجم منتقده كمبارز . وكما ان المبارز يوجه طعناته الى صدر عدوه للتشفي والانتقام ليس غير ، فعلى الناقد اليوم ، ذي الاسلوب المستحدث ، ان يوجه كلامه للمنقود مباشرةً وقصده جل

١) انتم الشعراء ، ص ١٢–١٤

٢) اجل نحن الشعراء ، ص ٣٦ و٣٧

٣) اجل نحن الشعراء ص ٢٤

قصده ادماء قلبه وجرحه بشهرته وسمعته. واننا ذاكرون مقطعاً من « اجل نحن الشعراء » للاستشهاد . ففي مقالهم « ربة الشعر » مثلاً نسمعهم يردّدون بين الفترة والاخرى :

« رويدك ايها الريحاني ، رويدك ايها القابض على . . .

« ألم تقع عينك يا استاذ الا على . . .

« الم تعِ ذاكرتك الواسعة سوى . . . يا استاذنا الكريم . . . لقد اخطأت المرمى هذه المرّة ، يا سيدنا . . . انت تريد ان تحرق الشاعر الذي . . . تريد تقول . . . يافيلسوفنا ! ما كان اغنانا عن . . . يا سيد، انه لا يزال لك في قلوبنا . . . لماذا كان هذا الاضطهاد الاعمى يا ابن الفريكة ؟ وعلامَ هذه الثورة على الشعر والشعراء . . . لماذا ؟ . . . القِ المعول عن كتفك . . . فاسمح لنا اذاً ان نقول لك . . . بربك من اين تولد كل هذا . . . انك قمت تدعو الى . . . خذ لك هذه القنبلة . . . »

وهنا تنفجر قنبلة « المثلث الشعري » فاعوذ بالله !

وما ان تنفجر القنبلة ويسود الهدوء الا ويعيد « المثلث » كرّاته الاولى قائلاً : « اجل لقد كان الاولى بك يا سيد عندنا . . . فاسمع يا رعاك الله . . . » ثم يصبح المنتقَد عليه « ذا وجهين ولسانين » . . .[1]

***

هذا ما يتقنه نقادنا من فنون النقد الادبي ، من الريحاني الى اصحاب « اجل نحن الشعراء » . ويجب الا ننسى ان الريحاني مبتدع هذا الاسلوب ، ومبتكر هذه الطريقة . وكأنّ الله اراد ان يعاقبه من حيث اخطأ فرماه بمن يغربله بغرباله ، فكان ضحية طريقته . ومن الظلم ان نطلب من جمهرة هؤلاء النقّاد فوق ذلك ، فهو يخرج عن مقدورهم ، بل يخرج عن اسلوب « النقد الحديث » هنأهم به الله! وحياهم ! وبيّاهم !

---

١) اجل نحن الشعراء ص ٢١ الى ٤٥ .

المطران جرمانوس فرحات

١٦٧٠ – ١٧٣٢

(عن رسم قديم)

جرمانوس فرحات

العامل في خدمة النفوس

بقلم الاب توتل اليسوعي

توطئة

في السنة السابعة من « المشرق » نشر المرحوم الاب جرجس منش مقالاً ممتعاً عنوانه « المستطرفات في حياة السيد جرمانوس فرحات »[1] تكلم فيه عن أسرة المترجم ، ومولده في الشهباء في ٢٠ تشرين الثاني ١٦٧٠ ، ومجيئه الى لبنان ، ودخوله الرهبانية سنة ١٦٩٤ ودروسه ، ورئاسته ، واسفاره ، وسيامته رئيس اساقفة حلب في ٢٩ تموز ١٧٢٥ .

وافرد الكاتب فصلاً خاصاً للمؤلف ختمه بلائحة آثاره فاذا فيها ٣٧ كتاباً من المبتكرات ، و٣٩ من المصححات ، و١٢ من المعربات ، و١٦ من المختصرات . ولعلّ هناك غيرها .

وانا ، بمناسبة اعياد يوبيل المئة الثانية لوفاة المطران جرمانوس فرحات التي أقيمت في حلب في ٢٠ ايار ١٩٣٤ وتبارى فيها الخطباء والشعراء ، رأينا ان ننظر في ناحية من نواحي مؤلفاته الممثلة فيها فضائل العامل الرسولي وتعاليمه .

***

للعامل الرسولي في كرم الرب مزيّتان جوهريتان او مهمتان عظيمتان لا بدّ منهما ليحسن القيام بواجبه الالهي ، وهو الوسيط بين الله والشعب . عليه اولاً بالصلوة ليكلم الله عن الشعب ، وعليه ثانياً بالوعظ ليكلم الشعب عن الله . والدليل على ذلك قول الرسول : « اننا نواظب على الصلاة وخدمة الكلمة » (اعمال ٦ : ٤) فالعامل الرسولي ، خادم الكلمة ، اشبه بالملاك الذي رآه يعقوب

---

١) المشرق ٧ [١٩٠٤] ٤٦، ١٠٥، ٢١٠، ٢٥٤

بالحلم صاعداً منحدراً على السلم السرية التي تربط الارض بالسماء ، وذلك بصلواته التي يستنزل بها النعم من السماء على الارض ، وبمواعظه التي يرفع بها القلوب من الارض الى السماء ويهدي المؤمنين طريق الخلاص.

ذكر صاحب « المستطرفات » ولعَ المطران جرمانوس بالصلاة ، وقد جُبل قلبه بالتقى منذ صباه ، ثم سافر من حلب الى لبنان ، فكان يقضي الساعات الطوال بمناجاة ربه ويرقى بمناظر الجبال والمحاسن الطبيعية الى التأمل بصفات الله تعالى ، فيتحدث عنها وعن قديسيه ويتغنى بها في قصائده الصادرة عن فؤاد مشغف بحب الباري .

من يستطيع الكشف عن اسرار النفس في مناجاة ربها ومن اين لنا في كلامنا على صلاة فرحات ان نكشف عن اسرارها ؟

لدينا ما وضعه من المؤلفات الروحية ، فعليها نعوّل في معرفة شخصيته الروحية . ولدينا تعاليمه في الصلاة : فمنها نطلع على احوال نفسه وبها نهتدي الى تتبع تأثيره في غيره.

لما دخل فرحات الدير في الجبل وجد كتباً روحية كثيرة منسوبة للآباء القديسين الشرقيين ، فاعمل في بعضها قلمه ملخصاً او مفسراً او مقتبساً منها ما رآه نافعاً لنفسه ولغيره . هي نسكيات باسيليوس ، ومياسر الآباء القديسين ، والسنكسار ، وبستان الرهبان ، وغير ذلك مما يغذي به الرهبان نفوسهم . على ان فرحات اطلع ايضاً على كتب المؤلفين الغربيين وعنهم اخذ لذاته ولرهبانيته. فظهر تأثير التعاليم الغربية في تثقيف فرحات الروحي بكونه استفاد من مطالعاته الشرقية والغربية مواد عديدة تمثلها ، ثم اقبل على الكتابة والكلام.

وقد اخترنا من مؤلفاته اربعة : اثنين مطبوعين ، وهما كتاب « الرياضة الروحية » ، وكتاب « فصل الخطاب » في الوعظ ، واثنين لم يطبعا بعد ، وهما « رسوم الكمال » وتفسير المزمور « ارحمني يا الله » . فلمسنا فيها الى جنب تأثر فرحات بكتب الغرب تأثيره في الحركة الفكرية الدينية في الشرق

لا يفوتنا ان قيمة الابتكار ضعيفة في هذه المؤلفات . فكتاب الرياضة انما هو رؤوس اقلام اخذاً عن كتاب رياضات القديس اغناطيوس ، مؤسس

الرهبنة اليسوعية . وكتاب تفسير « ارحمني يا الله » معرَّب عن الاب ايرونيموس الدومينيكي . وليس كتاب رسوم الكمال الا خلاصة مختصرة جداً لكتاب الكمال المسيحي لرودريكس اليسوعي . اما كتاب الوعظ فتأثير السلف فيه بيّن ، لان الموضوع شائع في عالم الاكليروس منذ القدم ، وقد سبقه كثير من الكتب اخذ عنها فرحات في تأليف كتاب فصل الخطاب.

على ان مزية الابتكار ليست مفقودة تماماً من تلك المؤلفات ، ونسبة المواد الى مؤلفها الاصيل لا تمحو فضل مترجمها وهو الذي اختار الكتاب دون سواه لتقديره اياه ، واعمل فيه رويته ، فادّى معانيه باسلوبه الشخصي ولغته ، فالبسه ثوباً من عندياته ، وابرزه ملوناً بالوان مخيلته ، مطيباً بعطر شاعريته ، مهندماً بهندام الاسلوب التعليمي الذي الفه في درس وتدريس الصرف والنحو والادب.

فاصطبغت من ثم هذه المؤلفات ، وغيرها من مؤلفات فرحات ، بصبغة نالت من عبقريته واسلوبه النحوي ميزةً خاصة أقلّ ما يقال ثناء عليها انها عبّرت عن روحيات الدين المسيحي بلغة لم يألفها السلف وعلمتها الخلف . ومن صفاتها الوضوح ، وضبط المعاني باللفظ العربي الفصيح المأنوس يفهمه الكبير والصغير ، وذلك بتراكيب متينة تشبع العقل اذا ما ساغ فحوى الكلام . فما ان تقرأ صفحة من كتب فرحات الروحية حتى تتحقق فيها طعمة الجديد المستحدث ، كأنها خرجت من قلم احد الكتبة المجيدين محرّري المجلات التقوية في عصرنا ، عصر النهضة .

كتاب الرياضة الروحية

هو كتيب طبعه لاول مرة الخوري بطرس حبيقه في المطبعة الشرقية في الحدث سنة ١٩٠٤ بقطع ١٦ صغير و٩٨ صفحة.

ليس من شأننا ان نعرّف القرّاء برياضة القديس اغناطيوس ، وحسبنا القول ان كلها موجودة في كتاب جرمانوس فرحات: باسابيعها او اقسامها الاربعة، وتعليقاتها وسائر ما صُدّرت به وذُيّلت به مساعدةً للمرشد وللمتروض . وان

معالجة المواد في رياضة فرحات تُظهر عقلًا ثاقباً وقلباً مضطرماً بنار المحبة والغيرة.

قد كثرت في ايامنا كتب التأملات الروحية مع ازدهار المطابع ، وكثر والحمد لله ، عدد الوعاظ والمرشدين ، المقتدرين المنورين ، فلاحت من ثم على كتاب فرحات خطط الهرم وفات اوانه او كاد ، ومع ذلك ففيه الجدد والعتق التي يخرجها من كنزه الحكيم وهي حرية بان تتناولها ايدي المؤمنين وعلى الاخص ايدي الاكليروس . وليس ظهور غيرها من المؤلفات الروحية لينسينا فضل واضعها منذ نيّف ومئتي سنة ، وقد كانت له الايادي البيضاء في تعميم ممارستها بين الرهبان وبواسطتهم بين الشعب.

يتبع المطران جرمانوس القديس اغناطيوس في اكثر خطواته . وربما ابتعد عنه في مواضع بعدها اختصاصيو الرياضة جوهرية بالنسبة لاهميتها في سياق الرياضة.

حدّد القديس اغناطيوس الرياضة واستعار التشبيه ، تعبيرًا عن فكرته فيها ، من حياة الجندي في السير ومحاربة العدو ، دالًا بذلك على ما يريده من المتروض وهو ان يتجند في خدمة الرب.

اما فرحات فيحدّد الرياضة باستعارات دالة على الهدوء والعزلة في حياة الانفراد فهي في تعبيره « بيت لحم طالب الكمال » . وبينا نرى الرياضة في نظر القديس اغناطيوس لا تحث المتروّض مباشرة وبادئ ذي بدء على الكمال ولكن على ازالة الموانع التي تحول دونه ودون معرفة ارادة الله وبلوغ الكمال، نرى فرحات يحث المتروّض حالًا على الجد في سبيل الكمال ، كانه يعوّض بذلك التسرع عما حدث في حياته الروحية ، اذ انه حال دخوله الرهبانية اتخذ الكمال هدفاً لجهوده ، وكان منذ زمان بعيد قد قطع مراحل المبتدئين التي نوّه بها القديس اغناطيوس ، او اجتازها طفرًا ولم يختبر ما اختبره مؤسس الرهبانية اليسوعية من المصاعب والعقبات في تحوله من حياة الجندية في العالم الى حياة التجند في خدمة النفوس.

متى الف فرحات الرياضة الروحية ؟

ان صيغتها الواضحة البنيان ومواداها الغزيرة تدل على عقل مختمر ومعرفة

بالروحيات لا يحصل عليها الا من قضوا السنين العديدة في الحياة النسكية ومارسوا الرياضة لا مرّة ولكن مرّات.

وان ما نعرفه عن البيئة الصالحة التي نشأ فيها فرحات في حلب، وعن حياة الاخويات فيها، يرجح في نظرنا كون فرحات تعرّف الى رياضة القديس اغناطيوس وهو شاب في اخوية. الموارنة في بلدته. ليس بين يدينا تعليمات على حياة الاخوية ايام شباب فرحات، ولكن نعرف، من مخطوط محفوظ في المكتبة الشرقية عنوانه « اعمال اخوية العزبان الارمن في حلب » وصفه الاب شيخو في مخطوطاته في عدد (٣٩)، ان الاخويات في ذلك العهد كانت ناجحة في كل الطوائف، وكان الشبان يعكفون على ممارسة الرياضات، ومن ثمّ كان بعضهم يترك حلب ويسافر الى لبنان للدخول في الرهبانية. فكان فرحات من هؤلاء الشبان فتروّض واتخذ الرياضة من بعد آلة للجد في سبيل الكمال، كما اعرب عن ذلك في اول كتابه.

جاء في تاريخ الرهبانية اللبنانية للاب بليبل (١ : ٣٠) انه في سنة ١٦٩٩ دبّ الخلاف بين عمدة الرهبان المؤسسين. وذلك ان بعضهم كان يتردد على دير الآباء اليسوعيين في طرابلس، فيتشرب روحهم ويعود الى الدير في الجبل طالباً ان يتخذ الرهبان اللبنانيون غاية الرهبانية اليسوعية غايةً لهم، وذلك بان يقرنوا بين الاعمال الرسولية كالتبشير والتعليم وبين حياة النسك. وكان غيرهم يرفض هذا الطلب، فانقسموا رأياً. وملّ فرحات ذلك الخلاف وابتعد عن اخوته مدة زهاء خمس سنوات. ولم يخبرنا الراوي هل كان الاب جبرائيل فرحات ممن كانوا يريدون اتخاذ الرهبانية اليسوعية مثالاً لهم ام لا. لكننا لا نخطئ الظن في القول ان ميل فرحات الى حياة العزلة اقوى منه الى حياة الاحتكاك في العالم، وان يكن عند سنوح الفرصة قد خرج من الدير إما للتعليم، او للوعظ، او للتجوّل في سبيل مصالح الرهبانية. ولولا حب العزلة والانفراد لما كان استطاع ان يسطر ما سطره، ويؤلف ما الفه من الكتب العديدة في حياة لم تتجاوز الاثنين والستين عاماً، ونسق الرياضة كما قلنا يؤيد هذا الزعم.

كتاب رسوم الكمال

لدينا منه نسخات ثلاث مخطوطة . ليس الكتاب طويلاً ، وقد يسمى ايضاً « مختصر الكمال » يُقرأ في اوله بعد البسملة المسيحية : « هذه رسالة مختصرة عدد فصولها عشرون ، وضعها جبرائيل فرحات الحلبي رئيس اللبنانيين العام وهي بمنزلة الايضاح لرسوم الكمال ، وسماها مختصر الكمال المسيحي ».

من المعروف ان كتاب رودريكس مطبوع بثلاثة مجلدات ضخمة وعنوانه كتاب الكمال المسيحي ، فان يكن اقتبس عنه الاب جبرائيل معربه ، فالامر طبيعي ، وعناوين فصول الرسوم موجودة كلها في كتاب رودريكس : محبة الله ، الكمال ، احوال المرشد ، فحص الضمير ، كشف الافكار ، التوبيخ الاخوي ، الاستعداد للتناول ، رصد العقل ، استحضار الله تعالى ، التقدمة اليومية ، الصلاة العقلية ، الرياضة ، ظروف الحدوث ، الصبر ، الادب والاحتشام ، اماتة الذات ، الاتضاع ، مطابقة الارادة ، حفظ الرسوم.

وللكتاب جزء ثانٍ وفيه بعد البسملة ما يلي :

« هذه رسوم عددها عشرون رسماً وضعها جبرائيل القس الحلبي رئيس الرهبان اللبنانيين العام بمنزلة قوانين تقتدي بها النساء المتعبدات وهن في العالم مزوجات وغير مزوجات ». واليك عناوين الفصول :

الطاعة ، الطهارة ، الفقر الاختياري ، اللبس ، السكنى ، المايدة ، العمل والسكوت ، الحضور الالهي ، الصلاة ، فحص الضمير ، الاعتراف ، تناول القربان المقدس ، المحبة ، الادب والاحتشام ، الصبر ، النسك ، اماتة الذات ، التواضع والوداعة ، المرض ، حفظ هذه الرسوم.

والكتاب مقسوم بنوداً بنوداً في كل فصل وفي كل جزء ، كما تقسم الكتب المدرسية لتسوغ مادتها ذاكرة التلاميذ . وقد تظهر فيها فكرية فرحات واسلوبه وهو الاستاذ النحوي ومعلم البيان . اليك في الفصل الرابع عشر من الجزء الاول : « في ظروف الحدوث » كيفية تعليمه استنباط المواد للتأمل ، نروي الفصل مثالاً ونصونه من الضياع بطبعه.

الفصل الرابع عشر

في ظروف الحدوث

قال داود النبي في المزمور المائة والثامن عشر

سبع مرات في النهار اسبحك على احكام عدلك

اعلم ان ظروف الحدوث سبعة وهي مَن وما واين والالة ولماذا ومتى وكيف.انه ليمكن لنا ان نوجه هذه المرات السبع التي ذكرها داود النبي نحو هذه الظروف السبعه التي يظهر بها احكام الله وتدابيره كلها لان بلفظة مَن يبان لنا فاعل حكمه وبلفظة ما يبان مفعول حكمه وبلفظة اين يبان مكان حكمه وبلفظة الالة المولد بماذا يبان واسطة حكمه وبلفظة لماذا يبان علة حكمه وبلفظة متى يبان زمان حكمه ولهذا اسميت هذه الكلمات ظروف الحدوث لانها حاوية كل ما يحدث في الكون من خير وشرور فضيله ورديله

مثال ذلك في خير الله معنا

من خلصنا ؟ – هو الله القادر على كل شيء غير المحتاج الى خلاصنا

ما الذي عمله معنا ؟ – خلصنا من ابدية جهنم

اين وضعنا ؟ – في ابدية السما الكامله سعادتنا

بماذا خلصنا ؟ – بتجسده واتضاعه

لماذا خلصنا ؟ – لنحبه ونخدمه ونعرف احسانه معنا

متى خلصنا ؟ – حين كنا خطاه اشقيا اعدا الله

كيف خلصنا ؟ – بالامه وصلبه وموته المملو عارا

في شر الانسان

من هو فاعل الشر ضد الله ؟ – هو انسان تراب ضعيف حقير

ما الذي فعله هذا الانسان ؟ – عصى الله خالقه المحسن اليه دايما

اين فعل الشر ؟ – امام الله فاحص القلوب والكلى بغير خوف ولا حيا

بماذا فعل الشر ؟ – بارادته المعوجه المنحرفه عن الطبيعه

لماذا فعل الشر ؟ – ليكرم ذاته ويحقر خالقه ليحب نفسه ويبغض الله الذى احبه دايما وبذل نفسه عن خلاصه

متى فعل الشر ؟ – حين افاض عليه مواهبه وانعامه بواسطة الايمان الكاثوليكى الرومانى واعطاه اسباب الخلاص بيد المرشدين

كيف فعل الشر ؟ – خالف وصايا الله مخلصه وجدف على ربه قايلا مع فرعون المنافق من هو الرب حتى اطيع صوته فانى لا اعرفه

في الخطية

من هو فاعل الخطيه ؟ – هو الانسان الذى هو تراب ورماد بالنظر الى الملايكه

ما هي الخطيه ؟ – هى شر يضاد الله ويصادمه

اين وجود الخطيه ؟ – وجوده اولا في الانسان المخلوق على صورته ومثاله ووجودها ثانيا في العالم الباطل مقر الشر والزوال

بماذا توجد الخطيه ؟ – توجد بواسطة الجسد الشقي والعالم الباطل والشيطان العدو المشاكس

لماذا كانت الخطيه ؟ – لتتم هوانا وارادتنا الباطله

متى كانت الخطيه ؟ – كانت حين بعدنا عن الله بشهواتنا ونسينا عقابه وثوابه

كيف كانت الخطيه ؟ – كانت بفكرنا وقولنا وفعلنا بعزم ثابت وبمعرفه كامله

في العالم

من هو الذي يعتبر العالم ؟ – يعتبره من يفضل لذات العالم على الله الذى هو ينبوع كل خير حقيقي

ما هو العالم ؟ – هو الباطل الذى يورث محبيه حقيقة الخسارة الابدية

اين يوجد العالم ؟ – في قلوب محبي اباطيله

بماذا يوجد العالم ؟ – بالانحراف عن الله الحق

لماذا يبغضنا العالم ؟ – لاننا نصدق اباطيله ونكذب مواعيد الله الصادقه

متى قام العالم ضد الله ؟ – قام حين تحققت الفضيله وتكذبت الرذيله

كيف قام العالم ؟ – قام بانواع كثيره من الشرور

في الشيطان

من هو الشيطان ؟ – هو كوكب الصبح الذى سقط من السما الى جهنم معذبا فيها الى الابد مع جنوده

ما هي خطيته التي سقط من اجلها ؟ – هي عصيانه الله لكبريائه بقوله اصعد على السحاب واكون شبيها بالعلي

اين يوجد الشيطان في نفوس اعدا الله

بماذا يخدع الشيطان الانسان ؟ – بالشهوات الباطله

لماذا يخدعنا ؟ – لكي نهلك ولا نرث مقامه في السما

متى يقترب الشيطان الى الانسان ؟ – اذا راه بعد عن الله بالخطيه

كيف يتشبه الشيطان بملك النور ؟ – عندما يرينا الخير شرا والشر خيرا

وقس على هذا الترتيب الباقي استعمال كل فضيله ورذيله وكل زمان ومكان وشخص ولك ان تضع لفظة مكان موضع لفظة من اذا تعذر المعنى عليك في مثل ما الاتضاع وما هو الشيطان ويجوز ذلك ان تختار من هذه البيع الذى تريده وتترك الباقي وفايدة هذه الظروف المذكوره هي اما تصير الات تساعدنا في انتقالات الفكر وقت الصلاه العقليه وتوسع علينا المعنى في الوعظ والخطاب وهذا اعظم فايده

ومما يجدر بالذكر ان مؤلف رسوم الكمال يدعو المرأة العابدة الى تناول القربان المقدس كل اسبوع مرة ، او كل نصف شهر مرة (الرسم الثاني عشر) ومن المعلوم ان العادة التي سادت في العصر السابع عشر بتعليم جانسينوس وظلت

متأصلة في امكنة عديدة ، الى عهد قريب منا ، كانت تمنع عن عامة المؤمنين تناول القربان المقدس الا في النادر . فكان من نتيجة نشر التعليم الكاثوليكي بواسطة المرسلين ، ولا سيما اليسوعيين ، ان ممارسة الاسرار المقدسة شاعت بين المؤمنين، وكان لجرمانوس فرحات عمله المبرور في الحصول على تلك النتيجة الصالحة.

تفسير المزمور «ارحمني يا الله»

تأليف الاب ايرونيموس من رهبان عبد الاحد

قد يكون مؤلف هذا الكتاب الاب ايرونيموس الدومينيكي البرتغالي ، من علماء القرن السادس عشر .

لم يعرف الاب جرجس منش هذا الكتاب ولم يذكره في معربات فرحات . ونسخة كتابنا مخطوطة بيد المطران فرحات نفسه. ننقل منها صفحتين على سبيل الانموذج ، ونعرض الصفحة الاخيرة مصورة لتعريف القراء بخط فرحات، وفيه شاهد

الاساقفة والمبشرون على سراجك الجزيل اذ كانوا كاملين وعاملين بعمال رسلين ان يضعوا نفوسهم عن رعاياهم . واما مذبحك يا يسوع الصالح فليس هو الا صليبك الذي صرت فوقه تقدمة كريمة عنا . وليست الجزيل الاجر الذي نقدمه لك على مذبحك . اي على الصليب ذ منتج العذاب حتى الموت من اجل اسمك . تنزل حينئذ البيعة وتنبسط حدودها منتشرة ذ الانات . ويسمع صوت مجدك ذ اقاصي الارض وتبتهج المسكونة كلها . ويفرح القديسون ذ المجد ويسرون على مضاجعهم وينتظرونا ذ بلد الاحياء الخاصلين الان فيها . فارحمني يا الله كعظيم رحمتك . واقبلني كقربان العدل وكتقدمة القداسة . وكمرنة للحياة السكنية . وشل مجلس صليبك الذي استحق بواسطته ان اجوز من هذا وادي الشقاء الى ذلك الجبل الذي نشاهده لحبيبك وخواصك الى ابد الابدين امين

قدم هذا العامل بيد صديقه جرمانوس الماروني استنسخ حلب ذ اليوم التاسع من شهر اب من شهور سنة ١٧٣١

آخر على لغة فرحات بالروحيات.

غرة المخطوط في المكتبة الشرقية ٤١٥، ورقه صقيل رقيق ، تجليده حديث بسيط بالقماش الاسود والكرتون ، طوله ١٥ سنتيمتراً وعرضه ١٠ ، عدد صفحاته ١٩ ، لكل صفحة ١٧ سطراً ، خطه نسخي متقن ، حبره اسود الا في العناوين فانه احمر . والمخطوط ناقص في اوله صفحة ضاع بها جزء من الفهرست ، ولكن مطالعة المواد في الكتاب تعوّض عما فقد من عناوينها باوله وهذه فصوله :

المقدمة في الاتضاع العميق والواجب علينا ان نتقدم بهُ الى رحمة الله السيفة.

١ – في مقدار رحمة الله وعدلها – ٢ في قوة فعل رأفة الله على الجنس البشري – ٣ في تلازم المقترة الالهية مع الندامة والمحبة – ٤ في الاتضاع الناشئ من قبل تأملنا بخطايانا – ٥ في ان الخطيئة ليست الا محبة الملائق مضادة المالق لكون نتيجتها المجاسرة على الله تعالى – ٦ في مقدار شر الخطيئة – ٧ في الحق الذي يحبه الله وفي الحكمة التي عرفتها الجهلاء وجهلتها الحكماء – ٨ في ان ابن الله كان لنا زوفاً مطهراً – ٩ في الرجاء – ١٠ في التوسل الى رأفة الله – ١١ في تقاوة القلب وتجديد الروح بالمحبة – ١٢ في ان الصلاة والتضرع يحركان الله الى الشفقة علينا – ١٣ في حسن الطلب وفي نعمة الثبات – ١٤ في التسليم وفي قدرة الله – ١٥ في النجاة من الخطيئة – ١٦ في ان تسبحة الله من الدعاء تفوق فصاحة الحكماء – ١٧ في ان الذبيحة الروحية اعظم قدر من الذبيحة الجسدية – ١٨ في فضيلة القلب المنسحق – ١٩ في ان السائرين بالسيرة الحسنة قليلون جداً – ٢٠ في مزية القرابين الروحية.

واليك فصل الكتاب الاخير وقد نسخه المطران قبل ان يموت باحد عشر شهر :

القسم العشرون في مزية القرابين الروحية

قال داود النبي :

حينئذٍ تسر بذبيحة العدل قرباناً ومحرقات

حينئذٍ يقربون على مذابحك العجول

عندما نكون اصلحت بمرتك اورشليم . فتقبل حينئذٍ ذبيحة العدل وتحرقها بنار محبتك هكذا قبلت ذبيحة موسى وايليا . وقبولك ذبيحة العدل ، هو ان تستحق النفوس المجتهدة في ان تحيي بنعمتك المقدسة . فما الذي تفيده تقدمة القرابين لكن اذا كنت لا تقبلها يا رب . كم ضحايا نقدمها لك كل يوم وهي لا ترضيك بل هي مكروهة امام عينيك . لانها ليست

بذيحة العدل . ولهذا كانت غير مقبولة . اين هو الان مجد الرسل . اين شجاعة الشهداء . اين اثمار المتوّرين . اين بسالة الرهبان المقدسة . اين فضائل المسيحيين الاولين . فهؤلاء كلهم تكون ذبائحهم مقبولة اذا زينتها بالفضائل بنعمتك . فمن ثم بنيت انت اسوار صهيون بمرتك تسر حينئذٍ بذيحة العدل . لان الشعب جذا يبتدي في ان يعيش عيشاً صالحاً . ويحفظ وصاياك ويصنع العدل وتكون عليه بركتك . ولهذا تكون تقدمات الكهنة والشماسة مقبولة عندك . لكونهم جا يرفضون الارضيات ويستملون الكمال المسيحي بكل الاهتمام . وتكون مسحة بركتك على رؤوسهم فتسر حينئذٍ بمحرقات الرهبان الذين يبايعون الكسل والتواني ويضطرمون بنار محبتك الالهية . حينئذٍ تقرب الاساقفة والمبشرون على مذابحك المجول اذا كانوا كاملين وعاملين فضائل ومستعدين ان يضحوا نفوسهم عن وعاياهم . واما مذبحك يا يسوع الصالح فليس هو الا صليبك الذي صرت فوقه تقدمةً محرقة عنا . وليست المجول الا جسدنا الذي تقدمه لك على مذبحك . اي على الصليب في منفع العذاب حتى الموت من اجل اسمك . فتزهر حينئذٍ البيعة وتبسط حدودها منتشرة في الافاق . ويسمع صوت مجدك في اقاصي الارض وتبتهج المسكونة كلها . ويفرح القديسون في المجد ويسرون على مضاجعهم وينتظرونا في بلد الاحيا الخاصاين الان فيها . فارحمني يا الله كعظيم رحمتك واقبلني كقربان العدل وكتقدمة الفداء . وكمحرقة الحياة النسكية . ومثل عجل صليبك الذي استحق بواسطته ان اجوز من هذا وادي الشقا الى ذلك المجد الذي هيئته لمحبيك وخواصك الى ابد الابدين امين

قد تمّ هذا التأمل بيد معربه جرمانوس الماروني اسقف حلب في اليوم التاسع من شهر آب من شهور سنة ١٧٣١

في الوعظ

لعل هذا الكتاب اكمل وانفع ما الفه المطران جرمانوس فرحات من كتبه الروحية . طبع اربع طبعات : الاولى في مالطة سنة ١٨٤٢ ، والثانية في طاميش سنة ١٨٧٧ ، والثالثة في بيروت سنة ١٨٨٢ ، والرابعة في بيروت ايضاً سنة ١٨٩٨ في مطبعتنا الكاثوليكية .

جاء في مقدمة احدى طبعاته : « قد تحرش لطبعه جماعة من البروتستنت دون ذكر محل طبعه والسنة التي طُبع فيها لغايات سقيمة ولم يخل كعادتهم من حذف وتحريف واخلال وزيادة وتصحيف » .

لم يفقد الكتاب عنفوانه بعد مضي نيّف ومئتي سنة على تأليفه وكله درر ونصائح ، وقد يعزّ وجوده في المبيع . فيا ليت طبعه يعاد ! وهو جدير بان

يطالعه رجال الاكليروس عامةً ووعاظهم خاصة.

نختار من هذا الكتاب فصلين نروي شيئاً منهما بحرفه او مختصراً، وفيهما تظهر روح المؤلف وصفاته الرسولية . هو العلامة باللغة العربية ، واضع كتاب البحث وبلوغ الارب في علم الادب ،وهو مصلح عبارة مواعظ يوحنا فم الذهب، اتى على ذكر محاسن الوعظ ، فعدّ في مقدمتها البساطة قال:

ليس بضروري للوعظ ان تكون الفاظه مبنية على قواعد النحو والتصريف والمعاني والبيان ولا على تنسيق التراكيب وسبكها في قوالب مصنعة فان هذه كلها قشور خارجة يلهي السامعين رونقها الظاهر عن استفهام لب المعاني المكنون فيها فتفسد اثمر الوعظ التي هي تخليص الانفس.

وذكر سيرة الواعظ فاوصاه بالتواضع وقال ان الواعظ اذا احكم التواضع احكم سائر جميع الفضائل . وقال في ادب الوعظ ان الادب يلزم الواعظ ضرورة لكون وظيفته تهذيب الناس وتأديبهم .

والوعظ نوعان علمي وعملي .فكما ان العلمي له مقدمة واقسام ، هكذا الوعظ العملي مقدمة واقسام : فمقدمته الادب ، واقسامه ان يكون الواعظ مؤدباً اولا بحركاته فهو النور وهو الملح ، ومن فضائله الرزانة والرصانة ؛ ثانياً بكلامه فيجتنب الشتائم المخيفة والمزاح والمطارحة والاخبار المضحكة والاستهزاء والهزء ومدح الذات ومذمة الغير وثلبه واظهار نقائص القريب وانواع الدينونة والفتنة والكذب والوشاية والظنون الردية والمخاصمة : ثالثاً بثيابه فتكون محتشمة اللون طويلة مهيبة نظيفة متوسطة الحال بين الرفاهة والمشونة . والا فكيف يمكنك ياواعظ ان توبخ المرأة على افساكها بحليها وصوغها وديباجها الملوّن المذهب وقميصك من كتان وقبع مخرم الاطراف وكيف يمكنك ان تعزي الفقراء على خلفانهم وانت متوشح بالفراء والاثواب الرفيعة الثمينة ؛ رابعاً بالقناعة اي الا يكون شرهاً محباً لبطنه والا فيكون مغرماً بحب المال . (الفصل الثاني) .

ولفرحات كلام في وجوب تجنب الواعظ كثرة التقرب الى الناس والفصل كله آية حكمة وفطنة يباري خير ما كتبه القديسون وغيرهم من رجال التفنن في ذلك الموضوع.

* * *

هذه الملاحظات والخواطر حررناها بمناسبة اعياد فرحات اليوبيلية ، آملين ان يثمر الاحتفال في قلوب الشبيبة اثاره الصالحة ، فينشأ في مصافها خلف للمطران جرمانوس فرحات يرفع لواء الاداب والعلم عالياً ويهدي بتعاليمه وامثاله قلوب المعاصرين الى الكمال الاعلى.

الملكيون المشارقة *

من قلم حبيب زيّات (اقالون : فرنسة)

هم ناقلة من عمان وارض البلقاء ، رحلوا الى القدس ، ونزلوا منها في محلة عُرفت بهم ، ودُعيت محلة المشارقة لانهم من شرقي القدس[1]. وقد بحثنا طويلاً عن سبب هذا الانتقال وزمانه فيما اتصل بنا من الآثار العربية ، فلم نظفر بطائل ، الى ان وُفّقنا للعثور على فصل جزيل الفائدة لمؤرخ الصليبيين غليوم الصوري المشهور . وهذا تعريب ما رواه بتاريخ سنة ١١١٥ ، قال في كلامه عن بيت المقدس والملك بودوين الاول :

« لما كان الملك عاقلاً متطلعاً الى كل ما يتعلق برتبته ، فكر يوماً ان مدينة اورشليم ليست آهلة باقوام يستطيعون ان يدافعوا عنها اذا دعتهُ مصلحة النصرانية الى التغيب عنها . فكانت من ثم عرضة للخروج عن يده ، خلوها من يحمي ابراجها واسوارها وابوابها . لاسيما والمسلمون يحومون دائماً حولها كلما بلغهم ان الملك بعيد عنها . فاشتد به القلق لذلك . واستشار بعض اصحابه كيف يفعل ليعتاض عن المسلمين الذين كانوا فيها قبلاً . وقُتلوا باجمعهم لما استولى عليها . وكانت قد بقيت منهم بقية اخرجهم عنها الصليبيون . لاعتقادهم ان من اقبح العار والرجس ان يقطن الارض المقدسة اقوام لا يؤمنون بالمسيح[2] .

---

*) فصل من كتاب « الروم الملكية في الآثار الاسلامية »

١) إخبار العلماء بأخبار الحكماء لجمال الدين القفطي ، طبعة مصر ، ص ٢٤٨

٢) لا يستغرب مثل هذا الاعتقاد في مثل تلك الايام ونظائره شائعة في كل النحل والملل . ومعلوم ان عمر بن الخطاب اجلى من بقي في ايامه في الحجاز من اليهود والنصارى الى

فلم يلبث احد منهم بالمدينة . وكانت النصارى فيها ايضاً قليلين جداً لا يكادون يملأون اكبر شوارعها وخصوصاً السريون منهم لانهم منذ جاؤوا اليها تعمدهم اصحابها المسلمون بانواع الاذية والتضييق حتى كرهوا المقام فيها . وكانوا منذ أُخذت انطاكية يستريبون بهم ويقتلونهم لايسر علة بحجة انهم هم الذين خاطبوا الافرنج وراسلوهم في الحضور لقتال المسلمين .

« وبينما كان الملك مشتغل البال بهذا الهم بلغه ان في ما وراء نهر الاردن في البلاد العربية طوائف من النصارى قد اتخذهم الاتراك عبيداً وخولاً . فارسل اليهم بالعاجل . ووعدهم اذا احبوا ان يستوطنوا القدس ان يعطيهم اكثر مما لهم هنالك . بحيث يعيشون اعزاء بين اخوانهم في الدين . فلما تسامعوا بهذه الوعود اقبلوا فرحين ومعهم نساؤهم واولادهم ومواشيهم وكل اموالهم على قدر ما استطاعوا . وحضر ايضاً من سائر البلاد الاسلامية اقوام من المسيحيين عندما بلغهم دعاء الملك ووعده باعطاء الارزاق . بحيث غصت بهم المدينة وشغلوا كل فراغ فيها . ووفى لهم الملك الاقطاعات والهبات . وكان اعدل ملك واشرفه في اشرف بلد . »[1]

وكان اكثر هؤلاء النازحين الى القدس من جهات عمان وحسبان واربد والصلت وما جاورها من اعمال البلقاء ، وقد قدر خليل الظاهري جملة القرى المضافة اليها في زمانه بنيف وثلاثمائة قرية[2] . وكان يُطلق على ما كان منها شرقي الاردن اسم البلقاء . ولذلك عُرف القادمون منها بالمشارقة كما تقدم من لفظ القفطي . وكانوا جميعهم من الملكيين . وقد شهد غليوم الصوري ان بيت

الشام ، لما بلغه قول محمد في مرضه الذي مات فيه « لا يبقى دينان في ارض العرب » . وعند الشافعي ان الحجاز يتناول مكة والمدينة واليمامة ومخاليفها كلها . وفي مذهبه ان النصارى يجب ان يتموا ايضاً « ركوب بحر الحجاز ويتموا المقام في سواحله . وكذلك ان كانت في بحر الحجاز جزائر او جبال تُسكن مُنعوا سكناها لانها من ارض الحجاز » (كتاب اختلاف الفقهاء لابي جعفر محمد بن جرير الطبري ، ليدن ، ص ٢٢٣–٢٢٥)

١) Guillaume de Tyr. Texte français, Paris 1879, t. I, p. 425-427

٢) زبدة كشف الممالك ، طبعة باريس ، ص٤٦

المقدس لم يكن فيه قبلاً سوى الارمن والروم فيما عدا اللاتين[1] . ولكنه لم ينقل لنا شيئاً من اخبار هؤلاء المشارقة . فلا ندري كيف كانت حياتهم بين الافرنج . وما كان تأثير هذا الجوار في اخلاقهم وعاداتهم ومآكلهم ومشاربهم ولغتهم وازيائهم . وغاية ما نعلمه من هذه الازياء التي قلد الصليبيون في بعضها اهل البلاد ان الاطباء من المشارقة الملكيين كانوا يلبسون جوخة ملوطة (marlota) زرقاء ، وهي شبه جبة فرنجية . وعلى رأسهم كوفية وتخفيفة صغيرة . قال ابن أصيبعة وهو زي اطباء الفرنج[2] . قدم به الى دمشق الطبيب موفق الدين يعقوب بن سقلاب الملكي الشرقي وانكره عليه طبيب صلاح الدين اسعد بن المطران . ومما يجدر التحسر عليه ضياع كل كتاباتهم باسرها . فلم يتهِ الينا منها صفحة واحدة من لغتهم العامية لنقف على مقدار ما داخلها من المصطلحات والعبارات الفرنجية .

ولا ريب ان هؤلاء الملكيين كانوا قد حافظوا على تقاليدهم الكاثوليكية ولاسيما بعد مخالطتهم للصليبيين وانقيادهم الى بطريرك لاتيني بعد وفاة بطريركهم سيلون الذي ذكره غليوم الصوري بالفضل والتقوى ، وروى انه كتب مع نخبة من اعيان ملته عدة رسائل في الاستغاثة بالبابا وملوك الافرنج لانقاذهم من الظلم الذي كانوا فيه[3] .

وقد اشتهر من هؤلاء الملكيين المشارقة افراد من افاضل الاطباء نظير موفق الدين يعقوب بن سقلاب ، وابنه سديد الدين ابي منصور ، نلخص ترجمتهما عن جمال الدين القفطي وابن ابي أصيبعة بعد النقد والمعارضة .

الطبيب موفق الدين يعقوب بن سقلاب المشرقي الملكي

في كتاب اخبار العلماء للقفطي ، في المطبوع منه والمخطوط ، ان اسمه يعقوب بن صقلان بالنون . وكذا في تاريخ مختصر الدول لابن العبري . وقد

(١ Guillaume de Tyr, *op. cit.* t. II, p. 199

(٢ عيون الانباء ٣ : ١٧٧

(٣ Guillaume de Tyr, *op. cit.* t. I, p. 22-24

نقل الترجمة باسرها عن القفطي ولم يصرّح بنسبتها اليه شأن اكثر النقلة في الاسلام . وممن وَهِم ايضاً بكتابة اسمه بالنون (Saklane) ري في كتابه الجوالي الفرنجية[1] . والصحيح سقلاب بالباء كما في ابن أصيبعة ، وهو معروف في الاسماء . ومنه احمد بن سقلاب في كتاب المكافأة (ص ٤٥) ومسجد ابن سقلاب في بَلِرم من جزيرة صقلية في كتاب المسالك والممالك لابن حوقل . وهذا الاسم يشبه ان يكون تعريب Esculape اله الطب في خرافات اليونان ، تُنعت به الاطباء . ولعل في تسمية والد يعقوب او جده دليلاً على انه كان طبيباً . وكثيرون من الاطباء في الشام كانوا يتلقون الطب كابراً عن كابر . فيكون يعقوب قد نشأ من بيت طب وعلم واورث انه مثل هذه المزية .

وكان متقناً للسان الرومي خبيراً بلغته ونقل معناه الى العربي[2] . ولا يبعد انه كان ايضاً لا يجهل اللاتينية او الفرنسية او على الاقل قد شدا شيئاً منهما اذ كان قد درج وشب بين اهلها .

وقد نص القفطي على انه « كان مقدسياً شرقياً ملكياً » ولكنه اغفل سنة ميلاده . ومثله ابن اصيبعة . وفي كتاب ري المذكور آنفاً انها سنة ١١٦ اي ٥٥٧ للهجرة ، ولا ندري اين وجدها . واختلفوا في سنة وفاته فجعلها القفطي ٦٢٦ ، وقلده فيها ابن العبري ، وضبطها ابن اصيبعة في يوم عيد الفصح بدمشق في شهر ربيع الآخر سنة ٦٢٥ ، اي في ٢٦ تموز سنة ١٢٢٨

وكان الاطباء في ذلك العصر لا يجتزئون بدرس كتب جالينوس وابقراط ، بل يشتغلون معاً بمطالعة كتب الحكمة اي الفلسفة والهندسة وعلم الحساب واحكام النجوم والعلم الطبيعي . وكانوا يعرفون بالحكماء . ولا يزال الى اليوم الطبيب في الديار الشرقية مشهوراً باسم الحكيم . وزعم ابن العبري ان يعقوب قرأ شيئاً من الحكمة على تادوري الفيلسوف الانطاكي . ولم يذكر في ترجمة تادوري انه دخل قط مدينة القدس واستوطنها التدريس والاقراء . وانما غرّه قول القفطي عن يعقوب « قرأ شيئاً من الحكمة والطب على رجل

١) E. Rey. *Les Colonies Françaises en Syrie*, p. 180

٢) عيون الانباء ٢ : ٢١٥

يعرف بالفيلسوف الانطاكي » وكان تادوري يعرف ايضاً بالحكيم الانطاكي . فاحب ابن العبري ان ينسب اليه ، وهو نظيره يعقوبي النحلة ، تلمذة يعقوب وهو ملكي ، لما بين الطائفتين من المناظرة[1] . فضرب صفحاً عن قول القفطي « كان هذا الفيلسوف قد شدا اشياء من علوم الاوائل بانطاكية وغيرها واستوطن القدس . وجعل داره بها شكل كنيسة . وتبتل للعبادة . واقرأ العلوم الى حدود سنة ثمانين وخمسمائة . وقرأ عليه يعقوب هذا شيئاً من اوائل هذه الصناعة[2] . والصحيح ما ذكره صاحب عيون الانباء ان هذا الفيلسوف كان راهباً في دير السيق . وبالتالي رومياً ملكياً خبيراً بالعلوم حسن الفطرة والفطنة . وله احكام صحيحة وانذارات عجيبة . فلازمه يعقوب واخذ عنه . واجتمع ايضاً في القدس بالشيخ ابي منصور النصراني الطبيب واشتغل عليه . وباشر معه اعمال صناعة الطب ، وانتفع به . وكان هذا ابو منصور طبيباً مشهوراً عالماً حسن المعالجة والمداواة . خدم بصناعة الطب الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن ايوب . وبقي سنين في خدمته[3] . ولعله كان ملكياً ايضاً مثل اكبر اطبائه اسعد بن المطران . ولم يشر ابن اصيبعة الى مولده ومنشإه . وكان الملك صلاح الدين مقرباً لبعض رجال الملكيين ويظهر فيما حكاه ري انه ادخل يعقوب ايضاً في خدمته ولم نجد لهذا القول ثبتاً فيما بين ايدينا من الآثار الاسلامية .

وزعم القفطي ان يعقوب « لم يكن عالماً . وانما كان حسن المعالجة بالتجربة البيمارستانية . ولسعادة كانت له . » وهذا القول مردود بما شهد به ابن اصيبعة . وكان طبيباً عارفاً بصناعته ورجالها . وقد ادرك يعقوب وتتلمذ له في المعسكر المعظمي في اوائل اشتغاله بالدرس . وقرأ عليه شيئاً من كلام ابقراط فهو من اخبر الناس به . قال : « فكنت ارى من حسن تأتيه في الشرح

١) مما يدل ايضاً على تعصب ابن العبري انه اغفل ترجمة سعيد بن بطريق ، بطريرك الملكيين في الاسكندرية ، مع اشتهاره بصناعة الطب .

٢) اخبار الحكماء ، طبعة مصر ، ص ٣٤٨

٣) عيون الانباء ٢ : ١٨٢ و٢١٥

وشدة استقصائه للمعاني باحسن عبارة واوجزها وانها ما لا يجسر احد على مثل ذلك ولا يقدر عليه . ثم يذكر خلاصة ما ذكر له . وحاصل ما قاله . حتى لا يبقى في كلام بقراط موضع الا وقد شرحه شرحاً لا مزيد عليه في الجودة . ثم انه يورد نص ما قاله جالينوس في شرحه لذلك الفصل على التوالي الى آخر قوله . ولقد كنت اراجع شرح جالينوس في ذلك فأجدهُ قد حكى جملة ما قاله جالينوس باسره في ذلك المعنى . وربما بالفاظ كثيرة من الفاظ جالينوس . يوردها باعيانها . من غير ان يزيد فيها ولا ينقص . وهـذا شيء تفرد به في زمانه . » وقال عنه قبل ذلك : « كان اعلم اهـل زمانه بكتب جالينوس ومعرفتها والتحقيق لمعانيها والدراية لها . وكان من كثرة اجتهـاده في صناعة الطب . وشدة حرصه ومواظبته على القراءة والمطالعة لكتب جالينوس . وجودة فطرته . وقوة ذكائه . ان جمهور كتب جـالينوس واقواله فيهـا كانت مستحضرة له في خاطره . فكان مهما تكلم به في صناعة الطب على تفاريق اقسامها وتفنن مباحثهـا وكثرة جزئياتها انما ينقل ذلك عن جالينوس . ومهما سُئل عنه في صناعة الطب من المسائل والمواضع المستصعبـة وغيرها لا يجيب بشيء من ذلك الا ان يقول قال جالينوس . ويورد فيه اشياء من نصوص كلام جالينوس . ويقول هذا ذكره جالينوس في كذا وكذا ورقة من المقالة الفلانية من كتاب جالينوس ويسميه . ويعني به النسخة التي عنده . وذلـك لكثرة مطالعته اياها وانسه بها . »

وكان علم الطب وقتئذٍ محصوراً في مطالعـة كتب جالينوس وابقراط ، والاحاطة بمضمونها ومشتملاتها . فاذا لم يكن مثل هذا الحفظ لها والاستظهار التام ومثل هذا التضلع منها والنبوغ النادر هو العلم كل العلم فلا ندري ما هو .

واما حسن معالجته فلم تكن نتيجة تجربته ايام توليه خدمة البيمارستان في القدس فقط ، او لسعادة له ، كما ادعى القفطي غمطاً وانتقاصاً له . وانما كانت على الخصوص ثمرة اجتهاده وتأنيه في درس علة المريض ، واستقصائه في تحقيقها ، واستطلاع اعراضها ، حتى لا تخفى عليه خافية منها . وكان كثير السكينة ، ثاقب العقل ، سديد النظر . وهو ما نبّه عليه ايضاً ابن اصيبعة في ترجمته قال:

« فاما معالجات الحكيم يعقوب فانها كانت في الغاية من الجودة والنجح. وذلك انه كان يتحقق معرفة المرض اولاً تحقيقاً لا مزيد عليه . ثم يشرع في مداواته بالقوانين التي ذكرها جالينوس مع تصرفه هو فيما يستعمله في الوقت الحاضر . وكان شديد البحث واستقراء الاعراض بحيث انه كان اذا افتقد مريضاً لا يزال يستقصي منه عرَضاً عرَضاً . وما يشكوه مما يجده من مرضه حالاً حالاً. الى ان لا يترك عرَضاً يُستدل به على تحقيق المرض الا ويعتبره . فكانت معالجاته لا مزيد عليها في الجودة . وكان الملك المعظم يشكر منه هذه الحالة ويصفه ويقول لو لم يكن في الحكيم يعقوب الا شدة استقصائه في تحقيق الامراض حتى يعالجها على الصواب ولا يشتبه عليه شيء من امرها لكفاه »

ولا ندري ان طبيباً مدح بمثل هذه الصفات الكاملة والشروط التامة في زمانه . فلا شك انه كان قريع دهره . ولا يلتفت الى قول القفطي لجهله بمكانه .

ويظهر انه كان في الكرك قبل ان يفتتحه الملك العادل سنة ١١٨٤ . لانه على اثر الفتح اتى الى دمشق ، وهو شاب في زي اطباء الفرنج ، وقصد احد اعيان الملكيين الدماشقة الطبيب اسعد بن المطران . وجعل يتردد عليه ويخدمه التماساً لمنفعته واسعافه . وكان النصارى حينئذ يحرصون اشد الحرص على التشبه بالمسلمين في الملابس والاسماء والكُنى والالقاب ، خشيةً ان يُعرفوا فيستهنوا او يهانوا . ومع ان الاضافة في الالقاب « الى الدين » كانت مختصة بالمسلمين وكانت القاب اكابر النصارى لا تخرج عن الاضافة « الى الدولة »[1] للتمييز بين الفريقين ، لم يتوقف بعض اعيان المسيحيين عن محاكاة المسلمين والتلقب بالمضاف الى الدين مثل موفق الدين بن المطران ، وموفق الدين يعقوب بن القفّ ، ورشيد الدين بن موفق الدين يعقوب وغيرهم من الملكيين . ولذلك اتخذ يعقوب بن سقلاب لقب موفق الدين لنفسه وتلقب ولده فيما بعد بسديد الدين. ولما شاهد ابن المطران زيّ ابن سقلاب الفرنجي وهو مشرقي بالمعنيين انكره

١) ديون الانشاء ، خزانة باريس ٤٤٣٩ ، ص١٥٨

عليه وقال له فيما حكاه ابن اصيبعة : « هذا الزيّ الذي انت عليه ما يشي لك به حال في الطب في هذه الدولة بين المسلمين . وانما المصلحة ان تغير زيك . وتلبس عادة الاطباء في بلادنا . ثم اخرج له جبة واسعة عتابية وبقيارًا مكملًا . وامره ان يلبسهما . ثم قال له ان ههنا اميرًا كبيرًا يقال له ميمون القصري . وهو مريض . وانا متردد اليه واداويه . فتعال معي حتى تكون تعالجه . فلما راح معه قال للامير . هذا طبيب فاضل . وانا اعتمد عليه في صناعة الطب واثق به . فيكون يلزمك ويباشر احوالك في كل وقت . ويقيم عندك الى ان تبرأ ان شاء الله تعالى . فامتثل قوله . وصار الحكيم يعقوب ملازمًا له ليلًا ونهارًا الى ان تعافى . فاعطاه خمسمائة دينار . فلما قبضها حملها الى ابن المطران . وقال له يا مولانا هذا ما اعطاني . وقد احضرته الى مولانا . فقال له خذه . فانا ما قصدت الا نفعك . فاخذه . »[1]

وكان ابن المطران عظيم المروءة ، كثير الاهتمام باهل الصناعة الطبية ، يقدمهم ويتوسط في ارزاقهم .

ويجب ان يكون يعقوب بن سقلاب فارق دمشق بعد ذلك وتوجه الى القدس . وتوصل فيها الى مباشرة البيمارستان الى ان ملك القدس الملك المعظم عيسى ابن السلطان الملك العادل الايوبي . فاختص به ونقله الى دمشق وجعله في صحبته . وانتفع بخدمته وآرائه الطبية . ولما طالت معرفته به حسُنَ اعتقاده فيه حتى همّ ان يوليه بعض المناصب في تدبير دولته لاعجابه بعقله واصالة رأيه . فامتنع يعقوب واقتصر على مداومة صناعة الطب فقط . ثم ساءت صحته وعرض له تقرس برجليه كان يمنعه من الحركة والمشي . فكان المعظم يستصحبه معه في اسفاره حرصًا على خدمته ومشورته . ويبالغ في اكرامه واعتقاده بالعطاء الجمّ والاحسان الوافر . وقال له يومًا يا حكيم لِمَ لا تداوي رجليك . فقال له يا مولانا اذا سوّس الخشب لا تنفع في اصلاحه حيلة . وكان قد طعن في السن وضعفت قوته . ولما توفي المعظم ، وملك بعده ولده الملك الناصر داود ،

---

١) عيون الانباء ٢ : ١٧٧

دخل اليه يعقوب ودعا له . واشار الى عجزه وشيخوخته . وذكّره بسالف خدمته . وانشده متمثلاً بشعر ابن منقذ :

انيتكم ، وجلابيب الصبا قُشُب ، فكيف ارحل عنكم ، وهي أسالُ ،
لي حرمة الضيف ، والجار القديم ، ومن اتاكم ، وكهول الحي اطفالُ .

فرقّ له الملك الناصر . واحسن اليه كثيراً . وامر ان يستمر عليه ما كان مقرراً له في ايام والده الملك المعظم دون ان يكلف خدمة.

وما لبث ان اجاب داعي ربه . ودفن بدمشق وله من العمر ٦٧ سنة . ويظهر انه لم يترك شيئاً من المقالات والمصنفات . او لعل ابن اصيبعة اغفل التنبيه عليها.

ولا يعرف له من الاولاد الا ابنه سديد الدين ابو منصور الآتي ذكره.

الطبيب سديد الدين ابو منصور
ابن الطبيب يعقوب بن سقلاب الملكي

انفرد ابن اصيبعة بترجمته باسطر وجيزة هي كل ما بلغنا عنه . فلا بد من الاجتزاء بها . قال :

«هو الحكيم الاجل العالم من افاضل الاطباء . متميز في علم صناعة الطب وعملها . متقن لفصولها وجُملها . اشتغل على والده وعلى غيره بصناعة الطب وقرأ ايضاً بالكرك على الامام شمس الدين الخسروشاهي كثيراً من العلوم الحكمية . وخدم الملك الناصر صلاح الدين داود ابن الملك المعظم عيسى بن ابي بكر بن ايوب . واقام في صحبته بالكرك . وكان مكيناً عنده . معتمداً عليه في صناعة الطب . ثم اتى الى دمشق وتوفي بها[1] .

١) عيون الانباء ٢ : ٢١٦

اخبار

سفر المونسنيور فرنسيس پيكيت

الى بلاد ارمينية والعجم ١٦٨١–١٦٨٤

كتبها السيد اثناسيوس سفر العطار السرياني اسقف ماردين ،
مرافق المسافر وترجمانه
نشرها الخوري اسحق ارملة السرياني

٢

ثم تقدمت وبستُ يده وقلت له بحياة راسك أعطنا الدستور حتى نروح لان التجار يستنون خارجاً . وناسنا في الكروان يبقون في همنا . فسامر احد خدامه ليعطيني ثلاثة اغنام . وطلبت منه اناساً حتى يفوتونا السنور (الحدود) ويعبرونا في ارض العجم . لانه من هناك يفوت الكروان منا ويروح الى تبريز ونحن نروح الى ايروان . فاعطاني اثنين . ثم تودعت منه واستكثرنا خيره . ولما طلعنا من عنده كانت الساعة الثالثة من الليل [٥٠] فنظرنا التجار واقفين ينتظرونا فركبنا خيلنا ورحنا الى الكروان . اما الاغنام فجابوها الينا . ولما نظرها المونسنيور قال ما هذا ؟ قلت الامير اعطاني اياها . قال انا لا اريدها أعطيا لرئيس الكروان . فصحته واعطيته اياه . اما الرجلان اللذان بعثهما الامير معي فباتا عندنا .

٨ دخول المونسنيور پيكيت بلاد العجم وزيارته دير اجماذين ووصوله الى ارضاه

وثاني يوم قمنا من بكرة حملنا واخذنا درب ايروان . والكروان اخذ درب تبريز فرحنا . وثاني يوم دخلنا في ارض العجم . اما الرجلان فطلبا

الدستور حتى يرجعا . فامرني المونسنيور ان اعطيهما قرشين [٦٠] فاعطيتهما وثالث يوم وصلنا الى دير يسمى دير اجيازين وهو كرسي بطرك الارمن . فنزلنا هناك . وطلع مطارين الارمن واستقبلوا المونسنيور وانزلوه في احسن حجرة وقالوا له : كنا سمعنا عن مجيئك فارسلنا الصيادين من بكرة الى النهر ليصطادوا سمكاً على مجيئك . وبينما هم يتكلمون اذا بالصيادين قد اقبلوا حاملين السمك فرحين مسرورين. فألقوا السمك وتباركوا من المونسنيور. فبهت الحاضرون وتعجبوا من كثرة السمك [٦١] فقالوا لنا انا نصطاد طول عمرنا وما وجدنا صيداً كثيراً مثل اليوم . ثم ان المطارين عرضوا السمك على المونسنيور ليأخذ منها ما يريد لانها كانت من اجناس كثيرة . فاخذنا ما اعجب المونسنيور وأعطيناها الى طباخنا وبتنا تلك الليلة.

وثاني يوم بعثني المونسنيور الى ايروان حتى افتش عن بيت نتزل فيه وافتش ايضاً عن صاحبه الخواجا عازريا القاتوليقي . فركبت ورحت . وبعد ثلاث ساعات دخلتُ ايروان ونزلتُ في الكروان سراي. ثم فتشت عن عازريا فوجدته. ونمت تلك الليلة في الخان. وثاني يوم رجعتُ ومعي عازريا فوصلنا الى الدير[٦٢] وتلاقى عازريا مع المونسنيور . وبعد ما بقي المونسنيور في الدير ثلاثة ايام . وعمل له مطارين الارمن عزاً ووقوداً زائداً حملنا ورحلنا الى ايروان ونزلنا الاحوال في كروان سراي . فالمونسنيور ومسيو كازمو والحكيم وانا والطباخ نزلنا في بيت عازريا ثم جاء المكارية حتى يأخذوا دراهمهم فمنعتهم وقلت لهم بدي ادعي معكم . لاننا لما كنا في بلاد الترك اخذتم مني ثلاثين قرشاً زائداً عن حقكم . فاما تعطوني اياها واما اشتكي عليكم للشرع واخبركم . فخافوا . فلما سمع المونسنيور صاحبي [٦٣] وقال لي . لماذا لم تترك المكارية يمضون ؟ فقلت له يا سيدي أما تعلم ما عملوا معنا لما كنا في بلاد الترك ؟ واخذوا منا دراهم زائدة ؟ قال نعم انا اعلم كل هذا ولكن اقول لك الاحسن ان تعفو عنهم وتغفر لهم . ثم امرني ان اصيحهم . فجاؤا خائفين ووقفوا امامه ذليلين . فاعطى لكل واحد منهم قرشاً بخشيشاً . ثم باسوا يده وأمرهم بالمضي فمضوا مستحين مختزين مما فعلوا . وبقيت انا متحيراً في هذا القلب.

اما حاكم البلد الذي يسمّى الخان فكان خارجاً [٦٤] عن ايران مسافة يومين . فلما سمع عن المونسنيور ارسل يدعوه . فقام المونسنيور واخذني واخذ الحكيم وعازريا والخادم ورحنا الى الاوردو[1] . فلما سمع كهيته[2] الخان ارسل ناسه وانزلونا في بيت رجل ارمني . وثاني يوم رحنا اليه وزرناه . فرحب بالمونسنيور واكرمه واجلسه على كرسي وجاب لنا قهوة . وثالث يوم رحنا عند الخان ولما نظر الى المونسنيور اجلسه واحضر له قهوة واكرمه وحكاه قدر ساعة . ثم اخذنا دستوراً ورجعنا . وبقينا في الاوردو خمسة ايام [٦٥] . وكان كل يوم يبعث لنا الخان من اطعمته صفرتين[3] الواحدة وقت الغدا والاخرى وقت العشا .

٩ وصول المونسنيور بكيت الى نخجوان وزيارته الرعوية للقرى

وفي اليوم السادس رجعنا الى ايران واستكرينا دواب . وفي اول آب بالحساب الشرقي خرجنا طالبين نقشوان . اما البادرية الكبوجيون فانفرقوا منا وراحوا الى تبريز . ونحن بعد خمسة ايام وصلنا الى نقشوان ونزلنا هناك . فبعث الخان استدعى المونسنيور . فرحنا اليه وتكلّم معه مدّة طويلة . ثم حملنا ورحلنا الى ضيعة ارمن قاتوليقيين تسمى ابرانير[4] . ووصلنا ثالث ساعة من الليل .

[٦٦] اما اهل الضيعة فكانوا طلعوا بالزياح للقاء المونسنيور . ولما رأوا انه تعوّق رجعوا الى بيوتهم . ولما وصلنا نزلنا في الدير . وفي يوم جاء ناس الضيعة تباركوا منه . ثم اعطوا كل واحد منا حجرة فنزلنا واستريحنا من التعب . وفي نصف آب كان عيد مريم العذراء فخذوه الى ضيعة قريبة تسمى كرنا فيها كنيسة على اسم العذراء . وحضر اليها اناس من جميع القرى . ولما قربنا من الضيعة خرج الرهبان والقسوس بالزياح وادخلوا المونسنيور الى الكنيسة وقدّس قداساً [٦٧] كبيراً . وفي هذه الكنيسة قبر مار برتلماوس الذي كرز[5] على الارمن وجعلهم قاتوليقيين . وبعدما كمّل القدّاس تبارك منه الجميع كباراً

١) مركز الجيش . ٢) رئيس . ٣) مائدتين .
٤) وتدعى ايضاً بينار . ٥) نشر .

وصغارًا . واخذونا الى بيت واسع واحضروا الغداء . فقام المونسنيور عاجلًا الى قلّاية ليصلي . وبعد الصلاة رجعنا الى الضيعة .

وبعد شهرين[1] اخذونا الى بقية ضياع الارمن القاتوليقيين . ولما كنا نقرب من الضيعة كانوا يخرجون بالرّياح حاملين سناجق الصليب ولابسين طقوسهم . وكانوا اذا قربوا منا ينزل المونسنيور عن فرسه وننزل كلّنا وكان يبرك على الارض امام الصليب ونجثو نحن ايضاً [٦٨] معه . ثم يقوم ويلبس بدلة ويبدأ يمشي وهو مكشوف الراس الى حين نصل الى الضيعة . ثم يدخل الى الكنيسة فيدقون النواقيس ويجثو المونسنيور امام القربان ويبقى مقدار نصف ساعة . وبعد ذلك يجيء الناس ويتباركون منه . وكانوا ينزلونه في احسن الاماكن ويبدأون يفتقدونه بالهدايا من مأكول ومشروب . ولكنه لم يكن يقبل هدية من احد بل كنت انا اعمل المصرف من كيسه . اما الضيعة التي كنا نروح اليها وفيها ارمن فكان قسوسهم واعيانهم ياتون يزورون المونسنيور ويتباركون منه [٦٦] واذا كانوا مسلمين فكانوا ياتون اليه ليزوروه ويهدوا له الهدايا . اما الارمن القاتوليقيون والهراطقة فكانوا يجيبون اليه المرضى ليبارك عليهم .

واول رواحنا كان الى قرية جاجوك[2] وقرية جهري[3] . فخرجوا امامنا بالرّياح كالمذكور اعلاه كبارًا وصغارًا وفي هذه الضيعة كنيسة لطيفة جديدة . وفيها نحو مائة وخمسين بيتاً قاتوليقيين . اما الباقي فارمن ومسلمون وبقينا فيها خمسة عشر يوماً او ازيد . ثم اعطى المونسنيور التورشم[4] للاولاد .

ومن هناك رحلنا قاصدين ضيعة شاهبونيس[5] . فخرجوا امامنا بالرّياح مثلما ذكرنا . وفيها سبعون بيتاً او ازيد قاتوليقيين والباقي هم مسلمون . فبقينا هناك [٧٠] جمعة واعطى المونسنيور التورشم الاطفال .

---

١) اي في شهر تشرين الاول . ٢) جاهوك .

٣) جغري .

٤) التورشم قسمطا لفظ سرياني يُراد به وسْمُ الكاهن للمولود بزيت الميرون المقدس ومنحه سر التثبيت

٥) شهبونيك .

ثم رحلنا الى ضيعة قراقوش[1] وهي صغيرة في الجبل فيها قدر عشرين بيتاً قاتوليقيين وعشرة بيوت ارمن . وكنيستهم صغيرة مهدومة . فاعطى المونسنيور التورشم للاطفال . وبعد ثلاثة ايام رجعنا قصدنا ضيعتنا ابرانير ونزلنا كل واحد في حجرته .

وبعد كم يوم رحنا الى ضيعة قريبة من ضيعتنا بعيدة عنها ثلاثة اميال تُسمّى خوش كاشين[2] فعبرنا على ضيعة مسلمين تُسمّى صلطاق[3] ولنا فيها اربعة بيوت قاتوليقيين وكنيسة صغيرة . فقدّس المونسنيور هناك وتغدّينا . ورحنا الى خوش كاشين . فخرجوا امامنا بالزياح المذكور وانزلونا في الدير . [٧١] وفي هذه الضيعة سبعون بيتاً قاتوليقيين والباقي مسلمون . ورشم المونسنيور الاطفال . وبعد خمسة عشر يوماً عدنا الى ابرانير .

وبعد كم يوم اخذونا الى ضيعة تُسمّى ابراكونيس[4] وفيها مقدار خمسين بيتاً قاتوليقيين وعشرين بيتاً من الارمن وعشرين من المسلمين . وفي هذه الضيعة مجلس الملك اعني رئيس تلك الكورة وهو مسلم ولكنه معقول[5] . فاخذنا الى بيته واضاف المونسنيور والبادرية واكرمه بالزيارة . ورشم المونسنيور اطفال تلك الضيعة .

١٠ استطراد في وصف مناقب المونسنيور بيكيت

وكان من عادة المونسنيور انه اذا نزل في حجرة [٧٢] ينزل مسيو كازمو بجانبه وانا في حجرة بجانبه . ثم نقوم من بكرة انا وكازمو وندخل عليه ويكون قد لبس ثيابه . فنأخذه الى الكنيسة ونخدم قداسه . وبعد ذلك يسمع قداساً او قداسين ثم نرجع به الى قلّايته فان اراد يفطر بلقمة ويغلق عليه الباب ونتركه وحده في الحجرة يصلي . واذا اراد احد ان يزوره كان يجي. اولاً اليّ وكنت اروح اطلب منه الدستور . فاذا كان فرغ من صلاته كان يقول لي خلّه يجي. . والا . فيقول اصبر قليلاً وارجع . فكنت اصبر

١) كراكوش . ٢) خوشاكونيس .
٣) صلطاغ . ٤) هبراكونيس . ٥) اديب .

وارجع بالشخص الزائر . فكان يتبارك منه ويكلّمه ويرجع[٧٣] بجبور الخاطر .

كذا كان يصنع المونسنيور مع الجميع قاتوليقيين كانوا ام هرطوقيين ام مسلمين . فكان يستقبلهم بالمحبة ويكلّمهم بالحشمة ويكرز عليهم بكلام مفيد لخلاص نفوسهم . وبعدما دُرْنا ضياع القاتوليقيين رجعنا الى ابرانير مكاننا .

اما قرى الارمن المراطقة القريبة او البعيدة منا فكانوا عندما يسمعون عن فضائل المونسنيور يقصدونه حتى يتباركوا منه . ولما كان نهار عيد جميع القديسين بعدما قدّس المونسنيور القداس الكبير جاء رئيس ضيعة [٧٤] شاهبونيس ليشتكي عنده قائلًا : انه قد جاء داروغا[1] من طرف حاكم تبريز يريد الخراج . وامسك فحبس اناساً وضربهم وهرب الباقي . فامرني المونسنيور ان اروح اليه واكلّمه . فركبتُ ورحت الى قرية شاهبونيس ودخلت على الداروغا وكلّمته . فارسل عاجلًا وفكّ المحبوسين . وبقيتُ هناك خمسة ايام الى ان جمعت خراجهم بالمعقول وسلّمته الى الداروغا . فتبقّى عليهم اربعون غرشاً . فكفلت انا فيها واعطاها المونسنيور ورجعت الى ابرانير .

ولما كان شهر كانون الثاني جاء آغا من جانب خان تبريز الى بلد نقشوان . وكان رجل [٧٥] يُسمّى جعفر راح اشتكى الى الخان على نصارى قرى القاتوليقيين شكوى باطلة . فارسل الخان معه هذا الآغا . واول وصوله امسك بعض النصارى وضربهم وحبسهم . فجاؤا اشتكوا الى المونسنيور فصاحني وقال لي : لاجل الله رُحْ الى نقشوان عند الخان وتكلّم مع هذا الاغا من جانبي وفكّ الناس المحبوسين . وكان ذلك اليوم شتاء عظيماً والثلج قد ربط الدروب . فركبتُ نصف النهار ورحتُ الى نقشوان ووصلتُ نصف الليل وانزلني الخان في بيت واحد ارمني . وثاني يوم رحت عند الخان فارسل كاهيته[2] [٧٦] الى القاضي وصاحوا الآغا والمدّعي وعملوا جمعية . فقلتُ له نيابةً عن المونسنيور : ان سيدي الالجي[3] يقول لكم ان تشرعوا بالحق وتنظروا من هو الظالم ومن المظلوم واذا لم تشرعوا بالحق فهو يشتكي للشاه على الظالمين وينتقم منهم ثم اني اول شيء فكيتُ المحبوسين كلّهم . وبعد ما عملوا الديوان[4] فن

١) مفتش ٢) أمينه ٣) السفير ٤) الاجتماع

خوفهم من المونسنيور حكموا بالحق وثبتوا الدعوى على المدعي . فأمسكه الآغا . وبعدما قضيتُ خمسة ايام في نقشوان رجعت ورجعت المحبوسين معي . فلما وصلت عند المونسنيور [٧٧] ابتدأ المحبوسون يدعون له لانهم بواسطته خلصوا . ثم حكيته كلّ ما جرى ففرح بي وباركني .

وفي هذا البلاد يصير برد شديد جداً لا يصير مثله في مكان حتى انه بعض اوقات يجلّد كاس الدم[1] . ومع هذا جميعه كان المونسنيور يروح كل يوم يقدّس في هذا البرد الشديد . وكان يتعوّق في القداس مثلما يتعوّق في الصيف . ويتعوّق بعد القداس نصف ساعة اخرى . وانا كنتُ اخدم قدّاسه واجفّ من البرد . لان مسيو كازمو كان يمرض بعض اوقات . وبعد خروجه من الكنيسة كنتُ آخذه الى حجرته واشلّحه الكسوة الاسقفيّة [٧٨] . واذا اراد كان يفطر بلقمة ثم يبدأ بالصلاة فاغلق الباب وارجع الى حجرتي . وكان اولاد الضيعة يريدون يرتشمون فاوصى المونسنيور البادرية ان يعلّموهم التعليم المسيحي بالتمام . وبعد ان امتحنهم رشمهم مثلما كان يعمل في باقي القرى

وكان كل يوم يلبس الثياب الاسقفية ويجلس على كرسي في مكان واسع ويجمع اليه الاولاد المزمعين ان يرتشموا ويبدأ يسألهم بواسطة ترجمان . فالذين لم يتعلّموا كان يأمرهم ان يتعلّموا تماماً حتى يرشمهم . وهكذا كان يسأل واحداً واحداً مقدار ساعتين .

ولما كان اول احد من الصوم [٧٩] الكبير رسم قسوساً وشمامسة . ومن مسيو كازمو فاوّل وصولنا الى ضيعة ابرانير ابتدأ يتعلم الارمني . وفي الصوم كل يوم بعد الغدا يجمع اولاد الضيعة في الكنيسة ويلبس قيصه ويلبس ايضاً المونسنيور طقسه ويجلس في كرسي الاسقفية . فيبدأ مسيو كازمو يكرز عليهم ويُعلّمهم تعليم المسيح مقدار ساعة ونصف . وهكذا كان يعمل طول الصوم الكبير . وفي خميس الفصح عمل المونسنيور الميرون . وغسل ايضاً ارجل ثلاثة عشر واحداً وأحسن اليهم وغذاهم وخدمهم . وكان قد جاءه مكتوب من ملك [٨٠] فرنسا وجعله إلجي .

---

١) وقت القداس

وكان في هذه الضيعة رجلان عاطلان جداً يعملان الضرر لكثير من النصارى . فأمرني المونسنيور ورحت الى ضيعة اخرى وكتبتُ مكتوباً من فمه الى حاكم تبريز حتى يرسل ناساً يمسكون هذين الشقيين ويأخذوهما الى تبريز حتى اذا جاء المونسنيور الى تبريز يدّعي معهما . ثم بعثت المكتوب مع ساعٍ الى حاكم تبريز . وفي تلك السنة عيّدنا قبل الارمن باربع جمع (السابيع) لان الارمن القاتوليقيين عيّدوا على الحساب العتيق.

١١ سفر المونسنيور بيكيت الى تبريز وتفقده قرى الارمن

ولما كانت الجمعة الثالثة بعد العيد استكرينا دواباً الى تبريز [٨١] فجاء آغا من قبل حاكم تبريز ومعه خمسة انفار يُسمّى مهندار[1] حتى يودّي المونسنيور الى تبريز بالاكرام مثل الجي . وأمسك ايضاً الاثنين الشقيّين وجعلهما في الزنجير حتى ياخذهما معه . وبينما نحن مهتمون في السفر جاء قسوس واعيان ضيعة اكوليس الارمن يدعون المونسنيور اليهم ليبارك ضيعتهم . فبعثنا الحكيم والاحمال الى ضيعة جولفة العتيقة وهي بعيدة نحو يوم عن ايرانير على جانب نهر الاراز . واخذ الاغا المسوكين[2] وراح الى تلك الضيعة ينتظرنا . ونحن اخذنا معنا حملين الواحد حوائج المطبخ [٨٢] والآخر حوائج القداس وقصدنا ضيعة اكوليس وبتنا في كوش كاشين . وهناك اشترينا فرساً مليحاً للمونسنيور وهو اعطاني فرسه . وثاني يوم رحلنا وعند المساء بتنا في دير ارمن فاكرمنا رئيس الدير . وثالث يوم بعثنا الاحمال الى ضيعة اكوليس ونحن رحنا الى ضيعة قريبة من مدينة اردوار تُسمّى كانتزاغ[3] . ولنا فيها بيتان وكنيسة والباقي هم مسلمون . ونزلنا في الدير . وكان صحبتنا البادري عازريا والبادري باولا وجاء الخواجا عازريا من ايروان الى ايرانير فجاء معنا . وثاني يوم كان نهار جمعة الالام . فركب عشرون رجلاً وازيد من اكابر اكوليس واخذونا [٨٣] الى ضيعتهم . ولما ركبنا من كانتزاغ امطرت علينا . ولما قربنا من اكوليس انقطع المطر .

١) محافظ ٢) المقبوض عليهما ٣) كانتساك

ونظرنا اهل الضيعة الكبار والصغار طلعوا لملتقانا والكهنة والشمامة جميعهم لابسين طقوسهم حاملين سناجق الصليب المكرّم والاناجيل في يديهم والنواقيس تدقّ والمباخر تبخّر ويرتلون باطيب الالحان . ولما اقتربوا نزل المونسنيور عن فرسه ونزل بقيّة الركاب . ثم جثا على ركبتيه امام الصليب براس مكشوف وجثا جميعهم ايضاً . ثم صلى وقام فالبسوه بدلة عجيبة جدًّا . وارادوا ان يركب [٨٤] لان الضيعة كانت بعيدة فلم يركب بل كان ماشياً مكشوف الراس امام الصليب المكرّم . وانا وقسيس آخر كنا رافعين بدلته . ولمّا وصلنا الى الضيعة ضربوا النواقيس في كل الكنائس .

ثم اخذونا الى دير مار توما وفيه كتف مار توما الرسول . وهذا الدير هو كرسي اسقفهم . ولكن الاسقف لم يكن هناك . فانزلوا المونسنيور في حجرته وكل واحد منّا في حجرة . ثم جاء اكابر الارمن وتباركوا من المونسنيور كمن بطركهم . ويوم السبت ليلة عيد القيامة عند الارمن قدّس المونسنيور . ووقت الماء قدّس الارمن . وبعد [٨٥] القدّاس اخذونا الى بيت الاكل واجلسوا المونسنيور في كرسي اسقفهم وجلس الباقي كلٌّ واحد حسب درجته . واحضروا مائدة فيها بيض وسمك وجبن ولبن سوى اللحم . لان الارمن تلك الليلة يفطرون بعد حضور القداس . وبعد العشاء انصرفنا كل واحد الى مكانه .

وثاني يوم جاؤا دعوا المونسنيور الى الكنيسة الكبيرة التي بنوها جديدًا واخذوه بالزياح المذكور اعلاه . والبسوه بدلة وألزموه ان يركب لاجل الطين فلم يركب بل كان ماشياً معهم ونحن كنا رافعين اذيال بدلته . وكان اكابر الارمن محيطين به من اطرافه [٨٦] حتى لا يزحمه الناس . لان شعب بقية الكنائس اجتمعوا كلهم في هذه الكنيسة . ولما وصلنا لم نقدر نجوز لكثرتهم . وبالجهد عملوا لنا طريقاً وادخلنا المونسنيور . وكانوا قد رتبوا له ترونو[1] مكان اسقفهم فاجلسوه هناك وابتدأ القسوس يتباركون منه . وبعدهم اراد الشعب ان يتبارك فمنعوهم لئلا يصير طولة . فاخذنا نلبس المونسنيور ثم قدّس وقدّس ايضاً الارمن بعده قداساً كبيرًا بالترتيل . وكانوا يعملون جيريمونيو[2] للمونسنيور مثل

١) ترونو من اليونانية (trône) اي العرش ٢) حفاوة (cérémonie)

اسقفهم. وبعد انتهاء القداس اجلسوه في الترونو وبدأ يكرز عليهم بالايتاليانى. [٨٧] وكان البادري عازريا يفسّر لهم بالارمني حتى انهم اخذوا يبكون من حلاوة لفظه وكلامه. ثم جاؤا فرداً فرداً يتباركون منه. أولاً الكهنة والشمامسة وبعدهم الرجال والنساء. وكانوا يجثون على ركبهم. ومنهم من كان يبوس يده ومنهم ركبته ومنهم ثيابه ومنهم رجليه. وهكذا كانوا يتباركون منه بايمان زائد كمن المسيح. وكان هو جالساً بثيابه الحبروية والتاج في راسه كمثل ملاك الله. وكنت انا الحقير حاملاً عكازته وواقفاً على جانب الشمال. وكان الكهنة والشمامسة حاملين [٨٨] الشموع ومحتاطين به حتى انتهينا نصف النهار. ثم خلع المونسنيور طقسه[1] واخذونا الى بيت واسع فرشوه بالطنافس واجلسوا المونسنيور على كرسي ووضعوا امامه طاولة. وجلس الباقي على عادة البلاد وجابوا العرق وملبس السكر في اوانٍ فضية. ثم جابوا الغداء وتغدّينا ورجعنا الى مكاننا ورافقنا القسوس والاعيان.

وثاني يوم اخذونا الى كنيسة اخرى تُسمّى كنيسة العذراء. فقدّس المونسنيور هناك واضافونا ورجعنا الى الدير. ثم اخذونا الى دير خارج الضيعة فاكرمنا الرئيس ورجعنا الى مكاننا.

[٨٩] وثالث يوم جاؤا اخذونا الى ضيعة بعيدة عنا اربعة اميال تُسمّى اكوليس الصغيرة ام تشط. اما الدير الذي كنا فيه فأهدوا الى المونسنيور طنفسة عجيبة وقدّاً[2] أطلس. وهو ايضاً عاوضهم. وجاء معنا بعض اكابرها وودّعونا ولما وصلنا الى نصف الدرب خرجوا امامنا بالطبول والزمور. ولما قربنا الى الضيعة خرج الكهنة والشمامسة وباقي الشعب بالزياح فنزل المونسنيور وجثا امام الصليب. ثم البسوه بدلة جميلة والزموه ان يركب فلم يُرد بل بقي يمشي. وعند دخولنا الى الضيعة [٩٠] انزلونا في بيت اسقفهم داخل حوش الكنيسة. وثاني يوم قدّس المونسنيور قداساً كبيراً. وبعد القداس اجلسوه على كرسي وجاؤا جميعهم تباركوا منه. ثم اضافونا احسن ضيافة. فتغدينا ثم حملنا قاصدين الرجوع. فجاؤا يتوسلون الى المونسنيور ليبقى عندهم اقلها يكون ثلاثة

١) حلته الكهنوتية ٢) ثوباً

ايام. فقال لهم ما اقدر اتعوّق ازيد لان اليوم ثانية ايام منذ راحت احمالي الى جولفة[1] والمكارية والمهمندار ينتظروني هناك. فركبنا الى جولفة وركب معنا اكابر الارمن من الضيعتين اي اكوليس الكبيرة والصغيرة.

[٩١] ثم عدّينا على ضيعة ونند[2] نصفها مسلمون ونصفها ارمن. وكل منهم يقطن منعزلًا عن الآخر. وطلع جماعة الارمن امامنا وتعلقوا بالمونسنيور يطلبون منه باكين ان ينزل يبارك ضيعتهم وبيوتهم فلم يرد ان ينزل. فالحوا عليه وبدأوا يقبلون يديه ورجليه قائلين: كيف تروح تبارك ضياع اخوتنا الدولتلية[3] ونحن بما اننا فقراء تجوز علينا؟ فنزل المونسنيور وتوجه نحو البيت ولما اقتربنا بقي كل واحد يريد ان ياخذه اليه. واخيرًا واحد منهم كان له اخوان في بلاد الفرنج اخذنا الى بيته. [٩٢] ولما دخلنا الحوش جاءت امه وسقطت على ارجل المونسنيور تبكي وتسأله عن ولديها. فسلّى خاطرها وعزّاها وباركها. فادخلته الى بيتها وجاء كل اهل البيت الصغار والكبار وتباركوا منه.

ثم بسطوا مكانًا داخل حوشهم واحضروا مائدة. وكان كل واحد من اهل الضيعة يجيب من المأكول والمشروب ويضعه في الصفرة[4] ليبارك عليه المونسنيور. ثم اجلسوا المونسنيور وجلس كل واحد في مكان وشربوا وتوسلوا الى المونسنيور حتى شرب فنجانًا. وكان هناك كبير القسوس الذي يستونه وارتابيد جالسًا [٩٣] عن يمين المونسنيور وانا عن شماله. وفي الوسط غضارة كبيرة تسع عشر بوقالات[5] شراب. فأخذها القسيس بيده ورفعها عن الارض وكان ذا بطن كبيرة وقال للجماعة كل من يحب المونسنيور يشرب من هذه قدر ما يريد. فلما نظر المونسنيور الغضارة في يده سألني قائلًا ماذا يريد ان يعمل هذا؟ فقلت له يريد يشرب في محبتك. فقال ان كان يحبني لا يشرب. وكان المونسنيور يظن انه يشربها كلها. ثم وضعها على فمه وشرب منها مقدار قدح واعطاها الى رفيقه الذي بجانبه فعمل كذلك قائلًا: في محبة المونسنيور. وهكذا عمل جميعهم حتى [٩٤] وصلت اليّ فشربت مثلهم في محبة المونسنيور.

١) هي غير جولفة السابقة الذكر ٢) لا اثر لهذه القرية في يومنا
٣) الاغنياء ٤) الطبق ٥) اقداح

ثم طلب مني المونسنيور ان املأ له قليلاً من النبيذ الممزوج بفنجان فاخذه وشرب هو ايضاً في محبتهم فقاموا كلهم على ارجلهم وكشفوا رؤوسهم . وبعد ذلك قمنا من المائدة وقاموا جميعهم . واخذ كل واحد في يده لقمة خبز من تحت البركة حتى يؤدّوها[1] الى بيوتهم . ثم ركبنا وارتحلنا ومعنا اعيان الارمن حتى وصلنا الى الدير المذكور وبتنا هناك .

وثاني يوم قمنا وتودعنا من جماعة الارمن واستكثرنا خيرهم وتباركوا من المونسنيور ورحنا حتى وصلنا الى جولفة . فخرج الكهنة والشعب بالزيّاح [٩٥] كباقي القرى . وخرج ايضاً المهمندار مع ناسه . وفي الليلة الماضية كان قد جاء حرامية[2] الى الضيعة ليسرقوا من حوائجنا . فامسك المهمندار ثلاثة منهم وكانوا مسلمين وجعلهم في القيود . ولما نزلنا في الضيعة احضرهم امام المونسنيور فابتدأ يكرز عليهم وينصحهم حتى يتوبوا . ولما سمع حاكم نقشوان[3] بعث اخذهم لانهم أمسكوا في ارضه . وثاني يوم ايضاً بقينا هناك الى ان قضينا اشغالنا . فجاءنا بادري كبوجي من جانب خان تفليس الكرجي ابن الشاه نوازخان يدعو المونسنيور حتى يروح الى تفليس ويسكن هناك . فامتنع عن الرواح ودخلنا احمالنا [٩٦] في الباركات[4] التي كانت على نهر الارز[5] وجزنا الى الجانب الآخر وتودعنا من الجماعة الذين كانوا يرفقتنا من ابرانير . ورجع البادري الكبوجي عند الخان .

فجزنا النهر ورحنا الى ضيعة مسلمين فخرجوا لملتقانا وانزلوا المونسنيور واكرموه . وثاني يوم رحنا الى ضيعة اخرى ففعلوا كذلك . وكان المونسنيور يوصي المهمندار ان لا يظلم احداً ولا يأخذ شيئاً زائداً من احد . ورابع يوم وصلنا الى ضيعة مسلمين تُسمّى مرند ومنها مرحلة الى تبريز . ولما اقتربنا منها خرج اعيانها لملتقانا راكبين والطبول والزمور بين ايديهم واستقبلوا المونسنيور بفرح عظيم [٩٧] وانزلونا في احسن البيوت .

---

١) يأخذوها
٢) قاطعو الحرام واللصوص
٣) نخجفان
٤) السفن او القوارب
٥) هو النهر الفاصل ارمينية عن بلاد الفرس

اما المونسنيور فكانت عادته اذا وصلنا الى قرية يدخل هو ومسيو كازمو والبادري جاستو البرتغالي الى حجرة ويقدّس المونسنيور . لاننا كنا نحتل في الليل ونصل الى الضيعة قبل نصف النهار . وانا كنت اروح اقضي كل الاشغال التي نحتاج اليها واحضر الغداء للجماعة لاننا كنا خمسة عشر نفراً سوى المهندار . واول وصولنا الى هذه الضيعة كتب المونسنيور مكتوباً وبعثه مع الساعي الى البادري الكبوجي في تبريز يعلمه بوصولنا .

١٢ وصول المونسنيور يكيت الى تبريز

[٩٨] وثاني يوم حملنا من بكرة ورحلنا . وفي نصف الدرب لقينا البادري والمطران اسهاك مطران تبريز ومعهما ازيد من عشرين ارمنياً . فنزلوا عن خيلهم وتباركوا من المونسنيور وركبوا ومشينا . ولما قربنا من تبريز لقينا مهندار البلد مع بعض اعيان المسلمين ومعهم فرس مُسرجة مزيّنة حتى يسحبوها امامه اكراماً له وقد ارسلها اليه حاكم تبريز . فسلّموا على المونسنيور وادخلونا الى تبريز بعز عظيم . وكانوا قد هيّأوا لنا مكاناً وانزلونا في بيت رجل ارمني اسمه قازار . [٩٩] فلما كان الاحد عزمونا الى كنيسة الارمن فركبنا خيولنا واجتزنا الاسواق . وقبل وصولنا الى البيعة خرج المطران والقسوس والشمامسة بالخوارس[1] حاملين صناجق الصليب والاناجيل والمباخر والصنوج والنواقيس تدق بين ايديهم والشعب يتبعهم والمسلمون واقفين في الازقة يتفرّجون . واول ما اقتربوا الينا نزل المونسنيور عن فرسه ونزلنا جميعاً فجثا على ركبتيه امام الصليب المكرّم ثم البسوه بدلة حمراء ومشينا حتى وصلنا الى الكنيسة والناس تزحمنا حتى يتباركوا من المونسنيور .

[١٠٠] ولما دخل الى الكنيسة أجلسوه على كرسي وجابوا لقن فضة وابريق فضة ملآناً ماء ورد . ثم تشتّل[2] المطران اسهاك وجثا على ركبتيه امام

---

١) بالزي الكهنوتي العلني .
٢) تشتّل بالشلة تشتّف بها . والشلة كساء واسع يُشتّل به .

المونسنيور وغسل رجليه[1] . وتزاحم الناس واخذوا الماء الذي غسل رجليه مثل الماء المبارك وكانوا يمسحونه في وجوههم بايمان عظيم . ثم قدّس المونسنيور قداساً كبيراً وكرز بالايطالياني وكان عازريا يشرح لهم بالارمني فتغدّينا هناك . وكان اكابر الارمن جميعهم حاضرين . وبعد [١٠١] الغدا رجعنا الى بيتنا .

وثاني يوم ركبنا مع المونسنيور ومعنا مهندار البلد امامنا ورحنا حتى نزور حاكم البلد مرزا ابرهيم . وكان قد حضر جماعته في السراي . فلمّا دخل المونسنيور نهض قائماً واستقبله بفرح وأجلسه في المكان الاشرف واجلس جماعتنا كل واحد في مكانه . ثم ابتدأ يحكي مع المونسنيور وانا كنت الترجمان باللسان التركي . ثم احضروا مائدة من جميع الخيرات فتغدينا ورجعنا الى بيتنا .

ويوم الاحد رحنا الى بيعة الكبوجيّين وقدّس المونسنيور . وكان المطران اسهاك حاضراً [١٠٢] واكابر الارمن . وكرز المونسنيور وبعد القداس تغدّى مع المطران اسهاك عند البادرية ورجع الى البيت . وكان كل يوم يقدّس في حجرته ويصلّي في صلاته .

١) هذه عادة قديمة اذ كان المضيف يغسل رجلي ضيفه (تكوين ١٨ : ٤ ، ولوقا ٧ : ٤٤)

(لها صلة)

شذرات

الاوضاع الصوفية لدى فلاسفة العرب

اتانا من حضرة الاديب عبدالستار ميت ، بنكالور (الهند) ، البحث التالي في بعض الاوضاع الصوفية لدى فلاسفة العرب . ومن الطبيعي ان « المشرق » لا يسلّم بما ينطوي تحت هذه الاوضاع من الاضاليل المالولية ، وليست هي من معتقد الكاتب الفاضل ، بل من آراء الفلاسفة المكتوب عنهم . قال :

قد اختصّ العلماء المسلمون من الصوفية في القرون الخوالي بالفلسفة اليونانية وغيرها اختصاصاً تامًّا ، وقامت الوف من المصطلحات الجديدة مقام المصطلحات التي وضعها الفلاسفة في لغتهم . ومن الغريب انهم اختلفوا في ما اختاروه من حيث المعاني . فلا يقدر اشياعي من الرجال ان يفهموا الفاظهم العلمية محوّلين قياسهم الى الاصل عند المقابلة الا باعمال الفكرة كثيرًا جدًّا . ولا شك انهم جعلوا المصطلحات متعرّبة من اليونانية نظرًا الى عقائدهم الدينية ، وهذا يفسر لي الثقة التي كان الصوفية يتمتعون بها من بين علماء الشريعة الاسلامية الذين كانوا متمسكين بالقرآن والاحاديث النبوية ومعتصمين بنصّها الظاهري منذ ظهور طرقهم المتعددة خلال القرون المتوالية الى اليوم . واني مع قلة علمي بمسائل الفلسفة والتصوف ، تجاسرت على ايراد بعض مصطلحاتهم ومعتقداتهم مع مقابلتها ببعض العقائد الفلسفية .

ذهب الصوفية الى آراء الفلاسفة وقالوا ان هناك اربعة موجودات : اولًا : الوجود الباطن ؛ وله مترادفات في لسانهم مثلًا : الوجود الاوّل ، ذات البحت ، الوجود الخاص ، مبدأ المبادئ ، اول الاوائل وغيرها ؛ وهذا الوجود مستقلّ بالموجودية بلا شرط شيء في حدّ ذاته . ثانياً : الوجود المنبسط ؛ وله مصطلحات لفظية اخرى ، مثلًا : طبيعة الكل ، هيولى العالم ، الوجود العام ، حقيقة الحقائق ، الحقيقة الكلية ، النفس الكلية ، الصادر الاول وغيرها ؛ ويقال انّ صور واشكال العالم كلها متواردة على الوجود المنبسط كتوارد

الحبب والامواج على الماء ، وتوارد الاشكال على الشمع . ذهب بعض الصوفية الى الرأي ان هذين الوجودين لا غيرية بينهما ، ولذلك سموهما بالوجود المطلق . ولكن الشيخ ابن العربي خالفهم وقال ان الوجود الباطن ، هو الوجود المطلق . ثالثاً : واجب الوجود ، وهذا الوجود مقيد بقيود الاوصاف الوجودية . رابعاً : ممكن الوجود ، وهذا الوجود مقيد بالقيود الامكانية ، ويقال له الصادر الثاني ايضاً .

يرى الفلاسفة ان الوجود الباطن ، هو الروح وان الوجود المنبسط ، هو المادة وهي ازلية قديمة ايضاً . كما وجه النبي موسى افكاره الى حل هذه المسألة في سفر التكوين في الفصل الاول . وقد اثبت القرآن هذا القول بالآية الآتي ذكرها :

« وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَوَاتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى ٱلْمَاءِ » . (سورة هود: ٩) وانا اعتقد ان المراد بالماء هو المادة ، ويظهر من سياق الكلام انها قديمة ، ويقول سيمون (Simon):

God is present in every intellectual act. Man can not conceive the *ego* and the *non-ego* otherwise than as causes, nor conceive these causes otherwise than in a substance ; and as that makes two causes and two substances..... etc. (1).

« ان الله موجود في كل فعل عقلي . فلا يقدر الانسان ان يتصور « انا » و« لا انا » الا بمثابة علل . ولا ان يتصور هذه العلل الا في جوهر ما . وكذا هذا ينشأ عنه علتان وجوهران الخ . . . »

وهناك امثلة اخرى تختلف فيها آراء الصوفية لسبب المصطلحات المختلفة عن المعنى الواحد . قد قال صاحب المكتوب المدني : « ان الثبوت منبعه اقتضاء الذات الالهية للعالم في عالم العقل قبل الوجود الخارجي ، وهو الذي يسميه الصوفية بالتنزل العلمي » . وقال ايضاً : « ان الوجود منبعه الوجود المنبسط على هياكل الموجودات اياماً شئت تقل ، وهو صادر من الذات الالهية . » وقال

(1) Victor Cousin *by* Jules Simon. *Translated by* G. Masson ; pp. 42, London, 1888.

القيصري : « الصوفية لا يريدون بالعالم ارتسام صور الاشياء ولكنهم يريدون صدور الاشياء منه مرة واحدة في المرتبة العقلية قائمة بالواجب لا بنفسها . ولنبيّن ذلك بمثال: اذا وضعت الخاتم على الشمعة انتقش فيها الحروف المكتوبة في الخاتم ، فالحروف الظاهرة في الشمعة انما كانت لعلة فاعلة وهو الخاتم وعلة قابلة هي الشمعة . » ولكن صاحب الانسان الكامل يقول « ان الارادة الالهية صادرة من غير علة ولا سبب بل محض اختيار » . اخذ الشيخ ابن العربي في مخالفته وقال ان « لا يجوز انه يسمّى الله تعالى مختارًا فانه لا يفعل شيئاً باختيار بل يفعله على حسب ما اقتضاه العالم من نفسه . » من هذه الآراء يظهر لي انهم اختلفوا في الفاظ الصدور ، الاقتضاء ، الارادة ، الاختيار ، العلّة ، وغيرها للمعنى الاصلي . مع هذا كله ، انا استغرب اقوالهم المنطبقة على التأويلات الفلسفية بشأن الوجودات الاربعة وشذوذهم عن المنطق الصحيح .

والآن اذكر ما قاله القيصري في شرح القصيدة الفارضية عن النفس الكلية : « العقل الاول هو آدم الحقيقي والنفس الكلية هي حوّا الحقيقية والعقول والنفوس الناتجة منهما اولادهما ؛ آدم ابو البشر ، وحوّا صورة ما في العالم » . اما العقل الاول فقد اتفق بعض الصوفية على ان المراد به انواع الارواح منها اهل الجبروت كالعقل الاول والملائكة ، ومنحها اهل الملكوت كالنفس الكلية والنفوس المجردة والسماوية والعنصرية البسيطة والمركبة وغيرها . والذي يهدينا الى فهم هذا الشرح هو قول سيمون (Simon) الآتي ذكره :

After having described and explained humanity, Cousin describes and explains the species ; as he has written history of the man, so he writes that of the species. There he finds the same law and the same progress. Just as, in man, he has proceeded from psychology to ontology, so he begins the history of humanity by the history of thought, that is to say, the history of science. Divine science embraces the totality of the being, and is the totality of science ;..... human science..... is progressive instead of being perfect. (p. 45).

« ان كوزّن ، بعد ان وصف وبسط الانسانية ، يصف ويبسط الانواع . وكما انه كتب تاريخ الانسان كذلك يكتب تاريخ الانواع . وثمّت يجد

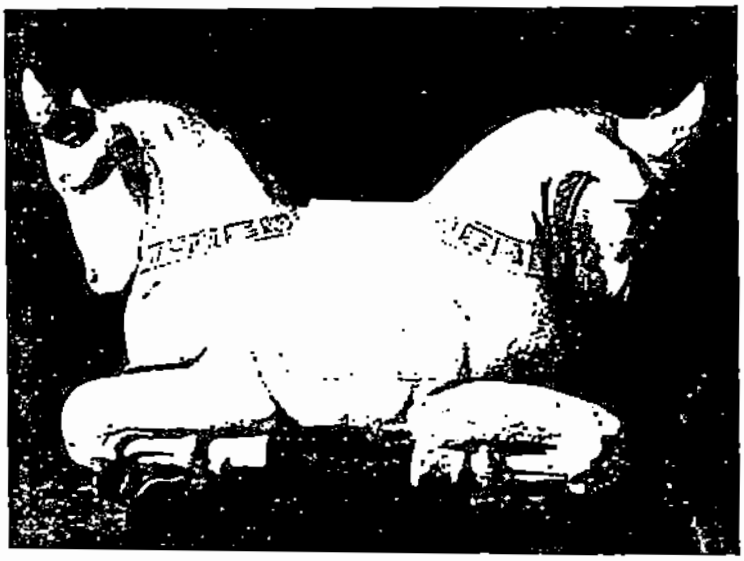

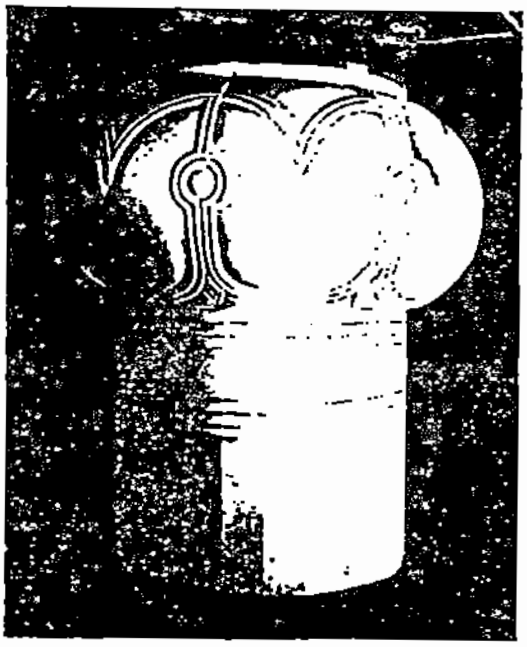

تاج احد الاعمدة في هيكل ميدون الفارسي ، ويعمر به التأثير اليوناني

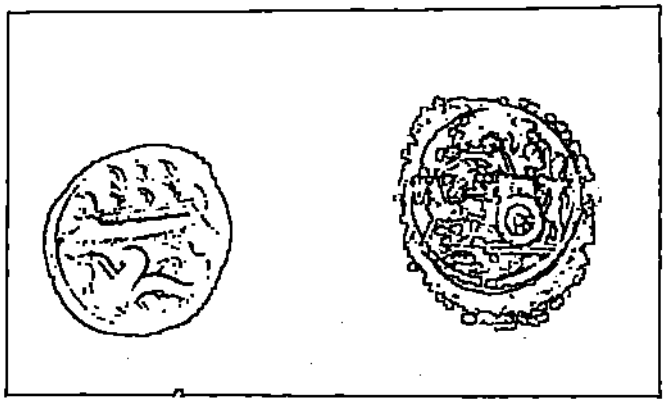

صورة سفينة فنيقية حربية على قطعة قديمة من النقود

ناموساً واحداً ورقياً واحداً . وكما انه ، فيما يتعلق بالانسان ، تطرّق من علم النفس الى علم الكائن ، هكذا يستهلّ تاريخ البشرية بتاريخ الفكر ، كما لو قلت تاريخ العلم . فان العلم الالهي يشمل كلية الكيان وهو كلية العلم . . . وانما العلم الانساني . . . هو في طريق التقدّم لا في مقرّ الكمال . »

قال القيصري ايضاً في مقدمة شرح النصوص : « قد يقال للعقل الاول امّ الكتاب لاحاطته بالاشياء اجمالاً وللنفس الكلية الكتاب المبين بظهورها تفصيلا . »

فيؤخذ مما تقدم ان بعض الصوفية اتخذوا لفظي آدم وحوّاء مقام العلم الانساني بالعالم.

اما مسألة وحدة الوجود فقد اختلف الصوفية فيها من حيث الالفاظ . قال صاحب المكتوب المدني : « الصوفية حيث قالوا العالم عين الحق ما ارادوا نفي الوجودات الخاصة الحاصلة من تنزّل الوجود الى مراتب شتى ، بل ارادوا افادة معنى التنزل والظهور . فكما انّ المعقولي يقول : زيد وعمرو واحد ، يعني بهما التماثل في النوع ولا اتحاد من كل وجه ويقول ان الانسان والثعلب واحد يعني هما اشتركا في الحيوانية . فكذلك الصوفية يقولون العالم عين الحق وهم يعنون تعيّنات كلية في الوجود المنبسط » . قال الشيخ ابن العربي : « سبحان من اظهر الاشياء وهو عينها » . وقد ثبت عنده عين الوحدة مع الاعتبارات والاضافات . وقال مولانا عبد الرحمن الجامي بان الفرق بين الذات الالهية والصادر الاول اعتباريّ .

يسأل سيمون (Simon) نفسه بشأن هذه المسألة وسؤاله اوفى بالمرام :
What is pantheism, but belief in the Unity of substance, and of cause?

« ما هي الحلولية سوى الاعتقاد بوحدة الجوهر والعلة ؟ »

والخلاصة ان علاقة التصوف بالفلسفة لا تبعد عن الحقيقة الظاهرة ولو كانت المصطلحات مختلفة وغير منطبقة على المنطق الصحيح : ،

لا تماروا الناس فيما اعتقدوا كل نفس بكتابه وسبيل (شوقي)

بنكالور (الهند) عبد الستار سيت

تمثال فرحات في الشهباء

جرى في ٢٠ ايار المنصرم احتفال فخم في مدينة حلب كانت غايته تكريم ذكرى المطران جرمانوس فرحات ، مَن يُدعى بحق اب النهضة العربية الحالية ؛ وذلك بمناسبة مرور مائتي سنة على وفاته . فاقيم له تمثال جميل من البرونز يرى المطالع صورته الى جنب هذا الكلام .

افتتح النهار بحفلة دينية كبرى في الكاتدرائية المارونية القى فيها سيادة المطران اغناطيوس مبارك ، رئيس اساقفة بيروت الماروني ، عظة بليغة .

أما حفلة ازاحة الستار فكان ميعادها بعد الظهر . ولما دنت الساعة المعيَّنة احتشدت الجماهير في ساحة الكاتدرائية المارونية حيث كان التمثال منصوباً ، يغطّيه العلَم السوري ، وتحيط به الاعلام البابوية والسورية والفرنسية واللبنانية . وكان قد أقيم في جانبيه منبران ، واحد للرجال الرسميين والآخر للخطباء . فاعتلى الاول رئيس الجمهورية السورية ، محمد علي بك العابد ، وسيادة المطران عبد الله خوري ممثل غبطة البطريرك الماروني ، ورئيس الوزارة السورية الشيخ تاج الدين الحسني ، وجميع اساقفة الطوائف المسيحية ، وعدد كبير من اعيان حلب ووفود لبنان . وتتابع على المنبر الثاني الخور اسقف اغناطيوس سعد ، والاستاذ لويس زيادة ، وسيادة المطران اغناطيوس مبارك ، واحد مبتدئي الرهبانية الحلبية بالنيابة عن الاباتي جبرائيل العشقوتي ، والاب شانتور اليسوعي ، والمدبر انطون عارج ، والاستاذ اميل صعب ، وموفد الحكومة اللبنانية شبلي بك ملّاط . ثم القى سيادة المطران ميخائيل اخرس ، كلمة شكر ، تكلم بعدها سيادة المطران عبد الله خوري ، وختمت الخطب بابيات للخوري انطون عقل .

ثم انتقل المدعوون الى قاعة نادي الشبيبة الكاثوليكية حيث كانت لجنة الاحتفال اعدّت مأدبة فاخرة وقد ارسل نيافة الكردينال باشلي ، وزير خارجية الفاتيكان برقية هذا تعريبها : «رئيس الاساقفة الماروني ميخائيل اخرس — حلب

بمناسبة ازاحة الستار عن تمثال المطران فرحات ، فان الاب الاقدس مع تهانئه بهذا المشروع الشريف ، يهدي اليكم بركته الرسولية الملتمسة .»

تمثال المطران جرمانوس فرحات

مطبوعات شرقية جديدة

DENIS SAURAT, Histoire des religions. In-8°, 413 pp. Paris, Denoël et Steele.

تاريخ الديانات

هو عنوان ضخم لا يتناسب ومواد الكتاب . وذلك اولاً لان المؤلف لا يستوعب موضوعه ، ومن المستحيل في زمننا الحاضر أن يقوم رجل فرد فيؤرخ ديانات العالم جميعها . وثانياً لان الكتاب لا مبرّر له ، على ما يظهر ، الا ان يعرض لنا رأي المؤلف في الله . لقد نشأ السيد سورات، الاستاذ في جامعة لندن، على المبادئ العقلية المحضة فكان من منكري الوحي . ولا يظهر انه دان بدين من الاديان . الا انه تحقق ، في اختبارات حياته ، ان فكرة الله لا تزال مستقرة في النفوس ؛ وبدا له انها سوف لا تضمحل على رغم تقدم العلوم وارتقاء العقل ، فاخذ يسأل نفسه عما وراء هذا الاعتقاد . وهكذا تولد كتابه .

فلم يكن منه ، وقد شاء حل هذا المشكل ، الا ان تصفح عدة كتب عن الديانات المختلفة في العالم ، تصفحها سريعاً فلم يفهمها لانه لم يتعمق في درسها ، بل لم يتعمق في درس اية ناحية منها . ولكن هذا لم يمنعه من اصدار حكمه على كل شيء ، فكان تارة يسند هذا الحكم الى آراء اولائه ، وطوراً الى رأيه الشخصي . فقاده الامر الى نتيجة مزدوجة مفادها ان الانسان بحاجة ١ الى وجود الله ، و٢ الى الاعتقاد بحياة بعد الموت . والمؤلف يرى ان النتيجة الاولى اشد رسوخاً من الثانية . هذا وقد قيد متن كتابه كله بهذه النتيجة فكان من الطبيعي ان يخطئ في عرض التاريخ . وكأنه لا يشعر بانه لا يحل شيئاً من المشكل او انه يجيب عن الصفر بالصفر . وقد كان خيراً له لو احتفظ لنفسه بهذه الآراء ! وان من حقنا ان نسأل : لمن يكتب المؤلف ؟ أأولائه من منكري الوحي الدائنين بالعقل المحض ؟ وهو لا يفيدهم شيئاً

جديداً ! ام للمعتقدين بوجود الله ؟ ومن منهم يتبع المؤلف في تلك الاخطاء الفادحة التي يكررها بسهولة غريبة ظاناً انه يأتي بالجديد المبتكر ! وهو لا يبرهن في ذلك الا عن جهله اصول العلم الذي يخوض فيه وعن تحيزه الاعمى الى استغلال الاحكام السابقة . واذاً فهو ابعد من ان يقنع ارباب الديانات ، ولاسيما الكاثوليك الذين يظهر لديانتهم ميلاً لا بأس به .

على ان الكتاب يظهر بجملته مثالاً لذلك القلق الديني الصابغ عصرنا في بعض نواحيه : ان الاستاذ سورات يفتش عن الله ، واذ لا يجده فهو يكتفي بنتيجة سلبية تقوده الى الانكار المحض ، في المحيط الديني اولاً . ولكن هذا الانكار سوف لا يلبث ان يتصل بالمحيط العقلي ، حتى المادي نفسه . على ان كلّ هذا لا يبرّر قصد المؤلف بتأليف « تاريخ للاديان » . هذا وان المطالع المخلص ، اذا ما فرغ من قراءة الكتاب ، لا يتمالك ان يشفق على المؤلف فيسأل الله ان ينيره وجميع امثاله الحائرين المفتشين عن الحقّ سبحانه . واننا نؤمل ان يكون مخلصاً في حيرته وتفتيشه ، وهذا شرط اساسي لكي ينير نفسه ذاك الذي يفتش عنه .

Fr. M. Braun O. P., Où en est le problème de Jésus ? In-12, 413 pp. Bruxelles, Editions de la Cité chrétienne, 1932. Prix : 24 fs. fr.

مشكل يسوع في عصرنا الحاضر

هذا الكتاب مجموعة محاضرات القاها المؤلف ، سنة ١٩٣١ ، في معهد العلوم الفلسفية والدينية في بروكسل . وقد اجاب فيها عن السؤال الذي لا ينفك المسيح يلقيه جيلاً فجيلاً : « من تقول الناس ان ابن البشر هو ؟ » ... و« انتم من تقولون اني هو ؟ » فلخص اشهر النظريات والمذاهب في شخصية المسيح التي ظهرت منذ اوائل القرن العشرين . ثم اورد شهادة الانجيل ليسوع ، وشهادة يسوع لنفسه . كل هذا باسلوب ، واضح ، سهل القراءة ، لذيذ .

ج. ل.

PETRUS VOGT S. J., **Mariae Vita**, ex opere sancti Canisii de Maria Virgine incomparabili et Dei Genitrice sacrosancta, brevius comprehensa ac mensibus festisque Mariae accommodata. In-8°, VIII+232 pp. Torino, Casa Editrice Marietti, 1934. Prix : L. 7,50.

يكفي عنوان هذا الكتاب للدلالة على ما قصده المؤلف اذ قام باعادة طبع كتاب معروف للقديس كانيزيوس ، بعد ان نظر فيه واظهره بمظهر يوافق العصر الحاضر . وفي الكتاب الفائدة الجلّى للكهنة الكاثوليكيين اذ يضع بين ايديهم نصاً قيماً لا يزال على نفاسته الى اليوم فضلاً عن كونه من قلم احد القديسين .

GIUSEPPE FURLANI, **Il poema della creazione (Enûm elîs)**, Traduzione, introduzione e note. (*Testi e documenti per la storia delle religioni*, 6) In-12, 126 pp. Bologna, Zanichelli, 1934.

ملحمة الخلق

لا يزال الاستاذ فورلاني يتابع جهوده في اطلاع مثقفي الايطاليين على ديانة شعوب ما بين النهرين . وكان الايطاليون ، حتى المدة الاخيرة ، قد اهملوا نوعاً الاهتمام بتلك الشعوب (راجع ما تقدّم من وصفنا لكتب الاستاذ فورلاني في المشرق ٢٧ [١٩٢٩] ٧١٤ و٢٨ [١٩٣٠] ١٥٠ و٣٠ [١٩٣٢] ٣٩٢) وها انه يهدي الينا اليوم ترجمة كاملة للملحمة المشهورة باسم « انوما اليش » مأخوذاً من الكلمتين الاوليين في الملحمة ؛ وهي تحتوي على تاريخ خلق الكون ، وغايتها الاولى تمجيد الاله مردوك ، كبير آلهة بابل على عهد الدولة الاولى وهي دولة حمورابي ، اي نحو السنة الالفين قبل المسيح . وكان من عادة البابليين القدماء ان يقرأوا هذه الملحمة في « نيسان » وهو اول يوم من السنة البابلية ، في سلسلة من الحفلات تؤدي الى القيام بكثير من الزيارات التقوية والاعياد المتنوّعة .

وقد قدّم على الترجمة توطئة موجزة ، ولكنها جامعة اشار فيها الى المشاكل الاساسية التي تختص بالملحمة المذكورة وبما يمكن فرضه لها من اصول قديمة وان

لم يكن لدينا اثر شومري لذلك ؛ وقد اشار كذلك الى الاصول الاشورية الكائنة بين يدينا اليوم ، من مقاطع واختلافات جُمعت منذ نحو ثلاثين سنة ، كما اشار الى الابحاث التي نشرها في الموضوع لا الاشوريون فحسب بل علماء الكتاب المقدس وغيرهم ...

وقد صرف المؤلف اهتمامه ، في هذا المجلد ، عن كل مناقشة تختص بلغة النصّ الاشوري للملحمة وهو النص الوحيد المعروف لدينا . وقد اهتم خاصة بدرس الناحية التاريخية الدينية في ذاك الاثر .

والمؤلف مطلع اطلاعاً واسعاً على الكتب العديدة التي نشرت في الموضوع . اما ترجمته فسهلة سائغة تخالف ، في بعض نقاطها ، الترجمات المعروفة حتى اليوم وتبرهن عن حكم رصين متحفظ في الموضوعات التي لا تزال عرضة للمناقشة . ولا نتمالك في الختام من ان نسأل : متى يكون لنا في اللغة العربية ترجمة لهذه الملحمة وما اليها من الآداب السمارية ؟ متى يظهر في العالم العلمي اول عالم شرقي سوري بعلم الاشوريات ؟ س . ر .

ADOLF SCHULTEN, Geschichte von Numantia. In-8°, 170 pp. 11 plans et 13 fig. München, Piloty und Loehle, 1933. Prix, relié : 8 Mks.

تاريخ نومنسية

مؤلف هذا الكتاب اعلم علماء الالمان بتاريخ الجزيرة الاسبانية القديم فقد اختصّ به منذ شبابه ، وواصل الحفريات في تلك الانحاء منذ السنة ١٩٠٥ حتى السنة ١٩١٢ . وها هو يبدي الينا اليوم مجلداً شائقاً جديراً بمكتبة بيلوتي ، ضمّنه ملخصاً تاريخياً لصفحة هي من اجلّ صفحات التاريخ الروماني في اسبانية .

ظهر في السنة ١٩٣١ المجلد الرابع من كتاب كبير للمؤلف عن نومنسية نفسها . الا ان ثمنه الغالي كان يحول بينه وبين الانتشار في محيط جمهور القراء ، فضلاً عما اختص به من التدقيقات التي لا تهمّ غير الاختصاصيين . فكان لا بد ، والحالة هذه ، من وضع كتاب يبسط آراء المؤلف بسطاً علمياً سهلاً . وهو الكتاب الذي نصفه اليوم ، وقلّما رأينا افضل منه تنسيقاً وجلاء ، فضلاً

عما اتصف به من سهولة الانشاء وجماله حتى بلغ وضوحاً لاتينياً تاماً.

نومنسية بلدة صغيرة في اعالي جبال قشتالة أسسها، في العصر التاريخي، فريق من السلتيين زحفوا على تلك البلاد بُعيد السنة ٧٠٠ ق. م. ثم لحق بهم حوالي السنة ٤٠٠ ق. م. قوم من الايبريين اتوا من الجنوب ومن افريقية. وظلّت نومنسية دون تاريخ يُذكر حتى القرن الثاني ق. م. فبدأت المعارك الاولى بينها وبين الجيوش الرومانية في السنوات ١٨١ - ١٧٩، ثم في ١٥٣ - ١٥١، وتتابعت تلك الحروب من السنة ١٤٣ الى السنة ١٣٤ بشدة وصبر. فاظهر فيها المقاومون شجاعة نادرة هالت رومية فارسلت اليهم القائد سيبيون الشهير فاناخ على البلدة وبنى حولها سوراً للحصار، كما فعل بعده يوليوس قيصر محاصراً اليزية في بلاد غالية؛ ولم يلبث سيبيون مضيقاً على نومنسية حتى اخضعها في السنة ١٣٣. على ان مقاومة النومنسيين ظلّت، في التاريخ، مثالاً للشجاعة الفائقة ولما يقوم به الشعب الحرّ من التضحيات في سبيل الدفاع عن حريته.

ولقد كان على الرومان ان يقوموا بعد ذلك بمثل هذا الحصار اذ اناخوا على مسدة في الضفة الصخرية الغربية من البحر الميت وذلك سنة ٧٢ ق. م. وكان في تلك المدينة ٩٠٠ من اليهود قُتلوا جميعاً عن آخرهم في الدفاع عن بلدتهم.

واذا ذكرنا تلك التضحيات والمقاومات في سبيل الحرية فلا ننسى لبناننا نعزيز، على كون اللبنانيين كانوا اسعد حظاً من اليهود. الا انهم لم يتخاذلوا في الوقوف في اوجه الفاتحين والغزاة. ولهذا، فاننا نُعجب باهل نومنسية ونهتمّ بتاريخهم.

س. ر.

AL-ŠAQUNDI, Elogio del Islam español. Traducción española por EMILIO GARCIA GOMEZ. [*Publicaciones de las Escuelas de Estudios arabes de Madrid y Granada*, Serie B, num. 2]. In-8°, 123 pp., 1934. Prix : 4 pesetas.

رسالة في فضل الاندلس

اسم مؤلف هذه الرسالة ابو الوليد اسماعيل بن محمد، توفي في اشبيلية سنة ٦٢٩ للهجرة (١٢٣١-١٢٣٢ م). اما لقب الشكوندي المعروف به فنسبة الى

بلدة شكونده ، مسقط رأسه . وكان من امر هذه الرسالة ان حصل مناقشة يوماً بينه وبين احد ادباء مراكش في اي البلدين افضل فكتب الشكوندي في فضل الاندلس ذاكراً كل من حكم فيه من الخلفاء والملوك والامراء بادئاً بالامويين . ثم اشار الى الوزراء والقواد وسائر رجال الدولة ، والعلماء ، والادباء . وبين هؤلاء كثير لا نعرف لهم ذكراً في غير هذه الرسالة . وفيها كذلك عدد لا يُستهان به من المنتخبات الشعرية منشورة لاول مرة . وكلها تدور خاصة على وصف الخمرة والملذّات الشهوانية مما يدل على ان المثال الاعلى في تلك البيئة لم يكن على شيء من السموّ .

وقد خصّ الشكوندي القسم الثاني من رسالته بوصف اشهر مدن الاندلس كاشبيلية ، وقرطبة ، وغرناطة ، ومالقة الخ . . . ومما زاد الاثر قيمةً ان المترجم علق عليه حواشي مفيدة جديرة بعلمه وبجهود مدارس المستعربين في مدريد وغرناطة . ه . ل .

E. M. ANTONIADI, L'astronomie égyptienne. In-8°, illustré de 50 fig. dans le texte et de 7 planches hors texte. Paris, Gauthier-Villars, 1934. Prix : 40 fr.

علم الفلك المصري

لم نكن نعرف ، حتى ظهور هذا الكتاب ، تاريخاً مفصّلاً لعلم الفلك المصري . وقد استعان المؤلف بمعرفته اللغة اليونانية على درس آراء الفلكيين اليونان ، فسرد نصوصهم وترجمها . ولا يعني هذا ان اليونان سبقوا المصريين في الفلكيات ، بل الامر بالضد . الا ان اليونان زادوا عليهم فحسنوا هذا العلم وفاقوا المصريين . والمؤلف يدرس علاقات الدين المصري القديم بالكواكب ثم يبحث في الآلهة الثنوية ولاسيما تلك المنتسبة الى المظاهر الفلكية ؛ ويبحث كذلك في البروج المصرية ، وفي الكهانة والكهّان ومعارفهم الفلكية ، واخيراً في الاهرام . ويزيد في قيمة الكتاب مظهره الحسن وصوره العديدة .

ج . ل .

EDOUARD KRAKOWSKI, Plotin et le paganisme religieux. [*Les maitres de la pensée religieuse*, n° 3]. In-12, 301 pp. orné de six héliogravures hors-texte. Paris, Editions Denoël et Steele, rue Amélie 19.

افلوطين والوثنية الدينية

كان افلوطين مصرياً يعيش في القرن الثالث للمسيح ، وهو انبغ الفلاسفة المنتمين الى المذهب الافلاطوني الحديث ، بل هو مؤسس هذا المذهب . هذا ما دفع مؤلف الكتاب الى ان يخص افلوطين حلقة من سلسلة « اساتذة الفكرة الدينية » . على ان المعروف عن افلوطين نفسه ضئيل جداً ، اذا استثنينا مذهبه . وقد احسن المؤلف صنعاً بدرسه هذا المذهب منذ اصوله القديمة . وقد مهد له بدروس سابقة عن الفيلسوف المذكور نشر منها بحثاً في فكرة افلوطين في الجمال والفن وتأثيرها ، ويعد بحثاً آخر في تأويله لمذهب افلوطين .

اما في الكتاب الحاضر فيفتش عن اصول هذا المذهب في اسرار الوثنية القديمة ، وامكانية موافقتها للميول السامية في النفس البشرية ! ويعرض لوصف البيئة التي ظهر فيها المذهب ، تلك البيئة الاسكندرانية المشبعة بالنظرية المدرسية في الانتخاب الفلسفي . وذلك في فصل اول يظهر طويلاً لما فيه من تلخيص للتاريخ اليوناني والروماني في الاسكندرية ، ومن اشارة الى التأثيرات المتنوعة التي امكنها ان تعمل في هذا المذهب الفلسفي وهي التأثيرات اليهودية والنصرانية والافلاطونية الحديثة . ويرى المؤلف ان ابتكار افلوطين يقوم بكونه يحتل مركزاً وسطاً بين النصرانية والافلاطونية الحديثة ، وبكون مذهبه ، على استناده الى بعض المبادئ الافلاطونية العقلية الظاهر ، يميل خاصة الى نوع من التصوف الغامض لا يمكنه ان يزدهر الا اذا لقحه النفس المسيحي .

وينهي المؤلف كتابه بنظرة على ثبات بعض المبادئ الافلاطونية الحديثة في مظاهر شتى منذ القرن الخامس حتى ايامنا . وهو ، في كل ذلك ، يظهر دقيق العمل ، سهل الاسلوب على الرغم من صعوبة المواد .

ج . ل .

CHARLES CORM, La Montagne inspirée. Chansons de Geste. [*Les Auteurs Libanais de langue française*]. In-8°, 96 pp. Beyrouth, édition de la Revue phénicienne, 1934.

جبل الالهام

حماسة اشعيا الملتهبة ، ولواعج ارميا المذيبة ، وقوارع حزقيال اللاذعة ، وخيال سليمان الوثاب ، وايمان داود الحيّ المخلص ؛ كلّ ذلك الى دقة في التصوير جذّابة ، وتفنن في ايقاع النبرات أخّاذ بالاسماع ، واذا بنا نرقى صعداً مشارف « جبل الالهام » فتنبسط امامنا فنيقية بمراقبها الصاخبة ، وسواحلها المخصبة ، ومرتفعاتها الآهلة بارباب الفنّ والجمال . ثم تمتدّ رقعتها رويداً رويداً حتى تتجاوز المتوسط بل الاوقيانوس الفسيح ، فيهيم جبابرتها على تلك البيداء المتاوجة حاملين مشعل الثقافة الى الامم قريبة وبعيدة . . . ويدور دولاب الدهر دورته ، فيقضي ضجيج المادة على همس الروح الخفي ، ويُعرض الاحفاد عن مفاخر الثقافة القومية فينصرفون الى عرض الحياة متكالبين ، ويخنعون للعدوّ الطاريء متخاذلين ، ويُهمَل تاريخ فنيقية المجيد فيتضاءل شيئاً فشيئاً في ظلال النسيان . واذا اراد الله بقوم شرّاً انساهم تاريخهم ، فقطع بينهم وبين ماضيهم ، وتركهم في ظلمات السُبات يهجعون ؛ حتى يُهيب بهم شاعر عالم يستطلع الطلول عن المجد التالد فيصبغها بروائع خياله ، وينثر المراثي الدامية قطعاً من كبده ، يقرّع العقول ويلذع الافئدة ، يحرّك الذكريات ويثير العواطف ، يبعث الحكمة في ادمغة الشيوخ ويبثّ الحماسة في صدور الشبان ؛ واذا بالشعب يستعيد ذكر مفاخره ، واذا بالحياة الجديدة تتململ في عروقه ، واذا بلبنان يعرف فضل شاعره ، واذا بشارل قُرم يتبوّأ عرشه السامي في جبل الالهام .

هذا شاعر عالم — والشعر والعلم اخوان ، كما يقول — لخّص تاريخ لبنان في دماغه ، وحصر شعور لبنان في فؤاده ، فجمع تاريخنا الطويل المتفرّق في ذكرياته الحيّة ، وضمّ نزعاتنا المتشعّبة في عاطفته الشاملة ، فسما بنا الى ما فوق المادة ، الى ذروة تنحلّ عنها قيود الزمان والمكان . وسواء أكانت صورته آريّة التصميم ام ساميّته ، ما دامت الوانها مأخوذة من جبين فجرنا ، وقلب ربيعنا ، وكبد سمائنا ، ومعاطف جبالنا المتألقة اصباغاً شتى ! وسواء أكانت

موسيقاه غربية القرار ام شرقيته ، ما دامت نغماتها موقعة على حفيف اشجارنا ، وخرير مياهنا ، وأنات البائسين فينا ، وهتاف من لسهم الشاعر بانامله السحرية فرأوا انفسهم سعداء ! وسواء أعبّر بالفرنسوية ام بغيرها ، ما دام يترجم عن تلك اللغة اللبنانية التي اختنقت مفرداتها في حلوقنا منذ القدم فاعتدنا ان نترجم عنها بجميع اللغات دون استثناء !

فيا لها من تعزية لشيوخ لبنان في آصالهم الفاترة ! ويا لها من أغنية لعذارى لبنان في اصباحهنّ المشعشعة ! ويا له من نشيد لشبان لبنان في انهرهم المتأججة عراكاً وكفاحاً !

اذا ادلهمت سماء لبنان بالاضطرابات المتنوّعة ، فانتابت ابناءه الخطوب حتى كادوا ييأسون ، اذا طغا علينا التيّار الغريب حتى كاد يجرف ما تبقّى من طولنا المائلة ، اذا دفع بنا حبّ التقليد الاعمى حتى كاد يمحو شخصيّتنا ، رمينا بابصارنا نحو الافق ، فاذا نورٌ لطيف يهدينا سواء السبيل ، اذا دليل عطوف يقوّم خطانا ، اذا معلّم شفيق يذكّرنا مفاخر الماضي فينعش فينا الامل بالمستقبل ، اذا « جبل الإلهام » ! ف . ا . ب .

MARC-AURÈLE, Pensées pour moi-même, suivies du Manuel d'Epictète et du tableau de Cébès, traduction nouvelle de MARIO MEUNIER. [*Classiques Garnier*]. In-12, 299 p. Paris, Garnier Frères. Prix : 12 fr.

منتخبات من آثار مرقس اوريليوس ، وابيكتيت ، وسيبس

كتاب جزيل الفائدة ، جمع فيه المترجم ، وهو من مشاهير علماء اللغة اليونانية ، افضل ما يُعرف للمفكرين الثلاثة من الآثار ، ورتّبها على طريقة سهلة المنال بعد ان قدّم عليها بحثاً في حياة المفكر ، وعلّق عليها بعض الحواشي المفيدة ، ثم اردف اهمها ، اي خواطر مرقس اوريليوس ، بفهرس حسب المواد . فكان له أثر جليل معنى ومبنى . ج . ل .

HUBERT PERNOT, Lexique grec moderne-français. IX + 528 pp. Paris, Garnier frères. Prix : 18 fr.

معجم يوناني حديث - فرنساوي

اتحفنا الاستاذ هوبر برنو بمعجم يوناني حديث - فرنساوي اتى ثمرة جهوده في

درس الآثار اليونانية . وهذا المعجم موضوع لفائدة الفرنسويين المهتمين بدرس اليونانيّة الحديثة كلغة الجرائد والمحادثات ، ولفائدة اليونانيين كذلك المهتمين بدرس اللغة الفرنساوية . ولا يخفى ان كل هذه الدروس لا تتطلّب تعمقاً كثيراً ، وهكذا يكون المعجم الحاضر كافياً على صغر حجمه وسهولة نقله ، وفيه كلمات اللغتين القديمة والحديثة. ي. ك.

W. Braune, Die Futûh al Gaib des 'Abd al Qâdir. [*Studien zur Geschichte u. Kultur des Islam-Orients*. Heft VIII]. In-8°, 160 p. Verlag von Walter de Gruyter u. C., 1933. Prix : Mk. 15.

فتوح الغيب لعبد القادر الجيلاني

مؤلف هذه الرسالة الصوفية من اشهر الاولياء ومن اكثرهم شعبيةً في العالم الاسلامي ، وهو مؤسس الطريقة القادرية الواسعة الانتشار. كان فارسي الاصل، كما يقول عن نفسه . الا ان مترجمي حياته من المسلمين رغبوا في ان يلحقوا نسبه بالنبي ، فزعموا ان امّه وضعته ، وهي في الستين من عمرها ، وتلك خاصة تنفرد بها نساء قريش ، على قولهم .

تُقسم الرسالة الحاضرة الى ٧٨ مقالة لا يتجاوز بعضها الاسطر القليلة، وكلها تدور حول الزهد والتقشّف ، وتنمّ لهجتها عن صوفية عميقة تقترب احياناً من لهجة نسّاك المسيحيين . اما من حيث العقيدة فهي سنيّة خالصة لاهوتياً وفلسفياً جديرة برجل حنبلي كعبد القادر ، فلا تطرّف فيها ولا ابتداع ، لا حلول ولا شطحات ، كما نرى في آثار الحلّاج ومن اليه من الصوفيين . بيد ان عبد القادر يكثر من استعمال لفظة « الحق » بدلاً من « الله » فيتذكر المطالع هتاف الحلاج : « انا الحق ! » . ومن غرائب الرسالة ان المؤلف يعتقد بوجود الخيل في الجنة . اما الترجمة الالمانية فحسنة اجمالياً ، وقد توفّق المترجم الى تحسين النص العربي في بعض المقاطع. ه. ل.

M.-S. Meissa, Le Message du Pardon d'Abou'l'Ala de Maarra. Préface de W. Marçais. In-12, IV+204 pp. Paris, Geuthner, 1932.

رسالة الغفران للمعرّي

شاء صاحب الكتاب ان يُطلع متأدبي الغرب من المستشرقين وغيرهم على

ما في رسالة الغفران من قوة ابتكار ، وروح تهكم ، وجرأة في الاحكام فعمد الى درسها وتحليلها ، والى ترجمة بعض مقاطع منها ، مقدماً على ذلك بحثاً اجمالياً في حياة المعرّي ، وفي ما اثارته الرسالة من آراء ومقابلات بينها وبين ملحمة دانتي خاصة . ولقد كان موفقاً على الغالب في هذين البحثين . ثم وصل الى الرسالة نفسها ، ولا يخفى ما فيها من صعوبة في الانشاء ، وغموض في المقاصد ، وما تفرض على المطالع من صبر وجهد ، وعلى المترجم من عناء قد لا يأتي بالثمر المقبول . ولهذا رأى الا يأخذ بترجمتها كلها ، ففضل ان يحللها قسماً قسماً ، فيشرح الاقسام الصعبة ، ويجتزئ بترجمة منتخبات رآها كافية للدلالة على شخصية المعرّي . ونحن اذا انتبهنا لصعوبة العمل ، نرى بانه نجح في عمله نجاحاً مقبولاً . الا ان ما لا يمكننا السكوت عنه هو ذاك الاهمال الغريب في ضبط الاعلام وكتابتها بالافرنسية . فهناك اخطاء واوهام يخال قارئها ان المؤلف يجهل تماماً الحروف العربية ، فيأسف للامر ، ولاسيما ان مكتبة گوتنغن لم تعوّدنا مثل هذا الاهمال في منشوراتها القيّمة ف . ا . ب .

Islamica, Zeitschrift für die Erforschung der Sprachen der Geschichte und der Kulturen der islamischen Völker. VI Band, Heft 2, 1933.

مجلة الاسلاميات : الجزء الثاني من المجلد السادس

يرى المطالع في هذا الجزء بحثاً دقيقاً عن النقود الفارسية ، ثم تتمة بحثين بدئ بهما سابقاً وموضوعهما : النظام الاجتماعي بين البدو ، والقراءة القرآنية . اما نظام البدو الاجتماعي فيهم خاصة قرّاءنا الوطنيين لان الكاتب يدرس الحالة الاجتماعية بين بدو سورية وفلسطين . واما البحث في القراءة القرآنية فيصف عدة مخطوطات عن التجويد والوقف وما الى ذلك من ضروريات القراءة المذكورة . ه . ل .

JOSEPH SCHACHT, Das konstantinopler Fragment des Kitab Ihtilâf al-Fuqahâ' des at-Tabari. [*Veröffentlichungen der « De Gœje-Stiftung »*, n° X]. In-8°, XXIV+٢٧٦ pp. Leiden, Brill, 1933.

كتاب الجهاد وكتاب الجزية واحكام المحاربين من كتاب اختلاف الفقهاء للطبري

ابو جعفر محمد بن جرير الطبري هو من ائمة الشرع والتاريخ في الاسلام .

ومؤلفه الشهير « تاريخ الرسل والملوك » لا يزال من المستندات الكبرى التي يلجأ اليها المستشرقون كافة في ابحاثهم عن التاريخ الاسلامي . والذي يزيد في قيمة ما كتبه هذا العالم الكبير هو ليس مقدرة الكاتب الشخصية وسعة معلوماته فحسب ، بل ايضاً كونه من المتقدمين الذين عاشوا في القرن الثالث للهجرة وجالوا في البلاد الشرقية درسوا فيها عادات الشعوب وتواريخها واقتبسوا ونقلوا علوم علمائها . والامر الذي يذكر عن ابي جعفر الطبري انه رفض كل الوظائف العليا التي عرضت عليه في الدولة ليكرس نفسه للعلم وتصنيف المؤلفات . ومنها ايضاً ما عدا تاريخ الرسل والملوك كتاب « اختلاف الفقهاء » الذي يحتوي على آراء الفقهاء الاقدمين مثل الاوزاعي والشافعي ومالك والثوري وابي حنيفة الخ ... وهي مجموعة دقيقة جداً كما يعترف بذلك المستشرقون .

وقد عثر اخيراً المستشرق يوسف شخت في المكتبة السليمانية في استانبول على نسخة تتضمن قسماً من كتاب اختلاف الفقهاء ، وجد فيها بعض الاختلافات عن النسخ المعروفة لتاريخ اليوم . وقد عني بنشرها عناء كلياً وطبعها طبعاً جميلاً . وهي تحتوي على قسم مما يمكن ان نسميه «القانون الدولي» في الاسلام اعني به احكام الحرب والجهاد ومنها كيفية قتال اعداء الاسلام والمشركين والصلح معهم ، ومعاملة اهل الذمة ، واهل البلاد المفتوحة الخ ... ولا نشك في ان هذا الكتاب الجديد سيأتي بفائدة كبيرة للمستشرقين جميعاً .

اميل تيان

Dr MEHEMED EMIN EFENDI, The Future of Palestine. Authorized Translation from the German. 44 pp. Londres, Luzac, 1931. Prix : 2 shill.

مستقبل فلسطين

ينصح كاتب هذه الرسالة اليهود الصهيونيين وكل من يهتم بالمسألة اليهودية بان يقلعوا عن فكرتهم بانشاء « دولة يهودية » في فلسطين . وقد نشر رسالته سنة ١٩١٨ ، قبل ان يسير البلد على نظامه الحالي ، ولا يظهر انه اعاد النظر فيها قبل ترجمتها ، الا ما خص حاشية او حاشيتين . اما ما يذكره من الاعتبارات العامة فكله يدل على ان الرجل مخلص القول يتمنى حقاً خير جميع الاقليات

الدينية والسياسية بل خير البشرية جمعاء ، ويدل كذلك على ان المؤلف عالم باستخراج العبر من حوادث التاريخ . ولكننا نعتقد انه لا يشعر الشعور الكافي بتأثير الروحيات في مجرى هذه الحوادث ، ولهذا نهو لا يخرج من تشاؤم مؤلم بمصير الجماعات البشرية .

ك . ب . هيوز

JULES SION, La France méditerranéenne. In-16 avec 6 cartes. Paris, Librairie Armand Colin. Prix : 10 fr, 50.

فرنسة الساحلية على البحر المتوسط

مؤلف هذا الكتاب استاذ في جامعة مونبليه منذ خمس وعشرين سنة . وقد تهيأ لموضوعه الحالي الجامع بنشره عدة ابحاث عن جنوبي فرنسة ، وبرحلاته الى الجزائر وايطالية واليونان . فنتج من كل ذلك قسمان مهمان في الكتاب خصّ الاول منهما بدرس « الطبيعة » في السواحل وتكوينها ومناخها ونباتها وشروط الحياة فيها ، وهو يقرن الدرس بالوصف الجميل . اما القسم الثاني فخصّه « بعمل الانسان » ، فدرس تطوّر تلك المناطق الجنوبية التي كانت اولاً دويلات بحرية مستقلة قبل ان انضمت الى فرنسة فتتمت وحدتها . وبعد ان اشار الى المجاري التجارية ، والطرق ، والمرافئ في العصور الماضية والحاضرة ، وصل الى درس الزراعة والصناعة ، والسكان ، والقرى والمدن ، فخصّ بذلك فصولاً قيمة ختمها بصفحات نفيسة في روح العصبية المنطقية وامتداد النفوذ الفرنسوي في البحر المتوسط .

Dr CHUKRU MEHMED SERKAN, La Question kurde. In-12, 41 pp. Paris. Les Presses Universitaires.

المشكلة الكردية

يقول الكاتب ان الاقليات سببت متاعب عديدة لحكوماتها منذ الحرب الكبرى . وعليه فانه ينصح اكراد تركية بالسكون ، وبالرجوع الى تاريخهم فيجدون انهم كانوا دائماً على اتفاق تام مع الاتراك انسبائهم اذ ان الجميع من اصل طوراني . اما ما يحتج به بعضهم من اختلاف اللغة فيردّ عليه المؤلف بان اللغة الكردية لا يمكنها ان تكون لغة ثقافة ، مستشهداً بالاختبار الذي أجري

في العراق حيث اخذ الاكراد باستعمال لغتهم في المدارس منذ اتفاق سليمانية اي منذ ثماني سنوات ، فاسفر الاختبار عن نتائج بحكم العدم ، لانه ليس في اللغة الكردية اثار مكتوبة تصلح للدرس والمطالعة.

بقي ان نعرف حكم الاكراد انفسهم في هذا الدفاع الشديد عن تركية وقد ختمه المؤلف بمدح شخصية الغازي مدحاً حماسياً عالياً خالياً من كل حكم سابق او عاطفة تحيّز ، على ما يقول . واذاً فليس ، في نظره ، من وجود للمشكلة الكردية ، لا في تركية ولا في غيرها من بلاد الله . وهي طريقة سهلة خاسمة في ازالة المشاكل والصعوبات. ج. ل.

Dr Martin Voigt, Kafiristan. Versuch einer Landeskunde auf Grund einer Reise im Jahre 1928, mit 59 Abbild., einer orogr.-hydrographischen Skizze und einer Karte. Ferd. Hirt in Breslau. 1933 156 pp. Prix : M. 7,50

كافرستان

كافرستان ، او بلاد الكفرة ، منطقة من افغانستان يتصل شرقيها بحدود امبراطورية الهند . وهي منطقة لا تزال مجهولة في عصرنا ، الا في نظر بعض الاختصاصيين من الروس والانكليز . ولهذا فان قيمة الكتاب الحاضر تبدو كبيرة ، اذ ان المؤلف جمع فيه كل ما يتطلب درس البلاد درساً علمياً من معلومات ، وصور ، ورسوم ، وخرائط ، ومآخذ . وقد اهتمّ خاصة بدرس العنصر البشري ، ففتش عن اصل اولئك « الكفرة » وعن اي شعب اسيوي يتحدّرون ، وعن طريقة محافظتهم على صفاتهم الاصلية بفضل انقطاعهم وعزلتهم ، وعن ديانتهم واية ديانة تُشبه . ثم اشار الى عدم اختصاصهم بنظام سياسي اذ انهم يتبعون حكومة كابل. ج. ل.

Alexandre Eck, Le Moyen-Age russe. In-8°, 574 pp. Paris. Maison du Livre français, 1933.

القرون الوسطى في روسية

مؤلف الكتاب روسيٌّ مهاجر نزل بلجيكة ، فدعته كلية الفلسفة والآداب في غاند الى اعتلاء احد منابرها ، فاقام تسع سنوات يدرّس الموضوع الذي

نشره اليوم . وعندما اتصفت جامعة غاند بالصفة الفلسكية ، انتقل المؤلف الى جامعة بروسل الحرة فتابع فيها القاء دروسه .

ولا يخفى ما في هذا الموضوع من جدّة ، فان تاريخ القرون الوسطى في روسية يجهله علماء الغرب جهلاً شاملاً ، ولا يعرفه الروسيون انفسهم معرفة واضحة . ولهذا دُفع المؤلف الى عرض كتابه باللغة الفرنسوية ، فاستحق شكر المؤرخين جميعاً . واستند الى المصادر الروسية العديدة ، فاتى درسه جامعاً اطراف مظاهر المجتمع الروسي من القرن الثالث عشر الى السادس عشر ، وهي الحقبة التي تمثل القرون الوسطى في روسية . ولم يكن هذا التأخر ناتجاً ، كما قد يعتقد البعض ، من بطء في تطوّر المدنية الروسية ، فان روسية القديمة كانت تتطوّر تطوّراً طبيعياً ، اذ فاجأتها الغزوات المغولية فحوّرت مجرى التمدّن ، وقطعت بين تلك البلاد والغرب مدة قرنين كاملين ، فدخلت روسية في عصرها الاوسط ، وهو هذا العصر الذي درسه المؤلف ، فاشار الى جهود الروسيين في العمل على تجديد حياتهم في تلك المنطقة الحرشاء الباردة الواقعة على ضفتي نهر ڤولكا الاعلى وعلى ضفتي نهر اوكا ، والى ما بذله الامراء ، ورجال الكنيسة ، والخدم ، والفلاحون والعبيد من التضحيات الجمة حتى انشأوا مدينة موسكو ثم دويلتها الصغيرة ، ثم سلطانها المتدّ . وكان انتخاب ميخائيل رومانوف سنة ١٦١٣ واعتلاؤه عرش موسكو . وقد ألحق المؤلف بكتابه نصوص بعض المعاهدات والاتفاقات القديمة ، وقدّم عليه خارطة للبلاد الروسية في القرون الوسطى .

ومما يجدر بالذكر عدة ملاحظات دقيقة اصلح بها المؤلف كثيراً من آراء المؤرخين واوهامهم التي كان يتناقلها الناس واثقين مطمئنين . من ذلك ان تأثير السيادة المغولية لم يكن كله سيئاً . من الحقّ انهم اكتسحوا روسيا ، ولاشوا تجارتها مع مناطق الجنوب . ولكنهم عندما استحكم سلطانهم تركوا البلاد وشأنها من حيث الحكم الذاتي فلم يتدخلوا في الادارة ولم تكن وطأتهم ثقيلة على السكان ، انما اكتفوا بما كانوا يستفيدونه من الاموال كالجزية ، ونفقات السفراء والموظفين ، وبعض الضرائب الخاصة . فكانت روسية منطقة متعلقة بالمغول ، لا مستعمرة لهم ، وقد كان من نتائج تسلّط

الخان على تلك البلاد المقسمة ان حفظ فيها نوعاً ما روح الوحدة والطموح اليها. وما اصلحه المؤلف من الاوهام السابقة ما يتعلق بالنظام الزراعي، فيقول ان قسمة الاراضي المطردة لا ترقى الى القرون الوسطى. انما هي متأخرة عن ذلك وسببها ان الملك كان يرى فيها مصدراً للمال قبل كل شيء. وهكذا فلا تكون الملكية المشتركة ولا القسمة المتساوية المطردة من ميزات النظام العمراني الأصلي في روسية. ج. ل.

ADRIEN DANSETTE, **Les Affaires de Panama.** In-16, accompagné d'une carte. Paris, Librairie académique Perrin. Prix : 15 fr.

حوادث بناما

هو درس مجرد لحوادث بناما الشهيرة التي قادت الى ثلاثة مشاكل : ١ً المشكل المالي : هل كان مشروع فرديناند دليسبس العظيم مشروعاً مستنداً الى الغش والخداع ؟ هو ما يجيب عنه المؤلف بالاعتماد على الوثائق الاصلية. ٢ً المشكل السياسي : كيف دُفعت السلطات العامة الى تقوية شركة بناما، وما تبع ذلك من المناقشات في المجلس النيابي. ٣ً المشكل القضائي : وفيه وصف الفضيحة المالية في محكمة الاستئناف، والحكم على دليسبس وايفل، ثم في محكمة التمييز وتبرئة المتهمين ما عدا وزيراً كان قد اقرّ بفعلته. وما تلا ذلك من مناظرات واحتجاجات جعلت من تلك الحوادث اعظم ازمة عامة اجتازتها حكومة الجمهورية الثالثة. يعرض المؤلف كل ذلك باسلوب سهل وانشاء واضح يولي الكتاب حدية قوية.

Guide de Rome, bref et pratique pour le pèlerin de l'année sainte (édition 1933), avec un grand plan topographique. édition 1929, à deux couleurs. Prix : 5 fr.

دليل رومة

يجمع هذا الدليل فوائد جمة لا غنى عنها لمن يزور رومة، كالمعلومات المتنوعة عن القطر الكهربائية، والسيارات، والمتاحف، والآثار من كنائس وغيرها، وما في جوار رومة كذلك، مع جدول عام باسماء الشوارع والساحات والمحلات المشهورة والاشارة الى موقعها في الخارطة الملحقة بالكتاب.

فيصل الاول

تأليف امين الريحاني

مطبعة صادر ، بيروت ، ١٩٣٦ ، ص ٢٢٥ قطع ٨

ان مؤلف كتاب ملوك العرب وتاريخ نجد (المشرق ٢٦ [١٩٢٨]: ٥٢٥): لجدير بان يكلمنا عن ملك للعراق فيصل الاول.

تقرب اليه لا تقرب العامل والموظف الى سيده وسلطانه ، ولكن تقرب « الاخ » الى اخيه . فاطلع على حياته ودرس اطوارها ، وعاشره وسامره ، وقد باح فيصل بكثير من اسراره الى صديقه الامين ، وعلم ان الاستاذ قدير على خدمة المصلحة العربية لما له من النفوذ في بعض الدوائر الادبية . ومات فيصل فمات بموته امله بالعودة الى الشام .

في كتاب فيصل الاول نزعتان ، كما في سائر كتب الريحاني: النزعة الاخبارية، والنزعة الاجتماعية او الفلسفية .

فالنزعة الاخبارية قيمة بقيمة المواد التي استقاها المؤلف وهي مجموعة من اختباراته الشخصية ومطالعاته الواسعة ، وقد جاب الشرق والغرب بلاداً وكتباً وحفظ لملك العراق الذكريات والنكت ، ونشر عنه الوثائق ، واستحق الثناء . اما نزعة الكتاب الاجتماعية او الفلسفية فملونة بلون نفسية الريحاني ، مناصر المسألة العربية حتى هضم حقوق الاقليات . ولا يسعنا الا مخالفته فيما كتب على الاشوريين ، ونحتج على ما اتهم به النصارى طراً في الفصل على الرشيد وفيصل وابي نواس ، ولم يفطن الى ان مخالفة بعض الشذاذ لوصايا الانجيل فيما يخص الاداب لا يقيم حجة لشريعة القرآن المتساهل في تعدد الزوجات على شريعة الانجيل القائل بوحدة المرأة والزواج وواجب الكفران بالذات. ف . ت .

سلسلة دروس الطبيعة : الجزء الاول

تأليف انيس هندية ، استاذ الطبيعة والكيمياء في تجهيز حلب ، مهندس كيماوي

الطبعة الاولى، مطبعة الترقي، دمشق ١٩٣٣ ، ص ٩٩ ق ٨

وضع هذا الكتاب موافقاً لبرنامج التعليم في الصف الرابع واهم مواده

الثقالة وتوازن السوائل والغازات. وهو سهل الالفاظ صحيح العبارة فيه تمارين كثيرة وبحوث تذيل الفصول وترغب في قراءتها وهي مأخوذة من العلوم والمخترعات العصرية ، اختارها المؤلف « لانها تحبب الطبيعة للطالب وتثير فيه الشغف بالمطالعة » وفي نهاية الكتاب تمارين مهمة تهون البحث على الاستاذ وتكفيه عناء املائها على الطلاب.

نشكر للاستاذ هندية هديته ونتمنى لكتابه الرواج في المدارس خدمة لتعليم العلوم ليس باللغات الاوروبية فقط ولكن باللغة العربية ايضاً ف.ت

كفيل الانشاء

تأليف ادوار مرقص

الجزء الاول : ١٢٠ ص. ، مطبعة الترقي ، اللاذقية ١٩٣٣
الجزء الثاني : ١٤٢ ص. ، مطبعة كومين ، اللاذقية ١٩٣٣

اهدى الينا المؤلف هذا الكتاب المدرسي بجزئيه . وقد خصّ الجزء الاول بنمطي الانشاء الابتدائي والمتوسط . فعرّف الينا هذين النوعين من الانشاء وشروطهما وطرق التمرين عليهما ، والقى نظره على التسديد والاحتذاء البسيط . ثم انتقل الى الكلام على كتابة الرسائل وحلّ الشعر الى نثر . وخصّ الجزء الثاني بالانشاء العالي فحدّد لنا هذا الفن وتحدث الينا عن كيفية انشائه ، ثم انتقل الى الكلام على الرسائل التجارية والكتابات الرسمية ونحوها ، وحلّ الشعر الى نثر عالٍ الخ . . . وذكر الخطابة وشروطها وآداب الخطيب.

نهج المؤلف في كتابه على الطريقة القديمة المعروفة من سؤالات وجوابات. ودعم مؤلفه بامثلة وتمارين على طبقات الانشاء المختلفة . وقد احسن في اختيار بعض آثار الخطباء والشعراء الجاهليين المشهورين ، وكبار المنشئين في العصر العباسي ، وجهابذة الادباء في عصر النهضة . كما انه احسن في اقتباس عدة فصول في الانشاء من الادباء الافرنج نقلها الى العربية مسنداً كل فصل الى مصدره ، لان اللغات يتغذّى بعضها ببعض ، وقد لا تستغني احداها عن الاقتباس ، لان الاقتباس عامل لاحيائها .

ولكنا كنا نود لو تحاشى المؤلف عن ذكر الرسائل التجارية والوثائق الرسمية في باب الانشاء العالي لان بين هذين النمطين من الانشاء تبايناً في التعبير واختلافاً في التفكير . فكان من المستحسن ان يفرد لهذا النوع من الانشاء مؤلفاً خاصاً يطلع عليه كل ذي رغبة فيه . كما اننا اخذنا على المؤلف بعض هنات لغوية يصلحها دون شك في طبعة جديدة نتمناها في مستقبل قريب .

م . ع .

الشعلة

بقلم احمد زكي ابو شادي

١٤٤ ص . متوسطة ، مطبعة التعاون ، مصر ، ١٩٣٣ — الثمن : ٥٠ مليماً

هي مجموعة شعرية جديدة للدكتور ابي شادي ، صدّرها ببحث دقيق في « فلسفة الشعر » وحظّه من التفكير والخيال والعاطفة وختمها ببحث في « الشعلة » نفسها للدكتور ابراهيم ناجي . اما قصائد هذه المجموعة ومقطّعاتها فتدور على العاطفة الوطنية المصرية في الغالب . وتستمدّ الهامها من احوال مصر في دور الانتقال ، « والنفوس جامحة ، والخواطر مضطربة ، والحريات معطّلة . » وهي ، وان تكن تهمّ ابناء مصر خاصة ، فقد تفيد مؤرخ الشعر العصري بما تدلّ عليه من اخلاق الشاعر ونزعاته وشخصيته لانها « تحمل اجزاء روحه وتؤلف صحائف نفسه » ، وعلى هذا فانا نقبلها شاكرين . ف . ا . ب .

امير الشعراء شوقي بين العاطفة والتاريخ

جمع وترتيب محمد خورشيد

٢٨١ ص . متوسطة — مطبعة بيت المقدس ، ١٩٣٣ — الثمن : ٥٠ قرشاً سوريا

« هو خير ما قيل في امير الشعراء نظماً ونثراً في الاقطار العربية كلها » كما قال الجامع ، ولم يبالغ في قوله . فمن سيرة شوقي ، الى صفاته ، الى بعض الذكريات عنه ، الى دروس متنوّعة في شعره ومناحيه المختلفة ، يتنقّل المطالع فيستجمع صورة تكاد تكون تامة للشاعر الراحل . نقول : تكاد ، لان شدة التأثر لذاك المصاب لا تزال تكتنف كثيراً من تلك الدروس فتحوّلها

الى مجال العواطف فضلاً عن ان نزعات اصحابها المتعددة ، وثقافاتهم المتباينة ، تجعلهم يشاهدون الشاعر ، كلّ دارس من خلال نظريته في الشعر وفي الحياة بل في السياسة والاجتماع . على ان كل هذا نافع ، لا لدرس شوقي فحسب ، بل لدرس عقليات هؤلاء الادباء ، وهم اشهر من يستند اليهم الادب في عصرنا . ولذا فيكون شكرنا للجامع مزدوجاً . ف.ا.ب.

رحلة الاب ايرونيموس دنديني الى لبنان سنة ١٥٩٦

تعريب الخوري يوسف يزبك العمشيتي

١٤٤ ص . متوسطة – مطبعة العلم ، بيت شباب ، ١٩٣٣

اتى الاب دنديني اليسوعي لبنان موفداً من قبل الحبر الاعظم اكليمنضوس الثامن للفحص عن عقائد الطائفة المارونية وانظمتها ، وابداء نظره في ما يراه حقيقاً بالاصلاح ؛ وكان من مهمته ايضاً ان ينظر في امر تلامذة المدرسة المارونية برومية . فقام بعمله خير قيام وترك هذه الرحلة الشائقة الجزيلة الفائدة لكونها اقدم واتم ما كتب سائح عن لبنان . وكان من فضل الخوري يوسف العمشيتي ان نقلها الى العربية ، وكان من فضل صاحب المجلة البطريركية ان نشرها تباعاً ثم على حدة ، فأدّيا خدمة جزيلة لتاريخنا في القرن السادس عشر . ف.ا.ب.

حياة القديسة لويز دي ماريلياك

٥١ ص . متوسطة – مطبعة المرسلين اللبنانيين (جونية) ١٩٣٤ – الثمن : ٥ غروش سورية

حياة الطوباوية كاترين لابوره

٣٠ ص . صغيرة – مطبعة المرسلين اللبنانيين (جونية) ١٩٣٣ – الثمن : غرشان سوريان

هما نبذتان مفيدتان لحضرة الاب يوسف علوان اللعاراري تختصّ الاولى بحياة مؤسسة راهبات المحبة المشهورات باعمال الرحمة والاحسان ، وقد اعلن الكرسي الرسولي قداستها مؤخراً . وتلخص الثانية حياة البارّة كاترين لابوره رائية الايقونة العجائبية وهي من اللواتي طُوّبن مؤخراً كذلك . فكان من فضل حضرة المؤلف انه عرّف العالم العربي المسيحي بفضائل هاتين الراهبتين . فاستحق الشكر والاجر .

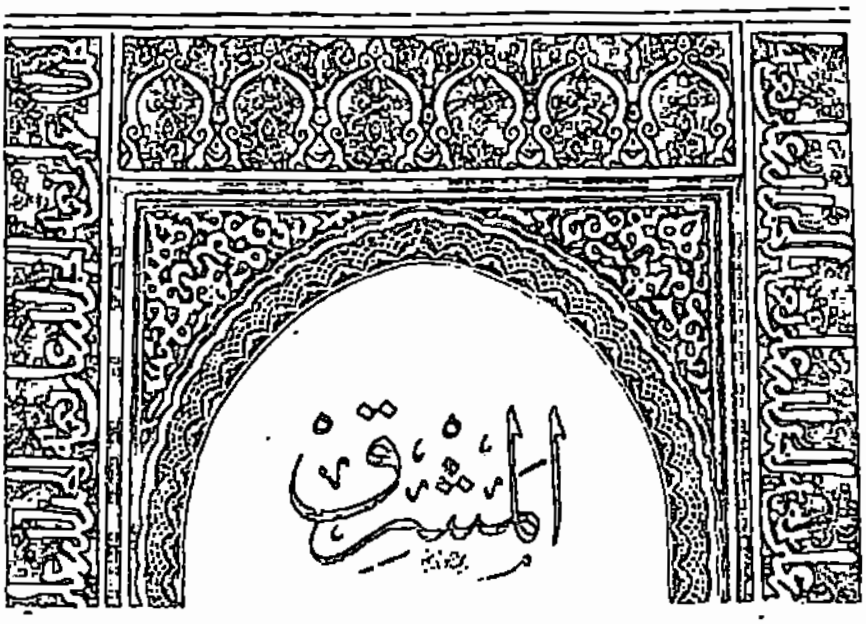

السنة الثانية والثلاثون

تموز – ايلول ١٩٣٤

رسالة

في معرفة النفس الناطقة واحوالها

لابي علي بن سينا *

نشرها وعلق عليها

محمد ثابت الفندي

عضو لجنة ترجمة دائرة المعارف الاسلامية (القاهرة)

مقدمة الناشر

ما زالت دراسة ابن سينا تتسع للكثير من الجهود الموفقة ، رغم ما نُشر له من المصنفات وما كتب عنه من الكتب والمقالات. ولعل أولى تلك الجهود بالتقديم ما انصرف الى إحياء مؤلفاته التي لم تنشر بعد ، والتي ما برحت مبعثرة هنا وهناك في مختلف مكتبات الشرق

*) المشرق – ننشر هذه الرسالة لما لها من المكانة التاريخية والفلسفية. اما ما يتخلل محاسنها من الاضاليل فلا يشكل على القارئ اللبيب تفنيده.

والغرب. فجمعُ تلك المؤلفات وطبعُها طبعةً علميةً أمرٌ يحسّ ضرورته كل من حاول أن يدرس هذا الفيلسوف ، فألمّ بأسماء كتبه وعرف ما بقي منها على قيد الحياة وما تصرّفت به أحداث الزمان ، وما طبع من ذلك الباقي وما لم يطبع بعد.

قدّمنا هذا بعد أن عكفنا على دراسة هذا الفيلسوف أعواماً عدّة وأحصينا مؤلّفاته في ثبت جامع[1] ، وتلمسنا حياته وفلسفته في كل مظانّها ، فلم نزدد بعد هذا كله إلّا يقيناً بنقص تلك الدراسة لكثرة ما له من الكتب وأجزاء الكتب المخطوطة التي لم تمسها يد ناشر بعد. لذلك صحّت منا العزيمة على أن ننشر ما وقع إلينا من مؤلّفاته أثناء دراستنا له[2] قبل الإقدام على إذاعة نتائج تلك الدراسة. ومن هذه المؤلّفات « رسالة في معرفة النفس الناطقة وأحوالها ».

أغفلت ذكرَها المراجعُ الاسلامية القريبة لعهده ، فلم يذكرها فيما ذكر له من الكتب : ابن القفطي ، وابن ابي أُصيبعة ، والسمرقندي[3] ، وظهير الدين البيهقي[4] ، وأحمد بن محمد الشهرزوري[5] ، وابن خلّكان. وأول من أشار إليها من مؤلفي الاسلام حاجي خليفة في كتابه « كشف الظنون » ، ولم يذكرها باسمها بل اكتفى بأن قال : « ... وله رسالة حررها في علم النفس وجعلها ثلاثة فصول أولها : الحمد لله الذي لا يخيب من بابه آمل »[6]. وذكرها من مؤلفي اوروبة بروكلمان بعنوان « رسالة في النفس الناطقة وأحوالها »[7]. وأشار الى انها توجد في برلين برقم ٥٣٤٢. ولقد عثرتُ ، بعد البحث الطويل بين بضعة

---

١) سيُنشر عما قريب في القاهرة.

٢) من اهم هذه المؤلفات : المباحثات ، المجموع ، الموسيقى (جزء من الشفاء) ، الردّ على المنجّمين ، النفس ، الشعريّات ، بعض كتاب الإنصاف ، ورسائل أخرى صغيرة.

٣) نظامي عروضي السمرقندي : جهار مقاله ، الترجمة الانجليزية ، سلسلة جب التذكارية ، انظر مواضع مختلفة.

٤) له كتاب في تاريخ حكماء الاسلام : مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٣٦٦٦ تاريخ.

٥) له كتاب في تاريخ الحكماء هو « روضة الافراح » مخطوط بمكتبة الجامعة المصرية

٦) حاجي خليفة : كشف الظنون ، طبعة بولاق ، ١ : ٤٢٤ ، س ١-٢

٧) Brockelmann, *Gesch. d. ar. Litt.* II, 454

آلاف من المخطوطات العربية والفارسية والتركية التي ضُمّت الى مكتبة الجامعة المصرية من مكتبة المرحوم محمد طلعت بك ، على نسختين من هذه الرسالة: إحداهما كاملة مستقلّة مكتوبة بخط فارسي واضح جميل ، عنوانها مخالف بعض المخالفة لما ذكره بروكلمان وهو « رسالة في معرفة النفس الناطقة وأحوالها »[1] ، والأخرى ناقصة وتوجد ضمن مجموعة خطية من الرسائل في نفس المكتبة[2] . كذلك توجد بدار الكتب المصرية صورة فوتوغرافية من نسخة برلين .

فلما اكتملت لي هذه النسخ الثلاث رأيت أن أعدّ هذه الرسالة للنشر بعد المقارنة والتصحيح. وقد رمزت لها على الترتيب بالحروف : ب ، ج ، د .

وليس في هذه الرسالة ما يدلّ على تاريخ تأليفها ، غير أن الناظر في كتب ابن سينا المختلفة قد يستطيع القول بأنها من أوائل تصانيفه ، ولعلها ترجع الى أيامه الاخيرة ببخارى (عاش بها الى ٣٩١ هـ = ١٠٠١ م) وكان قد وُلد عام ٣٧٠ هـ = ٩٨٠ م) أو على الاكثر الى أيامه بكركانج عاصمة خوارزم (من ٣٩١ هـ = ١٠٠١م الى ٤٠٣ = ١٠١٢م) . لأنها تحمل في ثناياها « بذور » بعض براهينه على مغايرة جوهر النفس لجوهر البدن ، تلك البذور التي نجدها فيما بعد متوعرعة نامية في كتبه المتأخرة كالشفاء والاشارات مثلاً . فالبرهان الثاني في هذه الرسالة هو في الواقع الثالث من براهينه في كتاب الشفاء[3] (مع تفاوت واضح) لأن مؤدّاها واحد هو إيجاد حالة نفسية تغفل فيها النفس تماماً عن كل ما هو بدني فلا تشعر إلا بإنيتها الخالصة ، فإذا وصلت الى ذلك استطاعت أن تدرك إن جوهرها مغاير لجوهر البدن[4] .

---

١) انظر المخطوط رقم ١١٧٧٦ بمكتبة الجامعة المصرية ، ص ١

٢) انظر المخطوط رقم ١/١٣٠٠١ بنفس المكتبة.

٣) ابن سينا : الشفاء ، النفس ، المقالة الخامسة ، الفصل السابع ، ص ٢٦٢ – ٢٦٣

٤) ابن سينا : الشفاء ، النفس ، م ٥ ، ف ٧ ، ص ٢٦٣ ؛ وقد ذكر هذا البرهان ايضاً في موضع متقدم من الشفاء ، انظر النفس ، م ١ ، ف ١ ، ص ٢٨١ ، س ٢٢ وما بعده . ولم يذكره في النجاة ولكنه ذكره في الاشارات ، انظر طبعة ليدن ١٨٩٢ ، ص ١١٦ . وقد أثبت العلامة فورلاني Fourlani أن النصّين الواردين في الشفاء عن هذا البرهان كان قد نقلهما الى اللاتينية الفيلسوف غليوم اوفرني Auvergne ، وذهب هذا العلامة ، الى

والبرهان الثالث في هذه الرسالة هو أيضاً الاول في الشفاء[1] ومؤداهما هو ضرورة وجود مبدأ واحد تجتمع فيه المدركات على اختلافها : ظاهرة وباطنة.

أما برهانه الاول في هذه الرسالة فلم نعثر له على نظير صريح في كتبه الاخرى[2] مما يجعل لهذه الرسالة قيمة خاصة في نظرنا.

وسنشير في التعليقات على هذه الرسالة الى المواضع التي يمكن أن يرجع إليها في كتبه الاخرى كلما دعت الحاجة. وها هوذا نص الرسالة :

بسم الله الرحمن الرحيم

رسالة

في معرفة النفس الناطقة واحوالها

لأبي علي بن سينا

الحمد لله الذي لا يُخيِّب من بابه آمل ، ولا يُحرم عن جنابه عامل ، ولا يَحجب العارفين عن ورود مناهل مشاهدة أنوار جلاله مانعٌ وحائل ، ولم يمنع المشتاقين للقائه عن الصعود من حضيض الفراق الى أوج الوصال ناقص

إمكان اطلاع ديكارت على هذه الترجمة للشبه القوي بين برهان ابن سينا المذكور وكلام ديكارت في التمييز بين الجسم والنفس (مقال *Avicenna Cartesio, Il Cogito, Ergo Sum* في مجلة *Islamica* ، ج ١ ، م ٣ ، ص ٥٣ وما بعدها ، ليبسك ١٩٢٧) .

١) الشفاء ، النفس ، م ٥ ، ف ٧ ، ص ٢٦٣

٢) قد أورد ابن سينا براهين أخرى على مغايرة جوهر النفس لجوهر البدن في رسالة صغيرة عنوانها « النفس » أسماها براهين المناطقة (انظر النفس ، مخطوط رقم ٣٩٧ فلسفة بدار الكتب المصرية، الفصل الثامن) .

أو كامل ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة من أخلص لمشاهدة جلاله سِرَّهُ ، وعرض فى منازل[1] التوحيد على أعين النظار سِيَرَه ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله الذى عقد على أجياد أرواح الابرار قلائد الاسرار ، فصلوات الله عليه وعلى آله الاخيار. وبعد فهذه رسالة حررتُها في علم النفس ، وجعلتها ثلاثة فصول :

الفصل الاول فى إثبات أن جوهر النفس مغاير لجوهر البدن.

الفصل الثاني فى بقاء النفس بعد فناء البدن.

الفصل الثالث فى مراتب النفوس في السعادة والشقاوة بعد مفارقة النفس عن[2] البدن.

ثم ألحقت بها خاتمة أذكر فيها العوالم الثلاثة التى هى عالم العقل ، وعالم النفس ، وعالم الجسم[3] ، وترتيب الوجود من لدن[4] الحق الاول الى أقصى مراتب الموجودات على الترتيب النازل من عنده تعالى ، ليكون الناظر في هذه الرسالة مطلعاً على جُمل من أجناس المخلوقات وشطرٍ من أنواعها ، فاهديت[5] هذه الرسالة التى هى مشتملة على أهم المطالب وهو معرفة الانسان نفسه وما يؤول اليه حاله بعد الارتقاء[6] ، وأيضاً فإن معرفة النفس مرقاة الى معرفة الرب تعالى كما أشار اليه قائل الحق بقوله : « من عرف نفسه فقد عرف ربه . »[7]

---

١) في ج : منازله. في ر : بياض.
٢) في ج : عن ناقصة.
٣) في ج : المادة بدل الجسم.
٤) في ر : لدى بدل لدن.
٥) في ب ور : فأهديته واهديته (على الترتيب).
٦) في ب : « جذا » بعد الارتقاء.
٧) هذا حديث في بعض المراجع ، قال كتاب « أسنى المطالب في أحاديث مختلفة المراتب » : « قال السخاوي إنه لا يُعرف مرفوعاً. وقال النووي ليس بحديث ، ونسبه بعضهم الى ابي سعيد الخراز ، وبعضهم الى يحى بن معاذ الرازي » اه. وقد نسبه ابن سينا نفسه الى علي ابن ابي طالب ، وذلك في كتاب « المباحثات » الذي جمعه عنه تلميذه كياريس ، انظر المباحثات ، مخطوط بالقاهرة رقم ٣٩٧ ، ص ١

ولو كان المراد بالنفس في هذا الحديث هو[1] هذا الجسم لكان كل أحد عارفا بربه ، اعني خصوص معرفة ، وليس كذلك ، فهذه الرسالة تهديك الى الاسرار المخزونة في عالم النفس الذى[2] غفل عنه الدهماء من الناس بل أكثر العلماء عنه غافلون. ولهذا أوحى الى رسول الله لما سئل عن حقيقة الروح « ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى » ، ثم قال عقيبه : « وما أوتيتم من العلم إلا قليلا »[3] تنبيها على أكثر الناس عن النفس وحقيقة الروح . فهذا هو الاشارة المختصرة الى فوائد هذه الرسالة. فلنشرع فيما ذكر من الفصول بتوفيق الله وحسن هدايته :

الفصل الاول

فى إثبات أن جوهر النفس مغاير لجوهر البدن

فنقول: المراد بالنفس ما يشير اليه كل أحد بقوله « أنا » ، وقد اختلف أهل العالم[4] فى أن المشار اليه بهذا اللفظ هو هذا البدن المشاهد المحسوس أو غيره . أما الأول فقد ظن[5] أكثر الناس وكثير من المتكلمين[6] أن الانسان هو هذا البدن ، وكل أحد فإنما يشير اليه بقوله « أنا » ، فهذا ظن فاسد لما سنبينه .

---

١) في ب و ج : فهو .
٢) في ج : التي .
٣) الآية ٨٥ من سورة الاسراء ، ص ٢٧٦ من مصحف الملك .
٤) في ب : العلم .
٥) في ب : « ان » بعد ظن .
٦) غلت انظار المتكلمين في النفس غلوًا مادياً في معظم الاحيان ، ولم يشذ عن هذا المعتزلة انفسهم اذ نجد بعض زعمائهم كأبي اسحق ابراهيم بن سيار المعروف بالنظام († ٢٣١ هـ = ٨٣٦ م) يذهب الى ان الانسان هو الروح وهي جسمانية (الاشعري : مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين ، طبعة ريتر باستنبول ، ٢ : ٢٢١ ، ٢٢٢) ومنهم محمد بن عبد الوهاب ابن سلام الجبائي († ٣٠٣ = ٩١٥ م) الذي يذهب كذلك الى ان الروح جسم (المؤلف نفسه ٢ : ٢٢٤) .

والقائلون بأنه غير هذا البدن المحسوس اختلفوا : فمنهم من قال إنه غير جسم ولا جسماني بل هو جوهر روحاني فاض على[1] هذا القالب وأحياه واتخذه آلة في اكتساب المعارف والعلوم حتى يستكمل جوهره بها ويصير عارفاً بربه عالماً بحقائق معلوماته فيستعد بذلك للرجوع الى حضرته ويصير ملكاً من ملائكته في سعادة لا نهاية لها ، وهذا هو مذهب الحكماء الالهيين والعلماء الربانيين ، ووافقهم في ذلك جماعة من أرباب الرياضة وأصحاب المكاشفة ، فإنهم شاهدوا جواهر أنفسهم عند انسلاخهم عن أبدانهم واتصالهم بالانوار الالهية . ولنا في صحة هذا المذهب من حيث البحث والنظر براهين :

البرهان الاول :

تأمل أيها العاقل في أنك اليوم في نفسك هو الذي كان موجوداً جميع عمرك حتى إنك تتذكر كثيراً مما جرى من أحوالك ، فأنت إذن ثابت مستمر لا شك في ذلك ، وبدنك وأجزاؤه ليس ثابتاً مستمراً بل هو أبداً في التحلل والانتقاص ، ولهذا يحتاج الانسان الى الغذاء بدل ما تحلل من بدنه ، فإن البدن حار رطب ، والحار إذا أثر في الرطب تحلل جوهر الرطب حتى فنى بكليته كما لو[2] يوقد عليه النار دائما فإنه يتحلل الى أن لا يبقى منه شيء ، ولهذا لو حبس عن الانسان الغذاء مدة قليلة نزل[3] وانتقص قريب من ربع بدنه ، فتعلم نفسك[4] أن في مدة عشرين سنة لم يبق شيء من أجزاء بدنك ، وأنت تعلم بقاء ذاتك في هذه المدة ، بل جميع عمرك ، فذاتك مغايرة لهذا البدن وأجزائه الظاهرة والباطنة . فهذا برهان عظيم يفتح لنا باب الغيب ، فإن جوهر النفس غائب عن الحواس والاوهام ، فمن تحقق عنده هذا البرهان وتصوره في نفسه تصوراً حقيقياً فقد أدرك ما غاب عن غيره .

---

١) « على » زائدة من الناشر .
٢) في ج و د : لو ناقصة .
٣) في ب : زل بدل نزل .
٤) في ج : نفساً .

البرهان الثاني :

هو أن الانسان إذا كان متهماً في أمر من الامور فإنه يستحضر ذاته حتى إنه يقول إني فعلتُ كذا أو فعلتَ[1] كذا ، وفي مثل هذه الحالة يكون غافلا عن جميع أجزاء بدنه ، والمعلوم بالفعل غير ما هو مغفول عنه ، فذات الانسان مغايرة للبدن.

البرهان الثالث :

هو أن الانسان يقول أدركت الشيء الفلاني ببصري فاشتهيته أو غضبت منه ، وكذا يقول أخذت بيدي ، ومشيت برجلي ، وتكلمت بلساني،وسمعت بأذني ، وتفكرت في كذا وتوهمته وتخيلته ؛ فنحن نعلم بالضرورة أن في[2] الانسان شيئاً جامعاً يجمع[3] هذه الادراكات ويجمع[4] هذه الافعال ، ونعلم أيضاً بالضرورة أنه ليس شيء من أجزاء هذا البدن مجمعاً لهذه الادراكات والافعال، فإنه لا يبصر بالاذن ولا يسمع بالبصر ولا يمشي باليد ولا يأخذ[5] بالرجل ، ففيه شيء مجمع لجميع الادراكات والافاعيل الالهية ، فإذن الانسان الذي يشير الى نفسه « بأنا » مغاير لجملة أجزاء البدن ، فهو شيء وراء البدن.ثم نقول إن هذا الشيء الذي إنه هوية الانسان ومغاير لهذه الجثة لا يمكن أن يكون جسماً ولا جسمانياً ، لانه لو كان كذلك لكان أيضا منحلا سيالا قابلا للكون والفساد بمنزلة هذا البدن فلم يكن باقيا من أول عمره الى آخره ، فهو إذن جوهر فرد روحاني ، بل هو نور فائض على هذا القالب المحسوس بسبب استعداده وهو المزاج الانساني . والى هذا المعنى أشير في الكتاب الالهي بقوله : « فإذا سويته ونفخت فيه من روحي »[6] ، فالتسوية هو جعل البدن بالمزاج الانسي

---

١) في كل النسخ : فعل .
٢) في كل النسخ : في أن .
٣) في ب : يجمع بدل يجمع .
٤) في ب : ويجمع بدل ويجمع .
٥) في كل النسخ : تأخذ بدل يأخذ .
٦) الآية ٢٩ من سورة الحجر ، ص ٢٤٠ من مصحف الملك ؛ والآية ٧٢ من سورة الزمر ، ص ٦٠٤ من المصحف نفسه .

مستعدا لان تتعلق به[1] النفس الناطقة ، وقوله « من روحي » إضافة لهـا إلى نفسه لكونها جوهرا روحانيا غير جسم ولا جسماني .

فهذا ما أردنا أن نذكره في هذا الفصل .

الفصل الثاني

في بقاء النفس بعد بوار البدن[2]

اعلم أن الجوهر الذي هو الانسان في الحقيقة لا يفنى بعد الموت ولا يبلى بعد المفارقة عن البدن ، بل هو باق لبقاء خالقه تعالى ، وذلك لان جوهره أقوى من جوهر البدن لانه محرك هذا البدن ومدبره ومتصرف فيه ، والبدن منفصل عنه تابع له ، فإذن[3] لم يضر مفارقته عن الابدان وجودَه ، إذ[4] البدن موجود باق بعد الموت فلأن لا يُضَر وجودُ النفس وبقاؤه كان أولى ولأن النفس من مقولة الجوهر ، ومقارنتـه مع البدن من مقولـة المضاف ، والاضافة أضعف الاعراض لانه لا يتم وجودها بوضوعها ، بل يحتاج الى شيء آخر وهو المضاف اليه ، فكيف يبطل الجوهر القائم بنفسه ببطلان أضعف الاعراض المحتاج اليه ، ومثاله أن من يكون مالكا لشيء متصرفاً فيه فإذا بطل ذلك الشيء لم يبطل المالك ببطلانه ، ولهذا فإن الانسان إذا نام بطلت[5] عنه الحواس والادراكات وصار ملقى كالميت ، فالبدن النائم في حالة شبيهة بحال الموتى كما قال رسول الله عليه السلام : « النوم أخو الموت »[6] . ثم إن الانسان في نومه يرى الاشيـاء ويسمعها بل يدرك الغيب في المنامات الصادقة بحيث لا يتيسر له في اليقظة ،

---

١) في ج : « به » ناقصة.

٢) راجع عن هذا الموضوع كتاب « النجاة » ، ص ٢٠٢ وما بعدها من طبعة القاهرة ١٣٣١ هـ.

٣) في ب : فاذ بدل فاذن. وفي ر : فان بدل فاذن.

٤) في ر : فان بدل إذ.

٥) في ر : بطل بدل بطلت.

٦) لم اعثر عليه في كتب الحديث ولا في كتب الموضوعات.

فذلك برهان قاطع على أن جوهر النفس غير محتاج الى هـذا البدن ، بل هو يضعف بمقارنة البدن ويتقوى بتعطله ، فإذا مات البـدن وخرب تخلص جوهر النفس عن جنس البدن ، فـاذا كان كامـلا بالعلم والحكمة والعمل الصالح انجذب الى الانوار الالهية وأنوار الملائكة والملأ الأعلى انجذاب إبرة الى جبل عظيم من المغناطيس وفاضت عليه السكينة وحقت لـه الطمأنينة[1] فنودى من الملأ الأعلى : « يا يتها النفس المطمئنة ارجعى الى ربك راضية مرضية فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى »[2].

الفصل الثالث

فى مراتب النفوس فى السعادة والشقاوة بعد المفارقة عن الأبدان[3]

إعلم أن النفس الانسانية لا تخلو[4] عن ثلاثة أقسام : لانها إما أن تكون كاملة فى العلم والعمل ، وإما أن تكون ناقصـة فيهما ، وإما أن تكون كاملة فى أحـدهما ناقصة فى الآخر[5] . وهذا القسم الثالث على قسمين : لانها إما أن تكون كاملـة فى العلم ناقصة فى العمل أو بالعكس . فتكون أصناف النفوس بحسب القسمة الأولى ثلاثـة كما ورد فى القرآن : « وكنتم أزواجاً ثلاثة فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة وأصحـاب المشأمة ما أصحاب المشأمة » ثم قال « والسابقون السابقون أولئـك المقربون . »[6] فنقول أما الكاملون فى العلم والعمل فهم السابقون ولهم الدرجة القصوى فى جنات

---

١) فى ج : طمأنينة بدل الطمأنينة.

٢) الآيات ٢٧ و٢٨ و٢٩ و٣٠ من سورة الفجر ، ص ٨٠٧ من مصحف الملك.

٣) فى و : البدن بدل الابدان. وللاستزادة من هذا الفصل يمكن الرجوع الى النجاة ص ٤٧٧ — ٤٩٠

٤) فى ج و و : يخلو بدل تخلو.

٥) فى ب : الاخرى بدل الآخر.

٦) الآيات : ٧ و٨ و٩ و١٠ و١١ من سورة الواقعة ، ص ٧١٣-٧١٤ من مصحف الملك.

النعيم فيلتحقون من العوالم الثلاثة بعالم العقول ويتنزهون أن يقارنوا دون الاجسام ونفوس الافلاك مع جلالة قدرها ، فهؤلاء هم السابقون الذين هم فى المرتبة العليا . وأصحاب اليمين وهم فى المرتبة الوسطى يرتفعون عن عالم الاستحالة[1] ويتصلون بنفوس الافلاك ويتطهرون عن دنس عالم العناصر ويشاهدون النعيم الذي خلقه الله تعالى فى السموات من الحور العين[2] وألوان الاطعمة اللذيذة وألحان الطيور التى تقصر أوصاف الواصفين عن ذكرها وشرحها كما قال عليه السلام حكاية عن ربه : « أعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر »[3] فهذه مرتبة المتوسطين من الناس . ولا يبعد ان يتمادى أمرهم الى أن يستعدوا للفوز بوصول الدرجة العليا فينغمسوا فى اللذات الحقيقية واصلين الى السابقين بعد انقضاء دهور تأتى[4] عليهم ، فهذه مرتبة أصحاب الشمال وهم النازلون فى المرتبة السفلى ،[5] المنغمسون فى بحور الظلمات الطبيعية ، المنتكسون فى قعر الاجرام العنصرية ، المتحسون فى دار البوار ، وهم الذين « دعوا هنالك ثُبورًا[6] لا تدعوا اليوم ثُبورًا واحدًا وادعوا ثبورًا كثيرا »[7]

فهذا[8] شرح أحوال الارواح البشرية بعد المفارقة عن الاجسام والمهاجرة الى دار الآخرة ، وقد اتفق على صحتها الوحى الالهى والآراء الحكمية كما شرحناه .

---

١) الاستحالة من حال بمعنى تبدّل وتغير ، وليست بمعنى الامتناع .

٢) في ب : والعين بدل العين .

٣) هذا من الاحاديث المتفق على صحتها ، رواه البخارى في كتاب بدء الخلق ، الباب الثامن ، ورواه مسلم في كتاب الجنة ، وكذا الترمذي وابن ماجه واحمد في مسنده .

٤) في كل النسخ : يأتي بدل تأتى .

٥) في ب : « فهم » قبل « المنغمسون » .

٦) آخر الآية ١٣ من سورة الفرقان ، وهي : « واذا القوا منها مكانًا ضيقًا مقرنين دعوا هنالك ثبورًا » .

٧) الآية ١٤ من سورة الفرقان .

٨) في ب وج : فهذه بدل فهذا .

خاتمة الرسالة

في ذكر العوالم الثلاثة التي هي عالم العقل وعالم النفس وعالم الجسم[1] وترتيب الوجود من لدن الحق تعالى الى أقصى مراتب الموجودات على الترتيب النازل منه تعالى ، فنقول :

إن أول ما خلق الله تعالى جوهر روحاني هو نور محض قائم لا في جسم ولا في مادة ، دَرَاك لذاته ولخالقه[2] تعالى ، هو عقل محض ، وقد اتفق على صحة هذا جميع الحكماء الالهيين والانبياء عليهم السلام كما قال صلعم : « أول ما خلق الله تعالى العقل ، ثم قال له [اقبل فاقبل ، ثم قال له][3] ادبر فأدبر ، ثم قال فبعزتي وجلالي ما خلقت خلقاً أعز منك فبك أعطى وبك آخذ وبك أثيب وبك أعاقب »[4] ، فنقول هذا العقل له ثلاثة[5] تعقلات :

احدها أنه يعقل خالقه تعالى

والثاني أنه يعقل ذاته واجبة بالاول تعالى

والثالث أنه يعقل كونه ممكنا لذاته[6] .

---

١) هذا الترتيب الثلاثي باسمائه ومعناه من الافلاطونية الجديدة Néoplatonisme ، ولعله قد وصل فيلسوفنا عن طريق رسائل اخوان الصفاء التي قرأها في حداثته (اسر البيهقي : تاريخ حكماء الاسلام ، مخطوط بدار الكتب المصرية ، رقم ٣٦٦٦ تاريخ ، ص ١٠١) او عن شروح فلاسفة تلك المدرسة على كتب ارسطو .

٢) في ب : وبخالقه .

٣) هذه الفقرة ناقصة في ب وج .

٤) روى هذا الحديث عبدالله بن احمد في زوائد المسند عن الحسن مرفوعاً باسناد جيد ؛ واخرجه الطبراني في الكبير والاوسط ، وكذلك ابو نعيم باسنادين ضعيفين ؛ واعتبره القاري وابن تيمية وغيرهما من الاحاديث الموضوعة ، ويشبه ان يكون الامر كذلك لعلته الوثيقة بنظرية صدور العالم عن العقل الاول ووساطة هذا العقل بين الله والعالم التي ابتدعتها الفلسفة الافلاطونية الجديدة لتفسير وتعليل فيضان الكثرة عن الوحدة المطلقة .

٥) في ب وج : ثلاث بدل ثلاثة .

٦) هذه هي المبادئ الثلاثة التي اعتمد عليها فلاسفة الاسلام في تفسير صدور الكثرة

فحصل من تعقله خالقه عقلٌ هو أيضا جوهرُ عقلٍ آخر، كحصول السراج من سراج آخر.

وحصلت[1] من تعقله ذاته واجبةً بالاول نفسٌ، هي[2] أيضا جوهر روحاني كالعقل، إلا أنه في الترتيب دونه.

وحصل من تعقله[3] ذاته ممكنةً لذاته جوهرٌ جسماني هو الفلك الاقصى[4]، وهو العرش بلسان الشرع[5]

فتعلقت تلك النفس بذلك الجسم، فتلك النفس هي النفس الكلية المحركة للفلك الاقصى كما تحرك[6] نفسُنا جسمَنا. وتلك الحركة شوقية بها تتحرك[7] النفس الكلية الفلكية شوقا وعشقا الى العقل الاول، وهو[8] المخلوق الاول، فصار العقل الاول عقلا للفلك الاقصى ومطاعاً[9] لـه. ثم حصل من العقل الثاني عقل ونفس وجسم: فالجسم هو الفلك الثاني وهو فلك الثوابت، وهو الكرسي بلسان الشرع وتعلقت النفس الثانية بهذا الفلك.

عن الوحدة، وهي كما ترى تجعل التكثر يبدأ بالعقل الاول من جهة اختلاف تعقلاته وهي: ١ً تعقله ذاته. ٢ً تعقله أنه واجب بوجوب انه. ٣ً تعقله انه ممكن لذاته.

١) في كل النسخ: حصل بدل حصلت، لان النفس مؤنثة كما في لسان العرب.

٢) في كل النسخ: هو بدل هي.

٣) في و: تعقل بدل تعقله.

٤) في ب: الاطلس بدل الاقصى.

٥) الى هنا ينتهي ما فاض من العقل الاول تبعاً لاختلاف تعقلاته المشار اليها في المبادئ الثلاثة.

٦) في كل النسخ: يحرك بدل تحرك.

٧) في كل النسخ: يتحرك بدل تتحرك.

٨) في كل النسخ: هو بدل وهو.

٩) لم يسبق ان عثرنا على هذا اللفظ في كتب ابن سينا الاخرى، وقد ورد في بعض كتب ابي حامد الغزالي واثار إشكالاً في معرفة مدلوله، بيد انه هنا واضح المدلول لانه يطلق على العقل الاول، فان ابن سينا يريد ان يقول ان العقل الاول يحرك جرم الفلك الاقصى لا كما تحرك العلة الفاعلة بل كما تحرك العلة الغائية، لذلك وصف تلك الحركة بانها شوقية عشقية، والمعشوق «مطاع» من عاشقه وليس فاعلاً للعشق او الحركة، كما لا يخفى.

وهكذا حصل من كل عقل ونفس وجسم ، الى أن ينتهى الى العقل العاشر ، ثم حصل منه العالم العنصرى . والعناصر أربعة : الماء والنار والهواء والارض ، وحصلت منها المواليد الثلاثة وهى المعادن والنبات والحيوان والانسان الذى هو اكمل الحيوانات وهو بنفسه يشبه الملائكة ، ويمكن أن يبقى بقاء السرمد إذا تشبه[1] بها فى العلم والعمل ، ويصير هو أيضاً أخس[2] من البهائم والسباع إذا اتصف بأخلاقها داخل الارض واتبع هواه وكان أمره فرطا. وأما إذا تنزه عن طرفى الافراط والتفريط فى الاخلاق وتوسط بينهما فلم يكن شبعاً ولا حاملا فى القوة الشهوانية بل يكون عفيفا ، فان العفة توسط الشهوة ، ولا يكون أيضا متهوراً ولا جبانا بل يكون شجاعاً ، كسب القوة الغضبية ، فإن الشجاعة تتوسط[3] بين التهور والجبانة ، وكذلك له حكمة فى المعيشة ، وهى[4] حُسْنُ التدبير فيما بينه وبين غيره إما بحسب أهل منزله الخاص وهو يتم بين زوج وزوجة ووالد ومولود ومالك ومملوك ، وإما بحسب أهل المدينة فى المعاملات وفى السياسيات إن كانت[5] له رتبة فى السياسة ، وهذه الحكمة توسط فى تدبير نفسه وغيره دون الجَرْبَزة[6] والبلاهة . وهذه الحكمة غير الحكمة التى هى العلم بالحقائق فإن تلك الحكمة كلما كانت أشد إفراطاً كان أحسن ، وهذه الحكمة لا ينبغى أن تكون بالافراط وإلا لكانت جَرْبَزة ، ولا بالتفريط وإلا لكانت بلاهة.

وهذه الخصال الثلاث أعنى العفة والشجاعة والحكمة هى التى سميت[7] «عدالة»، فالعدالة هى مجموع هذه الثلاث ، فمن اتصف بها وكان أيضا حكيما

---

١) فى ج : شبه بدل تشبه.
٢) فى كل النسخ : احسن بدل أخس كما يقتضيه سياق الكلام.
٣) فى ب وج : يتوسط بدل تتوسط.
٤) فى كل النسخ : هو بدل هى وذلك لان السياق يقتضى ان يكون العائد «حكمة».
٥) فى كل النسخ : كان بدل كانت ، والعائد رتبة.
٦) « الجربز الخب من الرجال وهو دخيل ، ورجل جُربز (بالضم) بيّن الجَرْبَزة (بالفتح) ، اى خب ، قال وهو القُرْبُز ايضاً ، وهما معربان » (اللسان ٧ : ١٨٢).
٧) فى كل النسخ : سمى بدل سميت.

بالحكمة النظرية التي هي العلم بحقائق الاشياء ، فقد صار كاملا في العلم والعمل وصار من جملة من قيل في حقهم : « والسابقون السابقون أولئك المقربون في جنات النعيم »[1]

فإن قلت فهل يمكن أن تحد الحكمة النظرية تحديدًا لا يمكن أن يكون أقل منه حتى تسعد[2] بها[3] النفس تلك السعادة فيكون من السابقين المذكورين؟ قلت يمكن ذلك التحديد بالتقرير فنقول :

ينبغي أن يكون عالما بوجود واجب الوجود تعالى وصفات جلاله ونعوت كماله وتنزيهه عن التشبيه ، ويتصور عنايته بالمخلوقات وإحاطة علمه بالكائنات وشمول قدرته على جميع المقدرات [ثم يعلم أن وجوده يبتدى من عنده سارياً الى الجواهر العقلية ثم الى النفوس الروحانية الفلكية ثم الى الاجسام العنصرية بسائطها ومركباتها من المعادن][4] والنبات والحيوان ثم يتصور جوهر النفس الانسانية وأوصافها وأنها ليست بجسم ولا جسمانية وأنها باقية بعد خراب البدن إما منعمة وإما معذبة . فهذا القدر من العلم مُجمَلُه ومُفَصَّلُه[5] هو القدر الذي إذا حصل للانسان استعد بالسعادة التي شرحنا حالها أعني سعادة السابقين الكاملين . وبقدر ما ينتقص علمه وعمله انتقص من درجاته وقربه من الله تعالى . وأما الذين قد انحطت رتبتهم عن درجة هؤلاء الكاملين علما وعملا وهم المتوسطون فيكونون إما كاملين في العمل دون العلم أو بالعكس فهم يكونون محجوبين عن العالم العلوى مدة حتى تنفسخ[6] عنهم تلك الهيئات الظلمانية بتلك الاعمال الردية التي كانوا يعملونها في حياتهم الدنيا ، وتتقرر الهيئة النورية

---

١) الآية ١٠ و١١ و١٢ من سورة الواقعة ؛ ص ٧١٢–٧١٤ من مصحف الملك .
٢) في ب : يستعد .
٣) في كل النسخ : به بدل بها ، والعائد الحكمة النظرية .
٤) هذه الفقرة ناقصة من ج .
٥) في كل النسخ : مجملة ومفصلة بدل مجمله ومفصله .
٦) في كل النسخ : ينفسخ بدل تنفسخ .

قليلا قليلا فيتخلصوا الى عالم القدس والطهارة[1] ويلتحقوا بهؤلاء السابقين[2].
وأما الكاملون فى العلم دون العمل من القسمين المتوسطين وهم المتزهون من أهل الشرائع الذين يعملون الصالحات ويؤمنون بالله واليوم الآخر ويتبعون الانبياء فيما أمروا به ونهوا عنه ولكن لا تكون لهم زيادة بسط من حقائق العلوم ولا يعرفون أسرارها والاسرار والتنزيلات الالهية وتأويلاتها فهم إذا تخلصوا عن أبدانهم انجذبت نفوسهم الى نفوس الافلاك وعرجوا الى السموات فشاهدوا جميع ما قيل لهم فى الدنيا من أوصاف الجنة فى غاية الشرف والرتبة يلبسون فيها من سندس واستبرق وحلوا أساور من فضة متكئين فيها على الارائك لا يرون فيها شمساً ولا زمهريرا، ولكن لا يبعد أن يفضى بهم الامر الى أن يرتقوا الى العالم العقلى والصقع الالهى فينغمسوا فى اللذات الحقيقة التى لا يمكن أن[3] يشرحها بيان ولا يكشف عنها مقال ولا يوازنها حال. واذ قد وصلنا الى هذا المقام وكشفنا هذه الاسرار التى عميت عنها أبصار أكثر الناس وغفلوا عن أنفسهم وأحوالهم على الحقيقة، فلنكتف بهذا القدر من الاستبصار للطالبين المسترشدين، جعلنا الله واياكم من المهتدين إنه هو البر الرحيم، وصلى الله على سيدنا محمد وآله والطاهرين أجمعين.

تمت الرسالة الشريفة فى النفس الناطقة بتوفيق الله وبأمن جوده وكرمه.

---

١) فى ج : والطاهرة واظنها والطهارة.
٢) الى هنا تنتهي نسخة ج.
٣) فى ب : أن ناقصة.

سفر المزامير بالسريانية

طبعة قزحيا . طبعة كمبردج

بقلم المتوري ميخائيل الرجّي

طبعت المزامير بالسريانية للمرة الاولى في دير قزحيا بجبل لبنان ، بعناية بعض المطارنة والرهبان الموارنة . ثم اعيد طبعها مرارًا ، حتى جاء احد المطّلعين في جامعة كمبردج بانكلترة ، فضبط نصها ، على موجب قواعد العلم والنقد.

سنة ١٩٠٤ ، طبع الدكتور بارنس سفر المزامير بحسب الترجمة السريانية البسيطة وفقًا لنصّ السريان المغاربة ، واغناه بمقدمة وحواشٍ ولوائح قيّمة[1]

وقد اطلع على اعمال من تقدّموه في طبع المزامير فذكر منهم (مقدمة : ٢٧–٣٤) توما اربانيوس الذي كان قد اعد كتاب المزامير فنشرته امرأته بعد موته سنة ١٦٢٥ في ليدن بهولندة ، واكبر عمله ، واولاه شرف التسمية بالطبعة الاولى للمزامير بالسريانية ؛ وجبرايل الصهيوني الذي طبع المزامير بالسريانية على حدة في باريس سنة ١٦٢٥ كذلك ، وعاد فادمجها في الكتاب المقدس باللغات المختلفة (بوليكلوتا) ، المطبوع في باريس سنة ١٦٤٥ ؛ ووالتن الذي اخذ عن الصهيوني سفر المزامير لمثل هذا الكتاب الاخير ، المطبوع في لندن سنة ١٦٥٧ ، وكذلك المس لي سنة ١٨٢٥ ؛ واخيرًا ذكر طابعي الكتاب المقدس او المزامير ، وفقًا لنصّ السريان المشارقة ، وهم المرسلون الاميركان في اورمية سنة

1) *The Peshitta Psalter according to the West Syrian text*, edited with an apparatus criticus by W. Em. Barnes D. D., Cambridge, 1904.

١٨٢٥ ، وطابع الشحيمة الكلدانية في باريس سنة ١٨٨٦ ، والمرسلون التابعون لرئيس اساقفة كنتربري في اورمية سنة١٨٩١ . والمح ، ما عدا ذلك ، الى سفر المزامير الذي طبعه الخوري يوسف داود السرياني الموصلي سنة ١٨٧٧ .

ولكنه استند خاصة في عمله الى ما وجده في المتحف البريطاني من المزامير المخطوطة ، وهي عديدة وقديمة ؛ فاختار منها نحو عشرين فقط (مقدمة: ١١ - ٢٤) ، اهمها مخطوط يعود الى القرن السادس بعد المسيح (C) واربعة مخطوطات مشرقية تعود الى القرن الثاني عشر او الثالث عشر (K. L. N. O.) اما البقية فمنها ما يقرب من السابقة ، ومنها ما هو مبتور ، او معطّل ، او مصلح. وهذه جميعها قد قابلها بالمخطوطين الهامّين : الامبروسياني (A) والفلورنتيني (F) ، وكلاهما من القرن التاسع.

ولم يهمل هذا العالم (مقدمة : ٢٤-٢٧) ما ورد من آيات المزامير في مؤلفات السريان الاقدمين كافرهات من القرن الرابع ، وفيلكسين المنبجي من السادس ، ويشوعداد من التاسع ، وابن العبري من الثالث عشر وغيرهم. وكذلك استعان بما سماه الترجمة العربية المطبوعة في دير قزحيا بجبل لبنان سنة ١٦١٠ .

هذه هي المصادر التي اعتمدها معلم كمبردج ، وسبر غورها ومحّصها بحثاً وتدقيقاً ، وقابل ما بينها ، فاستغرق هذا العمل الشاق معظم اوقاته طوال سبع سنوات (فاتحة : ٧) .

وكان قد وطّد النية في بادئ الامر (مقدمة : ٤٥) على العمل للتوصل ، بمعارضة المصادر المشرقية والمغربية بعضها ببعض ، الى النصّ الاصلي القديم ، الذي كان مشتركاً بين السريان قاطبة ، مشارقة ومغاربة ، قبل مجمع بيت ابت[1] سنة ٤٨٣ المسيح ، ومنه تشعّب النصّان المألوفان حاليًا اي المشرقي والمغربي (مقدمة ٣٦) وظلّ يعلّل النفس بهذا الامل مدة ثلاث سنوات ،

---

١) في السمعاني عن ابن العبري ܒܝܬ ܠܦܛ وترجمتها Beith Lapeta . وقد كتبها بارنس Beth Lapat راجع المكتبة الشرقية للسمعاني ٣ : ٦٦-٧٠ و٣٩٣ ، وكذلك تاريخ المجامع لفلي جزء ٢ : قسم ٢ : ص ٩٥ وخاصةً « الديانة المسيحية في المملكة الفارسية » لجاك لابورت ص ١٢ و١٢٨ وما اليها ، J. Labourt, *Le Christianisme dans l'Empire perse*

فظهرت له الصعوبات الجمّة التي تكتنف العمل ، فعدل عنه بكل حكمة وصواب ، واكتفى بتنقيح وتصحيح المزامير في الترجمة البسيطة ، وفقاً للمصادر المغربية القديمة . واتى في المقدّمة والحواشي والتعاليق على مقابلتها بعضها ببعض، وعلى ما تختلف او تشترك به مع المصادر المشرقية وغيرها.

وعندنا ان العمل الاول يصعب تحقيقه بل يستحيل ، لان مواده لم تتمّ بعد وقد لا تتمّ ابداً ، كما ان أسسه ستظل دائماً واهية . اما العمل الثاني فشاق جداً . فالمصادر مختلفة ، متباينة ، متفاوتة ؛ ولدينا المصادر المشرقية والمغربية ، والقديمة والحديثة ، والمخطوطة والمطبوعة ؛ وبين الواحدة والاخرى ، وبين نسخ كل منها ، اختلافات لا يستهان بها . ثم ان بعض المصادر تقرب من الاصل العبراني ، وبعضها من الترجمة السبعينية ، وغيرها تأثرت بما ورد من المزامير في اسفار العهد الجديد .

وقد احسّ الدكتور بارنس بهذه الصعوبة ، حين جرب ان يقول كلمة (مقدمة : ٣٤-٤٤) في تاريخ نصّ المزامير . فاعترف ان الوقت لم يَحِن بعد لكتابة هذا التاريخ ، وان جل ما هنالك بعض امور متفرقة يمكن جمعها وتفسيرها على اوجه متعددة مختلفة . منها : ١ان المخطوطات القديمة تأثرت كثيراً بالترجمة السبعينية . ٢ان المخطوطات التي اتصلت الى يده ، ما عدا ثلاثة منها ، هي كتب صلوات ، اي مزامير وتسابيح منظمة لاقامة صلاة الفرض الالهي ، فتأثرت بالتأثيرات الطقسية . ٣ان المخطوطات ثلاثة فروع : يعقوبي ، ونسطوري ، وملكي . وقد يكون لها فرع رابع عبراني يمثله المخطوط الفلورنتيني وحده (١٠) . والاهم فيها الفرعان الاولان . على ان هذه الفروع ، لاسيما الاولان ، قد تفتأ تتأثر الواحد بالآخر .

فتجاه هذه الصعوبات ، كان لا بد من التعويل على قواعد عامة في تفضيل نصّ على نصّ ، او قراءة على قراءة ، كما يقولون . فدونك القواعد التي اختطها معلم ، ومرجع لمعه :

١ اتفاق احدى القراآت مع الاصل العبراني ليس دليلاً على عدم صحتها ، اللهم الا فيما يتفرّد به المخطوط F في هذا الامر .

٢ً اتفاق احدى القراآت مع الترجمة السبعينية يعتبر بنوع عام حجةً عليها

٣ً الاتفاق اللفظي في احدى القراآت مع الترجمة السريانية الهكسبلارية دليل قوي ضدها.

٤ً القراءة الواردة في المخطوطات النسطورية وفي واحد او اكثر من واحد من المخطوطات اليعقوبية القديمة، يجب عملياً قبولها، بشرط ألا تكون هي هي في الترجمة الهكسبلارية.

٥ً اتفاق احدى القراآت مع العهد الجديد يعتبر بصورة عامة حجة عليها

هذه هي القواعد التي تمشى عليها العالم بارنس في طبعته العلمية. وقد انتقى النصّ بموجبها وطبعه خالياً من الحركات والنقط الاصطلاحية، الا نادراً جداً، تاركاً وضعها لاجتهاد المفسرين والشارحين لان غايته، كما يقول، انما هي علمية نقدية (مقدمة : ٤٥).

وعمد الى المخطوطات القديمة (A.C.E.F.) فاتبعها في ضبط الكلمات وكتابتها، مخالفاً في ذلك اصطلاحات المتأخرين. فزاد الالف مرة [illegible] وحذفها اخرى [illegible]، وكتب مرة [illegible]، ومرة [illegible]. وحذف الواو فكتب [illegible]. وحذف الياء فقال [illegible]. ولم يلحق الياء الزائدة بمضارع الغائبة [illegible] ولا بماضي الغائبات [illegible]. وقد ضبط الكلمات التالية هكذا : [illegible]، وبين [illegible] و [illegible] وبين [illegible] و [illegible]، وبين [illegible] و [illegible] (مقدمة : ٤٦—٥٠)

ولم يذكر في المتن نسبة المزامير الى مؤلفيها، بل اكتفى بان اشار في المقدمة (٥٠—٥٣) الى اختلاف المصادر في هذا الشأن. واورد امثلة منها. وتبين له ان سفر المزامير كان يسمى في القديم تسابيح داود ([illegible]) وفقاً للمغاربة، ومزامير داود ([illegible]) وفقاً للمشارقة. وانه لا علاقة البتة للترجمة السريانية بالاصل العبراني او بالترجمة السبعينية في نسبة المزامير الى اصحابها والى ظروفها التاريخية.

قلنا ان الدكتور بارنس قد قام بعمل مجيد في سبيل الترجمة البسيطة . فصحح نص المزامير ونقحه وضبطه على الصورة التي لخصناها . فكتابه مستوٍ على اسس النقد ، مطبق على قواعد العلم ، مستوفي الشروط . وقد ادى به صاحبه للعلم خدمة جلى لم يسبق اليها .

على ان عمله ، مثل كل عمل بشري ، لا يخلو من نقائص وشوائب ومغامز . فالقواعد التي اختطها لنفسه في انتقاء النص لا يخلو تطبيقها من صعوبة ، كما اشار الى ذلك في مقدمته (٤٢-٤٣) . وعندنا ان القاعدة الرابعة غير صحيحة ولا صالحة . فبينا هو يرفض بكل صواب قراآت واردة في المصادر المشرقية مخطوطةً ومطبوعة ، ويقبل بكل حق انداداها في المصادر المغربية : وهو انما يضبط نص المزامير المقبول عند المغاربة[1] ، نجده ، استناداً الى هذه القاعدة الرابعة ، يفضل قراءة ܕܥܡܠܗ على قراءة ܐܥܕܐ ، (١١٨ : ١٧٦) ، مع انه لا ريب في ان الاولى مشرقية محضة ، لم ترد بكاملها في مخطوط مغربي قط ، والثانية مغربية محضة .

كذلك لدينا قراءة ܘܐܘܡܪ ܕܡܫܝܚܗ (٥١ : ١٣) الواردة في كل المطبوعات ، ومنها قزحيا ، وفي اغلب المخطوطات مشرقية ومغربية ، وفي اكثر المؤلفات القديمة ، فتركها وانتقى قراءة ܘܐܘܡܪ ܕܡܫܝܚܗ ، الواردة في واحد فقط من المخطوطات المغربية الهامة (C) وثلاثة غيره وفي مؤلفات افرهات .

وفي اكثر المخطوطات واقدمها واهمها قراآت تركها ، واعتمد اضدادها استناداً الى مخطوطات اقل عدداً وقدماً واهمية ، مثل ܒܥܕܗ (٢٤ : ٩) ، ܕܥܕܪܗ (٣٤ : ٨) ، ܕܥܕܪܗ (٤٠ : ١٤) ، ܕܐܘܡܢܘܬܗ (٤٨ : ١٣) ، ܕܐܡܢܘܬܗ (٤٩ : ٢١) ، ܒܥܕܗ (٧٤ : ١) ، ܕܐܝܬ (٩٤ : ١) ، ܕܢܘܢ (١٠٤ : ١٠) وغيرها[2] . وفي هذا ما فيه من الايثار .

---

١) مثل ذلك ܕܐܘܟܝ ٣٩ : ٢ ؛ — وصس ٧ : ١٠ و٣٥ : ٢٤ و٥٦ : ٢ وغيرها .

٢) راجع بارنس، في حواشيه على هذه القراآت، حيث يذكر المخطوطات والمطبوعات الواردة فيها .

ومن مظاهر الايثار المدهشة ، ان بارنس (مقدمة : ٢٧-٢٨) سمّى طبعة ليدن بالرئيسية او الطبعة الاولى للمزامير بالسريانية ، (*Editio Princeps*) ، مع انها ظهرت وطبعة باريس في سنة واحدة.

ايكون ما وجده في رسالة اهداء الاولى ، من انها مؤرخة بشهر وبضعة ايام قبل رسالة اهداء الثانية ، قد سوّغ له هذا الايثار ، مع انه من المعلوم ان مثل هذه التواريخ قد تسبق الطبع باشهر واحياناً بسنين ، فلا عبرة اذاً بها . وانما العبرة بتاريخ السنة ، والسنة التي ظهرت فيها الطبعتان واحدة . وها هوذا الصهيوني ينعت طبعته بالاولى (مقدمة بارنس : ١٩).

او يكون النص في الاولى افضل منه في الثانية ؟ زعم ذلك بارنس ، لانه وجد طبعة ليدن تتفق غالباً مع طبعات اوربية ضد طبعة باريس (مقدمة : ٢٨). ثم ان جبريل الصهيوني ، صاحب طبعة باريس ، كتبا به قلمه فصرح ان طبعته جدّ صالحة للدفاع عن نص الترجمة اللاتينية المعروفة بالعامية ، فسوّغ هذا لبارنس (مقدمة : ٢٩ ٣١) ان ينسب اليه الجبن وعدم الجرأة في النقد ، كما يجدر بطابعي الكتب . وهناك ذنبٌ افظع اقترفه الصهيوني ، في عرف بارنس ، وهو انه ، بالرغم من حصوله على ثلاثة مخطوطات ، احدها يعقوبي والثاني نسطوري والثالث ماروني ، لم يجرب ان يطبق عليها قواعد النقد ، بل اكتفى بالنص الماروني .

ولسنا ندري ما يسوّغ له ان يدّعي هذه الامور بدون ان يتثبت من صحتها او يورد البرهان عليها . وها نحن ندينه من كتابته : فقد افادنا ان طبعة باريس مضبوطة بالشكل الكامل (مقدمة : ٢٩) ، بعكس طبعة ليدن (مقدمة : ٢٨) ، وان الصهيوني قد ملأ خمس صفحات في آخر كتابه بالقراآت المختلفة التي وجدها في مخطوطاته (مقدمة : ٣٠) ، حال كون اربانيوس قد تعجله المنون فلم يتمكن من انجاز ما وعد به من مقابلة النصّ السرياني بالاصل العبراني ومن تفسير الصعوبات في السريانية . وهب كان في طبعة ليدن بعض قراآت افضل من امثالها في طبعة باريس ، فلا مشاحة في ان عكس ذلك صحيح ، فضلاً عن ان الاسس ، التي تقوم عليها هذه الافضلية ، ليست مما يتعذر معه الركون الى

سواه[1]

وقد طالعنا طبعة باريس ، فاذا على هوامشها شروح وتفاسير لا تخلو من فائدة وقيمة ، وفتشنا فيها فلم نجد محلاً واحداً محرفاً او مصححاً مراعاةً للترجمة اللاتينية . فما ذنب الصهيوني اذا اعتمد المخطوط الماروني واشار الى القراآت المختلفة فيه عن امثالها في المخطوطين الآخرين ؟

ام هو الغرض الاعمى يغشي بصيرة عالم كبير مثل بارنس فيجعله يغمط فضل عالم كبير كالصهيوني ، ربما كان ذنبه في عيني بارنس البروتستنتي انه احد العلماء الكثوليك الموارنة ؛ ويحطّ من شأن كتاب قيم لان طابعه الكثوليكي الماروني وجده موافقاً للدفاع عن الترجمة اللاتينية التي تعتمدها الكنيسة الرومانية ترجمة رسمية فيها ؛ ويعرض بان نصّ المخطوط الماروني ، الذي ذكره الصهيوني ، غير صالح ، لغير ما سبب سوى انه مخطوط ماروني . ايكون هذا الغرض الديني الاعمى ، ما سوّل كذلك لبارنس ان يفضل طبعة اربانيوس في ليدن على طبعة الصهيوني في باريس ، لان الاولى قام بها عالم بروتستنتي في محيط بروتستنتي ، وقام بالثانية عالم كثوليكي في محيط كثوليكي ؟

اما وقد آثر بارنس طبعة ليدن،واسف ألا تكون قد ادمجت في الكتاب المقدس باللغات المختلفة (بوليگلوتا) بباريس ولندن ، وفي غيره من الكتب ، مكان طبعة الصهيوني ، فله ذلك ، اذ لا مشاحة في الايثار ، وان كان مدهشاً . غير ان ما لا يُدرك هو ان بارنس في حواشيه يقابل غالباً ، بل دائماً تقريباً ، بين طبعات باريس واورمية وقلما يذكر طبعة ليدن . وكانه قد احسّ بهذا الخلل فاعتذر عنه في مقدمته (٢٨) ، آسفاً ألا يكون قد تمكن ، في بدء عمله ، من الاستفادة من هذا النصّ الصالح . ولم يسدّ الخلل في لوائح ما يجب اصلاحه وزيادته (مقدمة : ٥٦—٦١) ، لانه يذكر فيها قسماً فقط من القراآت المختلفة في طبعة ليدن . قلنا ان هذا لمن المدهش في كتاب جعل لطبعة ليدن المقام الاول ، فضلاً عن انه استغرق معظم اوقات صاحبه طوال سبع سنوات .

١) راجع ما لاحظناه على قواعد انتقاء النصّ . وانظر ما سيجيء فيما بعد عن افضلية القراآت .

والحقيقة ان الطبعة الاولى للمزامير بالسريانية لم تتمّ في ليدن ، ولا في باريس ، سنة ١٦٢٥ ، بل سبقت هذا التاريخ لخمس عشرة سنة . لان المزامير ، بحسب الترجمة البسيطة ، وازاءها الترجمة الكرشونية ، اي العربية بالحرف السرياني ، قد اصدرتها مطبعة دير قزحيا للرهبان الموارنة في جبل لبنان سنة ١٦١٠

ولو درى بهذه الطبعة العالم بارنس ، لكفى نفسه مؤنة الايثار في تسمية الطبعة الاولى ؛ ومن يدري اذا كان قد عرف بها وطمس هذه المعرفة لانها طبعة مارونية ، وقد رأينا موقع الامور المارونية من نفسه !

يدعونا الى هذا الريب ما جاء في مقدمته (٢٧) ، حيث اشار الى ترجمة عربية للمزامير طبعت في دير قزحيا سنة ١٦١٠ ، واعاد طبعها بولس لاگارد سنة ١٨٧٦ ، في كتابه : « اسفار المزامير وايوب والامثال ، بالعربية » . ولما كانت هذه الترجمة العربية لم تطبع على انفراد في قزحيا ، بل ازاء الترجمة السريانية التي نحن بصددها ، كما ذكرنا ، ولم يكن لنا وصول الى كتاب لاگارد لنتثبت هل اهمل ذكر هذا الامر فتعود عليه تبعة التقصير ، ام ذكره فلا يبقى عندئذ مبرّر لبارنس في جهله هذه الطبعة السريانية الاولى ، جاز لنا بكل حال ان نستغرب كيف فات معلم كمبردج الاطلاع على هذه الطبعة ، ونسخها موجودة في مكاتب اوروبا ، وقد تكلم عنها ووصفها غير واحد من علمائهم . ويحق لنا ان يستحيل استغرابنا الى اسف شديد ، فيما لو تأكدنا انه قد عرف بهذه الطبعة فتجاهلها .

وصف طبعة قزحيا العالم سنورر في مؤلفه المدعو المكتبة العربية[1] (ص ٣٥١ وما بعدها) ، وكذلك المرحوم الاب شيخو في المشرق الثالث (سنة ١٩٠٠ : ص ٢٥٣) . فاشار الاول الى نسختين منها ، احداهما في المكتبة العمومية بنورمبرج ، والاخرى في حوزة احد اصدقائه ؛ والمح الثاني الى نسخة منها كانت للاديب المرحوم موسى صفير صاحب مكتبة المعارف ببيروت ؛ وقد طالعنا في المكتبة الشرقية للآباء اليسوعيين ببيروت نسخة مبتورة الاول والآخر وخالية

---

1) Schnurrer, *Bibliotheca Arabica*, pp. 351 et sqq.

من بعض صفحات في سبعة محلات[1] . لكن الخلل قد سدّ نوعاً بان اخذت عن نسخة اخرى ، صورة شمسية لصدر الكتاب واخرى لجزء من عجزه ، ووضعتا مكانهما في هذه النسخة . وقد ورد في مقال عن البطريرك جرجس عميره ، للمرحوم الخوري بطرس غالب ، انه وقف على طبعة المزامير الثانية ، التي انجزت في قزحيا سنة ١٦١٠ . وهذه النسخة غير السابقة ، بدليل ان الكاتب يسرد خاتمتها الطويلة المفقودة في نسخة المكتبة الشرقية (المشرق ٢٢ [١٩٢٤]: ٥٠٠) في صدر الكتاب وفي آخره ، عناوين وحواش وتعاليق[2] ، يستفاد منها ان

---

١) هي الصفحات التالية : ٥ – ١٠ = مز ٤ : ٥ – ٨ : ٦ ؛ ١٥ – ١٦ = مز ١٠ : ١٠ – ١١ : ٧ ؛ ٢٢ – ٢٦ = مز ١٧ : ٥ – ١٨ : ٢٢ ؛ ١١٧–١١٨ = مز ٦٨ : ١٤ – ٢٩ ؛ ١٢٣ – ١٢٤ = مز ٦٩ : ٢٩ – ٧١ : ٢ ؛ ١٦٢ – ١٦٦ = مز ٨٩ : ٤٢ – ٩٢ : ١٥ ؛ ١٧١ – ١٧٢ = مز ٩٦ : ٢٢ – ٩٦ : ٩

٢) في صدر الكتاب صفحة ملونة مطوقة باطارين : في اعلاها البسملة وعنوان الكتاب بالسريانية ثم بالكرشونية ، وفي وسطها الشمار الحبري الخاص بمركيس الرزي وعلى جانبيه كتابة تبدأ من الاعلى وتنتهي في الاسفل ؛ وفي اسفلها هذه الكتابة الكرشونية : « بالحبس المكرم الكائن في وادي قوزحيا في جبل لبنان المبارك على يد المعلم بسكالي الي وعلى يد الحقير يوسف بن عميه الكرمداني باسم شماس في تاريخ سنة ا س ي ربآ » . قال سنورر ان العبارة الاخيرة مدرجة كذلك في اسفل الصفحة الاخيرة من الكتاب ، ولم يشر الاب شيخو الى ذلك . لكن الاثنين يذكران عبارة كرشونية واردة في آخر صفحة وهي : « انا الحقير بين المطارنة المطران جرجس بن عميره الهدناني نظرت وقرئت هولاي المزامير وما وجدت فيهم شيئاً يطابق الامانة الارثوذكسية لكن نافعين لخلاص نفس من يقرا فيهم » (بالحرف) .

وقد زاد سنورر ما ترجمته : كتب المقدمة الى الاخوة المؤمنين الكثوليك مركيس الرزي مطران دمشق الماروني وليس فيها شي يلامس تاريخ الطبعة . وبعد ان اوصى بفائدة الكتب المقدسة لاجل خلاص النفوس ، ختم هذه الكلمات : بنعمة ومعونة الرب بدأنا واتممنا جميع هذا الكتاب . . . وكذلك براي وموافقة السيد الشرف واخينا المعظم المطران جرجس عميره الذي اشتغل معنا به .

وذكر سنورر وحده كذلك خاتمة الكتاب . وتجد هذه الخاتمة في مقالة للمرحوم الخوري بطرس غالب عن البطريرك عميره ، في المشرق (٢٢ [١٩٢٤] ص ٥٠٠) وهي طويلة ومشتملة على افادات تاريخية شتى ، نأخذ منها ما يهمنا معرفته ، وها هو بحرفه : « كمل بعون الله . . . سنة ١٦١٠ مسيحية في ت ٢ المبارك على يد المعلم بسكالي الي من مدينة كامريتو المحروسة وعلى يدي انا . . . يوسف باسم شماس بن المرحوم القسيس داود المتكلم

الفضل كل الفضل في طبعة المزامير هـذه يعود الى سركيس الرزي ، مطران دمشق ، فهو الذي اعدّ ما يلزم لها واشرف على انجازها وتكبد في سبيلها مبالغ طائلة جعلته يرزح تحت الدين . وهو الذي قد توّجها بشعاره الحبري وكتب مقدمتها وقد ساعده بالراي والعمل المطران جرجس عميره مطران اهدن وصدق على طبعها .

ولا حاجة بنا الى تعريف هـذين الحبرين فهما اشهر من نار على علم في تاريخ الطائفة ، ولهما اياد بيضاء على نشر العلوم الشرقية في الغرب . تخرج كلاهما في المدرسة المارونية الرومانية ، وكانا فيهـا رفيقين . وسقفهما كليهما البطريرك يوسف الرزي : الواحد جرجس ، سنة ١٥٩٦ مطراناً على اهدن ، وهو الذي انتخب بطريركاً سنة ١٦٣٣ وتوفي سنة ١٦٤٤[1] ، والآخر سركيس ، سنة ١٦٠٠ مطراناً على دمشق . وقد جُعل هذا الاخير رئيساً على دير قزحيا ثم ارسل الى رومية سنة ١٦٠٧ حيث ظل الى سنة ١٦١٠ وفيها عاد الى لبنان وطبع كتاب المزامير . وقـد رجع بعدئذ الى رومية في تاريخ لم نوفق الى معرفته وكان فيها سنة ١٦٢٢ ، حسبما جاء في براءة للبابا غريغوريوس الثالث عشر[2] فـاشرف على طبع الشحيم الكبير وصحح الترجمة العربية للاسفار المقدسة وظـل يعمل وينفع الى ان ادركته الوفاة سنة ١٦٣٨[3] .

بيلة بيت عبيسة من قرية كرم سدي . . . والاب القسيس الياس ابن المرحوم الحاج حنا ابن بولس من قرية اهدن والشماس يوسف بن يونان الذين كانوا يشتغلون معنا عدا الكتاب . اما المتني هذا الكتاب وغيره هو . . . حالي المطران سرجيوس الرزي مطران الشام . . . كل من يقرأ . . . يطلب الرحمة . . . لآبائه واعمامه المرحومين البطريرك مار ميخايل والبطريرك مار سرجيوس وفي الاكثر اخيه الاب المرحوم حالي البطريرك مار يوسف ، وكان انتقاله (هذا الاخير) لرحمة الله في تاريخ ١٦٠٨ وثانية في شهر ٢٦ اذار . . . » . ويليه طلب الذكر لاقارب وانسباء المطران سركيس « والسيد المكرم الشيخ الشدياق حاضر بن المرحوم الشدياق شاهين من قرية حصرون المحروسة » الخ . . .

اما المرحوم الاب شيخو فلا يشير الى المقدمة ولا الى الخاتمة بشيء ، وهما ناقصتان في في نسخة المكتبة الشرقية ، كما تقدمنا فقلنا .

١) تاريخ الدويهي ، طبعة الشرتوني : ص ١١١ والدبس تاريخ الموارنة ص ٣٢٢، ٣٥٢

٢) عنيسي : مجموع البراآت المارونية ، ١٢٦ ، والدويهي ٥٥٤

٣) دويهي : ١٨٢ ، ٢١٣ ؛ دبس : ٣٠٠ ، ٣٢٣ ، ٣٥ و٣٦٤ ؛ وشيخو الطائفة

وما له اهميته التاريخية في هذه التعاليق ان سركيس الرزي المطران هو شقيق البطريرك يوسف الرزي ، كما ذكر الدويهي في رد التهم[1] وكما ذكرته براءة البابا بولس الخامس[2] وكما ذكر دنديني (فصل ٣٢ و٣٣) ، خلافاً لما جاء في تاريخ الازمنة المطبوع من انه ابن اخيه (دويهي ١٨٣) . وكذلك ان هذا المطران سركيس ، الذي ذهب الى رومية على راس وفد مارونى سنة ١٦٠٧[3]

المارونية والرهبانية البسوعية ٦٨ ، ٩٩ ، ١٠٢ ، ١٠٦ ، و١١٠

ذكر الاب شيخو (٦٨) ، ان البطريرك يوسف الرزي سقف صهيره ومركيس معاً سنة ١٥٩٦ ، وان دنديني وجد سركيس مطراناً في قزحيا في هذه السنة . وهو يستند في اثبات ذلك الى رواية دنديني . وقد راجعنا دنديني ، فاذا هو يفيد (فصل ٣٢) انه وجد في قزحيا ابني اخ للبطريرك سركيس الرزي ، واحدهما مطران . فلا شك ان هذا المطران هو يوسف الرزي الذي انتخب بعدئذ بطريركاً بوجود دنديني ، كما يذكر دنديني نفسه وليس هو سركيس ، كما يلمح الاب شيخو ؛ وان اخاه هو سركيس الذي نحن بصدده . ولم يكن آنئذ مطراناً . لان دنديني يفيد (فصل ٣٣) في سياق روايته ، انه الحّ على البطريرك الجديد يوسف الرزي ان يحسن استخدام تلامذة رومية ، واظهر ارتياحه الى ان البطريرك حال انتخابه سام منهم مطرانين ؛ ثم عرض دنديني للبطريرك ان اخاه سركيس قد اختار الحياة الرهبانية فلم يبق بدون وظيفة سوى جرجس صهيره . فاوصاه به ، فسامه البطريرك كاهناً فاسقفاً . ومنه يظهر جلياً ان سركيس لم يكن مطراناً تلك السنة ، ولم يُرقَّ الى هذه الدرجة . بل حبس نفسه في دير قزحيا . وقد يكون استلم رئاسة الدير مكان اخيه المطران يوسف المنتخب بطريركاً . اما تسقيفه فقد تمّ على ما ذكرنا ، سنة ١٦٠٠ ، كما صرّح الدويهي (١٨٢) وربما حال دون تسقيفه مع صهيره سنة ١٥٩٦ صغر سنه . فان صهيره كان اذ ذاك اربعاً وعشرين سنة فقط ، لانه توفي سنة ١٦٣٨ وله من العمر ست وستون سنة (دويهي ٢١٢) .

١) الدويهي : ٤٥١ ؛ الدبس : ٣٦٨

٢) عنيسي : ١١١ ، ١١٨

٣) لم يذكر الدويهي هذا الوفد في تاريخ الازمنة ، بل في رد التهم فقط ، الفصل الثامن عشر (٤٥١ – ٤٥٣) وعنه اخذ الدبس (٢٠٠ ، ٢٥٠ ، ٣٦٨) ونجد له ذكراً في براءتين البابا بولس الخامس (عنيسي ١١٦ – ١١٨) . ومن هذا كله يستفاد ان البطريرك يوسف الرزي أرسل لتهنئة البابا بولس الخامس ، اخاه المطران سركيس ومعه الراهبان الكاهنان الياس بن الحاج يوحنا وجرجس مخلوف والشماس يوسف بكرمسده . ولما كان البطريرك قد توفي حال وجودهم في رومية ، فقد زودهم البابا برسالة الى المطارنة والشعب تاريخها ت ٢ سنة ١٦٠٨ ، كما انه قد كتب الى الشدياق خاطر يوصيه بالمطران سركيس العائد الى الوطن بعد وفاة شقيقه البطريرك ، ويريد منه ان يمكنه من الاستحباس في قزحيا حسب رغبته وطلبه .

لم يبقَ فيها آنئذٍ حتى سنة ١٦٢٢ ، كما يؤكد شيخو (١٠٢) ، ولا الى سنة ١٦٣٨ ، كما زعم الدبس (٣٦٩) . فاذا كان قد ترك وفده يعود وحده الى لبنان سنة ١٦٠٨ ، وظل هو في رومية بامر البابا للاهتمام بطبع الكتب ، فلا شك في انه قد انضم الى اعضاء هذا الوفد انفسهم ، وهم هم الذين اتوا رومية ثانيةً من قبل البطريرك الجديد يوحنا مخلوف سنة ١٦٠٩[1] ، وعاد معهم الى لبنان في ١٠ اذار سنة ١٦١٠ حيث طبع كتاب المزامير . واخيراً ان البطريرك يوسف الرزي توفي في ١٨ اذار سنة ١٦٠٨ ، وفقاً لما جاء في

وتاريخ هذه الرسالة ، كما جاء في مجموعة العنيسي ، ١٤ ك ٢ سنة ١٦٠٨ (Sic) اي قبل تاريخ وفاة البطريرك . فمن هاتين الرسالتين ، كان يجب ان نستنتج ان المطران سركيس قد عاد الى لبنان مع اعضاء وفده . لكن الدويهي يؤكد انه بقي في رومية بامر البابا ، العناية بطبع الكتب اللازمة للطائفة .

١) ذكر الدويهي هذا الوفد في تاريخ الازمنة (١٨٨ وما بعد) وفي رد التهم (٤٥٢) . وجاء ذكره في براءة البابا بولس الخامس الى البطريرك يوحنا مخلوف سنة ١٦١٠ (عنيسي ١١٦-١٢١) وفي محضر المجمع الكرديناليّ المعقود سنة ١٦٠٩ (عنيسي، آثار مارونية ٥ ١) . ومن هذا كله يُستفاد ان البطريرك يوحنا مخلوف ، عقيب انتخابه ، وجه وفداً الى رومية، قوامه الكاهنان جرجس مارون والياس الحاج والشماس يوسف كرمده (تاريخ الازمنة ورد التهم) . فخرج هؤلاء على قبرس واخذوا معهم القس كبير الغريب المارونيّ (رد التهم وآثار مارونية) . ولما وصلوا الى الاسقف سركيس ، اخذوه معهم الى رومية (رد التهم) ورجع القس جرجس ومعه رسائل التثبيت بتاريخ ٨ اذار سنة ١٦١٠ ، ورسالة اخرى للشعب ، ورسالة ثالثة في اطال السنن الجديدة ، تاريخها كذلك ٨ اذار سنة ١٦١٠ (تاريخ الازمنة ورد التهم : غير ان الرسالة الى الشعب ورد ذكرها فقط في تاريخ الازمنة ، ولعلها الرسالة التي سلمت الى الوفد السابق سنة ١٦٠٨) .

ولا يذكر الدويهي من اي مكان اخذوا معهم المطران سركيس الى رومية ، كما انه لا يذكر اذا كان المطران سركيس قد عاد معهم الى لبنان . ولا ريب في ان هذا ما دفع الدبس وشيخو الى تأكيد استمراره في رومية تلك السنة . على ان خاتمة كتاب المزامير لا تترك مجالاً للريب في انه كان في قزحيا بلبنان سنة ١٦١٠ — ولعل كل هذه المعلومات التي ذكرها الدويهي بشأن المطران سركيس وبقائه في رومية سنة ١٦٠٨ ، وانضمامه الى الوفد الآخر سنة ١٦٠٩ ، مأخوذة عن براءة البابا بولس الخامس في تثبيت البطريرك مخلوف وغيرها من البراآت . ومما يؤسف له ان هذه البراءة غير موجودة ولا مذكورة شيء في مجموعة الاب عنيسي .

محضر اعمال المجمع الكردينالي المنعقد ١٦٠٩ من انه توفي في اذار ١٦٠٨ وانتخب خلفه في ١٦ ت١ من السنة نفسها[1] وخلافاً لما ذكر تاريخ الازمنة (١٨٧ ١٨٨) من انه توفي في آب سنة ١٦٠٨ وانتخب خلفه في حزيران سنة ١٦٠٩[2]

وقد ساعد المطران سركيس في عمله نسيبُ الشماس يوسف بن عميمه الكرمداني ، والقس الياس ابن الحاج حنا بن بولس من اهدن ، والشماس يوسف بن يونان . فهذا الاخير لا نعرف عنه شيئاً . وقد كان ، من اعضاء وفد البطريرك يوسف الرزي الى رومية سنة ١٥٩٨ ، قس باسم جرجس بن يونان ، فلعله اخوه او نسيبه . اما القس الياس فقد افاد الدويهي (٢٣٤) انه تربى في دير قزحيا . فعلاقته اذاً بسركيس الرزي قد تكون ابتدأت هناك . وليس ما يمنع من ان يصح هذا كذلك في الشماس يوسف ، نسيب المطران سركيس . والاثنان كانا معاً من الوفد الذي ذهب الى رومية سنة ١٦٠٧ برئاسة هذا المطران ثم عادا اليها مع وفد سنة ١٦٠٩ ، الذي ضم اليه المطران سركيس في طريقه الى رومية . ولا شك في ان المطران كان يشترك معهما في هذه الاثناء باعداد الموادّ لطبعة المزامير .

ولسنا نبخس الباقين حقهم ، اذا قلنا ان ساعده الايمن في العمل كان الشماس يوسف . فقد جاء ذكره في اول الكتاب وآخره . وهو كتب الخاتمة

١) آثار مارونية ، عنيسي ١٠٥

٢) ومما يسترعي الانتباه ان الدويهي في رد التهم (٤٥١-٤٥٢) ، حيث يستقي معلوماته، على ما يظهر ، من البراآت ، لا يعين بالمعاصر تاريخ وفاة البطريرك يوسف ولا تاريخ انتخاب خلفه ، بل يلمح اليها تلميحاً : « بعد مدة قصيرة (من سنة ١٦٠٧) ، قضى البطريرك يوسف اجله . . . وكانت سنة ١٦٠٨ شديدة فتأخرت رسامة البطريرك ، ثم وقع الانتخاب على يوحنا مخلوف » . ولا عبرة ان براءة ت ٣ ١٦٠٨ ، تمض الموارنة على انتخاب خير خلف للبطريرك يوسف ، وهذا الخلف كان قد انتُخب في ت ١ : ذلك ان خبر الانتخاب لم يكن قد وصل بعد الى الكريسي الرسولي . على ان هناك صعوبة وهي ان رسالة بولس الخامس الى الشدياق خاطر ، وبما ذكر وفاة البطريرك ، مؤرخة في شباط ١٦٠٨ ، قبل تاريخ الوفاة المثبت اعلاه . فجوابه ان هذه الرسالة قد يكون تاريخها مغلوطاً ، والارجح انه من سنة ١٦٠٩

المطرانة واودعها اشياء كثيرة عن الكتاب وطبعه وافادات قيمة عن المطران سركيس ، وعمه البطريركين مخائيل وسركيس ، وشقيقه البطريرك يوسف ، وانتسب فيما اليهم اذ سمى المطران واولاد عمه اخواله . ورجح انه اشترك بهذه الطبعة كرقيب عليها ، يقف على الطبع ويصحح الاغلاط . وقد رقي الشماس يوسف الى الاسقفية على دمشق في نحو سنة ١٦٤٩ ، على يد البطريرك يوسف العاقوري وجعل معاوناً له . وتوفي سنة ١٦٥٣[1]

وكانت الاسقفية كذلك نصيب شريكه في العمل ، القس الياس ؛ سقفه البطريرك جرجس عميره على اهدن سنة ١٦٣٨ . وسماه الدويهي هكذا : الياس بن يوحنا من عائلة الصراصرة من اهدن . وقد توفي سنة ١٦٥٩[2].

اما الاشغال الفنية فقد قام بها رجل ايطالي ، اسمه المعلم بسكالي الي ، استحضره المطران سركيس من بلدة كامرينو ، ولا ريب انه كان ماهراً في فن الطباعة . وربما صبّ بيده الحروف السريانية ، كما ارتأى المرحوم شيخو (المشرق ٣ [١٩٠٠] ٢٥٥) . فكان له في انجاز العمل حصة كبيرة .

***

ها قد اطلنا الكلام في العملة ، فحان لنا ان نتكلم عن عملهم . فهل كلل النجاح مساعيهم المشكورة فجاءت طبعتهم صالحة ، ذات قيمة ، جديرة بالذكر مع الطبعات التي تلتها ؟

طبع كتاب قزحيا على ورق متوسط الحجم ، وبلغ عدد صفحاته ٢١٠ . واختير للسريانية حروفٌ كبيرة ، ملآنة ، واضحة ، وللكرشونية حروف اصغر حجماً ، هي المألوفة في مطبعة انتشار الايمان المقدس برومية .

ووضع عنوانه بالسريانية ، بعد البسملة : « كتاب مزامير داود الملك والنبي » وزيد في الكرشونية : « كتاب مزامير او تسابيح » وهو يشتمل على سفر المزامير ، وعددها ماية وخمسون ، وفي آخرها المزمور المائة والحادي والخمسون[3] ،

---

١) الدويهي ٢١٧ و٢٢٦ : ديب ٣٠٨ و٣٧٤

٢) الدويهي ١٨٨ ، ٢١٢ ، ٢٢١ و ٢٢٤ ؛ ديب ٣٧٤

٣) ان بين العبرانية والترجمات ، كما بين الترجمات انفسها ، فرقاً في توزيع الاعداد

وعلى تسابيح موسى وبني اسرائيل ، واشعيا ، ومريم العذراء ، واطفال بيت حنانيا الثلاثة ، والقديس افرام السرياني . والمزامير والتسابيح مدرجة جميعها بالسريانية في حقل وبالكرشونية في حقل موازٍ ، ما عدا التسبحتين الاخيرتين فهما بالسريانية وحدها

وذكر امام كل مزمور عدده ، بالحبر الاحمر ، ولم تعدَّ الآيات آيةً آيةً ، بل خمساً خمساً ، اي وضع على الهامش الرقم ١ امام الآية الاولى من كل مزمور ، والرقم ٥ امام الخامسة ، و١٠ امام العاشرة ، وهلم جرّاً .

والمزامير غير مقسومة تسابيح ومرمايات ، كما في الكتب الطقسية ، حتى ولا كتباً[1] . وبعض المزامير الطويلة مقسومة قسمين او ثلاثة ، تدلّ على كل قسم هذه اللفظة ، بالحبر الاحمر : ܣܝܡܐ . وقد جاء مكانها ، في المزمور ١٠٤ : ١٩ ، هذه اللفظة اليونانية : ܡܘܣܝܩܐ وهي هي التي تجدها في الترجمة السبعينية موضع لفظة سلاه العبرانية وقد جاءت ترجمتها في الحقل الكرشوني غالباً هكذا : « قطع فصل » ، ومرتين « فصل » ، ومرة « قسم »[2]

وليس للمزامير عناوين موسيقية ولا تعاليق او شروح تاريخية[3] . وقد

على المزامير ورقمها بها ، تراه في هذا الجدول :

العبرانية	السريانية	اليونانية واللاتينية
٩ — ١٠	٩ — ١٠	٩
١١ — ١١٣	١١ — ١١٣	١٠ — ١١٢
١١٤ — ١١٥	١١٤	١١٣
١١٦	١١٥	١١٤ — ١١٥
١١٧ — ١٤٦	١١٦ — ١٤٥	١١٦ — ١٤٥
١٤٧	١٤٦ — ١٤٧	١٤٦ — ١٤٧

في هذا المقال تُعد المزامير وفقاً للنسخة السريانية البسيطة .

١) وانما ذكر بعد المزمور ١٠٦ « ܐܬܬܐ ܗܟܢܐ ܘܫܠܡܬܐ ايضاً السفر الخامس »

٢) هذه محلات الفواطع في المزامير : مز ١٨ : ٢٦ ، ٢٢ ، ٢١ ، ٣١ ، ١٢ ، ٣٧ ، ٢٢ ، ٦٨ : ١٨ ، ٦٩ : ٢١ ، ٧٨ : ٢٢ و ٥٢ ، ٨٩ : ٢٦ ، ١٠٦ : ١١ ، ١٠٥ : ٢٣ ، ١٠٦ : ٢٣ ، ١٠٧ : ٢٢ ، ١١٥ : ١٠ .

٣) ذكر امام المزامير ١٢٣—١٢٦ ، ١٢٨—١٣١ انها ܡܙܡܘܪܐ : من مزامير المراقي . وهذه اللفظة مشورة بين السطرين في الحقل السرياني وغير مترجمة في الحقل الكرشوني .

نسب معظمها الى مؤلفيها ، فاذا ٧٥ منها لداود، و ١٢ لآصاف ، و١ لبني قورح، و٢ لايديتوم ، وواحد لحجاي وزكريا ، و٤٧ مغفلة . وهناك اربعة مزامير نجهل نسبتها ، لانها تبدأ في الصفحات الناقصة في نسخة المكتبة الشرقية التي لم نتمكن من الحصول على غيرها ، بالرغم من التفتيش الطويل ؛ منها مزموران واقعان بين مزامير منسوبة الى داود ومزموران بين مزامير مغفلة[1]

هذا وقد ضبطت السريانية بالنقط الغرامطيقية المألوفة ، وكذلك بالحركات اللازمة . وجرى الطابعون على عادة المتأخرين في ضبط المفردات[2] وفي الحاق اليود اي الياء بالغائبة من المضارع وبالغائبات من الماضي ، والحاق الواو بالغائبين منه ، ومرة واحدة بالغائبين من المصدر[3]

ولم نجد فيه من اغلاط الطبع الا اليسير جدا والتافه (٦ اغلاط) . وقد وضع خطأ للمزمور الـ ٢٠ ، عدد المزمور الـ ٢١ في الحقلين ، وكذلك سقط في الحقلين سطر كامل من اعلى الصفحة ٤٧ : ܡܢܕܡ : ܡܠܐ ܒܚܕܝܐ ܡܢܕܡ (مزمور ٢٨ : ٦ و٧) ؛ ونقصت في الحقلين الآية ١١ من المزمور ١١٧ صفحة ٢٠٧

وكذلك ذكر امام المزمور ٤٥ انه « لبني قورح » في ايام موسى » .

١) مزامير لداود ٣-٩، ٢-١٠، ١٢، ١٧-١٩، ٣٨-٤٠، ٤١، ٤٣، ٥١-٦١، ٦٥-٦٨، ٦٩، ٧٢، ٨٦، ٩٣-٩٤، ٩٧، ٩٩، ١٠٣-١٠٤، ١٠٨-١٠٩، ١٢١-١٢٢، ١٣٠، ١٣٢-١٣٣، ١٣٦-١٤٤ ؛ وعلى الغالب ٩٥-٩٦

لاصاف : ٥٠ ، ٧٣-٨٣

لبني قورح : ٤٢ ، ٤٤-٤٩ ، ٨٤-٨٥

لايديتوم : ٣٩ ، ٦٢

لحجاي وزكريا : ١٤٥

مزامير مغفلة . بدون نسبة : ١-٥، ٨-١٠، ١٦، ١٨، ٦٦-٦٧، ٧٠-٧١، ٧٩-٨٧، ٩٢، ١٠٠-١٠٢، ١٠٥-١٠٧، ١١٠-١٢٠، ١٢٣، ١٢٩، ١٣١، ١٣٤-١٣٦، ١٤٦-١٥٠ ؛ وعلى الغالب ٩٠-٩١

٢) ܐܝܠܐ ١ : ٢ : ܐܝܠܐ ٩ : ٤ : ܐܝܠܐ ٤٤ : ٧ وغيره : ܐܝܠܐ ٢٢ : ١٠ : ܐܝܠܐ ٢٣ : ٢٧ : ܐܝܠܐ ٢٤ : ١ : ٥-١٥ : ٩ : ٣ ؛ ܐܝܠܐ ٣١ : ١١ : ܐܝܠܐ ٣٧ : ١ : ٣٧ : ٢ : ܐܝܠܐ ٥٠ : ١٢ : ܐܝܠܐ ٦٩ : ١٦ : ܐܝܠܐ ١٤٨ : ٨ : ܐܝܠܐ ١٥٠ : ٤ : وما اشبه ذلك .

٣) ܐܝܠܐ ١ : ٦ : ܐܝܠܐ ٤٤ : ٨ : ܐܝܠܐ ٥٩ : ١٢ ؛ وجاء ܐܝܠܐ بدون الياء في ٩٠ : ٩ ؛ وقد جاءت مرة واحدة ܐܝܠܐ ٦٤ : ٦

اما النصّ الذي اعتمده الطابعون فيشتمل ، مثل سائر المطبوعات والمخطوطات ، على ما يسمونه قراآت مختلفة . وقد مكنتنا طبعة كمبردج ، بما تحواه من فهارس وتعاليق وحواشٍ نقدية ، من مقابلته بها وبسواها . وهاك معظم ما تهمّ معرفته من هذا القبيل .

يختلف قزحيا عن كمبردج في ٣٠٠ موضع تقريباً . ومن الف مقابلة المخطوطات والمطبوعات بعضها ببعض ، لا يهوله هذا العدد . وهذه القراآت المختلفة ثلاثة انواع : احدها يختلف به قزحيا عن كمبردج ، لكنه يشترك به مع جملة من المخطوطات والمطبوعات الاخرى وعدده ١٢٠ ؛ والثاني يشترك به مع طبعة باريس وحدها وعدده نحو ٤٠ ؛ ومعها ومع واحد او اثنين من المخطوطات او مع هذه فقط ، وعدده نحو ٥ ؛ والثالث ينفرد به قزحيا دون سواه من المخطوطات والمطبوعات وعدده نحو ١٤٠ . وهذه الاخيرة ، وهي وحدها حرية بالانتباه والدرس ، منها ما يختلف عن كمبردج في الحقل السرياني فقط ، ويطابقه في الحقل الكرشوني وعدده نحو ٦٠ ؛ فيكون اذاً عدد القراآت المختلفة المختصة بقزحيا ، من حيث النصّ السرياني والكرشوني معاً ، نحو ٨٠ فقط . اما اذا اضفنا اليها القراآت المختلفة في السريانية وحدها ، وكذلك القراآت التي يشترك بها قزحيا مع باريس وحده اعتبار ان مصدرهما واحد ، بلغ العدد نحو ١٨٠

ثم ان هذا المجموع انواع : فمنه كلمات ناقصة ، ومنه كلمات زائدة ، ومنه قراآت مختلفة .

فالكلمات الناقصة في السريانية ١٦ ، منها ٩ مذكورة في الترجمة[1] ؛ والكلمات الزائدة في السريانية ٢ ، منها ٦ غير زائدة في الترجمة[2] ؛ والقراآت

---

(١) سقطت لفظة ܗܢܐ خمس مرات وكذلك الضمائر الملحقة بالاسماء او الافعال للتأكيد مثل ܡܫܚܬܗ ١٥٥ ، ܚܛܝܬܝܢ ٥٥ الخ . ولفظة ܐܡܝܢ في آخر المزمور ٧٢ الخ .

(٢) اكثر الزوائد ضمائر ملحقة للتأكيد . ومرتين لفظة ܡܫܝܚܐ ٢٣ : ٥ و٩٨ : ٧ ؛ ولفظة ܗܢܐ مرتين ؛ ولفظة ܐܦܠ بعد ܕܚܝܠܐ ٦٢ : ٧ ، و ܐܝܟ قبل ܕܚܝܠ ٧٨ : ٤٣ ؛ ܕܝܢܐ ٨٦ : ١٧ و١١٨ : ٧٤ . وما اشبه ذلك مما لا يستحق الذكر .

المختلفة في السريانية يبلغ عددها نحو ١٤٧ ، منها ٤٢ غير مختلفة في الترجمة . ومن القراآت المختلفة ٢٢ تختلف بالافراد والجمع في الاسماء والضمائر ، و ٤٠ بسقوط احد حروف ܡܢܗܝܬܘܢ من اولها او بابدال احدها من الآخر . و ٤ بتقديم لفظة على اخرى او تأخيرها عنها . و٧ بزمن الفعل و٨ بالتركيب ، الى غير ذلك ، و٢٠ بابدال كلمة من اخرى.

ولما كان نطاق هذا المقال لا يتسع لايراد هذه الاختلافات كلها ، فلا اقل من ايراد هذه الكلمات الاخيرة المبدلة الواحدة من غيرها . فمنها ١٢ لا تجدها الا في قزحيا وهي :

١٣:٢٥ ܚܠܬܐ = ܚܠܡܐ ١٠٥ : ٢٥ و٢٩ ܐܘܡܐ = ܐܘܡܐ
٩:٢٩ ܐܡܬ = ܐܡܬ (ولعلها غلط طبع) ١٠٦ : ٣٢ ܐܠܐ = ܐܠܐ
١٣:٣٦ ܚܠܠ = ܡܡܬ ٧:١٣٨ ܐܘܣܝ = ܐܘܣܝ
١٣:٥٠ ܐܘܡܐ = ܐܡܬ ٦:١٤٥ ܐܘܣ = ܐܠ
٢٠:٥١ ܚܠ ܐܡ = ܚܡ ١:١٤٩ ܚܡ = ܚܡ
١٦:٨٨ ܐܡ = ܐܡ

ومنها ٤ تجدها في قزحيا وباريس فقط وهي :

٤٤ : ١٨ ܡܢ = ܡܢ ١٠٠ : ٣ ܡ ܡ = ܡ ܡ
٨١ : ٦ ܡ ܐ = ܐ ١١٤ : ١٥ ܡ = ܡ

ومنها ٦ تجدها فيهما وفي واحد او اثنين فقط من المخطوطات وهي:

٥١ : ٣ و١١ ܚ = ܚ ٦٣ : ٨ ܐ = ܐ
٥١ : ٦ ܡ = ܡ ١٤٩ : ٤ ܚ = ܚ
٥١ : ١٦ ܐ = ܐ

بقيت القراآت التي بها يختلف قزحيا عن كمبردج ويشترك مع سواه . فبعضها افضل في كمبردج وامثاله ، وبعضها افضل في قزحيا وامثاله . وقد يتساوى الاثنان جودةً في معظمها.

ذلك لاننا نجد كثيراً من قراآت قزحيا في اقدم المخطوطات واهمها ، لاسيما في المخطوط الامبروسياني (A) من القرن التاسع ومنها ٢٢ : ٢ ܡ

ܗܘܝ ؛ ٢٤ : ١ ܘܒܚܠܐ ؛ ٢٨ : ٨ ܡܫܝܚܗ ؛ ٣٤ : ٧ ܡܠܐܟܐ ؛ ٣٦ : ٧ ܠܡܬܩܠ ܒܚܠܐ ؛ ٣٨ : ١ ܠܡܠܦܢܐ ؛ ٤١ : ٢ ܕܚܣܝܢܐ ؛ ٤١ : ١١ ܕܐܝܬܝܗ ؛ ٤٢ : ܕܐܝܬܝ ؛ ٥١ : ١٣ ܡܫܝܚܐ ؛ ٥٩ : ٨ ܕܐܝܬܝ ؛ ٥٩ : ١٣ ܡܬܚܟܝ ؛ ٦٦ : ٨ ܡܫܝܚܗ ؛ ٦٦ : ١٨ ܕܐܝܬܝ ؛ ٧١ : ٢٠ ܐܦ ܡܢ ؛ ٧٩ : ٥ زيادة ܚܛܝܐ ؛ ٨١ : ١٤ ܡܢܝ ؛ ٩٤ : ١ ܠܡܫܚ ؛ ١٠٦ : ٣ ܕܡܫܝܚܐ ؛ ١١٠ : ٢ ܚܠ ܡܠܟܘܬܝ ؛ ١١٥ : ١٤ ܚܝܠ ؛ ١٢٢ : ٢ ܚܬܝܢ ܕܡܬܝ ؛ ١٢٦ : ٣ ܕܡܢܝܚܐ .

وفي المخطوط البريطاني (C) ، من القرن السادس ومنها : ١٨ : ٣٤ ܡܚܠ ܕܡܚܐ ؛ ٢٢ : ٣١ ܕܡܢܝ ؛ ٢٥ : ٧ ܠܡܕܝ ؛ ٤٧ : ٤ ܡܚܝ ؛ ٤٨ : ١٣ ܠܡܕܝܢܐ ؛ ٤٩ : ٢١ ܚܡܝܢ ؛ ٦٩ : ٢٨ ܕܠܐ ܡܚܝ ؛ ٧٤ : ١ ܠܡܫܝ ؛ ٨٥ : ١ ܚܝ ܡܝ ؛ ١٠٢ : ٤ ܡܫܝܚܐ ؛ ١٠٥ : ١١ ܡܢܗܝ ؛ ١٠٩ : ٢ ܠܡܫܝܚ ؛ ١١٠ : ٢ ܚܠ ܡܠܟܘܬܝ ؛ ١٢٦ : ١ ܕܡܢܝ ؛ ١٢٨ : ٢ ܡܫܝ ؛ ١٣٤ : ١٠ ܡܫܝܚܐ ؛ ١٤٠ : ٦ ܡܫܝܚ ؛ ١٤٧ : ٨ ܡܫܝܚ ؛ ١٤٩ : ٤ ܡܕܝ .

وفي المخطوط الميرنسي (F) ، من القرن التاسع اما بالاشتراك مع المخطوط الامبروسياني ، مثل ٢٤ : ١ ، ٥١ : ١٣ ، ٧١ : ٢٠ ، ١٢٦ : ٣ ؛ او المخطوط البريطاني ، مثل ٤٨ : ١٢ ، ٤٩ : ٢١ ، ٧٤ : ١ ، ٨٥ : ١ ، ١٢٦ : ١ ، ١٢٨ : ٢ ؛ واما بالانفراد عنهما ، ومنها ١٦ : ٤ ܠܐ ܐܝܬ ؛ ١٩ : ٥ ܡܫܝܚܐ ܕܐܝܬ ؛ ٢٤ : ٧ ܒܚܠܐ ؛ ٣١ : ٨ ܡܫܝܚ ؛ ٧١ : ١٦ ܒܚܠܐ ؛ ٧٣ : ٦ ܠܡܫܝܚ ؛ ٧٤ : ٢٠ ܕܡܬܝ ؛ ٨٠ : ١١ ܠܡܫܝܚ ؛ ٨٥ : ٣ زيادة ܚܝ بعد ܡܫܝܚ ؛ ٨٧ : ٥ ܒܚܝܠ ؛ ٩٦ : ١٢ ܡܫܝܚ ؛ ١٠٤ : ١٠ ܚܝܠ ؛ ١٠٩ : ٢٦ ܚܝܠ ؛ ١١٥ : ٩ ܚܝܠ ؛ ١٤٢ : ٢ ܚܝܠ .

وفي المخطوطات الشرقية (K. L. N. O.) ، من القرن الثاني عشر او الثالث عشر ، اما بالاشتراك مع المخطوطات السابق ذكرها (A. C. F.) ، مثل ١٨ : ٣٤ ، ٤٨ : ١٣ ، ٤٩ : ٢١ ، ٥١ : ١٣ ، ٦٩ : ٢٨ ، ٧١ : ١٦ ، ٧١ : ٢٠ ، ٧٣ : ٦ ، ٧٤ : ١ ، ٧٤ : ٢٠ ، ٨٣ : ١٦ ، ١٠٤ : ١٠ ، ١٠٩ : ٢ ، ١١٥ : ١٤ ،

١٢٢ : ٢ ، ١٤٩ : ٤ ؛ واما بالانفراد عنها ، ومنها : ١٦ : ٥ زيادة ܐܘ بعد ܐܠܗ ؛ ١٦ : ١٠ ܘܢܫܠܐ ؛ ١٩ : ١٣ ܕܚܬܚܐ ؛ ٢٢ : ١٠ ܥܡ ܐܘܡܬܐ ؛ ٣٩ : ٣ ܐܠܡܫܝܚܐ ؛ ٤٢ : ١١ ܘܐܡܬܝ ؛ ٦٥ : ١١ ܕܡܫܝܚܐ ܘܐܠܗܝܬܐ ؛ ٦٨ : ١٠ ܐܡܬܐ ؛ ٧٢ : ١٦ ܕܡܫܝܚܐ ؛ ٧٣ : ٢٥ زيادة ܕܐ بعد ܐܠܗ ؛ ١٠٢ : ١٩ ܐܢܬܐ ؛ ١٠٥ : ٣١ و٢٤ ܐܠܗ ؛ ١٠٦ : ٥ ܕܡܫܝܚܐ ؛ ١٠٧ : ٢٣ ܕܚܝܐ ؛ ١٠٩ : ٢٧ ܘܐܡܪ ؛ ١٢٢ : ٣ و٤ ܕܡܫܝܚܐ ؛ ١٢٤ : ٥ ܕܐ ܐܢܬܐ ؛ ١٣٥ : ١٥ ܕܒܝܬ ؛ ١٤٢ : ١٠ ܕܐܘܢܓܠܝܘܢ ؛ ١٤٣ : ١٠ ܘܡܫܝܚܐ ؛ ١٤٣ : ١٢—١٤ ܕܡܬܩܪܐ الخ ؛ ١٤٨ : ١٤ ܘܕܚܕܐ .

وما هو حريٌّ بالذكر ان قزحيا ، حيث يعتمد هذه القراآت الموجودة في المخطوطات الشرقية ، ضد المخطوطات القديمة (A. C. F.) يتفق دائماً تقريباً مع المطبوعات كلها او اكثرها .

على ان في كمبردج قراآت ، لا بأس بتفضيلها ، لان قسماً منها يتفق مع المخطوطات كلها تقريباً ومع بعض المطبوعات ، ضد قزحيا وبعض المطبوعات الاخرى ، منها : ٢٢ : ٣ ܕܐܝܬ ؛ ٢٩ : ٦ ܘܐܡ ؛ ٣٩ : ١١ ܥܡ ܡܫܝܚܐ ؛ ٤٤ : ٢٣ ܚܛܐ ؛ ٤٤ : ٢٥ ܘܐܡܪܬܝ ؛ ٦٧ : ٢ ܕܐܝܬ ؛ ٧٣ : ١١ ܐܡܪ ؛ ٧٦ : ٩ ܡܫܝܚܐ ؛ ١٠٦ : ٤ ܐܠܗܝܢܘܢ ؛ ١١٢ : ١٠ ܘܐܠܗ ؛ ١١٤ : ٢٣ ܘܚܕ ؛ ١١٨ : ١٢١ ܐܡܬܩܢܘܢ ؛ ١٣٨ : ٢ ܘܡܫܝܚܐ ؛ ١٣٩ : ١٢ ܡܫܝܚܐ ؛ ١٤٣ : ١٠ ܥܡ ... ܚܛܝܐ ؛ — والقسم الآخر يتفق مع المخطوطات والمطبوعات جميعها ، منها : ٤٠ : ٦ ܕܡܫܝܚܐ ؛ ٥١ : ٩ ܕܐܝܬ ؛ ١٠٥ : ١١ ܐܘܚܐ .

والاهمّ ان في كمبردج بعض قراآت لا اثر لها في المطبوعات مطلقاً ، فاعتمدها الكاتب مستنداً الى المخطوطات الاكثر قدماً واهمية منها ٢٠ : ٢ ܡܫܝܚܐ ؛ ٧٣ : ٣ ܕܡܬܩܢ ؛ ٧٤ : ٣ ܕܡܫܝܚ ؛ ١٠٥ : ١٦ ܐܘܚܐ ؛ ١٠٩ : ١٣ ܐܢܬܐ ؛ — على ان هذه القراآت جميعها ، ما عدا الاخيرة ، تجدها في مطبوع قزحيا ، كما انك تجد غيرها من نوعها ، مثل ٢٢ : ١٦ ܕܚܕܐ ؛ ٣٤ : ٨ ܕܡܫܝܚܐ ؛ ٤٠ : ١٤ ܕܡܫܝܚܐ ؛ ١١٩ : ٢ ܥܡܗ .

ولربما كانت ملاحظات اخرى في شأن طبعة قزحيا ، غير ان بهذه كفاية للدلالة على ان هذا الكتاب ، عقيب مقابلته بغيره ، لا ينقص عن سواه اتقاناً ودقةً وصحةً ، بل يضاهيه جملةً ، وقد يفوقه مراراً . ولهذا فهو جدير ، من هذا القبيل ، كما من قبيل تاريخه ، بان يحصى بين طبعات المزامير ذات القيمة ، بل بان يولى شرف التسمية بالطبعة الاولى ، الرئيسية ، للمزامير بالسريانية .

***

بقيت قضية لا باس بطرقها في ختام هذا البحث ، وهي : هل طبعت المزامير بالسريانية في قزحيا ، قبل سنة ١٦١٠ ؟

ذكر المطران اسطفان عواد السمعاني ، بين مخطوطات المكتبة الماديشية اللورنتية[1] ، نسخة عربية لكتاب المزامير الداودية ، مترجمة من السريانية ، بهمة وعناية جرجس مطران نيقوسية المارونى .

وقال « ان هذه الترجمة الكرشونية للمزامير طبعت على ورق كبير ، مع الاصل السرياني ، في مطبعة دير القديس انطونيوس الانبا ، في قزحيا بجبل لبنان ، سنة ١٥٨٥ للمسيح ، تحت رعاية سركيس الرزي بطريرك الموارنة الرابع والاربعين ، ويوسف خاطر ، من عائلة الساعنة ، حاكم جبل لبنان »[2] .

ولما كانت رواية السمعاني تتحلى بكل ما يمكن لرواية تاريخية ان تتحلى به : فانه ذكر الترجمة العربية الاصلية وصاحبها ، ومكان وجودها ، وذكر مكان الطبع وزمانه ، وسمى الرئيس الروحي والحاكم المدني الذين تم الطبع في ايامهما ، فقد تناقل العلماء في شأنها قول السمعاني هذا ، من غربيين وشرقيين[3] نخص بالذكر منهم سمعان السمعاني ، في مؤلفه المخطوطات الشرقية في المكتبة النانية[4] .

---

١) راجع Et. Ev. Assemani, *Catalog. Bibliot. Mediceæ Laurentianæ*, p. 71

٢) هكذا في الاصل . ونجد هذا النص في الدس : تحفة الجيل في تفسير الاناجيل ، ص ١٠٢٦ : وفي سنورر ، المكتبة العربية ، ص ٢٤١

٣) انظر اسماء بعضهم في سنورر ، ص ٢٤١

٤) راجع كلامه في تحفة الجيل ، ص ١٠٢٦ *Catalog. de Codici manoscritti orientali, della Biblioth. Naniana.* Padova, 1787

حيث يزيد : « ان هذه الطبعة هي الاولى» كانه يشير الى طبعة ثانية في قزحيا؛ وكذلك « ان الرجلين الشهيرين توما اربانيوس وجبرايل الدهيرني ، لم يكونا يدريان بهذه الطبعة » .

وقبل اسطفان عواد السمعاني ، لم يذكر هذه الطبعة احد . والى الآن لا نجدها في برامج المكاتب الشهيرة ولا يشير المؤلفون الى انهم عثروا على نسخة منها. ولهذا نرى سنورر في مكتبته العربية ، يورد ثلاثة اعتراضات على صحة هذا القول ، ويؤكد ان الطبعة التي يتكلم عنها السمعاني انما هي التي تمت سنة ١٦١٠ ، اي تلك التي اتينا على الكلام عنها فيما سبق. ويتهم السمعاني انه نسب عن قصد الى سركيس الرزي البطريرك ، ما يعود الى سركيس الرزي مطران دمشق وانه اختلق ودس تاريخ السنة ١٥٨٥

اما التهمة فيرتا جداً ان يلصقها عالم مثل سنورر برجل جليل رصين كالمطران اسطفان عواد السمعاني . فان كلام هذا الاخير لا يشتم منه رائحة تحوير او تزوير البتة . ولسنا نرى الغرض الذي يكون قد دفعه الى هذا التحوير او التزوير . ولو اكتفى سنورر بنسبة الامر الى الغلط، وما اسهله في مثل هذه الامور ، لما كان عليه من حرج.

واما الاعتراضات فاولها ان وجود مطبعة في جبل لبنان ، سنة ١٥٨٥ ، امر لا يصدق ، اذ انه لم يطبع كتاب سرياني واحد ، حتى في رومية نفسها ، قبل سنة ١٥٨١ . وثانيها ان الاب دندبني اليسوعي ، الذي زار الموارنة سنة ١٥٩٦ لم يذكر ، في كتاب رحلته ، طبعة المزامير هذه ، بل ينفي وجود المطابع في لبنان وسائر البلدان الشرقية . واخيراً ان ابرهيم الحاقلاني الماروني تكلم في احد كتبه عن طبعة المزامير في قزحيا ، سنة ١٦١٠ ، بدون ان يشير الى تلك الطبعة السابقة.

وها نحن نستقي من فيض المعلومات التي تملأ درساً للمرحوم الاب شيخو اسماه « الطائفة المارونية والرهبانية اليسوعية في القرنين السادس عشر والسابع عشر » ، ونشره في المشرق ثم طبعه على حدة سنة ١٩٢٣ ، ما يبدد ويدحض اعتراضات سنورر .

من المعلوم ان الاب اليانو اليسوعي ، احد قصاد الكرسي الرسولي الاولين الى الموارنة ، قد جاء الى لبنان مرة اولى سنة ١٥٧٨ ، ومرة ثانية سنة ١٥٨٠. وكان من جملة الامور التي استرعت انتباهه ، حاجة الطائفة القصوى الى كتب مطبوعة خالية من النقائص والشوائب والمفاسد. فاقترح انشاء مطبعة في رومية ، سريانية وعربية اي كرشونية ، « لفائدة الموارنة » (شيخو ٣٢) . ولما اقرّه الكرسي الرسولي على هذا الامر ، باشر حالًا تجهيزها وحفر احرفها فتم العمل باسابيع قليلة ، وطبع بها بعض كتب روحية سنة ١٥٨٠ (شيخو ٣٤) ؛ ولما رجع الى لبنان ، قدم للبطريرك هذه الكتب في جملة ما قدّمه (شيخو ٤٠)[1]

وبعدئذٍ تابع الكرسي الرسولي الاهتمام بطبع كتب الموارنة ، فاظهر محامي الطائفة ، الكردينال كراڤا ، غيرة عظيمة في هذا الامر ، واستدعى الى رومية لهذه الغاية ، الخوري يوحنا بن ايوب الحصروني سنة ١٥٨٣ (شيخو ٧٥) . فكتب هذا سنة ١٥٨٥ الى الاب اليانو ، الموجود آنئذٍ في البندقية : « سيدنا البابا . . . عمل لنا اسطنبا (مطبعة) بالحرف السرياني الكبير . وانا ومعلمي القس يوحنا برونو (رفيق اليانو في قصادته الثانية الى الموارنة ورئيس المدرسة المارونية برومية آنئذٍ) نقلنا الكتب من السرياني الى الفرنجي » (شيخو ٨٢) . ولدينا الى اليوم من هذه المطبعة ، كتاب النويسة اي الجناز ، المطبوع في رومية سنة ١٥٨٥ (شيخو ٨٤).

فهذه المطبعة ليست تلك التي كان الاب اليانو قد سعى بتجهيزها واشرف على انشائها وطبع بها الكتب الروحية سنة ١٥٨٠ . فتلك وليدة فكره وعمل يده ، فلا يعقل ان الاب الحصروني يكتب يخبره عنها بهذا الشكل . وانما كلامه في مطبعة ثانية ، كان الاب اليانو لا يعرفها.

اما المطبعة الاولى ، المنشأة « لفائدة الموارنة » فماذا كان مصيرها ؟ قال الاب شيخو (ص٣٤) : «لا نعرف شيئاً عن هذه المطبعة» ، سوى ان بعض الكتب

---

١) ومنها كتاب التعليم المسيحي الكرشوني. ونسخة منفردة ، الا واحدة فقط ، محفوظة في مكتبة فريبورج بسويسرا (شيخو ٣٦)

الروحية قد طبعت بها سنة ١٥٨٠ .

وعلى كل حال ، ينتج مما تقدم ان الموارنة كانوا قد باشروا الاهتمام بطبع كتبهم ، منذ السنة ١٥٧٨ ؛ وان بعض هذه الكتب قد طبع في رومية قبل سنة ١٥٨١ ، على عكس ما وهم سنورر ؛ وان وجود مطبعة في جبل لبنان سنة ١٥٨٥ لم يعد « امراً لا يصدق » ، بل امر تحقيقه سهل ، كان يكون الاب اليانو قد جاء الى لبنان بمطبعته المنشأة « لفائدة الموارنة » ، او يشتري رهبان قزحيا في رومية مثل هذه المطبعة او مثل المطبعة الثانية ؛ وان عدم ذكر كتاب المزامير في رحلة الاب دنديني ، لا ينفي حقيقة وجوده ، فالاب دنديني لا يذكر في رحلته الكتب المطبوعة في رومية والمجلوبة الى لبنان سنة ١٥٨٠ و١٥٨٥ ، مع ان امرها لا يحتمل الريب ، وهذه المستندات التاريخية حافلة بذكرها ، وهذه نسخها باقية الى اليوم ؛ ونقول الشيء نفسه عن المطبعة ، فيما لو وجدت . فلربما جهل دنديني امرها تماماً ، او عرف بها ولم يتكلم عنها ، فلا ينفي جهله اياها ولا سكوته عنها حقيقة وجودها . هذا ويخطأ ، في رأينا الضعيف ، من يفهم من كلامه ان فن الطباعة كان مفقوداً في لبنان وسائر الشرق . فهو انما يشير فقط الى عدم « استخدام الطباعة استخداماً مفيداً وسهلاً » يمكن بدون عناء من تكثير الكتب ونشرها[1]

واذا جئنا الآن الى الاعتراض المأخوذ من سكوت الحاقلاني ، قلنا ان هذا العالم يتخذ ، ضد احد خصومه ، من كتاب المزامير المطبوع سنة ١٦١٠ ، حجةً على وجود الحركات السريانية قبل الصهيوني ، فهو قد اكتفى بايراد هذه الحجة ، اذ ليس ما يضطره الى ذكر طبعة اخرى سابقة لها . بل قد تكون هذه الاخيرة خالية الحركات ، فلا تصلح عندئذٍ حجةً بيده .

اما وقد مكنتنا الوثائق التاريخية الراهنة من دحض التهم والاعتراضات التي جاء بها سنورر ، فهل تمكننا هذه الوثائق نفسها من دعم كلام المطران اسطفان عواد السمعاني دعماً قوياً ، لا يبقي للاعتراض مجالاً ؟ — قلنا ان

(١ دنديني ص٦٦ : «non si trova... *l'utile et comodo esercizio* della Stampa etc.»

البحث تاريخي وضعي . فلا اقوى ، لاجل اثبات حقيقة هذه الطبعة ، من مثل العثور على نسخة منها . وما دام هذا الامر غير حاصل ، فالمجال متسع للاعتراض والتخمين والتقدير . ونحن ، اذا وجدنا اعتراضات سنورد غير ثابتة ، فلسنا نجزم بالا تكون هناك اعتراضات اخرى سواها قابلة التصديق وغير خالية من القيمة .

منها انه لا يعقل ان يطبع كتاب المزامير ، في هذه البلاد وفي تلك الاحقاب ، مرتين بينهما فقط ٢٥ سنة . فاذا كانت المزامير قد طبعت سنة ١٥٨٥ ، فلا يعقل ان يكون طبعها قد اعيد سنة ١٦١٠

ومنها كذلك ان الشماس يوسف عيمة ، نسيب آل الرزي ، الذي اشتغل في طبعة ١٦١٠ وكتب خاتمتها الطويلة وذكر اتعاب المطران سركيس فيها ، واطنب بذكر آل الرزي ومنهم البطريرك سركيس ، لا يلمح قط الى ان هذا البطريرك سركيس سبق فطبع الكتاب نفسه سنة ١٥٨٥ . وكذلك المطران سركيس في مقدمته على طبعة سنة ١٦١٠ ، لا يشير الى شيء من ذلك .

ومنها اخيراً وهذا يدعو الى الدهشة ، ان المطران اسطفان عواد لا يذكر بتة طبعة سنة ١٦١٠ مع ان وجودها لا ريب فيه ، على ما رأيت ؛ ومع ان كل ما ذكره المطران ينطبق عليها تماماً .

فيحق لنا والحالة هذه ان نقول ان المطران اسطفان اراد الكلام عن طبعة سنة ١٦١٠ ولكن تعذرت عليه واسطة الوصول الى نسخة منها فاعتمد على ذاكرته فيما كتب فقادته الى معرفة اسم صاحب الطبعة سركيس الرزي وخانته في التفرقة بين سركيس البطريرك (١٥٨١–١٥٩٦) وسركيس المطران (١٦٠٠–١٦٣١) فآثر الاول وهو في عرفه اولى . وذكر بالنتيجة تاريخاً موافقاً جعلهُ سنة ١٥٨٥ والله اعلم !

هذا ما بدا لنا . وعسى ان يتوصل الباحثون الى مستندات اوفر واوفى ، في هذا الشأن ، مستندات تفوتنا الآن . وقد يكشفها الزمن من مخبآته ، اذا كان لها من وجود ، وما اكثر هذه المخبآت !

مزاعم المؤرخين العباسيين

في وصف شره الخليفة
سليمان بن عبد الملك الاموي

من قلم حبيب زيات (نيس : فرنسة)

لم يكتف العباسيون ، حين اذالهم الدهر من بني أمية، بتتبع رجالهم بالقتل والإفناء والتشريد ، وتقويض ابنيتهم وقصورهم ، وانتهاك حرمة قبورهم لإحراق رُمَمهم وتذرية رمادها في الريح. بل جدّوا ايضاً في محو كل ذكر لهم، وتشويه كل خبر عنهم، وتعفية كل اثر من مصانعهم. حتى لم يستنكف المأمون ، على فضله وجلالة قدره، من نزع اسم « عبدالملك » ابن مروان من فسيفساء قبة الصخرة ؛ وإنزال اسمه « عبدالله » في مكانه ، على شدة تفاوت ما بين الزمانين ، كما لا يزال التاريخ المرقوم شاهداً عليه . ولا شك ان هذه الضراوة على ازالة كل حديث صحيح عن الامويين كانت ايضاً هي العامل الاكبر في تبديد كل الكتابات ، وابادة كل السجلات المعاصرة للخلفاء الدمشقيين . بحيث لم ينته الينا اليوم من اخبار ذلك العهد مؤلف واحد يمثل لنا تلك الايام ؛ ويحكي ، بغاية الصدق والامانة ، ما تقدم من الانباء والوقائع ؛ ويصف اخلاق من درج من الرجال والقبائل ، وصفاً منزّهاً عن كل تعصب وهوى . ولما كان الناس على دين الملوك في كل زمان ومكان تقرّب الكتبة ، والمؤرخون ، والقصاص ، والمحدثون في بغداد من رضى العباسيين بوضع الاخبار والمقالات في تصوير الحوادث ، ووصف الرجال على الوجه الذي كانوا يعلمون انه اجدر بالحظوة لدى السلطان وابلغ في الغضّ من الدولة البائدة ولذلك لا نكاد نجد اليوم في كل هذه الاسفار والصفحات التي ورد فيها شرح اخبار الامويين اقلّ انصاف واعتدال في الكلام عليهم. فضلاً عما

هنالك احيـاناً كثيرة من الطعن واللعن ، والازراء وسوء الثناء ، او المجازفة والاختلاق في نقل الروايات ، وايراد النوادر والنكات.

ومن هذه الاخبار والاوصاف التي ذهب فيها الإغراق كل مذهب، وتبارى الندماء في التنادر بها في مجالس دار السلام ، وصف شرّه سليمان بن عبد الملك الاموي ، وقدرته العجيبة ، فيما زعموا ، على الازدراد والهضم ؛ الى حدّ يفوق كل تقدير ويتجاوز كل ادراك ، وحسبنا للدلالة على هذه المغالاة في التمثيل والتهويل ان ننقل ما حكاه اثنان فقط من مؤرخي العباسيين وهما ابو الفرج ابن الجوزي ، وابو المظفر بن قزغلي[1]، اي الجدّ والسبط ، في كتابيهما المشهورين: المنتظم ، ومرآة الزمان.

قال ابو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي باسناده الى عبدالله بن الحارث :

« كان سليمان بن عبد الملك اكولًا . وكان بينه وبين عبد الله (ابن سليمان) وصلة . قال: قال لنا سليمان يوماً: « اني قد امرت قيّم بستان لي ان يحبس على الفاكهة ولا يجني منها شيئاً حتى تُدرك. فاغدوا عليّ مع الفجر ــ يقول لاصحابه

---

١) جاء في حاشية شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي (٥ : ٣٦٦) تعليق لطابع الكتاب على وفاة ابي المظفر سبط ابن الجوزي سنة ٦٥٤ زعم فيه ان صحة اسمه يوسف بن قرغلي (بالقاف والغين) قال : « في الاصل (قزعلي) وفي كثير من كتب التاريخ كالنجوم والاعلام وابن الجزري (قزأوغلي) وكلاهما وما يتصحف منها خطأ. ويسمى بعضهم لتعليله تعليلًا اعجمياً فاسداً. والصواب (قرغلي) كما في نسخة قديمة من الوافي بالوفيات وابن خلكان وغيرهما من كتب الادب ».

وقد عنّ لنا، ونحن في أكسفرد، ان نبحث في خزانتها في نسخة من الوافي بالوفيات عن صحة هذا الاستدراك، فما كان اشدّ انذهالنا حين وجدنا الصفدي يقول في ترجمة ابي المظفر ما نصّه بالحرف، ننقله لما فيه من الاشارة الى مجازفات صاحب مرآة الزمان وهي بعض موضوع مقالتنا الحاضرة. قال :

« يوسف بن قزغلي بالقاف والزاي والغين المعجمة واللام ابن عبدالله الامام المؤرخ شمس الدين ابو المظفر. . . سبط ابن الجوزي . . . وكان والده قزغلي من موالي الوزير عون الدين بن هبيرة... ويقال في والده زغلي بحذف القاف. ثم اشار الى مرآة الزمان فقال : «وانا ممن حسده على التسمية . وهي لائقة بالتاريخ . كأن الناظر في التاريخ يعاين من ذُكر فيه في مرآة . الا ان في المرآة صدأ المجازفة منه رحمه الله تعالى في اماكن معروفة» (Seld. arch. a. 29, fol. 115)

الذين كان يأنس بهم — لنأكل الفاكهة في برد النهار.» فغدونا في ذلك الوقت. وصلى الصبح وصلينا. ثم دخل فدخلنا معه. فاذا الفاكهة متهدّلة على اغصانها. واذا كل فاكهة مختارة قد ادركت كلها. فقال: كلوا. ثم اقبل عليها. فاكلنا بمقدار الطاقة. واقبلنا نقول: «يا امير المؤمنين، هذا العنقود». فيخرطه في فيه. «يا امير المؤمنين، هذه التفاحة»، كلما رأينا شيئاً نضيجاً اومأنا اليه، فيأخذه فيأكله. حتى ارتفع الضحى ومتع النهار. ثم اقبل على قيّم البستان فقال: «ويحك، يا فلان اني قد استجمت فهل عندك شيء تطعمنيه؟» قال: «نعم، يا امير المؤمنين، عِناق حُولية حمراء.» قال: «ائتني بها ولا تأتني معها بخبز.» فجاء بها على خوان لا قوائم له. وقد ملأت الخوان. فاقبل يأخذ العضو، فيجيء معه. فيخرطه في فيه، ويلقي العظم، حتى اتى عليها. ثم عاد لاكل الفاكهة. واكل ملياً. ثم قال للقيم: «هل عندك شيء تطعمنيه؟ قد جعت.» قال: «عندي سويق كانه قطع الاوتار. وسمن وسكر.» قال: «افلا اعلمتني هذا قبل؟ ائتني به وأكثِر.» فجاء بقعب يقعد فيه الرجل. وقد ملأه من السويق قد خلطه بالسكر وصبّ عليه السمن. واتى بجرّتي ماء بارد وكوز. فاخذ القعب على كفه. واقبل القيّم يصبّ عليه الماء فيحركه. حتى كفأه على وجهه فارغاً. ثم عاد للفاكهة، فاكل ملياً. حتى هجرت عليه الشمس، ودخل، وامرنا ان ندخل الى مجلسه. فدخلنا وجلسنا. فما مكث ان خرج علينا. فلما جلس قام كبير الطباخين حياله يُؤذنه بالغداء. فأومأ ان إيتِ بالغداء. فوضع يده فاكل. فما فقدنا من اكله شيئاً.»[1]

هذا ما رواه الجدّ بكل جدّ. ووقف عليه السبط ابن قزغلي فاحب ان يجاريه في الإغراب ويربي عليه في الاغراق والاطناب، فقال:

«سليمان بن عبد الملك... قال الواقدي: كان شرهاً اكولاً، يأكل في اليوم مئة رطل. ويتناول في ساعة واحدة اربعين رقاقة مع عدة خرفان... وقال هشام: كان الطباخ يأتيه بالسفافيد، وعليها الدجاج المشوي. فيدخل يده في كمه،

(١) جزء من المنتظم في تاريخ الملوك والامم فيه اخبار سنة ٩٦ الى ١٣٥ (Bodleian Library Arab. Poc. 255, fol. 4)

وعليه ثياب الوشي ، فيمسك السفُّود بيده ويأكل منه اربعين دجاجة . وقال المدائني: حجّ سليمان فقال لقيّمه على طعامه: «أطعمني من خرفان المدينة ». ودخل الحمام وخرج . وقد شوى له اربعة وثمانين خروفاً . فأكل من كل خروف جارحة مع شحم كلية . حتى اتى على آخرها. ثم دعا الناس الى الطعام فأكل معهم مثل ما كان يأكل. واتى الطائف في حجته، فسأله ابن ابي زهير الثقفي ان ينزل عليه فنزل. فجاءه برمان. فاكل منها مئة وسبعين رمانة ، وخروفاً ، وست دجاجات ، وعشرين رقاقة. ثم اكل مع الناس.»[1]

« قال الاصمعي: كنت حاضراً عند الرشيد يوماً فجيء بصناديق من ذخائر بني أمية . ففتح صندوقاً منها . فوجد فيه ثياب الوشي . وقد سال الدهن على صدورها واكمامها. فسأل الناس عن ذلك فلم يجد عندهم علماً. وكان عنده رجل من بني أمية. فقال: يا امير المؤمنين، هذه ثياب سليمان بن عبد الملك. كان شرهاً اكولاً . »

وفي هذه الشهادة المنسوبة للاصمعي نظر لا يخفى على الناقد البصير . لان بين الرشيد وسليمان بن عبد الملك نحو نصف قرن . ويبعد جداً ان تكون مثل هذه الثياب المتسخة بالدهن حُفظت كل هذه المدة « بين الذخائر » وسلمت من كل نهب وسلب وضياع وبلى وآفة ؛ بين كل هذه الفتن والحروب والوقائع التي توالت على دمشق في خلال كل هذه السنين. فضلاً عن ان الخلفاء لم يكونوا يضنّون بمثل هذه الملابس المبتذلة ويدخرونها دون ان يخلعوها على خدمهم وبعض الوافدين عليهم . وقد اعتاد بعض الخاصة قديماً ان يجودوا حتى بقميصهم وسراويلهم على سائليهم ومستميحيهم. واذا صحّ ان بعض ثياب سليمان بن عبد الملك حفظت بطريق الاتفاق ، او لحاجة اخرى، فمن الغريب ان يكون العباسيون تكلفوا نقلها من دمشق الى بغداد ، دون ان يعلموا ما في صندوقها ويهبوه لبعض رجالهم ؛ او يكون هذا الصندوق بقي مصوناً مقفلاً كل ايام السفاح والمنصور والمهدي والهادي حتى يكون الرشيد اول مطلع عليه. فلا شك ان

(١) الجزء ٦ و٧ من مرآة الزمان (British Museum Add. 23277, fol. 116a)

هذه الشهادة موضوعة لاثبات تهمة سليمان بن عبد الملك بالشره والقذارة.

وكأن المدائني لم يقنع بكل ما حشاه في ساعة واحدة في جوف سليمان من الرقاقات والدجاج والخرفان والرمان. وعنده ان المعدة الاموية تتسع لما فوق ذلك، فاضاف الى ما تقدم نادرة، بل معجزة اخرى، فقال، فيما رواه ابو المظفر ايضاً في ترجمة سليمان:

«اتاه دهقان بدابق، ومعه زنبيل مملوء بيضاً، وآخر تيناً اخضر. فقدمه اليه. فجلس يقشر البيض ويأكل كل بيضة بتينة حتى اتى على الزنبيلين. ثم اتوه بقصعة مملوءة مخاً مخلوطاً بالسكر. فاكل الجميع. وكان قد اكل قبل التين والبيض والمخ ثلثمائة وستين شاهلوكة وهي عين البقر»[1] (الخوخ).

ومن العجب ان يكون عُدّ الخوخ ولم يُعَدّ التين والبيض مبالغة في الضبط والدقة في الرواية ولكن المدائني لم يكن ليجهل ان المعى الذي اتسع لمثل هذه التلال من الطعام والفاكهة، ولو كان معى أموياً، لا بد له يوماً ان يعجز ويخون صاحبه. ولذلك لم ير مناصاً، مع معرفته بما اشتهر من موت سليمان بالطاعون، من ان يزعم انه بعد ان ابتلع ما ابتلع «مرض والتخم ومات».

وهكذا، وعلى مثل هذا الشكل من المجازفة والتعصب وقلة الانصاف، دوّن المؤرخون العباسيون اكثر اخبار الخلفاء الامويين.

---

١) جزء من مرآة الزمان [illegible] سنة ٩٦ الى ١٢١ غير مرقوم. (Bodleian Library, Arab. Poc. 371)

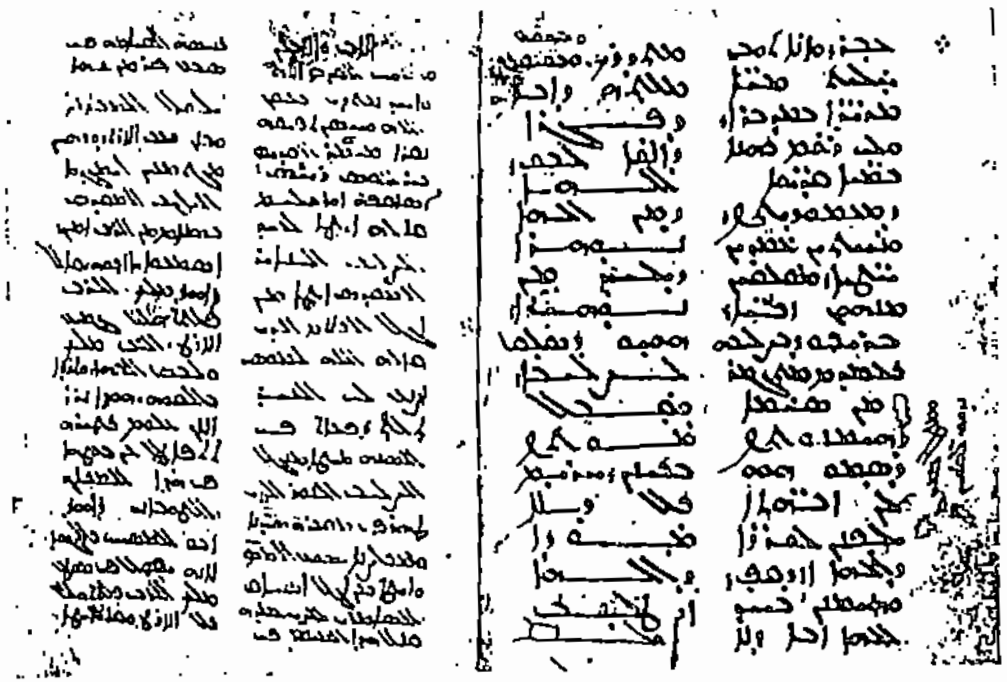

الصفحة الاخيرة من فرض عيد الصليب والاولى من الميمر في نسخة حلب

خط البطريرك سركيس الرزي سنة ١٥٥٨م

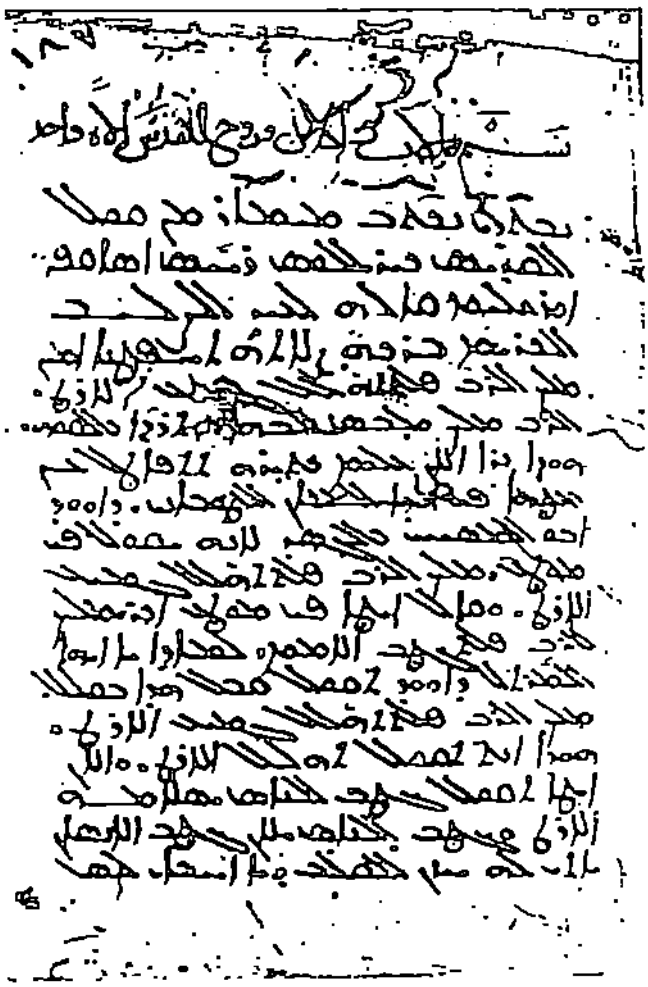

الصفحة الاولى من نص بكركي

خط المتوري يوحنا بن ايوب سنة ١٥٥٧ م

ارتفاع الصليب

ميمر منسوب الى القديس كيرلس اسقف اورشليم

نشره لاول مرة ، وعلق عليه

المتوري بولس قرألي ، مدير المجلة البطريركية

٧

نص الميمر

١ — الملك المسيح

١ – ملك الرب — [١٨٧] بسم الاب والابن وروح القدس الاه واحدا[1]

نبتدي نكتب ميار من قول القديس كيريللوس رئيس اساقفة اورشليم قاله لعيد الصليب الكريم بركة صلاته تحفظنا امين[2]

ملك الرب فلتتهلل جميع الارض . الرب ملك ولبس البها وتردا بالقوه . هوذا نرا الان عاوم كثيره تتفاضل عن بعضها في هذا المكان الطوباني[3] . داوود ابو المسيح بالجسد[4] لانه يقول في موضع . ملك الرب فلتتهلل جميع[5] الارض . وقال ايضا في موضع اخر[6] . ملك الرب فلتغضب الامم . لماذا يا ايها المرتل[7]

١ – وردت البسملة بحروف عربية . وفي ح : « والروح القدس »

٢ – هذا العنوان مكتوب بالحبر الاحمر . راجع في المقدمة رقم ١٥ عدد ٢ نصي العنوان في ح وق

٣ – كنيسة القيامة

٤ – يقصد بهذا معارضة اليهود واتباع مركلوس الانقيري الذي انكر ولادة المسيح الازلية

٥ – في ح : كل

٦ – في ح ٢ : « وقال ايضاً في موضع آخر بهذا الروح الواحد المتكلم فيه وليس هو اثنين . بل هذا الروح الواحد الذي ينطق في روسا الابا وهو الذي ينطق في القضاة وهو الذي حل على الرسل مثل السنة نار مفسة . داوود النبي يقول ملك الرب . . . » ولعلها زيادة دخيلة ، فهي غير ضرورية وتشوش المعنى

٧ – ترسم الشدة غالباً في كلتا النسختين مرفقة بفتحة ، ولو لم يكن حكمها الفتح ،

داورد تقول قبل هذا بقليل . ملك الرب فلتهلل[1] جميع الارض . هوذا انت تقول تهليل الارض . والان ايضا تقول غضب الناس . سلامة الارض وغضب الناس . لان غضب الانسان ياتي له حزن القلب . يا احباي ليس [١٨٨] يوافقه كلمه مجمعه او لفظه مشكله[2] المعاني لقلوب سامعيها ان لم يجلوا تاويلها . او من يقول لهم تفسيرها . وهوذا نحن نسال الفارقليط[3] روح الحق الواحد مع الاب والابن . والاب والابن واحد معه[4] الثالوث المقدس . وثالوث[5] من اجل ان فيه ثلاثه اسما . الاب والابن وروح القدس[6] . ونرغب اليه ان ينير عيني قلوبنا لنفهم يسيرًا من كلامه الذي نطق به على افواه انبيايه الاطهار . ليس نحن مستحقين ان نصنع هذا . بل الذي نحن له نعبد[7] . وهذا المجمع الذي اجتمع في هذا الموضع اليوم من كل كوره لكي يعاينوا مجده ويقبلوه اعني الصليب المخلص[8] يسوع المسيح . لكي ان نفتش في نواميسه لنفهم وصاياه[9] .

٢ – ملكه الازلي — يا احباي متى ملك الرب . اترى هو منتظر الى زمان ليملك فيه . اليس الملك له كله والربوبيه من الابتدا كما قال دانيال النبي . اذ [١٨٩] يقول ان مملكته مملكه دايمه الى الابد وربوبيته من البحر الى البحر . ومن النهر الى اقصى المسكونه . وايضا يقول الله ملك الارض كلها . وايضا يقول

ونوضع اكثر الاحيان فوق الحرف السابق ، لا على الحرف المشدّد

١ – في ح : « فلتهلّل » باسقاط التاء الثانية . وسنتجاوز ، في ما يلي ، عن ذكر امثال هذا الخطأ النحوي في ح لكثرتها وقلة اهميتها

٢ – يحمل غالبًا وضم النقطتين فوق التاء القصيرة . ويتبعه في ذلك ناسخ ح مرارًا

٣ – كتبها بالفاء بدلًا من الباء ، حسب الاصطلاح السرياني حيث يعبّرون بها بالفاء عن الباء العربية المشددة . وهو من دلائل الترجمة السريانية والاصل اليوناني ، كما مر لك

٤ – لو كان المؤلف من اليونان المنشقين لما عبّر هكذا عن الروح القدس

٥ – لاحظ كيف انه يضع التنوين رأسًا فوق الحرف دون ان يستعين بالالف

٦ – هذا مطابق لكلام القديس كيرلس في عظته ١٦ عدد ٤ ع ٩٣١ . راجع فاكان ٣ : ٢٥٤٦

٧ – تركيب يوناني

٨ – اشارة واضحة الى عيد ارتفاع الصليب والى حفلته في كنيسة القيامة

٩ – هنا تنتهي فاتحة العظة

اللهم الك الارض منذ الابتدا[1] فان كنت تريد تعلم يا ايها المناصب[2] ان المسيح ملك الملوك . فاسمع لوقا الانجيلي ومتى حيث يقولان في كتبهما . لما ولد المسيح . هوذا مجوساً قد اتو من المشرق قايلين اين هو ملك اليهود الذي وُلد . هوذا قد مجدوه وهو في الاقماط . لماذا أنت تقول انا اريد اعرف معنى المكتوب اذ يقول ملك الرب ان كنت تريد تعلم . اسمع وانصت بخشوع[3]

٣ – الخارجي — انه كمثل ملك خرج عليه خارجي يريد يتسلط عليه وعلى كورته وياسره هو وغلمانه وحاشيته . وياخذ مدنه وبلاده تحت حوطته . ليودوا له الخراج . فحزن ذلك الملك من اجل ذلك الجمع الذي اخذهم [١٩٠] ذلك الخارجي منه . فيفكر في نفسه قايلاً باي شي او باي نوع اقدر احارب هذا الخارجي حتى اغلبه واملك على اصحابي ايضاً . فبينما هم تحت سلطان ذلك الخارجي . وليس لملكهم عليهم سلطان فاذا خرج ذلك الملك وينال الغلبة ويهلك ذلك الخارجي . ويعتق اصحابه الذي اسرهم[4] . وياتي ويدخل بهم الى موضع ملكه . وهو يقدمهم[5] وهم ايضا يرتلون بتهليل بصوت البوق . لان ملكهم خلصهم من الاسر وملك عليهم دفعه اخرى.

٤ – اسر الخطية والجحيم – هكذا انه كان في الزمان الذي تملكت الخطيه في العالم . والاثم تسلط على الناس والغش والدجل احتوى على عقولهم وذلك الخارجي ياسر فيهم ويقبل وكل واحد يصنع ارادتهم[6] . وليس اراده الله وكانت شباك الموت منصوبه على كل البشر . ولم يقدروا يخلصوا البته من ذلك

---

١ – اورد كل هذه الآيات ضد اليهود وضد اتباع مركلوس . وكثرة الاستشهاد بالآيات المقدسة من خصائص طريقة القديس كيرلس الاورشليمي

٢ – في ح : « المرطيني » وكلاهما بمعنى بدعة مركلوس التي تلاشت في اواخر القرن الرابع . وهو من الادلة على عهد المبسر وصحة نسبته الى القديس كيرلس، كما سبق القول

٣ – كل هذا الكلام السابق واللاحق موجه الى المركليين ودليل على اهتمامه بابعاد رعاياه عن بدعتهم

٤ – أكلت الفأر كثيراً من حروف هذه الصفحة وما بعدها ، فرممناها من نسخة ح

٥ – يتقدمهم

٦ – ارادته

الخارجي . لانه هو الذي كان يصنع بهم هذا كله . فخرجوا كلهم [١٩١]من تحت طاعة سلطانهم وعادوا تحت رق عبوديه رديه[1] كما هو مكتوب انهم تركوا عنهم ينبوع الموت يرعاهم[2] . وايضا يقول النبي[3] ليس من مخلص ولا منجي . فاتوا الانبيا ليخلصوا سيدنا الذي اخذه ذلك الخارجي . فمنهم من قتلوه ومنهم من رجموه لانه لم يقدر احد من الناس ان يخلصهم من ذلك الاسر لان تلك القروح كانت صعبه .وتلك العله نبتت ولم يجدوا تلك الاسرامن يخلصهم منها . فصرخ داوود النبي قايلًا . طاطى[4] السموات وانزل . ويقول ايضا انت اطلقتنا من جب المسكنه[5] لانه يسمي الجحيم جب المسكنه.بالحقيقه يا احباي ان ذلك المكان هو مسكنه تعبه صعبه جدا.وكانوا هوليك الاسارى منتظرين من يخلصهم . وكانوا يقولوا ترى من هو الملك الذي يخلصنا لانهم لم يفهموا معنى العتق الذي يكون لهم . لان روسا الابا والانبيا[6] كانوا يقولون . لا بد سوف [١٩٢] ان يفتقدنا بالملك[7] ويخلصنا من اسرنا . وصرخ اشعيا النبي قايلًا ايضاً لا بد للاتي ان ياتي ولا يبطي . لان الابواب كانت مغلقه والاقفال موثوقه . وليس من يخلص ولا من ينجي.

---

١ – كل هذه التشابيه متواردة في عظة القديس كيرلس الثالثة ، كما نبهنا في المقدمة. واكثر الكلمات الاخيرة مأكول في نسختنا ، فصححناه عن نسخة ح

٢ – كان ناسخ ج كتب في صفحة ٥ هذه الآية مبتورة كنصنا ثم عاد فاضاف على الهامش كلمات « الحياة وايضاً ينبوع » فاصبحت كما يلي : « تركوا عنهم ينبوع الحياة وايضاً ينبوع الموت يرعاهم »

٣ – في ح : « وايضاً يقول آخر من الانبياء »

٤ – طأطئ . في ح : طاطى يارب

٥ – تواردت هذه النكرة في عظة القديس كيرلس الرابعة، كما نبهنا سابقاً

٦ – في ح ٥ : « لان روسا الابا البطاركة » مستعملا هذا اللقب حسب الاصطلاح اليوناني بمعنى جدود العبرانيين مع ان السريان والموارنة يعنون به رئيس الطائفة . وهو من دلائل الاصل اليوناني، كما مر بك في المقدمة

٧ – وفي ح ٦ : « ابن الملك »، وهو اصح، ويدل على ان الناسخين نقلا عن اصل واحد كما قلنا، فاخطأ الناسخ الاول، او الذي أملي عليه، في قراءة الكلمة

٥ – سبب التجسد — ولم يقدر احد[1] ان يخلصهم لان الانسان مندفع الى نقص ومركب بالمرض وصاير الى الموت ويمضي به الى الحكم . ويدان كاعماله . ولم تقدر ملايكه تصنع هذا لان ليس هم جسدانيين ولا يمشون على الارض بين الناس لان الملاك من لهيب النار . وهو خادم . وهو عبد . لكن اذا جا سيّد العبيد هو يعتقهم . بفرد كلمه يسيره . فلما ترآف الملك على هولايك الاسارى الموثقين عند ذلك الخارجي الذي كان يصنع بهم كارادته وبهوا قلبه جا اليهم وهو لم ياتي بجيش عظيم يعتقنا[2] . ولم يخرج من مجده العظيم . ولا ترك مجده خلفه ولا احد يقدر ينتزعه منه لكنه لبس السلاح الذي حارب[3] به ذلك الخارجي . اعني هذا الجسد[4] الذي اتحد به [١٩٣] مع اللاهوت[5] كما علم هو وحده . وذلك الجسد من غير زرعة بشر . وعمل الاشيا كلها مثلنا ما خلا الخطيه[6] هو لم يخطي قط . ولم يوجد فيه دجل . جسد والاله متحد به داخله وخارج فيه[7] .

٦ – ابن ارملة نايين — اما القول ان الاله من داخل الجسد من اجل انه ليس يعاين احد مجده وهو لابس اللاهوت فيحيا . واما القول انه خارج الجسد فمن اجل انهم كانوا ينظروه يصنع الشفا في السر .[8] اليد الذي مدها ولمست ابن الارملة الذي في نايين . فعاش بعد ان قام ليله وهو ميت فعندما هم حاملوه مدّ يده

١ – في ح ٦ : « ايضاً » ونصنا اصح

٢ – وفي ح : « وهو لم يأتي بجيش عظيم يعتقنا لياخذ السي ويغلبه من ذلك الخارجي »

٣ – وفي ح ٧ : « يحارب »، ونصنا اصح

٤ – وردت هذه الفكرة حرفياً تقريباً في عظة القديس كيرلس الثانية عشرة ، كما بينا في المقدمة

٥ – هذا التصريح ينفي نسبة الميمر الى احد النساطرة المضادين للاريوسية، لانهم ينكرون اتحاد لاهوت المسيح بناسوته

٦ – ينكر اليعاقبة ان في المسيح طبيعتين فلا يجوز نسبة هذا الميمر الى احدهم سواء كان من السريان ام من الاقباط

٧ – لعله يريد « خارجه » كما جاء في الفقرة الثانية . وهذا ايضاً يخالف مذهب النساطرة

٨ – وردت هذه الفكرة نفسها في عظة القديس كيرلس على المخلع وفي عظته الرابعة

الاله المتجسد[1] ولمس النعش فعند ذلك وقفوا الـذي كانوا يحملوه . وبكلمه واحده اعطاه لوالدته وهو حي[2] . ومضت الى داخل المدينه وهي ماسكه له وهو يمشي معها . وكانوا المجموع يجروا[3] خلفهم لينظروا الذي قد كان. وايضا الناس الـذي اتو لينظروا ذلـك الميت المحمول لم يمضوا الى بيتهم حتى اتوا لينظروا هذه [١٩٤] الايات العظيمه وكانت اللفايف الذي كان ملفوف بهم محموله على اعناق الناس وهم ماشيين معهم شهاده للغير مومنين . فلما راوا اهل المدينه هذه الاعجوبه العظيمه الذي صنعها يسوع ابن الله. امنوا به جموع كثير[4] .

٧ – غضب الامم ـــ واما الكتبه والفريسيين لما راوا ذلك امتلوا غضباً[5] . واغتاظوا لانه اقام الموتا معطيهم الحياه يريدوا قتله[6] . هوذا قد كمل عليهم المكتوب . اذ يقول ملك الرب فلتغضب الامم[7] . الرب ملك لانه اقام الموتى غضبوا اليهود القليلي الايمان وارادوا قتله . الرب ملك واخرج الشيـاطين . فغضبوا وصرّوا باسنانهم . وافتروا عليه . وقالوا هذا يصنع هولاي بباعلزبوب . ملـك الرب وطهر البرص . اغتاظوا هم وارادوا رجمه . الرب ملـك واقام العازر اغتاظوا هم وحاروا ليقتلوا يسوع والعازر ايضا. الرب ملك وابرا المخلعين فحنقوا هولايك القليلين الشكر ودعوه ابن النجار .

٢ ـــ اسحق السامري

١ – عيد اورشليم ـــ وهكذا يغتاظ [١٩٥] الشيطان من اجل خاطي واحد

١ – «الاله المتجسد» تعبير يلخص كل فكرة القديس كيرلس في الوهية المسيح وناسوته

٢ – هاتان الكلمتان ما كونتان في ـ فرمناها عن ح

٣ – اي يركضون، وهو تعبير خاص بالمصريين، ومن دلائل تعريب الميمر في القطر المصري . وله نفس المعنى في اللغة الفصحى

٤ – لاحظ ان اكثر هذه التفاصيل غير لازمة لبرهانه. انما جاء بها القديس عرضاً شأنه في كل مثل يورده شاهداً على كلامه . وهو من دلائل صحة نسبة هذا الميمر اليه، كما اشرنا في المقدمة . وبعض هذه التفاصيل غير مذكورة في الانجيل اخذها عن التقليد

٥ – وفي ح : « غيرة » ، وهو اصح

٦ – اي اقام بروا قتل الذي كان يعطيهم الحياة . وهو تركيب يوناني محض

٧ – يعود هنا الى شرح الآية التي صدّر بها الميمر

اذا تلب. مثل هذا السامري اسحاق الذي من البلد الذي تدعا يافا. لما رآ الجمع قايلين بعضهم لبعض امضوا بنا الى اورشليم لنسجد للصليب لان العيد قد قرب[1]. فقال اسحق هو ايضا لاهل بيته وعبيده شدوا الدواب لنحمل ذهبنا وفضتنا. وجميع انيتنا ونمشي مع هولاي الجمع الماضين الى يورشليم[2]. لنمضي نحن ايضا الى العين[3] الذي في يورشليم لنطهر انيتنا فيها. اسرعوا فينا[4] نمشي ونمضي مع هولاي الجمع الماضين الى يورشليم ليلا تتاخروا ويخطفوا اللصوص ما معنا. لان شعب السامره كانوا يعضوا بجميع ما عندهم من الانيه. من العزيز الى الحقير. فيغسلوهم في كل اسبوع. وان مات لهم ميت او امراه طامث او مولود يصنعوا به هكذا. وهم ينظرون جدا الى الغسل البراني. فعند ذلك مشى اسحاق السامري ليمضي الى عين يورشليم ليستحم فيها. ويطهر انيته وتلك العين هي التي بنا عليها يشوع ابن نون [١٩٦] المذبح لما قسم الارض على بني اسرايل. وهو الذي ختنهم عليها[5] وكانوا السامريين يقولون كلمن يستحم في تلك العين او يغسل انيته فيها او شيأ له ليس يحتاج ان يغسلوهم دفعه اخرى.

٣ - الماء المنتن ولما مشوا في تلك الطريق غابت عليهم الشمس عند جب فيه ماء. فمضوا اليه ليشربوا ويسقوا دوابهم. لانه كان في حقل [illegible] الطريق فوجدوا الما قد دود ونتن. فلم يقدروا يشربوا منه البته. فكثروا الاطفال الذي معهم بالعطش هم ودوابهم. وكان ذلك السامري قد [illegible] في

---

١ - هذا يوافق ما جاء في التواريخ عن الجماهير التي كانت تقصد [illegible] اورشليم لحضور عيد ارتفاع الصليب

٢ - ورد اسم المدينة هذه الصيغة [illegible] وفي كلتا النسختين. وورد فيها ايضا بالصيغة المروفة [illegible] وهو من دلائل النقل عن اصل واحد [illegible]

٣ - وردت « العين » في ح وهو خطأ. [illegible] الموت وابداله بحرف الدال، لان آثار الكشط [illegible]

٤ - وفي ح: « اسرعوا بنا »، وهو [illegible]

٥ - كل هذه التفاصيل عن عادات السامريين وعن مواقع الاماكن والاثار الفلسطينية تدل على ان صاحب الميمر والجمهور الذي يخطب [illegible] يهوديون

وعآ[1] من اجل اصحابه. فقال لرجل نصراني[2] كان معهم . ما الذي يحوجكم الى هذا ان تمضوا الى اورشليم حتى تسجدوا لخشبه يابسه قد قتلوا عليها نبي . ولا يجب السجود له . هوذا الان انتم تموتون انتم وبنوكم من اجله . وها هوذا قد جعل الله هذا الما دوّد ونتن قدامكم . وكان هناك رجلًا قسًا ارثوذكسي[3] محب لله في ذلك الوقت . اسمه [١٩٧] انبا[4] وكس[5] . لما سمع ذلك السامري يقول هذا القول من اجل صليب المسيح . وكان هو ايضا قد جا ليسجد في اورشليم[6] . فاجاب وقال لذلك السامري ما هو اسمك . وما هي امانتك. فقال له اسمي اسحاق . وموسى ويشوع ابن نون هم الذين اعطوني الناموس[7]. وهولايك هم كلموا الله . واما ابن مريم فهو نبي الله . وجآو اليهود ليصلبوه. لقولهم انه كان يحلّ ناموس السبت . ولكن سلمه الله من ايديهم ومضى الى احد الجبال . ولم يعلموا ما كان منه. فاخذوا اللصوص . وواحدًا يدعا يسوع. كان هذا نبيًا وقتلوه على الصليب[8] . هذا الذي انتم تنالوا هذا التعب الان من اجله وتمضوا لتسجدوا له . وليس يجب ان نسجد لخشبه يابسه مصنوعه بالايادي. بل السجود لله وحده . كما قال لموسى . لا تسجد لاله غريب.

٣ – الحية النحاس — فلما سمع القس هذا القول . حنق جدا وقال لاسحاق السامري . نعم ان هذا الاسم الذي دعيت به حسن جدا لانه اسم اسحاق رئيس الاباء[9] . ولكن [١٩٨] امانتك زور . وليس الاسم هو الذي يخلص

١ – في ح : « اوعيته » وهو اصح

٢ – هذا يؤيد ما جاء في النشرات السريانية عن مسيحيي فلسطين انهم كانوا يدعون « نصارى » منذ ذلك العهد

٣ – كان معناها قديمًا مستقيم الايمان او الرأي ٤ – هذا اللقب خاص بالمصريين

٥ – مكتوبة هكذا في النسختين حسب اللفظ اليوناني بدلًا من « باحوس »

٦ – وردت في النسختين بهذا الشكل

٧ – لا يخفى ان السامريين لا يقبلون من التوراة سوى الاسفار الخمسة الاولى

٨ – ادعى بابيليوس ان اليهود صلبوا سمعان التيرواني بدلًا من المسيح، وتبعه المانيين والرفضيون. راجع مجموعة الاباء اليونان لمين، مج ٣٣، في تعليقه على العظة الرابعة لتقديس كيرلس الاورشليمي ع ٤٧٠

٩ – في ح : « اسحاق البطريرك راس الاباء » مراجعًا هنا اعطاء لقب بطريرك الى احد

الانسان وينجيه . اذ لم يكون له الكمال الـذي هو الامانه الارتدوكسيه . بالحقيقه هوذا انا اعطي الطوبا والنبطه غيرك واكثر منك . لان هولايك لم يكن لهم معرفه ولم يفتروا على الله مثلك . لانك تقول ان جميع الاثمار نجسه[1] . وهم الذي خلقهم ليتناولوا منهم المومنين بشكر . ولم تبحث باستقصا المكتوب . اذ يقول ان كل الاشيا الذي صنعها الله حسنه جدا وليس فيهم عيب . فاذا كانت الحيه النحاس الظاهره[2] التي صنعها موسى في البريه . في ذلك الزمان عجيبه . وكان اذا لسع شيئاً من الحيات المسمومه القاتوله انسان من بني اسراييل ياتوا به الى عند تلك الحيه النحاس فينظر اليها فيبرا للوقت . وقيل ان تلك الحيات التي الله ارسلهم على بني اسراييل من اجل خطاياهم كانت شديده[3] جدا . حتى انهم اذا لسعوا واحد منهم تسقط اعضاه قطعه قطعه . ويعود جسده محرق من كل ناحيه[4] .

٦ – الصليب في العهد القديم ــ فاذا كانت [١٩٩] الحيّة التي كلّم الله موسى وامره ان يعملهـا تبري كل من ينظر اليهـا من الملسوعين[5] . فكم بالحري يكون خشبه[6] سيدي ايسوع[7] المسيح . الذي يبطّل سمّ الحيات . الذي جعلت انت له فيك موضع الخشبة الطاهره المجده التي صـارت مسكن الله خشبة الصليب المقدس . الذي صار موضع راحة الله . في الاتضاع . الـذي جا فيه من اجلنا[1] . عود الصليب الذي صار موضع راحة الله . لما امال راسه عليـه

اجداد العبرانيين حسب اصطلاح اليونان المخالف لعادة السريان والموارنة كما سبق القول

١ – حسب اعتقاد السامريين

٢ – في الاصل : الظاهره، بدون نقطة في بطن الطاء السريانية

٣ – في ح : سربرة لان الراء تشابه الدال السريانية في الكتابة

٤ – تقليد غير وارد في التوراه ٥ – هذه الجملة ساقطة في ح

٦ – لاحظ تذكيره للخشبة تبعاً لتذكيرها في السريانية هُشَا

٧ – ايسوع حسب اللفظ اليوناني

٨ – لاحظ انه يستشهد ضد السامريين بالاسفار الخمسة فقط . وهذه طريقة القديس كيرلس . فقد قال لسامية في عظته ١٨ رقم ١١ ع : ١٠٦ ه اذ جادلتم السامريين الذين لا يعترفون الا بالاسفار الخمسة فافتحوا لهم الكتب التي في ايديهم ٢٢، وفي العظة ١٣ رقم ٢٧

واسلم الروح . هو عود معطي حياه ونور القيامه الذي اشرقت لنا منه . هـذه الخشبه هي الذي[1] قلعت الحجاب الذي كان مانعاً لنا . وازالة[2] العداوه الذي كان بيننا وبين الله . عود الصليب هو الـذي حمل لاله الكل . السفينـه في ذلك الزمان الذي كانت حامله لاناس وبهايم ووحوش وطيور وهوام وخلصتهم من مآ الطوفان . وانت ايضا يا ايهـا الصليب المقدس الممجد . حملت الـذي امر نوح قايلاً . اصنع انت سفينه [٢٠٠] فصنعها واجتمع اليها من كل جنس كما امر الربّ . واتا لكل واحد منهم بقوته . الى داخل من هو قايم مهتم لهم[3] . واعطا تمام العالم[4] . وانت ايضا يا ايها الصليب المقدس جعلت العالم جديد دفعه اخرى . لما سفكوا عليك دم الحمل الطاهر الذي بلا خطيه .

٣ — تحلية الماء

١ – صلاة الانبا واكس – فلما سمع السامري ما قاله القس انبا واكس[5] اجاب وقال له هوذا قد قلت ان موسى[6] صنع هولاي العجايب هكذا وابطل سم الحيات ليلا يقتلوا الناس . اذا لسعوهم . اين هي الاعجوبة والبرهان الذي ظهر في الصليب . حتى اومن به . فاجاب القس انبا واكس وقال له . انت لم تبصر قط موسى . ولا رايت ايه[7] صنعها قط . بل سمعت . وايضا اذا رايت قوه

ع ٨١١ يقول لهم «واذا نازلتم اليهود سدّوا افواههم باقوال الانبياء »، وفي العظة ١٢ رقم ٣٧ ع ٧٦٠ يقول : « واذا قصدتم اقناع الامم تسلحوا بالبراهين العقلية واوقفوهم ازاء قصصهم الخرافية » . وسترى ان هذه خطة صاحب الميمر مما يرجح نسبته الى القديس كيرلس

١ – يعود الى تذكير الخشبة

٢ – وردت هكذا في كلتا النسختين بدلاً من « أزالت »

٣ – تشبيه مأخوذ ايضاً من احد الاسفار المقدسة

٤ – اي ان الصليب جدد حياة العالم كسفينة نوح بعد الطوفان

٥ – وفي ح ١٤ هذه الزيادة : «وهذا القس كان مقيماً في دير صغير من حول عسقلان . وكان وبيس ذلك الدير . وكانوا فيه قديسين وكان هو مدبرهم » ولا نظن انها خارجة من مخيلة معلمي الناسخ لانهم لبنانيون ، ولعلهم اخذوها عن ميمر آخر كان بيدهم كما اخذوا غيرها من الزيادات والمعلومات

٦ – في ج : « موسى صاحبي » ٧ – آية

المسيح وصليبه انت تومن به في هذه الساعه . فقال لـه اسحاق السامري . لو ان موسى ويوشاع[1] قالا لي اومن بهذه الخشبه الذي[2] انت تقول عنها . ما امنت حتى ابصر فيها قوّه عظيمه تصنعها او برهان . فاجابه [٢٠١] القس انبا واكس وقال . ليس من اجلك انت وحدك . بل من اجل الذي ياتوا ايضا من بعدك ليسجدوا للصليب انا اصنع قوه عظيمه[3] حتى لا يكون احـدٌ الا وهو مومن بيسوع المسيح ولا يشكّوا مثلك . وهوذا انا اصلي للـذي ارتفع على الصليب ومات بارادته من اجل خلاصنا . وللوقت وقف على الجب المـا وصلّا للرب قايلًا[4] الذي جعل المياه المالحه عذبه . حتى شربوا[5] منها الناس والبهايم . وكل جنس[6] على الارض وليسقوا وجه الارض كلها لتعطي قوتاً للناس والبهايم . والبحر جعلته مرًا مالحًا والانهر تجري فيه . ولم تزل مالحه فيه الى الابد . من الذي يشاكل حكمتك يا الله محب البشر لانك في البدي جمعت المياه الى موضع[7] واحد . وقويت الارض حتى لا تضمحل من جرى المياه . وقسمت الميـاه على ثلاثة اقسام . فجعلت جزوًا منها في سما الفلك وجزوًا منها في البحار والانهار . [٢٠٢] وجزوًا منهـا في اسفل الارض . لان عظمتـك هي التي صنعتهم عملً حسناً[8] . حتى الى كل كوره ليس فيهـا مـآ . تحملهم الى فوق وتمضي بهم . وصلاحك هو الذي يسقيهم من مآ المطر ليشربوا الناس والبهايم[9] والذي يحتاج الى الما الذي تحت الارض . اذا حفر وجده . الذي سمع النبي موسى[10] . وجعل

١ – يشوع بن نون . أورده حسب لفظه السرياني
٢ – يكرر تذكير الخشبة نبماً لحكمها في السرياني
٣ – هذا تصنّع ظاهر وترجح ان في هذه الحكاية بعض الخشو المدحيين
٤ – هذه الصلاة من اجمل ما قيل في هذا المعنى . وتما بزينها جمـاد ان الآتيه كلها مأخوذة عن الاسفار المقدسة
٥ – في ح : « يشربوا »
٦ – وردت على هذا الشكل المغلوط في كلتا النسختين
٧ – جاءت هكذا ايضاً في ح
٨ – في ح : « ١٥ » صنعه حسنة »
٩ – اي انه يجعل تبخر المياه الى الجو ليمطرها على المقاطعات التي لا ماء فيها
١٠ – وفي ح : ١٦ « للنبي موسى ». وهو اصح

الما الذي في سالم يحلوا . وكانوا اثني عشر ينبوع . واعطيته في تلك الايام خشبه مثال صليبك المقدس . المزمع ان ياتي . الذي هوذا[1] . والان يا رب فان لك القوه ان تجعل هذا الما حلوا بغير تلك القطعه الخشبه التي مع موسى وجميع الشعوب . نعم الان يا رب لك القوه على كل شي . وانت ابتديت فاظهرت لنا هذا على يد موسى ليامنوا بك جميع الشعوب . وليعلم كل احدًا ان لك القدره على كلشي . وعظيما هو اسمك وممجد [٢٠٣] في القديسين . والان يا رب فلا تدع هولاي الامم يقولون اين هو الاهم لم يقدر يخلصهم من عطشهم .

٢ – اعجوبة تحلية الماء – فبينما هو يصلي . جاه صوتاً[2] قايلًا . من يومن بي يقول لهذا الجبل انتقل من هاهنا الى هاهنا فينتقل . ولا يعسر على الذي يومن بي شي . وايضا الذي يومن بصليبي . فان له الاستطاعه ان يصنع العجايب . وكل ما يطلب يجد . والان الذي طلبته يكون من اجل ايمانك . والمتمسك بالايمان الصحيح يكمل له كلشي[3] . واخذ عودين وربطهم على مثال الصليب وطرحهم في الجب الما وصرخ قايلًا . هذا الما المسيح شفاه بصليبه ليكون حلواً من الان تشربوا منه بامانه كل المومنين بالمسيح . واما اعدا المسيح فهولاي الذي لا يومنون بالصليب . لا يقدرون يشربون من هذا الجب الماء بل يكون خلا حدقة مرة . [٢٠٤]

فلما تم القديس انسا واكمل قوله صرخ للجمع بصوت الانجيل قايلًا من كان عطشان فيجي الي فليشرب . والمومنين بالمسيح وبالصليب المقدس فلياتوا الي ويشربوا . وفي الحروع للوقت مضوا الى الجب وتناولوا من الما[4] فوجدوه حلواً كالشهد ومذاقته حسنه جدا . ولما نظروا الذين شربون الما الى اسفل

---

١ – اكثر هذه التراكيب بعيدة عن العربية، لا بل يونانية محض

٢ – وردت هكذا ايضاً في ص ١٦

٣ – لا شك ان هذه العبارة دخيلة، لانه لا يعقل ان ينسب القديس كيرلس الى صوت جاء من السماء كل هذا الشرح الطويل

٤ – وفي ص ١٧ : «والمومنين بالمسيح وبالصليب المقدس مضوا الى الجب وتناولوا من الماء وشربوا» بحذف «فلياتوا الي ويشربوا» المكررة وباضافة «وشربوا» ولعله أصح

الجب . راو الصليب الصغير يضي شبه مصباح نور[1] . فصرخوا باجمعهم قايلين واحد هو صليب ربنا يسوع المسيح[2] .

٣ – دعوة اسحق الى الايمان ــ فلما سمع اسحاق السامري خاف ولم عاد ينطق من اجل الصليب المقدس. ومضى ليشرب من اوعيته فلما لم يجد شي[3] تحير لانه عاد الذي فيهم منتن وعاد يغلي كالنار[4] . ولم يعرف ما يصنع فاحترق بالعطش هو واصحابه . فلما ازداد به العطش وقلق . قام ومضى الى العين ياخذ منها هو والذين معه . ويشربوا . فتطلع الى اسفل الجب . فراى ذلك الصليب يضي [٢٠٥] شبه مصباح نار . فنزع عنه الخوف وملا الما من البير وشربوه فوجدوه خلًا حادقاً جدا . فصرخ قايلًا بالحقيقه صنع المسيح وصليبه فينا اليوم اعاجيب. وللوقت جا الى انبا واكس وقال له انا اعطيك جميع مالي الذي اتيت به معي في الطريق تعطيه للمساكين وتعرفني مكان الصليب حتى امضي واقبّله . وان انت عرفتني موضعه . انا اعطيك نصف مالي[5] . فقال له القس انبا واكس . يا ابني ليس يوخذ مال على موهبة روح القدس[6] . لكن اذا اردت ان تكون كامل قوم وامضي الى اورشليم واسال عن كنيسة القيامه . فادخل اليها فانك تجد الاب كيرللوس[7] هو هناك وجموع كثير من المومنين الذين اتو من كل كوره ليعبدوا الصليب[8] المقدس لانه يوم ظهوره[9] . وانت اذا مضيت اليه هو يعرّفك

١ – كانت الشمس قد غابت كما مر ٢ – لعل ترجمة « واحد » غلط

٣ – وفي ح : « فلم يقدر يشرب شي » ، وهو اصح

٤ – وفي ح : « كالنار الموقود تحتهم » ، وهي زيادة لا مبرر لها

٥ – نظنه يقصد ان يعطيه نصف ماله كله ، اي خلاف ما معه في الطريق ، بعد ان يتحقق عن موضع الصليب

٦ – وفي ح ١٨ : «ليس يوخذ مال عن موهبة الله »

٧ – اكتفى بلقب « اب » مع انه رئيس اساقفة اورشليم، وهو من دلائل نسبة الميمر الى القديس كيرلس نفسه

٨ – وفي ح ١٩ : « ليسجدوا للصليب » ، ولعله أصح

٩ – هذا يدل على انّ الميمر قيل بعد أن اخذ عيد الصليب التقدم على عيد التدشين، اي في النصف الاخير من القرن الرابع فاضطر الرؤساء الى ضم العيدين معاً كما شهدت السائحة اثيريا الاسبانيولية في اواخر هذا القرن

طريق الخلاص وتعاين قوة المسيح وصليبه . وحينئذ[1] اراد القس[2] ان يطيّب قلب السامري ويقوّي [٢٠٦] امانته . اخذ الما الذي ملوه من العين وهو مر . فرشم[3] عليه علامة الصليب فللوقت عاد حلوًا وشربوا منه كلهم بامانة وكانوا جموع كثير يأتون الى القديس انبا واكس ليتباركون منه . فلما راا الجموع يزعجوه جدا مضى واختفى منهم وجا الى يورشليم . فتبعوه الجموع واسحاق السامري والذين معه الى يورشليم .

٤ – كنيسة العين – وهوذا ايضا لا يجب ان نخفي عنكم . ذكروا ان اللذين هم سكان حول تلك العين التي ذكرناها ان القس انبا واكس لما صلا عليها مضى منها الدود والنتن الذي فيها وعاد ماها حلوًا . ولما نزلوا اليها راوا[4] علامة الصليب كمثل مصباح نار وهو يضي جدا . فلما شربوا منه وجدوه حلوًا جدا فتعجبون[5] من ما كان . لانهم كانوا يعرفون ان الما عطن ولم يعرفوا كيف عاد حلوًا . ولولا ان واحد منهم كان يعرف يكتب تطلع فوجد مكتوب فيها هكذا بخط القس انبا واكس . يقول من اجل الما . ان المسيح وصليبه جعله حلوًا لكي يشربوا منه المومنين بشكر . ويكون [٢٠٧] لهم شفا . واما اعدا المسيح الذين لا يومنون بصليبه المحيي المخلص . اذا شربوا منه يكون لهم خلًا حادقًا فلما سمعوا المومنين قول ذلك الذي قرا المكتوب اخذوا من ذلك الما وشربوا فوجدوه حلوًا جدا . وكانوا يتعجبون من علامة الصليب النور الذي كانوا يعاينوه اسفل الما . وهو مثل مصباح نار . واذا ما استحتوا المرضا فيه . بريوا من امراضهم . وهذا الجب كان في حقل يتدوم من حدود فلسطين المدينه[6] . واذا عبرا اعدا المسيح وشربوا منه كان خلًا حادقًا منتنًا في افواههم .

١ – رُسم التنوين في اعلا الذال في النسختين، وهو من دلائل السهو عن اصل واحد

٢ – وفي ح : « القس انبا واكس »

٣ – كلمة سريانية من آثار الترجمة عن هذه اللغة

٤ – وفي ح ٢٠ : « فما نزلنا اليه رايناه »

٥ – وردت على هذه الصيغة المغلوطة في كلتا النسختين

٦ – لم نتوصل الى معرفة هذا المكان . ولاحظ قوله « فلسطين المدينة » وهو اليوم اسم المقاطعة . ولعل اصل الكلمة « عين دوم » فنقلها المترجم السرياني كما وجدها في

واذ كانوا معترفين بالمسيح ويومنون بصليبه المقدس من كل قلوبهم فيعود حلواً بارداً في افواههم . ويشربون منه[1] .

ومن اجل تلك الآية التي هي علامة الصليب التي ظهرت اسفل ذلك الجب وعاينوه كل الجموع يضي مثل لهيب النار ارتدّ جمعا كثيرٌ من المومنين الذي في ذلك الموضع . واجتمعوا[2] الى بعضهم بعض [٢٠٨] بقلب[3] واحد وبنوا كنيسه على جانب ذلك الجب . ودعوا اسمها كنيسة الصليب . وعرّفوا مسكنتي انا الحقير كيرللوس[4] فكرّزتها ونظرت انا ايضا بعيني تلك الايه التي ظهرت اسفل الجب[5] .

٤ ــ شرف الصليب

١ – اهتداء اسحاق – وهوذا قد شرحت لكم ذلك كله بمحبة الله . وقد صرنا نحن كمثل الذي قد نسو القول[6] . من اجل سيدنا يسوع المسيح ومن اجل المكتوب في المزامير . يقول ملك الرب فلتهلّل جميع الارض[7] . وايضا من اجل القول الذي قاله الرب لموسى . اصنع العيد ثلاثه مرات في السنه . وايضا من اجل اسحاق السامري الذي عمدته . هولاي نحن نقراهم لكم

اليونانية « يندوم » لان هذه اللغة خالية من حرف العين

١ – نعتقد ان هذه الفقرة دخيلة كلها، ما عدا ما يختص بجبل يندوم . لان فيها من التكرار والاختلاق والمبالغة ما يجيز نبذها

٢ – وفي ح ٢٠ : «وارتد جمعٌ كثير الى معرفة الاله المسيح وان كثير من المومنين الذي في ذلك الموضع اجتمعوا »

٣ – وردت على هذا الشكل المغلوط في كلتا النسختين

٤ – يذكر نفسه للمرة الثانية مع لقب التواضع « مسكنتي انا الحقير ». وهو من دلائل نسبة الميمر اليه .

٥ – فانت ترى ان الداعي لسرد قصة اسحاق الطويلة هو التخبير عن اعجوبة تحلية اثاء بصليب مركب من عودين وبنا. كنيسة الصليب على جب جبل يندوم . وهو من دلائل نسبة الميمر الى القديس كيرلس الذي تعود الخروج عن الموضوع .

٦ – اعتذاره الى السامعين ينفي تزوير الميمر باسمه كما سبق القول

٧ – يعود الى ربط الكلام بالآية الاولى

ونكمل لكم القول بارادة الله ومجد صليبه[1]. هذا الذي نحن نعيّد له اليوم[2]. والذي ارتفع عليه يسوع المسيح .

فكان لما دخل اسحاق السامري الى يورشليم سال للوقت عن مسكنتي انا كيرللوس[3] فعرفه رجل شماس اني في كنيسة [٢٠٩] الصليب[4] اصنع العيد . فقال له اسحاق . هل تقدر تمضي بي اليه لاتبارك منه . لاني ليس انا نصراني بل سامري . ومن اجل اني رايت في الصليب قوات عظيمه وبرهان صنعت هذا . وللوقت جا ذلك الشماس وعرّفني . وامرته ان ياتي به اليّ . ثم قلت له[5] امضي واتي بهذا الخروف الضال الذي وجدته الى الكنيسة ليسمع كلام الله . واذا ما ظهرت توبته لكل احد نحن نعمده . وان ذلك الشماس مضى اليه ودعاه قايلًا تعال وادخل الى الكنيسه لتعاين قوّة الصليب المقدس . فترك اصحابه في موضع داخل الكنيسه[6] . وجا فراا مجد عظيم . وجميع الناس حاضرين بلباس حسن . فاضطرب واراد ان يهرب ويمضي من الكنيسه . لولا ان ذلك الشماس قوّا قلبه قايلًا لا تخاف فان يسوع يقبلك . ومكث يسمع كل الذي قاله له . وكان الاب انبا كيرللوس في ذلك الوقت يعظ الشعب . [٢١٠] وهو يقول القول الذي من كتاب حزقيال النبي اذ يقول . قال الرب الاله ضابط الكل . اني لا احب موت الخاطي حتى يرجع . وايضا من الانجيل ان فرح عظيم[7] يكون في السما بخاطيا واحد اذا تاب[8] . فلما سمع اسحاق السامري هذا

١ – لعله يريد ان يقرأ آيتي الكتاب المقدس ويشرحها ويلحقها بقصة اهتداء اسحاق السامري من اعجوبة الصليب . وهو البرنامج الذي وضعه لهذه العظة

٢ – هذا ايضاً يثبت ان الميمر تلي في حفلة ارتفاع الصليب

٣ – يذكر نفسه للمرة الثالثة مع لقب التواضع « مسكنتي »

٤ – في معبد الصليب في كنيسة القيامة التي تضم مكان القبر والجلجلة

٥ – وفي ح ٣٢ : « واني بدّيت قايلًا له »، ولا داع لهذه الزيادة

٦ – اي انه جاء الى معبد الصليب حيث كان يعظ القديس كيرلس

٧ – وردت ايضاً في ح : « فرحاً عظيم »

٨ – هذه الفقرة ، من كلمة « وكان الاب » حتى هنا هي بلا شك حاشية دخيلة . فدليل الكلام عن القديس كيرلس كشخص ثالث

القول . تباعد عنه الخوف وتشجعت نفسه . وكان يتأمل الكلام الذي يسمعه ويفهمه جيداً ويقبله بحرقة قلب . وكان يعمل فيه مثل النار . ويقطع مثل السيف القاطع . كمثل ما قيل في النبي القايل . قال الرب هوذا اعطيك علامه فيك كمثل نار حتى تحرق في خشب .

٢ – التجسد والصلب – والان نكمل[1] تاويل الكلام من اجل المكتوب في مزامير داوود اذ يقول ملك الرب فلتتهلل جميع الارض. اما الملك وعظمة علوه. فهو الابن الوحيد الذي لله الاب . لكنه لبس الاتضاع وجا الينا واخضع العدو الذي كان قد تعظّم . ليس [٢١١] كمثل قاتله قتله[2] . بل تركه مربوط الى حين تمام فعله . فلما تم الحد الذي وضعه . والميعاد الذي جا بسببه كمثل ارادته مع ابيه. ليُصلَب من اجلنا ويموت ويقوم من بين الاموات في يوم الثالث. ويسبي الجحيم . ويصعد السبي معه الى عند ابيه . فصرخوا اجناد الملايكه قايلين ملك الرب في العود . ملك الرب فلتفرح السما وتبتهج الارض . لانه رحم شعبه وخلصهم من سبيهم . ملك الرب ولبس القوه . وتردّا بها . يعني هذا الجسد الذي اخذه من مريم العذرى ولبسه وجعله واحد مع لاهوته[3] . وصعد به معه الى السموات . وجلس عن يمين الله الاب على كرسي مجده . ولبس القوه وتجلل بها . يعني الصليب المقدس . ومضى به معه الى العلا . وهو ايضا ياتي به معه في ظهوره الاتي . اذا جا ليدين الاحيا والاموات . والابرار والاشرار . فينظرون الذين يامنون [٢١٢] بالصليب وهم ماشيين والملايكه حاملين الصليب كمثل العلام[4] قدام الملك

١ – يعود هنا الى ضمير المتكلم بدلاً من الغائب مما يرجح ان الكلام الذي سبقه تابع للفقرة الدخيلة لاسيما انه بمعناها

٢ – وفي ح ٢٦ : « ليس كمثل قاتل قتله » ، وهو اصح . وهو يعني ، كما نظن ، ان المسيح لم يقتل الشيطان بل تركه مربوطاً

٣ – هذا يدل على ان الواعظ غير تابع لبدعة الناطرة الذين ينكرون اتحاد لاهوت المسيح بناسوته

٤ – وفي ح ٢٥ : « الغنم » ، وهو أصح . ولعله يشير الى العلم الذي رسم عليه قسطنطين حرفي اسم المسيح الاولين يعلوهما صليب . وهو المعروف باسم labarum راجع كابرول ٣ :

فان قال قايل لماذا صلبوه ولماذا يأتوا بالصليب الى موضع الحكم . قيل له . انه من اجل اليهود[1] القليلين الايمان . الذين لا يومنون بصليب يسوع المسيح . ليلا يظنوا ويفكروا[2] من هو الاتي ليدين الاحيا والاموات . هو حقاً ياتي بمجد ابيه وملايكته . وتظهر علامه الصليب .

٣ – خروف الجلجلة ــ وهو رجانا في كل اعمالنا . الصليب هو معموديتنا . واذا لم يرشم الانسان الما باصبعه[3] مثل الصليب . ليس تحل عليه روح القدس . الصليب هو يطرد الارواح الارواح النجسة ويخرجهم من الناس . الصليب هو يجعل الانسان جديد دفعةً اخرى . اذا جعل رشم الصليب في جبهته بزيت المعموديه[4] . الذي هو عربون[5] ملكوت السموات . فيعود جديد دفعةً اخرى .

ولكن يا احباي . انا ارا الوقت قد اقترب[6] . والجمع الذي اتوا [٢١٣] الى العيد يريدوا يسمعوا تمام القول الذي قاله الرب لموسى[7] ان يعيّدوا[8] له ثلاثه دفعات في السنه . اذ يقول له في الرابعشر من الشهر الجديد الذي هو يرموده[9] . في الرابعشر من الهلال امر موسى ان ياخذ الكبش كامل بلا عيب ابن سنه

---

١ – [illegible]

٢ – لاحظ اهتمام الدائم بأمر اليهود الذين كانوا موضوع آمال الكنيسة في بدء نشأتها . وهو من دلائل انقاء الميسر في فلسطين

٣ – حل الاصل : « يشكوا »

٤ – في ح : « يعيد » . وهذا تعريب الماء والتبرك به نشأت في اوائل الكنيسة . راجع معجم ق كان ٣ : ٣٥٦ و ٣٥٩

٥ – استعمال زيت المعمودية يرجع الى القرن الاول المسيحي . وقد كان سرّ التثبيت [illegible] عن امر التعميد كما هو جاري الآن عند اساقفة الشرقيين . راجع معجم كابرول ١٦٨٦ : ٦ و ٦ : ٢١٧٠

٦ – وفي ح : « اركون »

٧ – يشير الى الخروج الواقع في اورشليم خضور حفلة ارتفاع الصليب . ولعل احدهم [illegible] خروجه عن الموضوع وطلب اليه اتمام شرح الآية المتعلقة بالعيد . وهو مما ينفي التزوير والتمييز كما قلت

٨ – في ح : « ان عيّد يه »

٩ – شهر نيسان عند الاقباط

فيدنجه ويلطخ عتبات بيته[1] بدمه ليلا ياتي المفسد فيفسد ابكارهم . فاما نحن جميع النصارى . فقد ذُبح الخروف الذي بلا عيب يسوع المسيح سيدنا من اجلنا . هذا الذي ولدته السيده الطاهره العذرى مريت مريم[2] . هذا ذُبح على الصليب في شهر برموده[3] في الرابعشر من الهلال على حجر الجلجلـه . وطعن جنبه في حربه[4] فخرج منه ما ودم . هو الذي لطخ دمه به . هوذا ملطّخ على حجر الجلجله . ولا يفنى ذلك الدم الى الابد . معيره وتوبيخ لليهود الغير مومنين بالله[5] . واما نحن ايضا معشر النصارى اخذناه ولطخنا به عتبات بيوتنا الذي هي [٢١٤] افواهنا وشفاهنا . لما اخذنا من دم الخروف الكامل . الذي بلا عيب يسوع المسيح . وشربنا منه واكلنا من جسده نجونا من الفساد . وقدرنا ان نطا على الشيطان . وجميع افكاره الشريره .

٦ – القيامة والنصره – واين وضعوا جسد الرب هوذا هو موضوع[6] في قبره في هذه الكنيسة التي نحن نعيّد فيها اليوم[7] . ومن هو الذي اقامه من بين الاموات . ليس يستطيع احد يفحص عن هذا السر ولا يعرفه . الا الاب وحده الذي اقامه من بين الاموات . كما قال في المزامير . استيقظ[8] الرب كالنايم وكمثل الجبار الفايق من سكره . ومن الذي لقيه اولًا ولمن ظهر[9] . الا لمريم لمجدلانيه ومريم اختها التي هي امه[10] . التي ولدته بغير رجل . وطلقت به

---

١ – في ح : « بيوتهم » ، وهو أصح

٢ – هذا مدمه اي السيدة مريم وفي ح هذا مدمه بدلًا من هذا مدمه اي « سيدتي مريم » وهو من آثار التعريب عن السريانية ودليل على ان المعرب سرياني وليس قبطيًا

٣ – في ح : « بيان »

٤ – في ح ٢٧ : « محربه » ، وهو اصح

٥ – يعني دائمًا ما يدل اليهود مما يدل على ان المسيح ألقي في فلسطين كما سبق القول

٦ – لعل الاصل « هو كان موضوعًا » فسقطت كلمة « كان »

٧ – اشارة صريحة الى كنيسة القيامة وعيد ارتفاع الصليب

٨ – في ح : قام

٩ – في ح : « من الذي لقيه اولًا ولمن ظهر اولًا »

١٠ – لعله يريد اختها بالاسم او ان هناك تحريفًا من احد السريان استنادًا الى تقليد سرياني قديم

وولدته من غير عُسر الولاده . وربّته بغير اهتمام[1] ولا تعب. واقام اربعين يوماً يظهر للرسل ويأكل ويشرب معهم .وبعد ذلك اوعز اليهم[2] قايلًا امضوا الى العالم كله . وعلّموا الامم كلهم [٢١٥] وعمّدوهم باسم الاب والابن وروح القدس.واوعدهم انه مرسل اليهم الفارقليط[3] روح القدس. يوم البنطيقوسطي[4] اخر الخمسين . اليوم الذي قال الرب لموسى اخرج انت وامراتك واولادك وبهايمك وعبيدك والمشترين بفضتك . وكل شيأ لك لان عيد البنطيقوسطي هو عيد عظيم مكرّم . وهو اليوم الذي حل فيه روح القدس على التلاميذ كمثل انسان اخر حكيم ويمضي الى حقله وينقي منه السنط[5] والشوك الذي يطلع فيه . وبعد ذلك يزرع فيه الزرع بيد سمحه ويحرثه بالمحراث وينظر الى زمان الشتى لياتي المطر عليهم[6] ويطلعوا وينموا ويعودوا زرعاً صالحاً من اجل ريح الندا الذي نزل عليهم من السما . من عند الله . هكذا سيدنا يسوع المسيح مع هولاي الابا الاطهار . الذين هم الابا الرسل . طهّرهم ونقاهم من كل دنس وكل غش الى البنطيقوسطي وارسل عليهم الفارقليط روح القدس روح الحق . وملاهم بكل معرفة . ونطقوا بكل لغة[7] غريبه لا يعرفوها . وصنعوا [٢١٦] قوات عظيمه وعجايب كثيرة مثل ما صنع الرب . فواحدًا صنع مايه . وواحدًا صنع ستين وواحدًا صنع ثلاثين.

هذا هو الزمان الذي نفرح فيه يا احباي . كما امر الرب . وليس ذلك

---

١ – لعله يريد « بغير همّ »

٢ – في ح ٢٨ : « اوما »، ونصنا اصح

٣ – حسب اللفظ اليوناني لان الفا في السريانية تعبّر عن البا اليونانية المشددة. وفي ح : « البارقليط » حسب اللفظ العربي

٤ – عن اليونانية، وفي ح : « النصره »

٥ – نبات خاص بالقطر المصري، وورود اسمه هنا دليل على ترجمة الميمر في هذا القطر

٦ – قلنا ان المطر نادر في وادي النيل ولا يعتمد عليه في الزراعة بل على ماء النيل . وهذا ينفي تأليف الميمر في هذا القطر وان تُرجم وعُرب فيه

٧ – وردت ايضاً على هذا الخطأ في ح ٢٩

بكثرة موكول ولا بكثرة مشروب . ولا بكثرة غنا[1] . الا بكثرة تسابيح وبكثرة مزامير نزتل قايلين[2] لنقدم له بالشكر ونهلل لـه بالمزامير . لانه هو الاهنا . ونحن شعبه وغنم رعيته . ولما صعد ايضا الى ابيه وجلس عن يمينه[3] . صرخوا اجناد الملايكه قايلين ملك الربّ على جميع الامم[4] الله القدوس جلس على كرسيه . واما قول الرب لموسى عيّد لي ثلاث دفعات في السنه . ايمـا هو العيد الذي يشاكل عظم منزلت هذا العيد يا احباي . هذا الـذي هو في اول شهر من شهور السنه . الذي هو عيد ظهور الصليب[5] .

٥ – عجائب الصليب

١ – اخفاء الصليب – وهوذا نحن نوضح لكم السبب ونعرّفكم لماذا نعيّد لكم الصليب المقدس[6] . وذلك من اجل ان اليهود الـذي [لا] يومنون[7] بالله كذبوا بقيامته[8] . وقالوا انه لم يقوم من بين الاموات . لكن تلاميذه جاو ليلًا [٢١٧] وسرقوة ونحن نيام . ولم يقدروا بمؤامرتهم السو وافكارهم الرديه يخفوا مجد الصليب .

وهوذا ابيّن لكم القول كما عرّفنا نيقوديموس ويوسف الرامي من اجل

١ – اشارة الى عادات الوثنيين التي كانت لا تزال قائمة في القرن الرابع

٢ – وفي ح ٢٨ : ولا بكثرة مزامير ... وهو خطأ . ولعل اقتصاره على التسابيح والمزامير دلالة على القديمة لان المزامير كانت تؤلف في العصور الاولى القسم الاكبر من الصلوات اليومية جريًا على عادة اليهود

٣ – وفي ح : « يجلس »

٤ – لاحظ رجوعه الى الآية الاولى ليوضح قسم مبشره ما وبعد شرحه في المقدمة عن التعييد ثلاث . ولعل اخذه في تعظيم هذا العيد دليل على حداثته لانه كان جزءًا من عيد القديسين فاستقل عنه في اواخر القرن الرابع . كما قلت . مما يصبح دليلًا على عهد الفقه الميمر

٥ – كانت السنة تبدأ بايلول ثم حمل هذه السنة الكنسية في شهر تشرين الاول وهو باقٍ في الكنائس السريانية . وهو من دلائل قدم الميمر .

٦ – في ح ٣٠ : « ونعرفكم لماذا عيد لكم اليوم عيد الصليب المقدس » وهو اصح

٧ – اخذنا كلمة لا عن ح . وقد اهملت سهوًا في نسخة ب لان الناسخ ابقى لها بياضًا

٨ – وفي ح : « كذبوا قيامة الرب » وخطأ اصح

غضب اليهود على تلاميذ المسيح . وصليبه المقدس . لانه كان في قلوب اليهود الذي صلبوا المسيح شرًا عظيماً . من اجل خشبة الصليب يريدوا يحرقوها من بعد قيامته من بين الاموات .لانها كانت مغروسه في موضع كان صلب فيه[1] . فلما اهتدا ذلك السجس بقليل قليل لان تلاميذ الرب كانوا مختفين من اليهود. فقال يوسف لنيقوديموس قم الان لناخذ الصليب ونخفيه[2]. ليلًا يصنعوا الذي قد توامروا به . فقاموا ليلًا ومضوا الي الجلجلة فوجدوا عود الصليب واللوح الذي كان بيلاطوس[3] كتبه والمسامير الذي كانوا في يديه ورجليه[4] اخذوهم سرًا مع الذي كانوا للص[5] فاخفوا الجميع ولم يقدروا يدخلوا بهم المدينة من اجل خوف اليهود[6] . فقال يوسف لنيقاديموس ناخذ الان الخشبة [٢١٨] ونقطع من اسفل الصليب[7] . ونتركه داخل القبر الذي وضعنا[8] جسد الرب فيه لانه لي . وانا لم اضع احد فيه قط غير جسد الرب يسوع . الذي قد قام من بين الاموات . وللوقت[9] وضعوهم داخل القبر لانه كان قريب من الموضع الذي

---

١ – اي الجلجلة مما يفيدنا ان الصلبان لم ترفع منها حالًا بعد موت المسيح ودفنه

٢ – وفي ح ٣١ : « لان تلاميذ الرب كانوا مختفين من اجل اليهود. قام يوسف الرامي وجاء الى نيقوديموس وقال له هوذا اليوم قد توامروا من اجل صليب المسيح ليحرقوه قوم الان حتى ناخذه ونخفيه »

٣ – في ح : فيلاطوس حسب اللفظ اليوناني وطريقة كتابته بالسريانية

٤ – هذا يعني ان المسامير خبئت مع الصليب . انما لا يأتي المبشر بذكرها عندما يصف اكتشاف الصليب اما الاساطير السريانية فتدّعي انها اكتشفت بعدئذ في الجلجلة نفسها في النقطة التي عثر فيها على الصليب ، كما مر بك . وهذا يدلك على اختلاف رواية مبشرنا عن رواية الاساطير المذكورة

٥ – يعني للص اليمين والاصح « اللصين » كما جاء في صفحة ٢٤٢ في الكتابة التي تركها نيقوديموس ويوسف الرامي حيث يقولان « رفعنا صليب يسوع واللصين » .

٦ – كل ما جاء هنا معقول طبيعي لا مبالغة فيه ولا تناقض

٧ – كي يمكنهم ادخاله مع الصليبين الآخرين في مغارة القبر لا في التابوت نفسه لانه يضيق عنها

٨ – في ح : « وضعوا » ونصنا اصح لان يوسف ونيقوديموس توليا دفن المسيح

٩ – في ح : « جسد يسوع وهوذا قد انبعث من بين الاموات وللوقت . . .

كان صلب فيه ودحرجوا الحجر على فم القبر ومضوا وتركوه[1] . ولم يعلم احد ما صنعوا . الى زمان عظيم[2] .

وكانوا التلاميذ يمضوا في كل يوم الى القبر في الليل يصلّوا في خفيه . وكانوا يمضوا بالمرضا فينالوا الشفا بيسوع المسيح . وصليبه المقدس . حتى ان الشياطين الذين في الناس اذا لمسوا القبر يصرخون قايلين يسوع ينتهرنا[3] وهو في الجسد وهو ايضا لما صلب هوذا صليبه يعذبنا ويتعبنا . ويطردنا من الاجساد التي نحن ساكنيها .

٢ - اكلاوبا — واسمعوا ايضا هذه الاعجوبه الاخرى الذي حدثنا بها ساداتنا الابا الاولين . كان في اورشليم في ذلك الزمان انساناً يهودياً اسمه اكلاوبا وكان موسراً جدا . وكان مقعداً . لم يمشي قط على رجليه . ولم [٢١٩] يقدر يركب دابه قط . وكانوا يرفعوه ويمضوا به الى المحمل الذي كانوا يحملوه فيه[4] . ويمضوا به الى المكان الذي يريد يمضي اليه . وكان ذلك الرجل لم يمضي قط الي موضع موامرة اليهود المنافقين الذي صلبوا رب المجد من اجلنا . وهذا الرجل اكلاوبا كان اوصا عبيده قايلاً . لا تشتركوا مع اليهود قليلي الايمان في ما يعملوه . هولاي الذين يريدون ان يقتلون[5] يسوع الناصري من اجل حسدهم وبغضهم[6] . انا ايضا اعلم انه ابن الله على ما ثبتت به الانبيا . ومريم اختنا هي التي ولدته . بروح القدس تلك الذي تدعا ابنة يواكيم اخواني بالجسد[7] .

---

١ - في ح ٣٢ : « تركوها »

٢ - هذا ينبئ على انها رفعا الصلبان الثلاثة معاً ليخفيا معالمها وبرفعا الشك عن التلاميذ في الغاية من اخفائها . لانها لو اقتصرا على صليب المسيح لعرف اليهود ان تلاميذه قد اخفوه .

٣ - في ح : « كان ينتهرنا » وهو الصحيح

٤ - في ح : « الى المحمل الى الما ليحملوه » وهي دخيلة لا محل لها . ولعلها خطأ وقع فيه الناسخ لسوء فهمه ما يُملى عليه لان كلمات « الى الما ليحملوه » قريبة من كلمات « الى المحمل ليحملوه » وهذا يدل على ان معلمه الحبيس ميخائيل او غيره املى عليه ما كتب

٥ - وردت على هذا الخطأ في كلتا النسختين

٦ - وفي ح : « ونعيم »

٧ - وفي ح : « تلك الذي تدعا ابنة اكلاوبا الذي يسا يواقيم اخواني بالجسد » ، وترجح

وانا اومن انها لم تعرف رجلاً قط . بل روح القدس حل عليها ببشارة الملاك لها .

٣ – موت ابنه – وكان لهذا الرجل الصديق اعني اكلاوبا ولد وحيد اسمه اغروقوس[1] . فمرض مرض موته . واقام ايام قليل ومات . فدعا اكلاوبا عبيده . وقال لهم امضوا فاتوني برجل ينحت الحجار حتى يصنع لولدي [٢٢٠] قبر من الحجر بجانب مقبره يسوع الناصري . لادفن ولدي فيه . واذا مُت انا ادفنوني فيه . فصنعوا كما امرهم اكلاوبا وجابوا الصانع وعمل القبر . وبينما اغرقوس[2] ابن اكلاوبا في الحياه تنيّح بعد يومين[3] . وكان ذلك يوم السبت . فلم يقدروا يمضوا بجسده الى القبر لكيلا يحلّ السبت . فلما كان الغد الذي هو اخر السبوت خرجوا به الى القبر[4] . وهو محمول على نعش . ورفعوا ابوه على المحمل وهو خلفه يبكي وينوح . بحزن عظيم . فلما وصلوا الى مقبرة سيدنا يسوع المسيح وضعوا جسده على الارض واجلسوا والده بجنبه .

وكان ينوح عليه باكياً وهو يقول[5] . يا ولدي الحبيب ليت هذه الايام الذي كان يسوع الناصري على الارض يقيم الموتى . فكنت امضي اليه واسأله لياتي ويقيمك لي لانه قد اقام اخرين وهوذا هم معنا اليوم احيا . اقام عنه ابنه

ان روايتنا اصح . وقد اختلف الرواة في هوية اكلاوبا المذكور وذهب بعضهم الى انه اخو القديس يوسف خطيب مريم والدة المسيح . وهو حسب رواية سيرتنا عمها اي اخو والدها القديس يواكيم . والتقاليد كلها تتفق على انه من اقارب مريم العذراء . راجع هذا الاسم في معجم الكتاب المقدس للاب فيگورو

١ – وسيرد بعد قليل « اغرقوس » وكلاهما يونانيان . ونصهما ترجمة اسمه العبراني فابقاه المترجم السرياني كما وجده في الاصل اليوناني الذي نقل عنه . وهو من دلائل الترجمة عن هذه اللغة

٢ – [illegible] بنقطة فوق الجيم وفي ح ٣٦: [illegible] أي اجرقوس بالجيم المصرية

٣ – يعني ان اكلاوبا اوصى بعمل القبر لما رأى ابنه مشرفاً على الموت

٤ – وفي ح: « فلما كان الغد الذي هو يوم الاحد » . ونرجح انه الاصح وانه تصحيح المشرف على النسخة . لان كلام المبسر يعني ان اغرقوس توفي يوم الجمعة ولم يكن لهم متسع من الوقت ليدفنوه في ذلك اليوم لان السبت يبدأ مساء الجمعة . ولا يعقل ان يخرجوا به بعد مساء السبت

٥ – وفي ح: « نوحا عظيماً ويقول »

يايرس رييس الجماعه . واخو والدتك[1] . واقام العازر ابونا من بين الاموات[2] . ولكن يا ولدي الرب يسوع المسيح يقبلك في ملكوة [٢٢١] السموات .

٤ – قيامة ابنه وشفاؤه – وبينما كان اكلاوبا يقول هذا بامانه قويه . فللوقت خرج من مقبرة يسوع المسيح رايحة بخور طيب . ورااا بعينه شبه صليب النور قد خرج من المقبره وحل على سرير ذلك الميت . فنهض للوقت جالساً . فلما علم ابيه[3] ان ولده قد قام وثب من الفرح ونهض قايماً على رجليه . وعاد كمثل من لم يحزن قط . فوقع على اليهود للذي كانوا معه خوف عظيم . لانهم رااو الميت قام من الموت . ونهض جالساً . وابوه كان مقعداً فصار يمشي ويجري[4] . ونزعوا عنه اللفايف فنهض قايماً بينهم . فقالوا له من هو الذي اقامك . فقال لهم رجل من نور خرج من هذه المقبره . وهو حامل صليب نور[5] ووقف عليّ واقامني . وهوذا أنا قد حييت دفعةً اخرى وانتم تروني . وكانوا ايضا يقولون لابوه كيف قدرت تمشي . ومن هو الذي ابراك . فصرخ بفرح عظيم قايلاً الذي اقام ابني من الموت . هو الذي ابراني[6]

٥ – اعتماده – ومسك بيد ابنه ودخلوا الى المدينة بفرح يسبّحوا [٢٢٢] الله ويباركوه[7] . وهم يصرخوا قايلين عظيم هو مجدك وقوتك يا يسوع الناصري . وانت ايضا جعلت لك القوه والبرهان في الصليب المقدس المعطي الحياه لكل

---

١ – وفي ح : يزيد « وهوذا هو ايضاً اليوم في الجسد »

٢ – اذا كان بني والده فيكون العازر جد مريم العذراء ويكون باقياً على قيد الحياة في وقت هذه الاعجوبة

٣ – وردت ايضاً على هذه الصيغة المخطوطة في ح ٣٥ : مع ان « ابوه » شائع في كلام العامة . وهو من دلائل نسخ الاثنين عن مصدر واحد

٤ – تعبير مصري بمعنى ركض كما قلنا وغير دارج في لبنان حيث نسخت المخطوطتان

٥ – تظهر هنا عناية القديس كيرلس من ايراد هذه الحكاية الطويلة اي وصف العجائب التي ظهرت على قبر المسيح لاخفاء الصليب فيه والتي حركت اليهود على رومة

٦ – في ح ٣٦ : « الذي اقام ابني من بين الاموات وهوذا اليوم الرابع من حيث مات هو الذي ابراني »

٧ – في ح : يزيد « ولابنه الوحيد يسوع المسيح ربنا »

من يومن به . موضع حزن[1] اعطيتني فرحاً وتهليل . وصار لي في ذالك فرحين. قيامة ولدي وعطيتي الشفا[2] . وكان الشعب كلهم قيام يسمعوا قولهم وما كان منهم . وبقوا متعجبين من ذلك . لان اكلاوبا عُطي الشفا من مرضه . وابنه قام من بين الاموات.

فامر ان ياتوا الى منزله بالارامل والايتام . وصنع لهم وليمه عظيمه . وفرّق عليهم مال كثير في ذلك اليوم. وعتق عبيد . ومضى هو وولده واهل بيته الى الرسل فعمدوهم باسم الاب والابن وروح القدس . وعادوا مختارين يبشّروا بالمسيح وصليبه[3] المقدس . واما اليهود لما عاينوا هذه الايه . امنوا بالرب يسوع المسيح.

---

١ – في ح: «حزننا»

٢ – تركيب يوناني ، وفي ح: «ووهب ايضاً لي الشفا»

٣ – سقطت من نسخة حلب الورقة الحاوية لحكاية ردم القبر اي من كلمة «المقدس» صفحة ٢٢٢ حتى قوله «ويسألون ان يشفق عليهم» من صفحة ٢٢٤

(له صلة)

الفنيقيون بين الفرس واليونان*

بقلم الامير موريس حافظ شهاب
امين دار الآثار اللبنانية

مصر وبابل

بعد ان سقطت نينوى في السنة ٦٠٨ ق.م. قُسمت المملكة الاشورية القديمة بين شعبين هما الميديّون والبابليون.

وكان من نصيب سورية وفنيقية ان تتعلقا بمملكة البابليين. الّا ان نخاو، الفرعون المصري من الدولة السادسة والعشرين، رأى ان يغتنم تلك الفرصة فيعيد بسط السيادة المصرية على البلاد السورية. ومما دفعه الى ذلك تذكار المصايب التي انزلتها بمصر الغزوة الاشورية، فعزّز فيه النزعة الى الاخذ بتقليد الفراعنة السياسي الا وهو أن يجعل بين مصر والبلاد المجاورة حاجزًا قويًا تقوم به المناطق السورية والفنيقية.

وكان قد تقدم نخاو علاقات متينة مع الفنيقيين، اذ كلّفهم ارتياد شواطئ افريقية. فسار الفنيقيون من البحر الاحمر، وداروا حول افريقية وعادوا مارّين بمضيق جبل طارق، فالبحر المتوسط. وقد اقاموا ثلاث سنوات في رحلتهم هذه. وقطعوا رأس الرجاء الصالح قبل فاسكو دي گاما بعشرين قرنًا. ولكن، لسوء الحظ، لم يكن لهذه الرحلة الاستكشافية من نتيجة.

وكان لاحتلال المصريين سورية وفنيقية تأثير مقلق في بلاط ملك بابل. فعقد هذا لابنه نبختنصر الشهير على جيش عظيم وارسله لمهاجمة نخاو. فنشبت معركة بين الجيشين في شمالي سورية قرب كركميش، المدعوّة اليوم جرابلس، على الفرات. فكسر المصريون شرّ كسرة وتراجعوا منخذلين تاركين سورية بين يدي نبختنصر.

---

*) مادة محاضرة من محاضرات «معهد الآداب الشرقية»، في فرع «علم الآثار القديمة».

فتحولت اذ ذاك سياسة الفرعون من الغزو الى الدس السياسي ، فاعمل على اثارة ملوك فنيقية ويهوذا على الحكم البابلي . وقد نجح في عمله هذا . على ان نجاحه لم يطل . فان نبختنصر لم يكد يرقى عرش بابل حتى اعاد الكرة فاستعاد فنيقية ، وخلد ذكر غزوته بنقش تلك الآثار التي لا تزال شاهدة حتى ايامنا في صخور نهر الكلب ، وفي وادي بريصا قرب بحيرة حمص واثر نبختنصر في نهر الكلب هو الصخر المنقوش القائم على مستوى الطريق الحالية .

ثم ان نبختنصر سيّر احد قوّاده على صيدون فاحتلّها ، واقام الحصار على صور فضيّق عليها . وزحف على مملكة يهوذا فاحتلّ اورشليم سنة ٦٠٠ . على ان الاسرائيليين ثاروا على الحكم البابلي ، فدُفع نبختنصر الى اعادة الكرة مرّتين ، فجلاهم اخيرًا عن اورشليم وحملهم مع ملكهم الى بابل .

الّا ان سلطان بابل لم يدم طويلًا في بلادنا . فقام خليفة الفرعون نخاو ، واسمه أبريس ، بمحاربة البابليين ، ولم يلبث ان ظهر على جيش نبختنصر ، فاحتلّ صيدون وجبيل وسائر المدن الساحلية .

وعليه فاننا نرى فنيقية ، وصيدون خاصّة ، موضوع النزاع الدائم بين المصريين والبابليين في النصف الاول من القرن السادس . فكان اسطولها يقوم تارةً بخدمة الاوّلين وطورًا بخدمة الآخرين .

ظهور الفرس

على ان المملكة البابلية لم تعش طويلًا بعد موت نبختنصر . فان الفرس زحفوا بقيادة احشورش فاجتاحوا مملكة الميديين ومملكة البابليين واحتلّوا عاصمة هؤلاء سنة ٥٣٨ . فكانت النتيجة ان جميع البلاد الخاضعة لهاتين المملكتين دخلت حتماً في حكم الفرس . ويذكر هيرودوتس ان الفنيقيين خضعوا للفرس بملء ارادتهم . وقد تجاوزت سلطة ملوك فارس هذه البلاد الى مصر فاحتلّها قمبيز بن احشورش . ثم شاء ان يحارب القرطاجيين « فامر جيشه البحري بالسير الى قرطاجة . ولكنّ الفنيقيين أبوا القيام بهذا الامر لانهم كانوا متفقين مع القرطاجيين بالأيمان المعظّمة ، فضلًا عن انهم كانوا يتعرّضون لاقتراف الاثم

بمحاربتهم ابناءهم لانّ مؤسس قرطاجة من الفنيقيين. امّا وقد رفض الفنيقيون السير لمحاربة قرطاجة فلم يكن بمقدور ما تبقّى من الاسطول ان يقوم بهذه الغزوة البحرية ...ولم ير قمبيز من العدل ان يجبر الفنيقيين على ذلك لانهم كانوا قد خضعوا له بملء ارادتهم ، ولانهم كانوا يكوّنون قوة الجيش البحري بكامله . » (هيرودوتس ٣:١٩) .

هذا ما يفيدنا اياه مؤرخ من اواخر القرن السادس ؛ واذاً فانه يكاد يكون معاصراً للحوادث التي يرويها . ومنها نستخلص نتيجتين مهمّتين : اولاهما ان الفنيقيين خضعوا للسلطة الفارسية بملء ارادتهم ، وثانيتها ان الفنيقيين كانوا يكوّنون قوة الجيش البحري الفارسي بكامله.

وهو معروف ان سلطة البحار في اوائل الالف الاول كانت في ايدي الفنيقيين ، وان اسطولهم كان اغنى اساطيل العالم ، اذ ذاك ، واجرأها واعظمها بطشاً .

ثم ان الفرس بتكوينهم بلاداً حسنة التنظيم ، وافرة الازدهار ، ميّالة الى مظاهر الترف وآثار الفنّ ، فتحوا امام حلفائهم الفنيقيين مجالاً واسعاً للتجارة البرّية في الداخلية ؛ كما انهم بدخولهم مصر وآسية الصغرى ، اوجدوا لهم طرقاً جديدة للتجارة البحرية في السواحل .

بين الفرس واليونان

عمل الاسطول الفنيقي

هذا وان يكن من منفعة للفنيقيين في اتحادهم مع الفرس ، فقد كان لهؤلاء ايضاً منفعة في ذلك الاتحاد . كانت بلاد فارس الواسعة بحاجة ماسّة الى اسطول ، ولا سيما انه كان في هذه البلاد مناطق كثيرة يسكنها اليونان،فيقوم يونان الياونيز واثينة وما اليها باثارة المشاكل والدسائس السياسية بين اخوانهم في بلاد فارس .واننا نرى اهمية الاسطول الفنيقي عندما يتسع الخلاف بين الفرس واليونان فتبدأ تلك الحروب المشهورة في التاريخ «بالحروب الميدّية» ، عند ذاك يشعر الفرس بفضل الاسطول الفنيقي في مساعدتهم على نقل جيوشهم من منطقة

الى اخرى، وعلى معاونة جيش اليونان البحري.

وقد عرف له هذا الفضل داريوس اذ استعان به في نقل جيوشه الى بلاد اليونان. وذاك ان داريوس بعد ان احرق سارده في آسية الصغرى اراد الزحف على بلاد اليونان بطريق البرّ، ورأى ان يجتاز البوسفور ويسير حتى اثينة. ولكن الخطّة لم تفده سوى تكثير اعدائه. فان الشعوب التي كان يزعجها في مسيره كانت تتألب عليه متفقة مع خصومه الاصليين. فانصرف عن خطّته هذه، ورغب الى الفنيقيين، سنة ٤٩٠، في نقل جيشه الضخم الى بلاد اليونان. ولكنه لم يُفلح هنا ايضاً. لان الجيش الاثيني اظهر، على قلّة عدده، من الشجاعة والمهارة في الاعمال الحربية، ما جعله ينتصر على جيش داريوس الضخم في سهول ماراثون انتصاراً باهراً حتى لم يبقَ للفرس الّا الرجوع، كما اتوا، بطريق البحر.

وكان لأحشورش بن داريوس، ان يأخذ بثأر ابيه فيغسل العار الذي علق بالجيوش الفارسية. فجمع جيشاً بحرًا، واجتاز الهلسبنطس، او الدردنيل، على جسر من السفن، واكتسح تراقية حتى وصل الى مجاز ترموبيل حيث كان ينتظره لاونيداس الاسبرطي في عدد قليل من رجاله. وهنا يزعم المؤرّخون ان احشورش ارسل يقول للاونيداس: « اطرح سلاحك! » فاجابه البطل الاسبرطي: « تقدّم فخذه! »

ثم نشبت المعركة فاظهر لاونيداس ورجاله شجاعة نادرة لم تفدهم الّا الذكرى الحسنة. لان احشورش انتصر عليهم فاجتاز ذاك المضيق الى اثينة فاحرقها. اما اليونان فاجتمعوا للشورى فنصحهم تميستوكل بانشاب معركة في مضيق سلاميوس، بين جزيرة سلاميوس والشاطئ الاثيني. فلم يسمع له بعض القوّاد من اليونان، واحتدم الجدال حتى ان احدهم رفع عصاه على تميستوكل يريد ضربه. عند ذاك اجاب هذا، على زعم المؤرخين، بتلك الكلمة المشهورة: « اضرب، ولكن اسمع! » ثم افاض في البراهين حتى اقنعهم.

وكان احشورش قد عقد مجلس الشورى في معسكره قبل المعركة البحرية. وقد وصف لنا هيرودوتس ذاك المجلس وصفاً يفيدنا من نواحٍ عدة قال (٨: ٦٧): « جلس احشورش على عرشه. وتقدّم المسلطون على الشعوب المختلفة،

وقواد المراكب الذين طلبهم ، فجلسوا كلّ في مركز يوافق الرتبة التي اعطاه اياها. وكان في مقدّمتهم ملك صيدون ، يأتي بعده ملك صور ، ثم الباقون . . . فسألهم احشورش ، بواسطة مردونيوس ، هل ينشب المعركة على البحر. فسألهم مردونيوس ذلك ، مبتدئاً بملك صيدون . . . »

نستنتج من هذا القول تأكيد الاولية التي اولاها ملك الفرس ملوك فنيقية . وها ان هيرودوتس يقول مرّتين بتقدّم ملك صيدون ، حتى على ملك صور ، في مركزه وصفّه في المشورة.

اما معركة سلامينوس فنشبت سنة ٤٨٠. وكانت نتيجتها ان حيلة تميستوكل انتصرت على قوّة احشورش. فخرجت اثينة ظافرة من الحروب الميديّة ، فنالت مجداً عظيماً ضمن لها المركز الاول بين المدن اليونانية . فبدأ عصرها الذهبي منذ اوائل القرن الخامس، بفضل ما تقدّم، وبفضل تلك الادارة الحاذقة التي قام بها بريكليس ، فاتسعت اساليب الرفاهية ، وازدهرت الفنون والآداب ازدهاراً لا تزال مدينين له حتى اليوم . فقام فيدياس بتزيين البارتنون الذي بناه إكتينوس وكاليراتس ؛ ولمعت في افق الاداب والتاريخ والفلسفة والعلوم اسماء سوفوكل، واوريبد ، وارستوفان ، وسقراط ، وهيرودوتس ، وبقراط ، وتوسيديد ، فخلّدت العبقرية اليونانية مدى الاجيال.

التأثير اليوناني في فارس وفنيقية

اننا ، اذا ما ذكرنا الحروب الميدية التي اقامت آسية على اوربة المتمدنة اذ ذاك ، لا نعني ان مملكة الفرس اقفلت مطلقاً بوجه النفوذ اليوناني.

لم يكن بدّ للشعب الفارسي ، وهو حديث عهد بالرقي ، من ان يستمدّ من الشعوب المتمدّنة التي اخضعها او التي كان على اتصال بها ، عناصر ذلك الفنّ الذي دُعي فيما بعد « بالفنّ الفارسي » . وهو فنّ مركّب ، كالفنّ الفنيقي ، امتزجت فيه العناصر المصرية والاشورية واليونانية .

ثم ان هناك ما سهّل دخول النفوذ اليوناني في بلاد فارس ، على رغم

الحروب الميدية . وذلك ان المدن اليونانية لم تكن كلها على اتفاق دائم بعضها مع بعض . بل ان منها ما كان يقوم بالحروب الاهلية فتستنجد بالفرس على اخواتها . وكان من اليونان انفسهم جنود مأجورة في الجيش الفارسي . وكان التجار اليونان يضربون في مناطق مختلفة من المملكة الفارسية . فضلاً عن ان يونان آسية الصغرى ، او اليونيين ، كانوا من رعايا الدولة الفارسية . ثم ان الفنيقيين ، مع انهم كانوا يحاربون في جانب الفرس ، كانوا على اتصال وثيق باليونان .

وكان الفنانون من اليونان يشتغلون في معامل صيدون . فاخذ فنانو فنيقية ينحرفون شيئاً فشيئاً عن المذهب المصري في آثارهم الى المذهب اليوناني . وقد بنى الفنيقيون قصراً على الطراز الفارسي يظهر لنا في تيجان اعمدته ، المحفوظة في متحف بيروت ، شاهد على ما تقدّم . فان التأثير الفارسي بارز في هيئته فتط المثلة ثورين متصلين بظهريهما . الاّ انه لا يظهر فيها ارتعاش الفنّ الفارسي . فان عضلات الثورين مدروسة بتدقيق وهدوء وتؤدة اقرب الى المذهب اليوناني منها الى مذهب برسيبوليس ، عاصمة الفرس .

تقرّب صيدون من اليونان

ولم يقتصر التأثير اليوناني في صيدون على المظاهر الفنية . فان المدينة بعد ان ظلّت في القرن الخامس حليفة فارس المخلصة فكانت قاعدة الولاية ، اخذت ، في القرن الرابع ، تنتهز الفرص لخلع النير الفارسي . فتقرّبت من اثينة ، منذ اواخر القرن الخامس . ولكن من الحقّ ان نقول ان الفرس انفسهم شجعوا هذا التقرّب باتحادهم مع اثينة على اسبرطة .

وقد عزّز ذلك التقرّب ايضاً في صيدون ملك عشترتون الذي حكم من السنة ٣٧٤ الى ٣٦٢ فلم يدع فرصةً الاّ اظهر فيها ميله الى اليونان حتى لُقّب « فيلهيلين » اي « صديق اليونان » . وكان من اعزّ مقاصده ان يتجاوز في بلاطه مظاهر الترف اليوناني البارزة في بلاطات ملوك قبرص . حتى ان ذكر مآدبه وقصوره واضاحيه ، وحرمه بما فيه من المغنيات اليونية والمحظيات

البلوبونزية ، كان منتشراً في بلاد اليونان من اقصاها الى اقصاها .

وكان من دلائل ميله الى اليونان انه كان عوناً لوفد اثيني ذاهب الى بلاد فارس ، حتى اتمّ مهمته . فعرف له الاثينيون هذا الفضل واصدروا قراراً يشكرونه فيه ، ومنحوا التجار الصيدونيين الذين يتعاملون مع البيره، مرفأ اثينة، امتيازات جمركية .

على ان صداقة هذا الملك لليونانيين جعلت الدولة الفارسية تنظر اليه بعين الغضب ، حتى اتّهمته بموالاة اعدائها ، فسيّرت جيشاً على صيدون لقتله . فخاف كثيراً عند وصول الجيش ، ولم يشأ ان يقع حياً في قبضة الفرس ، ولم يجسر على قتل نفسه ، فرجا امرأته فقتلته ثم انتحرت بعده .

امّا اسم عشترتون فانه ، على رغم مظهره اليوناني ، سامي مصحّف اصله «بدعشتَرت» . وهو اسم نعرفه بفضل رقم مختلفة في قرطاجة وغيرها من المستعمرات الفنيقية . وهو تصغير «عبد عشتَرت» . ومن هذا النوع في التصغير اسم «حيرام» ملك صور ، وهو تصغير أحيرام .

وفضلاً عن ذلك فقد كشفت الحفريات ايضاً في صيدون ، هيكلاً فنيقياً على ضفة الأوّلي . يشتمل على ساحة واسعة يحدّها جدار في مؤخرها ، وتدعمها عدّة جدران . وقد ظهر في احدها رقم مختلفة افادتنا اسم مرمّم هذا الهيكل فاذا هو ملك من ملوك صيدون يُدعى بدعشتَرت حفيد اشمونعزَر الاول ، وافادتنا ايضاً ان بدعشتَرت هذا رمّم الهيكل في سبيل الهه أشمون . واذاً فان اسم بدعشتَرت من الاسماء المألوفة في صيدون .

ويظهر جلياً ان عصر عشترتون - بدعشتَرت هذا كان في صيدون عصر مجد ورخاء قلما ادركت مثله . فازداد عدد سكّانها وتجاوز عدد سفنها الحربية المائة . تشهد بذلك نقودها وقد نُقش فيها ، دلالةً على عظمة المدينة وقوّتها البحرية ، رسم سفينة مجهّزة للحرب . وقد أُخذت صورة هذه السفينة فنقشت على قطعة الخمسة القروش من نقدنا اللبناني .

عودة مصر الى الجرأة

اما مصر فانها ، على رغم ما وصلت اليه من الانحطاط ، ما زالت تحلم باخذ ثارها ، وبالحصول ، ان لم يكن على سيطرتها السابقة ، فعلى استقلالها وطمأنينتها الداخلية .

فكان ان الفرعون نكتانيبو الاول استدعى اليه شبرياس الاثيني فكلفه ان يعزز كل ما يراه ضعيفاً من مواقع الدلتا ، اي الوجهة البحرية من بلاد مصر .

ثم قام خلفه الفرعون تاخوس بالدس على الفرس لدى ملوك يهوذا وملوك فنيقية . فتألفت عصبة ثوار على السلطة الفارسية رئسها تنيس ملك صيدون ، الذي كان الفرس قد اجلسوه على عرش عشترتون سنة ٣٦٢ . وكان في اول امره مخلصاً للدولة المسيطرة الا انه اغتر بازدهار مدينته وقوتها من جهة ، واشمأزت نفسه من همجية عمال الفرس الذين كانوا يهتمون باعداد العدد لمحاربة مصر ، فتحالف سراً والملوك النافرين من الفرس . ثم عقد ملوك فنيقية كلهم اجتماعاً عاماً في طرابلس عهدوا فيه الى تنيس بادارة الثورة على العاصين مزايوس وبليزيس . وقد بدأت هذه الثورة سنة ٣٥١ ، وكانت شديدة حرب فيها الفريقان بعنف وثبات . واسفرت المناوشات الاولى عن انتصار الثوار . حتى ان ارتحشستا الثالث أوخوس قلق وخاف نتيجة الثورة ، فقدم بنفسه على رأس جيش ضخم .

ولما شعر تنيس بالفشل القريب ، رأى ان يستعيد ثقة ملك الفرس ، فخان وطنه واسلم الى الملك بعض الوجهاء من صيدون . اما ارتحشستا فظهر ارتياحه بادئ بدء لعمل تنيس حتى اذا مكنته الفرصة ، اكتسح صيدون فاحرقها جيشه بكاملها ، ثم قتل تنيس نحو السنة ٣٥٠ . ولا تزال الآثار الباقية من قصر صيدون الفارسي ، كبعض اقسام القواعد ، وقطع تيجان الاعمدة ، المحفوظة في متحف بيروت ، شاهدة على ما اتاه المهاجمون من اعمال التخريب والتدمير .

وبعد هذه الحوادث بثماني عشرة سنة وصل الاسكندر الكبير ، منتصراً

على داريوس في معركة ايسوس ، فاحتل مختلف الممالك الفنيقية ، واقام الحصار على صور[1]

ملوك صيدون

ان الحفريات التي أجريت في صيدا كشفت لنا عن قبور ملوك صيدون على العهد الفارسي . وكان اهمها ما اكتشف في اياعة قرب صيدا .

اياعة اسم ارض مستطيلة الشكل تقريباً لا تتجاوز مساحتها ٢٥٠ متراً في ١٠٠ متر . وهي تقع اليوم على ١٥٠٠ متر من البحر ، غربي الطريق القديمة بين بيروت وصيدا ، عند مفرق طريق جزين . وتبعد عن مدينة صيدا نحو كيلومترين . يعلوها طبقة من التراب الزراعي ضئيلة حتى ان المزروعات لا تعيش فيها الا بصعوبة . وتحت هذه الطبقة طبقة من الصخر ذي المسام المعروف « بالرملي » .

في هذه الأرض اكتشف مدفنان كبيران ، وكان الاكتشاف الاول نتيجة الصدفة كما يأتي :

في ٢ اذار سنة ١٨٨٧ ، اتى صاحب تلك الارض ، محمد شريف افندي ، الى السلطة المحلية عند اكتشاف بئر في ارضه قد يكون في اسفلها بعض القبور . فارسل قائمقام صيدا فاوقع البئر ... فيها من التراب والحصى . فظهر ان في البئر ممراً الى سبعة قبور تحتوي كلها على نواويس . وقد كلف هذه الاعمال المرحوم بشارة سرسق . فرفع تقريراً مفصلاً الى القسطنطينية . فاهتم السلطان بالامر وارسل الى صيدا لاجراء الحفريات مدير الآثار القديمة نفسه حمدي بك . ووضع تحت تصرفه البحرية « عبر » تنقل ما يكتشفه من النواويس الى القسطنطينية .

وبينما كان حمدي بك يقوم بكل دقة بدرس المدفن الاول والتفتيش فيه ، اكتشف الى قربه مدفناً ثانياً ظهر في ما بعد انه اقدم من المدفن الاول . ولهذا

---

١) راجع تفصيل ذلك في مشرق هذه السنة ، ص ٢٢-٢٣

فاننا نبدأ بدرسه ، فنكون قد تبعنا التسلسل التاريخي :

ان المدفن الثاني محفور كالاول في الصخر الرملي . وهو يتألف من بئر مستطيلة القطع تبلغ احدى جهتيها ٤ امتار والثانية ٣،٢٠ امتار . ويبلغ عمقها ٧،٥٠ امتار . وها اننا نرى في صيدون تأثير العادة المصرية في جعل القبور ضمن آبار ، وهي تلك العادة التي نتحقق العمل بها في بيبلوس في القرن الثامن عشر والتاسع عشر ق.م. وقد ظلّ قياس البئر هو هو تقريباً . وفُتح في جهتيه المتوازيتين مدخلان يقودان الى قبرين . اما القبر الاول ، وهو الآخذ جهة الجنوب ، فلا يدلّ حفره على كبير عناية . وهو مفتوح المدخل على قياس ١،٩٠ علوًّا في مثله عرضاً . امـا مساحة القبر فتبلغ ٤،٢٠ امتار في ٣،٩٠ امتار . وقد حفر في ارضه قبران متشابهان متعارضان ، ووضع على افخمها بلاطتان وجد تحتها عدد من الآثار الذهبية منها عصابة من ورقة ذهبية مطرّقة ، وعقد ، وعدد من الخرز ، وسواران احدهما مزدان بالحجارة الكريمة ، في وسطه عين هرّ بين زهرتين من البَشنين ، ووجد كذلك عينان رمزيّتان من الذهب والعقيق ، ومرآة من البرونز ، وغير ذلك من الحلى الفضية والبرونزية .

ومجموع هذه الآثار يدلّ على التأثير المصري العميق البادي بازهار البَشنين والمرآة وغيرها . وكان الميت قد رُبط الى قطعة من الخشب بليت مع عظام الميت كلّها ، فلم يبقَ الّا حلق البرونز الذي استعمل في ربط الميت الى الخشبة المذكورة . وهذا ما قادنا الى القول بوجود هذه العادة المدفنية .

والى جانب القبر هذا وجد قبر آخر على اتصال به . اما مساحة القبر الجديد فلا تتجاوز ٢،٨٠ . واما ما فيه هو فقبران آخران لم يوجد فيهما الّا بعض العظام .

وقد وجد في البئر اثناء الحفر اسرجة خزفية من الطراز المعروف بالاسرائيلي . اي ان السراج منها يبدو على شكل صحن دون قاعدة ، محنيّ الجوانب الى الداخل .

اما في جهة البئر الشمالية ، اي تجاه القبر الموصوف آنفاً ، فقد ظهر قبر آخر يبلغ علوّ مدخله الذي كان محكم السدّ ٢،٢٠ في مترين ، وتبلغ

مساحته الداخلية ١،٦٠ في ٣،٤٠ ، وعلوّه ٢،٦٠ وحيطانه مطليّة بالكلس .

وجد في هذا القبر اربعة اسرجة خزفية كالمتقدّم ذكرها ، وميبرجتان من البرونز لكل منها ساق تنتهي بثلاث قوائم ، وقد زيّن اعلاها باشكال الزهور.

وبعد ان نُظّف هذا القبر وُجد انه مُبلّط بست بلاطات لا غير تبلغ الواحدة منها ٢،٦٠ مترين طولاً ومن ٥٠ الى ٨٠ سنتيمترًا عرضاً . وتحت هذا البلاط قطعة واحدة ضخمة من الحجر تبلغ ٣،٤٢ امتار في ١،٧٠ محكمة الوضع ضمن الجدران الاربعة ، وقد ظهرت في اعلاها خطوط بيضوية الشكل كان من شأنها ان تمكّن من استعمال الحبال في تنزيل ذاك الصخر الضخم وتركيزه ضمن جدران البلاط . وعلى كل ذلك دلائل الاتقان في العمل . ولما كُسر هذا الحجر ورُفع من مكانه ، بدا القبر الجديد وعلى مدخله خطّ محفور يقع عليه الحجر الضخم السابق الذكر فيحكم قفل القبر تماماً . اما سعة القبر فتبلغ ٢،٦٠ طولاً في ١،٢٠ عرضاً في ١،٥٠ عمقاً .

ناووس نبت

وكان في القبر صاحبه نائماً في ناووس من الامفيوليت الاسود ، وقد رُبطت مياوه الى خشبة من الجنيز ووصلت الربائط بحلق من الفضّة.

ويظهر ان الملك الراقد كان متقدّماً في السن بدليل ان شعره الابيض خضب بالحنّاء . وكان على جبهته عصابة بسيطة من الذهب طولها ٢٥ سنتيمترًا وعرضها ٥ سنتيمترات في الوسط و٣ في الطرفين . وهذا كلّ ما اكتشف ضمن الناووس .

ومما يستحق الذكر هيئة الناووس فانه بدا على شكل صندوق المومياء ، مستدير القمّة ، عمودي الجانبين ، مختصر الاسفل قليلاً كما لو شاء صانعه ان يجعله يوافق شكل الميت . وعلى اعلى الناووس خطّ حُفر بالهيروغليف يحتوي نصاً مأخوذاً من « كتاب الاموات ».

اما الغطاء فيوافق تحدّبات الناووس نفسه وفي اعلاه رأس كامل النحت بارز على جسد مبسوط لا يبرز منه الّا طرفا القدمين على وسادة مُثلت بقطعة مبسوطة كذلك.

وهذا الرأس يبدو مصريا خالصاً كما يستدل من قسماته كلها . ومن اللحية المستعارة والجنة التي يسقط طرفاها من عن الكتفين حتى الصدر . وقد جعل في عنق الميت وعلى صدره عقد عريض مثلت فيه انواع مختلفة من الزهور واللآلئ وانتهى برأسي بازيين يقفان به على الكتفين.

وعلى جسم الغطاء نفسه تسعة اعمدة من الهيروغليف يفصل بينها وبين العقد الالهية المصرية نيت مبسوطة الجناحين ، وابناء هوروس الاربعة اثنين في كل جهة .

كل ما في هذا الناووس يدلّ على الاصل المصري : مظهره الجاري المعروف في العصر السيتي ، ومادّته المستخرجة من مقالع الحمامات التي ذاعت شهرتها منذ السنة ٦٠٠ تقريباً على عهد الدولة السادسة والعشرين ، والنصّ الهيروغليفي المستخرج من مجموعة الطقوس المدفنية المصرية المعروفة باسم « كتاب الاموات » ، فضلاً عن اسم صاحب الناووس المدعوّ : بنفتاح رئيس العسكر .

ولكنّ هناك ، لحسن الحظّ ، في اسفل الناووس ، كتابة فنيقية ليس من شك في انها حُفرت بعد عمل الناووس . ويظهر من نصها ان المدعى في الناووس ليس بنفتاح المصري ، بل الفنيقي تبنيت ملك صيدون . وهو يعدد الادعية على كلّ من يتجاسر ويدخل قبره الّا انه لم يتراجع عن دخول قبر غيره ونزع هذا الناووس وتحويله الى ناووس له . ولعله اشتراه ممن سرقه او نقله في غزوة على ارض مصر . وهو يقول في كتابته ان ليس في قبره كنوز لا من الذهب ولا من الفضة ؛ وقد صدق . فان قبره ، على كونه لم يُسرق ، كان خالياً من كلّ أثر للمال . فهو متقن الصنعة ولكنه فقير المظهر ، ولا سيما اذا قسناه بقبور ملوك بيبلوس في القرن التاسع عشر والثامن عشر ق. م. ولعلّ عادة دفن كنوز الملك في قبره كانت قد حالت في عصر تبنيت.

ناووس اشمونعزر

واذا ما ذكرنا ناووس تبنيت ، فلا يمكن ان نضرب صفحاً عن ناووس آخر يشبهه كل الشبه ، وقد وُجد في صيدا كذلك في منتصف القرن الفائت ،

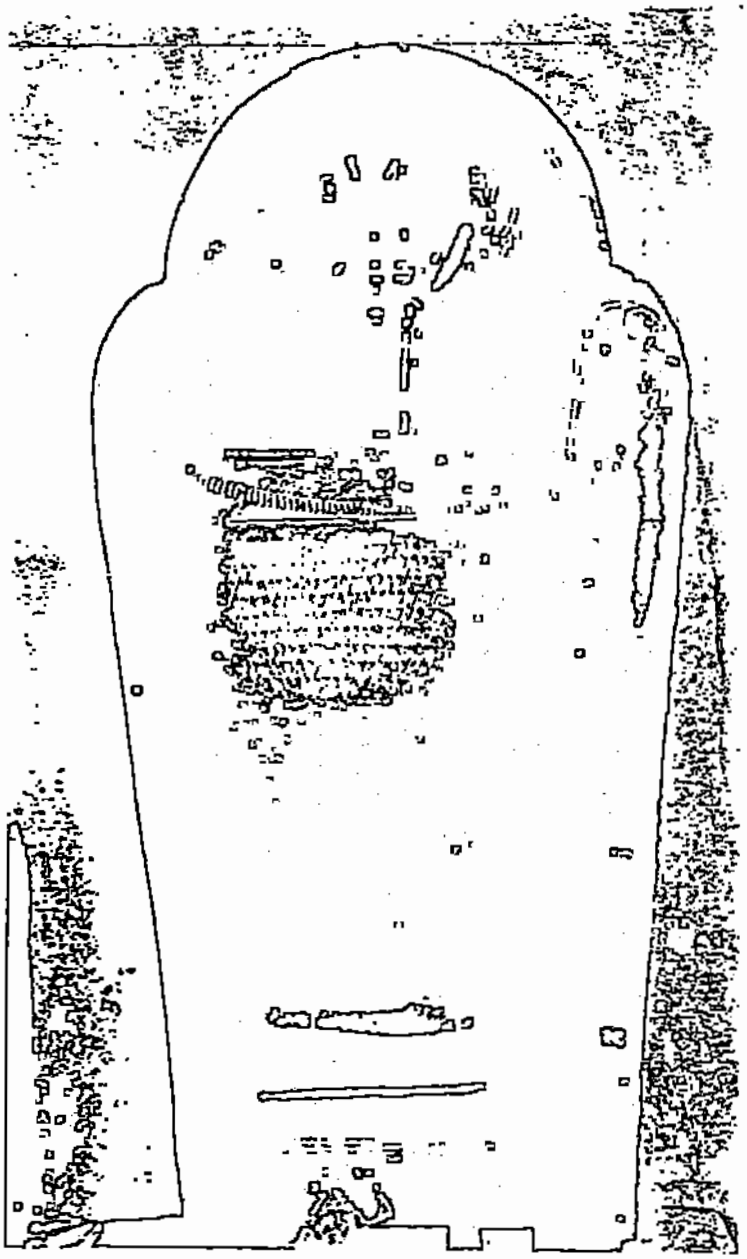

تاووس شمولغزو

وتظهر عليه الكتابة المنيفية

ونال شهرة بعيدة في عالم الآثار القديمة ، الا وهو تاووس ابن تبنيت ، الملك اشمونعزر .

هذا التاووس اكبر من الاول قليلاً ؛ الّا انه من المادّة نفسها والشكل نفسه . وان اختلف عن تاووس تبنيت فانه يختلف بظهر غطائه . فقد محا اشمونعزر الكتابة الهيروغليفية المصرية كلّها وابدلها بكتابة فنيقية طويلة نورد ترجمتها في ما يلي :

في شهر بول ، في السنة الرابعة عشرة من ملك الملك اشمونعزر ، ملك الصيدونيين
ابن الملك تبنيت ، ملك الصيدونيين ، اشمونعزر ، ملك الصيدونيين ، تكلّم قائلاً :
« لقد أُخذت
قبل الاوان ، وانا ابن ايام قليلة ، يتيم ، ابن ارملة . وها اني استريح في هذا التابوت وفي هذا القبر
في المكان الذي بنيته لنفسي . واني اناشد كل امير وكل رجل الّا يفتحوا هذا المدفن وان
لا يفتّشوا عن الكنوز ، فليس هنا كنوز ، وان لا يرفعوا التابوت عن مدفني ، وان
لا يبنوا فوق هذا المدفن قبواً لمدفن آخر . واذا اشار الناس عليك بذلك فلا تصغ لاقوالهم . فان كلّ امير
وكل رجل يفتح قبو هذا المدفن ، او يرفع التابوت من مدفني ، او يبني فوق هذا المدفن ، فلا يكن لهم مدفن لدى الرفايم ، ولا يُدفنوا في قبر ، ولا يكن لهم ابناء ولا ذرّية
بعدهم ، ويسلّمهم الآلهة القديسون الى ملك قوي يتسلّط عليهم ، فتُستأصل شأفة
اي كان من الملوك او غيرهم من الناس الذين يفتحون قبو هذا المدفن او يأخذون هذا التاووس ، وذرّية هذا الامير او هؤلاء الرجال . فلا يكن لهم جذر من اسفل ، ولا
ثمر من اعلى ، ولا شرف بين الاحياء تحت الشمس . لانني انا البريء قد أُخذت من قبل الاوان ، وانا ابن
ايام قليلة ، يتيم ، ابن ارملة . لأنني انا اشمونعزر ، ملك الصيدونيين ، ابن الملك تبنيت ، ملك الصيدونيين ، حفيد الملك اشمونعزر ، ملك الصيدونيين ، وامي اعشترت
كاهنة عشترت سيّدتنا ؛ الملكة ، ابنة الملك اشمونعزر ، ملك الصيدونيين بنينا هياكل
الالهة : هيكل عشترت في صيدون ، المدينة البحرية ، واقمنا فيه عشترت باحتفال ؛ ونحن
الذين بنينا هيكل اشمون ، والمرج المقدس في بدلل في الجبل ، واقمناه فيه باحتفال ؛
ونحن الذين بنينا هياكل
لآلهة صيدون في صيدون المدينة البحرية : هيكل بعل صيدون ، وهيكل عشترت في بعل .
وقد اعطانا ملك الملوك

دور ويوفه ، اراضي الحنطة ، اراضي ممتازة في سهل سَمْرون ، وذلك مقابلة للمآثر التي قمت بها ، وقد
زادها الى حدود البلاد لتكون ملك الصيدونيين دائماً . واني اناشد كل امير وكل رجل الّا يفتحوا قبري
والّا يفرغوا قبري ، والّا يبنوا فوق هذا المدفن ، والّا يأخذوا تابوت مدفني ؛ وذلك خوفاً من ان يسلمهم
الآلهة القديسون ، والّا يستأصلوا هؤلاء الامراء وهؤلاء الرجال وذريّاتهم الى الابد.»

عصر هؤلاء الملوك

اننا نعرف بفضل هذه الكتابة اسماء ثلاثة من ملوك صيدون : اشمونعزر الاول ، وتبنيت ، واشمونعزر الثاني . وهناك اسم اميرة تولّت الوصاية ، وهي ملقبة بملكة ، وقد عاشت على الارجح بعد وفاة ابنها اشمونعزر الثاني . هذه الملكة او الوصيّة هي امعشترت ابنة اشمونعزر الاول وامرأة اخيها تبنيت ، اذ هي ام اشمونعزر الثاني ابن تبنيت . ولا غرابة في هذه الطريقة في زواج الاخ باخته فانها كانت جارية اذ ذاك ، ولنا عليها في التاريخ المصري القديم شواهد عدّة .

والكتابة المذكورة تشير الى بناء هيكل للاله اشمون في يدلل . وقد اكتشفت آثار هذا الهيكل قرب الجسر على طريق صيدا القديمة في مكان اسمه « بستان الشيخ » . فاذا هو يشتمل على ساحة فسيحة تتصل بالجبل ، وتقوم من جهة الوادي على جدران قوية . ويحدّها من جهة الجنوب حائط مرتفع .

وقد رمّم الجدار الذي تستند اليه هذه الساحة وقوّاه احد ملوك صيدون المدعو بدعشترت القائل عن نفسه انه حفيد اشمونعزر الاول ؛ كما تفيدنا الرقع المكتشفة على هذا الجدار والمحفوظ بعضها في متحف بيروت . وتفيدنا هذه الرقع ايضاً اسم ولي العهد اذ ذاك وهو يتململك .

واذاً فان لدينا اسرة من ملوك صيدون تتألف من اربعة ملوك ، وملكة ، وولي عهد قد يكون ملك في ما بعد .

الّا اننا لا نعرف شيئاً عن موت الملك اشمونعزر الاول . اما خليفته تبنيت

فقد مات طاعناً في السنّ . فخلفه ابنه اشمونعزر الثاني مدة اربعة عشر عاماً . ثم مات في شبابه فخلفه بدعشترت ، وملك لا اقل من اربعة عشر عاماً ، لأن لدينا رقيماً مؤرّخاً من السنة الرابعة عشرة لملكه . وقد يُنشر قريباً . وعليه فيمكننا ان نجعل لهذه الأسرة نحو نصف قرن من الحكم ، لأن ملكين من افرادها ، احدهما مات في شبابه ، حكما مدة ٢٨ عاماً على الاقل .

بقي علينا ان نفتش عن زمن نضع فيه هذا الحكم ، وهو حكم يدلّ على عهد ازدهار سياسي بما يظهر فيه من البناء واتساع الحدود .

لقد رأى بعض العلماء ان يعيّنوا حكم هذا الاسرة بعد فتوح الاسكندر . على اننا نرى ترك هذه النظرية ، على فضل القائلين بها وشهرتهم وفيهم مثل الاستاذ كليرمون — غانو . وحجتهم ان لقب « سيّد الملوك » : ادون ملكيم الوارد في كتابة اشمونعزر ، لُقّب به بعض ملوك البطالسة . على ان هذا اللقب ليس فيه ما يختصّ بعصر دون غيره . فان « سيّد الملوك » يمكن اطلاقه على كل ملك عظيم يكون تحت حكمه عدة ملوك . ولا يخفى ان ملك الفرس يسمي نفسه « ملك الملوك » وكذلك سلطان الترك حتى العهد المتأخر كما يظهر في نشيد محمد الخامس العثماني .

وفضلاً عن ذلك فليس من المعقول ان مدافن متأخرة عن عصر الاسكندر لا يظهر فيها الطراز اليوناني الذي كان منذ الاثر في صيدون منذ القرن الخامس ، فلا يبدو شيء من ذلك لا في اثاث المدفن ولا في الطقس المدفني .

ثم ان لدينا اليوم دلائل رقمية تصرفنا عن قبول هذه النظرية . وهي ان خطّ اشمونعزر اقدم من الرقمة الفنيقية الراقية الى القرن الرابع والموجودة على قطع النقود وعلى تابوت بتنعم المكتشف في بيبلوس .

هذا وان تابوتي تبنيت واشمونعزر لا يمكن ان يكونا من القرن الرابع لأننا نعرف اسماء ملوك صيدون منذ السنة ٣٧٢ حتى فتوح الاسكندر .

ولا يمكن كذلك ان يكون من عهد السنة ٣٨٠ ، وهي السنة التي جرت فيها معركة سلامينوس ، لأن هيرودوتس المؤرخ يذكر اسم ملك صيدون الذي حضر المعركة الى جنب اخشورش ملك الفرس ، وهو تترامنيستور ابن أميزوس .

فـان لم يكن اخطأ هيرودوتس ، وهو معاصر تقريباً لتلك الحوادث ، في اسم تترامنيستوس ، فلا يبقى لنا لتعيين زمن حكم هذه الأسرة الّا عصران هما : النصف الثاني من القرن الخـامس واوائل الرابع ، او النصف الثاني من القرن السادس .

بيد ان هناك بعض العقبات تعترض وضع هذه الاسرة في القرن الخامس . اولاها خلوّ هـذه الآثار من ايّ تأثير يوناني ، على رغم الاتصال الوثيق الذي كان ، تلك المدة ، بين فنيقية وبلاد اليونان . وثانيتها انه وجـد في صيدا نواويس مصنوعة اغطيتها على شكل بشري ترقى الى القرن الخامس متأثرة كثيراً بالفن اليوناني .

وهذه النواويس تؤلف القسم الاكبر من مجموعة فورد المعروضة الان في المتحف الجديد . ولذلك فقد تكون اسرة اشمونعزر ، على الاغلب ، من اواخر القرن السادس ومطلع القرن الخامس ق. م.

امثلة من الرؤوس المنحوتة على النواويس البشرية الشكل في مجموعة « فورد »

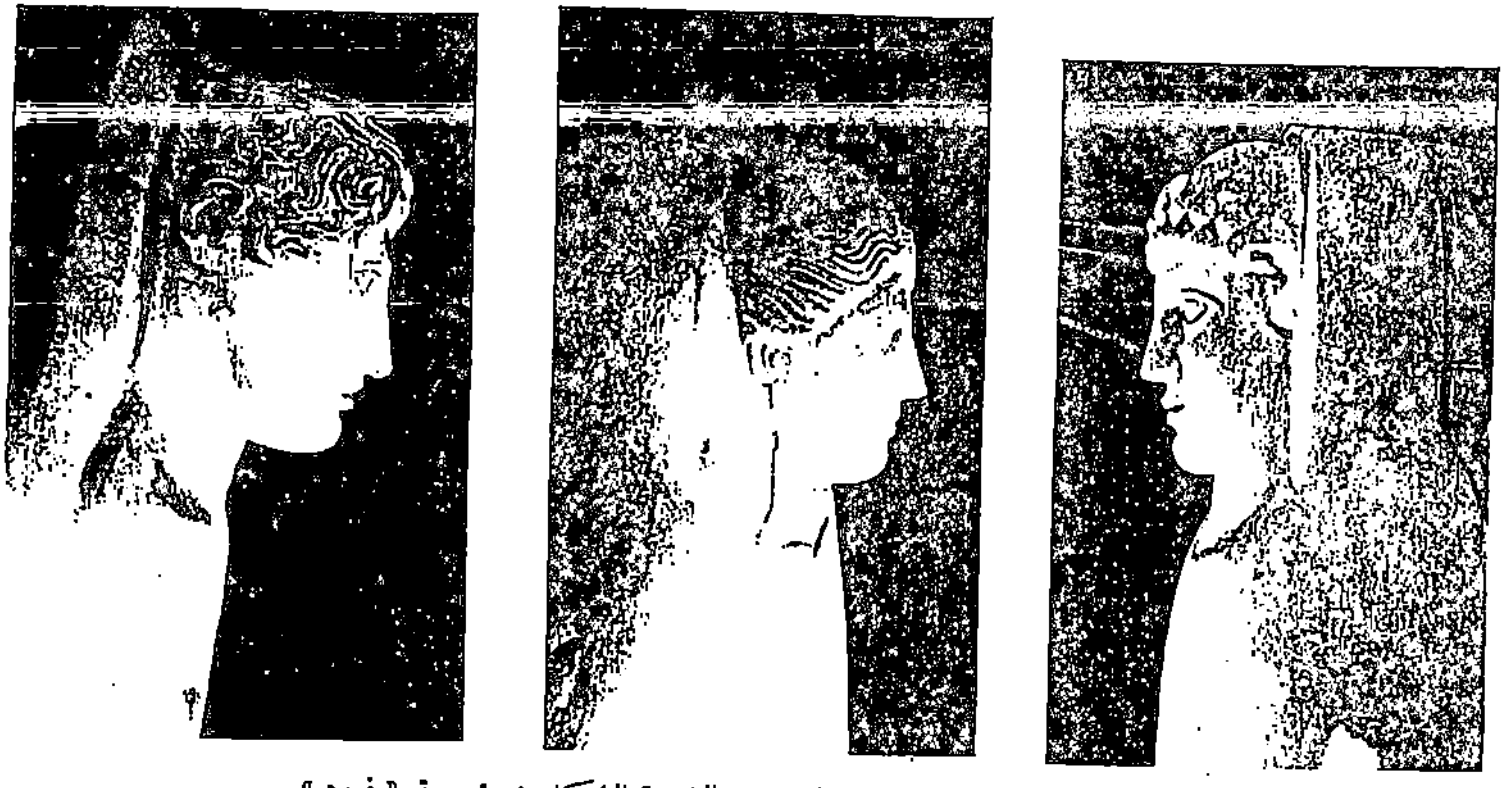

امثلة من الرؤوس المنحوتة على النواويس البشرية الشكل في مجموعة « فورد »

بغداد عاصمة الادب العباسي

نماذج العناصر البشرية في بغداد العباسيين *

بقلم فؤاد افرام البستاني
استاذ الآداب العربية في كلية القديس يوسف

تقدّم لنا كلام واسع في تأسيس بغداد وازدهارها ، وما تقلّب عليها من الحوادث [1] . فبقي ان ندرس بشيء من التفصيل احوال تلك الشعوب المتنوّعة التي كانت تعيش في بغداد ، فتتنازع وتتطاحن في سبيل الحياة ، ولكل منها طريقه الخاصّ ، فيكمل لنا درس البيئة الجغرافي.

لقد كان في بغداد العرب ارباب الخلافة ، والدين ، والوزارة احياناً . والفرس اصحاب الوزارة والادارة ، والجيش ، والولايات ، ورجال الحساب والتنجيم ، والعلوم والصناعات على اختلاف انواعها.

ثم التُرك ضبّاط العساكر ، ومادّة الحروب.

وهناك الاراميون نُقلة العلوم ، واساتذة المنطق والفلسفة والطب.

---

*) مادة المحاضرتين الثالثة والرابعة من محاضرات « معهد الآداب الشرقية » في فرع « الفلسفة والآداب السامية ».

١) اطلب الجزء الاول من «مشرق» هذه السنة ص ٦٥ –١٠٩ ، وقد نشرنا في آخر البحث جدولاً بالمآخذ من عربية واجنبية . ولما كانت هي نفسها تفيدنا ايضاً في بحثنا الحاضر ، لم نرَ من حاجة الى اعادة ذكرها في هذا المقال . اما ما نستند اليه من المآخذ الجديدة ، فنذكره في الحواشي.

والهنود اصحاب الطبّ ايضاً ، والحساب والتنجيم .

واليهود قادة المتاجر ، وارباب بيوت الصّرف .

والسنديون للصناعات المتنوّعة .

والزنج للخدمة والملاهي .

والزُطّ للسؤال والتلصّص .

وهناك الجواري ، من جميع هذه العناصر الاجنبية عن العرب ، المتغلغلات في التأثير حتى الى بلاط الخليفة .

هـذا من حيث الاجناس . اما الاديان في بغداد فلم تكن اقلّ تنوّعاً واختلافاً . فهناك المسلم السنّي ، والشيعي ، والنصراني اليعقوبي ، والنسطوري ، والملكاني ، ومكرّم الايقونات ومحاربها ، واليهودي ، والصابي ، والمجوسي ، والبوذي ، والزنديق . هـذا عدا تباع البدع الناشئة عن التفلسف في الاديان كالمعتزلة والمشبّهة وما الى ذلك مما يطول تعداده .

كل هذه العناصر كانت تتعايش في بغداد ، فتتعاون وتتنافس ، وتتصارع وتتطاحن ، وتتزاوج . فينشأ عن كل ذلك امتزاج بل امتزاجات متنوّعة تصبغ هـذه الثقافة المتّسعة المظاهر التي ندعوها بالثقافة العباسية والتي لا يهمنا منها ، هذه السنة ، الّا مظهر واحد ، هو الادب العباسي .

على انه لا يُتاح لنا درس صفات هذا الادب الّا اذا شاهدنا عن قرب تفاعل العناصر المتنوّعة في تلك البوتقة الهائلة ، بغداد .

العرب

جاء في سفر التكوين (١٦ : ١٢) في وصف اسماعيل جدّ العرب : « ويكون رجلاً وحشياً يده على الكل ويد الكل عليه ، وامام جميع اخوته ينصب مضربه » . هكذا كان اسماعيل . وهكذا ظلّ حفيده العربي في عزلته وانفراده [1] . لا يرتفع فوق فكرة الفرد والبيت . واذا سما الى مدلول اجتماعي

١) اطلب بحثاً دقيقاً في الموضوع للاب لامنس : نفسية البدو قبل الاسلام في «المشرق» ٣٠ [١٩٣٢] ١٠١ – ١١١ .

فانه يعمل الى فكرة القبيلة . اما ما فوق ذلك من معنى الامة او الوطن فعبثاً نفتش عنه في عقلية البدو. وما ذنبهم ؟ وهم لم يعرفوا الاستقرار ولا شعروا بالاطمئنان الى ارض ثابتة !

حتى ان الإسلام الذي وحد صفوفهم ، في اول عهده ، اذ دفعهم الى الخروج من جزيرتهم ، لم يقوَ الّا قليلًا على توحيد نزعاتهم القبيلية اذ لم يقوَ الّا قليلًا على تغيير طبيعة بلادهم ؛ وذلك بفضل ما بذله معاوية الكبير وبعض خلفائه من العمل الدائب على تحضير الحجاز وتوطين البدو. فكانت تلك الدولة العربية حقًّا بكل ما فيها من دين وعلم وسياسة وادب.

على ان طبيعة البدو كانت تنفر من الاقامة في المدن والقرى . فلا تبدو لهم فرصة الّا اغتنموها للعود الى صحرائهم الفسيحة ، يهيمون فيها شأنهم منذ عهد اسماعيل ، وشأنهم في ايامنا ، وشأنهم الى ما شاء الله . فكانوا يرجعون منحدرين من فكرة الشعب والوطن الى فكرة الفرد والقبيلة.

وقد عزّز هذه الحركة انتقال الخلافة الى العباسيين ، فولّى هؤلاء وجوههم شطر فارس ، وأهملوا الحجاز اهمالًا تامًّا ، الّا في موسم الحجّ ، حتى بارت تلك الواحات المزدهرة على عهد الامويين ، واضمحلّ بعضها من الوجود تماماً كقرية « فَدَك » التي لا نرى لها ذكرًا بعد عصر بني امية . وانصرف الخلفاء الجدد الى تولية الفُرس ، على الغالب ، بعد ان كان الامويون يحتقرون الموالي.

فلم يبقَ للعرب الّا التفاخر بعزّهم الماضي ، في صدر الاسلام او قبله ، فعادوا الى شِنْشِنَتِهم الازلية من التعصب كلّ لقبيلته في القول والعمل، حتى كان الولاة منهم — وقد اصبحوا اقلية في عصر بني العبّاس — لا يبالون المزاحمة الفارسية ، ولا يكادون يفتكرون ، اذا ما نالوا الولاية ، الّا بالتنكيل باعداء قبيلتهم من العرب . فنرى معن بن زائدة ، اذا تولّى اليمن ، في اوائل العصر العباسي ، ينكّل باهلها تعصّباً لقومه من نزار . فيثأر منه عُقبة بن سالم ، والي عمان والبحرين ، فينكّل بالقيسيين تعصّباً لقومه من قحطان [1].

---

١) المسعودي : مروج الذهب (طبعة Barbier de Meynard) ٦ : ٤٥-٤٦ .

وهناك الشعراء واي قبيلة سلمت من هجائهم!

بل ان هذه النزعة القبلية الفردية تجاوزت مظاهر الاجتماع الى الصلاة والعبادة، وشملت جميع العرب من كبيرهم الى اديبهم الى سوقتهم على السواء. فقد روى المبرد عن «شيخ من الأزد ثقة، عن رجل منهم، ان كان يطوف بالبيت وهو يدعو لأبيه. فقيل له: ألا تدعو لأمك؟ فقال: إنها تميمية»[1].

هذا وكل ما يمكن ان نعدّده من الأمثلة ضئيل في تمثيل هذه العصبية الداخلية التي كانت تقسم العرب قبيلةً على قبيلة وناحية على ناحية. وكان اشدّها ذاك النزاع بين الشمال والجنوب، بين النزارية والقحطانية، حتى ان اهل اليمن لم يغفروا لله — على قول الجاحظ — انه ارسل نبيّهم من مضر.

على ان بعض العقلاء جرّبوا ان يجمعوا بين هذه النزعات العربية لمقاومة الاعاجم فقالوا:

«العرب كلهم شيء واحد لان الدار والجزيرة واحدة، والاخلاق والشيم واحدة، وبينهم من التصاهر والتشابك والاتفاق في الاخلاق وفي الاعراق من جهة الخؤولة المرددة والعمومة المشتبكة، ثم المناسبة التي بنيت على غريزة التربة وطباع الهواء والماء، فهم في ذلك شيء واحد في الطبيعة واللغة والهمة والشمائل والمراعي والراية والصناعة والشهرة. وما بعث الله عز وجل نبياً من العرب فقد بعثه الى جميع العرب وكلهم قومه. ولانهم جميعاً يد على العجم...»[2]

وقد كان يجمع بينهم الفخر بصفة العرب والتشامخ على من سواهم من الشعوب وان كانوا مسلمين يظهر ذلك باحتقارهم للموالي من فرس وقبط وروم، حتى اصبح من العقائد، على عهد الامويين، ان «لا يصلح القضاء الا لعربي»، فضلاً عن الخلافة والإمامة وما الى ذلك من المراتب والمراكز.

وعندما اخذ بنو العباس في تولية الموالي، جاءت على عكس سياسة

---

١) المبرد: الكامل (طبعة مصر) ١: ٤٠.

٢) الجاحظ: البيان والتبيين (طبعة السندوبي) ٣: ١٦٩.

الامويين ، كانوا ابعد من ان يمحوا هذا الشعور بسمو العنصر العربي . بل انهم عملوا على تعزيزه في صدور العرب اذ جرحوهم بتنحيتهم عن مراتب الدولة ؛ كما جرحوهم بابادة معالم تلك الدولة العربية القحة ،بفظاعتهم الماثلة في تنكيلهم بالامويين تنكيلاً شديداً تجاوز الاحياء الى الموتى .

فقد روى عمرو بن هاني الطائي قال : « خرجت مع عبدالله بن علي — وهو عم السفاح والمنصور — لنبش قبور بني أمية في ايام ابي العباس السفاح . فانتهينا الى قبر هشام فاستخرجناه صحيحاً لم يسقط منه الا خورمة انفه . فضربه عبدالله ثمانين سوطاً ثم احرقه . واستخرجنا سليمان من ارض دابق فلم نجد منه شيئاً الا صلبه واضلاعه وراسه ، فاحرقناه . وفعلنا ذلك بغيرهما من بني أمية . وكانت قبورهم بقنسرين . ثم انتهينا الى دمشق فاستخرجنا الوليد بن عبد الملك فما وجدنا في قبره قليلاً ولا كثيراً . واحتفرنا عن عبد الملك فما وجدنا الا شؤون راسه . ثم احتفرنا عن يزيد بن معاوية فما وجدنا منه الا عظماً واحداً . . ثم تتبعنا قبورهم في جميع البلدان فاحرقنا ما وجدنا فيها منهم . »[1]

فاصبح العرب الخالص وقد ضمت في صدورهم عاطفة سمو العنصر الى عاطفة الشعور بالظلم اللاحق بهذا العنصر . فصاروا يمقتون الموالي عامة والفرس خاصة ، يبغضون كل من ينتمي الى غير العرب حتى وان كان ابوه عربياً ، بل نقول : وخصوصاً من كان ابوه عربياً ، وامه مولاة . كما كانت الحال في اكثر خلفاء بني العباس ، وهم يسمون هذا الولد « هجيناً » . والهجين في الاصل غير العتيق من الخيل بان يكون ابوه جواداً عربياً وامه برذونة . ثم اللئيم . قال الجاحظ : قلت لعبيد الكلابي وكان فصيحاً مفوهاً : « أيسرك ان تكون هجيناً ولك الف جريب ؟ » قال : « لا احب اللؤم لابي . . » قلت : « فان امير المؤمنين ابن امة . » قال : « اخزى الله من اطاعه » . وانشد الرياشي :

ان الموالي الذين كفروا ، يا رب ، فينا
رب ، أدحضهم ، وارى فيها هجينا

[1] المسعودي : الكتاب المذكور ٥ : ٥١١ — ٥١٢

ولكن كان من العسير على الرياشي ان يدخل في العراق ، بلدة لا يرى فيها هجيناً . لان هؤلاء كانوا قد كثروا كثرة عجيبة ، ولا سيما في بغداد ، لما كان من اقبال العرب على الزواج من العجميات ، وعلى شراء الجواري . يقولون بترفعهم على سائر الشعوب ويُعلنون كرههم للموالي ، ولا يملكون انفسهم عن الزواج ببناتهم ، ولا يملكون شهوتهم عن شراء الجواري . وذلك لانهم كانوا يرون في اولئك النساء جمالاً لا يرونه في العرب . بل انهم كانوا يرون اولئك النساء، ولا يرون نساء العرب، بفضل الحجاب. وهو ما اشار اليه الجاحظ ، اذ اراد ان يعلّل تلك الظاهرة الاجتماعية التي جعلت العرب يرغبون في الاماء عن العربيات ، فقال : « ان الرجل قبل ان يملك الامة قد (تأملها) . . . والحرة انما يُستشار في جمالها النساء ، والنساء لا يبصرن من جمال النساء وحاجات الرجال وموافقتهنّ قليلاً ولا كثيراً والرجال بالنساء ابصر . . . وقد تُحسن المرأة ان تقول : كأنّ انفها السيف ، وكأن عينها عين غزال ، وكأن عنقها ابريق فضة . . . وهناك اسباب أُخر بها يكون الحب والبغض ! »

يهمنا من كل هذا ان الجيل الذي نشأ عن هذا الامتزاج كان اقرب الى العصبية الاجنبية منه الى العرب ، اي انه كان يميل الى اخواله بدل ان يتعصب لاعمامه . وذلك انه رأى من العرب احتقاراً هو غير جدير به اذ كان احدّ ذكاء واحكم للامور على اختلاف انواعها ، لفضل ما فيه من تنوّع الدم وتجدّد العناصر . والتاريخ شاهد على صحة هذا الرأي . فلنأخذ اشهر خلفاء بني العباس ولنفتش عن امهاتهم . اليس افضلهم حزماً وادارةً وعلماً المنصور ، والرشيد ، والمأمون ، والمعتصم ، والواثق ، والمتوكل . فالمنصور امه بربرية اسمها سلامة ؛ والرشيد امه رومية من خرشنة على الفرات اسمها الخيزران ؛ والمأمون امه فارسية من خراسان اسمها مراجل ؛ والمعتصم والواثق والمتوكل ابناء اماء ثلاث اسم الاولى ماردة ، والثانية قراطيس ، والثالثة شجاع . بل لنقابل بين المأمون والامين وهما ابنا رجل واحد الّا ان ام الاول امة فارسية ، وام الثاني سيدة عربية هي زبيدة .

وكان من الطبيعي ان هؤلاء الهجناء ، ابناء الإماء ، اذ يرون انفسهم

موضع الاحتقار تجاه العرب الخُلّص ، يعملون مع سائر الشعوب على الحطّ من شأن العرب ، فتقوى تلك الحركة التي بدأت على عهد بني امية وظلّت تعمل في الخفاء حتى وجدت لها المجال واسعاً في عهد العباسيين فظهرت كاعظم ما يكون قوةً واندفاعاً وكأشد ما يكون وطأة على العرب ، وهي الحركة الشعوبية المنسوبة الى الشعوب ، والمستندة خاصة الى الفرس.

الفرس

الفرس قوم ذوو مدنية عريقة ، وملك قديم ، وعصبية وطنية قومية لم تكن لاهل البادية . فكانوا من هذه الناحية لا يخافون التفرّق والتشعّب ولا يخشون قتل النزعة القومية بالنزعات الفردية ، كما رأينا في الكلام على العرب.

ثم كان ان غُزي الفرس في عقر دارهم ، وغُلبوا على امرهم في بلادهم لاسباب لا يتسع المجال لذكرها. غلبتهم هذه الشراذم المحتقَرة في نظرهم. فدخلوا الاسلام ظانّين ان الدين الجديد يضمن لهم المساواة على الاقل ، وهو المعلِّم التسوية في كثير من الآيات القرآنية . على انهم لم يلبثوا ان شعروا بان عقلية البدو كانت اقوى من دينهم . وكان ما كان من احتقار العرب لهم مما ذكرنا شيئاً منه ، في ما تقدّم . وكانوا يزدادون تأثّراً وانفعالاً اذ يقابلون بين آدابهم ومدنيتهم وتاريخهم ومجمل ثقافتهم ، ونصيب العرب من ذلك كله . ويهتمون بالثورة فيجدون اليد الاموية ثقيلة الوطأة عليهم وعلى جميع الشعوب امثالهم . فينقلبون الى الحركة الصامتة المنتظرة اولى الفرص للوثوب والخروج. حتى اذا تسنّت قاموا بالحركة العبّاسية وهي في مرماها النهائي شعوبية بل فارسية.

الشعوبية

ويجدر بنا هنا ان نقول ان الشعوبية كانت في اول امرها لا ترمي الى ابعد من المساواة بين العرب وغيرهم من الشعوب الاسلامية ، فتطالب بالحقوق التي خوّلها اياها القرآن ، ليس غير . بيد انها تجاه التصلّب العربي والشموخ البدوي ،

دفعت الى ان تبادل الاحتقار بالمثل بل تزيد ، وهي سنة طبيعية، فالضغط يولد الانفجار ، وبالكيل الذي تكيلون به يكال لكم ويزاد .

وسهل العباسيون بسياستهم مجال العمل للفرس، فاندفعوا لا يقفون عند حد في « تفريس » الخلافة ، اذا صح لنا هذا التعبير . فلم يكن العرب ليقفوا مكتوفين او لينحدروا مخذولين . فنشأ العراك الشديد بين عنصري المملكة المهنين . وهو عراك لا نجازف اذا قلنا انه اقوى عراك داخلي عرفته الدولة الاسلامية ، واقوى عراك ثقافي عرفته الآداب العربية : هو عراك في السياسة ، والدين ، واللغة ، والادب ، والعلم ، والاخلاق .

عراك في السياسة بين الملك الاعجمي والخلافة العربية .

وعراك في الدين اولاً بين المجوسية والاسلام ؛ ثم عراك في الفقه والتفسير، بعد ان اطمأن الفرس الى الاسلام ، بين الاخذ بالرأي والقياس والاخذ بالتقليد عن السلف الصالح .

وعراك في اللغة بين الفارسية والعربية .

وعراك في الادب بين الشعر الجاهلي ، او الادب العربي المحض ، والشعر المولد او الطريقة المستحدثة بتأثير الفرس .

وعراك في العلم بين التقليد العربي المتناقل ، الذي ان لم يفد كثيراً فانه لا يضر، والعلم الاجنبي المنقول عن المدنيات القديمة مما لم يكن للعرب به عهد .

وعراك في الاخلاق بين تلك الشهوة البدوية الساذجة واللذة المتهومة نهماً التي كثيراً ما تمتزج بحسن القصد وصدق السريرة ؛ وهذه اللذة الفارسية الفنية المؤطأ لها بالاستعداد ، الآخذة بطرق المدنية على اختلاف مظاهرها .

وقد يفيدنا قبل ان نذكر نتيجة هذا العراك ان نطلع ، وان سطحياً ، على اسلحة المتعاركين فنقدرها ونقدر نتيجة المعركة [1] :

---

(١) من المصادر الاساسية لهذا البحث اقوال الجاحظ في البيان والتبيين ، والحيوان ، والرسائل ، ومرويات ابن قتيبة في كتاب العرب وعلومها ، وابن عبد ربه في العقد ، والاصبهاني في الاغاني ، واشعار الكثيرين من الشعراء العباسيين . وقد استقل كل هذه الشواهد احمد امين في فصل ممتع من « ضحى الاسلام » (ص ٤٤-٧٩) رجعنا اليه فاستفدنا منه . ومن المفيد

اسلحة العرب

كان العرب يحاربون واسلحتهم الآتية :

١ً — انهم افضل الناس ، لأن النبي منهم ، وهم الذين هـدوا الشعوب الى الحق.

٢ً — انهم اكرم الناس اخلاقاً ، ينحرون للضيف، ويحافظون على انسابهم.

٣ً — انهم اشد الناس انفةً من العـار وبعداً عن الاستعباد لأنهم لم يخضعوا لاحد قبل الاسلام ، بل انهم اخضعوا الناس بعده.

٤ً — انهم اشعر الناس ، بل ان الشعر وُلد فيهم فلم يتجاوزهم الى غيرهم.

اسلحة الفرس

اما اسلحة الفرس خاصة ، والشعوبية عامةً ، فهذه هي. وفي كلها ردّ لمزاعم العرب:

١ً — ان يكن النبي من العرب فاكثر الانبياء كانوا من غيرهم. ولا يجوز فخر العرب بالاسلام ؛ لان الاسلام ، في زعم العرب انفسهم ، غير مقصور على العرب.

٢ً — اما كرم الاخلاق فاين هو ؟ وليس مجالاً للفخر ان يضيف البدوي نزيله في تلك الصحراء ، وكل بدويّ عرضة لان يصبح ضيفاً يوماً ما. ثم انها لمكرمة صغيرة ، ان كانت مكرمـة ، لا تستحق ان يطبّل بها الشعراء ويتيهون بذلك فخراً. اما الحرص على الانساب فهو من نوع التضليل ، واي انساب لهم ؟ وقد كانوا في جاهليتهم لا يتقيدون بنوع الزواج المعروف.

٣ً — اما عدم خضوعهم لسلطان الروم والفرس في جزيرتهم فلا ينتج من شجاعتهم ولا من انفتهم. انما ذلك لان الروم والفرس لم يروا مـا يصلح في جزيرة العرب لان يسيروا اليها ، وهم لو ارادوا لمـا وقف البدو في وجوههم. ثم ان الفوضى لا تصلح مادة للفخر، فاذا شاؤوا فليفتخروا بتلك كتلك الفراعنة

كذلك ان يُراجع فصل مكدونالد في « الشعوبية » واستنادها الى النزعات القومية :
D. B. Macdonald, *Shuʿūbiya* [Encyclop. de l'Islām V, 410]

والمماثلة والقياصرة والاكاسرة.

٤ً ــ وهنا يفيض الفرس في تبيان مزاياهم من الحضارة والادب والتاريخ . . .

٥ً ــ اما الشعر فلم ينفرد به العرب ، فللفرس ، ولليونان ، وللروم شعر وخطب وبيان ساحر . فضلاً عن ان ذاك الشعر الجاهلي اصبح مما يكرهه العصر والمدنية.

هذه بالاختصار اهم اسلحة المتعاركين.

ثم ساروا يتقارعون ، وهم في صراعهم يستخدمون كل شيء من القرآن ، الى الحديث ، الى الشعر :

يستغلون القرآن . فيقول العرب انما عنانا ، اذ قال : « كنتم خيرَ امةٍ أُخرجت للناس » . . . [1]

فيقول الفرس وقد قال : « يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكرٍ وأُنثى ، وجعلناكمْ شعوباً وقبائل لتعارفوا »[2] . . . وانما معنى الشعوب : بطون العجم ، والقبائل : قبائل العرب ، والمقدّم افضل من المؤخر.

ثم يستغلون الحديث فيضع العرب على النبي احاديث عديدة من امثال :

« مَن غشّ العرب لم يدخل في شفاعتي ولم تنله مودّتي . »

« اذا اختلف الناس فالحقُّ في مضر . »

« احبوا العرب لثلاث : لاني عربي ، والقرآن عربي ، ولسان اهل الجنة في الجنة عربي . »

فيضع الفرس احاديث وروايات تقاومها من مثل :

« لا تسبّوا فارساً ، فما سبّه احد الّا انتقم منه عاجلاً او آجلاً . »

« قد ذكرت الاعاجم عند الرسول فقال : « لأنا بهم اوثقُ مني بكم ! »

و« رأى النبي كأنه رَدِفَه غنمٌ سود ، فرَدِفَته غنمٌ بيض ما يرى السود فيها لكثرتها . فاخبر النبي بذلك ابا بكر ، فقال : « السود العرب ويسلمون ، والبيض العجم يسلمون بعدهم حتى ما يرى فيهم العرب لكثرتهم . »

---

١) ٣ [آل عمران] ١٠٦

٢) ٤٩ [الحُجرات] ١٣

ثم يستغلون الشعر.

فيجري العرب على طريقتهم من الفخر بانفسهم ويهجون العجم. ومن هذا شيء كثير مشهور نكتفي منه بالقليل، ونتبسّط في سرد اجوبة شعراء الفرس، لانها اقل شهرةً :

فيقول العربي :

انا من النفر الذين جيادهم طامت على عادٍ بريحٍ صَرْصَرِ
وسلبنَ تاجَي ملك قيصر بالقنا واجترنَ باب الدرب لابن الاصغر

ويهجون ائمة الفرس، والبرامكة في مقدّمتهم، فيقولون :

اذا ذُكر الشرك في مجلسٍ، انارت وجوه بني برمكِ
وان تُليت عندهم آيةٌ، اتوا بالاحاديث عن مَزْدَكِ

ويقول رجل من اهل الشام يقابل بين البرامكة والامويين :

ابعد مروان وبعد مسلمه وبعد اسحق الذي كان له
صار على الفرفرنجُ الرُّخمه ان لنا بفضل يحيى نقمه
مهلكةٌ مبيرةٌ متقمه، اكل بني برمكَ اكل الحُطمه
ان هذا الاكل يوماً لَثَمه أيسر شيء فيه حزُّ القَلْصمه

فيجيبهم شعراء الفرس قائلين :

فلستُ بتاركٍ ايوان كسرى لتوضحَ، او لمومَلَ، فالدخول
وسيرَ في المملا ساعٍ، وذئب جا يعوي، وليثٍ وسط غيل

ويقول الخوبي مقابلاً الفخر بالعرب بالفخر بالفرس :

ونادينا من مروٍ وبلخٍ فوارساً لهم حسبٌ في الاكرمين حسيبُ
وان ابن ساسان كسرى بن هرمزٍ، وحاقانَ لي، لو تعلمين، نسيبُ
ملكنا رقاب الناس في الشرك، كلهم لنا تابعٌ طوع القياد جنيبُ
سومكم خسفاً، ونفضي عليكم بما شاء منا مخطئٌ ومصيبُ

ويقول بشار :

من خراسان، وبيتي في الذرى؛ والذي المعساة، فرعي قد سبق

وله ايضاً :

واني لمن قوم خراسانُ دارُهم كرامٍ، وفرعي فيهم ناضرٌ بسقُ

ويقول المتوكلي ، شاعر المتوكل ونديمه :

... وأولاكم الملك آباؤنا فما ان وفيتم بشكر النعم
فعودوا الى ارضكم بالحجاز ، لأكل الضباب ، ورعي الغنم
فاني سأعلو سرير الملوك بحد الحسام وحرف القلم

وكثيراً ما كان يتجاوز هذا الى التهكم باساليب شعراء العرب انفسهم في الفخر، كما قال مخلد الموصلي يتهكم على من كان كثير الافتخار بعربيته:

انت عندي عربيٌّ ليس في ذاك كلام !
عربيٌّ ، عربيٌّ ، عربي ، والسلام .
شعراجفانك قيومٌ ، وشيحٌ ، وثمام .

وهذا ، وقد قال له احد شعراء العرب: ما للموالي والشعر ؟ فقال :

احين كُسيتَ ، بعد العُري ، خزّاً ، ونادمت الكرامَ على العُقار ؟
تفاخر ، يا ابن راعية وراعٍ ، بني الاحرار ؟ حسبُك من خسار !
تريغ بخطبة كسرَ الموالي وبُنيك المكارمَ عبدُ فار
وكنتَ ، اذا قلمت الى قراحٍ ، شركتَ الكلب في ولغ الإطار
وتندو للقنافذ تدّريها ، ولا تغفل لدوّاج الديار ،
وتنشحُ الشال للابسيها ، وترعى الضأن بالبلد القفار .

وقد ولّد هذا النزاع فناً جديداً في الشعر قائماً على التهكم بمطالع المتقدمين والدعوة الى اختطاط اسلوب جديد في الشعر العربي ؛ فكان ، من هذه الناحية، حسن الثمرة لذيذ الانتاج . وكان بشّار وابو نواس اشهر الداعين اليه مما نتبسط فيه اذا رُفقنا الى الكلام على الادب . وقد يمكننا منذ الآن ان نشير الى شيء من هذه الابيات التي تمثل ، بازاء النزعة الادبية الجديدة ، نزعةً عنصرية تمتّ الى الشعوبية بسبب قوي ؛ كابيات ابي نُواس :

قل لمن يبكي على رسم درس واقفاً : ما ضرّ لو كان جلس !
عاج الشقي على رسم يسائله ، وعجت اسأل من خمّارة البلد
يبكي على طلل الماضين من اسد ؛ لا درّ درّك ! قل لي : من بنو أسد ؟
ومن تميم ، ومن قيس ، ولفّهما ؟ ليس الاعاريب عند الله من احد !
لا جفّ دمع الذي يبكي على حجر ، ولا صفا قلب من يصبو الى وتد !
اعدل عن الطلل المحيل ، وعن هوى نأت الديار ، ووصف قدح الأزند

ودع العُريب ، وخلّها في بؤسها لمحارف إلف الشقاء مُزنّد

وقد استغلّ المتعاركون ايضاً طرق التأليف فكثرت الكتب من جهة في مناقب العرب وفضائلها ، ومن جهة في مثالب العرب ومناقب الفرس . وكان من ممثلي الحزب الاول الاصمعي ، والثاني ابو عبيدة . الا ان اكثر الكتب من الفئة الثانية لم تصل الينا لأن المسلمين ، بعد هذا العصر ، رأوا في الدعوة الشعوبية خروجاً على الاسلام ، فاتلفوها .

موقف الخلفاء

وقد يتساءل الباحث عن موقف الخلفاء من كل هذا ، فنقول انه يكفينا ذكر بعض شواهد تجيب عن هذا السؤال افصح جواب :

قال السيوطي ان المنصور « اول من استعمل مواليه على الاعمال وقدّمهم على العرب . وكثر ذلك بعده حتى زالت رئاسة العرب وقيادتها . »[1]

وقال الطبري : « كان للمنصور خادم اصفر الى الأدمة ، ماهر لا بأس به . فقال المنصور يوماً : ما جنسك ؟ قال : عربي ، يا امير المؤمنين . قال : ومن اي العرب انت ؟ قال من خولان سُبيت من اليمن فاخذني عدوٌ لنا . . . فاسترققت فصرت الى بعض بني امية ثم صرت اليك . قال : أما انك نعم الغلام . ولكن لا يدخل قصري عربي يخدم حرمي . اخرج ، عافاك الله ، فاذهب حيث شئت . »[2]

وتأثير البرامكة مشهور على عهد الرشيد . وكذلك تأثير الفرس على عهد المأمون ، ومن بعده حتى المتوكل الذي قدّم الترك ، فقضوا على النفوذ الفارسي والعربي معاً . ولم يكن يتراجع كبار رجال الدولة من الفرس عن التبجح بتسلطهم على الدولة باجمعها ، ومنّهم على الخلفاء بنصرهم اياهم . فكان الخراسانيون يقولون : « نحن اهل هذه الدولة ، واصحاب هذه الدعوة ، ومنت هذه الشجرة ، ومن عندنا هبت هذه الريح . والانصار انصاران : الأوس والخزرج نصروا النبي في اول الزمان . واهل خُراسان نصروا ورثته في آخر الزمان . »[3]

---

١) تاريخ الخلفاء (طبعة مصر) ، ١٠٥ .

٢) الطبري : تاريخ الرسل والملوك (طبعة de Goeje) ٣ : ٤٣٩

٣) الجاحظ : مناقب الترك ، ص ٨

وكان الابناء يقولون : « ولنا بغداد بأسرها تسكن ما سكنّا ، وتحرّك ما تحرّكنا . والدنيا كلها معلّقة بها وصائرة الى معناها . . . » [1]

من الحق ان النزعة العربية كان لها تقدّم وانتصار بعض الاحيان، كما حصل اذ قتل المنصور ابا مسلم ، واذ اوقع الرشيد بالبرامكة ، واذ خلع الامين بيعة المأمون . . . انما هو انتصار موقت ، لا يظهر الا تراجع امام النفوذ الفارسي ، حتى يمكننا ، وقد عرضنا لجميع مظاهر هذا العراك ، ان نستنتج قائلين :

ان يكن الفرس فشلوا في الدين فلم يتمكنوا من وضع المجوسية موضع الاسلام ، فقد وفّقوا بعض الشيء في اللغة اذ طيّعوها وذلّلوها لهم وتسلّطوا عليها . ووفّقوا في الادب كذلك فحوّلوه وادخلوا فيه عاداتهم واخلاقهم وعملوا ، بمعاونة باقي العناصر الشعوبية ، على قتل الادب العربي الصميم. بيد انهم وفّقوا كل التوفيق في محيط السياسة والادارة فحوّلوا الخلافة العربية الى مملكة فارسية باكثر مظاهرها . . . حتى امكن الجاحظ ان يقول : « دولة بني العباس اعجمية خراسانية . » [2]

الترك

كانوا في اول امرهم خدّاماً عند الخلفاء . اول من اتخذهم ، على قول القلقشندي ، ابو جعفر المنصور، اتخذ حمّادًا التركي. ثم اتخذ المهدي بعده مباركاً التركي . ثم اكثر الخلفاء من الاتراك بعد ذلك . وكان ان المعتصم اراد ان يتخلّص من الرقابة الفارسية فعزّز الترك ، حتى بلغ جنده منهم ٧٠ الفاً ، فخرج بهم عن بغداد الى سامرّا [3] .

وكان هذا الانتقال انتصارًا للترك على الفرس في نظره ، وانتصارًا للترك على الفرس ، وعلى العرب ، وعلى الخليفة نفسه في نظر الحقيقة.

ثم اخذ عددهم يزداد في بطانة الخليفة . ووافقهم ان المتوكل كان يبغض

١) الجاحظ : الكتاب المذكور ، ص١٦

٢) الجاحظ : البيان والتبيين ٣ : ٢٠٦

٣) اطلب بحثنا السابق في « مشرق » هذه السنة ، ص ٩٤

الفرس ايضاً ، فعزّزهم ليدافعوا عنه . ومن ثم بدأ استبدادهم بالخلفاء ، وهم اجرأ من الفرس واقرب الى اراقة الدم لقربهم من الفطرة، وبعدهم عن الحضارة والرقي. فكان اولى ضحاياهم من الخلفاء المتوكل نفسه، قتلوه سنة ٨٦١، وولّوا ابنه المنتصر. فزاد استبدادهم . ومما يروي المؤرّخون انه لما تولى المعتزّ بالله سنة ٨٦٦ قعد خواصّه واحضروا المنجّمين وقالوا لهم: « انظروا كم يعيش الخليفة وكم يبقى في الخلافة؟ ». وكان في المجلس بعض الظرفاء فقال: «انا اعرف من هؤلاء بمقدار عمره وخلافته» . فقالوا له: « فكم تقول انه يعيش وكم يملك؟ » قال : «مهما اراد الاتراك . » فلم يبقَ في المجلس الا من ضحك[1] .

ولم يرد الاتراك ان يعيش الا ثلاث سنوات فقتلوه سنة ٨٦٩ شرّ قتلة كما ذكر ابن الاثير قائلاً انهم « جرّوه برجله الى باب الحجرة وضربوه بالدبابيس وخرقوا قميصه، واقاموه في الشمس في الدار. فكان يرفع رجلاً ويضع اخرى لشدة الحرّ، وبعضهم يلطمه ... ثم ادخلوه سرداباً وجصّصوا عليه فمات. »[2] ويطول بنا الشرح لو شئنا ان نستقصي افاعيلهم بالخلفاء .

وقد كانت سلطتهم المطلقة على الجيش يسيّرونه كيف شاؤوا لانهم كانوا فيه اكثرية. ذكر الجاحظ ان جند الخلافة، على عهد المتوكل، كان خمسة اقسام: « خراساني، وتركي، ومولى، وعربي، وبنوي » . ثم لم يرضَ الفتح بن خاقان، وزير المتوكل، ان يميّز بين التركي والخراساني « لانهما اخوان » ، كما قال . وكذلك قال : « ان البنوي خراساني » . واذاً فان اربعة اخماس الجيش، من حيث تركيب العناصر كانت متحدةً على العرب . اما من حيث العدد فكان اكثرهم الاتراك . وهو ما سهّل للجاحظ ان يقول : « فصاروا للاسلام مادّة ، وجنداً كثيفاً ، وللخلفاء وقايةً وموئلاً وجُنةً حصينةً وشعاراً دون الدثار . »[3]

---

١) ابن الطقطقي. الفخري في الآداب السلطانية (طبعة مصر) ص ١٨١

٢) ابن الاثير: الكامل ٧: ٦١

٣) الجاحظ : مناقب الترك ، ص ٤٩

وللجاحظ رسالة في «مناقب الترك» ارسلها الى الفتح بن خاقان وعدّد فيها فضائلهم، وكلها حربية اشهرها صبرهم على احتمال الشدائد من تعب وجوع وعطش، ومقاساة عراك. ورشاقتهم في الرمي والطعن بالرمح القصير الاجوف، واستعمال الوهق. ومنها انهم يصنعون اسلحتهم بايديهم ويحاربون فرساناً على البراذين لا يركبون غيرها. وهي صورة كذلك على المشاق تقنع قناعتهم وتقاسي مقاساتهم، فلا يكلفون الدولة كثيراً. فالتركي، على حدّ قول الجاحظ، «هو الراعي، وهو السائس، وهو الرائض، وهو النخّاس، وهو البيطار، وهو الفارس. فالتركي الواحد امّة على حدة.»[1]

وله كلمة تدلّ على نفور التركي من النظام الاجتماعي المقرّر، وميله الفطري الى الغزو والغارات، لا بأس بايرادها قال:

«وكذلك الترك اصحاب عمد وسكان فيافٍ وارباب مواشٍ. وهم اعراب العجم، كما ان هذيلاً اكراد العرب. فحين لم تشغلهم الصناعات ولا التجارات ولا الطب والفلاحة والهندسة، ولا غرس ولا بنيان ولا بثق انهار ولا جباية غلات؛ ولم تكن همهم غير الغزو والغارة والصيد وركوب الخيل ومقارعة الابطال وطلب الغنائم وتدويخ البلدان، وكانت همهم الى ذلك مصروفة، وكانت لهذه المعاني والاسباب مسخّرة ومقصورة عليها وموصولة بها، احكموا ذلك الامر باسره واتوا على آخره وصار ذلك هو صناعتهم وتجارتهم ولذّتهم وفخرهم وحديثهم وسمرهم. فلما كانوا كذلك صاروا في الحرب كاليونانيين في الحكمة، واهل الصين في الصناعات، والاعراب في ما عددنا ونزلنا، وكآل ساسان في الملك والسياسة.»[2]

اما العلوم والآداب فكان من الطبيعي ان لا يهتم بها الترك اهتمام الفرس، لانهم كانوا، على حدة اذهانهم، قليلي الاضطلاع بالثقافة العقلية، لم يتعوّدوا الاستقرار والتفكير. ولم نعرف نابغةً منهم يُذكر قبل العصر العباسي الثالث، اي قبل ان يمرّ عليهم في الدولة الجديدة اكثر من مائتي سنة.

١) الجاحظ: مناقب الترك، ص ٢١

١) الجاحظ: مناقب الترك، ص ٤٥-٤٦

الآراميون

وبضدّ الترك ، من حيث الاثر العقلي والثقافي ، كان الآراميون ، نقلة العلوم واساتذة المنطق والطب.

كانوا في تلك البقعة من قبل وصول الاسلام . كما يدل اسم الكرخ ، قبل بناء بغداد ، واسم الشماسية السريانيين[1] . والآراميون قسمان : شرقيون ، وعنهم تفرّع النساطرة او الكلدان . وغربيون ، وعنهم تفرّع اليعاقبة او السريان . وكانت لهم الديورة والمناسك والمدارس المهمة تنشر ثقافتهم اليونانية الاصل والسريانية اللغة . وقد اشتهر من تلك المدارس مدرسة جنديسابور في خوزستان . وجنديسابور من بناء سابور الاول ملك الفرس ، اتخذها مركزاً لاسرى الروم . فكان لهم يد في نشر الثقافة اليونانية . ثم قام النساطرة واليعاقبة فنشروا ، بلغتهم السريانية ، تلك الفلسفة اليونانية المنصّرة بطريق مدرسة الاسكندرية ، ثم مدرسة الرُّها او اديسا . وكان لهم بجنديسابور بيمارستان تُعالج فيه المرضى ، ويدرَّس الطب والعلوم اليونانية باللغة السريانية ايضاً . وقد نشروا تلك الفلسفة باللغة الفارسية بين الفرس اولاً ، ثم بين العرب . وبها تأثر المسلمون في مجادلاتهم الدينية وفي مناقشات فرقهم كالمعتزلة وما اليها ، وذلك قبل ان تُنقل الكتب اليونانية الى العربية نقلاً منظماً على عهد المأمون . فكان اثر الآراميين سابقاً للترجمة عن اليونانية ، كما كانوا البادئين بهذه الترجمات ، فاخذوها اولاً عن السريانية ثم عن اليونانية رأساً ، واتصلوا بالعرب اتصالاً وثيقاً في بغداد . ولا يخفى ان الكلام عن مجالس النقلة والمناطقة وارباب الكلام من النساطرة واليعاقبة يتطلب بحثاً على حدة . على اننا نكتفي الآن بذكر اشهرهم نقلةً كانوا ام منجمين ، ام اطباء[2] .

---

١) راجع بحثنا السابق ص ٦٦ وما يليها

٢) اخذنا اكثر المعلومات عن اطباء الآراميين ونقلتهم وسائر علمائهم عن القفطي : تاريخ الحكماء ، وابن ابي اصيبعة : عيون الانباء في طبقات الاطباء (طبعة مصر) ، وخصوصاً ابن العبري : تاريخ مختصر الدول (طبعة صالحاني) . ولما كان بحثنا هذا ملخصاً لا يكاد يتجاوز سرد اسماء الاعلام ، لم نرَ من حاجة لذكر صفحات المآخذ .

وكان اول اتصال الآراميين بالخلفاء عن طريق الطب ، ثم التنجيم . فقد ذكر القفطي ، ومن تبعه من المؤرخين ، ان ابا جعفر المنصور أصيب بمرض في معدته لم يستطع اطباؤه معالجته ، فدلّوه على جيورجيس بن بختيشوع ، رئيس اطباء جنديسابور . فعالجه وشفاه . ومن ثم اتصلت هذه الاسرة النسطورية الشهيرة بخلفاء العباسيين على مدة ثلاثة قرون . فكان منها بختيشوع بن جيورجيس ، طبيب الرشيد ؛ وجبريل بن بختيشوع ، طبيب المأمون وجعفر ، وبختيشوع بن جبريل ، طبيب المعتصم والواثق والمتوكل ؛ وعبيد الله بن بختيشوع طبيب المقتدر ؛ وجبريل بن عبيد الله ، طبيب ملوك آل بويه ؛ وعبيد الله بن جبريل الذي نبغ في عصر بعد العصر الذي يهمنا . وقد امر الرشيد احدهم جبريل بن بختيشوع ان يبني ببغداد بيمارستاناً على شكل بيمارستان جنديسابور فبناه . وكانت ادارته وقفاً على اطباء جنديسابور وتلامذتهم .

ولقد كان الطب في ذلك الحين يمثّل اعلى درجة من الثقافة ، لان الطبيب كان يقرن بعلمه معرفة المنطق والفلسفة ، والالهيات ، والحساب ، والهندسة ، والنجوم ، والموسيقى احياناً . واشهر من نعرف من فلاسفة العرب ، كانوا اطباء كالكندي وابن سينا وابن رشد وغيرهم كثير .

وهكذا كان اطباء النساطرة واليعاقبة يشتغلون بالفلسفة والمنطق . فمنهم من يغلب عليه الطب كآل بختيشوع ، وعيسى بن شهلانا ، وعيسى الصيدلاني طبيب المهدي ، وجبريل الكحّال ، اي طبيب العيون ، من اطباء المأمون . ويوسف الساهر المعروف بالقسّ ، النابغ في ايام المكتفي ، سمي الساهر لانه كان لا ينام في الليل الا ربعه او اربعه . وابن العطار عيسى بن يوسف ، طبيب القاهر . ومنهم من تغلب عليه الفلسفة والمنطق كيوحنا بن البطريق . وقد كان هؤلاء يعنون بترجمة الكتب اليونانية اما رأساً واما بطريق السريانية . واشهرهم في ذلك يوحنا بن ماسويه السرياني ، طبيب المعتصم ، ولاه الرشيد ترجمة الكتب الطبية القديمة ، وتلميذه حنين بن اسحق البارع باليونانية ، وابنه اسحق بن حنين المترجم الفيلسوف ، واخوه داود طبيب العامة ، وابن عمهما حبيش بن الاعسم . ومتى بن يونس المنطقي النسطوري تلميذ «اسكرل مار ماري» ، على

قول ابن العبري ، المتعلم على يدي الراهبين اليعقوبيين روفيل وبنيامين . «وقد انتهت اليه رئاسة المنطقيين في عصره ومصره.» وسرجيس الراسعيني اليعقوبي.

ومن مشاهير النصارى الآراميين في المنطق والفلسفة والترجمة قسطا بن لوقا البعلبكي ، ويحيى بن عدي اليعقوبي التكريتي.

وقد كان لهؤلاء ثقافة واسعة تستند الى الادب استنادها الى العلم. فكانوا في مجتمعاتهم يتذاكرون الشعر السرياني واليوناني ، فضلاً عن العربي . وقد اشار ابن العبري الى انهم كانوا يتناشدون المقاطع من شعر هوميروس باللغة السريانية.

ونحن نعرف ان الالياذة والاوديسية كانتا مترجمتين الى السريانية شعراً . ترجمها تيوفيل الرهاوي رئيس منجمي المهدي . «وكان تيوفيل هذا ، في قول ابن العبري ، على مذهب الموارنة الذين في جبل لبنان من مذاهب النصارى . وله كتاب تاريخ حسن . ونقل كتابي اوميروس الشاعر على فتح مدينة ايليون في قديم الدهر من اليونانية الى السريانية بغاية ما يكون من الفصاحة .»[1]

وقد اشتغل الآراميون كذلك بالتنجيم كما عرفنا في ذكر تيوفيل . جرّهم الى اتقان ذلك معرفتهم بالامور الفلكية ، واهتمام الخلفاء العباسيين بالتنجيم او معرفة المستقبل بواسطة النجوم. فقد ذُكر عن المنصور انه استشار المنجمين في زمن الابتداء ببناء بغداد ؛ والواثق، لما اشتدّ مرضه، احضر المنجمين فاستشارهم في تاريخ موته فانبأوه انه يعيش خمسين سنة ، فلم يعش بعد قولهم الا عشرة ايام. وكان الخلفاء عامة يستشيرون المنجمين قبل الخروج بالغزو ، او قبل حصار

---

(١) ابن العبري: الكتاب المذكور ، ص ٢١٦-٢٢٠

اما ترجمة الرهاوي لنحسني هوميروس فلم يعثر عليها ، رغم تنقيب العلماء وابحاثهم. وقد ذكر معرّب الالياذة «ان العلامة السمعاني المارونى عثر على نسخة منها فحملها في ما حمل الى رومية من نفائس المخطوطات في اواسط القرن الثامن عشر . واصابته عاصفة في البحر فطفت على السفينة ، فغطت كثيراً من تلك النفائس . ومن جملتها منظومات ازهاوي.» (سليمان البستاني: الياذة هوميروس معرّبة نظماً ، ص ٢٦٦). وقد ننوقل من ترجمة الالياذة ' من النشيد الثاني ، شطران سريانيان اوردهما معرّب الالياذة ' في الصفحة ٢٦٤، بمناسبة المعنى الذي اشارا اليه وهو :

لا يستقيم الامر ' الا إن يكن فردٌ يخوّل صولجان الصولة

المدن، كما حصل للمعتصم في فتح عمورية، فلم يسمع قولهم وهجم عليها ففتحها. وقد كان من فضل هذا التنجيم ان وفق ابا تمام الى مطلع بائيته الجميل :

السيف اصدقُ انباءً من الكتب في حدّه الحدُّ بين الجدّ واللعب

ولعلّ اكثر الخلفاء اهتماماً بهذا العلم كان المهدي، فاكثر من المنجمين وجعل رئيساً عليهم تيوفيل الماروني السابق الذكر.

وقد اشتهر من الآراميين ايضاً بهذا العلم وبالحساب اللاحق به يحيى بن ابي المنصور، وكان من اقدر فلكيي عصره على رصد الكواكب حتى ان المأمون، لما عزم على التدقيق في حسابات الرصد، «تقدّم اليه والى جماعة من العلماء بالرصد واصلاح آلاته ففعلوا ذلك بالشماسية ببغداد، وجبل قاسيون بدمشق.»[1]

الا ان الآراميين لم ينجحوا، على الغالب، بالنجوم والتنجيم نجاح الفرس، ومنهم آل نوبخت، وابو معشر البلخي، وحبيش الحاسب، واحمد بن كثير الفرغاني، وابناء موسى الخوارزميو الاصل. ولم يبلغوا خاصة شأو الحرّانيين. وهم سكان مدينة حرّان في الجزيرة العليا بين الرها وراس العين. واشهرهم ثابت بن قُرّة الرياضي الكبير منجم المعتضد، وسنان بن ثابت الطبيب، وثابت ابن سنان مدير بيمارستان بغداد، ومحمد بن جابر بن سنان، وهلال الصابئ. وقد غلبت الرياضيات والنجوم والتنجيم على اهل حرّان، كما غلبت الفلسفة والطب على الآراميين.

وهناك قوم من نصارى بغداد غير الآراميين، كان لهم أثر في تلك المدينة وهم مَن كانوا يدعونهم بالروم. وشاهدنا على وجودهم اسم الحي المعروف «بدار الروم»، جنوبي الشماسيّة، على الشاطئ الشرقي من دجلة. وكان هؤلاء إمّا من تجار البيزنطيين يأتون من بلادهم آن السلم، فيقيمون المدة بعد المدة وقد يستوطنون بغداد. واما من الاسرى يقودهم المسلمون على اثر الحروب فيبيعونهم، او يُسلمون فيصبحون من الموالي. وقد كان من الروم

[1] ابن العبري: الكتاب المذكور، ص ٢٢٧

جوار كثيرات اشتهرنَ بفنون الادب والغنـاء والموسيقى الرتوية . وان من يطالع كتاب الاغاني يرى ان اكثر المغنيات المشهورات كنّ من الفرس او من الروم او من المولدات ، كما ان اكثر المغنين واشهرهم كانوا من الفرس كذلك .

والفرس والروم واليهود كادوا يحتكرون بيع الخمر وادارة بيوت الشرب واللهو، حتى روى الجاحظ عن ابراهيم بن هاني ــ وكان ماجناً خليعاً كثير العبث متمرّداً ــ قال : « ومن تمام آلة الخمار ان يكون ذمّياً ويكون اسمه اذين او مازيار او ازدانقاذار ، او ميشا او شلوما . » وهي اسماء فارسية ونصرانية ويهودية .

اليهود

وكذلك اورد الجاحظ ان مما «عظم النصارى في قلوب العوامّ وحبّبهم الى الطغام أن منهم كتّاب السلاطين ، وفراش الملوك ، واطباء الاشراف، والعطارين ، والصيارفة. ولا تجد اليهودي الا صبّاغاً او دبّاغاً او حجّاماً او قصّاباً او شمّاباً»[1]

هذه الصناعات كانت لليهود على عهد الجـاحظ . بيد ان هؤلاء لم يلبثوا ان عظم شأنهم فنزلوا حيّاً خاصّاً في بغداد دُعي « درب اليهود »[2] . واخذوا يتوسّعون بالاعمال التجارية ، حتى توصلوا الى الاخذ بالاساليب المـالية الكبرى كفتح المصارف المهمة وضمان حاجات الجيوش ، بل كانوا اول من فتح المصارف الدولية في العالم[3] . فكان لهم في بغداد الادارات المركزية ، وفي سائر المـدن الكبرى الشعب التنويـة . ثم تقـدّموا حتى انهم كانوا يسكّون النقود لحساب

١) شمّاباً : مصلح الشعب اي الصدع . الجاحظ : الردّ على النصارى (في مجموعة ثلاث رسائل ، طبعة J. Finkel ، ص ١٧)

٢) نسب الى هذا الحيّ المحدّث ابو محمد عبد الله بن عبيد الله بن يحيى اليهودي . راجع ياقوت : معجم البلدان ٤ : ٤٥٠-١ ، مادة يهودية .

٣) اطلب في هذا بحثاً جامعاً لماسينيون :

L. Massignon, *L'influence de l'Islam au Moyen âge sur la fondation et l'essor des banques juives.* [*Bull. d'études orientales* de l'Institut français de Damas, t. I]

وقد استفدنا منه في ما يلي

الخلافة . وكان الخليفة يضع بين ايديهم جواهر المملكة ، ويعطيهم اسرى الحرب. فكانوا يحتكرون العتلة، ويضمنون الغزوات والجهاد، فيقدّمون للجيوش المؤن والذخائر ويأخذون الاسرى والسبايا والاسلاب.

وكذلك كانوا يحتكرون الصياغة ، او سوق الصرف ، والقيسارية او سوق الانسجة الاجنبية الفاخرة.

ومما يجدر بالذكر ان وزارة الدولة على عهد المقتدر (٩٠٨-٩٣٢) منحت بعض صيارفة بغداد من اليهود لقب « جهابذة الحضرة » — والجهبذ في الاصل الناقد ، العارف بتمييز الجيد من الردي — ويراد به الصيرفي الرسمي تضع السلطة بين يديه بعض وارداتها وتطلب منه ما تحتاج اليه من المال للنفقات المختلفة . اما هؤلاء الجهابذة فكانوا يوسف بن فنحاس او ينحاس — وقد ورد في تاريخ الوزراء للصابي : ابن فيجاس[1] — وهرون بن عمران ، وزكريا ابن يوحنا . وقد يكون هذا الاخير نصرانيًا، كما لاحظ ماسينيون[2]. فكانت السلطة تُغدق عليهم نعمها تارةً ، وطورًا تصادرهم وتضيّق عليهم في طلب المال[3] . واحيانًا تتفق معهم اتفاقًا يكون في مصلحة الجميع كالاتفاق الذي عقده الوزير ابو الحسن علي بن عيسى مع يوسف بن فنحاس وهرون بن عمران ، وملخّص شروطه ان الوزير قال للجهبذين المذكورين :

« انني احتاج في مستهلّ كل شهر الى مال اطلقه في ستة ايام منه للرّجالة ما مبلغه ثلاثون الف درهم . وربما لم يتّجه لي في اول يوم من الشهر ولا في ثانيه . واريد ان تُقرضاني في اول كل شهر مائة وخمسين الف درهم . وترجعانها من مال الاهواز في مدة ايامه ، فان جهبذة الاهواز اليكما. ويكون هذا المال سلفًا واقفًا لكما ابدًا . وأضيف الى هذا المال الوظيفة التي على حامد وترد في كل شهر وهي عشرون الف دينار . فيكون ذلك بازاء مال القسط

---

١) هلال الصابي: تحفة الامراء في تاريخ الوزراء (طبعة Amedroz) ص ٧٩ و١٠٨

٢) Massignon, *loc. cit.* p. 5, note 5

٣) الصابي: الكتاب المذكور ٧٩-٨٠

الاول .» [1]

وقد حُمل الوزير على عقد هذا الاتفاق لانه كثيراً ما كان يحلّ موعد دفع مرتبات الموظفين ، ولا مال لديه ، فيُدفع الى الاستسلاف من التجار على سفاتج « بربح دانق ونصف فضة في كل دينار يلزمه في كل شهر . » [1] اي ما يعادل ٣٠ بالمائة في السنة ، وهي فائدة باهظة . فرأى في هذا الاتفاق المذكور ، على ما فيه من الشروط الموافقة للصيرفيين ، مخرجاً من ذلك المأزق. وهو افضل لسمعة السلطة من الاستسلاف ، كما انه افضل من الالتجاء الى اعادة سكّ النقود وانقاص عيارها . وظلّ الاتفاق جارياً مدة ستة عشر عاماً على يوسف بن فنحاس وهرون بن عمران « ومن قام مقامهما » [1]

وكان الصيارفة اليهود يحفظون لحساب الدولة محصول « ديوان المصادرات » اي مجموعة الغرامات التي كانت الحكومة تفرضها على من كان يرتكب من الموظفين ، فيستغلّونها ويقسمون الفوائد بينهم وبين الوزراء . وذلك بناء على اتفاق سرّي بين الصيرفي والوزير ، كما يستخلص من تاريخ الوزراء للصابي في المواطن المذكورة سابقاً . وقد يكون الخليفة عارفاً بهذا الاتفاق فيستفيد منه ايضاً . يدفعنا الى هذا الرأي ما وُجد في دفاتر ابن فنحاس وشريكه عندما صادرهما الوزير علي بن عيسى ، وكانا قد اتفقا اتفاقاً سرياً مع الوزير السابق ابن الفرات على الكثير من المضاربات المالية . فلما نُكب ابن الفرات ، اراد علي بن عيسى محاسبتهما فلم يجد في الحساب الا إحالات على « حُمل الى الخليفة والسادة . وشيء انصرف في خاصّ نفقات ابن الفرات . » [2]

وهكذا فانهم كانوا يربحون الخليفة، والوزراء ايضاً، دون ان تأثم الدولة باستعمال الربا . وكانت هذه الفوائد تسدّ عجز الميزانية في الدولة الذي كان يبلغ احياناً نحو المليونين من الدنانير ، كما يظهر من ارقام موازنة السنة ٩١٨ ، على عهد المقتدر ، وقد بلغت دخلاً ١٤,٨٢٩,١٨٨ ديناراً (اي اكثر من ٩

١) الصابي: ك.م. ص ٨١

٢) الصابي: ك.م. ص ٨٠

ملايين ليرة ذهبية فرنسوية)[1] وخرجاً ١٦,٩١٩,٠٨٢ ديناراً[2].

ومن اعمال اليهود المالية انهم كانوا يؤلفون شركات مساهمة لتجهيز القوافل الكبيرة بين مدن العالم الاسلامي ، بل لتجهيز الغزوات البحرية ، في منابك الخليج العجمي ، على افريقية لسبي العبيد او لشراء البضائع الثمينة في الهند والصين ، وكذلك كانوا يجهزون الغزوات البرية حتى اواسط آسية وبلاد السودان الشرقية.

وكثيراً ما ضمنوا جباية الضرائب في المقاطعات السحيقة.

وكانوا ، فوق ذلك ، يستعملون المضاربة بالاسعار ، وباسعار العملة خاصة ، يسهّل عليهم ذلك وجود عملتين في تلك الدولة : العملة الفضية ووحدتها الدرهم ، والعملة الذهبية ووحدتها الدينار . وقد قدمنا[3] ان النسبة الاصلية بين الدرهم والدينار كانت من واحد الى عشرة ، اي ان الدينار كان في اصله يعادل العشرة الدراهم . فاخذوا يتلاعبون بذلك ويتفقون مع عملائهم او فروع مصارفهم في القاهرة وغيرها من العواصم ، حتى اصبحت الاسعار تصعد وتهبط وتأتيهم بالارباح الوافرة. ونظرة واحدة نلقيها على اضطراب سعر الدرهم بالنسبة الى الدينار تكفي لتحقق هذا الامر :

في الاصل	دينار واحد	=	١٠ دراهم
على عهد الرشيد	« «	=	٢٠ الى ٢٢ درهماً
على عهد المتوكل	« «	=	٢٥ درهماً
بعد المتوكل	« «	=	١٤ الى ١٥ درهماً
على عهد المقتدر	« «	=	٢٠ درهماً

ويجدر بنا الا ننسى ما قام به اليهود من تسهيل المعاملات المالية في العصر الذي ندرسه. وهو امر قلما اشار اليه المؤرخون ، حتى انتبه له مؤخراً الاستاذ

---

١) راجع . في قيمة [illegible] في القسم الاول من هذا البحث ، مشرق السنة الحالية ص ٨٣-٨٤.

٢) Mantzon, *loc. cit.*, p. [illegible], note 1.

٣) مشرق هذه السنة ، ص ٨٤.

ماسينيون في درسه نشأة المصارف اليهودية الدولية المذكور آنفاً . وتفصيله ان ارباب المصارف ، في تلك الايام ، اجتناباً لنقل الاموال بعينيّاتها مما كان يكلفهم النفقات الكثيرة ويعرّضها للاخطار الجمّة، رأوا ان يستعملوا الحوالات المالية (lettres de change) ، والسفاتج (lettres de crédit) والصكوك (billets à ordre)[1]

هذا ملخّص موجز عن اهم اعمال اليهود المالية . ومن ثم فلا نرى ضرورة للتبسّط في نفوذهم وتأثيرهم .

وقد كان منهم كذلك العلماء باللغة والادب كابي عبيدة ، وبالطب والعلوم الدخيلة كما شاء الله اليهودي، فاثروا في الادب العربي تأثيرهم في المضاربات المالية والمصارف .

الهنود

ومن الشعوب التي تركت اثرًا بعيدًا في الادب العباسي الشعب الهندي . على ان هذا الاثر كان في اكثره عن طريق الكتب الهندية في الحكمة والحساب ، ولا نزال الى اليوم ننسب ارقامنا الى الهند فنقول «الارقام الهندية» . اما الافراد الهنديون العائشون في بغداد فكان غالبهم من المنجّمين والاطباء . وقد عرفنا ، عن طريق الجاحظ ، ان « يحيى بن خالد البرمكي اجتلب اطباء الهند مثل منكة ، وبازيكر ، وقلبرقل ، وسندباذ » ومتن يُذكر ايضاً بجلة الهندي . وهناك مجال واسع لدرس النزاع والمنافسة بين الطب الهندي والطب الآرامي ثم ان اللغة الهندية كانت معروفة في بغداد يترجم عنهم المترجمون[2] . وقد لخص الجاحظ صفات اهل الهند كما عرفهم في بغداد . وهي :

« واما الهند فوجدناهم يُقدّمون في النجوم الحساب . ولهم الخطّ الهندي خاصةً ويُقدّمون في الطب . ولهم اسرار الطب وعلاج فاحش الادواء خاصةً .

١) ويرى ماسينيون ان كلمة chèque الفرنسوية اتت من كلمة صك بطريق الانكليزية، عن الفارسية - الهندية « تشيك »

٢) الجاحظ : البيان والتبيين ١ : ٧١

ولهم خرط التماثيل ونحت الدور بالاصباغ ... واشباه ذلك . ولهم الشطرنج وهي اشرف لعبة واكثرها تدبيراً وفطنة . ولهم السيوف القلعية ، وهم العب الناس بها ... ولهم الرقى النافذة في السموم وفي الاوجاع. ولهم غناء معجب. ولهم الكنكلة وهي وتر واحد يمرّ على قرعة فيقوم مقام اوتار العود. والصنج. ولهم ضروب الرقص والخفة . ولهم الثقافة عند الثقاف خاصة . ولهم معرفة المناصفة . ولهم السحر والتدخين والدمازكية (؟) . ولهم خط جامع لحروف اللغات ، وخطوط ايضاً كثيرة . ولهم شعر كثير وخطب طوال وطب في الفلسفة والادب. وعنهم اخذ كتاب كليلة ودمنة. ولهم راي ونجدة...»[1]

الهنديون والصينيون والسودان

وكان في المجتمع العباسي عدد لا بأس به من اهل السند والصينيين والسودان وكلهم اختصوا بشيء من المرافق والصنائع.

فكان السنديون من حذّاق الطهاة ، ومشهوري صنّاع الاحذية ، حتى غدت النعال السندية مضرب المثل. وقد اتصفوا بالدهاء والنفوذ في المعاملات والامانة ، مما جعل ارباب بيوت الصرف يستخدمونهم في اعمالهم ، على حدّ قول الجاحظ: «ومن مفاخرهم ان الصيارفة لا يولون أكيستهم وبيوت صرفهم الا السند واولاد السند لانهم وجدوهم انفذ في امور الصرف واحفظ وآمن.»[2]

«فاما سكان الصين فهم اصحاب السبك والصياغة والافراغ والاذابة والاصباغ العجيبة ، واصحاب الخرط والنحت والتصاوير والنسج والخطّ ورفق الكف في كل شيء يتولونه ويمانونه . وان اختلف جوهره وتباينت صنعته وتفاوت ثمنه . فاليونانيون يعرفون العلل ولا يباشرون العمل ، وسكان الصين يباشرون العمل ولا يعرفون العلل . لان اولئك حكماء وهؤلاء فعلة.»[3]

اما السودان فاشتهروا في العاصمة العباسية بحسن الخدمة خاصة. وقد عرفوا

---

١) الجاحظ: فضل السودان على البيضان ، ص ٨٤

٢) الجاحظ: فضل السودان على البيضان ، ص ٨٥

٣) الجاحظ: مناقب الترك ، ص ٤٤

بالشجاعة ، وشدة الابدان ، والسخاء والامانة حتى ان الجاحظ ألف فيهم رسالة سماها « فضل السودان على البيضان » .

وكان ارباب الملاهي ومدراء بيوت الغناء يتنافسون بالزنجيات في استعمال المزمار حتى قيل : «من تمام آلة الزمر ان تكون الزامرة سوداء..» والزنجيات من اشهر الراقصات كذلك ، والزنجيون من نوابغ المهرة في الغناء العامة . عرف منهم ، في العصر الذي يهمنا ، ابو دنبوبة الزنجي ، ذكره الجاحظ وقال عنه :

« ولقد كان ابو دنبوبة الزنجي ، مولى آل زياد ، يقف بباب الكرخ بحضرة المكارين فينهق ، فلا يبقى حمار مريض ، ولا هرم حسير ، ولا متعب بهير ، الا نهق . وقبل ذلك تسمع نهيق الحمار على الحقيقة فلا تنبعث لذلك ولا يتحرك منك متحرك حتى كان ابو دنبوبة يحركه . وكأنه قد جمع جميع الصور التي تجمع نهيق الحمار فجعلها في نهيق واحد . وكذلك في نباح الكلاب . ولذلك زعمت الاوائل ان الانسان انما قيل له العالم الصغير سليل العالم الكبير لانه يصور بيده كل صورة ، ويحكي بفمه كل حكاية ، ولانه يأكل النبات كما تأكل البهائم ، ويأكل الحيوان كما تأكل السباع ، وان فيه من اخلاق جميع اجناس الحيوان اشكالاً . » [1]

الزط

وهناك الزُطّ ، وهم قوم من اخلاط الناس — ولعلهم اقرب الى «النَوَر» في عصرنا — كانوا يجولون في الاحياء فيسرقون كل ما يغفل عنه اصحابه ، ويستعملون الكدية وهي سؤال الناس بمهارة وتفنن . وقد تقوى شوكتهم فيقطعون الطريق بين البصرة وبغداد حتى يُدفع الخليفة الى تسيير جيش لمحاربتهم ، فيقتل منهم مقتلة عظيمة .

ولا يخفى ان مهنة الكدية تركت اثراً عميقاً في ادبنا يتحققه كل من يقرأ مقامات الهمذاني والحريري ومن اليهما .

***

١) الجاحظ : البيان والتبيين ١ : ٦٥

اثر هذا التمازج

من الطبيعي ان هذه العناصر المتنوّعة يؤثّر بعضها في بعض اثرًا يختلف عمقه باختلاف المخالطة والمعاشرة . ولسنا اليوم لنتقصى جميع هذه الآثار . انما يهمنا منها ما اختصّ بالادب واللغة .

اما الاثر في الادب فيتطلّب سلسلة ابحاث قد نفرد لها مجالًا خاصًا .

واما الاثر في اللغة فكان على انواع :

منها ان اللغة العربية لم تكن وحدها لغة هذا الشعب . كانت اللغة الرسمية السائدة في الدولة والدين . ولكن كان الى جنبها كلّ هذه اللغات يتكلّمها اربابها ومن يتعاملون معهم . ولقد كان من العجب العجيب ان يجول الانسان جولة في انحاء بغداد فيسمع اللغات المتباينة واللهجات المتنوّعة . وكان اوسع هذه اللغات انتشارًا بين العامة اللغة الفارسية ، حتى قال ابراهيم بن هانئ في ما نقل الجاحظ : « ومن تمام آلة الحارس ان يكون زميتًا قطوبًا ، ابيض اللحية اتنى اجنى ، وصاحب تكلّم بالفارسية »[1] . وقال الاصمعي متأسّفًا : ان من الدناءة التكلّم في مصر عربي بالفارسية .[2] ولم يقتصر انتشار الفارسية على البيئة العامية ، بل كانت متفشية بين الكتّاب والشعراء . وكفى بذكر اسماء ابن المقفع وسهل بن هرون والخريمي والمُعاني والعتّابي شاهدًا مقنعًا . وكان الشعراء خاصة ، اذا ما ارادوا الابتكار والخروج من التقليد القديم الى المعاني العصرية، لا يرون مندوحة عن قراءة الادب الفارسي، بدليل ما ذكر طيفور عن العتابي ، وهو عربي الاصل من نسل عمرو بن كلثوم ، قال :

« حدث يحيى بن الحسن بن علي بن مُعاذ بن مُسلم قال : اني بالرقة بين يدي محمد بن طاهر بن الحسين على بركة اذ دعوت بغلام لي فكلّمته بالفارسية . فدخل العتّابي وكان حاضرًا في كلامنا . فتكلّم معي بالفارسية . فقلت له : « ابا عمرو ، مالك وهذه الرطانة . » (قال) فقال لي : « قدمت بلدتكم هذه ثلث

---

١) الجاحظ : البيان والتبيين ١ : ٨٠

٢) ابن قتيبة : عيون الاخبار (طبعة دار الكتب المصرية) ١ : ٢٤٦

قدمات. وكتبت كتب العجم التي في الخزانة بمرو... كتبت منها حاجتي. ثم قدمت نيسابور وجُزتُها بعشر فراسخ الى قرية يُقال لها ذِوَذَر فذكرت كتاباً لم اقض حاجتي منه فرجعت الى مرو فاقمت اشهراً.» (قال): قلت: «ابا عمرو، لِمَ كتبت كتب العجم.» فقال لي: «وهل المعاني الا في كتب العجم والبلاغة اللغة لنا والمعاني لهم». ثم كان يذاكرني ويحدّثني بالفارسية كثيراً.»[1]

وفي «بيان» الجاحظ[2] كثير من الشعر العربي ادخلت فيه الالفاظ والمقاطع الفارسية تملّحاً وتقرّباً من الخلفاء.

وقد ذكر الجاحظ اديباً من القصاص اسمه موسى الاسواري، فقال عنه: «وكان من اعاجيب الدنيا، كانت فصاحته بالفارسية في وزن فصاحته بالعربية. وكان يجلس في مجلسه المشهور به فيقعد العرب عن يمينه، والفرس عن يساره، فيقرأ الآية من كتاب الله ويفسرها للعرب بالعربية، ثم يحوّل وجهه الى الفرس فيفسرها لهم بالفارسية، فلا يدرى باي لسانٍ هو ابين. واللغتان اذا التقتا في اللسان الواحد ادخلت كل واحدة منهما الضيم على صاحبتها، الا ما ذكروا من لسان موسى بن سيار الاسواري»[3]

ومنها ان اللغة العربية الفصحى اكتسبت كثيراً من الكلمات الجديدة دخلت عليها من اليونانية والفارسية والسريانية والهندية بواسطة التراجم. واكتسبت كذلك معاني جديدة لكلماتها القديمة حدثت بفضل تآليف الفقه والكلام والفلسفة والنحو والعلوم الدخيلة على انواعها، مما لا يتسع المجال لتعداده في هذا البحث. واكتسبت ايضاً مرونة في التعبير لم تعرفها في عهدها السالف.

على انها تأثرت بفساد ادخلته عليها لهجات الشعوب. وهذا الفساد على نوعين:

نوع حوّر في الالفاظ والتعابير والتراكيب العربية، ولاسيما بعض قواعد

١) طيفور: كتاب بغداد ٦: ١٥٧-١٥٨
٢) البيان والتبيين ١: ١٠٨-١١٠
٣) « « ١: ٢٣٤

الاعراب ، كالمذكر والمؤنث والعدد ، فولّد ما يُعرف باللغة العامية او الدارجة . حتى اضطُر الكسائي ، على عهد الرشيد ، الى وضع رسالة في « لحن العامّة » .

ومن امثال هذا اللحن عدم مراعاة التراكيب العربية، كما ذكر الجاحظ عن غلامه نفيس السندي الاصل من انه تشاجر وغلاماً آخر فقال له : «الناس، ويلك ، انت حياء كلهم اقل » يريد : « ويلك ، انت اقل الناس كلهم حياء » فاجرى الالفاظ العربية على طريقة التركيب في لغته . ومن هذا النوع جواب من قال اذ سُئل عن اي صنعة يجب ان يعلّم الغلام الفلاني ، فقال : «اسلموه (اي ضعوه) في اصحاب سند نعال » يريد « اصحاب النعال السندية » [1]

ومن الامثلة على تلك اللغة العامية ما نقله صاحب الاغاني عن ان احدهم خاطب ابا العِر (وهو رجل غريب الاطوار فكه فيه دعابة) وقد رآه على بعض الحالات المضحكة فقال : « خرب بيتك أيش هذا العمل ؟» [2]

وقد تفشّى هذا الخطأ في جميع المدن العراقية اذ ذاك ، حتى زعم ابوالعاصي « انه لم يرَ قروياً قط لا يلحن في حديثه . » [3] وحتى كان النحويون « اذا وجدوا اعرابياً يفهم هذا اللحن المتفشي في المدن يهرجوه، اي زيّفوه، ولم يسمعوا منه » [4] لعدم خلوص ملكته العربية .

اما موقف البدو من هذه اللغة فكان عجيباً . يستغربون هذا الامر ، ويستغربون فوقه ان هؤلاء الجماعة اللحّانين ، اي الذين يخطئون ، يتاجرون ويربحون . وقد مرّ احدهم في اسواق بغداد فبهر بحركتها، فلم يتمالك ان صاح : «هم يلحنون ويربحون ، ونحن لا نلحن ولا نربح . »

وهناك لحن آخر كان يقوم باللفظ ، او الخطأ في بعض مواقع الاعراب ، وذلك في الكلام الفصيح والخطابة ، وهو خاصّ بالعلماء وارباب الثقافة على الغالب .

---

١) الجاحظ : البيان والتبيين ٣ : ٢٢٦

٢) الاغاني ٢٠ : ٩٣

٣) الجاحظ : البيان والتبيين ١ : ١٢٢

٤) الجاحظ : البيان والتبيين ١ : ١٢٢

من ذلك الخلط في اللفظ بين بعض الحروف كالجيم والزاي ، والقاف والكاف ، والحاء والخاء والهاء ، والشين والسين ، والزاي والسين ، مما لا تزال نتحقّقه اليوم في من يتعلم اللغة العربية من الاجانب على تقدّمه في السنّ. والعرب تسمي هذا الخطأ في اللفظ اللُكْنَة . قال الجاحظ :

« وقد يتكلم المفلاق الذي نشأ في سواد الكوفة بالعربية المعروفة ، ويكون لفظه متخيّرًا فاخرًا ، ومعناه شريفاً كريماً ، ويعلم مع ذلك السامع لكلامه ومخارج حروفه أنه نبطي . وكذلك اذا تكلم الخراساني على هذه الصفة فانك تعرف ، مع إعرابه وتخيّر الفاظه في مخرج كلامه ، انه خراساني . وكذلك ان كان من كتاب الاهواز . ومع هذا انا نجد الحاكية من الناس يحكي الفاظ سكان اليمن مع مخارج كلامهم لا يغادر من ذلك شيئاً ، وكذلك تكون حكايته للخراساني والاهوازي والزنجي والسندي والحبشي »[1] .

وقال ايضاً :

« الا ترى ان السندي، اذا جُلب كبيرًا ، فانه لا يستطيع الا ان يجعل الجيم زاياً ولو اقام في عليا تميم وسفلى قيس وبين عجز هوازن خمسين عاماً ؟ وكذلك النبطي القحّ ، خلاف المفلاق الذي نشأ في بلاد النبط ، لان النبطي القح يجعل الزاي سيناً . . . والنخاس يتحن الجارية اذا ظنّ انها رومية ، واهلها يزعمون انها مولدة ، بان تقول : « ناعمة » وتقول : « شمس » ثلاث مرات متواليات . »[1]

ومن مشاهير اصحاب اللُكنة هذه : ابو مسلم الخراساني ، كان جيّد المعاني ، وكان اذا اراد ان يقول : قلت له ، قال : كلت له ، يحوّل القاف كافاً . ومنهم زياد الاعجم كان يجعل السين شيناً ، والطاء تاء ، والحاء هاء ، وكان شاعرًا مجيدًا . ولكنه لم يكن يحسن الالقاء . وقد مدح المهلّب بن المغيرة فانشده :

فتى رآه الشلتان في الحمد رغبة اذا عتر الشلتان كل جليل

---

١) البيان والتبيين ١ : ٦٤-٦٦

يريد : السلطان والحمد . وكان منهم اكثر الاطباء والمناطقة من آراميين وروم وفرس وهنود .

وهناك ايضاً خطأ العلماء الناتج من اهمالهم تطبيق القواعد ، على معرفتهم اياها . فقد روي عن ابي عبيدة انه كان ، مع غزارة علمه، لا يقيم اعراب جملة ولا وزن بيتٍ يُنشده .

ومن هؤلاء ابو حنيفة الفقيه الكبير . وابن ضحيان الازدي ، وكان يقرأ القرآن فيقول : « يا ايها الكافرين .» فقيل له في ذلك . فتخلّص قائلاً : « قد عرفت القراءة في ذلك . ولكني لا اجلّ امر الكفرة » (اي لا ارفعهم) . وقد كثر انتقاد العلماء على هذه الاخطاء حتى اخذ بعضهم يهابون الكلام المحرّك فيتجنبون الاعراب . وقد روى الجاحظ عن مهدي بن مهلهل انه كان يقول : « حدّثنا هشامْ (مجزومة) ثم يقول : ابنْ ، ويجزمه . ثم يقول : حسانْ ، ويجزمه . لانه حين لم يكن نحوياً رأى ان السلامة في الوقف »[1]

***

هذا جلّ ما يُقال ، بالاختصار ، عن تمازج الشعوب والثقافات في تلك المدينة العظيمة . اما التبسُّط في درس هذه الثقافات المختلفة وتأثير بعضها في البعض الآخر ، وتساوقها جميعاً الى توليد الادب العباسي ، فيتطلّب البحث في اصول الثقافات ، واضطلاع الادباء والشعراء والعلماء بها ، ودرس مجالسهم وحلقاتهم الخاصة والعامة ، كل فريق منهم على حدة . مما قد نوفق اليه في المستقبل ، ان شاء الله .

---

١) البيان والتبيين ٢ : ١٦٣

اخبار

سفر المونسنيور فرنسيس پيكيت

الى بلاد ارمينية والعجم ١٦٨١–١٦٨٤

كتبها السيد اثناسيوس سفر العطار السرياني اسقف ماردين ،
مرافق المسافر وترجمانه

نشرها الخوري اسحق ارملة السرياني

٣

١٣ استطراد

وكان بعض المسلمين والارمن يأتون اليّ ويطلبون زيارة المونسنيور . ولما كنتُ ادقّ عليه الباب كان يقول لي اصبر مقدار كذا وكذا وارجع. وهكذا كان يعمل دائماً . وكان كثيرون يرغبون ان يفتقدوه بهدية مثل نبيذ او فواكه . ولكنّه لم يكن يقبل شيئاً من احد . وذات يوم جاء واحد ارمني كان له وجع في أذنيه وخسر مقدار دراهم ولم يُشفَ . وكان هذا الارمني هرطوقياً . [١٠٣] فلما سمع عن فضائل المونسنيور جاب[1] معه قنينة نبيذ وجاء اليّ فقلت له ماذا تريد ؟ قال اريد ان اتبارك من المونسنيور . قلتُ لماذا اجبت النبيذ ؟ فانه لا يقبل هديّة . فتوسّل اليّ ان اطلب منه حتى يقبلها . فدخلتُ وقلتُ له عن الرجل والهدية وطلبت منه ان يقبلها لخاطري . وادخلته اليه . فجثا على ركبتيه قدّام المونسنيور طالباً البركة فباركه وصلى على رأسه . ثم اشتكى اليه من وجع اذنيه . فقال له الرب يشفيك . ثم طلب صليب

١) أحضر

الذهب الذي كان معلقاً على صدر المونسنيور فاعطاه اياه واخذه [١٠٤] بامانة وراح ربطه في رأسه ونام . وثاني يوم جابه شاكراً وقال للمونسنيور ان هذه الليلة لم تغلِ اذني . ولما رجعت انا الى تبريز بعد سنتين نظرتُ هذا الرجل واول ما أبصرني وقع على يديَّ يبوسهما . فقلت له من تكون ؟ قال اما تعرفني ؟ قلتُ لا - قال انا ذاك الرجل الذى شفى المونسنيور اذنيْ وانا اليوم قاتوليقي اشكر الله .

فلنرجع الآن الى حكايتنا . بعد كم يوم رحنا ثاني مرة عند مرزا ابرهيم وتغدّينا عنده ورجعنا . اما المونسنيور فعمل ضيافة شريفة وصاح المطران اسهاك واكابر الارمن واضافهم .

١٤ سفر المونسنيور يكيت من تبريز الى اصبهان

[١٠٥] وبعد ما اهتمّ المونسنيور في مصالح السفر اوصاني ان اعمل له تختروانا[1] يحملونه على جملين مثل الماهيجا (؟) ولكن اكبر واطول حتى ينام فيه في الدرب . فعملت تختروانا كبيراً مليحاً وغطّيته بجوخ احمر وخرتُ عليه ثلاثين قرشاً . ثم فتّشت عن جمال واستكريت خمسة عشر جملاً اثنين للتختروان والباقي للاحمال . وعملت ايضاً محافتين . والمحافة هي صندوقان يحملان على جمل يجلس في كل منهما من كان مريضاً او من لا يقدر يركب . ثم اشتريتُ فرساً آخر واشتريت خيمةً كبيرة بخمسة وعشرين [١٠٦] قرشاً كلها صابان . وعملنا مشكان زينو (ܡܫܟܐ ܕܙܝܢܐ)[2] حتى يقدّس فيه المونسنيور في الدرب . واشتريتُ كل ما نحتاج اليه في سفرنا وثياباً للخادمين . واعطانا حاكم تبريز مكتوباً يسمونه « حُكُم » يوصي فيه جميع القرى التي نجوز فيها ان يعطونا حقّ الذخيرة كل يوم اربعين عباسي وهي احد عشر سكوتاً . وأرسل معنا المهمندار واحداً من رجاله ليوصلنا الى اصبهان .

وبعد ما مكثنا في تبريز سبعة وعشرين يوماً ارتحلنا الى اصبهان ورافقنا

١) مودجاً

٢) لفظ سرياني يراد به تابوت العهد ، وقد اطلقه الكاتب على المذبح المتنقل

بعض [١٠٧] اصحاب من الارمن . فسافرنا ونزلنا خارج تبريز في بستان حاكم البلد بعيد عنه نحو ميلين . وثاني يوم مكثنا هناك لان التختروان كانوا عملوه قصيراً على الجمل الخلفاني . فرجعت ثاني يوم الى البلد وجبت النجار فوصله وعدّله . وثالث يوم رحلنا ورافقنا ناس كثيرون من التجار الى اصفهان . اما المهندار الذي بعثه الحاكم فلم يرافقنا بل ارسل معنا واحداً آخر قائلاً انه بعد يومين يلحقنا . وهذا الذي جاء معنا صاحه المونسنيور وقال له : دِر بالك اياك تظلم احداً او تاخذ شيئاً خلاف ما هو مكتوب . [١٠٨] وان ما اعطوك شيئاً فاتركهم ولا تغصبهم . ولكن هذا الخائن كان ينفرق منا ويروح قدامنا فنقول له الى اين انت رائح فيقول اروح اهيئ لكم المكان . وكان يمرّ بالضياع ويرتشي من الاهالي.

ولما قرب المساء قصدنا ضيعةً حتى نتزل فلقينا اهلها خارجين امامنا . وانا كنتُ قدام الكلّ . فظنّيتُ انهم طلعوا ليستقبلونا. فلمّا قربتُ منهم نظرت الحجارة والعصي في ايديهم مستعدّين للقتال فرفعتُ عليهم التفنكة التي معي حتى اخوّفهم . فلمّا نظروني فعلتُ ذلك اخذوا الحجارة حتى [١٠٩] يرجموني . فلحقني المونسنيور لانه كان قريباً مني . ولما نظرهم على هذا الحال قال لهم ما هو الخبر ؟ قالوا لا تنزلوا عندنا . قلتُ لهم لماذا ؟ قالوا لان المهندار جاء الينا واخذ منا اربعين عباسي حقّ الذخيرة وراح . وانتم الآن جئتم تنزلون عندنا ونحن ناس فقراء فما لنا الا ان نقاتلكم . فقال لهم المونسنيور لا تخافوا طيّبوا خاطركم لاننا ما نأخذ منكم شيئاً بغير ثمن وان اردتم بيعونا الماء بفلوس . بس[1] اعطونا مكاناً حتى ننزل . فلمّا سمعوا كلامه المعقول رموا [١١٠] الحجارة من ايديهم واستحوا. ثم قالوا له ما عندنا مكان يسع احمالك وناسك. قال الاحمال والخدّام ينزلون في الخيم وانا اريد مكاناً يكفي لي ولبعض ناسي. فاعطونا بيتاً واسعاً نزلنا فيه . ونزل الخدام والاحمال في الخيم. وبعد ساعة جاء رئيس الضيعة يعتذر من المونسنيور ويقول لا تؤاخذنا بما فعلوا لان قلبهم محروق لسبب ان الحرامية قبل يومين اخذوا دوابّ الضيعة كلها . فقال له المونسنيور

١) فقط

هل حقيقةً اعطيتم دراهم للمهندار قال نعم [١١١] وهذا تمسكهُ[1] . قال المونسنيور اكتب لي ورقة انكم اعطيتم .

وثاني يوم قمنا من بكرة وحملنا . ولما بعدنا من الضيعة لقينا ناساً رايحين . فقال بعضنا نريد ان نمسك هؤلاء الرجال لانهم ارادوا ان يقاتلونا فمنعهم المونسنيور . ووصلنا ذلك اليوم الى ضيعة كبيرة تُسمَّى ميانا فرأينا سوقها مسكرًا وليس فيها انسان . فحطينا جانب الضيعة ونصبنا الخيم ورحتُ حتى اشتري الاشياء اللازمة فما لقيتُ احدًا . فسألت بعض النساء [١١٢] عن السبب فقال قد هربوا لخوفهم منكم . قلتُ رأي الله عليهم[2] لا يخافوا بل يأتون يبيعونا ويأخذون دراهم . لان هذا الاجي[3] ما هو مثل باقي القصّاد . هذا رجل صالح يخاف الله وما يظلم احدًا . ثم جاء واحد وتقوّى وفتح دكانه وباعنا الذي كان عنده . فلمّا نظر البقيّة اني اشتري وادفع دراهم جاؤوا الى السوق وفتحوا دكاكينهم وباعونا رزقهم بالليل . فسألتهم عن المهندار فاراني احدهم المكان النازل فيه فرجعتُ الى الخيم واعلمت [١١٣] المونسنيور بوجود المهندار . فقال لي غدًا باكرًا تقوم وتأخذ معك مسيو كازمو وعازريا وهذا المكتوب وتروح الى بيته تأخذه وتؤدّيه الى القاضي وتدّعي عليه بالدراهم التي اخذ من الضياع ولكن بالمعقول بغير ضرر .

وباكرًا اخذت معي المذكورين وثلاثة خدام ورحت الى البيت الذي اروني فدقّ الخادم الباب فطلع خادمه وقال ما هو ههنا . فنزلت عن الفرس ودخلنا كلنا فوجدتهُ نائمًا في الحوش مغطى فدنوتُ وكشفتُ اللحاف وقلت له صباح الخير . فلمّا نظرني [١١٤] ارتبط لسانه . فقلت له قم البس ثيابك وتعال معي . فقام ونظر الخدّام وفي ايديهم العصيّ فتوسل اليّ قائلًا لاجل الله لا تأخذني عند الاجي . فقلتُ البس ولا تخف لانك ما تبصر اكثر من فعلك . فلبس ثيابه واراد ان يركب فنعته وسلّمته في ايدي الخدّام وركبت انا ورفاقي

١) التسمك : الوصل بقبض الدراهم

٢) عبارة تأمين يستعملها الى هذا العهد اهل ماردين بمثابة قسم تأييدًا لمن يخاطبونه فيقولون : « رأي الله أمان الله عليك »

٣) الفقير

وأخذناه الى القاضي وسجلنا عليه كل ما اخذ من الضياع جبراً وحصّلناه وبخششت قرشين للقاضي فبقي يدعو للاجي . ثم رجعت وحكيت المونسنيور بكل ما جرى فشكرني .

[١١٥] ثم قدّس المونسنيور وجاء القاضي بعد القداس مع ناس الضيعة وجابوا هدية الى المونسنيور وهم يعتذرون ويقولون اننا حسبناك مثل باقي الاجية الذين يجون يظلمونا ويتعدّون علينا . فاغفر لنا لاجل الله . ثم اعطوني الاربعين عبّاسيّة[1] وسقيناهم قهوة ورجعوا راضين مستحين. ولما كان المساء جاء مهمندارنا من تبريز فصاحه المونسنيور وحكاه كل ما صار وقال له دِرْ بالك تعمل هكذا . فان كنتَ تعمل هكذا ارجع الى تبريز وانا ما اريد [١١٦] مهمندارًا . فحلف له اني ما اركبي من احد شيئاً.

وثاني يوم رحلنا . وكنّا نحتل نصف الليل . وكان المونسنيور يدخل التختروان وينام . وانا دائماً كنتُ اروح جانب التختروان مع الجتال لعلّه يطلب شيئاً لان الجتالين ما يفهمون لسانه . وكنا نصل قبل نصف النهار ونصب الخيمة والمذبح . وكان المونسنيور يقدّس والبادري ومسيو كازمو يخدمان قداسه . وانا كنت اروح افتّش عن الذخيرة لنا وللدوابّ . ويبقى الخدام كل واحد في شغل . هكذا كان شغلنا دائماً . ويوم الاحد كنا نجتمع تحت الخيمة ونسمع القداس . ولما كنا ننزل في ضيعة [١١٧] كان يقدّس في البيت الذي ينزل فيه . اما باقي الاجية فلما كانوا يجتازون بالقرى كان الناس يهربون امامهم . ولكن لما سمعوا ان المونسنيور لا يظلم احداً لم يعودوا يهربون . بل كان كبار الضيعة يأتون عند المونسنيور ويزورونه ويطيب لهم كلامهُ .

ولما كنا في مدينة اب بهر[2] تقاتلنا مع عازريا لاني انا كنتُ وكيل المصرف وهو كان يريد يتفاضل عليّ في المصرف . فلما سمع المونسنيور صاحنا

---

١) العباسية كانت خمس عشرة بارة ، وكل اربع عباسيات كانت تساوي غرو سكوت واحد رومانيّ .

٢) تُدعى اليوم اهار او اهير

اثنينا واخذ احدنا بيده اليمين والآخر بيده الشمال وباوسنا مع بعضنا وهو يبكي ويقول يا اخوتي انا[١١٨] لا اريد ان يكون احد في رفقتي الا بالمحبة. ثم احتضننا واوصانا بالمحبة.

١٥ شهامة النفس سفر وشجاعته

ولما كنا راحين ليلةً من الليالي غلب عليَّ النوم لاني ما كنت اقدر انام بالنهار لشغلي. وبالليل كنا نرحل. فتركتُ الجمال لانها تمشي مشياً ثقيلاً ورحت مع بعض الخيالة الى قدام حتى بعُدنا عن الجمال ثلاثة اميال ووصلنا الى جانب نهر صغير فقلت لهم انزلوا ههنا حتى ننام قليلاً. فنزلنا وكل واحد اخذ فرسه بيده ونمنا. وكان على هذا النهر جسرٌ من خشب وعليه تراب. ثم جازت الجمال وجاز [١١٩] ايضاً جمل التختروان القدامي. وكان الجمال يسحب جمل التختروان ولكنه لم يسحبه عاجلاً بل عوج الجمل الى الجانب فانعوج التختروان ووقع الجمل الخلفاني في الماء مع نصف التختروان وكان المونسنيور نائماً فيه. وعند وقوع التختروان والجمل سمعتُ حساً[1] قوياً ففقتُ من نومي ورأيت نصف التختروان في الماء. وسمعت المونسنيور يصيحني فرميت روحي في الماء بثيابي وفتحت باب التختروان. فقال لي المونسنيور اين انا؟ قلت له لا تخف تعال الى ظهري. ثم حملته واخرجته خارج النهر وألبسته فروتي [١٢٠] لان ثيابه كانت داخل التختروان من الجمل الساقط وأخرجناه الى خارج واقمنا الجمل ايضاً واخرجناه من الماء. وهذا العجب انه مع هذه السقطة العظيمة لم يحدث ضرر لا للجمل ولا للتختروان. وبعد ذلك استدعى المونسنيور الجمالين ليأتوا ولا يخافوا. فجاؤا وحملنا التختروان وركب المونسنيور اما الجمال الذي كان يسحب الجمل فلم نعد نراه ابداً لانه هرب لخوفه. اما الجمالون فبقوا متحيرين من ان الجمل لم ينكسر. لان الجمل اذا وقع [١٢١] غير ممكن ان يقوم سليماً لضعف عظامه ولاسيما اذا وقع وقعةً مثل هذه تحت التختروان. ونحن لما كنا نحتل اول ماء لم يكن المونسنيور يدخل التختروان

١) دَوِيّاً

لينام بل كان له فرسان مسروجان يسحبونهما دائماً فكان يركب ويقول معنا الليتانية بالترتيل ثم يدخل ينام . واذا كنا نحتل نصف الليل لم يكن يركب بل كان يدخل ينام.

١٦ وصول المونسنيور بيكيت الى قوم وكاشان ومرض النفس سفر

وبعد اربعة وثلاثين يوماً وصلنا الى مدينة قوم فوقعت انا مريضاً . فقال لي المونسنيور ادخل في المحافة التي على الجمل لانها لاجل المرضى [١٢٢] فقلت بل اركب فرسي. وبعد يومين وصلنا الى مدينة كاشان واشتد مرضي كثيراً. فاستدعيت المونسنيور وسلّمته الدفتر والدراهم التي كنت اجمع من القرى لاجل المصرف . وبقينا ثاني يوم قاعدين ولم يرفع[1] المونسنيور بل انتظر حتى استريح وانا كنت ازداد مرضاً . وبعد يومين حملنا وادخلوني المحافة وكان قبالي من الجانب الآخر البادري ياسينتو لانه كان مريضاً ايضاً . وكان المونسنيور يسوق فرسه ويجيء دائماً قريب الجمل ويسأل عن حالي . واذا حطينا في محلّ بالنهار كان يجعلني في مكان [١٢٣] مليح ويجيء مع مسيو كازمو يزورني ويجعل عندي خادماً يخدمني . اما الحكيم فلم يقدر يعالجني لاننا كنا راحلين غير مستقرين.

ولما كان اليوم الحادي والاربعون وصلنا قرب اصبهان برحلة ونزلنا في ضيعة في السراي . وقدّس المونسنيور وكان نهار الاحد . فقمت تمشيت وحضرت القداس . وبعد خلوص القداس جثوت امامه ليباركني فباركني واقامني وسأل عن حالي فقلت أشكر الله لاني لما نظرت وجهك الشريف واخذتُ بركتك رجعت روحي اليّ . فقال لي رُحْ الى فرشتك استرح ولا تأكل فاكهة ولا تشرب ماء لان ذلك [١٢٤] يضرّك . فقلت له يا سيدي ما يشتهي قلبي الا الفاكهة والماء . فقال دِرْ بالك منهما لانهما سمّ المريض . ثم رجعت الى مكاني.

وثاني يوم من بكرة جاء جميع الفرنساويين وغيرهم الى استقبال المونسنيور

١) يحمّل

ونزلوا وفرحوا به . اما المهندار فكان راح الى اصبهان منذ ثلاثة ايام ليهيئ لنا مكاناً ويُعلم المهندار الكبير بوصولنا . ثم رجع وقمنا حملنا . فلما نظرت كلّ الناس راكبين خيلهم قلت اسحبوا فرسي حتى اركب . فقال لي المونسنيور انت مريض ابقَ في مكانك . قلتُ بدّي[1] اركب . ثم لبست ثيابي المليحة[2] وركبت فرسي.

١٧ وصول المونسنيور بيكيت الى اصبهان واشتداد مرض انس سفر وشفاؤه

ووقت العصر دخلنا الى [١٢٥] اصبهان فانزلونا في بيت صغير بتنا هناك ليلتنا . وثاني يوم اخذونا الى بيت كبير بحوش واسع ونهر ماء جارٍ وبستان . وفيه خمس عشرة حجرة ومطبخ واسطبل فنزلنا . ثم جابوا لنا طنفستين كبيرتين حتى نفرشهما في الديوانخانة واستقرّ كل واحد في حجرته . والحجرة الواحدة خصصها المونسنيور للكنيسة يقدّس فيها كل يوم هو ومسيو كازو . والحجرة التي كانت تحت الكنيسة كان يسكنها المونسنيور وينام فيها . واذا جاء احد يزوره يستقبله [١٢٦] في الديوانخانة . وانا انزلوني في احدى الحجر وبقيت اصحّ شيئاً فشيئاً . وبعد يومين جاء مهندار الشاه ليزور المونسنيور مع باقي ناسه . وبما اني كنت مريضاً كان عازريا يترجم عوضي . ثم سأل المهندار المونسنيور قائلاً : هل انت راضٍ من سفرك ؟ قال انا راضٍ ولكن نصف القرى ما اعطوني حقّ الذخيرة المكتوب عليهم مثل الامر . فقال له لماذا لم تحصّل منهم بالدكوس[3] مثل باقي الالجية ؟ قال ما يحقّ لنا ان نأخذ مال الناس بالجبر . فبقي المهندار حيران من كلامه . وبعد كم يوم اهدى المونسنيور فرسي مع شيء آخر الى المهندار.

ثم ان المونسنيور [١٢٧] امر واحداً فرنجياً تاجراً من مرسيليا كان في

---

١) بودّي اي اريد ٢) الجيدة ٣) قسراً وجبراً

اصبهان حتى يعمل قبوة[1] قاش لخدّامه ولي انا ايضاً ولكل ناسه . وحضرنا جميع اشغالنا وقلنا ربما يطلبنا الشاه . واما انا فبعد ما كنت نصحت[2] قليلاً مرضت ثاني مرة ومرض ايضاً مسيو كازمو . وكنّا كلانا نازلين في حجرتين الواحدة قبال الاخرى . وكان المونسنيور يجيء يزورنا ودموعه تجري من عينيه لاجل الحنوّ الذي في قلبه . وبعد كم يوم مات مسيو كازمو ودفناه في جولفة وبقيت انا في مرض شديد . وكان المونسنيور يجيء كل يوم من بكرة يزورني . وبعد [١٢٨] القدّاس ايضاً يجيء يزورني وقبل الغدا وبعد الغدا ايضاً . وكذا قبل العشا وبعد العشا . وكان كل مرة من حنوّه يجسّ نبضي ويحط يده على قلبي فكنت أمسكها وأبوسها وأشمّها وأستنشق منها رائحة كرائحة الفردوس . وكنت أبكي واطلب منه البركة . فكان يباركني ويقول أما تريد ان تموت وتروح حالاً الى الفردوس ؟ فكنت اسكت . فيقول لماذا لا تجاوب ؟ فكنت اقول يا سيدي ما اقبل ان اموت الآن بل اريد ان ارجع الى اهلي واخوتي . ثمّ كان يجلس قبالي على كرسي ويسلّيني بكلامه الطيّب الروحاني [١٢٩] والدموع تجري من عينيه . ثم يودّعني ويرجع . وكان مرضي يشتدّ حتى قاربت الموت . وكان يزورني كل يوم اربع خمس مرّات واحياناً يجيء ومعه الحكيم .

وفي ذات ليلة اشتدّ عليّ المرض فجاء المونسنيور والحكيم واحضر من معجون الياقوت والجواهر (؟) وسقاني اياه بخمر . ودهن الحكيم بطني بدهن ثم غطاني وبعد قليل نمت وكان لي خمس عشرة ليلة ويوم لم اكن انام ولم اذق شيئاً بل كنت اشرب ماء فقط . وبعد ما نغيت مقدار ربع ساعة استيقظت ونظرت المونسنيور جالساً قبالي [١٣٠] فسألاني ثم رجع الى مكانه . وانا ابتدأت انصح يوماً فيوماً حتى نصحتُ بالكلية . وعلمني خدمة القداس وبقيت اخدم القداس مقدار سنة وشهرين حتى جاء القسّيسان مسيو ريك ومسيو صنصون من باريس .

وبعض ايام كان يبدأ يلبس البدلة ليقدّس فكان يجيء اليه المهندار ام

١) قباء واراد به الردا . ٢) تعافيت

ناس آخرون ليزوروه . فكنت اقول لـه عنهم فلم يكن يلتفت لذلـك ولم يكن يغيّر عادته لسببهم اي انه لم يكن يقـدّس بعجلة بل كان يتعوّق دائماً في القداس مقدار ساعة [١٣١] في صلاة الفكر[1] ثم يرجع يكلم الآتين اليه. واذا لم يكن احد يطلبه فكان يسمع قداساً آخر بعد قداسه ثم يرجع الى حجرته ويجثو امام الصليوت مقدار ساعة وازيد. ثم يطلع الى البستان ويتمشى قليلاً . ثم يرجع الى حجرته يقرأ او يكتب . ثم يصلي صلاة نصف النهار . ثم يأمر بوضع المائدة . وكان الخـدام واقفين دائماً على باب حجرته حتى اذا احتاج اليّ او الى غيري يهزّ الجرس الصغـير الذي عنده فيجيء اليه الخادم فيأمره بما يريد .

واما انا فبعد خلوص القداس [١٣٢] كنت افطر واركب فرسي وآخـذ معي خادماً وأروح الى السوق اشتري كل ما نحتاج اليه . وكنت اعمل هكذا كل يوم . ولما كنـا نتمشى كان المونسنيور يأمر بان يجتمع كل ناس البيت والخدام في الديوانخانة فيدخل ويقول الليتانية . وبعض الليالي كان يكرز على الخدام بالايطاليـاني وانا كنت افسره بالتركي . ويوم الاحد كان يبعث فرساً مع احد الخدام الى جولفة ويُحضر البـادري سبيريتو اليسوعي فيجيء يتغدى عندنا . وبعد الغدا يدخل الى كنيستنا فيجتمع كل الخدام ويدخل المونسنيور ايضاً يحضر ويبدأ البادري يكرز باللسان الارمني .

١٨ زيارة المونسنيور يكبت لعباس شاه العجم ــ وصف بلاط الشاه

[١٣٣] وبعد دخولنا الى اصبهان بمدة شهرين او ازيد صار عيد المسلمين . وعمل الشاه (عباس) ضيافة ودعا جميع الاجلية والمونسنيور ايضاً . وارسل اليه خمس افراس مسرجة مزيّنة بالسلاح والآلات الفضية . وجاء الينـا ايضاً جميع الفرنساويين الساكنين في جولفة من الكلوين (؟) وغيرهم وهم راكبون خيولاً مطقّمة مزيّنة ومع كل واحد شاطر اي خادم يمشي قـدام فرسه مثل عـادة البلاد . فركب المونسنيور وركبنا كلنا . واولاً راح المهمندار وبعض ناسه

١) الصلاة العقلية اي التأمل

قدّامنا . ثم ركب اثنان من ناسنا وسحب كل واحد فرساً في يده [١٣٤] مزيناً مطقّماً بالرجارج[1] المرقومة بالذهب . وذلك اكراماً للاجي . لانه لا يقدر احد يسحب فرساً الا قدام الشاه او الاجي . ويسمونه بالتركي يداغ وبالفارسي كوتال . ثم ركبت انا ومشي قدامي شاطران . لانه من عادة الترجمان ان يروح الى قدام بسبب انه لسان سيده. ثم ركب المونسنيور احسن الخيل التي ارسلها الشاه ومشي قدامه ازيد من عشرين خادماً لابسين كلهم ثياباً حريرية وفي يديهم عصيّ . ونحن كان عندنا ثمانية خدام والباقي كانوا خدام الفرنساويين الذين جاؤا معنا . ثم ركب باقي ناسنا والفرنساويون ايضاً [١٣٥] .

وبهذا الطقس[2] العظيم اخذونا الى سراي الشاه الذي يسمى علي قابي اعني باب علي . وقدام هذا السراي ميدان فسيح اكبر من بياتسا ناونا[3] بثلاث مرات وكذلك عرضه . اما السراي فهو من طرف القبلي وقباله من طرف الشمال حيث تدقّ الساعات . ومن الطرف الشرقي هو الجامع الكبير وقباله من الطرف الغربي مكان ما تندقّ الطبول والزمور والنفيرات وقت الماء ووقت طلوع النهار . ويسمى هذا المكان نوبة خانة . وحوالي هذا المكان كله دكاكين من الوجهين وحواليه ايضاً فندق محفور يابس. وقدام باب السرايا [١٣٦] عدة طوبات[4] موضوعة عن الجانبين . وكان هذا الميدان مكنوساً معزّلا ولم يكن فيه من البائعين والشارين كباقي الايام . وكان الناس جميعهم خارج الخندق واقفين صفوفاً صفوفاً يتفرّجون . وكان ثلاثة افيال مربوطة قدام باب السراي مغطاة بجلول الزركاف وقدام كل واحد لقن ذهب ليشرب ماء . وثلاثة سباع ايضاً مزنجرة وقدام كل واحد لقن ذهب . والى جانبي السراي خيول مربوطة مزيّنة بالسروج الذهبية والرخوت المرصّعة بالجواهر . وكانت ازيد من عشرين فرساً . وهذا السراي هو ملجأ . اي ان كل انسان يعمل

١) السروج ٢) الترتيب والنظام
٣) احدى ساحات رومية القديمة Piazza Navona
٤) مدافع

ذنباً ام يقتل احداً فاذا [١٣٧] هرب الى هذا السراي يخلص.

وقبلما ندخل الميدان نزلنا نحن عن الخيل . اما المونسنيور فدخل راكباً الى نصف الميدان ونزل . ثم دخلنا داخل السراي وجلس المونسنيور بين الاجلية الذين كانوا جالسين في احد المجالس . اما خواص الشاه فبقوا يجون يستدعون الاجلية واحداً واحداً ويدخلونه الى الشاه . ثم اخذوا المونسنيور وادخلوه وانا خلفه ومعنا ثلاثة آخرون وهم الحكيم وعازريا وشابّ افرنجي خدم عند المونسنيور في اصبهان. واول دخولنا في الباب الاوسط جاء وزيران من الوزراء واخذا المونسنيور بينهما في الوسط. فلما دخلنا نظرنا حوشاً واسعاً جداً [١٣٨] وفي نصف الحوش بركة واسعة والماء يفور منها . وفي اربع قرانيها اربع خوابي مصوغة من الذهب الاحمر . وحوالي الحوش من اربعة أطرافه جنود واقفة مصطفة صفوفاً صفوفاً كل واحد برتبته وهم لابسون ثياب الزرباب[1] متحزّمين بالسيوف حاملين البندقيات على اكتافهم . وفي صدر الحوش ايوان كبير جداً والشاه جالس هناك . ثم ان الوزيرين اخذا المونسنيور حتى وصلنا الى باب الايوان . فجاء وزيران اكبر واخذاه في الوسط ورجع الوزيران الاولان . وانا كنت رائحاً وراءه . اما رفاقنا فلم يتركوهم يجون بل بقوا واقفين في الحوش.

[١٣٩] فدخلنا ورأينا الشاه جالساً تجاهنا في الصدر على صفّة أعلى من المجلس بشبر وحوله ازيد من عشرين شاباً بعمر خمس عشرة سنة كلهم اولاد اشراف مزيّنين بافخر الثياب الذهبية وفي رؤوسهم مناديل منسوجة بالذهب . فأمرنا الوزراء بالسجود فسجدنا وصعدنا درجتين اخريين ونظرنا المجلس مفروشاً بالطنافس الحريرية المنسوجة بالذهب . وجميع الاجلية والسادات جلوساً عن يمين الشاه ويساره . فامرنا الوزراء بالسجود ثانية فسجدنا واخذونا الى قدام الشاه حتى بقي بيننا وبينه [١٤٠] اربعة اشبار لا ازيد. وكان الموسيقيون يطربون ويرتلون فرفع الشاه يده فبطّلوا. وابتدأ المونسنيور يتكلم بالايطالياني. ولما فرغ سأل الشاه من الوزير عما يقول . فقال لي الوزير تكلم . ففسرت بالتركي كل ما قاله . وبقي الشاه يسأله عن بعض اشياء مقدار ربع ساعة

١) زيّ جنود الفرس وهي ثياب ملوّنة

بكلام معقول وحشمة وانشرح من كلام المونسنيور جداً . واجلسوه عن اليمين بين الاجلة . فلما رأيت ان الشاه اعز المونسنيور ووقره طلبت من الوزير كرسياً حتى يجلس عليه المونسنيور [١٤١] . فقال لي لو قلت لي من أمس لكنت احضر له كرسياً ولكن الآن ما اقدر . فقلت له ان كنت ما تجيب[1] كرسياً فانا اروح اطلب من الشاه . فراح هو وكلّم الشاه عن ذلك فامره باحضار كرسي . فقال الوزير لاحد الواقفين فراح جاب كرسياً صغيراً مرتفعاً عن الارض نحو شبر مصنوعاً من ابنوس وزرنيشان اي شريط فضة . فتناولته وجعلته تحت المونسنيور . فلما نظرني باقي الاجلة الحاضرين بقوا يطلعون[2] فيّ بالقدر .

ثم جابوا وضعوا قدام كل واحد صينية ذهب ملآنة من ملبس السكر المصنوع بالمسك والعنبر باجناس كثيرة [١٤٢] . وبعد ذلك جابوا وضعوا المائدة من اطلس مرقوم بالذهب وقدام كل واحد بنكري[3] ذهب ملآن بلاو[4] وغير اطعمة كلها في صحون ذهبية . ثم وضعوا مائدة قدام الشاه عليها صحون من فرفور اعني برسلاني[5] فيها بلاو غير جنس . وكانوا كلهم يأكلون بيديهم اما المونسنيور فبالملعقة قليلاً قليلاً . وكان الشاه ينظر اليه ويتضحك . وكنت واقفاً جنبه ولم اجلس للغدا . فقال لي الوزير اجلس فلم اجلس .

وبعد ما تغدوا قاموا جميعاً وقمنا وانصرفنا كل واحد الى سرايه [١٤٣] . ولما وصلنا الى سراينا تغدّى عندنا جميع الفرنساويين وخدامهم . وبعد غدا اعطى المونسنيور بخاشيش لخدام الفرنساويين وراحوا الى بيوتهم . ودخل المونسنيور الى حجرته ليصلي كعادته . وكان يعمل هذا الجد غصباً عنه اكراماً لسلطانه . اذ لم يكن يريد هذا الافتخار بل كان يفتش عن المجد السماوي . اما الافراس التي بعثها لنا الشاه مع خمسة من شطّاره فبعد ما مشوا قدام المونسنيور رواحاً ومجيئاً انعم عليهم بكم قرش ورجعوا باخبار الى

١) تحضر ٢) يتفرّسون
٣) صحنة ٤) ارزّ
٥) porcelaine وهي صحون صينية

السراي .

[١٤٤] وكان في جولفة خمسة اخوة ارمن يسمون اولاد شهرمان وهم اغنياء قاتوليقيون مع عيالهم يحبون المونسنيور حباً زائداً لاجل فضائله وحلاوة الفاظه . فجاؤا ثاني يوم اليه وفرحوا بالعزّ الذي صار له من الشاه . وكانوا يجون يتغدون عندنا بعض ايام مع ارمن وغيرهم . ونحن كنا نخبز على طقس بلاد الفرنج . وكان اولاد شهرمان الارمن يطلبون من الخبز ويأخذونه الى بيوتهم كحسب البركة . ثم دعوا المونسنيور الى بيوتهم فرحنا وعملوا له عزاً عظيماً [١٤٥] وبارك بيتهم .

١٩ الاحتفال يوبيل السنة ١٦٨٣

ولنا في جولفة كنيسة لليسوعيين . فكان اذا راح المونسنيور الى جولفة ليقدس يجتمع جميع الارمن القاتوليقيين ويسمعون قداسه وكرزه . وكان بعضهم يعترفون ويتقدسون[1] . وفي تلك السنة (١٦٨٣) جاء مكتوب من البابا[2] الى المونسنيور في امر الجوبيليو (اليوبيل) اي الغفران . فرحنا الى جولفة وقدس المونسنيور وحضر جميع الارمن القاتوليقيين وبعض المراطقة . وقرأ البادري اليسوعي مكتوب البابا وجاء جميعهم وتباركوا منه ومن المونسنيور . واوصاهم عن الخير الواجب فعله لاجل هذا الغفران اعني [١٤٦] ان يصوموا ثلاثة ايام ويتصدقوا بما يمكنهم ويزوروا الكنائس الكاثوليكية ويعترفوا ويتقربوا . وبعد القداس رجعنا الى البيت . ثم عملنا جميعنا الواجب الجوبيلي وزار المونسنيور كنائس الرهبان في اصبهان اعني كنائس الكبوجيين والكرمليين والارغسطينيين وتصدق عليهم وعلى الفقراء .

٢٠ وصف مناقب المونسنيور بيكيت وفضائله

وكان المونسنيور بيكيت يروي مثلاً صالحاً بزيادة فضائله : بصومه وصلاته وصدقته ومحبته . فكان صومه ازيد من صوم الناس جميعاً . يصوم الى ما

١) يتناولون القربان الاقدس

٢) انوشنسيوس الحادي عشر (١٦٧٦-١٦٨٩)

بعد نصف النهار ويقنع بشيء قليل ويتغذى به . ولم يكن يزيد في الوان المآكل . [١٤٧] ووقت النوم كان ياكل لقمتين او ثلاث لقم خبز مع تفاحة مشوية . ويشرب قدح شراب ممزوج . وكان فرحان القلب كأنه اكل خروف حامداً شاكراً . وكانت صلاته من داخل قلبه . فكان اذا اراد ان يصلي يبرك على الارض امام المصلوب في حجرته ويمكث في الصلاة العقلية مقدار نصف ساعة واكثر . وعيناه تهطلان الدموع نازلة على ثيابه كالمطر . وبعد الصلاة العقلية كان ينتصب واقفاً على رجليه ويأخذ الكتاب بيديه ويصلي براس منحنٍ امام المصلوب وبفكر مجموع ونظر مكفوف الى الارض . وبعد الوقوف كان يجثو على الارض [١٤٨] ويبقى جاثياً مدة حتى اني بعض اوقات كنت اكون عنده لما كان الخادم يقلع ثيابه ويسحب جواربه حتى ينام . فكنت ارى ركبتيه كركبة الجمل قد تشدد اللحم وجفّ من كثرة الجثوّ على الارض مع انه كان نحيفاً ضعيفاً قليل الغذاء . ولا شك ان الروح الحالّ فيه كان يساعده ويقوّيه على هذه الصلاة الطويلة . ولم يكن يفعلها جهرًا ليأخذ المجد من الناس بل كان داخل مخدعه يغلق الباب ويصلي هذه الصلاة النقيّة بينه وبين ربّه . واذا سألني سائل قائلًا : ان كان المونسنيور يغلق الباب [١٤٩] ويصلي داخل مخدعه فمن يا ترى كان يكشف ويراه ؟ فاجيب ان اغلب الايام لما كان يصلي كان يجيء اليه بعض اكابر من المسلمين او المهمندار فيدخلون اليّ ويجلسون عندي . وانا كنت اروح عند المونسنيور حتى اطلب لهم الدستور فكنت ابصر الباب مغلقاً فكنت اميز من شق الباب فاراه جاثياً في الصلاة فاعمل اشارة بالباب بالهدو فكان يجاوب قائلًا : مَن تكون ؟ فكنت اقول عبدك . فيقول اصبر . الآن افتح لك . وبعد ما كان يكمل كان يفتح لي الباب ويكلمني بالمحبة والمعرفة [١٥٠] . فكنت انظر عيونه ملآنة من الدموع . فيسألني ما تريد ؟ فاقول ان الامير فلاناً جاء يزورك . فكان اذا كمّل صلاته يقول أحضره الى الديوان مكان استقبال الزائرين والاصحاب . والا فاذا كان ما كمّلْ صلاته يقول لي تكلم معه مقدار كذا وكذا ثم يجيء . فكنت ارجع واحكي معهم مقدار ما امرني ثم آخذهم

الى الديوان فيجلسون على الكراسي. وهو كان يلبس فروته السمور[1] ويدخل عليهم فينهضون واقفين له ويتقدمون اليه ويسلّمون عليه . لان عادة اهل العجم في سلامهم [١٥١] ان الصغير اذا كان واقفاً والكبير مجتازاً يسبق الصغير ويعطي السلام للكبير . اما الترك فيفعلون بخلاف ذلك اعني ان المجتاز يسلم على الواقفين . ثم كان المونسنيور يجلس ويحادثهم وانا اترجم بالتركي. وكان يأمرني بالجلوس فلم اكن اجلس . بل اذا كان الزائر نصرانياً كنت اجلس .

ولنرجع الآن الى مقصودنا عن صلاته . فان هذا الرجل الصالح كان دائماً على قرار واحد . فلو قالوا له مثلاً ان الشاه جاء يريد يكلمك فكان يقول يصبر الى ان اكمل صلاتي . ولو قالوا ان البيت راح يسقط فلم يكن يترك صلاته [١٥٢] . هكذا كانت صلاته ولم يكن يقصرها ابداً لا في درب ولا في مرض ولا في وقت الاستعجال ولا في البرد . بل كانت هي بعينها في البيت وفي الدرب معاً . في السكون والراحة وفي زمان الاستعجال. في العافية وفي تغير المزاج. هذا ما ذكرنا عن الصوم والصلاة وهو جزء واحد من المائة.

اما عن الصدقة فهو شيء فوق الطبيعة البشرية . لانه لم يقصده انسان بصدقة ويرجع خائباً ابداً . بل كان يعطيه الممكن . ومن جملة صدقاته نحكي واحدة غريبة تحيّر [١٥٣] عقول السامعين وتستوجب الذكر . كان عند المونسنيور خادم اسمه اثناس شابّ عمره عشرون سنة او ازيد وهو قاتوليقي الاعتقاد ارمني . وبعد ما خدم المونسنيور كم شهر خرج وراح بدون دستور . وبعد شهرين ثلاثة سمعنا انه تزوج وارتسم قسيساً . لان الارمن لم يكونوا معتادين ان يرسموا قسيساً ما لم يتزوج . ففي ذات يوم اقبل اثناس المذكور الينا فجاء البواب واعلمني وطلب له دستوراً ليعبر . فقلت خلّه يجي. [١٥٤] فدخل اليّ واجلسته وقلت له سمعنا انك صرت قسيساً . قال نعم . وطلب ان استأذن له من المونسنيور ليدخل يزوره ويقبل يديه . فتركته في اوضتي وقصدت المونسنيور وحكيته . فقال خله يدخل . ولما دخل نهض

١) السمّور حيوان برّي لونه احمر مائل الى السواد . يُتّخذ من جلده فراء ثمينة . وربما أُطلق السمور على جلده كما أُطلقه هنا الناس سفر . وقد سبق وصفهُ.

واقفاً بعد ان علم انه كاهن . فجثا اثناس امامه وقبّل يده. فاقامه المونسنيور وامره بالجلوس على كرسي ولم يذكر له شيئاً عما فعل اعني عن رواحه بغير دستور بل ابتدأ يكرز عليه ويعرّفه درجة الكهنوت وارتفاعها . وكيف يجب ان يسلك فيها [١٥٥] . فقال يا سيدي. رسموني قسيساً ويريدون يرسلوني الى ضيعة . وما لي بدلة حتى اقدّس فاطلب منك ان تعطيني بدلة كيفما كانت . فامرني المونسنيور ان ابعث استدعي اندريا الطباخ الذي كان يحفظ حوائجه . فجاء اندريا وكلّمه بالفرنساوي وطلب منه بدلته المليحة التي كانت مرقومة بقصب من الوجهين وكانت تساوي مائتين غرش واكثر . فجابها فاخذها واعطاها للقسيس اثناس . وبقيت انا واقفاً مبهوتاً في امري متحيّرًا . ثم اعطاه ايضاً مقدار صدقة حتى يشتري [١٥٦] له ما يلزم . واعطاه مقرمة[1] مرقومة بالقصب لاجل غطاء الكاس . ووقت الغدا أجلسه على المائدة بين الكهنة وتغدّى معنا . ثم اخذ البدلة وراح . وبقي كل من يسمع من جماعة الارمن عن هذا الخير العظيم الزائد يتحيّر .

اما صدقاته للباقي وخيراته فلا نقدر نحرّرها لانها مشهورة في الدنيا. لانه لما كان قنصلًا في حلب مدة تسع سنين وازيد عمل خيرًا عظيماً . وفي زمانه عضد اهل حلب . وكان دائماً يتصدق على الفقراء والمحتاجين من جميع طوائف النصارى [١٥٧] ولو كانوا هراطقة . وقد صرف اكثر من عشرة آلاف قرش لاجل طائفة السريان ونصب لهم البطريرك اندراوس[2] القاتوليقي . ورجعوا بواسطتها الى احضان الكنيسة المقدسة وهذا الخير يعلو على جميع الخيرات.

اما محبة هذا الرجل البارّ الصالح فكانت كقول السيد المسيح : « احبوا اعداءكم (متى ٥ : ٤٤) » هذا[3]. فكان يحب الهرطوقي مثلما يحبّ القاتوليقي. والمحسنين اليه كالمسيئين اليه [١٥٨] . اما محبته للفقراء فكانت ازيد من محبته للذين يكرّمونه واكثر من الاغنياء . فكان في جولقة اسقف ارمني هرطوقي

---

١) منديلًا

٢) هو السيد اغناطيوس اندراوس اخيجان بطريرك السريان الكاثوليك (١٦٦٢–١٦٧٧)

٣) لفظ سرياني يقابل في العربية لفظ الخ

شقيّ اسمه اسطفان يبغض القاتوليقيين جداً حتى انه لما كان ينظر قاتوليقياً كان يسحب قباعته على عينيه لئلا ينظر اليه . واذا سلّم عليه قاتوليقي كان يغتل وجهه حتى لا يأخذ سلامه . وكان يهجر القاتوليقيين في الكنيسة واحياناً في بيته ويتكلم عن المونسنيور . ومع هذا جميعه فما كان المونسنيور يتكلم عنه بشيء عاطل ابداً . بل اذا جاء اليه بعض اصدقاء وحكوه عن [١٥٩] افعال هذا الشقيّ كان يبكي ويصلّي لاجله . ولو كان الجي غيره لعمل معه شراً وأدّبه . لكن المونسنيور لم يكن يريد ان يتكلم احد عن هذا الشقي بالعاطل .

ومن فضائله انه كان عنده خدام ارمن من جولفة هرب منهم اثنان واخذا الثياب التي عليهما . وكانا قد تديّنا بعض دراهم منه فهربا من جولفة الى مكان آخر . وبعد زمان رجعا . ولما سمعتُ اردتُ ان ابعث اناساً لامسكهما واحبسهما فلم يرضَ المونسنيور بل قال لي اتركهما وسامحهما [١٦٠] . فهذا الشيء يفوق الطبيعة البشرية . ولا توجد مثل هذه الفضائل الا عند اناس قديسين كاملين . ولم يكن يطلع خلقه على احد او يتضايق من احد . بل كان اذا عمل احد نقصاً يصيحه ويكلمه بالهدو والسكون وينصحه لئلا يعمل كالاول . واذا احب ان يركب ويزور بعض الاصدقاء كان يدخل اولاً الى حجرته ويجثو امام المصلوب نحو ربع ساعة او اكثر . ونحن نكون حضرنا الخيل والخدّام ونبقى واقفين حتى يخلص . واذا راح لزيارة ديورة الرهبان [١٦١] في اصبهان ام في جولفة فاول ما كان ينزل عن الفرس ويدخل الدير كان يقصد الكنيسة ويجثو امام المذبح نحو ربع ساعة ثم يخرج يتكلم مع الرهبان .

ورحنا يوم خميس الفصح الى دير الكرمليين وجاء من ارمن جولفة ثلاثة عشر رجلاً حتى يغسل المونسنيور ارجلهم فأمرني ان اشتري لهم ثياباً بيضاء . وعمل المونسنيور الميرون المقدس ثم غسل ارجلهم واضافهم وخدمهم هو بنفسه على المائدة وأحسن اليهم [١٦٢] بالحسنى ورجعنا الى بيتنا . وثاني يوم ارسلني الى الدير فجبت قنينات الميرون .

اما سخاوته فكانت زائدة جداً لانه كان يأمرني دائماً ان اصرف الدراهم في جميع ما يحتاج اليه البيت لئلا يكون شيء ناقص . واكثر الايام كان محبوه الارمن يجون من جولفة ويتغدون عنده كما سبقنا فذكرنا واذا جاء اليه جوعان كان يغذيه او عريان كان يكسيه . ويجبر خاطر كل واحد ويرسله

٢١ ضيافة الشاه عباس للمونسنيور بيكيت وحماية المطران ورتان وبطريرك الارمن

وبعد ايام عمل الشاه ايضاً ضيافة [١٦٣] وصاح الالجيـة والمونسنيور معهم الى السراي المذكور . وكان الشاه جالساً في العلّية فوق علي قاپي وهي تشرف على الميدان . وكان الخيل والفيلة والسباع مربوطة كما ذكرنا . فركبنا ورحنا كالسابق ودخلنا واصعدونا الى حيث الشاه . فجلس المونسنيور . واحضروا ثوراً كبيراً واطلقوا عليه احد السباع فلم يُطِق عليه . فاحضروا ثوراً اضعف فوثب عليه السبع ومزّقه ونحن نبصر [١٦٤] . ثم تغدّوا وبعد الغدا رجعنا .

والآن نخبر عن المطران ورتان الارمني الذي ذكرناه سابقاً . فكان يكرز ببلد تفليس على الارمن . ولما وصل اجيازار بطرك الارمن الى دير كرسيّهم اجميازين قريب ايروان راح بعض الارمن واشتكوا للبطرك على المطران ورتان انه فرنجي ويكرز علينا . فبعث البطرك اناساً واستدعاه . ولما حضر امر بحلق اكليل رأسه ثم حبسه في مكان مظلم . فلما سمع المونسنيور بذلك بعث مكتوباً الى [١٦٥] البطرك بان يعتق المطران من الحبس . فلما قرأ البطرك المكتوب اخرج المطران ورتان واكرمه وجبر خاطره واعطاه اسقفية احد الاماكن . ثم ارسل البطرك هدية الى المونسنيور من تبركات القدس مع مكتوب اعتذار صحبة مطران اسمه خاجيك . فقبل الهدية واكرم المطران .

(لها تابع)

مطبوعات شرقية جديدة

Dr Fr. William, La Vie de Jésus dans le pays et le peuple d'Israël. Traduit de l'allemand par Mr l'abbé Marcel Gautier. In-8° carré, 528 pp., 33 hors texte. Mulhouse (H'-Rhin), Editions Salvator. Prix : 25 fr.

حياة يسوع في بلاد اسرائيل وبين شعبه.

لقد نال كتاب الاستاذ وليام في « حياة يسوع » انتشاراً نادر المثال. ظهر في اواخر السنة ١٩٣٢ ، وها هو الآن في طبعته الرابعة (الالف العشرين) . فضلاً عن ان طلبات الاجازة بالترجمة تواردت على المؤلف من عشرين بلداً. فظهر، مع الترجمة الفرنسوية الحاضرة، ترجمات باللغات الانكليزية والصينية والاسبانية والهولندية والمجرية والايطالية ... وقد اجمع النقاد على الاعجاب بالكتاب لما اظهره المؤلف من براعة ومقدرة اذ توفق الى ايجاد تأليف موضوع لجمهرة القرّاء ومستند الى الاسلوب العلمي الدقيق بما يتحقق فيه من الجهود ارباب الدروس الكتابية ، والاثريون ، واللغويون ، والاختصاصيون بدرس الشعوب . ويتحقق الجهد نفسه اللاهوتيون فيعجبون ، دون شك ، بتضلع المؤلف من العلم المسيحي . على ان هذا العلم لا يبدو بطريقة جافة تنفر المطالع ، انما يأخذ به المؤلف اساساً لكتابه يبني عليه ما توفق اليه من وضع صورة المسيح في محيطها المملوء بالحياة .

وهناك كثير من الرسوم والصور التي اخذها المؤلف نفسه ، مدة اقامته بفلسطين ، تفيد الكتاب روعة فائقة اذ تعرض على انظار المطالع تلك المشاهد التي طالما تأملها السيد المسيح . والمؤلف يدعو بلاد فلسطين « الانجيل الخامس » لان معرفتها والاطلاع على احوال سكانها من الضروريات لفهم حياة المسيح . وقد كان الدكتور وليام اول من اتيح له استخراج كل النتائج الممكنة من هذا الدرس . فاستحق الشكر الجزيل.

HENRI BERTIN DE WILLIERS. La voie étroite. Paris, nouvelles éditions Argo. Prix : 15 fr.

الطريق الضيّقة

يصف المؤلف فتاةً عصرية اسمها مادلين تريبارت عرض لها ما دفعها الى الحياة الدينية في رهبانية الكرمل . وكان لها صديقة اسمها جنفييف مخطوبة الى شاب بعيد عن طريق الله، فارادت ان تستعين بصديقتها الكرملية في هداية خطيبها . فنشأت بين الراهبة والشاب مراسلات روحية انتهت بارتداد الشاب الى الدين ، بل بميله الى الحياة الرهبانية ، مما اثار مخاوف الخطيبة فعادت باللوم على صديقتها . الا ان هذه عملت على تعزيتها حتى قبلت مشيئة الله ، وسار كل من الاشخاص في الطريق التي سنتها له العناية ... قد يرى المطالع ان ليس في اخلاق هؤلاء الاشخاص ما نعرفه عادةً في اخلاق البشر من المرونة والاضطراب والتحوّل، فهم يبدون كابطال كورنيل على قسط وافر من السموّ. ولعلهم من نوع خاصّ لا تخلو منه البشرية ، والحمد لله . ومهما يكن من امر فان الكتاب قيّم يدفع الى التفكير،وهو حسن الاسلوب يجدر بان يقرأه الكثيرون حتى من لم يتعوّدوا قراءة الروايات. ج.ل.

Almanach catholique français pour 1934 Paris, Bloud et Gay, 1933.

التقويم الكاثوليكي الفرنسوي لسنة ١٩٣٤

ها قد مرّ ست عشرة سنة على ظهور هذا التقويم ، وهو في كل سنة يزيد معلوماته ، ويحسّن موادّه ، حتى اصبح من كتب المعلومات الضرورية لكل من اراد الكلام عن الكثلكة في فرنسة.

G. MAILLET, Peinture religieuse. [*Bibliothèque Catholique des Sciences religieuses*]. Paris, Bloud et Gay. In-12, 234 pp.

التصوير الديني

لا يخفى ان مادّة هذا الموضوع واسعة جدًّا ، حتى انه على مدة قرون عديدة لم يكن من مظهر لفنّ التصوير الا المظهر الديني. بيد ان المؤلف اختصر موضوعه على طريقة حسنة ، وخاضه باسلوب مبتكر ، فدرس كيفية ظهور

العاطفة الدينية في التصوير ، ودرس الطرق الفنية العملية التي استعملها الفنانون للوصول الى ذلك . وقد قدّم على الدرس مقدّمة عرض فيها لبعض المفردات الوضعية ، والتعابير الجارية في فنّ التصوير ، فبيّن الفرق بين معناها في التصوير الديني ومعناها في التصوير الدنيوي العادي.

MENAHEM ZULAY, Zur Liturgie der babylonischen Juden. Geniza-Texte. [*Bonner orientalistische Studien herausgegeben von*, P. KAHLE *und* W. KIRFEL, Heft 2] In-8° de X+90 pp. Stuttgard, W. Kohlhammer, 1933. Prix : M. 7,50.

هذه مجموعة من الشعر الربّاني القديم بابلية الاصل ، وُضعت لتُنشد مرتّلةً في سبوت معيّنة . وقد تكون ، في اصلها ، قسماً من مجموعة اناشيد تُرتّل على ايام السنة الطقسية الاسرائيلية . واكثرها مؤلفة على الطريقة الابجدية ، المعروفة في بعض الاناشيد الدينية ، وقوامها ان يبدأ كل بيت بحرف مقصود يؤلف ، مع الحروف التي تبدأ الابيات التالية ، كلمات مخصوصة.

ويظهر ان المؤلف اراد ان يضع اسمه في بعض قصائده فعمد الى هذه الطريقة ، واذا بنا نستخرج منها اسم « يهوذا ». الا ان الاسم كثير الانتشار لا يفيدنا شيئاً في معرفة المؤلف . اما التأليف نفسه فيظهر قديماً يرقى دون شك الى ما قبل القرن العاشر . وهذا مما يبرّر عمل الاستاذ زولاي في ما صرفه من جهد لنشر هذا الكتاب .

ب . م .

A. MALLON, S. J., R. KIEPPEL, S. J. et R. NEUVILLE, Teleilât Ghassûl. I. *Compte rendu des fouilles de l'Institut biblique pontifical*. 1929-1932. In-4° de XVII+193 pp., 67 fig. dans le texte, 72 pl. hors texte, dont 7 en couleurs ; 1 portrait. Rome, Scripta Pontific. Instit. Bibl., 1934.

تليلات غسّول

يعلم اكثر قرّائنا ان المعهد الكتابي الروماني باشر ، في السنة ١٩٢٩ ، حفريّات في موقع يرى بعض العلماء انه مكان مدينة سدوم ، ويدعى اليوم تليلات غسّول . وقد تتابعت الحفريّات على اربع دفعات فاتت بنتائج باهرة وان

كانت غير كافية حتى الآن للتثبت من ان ذاك المكان موضع مدينـــة سدوم القديمة .

يبدو ذاك المكان ، الواقع ما وراء الاردن ، قديماً جداً ، بل من اقدم الامكنة بالنظر الى فلسطين . فيظهر ان نشرةً من هذا النوع تأتي باهم الفوائد لعلم الآثار والمدنية الفلسطينية في الالفين الثالث والثاني قبل المسيح .

وقد قام بادارة الحفريات المرحوم الاب ألكسيس مالون اليسوعي ، رئيس الفرع الاورشليمي للمعهد الروماني المذكور . وكان يساعده زميله الاب كوبل اليسوعي الجيولوجي المعروف بتآليفـه عن فلسطين . وشاء ان يعاونهما ، في القسم الخاص بفلسطين السابقة للتاريخ، السيد نوفيل الذي طالما رافق الاب مالون في رحلاته الكشفية في انحاء فلسطين ، وهو اليوم ، على كونه كنشلبار قنصلية فرنسة ، من اكبر الاختصاصيين في العلم المذكور .

ولا يمكننا ان نتبسّط في دقـائق الكتاب الذي هو القسم الاول من التأليف . انما نقول انه مثال للدرس الاثري بترتيبه ودقته وموضوعيته ، وغنى اسانيده ، والتحفظ في استنتاجاته . وقد اظهرت حفريات تليـلات غسُول نقاطاً عديدة للمقابلة بينها وبين غيرها من الاماكن الفلسطينية ، فضلاً عما كشفته من الاثار الفريدة في نوعها حتى اليوم كبقايا تصاوير جدارية تبدو ذات صبغة دينية ، وتكفي وحدها للدلالة على ما وصلت اليه منطقة فلسطين الواقعة على شواطئ البحر الميت من الرقي المادي في الالف الثاني ق.م.

ولم يُتح للمرحوم الاب مالون ان يسرّ بظهور مجلّده الاول ، فقد اصيب على اثر ما بذله من الجهود بمرض انهك قواه فنقله الى رحمته تعالى . على ان عمله العلمي النفيس سيُتابع بفضل زملائه في رومة واورشليم س.ر.

J. LAURENT, Essais d'histoire sociale. I. La Grèce antique. In-8° de 214 pp. Paris, Les Belles Lettres, 1933. Prix : 20 fr.

محاولات في التاريخ الاجتماعي : ١ً بلاد اليونان القديمة

مؤلف هذا الكتاب عميد كلية الادب في جامعة نانسي، استفاد من اختباراته التعليمية والفته الطويلة للموضوع ، فجاء كتابه ناضجاً متصفاً بالوضوح والدقـة

والترتيب . واول ما يلفت النظر فيه انه يستند مباشرة الى الوثائق الاصلية فيستغل الشواهد العديدة من اقوال كتاب اليونان انفسهم ، او من اقوال العلماء الذين لخصوا ما تفيده من المعلومات الرقم والآثار القديمة.

فيطلعنا على آراء اليونان انفسهم في حياتهم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية. وهذه الآراء تبعد احياناً عن آرائنا في الموضوع نفسه، وما ابعدنا اليوم عن المبادئ التي كانت تُسيّر حكومة اسبرطة ! ومما يلفت النظر ايضاً ان قدماء الكتاب انفسهم كانوا يقرّون بعجز دياناتهم الرسمية عن سنّ الشرائع الاخلاقية (ص٧٩-٨٧)

ومن فضل المؤلف الاستاذ لوران، انه يقدر بكل رزانة ما تقلّب من الصروف على بلاد اليونان . وهو يتبسّط خاصة بدرس الصفة الزراعية التي كان يتّسم بها السكان الاقدمون ، وبدرس الاحكام المختلفة المتخذة في سبيل اقرار وتحديد الملكية العقارية ، لا في سبيل مساواة الثروات ، ثم يدقق في درس بعض الحملات القديمة على العمل ، وعلى ما كانوا يرون من ان موارد الحكومة الديموقراطية كانت تتسرّب الى موظفيها ، تدقيقه في ذكر بعض الفقراء للاغنياء. وافضل دواء لهذا الداء الاخير هو ان توجد طبقة من الشعب متوسطة تكون مشتركة الفوائد بين الاولين والآخرين . « على ان هذه الطبقة الوسطى تظهر جامدة في الكثير من الاحيان ، فلا تعمل ، بل تخاف الضرب ، بل تخاف ان تضرب اكثر من خوفها ان تُضرَب » (ص ١٨٩) . هذا وان النظام العام والتوازن الاجتماعي يعرضان فضائل مدنية ووطنية يجب تعزيزها بقوة سلطة ضابطة حكيمة.

ر . م .

J. D. S. Pendlebury. A Hand-book to the Palace of Minos at Knossos, with its dependencies. With a Foreword by Sir Arthur Evans. In-12 obl. de 63 pp., XIV planches photot., 8 plans et un grand plan du site collé sur toile ; 1 portrait de M. Evans. London. Macmillan a. C°, 1933. Relié : 4 sh.

دليل الى قصر مينوس في كنوسوس

لم يكن يُعرف شيء كثير عن الآثار في اقريطش منذ ثلاثين سنة . حتى كان من نصيب السر إيفنس ان يقدّر ما قد تظهره الحفريات في هذه الجزيرة

الشهيرة بملكها وإلهها مينوس ، فعقد العزيمة وباشر ، في منطقة كنوسوس ، حفريات تابعها بجدّ وثبات مخصّصاً بها حياته العلمية بكاملها . وكان من فضله ان حفرياته دفعت الايطاليين الى القيام بحفريات مقابلة في فايستوس ، ودفعت الفرنسويين الى اجراء حفريات مليا ، وكلها تتتابع على مثال حفريات كنوسوس، وقد اظهرت للعالم العلمي مدنية دُعيت « بالمدنية الايجية » تفوق اهمية وفائدة كل ما كان بالامكان تصوّره عن العصور المتقدّمة في بلاد اليونان السابقة للتاريخ ؛ كما انها اظهرت امرًا اوفر اهمية وهو اتصال هذا العالم الجديد بتاريخ شرقنا القديم .

ويعلم قرّاؤنا الكرام ان آثار اقريطش محفوظة في متحف كندية حيث يعجب بها السيّاح مرتّبةً ترتيباً موقتاً في بنايتها الحالية . بيد ان من شاء ان يطلع اطلاعاً واسعاً على المدنية المينوية ، فعليه ان يزور الاماكن نفسها التي أجريت فيها الحفريات . وهو أمر يسهّل القيام به هذا الكتاب الحاضر الذي ألفه معاون السر إيفنس فسمّاه « دليلًا » وخصه بوصف قصر كنوسوس الكبير وما يتعلّق به . وهو يلخّص ثلاثين سنة من الجهد العلمي ، مزدانًا بالصور والرسوم والخرائط الحسنة مما يعيد مظهر كثير من الآثار التي لا تزال اكثر اقسامها محفوظة في متحف كندية .

ولا شك ان السائح المثقف الذي يزور الجزيرة مستندًا الى هذا الدليل الواضح الترتيب ، يخرج منها وله فكرة واضحة عن ماضيها الزاهر . ونا ننصح قرّاءنا الشرقيين باقتناء هذا الكتاب النفيس الرخيص الثمن ، لا يكلّف مجلدًا الا اربعة شلينات ، كما اننا ننصحهم ان يؤلفوا قريباً رحلة مفيدة الى مهد تلك المدنية الراقية المتعلقة تعلقاً وثيقاً بتاريخهم نفسه . س . ر .

ELIANE MASSONNEAU, Docteur en droit, Licenciée ès lettres (philosophie). La Magie dans l'antiquité romaine. In-8°, 270 pp. Paris, Recueil Sirey, 1934.

السحر عند قدماء الرومان

لقد اختارت المؤلفة ، الآنسة اليانه ماسونو ، لاطروحتها في سبيل الدكتوراه في الحقوق ، موضوعاً يتعلق بتاريخ الديانات وبتاريخ الحقوق ايضاً . فدرست في

القسم الاول «السحر في الآداب والعادات الرومانية»، وفي القسم الثاني مقاومة السحر في التشريع الروماني .

ففي الالواح الاثني عشر، على تفسير هوفلن، منع لجميع الادعية والرقى التي من شأنها ضرر القريب او الرمي الى اخذ محصولاته. ثم في السنة ١٨٦ ق.م. ظهر قرار البَكّنال يعاقب بالموت من يقوم بالاعمال الدموية او بالتضحية بالاطفال. وفي السنة ٨١ ق. م. نرى ان شريعة كورنيليا *lex Cornelia de sicariis et venificiis* تجعل الاعمال السحرية الرامية الى الاجهاض او الى الحب القسري من ضمن اعمال التسمم. وبناء على هذه الاحكام الشرعية، كان الكهّان عرضةً للمطاردة مدة الامبراطورية كلها . ومنذ القرن الثالث يشعر الدارس بالميل الظاهر الى الحاق المنجمين والعرّافين بالكهّان. والويل لمن كان يسألهم كم يدوم حكم الامبراطور الفلاني او من يخلفه على العرش . ولما قام يوستنيانوس بقانونه ادخل فيه الاحكام السابقة، ولم يميز السحر عن الوثنية، كما انه في القرن السابق طورد البريسيليانيون بصفة كونهم هراطقة وسحرةً .

هذا، وان يكن بعض النقص في شواهد الآنسة المؤلفة، فان عرضها للموضوع واضح واحكامها رزينة تستند الى درس عميق للنصوص المهمّة ر.م.

G. Lefranc, **Les grands voyages de l'Antiquité.** Avec 4 cartes hors texte. Paris, Librairie de la revue nautique. Prix : 12 fr.

الرحلات الواسعة في العصور القديمة

ألف هذا الكتاب احد المولعين بالملاحة على اختلاف انواعها . فجمع فيه المعلومات عن كبار المسافرين في العالم القديم كهامون وهميلكون القرطاجيّين، وستاسيبس الفارسي، الرحّالة على الرغم منه، وكروزيوس المشتغل بالقرْصَنة على عهد ديوقليسيانوس . ولكن هذا الجمع اتى على شيء من الاضطراب والتشويش حتى ان من لا يستند، في الموضوع، الا الى هذا الكتاب قد يجحف بحق ذاك العصر . ثم ان المؤلف يضيف درساً عن الاطلنتيد يظهر رحلةً الى عالم الاحلام. على ان فيه ما يلذّ المطالع !

ج.ل.

E. F. Tscheuschner, **Moenchsideale des Islams nach Ghazalis Abhandlung über Armut und Weltentsagung.** [*Allgemeine Missionsstudien*, Heft 15]. 56 pp. Gütersloh, Verlag C. Bertelsmann, 1933.

مثال النسك الاسلامي تبعاً لاقوال الغزالي في الفقر والزهد

يترجم المؤلف ما عرضه الغزالي في كتابه المشهور «إحياء علوم الدين» من الآراء في الفقر والزهد وما اليهـا من عوامل الكمال النسكي. ولا يخفى ان الغزالي يظهر شديد الميل الى الاخذ بها حتى انه يدقق في ذكر تطبيقاتها، على كونه يظلّ ضمن نطاق السنة الاسلامية متجنباً تطرّف بعض الصوفيين من الذين يعرضون المسيح مثالاً لهاتين الفضيلتين. على ان الغزالي يُقرّ، في كتابه، بجهله كيف يوفق بين مشاهدة الله المبرّرة والملذات المادية في الجنة الاسلامية ه.ل.

Maria Nallino, **An-Nabigah al-Ga'di e le sue poesie.** [Estratt. dalla *Rivista degli Studi orientali*, vol. XIV]. In-8°, 104 pp.

النابغة الجعدي وشعره

النابغة الجعدي شاعر مخضرم من الطبقة الثانية علق بحياته كثير من الاساطير فجُعل من كبار المعمرين حتى قيل انه عاش مائتي سنة. وصحب النبي. على انه لم يكن له حظ في حياته ولا بعد مماته. فقد كان مُغلباً غلبه زملاؤه في جميع المساجلات الشعرية والمهاجيات التي دخل فيها. ثم ضاع ديوانه بعد وفاته بمدة قصيرة. ثم انه لم يستحق ذكراً في دائرة المعارف الاسلاميـة. ولا شك ان سميّه النابغة الذبياني كسفه. حتى جاء من يهتمّ به فقامت المؤلفة، الحاملة اسماً معروفاً في الادب العربي الا وهو اسم نلّينو، بجمع كل ما ورد عن الشاعر في تاريخ الادب وبنقده دارسةً اسم «النابغة» واسم قبيلته، ملمّة بادق التفاصيل في حياته شارحةً كيف ان بعض المقاطع من شعره مدّت الرواة فنسبوا اليـه عمراً يتطاول حتى يتجاوز المعقول. اما الحقيقة فان بعض التفاصيل في حياته تفيد انه مات كبير السنّ في نحو التسعين عاماً ه.ل.

JOSEPH SCHACHT, Der Islam mit Ausschluss des Qorans. 2te erweiterte Auflage [*Religionsgeschichtliches Lesebuch*, n° 16]. Tübingen, Verlag von J. C. B. Mohr (Paul Siebeck), 1931.

لقد تكلمنا (مشرق هذه السنة ، ص١٤١) عن الطبعة الاولى لهذه المجموعة الاسلامية وعما وجّه اليها احد اساتذة الالمان من نقدٍ عنيف. على ان هذا النقد لم يمنع الكتاب ان ينال طبعته الثانية ، ولا ان يزدان اوله باسم العالم الكبير بالشؤون الاسلامية شنوك هورگرونيه الذي قبل تقدمة المؤلف اليه. وهذا كافٍ للدلالة على ان كتاب ذو قيمة. ه.ل.

Islamica, VIe Band, Heft I. Leipzig, Verlag Asia Major., 1934. Mk. 10, Subscriptionspreis, 8.

مجلة الاسلاميات : الجزء الاول من المجلّد السادس

يحتوي هذا الجزء على ختام الابحاث النفيسة في القراءات القرآنية. يلي ذلك مقال في التصاوير الاسلامية المحفوظة في متحف برلين يزينه اربعة رسوم. ثم نصّ عربي من كتاب « الصبر والرضى » للحرث المحاسبي ، ورسالة اندلسية في علم الخيل . وهي ذات قيمة لندرة التعرّض لهذه الابحاث في الاندلس ه.ل.

S. FERDINAND-LOP, Le pétrole, le monde et la France. In-8°, 46 pp. Paris, Th. Poinsot, libraire, 1931. Prix : 7 fr., 50.

البترول والعالم وفرنسة

تلخّص هذه الرسالة تاريخ احتكار الشركات البترولية ، وسياسة البترول الدولية ، وموقف فرنسة منها. ولا يخفى ان شركة البترول الفرنسوية لها نصيبها من آبار البترول في ما بين النهرين، وهي عضو في « شركة البترول العراقية ». فيكون لهذه الرسالة قيمتها المفيدة.

COLONEL LAMOUCHE, Histoire de la Turquie depuis les origines jusqu'à nos jours. In-8°, 5 cartes dans le texte. Paris, Payot. Prix : 30 fr.

تاريخ تركية

ان كتاب الكولونيل لاموش يجمع لاول مرة في مجلد واحد تاريخ الشعب التركي منذ حلوله في آسية الصغرى حتى الحوادث المتأخرة . وقد عاش المؤلف

عشر سنوات في تركية العثمانية في اشد الاوقات حراجة، بل في الاوقات الحاسمة. وكان كل تلك المدة على اتصال مباشر بجميع الطبقات في المجتمع التركي، وبعناصر سكان المملكة كلها. ثم اشترك في الحملة على الدردنيل. فكان من ثمّ حقيقاً بان يفهم التاريخ العثماني الذي كانت تجري أخرى حوادثه امام عينيه. قال رينه بينون في مقدمته: «لقد صادفت الكولونيل لاموش، لاول مرة في سالونيك حيث كان يرئس اركان حرب الجنرال دجيورجيس، رئيس البعثة الاوروبية لتنظيم الدرك العثماني في مقدونية. وقد مكنته هذه الصفة من ان يدرس، عن قرب، الحياة التركية، والادارة، والعادات. ولما كان لغوياً بارعاً لم يكتفِ بالنظر، بل قرأ الوثائق في نصوصها الاصلية. فافاده ذلك تقدماً في فهم اخلاق الشعب التركي الذي كثيراً ما اقلق الشعوب النصرانية منذ دخوله اوربة بحملاته القوية على بلادها. فلا عجب ان يكتب تاريخ تركية بوضوح ودقة.» وهو مفيد خاصة بالفصول الاخيرة المختصة بالحوادث المتتابعة منذ القرن الثامن عشر واهمها حكم السلطان عبد الحميد الثاني وما وليه. اما تركية الجديدة فتاريخها لا يزال في المهد. على ان المؤلف خص به الفصل الاخير.

U. R. S. S. Bilan, par STALINE. In-8°, 217 pp. Paris, Denoël et Steele.

اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية بناء على تقارير ستالين

يُسرّ محبو الوثائق وحدهم بهذه المجموعة من التقارير عن الاحوال الروسية. واهمها تقرير ستالين في المؤتمر السابع عشر للحزب الاشتراكي الروسي الذي افتُتح في ٢٧ كانون الثاني ١٩٣٤، وقد عرض فيه ملخص اعمال اللجنة المركزية مدة ثلاث سنوات، اي منذ انعقاد المؤتمر السادس عشر. وعلى كون هذا التقرير مكتوباً للروسيين، فانه يفيد غيرهم ايضاً بما فيه من نتائج مشروع الخمس سنوات، وما يحمله من آمال في المستقبل. وسنرى في الحوادث المقبلة الحكم على هذه الآمال.

وفي الكتاب قسم ثانٍ يحتوي على تقرير تام قرأه لتشينوف في اللجنة التنفيذية المركزية لاتحاد الجمهوريات السوفيتية الروسية في اواخر كانون الاول

واوائل كانون الثاني الفائتين ، وموضوعه سياسة روسية الخارجية . يليه تقرير لمفوّض المالية گرنكو يعرض فيه المنهاج المالي للسنة ١٩٣٤ . اما المنهاج الاقتصادي فذكر باختصار ، استناداً الى معلومات مأخوذة من قرارات اللجنة التنفيذية المركزية والى ايضاحات أدلى بها رئيس مجلس مفوّضي الشعب بمناسبة مشروع السنوات الخمس الثاني . وعلى الجملة فان الكتاب يظهر ذا مسحة رزينة بما فيه من النصوص الرسمية مترجمة بامانة . ج . ل .

MAURICE GRAMMONT, Traité de Phonétique. In-8°. XII + 480 pp. Paris, Delagrave. Prix : 60 fr.

درس في الصوتيّات

نشر الاستاذ موريس گرامون ، سنة ١٨٩٥ ، كتاباً في « الفروق المقطعية » فاختطّ طريقاً جديداً في الابحاث اللغوية . لانه أهمل عقيدةً قديمة في علم مقابلة الفراماطيقات قوامها ان كل لغة لها سماعيّاتها الخاصة وتطوّرها المنفرد ، واستبدل بها شريعةً سماعيّة عامة ، مبرهناً ان نواميس السماعيّات هي فوق اللغات تؤثر فيها ولا تتأثر بها ، فهي شرعة مشتركة بين الشعوب . اما ما هو خاصّ بكل لغة فطريقتها السماعية ، وكل لغة تطبق النواميس السماعية العامّة ضمن النطاق الذي تفسحه لها طريقتها . وقد أسس في عمله هذا علماً جديداً هو علم اللغات بالمعنى العصري . فاذا كان التطوّر السماعي يسير طبق نواميس عامّة ، فقد اصبح من الممكن ان تكون اللغة موضوع علم حقيقي . ومن ثم فان مقابلة الفراماطيقات تصبح من نوع تجهيز المعلومات والابحاث . اما العلم الحقيقي فهو علم اللغات .

بعد ان اوضح العالم هذه الفكرة كان عليه ان يتثبّت من صحتها فيحدّد النواميس العامة التي يجري بموجبها التطوّر السماعي ، ويتحقق تطبيقاتها في اللغات البشرية . وقد خصّ الاستاذ گرامون بهذا الدرس ثلاثين سنة من حياته . فنشر مقالات عديدة ضمّنها ثمرة تفتيشاته وابحاثه . ثم عاد عليها فزاد ووسّع وجمعها في القسم الثاني من هذا المجلد ؛ حيث عزّز تلك النواميس العامة باكثر من سبعة آلاف مثل مأخوذة ، في غالبها ، من اللغات الآرية وهي اقرب مثالاً من غيرها لانها مدروسة معروفة لدى العلماء . على انه اخذ كذلك امثالاً

متعددة من اللغات السامية كالعربية الفصيحة والدارجة والسريانية ، بل من غيرها كاللغة الاتامية ولغة الزولو . ومن السهل ان يطلع القارئ على هذه الامثلة بفضل فهرس ابجدي في آخر المجلد .

اما القسم الاول فقد خُصّ بدرس اصوات المقاطع الكلامية وطرق تركيبها ، بصرف النظر عن اللغات التي تدخل فيها . وهنا ايضاً يطلعنا المؤلف على آراء طريفة ولاسيما في صوت المقطع المفرد والمزدوج ، وهو مشكل لم يحله العلماء قبل الآن الّا حلًا مبتورًا . فكان من نصيب الاستاذ المؤلف ان يدلي بنظريات جديدة ويعزّزها بالاختبار . ولما كان منصرفاً منذ السنوات العديدة لدرس هذه الامور ، سهل عليه تصوّر الحلول الجديدة لهذه المشاكل التي يعرض لها على طريقة جديدة كذلك ، لان الطريقة القديمة عجزت عن حلّها . فدُفع من ثمّ الى اكثار التصاوير والرسوم في كتابه .

وهناك قسم ثالث موضوعه السماعيات التأثيرية . وهو موضوع من اختصاص المؤلف كذلك يظهر لاول مرة في كتاب في علم السماعيات . وغايته درس قيمة اصوات الحروف مفردة ومركبة من حيث تأثيرها في السمع والنفس ، وقابليتها لاثارة الافكار وبالتالي امكانية استعمالها استعمالًا فنيًا . وكان المؤسس اول من قام منذ السنة ١٩٠٠ — بمناسبة الاحتفال بمرور ثلاثين عاماً على تأسيس « مجلّة اللغات الرومانية » — بدرس شامل في العناصر الصوتية من حيث قيمتها التأثيرية والتعبيرية ، فأسس هذا القسم من السماعيات الذي يعرضه اليوم موسّعاً التوسيع الكافي . وقد اظهر فيه وفي القسم الثاني تأثير البسيكولوجية في السماعيات ، كما كان اول من اشار الى هذا التأثير منذ السنة ١٨٩٥ .

هذا ملخّص يدلّ على ان الكتاب لم يستفد كثيرًا مما سبقه ، وهو امر جدير بكل تقدير ان يكون تأليف علمي طريفاً مبتكرًا شخصياً بهذا المقدار . ولا شك عندنا في انه اذا قام بيننا احد الموهوبين من المتكلمين باللغة العربية ، فدرس درساً جديًا هذا الكتاب النفيس ، امكنه ان يستخرج منه مادّة تأليف في علم السماعيات العربي يفتح في اللغة فتحاً جديدًا بما يدلّ به على الجمال الخاصّ الذي تفيده المفردات العربية في النثر وفي الشعر .

R. Noguès, Théorème de Fermat, son histoire. Paris, Vuibert. Prix : 25 fr.

تاريخ مسألة فرمات في الرياضيات

لو كان الرياضيون يهابون خوض المشاكل الرياضية لظلّوا حيارى امام نظرية فرمات لانهم لم يتمكنوا حتى اليوم من البرهان عن صحتها برهاناً تاماً ، وذلك على الرغم من جهود كثير من كبار العلماء من امثال گوس وكوشي . فكان من ذلك ان زاد فضول الرياضيين ورغبتهم في درس هذه النظرية . وهذا مما دفع المؤلف الى تلخيص الجهود التي بُذلت حتى اليوم ، فاتى بكتاب لذيذ مفيد قسمه الى قسمين عرض في الاول منهما تاريخ تلك التفتيشات والبحوث عن حلّ النظرية ، وفي الثاني ملخصاً للطرق التي تبعها العلماء في تفتيشاتهم . ولا شك في انه مفيد لكل من يدفعه فضوله العلمي الى البحث في نظرية فرمات الاخيرة . ي . برلوتي

J. Grenard, Baber, fondateur de l'empire des Indes 1483-1530. In-12, 183 pp., 19 pl. dont 1 carte. Paris, Firmin-Didot et Cie.

بابر مؤسس امبراطورية الهند ١٤٨٣-١٥٣٠

لا يعرف جمهور الناس ، بل جمهور العلماء ، الشيء الكثير عن بابر ، حفيد تيمورلنك . وذلك لانه لم يكن ذا علاقة بالاوربيين موزّعي الشهرات . على ان حياته تجدر بالذكر وشخصيته حقيقة بالانتباه . وقد قضى طفولته وشبابه منفياً متشرّداً مغامراً ، فلم ينجح الا خارج بلاده آسية الوسطى ، فهبط الهند حيث أسس امبراطورية مكينة . وكان من فضله ان دوّن مذكراته باسلوب رشيق عصبي ذي نبرات ، فدلّ فيها على صفاته الفطرية ، ووفّر للمؤرّخين معلومات قيّمة في موضوع مهمّ . فاستفاد منها مؤلف الكتاب الحاضر ، من هيأته دروسه السابقة لفهم رجال آسية وآثارهم ، فاهدى الينا اثراً نفيساً زاد فيه على معلومات بابر نظرات عامة مفيدة لجمهور المطالعين من غير ذوي الاختصاص . ومما يزيد قيمة الكتاب ولذته حسن ترتيبه وما فيه من الرسوم وفي بعضها بابر نفسه ، ولاسيما خارطة حسنة لآسية المتوسطة وللهند الشمالية في عهد بابر . ج . ل

Bartholomew's map of the Middle East. Edinburgh, John Bartholomew and Son Ltd. Price, mounted on cloth, folded, 6/-net.

خارطة للشرق الاوسط

هي خارطة دقيقة جداً ككل الآثار الخارجة في مكتبة برتولوميو الشهيرة ؛ وُضعت بقياس ١ : ٤,٠٠٠,٠٠٠ واشتملت على البلاد الداخلة في ما يُدعى تارة بآسية الغربية ، وطوراً بالشرق الادنى ، وحيناً بالشرق الاوسط كما هي الحال في الخارطة . واشتملت ، فوق ذلك ، على مصر حتى اصوان ، وما وراء القوقاس وجنوبي بحر قزبين كله ، وبلاد العرب الشمالية وخليج العجم . وقد استعمل فيها المقياس المتري للامطار والمياه . ودُلّ بوضوح تام على الطرق المعبّدة ، ومجازات القوافل ، وانابيب البترول ، وسكك الحديد ، ومحطات الطيران . واذا ، ذكرنا كل هذا ذكرنا اهمية هذه الخارطة لجميع من تهتهم بلاد الشرق من تجّار ومؤرخين وجغرافيين . ج.ل.

Louis Dimier, Histoire et causes de notre décadence. In-12, 193 pp. Paris, Editions R.-A. Corrêa, 1934.

تاريخ انحطاطنا واسبابه

لا يخفى ان اوربة كلها إرث عن الامبراطورية الرومانيـة : ارث لاتيني اي مدني ، وإرث روماني اي سياسي . وقد تطوّرت هاتان الصفتان وتمازجتا فألفتا اوربة مسيحية ، حتى جاءت الثورة الفرنسوية فغيّرت كل شيء لانها اخذت المبادئ المسيحية في المساواة والمحبة فطبّقتها منقوصة ، مفسودة ، مصروفة عن غايتها . ثم عملت على نشرها في انحاء اوربة . فالقت تلك الجراثيم التي ما فتئت تنمو شيئاً فشيئاً في الامكنة والازمنة المختلفة حتى اصبحت خطراً على وحدة اوربة ومستقبلها . هذا ما يقوله المؤلف في اسباب انحطاطنا . على انه يكاد يخفي النتيجة الطبيعية لهـذه المقدّمات بعنوان فصله الرابع (ص ٩٠) اذ يجعل مصدر هذا الانحلال المانية . من الحقّ انه كان لالمانيـة في القرن الثامن عشر طريقة في فهم العصور القديمة لم تكن طريقة اوربة . على ان هـذه الطريقة لم تكن لتنجح لو لم تجد المجال مهيّئاً لها بعمل الثورة الفرنسوية . فـان فكرة سموّ العنصر وحقوق القوميات افادت المانية دون شك ، ولكنهـا ليست من

مكتشفات المانية . عدا ذلك، فالكتاب نفيس بما فيه من طرافة ودقة في عرض الحوادث وجمعها في سبيل الفكرة الجوهرية . ومهما يكن للمطالع من اعتراضات على بعض نتائجه ، فلا يسعه الا الاقرار بقيمته وحسن اسلوبه . ج.ل.

H. Wenzel, Sultan-Dagh und Akschehir-Ova. Eine landeskundliche Untersuchung in Inner Anatolien. [*Schriften des Geograph. Instituts der Universitaet Kiel*, Heft 1, 1932]. In-8°. 77 pp., cartes et dessins.

سلطان-داغ واكشهير-اوفا

لا يخفى ان بلاد تركية الاسيوية ، او بلاد الاناضول ، لا تزال مدينة للغة اليونانية المدرسية بالكثير من اسماء اماكنها . وهو ما لاحظه المؤلف فذكره ، وان كان بطريقة غير شاملة ، خاصاً بحثه بسلطان داغ . وهو جبل يقوم في الجنوب الغربي من بطائح ليقونية ، وتمتد شعبه حتى مدينة قونية . والبحث غاية في الدقة والامانة تزينه الخرائط والرسوم ، مما يدفعنا الى التفاؤل بمستقبل هذه المجموعة الجغرافية الجديدة التي تهتم بها جامعة كيال. ج.ل.

Ch. Pesch S. J., Compendium theologiae dogmaticae. T. II. De Deo uno et trino. De Deo creante et elevante. De Deo fine ultimo et de novissimis. Editio V^a, 1934. VIII + 292 pp. Freiburg im Breisgau, B. Herder. Prix, broché : Mk. 6., relié : 7,40.

في اللاهوت النظري : الجزء الثاني

ان المؤلف اشهر من ان يُعرّف ، وكذلك كتابه المتكرّر طبعه حتى انه يكفي ذكر اسمه ليقبل عليه الطلاب من الاكليريكيات الكثيرة . وبين يدينا الآن الطبعة الخامسة من الجزء الثاني، والكتاب، كما لا يخفى، يشمل اربعة اجزاء .

Reinstadler, Elementa philosophiae scholasticae, Edit. XV^a. 2 vol. in-12, XLVIII et 1102 pp. Freiburg im Breisgau. Herder u. C°. Prix, brochés : Mk. 7,72, reliés : 10,25.

مبادئ الفلسفة المدرسية

وهذا التأليف ايضاً واسع الشهرة في الكثير من المدارس الاكليريكية . وقد اعاد النظر في هذه الطبعة الدكتور روبر ، فدقق فيها وزاد اموراً تستثير الانتباه دون شك .

J. AYNARD, La bourgeoisie française. 517 pp. Paris, Librairie Perrin. Prix: 35 fr.

الطبقة الوسطى الفرنسوية

لا يهتمّ المؤلف بتاريخ الطبقة الوسطى في فرنسة ، انما هو يورد ، في سبيل تفهمها ، بعض الملاحظات النفسية القيّمة . فيدرس مسير الطبقة الاجتماعية التي ، بعد ان ارتقت عن محيط الشعب ، لم تشأ الرجوع اليه ؛ يدرس ذلك بالنظر الى حوادث التاريخ الفرنسوي : كإلغاء تقييد الفلّاح بالارض ، والحروب الصليبية ، وحروب المائة سنة ، والنهضة ، والحركة البروتستانتية ، والثورة الفرنسوية . وفي كل من هذه العصور تظهر الطبقة الوسطى ظهور من يتعلق تعلقاً تاماً بالربح المادي. وان هذا الاختصاص عمل شيئاً فشيئاً على تكوين روح تلك الطبقة واخلاقها . ولا شكّ في ان الكتاب باسلوبه الموافق يفيد التاريخ فائدة جزيلة ، وان من يدرس تاريخ فرنسة يجد هنا كثيراً من المعلومات المفيدة لاتمام درسه. ج.ل

R. GROOS et G. TRUC, Tableau du XXe s. — 1900-1933, Les Lettres. In-8°, 356 pp. Paris, Denoël et Steele.

جدول للقرن العشرين : الآداب

أيكفي ، في تأليف جدول عن قرن ، ان يكون مضى ربعه او ثلثه ؟ هذا ما يعرض للمطالع اذ يقف على هذا الكتاب . ومهما يكن من أمر فان هذا الجدول يُقسم الى اقسام اربعة : الشعر — النقد والتاريخ الادبي والتاريخ والمحاولات — المسرح — القصّة . وهو وافر الموادّ ، حسن الاسلوب ، جزيل الفائدة لمن يشتغلون بالنقد الادبي في الجرائد والمجلّات ج.ل

P. M.-A. JANVIER, O. P. L'âme dominicaine. 3 vol. in-12. Paris, Editions Spes. Prix : 12 fr. le volume.

النفس الدومنيكية

غاية هذه المجلدات ان تطلع جمهور القراء على اعمال الاخوة الواعظين ، وروحهم ، وطريقتهم ، واختصاصاتهم . وقد لفت نظرنا في الصفحة ٦٥ من المجلد الثالث ، بعنوان « المرسل في رهبانية القديس دومنيك » ، ذكر المونسنيور بيره الذي عرفته هذا البلاد مرسلاً ، ورئيس اساقفة ، ثم قاصداً رسولياً في ما بين

النهرين وكردستان وارمينية الصغرى . ولا شكّ في ان وطنيينا يقبلون على مطالعة ترجمة مُرسل لم يترك بين ظهرانيهم الا افضل الذكريات .

تاريخ الصحافة العربية

بقلم الفيكنت فيليب دي طرازي

الجزء الرابع : ٥٥٢ ص . متوسطة – المطبعة الاميركية ، بيروت ، ١٩٣٣

طالما سُئلنا عن ظهور هذا الجزء الاخير من تاريخ الصحافة العربية الذي ظهر جزؤه الاول قبل الحرب ، فسدّ فراغاً يشعر به كل من عني بكتابة شيء عن صحافتنا ، بل عن ادبنا العصري . ولا يخفى ان اشهر ادبائنا في القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين عانوا جميعهم مشقّات الصحافة اما مديرين او محرّرين . فكانت فائدة هذا التاريخ مزدوجة . وكان فضل المؤلف مضاعفاً كذلك . وقد خصّ هذا المجلد بفهارس الجرائد والمجلات العربية في العالم كله مذ تكوين الصحافة العربية الى نهاية السنة ١٩٢٩ ، سائراً على اسلوب سهل ، مراعياً في تقسيم البلدان وتسمية الدول الوضع الجغرافي السياسي في السنة ١٩٣٣ ، مدوّناً اولاً عناوين الصحف ، وثانياً اسماء مؤسسيها على طريقة الترتيب التاريخي في ظهورها ، معلّقاً بعض الحواشي التاريخية والادبية . وقد طُبع هذا الجزء بالعربية والانكليزية في المجموعة التي باشرت طبعها الجامعة الاميركية بعنوان « المراجع المختصة بآسية الغربية بعد الحرب العظمى (١٩١٤ ١٩١٨) » فشكر لها الادباء هذه المنة ، اذ امكنهم ان يستفيدوا من ثمرة جهد تابعه المؤلف الفاضل مدة اربع واربعين سنة .

ف . ا . ب .

الدروز

تأليف الكابيتان بورون

ترجمة عادل تقي الدين

٢٥٦ ص متوسطة – مطبعة القديس بولس في حريصا (لبنان) ١٩٣٦ – الثمن : ٥٠ غ . ل . س .

ظهر هذا الكتاب بلغته الفرنسوية سنة ١٩٢٩ ، كتبه ضابط فرنسوي قضى عامين في جبل الدروز ، فدرس مظاهر الحياة فيه على اختلاف انواعها ، ونفذ من خلالها الى اخلاق الشعب الدرزي ، فبدّد كثيراً من الاوهام العالقة

بإذعان بعض الاوربيين ، وعمل على حسن التفاهم بين الدروز والفرنسويين . وقد رأى المعرّب الشاب نقل هذا الكتاب لفائدتين ، كما قال : « الاولى تعريف الفرنسيين الى الدروز باراءة بني قومه آراء الفرنسيين فيهم وحسن اخلاقهم ونياتهم ، والثانية تذكير الدروز بحسن ماضيهم وتعريفهم الى مواطنيهم باظهار جميل مزاياهم وصدق خدماتهم للبلاد . . . » واستعان ، في ذلك ، فوق تعريبه الكتاب، بمقدّمة واسعة كتبها في الدروز واخلاقهم وعاداتهم، وخاتمة جمع فيها آراء بعض الادباء والشعراء في الدروز ، فاتى الكتاب جامعاً مفيداً عاملاً على حسن التفاهم والتآلف. ف.ا.ب

مقالات في التربية والتعليم

تأليف واصف بارودي

١٠٨ ص. متوسطة صغيرة – مطبعة الكشّاف ، بيروت ، ١٩٣٣

تقدّم لنا (المشرق ٣١ [١٩٣٣] ٣١٨) وصف كتاب سابق للاستاذ بارودي دعاه « محاضرات في التربية والتعليم » فابنا محاسنه العديدة ووعدنا القرّاء بظهور القسم الثاني بعنوان « مقالات في التربية والتعليم » . وها هو بين يدينا الآن ، جامعاً آراء نفيسة في المدرسة الابتدائية ، واساليب التدريس فيها ، وتكييف المناهج ، واعداد الدروس ، ونصيب اللغة العربية من ذلك كلّه . ثم هناك معلومات جديدة قيّمة عن « الولد في بلاد النور » . وعلى الجملة فان الجزء الحاضر يتصف بالمحاسن التي ابناها في الجزء الاول . وكلها تدخل نشر المبادئ الحديثة في فنّ التربية والتعليم. ف.ا.ب.

تاريخ سورية ولبنان وفلسطين المصوّر

تأليف الاب فردينان توتل اليسوعي

١٩٨ ص. متوسطة – المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ١٩٣٤ – الثمن : ٣٦ غ. ل. س.

جُعل هذا الكتاب موافقاً لبرنامج التاريخ في المنهاج الرسمي ، فجاء على اهمّ الاحداث التاريخية في المواطن الثلاثة ، وذلك في خمسين فصلاً ، صُدّر كل منها بصورة من ريشة الرسّام جوزف جيرار في باريس ، تمثّل اخصّ ما يتناوله الفصل من الحوادث ، وتُتبع باسئلة يُطلب من الطلاب الاجابة عليها في التدريس

إمّا شفاهاً عند تسميع الامثولة او كتابةً في الفرض. ويراجع بعد ذلك موضوع الفصل بعبارات وجيزة يسهل على الطالب استظهارها، وهي مسبوكة في قالب الاجوبة على اسئلة تقدّمتها. ويُختم كل من الفصول بايضاح تفصيلي يكتفي الطلّاب بقراءته حرفيًا وتفهُّم معناه، ثم بشرح الالفاظ اللغوية العويصة الواردة فيه. والكتاب بجمله يبدو باسلوب عصري مستحدث قريب التناول غزير الفائدة من خير الكتب التاريخية التي توضع بين ايدي الطلاب في البلدان الثلاثة المتجاورة، المرتبطة حوادثها التاريخية بعضها ببعض.

فحول الشعراء

الفرزدق – النابغة الذبياني – جميل بثينة – ذو الرمة – أُميّة بن ابي الصلت

٥٣٠ ص. متوسطة – المكتبة الاهلية، بيروت، ١٩٣٦ – الثمن: ٧٠ غ. ل. س.

هي مجموعة سهلة المأخذ واضحة الطبع، لدواوين من تقدّم ذكرهم من الشعراء، رُتّب كل منها على الحروف الابجدية، وقُدّم عليه مقدّمة قصيرة في حياة الشاعر. وقد عُلّق بعض الحواشي على ديوان النابغة، علّقها ووقف على نشر الديوان الشيخ عبد الرحمن سلام. اما الدواوين الاربعة الباقية فقد جمعها ووقف على طبعها الاستاذ بشير يموت، وقد بذل جهدًا مشكورًا في جمع ديوان أمية بن ابي الصلت خاصة، فاستحق الثناء.

مآثر عريضة: الجزء الثاني

بقلم الخوراسقف بطرس حبيقه

٤٤ ص. متوسطة – المطبعة الكاثوليكية، بيروت ١٩٣٦

رسالتان عربية فرنسوية نشرهما حضرة المؤلف بمناسبة العيد الثاني لارتقاء غبطة البطريرك الماروني الى السدة البطريركية في ٧ كانون الثاني ١٩٣٤، ضمّنهما ما اتمّ غبطته من المآثر مدة السنة الثانية من بطريركيته، وما ابداه من الغيرة على مصالح اللبنانيين جميعاً من مقيمين ومهاجرين. وقد الحق المؤلف بهاتين الرسالتين قصيدة عامرة في مدح غبطته دعاها «العروة الوثقى في الزعامة اللبنانية».

الاسلاك الشائكة — على مذبح الوطنية — العبرات الملتهبة

نظم الياس قنصل

ثلاثة كتيبات في ٦٤ ص. و٧٦ ص. و٦٩ ص. صغيرة، بوانس ايرس، سنة ١٩٣١

شعر سهل ينقصه كثير من الضبط ، كما ينقص صاحبه كثير من الاختبارات في الحياة ، فتخفف من تهوّره ، وتنيله تحفظاً وتواضعاً ورزانةً تنفع كل انسان، وان شاعرًا . على ان في هذا الشعر نفساً لا بأس به يبشر بمستقبل حسن.

كيف يتقدس العلماني

تعريب الخوراسقف الياس الزيناتي

٢٤٤ ص. صغيرة — مطبعة المرسلين اللبنانيين ، جونية ، ١٩٣٣

وصفنا في مشرق ماضٍ (٢٩ [١٩٣١] ٨٠) الكتاب الاول الذي نشره حضرة المؤلف بعنوان « كيف يتقدس الاكليريكي » فكان من جملة ما قلناه ان الكتاب يقرأه الاكليريكي وغير الاكليريكي فيستفيدان منه . وهذا الكتاب الحاضر يقرأه العلماني وغير العلماني فيستفيدان منه كذلك في السير على اساليب حفظ السلام الباطني ، وهي افضل الاساليب التي يلجأ اليها الانسان في متاعب هذه الحياة ومشقاتها ، وما اكثرها !

* لمة تاريخية في فرائد الآداب السريانية * تأليف الخوراسقف بولس السماني . الجزء الاول . المطبعة البطريركية اللاتينية في القدس الشريف ١٩٣٣ ؛ ص ٥٩ — نبذة عن اللغة الآرامية ومقارنتها باللغات السامية وازدهارها وغير ذلك، توطئة للجزء الثاني الذي سيظهر قريباً ، وفيه نبذة عن مشاهير كتبة السريان .

* كشف النقاب عن حقيقة الكتاب * او مدخل في الكتاب المقدس . المجلد الثاني من الكتاب الاول من الجزء الاول ، لمؤلفه الاب الياس ثابت الراهب الحلبي اللبناني . ص ١٤٧ — مطبعة المرسلين اللبنانيين سنة ١٩٣٦ . بحث في الاسفار المقدسة من يشوع بن نون الى المكابيين لُخّص فيه ما شاع من المبادئ التاريخية والانتقادية في واضعي هذه الاسفار ونسخها الاصلية وموضوعها استنادًا الى اقوال مشاهير العلماء .

* مقالة في انتقال والدة الاله بالجسد الى السماء * معرَّبة بتصرّف عن مقالة باللاتينية للخوري داود الخوري ب م ، بقلم الخوري انطون كيورك ب م . ص ٦٠ . مطبعة دير

المخلص، سنة ١٩٣٦ . لمحة اورد فيها المؤلف اهمّ البراهين الكتابية والتقليدية والليتورجية لاثبات انتقال السيدة والدة الله بالجسد الى السماء .

* المختصر المفيد في تاريخ سورية ولبنان المدرسي * تأليف يوسف حداد – ١٣٢ ص متوسطة صغيرة ، مطبعة صادر ، بيروت ١٩٣٦ – هي الطبعة الثانية لهذا الكتاب الذي تقدّم وصفه في مشرق السنة الثالثة (ص ٧٩) . وقد اعاد المؤلف نظره فيها فصلّح وزاد .

* النبي * تأليف جبران خليل جبران وتعريب الارشيمندريت انطونيوس بشير – ١٨٠ ص متوسطة صغيرة، المطبعة المصرية ، مصر ، ١٩٣٦ – هي الطبعة الثانية لهذا الكتاب، واننا نُحيل القراء ، في وصفه ، الى ما كتبه المرحوم الاب شيخو عند ظهور الطبعة الاولى (المشرق ٢٦[١٩٢٦] ٦٢٢) .

* الصحافة الحديثة * ٤٨ ص متوسطة صغيرة – مطبعة الهلال ، مصر ، ١٩٣٣ – هي رسالة نشرتها دار الهلال بمناسبة انقضاء ٦٠ سنة على تأسيسها جمعت فيها معلومات جمّة مفيدة عن تطوّر الصحافة المصرية في ٦٠ عاماً ، وعن الادباء المشتغلين في مجلّات دار الهلال ، ثم عن نظام العمل في الدار المذكورة ، ومنتجاتها باللغتين العربية والفرنسوية .

* حقيقة السلام في ملك السلام * ٣٧ ص متوسطة ، المطبعة البطريركية اللاتينية ، رافات ، ١٩٣٦ – هي مقالة واسعة دبّجتها يراعة حضرة المونسنيور يوسف المشيق الزائر البطريركي ردًّا على صحيفة يهودية ، فناقض فيها في ذكر تاريخية وجود السيد المسيح ، وكونه انسانًا والهًا ، ثم ذكر عجائبه وقيامته وملكه الى الابد .

* نداء الى اصدقاء الاشجار * ١٢ ص متوسطة ، مطبعة المرسلين اللبنانيين ، جونية – محاضرة قيّمة للحكيم امين الجميّل ، يذكر فيها منافع الاشجار ويناشد جميع اللبنانيين ان يعتنوا بالموجود منها ، ويزيدوا عدده باقبالهم على غرس الاشجار على مختلف انواعها .

* الرهبانية اللبنانية المارونية * الجزء الاول : ٤٢ ص متوسطة ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ١٩٣٣ – هي الصفحة التاريخية في الرهبانية المذكورة التي نشرها حضرة الاب انطونيوس شلي اللبناني في المشرق ، طبعها على حدة تسهيلاً لفائدتها .

* رسالة البطريرك اغناطيوس نعمة الله السرياني * ٢٤ ص متوسطة، المطبعة الكاثوليكية بيروت ، ١٩٣٦ . وهذه الرسالة ايضاً من منشورات المشرق في السنة ١٩٣٣ ، عرّبها حضرة القس يوحنا عزّو عن الاصل السرياني الراقي الى القرن السادس عشر ، وقدّم عليها ترجمة البطريرك المذكور .

* السير في سبيل الواجب * ٢٢ ص متوسطة ، المطبعة الكاثوليكية، بيروت ١٩٣٦ – رسالة رعائية وجّهها السيد ايرنيس جرجس سليته ، رئيس اساقفة دمشق وتوابعها على السريان الكاثوليك ، الى ابناء ابرشيته .

* العائلة بموجب قلب الله * ١٥ ص صغيرة – رسالة رعائية وجّهها السيد لويس بطانيان رئيس اساقفة الارمن الكاثوليك في ماردين والعراق الى الاكليروس والشعب الارمني في ابرشيته .

المشرق

السنة الثانية والثلاثون — تشرين ١–كانون ١ ١٩٣٦

الحِلم عند العرب

محاولات في تحديده

بقلم الاب لامنس اليسوعي

من اكثر الالفاظ دوراناً على السنة خطباء العرب، وعلى اقلام كتابهم، اذا ما ارادوا وصف سيّد كريم مُطاع، لفظة «الحلم». فهم يجمعون فيها طائفة من الصفات المتعدّدة المتتابعة من رباطة الجأش، الى تسكين الغضب، الى مفاجأة الخصم بعدم اللوم، الى التظاهر بالصفح والتجاوز عن الاساءة، الى غير ذلك من اخلاق تظهر جديرة بكل تقدير في نظر العرب، ذاك الشعب السريع التأثر الهيّاج الاعصاب، ولكنها لا تسلم من الغموض اللاحق حتماً بكل لفظ اضطرب استعماله وتشعّبت غايات مستعمليه.

قد رأينا ان نُعيد النظر في مدلول «الحلم» فنستعين بمواقف التاريخ، وشواهد الشعر القديم، محاولين جمع هذه التشعّبات، فالعمل على تحديد اللفظة وتفصيل ما تتضمّنه من المعاني في نظر العرب.

ونبدأ بالقول ان الحلم صفة مركبة ، بل مزيج من صفات عديدة . فلا هو الصبر وحده ، ولا التساهل ، ولا الصفح ، ولا تحمّل الاساءة ، ولا رباطة الجأش ، ولا نضج العقل . انما يكتفي بان يتخذ من كل هذه الصفات بعض المظاهر الخارجية فيغترّ بها الناظر لاول وهلة ، حتى لا يمكن فهم المقصود بالحلم الا بفضل المعنى الاجمالي في الفقرة[1] . فينتج من هذه الاستعارات الخارجية صفة عربية محضة ، عجيبة التركيب ، مضطربة التحديد ، وافرة الغموض حتى ان الانسان ليحار في الحكم عليها اهي من الفضائل ام من النقائص . وهي صورة لعقلية الشعب العربي ولطبيعته المركبة من الاضداد المتنافرة ، طبيعة عصبية ، راغبة في الظهور ، محدّدة الاطراف ، تزدحم فيها الاخلاق المتباينة دون توازن ولا تتابع في دقائق العواطف ، فتتصادم في تلك الطبيعة التي عرفت مدنية عريقة[2] ، ولكنها هبطت بتأثيرات المناخ العميقة ، فانحطت الى حالة تجاور الهمجية .

مما يسهّل علينا الوصول الى ماهية الحلم الحقيقية ان نبدأ اولاً فنذكر ما ليس بحلم ، فنفصله عمّا قد يخلطه به بعض الناس من الصفات المشابهة خارجياً :

اننا نخطئ خطأً فظيعاً اذا شبّهنا الحلم بالوداعة الانجيلية . لان هذه الفضيلة تنتج من كون الانسان يفهم نفسه حقّ الفهم ، وتستند خاصةً الى التواضع . والحال ان ليس من مكان للتواضع في الحلم ، بل ليس من محل للوداعة الانجيلية في الصفات العربية الاصيلة ، في تلك « المروءة » القديمة التي طالما افتخر بها العرب[3] . وقد شعر قدماؤهم بهذا الفرق بين « مروءتهم » والمثال النصراني الاعلى ، فكانوا ، على احترامهم وداعة اخوانهم المسيحيين ،

---

١) نرى الحسين بن علي ، في كربلاء ، يحضّ اخته الباكية الصاخبة على ان لا تفقد « حلمها » (الطبري ٢ : ١٣٣٤) وقد يأتي الحلم بمعنى العقل ، كما في قول المتلمّس (الديوان ١ : ٨ ؛ والاغاني ١٣ : ٦ ، ١٠ ، ٩) : فتى السنّ كهل الحلم ...

وسنعود الى هذا المعنى .

٢) راجع H. Winckler, *MVAG*, 1901, pp. 188-189 ولا سيما L. Caetani, *Annali dell' Islam*, 2° vol.

٣) اطلب Ig. Goldziher, *Muhammedanische Studien*, I, 1-40

ينفرون من ان تُنعت رماحهم بالنصرانية[1] ، فتُنسب اليهم عاطفة وداعة وتساهل لم يعرفوها قطّ . لان ذاك الشعب المعجب كل الاعجاب بصفات الرجولة والقوة كان يفتّش في غير الوداعة عن مثال « مروّته » ، او فضيلة « المرء » اي الرجل . وهكذا فاننا نرى اشهر من مثّل الحلم عند العرب — وسنعدّد اسماءهم في ما يلي[2] — يهتمون ، قبل كل شيء ، بابعاد كل ما من شأنه ان ينسب اليهم الاتضاع ، بل يفرقون من ان تظهر على حلمهم امارات الضعف التي ينسبونها الى الذلّ ، فيقولون ، اذ ذاك : « الحلم هو الذلّ ! »[3] او : « آفة الحِلم الذلّ ! »[4]

ولا يكتفي الحلم بكونه لا يستند الى التواضع ، بل انه يرمي الى اذلال الخصم وخزيه[5] اذ يفاجئه الحليم بسموّ عواطفه ورباطة جأشه ، والى افحامه بالجواب الموجز المُسكت[6] ، على ظهور السكينة والطمأنينة .

ثم ان الحليم لا يرمي الى تهذيب قريبه ، وان رغب في «تقليم اظفار جهله» احياناً[7] . واذا ظهر على الحليم احتمال النلبة مرة فذلك كي لا يقاسي غلبة اشدّ منها . « ومن لم يصبر على كلمة سمع كلمات . »[8] هي فكرة الاحنف ، اشهر الحلماء بعد معاوية .

وهناك فرق آخر بين الحلم والمغفرة المسيحية . وهو ان هذه الفضيلة تنزع

---

١) وقد زعمت جراء ان رماحنا رماحُ نصارى لا تخوض الى الدم
(الاب لويس شيخو : شعراء النصرانية ٤٠١٩٠)

٢) كقيس بن عاصم ، والاحنف ، وغيرهما ممن سنذكرهم بالتفصيل .

٣) ابن قتيبة : عيون الاخبار (Brockelmann) ٢٤١ ، ٩

٤) هذا قول الاحنف ، العقد ١ : ٢١٩ ، ٣

٥) راجع العقد ٢ : ١٩٢ ، ١ . . . وفيه ذكر رجل يظهر مثالاً للحلم والزهد الاسلامي ، كما انه مثال لاحتقار غيره من الناس . وقابل باحتجاج ابن عباس على معاوية اذ مدح هذا « لين » الهاشميين ، فاعتبر الهاشمي هذه الصفة اهانةً . (العقد ٣ : ١٢٤—١٢٥)

٦) راجع امثلة من هذه الاجوبة في العقد ١ : ٢١٧

٧) العقد ١ : ٢١٧ ، ١٤ ؛ الحصري : زهر الآداب (على هامش العقد) ٣ : ١٣٤ ، ٣ ؛ واطلب ، في اصل الاستعارة ، العقد ٢ : ٥٠ ، ١٥ . . . وفي استعمالها في الشعر القديم ، ابن قتيبة : الشعر والشعراء (de Goeje) ١٠١ ، ٤-٨

٨) الحصري ١ : ٥٧

من صاحبها حتى فكرة الانتقام او الرغبة في ضرر الغير ، فتمكن حتى تزوات القلب الداخلية . وليس شيء من هذا في الحلم العربي . فان الحليم يسكت لسانه فلا يردّ على الشاتم ، ولكن اذنه تظلّ منتبهة لسماعها ، وقلبه يقظاً لتذوّق مرارتها ، على حدّ قول القائل :

حلمي اصمّ ، وأذني غير صمّاء ! (١

ولا شيء يمنع الحلم ان يتفق والرغبة في الانتقام . يدلنا على ذلك شواهد عديدة منها ما جرى لمعاوية ، افضل من يعرضه العرب مثالًا للحلم التام ، ونحن نكتفي باثنين منها دلالةً على الفرق بين الاموي « الحليم » وبين رجل «وديع» كالقديس فرنسيس سالس مثلًا :

اجتمع قوم من قريش فذكروا حلم معاوية ، فقال بعضهم : «ما اظنّ معاوية اغضبه شيء قطّ . » فقال غيره : « ان ذُكِرت امه غضب . » فقال مالك بن اسماء المُنى القرشي[٢] : « انا أُغضبه ان جعلتم لي جُعلًا » ففعلوا . فاتاه في الموسم فقال له : « يا امير المؤمنين ان عينيك لتشبهان عيني امّك » . قال : « نعم كانتا عينين طال ما اعجبتا ابا سفيان . » ثم دعا مولاه شقران فقال له : « أعدد لاسماء المُنى ديةَ ابنها ، فاني قد قتلته وهو لا يدري . »[٣] يريد انه بحلمه واغضائه عنه قد جرّأه على التهجم . وهكذا كان فان مالكاً بعد ان رجع الى جماعته وقبض الجعل قالوا له : « ان أتيت عمرو بن الزبير فقُل له ما قلت لمعاوية أعطيناك كذا وكذا ! » فاتاه فقال له ذلك . فامر بضربه حتى مات . فبلغ معاوية فقال : « انا ، والله ، قتلتُه . » واقراراً لقوله هذا ، بعث الى امه بديته .

وهناك حادثة اخرى لعلها توسيع لهذه مفادها ان اعرابياً راهن قوماً على جُعل أنه يُسمع معاوية ما يكره . فكظم معاوية غيظه ، حتى اذا تجرّأ الرجل ، وقاطع زياداً في احدى خطبه ، امر به زياد فضربت عنقه . فقال معاوية

---

١) العقد ١ : ٢٢٨ ، ٦

٢) هو غير مالك بن اسماء بن خارجة ، فهذا فزاري عاصر الحجاج ؛ وكان ابن سيد فزارة الاموي القوي (راجع المسعودي ٥ : ٢٩٨-٢٩٩ ؛ والطبري ١ : ٣٠٣٥-٣٠٣٦ . . .

٣) البيهقي : المحاسن والمساوئ (Schwaly) ٥٥٣-٥٥٤

لما اتاه الخبر : « لو اصلحته في الاولى لما اتى الثانية . »[1]

وقد روى البيهقي[2] عن الاحنف بن قيس ان رجلاً جاءه فلطم وجهه . فقال : « بسم الله ، يا ابن اخي ، ما دعاك الى هذا ؟ » قال : « آليت ان الطم سيّد العرب من بني تميم » . قال : « فبرّ بيمينك ، فما انا بسيّدها . سيّدها حارثة ابن قدامة . » فذهب الرجل ، فلطم حارثة . فقام اليه حارثة بالسيف فقطع يمينه . فبلغ ذلك الاحنف فقال : « انا ، والله ، قطعتها . »

يُستنتج من هذا ان العرب كانوا لا يرون بأساً في الجمع بين عاطفة الانتقام والتظاهر بالعفو ، وان صفة الحلم لم تكن تمنع الحقد وكتم الضغينة . وكثيراً ما كان الحليم يعمل على ايقاع من يتظاهر بالعفو عن ذنبه في ورطة لا خلاص له منها . وكلها عواطف بعيدة عن الروح الانجيلية بعدها عن فضيلة المغفرة المسيحية . ولكن العرب لا يأبهون للتدقيق في تحليل هذه الصفة ، فهم لا يألون جهداً في اكبار من قدمنا ذكرهم من ممثلي الحلم . حتى ان النصارى منهم لا يختلفون عن جمهورهم في هذا التقدير . يشهد بذلك الاخطل ، شاعرهم الاكبر ، فانه اذا اراد ان يهجو قوماً فيذلّهم ، قال :

قُبيلةٌ ما يغدرون بذمّة ولا يظلمون الناس منقيرَ درهمِ ،
ولا يردون الماء الّا عشيّةً على طول أظماء ، ووجه مُضرّم (٣

فأثر الهجاء كل التأثير حتى اصبح القوم عرضة لغزو العرب ، لانّ من طبيعتهم ان يخلطوا بين اللين والضعف ويجعلوا الشراسة من شروط السؤدد[4] .

واذاً فلا يمكننا ان نعتبر التساهل والوداعة من فضائل العرب الاساسية ،

---

١) العقد ١ : ٢٣ ؛ وقابل بما يُروى عن عمرو بن العاص ، في أسد الغابة ٤ : ١٦٠ ؛ وابن قتيبة : عيون الاخبار ٢٢٣

٢) المحاسن والمساوئ ٥٥٤

٣) ديوان الاخطل (طبعة صالحاني) ٢٩١ ، ١ — ٢ . وقد اخذ عن الحطيئة . الا ان ما جئنا في الموضوع كونه استغلّ هذا المعنى فنسبه لنفسه . وقد استغلّه قبله الشاعر النجاشي (العقد ٣ : ٢٠٢ و ٣ : ١٤٢ ؛ الحصري ١ : ٢١ ؛ ابن قتيبة : الشعر والشعراء ١٨٨ : ١٨٩) ويشبه هذا المعنى ما قال الاخطل في البيت ٧١ من رائيته « خفّ القطين » . راجع الجاحظ : البيان ٢ : ١٦١ ؛

٤) الحماسة ٢٢٥ ، البيت ٢

وهم يهجون بعضهم بالعجز عن اتيان الشرّ، بل بخشية الله، كما قال الشاعر يهجو قومه :

لكنّ قومي، وان كانوا ذوي عددٍ ، ليسوا من الشرّ في شيءٍ ، وان هانا
كأن ربّك لم يخلق لخشيته سواهم ، في جميع الناس ، انسانا (١

وقد قالوا : « الحليم مطيّة الجهول »[٢] ، واظهروا ، في جميع مواقفهم ، اعجابهم بالقوة الباطشة واكبارهم لمظاهرها المختلفة . هذا فضلاً عن كون الحلم نفسه ، بذاك التحديد المذكور اعلاه ، قد انتهى عهده بانتهاء الدولة العربية الخالصة اي بانتهاء العصر الاموي ، فدفنه العباسيون باستبدادهم مع ما دفنوه من الصفات العربية القديمة[٣] .

وقد جهد ابن عبد ربه نفسه ، في مجموعته العجيبة ، ليبرهن ان المثال الاعلى للاخلاق البشرية ان يجمع الانسان بين المقدرة على عمل الخير والمقدرة على عمل الشرّ كذلك . « فلا يرضى العاقل ان يكون الا اماماً في الخير والشرّ . » أوَ لم يقل الشاعر في مدح احد المحسنين اليه :

ولكن فتى الفتيان من راح واغتدى لضرّ عدوٍّ او لنفع صديق (٤

وهذا موضوع رائج في الشعر العربي القديم استغله المدح والهجاء على السواء ، كما نرى في شعر الحطيئة[٥] وفي الكثير من شعر الحماسة[٦] .

اذا فهمنا هذه الدقائق رأينا ان الحلم يفرض لا القوة والبطش فحسب ، بل المقدرة على استعمالهما في سبيل الضرر دون الخوف من العواقب ، على نحو

---

١) العقد ١ : ٢٠٢

٢) العقد ١ : ٢٢٨، ٢ ؛ وفي عيون الاخبار لابن قتيبة ٢٣٢ : « الحلم مطيّة الجود » .

٣) راجع رأي الجاحظ : البيان ٢ : ١٥٤ ؛ وسنعود الى هذه الفكرة

٤) العقد ١ : ٢٠٢

٥) القصيدة ٢٧ : ٢٢ وتعليق غولدسيهر في *ZDMG*, p. 168-169 وقابل بما في *ZDMG*, 1893, p. 191 – وانظر كذلك عدداً من الاحاديث جمعها ابن قتيبة في عيون الاخبار ٢٦٩–٢٧٠ ليبيّن ان من شروط السؤدد مقدرة السيد على الضرر ؛ وان من اشعر ما انتُقد على آلهة الشرك القديمة انها « لا تنفع ولا تضرّ » .

٦) حماسة ابي تمام ١، ٦٥١ مثلاً .

ما جاء في الكامل في تحديد « الحِلم المحض » قال: « يُقال: حَلُم اذا ترك ان يقول الشيء لصاحبه منتصراً ، ولا يخاف عاقبة يكرهها ، فهذا الحلم المحض. »[1] ولقد كان من الواجب ان نشير الى هذه الميزات في النفسية العربية قبل ان نباشر درس الحِلم . وسنرى في الشواهد التالية ما يؤيد هذه الوجهة من النظر :

كان حارثة بن بدر في مجلس صديقه زياد ، فذكر احدهم حِلم الاحنف واثنى عليه . فابتسم حارثة وقال : « ما يبلغ حِلم من لا قدرة له ولا يملك لعدوّه ضرّاً ؟ »[2] وقد يكون الاحنف نفسه يرى هذا الرأي ، اذ اجاب من سأله ايّ اوسع حلماً أهو ام معاوية ، فقال: « تالله ، ما رأيت اجهل منكم ! ان معاوية يقدر فيحلم ، وانا احلم ولا اقدر ، فكيف أُقاس عليه او ادانيه؟ »[3] ولقد كان للاحنف اسباب تدفعه الى اجتناب المقايسة . كان بشع الهيئة[4] : « اصلع الرأس ، احجن الانف ، أغضف الاذن ، متراكب الاسنان ، أشدق ، مائل الذقن ، ناتئ الوجنة ، باخق العين ، خفيف العارضين ، احنف الرجلين » وكان الى ذلك بخيلاً يزعم ان الرأي من آرائه يساوي عشرة آلاف درهم[5] . فلم يبقَ له ، والحالة هذه ، في طلب السؤدد[6] الا ان يستند الى الحلم[7] وهي فضيلة لا ينازعه اياها الكثير من العرب.

وهناك الشعراء وهم لا يختلفون في وصف الحلم عن حارثة والاحنف . قال الحطيئة في مدح احد السادة :

وقرٌ اذا ما شاء حلماً وناثلاً ، وان كان امضى من أحدّ وقيع[8]

---

١) الكامل ١٠٢ ، ١٠ ٢) الاغاني ٢١ : ١٤٩٤٢ ٣) العقد ١ : ٢١٨

٤) الحصري ٢ : ٢٦٢ ، ٢٦٤ ؛ الجاحظ : البيان ١ : ٢٦-٢٧

٥) الحصري ٢ : ٢٦٠-٢٦٢ . على ان الجاحظ لا يذكره في كتاب البخلاء . ويذكر الكامل فضله على الارامل . وللاحنف شطر بيت يفيد ان الكرم فضيلة الاغنياء في (الجاحظ : البيان ٢ : ٢٦)

٦) كان سيد تميمي البصرة لا حميم بني تميم ، اطاب ابن دريد : الاشتقاق ١٥٣ ، ١٤

٧) راجع ، في كون الحلم سيل السؤدد ، ابن قتيبة : عيون الاخبار ١٢٧ ، ١٢ ؛ ٢٢٢ ، ٥ ، وفيه المثل : احلم تسُد .

٨) ديوان الحطيئة القصيدة ٥٨ : ٩

وقال النابغة الجعدي ، ذاك المخضرم المصطبغ على جاهليته بصبغة صدر الاسلام :

ولا خيرَ في حلم ، اذا لم تكن له بوادر تحمي صفوه ان يكدّرا (١

وقد سمع محمد هذا البيت فهنأ الشاعر ودعا له بان « لا يفضّ الله فاه »(٢ وهو دعاء يفيدنا رأي نبي الاسلام في الموضوع ، وما ابعده عن « تطويبات» الانجيل ! (٣

وقال شاعر آخر :

ان من الحلم ذلًا انت عارفه ؛ والحلم عن قدرةٍ فضلٌ من الكرم (٤

ولا يخفى ذاك التأثير الذي احدثه في الخليفة عبد الملك وفي معاصريه(٥ بيت الاخطل في بني امية :

شمس العداوة حتى يُستقاد لهم واعظم الناس احلاماً ، اذا قدروا(٦

فقد سار البيت سير المثل حتى اجمع النقّاد على انه امدح بيت وافخره في الشعر العربي(٧ . ولا سرّ في ذلك سوى ان الشاعر توفق الى الجمع بين البطش واللين، بين القدرة والعفو(٨، وما الى ذلك من الصفات المتعاكسة فجعلها متوازنة

١) العقد ١ : ٢١٦، ٧ ؛ وابن قتيبة : الشعر والشعراء ١٥٩، ٤٠٢ ، وفيه بيت آخر للنابغة الجعدي يقابل فيه بين الحلم والجهل ، وسنعود الى ذكر هذه المقابلة . وقد يكون مفيدًا ان نشير الى الاتفاق في الفكرة بين البيت المذكور اعلاه وهذا البيت لمالك بن حريم (حماسة ابي تمام ٥٣٠ ؛ وابن دريد : الاشتقاق ٢٥٤، ١٥ ؛ ٢٨٥، ٣) :

متى تجمع القلب الذكيّ وصارماً وانفاً حمياً ، تجتنبك المظالمْ

٢) العقد ١ : ٢١٤، ٧ و٢١٩ : ٨ ؛ الاغاني ٩ : ١٣١، ٢

٣) ولنراجع ، مع هذا ، ابن قتيبة : عيون الاخبار ٢٢١ ، وفيه روايات سببها الاختلاف في نشأة الحديث .

٤) الحماسة ٥١٦ ، البيت ٤ ، واطلب : Goldziher, *op. cit.*, I, 224

٥) راجع كتابنا ... *Le Chantre des Omiades*, p. 72

٦) ديوان الاخطل ١٠٤، ٨

٧) الاغاني ١٠ : ٥، ٧

٨) وقد لاحظ عبد الملك (وفي رواية اخرى تُنسب هذه الملاحظة الى معاوية) ان الشعراء ، اذا ارادوا وصف الامويين ، شبّهوهم بالاسود الزائرة ، اما اذا مدحوا العلويين فانهم يكتفون بذكر صفاتهم الدينية . الاغاني ١٣ : ٥٨، ٦٢ ؛ ٢١ : ١٠، ٨ ؛ وابن قتيبة : الشعر

في نفس سامية[1] . ولولا هذا لاضحى الحلم ضحكة في نظر العرب.

واذاً فليس في الحلم من عنصر مطلق مجرّد. بل ليس ، في نظر العربي ، من وجود لتلك الفضيلة السامية فوق تغيّر الظروف ، وان من لا يتكيّف ليس بالرجل العاقل. أوَ لم يقل الشاعر دالاً على تغيّر اخلاق قومه نسبةً الى الحوادث العارضة :

احلامنا ترن الجبال رجاحةً ، ويزيد جاهلنا على الجهّال (٢

فالحلم فضيلة وقتية[2] ، اذا صحّ لنا التعبير ، بل فضيلة ظرفية[3] . يُستند في الحكم عليها الى حالة الحليم ومركزه من الهيئة الاجتماعية فان كان قوياً بطّاشاً ، ان كان اميراً او على الاقل «سيّداً مطاعاً»[5] ، فهي فضيلة . وان كان ضعيفاً او لا يمكنه ان يضرّ ، فهي نقيصة لا شك فيها.

ومن عناصر الحلم الجوهرية أن يعفو لارادة القبيلة سواء أكانت هذه الارادة توافق مصلحة صاحب الحلم ام لا. فلا يمكن الحليم ، والحالة هذه ، ان يلجأ الى

والشعراء ١١،٢٠١ ؛ وقابل بما ورد في الخضري ٣ : ٢٢٧ ، ومدح يزيد الاول في Wright, *Opuscula arabica*, p. 119,8 . وانظر ، في الغاب « سجّاد ، ناسك ، عابد ، فقيه ، قارئ » ، التي يُنعت بها الهاشميون ، ابن سعد : الطبقات ٥ : ١٣ السطر الاخير ؛ ٤،١٥ ؛ ٢٦،٢٨ ؛ ٢٩ . . . ؛ ١٦،٢٣٠ ، ٢٠،٢٦ : ١٠،٢٢٢ : ١٨،٢٢٧ ؛ المسعودي ٥ : ١٦٢ . على ان الطبري (٢ : ٨،٤٢٩) ينعت « بالناسك » عبدالله بن يزيد الاول.

١) قال بقول احدهم في مدح المهلّب : « يعفو عند قدرته » الاغاني ١١ : ١٦٢ ؛ وبما جاء في عيون الاخبار ٤،٢٢٢ : « ما أضيف شيء الى شيء أزين . . . من عفو الى مقدرة . »

٢) الحماسة ٧٢٥ ، البيت ٥

٣) قابل بما جاء في الحماسة ٥،٢١٠ : « وقد يستجهل الرجل الحليم » . والفعل فيه بصيغة المجهول ، وما اراه الا معلوماً . ومن المفيد ان يُرجع الى تلك المقابلة التي ذكرها النابغة الجعدي بين الحلم والجهل (ابن قتيبة : الشعر والشعراء ١٥،٢-٤) ولا ضرر في الصفتين الا بتجاوز الحدّ.

٤) قابل بما في الاغاني ١٣ : ٥٦،١٨

٥) راجع في هذه التعابير : « سيد مطاع ، غير منازع ، غير مدافع ، لا يعصونه ، مطاع لا يعاصى » الاغاني ١١ : ٥٥،١٦ ؛ الواقدي ٨،٥٨ : اسد الغابة ٤ : ٢١٥،٢٢٧ ؛ الطبقات ١ : ٤٨،٤ ؛ ابن دريد : الاشتقاق ٢٧٩ ؛ ١٢٤،١٩ ؛ ١٢٨،١٥ ؛ الازرقي ١٢،٤٧ ؛ ٤٩ ، السطر الاخير ؛ ٥٨ – وقد ورد في نعت علي هذه الصفة الغريبة : « امير مطاع ومأمور مطيع » الجاحظ : البيان ٢ : ٦،٢٩

حلمه اذا لم يوافق رجال عشيرته[1] وقد قال يزيد بن الحكم في رثاء ابنه عنبس:

حمولٌ ، اذا جهلُ العشيرة يُبتغى؛ (٢ حليمٌ ، ويرضى حلمَه حلماؤها (٣

ومن فضل الحليم ان يستخدم حلمه عن بصيرة وتروٍّ فيترفع عن دواعي النزق من جهة ، ويترفع من جهة اخرى عن دواعي الشفقة والانسانية . فيسير حلمه كيف شاء ، كما قال الشاعر :

عليهم وقار الحلم حتى كأنما وليدهم ، من اجل هيبته ، كهلُ
اذا استُجهلوا ، لم يعزب الحلم عنهم؛ وان آثروا ان يجهلوا عظم الجهلُ (٤

او كما قال عمرو بن كلثوم :

الا لا يجهلنْ احد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا (٥

وهاكم بيتاً في المعنى نفسه :

وللحلمُ خيرٌ ، فاعلمنَّ ، مغبّةً من الجهل ؛ الّا أن تُنسَّ من ظلم (٦

وهذا ، وهو اوضح :

لئن كنت محتاجاً الى الحلم ، انني الى الجهل ، في بعض الاحايين ، أحوجُ . . .
ولي فرسٌ للحلم بالحلم مُلجمٌ ؛ ولي فرسٌ للجهل بالجهل مُسرجُ (٧

---

١) راجع معلقة عمرو بن كلثوم : البيت ٥٢

٢) ولا شك ان عاطفة حاتم طي اقرب الى الانصاف في قوله (الديوان (Schulthess) القصيدة ٣٧ : ١٤) :

سأعمرها ان كان للحق تابعاً ؛ وان جار ، لم يكثر عليه التعتّبُ .

٣) الاغاني ١١ : ٣ ، ٤ . وهو يشبه قول ليلى الاخيلية في توبة (الاغاني ١٠ : ٧٩ ؛ الحصري ٣ : ٢٤٧ ؛ الجاحظ ١٠ : ٣)

وكن أكيسَ الكيسى ، اذا كنت فيهم ؛ وان كنت في الحمقى فكن انت احمقا

وقد هجي بنو تغلب بما يعاكس هذه الفكرة فقيل :

تلقاهم حلماء عن اعدائهم وعن الصديق تراهم جهّالا

٤) الحماسة ٧٧٠ : ٣–٤ ؛ والطب Goldziher, op. cit., I, 224

٥) واضح انه لم يقصد بالجهل عدم المعرفة ؛ او عكس العلم ؛ وليس في هذا شيء من التحجر . ولا اخال الشارح العربي (في طبعة Arnold) فهم حقّ الفهم لفظة « الجهل » ، فجرّ وراءه في الخطأ فريتاك وبعض المستشرقين ، قبل غيره من الشرّاح .

٦) الحماسة ٤٢٠ – وقد قال الشارح : « . . . الا ان تنفر من ظلم يركبك فان الجهل في ذلك الوقت ارجح من الحلم . »

٧) العقد ١ : ٢٠٢ ؛ وعيون الاخبار ١٨ : ٣٢٨ ؛ و Goldziher, op. cit., I, 223-224

وليس احقّ من هذه الاستعارة الغريبة في الدلالة على اخلاق العربي . فان له فرسين في اصطبل صفاته : احدهما يختال عليه مظهرًا الحلم ، والثاني — وقد يكون اميل الى استخدامه — يركبه اذا اراد الاسراع في ادراك غايته . اما اذا اراد ان يجمع النقيضين فيستحق المدح بالحلم دون ان ينالـه الهزء بالضعف فيجب عليه ان يعمل بقول الشاعر :

وتجهل ايدينا ، ويعلم رأينا ؛ ونشتم بالافعال لا بالتكلّم[1]

هكذا ظهر قيس بن عاصم ، سيد بني تميم ، بل «سيد اهل الوبر» على قول محمد[2] . وهو من مشاهير الحلماء اخذ عنه خـاصة الاحنف بن قيس التميمي . ولم يكن في الحقيقة على شيء من الوداعة واللطف ، وقد ضرب ابن عمه ، في بعض مناقشاته ، بقوسه فهتم اسنانه[3] . وعُرف في التاريخ العربي بوأد بناته[4] ، اي بدفنهنّ حيّـات على اثر الولادة ، لا تأخذه في ذلـك شفقة ولا شفاعة . ويُذكر ان امرأته تمكنت من اخفاء احداهنّ بضع سنوات ، فلما رآها ابوها تسير في خيمته عزم على دفنها ، فصاحت الامّ واعولت الفتاة . ولكن كل هذا لم يثنه عن عزمه[5] .

١) الحماسة ٢٢١١

٢) اطلب ترجمته في الاغاني ١٢ : ١٤٩ ؛ العقد ١ : ١٢٤ ؛ الحصري ١ : ٨

٣) ابن دريد : الاشتقاق ١٥٤ ؛ الاغاني ١٢ : ١٥٤ ؛ الحصري ١ : ٨

٤) وعددهن ١٢ ؛ وقد رزق ايضًا ٢٢ ولدًا ذكرًا (اسد الغابة ٤ : ٢٢٠) وفي الاغاني ذكر لغير ما تقدم من فظائع قيس . على ان شخصيّته ظلت محبّبة في نظر التقليد الاسلامي لانه وفد على النبي ، ولانه حرّم على نفسه الخمرة في الجاهلية ، كما يزعمون . ومهما يكن من زعمهم فقد ظلّ يشرب الخمرة ويسكر حتى بعد وفوده الى المدينة (الاغاني ١٢ : ١٥١) اما اسطورة ابنائه الاثنين والثلاثين فقد يكون اصلها في البيت المذكور في الاغاني ١٢ : ١٥٤ ، ١٣ . وقد ذكر الاغاني (١٢ : ١٥٥ ، ٧) احدى بناته ، واذًا فانه لم يدفنهنّ جميعًا . . .

٥) الاغاني ١٢ : ١٥٠ — وقد اراد النبي ان يفتخر بلاشاة تلك العادة البربرية . فردّت عليه هند ، ام معاوية ، ردًّا جديرًا بالانتباه (الفخري ١٤٤ ؛ وابن سعد : الطبقات ٨ : ١—٤ ، ١٧٢) وليُنتبه خاصةً لما بدا على القرشيّة من الاستغراب اذ سمعت بتلـك العادة . وهي عادة لم تتجاوز حلقةً من سادة تميم كما يصرّح الكامل (ص ٢٧٧) . وقد يكون اول من اتخذها قيس بن عاصم نفسه في زعم التقليد العربي (راجع Wilken, *Matriarchat*, p. 53...) على ان هناك من ينسبها الى المهلهل (الاغاني ٩ : ١٨٢ ، ١) ومنهم من يدخلها في اسطورة امرئ

وبينما كان قيس عند النبي رآه يشمّ احدى بناته[1] فاستغرب الامر. فردّ عليه محمد بان الله نزع من قلبه ، دون شك ، عاطفة الحنوّ. فلماذا اكتفى النبي بهذا

النيس (ابن قتيبة: الشعر والشعراء ٤٧٠، ١٩) واذاً فلا يكون ابن عاصم اول من سنّها للعرب. الا ان كرهه للبنات مشهور ، كما قدّمنا ، وكذلك كره الاحنف بن قيس وهو من سادة تميم (البيهقي ٣: ١٦٦) . اما في غير تميم فقد ذكروا ، في مكة ، رجلاً واحداً كان « يُحيي الموؤودات » اي يخلّص البنات ، وهو سعيد بن يزيد (الدوري ٢٦٥ ، وليُقرأ في السطر الخامس: ترعرعت ، وابن سعد: الطبقات ٣: ١٤٢٧٧) ولكن مجال عمله كان ضيقاً ؛ لان عادة وأد البنات ، ان وُجدت في مكة ، فقد كانت قليلة الانتشار ، كما يُستنتج من كثرة نشأت قريش ، حتى ان احد القُرشيين يسمي بناته بالارقام الهندية: الاولى، الثانية. . . (ابن سعد: الطبقات ٧: ٢٣٠) كما كان يفعل بعض الرومانيين. على ان ارباب الحديث (الطب الكامل ٨: ٢٧٧) اهتموا بان يوجدوا شرحاً لائقاً للآيات القرآنية ٦: ١٥٣ ؛ ١٦: ٦٠ ؛ ١٧: ٣١ ؛ ٦٠: ١٢ ؛ ٨١: ٨. . . ويؤلفوا ترجمة حياة معتبرة لذاك الحنيف المجهول السابق النبي، فاخذوا على انفسهم ان يدلّوا على موضع قرب مكة كانت قريش تعرض فيها بناتها، على زعمهم (الاغاني ٩: ١٣٢) ولا يخفى ان الفرزدق يفتخر ويتبجّح بكون جده صعصعة كان اول من قام باحياء الموؤودات. وقد خلّص هكذا ثلاثين فتاة (ابن حجر ٢: ٤٩٤) وهو عدد قابل لو كانت تلك العادة شاملة كما يزعمون (ابن دريد: الاشتقاق ٣١٤٧ ؛ ابن قتيبة: الشعر والشعراء ٢٨٩ J. Hell, *Farazdak's Lobgedicht*, 4) فكان ان فخر الفرزدق اضلّ المحدثين في هذا الموضوع. والا فكيف تمكّن التميميون ان يفاخروا بعددهم الذي يوازي عدد النجوم؟ (الاغاني ٨: ١٨٦ ؛ ٦ ؛ ابن قتيبة: عيون الاخبار ١٤٢٤٣) هذا ، ولا يمكننا ان نستند ، كما فعل ولهوسن ، الى بيت ورد في حماسة ابي تمام (ص ١١٧ : البيت الاخير) ، وهو مستقى دون شك من الآيات القرآنية ، او مشير اليها اشارة صريحة. فالطبيعة البشرية واحدة في جوهرها في كل زمان ومكان. اطلب في الحماسة (ص ١٤٣-١٤٢) ابياتاً لوالد يعطف على بناته الصغيرات ، كما ان هناك شواهد عديدة تعيد الضدّ (ابن قتيبة: عيون الاخبار ٣١٧٥-٤ ؛ الجاحظ: البيان ٢: ١٧٢ ؛ العقد ٢: ١١٩) . ومهما يكن من امر فلا نرانا بعيدين عن الحقيقة اذا قلنا ان وأد البنات لم يتجاوز بعض العشائر ، وقد كان تطبيقاً مسبقاً للعادات الملتوزيانية ، في سبيل تحديد النسل. وهو، لو كان شاملاً ، كما يتصوّره البعض، لكان عقبة كؤوداً في سبيل النسل العربي. وفضلاً عن ذلك فهو لا يتفق وتعدّد الزوجات ، تلك العادة الجارية عند العرب حتى قبل محمد.

١) شمّ الاولاد من دلائل الحنوّ عند العرب. كان النبي يشمّ ابنه ابراهيم (النووي ١٣٢) وابناء ابن عمه جعفر الطيار (ابن سعد: الطبقات ٨: ١٨٢٠٦) وليُقابل بما ذكر ابن حجر ٢: ٣٢٤ وفيه ان محمداً يشمّ ارنبة انف ولد صغير. وهناك غير ذلك من الامثلة (الطبري ٢: ١٠٥٩ ؛ ٣: ٥١٧٠ ؛ ٦١٨ ؛ الطبقات ٣: ١٦٤٠ (عن الخليفة عثمان) الكامل ١٨٢١٦)

الردّ البسيط ولم يفرض على قيس ان يعده بالمحافظة على بناته ؟ قد يكون ذلك لان سيد تميم وفد على النبي في سبيل معاقدة سياسية لا دينيّة[1]، فوجب ان يُراعى جانبه.

ومن الواضح ان رجلاً كهذا[2] كان ابعد من ان يظهر ، امام قومه ، مظهر الوداعة واللطف. ولكن الاحنف يؤكد انه تعلّم الحلم من قيس[3]. قلنا: لعل قيساً استحقّ هذه الشهرة على اثر حادثة خارقة طالما تسامر بها الناس تحت المضارب، فجمعها هواة الاحاديث ، ودوّنها ارباب النوادر . وملخّصها انه « كان قاعداً بفناء داره ، محتبياً بحمائل سيفه ، يحدّث قومه حتى أتي برجل مكتوف ، ورجل مقتول . فقيل له : « هذا ابن اخيك قتل ابنك . » فوالله ما حلّ حبوته ولا قطع كلامه . ثم التفت الى ابن اخيه فقال له : « يا ابن اخي ، اثمت بربّك ، ورميت نفسك بسهمك ، وقتلت ابن عمك. ثم قال لابن له آخر: « قم ، يا بني ، فوارِ اخاك ، وحلّ كتاف ابن عمك ، وسق الى امه (اي الى ام اخيك) مائة ناقة دية ابنها ، فانها غريبة »[4] فكان هذا المشهد المسرحي كل ما قام به في سبيل ادراك ثاره.

بيد ان هناك حادثة من النوع نفسه، الا انها تفوق هذه بساطة وصدق عاطفة، ورباطة جأش ، كما انها تبعد عن حبّ الظهور . وهي ان احد الاعراب — وكان يجدر بالتاريخ ان يحفظ اسمه ! — قُدّم اليه قاتل ابنه ليقتاد منه، وكان اخاه ؛ فالقى السيف من يده ، وقال :

اقول للنفس تأساء وتعزيةً : احدى يديّ اصابتني ولم تُرِدِ
كلاهما خلفٌ من فقد صاحبه هذا اخي، حين ادعوه ، وذا ولدي[5]

---

١) كانت غاية الوفود ، على الغالب ، ان تُقرّ بحكومة المدينة ليس غير ؛ وكانت ، بعض الاحيان ، تدين بالاسلام.

٢) يسكر ويكاد يعتدي على عفاف اخته ؛ يظهر امام النبي في مظهر مريب (الاغاني ١٢ : ١٥٥، ١٧ ؛ ١٥٦)

٣) عيون الاخبار ٣٣٦ ؛ العقد ١ : ٢١٧

٤) العقد ١ : ٢١٧ ؛ الاغاني ١٢ : ١٥١ ؛ اسد الغابة ٤ : ٢٢٠

٥) الحماسة ١٠٠

يظهر من كل ما تقدّم ان الحلم صفة الدهاة الاقوياء . وهي تفرض الغنى كما يقول حسان :

ربّ حلمٍ اضاعه عدم المال ، وجهلٍ غطّى عليه النعيمُ[1]

كما انها تفرض المقدرة على الضرر ، دون ان يخاف الحليم عواقب اعماله[2] . وهكذا فان الحلم لا يضاف الا الى السادة والاشراف ، فيقال « احلام سادة »[2] ، كقيس بن عاصم المتقدّم الذكر ، وابي سفيان شيخ مكة ، وطلحة[4] « حواري » النبي الغني الكريم ، وسعيد بن العاص[5] الاموي المعروف بكرمه وعطفه ، وسنان بن ابي حارثة المرّي ، احد سادة غطفان[6] ، وعتّاب ابن ورقاء الرياحي[7] ، وعمرو بن العاص وقد اكثر التاريخ الرسمي من

---

١) الجاحظ : البيان ٢ : ٢٧

٢) انظر الفصل الذي يخصه ابن عبد ربه بذكر الحلم (العقد ١ : ٢١٧–٢١٩) وهذه الصفة تبيّن لماذا لم يذكر عليّ بن ابي طالب في ذوي الاحلام، على تفواه ولينه وحنوّه ؛ ذلك انه لم يكن على شيء من الذكاء السياسي او الدهاء ، ولا من الحزم وقوّة الارادة حتى كان يعجز عن ان يفرض طاعته على اهل العراق من حزبه (راجع خاصةً ابن سعد : الطبقات ٥ : ٢٤٦٧ . . .) ولقد كان من واجب السيد الحميري ، ذاك الشيعي المتحمّس ، ان يفتخر بهذه الصفة في شخصية علي . . . (راجع المسعودي ٥ : ٤٢ ، وقابل بما ذكر الجاحظ : البيان ٢ : ١٢٧ ، ١٣٠ وقد ورد فيه : « مجدود » بدل « محدود » وهي صفة طالما وصف بها عليّ . وقد يكون التصحيف مقصودًا في العقد وامثاله) وهناك نصوص تمدح حلم الهاشميين اجمالًا فتقول ان الحسن بن علي تنازل عن الخلافة حلمًا ! (التوّوي ٢٠٥) اما مدّاح العباسيين فيكتفون بالاشارات البعيدة الى حلم ممدوحيهم ، وكأني هم يخافون ان يذكروهم ببيت الاخطل الخالد في حلم الامويين ! . . .

٣) الاغاني ١١ : ١٢٢ ، ١٣

٤) ابن سعد : الطبقات ٣ : ١٥٧ ، ١٩

٥) ابن حجر ٢ : ١٩٥ ، ٨ ؛ الجاحظ : البيان ١ : ١٢١

٦) راجع الاغاني ٩ : ١٥١ ، ١٥٣ ؛ ١٠ : ١٤٨–١٤٩ ، وغير ذلك من المعلومات المتفرقة في هذه المجموعة ، وليس فيها ما يشير الى حلمه الذي يذكره صاحب العقد ١ : ٢١٩ . وقد راجعت غير الاغاني من المجاميع كالطبري والمسعودي فلم أرَ ما يبرّر حلم سنان المذكور ، الا ان يكون كرمه الذي مدحه به زهير (ابن دريد : الاشتقاق ١٧٥)

٧) وهو من مشهوري الفرّاد ، ابل البلاء الحسن على عهد عبد الملك (الطبري ٢ : ٨٠٥–٨٠٦ ، ٨٢٨ ، ٨٧٧–٨٧٨ ، ٩٤٠–٩٤٤ ، ٩٤٦–٩٥٢ . . . ابن دريد : الاشتقاق ١٢٦) . وقد

الاجحاف بحقه بسبب ما اذاه من الخدم لمعاوية . على ان حلمه ، وكبر نفسه ، وحزمه اشهر من تُذكر[1] . ثم الاحنف بن قيس ، ومالك بن مسمع[2] وقد قيل عن كل منهما : اذا غضب ، استلّ مائة الف سيوفهم من اغمادها ، دون ان يُسأل عن سبب غضبه .[3] وهي من المبالغات العربية التي اقرّ بها الاحنف نفسه[4] . ولنضف الى هؤلاء الحلماء اسماء بن خارجة الفزاري[5] وقد « ذكر بالحلم والصبر والعقل »[6] ؛ وزياد ابن ابيه ذاك الوالي الحازم[7] ؛ واخيراً سلمه — او سلم — بن نوفل سيد بني دُؤل يُذكر عنه ان رجلاً وثب على ابنه

مدح الفرزدق حلمه (العقد ١ : ١٩٣ ؛ ٢ : ٦١) ولا يظهر هذا الحلم في منازعاته مع المهلّب . اما في حلم هذا فراجع الجاحظ : المحاسن ١٦٢'٣٧ ؛ البيهقي ٤٠٨ ؛ الكامل ١١١'٢٢ ؛ الاغاني ١١ : ١٦٤'١

١) اطاب في حلمه العقد ١ : ٢٢، ١٧ : ٩٢ ؛ كتاب الفاضل ٢٧٣ ؛ السيوطي : تاريخ الخلفاء ٦٧٨ ؛ ابن حجر ٣ : ٢ . وقد كان متساهلاً مع النصارى ؛ وظاهر في مصر رفيقاً، او على الاقل، ارفق ممن تبعه من الولاة الذين ضاعفوا الضرائب (البلاذري ٢١٦'٢١٨) واظهر دماء ومروءة في حادث عبيد الله بن عمر قاتل الهرمزان (ابن سعد : الطبقات ٥ : ٨—٩) . وراجع في بغض الشيعيين لعمرو Goldziher, *HZKM*, XV, p. 334, n. 1 ويمكن ان يُرد على هذا البغض بمدح ابن العبري : مختصر الدول ١٧٦ . ومن ادلة رزانته وحكمته ان طلحة والزبير اختاراه حكماً في احد اختلافاتهما (ابن قتيبة : عيون الاخبار ١٣٢'٢ ؛ واطاب ايضاً ٣٢٢) . اما العباسيون فقد ضبطوا املاك ذرّيته (الاغاني ١٠ : ١٦٩) .

٢) العقد ١ : ١٤٤ ؛ ابن قتيبة ١٣٧٢ واطاب ايضاً الطبري ١ : ٢١٧٩ ؛ ٢ : ٢٤٠ ، ٤٤٧ ، ٥٨٤ ، ٦٨٢—٦٨٤ ، ٧٣٠ . . . وكانت بكر، عشيرة مسمع، تحبّه حباً جماً حتى عُيّرت بذلك فقيل :

وبكرٌ ترى ان البراءة انزلت على مسمع في الرحم ، وهو جنينُ

ابن الفقيه ١٣٢'١٣ . واطاب ، في شرف عشيرته ، ابن دريد : الاشتقاق ٢١٢—٢١٤

٣) اطاب Dozy, *Musulmans d'Espagne*, I, 139

٤) وقد يسو الاحنف حلمه احياناً (الطبري ٣ : ٤٦٢'٣) حتى في حضرة معاوية (الكامل ٤٠'٢) فيرفع يده على منافسه (ابن قتيبة : عيون الاخبار ٣٢٥'٦) . وان في ترجمة حارثة بن بدر (الاغاني ٢١ : ٢٠) ما يدلّ على ضعف نفوذ الاحنف حتى في قبيلته

٥) الاغاني ١٣ : ٧'٢٨ ٦) كتاب الفاضل ٢٩٤

٧) الاغاني ١١ : ١٢٢ . وفي رأي معاوية ان زياداً ورث الحلم عن ابي سفيان (الجاحظ : البيان ٢ : ٣٦) والحلم مقرون بالحزم في رأيه ، واذاً فلا يمكن ان يجرّد منه ذاك الداهية .

وابن اخيه فجرحهما. فأتي به. فقال: «ما أمنك من انتقامي؟» قال: «فلم سوّدناك الا ان تكظم الغيظ وتحلم عن الجاهل وتحتمل المكروه؟» فاحتمل جهله، وخلّى سبيله[1].

هذا ولا يخفى ما في الحلم، كما في غيره من الفضائل العربية، من الرغبة في احداث الجلبة وحبّ الظهور فهو صفة للهيئة الخارجية اكثر منه فضيلة نفسية، بل هو مظهر من مظاهر التجلّد الرواقي تشوبه صبغة قريبة. في تلك البيئة الميّالة الى المشاهد المسرحية، في ذاك الشعب المتحدّر دون شك عن سلالة عريقة في المدنية قبل ان تعود الى حالتها الفطرية، يكفي الانسان بان يقوم بالفعلة البارزة المؤثرة او بالقاء الجواب المسكت الرنّان كي يتصف بصفة الحلم، فيذكر اسمه الى جانب الحلماء المشهورين. وليس من الضرورة، في اكتساب تلك الصفة، ان يكبح الانسان شهواته او ان يقاوم كبرياءه او ان يطرد عن فكره الرغبة في الانتقام. بل ان من الممكن ان يتفق الحلم وما تثيره الحياة اليومية من الميول الشرسة والاحقاد المتأصلة. وها ان مثال قيس عاصم من اوضح الادلة على ذلك، كما ان من اوضحها ايضاً حوادث القتل السياسي التي كان يعزّزها النبي، والتي تتفق والحلم في اعتبار المسلمين[2].

يجتهد الحليم في ان يبرهن لنفسه، ولقومه خاصة، بانه فوق الاهانة فيتجنب الردّ على الشاتم احتقاراً له[3] او خوفاً من شتم اشد وقعاً[4]، كما كان يفعل بعض الشعراء اذ يظهرون الترفع على منافسيهم فلا يردّون على

---

١) كتاب الفاضل ٢٧٥؛ العقد ١: ٢٢٠ — وراجع، عن سلم بن نوفل، ابن دريد: الاشتقاق ٨، ١؛ الكامل ٧٤-٧٥؛ واطلب، في مركز «السيد» العربي، كثيراً من الامثال كقولهم: سيد القوم اشقاهم، الحماسة ١٢٢؛ وسيد القوم خادمهم (الحصري ١: ٢١)، ولم أك سيدكم حتى تبدّلت لكم (ابن قتيبة: الشعر والشعراء ١٨٩، ٧، والجاحظ: البيان ١: ١٥١، ٦؛ وكل الفصل في السؤدد (عيون الاخبار ٢٦٩...، وخاصة ٢٧١-٢٧٢) ويذكر الاغاني (٨: ٢ و١٢: ٧٩) وابن حجر (٣: ٢٤٢) شيئاً عن حلم سلم مع ابن الزبير.

٢) ابن حجر ٣: ٥٢، وفيه المقابلة بين الحلم والجهل، كما سنرى.

٣) وقد يشعر الشاتم هذه العظمة احياناً (ابن قتيبة: عيون الاخبار ٢٢٣، ١٢).

٤) العقد ١: ٢١٨، ٢٧، و٢٨

هجائهم[1] . وقد كان من عادة الاحنف ان يقول مفسراً حلمه : « رب غيظ تجرّعته مخافة ما هو اشدّ منه »[2]

* * *

بقي ان نتقدّم خطوة اخرى في تحليل « الحلم » ، وذلك بدرس الصفة او النقيصة التي تناقضه ، فكلّما حللناها حلّلنا طبيعة الحلم .

نقيض « الحليم » « الجاهل » او « السفيه » . وهو امر لا اختلاف فيه ، بل ان التناقض بين الصفتين بليغ حتى ان البشرية باجمعها تُقسم ، على قول احد الشعراء[3] ، الى حلماء وجهال . ومن المنتظر ان تكون الاكثرية المطلقة في القسم الثاني ، فلا يُرى في الف رجل الا حليم واحد[4] جدير بهذا الاسم .

وقد ادركنا اجمالاً معنى الحليم ، فلزمنا ان نسأل ماذا كانت تمثل للعرب قبل الاسلام كلمة « الجاهل » ؟ هل هو « الجهول » بمعنى الامية او الخلوّ من المعارف ؟ هذا ما يبدو للمتسرّع في الفهم لان « الجهول » يناقض « العالم » كما يناقض « الحليم » . ولا شك في كون الجهل بمعنى عدم العلم يقترن غالباً ، لسوء الحظ ، بضيق النظر ، والحمق ، والتسرّع . وكلها من منافيات الحلم[5] .

ولهذا رأينا ان اشهر حلماء العرب يُعرفون بالذكاء بين معاصريهم . ذكرنا

---

١) كجرير مثلاً (العقد ٣ : ١٤٦) وغيره في الاغاني ١١ : ٤١ ; Wright, *Opuscula arab.*, p. 68,8 والعقد ٢ : ١٥٨ ; الجاحظ ٥ : ٥٠٦ ; وابن قتيبة : عيون الاخبار ٣٢٧٢

٢) العقد ١ : ٢١٨ ; عيون الاخبار ٢٣٤

٣) الكامل ٩٤٣٥

٤) ابن قتيبة : عيون الاخبار ٦٣٣٧

٥) قابل ما ورد في العقد ٣ : ٣١٧٤ ; ١٥٣١٧٥ ; ١ : ٩٣١٦١ : « لا يجهلون بعد علم » و« يجهلون » تتضمّن المعنيين فتناقض العلم والحلم معاً ; والمسعودي ٥ : ٣١٥٣ (وهو مثل غريب في ذاته وفي نسبته الى يزيد الاول ، ذاك الامير المثقّف المحب للعلم ، ولا شك في تصحيف النص ، على ما نرى) ، والاغاني ٢١ : ٨٢٠٧ . . . اما في المسعودي ٥ : ١٠٧-١٠٨ فاني اقترح ان يُقرأ النص : « سبق جهلهم حلمهم » لا « علمهم » وهو امر كثيراً ما يقع في ناموس الابدال اللغوي فتبدل الحاء من العين والعين من الحاء في اللفظ كما في قول العامة : محشم = معهم ، وفي النصوص القديمة كثير من التقارب بين العلم والحلم حتى ان من الشرّاح من يفسّر حلم بعقل . راجع Brœnnle, *Die Commentatoren des Ibn Ishâq und ihre Schulen*, p. 53

منهم ابا سفيان ، ومعاوية ، وعمرو بن العاص ، وزياداً . وها اننا نضيف اليهم المغيرة[1] ، فنتم سلسلة « دهاة » العرب في صدر الاسلام. وقد اتينا على الاسباب التي تمنعنا من ان نضيف اليهم علي بن ابي طالب ، وهو « محدود » بعيد عن الدهاء السياسي.

وان من المفيد ان نلقي الآن نظرة على التخريج اللغوي للفظة « عقل » . للغويي العرب تحليلات عميقة دقيقة حتى انها تتجاوز الحدّ احياناً ، منها انهم قالوا : «سُمّي العقل عقلاً لانه يعقل (اي يربط) الجهل . »[2] فلو قبلنا بهذا المعنى الاصلي، أوَ يكفينا في تحليل كل ما تحتوي عليه لفظة « الجهل » اذا ما قوبل بها الحلم خاصة ؟

اننا لا نرى ذلك ، لانه يقودنا الى ان ننسب للبدو قبل الاسلام اهتماماً بالامور العقلية والثقافية لا يمكن ان نسنده الى شيء. كان العرب قبل الاسلام يخصّون باعتبارهم صفةً واحدة ، بل فضيلة انسانية شاملة ، هي « المروءة » . اما « العلم » فقد وجب عليهم ان ينتظروا ظهور الاسلام وانتشاره كي يعرفوا وجوده . واذاً فليس « الجهل » نقيض « العلم » بالمعنى الحصري.

هذا من جهة . ومن جهة اخرى فاننا نراهم كثيراً ما يفتخرون «بجهلهم». وقد تقدّمت لنا الشواهد على ذلك . أوَ يكونون ، حتى في « جاهليتهم » ، على تلك الدرجة من الانحطاط كي يفتخروا « بعدم العلم » . ليس في « الجاهلية » شيء من مبرّرات الاحتقار ، ولا من دوافع الازدراء . انما هي ذاك الزمن « السعيد » الذي كان يعيش فيه الناس مستريحين ، دون ان « يعرفوا ما محمد » كما يقول الاخطل[3] ، دون ان يخافوا من « السلطان » و «الحدود» التي سنها القرآن . هذا هو معنى الجاهلية الاصلي ليس غير . اما كل ما علق باللفظة بعد ذلك من معاني الاحتقار والازدراء فانما كان بتأثير العباسيين.

---

١) اطلب ، في حلم المغيرة ، الطبري ٢ : ١١٣-١١٤ ؛ النووي ٥٧٣

٢) قابل بما في ابن دريد : الاشتقاق ٣٩، ١٤٦، ٥ : العقل يمنع عن الجهل ؛ ثم : ان لكم احلاماً وعقولاً . (الازرقي ٢٦٢)

٣) الديوان ٤٢٣١

من السهل ان تعدّد الامثلة والنصوص القديمة التي يظهر فيها فعل « علم » مناقضاً لفعل « جهل »[1] ، وفي كلها يتقدّم « علم » . وهناك نصوص تبدأ فيها الجملة « بجهل » وتنتهي « بعلم »[2] . وغيرها نرى فيها مقابلةً بين « علم » و«حلم» على طريقة في الانشاء اثيرة لدى العرب[3] . ومهما يكن من امر فيمكننا القول انه كلما رأينا في المقطع الاول من الجملة لفظة « حلم » ، كان لا بدّ ان تأتينا المقابلة والتضادّ بلفظة « جهل » . واذا اتى في المقطع الاول « جهل » او« سفه » ، وهما مترادفان ، اتى على الغالب في المقطع الثاني«حلم»[4]. نستنتج مما تقدّم صلة بين هذه المعاني ، او ، على الاقل ، ان « الجاهل »لا يناقض «العالم» دائماً ، وان الجهل بمعنى نقيض العلم ، وان كان مضموناً في اصل اللفظة : فهو لا يمنع كون اللفظة تدلّ ايضاً على التسرّع والاندفاع والحمق والشراسة وما الى ذلك مما كان يراه العرب بعض الاحيان من صفات الرجولة. حتى يظهر من الصعب احياناً ان يميز المفسر او الشارح في لفظة « الجهل » ومشتقاتها بين هذين المعنيين المتجاورين[5] . وقد استفاد الاسلام من هذا

١) اضف الى ما تقدم ذكره من الامثلة الاغاني ١١ : ١٧٠١١١ ؛ القرآن ١١ : ٤٨ ؛ المتلمّس : الديوان ٣ : ٢

٢) الاغاني ١١ : ٢٠٠١١٠ ؛ ابن دريد : الاشتقاق ١٦٩٢ ؛ اليعقوبي ٢ : ٦٢٥٠ — وقد يُخلط بين « علم » و«حلم» في الكتابة كما يُخلط بينهما في اللفظ . ومما يجدر بنا ذكره ان المثل العربي المشهور « ان العصا قُرعت لذي الحلم » (الحماسة ٩٧) يقابل قولنا : *Intelligenti pauca* ولم يفهم غوتير العرب حق الفهم في عهد تفسير النصوص القديمة ، اطلب Becker, *Die* K. Vollers, *Gedichte des Mutalammis*, I, v 8 و *Kanzel*.... p. 339 وفيه يترجم«ذو الحلم» ترجمةً لا غبار عليها بلفظة *der Verständige* والشطر الثاني من البيت : « وما عُلّم الانسان الا ليعلما » يؤيد هذا المعنى . ثم ان الآية الانجيلية المشهورة (متى ١٠ : ١٦) عبّر عنها العرب الاقدمون بقولهم : « كونوا حُلماء كحيّات . . . » ابن قتيبة : عيون الاخبار ١٠٢٢٤)

٣) الثعلبي ٢٩٢ : الجاحظ : البخلاء ٢١١ ؛ ٦ : ٢٧ ؛ البيان ١ : ١٦٧٦ ؛ ٢ : ١١ ؛ ٢ : ١٠٢ ؛ ٨ : ابن قتيبة : عيون الاخبار ٧٤ ؛ العقد ١ : ١٦١ ؛ ٤ : ١٦١

٤) الحطيئة ٣٦ : ٣ ؛ البلاذري ١٠٢٤٣ ؛ وبيت ابن ابي الخُفيق في الاغاني ٣١ : ١٠٩٢ ؛ الحماسة ١١٣ ، ٥٢٩ ، ٦٩٢

٥) كما هو الحال في الآيات القرآنية ٢ : ٢١ ؛ ٦ : ٥٤ ؛ ١٥ : ١٢٠ وغيرها . وفيها لفظة

الازدواج بالمعنى فوصم عصر الجاهلية بالجهل نقيض العلم ، والصق بابي جهل — وهي في الاصل كنية لا احتقار فيها — هـذا المعنى الازدرائي الظاهر في بيت حسّان :

سمّاه مشرعه ابا حكم وانّ سماه ابا جهل (١

اما في اصلها ، فمعناها المتسرّع ، المندفع ، الـذي لا يضبط عواطفه ولا يملك نفسه . ولقد كانت خليقةً بان تُطبّق على غير واحد من اقارب ابي جهل من آل مخزوم ، وهم مشهورون بانفتهم وترفّعهم وتيههم ؛ اوَ لم يقـل معاوية : « اذا لم يكن المخزومي تيّاهاً لم يُشبه قومه . »[٢] وان يكن الحديث قد حفظ هذه الكنية باغتباط ليعيّر بها ابا حكم ، فلقد فعل ذلك لما اظهر الرجل من مقاومة عنيفة للاسلام[٣] . واذا استُعمل « الجهل » نقيضاً للحلم — ولنا الشواهد العديدة على ذلك[٤] — يُدلّ به على جميع الصفات ، فضائل ونقائص ، الناتجة من حياة البداوة الشظفة غير المثقفة[٥] يعدّها تسرّع الشباب[٦] ، ومجـاوزة الحدّ في

« بجهالة » تفيد : « بتهوّر وتسرّع » ، كما انها تفيد : « عن غير علم » . انظر ايضاً هجاء النابغة الذبياني لملك الحيرة : « وارث الصانع الجبان الجهول » ، وفي « جهول » المعنيـان المذكوران : عدم العلم ، والتسرّع والحمق .

١) حسّان : الديوان ١٢٨ : ١

٢) الجاحظ : البيان ٢ : ١٧٧'١

٣) ابن دريد : الاشتقاق ٦٢ . وانظر في ابن قتيبة : عيون الاخبار ٢٧٦'١٨ ، ما كان يوليه من الاعتبار اهل مكة .

٤) يُضاف الى الامثلة المذكورة اعلاه ، والى ما ذكره غولدسيهر في الجزء الاول من « دروسه المحمدية » ، ما يلي : الحماسة ٤٩٩ ، البيت الثاني قبل الاخير ؛ ٥١٢'٣ ؛ ٥٢٢'٥ ؛ ٦٩٢'٣ ؛ ٧٢٥'٥ ؛ Wright, *Opuscula*, p. 120, 4 ؛ الاخطل ٦٨'٣ ؛ الاغاني ٢ : ١١٦ ؛ ١٢١'٢-٤ : ٨ ؛ ٥٢'٦ ؛ ١٠٥'٥ ؛ ٧٦'١ : ١١ ؛ ٨٣'٩ : ١٠١ ؛ ١٤٦'٩ ؛ ١٣ : ٤٦'٣ ؛ ١٦ : ١٥ . ولقد غنّت احدى النيان في حضرة الرشيد فغيّرت قول الشاعر في بني امية « يحلمون ان غضبوا » بقولها : « يجهلون ان غضبوا » (الاغاني ٩ : ١٦١)

٥) قابل بقول يهود المدينة لاحمد : « ما كنت جهولاً ولا فـاحشاً » (المسيس ١ : ٤٩٤'١٢)

٦) الجاحظ : المحاسن ٢٣٨'٩ وهو يشير الى ان الانسان كلما طعن في السن نقص جهله ؛ الحماسة ٤٩٩'٢

استعمال القوّة اذا لم يضبطها العقل . فالجاهل عدوّ لمحبّ السلام[1] ، ظلوم لا يعرف العدل الصحيح[2] ، وقد يذهب ضحية اهوائه فتخلّه النساء[3] . والجاهل ضعيف الرأي، قليل التفكير[4] عاجز عن ضبط بوادر غضبه[5]، شبيه بمن يعرف عند اللاتين بـ « *impotens sui* »[6] . الجهل هو جفاء البدو[7] في عاداتهم الجاهلية[8] وفي كلامهم الخشن البذيء[9] ، وفي تناسيهم واجبات المخالقة والمصانعة . الجهل يعرّض اربابه لخفر الذمم ، ولانتهاك حرمة قانون الشرف الذي سنّته عادات القفر ، بل لاحتقار شرائع الضيافة[10] ، وواجبات الصداقة[11] ؛ والجهل

١) قابل بما في القرآن ٢٥ : ٦٤ : « وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هوناً . واذا خاطبهم الجاهلون قالوا : سلاماً »

٢) في القرآن ٣٣ : ٧٢ : « . . . وحملها الانسان انه كان ظلوماً جهولاً . »

٣) في القرآن ١٢ : ٣٣ : « . . . وإلّا تصرف عني كيدهنّ أصبُ اليهنّ وأكن من الجاهلين . »

٤) راجع بيتي الافوه الاودي في الشعر والشعراء ١٠٠، ١٧ حيث يقابل « الجهّال » « بأهل الرأي » .

٥) الاغاني ٣ : ١١٦ ، وفيه لفظة « الجاهل » تفسر لفظة « حديد » : قابل بالجاحظ : البيان ١ : ١٠٤، ١٩ : « الحدّة كناية عن الجهل »

٦) يجب ان نفهم بهذا المعنى قول المثل : « المنى والحلم اخوان » (ابن قتيبة : عيون الاخبار ٢٠٩، ٢٢)

٧) العقد ٣ : ٣٠٧، ٣١

٨) الخضري ٣ : ٣٤٨ . قابل بالعذر الذي تقيمه ليلى لصاحبها توبة : « كان فتى له جاهلية » وكل هذا النص يدل على ان ليس في لفظة « جاهلية » معنى عدم العلم . انما تريد الشاعرة ان تبيّن ان صاحبها المسلم لم يتمكّن من الاخذ بالعادات الاسلامية الجديدة التي تعاكس حياة « اللهو » القديمة . وفي « اللهو » مرادف « للجاهلية » . وهناك من يذكر عادات بعض الفرسيين الفتة قبل الاسلام ، ويزيد تفسيراً لها : « كانوا اهل جاهلية » (الاغاني ٨ : ٥٣، ١) وقد يُذيع الخمول الاسرار (عيون الاخبار ٦١، ١٤)

٩) الاغاني ٣ : ١١٦ ؛ ١١ : ١١٩، ١٩ : « كان حديداً جاهلاً » . الجهل يرادف الخنى، في الاغاني ١١ : ١٤٦، ٦ : ابن قتيبة ٥، ١٤

١٠) الحماسة ٣٦٩٣

١١) الاغاني ١٦ : ١٤ ، وقابل بقول حارثة بن بدر : « ان سبّني جهلا بذبي » (الاغاني ٢١ : ٤٢، ١٩) وان من صفات الكمال ان يظلّ الانسان حليماً حتى في سكره (الاغاني ١١ : ١٤٧، ٣)

يمنع صاحبه الاضطلاع بالروح الجديد الذي ادخله الاسلام بين العرب، والذي كان من الصعب على اول المسلمين، كتوبة صاحب ليلى الاخيلية، ان يسيروا بموجبه.

وقد احتج كثير من ولاة الامويين على بقاء تلك الصيغة القديمة، فاكثروا من الخطب في الجوامع[1] ولكن دون جدوى. فقد ظلت روح «الجاهلية» سائدة مدة طويلة. وكان افضل السامعين واكثرهم اذعاناً للمذهب الجديد، من امكن ان يُقال عنهم: «ستر حلمُهم جهلَهم!»[2]. على ان ما لم يصل اليه ولاة الامويين بخطبهم التهديدية في منابر الكوفة والبصرة، ادركه العباسيون اذ جهدوا في دكّ النظام الاجتماعي العربي القديم فاخضعوا الجباه لسلطتهم المطلقة، فلاشوا تلك الصفات القديمة، وقضوا على «المروءة» العربية وما فيها من عناصر صالحة كان من الممكن استخدامها في سبيل النظام الجديد، لو كان لهم شيء من الدهاء السياسي المرن.

قد ينتج من كل ما قدّمنا ان «الحلم» العربي مظهر خارجي، وهيئة ظاهرة موافقة للحالة الحاضرة اكثر منها فضيلة عميقة على قول الاحنف: «لست حليماً ولكني اتحالم!»[3]. وهو مظهر ضروري في تلك البيئة الديموقراطية حتى الفوضى. فوجب على من شاء الاتصاف بالحلم ان يبالغ في كظم غيظه، فلا يتسرّع في القول ولا في العمل، والا تكون العاقبة وخيمة اذ ان لكل

١) راجع خطبة زياد في البصرة (الطبري ٢: ٧٢ ...)

٢) قابل بما في الجاحظ: المحاسن ١٤٢٣٩؛ والحماسة ٣٠٥٢٢: ٥٠٥٢٩؛ والمعري ٣: ٢٠٦. وفي الآداب العربية النصرانية القديمة نرى «جَهَل» بمعنى «أثم، أخطأ، ضرّ» راجع Dr. G. Graf, *Sprachgebrauch der aeltesten christ. arabischen Litteratur*, p. 86 وقد ورد في الحماسة (٦٥٤) «جهل» بمعنى اهان حتى تضرب فجاء:

وهم جهلوا عليك بغير جرم ... وبلّوا منكبيك من الدماء

وجاء فيها ايضاً (٦٢٦) «الجهل» بمعنى الكيد، وحبّ الضرر:

جهلنا علينا، وجبنّا من عدوّهم ... لبئست الخلّتان: الجهل، والجبنُ

وليقابل بهذا البيت الغريب وفيه «الجهل» بمعنى جيشان القدور على النار (الحماسة ٣٠٧٥٠):

ودُهم تصادجا الولائد جلّة ... اذا جهلت اجوافها لم تحلّم

٣) العقد ١: ٦٢١٨؛ وانظر بعض مواقف الاحنف، ورأي معاوية فيه، ابن قتيبة: عيون الاخبار ١٣٧٤

فعل تأثيره البعيد في المحيط العربي . فتعلّم البدويُّ الحلم خوفاً من عواقب تسرّعاته ، كما تعلّم اجتناب اهراق الدمـاء خوفاً من الثار ، لا حبّاً للمؤاخاة الانسانية . واخذ « السيد » يعمل على تلافي البوادر حفظاً للتوازن في القبيلة . وكان من العادات البدويـة القديمة ، التي لا تخطئ اذا دعوناها « بالبرلمانية » ، ما فتح له المجال الواسع لاستعمال الحلم ، فغدت هذه الصفة من اشهر الصفات السياسية والادارية ، وغدا اربابها جميعهم من كبار رجال الدولة ، وقد اضطرتهم الاحوال لمخالقة الجماهير ومداهنة الرأي العام .

هذا في مجرى الحياة العامة . اما اذا عرضنا الحلم في الصفات الشخصيـة ، وانتبهنا لما في طبيعة البدوي من الكبرياء واحتقار الغير والميل الى التخلّق بالاخلاق الحكيمة ، فانه يبدو لنا صورة مصغّرة ، بل مشوّهة لفضيلة الوداعة المسيحية .

ولقد عرف العرب فضل الحلم لما فيه من هـذا المزيج الغريب الرامي الى التوازن بين الفضائل والنقائص ، وهم ابعد من ان يقدروا قيمة الفضيلة البسيطة الوديعة التي لا تُظهر جلبة ولا تحدث ضجـة فلا يعرفها الا ضمير الانسان ولا يراها الا الخالق « الذي يرى في الخفية » وهل كان من وجود حاتم الطائي ، ذاك المثال الاعلى للكرم والجود ، لو لم ينشر مآثره الشعراء ؟ أوَ لم يكن حاتم نفسه يرى في الكرم لا الاحسان الى بني جنسه ، بل مادّة الفخر والمجد السائر المذكور ، فيقول متبجّحاً :

أماوي ان المال غادٍ ورائحٌ ... ويبقى من المال الاحاديث والذكر (١)

وان من الصعب الا نحكم مثل هذا الحكم على الحلم ، اذا مـا ذكرنا مواقف الحلماء ، ورغبتهم الشديدة في الشهرة ، ومياهم الى الافتخار بحلمهم في اشعارهم واقوالهم ولا يخفى ان هـذه التحفظات تحطّ ، دون شك ، من قيمة تلك الصفة الاخلاقية . بيد اننا لا ننكر منفعتها العظيمة في تلك البيئة العربية التي كثيراً مـا حاول المصلحون ان يخففوا فيها من نتائج الفوضى ومساوئ القوة الغاشمة ، فلم ينجحوا . حتى ان الاسلام نفسه عجز عن تثقيف العرب ثقافـة سياسية دائمة .

(١) اطلب ابن قتيبة ١٢٦-١٢٧ ؛ و Goldziher, op. cit., I, 45, n. 11

الدر المنتخب

في تاريخ مملكة حلب

من قلم حبيب زيات (نيس : فرنسة)

لابن شداد كتاب جمع فيه تاريخ وخطط حلب ودمشق والجزيرة . وسماه « الاعلاق الخطيرة في ذكر امراء الشام والجزيرة » . ولا يزال مخطوطاً . ولا نعلم منه نسخة كاملة في الخزائن العامة . ومنه مجلدان فقط في خزانة بريتيش موزيوم من نسختين مختلفتين . وهما الجزء الاول رقم add. 23334 في وصف حلب وملحقاتها . بخط لا بأس به ، لا يخلو من هنات وتحريفات في النقل . والجزء الثالث رقم add. 23335 في وصف دمشق واعمالها . ولكن ، لسوء الحظ ، اصاب هذا المجلد بلل بالماء ، ورطوبة شديدة فالتصقت اوراقه ، وطمست سطوره . فلم نجد سبيلاً الى نسخه او تصويره اطبعه ، كما كان في النية . ولم نستطع ان ننقل عنه الا ما قل وندر .

ويشبه الجزء الاول المذكور ، في اقسامه ومشتملاته ، الجزء المحفوظ في دار التحف الاسيوية في لينينغراد ، رقم ١٦٢ من برنامج البارون ڤون روزن[1] . انتهى منه كاتبه سنة ١٠٢٢ للهجرة (١٦١٣ م) ومثله ، فيما اخبرنا الاستاذ ريتر ، جزء آخر رقم ٣٠٨٤ في خزانة جامع ايا صوفيا . جمع بين القسم الاول وثلاثة ابواب من القسم الثاني فقط . واحسن من هذه النسخ كلها نسخة ثمينة فيها نقص يسير ، بخط غاية في الاتقان والوضوح ، وقفنا عليها في خزانة الڤاتيكان رقم 7307 يظهر انها بقلم المؤلف ، اذ صح تعليق احد القراء في

(1) *Notice sommaire des Manuscrits Arabes du Musée Asiatique* par le Baron von Rosen. St Petersbourg, 1881, p. 99.

زاوية احدى الورقات الاخيرة . ومما يؤيد هذه النسبة ، بعض التأييد ، بقاء مواضع بياض في بعض الصفحات . ومن الغريب وجود بعض اوهام وملاحن في الضبط ؛ لا ندري هل هي سبق قلم من المؤلف ام من غفلات الناسخ.

ومن الجزء الثالث رواية ببعض التصرف في مجلد في خزانة جامعة ليدن في هولاندة Arab. 1466 جعلها كاتبها كتاباً مستقلاً برأسه سماه « برق الشام في محاسن اقليم الشام » (كذا) . وقد قابلنا بعض صفحاته على ما نقلناه من لوندرة، فوجدنا ان الكاتب اسقط بعض عبارات الاصل ، واغفل كل ما جاء فيه عن امراء دمشق ، وترك مواضع نقص وبياض . ولم يحسن التمثيل والنقل احياناً . ومثل هذا التصرّف الجائر نكبة لتاريخ دمشق بعد ما اصاب نسخة لوندرة من التلف. بحيث اننا لا نعلم اليوم رواية حُفظت فيها صفة خطط حاضرة الامويين واعمالها ، كما صدرت من قلم ابن شدّاد بالكمال والامانة.

وابن شداد هذا هو عزّ الدين محمد بن علي بن ابرهيم بن شدّاد الحلبي الكاتب المتوفى سنة ٦٨٤ للهجرة (١٢٨٥/٦ م). وهو غير ابن شدّاد مؤلف سيرة صلاح الدين المطبوعة باسم « النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية » ، ولقبه فيها بهاء الدين ، واسمه يوسف بن رافع بن تميم بن شداد . توفي في حلب في صفر سنة ٦٣٢ (١٢٣٤ م) . وقد ظنّ صاحب تاريخ نهر الذهب ان مؤلف الكتابين واحد ، وقال انه لم يقف على تاريخ منسوب لابن شداد خاص بحلب[1] (ج ١ ص ١١) . وهذا الوهم عجيب ممن اراد الاحاطة بتاريخ وطنه ، وتفرغ للتأليف فيه . واعجب منه جهله موقع عمّ من اعمال حلب القديمة ، وادّعاؤه انها اختصار اسم عَمق او تصحيفه (كذا)[2] . وقد كان يكفيه ان يراجع معجم البلدان ليقرأ فيه قول ياقوت الحموي : « عمّ قرية غناء ذات عيون جارية . واشجار متدانية بين حلب وانطاكية . وكل من فيها اليوم نصارى »[3]

١) وممن وهم ايضاً في نسبة تاريخ حلب الى مؤلف النوادر السلطانية صاحب الاعلام (قاموس تراجم) وزعم ان مؤلف الاعلاق الخطيرة كان رحالة . وان كتابه المذكور «رحلة» . وقد جهله كل الجهل . وترجمه بزهاء سطرين فقط (٣ : ١١٧٩ و ٢ : ٥٩٥)

٢) المجلة البطريركية ج ٨ سنة ١٩٣٢ ص ٥٢٥ ٣) ياقوت ٣ : ٧٢٩ (طبعة اوربة)

ومما يزيد في التحسر على نقص مخطوط الاعلاق الخطيرة ان كل من كتب بعده على حلب ودمشق ، واراد تعداد ما في كلّ منهما من الجوامع ، والبيع ، والمدارس ، والزوايا ، والحمامات ، والمحلات ، والحارات ، والاقنية ، وسائر الابنية والمصانع ، لم يجد غنى عن الاستناد الى ابن شدّاد ، والاستشهاد باقواله . فكان كتابه منذ القرن السابع منهلاً يستقي منه كل من اراد تعريف شيء من خطط المدينتين . واشهر من نقل عنه ، وعلّق عليه محبّ الدين بن الشحنة ، في كتابه « نزهة النواظر في روض المناظر » . وهو كالشرح لتاريخ والده المطبوع بعنوان « روض المناظر في علم الاوائل والاواخر » . وكانت وفاة محبّ الدين بن الشحنة سنة ٨٩٠ للهجرة (١٤٨٥ م) ولا نعلم انه يوجد من تاريخه المشار اليه نسخة كاملة . ولعل اكثر ما حفظ منه مروّي على اختلاف في الضبط والامانة في المختصر المعروف بعنوان « الدرّ المنتخب في تاريخ مملكة حلب » المنسوب خطأ مع ما تداخله من زيادات النساخ الى محبّ الدين محمد بن الشحنة . وهو الكتاب الذي تولّى طبعه المرحوم يوسف بن اليان سركيس سنة ١٩٠٩ ، دون ان تهوله كثرة ما فيه من التحريف والتشويه واللحن ، ولاسيما في ضبط الاعلام . ومع انه ، كما قال ، عني بمقابلته على اربع نسخ مختلفة ، وبذل جهده في تسديد بعض ما تصحّف فيه باقلام جهلة النساخ ، لم يُوفق الى احسان نقده واصلاح فاسده ، بحيث بقي الكتاب كثير الاوهام جمّ الاغلاط . ولما استحسن اخيراً كاتب سرّ المعهد الفرنسي بدمشق مسيو سوفاجه العالم الاثري نقل فصول منه الى الفرنسية[1] ، وخدمها احسن خدمة بالتعليق والتحقيق ، اسفنا جداً لعدم احتياطه قبلاً بمعارضة هذه الفصول على بقية الاصل المخطوط من « نزهة النواظر » . او بالحري بمراجعة الجزء المحفوظ من الاعلاق الخطيرة في رومة ولوندرة . وهو الاصل الذي استمدّ منه ابن الشحنة كل ما رواه من تاريخ حلب وخططها . وقد فاتتنا ايضاً هذه المراجعة ونحن نطالع مخطوطات بريتيش موزيوم ، لعدم تحصيلنا هنالك نسخة من الدر المنتخب المطبوع ، والهانا درس ما تكلّفنا السفر

(١) J. Sauvaget. *Les Perles Choisies d'Ibn Ach-Chihna (Mémoires de l'Institut Français de Damas)* Beyrouth 1933.

من اجله عن مثل هذا الفضول . ثم تفرّغنا اخيراً لهذا النقد فلم نكد نجد صفحة خالية من شائبة ، مبرّأة من خلل او تبديل وتحريف . وبلغنا قريباً من الباب العشرين (ص ٢٢٦) وقد اجتمع امامنا من جريدة الاغلاط الواضحة ما ملأ سبع صفحات كاملة . فيها ما له اجلّ شأن في الاعراب ، والرسم ، واللغة ، وضبط الاشعار والاعلام . فتمثّل لنا حينئذٍ سأم القراء من سياقة هذه الاستدراكات المملّة ، وقلة ارتياحهم الى مثل هذه التصحيحات الطويلة الذيول . فاخترنا العدول عن هذا الاستقصاء في حقّ كتاب منحول النسب دعي في الادب الى الكلام عليه جملة ، وكشف النقاب عن اصل وضعه ، وحقيقة جامعه . بينما يتيسر لنا تحصيل نسخة سويّة كاملة من الاعلاق الخطيرة لنخدم بها العلم والوطن ، اذا أعان الله على هذه النية .

واول ما نبدأ به اسم الكتاب « الدر المنتخب » . وهو ليس لابن الشحنة — وقد سبق ان اسم تاريخه « نزهة النواظر » — ولكن لابن خطيب الناصرية المتوفّى سنة ٨٤٣ للهجرة (١٤٣٩ م) ذيّل به على تاريخ ابن العديم « بغية الطلب في تاريخ حلب » . ولابن خطيب الناصرية ايضاً اكثر لفظ المقدمة الاولى المطبوعة . الحقها الجامع بمقدّمة اخرى وجيزة من عنده صرّح فيها ان الكتاب نبذة انتخبها من « نزهة النواظر » . وهذا اغرب ما في الكتاب ان يُنتحل له عنوان وخطبة من مؤلّف ، ومتن من مؤلّف آخر . ثم يُخلط ايضا هذا المتن باقوال وحواش شتى لمصنفين ونساخ مختلفين ، في ازمنة متباينة ، بحيث اصبح هذا المجموع كشكولاً او شبه سفينة نوح .

وقد تعدّدت نسخ « الدرّ » على علّاته حتى لا تكاد تخلو منه اهم الخزائن في الشرق والغرب . ويُستفاد من النسخ المحفوظة في الفاتيكان رقم 286 V. و 286 B. ، وفي باريس رقم 1683 ، ان اول من اختار هذه النبذ من تاريخ ابن الشحنة هو زين الدين احمد بن علي بن الحسين المعروف بالشيفي . ورتبها على ٢٥ باباً . ولابن الملّا الحلبي مختارات نظيرها من التاريخ نفسه في ١٧ باباً فقط كما هو مذكور في نسخة منها في خزانة اكسفرد رقم Laud. Or. 206 ثم جاء بعد الشيفي نسّاخ علّقوا على مواضع من ابوابه حواشي نبهوا فيها على

ما استجد في زمانه . ومنهم ابن اليمن المعروف بالبتروني المفتي والمدرس بمدرسة خسرو باشا بحلب . وبعض تعليقاته بتاريخ اواخر ذي القعدة سنة ١٠٣٦ (١٦٢٧ م) ولا يخلو كل منها من فائدة اثيرة . وعلى هذا المنوال كان كل من عُني بهذا الكتاب من النساخ الحلبيين يضيف اليه ما يعنّ له ويدمجه في المتن دون ان يذكر اسمه ، او يشير الى مأخذه . فاجتمع في الكتاب على التوالي عدّة ملحقات واقوال نُسب بعضها الى ابن الشحنة نفسه مع ان تاريخها متأخر عن زمانه ، كالزيادة التي زيدت في الكلام على المدرسة الاسدية (ص ١١٩) رُوي فيها عن ابن الشحنة انها خربت سنة ٩٣٥ (١٥٢٨/٩). ومعلوم ان ابن الشحنة توفي سنة ٨٩٠ . ومثلها ما جاء في تعريف المدرسة المجدية (ص ١٢٠) وانها دثرت ولم يبقَ لها اثر ولا عين سنة ٩٣٦ (١٥٢٩/٣٠ م) . ومن هذا القبيل ايضاً ما نُقل عن لسان ابن الشحنة ان ادنة جُدد لها قلعة حصينة في الدولة العثمانية (ص ١٨٢) وهو قد تقدم زمانها بسنين كثيرة .

ومن هؤلاء النساخ المحشين ، بل في طليعتهم ، الشماس بولس الحلبي ابن البطريرك مكاريوس الزعيم . ونُسخه هي اكثر ما تُرى في الخزائن العامة . ومنها نسخة بخط يده ناقصة اكلها كاتب آخر منذ اوائل الباب الثاني عشر ولم يذكر اسمه في خاتمتها . وهي محفوظة في خزانة جامعة ليدن ، رقم [illegible] Arab. وكان الشماس بولس مولعاً بالنسخ والتحشية ، ونقل اقوال المؤرخين في كل موضوع يحاول استطلاع اخباره . ومن هذا النوع كتابه في تاريخ انطاكية المحفوظ عندنا بقلمه . دوّن فيه كل ما وقف عليه من كلام المؤرخين في الشرق والغرب حسبما قرأه في المخطوطات العربية التي اتصلت به ، او رتب نسخه بقلم المرسلين اللاتين في حلب . وكان شديد التعلق بوطنه ، مشغوفاً بتاريخ مسقط رأسه . ولذلك عُني بنقل « الدر المنتخب » ، واحق به كعادته كل ما عثر به في مطالعاته من زيادة في صفة حلب ، او بسط في الشرح ، لكل من المؤرخين الاسلاميين او المسيحيين ممن تلقته معرفتهم . وقد نبه اكثر الباحثين على هذه الملحقات والتعليقات بقوله « حاشية لكاتبه وجامعه » . وصرّح في نسختي الفاتيكان باسمه ونسبه فقال : قال كاتبه الفقير بولص ابن بطرك الشام

مكاريوس » . وقد اندمجت حواشيه وزياداته في متن الكتاب في بعض النسخ حتى ذُكرت كأنها لابن الشحنة نفسه . وبلغت جملتها احياناً عدة اوراق متتابعة كالتي في الصفحات ١٩٧ و١٩٨ و٢٠٠-٢٠١ ومنها ايضاً اغلب ما في الصفحات ٢٠٧-٢٢١ . ومن هذا القدر وحده تتضح كثرة ما ادخله الشماس بولس على المتن وابدل به نظامه ، وشوّش كيانه .

وقد كان يكفي للتنبيه الى ما احدثته يد الشماس ووالده البطريرك من التصرّف بالكتاب استشهاده بتاريخ « الدر المنظوم في اخبار ملوك الروم » (ص ٢٤ و٢٠١ و٢٠٣ من المطبوع) ومعلوم ان مكاريوس هو الذي عرب هذا التاريخ من الرومي . وروايته بعض الاخبار من « الكتب القديمة الرومية » (ص١٨٠ و١٨٨) ونقله عن « القسيس ميخايل الانطاكي في بدء خبر يوحنا القس الدمشقي » (ص ٢١٢) . وقوله في الكلام على وادي الفوّار وما تحته من السرداب « هذا المكان تحت دير مار جرجس الحميرة وشاهدناه » (ص ٢٦٦) . وإكثاره من الاستشهاد باقوال كتبة النصارى كالبطريرك سعيد بن بطريق ، ويحيى بن سعيد الانطاكي ، ومحبوب بن قسطنطين المنبجي ، وجرجس بن العميد ابي الياس (وليس ابي الياس) ، والمفضل بن ابي الفضائل في تاريخه النهج السديد .

والمشهور ايضاً كل ما ورد من اقوال المؤرخين الاسلاميين كالمسعودي ، وسبط ابن الجوزي ، وابي علي القالاني ، وصاحب النجوم الزاهرة ، وابن الوردي في خريدة العجائب ، والخبابي ، وابن الملا ، وسواهم ممن لا نطيل باستيفائهم . ومن هذه النقول كلها تتبين ايضاً وفرة نصيب الشماس في هذا المجموع الخليط .

وجملة القول ان « الدر المنتخب » ، كما هو على علاته ، لا يصح مطلقاً ان يُنسب برمته وعنوانه الى ابن الشحنة . بعد ان تداولته اقلام النساخ ، وعبثت به ، ودسّت فيه ما ليس منه ، وافسدت كثيراً من نثره ونظمه ، ورسم اعلامه ، حتى ذهب اللحن والخطأ فيه كل مذهب . ولا يصح ايضاً ان يؤخذ عنه ، دون تحرز شديد ، ولا بد من معارضته بنسخة الام ، اي «نزهة النواظر» ، وفرز المتن فيه من التعليقات والحواشي ، وايضاح ما اشكل فيه بمراجعة الاصل الاول وهو الاعلاق الخطيرة .

ارتفاع الصليب

ميمر منسوب الى القديس كيرلس اسقف اورشليم

نشره لاول مرة ، وعلق عليه
الخوري بولس قرألي ، مدير المجلة البطريركية

٨

(تتمة)

نصّ الميمر (تابع)

٦ — اخفاء الصليب

١ — ردم القبر — واما الكتبة والفريسيين لما سمعوا بهذه القوة التي ظهرت في مقبرة سيدنا يسوع المسيح . توامروا في ما بينهم بان يحرقوا المكان بالنار . فاجابوا عظما اليهود وقالوا لروسا الكهنة [٢٢٣] هذا هو حجر نحت من صخره . وليس تعمل النار فيه شي . ولكن ان رأيتم من الراي . ان تخلوا اليهود يرموا عليه التراب حتى لا يظهر البته تذكاره . فوافقهم هذا الراي جميعهم . ونادوا في مدينة اورشليم كلها قايلين . جميع الرجال والنسا اذا ما كنسوا تراب في بيوتهم ومقصوراتهم . واصطبلاتهم . يجيئوا به ويرموه على مقبرة ذلك الضال الذي يقال له يسوع . والذي لا يصنع هكذا يخرجوه من الجماعه . وياخذوا عرامه[1] رباعي فضه

٢ — قصاص اليهود — وصار هذا الامر في اورشليم كلها عاده يصنعوا جميعهم

١ — وردت هذه الجملة سقطة على الجميع وهو يعبر هكذا دائما عن الذين كما في كلمتين لهذه الخصص «مر النفس و هيجان الغضب» صفحة ٢٢٦

في كل يوم الى زمان اسفسيانوس[1] الملك الذي اخرب اورشليم فلما تسلط على اليهود ولما يعودوا يصنعوا هكذا. وهذا ما اخبرنا به يوسف الرامي ويرنيباس[2] العبرانيين . ومن ذلك الزمان الى اسفسيانوس الملك مايه وسبعين سنه[3] . ولم يزالوا هكذا حتى عاد تل تراب على موضع المقبره . وصار عالي على المدينه كلها . فارسل اسفسيانوس ملك الروم على اليهود هلاك وفساد عظيم حتى انه قتل منهم ثلاثين [٢٢٤] الف . واسر منهم الف وسبعمايه. وكتب الى بطلماوس رئيس القبط[4] . يقول له لا تعطي اليهود رجا في ارض مصر ولا يتاجروا ولا تجعلهم على اجباب الخمر ولا على معاصير العنب[5] . ولا على جرون غلاتهم . لكن يكونوا بطالين مبعودين من كلشي . حتى تبطلوهم منكم . واليهود ايضا الذين في ارض مصر اتعبوهم جدا . ويضيق عليهم اكثر من ابايهم في زمان فرعون لما كانوا عبيد المصريين . حتى ان طفل واحد من المصريين يعذب عشره من العبرانيين . ولا يقدروا يصنعوا به شرّ . بل يطلبوا منه ويسالوه ان يشفق عليهم[6] . لان الرب هو الذي اذلّهم وخضعهم من اجل ما صنعوا له من الشرور[7]

٣ – الصليب لم يختفِ – فتقاصرت تلك القبيلة الذي صلبوا رب المجد حتى كادت تضمحل من كثرة القتل الذي كان فيهم من الملوك والغلا والوبا الذي جلبه الله عليهم من اجل خطاياهم . واما اليهود الذي بقوا في اورشليم نسوا عاده ابايهم . ولم عادو يرموا تراب على قبر يسوع ولانه قد صار تل عظيم على

١ – اسفسيانوس Vespasianus ملك من سنة ٦٩ حتى ٧٩

٢ – ابنى الين كما في اليونانية بدلاً من برنابا

٣ – او بالاحرى سبعين سنة لميلاد المسيح ونرجح ان اضافة كلمة « مايه » غلطة ناسخ

٤ – لا نعرف اي البطالسة يقصد وقد كانوا حكاماً على مصر وقسم من سوريا قبل المسيح . ولعله يعني بالقبط المصريين كلهم . لان هذا الاسم على ما يقال تحريف « اجبت » اي مصر

٥ – لعله يعني ضمان المال الاميري المرتب عليها

٦ – هنا ينتهي كلام الورقة الساقطة من نسخة حلب

٧ – لعل اغلب ما جاء هنا عن اليهود في القطر المصري اضافة من احد النساخ الاقباط او السريان النازلين وادي النيل

مقبرة يسوع وموضع الجلجلة حتى ان لا يقدر احد يذكرهم البتة . وكانوا يسمّوا ذلك الذي اقرانيون[1] اي يسوع ويسموه [٢٢٥] الجلجلة[2] . وان الشيطان اضل عقل اليهود تابعيه . وغير القول . واشاع الامر قايل . انزع الصليب من بينكم . ولم يكن يعلم انه سوف يمجد الصليب عند الملوك . وكان[3] الذين آمنوا باسمه . وتغلق ابواب البرابي[4] من اجله . وان كان اليهود[5] الذين هم آلة الشيطان الذي ينطق فيها . ارادوا ان يخفوا الصليب . لكنهم لم يقدروا يخفوه الى الانقضى وهو ايضا مكتوب في قلوب المومنين به . يتذكرونه كل وقت . وصورته قدامهم ينظرون اليها . وان كانوا اخفوه فهو يشبه الشمس بقوته يغيب في الليل ويظهر في النهار . كمثل الخارج من خدره . هكذا ايضا الصليب المقدس . اخفوه اليهود من اجل حدهم الردي الرب يسوع المسيح . لكنه ظهر وعاد مضيا جدا[6]

٤ – اجاد الصليب وسمه – وان الصليب هو مقوّي الملوك محبي الله ويجعلوه لهم تاج . وهو على القضيب الذي في يديهم . والصليب مصوّر في بيوت الملوك . ويجعلوه في الطرق وعلى العُمد وزوايا البيوت . ليكون لهم قوه . ولجميع العابرين . والصليب مكتوب على السفن ينجيهم من الرياح العواصف الرديه [٢٢٦] وهو مكتوب على تاجات الملوك ليعطيهم النعمه . الصليب المقدس هو قدام كل

١ – قلنا انما كلمة يونانية [illegible] معناها الجمجمة وقد تركها المترجم على صيغة المفعول به كما وجدها في الاصل اليوناني

٢ – في الميمر القبطي صفحة ١١ ان اليهود « اقاموا على ذلك الحال مستمرين ، يردم التراب على المقبرة الطاهرة والجلجلة مايتي وثلاثون سنة الى ان ملا التراب على اسوار المدينه وسمي ذلك المكان ولم يعرف ولا صار احداً يعلم خبره » . وهو يصل ذكر خراب اورشليم وينتقل بعد ذلك الى الكلام عن رؤيا قسطنطين

٣ – الارجح ان اصلها « وكل »

٤ – هياكل الاصنام كما سترى

٥ – في ح ٣٧ : « وان اليهود »

٦ – في ح ٣٨ يزيد : « ويعطا للهيكل قربان »

كتابه يُكتب[1] . يا لهذه القوة والفخر[2] الذي النصارى المومنين لانهم ليس يصنعون شي من امور العالم الا بالصليب . ولا يصنعوا مذبح الا بالصليب[3] . ولا يسيم[4] كاهن الا بالصليب . ولا يعمدوا الا بالصليب . والذي يكون له الصليب ومعه . فان له عون عظيم . الصليب هو يلجم صغر النفس ويبطل الغضب الذي يجلب السخط . الصليب هو على موايد المومنين ويبارك طعامهم . وهو في ولايمهم[5] .

٥ – الملوك اعداء الصليب – وهو يهلك الغير مومنين الذين هم اعدايه . كما اهلك ديوقلتيانوس[6] وجعله اعما بعينيه[7] . لانه لم يجعله له معيناً . بل عدواً مبيناً . واتصل مثل مكسيانوس[8] الذي فتن وهو في الحياه وتعطل لسانه في فيه . لانه كان افترى على الصليب . وايضا اهلك يوليانوس الكافر[9] المنافق . لانه لم

١ – تركيب يوناني . وفي ح : « تكتب » ونظنه يعني الكتابات الرسمية . كل هذه الاوصاف لا تنطبق الا على بلاد مسيحية وتدل على ان الميمر وُضع قبل ان يحتل الاسلام اورشليم كما سبق القول

٢ – هكذا وردت بضمة على الفاء

٣ – يعني تكريس المذبح ، وفي ح ٣٩ يزيد : « ولا يكرز اسقف الا بالصليب ولا يكرس الا بالصليب ولا يرسموا الا بالصليب »

٤ – نرجح ان اصلها « يسيمون »

٥ – وفي ح هذه الزيادة : « ومع الذين يشربون الخمر بسكر وفرح . وهو يهلك الكبرين بغضب عظيم » ونرجح انها دخيلة . وسنرى ان النص الحالي يبتعد عن نصنا بزيادات لا مبرر لها

٦ – تكتب بالتاء اليونانية واللاتينية وتلفظ « ديوكلتيانوس » ملك سنة ٢٨٤ وفي سنة ٣٠٣ اعلن الاضطهاد العام على المسيحيين . وكان في سنة ٢٩٢ قد ترك المملكة مع قيصر كلوروس والد قسطنطين . فتنزل في سنة ٣٠٥ نهائياً عن الامبراطورية

٧ – لم نكن نعلم انه فقد البصر في آخر حياته . وفي ح . « اعمى عينيه »

٨ – مكسيانوس هرقل شاطر ديوقلتيانوس الملك سنة ٢٨٦ . تبنى قسطنطيوس كلوروس . وتنزل مثل ديوقلتيانوس سنة ٣٠٥ . ولعله يقصد مكسيميانوس دازا الذي مات سنة ٣٠٥ وذبح فيلقاً مسيحياً في غاليا وانكسر في طرسوس في حزيران سنة ٣١٣ فانتحر . وفي كل نعلم انه اصيب في لسانه وجسمه بمرض البرص او السرطان . راجع كبرول ١٣ : ٦٣٦ حاشية ٢٥

٩ – ابن اخت قسطنطين ملك سنة ٣٦١ وقُتل في حرب الفرس سنة ٣٦٣ . حدد

يتبعه وخلاه خلفه . وذلك المنافق الكافر صار قرن الهلاك امام الرجال. ورذل الانبيا الاطهار . وكان يتلوهم[1] دفوع كثيره . ويعترف فيهم الذي لا يجب فتحه فيه ولسانه المقطوع[2] . ويقول اني قراتهم وفهمتهم . بالحقيقه [٢٢٧] يا احباي انه لم يقراهم ولم يفهمهم . ولو انه عرف معناهم وجسد فخر النصارى فلم يكون يموت موت شرير . لانه صار عدوّ الصليب . في حياته . فلاجل هذا الما الذي كانت الخنازير تشبع منه . مات ذلك المنافق . وهو عطشان منه[3] . وشرب من بول الخيل ومن بوله هو ايضا . ولم يكن جسده يستحق ان يُجعل في قبر كمثل انسان فقير ولا كفن لجسده من اجل انه صار عدوًا للصليب[4] .

٦ – التشبه بالصلوب – فمن اجل هذا يا احباي لا نعود نصنع كاعمال اوليك. ولا نكون اعدا للصليب . لا[5] يلحقنا الذي صاب اليهود الذي اتفقوا على عود الصليب ليخفره . هم ذبحوا بنيهم وبناتهم[6] . واكلوا لحومهم من اجل الجوع العظيم الذي جلبه عليهم السيد المسيح[7] من اجل المكيده التي صنعوا به لما صلبوه . وايضا ارادوا يخفوا خشبة الصليب المقدس كما قد عرّفنا يوسف وبرنباوس العبرانيين في اقاويلهم[8] من اجل ما اصاب اليهود . وعمد

الاضطهاد على المسيحيين وحاول اعادة الوثنية الى عزها الاول وتنظيمها على نظام الكهنة . انتصار صاحب المبشر على هؤلاء الملوك الاربعة وتأثره من اضطهاد يوليانس ومصرعه حتى انه كان معاصرًا لهم كما اسلفنا القول

١ – اي يطالعهم وقد قرأناها سابقًا « يتلوهم » . وكان يوليانس يطالع الكتب المقدسة لينقض بها الدين المسيحي

٢ – في ح : « ويعترف في الذي يجب فتحه ولسانه المقطوع » والجملة مضطربة في كلتا النسختين ولعله يقصد ان يوليانس لم يكن يستحق ان يتلفظ بالآيات المقدسة التي كان يقرأها

٣ – تركيب يوناني خاص

٤ – بعض هذه التفاصيل عن مصرع يوليانس لم يكن معروفًا

٥ – في ح ، ب : « لئلا » وهو الصحيح

٦ – في ح : « هم ذبحوا بنيهم وحديهم ... » ونظنه يريد « وحيديهم »

٧ – وفي ح : « الذي جلبه عليهم الاد الحق يسوع المسيح ربنا » ونرجح ان ... اصح

٨ – وفي ح : « في بدو اقاويله » ويظهر ان القديس كيرلس يشير الى حكاية مكتوبة

الله[1] يا احبائي ان نكون غير مومنين بالمسيح وبصليبه المقدس. ليلا تاتي علينا هولاي الشرور كلهم . لان عظيمه هي قوة الصليب [٢٢٨]

وانا اجترى واقول لكم من اجل آدم ابو البشر وبنيه . خلقهم الله شبهه ومثاله[2] . فان كان ادم شبه الله ومثاله كما هو مكتوب. اعلموا انتم ايضا. ان الله الوحيد هو صليباً كله لما بسط يديه على عود الصليب وعاد مثالاً واحد معه[3] حتى خلصنا من خطايانا نحن الذين امنا به. ونحن ايضا نتشبه به . اذا وقفنا نصلي . نبسط ايدينا مثله[4] . وايضا نتشبه بابائنا الارثوذكسيين تنيّحوا وهم يمجدوا الصليب المقدس[5] .

٧ ــ رؤيا الصليب

١ – قسطنطين – وانا ايضا اشرح لكم هذا الفضل العظيم جدا والمجد الذي وهبه الله لنا على يدي الملك قوسطنطينوس الملك المنصور[6] . هذا كان من اصل جيد محباً لله جدا . ومن اجل هذا مجده المسيح بصليبه المقدس ونجاه وسلّمه في جميع الاماكن من جميع الحروب الى يوم موته. هذا الذي زيّن البيع

ومنسوبة الى يوسف وبرنابا كانت مشهورة في عهده. وقد كتب اسم الثاني خطاه، وكان سابقاً كتبه برنباس كما رأيت وكلا الشكلين مأخوذ عن اليونانية

١ – في ح: « وماذ الله ان يكون هذا »

٢ – وفي ح: « من اجل آدم ابو البشر وبنيه نحن. وهذا حاله ان كشبهه ومثاله »

٣ – اي ان السيد المسيح لما بسط يديه على الصليب اصبح شكله شكل صليب . فالصليب مثال المسيح كما ان ادم مثال الله

٤ – ما زال المسيحيون ، في الشرق يبسطون ايديهم للصلاة . وفي آخر صلاة الماء قبل الرقاد يتلو الرهبان اللبنانيون مزمور « ارحمني يا الله » باسطين ايديهم كالصليب حتى ينتهوا منه

٥ – وفي ح: « الوحيد » ولا حاجة لهذه الزيادة

٦ – نرى القديس كيرلس يسرد في هذا المبسر اعاجيب الصليب : تحلية الماء في جب حقل يندوم . شفاء اكلاوبا واقامة ابنه من الموت . اهلاك اعداء الصليب اي اليهود وديوقليانوس ومكسيميانوس ويوليانوس . رؤيا قسطنطين نجمه . العجائب التي ظهرت بعد اكتشاف الصليب منها ظهور صليب لامع في السماء. فكل هذه الاخبار لا تخرج بعد داعا عن الموضوع وان طال في شرح بعضها فتجاوزه. وكلها تتعلق بالآية الاولى : «ملك الرب . . . »

بكل زينه رفيعه فاخره . وجعل رجاه في الاله يسوع المسيح وصليبه المقدس . وكان ملتجي اليه بامانه قويه . واغلق ابواب البرابي موضع عبادة الاوثان . ووهب للكنايس والابا الاساقفة الارثوذكسيين مجد عظيم في [٢٢٩] جميع الاماكن الذي تحت حوطته[1] . واخفا اعدايهم[2] وتعالى عليهم اعني الملك قسطنطين . هذا الذي مجد الصليب المقدس . وهذا قسطنطين لم يكن يعرف الصليب من البدى من كثرة عبادة الاوثان . الذي كانت مبسوطه على كل مكان من الملوك الكفار ديوقليتيانوس[3] ومكسيميانوس واما هذا الملك قوسطنطينوس فكانا ابايه نصارى بارين[4] . وعاد هذا ايضا على جاري عادته . وكان كمثل مصباح يضي على الذين على الارض كلها . وكان كل احد يتمنّا ان ينظره من اجل حسنه وجماله وسجاعته . وكان متباعد من كل عبادة الاوثان . ولهذا احبه ديوقليديانوس واقامه على كل ما له[5] . وعلى النبي والامر . لانه كان ذو حسن وصورة ملاك . وكان من جنس الملوك الذي للروم الاولين[6] . وكان سجيعا جدا في الحروب حتى ان كل حرب يمضي اليه يخضعهم الرب قدامه لانه كان يحبّه .

٢ – حرب الفرس – فبينما هو ذات يوماً[7] من الايام في الحرب يقاتل الفُرس في

١ – كل هذا مطابق لما نعرفه من التاريخ

٢ – لعل الاصل « أخزى » . وهو يشير هنا الى انتصار قسطنطين على مكسنس عاهل رومية سنة ٣١٢ وانتصاره في ١٨ ايلول سنة ٣٢٤ على صهره ليسينيوس الذي جدد الاضطهاد على المسيحيين . وهذا يوافق كلامه في رسالته الى سكاريوس اسقف اورشليم ان اداة الآلام ظهرت على اثر تخلص المسيحيين من عدوهم الاكبر

٣ – ربي قسطنطين في جيش ديوقليتيانوس وجالبريوس . وكان الاضطهاد على المسيحيين عاماً كل الامبراطورية

٤ – كان والده قسطنس كلوروس مبتعداً عن عبادة الاوثان ويعبد « الاله الواحد » ويظهر عطفاً كبيراً على المسيحيين خلافاً للامبراطرة زملائه

٥ – يعني هنا ان ديوقليتيانوس احبه لاجل حسنه وشجاعته وليس لاجل تباعده عن عبادة الاوثان لان ديوقليتيانوس كان وثنياً مضطهداً الكنيسة

٦ – كان والده من اسرة رومانية عريقة في النسب . كابرول ٣ : ٢٦٢٢

٧ – جاءت على هذا الخطأ في كلتا النسختين

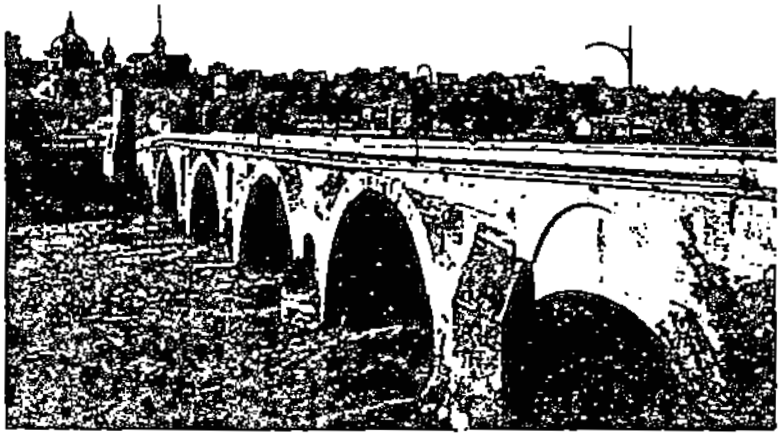

الرسم ١ – جسر ميلفيوس ، شرقي رومية ، حيث انتصر قسطنطين على مكسنس

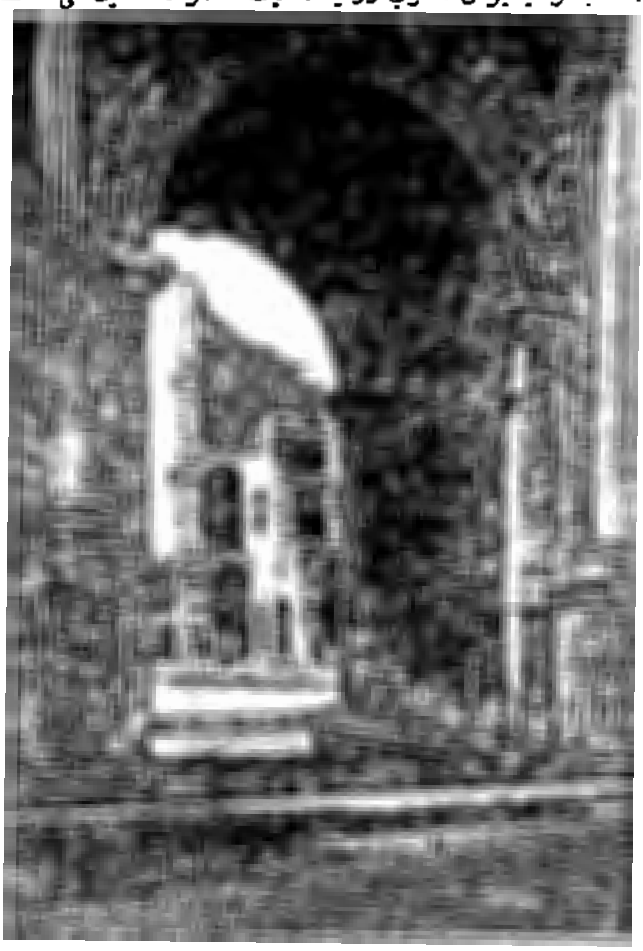

الرسم ٢ – قوس النصر الذي اقامه الرومانيون تذكارًا لنصرة قسطنطين . وترى من خلال القوس قسمًا من المسرح «كلوسيوم» حيث كان المسيحيون يُطرحون للوحوش

ايام صباه في موضع يقال له قلرامح[1]. وكانوا حشدوا حشودًا كثيرًا جدا . الفرس اكثر من الروم[2]. لانهم كانوا اعطوا الاجره لسبعة امم حتى جاو[3] [٢٣٠] معهم لينصروهم[4] . وكانوا يقولوا انا ناخذ جميع كورة الرومانيه ونجعلهم لنا عبيدًا . وانهم صنعوا لهم الة لحفر المغاير والسراديب ليعبروا فيها في غد ذلك اليوم . وكانوا يقولوا اننا نقتل قسطنطين هذا الذي اخرب كورتنا كلها . ونمضي الى انطاكية وناخذ الملك وماله الى الاسر . وان قسطنطين فكر في نفسه . وقال من الذي يستطيع ان يحارب هذا الجمع الكبير . وللوقت قام وارسل الى الفرس وقال لهم . ليس نحارب بعضنا بعض . حتى نعرض بعضنا بعض مع شعبنا[5] . وان كان لنا استطاعه للحرب معكم . والّا اخلينا لكم كورتنا . ونمضي نحن . ولما سمعوا الفرس هذا الكلام فرحوا . وظنوا ان قسطنطين ذلّ وفزع منهم .

٣ – الرؤيا – وبينما هو نايم الملك قسطنطين ذات ليله وقلبه حزين وعيناه مفتوحتان وهو ينظر الى السما متفكر من حزنه . فتباعد عنه النوم . وبقي مستيقظ يتفكر . فبين ما هو كذلك . نظر الى السما فرآا صليب نور[6] . وكتابه

---

١ – هكذا هنا . ولعلها تل رامح . وقد اشبعنا الكلام في المقدمة عن هذا الحادث وظروفه . ولعله وقع لقسطنطين وهو يحارب في الشرق قبل تبوئه العرش لانه صحب ديوقليانوس في حرب فارسيين سنة ٣٠٣ . وفي الاساطير السريانية ان البرابرة احتشدوا على نهر الدانوب ٥٥ نحصه . فاصلحها الاب بدحان في مجموعته اتخذ مصه اي نهر التيبر في رومية . اما الاسطورة اللاتينية القديمة الواردة في نسخة مخطوطات مكتبة باريس رقم ٢٧٦١ واتفقت الاساطير السريانية بقولها « في السنة السادسة للملك قسطنطين اجتمع البرابرة على نهر الدانوب » راجعها في مجموعة A. Holdar, *Inventio Sanctæ Crucis*, Lipsiæ, 1889

٢ – اي الرومان

٣ – وفي ح : ٣٠٤ « حاو »

٤ – وفي ح : « ليضدوهم »

٥ – وفي ح : « ليس نحاربكم حتى نعرض بعضنا ببعض مع شعبنا »

٦ – فالرؤيا لم تحصل اذًا في الحلم ولا امام الجيش كله، كما جاء في اوسابيوس، بل شاهدها قسطنطين وهو ممتد على فراشه يتفرس في السماء . والمسبر القبطي يوافق هذا بقوله صفحة ١١ « وبات ليلته بكد عظيم ولم ينام عجله . فلما كان كذالك تفرس في السماء وكواكبها ونجومها . فاظهر له الله علامة الصليب في جو السماء . بنجوم زاهرة نيرة مضيئة اكثر من ذو

حوله . هكذا على هذا المثال[1] . قوسطنطين بهذه [٢٣١] العلامه تغلب جميع اعداك[2] . فاطلب الى الاه ابايك فانك تجده[3] . فلما قام باكر تعجب وقال ترى لمن هذه العلامه . ولمن من الالهه تكون . وانه امر ان يدعوا له الكهنه وخبرا[4] مملكته . وقال لهم من اجل الرويا والعلامه . الذي ابصرها واستخبر منهم . لمن هي من الالهه . فقال بعضهم انها لهقلاداريون[5] القوي صاحب الغلبه في الحرب . لانه ظهر لك ليعطيك الغلبه . ولهذا يجب ان ترفع له القرابين . وقال بعضهم انها لهرقليس[6] ويجب ان ترفع لهم القرابين لانهما يريدوا ان يعطوك الغلبه في الحرب . ولم يدري قسطنطين ماذا يصنع . لانه كان نصراني ابن نصراني[7] . ولم يكن يعرف كيف علامة الصليب . لانه لم كان في ذلك الزمان كنيسه مبنيه . ولا صليب ظاهر . ولم يكن قسطنطين هذا ولد الا في زمان هدم الكنايس . الزمان الذي كان فيه على النصارى الضنك والطرد[8] .

النجوم » . وفي ح ٦٣ : « عيناه شاخصات الى السماء » . وفي س ١١ : « رأى الملك في نصف الليل ملاكاً من نور حاملاً صليباً من نور وعليه كتابة » فروايـة ميسرنا تختلف عن الميمر القبطي في ما يختص بشكل الصليب وعن الاساطير في شكل الرؤيا

١ – وفي ح ٦٦ يزيد : « وصوتاً قايلاً له »

٢ – لا ذكر للكتابة في ق ١٣ بل ان اوسيبيوس الشيخ هو الذي قال لقسطنطين : « بهذه الاشارة تغلب اعداك » . وفي ح : « تغلب جميع الامم »

٣ – وفي ح فقرة دخيلة هذا نصها « فلما سمع هذا القول قال في نفسه ان هذا الصليب لامر عظيم وقال ليس هذا الصليب في السما الا مثاله على الارض . فلرقته صاح على امه الملكه هلانه وقال لما نظرت شيء عظيم قد اذهلني وتزعني . عند ذلك قالت امه هلانه الملكه وما هو الذي ابصرت . فقال لها ابصرت علامة الصليب في السما . فلما قام باكر نهار وقال . . . »

٤ – « خبرا » موضع نقطة تحت الحاء . تترجم وتميزها عن كبراء

٥ – [illegible] . قلنا ان اريوس اله الحرب عند اليونان ، والدال للاضافة . اما [illegible] فهي نعرف لها اصلاً ولا معنى

٦ – « هرقلس » هو بلا شك هركولوس البطل او هرقل وقدورد هنا على صيغته اليونانية

٧ – وفي ح ٦٥ : « ابن نصرانية » اشارة الى والدته التي على ما يقال لم تقتنع الا بعد اهتداء ابنها . انما سبق القول ان والده كان يعبد « الاله الواحد » ولا يبعد ان تكون زوجته مشاركة له في عقيدته هذه . ولا ننسى ان العادة كان يعطى عادة في سن الشبوبية

٨ – وفي ح ٦٥ : « ولم يكن قوسطنطين هذا ولد الا في زمان هدم الكنايس والضنك

٤ – النصر – وبينما هو مفكرًا في ذلك اقترب اليه واحدًا[1] من الغلمان وكان سجيع [٢٣٢] محب لله[2] . اسمه اوسيكينوس[3] . وكان قوي الايمان دَيِّن . ولم يقدر يظهر ذلك . لانه كان زمان الطرد[4] . وهذا اقترب الى قسطنطين في السر وقال له . يا سيدي اسمع قول عبدك . هذا المثال الذي رايته في السما . هو علا[مة] صليب السيد المسيح الذي صلبوه اليهود عليه[5] . وليس هو لاحد من الهة ديوقليتيانس الملك . فلما قسطنطين هذا القول الذي قاله اوسيكينوس . اجاب وقال . ان انا نلت الغلبة بهذا المثال الذي رايته . فانا اومن انه الاه اباياي[6]

وللوقت احضر رمحه الجيد وجعل عليه صليب ذهب وجعله قدامه[7] . وللوقت

والطرد على جميع النصارى . وهذا كان «ومن بالمسيح في خفية هو ووالدته .» وهذه الجملة بلا شك دخيلة لانها تناقض ما قبلها مثل اكثر الفقر الزائدة في هذا النص

١ – جاءت على هذا الغلط في كلتا النسختين

٢ – وفي ح : « محب للمسيح» ولعله اصح

٣ – [illegible] بنقطة فوق الكاف لمنع الترخيم ولعله اوسيبيوس . وفي ق ١٣ «اوسيفوس البندي الشيخ » . وفي س ١٢ ان قسطنطين علم من احبار النصارى ان هذه العلامة للمسيح فاستدعى اوسيبيوس اسقف رومية وتلقى منه مبادئ النصرانية واعتمد منه . وارفده مع والدته لنبحث عن خشبة الصليب . وفي ق انه اعتمد من سيبطروس بابا رومية وهو البابا سلفستروس خلف اوسيبيوس . راجع في علاقة قسطنطين بالبابا سلفستروس معجم كابرول ٣ : ٢٦٨٢ وما يليه .

٤ – الاضطهاد الذي اعلنه ديوقليانوس على المسيحيين سنة ٣٠٣ والغاه قسطنطين سنة ٣١٣

٥ – هذه الجملة ساقطة في ح ٤٦

٦ – وفي ح : «ان نلت الغلبة بهذا المثال الذي رايته فانا اومن به انه الاه اباياي» وهذا اصح

٧ – وفي ح : هذه الفقرة الزائدة «ولما تم الميعاد الذي افرضه قسطنطين به وبين الفرس . عدّوا البحر ليقاتلوه . فاعطاه الرب العز والنصرة في ذلك اليوم وانهزموا كل جموع الفرس .» ونظن ان صاحب هذه الفقرة الدخيلة مصري لانه يسمي النهر بحرًا والمصريون يسمون النهر بحرًا واحيانًا البحر الاعظم تمييزًا له عن فروعه التي يدعون الواحد منها بحرًا . وهذا يدل على ان الناسخ او الذين املوا عليه اعتمدوا في بعض الفقرات الدخيلة على نسخ غير التي نقلوا عنها . وفي ق ١٤ : « بعد ان آمن قسطنطين بالسيد المسيح فرحت به والدته وامر ان يعمل مثال الصليب من ذهب ويُرفع على علم . ونقش ايضًا مثال الصليب على رأسه في تاجه وامر ان ينقش على آلة الحرب وعلى جميع العسكر »

انهزموا كل عساكر الفرس والذين معهم. ورأوا هاربين حتى انهم لم يجتمع منهم اثنين في طريق واحده. ولم يزل القتل فيهم الى ديارهم. ورأوا قوسطنطين بعينيه في الجو. جمعٌ كثير وسيوفهم مساوله في يديهم. وهم يقاتلوا الفرس[1]. فلما نال الغلبه بالصليب. رجع الى داخل المدينه. وجميع حاشيته وغلمانه ولم يعلم واحد منهم[2]. وهذا الذي كان كما [٢٣٣] عرفونا الابا المعلمين وكتبوهم لنا من البدى[3].

٥ – فوز الكنيسة – وان الله الذي يقيم الملوك في المملكه. وهو الذي يقتلهم منها. اهلك ديوقليتيانوس واعما عينيه من اجل عبادته للاوثان. ونزع المملكه منه. وبارادة الله اتفقوا شعب روميه وانطاكيه[4] واكابرهم واخذا قوسطنطينوس واجلسوه على كرسي روميه. وجعلوا على راسه اكليل المملكه والتاج. ورفعوا اليه عطاياهم الهدايا وكانوا يمجدوا الله من اجل رحمته وحلمه ومحبته للبشر[5].

والوقت اطلق جميع الذين في الحبوس[6] وكل مكان ووهب سلامه كثيره للكنيسه[7]. وكتب رساله الى جميع الاساقفه الارثوذوكسيين بكلما كان لكي يصلّوا عنه وعن مملكته[8]. ويكون الله له ساترًا ومعينًا. وكانت سلامه

١ – لعل هذا اصل ما جاء في اوسابيوس عن رؤيا الصليب التي ظهرت عند غروب الشمس لقسطنطين ولكل الجيش والتي خلطها المؤرخ مع الحلم. اما في ميمرنا فلا تناقض بين الحلم والرؤيا وقد اختص قسطنطين بكليهما. وفي ح: «وهم يقتلوا الفرس» ونحنا اصح

٢ – وفي ح: «ولم يتلم واحد منهم» اي لم يُقتل. ولعل قصده لم يُعلم احدًا بالرؤيا

٣ – وفي ح ٤٧: «كما عرفنا المعلمين الكتاب العبرانيين وكتبوهم لنا من البدى» ولعله يشير الى مذكرة كتبها يوسف الراعي ونيقوديموس او كتبها احد المؤرخين عنهما

٤ – في ب شطب على اسم روميه وابدله بانطاكية ثم اعاده الى اصله ظهر مشطوبًا

٥ – خلف قسطنطين اباه في سنة ٣٠٦ على حكم غاليا وبريطانيا ودخل روميه بعد انتصاره على مكسنس عاهلها في ٢٩ تشرين الاول سنة ٣١٢ كما سبق القول فخرج الشيوخ لاستقباله وقدموا له تمثاله مصوغًا بالذهب وترسًا واكليلًا. راجع معجم كابرول ٣: ٢٦٢٧

٦ – من المسيحيين

٧ – كان قسطنطين اصدر في سنة ٣١١ امرًا بحرية الاديان. وبعد استيلائه على ايطاليا سنة ٣١٢ اصدر امرًا آخر باعادة مسلوبات المسيحيين. وفي شهر شباط سنة ٣١٣ اتفق مع صهره ليشينيوس على الغاء الاضطهاد في الامبراطورية كلها وهو الامر المعروف «بمنشور ميلان» Édit de Milan. راجع كابرول ٣: ٢٦٢٨ و٢٦٦٥ و٢٦٧٢

٨ – لا نعرف الى اي رسالة يشير صاحب المبر

عظيمة ونعمة تحيطه به من كل ناحية[1] . واعطا الله للكنايس على ايامه خيرات عظيمة . وجميع المومنين امرهم ان يثبتوا كنايس المجد على زمان مملكته . وولد له ابناً . ودعي اسمه قسطنطين على اسمه[2] ومن بعد [٣٢٤] هذا ولد له ولداً اخر اسمه قوسطنطين[3] . ولما كبروا قليل جعل اكليل المملكة والتاج عليهم[4] .

وسمع قوسطنطين الملك بان الناس يعبدون الاوثان في اماكن كثيرة . فارسل امره الى كل مدينة بان يغلقوا ابواب البرابي . ويأخذوا مفاتيحها ويعطوهم لقوامة الكنايس بكل مكان . وانهم وجدوا في البرابي اموال عظيمة . فارسلوهم[5] لبنيان الكنايس بكل مكان كما امر الملك[6] .

٨ — البحث عن الصليب

١ — سؤال اليهود — وللوقت قام قوسطنطينوس الملك بسرعة[7] . واخذ معه

---

١ — توفق كثيراً في ملكه واقتدر على كل نواحيه واعدائه واصبح امبراطور الشرق والغرب . راجع ترجمة لاوسابيوس معاصره في مجموعة الاباء اليونان للاب مين مج ٢٠ ولتاودوريطوس مج ٨٢ ولسقراط مج ٦٧ راجع مختصرها في معجم كابرول ٣ : ٢٦٢٤–٢٦٢٤

٢ — كان يُدعى قسطنطين الصغير او قسطنطين الثاني . رفعه الى مقام القياصرة سنة ٣١٧ مع ابنه الاكبر كريسبوس المولود له من خليلته مينرفينا قبل زواجه الشرعي من فاوستا . كابرول ٣ : ٢٦٢٩

٣ — قسطنت الاول ولد سنة ٣٢٠ كابرول ٣ : ٢٦٣٠ وله ولد آخر باسم قسطنس الثاني رقاه الى مصاف القياصرة سنة ٣٣٦ كابرول ٣ : ٢٦٣١

٤ — في ١٧ ايلول سنة ٣١٠ قسم قسطنطين الملك بين اولاده واولاد اخته . فاقطع قسطنطين الثاني غالية وبريطانيا واسبانيا . وقسطنس الاول ايطاليا وافريقيا وبلاد اليونان وقسطنس الثاني بلاد الشرق اعني اسيا وسوريا ومصر . كابرول ٣ : ٢٦٣٤

٥ — الهاء والميم مكشوفتان فاخذناهما عن ح .

٦ — نفذ هذا الامر تدريجاً . وفي سنة ٣٣١ اقفل في لبنان معبدي الزهرة في بعلبك وفي افقا جنوب الناقورة ، كما سبق القول . وفي هذه السنة بنى في الشرق كنائس عديدة منها كنيسة انطاكية . كابرول ٣ : ٢٦٣٣

٧ — وفي ح ٤٨ فقرة طويلة دخيلة اليك نصها : « وللوقت قام قسطنطين الملك بسرعة

والدته وزوجته[1] واخته العذرى واوالي عظيمة وغلمان كثير وعبيد . واساقفه قديسين . ودخل الى اورشليم . وهم ... . وامر بان ياتوا اليه بعظما اليهود . وطلب منهم قايل . انا اريد ان تعرّفوني موضع خشبه الصليب الذي رفع عليها يسوع[2] وموضع القبر الذي وضع جسده فيه . حتى ابني له موضع كاستحقاقه [في] مملكتي[3] . فقالوا له اليهود يا سيدنا الملك . هوذا زمان كثير من حيث صُلب يسوع . والآن اكثر من ستة اجيال لهذا الامر . من حين اخرب اسفسيانوس الملك هذه المدينه[٢٣٥] واحرقها بالنار . وقتل ابانا . واسر الذين بقوا منهم[4] . لانهم لم يبقا منهم الا قليل . فارسلهم الى ارض مصر . وهوذا نحن البقيه عبيدًا لملك الروم الى الان . فقال لهم الملك قسطنطين اذ لم تعرفوني موضع صُلب فيه الرب والا الكم[5] عقوبةً عظيمه . وتعرّفوني ايضا موضع خشبة الصليب . وموضعَ ترك جسد الرب فيه .

٢ – علماء الناموس : فاجابوه اليهود قايلين يا سيّدنا الملك . اطلب الذين يعرفون الناموس ويفهموه والروسا الذين فيهم . وهم يعرّفوك الذي تطلبه .

وقال لامه ماذا نصنع في امر الصليب امضي انا اطلبه في اورشليم في موضع صُلب المسيح . وان الصليب يخلصنا من جميع الشدايد . وانا عارف انه يخلص الكنيسه وكل اولادها من الشيطان وجميع حباله . وانا ناظر الى هذا الصليب الذي انا طالبه فهو يحب لي القوه على كل اعدائي . وسارك الذي صُلب على [٦٦] هذا الصليب . فلما سمعت ام قسطنطين الملك ارسلت منادي ينادي في كل مدينة رومية . ويقول يا معاشر المؤمنين كل من يخرج ويمضي مع الملك وامه هلانه الى اورشليم في طلب الصليب المعظم . فلما تنادا اجتمع الى الملكه هلانه خلايقًا عظيمه في طلب الصليب المقدس . فلما طلبوا السير الى بيت المقدس امر الملك ان يأخذوا اخته العذرى وزوجته . . . »

١ – فاوستا Fausta تزوجها سنة ٣٠٦ . وشنت باسه كريسبوس فقتله . ولما علم بعراءته قتلها سنة ٣٢٦ . كابرول ٣ : ٢٦٢٢

٢ – وفي ح زيادة « والخرقة والاكليل والشوك والاكفان الذي كانت عليه »

٣ – سقطت في ت ، وفي ح : « لمملكتي »

٤ – لعله يعني بالجيل عمر الانسان . وفي س : « اكثر من مايتي سنة مضت على هذا وعن صارًا »

٥ – في ح : « ... فان لكم »

لان فينا قوم ليس يعرفون هذه المدينه . كيف يعرفون الذي يطلبه الملك فقال عرفوني . من هم عُلما الناموس . وانا اطلقكم تمضوا الى منازلكم بسلام . وانهم جابوا اليه سبعه رجال قايلين هولاي هم الذين يعرفون الناموس جيد . وهم الروسا[1] . وهذه اسمايهم . يهوذا . بنيامين . افيصا . ادوث . يسوا[2] . شالوم[3] . يصون[4] . فاجاب وقال لهم ان اردتم ان تحيون بحياه هذه الدنيا والاخره ايضا . فقوموا بسرعه واوروني موضع خشبة[5] صليب سيدي يسوع المسيح . والقبر الذي وضع جسده فيه . [٢٣٦] وان لم تعرّفوني . فاني اهلك اجسادكم بعقوبة شديده وارواحكم يحرقها الرب بنارٍ لا تطفا . فاجابه واحد منهم اسمه بنيامين . وقال يعيش سيّدى الملك . امرني اشرح لك الذي انا اعرفه . اما هذه المدينه فانها اخربت ثلاث دفوع من ملوك الروم[6] . وبعض ابي قتلوهم . وبعض منهم مضوا الى الاسر الى ارض مصر . وهم هناك الى الان ولم يعودوا الى منازلهم دفعةً اخرى . وان كان بقي من جنسنا بقيه فهوذا هم في هذه المدينه . ونحن تحت رقّ العبوديه لملوك الروم . ونعطيهم الخراج . وليس نتفرّغ لمعرفة هذا الاشيا كلها . والبحث عنها . بل نحن نعيش على سنّة ابانا . وهذا الامر الذي يطلبه الملك ليس نعرفه .

٣ – يهوذا – فلما سمع الملك قوسطنطين ذلك القول . امر ان يطرحوا في

---

١ – وفي س ان الملكة هيلانه هي التي افتتحت التحقيق مع اليهود فاختاروا الذ من علمائهم . فقرعتهم على قلة ايامهم وطلبت منهم ان يدلوها على مكان الصليب فاختاروا منهم ثلاثين . والاختلاف بين الاساطير وميمرنا دليل على انه غير مأخوذ عنها

٢ – اي يسوع لاحظ كتابة الاسم خلوًا من الدين . وهو دليل على الترجمة عن اليونانية التي ينقصها هذا الحرف

٣ – في ح ٥١ ܫܠܡܘܢ وقد كتبها ب اولًا مثله ثم وضع الالف مكان الواو . وهو من دلائل نسخ الاثنين عن اصل واحد

٤ – تفرد ميمرنا بذكر اسماء هولاء العلماء السبعة

٥ – في ح : « فقوموا بسرعه واوروني خشبة » ونسنا اصح

٦ – اخربها تيتوس سنة ٦٨ ق . ب من المكابيين . وخربها طيطوس في عهد والده اسبانوس سنة ٧٠م . ثم جاء ادريانوس سنة ١٣١ فمحا آثارها

جبّ ليس فيه ماء . ولا يعطوا خبز . ولا ما حتى يموتون . ففعل فيهم كذلك . ولما كان بعد سبعة ايام وهم اسفل الجب صرخوا قايلين . ليامر سيدنا الملك بطلوعنا الى فوق ونحن نعرفه بكل ما يطلبه . فامر ان يطلعوهم الى فوق[1] . اجاب واحد منهم اسمه يهوذا .[٢٣٧] وقال ليامر الملك يعطوني الما حتى اشرب . وانا اعرفك كلما تطلب[2] . فعند ذلك امر الملك بان ياتوا بخبز وما . فاطعموهم واسقوهم . فلما تقوّا قلب يهوذا بالاكل صرخ قايلًا . يا سيدي الملك المحب لله وللناس . داوود ابينا يقول بالروح الذي سمعنا عرّفناهم الذي قالوا لنا ابابنا ان[3] لم تخفي عن ابناهم الى جيل بعد جيل[4] . قال ابي سمعان ان ابي يهوذا حدّثني[5] . ان في الزمان الذي صُلب فيه يسوع لما عرفوا اليهود انه قام من بين الاموات اجتمعوا براي واحد . واعطوا فضه عظيمه للحراس قايلين لهم [قولوا][6] ان تلاميذه جاو ليلًا وسرقوه ونحن نيام ولم نعلم . فابابنا كذبوا على قيامة الرب من اجل عما قلوبهم . وبعد هذا ظهرت قوات عظيمه في مقبرة

---

١ – وفي ح ٥٢ هذه الزيادة : «فلما اطلعوهم فاذا هم قد تبرت احدهم من برودة ذلك البير لانه كان عميق جدا الى اسفل الارض» . ولا ضرورة لهذا الشرح

٢ – في س ان الملكة هيلانه لما ضايقت الماء العسانة امر اليهم يهوذا انه يعرف مكان الجلجلة فقدموه لها . ولما سألته الى ان يبوح بشيء فطرحته وحده في الجب . فانت ترى الفرق بين هذه الاساطير وميمرنا . اما المؤرخ القبطي فيقترب منه بقوله ان اليهود قدموا لقسطنطين سبعة من علمائهم اكبرهم يهوذا . وبعد ان انكروا معرفة مكان الجلجلة وطرحهم في الجب قدموا له يهوذا المذكور قايلين : هذا الشيخ اكبر سنا منا وعنده الكتب والتواريخ .

٣ – لعلي الاصل «انا»

٤ – وفي ح : «الذي سمعناهم عرفناهم . الذي قالوا لنا ابابنا لم يخفوا عن ابنايهم الى جيل آخر»

٥ – في س ١٥ : «حدثني والدي سمعان عن الكاهن زكي (الذي هو نيقوديموس ووالد اسطفانوس اول الشهدا) ان المسيح صُلب ظلمًا وان اسطفانوس رُجم بغير ذنب وجب» . وفي س : ١٤٦٦٦ من المتحف البريطاني : «سمعت ابي سمعان يقول نقلًا عن جدي زكي . . .» فالاساطير تسمي جد يهوذا «زكي» وميمرنا يسميه يهوذا

٦ – عن ح ٥٣ وقد سقطت في نسختنا

يسوع حتى انه اقام الموتى والمقعدين يمشون . واخرج الشياطين من الناس . فمن اجل هذه حسده اليهود ونادوا بهذا القول الذي فكروه . قايلين . كل اليهود الذي باورشليم وما حولها[1] اذا كنسوا تراب يجمعوه على مقبره يسوع . وكانوا يصنعوا هذا زمان طويل الى ان جا [٢٣٨] اسبسيانوس ملك الروم[2] . وقتل جنسنا[3] . ولم يزالوا يفعلوا هكذا حتى عاد تل عظيم .

٤ – الجلجلة – ولك الدليل عن هذا في اناجيل يسوع المسيح . يدل باي موضع جُعل فيه . وللوقت امر الملك بان ياتى له بالاناجيل . فقرا فيهم فلم يجد فيهم شي سوى انه يقول انهم مضو به الى موضع الجلجله الذي هو موضع الاقرانيون[4] . وصُلب هناك . والقبر ايضا الذي وضع جسده فيه هناك[5] . فاجاب الملك وقال ليهوذا عرّفني موضع الجلجله . وانا اطلق سراحك . فاجاب يهوذا وقال . ان رام سيدي الملك يتمنا ويجي معي فانا اوريه الجلجله الذي هي موضع الاقرانيون .

وللوقت قام الملك والمجيه لله والدتـه علانه . وجميع عظمايـه ومضى بهم الى الجلجله . وطلع بهم الى تـل عالي[6] على كل المدينه قـدر ماية

١ – وردت هكذا في كلتا النسختين ، وترجمتها « [illegible] حولها »

٢ – ملك من سنة ٦٩ حتى ٧٩

٣ – وفي ح : « قتل من جنسنا ناسا كثير »

٤ – قلنا اما كلمة يونانية [illegible] وردت في الاناجيل متى ويوحنا ومرقوس . ففي متى ٢٧ : ٣٣ « ولما اتوا الى مكان يسمى الجلجلة الذي هو موضع الجمجمة » . وفي مرقس ١٥ : ٢٢ « [illegible] موضع الجمجمة » وفي يوحنا ١٩ : ١٧ « فخرج وهو حامل صليبه الى الموضع [illegible] الجمجمة وبالعبرانية [illegible] الجلجلة » . فانت ترى ان المترجم السرياني ترك كلمة [illegible] على اصلها اليوناني وجاء المعرب فاضاف اليها ال التعريف مع اما [illegible] اليونانية

٥ – وفي ح [illegible] : هذه الزيادة « [illegible] » في الاناجيل فهي اذًا دخيلة كغيرها من الزيادات الحاصلة [illegible]

٦ – في ح [illegible] وكتب هكذا في [illegible] : [illegible] من حرف [illegible] ووضع مكانها [illegible] وهو من [illegible] عن اصل ، واحد كما قدمنا

ذراع[1]. يجي قدره عشرين فدان[2]. فقال يهوذا للملك هذه هي الجلجله على قدر امتك. وعلى قدر لساننا نحن العبرانيين كافانا[3]. وان قوسطنطين الملك لما راى ذلك التل العظيم وذلك الموضع القفر. تلف جدا. فلما راه يهوذا. وهو حزين القلب. اجاب وقال له [٢٣٩] لا يحزن سيدي الملك فان الاستطاعه لتاجك ان يكون الذي طلبته. ويتم ارادتك من اجل ان جنسنا هم الذي صنعوا هذه الشرور. ارسل الآن في مملكتك كلها. بان ياخذوا جميع اليهود[4]. وياتوا بهم الى ها هنا. هم وبهايمهم وجميع الة الحفر معهم[5]. لان ابايينا هم الذي ردموا. والابنا يرفعوا. فابايينا اكلوا الحصرم. واسنان اولادهم ضرسوا[6].

٥ - رفع الردم - وان هذا الراي وافق الملك وعظايه. وللوقت كتب الى جميع مملكته قايلًا. هكذا انا قسطنطين المرتبط[7] تحت رجلي سيدي يسوع المسيح. الاله العظيم الحقاني[8]. اكتب الى عُظما المدن بكل مكان وجميع بلادهم كل مدينه وقريه. يكون فيها عشره رجال الذي تحت سلطان مملكتي الى ان تاخذوا جميع اليهود السكان عندكم وترسلوهم[9] الى اورشليم. ومعهم

---

١ - هذا لا يعني ان الردم كان مئة ذراع بل ان التل كان يعلو على المدينة مئة ذراع.

٢ - قياس المساحة مستعمل في القطر المصري ولم يدخل الى لبنان الا بعد الاحتلال المصري سنة ١٨٣١ وهو [illegible] يعنون حتى الان بالفدان الثور. فوجودها في النص دليل على تعريبه في القطر المصري كما قلنا

٣ - عن السريانية كُفانا اعني المسحرة وتدعى ايضاً في العبرانية [illegible] ومنها جاءت كلمة جحفة العربية وgalgalim في اللغات الغربية. راجع معجم Vigouroux عند هذه الكلمة. ولاحظ ان كتابتها في العربية مخالف للفظها انما مطابق لكتابتها في السريانية. وهو من دلائل التعريب عن هذه اللغة كما مر ذلك

٤ - وفي ح ٥٥ : « [illegible] يقضوا على جميع اليهود فصب عليهم »

٥ - وفي ح [illegible] « [illegible] وايك وعارف » وهي دخيلة على الارجح

٦ - [illegible] ان الابا [illegible] يتحملون تبعة مساوئ ابائهم » ولعله دخيل هنا

٧ - وفي ح : « المرتفض والمحتقر » وهو خطأ

٨ - هذا التعبير موافق لعبارة وصيغة المنشور موافقة لعبارات الرسمية في ذلك العهد

٩ - وفي ح : « عساً وحكيماً » ولعلها دخيلة

بهايهم وجميع الة الحفر. ومن اخفا واحد منهم او ستر عليه اهلكته هو واهل بيته[1] من العقوبه . فلما اخذوا كتب الملك[2] . قبضوا على جميع اليهود بكل مكان . وارسلوهم الى اورشليم[3] . [٢٤٠] وجميع الة الحفر معهم . فجاوا من كل كوره الى اورشليم . وهم خلق كثير مثل نجوم السما[4] . وان قسطنطين الملك اقام عليهم وُكلا يكونوا ناظرين عليهم فيما يصنعوه . وترك في اورشليم من الغلمان الفين. ومن الروسا والمقدمين والولاة قوم اخر . ليحثوا اليهود كلهم على العمل في النهار والليل . حتى يكملوا ارادة الملك قسطنطين . وخلّف عند والدته اساقفة قديسين . وهم اثناسيوس رئيس اساقفة انطاكيه. وانبا يوسف رييس اساقفة اورشليم الذي هو الرابعشر الذي جلس في اورشليم من بعد التلاميذ في الختان[5] . وانا ايضا كيريلوس انا واحد منهم[6] لان المسيح الذي رحمني . ودخل[7] بي الى البيعة وبشرت باسمه المقدس.

٩ — العثور على الصليب

١ – ظهور القبر – وقام الملك المحب لله ومضى الى روميه . من اجل اهتمام المملكه . وان الملكه هلانه . دعت عظما اليهود وقالت لهم . كتلوا الذي

---

١ – وفي ح : « لا يأمن ما يجرا عليه هو واهل بيته »
٢ – في ح ٥٦ : « فلما نفذت كتب الملك »
٣ – وفي ح : « وارسلوهم الى الملك الى اورشليم »
٤ – نظن ان الامر كان مقتصرًا على فلسطين
٥ – راجع ما قلناه في المقدمة في هدى الاسقفين
٦ – اي احد اساقفة اورشليم وليس احد شاهدي الاكتشاف . لانه سُقف على اورشليم سنة ٣٤٨ كما قلنا . وهذا تصريح واضح انه صاحب الميمر .
٧ – لعل واو العطف هنا خطأ . الا اذا اراد القول « ان المسيح هو الذي رحمني ودخل بي » فسقطت كلمة « هو » في النسخ

اراد الملك وامره . لئلا تكونوا مستحقين الموت[1] . وكانوا الغلمان يحثوهم[2] النهار والليل لان [٢٤١] قول الملك كان قوي جداً[3] . وكانوا يريدوا ان يكملوا امره . وكان اوّل يوم بدو بالعمل فيه هوذا قد اعلمناه . وهو الثاني عشر من شهر ماردیوس[4] الذي هو برمهات[5] ولم يزالوا يعملوا فيه الى يوم الثالث عشر من شهر توت[6] فظهرت راس المقبره . فعرّفوا الملكه قايلين اننا قد وجدنا مقبرة المخلص . وللوقت قامت مسرعة والاساقفة معها . فجاوا لينظروا القبر . فلما راوه . خرّوا وسجدوا عليه[7] واذا بنور عظيم قد اشرق عليه كمثل البرق . واخذ يهوذا طوريه[8] وجا الى جانب الحايط من شرقي المقبره . ومعه جميع الاساقفه . فحفروا عند ذلك فوجدوا حجر عظيماً[9] . فدحرجوه . وللوقت ظهر فم القبر . وكان الوقت قد امسا ذلك اليوم . فمضوا ولم يدخلوا للغد . وكان هناك رقود في تلك الليلة جمع كثير من مومنين من الشعب وكانوا ينظروا النور يلمع كلهيب النار . الى ان اشرق نور الصباح[10] .

---

١ – انت ترى ان الملكة هيلانة كانت عن ابنها في الاشراف على رفع الردم وانه هو الذي فتح التحقيق وعمل العمل ، فليس لنا هنا الدور الاول كما في الاساطير السريانية

٢ – وفي ح ٥٧ يزيد : « ويحثونهم » ولا داع لهذه الزيادة

٣ – وفي ح : « لان قال الملك لا ترحموهم ابداً وكانوا يريدوا . . . »

٤ – اي شهر اذار عن اليونانية [illegible] وهو من آثار الاصل اليوناني

٥ – اسم الشهر عند الاقباط . وهو كما قلنا من دلائل التعريب في القطر المصري

٦ – في ح : « الرابع عشر من شهر توت الذي هو ايلول » فقوله الرابع عشر خطأ واضافة اسم الشهر الموافق له عند اللبنانيين والحلبيين زيادة من الناسخ

٧ – وفي ح : « ساجدين له »

٨ – وفي ح : « طوريه اعني مدور » واسم طوريه من دلائل تعريب الميمر في القطر المصري

٩ – اي الحجر الذي كان يسدّ باب مغارة القبر وقوله حائط المقبرة يدل على ان جزءاً منها كان مبنياً الا اذا عنى حائط منها . ولا يعقل ان تكون كل هذه التفاصيل مخترعة وهي تدل على معرفة صاحب الميمر حيثية القبر المقدس والقبور في ذلك العهد

١٠ – كل هذه التفاصيل الواردة في الصفحات ٢٣٤ – ٢٤١ عن محي قسطنطين والبحث

٢ – الثور على الصلبان – فلما ان اشرق الصبح قامت الملكة[1] . وبكرت الى القبر ومعها الاساقفة وقوم من المؤمنين[2] من الشعب ودخلوا الى القبر . ومعهم بخور كثير طيب وقناديل وقود مملوء[3] . وبينما [٢٤٢] هم داخل القبر . تطلّعوا فراو ثلاثة صلبان موضوعة[4] مع بعضهم بعض وعليهم كتاب رق . فلما نظّفوا الموضع ودخلوا الاساقفة اخذوا الكتاب الرق . فوجدوه مكتوب في العبراني[5] . فاعطوه ليهوذا يقراه لهم . والشعب كلهم يسمعون[6] . وهكذا مكتوب فيه . انا يوسف الرامي . ونيقوديموس رفعنا صليب يسوع واللصين[7] من موضع الاقرانيون ووضعناهم في القبر[8] الذي فيه جسد يسوع الذي قام من الاموات[9] . وعملنا هذا في الليل من اجل خوف اليهود . ولم يعلم احد بالذي صنعناه لان اليهود كانوا توامروا بان يحرقوا صليب يسوع .

عن مكان القبر والصليب ورفع الردم غير مذكورة في الاساطير السريانية . فهي تكتفي بقولها صفحة ٢١ ان يهوذا ذهب مع بعض المؤمنين الى مكان الجلجلة وصلى طويلاً وقال « اذا كان انك تريد ان يملك ابن مريم واذا كان ابن مريم هو المسيح فتتمجد رائحة بخور . ثم شمّر عن حقويه ومسك فأساً وحفر فوجد ثلاث صلبان » دل ذلك بأمر الملكة . والاساطير تغفل عن ذكر تدخل قسطنطين ولا تذكر شيئاً عن ظهور القبر . فانت ترى ان الفرق واسع بينها وبين سيرنا فهو لم يأخذ عنها مع انها ترجع الى القرن السادس . اما الميمر القبطي فقد سقط منه كل ما جاء عن الحفر واختصر البقية

١ – وفي ح ٥٨ : « الى ان اشرق الصباح قامت الملكة هيلانه » دون ان يردد كلمة الاشراق

٢ – وفي ح : « وقوم اخر من المؤمنين »

٣ – وفي ح : « مملوة بخوراً »

٤ – كل هذا يؤيد ما قلناه انه يعني مغارة القبر وان الصلبان وجدت فيه لا داخل الناووس لانه لا يسعها

٥ – وفي ح : « في خط عبراني »

٦ – لم يكن الشعب يفهم الا الارامية التي تعلمها في بابل . فنقل الكتاب كان بلغة زمنه

٧ – هذا يؤيد ما قلناه سابقاً عن صليب « اللص » ان صحته « الصبر »

٨ – صُلب المسيح على الجلجلة على رمية حجر من القبر الذي دُفن فيه كما يشهد سائح بوردو الذي سافر الى اورشليم سنة ٣٣٣ . راجع كبرول ٣ : ١٣٥؟

٩ – اي ان القبر كان فارغاً لان المسيح قام من بين الاموات

ومن اجل هذا السبب انقلناهم من موضع الاقرانيون . ووضعناهم في موضع كان جسد الرب يسوع فيه وهذا الصليب الذي عليه السلوح المكتوب هو صليب يسوع المسيح[1] .

٣ – اكرام الصليب – وان الاساقفه لما سمعوا ذلك القول . اخذوا الصليب . واعتنقوه وقبلوه وجالوا به وهم حاملوه الى ان دفعوه للملكه . وانها لما اخذته اعتنقته . وجعلته في حضنها وقت طويل . وهي تقبله . وعندها جماعه من عظما دولتها ومن المومنين [٢٤٣] وانهـا البسته غفاره كانت للملك قسطنطين[2] .

١ – فصليب السيد المسيح عُرف اذًا من الكتابة . ولا ذكر هنا للعجائب المدوّنة في الاساطير التي استعانوا بها لمعرفة الصليب الحقيقي بين الصلبان الثلاثة فاعترض عليها النقدة لتناقضها . فقد ذكرت الاساطير ان الصليب عرف من اقامة شاب ميت مرت جنازته صدفة من هناك الساعة التاسعة وان الشيطان الذي كان ساكنًا في احد الحضور صرخ متهددًا يهوذا بقوله : « اني غلبتُ العالم بيهوذا الاول وغُلبت الان بيهوذا الثاني . فانا ذاهب الى ملك آخر يقتص منك يا يهوذا » مشيرًا الى استشهاده بعدئذٍ باسم قرياقوس.

وفي ح ٥٩ : بعد ان ذكر ان الصليب الحقيقي يُعرف من الكتابة التي عليه جاء فقرة دخيلة اخذها عن نسخة لا نعرفها وحشرها بعد هذا الكلام واليك نصها : « ولكم دليل بذلك ميتًا يتوضعوا عليه فاينما ما كان منهم صليب المسيح فهو يحيي الميت ويقوم من ساعته . وعندما سمعوا هذا الكلام قالوا من اين لنا ميت في هذا الوقت . فعند ذلك اجاب يهوذا وقال للملكة هلانة يا ايتها الست الجليلة اهالك الى امرًا وهو ربح فقالت له الملكه وما هو امر الشيخ قال ان في خارج امس مات في هذه المدينة ميت فاسرعي في اخراجه من القبر واحضره الى ها هنا بين هذه الجموع واطرحي عليه الصليب الاول والثاني والثالث فاينما ما كان صليب المسيح فهو يقيم الميت . فلما سمعت من الشيخ اليهودي هذا القول ارسلت الاحناد [٦٠] بطلب الميت والشيخ كان معهم يوريهم قبر ذلك الميت . فلما وصلوا الى القبر وحفروه واخرجوا ميت واخذوه الى عند الصلبان وقالوا الاول ووضعوه على ذلك الميت فلم يحس معه شي . وعزلوه . . . ير (كلمة محوّة لم يبقَ منها سوى الحرفين الاخيرين) ووضعوا الثاني على الميت وحين وضعوه اختلج وتحرك . فلما ابصرته الملكة هلانه اخذته وقبلته وحملته . وتعجبوا الخلق كلهم من العجب الذي نظروا في ذلك الميت انه كان يخنق ويتحرك من بعد ما كان له في القبر يوم ونصف . ولم يقدر الميت ان يقوم قام فوقتهم قالوا الثالث وطرحوه على الميت وللوقت والساعه نهض ذلك الميت وجلس جالس بين ذلك الخلق . وان الاساقفة لما نظروا هذا اخذوا الصليب . . . »

٢ – وفي ح ٦٠ : حشر الناسخ فقرة اخرى دخيلة لا تقل سخافة عن الاولى لم نعد

وامرت يُلبس حلل حسنه . وامرت ايضا ان يكون ملفوف عندهـا الى ان تكتب للملـك بكلما كان . وامرت الغلمان بان يخفوا على اليهود الى ان ينظفوا المواضع جيداً. وامرت بان يحصوا جميع الذين كانوا يعملوا في التراب . فوجدوا عدتهم ثلاثة آلاف وماية رجل من العبرانيين[1] .

٤ – نبشير قسطنطين – وكتبت هلانه الملكه لابنهـا قايله . طوباك والخير

مصدرها . واليك نصها الحرفي : « وصارت توضعه على عينيها وتسجد له [٦١] وتقول له فيك يكون لنا القوة على جميع اعدانا . وفيك يبعد الشيطان وجميع حباله عنا . وبدت ذلـك الاعوام يتباركوا منه . ورجع في ذلك اليوم خلقاً كثير من اليهود الى ان تبارك اسمه . وقالوا نحن مومنين بك يا يسوع ابن الله الذي اظهرت لنا صليبك المبارك في هذا الوقت . فلما تباركوا من الصليب المعظم عند ذلك امرت الملكة لجميع الاجناد والمقدمين والعساكر ان يجلسوا ولا احد يتكلم بكلمة حتى اسايل هـذا الرجل الذي كان في تلك الـدنيا وكيف حالها . عند ذلك قالت له الملكة ايها الرجل اخبرنا ايش كنت تبصر من قبـل مجيك هـذا الصليب وقوته . عند ذلك قال لها الرجل ايها الست القويه في كنت في هوته عظيمه وليس كان لي راحة في هذا اليوم ونصف الذي انت في القبر . وفي تلك الهوته عوالم كثيره . وناس معلقين بالسنتهم في لهيب النار . ومنهم من هو مربوط اليدين والرجلين وهو ملقى في قعر تلك الهوته ولما كنت انا في تلك الهوته ولم كنت حسّ ولا ادري الا وقد ابرق علينا برق عظيم فسقطوا الكل على وجوههم [٦٢] ايضا وخمدت عنا النار وما رايت الا وشي خطفني من بين ذلك النار حتى حطني في هذا الموضع . وما كنا في تلك الهوته الا من طغيان اعمالنا حين صلبوا المسيح ابن الله . وكل اليهود مطروحين في تلك الهوته العظيمه وصوت يقول ابن اقول لكم لان لم يكون عليكم رحمة الله طول الدهور . قالت له الملكه وما بالك فزعان . فقال لها من ما ابصرته من العـذاب المرهوب . ولكني انـا مومن بايسوع المسيح ابن الله الحي الازلي الذي صلب وقام بعد اليوم الثالث انا مومن به انه الاله الحق الاله الاحيـا والاموات والاله الخلايق كلها . وبعد هذا القول امرت الملكه هلانه ان يلبسوا الصليب . . . »

١ – وفي الاساطير صفحة ١٢ ان عدد اليهود الساكنين في ضواحي اورشليم كان ثلاثـة الاف . ولم يكن منهم احد في المدينه لانها كانت خراباً .

ولاحظ ان المسيحيين الحاضرين لم يعنوا بتكريم القبر كما اكرموا الصليب الـذي سفك المسيح دمه عليه . ولعل هذا سبب غيرة قسطنطين لمكاريوس اسقف اورشليم باكتشاف علامـة او اداة الالام ، اي الصليب والمسامير ، وسكوته عن ذكر القبر ذكراً خاصاً . لان اكتشاف الصليب كان يعني اكتشاف القبر ، وكان يفرقه قيمة لدى المؤمنين .

يكون لك[1] . طلبت يا ابني الحبيب فوجدت . وقرعت ففتح لك باب قيامة الرب[2] . ووجدت الذي العالم كله لا يستحقه . اعني الصليب المقدس . صليب سيدنا يسوع المسيح . طوباك يا ابني الحبيب . لانك تركت عنك اهتمام العالم . وقنياته الباطله . حتى وجدت ما هو افضل من جميع الذخاير . وجميع الاحجار والجواهر النفيسه . اتعنا يا ابني وتعال لتعاين لابس الاله . ايضاً هو الذي الاله البسه[3] . فاذا رايته في حسنه وجماله . شبابك يتجدّد مثل النسر[4] . تعنّا يا ابني وتعال لترتل وتسجد وتقبّل الصليب الذي رايته باعلان [٢١٤] وهو يعطيك الغلبه في الحروب كلها[5] .

٥ – سجوده للصليب – فلما اخذ قوسطنطين الكتاب وقراه وعلم انه قد وجد الذي بيطلبه عند ذلك فرح بسرّه . وقام بسرعه وجا الى اورشليم . فلما سمعت والدته والاساقفه ان الملك اتا . اخذوا الصليب المجيد والبسوه غفارة الملك وحلّ فاخره . ورفعوه على بغله . واتو به اليه . وان الملك لما راه نزل من على مركبته واخذه وجعله في حضنه . وبكا عليه . ورفع عينيه الى السما . وقال اني رايت الرب اله اباي اليوم في سفر الجسد يصنع عجايب عظيمه بالذي استراح عليه اعني الصليب معطي الحياه[6] .

---

١ – تركيب غير عربي . في ح ١٣ يزيد : « لان الذي طلبته من الرب وهبه لك »

٢ – اي باب المغبرة الذي خرج منه المسيح لما قام

٣ – تركيب غريب . ولعله يريد الذي نسه الاله اي امتد عليه

٤ – ولد قسطنطين في سنة ٢٨٠ او قبيلها فيكون في السادسة والاربعين حين اكتشاف الصليب

٥ – وفي ح ٦٣ هذه الاضافة الدخيلة : « اسرع وتعال اتبارك من هذا الكوكب المضي . ونزقتها اطوت الكتاب وارسلته مع خامس عشر فارس وساروا حتى وصلوا الى رومية الى عند الملك قسطنطين . وقرى الكتاب وفهم ما فيه وما ذكرته امه من اجل الصليب المعظم وكيف وجدوه . وكيف كان خروجه من المزبلة والعجايب الذي صارت [٦٤] . فلما فرغ من قرية الكتاب . امر ان ينادوا في مدينة رومية يا معاشر النصارى قد امر الملك ان تمضوا الى اورشليم لنسجد للصليب ونتبارك منه فلما اصبح الصباح شدت العساكر والجيوش وخرجوا سايرين ليلهم ونهارهم حتى وصلوا الى مدينة اورشليم . فلما سمعت امه . . . »

٦ – وفي ح : ٦٤ يقع قبل كلمتي معطي الحياه هذه الفقرة الدخيلة : « واما العساكر

وكان الاساقفة والذين يرتلون ماشيين قدام الملك وهم يرتلوا بتسابيح روحانيه الى ان وصلوا الى داخل المدينه . فلما دخلوا الى باب المدينه . قالوا هذه التسبحه . افرحي يا صهيون مدينه الملك العظيم يسوع المسيح . فهوذا الملك وعظايه قد اتوا اليك فارحين وهم يمجدون الملك الرب[1] الذي ملك على العود .

وان الملك مضى الى الموضع الذي كانوا يعملوا [٢١٥] فيه . فدخل الى القبر وسجد قايلًا ووجهه على الارض . اشكرك يا وحيد الاب من اجل انك جعلتني مستحق ان اسجد في المكان الذي جُعل جسدك فيه . وابصر المواضع كلها الذي يصفوها[2] اليهود . ومضى الى موضع الاقرانيون موضع صُلب الرب فيه . فسجد ايضا عليه .

١٠ ــ بناء الكنائس

١ – تنظيم العمل – وبعد ذلك اخذ الصليب وجعله داخل القبر حتى يبني له

والجيوش تقدموا الى الصليب ونكسوا رؤوسهم وسجدوا له وتباركوا منه . وقال قسطنطين الملك انا مومن فيك يا ابن الله الذي وهبت لي هذا الصليب الذي فيه اغلب اعدائي وفيه اسحاق (اسحق) الشيطان [٦٥] جميعهم قدامي وهذا الصليب الذي بصره موسى النبي في فردوس الرب في شبه الشجره الذي كل الدنيا مستوره تحت ظلاله هذا الصليب هو علامة دين النصرانية . هذا الصليب هو قوي الضعفا . هذا الصليب هو غلبه على الليس . هذا الصليب هو سلاح القديسين . هذا الصليب هو رمح الشياطين . هذا الصليب هو فرح الادميين . هذا الصليب هو مقاتل الاعدا . هذا الصليب هو سيف الرهبان . هذا الصليب هو حافظ الاطفال . يا اخوة الصليب المقدس هو رتبه السماري . هذا الصليب هو قوة الدنيا . هذا الصليب يفتح الابواب المغلقة . هذا الصليب هو الذي يفتح الابواب في وجه الجهاد . هذا الصليب هو الذي يقود القديسين الى ملكوت الله . هذا الصليب هو يحفظ السماري من قتال الشياطين . هذا الصليب زين الصبيان . هذا الصليب هو الذي مثل الصورة في [illegible] . هذا الصليب [٦٦] يحفظنا من وخز الحطيه . وفي ذلك الوقت صلب في اعلا صوته وقال [illegible] ايها الشعوب المومنين بالمسيح حتى نضع هذا الصليب في بيوتنا وفي رؤوسنا وفي . [illegible] لنا مثل الصور على المدينه هذا الصليب يحفظ من الشياطين . فيجب علينا يا اخوة ان نسجد الى ابن الله الذي افدانا بصليبه المقدس معطي الحياة . وايضا انت المخلص في هذا [illegible] الذي قد [illegible] بطلبتك . فلما فرغ ذلك من هذا الكلام وكانوا الاساقفه والذين يرتلون . . . »

١ – في ح سقطت كلمة « الملك »

٢ – في ح ٦٧ : « وصفوها »

كنيسة كاستحقاقه . وقال للاساقفة . اني ابني مدينتـه جديده . في الموضع الذي حطرني من السحابه لما خلصني الرب من الفرس . لما ارادوا ان يقتلوني[1] . وايضا ابني كنايس لتمجيد المسيح وصليبه المقدس . فقالوا لـه الاساقفه الرب يحفظ تاجك بقدرته زمان طويل بالسلامه . يا ايها الملك حتى تكمل ما قد ضمرت به . وانه جعل صناع في جميع الكنايس وكل واحد منهم في صنعته وشغله . وجعل اساقفه على الاجرا كلهم[2] . واعطا ايضا لوالدته اموالًا كثيره من عنده[3] لتنفق منهم على بنيان الكنايس[4] [٢٤٦] وامر ان ياتوا اليهم باشيا كثير من اصناف الحجاره الكريمه من البلور وغيره . ومن جميع الاخشاب الزكيه . من العاج وغيره . والنحاس والفضه . ورصاص كثير جدا . حتى يحضنوا[5] جميع الاماكن .

٢ – كتبت القيامة والصليب – وسلّم الامر لوالـدته في اورشليم حتى تبني الكنيسه موضع المقبر[6] ويدعوا اسمها القيامه لمقدسه[7] المحييه بالسلام . وتبني كنيسه اخرا وتدعوا اسمهـا على اسم الصليب . حول الاتوانيون[8] . وجعل الابواب من هناك . ورجع الى مدينته بسلام وهو[9] يمجد المسيح وصليبه المقدس .

---

١ – [illegible] . تكلة الذين رأته شاهرين السلاح يطاردون عدوه .

٢ – [illegible] يوسي اسقف اورشليم بالاشراف على وخرفة كنيسة القيامة ، كما مر بك القول

٣ – [illegible] حريبة [illegible] كما سبق القول . وفي ح : « من ماله »

٤ – [illegible] اوسابيوس [illegible] ايضا كنيستي بيت لحم وجبل [illegible]

٥ – [illegible] « يحضنوا »

٦ – [illegible] هذه الكنيسة [illegible] كما [illegible] كنيستي بيت لحم وجبل الزيتون

٧ – [illegible]

٨ – [illegible] كنيسة قبر المسيح . [illegible] حجر [illegible] الخاصة . وفي [illegible] على [illegible] كنيسة الصليب حيث [illegible] الصليب حسب الرواية الحديثة

٩ – في ح ٦٨ : « وهو مبتهج بنصر الصليب »

وارسل الى يورشليم جميع ما يحتاجون اليه . وكانوا العمالين كثيرين جدا . حتى انك تقول انهم اكثر من الذين كانوا يعملون في هيكل سليمان في ذلك الزمان. فكملوا الكنايس المقدسه . وزينوهم بكل حسن . وعادوا كمثل ملك السما في حسنه . وكرزهم انبا يوسف اسقف المدينه ومعه اساقفه كثير ارثوذكسيين[1] جاو لتجديد الصليب المقدس[2] . واليوم الذي كرز فيه كنيسة القيامه في الرابعشر من شهر ايلول[3] الذي هو يوم ظهور الصليب المقدس والقبر [٢٤٧] المجيد.

٣ – صليب النور ويهوذا – وعمدوا يهوذا هو والذين معه على يدي الاب انبا[4] يوسف . وعاد هذا يهوذا رجلا مصطفى جمع كثير من الامم واليهود وتعمدوا. ولما كان الوقت ليكملوا القرابين المقدسه . ظهر صليب نور من على مقبرة يسوع . وكان ذلك من اول النهار الى الساعة التاسعه[5] منه . وكل الامم الذين في اورشليم . وما حولها . كانوا ينظروه . وطلع الى السما . في الساعة التاسعه . وكل احد ينظر اليه . وكانوا يحزن قلت قايلين في نفوسهم انهم لا يعاينوه دفعه اخرى . فلما كان الغد وقت الصبح جاو الى المقبره يصلوا . فرآو صليب اخر داخل القبر وهو يلمع كالبرق . فلما راى الاب انبا يوسف هذا الامر والاعجوبه كتب هو والملكه كتاب الى الملك قسطنطين ليعلمه ما كان[6] . وانه لما سمع ذلك مجد الله وصليبه المقدس . ومن بعد هذا تفتح

١ – جاء في اوسابيوس (ك ٤ ف ٥ ع ٤٥) ان تدشين الكنيستين كان في سنة ٣٣٥ حضور الاساقفة العائدين من مجمع صور

٢ – لعله يريد « لتمجيد »

٣ – في ح ٦٩ : « من شهر توت » والاصح كما جاء في ق ١ السابع عشر من شهر توت » الموافق للرابع عشر من ايلول

٤ – وفي ح : « الاب الارثذكسي » . وفي الاساطير السريانية ان الملكة هيلانه استدعت اوسابيوس اسقف رومية فعمد يهوذا

٥ – على الحساب الشرقي اي الثالثة بعد الظهر

٦ – يظهر ان هذه الاعجوبة غير التي ظهرت في بدء استقامة القديس كيرلس حوالي سنة ٣٦٨ وكتب عنها رسالة الى قسطنس ابن قسطنطين . ولعل هذه الفقرة دخيلة او محرفة

القديس الاب انبا يوسف . واقاموا عوضه يهوذا . وهو الخامس عشر من بعد الابا الرسل في الختان[1] . وعاد يهوذا في اسقفيته مكرّم من اجل امانته الارثذكسيه . ولما تنيّح ايضاً يهوذا . اخذ اسقفيته . واحد يقال له [٢٤٨] مرقوس . وهو اول من عاد اسقف لاورشليم . بغير ختان .

١١ ــ عبادة الصليب

١ – كيفية عبادة الصليب – وانا قلت هذا لمحبتكم[2] يا احباي . حتى اعرّفكم كيف معنى تعبدكم لظهور الصليب في الرابعشر من شهر ايلول[3] . وهوذا الان الامر ظاهر من القول الذي قلته لكم ان ظهور الصليب هو في الرابعشر من شهر ايلول[4] . وتجديد الكنيسة المقدسة كنيسة القيامه ايضاً الرابعشر من شهر ايلول[5] . وهولاي شرحناهم لكم لتمجيد المسيح وصليبه المقدس . والان

١ – في الاساطير السريانية ان الملكة اوعزت الى اوسابيوس اسقف رومية فسام يهوذا اسقفاً على اورشليم باسم قرياقوس بعد وفاة الانبا يوسف . وسألت قرياقوس المذكور ان يبحث لها عن المسامير التي استعملت لصلب المسيح . فقصد الى المكان نفسه وصلى فظهر له نور فوق المكان المخبئة فيه وشاهد المسامير تلمع كالشمس فحملها الى الملكة التي صاغتها لجاماً لفرس ابنها يعرسه في الحرب . وتختم الاساطير بقولها « هذه هي حكاية اكتشاف الصليب للمرة الثانية سنة ٣٩١ مشيرة الى اكتشافها للمرة الاولى على يد بطرسية كما سبق القول . فانت ترى ان لا ذكر في ميمرنا لاسقف رومية ولا لقرياقوس ولا لاكتشاف المسامير التي سبق فقال انها خبئت مع الصلبان . ويذكر الميمر القبطي اكتشاف المسامير بالطريقة عينها على يد يهوذا الذي تسمى قرياقوس . مما يثبت ان مصدر ميمرنا غير مصدرها ويرجح انه اقدم منها عهداً لانه لم يأخذ عنها

٢ – وفي ح ٧٠ : « لاخوتكم »

٣ – وفي ح : « شهر توت »

٤ – وفي ح ٧١ : « شهر توت على راي المصريين » وقد كتب ناسخ ب : « على راي شهور » ثم شطب عليها يناح بكتبها كاملة . وهو من دلائل نسخ الاثنين عن اصل واحد ويبدو الشك الذي يطرق على الذهن في ان نص الحلي منسوخ عن نص بكركي الاقدم منه عهداً بقليل

٥ – جاء في سياحة ايثريا الاسبانيولية ان الاساقفة ادخلوا عيد ارتفاع الصليب بعيد تدشين الكنيسة لان الصليب ظهر في اليوم المذكور . راجع كابرول ٣ : ٣١٢١ ولعل الساقفة ذهبت بعكس الحقيقة . فالميمر هنا يقول انهم احتفلوا تدشين الكنيسة يوم عيد ظهور الصليب . يؤيد

فلنكفّ ها هنا من القول تُقرّب الى الاهتمام بالمعموديه المقدسه . والقربان في دفعه واحده[1] . لان الوقت قد اقترب . وايضا من اجل تعب الذين اتوا الينا اليوم الى هذا الموضع المقدّس[2] . فجدوا الاله عمنوايل يسوع المسيح وصليبه المقدس المخلّص للذين يؤمنون به . يا احباي لا نكون نعبد الصليب المقدس بتواني . ونوجد اننا نعبد المسيح بلساننا لا غير . ونبارك بافواهنا ونفكر بقلوبنا بكثرة الالهه الذي للامم الوثنيين[3] . ايش هو الكلام ام ايش هو فكر القلب . وما هو اعتقاد اللسان . الا الايمان الكامل الذي من القلب[4] .

٢ – التحذير من الاريوسيين – [٢٤٩] يقول بعض الحكما من اجل دابه في البريه يقال لها حملًا او فهدًا عظيم هايل جدا من قدامه يشبه الحمل . ومن خلفه يشبه الثور . حتى انه يقطع قلوب الشجر العوالي وياكلهم . ولوانه

هذا ما شرحه سابقًا عن ظهور الصليب اولًا في ١٤ ايلول واتخاذ قسطنطين ثانيًا على بناء كنيسة فوق الجلجلة حيث القبر ومكان الصلب . وتدشينها بعدئذ في ١٤ ايلول يوم ظهور الصليب .

فان صح هذا ، ونحن اقرب الى تصديق القديس كيرلس من السائحة اثيريا ، سقط البرهان الذي ادلى به الاب لكلير والقائلون قوله « ان الصليب لم يكتشف قبل سنة ٣٣٥ لانه ظهر في احد اعياد تدشين الكنيستين اللتين دشنهما الامبراطورة الماندون من عهد صور سنة ٣٣٥ المذكورة » راجع كبرول ٣ : ٢١٢٧ . ومع ذلك فكلام اثيريا لا يعني حتمًا ان الصليب وجد بعد تدشين الكنيستين المذكورتين بل ان الصليب ظهر في اليوم الذي عُين لتدشينها quoniam crux Domini inventa est ipsa die « لان صليب السيد وجد في اليوم نفسه » فنفهم من هذا ان عيد التدشين عين في يوم ظهور الصليب لا بالعكس كما فهم الاب لكلير ومشايعوه

١ – جاء في المؤرخ سوزومين ان عيد التدشين اصبح من الاعياد الكبيرة التي يُحتفل فيها بالمعمودية . وغاية القديس كيرلس من ادماج الحفلتين اكتساب الوقت الذي ذهب باطالة العظة . ولما كان اسقف اورشليم فقد كان من حقه الاشراف على نظام الحفلة وتغيير البرنامج عند الضرورة . راجع في عيد التدشين سوزومين مج ٢ ع ٢٦ وكتاب فنسان وآبيل Vincent Abel عن اورشليم مج ٣ ص ٢٠٤

٢ – هذا الاستدراك مع ما سبق ينفي تلفيق الجمهور كما سبق لانه ابن ساعته .

٣ – هذا يدل على ان ظل الوثنية لم يتقلص بعد من الوسط الذي يعيش فيه سامعو العظة . مما يوافق اواخر القرن الرابع كما سبق القول

٤ – في ح : « او ايش الايمان الكامل الذي للقلب »

نقط[1] هذا هو نجس في قلبه وجسده . هكذا الهراطقة الغير مومنين . لا يثبتوا فكر واحد . يرفعوا القرابين على اسم المسيح . وهم يجعلوه انسان لا غير[2] . ان كان المسيح انسان وليس هو الاه يا ايها الهرطيقي . فلماذا تعبد انسان ولا تثبت بفكر واحد بعد قليل تقول المسيح ليس هو الاه[3] . فغضبك ايها الهرطيقي هي علامة الامانه الارثوذوكسيه الذي انت تهرب منها . وفكرك يقول انك تاكل من الاشجار الجيده والرديه . الذي هو انك تقرا في الاناجيل وتعرف كلامهم وتجعلهم كمثل قضيب الشيح الكثير الغش تعكزوا عليها . فلا تذكروا يا احباي كلام الهراطقه . ولا تدخلوا كنايسهم . وتصلوا فيهم . لان ليس لهم كنايس[4] . لكن اجعلوا لكم فكر جيد . وامانه مكمله بالله . وصليبه المقدس . ونقول ونعترف بلساننا وقلبنا ان عمنوايل اله بالحقيقه . لانه هو الكاهن . [٢٥٠] وهو القربان[5] .

٣ – اعتقاد اسحاق – وانت ايضا يا اسحاق السامري[6] الذي تريد ان تكون من قطيع سيدنا ايسوع[7] المسيح بالمعموديه الذي تاخذها بكلام الله[8] . وانت

١ – وفي ح ٧١ : « ولوسه نقط » اي منقط وهو اصح . والارجح انه يشير هنا الى الزرافة التي تاكل الاشجار العرالي ولونها منقط . ولم يكونوا يعرفونها في فلسطين بل يظنون انها حرافة وثنية

٢ – يقصد هنا الاريوسيين وهو من دلائل الفاء الميمر في اسان استفحال امرهم بين اواسط واواخر القرن الرابع كما بينا سابقاً

٣ – اي اذا انكرت الوهية المسيح وعبدته في آن واحد اصبحت وثنياً تعبد انساناً حسب قوله

٤ – لم يكن الاريوسيون يرغبون في ان يتميزوا عن بقية المسيحيين لا بطقوس ولا بكنائس خاصة كما قلنا

٥ – فكرة متواردة في مواعظ القديس كيرلس كما قلنا

٦ – يعود القديس كيرلس الى تكميل قصة اسحاق السامري الذي اهتدى لما شاهد اعجوبة الصنيب في نهر حقل بندرم

٧ – ايسوع حسب كتابتها في اليونانية

٨ – وفي ح : « بالمعمودية الذي تاخذها كلام الله او فتقول مع ابا واكس الفرس وانت تومن . . . » ولا معنى لهذه الزيادة

تومن بكل قلبك . فاقترب الى موضع الاعتقاد[1] لتاخذ بامانه وطهر فان كنت تثبت رايك ونيتك وقلبك للمجي تعال . وتكمل ارادتك[2] . فصرخ اسحاق بصوت عظيم وقال انا اومن واعترف بان المسيح يسوع ربي هو ابن الله الحي . وهو تجسّد من مريم العذرى الطاهره . وولد في العالم وصلب عنا وقبر وقام في اليوم الثالث . وصعد الى السموات . وجلس عن يمين الاب . وايضا ياتي بمجده العظيم ليدين الاحيا والاموات كل احد كاعماله[3] . فلما آمن اسحق هكذا بقلب مستقيم وكل الذين معه تعمّدوا باسم الاب والابن وروح القدس . ورجال ونسا كثير من الامم امنوا وتعمدوا في ذلك اليوم . ومجدوا الله وصليبه المقدس .

فعظيماً هو مجد الاهنا . والمجد الذي لجنسنا . نحن النصارى[4] حتى نكون نشبه في جميع اعمالنا الذي نصنعها . ولنرافقه في كل حين . ونكرم الصليب المقدس من اجل الذي ارتفع [٢٥١] عليه سيدنا يسوع المسيح . الذي له المجد ولابيه الصالح وروح القدس الى ابد الابدين امين امين[5] .

رحم الله من كتب ومن قرى ومن سمع وقال امين امين[6] . . .

---

١ – وردت هكذا في كلتا النسختين ونظنها تحريف « الاعتقاد » لتشابه الميم والقاف في السريانية وهو من دلائل نسخ الاثنين عن نص آخر كرشوني .

٢ – وفي ح : ٧٣ « تعال لتهز وتقول وتكمل ارادتك » ونصنا اصح

٣ – هذا النص مطابق لنص قانون الايمان القديم المستخرج من عظات القديس كيرلس والذي كان خاصاً بكنيسة اورشليم . وهو يقف وسطاً بين قانون مجمع نيقية سنة ٣٢٥ وقانون مجمع القسطنطينية سنة ٣٨١ . راجع مقالة الاب لباشله Le Bachelet في معجم اللاهوت لفاكان ٣ : ٢٥٤٠

٤ – قلنا ان المسيحيين الناطقين في اورشليم في القرن الرابع كانوا يدعون نصارى نسبة الى الناصرة ووطن المسيح كما جاء في الاساطير السريانية

٥ – وفي ح ٧٤ يزيد : « وعلى الدوام امين »

٦ – هذه الخدمة للناسخ

المؤسسات الفنيقية الاولى*

بقلم الامير موريس شهاب
امين دار الآثار اللبنانية

اسم فنيقية

لقد اعتدنا ان ندعو « فنيقيين » سكان الساحل السوري من مصب العاصي الى جبل الكرمل . ولكن يظهر ان « الفنيقيين » انفسهم لم يتسموا بهذا الاسم الا في العصور المتأخرة، اي لبضعة قرون قبل المسيح .

وقد قال بعض العلماء ، ومنهم سيت خاصة ، ان الفنيقيين هم ذاك الشعب الاسيوي الذي دلّ عليه النصوص المصرية باسم «فنكو» . على ان هذا الرأي لا يدعمه الا القليل من المؤيدين حتى ان علماء المصريات انفسهم يترددون في قبوله .

والظاهر ان اسم « فنيقية » نشره اليونان اولاً فعمموه . على كون بعضهم لم يجهل انه ليس بالاسم الاصلي للبلاد التي دعوها به . فكان هيكاتي يعلم ان اسم هذه البلاد « كنعان » وقال غيره من مؤلفي اليونان — وقد ارادوا ان يجتمعوا فونيكس — انه كان جدّ اجينور الصوري والد قدموس ، او اخاه او اسمه الفنيقي .

واذا القينا نظرة على تلك المراسلات التي تبادلها في القرن الرابع عشر ق. م. ملوك الفنيقيين والفراعنة امنوفيس الرابع ، خو توت عنخ أمون ؛ والتي

---

* مادة المحاضرة الاولى من محاضرات « معهد الآداب الشرقية » في فرع « علم الآثار القديمة » .

اكتُشف اكثرها في تلّ العارنة ، عاصمة الفرعون المذكور ، نجد ان بلاد الفنيقيين مدعوّة فيها كِينَهو او كِينَهْنو .

ثم ان الكتاب المقدّس ، في تعداده اصول الشعوب المختلفة (سفر التكوين : الفصل العاشر) يذكر ان صيدون كان ابن كنعان البكر . والحال ان اسم الصيدونيين في الكتاب يدلّ عادةً على الفنيقيين.

واذا ارتقينا الى القرن الثاني قبل المسيح نجد ، على بعض النقود المصكوكة على عهد انطيوخوس الرابع ، ان لاذقية لبنان تدعى « اللاذقية التي في كنعان »

فهل يمكن ، وقد اجتمعت لنا هذه الادلة ، ان نُنكر ان البلاد التي يهمّنا امرها كان اسمها « كنعان » .

فاذا كان ذلك ، فمن اين اخذ اليونان اسم فنيقية فدعوا به هذه البلاد ؟

هو سؤال جهدت في حلّه مخيّلات الاثريين فاتتهم بالنتائج المتعدّدة المتباينة :

قال بعضهم ، وفي مقدّمتهم ايزيدور ليثي ، ان النعت « فنيقي » أُطلق اولًا على الارض التي تحجب الأفق في البحار اليونانية . فذكروا انه : تجاه جزيرة رودس ، يرتفع رأس من الارض اسمه فنيكس . وقد كانت منطقة الساحل الكاري المجاورة ، على بحر ايجه ، تدعى فنيكة ، ولكنها فقدت هذا الاسم فلم يُحفظ الا للدلالة على الرأس المذكور حتى عهد الامبراطورية . فتكون النتيجة ان بحّارة اليونان عند خروجهم من بحارهم كانوا اول ما يصادفون من الارض منطقة فنيكة ، وقد يكون امتد هذا الاسم ، في نظرهم ، شيئاً فشيئاً حتى بلادنا .

ويعدّد ارباب هذه الفرضية الامثلة المشابهة لهذا الامتداد في الاسم ، فيذكرون ان الاتراسيين دعوا اولًا باسم المانية بلاد الصواب ؛ وان اسم افريقية كان يُطلق اولًا على مقاطعة رومانية صغيرة مجاورة لقرطاجة ثم امتد على كل القارة المعروفة . . .

على ان كل هذه الامثلة لا تقنع فريقاً آخر من العلماء وفي رأسهم ڤيكتور بيرار . هو لا يُنكر امكان مثل هذا الامتداد في الاسم . انما لا يرى مسوّغاً للزعم ان الساحل الكاري كان يُدعى فنيكة . فضلًا عن ان الرأس فنيكس

لا يقوم حاجزاً في نظر من يترك المياه اليونانيـــة متجهاً الى الشرق . انما الامر بالضد ، فهو يظهر حاجزاً لمن يأتي من الشرق الى الغرب . وعليه فيكون من المعقول ان امتداد اسم فنيكة ، ان كان هناك امتداد ، يقع على الساحل اليوناني فيُسمّى هذا باسم فنيقية لا بلادنا . ثم ان ڤيكتور بيرار يبيّن ان هناك رأساً آخر اكثر انحرافاً من الاول الى جهة الشرق يُدعى فينيكا ، واليه كان يجدر بايزيدور ليقي ان يُشير لانه افضل وقعاً بالنظر الى المياه اليونانيـــة . ولا يكتفي بيرار بهذه الملاحظة ، بل يعـدّد ذكر الامكنة المدعوّة فنيكية او فنيكس على السواحل الجنوبية والغربية تجاه ليبية .

وهناك فرضية اخرى لا بأس من ذكرها . وهي تستند ، في شرح اصل « فنيقية » ، الى اللغـــة . فتقول ان لفظة φοῖνιξ باليونانية معناها « النخلة » وان اليونان اطلقوا هذه اللفظة على بلادنا لانهم رأوا فيها شجر النخل المجهول في بلادهم . ويؤيد هذه النظرية عدد من العلماء يظهر ان منهم الاستاذ دسّو . فيردّ عليهم البعض بقولهم ان شجر النخل قليـــل جداً في فنيقيـــة وليس من المحتمل ان يكون اليونان قد نظروا الى هذه الخاصة . فيعيد الاولون الكرة موردين مثلاً قرية عمشيت ، في منطقة بيبلوس ، وما فيها من نخل ، ذاكرين ان زراعة النخل فيها تستند ، ولا بدّ ، الى تقاليد قديمة .

وفرضية ثالثة تستند الى القصائد الهوميرية فتقول ان لفظة φοῖνιξ في تلك القصائد تفيد اللون الاحمر الدموي . وقد يكون اليونانيون اطلقوا هذه اللفظة على فنيقية إما بسبب صناعة الارجوان المشهورة فيها ، واما للون سكانها وقد أثرت فيهم شدة الشمس واشعة البحر . وهكذا يقرّبون بين جدودنا الفنيقيين وابناء العنصر الاحمر . وليس من حاجة الى القول ان اعداء هذه الفرضية يردّونها بحجج عديدة منها : ان كان هناك من لون احمر فيكون لا في سكان فنيقية ، انما في سكان الشمال ، في اولئك الرجال ذوي الجلود الطافحة باللون الدموي وذوي الشعور المتهبة ، في قوم الجيل « الاشقر » وابنه فيروس « الاحمر » ذي الشعر « الذري » .

اطلنا في ذكر هذه الفرضيات — وهي اشهر ما عُرض في سبيل شرح اسم

فنيقية — للدلالة على ما تصل اليه مخيلة البشر ، حتى العلماء منهم ، عندما لا يكون لها ما يضبطها من الآثار الوضعية . ويكفينا ان نعرف الآن ان اصل لفظة « فنيقية » لا يزال في محيط الغوامض ، فلنهتمّ بالاسم التاريخي الذي عُرفت به بلادنا قبله ، وهو اسم « كنعان » .

اتساع ارض كنعان

تدلنا الآثار العديدة على ان هذا الاسم لم يُطلق على الساحل اللبناني وحده . وما ان الكتاب المقدّس يطلقه على ارض الميعاد قبل وصول العبرانيين اليها . والشواهد الاثرية تبرهن ان سكان ارض الميعاد وسكان السواحل اللبنانية من نسل واحد . ولغتهم هي لغة الفنيقيين . نعرف ذلك بواسطة اسماء الاعلام ، وبنصوص الرسائل المتبادلة بين ملوك كنعان والفرعون امينوفيس الرابع ، والتي اشرت اليها قبيل هذا الكلام .

وعبادة سكان المنطقتين واحدة في معظم مظاهرها ، كما تفيدنا نصوص الكتاب المقدّس والمكتشفات الاثرية العديدة . وكذلك القول عن آنيتهم وسائر اثاثهم . حتى انه لو اراد احد الاثريين ان يدرس فنّ الخزف الفنيقي لكان عليه ان يبدأ لا بلبنان بل بفلسطين ، ثم ينتقل الى ساحلنا ، فلا يرى فرقاً جوهرياً بين ذينك المظهرين الفنّ الواحد .

بل ان تكوين الارض نفسه لا يضع بين المنطقتين تلك الحواجز الغلابة التي تكاد تمنع المواصلات الا بواسطة الانهر ، والتي نراها بين فنيقية وسورية مثلاً . ونحن اذا استثنينا رأس الناقوره والرأس الابيض — وقد شقّ فيهما الفنيقيون الطرق — رأينا ان المواصلات سهلة بين البلدين ، وان جبال فلسطين القليلة الارتفاع المستديرة التكوين اقرب الى جبال لبنان الجنوبي بين صيدا وصور .

يفيدنا كل هذا ان شعباً واحداً وان منقسماً الى قبيلين ، كان يسكن فلسطين وفنيقية ولكنّ هذين القبيلين لم يتشابها تماماً في حياتهما . وهو امر معقول بسبب ما بين البيئتين الجغرافيتين من الاختلاف ، على ما بينهما من الشبه الظاهر

من هذه الفروق بين كنعانيي لبنان وكنعانيي فلسطين أن الساحل الفينيقي ، على رغم ما فيه من المخاطر ، يصلح الصلاح كله للملاحة . ويمكن الملاحون ان يجتنبوا الاهوية الوبيلة سواء أهبت من الشمال ام من الجنوب . وذلك ببنائهم في الجزر او الرؤوس ، تلك المرافئ الفنيقية المزدوجة،اي مرفأ الجنوب ومرفأ الشمال . وهو ما نتحققه في المدن الفنيقية حتى اليوم . فان المرفأ الشمالي في صيدا لا يزال صالحاً للاستعمال . اما المرفأ الجنوبي فيقع في جرن واسع بجوار ما يُدعى بجورة الرمان . وفي صور كذلك لا يزال المرفأ الشمالي مستعملاً ؛ بينا نرى المرفأ الجنوبي ، وهو الذي دعاه القدماء بالمرفأ المصري ، عرضة للرمال تطمره شيئاً فشيئاً خاصةً منذ ان فتحت ترعة السويس ، فولدت ، على ما يزعم البعض ، مجرًى من الجنوب الى الشمال.

وكان الفنيقيون في فصل الشتاء ، عند اشتداد العواصف والانواء ، يستفيدون من مجاري الانهر القريبة من مدنهم ، فيلجأون اليها بسفنهم ويضعونها بمعزل عن الخطر . واننا لا نزال حتى اليوم ، اذا ما انتقلنا في الشتاء من صيدا الى صور ، نرى في مصب الليطاني عدداً من الزوارق الشراعية يلجأ بها اهل صور من خطر العواصف.

اما فلسطين فقد ظلّ ساحلها حتى ايامنا هذه غير صالح للمرافئ . فكان انّ الكنعانيين المقيمين في فلسطين اتجهوا خاصةً الى الاعمال الزراعية ، متصلين بمصر عن طريق الجنوب ، وببلاد كلدو عن طريق صحراء سورية او عن طريق الشمال . ولكن لم يكن بامكانهم ان يتصلوا بجمل مناطق البحر المتوسط الا بواسطة الفنيقيين الذين أغلتهم بلادهم للملاحة والاسفار البعيدة كما قدمنا . ولما كانت فلسطين مقفلة تقريباً بوجه ابنائها من الشرق والجنوب والغرب ، وهي عرضة للغزوات المتعددة، دفع سكانها الى الاعمال الزراعية، والى الحرب فالالتجاء ضمن قلاعهم كلما شعروا بقدوم فاتح جديد . فكان ان هذه الحياة اخذت تفرقهم شيئاً فشيئاً عن الفنيقيين ؛ وامام هؤلاء الآفاق واسعة والمجال فسيح حتى لقد كانت حياتهم اقرب الى الحياة البحرية منها الى حياة سكان الداخلية . فنتج من ثمّ ميزات فارقة بين قبيلتين من

اصل واحد : كنعان فلسطين ، وكنعان لبنان . ويمكننا من الآن فصاعداً ان نسمي هؤلاء بالفنيقيين

اصل الفنيقيين

هل كان الفنيقيون سكان البلاد الاصيلين ، أم انهم غرباء هاجروا الى هذه السواحل فسكنوها ؟ وان كانوا من المهاجرين فالى اي عنصر ينتسبون ، ومن اي بلد قدموا فاحتلوا الساحل اللبناني ؟ وهل وجدوا هذه المنطقة خالية من السكان ، ام صادفوا فيها اناساً وطنيين ؟

سنحاول الجواب الممكن عن هذه الاسئلة الصعبة ، مستندين الى ما تفيدنا الحوادث التاريخية ، والاساطير ، والمكتشفات الاثرية :

كان من عادة الفنيقيين ان ينسبوا تأسيس مدنهم الى الآلهة او الى الرجال المؤلهين . فينشأ حول كل مدينة عدد من الاساطير تتضخم شيئاً فشيئاً حتى تغطي ذكر التأسيس التاريخي . ونحن نرى شيئاً من ذلك اذا ما درسنا التقاليد الدينية عند الفنيقيين .

وافضل مصدر لنا في هذا الدرس ، كتاب ألفه اوسابيوس اسقف قيصرية في القرن الرابع للمسيح ، دعاه « الاستعداد للحياة الانجيلية » ونقل فيه كثيراً من النصوص عن ديانة الفنيقيين ، في سبيل نقدها وتبيان فسادها . وقد اخذ هذه النصوص عن كتاب ألفه كاتب وثني وُلد حول السنة ٤٢ قبل المسيح اسمه فيلون البيبلوسي . وفيلون هذا ينقل معلوماته ، مترجمةً الى اليونانية ، عن كتاب فنيقي ينسبه الى سَنكونياتون ، الكاهن الفنيقي لمدينة بيروت ، الذي كان معاصراً لدمار طروادة ، اي في القرن الثالث عشر قبل المسيح .

يصف لنا فيلون الكاهنَ سَنكونياتون رجلَ درس واجتهاد ، ميالاً الى النقد ، مفتشاً عن الحقيقة . ويقول : « ان الكهنة قبل سَنكونياتون كانوا قد حرّفوا الحقيقة باختراعهم كثيراً من الرموز والامثال وبخلطهم بينها رغبةً منهم في الحاقها بحركة الكون العامة . وهكذا وضعوا الغازاً وغوامض كثيرة في الديانة حتى اصبح من الصعب على الناقد ان يتحقق ، من خلال هذه الحجب

الكثيفة ، الحقيقة الصرفة بين الرموز والالغاز . وقد كان من فضل سَنكونياتون انه اكتشف في بعض الهياكل نصوصاً سرّية ترقى الى الاموئيين فاستند اليها ، واقصى عن الحقيقة كل ما يحيك حولها من الامثال الناشئة عن الاسلوب الرمزي »

هذا قول فيلون عن سَنكونياتون . على ان النقّاد كثيراً ما اتهموا فيلون باختراع ما ينسبه الى ذلك الكاهن الفنيقي . حتى كانت حفريات راس شمرا الحديثة فكشفت عن ملحمة دينية فنيقية ترقى الى القرن الثالث عشر او الرابع عشر ق.م. افادتنا ان ما يذكره فيلون يرتكز على أسسٍ متين من التقاليد الفنيقية .

ثم ان ملحمة رأس شمرا هذه فيها كثير من الاختلاط والغموض مما يدل على انها مزيج من عدة تقاليد ضُمّ بعضها الى بعض . وهو ما يظهر كذلك في كتاب فيلون ، فانه كثيراً ما ينسب الحوادث نفسها الى اشخاص مختلفين . وهو ما يدلنا على اننا ابعد من ان نصل الى تقليد فنيقي صرف . فلا اقل من نأخذ به كما اتانا من خلال الاساطير التي أثرت في تاريخيته ، بلا شكّ ، ولكن دون ان تغيّر في جوهره .

ان مبدأ العبادة الفنيقية ، كما يذكره فيلون ، يستند في بعضه الى تأليه الاشخاص الذين تُنسب اليهم الاختراعات او الحوادث التاريخية . فنرى مثلاً ان من قران اليون بامرأته بيروت نشأ غلام اسمه اورانوس وابنة اسمها گي . وقد قُتل اليون في عراك بينه وبين بعض الحيوانات المفترسة ، فاحتفل ابناؤه بتأليهه بان قاموا بالتقادم والضحايا . اما اورانوس فتزوّج اخته گي ورُزق منها اربعة اولاد كان اكبرهم ايل المدعوّ ايضاً كرونوس . على ان اورانوس تزوّج بعدة نساء ، فغارت گي وعملت على ضرّه . فهجرها واراد ان يهلك ابناءه منها . فكان ان كرونوس ، وقد بلغ اشدّه ، اخذ بنصرة امّه وبمحاربة ابيه ، فبنى سوراً حول بيته ، وأسس بيبلوس اول مدينة فنيقية . وكان ، في بعض وقائعه مع ابيه ، قد سبى اعلق نسائه بقلبه فاعطاها زوجةً لاخيه داغون . وكانت حُبلى من ابيه اورانوس فولدت غلاماً دُعي دِمارون .

يظهر من هذه الاسطورة اثبات صريح بان كرونوس أسس بيبلوس ، وان

بيبلوس اقدم مدينة فنيقية. وقد تكون بيروت ، جدّة كرونوس ؛ ودمارون ، اخوه من ابيه ، من مظاهر تشخيص المدن في الاساطير فيكون المعني فيها بيروت ودامور.

وقد نشأت الاساطير كذلك حول تأسيس مدينة صور. واشهرها ان الجبابرة الذين دُعيت باسمائهم جبال لبنان ، وانتيلبنان ، وكاسيوس ، وبراني ، ولدوا اخوين هما سامروموس وأوسوس . اما سامروموس فكان حضرياً سكن صور واخترع صنع الاكواخ من القصب والخيزران والبردي . واما أوسوس فكان صيّاداً ، وهو اول من جمع جلود الحيوانات ، على قول فيلون البيبلوسي، فصنع منها الثياب. وقد هاجت عليه الاهوية العاصفة مرّةً ، وانهمرت الامطار ، واشتعلت النار في الغابات فهرب منها . ثم اقتطع شجرة ، وفرع اغصانها . واتخذها مركباً له في البحر . فكان اول من اجترأ على مقاومة الامواج . فغدا ، من ثمّ ، الجدّ الاعلى لذاك الشعب الذي سيؤسس قرطاجة ، وسيدور حول افريقية ، وسيظلّ ، على اكثر من ثلاثين قرناً ، المسلّط المطلق على الملاحة البحرية تجارية كانت او حربية.

ويرى الدكتور كونتينو ، مستنداً في كتابه « المدنية الفنيقية » الى اقوال فيلون ، ان أوسوس أسس مدينة صور او تير البحرية . لان فيلون يقول عن أوسوس هذا انه بعد ان ركب البحر اقام مسلّتين احداهما للنار والثانية للهواء، ثم عبدهما مهرقاً دماء الحيوانات التي كان قد اصطادها.

نستنتج من كل هذه التقاليد الاسطورية ان جميع المدن الفنيقية تقريباً كانت عريقة بالقدم عندما شاء سنكونياتون ان يكتب تاريخها ، حتى ان ذكريات تأسيسها كانت قد علقت بالغموض فنسبت الى اشخاص مؤلّهة . فهل يمكننا ان نقترب نوعاً من زمن تأسيسها، وهل يمكن ان نعيّن هذا الزمن بطريقة تقريبية ؟

عندما مرّ الرحالة اليوناني المشهور هيرودوطس بمدينة صور ، في منتصف القرن الخامس ق. م. رأى هيكل هركول الذي كان يوليه الصوريون اكراماً جزيلاً ، فقال :

« كان الهيكل مزداناً بكثير من التقادم والنذور . وكان فيه عمودان

احدهما من الذهب الخالص، والثاني من الزمرّد ساطعاً في الليل. وبينا كنت، ذات يوم، اتحدث الى كهنة هذا الاله، سألتهم عن زمن تأسيس الهيكل. فاجابوني انه بُني وقت تأسيس المدينة. وهي مأهولة منذ الفي سنة وثلثمائة سنة.»

فاذا اعتمدنا قول الكهنة الصوريين، وأضفنا الى ما ذكروه من الزمن عدد السنين بين هيرودوطس والمسيح، وقع تأسيس مدينة صور في السنة ٢٧٥٠ ق. م.

ولنلقِ الآن نظرة على العالم القديم في ذاك العصر:

فنجد في مصر مدينة متقدّمة مزدهرة. ولكنها غير ساميّة.

اما في بلاد كلدو فنتحقق انه في القرن التاسع والعشرين ق. م. غزا تلك البلاد قوم من الساميين فأسسوا فيها دولة اصلها من امورو اي من البلاد السورية. وكان من اولى ملوك هذه الدولة سرغون ونارَمسين. وقد صادف هؤلاء الساميّون في كلدو عنصراً من السكان ربع القامة الى القصر، مستدير الرأس، مربّع الذقن، اقرب الى عناصر آسية الوسطى منه الى عناصر البلاد العربية. وهو يتكلم لغةً بعيدة عن لغة الساميين. وقد عُرف من ثمَّ بالعنصر الشومري.

اما الساميّون، الذين ظهر منهم سرغون ونارَمسين، فكانوا طوال القامات، مستطيلي الرؤوس والوجوه، قُنْي الانوف على الغالب، ذوي لحى طويلة محدّدة. ولغتهم تقترب من اللغات التي نعرفها للساميين حتى اليوم كلغات العبرانيين والعرب.

ونحن نعلم بواسطة الآثار التاريخية ان هؤلاء الساميين، القادمين اصلاً من بلاد أمورو، قطعوا جبل طوروس فدخلوا آسية الصغرى. والحال اننا نتحقق في شمالي سورية، في قبادوقية، في القرن الخامس والعشرين ق.م. وجود جالية مهمة من الساميين، دلتنا عليها الرقم الآجرية العديدة المحفوظة حتى ايامنا.

وكانت مصر نفسها تهدّدها هجمات الساميين حتى انها دُفعت الى الدفاع عن الدلتا تجاه هذه الهجمات.

واذا وقفنا، في اوائل الالف الثالث قبل المسيح، اي في الزمن الذي

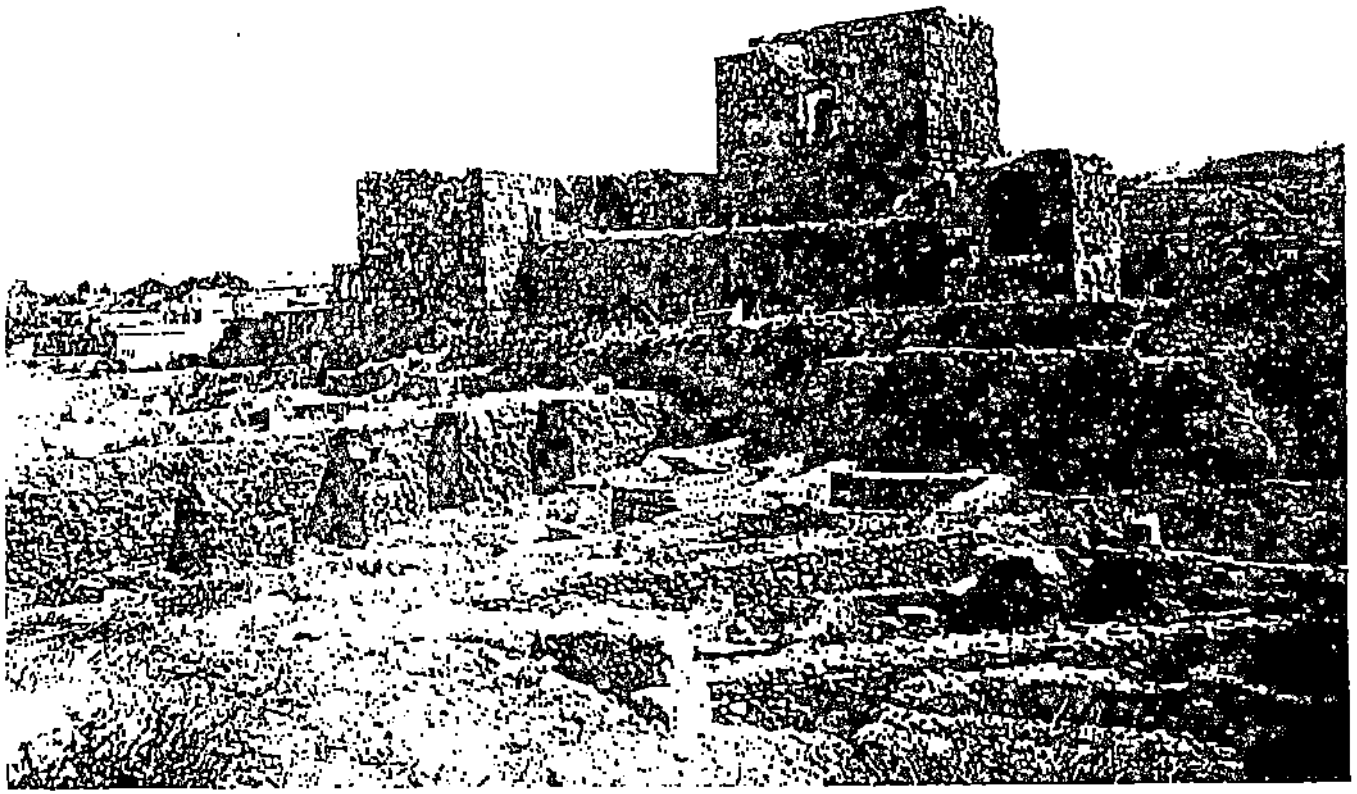

الرسم ١ – موقع الحفريات في بيبلوس، وتظهر فوقه القلعة الصليبية ، وتحتها الى الشمال السور الفنيقي والى اليمين اسس جدران المدينة الفنيقية

(حقوق النقل محفوظة للاستاذ درلان .(Copyright by Mr Maurice Dunand

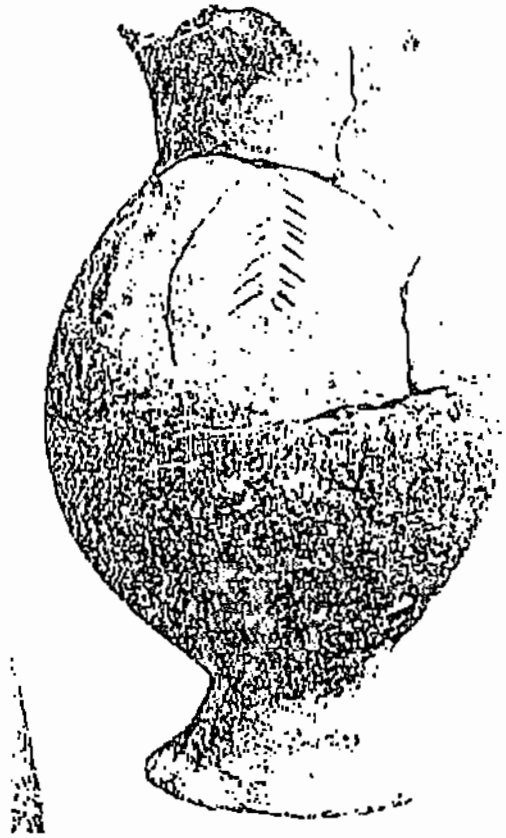

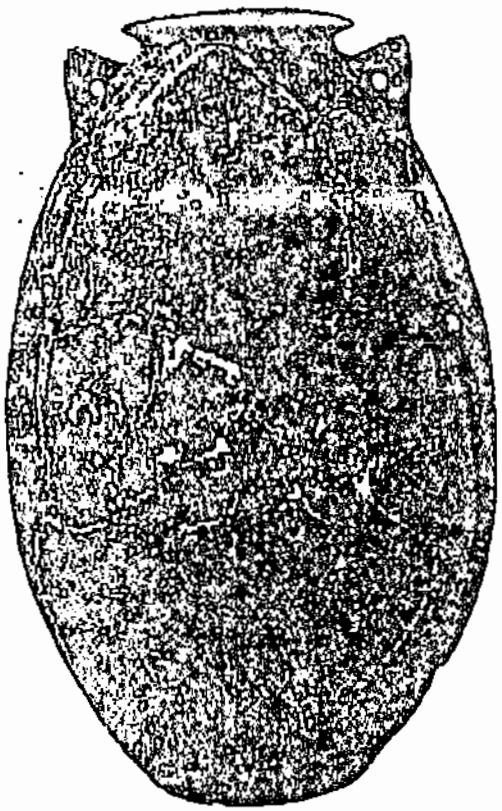

الرسم

جرة وُجدت في بيبلوس وكانوا يدفنون فيها موتاهم
(الالف الرابع ق. م.)

[illegible]
([illegible])

(حقوق النقل محفوظة للاستاذ درنان Copyright by M. Maurice Dunand.)

يعيّن فيه كيفان صور تأسيس مدينتهم ، نتحقق في جميع البلاد المحيطة بفلسطين دفعات سامية ، ان لم نقل غزوات . فهل توقفت هذه الدفعات الى دخول بلاد سورية وفلسطين ؟ هو ما يجيب عنه علم الآثار القديمة .

كشفت لنا حفريات فلسطين ، وخصوصاً حفريات گوزر ، تغيّرًا في العادات المدفنية . ولا يخفى ايّ مركز تحتلّ الطقوس المدفنية في حياة الشعب . فان تكريم الموتى ، بل عاداتهم احياناً ، يتقيّد بتقاليد بعيدة تمتّ بالصلة المتينة الى دين الشعب . ولا يخفى ما كانت تصطبغ به الديانات من الصفات القومية . واذًا فان التغيّر في العادات المدفنية يفيد عادةً تغيّرًا في الدين ، ومن ثمّ تغيّرًا في عنصر السكان .

والحال اننا نرى في اوائل الالف الثالث ق . م . في گوزر ، جنوبي فلسطين ، تغيّرًا مهمًّا في الطقوس المدفنية . وذلك انه بعد ان كان من عادات اولئك السكان ان يحرقوا موتاهم اصبحوا يحتفلون بدفنهم . وقد كان من حظّ الاستاذ مكاليستر ان يكتشف ، في گوزر ، قبرًا تلا فيه الدفنُ طريقةَ حرق الموتى . وقد أُجري الفحص الدقيق على الهياكل المدفونة هناك فافاد انها تُنسب الى عنصر سامي .

وكذلك في بيبلوس فان الاكتشافات الاثرية تفيدنا وجود عنصر سامي جديد في اوائل الالف الثالث قبل المسيح . فان الحفريات التي أُجريت في هيكل بيبلوس كشفت قطع آنية من حجر الشطوط قدّمها الى الهيكل بعض الفراعنة من الامبراطورية القديمة اي من الالف الثالث ق . م . ووُجد ان اقدم هذه القطع يحمل اسم الفرعون خاسخموي المالك في مصر في القرن الثلاثين ق . م . واذًا ، فان هيكل بيبلوس ، الذي ظلّ قائمًا عدة قرون ، كان موجودًا على الاقل منذ القرن الثلاثين .

ثم ان الحفريات دلت على ان هذا الهيكل بُني في ارض جديدة بمعنى انه لم يسبقه بناء في مكانه . والارض مكوّنة من طبقة حمراء صلصالية يبلغ سمكها في بعض الاماكن خمسين سنتيمترًا ، تفصل آساس الهيكل عن مقبرة قديمة واسعة .

وقد وُجد في هذه المقبرة نحو مائتي جرّة استُعملت لدفن الموتى من جميع الاعمار . وهي انواع . فالجرار التي دُفن فيها اولاد تبدو منتفخة البطن ، وقد لا يكون لها عماسك ، وهي تبلغ نحو ٧٠ سنتيمترًا طولًا . اما الجرار التي استُعملت لدفن البالغين فتظهر مستطيلة بيضوية الشكل ، لها اربعة عماسك : اثنان من فوق واثنان من اسفل موازيين للاولين . ويظهر حولها احيانًا زنّار يجتلها في مستوى الثلث الاول من ارتفاعها . وقد وُجدت هذه الجرار الاخيرة منبطحة كلّها ، بينا كانت جرار الاطفال تبدو على جميع الهيئات حتى العمودية . ولم نتحقق ان هناك جهةً معيّنة قُصدت في توجيه الجرار .

كانت الجثة تدخل في الجرّة من كوّةٍ تُفتح في احد جوانبها ثم تُسدّ . وقد ظهرت الهياكل العظمية داخل الجرار على هيئات مختلفة : منها ما كان منحنيًا واليدان امام الوجه . ومنها ما فُككت مفاصله وطُرحت عظامه كومةً دون ترتيب . بل ان منها ما لم يكن تامًّا سواء أكان ذلك بطرح بعض عظامه ، الّا الجمجمة فقد وُجدت دائمًا ، او بحرق بعضها .

وكان الى جنب هذه الهياكل كثير من الآنية والمعدّات وقطع الرياش . منها خاصة عدد من الآنية الخزفية المنوّعة الاشكال ، والدالّة على تقدّم في الصناعة ، وبعض الاسلحة والادوات الظرّانية . ثم هناك امر لفت الانظار ، وهو انه وُجد احيانًا مع الهياكل العظمية خواتم واقراط من الفضة ، وبعض الشفرات النحاسية ، وان تكن هذه الاخيرة دالة على صناعة ابتدائية بسيطة فانها تبرهن على ان سكان بيباوس الاولين عرفوا استعمال بعض المعادن . واذًا فلا يمكننا ان نرقى بعهد المقبرة الى زمنٍ بعيد . على انّ وجود الهيكل المؤسس في القرن الثلاثين قبل المسيح على الاقل ، وما نعرفه عن العادة السامية القاضية بان الهيكل يجب ان يكون في ارض عذراء لم يستعملها احد فيدنّسها ؛ كل هذا يقودنا الى الاستنتاج ان الهيكل بُني في عصر كان الناس قد تناسوا فيه وجود المقبرة ، تحت تلك الارض . وقد لا يكون هذا الا بعد مرور قرنين او ثلاثة .

ثم يجب ان ننتبه الى انه ، وان تكن القطعة الحاملة اسم الفرعون

خاسخموي تفيدنا تاريخ وجود الهيكل ، فهي لا تفيد ان الهيكل لم يكن سابقاً عهد هذا الفرعون . وعليه فتكون المقبرة ترقى على الاقل الى نحو السنة ٣,٣٠٠ قبل المسيح.

كان من نتيجة الدرس الانتروبولوجي الذي أجري على الجماجم المكتشفة ان الشعب الذي استخدم تلك المقبرة يختلف عن الشعوب السامية، بل هو اقرب الى شعوب دُعيت « شعوب البحر المتوسط » لانها تركت آثاراً في سواحل هذا البحر جميعها وفي جزره ايضاً.

وها اننا نتحقق في بيبلوس ما تحققنا في گوزر من تغيّر عنصر السكّان حول السنة ٣٠٠٠ ق. م. اما العنصر الجديد فمعروف بفضل الآثار المكتشفة في بيبلوس وفي غيرها من البلاد التي كانت على اتصال بهذا الشعب . وفي كلها نجد تسلسلاً في عادات هذا الشعب وعاداته ، تظهر صبغته السامية في تقاليده الدينية ، وفي لغته ، وفي اعلام الاشخاص . وشكله قريب جداً من الشكل السامي المعروف . يظهر ذلك لمن تأمل التماثيل الصغيرة المكتشفة في بيبلوس .

بقي ان نتقدم شيئاً فنفتش عن اصل هذا الشعب :

يقول استرابون (١٦ : ٣ و ٤) انه « كان في الخليج الفارسي جزيرتان اسمهما تيلوس وأراد وفيهما هياكل شبيهة بهياكل فنيقية . وكان سكانهما يدّعون بان الفنيقيين من دمهم . » وقد انحاز الى قول استرابون هذا عدد من العلماء وفي مقدمتهم . سبيرو فرأى في الهجرة الفنيقية هجرة مماثلة لهجرة قوم ثيرا وابراهيم الذين تركوا مدينة أور على ساحل خليج العجم ، فصعدوا الفرات ، وقطعوا البلاد السورية هابطين الى ارض كنعان.

ولكن هذه الفرضية ، على ما اثارته من الحماسة في صدور المدافعين عنها ، لا توافق التقاليد الفنيقية نفسها.

فقد ذكر هيرودوطس « ان الفنيقيين كانوا يسكنون في القديم على شواطئ البحر الاحمر ، كما يزعمون انفسهم ؛ ثم انتقلوا منها الى سواحل سورية ، وسكنوها . »

وفي عالم العلم اليوم عدد كبير من الاختصاصيين يميلون الى هذا الرأي عن

رأي استرابون . ولعله اقرب الى الحقيقة .

ليس من ينكر ان على عبادة الفنيقيين مسحة التأثير الكلداني . فان آلهتهم مأخوذة من العناصر الطبيعية، ومنها ما يُعبد في بلاد الكلدانيين كعشترت وادونيس - تموز . على اننا نرى ، في العصور القديمة ، الفنّ الفنيقي متأثرًا خاصة بالفنّ المصري . وان يكن حدثت صلات بين الفنيقيين والكلدانيين في تلك العصور ، فلا يمكن ان يكون ذلك الا في زمن قديم كانت فيه فنون الفنيقيين بسيطة ابتدائية ، فلم يحتفظوا بشيء من اثر الفن الكلداني الذي كان مزدهرًا في تلك العصور .

ومن المحتمل ان يكون الفنيقيون قد تأثروا ، في عهد سكناهم سواحل البحر الاحمر ، بأثر الكلدانيين الديني ، دون ان يحتفظوا باثرهم الفني ، لان فنّ الفنيقيين نفسه لم يكن قد بدأ تكوينه بعد .

ونحن نعلم بالاستناد الى المكتشفات المصرية ، والى الحفريات التي أُجريت مؤخرًا في بلاد الكلدانيين ، ان علاقات متينة كانت بين الشعبين في الالف الرابع ق . م وذلك عن طريق شمالي جزيرة العرب ، على الارجح .

ثم اننا نعرف ان العبرانيين ، عندما دخلوا ارض الميعاد ، حلّوا فيها محل الكنعانيين . وان سليمان الحكيم ، عندما شاء ان يستعيد ازدهار التجارة الفنيقية في بلاد العرب الجنوبية ، حيث الذهب والحجارة الكريمة ، امر ببناء السفن في عصيون - جابر بجانب أيلة ، وطلب الى حيرام ، ملك صور ، ان يمده بالملاحين من صور ليرافقوا هذه السفن

وقد جمع يوستينوس (١٨ : ٣) تقاليد عريقة عن علاقات بين المنطقتين اقدم من عهد سليمان . فذكر ان ملك عسقلان حارب الصيدونيين وكسرهم ، قبل خراب طروادة بسنة واحدة . اي في القرن الثاني عشر ق . م . عندما كان الفلسطينيون يحتلون الساحل الفلسطيني ، كما تذكر الآثار الراقية الى رعمسيس الثالث .

وهناك ذكر اقدم من كل ما تقدم لعلاقات الفنيقيين بمناطق كنعان الجنوبية المدعوة نجب ، بل لاقامتهم فيها . نرى هذا الذكر في ملحمة الآلهة التي

اكتشفت مؤخراً في راس شمرا ، وهي ترقى الى القرن الرابع عشر ق. م. اما موضوعها فيتصل بالتقاليد الدينية القديمة الراقية الى الاصول البعيدة.

في هذه الملحمة ذكر لشخص اسمه سيباني كان السلالة السابعة للاله ايل ، اعظم ارباب الفنيقيين . وقد بنى سيباني هذا مدينة اشدود ، ورفع شاهداً للتحالف وسط صحراء قادش.

مَن يسافر الى مصر بطريق البرّ يقطع تلك الصحراء المقفرة ، ويصادف على مائة وعشرين كيلومتراً جنوبي بير سبع محطة القسيمات ، آخر الحدود الفلسطينية من جهة الصحراء . في هذه المنطقة الصحراوية تقع قادش المذكورة في نصّنا ، وهي تبعد اقل من مائتي كيلومتر عن مدينة أشدود . وقد اكتشف في القرن التاسع عشر، في محلّ اسمه عين قديرات من المنطقة نفسها ، آثار دلّت على وجود قلعة كنعانية ترقى الى الالف الثاني قبل المسيح . وليس من غاية لهذه القلعة المشيّدة في ارض صحراوية الا المحافظة على الطريق الواصلة مصر بالبحر الاحمر . ولا يخفى ما لذلك المكان من اهمية عسكرية لا تزال حتى اليوم . وقد ذكرت بلاد نجب مراراً في ملحمة رس شمرا . وكلها تدل على ان الفنيقيين كانوا متصلين ببلاد نجب في اواسط القرن الثاني عشر ق. م. بل تدلّ ، فوق ذلك ، على ان هذه العلاقات مع مناطق البحر الاحمر كانت ترقى الى عهد بعيد حتى انها اتخذت شكلاً اسطورياً ودخلت في مجمل عقائد الفنيقيين .

وهكذا فاننا نسمع في طرفي فنيقية المتقابلين ، وعلى مسافة فارقة تبلغ الف سنة ، الاقوالَ نفسها في ما خصّ اصل الفنيقيين. فيمكننا ، والحالة هذه، ان نميل الى جعل سكناهم الاولى ، في منطقة البحر الاحمر.

انساع الناطق الفنيقية

ممالك فنيقية

ومهما يكن من شأن هذا الاصل فان التاريخ يظهر لنا الفنيقيين يحتلون الساحل اللبناني بكامله وساحل الامانوس كذلك . فتمتدّ بلادهم من مصب العاصي الى سفح الكرمل.

كانوا يؤلفون اربع ممالك مهمة ، تستقل كل منها عن الاخرى نوعاً ما ، ولكل عاصمتها إما في جزيرة او على رأس متقدم في البحر . وهي من الشمال الى الجنوب : مملكة اراد وعاصمتها جزيرة أراد ، ومركزها المهم على الساحل مدينة عويت .

ومملكة جبيل وعاصمتها مدينة جبيل مرتفعة على قمة فوق البحر . وقد دلت الوثائق التاريخية والمكتشفات الاثرية على اهمية هذه المملكة .

اما بترون وبيروت ودامور فكانت مدناً ثنوية .

وهناك الى الجنوب مملكة صيدون المزدهرة وعاصمتها قائمة على رأس متقدم تحيط بها الجنائن الغنّاء . وقد امتازت صيدون ، في التاريخ الفنيقي ، برجال الفنّ والثقافة العالية ، وادركت اوج ازدهارها في العصور الفارسية واليونانية . وان لم يكن لدينا الكثير من الشواهد الاثرية على تاريخ صيدون ، فاننا نعرف بفضل بعض المكتشفات المتفرّقة ، ولاسيما بالتي قام بها السيد ڪيگ ان منطقة هذه المملكة كانت ، في الالف الثاني ق. م. ، تتسع كثيراً فيقوم فيها عدد من القرى العامرة في الجبال المتتابعة وراءها والتي تؤلف اليوم منطقة جبل عامل . على ان هذا الازدهار توقف فجأة في القرن الثاني عشر على اثر خراب صيدون

وتفصيل ذلك ان قبائل الاخائيين القادمين من الشمال ، او سكان شواطئ بحر ايجه ، قاموا بغزوة على مصر . فلم يقوَ الفرعون على صدّهم ، فتساهل بان سمح لاحدى هذه القبائل ، ان تقيم على الساحل الجنوبي من ارض كنعان .

وهي قبيلة الفلسطينيين المعروفين في التاريخ الذين حلّوا محل الكنعانيين واطلقوا اسمهم على ارضهم فدُعيت فلسطين . ولم يلبث ان بدأ العراك بينهم وبين صيدون . لانهم كانوا يحسدون ثروتها ويضيّقون عليها افق مطامعها باحتلالهم تلك الاراضي الكنعانية . فكان من نتيجة ذلك ان الفلسطينيين هجموا على صيدون واخربوا المدينة .

عند ذلك لجأ سراةُ الصيدونيين الى صور ، وكأنهم لفحوها بما امتازوا به من الرغبة في العمل والشغل ، وبما حملوه معهم من الاموال . فغدت في طليعة

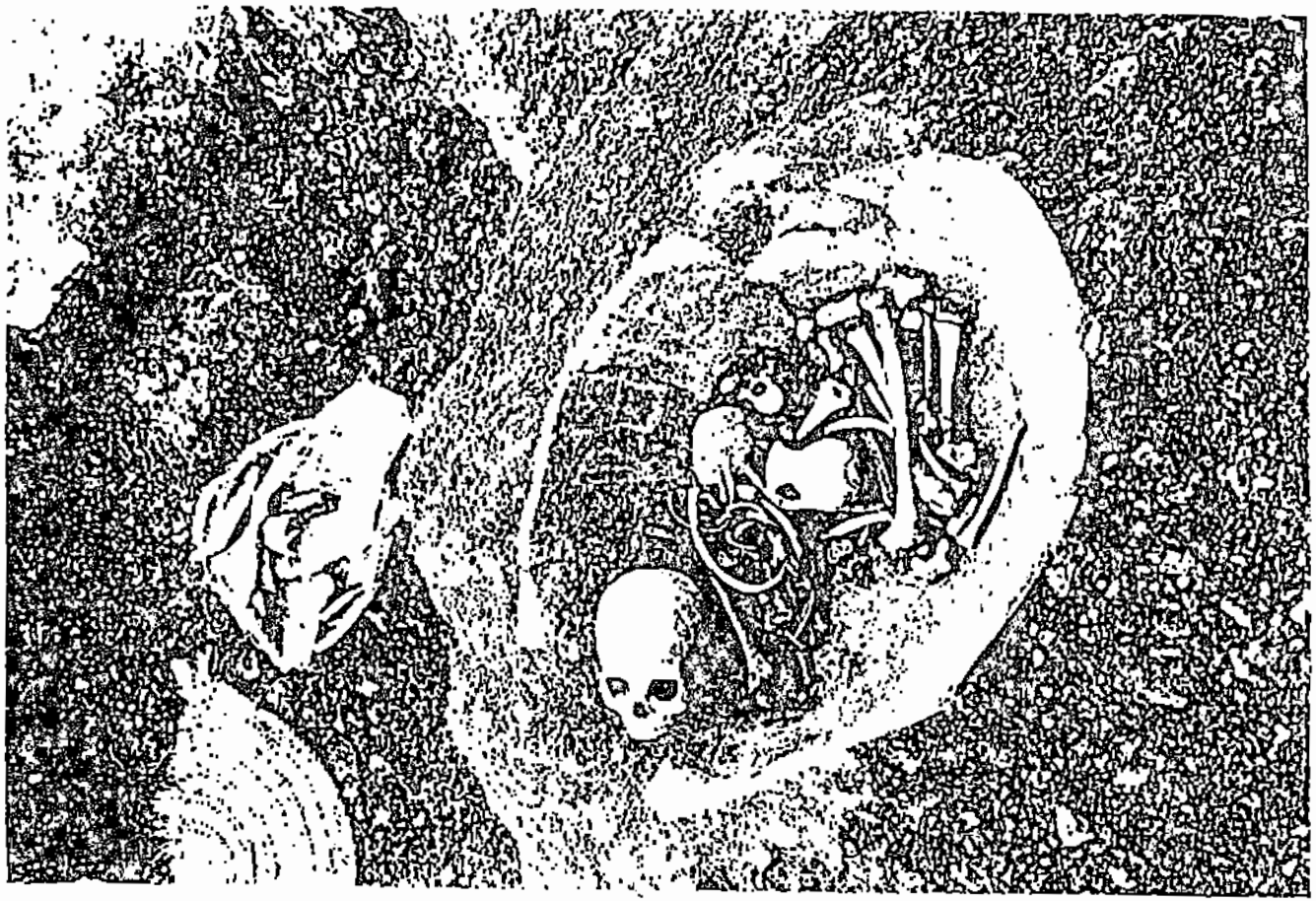

الرسم ٣ – ما فسن احدى الجرار المكسورة

(Copyright by Mr Maurice Dunaud. حقوق النقل محفوظة للاستاذ دونان)

الرسم ٥

تمثال صغير من البرونز يمثل فتيناً ذا -
(من الالف الثاني ق . م .)

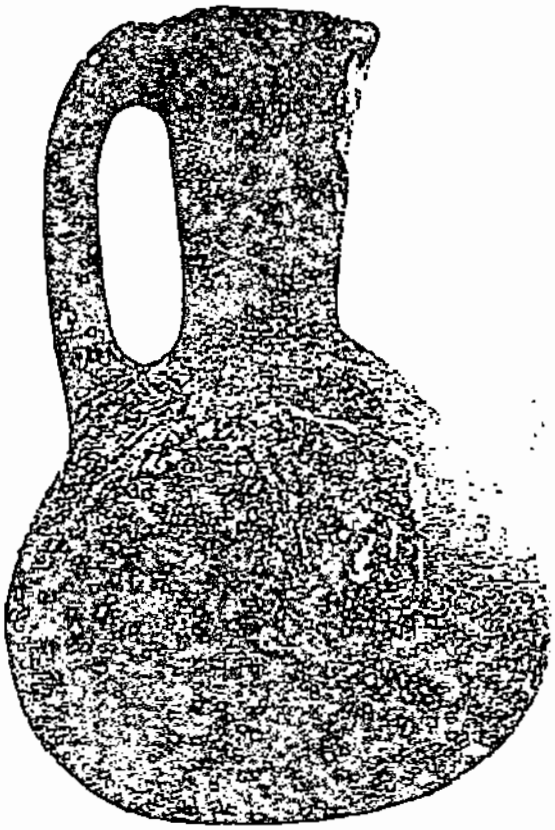

الرسم ٤

قطعة من الخزف وُجدت مع الجرار السابقة
(الالف الرابع ق . م .)

(Copyright by Mr Maurice Dunand. حقوق النقل محفوظة للاستاذ دونان)

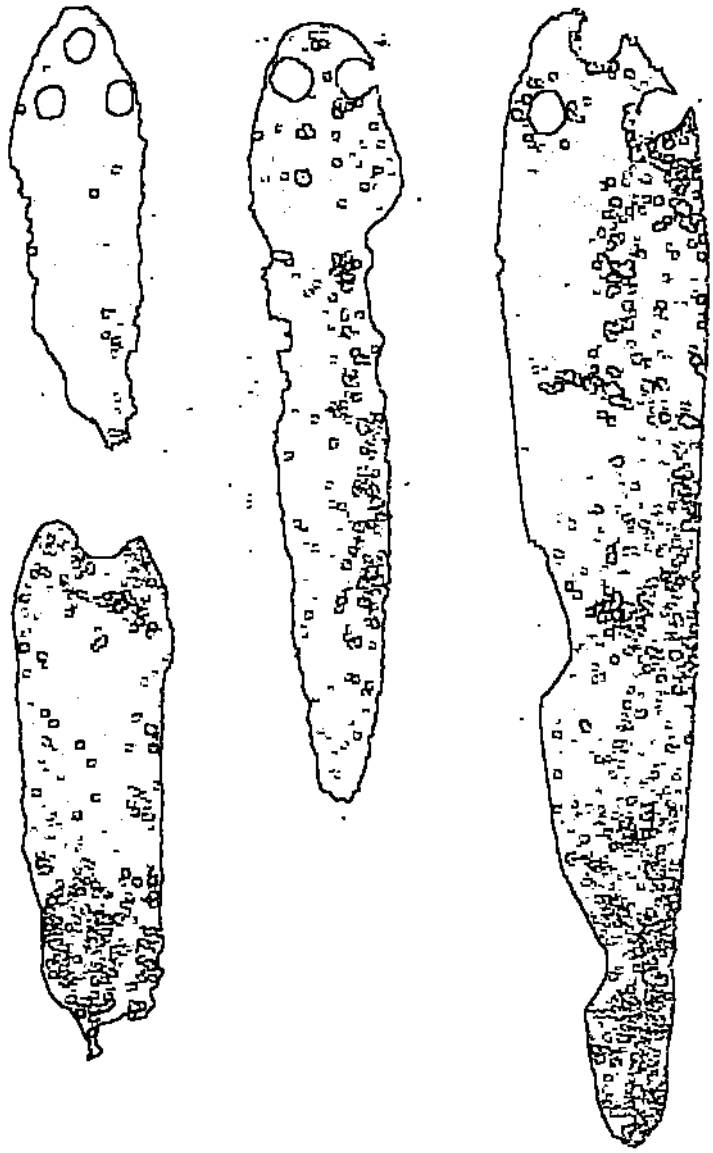

الرسم ٦ – نصول خناجر من النحاس وُجدت في الحرار (الألف الرابع ق . م)

(حقوق النقل محفوظة للاستاذ دورنان Copyright by Mr Maurice Dunand)

المدن الفنيقية تجارةً وسعة نفوذ . وسواء أكانت صور قد احتكرت منذئذٍ اعمال التجارة كلها التي كانت تتقاسمها ومدينة صيدون ، أو انتقل الصيدونيون اليها بجميع سفنهم ، فاننا نرى صور من ذلك العهد ، المسلطة المطلقة على البحار تبسط نفوذها على البحر المتوسط بكامله.

ثم ان خراب طروادة واضمحلال الكثير من مراكز الثقافة الايجية ، وغزوات الاخائيين القادمين حديثاً من الشمال والذين لم يكونوا على شيء من الاضطلاع بمظاهر المدنيّة الرفيعة ؛ كل هذا فتح امام الصوريين منافذ بحر ايجه. فاحتلوا سواحله ، وأسسوا فيها المحطات العديدة لتجاراتهم ، وانشأوا الهياكل لآلهتهم. ولم يكتفوا بذلك ، بل بلغوا مركزاً عالياً في ذاك العالم المضطرب ، ومثلوا فيه دور المثقفين المدنيين. يدلنا على ذلك ما ظهر من الملاحم والاساطير اليونانية في هذا العهد ، وكلها تمدح مآتي الفنيقيين . ويكفي ان نشير الى ما تذكره الاوديسة عن دقة تطريزهم وإحكام منسوجاتهم ؛ والى اسطورة قدموس بن اجينور الصوري التي تفيدنا كيف تعلم اليونان الابجدية الفنيقية ، تلك الآلة العجيبة التي اخترعها الذهن الفنيقي ، فبسط بواسطتها العلوم الرفيعة وانزلها الى مستوى البشر اجمعين.

بيد ان ملاحي فنيقية الجريئين لم يكتفوا بالتجارة مع الجزر اليونانية . وقد دفع بهم حب المغامرات ، والحاجة الى ايجاد منافذ جديدة لتجارتهم ، فساروا ينشئون المحطات والمراكز على طول الساحل الشمالي للبحر المتوسط . فتقدّموا من جزر اليونان الى صقلية ، فالى جزر البليار ، فالى اسبانية . ثم دفعوا بسفنهم فقطعوا اعمدة هرقل ، او جبل طارق ؛ وقذفوا بها في المحيط الاطلنطيقي ، فأسسوا قاديكس . اما في الساحل الجنوبي فقد انشأ الفنيقيون اشهر مستعمراتهم، وعلى رأسها اوتيكة وقرطاجة مدينة التجار الاغنياء التي لم يألُ كاتون جهداً في طلب تقويضها ، في سبيل سلامة الامبراطورية الرومانية

ولكن صور كانت قد ازدهرت ازدهاراً عجيباً واتسعت ازاءها اتساعاً فسيحاً قبل ازدهار وليدتها قرطاجة، بل قبل تأسيسها، على ما يزعم البعض فرأينا ملكها حيرام ، معاصر داود وسليمان وحليفهما ، يهتمّ بتنظيم المدينة وتزيينها

في القرن العاشر ق. م. وكانت المدينة تقوم في ثلاث جزر قريبة من الساحل، يفصل احداها عن الاخرى سواعد بحرية ضيقة. فبنى حيرام الارصفة وطمر هذه الفواصل، وزاد في مساحة الجزيرة. وكان يقابل هذه المدينة البحرية مدينة اخرى برّية تقوم على الساحل اسمها باليتير.

وكانت المملكة الصورية تمتدّ الى البلاد الداخلية على مسافة لا بأس بها، حتى حدود المناطق التي احتلّها العبرانيون. فكان يهمّ صور، والحالة هذه، ان تمتنع من خطر جيرانها. على ان ملك هؤلاء الجيران الذي قام بتوحيد مناطقهم، وهو داود النبي، كان، لحسن حظّ الصوريين، مشغولاً بدرء خطر اقوى عليه من خطر مملكة صور. ذلك انه عندما احتلّ العبرانيون ارض كنعان وجدوا على الساحل الجنوبي شعباً حديث العهد في هذه البلاد، هو الشعب الفلسطيني. وكان هذا الشعب يقرن بشجاعته الفطرية — وقد رأيناه يخرب مدينة صيدا — رغبةً شديدة في الحصول على ارض واسعة. فاخذ داود يجمع قواه واعتاده لمحاربة الفلسطينيين، وارتاح الى محالفة ملك صور الذي كان من مصلحته ان يتحد وملك اسرائيل على العدوّ المشترك.

ولم يمت داود حتى كان قد سحق اعظم اعدائه خطرًا، فمهّد السبيل امام ولده وخليفته سليمان، فظهر جديرًا بالملك الذي تركه له ابوه. ارتاح الى السلم فاخذ يفتش عن موارد جديدة لزيادة ثروة مملكته. وكما انه ورث ارض كنعان، اراد ان يرث ايضاً ازدهار التجارة الكنعانية القديمة باعادة العلاقات مع بلاد الجنوب حيث الذهب والحجارة الكريمة. ومن الممكن ان يكون العبرانيون، مدة اقامتهم الطويلة في ارض قادش، قد استفادوا، اما مباشرة واما بواسطة الادوميين، موارد تلك الارض. على انه بسبب الحروب العديدة في ارض كنعان، تأخرت هذه التجارة، دون شك، فلم تكن على حالة مطردة. فشاء سليمان ان يبعثها ويعمل على ازدهارها.

كانت ارض سليمان ارضاً ساحلية. وكان شعبه لا يقوى على مجابهة بحر وافر الصعوبات كالبحر الاحمر. فلجأ الى حليف ابيه، الى الملك حيرام، ملك صور. وقد اشار الكتاب المقدّس الى هذا الامر فقال: (٣ سفر الملوك ٩: ٢٦-٢٨):

« وبنى الملك سليمان سفناً في عصيون - جابر التي بجانب أيلة عند شاطئ بحر القلزم في ارض أدوم. فارسل حيرام عبيده في السفن مع عبيد سليمان ، قوماً ملّاحين عارفين بالبحر . فأتوا أوفير واخذوا من هناك اربعمائة وعشرين قنطاراً من الذهب . واتوا بها الملك سليمان . »

« ... وكذا سفن حيرام التي كانت تحمل ذهباً من أوفير جاءت من أوفير بخشب صندل كثير جداً وبحجارة كريمة . » (٣ سفر الملوك ١٠ : ١١)

« ... لان الملك (سليمان) كانت لـه في البحر سفن ترشيش مع سفن حيرام . فكانت سفن ترشيش تأتي مرة في كل ثلاث سنين حاملةً ذهباً وفضة وعاجاً وقِرَدةً وطواويس . » (٣ سفر الملوك ١٠ : ٢٢)

* * *

على ان صور لم تكتفِ بتمثيل هذا الدور التجاري وحده بالنسبة الى جيرانها العبرانيين والسوريين. بل تعدّته الى أمر انبل مرمى ، واوفر عائدة على الانسانية.

قبل ان ينبسط النفوذ الاشوري على هذه البلاد ، وبينما كانت مصر تغط في سُبات الانحطاط ، كانت صور خاصة ، والمدن الفنيقية عامة ، ترفع مشعال الفنّ والصناعة ، فتحافظ على المدنية وتنشر مبادئها شيئاً فشيئاً بين الشعوب الفتيّة التي اخذت على عاتقها تهذيبها وتثقيفها.

وهكذا كان لما قرّر سليمان انشاء هيكل ربّه العظيم ، وبناء قصر لنفسه فلم يرَ من يتجه اليه في ذلك الا ملك صور وارباب الفنّ من رجاله . فأرسل اليه قائلاً :

« كما فعلت مع داود ابي وارسلت له ارزاً ليبني لـه بيتاً ليسكن فيه ، تفعل معي فاني ابني بيتاً لاسم الرب الهي ... وأرسل لي اخشاب أرز وسرو وصندل من لبنان . » (اخبار الايام الثاني ٢ : ٣ و ٨) فارسل له حيرام من طلب من الخشب على اطواف من ساحل لبنان الى بحر يافا ، وهو اصعده الى اورشليم.

ثم طلب سليمان من حيرام ان يمدّه بالصناع وارباب الفنّ فكتب اليه : « فالآن أرسل لي رجلاً حاذقاً بعمل الذهب ، والفضة ، والنحاس ، والحديد ،

والارجوان ، والقرمز ، والسمنجوني » (اخبار الايام الثاني ٢ : ٧) فوجه اليه حيرام « رجلاً ماهراً صاحب فهم » كان اسمه حيرام ايضاً ، وكان « ابن رجل من صور خبير بعمل الذهب والفضة والنحاس والحديد والحجر والخشب والارجوان والسمنجوني والبز والقرمز وصناعة كل نقش واختراع كل شيء » (اخبار الايام الثاني ٢ : ١٣ ، ١٤) فصنع حيرام هذا للملك سليمان في بيت الله ، « العمودين ، والطرفين ، والتاجين اللذين على أرؤس العمودين ، والحبيكتين المغطيتين لطرفي التاجين والرمانات الاربع مئة ... والقواعد العشر ، والمغتسلات العشرة التي على القواعد ، والبحر ، والثيران الاثني عشر التي تحته ، والقدور والمجارف والجامات ... من نحاس نقي ... والمناثر وسرجها من ذهب خالص ، والازهار والسرج والمقاط من ذهب تام الخلوص ... والمقاريض والجامات والصحون والمجامر من ذهب خالص » الى آخر ذلك (اخبار الايام الثاني : الفصل الرابع)

يتضح من كل ما تقدم ان الفنيقيين كانوا لجيرانهم سكان فلسطين وسورية اساتذة الفن والصناعة . وكانوا انفسهم قد استفادوا ذلك اولاً من المصريين . على انهم لم يكتفوا بما نالوه ، بل زادوا عليه ونشروا ذلك حيثما رحلوا وحلّوا ، حتى لقد كان جميع امراء سورية وفلسطين يطلبون حذاقتهم في الفن والصناعة ، وليس طلب سليمان لحيرام الا مثلاً حُفظ ذكره لحوادث عدة من نوعه .

وقد دامت هذه الصداقة بين ملك العبرانيين وملك الصوريين طول حياة سليمان . اما بعد وفاته فقد ثار شعبه على ابنه رحبعام لان اباه كان قد ارهقهم بالضرائب الباهظة ، فالتفوا حول يارُبعام ونادوا به ملكاً . فانشطرت المملكة الى شطرين : مملكة يهوذا وعلى رأسها رحبعام في اورشليم . ومملكة اسرائيل وعلى رأسها يارُبعام . فما عسى يكون موقف صور من هاتين المملكتين ؟

كانت مملكة اسرائيل اقرب اليها من الاولى . وهي اهم بالنظر الى مساحتها ، وفيها سهول الاردن والساحل . فضلاً عن كون مملكة اسرائيل ادنى الى التساهل الديني من مملكة يهوذا واميل الى التقاليد الكنعانية القديمة . على انها كانت مضطربة النظام في اول امرها فتقلّب على عرشها ثلاث أسر في سنين قليلة .

ولقد كان بامكان صور ان تستفيد من هذه الفوضى ، لو لم تكن هي ايضا كانت فريسة الشغب والاضطراب على اثر وفاة حيرام ؛ ولم تستقر فيها الحال الا عندما ملك ايتوبعل ، احد حفدة حيرام.

ولكن ان لم تكن صور احتلت ارض اسرائيل ماديا ؛ فقد اخضعتها لنفوذها معنويا . فغدا اسرائيل يرى رأي الصوريين في اكثر مناحي حياته ، فيقوم بالعبادات الكنعانية القديمة ، ويتزوج ملوكه بالاميرات الصوريات فيأتين معهن بالحاشية العديدة والنفوذ القوي . من ذلك ان عُمري ملك اسرائيل زوج ابنه أحآب بايزابل ابنة إيتوبعل . فتملكت عليه شعوره ، وصرفته عن اتباع نصائح ايليا النبي . ولم تكتف بان ادخلت في اسرائيل عبادة بعل وعشترت ، بل استفادت من ضعف زوجها فاخذت تفرض عليه اتخاذ قرارات يشوبها الظلم احيانا . حتى انها كانت تلقي الاوامر باسمه وتوقع عنه القرارات مرة بعد اخرى . ولا حاجة من ثمّ الى التبسط في ذكر النفوذ الصوري في اسرائيل .

وقد تجاوز هذا النفوذ الى مملكة يهوذا . وكان ملكها يوشافاط، معاصر أحآب قد جرّب ان يبني سفناً في عصيون - جابر على مثال سليمان . الا انه لم يلجأ اولا الى الفنيقيين كما فعل الحكيم قبله . فحبط المشروع .

عند ذلك اتجه يوشافاط بطامحه جهة الشمال ، فاتفق مع ملك اسرائيل ؛ وزوّج ابنه يورام بعتليا ابنة أحآب من ايزابل ثم حاربا ملك دمشق.

وبعد وفاة يورام ، ملك يهوذا ، خلفه على العرش ابنه أحزيا . وكان أحآب ملك اسرائيل قد مات وخلفه ابنه يورام . واذاً فيكون ملكا اسرائيل ويهوذا من نسل الاميرتين الصوريتين : يورام ، ملك اسرائيل ، ابن ايزابل وشقيق عتليا ؛ وأحزيا ، ملك يهوذا ، ابن عتليا

وبينما كان هذان الملكان يحاربان متحدين ملك دمشق ، ثار عليهما الشعب بقيادة ياهو ابن يوشافاط ، فقتل ياهو امراء البيتين الملكيين جميعهم في ساحة الحرب وفي مدينة السامرة . وعندما رجع ياهو اشرفت ايزابل من قصرها وتهكمت عليه ، فامر رجاله فطرحوها من الطاق، فترشش من دمها على الحائط

وعلى الخيل وداستها » . ثم تناهشت الكلاب لحمها .

اما عتليا فكانت في اورشليم . وعندما وصلها نعي ابنها ونعي امراء اسرائيل جميعهم ، ارادت ان تقضي هي بنفسها على من بقي من بيت الملك فقتلت كل ابنائها الصغار الا يوآش الذي أُخفي عنها . ثم قُتلت .

وقد بلغ النفوذ الصوري في يهوذا على عهد عتليا اوج ازدهاره ، فدخل كثير من الآراء بل العقائد الدينية الفنيقية في ايام زوجها يورام وابنها أحزيا وفي ايام ملكها هي . وكان هذا العصر من اعظم عصور فنيقية ازدهاراً وانتشارَ نفوذ . فقد كانت صور سلطانة البحار ، وسيدة المستعمرات العديدة ، ممدّنة البربر ، ومهذّبة عملائها ، والسائدة بنفوذها على ممالك سورية عامة ، وخاصة على مملكتي يهوذا واسرائيل . ولعلّ ابلغ ما نختم به الكلام في وصف صور وما بلغت اليه سيادتها وتجارتها وازدهار مدنيتها ، قول حزقيال النبي متنبئاً على خرابها (نبوة حزقيال : الفصل السابع والعشرون)

« وكانت اليّ كلمة الربّ قائلاً : وانتَ ، يا ابن البشر ، أنشدْ بوناء على صور وقل لصور الساكنة عند مداخل البحر ، تاجرة الشعوب في جزائر كثيرة هكذا قال السيد الربّ :

« يا صور ، انك قلتِ انا كاملة الجمال . تخومُك في قلب البحار ، وبانوك اكملوا جمالك .

بسرو من سنير بنوا لك كلّ طباقك ، واخذوا ارز لبنان ليصنعوا سواري عليك . صنعوا مقاذيفك من بلّوط باشان ، ومقاعدك من عاج مرصّع في الشربين من جزائر كتّيم . البزّ الموشّى من مصر كان ما نشرته شراعاً لك ، والسمنجونيُّ والارجوانُ من جزائر أليشة كانا غطاءك .

سكانُ صيدونَ وأرواد كانوا قذّافين لك . وحكماؤك ، يا صور ، الذين فيك هم مدبّروك . شيوخُ جبلَ وحكماؤها كانوا فيك جلافطةَ حُداصك .

وجميعُ سفن البحر وملّاحوها كانوا فيك لترويج موسمك .

فارسُ ولودُ وفوطُ كانوا في جيشك رجال حربك وعلّقوا فيك المجنّ والخوذة . هم افادوك بهاء . بنو أرواد مع جيشك كانوا على اسوارك من حولك ،

والابطال كانوا في بروجك وعلقوا تروسهم على اسوارك من حوالك . هم اكملوا جمالك .

ترشيشُ مُتجرة معك في كثرة كل غنى ، وبالفضة والحديد والقصدير والرصاص اقامت اسواقك.

ياوان وتوبَلْ وماشَك مُتجرون معك ، وبنفوس الناس وآنية النحاس اقاموا موسمك.

آل توجَرْمةَ بالخيل والفرسان والبغال اقاموا اسواقك.

وبنو دَدَان متجرون معك ، وجزائر كثيرة تجار يدك ، وقد ادّت قرون العاج والابنوس قياضاً لك.

أرامُ مُتجرة معك في كثرة صنائعك ، وبالبهرمان والارجوان والوشي والكتان والمرجان والياقوت اقامت اسواقك.

يهوذا وارض اسرائيل متجرتان معك ، وبحنطة مِنّيت والحلاوى والعسل والزيت والباسان اقامتا موسمك.

دمشق متجرة معك لكثرة صنائعك من اجل كثرة كل غنى لك بخمر حلبون وبالصوف الابيض.

دان وياوان بالغزل اقامتا اسواقك . وكان في موسمك حديدهما المصنوع وقصب الذُرَيرَة.

دَدَان متجرة معك بالنمارق للركوب.

العرب وجميع رؤساء قيدار هم تجار يدك بالحملان والكباش والتيوس . فانهم بهذه اتجروا معك.

تجار شبأ ورعمة متجرون معك ، وبافضل كل طيب وبكل حجر كريم ، وبالذهب اقاموا اسواقك.

حاران وكنّة وعادان وتجار شبأ وأشور وكِلْمد متجرون معك . هؤلاء يتجرون معك بالانسجة الفاخرة ، بأردية من السنجوني والوشي ، وبالنفائس من الثياب المُبرَمة والمشدودة بالحبال المحكومة بين بضائعك.

سفن ترشيش سيارة لكِ ، لموسمك ، وقد امتلأتِ وصرتِ ذات مجد

عظيم في قلب البحار.

ان غناكِ ، واسواقكِ ، وموسكِ ، وملاحيكِ ، ومدبّريكِ ، وجلافطة خصاصكِ ، وباعة تجارتك ، وجميع رجال حربكِ الذين فيكِ ، وكلّ الجمع الذي في وسطكِ ، يسقطون في قلب البحار يوم سقوطكِ.

من صوت صراخ مدبّريك ترتعش محاجرك . فجميع ضابطي المقاذيف والملاحون ، وجميع مدبّري البحر ينزلون من السفن ، ويقفون على البرّ ، ويسمعون عليك اصواتهم ، ويصرخون بمرارة ، ويحثون فوق رؤوسهم تُراباً ، ويتمرّغون في الرماد ، ويحلقون شعرهم عليكِ ، ويتحزّمون بالمسوح ، ويبكون عليكِ بمرارة النفس مندباً مرّاً . وفي نوحهم يُشيدون عليكِ بالرثاء ويرثونك قائلين : من كصور ، كالمهدومة في وسط البحر ؟

بخروج سلعك من البحار اشبعت شعوباً كثيرين ، وبكثرة اموالكِ وبضائعكِ اغنيتِ ملوك الارض . يوم انكسارك من البحار في اعماق المياه سقطت بضائعك ، وكل جمعكِ في وسطكِ . جميع سكان الجزائر اندهشوا عليكِ . وملوكهم اقشعرّت شعورهم وامتقعت وجوههم . والتجار في الشعوب صفروا عليكِ ، وقد صرت الى العدم ، فلا تكونين الى الابد . »

والابطال كانوا في بروجك وعلقوا تروسهم على اسوارك من حولك . هم اكملوا جمالك .

ترشيش مُتجرة معك في كثرة كل غنى ، وبالفضة والحديد والقصدير والرصاص اقامت اسواقك.

ياوان وتوبَل وماشَك مُتجرون معك ، وبنفوس الناس وآنية النحاس اقاموا موسمك.

آل توجَرمة بالخيل والفرسان والبغال اقاموا اسواقك.

وبنو دَدَان متجرون معك ، وجزائر كثيرة تجار يدك ، وقد ادّت قرون العاج والابنوس قياضاً لك.

أرامُ مُتجرة معك في كثرة صنائعك ، وبالبهرمان والارجوان والوشي والكتان والمرجان والياقوت اقامت اسواقك.

يهوذا وارض اسرائيل متجرتان معك ، وبحنطة مِنّيت والحلاوى والعسل والزيت والباسان اقامتا موسمك.

دمشق متجرة معك لكثرة صنائعك من اجل كثرة كل غنى لك بخمر حلبون وبالصوف الابيض.

دان وياوان بالغزل اقامتا اسواقك . وكان في موسمك حديدهما المصنوع وقصب الذُريرَة.

دَدَان متجرة معك بالنمارق للركوب.

العرب وجميع رؤساء قيدار هم تجار يدك بالحملان والكباش والتيوس . فانهم بهذه اتجروا معك.

تجار شبأ ورعمة متجرون معك ، وبافضل كل طيب وبكل حجر كريم ، وبالذهب اقاموا اسواقك.

حاران وكنّة وعادان وتجار شبأ وأشور وكِلمد متجرون معك . هؤلاء يتجرون معك بالانسجة الفاخرة ، بأردية من السنجوني والوشي ، وبالنفائس من الثياب المُبرَمة والمشدودة بالحبال المحكومة بين بضائعك.

فمن ترشيش سيارة الكِ ، لموسك ، وقد امتلأتِ وصرتِ ذات مجد

ونحن ، اذا قلنا انه لم يكن عند العرب تمثيل نعني ان العرب لم يستعيضوا في موقف من المواقف عن شخص غيّبه عنهم الموت او البعد بآخر اتخذ صورته او ما يقرب منها ، وقلّد نبرات صوته ، واحوال مشيته ، وجميع طرق معيشته المعروفة عند عارفيه[1] . ذلك انا لا نحسب من التمثيل ما يصنعه الناس من قبيل الشعائر الدينية كتمثيل قتل الحسين عند الشيعة[2] او بعض ما كان يأتيه اصحاب الطرق الصوفية من الاشارات والحركات التمثيلية ، والا لكانت كل شعائر المسيحيين والمسلمين واليهود والبوذيين وغيرهم من الملل والطوائف تمثيلاً خالصاً . . .

لم يكن للعرب تمثيل أي ان شعراءهم وادباءهم عامة لم ينصرفوا الى تأليف الروايات التمثيلية كما هي مفهومة في ايامنا[3] .

. . .

ولماذا لم يعرف الاقدمون التمثيل فقعدوا عنه وباتت الآداب العربية تشكو هذا النقص الى ما قبل ايامنا بالقليل ؟

لذلك اسباب داخلية واخرى خارجية يرجع بعضها الى العصور الجاهلية وبعضها الى الاسلام:

اجل ! لم نكن لنتوقع من الجاهلية روايات تمثيلية . واسباب ذلك ظاهرة تعود بعضها الى طبيعة العربي الجاهلي — او قل البدوي ابن البادية الخ — وحالة اللغة العربية آنذاك ؛ وغيرها تعود الى عوامل خارجية تتعلق بالمجتمع .

اما الاسباب التي تعود الى طبيعة العربي الجاهلي فهي انه غير ميّال بفطرته

---

١) وقد وصف النقادة الالماني (Schlegel) ، التمثيل اذ قال : « انه يبدو لنا اخبار الناس بطريقة شائقة لا نظير لها اذ يحاكيهم في طباعهم وعوائدهم واقوالهم وافعالهم محاكاة ما يخيّل لنا انهم نشروا من مدافنهم وظهروا علينا بظهر الاحياء على حالتهم الاصلية كأنهم لم يغيّبوا من عالم الوجود » (المشرق ٢ [١٨٩٩] ٢٠)

٢) زيدان : تاريخ الآداب العربية ٢ : ٢٠٠

٣) ونحن لا نعتبر رواية تمثيلية ما اكتُشف اخيراً من آثار ادباء العصر المولى ، اعني ذلك الكتاب « طيف الخيال » لابن دانيل الموصلي الذي يقرب — عن بعد — من فن التمثيل . الا انه يُعدّ من نوع ما نسميه اليوم في لبنان ، كما يشهد جرجي زيدان نفسه (٣ : ١٢١) ، « الكراكوز » ليس غير .

شوقي على المسرح

مع مقدّمة في

التمثيل العربي

بقلم ادوار حنين

لقد كانت الابحاث في شعر شوقي ومناحيه المتنوّعة من عدة وثاء وتهنئة ووطنية واجتماعية . وها اننا ننشر اليوم درساً واسعاً في «مسرح شوقي» وهي ناحية قلما تعرّض لها النقاد وان فعلوا فبأسلوب مقتضب لا يشفي غليلاً . وقد قدّم على هذا الدرس بحث في التمثيل العربي إجمالاً تمهيداً لموضع شوقي من تاريخ هذا الفن.

المقدمة

التمثيل العربي

كانت جاهلية ... وكان اسلام . فازدهر الادب العربي واثمر . إلا انه لم يكن فيه تمثيل . ولم يتسرّب هذا الفن الى الآداب العربية الا في منتصف القرن التاسع عشر المتصرم . نقول ذلك اعتقاداً منا ان مقامات الهمذاني والحريري وما اليها ليست من التمثيل في شيء ، مهما كانت مزاعم بعض المستشرقين ، كما اننا لا نوافق جرجي زيدان[1] على ما قاله من ان « رسالة الغفران » لابي العلاء المعرّي تقرب من الكوميديا . والا لوجب ان نسلّم بان اقاصيص الاغاني ، لما فيها من المحاورة وغيرها من مميزات التمثيل ، هي سلسلة روايات تمثيلية ... كلها مزاعم يصعب التسليم بها . فلا المقامات ، ولا رسالة الغفران ، ولا روايات الاغاني ، ليست من النوع التمثيلي اذا ما فهمنا بالرواية التمثيلية : « تمثيل او عرض واقعة تاريخية ام اختراعية بواسطة اشخاص تنطبق افعالهم واقوالهم على حقيقة الواقع او الاحتمال »[2]

(١) جرجي زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية ٢ : ٢٠ (٢) المشرق ٢ [١٨٩٩] ٢٠

الخطابة والوصف، والحالة هذه، شعراء الجاهلية عن الدرس الاخلاقي الذي لا أثر له في آدابهم كما نتحققه في رحلة نقوم بها في دواوينهم.

والى للعربي التحاليل النفسانية والابحاث الاخلاقية ولا همّ له في جاهليته الا الانتقال من بادية الى اخرى يحارب قريبه على مياه بئره النزرة او على عشب مرعاه الضئيل ليضمن حياة ماشيته التي تتعلق بها حياته وحياة اهله... والعربي، وهذه حياته النقالة وحالته المضطربة، يعيش في المادّة والسادّة، قليل التأمل الداخلي، ولا سبيل الى معرفة الغير لمن اخطأ معرفة نفسه.

فضلًا عن ان الدروس الاخلاقية تتطلب من صاحبها مخالطة الجماهير فالتسرّب الى مجتمعاتهم والنظر الى الافراد والجماعات في حالات سكناتهم وحركاتهم والى كل حال من احوالهم لكي تتوافر له المعلومات فيقيس ما بينها ويبني على مقدماته النتائج. والبدوي كما نعلم رجل فردي، نئّال، بعيد عن الروح الاجتماعية، لا يخالط القوم ولا يحبّ ان يُخالَط فهو يردّد ابدًا ما قاله الطفيل بن عامر: «كنت رجلًا احبّ الوحدة»[1]، يقولُ ما قاله بدويّ مُسلم في صلاته: «اللهم ارحمني ومحمدًا ولا ترحم معنا احدًا».[2] وللجاحظ عن البدو في كتاب البيان والتبيين ما يدعم قولنا هذا حيث جاء: «انهم تقاربوا في المودّة وتباعدوا في الديار»[3]

وقد قرأنا للاب لامنس في مثل هذا الموضوع قوله:

«اننا لنرى صفة واحدة تتفرّع عنها جميع نقائص البدوي، وتُلخّص كل ما كان ينقص ذاك الرجل من المزايا الخلقية، الا وهي صفة الفردية. البدوي رجل فردي.»[4]

ثم زد ان البدوي، شاعرًا كان ام حكيماً، لم يكن واسع الخيال قويّه. وذلك لاسباب منها انغماسه في المحسوسات وكثرة اهتمامه بالامور الوضعية

١) الجاحظ: كتاب المحاسن والاضداد ١٠٢

٢) ابن حنبل: المسند ٢: ٢٨٣

٣) الجاحظ: البيان والتبيين ١: ١٧٦

٤) المشرق ٣٠ [١٩٣٢] ١٠٤

وكثرة تدقيقه في مشابهة الطبيعة. وقد علّل هذا النقص الاب لامنس بقوله[1]:

ان حياة البدوي في عزلته القاتمة المستديمة تضعف خياله وتميت فيه تلك القوة المنتجة. وزاد: ان نضاله المتواصل في سبيل الحياة وتفكيره الدائم بامور الغد وما يحمله له في طياته من خيرات وشرور وما يلزمه فيه من معيشة ومؤونة تمنعه من الاسترسال في الاحلام الشهية اللذيذة... حيث خلق الصور والاشباح من اللاشيء. ثم قال: ان من نتائج ضيق مخيلته انه لم يحسن استعمال ما يسميه بالجن في اختراع نظام يرتب عليه الاشخاص اللابشرية من آلهة وانصاف آلهة على نحو ما تسميه الشعوب القديمة الغربية بالميتولوجيا.

والناظر الى ما خلّفه لنا الجاهليون من الشعر يتثبّت هذه الحقيقة بنفسه. وإنّا ذاكرون لـه بعض الامثال يرى فيها الشاعر الجاهلي في احسن المواقف وادعاها الى الشعر والسموّ، الا انها لا تستنهض اجنحة مخيّلته الثقيلة، وان فعلت فقليلاً ليعود ويهوي كأنما هو طائر اجنحته من شمع ان زاد علوّه زادت مجاورته للشمس فسالت اجنحته، فهبط وكان هبوطه عظيماً.

واي شيء ادعى للخيال من ان يعود الشاعر المحارب الى ذكرى مواقعه السالفة، الى انتصاراته وفتكه وثأره لدم اخيه المهدور غدراً — اعني موقف المهلهل في رثاء كليب اخيه — فيحييها جميعها امام عينيه لينظمها شعراً خالداً؟ — لا شيء. ومع ذلك فاننا لا نرى في قصائد هذا الشاعر — على كونه من أئمة الشعر في الجاهلية — سوءاً يذكر... فلنسمعه في قصيدته المشهورة:

اليلتنا بذي حُسُم أنيري اذا انت انقضيت فلا تحوري

حيث جاء باحسن مقاطعه ذاكراً المعارك والقتلى، فقال:

ولو نش المنابرُ عن كليبٍ لاخبر بالذنائب اي زير
ويوم الشيبتين لقرّ عيناً وكيف لقاء من تحت القبور!
على اني تركت براردات بحيراً في دم مثل البحير
هتكت به بيوت بني عباد وبعض القتل اشفى للصدور

---

(1) Lammens, *op. cit.*, pp. 226 ss.

وهمام بن مرة قد تركنا عليه العثمان من النسور
قتيل ما قتيل المرء مرو وجساس بن مرة ذو ضرير

نرى ان الشاعر اقتصر على تعداد امكنة المواقع واسماء القتلى ولم يذكر فيما خص ذلك شيئاً عما كان ... فاين وصف المعركة ؟[1] ووصف القتلى يتخبطون بدمائهم ، والسيوف تتخضخض في صدورهم ... اين وصف تلوي الرماح ولمعانها تحت النقع ، وصليل السيوف الى جنب دوي سنابك الخيل وكل ما توحيه من الاشباح والصور المعارك الليلية ؟؟ كل هذا لم يأتِ له ذكر في طول القصيدة وعرضها . نقص ناتج عن عدم وجود الخيال الفسيح . وقد تلمس ضعف خيالهم في مواقف أخرى اذ يبتدئ الشاعر منهم بعرض مشهد فتؤمل نفسك انك ستراه كاملاً ، فما تلبث الا وتخدعك امانيك ، فيظل المشهد على نقصه . من ذلك قول المهلهل :

وصار الليل مشتملاً علينا كأن الليل ليس له نهار

وهذا :

وابكي والنجوم طالعات كأن لم تحوها عني البحار .

وكأنها مقدمات لمشاهد فسيحة ، ولكنها لم تتم لسوء الحظ . ذلك من فقر الخيال .

واحب ان اقف والقراء في سبيل هذه الغاية ، تجاه معلقة عنترة ، وهي من القصائد النادرة التي يمكننا ان نلمس فيها الخيال العربي ، ان كان ثمة خيال عند شعراء الجاهليين . لقد استهل عنترة قصيدته بوصف الاطلال واستطرد الى وصف عبلة ، فوصف الناقة ، فوصف بطشه بالظالم حيث يعدد القتلى ويصفهم وصفاً تاماً ، فوصف شربه الخمر وكرمه ثم العود الى وصف بطشه واعماله في الحروب وبه تنتهي ... قد ابتدأت بالوصف ، وانتهت بالوصف . وليس في جميع هذه الموصوفات سوى وصف المحسوس الملموس : الاطلال ... الناقة ... المحاربين ... عبلة ... كل ما احاط بهم واعتادوا رؤيته في كل صبح ومساء .

ثم انك تسمع شعراء الجاهلية وصدر الاسلام يكثرون من ذكر

---

١) اذكر وصف « وترلو » لفيكتور هوغو

« الجن » والشياطين ، فهل تعرّض احدهم لوصفهم وتعداد ميزاتهم وتصويرهم لنا على شكل من الاشكال ؟ لا . فقد كان الجنّ ، ولما يزل ، يدل على مسمّى مبهم لا نعرف من حقيقته وارصافه الشيء الكثير . . .

قلنا ، فيما تقدم ، ما نثبت به ان البدويّ ضيّق المخيّلة ضعيف الخيال . ومن كانت هذه حاله فلا يتمكّن من ايجاد المشاهد الرائعة وتصويرها وخلق الحوادث المؤثرة المثيرة والاشخاص الحية وبكلمة : كل ما يحتاج اليه المؤلف المسرحي لتأليف رواية تمثيلية . . . او محاولة تأليفها .

وهناك اسباب غير هذه حالت دون نشأة التمثيل العربي يجب اتخاذها بعين الاعتبار اهمها ان الادب الجاهلي كان شفوياً . ومتى كان الادب على هذه الحال صعب على المؤلف ان يأتي بعمل طويل النفس مشتبك العواطف ، متعدّد الاشخاص ، كما في الرواية التمثيلية . وصعب على غير المؤلف حفظ ما طال فالذاكرة محدودة . . . وما لم يكن سيّاراً بين القوم كان لا يؤخذ بعين الاعتبار عند اولئك الشعراء الذين ينظمون وهمّهم الاكبر الشهرة .

ولا يخفى انه يتحتم على المؤلف المسرحي ، كي يتقن تأليف الروايات التمثيلية ، ان يتناسى نفسه تاركاً لمخلوقاته اي لاشخاص رواياته حرية القول والفعل بما تقتضيه اخلاقهم وطباعهم وسنّهم وجنسيتهم ومكانتهم وموقفهم . هذا ، والتستر وتناسي النفس ابعد الاشياء عن خُلق البدوي .

فهذه نقاط كان لها تأثيرها في عدم ظهور الروايات التمثيلية آنذاك . وهي ، وان لم تكن اساسية ، فانها تعدّ من الاسباب الثنوية التي يعتمد عليها في الابحاث الادبية .

ولنضف سبباً خارجياً له بعض الشأن في المسألة ، وهو عدم رقي المجتمع الجاهلي . اذ ان شرطاً من شروط التمثيل الاساسية رقي المجتمع .

ولا مبرّر للقول بالضد مهما دعا الى ذلك الدكتور طه حسين[1] اذ لا جدال في ان العصور الجاهلية لم تكن عصور رقي وتمدّن ، وان لم تكن كذلك

---

١) في الشعر الجاهلي : الطبعة الاولى ، ص ١٥

عصور همجية وتوحش . وانما هي عصور ليست من الرقي في شيء يذكر . وان حالة شعب يوصف بما وصف به النبي الاعراب اذ قال « الاعراب اشد كفراً ونفاقاً واجدر الّا يعلموا حدود ما انزل الله » لحالةٌ — من حيث الرقي الاجتماعي — لا يحسدون عليها .

اما وجوب رقي المجتمع للفنّ التمثيلي فهذا مما لا مراء فيه، ونظرة منّا الى تواريخ آداب الشعوب القديمة والحديثة تقنعنا بصحّة ما تقدّمنا . متى ألّف اليونانيون رواياتهم التمثيلية ؟ متى حذا حذوهم من اتى بعدهم من الشعوب حتى عصرنا ؟ أوَ لم يكن ذلك عندما اصبحت بيئاتهم على قسط من الرقي لا بأس به .

***

ولكن . . . لقد تصرّمت العصور الجاهلية فكان خاتمها النبي والقرآن ؛ وامتدّت العصور الاسلامية من الخلفاء الراشدين الى ايام قريبة منّا ، فاضمحلّت معظم الاسباب القديمة التي كانت تحول دون نشأة المسرح العربي . اصبح الادب خطيًّا بعد ان كان شفويًّا ، وبلغ المجتمع مكانة عالية في الرقي والتمدن ، وتغيّرت احوال العربي نوعاً اذ اصبح في رخاء وتعدّدت لديه اسباب الراحة وتنعم بالعيشة الهادئة الهنيئة التي توفر له اسباب التفكير والتأمل . . . والاسترسال في تيّار احلامه، فتأثر خياله من محيطه نوعاً، وتمّ له معظم ما كان بحاجة اليه لايجاد التمثيل . . . ومع ذلك لم يقدم عليه .

فما هي دواعي هذا التأخير ؟ وكيف يمكن شرحها وتعليلها ؟

ذلك ان ادباء المسلمين وشعراءهم ساروا على خطة اسلافهم ، فقلّدوهم وافرطوا في التقليد الى ان اصبح المبدع فيهم من اتقن التقليد واجاد فيه . وهذا ما حمل الدكتور طه حسين على القول في كتابه « في الشعر الجاهلي »[1] :

« فلست اعرف امّة من الامم القديمة استمسكت بمذهب المحافظة على الادب ولم تجدّد فيه الا بمقدار كالامة العربية » . وزاد للبرهان « فحياة العرب

---

(١) في الشعر الجاهلي — الطبعة الاولى — ، ١٦

الرسم ١ – منظر رئيسي لمنطقة الدراسة (الطيار)

(عن كتاب ابن بلاون [illegible])

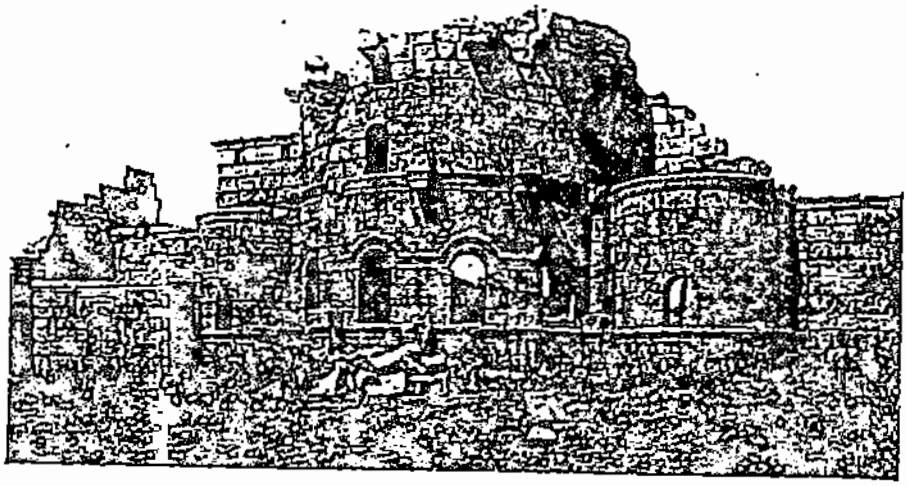

الرسم ٢ – داخل قلعة سمعان .
(عن الكتاب نفسه pl. XXX, 1)

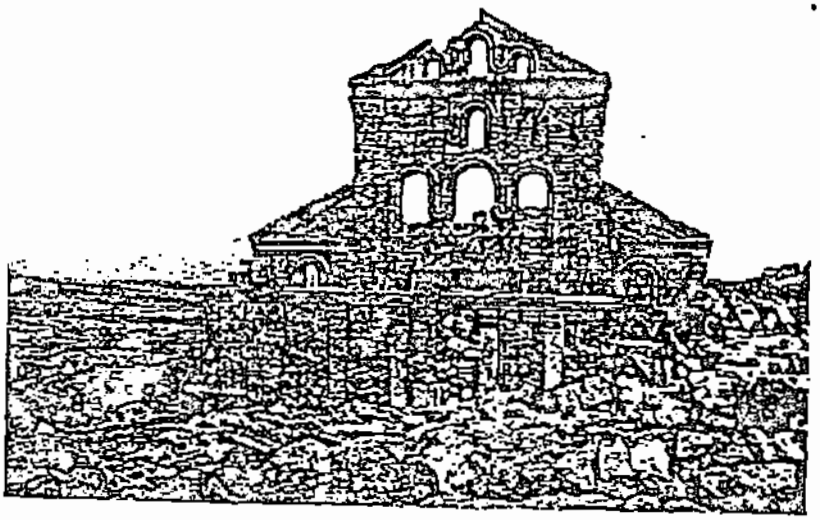

الرسم ٣ – واجهة كنيسة في بقيرحه
(عن الكتاب نفسه pl. XIX, 3)

الجاهليين ظاهرة في شعر الفرزدق وجرير وذي الرمة والاخطل والراعي اكثر من ظهورها في هذا الشعر الذي ينسب — وهنا ترى شك الدكتور في صحة نسبة الشعر الجاهلي — الى طرفة وعنترة والشماخ وبشر بن ابي خازم » .

ولا عجب في ذلك ، ونحن لا نزال نرى حتى ايامنا هذه، جماعة من الكتاب والشعراء — مع كوننا في القرن العشرين — لا يلذ لهم من انواع الكتابة والنظم الا تقليد الاقدمين والسير على ما عبّدوه لهم من الطرق . وهكذا قلد ادباء العصور الاسلامية اسلافهم تقليداً كثير التقيد حتى كان لا يستطيع واحدهم الظنّ انه يحسن الاجادة حيث لم يحسنها اسلافه ، وان من الفنون الشعرية ما لم يفكر به الاقدمون .

ولكن ان كانوا لم يؤلفوا الروايات التمثيلية ، جرياً على عادة القدماء الجاهليين ، فلماذا لم ينقلوها عن اليونان ، وقد نقلوا عنهم فلسفتهم وعلومهم من طب وهندسة ونجوم ومنطق ؟

على هذا نجيب بان اكثر ما بعث المسلمين الى النقل رغبتهم في الفلسفة والطب والنجوم والمنطق . . . والعلوم عامة ، وليس ما بعثهم اليه رغبتهم في آداب الغرباء وتاريخهم .

ثم ان العربي كان يفاخر الاعاجم بآدابه وكان لا يقرّ لامة من الامم بمثل ما عنده . وليس من المعقول بعد هذا ان ينقل اداب الاعاجم الى لغته فيقضي على نفسه بنفسه .

هذا وربّ قائل يقول : ولكن الترجمات لا تخلو من كتب في الادب منقولة عن الفارسية والهندية كالف ليلة وليلة ، وكليلة ودمنة ، وغيرهما ، فلماذا نقلوا هذه ولم تمنعهم مفاخرتهم ، فاكتفوا بها ، ولم ينقلوا شيئاً من الآداب اليونانية ؟

فنجيب ان التراجمة كانوا ينقلون غالباً كتب الادب من عند انفسهم رغبةً في اظهار مآثر اسلافهم او جيرانهم .

فالمترجمون الفرس مثلاً كابن المقفع وآل نوبخت وعلي بن زياد التميمي المكنى بابي الحسن نقلوا شيئاً من آداب الفرس . وكذلك نقل التراجمة السريان

والحالة هذه يتحتم علينا اثبات هذه الحقيقة عن غير طريق القرآن فنستند الى الحديث حيث تتوافر البراهين ، ونجد التحريم في جلاء ووضوح اذ لا يعود للشك من سبيل. اما كيف نلمس هذا التحريم في الحديث فهذا ما نحن مظهرون:

لا يطول الوقت بقارئ الحديث الا ويرى كثيراً من الاقوال في تحريم الصور والتماثيل ، كلها مسندة الى عائشة فالنبي ، او الى النبي على غير طريق عائشة ، وهي غاية في الوضوح.

كمثل قولهم عن . . . عن النبي : «لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب ولا تصاوير»[1]

وهذا : « حدثنا موسى عن . . . قال : حدثنا ابو زُرعة قال : دخلت مع ابي هُريرة داراً بالمدينة فرأى في اعلاها مصوّراً يصوّر فقال : «سمعت رسول الله يقول : ومن اظلم ممّن ذهب يخلق كخلقي.» [2]

وهذا : « حدثنا ابراهيم بن المنذر عن . . . عن النبي قال : « ان الذين يصنعون هذه الصور يعذّبون يوم القيامة . يقال لهم احيوا ما خلقتم»[3]

وهذا : « حدّثنا عليُ بن عبد الله قال . . . قالت عائشة : قدم رسول الله من سفر وقد سترتُ بقرام لي على سهوة لي فيه تماثيل فلما رآه الرسول هتكه وقال : اشدّ الناس عذاباً يوم القيامة الذين يضاهون بخلق الله » [4] وهذا : حدّثنا حجّاج بن منهال عن . . . قال النبي : ان اصحاب هذه الصور يعذّبون يوم القيامة ، يقال لهم احيوا ما خلقتم . وان الملائكة لا تدخل بيتاً فيه الصور » [5]

وهذا : « حدّثنا الحميدي عن . . . قال : كنا مع مسروق في دار يسار بن نُمير فرأى في صفّته تماثيل فقال سمعت عبد الله . . . سمعت النبي يقول : ان اشدّ الناس عذاباً عند الله يوم القيامة المصوّرون »[6] وقد ورد في صحيح ابن الاثير

---

١) البخاري – الصحيح (طبعة Krehl) الجزء الرابع : كتاب اللباس، الباب ٩٠ : ص ١٠٤
٢) البخاري – الصحيح – الجزء الرابع : كتاب اللباس ، الباب ٩٠ ص ١٠٤
٣) البخاري – الصحيح – ب ٨٩ : ص ١٠٤
٤) البخاري – الصحيح – ب ٩١ : ص ١٠٤
٥) « « ب ٩٢ : ص ١٠٥
٦) « « ٨٨ : ص ١٠٤

الجزيرة العربية الهادئة ، المطمئنة تحت راية الاسلام وصحائف القرآن ، آيات الكفر والشرك ؟

يبقى ان نتبسط في نقطة قد تكون العامل الاكبر في عدم وجود التمثيل عند العرب الا وهي : تحريم الاسلام صنع الصور والتماثيل على المسلمين[1]. ولما كان التمثيل نوعاً من التصاوير والتماثيل — كما سترى — فقد لحق به التحريم وقضى عليه قضاءه على غيره من الفنون.

لقد افضى البحث بالاب لامنس اليسوعي ، صاحب الدروس القيّمة في الاسلام والمسلمين ، الى القول بان النبي لم يحرّم الصور في آية من آيات قرآنه[2]. انما هو تحريم صادر من المحدثين والمفسرين ، وقد دعم قوله هذا بشواهد راسخة متينة ، يمكن ان يتحقق صحتها كل من يجول بتدقيق في صفحات القرآن فلا يجد آية صريحة في التحريم.

اما الآية التي يستند اليها المحدثون والمفسرون من القائلين بالتحريم، وهي: « ذلك ومن يعظّم حرمات الله فهو خير له عند ربه . وأُحلّت لكم الانعام الا ما يُتلى عليكم فاجتنبوا الرجس من الاوثان واجتنبوا قول الزور » (٢٢: ٣١) فالحق يقال انها بحاجة الى الكثير من التكلف في التأويل كي تنتج ان عندًا حرّم جميع الصور والتماثيل على اتباع دينه..

على انه مهما كان موقف النبي من هذا التحريم ، فنحن بين امرين لا ثالث لهما :

اما ان نسلم ونقول مع الفقهاء والادباء القائلين بتحريم القرآن صنع الصور والتماثيل فنكون قد بلغنا غايتنا من بحثنا ، على احسن طريق ، ونكون قد اثبتنا العامل الاكبر لعدم وجود الروايات التمثيلية ، واما ان نقول عكس ما قاله هؤلاء فننفي ما اثبتوه وما اقرّوه في القرآن من تحريم صنع الصور والتماثيل.

---

١) راجع Lammens, *op. cit.*, p. 354 ، ولاسيما بحثه المنون *L'attitude de l'Islam primitif en face des arts figurés.* [*Etudes sur le siècle des Omayyades*, pp. 351-389]

٢) « ان القرآن لم يحرّم في آية من آياته صنع التصاوير والتماثيل. ولم يكن لهذا التحريم من معنى في الجزيرة العربية » (الكتاب نفسه والصفحة نفسها)

بخلق الله من ذوات الارواح وغيرها . وتطلق الصورة ، عند العامة ، على التمثال ايضاً[1] . هذا ، واي تواطؤ بين هذين التحديدين ... واية نسبة ؟

فلنقل قبل كل شيء ماذا تمثل الصور والتماثيل ؟ هي تمثل إما اشخاصاً واما اشياء . فان كانت تمثل اشخاصاً فهي تمثل شخصاً غائباً او ميتاً ، وعلى كل له كيانه الشخصي ووجوده المستقل وهيئته واحوال معيشته الخاصة التي لا يتفق عليها وانسان آخر .

وماذا تمثل اشخاص الروايات ؟

لا شيء اكثر من ذلك . فهم يمثلون ما تمثله لنا الصور والتماثيل ، اشخاصاً كاولئك لهم كيانهم الخاص ووجودهم المستقل ومميزاتهم الفارقة وحقيقتهم المجردة غيبهم عنا البعد ... او الموت .

والفرق بين هذين الطرازين من التصوير ان الصورة او التمثال في المعنى الاول يقعان في ورق او خشب او حجر او حديد او ... وفي المعنى الثاني فهي صور تقع على صور فتخفيها حيناً وتسترها وقتاً ، صور تقع على لحم ودم ... على جسم انساني .

وهذا لعمري فرق لا يذكر من ناحية الفن ما دام القصد كل القصد منها ان « تذكرنا بالغيب حتى كأننا ننظر اليه »

واي تذكير هو ابلغ وادق من ان نرى شخصاً حياً يظهر بمظهر شخص آخر نحب تمثيله وتصويره ، فيذكرنا بشكله وتلاميحه ، بصوته ومشيته ومعظم مميزاته الخاصة ؟ ؟

واذاً فتكون الصورة في الفن التمثيلي ابلغ منها واقوى ، ومن ثم اجدر بالتحريم من الصورة في الورق او في الحجر .

ومن ثم فلا يمكننا الشك في ان تحريم التصوير والتمثيل يتناول التمثيل الروائي او المسرحي تناوله « التصوير بالكتابة » على الاقل

وانت ترى انها مسألة متى نظرت اليها تبلغ بك الى النتيجة الواحدة الاكيدة وهي : ان الاسلام يحرم الفنون المصورة التمثيلية عامة وكل ما يسميه

---

١) محيط المحيط ١٣٢ : العمود الثاني

في الجزء الاول منه (ص ١٤٢ س ٧):

« ان النار قالت: وُكِّلت بثلاثة: بمن جعل مع الله إلهاً آخر، وبكل جبار عنيد، وبالمصوّرين »

وكلها تحاريم ناطقة ينهى فيها عن صنع الصور والتماثيل؛ ولا فرق، في بحثنا، أناتج هذا التحريم عن النبي مباشرة ام هو مصنوع قام بـه وضّاع الاحاديث[1]، لانه تحريم سار بين المسلمين اجمعين سيرَ الحقائق الدينية الاولية

اما كيف توصلنا، بكل هذا، الى الزعم بان هذا التحريم شامل التمثيل المسرحي ايضاً فنقول:

ان التمثيـل، الذي قدّمنا البحث بتحديده فقلنا انه « عرض اخبـار السلف بطريقة شائقة لا نظير لها. اذ يحاكيهم في طبائعهم وعوائدهم واقوالهم وافعالهم محاكاة بها يخيّل لنـا انهم نشروا من مدافنهم وظهروا علينـا بمظهر الاحياء على حالتهم الاصلية كأنهم لم يغيّبوا عن عالم الوجود »، لا يختلف البتة عن التمثيل والتصوير الوارد ذكرهما في الحديث اذ ليس التمثيل بسوى ما نُعت به في محيط المحيط[2] حيث جاء: « مثل الشيء لفلان: صوّره بالكتابة وغيره حتى كأنه ينظر اليه وجاء[3]: التمثال الصورة المصوَّرة ج تماثيل. وقيل التمثال ما تصنعه وتصوّره مشبهاً بخلق الله من ذوات الروح والصورة.

وجاء فيما يخصّ الصورة[4]: الصورة هي الشكل وكل مـا يُصوّر مشبهاً

---

١) لقد دعا المحدّثين والمفسّرين والفقهاء الى هذه التحريمات أنهم كانوا يغارون على مهزة الله « الخالق » ان يضاهيه بها الناس فكان يضيرهم ان يروا — لا الصور والتمثيل — ولكن ما في هذه الصور والتماثيل من التشبه بمخلوقات الله، وهو تشبّه من شأنه تضليل المؤمنين في نظرهم، وهو مضاهاة، اي مزاحمة اثيمة لله الفنان الاسمى الذي كثيراً مـا اظهره النبي بمظهر المبدع والمصوّر الاكبر، والفنان الذي احتكر لنفسه صنع الصور (راجع القرآن ٣: ٤؛ ٦٠: ٦٦؛ ٥٩: ٢٤؛ ٦٤: ٣) فتشيّع ارباب الحديث من هـذه الافكار واندفعوا يُندّدون التحريمات.

٢) المعلم بطرس البستاني: محيط المحيط — ٢: ١٩٤٧ — في اسفل العمود الاول

٣) محيط المحيط ٢: ١٩٤٨ — في اسفل العمود الثاني

٤) المعلم بطرس البستاني: ك. م. — ١: ١٣٣ العمود الاول

بخلق الله من ذوات الارواح وغيرها . وتطلق الصورة ، عند العامة ، على التمثال ايضاً[1] . هذا ، واي تواطؤ بين هذين التحديدين ... واية نسبة ؟

فلنقل قبل كل شيء ماذا تمثل الصور والتماثيل ؟ هي تمثل إما اشخاصاً واما اشياء . فان كانت تمثل اشخاصاً فهي تمثل شخصاً غائباً او ميتاً ، وعلى كل له كيانه الشخصي ووجوده المستقل وهيئته واحوال معيشته الخاصة التي لا يتفق عليها وانسان آخر .

وماذا تمثل اشخاص الروايات ؟

لا شيء اكثر من ذلك . فهم يمثلون ما تمثله لنا الصور والتماثيل ، اشخاصاً كاولئك لهم كيانهم الخاص ووجودهم المستقل ومميزاتهم الفارقة وحقيقتهم المجردة غيبهم عنا البعد ... او الموت .

والفرق بين هذين الطرازين من التصوير ان الصورة او التمثال في المعنى الاول يقعان في ورق او خشب او حجر او حديد او ... وفي المعنى الثاني فهي صور تقع على صور فتخفيها حيناً وتسترها وقتاً ، صور تقع على لحم ودم ... على جسم انساني .

وهذا لعمري فرق لا يذكر من ناحية الفن ما دام القصد كل القصد منها ان « تذكرنا بالغيب حتى كأننا ننظر اليه »

واي تذكير هو ابلغ وادق من ان نرى شخصاً حياً يظهر بمظهر شخص آخر نحب تمثيله وتصويره . فيذكرنا بشكله وتلاميحه ، بصوته ومشيته ومعظم مميزاته الخاصة ؟ ؟

واذاً فتكون الصورة في الفن التمثيلي ابلغ منها واقوى ، ومن ثم اجدر بالتحريم من الصورة في الورق او في الحجر .

ومن ثم فلا يمكننا الشك في ان تحريم التصوير والتمثيل يتناول التمثيل الروائي او المسرحي تناوله « التصوير بالكتابة » على الاقل

وانت ترى انها مسألة متى نظرت اليها تبلغ بك الى النتيجة الواحدة الاكيدة وهي : ان الاسلام يحرم الفنون المصورة التمثيلية عامة وكل ما يسميه

---

(١) محيط المحيط ١٢٢ : ١ العمود الثاني

الافرنج بقولهم (*Les arts figurés*)

وربّ غافل يقول : ان الاسلام منع التمثيل ولكنه لم يمنع تأليف الروايات التمثيلية ؟ فعلى هذا نجيب بما هو معلوم : ان الرواية التمثيلية سميت بهذا الاسم لانها وضعت للتمثيل ، ليس غير ، فما خرج منها عن هذه الغاية فقد يكون أثرًا ادبيًا قيمًا ، وآية من آيات الفن ، وشظية من شظايا الجمال . . . قد يكون كل هذا معًا ، اما رواية تمثيلية فلا . . .

***

هكذا كانت الاداب العربية قديمًا ، وما زالت في سموّ وهبوط ، في ازدهار وانحطاط ، وهي غافلة لاهية عن الفن التمثيلي ، الى ان اقبلت النهضة الاخيرة بعد تلك العصور الراقدة . فبعث نابوليون ، الى بلادنا ، جذوة من النبوغ والحياة ، من عن افواه مدافعه التي دوّت سنة ١٧٩٩ في آذان ابيّ الهول فافاق لصوتها الشرق ، وكان من امره ما كان .

كانت نهضة شريفة في مهدها ، نهضة لم نزل نحن من القائمين بها ، وهي لم تبلغ بعد الى حيث عقدناه عليها من الآمال .

هو نابوليون الذي قضى على الفتور ، وزرع بذور النهضة الحالية ، وهو هو الذي فتح اعيننا على التمثيل خاصة اذ اوجد بمصر اول مسرح . الا انه لم يكن في مصر السعيدة من يمثّل عليه . فتنحّت هذه عن الجهاد في سبيله الى اخيها لبنان . فنبغ فيه مارون نقّاش ، اول من هبّ الى وضع الروايات التمثيلية . واليك التفصيل :

كلّنا يعلم ما كان من امر نابوليون القائد عندما حلّ في مصر . جاء ومعه غير واحد من جهابذة الاطباء والمهندسين والرياضيين وغيرهم من العلماء الافذاذ الذين فضلوا الجوّ الهادئ ، وان غريبًا ، على جوّ فرنسة المتكهرب القاتم الذي ارجفته الثورة الافرنسية الكبرى وجعلته شديد الوطأة على العلماء والمفكرين .

وكان بين رجال حملته العلمية رجلان قديران من اصحاب الفنون الجميلة

وكبار الموسيقيين وهما اللذان عزّزا الفنون والاداب وذلك بقيامهم بتمثيل بعض الروايات الافرنسية لتسلية الضباط وترويح انفسهم وقد اشتغل الجنرال منو الشهير بتشييد مسرح للتمثيل سماه « مسرح الجمهورية والفنون »[1]

« ولكن ذلك كله ذهب في ذهابهم » كما قال زيدان :

اجل ! ان هذا لم يكن تمثيلاً عربياً . الا انه لا يخفى ما في تمثيل هذه الروايات من التأثير على ادباء مصر . وهو تأثير لا ينكر ، وان لم نشهد شيئاً من نتائجه .

كان ذلك كله سنة ١٧٩٩ . . . وقد اقبلت سنون وتصرّمت سنون ، ولم ينتج ادباء مصر وشعراؤها شيئاً مما يمكننا ان نسميه تمثيلاً . . . كانت مصر في حالها اذ ذاك تقضي على البذور الصالحة التي ترمى في تربتها المنتجة الخصبة .

وكان لنا ان ننتظر نصف قرن لنشهد في لبنان ، وفي بهو من ابهاء بيوته الضيقة ، تمثيل اولى الروايات العربية ، اعني رواية « البخيل » التي نقلها عن « موليير » الاديب اللبناني مارون نقّاش . . . ولم تمض سنتان حتى مثّل في بيته ايضاً ، وعلى مشهد من قناصل الدول ورجالات المدينة واصحابه واقاربه ، اولى الروايات العربية الوضع « ابو الحسن المغفل » او « هارون الرشيد » . وهكذا فان اول من اشتغل بهذا الفن مسيحي لبناني ، فشجع اخوانه المسلمين العربيين على طرقه لما فيه من محاسن وجمالات .

ومما لا يخفى ان النقّاش لم يهمّ بوضع هذه الروايات الا تلبية لدعوة الاقتداء بالافرنج عامة ، وخاصة بالايطاليين الذين امّ ديارهم فزارهم في عواصمهم ورأى فيها فنّ التمثيل بابهى حلله واجمل مظاهره . فلم يكد يستقر له قرار في بيروت حتى اقدم على تعريب البخيل بتصرف ، وتأليف جوق للتمثيل اقتصر على بعض ذويه واصحابه . . .

وللنقاش حسنة نحبّ ان نسجلها له ايضاً بمداد الفضل وهي انه خرج بالمسرح الى خارج داره الخاصة ، الى مكان في جانب منزله حيث مثل

---

١) جرجي زيدان : تاريخ الاداب العربية ٤ : ١٥٢-١٥٣

« الحسود » . . . واذاً فهو الذي ارجد التمثيل وخطا به خطوة ذات شأن .

وما ان شاهد اللبنانيون آثار هذا الفتح الجديد حتى اعجبوا بها فهبوا يعرضون الروايات في المسارح الخصوصية ، والمدارس الكبرى ، والمسارح العمومية . وقد نبغ نخبة من الممثلين في بيروت اشتغل اكثرهم في هذا الفن رغبة فيه ، لا في سبيل الكسب ذُكر منهم سليم النقّاش ابن اخي مسارون نقّاش ، واديب اسحق الاديب المعروف ، فترجما روايات عديدة وألّفا بعضها وجمعا جوقاً مثّل مراراً في بيروت .

وقد احدثت هذه النهضة التمثيلية ميلاً في الشعراء والمؤلفين لوضع الروايات التمثيلية ان نقلاً وان تأليفاً . فنبغ بهذا الفن النجيبان نجيب الحدّاد (١٨٦٧ – ١٨٩٧) ونجيب حبيقه (١٩٠٦ †) فخلّف الاول ، على قصر حياته ، عدّة روايات اكثرها معرّبة منها : السيد لكورنيل سماها : غرام وانتقام — هرناني لهوغو سماها : حمدان — روميو وجوليات لشكسبير سماها : شهداء الغرام — صلاح الدين : عن قصة لولتر سكوت — رواية المهدي مثّل فيها بعض حوادث المهدي السوداني .

اما نجيب حبيقه فاشهر رواياته لم تطبع بعد « كلصوص الغاب » ، وشهيد الوفاء » ، وله رواية مطبوعة سماها : « الفارس الاسود »

وقد عاصر هؤلاء غير واحد من الادباء الروائيين المسرحيين لا مجال لذكرهم وذكر مؤلفاتهم في هذا المقام .

ولم يتوقف المؤلفون المسرحيون عند هذا الحد ، فراح قوم منهم يؤلفون الروايات التمثيلية الشعرية فكان لنا منها ما يستحق الذكر كالمروّة والوفاء للشيخ خليل اليازجي[1] ومقتل هيرودوس لولديه للشيخ عبدالله البستاني

وقد توالت الروايات التمثيلية الشعرية العربية على هذا الترتيب .

---

(١) جاء في تاريخ آداب اللغة العربية لزيدان (٤ : ١٥٧) ما يلي : « ومن اتقن الروايات التمثيلية المؤلفة في اللغة العربية رواية المروءة والوفاء للشيخ خليل اليازجي وهي الرواية الشعرية الوحيدة في اللغة العربية » قلنا : أما ان تكون المروّة والوفاء من « أتقن الروايات التمثيلية المؤلفة باللغة العربية » فكلام يقرب من الصحة ، ولكن أن يقال انها « الرواية الشعرية الوحيدة في اللغة العربية » فقول يحتاج الى اصلاح كما سترى .

السنة	اسم الرواية	اسم المؤلف
١٨٦٨	التحفة الرشدية	ابراهيم الاحدب
١٨٦٩	وشي البراعة	«
١٨٨٦	المروءة والوفاء	الشيخ خليل اليازجي
١٨٨٧	الحارث	خليل باخوس
١٨٨٩	مقتل هيرودوس لولديه	الشيخ عبد الله البستاني
١٨٩١	السعادة في الشهادة	ميخائيل غبريل
١٨٩٧	تبرئة المتهم او جزاء المكر	رشيد الحاج عطيه
١٨٩٨	تنازع الشرف والغرام (السيد)	شاكر عازار – نجيب زلزل
١٩٠٣	قيصر النعمان	يوسف مراد الخوري
١٩٠٣	لويس دي غونزاغا	يوسف شبلي ابي سليمان
١٩٠٦	حزب الاغتراب والاقتراب في حب الوطن	قيصر الخوري
١٩٠٩	مرآة القرون المتوسطة	الياس طنوس الحويك
١٩١١	لمحة الابطال	الدكتور سليمان غزاله
١٩٢٧	الزبّاء او زينوبيا ملكة تدمر	احمد زكي ابو شادي

الى ان فكر شوقي بفن التمثيل فنشر :

١٩٢٩	مصرع كليوباترا	احمد شوقي
١٩٣١	مجنون ليلى – قمبيز	«
١٩٣٢	علي بك الكبير	«
١٩٣٣	عنترة	«

نشرنا هذا الجدول توطئة لذكر روايات شوقي ، كما اننا وضعنا هذه المقدمة الطويلة تمهيداً لدرسنا هذه الروايات درساً ادبياً خالصاً معتمدين فيه كل ما يتطلبه النقد الفني النزيه ... وعلى الله الاتكال

مآخذ

جرجي زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية – مطبعة الهلال ، مصر
الاب لويس شيخو : الآداب العربية في القرن التاسع عشر – المطبعة الكاثوليكية ، بيروت
سليمان البستاني : مقدمة الالياذة – مطبعة الهلال ، مصر .
الدكتور طه حسين : في الشعر الجاهلي – مطبعة دار الكتب المصرية ، مصر
فؤاد افرام البستاني : الروائع : ٣ الشعر الجاهلي – المطبعة الكاثوليكية ، بيروت
« « : مخطوطة في الآداب المصرية
P. H. Lammens, *le Berceau de l'Islam*, Rome.

جولة

في الآثار السورية

في العهد المسيحي ، وفي اوائل العهد الاسلامي

بقلم الاب رينه موترد اليسوعي

كان لسورية وفنيقية ، في كل عصر من عصور التاريخ ، فنّ خاص بها استفادتا فيه غالباً من المدنيّات الزاهرة في البلدان المجاورة ؛ ولكنهما جعلتاه دائماً على قسط من الحياة ، حتى انه كان يؤثّر بدوره ويدفع الى تقليده . على انه لم يزدهر الفنّ السوري ، في عصر من العصور ، ازدهاره في العصر المسيحي ، ولا نال من التأثير في الخارج ما ناله في هذا العصر . فمنذ القرون المسيحية الاولى نرى الفنّ ، على اختلاف انواعه من فنّ البناء ، الى الزخرفة ، الى الفسيفساء ، الى تزيين المخطوطات ، قد وصل في بلادنا الى مستوى عالٍ فرض على سكان الاناضول وارمينية وسواحل صقلية والادرياتيك ان يأخذوا به ويقلّدوه . وقد وُجد في جميع هذه البلدان ، تصميمات للابنية ، وطرق للعمار ، ومذاهب في الزخرف ، منقولة كلها من سورية . وبعد الفتح العربي ، عندما اوجبت عبادة الفاتحين رفع الابنية الجديدة ، اتجه اول الخلفاء الامويين ، مَن اشتهروا بالرغبة في اقامة الابنية الفخمة ، الى مهندسي سورية وفنّانيهم . وهكذا نرى التقاليد الفنية السورية في اصل الفن الاسلامي . واذاً فلا يخفى اية اهمية يجب ان نعلّق على كل مظهر من مظاهر الفنّ المحلي في سورية بين القرن الثالث والقرن الثامن للمسيح .

وعليه فقد رأينا ان نشير اولاً ، في هذه الجولة ، الى اهمّ الآثار الراقية

الى ذاك العصر والمتأثرة بمذهبه الفني ، آثار اكتُشفت او اعيد النظر في درسها ، منذ الحرب العامة . وقد خاض العلماء هذا الموضوع قبلنا ، في المؤتمر الدولي الثالث للآثار المسيحية المنعقد في رافينة من ٢٥ الى ٣٠ ايلول سنة ١٩٣٢ . وها ان اعماله ظهرت مؤخرًا بالنشر ، وفيها دروس ثلاثة تتعلق بعلم الآثار القديمة في سورية :

١ً تقرير عام عن ذلك بقلم كاتب هذه الاسطر

٢ً كلمة بقلم السيد جان لاسوس ، عضو المعهد الفرنسوي في دمشق ، في البنايات المسيحية في سورية الشمالية

٣ً وصف بقلم كلارك هوبكنس للكنيسة المسيحية القديمة التي اكتشفتها في دورا – صالحية على الفرات البعثة الفرنسوية - الاميركية مديرة الحفريات في ذاك المكان[1] .

ويجب ان نضيف ، الى ما ذكرته هذه الابحاث الثلاثة من مصادر الدروس الاثرية ، اسماء ما ظهر ، بعد السنة ١٩٣٢ ، من المنشورات المهمة في الموضوع : منها كتاب الاب جوزف ماترن اليسوعي في وصف « مدن سورية المائتة »[2] ؛ ومنها التقارير التي تفيدنا من جهة عن اعمال الاب جان مصيريان اليسوعي في السويدية[3] ؛ ومن جهة اخرى عن الحفريات التي تجريها في انطاكية بعثة فرنسوية - اميركية[4] . فنحاول ، من ثم ، ان نرتب المعلومات الجديدة التي تفيدنا اياها كل هذه الابحاث في ما خصّ فنّ البناء ، وزخرفة البنايات المسيحية ،

(١ *Atti del III Congresso internazionale di Archeologia cristiana* [Studi di Antichità cristiana, Pontif. Ist. di arch. crist., VIII] 1934 ; pp. 459-476 (R. Mouterde), 477-482 (J. Lassus), 483-496 (Clark Hopkins).

(٢ J. Mattern, *A travers les Villes mortes de Haute Syrie* [*Mélanges de l'Université Saint-Joseph, XVII*, 1]. Gr. in-8°. 176 pp., 48 pl., 36 fig., Beyrouth, Imprimerie catholique, 1933. Prix hors de Syrie : 60 fr.

(٣ *Comptes-rendus* de l'Académie des inscriptions, 1933, pp. 343-348

(٤ J. Lassus, *Un cimetière au bord de l'Oronte... La Mosaïque de Yakto* [Extr. de *Antioch-on-the-Orontes*, I], 1934.

واصول الفن الاسلامي .

المواقع الاثرية ، وفن البناء

ان الآثار المسيحية في سورية نعرفها خاصة بفضل كتابات واوصاف ملكيور دي ڤوگوي ، واوصاف البعثات الاميركية التي ادارها ه. ج. بتلر من السنة ١٨٩٩-١٩٠٤ . وقد دُوّنت نتائج هذه الاعمال المهمة في كتاب جديد دُعي « كنائس سورية القديمة »[1] . وفيه درس بنائي دقيق لمائتي كنيسة معروفة ، ولما فيها من زخارف ، مع لائحة باسماء القرى السورية العديدة التي لا يزال فيها اطلال مهمة من آثار الفن المسيحي . وهناك عدد آخر من المراكز المسيحية ذكرها الاب ماترن ودرس بعضها في كتابه المذكور كما انه نشر فيه دروساً جديدة ورسوماً لاشهر البنايات التي عرض لها سابقاه ڤوگوي وبتلر ، وقد زاد عليهما رسوم المواقع مأخوذة بالطيارة ولا تخفى اهميتها في تخطيط تلك الآثار كما في رسم جرادة ، ورويحة (انظر الرسم ١) وسرجيلية ، والبارة ، وقصر البنات ، وقلعة سمعان ؛ واضاف الى وصف هذه الاطلال معلومات من التاريخ الديني والمدني تدبّ الحياة في هذه الآثار الماثلة التي لم توفق ، قبل اليوم ، الى من يظهرها بهذه الدقة والاناقة والسهولة التي ترضي الخاصة والعامة . ونحن نأخذ عن هذا الكتاب بعض التصاوير للدلالة على ما اختصت به تلك البنايات من مظهر وزخرف . ننشر اولاً منظراً بالطيارة لمدينة رويحة القديمة (الرسم ١) في جبل الزاوية شمالي معرّة النعمان . وقد يتحقق المطالع كيف تقوم الصورة بالطيارة ، بعض الاحيان ، مقام افضل تصميم يخطّه ابرع مهندس . ثم ننشر في الرسم الثالث واجهة كنيسة بقيرحه ، بين حلب وانطاكية ، ولا تزال تؤثر في الناظر بارتفاعها نحو السماء في اعلى تلك الخرائب . وفوق هذه الواجهة (الرسم الثاني) منظر لداخل الكنيسة الشائقة التي اقيمت على اسم القديس سمعان

(١) H. G. Butler, *Early Churches in Syria*, ed. by. E. Baldwin Smith. Princeton, 1929.

العمودي ؛ واطلالها اشبه باطلال بعلبك . ويظهر فيها فنّ الزخرف السوري بكل ما اتصف به من مرونة وقوّة تدقيق ، يزيده وقع النور بهاء وبروزاً . وهناك امثلة اخرى من هذا الفن في الرسم ٥ البادية فيه عتبة بَعودة في جبل بريشا بين انطاكية وحلب ، وفي الرسم ٤ حيث صوّرنا سطحين من اعمدة كنيسة البارة ، وقد كنا اول من عرّفها الى عالم العلم . وفيهما حيوانات قيدتها اغصان الكرمة . وهذه الطريقة من الزخرف خاصة بالفن السوري ، وقد انتقلت منه فأثرت في الفن المسيحي في رافينة ، وفي الفنّ الاموي في الاندلس . ويرى المطالع في اللوحة الرابعة مثالاً للمنازل الخاصة (الرسم ٦) وللآثار المدفنية (الرسم ٧) يمثل الرسم ٦ منزلاً ذا كشك في طابقه الاعلى ، والرسم ٧ قبراً على شكل هرم ، ولا تزال آثار الاول ظاهرة في كفرنابو ، والثاني في دانا . ولا شك في ان هذه الصور تفتح امام الكثيرين من قرائنا الكرام عالماً جديداً شائقاً . وهو عالم غير بعيد عنهم لانهم يتمكنون من زيارة الآثار بسهولة ، اذا ما سافروا من حمص الى حلب بالسيارة او من حلب الى انطاكية ؛ واكثرها لا يبعد عن الجادة فوق ساعة للماشي .

ومما يجدر بنا ذكره كتاب نشره سپن وگوير درسا فيه درساً دقيقاً اطلال الرصافة ، ذاك المزار القديم الذي كان يؤمّه المسيحيون زرافات لزيارة قبر القديس سرج او سركيس[1] . وهناك حفريات كشفت صدفةً كنيستين ملكيّتين في تدمر ، وكنيسة مدفنية مع صحن كنيسة منقوش بالفسيفساء في حمص . على ان اعمال الحفر والكشف المهمة جرت خاصةً في السويدية وفي دورا .

اما في جهات السويدية فان الاب مصيريان كشف ، في الجبل الاسود ، اطلال سورب توماس ، وهي كنيسة جيورجية قديمة انتقلت الى ايدي الارمن وزيّنت بزخارف بديعة ترقى بالاثر الى القرن الحادي عشر . ثم انصرف الى العمل في اطلال كنيسة القديس سمعان العمودي الشاب الذي عاش بعد سميّه وشقيقه القديس سمعان العمودي الاول بنحو ثمانين سنة . وقد اقتدى

(1) H. Spanu u. S. Guyer, *Rusafa, Die Wallfahrtstadt des heil. Sergios*, Berlin, 1926.

به في حياته وتقشفاته كلها . فكان ان مكرّميه بنوا كنيسته على مثال ذاك الاثر البديع الماثل في «قلعة سمعان» : فانشأوا بناء مثمناً حول العمود الذي عاش عليه القديس ، واعتبروه نقطة متوسطة يتّجه منها الى الجهات الاربع اربع كنائس ترسم صليباً عظيماً . وهكذا فان معبد القديس سمعان العمودي الشاب الذي اكتشفه الاب لامنس من نحو اربعين سنة[1] بدأ يعرفه عالم الآثار القديمة فيدرسه بطريقة مرتّبة . وهو يفيدنا طرقاً جديدة في البناء والزخرف بين الآثار السورية المبنية في القرن السادس.

وأهم من هذا الاكتشاف عائدةً على تاريخ الفنّ ، اكتشاف الكنيسة المسيحية الراقية الى السنة ٢٥٦[2] وبالتالي المعاصرة لكثير من الدياميس القديمة في رومة . فهي اذاً تسبق بخمسة وسبعين عاماً عهد السلام الذي اقرّه الامبراطور قسطنطين للنصرانية ، فبدأ المسيحيون بفضله يقومون علناً ببناء كنائسهم . وهي تفيد ما كان للنصرانية في ما بين النهرين من انتشار واسع وتأثير عميق ، وتؤيد ما يعلمنا التاريخ عن تلك البقعة وعن ملوكها من اسرة أبجر وعن نصرانيتهم منذ اواخر القرن الثاني للمسيح . وقد وُجد على جدران هذه الكنيسة تصاوير تمثّل آدم وحواء ، وداود وجُليات ، والراعي الصالح ، وشفاء المخلّع ، والقديس بطرس ماشياً على الماء في العاصفة ، والسامرية على بئر يعقوب ، والنساء القديسات في قبر المسيح . ولا يخفى ان هذه الموضوعات مثلتها ايضاً في اكثرها آثار فناني الغرب . وان كانوا نظروا اليها على طريقة اخرى . كان الايمان واحداً وبالتالي الموضوعات واحدة كذلك ، في رومية وفي اقاصي سورية . ولكن في كلتا المنطقتين كان الفنانون المسيحيون الاولون يستعملون موادّ الفن المدني في زمانهم وبيئتهم . فيستخدمون في تمثيلهم الحوادث الانجيلية او الكتابية موارد الفن

(١ Lammens, *Promenades dans l'Amanus* [*Les Missions belges de la Cie de Jésus*, 1905, p. 53].

(٢ راجع في درس هذه الكنيسة ، فضلاً عن البحث الذي تُلي في مؤتمر رافينة ، ما نُشر في *Excavations at Dura-Europos, Fifth Season of Work*, pp. 238-248, Cl. Hopkins et P. V. C. Baur.

العادية وعاداته المتبعة . وهكذا نرى ان مثال الراعي الصالح مشترك بين تصاوير المسيح وتصاوير الشاعر الفيلسوف اورفي ، وهو ظاهر في دورا ظهوره في رومة بسبب شهرته في المذاهب الفنية . ولا يمكن ان نعتقد اليوم ما كنا نعتقده في الماضي ، اذ لم يكن لدينا من مظاهر الفن المسيحي الاول الا تصاوير الدياميس وحدها ، من ان هذا الفن المسيحي نشأ كله في رومية ثم انتشر منها الى اطراف العالم . لقد نشأ منذ العهد الاول فنّ مسيحي غربي روماني في اكثره . كما انه نشأ فنّ شرقي مسيحي كان فيه لسورية ، من دون شك ، مواد وعناصر عديدة خاصة منها « رغبة في التفتيش عن الحقيقة ، وميل الى التمثيل الحي ، يتعاكسان والطريقة الرمزية الغامضة التي كان يتصف بها التصوير والنحت الغربيان في اول امرهما . »[1]

الزخارف وفن الايقونات ، والفسيفساء

من درس اصل المصلوب، اي تمثيل المسيح على الصليب ، لا يلبث ان يتضح لديه دور سورية وفلسطين في نشأة فن الايقونات . وقد سبق المشرق فنشر بحثاً في هذا الموضوع (١٩٠٦) . لم يكن يجوز المؤمنون في اول عهدهم على تمثيل المسيح مصلوباً ، انما كانوا يكتفون فقط بتصوير آلة الآلام اي خشبة الصليب ، او الصلبان الثلاثة ، دون ان يصوّروا عليها اجسام المعذّبين . ثم اخذوا يتقدّمون شيئاً فشيئاً فمثلوا اولاً المسيح لابساً ثوباً طويلاً ، ثم عرياناً . وان لنا في متحف دمشق اثراً نفيساً يرقى بلا شك الى عصر هذا التطور الاولي ، عهد لم يكن للفنانين الا القليل من الاختبار فكانوا لا يزالون على شيء من الاضطراب . وقد نشرنا بموافقة امين المتحف المذكور الامير جعفر عبد القادر ، صورة هذا الاثر ، وهو يمثل، على تأويل الاب روتزفال ، تمجيد المسيح مصلوباً بظهور ملكين يحملان اكليلاً[2] . وهناك تأويل آخر للاثر معقول ايضاً وان يكن في نظرنا

(١ J. de Jerphanion, s. j., *Bulletin d'Archéologie chrétienne, III* (= *Orientalia*, XXVIII, 2, 1932), p. 296.

(٢ *Atti del III Congresso...*, pp. 465 sq., fig. 8.

اقل امكاناً ، وهو ان يكون الفنان قد اراد تمجيد احد القديسين العموديين . ولا يخفى ما كان من اكرام الشعب لاولياء الله هؤلاء منذ القدم ، وما كان من رغبته في تمثيل صورهم . ونحن نعرف انه كان هناك تماثيل صغيرة وايقونات تمثّل القديس سمعان العمودي القديم حتى في عهد حياته ، وكان يحملها مهاجرو السوريين الى رومة ويعرضونها في مدخل حوانيتهم . فيكون ان هذه التماثيل والايقونات الصغيرة نشأت اولاً في سورية في سبيل تصوير قديس سوري وانتشرت منها الى رومة . وقد جمع مؤخراً الاستاذ جان لاسوس امثلة جديدة لهذه التصاوير القديمة ، ودرسها في نشرة المعهد الفرنسوي الدمشقي .[1]

ولنذكر اخيراً ، خاتمين الدرس عن مظاهر الفنّ المسيحي في بلادنا ، اكتشافين عصريّين يهمّان تاريخ الليتورجيات . اما الاول فهو انه وجد في بنّاوي ، في شمالي سورية ، منبر اسقفي من الحجر وعلى ظهره كتابة نافرة باللغة السريانية ترقى الى نحو السنة ٥٠٠ (الرسم ٨)[2] .

واما الثاني فهو انه اكتُشف في السويداء (جبل الدروز) قطعة من الفسيفساء في الكنيسة الملكية القديمة تمثّل شخصاً واقفاً ذا لحية ، يحمل في يده اليمنى شمعةً في شمعدانها[3] . وهو شماس انجيلي يلبس الاولاريون اي قطعة من القماش الابيض طويلة يحدّها خطّ اسود منحدر من الكتف الشمالية حتى الركبة . وهو اقدم مثال معروف لهذا الثوب الطقسي الذي ذُكر منذ القرن الرابع في مجمع اللاذقية .[4]

اما في انطاكية ، فان لم تكن الحفريات التي تتتابع منذ ثلاث سنوات قد اكتشفت كنائس قديمة ، فقد اطلعتنا على فسيفساء في ياكتو قرب دفنة المدعوة

(١ *Bulletin d'études orientales, Institut français de Damas*, t. II, pp. 67-82, 5 pl.

(٢ Abbé J. B. Chabot, *Syria*, X, 1929, pp. 252 sq.

(٣ Dunand, *Syria*, VII, 1926, pp. 333 sq. ; Parrot, *Rev. biblique*, 1934, pp. 97 sq. اطلب خاصة

(٤ G. de Jerphanion, *Orientalia Christiana*, XXXIV, 2, 1934, pp. 192 sq.

اليوم « الحربية » نشرها الاستاذ جان لاسوس في المجلد الاول لنتائج الحفريات المسمّى *Antioch - on - the - Orontes* ، وهي تمثّل الحياة في انطاكية ، تلك المدينة العظمى ، في العصر المسيحي (القرن الخامس والسادس) . وعلى اطارها صور لاشهر بنايات المدينة ، ابتداء من ينابيع دفنة واتجاهاً بدقة نحو نهر العاصي والقصر الملكي . وفي احد المشاهد المحفوظة صورة الكنيسة الذهبية المشهورة (*Dominicum aureum*) التي شيّدها قسطنطين الكبير . ويرى الناظر في ذلك المشهد رجلاً واقفاً وقوف المصلي امام بناية ساطعة البياض تنتهي بخطوط منحنية لا يمكن ان تكون لغير قبة . وسواء أمثّل الفنان قصور السراة ، او التماثيل على قواعدها العالية ، او الحوانيت الى جانبي الشارع ، او المكارين يسوقون دوابّهم المحتلة ، او باعة الزيت المتنقلين ، او الحنالين وعلى ظهورهم الاعباء الثقيلة المربوطة بالحبال ، ففي خطوطه دقة خاصة بالفن المسيحي . وان هذه المشاهد المأخوذة لا تزال مألوفة في عصرنا حيث نرى الاشخاص انفسهم يجولون في اسواق مدننا .

٣ً اصول الفن الاسلامي

ظهر مؤخرًا كتاب نفيس في اصول الفنّ الاسلامي . هو كتاب الاستاذ كريسويل المعنون « فن العمارة الاسلامية الاولى : عهد الامويين »[1] والذي اتانا بنور ساطع على هذه المسألة التي كانت لا تزال غامضة في نظر الكثير من العلماء .

فاصبحوا يتفقون اليوم على ان لا يتمتوا « بالفن العربي » ذاك الفن الذي ازدهر في سورية ، ومصر ، والاندلس ، ومراكش ، منذ القرن السابع للمسيح . فان العرب الذين اتوا من منطقة فقيرة متأخرة لم يكن لهم ثقافة خاصة متقدّمة . « ولم يستحق هؤلاء الغزاة ذاك الاعجاب الذي اولاهم اياه البعض في بلاد الغرب ، مدفوعين احياناً بروح الرغبة في الشيء الغريب ، واحياناً

(1) A. G. Creswell, *Early Muslim Architecture*, part. I, *Umayyads* 622-650. In-folio, XXII, 414 pp., 80 pl., 191 fig. Oxford 1931.

بسبب التباس استفاد منه العرب. أوَ لم يبالغ البعض حتى انهم اخذوا يتكلمون عن « الفن العربي »، وهو تعبير لا معنى له . لقد كان هناك فتح عربي . وهذا وحده لحادث عجيب ، وهناك ادب عربي قام به مسلمون مثقفون متضلعون من لغة القرآن . ولكن يبقى علينا ان نفتش عن اصول كبار الكتبة فنجد ان القليلين منهم كانوا عرباً . » . . . و« كان من فضل بلاد فارس انها ثقفت المسلمين ، كما يقول ابن خلدون . »[1]

ليس من تولد ذاتي في محيط الفنون الرفيعة ، كما انه ليس من تولد ذاتي في عالم الحيويات . وهكذا فقد نشأ الفن الاسلامي كما نشأ الفن المسيحي بفضل تطور التقليد الفني السابق وتطبيقه على الحياة الجديدة . لقد نما اولاً بتأثير الخلفاء الامويين فتأثر بمظاهر الفن اليوناني كما كان باقياً في سورية المسيحية ، وبمظاهر الفن البيزنطي ، وبالفن الشرقي القديم الباقية مظاهره في ما بين النهرين وفي بلاد فارس . ولا يخفى ان تصميمات البنايات الاولى التي حلت امام العرب محلّ المساجد القديمة قد اتخذت من تصميمات الكنائس الملكية المسيحية ذات الاسواق المتوازية . وكل هذه البنايات مسقوفة بسقوف غادية ، لا قبب عليها . وهي تستعمل ، على عهد الامويين ، في جدرانها الحجر المنحوت المركّز بعضه على بعض دون كلس . كما كانت تستعمل ذلك البنايات المسيحية في القرن الرابع الى السادس . ولم تظهر القبة والعقود في الفن الاسلامي الا بعد ان انتقل العباسيون بالخلافة الى بغداد فاستعملها البناؤون كما استعملوا في بنائهم اللبن والكلس . ولنلاحظ ان ما قلّد به الامويون الفن القديم لم يكن تقليداً اعمى . فان علماء العصر يرون في الجامع الاموي الدمشقي اكثر من تحويل بسيط من كنيسة الى جامع . لقد بناه كله الوليد الاول . فبدا « اثراً مبتكراً أُخذت فيه واجهة احد القصور البيزنطية وطبّق وراءها تصميم بناء ذي ثلاثة اسواق متوازية »[2] وهناك « قبة الصخرة » في اورشليم ، وهي تستوحي بتصرّف من

(١ G. Wiet, *Précis d'histoire de l'Egypte*, t. II, *L'Egypte byzantine et musulmane*, 1932, p. 139.

(٢ A. Gabriel, *Syria*, XIV, 1933, p. 213

تصميم كاتدرائية بُصرى.

اما موادّ هذه الجوامع الجديدة فقد اتخذت كذلك من مواد الهندسة السورية . « فالمحراب المحفور في جدار الجامع ، الذي يدلّ المصلّين على القبلة ليس في اصله الا الحنيّة الظاهرة وراء الهيكل في الكنائس . وكذلك المنبر الذي يلقي من فوقه الخطيب خطبته كل جمعة في صلاة الظهر ، يمثل في اصله منبر النبي . ولكن عندما احتيج الى منبر يوافق تصميم الجوامع الجديد في سعته ، تحوّر مظهره وقُلّدت فيه منابر الكاتدرائيات المرتفعة في الحنايا . . . اما المئذنة الاسلامية الاولى فقد قُلّدت فيها قبب الاجراس السورية . . . وها ان اقدم مئذنة في جامع دمشق ، وهي « منارة العروس » ، كانت في اصلها برجاً مربّعاً قليل الارتفاع مبنياً بالحجارة المنحوتة . . . وهناك كثير من المآذن الشرقية احتفظت بهذا الشكل ولم تتطور الا شيئاً فشيئاً بتأثير بلاد ما بين النهرين وفارس . »[1]

اما زخارف الجوامع الاولى فهي متفرّعة رأساً عن الزخارف اليونانية والبيزنطية ، كما ظهرت في سورية . وكان تمثيل الاشخاص البشرية قبيل الهجرة وفي هذا العصر ، قد تلاشى من الزخارف ، فانتصر عليه الزخرف النباتي ثم الزخرف الهندسي ؛ وهناك الفسيفساء تزيّن الجدران والبلاط . ولم يتجاوز مزخرفو البنايات الاسلامية هذه الطرق والاساليب . وقد رُفع الشيد مؤخراً عن الفسيفساء التي تزين الرواق الغربي في جامع الوليد . فظهر فيها ان الفنانين ، الذين كانوا نصارى على الارجح ، صوّروا سلسلة من الاكواخ والبنايات الرفيعة القائمة على ضفتي النهر تفصلها الاشجار الباسقة كانهم يصوّرون مدينة شائقة من مدن الحلم (الرسم ٩) بالوان عجيبة متراوحة من الاخضر الى الاكدر الى الاصفر الى الذهب الباهت تشوبه مشحات من الابيض الناصع والازرق والبنفسجي . ويزيده وقعاً خفيفاً ما يؤثر في العين من تمازج الاخضر بالذهبي[2] .

---

(1) H. Terrasse, *L'art hispano-Mauresque des origines au XIIIe s.* Paris, 1932, p. 10-11.

(2) الكتاب نفسه ، ص ٢٥

واننا نرى الفنّ نفسه في فيفاء « قبة الصخرة » في اورشليم . وهناك زخارف منحوتة تبدو فيها النزعة الشرقية بجلاء اوضح ، وهي الزخارف النباتية التي تزيّن حنايا قصر المشتى الذي بناه الوليد الثاني في البادية شرقي الاردن ، في النصف الاول من القرن الثامن[1] . وها ان مؤرخي الفن كالاستاذ كريسويل ، يؤيدون ما ذهب اليه العلماء ، فينسبون هذه الزخارف الحجرية الجميلة الى اوائل الفنّ الاسلامي .

ولا يخفى ما هناك من اللذة والفائدة في التفتيش عن تأثيرات الفن الاموي في العالم الاسلامي . وسيكون قسم من هذا العمل ، دون شك ، من نصيب العلماء الذين يرودون مناطق سورية المجاورة كالاستاذين غبريال وسوفاجه[2] . ويجدر بنا ان نشير ، منذ الآن ، الى ان هذا الفن الاسلامي الاول قد قطع مضيق جبل طارق مع القائد المشهور ، فازدهر في اسبانية بفضل الدولة الاموية التي قامت فيها نحو مائتي سنة ٧٥٠-٩١٢ . ومن السهل ان يميز الدارس في جامع قرطبة القديم العناصر السورية . فيكرن « ان الفن الاموي في الاندلس غصن من الفن الاموي في سورية . »[3]

١) H. Lammens, *La Syrie, précis historique* I, 1921, pp. 96-98

٢) *Syria*, XIV, 1933, pp. 86-87

٣) H. Terrasse, op. cit., p. 69

اخبار

سفر المونسنيور فرنسيس بيكيت

الى بلاد ارمينية والعجم ١٦٨١–١٦٨٤

كتبها السيد اثناسيوس سفر العطار السرياني اسقف ماردين ،
مرافق المسافر وترجمانه
نشرها الخوري اسحق ارملة السرياني
٤ (تتمة)

٢٢ وصول هدايا لويس الرابع عشر الى عباس شاه العجم بواسطة المونسنيور بيكيت

وبعد دخولنا اصبهان بسنة وازيد جاء عند المونسنيور بيكيت قسيسان من باريز اسم الواحد مسيو روك والآخر مسيو سنسون . وبعد مدة جاء راهبان يسوعيان [١٦٦] من باريز وجابا الهدية التي بعثها ملك فرنسة الى الشاه (عباس) حتى يسلمها اليه المونسنيور . ولما وصلا مرضا . وكان الشاه خارجاً عن اصبهان مسافة اربعة ايام . فلما سمع بوصول الهدية ارسل الى المهندار يقول له بان يرسلها اليه . فجاء المهندار وكلم المونسنيور فجاوبه ان الهدية هي ساعات واسطرلبات فما يمكن ارسالها الا مع احد يكون يعلم بحركاتها وهذا البادري هو معلم لكنه مريض . فان شاء الله [١٦٧] متى تعافى نرسله وصحبته الهدية . فارسل المهندار جواب المونسنيور الى الشاه . فكتب الشاه مكتوباً آخر الى المهندار يقول ان يرسل الهدية بغير معلم وعندما يتعافى المعلم يبقى يصحبها[1] . فجاء المهندار وقرأ مكتوب الشاه للمونسنيور . والبادرية ما كانوا يريدون يرسلون الهدية بل كانوا ينتظرون حتى يتعافوا من المرض . والمونسنيور كان يريد ان يرضي خاطرهم فقال المهندار اصبر لكم يوم ان شاء الله يصحون[2] ثم

١) يختبرها او يشرف عليها ٢) يتعافون

نرسلهم صحبة الهدية [١٦٨] فلم يرضَ المهندار بل قال ارسلها مع ترجمانك وحكيمك .

ولما كان المساء بعد ما تعشينا اخذنا نتحادث بهذا الخصوص . وكنا انا والحكيم متحضرين للرواح مع الهدية . لان كل الناس كانوا يعرفوني اني ترجمان الالجي . والحكيم ايضاً يعرفونه . وكان يصير بذلك اكبر وقار من ان يؤدي الهدية الرهبان الغرباء الذين لا يعرفهم احد ولا يعرفون اللسان . ثم ان المونسنيور قال : انا ما انا إلجي . هولاء الذين جابوا الهدية هم الجية . وكان يقول ذلك من باب الطاعة وتكريماً للرهبان اليسوعيين . فقلت له يا سيّدي [١٦٩] كيف تقول انك ما انت إلجي واليوم لك ازيد من سنة في اصبهان والشاه يعمل مصرفك مثل باقي الالجية . وجميع الناس يعرفون انك انت الالجي . فقال لي من باب الحكمي : انت ما يحق لك التكلم بهذا الوجه . وبعد ما تحادثنا مدّة قمنا صلّينا جميعنا كالعادة وراح كل واحد الى حجرته ينام . وباكراً اجتمعنا في الكنيسة كالعادة لنحضر القداس نحن وكل ناسنا وكان المونسنيور جاثياً امام المذبح وكلٌّ منّا جاثياً في مكانه . فلما قام المونسنيور قمتُ حتى اشلّحه [١٧٠] فروته واغسل يديه كالعادة فاحتضنني وقبّلني قائلاً : اغفر لي لاجل الله . فلما نظرته هكذا سقطت عاجلاً على رجليه قائلاً : يا سيّدي انت السيّد وانا العبد . فالواجب ان اطلب انا الغفران . فكيف تسألني انت الغفران ؟ ولم تتكلم معي كلاماً يكدّر خاطري . بل انا تفاضلت بالكلام ؟ فاحتضنني واقامني من عند رجليه وهو يبكي . فلما نظر الحاضرون هذا الاتضاع العظيم تحيروا جداً . ثم امرني ان اروح بعد سماع القداس الى المهندار واطلب منه دوابّ فرجعت وربطت ثلاثة احمال الهدية وحملاً لاجل الخيمة والشراب ودابتين للخدام . ونحن ركبنا خيلنا وطلعنا . اما المهندار فبعث معنا ستة انفار من الجند حتى يرافقونا لا لنخوف من الدرب بل اكراماً للالجي . فسرنا وبعد اربعة ايام وصلنا الى جندمشان حيث الشاه وعساكره . فاستقبلونا حالاً وانزلوا الهدية في خيمة الوزير الثاني . اما الشاه فكان مع النساء في الخيم فأعلموه بوصولنا فارسل الخصيان عاجلاً يأمرونا حتى نفك الاحمال

[١٧٢] ففتحناها واخرجنا الهدية واصلحنا كل شيء. وطقّسناها[1]

وكانت الهدية ساعة كبيرة كصندوق . وساعة مدوّرة كالكرة . ومرايا من بعض معادن اذا انتصب قبال الشمس يحرق كل ما يجتاز امامه . وكانت ايضاً اسطرلابين من نحاس ملطوخ بذهب احدهما للسماء والآخر للارض. وثمانية كتب كبيرة مطبوع فيها دولة ملك فرنسة وعظمته وسراياته وبساتينه وركوبه[2] . فحمل الخصيان جميع ذلك وادخلوها الى الشاه . ثم اعطونا مكاناً في الاوردي[3] فنصبنا الخيمة التي كانت معنا . وجعل الوزير عندنا [١٧٣] اناساً يخدموننا . وعند الغدا ارسلوا لنا صفرة كلها صحون فضيّة ملآنة من جميع المآكل . وكنا اخذنا معنا صندوق شراب فتغدينا . ووقت المساء جاءنا ايضاً صفرة احسن وفيها البلاو[4] . لانه في العجم كل ما هو طيّب يتركونه للعشاء. فبقينا يومين ثم استأذنّا الوزير ورجعنا. وبعد ثلاثة ايام وصلنا المساء الى اصبهان ودخلنا على المونسنيور وحكيناه كل ما صار . ففرح غاية الفرح.

ثم رحنا انا والحكيم الى ضيعة بعيدة عن اصبهان نحو عشرة اميال تسمى نجف آباد [١٧٤] وهناك عدة كروم فاخذنا عنباً وعملنا شراباً جيداً . وفي شباط او آذار عمل الشاه ايضاً ضيافة وصاح جميع الاحبة وبعث الى المونسنيور اربع خلع غالية الثمن : الواحدة منديل اي شاش منسوج بقصب وحرير . والثانية قبا كله منسوج بقصب ذهب . والثالثة بلايوش اي جوخة كلها منسوجة بقصب فضة . والرابعة عزم يسمونه جاز قاري منسوج بحرير وقصب. ثم بعث لي انا خلعتين اخف من الاربع وارخص : الواحدة قبا داري منسوجة فيه وردات قصب . والثانية ايضاً جوخة مثل القبا . وبعث [١٧٥] للحكيم ايضاً خلعتين مثلهما . وللبادرية اليسوعية مثلها . وكل ذلك جابه المهندار . ثم دعانا للغدا.

وفي الغد بعث لنا خمس افراس كالعادة واخذونا بالطقس[5] المذكور اعلاه .

١) رتّبناها ٢) خيله
٣) المعسكر ٤) الارز
٥) بالنظام

وكان الشاه في ذلك اليوم قد عمل المجلس في بستانه خارج اصبهان واسم البستان «هزار غريب» . فعدّينا على الجسر ودخلنا ضمن البستان ونظرنا الطقس كالاول . ثم ادخلوا المونسنيور وادخلوني انا عند الشاه فسلمنا عليه . ثم اعطى الشاه مكتوباً[1] الى المونسنيور [١٧٦] وقال له ابعث هذا المكتوب الى محبنا ملك فرنسة وسلم عليه . وان كان له خدمة يأمرنا لنقضيها . فدعا له المونسنيور واستكثرنا خيره ورجعنا بغير غدا . لان العادة لا يتغدّى الاجي بعد المكتوب . وايضاً من ذاك اليوم وصاعداً لا يعطونه المصرف . فبقينا نصرف من كيسنا .

٢٣ ذاهب المونسنيور يكيت للسفر الى همذان

ثم أمرني المونسنيور ان اهتم بكل ما نحتاج اليه لنسافر الى همذان وهي بين اصبهان وبغداد . ولما كان خميس الفصح عمل المونسنيور حسُلا[2] في البيت فجمع ثلاثة عشر ارمنياً وغسل ارجلهم وتصدق عليهم [١٧٧] بالثياب والفلوس وخدمهم على المائدة كالعادة .

وبعد العيد ارسلني المونسنيور الى الاوردي حيث الشاه واعطاني مكتوباً للوزير يطلب فيه اولاً : ان يبني اليسوعيون كنيسة في ايروان . ثانياً : لكي يعطيني أمراً بان لا يظلم الحكام للقاتوليقيين الذين في نقشوان . ثالثاً : الاذن لي حتى اذا عبرت في ارضه عند رجوعي من باريس يكرموني . رابعاً : توصية عليّ لحاكم همذان . فاخذت المكتوب وركبت من بكرة وقصدت الاوردي [١٧٨] واخذت معي خادماً . فوصلت نصف النهار وناولت الوزير وسلّمته المكتوب . فقال لي ارجع اليّ بكرة . فرحتُ نمتُ تلك الليلة في احد البيوت . وثاني يوم بكرة رحت اليه . فقال لي ارجع الى الاجي وانا ابعث له كل ما طلب فرجعت وكان نهار الاحد . ولما وصلت الى البيت لم اشاهد المونسنيور ولا الخدام ولا الناس فسألت البواب فقال انه راح الى جولفة

١) اطلب نصّ هذا المكتوب في المشرق ٢٣ [١٩٢٥] : ٢٦٦

٢) لفظ سرياني يراد به غسل الارجل يوم خميس الفصح

فركبت اليها ووصلت الى البيت الذي كان فيه فرأيت جماعة الفرنج مجتمعين [١٧٩] وقد تغدّوا وجلسوا يتحادثون مع المونسنيور . فدخلت عليهم وسلّمت وقبّلت يد المونسنيور فاجلسني جنبه واخذ يسألني عمّا صار . فاخبرته ففرح وباركني . ثم اخذني وقمنا نمشينا في البستان وهو يتكلم معي . ثم ركبنا ورجعنا الى البيت.

وبعد يومين ارسل الوزير الامور التي طلبها المونسنيور . وأمر ان يعطونا عشرين جملًا لرفع أثقالنا وأحمالنا وثمانية خيل للركوب. ولكنها لم تكن تكفينا [١٨٠] . فرحتُ اشتكريتُ عشرين فرساً اخرى ليركب بقيّتنا ونحمل باقي احمالنا. وتحضّرنا للسفر. وبينما نحن كذلك جاءنا بادري كبّوجي من تفليس اسمه جوستيانس ارسله الخان يطلب من المنسنيور ليروح يسكن تفليس. لان الخان لمّا سمع عن فضائله اراد ان يسكن عنده. فامتنع المونسنيور وقال انه ما بقي يمكن ان اجيءْ الى هناك . وكان للخان اخٌ في اصبهان [١٨١] اسمه لورساب مرزا وكان صاحب المونسنيور يبعث اليه هدايا ويعرّف الخان بفضائله . وزاره المنسنيور فاضافه واكرمه. وانا والحكيم كنّا نزوره في الجمعة مرة.

وارجع الى كلامنا. فلمّا دنت ايام سفرنا كان قد فضل عندنا من الحطب والفحم والتبن والشعير والخشب والخوابي واشياء كثيرة لم يمكن تحميلها . فاعطى المونسنيور كل ذلك الرهبان الكبوجيين. وجاء بعض فقراء ايضاً اخذوا من التبن والحطب وغير ذلك [١٨٢]. ولم يكن المونسنيور يتكلم بل يقول لي اتركهم يأخذون لانهم فقراء . وكان الذي اخذه الكبوجيّة والفقراء يساوي اكثر من مائة قرش . والمونسنيور لم يحسب ذلك شيئاً ابدًا . ثمّ صاح الخدّام وكلّمهم وقال : الذي يريد يجي معي فليجيءْ والذي لا يريد فليقل . فالذين لم يريدوا يجون طلبوا منه دستورًا فاعطاهم حقّهم وانعم على كل واحد بكم عامي . واما الذين ارادوا المجيءْ فكتب اسماءهم وكانوا ستة. ثم ان المهندار جاب لنا رجلًا حتى يرافقنا [١٨٣] . ويصير مهندار الدرب ويحضر كل يوم عشرين جملاً مع ثمانية افراس من الضياع التي في الدرب مثلما أمر الشاه . ثم احضر لنا الجمال والخيل . امّا الارمن المجيّون للمنسنيور فلما سمعوا امر

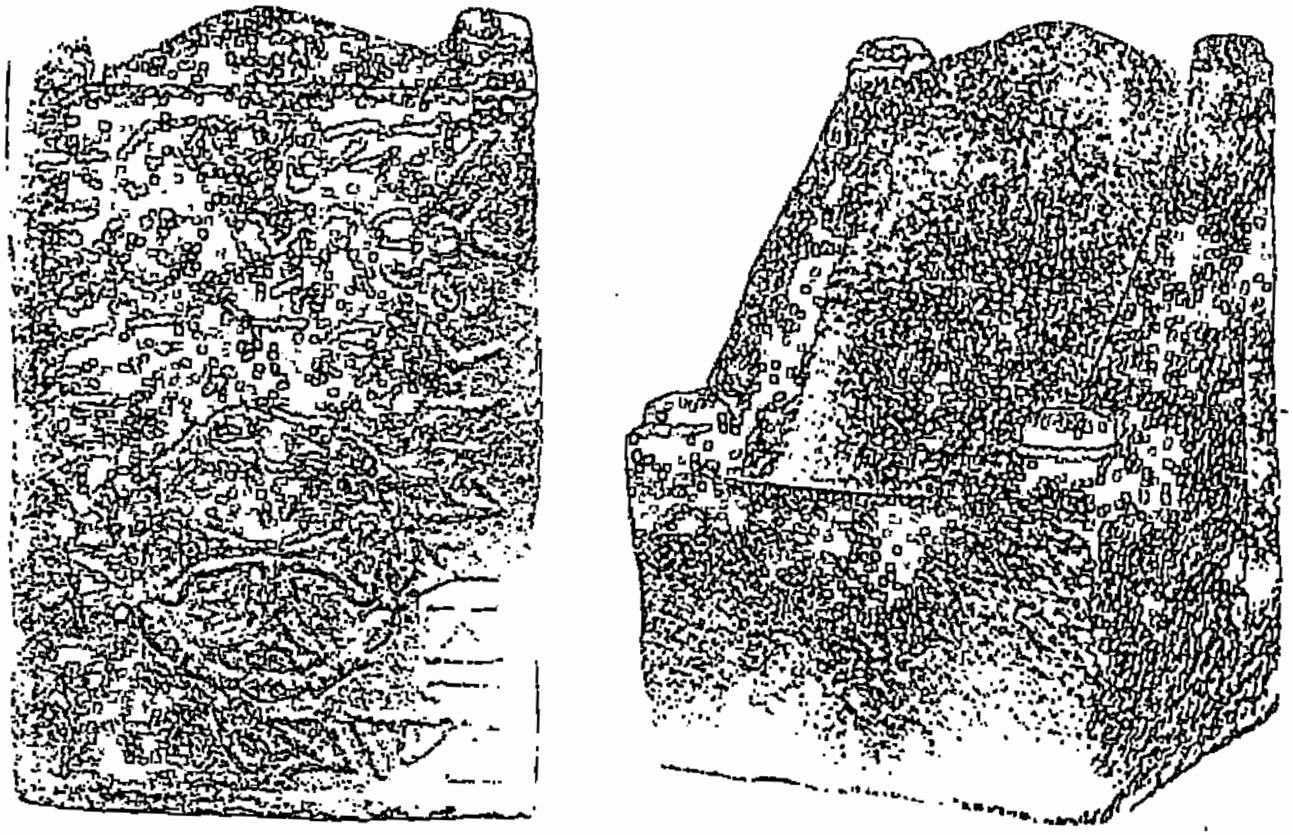

الرسم ٨

١ – منبر اسفلي من الحجر اكتشف في سلوي وهو يرقى الى نحو السنة ٥٠٠ ٢ – صورة الكتابة السريانية المنقوشة على ظهر المنبر

(عن صورة لمصلحة الآثار في بيروت)

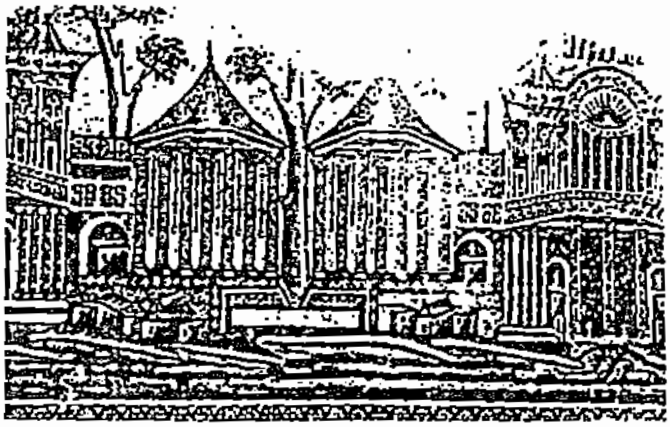

الرسم ٩

مشهدان من مشاهد الفسيفساء في الجامع الأموي في دمشق (القرن الثامن)

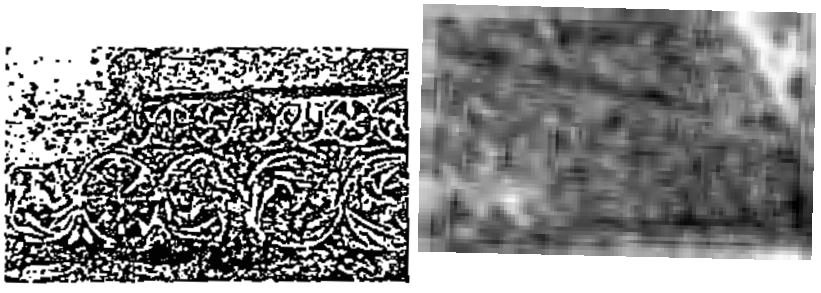

الرسم ٤ – قطع من سطوح الاعمدة في البارة
(عن كتاب الاب ماتره *A travers les villes mortes de Haute Syrie*, pl. XLVI, 2-3)

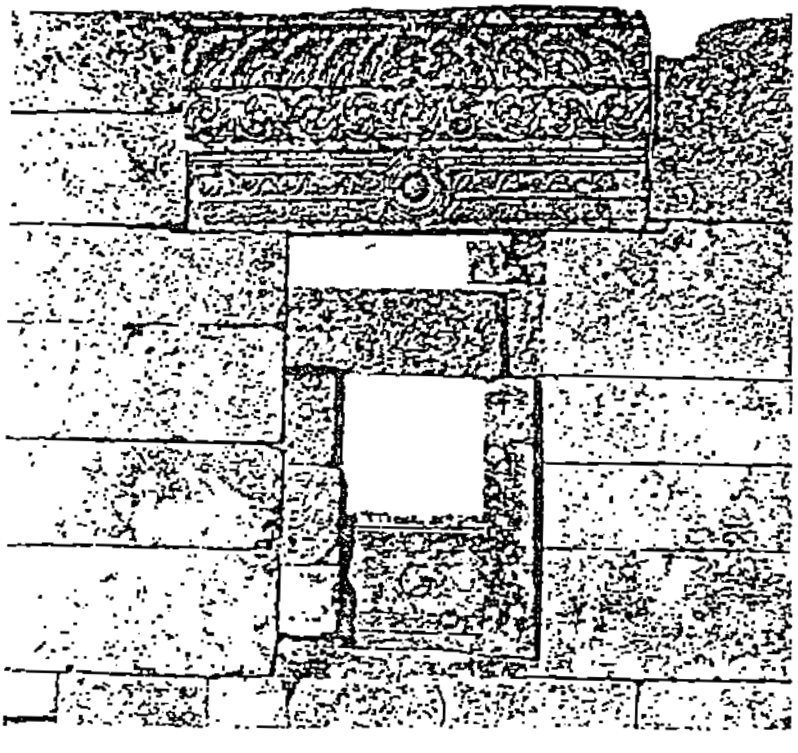

الرسم ٥ – عتبة الباب في بَموده
(عن الكتاب نفسه pl. XVII, 2)

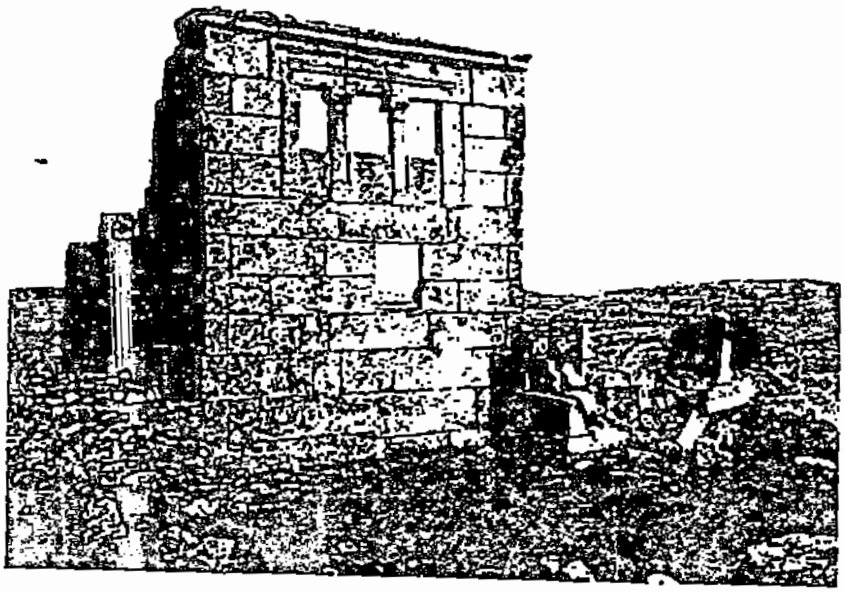

الرسم ٦ – قصر ذو كشك في كفرنابو
(عن الكتاب نفسه pl. XXXV, 2)

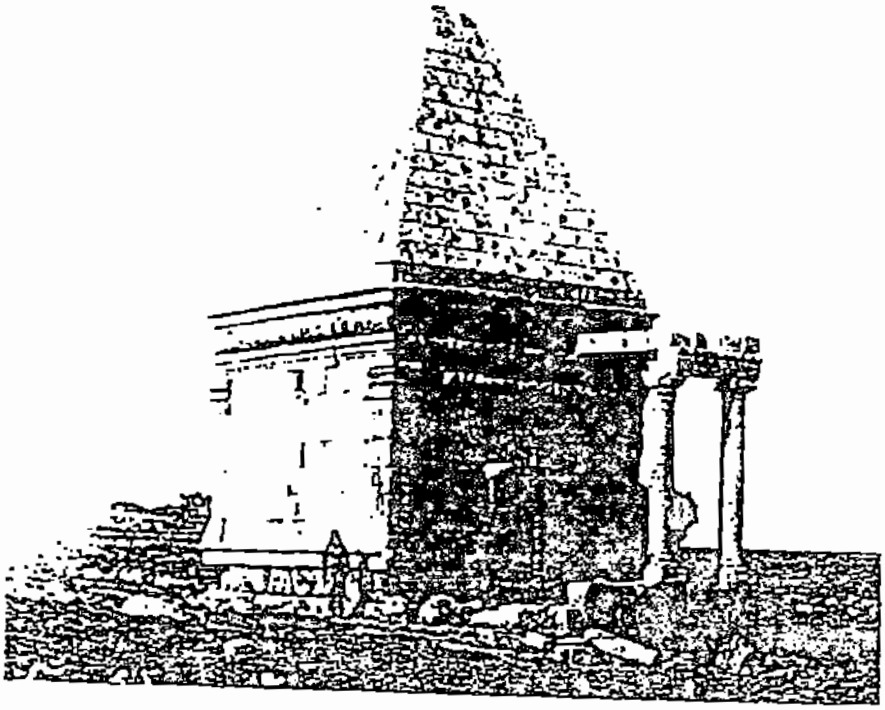

الرسم ٧ – قصر [illegible]
(عن الكتاب [illegible])

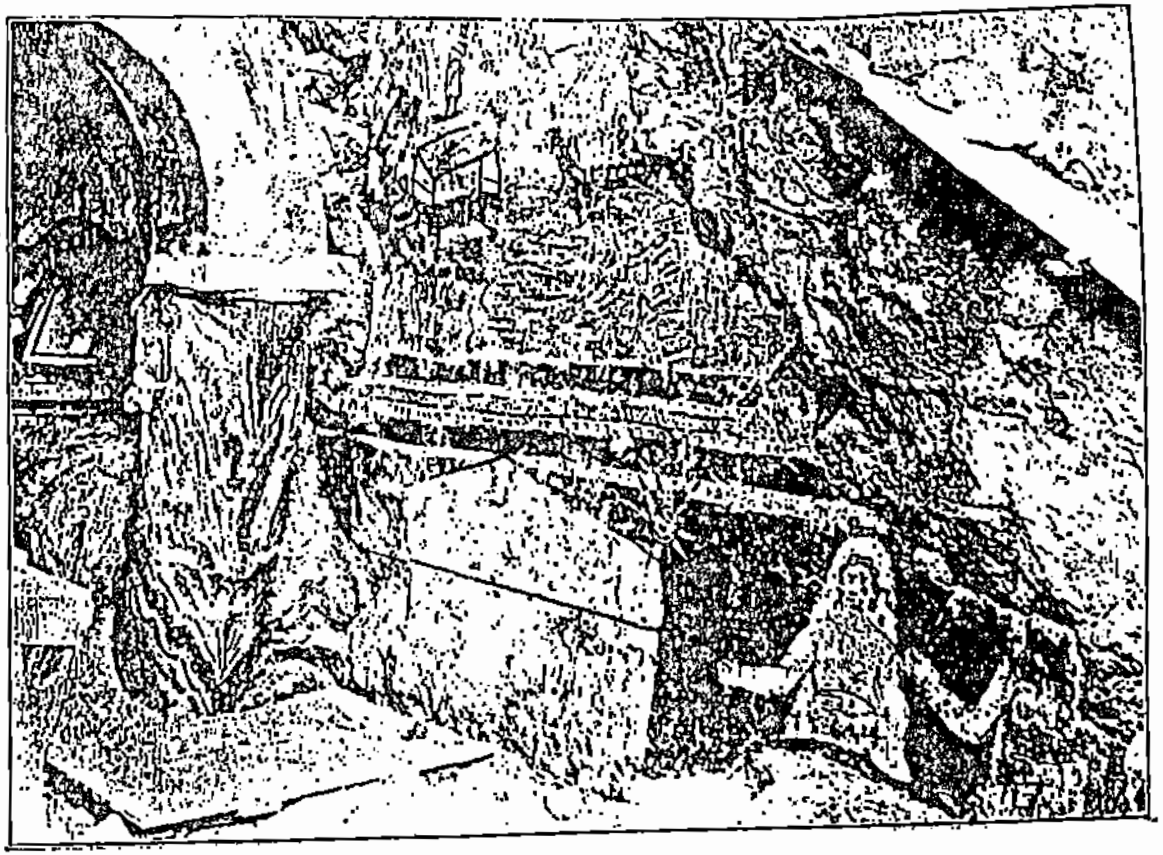

الرسم ١٠ – كنيسة دورا - الصالحية الراقية الى السنة ٢٥٦ ، في حالتها كما اكتشفت

(عن *The Excavations at Dura - Europos, Fifth season*)

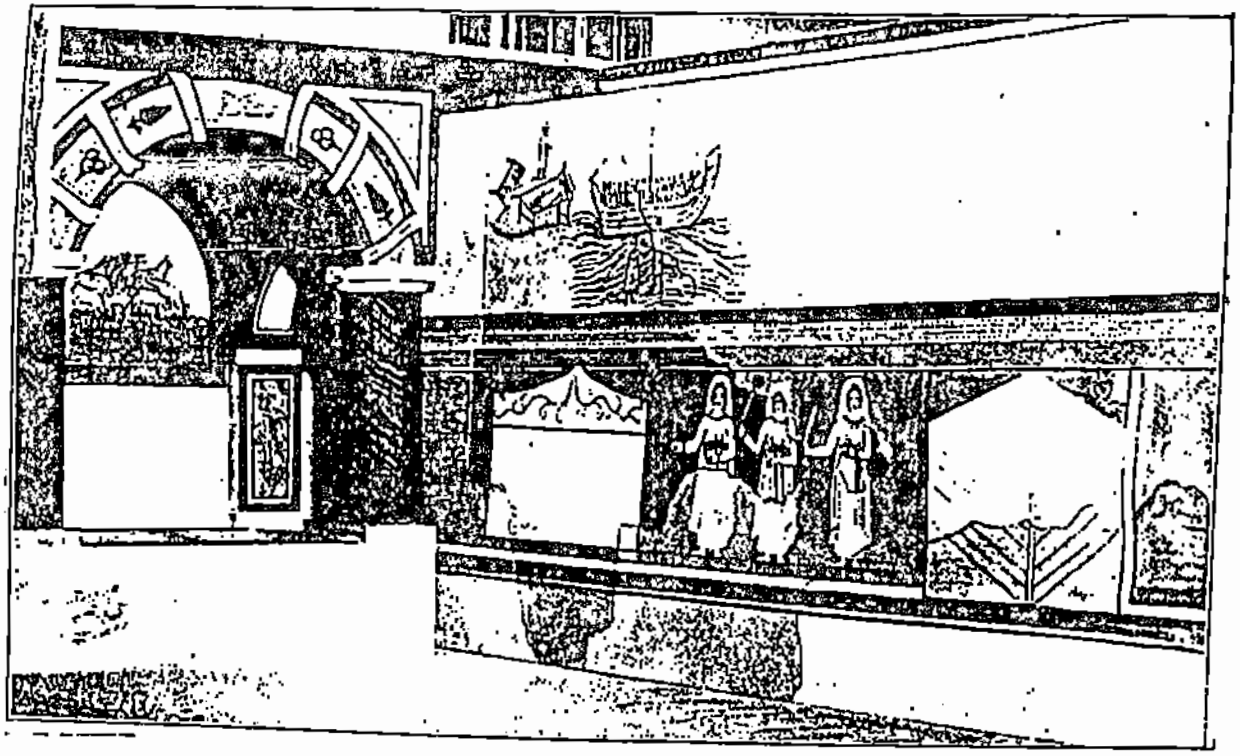

الرسم ١١ – صورة الكنيسة المذكورة كما كانت ، وقد ظهرت على جدرانها صور المشاهد المذكورة في المقال (ص ٥٨٥)

(عن *The Excavations at Dura - Europos, Fifth season*)

رواحنا بقوا كل يوم يجون اليه ويزورونه ويتباركون منه ويتأسفون على فراقه.

٢٤ خروج المونسيور بيكيت من اصبهان

ثم حثلنا ليلة احد الفنطقوسطي[1] من اصبهان وطلع معنا جميع الفرنساويين الذين في جولفة وساروا معنا مقدار ميلين ورجعوا . ونحن سافرنا وبتنا خارج اصبهان في كروان سراي وبقينا هناك يومين لينما عدّلنا[2] جميع اشغالنا [١٨٤] . ثم ارتحلنا قاصدين همذان. وكانت جميع ايام مكوثنا في اصبهان اثنين وعشرين شهرًا واياماً . وكنا برفقة المونسنيور: مسيو روك ومسيو سنسون ومسيو وينسا الحكيم واندري الطبّاخ وانا الفقير وانطون الصبيّ الارمني الترجمان بعدي وستة خدّام ارمن وبادري يسوعي رائح الى ايروان ليسكن هناك مع خادمه . وبادري دومينكاني من البندقية كان في بلاد الهند . وبادريان آخران من دومنكان نقشوان ورجل من نقشوان . هولاء جميعهم كانوا برفقة المونسنيور .

[١٨٥] امّا المهمندار الذي رافقنا فكان رجلاً خائناً عمل معنا نقصاً عظيماً . ففي ذات يوم نزلنا في كروان سراي جانب الضيعة وكانوا ملزومين ان يعطونا الجمال كأمر الشاه . فراح هذا الخائن واخذ منهم دراهم كروة الجمال وقال لهم انا اقفي[3] جمالًا للاجي . ثم ركب فرسه وهرب مع خادمه . امّا الجمال التي معنا فكنا اطلقنا سبيلها ظانين ان هذه الضيعة تعطينا جمالًا كباقي الضياع . ولمّا كان المساء ونحن مرتاحون ننتظر الجمال لنحتل كعادتنا ونسير في الليل لئلا يتعب المونسنيور في الشمس [١٨٦] لم تحضر الجمال. فركبت مع آخر ورحتُ الى الضيعة في الساعة الواحدة من الليل وسألتُ عن الرئيس فلم يعلمني احد عنه . بل قالوا لي نحن قد اعطينا حقّ الجمال للمهمندار . فقلتُ واين هو المهمندار ؟ قالوا لا نعلم . فبعثتُ الخدّام فراحوا جابوا لي الرئيس واثنين آخرين . فأخذتهم وحبستهم داخلاً حتى يجيبوا لي جمالًا . فاسرع اهل الضيعة جميعهم حتى يتكاولوا[4] معنا . وكان اصحابنا والخدّام خارج الباب فتكاولوا معهم بالحجارة

---

١) النصرة في ٢٠ ايار ٢) رتبنا
٣) أحصّل ٤) تكوّلوا وانكالوا اي اقبلوا عليهم بالضرب والشتم

ورموا اثنين من الخدّام . فلمّا سمعتُ [١٨٧] خرجت خارجاً وسألتُ ما الخبر ؟ فقال لي الخدّام قد كبسونا وقتلوا منا اثنين . قلتُ اين هما ؟ قالوا هما مطروحان على الارض . قلتُ خذوهما وادخلوا كلّكم الى داخل واغلقوا الباب ففعلوا . فلما قربتُ منهما لقيتهما ميتين بدون نَفَس . وكانت الساعة الثانية من الليل . ثم شعلوا المشاعل وجاء الحكيم يجس المجروحين فلقينا ان قد اصابتهما الحجارة في راسيهما والدم يجري منهما وهما كالموتى . ثم اني احضرتُ رئيس الضيعة وارفاقه [١٨٨] وقلت لهم أهكذا تعملون في ناس الاجي وتقتلوهم ؟ وأمرت الخدّام ان يجلدوهم . فجعلوا يجلدونهم وهم يستغيثون .

وكان المونسنيور في كل ذلك جاثياً في حجرته يصلّي . فلمّا سمع هذا الضجيج بعث صاحبي[1] وقال ما الخبر ؟ وما هذا الصياح ؟ فحكيته بكلّ ما صار من الاول الى الاخير . فنهض مرعوباً لمّا سمع عن موت الخادمين وجاء اليهما ونظرهما واخذ يبكي . اما رئيس الضيعة ورفاقه فلمّا رأوا المونسنيور بدأوا يستغيثون ويقولون اننا بلا ذنب . ما هذا الجلد الذي يجلدوننا ؟ فقال لي المونسنيور لا تخلِّ احد ينكد[2] عليهم [١٨٩] فكّ رباطهم واتركهم حتى نبصر كيف ينتهي الامر . ثم اخذ يتكلّم مع الحكيم عن الخادمين ورجع الى حجرته وجئنا للصلاة . واخذ الحكيم يعالج المريضين وكان يسكب في فمهما بعض اشربة . وبعد ساعة افاق الواحد من غفلته ورجع الى عقله وتكلّم ففرحنا . ورحت قلت للمونسنيور ففرح وزاد في الصلاة . وبقي الثاني على حاله بغير كلام . اما الرئيس ورفاقه فاوصيتُ ان يحبسوهم فالتمسوا قائلين ابعث منا واحداً حتى يروح يفتّش عن جمال ونحن الاثنين نبقى محبوسين [١٩٠] . فشاورت المونسنيور فقال لي افعل ما يقولون . فبعثتُ واحداً منهم الى الضيعة وتقاتل معهم على فعلهم . وانا تلك الليلة لم اقدر انام من خوفي على الخادم . بل كنت اروح داخلاً اجسّ عليه . وقرب الصبح افاق على ذاته ورجع الى عقله وتكلّم . فاعلمت المونسنيور ففرح وشكر نعم الله .

ثم جاء بعض ناس من الضيعة معتذرين متوسلين الى المونسنيور حتى لا

١) استدعاني ٢) لا تدَع احداً يتعدّى

يجازيهم كفعلهم . فعفا عنهم وطيّب خاطرهم وقال جيبوا لي الجمال وانا اعطي حقها ولا تخافوا . فقالوا ههنا قريب ضيعتنا [١٩١] بميلين او ثلاثة اناس ساكنوا الخيم عندهم جمال فابعث احد رجالك ليستكري لاننا نحن فلاحون ما لنا جمال. فركبتُ واخذتُ معي خادمين ورحت الى الخيم فطلع عليَّ الاهالي بالعصي والحجارة حتى يكاولوني ظانّين اني جئت آخذ جمالهم بالجبر. فلما نظرتهم هكذا ابتدأت الاطفهم قائلاً : يا ناس اجياد انا ما جئت اكاولكم وآخذ جمالكم بالجبر. فلو جئت لذلك لجئتُ معي اناساً كثيرين حاملين السلاح . ولكن جئتُ اكلّمكم بالمعقول [١٩٢] وأستكري جمالكم واعطيكم حقكم ههنا قبل ان احتلها . فرموا الحجارة من يديهم وجاء بعضهم يتوسلون حتى انزل عن فرسي فأنزلوني وأدخلوني الى الخيمة واجلسوني. وجاء المعقولون وتكلّموا معي قائلين : اننا لمّا سمعنا عن مجيئكم هَرَّبنا الجمال الى مكان بعيد لخوفنا. ولكن نفتّش لك فان وجدنا جمالاً عند احد فبلا شكّ نرسلها لك . لان غير إلجيّة عندما يجتازون يظلمون الناس ويأخذون جمالهم بغير حقّ ويعذّبونهم . ولكن لما سمعنا عن سيّدك الإلجي انه رجل [١٩٣] صالح تدمنا كيف بعثنا الجمال . ثم فتشوا ووجدوا رجلين بينهم عندهم ثمانية جمال فاحضروها اليَّ وتكلمت معهم وقلتُ لهم اريد عشرين جملاً . فقالوا ما عندنا غير هذه . ولكن في الضيعة الفلانيّة جمال كثيرة فاذا سمعوا انك تعطي الكرى فهم يتوسلون فيك . فان اردتَ ابعث لهم احدًا او رحْ انت اليهم . ففعلنا معهم الجمال الثمانية بثمن معلوم الى مدينة جول بايغان وهي درب يومين . وقلت لهم اي وقت تجيبون الجمال ؟ قالوا قبل المساء. واول وصولنا اليك نحتل ونرتحل [١٩٤] . فقمت حتى اركب فأمسكوني حتى اتغدّى عندهم فتغدّيت وغدّوا الخدّام . واعطوني قليلاً من السمن الطريّ واللبن هديةً للالجي . فركبت ورجعت وحكيتُ المونسنيور بكل ما جرى ففرح.

ثم قصدتُ الضيعة التي اخبروني عنها وطلبت من اهلها جمالاً للكرى فجاء رجل معقول وكراني اثني عشر جملاً واضافني وركب معي هو ورفيقه قاصدًا زيارة المونسنيور لمّا سمع عن فضائله . ولمّا وصلتُ حكيت المونسنيور عن

الرجال . فقال خلّ يجون . فدخلوا عليه وسلّموا وتكلّموا معه [١٩٥] وانشرح خاطرهم . وكان وقت الغدا فوضعوا الصفرة ودعوا المونسنيور للغدا فعزم[1] هذين الرجلين فتغديا معنا . وبعد الغدا قلتُ لهما كيف اكلتما معنا وانتما محرّم عندكم الاكل مع النصارى ؟ فقال لي احدهما لو كان النصارى مثل هذا الرجل لسنا نحرّم الاكل معهم . لكن هذا هو ملاك الله فكيف ما ناكل معه ؟ ولمّا كنّا نتغدّى جاء واحد من ناس الوركي باشي اعني من وزراء الشاه كان قادماً من همذان رائحاً الى اصبهان . فلما نزل في الكروان سراي استدعاه المونسنيور الى الغدا [١٩٦] فجاء وتغدّى معنا . وبعد الغدا حكاه المونسنيور عن افعال المهندار . ثم احضرنا رئيس الضيعة المحبوس ورفاقه فحكموا بجميع ما فعل المهندار . فتحيّر الوزير ثم كتب المونسنيور مكتوباً وبعثه مع الوركي باشي واطلقتُ رئيس الضيعة واصحابه . وفي اول المساء جاءت الجمال كلها فدفعت حقّها وحمّلنا وارتحلنا . ودخل المونسنيور نام في التختروان . ووضعنا الخادمين المجروحين في المحافة على الجمل [١٩٧] . وانا ورفاقي ركبنا وتركنا الجمال وسبقنا الى قدّام وكان الوقت نصف الليل .

ثم جزنا على كروان سراي فاتيت بابه مسكّراً . فصحنا ليفتحوا لنا فلم يجاوبنا احد . وبينا نحن واقفون دهل فرس المهندار من داخل فعلمتُ انه داخل الكروان سراي . فدقّ رفاقي الباب قائلين افتح لنا الباب والّا كسرناه . فمن خوفه فتح الباب . فدخلنا وقلنا للبوّاب اشعل لنا الضوء فشعل وفتشنا عن المهندار فوجدناه قد تنارم [١٩٨] فايقظناه فتمارض . فاراد رفاقي ان يضربوه فابتدأ يعتذر اعتذار كاذب . فقلت له الآن ما هو وقت الاعتذار فقد عملتَ الذي عملتَ ولكن قم اركب . فقال اتركوني انا مريض . ولكن الخدام انزلوه غصباً . ولما نظر انهم احتاطوه أمر خادمه فحمّل فرشته وركب وجاء معنا . اما المونسنيور فلم يقل له شيئاً . وبعد يومين وصلنا الى جول بايغان ومكثنا هناك يومين الى ان وجدوا لنا جمالًا ورحلنا .

ويوماً من الايام جابوا لنا جمالًا عاطلة لم تكن تصلح لحمل التختروان [١٩٩] .

(١) دعا

فاخذت جملين وسحبناهما لنحملهما التختروان فخافا ولم يريدا ان يربضا . وبالجهد والضرب ربضوهما . ولما ربطوا عليهما التختروان جعلا يزعقان ويصيحان . وكانت حوائج فرشة المونسنيور جوًا . فلمّا اقاموهما جفلا واخذا يركضان في البرية هاربين . فانفك الجمل الخلفاني من التختروان وهرب . واما الجمل القدّامي فبقي يسحب التختروان على الارض فسقطت الحوائج واندثرت . ثم ركبنا خيلنا وبالجهد العظيم قدرنا امسكنا الجمل [٢٠٠] ثم فككنا منه التختروان فوجدناه صحيحاً . ومع هذا الهرب جميعه لم ينكسر فيه شيء ابدًا . فبدّلنا الجملَين وحملنا التختروان وركب المونسنيور وارتحلنا .

٢٥ وصول المونسنيور بيكت الى همذان

وبعد خروجنا من اصبهان بستة وعشرين يوماً وصلنا الى همذان . لاننا تعوّقنا في الدرب كم يوم بسبب الجمال . والّا فالدرب من اصبهان الى همذان هو خمسة عشر يوماً . فلمّا وصلنا الى همذان نزلنا خارج البلد في بستان الشاه وركبت انا والمهندار وقصدنا صرباشي البلد ووكيل الخان . ثم أريناه أمر الشاه [٢٠١] فقرأه وقام الصرباشي وبعض اعيان البلد ركبوا معنا حتى نفتش عن بيت ننزل فيه . فدرنا اماكن كثيرة لم تعجبني لان بيوت همذان ليست مثل بيوت اصبهان . اخيرًا اعجبني احد البيوت فرجعت الى المونسنيور وصحبتي الوالي وبعض الاعيان خرجوا لكي يُدخلوا المونسنيور بالعزّ والاكرام . فلما وصلتُ لقيتُه بعدُ في القدّاس فأجلست الجماعة تحت وطلعت اليه واعلمته بكل شيء فقال خلّهم يدخلون . فدخلوا وسلّموا عليه وجلسوا وتكلموا معه [٢٠٢] . ثم اخذونا ودخلنا همذان ونزلنا في البيت . امّا المونسنيور فلم يعجبه البيت لانه ما كان فيه مخازن كثيرة .

وبعد يومين جاء الينا مطران الارمن الذي في همذان مع بعض جماعة وسلّموا على المونسنيور وفرحوا به . وبعد ما استرحنا كم يوم رحت فتشت عن بيت يكون فيه مساكن كثيرة فلم أجد . فقصباً عني اخذت ثلاثة بيوت

١) في ١٥ حزيران ١٦٨٤

وعملناها بيتاً واحداً واعطينا لاصحابها كروة سنة. وعملنا المكان الاحسن كنيسة. امّا المهمندار فان القوزجي باشي[1] ارسل من اصبهان وعزله عن منصبه[٢٠٣]. لانه كل سنة كان يحصل له منه كم قرش فعزله عوض النقص الذي عمله مع المونسنيور. ثم جاء عند المونسنيور وتخضّع وبكى معتذراً طالباً الغفران فأنعم عليه بتومان اعني ستة عشر غرشاً وثلاثين وسامحه بما فعل.

وكان نصارى همذان يأتون ويروحون عندنا ويسمعون الكرز[2] لان مسيو رويز كان تعلّم الارمني قليلاً. وكان كل يوم احد يعمل تعليم المسيحي في بيتنا ويحضر عندنا بعض ارمن. فلمّا سمع ذاك الشقي اسطفان المذكور اسقف جولفة الهرطوقي اشتكى الى خان همذان[٢٠٤] الذي كان في اصبهان ورشاه وقال ان الافرنج يريدون ان يعملونا ايضاً افرنجاً. فقال له ماذا تريد ان اعمل مع الإلجي لاني لا اقدر اكلّمه. قال ابعث الى صوباشي نصارى همذان ان لا يترك الارمن يروحون الى بيت الإلجي. والذي يروح يمسكه ويجرمه. ثم ارسل مكتوباً الى صوباشي الارمن فعمل عليهم يسق[3] ان لا يجيء احد الينا. ومنع ان لا احد من الارمن يشرب الشراب او يبيع. فجاء بعض الارمن عند الحكيم حتى يعالجهم ولمّا رجعوا امسكهم الصوباشي وحبسهم [٢٠٥]. فرحت أفلتهم[4]. ثم جاب لنا واحد ارمني جرّة نبيذ فأمسك وحبسه وروحت أفلته. ثم كتب المونسنيور مكتوباً الى القوزجي باشي يذكر له عن اوزاع[5] الصوباشي فبعث عزله واقام غيره. وبعد ذلك بقي النصارى يأتون عندنا بلا خوف ويسمعون التعليم المسيحي. وبعد دخولنا همذان بشهر طلب مسيو وينا الحكيم دستوراً من المونسنيور حتى يروح الى الهند فرخّص له فراح الى اصبهان ومن هناك الى الهند

[٢٠٦] وبعد شهر[6] امرني المونسنيور ان اروح الى باريس لاودّي[7] مكتوب الشاه الى ملك فرنسة. ومن باريس اروح الى رومية. ثم كتب لي مكاتيب الى باريس والى رومية يوصي عليّ. واعطاني فرساً وخرجيّة[8] وبقيت افتش على قفل

١) الفارس ٢) الوعظ ٣) اليَسَق: المنع ٤) أطلقتهم
٥) المعاملة السيئة ٦) اي في ايلول ٧) لاحمل ٨) نفقة او مصرف

يروح الى تبريز فلم اجد. وغصباً عني قصدتُ اروح الى قزبين ومن هناك ارجع الى تبريز .

ولمّا كان يوم توجّهِ الكروان وقت المساء بعد ما تعشينا ودّعت المونسنيور والارفاق وجثوتُ امامه وطلبت البركة فباركني وطلع معي [٢٠٧] الى خارج باب الحوش وهو يبكي وانا ايضاً ابكي واطلب منه الغفران . فقال لي انت ايضاً اغفر لي لاننا ما عدنا نرى بعضنا . فقلتُ كيف تقول هذا يا سيّدي ؟ انا ارجو ان ارجع عاجلاً واخدمك طول عمري مثلما شرطتُ على نفسي حتى اموت بين يديك. فقال لي اذهب بالسلامة ويسوع ومريم يكونان معك وفي رفقتك. ثم جثوتُ امامه وباركني وأتامني عن الارض واحتضنني واخذ يبكي وانا ايضاً ابكي والراتفون حولنا يبكون . ثم فارقته في الساعة الاولى من الليل وانا ندمان غاية الندم [٢٠٨] كيف فارقتُ هكذا رجلاً قديساً صالحاً يشتهي الملوك ان يروه ويحكوا معه .

فيا للعجب العظيم ! ويا لهذا الصبر الجسيم ! كيف اني بقيتُ معه اربعين شهرًا[1] ولم اسمع منه كلمة توجع خاطري. ولم يطلع خلقه[2] عليّ ابدًا. وكانت دراهمه في يدي . وانا كنت اعمل جميع المصرف . ولم يكن يعارضني ولا يحاسبني .

فهذا الذي كتبته عن المونسنيور هو من المائة قيراطٍ قيراطٌ واحد . لاني لو اكتب فضائله في الزمان الذي كنت معه كان يصير كتاباً كبيرًا جدًا . ولكني كتبتُ هذا بعد اربع سنين[3] في رومة ونسخته من كتابي الذي كتبته في سفرتي . »

انتهى

على هذا المنوال المؤثر فارق القس سفر سيّده الجليل المونسنيور بيكيت في ايلول ١٦٨٤ وارتحل الى قزبين فتبريز فبغداد فحلب بزيّ تاجر ، ناقلاً عدايا عبّاس شاه العجم الى الملك لويس الرابع عشر ، مزوّدًا برسائل توصية الى

١) من حزيران ١٦٨١ الى ايلول ١٦٨٤ ٢) لم يسخط عليّ
٣) اي في السنة ١٦٨٨

ملكي فرنسة ورومية المعظّمين ، معاهداً السيّد بيكيت على العودة اليه والنهوض بخدمته مدّة حياته.

ولمّا وصل الى حلب رحّب به مار اغناطيوس بطرس شاهبادين بطريرك السريان الانطاكي وعرض عليه قبول السيامة الاسقفية على ماردين ونصيبين طبقاً لرغبة سالفه البطريرك اغناطيوس اندراوس اخيجان الحميد الاثر . بيد ان القس سفر تمنّع عن قبول الاسقفيّة يريد انجاز ما كلّفه به المونسنيور بيكيت . فما كان من البطريرك الانطاكي الّا ان صارحه بقوله له : « اعلم انك منذ قدومك الى حلب اول مرّة انتخبك سالفنا السعيد الذكر لترعى الشرذمة السريانيّة الكاثوليكيّة في ماردين وملحقاتها ، وتسعى في اجتذاب المنفصلين الى طاعة الكرسي الرسولي . فنرى من الصواب ان تستأثر بهذه الغاية المقدّسة وتبذل النشاط في البلوغ اليها . والآن فاننا عازمون ان نقيمك اسقفاً على ماردين فتذهب اليها وتنجز ما نؤمله منك ».

وقف القس سفر برهةً يتردّد بين الإقدام والإحجام حتى انقاد اخيراً لامر بطريركه المغبوط الذي رقّاه في كنيسة حلب الى الكرامة الاسقفية صباح الاحد الاول من الصوم الكبير عام ١٦٨٥ وسمّاه اثناسيوس سفر ودفع اليه طبقاً للتقاليد الابويّة الستاثيقون البطريركي[1] المؤذن بسيامته . ثم رخّص له ان يواصل سفره الى باريس فرومية وبعد هذا يعود الى ماردين ابرشيته .

قضى الحبر الجديد بضعة اسابيع في حلب ثم ودّع السيّد البطريرك وقصد الاسكندرونة وركب البحر متوجهاً الى فرنسة ، يصحبه القس نعمة الله ناقد الحلبي . ولما وصل الى مرسيلية خلّف فيها القسّ المومأ اليه واستأذن السفر الى باريس وتشرّف بزيارة الملك لويس وقدّم له هدايا عبّاس شاه العجم ودفع اليه رسالة المونسنيور بيكيت . فحار الملك في امر زائره ورابه من هيئته الاسقفيّة ما رابه وانكر انه رسول السيّد بيكيت بعينه لانه شاهده بزيّ اسقف مع ان السيد بيكيت وصفه في عريضته الى جلالته بكونه قسيساً . عند ذاك أخرج السيّد اثناسيوس الستاثيقون البطريركي من عبّه ودفعه الى الملك ، فزال عنه

(١) نشرنا هذا الستاثيقون على صفحات المشرق في السنة ١٩٠٨ [١١ : ٥٦٥–٥٦٧]

الريب وقبله في بلاطه وأعزّه جداً.

على ان عاهل الفرنسيس كان مطّلعاً على احوال الملة السريانيّة اذ كان بطريركها المغبوط قد رفع الى جلالته على اثر ارتقائه الى السدّة الانطاكية عريضةً يلفت فيها نظره السامي اليه والى ملّته. وهذه العريضة الجميلة المكتوبة بحروف كرشونيّة في السنة ١٦٨٢ قد نشرها المرحوم الاب انطون رباط اليسوعي بحروف عربية في الصفحة ١٠٦ من كتابه «الآثار الخطيّة عن الكنائس الشرقية» نقلاً عن مخطوط مكتبة باريس الاهلية الموسوم بالرقم ٤٦٢٢ وهذا نصّها :

ܠܡܠܟܐ ܡܪܝܐ ܡܠܦܢܐ ܕܟܠ ܡܠܟܘܬܐ

« الى حضرة السلطان

« لويس سلطان فرنسة وغيرها من الممالك ، المظفّر في الحروب بقوّة الممالك

« الى حضرة الملك الجليل بكر سلاطين المسيحيين باسرهم . نادرة الارض المسكونة كلها . رعب العصاة والاشرار . حبّ الصالحين والابرار . سند الكنيسة المسيحية . ملجا الامراء والرعايا . داود في القوّة والشجاعة سليمان في الحكمة والبراعة . حزقيا في العبودية والتقوى . قسطنطين في النجاحة والنجوى . المؤيد المنصور على اعدائه . هادم الفرطانة والبدع . مجدّد العلوم والفوائد . الصورة الحيّة للفضائل . المفخّم على جميع القبائل . حفظه الباري تعالى على ممرّ الايام . واسبغ عليه البركات وجلائل الانعام . واخضع اعداءه تحت موطئ قدميه . وزاده قبولاً في حضرته ولديه . وكان الحق تعالى سامعاً لصلواتنا ليلاً ونهاراً . ارتفاعاً لشأنه ولنا بذلك افتخاراً . آمين اللهمّ آمين بجاه ربّ العالمين

« أمّا بعده فالمعروض على جنابكم العالي الشريف . والمبدي لدى جنابكم السنيّ اللطيف . اني انا الحقير في رؤساء الكهنة بطرس بطريرك السريان الممتدة من بابل وحدودها الى اقطار مصر وما يليها ارسلنا اثنين من البادرية واحداً من جماعة اليسوعية وواحداً من جماعة الكبوشيين لكي يبلغوكم اخبار كنائسنا التي نريد بنعمة الله تعالى نجمعها اتفاقاً مع الكنيسة القاتوليقية الرسولية الرومانية وليكن نظركم الاكسيري علينا بعين الرأفة والجود . وتعينونا في النية الصالحة

التي تفضل بها علينا سيدنا يسوع المسيح لذكره السجود. الى ابد الآبدين آمين.

« وليكن معلوماً لدى عظمتكم العالية ما صنعت السريان القدماء مع الامراء الفرنساوية في محروسة القدس الشريف، والمحبة والاتفاق بغاية المودة التي ابدوها امام السلاطين العظام الذين حكموا عليها. هكذا فالمرجو من عظمتكم ان تتفضلوا علينا باحسان انعامكم وفوق جودكم واكرامكم توصوا فينا الإلجي الذي من قبلكم في مدينة القسطنطينية عند سلطان محمد حفظه الله بعين عنايته من كيد الاشرار والمعاندين وأوصله الى أقصى درجات الفضائل وهو ارحم الراحمين. واما نحن فعائشين تحت حكمه الجميل وفائزين بستر ظله الظليل ومحميين من اعدائنا بقوة امره وسطوته. ومتنعمين بحكمه العادل في زمان دولته. وايضاً توصوا الالجي ان يكون نظره علينا ويساعدنا في جميع امورنا ومصالحنا. والدعاء.

ܐܝܟܢܐ ܕܡܫܝܚܐ ܕܐܠܗܐ ܘܐܠܗܐ
ܕܟܠܗ ܐܪܥܐ »

مكث اذاً السيد اثناسيوس سفر اياماً في باريس ضيفاً في البلاط الملكي ثم سار الى رومية حاملاً كتاباً من جلالة الملك الى الحبر الاعظم البابا انكنتيوس الحادي عشر (١٦٧٦-١٦٨٩) يشتمل على التوصية به وبنصارى ارمينية وبلاد العجم. ولما وصل الاسقف السرياني الى رومية تعرّف بالأب سبين ودفع اليه رسالة المونسنيور بيكيت صديقه الحميم المؤرخة في تموز ١٦٨٩ وفيها يقول: أكتبُ اليك بواسطة القس سفر ... أوصِ المجمع المقدس ان يحتفي به ويكرم مثواه، فانه ربّان من العلوم الشرقية قديرٌ على القاء الخطب بالعربية والتركية وقد نُدب سرارًا الى الاسقفية[1] ».

قام الاب سبين بما ارضاه المونسنيور بيكيت. وما عتم ان تشرّف الاسقف الجديد بزيارة خليفة مار بطرس ودفع اليه كتاب الملك لويس وعريضة السيد بيكيت فنشله الحبر الاعظم بعطفه السامي وأثنى على خدمته ونشّطه ليواصل مساعيه في سبيل الايمان المقدس. وفي تلك الغضون فوجئ السيد اثناسيوس بخبر

(١) الآثار المطيّة صفحة ١٠٦

انتقال المونسنيور بيكيت الى الاخدار العلوية في همذان بتاريخ ٢١ آب ١٦٨٥ فتأسف عليه شديد الاسف وانقطع الى تبييض ما كتبه عنه اثناء رحلته تخليداً لمساعيه الرسولية وحسناته المتواترة . وقد انجز كتابه هذا النفيس عام ١٦٨٨ واهداه الى المكتبة الواتكانية ليصان فيها على كرور الاحقاب.

وكانت عواصف الاضطهاد في تلك الاثناء ثائرة على البطريرك الانطاكي مار اغناطيوس بطرس السادس في حلب فكتب الى الاسقف اثناسيوس أن يتربص في رومية ريثما تنقشع عنه وعن شعبه سحابة النوائل والاهوال . فامتثل الاسقف لامر بطريركه المغبوط-وجال في خاطره ان يشيّد ديراً في رومية يؤمّه طلبة الدعوة الكهنوتية من ابناء الملة ويتمرنون فيه على اقتباس الفضائل والعلوم وعرض فكرته الصالحة على رئيس المجمع المقدّس فتم الاتفاق على ان يسافر الاسقف اثناسيوس الى اميركة ليجمع من حسنات المؤمنين ما يوصله الى غايته المقدّسة ويسدّ حاجات البطريركية السريانية . فغادر عاصمة الكثلكة في السنة ١٦٩١ وظعن الى اسبانية فالبرتوغال فاميركة فالهند وجمع خمسة وثلاثين الف سكوت روماني وعاد الى رومية عام ١٦٩٦ واستغرقت رحلته خمس سنوات كاملة . واتفق ان البطريرك مار اغناطيوس بطرس السادس وصل الى رومية في تلك السنة عينها مستصحباً السيد غريغوريوس يشوع مصرشاه مطران اورشليم فوافقا الاسقف اثناسيوس سفر على انشاء دير للملة السريانية في عاصمة الكثلكة . وبناء عليه اشترى دار « رهبان اخوة الرحمة » الواقعة فوق اكمة اسكولينو بين كنيسة مار بولس اول السيّاح وبين كنيسة مريم العذراء ذات الثلج والقريبة من الطريق المؤدية الى كنيسة مريم الكبرى ، بمبلغ ستة آلاف وسبعمائة وخمسة وعشرين سكوتاً رومانياً . واشترى معها البستان والكرم المحاذيين لها . وتمّ ذلك في ٢٨ تشرين الاول ١٦٩٦ بموافقة رئيس المجمع المقدّس الذي شرط ان تُطلق الحرية لتلامذة مدرسة البروبغندا في التنزّه في ذلك البستان على توالي الازمان . ولما انتهى المشترى أطلق الاسقف اثناسيوس سفر على ذلك المحلّ اسم « دير مار افرام السرياني » . وخصّص مذبح الكنيسة الوسطاني باسم العذراء « سيّدة الصحّة » وابتنى فيها مذبحين جديدين خصص

الاول بار افرام السرياني ملفان الكنيسة والثاني باسم مار يعقوب اسقف نصيبين . وارسل فاستحضر من بلاد سورية وما بين النهرين فئة من ابناء الملة وأخذ يلقنهم المبادئ الكهنوتية ويهيئهم للدرجات المقدسة .

وانصرف هذا الحبر الجليل علاوة على ذلك كله الى نشر كتاب «الاشحيم» بالطبع لاول مرة عام ١٦٩٦ ونسخ واستنسخ كتباً سريانية وعربية أهدى منها قسماً الى المكتبة الواتيكانية وخصص قسماً منها بمكتبة دير الشرفة . ولما توفي المفريان باسيليوس اسحق جُبَير[1] عام ١٧٢١ في رومية وُجهت الى السيد اثناسيوس النيابة الرسولية على الملة السريانية جمعاء . فكان يرعاها ويوطدها في الايمان الكاثوليكي بكتاباته ويمدها بحسناته حتى وافته المنون في ٤ نيسان ١٧٢٨ ولُحد في كنيسة ديره ووضع فوق ضريحه حجر رخام نُقش عليه تاج وصليب وعكاز وحُفرت فيه كتابة سطرنجيلية ولاتينية هذا شرحها : «ههنا مدفون اثناسيوس سفر اسقف ماردين الكامل بالفضيلة . رقد بالرب في ٤ نيسان السنة ١٧٢٨ مسيحية . اراح الله نفسه في ملكوته» .

وكان ميلاد هذا الاسقف البار في ماردين عام ١٦٣٨ وارتقى الى الدرجة الكهنوتية في كنيسة حلب عام ١٦٧٨ وخدم النفوس في وطنه ثلاثة اعوام . ورافق السيد بيكيت في رحلته من دياربكر الى ارمينية وبلاد العجم (١٦٨١ــ١٦٨٤) . وسيم اسقفاً على ماردين عام ١٦٨٥ وانتقل الى جوار ربه بالغاً السن الحادية والتسعين .

اما الدير الذي اشتراه في رومية فقد ظلّ في حوزة الملة السريانية سبعاً وخمسين سنة ثم بيع في السنة ١٧٥٣ وتحوّل بامر الحكومة الايطالية عام ١٩٠٧ الى مستشفى خاص بأمراض العيون . واعتنى الخورفسقفوس يوسف هبرا الوكيل البطريركي يوم ذاك في رومية بنقل رفات منشئ الدير المذكور في الحين الى معبد آخر وأحضر هامته الى دير الشرفة اجابةً الى طلب الشيكنت فيليب دي طرازي فوضعها الشيكنت في صندوقة جميلة وكتب عليها اسم صاحبها الحميد الاثر . وما برحت مصونةً الى هذا اليوم في مكتبة الدير المذكور كذخيرة ثمينة .

١) نشرنا اعمال هذا المفريان النبيل على صفحات المشرق ١١ [١٩٠٨] : ٢٨٦

مطبوعات شرقية جديدة

LUDOVICUS LERCHER, S. J., Institutiones theologiae dogmaticae in usum scholarum, editio secunda, vol. I. De Vera Religione — de Ecclesia Christi — de Traditione et Scriptura. Œniponte, sumptibus Fel. Rauch, 1934.

مؤسسات اللاهوت النظري: المجلّد الاول

بين يدينا الطبعة الثانية للمجلّد الاول من تأليف الاب لرخر في اللاهوت النظري. وقد اعاد فيه النظر الا انه لم يُشر الى ما جدّده فيه ، فظلّ الكتاب بحاجة الى فهرس مطوّل والى جدول بالمآخذ . ولعلّ الاب المؤلف لا يرى فائدة هذه الملحقات كما انه لا يرى فائدة مقدّمة في كتاب مدرسي اهمّ ما فيه ان يكون حسن التأليف واضح الاسلوب . ثم ان المؤلف يتقيّد ، فوق هذا ، بنهاج الجامعة التي ينتسب اليها فيترك البحث في صحة نسبة الاناجيل للقسم الخاصّ بدرس الكتاب المقدّس.

على ان المؤلّف يظلّ مثالًا للكتاب التعليمي الجزيل الفائدة لاعداد الطلّاب وتهيئة الامتحانات ، وان كان يقصّر بعض الشيء في تثقيف هؤلاء الطلاب التثقيف المطارب . وقد رُتبت فيه النظريات العادية وما يلحقها من براهين ، واعتراضات ، وردود ، على طريقة واضحة سهلة الفهم ، لا تخلو من ملاحظات تدلّ على ان المؤلف مطّلع على الآراء العصرية في النقد والتاريخ والروحانيات. ومما يجدر بالذكر ما اورده ، في ختام الفصل الخاص بتكوين الكنيسة ، من ابحاث في « الكنيسة قرينة المسيح » ، و « الروح القدس نفس الكنيسة » ، و« علاقة الكنيسة بالاقانيم الثلاثة وبوالدة الله ، وبالهيكل او الكنيس القديم » ثم ما قاله في اصل الاسقفية (ص ٣٥٢ وما بعدها) . على ان حكمه المطلق ، في الصفحة ٦٨ ، على بلوندل ولابرتونيير وماتو وتيرل يظهر لنا بحاجة الى شيء من التحفظ والى شيء من الانصاف كذلك.

اما في النظريات التي لا تزال عرضة للمناقشة فان المؤلف يبدي استقلالًا

بالرأي وميلًا الى شيء من الانتخاب والاختيار ، حتى ازاء القديس توما ، فيقرّ بكل احترام ان برهانه في «الردود على الخوارج» (١ : ٣) لا يقنعه في الدلالة على وجود الله . ثم هناك مواقف للمؤلف تقليدية يظهر فيها شديد المحافظة على بعض الآراء القديمة ، كموقفه في تاريخية الترجمة العامة ، وموقفه في اسابيع دانيال السبعين . وقد كان من الاوفق ان تُنقل هذه الابحاث الى القسم الخاص بدرس الكتاب المقدس .

وكنا نودّ لو توسع المؤلف في بسط برهان النبوّة بان يعرض اولًا فكرة «المخلّص» وتطوّرها واتساعها قبل ان يعدّد الخصائص النبوية

وبضدّ هذا كان بحثه في المعجزة ، فقد جاء تامًّا سواء من جهة النظريات او من جهة التطبيق على معجزات السيد المسيح . فلم يبالغ في النظريات المجرّدة بل ظلّ ناظرًا الى معجزات الانجيل يطبّق عليها اقواله ويستخرج منها كل ما تفيده من نتائج ادبية ودينية (ص ١٨٨) .

ومما يجدر بالذكر ترتيب الموضوعات والفصول في القسم الخاصّ بالكنيسة ، وهو يؤلف بحثًا عقائديًا برأسه لا يعرض فيه المؤلف لذكر «علامات» الكنيسة الا بعد ان يفرغ من درس نشأتها ونظامها . على ان المطالع ، يأسف في عصرنا الحاضر ، لخلوّ هذا البحث من فصل في علاقات الكنيسة بالدولة .

اما القسم الاخير فان عنوانه المخالف قصدًا ما اعتدنا ان نراه في كتب اللاهوت (ص ٥١٢) يدلّ على ان المؤلف يهتم بالتدقيق في اسلوبه . ف . ل .

De integritate confessionis. Tractatus moralis. Compilatus a P. THOMA VILLANOVA GERSTER A ZEIL, OMC. Taurinorum Augustae, Marietti. Prix : Lir. 5.

رسالة في كمال الاعتراف

قد تكون اصعب وظائف الكاهن الكاثوليكي وظيفة الاعتراف بما تفرض عليه من علم وحكمة واختبار ليتمكّن من هداية نفوس المؤمنين ، وتعليمها ، وتشجيعها ، وقودها الى الله تعالى . ولا يخفى ما لهذه الوظيفة ، على صعوبتها ، من نتائج بعيدة الاثر في نفس المعترف . ولهذا رأينا حضرة الاب

توما يهتم بوضع دليل واضح يعين المعرّف في عمله الدقيق فيوصله الى الاعتراف الكامل . وقد بدأ المؤلف ببعض المعلومات في الاعتراف وفي سلطة الكاهن . ثم تكلم عن كمال الاعتراف من حيث المادة ، ثم من حيث الصورة ، ثم عن الطرق الموصلة الى هذا الكمال . وبعد ان بحث موجزاً في الاعتراف العام عرض للتطبيق فحلّ اثني عشر مشكلاً من مشاكل الضمير العادية في موضوع كهذا . ولا نشكّ في ان الكهنة المعرّفين يعرفون لهذا الكتاب قيمته كما يعرفون للمؤلف فضله . ي. م.

JOSEPH BONSIRVEN, S. J., Les idées juives au temps de Notre-Seigneur. [*Biblioth. Cathol. des Sciences religieuses*]. In-12, 220 pp. Paris, Bloud et Gay, 1934.

الافكار اليهودية في عصر السيد المسيح

غاية المؤلف ان يدرس البيئة الفكرية التي نشأ فيها السيد المسيح ، وما كان هناك بين يهود فلسطين من افكار وآراء تقسمهم الى احزاب دينية تأخذ جميعها بنصوص الكتاب المقدّس وما يتصل بها من تقاليد عامة ولكنها تختلف في فهم هذه النصوص وتأويلها فتولد بدع الفرّيسيين والصدوقيين وغيرهم . وقد اجتهد الكاتب في وصف الاساس المشترك لهذه البدع ، وتحديد ما تشعّب عنه من الفروع المتباينة ، دارساً على التتابع : الله ، والملائكة ، والشعب المختار ، والامم ، والتوراة ، والانسان ، والحياة الاخلاقية ، والنفوس ، وفكرة المخلّص ، والآخرة العامة . وهو في كل ذلك يشير الى الانحراف الذي بدأ يظهر في تأويل ذلك الشعب للعهد القديم ، وما نشأ عن ذلك من افكار بعيدة عن الوحي الاصلي كالنزعة القومية الضيّقة ، والتقيّد باحكام الناموس الخارجية مع الانصراف عن روح الشريعة ، والابتعاد عن الحياة الروحية . . . ج. ل.

LE GAUDIER, S. J., De perfectione vitae spiritualis. Editio emendata cura P. A. Micheletti. 3 vol. in-8°. Casa editrice Marietti, Torino, 1931. Prix : Lir 30.

في كمال الحياة الروحية

لا تزال طبعات هذا الكتاب تتوالى منذ وفاة مؤلفه في القرن السابع

عشر. وكفى بهذا دليلاً على قيمته في اصلاح نفوس المتقدّمين في الحياة الروحية. اما طريقته فتعليمية تستند الى الخلاصة اللاهوتية، والى دروس نفسية عميقة في الروحانيات مرتبة على درجات ثلاث تصل بالمريد الى الكمال السامي. ج.ل.

LE PRINCE VLADIMIR GHIKA, La messe byzantine dite de St. Jean Chrysostome. 3e édit. 32e de 91 pp. Paris, Desclée, de Brouwer et Cie.

القدّاس البيزنطي المنسوب الى القديس يوحنا فم الذهب

هي ترجمة فرنسوية جديدة للقدّاس البيزنطي، موضوعة لفائدة المؤمنين من الطقس اللاتيني. وقد علّق عليها المؤلف بعض الشروح، ووضع لها مقدّمة حسنة. فجاء بأثر مفيد في حجم لطيف. ج.ل.

Le Monde Missionnaire 1934. Publié sous la direction de PAUL LESOURD. Paris, Desclée, de Brouwer et Cie, 1934. Prix : 20 fr.

عالم الارساليات في السنة ١٩٣٤

ظهرت حديثاً هذه المجموعة النفيسة بادارة احد المتخصّصين بشؤون الارساليات، وتحت رعاية دائرة نشر الايمان وشركة «فيدس» الدولية؛ وقد ضمّت ابحاثاً شائقة تعاون في انشائها جماعة من المرسلين في انحاء العالم كلّها. اهمها «تقويم ارسالي» لم يسبق نشره ولا يعرف مثيله، مع تأملات من قلم الاب برو اليسوعي المشهور بابحاثه الارسالية؛ وعدد من الاحصائيات الرسمية الاخيرة استخرجها المونسنيور مونتيكون من سجلّات مجمع نشر الايمان المقدّس، وكثير من الدروس المهمّة في مظاهر العالم الارسالي. كل ذلك بثمن بخس بالنسبة لما في المجلّد من فائدة ولذة للمرسلين واهلهم واصدقائهم وكل من يهتمّ بهم وباعمالهم الجديرة بكل اعتنام.

J. KARST, Littérature géorgienne chrétienne. [*Biblioth. Cathol. des Sciences religieuses*]. In-12. 177 pp. Paris, Bloud et Gay, 1934.

الادب الجيورجي المسيحي

لا شك في ان هذا الكتاب من اطرف ما صدر في المجموعة بمعنى انه

يعرض لموضوع لم يُطرق بعد بلغة اوروبية . ان الجيورجيين من الشعوب القوقاسية يبلغون نحو المليون ، ويؤلفون وحدة لغوية خاصة على كونهم تأثروا ، منذ القدم وبسبب مركزهم الجغرافي ، بكثير من المؤثرات السياسية والثقافية المتنوّعة . وقد دخلت النصرانية بلاد جيورجية في القرن الرابع فأثرت في ادبها الذي ظلّ مدة طويلة من نوع الادب الكنائسي الديني ، فبدأ المؤلف بدرسه . ثم خص القسم الثاني بدرس الادب الجيورجي في العصور الوسطى والعصر الحاضر ، وهو ادب دنيوي ، وختم بدرس ذاك الادب في القرن التاسع عشر . ج . ل .

KURT GALLING, Biblisches Reallexikon (B. 1-5) [= Handbuch zum Alten Testament. 1te R. 1]. Gr. In-8° à 2 col., 1-160. Tübingen, Mohr (Siebeck), 1934. Prix de chaque livraison M. 3 ou 3, 30.

معجم للاشياء المذكورة في العهد القديم

يقوم جماعة من علماء الالمان بنشر كتاب جامع عن العهد القديم يقابل كتاب ليتمان عن العهد الجديد . وقد عهدوا الى الاستاذ كالينك في كتابة معجم الاشياء . والاستاذ يعرف معرفةً تامة بلاد فلسطين وما اليها من الشرق الادنى ، وقد تابع سير الحفريات فيها ، ودلّ على مقدرته في ذلك بنشره عدّة مقالات ورسائل كبحثه المعنون « *Der Altar* » فكان الجدير بان يُعهد اليه في هذا الموضوع . ولا يخفى ما افادته الحفريات واعمال التخطيط وتقدّم العلوم الاثرية والتاريخية من تسهيلات في فهم كتب العهد القديم ، حتى يمكن القول ان هذه الكتب تظهر لنا اليوم على ضوء ساطع يفتح امامنا آفاقاً جديدة في موضوعات قديمة طالما تناقش فيها العلماء .

ومما يجدر بالذكر في هذا المعجم ان مقالاته قصيرة ، جامعة ، حسنة الاسلوب . الا ان رغبة المؤلفين في الاقتصاد بالورق والوقت والتحرير حملت على ارجاع المطالع الى مقالات ستُنشر في الكراريس القادمة . حتى ان طلاب العهد القديم لا يستفيدون الفائدة التامة من هذا المعجم الا اذا انتهى بتمامه .

ولنضف ان رسومه كافية حسنة المظهر . ولا يمكننا اليوم ان ندقق في

نقد موادّه ، ولم يظهر منه الا الكراس الاول من حرف A الى F بمثلاً ثمن الكتاب او عشره ، وسيبلغ كاملاً من سبعمائة الى ثمانمائة عمود . س. ر.

Reallexikon der Assyriologie... B^d II, 2. 1934. Berlin u. Leipzig Walter de Gruyter und C°.

دائرة معارف العلوم الاشورية : القسم الثاني من المجلد الثاني

قد سبق لنا الكلام عن كراريس هذا المعجم السابقة (المشرق ٢٧ [١٩٢٩] ٦٧ و ٣٠ [١٩٣٢] ٥٥٣) وها ان العمل يتابع لا بسرعة عجيبة ولا ببطء كثير . فيصلنا القسم الثاني من المجلد الثاني من بُرنكا (*Burnakka*) ، وهو اسم مكان ، الى داتنليستن (*Datenlisten*) وهي لوائح توقيتية كتبها الاستاذ سان نيكولو كما كتب ايضاً بحثاً طويلاً في القروض (*Darleben*) لم ينتهِ منه في الكراس المذكور . ويتصف الاسلوب في هذه النشرة بما اتصف به في الاقسام السابقة من الدقة الموضوعية ، والايجاز البليغ ، والالمام بالضروري من المعلومات ، مع الحرص على عرض كل ما يظهر ثابتاً على الغالب . ومما يستحق ذكراً خاصاً ، بين المقالات المتنوعة ، الابحاث في الاله *Dagon* و *Damaskus* وخاصة *Demonen* و *Demonenbilder* او تصاوير الشياطين . س. ر.

A. Roes, Greek Geometric Art. Its symbolism and its origin. In-8°, 128 pp., 104 fig. Haarlem, H. D. Tjeenk Willink et fils, 1933.

الفن الهندسي اليوناني

هو كتاب صغير ولكنه مفيد ألّفه صاحبه بالانكليزية بعد ان نشرت اطروحة بالهولندية في الموضوع نفسه سنة ١٩٣١ . على ان بين الكتابين فرقاً وهو ان الاول يختص بالخارج اي بهيئة الزخارف والتصاوير التي تدرسها المؤلفة وتقابل بينها . اما في الكتاب الحاضر فانها تهتم بما ترمز اليه هذه الرسوم من المعاني ، ولا يخفى ان الفن اليوناني الهندسي ازدهر في العصر الذي تبع عصر الغزوات وتقدّم عصر ازدهار الفنّ المدرسي . وقد رأى البعض ان هذا الفنّ ان هو الا تتمة الفنّ الميقيني . الا ان المؤلفة ترقى به الى ابعد من ذلك ، الى الفنّ الايلامي ، اي الفارسي القديم ، في الالف الثالث ق.م. تستند في ذلك الى

المقابلة بين التصاوير في الآنية والتماثيل الصغيرة من الخزف والبرونز المعروفة في بلاد اليونان وايطالية وغيرها ، وتستنتج ان سكان هذه المناطق جميعها بما فيها اسبانية وغالية لم يتناولوا فنهم من اليونان ، واذاً فان مجموع هذا الفن مدين لمصر آخر ولمكان آخر . اما هذا المكان فكل الشواهد تدل على اننا يجب ان نضعه في الشرق بل في بلاد فارس القديمة .

هذا وفي الدرس المذكور كثير من العقبات . لان المؤلفة تقابل بين مدنيات يفصل بعضها عن بعض لا المكان الفسيح وحده ، بل الفا سنة من الوجود ! ثم ان المشابهات الرسمية في الخطوط خاصة يمكن ان تكون عرضية من قبيل التوارد . وذلك ان الاشكال الانتقالية تنقصنا في غالب الاحيان ، لان الحفريات في آسية الصغرى وبلاد اليونان وايطالية لم تظهر لنا حتى الآن الا جزءاً ضئيلاً مما يمكن ان تخزنه تلك الارض . اما المؤلفة فترد على هذا بقولها ان الروح الشرقية ، ولاسيما في بلاد فارس ، من خاصتها المحافظة على القديم ، وان لنا في مظاهر فن القرون الوسطى ما يؤيد هذا القول ، فان الفنانين ظلوا يرددون زخارف ساسانية ترقى اصولها الى الفي سنة على الاقل .

ولما كان من قصد المؤلفة ان تضع كتاباً جمياً رأيناها تضم براهينها فتجمعها كلها تقريباً تحت مدلولات « عبادة الشمس » او مظاهر « الصور الهندسية » او الحيوانات الرامزة اليها في اصلها والتي وجدت آثارها في سورية وآسية الصغرى واوربة .

اما انا فلو كان عليّ ان اقوم بدرس جمعي كهذا لادى بي البحث : ١ً الى ان لا انسب كل شيء لبلاد فارس . ٢ً الى ان اميز بين المعبودات الشمسية والمعبودات السماوية . ٣ً الى زيادة التعمق في درس التصاوير السامية . فيخرج من كل ذلك مظهر جديد للموضوع . وقد اعود الى هذا البحث في المستقبل .

ثم ان في الكتاب نواقص عدة من حيث التأليف . فهو متتابع الاسلوب من الاول الى الآخر ، دون عناوين مهمة ولا ثنوية ، بل دون تقسيم في الفقرات . ولم يكتب احد على هذا الاسلوب حتى اليوم ! س . ر .

ANDRÉ BELLESSORT, Athènes et son théâtre. In-16. Paris, Librairie Académique Perrin. Prix : 12 fr.

أثينة ومسرحها

شاء المؤلف ان يذكر المثقفين بتلك الآثار الرائعة في المسرح اليوناني ، وان يقدّم عنها لمن لم يعرفها فكرةً حية كافية ، وان يبسط لجمهور المتأدبين بعض النظريات والفرضيات التي توصل اليها النقد العصري في هذا الموضوع ، وان يقرّب منا جميعاً تلك الشخصيات التي تفرض علينا احترامها واجلالها منذ اكثر من الفي سنة ، فكان له ذلك في فصول كتابه العشرة وعناوينها :

اثينة في عهد بريكليس . — المسرح : الزخارف والممثلون والشعراء — الوطنية في المأساة . — الآلهة والعاطفة الدينية في المأساة . — اسرة الاتريد المفجعة : الجريمة . — اوديب وابناؤه : القضاء والقدر . — اليونان والطرواديون : الحرب . — المحبات والحبّ . — المأساة الخيالية في فنّ اوريبيد . — اثينة اريستوفان .

SIR MOHAMMED IQBAL, The reconstruction of religions thought in Islam. Oxford University Press ; London, Humphrey Milford, 1934. Prix : 7 sh., 6 d.

تجدّد الروح الدينية في الاسلام

يتمّ كتاب السر محمد اقبال عن فيلسوف ذي اطلاع واسع على الاتجاهات العصرية ورغبة في ان يوجه من خلالها فكرته الدينية . يتضح ذلك لمن يتابع اتجاهه في الاختبار الديني وميزاته الخاصة (الفصلان الاول والثاني) ، وفي مرمى الصلاة الحقيقي (الفصل الثالث) ، وفي الشخصية البشرية والحرية (الفصل الرابع) ، وفي امكان الدين (الفصل الاخير) ، فيلمس نفساً عالية ترى العلم وحده فارغاً عاجزاً عن ان يحقق نزواتها السامية ، وتشاهد معترك النزعات الانانية في عالمنا الحاضر فتتأثر وتتألم . فتلجأ الى الدين ، وتعتبر انه يجب ان يكون ، قبل كل شيء ، روحياً داخلياً يعمل على التعمق في تثقيف الضمير والحياة الروحية حيث يجد المؤلف الوجود الحقّ المطلق فيسحق فيه شخصيته ليحيا الحياة الكاملة دون تشعب ولا عبودية . وهو يرى الجسد مجموعة اعمالنا وعاداتنا (ص ١٠٠)

والصلاة نداء يطلقه الانسان في سكون الكون العظيم فيحرّر حياته من عبودية المادة المسيّرة (ص ٨٧ و١٠٣) والخلود ضمانة الكون بانه يحافظ نوعاً ما على شخصية ضرورية للجهد البشري حتى بعد ان تضمحل العناصر التي تميز شخصيتنا في الحالة الحاضرة (ص ١١٦)

يعرض المؤلف هذه الفلسفة معتقداً ان بامكانه استنتاجها من القرآن ، وان كان لا يزعم انها موجودة كما هي في الكتاب المذكور . وهو يسير في ذلك على الطريق التي شقّها في الاسلام السني ارباب « البدع » العصرية فيقول : « ان واجب المسلم العصري هائل ، اذ عليه ان يعيد النظر في نظام الاسلام كله دون ان يقطع صلته بالماضي » (ص ٩٢) ويجب عليه « ان يقترب من العالم العصري بعاطفة الاحترام ولكن بعاطفة الاستقلال ايضاً ، وان يقدر تعاليم الاسلام على ضوء هذه المعرفة ، وان جرّه ذلك الى نظرات تخالف نظرات السلف » . (ص ٩٢) وافضل من يتبعه في هذا العمل التجديدي هو الشاه ولي الله من دهلي .

ولا شكّ في ان غير واحد من المسلمين السنيين يقلق لهذه التصريحات ، ويسأل نفسه هل القول « بوجوب وحي خاص يؤتيه الله كل مؤمن لفهم الكتاب» (ص١٧١) يتفق وعقيدة الوحي المقرّرة في الدين الاسلامي حتى اليوم ؟

واما الفيلسوف الغربي فيجد في الكتاب كثيراً من الآراء التي اعتادها ، الا انها كلها تتسم بسمة التقاليد الهندية .

واما المسيحي فيسأل نفسه هل يُتاح لهذه الفكرة الدينية التائهة ، دون الوحي الحقيقي ، ان تتصل بالاله الحي الظاهر امامنا باعماله ، فتلبي نداءه الابوي ؟

ف . ل .

D. Sidersky, Les origines des légendes musulmanes dans le Coran et dans les Vies des Prophètes. In-8°, VIII + 161 pp. Paris, Geuthner, 1933. Prix : 100 fr.

اصول الحكايات الاسلامية في القرآن وفي قصص الانبياء

يخصّ الاستاذ سيدرسكي كتابه هذا بدرس قصص الانبياء الواردة في القرآن

ثم في تفاسير الطبري والكسائي ، وفي ما تقدّم ذلك من كتب اليهود والنصارى غير الاصيلة ، اي غير الصحيحة النسبة ، وهي كثيرة أُلفت في سبيل الارشاد والوعظ ، دون ان يكون لمؤلفيها اهتمام بتاريخية الحوادث التي يسردونها . وقد عرض المؤلف الى ما ورد في القرآن وفي آثار الطبري والكسائي عن الانبياء والاشخاص الاقدمين وحوادث حياتهم من آدم الى اخنوخ او ادريس، الى هاروت وماروت الى نوح الى عاد وثمود ، الى ابراهيم ويوسف وايوب وموسى ويشوع ، الى صموئيل وشاول وداود ، الى سليمان وخلفائه ، الى يونس ، الى جوج وماجوج ، الى العذراء وابنها يسوع وما يتعلق بهما من الاخبار ، الى اهل الكهف . فدرس كل ذلك واهتمّ بدقائق الوصف والميزات الفارقة في سرد المعلومات . ثم عاد الى الاصول القديمة فقابل بين ما ورد فيها عن الاشخاص انفسهم وما تقدّم ذكره ، فاستنتج انه يجب التفتيش عن اصول هذه الحكايات، لا في كتب العهد القديم والعهد الجديد الثابتة الرسمية ، بل في ما نشأ عنها من كتب مزيفة ، وقد ردّها الى اقسام ثلاثة : ١ً الكتب المزيّفة المنحرفة عن كتب العهد القديم ككتاب اخنوخ ، وكتاب اليوبيلات الراقيين الى القرن الثاني او الاول ق . م . ٢ً مجموعة القصص اليهودية الدينية المعروفة باسم الأگاده او الهگاده ، وكلها سابقة للعصر الاسلامي ومنتشرة منذ القدم بين جميع اليهود . ٣ً الكتب المزيّفة المنحرفة عن الاناجيل ، وهي المسماة ايضاً اناجيل الزور كانجيل طفولية يسوع ، وانجيل توما ، وانجيل ولادة مريم وطفولية المخلص ، وانجيل نيقوديمس ، وانجيل يعقوب الصغير ، وحكاية يوسف النجار، وكلها ترقى الى ما قبل العصر الاسلامي وقد اكتشفت مخطوطات بعضها باللغات الشرقية عربية وسريانية وقبطية . والحق بهذه الاصول ما كان شائعاً عند العرب الجاهليين من الاساطير عن قدمائهم كحكايات عاد وثمود وما اليها . فاتى بعمل جدير بكل تقدير لما كلّفه من جهد ، ولما توصل اليه من نتائج تفيدنا في قدر قيمة الثقافة العربية على عهد النبي ، وفي الحكم على ما استفاده الاسلام من المعلومات الدينية السابقة .

ف . ا . ب

KHAJA KHAN, Mubtala or Tale of two Wives. In-16, VI + 87 pp. Madras, Hogarth Press, 1934.

هذه ترجمة انكليزية لرواية اخلاقية ألفها باللغة الاوردية احمد خان بهادور من دلهي ، وغايته ان يبيّن ، مستندًا الى الآية القرآنية : « ما جعلَ اللهُ لرجلٍ من قلبين في جوفه » (٣٣:٤) ، ان من الافضل للرجل ان يكتفي بزوجة واحدة . وقد اجتهد المترجم ان يتقيد بالنصّ الاصلي الا في حذف بعض اقسام رأى فيها تطرّفاً وشذوذًا في الوصف والتصوير. س. ر.

GABRIEL ROUSSEAU, L'Art décoratif musulman. In-8°, 206 pp. illustr. hors-texte et dans le texte. Paris, Marcel Rivière. Prix : 25 fr.

فنّ الزخرف الاسلامي

عُرف مؤلف هذا الكتاب ، في باريس ، بآثاره الشائقة في فنّ الزخرف ، فنال نجاحاً باهرًا في معرض الزخارف الفنية سنة ١٩٢٥ بما عرضه من مشهد افريقية الفرنسوية . وقد قضى عشرين سنة يدرس مظاهر الفنّ الاسلامي في افريقية الشمالية ، وفي مراكش خاصة. فشاء ان يقدّم للفنانين ولطلّاب الفنّ ، على طريقة سهلة وبثمن بخس ، كتاباً جامعاً لمظاهر الفنّ الزخرفي في الاسلام بل معجماً نفيساً مصوّرًا يرون فيه بسرعة وسهولة ميزات هذا النوع في مختلف البلاد التي اخضعها الاسلام من سورية الى مصر الى تركية الى افريقية الشمالية الى فارس الى الهند . فكان له ما شاء ، واتانا بكتاب جامع يحتل مركزًا لائقاً في تاريخ الفنون الاسلامية.

ANGEL GONZALEZ PALENCIA, Ibn Tufail el filosofo, autodidacto. Nueva traduccion espanola. [*Publicaciones de las escuelas de estudios arabes de Madrid y Granada*, serie B. num. 3]. In-12, Madrid, Estanislaos Maestre, 1934. Prix : 5 pesetas.

ترجمة اسبانية لكتاب ابن طفيل

هذه ترجمة اسبانية جديدة لكتاب ابن طفيل المعروف بحيّ بن يقظان ، استند فيها المترجم الى النصّ الذي طبعه گوتيه في الجزائر سنة ١٩٠٠ . وقدّم

على الترجمة درساً في ثلاثين صفحة عرض فيه لابن طفيل ولكتابه فافاد ، كما انه افاد بترجمته عدداً كبيراً من ابناء وطنه الذين يسمون بهذا الكتاب الشهير ولا يتمكنون من قراءته في نصه الاصلي .

AMIN MOUCHAWAR, Notice sur les impots et les taxes au Liban. 1re partie, Impots directs. In-8°, XVI + 218 pp. Harissa (Liban), Imprimerie de Saint Paul, 1934. Prix : 20 fr.

نبذة في الضرائب والرسوم في لبنان

ان جميع من تهمهم اقتصاديات لبنان يشكرون للاستاذ امين مشحور ، احد مفتشي المالية ، ما بذله من جهد في جمع هذه المعلومات والوثائق ، مكوّناً منها بحثاً تاماً في الضرائب اللبنانية المباشرة . وقد قسم بحثه الى ابواب واقسام وفقر توضح ترتيب المواد وتسهل مراجعتها على الراغب ، وكلها تعود في هذا المجلد ، الى ستة اقسام حسب تقسيم الضرائب : على العقار المبني ، على العقار غير المبني ، التمتع ، الاغنام ، الاعناق ، الاعشار . والحق به عدداً من المراسيم والقرارات تؤيد ما قدمه من المعلومات .

MICHEL FEGHALI, Textes libanais (en arabe oriental) avec glossaire. In-8°, 104 pp. Paris, Adrien-Maisonneuve, 1933. Prix : 16 fr.

نصوص لبنانية عامية

لا يزال المونسنيور فغالي يتابع دروسه في اللهجات العامية اللبنانية . وها انه يتحف تلامذته في باريس وبوردو بتسع عشرة قصة لبنانية تدور في اكثرها حول الاعياد التي يحتفل بها اللبنانيون احتفالاً خاصاً كعيد القديسة بربارة ، وعيد ارتفاع الصليب ، وسبت اليازر ، والمنصرة ، وما شاكل . وقد رأى المؤلف ان الفائدة لا تتم الا اذا شرح الفاظ هذه المنتخبات ، فافرد لذلك معجماً بلغ نحو نصف الكتاب ، فاستحق الشكر المزدوج .

PAUL SBATH, Bibliothèque de Manuscrits Paul Sbath. Catalogue, tome III. In-8°, 146 pp. Le Caire, Imp. « Au prix coûtant », 1934.

يجمع حضرة الاب بولس سباط في هذا المجلد الثالث من جدول مخطوطات

مكتبته وصف مائتي مخطوطة (من الرقم ١١٢٦ الى الرقم ١٣٢٥) وهي في اكثرها دينية مسيحية واسلامية ، وبعضها في الادب والتاريخ . وقد الحق بهذا الوصف جداول واسعة باسماء المؤلفين والنساخ النصارى والمسلمين.

COMTE GUILLAUME DE SAINT VICTOR, Le Canal de Suez. Préface du MARQUIS DE VOGUÉ, Président de la Compagnie du Canal de Suez. In-8°, 282 pp., 10 hors texte. Paris, Librairie du Recueil Sirey.

قناة السويس

لا نعرف بين جميع المؤلفات التي ظهرت في موضوع قناة السويس ، مؤلفاً اهتمّ اهتمام الكتاب الحاضر باظهار اهمية القناة في الحركة الاقتصادية العالمية . لا يخفى ان برزخ السويس كان ، منذ القدم ، اداة الاتصال بين الشرق والغرب. وقد اهتمّ الكثيرون بتعزيز هذا الاتصال ، بعد اكتشاف طريق الهند البحرية، فعملوا على زيادة المبادلات تارةً بجعلهم من مصر مستودعاً للبضائع الشرقية ، وطوراً بزميهم الى وصل البحرين . حتى كان من نصيب فردينان دي ليسبس، احد نوابغ الفرنسيين ، ان يدرك هذه الغاية المنشودة ، منتصراً على العقبات العديدة من سياسية وفنية ومالية ، خالقاً نهراً يبلغ اثني عشر متراً عمقاً ومائة وخمسين الى مائتي متر عرضاً ، فاتحاً المجال لمجريَين من البضائع المختلفة: مجرى يأتي من الشمال حاملاً محصولات الصناعة ، والفحم الحجري والبترول ؛ ومجرى من الجنوب حاملاً محصولات الارض النباتية ، والمنسوجات ، وبعض المعادن . وعلى طول هذا النهر وعرضه تخفق الاعلام الدولية المتنوّعة وفي مقدّمتها اهمية العلم الانكليزي ، فالالماني ، فالهولندي ، فالفرنسوي الخ.

هذا ما يتوسّع فيه مؤلف الكتاب . ثم يخص قسماً من ابحاثه بتاريخ اسهم الشركة وانصبة المؤسسين والسندات ، وما يتعلق بها من معلومات . ويتكلم في الفصول الاخيرة على حق المرور (الترانزيت) ، وعلى علاقات الشركة بموظفيها ، وعلى ما قامت به من المشاريع الاجتماعية . وهو في كل ذلك يقرّب اسلوبه من فهم المطالع مهما كانت درجة اهتمامه بشروع يظلّ اعظم ما حققته همة افراد لم يستعينوا فيه الا برساميلهم الخاصة.

Bulletin économique de la Chambre de commerce d'Alep. 15e année, 1933-34, n° 22.

النشرة الاقتصادية لغرفة تجارة حلب : العدد ٢٢

لا تخفى اهمية هذه النشرة الجامعة افضل المعلومات عن الحالة الاقتصادية في سورية الشمالية . وهي تظهر مرةً في السنة في مجلد كبير باللغتين العربية والفرنسوية ، وتوزع مجاناً .

ANDRÉ PARROT, Villes enfouies. Trois campagnes de fouilles en Mésopotamie. In-8°, 272 pp., 30 documents photogr. et une carte, couverture illustr. deux couleurs. Paris, Editions « Je sers ». Prix : 15 fr.

مدن مطمورة

هذه اول مرة ، على ما نعلم ، يقوم فيها اثري فرنسوي عارضاً لجمهرة القراء ، بكل تفصيل وتدقيق ، كيفية اجراء الحفريات للتفتيش عن الآثار القديمة . لقد اختص المؤلف باثريات ما بين النهرين فاتى الشرق منذ السنة ١٩٢٦ ، ونزل ما بين النهرين منذ السنة ١٩٣٠ ، فادار بعثة متحف اللوفر ، وقام بالحفريات المهمة ، فشاهد واختبر ودوّن وصوّر ما سهّل عليه وضع هذا الكتاب . فاطلعنا فيه اولاً على موقع تلك البلاد بين دجلة والفرات . ووصف لنا نزول البعثة في القفر . وكيف قامت ببناء منازلها . وما هي الوسائط التي اتخذتها لجعل تلك المنازل صالحة للسكن على نوع ما ، قادرة على مقاومة الزوابع والامطار وعواصف الرمال ، مجهزة لدفع هجمات البدو في الليالي الدامسة . ثم صوّر لنا اعضاء البعثة في اعمالهم المتنوعة من حفر ، ومراقبة ، وغسل آثار ، وتصوير ، وجمع ، وترتيب ، وحراسة . واذا بنا نطّلع على طرق التفتيش عن المدن المطمورة ، ونشاهد ظهور المدينة القديمة ببيوتها وقصورها وقبور ملوكها . واذا بالآثار تتجمع واحداً بعد واحد فتبعث الى الوجود مدنية عريقة يفصلنا عنها نحو الخمسة آلاف سنة . هذا ما نراه في كتاب المؤلف النفيس مستندين الى اساوبه الرائق واختباراته الجمة ، والى ما زيّن به الكتاب من رسوم بديعة ، ومن جداول توقيتية لجميع الحوادث المهمة التي جرت ما بين النهرين بين السنة ٢٠٠٠ و ١٥٠٠ ق.م. ، ومن فهارس عامة ولوائح بالمصادر المديدة .

JULES BLACHE, L'homme et la montagne.
JAN WELZL, La vie des Esquimaux.
[*Géographie humaine*, collection dirigée par P. DEFFONTAINES. n°s 3 et 4]. In-8°, abondamment illustrés. Paris, Librairie Gallimard. Prix : 30 fr. le volume.

الانسان والجبل
حياة الاسكيمو

انه لمن دواعي السرور ان نعلن ظهور مجموعة جديدة في الجغرافية ، ولاسيما اذا كانت هذه المجموعة تبدو على قسط من الاتقان . وهو اول ما يشعر به متصفح المجلدين الحاضرين . اما الاول منهما فيختص بدرس الجبل عامة من حيث اهليته لسكنى البشر ، وطريقة حياتهم ، وطبقات السكان من رعاة الى مزارعين ، ومعالجة الفقر فيه . كل ذلك باسلوب يكاد ينطبق على اكثر الجبال ، وان كان المؤلف يخص جبال الالب بالابحاث الواسعة . ثم لقد كان بامكانه ان يذكر فضل الجبال في مناعة السكان فيتكلم عن الجبل - الملجأ ، لا من حيث الصحة فقط ، بل من حيث حفظ الكيان القومي ، وان لنا في جبل لبنان وفي الجبل الاسود مثالين واضحين لهذه المزية .

واما المجلد الثاني فيختص بحياة الاسكيمو . كتبه رجل اقام اكثر عمره في تلك البلاد ، فعرف سكانها عن قرب ووصف طرق معيشتهم ادق وصف واعجبه . ولا يخفى ان الارساليات الكاثوليكية على نشاط مستمر في تلك الاصقاع . وقد استمد منها المؤلف كثيراً من الرسوم التي زين بها كتابه .

ج . ل .

PIERRE FRÉDÉRIX, Machines en Asie, Oural et Sibérie soviétiques. In-16, 24 photogr. hors texte et une carte. Paris, Plon. Prix : 15 fr.

آلات في آسية

ماذا يعرف عن النظرية الماركسية اولئك الفلاحون الصامتون الذين يزورون كل يوم ، في موسكو ، قبر لينين المنوّر كصندوق زجاج في متحف ؟ وماذا ينتظرون منه ؟ وماذا تعدهم به تلك البقايا ؟ لقد ظهرت ميزات البلشفية الفارقة في العشر السنوات الاخيرة ، فاذا بها ، قبل كل شيء ، عقيدة صناعية ، كما تبدو من خلال نظرية ستالين . وانه لمن الواجب على من شاء تحقق نتائجها

ان يذهب بنفسه الى تلك الديار فيرى حركة الآلات العظيمة ويحكم حكماً مجرّداً عن الهوى والهوس.

هذا ما قام به المؤلف فزار روسية اوربة ولم يكتفِ بها شأن من تقدّمه، بل تخطّاها الى روسية آسية ، عارفاً ان نظام السنوات الخمس قد مال بالروس الى آسية فجعل قاعدتي النظام المذكور في مصانع مانيتوغورسك ونوفو كوزنتزك. فقطع الاورال الى الشرق حتى حدود المغول ، وزار مصانع نوفو كوزنتزك العظيمة ، حيث لم يكن قبل السنة ١٩٢٩ الا قرية لا يبلغ سكانها الثلاثة آلاف ، فقام مكانها اليوم مدينة صناعية عظيمة مختصة باستخراج الفحم الحجري ، يبلغ اهلها ١٨٠,٠٠٠ من رجال ونساء واولاد منهم ٦٥,٠٠٠ عامل يسيرهم رهط من الاختصاصيين والمهندسين الاجانب فيدفعون بهم الى خدمة المصاهر الهائلة ليلَ نهار . اما المحور الثاني لخطة ستالين ففي الاورال نفسه ، في مانيتوغورسك ، قريباً من حدود تركستان . وقد زاره المؤلف ايضاً وشاهد الاعمال الصناعية الكبرى في استخراج الحديد ووصفها بدقة موضوعية . فرأى انه اذا نال السوفيت غايتهم في هذين المصنعين فان روسية تفوق العالم بمنتجاتها الفولاذية . ولكن هل تعنو قوى الطبيعة والزمان والمكان لاحكام نظام ستالين ؟ ثم ان المشاهد لهذه المظاهر المادية الجبّارة يسأل نفسه : ولماذا ترك السوفيت على احدى قمم الاورال تلك الصفيحة الحاملة على جانبيها هاتين الكلمتين : « اوربة » — « آسية » ؟ أوَ لم يكن من الاوفق ان يعتبر الحدّ الحقيقي بين القارتين ذاك الحدّ الذي يفصل بين الامبراطورية السوفيتية وسائر مناطق اوربة ؟ لان هناك اعمق فاصل عرفه الكون بين مدنيّتين متباينتين !

H. Thiery. Derrière le décor soviétique. In-12, 254 pp., planches. Paris, Editions des Portiques. Prix : 12 fr.

وراء الستار السوفيتي

ليس هذا الكتاب الجديد عن روسية من التآليف العادية . وهو يستمد قيمته من صفة مؤلفه المزدوجة : فهو كاتب فضولي اراد ان يطلع بنفسه على ما يحدث في تلك البلاد ، وهو مدير معمل اراد ان يختبر صناعة روسية ويتحقق

هل هناك ما يُعتبر جديدًا في صناعة النسيج . فقسم كتابه الى قسمين ذكر في الاول ما شعر به وما لاحظه في رحلته على طريقة جديرة بالانتباه ، وخصّ الثاني بدرس في اقتصاديات روسية السوفيتية غاية في الدقة . وزيّن الكتاب بعدد وافر من الرسوم والتصاوير تفيده وضوحاً وجلاء. ج. ل.

P. LHANDE, L'Inde sacrée. Grandeur et pitié d'un monde. In-8° illustré, 261 pp. Paris, Plon. Prix : 18 fr.

الهند المقدّسة

لقد بدأ الاب لاند رحلاته بزيارة ضواحي باريس فألف فيها كتاباً كان جزيل الفائدة لها ، فدفع غيرها من الاماكن الى استزارته عساها تتمتع بما نالته ضواحي باريس من فضل تلك الزيارة . وكان آخر ما زاره من المناطق الهند الانكليزية فوصفها في هذا المجلد الجميل قاسماً اياها الى قسمين : تكلم في الاول عن « المنبوذين وابناء الآلهة » ، وفي الثاني عن « الانجيل في عجلات البقر » ، عارضاً بما اوتيه من سهولة وسعة معلومات لاهم الموضوعات المتعلقة بتلك البلاد ، مضيفاً الى ذلك صوراً جميلة تزيد في فائدة الكتاب ولذته . ج. ل.

G. LAKHOVSKY, Le racisme et l'orchestre universel. In-12, 153 pp. dont 24 de planches. Paris, Alcan.

النزعة العنصرية والالفة العامة

يرمي مؤلف الكتاب الى ان العناصر البشرية ، كما نفهمها اليوم مستندين الى التحديدات السابقة ، لم يبقَ لها من وجود في الكون . اما العناصر الحقيقية فتكيفها وتوجدها الارض التي تنشأ فيها وتتطوّر . ومثاله في ذلك الشعب اليهودي . وهو ذو دين واحد وعادات واحدة ، ولا يتزوّج افراده الا من الشعب نفسه . ومع كل هذا فلا يمتازون في بلادهم المتنوّعة عن افراد هذه البلاد . فليهود المانية الهيئة الالمانية ، كما للصينيين هيئتهم الصينية . ويقول المؤلف ان ما يبسطه في شرح هذه النظرية انما هو ناموس عامّ ينطبق في مملكة النبات انطباقه في مملكة الحيوان.

والكتاب ، في اكثره ، خطبة دفاعية عن الشعب اليهودي يحمل فيها

المؤلف على نظرية القومية التي يدعوها « عارًا على البشرية في العصر الحاضر.» وهو يعجب المطالع بدقته ومهارته ، وان لم يقنعه بصحة اقواله. ج. ل.

E.-M. ANTONIADI, La planète Mercure et la rotation des satellites. In-8°, 84 pp. 36 fig. dans le texte et 3 pl. hors-texte Paris, Gauthier-Villars. Prix : 18 fr.

عطارد ودوران الاقمار

يؤلف هـذا الكتاب الحلقة الاولى من سلسلة ابحاث يعدّها الكاتب لدرس السيارات السبع من ناحيتيها التاريخية والفلكية . اما في ما خصّ عطارد فقد درس القسم التاريخي في المكتبة الوطنية في باريس حيث اطّلع على اقوال قدماء الكتبة والعلماء والفلاسفة من يونان ولاتين ، وعلى آثار المعاصرين من فرنسويين وانكليز والمانيين وايطاليين من القرن السابع عشر . فجمع عددًا من الاقوال التاريخية لا نكاد نراه في اي كتاب في الفلك . وتمكن ، بفضل إجازة خاصة ، من مراقبة السيارات بواسطة المنظار الاكبر في مرصد مودون ، وهو اكبر منظار في اوربة . فتحقق بنفسه حكم الفلكي الايطالي الشهير شياپارلي من ان عطارد ، اثناء دورته ، يظهر الجهة نفسها الى الشمس . ثم راقب السفع البادية على اقمار المشتري ، واستنتج ما يتوسّع فيه في كتابه الحاضر وملخّصه ان جميع الاقمار ، الا ما كان منها بعيدًا من اقمار المشتري وزُحل ، تحوّل ، في دورانها ، الجهة نفسها نحو سيّاراتها . وهو ما نتحققه ايضًا في قمر ارضنا.

Annuaire des libraires-éditeurs catholiques de langue française : France, Belgique, Luxembourg, Suisse et Canada. In-8°. 135 pp. Mulhouse, Editions Salvator, 1934.

تقويم اصحاب المكاتب ودوائر النشر الكاثوليك من ذوي اللغة الفرنسوية

ظهر العدد الاول من هذا التقويم في السنة ١٩٣٣ ، فنال رواجًا سريعًا ونفد بعد ظهوره بثلاثة اشهر ، وها ان العدد الثاني يليه عن قرب ، وقد زاد حجمه من ٥٨ صفحة الى ١٣٥ ، وزاد فيه اسماء اصحاب المكاتب وارباب النشر من ٣٢٠ الى ٨٤٠ كلهم من الكاثوليك من ذوي اللغة الفرنسوية

المقيمين في فرنسة وبلجيكة واللوكسمبورج وسويسرة وكندة . فنتمنى لـه مزيد التقدّم والانتشار.

تاريخ الامير فخر الدين المعني

تأليف عيسى اسكندر المعلوف

مطبعة الرسالة اللبنانية ، جونية ، ١٩٣٦ – ص ٤٦٦ قطع ٨ كبير

ان واضع الكتاب من الرجال المشارَ اليهم بالبنان في بلادنا وهو معروف بمقالاته في المجلات العربية ومؤلفاته في التاريخ ، مما فسح لـه مقاماً في المجامع العلمية في سورية ولبنان ومصر . وموضوع كتابه جـدير بلفت الانظار وهو فصل من فصول تاريخ بلادنا العزيزة.

صدّره المؤلف بالكلام على شؤون لبنان العـامة ، وخاصّة على ايام العثمانيّين ، واستطرد الى وصف اخلاق السكان وتحزباتهم منـذ القـدم ، وافتتح الكلام على المعني بذكر نسبه . ثم ترجم لـه في نشأته ، اولًا ثم في توليه حكم لبنان قبل سفره الى اوروبة واجتهـاده في تخليص البلاد من نير الاتراك . وخصّ صفحات عديدة بوصف بلاد ايطاليـة كما شاهدهـا المعني ، وذلك نقلًا عن شهود عيان ، فافاد.واوقفنا على حوادث لبنـان ايام غياب فخر الدين ثم عاد بنا معه الى لبنان فشهدنا واياه تعاظم نفوذ المعني ثم تضاؤله واخيرًا سقوطه في مأساة تعددت فيها ضحايا الاسرة المعنية.

واذ انتهى المعلوف من ترجمة فخر الدين اتى على وصف اخلاقه وعاداته ، وعلى تأثيره في عمران البلاد وفتحها للمدنية الاوربيـة . ولم يهمل شيئاً مما حصل عليه في التنقيب على اخبار فخر الدين من مراسلاته ، الى معاهداتـه ، الى الشعر الذي قيل فيه . وذيّل ذلك بالاستدراكات والفهارس . وقد يشعر القارئ ان الاستاذ عيسى المعلوف استنفذ جهوده في وضع هذا الكتاب الوطني فاستحق ثناء البلاد.

ومن بعد فهل من سبيل الى النقد ؟

لم يحجم المؤلف عن طلب الملاحظات على كتابه (ص ١٣٤) . وانا نتزل

عند طلبه خدمةً للحقيقة والادب فنقول :

في الصفحة ٥٣ آخذ السيد عيسى المعلوف الاب لامنس فيما كتبه في تاريخ سورية عن قرقاس انه مات سنة ١٥٤٤ « مع انه قال انه ولد سنة ١٥٧٢ » ولكن الاب لامنس بريء من الغلط المنسوب اليه (راجع تاريخه ٢ ص ٧٠و٧١) وانما الغلط من المترجم الذي اساء فهم المتن الافرنسي ؛ مع ان الافرنسية هي احدى اللغات الاوربيـة الخمس التي استعان بها السيد عيسى المعلوف على تأليف كتابه (ص : ث)

وقال في الصفحة ٢١ عن التحزبات السياسيـة في بلادنا ان هناك حزبين متعاديين كانا سالفاً المسيحي والدرزي وصارا في يومنا الاكليريكي والماسوني. وغرض المؤلف التعميم . ولكن ليس لذلك التعميم مسوّغ في الواقع ؛ وفاته ان بين رجال الاكليروس الروم الغير الكاثوليكيين من ينتمون الى الماسونيـة فهؤلاء لا يشملهم قوله المطّرد ان حزب الاكليروس وحزب الماسونية يتناقضان ؛ فكان ولا بد من التمحيص والدقة في التعبير صيانة لحقيقة الواقع.

ذلك التمحيص والتدقيق توخاه المؤلف بنوع خاص ولام من سبقـه من المؤلفين الافرنج والوطنيين على قلة اكتراثهم له (راجع المقدمة ص :ث) واذ اتى على العمل نواه يسرد كل سانحة ويترك للقارئ مهمة البت في صدقها (مثلاً قلعة ابن معن في تدمر ؟ ص ١٣٤) . امـا لبّ الكتاب فلم يكد يخرج به صاحبه عن الطرق المعبّدة المعروفة التي سلكها مؤرخو العرب وهو سرد الاخبار كما بلغت اليهم سنةً فسنة (راجع من ص ٥٩—١٢٤) ولم يهتمّ بوضع بنـاية تاريخية منتظمة الهندام مرتبة الاركان يستهوي فيهـا بطل التاريخ نظر القارئ فيحجب عنه كل شخص او بطل ثانوي غيره ، ويستفيد من التعليقات والتعليمات الثانوية حقيقةً ورونقاً ! لان تلـك التعليقات والتعليمات تأتي في حواشي كتاب المعلوف وتكاد تستغرق نصفه .

واني لألومنّ نفسي بقصر النظر على النواقص لو لا ان محـاسن الكتاب وهمة المؤلف الكريم لاتهى من ان يشوبها نقد نية صالحة ، معجبة بسعة معارف المعلوف واكتراثه لمصالحنا الاهلية، وقد وزع كتابه قبل ان يأتي الرابع عشر من

شهر اذار سنة ١٩٣٥ ، وفيه عيد مرور ثلاثة قرون على موت البطل اللبناني الشهير.

ف . ت .

مهذّب رحلة ابن بطوطة

المسماة تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار

وقف على تهذيبه وضبط غريبه واعلامه احمد العوامري ومحمد احمد جاد المولى مجلدان يبلغ عدد صفحاتهما على ٦٠٠ من القطع ٨ الكبير، المطبعة الاميرية بالقاهرة ١٩٣٣

قام ناشرا الكتاب بمهمتهما بناء على طلب وزارة المعارف المصرية ، خدمة لطلبة السنة الرابعة من التعليم الثنوي . ان من المصادر التي انتفعا بها في الطبع نسخة باريس مع ترجمتها الافرنسية للمستشرقين سانغوينتي ودفرمري « فقد بذل هذان الفاضلان في تحري الصحة في طبع الاصل العربي ما ليس وراءه غاية لمستزيد . وهكذا يفعل هؤلاء المستشرقون فيما يتناولون من آثار العرب بالدراسة فهناك التحقيق والتدقيق والعلم الغزير »

وان في هذه العبارات كرامة تعود ليس على المستشرقين فقط ولكن على الناشرين الحديثين ايضاً والفضل يعرفه ذووه . . .

ان الذين اشتغلوا في طبع مؤلفات رواد العرب وجغرافييهم قدموا عليها دروساً متفاوتة طولاً وهي منجم يستنبط فوائده من اتى بعدهم فلا عجب ان استفاد ناشرا الكتاب ممن سبقهم في كلامهم على رواد العرب ومؤلفيهم وعلى ترجمة ابن بطوطة . ولم يخفَ عليهما ما كتبه الاستاذ فؤاد البستاني في الروائع عن ابن بطوطة فاستندا اليه في المقدمة، ولكنهما لم يذكرا المصدر . وربَّ صفة اهملاها في وصف الرجل ، مع كونها بارزة في كل صفحة من صفحات الكتاب وقد اعرب عنها ذاته في ص ١١٠ من المجلد الاول ، لما ذكر شيخ عبادان فقال « وهجس في خاطري الاقامة بقية العمر في خدمة ذلك الشيخ ثم صرفتني النفس اللجوج عن ذلك»، فتراه لجوجاً قلقاً لا يقر له قرار في بلد حتى يرحل الى غيره وان في تلك الحركة الدائمة عزماً وقوة ارادة جديرة بان تذكر في صفاته مع « سرعة التأثر » .

جميلة طبعة الكتاب انيقة ، كسائر ما تطبعه المطبعة الاميرية وقد ترقى بها فن الطباعة . اما تلامذة الصف الرابع فنتمنى لهم ان يتسنى لهم الوقت لدراسة رحلة ابن بطوطة وقد يساعدهم عليها ما وضعه الناشران من فهارس وخارطات واضحة . وهناك هفوات مطبعية سيأتي تصليحها في طبعة اخرى دون شك .

ف . ت

لندن

بقلم احمد عطية الله

مطبعة عيسى الحلبي وشركاه بمصر ١٩٣٦ ص ٢٦٨

« ليس هذا الكتاب دليلاً للندن » هذه عبارة قدمها المؤلف على كتابه في صدر المقدمة فهي مصيبة وهي مخطئة . مصيبةٌ هي لكون مواد كثيرة ، يحتاج اليها مطالع الدليل ، مفقودة من الكتاب ؛ ولكنها مخطئة لان مواضيعه تشمل اهم ما يلذّ معرفته وتروق زيارته وتفيد النظر به لمن قصد الى عاصمة انكلترة ، ولا يكتفي بالوقوف على احوالها وقفة المشاهد الجامد .

حيٌّ وبهيج وصف المؤلف وجدير بمكانة عالية بين ما كتبه الشرقيون عن الغرب بعد زياراتهم اليه . وفيه الصور الفوتوغرافية والرسوم الكاريكاتورية والتعبيرات الجديدة ، فضلاً عن طبع انيق على ورق صقيل ، يباري فيه صاحبه اجملَ ما يظهر من امثاله في مطابع اوربة فهنيئاً للمؤلف وللطابع بما اتحفانا به ادباً وفناً .

من الفصول التي استوقفتني عند قراءة كتاب لندن الفصل الاول وفيه وصف استعداد المؤلف للسفر من الشرق الى الغرب ، والفصل في الكلام على دير وستمينستر (وهو موقع باسم جوزف اديسون ، أيكون اذاً معرباً ؟) وفي زيارة مدرسة الدراسات الشرقية ، وفي ذكرى عيد الميلاد ، الى غير ذلك من حوادث وتقاليد ومعاهد وآثار إقلّ ما يقال في اطرائها ان المؤلف اشار بها الى قاصدي عاصمة الانكليز بكيفية استفادتهم من اقامتهم فيها .

تصفحنا الكتاب فهاج فينا ذكرى ما رأيناه منذ زهاء العشرين عاماً في

لندن ، وأعجبنا بطريقة الكاتب السلسة الطيبة البعيدة عن التصنع . كلمات عديدة كتبها بالعربية كما سمعها فقال طبغرافيـة وترام وكرنفالات ، وكاريكاتور . واتى بالفاظ اميناها فقال :

ص ٨٤ : قبعة مكورة تعريباً للفظة melon ، وص ١٦ : تخطر بمعنى se promener ، وص : ٣٣٠ فسيح بمعنى place . وشمرور بمعنى sensitif فحفظناها للقاموس .

وفي الطبع اغلاط بسيطة يسهل تصليحها .

ف . ت .

ما يجب على كل مسيحي معرفته

او خلاصة التعليم المسيحي

تأليف الاب خليل اده اليسوعي

المطبعة الكاثوليكية بيروت ١٩٣٤ ، ٢٨ صفحة

يشمل هذا الكتيّب في صفحاته القليلة ، شروحاً في اصول الدين المسيحي من اشارة الصليب الى الدكسولوجيا ، فالصلاة الربية ، فافعال الفضائل الالهية ، فاهمّ حقائق الايمان ؛ فالاعمال المفروضة على المسيحيّ ليخلص ، فالوسائل التي وضعها الرب للخلاص ، الى غير ذلك مما اسسه السيد المسيح لبلوغ القداسة . وذلك باسلوب قريب المنـال وضّاح ، وطبع مقطّع بنودًا واجزاء تساعد على درس الكتاب وحفظه .

وقد يُحبّ المعلمون ان يستبدلوا كتب التعليم المسيحي فيزيدوا الطلبة اقبالًا على « الجديد » ، وان في هذا الكتاب خيرَ مساعد على القيام بمهمتهم الخطيرة ، فضلًا عما فيه من المنفعة لكل مفكر يحب الوقوف بالاختصار على حقائق ايماننا المقدس . فنفرح بالكتاب ونضمه الى سلسلة كتب التعليم المسيحي التي وضعها آباء رسالتنا اليسوعية منذ نشأتها وهي غير قليلة ولا تحتها موجودة في تقويم مطبعتنا .

ف . ت .

فتوحات العلم الحديث

نقلها فؤاد صرّوف

٢٢٦ ص. متوسطة – مطبعة المقتطف، القاهرة، ١٩٣٦

لا يُنكر ما للمقتطف من فضل على التعبير العلمي العربي، بما ينقله عن المجلّات الاوربية من فصول علمية، دقيقة التعبير، غنيّة المفردات، فيُدفع الى تعريبها بتلك الدقة وذاك الغنى، مجتهدًا في ان يقرّبها من اذهان المتكلّمين بالعربية، عاملًا على تليين هذه اللغة وتسهيل ما فيها من عقبات في وجه التعبير العلمي. وهذه المقتطف هذه الاخيرة مظهر جديد لاجتهاده المتواصل، جمع فيه رئيس تحريره الاستاذ فؤاد صرّوف كثيرًا من الابحاث في «اسرار الكون والحياة» كان قد نقلها عن رهط من علماء الغرب، كما فصّل ذلك في البيان الاخير (ص٣٣٢)، وفيها الحقائق الثابتة، والنظريات المعقولة، والفرضيات التي تقرب من الروايات الخيالية وان قامت بشرح المشكلات بعض الشيء، على انها تظلّ فرضيّات حتى يأتي ما ينفيها او ما يؤيّدها. وقد جمع كل ذلك في ابواب خمسة يكفي ذكر عناوينها للدلالة على قيمة الكتاب، وعلى ما يؤدّيه من خدمة للثقافة العصرية، وهي: العلم والعمران، غرائب الافلاك، ألغاز الطبيعة، ثمر داني القطوف، ألفة الحياة.

ف. ا. ب.

ابو علي عامل أرتست وقصص اخرى

بقلم محمود تيمور

١٦٤ ص. صغيرة – المطبعة السلفية، مصر، ١٩٣٦

يطالع القارئ بلذة هذه المجموعة من الروايات لما فيها من البساطة والطبيعة معنى ومبنى؛ ولما يظهر من انها مستندة الى حوادث واقعية على الغالب. فالمؤلف درس محيطه، وتأمله كثيرًا وكتب مستندًا الى ما شاهد، فاتت رواياته هذه صورة صادقة لمحيطه؛ على انه كان بامكانه ان يستغني عن بعض المشاهد المثيرة دون ان يفقد اسلوبه شيئاً من التدقيق والاحكام. ومهما يكن من الامر فان كل قصة من قصصه فيها فائدة للشباب والشيوخ.

في القصة الاولى « العوده » نرى الانسان الساذج الريفي الذي يرسله والده الى المدينة « لان الفلاحة في الارياف ليست ميدان الكسب الحقيقي لابناء هذا العصر » ثم انه يريد ارساله كخادم كي « يعود بكسوته الافرنجية وطربوشه المعوج وحذائه اللامع ، سوف يعود اليك — يخاطب جدته — فتى رشيقاً من اهل المدن لا فلاحاً جلفاً من اهل القرى » . وبعد مضي اعوام ، وقع للشاب ما يقع لغيره من الشباب من الفساد ، والكبرياء ، وعدم الاهتمام باهله ، وبعمله ،

وهنا نسمع كلام جدته تلك العجوز الساذجة تقول عن حفيدها المتمدن : « لقد مات الغالي من وقت طويل مات منذ ان فارقنا الى المدينة ... » .

ثم ان قصة « الشيطان » تذكرني قصة قريبة منها ، او من مغزاها ، لولي الدين يكن عنوانها : « المرأة » . فالفتاة ذهبت ضحية جهل والدها وتعصبه الاعمى .

اما القصة الاخيرة ، « ابو علي عامل ارتست » ، فعوائدها كثيرة ، وهي تمثل صورة صادقة للمحيط الذي عرفه المؤلف ولما فيه من بساطة بعض السذج المدعين وتهورهم .

م . ك .

اثر قديم في العراق : دير الربّان هرمزد

بقلم كوركيس حنا عوّاد

٦٨ ص . متوسطة — مطبعة النجم ، الموصل ، ١٩٣٦

هو درس اثري تاريخي جغرافي لدير الربّان هرمزد الماثل بجوار الموصل ، معقلاً للرهبان منذ القرن الثامن الى اليوم ، « الا بعض فترات شابت هذا الاتساق . » وقد قسم المؤلف ابحاثه على فصول سبعة : ذكر في اولها الطريق المؤدي الى الدير من مدينة الموصل . وخصّ الفصول الباقية بالدير نفسه داراً وقمه ، ومناخه ، وكنائسه ، وسائر ابنيته ، وشؤونه ، ومكتبته ، ورهبانه ، وتاريخه قديماً وحديثاً ، مفرداً فصلاً خاصاً لترجمة الربّان هرمزد . والكتاب مزدان بعدة رسوم ، وبخريطة تبيّن اهمّ المواقع المهمّة . وقد قدّم له يوسف بك غنيمة ، وزير مالية العراق ، بمقدمة قصيرة ولكنها جامعة اذكر ما في

الكتاب من فوائد تاريخية ، وجغرافية ، واقتصادية ، استحق عليها المؤلف الثناء الطيّب. ف. ا. ب.

احسن ما كتبت

١٦٦ ص. متوسطة – ادارة الهلال ، القاهرة ، ١٩٣٦ – الثمن : ١٠ غ. م.

هو الكتاب السنوي الذي قامت بطبعه ادارة الهلال ، وقد جمت فيه نحو ٧٣ اثرًا من شعر ونثر لنحو ٦٧ كاتبًا وشاعرًا في مختلف الاقطار العربية منهم من اختاروا بانفسهم « احسن ما كتبوه » ، ومنهم مَن اختارت لهم ادارة الهلال . فاتى متنوّع الموضوعات ، متنوّع الاساليب ، متنوّع القيَم كذلك. على انه صورة تكاد تكون واضحة لحالة الادب العربي الحالي كما يظهر اليوم في مصر وفي بعض انحاء الشرق.

شهداء حلب : القسم الثاني

جمعها يعقوب نعوم سركيس

٥٠ ص. متوسطة – مطبعة القديس بولس في حريصا ، ١٩٣٦

هو القسم الثاني من المستندات الخاصة بشهداء حلب في النصف الاول من القرن التاسع عشر ، والقسم الخامس من « الوثائق التاريخية للكرسي الملكي الانطاكي » ، التي تنشرها « المسرّة » الغرّاء من آنٍ الى آخر ، فتهديها خير هدية الى التاريخ الديني الشرقي . وقد جمع هذا الكرّاس ٣٠ رسالةً كتب اكثرها بعض اهالي الشهباء ممن شهدوا تلك الحوادث المؤلمة . يلي ذلك ثلاث مدائح زجلية اولاها « على المطران جراسيموس » والثانية والثالثة « على الاحد عشر شهيدًا » . وقد فُهرس لكل ذلك على الحروف الابجدية فاضحت الاستفادة سهلة من هذه الوثائق المهمّة.

رحلة الى الهند

للمطران اثناسيوس اغناطيوس نوري

١٠٠ ص. متوسطة – مطبعة القديس بولس في حريصا ، لبنان ، ١٩٣٦

وهذا الكرّاس ايضًا من هدايا المسرّة النفيسة ، جمع صفحات مفيدة طريفة

وصف بها سيادة المطران نوري رحلة سابقة كان قد قام بها في ختام القرن التاسع عشر من بغداد الى الهند مارًا بالبصرة فخليج فارس . وقد دقّق في ذكر ما شاهده في رحلته آنذاك بعد ان خصّ بغداد وآثارها بوصف وافٍ . ولا شكّ في ان الحالة قد تغيّرت اليوم عما كانت عليه . الا ان الرحلة لم تفقد من قيمتها،بل بالضدّ فانها اضحت مستندًا تاريخيًا لشاهدٍ عياني يستفيد منه المؤرّخ المصري امورًا كثيرة عن حالة تلك البلاد قبل الانقلاب الحديث ، ولاسيما بغداد ، والبصرة ، والمحمرة ، والفاو ، وابو شهر ، وجزيرة البحرين ، وبندر عباس ، ومسقط . ثم في الهند كراشي ، وبمباي ، وحيدر آباد ، وكلكتا ، وشندرناكور وغيرها من المدن والقرى التي كثيرًا ما نسمع باسمائها وقليلًا ما نقرأ لزائريها المعلومات الراهنة .

احمد زكي ابو شادي : شعره في ديوان الشعلة
ابو شادي في الميزان

٦٤ ص . صغيرة – مطبعة حجازي ، القاهرة ، ١٩٣٣
١٤٢ ص . صغيرة « « « «

يُعدّ الدكتور احمد زكي ابو شادي ، على تنوّع مظاهر ثقافته ، في طليعة شعراء مصر الشبّان الذين يرمون الى نفخ الحياة في الشعر المصري القديم المقلّد بتلقيح جديد يتناولونه من مظاهر الحياة العصرية وخفاياها . ولا غرابة في ان تصادف هذه النزعة اشمئزازًا من قبل المحافظين ، او حماسةً فائقة من قبل المجدّدين ، فان الفريقين المذكورين على استعداد دائم لاستقبال كل فكرة جديدة بالضجيج الصاخب والاحتجاج الصارخ إمّا عليها واما لها . بيد ان الشبان يسيرون في طريقهم الفسيح يشجّعهم بعض ذوي الثقافة العالية من كبار شعرائنا، وتعضدهم مجلّة أبولو . والمستقبل كفيل باحقاق الحقّ فلا يبقى الا على الخلاصة الصافية من موضوعات هذا العراك . وبعد فان امامنا اليوم محاضرتين في شعر ابي شادي اولاهما القاها الاستاذ احمد محرّم في نادي « رابطة الادب الجديد » بالقاهرة فدرس فيها شعر ابي شادي في « ديوان الشعلة » . اما الثانية فاعمّ ،

القاها الاستاذ محمد عبد الغفور في « جماعة الادب المصري » بالاسكندرية تناول فيها مناحي عدة من اثر الشاعر المذكور . وقد قدّم على المحاضرة تصدير بقلم الاستاذ عبد الفتاح فرحات ، وألحق بها ملاحظات ونقود كتبها الاساتذة مختار الوكيل ، وصالح جودت ، ومحمود احمد البطاح . وفي اكثرها نزعة خاصة في النظر الى الجمال الشعري والحكم عليه . على ان الكراستين مفيدتان لكل من شاء الاطلاع على اتجاه الشعر العصري في مصر. ف. ا. ب

الادب العربي في آثار اعلامه

الجزء الاول : الجاهلية وصدر الاسلام

٢٢٨ص. متوسطة – المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ١٩٣٦ – الثمن: ٧٥ غ. ل. س.

هي نصوص منتخبة ، وفقاً لمنهاج البكالوريا اللبنانية جمعتها لجنة معيّنة بموجب قرار من مديرية المعارف العامة والفنون الجميلة ، ومؤلفة من الاساتذة واصف بارودي ، وفؤاد افرام البستاني ، وخليل تقي الدين . ونشرت منها ، في هذا الجزء الاول ، منتخبات من شعر امرئ القيس، وطرفة، وزهير ، وعنترة ، والنابغة ، والاخطل ، والفرزدق ، وجرير ، وعمر بن ابي ربيعة ، ومن خطب الحجاج بن يوسف ، ورسائل عبد الحميد الكاتب . فأتت في حسن اختيارها ، ودقة ضبطها ، وجمال طبعها ، اجمع ما نعرف من المنتخبات وافضل ما يوضع بين ايدي شبان يشتغلون على تذوّق الادب الصحيح والاعجاب بالفنّ السامي . وان خير ما نعرّف به هذا الكتاب ، والغاية التي رمى اليها اصحابه ان ننشر شيئاً من مقدّمتهم الجديرة بالانتباه ، قالوا :

« عندما عقدنا النية على جمع هذه النصوص المختارة التي نضعها اليوم بين ايدي الطلاب والاساتذة والادباء ، قصدنا الى تحقيق فكرة طالما جالت في رؤوس المشتغلين بالادب العربي ، وهي اخراج كتاب يستطيع طالب الادب ان يتعرّف فيه الى ادباء العربية ، من قدماء ومحدثين ، من خلال ما اخرجته قرائحهم ، ويدرسوهم في آثارهم لا في ما قاله عنهم النقاد والرواة والمؤلفون ، فلقد مضى زمن كان درس الادب فيه عبارة عن حفظ روايات واحاديث عن

الكتاب والشعراء ، بعضها صحيح وبعضها منحول ، يخرج الطالب منها وليس في نفسه عن الادب الا فكرة ناقصة ، مشوّهة ، تقوم على احكام فردية بناها اربابها اولاً على بيت مخصوص او مقطوعة منتخبة ، فتداولها الناس بعدهم جيلاً فجيلاً حتى عمّمها المتأخرون دون ان ينظروا في اساسها او يفهموا سبب اطلاقها . »

وبعد ان اشاروا الى كون اكثر كتب الادب تنقل شواهدها ، لا عن المصادر الاصلية ، بل عن كتب المحاضرات « وكتب المحاضرات لا تكثر الا الابيات المتنطفة ، والفقر المختارة ، وهي لا تخلو في مجملها من التصحيف والتحريف » ، قالوا :

« لذلك اتجهنا رأساً الى الينابيع نفسها نستقي شعر الشاعر من ديوانه ، ونثر الناثر من كتابه ، نقرأه في طبعاته ، ان كان له اكثر من طبعة ، فنقابل بين الروايات ، ونفاضل ، ونختار ما يظهر لنا اقرب الى الحقيقة . وقد حرصنا كل الحرص على تمثيل القصائد والفصول كاملة ، الا ما اضطررنا فيه الى الحذف فاشرنا الى المحذوف ، ودللنا على مقداره كذلك ، اما في مقدّمات المنتخبات ، واما في ترقيم الابيات على الهامش ؛ وكان دافعنا الى الحذف بذاءة المؤلف حيناً ومراجعة معانيه احياناً .

« وقد حرصنا كذلك على تمثيل الشاعر او الكاتب من نواحي تفكيره وتعبيره المختلفة ، فقسمنا المنتخبات على هذه النواحي بحيث ان نظرة سريعة تُلقى على فهرس الموضوعات تكفي للدلالة على اتجاهات عقليته . وقدّمنا على منتخبات كل مؤلف كلمة قصيرة في حياته وآثاره تُلخّص ، في نظرنا ، درس شخصيته الادبية ، فتكوّن في ذهن الطالب حكماً موجزاً يستعين به في استعادة آراء استاذه . . . »

وهم يرجون بعملهم هذا ان « تتغير طريقة الادب والادباء من استسلام اعمى الى اقوال النقاد والرواة والمؤلفين ، الى اقتناع شخصي وبحث ذاتي . » لانهم يرون ان « آراء النقاد والمؤلفين يجب ان تتبع درس النصوص لا ان تسبقه . . . » وهم على حقّ في ذلك . اخذ الله بيدهم الى اظهار الاجزاء التالية

خدمةً للدرس الادبي الصحيح.

طيب الاريج

بقلم الشيخ امين ظاهر خيرالله

١٩ ص. متوسطة – مطبعة ابن زيدون ، دمشق ١٩٣٦

جرى مؤلف هذا الكراس في تسجيع عنوانه على طريقة القدماء من ادباء عصر الانحطاط ، فسماه « طيب الاريج في الجلاء عن حاجة علم متن اللغة الى المباني والتخريج » . اما موضوعه فمزدوج ، على ما يظهر مما كتبه المؤلف تحت العنوان وهو : « ١ً – المباني علم في متن اللغة الفُصحى ما زال مطوياً (حتى نشره والد المؤلف (ص ١٨) وعنه اخذ ولده) ؛ والتخريج اعرابه وهو غير مستوفى البحث في كتاب . ٢ً – نقول تُثبت ان في معاجم اللغة العربية قديمة وحديثة تعارضاً في احكام البناء الواحد . وللمباني القول الفصل في تأييد صحيحها وتفنيد زيفها . » واما الغاية من كل هذا فهي ان تمهّد السبيل للمؤلف فيُنظم في سلك المجمع العلمي المصري ؛ وفّقه الله !

الزهر المنثور بلغة الشعور

نظم الدكتور فريد جبور نجيمي

١٢٧ ص. متوسطة – مطبعة ابو الهول ، سان باولو (البرازيل) ١٩٣٦

وهذا ايضاً من العناوين المسجعة . بيد انه يرمز الى سفر طافح بالعاطفة الطبيعية البسيطة ، موقّعة على انغام الزجل اللبناني ، منظومة بلغة « القرّالين » ، تحمل الينا من وراء البحار تأوّهات المهاجرين الكرام لفراق الوطن ، وتذكاراتهم التي قد يغلّفها ستار البعد فيجتلي فيها ويُحيّين . نشأ الدكتور فريد جبور في معاصر الشوف ، في عهد ازدهر فيه الزجل اللبناني بفضل زعمائه القدماء كابراهيم الحوراني ورشيد نخله وغيرهما ، فاتصل ببعضهم وتمرّن على « القول » . ثم هجر لبنان ، وفي النفس اليه حنين لم يلبث ان ظهر في تلك الرسائل التذكارية والمطالع الوطنية . وقد جمعها في هذا الكتاب ، بعد ان قدّم عليها كلمة لطيفة في تاريخ حياته في وطنه وفي المهجر ؛ ووضع قبلها بحثاً لحبيب المشلاني في

شاعرية صاحب الديوان . فكان من كل ذلك سفر له قيمته في هذا الفنّ الذي يزداد عدد اتباعه يوماً فيوماً.

المبادئ الموسيقية

تأليف اسكندر شدياق

٤٤ ص . صغير – مطبعة قوزما ، بيروت ، ١٩٣٣ – الثمن : ٣٠ غ . ل . س .

يجمع هذا الكرّاس الصغير عشرين درساً ، ونحو الاربعين تمريناً في المبادئ الموسيقية باللغتين العربية والفرنسوية . نشره صاحبه «توطئة لاصدار كتاب الالحان الكنسية الجديد ... ، مجتهداً بان يكون هذا الجزء الاول احدث واقرب واسهل سبيلاً لتعليم الموسيقى والتلحين والتوقيع بالنوطه» . وقد قرّرت مديرية المعارف استعماله في المدارس الرسمية.

المنّ الخفي او القداس الماروني

للخوري بطرس فرج صفير

٢٤٠ ص . صغيرة – مطبعة المرسلين اللبنانيين ، جونية (لبنان) ، ١٩٣٤

هذه ترجمة عربية للقداس الماروني مع خدمته وشرحه ، نشرها حضرة المؤلف فافاد بها الموارنة كافةً ، بل غير الموارنة ممن يهمهم الاطلاع على الطقس الماروني . وقد زيّنها باربعة وعشرين رسماً ، وقدّم عليها توطئة في الطريقة المثلى لحضور القداس الماروني وفي كيفية استعمال هذا الكتاب. كل ذلك بحجم لطيف يسهل استعماله على الجميع ولاسيما طلبة المدارس.

القديس يوحنا بُسكو

٧٢ ص . كبيرة مصوّرة – مطبعة الارض المقدّسة ، القدس ، ١٩٣٤

يوم عيد الفصح المجيد الواقع في ١ نيسان ١٩٣٤ ، أعلن الحبر الاعظم بيوس الحادي عشر قداسة الكاهن يوحنا بُسكو في حفلة حضرها ثمانون الف نسمة من جميع اقطار العالم . فرأى ابناؤه السالسيون ان يخلّدوا ذكراه وذكرى تلك الحفلة باللغة العربية ، فقاموا بهذه النشرة المصوّرة الجميلة ملخّصين فيها حياة مؤسسهم ، ذاكرين اعمال جمعيتهم ولاسيما في انحاء فلسطين والقطر المصري.

البطل الخالد صلاح الدين والشاعر الخالد احمد شوقي

بقلم محمد اسعاف النشاشيبي

١١٠ ص . متوسطة – مطبعة بيت المقدس ، القدس ، ١٩٣٢ – الثمن : ٤ غروش مصرية

مجموعة من الثرثرات الخطابية على ورق صقيل.

الروضة الاريضة في تهاني غبطة البطريرك عريضة

جمعه الخوراسقف بطرس حبيقة

٢٥٨ + ٥٤ ص . متوسطة – المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ١٩٣٥

هو جزء اول جُمع فيه كثير من التهاني الشعرية والنثرية باللغات العربية ، والفرنسوية ، والسريانية ، واللاتينية ، والايطالية ، والاسبانيولية ، والانكليزية ، تلقاها غبطة البطريرك الماروني بمناسبة اوتقانه الى السدة البطريركية ، فجمعها حضرة الخوراسقف بطرس حبيقة وطبعها وقدمها الى غبطته حفاوةً بالعيد الثالث لتذكار انتخابه.

* روزنامة سيدة النلة الكنائسية لسنة ١٩٣٥ * لا تخفى شهرة هذه الروزنامة المفيدة التي يصدرها ، عن دير القمر ، منذ ثلاث وعشرين سنة حضرة الاباتي افرام حنين الديراني الحلبي اللبناني ذاكرًا فيها التواريخ والاعياد الشرقية والغربية والهجرية ، وكلما يختص بالعقس الماروني من احتفالات وفروض . وهي تطلب منه في دير القمر ، ومن مخزن الخواجات خليل حنين واولاده في سوق الجميل ، بيروت .

* برنامج جمعية طوبيا البار المارونية * ٧٢ ص . متوسطة مصوّرة ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ١٩٣٦ – أسست هذه الجمعية في بيروت سنة ١٨٨٢ وغايتها دفن الموتى الفقراء المُهمَلين ، وادارة المكتبة المارونية ، وقد احتفلت بيوبيلها الذهبي ، فنشرت هذا البرنامج جامعاً اعمال سنوات ثلاث ١٩٣١ ، ١٩٣٢ ، و١٩٣٣ ، مزدانًا ببعض الصور .

* خلاصة اعمال شركة القدير منصور دي بول في بيروت عن سنة ١٩٣٣ * ٧٢ ص . منيرة ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ١٩٣٤ – ملخص اعمال السنة الرابعة والسبعين لتأسيس هذه الشركة في بيروت ، وهي لا تزال دائمة على اغداق الحسنات « لمجد الله ، وخير القريب » .

فهارس المشرق

للسنة الثانية والثلاثين

١٩٣٤

فهرس اوّل

لموادّ السنة الثانية والثلاثين من مجلة المشرق

الجزء ١ (كانون الثاني – آذار) : حالة الاسلام في القرن الرابع للهجرة ، بقلم الاب لامنس اليسوعي (١-١٢) = أيمان النصارى الملكانيين ، بقلم حبيب زيات (١٣-١٧) = الاسكندر الكبير في سورية وفينيقية (مصوّرة) ، بقلم الاب ريته موترد اليسوعي (١٧-٢٧) = ارتفاع الصليب : سير منسوب الى القديس كيرلس اسقف اورشليم : ٥ ، بقلم الخوري بولس قرألي (٢٧-٦٥) = خداد عاصة الادب العباسي (مصوّرة) ، بقلم فؤاد افرام البستاني (٦٥-١٠٩) = اخبار سفر المونسنيور فرنديس بيكيت الى بلاد ارمينية والعجم ١٦٨١-١٦٨٦ : ١ ، نشرها الخوري اسحق ارمة (١٠٩-١٢١) = شذرات : دروس الآداب الشرقية – حول مقال «القضاء في لبنان» (١٢١-١٢٥) = مطبوعات شرقية جديدة : وصف ١٦ كتاباً باللغات الاوربية ، و ٤ كتب باللغة العربية (١٢٥-١٦٠)

الجزء ٢ (نيسان – حزيران) : توطئة لدرس الفنّ المسيحي في سورية في القرنين الخامس والسادس (مصوّرة) ، بقلم جان لاموس (١٦١-١٧٩) = شهود البيان على فتح الصليبيين انطاكية (مصوّرة) ، بقلم انور حاتم (١٧٩-٢٠١) — حول «القوانين الفردية عند الطائفة المارونية في زمن الامراء الشهابيين» ، بقلم وجيه خوري (٢٠١-٢١٢) = ارتفاع الصليب : سير منسوب الى القديس كيرلس اسقف اورشليم : ٦ ، بقلم الخوري بولس قرألي (٢١٣-٢٢٥) = بكاء ، وشعر ، وفقد ، بقلم ادوار حنين (٢٢٥-٢٦١) = جيمانوس فرحات العامل في خدمة اسقوس (مصوّرة) ، بقلم الاب توتل اليسوعي (٢٦١-٢٧٢) =

الملكيّون المشارقة ، بقلم حبيب زيات (٢٧٣-٢٨٢) = اخبار سفر المونسنيور بيكيت الى بلاد ارمينية والعجم (١٦٨١-١٦٨٤) : ٢ ، نشرها الخوري اسحق ارملة (٢٨٢-٢٩٦) = شذرات : الاوضاع الصوفية لدى فلاسفة العرب ، بقلم عبد الستار سيت - تمثال فرحات في الشهباء (مصوَّرة) (٢٩٦-٣٠١) = مطبوعات شرقية جديدة : وصف ٢٢ كتاباً باللغات الاوربية ، و٨ كتب باللغة العربية (٣٠١-٣٣٠)

الجزء ٣ (تموز - ايلول) : رسالة في معرفة النفس الناطقة واحوالها لابي علي بن سينا ، نشرها : محمد ثابت الفندي (٢٢١-٢٢٧) = سفر المزامير بالسريانية : طبعة قزحيا . طبعة كمبردج ، بقلم الخوري ميخائيل الرجي (٢٢٧-٢٦٢) = مزاعم المؤرخين العباسيين في وصف كثرة الخليفة سليمان بن عبد الملك الاموي ، بقلم حبيب زيات (٢٦٢-٢٦٧) = ارتفاع الصليب : ميمر منسوب الى القديس كيرلس اسقف اورشليم : ٧ (مصوَّرة)، بقلم الخوري بولس قرألي (٢٦٨-٢٩٢) — الفتيقيون بين الفرس واليونان (مصوَّرة)، بقلم الامير موريس شهاب (٢٩٢-٤٠٩) = تمازج العناصر البشرية في بغداد العباسيين ، بقلم فؤاد افرام البستاني (٤٠٩-٤٤١) = اخبار سفر المونسنيور فرنسيس بيكيت الى بلاد ارمينية والعجم ١٦٨١-١٦٨٤ : ٣ ، نشرها الخوري اسحق ارملة (٤٤١-٤٦٠) = مطبوعات شرقية جديدة : وصف ٢٨ كتاباً باللغات الاوربية ، و٢٢ كتاباً باللغة العربية (٤٦٠-٤٨٠)

الجزء ٤ (تشرين الاول-كانون الاول) : الحلم عند العرب : محاولات في تحديده ، بقلم الاب لامنس اليسوعي (٤٨١-٥٠٤) = الدرّ المنتخب في تاريخ مملكة حلب ، بقلم حبيب زيات ٥٠٤-٥١٠) = ارتفاع الصليب : ميمر منسوب الى القديس كيرلس اسقف اورشليم : ٨ (مصوَّرة) (تتمة) ، بقلم الخوري بولس قرألي (٥١٠-٥٤٠) = المؤسسات الفنية الاولى (مصوَّرة)، بقلم الامير موريس شهاب (٥٤٠-٥٦٢) = شوقي على المسرح مع مقدّمة في التمثيل العربي : المقدّمة ، بقلم ادوار حنين (٥٦٢-٥٨١) = جولة في الاثار السورية ، في العهد المسيحي وفي اوائل العهد الاسلامي (مصوَّرة) ، بقلم الاب رينه موترد اليسوعي (٥٨١-٥٩٢) = اخبار سفر المونسنيور فرنسيس بيكيت الى بلاد ارمينية والعجم ١٦٨١-١٦٨٤ : ٤ (تتمة) نشرها الخوري اسحق ارملة (٥٩٢-٦٠٩) = مطبوعات شرقية جديدة : وصف ٣٠ كتاباً باللغات الاوربية ، و ٢٣ كتاباً باللغة العربية (٦٠٩-٦٤٠) = فهارس المشرق (٦٤١)

فهرس ثانٍ

يحتوي اسماء كتبة المشرق ومقالاتهم

ابن سينا : اطلب الفندي (محمد ثابت)

ارملة (الخوري اسحق) : اخبار سفر المونسنيور فرنسيس بيكيت الى بلاد ارمينية والعجم (١٦٨١-١٦٨٤) ١٠٩-١٢١؛ ٢٨٢-٢٩٦؛ ٤٤١-٤٦٠؛ ٥٩٢-٦٠٩

برلوتي (المرحوم الاب يوحنا اليسوعي) : له وصف مطبوعة ٤٧٢

البستاني (فؤاد افرام) : بغداد عاصمة الادب العباسي ٦٥-١٠٩ — تمازج العناصر البشرية في بغداد العبّاسيين ٤٠٩-٤٤١ — وله وصف مطبوعات ٣٠٨؛ ٣١٠؛ ٣١٩؛ ٣٣١-٤٧٦ — ٤٨١؛ ٦١٧؛ ٦٢٠؛ ٦٢٣؛ ٦٣٣؛ ٦٣٥ — وله تعريبات وشذرات متفرّقة

ترنل (الاب فرديناند اليسوعي) : جرمانوس فرحات العامل في خدمة النفوس ٢٦١-٢٧٢ — وله وصف مطبوعات ١٤٥-١٥٧؛ ١٥٨-١٦١؛ ٢١٧؛ ٦٢٧-٦٣٢

تيان (اميل) : له وصف مطبوعات ١٥٧؛ ٢١١

حاتم (انور) : شهود العيان على فتح الصليبيين انطاكية ١٧٩-٢٠١

حنين (ادوار ابراهيم) : بكاء ، وشعر ، ونقد ٢٢٥-٢٦١ — شوقي على المسرح ، مع مقدّمة في التمثيل العربي : ١ المقدّمة ٥٦٣-٥٨١

خوري (وجيه) : حول « القوانين الفردية » عند الطائفة المارونية في زمن الامراء الشهابيين ٢٠١-٢١٢

الرجي (الخوري ميخائيل) : سفر المزامير بالسريانية : طبعة زحيا . طبعة كمبردج ٢٢٧-٢٦٣

روتزفال (الاب سبستيان اليسوعي) : له وصف مطبوعات ١٣٥؛ ١٢٦؛ ١٢٨؛ ١٤٤؛ ٣٠٢-٣٠٥؛ ٤٦٢؛ ٤٦٤؛ ٦١٣-٦١٦؛ ٦١٩

زيات (حبيب) : أعيان النصارى الملكانيين ١٢-١٧ — الملكيّون المشارقة ٢٧٢-٢٨٢ — مزاعم المؤرخين العبّاسيين في وصف شرّه الخليفة سليمان بن عبد الملك الاموي ٢٦٢-٢٦٧ — الدرّ المنتخب في تاريخ مملكة حلب ٥٠٤-٥١٠

سيت (عبد الستّار) : الاوضاع الصوفية لدى فلاسفة العرب ٢٩٦-٣٠٠

شهاب (الامير موريس) : الفنيقيون بين الفرس واليونان ٣٤٣-٤٠٤ — المؤسسات الفنيقية الاولى ٥٢٠-٥٦٢

العقل (ميشال) : له وصف مطبوعة ٢١٨

الكندي (محمد ثابت) : رسالة في معرفة النفس الناطقة واحوالها لابي علي بن سينا ٢٢١–٢٢٧

قرألي (المطراني بولس) : ارتفاع الصليب : سر منسوب الى القديس كيرلس اسقف اورشليم ٢٧–٦٥؛ ٢١٢–٢٢٥؛ ٢٦٧–٢٩٣؛ ٥١٠–٥٤٠

كابيلّو (الاب يوحنا اليسوعي) : له وصف مطبوعة ٢٠٩

كيرلس الاورشليمي : اطلب قرألي (المطراني بولس)

الكيلاني (مصطفى) : له وصف مطبوعة ٦٢٢

لاسوس (جان) : توطئة لدرس الفن المسيحي في سورية في القرنين الخامس والسادس ١٦١–١٧١

لامنس (الاب هنري اليسوعي) : حالة الاسلام في القرن الرابع للهجرة ١–١٢ — العلم عند العرب : محاولات في تحديده ٤٨١–٥٠٤ — له وصف مطبوعات ١٤١؛ ١٤٤؛ ٣٠٥؛ ٣١٠؛ ٣١١؛ ٤٦٧؛ ٤٦٨

لانفرسّن (الاب ف. دي اليسوعي) : له وصف مطبوعات ٦٠٩؛ ٦١٦

لوفنك (الاب جبرائيل اليسوعي) : له وصف مطبوعات ١٢٨؛ ١٤٠؛ ١٤٣؛ ١٤٣؛ ٢٠٢؛ ٢٠٦–٢٠٨؛ ٢٠٩؛ ٢١٢–٢١٦؛ ٤٦١؛ ٤٦٦؛ ٤٦٩؛ ٤٧٢–٤٧٦؛ ٦١١–٦١٣؛ ٦٢٢؛ ٦٢٥

موترد (الاب بولس اليسوعي) : له وصف مطبوعات ١٢٦؛ ١٢٧؛ ٤٦٣

موترد (الاب رينه اليسوعي) : الاسكندر الكبير في سورية وفنيقية ١٧–٢٧ — جولة في الاثار السورية ، في العهد المسيحي وفي اوائل العهد الاسلامي ٥٨١ – ٥٩٣ — له وصف مطبوعات ٤٦٢؛ ٤٦٥

مونجان (الاب يوسف اليسوعي) : له وصف مطبوعات ١٢٦؛ ١٢٧؛ ٤٦٣

هبوز (الاب ك. ب. اليسوعي) : له وصف مطبوعات ١٢٧؛ ١٤٠؛ ١٤٣؛ ٢١٣

فهرس ثالث

للمطبوعات التي ورد وصفها في السنة الثانية والثلاثين للمشرق

على ترتيب اسماء مؤلفيها

١ — المطبوعات العربية والسريانية الخ.

ا

ابن بطوطة : مهذب رحلته (نشر احمد العوامري ومحمد احمد جاد المولى) ٦٢٩

ابو شادي (احمد زكي) : الشعلة ٢١٩

اده (الاب خليل اليسوعي) : ما يجب على كل مسيحي معرفته ٦٢١

ارسلان (الامير شكيب) : اطلب ستودارد (لوثروب)

امية بن ابي الصلت : ديوانه (نشر بشير بيوت) ٤٧٨

ب

بارودي (وامف) : مقالات في التربية والتعليم ٤٧٧ — الادب العربي في آثار اعلامه : الجزء الاول : الجاهلية وصدر الاسلام (بالاشتراك مع فؤاد افرام البستاني وخليل تقي الدين) ٦٢٦

بشير (الارشيمندريت انطونيوس) : اطلب : جبران (جبران خليل)

برنامج جمعية طوبيا البار المارونية ٦٤٠

البستاني (فؤاد افرام) : راجع : البارودي (وامف)

بُسكو (القديس يوحنا) : سيرته ٦٢٩

بطاليان (المطران لويس) : المسائلة بموجب قلب الله ٤٨٠

بورون (الكابتان) : الدروز (تعريب عادل تقي الدين) ٤٧٦

ت

تقي الدين (خليل) : راجع : البارودي (وامف)

تقي الدين (عادل) : راجع : بورون (الكابتان)

تونل (الاب فردينان اليسوعي) : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين المصوّر ٤٧٧

تيمور (محمود) : ابوعلي عامل أرتست وقصص اخرى ٦٢٢

ث

ثابت (الاب الياس الحلبي اللبناني) : كشف النقاب عن حقيقة الكتاب : المجلّد الثاني من الجزء الاول ٤٧٩

ج

جاد المولى (محمد احمد) : راجع : ابن بطوطة

جبران (جبران خليل) : النبي (تعريب الارشيمندريت انطونيوس بشير) ٤٨٠

جميل بُثينة : ديوانه (نشر بشير بيوت) ٤٧٨

الجميّل (الحكيم امين) : نداء الى اصدقاء الاشجار ٤٨٠

ح

حبيقه (المونسنيور بطرس) : مآثر عريضة : الجزء الثاني ٤٧٨ — الروضة الاريضة في تعاني غبطة البطريرك عريضة ٦٤٠

حنين (الاباتي إفرام الديراني) : روزنامة سيدة التلة الكنائسية لسنة ١٩٣٥ ٦٤٠

خ

خلاصة اعمال شركة القديس منصور دي بول عن سنة ١٩٣٣ ٦٤٠

خورشيد (ابراهيم زكي) : اطلب : الفندي (محمد ثابت)

خورشيد (محمد) : امير الشعراء شوقي بين العاطفة والتاريخ ٢١٤

الخوري (بشاره خليل) : قانون الموجبات والعقود ١٥٧

الخوري (الخوري داود ب . م .) : مقالة في انتقال والدة الاله بالجسد الى السماء (تعريب الخوري انطون كيورك ب . م .) ٤٧٩

خيرالله (امين ظاهر) : طيب الاريج ٦٢٨

د

دنديني (الاب ايروتيوس) : رحلته الى لبنان سنة ١٥٩٦ (تعريب الخوري يوسف بزيك الحشيتي) ٢٢٠

ذ

ذو الرمة : ديوانه (نشر بشير يوت) ٤٧٨

ر

الريحاني (امين) : امم الشعراء ٢١٦ ٢٥٤ — فصل الاول ٢١٧

ز

الزيناتي (الخوراسقف الياس) : كيف يتقدس الملاني ٤٧٩

س

ستودارد (لوثروب) : حاضر العالم الاسلامي (تعريب عجاج نويهض ، وعليه تعاليق للامير شكيب ارسلان) ١٤٥-١٥٧

ستيته (المطران ايونيس جرجس) : السير في سبيل الواجب ٤٨٠

سركيس (يعقوب نوم) : شهداء حلب : القسم الثاني ٦٢٤

سلام (عبد الرحمن) : اطلب : النابغة الذبياني

السمعاني (الخوراسقف بولس) : لمحة تاريخية في فرائد الاداب السريانية : الجزء الاول ٤٧٩

ش

شبارخ (الارشيمندريت داميانوس ق . م .) : اطلب : كوسا (الارشيمندريت اكاكيوس ق . ب .)

شبلي (الاب انطونيوس اللبناني) : الرهبانية اللبنانية المارونية : الجزء الاول ٤٨٠

شدياق (اسكندر) : المبادئ الموسيقية ٦٢٩

الشنتناوي : (احمد) اطلب : الفندي (محمد ثابت)

ص

صروف (فؤاد) : فتوحات العلم الحديث ٦٣٢

صفير (الخوري بطرس فرج) : المنّ الخفي او الندّاس الماروني ٦٣٩

ط

طرّازي (الشيكونت فيليب دي) : تاريخ الصحافة العربية : الجزء الرابع ٤٧٦

ع

عبد الغفور (محمد) : ابو شادي في الميزان ٦٣٥

عزّو (القس يوحنا) : رسالة البطريرك اغناطيوس نعمة الله السرياني ٤٨٠

عطيّة الله (احمد) : لندن ٦٣٠

علوان (الاب يوسف الامازاري) : حياة القديسة لويز دي ماريلياك — حياة الطوباوية كاترين لابوره ٢٢٠

عماد (يوسف) : المختصر المفيد في تاريخ سورية ولبنان المدرسي ٤٨٠

العواري (احمد) : راجع : ابن بطوطة

عوّاد (كوركيس حنا) : اثر قديم في العراق : دير الريّان هرمزد ٦٣٣

ف

الفرزدق : ديوانه (نشر بشير يوت) ٤٧٨

الفندي (محمد ثابت) : تعريب دائرة المعارف

الاسلامية (بالاشتراك مع احمد الشنتاوي، وابراهيم زكي خورشيد ، وعبد الحميد يونس) ١٥٩

ق

قنصل (الياس) : الاسلاك الشائكة – على مذبح الوطنية – العبرات الملتهبة ٤٧٩

ك

كوسا (الارشيمندريت اكاكيوس ق . ب) : شهداء حلب (تعريب الارشيمندريت داميانوس شبارخ ق . ب) ١٥٨

كيورك (الخوري انطون ب . م .) : راجع : الخوري (الخوري داود ب . م .)

م

محرّم (احمد) : احمد زكي ابو شادي : شعره في ديوان الشبلة ٦٢٥

مرقص (ادوار) : كفيل الانشاء ٢١٨

الملوف (عيسى اسكندر) : تاريخ الامير فخر الدين المعني ٦٢٧

معوّض (ا . ا .) : اجل من الشعراء – بالاشتراك مع سمير معوّض وطانيوس شبلي ٢٥٤ ، ٢٦١

معوّض (سمير) : راجع : معوّض (ا . ا .)

ن

النابغة الذبياني : ديوانه (نشر وشرح عبدالرحمن سلام) ٤٧٨

نجيمي (الدكتور فريد جبور) : الزهر المنثور بلغة الشعور ٦٢٨

نعمه (طانيوس) : راجع : معوّض (ا . ا .)

نوري (المطران اثناسيوس اغناطيوس) : رحلة الى الهند ٦٢٤

نويهض (عجاج) : راجع : ستودارد (لوثروب)

هـ

الهلال : الصحافة الحديثة ٤٨٠ — احسن ما كتبت ٦٢٤

هنديه (انيس) : سلسلة دروس العلبية : الجزء الاول ٢١٧

ي

يزبك (الخوري يوسف العشيق) : حقيقة السلام في ملك السلام ٤٨٠ — راجع : دندني (الاب ايرونيموس)

يوت (بشير) : راجع : امية بن ابي الصلت ، وحيل بثينة ، وذا الرمة ، والفرزدق

يونس (عبد الحميد) : اطلب : الفندي (محمد ثابت)

٢ — المطبوعات الاوربية

Abou-Khater (Jamil Ibrahim). La condition des étrangers en Syrie et au Liban. (140)

Almanach catholique français pour 1934. (461)

Annuaire des librairies-éditeurs catholiques de langue française : France, Belgique, Luxembourg, Suisse et Canada. (626)

Antoniadi (E. M.). L'astronomie egyptienne. (306) — La planète Mercure et la rotation des satellites. (626)

Aouad (Ibrahim). Le droit privé des Maronites au temps des Emirs Chihab (1697-1841). (201-212)

Aynard (J.). La bourgeoisie française. (175)

Bartholomew's map of the Middle East. (473)

Bellessort (André). Athènes et son théâtre. (616)

Blache (Jules). L'homme et la montagne. (623)

Bonsirven (Joseph, s. j.). Les idées juives au temps de Notre-Seigneur. (611)

Braun (Fr. M., o. p.). Où en est le problème de Jésus ? (302)

Brauns (W.), Die Futūḥ al-Ġaib des ʿAbd al-Qādir. (310)
Bulletin économique de la Chambre de commerce d'Alep, 15e année, 1933-34, n° 23. (622)

Cébès, Cf. Marc-Aurèle.
Cormis (Charles), La Montagne inspirée. (308)

Dansette (Adrien). Les Affaires de Panama. (316)
Dimier (Louis). Histoire et causes de notre décadence. (473)

Eck (Alexandre), Le Moyen-Age russe. (314)
Emin Efendi (Dr Mehemed), The Future of Palestine. (312)
Epictète, Cf. Marc Aurèle.

Feghali (Michel), Textes libanais (en arabe oriental) avec glossaire. (620)
Ferdinand-Lop (S.), Le pétrole, le monde et la France. (468)
Frédérix (Pierre), Machines en Asie, Oural et Sibérie soviétiques. (623)
Friedrich (Johannes), Rau Schamra. (138)
Furlani (Giuseppe). Il poema della creazione (Enūm elīš). (303)

Galling (Kurt), Biblisches Reallexikon (B. 1-5). (613)
Garcia Gomez (Emilio), Cf. Al-Saqundī.
Ghika (Le Prince Vladimir), La messe byzantine dite de St Jean Chrysostome. (612)
Gonzalez Palencia (Angel), Ibn Tufail el filosofo autodidacto. Nueva traduccion espanola. (619)
Grammont (Maurice), Traité de Phonétique. (470)
Grayzel (Salomon), The Church and the Jews in the XIIIth Century. (137)
Gronard (J.), Baber, fondateur de l'empire des Indes 1483-1530. (472)
Groos (R.) et True (G.), Tableau du XXe s. — 1900-1933, Les Lettres. (475)
Guide de Rome. (316)

Holzmeister (Urbanus) s. j., Chronologia vitae Christi. (136)

Ingrams (W. H.), Abu Nuwas in life and in legend. (142)
Iqbal (Sir Mohammed), The reconstruction of religious thought in Islam. (616)
Islamica VI, 2. (311) ; 1. (468)

Janvier (P. M.-A.) o. p., L'âme dominicaine. (475)

Karst (J.), Littérature géorgienne chrétienne. (612)
Khaja Khan, Mubtala or Tale of two Wives. (619)
Kœppel (R.) s. j. Cf Mallon (A.).
Krakowski (Edouard), Plotin et le paganisme religieux. (307).

Lakhovsky (G.), Le racisme et l'orchestre universel. (625)
Lamouche (Colonel), Histoire de la Turquie depuis les origines jusqu'à nos jours. (468)
Laurent (J.), Essais d'histoire sociale. I. La Grèce antique. (463)
Le Gaudier s. j., De perfectione vitae spiritualis. (611)
Lefranc (G.), Les grands voyages de l'Antiquité. (466)
Lercher (Ludovicus) s. j., Institutiones theologiae dogmaticae in usum scholarum. (609)
Lhande (P.), L'Inde sacrée. Grandeur et pitié d'un monde. (625)

Maillet (G.), Peinture religieuse. (461)
Mallon (A.) s. j., Kœppel (R.) s. j., Neuville (R.), Telelīāt Ghassūl. I. (462)
Marc-Aurèle, Pensées pour lui-même suivies du Manuel d'Epictète et du tableau de Cébès. (trad. Mario Meunier). (309)
Massignon (L.), Salmān Pāk et les prémices spirituelles de l'Islam iranien. (141)
Massonneau (Eliane), La Magie dans l'antiquité romaine. (465)
Merk (Aug) s. j., Novum Testamentum graece et latine. (137)
Meissa (M.-S.), Le Message du Pardon d'Abou'l ʿAlā de Maarra. (310)
Meunier (Mario), Cf. Marc-Aurèle.
Le Monde Missionnaire 1934. Publié sous la direction de Paul Lesourd. (612)
Montet (Edouard), Choix de proverbes.

dictons, maximes et pensées de l'Islam. (142)
Montet (Pierre), Les nouvelles fouilles de Tanis (1929-1932). (143)
Morice (Chanoine Henri), La voix du Crucifix. (138)
Mouchawar (Amin), Notice sur les impots et les taxes au Liban. 1re partie, Impots directs. (620)
Myres (J. L.), The Cretan Labyrinth. (144).

Nallino (Maria), An-Nabigah al-Ga'di e la sua poesia. (467)
Nouville (R.), Cf. Mallon (A.).
Noguès (R.), Théorème de Fermat, son histoire. (472)

Parrot (André), Villes enfouies. Trois campagnes de fouilles en Mésopotamie. (622)
Pendlebury (J. D. S.), A Hand-book to the Palace of Minos at Knossos, with its dependencies. (464)
Pernot (Hubert), Lexique grec moderne-français. (309)
Pesch (Ch.) s. j., Compendium theologiae dogmaticae. t. II. (474)
Philby (H. St. J. B.), The Empty Quarter. (140)

Reallexikon der Assyriologie... Bd. II, 2. (614)
Reinstadler, Elementa philosophiae scholasticae. (474)
Roubeni (A.), Shem, Ham and Japhet. (136)
Ross (A.), Greek Geometric Art. Its symbolism and its origin. (614)
Rousseau (Gabriel), L'Art décoratif musulman. (619)

de Saint Victor (Comte Guillaume). Le Canal de Suez. (621)
Al-Saqundi, Elogio del Islam español. (trad. Emilio Garcia Gomez). (305)
Saurat (Denis), Histoire des religions. (301)
Sbath (Paul), Le livre des temps d'Ibn Massawaih. (144) — Bibliothèque de Manuscrits Paul Sbath, t. III. (620)
Schacht (Joseph), Zu meinem Islam Lesebuch. (141) — Das konstantinopler Fragment des Kitāb Ihtilāf al-Fuqahā' des aṭ-Ṭabari. (311) Der Islam mit Ausschluss des Qorans. (468)
Schulten (Adolf), Geschichte von Numantia. (304)
Sebkan (Dr. Chukru Mehmed), La question kurde. (313)
Sidersky (D.), Les origines des légendes musulmanes dans le Coran et dans les Vies des Prophètes. (617)
Sion (Jules), La France méditerranéenne. (313)
Staline, (J. R. S. S. Bilan. (469)

Thiéry (H.), Derrière le décor soviétique. (624)
Truc (G.), Cf. Groos (R.).

Vogt (Petrus), s. j., Marino Vita. (303)
Volgt (Dr Martin), Kafiristan. (314)

Watzinger (Carl), Denkmaeler Palaestinas. (135)
Wolzl (Jan), La vie des Esquimaux. (623)
Wenzel (H.), Sultan-Dagh und Akschehir-Ova. (474)
William (Dr Fr.), La vie de Jésus dans le pays et le peuple d'Israël. (460)
Williers (Henri Bertin de), La voie étroite. (461)

Zeil (Thoma Villanova Gerster A.), o m c., De integritate confessionis. (610)
Zulay (Menahem), Zur Liturgie der babylonischen Juden. Geniza-Texte. (462)

فهرس رابع

لجميع موادّ السنة الثانية والثلاثين من المشرق

ا

الآثار السورية في العهد المسيحي وفي أوائل العهد الاسلامي ٥٨١-٥٩٢

الآداب الشرقية : معهد جديد لتدريسها في جامعة الفديس يوسف ١٣١-١٣٤

الآراميون في بغداد العباسيين ٤٣٥

ابن سينا : رسالته في معرفة النفس الناطقة وأحوالها ٢٢١-٢٣٧

اخبار سفر المونسنيور فرنسيس بيكيت الى بلاد ارمينية والعجم ١٦٨١-١٦٨٤ ١٠٩-١٣١؛ ٢٨٢-٢٩٦؛ ٤٤١-٤٦٠؛ ٥٩٢-٦٠٩

الادب العباسي : عاصمته بغداد ٦٥-١٠٩

ارتفاع الصليب : سير منسوب الى القديس كيرلس الاورشليمي ٢٧-٦٥؛ ٢١٢-٢٢٥؛ ٢٦٧-٢٩٢؛ ٥١٠-٥٤٠

ارضروم ١٢٠

ارمينية : سفر المونسنيور بيكيت اليها ١٠٩-١٣١؛ ٢٨٢-٢٩٦؛ ٤٤١-٤٦٠؛ ٥٩٢-٦٠٩

اريفان ٢٨٢

الاسكندر الكبير في سورية وفنيقية ١٧-٢٧ — في الاناضول وسورية الشمالية ٢٢-٢٧

الاسلام : حالته في القرن الرابع للهجرة ١-١٢ — الآثار السورية في عهده الاول ٥٨٨-٥٩٢

الاسلامي (الفنّ) : اصوله ٥٨٨

اشونزر : ناووسه ٤٠٤

اصبهان ٤٤٣؛ ٤٤٨؛ ٥١٧

الاناضول : الاسكندر الكبير فيه ٢٢-٢٧

انطاكية : فتحها على يد الصليبيين ١٧٩-٢٠١ — ملحمتها ١٨٧

الاوضاع الصوفية لدى فلاسفة العرب ٢٩٦-٣٠٠

الايقونات (فنّ) في سورية في القرنين الخامس والسادس ١٧٥؛ ٥٨٦

أيمان النصارى الملكانيين ١٢ ١٧

ب

بابل ومصر ٢٩٢

بغداد عاصمة الادب العباسي ٦٥-١٠٩ — تمازج العناصر البشرية فيها ٤٠٩-٤٤١ — اسمها ٦٦، قدمها ٦٩، بناؤها ٧١، نفقات بنائها ٨٣، سكانها ٩١، عدد سكانها ١٠٠، مؤرخوها ١٠٧

بكاء وشعر ونقد ٢٢٥-٢٦١

بيكيت (المونسنيور فرنسيس) : اخبار سفره الى بلاد ارمينية والعجم ١٠٩-١٣١؛ ٢٧٢-٢٩٦؛ ٤٤١-٤٦٠؛ ٥٩٢-٦٠٩

ت

تبريز ٢٨١

تيتيت : ناووسه ٤٠٣

الترك في بغداد العباسيين ٤٢٢

تمازج العناصر البشرية في بغداد العباسيين ٤٠٩-٤٤١

التمثيل العربي ومسرح احمد شوقي ٥٦٢-٥٨١

توطئة لدرس الفنّ المسيحي في سورية في القرنين الخامس والسادس ١٦١-١٧١

ج
جامعة القديس يوسف: معهد الآداب الشرقية فيها ١٣١-١٣٤
جرمانوس فرحات العامل في خدمة النفوس ٢٦١-٢٧٣ — تمثاله في حلب ٢٠٠
الجهل والحلم ٤٩٧
جولة في الآثار السورية في العهد المسيحي وفي اوائل العهد الاسلامي ٥٨١-٥٩٣
ح
حالة الاسلام في القرن الرابع للهجرة ١-١٢
الحج العقلي ٧
الحج وصعوباته في القرن الرابع للهجرة ٦-٧
الحركة العقلية في الاسلام في القرن الرابع ٩-١١
حلب: تمثال المطران جرمانوس فرحات فيها ٢٠٠ — تاريخها المدعو الدر المنتخب ٥٠٤-٥١٠
الحلم عند العرب: محاولات في تحديده ٤٨١-٥٠٤
الحلم والجهل ٤٩٧
حول «الفوانين الفردية عند الطائفة المارونية» في زمن الامراء الشهابيين ٢٠١-٢١٢
د
دار السلام: بغداد ٧٨
الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب ٥٠٤-٥١٠
الدويلات الاسلامية في القرن الرابع للهجرة ٢-٣
ديار بكر ١١٢
دير اجيازين ٢٨٢
دير سورب كرايد: في ارمينية ١٢٦
دير السيدة: في ارمينية ١٢٥
ر
رسالة في معرفة النفس الناطقة واحوالها لابن سينا ٢٢١-٢٣٧
الرصافة مدينة المهدي ٨٧
ز
الزخارف في سورية في العهد المسيحي ٥٨٦
الزُّطّ في بغداد العباسيين ٤٢٥
س
سامرّا ٩٤
سديد الدين ابو منصور الطبيب الملكي ٢٨١
سفر (المطران اثناسيوس): تأليفه في اخبار سفر المونسنيور فرنسيس بيكيت الى بلاد ارمينية والعجم ١٠٩-١٢١؛ ٢٨٢-٢٩٦؛ ٤٤١-٤٦٠؛ ٥٩٢-٦٠٩ — ترجمان المونسنيور بيكيت ١١٨
سفر المزامير بالسريانية ٢٢٧-٢٦٢
سليمان بن عبد الملك: مزاعم المؤرخين العباسيين في وصف شرهه ٢٦٣-٢٦٧
السنديون في بغداد العباسيين ٤٢٤
السودان في بغداد العباسيين ٤٢٤
سورية: الاسكندر الكبير فيها ١٧-٢٧ — على عهد السيادة الفارسية ١٨-٢٠ — الفن المسيحي فيها في القرنين الخامس والسادس ١٦١-١٧٢ — آثارها في العهد المسيحي وفي اوائل العهد الاسلامي ٥٨١-٥٩٣ — المواقع الاثرية وفن البناء فيها ٥٨٣ — الزخارف وفن الايقونات والفسيفساء فيها ٥٩٦
ش
شعر ونقد وبكاء ٢٢٥-٢٦١
الشعوبية ٤١٥
الشهابيون: الفوانين الفردية عند الطائفة المارونية في زمانهم ٢-٢١٢
شهود العيان على فتح الصليبيين انطاكية ١٧٦-٢٠١
شوقي على المسرح مع مقدمة في التمثيل العربي

٥٦٣-٥٨١

ص

الصليب : ارتفاعه ، مبر منسوب الى القديس كيرلس الاورشليمي ٢٧-٦٥؛ ٢١٢-٢٢٥؛ ٢٦٧-٢٩٢؛ ٥١٠-٥٤٠

الصليبيون : شهود العيان على فتحهم انطاكية ١٧٩-٢٠١ — مؤرخوهم من العرب ١٨٢؛ من الشرقيين غير العرب ١٨٤؛ من الافرنج ١٨٤

صور : الاسكندر الكبير فيها ٢٧-٣٢ — عظمة مملكتها ٥٥٥

الصوفية : اوضاعهم لدى فلاسفة العرب ٢٩٦-٣٠٠

صيدون : تقربها من اليونان ٣٩٨ — ملوكها ٤٠١ — مملكتها ٥٥٤

الصينيون في بغداد العباسيين ٤٢٤

ط

طوبراق قلا ١٢٨

ع

عباس شاه العجم : زيارة بيكيت له ٤٥٠ — هدايا لويس الرابع عشر اليه ٥٩٢

العباسيون : بغداد عاصمتهم وعاصمة ادبهم ٦٥-١٠٦ — تمازج العناصر البشرية في عاصمتهم ٤٠٩-٤٤١ — جدول بخلفائهم في القرنين الاولين ١٠٥-١٠٦ — مزاعم مؤرخيهم في وصف شره الخليفة سليمان ابن عبد الملك الاموي ٣٦٢-٣٦٧

العجم : سفر المونسنيور بيكيت الى بلادهم ١٠٩-١٢١ ؛ ٢٨٢-٢٩٦ ؛ ٤٤١-٤٦٠ ؛ ٥٩٢-٦٠٩

العرب في بغداد العباسيين ٤١٠ — عراكهم مع الفرس : الشعوبية ٤١٥ — الحلم عندهم : محاولات في تحديده ٤٨١-٥٠٤

العربية (اللغة) : تأثرها بتمازج العناصر البشرية في بغداد العباسيين ٤٢٦

عسكر المهدي : الرصافة ٨٧

العناصر البشرية : تمازجها في بغداد العباسيين ٤٠٩-٤٤١

ف

فرحات (جرمانوس) : العامل في خدمة الفنون ٢٦١-٢٧٢ — نتاله في حلب ٣٠٠

الفرس : في سورية وفنيقية ١٨-٢٠ — والفنيقيون واليونان ٢٩٢-٤٠٩ — في بغداد العباسيين ، عراكهم والعرب : الشعوبية ٤١٥

الفسيفساء في سورية في العهد المسيحي ٥٨٦

فلاسفة العرب والاوضاع الصوفية ٢٩٦-٣٠٠

الفنّ : تاريخه وتطوره ١٦٤

الفنّ الاسلامي : اصوله ٥٨٨

الفنّ المسيحي في سورية في القرنين الخامس والسادس : توطئة لدرسه ١٦١-١٧٩ — علاقته بالفنّ اليوناني - الروماني ١٧٤ — آثاره ٥٨٣-٥٨٨

فنّ البناء في سورية في العهد المسيحي ٥٨٣

فنيقية : الاسكندر الكبير فيها ١٧-٢٧ — على عهد السيادة الفارسية ١٨-٢٠ — اسمها ٥٤٠

الفنيقيون بين الفرس واليونان ٢٩٢-٤٠٩ — على اسطولهم ٢٩٥ — مؤسساتهم الاولى ٥٤٠-٥٦٣ — اصلهم ٥٤٥ — اتساع مناطقهم : ممالكهم ٥٥٣

ق

قاشان او كاشان ٤٤١

القراصنة ٦-٧

القضاء في لبنان ١٣٤

قلعة بيازيد ١٢٨

قُم او قوم ٤٤٧

القوانين الفردية عند الطائفة المارونية في زمن الامراء الشهابيين ٢٠١-٢١٢

ك

كاشان أو قاشان ٤٤٧
كربوقا: حصاره انطاكية ١٩٦
كنعان: اتساع ارضه ٥٤٢
كيرلس الاورشليمي: الميمر المنسوب اليه في ارتفاع الصليب ٣٧-٦٥؛ ٢١٢-٢٢٥؛ ٢٦٧-٢٩٢؛ ٥١٠-٥٤٠

ل

لبنان: القضاء فيه ١٣٤
اللغة العربية: تأثرها بتزاوج العناصر البشرية في بغداد العباسيين ٤٢٦
لويس الرابع عشر: هداياه الى عباس شاه العجم ٥٩٢

م

مزاعم المؤرخين العباسيين في وصف شره الخليفة سليمان بن عبدالملك الاموي ٢٦٢-٢٦٧
المزامير بالسريانية ٢٣٧-٢٦٢
المسيحي (الفن) في سورية في القرنين الخامس والسادس ١٦١-١٧٩؛ ٥٨٣-٥٨٨
مصر وبابل ٢٩٢
ملحمة انطاكية ١٨٧
الملكانيون: أيامهم ١٢-١٧
الملكيون المشارقة ٢٧٣-٢٨٣ — الطارئم ٢٧٥
المنصور: بناؤه بغداد ٧١
الموارنة: قوانينهم الفردية في زمن الشهابيين ٢٠١-٢١٢
المؤسسات الفتيقية الاولى ٥٤٠-٥٦٣
موفق الدين يعقوب بن سقلاب الطبيب الملكي ٢٧٥

ن

ناووس اشمونعزر ٤٠٤
ناووس تبنيت ٤٠٣
نخجوان ٣٨٤
النفس الناطقة: رسالة لابن سينا في معرفتها ومعرفة احوالها ٢٢١-٢٢٧
نقد وبكاء وشعر ٢٢٥-٢٦١

هـ

هذان ٥٩٥-٦٠١
الهنود في بغداد العباسيين ٤٢٢

ي

اليهود في بغداد العباسيين ٤٢١
اليونان والفتيقيون والفرس ٢٦٢-٤٠٤ — تأثيرهم في فارس وفتيقية ٢٦٧ — تقرب صيدون منهم ٢٩٨

AL - MACHRIQ

Revue Catholique Orientale Mensuelle

SCIENCES—LETTRES—ARTS

Sous la direction des Pères de la Cie de Jésus

UNIVERSITÉ St JOSEPH

Trente deuxième année

1934

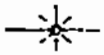

BEYROUTH
Imprimerie Catholique
1934

TABLE DES SOMMAIRES

XXXIIe ANNÉE, 1934

JANVIER-MARS

L'Islam au IVe siècle de l'hégire (p. 1) *P. H. Lammens S. J.*

Le serment des Chrétiens Melkites (p. 12) *Mr H. Zayat.*

Alexandre le Grand en Syrie et en Phénicie (*illustré*) (p. 17) *P. R. Mouterde S. J.*

L'Exaltation de la Croix, *homélie attribuée à S. Cyrille de Jérusalem* : V (p. 37) *Abbé P. Caroli.*

Bagdad, capitale des lettres Abbasides (*illustré*) (p. 65) *Mr F.-E. Boustany.*

Voyage de Mgr Piquet en Arménie et en Perse (1681-1684) : I (p. 109) *Abbé I. Armalé.*

Varia : Les « Leçons des Lettres Orientales ». — Notes à propos de la « Justice au Liban sous les Chihâb » (p. 131).

Bibliographie (p. 135).

AVRIL-JUIN

Introduction à l'étude de l'art chrétien en Syrie aux Ve et VIe siècles (*illustré*) (p. 161) *Mr Jean Lassus.*

La prise d'Antioche par les Croisés d'après les témoins oculaires. (*illustré*) (p. 179) *Mr Anouar Hatem.*

A propos du « Droit privé des Maronites au temps des Emirs Chihab » (p. 201) *Mr Wajih Khoury.*

L'Exaltation de la Croix, *homélie attribuée à S. Cyrille de Jérusalem* VI : (p. 212) *Abbé P. Caroli.*

Des larmes, de la poésie et de la critique (p. 235) *Mr Edouard Honaïn*

Mgr Germanos Farhât, directeur d'âmes (*illustré*) (p. 261). *P. Taoutel S. J.*

Les Melchites « Orientaux » (p. 273) *Mr H. Zayat.*

Voyage de Mgr Piquet en Arménie et en Perse (1681-1684), II (*illustré*) (p. 282) *Abbé I. Armalé.*

Varia : De quelques termes sonfis et philosophiques (Abd-es-Sattar Sit) — Le 2e centenaire de Mgr. Farhat à Alep (illustré) (p. 296).

Bibliographie (p. 301).

JUILLET-SEPTEMBRE

Un traité inédit d'Avicenne sur « l'âme raisonnable » (p. 321) *Mr M.-T. el-Fendi.*

Le Psautier syriaque de la Peshitta. Edition de Qozhayya et édition de Cambridge (p. 337) *Abbé M. Rajji.*

Les historiens abbassides et la gourmandise du calife omaiyade Solaïmân Ibn Abd-el-Malik (p. 362) *Mr H. Zayat.*

L'Exaltation de la Croix, *homélie attribuée à S. Cyrille de Jérusalem* VII (p. 367) *Abbé P. Caralî.*

Les Phéniciens entre les Perses et les Grecs (*illustré*) (p. 393) *Emir M. Chéhab.*

Les différentes races à Bagdâd sous les Abbassides (p. 409) *Mr F.-E. Boustany.*

Voyage de Mgr Piquet en Arménie et en Perse (1681-1684) : III (p. 441) *Abbé I. Armalé.*

Bibliographie (p. 460).

OCTOBRE-DÉCEMBRE

Le Hilm chez les Arabes (p. 481) *P. H. Lammens S. J.*

Notes critiques sur l'histoire d'Alep. « ad-Dorr al-Montaḫab » (p. 504) *Mr H. Zayat.*

L'Exaltation de la Croix, *homélie attribuée à S. Cyrille de Jérusalem* : VIII (*illustré*) (*fin*) (p. 610) *Abbé P. Caralî.*

Les premiers établissements phéniciens (*illustré*) (p. 540) *Emir M. Chéhab.*

Le théâtre d'Aḥmad Chauqi : Introduction (563) *Mr Edouard Honaïn.*

Bulletin d'archéologie syrienne à l'époque chrétienne et à la première époque musulmane (*illustré*) (p. 581) *P. R. Mouterde S. J.*

Voyage de Mgr Piquet en Arménie et en Perse (1681-1684) : IV (*fin*) (p. 592) *Abbé I. Armalé.*

Bibliographie (p. 609).

المشرق

السنة الثالثة والثلاثون — كانون الثاني — اذار ١٩٣٥

الثأر عند العرب

وصفته الدينية

بقلم الاب لامنس اليسوعي

تقدم لنا كلام في سطحية العاطفة الدينية في النفس العربية قبل الاسلام[1]، وفي بُعد هذه النفس عن الاكتراث للمشاغل الدينية، وفي خلوّ الشعر الجاهلي، ذاك الشعر الذي نسبه ارنست رينان الى « العبث وعدم التقوى »، من ايّ اثر للشعور الديني العميق وللتقوى الصحيحة.

على اننا نشعر، في القرن الذي وُلد فيه محمد، بان « الله » بدأ يظهر شيئاً فشيئاً، فيعلو اسمه اسماء تلك الآلهة والالاهات، بل تلك الحجارة المؤلّهة التي اعتاد العربي ان يولوها بعض التكريم. من الحقّ انهم ظلّوا يحلفون «باللات

١) اطلب مقالنا في « الحالة الدينية في بلاد العرب قبل الاسلام » (المشرق ٢٩ [١٩٣١] ٨١٥–٨٢٢)

والعُزّى »، ولكنهم بدأوا يزيدون عليهما — مع الشاعر اوس بن حجر — اسم الله،

ان الله منهنّ أكبرُ !

الله أكبر !

هو هتاف التوحيد الذي سوف ينشره الاسلام في انحاء الجزيرة.

ولكن كيف كان معاصرو أوس من الجاهليين يتصوّرون هذا الاله الاكبر ؟ أكانوا يعتقدونه اباً لتلك الالاهات كما قد ينتج من قول القرآن (٣٧: ١٤٩؛٥٢: ٣٩) — ام كانوا لا يميزون بينه وبين « الدهر »، على ما في هذه اللفظة نفسها من الغموض ؟

كلها امور بحاجة الى عناية شديدة في درسها وتمحيصها، وبحاجة الى الكثير من الشواهد القديمة. وهي عقبة نصادفها كلّما تصدنا الى تفهّم عاطفة اولية غامضة، او الى شرح لفظة قديمة شملت مدلولات متأخرة عن عصرها. من ذلك عجزنا اليوم عن تعداد الواجبات الاخلاقية التي كان يفرضها على عرب الجاهلية مدلول « الدين » القديم. وقد نُسرع في عصرنا وننسب الى تلك اللفظة ما تحتوي عليه اليوم من دلالة على عقائد مقرّرة معروفة، وفروض ثابتة محدودة، فنضلّ ونُضلّ. ولهذا فلا بدّ من التحفظ الكلي، اذا ما اردنا مثل هذا التحليل.

بيد اننا لا نُخطئ اذا ما جعلنا بين الفروض التي كان يفرضها على البدوي « دينُه » القديم، « دين العرب »، فرض الثأر[1]. وقد كان البدو يعتبرون هذا الواجب من اثبت مؤسساتهم التقليدية، بل من افضل الضمانات لحياتهم في تلك البلاد. وليس للبدوي الا اسلوب واحد في احترام عادة او شريعة، ليس له الا طريقة واحدة في الاقرار بقيمتها الاجتماعية، هي ان يصبغها بالتقديس ويدخلها بين الفروض القليلة التي تؤلف مادّة « الدين ». وهكذا كان فعله

١) يرادف الثأر « الوِتر »، ومنه « المرتور »، اي المصاب الذي يقع عليه واجب الاخذ بالثأر. ويسمّى هذا ايضاً « الوليّ » (القرآن ١٧: ٣٥؛ ٢٧: ٥٠) ويكون عادة اقرب اقرباء القتيل.

بعادة « الثأر » . وقد رأيت ان احاول درس مدلول الثأر ، وتبيان مركزه المهم من تلك الآراء والعبادات الضئيلة التي كانت تؤلف « دين العرب » قبل الاسلام

١

لم يقم شعب من الشعوب بما قام به البدو في سبيل تعزيز صلات القرابة الدموية . وليس هذا لاهتمامهم بما وراء الحياة ، او لان الموت شغلتهم اسراره الغامضة ، فطمحوا الى معرفة الحياة الاخرى . انما كانوا يعتقدون ان في الدم المبدأ الحيوي او « النفس السائلة » كما قالوا[1] . ولهذا فقد رأوا ان سفك الدم يتطلب الانتقام ضرورة . وانه ، اذا لم يأخذ « وليّ » الثأر بثأره ، اي اذا لم ينتقم قريب القتيل لقتيله ، فان الدم المسفوح يقع اثمه على رأس الوليّ ، حتى آخر نقطة . ومما زاد هذا الاعتقاد رسوخاً في اذهانهم ، فرقهم فوق الانانية والفردية اللتين اتصفوا بهما ، هو تحققهم ان طلّ الدم ، او عدم الانتقام ، يفكك اواصر الاسرة ، وهي آخر الحلقات الاجتماعية ، بل الحلقة الوحيدة المعروفة في تلك الحياة الفوضوية في بلاد العرب .

ومن ثمّ فان مصرع النسيب او الجار يزيل حالاً ما يكون من الاختلافات بين افراد الاسرة او القبيلة ، فيعيد الاتفاق الظرفي ويوحد النزعات في سبيل طلب الثأر . بل ان هذا الواجب ، طلب الثأر ، يفعل الافاعيل العجيبة في تلك الطبيعة البدوية الجامحة الى التواكل والكسل ، وحب اللذة السهلة ، والراحة الدائمة ، المنصرفة فطرةً عن الرغبة في الحروب وسفك الدماء ، على ما يبدو من عصبيتها وسرعة احتدامها . انه يحوّل الفتيان الضعاف ، بل الجبناء ، الى رجال شدّة لا يتراجعون امام عقبة ، ولا يخشون حرماناً في سبيل غايتهم . ولا يخرج النساء عن هذا المظهر الذي يكاد يكون قاعدة عامة . فان امهات القتلى واخواتهم يعادلن الرجال ، وقد يفقنهم ، حماسةً واندفاعاً في اظهار تلك العاطفة الانتقامية باشعارهنّ ، واناشيدهنّ المهوّسة حتى يُثرنَ ما كمن في صدور الرجال ويدفعنهم الى الاسراع في طلب الثأر ؛ وهو الفرض الديني ، كما سنرى . او لم يجعل هذا

---

١) المسعودي : مروج الذهب ٣ : ٢٠٤

الفرض من امرئ القيس ، ذاك الشاعر العابث ، معاقر الخمرة ورفيق الملاهي ، بطلاً تائهاً لا يرتوي ظمأه من الدماء ، ولا يهدأ اضطرابه الا اذا اخذ بثأر ابيه ؟

ولا يخالنّ القارئ ان الدافع الى طلب الثأر فطرة دموية في البدوي او غريزة انتقامية هائجة . لا انما هو عاطفة برّ بالاهل تهيب به الى ارواء «صدى» القتيل بدم القاتل ، حتى وان كان ذاك القتيل قد نبذ وليّ ثأره في حياته ، فطرده من اسرته ، كما فعل حجر الكندي بابنه امرئ القيس . فلم يمنع هذا ابنه ان يطالب بدمه قائلاً «ضيّعني صغيراً ، وحمّلني دمه كبيراً .»[1] هو دين الاسرة يفهمه البدوي كل الفهم ولا يناقش فروضه ، بل يخضع لها الخضوع التامّ . بيد انه لا يغفل عمّا تجرّه عليه هذه الفروض من اقتحام عقبات وتعرّض للموت . هو يرى المخاطر فيخافها ويظهر قلقه واضطرابه ، ولكنه يشجّع نفسه على الثبات فيقول :

اقول لنفسي لا يُجاد بمثلها : أقلّي العتاب ، اني غيرُ مدبرِ [2]

يتعلّق بالحياة ولا يخفي تعلّقه ، ولكنه يرى طلب الثأر واجباً دينياً ، فيحضّ نفسه عليه ، ويرفع صوته عالياً ، لعلّه يدفع ارادته الضعيفة الى تحقيق هذا الواجب الصعب المؤلم الدافع الى المخاطر والاهوال ، ولكنه واجب ديني لا مهرب منه . ولقد ادّى الامر بالبدوي ، في هذا النزاع بين واجب الثأر ونفور النفس من القيام به ، الى اختراع قيود مختلفة دخلت في «طقسيات» الثأر ، اذا جاز لنا التعبير ، وكانت الغاية منها مساعدة البدوي في تذكيره الدائم بواجبه ، وتقوية ارادته ، ودفعه الى قتل القاتل . من ذلك انه عمد الى نفسه المفطورة على الحرية بل على الفوضى ، النافرة من كل نظام ، المنصرفة عن كل رغبة زهدية فيها شيء من الحرمان والتقشّف ، فقيّدها بسلسلة من التقشّفات

---

١) الاغاني ٨ : ٦٧

٢) حماسة البحتري (طبعة شيخو) ص ٩ – وهو من المعاني المتواردة في الشعر . قابل بما ورد في الحماسة نفسها رقم ٣ و٦ ؛ عامر بن الطفيل : الديوان (طبعة Lyall) ١١ : ١١ ؛ والجاحظ : الحيوان ٦ : ١٤٤ ، ١٤٥ ؛ وابن هشام : سيرة الرسول (Wüstenfeld) ٤٣٣ ؛ وحماسة ابي تمام (Freitag) ٤٨٣ البيت ٢

والتضحيات تضير انانيته وشهوانيته معاً. بل تذهب الى ابعد من ذلك اذ تبدو لديه ، وعليها مسحة دينية من « الاحرام » ، فتضعه في « الحرم » ، على لغة الكتاب المقدّس[1] ، حتى يقوم بواجبه فيبرّ بأيمانه . وهذا « الحرم » او « الاحرام » كان من شأنه ان يفصل « المحروم » عن الجماعة ، عن القبيلة وعن الاسرة ، فيسمه بسمة الضحية البشرية المعدّة لتنفيذ واجب ديني سامٍ ؛ حتى ان « الاحرام » و« الثأر » اصبحا كلمتين متوافقتين في طرق التعبير القديمة لا تُذكر الواحدة منها الا اردفت بها الثانية . اما مدلول الاحرام او ما يشمله من « التحريمات » فكان بان يمتنع وليّ الثأر عن الكحل ، والدهن ، والطيب ، واللحم ، والخمر ، وألفة النساء ، والاجتماع الى افراد أسرته . هذا في اول الامر ، ولنا عليه الامثلة العديدة . الا ان العادة خففت شيئاً فشيئاً من هذه التحريمات ، فرفعت منها هجر النساء والاسرة . ومن اوضح الحوادث دلالة على شريعة الاحرام هذه ، وعلى ان العرب كانوا يلجأون اليها تقيداً لانفسهم ، وتكفيراً عن اهمالهم القيام بهذا الواجب الصعب ودفعاً لهم في طلب الثأر ؛ وعلى ما كان يقوم به النساء من التحريض كذلك ، ما ذكره صاحب الاغاني عن ريحانة بنت معديكرب من انها « قالت لدريد بن الصمة بعد حول من مقتل اخيه : « يا بني ، ان كنت عجزت عن طلب الثأر باخيك ، فاستعن بخالك وعشيرته من زبيد . » فأنف من ذلك ، وحلف لا يكتحل ولا يدّهن ولا يمسّ طيباً ولا يأكل لحماً ولا يشرب خمراً حتى يدرك ثأره . فغزا هذه الغزاة ، وجاءها بذؤاب بن اسماء فقتله بفنائها . وقال : « هل بلغتِ ما في نفسكِ ؟ » قالت : « نعم ، متعت بك . »[2]

وقد كان البدويّ ينظر الى هذه التحريمات نظره الى اسمى مظاهر الزهد ، وهو لا يعرف غيره من التضحيات التي ترفعه الى العالم السامي ، الى « التألّه » ، كما كان يُقال .

وعلى مطالع اليوم ، كي يفهم شمول هذا الاحرام ، ان يلقي نظرة على ما

١) راجع Delporte, *L'anathème de Jahvé : recherches sur le herem prélexilien.* [*Rech. de Sc. religieuse*, V, p. 321, 331]

٢) الاغاني ٩ : ٧

كانت تمثله في حياة البدوي تلك المواد التي يحرّمها الولي على نفسه :

كانت الخمرة شراب السراة تدل على يسر شاربها ورخاء حياته ، وتشير الى انه « سيّد » ، وكل بدوي كان يرمي الى السيادة . ثم ان قلة الماء كانت تحرم العرب من متابعة الاغتسال والنظافة . ولولا حليب النوق لهلك نصف البدو عطشاً . ولنقس على ما تقدّم باقي المحرّمات ، فنفهم ما كان يشعر به العربي ، المفطور على اللذة والانانية ، عندما كان يحرّم على نفسه كل ما تقدّم ذكره من اللذائذ الرفيعة في نظره ، فيرتقي الى اعلى درجات « التأله » ، كما اشرنا اليه ، ويرى نفسه انه قام بما يفرضه عليه « دين العرب » . ويدلّ هذا « الاحرام » ، فوق ذلك ، على قيمة الحياة البشرية في نظر البدوي ، وعلى احترامه تلك الاواصر التي تربط اعضاء الاسرة العربية حتى ما وراء القبر .

ثم ان البدوي يعتبر الوفاء بالذمم من صفات السادة الكرام ، بل هي فضيلة لا يضطلع بها الا السراة الاغنياء في القبائل الكبيرة . وهو يفتخر اذا ما حفظ العهد ووفى بالذمّة ، بينما غيره من الاقوام يخونون ويخفرون ، فيردّد الشعراء افتخاره . فهو السموأل يقول :

اذا ما خان اقوامٌ وفيتُ

وهو حاتم الطائي يفتخر :

لعمرك ، ما اضاع بنو زيادٍ ذمارَ ابيهم فيمن يضيعُ (١

وهم الشعراء يمدحون الاوفياء :

فهبك ابن حمدٍ لم تنلك امانةٌ ؛ وما المرء الا عنده ومواثقه ! (٢

...

انت الوفيّ اذا تُذمّ ، وسعهم يوفي بذمته عُقاب مَلاعِ (٣

...

غدرتَ بأمرٍ انت كنت احتذيتنا عليه ، وشرّ الشيمة الغدر بالعهدِ (٤

ويؤيّد البدوي عهده بالأيمان المحرّجة التي يحتفل بحلفها ، حتى اذا ضعفت

١) ديوان حاتم الطائي ١ : ١
٢) الاغاني ١٩ : ١٢٨
٣) المفضليات ١٢ : ٢٤
٤) الاغاني ١٩ : ١٢٨

فيه عاطفة الشرف ، وهي لا تقوى احياناً على مجابهة اثانية البدو وشراستهم ، دفعته الأعان الى القيام بالعهد والاخذ بالثأر . ولهذا فاننا نرى القيام بالثأر يتصل دائماً بحلف اليمين . وان هذه اليمين لترفع البدوي ، الى حين ، فوق انانيته بل فوق فطرته النازعة الى الكسل والراحة والتلذذ ، فتجعله « قاضي نذور » يشعر بمسؤوليته وباهمية الواجب المقدس الملقى على عاتقه ، «والنذور لها وفاء» ، وتدفعه الى القيام بتلك الأعمال العظيمة النادرة المحفوفة بالجلبة والضجيج افتخاراً واعلاناً . فيمدحها الشعراء المعاصرون ، ويأتي ، بعد ذلك ، ارباب البحث من المستشرقين فيمتدحونها ، ويشاركون شعراء الجاهلية في تضليلنا اذا ما اردنا الحكم ، حكماً صائباً ، على القيمة الاخلاقية في ذاك الكائن المحفوف بالاسرار والالغاز ، الا وهو البدوي من ايّ عصر كان !

اما اذا قام الوليّ بنذره ، اذا وفى عهده واخذ بثأره ، فانه يعود الى الحياة العاديّة فخوراً بعمله محللاً لنفسه كل ما كان قد حرّمه ، ولاسيما الخمر ، منصرفاً اليه بكل ما اوتيه من اندفاع في اللذة وسير وراء الشهوة ، لا يخشى اثماً ولا يخاف عاقبة ؛ فيقول كما قال امرؤ القيس ، بعد ادراك ثأره :

حلّت لي الخمر ، وكنت امرءاً عن شربها في شغلٍ شاغل
فاليوم أُسقى ، غيرَ مستحقبٍ إثماً ، من الله ، ولا واغلٍ (١)

او كما قال المثلّم بن عمرو الكندي ، مشبّهاً واجب الثأر بالهم الثقيل كالجبل :

اني ابى الله ان اسوت ، وفي صدري همٌّ مكانه جبلُ
يمنع مني طعم الشراب ، وان كان رحيقاً مزاجه عسلُ ،
حتى تفضتُ الوتر الطيم ، وذا نبتُ يوتاً وبينها خللُ (٢)

وهذا قول خالد بن عمرو بن مُرّة الشيباني :

اليوم حلّ لي الشراب ، وما كان الشراب يحلّ لي قبلُ ؛
وجزيتُ سعدًا بالذي فعلوا ، وأُحِلّ لي ، ماويّة ، القتلُ

١) حماسة البحتري (طبعة شيخو) الرقم ١٥٢
٢) حماسة البحتري (طبعة شيخو) الرقم ١٥٣

ولقد أبأتُ باخوتي مائةً منهم ، فلا لومٌ ولا عذلُ ! (١)

ومثله قول وبيعة بن ابي عمرو القيني :

حلّت لي الخمر ، اذ غادرت سيّدهم في جيب سربالهِ من نفسه دُفَعُ
ما زلت أبغي ابا ليلى واندبه في الحيّ ، طفلًا الى ان نالني الصلعُ (٢)

وهذا يدلنا ايضاً على التطويل في الاخذ بالثأر مما يؤيد قولنا في ان البدوي كان يتحيّن الفرص الموافقة للقيام بذلك الواجب الديني ، وقد يماطل في تأدية ما عليه ، مقاوماً كسله الفطري ، ونفوره من القتل بتلك التحريات والنذور والايمان التي ذكرناها . وقد يستعين ، في ثأره ، بغيره من ذوي البأس والجاه كما جرى لقيس بن الخطيم في حادثة قد تكون افضل شاهد على تلك المؤسسة الدينية الاجتماعية ، وما تفرضه على الوليّ من فروض ، وما يلجأ اليه من حِيَل في القيام بها .

ولا بأس في ان نروي الحادثة ، كاملةً على طولها ، وهي فوق ما فيها من الفوائد التاريخية ، اثر ادبي قصصي لا بأس به . وهذه هي ، كما ذكرها صاحب الاغاني عن ابن الكلبي ... عن محمد بن عمّار بن ياسر ، وكان عالماً بحديث الانصار ، قال :

« كان من حديث قيس بن الخطيم ان جدّه عديّ بن عمرو قتله رجلٌ من بني عمرو بن عامر بن وبيعة بن عامر بن صعصعة يُقال له مالك . وقتل اباه الخطيمَ ابنُ عديّ رجلٌ من عبد القيس ممن يسكن هجر . وكان قيس يوم قُتل ابوه صبيًا صغيرًا . وقُتل الخطيم قبل ان يثأر بابيه عديّ . فخشيت أم قيس على ابنها ان يخرج فيطلب بثأر ابيه وجدّه ، فيهلك . فعمدت الى كومة من تراب عند باب دارهم ، فوضعت عليها احجارًا وجعلت تقول لقيس : « هذا قبر ابيك وجدك » . فكان قيس لا يشكّ ان ذلك على ذلك . ونشأ أيدًا شديدَ الساعدين ، فنازع يومًا فتًى من فتيان بني ظَفَر ، فقال له ذلك الفتى : « والله ، لو جعلتَ شدّة ساعديك على قاتل ابيك وجدّك لكان خيرًا لك من

١) حماسة البحتري (طبعة شيخو) الرقم ١٥٤
٢) حماسة البحتري (طبعة شيخو) الرقم ١٥٦

ان تخرجها عليّ ! » فقال : « ومَن قاتل ابي وجـدّي ؟ » قال : « سل أمّـك تخبرك . » فاخذ السيف ووضع قائمه على الارض وذبابه بين ثدييه وقال لامه : « أخبريني من قتـل ابي وجدي . » قالت : « ماتا كما يموت الناس ، وهـذان قبراهما بالفناء . » فقال : « والله لتخبريني مَن قتلهما او لأتحاملنّ على هذا السيف حتى يخرج من ظهري . » فقالت : « اما جدّك فقتله رجـل من بني عمرو بن عامر بن ربيعة يقال له مالك ؛ واما ابوك فقتله رجل من عبد القيس ممن يسكن هجر . » فقال : « والله لا انتهي حتى اقتل قاتل ابي وجدّي . » فقالت : « يا بنيّ ، ان مالكاً قاتل جدّك من قوم خداش بن زهير ، ولابيك عنـد خداش نعمة هو لها شاكر ، فأته فاستشره في امرك ، واستعنه يُعنـك . » فخرج قيس من ساعته حتى اتى ناضحه[1] ، وهي يسقي نخله ، فضرب الجرير[2] بالسيف فقطعه ؛ فسقطت الدلو في البئر ، واخذ برأس الجمل فحمل عليه غرارتين من تمر ، وقال : « مَن يكفيني امرَ هذه العجوز ؟ (يعني أمّه) فان مِتّ انفق عليها من هـذا الحائط[3] حتى تموت ثم هو له ؛ وان عشت فالي عائد اليّ ، وله منه ما شاء ان يأكل من تمره . » فقال رجل من قومه : « انا له » . فاعطاه الحائط .

ثم خرج يسأل عن خداش بن زهير حتى دُلّ عليه بمرّ الظهران . فصار الى خبائه فلم يجده . فنزل تحت شجرة يكون تحتهـا اضيافه . ثم نادى امرأة خداش : « هل من طعـام ؟ » فاطلعت اليه فاعجبهـا جماله ، وكان من احسن الناس وجهاً ؛ فقالت : « والله ، ما عندنا من نُزُل نرضاه لك إلا تمرًا . » فقال : « لا أبالي ، فأخرجي ما كان عندك . » فأرسلت اليه بقُباع فيه تمر . فأخذ منه تمرةً ، فأكل شقّها وردّ شقّها الباقي في القُباع . ثم أمر بالقُباع فأدخل على امرأة خداش بن زهير . ثم ذهب لبعض حاجاته . ورجع خداش فاخبرته امرأته خبر قيس ، فقال : « هذا رجل متحرّم » . واقبل قيس راجعاً ، وهو مع امرأته يأكل رُطباً . فلما رأى خداش رجلـه ، وهو على بعيره ، قال لامرأته : « هـذا ضيفك ؟ » قالت : « نعم » قال : « كأنّ قدمه قدم الخطيم صديقي اليثربي . » فلما دنا منه

---

١) ناضحه : اي بعيره الذي يستقي عليه الماء

٢) الجرير : الحبل

٣) الحائط : البستان

قرع طُنب البيت بسنان رمحه واستأذن . فاذن له خداش . فدخل اليه . فنسبه، فانتسب واخبره بالذي جاء له ، وسأله ان يعينه وان يشير عليه في امره . فرحب به خداش وذكر نعمة ابيه عنده ، وقال : « ان هذا الامر ما زلت اتوقعه منك منذ حين . فامّا قاتل جدّك فهو ابن عمّ لي ، وانا اعينك عليه ؛ فاذا اجتمعنا في نادينا جلستُ الى جنبه وتحدّثت معه ، فاذا ضربتُ فخذه ، فثب اليه فاقتله . » فقال قيس : فاقبلت معه نحوه حتى قمت على رأسه لما جالسه خداش؛ فحين ضرب فخذه ضربت رأسه بسيف يقال له ذو الخُرصين . فثار اليّ القوم ليقتلوني . فحال خداش بينهم وبيني ، وقال : « دعوه ؛ فانه ، والله ، ما قتل الا قاتل جدّه . »

ثم دعا خداش بجمل من ابله فركبه ، وانطلق مع قيس الى العَبدي الذي قتل اباه ، حتى اذا كانا قريباً من هجر اشار عليه خداش ان ينطلق حتى يسأل عن قاتل ابيه ، فاذا دُلّ عليه قال لـه : ان لصاً من لصوص قومك عارضني فاخذ متاعاً لي ، فسألتُ من سيدُ قومه ، فدُللتُ عليك ، فانطلق معي حتى تأخذ متاعي منه . فان اتبعك وحده فستنال ما تريد منه . وان اخرج معه غيره فاضحك ، فان سألك مِمَّ ضحكت ، فقل : ان الشريف عندنا لا يصنع كما صنعت اذا دُعي الى اللصّ من قومه ؛ انما يخرج وحده بسوطه دون سيفه ، فاذا رآه اللص اعطى كل شيء اخذه هيبةً له ؛ فان امر اصحابه فسبيل ذلك ، وان ابى الا ان يمضوا معه فأتني به ، فاني ارجو ان تقتله وتقتل اصحابه . » ونزل خداش تحت ظلّ شجرة . وخرج قيس حتى اتى العبديَّ فقال له ما امره خداش ، فاحفظه ، فامر اصحابه فرجعوا مع قيس . فلما طلع على خداش قال له : « اختر ، يا قيس ، إمّا ان أُعينك وإمّا ان أكفيك . » قال : « لا اريد واحدة منها ، ولكن ان قتلني فلا يُفلتنّك . » ثم ثار اليه ، فطعنه قيس بالحربة في خاصرته فانفذها من الجانب الآخر ، فمات مكانه . فلما فرغ منه قال لـه خداش : « إنّا ، ان فررنا الآن طلبنا قومه . ولكن ادخل بنا مكاناً قريباً من مقتله . فان قومه لا يظنّون انك قتلته وانت قريباً منهم . ولكنهم اذا افتقدوه اقتفوا اثره ، فاذا وجدوه قتيلاً خرجوا في طلبنا في كلّ وجه ، فاذا

ينسوا رجموا.» (قال) فدخلا في دارات من رمالٍ هناك. وفقد العبديّ قرمه، فاقتفوا اثره فوجدوه قتيلًا. فخرجوا يطلبونها في كل وجه، ثم رجعوا؛ فكان من امرهم ما قال خداش. واقاما مكانهما اياماً ثم خرجا. فلم يتكلما حتى أتيا منزل خداش. ففارقه عنده قيس بن الخطيم ورجع الى اهله. ففي ذلك يقول قيس من قصيدة طويلة:

ثأرت عديًا والحليمَ، فلم أضع وصيّة اشياخٍ جُعلت إزاءها (١

وليس ابلغ من هذه الحادثة في البرهان عمّا قدّمناه من صفات «الثأر» عند العرب، وممّا توليه شريعة التحرّم من واجبات يتحمّل المضيف كلّ نتائجها، مهما كان فيها من مصاعب او من فروض قد ينفر من القيام بها. لنسلّم بان الراوي قد بالغ في سرد الحادثة وقد جمّل فيها وبدّل ما شاء؛ انما هناك امر لا سبيل الى انكاره هو تلك المؤسسة، بل تلك العقيدة، التي تمثلها الحادثة.

وهناك حادثة اخرى عن بدويّ اسمه عُمير بن سلمى يثأر لجاره من اخيه، فيستحقّ لقب «اوفى العرب» (٢

وفي حماسة البحتري حادثة من هذا النوع اختار فيها الراوي اسماً لائقاً ببطله فدعاه «وفاء»، قال:

«حجّ وفاء بن زهير المازني في الجاهلية... وقدم على اهله، فوجد اخاه وقد غدر بجارٍ له فقتله. فانتضى سيفه. فناشده الله والرحم. وخرجت امه كاشفة شعرها، وقد اظهرت ثديَيها تناشده الله في قتل اخيه. فقال لها: علامَ ستيتني وفاء اذا كنت اريد ان اغدر. ثم ضرب اخاه بسيفه حتى قتله، وقال:

يناشدني قيس قرابة بيننا وسيفي بكفي، وهو منجردٌ يسمى
غدرتَ، فما بيني وبينك ذمّة تجيرك من سيفي، ولا رحم تُرعى
سأرمض عني ما فعلتَ بضربةٍ عقيم اليديّ لا تكرُّ ولا تُثنى.» (٣

قد يتسرّع مطالع هذه الحوادث، فينسب البدو الى الاخلاق الهمجية

١) الاغاني ٣: ١٦٠–١٦٢

٢) ابن دريد: كتاب الاشتقاق (طبعة Wüstenfeld) ص ٢٠٦

٣) حماسة البحتري (طبعة شيخو) الرقم ٧٢٨

ويحكم عليهم بالانطباع على اهراق الدماء . فيخطئ الخطأ العظيم . ولا تظهر الحقيقة الا اذا تابعنا التدقيق في ماهية «الثار» العربي، فنشعر بانه افضل المؤسسات البدوية عائدةً علينا في درسنا العقلية الدينية في بلاد العرب قبل الاسلام.

***

لا يؤخذنّ الدارس بذاك المظهر الجافي الذي يخفي خلق البدوي ؛ فيحول بينه وبين فهم حقيقته ، ويضلّ في احكامه سواء السبيل. فالبدوي ليس شرساً من فطرته ، ولا ميّالاً الى سفك الدماء ، على رغم ما ينسب اليه الحضريّون من اعمال القسوة والهمجيّة .

وُلد البدوي في بيئة قاسية ، محرومة ، فنشأ فردياً انانياً لا يتكل الا على نفسه . فكان انه قدر كافضل ما يكون قيمة الحياة البشرية ، وتنفر ، على توتّر اعصابه وسرعة تأثره ، من التسرّع في اهراق الدم . هو يكره القتل ، ولا يلجأ اليه ، الا في ما ندر ، وفي حالة الدفاع عن النفس وحدها . وما كان الثأر الا من هذه الحالات تصبغه العادة بالصبغة الدينية ، فترتفع به الى مرتبة المؤسسات والعقائد . وليس نفوره من اهراق الدم نتيجة التأثم ، او الندم ، او التوبة - لا فان البدوي ، اذا ما دُفع الى قتل مثيله ، لا يشعر بانه ارتكب عملاً شائناً من تلك الاعمال التي يسميها « الفواحش » او « المخزيات » . وهذه اشدّ ما في قاموسه الاخلاقي من مفردات يسم بها الشعراء اعظم المجرمين في نظرهم. وهؤلاء هم الذين يسيئون ، لا الى الفرد ، بل الى القبيلة باعتدائهم اماً على افرادها واما على النازلين عليها او جيرانها . اما الغريب عن القبيلة فلا حقوق له معروفة ، ولا ضمانة قضائية تضمن حياته او امواله . بل ان لكل انسان ، اذا كان قادراً ، ان يستبيح حماه كما قال اوس بن حجر :

نُبيح حمى ذي العزّ ، حين نريده ، ونحمي حمانا بالوشيج المقوّم (١

او ان يقتله ، على غير جرم ، دون ان يشعر باثم . وهذا قول عامر بن الطفيل من فرسان الجاهلية المشهورين :

---

١) ديوان اوس بن حجر ٣٤:١٢

قتلنا يزيد بن عبد المدان على غير جرم ، ولم نظلم (١

ومما يظهر هذا الشعور بالبراءة ويدلّ على عدم تحرّج البدوي ، حالتُه اذا ما دُفع الى قتل رجل ، فاصبح « حامل دم » . اننا نراه مرتفع الرأس ، يجول بين الاحياء من مضرب الى مضرب ، ومن جوار سيّد الى جوار آخر ، بل يتجاوز مضارب قبيلته الى منازل الحلفاء ، يمدّ يده مستعطياً كي تكتمل له قيمة الدية فيجمع عدداً من الابل كافياً لدفع ثمن الدم . يمدّ يده دون خجل ولا حيرة ، فيستقبله قومه وحلفاء قومه بارتياح ان لم نقل بترحاب . ولا يرى احد منهم لنفسه الحقّ بلومه او باستيضاحه اسباب عمله . ذلك ان القتل حادث نادر في تلك الحياة المضطربة في القفر . والجميع يرون في القاتل ، لا مذنباً ، بل شقياً مسكيناً تهوّر في اندفاعه ولم يتمالك اعصابه ، او خانته الاحوال ، فدُفع الى القتل . فيجتهدون ، كلّ على قدر استطاعته ، في تخليص ذاك المسكين من مأزقه وفي معاونته على تأليف الدية ، كما يجتهد الناس في انقاذ اسير او اعانة فقير ، وهم معتقدون ان كلًّا منهم قد يصيبه يوماً ما اصاب هذا المسكين فيصبح بحاجة الى معاونة افراد القبيلة وحلفائها في جمع نياق الدية[٢] . ولا يخفى ان سادة القبيلة ورؤساء أسرها يكونون اول من يتسابقون في اعانة القاتل ، فهم « يحملون الدم » عنه . فيندفع الشعراء الى ذمّ السيّد منهم ، في جملة ما ينعتونه به ، بانه « حمّال » ، و« حامل ديات » و« حامل دماء » و« حامل اثقال » ، واذا بلغ الذروة العليا في هذا الحمل غدا « حامل مئين »[٣] اي انه يعطي مئات الابل في سبيل دفع الديات . هذه شريعة القفر ، تلك الشريعة التي يذكرها الشاعر زهير بن ابي سُلمى الناطق بلسان الحق العربي القديم :

تُمنّى الكلوم بالمئين ، فاصبحت يُنجّمها من ليس فيها بمُجرم (٤

هذا النفور من اهراق الدم ينتج عند العرب من شريعة الثأر ، تلك الشريعة

---

١) ديوان عامر بن الطفيل ٢٠ : ١

٢) راجع كتابنا *Le Berceau de l'Islam* I, 247

٣) الطلب المصادر في *Le Berceau de l'Islam*, I, 249-250

٤) شعراء النصرانية (طبعة شيخو) ص ٥١٧

القاسية التي افهمت البدوي ان كل قاتل يُقتل . فشعر ، بغريزته وعقله ، بمنفعتها الجمة ، وفهم انه لولاها لكانت معيشته عرضة للاخطار الدائمة في ذاك القفر ، بل لكانت حياته مستحيلة . وهو ما اقرّه القرآن بقوله : « ولكم في القصاص حياة ! »[1]

في القصاص حياة ، وفي الثأر حقن الدماء ؛ ولاسيما ابّان الغزوات المستديمة في الجزيرة . ولا يخفى ما يحفّها من مخاطر ومهالك يزيد هولها ان هذه الغزوات اصبحت ، على قدم عهدها ، من العادات المألوفة في كسب المعاش عند العرب . على ان حياة البدوي تضمنها شريعة الثأر ، حتى في تلك الغزوات. والعرب اذا تكلموا عنها قلّما يذكرون القتل . انما يلجأون اليها طريقةً للكسب ، ويتخذونها وسيلةً لليسر مخطرةً ، دون شك ، ولكن قلّما يصل خطرها الى الموت. وهذا حاتم الطائي ، اذا ما وجد نفسه عاجزاً عن اداء حقوق ضيوفه ، صرفهم معتذراً طالباً منهم ان يعودوا اليه « بعد الغارة » . وقد يتكارم على الطالب من اموالٍ يكون قد نهبها من قبيلته ، كما جرى له مع ابي جبيل ، وكان هذا من « حاملي الدماء » ، على ما جاء في ديوان حاتم ، قال الشارح :

« كان ابو جبيل وهو عبد قيس بن خُفاف البرجمي اتى حاتماً في دماء حملها عن قومه اسلموه فيها ، وعجز عن ادائها فقال : « والله لآتينّ من يحملها عني » . وكان شاعراً شريفاً . فاتى حاتماً فقال : « انه قد كان بين قومي دماء فتراكلوها ؛ واني حملتها في مالي وابلي ؛ فقدّمت مالي ، وكنتَ أملي . فان تحملها فربّ حرّ قد قضيته وهمّ قد كفيته ؛ وان حال دون ذلك حائل لم اذمم يومك ، ولم أيئس من غدك . ثم انشأ يقول :

حملت دماء للبراجم جمّةً ، فجئتك لما اسلمتني البراجمُ
وقالوا سفاهاً : لمْ حملت دماءنا ؟ فقلت لهم : يكفي المالة حاتمُ »

فقال له حاتم : « ان كنت لأحبّ ان يأتيني مثلك من قومك . هذا رباعي من الغارة على بني تميم (ولا يخفى ان البراجم من تميم) فان وفت الحالة ،

١) القرآن ٢ [سورة البقرة] ١٧٥

والا كلتها لك . وهي مائتا بعير سوى نيبها وفصالها . مع اني لأحبُّ ان لا تويس قومك باموالهم . » (قال) فضحك ابو جبيل ثم قال : « لكم ما اخذتم منا ، ولنا ما اخذنا منكم ، وايّما بعير دفعته اليَّ ليس له ذنب في يد صاحبه فانت منه بري . . » فأخذها منه وزاده مائة . »[1] .

هذا الكرم الحاتمي لم يسغه بيرون ، فقال : « انها لطريقة غريبة في فهم الكرم والاحسان . »[2] . . . على ان بيرون نفسه يتابع شارحاً نشأة الغارة في بلاد العرب فيقول : « ان الغارة لازمة في القفر وما تجرّه من تلك الهجمات الدالة على الفروسية . هذه هي الحياة المنظّمة . اذ لولاها ، ما عسى ان يفعل الانسان في تلك العزلة الصامتة ؟ » ولا يخفى ان الشرح اقرب الى السعاية والعبث . على ان تلك الغزوات كانت ابعد الاشياء عن البسالة التي يتصوّرها بيرون ، اذا ما سُفكت الدماء .

ولينتبه الدارس ، اذا ما فكّر بالثأر ، الى ما يبذله اولئك المتعاركون من جهود في اجتناب الضربات القاتلة . هم لا يقصدون ، في غاراتهم ، الا اموال المغار عليهم . اما حياتهم فليس مَن يرغب في الاعتداء عليها . ولا ينبغي للهاجمين ولا للمدافعين ان يصلوا الى اهراق الدم . هو عراك على المواشي يقومون به بغاية ما يمكنهم من رباطة الجأش . ولنا من الامثلة المتعدّدة ما يؤيد هذا القول ؛ فان حوادث الجرح والقتل قليلة جدًّا في الغزوات حتى في ايامنا هذه ، بعد ان اخذ البدو يستعملون البنادق الحديثة . فهناك كثير من دخان البارود ودويّ الرصاص ؛ وقليل من الجرحى والقتلى . اما اذا ادّتهم الحوادث الى سفك الدم ، فيكون الحظ قد خانهم ، فيفقدوا السكينة اللازمة في هذه المعارك ، واندفعوا باندفاع اعصابهم الثائرة ، فنسوا صفتهم الاصلية وتحوّلوا الى مقاتلين[3] . على ان العادة الجارية حينذاك تفرض على الضارب الا يجهز على الجريح ، والا يسلب القتيل[4] .

---

١) ديوان حاتم ، ص ٤٠ — ٤١ ٢) Perron, *Femmes arabes*, p. 114

٣) اطلب *Le Berceau de l'Islam* I, 240

٤) اطلب حادثة صخر ، اخي الخنساء ، في الاغاني ١٣ : ١٤٥ . . .

اما في ما خصّ الثار ، فان البدوي يطيع العادة الجارية التي اصبحت من مظاهر « دين العرب » كما يفهمه الجاهليون . ومن ثمّ فان هذه العاطفة وحدها تسيطر على « وليّ الثأر » او « الموتور » وهو صاحب الحقّ الشرعي بالاقتصاص من القاتل . وتكون الغاية المثلى ان يتمكن الوليّ من القيام بواجبه بسرعة ، فيقول مع عبد الله بن سلمة الغامدي :

نفست الوترَ منه ، فلم أُعتم ، اذا بُحت بغَيْظَةٍ جنوب (١)

على ان هذه السرعة في الانتقام لم تكن في الغالب الا وهمية . فقد يمرّ على الموتور الاشهر بل السنون ، بل قد « يناله الصلع » ، كما في قول ربيعة بن ابي عمرو التيمي(٢) ، قبل ان يدرك ثأره . فهو خالٍ من الحماسة في القيام بهذا الواجب ، لانه يرى ما سيعترضه من مخاطر يعدّدها سرّاً(٣) فينفر من مجابهتها . الا انه يشعر بضرورة القيام بواجبه ، فيحتال في ذلك ، لاجئاً الى الدوافع الخارجية من تحريضات وقذوف واتيان وما اليها من قيود فصلناها في ما تقدم . ولا يهمه باله عن ان يضيف اليها الرجاء بان لا يميته الله قبل ان يدرك ثأره . فهو اذاً يوسّع على نفسه في البرّ بهذه اليمين ؛ بينما يصرخ وينادي بان همّه في ادراك الثأر ثقيل كالجبل يمنعه لذّة العيش والشراب خاصة .

واذاً فان الموتور لا يُسرع متحمساً الى قتل واتره و« شفاء غليله » ، كما قد تصوّره بعض الحكايات الشعبية المتأخرة عن العصر الجاهلي . بل اننا نراه يتمرمر من حمل هذا الواجب ، واذا قبله فلأنّ لا مناص له منه ، ولان العادة والرأي العام وارادة القتيل نفسه تفرض عليه ذلك ، فهو يقبله كالثقل الواجبات الدينية ، ويهتف مستقلاً مع امرئ القيس عندما أُخبر بقتل ابيه : « حملتني دمه ! » هو حمل باهظ يحول بين الموتور وملذّات الحياة العادية ، يحول بين امرئ القيس والخمر ، لا بسبب ما يوليه اياه من الحزن والاسى وحرمان العطف

(١) المفضليات (طبعة Lyall) ص ١٨٥ البيت ٤

(٢) راجع الصفحة ٨ من هذا البحث

(٣) ابن هشام : سيرة الرسول ، ص ١٢٢ ، ٤

الابوي — ولا عطف في حالة امرئ القيس ، وقد طرده ابوه وخلعه — بل لما يفرضه عليه هذا القتل من ضرورة التقيد بالحرمانات التي من شأنها ان تدفع الموتور الى القيام بطلب ثأره . فتحوّل ذاك الاناني الفردي الى كائن اجتماعي يُدفع ، على الرغم منه ، الى التضحية بشهواته وبراحته في سبيل الاسرة والجماعة. والا فانه يتعرض لغضب الالهة النازل بكل حانث بالايمان المغلظة وهي التي لا تحتمل الكفارة ، ولا تحلّ صاحبها الا اذا قام بما يفرضه عليه « الوتر العظيم » ، فيعود حين ذاك الى حياته السابقة فيستبيح ، دون اثم ولا حرج ، كل ما كان قد حرّمه على نفسه ، ويكتسب ، فوق ذلك ، « شرف الدهر . »[1]

اما اذا تهامل في القيام بهذا الفرض ، او خالف مادةً من موادّ هذه الشريعة ، او لم يبرّ بهذه الايمان ، فانه يعترف « إثماً من الله » ، كما يقول . ولنا ان نعجب اذ نسمع من فم البدوي ما يدلّ على شعوره بالمسؤولية الادبية ، بل بالخطيئة اللاهوتية . ذاك انه يتقيد بعادة الثأر ، ويفهم ضرورة هذا الواجب في سبيل التكفير عن اثم لحق اثره المجتمع العائلي بكامله . في الثأر شفاء نفسه المقروحة ، وبرء دائه الدخيل ، على نحو ما قال العبسي :

دعوت الله اذ قدنا اليهم ، لنلقى منفرًا ، او عبدَ عمرو
وكانت حلفة حُلفت لوتر ، فشاء الله ان ادركت وتري
واني قد سلمت ، فكان برئي بفرواش بن حارثة بن بدر

وقد علّق الجاحظ على هذه الابيات بقوله : « والاعراب تعدّ القتل سقماً وداء ، ولا يبرئه الّا اخذ ثاره دون اخ او ابن عم . فذلك الثأر المنيم . »[2]

ولهذا نراه يشجع نفسه ويحثها بكل ما لديه من وسائل شعورية ، وبكل ما في منطقه من حكم قصيرة سائرة . فيقول لها تارةً قول عمرو بن الاطنابة :

واقدامي على المكروه نفسي ، وضربي هامة البطل المشيح ،
وقولي ، كلما جشأت وجاشت : مكانك ، تُحمدي او تستريحي ! (٣

وطورًا يعزّيها بقول ابي النيران :

---

١) الاغاني ٨ : ٦٧ ٢) الجاحظ : الحيوان ٦ : ١٤٣
٣) الجاحظ : الحيوان ٦ : ١٤٤

ان السُراة قصيرةُ الاعمار ! (١

ودائماً يردّد عليها بلسان الشعراء كافةً ان ادراك الثأر افضل دلائل الشجاعة والوفاء ، بل هو افضل الوسائل لبناء المجد الخالد ، ونيل شرف الدهر .

فلا عجب ، والحالة هذه ، ان نرى البدوي الموتور لا يسمع لهو الحديث ، ولا يأوي مطمئناً الى فراشه :

لا اسمع اللهو في الحديث ، ولا ينفني في الفراش مضطجعُ (٢

واذا عرض له الابتسام فذلك على الرغم من نفسه الحزينة :

اعاتب نفسي ، ان تبسمتُ ، خاليًا ! وقد يضحك الموتور ، وهو حزين (٣

فلا يكاد يعرف الراحة والهجوع ، انما يقضي الليل مضطرباً يرقب النجوم في سيرها البطيء[٤] ، ولا همّ له الا العمل على ادراك ثاره . فهو يجتنب ، في ذلك ، قول الشعر نفسه حتى الهجائي منه[٥] ، لان ما بينه وبين الواتر « اجلّ من القذع » على قول صخر اخي الخنساء[٦] . ولا نكاد نخطئ اذا قلنا انه يخشى ان يفرّج الهجاء كربته ، فيضعف ارادته ، ويوهن من عزيمته في ادراك الثأر فتبقى نفسه في سقامها ، وهي لا يشفيها الا الدم ، كما تقدّمنا . وقد يبلغ من قوّة هذه الرغبة في « شفاء الغليل » ان الموتور قد يُنكر على الله حقّه في الحؤول بينه وبين ثأره[٧] . على انه يرى الحقّ لاعدائه في ادراك ثأرهم ايضاً . وقد نرى بعض السادة من ذوي الاخلاق العالية ، اذا لم يعرف الموتور واتره ، اقرّوا باشتراكهم في القتل فيّنوا انفسهم هدفاً لسهامه[٨] . بيدَ ان هذا الاقرار لا يأتي عفوًا . انما يرمي اليه الموتور بواسطة « العزيمة » و« المناشدة » ، وهما من نوع

(١) الجاحظ : الحيوان ٦ : ١٤٢

(٢) البيت لمالك بن عمرو العاملي ، في حماسة البحتري ١٦٨

(٣) البيت لخلف بن خليفة ، في حماسة ابي تمام ص ٤٠٤

(٤) هي صورة كثيرًا ما ردّدها الشعراء . اطلب مثلاً حماسة البحتري ١٦٩–١٥٠ ؛ الاغاني ١٦ : ٢ ؛ ديوان حاتم الطائي ٢٩ : ٢ ؛ سيرة ابن هشام ص ٧٢٨ ؛ المفضّليات (Thorbecke) ص ٤٦ ؛ ديوان النابغة ٣ : ١ الخ . . .

(٥) على ان النساء قد يدخلن الهجاء في الرثاء احيانًا ، راجع ديوان حاتم الطائي ٣٦ : ٤

(٦) الاغاني ١٣ : ١٤٥

(٧) ابن هشام : سيرة الرسول ٨٠٢

(٨) الاغاني ١٣ : ١٤٥

تحليف اليمين التي يُشرك فيها اسم الله ، ولا يجرأ احد من البدو على الكذب فيها .

***

اعتباراً من حلف اليمين ، تُصبح كل الوسائط ، التي يقوم بها البدوي في سبيل غايته ، صالحةً لا اثم فيها ولا حرج ، مهما كانت ومهما اشتملت عليه من غدر وخيانة واحتيال . الغاية تبرّر الواسطة في مادّة الثأر . انها تبرّر لا اعمال وليّ الثار فحسب ، بل اعمال كل من اجاره وعاونه في طلب ثأره ، كما رأينا في حادثة قيس بن الخطيم وغيره . يجول الوليّ بكل طمأنينة ، في احياء العرب ، مفتشاً عن ضحيته ، فيطوف الأسواق والمجتمعات ، ويدخل المضارب ، ويختلط بالناس ، حتى اذا ظفر بواتره ، انقضّ عليه ، على حين غفلة ، فقتله ، وان نائماً ، خلافاً لما كان قد تقرّر في عاداتهم من التأثم من قتل النائم ، وان عدوّاً[1] . ذلك ان شريعة الثأر فوق تلك العادة فهي اجدر الشرائع بالاحترام في دين العرب ، لانها ابعدها عن الانانية والمنفعة الشخصية . وقد عزّز ذلك الشعراء ، وهم حكماء البدو والسنة فقههم ولاهوتهم .

بيد ان ولي الثأر قد يتردّد في تنفيذ قصده ، اذا خاف ان يخالف مبدأً دينياً آخر ، كأن يخشى ، اذا ما قام بثأره ، ان يخفر ذمة الجار ، او ينتهك حرمة المعبد ، او الاشهر الحرم ، او حرمة قبر مكرّم جُعل ملجأً وملاذاً . عند ذلك يحصل اشتباك بين مبدأين دينيّين ، فيحار البدوي في ايهما يتبع . وان في الروايات القديمة امثلةً عديدة للحلول المختلفة . منها ما تدلّ على تقدّم الحقّ بالثار ، ومنها ما تفيد التراجع فيه تجاه حرمة الجوار او تلك الحرمات التي ذكرناها . من الاولى ما حصل للحارث بن عُباد ، عندما اتاه واتره بابن اخيه ، وهو لا يعرفه ، فاحتال في الحصول على الجوار ، فنجا من الخطر[2] . ومن الثانية ما نراه من حوادث متعدّدة قتل فيها أولياء الثأر واتريهم في الاسواق التي

١) راجع الاغاني ١٣ : ١٢٠ ؛ ابن هشام : سيرة الرسول ، ص ٢٢٦ ، ثم ص ٦٥٠ .
٢) ابو تمام : الحماسة ، ص ٢٥٤

كانت تُعقد في الاشهر الحرم ، بل في البيت الحرام نفسه[1] . وقد جاء في المفضليات :

قتلنا قتيلاً مهدياً بمُلبّدٍ جار بني وسد الحجيج المصوّت

وقال الشارح : « اي قتلنا رجلاً محرماً برجل محرم . »[2]

وفي ما عدا هذه الظروف الاستثنائية ، فان العادة تبرّر كل ما يقوم به الموتور في سبيل ثأره من غشّ ، وخداع ، ومداهنة ، ومجاملة للاعداء حتى تمكن الفرصة . وهذا البحتري يفرد في حماسته بابين لهذا الموضوع عنوانهما : « الباب الرابع : فيما قيل في مجاملة الاعداء وترك كشفهم عمّا في قلوبهم » ، و« الباب الخامس : فيما قيل في الاطراق حتى تمكن الفرصة . »

فللبدوي ، والحالة هذه ، ان يظهر الابتسام لخصمه ويجامله ، على امل اغتياله :

اكثر ذا الضغن المبيّن ضغنه ، واضحك حتى يظهر الناب اجمعُ
وادهنه بالقول دهناً ؛ ولو رأى سريرة ما أخفي ، لبات يُنزَعُ[3]

ولا اثم عليه اذا اظهر ميله الى القبول بالدية حتى يقترب من واتره فيقتله[4] ، بل قد يقبلها فعلاً ، ويظهر الصفح حتى اذا امكنته فرصة وثب[5] . امّا اذا كان الواتر متيقظاً متحفظاً حتى لا يمكن قتله ، فلا بأس على الموتور اذا تغلغل خلال الجماعة فيصل اليه على حين غفلة ؛ بل لا بأس عليه ، كما يظهر من عدّة حوادث ، اذا ما التجأ الى الواتر نفسه ، فعاش في جواره الشهور بل السنين طارياً كشحه على المداوة حتى تمكنه الفرصة . يشهد بذلك قول الاخنس بن شهاب التغلبي :

لعمري ، لقد جاورت في حيّ عامر لأدرك ثأري منهم ، حجحاً خمسا
ابيت ، اذا نام الخليّ ، كأنني سليمُ افاعٍ لا يلاقي لها أُنسا

---

١) مقدّمة ديوان قيس بن الخطيم : ابن هشام : سيرة الرسول ص ٨٦٥-٨٦٦

٢) المفضليات (Lyall) ٢٠٥ ، البيت ٢٧

٣) البيتان لعمر بن أوس في حماسة البحتري ، الرقم ٦٦ : واطاب كذلك الارقام ٤٧ ، ٤٨ ، ٥٢ ، ٥٣

٤) المفضّل : الفاخر (Storey) ص ٢٢٠-٢٢١ .

٥) ابن هشام : سيرة ص ٧٢٨

ولما رأيت الثار قد حيل دونه ، مشيتُ لهم قطوعاً ، وكنت لهم حاسا
ولاحظت ثأري فيهم لاناله ؛ متى ما أنله أشف من عامر نفسا (١

وقد فات بيرون ، دون شك ، ان ينتبه لهذه الحادثة ولكثير مثلها . والا لما اقدم على كتابة ما كتب من ان « الفروسية كانت مزدهرة ، في بلاد العرب ، بكل جمالها وكل اخلاصها ، قبل بدء تاريخنا ، بعدة قرون ، وانها اخت الفروسية الغربية الكبرى . . . وان الفروسية في الغرب عارض مقلد . اما في بلاد العرب فهي مبدأ . »(٢ قلنا : وسواء اكانت الفروسية العربية مبدأ ام لا ، فلا يمنعنا ذلك من التحقق ان الموتور لا يخجل من الالتجاء الى هذه المخاتلة الواضحة الجارّة الى الخيانة والغدر ، واين هذا من مبادئ الفروسية الغربية ؟ بل ان البدوي يفتخر بتلك المخاتلة ، ويوصي بها :

والنّ اخا الضغن بايناه لتدرك الفرصة في أنه
كالليث لا يبدو على قرنه الا على الامكان من فرسه (٣

وقد ظلت هذه العادة متأصلة في طبيعة البدوي ، على رغم الاسلام ، مدة طويلة . حتى ان عبد الملك بن مروان ، عندما ظفر بعدوّه عمرو بن سعيد الاشدق ، فقتله ، لم يعدُ في شيء طور اولئك الثائرين قبل الاسلام ، فقال :

أدنيته مني ليمكن غرّه ، فاصول صولة حازم متمكن
غشاً وعمية لديني ، انه ليس المسيء سبيله كالمحسن (٤

هذا ولا يمكن ان يموت الثأر بمرور الزمن . فان هذه القاعدة الشرعية لا يعرفها البدو . انما يعرفون ويردّدون :

وقد ينبت المرعى على دمن الثرى ، وتبقى حزازات الصدور كما هيا

بل انها ـ ـ

كالنار يكمن حيناً ثم ينتشرُ

وتظلّ حقوق الثأر دائمة يورثها الآباء البنين :

فلن تبيدَ وللآباء ابناء (٥

---

١) حماسة البحتري رقم ٥٤ ٢) Perron, Femm s arabes, p. 76
٣) حماسة البحتري : الرقم ٥٥
٤) حماسة البحتري : الرقم ٣٠ ؛ المسعودي : مروج الذهب ٥ : ٢٢٧ ؛ الطبري ٢ : ٦٦٥
٥) راجع حماسة البحتري : الباب السادس ، الارقام ٥٧ ، ٥٨ ، ٦٠ ، ٦١

وهذه حرب البسوس دامت اربعين سنة في سبيل الاخذ بثأر كليب. ثم ان العقلاء سعوا بالصلح ، فتظاهر ولي الثأر بالاذعان ، ومشى شاكي السلاح حتى اذا صادف واتره جناساً ، صاح : « لا يترك الرجل قاتل ابيه ، وهو ينظر اليه . » ثم طعنه فقتله ، ولحق بقومه . « فكان آخر قتيل في بكر بن وائل » ، على قول الاغاني[1] ، لان بقتله أدرك الثأر .

ولنا شواهد على هذا الامر في اقوال بعض الوفود التي كانت تفد على محمد . فان منها من كان يؤخر اقراره بالاسلام الى ما بعد الفراغ من حوادث الثأر المعلقة . وكان من رجال الوفود من يُظهر ترك تلك العادة الجاهلية فيسرع بقبول الاسلام ، بل يقبل الدية دالاً بذلك انه عدل عن ثأره ، كما فعل مقيس ، حتى اذا صادف واتره مطمئناً طعنه في ظهره .

ولا غرابة في ذلك فقد قام مقيس بفرائض الدين القديم . وهكذا فعل عبد الملك بن مروان في الحادثة التي قدّمنا ذكرها ، بعد خمسين سنة من انتشار الدين الجديد . ولم يغفل مقيس ولا عبد الملك ان يفتخرا بعملهما فيذكراه بالشعر ، وهما لا يتوقعان لوماً ولا استغراباً من الرأي العام . والرأي العام ابعد من ان يلومهما . بل هو ، اذا عرض لهذه المسألة ، يقول ما قالته اخت مقيس في هجو نُميلة ، نسيبها الذي شاء ان يعاقب اخاها على فعلته الشنعاء وخيانته المزدوجة فصرخت انه « اخزى قومه ! » . ولماذا ؟ لانه جعل حقوق الفرد ، القتيل ، فوق حقوق القبيلة ، قبيلته وقبيلة مقيس القاتل ، وهو امر لا يعرفه العرب ؛ فالمجرم ، في نظرهم ، ليس مقيس الخائن الغادر ، بل نميلة لانه « اخزى قومه » .

ولم يلبث هذا الفخر بادراك الثأر ، حتى بالغدر والخيانة ، ان حوّر شيئاً فشيئاً نظر العرب الى الدية ، فاصبحوا يعتبرونها حاطّة بين يقبلها ، ولا يرضون الا الدم بالدم ، ويحتجون جميعاً بلسان ابي أذينة :

أيطلبون دماً منا ، ونطلبهم ذحلاً ؟ لقد شرفونا في الورى خطبا

مفتخرين بلسان عبد العزى بن مالك الطائي :

اذا ما طلبنا نيلنا عند معشر ، أبينا جلاب الدرّ ، او نشرب الدما

---

١) الاغاني ٦ : ١٥١

ليلم اقوام مضاضة وترنا ، وتبع ذات السلم من كان ألوما
وعمدًا قتلنا ، بعد ما عرضوا لنا مغاريهم شُعثًا ، والفًا مزنّما (١

وهكذا اصبح قبول الدية ذليل الضعف واللؤم،ومن ثم فهو مادة للهجاء.
قال الاخطل :

لا يثأرون بتلاعم ، اذا قُتلوا ؛ ولا يكرّون يومًا عند اجحار (٢

يريد انهم يرضون بالديات

قبول الدية تعدٍّ على دين العرب ، ومظهر من مظاهر الجبن ، والانانية ، والمنفعة الخاصة . هو مساومة آثمة على الاواصر التي تربط الاسرة ؛ هو بيع الدم بالنسر ، على قول الحُريث بن زيد الخيل :

قتلنا بتلانا من القوم عصبةً كرامًا ؛ ولم نأكل بهم حشفَ النخلِ (٣

ولهذا غدا الشعراء من الموتورين ، او الذين يحتسبونهم من رجال ونساء ، يصوّرون القتيل يوصي اولياء ثأره بالا يقبلوا الابل بدل الدم :

وارسل عبدالله ، اذ حان يومه ، الى قومه : الا يقبلوا لهم دمي
ولا تأخذوا منهم إفالًا وابكرًا ، وانزلَ في بيتٍ بصعدة مُظلمِ (٤

...

الا لا تأخذوا لبنًا ؛ ولكن اذيقوا قومكم حدَّ السلاحِ
فان لم تثأروا عمرًا بزيدٍ ، فلا درّت لبون بني رباحِ (٥

يُقسم المحتضر على شاهدي موته ، بل على انسبائه جميعًا حاضرين كانوا ام غائبين ، بالايمان المغلظة بان يدركوا ثأره باهراق الدم . فيقبلون ذلك ، فيكون نذرًا عليهم(٦) . كما فعل داود الملك ، وقد شعر بالموت ، فدعا بابنه سليمان ، وكان من جملة ما اوصاه به ان يُنزل العقاب بمن فات المائت عقابه من الواترين قال : « ... ثم انك تعلم ما صنع بي يُوآب بن صَروية ، ما صنع برئيسَي جيوش اسرائيل أبنير بن نير وعماسا بن ياتر حيث قتلهما وسفك دم الحرب في السلم،

١) حماسة البحتري : رقم ١١٢ ٢) ديوان الاخطل (مالطاني) ص ٢٢٦
٣) حماسة ابي تمام ، ص ٢٨٦ ، البيت ٢
٤) حماسة البحتري : الرقم ١١٠ ٥) حماسة البحتري : الرقم ١١١
٦) حماسة ابي تمام ص ٤٤١-٤٤٢

وجعل دم الحرب في منطقته التي على حقويه وفي نعليه اللتين برجليه ؛ فاصنع به بمقتضى حكمتك ، ولا تدع شيبته تنزل الى الجحيم بسلام . . . وعندك شمعي بن جيرا من بني بنيامين من بحوريم ، وهو الذي لعنني لعنة فظيعة يوم انطلقت الى محانايم ؛ ثم نزل للقائي عند الاردن ، فحلفت له بالرب اني لا اقتلك بالسيف . والآن فلا تبرئه ، فانك رجل حكيم ، فاعلم كيف تصنع به وانزل شيبته بالدم الى الجحيم . »[1]

وكذلك لم يكن البدو ليفهموا معنى لمرور الزمن ، ولا للعفو ؛ بل لم يكونوا ليتصوروا امكان ذلك ، لفرط ما وقر في نفوسهم من فروض شريعة الثأر الدينية.

لقد اتهم بنو خزاعة ، قبيل الهجرة ، وهم منافسو القرشيين ، بقتل الوليد سيد بني مخزوم . وكان الوليد قبل ان يفيض بروحه ، قد رفع عنهم تلك التهمة . على انه لم يمنع ابناءه طلب ثأره من خزاعة. ولماذا ؟ لأنه خشي ، اذا لم يطالبوا بثأره ، « ان يسبّوا به بعد اليوم»[2].

وان هذا الحادث يدفعنا الى الكلام عن « الوصية » وفيها ما يؤيد نظريتنا في صفة الثأر الدينية . ولنبدأ بان ننفي كل شبه بين هذه « الوصية » الجاهلية و«الوصية » القرآنية المعروفة في الشرع الاسلامي . اما الوصية الجاهلية فقد لاحظ ولموسن انها « اقرب الى الاوامر والنواهي المطروحة على الورثة منها الى تقسيم الميراث بينهم . »[3] على ان هذه الملاحظة غير كافية . فلنزد عليها ان غاية الوصية المهمة كانت دينية محضة . كانت ترمي الى نقل نظام العبادة ، من الاب الى اولاده ، كما كان معروفاً ومتبعاً في القبيلة ؛ محتوية على «العهد الروحي» او مجموع العقائد والعبادات يلقيها السلف على خلفائه . وقد كان لكل قبيلة وصيتها الخاصة ، على زعمها ، يحترمها افرادها ويذكرها شعراؤها . على ان ما قام به علماء العصور الاسلامية من اصلاح في الادب الجاهلي القديم ، وما صنعه الرواة

---

١) سفر الملوك الثالث ٢ : ٥-١٠ ٢) ابن هشام : السيرة ص ٢٧٣

٣) Welhausen, *Reste*... p. 191

من الشعر المنحول افسد ، لسوء الحظ ، قيمة تلك الوثائق القديمة ؛ ولم يبق منها الا ما استند الى الحكم والتوصيات المبتذلة[1] . هذا اذا لم يضع الناحلون قطعاً كاملة في سبيل تشويه تلك العصور التي نسبها الاسلام الى « الجهل » . وان يكن النبي يفرض على المسلمين الاهتمام بكتابة « وصيتهم » ، وان يكن يدقق في ذلك حتى يجعلها من فروض الوحي الالهي ، وهو معنى « كُتب عليكم »[2] ، فذلك دليل على بعد نظر في المشترع الرامي الى تحقيق الامور في مجالها العملي ؛ ولكنه دليل كذلك على اهتمام جدي بمحو ذكرى تلك « الوصية » البدوية الجاهلية وما تجره من آثار الشرك القديم .

كان افراد القبيلة يجتمعون حول فراش الشيخ الراحل ، كما كان بنو اسرائيل يجتمعون حول الجدّ المحتضر[3] ، ليسمعوا آخر كلماته فيحفظوا « وصيته » ، قاصدين القيام بكل ما فيها . وكان يهمّ الجدّ ، وهو رئيس قومه وكاهنهم ، فضلاً عن تقسيم الميراث ، ان يعمل على متابعة العبادة التقليدية . فكان يعيّن من خلفائه من يعهد اليهم بحفظ « القُبّة » ، وهي المظلة المقدسة ؛ وبسدانة « البيت » ، وهو هيكل القبيلة ؛ وبحراسة الحجر المؤلّه[4] . فيكون هذا الرجل « الوصيّ » اي الوارث الديني . وقد نرى شيئاً من هذا المعنى القديم للوصية ، في معتقد الاماميين من الشيعة ، وهم يعتبرون علياً « وصيّ » النبي ، لا وارث ثروته وخلافته السياسية فقط ، بل صاحب « وصيته » الدينية ، او خليفته في عقيدته السرّية . اما الائمة الاثنا عشر عندهم فهم اوصياء « الوصي » ؛ وارثو علم علي

---

١) راجع السجستاني : كتاب المعمّرين ، ص ١٦ . . . ومقدمة كرادسير عليه ، ص ١٩ ايضاً ، وقابل بوصية قس بن ساعدة في السيوطي : موضوعات ١ : ٦٦ . ولا يخفى ان اصحاب تلك الوصايا يظهرون ، على الغالب ، من المعمّرين ، وقد يزعم الرواة انهم عاشوا عدة مئات من السنين . ابن دريد الاشتقاق ص ٢٢١ ؛ والمفضليات (Thorbecke) ص ٢٥

٢) القرآن ٢ [البقرة] : ١٧٦ ، وفي لغة القرآن ، كتاب = وحي

٣) راجع سفر التكوين : ٤٨-٤٩ ؛ والمفضليات (Thorbecke) ص ٢٥ ، البيت ٧ . . . حاتم الطائي : ديوانه ٩ ؛ وابن سعد : الطبقات ١ : ٨٢

٤) اطلب بحثنا في : *Le culte des bétyles et les processions religieuses chez les Arabes préislamites*, dans l'*Arabie occidentale avant l'Hégire*, p. 135-136

الفائق[1].

واذا رجعنا الى الجاهلية نرى الشواهد المختلفة على مدلول « الوصية » الديني . وهذا الشاعر عباس بن مرداس ، يتسلم من ابيه ، بفضل الوصية ، الحجر المؤلّه دَماد او دمار[2] فيحافظ عليه . ولقد كان الشيخ الراحل يوصي ايضاً بالمحافظة على الجوار ، والبرّ بالعهود . وكذلك كانت الوصية تهمّ بحلّ ما بقي من مشاكل الدم قيد الثأر[3] ، كما رأينا في وصية داود الملك لابنه سليمان . وهي « ولاية الاشياخ »[4] لا بدّ من القيام بها . ولهذا كان جميع الحاضرين يُقسمون بقبولها و«ينذرون» بان يقوموا بها . يدفعهم الى ذلك « العزيمة » باسم الله ، وخصوصاً خوفهم من التعرّض لدعوة الشيخ الراحل . وهم يعتقدون ان الشيخ ، اذا ما حضره الموت ، كان « مجاب الدعوة »[5] ولاسيما ما كان منها بالشرّ . وكان القتيل ، قبل ان ينزل « بيته »[6] الاخير ، يعزم على حاضري نزاعه الا يتركوه ، دون ثأر ، في بيتٍ مظلم :

واترك في بيتٍ بمَنْدَقةٍ مُظلم.[7]

ومن هذا ما جاء في حماسة ابي تمام عن جُوَيّ المزني ، وقد قتله الخزرج بعيداً عن قومه ، فرفع رأسه ، وهو يجود بنفسه ، فقال مخاطباً احد الخزرجيين : « اعطي الله عهداً ليُقتلنّ منكم خمسون ليس فيهم أعور ولا أعرج » . فسارت كلمته حتى بلغت مزينة فاخذوا بثأره . وفي ذلك يقول كعب بن زهير ، وفيه اشارة الى كل ما تقدّم ذكره من واجب القيام بوصية الميت ، ووفاء النذور ،

---

١) راجع كتابنا في *Fāṭima* ... p. 111

٢) لم تُضبط اللفظة ضبطاً صحيحاً ؛ راجع : صحيح مسلم ١ : ٢١١ ؛ اسد الغابة ٣ : ٤١ ؛ سيرة ابن هشام ص ٨٢٢ ؛ الاغاني ١٣ : ٦٥ ؛ وقابل بما ورد في Welhausen, *Reste*, p. 66

٣) سيرة ابن هشام ص ٣٧٣ ؛ الاغاني ١٩ : ١٣٠

٤) ديوان قيس بن الخطيم (Kowalski) ١ : ٤—٥

٥) اطلب في ذلك كتابنا *Mo'āwia* p. 180-181

٦) راجع في معنى بيت = قبر بحثنا *Le culte des bétyles*, p. 144 ؛ ديوان ليبد (الخالدي) ص ٧٧ ، البيت ٢ ، و٧٨ ، البيت ٢ ؛ ديوان حاتم ٣٧ : ١٥ ؛ والمفضليات ١٩ : ٢٢

٧) حماسة ابي تمام ص ١٠٧ ؛ الاغاني ١٤ : ٢٥

وعدم الرضى بالدية :

لقد ولّى أليّته جُويٌّ مماشرٌ غير مطلولٍ اخوها . . .
ولو بلغ القتيلَ فمالُ قومٍ لسرّك من سيوفك منتغرها
لنذرك ، والنذور لها وفاءٌ اذا بلغ المترابة بالنوها . . .
فما عقر الظباء بحي كعب ، ولا المسنون قصّر طالبوها . (١)

***

اما في ما خصّ خلود النفس ، فلا نتحقق في فكر البدوي الا معلومات غامضة . ولا نراه اهتمّ اهتماماً جدّياً بهذا المشكل . وهؤلاء شعراء الجاهلية ، اذا ما عرضوا لما بعد الموت ، يعبّرون بلهجة عابثة عن فكرة غير مستقرّة ولا دافعة الى الاهتمام . فيقول أوس بن حجر :

إنّ اشرب الخمر ، او ارزأ لها ثمناً ، فلا عدالة ، يوماً ، اتي ماحي
ولا عدالة من قبر بمحنيةٍ ، او في بليعٍ كظهر الترس وضّاح (٢)

ويردّد طرفة :

كريمٌ يروّي نفسه في حياته مخافةَ شربٍ في الممات مصرّدِ
فذرني اروّي هامتي في حياتها ؛ ستعلم ، ان متنا ، صدى أينا الصدي ! (٣)

وان يكن البدوي لا يعتقد الاعتقاد الواضح بحياة النفس في عالم آخر[١] ، فهو لا يرى ان الموت يفصل حالاً بينه وبين جسده . ولهذا نرى انهم يضعون الميت « موسّداً » او « متوسّداً »[٢] في قبره ؛ اي متكئاً رأسه على زنده المبسوط خلف عنقه ، كما كانت عادته ان يستريح في الليل . وهم لا يجيزونه في تابوت ، اذ يعتقدون انه نائم في « بيته المظلم » نوماً اعمق من النوم العادي ولكنه لا يفقده الشعور التام بل يسمح له بشيء من الحسّ الضئيل على مدّة ما . ثم يندفعون ، في سبيل معاونة هذا الحسّ الضئيل ، واطالة مدّته ، الى القيام

١) حماسة ابي تمام ص ٤٤١–٤٤٢ ٢) ديوان اوس بن حجر ٤ : ٨–٩
٣) ديوان طرفة (Seligsohn) ١ : ٦١–٦٤
٤) راجع في ذلك المسعودي : مروج الذهب ٣ : ٢٠٦ . . .
٥) حماسة ابي تمام ص ٤٢٠ ، السطر ٢٢ ؛ ٤٥٦ ، البيت ٢ ؛ ديوان حاتم ٢٨ ، البيت ٧ ؛ المفضليات (Lyall) ص ٦٢ ؛ الاصمعيات ٦٣ : ٨ ؛ ابن عبد الحكم : سيرة عمر بن عبد العزيز (طبعة عُبيد) القاهرة ١٩٢٧ ، ص ٤١ الخ . . .

بكثير من مظاهر الجلبة الدالة على الاسى ، كالمنادب والمناحات المستطيلة على بضعة ايام ، والطواف المزدوج ، والهتافات العالية بقولهم : « لا تَبعد أ » وصراخ النساء الحادّ كانهنّ يرغبن في تأخير مدة الانفصال التام بين الروح والجسد ؛ بينا يقوم الرجال بالمواعيد والايمان المعظّمة بالاسراع في الثأر - هذا من الاهل والاصدقاء . اما الاعداء فانهم ، اذا ما قتلوا العدوّ ، يسرعون في فصل نفسه صارخين مردّدين : « ابعد » ، وهي اعظم دعوة واهول لعنة تقع على العربي المائت . من ذلك قول حاتم :

وحق ترسكت العائدات بعدنه ينادين : « لا تبعد ا » وقلت له : « ابعد ا »

وكان من تأثير هذا الاعتقاد ان البدو كانوا ينفرون من « المثلة » نفورهم من افظع الشرور ، والمُثلة تشويه جثة القتيل بعد قتله . وبتأثير العقيدة نفسها ، كانوا ينفرون كذلك من قبول شرعية حدّ السارق الذي سنّه القرآن[1] ، وهو قطع اليد[2] . اما حريق الجثة فكان من نتيجته ، في نظرهم ، ان يفصل حالاً بين النفس والجسد[3] . وقد تسرّب هذا الاعتقاد الى التقليد الاسلامي ، فمنع « الحديث » حرق المجرمين ، لان عذاب النار[4] من خصائص الله وحده[5] .

وفي امكان المرء ان يقبلوا وداع ذويهم ، كما انهم يسرّون من تحية

---

١) القرآن ٥ [المائدة] ٤٢

٢) ومن هذا القبيل ما يتمسح به بعض اتقياء المسلمين من عدم اجراء العمليات الجراحية ، لانه ليس من اللائق ، في نظرهم ، ان يتقدم الانسان ، يوم القيامة ، وهو اقطع او اعرج . . .

٣) A. Mez, *Die Renaissance des Islâms*, Heidelberg, 1922, p. 350

٤) راجع كتابنا *Yazid I er*, p. 475 ؛ الذهبي : ميزان ٢ : ٢٦٧ ؛ اسد الغابة ٥ : ٥٢ ؛ الجاحظ : الحيوان ٥ : ٣٢ وقابل ٤ : ١٤٦ ؛ النسائي : السنن ٢ : ١٧٠ ؛ سيرة ابن هشام ٤٦٩ ؛ ابن عساكر : تاريخ دمشق (بدران) ٥ : ١٠٢

٥) على ان هناك بعض كبار المجرمين والزنادقة أُنزل بهم عذاب النار من امثال بابك الذي فُصلت اعضاؤه حياً ثم أُحرق بالنفط ، اطلب التنوخي : جامع التواريخ (Margoliouth) ص ٧٥ ؛ والحلّاج ، اطلب Massignon, *Al-Hallaj, martyr mystique de l'Islam*, I, Paris, 1922 p. 304, 312 ; A. Mez, *op. cit.* p. 209 ; وياقوت : ارشاد الاريب (Margoliouth) ١ : ٢٦٧ ، ٢٠٧

المارين[1] . وتظلّ نفوسهم عطشى في قبورها يرويها الخمر ، اذا كان اربابها من السكارى ، او الدم اذا كانوا قد قتلوا ، ولم يؤخذ بثأرهم بعد . وعلى هذا يدور الكثير من الشعر الجاهلي في ظمأ «الهامة» و«الصدى» كقول طرفة المتقدّم ، وقول حاتم :

اماويّ ، اما ستّ ، فاسقي بنُطفةٍ من الخمر ريّا ، فانضحنّ على قبري (٢

وما يروى عن الاعشى من ان الفتيان ، كانوا اذا جلسوا للشرب على قبره ، اعتبروه واحدًا منهم فاهرقوا الكأس على تراب القبر ، اذا وصل اليه الدور[3] .

اما في « الهامة » العطشى للدم فنعرف الكثير من الشعر كقول ذي الاصبع :

يا عمرو ، ان لا تدع شتمي ومنقصتي اضربك ، حيث تقول الهامة : اسقوني ! (٤

ولا يطفئ هذا العطش الا دم الواتر . اما اذا مات الرجل حتف انفه فيُستقى الدمام على قبره . واذا مرّ المسافر بالقبر وقف فحيّاه ، او وضع عليه اغصانًا خضراء ، او ازهارًا طيّبة الرائحة ، وان لم يكن لديه شيء من هذا وضع حجرًا[5] . ثم ان اهل الميت يزورون القبر من آن الى آن ، وقد ينصبون الى جواره مضربًا[6] يقيمون فيه دفعًا لضجر العزلة عن صاحبه . من هذا ما اوصى به عمرو بن العاص ، فاتح مصر ، عندما اتته ساعته ، فالتفت الى ذويه وقال : « اقعدوا عند قبري ... استأنس بكم . »[7]

وبناء على ما تقدم فاننا نفهم اي ذعر كان يستحوذ على البدوي اذا ما

---

١) حماسة ابي تمام ص ٤٠٦ ، ٤٣٧ ، ٤٣٨ ، ٤٨٦ ؛ البخاري : الصحيح ٣ : ١٠١

٢) ديوان حاتم ٧ : ٤٦ ٣) الاغاني ٨ : ٨٦

٤) المفضليات (Thorbecke) ص ٢٢

٥) ديوان اوس بن حجر (Geyer) ٢٢ : ١٦–١٧ ، ٢٣ : ٥ ؛ ديوان لبيد (الخالدي) ص ٢٩ ، ديوان النابغة ((Derenbourg) ٢٦ : ٢٦–٢٧

٦) الاغاني ١١ : ١٤٤ ؛ ١٥ : ١٢١ ؛ ١٩ : ١٠٨ ؛ الطبري ٢ : ١١٠٧ ؛ ابن حنبل : المسند ٢ : ٢٦٢ ؛ البلاذري (Ahlwardt) ص ٤٠ ؛ ديوان حاتم ٣٨ : ٤

٧) ابن عبد ربه : العقد ٢ : ٤ ؛ مسلم : الصحيح ١ : ٦٠

فكر بالموت بعيداً عن قومه[1] ، فهو يصرخ طالباً بان لا يترك في « بيت مظلم » في محل قصي ، حتى وان كان من مشهوري الابطال كزيد الخيل ، او من دهاة الصعاليك كمالك بن الريب ؛ وذلك خوفاً من ان لا يجدوا :

سوى السيف والرمح الرديني باكيا !

وهو بكاء ، وان كان مادةً للفخر الشعري ، لا يكفي لتعزية الميت وايناسه في وحدته المظلمة !

للشنفرى ان يقول ، بتجرده المعهود عن اهله :

اذا ما انتني ميتتي لم أبالها ، ولم تدر خالاتي الدموع وعمتي (٢

وهو لا يهتم بان يبكي عليه اهله لانه لم يعتد حياة القبيلة ، بل عاش عمره متشرداً يفضل الذئاب والضباع على قومه . ثم هناك سبب آخر . هو ان من واجبات النساء : العمات والخالات ، وسائر ذوات القربى ، ان ينحن على الميت نواحاً مستطيلاً كي يذكرن اولياء الثأر بواجبهم ، ويدفعنهم الى القيام بهذا الواجب . اما الشنفرى فلم يكن بحاجة الى هذا ، لانه كان قد سبق فاثار لنفسه الى ما وراء الحد[3] . فلم يخف ما يخافه غيره من الموت في الغربة ، فالحرمان من الانتقام الذي يُطفئ ظمأ النفس العطشى ، ويوسع القبر المظلم[4] .

***

هذا ما رأيناه جديراً بالنظر في ما خصّ صفة الثأر الدينية . وسنفرد بحثاً آخر لما كان يقوم به نساء العرب خاصة في تحريض اولياء الثأر على القيام بواجبهم ؛ ولما كان يستغله الشعراء من تلك المواقف .

---

١) حماسة ابي تمام ص٣٩٥ ؛ ٤٠٨ . — ولم يكن العرب يثأرون للخليع . ومن ثمّ فقد كانوا يخشون هذا الحرم الذي يتبعهم حتى ما بعد الموت .

٢) المفضليات (Thorbecke) ص٢٥ ، البيت ٢

٣) المفضليات (Lyall) ص٢٠٦

٤) راجع Noeldeke, *Fünf Mo'allaqât*, I, 64 ؛ حماسة ابي تمام ، ص٣٩٥ ؛ الاغاني ١٥ : ١٢٨

في الشعر

خواطر ونماذج

بقلم سعيد عقل

للشاعر سعيد عقل آراء طريفة في الشعر قد تبدو غريبة في نظر كثيرين من شعرائنا وادبائنا . وذلك ان سعيد عقل حاول ان يستخلصها ، لا من درس تحديدات الشعر العروضية والبيانية او تقسيمات الشعراء الى طبقات وفئات ، بل من ملاحظة حياته شاعراً : كيف يحس ، وكيف يجتر هذا الاحساس : كيف يرى ويسمع ، وكيف يعلم الناس — او يحاول ان يعلمهم — على ما يرى ويسمع : مستنداً ، فوق ذلك ، الى ما قام به شعراء الغرب المخلصون من وصف « حالاتهم الشعرية » . فكان من كل ذلك هذا المقال معنوناً على قسمين : خواطر نظرية في الشعر ، ونماذج من مختلف انواعه تدل على ان الشاعر لم يكتف بالنظريات . . .

١

خواطر

شغل تحديدُ الشعر جمهور المشتغلين بالادب ، في كل زمن ، ولا غرابة في ذلك ، فالناس قبل الطريقة العلمية الحديثة ، اكثر ما كان يعوزهم «التحديدات» . فكم من محدّث في « الجمال » بليغ ، او في « الفنّ » ، كان يتوقف حياء عند اعتراض مستفهم يقول له : ولكن ما هو « الجمال » ؟ وما هو « الفنّ » ؟

سأحاول ان احدّد الشعر اذن .

ولكن الطريقة التي اتبعها لن تكون نظرية من مثل التي يلجأ اليها غير المشتغلين بالشعر ، وصناعة الشعر — واردد لفظة «صناعة» — فهؤلاء ينظرون في المأثورات الشعرية ويرون تحديد الشعر في ما يتوهمون أن الشاعر قام بـه .

ولكن هل يدركون ، يا ترى ، جميع ما قام به هذا الشاعر ؟ ذلك ما يظلّ في ذمّة الناقد واخطاء النقد ؟

قال بودلير :

« كثيرًا ما فكرت كم يكون مفيدًا قولٌ لشاعر يريد به ، بل يقدر ان يخبرنا خطوة فخطوة ، عن الطريق المتتابعة التي سلكها في نظمه حتى وصل الى التعبير النهائي ، في اتمام القصيدة »

ويسمّي « بودلير » ذلك : « سفر تكوين القصيدة »

هي طريقة لم اجد انفع منها للوصول الى أمرين : تحديد الشعر ، ومساعدة خلق الشعراء .

انا اعيد بلاغ « گوته » ، شاعر المانية ، الى امر واحد : وقوفه على يد الرسامين الذين كانوا يقومون امامه بوضع صورهم . واني اعرف واحدًا اسمى شاعرًا فصيح الاداء ، لا ماهرًا في استلام الوحي وجعله خافقاً في اسود على ابيض ، من جراء وقوفه على يد شاعر ينظم ، فكان هذا يريه كيف يأتيه الفكر ، فيمحوه او يبقي عليه ؛ وينقد له من حين الى حين ، سبب الابقاء او الشطب ، وسبب استبدال فكر بفكر او اداء باداء .

الخلاصة : تعوزنا « التحديدات » ومنها تحديد الشعر ، ويعوزنا في هذا التحديد ان يكون من واحد اشتغل بالشعر ، فيصور لنا ما يحس انه يقوم به ساعة النظم ، لا ان يكون ممن يتوهم انه يدرك ما قام به غيرُه .

يقوم الشعر على عمادين :

التحسيسات النفسية التي تغمر الشاعر امام منظر ، او مرور خاطر .

واخراج هذه التحسيسات الى الناس .

التحسيسات النفسية لا اعمل فيها بحثاً طويلاً ، وكلنا يعرفها . كلنا انسان ، لكنني اشير الى ان هنالك فرقاً من حيث قوتها بين الشاعر والرجل العادي ، ومن حيث نوعها بين صاحب الذوق ومعدمه .

هي اقوى عند الشاعر . وهذا امر بديهي . واقصد بالشاعر هنا الرجل الحساس لا غير ، فقد يكون غيرَ مشتغل بصناعة الشعر .

وهي متنوعة عند صاحب الذوق ومعدمه، لان التحسيسات منجم فيه المرمر ممزوجاً بالحجر الدون، وبمقدار ما عند الرجل من ذوق يقاس اتجاهه الى المرمر دون غيره.

اما اخراج التحسيسات، عاد الشعر الثاني، فأسهب في بحثه. فالامر ادق مما يتوهمون.

ما هو الاخراج؟

هو ان يحاول الشاعر بواسطة الفاظ وضعية ان يجعل الناس، اكثر ما يمكن، مفسورين بحالته.

لا تفاوت بين مكانات الفنون من حيث التحسيسات. لكنها تتفاوت من حيث الاخراج.

ذهبت الى ان الموسيقي لا يفضل المصوّر من حيث انه موسيقي وذاك مصور. وإذا كان من فرق فيعود الى موهبة الشخصين.

اما في الاخراج فيظهر ان الطبيعة لم تكن مساوية بين الفنانين.

لقد حبت الواحد اكثر من الآخر، حبت الموسيقي في الدرجة الاولى، ثم المصور، ثم هذا المسكين الذي دعوه «الشاعر»

منجم الشعر مثلث: الطبيعة، والنفس البشرية، والفكر البشري. لكن احساساتنا دونها شيء مبهم مغلف كالعبر، فاي الادوات في يدنا نخرج بها هذا المبهم؟ ونضع الناس في حالاتنا المبهمات؟

في يد الموسيقي الحان، وليس اكثر ابهاماً من اللحن، فالموسيقي اذن منعم عليه، لديه مبهم يخرج به مبهماً.

وفي يد المصور الوان وخطوط، ومن يفهم اللون؟ او يحدده الا بالمقابلة، فلدى المصور ادوات مبهمات يخرج بها المبهمات.

اما الشاعر المسكين فما تراه يعمل وقد أعطي لاخراج احساساته — المبهمات — ألفاظاً وضعية قدّسها الاستعمال، وعقّدها على اسم هذا الشيء، وتلك الفكرة. فالشاعر والحالة هذه، من حيث الاداة، اقل الفنانين الثلاثة حظاً.

فأمسى عليه ان يكون ذوره لمزج الادوار.

قلت مهنة الشاعر — او الفنان عامة — ان يحاول جعل الناس ، اكثر ما يمكن ، مغمورين بحالته. ولم اقل : مهمته ان يُفهم الناس حالته.

مهمته ان يجعل الناس يشعرون معه ، لا ان يدركوا ما يقول ؛ ان يعملوا معه لا ان يتفرجوا على عمله فاهمين ؛ ان يندمجوا به ، لا ان يقولوا له عن بعد: دخلنا الى سرك . فان تمكن من الاولى كان شاعراً ، او تمكن من الثانية كان ناثراً ، وان لم يتمكن لا من هذه ولا من تلك كان لا شيء.

سندرس هذه الحالات في المقابلة بين الشعر والنثر.

يقول ڤاليري الشاعر : الفرق بين الشعر والنثر كالفرق بين المشي والرقص.

غاية الماشي ان يصل الى نقطة معينة ، فان فعل في الطريق ، وعطفات الطريق . في الواسطة عند الغاية.

وهكذا الناثر . ان غايتي الآن ان يستحيل منثوري الى معنى في افهام القرّاء . فان وصلت الى ذلك ، نسيتُ ونسوا الالفاظ التي استعملتها . وما يهمهم من الواسطة وهم في صميم الغاية . وهل يستعيد قراءة الصفحة الا من لم يفهم ؟ ويقدر الواحد منا ان يعيد على الاسماع فصلاً لابن المقفع دون ان يستعمل تعبيراً واحداً لكاتبه .

اما الراقص فغير ذلك ، ان الواسطة عنده لتندمج بالغاية ، ولا يقدر احد ان يستعيد العواطف التي اظهرها له الراقص الا اذا استعاد الخطوات نفسها والحركات نفسها التي قام بها الراقص . الرقص امتزاج الغاية بالواسطة . وهكذا الشعر . فما هو بالمعنى ولا هو بالمبنى — ولقد بدأوا اليوم يقلعون عن هذا التفريق — الشعر هو هذا الشيء الذي لا ينفك يتهادى بين المعنى والمبنى ؛ ما هو بالانا ولا ما في الانا ، هو هذا العشق الذي بين الاثنين متحدين.

وذهبت في الشرح الى ابعد من ڤاليري ، قلت : الفرق بين الشعر والنثر كالفرق بين الموسيقى المتعددة الاصوات (polyphonie) والموسيقى الفردية الصوت (monophonie).

الموسيقى المتعددة هي ان تقوم عدة ادوات او عدة اوتار ، في الوقت

نفسه ، بنغمات مختلفة والفردية هي ان تتفق الادوات وتجمع كلها على النغم الواحد.

وما احساس السامع من الفردية ، وما احساسه من المتعددة ؟

كل يوسعه ان يتحسس الفردية ، ومن لا تهزه الوتيرة الواحدة (mélodie) ؟ فهذه الموسيقى أداء الشعوب الأوّل أو المتأخرة ، وهي مهدهدة لذيذة ، لكن لذتها بالنسبة للمتعددة لهي ضآلة بالغة.

اما هذه فصعبة التحسس . على المرء ، ليتحسسها ، ان يكون في قرارة نفسه استعداد موسيقي ، او ان يكون على تهذيب فني . واما اذا قُدّر له ان يتحسسها فيجد اي لذة ، واي فرق بينها وبين الفردية ! وهذه الموسيقى من خصائص الغربيين ، من خصائص البلدان المتقدمة في المدنية ، ولا عهد للشرق بها

وسنرى في استطراد درسها سبب افضليتها على الفردية ، وسبب اللذة البالغة التي تبعثها ، وسبب عبقريتها في اظهار العواطف.

ان العين اسهل درساً من الاذن . ولنفهم هذه عن طريق تلك:

اذا وقفنا امام منظر ، ارتسمت في العين كل الاشياء التي تؤلف هذا المنظر. لكنّ شيئاً واحداً يقع على ما يسمونه « النقطة الصفراء » ، شيئاً واحداً تتجمع لرؤيته اكثر قوى النظر . وهذا هو وحده الشيء « المرئي » بين بقية الاشياء « المنظورة » . وثمة فرق كبير بين « النظر » و« الرؤية » . نحن « ننظر » بالوقت نفسه الى الف شيء ولكننا لا نقدر ان « نرى » الا نقطة واحدة معيّنة.

هذه النقطة هي التي نعيها ، اما الاشياء الباقية ، فنشعر بوجودها دون ان نراها.

النقطة المرئية تخاطب فهمنا . أمّا الاشياء المنظورة فتخاطب احساساتنا.

وهكذا الاذن ، وقوانينها تعرف ايضاً فرقاً كبيراً بين « الاصغاء » و« السمع » .

نحن لا نقدر ان « نصغي » الا الى لحن واحد ، فنفكر به ، واما البقية « فنسمعها » ونحلمها.

لحن واحد يخاطب فهمنا والبقية تهدهدنا فتلذذنا. لحن واحد يخاطب بجلائه

عقلنا المميز، اما بقية الاصوات التي قُدّر لها ان تظل في حقل السمع فانها تعمل، بروعة الخفايا والاسرار، على ايقاظ احساساتنا.

نحن نصغي الى الجليل، (le sublime). اما ما نسمعه فعجيب، وفوق الطبيعة، انه الحلم او كالحلم.

ومن هنا نرى الفرق بين الموسيقى الفردية، والموسيقى المتعددة، في الاولى صوت واحد يستدعي اجمالًا التفكير ليس الا.

اما في الثانية، فعدا هذا الصوت البارز، اصوات اخر توقظ الاحساس وتغمرنا بضباب عجيب.

والنثر من الشعر كذلك:

الاول معنى لا غير، واما الثاني فمعنى مغمورٌ بضباب عجيب يُهيئ لك الجوّ، حتى اذا جاء المعنى تلتك فيه.

نقول في النثر مثلًا:

نحن الشعراء، ننفع الناس، ولكنهم ينكرون الجميل.

ونقول في الشعر:

ونحن اولي الشعر نمي هنا: على الناس، والناس لا تشعرُ،
حملنا الربيع على الراحتين، وماج باعطافنا النبرُ.

ان هذين البيتين قد شملا معنى النثر بنفسه؛ لكنهما، فوق ذلك، اطلاه من جوّ الحلم.

ان الشعر كالموسيقى المتعددة الاصوات، حوى الصوت البارز «نصغي اليه» وهدهد حوله بقية الاصوات «نسمعها»

والآن ايكون بوسعنا ان نرى مثل ذلك في هذا البيت؟

اذا انت اكرمت الكريم ملكته، وان انت اكرمت اللئيم تمردا

لا، وان هذا — على حكمته الجليلة — ليس من الشعر في شيء. هو معنى، هو فردي الصوت، لا ضباب، لا تعدد اصوات حول معناه، يخاطب العقل، ولا يوقظ الاحساسات.

يقول الناثر :

انت جميلة حزينة ،
وانت لطيفة توحين مراعاتك .
أنت جميلة حزينة .
أسكتُ أمامك متبرّماً :

ويقول الشاعر :

أرى في جمالك شيئاً كئيباً يهيم على شاطىء قانع
تجنّبه النسمات ، وتحنو اغانيها خفقة النازع
جمال ترشّح بالسمات الكآلى وبالنغم الناجع
الاقيه في وجمة المتقي واختنق صوتي من الساجع
فلا يخدش البَوح من فكره ومن هدأة الحلم الشائع

يقول الناثر :

في وجهك سالم الحزن .
ولا اريد ان آتي امامك على ذكر الفرح . فقد تتأثرين .

ويقول الشاعر :

وفي شرك الرطب لمن يتيم ينوح على وتر هاجع
وفيه احتضار الشتاء الاخير جريحاً على الاخضر الطالع
فذكر الربيع على سمعه حرام، وذكر الهوى الراجع

واجماعاً اقول :

الفرق بين الشعر والنثر ، من حيث الاخراج ، كالفرق بين الموسيقى المتعددة الاصوات والموسيقى الفردية الصوت .

الفردية صوتٌ ، والنثر معنى . المتعددة صوت نافر بين جوٍ من الاصوات ملئ بالاسرار الحيّة التي تخاطب الاحساس .

والشعر معنًى يتهادى بين الاسرار الخفرة ، هو وقت محدود تعطيه الاسرار مسحة الدوام ، هو لذة وقتية تخلع عليها الخفايا كل ما يأمل الانسان من ملذات دائمة .

***

وبعد هذه المقدمات ، صار بوسعنا ان نفهم قول مدام ده ستال وهي من اكبر باعثي الرومنتيسم في فرنسة او باعثي الشعر الحق ، قالت :

« اذا حركت النفس عاطفة قوية ، لجأ الناس العاديون انفسهم الى الصور والاستعارات ، لجأوا الى الطبيعة الخارجية للتعبير عما يجري في داخلهم مما لا يعبر عنه »

وتقول ده ستال في موضع آخر :

« ان جمال الانشاء ليس ميزةً خارجية تماماً ، لان الاحساسات الحق توحي دائماً التعابير الاكثر رفعةً ، والاكثر موافقةً ... وان المبنى ، في عالم الفنون الجميلة ، يخص النفس مثلما يخص الموضوع عينه »

***

اخيراً ، ان هذه المقابلة بين الشعر والنثر قد ارسلت لنا نوراً على العمل الذي يقوم به الشاعر لاخراج تحاسيسه الى الناس .

بقي ان نتفهم بعض الحواشي في عالم الاخراج .

سأعرض الآن بين نماذج الشعر ابياتاً يظن لاول وهلة انها معنى فقط ، انها شيء من الموسيقى الفردية ، من بيت المتنبي الذي تقدّم ذكره ، فما السبب ؟

لقد كنت القراء في الكلام على الموسيقى ان لا موسيقى متعددة الاصوات بكل معنى الكلمة .

فالقطعة من الموسيقى المتعددة تتقطع من حين الى حين بموسيقى فردية .

ذلك لان البشر ـ كما المت ـ ضعيفون ازاء هذه الموسيقى .

قسم قليل من الناس من بوسعه ان يحس من الموسيقى المتعددة قطعةً ذات لحنين ، واقل منهم من يحس ذات الثلاثة ، ولا يحس ذات الاربعة الا الموسيقيون .

وليس بالسهل ان يتابع الواحد مسير لحن بين عدة . فكيف به يتابع اثنين وثلاثة ؟ فيعمد الموسيقيون من حين الى حين الى تقطيعها بالموسيقى الفردية .

وهكذا في الشعر ، فلو ظل الشاعر يقدم المعنى من خلال الاجواء لاتعب سامعه ، لهذا يعمد من حين الى حين الى ارسال المعنى عارياً .

ولعلّ ذلك من الجنات الشعرية ، اذ نحن، عند هذا التنزل من الشاعر او الموسيقي ، « ان الفكرة السائدة قد خرجت من الضباب كالشمس فنشكرها زيادةً على صفائها وجلائها ، بعد ان كنا نستشعر الخوف من التيه »، مع ارتفاعات الشاعر .

ومن هنا ايضاً نرى السبب في اشكال بعض القصائد على فئة وسهولتها على فئة اخرى .

فاذا قرأ الواحد منا ابياتاً لم يفهمها ورأى ان شاعراً موهوباً يمدحها ، فلا ينسب ذلك الا الى ضعفه هو . فقد تكون القصيدة من نوع الموسيقى المثلثة الاصوات ويكون هو ممن ليس بوسعهم ان يتحسسوا غير المزدوجة ، وقد تكون مزدوجة وهو لا يقدر ان يتحسس سوى الفردية .

وان هذه لكالنثر ، او كالشعر المتداول وهو الذي يفوق النثر بالقافية والوزن . فلنثقف انفسنا على تحسس الشعر ، وليكن المحك غير الشعر المتداول . ولا يظن من يفهم الشعر المتداول أنه صار على شيء من التهذيب الفني الذي يستدعيه تحسس الشعر .

والشعر — على قول بعض النقّاد — لغة الخاصة ، وهذه لم تتوفر الا في اليونان القدم ، وفي القرن السابع عشر في فرنسة .

***

واجمل حديثي بالقول :

أرى الشعر ، اولاً : تحسيسات نفسية من شخص ارفع طبقةً في الاحساس من الناس .

ثانياً : مجيء هذه التحسيسات بقالب يجعل الناس ، اكثر ما يمكن ، مفعومين بحالة الحساس .

ولا يتمكن الشاعر من غرضهم بحالته الّا بمخاطبة العقول والاحساس معاً ، فهو يعرف ان لا يقدم معنى للعقل الّا اذا جاء من جوّ مليء بالاسرار والخفايا التي تخاطب الاحساس .

٢

نماذج

قصائد ومقطعات للشاعر نفسه (١)

المسبع

مقطعان من قصيدة « المجدلية » المنظومة في السنة ١٩٣٢

كان ، في ذلك الزمان ، على تلٍّ صغيرٍ مخضوضر الجنباتِ ،
شاعرٌ ، جنّح السنى شفتيه ، ينثر الزهر في ندى الكلماتِ ،
قام بين الامواج : من نظر الناس ، ومن مسمع الذرى الواجماتِ ،
ينثر الآي في الانام ، ويرمي ، للخلود الحادي ، جمالٌ صداه ؛
تمتمتْ حيناً تقول : يسوعُ ! هيهاتٌ آنا تُعيد : الله !

...

عند شاطئ الاردنّ بين الخميلات ، تلاقى يسوع والمجدليّة .
رمقته يذرذر الشعرَ فجراً ، ويردّ الأبرادَ وَهجَ عشيّة ؛
تشكي رحمةُ العلى بين جفنيه ، اتكاء السنى بحضن البريّة ؛
ويجول السلام في شفتيه حُلماً اخضراً ، وافقاً بليلا ؛
يلتوي ، نقلةَ الطفالى ، نحيلا ، ينثني ، مشيةَ الملوك ، جليلا ؛
الرياحين في يديه تندّت ، وارتمت ، حول كفّه ، إكليلا ،
سربلته اشذاؤها ؛ سربلته سحبُ النور ، سربلته الهيولى .

ليلة قمراء

مقطع من القصيدة نفسها في وصف ليلة قمراء اكتنفتها السكينة

سلسل البدرُ نورَه ، مخمليا ؛ بين تلك الخمائل الحالماتِ ،

---

(١) حقوق النقل محفوظة .

وتقضي الظلامُ ، إلا هزيماً يتهادى كراكباً راقصاتِ ،
هينماتُ النسيمِ ، رقرقة الاضواء ، مسفوحةٌ على الكائناتِ ،
في صفاء السماء والارض طرفٌ باسط الجفن للرؤى العلويّة ،
في وجوم السماء والارض ارهافٌ لنجوى المسيح والمجدليّة .

سكوت

ابيات في وصف عاطفة ناعمة

أحبّك في ذلّةِ الراكعِ ، وأحيا على أملٍ وادعِ ؛
وأعرف ألّا ابوح بحبّي ، فابقي له مسحة الخاشعِ .
أرى في جمالك شيئاً كئيباً يهيم على شاطئٍ قابعِ ،
تجنّبه النسماتُ ، وتخفت انفاسُها خفتةَ الفازعِ ؛
جمالٌ توشّح بالبسمات الشكالى ، وبالنغم الناجعِ ،
ألاقيه في وجمة المتّقي ، واخنق صوتي عن السامعِ ،
فلا يخدشُ البوحُ من فكره ، ومن هدأةِ الحُلُمِ الشائعِ .

. . . . .

أحبّك ، منكسرَ الطرفِ ، خوفَ انفلاتك من نظر طامعِ ؛
وأمسح من عبرتي ، في الخفاء ، فلا تقعين على دامعِ .
وفي تغرك الرطب لحنٌ يتيمٌ ينوح على وترٍ هاجعِ ،
وفيه احتضار الشتاء الاخير ، جريحاً على الاخضر الطالعِ ،
فذكر الربيع ، على سمعه ، حرامٌ ، وذكر الهوى الراجعِ .

. . .

حنانك ! لا تسأليني مدى سكوتي الى قربك الشافعِ ؛
وقربك لي معبد مُترعٌ اللذائذ ، في صمته الجامعِ ،
أمرّغ في ارضه عزّتي ، وأمضي ، على لذّة القانعِ .

٢٨ تشرين الاول ١٩٣٦

وصف معركة

مقطع من رواية « بنت يفتاح » التمثيلية ، وهي التي نالت جائزة « الجامعة الادبية » في بيروت لسنة ١٩٣٥ ! يصف فيه يفتاح لابنته راحيل ، نتيجة المعركة بين اسرائيل وبني عمّون ، وقد خشيت الابنة ان تكون النتيجة انكسار قومها ، فاجابها يفتاح :

... لا ، وراحيلَ ، فيفتاح في انتصارٍ فوْدِ :
سفح العزّ دوننا ، وكسانا بُردَ مجدٍ رَحبٍ على بُردِ مجدِ ،
فجر نصرٍ يحيا على الاعصر الغُرِّ وتشدو جلالَه البيداءُ ،
عاد يفتاح بالغنائم والاسرى تضيقُ الربى بهم ، والفضاء .
ضرب الضربة السخيّة في عمون ، فانهدَّ عزّها بحُطامه ،
حصد الهام ، فالسهول تجلّلن بهامٍ رَقدٍ على اقدامه .
لقي الجيش في «عروعير» ، صبحاً ، ينزل الرعبَ دقّهُ ، والظلاما ،
تتقرّى الهنّاتُ عن جانبيه ، فتخال التهديدَ منه حِماما .
لا انتهاءٌ له ، ولا وهن يُضرب منه ، فتبدأ الهيجاء .
وتلوّت رجالُنا ، مَضَضَ الحيران لاقته فجأةً نجلاء ؛
لم يطقها يفتاحُ وقفةَ جُبنٍ ، فعلا صوتُه يصمّ الرياما ،
امر القومَ بالهجوم ، وبالموت ، فأدمى الشتى ، وادمى الصياما .
كم نفوسٍ تناثرت والعوالي ، وجسومٍ تعانقت والمواضي ؛
خطبة السيف خطبةُ الحقّ ، فالكاسي ثيابَ الدماء كالسي البياض
صخبُ الحاملين ملء الصحاري ، ونزاع الفرسان ملء البرايا ،
والتلال الدكناء من جثث الابطال ، والافق من لهاث الضحايا .
يتهادى يفتاح في مطلع الجيش ، على عزّة الابيّ الظافر ،
قيل : مستقتلٌ ؛ وقيل : شجاعٌ عشقته ، فهادنته البواتر .
يتحاشى عن الجبان ، ويجري عارضاً صدره على المقدام ،
فاذا يلتقيه في فجأة الطالب ، يرمي بنفسه للحمام .
وتردّى النهار بالدم ، فانزاح ، وابدى المساء قبل المساء ،
ورأى الناسُ عزمَهم متقل الخطو ، كسولاً الى لقاء القضاء ،

فتنادى عصف المنيّةِ فيهم ، وتهادت منه الربى والسهولْ ،
فـاذا فجعـةُ الحراب فناءٌ يتلوّى على المدى ويعيلْ .
واذا دفقةٌ من البدر تجلو أكاتِ الاحياء والاموات ،
عرف الناس ايَّ شطرٍ اصابوا ، فاذا السيف في ظهور العداة .
وسرى الفتح من «عروعير» يبغي حدّ «منيت» و«القرى المشرينا»
وعلى رقصة السنى والاغاني ، داس يفتاح في بني عمونا .

٤ ايار ١٩٣٤

المغني

قطعة في وصف الالحان الجليلة ، فالمفرحة ، فالباكية

يا نَجيّي ، ونجيَّ الزُهر اترابي الجِرارِ ،
غنّني أشهى من الغفو على صدر مُدارِ ،
نغمةً فيها من الرهبـة في ظلّ المزارِ ،
ومن الاسرار ، والتيه ، باحضان الصحاري .

. . .

شتّ آناقاً من الالحان ، ملأى بالجواري ،
راقصاتٍ في التمالي ، غافياتٍ في القرارِ ،
يرتدينَ الحُلمَ من بُردٍ ، ومن جرّ إزارِ .
وانثرِ الآهـاتِ أشلاء لآمالٍ صغارِ ،
خضّبتها وحشةُ القبر ، وذيّاك الجوارِ ؛
فاذا يرشفُك الأنّ ، وتحـوك الدراري ،
اجـد الدنيا من الآه على نورٍ مُعارِ !

. . .

غنّني شتّى الاماني : من كواسٍ ، وعوارٍ ،
من طلوع الفجر ، أنشدني ، ومن نزع النهارِ !

١٢ تموز ١٩٣٤

الشاطئ

ذكريات يثيرها تواثب الموج على الشاطئ اللبناني

تَرودُ على الشاطئ الحالمِ عرائسُ في برقعٍ ناعمِ ،
يرنّح أجنحتَهنَّ الهديرُ ، فيغرقنَ في خاطرِ الواهمِ .
على زورقِ الموج ، اظلالُهنَّ ضواحكُ للافقِ الباسمِ ،
تكاد بهنّ تُطلّ اساطيرُ لبنان ، في الزمنِ الراجمِ .
يقولون : ضلّ الهُ قديمٌ بجوٍ عليلِ السنى ، غائمِ ؛
نكان ، ولا بدّ ، ذات مساء ، على صخرِ شاطئنا الجاثمِ ،
توقّفَ عن جريه ، في صلاةٍ ، وسبّح في ذلّة النادمِ ؛
فهشّت جوانبُ لبنانَ تحنو على المؤمن الاولِ القادمِ ،
وظلّ صدى الحجّ ملءَ العصور ، يهبّ بشاطئنا الحالمِ :
خشوعٌ ، وروعةُ قِدمٍ سحيقٍ ، ومعزوفةٌ من فتًى هائمِ ؛
تخال الزمان يلّ لُقاها ، ولم يصحُ من سكرهِ الدائمِ .

تباركتَ ، يا موج ، زفّ الهدير ، طروباً ، الى الزورقِ النائمِ ،
فتوقظ للزهو بجذافه النحيلَ ، وللعرس القائمِ ،
ويغنى الشعورُ بحسنٍ ، ولا يظلّ سوى الزورق العائمِ .
اراه جرى في المياه ، عليلَ الجوانب ، مرتقص القادمِ ،
يذوب الخفيف على مَرّهِ ، اغانيَّ موجعة الناظمِ ،
فيغنج ملءَ المساء ، ويسفح حلماً على الابدِ القاتمِ .

توشّح شاطئ لبنانَ بالوهم ، وانزاح عنْ قدرة الفاهم :
ومالٌ ، على وحشةٍ حلوةٍ ، تموت على الازرق الناقمِ ،
وجُهمٌ من الصخر ، مسحورةٌ ، تلفّتُ بالنظر الناهمِ ،
ومثلُ انتفاض من الكون عذبٍ ، يُطلّ من العدم الراحمِ .
تُرى شطُّ لبنان ، وجهاً ضحوكاً ، كوجهي ، تجهّم للظالمِ !

١٩ اذار ١٩٣٥

مواسم الحجاز

وتسهيلها سبل اللهو في العصر الاموي *

بقلم جبرائيل جبور
احد اساتذة الادب العربي في جامعة بيروت الاميركية

كانت هناك مواسم في الحجاز سهلت على شباب ذلك العصر سبل اللهو، وساعدتهم على الالتقاء بالمرأة، والتقرب اليها والتعرض لها، سواء أكانت حرة او أمة، شريفة او وضيعة. وقد نال المرأة بسبب هذه المواسم حظ من الحياة مع غير زوجها او ابيها او اخيها او قريبها، فتعرفت الى الشاب واجتمعت به، وحادثته وحادثها، واحبته واحبها، واستمعت الى شعره فيها ان كان شاعراً، واسمعته نقدها ورأيها في هذا الشعر.

وكانت هذه المواسم، بالوقت نفسه، مدعاة الى تطور الحياة الاجتماعية عند اهل ذلك الجيل، بحيث اخذ الكثير منهم يفهم الحياة على غير الوجه الذي كان يألفه من قبل، كما انها ساعدت على ترقية الحياة الادبية عند العرب.

المدينة والعقيق

لم يكن التطور الذي طرأ على الحجاز بالشيء اليسير، ولقد نال المدينة، فيما يظهر لنا، اكبر نصيب منه. ذلك انها كانت مركز الخلافة لدولة الراشدين، فتحدر اليها اكثر الفيء، واكثر الرقيق والسبي. وتقع المدينة على سهل تحيطه من بعض جهاته ارض حمراء بركانية. غير ان تربته في الجهة الجنوبية مشبعة من المياه التي يندر وجود مثلها في سائر الحجاز. وتظهر هذه المياه وتكثر بعد نزول الامطار وتحدر السيول، وتتوزع بعض مياه الامطار والسيول تحت سطح الارض، وتستقر في جوفها[1]. ومن هنا نستطيع فهم

* فصل من كتاب في « عصر عمر بن ابي ربيعة » : مظاهره السياسية والاقتصادية والاجتماعية، سيظهر قريباً في المطبعة الكاثوليكية.

1) ياقوت ٤: ٤٥٦ وبول – الموسوعة الاسلامية – تحت al-Madina

سبب كثرة الآبار في المدينة ، واستعمالها لسقي الزرع.

وينبت في تربتها المخصبة انواع كثيرة من الاشجار المثمرة ، اهمها النخيل. ومناخها ، على ما في صيفها من حرّ وشتائها من برد ، خير من مناخ مكة ؛ وهي تفضل مكة من حيث المزروعات والاثمار ايضاً . وقد اصبحت ، بعد انتقال الخلافة الى دمشق ، موطناً للكثيرين من هؤلاء الذين رغبوا عن السياسة الى الهدوء والراحة والدعة[1] . فقد رجع اليها الحسن بن علي بعد ان بايع معاوية[2] . وفيها اقام عبدالله بن جعفر كما هو مشهور[3] . وفيها اقام الصحابة المهاجرون ، اول الاسلام ، فبقيت بعدهم اكثر عائلاتهم . واليها انتقلت كما سترى عائلة عبدالله ابن ابي ربيعة ، والد شاعرنا ، فولد عمر ونشأ فيها فيما نرجح وفيها اقام ابن ابي عتيق[4] ، والحسن بن الحسن بن علي[5] ، وابن علي من الحنفية[6] ، وسعد بن ابي وقاص[7] ، وغير هؤلاء حتى قيل انه كان فيها ، قبل فتنة ابن الزبير ، من بني أمية واحلافهم خلقٌ كثير ، رووا انهم اكثر من ثلاثة آلاف[8] . وقد اجلى ابن الزبير بعضهم الى الشام[9] ، وظلوا يحنون الى الحياة فيها[10] . وهكذا اصبحت المدينة ، كما ذكرنا ، موطناً لطبقة كبيرة من الناس ممن آثروا حياة الهدوء والدعة على الحرب والاشتراك في الخصومات السياسية ، بحيث استطاعوا فيما يقول بُول (Buhl) ان يتمتعوا وهم مطمئنون بهذه الثروة الكبرى التي تحدرت اليهم اثر الفتوحات[11] ، وانتهى ببعضهم الترف في العيش الى شيء عظيم من اللهو والمجون والعبث[12] ، بحيث ذكر الطبري ان مروان الاخير ، رأى احد رجال المدينة ممن خرجوا عليه في ثورة سليمان بن هشام بن عبد الملك سنة ١٢٧ هـ ، فقال له : « يا فاسق ، اما كان لك في خمر المدينة وقيانها ، ما يكفك عن

---

١) بُول — الموسوعة الاسلامية — تحت al-Madina

٢) الطبري II : ٦ والدينوري ٢٢٢ ٣) الاصبهاني ١١ : ٦٨، ٦٦، ٧٠ وراجع فهرس الاغاني لسكويدي تحت عبدالله بن جعفر ، وابن عبد ربه ١ : ١٤٥

٤) الاصبهاني ٨ : ١٠ و٧ : ١٢٢ ٥) الاصبهاني ٢ : ٦٣–٦٤

٦) الدينوري ٣٠٨ ٧) المسعودي ٤ : ٢٥٤

٨) الاصبهاني ١ : ١٤ ٩) الاصبهاني ١ : ١٤ ١٠) الاصبهاني ١ : ١٥

١١) بُول — الموسوعة الاسلامية — تحت al-Madina ١٢) الاصبهاني ٢١ : ١٧٦

الخروج معي . تقاتلني ؟» قال: «يا امير المؤمنين، اكرهني، فانشدك الله والرحم!» قال: «وتكذب ايضاً ؟ كيف اكرهك ، وقد خرجت بالقيان والزقاق والبرابط معك في عسكره ؟ »[1].

وقد ذكر الاصبهاني ان الفرزدق كان يقيم فيها ويختلف الى بيوت القيان[2]. وروى ان مروان بن الحكم، عاملها لمعاوية ،انكر عليه هذا ، ثم لقيه ، فقال له :

قل للفرزدق ، والسفاهة كاسمها ان كنت تارك ما نهيتك فاجلس
ودع المدينة انها مذمومة واقصد لمكة او لبيت المقدس[3]

عصر المدينة الذهبي

ولعل هذا العصر كان عصر المدينة الذهبي الذي تغنت بامجاده الشعراء وقتئذٍ ، من جمال في الرياض المحيطة بالمدينة ، الى لين ودعة في العيش ، الى غنى ومال عظيم ، الى تساهل من قبل رجال الحكم ولعلك التفت الى هذه النواحي الجديدة في حياة اهلها في ذلك العصر، من اتخاذ بعضهم غرفة خاصة، جعلها نادياً ، يتردد الرجال اليها ، فيها من الالعاب الوان كثيرة، ومن ضروب التسلية طائفة كبيرة . ومن ترددهم ايضاً الى حفلات الغناء ؛ فقد كانت تعقد فيها ، كما رأيت ، حفلات كثيرة للغناء ، منها عامة ومنها خاصة ، كان يلبس المغنون في بعضها ، كما روي ، لباساً خاصاً.

ولقد كانت هذه المواسم الغنائية التي تعقد في المدينة مقصد الكثيرين من طلاب اللهو، لا سيما من اهل مكة. ولنا ، في اخبار بعض شعراء مكة وشبابها من اهل المرح واللهو ، ما يفيد انهم كانوا يقدمون خصيصاً لحضور مثل هذه الحفلات الغنائية[4].

وكان صاحبنا عمر من اكثر الناس تردداً لمثل هذه الحفلات،وهو في المدينة ، ثم لم يفته ، بعد ارتحاله عن المدينة ، ان يقصد اليها لحضور هذه الحفلات الغنائية[5].

---

١) الطبري II : ١٦١٠ ٢) الاصبهاني ٢١ : ١٩٧
٣) الاصبهاني ٢١ : ١٩٧ ٤) الاصبهاني ٧ : ١٢٥ ٥) الاصبهاني ٧ : ١٢٥

العقيق

ولقد كان هناك في المدينة موضع خاص ، لعله كان اكثر مواضعها حظاً من حياة اللهو والعبث والمرح والطرب ، و كان لصاحبنا عمر ايضاً فيه حظ كبير. ذلك هو العقيق ، وادي المدينة البهيج ، ومتنزه اهلهـا ، ومزار الكثيرين من طلاب اللهو من سائر مدن الحجاز.

يبعد اول العقيق عن المدينة نحو ميلين او ثلاثة من الجهة الجنوبية الغربية[1]. وتنحدر اليه السيول الهابطة من الجبال حوله ، فتجعل فيه نهراً كبيراً يضطرب في بعض الاحيان مثل مدّ الفرات[2] – ترمي اواذيه العبرين بالزبد – ثم يهوي على الجنائن والبساتين ، فيسقي نخلها ، ويروي روضها ، وينعش نفوس هؤلاء العرب هناك من اهل المدينة وما جاورها الذين خلا قطرهم من الانهار ؛ فما هو الا ان يسمعوا ان العقيق قد سال حتى تراهم ، وقد هرعوا اليه افواجاً افواجاً ، وجالاً ونساء ، يتمتعون بمنظره البهيج ؛ وينفرد بعضهم ليستحم بمائه ؛ ويعقد البعض الآخر حول ضفافه وعلى بساط رياضه حلقات الانس والطرب ، فيستنشدون الشعراء فينشدونهم من شعرهم ، ويلتمسون المغنين فيسمعونهم من عذب انغامهم ، بينما يتروى غيرهم تحت نخيله يشربون ويعبثون[3].

العقيق وحلقات اللهو فيه

ذلـك هو العقيق متنزه اهل المدينة في ايام الربيع والمطر ، فيما يقول ابو الفرج[4]. فهو بروعته وجماله المفعم الاخاذ يجذب اليه هذه الجماهير من اهل المدينة واهله ، فينتشرون على اراضيه ينعمون بالجمال الذي يحيط بهم. كل في لهوه ، فترى نفراً من المغنين اندفعوا يتغنون ، فاجتمعت عليهم نساء اهل الوادي حتى صار مراحهم كمراح الضأن. ويرى ابن عائشة ذلك ، فيلتفت الى صاحب معه ويقول :

١) ياقوت ٣ : ٧٠٠ Lammens – الموسوعة الاسلامية – تحت 'Akīk

٢) الاصبهاني ٢ : ١٧٣

٣) الاصبهاني ٢ : ١٢٠ ، ١٤ : ٧٦ و Lammens – الموسوعة الاسلامية – تحت 'Akīk

٤) الاصبهاني ٢ : ١٧٣

«اما والله لافرقن هذه الجماعة». ثم يأتي قصراً من قصور العقيق، فيعلو سطحه، ويلقي رداءه، ويتكىء عليه، ويغني:

هذا مقام مطرد مدت منازله ودوره

فلا يقضي صوته حتى تحتشد النساء اليه، فلا تبقى امرأة منهنّ الا جلست تحت القصر، فيقول المغنون في الحلقة الاولى: «هذا عمل ابن عائشة وحده»[1].

او ترى المواكب يسير فيها ارستقراطيو ذلك البلد، من رجال تحفّ بهم حاشيتهم، الى نساء تحفّ بهنّ جواريهن؛ فهنا عبد الله بن جعفر يتنقل بين حلقات المغنين يجبر هذا ويكسو ذاك[2]، وهناك موكب سكينة وهي خارجة من قصرها بالعقيق لتغتسل بماء واديه[3].

او ترى نصيباً وكثيّراً والاحوص يركبون افضل ما يقدرون عليه من الدواب، ويلبسون احسن ما يقدرون عليه من الثياب، ويسيرون متنكرين. ثم يتصفحون هذه الحلقات والجماعات في العقيق، ويرون بعض ما يشتهون، حتى يرتفع لهم سواد عظيم فيأمونه حتى يأتوه، واذا وصائف ورجال من الموالي، واذا نساء بارزات، فيسألون النزول وينزلون، واذا كراسي موضوعة فيجلسون، جميعاً في صف واحد، يستمعون الى بعض الجواري وهي تغني بشعر نصيب احدهم[4].

او ترى صاحبنا عمر خارجاً اليه، وقد واعد نسوةً من قريش الى موضع فيه يتحدثن معه، وترى بجانبه مغنيه الغريض يساعده على لهوه، ويمسك معه بطرفه وبرديه ليظلّا على صاحباته حتى يستترن من سقوط المطر[5].

او ترى ابا السائب المخزومي ليلةً، بعد ما وقد السامر، يأتي صديقاً له ليستصحبه الى العقيق، فيذهبان ويتحدثان ويتناشدان حتى يسمع ابو السائب صديقه ينشد للعرجي:

باتا باتم ليلة حتى بدا صبح تلوّح كالاغرّ الاشقر
فتلازما عند الفراق صبابةً اخذ الغريم بفضل ثوب المعسر

---

١) الاصبهاني ٤: ١١٥
٢) الاصبهاني ١١: ٦٧ و ٢: ١٧٢
٣) الاصبهاني ١٤: ١٧٢
٤) الاصبهاني ١: ١٤٢
٥) « ١: ٦٦

فيقول : « اعده علي » ، فيعيده . فيقول: « احسن ! والله امراته طالق ان نطق بحرف غيره حتى يرجع الى بيته . » ويلاقيه احد احفاد علي ، فيسلم ، ويسأله: « كيف انت ؟ » فيقول:

فتلازما عند الفراق صبابة أخذ الغريم بفضل ثوب المعسر

ويلقاه آخر ويكلمه ، فيردد له هذا البيت ، حتى خشي السامع ان يكون به جن ويخاف عليه ان يتهوّر ببعض آبار العقيق[1] . او ترى ما هو اغرب من هذا كله طبقة خاصة من اهل ذلك الوادي سمتهم الكتب العربية باسم خاص « المخنثين » ، مخنثي العقيق . وضرب برقتهم ونعومتهم او بالاحرى تخنثهم المثل حتى قيل: اي بيت من الشعر نصفه كانه اعرابي في شملته ونصفه الآخر كانه اعرابي مخنّث مفكك ؟ فقيل: قول جميل :

الا ايها الركب اليمام ، الا هبوا ! اسائلكم : هل يقتل الرجل الحب ؟

وقيل: كأن الشطر الثاني من مخنثي العقيق يتقصف تقصفاً[2] . كل في لهوه يجمعهم السرور في صعيد واحد تصدح في اكثر ارجائه انغام الموسيقى المطربة والاصوات العذبة حتى ليبدو الوادي انه بقعة خلت من كل الآلام واكتست ابهى الحلل وهنئت باحلى الاحلام .

مرآة الغيب

ولست اعلم في كل العالم العربي الآن موضعاً يشبهه لا من حيث المنظر الطبيعي ، من ماء جار فياض ، وروض معشب انيق زاهر ، وجنات غناء يسنّه اعالي اشجارها « مرّ الرياح النواسم » ، لا ! فان في القناطر الخيرية على ضفاف نيل مصر ما يفوق اجمل متنزهات العالم العربي من هذا القبيل منذ عرف العرب حتى الآن ، ولكنني أشير الى تلك الناحية من حياة العرب الاجتماعية والادبية فيه ، الى تلك الالوان من اللهو والعبث والمرح ، الى ذلك الغناء تعقد حوله الحلقات كما رايت ، الى تلك المجالس الادبية يستمع فيها الناس الى ما تنتجه قرائح شعرائهم والى ما يحركه بيان محدثيهم . ولو حاولنا التوسع قليلاً في

١) الاصبهاني ١ : ١٥٨-١٥٦ ٢) الاصبهاني ٣ : ١٨٢ ، ٧ : ٨٦ و ٩١

البحث عما يشبه العقيق الآن ، او ما كان يشبهه ، لالفينا مواضع متعددة ، ولكني اشك في اننا نقع على ما يشبهه من هذه الناحية من الحياة الادبية ، او على ما يشبه هذا الاثر الذي كان يتركه العقيق في نفوس اهليه وزواره .

لا تذكر لي دفنة انطاكية التي شبهوا العقيق بها[1] ، ولا تقل شيئاً عن لهو الرومان فيها ، وان شابهت العقيق او فاقته في مائها وحماماتها وقصورها ومتنزهاتها واشجارها من دفن وسرو ، وان اتفق اهلها وارستقراطيو الحجاز بثروتهم وكلهم وترددهم اليها ! اقل لك ما رواه المؤرخ ممسون عن المترددين اليها : « ان شجر السرو في انطاكية كان يعرف ان يهمس بينما كان رجالها لايعرفون كيف يتكلمون »[2] . اما العقيق فلم يكن بجزير مياهه وتقابل نخله ورقة نسيمه وضروب لهوه ، يقابل بظرف نصيب وحديث ابن ابي ربيعة وشعر الاحوص وادب عائشة وسكينة بل يكاد يكون في هؤلاء وحدهم غنى عن العقيق .

ويكفي اذا شئت ان تعلم اثر هذا العقيق في نفوس شعرائهم ان تقرأ شعر ابي قطيفة فيه ، فقد زعموا انه كان اموي الهوى ، فاجلاه ابن الزبير عن المدينة ، فارتحل الى الشام ، فلم تنبه رياض الشام ومتنزهاتها عن العقيق ، واندفع ينشد حنينه اليه :

ليت شعري ! هل البلاط كمهدي والمصلى الى قصور العقيق ! (٣)

وقال من قصيدة اخرى :

الا ليت شعري ! هل تغير بعدنا قباء ، وهل زال العقيق وحاضره ! (٤)

وقال ايضاً :

ليت شعري ! وابن مني ليت اعلى العهد يابن فيرام
ام كمهدي العقيق ام غيرته بعدي الحادثات والايام !

الى ان يقول :

وتبدلت من مساكن قومي والقصور التي بها الآطام

---

١) لامنس – الموسوعة الاسلامية – تحت Akrik

٢) ممسون ٢ : ١٤٤

٣) الاصبهاني ١ : ١٥

٤) الاصبهاني ١ : ١٥

ثم يقول :

اقطع الليل كله باكتئاب وزفير ، فما اكاد انام
غير قومي اذ فرقت بيننا الدا ر وحادت عن قصدها الاحلام (١

وكان في العقيق ساحات تسمى بالعرصات ، منها عرصتان قال عنهما ياقوت انهما من افضل بقاع المدينة واكرم اصقاعها وروى ان ذوي السلطان من بني امية منعوا بناء المنازل فيها صوناً لها ، وضناً بها ، وان سلطان المدينة لم يكن يقطع بها قطيعة الا بامر الخليفة[٢].

وقال بعض المدنيين في احدى عرصات العقيق.

وبالعرصة البيضاء ، اذ زرت اهلها ، بها مهلات ما عليهن سانس
خرجن لحب اللهو ، من غير ريبة ، عفائف ، باغي اللهو منهن آنس
يردن ، اذا ما الشمس لم يخش حرها ، خلال بساتين خلالهن يابس
اذا الحر آذاهن ، لذن بحره ؛ كما لاذ بالظل الظباء الكوانس (٣

وكان في الحجاز مواسم غير موسم المطر والربيع في عقيق المدينة،منها موسم الصيف في الطائف ، فلننتقل اليه.

الطائف

ولقد كانت الطائف ، احدى المدن الثلاث التي كان يعيش فيها ، او يتردد اليها ، ابن ابي ربيعة ، حتى زعموا انه كان من اعلم الناس بامورها ، ورووا انه لما قدم الوليد بن عبد الملك مكة ، سأل عن رجل له علم باموال الطائف ، فقالوا : عمر بن ابي ربيعة ، قال : لا حاجة لي به.ثم عاد فسأل ، فذكروه له ، فردّه . ثم عاد فسأل ، فذكروه ، فقال: هاتوه ، فركب معه يحدثه[٤] .

الطائف مصيف

وتقع الطائف الى الجنوب الشرقي من مكة على نحو خمسة وسبعين ميلاً[٥]،

١) الاصبهاني ١ : ١٥
٢) ياقوت ٣ : ٦٤١
٣) ياقوت ٣ : ٦٤٢
٤) الاصبهاني ١ : ٥٠ و٢ : ١٤٥ و ٥ : ٢١٤
٥) بركهارت ٦٩ ويذكر مراسل النهار ، وهو احد اعضاء البعثة الصحية الى الحجاز في ربيع سنة ١٩٣٤ ، في جريدة النهار عدد ٢٤٤ تاريخ ٦ حزيران سنة ١٩٣٤ ، ان المسافة ١٢٠ كيلومتراً.

وترتفع عن سطح البحر نحو خمسة الاف واربعمئة قدم[1] . وقد اتخذها اشراف الحجاز في ذلك العصر مصيفاً لهم ، كما لا يزالون يفعلون في هذا العصر . ذكر فيلبي انه في زيارته لها آخر الحرب الكبرى رأى الكثيرين من اعيان مكة ونبلائها يصيفون فيها ، بحيث قال : ان عدد سكانها في الصيف بلغ العشرين الفاً ، بينما لا يتجاوز عدد سكانها الخمسة الاف[2] . وهي خير مصيف ، فمناخها جميل وهواؤها عليل وماؤها عذب جارٍ واشجارها كثيرة واثمارها وفواكهها طيبة متنوعة ، ففيها العنب والتين والرمان والمشمش والتفاح والدراقن والسفرجل والموز وغيرها من الفواكه[3] . وفيها وفي جوارها مزارع كثيرة وحقول خضراء يقع بعضها على الطريق بينها وبين مكة[4] . ويقول بركهارت عن بعض هذه المزارع : انها اجمل بقعة في الحجاز ، وابهج موضع شاهده في طريقه الى الحجاز بعد تركه لبنان[5] .

ويقول ياقوت عنها : « انها ذات مزارع ونخل واعناب وموز وساير الفواكه ، وبها مياه جارية واودية تنصب منها الى تبالة . » ثم يقول : « وفي اكنافها كروم على جوانب ذلك الجبل ، فيها من العنب العذب ما لا يوجد مثله في بلد من البلدان ، واما زبيبها فيضرب بحسنه المثل . وهي طيبة الهواء شامية ، ربما جمد فيها الماء في الشتاء ، وفواكه اهل مكة منها »[6] .

ولعل القارئ لا يزال يذكر ما روينا عن بيادر الزبيب التي رآها فيها سليمان ابن عبد الملك ، وقد روي انه قال : « لله در قيمي باي ارض وضع سهامه واي ارض مهد عش فروخه »[7] . وروي ايضاً انه دخلها هو ونفر معه ، فرأى بستاناً

١) لامنس – في الموسوعة الاسلامية – تحت Ṭāʾif ٢) فيلبي ١٦٢

٣) ياقوت ٣ : ٤٦٥ وفيلبي ١٦٢ وفي كتابه يذكر اكثر هذه الاثمار ويشير الى حسنها اللذيذ .

٤) ياقوت ٣ : ٤٦٥ وبركهارت ٦٥ و٦٦ والفاكهي ٢ : ٧٦

٥) بركهارت ٦٥ وفيه يقول : « The village and neigborhood of Ras el Kora is the most beautiful spot in the Hedjaz, and more picturesque and delightful than any place I had seen since my departure from Lebanon in Syria. »

٦) ياقوت ٣ : ٤٦٦ ، ٧) ياقوت ٣ : ٤٦٧ .

لعمرو بن العاص، فجال فيه ساعة، ثم قال: «ناهيكم بما لكم هذا مالاً»[1].

وفي بعض الاساطير العربيـة ان الطـائف كانت قرية بالشام فنقلت الى الحجاز[2].

في هذه البلدة ـ كما اشرنا ـ كانت تصيف اشراف الحجاز من اهل مكة والمدينة[3]. وقـد ابتنى بعضهم دوراً او قصوراً يقضون فيهـا فصل الصيف. ذكروا ان معاوية كان يقول اغبط الناس عيشاً مولاي سعد. وكان يلي امواله بالحجاز، ويتربع جدة، ويتقيظ الطائف، ويشتو بمكة[4].

وقـد كانت زينب بنت يوسف ـ اخت الحجاج ـ فيما يظهر من شعر النميري، تشتو بمكة، وتصيف بالطائف[5].

وكانت عائشة بنت طلحة بعد ان تأيمت تخرج الى مال لها عظيم بالطائف وقصر كان لها هناك فتتنزه فيه، وتجلس بالعشيات، فيتناضل بين يديها الرماة[6].

وكذلك كانت الثريا صاحبة عمر تصيف بالطائف[7]. وقد كلفته ذات مرة عناء عظيماً تكبده في سيره اليها من مكة، وقد احتالت على استقدامه اليها بطريقة ستعرض لها في حينها[8]. وكان عمر اذا لم يستطع زيارتها يغدو كل غداة على فرسه، يسأل الركبان الذين يحملون الفاكهة من الطـائف الى مكة عن الاخبار قبلهم[9]. حديثه او حديث عنه!

الطائف موطن لهو

وكانت الطائف قبل الاسلام، فيما يظهر من بعض المصادر، بلد فجور وفسق حتى زعموا ان النبي عندما صالح اهلها اشترط عليهم ان لا يزنوا ولا يربوا. ويقول

---

١) ابن عبد ربه ٣: ٢٨٥ ٢) ياقوت ٣: ٥٠٠

٣) لامنس ـ الموسوعة الاسلامية ـ تحت Ṭāʾif ويذكر ان الطائف بعد الفتوحات الاسلامية والتوسع صارت تابعة لمكة، واذيل من كلا البلدين، وحطّ من مكانتهـا وصارت الزعامة والسنة والرخاء في المدينة، غير ان اهل الطائف استطاعوا بعدئذ ان يجعلوا من جبالهم معيناً ليس للسكين فحسب، بل لاهل المدينة ايضاً، وبهذا اقالوا من عثرة بلدهم، ورفعوا من شأنها.

٤) ياقوت ٣: ٥٠٠ ٥) ياقوت ٣: ٥٠٠ وابن خرداذبه ١٢٤

٦) الاصبهاني ٦: ٣٠ ٧) الاصبهاني ١: ٨٩ والبغدادي ١: ٢٢٨

٨) الاصبهاني ١: ٨٥ ٩) الاصبهاني ١: ٨٥ -

ياقوت: وكانوا اهل زناً وربا[1]. وربما كان اهلها ايضاً اصحاب شراب لان ارضهم كثيرة الكرمة ، وقد عرف عن بعضهم ذلك[2].

هذا ، وقد كانت بعيدة الى حدّ ما عن انظار العمال والولاة في المدينة او مكة بعد الاسلام بحيث استطاع من يرغب في اللهو ان يمارسه بعيداً عن اعين الرقباء ، وقد كان بعدها داعياً الى ان تكون مركزاً لهؤلاء الذين يُنفون من مكة والمدينة ، او الذين يهربون من غضب سلطان بني امية وغيرهم. والرواة يحدثوننا ان الفريض المغني التجأ اليها مدةً حينما بعث اليه الحارث بن خالد المخزومي يقول: لا ارينك في عملي[3]. وان ابن الزبير في خلافته نفى عبد الله ابن عباس اليها فتوفي فيها[4]، ونفى اليها ابا العباس الشاعر الاعمى الاموي الميل[5]. وان سليمان بن عبد الملك منع ابن ابي ربيعة من الحج ذات مرة واخرجه اليها[6]. وان الوليد بن يزيد اخرج يزيد بن ضبة الى الطائف وسوغه ما له هناك ليبعده عن هشام بن عبد الملك ، خوفاً من ان يفتك به ، وسماه طريد الاحول ، يعني طريد هشام[7].

ومن الناس من انزوى مختاراً فيها لمدة ما ، كما فعلت سكينة بنت الحسين حين غاضبت زوجها زيد بن عمرو[8].

ومهما يكن من الامر كله، فاننا نرى ان بعدها عن اعين الرقباء في ذلك العصر، مع ما احاطها وتتذاك من الظروف التي ذكرنا ، يسر لبعض اهل اللهو ان يمارسوه فيها ، وغلا بعضهم في لهوه حتى عرف الفسق فيهم وليس ادل على هذا من حياة العرجي الشاعر احد حفداء الخليفة عثمان بن عفان ، ويكفي ان تقرأ سيرته في الاصول المختلفة لتدرك ما نذهب اليه ؛ وقد صدر شعره يمثل هذه الناحية من حياته اقوى تمثيل[9].

---

١) ياقوت ٣ : ٥٠٠
٢) ياقوت ٣ : ١٩٢ و ٦ : ٥٨
٣) الاصبهاني ٣ : ١٠٦
٤) اليعقوبي ٢ : ٢١٣
٥) « ١٥ : ٦٣
٦) المرزباني ٣٠٣ والاصبهاني ٨ : ٥٨ و ١٠ : ٦١
٧) الاصبهاني ٦ : ١٤٦-١٤٧
٨) الاصبهاني ١٢ : ٩٣
٩) اصبهاني ١ : ١٥٢-١٦٦

مكة ومواسمها

ولم تكن مكة، وهي البلدة التي عاش فيها صاحبنا اكثر حياته، وعاش فيها آباؤه واجداده من قبله، اقل حظاً في هذه الناحية من المدينة والطائف. تقع مكة في قلب الحجاز، في منخفض من الارض تحيط به بعض التلال. وكانت لانخفاضها عرضة لمياه السيول التي تنحدر من التلال حولها، ومن هنا نرى ان تاريخ مكة تكثر فيه اخبار السيول لاسيما تلك التي كانت تقع ايام الحج. وقد جاء سيلٌ عام ثمانين سمي بسيل الجحاف دخل المسجد، واحاط بالكعبة، وهدم الدور والشوارع على الوادي، فقتل الهدم ناساً كثيراً. ورقي الناس في الجبال واعتصموا بها، وقال بعضهم واصفاً خروج المخبئات يرقين الجبل:

لم ترَ عيني مثل يوم الاثنين اكثر عزوناً وابكى للبين
اذ خرج المخبئات يمين سوانداً في الجبلين يرقين (١

وربما، لولا قلة الامطار، ولولا وجود الكعبة في بطن المنخفض، لكانت الناس هجرت بطن مكة واستقرت في اعاليها.

ومناخ مكة حار، ولهذا كان يلجأ الى مكة جماعات كثيرة من اهل الحجاز، ممن جاور مكة، او ممن كانوا بعيدين عنها كاهل الطائف او اهل المدينة، ايام الشتاء. فيتخذونها مشتى لهم بعد ان يكون بعضهم قد قضى صيفه في الطائف.

نشتو بمكة نمة ومصيفها بالطائف (٢

وقال عمر في احدى صاحباته:

بالخيف منزلها ومسكنها وتحل مكة، ان شتت، قصرا (٣

وكان سعد مولى معاوية يشتو كذلك بمكة ويتقيظ الطائف(٤

ولا يخفى ان الكعبة بنيت قبل الاسلام، في ذلك المنخفض، وان عائلات

---

١) الازرقي ١ : ٢٦٥-٢٦٦
٢) ياقوت ٣ : ٥٠٠ وابن خرداذبه ١٣٤
٣) ابن ابي ربيعة (ش) ٢٦
٤) ياقوت ٣ : ٥٠٠

كثيرة من قريش استقروا حولها ، ويعرفون بقريش البطاح بينما يعرف الذين استقروا في ظواهر مكة بقريش الظواهر.

وقد كان للبلدة تاريخ تجاري عظيم الشأن ، وكان لاهلها رحلات تجارية ، شتوية وصيفية أشار الى بعضها القرآن : « لايلاف قريش ايلافهم رحلة الشتاء والصيف فليعبدوا رب هـذا البيت الـذي اطعمهم من جوع وآمنهم من خوف ».[1]

وكانت تذهب القوافل الى مختلف الجهات حولها،ناقلة بضائع القطر الواحد الى القطر الآخر، بحيث كانت تبلغ بعض القوافل نحو الفين وخمس مئة جمل،ويكون فيها ما بين المئة والثلاث مئة رجل[2]،وكانت بعض بضائع الهند والصين واليمن والحبشة من محمولها حتى اذا ما وفدت بهذه البضائع الى سوريا ، عادت حاملة بضائع بلاد البحر المتوسط من قطن وثياب مصبوغة وسلاح وحبوب وزيت[3].

وكان من اعظم تجارها قبل الاسلام ، وفي صدره ، عبد الله بن ابي ربيعة والد صاحبنا عمر.وسنعرض للبحث في غنى هذا البيت عند تصدينا لدرس حياة عمر.والذي يهمنا الآن ان هذه الحياة التجارية قد انمت ثروة المكيين ، ورفعت من شأن بلدهم ، بحيث استطاع الاب لامنس ان يقول في مقالته في الموسوعة الاسلامية عن ثروة مكة، مؤيداً ونكلر في انها تقابل بثروة تدمر، ما نصه :

« The 30,000 dinārs invested by the one house of Abū Uhaiha in the Badr caravan suggests that H. Winckler is quite right when he tells us to think of the Palmyra of Zenobia if we wish to get an idea of the financial capacity of Mecca ».[4]

ولقد اخذت مكة بسبب آخر ساعد على انماء ثروتها ، هو وجود الكعبة فيها ، وكانت محجاً لكثير من العرب قبل الاسلام . ولحسن حظ مكة اقر

---

١) القرآن – قريش – ١٠٦
٢) لامنس – الموسوعة الاسلامية – تحت Mecca
٣) « « « « « «
٤) « « « « « «

الاسلام هذا الحج، على وجه خاص، وبشروط خاصة، بحيث كان القيام به امراً واجباً على كل من استطاع اليه سبيلاً. ومع ان المدينة قد انتزعت الزعامة من مكة فصارت مركزاً للخلفاء الاول ، وانتقلت اليها جماعات كثيرة من زعماء مكة واغنيائها، فان مكة بقيت صاحبة الحق في ان تكون اليها الحجة، وان يكون اليها مجتمع الحجيج من مختلف الاقطار ، فاستعاضت بهذا عن بعض ما فقدته في تحول مركز السيادة الى المدينة.

مواسم الحج

نريد ان نصل من هذا كله الى الالتفات الى هذه المواسم — ايام الحج — التي كان لها اثر كبير في الحياة الاجتماعية في مكة ، وبالتالي في الحياة الادبية عند اكثر الشعراء الذين كانوا يشهدونها ، وبنوع خاص في حياة صاحبنا وشعره.

ولا يهمني في هذا الصدد درس تاريخ هذه المواسم ومنشئها ، ولا التعرض الى ذكر الشعائر الدينية التي كانت تقام فيها ، وكيف كانت تقام ، وجلّ ما اقصده هو التوصل الى كيف استغلّ طلاب اللهو من شباب الحجاز ، فتياناً وفتيات هذه المواسم ، فرحوا ما امكنهم المرح وطربوا ولهوا وعبثوا .

قال ابن فضل الله العمري في ايام منى: «منى حيث ترمى الجمرات ، وتهمل العبرات ، ذوات الليالي المقمرات ، والايام التي سلخ من الكافور ثياب عشاياها المغبرات ، يحلى بها من كل ترب عاطله، ويلتقي في كل سرب كل ذي دين وماطله، فيها مجمع الحجيج ، والمحصب منها موضع الجمرات ، يجتمع فيها الخليطان ايام الموسم ، من شام ويمن ، وكانت في قديم الاسلام موسم لقاء الحبائب، ومكان موعد كل مفارق . وثلاث ليالي منى معروفة موصوفة ، قد اكثر فيها الشعراء وترنم بها المتيمون.»[1]

---

١) العمري ١١٥

الشباب يتصدون للمرأة في الحج

وكان يحتشد في هذه المواسم خلق كثير من مختلف الاقطار التي خضعت للدولة العربية ، وكان اختلاط عظيم سهل لطلاب اللهو سبيلهم ، رووا ان ابن ابي ربيعة شاعرنا « كان يقدم ويعتمر في ذي القعدة ، ويحل ويلبس تلك الحلل والوشي ، ويركب النجائب المخضوبة بالحناء عليها القطوع والديباج ويسبل لمته ويلقى العراقيات فيما بينه وبين ذات عرق محرمات ، ويتلقى المدنيات الى مرو ، والشاميات الى الكديد .»[1] وقد ذكروا عنه كما سنرى قصصاً كثيرة عن تعرضه للحجاج ، او مواكبته لبعضهم ، ومرافقته اياهم حتى يفرغوا من طوافهم وينقضي الحج وتفترق الركبان ، فيشيعهم ويعود لينشد الاشعار في صاحباته وقد ربط مع بعضهن عهود الحب ، او ضرب مع البعض الآخر مواعيد اللقاء ، فما ينقضي لهوه حتى تعاوده ذكريات الحج فينشد شعره فيها ، وهو يتشوق الى الموسم الجديد حين يعود الى سابق امره .

وكثيراً ما كان يتعرض بعض الشبان الى النساء في الحج دون ان يكون لهم بهن سابق عهد او معرفة[2] . روى ابو الفرج ان احدهم رأى امرأة جميلة من تضاعة تسير مع رفقة الى مكة في الموسم ، فصحب قومها وكان يسايرها ويحادثها ، ثم خطبها الى نفسها ، فقالت : لا سبيل الى ذلك ، لانك لست لي بعشير ولا جار في بلدي ، ولا انا ممن تطمعه رغبة عن بلده ووطنه فلم يزل يحادثها ويسايرها حتى انقضى الحج ففرق بينها قومها الى اوطانها[3] .

وكان العرجي يتصدى للغانيات في المواسم مثل عمر ، وقد قال في احداهن :

اماطت كساء الخز عن حر وجهها ، وادنت على الخدين بردا مهلهلا

---

١) الاصبهاني ١ : ٨٨

٢) الدميري ١ : ٢٢٦ والاصبهاني ١ : ٢٧ و٦٥

٣) الاصبهاني ١٤ : ١٥٣

من اللاء لم يحججن يبغين حسبةً ، ولكن ليقتلن البريء المغفلا

. . . .

صريع الهوى ، لا يبرح الحب قائدي بشر ، فلم اعدل عن الشعر معدلا
لدى الجمرة القصوى، قريت وهللت، ومن ربع في حجّ من الناس هللا (١)

ذكر ابو الفرج باسناد قال: « قال عبيد الله بن عمر العمري: خرجت حاجاً ، فرأيت امرأة جميلة تتكلم بكلام رفثت فيه، فادنيت ناقتي، منها ثم قلت لها: يا امة الله ، الست حاجة ، اما تخافين الله ؟ فسفرت عن وجه يبهر الشمس حسناً ، ثم قالت: تأمل يا عمي ، فاني ممن عنى العرجي بقوله :

من اللاء لم يحججن يبغين حسبةً ولكن ليقتلن البريء المغفلا

قال: فقلت لها فاني اسأل الله ان لا يعذب هذا الوجه بالنار. قال: وبلغ ذلك سعيد بن المسيب فقال: اما والله لو كان من بعض بغضاء اهل العراق لقال لها اعزبي قبحك الله ولكنه ظرف عبّاد الحجاز(٢)

وللعرجي هذا في احداهن واصفاً لقاءه بها ايام الحج :

ما نلتقي الا ثلاث منى حتى يفرق بيننا النفر
الحول بعد الحول يتبعه ما الدهر الا الحول والشهر (٣)

ومهما يكن من امر هذه المواسم فالمحقق لدينا من شعر شعراء ذلك العصر ان النساء كنّ يمارسن اكثر هذه الطقوس الدينية في مواسم الحج مع الرجال ، وكانت الرجال تنتهز هذه الفرص للتعرض الى النساء فيتعرفون بهن ويتحدثون معهن سواء اكان وقت الطواف والعمرة او بعد الفراغ منهما وان كثيراً من هذا الشعر الذي تحدّر الينا من ذلك العصر والذي دار على الغزل، واقتصر على المرأة قد انتجته هذه المواسم التي ذكرنا وبالاخص موسم الحج ، حتى زعموا ان البعض من شباب الطبقة الارستقراطية في ذلك العصر لم يقصدوا من الحج وحضور تلك المواسم الا مقابلة المرأة والتعرض لها. قال العرجي :

---

١) الاصبهاني ١٧ : ١٣٠
٢) الاصبهاني ١٧ : ١٣٠-١٣١ و ١ : ١٦١
٣) الاصبهاني ١ : ١٦٣

اني اتيحت لي يمانية احدى بني الحارث من مذحج
تلبث حولاً كاملاً كله لا تلتقي الا على منهج
في الحج، ان حجت، وماذا منى واهله، ان هي لم تحجج (١)

وكان لا بدّ من ان تتعرض المرأة امام نظر الرجل عند قيامها ببعض هذه الطقوس، وبنوع خاص عند استلام الركن او الحجر الاسود، حيث يكثر الزحام ويتدافع الناس لكي يصلوا اليه(٢)، ومع ان الازرقي يذكر ان عطاء ابن ابي رباح رأى امرأة تريد انْ تستلم الركن، فصاح بها وزبرها، وقال: غطي يديك لا حقّ للنساء في استلام الركن(٣)، فاننا نرى في الباب نفسه، بل وفي القصة نفسها ايضاً، ما يفيد ان المرأة كانت تستلم الركن(٤). وروى ابو الفرج قال: «بينما عمر ابن ابي ربيعة يطوف بالبيت، اذ رأى عائشة بنت طلحة ابن عبد الله، وكانت من اجمل دهرها، وهي تريد الركن تستلمه، فبهت لما رآها، ورأته وعلمت انها قد وقعت في نفسه، فبعثت اليه بجارية لها وقالت: قولي له اتق الله ولا تقل هجراً فان هذا مقام لا بدّ فيه مما رأيت، فقال للجارية: اقرئيها السلام وقولي لها: ان عمك لا يقول الا حسناً(٥).

وقيل في موضع ثانٍ ان عمر لم يزل ينسب بعائشة ايام الحج، ويطوف حولها، ويتعرض لها، وهي تكره ان يرى وجهها، حتى وافقها وهي ترمي الجمار سافرة فنظر اليها، فقالت: اما والله لقد كنت لهذا منك كارهة يا فاسق. فقال:

اني واول ما كانت بذكرها عجب، وهل في الحي من متعجب
نبت النساء فقلت لست بمبصر شيئاً لها ابداً ولا بمقرب
فتكثن حيناً ثم قلن توجهت للحج موعدها نساء الاخشب
اقبلت انظر ما زعمن وقلن لي والقلب بين مصدق ومكذب
فلقيتها تمشي تهادى موهناً ترمي الجمار عشية في موكب
غراء يعشي الناظرين بياضها حوراء في غلواء عيش معجب (٦)

ورووا ان رقية بنت عبد الواحد بن ابي سعد العامرية احدى محبوبات

---

١) الاصبهاني ١: ١٦٢
٢) الازرقي ١: ٢٢٦
٣) الازرقي ١: ٢٤٠
٤) « ١: ٢٤٠
٥) الاصبهاني ١: ٧٩-٨٠
٦) الاصبهاني ١: ٨٠-٨١

عبيد الله بن قيس الرقيات حجت. فطافت ليلة بالبيت ثم اهوت، لتستلم الركن الاسود وتقبله، وقد طاف عبيد الله بن قيس الرقيات، وفند مولى عائشة بنت سعد بن ابي وقاص، فصادف فراغها فراغها، فاهوى ابن قيس يستلم الركن الاسود ويقبله، فصادفها قد سبقت اليه فنفحته بردنها فارتدع، وقال لفند: من هذه؟ قال: أوَ لا تعرفها؟ هذه رقية بنت عبد الواحد. فقال ابن قيس:

من عذيري ممن يضنّ ببذو ل لنبزي عليّ عند الطواف

قالوا ولما نفحته بردنها فاحت منه رائحة المسك حتى عجب من في المسجد وكانما فتحت في المسجد لطيمة عطار، وفي هذا يقول ابن قيس ايضاً:

سائلا فندًا خليلي كيف اردان رقيّه (١

ويذكر المسعودي انه بلغ خالدًا القسري (وهو والي مكة اواخر القرن الاول للهجرة) قول الشاعر:

يا حبذا الموسم من موقف وحبذا الكعبة من مشهد
وحبّذا اللائي يزاحمننا عند استلام الحجر الاسود

فقال خالد: اما انهن لا يزاحمنك بعد هذا ابدًا، ثم امر بالتفريق بين الرجال والنساء في الطواف(٢.

واذا لاحظنا ان خالدًا هذا كان واليًا على مكة بعد ٩٢ هـ. ادركنا ان القرن الاول للهجرة — اذا صحت هذه الرواية — كاد ينسلخ، والرجال والنساء يطوفون معاً، والغريب ان خالدًا هذا كان — فيما سنرى عند درسنا اصدقاء عمر — رسولًا بين عمر وبين بعض صاحباته: ولعبيد الله في الثريا صاحبة عمر:

حبذا الحج والثريا ومنْ بالخيف من اجلها وملقى الرحال
يا سليمان ان تلاقِ الثريا تلق عيش الخلود قبل الملال (٣

ولنصيب الشاعر ولكثير ولجميل وللاحوص وللحارث اشعار في هذه المواسم، ليس هنا موضع ذكرها، فلتراجع في مظانها.

---

١) الاصبهاني ٤: ١٦٥-١٦٦ ٢) المسعودي ٥: ٢١٦-٤٠٠
٣) الاصبهاني ١: ٨٥

مواكب الشريفات من نساء ذلك العصر

والمهم ان نعلم ان النساء كنّ يدركن اهمية هذه المواسم عند هذا النفر من شبان العرب الارستقراطيين ، فكنّ يلبسن لها احسن الثياب ويتزين احسن الزينة وكانت الشريفات منهن يقدمن الى الحج بمواكب تستلفت الانظار تحفهن الجواري ذات اليمين وذات الشمال، ذلك كان شأن عائشة بنت طلحة وسكينة بنت الحسين وفاطمة بنت عبد الملك وعاتكة بنت يزيد بن معاوية ،وقريباً من ذلك كان شأن الكثيرات من شريفات ذلك العصر من حجازيات هاشميات او شاميات امويات او عراقيات عربيات ، وكن يتبارين في هذا الظهور روى ابو الفرج قال: استأذنت عاتكة بنت يزيد بن معاوية عبد الملك في الحج فاذن لها وقال: ارفعي حوائجك واستظهري، فان عائشة بنت طلحة تحج ففعلت فجاءت بهيئة جهدت فيها فلما كانت بين مكة والمدينة ، اذا موكب قد جاء فضغطها وفرق جماعتها فقالت: ارى هذه عائشة بنت طلحة فسألت فقالوا: هذه خازنتها. ثم جاء موكب آخر اعظم من ذلك فقالوا: عائشة ، عائشة ، فضغطهم ، فسألت عنه فقالوا: هذه ماشطتها ، ثم جاءت مواكب على هذا اي سننها ، ثم اقبلت كوكبة فيها ثلاثمائة راحلة . عليها القباب والهوادج ، فقالت عاتكة: ما عند الله خير وابقى[1].

وروي ايضاً ان عائشة حجت ذات مرة ، ومعها ستون بغلاً عليها الهوادج والرحائل ، فعرض لها عروة بن الزبير فقال :

عائشَ يا ذات البغال الستين اكل عام هكذا تحجين

فارسلت اليه: نعم يا عُرَيَّة . فتقدم ان شئت ، فكفّ عنها[1].

وروي ايضاً انها حجت وسكينة بنت الحسين معاً ، وكانت عائشة احسن موكباً وتقلاً ، فقال حاديها :

عائشَ يا ذات البغال الستين لا زلت، ما عشت، كذا تحجين

فشق ذلك على سكينة ، ونزل حاديها فقال :

عائشَ هذه ضرّة تشكوك لولا ابوها ما اهتدى ابوك (١

---

١) الاصبهاني ١٠ : ٦٠

بعض النساء يرغبن في ان يذكرن في الشعر

وكان بين مواكب الحاجات من ترغب في ان ترى وتمدح، فكنّ لا يكدن يرجعن من الحج حتى تطير ابيات الشعراء في اطرائهنّ ومدحهنّ والتشبب بهنّ حتى لقد روى الرواة ان بعضهن كنّ يغضبن اذا لم يسمعن ان الشعراء قد شبّبوا بهن واطروهن وذكروا من محاسنهنّ ، قال ابو الفرج: ان بنتاً لعبد الملك حجت فكتب الحجاج الى ابن ابي ربيعة يتوعده ان ذكرها في شعره بكل مكروه ، وكانت تحب ان يقول فيها شيئاً ، وتتعرض لذلك ، فلم يفعل خوفاً من الحجاج ، فلما قضت حجها خرجت ، فمرّ بها رجل ، فقالت له : من اين انت ؟ قال : من اهل مكة . قالت : عليك ، وعلى اهل بلدك لعنة الله . قال: ولمَ ذلك ؟ قالت : حججت ، فدخلت مكة ، ومعي من الجواري ما لم ترَ الاعين مثلهن ، فلم يستطع الفاسق عمر ابن ابي ربيعة ان يزودنا من شعره ابياتاً نلهو بها في الطريق في سفرنا. قال : فاني لا أراه الا قد فعل . قالت : فاتنا بشيء ان كان قاله ، ولك بكل بيت عشرة دنانير ، فمضى اليه ، فاخبره، فقال : لقد فعلت ، ولكن احب ان تكتم عليّ ، قال : افعل . فانشده قصيدته :

راع الفؤاد تفرق الاحباب يوم الرحيل فهاج لي اطرابي

وانشده قصيدة اخرى ، فعاد اليها الرجل ، فانشدها هاتين القصيدتين ، فدفعت اليه ما وعدته به[1].

ولعمر فيها ، وفيه اشارة الى خوفه من الحجاج :

كدت يوم الرحيل اقضي حياتي ليتني متّ قبل يوم الرحيل
لا اطيق الكلام من شدة الخو ف ودمعي يسيل كل مسيل [2]

الشعراء يرضون النساء

وكان الشعراء يعنون في ان يرضوا هؤلاء النساء . رووا ان عائشة بنت

---

١) الاصبهاني ٢ : ١٢٨ ٢) الاصبهاني ١ : ٧٨

طلحة حجت ، وكان الشاعر الحارث بن خالد المخزومي والياً على مكة لعبد الملك بن مروان ، وكان يهواها ، فارسلت اليه : أخر الصلاة حتى افرغ من طوافي . فامر المؤذنين ، فاخروا الصلاة ، حتى فرغت من طوافها ، وانكر اهل الموسم ذلك . هي تحج والناس تضج ، وهو لا يأبه لهم ، ولما بلغ الامر عبد الملك بعث اليه بعزله وأنّبه . فقال : ما اهون واقه غضبه وعزله اياي عليّ عند رضاها عني[1] .

الغناء في الحج

ويحدثنا الرواة انه قد كانت تمهد في هذه المواسم سبلُ الطرب ، فهم يروون لنا ان الفريض المغني كان يعترض الحجاج بصوته ، وهم في حجهم ، فيصغون اليه[2] . وانه غناهم مرة :

اجا الرائح المجدّ ابتكارا قد قضى من قلة الاوطارا

فاطرب الناس ودهشهم ، فقالوا : طائفة من الجنّ حجاج[3] . وهم يحدثوننا ان ابن عائشة كان واقفاً في الموسم متحيراً ، فمرّ به بعض اصحابه ، فقال له : ما يقيمك هاهنا ؟ فقال : اني اعرف رجلاً لو تكلم لحبس الناس هاهنا ، فلم يذهب احد ولم يجيء ، فقال له الرجل : ومن ذاك ؟ قال : انا . ثم اندفع يغني :

جرتْ سنحاً فقلت لها اجيزي نوى مشمولة فتى اللقاء

قال : فحبس الناس ، واضطربت المحامل ، ومدّت الابل اعناقها ، وكادت الفتنة ان تقع[4] . وهم يحدثوننا ان الابجر كان يقف بين المأزمين ، فيرفع صوته ، فيقف الناس له يركب بعضهم بعضاً ، وانه جلس في ليلة اليوم السابع من ايام الحج على قريب من التنعيم[5] ، فاذا عسكر جرّار قد اقبل في آخر الليل ، فاندفع تغني :

عرفت ديار الحي خالية قفرا . . . . . .

---

١) الاصبهاني ١٠ : ٦١ ٢) الاصبهاني ٢ : ١٢٠
٣) « ٢ : ١٢٠ ٤) « ٢ : ٦٤
٥) موضع بمكة . راجع طبعة دار الكتب للاغاني ٣ : ٢٤٦

فلما سمعه من في القباب والمحامل ، امسكوا ، وصاح صائح : ويحك اعد الصوت[1] . وهم يحدثوننا ان ابن سريج كان يغني من اخشب منى غداة النفر ، فيتردد الانين والحنين من الاخبية والمضارب[2] .

ولقد بلغ اللهو والغناء ايام الموسم مبلغاً ليس بيسير بحيث ان هشام بن عبد الملك امر الوليد بن يزيد ان يحج عاماً من الاعوام ليهتكه عند اهل الحرم، فيجد السبيل الى خلعه ، ورووا انه قد ظهر من الوليد اكثر مما اراد به هشام[3] .

وتردد الفرزدق الى الحجاز ، وشهد هذه المواسم ، فاتبع بعض سبل اللهو فيما يروون ، وقد استغل هذا جرير في هجوه له في اكثر من قصيدة . وقد قال رادًّا على قصيدة الفرزدق التي مطلعها :

« عرفت المنازل من مهدد »

زار الفرزدق اهل الحجاز فلم يحظَ فيهم ولم يحمد
واخزيت قومك عند الحطيم وبين البنيين والمرقد
وجدنا الفرزدق بالموسمين خبيث المداخل والمشهد[4]

وقال الفرزدق قصيدةً يمدح فيها هشاماً ويهجو جريرًا مطلعها :

الستم صائمين بنا لتنا ترى العرصات او اثر الخيام

ثم توصل الى وصف ناقته فقال فيها :

الامّ تلفتين ، وانت تمني ، وخير الناس كلهم امامي
متى تردي الرصافة تستريحي من التهجير والدبر الدوام

فقال جرير يرد عليه ، ويبتدع له سبباً لهذا التلفت :

تلفتُ اضا تحت ابن قين حليف الكير والنأس الكهام
متى ترد الرصافة تغزَ فيها كخزيك في المواسم كل عام[5]

ولم يفت الاحوص اذا حج ان يتبع بعض سبل اللهو ، وقد ذكر شيئاً عن عبثه ليلةً بمنى في شعر رفعه الى المغنين[6] .

---

١) الاصبهاني ٣ : ١١٥–١١٦
٢) الاصبهاني ١ : ١١٥
٣) الاصبهاني ٣ : ١١٦
٤) جرير والفرزدق ٢ : ٧٦٨
٥) جرير والفرزدق ٢ : ١٠١٦ والبيتي ١ : ١٠٠
٦) الاصبهاني ١ : ٦

وليس خافياً ، بعد كل ما ذكرنا ، اثر هذه المواسم في حياتهم الاجتماعية والادبية ، وسنرى ان عمر لم يفته ان يخلد في شعره شيئاً من صورة تلك الحياة البهجة زمن المواسم في الحجاز ، وهو القائل فيها :

فلم ارَ كالتجمير منظر ناظر ولا كليالي الحج افتن ذا هوى (١

وهو القائل ايضاً في عائشة بنت طلحة :

اني واول ما كلفت بحبها عجب وهل في الحب من متعجب
نعت النساء فقلت لست بمبصر شيئاً لها ابداً ولا بمقرّب
ونقد تركن حزازة في قلبه منها بحق او حديث المعرب
فكفن حيناً ثم قلن توجهت للحج موعدها لقاء الاخشب
اقبلت انظر ما زهين وقلن لي والقلب بين مصدق ومكذب
فلقيتها تمشي تهادى موهناً ترمي الجمار هضيمة في موكب
غراء يمشي الناظرين بياضها حوراء في غلواء عيش معجب (٢

وقال في احدى صاحباته :

حي الرباب وترجما اسماء قبل ذهابها
ارجع اليها بالذي قالت برجع جوابها
عرضت علينا خطة مشروقة برضابها
وتدلت عند العتاب فرحباً بعتابها
تبدي مواعد جمة وتضن عند ثوابها
ما نلتقي الا اذا نزلت منى بقبابها
في النفر او في ليلة الـ تحصيب عند حصابها (٣

ولعلّ الرواة قصدوا الى ان يميزوه بسبب بعض هذه الآثام التي كان يرتكبها ايام الحج ، فزعموا انه رأى امرأة بالطواف ، فذكرها بشعره ، فدعت عليه فمات في دعوتها فيما يزعمون !

---

١) ابن ابي ربيعة (ع) ١٦ وفيه افتن في موضع افتن
٢) عمر الديوان مصر (٣٤) ٣) عمر الديوان مصر (٥١)

شوقي على المسرح

شوقي والتاريخ

تلخيص رواياته — موقفه من التاريخ

بقلم ادوار حنين

شوقي ، امير الشعر بالامس ، هو امير الشهرة اليوم. يكاد لا يخلو القطر العربي اجمع ممن يلهج باسمه ، او يتغنى بشعره . ولهذه الشهرة اسباب متنوعة نخص اهمها بالذكر فنقول : ان شوقي نظم المدائح في اعاظم الرجال من ملوك وامراء وسراة فعرفه الرجال العظام ؛ وقال المراثي في شخصيات بارزة محبوبة فسارت بين الخاصة والعامة . ثم انه لم يدع حادثة مهمة تحدث الا بعث فيها قصيدة تسير سير الحادثة في المجتمعات والاندية وعند الافراد . وقد عرف الصغار اليه ببعض قصائد اودعها حكايات ذات مغاز وعبر عرب معظمها عن شاعر الافرنج المشهور لافونتين. ولم يقف عند هذا الحد ، فاستخدم شهرة المغني محمد عبد الوهاب لتوسيع نطاق شهرته فاوحى الى هذا قصائد من مثل « يا جارة الوادي » و« انا انطونيو » و« خدعوها » و« تلفتت » وما اليها ، فوقعها هذا بانغام سحرية وانشدها بصوت شجي . وكان شوقي قد استخدم من قبل شهرة ابو عيون وام كلثوم اللذين تغنيا بقصائد عديدة له منها « وحقك » و« افديه » ؛ فتسرب اسم شوقي الى حيث تسربت اسماء هؤلاء المغنين و« اسطواناتهم » ، الى بلاطات الملوك واكواخ الفقراء ، الى دور العائلات ودور الملاهي ... ولم يكفه كل هذا بل رغب في الزيادة اذ قام ينشئ ، في آخر حياته ، روايات تمثيلية شعرية فكان لنا :

مصرع كليوباترا ، مجنون ليلى ، قمبيز ، علي بك الكبير ، عنترة

الحقها برواية نثرية : اميرة الاندلس

وسنتحدث الآن عن شوقي والتاريخ تاركين الى وقت آخر الحديث عما سوى هذا المظهر ... لنفي كلًا من مظاهره العديدة حقه.

وصف وتلخيص

فلنأت، قبل كل شيء، على وصف هذه الروايات واحدة واحدة، وعلى تلخيصها موجزين ليتم للقارئ ما يريد اذ يكون له فيها نظرة اجمالية تمكنه من متابعة النقد وتذوقه.

١ً مصرع كليوباترا

مطبعة المعارف بالنجالة بمصر ١٩٢٩

رواية تمثيلية شعرية في اربعة فصول وقعت في ١١٠ صفحات، ١٦ × ١٢٠ سنتمترًا. ملخصها ان انطونيوس القائد الروماني الاكبر واحد الثلاثة (انطونيوس، اكتافيوس، ليبيد) الذين سُلّموا زمام الامور في رومة حوالي السنة الاربعين قبل المسيح، تعشق كليوباترا مليكة مصر وراح به حبه الى الجحود بفضل رومة والتطوع في خدمة هذه الملكة القادرة. فحاربا جنبًا الى جنب في موقعة «اكتيوم» البحرية، وموقعة «الاسكندرية» البرية، فكان ان خانت هذه حبيبها مرتين متواليتين. فدفع الى الفرار وصفيه اوروس من المعركة الثانية. الى مكان امين حيث تلقى انطونيوس — كذبًا — خبر انتحار كليوباترا، فعجل بالانتحار. وكان صفيه اوروس قد سبقه فانتحر.

واذ اتفق لهذه ان رأت حبيبها في نزاعه وتأكدت نية اكتافيوس المتغلب في استصحابها الى رومة المنتصرة لجأت، هي ايضًا، الى الانتحار تخلصًا منه ولحاقًا بانطونيوس حبيبها. وقد تبعها الى الموت وصيفتاها: شرميون وهيلانة — الا ان هذه الاخيرة نجت بمساعي حابي وانوبيس — فتم هكذا النصر لاكتافيوس، وحق لنا ان نسمي هذه الرواية «مجزرة المحبين» او «مصارع العشاق»

وقد ضم شوقي فيها الى الحوادث التاريخية حوادث اخرى من انتاجه نجاءت رواية في رواية.

اما مجمل هذه الحوادث فهو ان حابي ، احد امناء مكتبة قصر كليوباترا الثلاثة ، تعشق هيلانة،وصيفة الملكة ، وكانت هذه مولعة به الا ان حبها القيام بواجب الخدمة الامينة نحو مليكتها كان يمنعها من الاجتماع بحابي والتقرب منه. ولما لم يفت الملكة ما كان بين هـذين العاشقين من مودة وارتباط رغبت في جمعهما الى الابد بالزواج.

الا انها كانت عالمة بما لها عند حابي من البغض وما كان عليه هـذا من الخروج عن الطاعة ، « واي حقوق لهـا تدعي »[1] ولكنها تغلبت اخيراً على عاطفة الانتقام ، وزوجته من هيلانة. . . وكان ان انتحر انطونيوس وكليوباترا واوروس وشرميون ؛ وآل القصر الى الخراب . فجاء حابي واخذ هيلانة وذهبا معاً الى حيث يقضيان عيشة هـادئة هنيئة . . . الى الحقول التي وهبتهـا اياها الملكة في سهول « طيبة » ، وفيها الختام.

٢ مجنون ليلى

مطبعة المعارف بالفجالة بمصر ١٩٣١

الرواية الثانية من روايات احمد شوقي الشعرية ، وهي ذات خمسة فصول ، وردت في ١٥٠ صفحة ، لها ما لرفيقاتها من الطول والعرض.

ملخصها ان مجنون ليلى ، قيس العامري ، تعلق ليلى منذ كان صغيراً فجن بحبها . واذ كان قيس شاعراً ، اخذ يتغزل بليلاه ويشبب بها ، فسار شعره بين القوم سيراً سريعاً وبعيداً . وكان العرب يعدون عاراً ان يتغزل شاعر بنسائهم ، فنقم عليه آل ليلى والمهدي ابوها بان حرموا عليـه نساءهم . فتشرد هـذا في مغارب البادية ومشارقهـا — ويقال انه وصل الى الشام — ينشد النزليـات والفراقيات ولا يصحو الا اذا ذكرت له ليلى . وكانت هذه كثيرة الحب له . الا انها فضلت التضحية بحبها على التضحية بشرفها وشرف ذويها،فتزوجت ورداً متخلية عن قيس المجنون. . . ولم يقف شوقي عند هذه الخاتمة بل تعداها فاوقفنا

---

(١) مسرح كليوباترا ، ص ٢٢ (وهو جوابه موجهاً لهيلانة عندما دعته الى المحافظة على حقوق كليوباترا)

تجاه قيس وورد — زوج ليلى — يتحدثان عنها ، وتجاه قيس وليلى بعد زواجها، وتجاه موت ليلى وتعازي القوم لابيها ومراثي الشعراء فيها ؛ منها مرثاة قيس « المجنون » . . . ولم يأتِ على الختام الا بعد ان شطّ وبعد عن صميم الموضوع في فصلين كاملين .

٣ً قمبيز

مطبعة مصر ، شركة مساهمة مصرية ، كانون الاول ١٩٣١

وهي الرواية الثالثة جاءت في ثلاثة فصول صفحاتها ١٢٥ ، من الصفحات الموصوفة اعلاه (١٦ × ١٢)

ملخّصها ان قمبيز ، ملك الفرس ، طلب للزواج نفريت ابنة امازيس ، فرعون مصر . فابت هذه واحب والدها ألا يعاكسها في رغباتها . إلا ان خطر هذا الرفض كان عظيماً . فويل مصر من قمبيز منتقماً . وادركت نتيتاس ابنة فرعون ابرياس المقتول مقدار هذا الخطر على عرش آبائها ، فطلبت ان تحلّ محل نفريت فتفتدي مصر بدمها البريء فلم تجد معارضة ؛ فاقيمت الافراح في بلاط فرعون وانصرف القوم باميرة مصر الى بلاد فارس . ولم تطل بها الاقامة هناك الا جاء فارسَ فانيسُ القائد في الجيش المصري الملتحق بالجيش الفارسي واطلع قمبيز على الخديعة ، فثارت ثورة هذا وجنّد جيشاً وزحف قاصداً مصر فوصلها واعمل فيها الحريق والقتل والنهب .

وما ان استقرّ به المكان الا علم بخبر انتحار نفريت . فجنّ وتجلى جنونه بان طفق يقتل كل من رأى فوقعت الواقعة على فانيس الخائن ، وقائد جيشه الاكبر وكان شيخاً ، وابيس ، العجل المقدّس ، اله النيل . . . اما هو فقد تولت عليه روّية اذهلته فانتحر . وهكذا انتهت الرواية بحداد المصريين على مليكهم ومليكتهم والههم ابيس ، والفرس على مليكهم وقائد جيوشهم .

٤ً علي بك الكبير او دولة المماليك

مطبعة مصر ، شركة مساهمة مصرية ، ١٩٣٢

الرواية الرابعة من روايات شوقي الشعرية . وهي كالتي تقدّمت ذات ثلاثة

فصول جاءت في ١٣٢ صفحة تماثل واخواتها طولاً وعرضاً.

ملخصها ان محمد بك « ابو الدهب » متبنّى علي بك الكبير واحد امراء المماليك ، خرج على ابيه وولي نعمته فناصره كثير من المماليك . واذ ادرك علي خطورة الامر فرّ من مصر ساعة اقترانه بالأمة آمال ، ولجأ الى ظاهر العمر في عكا واستنجده هناك على الثائرين فانجده . وقد شهدنا ما كان من امر النجدة اذ وقع ظاهر في قبضة الخارجين وقتل مراد بك علياً واستتب الامر لمحمد بك « ابو الدهب »

الا ان هناك حادثة غرامية جرت مشاهدها الى جنب الحادثة التاريخية . وهي ان آمال الأمة التي تزوّجها علي بك الكبير والتي عرضتها للبيع ورفيقتيها، امُ محمود ، كانت أنوفاً عزيزة النفس ابية ، فتمرّدت على ابيها مصطفى اليسرجي الذي رغب في بيعها ، وعلى ام محمود ، وعلى كل من جاء يساوم على سعرها . فرقّ لها علي وتزوّجها . وكان قد علق بحبها مراد بك فتعشقته الا انها ظلت مبدية له النفور لاباتها ولانها لا ترضيها عيشة الجواري في بيوتات الامراء والملوك . . . وما زالت آمال في قصر علي آمرة ناهية معرضة عن مراد بك ، الى ما بعد الحرب التي ذكرناها ، يوم اقرّ مصطفى اليسرجي قبل ان تميته جراحه بانه والد مراد بك وبان آمال هي ابنته ايضاً فختمت الرواية بان اعلم مراد آمالَ انها اخته لابيه مصطفى فانتشر الخبر بين القوم حتى بلغ محمد بك « ابو الدهب ».

فبكت آمال زوجها علياً، وبكيا معاً اباهما مصطفى . . . وانعم عليها محمد بك بقصر علي المسمّى بقصر المطاط ، ووعدهما بتوفير حياة الرغد والهناء لهما . . . وهكذا تمّ تعارف الاخوين.

٥ - عنترة

مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٣٢

وهي الرواية الخامسة والاخيرة من روايات شوقي الشعرية ، قسمت الى اربعة فصول ، واستودعت في ١٣٩ صفحة كلها على الطراز الموصوف اعلاه.

ملخصها ان عنترة ، فارس الفرسان ، ذاك العبد الاسود الذي صورته لنا

الاسطورة بجلاء ، إحبّ عبلة ابنة امير الحي ، فبادلته الحبّ فحال دون زواجها رفض ابيها واخوتها لاسباب اهمها ان عنترة عبد ابن امة . فالعقدة اذاً : الحصول على رضى مالك . فتش عنترة عن هذا الرضى في حماية القبيلة والذود عن نسائها ومراعيها وكافة حقوقها والظهور بمظهر المحارب الذي لا يشقّ له غبار . فتل هذه الادوار حقّ تمثيل ، فتتك بانصار الاكاسرة والمناذرة — بني لخم — فتكاً ذريعاً وابعد الغزوات عن قبيلته بان عارك قوماً من الغزاة فافناهم . . .

الا انه لم يوفق الى رضى المهدي الذي احلّ يد ابنته الى صخر ، سري من سراة عامر ، فما كان من عنترة آنذاك الا ان سقط على ركب العامريين الناقل عبلة الى صخر فاختطف منهم عبلته وتزوّجها . راغماً انف ابيها وذويها عامة . فعاشا لهما جوّ الحياة وعاشا خلي البال ، وكان عنترة فرض ارادته على صخر فزوّجه ناجية رفيقة ليلى ، التي كانت مغرمة به . وهكذا تمت الرواية بزواج المتيمين : عنترة وصخر ، هذا من التي احبته وذاك من التي أحب .

٦ً اميرة الاندلس

مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٣٢

وهي الرواية النثرية الفردة التي وضعها شوقي بك ، فصولها خمسة ، صفحاتها ١٥٧ ، كلها على الطراز الموصوف قبلاً

وهذه ايضاً رواية ذات واقعتين : واقعة اولى تطلعنا على حالة ملك اشبيلية المعتمد بن عبّاد ، وعلى مصيره ومساوئيه فنعلم انه ارغم على امره فخلّى الملك ، وقيد الى سجن مظلم في اغمات هو وعائلته الملكية . وواقعة اخرى تطلعنا على حادثة غرام لها اولها وآخرها ، وقعت لبثينة ابنة الملك ابن عباد وحسون بن ابي الحسن تاجر اشبيلية الاكبر .

فترى كيف تعرّفت هذه الى وجه حسون ، وذلك في سوق الكتب في قرطبة ، فعلقت بهواه وظلت على حبها له الى ان عادته متلثمة في بيته فتعارفا وتبادلا الحب .

ثمّ وقعت الحرب . فتم انكسار ابن عبّاد واسرا وسيقت بثينة . ومضت

السنون على هذا الحادث الى ان عاد ابو الحسن وابتاعها من السابي — كل هذا مع حوادث عجيبة غريبة — فعاد بها الى داره ثم سار وايلها وابن حيون وحسون الى السجن حيث ابيها ، فتمّ اقتران حسون ببثينة عند رضى الاهل اجمعين .

المصادر

لم يعتمد شوقي في رواياته التمثيلية على سوى التاريخ ، وان اقلع عنه فليستبدله بالاسطورة .

ولا حاجة بنا للعودة الى التاريخ ونقل صفحاته العديدة . انما نكتفي بالاشارة الى تلك الصفحات التي نرجح ان شوقي استند اليها في رواياته ، فيطالعها من يريد :

لكليوباترا وانطونيوس اخبار في التواريخ الرومانية كلها . وليرجع الباحث عن مصادر « مصرع كليوباترا » الى تاريخ « Humbert et Petitmangin »[1] في الصفحة ٢٢٠ وما اليها .

وليراجع قارئ قمبيز ما ورد من اخبار هذا الملك الفارسي واخبار همجيته وقسوته في Maspero, *Histoire ancienne des peuples de l'Orient* ، وذلك في الفصل الثالث عشر الحامل اخبار افتتاحات العجم حيث وردت اخبار قمبيز واماسيس وبسامتيك الثالث ، وافتتاح مصر في السنة ٥٢٥ . ترى كل ذلك في الصفحات ٦٧٥—٦٩٥ .

وقد جاء جرجي زيدان في كتابه « تاريخ مصر الحديث » ، في الجزء الثاني منه ، على ذكر علي بك الكبير والمناوشات التي حصلت بينه وبين محمد ابي الذهب ، وذلك في الصفحات ٥٦-٦٦

اما عنترة والمجنون فاخبارهما في الاغاني[2] . فقد ورد للاول ذكر في :

---

١) Paris, J. de Gigord, éditeur. 2e édition, 1926

٢) المطبعة المصرية ببولاق

الجزء الاول ص ١٠٦
الجزء الثاني ص ١٣٧
الجزء السابع ص ١٢٥
الجزء التاسع ص ١٤٨
الجزء الحادي عشر ص ٢٨
الجزء الخامس عشر ص ١٢٢، ١٢٢، ١٣٧، ١٣٨، ١٤٨ – ١٥٢

والثاني ذكر في الطبعة الحديثة من الاغاني وفي الجزء الثاني منها، من الصفحة الاولى الى الصفحة ٧٢ [1]

اما اميرة الاندلس فاخبارها في Dozy [2]

موقف شوقي من التاريخ

وماذا كان موقف شوقي من التاريخ ؟

الحق يقال ان شوقي لم يدرك واجبات الروائي تجاه التاريخ، اذا ما اتخذ الروائي التاريخ مصدراً لرواياته. وليس من الامانة الادبية في شيء، ولا من حسن الذوق الفني، ان ينزو الروائي التاريخ باقل حوادثه في عمل عماده الاكبر الخيال ولذته الكبرى ما فيه من جديد الاحداث وعذب الابتكار.

ان يستوحي المؤلف الروائي التاريخ فينقل عنه حادثة من حوادثه المشهورة ويتفنن في عرضها، اذ يضفر على حواشيها مشاهد ومواقف تقرب بالروح منها وترتبط بالاحتمال اليها؛ فليس هذا من المستنكر. امّا ان ينقل الروائي التاريخ مدخلاً عليه بعض الاخطاء الفظيعة ليوهم القرّاء انه تحرّر من قيوده وتفلّت من حباله. فهذا ما لا مبرّر له، وما يمجّه كل ذي ذوق سليم وادب صادق.

ولم يكن شوقي، في وقفته تجاه التاريخ، كما سترى، الا هذا الثاني، اذ انه كان يكتفي بان ينظم شعراً الحوادث التاريخية كما عرضت؛ ولم يتعب في اخضاعها لقواعد المسرح والتمثيل مقدماً ما يجب تقديمه، مؤخراً ما يجب

(١ الاغاني – مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة – الطبعة الاولى

(٢ Dozy, *Histoire de l'Espagne II*, p. 150 et s.

تأخيره ، ومهملًا ما لا منفعة له فيه ان لتحسين واقعة الرواية او لتصوير شخصيات اشخاصها ، وان لزيادة ، اية كانت ، في محسنات الرواية التمثيلية .

ونحن لا نرجئ تبيان هذه الحقيقة الى وقت آخر . وانما نسعى ، من ساعتنا ، الى جلاء الموقف ، فنعرض للقراء صورتين : صورة اولى يتراءى لنا فيها « مجنون ليلى » شوقي ، واخرى توقفنا تجاه المجنون في التاريخ ؛ فيرى القارئ هنا ما لشوقي فيها فيبقيه له ، وما للتاريخ فيعيده للتاريخ .

مسألة يجب ان تعلم قبل كل شيء وهي ان مجنون شوقي هو المجنون العامري قيس بن الملوّح بن مُزاحم بن عدس بن ربيعة بن جَعدة بن كعب ابن ربيعة بن عامر بن صعصعة ، الذي نقلت لنا اخباره في كتاب الاغاني وفي الصفحات المشار اليها . ذلك ان غير واحد لقب بالمجنون وكلهم كان يشبّب بليلى كما حدّث الاصمعي قائلًا : « سألت اعرابيًا من بني عامر بن صعصعة عن المجنون العامري فقال : عن ايهم تسألني ؟ فقد كان فينا جماعة رُموا بالجنون فمن أيهم تسأل ؟ فقلت عن الذي كان يشبّب بليلى فقال : كلهم كان يشبّب بليلى . فقلت : فانشدني لبعضهم »[1] فانشده هذا لمزاحم بن الحارث المجنون ، ولمعاذ بن كليب المجنون ، ولمهدي بن الملوح . — ومهدي هذا اسم آخر ذكره بعض الرواة عانين به قيس بن الملوح المقصود في بحثنا .

نقطة اولى وقف عندها شوقي حائرًا وهي مسألة جنون قيس ، فسمعناه يقول تارة بلسان منازل — والكلام عائد لقيس —

تؤذّبني ، زياد ، وانت ظلّ لمجنون ، وراوية لماذي (٢

وبلسان ليلى :

وقيس ذو جنّة ، وان زعموا جنونه مدّعى ومصطنعا
تحير الناس في جنونه فتى لا عقل الا بشعره ولعا (٣

وبلسان المجنون نفسه :

« عاهم لا يقولون : فتى مشتركُ السلبَ » (٤

---

١) راجع ذلك في الاغاني (طبعة دار الكتب المصرية) ٢ : ٦

٢) مجنون ليلى ٢٠ ٣) مجنون ليلى ١١١

٤) مجنون ليلى ٥٠

وهذا :

ليلى ، لماذا مجنون يخيل لي لا الحي بادوا على ليل ولا نودوا (١

وتارة نسمعه يصرح بالعكس ، نافياً عن قيس الجنون ؛ من ذلك تصريح منازل وشهادة القوم بها . قال منازل :

ان قيساً كامل في عقله ؟ او آنتم على قيس اجنون ؟ (٢

فيجيبه الناس متسين : « لا ورب البيت »

ولم يكن شوقي في هذا المقام الا مجارياً التاريخ حيث تقاسمت الاراء في هذه المسألة ، وحيث رأينا علماء الانساب والمطلعين على اخبار العرب لم يجمعوا على اقرار الجنون في قيس . فمنهم من سلم بجنونه ، وهم الكثيرون ، ومنهم من حاول نكران ذلك كالاصمعي الذي حدث حماد بن طالوت بن عباد قال :

« لم يكن مجنوناً بل كانت به لوثة احدثها العشق فيه » (٣

وكابن سلام الذي قال :

« لو حلفت ان مجنون بني عامر لم يكن مجنوناً لصدقت ، ولكن قوله لما زوجت ليلى وايقن اليأس منها » (٤

فشوقي في مجاراته التاريخ ، واقفاً معه ما بين انكار الجنون عن قيس واثباته عليه ، جعل صاحب « النظرات التحليلية » — والنظرات هذه بحث نقدي جاء في ذيل رواية المجنون — ان ينفي الجنون عن قيس مستشهداً ببعض اقوال له صائبة كان يتلوها المجنون عندما يحدث عن ليلى او تذكر له ، كحديثه لليلى قبل اغمائه للمرة الاولى في الفصل الاول(٥) ، وحديثه لها في الفصل الثالث قبل ان يغمى عليه للمرة الثالثة ، اذ كان يناجي ليلى وحيها مناجاة العاقل ويقرر وينفي ويناقش في منطق سليم(٦) كما قال صاحب النظرات . وكذلك قوله عن حديثه ساعة وقف على مقربة من دار ليلى وحيها الجديد حيث تصور صوراً لا يمكن ان تخطر في خيال عاقل .

---

١) مجنون ليلى ٤٦
٢) مجنون ليلى ٥٧
٣) الاغاني ٢ : ٤
٤) الاغاني ٢ : ٢٨
٥) المجنون ٣٦
٦) المجنون ٥٢

ولو تريّث الناقد قليلًا قبل اطلاق حكمه لما فاته ان شوقي في هذا المقام ايضاً يزعجه ان يخالف التاريخ ، فيجاريه على مزاعمه واعتقاداته . وذلك ان علماء التاريخ يقولون كما قال عثمان المرّي : انه كانت بقيس جنة « اذا ذكرت له ليلى نشأ يحدّث عنها عاقلًا ولا يخطئ حرفاً »[1].

والآن فلننظر الى مظاهر هذا الجنون اهي هي في مجنون شوقي ومجنون التاريخ ؟ متبعين ذلك بنظرة الى قيس العاشق وصفات عشقه ، وما الى هنالك من الاوصاف التي اتصف بها المجنون.

لقد جاء في شوقي — والكلام صادر عن ابن عوف — :

ما باله يطأ التراب حافياً ويقطع البيد ممزّق الردا (٢

وجاء ما يوازي ذلك في التاريخ وهو قول لعثمان المرّي :

« كان — قيس — لا يلبس ثوباً الا خرّقه ولا يمشي الا عارياً » (٣

وجاء في شوقي ان احداث الحيّ كانوا يأتونه وينشدونه الشعر والنزل[4] . فيصدّهم عنه حاصباً جماعاتهم بالحصى كما شهد ذلك ابن عوض عندما قال مخاطباً نصيباً :

انظر ، تعجب ، ضجّة وصبية ورجل يرمي المنار بالحصى (٥

اما ما كان يقوله الاحداث فهو :

قيس عنزر البوادي ومزار الزبوات
قيس كشّفت الذارى وانتهكت الحرمات (٦

قابل ذلك بقول عثمان المرّي :

« كان يلعب بالتراب والحجارة . . . ويأتيه احداث الحي فيحدّثونه عنها — اي ليلى — وينشدونه الشعر والنزل » (٧

وبما قاله رجل من بني مرّة من انه خرج اليه ولما رآه قيس تناول حجراً يرميه به[8].

---

١) الاغاني ٢ : ١٦
٢) المجنون ٣١
٣) الاغاني ٢ : ١٦
٤) المجنون ٣٧
٥) المجنون ٣٨
٦) المجنون ٣٧
٧) الاغاني ٢ : ١٧
٨) الاغاني ٢ : ٤

وجاء في شوقي ان قيساً اضرب عن الاكل، وذلك فيما قاله زياد :

يـاقه قيس الا اكلت (١

فيلاحظ شوقي بقوله :

يشتد ميل قيس عن الطعام

وتزيد بلهاء هامسة لزياد :

زياد ، ما ذاق قيس ، ولا همّا

وكان قد جاء في التاريخ خبر امية الجبار بن سليمان بن نوفل بن مساحق عن ابيه عن جده قال :

« اختلط عقل قيس بن الملوّح وترك الطعام والشراب » (٢

وجاء في شوقي ان قيساً كان يهيم ويظل متشرداً في مغارب البلاد ومشارقها، كقول منازل :

تشرّد مستعظماً في البلاد ، وجُنّ فما ازداد الا ضنى (٣

وقال جني من العفاريت الذين كانوا بصحبة الاموي ، شيطان شعر قيس :

لقد ضلّ الطريق ، أما تراه يعلّق بالبين وبالشمال ؟
وقد قلب الشباب عليه ضجاً على عاداتهم عند الضلال (٤

وشهد قيس على نفسه اذ قال :

ربّ ، الى اين انتهت بي السُرى وايّ وادٍ انزلتني ، يا تُرى ؟
عساي في الشام ؟ لعلي جزته ؟ او انا بالطائف ؟ او ابن انا ؟ (٥

وكان عثمان المرّي قد تكلم عن هيامه اذ قال : « فهو يهيم »(٦

ولم يأتِ ذكر الشام فيما ذكرناه من شعر قيس عرضاً. وانما كان قد بلغ قيس الشام في تشرّده ، وذلك عند حدّ قول هشام بن الكلبي :

« وصل قيس الى الشام وكان يسأل من يمرّ به : اين نجد ؟ » (٧

جنّ قيس فلم يفت آله وانسباءه هذا الجنون نظراً لظواهره التي رأيت

---

١) المجنون ٢٢
٢) الاغاني ٢ : ٣٥
٣) المجنون ١٩
٤) المجنون ٩٢
٥) المجنون ٩٣
٦) الاغاني ٢ : ١٧
٧) الاغاني ٢ : ٢٢

ومن البديهي ان يقوم والد قيس ، وكان لم يزل في قيد الحياة ، بامر شفائه مما هو فيه ، وهكذا كان . وقد اطلعنا على ذلك شوقي في قول زياد لابن عوف ، عندما اشار عليه هذا ان يذهب بالمجنون الى الكعبة للاستشفاء ؛ وهاك ما قال زياد :

رويدًا ، سيدي ، مهلا ! فلا تستغرب الامرا
لقد سقناه بالامس ، فحجّ الكعبة الغرّا
فلمّا لمس الركن ، ومست يده الستراء
وقلنا : الآن من ليلى ومن فتنتها يبرا ،
سمعناه بنادي الله من ساحته الكبرى

ابن عوف : وماذا قال ؟

زياد، متابعًا : ما تاب من العشق ، ولا استبرا
ولكن قال : يا ربّ ملكت الخير والشرا
فهات الضرّ ، ان كان هوى ليلى هو الضرا ،
وان كان هو السحر ، فلا تبطل لما سحرا !
ويا ربّ ، هب السلوى لتيري ، وهب الصبرا ،
وهب لي موتة المضنى بها لا ميتة اخرى (١

وكأن شوقي احبّ ان ينظم شعرًا ما قاله هشام الكلبي عن ابيه نثرًا من ان ابا قيس قاد ابنه الى مكة وقال له :

«تعلّق باستار الكعبة واسأل الله ان يعافيك من حبّ ليلى فتعلق باستار الكعبة وقال : « اللهم زدني حبًا لليلى ، وبها كلفًا ، ولا تنسني ذكرها ابدًا . » فهام حينئذ واختلط فلم يضبط » (٢

هذا ما حضرنا عن جنون قيس،وهذا كل ما جاء في رواية شوقي عن اصله ومظاهره . فلنتكلم الآن عن عشقه الذي هو في نظر المؤرخين ، ونظر شوقي، علة هذا الجنون . اما كيف نشأ هذا العشق وما هي مظاهره فهذا ما سنجد باظهاره فيما يلي :

يقول شوقي ، فيما يخصّ اصل عشق قيس لليلى ، بالرأي الذي يأخذ به معظم المؤرخين . اما هذا الرأي فادلى به شوقي في مقالين مختلفين اولهما قول قيس مخاطبًا ليلى :

---

١) المجنون ٤٢-٤٤ ٢) الاغاني ٢ : ٢٢

تعالي الى ذكرى الصبا وجنونه ، واحلام عيش من دد وأمان

...

ولم نك ندري يوم ذلك ما الهوى ولا ما يعود القلب من خفقان (١

وثانيها قول قيس تجاه جبل التوباد :

جبل التوباد ، حياك الحيا ! وسقى الله صبانا ورعى !
فيك ناغينا الهوى في مهده ، ورضعناه فكنت المرضعا !
وعلى سفحك عشنا زمناً ورعينا غنم الاهل معا
هذه الربوة كانت ملعباً لشبابينا ، وكانت مرتعا (٢

ونحن نعلم ان ابا عمرو الشيباني وابا عبيدة قالا في نشأة هذا الحب ما قاله شوقي :

« ان المجنون كان يهوى ليلى وهما حينئذ صبيان فعاق كل واحد منهما صاحبه وهما يرعيان مواشي اهليهما فلم يزالا كذلك حتى كبرا . . . » (٣

اما مظاهر هذا العشق فهي ان مجنون شوقي قال الشعر واجاد في ساعات هيامه، ولم يكن مجنون التاريخ ليقصر عنه في هذا المضمار فقد كان شاعراً فذاً.

كان عشق قيس يثير فيه الشعور فيقول الشعر فيزيد هذا العشق عشقاً فيغمى على قيس من وجده. ان قيس التاريخ كان سريع الاغماء كثيره. وقد رأينا الاغماء يعاود قيس شوقي عندما يأتي في طلب النار من دار ليلى ويسرّها ما به[٤]؛ وعندما يسمع صغار الحيّ ينشدونه غزلاً ويذكرون له اسمها؛ وعندما يشخص امام حي ليلى، بصحبة ابن عوف، ويرى ليلى في حيها المضطرب بين الرماح والسيوف[٦]. وقد شهدنا ابا المهدي ينصح اتباع قيس بان يكبّروا في اذنيه فيصحو[٧]؛ ثم عندما اطلعه بشر على وفاة ليلى حبيبته[٨]. وهي صفة اقرّها له التاريخ فقال فيها مهدي بن سابق :

« ان قيساً صادف حيّ ليلى راحلاً ولقيها فجأة فعرفها وعرفته فصعق وخرّ مغشياً على وجهه » (٩

---

١) المجنون ١١٢-١١٤
٢) المجنون ١٢٢
٣) الاغاني ١١
٤) المجنون ٢٦
٥) المجنون ٢٨
٦) « ٥٢
٧) « ٧٢
٨) « ١٤٠
٩) الاغاني ١٤

ونقل خبراً كهذا ايضاً نوفل بن مساحق والقحذمي[1].

وقد ضمّ شوقي الى هذه المظاهر مظهر البكاء فاسمعنا قيساً يقول :

وكم جسدت عى الرمل، ولم اخل على الصب ،
بدمع مثل دمع الثكل مفروف من القلب (٢

وهذه ظاهرة لم يتعب المؤرخون باثباتها له ، فضلاً عمّا قاله هو في نفسه عن بكائه ودموعه.

وقد تجلّى عشقه بعلامات ، غير الجنون والاغماء والبكاء ، اهمها المزال والصفرة فقال شوقي في ذلك – والكلام صادر عن جنّي اسمه هيد – :

تأمل قيساً المُضنى تجده ، من الذوبان ، أصبح كالخيال (٣

وهاك ورد يرى قيساً فيقول فيه :

لعله ابن سيل يمرّ بسالمٍ مرّا
اذ رآه سقيماً يجرّ ساقيه جرّا
رفيق : عرفت من هو؟
ورد : قيس به الغرام إضرّا (٤

وهاك قول منازل :

هو ابن الملوّح دلّ المزال عليه ونمّ اضطراب الخُطا (٥

وهاك قول ليلى :

ابي ، ما تراه كالثغن الذا وي نحولاً وكالمشيب اصفرارا (٥

وهما صفتان — المزال والصفرة — حدّث عنهما ابن مسكن قال :

« . . . واذا معهم فتى ابيض طوال – اي مفرط الطول – كاحسن من رأيت من الرجال على مزال منه وصفرة ، واذا هم مشفقون به ، فسألت عنه فقيل لي : هذا قيس المجنون » (٦

وحدّث عنهما التاريخ في قوله :

ولم يبقَ الا الجلد والعظم عارياً ولا عظمَ لي، ان دام ما بي ، ولا جلد (٧

امّا كيف كان يقوم المجنون بواجب هذا العشق فقد قال مجيباً في رواية شوقي :

كم جئت ليل باسباب ملذّذة ! ما كان اكثر اسبابي وعلّاتي ! (٨

---

١) الاغاني ٦٦
٢) المجنون ٥٠
٣) المجنون ٩١
٤) المجنون ١٠٤
٥) « ٢٩
٦) الاغاني ٢٢–٢٣
٧) الاغاني ٦٥
٨) المجنون ٢٢

فنشتم من هذا البيت انه كان كثير التردد الى بيت ليلى ممهداً لنفسه الطريق باسباب ملفقة . ولم يكن يأتي بهذه الاسباب الا في سبيل الاجتماع بها والتحدث اليها .

وقد اثبت التاريخ الشيء نفسه في قول رباح بن حبيب العامري حيث جاء :

« كان المجنون اول ما علق ليلى كثير الذكر لها والاتيان بالليل اليها والعرب ترى ذلك غير منكر ان يتحدث الفتيان الى الفتيات » (١

وهو القائل :

« . . . وكان يأتيها في كل يوم فلا يزال عندها ضاره اجمع حتى اذا امسى انصرف » (٢

اما ما نراه عند شوقي من ايفاد هذا وذاك الى ليلى ، فهذا ناتج عن اهدار الخليفة دمه ، فهو ان عرض لآل ليلى قتاوه ؛ لا لخجل منه او جزع من القيام بحضرة من يحب .

قال شوقي :

حلل السلطان بالامس لكم دم قيس ما الذي تنتظرون ؟

وجاء في الاغاني :

« حدث الهيثم قال . . . ولم يسمح للمجنون بدخول الحي قال القوم : « لا والله لا يدخل المجنون منازلنا ابداً او يموت فقد اهدر لنا السلطان دمه » .

وليست هذه السفارات ، سفارة ابن ذريح وسفارة ابن عوف ، من مخترعات شوقي وانما وردت في الاغاني حيث جاء :

« حدث اسماعيل بن ابي اويس قال : التقى قيس بني عامر قيساً بن ذريح وطلب اليه الاول ابلاغ سلامه لليلى فمضى قيس بن ذريح حتى اتى ليلى فسلم وانتسب فقالت له : حياك الله الك حاجة ؟ قال نعم . ابن عمك ارسلني اليك بالسلام ؛ فاطرقت ثم قالت : ما كنت اهلاً للتحية لو علمت انك رسوله » (٣

وهذا ما جرى حقاً في رواية شوقي لابن ذريح الذي نراه في الفصل الاول في المشهدين الاولين[٤] . ولم تكن سفارة ابن عوف الا تاريخية ايضاً ، وقد نسبها شوقي لابن عوف ، ولي صدقات بني كعب وقشير و . . . وقد قام بها في الحقيقة

---

١) الاغاني ٤٣ ٢) الاغاني ٤٤-٤٥

٣) « ٩٣-٩٤ ٤) المجنون ١-١٤

خليفته نوفل بن مساحق الذي تولى الصدقات في السنة الثانية. ونحن نكتفي، لاظهار الدور الذي مثله هذا في رواية شوقي، بايراد الحادثة كما جاءت في التاريخ :

« ولي ابن عوف صدقات بني كعب وقشير . . . فنظر الى المجنون قبل ان يستحكم جنونه فكلمه، وانشده فاعجب به . . . اخذه معه في الجمع . . . جاءه رهط من رهط ليلى واخبره بامته وانه لا يريد التجمل به وانما يريد ان يدخل عليهم يوشم ويفضحهم في امرأة منهم يهواها فاعرض هذا من قيس . . . ووليت الصدقات في السنة الثانية نوفل بن مساحق وفيه رويت حادثة الثوب . . . وخطبة ليلى من ابيها لقيس . . . وهياج الحي وحرمانه الدخول اليه » (١

فجلّ ما غيّره شوقي في هذه الحادثة انه مزج ما حدث لوليّي الصدقات وقيس ونسب كل ذلك لوليّ واحد هو ابن عوف.

هذا . وقد نسب شوقي الى مجنون ليلى صفات خارجية باتت تحبب النساء فيه جمعها ابن ذريح بقوله :

وقيس ، يا ليلى ، وان لم تجملي ، زين الشباب ؛ وابن سيد الحي
لم تدري في حيك او في حيه فتى حكاه نسبا ولا فتى
ولا جمالا . . . (٢

وكلها صفات ذكرها ابن مسكن بقوله :

« واذا معهم فتى ابيض طوال جعد كاحسن من رأيت من الرجال » (٣

واتمها عثمان المري اذ قال :

« كان قيس اجمل الفتيان » (٤

وهكذا فاننا نرى تقيد شوقي المفرط بالتاريخ، وما لهذا في ذمته في اخراج رواياته، وخاصة في اظهار شخصية قيس المصورة اعلاه . . . اجل ! ان قيسنا مجنون، وهو مجنون على طريقته، ولم نطلب من شوقي يوماً ان يصوره لنا متمثلاً، معاكساً في ذلك الحقيقة التاريخية، وانما رغبنا اليه لو صوّر هذا الجنون بطريقة تعرف به لا ينقل فيها التاريخ واسلوب التاريخ . . . وهو لو فعل لكان مجنونه على غير ما هو عليه من الروعة والجمال . . . والذوق الفني.

---

١) الاغاني ١٦-١٧ ٢) المجنون ١٢
٣) « ٢٢-٢٣ ٤) الاغاني ١٥

ولم يقلّ تقيد شوقي بالتاريخ في علي بك الكبير ، وقمبيز ، ومصرع كليوباترا ، واميرة الاندلس ، عنه في مجنون ليلى .

الا ان شوقي ، على ما شهدنا عنده من الاحتفاظ بالحوادث التاريخية ، لم يكن يحسن المحافظة على الحقيقة التاريخية او قل على جوهر التاريخ .

وذلك ظاهر في عنترة على الاخص ، عندما يصوّره لنا وعبلة تجول فيهما روح القومية الحية فيدعوان الى الوحدة العربية وعندما لا يحسن تصوير « السيد العربي » فيما نسبه لمالك ابي عبلة ، كما سترى .

فما هو مستند هذه الدعوة من التاريخ ؟

مما لا مراء فيه ان ذاك العربي ، ربيب الصحارى الواسعة الارجاء ، الممتدة الاطراف ، الذي حُكم عليه ان يعيش معتزلاً ، منفرداً باعضاء اسرته كان لا يحلم بالوحدة ولا يشعر بتلك الروح ، روح القومية التي نُسبت اليه . وجلّ ما كان يفكر به هو ان يحمي قبيلته فتبقى له مراعيه ومواشيه ويحافظ على نسائه من ان تُسبى . واذا تمّ له ذلك كان ينالب جيرانه على ماء آبارهم وحشيش مراعيهم ليحقق حياة ماشيته المتعلقة بها حياته وحياة اهله .

وقد اخذ ابن خلدون بهذا الرأي في صفحات من مقدمته حيث بيّن كيف « ان العرب ابعد الامم عن سياسة الملك »[1] وانهم « ان تغلبوا على اوطان عامرة اسرع اليها الخراب »[2] والتاريخ العربي باجمعه كفيل بتبيان هذه الحقيقة .

وقد قال ما يقابل ذلك الاب لامنس اليسوعي في كتابه Le Berceau de l'Islam » . وجاء له في احد اعداد « المشرق »[3] ما يلي :

«ان البدوي رجل فردي ولهذا لم يرتقِ قط الى مستوى «الحيوان الاجتماعي» فيؤلف نظاماً سياسياً واجتماعياً ثابتاً . وان تلك الصفة الفردية وحدها تشرح ما نراه في البدوي من عدم الاخلاص للمصلحة العامة المشتركة » ولاحظ انه جاء في سفر التكوين (١٦ : ١٢) في وصف اسماعيل جدّ العرب

١) مقدمة ابن خلدون – المطبعة البهية المصرية – ص١٠٧ الفصل ٢٨

٢) مقدمة ابن خلدون – المطبعة البهية المصرية – ص ١٠٥ الفصل ٢٦

٣) المشرق ٣٠ [١٩٣٢] ١٠٤

هذه الصورة : «ويكون رجلاً وحشياً يده على الكل ويد الكل عليه وامام جميع اخوته ينصب مضربه» ... وقال: «ما ذاك الا لانه عاجز عن ان يرتفع بنفسه ، الى ما فوق فكرة الحي او القبيلة. عاجز عن ان يتصور نظاماً اجتماعياً اوسع وارقى . واذا ارتفع الى شيء من ذلك بمساعدة قوة خارجية . فلا يلبث ان يرجع الى تقشفاته وتشنجاته عندما تتركه تلك القوة الخارجية وسواء اكانت هذه القوة نبوغاً سياسياً كنبوغ معاوية الاول او حزماً ادارياً كحزم زياد بن ابيه والحجاج وغيرهما ... فيعود البدوي القهقرى الى فطرته الفوضوية»

فالعربي اذاً ، من فطرته ، فردي وفوضوي، ومن اجتمعت فيه هاتان الصفتان لا يمكنه ، ولا بوجه من الاوجه ، ان يطمح الى الوحدة... بل انه لا يمكن ان يتصورها.

فاين نحن ، واين الحقيقة التاريخية ، واين شوقي منها ؟

ولم يكن شوقي في تصويره «السيد العربي» باقرب الى الحقيقة التاريخية منه مصوراً الرجل العربي.

ذلك انه اظهر مالكاً بمظهر اللؤم والخسة في حين ان هذا لم يكن على شيء من ذلك. والا لما كان تصب سيداً ، والعرب يتعبون في انتخاب اسيادهم.

فمن هو مالك في شوقي ؟

سيد لئيم ، حسود ، خسيس النفس ، دنيئها ، لا هم له الا قتل عنترة ، فارس الفرسان ، وحامي القبيلة الفرد[1] . فهو القائل لسراة بني عامر اذ طلبوا يد ابنته لصخر اميرهم :

أصيخوا لي : اذهبوا ، قولوا لصخر يقدم رأس عنترة صداقا (٢

وهو القائل لضرغام في سبيل هذه الغاية :

المهر يا ضرغام غال فاجتهد ان تحذره ...
اسع ، اذن ، اصغ له : المهر رأس عنتره (٣

---

١) راجع عنترة ص ٢٤ وما يليها. ٢) عنترة ص ٥٦
٣) عنترة ص ٦٥-٦٦

امّا التاريخ فيعلمنا ان الخسة واللؤم والدناءة والحسد ليست من صفات السيد العربي . وانما هي صفات وسم بها شوقي مالكاً ظالماً وجبوراً . امّا صفات السيد العربي ، على ما ذكر الاب لامنس ، فمنها الحلم والكرم: « يجعل السيد العربي بيته مفتوحاً للضيافة ، وحديثه لطيفاً ، ولا يتطلّب شيئاً . بل يرحب بالكبير والصغير فيعدّهم جميعاً من امثاله . وهي صفات تفرض التجرّد والتضحية الدائمة وقد جمعتها حكمة العامة في امثالهم فقالوا: « سيّد القوم اشقاهم » وقالوا ايضاً: « سيد القوم خادمهم »[1]

فاين التجرّد فيمن رغب ان يجرّد رأس عنترة عن جسمه تشفياً ؟ واين التضحية الدائمة فيمن يضحي بابنته ، وبعنترة ، حامي القبيلة الوحيد ، في سبيل غايته الفردية !!!

وقد يكون شوقي تعمّد النقل ، في هذا الموقف ايضاً ، فنقل الاسطورة فجاء « ابو عبلاه » على ما هو عليه في روايته .

فان صحّ هذا الزعم جاز تخطئة شوقي في امرين : اولها تحديه اقاويل الاسطورة المغلوط فيها ، غير عابئ بما للتاريخ من حقوق حتى على الروائي نفسه ، ثانيها افساد روعة الاسطورة بانقاصه منها وزيادته عليها حيث لا ينبغي الانقاص ولا الزيادة .

ثم ان شوقي جعل من عنترة رجلاً مستهتراً يجتمع الى الفتيات فيغازل عبلة[2] . ويذهب الى ما هو ابعد فيحمله على اختطافها من ركب بني عامر ليتزوجها قسراً . وكلها اشياء لم يتعودها قائل :

اغشى فتاة الحي عند حليلها واذا غزا في الجيش لا اغشاها
واغضّ طرفي ، ما بدت لي جارتي حتى يواري جارتي مأواها

على ان نقل التاريخ في الرواية حدا بشوقي في بعض الاحيان — وهي قليلة جدّاً — الى حسنات منها انه احسن تصوير اخلاق المماليك وفساد بينتهم في علي بك الكبير ، فرأينا الابن يثور على ابيه ، والمأمور يخرج عن طاعة آمره

١) الاب لامنس في المقال نفسه ص ١١٠
٢) عنترة : ٣١-٤٦ ، ٨١-٨٢ ، ٨٥-٩٥

فيدبّر له الدسائس ويقتله ، ورأينا الفساد سائدًا فبات يخشى الصديق الصديقَ ، على امرأته او اخته.

وقد نجح بعض النجاح في تصوير اخلاق الفرس والاسبان ، وذلك في قبيز واميرة الاندلس.

فنحن ، كما ترى ، لا ننتقد على شوقي مخالفته للحوادث التاريخية. فلكم وددنا ان يتصرّف بها . وانما ننقد عليه مخالفته للحقيقة التاريخية تلك التي رأيت ، مخالفته لجوهر التاريخ الخاصّ وروحه الخالصة اذ جعل عبلة وعنترة من دعاة الوحدة العربية فاوجد فيهما الروح القومية التي يستحيل وجودها عند قوم صفاتهم الفطرية : الفردية والفوضويّة ، وصوّر « سيد العرب » عاقًا لئيماً حسودًا خسيساً ، وهي صفات لم يتفق لواحدة منها ان اتصف بها مالك السيد العربي .

نتائج هذا الموقف

لم يكن موقف شوقي هذا تجاه التاريخ بدون نتائج . فقد حدا به الى الازدواج في الواقعة ، والى مسائل اخر سنتناولها بالبحث في دورها .

واقعتان في رواية واحدة . هذا اول ما يلفت نظر القارئ في روايات شوقي ، وهي صفة اظهرناها جليًا فيما تقدم لنا من اختصار الروايات . ولا يخفى انها نتيجة تقيّد شوقي تقيدًا ماديًا بالحوادث التاريخية اذ انه مهما اطنب المؤرخون في ذكر واقعة من المواقع فهم لا يأتون على ما يكفي انشاء رواية تمثيلية،ولاسيما ان شوقي كثير الاحتفاظ بذكرات التاريخ فهو يكاد لا ينقص منها ولا يزيد. فما العمل وشوقي ممن ينشئون رواياتهم على ذكر الحوادث ليس غير ؟ واين المواد لالف بيت تنظم فيطلق عليها اسم رواية تمثيلية ؟ فما كان من شوقي ، وهذا موقفه ، الا ان هبّ يضفر على الحادثة التاريخية حوادث غرامية لا صلة لها بتلك ولا لحمة ، ارجدها ولم يحسن ادماجها بصميم الموضوع التاريخي ، فجاءت الرواية « الشوقية » ذات واقعتين كما اظهرنا سابقاً : واقعة تاريخية ، واخرى غرامية اخلاقية ابعد ما يكون عن التاريخ . اما النتيجة الثانية ، والتي لا تقل قيمة عن الاولى ، فهي ان « الرواية الشوقية » قصة للقراءة والمطالعة لا للتمثيل

والمسرح ، ذلك ان شوقي نحا فيها نحو المؤرخين في تواريخهم اذ اخذ ينيط حوادث رواياته باسبابها ونتائجها كما في التاريخ وكما شهدناه فيما خص «المجنون».

المجنون يحب ليلى . فشوقي يطلعك على كيفية نشأة هذا الحب[1] على تطوره ، ونموه ، وعلى نتائجه : الجنون فالتشرد . وإذا بنا تجاه واقعة تولد ، وتنمو ، وتموت ، ولا نجد احتكاكاً في الارادات المتعاكسة والعواطف المتنافرة ... فالرواية عنده تاريخ ، اشخاصه آلات متحركة تسير دوماً الى الامام ... نحو النتيجة.

ثم ان من نتائج موقف شوقي تجاه التاريخ انه لم يعط لكل حادثة من حوادث رواياته القيمة النسبية التي تستحق ان تحلها في الرواية[2] ، مراعياً في ذلك الفن التمثيلي والشروط المسرحية. وانما ابقى الحوادث القيمة التي اقرّها لها المؤرخون وفقاً لقوانين التاريخ. وفي هذا من الغلط ما فيه ، لان الرواية التمثيلية شيء والتاريخ شيء آخر ... وشتّان بين حقيقة الواقع والخيال.

وهكذا ترى هذا الشاعر المبدع يقيّده التاريخ في معظم مواقفه.

عنترة شوقي وعنتر غانم

وهل يجب ان نذكر بين المصادر ما كان « لعنتر » غانم من التأثير في شوقي « بعنتره » ؟

يكاد لا يداخل ، قارئ هذين الروايتين ، ريبٌ في ان شوقي لم يتعرّف الى عنتر غانم. وذلك لما بين حوادثهما من التباعد والفروق . الا ان من ينعم النظر فيهما ، وان قليلاً ، يلمس بيده ما كان من تأثير غانم في شوقي بكيفية تركيب الرواية ، وطرق الموضوع ، وكيفية ايجاد العقدة وحلها.

فكيف نظر غانم الى الموضوع ؟

---

١) مجنون ليلى ، ص ١١٢-١١٤ ، ١٢٢

٢) « مجنون ليلى » ، وفادات المجنون الى ليلى : وفادة ابن ذريح ، ص ١ ... ووفادة ابن عوف ص ٢٨ ... ثم مغالبة المجنون ليلى وورداً زوجها ص ١٠٣ ... وفي غير « المجنون » كثير من هذا.

عنتر العبد ، الراعي ، ابن الأمة تعشق ابنة الامير فبادلته حبه . ولكن كيف السبيل الى الزواج وبينهما ما بينهما من الفوارق الاجتماعية ؟ على عنتر ان يأتي اذاً بافعال تحببه الى الجمهور ، وتجعل سيد القبيلة مديناً له بخدماته . وهكذا كان اذ ذاد عنتر في مواقف عدة عن القبيلة وحقوقها ، وفتك بغزاتها . ولما كان مالك شهماً يقرّ بالجميل ويجازيه ، بادل العمل الجميل بعمل اجمل ، وحلّل يد عبلة ، ابنته ، لعنتر فتمّ الزواج .

امّا شوقي فننظر الى الموضوع من الناحية التي نظر اليه منها غانم فجاءت العقدة هي هي في غانم وشوقي . الا ان هذا الاخير جعل مالكاً لئيماً ظالماً لا سبيل لارضائه . . . فكانت النتيجة ان اختطف عنترة عبلته وتزوجها قسراً .

ثم ان شوقي لم ينجُ من تقليد غانم في مسائل استخدمها هذا تحسيناً لفنه الروائي كالتي استعملها ليزيد شخصية عنتر ظهوراً اذ جعل عنتر جد الدعاة الى الوحدة العربية . . . هي دعاية في غانم اجل ! الا انها دمجت في صميم الموضوع فخفت وطأتها تماماً ، فكانت راضخة للفنّ مبيئته على امره ، فيما اظهرته من الصفات المجيدة في عنتر .

فما كان من شوقي الا ان علق بهذه الدعاية وجعل عبلة لا عنتر — وذلك للتمويه والتضليل — بطلتها الكبرى فجاءت نافرة لا صلة لها بالرواية ، ولا نفع لها في خدمة الفن الروائي .

واظنّ ان غانماً كان اشد تأثيراً في شوقي مما ذكرت وذلك بدفع الاول الثاني الى محاكته ، ردّاً سابقاً على القائلين بتقليده له .

في غانم ، عنتر هو الذي يدعو الى تحرير العرب ، وفي شوقي عبلة .

في غانم يظهر مالك وعليه صفات السيد العربي من حلم وشهامة . امّا في شوقي فيظهر لئيماً خسيساً ناكر الجميل حسوداً .

في غانم يتزوج عنتر عبلة عند رضى القوم ورضى ابيها . وفي شوقي يتزوجها اغتصاباً رغم انف القوم وانف ابيها .

في غانم يظهر عنتر الحقيقي ، ذاك البطل المقدام العفيف كما صوّره لنا التاريخ وضخمته الاسطورة . فلا يجتمع بعبلة قبل الزواج ، ولا يحدثها عن حبه

لها. وفي شوقي نرى عنترة يجتمع الى عبلة غير مرة ، ويغازلها في كثير من المواقف ، ويتوصل اخيراً الى اختطافها من ركب بني عامر، فلا نعرف فيه صاحب القول:

اغنى فتاة الحي عند حليلها واذا غزا في الجيش لا اغشاها

وما الى ذلك مما احب شوقي ان يعاكس فيه غاغاً فجاءت معاكسته له مخالفة حقيقة الواقع كما يصورها التاريخ وكما تتناقلها الاسطورة في كل عصر ومصر. فضلاً عن انه لم يوفق الى ما توخاه ، بل بالعكس ، فظهر تأثير غانم فيه سلبياً وايجابياً . . . كما رأيت.

وقبل الانتقال الى موضوع آخر احب ان اعرض للقارئ حادثة استغلها غانم ، ولم يتراجع عن استخدامها شوقي ، فيكون لنا فيها مثال على طريقتي غانم وشوقي ، في تنسيق الرواية التمثيلية.

يزاح الستار عن الفصل الاول من « عنتر » غانم ، فيكون الحي قد سبي ويكون عنتره قد اعاد عبلة ومن معها من السبيات الى الحي. فنرى، في المشهد الاول منه ، القوم يلهجون باسم عنتر وفضله ويتحدثون عن اعماله ومآتيه.

اثر هذا المشهد في شوقي فبنى عليه ثلثي الفصل الاول من الصفحة الاولى الى الصفحة ٣٥ - وينتهي الفصل عن ٤٦ صفحة - حيث نرى الحي يسبى وعبلة تدافع عن نفسها دفاعاً قوياً الى ان تغلب على امرها وتقاد مع السبيات، وحيث نرى عنترة في غطيطه وشداد ومالك يوقظانه طالبين نجدته للمدافعة عن الحي . . . فيرضى بعد قيل وقال ويكر فيعود بالسبايا ويتم له النصر وينادي في الحي بالغلبة للعبسيين ، فيغتبط الجمهور ، وينتهي شوقي حيث ابتدأ غانم . وقد يكون دافع شوقي الى هذا التطويل رغبته في استيعاب ما ورد في الاغاني[1] من حديث طويل رواه ابن الكلبي اذ قال :

« ان بعض احياء العرب اغاروا على بني عبس فساقوا من ابلهم فتبعهم العبسيون ليستنقذوا اموالهم فقال شداد لابنه : كر يا عنترة . فقال : العبد لا يحسن الكر انما يحسن الحلاب والصر . فقال : كر وانت حر . فكر وقاتل قتالاً حسناً فادعاه ابوه والحقه بنسبه »

١) الاغاني – طبعة بولاق – ص ١٤٦

وهاك ما ورد في شوقي[1]

شداد : اضجعة ، يا عبدُ ، والحقّ سي

عنترة : من المنادي؟ سيدي! صوت ابي!

شداد : ماذا يقولون غدًا في العرب ؟

يا ابن شداد!

عنترة : ما انا ابن شداد ولكن عبد يوم ويعي

لست من عبس ، لا ، ولست لك ابنًا لون امي افاتني منك حتى

شداد : قم ، يا فتى عبس ، انهض ذر عن حربي رعي

اذا رددت السبايا فانت عنترة ابني

ولم نورد هذا المثل الا ليتعرّف القراء الى طريقة شوقي في التأليف والتنسيق ، فتخف عليهم وطأة المفاجأة نوعاً . ثمّ اوَ ليس في هذا الكلام برهان جديد على تقيد شوقي بحوادث التاريخ ؟؟ . . . بقشوره ، كما شهدت ؟؟

امّا الآن وقد اطلنا الكلام عن المصادر فنختم هذا البحث ، منتقلين ، في بحث آخر ، الى الفن في روايات شوقي ، مظهرين مذهب هذا الشاعر في الرواية التمثيلية وما له في ذمة التاريخ من الفضل عليها . . . او ما لها عليه .

---

(١) عنترة — ص ٢٤ وما يليها

الامير دي جوانفيل في شمالي لبنان

اثر خطّي عن رحلة ابن لويس فيليب، ملك فرنسة، الى لبنان

نشره لاول مرة واضاف اليه مقدّمة وتعاليق

الاب اغناطيوس طنوس كفرشخنا الراهب اللبناني

توطئة

حكاية المخطوطة

لما عهد غبطة بطريركنا المفدى، مار انطون عريضة السامي الاحترام، برئاسة المدرسة البطريركية في قصبة زغرتا الى حضرة القس سمعان عاقله، في صيف سنة ١٩٣٣، انتدبنا حضرته مساعدًا له في ادارة المدرسة مع القيام بتدريس الافرنسية والعربية لصف واحد. وفي شتاء تلك السنة المدرسية (١٩٣٣—١٩٣٤) كان يتردد الى المدرسة صديق حميم لرئيسها هو حضرة الوجيه السيد سليم طربيه من سبعل. وعندما تعارفنا لم يكن حظنا من صداقته باقل من حظ الرئيس. وفي بعض الاحاديث، طلع علينا بخبر تاريخي استرعى الانتباه كله، وهو انه يحفظ في خزانة كتبه القيمة مخطوطة جميلة موضوعها وصف زيارة الامير دي جوانفيل بن لويس فيليب، ملك فرنسة، الى البيت الكرمي والارز سنة ١٨٣٦. فاصاب ذلك الخبر من قلبنا الوقع الطيب، وسألنا السيد طربيه ان يتكرم علينا بهذه المخطوطة لنبعثها من الطي الى النشر. فوعدنا بها الى اللقاء الثاني، ووعد الكريم صدق. فاقبل علينا بالمخطوطة المنتظرة، وما تركها لنا حتى تأكد منا العهد الوثيق على نشرها والتعليق عليها. فشكرناه جزيلًا وانفردنا بها نقلبها ونتصفحها، فالفيناها واقعة في ١٧ صفحة، طولها ١٦ س.

في عرض ١٠ س. ذات خط حسن من النوع الكنسي البسيط ، وورق عادي صقيل متين ، اورد فيها مؤلفها ، وهو شاهد عيان ، تفاصيل دقيقة وافية عن مقدمات رحلة الامير دي جوانفيل في المياه الشرقية ، وكيفية وصوله الى ثغر طرابلس ، وصعوده الى اهدن ، وزيارته الارز ، وما جرى له فيه وفي البيت الكرمي ، ووقوفه اشيناً لابنة الشيخ بطرس كرم ، كل ذلك باسلوب مسجع ، يبدو فيه التكلف ، ولكنه ذو قيمة في ذاك العصر المتأخر بالشؤون الادبية . وقد رأينا المخطوطة جديرة بالنشر لما فيها من الفوائد التاريخية ، ولكونها الوحيدة من نوعها لم ينسخها ناسخ ولم ينشرها مؤرخ بعد.

خطها — مؤلفها

اما الخطاط الذي كتبها فهو الشيخ حبيب عواد من حصرون ، ابن الخوري يوسف من صلب الشيخ ابي سليمان عواد القديم الشهير . له اليوم حفيد من ابنه خاطر هو الشيخ شكري عواد الموظف حالياً في ادارة الجمرك بالاسكندرونة. كان خطاطاً مشهوراً في عصره يجيد الخط العربي والسرياني كما تدل عليه آثاره الخطية الرائعة في كثير من الكتب الطقسية في كنائس حصرون وبعض كنائس شمالي لبنان . وقد كتب في ذيل الصفحة الاخيرة من مخطوطتنا هذه العبارة :

« كتب هذا الكراس عن اصله حبيب عواد لجناب الخواجا طوبيا طربيه الاجد في ٥ ايار سنة ١٨٣٧ صح صح صح . »

كما انه كتب على الصفحة الخارجية الاولى من المخطوطة هذه الكلمة :

« تخص جناب الخواجه طوبيا طربيه المحترم . »

اما مؤلفها فقد ترجح لنا ، بعد البحث الطويل ، انه طوبيا طربيه ، مقتنيها ومستنسخها بحرص واعتناء ، الذي يرد ذكره مراراً في تضاعيفها ، وقد واكب الامير في من واكبه من المشايخ والاعيان من اهدن الى الارز ذهاباً واياباً ، ولازم حاشيته طيلة وجوده في الشمال ، فوضع مشاهداته في هذا الكراس الفريد بنوعه في كل البلاد . وهو من اسرة طربيه السبعلية ، من انبل الاسر اللبنانية ، وجدها هو العلامة الشرقي الشهير المطران اسحق طربيه الشدراوي.

الامير دي جوانفيل ، بطل المخطوط

هو فرنسوا - فردينان - فيليب لويس ماري دورليان ، المعروف بالامير دي جوانفيل ، ثالث اولاد لويس فيليب ملك فرنسة . ولد في بلدة نويللي - سور - سان ، القريبة من غابة بولونية على ضفاف السان . دخل في مدرسة الجيش البحري سنة ١٨٣٤ ، وتعين ضابط دارعة سنة ١٨٣٦ . ولما ابلى احسن بلاء سنة ١٨٣٩ ، في احتلال حصن سان جان دولوا ، وامام فيراكروز ، كوفئ بالترقية الى قائد دارعة . وسنة ١٨٤٠ احضر الى فرنسة رفات نابوليون . وسنة ١٨٤٣ اقترن بالاميرة فرانسواز دي براغانس شقيقة بطرس الثاني امبراطور البرازيل (١٨٣١–١٨٨٩) ، ورزق ولدين : فرنسواز التي وُلدت سنة ١٨٤٤ وتزوجت من دوق دي شارتر سنة ١٨٦٣ ، وبطرس دوق دي بانتييفر الذي ولد سنة ١٨٤٥ . وكان ، في سنة ١٨٤٣ ، قد تعين اميرال الاسطول الفرنساوي واعطي لقب « امير فرنسة القديم » ، وسنة ١٨٤٤ تولى قيادة الحملة البحرية التي دمّرت ثغر موغادور على شاطئ الاطلانتيك في مراكش . وقد ابرز بثورته الحامية على وزير ابيه ، غيزو ، زعامة شعبية كبرى . وسنة ١٨٤٨ لحق بوالده المتنزل عن العرش الى المنفى . وعبثاً ازداد سنة ١٨٧٠ الى حكومة « الدفاع الوطني » ، وحاول ارضاءها بمجهودات عنيفة وخدم جلّى ذهبت ادراج الرياح . لكنه في سنة ١٨٧١ انتخب عضواً في المجلس الوطني ، ورُدّ عليه منصبه في الاميرالية البحرية . وفي سنة ١٨٧٥ اعتزل السياسة وقضى حياةً منفردة الى ان توفاه الله في باريس سنة ١٩٠٠ ، وهو من شخصيات فرنسة ورجالاتها اللامعين . ترك مؤلفات قيّمة في شؤون البحرية الافرنسية مع كتابٍ نفيس ضمنه مشاهداته وتذكاراته من سنة ١٨١٨ الى سنة ١٨٤٨ واسماه مذكرات قديمة ، « Vieux souvenirs » طبعه في باريس سنة ١٨٩٥ .

موضوع المخطوط في نظر المؤرخين

اهتمّ المؤرخون المعاصرون لزيارة الامير دي جوانفيل هذه ، وكتبوا عنها

نبذًا موجزة لكنها طريفة وعلى اهمية من القيمة التاريخية . واول ما يجمل بنا ايراده من اقوالهم مـا كتب الامير دي جوانفيل نفسه في كتاب مذكراته الذي تقدمنا ذكره منذ هنيهة. وهذه ترجمة ما جاء بالحرف في صفحته ٩٨–٩٩ :

« ومن طرابلس سورية توقلت في جبل لبنان حتى قمته[1] فوقع نظري على مشهد من البلاقع والمجاهل فسيح الارجاء ، سحيق الاطراف ، تتوسطه خرائب بعلبك وصحاريها . وهناك تحت ظلال الارز الجبار كانت لنا مأدبة برية (او حقلية) (champêtre) مع بطريرك لبنان[2] ورهبانه[3] . »

ثم يقول : « وفي اهدن ، حاضرة الموارنة وعاصمتهم ، استقبلني الشيخ بطرس كرم ، الشيخان من الايام ، باعظم ما يمكن من الحفاوة الملوكية . واريق عليّ من ماء الورد العطر ما كدت اكون تحت وابله الغزير في حمام او مغطس ، حتى انني اتفت من رائحته على عطريتها الزكية . وقد كان وصولي اهدن موافقاً عيدًا عظيماً فيها يشغل الاحتفاء به شعبها بجملته ، وهو عرس ابنة[4] الشيخ بطرس كرم . وكل الامة المـارونية (كذا) قد هرعت الى هـذا العرس في ملابس العيد ، وهي ارومة جمال في الوجوه الصبوحة والقدود الهيفاء . يسترعي افرادها الانظار خصوصاً بملابسهم وعمائمهم الشرقية اللبنانية . وقد وقفت شاهدًا (إشبيناً) للعروس ، فوضع على رأسهـا ورأسي ايضاً اكليلان متساويان ، وتمت الاحتفال برتبة الاكليل الكنسية . واذ ذاك ارتجفت العروس تحت خمارها فوقع الاكليل عن رأسها . وبعد الرتبة قابلتني سافرة دون خمار ، فاذا بها على اسمرار جميل للغاية في زي معجب جدًا . على انها لا تعد من الغانيات . »

وممن كثيروا عن زيارة هذا الامير لبيت كرم[5] والارز ، المطران نقولا مراد

---

١) اي قمة الجبل الذي فوق الارز رأسًا ، كما سترى في الثمن المخطوط .

٢) هو البطريرك يوسف حبيش الشهير .

٣) يريد الحاشية البطريركية من الكهنة العاملين الذين خالهم رهبانًا .

٤) كاترين التي تكللت على الشيخ نفسه الشيء كما سيجيء .

٥) اشتهر البيت الكرمي في اهدن بنبالته وحسن استقباله اشتهاره بتأصله في النبل والمجد . وقد حلّ فيه كثير من العظماء والوجهاء نذكر منهم في القرن الاخير الكونت

الماروني من قرية عرامون كسروان في صفحة ١٩ و٣٦ من نبذة تاريخية عن الموارنة وعلاقاتهم بفرنسة ، طبعت في باريس سنة ١٨٤٤ . وما جاء فيها عن الزيارة ستقرأه مفصلاً في نص المخطوطة عما قليل . فلا حاجة الى اثباته هنا .

ثم نسيم نوفل ، كتب عن موضوع المخطوطة بعض الشيء في كتابه « بطل لبنان » المطبوع بالاسكندرية سنة ١٨٦٦ ، صفحة ٢٥٣ . فوصف بالاخص حفلة الزفاف بكل دقائقها مما سنثبته في حاشية خاصة عند ذكر المخطوطة .

واخيراً جاء حضرة البحاثة الفاضل الخوري اسطفان البشعلاني بكتابه القيم الضافي عن تاريخ بطل لبنان وعنوانه « لبنان ويوسف بك كرم » . فاستعان باكتب المطران مراد ونسيم نوفل ، على ما دونه حضرته عن زيارة دي جوانفيل للبيت الكرمي في كتابه المذكور صفحة ١٣٥ و١٣٦ و١٣٧ . فعليك بذلك هناك .

واليك ، بعد هذه التفاصيل ، وصف زيارة دي جوانفيل للارز والبيت الكرمي في نص المخطوطة بعبارتها المسجعة وحرفها الواحد :

دي جيرامب ، من الرهبان الكبوشيين ، في ١٨ ايلول ١٨٣٢ ؛ ثم الشاعر الفرنسوي الكبير الفونس دي لامرتين في اول نيسان ١٨٣٣ ؛ ثم الامير دي جوانفيل بطل مخطوطتنا ، في السنة ١٨٣٦ . وحلّ الدار الكرمية سنة ١٨٣٩ ابراهيم باشا الفاتح المصري . ثم المونسنيور ميلن الرحالة النمسوي الشهير سنة ١٨٦٨ . وكذلك اقام في ضيافة هذا البيت اوجين بوجياد ، قنصل فرنسة العام في بيروت بعد السنة ١٨٦٥ . ثم الكونت دي پاري ، ولي عهد فرنسة ، سنة ١٨٦٠ . وفي السنة التالية زارها فؤاد باشا ، ناظر خارجية تركية ، ورئيس اللجنة الدولية للنظر في حوادث ١٨٦٠ . وممن زارها من العظماء البرنس اوف وايلس ، ولي عهد الملكة ڤيكتوريا سنة ١٨٦٢ . ثم ولي عهد سكسونية . واكثر متصرفي لبنان قبل الحرب . والكثير من القناصل والقوّاد والاميرالية الاجانب ، وجمّ غفير من كبار الرحّالة ، ورجال الدين والدنيا من شرقيين وغربيين .

[١] تذكرة

بزوغ شمس سليل السلطنه الفرنساويه
في اقاصي الديارات الشرقيه

١ً مقدمات البعثة وظروفها[١]

ان جلاله الملك المهاب المنتصر ، لويس فيليبوس الاول المظفر[٢] ؛ سلطان الجماهير الفرنساويه ، وصاحب العزه القيصريه؛ لما تسنم معالي ذروات العز والافتخار، وجلس على سرير سلطنه فرنسا ذات الاقتدار ؛ قد وجه فكره الشفاف ، نحو اشباله الاشراف ؛ مؤثراً ان ينظم كلاً منهم بمقام ، كما حسن لرأيه الملوكي المقوام. فاخص النجل الاول[٣] ذا اللطافه ، والمتولي بعده الخلافه ؛ بشرف مقام سام ، اي سر عسكر[٤] عام . واخص النجل الثاني المصان[٥] برياسه الألايت الخياله الفرسان ؛ ومميناً بصمصامه الابتر ، لسعاده اخيه الاكبر.

اما النجل الثالث المجيد ، والشبل الفتاك العنيد ؛ العالي الشان ، والمتوقد الجنان ، الاثيل الامير فرديناند دورليان ، برنس دي جوانفيل ؛ قد حسن لارادة ابيه السنيه ، ان ينظمه مع الجيوش البحريه ؛ لكي بعد ان يتقن

---

١) ان كل ما ترى من العناوين المتسلسلة والنقط والفواصل « ، » والرجوع الى السطر عند اللزوم هو من وضعنا.

٢) ابن الامير فيليب ايگاليته والاميرة لويزا دي بوربون. ولد في باريس سنة ١٧٧٣ تسنم عرش فرنسا سنة ١٨٣٠. تركه سنة ١٨٤٨ لحفيده الكونت دي پاري الذي كان والده دوق دورليان قد مات سنة ١٨٤٢. ونفي الى كلارمون بانكلترة حيث توفي سنة ١٨٥٠

٣) دوق دورليان شارل هنري المعروف بدوق دي شارتر الذي ولد في باريس سنة ١٨١٠ وتوفي سنة ١٨٤٢ ، وهو والد الكونت دي پاري ، ولي عهد فرنسا المذكور.

٤) إصطلاح تركي معناه رئيس العسكر وقائده.

٥) دوق دي نيمور لويس شارل فيليب. ولد في باريس سنة ١٨١٤ وتوفي سنة ١٨٩٦

استعلام هذه المحجه ، يحوز الارتقاء درجه فدرجه ؛ حتى الى وظيفه سرعسكر البحار ، وضابط عمارات دولته البحريه في كافه الاقطار.

ففي الحال لبى هذا الابن المطواع ، صوت جلاله ابيه المطاع ، وارمى بنفسه في البحار العباب ، رهينه السفن والاخشاب . واذ كان الامر معلوماً من عامة الانام ، ان ضابط العمارات البحريه العام ؛ يلتزم في كل الممالك ، ان يخوض جميع البحور ويتجرع التهالك ؛ فلهذا قد التزم هذا النجل المنصار ، ان يستتبع هذه الاثار ؛ فيتدجج بقوى اسلحه الرحمن العاليه ، ونهج اولاً بلاد ايطاليه . ثم سار ثانيه بنفس سارّه ، ناجماً جهات انكلاتره . واخذ ثالثاً يقطع البحور [٢] وينحو جزاير اسور[١] ؛ خايضاً بعزم نشيط، مخايض البحر المحيط . وفي الرابعه قد اثر القرب ، الى جزاير العرب . ثم فاء بعدُ من هذه الاسفار الشاسعه ، الى المدينه المتملكه باريز الشمس الساطعه . فتقدم بامر عظمه ابيه الحزوم ، الى فحص فاحصي غزاه البحور حسب الرسوم . فظهر بعد الفحص فطحلاً شجاعاً ، وبطلاً جراعاً ؛ متعمقاً بهذا الفن ومتعلقاته ، ومدركاً كامل غاياته . ففاز من ابيه بالمحظوظيه، وبالاحرى، قد حاز التقدم من وظيفه الى اخرى . ولا زال يرتقي سؤدد المعالي ، ويتولى المراتب والموالي ؛ الى ان حاز من الوظايف العظام ، رتبه قيقام .

٢ً العزم على السفر والتأهب له

ثم راق ايضاً لاراده ابيه السنيه ، ان يرسله خامساً نحو الامصار الشرقيه ؛ فلبى صوت ابيه الخطير ، واسرع للسفر دون تأخير . ولما حل بركابه الشريف المصون ، في احدى مداين فرنسا المعروفه بطولون[٢] ؛ الشهيره بينا الحروب ،

١) وبالافرنسية (Açores) وهي مجموعة جزر في الاوقيانس الاطلانتيكي الشمالي على ١٣٠٠ كيلومتر من البورتوغال ، وعددها ٩ : سانت ماري ، سان ميشال ، تيرسايرا ، سان جورج ، غراسيوزا ، فايال ، بيكو ، كورفو ، فلوريس . وكلها اليوم تحت الحكم الافرنسي .

٢) من اعظم الثغور الحربية . موقعها على الشاطئ المتوسط شرقي مرسيلية . وسكانها اليوم ١١٥٬١٣٠

والترس الموقي من الخطوب . فتأهبت هذه لاستقباله ، مبتهجة باقباله ؛ واثارت المدافع براً وبحراً من جهاتها الاربع ، فغدت اصواتها كالرعود من كل مربع . واذ كان قد خرج الامر الكريم الموقر ، من سعاده وزير ومدير امور البحر المظفر ؛ ان يعـد لركب سعاده الامير المومى اليه مركوباً اميناً ؛ وهو احدى الفراتاكات المعروفة بالالايفجينا[1] الشهيرة بحمول معلوم من المدافع ستون مدفعاً ، ومن الرجال خمسمايه واربعه عشر جدعاً[2] ؛ تحت مناظره الرجل الشهير الامين ، تيودان باشي المعروف في برسفال دوشين[3] . وأعـدَّ ايضاً بصحبتها البريك[4] ، المسمى دوكديك[5] ؛ الشهير بحمول معلوم من المدافع اثنان وعشرون مدفعـاً ، ومن الرجال مايتان وستة عشر سعيداً[6] ؛ تحت مناظره الرجل الباسل النشمشم ، الكومندانت بريت المفخم[7] .

---

١) محرفة وصوابها ايفيجينيا Iphigénie او Iphigénia ، وهو اسم تاريخي شعري لابنة اغاممنون بطل الاغريق الاعظم ، وقـد قدمها ابوها ضحية الى الآلهة ليتصروه على اعدائه الطرواديين . اتخـذ قصتها نوابغ الروائيين موضوعاً لاعظم آثارهم التمثيلية مما هو زينة اهم المراسح في العـالم . ولشهرة هذه الابنة اطلق اسمها على الدارعـة التي اقلت دي جرانفيل في سياحته هذه . وقد ذكرها هو في « مذكراته القديمة Vieux souvenirs » ، صفحة ٩٤

٢) لفظة عامية يراد بها الشجاع .

٣) Parseval Deschênes ، وهو الكسندر فرديناند اميرال الاسطول الفرنسي الشهير . ولد سنة ١٨٠٩ وتوفي سنة ١٨٦٠ . وجاء ذكره في الكتاب المذكور : « المذكرات القديمة » صفحة ٩٤

٤) لفظة افرنسية (brick) معناها مركب شراعي ذو صاريين مربعين .

٥) تحريف دوكريديك Ducouédic وهو اسم شهير . قدم لشارل لويس احد ضباط البحرية الافرنسية البـلاء . ولد سنة ١٧٤٠ ومات صريع الوغى سنة ١٧٨٠ ، وتخليداً لذكره اطلق اسمه على هذه السفينة المذكورة ايضاً في كتاب « مذكرات قديمة » صفحة ٩٣

٦) والصواب سَعيذَع معناها السيد الكريم الشريف الموطأ الاكناف والشجاع . وغلط من كتبها بالدال المهملة وضم السين .

٧) محرفـة ايضاً وصحيحها بُروا (Bruat) وهو ارمن جوزيف الاميرال الافرنسي المشهور ولد ١٧٩٦ وتوفي سنة ١٨٥٥ . وكان رفيق دي جرانفيل في هذه السياحة ، كما ورد ذكره في صفحة ٩٣ من المذكرات المعهودة .

٣ً الشروع في السفر

ومن ثم قد تحرك ركاب سعادته السعيد ، الى هذا السفر [٣] البحري المديد . ولما دنا من جزيره مالطه ، بنفس رضيه غابطه . فلم يرغب ان يتحول عن التيار ، بل ظل خايضاً البحار ؛ وقاطعاً الطرقات ، من غير التفات . ولما بلغ لمدينة اتينا الزهيه ، الشهيره بكرسي المملكه الروميه ؛ فحصل هناك لمقامه المفخام ، استقبال ملوكي سام . ثم تحرك من هناك بالمسير ، الى ان بلغ ازمير ؛ ومنها الى رودس ، ثم جزيرة قبرص . ولما انه اقترب من لاذقيه العرب ، فلم يشاء ان يدنوا الفراكاته الى المرسى ، ولا ان يلقى به مرسى . بل اخذ فلوكة صغيره ، وبمعيته قبودان باشي واتفار يسيره ؛ وخرج للاسكلة المومى اليها ، فاقام نحو ثماني ساعات فيها . ثم انعكف للادبار ، لتكميل ما عليه من الاسفار .

٤ً الوصول الى ميناء طرابلس

ولما كان اليوم الـ٢٩ من شهر ايلول النفيس ، والساعه الـ٩ من النهار المعروف بالخميس ، وسنة المسيح الجزيله الشرف واللطف ، الواقعه في عدد ست وثلاثين وثمانمايه والف ؛ قد اشرقت شموس هذا النجل الهمام ، في نواحي مدينه طرابلس الشام . واذ كان موجوداً بهذه المدينه ، الشاب اليقظ اللطيف ، والرجل الفطن الشريف ؛ الحميد الشيم والمزايا ، والحسن المناقب والسجايا ؛ مسيو جفروا[1] الفرنساوي المكرم ، قنصل دوله فرنسا المفخم . فهذا اذ شام اقبال المراكب ، ولم يدر من هو الراكب ؛ فمن دون ان يخلع عنه ملابسه النير الزرينه ، ويتسربل باسمال[2] الوظيفه ؛ قد قام فوراً وبمعيته الكنشلير ،

---

١) جهدنا كثيراً لتعريف هذا القنصل فلم نظفر بذكر له ، لا في مذكرات دي جوانفيل ولا في قاموس الاعيان العام .

٢) يعني الاثواب . والاسمال : ج . سِمْل ومعناه الثوب المخلّق البالي . ولم يقصد به المؤلف هذا المعنى .

وجد كلاهما بالمسير ؛ لينظرا من المفاجي ، وهل ثم خبرٌ ومناجي. فلما بلغا المينا حيث الشاطى ، واذا بفلوكه مقبله عليهما من غير تباطى ؛ وضمنها احد ملازمي عسكر فرنسا المنصور ، اتياً لاحضار القنصل المذكور. فسأله القنصل من هو كومندانت الفراكاته القادمه ، وما هي المأموريه اللازمه ؟ اجاب الملازم بانه لا يعلم شيئاً اخر ، سوى ان النجل السعيد المظفر ، سليل السلطنه [١] الفرنساويه ، قادم بهذه الفراكاته الزهيه ؛ وهو صاحب الامر الجزوم ، في احضار القنصل المرقوم. فارمى على الفور القنصل والكنشلير نفسيهما بالسفينه ، وسارا عاجلين من غير سكينه . فلما انتهيا للفراكاته السعيده ، قيل لهما ان سعادته جالس على المايده . فبلغ خبر وصولهما المقدم ، لسعاده قبودان باشي المفخم . فنهض حالاً عن الطعام ، واستقبلهما بكل انس واكرام . وبعد ان حياهما بالسلام ، احجم فوراً لدى النجل الهمام . فاستأذنه بادخالهما لديه . فدخلا وامتثلا بين يديه . فحازا من لطفه الرفق والهشاشه ، اذ صادفا منه كل لطف وبشاشه . ثم امرهما بالجلوس ، فجلسا طايبي النفوس.

٥ً السعي لزيارة الارز

وبعد هنيهه اظهر للقنصل المار ذكره ، ما ارتاح اليه توقد فكره ، سايلاً اياه ان كانت تمكن زياره ارز لبنان ، بعد ثلاثه ايام من الزمان . فاجابه القنصل بالايجاب ، وانه ليس هو من الامور الصعاب . فامره حينئذٍ بسرعه التأويب[١] ، لاستحضار ما يلزم من المراكيب . وانه في الساعه الثامنه من النهار الثاني ، تيكون السفر الملوكاني.

فلباه القنصل مسرعاً بالرجوع ، وتمم المأموريه من غير هجوع . واذ كان القنصل يعلم بتحقيق ، لزوم سعادته لقطع ليلتين بالطريق ؛ فسبق ولحظ ان المحل الموافق المدين ، هو القريه الشهيره باهدن . حيث ان هناك يستولي على نهار سفر سعادته الاسفار[٢] ، ويلتزم به لاخذ الراحه من عي الاسفار. واذ كان

١) اي المآب والرجوع. اعتمده المؤلف للسجع .

٢) عبارة مضاربة المغني والمبنى تفسرها الجملة بعدها : « لاخذ الراحة من عي الاسفار ».

متقدم المحل المذكور ، معلوماً بل ومحبوباً من القنصل المنفور[1] ؛ وهو الرجل الماروني الشريف النسب ، الزكي العرف والفسيح الرحب ؛ المحب الدوله الفرنساويه العظمى ، الشهير بالشيخ بطرس كرم[2] اسماً ومسمى. فلهذا امسك القنصل [٥] ساعياً (رسولاً) بالحال ، وارسله للشيخ المومى اليه من غير امهال. فاخبره ما وقع عليه الخاطر ، من صاحب السعاده والمفاخر . وان توجه سعادته هذا سيكون بصفه سايح في النبراء ، لا كابن الملوك والامراء.

وعند غد ذلك الصباح ، المعدّ للسفر الاغر المصباح ؛ قد حضر لدار القنصليه ، جناب الاجل الماجد المفرد ، السنيور جورجي كاتشفليس[3] قنصل الانكليز الامجد. ثم شقيقه الاجل الاحشم ، السنيور خريستوفي قنصل فرنسا المحترم. ثم افتخار الأماجد الكرام ، الحاج صالح افندي وكيل متسلم طرابلس الشام[4]. واظهروا للقنصل ما جوته الاراده، وانهم آتون لملاقاه صاحب السعاده. فتوجهوا والقنصل من غير احجام ، وصحبتهم جمع من الخدام ؛ آخذين بجد الذهاب والمسير ، الى حيث هو سعادة الامير. وفيما هم بوسط الطريق مجدين الاقدام ، واذا بسعادته قادم على الاقدام ؛ وبمعيته احد الملازمين الشهير بالكولير اوته[5] المغازي ، ووكيل الاسكلة المعروف بمصطفى غازي ، فتقدموا لاستقباله ، وتشرفوا بتبلة اذياله . وقدّم القنصل لديه الخيل المعده لركوبه ، واعرض ان اهبه السفر تهيأت حسب مرغوبه . فامر ان ترسل عشره روس من الخيل الخرين ، لركوب ساير الاتين . منهم مسيو برنيت وقبودان باشي ، وسته

١) اي المكشوف. عنى بما المذكور او المعروف لاستقامة السجع.

٢) والد يوسف بك كرم.

٣) او كاتسفليس. وهي من انبل اسر الروم الارثوذكس في بلادنا ، اغريقية الاصل من جزيرة كورفو اليونانية في البحر المتوسط . برز منها شخصيات وجيهة اعتمدتها الدول المسيحية قناصلها في طرابلس.

٤) هو خلف مصطفى آغا بربر ، ولم نظفر باسمه على رغم بحثنا ، وعانا بمكتشفيه في بحوثنا عن تاريخ بربر الآخذين بتكوينه.

٥) احد رفاق الامير دي جوانفيل. وقد نشدنا اصل اسمه بالافرنسية في ام المراجع ، فوجدناها مع « المذكرات الندية » ايضاً غفلاً من اي ذكر لهذا الرجل وعائلته.

من الاوفيسياليه (الضباط) الحواشي. ولا سوى مما تقدم ، الا نفرين من الخدم. فلباه القنصل بما ذكر ، وارسل الخيل حسبما امر . ثم انعكف للاياب سايراً صحبة الركاب.

٦ً زيارة طرابلس

ولما بلغ سعادته للمدينه المحميه ، عرّج الركاب لحي القنصليه الفرنساويه. فاقام به يسيراً من الزمان ، وذهب للمدينة السابقة البيان. فجال كافة شوارعها واحياها، الى ان [٦] اكل الغايه من مراها. ثم توجه نحو ذلك المحل، المعروف بالتل ؛ وكانت وقتيذٍ الساعه الثامنه من النهار، المرسومه لاخذ طريق الاسفار. ففي الحين عينه اقبل سعاده قبودان باشي وساير الاعوان ، فنر سعادته للركوب كالاسود الشجعان . وامر ان يكون المذكورون والقنصل من المسافرين بركابه الشريف ، ومعهم ايضاً الشاب الانيس والفرع النفيس اللطيف، الخواجه موسى بنيتو[1] ترجمان القنصلية الفرنساويه ، وجمهور من ابناء الديانه المسيحيه.

٧ً في طريق الهدرة

ثم اخذوا يجدون السير ، بعدوٍ يحاكي خفة الطير. وقبل ان يناهزوا الوفود ، لمحل اهدن المعهود ، قد انتهوا الى طرقات شاقه شزونه ، ودخلوا العقبه الشهيره بجيرونه[2]. واذ كان هناك قد شاخ النهار وانهزم ، ودجن الليل واعتم ؛ وشق التيار ، وكثر العثار ؛ فاستحوذت عليهم عوارض الحيره ، واستولى جمهم ظلامُ البصيره. وفيما هم بهذه الحال المكفهرّه ، يقاسون نوايب شديدة مرّه ؛

---

١) بنيتو ، لفظة ، لفظة ايطالية معناها الولد الصغير . واصطلاحاً هي اسرة لاتينية نبيلة شهيرة نزحت الى طرابلس حول سنة ١٧٢٦ من جزيرة كورسكا ، فاعتمدت فرنسة اعضاءها قناصل ووكلاء قنصليا في طرابلس وحماه وبيروت.

٢) لفظة سريانية اصلها سخنونا تصغير سخنا ومعناها ارض وعرة ذات تلال ومناور. وهي طريق عقبة تطرقها الارجل صعوداً ونزولاً بين اهدن وساحل الزاوية وطرابلس . موقعها شرقي قريتي سبل وايلو وراء حرج اجبع الجميل.

اذا قد تخيّل امامهم رجل ماشي ، من رعاه المواشي ؛ فسُئل من القنصل : من ذا المواني ، بالليل الدامس . فاجاب المومى اليه ، بانه من رعاه مواشي الخواجه طوبيا طربيه[1] ، حبيب السايل ، ومجيب المسايل . ففرح القنصل اذ سمع حسن جوابه ، لا سيا اذ هو خاصة احبابه . وقال له فترغب اليك اذاً ان تكون من حفظة نعم ، وتدلج امامنا على القدم ؛ موقداً بازائنا مصابيح النار ، لتنقذنا من هذا العثار . فاباه الرجل من غير احتجاج ، واخذ بايقاد المصابيح والاسراج .

٨ً الاستقبال في اهدن

ولما دنوا من الوصول الى اهدن [٧] وتلك الطلول ، اسرع القنصل بارسال الخبر ، للشيخ بطرس المحرر . اما الشيخ المذكور اذ كان يؤمل هذا الاقدام ، قبل دجون الظلام ؛ قد كان صنع نهاراً الاستعداد الفاخر ، للقاء سعادة هذا الليث الظافر ؛ وخرج من القريه هو وبنوه وساير اقربايه ؛ وجمع غفير من خواصه واصدقايه ؛ سايرين مسافه بعض اميال ، ينتظرون اقبال صاحب الجلال . ولما اطالوا المكث وداهمهم الظلام ، وابطا سعادته عن الحلول والاقدام ؛ فاستحوذ على جمعهم ضعف الرجا ، بتدومه بذلك الدجا . ولما حصاوا بهذا الارتياب ، انعكفوا للاياب .

وفيما هم في الهذيذ (الحديث) والمنافسه ، في ثالث ساعه من تلك الدامسه ؛ اذا قد وقف في بهرة جمعهم احد الشبان ، ونشر عليهم بشرى تدوم سعادته بذلك الان . فهبّ الشيخ وبنوه وجميع من حضر ، هبّة البارود عند ملتقى الشرر ؛ اخذين بايديهم المصابيح والشموع المسرجه ، متسابقين للملاقاه الشريفه المبهجه . واذ بعدوا قليلاً عن المحل ، واذا بركاب سعادته قد حل . فساروا امامه باحتفال طابت به النفوس ، حتى الى الغرفه المهيّأة للجلوس . فجلس بمكانه واجلس بحضرته كافه اعوانه . ثم حضر الشيخ المومى اليه (بطرس كرم) ، وامتثل متهيباً بين يديه . وبعد ان استملمه سعادته اخذه بالمشاشه ، وانثنى

[1] مؤلف المخطوطة على رأينا ومنتبها ، راجع التوطئة .

يخاطبه بكل رفق وبشاشه . ثم اجلسه عن جانبه اليمين ، وهكذا اجلس ساير الحاضرين فاسدوه وجلاله والده القاهره ، مواجب الدبعرات المتواتره .

٩ً الليلة الاولى في البيت الكرمي

وبعد ان مضت ساعه من الزمان ، واخذ راحته كل عيان ؛ فامر سعادته باحضار العشاء ، فحضر فوراً حسبما شاء . فجلس على المايده واجلس باشماله الشيخ بطرس عن يمينه والقنصل عن شماله . ثم الملازم موسيو ازته المعتبر ، وقبودان باشي الموقر ؛ والكومندانت [٨] بريت ذي الاكرام ، والاوفيياليه السته الكرام . واذ كان الشيخ وقتيذٍ مهتماً بصدقه غير مظنونه ، بتزويج ابنته كاترين الكبرى المصونه بخطيبها الشاب الشهير المعروف بالشيخ نعمه العشي[1] ولد الشيخ لطوف . وانه في اليوم الثالث من تشريف سعاده النجل الامجد ، والثاني من تشرين الاول المحكم يوم الاحد ؛ ستكون حينيذٍ حفلة السرور والابتهاج ، باتمام اكليل هذا الزواج . فلهذا قد كان العريس يومئيذٍ بادي الاستعداد ، حسب عاده البلاد ؛ قاعاً محفله بذلك المغنى ، بالطرب والفرح والرقص والغنا . واذ كان المحفل ملاصقاً بيت العروس ، حيث وجود سعادته وساير الجلوس ؛ فسمعوا وهم على المآكل ، ضوضاء العرس والمحفل : الطبول بالرجيج ، والزمور بالصفير والضجيج . فسال سعادته عن المغنى ، فأعرض لديه من غير استثنا . وبعد ان انتهى من المآكل ، قد رغب الذهاب الى المحفل . فذهب وبعيته جميع من كان ، واخذ يتفرس باعمال المكان . فاقام نحو ساعة من الزمان ، متعجباً في منظر كنا جديد العيان . ثم انعم على ارلى الرقص بما اراد . ونهض للرجوع والمعاد ، فراقه له الوسن والرقاد ، لاخذ الراحه من الطراد . فذهب لمخدع منامته ، وهكذا جميع عزوته .

١٠ً زيارة الارز بموكب عظيم

وبعد ان خطف من النوم نحو اربع ساعات ، قد هبّ هبه النطاحل الى

١) اسرة شامية برتقي اصلها الى اوائل القرن الرابع عشر . سميت بذلك لان جدها يقال عنه انه كان طاهياً ماهراً عند حاكم الشام .

الغارات ؛ مريداً بذلك السحر، تكميل ما عليه من السفر. فامر بشد الركبان، واخذ بالكد لارز لبنان. فسار وبمعيته خواصه وحواشيه، والشيخ بطرس وابنيه[1] وابن اخيه[2]؛ والخواجه طوبياطربيه والشيخ خطار الشدياق[3]، وغيرهم كثيراً من الرفاق؛ وركاب خيل وازلام، وشردمه من الخدام[4].

ولما اقبلوا على ذلك الارز، المتقدم عنه الرمز؛ فدخل سعادته والبقيه، تحت [٩] ظلال تلك الإشجار البهيه. واخذ يتأمل بنباتها الراسخ، ويتفرس بارتفاعها الشامخ. ثم جسامة اجسامها الجسيمه، المخبره عن احقابها القديمه. اذ قد بلغت كمية غلاظه احدى هذه الأشجار، استدارة خمسة باعات رجال كبار. فتحقق حينئذٍ لدى سعادته والجميع، ان هذا الارز المقدس الرفيع، هو عين الارز المقطوع منه الخشب العظيم، الى هيكل سليمن الحكيم. بل هذا الذي كان به قول النبي داود اعظم برهان، وهو ان الصديق ينمو كالارز في لبنان. وقول النبي الاخر النبيل: «هلمي من لبنان يا عروسي للتكليل». وبالتالي هذا هو الارز المثنى بمدايح موتلفه، والمنعوت بتقريظات مختلفه؛ بعبارات جزيله مؤسسه؛ على الاسفار المقدسه. وناهيك من وجوده في سفح ذلك الجبل الاسيل الاملد، في بقعه جليله بشكل مفرد؛ حاوي الماء العذب، والنسيم اللطيف الرطب؛ والمناخ اللين الحسن، والمشهد الشهي السكن. وما احلا المقال الناذر، الذي قاله في مثله الشاعر:

وقانا نفحة الرمضاء نادٍ سقاهُ مضاعف الغيث العميم
حللنا دوحهُ فحنى علينا حنوّ المرضعات على الفطيم
وارشفنا على ظمإٍ زلالاً ارقّ من المدامة للنديم

١) يوسف بك ومخايل بك. ٢) حبيب بك كرم.

٣) هو ابن خال بطل لبنان وحفيد الشماس الشيخ انطونيوس ابي خطار المؤرخ الشهير و «شيخ مشايخ الجبة» من قرية عينتورين الكائنة في بطن الجبل بين امدن ودير قزحيا. وهي اسرة عريقة وتيلة جدها الشدياق توما. تفرع عنها مشايخ بيت رفول في قرية اجبع ومشايخ بيت عبد النور في بنشعي (عن قلائد المرجان المخطوط).

٤) وقال عن ذلك نسيم نوفل صفحة ٢٢٦، انه كانت تحمر الحرفان بالمئات من امدن الى الارز طول الطريق ذهاباً واياباً في ذلك الموكب الملوكي.

يصد الشمس أنى واجهتنا فيحجبها ويأذن للنسيم[1]

فلهذا قد استوعب سعادته من ذلك مزيد السرور ، بل امتلأ من البهجة والحبور . واخذ يرسم بيده اللطيفه صوره تلك الاشجار الشريفه .

١١ بين يدي مواقيل والبطريرك الماروني

واذ كانت قد بلغت من الليل الماضي ، بشرى تشريف سعادته هذه الاراضي ، الى غبطه السيد الكلي القداسه ، والسامي اللطف والرياسه ، صاحب المحبه القدمى ، لدوله فرنسا العظمى ، الشهير بمنار يوسف[2] بطرس بطريرك الطايفه المارونيه ، في ساير الاقطار الشرقيه [١٠] . فحالما سمع غبطته بهذه البشرى السنيه بل المنة الكبرى العليه ، قد ارسل لاهدن كاتم اسراره ، لاستيار الحق المار تذكاره ، لكي اذا ما تحقق غبطته اقبال سعادة صاحب الجلال ، يتوجه فوراً للقاء والاستقبال . واذ بلغ كاتم الاسرار لاهدن ليلاً ، واذا بسعادته وقتيذٍ متبلاً . فتقدم كاتم السر لناديه ، وامثل بين يديه . ثم اعرض للسامع الشريفه ، عن غايه مجيئه بتلك الليله الحالكه الكثيفه .

١) هذه الابيات لشاعر حلب الشهير ابي نصر المناذري . وهي في اصلها خمسة اعمل المؤلف خامسها وهو :

« تروع حصاه حالية العذاري فتلمس جانب العقد النظيم »

انشدها المناذري في حضرة ابي العلاء المعري الضرير حيث جمعتهما صدفة في الشام ، متنزهاً فيها بوصف وادي بزاعة قرب حلب . وبعد الانشاد قال له ابو العلاء : « انت اشعر من بالشام » . مرت على ذلك ٧ سنوات وجمعتهما صدفة اخرى في بغداد فانشده المناذري خمسة ابيات اخر على نفس الوزن والقافية . فقال له المعري : « ومن بالعراق » . عطفاً على قوله السابق في الشام ، قبل ٧ سنين . وهو مثال اعلى اقامه ابو العلاء من قوة الحافظة وشدة الذكاء وسرعة الابتداء . وحبذا لو ابقاها المؤلف على اصلها خارجةً من فم المناذري . ففي البيت الاول وضع « نفحة » عوض « لفحة » « ونادٍ » عوض « وادٍ » ، وفاته ان اللفح للحر والنفح للنر . وفي الثاني اتخذ حللنا بدل نزلنا ، وهذا ما قال المناذري لا ذاك . ثم اخطأ في كتابة « حنى » والصواب « حنا » لان مضارعها يحنو ، كما لا يخفى . وفي الثالث اعتمد كلمة «ارق» مكان « الذ » ، وعهدُ المناذري بالثانية دون الاولى . اما البيت الرابع فيحمد الله على السلامة . واما الخامس فقد عمه الاهمال من نكبات اخوانه .

٢) البطريرك يوسف حبيش (١٨٢٣ — ١٨٦٥) .

فاخذه سعادته بوجه مانوس ، وامره بالجلوس. اما كاتم السر المذكور ، عندما تحقق الخبر المسفور ؛ فهمّ واخبر غبطته عجلاً ، وان يكن الوقت ليلاً.

ولهذا فقيا ان سعادته مقره الالحاظ الالميه ، بمشهد تلك الاشجار البهاظ البهيه ؛ اذا بغبطه السيد الموسى اليه قد اقبل ، وبمعيته جمهور من الخدام والحلل[1] واذ بلغ سعادته خبر اقباله ، امتلأ فرحاً وتأهب لاستقباله. ودلالةً على انه سليل تلك العيله الملوكيه الشريفه ، المجمله بحسن الديانه المسيحيه الغرّاء المنيفه ؛ فلهذا حالما اقترب غبطته لحاه ، فرّ منتصباً وجدّ السير المقاه ؛ وحيّاه تحيات التقاه الكرام ، واجلّ مقامه الروحي اجلالاً فايق المقام. وكان هكذا اول خطاب سعادته مع سيادته : « انه ليصعب عليّ جداً مما الّم بسيادتك من الثقله والعنا ، في حضورك بسببي لهذا المغنا ». فاجابه غبطته هكذا :

« يا له من امر عجيب ، وشرف سامٍ غريب ؛ الشرف الذي حازته هذه الامصار ، الامر الذي ما اخبرت عنه سوالف الادهار. وهو انه قد وجد ههنا فرع الشجره الملوكيه ، وسليل السلطنه الفرنساويه ؛ الحارسه في كل اقاصي البريه ، حسن الديانه المسيحيه [١١]. ومن ثم ليس اني فقط لم اشعر بسفري هذا على ادنى عناء او اذا (اذى) ، بل بالحري قد حزت حظاً سعيداً سامياً، وشرفاً فريداً متسامياً . حيث اني في هذا الوقت والمكان اللطيف ، قد تشرفت بمقابله شخص سعادتك الشريف. وسيكون لي سرور اعظم ، وشرف جزيل افخم ؛ اذا حصلت من منازلة سعادتك الوفيه ، على تشريفك الكرسي البطريركيه (قنوبين) ».

وعند انتهاء هذا المقول ، انثنى سعادته يقول : « ان جميع الاقاصي الشرقيه ، منسوبه للبطريركيه المارونيه . وامر معلوم ان اشرف هذه الاقاصي بل وكل الامصار ، هو ارز لبنان الكلي الشرف والافتخار. ومن حيث اني حصلت على زيارته الشريفه ، فافتكر كأني زرت ذات كرسيك المنيفه ». فحينئذٍ اخذ سيادته يسدي سعادته مواجب الدعوات الخيريه الوافره، والتوسلات

---

١) جمع حلة ومعناها المجتمع. عبّر بها عن كثرة الجمع القادم برفقة البطريرك.

التقويــه المتواتره . وبسط اكف الابتهال والضراعه ، لدى صاحب الاستماع والشفاعه ؛ بحفظ عز جلاله ملك الفرنساويه ؛ وترس الديانه المسيحيه . وان يديم سرير سلطنته بالعز والاقتــدار ، ويزيد نعيم دولته مدى الادهار . وبعد ذلك قد حسن لدى سعادته ، ان يكلف غبطته للجلوس لاخذ راحته ؛ فابى غبطته من الجلوس تلاطفاً ، حيث ان سعادته استمر واقفــاً . واذ شعر سعادته بذلك ودرى ، قد جلس فوراً على الثرى . ثم انه اعدَّ بيده الشريفه ، وسادته الظريفه اللطيفه ؛ فاجلس غبطته عليها بكل احترام . واخذ يلاطفه بعذوبة الكلام .

ولمــا حان وقت غداه ، كلف غبطته للجلوس حذاه . واخذ يستمنل نحوه واجبات الموايد ، بمناولة الاطعمه حسب العوايد . وجرت بعدُ محادثات [١٢] اخر انيسه ، بموضوعات عذبه نفيسه . فاتــام سيادته بحضره سعادته نحو اربع ساعات ، فكانت لديه كاضغاث حلم وفات .

١٢ وداع الامير للبطريرك

واذ كان النهار ، قــد ناهز الاسفار[1] ؛ وضاق على غبطته الزمان ، لبعد مسافه الاوطان[2] ؛ فلهذا قد حاول الايلب مستأذناً سعادته قبل الذهاب . اما سعادته قد كان امتطى جواده كالبطل ، راغباً الصعود الى اعلا الجبل ؛ ليقابل من هنــاك الاطروفه العجيبه ، والاعجوبه الغريبه ؛ بهجة الدنيا الوحيده ، الشهيره بقلعة بعلبك الفريده . لانها تتراءى من اعــلا الجبل شرقي بقعه الارز الجليله ، من مسافه ست ساعات مستطيله . واذ شعر ان غبطته يحاول المعاد ، فارعى بنفسه عن سنام الجواد ؛ وتقــدم نحو غبطته للوداع ، والقلب مصمى بسهم الالتياع . فودّعه بكل ودٍ واحترام ، طالباً منه الموازره بالدعا المستدام . ثم اخذ كلٌ طريقه ومضى ، كأنه ساير على جمر الغضا .

---

١) جمع سَفَر ومعناه بقية النهار بعد مغيب الشمس .
٢) بين قنوبين والارز مسافة اربع ساعات مشياً .

١٣ الرجوع الى اهدن والبلد الثاني فيها

فلما بلغ سعادته الى اعلا الجبل المذكور ، وشاهد تلك القلعه بواسطة الناظور ؛ قد راق له مشهد ذلك ، ثم اخذ بالرجوع طريقه السالك . ولما انتهى للارز المار بيانه ، امر بقطع حصة من اثاره واغصانه . وظل مجدًا السير بالرجوع ، الى اهدن وتلك الربوع : واذ اشرف على المحل المحرر ، واذا بجموع مقبله للقاه لا تقرر : رجال ونساء وحدثان ، من القرى القريبه واهل المكان . فساروا امام سعادته بالاجمال ، بغايه من الابتهاج والاحتفال . فانتهوا الى نادي الشيخ بطرس المعلوم ، في اخر النهار المرقوم . فاقام سعادته نحو ساعتين زمان ، ثم امر باحضار العشا من غير توان . فهيأه الشيخ بطرس من دون [١٣] تغاضي ، كما اعدّه باليوم الماضي .

وعند الانتهاء من الطعام ، واحضار ما فخر من المدام ؛ فنهض الشيخ منتصباً على الاقدام ، بغاية المهابه والاحتشام ؛ وانشى يقدم الدعوات اللطيفه ، والشكرانات المنيفه ؛ لجلاله الملك المظفر ، والريبال المصور الغضنفر ؛ صاحب السلطه القيصريه ، سلطان الابطال الفرنساويه . ثم اخذ كاساً من السلافه ، مستاذناً سعادته بكل لطافه . فرشفها بسر جلاله الملك الوقور ، سلطان الفرنساويه المنصور .

اما سعادته ، عندما شاهد ذلك ، فرّ منتصباً على الاقدام ، اجلالًا لسر عظمة والده المفخام واعدّ عمل الشيخ بطرس هذا بانه عن نباهه رايقه ، وفطنة شفافه حاذقه . واوعده بانه سيعرض لجلالة والده العطوف ، كلما بدى منه من اللطف والمعروف . وعند الانتهاء من الطعام ، وحسر المدام ، نهض سعادته للقيام ؛ ودعى لمجلسه الشيخ المومى اليه ، حضر لديه مع ابنيه ؛ وهما ميخايل ذو اللطافه ، ويوسف ذو الملاحه والظرافه . فانعم عليهم سعادته بعلبه فاخره من العسجد ، وساعه من الذهب المنضد . ثم بزوج من الطبنجات ، من منقولات الملوك والولاة . فقبلوا امنانه ، وشكروا احسانه . واذ بلغ وقت الرقاد ، ذهب لمخدعه كالمعتاد .

١٤ اليوم الثالث في الهدوء : مقلة العرس .

وفي غـد ذلك الصباح ، عندما بثق الفجر ولاح ؛ قد نهض سعادته من منامته ، ودعى الشيخ وابنيه لحضرته . واخذ يرسم[1] في بنانه الشريفه ، صور اشخـاصهم اللطيفه . ثم رسم ايضاً صورة الشيخ حبيب ابن اخي الشيخ بطرس المومى اليه ، وصورة الخواجه [١٤] طوبيا طربيه ، مشهراً بانه قد راق له لطف هنـدامه ، ثم رسم ايضاً صورة احد خدامه . واذ كان ذلك اليوم المسعد ، متوقعاً يوم الاحد ، الذي تم به بعد التقديس ، اكليل ذينك العروسه والعريس ؛ فلهذا قـد تأهب سعادته للذهاب تأهب الفضلا ، لسماع قداس احد السادات النبلا ، المعروف بالسيد الجليل ، والراعي النبيل ، اسطفانوس[2] دويهي أسقف امدن الزهيـه ، وتلميذ المدرسه الرومانيه ؛ الذي قد كان حضر لدى سعادة الامير المومى اليه ، واسداه الدعا حسبما وجب عليه . فتقدم حينئذ الشيخ بطرس لدى سعاده حميد الشيم ، بقلب مملو من الرجا والشم[3] ؛ وتوسل اليه ان كان يشاء متنازلاً ؛ وينعم متفاضلاً ، فيصير اشيناً لذلك التكليل ، ليكون ذلك لديه شرفاً ملوكياً جيـلاً بعد جيل . فيا له من تنازل جزيل لا يستقصى ، وتفاضل ملوكي لا يحصى . فمن فرط حبه الوفور ، نحو الشيخ بطرس المذكور ، كان الجواب بالايجاب ، مجيباً التماس الشيخ بطرس ومراده ، ومتمماً له كلما اراده . وبعد الذهـاب والاياب من القداس والتكليل ، بالاحتفال الجزيل[4]

---

١) كان الامير دي جواقيل رساماً حاذقاً كما قال هو عن نفسه في كتابه « المذكرات القديمة » صفحة ٩٣ وما بعد ، انه كان يختلس الفرص مدة سياحته هذه في المياه الشرقيـة ويجرع الى القلم فيرسم به ما حدث له من المشاهدات براً وبحراً كل يوم بيومه .

٢) هو الحلقة الاخيرة التي انتهت عندما سلسلة الاساقفة الدويهيين الاعلام .

٣) الطمع ، ويريد به الدالة .

٤) واليك وصف هذا الاحتفال ملخصاً عن نسيم نوفل صفحة ٢٢٥ وما اليها : « ولما علم الشيخ بطرس كرم ان ابن ملك فرنسا سيكون اشيناً لابنته اجل الاكليل الى اليوم الثالث واعلن البشائر على قرى الجبة والزاوية وهموم مقاطعات شمالي لبنان . واجتمع في امدن يوم الاحتفال نحو ٣٠ الف رجل ينشدون ويطلقون ويطلقون البارود . وكانت مراقص الفتيان

الجميل ؛ قد جلس سعادته بمكانه ، ومثل بحضرته جميع اعوانه . ثم امر فحضرت العروسه ووالدتها واشبينتها لديه ، وتشرفن بلثم اذياله وامتثلن بين يديه . فاجلس العروسه بجانبه المفخام ، بغايه اللطف والاحتشام ثم اخذ كمادة الاشبين ، يهنيها بكل رفق ولين. فمكث ريثما حيّاها بالسلام ، ثم ودعها ونهض للقيام.

فامر باحضار الفطور، فصار ذلك من غير فتور. فجلس على المايده واجلس المتادين [١٥] بالجلوس ، ثم اجلس ايضاً عن شماله قرين العروس.

١٥ مغادرة العروس الى ميناء طرابلس

ولما انتهى من الطعام ، اخذ فوراً بالسفر المقرام . فسار امامه الجمع الغفير ، بالاحتفال السابق التقرير. ولما جازوا امامه بعض اميال ، امرهم بالرجوع والمآل. ثم اودعهم وذهب ، واودعهم اللهب. فظل سايراً بركابه الوقور ، ابنا الشيخ بطرس المذكور ؛ ثم الشيخ حبيب (بك كرم) الموصى اليه ، والخواجه طوبيا طربيه ؛ والشيخ خطار الشدياق ، وبعض من الرفاق. ولما انتهوا الى ارض البقاع[1] جايزين الطرقات الشاقه ، غدوا يشدون الركبان اخذين بالمسابقه. فظهر

والفتيات مالئة شراوع امدن وفسحاتها الرحبة على قرع الطبول ونغمة المزمار ونقرة الاوتار وكانت امدن في تلك الليالي الزاهرة برجاً من نور . وعندما ازف وقت الزفاف خرجت العروس من خدرها وعلى وجهها طلاء من الدقيّ الوردي وثوبها من الاسطوفة المذهب ويداها مخضبتان بالحناء ، جرياً على ازياء وجرجة تلك العصور ، والعذارى يحطن بها احاطة الهالة بالقمر . وسار الموكب بالعروس الى الكنيسة وعن يمينها سمو البرنس دي جوانفيل حاملاً بيده شمعة طويلة مزدانة بالورد والزهور . واذ وصل الى ساحة الميدان ، بين اطلاق البارود وزغردة النساء وتهليل الرجال ، عزفت موسيقى المطارية (التّور) بالطبول والزمور . فسار لها سموه بمبلغ سبعة الاف فرنك ، وبنصفه عند الرجوع من الكنيسة . وبعد اقتبال العروسين من الاكليل المقدس من يد المطران اسطفان الدويهي ، طلب سموه ان يشاهد العروس في بيت ابيها . فلما وصلوا بها الى الدار رآها جالسة في معرض الجلاء وهي مغمضة العينين . واذ علم سموه من شقيقها يوسف بك البالي الكرمي ان ذلك من العوايد الشرقية اخذ رسمها في الفوتوغرافيا وارسله الى شقيقته الدوقة روتشيلد التي كانت ممتازة بصنعة حفر الصور . وبارح سمو البرنس امدن بعد ساعات قليله من حفلة الجلاء .

١) يعني سهل الزراعة في الجنوب الشرقي من طرابلس ، لا سهل البقاع الشهير .

سعادته على سنام الجواد ، شديد الهمه والطراد ؛ اخف من العقاب ، واسرع من السحاب. فجاز الجميع بالسباق ، وغادرهم يحاولون الاحلاق. وما زال بالجد والكد والاقدام ، الى ان بلغ طرابلس الشام . وظل اخذًا الجدّ والاحلاج ، الى المكان الشهير بسوق حراج ، المشتمل على بعض عواميد عظيمه ، تستحق توسيمات الملوك الوسيمه. فرسم سعادته صورة ذلك ، وظل اخذًا طريقه السالك. ولما انتهى الى الميناء حيث الشاطى، اخذ فلوكه ونجع الفراكاته من غير تباطى.

١٦ وليمة الوداع في الدارعة ايفيجينيا

وبعد ان استوى على سريره الباهر، امر ان يعد العشاء من الطعام الفاخر. ثم ارسل يدعي بوليمته المنيفه ، جميع الاتين بخدمته الشريفه . فمنهم من اعتفى لبعض موانع ، وابناء الشيخ بطرس لبياه من غير مانع . فسارا الى الفراكاته السعيده ، وتشرفا بمشهد تلك المناظر الفريده . فسعادة النجل [١٦] المنتصر ، ظل متسربلًا بحله السفر، اما اعوانه تسربلوا بحللهم الزريفه ؛ وتقلدوا بنواشين وظايفهم الشريفه.

ثم امر سعادته باحضار العشاء ، فسار ذلك حسبما شاء . فجلس بالمكان المنسوب اليه ، واجلس ابنيّ الشيخ بطرس عن جانبيه . ثم جناب القنصل وبقيه اعوانه ، كلًا لمكانه. فأُحضرت الاطعمه الفاخره ، والمشارب العذبه العاطره ؛ المعدّه بالانيه الذهبيه ، التي لا تنعت سوى بايدة ملوكيه . وعند الانتها من الطعام ، واحضار ما فخر من المدام ، قد اثر سعادته ان يظهر زيادة حبه السامي ، وانعطافه الملوكيّ الطامي، نحو الشيخ بطرس المحرر ، فاخذ امام كل من حضر، كاساً من الخمر الباهر السفور، فحساها بسر الشيخ المسفور. فانتصب ابنا المشروب بسره على الاقدام ، وشكرا احسانه ودعيا بحفظه مدى الدوام.

وكان الانتها من هذا العشا الاتيل، في الساعه الخامسة من الليل. وبعد ذلك دعى لحضرته ، القنصل المذكور الذي كان بخدمته ، واخذ يظهر له سروره منه بما يفوق القياس ، ثم انعم عليه بثلث قطع من الماس. فتقلدها بمقام الازرار لاسماله النظيفه ، وشكر مكارمه العميمه. وحينئذٍ تأهب سعادته للسفر ،

وودع جميع من حضر . فودعهم وفات ، واودعهم الافتتات[1] .

١٧ مغادرة الشواطئ اللبنانية

ولما بلغ الى مدينـــه بيروت ، لم يؤثر بها الثبوت . بل ظل اخذًا الطريق اللطيف ، حتى الى القدس الشريف . وبعد زيارته مقادس تلك الربوع ، انعكف اخذًا طريق الرجوع . ولما انتهى لجزيره مالطه ، قد ادخل نفسه تحت لواء الشريعه [١٧] القاسطه ؛ متمماً بها عمل الكوارنتينا حسب الواجب ، واخـــذ شعاب المسير من غير حاجب . ولا زال يقطع الطرقات بالمجيز ، حتى انتهى الى باريز ؛ قافل حينيذٍ شعاع شمس سعادته المشرق ، عن اقاصي بلاد المشرق . فغدا لبنان يعض بنان الندمان ، ويفكر بما كان ، شعرًا :

ولذاك اصبح في المذيذ بما مضى فكأنه اضغاث حلم وانقضى
وغدا لسان الحال يهتف قايلًا متضورًا متـــأرقًا متمضضاً
فكانه برق تالق بالحـــما ثم انطوى يا ليتهُ ما ارمضا

والى هنـــا كانت النايه ، مما اشرت عنه البدايه . اي بزوغ شمس سليل السلطنه الفرنـــاويه ، في موامي الديارات الشرقيه . فـــلا زالت شموس هذه الدوله مظللة الـــبرايا بكل الاقطار ، ومدججه باسلحه العز والفخر والبها والانتصار ؛ بحقوقه من المولى الرحمن ، بدوام التاييد لانقضاء الدوران ، آمين .

كتب هذا الكرّاس عن اصله حبيب عوّاد لجناب الخواجه طوبيا طربيه الامجد في ١٥ ايار ١٨٣٧

ملحق

هـــذه هي المخطوطة اوردناها بنصها وفصها معلقين عليها ما رأيناه واجباً يناسب المقـــام . وقبل ان نمسح اليراع بوقيعة الختام نذكر ما فعل الامير دي جوانفيل مع البيت الكرمي بعد وصوله الى باريس مبتدئين بما قاله نسيم نوفل عن ذالك في كتابه « بطل لبنـــان » صفحة ٢٣٦ ، وخاتمين بما رأينا نحن رأي

١) كلمة من نحت المؤلف ، جاء بها لقيام السجع ، والتعبير عن الم الفراق الشديد .

العين. قال نوفل :

« وبعد وصول سموه (دي جوانفيل) الى باريس ارسل هدية ملوكيه الى العروس وهي عقد وحلق من الجواهر الثمينة وصليب معلق بسلسلة ذهبية وسوار مرصع بالحجارة الكريمة. والى والدها علبة عطوس من ذهب ثمين مرصعة بالالماس . والى كل من مخايل بك ويوسف بك بنادق من الطرز الاخير وست مسدسات . وقد رأيت بمرأى العين مدة وجودي باهدن تلك المجوهرات التي لا زالت محفوظة كذخائر مقدسة يتوارثها الخلف عن السلف ».

وبعد ان مرت على العروس حقبة كبيرة من السنين صارت ام بنين كثيرين . منهم الشيخ بولس الشي البطل والشهيد اللبناني المعهود. وقد ازوجته امه من خزون ابنة شقيقتها حوا زوجة قيس بك الضاهر الشهير وهنأتها بالتحفة الملوكية ، هدية دي جوانفيل اليها وهي عروس . اما خزون فاحتفظت بهذه التقدمة النفيسة العزيزة الى ما بعد ان ماتت خالتها وحماتها السيدة كاترين ، رباتة من الايام والاجداد ، بروح من السنين طويل. ثم باعت زوج الحلق والسوار والسلسلة ممن بحثنا عن معرفته بجد وعناء وعبثاً ما نشدنا وبحثنا.

اما العقد الثمين فاشتراه منها شقيقها المرحوم بركات بك الضاهر وقدمه بعد حين لابنته السيدة حسنا تهنئة بزفافها الى الشيخ نعمة الله الضاهر في قرية كفرياشيت الزاوية. والسيدة حسنا وهبت بدورها تقدمة ابيها لابنتها السيدة مريانا عقيلة النطاسي الفاضل الدكتور سعيد نخول من قرية بسلوقيت وطبيب قضاء زغرتا الحالي. والسيدة مريانا ما زالت في ميعة الصبا ونضارة الفتوة تزين جيدها بذلك العقد الملوكي النادر. وهو بشكل سلسلة عريضة ، من الذهب الثمين جداً ، بديعة الصنع للغاية ، يتصل طرفاها بصليب ثمين محفور عليه شعار المملكة الفرنساوية بصورة زنبقة منتصبة . وقد زرنا بنفسنا السيدة مريانا في دارها بزغرتا مدة وجودنا السنة الماضية هناك ، فارتنا بين حلاها ذلك العقد الفريد ، وقد اخذنا صورته كما هو بالذات وتكرمت علينا بهذه المعلومات التي تقدمت عن مصير تلك الهدية الملوكية وتنقل العقد بالتسلسل حتى انتهى اليها على ما تقدم والسلام.

شذرات

دروس الآداب الشرقية

في السنة ١٩٣٤ – ١٩٣٥

كان موعد افتتاح الدروس في معهد الآداب الشرقية[1] للسنة ١٩٣٤ – ١٩٣٥ نهار الاربعاء ١٤ تشرين الثاني ١٩٣٤ ، فافتتحها الاب مرسيل لوبينياك اليسوعي ، رئيس المعهد البابوي الكتابي في اورشليم ، بمحاضرة عنوانها : « الممالك الآرامية في سورية ، وسيادة دمشق في القرن التاسع قبل المسيح ».

ومما يجدر بالذكر ان المعهد اعلن هذه السنة انه يعطي في آخر السنة ١٩٣٦ « شهادة اولى بالدروس الشرقية » ، على اثر امتحان يقدمه الطالب في تاريخ سورية وفنيقية وآثارها في العصور اليونانية - الرومانية والبيزنطية ، وفقاً لمنهاج خاص سيُنشر في ما بعد . وقد عيّن لإعداد هذا الامتحان سلسلة خاصة من المحاضرات العلمية يجد المطالع ذكرها في القسم الخامس من منهاج الدروس للسنة الحالية . اما تفصيل هذا المنهاج فكما يلي :

١ً : اللغة العربية وآدابها

عواصم الادب العربي : السلسلة الثانية : دمشق عاصمة الادب الاموي .

١٥ اسئولة يلقيها فؤاد افرام البستاني ، استاذ الآداب العربية في جامعة القديس يوسف . من ١٠ كانون الثاني الى ٢٣ ايار ١٩٣٥

٢ً : التاريخ والآثار القديمة في سورية وفنيقية

ا : مملكة دمشق الآرامية وعلاقاتها بدولتي عمري وياهو في اسرائيل .

٥ اسئولات يلقيها الاب مرسيل لوبينياك اليسوعي ، رئيس المعهد الاثري البابوي في اورشليم ، من ١٤ تشرين الثاني الى ٥ كانون الاول ١٩٣٤

---

١) راجع في تأسيس هذا المعهد وغايته ، مشرق السنة الثالثة (٣٢ [١٩٣٤] ١٢٢) .

ب : الآلهة الفنيقية وطرق العبادة في فنيقية.

٥ اشولات يلقيها الامير موريس شهاب ، امين المتحف الوطني اللبناني . من ١٢ كانون الاول ١٩٣٤ الى ٢٣ كانون الثاني ١٩٣٥

ج : بعض مظاهر المدنية التدمرية، استناداً الى الآثار . الديانة، الفنون ، اللباس.

٥ اشولات يلقيها هنري سيريغ ، مدير مصلحة الآثار القديمة في المفوضية العليا في بيروت من ٣٠ كانون الثاني الى ٢٧ شباط ١٩٣٥

د : انطاكية الوثنية والمسيحية ، استناداً الى الحفريات الحديثة.

اشولتان يلقيهما جان لاسوس ، استاذ في الادب من جامعة فرنسة ، وعضو المعهد الفرنساوي في دمشق . في شهر اذار.

٣ : علم الشؤون الارمنية

تاريخ ارمينية الادبي والسياسي والديني منذ القرن الثالث حتى القرن الحادي عشر.

١٥ اشولة يلقيها الاب جان ممبريان ، الاستاذ في كلية اللاهوت من جامعة القديس يوسف . من ٢٩ تشرين الثاني ١٩٣٤ الى ٢١ اذار ١٩٣٥

٤ : تاريخ الكنائس الشرقية القديمة ومؤسساتها

ا : الآداب السريانية.

٦ اشولات يلقيها الاب بولس موترد اليسوعي ، استاذ الكتاب المقدس في جامعة القديس يوسف . من ١١ كانون الثاني الى ١٥ شباط ١٩٣٥

ب : الليتورجيات القديمة : درس الهيكل.

٦ اشولات يلقيها الاب جان ممبريان اليسوعي . من ٢٩ اذار الى ١٢ نيسان ١٩٣٥

٥ : محاضرات عملية في التاريخ والآثار القديمة

غاية هذه المحاضرات مساعدة الراغبين في الحصول على الشهادة الاولى بالدروس الشرقية، وهي تخوض في مصادر البحث وتحليل المؤلفات ونقد النصوص ، ودرس الآثار ووقها وتنوشها . يدير هذه المحاضرات الاب رينه موترد اليسوعي . من ١٠ كانون الاول ١٩٣٤ الى ١٣ ايار ١٩٣٥

علم قراءة القرآن وفهرس مخطوطاته[1]

من جهود الالمان في سبيل إحياء العلوم أنهم اسسوا جمعية تساعد العلماء مساعدة مالية على القيام بالابحاث والدروس التي تطلب نفقات تنوء بها قوى الافراد . وان تلك الجمعية سهّلت سبيل العمل للسيد أوتو برتزل ، فسافر الى استنبول سنة ١٩٣٠ ، واشتغل في مكاتبها ، وبذل جهده في الاطلاع على ما فيها من المخطوطات الموضوعة في علم القراءة . ورأى في مكاتب العاصمة العثمانية من الكتب في ذلك الصنف ما هو جدير بالنشر ؛ ولكن انّى للعلماء ان ينالوا المبالغ للقيام بالنشرات العلمية ، والازمة الحاضرة آخذة بخناق الناس !

على ان السيد برتزل لقي في ادارة مجلة « الاسلاميات » الالمانية ، تشجيعاً على نشر لائحة المخطوطات في علم القراءة . فقدّمها الى قرّاء المجلة المذكورة في الكرّاس الاول للعام ١٩٣٣ ، وفي الكرّاسين الثاني والثالث للعام المنصرم .

عدّ لا اقلّ من ٥٦ مؤلفاً في علم القراءة ، ورتبها الترتيب العلمي ، وقدّم عليها بدرس في علم القراءة ونشأته ومصادره . فمنها الكتب التي تعنى بالقراءة على العموم ، وفيها ذكر للقراءات السبع ، والثاني ، والعشر وغيرها ؛ ومنها الكتب المختصة بالتجويد والوقف وعدّ آي القرآن . . .

ولم يكتفِ بالبحث عن تلك المخطوطات في استنبول ، بل استعان على الكلام فيها بما اطّلع عليه بذاته ، او بواسطة غيره ، من المخطوطات المحفوظة من هذا الصنف في احدى وثلاثين مكتبة ، اكثرها موجود في عواصم اوربة ، وبعضها موجود في القاهرة . فاشار اليها في كل مخطوط وصفه ، وذكر من المخطوط اوله ولائحة فصوله ، اذا ما كان سبيل الى ذلك .

في سنة ١٩٣١ عرّف المشرق (٢٩ [١٩٣١] ٣١٨) الى قرّائه « كتاب التيسير في القراءات السبع » تأليف ابي عمرو بن عثمن بن سعيد الداني ، وقد عني بتصحيحه اوتو برتزل . وان المصحح خصّ في المقال الذي نحن في صدده

(1 Otto Pretzl, *Die Wissenschaft der Koranlesung*, Islamica, Heft 1, 1933 ; 2, 3, 1934

درساً بكتاب التيسير ، وحلله للقرّاء الالمان ، واستند اليه في ذكر روايات غيره من المؤلفين فافاد ، لا علم القراءة فقط ، ولكن علم العربية ايضاً ، لما بين علمي الفراماطيق والقراءة من الصلات ، وقدّم على بحثه بديباجة حسنة ، وهي صفحة من تاريخ الآداب العربية يسرّنا تعريب شيء منها ، قال :

موضوع علم القراءة

علم القراءة موضوعه التلفّظ بالفاظ القرآن طبقاً لاصول وقواعد مستندة الى استعمال قرّاء القرن الاول الهجري . وهي تختلف في طرائق اللفظ ، وربما ادّت الى اختلافات في المعنى .

وقد كان لتسميع القرآن الشفهي اهميةٌ عظيمة منذ القديم لان محمداً اراد ان يكون كتاب المسلمين اشبه بكتاب اليهود والمسيحيين ، وهؤلاء يقرأون الاسفار المقدسة في صلواتهم ويلقّنونها الناس بالسمع ؛ فسمّاه قرآناً ، دليلاً على واجب تلاوته شفهياً ولم يكترث كثيراً لتدوينه خطاً . وبعد ان مات محمد ، خشي الصحابة ان يأتوا على عمل احجم عنه نبيّهم ، فلم يجمعوا وحيه في كتاب الى ان ظهر عثمان ، ثالث الخلفاء الراشدين ، فجمع آيَ القرآن ودوّنها خطاً ، ضناً منه لا بتحديد طرق قراءة القرآن ولفظه ، ولكن بصيانته من النوافل والزوائد . فجمعت آيُ القرآن وسوره في كتاب واحد ، كان على ما فيه من المصاعب المعترضة سبيل قرّائه — وهو مخطوط بالخط الكوفيّ المجرّد من الحركات والتشكيل — حاجةً من حاجات الاسلام الحيويّة ، وقد صار اساس التشريع للبلاد التي اخضعها المسلمون لحكمهم . ولم يرضوا ان يترجموه الى لغاتها وتمسكوا التمسك الشديد بالعقيدة « ان القرآن أُنزل باللغة العربية فهو بطبيعته عربيّ » ، فكان ولا بدّ من ان يبقى عربياً . لكنهم قرّبوا منآله من الناس بوضع القواعد في شرحه وفهمه وتحليله ، وهذه التعليقات كانت جزيلة الفوائد لا للمسلمين غير العرب فقط ، ولكن لمن تحضّر من العرب ايضاً من اهل الامصار ، بعد مغادرتهم الجزيرة مع الفتوحات ، وقد فقدوا لهجة البادية . فوُضعت لهؤلاء قواعد العلمين : علم الصرف والنحو وعلم القراءة . وامتاز بهما الاسلام لانهما باتصالهما بتفسير القرآن اصطبغا بصبغة دينية . وان علم الصرف والنحو وعلم القراءة

صنوان لا يفترقان ، وممثلو العلم الاول هم ايضاً ممثلو العلم الثاني كأبي العلاء المعرّي ، والكسائي ، والفراء ، وابي الحسن الفارسي ، وابي عمرو الداني .

لم يكن في الغرب لعلم القراءة ما كان له في الشرق من الاهمية الدينية . على ان فيه من الاهمية التاريخية واللغوية ما يجدر بلفت انظار المستشرقين . وان لم يشتغلوا فيه ، الى يومنا ، فذلك لان مصادره غير الحصول عليها في غير الكتب المستحدثة . وذلك ان مؤلفات الاقدمين ، وعليها العمدة في تحصيل العلم ، صعبة المنال لم تتداولها ايدي الناس ولم يعمل فيها العلماء رويّتهم على خلاف ما هو معهود من العلوم الصرفية والنحوية ، مع كون علم القراءة لا يقل قيمةً عن علم الفراماطيق .

تطوّر علم القراءة

ان الاستاذ بركشتريسر ، من مونيخ في المانية ، بيّن في كتابه «تاريخ القرآن» (١١٦:٣) ان علم القراءة يشمل عهدين ، وان المقابلة بينهما توقفنا على تطوره ، وتعرّفنا الى اهم المؤلفات الموضوعة في هذا الصنف ، وتقدير قيمتها .

في البدء كان تعليم القرآن يقصر جهوده على تلقين قراءة القرآن وحفظه ، من غير العناية الخاصة بلهجة دون غيرها . وان كان لملقن القرآن همّ فانما هو القراءة الصحيحة من غير خلل يؤدي الى اضطراب في المعنى ؛ وان كان له طريقته في اللفظ فهي اختيارية لا اجبارية ، وهو لم يكن يُجبر عليها تلاميذه .

على ان القرآن لم يكن مشكّلاً بالحركات ، فكان ولا بدّ من ضبطه ، وكان الحكم في ذلك لما هو معهود بين الناس في استعمال اللغة العربية . هذا ما يظهر جلياً في كتاب ايضاح الوقف والابتداء لابن الانباري المتوفى سنة ٣٢٤هـ (٩٣٥م) ، وهو معاصر لابن مجاهد اول من علّم القراءة واثر في اصولها تأثيراً بالغاً . روى ابن الانباري القراءات عن القرّاء ، لكنه لم يؤدِّ رواياتهم بالاستقصاء ، ولم يفرق بين القراءة القانونية والغير القانونية .

اما فيما بعد ، فتغيرت الحالة تغيّراً جوهرياً :

كان ابن مجاهد قد اختار من القرّاء الذين سمعهم سبع قراءات ، وادخل في الاستعمال الفرق بين القراءة الشاذة والقراءة المتواترة ، ولم ينل اختياره من

الناس التفضيل المطلق لانهم بعده عدّوا ثماني قراءات ، وعشراً ، واربع عشرة واكثر ، وهم في ذلك يتركون الحرية في اختيارها ، بالرغم من علماء الحديث واحتجاجهم بان السبع القراءات او « الاحرف » تؤدي الى تحريف القرآن . على انهم اتخذوا الفرق بين القراءة الشاذة والقراءة المتواترة اساساً في تعليم القرآن،وقيّدوا مذهبهم بالقول ان القراءة سنة،فأغلق باب الاجتهاد في هذا العلم وقصر العلماء جهودهم على تفسير وفهم ما بلغ اليهم من تعليم محمد والصحابة.

فكان ولا بدّ من التعويل على الحديث لضبط القراءة.وحيث لم يكن حديث يستندون اليه في البتّ بمشكل ما ، صاروا يتخذون القياس والمقابلة بين الائمة قاعدة لتلاوة القرآن . ولما كانت الحرية مطلقة في اختيار قراءة دون غيرها ، ولكل امام روايات مختلفة مع اختلاف السامعين الآخذين بها عنه ، تعدّدت القراءات ووُضعت فيها الكتب ، لكل كتاب موضوعه طبقاً لاختيار صاحبه . فللداني عن نافع كتاب التقريب ، وهو على عشر روايات ، ولابي علي الفارسي كتاب الحجة على السبعة القراءات ، ولابي علي المالكي كتاب الروضة في القراءات الاحدى عشرة . اما كتاب التبصرة ، وكتاب التيسير فلا يُذكر فيها لكلّ إمام الا قراءتان . وان الفرق بين القراءة الشاذة والقراءة المتواترة ادّى بالطبع الى اهمال الاولى فلم يشتغل بها المؤلفون الا نادراً ، ومن كتبهم « كتاب الشواذ » لابن خالويه ، و « كتاب المحتسب » لابن جني.

ثم دخل علم القراءة في طور جديد مع ظهور كتاب « حرز الاماني ووجه التهاني » المعروف بالشاطبية لابي القاسم الشاطبي المتوفى سنة ٥٩٠ هـ (١١٩٣م) ، نظم كتاب التيسير للداني ، فصار كتابه مدرسياً يتعلّم فيه طلّاب علم القراءة ، ووضعت الشروحات على الشاطبية نظماً ونثراً.ولما انتشر فنّ الطباعة في الشرق نال السبق على سائر الكتب كتاب « النشر في القراءات العشر » ، لمحمد الجزري، المتوفى سنة ٨٣٣ هـ (١٤٢٩م) ، واثرت قصيدته المقدمة الجزرية في التجويد تأثيراً بليغاً في علم القراءة فطبعوها وشرحوها . وله ايضاً كتاب قيّم في علم القراءة هيّأه للطبع بركشتريسر ، اعني به طبقات القراء المسمى « غاية النهاية » . اما كتاب « الاتقان في علم القرآن » لجلال الدين السيوطي

ففيه كامل ما يرغب في معرفته عن علم القراءة . ف . ت .

الاصلاح اللغوي في تركية[1]

ان ما يسمونه الاصلاح او الانقلاب اللغوي نشأ منذ زهاء قرن في تركية، لما وضع احمد جودت (١٨٢٢ — ١٨٨٥) ، كتاب القراماطيق التركي ، واحمد وفيق باشا (١٨١٩ — ١٨٩٠) قاموسه ، وقد عني فيه بجمع الالفاظ التركية . وان تلك الدروس ساعدت على اليقظة الادبية التركية ؛ لكنها لم تحو برنامجاً غرضه النهضة اللغوية القومية . فظلّت اللغة العثمانية في فكر الناس كزيج لغات ثلاث اعني بها التركية ، والعربية ، والفارسية . وكان لا بدّ للمتضلعين منها ان يكون لهم إلمام باللغتين العربية والفارسية ونحوهما وتاريخها ؛ وكان القاموس مكتظاً بالالفاظ العربية والفارسية غنياً ثقيلاً بها . وكذلك القراماطيق وقد تسربت الى طياته الاضافة الفارسية والمصادر العربية . في ايام نشأة السلطنة العثمانية ، لم يكتبوا باللغة التركية الا نادراً . ولما صاروا مع الايام يستعملونها في الدواوين كانوا يضمنون في المتن التركي العبارات الفارسية او العربية ، وذلك لاسباب دينية وسياسية . وفي غضونها كان الشعب التركي يحافظ على لغته وروحها الفطري . ومنذ زهاء ٥٠ عاماً دخلت تلك اللغة التركية الصميمة طوراً جديداً ، لما اخذ الادباء يستعملونها . ومنهم محمد امين (ولد سنة ١٨٦٩) ، وعمر سيف الدين (١٨٨٢ — ١٩٢٠) ، وضياء جوك الب (١٨٧٥ — ١٩٢٤) ولم ينبذوا استعمال العربية او الفارسية نبذاً تاماً الى ان وضعت في السنة ١٩٢٣ مبادئ الاصلاح التركي الحديث ، واليك بنودها الثلاثة : ١ً استبدال اللغة المستعملة في الاناضول باللغة العثمانية . ٢ً اسقاط اللفظة العربية او الفارسية ان كان لها مرادف في التركية . ٣ً التخلي عن كل تعبير عربي او فارسي غير موافق نحو اللغة التركية .

وكان للانقلاب الكمالي تأثيره الشديد في الاصلاح ، وقد قويت شوكته بانتصارات الغازي على اليونان والغاء السلطنة والخلافة ، فدخل مشكل اللغة

١) عن انور روسي في مجلة «الشرق الحديث» الايطالية : ك٢ ١٩٣٥ ، باختصار :
Ettore Rossi, *La Riforma linguistica in Turchia*, Oriente Moderno, pp. 45 sq.

في طوره الجديد. فوضعت سلسلة قرارات كانت اهم بنودها الغاء المدارس الدينية والغاء تعليم اللغة العربية ، وادخال الابجدية التركية اللاتينية ، واستبدال التاريخ المسيحي بالتاريخ الهجري . وما عتموا ان منعوا استعمال الابجدية العربية لا في المدارس فقط بل في البلاد وحكومتها ودوائرها ، واقتصروا على تعليم العربية والفارسية في كلية الآداب في استنبول ، وفي معهد الفقه. وقرروا جعل لغة الخطب تركية لا عربية . وكذلك ترجموا القرآن الى التركية . واجروا القرارات بالتنفيذ ، وصاروا يؤذنون بالتركية. واجبروا كل شركة تركية او اجنبية على استعمال اللغة التركية في مخابراتها وسجلاتها ، وخطوا في ذلك خطوة جديدة في سبيل الاصلاح الكمالي، وغرضه التخلق باخلاق الغرب وتتريك البلاد.

وفي السنة ١٩٣٠ ظهر كتاب عنوانه « في سبيل اللغة التركية » ، ألفه صدري مقصودي ، وهو رجل تركي ، روسي الاصل ، درس في روسية والمانية ، ثم صار يعلم في معهد الحقوق في انكره . قال في كتابه بواجب تطهير اللغة التركية من كل اصل فارسي او عربي ، والتعويل على المؤلفات التركية القديمة لاستنباط الالفاظ من التراث التركي القديم الحي في لغة الاناضول وغيرها من بلاد اوربة وآسية ، اشتقاقاً ، شأن ما فعله اصحاب اللغات اللاتينية المستحدثة ، مستمدين الالفاظ من اللغة اللاتينية القديمة . وقدم صدري مقصودي كتابه الى رئيس الجمهورية ، فنال رضاه.

وفي السنة ١٩٣٢ اسس الغازي « جمعية دروس التاريخ التركي » ، و « جمعية دروس اللغة التركية » ، وترأس الجمعية سامي رفعت بك ، وكان مساعده وكاتب الاسرار العام معه روشن اشرف بك. فعُقد المؤتمر اللغوي الاول في قصر طوله بنجه في استنبول. وفي ختام المؤتمر حُدّدت غاية الجمعية ، وهي تعريف جمال التركية ، وجعلها في مقام يحلها محل اللغات العالمية. وفي الجمعية تشكلت لجنات لكل لجنة مهمتها ، فمنها اللغوية، والاشتقاقية، والتراماطيقية ، والقاموسية ، والفنية ، لوضع الاصطلاحات في المخترعات الحديثة . ونالت الجمعية موافقة الغازي. ودخلت الصحافة في الحركة فصارت تتعاطى شأن الالفاظ المستعملة في التدريس والتشريع ، وتتناقش في موضوعاتها . وفي غضون ذلك

كانوا ينشرون استعمال اللغة التركية في المعاهد والمؤسسات العمومية ، وبين الاقليات . ودعت جمعية « دروس اللغة التركية » سكان المدن الى التفتيش اللغوي الواسع النطاق . نشرت بالراديو او بالجرائد ١٠٥ لوائح من الالفاظ العربية او الفارسية الاصل ، وسألت الناس مرادفاتها التركية ، فجمعت اجوبة سكان المدن لتنشرها في مؤلف عنوانه « دليل الالفاظ التركية الموافقة للالفاظ العثمانية » — وجدير بالذكر ان الجمهورية التركية نبذت اللقب « عثماني » منذ الغت الخلافة وطردت سلالة بني عثمان — وطرحت بين ايدي الناس في تركية ، واوربة ، وفي الاناضول الوفاً من البطاقات او الاوراق لكي يدونوا عليها ما اصطلحوا عليه من الالفاظ المرادفة للالفاظ العثمانية المطلوب اسقاطها من القاموس ومن الاستعمال . وقد عمدوا الى المؤلفات التركية فصاروا يستنبطون منها الالفاظ التركية . وكان عدد العمال في ذلك الحقل يبلغ الثلاثين . فجمعوا من مطالعات المخطوطات ١٥,٠٠٠ بطاقة ، ومن ديوان لغة الترك لمحمود الكشغاري ١٢,٤٩٨ ، ومن قاموس اللغة التركية لردولف ٨,٤٢٨ ، ومن القاموس التركي لشمس الدين سامي بك ٧,٤٣٢ ، وعملوا المذرى في ذلك البيدر ، فطيّروا منه ٧,٠٠٠ لفظة عربية وغيرها من افرنسية ، وايطالية ، وعوّضوا عنها بثلاثين الف لفظة تركية مشيرين الى اصل كل لفظة من هذه الالفاظ . وان هذه الحصيدة تدلّ على جهود قيمة جديرة بالثناء . ولكن شائبتها سرعة غرّها ، وتفاوت قيمة منشئيها وليس فيهم لغويّ اختصاصي .

قال السيد اتوره روسي ، ما خلاصته :

ان الحركة في تجديد اللغة التركية اساسها الانقلاب السياسي ، والقوة التي يستمدّها الاتراك من فكرتهم الصادقة ، او الموهومة ، ان اللغة التركية والامة التركية ، منذ القدم ، ارقى واعظم أمة ولغة ظهرت تحت الشمس او تكاد ! ولكن هل في تلك الفكرة من القوة ما يمكنها من تكوين لغة جديدة ؟ وعلى كل فان العربية والفارسية سوف تنسحبان من تدريس اللغة التركية . ولكن ليس في ذلك ما يقرب منال التركية الى المستشرقين ، وكانوا اذا تعلموا العربية او الفارسية وجدوا فيهما التسهيل الى لغة الاتراك ! ف . ت .

فهارس صبح الاعشى للقلقشندي

ان كتاب صبح الاعشى للقلقشندي ، بعد طبعه المصرية الاميرية باجزائه الاربعة عشر ، صار قريب المنال في المكاتب ، وأشهرَ من ان يعرّف الى قرائنا ولهم فيما كتبه الاب شيخو (مشرق ٣ [١٩٠٠] ٣١٠) ترجمة مختصرة لصاحبه ، وذكر لمؤلفاته . وقد قال ان صبح الاعشى « يتضمن خلاصة الفنون الادبية والعلوم العربية » كأنه الموسوعة او دائرة المعارف .

على انه مع حسن طبعه وترتيب فهارس فصوله في كل جزء من اجزائه ، ليس له فهرس عامّ يسهّل الوقوع على الموضوع من غير الاضطرار الى مطالعة الاجزاء كلها ، فلا يزال كالبحر الخضمّ لا يعثر على لآلئه الا النواصون .

وان السيد محمد عبد الجواد الاصمعي ، بدار الكتب المصرية ، اخذ على عاتقه المهنة الخطيرة في وضع فهارس القلقشندي ، وله الباع الطولى في هذا النوع من العمل المفيد ، وقد سبق ووضع فهارس « الاغاني » في طبعته المصرية الجديدة التي وصفها المشرق مراراً .

وقد ارسل يبشرنا بما عزم عليه من الاعمال ويستشيرنا في امر الفهارس ؛ فنشكر للعامل الهمام في خدمة العربية وآدابها عنايته بتلك المؤلفات الكبرى ، ونروي رسالته لما فيها من الفوائد ، ثم نبدي رأينا في الامر .

قال عن فهارس صبح القلقشندي :

« اما هذه الفهارس فتقع في نحو ثلاثين نوعاً مما وقع في الكتاب كالاعلام والاماكن والقبائل واسماء النبات والمعادن والاحجار والحيوان والكلمات (المفسّرة والمضبوطة بالعبارة والدخيلة والمستعملة في عصر المؤلف والالفاظ الاصطلاحية) والوثائق التاريخية والسياسية ، وقد قسمناها الى قسمين : داخلية وخارجية . اما الداخلية فهي المكاتبات التي دارت بين مصر والامم التي كانت تابعة لها . والخارجية المكاتبات التي دارت بين مصر والامم الاخرى . وفهرس خاصّ بالعادات والاجتماعيات ونحو ذلك . واعرّفكم لزيادة الايضاح ان كل فهرس من هذه الانواع سيكون مرتباً على الحروف الهجائية ،

وسنذكر بجانب عدد الجزء ورقم الصفحة وعدد السطر المناسبة التي جاء بسببها هذا الاسم، اذ رأيت ان سرد الارقام بجانب الاسم لايكفي في هذا الكتاب الكثير الاجزاء . فنرى مثلاً اسم « مصر » و«الشام» و« بغداد » و«ابن خلدون» و« ابن فضل الله العمري » وغيرها من الاسماء وردت في الكتاب مئات المرات فأبيّن للقارئ كل مناسبة ورد بسببها هذا الاسم حتى أسهّل للباحث كل ما يحتاج اليه. اذ في مراجعته اسم « مصر » مثلاً ، وقد ورد في اكثر من ١٠,٠٠٠ صفحة من صحف الكتاب ولم يجد فيها ما يبحث عنه في الصحف التي راجعها ، تضييع لوقته ، فبيّنت المناسبات التي وردت في هذه الصحف خاصة بمصر . وهكذا في كل فهارس هذا الكتاب اذ لا اذكر اسم شيء والصفحة التي ورد فيها الّا بالمناسبة التي ورد بسببها »

ثم كان حضرته قد سبق وكتب الينا في رسالة غيرها :

« اودّ ان تشرفوني بكلمة عن الفهارس وفائدتها مع تنويهكم بهذا العمل الشاقّ لانني كتبت الى الآن من مفردات هذه الفهارس نحو ٦٠٠,٠٠٠ الف جذاذة . »

فنتزل عند طلبه ونقول :

ان فائدة الفهارس بيّنة ، ليس فقط في وضع لائحة المواد اخذاً عن عنوان فصول الكتاب وابوابه لانها كالدليل في الطريق وكالمصباح في الظلام ، ولكن في وضع لائحة المواد بالترتيب الابجدي او القاموسي لما في المواد العديدة الواردة في شتى الفصول من الفوائد التي يُقتبس منها شعلات تنير علوماً كثيرة ولا يمكن اكتشافها من العناوين في الفصول .

وان ٦٠٠,٠٠٠ جذاذة تدلّ على عمل جبّاري هائل ، وطبعها على افتراض وضع كل مئة جذاذة في وجه واحد من حجم الاغاني في طبعته الجديدة المصرية ، سوف يقتضي لا اقل من ستة آلاف صفحة اي ما يكاد يوازي عدد صفحات صبح الاعشى بمجلداته الاربعة عشر . ولكن ألا يُخشى ان تتضعضع المواد بين غثّ وسمين فتفقد السلسلة بطولها منفعتها القيمة من تسهيل الحصول على المقصود منها ؟

هوذا بين يديّ مجلد الاغاني الاول وفي آخره الفهارس الثان ، وهي تستغرق خمس الكتاب واكثر ، وآخرهـا فهرس الموضوعات وليس هو بالجدي . ولعل المؤلف احجم عن وضع فهرس الجدي للموادّ ، شأن كويدي صاحب الفهارس في طبعتها الافرنجيـة ، لان في الاغاني تقاطيع وتفاصيل يعسر معها جمع الفكر حول مادة واحدة . اما صبح الاعشى فليس الامر فيه كذلك . وفصوله تتناول مسائل مطولة ، وفهارس الموادّ في كل مجلد من المجلدات تحوي او تكاد تحوي في كل لفظة من الفاظها باباً جديراً بان يدخل عنواناً في فهرس الجدي . فلذلك ، لو سمح لنا الاستاذ الاصمعي ، لاشرنا عليه بان يكتفي بان يضمّ في سلسلة الجدية الالفاظ المهمة الموجودة في صدر كل مجلد من المجلدات عنواناً للابواب والفصول . وكفى بذلك اشارة الى اهمّ المواضيع . والمثال في ذلك اخذاً من المجلد الاول :

الكتابة : فضلها ١ : ٢٥ مدلولها ٥١ ، كتابة الانشاء ٥٤
النثر وترجيحه على الشعر ١ : ٥٨
الشعر يرجّح عليه النثر ١ : ٥٨
الكتّاب وآدابهم ١ : ٦١
ديوان الانشاء : وضعه في الاسلام ١ : ٦١ ترتيبه ١ : ١٠١ صاحبه ١ : ١١٠ وظائفه ١ : ١٢٠

فنكتفي بخمسة عناوين ، او بخمس جذاذات لهذه الالفاظ الخمس المطبوعة بالخطّ الرقمي ، على ان نضمها بعد نهاية الشغل في سلسلتها الابجديـة . واذا اضاف السيد الاصمعي الى هذا الجدول جدولاً آخر لاعلام الامكنة والاشخاص اكتفى بفهرسين وكفانا مؤونة السبيـل الى مطالعة الكتاب السهلة ، ومن ثم سوف لا يزيد مجلد الفهارس المنوي طبعه على حجم مجلد من مجلدات القلقشندي الاربعة عشر .

هذا ما نراه موافقاً لذلك المشروع الخطير . اعربنا عنه ، مع التحفظ ، عسى ان يرى غيرنا ما لا نراه ، ويكون احقّ منا بان يدلي برأيه ، واننا نتمنى للسيد محمد عبد الجواد الاصمعي ان ينهي فهارس القلقشندي باسرع ما يمكن ويتحف العربية بها وبامثالها كفهارس نهاية الادب للنويري ، كما وعدنا بذلك

ف . ت .

مطبوعات شرقية جديدة

W. J. A. Visser, Die Entwicklung des Christusbildes in der frühchristlichen und frühbyzantinischen Zeit. In-8°, 187 pp. Bonn, J. Carthalig, 1934.

تطوّر صورة المسيح في العصور القديمة للنصرانية وفي العصر البيزنطي

مؤلف الكتاب من كاثوليك هولندة سمع محاضرات بون ، وهي مدينة فيها عدد من علماء الفنّ القديم ، فدفعه ذلك الى اعداد هذا التأليف في صور المسيح المختلفة والمثال الاصلي الجامع بينها . ثم اقام مدة طويلة في رومة فزاد معلوماته ومواده مستفيداً من علماء الفن القديم فيها ، ومن مكاتبها الفنية . اما كتابه فيبتدئ ، كما يتوقع المطالع ، بالقول انه ليس في الكتب المسيحية القديمة كالاناجيل واعمال الرسل والرسائل ما يفيدنا شيئاً عن صورة المسيح الخارجية . ثم يعرض للنصوص العديدة التي تشير الى شيء من هذا ، وهي لقدماء المؤلفين من كاثوليك ، ومنشقين ، ويهود ، وغيرهم حتى يصل الى العهد البيزنطي فيرى شيئاً ثابتاً يقرّه ارباب الفن اجمالاً . فيتحقق ، اذا ما وضع جانباً مسألة ثوب المسيح وبعض صفاته ، ان المناقشات تتعلق على الغالب في هل كان المسيح طليق اللحية ام حليقها .

هو عمل كلّف جهداً وجلداً كبيرين فبدا متقناً جزيل الفائدة لكل من يهمه البحث في تطوّر صورة المسيح . فنشكر للمؤلف هذا الاهتمام ، ونتمنى ان يعطينا يوماً مجموعة ، وان صغيرة ، لصور المسيح المختلفة يضع فيها الشواهد على نظريته هذه .

س . ر .

Alfons M. Schneider, Die Brotvermehrungskirche von Et-tâbga am Genesarethsee. [IV 13° des *Collectanea Hierosolymitana*]. In-8°, 82 pp., 18 fig., 31 pl. Paderborn, F. Schoningh, 1934.

كنيسة تكثير المعجزات في الطابغة على بحيرة طبرية

يملك الكاثوليك الالمان ، منذ السنة ١٨٨٦ ، على الشاطئ الغربي من بحيرة طبرية قطعة ارض واسعة فيها كثير من الآثار القديمة . على انهم لم يهتموا باجراء

الحفريات فيها الا مؤخراً . فدرسوا في السنة ١٩٣٠ ، بمعاونة الاب كوبيل اليسوعي من المعهد الكتابي البابوي في اورشليم ، التكوين الجيولوجي في تلّ من ارضهم . ثم قاموا في السنة ١٩٣٢ ، تحت ادارة الاب مادر ، الذي يفتخر المعهد الشرقي في جامعتنا بانه عده من مستمعي محاضراته مدة اشهر قبل الحرب ، باجراء الحفريات في نقطة غنية بالآثار المسيحية . وقد اسفرت الابحاث التي عاون فيها الاب شنيدر ، من معهد اورشليم الشرقي المنتسب الى Görresgesellschaft ، عن نتائج باهرة يعرض خلاصتها الاب المذكور في هذا الكتاب الذي نصفه اليوم.

ظهر ان الكنيسة ترقى في اصلها الى اواسط القرن الرابع . وقد أُجريت فيها اصلاحات عدة في القرن الخامس وفي اوائل السادس ، على اثر زلزلة ارضية، فجدّدت ارضها ، وغُيّر تصميم الصحن والخورس. ثم انها خربت في القرن السابع الحافل بالاضطرابات . ولم يُجدّد بناؤها . على انها ظلت معروفة بواسطة النصوص القديمة . ثم هناك كنيسة اخرى كانت معروفة في القرن التاسع ، وقد اعتقد العلماء ، على مدة ، انها متصلة بالاولى . وهذا خطأ فان اطلال هذه بعيدة عن اطلال تلك . وعلى عهد الصليبيين كان الناس يشيرون ، بطريق التقليد ، الى بقايا كنيسة قديمة بُنيت في المكان الذي اجرى فيه المسيح اعجوبة تكثير الخبزات . اما الصليبيّون انفسهم فلم يعرفوا الكنيسة القديمة .

على ان الحفريات الاخيرة كشفت آثار بناء مستطيل يزيد طوله عن خمسين متراً في نحو ثلاثين عرضاً ، مع مرافقه المختلفة. فامكنت من استخراج التصميم العامّ ، ومن تمثيل بناء المعبد ، والتدقيق في تاريخ بنائه ، ووصف ميزاته الخاصة. وهو عمل جزيل الفائدة لا في درس المعبد المذكور فحسب ، بل في ما يفيده من معلومات للمقابلة بين المعابد المسيحية في تلك المنطقة وفي فلسطين كلها.

ومما يجدر بالذكر في هذا الاثر ، ما اكتشف فيه من قطع الفسيفساء الجميلة وقد صُوّرت كلها باتقان ، وقوبلت بما يعرف من هذا النوع في فلسطين وفي سائر انحاء العالم المسيحي . فاتى البحث غاية ما يُنتظر من نوعه . فنهنئ المؤلف ومعاونيه ، والطابع .

ي . ر .

Histoire de l'art byzantin, publiée sous la direction de M. Ch. Diehl. **Monuments d'architecture byzantine**, par J. Ebersolt. In-4°. VI-217 pp., 48 pl., 74 fig. Paris, Les éditions d'art et d'histoire, 1934. Prix : 185 fr.

آثار الهندسة البيزنطية

كتاب متقن جميل من آثار عالم معروف ، طواه الموت قبل اوانه ، فشاركنا الاستاذ دييل ، كاتب المقدمة ، في حزنه وأسفه . اما موضوع الكتاب فظاهر في العنوان . على ان المطالع لا يدخل الفصول الاولى منه الا وتملكه الدهشة . ذلك ان المؤلف يدرس الكنائس البيزنطية : تصميماتها وزخارفها على طريقة لا يتوقعها المطالع . فهو لا يتبع فيها الترتيب الجغرافي ولا التاريخي . انما يرتبها على انواع فنية خاصة ، ويدرس كلًّا منها خلال التاريخ : منها الكنائس الموحدة السوق ؛ والكنائس الملكية ؛ والكنائس ذات التصميم الشماعي ، وذات التصميم الصليبي ، او المثنى او المثلث ، او ذات القبب . . . ودرسه في ذلك اقرب الى الوصف الخارجي الملتحق بمذهب هندسي منه الى العرض التاريخي . بيد انه لا يهمل التاريخ ، فهو يعرض اللازم منه بوضوح في المختصرات البالغة ٢٠٦ الملحقة بالمتن ، وفي ما يقوم به من المقابلات العديدة بين المنشآت حتى اقدمها واكثرها فروقاً . وهناك جدول مثلث نظمه الاستاذ سور (M. G. Seure) فسهل به الاستفادة من معلومات الكتاب . اما الصور فمتقنة . وهنا يجدر بنا ابداء ملاحظة لا تغير في شيء من آراء المؤلف ، وهي ان كنيسة بيت لحم (اللوحة الثالثة) مصورة عن رسم قديم . اما اليوم فان الحائط الذي كان يحجب منظر الخورس أزيل في اوائل عهد الانتداب الانكليزي على فلسطين . ر.م.

R. P. Louis Paré, S. J., **L'Eucharistie vie de nos âmes.** Illustrations de R. de Coniac. In-16, 172 pp. Toulouse, Apostolat de la Prière. Prix : 6,50 fr.

الافخارستيا حياة نفوسنا

اننا نحث جميع قرائنا على مطالعة هذا الكتاب الصغير ، بل على تأمل ما فيه عن الافخارستيا حياة نفوسنا . فان كاتبه من اساتذة الروحانيات ، يقرن

ثبات العقيدة وبسطها بالاسلوب الدقيق البسيط ، مشيراً الى المركز المهم الذي يحتله سرّ الافخارستيا في حياتنا الروحية ، عارضاً ملخصاً جامعاً للحياة المسيحية طالما يناه ، لسوء الحظ ، كثير من الممتدين . وهو يجمع بين النظرات المتتابعة فيسوقها الى الغاية المثلى . ان يكن سرّ الافخارستيا قد مُجد على ما نعرفه في الفنّ وفي الطقس الكنسي فذلك لانه النقطة المركزية في العبادة المسيحية ؛ ان تكن الكاتدرائيات رُفعت عظيمةً جليلةً ، وان يكن على المؤمن ان ينحني احتراماً فيها انحناءه في احقر معبد فذلك لان يسوع حاضر فيها جميعاً ؛ ان يكن نظرنا يرتفع بشوق نحو القربانة فتندفع بنا خطواتنا اليها ، فذلك لانها اجلّ هدية اهداها ابن الله الى كنيسته ؛ ان يكن علينا ان نرمي بالروح الجنسيني دون ان نخرج عن الاحترام الواجب ، فذلك لان المسيح يريد ان يعطينا ذاته تحت شكل الخبز المقدّس ؛ ان تكن هذه الهبة تفوق بما لا يقاس افكار العالم الضيقة ، فذلك لانها تذكرنا بالنعمة السماوية والحياة الخالدة ؛ ان يكن غذاؤنا الروحي الهيًا ، فذلك لان حياتنا فائقة الطبيعة ؛ وان تكن المناولة غريبة باعجوبتها ، فأن تبني الله ايانا بنعمته اعجب واغرب ؛ وان يكن من الافضل ان يتناول الانسان في آخر الذبيحة المقدّسة ، فلان التناول ثمرة هذه الذبيحة القربية ؛ وان يكن القدّاس المقام كل يوم على ما نعرف من الجلال والعظمة ، فلانه يعيد ذبيحة الجلجلة ويسهّل علينا الاستفادة من جميع استحقاقاتها .

امام هذه العقيدة القوية الجميلة يتلاشى كل ما نراه فينا وفي غيرنا من ضيق في الفكر ، وتقيد مادي في العبادة ، وجفاف في القلب ، واهمال في واجباتنا تجاه يسوع الحاضر في القربان المقدس . وقد عرف الكاتب ان يطبّق نظريته في المجال العملي . فبيّن ، في جملة ملاحظاته ، كم تعمل عادة التناول قبل القداس او بعده ، على فصل سرّ الافخارستيا عن الذبيحة ، فترفع عنه معناه الاسمى . وهو يدقق في اهمية الاستعداد والشكر لا بالاعمال التي تتلى في الكنيسة وحدها ، بل بافكار الانسان وميوله كلها في نهاره ذاك ، وبالاتحاد المتين بالذبيحة الالهية وبفقه العبادات الطقسية ، فيدفعنا ذلك الى ان نقدّم لله لا اعمالنا او رغباتنا وحدها ، بل اعمال ابنه الذي اصبح واحداً منا .

وان من مفاعيل هذا الحبّ العجيب ان يحملنا على التعويض عن سيئاتنا وعن سيئات سائر الناس . ومن ثمّ ينقلنا المؤلف الى عبادة قلب يسوع ، وهي في اصلها عبادة افخارستية ، شارحاً ميزات رسالة الصلاة ، مظهراً ما يفيلنا اياه التناول المتواتر من صحة يسوع الودية المخلصة . كل ذلك في كتيب صغير ، بخس الثمن ، سهل القراءة ، نراه ضرورياً لكل مسيحي يرمي الى الحياة المسيحية الكاملة . ل. ب.

VLADIMIR SOLOVIEV, Les fondements spirituels de la vie. Préface de Mgr D'HERBIGNY. Bruxelles, Editions de la Cité Chrétienne, 1932.

أسس الحياة الروحية

نشكر اولاً للمترجمين الابرين تزبريكوف ومارتن اهتمامهما ونجاحهما في نقل هذا الاثر المهمّ للارثوذكسي الروسي الكبير ، وهو يمثّل التعبير عن فكرته الكاثوليكية قبل ارتداده الرسمي الى حظيرة رومة .

يبهرنا الكتاب ، لاول وهلة ، بما يتسلسل في صفحاته كلها ، من عناصر تلك الفلسفة السلافية التي لم نتعودها . ولكن كم هناك من تحليل عميق في النفسيات وفي ما وراء الطبيعة ! كم من هتاف قويّ بعيد الصدى ! كم من ملاحظة مُثقلة بما تحمله من منهاج تامّ في الحياة ! كما يتحقق المطالع في الفقرات المختارة ادناه :

« يمكن الكائن بارادته ، وبارادته وحدها ، ان يقاوم الله ، وينفصل عنه ، وينفيه من نفسه ومن حياته . » (ص ٤٩) — « اذا ما اندفع الانسان ، دون مقاومة ، في سبيل انانيته . . . تراه ، وقد فقد كل قرار ، بل كل توازن اخلاقي ، يتحوّل ، حياته كلها ، الى خطيئة مستمرّة . » (ص ٧٨) — « نحن نعيش غالباً على طريقة بعيدة عن الانسانية ، نعيش مستعبدين للطبيعة السفلى ! » (ص ١٤) — « في النفس البشرية ميلان متجاوران يرفعانها فوق الطبيعة كأنهما جناحان خفيّان ، هما : التعطّش الى الخلود ، والتوق الى الحقيقة والكمال الاخلاقي . اما اذا فصل احدهما عن الآخر فلا يبقى له معنى . » (ص ٢٣) — « ان الكنيسة تجدّد نفسها ومن حيث جوهرها ، تولينا حقيقة المسيح الالهية على الارض » (ص ٢٧) — « ان

الله ، وكلُّ ما فيه وحدة وألفة ، يظهر لارادتنا الخير الاسمى ، وامقلنا الحقيقة المطلقة ، ولاحساسنا الجمال الفائق . . . وبما ان لنا ما يخوّلنا حق تملك كل شيء. اذا ما اتحدنا بالينبوع الاصلي لكل شيء ، فاننا نريد بدل هذا ، ان نتحول نحن انفسنا الى هذا الينبوع . » (ص ١٠٣) ل . ب .

BERNARD JANSEN, La philosophie religieuse de Kant. Traduit et adapté de l'allemand par PIERRE CHAILLET. [*Bibliothèque d'histoire de la philosophie*]. In-8°, 180 pp. Paris, Librairie philosophique J. Vrin, 1934. Prix : 25 fr.

فلسفة كانت الدينية

« ان تأثير كانت لواضح في جميع فروع الفلسفة فقد وسم روحه كل ما ظهر بعده من الآثار سواء أكان في الاسلوب ام في الموضوع . وذلك لا في الاخلاقيات والمنطق فقط حيث بدا تأثيره عميقاً غالباً ، بل في ما وراء الطبيعة ، وتكوين العالم ، والنفسيات ايضاً . ولقد كان تأثير كانت في الفلسفة الدينية واسعاً عميقاً كذلك . » ان هذه الاقوال ، ولا يفكر في انكارها احد من ذوي الثقافة ، لكافية في الدلالة على اهمية كتاب الاب جانسن الذي نقله الاب شاييه الى الفرنسوية ، نقلاً ارتقى فيه عن الترجمة العادية ، فبدا لا يستعبده النصّ الاصلي ، ودلّ ، فوق التضلّع من دقائق اللغتين ، على روح فلسفية ، ومعرفة شخصية واسعة بما ظهر من الدروس في الموضوع .

يبدأ الكتاب بفصلين تصيران على قسطٍ وافر من الحياة والرشاقة ، يضعانا في بيئة القرن الثامن عشر الادبية ، فيصوّران امامنا ، بوضوح وتفصيل ، شخصية كانت ادبياً واخلاقياً . فنستعدّ لخوض الموضوعات الصعبة . واذا بنا نرى في الفصول الثلاثة الاولى من القسم الاول درساً دقيقاً « للنقطة التي سارت منها الفلسفة الجديدة ، واسلوب سيرها ، والنتائج التي ادّت اليها . » وهذا الدرس يفرض عند المطالع مستوًى لا بأس به من الثقافة الفلسفية . اما القسم الثاني ففيه اربعة فصول يحلّل فيها المؤلف نظريات كانت في الاخلاق والدين ، وموقفه من الدين المسيحي . وينتهي بخلاصة غاية في الدقة والضبط توضح في عشر صفحات ما احدثته فلسفة كانت الدينية من التأثير البليغ في المانية خاصة ، بما اثارته من

الحركات الفكرية في دعمها ، او في معاكستها . وان اهتمام المؤلف الدائم بالمقابلة بين نظريّات الفيلسوف ومظاهر حياته تجعل المطالع كمن يشهد تطوّر الفكرة الكانتية ، فيوافق الكاتب على تلك الاحكام المائلة عن الادّعاء والتميّز ، الدالة على معرفة دقيقة ضابطة للموضوع دلالتها على فكرة قوية شخصية . ولا غرو فان المؤلف معروف في المانية بآثاره في الفلسفة الكانتية ، وقد جعل من كتابه الحاضر اداة ثمينة لدرس تلك الفلسفة ، بما فيه من مراجع لآثار الفيلسوف ، ومن اشارات الى ما نُشر فيها من الابحاث . وعلينا ، بعد تهنئة المؤلف ، ان نشكر للاب شابيه نقله هذا الكتاب الجدير بكل من يرغب بالابحاث الفلسفية ، بل بكل من يهمه تطوّر الموضوعات الدينية في القرن السابق ، ان يحفظه في مكتبته الخاصة .

ي . روش

GEORGE O'NEILL, S. J., Golden Years on the Paraguay. A History of the Jesuit Missions from 1600 to 1767. In-12, 276 pp. London, Burns Oates Washbourne, 1934. Prix : 5 sh.

السنون الذهبية في الپاراغواي

لا يخفى ان اشهر رسالات الرهبنة اليسوعية القديمة هي رسالاتها في الپاراغواي . تلك الرسالات التي جعلت « فلاسفة » القرن الثامن عشر يتكلمون عنها كلامهم عن المثال الاعلى التام التسلُّط والتنظيم ، ولتطبيق الاشتراكية قبل ظهور نظريّتها ، وما يدور حول ذلك من الحوادث والاساطير التي لم يفهمها الناس على حقيقتها فعلقوا بها ولا تزال عالقة في ذهن الكثيرين من جمهرة المتعلّمين . اما الحقيقة فهي الظاهرة في هذا التاريخ تنتج من عرض الحوادث عرضاً بسيطاً واضحاً . هي سنون ذهبية حقًّا تلك التي قضاها المرسلون اليسوعيون ، على مدة تتجاوز القرن ونصف القرن ، في مجاهل الپاراغواي ، يهذّبون اولئك المتوحّشين فيجعلونهم رجالًا اولًا ثم مسيحيين ، ويماكسهم في اكثر اعمالهم وطنيّوهم من البيضان ، وكان من حقّهم ان يتكلوا على مساعدتهم . اما الجشع الذي كان يدفع باولئك المغامرين كان يحول بينهم وبين العاطفة الانسانية ، اذ يسعون في استعباد سكان البلاد ، فيجدون في وجوههم اليسوعيين وقد آلوا

على انفسهم تحرير الهنود وتعليمهم الواجبات والحقوق البشرية ، فينقمون عليهم ويشيّعون عنهم تلك الروايات . اما اليسوعيون فقد ثابروا على خطتهم فأولوا الالوف من الهنود حياةً هنيئة مطمئنة ، شبّهها بعضهم بحياة الفردوس الارضي ، على ما كان يتخللها من نزاع وعراك . وها ان تاريخ هذه الحياة غدا واضحاً ظاهراً لمن يشاء ، مستنداً الى المصادر الوثيقة بفضل مؤلف الكتاب.

ج.ل.

LOUIS BAUDIMENT, **François Pallu, principal fondateur de la Société des Missions Etrangères, 1626-1684.** In-8°, 498 pp., cartes hors texte et gravures. Paris, Beauchesne. Prix : 50 fr.

فرانسوا بالو ، اهمّ مؤسسي جمعية الرسالات الأجنبية

انها لنقطة مهمة في تاريخ ارساليات الشرق الاقصى ، وفي تاريخ فرنسة الكاثوليكية ، وصول الاب اسكندر الرودسي اليسوعي الى فرنسة عائداً من تونكن . كانت غايته ان يحمل رومة على ان تهتمّ بتأليف اكليروس وطني في تلك البلاد ، فتبعث اساقفة مُرسلين . فصادف في باريس في اخوية الاب باكو نخبة من الشبان الاتقياء الغُيُر ، وما هو ان كلّمهم عن الارساليات البعيدة حتى اظهروا رغبةً شديدة في الذهاب الى تلك المجاهل . وكان بينهم فرنسوا بالو ، من تُور ، وهو صاحب هذه الترجمة الكبيرة التي يقرأها المطالع بسهولة ولذّة فيتحقق ان صاحبها ملأ حياته بالاعمال الجليلة ، حياة كاهن اصبح اول نائب رسولي واول اسقف مُرسَل . وضع أسس جمعية المرسلين الى البلاد البعيدة ، وضحّى بكل ما لديه في سبيل نشر الايمان ، فسار بنفسه ورتّب كنائس الهند الصينية والصين . وعاد الى اوربة مرتين في سبيل رسالته ، ثم رجع الى الشرق الاقصى على رغم ما كان ينتظره من المصاعب والمخاطر المتنوّعة حتى الموت . كان على قسط وافر من توازن العقل ودقة النظر ، يقرن ذلك بقدرة على التنظيم والترتيب ، بحبة وميل الى العمل لا تثنيه العقبات . ولم تكن اسفاره العديدة لتحول بينه وبين متابعة غاية يسعى اليها ، او تحقيق مشروع يفكر فيه . وقد زار سورية على مرتين ، فذكر في ما ذكره ، ان حلب كانت

من افضل محطاته . ويذكر انه مرّ في الاسكندرونة . ثم انه ابحر من بندر عباس الى الهند فالى مملكة سيام . وعند وصوله كتب ما يلي : « ان حرية المرسلين تزداد شيئاً فشيئاً كلما تقدمنا من تركية الى بلاد فارس ، ومن فارس الى الهند ، ومن الهند الى سيام . » ولقد ساقه الحظ الى القيام برحلة حول العالم دون ان يقصدها . وذلك انه ترك فرنسة في سفرته الثانية الى رسالته ، وعاد الى فرنسة بعد سبع سنوات ، وهو يسير دائماً نحو الشرق . فكان اول رحالة دار حول الارض متجهاً دائماً الى الشرق . على انه لم يهتمّ بهذا الامر . وبعد ان قضى ثلاث سنوات في رومة يعمل على حلّ بعض المشاكل الناشئة بين النواب الرسوليين والرهبان المرسلين وحقوق التاج البرتغالي، عاد الى رسالته وقد عُيّن نائباً رسولياً على منطقة فوكين في الصين ، وفيها مات على اثر وصوله سنة ١٦٨٤ .

يكفي هذا الملخص للدلالة على اهمية الكتاب ، لما فيه ، فضلاً عن ترجمة صاحبه ، من الامور المتعلقة بنشأة تلك الرسالات ، وبتأثير الأب اسكندر الرودسي .

ج . ل .

L. Lercher, S. J., Institutiones theologiae dogmaticae. Seconde édition, 3 vol. in-8°. Innsbruck, Verlag F. Rauch : vol. II, M. 6,50 — vol. III, M. 7,50 — vol. IV, M. 10.

مؤسسات اللاهوت النظري : المجلدات ٢ و٣ و٤

وصف « المشرق » في الجزء الاخير من السنة الثالثة (٣٢ [١٩٣٤] ٦٠٩) المجلد الاول من مؤسسات اللاهوت النظري . وها اننا نفيد القرّاء عن ظهور المجلدات الثاني ، والثالث ، والرابع ، متحفة بما عرفناه للاول من صفات جعلت الكتاب من أُسس التدريس اللاهوتي في كثير من المدارس الاكليريكية . وما الطبعة الثانية الا الدليل الواضح على اعتبار المدارس للكتاب . وقد أُنقص ثمنه في مجلداته الاربعة من ١٢ مركاً الى ٣٢ .

ج . ل .

P. Léonce de Grandmaison, S. J., Ecrits spirituels, II, Retraites. In-8° couronne, X-316 pp. Paris, Gabriel Beauchesne et ses Fils, 1934. Prix : 20 fr.

آثار روحية : ٢ في الرياضات

هو الجزء الثاني من كتابات الاب ليونس دي گرانميزون الروحية . يضم مواعظ الرياضات التي القاها الاب بين السنة ١٩١١ والسنة ١٩٢٠ ، بعضها مكتوبة بكاملها ، وبعضها ملخصة . ولا شك في ان الكثيرين الذين اعجبوا بالمجلد الاول ، الجامع محاضرات لاب الروحية ، يستفيدون من المجلد الحاضر ، وفيه صدى اجلى لتلك الحياة الروحية القوية التي كان يحياها الاب المذكور . فضلاً عن ان رجال الدين ، يمكنهم ان يجدوا في الكتاب دليلاً اميناً ثابت العقيدة ، ومعيناً على ما قد يقومون به من وعظ وارشاد .

Grandeurs mariales étudiées dans l'Ave Maria. (Œuvre inédite d'un auteur français publiée par Mgr Natale Licari. In-8°, 600 pp., Turin, Marietti, 1934. Prix : 20 fr. fr.

عظمة العذراء مريم في « السلام الملائكي »

ليس مؤلف هذا الكتاب من المتعبدين للعذراء مريم فحسب ، بل هو ، فوق ذلك ، لاهوتي دقيق النظر واسع الاطلاع . فاتى كتابه درساً مشبعاً يلذ للراغبين في هذا النوع من الابحاث اللاهوتية ، فضلاً عن قراء كتب الصلاة العادية . وقد شاء ان يغفل اسمه . الا ان هذا لا يمنعنا من شكره لتلك المادة الغزيرة في الكتاب ، ولما قام به من ترتيبها حسب ترتيب اقسام « السلام الملائكي » ، مفضلاً الكتاب الى قسمين وخمسة ابواب و٥٥٤ فقرة .

Fritz Milkau, Geschichte der Bibliotheken im alten Orient. In-8°, 58 pp., 26 fig., cartes et plans. Leipzig, O. Harrassowitz, 1935.

تاريخ المكاتب في الشرق القديم

هذا كتيب مفيد لمؤلف انفق حياته كلها في درس علم المكاتب . وكان قد نشر القسم الاول من المجلد الثالث سنة ١٩٣٣ ، عندما فاجأه الموت . فكان ان الطابع انفق وارملة الفقيد على نشر هذا القسم الذي نعرضه اليوم على القراء .

بعد ان عرضا على العالم بالاشوريات المشهور الاستاذ برونو ميسنر ان يعيد النظر في المخطوطة ويتعهد نشرها . فقبل ، وراجعها بمعاونة المستشرق اوبيتز ، فاضافا اليها بعض المعلومات دون ان يغيرا شيئاً في نصها .

والمؤلف ، على قصره ، يدرس حالة المكاتب في مصر ، وبلاد ما بين النهرين ، وبلاد الحثيين ، على غاية من الترتيب ، مشيراً الى المصادر الواسعة التي استقى منها المعلومات ، ممهداً بذلك السبيل الى القراء في التوسع بالموضوع . ومما يجدر بالذكر تلك الملخصات الواضحة ، وما يرافقها من خرائط ورسوم تطلع القارئ على تاريخ الثقافة في المناطق المختلفة التي يدرسها ، وتعينه في استخلاص الحكم العام على اقسام المؤلف ، بل على المؤلف بكامله . وهو حكم يقره المطالع على الغالب ، اذا استثنينا فيه بعض النقاط الثنوية .

نذكر من ذلك ان مصر ، على رغم ما اشتهرت به من الحكمة منذ اقدم العصور ، لم يقف المؤلف ، في درس بقاياها ، على اثر لتلك المكاتب التي كثيراً ما تكلم عنها القوم وقالوا انها مخبوءة في جميع الهياكل قد يظهر المستقبل شيئاً من هذا ، اما اليوم فلا شيء .

وبضد حالة مصر ، كانت حالة بلاد ما بين النهرين في ما خص المكاتب . فان حفريات القرن التاسع عشر كشفت ، في بلاد اشور ، مستودعات مهمة للالواح الكتابية كان الملوك يجمعونها في قصورهم وقرب هياكلهم . يذكر منها المؤلف المكاتب المهمة في نينوى (مكاتيب اسوربانيبال) وفي اشور . . . ثم ينتقل الى القرن العشرين ، فيذكر مكاتب سيأز (ابو حبا) ، ونيبور (نوفر) ، وسيبار أورو (الدير) ، ولاگش (تلو) ، وكيش (أخيمر) .

اما الحثيون فقد جمعوا كل آثارهم الكتابية في عاصمتهم بوغاظ كوي . وقد كشفت الحفريات تلك الالواح المسمارية التي استعان بها العلماء على فهم لغاتهم المختلفة .

بيد انه يجب القول ان هذه المستودعات الجامعة لنحو ١٠٠,٠٠٠ لوحة كتابية والتي ساعدت على تجديد معرفتنا لتاريخ الشرق القديم ، لا توافق ما نفهمه اليوم بالمكاتب . فلا نتصورنّ مجموعة للكتابات يمكن كل انسان ان

يقرأها ويستفيد منها . انما هناك اماكن وضعت فيها تلك الالواح دون ترتيب ، على الغالب ، ولا فهارس ، فالفت مستودعات للسجلات والوثائق ليس غير .

ولكن هذا لا يضير في شيء قيمة الكتاب التي تظلّ ثمينة بما يحمله من معلومات كثيرة ، قد تسهّل على ارباب الثقافة عندنا ان يستخدموه فيلقوا محاضرات يزينونها بالصور المشبّعة ، فيتذوقها مواطنونا ، دون شك . س . ر .

DAVID DIRINGER, Le Iscrizioni antico-ebraiche palestinesi raccolte e illustrate. [*Pubblicazioni d. Università di Firenze*]. In-8°, XXIX-361 pp., 30 planches de fig. diverses et 2 tabl. d'écritures. Firenze, F. Le Monnier, 1934.

الرقم العبرانية القديمة في فلسطين

سأصف هذا الكتاب النفيس وصفاً مطولاً في نشرة جامعة القديس يوسف . على ان هذا الوصف لن يظهر قبل مرور بضعة اشهر ، ولهذا رأيت من واجبي ان أُطلع قرّاء « المشرق » باختصار على موضوعه .

كلّ يعرف ان ايطالية — ومثلها بلجيكة — لم تهتم الا متأخرة بالدروس اللغوية المتعلقة بالشرق الادنى . على انها تقدمت تقدماً سريعاً . ويكفي بهذا الكتاب باكورةً شهية في ذلك ، وهو يخوض موضوعاً لم يطرقه بمجمله احد بعد . فينجح فيه ، ويعرض كل ما يُعرف من الرقم العبرانية في فلسطين ، من لوحة گيزر ورقيم قناة سلوى في اورشليم حتى اصغر الاختام . فيدرسها ويعلّق عليها ويذكر المصادر والمآخذ العديدة لكل منها . وهذا يكفي للدلالة على اهمية الكتاب وفائدته ، ولست لاتبسط اليوم في وصفه ، انما ادعو الى مطالعته كل من بدأ من مواطنينا الشرقيين بدرس العلوم الرقيمة الشرقية والكتابية الاثرية . س . ر .

Dr G. CONTENAU, Monuments mésopotamiens nouvellement acquis ou peu connus (Musée du Louvre). In-4°, 27 pp., 7 fig. dans le texte et XV planches phototyp. Paris, Les éditions d'art et d'histoire, 1934.

آثار ما بين النهرين الجديدة او غير المشهورة

ان ناشر هذه المجموعة الجميلة ، الذي شاء فاهداها الى مكتبتنا الاثرية

الشرقية، استخرجها من « مجلة الفنون الاسيوية » من مجلدها السابع (١٩٣١). وحسناً فعل اولاً لان قيمة هذه الآثار كبيرة بحدّ نفسها، وثانياً لان الكثيرين من المقيمين في الشرق لا صلة لهم بتلك المجلات المفيدة ، فيستميضون بمجموعة جميلة تطلعهم على اشهر الآثار، في بلاد ما بين النهرين: شومرية وبابلية وفارسية، من التي حيزت حديثاً او غير المشهورة ، وكلها في متحف اللوفر.

هذا فضلاً عما للدكتور كونتينو ، امين قسم الآثار الشرقية في المتحف المذكور ، وشارح هذه الآثار ، من الشهرة في هذا الفن. وان قراءنا يعرفونه بمقالاته العديدة وابحاثه في الاختام السورية - الحثية ، والتصاوير البابلية وغيرها ، كما انهم يقدرونه ، ويعجبون بتاريخه الصغير الجامع « للمدنية الفنيقية » ولاسيما بكتابه الكبير في « علم الآثار الشرقية » ذي المجلدات الثلاثة ، الذي كان ظهوره حدثاً مهماً في تاريخ الفن الشرقي.

ولا نرى حاجة الى التبسط في وصف الآثار المذكورة في المجموعة . فانها تهمّ الاختصاصيين ، على الغالب . وتفيد امناء المتاحف الفوائد الكثيرة. اما الرسوم فعلى غاية من الاتقان تشهد بالذوق للناشر. س. ر.

PIERRE WALTZ, Le monde égéen avant les Grecs. In-16, 13 fig. Paris, Armand Colin. Prix : 10 fr. 50.

العالم الإيجي قبل اليونان

تقدّم لنا غير مرّة ان وصفنا مؤلفات في الآثار الاقريطشية ، منها دليل الى اطلال كنوسوس تكلّمنا عنه مؤخراً (المشرق ٣٢ [١٩٣٤] ١٦٤). هذا وليس من يجهل تلك الاكتشافات المهمة التي تظهر من نحو ثلاثين سنة في جزر الارخبيل وخصوصاً في اقريطش . وهي التي مدّت العلماء فخصّوا بها الابحاث القيّمة . على انه ، لم يتم قبل مؤلف هذا الكتاب ، من اهتمّ بعرض حالة تلك الاكتشافات على طريقة موجزة تامة يستفيد منها، لا الاختصاصيون فقط، بل جمهور الادباء وكل من يهمّه الوقوف على التاريخ القديم. ولقد كان الشرق خاصةً بحاجة الى مثل هذا الكتاب ، لاننا لا نعرف في بلادنا بحثاً رصيناً في هذا الموضوع.

فكان فضل مكتبة ارمان كولن ان عهدت الى المؤلف بيير والتز ، استاذ اللغة والآداب اليونانية في جامعة كليرمون فران ، والمعروف بعدة ابحاث في التاريخ القديم ، في ان يقوم بهذه المهمة . فجمع في كتابه سعة الاطلاع وقوة الاسانيد ، الى سهولة المبنى ووضوح التقسيم ، مزينا كل ذلك ببعض رسوم مختارة ؛ فاستحق الثناء . وبقي علينا ان نتمنى ان ينهض احد ادبائنا فيستفيد من هذا الكتاب النفيس ، فيلخصه لقراء العربية ، ويزيد في عدد رسومه ، ويضيف اليه شيئا عن العلاقات بين ذاك العالم الايجي وشرقنا العزيز منذ اقدم عصور التاريخ ، فيطلع ابناء بلادنا على موضوع ستتقدم الدروس فيه دون شك سنة فسنة ، ويؤدي خدمة جليلة لتاريخ البلاد . س.ر.

Festschrift Otto Procksch,... von A. ALT, F. BAUMGAERTEL u. andere überreicht. In-8°, 166 pp. avec un portrait. Leipzig, A. Deichert, 1934. Prix : M. 4.

ذكرى تكريم اوتو بروكش

الاستاذ أوتو بروكش من اشهر علماء البروتستانت في درس العهد القديم وقد بلغ في العام الفائت ١٩٣٤ الستين من سنيه ، فاحتفل ثانية من زملائه ومريديه من الاختصاصيين بدروس العهد القديم ، بتكريمه على طريقة غاية في الذوق والفائدة وذلك انهم نشروا في هذا المجلد ابحاثا متنوعة في موضوع اختصاص الاستاذ ، وقدموه اليه اقرارا بفضله . اما هذه الابحاث فهي : دور السامرة في تطور العقيدة اليهودية بقلم ألت (A. Alt) . الوصايا العشر المسيحية وعلاقاتها بالشريعة الموسوية بقلم بومغرتل (F. Baumgaertel) . العناية الالهية والنظرية في لاله كما تظهر في العهد القديم بقلم ايخرود (W. Eichrodt) . الاصول الاولية للصلاة النبية « ابانا الذي في السموات » بقلم هرمان (J. Hermann) . بعد هذه الابحاث يعرض نوث (M. Noth) شرحا جديدا لاسم العبرانيين [illegible] بالاستناد الى الوثائق المكتشفة اخيرا في فلسطين وما بين النهرين ويدرس فون راد (G. von Rad) العلاقات بين كتاب اللاويين واسفار الاخبار . ثم يهتم روست (L. Rost) بدرس الاسماء المتنوعة التي

يستعملها العهد القديم تسمية « البلد » و « الشعب » . واخيراً يعنى سلين (E. Sellin) بالتدقيق في نص انشودة ديبورا وضبطه وترجمته.

كل هذه الموضوعات يخوض فيها العلماء بضبط ورصانة ، فتؤلف عملاً مفيداً يقدم معلوماتنا في عدة نقاط من تاريخ اسرائيل السياسي والاجتماعي والديني ولا يفيد هذا ان كل ما يُدلي به الكتّاب من براهين، وما يستنتجونه من نتائج مقبول لا جدال فيه . لا ، فان هناك مجالاً لكثير من الملاحظات والتحفظات ، ولاسيما ان الروح الذي يهيب باكثرهم ، على ما يبدونه من مظهر المحافظة ، روح بروتستانتي محض مائل الى التحكم العقلي في العقائد.

على اننا استفدنا حقاً من بحثي ألت ونوث الحافلين بالاسانيد حتى الاخيرة منها. هذا وثمن الكتاب ٤ مركات ، قليل جداً بالنسبة الى قيمته.

س. ر.

Hommage à Alexis Petrovics, In-4°, 132-227-241 pp. 147 fig. la plupart en phototypie. Edité par les amis et les fonctionnaires du Musée hongrois des beaux-arts. Budapest, 1934.

إكراماً لالكسيس بتروفيتش

وهذا ايضاً كتاب تذكاري قدّمه فريق من المعجبين بالاستاذ الكسيس بتروفيتش مدير المتحف المجري في بودابست، ومن موظفي المتحف المذكور، الى مديرهم بمناسبة مرور عشرين سنة على بدء ادارته للمتحف . والكتاب على ثلاثة اقسام : ١ً ابحاث باللغة المجرية كتبها كلها موظفو المتحف قدماء وحاليون . ٢ً ترجمة هذه الابحاث الى اللغات الفرنساوية او الالمانية او الانكليزية او الايطالية . ٣ً لائحة بجميع الآثار التي دخلت المتحف في العشرين السنة الاخيرة ، يزين ذلك عدد من الرسوم. ولا يخفى ان فكرة ترجمة الابحاث الى لغات اقرب متناولاً من اللغة المجرية لفكرة حسنة فسحت المجال للكتاب فيتسع انتشاره وتزداد فوائده وهي ثمينة للفنانين والاختصاصيين بالفن المسيحي والمصورين ، وامناء المتاحف في اوربة وفي اميركة خاصة.

س. ر.

GIOVANNI FAUSTI, S. J., L'Islam nella luce del pensiero cattolico. In-8°, 181 pp., Roma, La Civiltà cattolica, 1933.

الاسلام في ضوء الفكرة الكاثوليكية

هذه مجموعة مقالات ظهرت في مجلة ايطالية في رومة . اما كاتبها فمرسل في البانية ، وهناك عرف الاسلام ، ودرس المصادر المهمة لدرسه فاستفاد منها واشار اليها دائماً في ابحاثه . على انه ليس من المستشرقين . وتمتاز مقالاته بنفحة من اللطف والتحبب تدفع المسلمين الى قراءته دون نفور ولا تذمر . وهو يدعوهم الى اعادة النظر في المسيحية فيتحققون ان عقيدة الثالوث المقدس غير ما يتصورون . واذا كان لا بدّ من ملاحظة نبديها فنقول ان المؤلف يولي الصوفية اهتماماً زائداً فيبالغ في تقريبها من آراء نبيّ المسلمين. ه.ل.

SOUALAH MOHAMMED, L'Islam et l'évolution de la culture arabe depuis l'Antiquité jusqu'à nos jours. In-16, 226 pp., 32 illustr. et 1 carte. Alger, P. et G. Soubiron, 1934. Prix : 12 fr.

الاسلام وتطوّر الثقافة العربية منذ القدم حتى ايامنا

كتاب لطيف الحجم ، وافر المعلومات ، فيه ملخص جامع لاهم العقائد والعبادات الاسلامية ، ما يتصل منها بالتاريخ وما يستند الى الاساطير . وفيه لمحة سريعة يلقيها المؤلف على عصور الادب العربي المتتابعة منذ الجاهلية حتى العصر الحاضر . فيظهر مزايا هذا الادب الاجمالية ، وان كان يفوته الكثير من الدقائق في تقدير القيم والحكم النقدي ، وفي صفات الاعلام البارزة . وقد يجد الاختصاصي في الموضوع هنات عديدة في التأريخ (وسبب بعضها خطأ الطبع في الارقام)، وفي تراجم الادباء على اقتضابها المقصود، والحكم على المذاهب الادبية- مما يكاد يعلق بكل اثر روعي فيه جانب الاختصار . ولعلّ المؤلف دوّن هذه المعلومات قبل اليوم — كما يظهر من كلامه عن المعاصرين وفيهم من طواهم الموت منذ ثلاث او اربع سنوات فلم يشر الى ذلك — وحالت المشاغل بينه وبين اعادة النظر فيها ، ولم يستفد مما نُشر مؤخراً من ابحاث في الادب والتاريخ ، فظلّ مختصره على ما فيه من نواقص . على انه كاف لاعانة الطلاب في الامتحانات الرسمية في الجزائر ، وهو ما رمى اليه المؤلف خاصة. ف.ا.ب.

Tuhfat al-Ahbâb. Glossaire de la matière médicale marocaine. Texte publié pour la première fois avec traduction, notes critiques et index, par H. P. J. Renaud et G. Colin. *Publications de l'Institut des Hautes-Études Marocaines*. t. XXIV. In-8°, XXV-218-٧٥ pp. Paris, Geuthner, 1934. Prix : 150 fr.

كتاب تحفة الاحباب في ماهية النبات والاعشاب

هذا الكتاب معجم صغير باسماء عدد وافر من النبات والجماد ، وبعض الحيوان ، مما له علاقة بالطب والعقاقير ، وضعه احد علماء مراكش في العصور المتأخرة ليكشف « رموز المادة الطبية » ، فيسهل الاستفادة من كتب الطب على بني قومه . وقد شرح تلك الالفاظ باقتضاب وذكر مرادفات بعضها باللغة البربرية . وقف الناشران على بضع نسخ خطية للتحفة فدرساها طويلاً وقابلا بينها . ثم طبعا الكتاب ، وترجماه الى الفرنسوية وعلقا عليه حواشي ثمينة كلفت جهداً متواصلاً ، ودلت على معارف واسعة . واذا بذلك المعجم المقتضب الجاف يصبح اثراً نفيساً جزيل الفائدة لا لطلاب تاريخ الطب العربي وما اليه من عقاقير ونبات فقط ، بل لكل مشتغل بتاريخ ادبنا ، بل للمشتغلين باللغة انفسهم من الذين يتعبون على القواميس العربية - الفرنسوية فقرها في مثل هذه الابحاث . وفي الكتاب مادة واسعة لفائدتهم جميعاً . ف . ا . ب .

Les axiomes médicaux de Yohanna ben Massawaih. Ouvrage publié pour la première fois, avec des corrections et des annotations, par le R. P. Paul Sbath. In-8°, 34 pp. Le Caire, 1934.

النوادر الطبية ليوحنا بن ماسويه

إن الطبيب النصراني يوحنا بن ماسويه (+ ٨٥٧) ، طبيب المأمون ، ومدير « بيت الحكمة » في بغداد ، اشهر من ان يُعرّف . كتب بهذه النوادر الى تلميذه حنين ابن اسحق . وقد وقف حضرة الاب بولس سباط على مخطوطتين لها فضمهما الى مكتبته المعروفة ودرسهما ، ثم نشر محتواهما ، بعد ان قدّم على ذلك مقدّمة قصيرة مفيدة ، وترجم بعض هذه « النوادر » الى اللغة الفرنسوية . فاتى عملاً مشكوراً . ف . ا . ب .

R. GROUSSET, Histoire des Croisades et du Royaume Franc de Jérusalem. Tome I, L'anarchie musulmane et la monarchie franque. In-8° avec 1 cartes, Paris, Librairie Plon. Prix : 60 fr.

تاريخ الصليبية ومملكة اورشليم الفرنجية

يسرنا ان نرى عهد الصليبيين يلفت نظر المؤرخين في فرنسة ، منذ استقرار الانتداب الفرنسوي في هذه البلاد . ومن الحق انه كان للآثار القديمة نصيب وافر في هذا الامر . فان تلك القصور التي شادها الفرنجة في الشرق والتي لا تزال بقاياها ماثلة شواهد عظمة وسعة تصور ، أثرت في مشاهديها الجديدين يوماً فيوماً فاخذوا يتساءلون : من كان اولئك البناة ؟ وكيف كان عهدهم ؟ وهكذا بدأت المقابلة بين تلك العصور وعصرنا الحاضر ؛ ولم تكن الافضلية من مزايا عصرنا في الكثير من الاحوال.

قام المؤلف بدرس دقيق في موضوعه ، فاستغل جميع الاعمال التمهيدية كآثار مؤرخي الصليبيين التي نشرها مجمع الرُّتم والآداب في فرنسة ، ومجلة الشرق اللاتيني التي توقفت عن الصدور لسوء الحظ . وسار على اسلوب نقدي صحيح ، على كونه لم يتخلص احياناً من بعض المزالق في هذه الدروس القديمة ، ومنها ان نقيس مؤسسات الماضي بافكار الحاضر . ومهما يكن من أمر ، فان تأليفه ، اذا ما انتهى في مجلداته الثلاثة ، يمثل اثراً فخماً من اجل ما قام به علماء الفرنسويين في درس العهود الماضية في آسية الغربية. ج. ل.

HENRI MUELLER, Touti-Nameh ou les contes du perroquet de ZIAY-ED-DIN NAKHCHABI d'après la rédaction de MOHAMMED QADERI, traduits de l'original persan. (*Publications de la Faculté des lettres de Strasbourg*, deuxième série, vol. 13). In-8°, 124 pp. Paris, Les Belles Lettres, 1932.

حكايات الببغاء

هذه مجموعة حكايات فارسية واسعة الشهرة ، كثيراً ما نقلها الكتاب او نسجوا على منوالها ، وكثيراً ما تُرجمت باختصار او بتصرف الى اللغات الشرقية والغربية . اما هذه الترجمة فمن أصل أصلح في القرن السابع عشر فاختصرت

فيه الحكايات القديمة وحُذف منها الكثير من التوسيعات اللفظية ومظاهر البلاغة الجوفاء من التي لا تقوى على الترجمة. وامّا الموضوع فهو اشبه بموضوعات « الف ليلة وليلة » على فرق ان شهرزاد توسع المجال لبناء متكلمة تروي الكثير من الحكايات. الا انها ليست بالثرثارة ، فهي توجز التعبير فتريح السامع ، وتبهجه بما في ملاحظاتها من دقة ، وما في اساليبها من حياة منعشة . وقد ترقى بملاحظاتها الى مجال الفلسفة الرفيعة . وهو ما دفع گوته ، الشاعر الالماني ، الى ان يقول ، بعد قراءته هذه الحكايات : «إن ادب هذه البلاد ادب رجل معمّر ناضج يرى في ظواهر الحياة قيمة رموز متنوّعة . » ج. ل.

J. M. Gorlet, Le crépuscule des traités. In-12, 262 pp. avec 12 cartes dans le texte. Paris, Editions Berger-Levrault, 1934. Prix : 15 fr.

شفق المعاهدات

قد يظهر هذا العنوان على شيء من الغموض ، لاول وهلة . الا ان المطالع لا يلبث ان يستجلي الغاية من الكتاب . يخوض المؤلف موضوعاً في الجغرافية السياسية ، وهو علم يتقدّم بخطى واسعة ، على حداثة عهده ، وعلى ما أُدخل فيه من المبالغات احياناً . فيرى ان مبرّرات السيادة التاريخية من معاهدات ومواثيق كتابية ، لم يبقَ لها في عصرنا من الثبات ما كان لها في الماضي . يكفينا في ذلك ان نلقي نظرةً على ما آلت اليه معاهدات سنة ١٩١٩ و١٩٢٠ التي خُتمت بها الحرب . ولا يخفى ان هناك من مشاكل الحدود والمناطق المجاورة ما يظل دافعاً الى الاختلافات . هو يدرس كل ذلك ويدلّ عليه بامثلة مختارة في جميع المناطق حتى الاراضي القطبية . تبلغ دروسه العشرين متصفة بدقة التحليل ، والوضوح ، والاهتمام بموضوعية تترفّع عن الميول والاهواء . فيستنتج ان من الضرورة ان تُبنى الاتفاقات في ما بعد ، لا على الورق المدوّن ذكرى انتصارات القوّة والدهاء ، بل على الحوادث الواقعية الناتجة من تمازج الشعوب بعضها ببعض ، ومن حاجاتها وحاجات الارض التي تعيش عليها وتتغذى بها ، وعلى التحليل العلمي لهذه الحوادث ، على العلوم الطبيعية ، على التاريخ

والجغرافية السياسية . ولا يخفى ان من ضروريات هذا العلم ان يتصف الآخذ به بالتجرّد والطموح الى المثل الاعلى اتصافه بالموضوعية العلمية فوق كل شيء.

ج . ل .

Dossiers de la coopération intellectuelle. L'adoption universelle des caractères latins. 1 vol. 16×22,5. Paris, Librairie Stock, 1934. Prix : 20 fr.

استعمال الحروف اللاتينية استعمالاً شاملاً

استعمال الابجدية اللاتينية في اللغات الشرقية مسألة عويصة متشعبة الاطراف لا يمكن الامل برؤيتها ناجحةً الا شيئاً فشيئاً وبعد زمن طويل . وقد جُمع في هذا المجلد اجوبة عديدة عن هذا الاقتراح تتنوّع بنزعاتها وتختلف بوجهات نظرها، من الرفض التام الى القبول المطلق دون قيد ولا تحفّظ . بيد ان العُقّال لا يرغبون في استبدال الابجدية اللاتينية بغيرها من الابجديات الشرقية استبدالاً فجائياً كما جرى في تركية ، لان هناك في ابجديات الشرق تراثاً ثميناً من الادب يكون طرحه من اكبر الجرائم . وهذا ما اجابت به مصر تقريباً بلسان الاستاذ صبري (ص ١٨٠) . على ان غاية عارضي هذه الفكرة ليست الغاء الابجديات الشرقية ، انما ان تجعل الحروف اللاتينية الى جنب الحروف الاصلية ، تسهيلاً على الاوربيين ، كما فعل مرسلو الكاثوليك مثلاً في الصين . ولعلّ الفكرة تكون اقرب الى التحقيق ، اذا عُرضت من هذه الناحية .

ج . ل .

CHARLES CHESNELONG, **L'avènement de la République 1873-75. Mémoires publiés par son petit-fils.** In-12, 247 pp. Paris, Librairie académique Perrin. Prix : 15 fr.

مذكّرات في تأسيس الجمهورية (١٨٧٣ – ١٨٧٥)

كان من نصيب صاحب هذه المذكرات ان يتدخل تدخلاً فعلياً في المفاوضات التي جرت في السنة ١٨٧٣ في سبيل اعادة الملكية الى فرنسة . وقد احترم العلماء كل ما ادلى به من شهادات في آثاره الظاهرة مدة حياته . فاهتم

حفيده اليوم بنشر هذه المذكرات البادئة منذ مددت سلطة المرشال مكماهون. وهو عهد مهم اذ بوشرت فيه الاعمال التمهيدية لسن الشرائع التأسيسية او الدستور. وقد كان للمؤلف فيها القسط الوافر. وهو موضوع الكتاب الذي لا تخفى اهميته على احد. واذا اضفنا الى ذلك ما اتصف به المؤلف من دقة وصدق وتجرد في اقواله، دللنا المطالعين، ولاسيما المؤرخين منهم، على مصدر ثمين لتاريخ فرنسة المعاصر. ج. ل.

E. Faguet, Histoire de la poésie française de la Renaissance au Romantisme. VII, Voltaire. 264 pp. Paris, Boivin et Cie. Prix : 15 fr.

تاريخ الشعر الفرنساوي : المجلد السابع .

هو المجلد السابع من تاريخ الشعر الفرنسوي، يخصه المؤلف النقادة المشهور بفولتير، فيدرس فيه تنشئته الادبية، وما اثر في عقله من الافكار، وباي نظرة كان يرى الفنون والانواع الشعرية التي خاض فيها كالملحمة والرواية التمثيلية. ثم يدرس ملحمته المعروفة « بالهنرياد » وهي اثر قد يكون له شيء من الاهمية، الا انه خال من الشعر. بعد ذلك يعرض المؤلف لآراء فولتير الفلسفية والسياسية والاخلاقية الظاهرة في آثاره الشعرية، ويختم بذكر حكم جوبير الذي اشار الى « نظرة فولتير الصائبة، في شعره، والى مخيلته الفنية، وذكائه المرن، وذوقه الدقيق »، ويزيد عليه ان آثاره الشعرية يضيرها كونها وُلدت عن فكرة مقررة ونظرية سابقة لا عن اندفاع نفسي، فخرجت من العقل بدل ان تخرج من الكائن الانساني كله. ج. ل.

Henri Chrétien, Les méthodes de prévisions du temps à courte et à longue échéance. Charles Lavauzelle éditeur, 1934.

طرق تقدير الطقس

ان هذا الكتاب لاثر اشبه بدائرة معارف، كما قال كاتب المقدمة الاستاذ جبرائيل كيلبير، الاختصاصي بعلم ظواهر الجو. ونحن نقره على هذا الحكم، اذ نرى في الكتاب كثيراً من صفات دوائر المعارف، مما تحتويه من مواد

وافرة : حوادث واقعية وفرضيات نظرية تكاد تلخص كل ما قيل او كُتب عن علم الظواهر الجوية . فهو كنز من المعلومات في هذا العلم الحديث النشأة كعلم دقيق ، وان تكن تطبيقاته قد شغلت الانسان منذ اقدم العصور . وهذا ما دفع كاتب المقدمة نفسه الى القول : « يقرأ المطالع الكتاب واذا به واقف على احدث المعلومات في العلم المذكور . »

بيد انه قد يؤخذ عليه — وهذا ايضاً من صفات دائرة المعارف — انه لا يميز التمييز الكافي بين ما هو حقيقة علمية ثابتة ، وما لا يزال فرضيةً ممكنة ، او خالية من كل امكان . ثم ان هناك جولات يقوم بها المؤلف في علوم تخرج عن اختصاصه ، كعلم النجوم مثلاً ، فتقوده الى تعابير لا تتصف بالوضوح الكافي . واننا نتمنى طبعة جديدة لهذا الكتاب الذي يمثل جهود سنوات عديدة ، فيتخلص من هذه الشوائب ، ويصبح جديراً بان « يستند اليه يومياً كل الذين يخوضون مجاهل الاوقيانوس الجوي كما يستند اليه غيرهم ، وهم كثيرون ، من الذين يهمهم علم تقدير الطقس » . ش. كوميه

فوق العباب

لاحمد زكي ابي شادي

١٥٨ ص. متوسطة ، مطبعة التعاون ، بالقاهرة ، ١٩٣٥ . الثمن : ١٠٠ مليم

لعلّ الدكتور احمد زكي ابي شادي اوفر شعراء مصر حظاً في هذه الايام . فهو لا يظهر المجموعة الا اعدّ الاخرى للطبع ، حتى ليخال الناقد انه يُفرد في نهاره ، او في ليله ، ساعات خاصة للنظم في مختلف الموضوعات . وها هو يتحفنا اليوم بمجموعة جديدة مصوّرة احتوت على « ١٤٧ قصيدة ومقطوعة جمعت ٢٢١٨ بيتاً » فيها قطع فنية لا بأس بها ، وفيها قصائد ظرفية قد يأتي عليها الزمن فيمحو اكثرها ، وفيها منظومات علمية قد تظلّ قلقة بين الشعر والعلم . على ان للنقّاد مجالاً للنظر في ذاك التصدير الوافي الذي قدّمه على المجموعة ، وهو مظهر جلي — كاكثر تصديرات ابي شادي — لتململ الفكرة الشعرية في ادمغة الشبان من ادباء مصر . ف. ا. ب.

على عتبة الامومة

بقلم الدكتور مصطفى خالدي

٢٠٥ ص. متوسطة كبيرة مصورة – مطبعة طبارة، بيروت، ١٩٣٦

الثمن: ٥٠ غ. ل. س.

اما وقد أعرب ارباب الجرائد والمستفيدون عن ترحيبهم بهذا التأليف الجديد الذي أتحف به الامهات، اي الامة، الحكيم الاستاذ مصطفى الخالدي فترتب بالاحرى على الخادم الامين لفن الوقاية والصحة ان يرحب به باسم «المشرق»؛ وقد ترتب عليه خاصةً حمدُ الله على ان قام في الوطن ولغته من جعل كالخالدي ان البذار المنثور في «علم الصحة» وجريدتي البشير والثبات وغيرهما منذ اربعين سنة اصبح شجرةً باسقة الاغصان غزيرة الثمار تظلل الامهات وتحميهن وتغذي الرضع وتنميهم.

لا ريب أن ما توخاه مؤلف «على عتبة الامومة» لاشرف وأفيد ما يصبو اليه الطبيب والاجتماعي والوطني، اذ هو صيانة الام «والدنيا ام» مع سلامة الجنين والطفل النحيف، ذلك الضعيف اللطيف في الحال على حدّ ما هو قويّ عظيم في الاستقبال. والنساء والرضيع لها بأشدّ الحاجة لهذه الصيانة، وها هي لها اليوم بعصر النور متوافرة صادقة بعد ان ظلّت أجيالاً غامضة مجهولة. وها هي اليوم مسطّرة بقلم حكيمنا. ان موت الماخض بحتى النفاس، مثلاً، والالتهابات المميتة آفة الرضع، او الرمد الصديديّ العامي لمئات الالوف من الاطفال، وغير أمراض قد اصبحت من الشذوذ بمكان. وما هي الا لجهل او لاهمال في تلافي الجراثيم بالطهارة والتطهير، طبقاً للتعاليم الحديثة، بنت. باستور وأعوانه، العجيبة الفوائد.

وبهذا الكتاب افادات عديدة ثمينة، منها ما وقع في الصفحة ١٤٥ تحت عنوان «مطالب الطفل من أمه» او في الصفحة ١٣١ لتدارك الرمد الصديدي السابق ذكره بقطرة نيترات الفضة البسيطة؛ ومن هذه الافادات ايضاً أنّ البنية الصحيحة والسلالة السليمة لأحقّ كثيراً بان تُطلب من طالب الزواج من

المهر والجاه ، كما ان للمتزوجين او لمن هم « على عتبة » الزواج ، كلمةً تنمّ عن فطنة وخبرة .

واذ كان المقام لا يسمح بالزيادة في الاسهاب فانا نقف عند بعض ملاحظات يشفع بقبولها من الاخ الكريم ما بُنيت عليه من الاخلاص والتعاون في خدمة غايته ومهمته النبيلة ، ناظرين الى طبعة ثانية قريبة بتوفيق الله :

١ً وضع موجز للفتيات قبل زواجهنّ يحترمُ شعورهنّ اللطيف وعفافهنّ الدقيق. فانّ من التفاصيل والصور ما هو أجدر بالحجاب من السفور ، وبتلميذات الاستاذ في فنّ القبالة مماً للمخدّرات في بيوت والديهنّ . وهنّ ليعجزن عن فهم تلك الدقائق التشريحية او الفيزيولوجية مع ما هناك من رسوم وتشابيه .

٢ً تجاوُز « عتبة الامومة » الى ما هو من قواعد الملبس ، وتنظيم الارضاع ، وتعقيم الحليب بالاغلاء مع اعطاء الفيتامين (vitamines) وشكل الفراش والسرير (اي ان يكونا غير مثقوبين في الوسط للاناء . . . ولا هزّازين كالسرير المصوّر صفحة ١١ والمؤلف لم يذهل عن تحذير الهزّ . . . أجل لا يجوز ان يبقى من الهزّ الا العبارة الشهيرة : « التي تهزّ السرير بيمينها تهزّ الارض بشمالها » . اي تدوين كل ما هو من « التربية » ولها ، وهو ما يعبّر عنه الافرنج بكلمة : puériculture ، ولاسيما الآية المقول عنها في « قانون الصحة » يجب ان تكتب بماء الذهب على سرير كل رضيع وهي : « الوالدات يُرضعنّ اولادهنّ حولين كاملين لمن اراد ان يُتمّ الرضاعة »

٣ً لفت ، لا « إلفات » ، نظره الى بعض عبارات منها : حيث توجد الحياة لا بدّ من وجود نواة (في الخليّة cellule) . والميكروب ، عدو المواخض والاطفال الالدّ ، كله حياة وغاء وهو لا نواة له . والحثّ على الزواج الباكر فلا يُكتب ان سنّ استيفاء شروط الزواج حتى في البنات انما « هو ٢٣ سنةً » مع انا كلّ يوم ننادي بالزواج الباكر وفقاً للآية الكريمة : « ان لم يتعفّفوا فليتزوّجوا » والزواج سياج الاخلاق الضامن من البغاء شرّ الشرور . ونحن نقف مكرّرين الشكر للاخ الاستاذ الهمام والثناء على عمله معيدين النصح بالتقيد بما اراده للامهات من وقاية لهنّ وسلامة لاولادهنّ .

امين الجميّل

الكنيسة او مملكة المسيح على الارض

للاب خليل اده اليسوعي

بيروت - المطبعة الكاثوليكية ، ١٩٣٦ ، ص ٢٠١ ، قطع ١٢

هي سلسلة ابحاث لاهوتية خطابية ملؤها روح المحبة والغيرة على مجد الكنيسة الشرقية امّ القديسين العظام في عهد اتحاد الكراسي البطريركية الشرقية بالكرسي الرسولي. اصل الابحاث يرقى الى سنة ١٩١٧ ، اذ كان المؤلف يلقي مواضيعها في كاتدرائية مصر المارونية ، ثم اعاد النظر فيها مدة تعاطيه الخدمات الرسولية في مصر ، وعرضها باسلوب وضاح نيّر لكل من يرغب في معرفة حقيقة الكنيسة وفقاً لتعاليم الكتاب المقدس ولتقاليد الآباء مدعمةً بالبراهين اللاهوتية والتاريخية. ولا بدّ ان يلفت هذا الكتاب نظر الاكليروس وعلى الخصوص نظر اساتذة المدارس الاكليريكية فيرتادوه عند تهيئتهم المواعظ ودروس اللاهوت . فنسأل الرب مؤسس الكنيسة ان ياخذ بيد المؤلف الفاضل فيتحفنا بمؤلفات شبيهة بهذا الكتاب الممتاز بقوة البرهان وبلاغة البيان .

ف . ت .

اجمل زهرة في حديقة آل هبرا

او السيد الطيب الاثر مار غريغوريوس بطرس متروبوليت الموصل فدمشق

١٨٥٦–١٩٣٣

تأليف تلميذه الخوري اسحق ارملة السرياني

المطبعة الكاثوليكية بيروت ، ١٩٣٦ ، قطع ١٢ ص ١٦٤

يشمل الكتاب جزءين الاول فيه سلسلة آل هبرا ، وجدّها الاعلى سليمان هبرا المولود في دمشق عام ١٦٢٤ . خصّ المؤلف بالذكر ١٩ فرعاً من كبار رجالها واولادهم اخذاً عن شجرة عائلية وضعها الدكتور اسكندر هبرا منقولة عن أرومة سبق فانشأها نسيبه يوسف عبد الله هبرا . وعلق عليها الاب اسحق مستعيناً بتعليقات الدكتور اسكندر فبيّن ما لآل هبرا من الوجاهة والفضل في

الدين والدنيا . اما جزء الكتاب الثاني ففيه ترجمة السيد المطران غريغوريوس هبرا من نشأته الى اقامته في مدرسة عين طورا فسيامته الكهنوتية ورئاسته دير الشرفة فارتقائه الى الاسقفية وتدبيره شؤون الابرشية الموصلية ثم الدمشقية فوفاته ، وقد قضى حياةً ملؤها الاعمال الرسولية بين التعليم والكتابة والعناية برعاية النفوس . ومن اهمّ الكتب التي خطتها قلمه تأملات هامون في ثلاثة مجلدات عرّبها عن الافرنسية ثم اضاف اليها مجلداً رابعاً ضمّ فيه ما انشأه من التأملات ابتكاراً . وله آثار في التصوير منها صورة قلب يسوع الاقدس نقشها على مذبح مدرسة عين طورا . ان حضرة الاب اسحق اظهر ذوقاً حسناً في انتخابه موضوع كتابه وعالجه برقة وعاطفة طيبة تنمّ عنها طيات الكتاب فنهنئه ونتمنى لكل الاسر المسيحية الشرقية النبيلة ان تلقى في امثال الاب اسحق ما لقيته اسرة هبرا من عناية ومحبة .

ف . ت .

اليزيدية قديماً وحديثاً

وهي ثلاثة فصول لإسماعيل بك جول امير اليزيدية في سنجار

نشرها الدكتور قسطنطين زريق

المطبعة الاميركانية بيروت ١٩٣٦ ، ص ١٢٤ ، قطع ٨

اسماعيل بن علي بن حسن بن جول بن بداغ بن ميرخان بن سليمان وُلد في الشيخان ، مركز السلطتين الدينية والمدنية عند اليزيدية ، وشبّ فجاب الاماكن التي يقطنها اليزيدية في الشيخان ، وسنجار ، وديار بكر ، وحلب ، وروسية ، ساعياً في سبيل الامارة والزعامة وهو يعتقدها ارثه الخاص ، راغباً في خدمة امته ودينه . وكان في كل مكان ينزل به يعلم ابناء امته اصول دياناتهم ويوطد علاقاتهم بالحكومة وبالشعوب المجاورة لهم كالاتراك والاكراد والارمن ويجمع الحسنات لمعيشته . وحمى اسماعيل بك من جور الاتراك المسيحيين اللاجئين الى جبل سنجار ايام الحرب العظمى ، واتصل بالجيش الانكليزي المرابط قرب سامرة ، ودخل معه الموصل ، وفي سنة ١٩٣٣ توفي في سنجار .

ولاسمعيل بك ابنة علمها في مدرسة الاميركان في بيروت وتعرف الى ادارة جامعتهم فارسل الى رئيسها المستر بايرد ضوذج الفصول الثلاثة في معتقدات اليزيدية وعاداتهم وبعض حوادث تاريخهم ، مع سيرة حياته وطلب اليه نشرها. فأخذ الدكتور قسطنطين زريق على عاتقه مهمة نشر هذه الوثائق المفيدة تاريخ بلادنا وشعوبها واديانها ، فعلّق عليها مستعيناً على شروحه بما كتبه عن اليزيدية الافرنج والعرب ، وبما استفاده من الطلبة المراقين العرب والاكراد الموجودين في الكلية الاميريكية . وذيّل الكتاب بفهرس للاعلام واسع النطاق غزير المادة. نشكر له هذه الجهود ونستميح اذناً بلفت نظره الى ان ما قاله (ص: ك من المقدمة) عن عدي بن مسافر ومولده قرب بعلبك يؤيده وجود قبر في خربة قنفار ، وهي قرية في جنوبي البقاع لا تبعد كثيراً عن شاطئ نهر الليطاني الايمن ، يزوره الناس ويقولون انه قبر السيدة زبيدة ام الشيخ عدي بن مسافر . ف . ت .

الانسان

تأليف السيد علي فكري رئيس المفتشين بدار الكتب المصرية

القسم الاول : ١٦٦ ص ، والثاني : ٢٢٨ ص بقطع ٨ (١٣٥٣ ، ١٩٣٥) ، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ، بمصر

هذا الكتاب يجمع فوائد وتعليمات عديدة وافرة ، شرح فيه المؤلف تركيب جسم الانسان ، وذكر وظائف اعضائه الظاهرة والباطنة واعصابه وحواسه باسلوب مشوّق يدلّ على سعة الاطلاع وكثرة المعارف . فيه الصور المتقنة العديدة مع الاقوال الحكمية والآراء المستندة الى القرآن والاحاديث والى غيرها من الكتب العربية والافرنسية ، وغير ذلك من الفوائد اللغوية والصحية والنصائح الادبية والاجتماعية مما هو جدير بتفكهة القارئ وتسليته . فيُعدُّ هذا الكتاب خطوةً جديدةً في سبيل تثقيف العامة وتعليمها الالمام بشيء من العلميات وفيه خدمة للعلم جديرة بالثناء ، والنموذج قيّم لما بلغ اليه فن الطباعة من الكمال في مطبعة السيد عيسى البابي . ف . ت .

الاطلال : رواية قصصية مصرية

بقلم محمود تيمور

١٥٧ ص. صغيرة – المطبعة السلفية ، مصر ، ١٩٣٦

عوّدنا المؤلف القصصي المصري ، محمود تيمور ، ان ينفحنا بين آونة واخرى ، بمؤلف يحتوي على رواية طويلة يردفها ببعض الحكايات الصغيرة . يدرس كل مرة محيطاً جديداً ، ويجرّب ان يظهر لنا مظهراً كاملاً من مظاهر الحياة الاجتماعية المصرية . اختار في الرواية الحاضرة مشكلاً من مشاكل الحب الذي تلقحه مفاسد العصر فيولد حالات اقلّ ما يقال فيها انها تراوح بين العار وشقاء الحياة واليأس والانتحار . ذكر تهوّر احد الشبان ووصوله الى احطّ دركات الفساد ، بعد ان بدأ يلهو بالحب « الطاهر » في زعمه ، ولم يدرِ ان اللهو بالحبّ لا يعقب الخير ، وان من يدنو من النار يحترق . كل ذلك في موضوع بعيد من ان يعمل على تعزيز الاخلاق في البيئة المصرية وفي غيرها من البيئات ، وان كان الاسلوب على جانب من اللطف والسلاسة . م.ك.

دائرة المعارف الاسلامية

الترجمة العربية

الجزءان ٨ و٩ : الصفحات من ٤٨١ – ٦٢٤ – لجنة الترجمة : ٣٠ شارع نوبار باشا بمصر

تقدّم للمشرق (٣٢ [١٩٣٤] ١٥٩) ان ذكر هذا المشروع الجليل الذي يقوم به الاساتذة محمد ثابت الفندي ، واحمد الشنتناوي ، وابراهيم زكي خورشيد ، وعبد الحميد يونس ، يشجعهم عدد من مفكري مصر ، بما يعلقون من حواشٍ على بعض المواد ، ومن شروح على بعض التعابير . وقد واصلت اللجنة جهدها ، واذا بين ايدينا اليوم الجزءان الثامن والتاسع من المجلد الاول يضمّان ، في ١٤٠ صفحة كبيرة ، كثيراً من المواد من « احمد بن سهل » الى « ارطغرل » ، بينها ابحاث مهمة كمقال گولدسيهر عن « احمد بن محمد بن حنبل » ، ومقال مورتمان عن « ادرنة » ، ومقال عبد الحق الواسع عن لغة

« الاردو » ، وبحث ده بور عن « ارسطاطاليس » . اما الحواشي فقد خلا منها الجزء التاسع ، وما نُشر منها في الجزء الثامن لا طائل تحته . واما العناية فعلى تقدّم متواصل ، ان شاء الله . ف . ا . ب .

سيرة الاب البار بشاره ابي مراد المخلّصي

بقلم الخوري قسطنطين الباشا المخلّصي

٢٢٤ ص . صغيرة – مطبعة دير المخلّص ، صيدا (لبنان) ١٩٣٦

وُلد الاب بشارة ابي مراد في زحلة سنة ١٨٥٣ ، وتوفي في دير المخلص سنة ١٩٣٠ . لبّى دعوة ربه الى خدمته ، فدخل الرهبانية المخلصيّة . ثم كان من حظّ دير القمر ان عرفته فاستفادت من غيرته وصلاحه مدة ٣٢ سنة . ولا يزال شذا قداسته يفوح في تلك الجهات . وقد احسن صنعاً حضرة الخوري قسطنطين الباشا بان جمع كل ما عرفه بنفسه ، وما سمعه من عارفي الاب البارّ ، فحّصه ، ودقق فيه ، عالماً « ان آفة تاريخ رجال الله تسرّب الشكّ الى النفوس بصحة اعمالهم الخارقة وحمل الكلام فيها على المبالغة . » ف . ا . ب .

قصص علمية للاطفال : ١ً النحلة العاملة

بقلم كامل كيلاني

١٠٥ ص . متوسطة – مطبعة المعارف ومكتبتها بمصر ، ١٩٣٦

اشرنا في جزء سابق (٣١ [١٩٣٣] ٧٨) الى عناية الاستاذ كامل كيلاني بالاطفال عناية خاصة جعلت ارباب الثقافة والتربية يجمعون على الثناء عليه . وفصّلنا اسماء ما نشره من « قصص فكاهية » و « قصص جديدة » و « قصص للاطفال » . وقد واصل الاستاذ عمله منذ ذاك الحين ، فاخذ باختيار عدد من اشهر القصص الغربية كروايات شكسبير ، ورحلات گوليفر ، ودون كيخوته ، والكوميديا الالهية ؛ واضاف اليها قصة شبشون الجبّار ومنتخبات من رحلات ابن بطّوطة ؛ قاصداً تقريبها من ذهن الاطفال . ولم نقف على هذه السلسلة بعد فنحكم عليها . على ان بين يدينا الجزء الاول من سلسلة جديدة دعاها « قصص

علمية للاطفال » ، وقد خصه بدرس النحلة العاملة ، مقدماً على ذلك حكايات متنوعة عن الحيوانات مما يشوق الطفل ويسير به شيئاً فشيئاً الى التفهم العلمي . وفي آخر الكتاب إلمامة مفيدة في النحل اقتبسها الكاتب من دائرة المعارف الفرنسوية ، واردفها بمعجم للنحال وبجدول في اعلام الحيوان جزيئي الفائدة . كل هذا يبدو في مظهر غاية في الاتقان من حرف جلي ، وطبع متقن ، ورسوم جميلة واضحة .

ف . ا . ب .

مآثر عريضه : ٣

بقلم خوراسقف بطرس حبيقه

١٢ + ١٥٠ ص . متوسطة – المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ١٩٣٥

هو الجزء الثالث من ترجمة صاحب الغبطة مار انطون بطرس عريضه البطريرك المارونى ، جمع فيه المؤلف احداث السنة الثالثة من بطريركيته دينية واجتماعية ، ولخصها باللغة الفرنسوية ، فاضاف دليلاً جديداً على اهتمامه بتأريخ البطريركية المارونية .

لقطة المجلان

تأليف : بدر الدين الزركشي — شرح : جمال الدين القاسمي الدمشقي

١٤٠ ص . متوسطة صغيرة – نشره « مكتب النشر العربي » : مطبعة ابن زيدون ، دمشق ، ١٩٣٦

هو كتاب مختصر في المنطق واصوله من قضايا وقياسات ، وما يتصل به من مبادئ في الادراك وطرقه وانواعه ، وعلم الجدل وما يحتاج اليه مع لمحة في العلوم الاسلامية . ألفه احد أئمة المتأخرين في مصر ، بدر الدين الزركشي (١٣٤٤–١٣٩٢) ، وعلق عليه الحواشي احد أئمة دمشق في القرن الماضي ، جمال الدين القاسمي الدمشقي (١٨٦٥ – ١٩١٤) ، فرأى « مكتب النشر العربي » في دمشق ، ان يخرج هذا الكتاب في جملة منشوراته التي نعرف منها « المنقذ من الضلال » للامام الغزالي . فاكتفى بان اخذ له مقدمة ترجمة للشارح ، كانت الاستاذ محمد كرد علي قد نشرها في مجلته « المقتبس » على اثر وفاة صديقه

المذكور .. ولا شك في ان الكتاب مفيد لطلاب هذا النوع من العلم ، وان يكن بحاجة الى شيء من التبويب والتوضيح في الفهارس خاصة ، والى مزيد عناية في المظهر الطبعي.

ق. ا. ب.

مجال القلم

بقلم ليون لورنس عيساني

١٤٠ ص. متوسطة – مطبعة النجم ، الموصل ، ١٩٣٥

مجموعة مقالات دينية واجتماعية وتاريخية اكثرها من النوع الصحفي كان المؤلف ، وهو من ادباء كركوك ، قد نشرها في بعض جرائد العراق ومجلاته ، ثم رغب في ان يوسع مجال الاستفادة منها ، فجمعها وطبعها على حدة في مجلد افتتحه بذكر الملك غازي الاول . فنتمنى ان يكون للمؤلف ما رمى اليه من فائدة بني قومه.

الملك اوديب

رواية تمثيلية ذات ثلاثة فصول

تأليف : اندره جيد — تعريب : الشيخ حبيب اليازجي

٤٠ ص. كبيرة – المطبعة التجارية ، بوانس ايرس ، ١٩٣٢

قصة الملك اوديب اشهر من ان تُعرّف بعد ان خلدها سوفوكل في رواية لا تزال من المُثل العليا للفن التمثيلي . وقد شاء الشيخ حبيب اليازجي ان يتحف الآداب العربيـة بهذه الرائعة الفنية ، بعد « ان صحّت عزيمته على نقل سلسلة من الروايات والمبتكرات الحديثة عن اشهر مفكري الغرب المعاصرين ، مستأنفاً بذلك العمل الذي باشره اسلافه في سبيل زيادة ثراء اللغة العربية واعلاء شأنها » كما قال في مقدمته . قلنا : ونعم العمل ! على اننا وددنا لو عاد المعرّب الى اصل رواية « اوديب الملك » كما وضعتها عبقرية سوفوكل — ولها الترجمات الكثيرة الدقيقة الى لغات الغرب الحديثة — فنقلها كما هي . بدل ان ينقل ما حاكته حولها عقلية اندره جيد الشاذة . الا ان تكون غايته نقل « ادب » جيد الى

العربية . والادب العربي ، ولاسيما العباسي والانحطاطي منه ، من ابي نواس الى صفي الدين الحلي ، بغنى عن معنويات جيد ونظرياته ؛ وقد أسرف ادباؤنا في تطبيقها كل الإسراف في خمارات بغداد وضواحيها . بقي اسلوب جيد الرفيع حقاً ، وهو ما لم يتوفق المعرب الى نقله : وليس من المنتظر ان يتوفق غيره الى ذلك . فضلاً عن ان الرواية بعيدة عن الروح التمثيلي لما تعتمد المؤلف فيها من مناقشة النظريات الاجتماعية الدائرة حول الاسرة والدين والاخلاقيات مناقشة سرعان ما يمل منها الحاضرون ، لو مُثلت الرواية امامهم ، ولن تُمثل لانه لم يقصد بها التمثيل . ولهذا فلا يمكن ان يستفيد منها روائيونا مثالاً لهذا الفن الذي لا يزال طفلاً في ادبنا العصري . واذاً فاننا نستغني عن هذا النوع من الادب ، شاكرين للمعرب حسن نيته !

ف . ا . ب .

تقويم الهلال لعام ١٩٣٥

١٤٤ ص . كبيرة مصورة - مطبعة دار الهلال بمصر ، ١٩٣٤ - الثمن : ٥ غروش مصرية

هي السنة السادسة لهذا التقويم الجامع بين اللذة والفائدة . اصدرته دار الهلال ، مطبوعاً بالروتوغراڤور ، حافلاً بالصور والرسوم العديدة ، محتوياً على الكثير من المعلومات السياسية والاقتصادية عن مصر ، مع نُتف تاريخية عن اشهر رجال العالم اليوم ، وابحاث مختصرة في بعض الادواء الاجتماعية والمظاهر العلمية ، يتخلل كل ذلك قصص وشذرات ونكات فكاهية ، فيتسلى المطالع ويستفيد .

* القوة بالاتحاد * ١٤ ص . صغيرة ، اورشليم ، ١٩٣٤ - « نبذة تاريخية في اصل البلاغة العربية ، بقلم الاستاذ الثابت الوطني المخلص » . وكلها منظومة ، عليها بعض الحواشي النثرية .

* مكتبة لويس سركيس * هي سابقاً مكتبة « يوسف اليان سركيس واولاده » - شارع النجالة رقم ٥٣ ، القاهرة - لائحة بكتبها القديمة والحديثة حتى كانون الثاني ١٩٣٥

* مكتبة الهلال * لصاحبيها ابراهيم زيدان وولده - شارع النجالة ، القاهرة - قائمة كتبها السنوية لسنة ١٩٣٣-١٩٣٤

* مكتبة سعد مصر ومطبعتها * لصاحبها ومديرها سيد مصطفى - شارع النجالة رقم ٦٣ ، شارع درب الجماميز رقم ٣٦ ، مصر - قائمة كتبها لسنة ١٩٣٣ ، مع ملحق بالمطبوعات الحديثة والادوات المدرسية والمكتبية لسنة ١٩٣٤

المشرق

السنة الثالثة والثلاثون — نيسان — حزيران ١٩٣٥

الاعلاق الخطيرة
لعزّ الدين بن شدّاد

بقلم الاب شارل لودي (رومة)

تمهيد

لقد أدّى صاحب الأعلاق، عزّ الدين بن شدّاد، خدمة جليلة للمستشرقين، وان لم يكن كتابه منشوراً بالطبع بعد. ومؤخراً لفت الانظار الى الاعلاق السيد كلود كاهن في مقال ضاف مشبع درساً وتمحيصاً[1]. وايضاً طالعنا في العدد الاخير للسنة السابقة من مجلة «المشرق» الغرّاء مقالة انتقادية بقلم الباحث السيد حبيب الزيات[2]. اما نحن في درسنا

(١ Claude Cahen, *La Djésireh au milieu du XIIIe siècle d'après 'Izz-Dīn b. Šaddād*, dans *Revue des Etudes Islamiques*, 1934, I, 109 sq.

٢) المشرق ٣٢ [١٩٣٤] ٥٠٤—٥١٠

هذا فنقدّم لقرّاء « المشرق » الاباء لمحة عن سورية الشمالية ، مع فهرس المخطوطات التي حصلنا عليها بعد عناء طويل ، واننا نشير الى المآخذ التي تخبر عن تواريخ العواصم . وبعد هذا نطبع المخطوط نفسه ، مع بعض الشروح والتعليقات .»[1]

ويلذّ لنا اوّلاً ان نقدم خالص شكرنا لحضرة الاستاذ الشهير ليفي ديلا ڤيدا (G. Levi Della Vida) الذي دفع الينا هذا المخطوط وكان مجهولاً حتى الآن ، وافادنا بما يعرف عن هذا الكتاب النفيس . ولا بدّ لنا ايضاً من تقديم واجب الامتنان لحضرة المفضال الاب بولس ماترن اليسوعي ، رئيس المدرسة المارونية في رومة العظمى الذي شاء أن يقرأ معنا ما نسخناه عن تأليف ابن شدّاد ، كما اننا نشكر حضرة الصديق الاب لويس البستاني الذي اعاننا في ترجمة هذا المقال.

رومة ، مقام القديس لويس الفرنسوي

٨ اذار ١٩٣٥

---

١) راجع ، في ما استفاده المستشرقون من ابن شداد ، الدروس التالية ، وهي من مستندات هذا البحث :

M. Sobernheim, *Ibn Schaddâd Baʿalbeks Darstellung im Mittelalter*, dans *Centenario della Nascita di M. Amari*, Palerme, 1910-11, p. 152.

F. Amedroz, *Three arabic Mss. on the history of the city of Mayyafarikin* ; *JRAS*, 1902, pp. 785 sqq.

المقدمة

١ً : سيرة ابن شداد وآثاره . ٢ً : فهرس المخطوطات . ٣ً : مآخذ ابن شدّاد في تاريخ العواصم .

١ً — سيرة ابن شدّاد

هو عبد الله محمد بن علي بن ابراهيم عزّ الدين بن شدّاد الكاتب الانصاري الحلبي . أبصر النور في مدينة حلب في اليوم السادس من ذي الحجة سنة ٦١٣ (اذار ١٢١٧) . ومنذ حداثته ابتدأ يتدرّج في وظائف الدولة الايوبية في حلب ، نعلم هذا من معارفه الكثيرة عن مداخيل تلك المنطقة[1] . وكانت باكورة اعماله ، قبل ان يبلغ السابعة والعشرين من العمر ، ذهابه الى مدينة حرّان ليتفقد شؤونها بعد ان عادت الى مخدومه الملك الناصر يوسف ، على اثر كسر شوكة الخوارزميين .

١ — في خدمة الملك الناصر

في سنة ٦٤٩ جاء حلب بعثتان مختلفتان واحدة كانت من قبل التتار يطلب رجالها مائتي الف دينار . وكانوا قد سبقوا وزاروا امراء الروم والموصل وماردين وميافارقين والجزيرة وحصن كيفا ، فارجعوهم على اعقابهم دون ان يجيبوهم الى مطاليبهم ، قائلين انهم تحت سلطة ملك حلب ولا يصح لهم ان يعقدوا اتفاقاً دون مشورته . اما الملك الناصر فكاد ينزل عند مطاليبهم لولا ابن شداد الذي حمله على العدول . واما البعثة الثانية فكانت من قبل الاتابك مسعود الزنكي ، امير الجزيرة ، وهو يتذمر من تهجم اتابك الموصل بدر الدين لؤلؤ . وكان يود مسعود ان يقدم الجزيرة للملك الناصر بشرط ان

---

١) ان ابن شداد يخبرنا بالتفصيل عن مداخيل حلب . (مخطوط الفاتيكان ص ١٠٨ قنا) وعن مداخيل بالس (ص ١٣١ قنا) وعن مداخيل منبج (ص ٢٦٢) ، انظر مداخيل الجزيرة في مقالة Claude Cahen

يبادله غيرها من البلاد . فاوفد الملك ابن شداد الى الامراء ليقنعهم بألا يدفعوا الجزية للتتار ، واوفده كذلك الى الموصل ليصلح شؤون مسعود . اما نتيجة هذه البعثة فانها معروفة[1] . ذلك ان لؤلؤ ، بعد ان رفض الجزية للتتار ، دسّ من قتل رجال وفدهم خارجاً عن حدوده . ثم تملك الجزيرة في السنة التالية . واما مسعود فانه غرق في دجلة اذ كان مسافراً الى الموصل .

وقد كُلف ابن شداد بعثة جديدة سنة ٦٥٧ انتدب فيها كي يقنع التتار ان يرفعوا الحصار عن ميافارقين وكانوا قد حصروا فيها الملك الكامل محمد الذي غضب عليه التتار لنكثه بالعهود ونقضه حلفهم وحبسه رجال وفدهم في مدينته . فسار ابن شداد من دمشق[2] مصحوباً بثلاثة من اولاد الملك الناصر ، وبمعه ، وبعدد من هدايا ثمينة . ولما وصل الى حلب ترك فيها حرم الملك الناصر وتابع المسير الى معسكر التتار . وكاد ينجح في وفادته بعد جهد كثير . فجددت المحالفة بين التتار والملك الكامل محمد الذي تعهد بدفع الجزية من مال وقنيان . واخذت صفوف التتار تنحل تاركة ميافارقين ، عندما وصلها كتاب من لؤلؤ ، صاحب الموصل ، يعلمها بان اهل الساحل والاكراد يستعدون للهجوم على الملك الناصر . وكان التتار قد توصلوا ايضاً الى اخذ كتاب ارسله الملك الناصر لابن شداد يلحّ به عليه ان يعجّل في عقد الاتفاق مع التتار . عند ذلك عاد هؤلاء الى حصار المدينة ، بعد ما ارجعوا ابن شداد الى ملكه الناصر مع كتاب شديد اللهجة[3] .

واما ابن شداد فقد عرّج ، عند رجوعه ، على ماردين فتعهد صاحبها بانه مستعد لان يهزم لؤلؤ الخدّاع ، ويطرده من الموصل ، اذا انجده الملك الناصر برجال ومال . وقد عرف ابن شداد ، وهو في حرّان ، بان التتار ندموا على قطع

١) راجع تفصيل هذه البعثات في مقالة F. Amedroz المذكورة

٢) فتحت دمشق ابوابها للملك الناصر بعد قتل طوران شاه ، سلطان مصر ، فدخلها في ربيع الثاني ٦٤٨ G. Weil, *Geschichte der Chalifen*, III, 486

٣) هذا الكتاب موجود في السلوك للمقريزي : M. Quatremère, *Histoire des Sultans Mamluks d'Egypte* (traduction de Maqrizi), I, p. 83.

العلاقات بينهم وبين الملك الناصر ، وادرك ، وهو في حلب ، بانهم تركوا حصار ميافارقين لشدّة البرد وقلّة الزاد ومرض الخيول وموتها . ورغم هذا بقيت فرقة من جيشهم امام المدينة . واما الملك الناصر فقد تلقى جميع هذه الاخبار بعد عودته من معركة بينه وبين الجيش المصري في فلسطين ، فلم يجاوب على اقتراح امير ماردين .

لكن التتار عادوا الى الهجوم في هذه السنة نفسها فتقدموا حتى حرّان فاخضعوها . وبعد ان ادرك الملك الناصر ان التتار صحّت عزيمتهم على ان يحتلّوا حلب ارسل الى مصر حرمه مع وُلده وكنوزه . وقد اقتدى به الامراء فارسلوا نساءهم وفعل فعلهم كثير من الشعب ، بعد ان رأوا جيش الناصر تشتّت[1] .

وفي شهر محرم سنة ٦٥٨ افتتح التتار حلب عنوة ، فهرب الملك الناصر من دمشق الى غزّة . وكان خوف شديد في دمشق . اما ابن شداد الذي كان عارياً من صفات البطولة والحرب فلم يكن آخر من هرب الى مصر .

وكان ابن شداد ، قبل هذه الحوادث كلها ، قد كتب مؤلفاً في « اخبار الدولتين »[2] . ولا ريب بان هذا المؤلف هو عن الدولتين الخوارزمية والايوبية . ولكن لحدّ الآن لم يزل مفقوداً .

ب — في مصر

ان مكوث ابن شداد بعيداً عن وطنه لم يكن مرّاً عليه . قال الذهبي ، وبعده الصفدي : « وكانت له مكانة عند الملك الظاهر بيبرس ، والملك المنصور قلاوون ، وحرمته وافرة ، وله توصّل ومداخلات وعنده بشر كثير . »[3] وقال النويري : « كان معظّماً عند الامراء الكبار ، ومحبوباً اليهم ، ولازمَ

١) انظر M. Quatremère, I, 88 sq.

٢) انظر F. Amedroz, *article cité*.

٣) الذهبي وقد استشهد به Amedroz, *art. cit.* — واطلب الصفدي : الوافي بالوفيات Vienne, Ak. Palatine N. F. 234 ab = Catalogue 1163 a, fol. 123.

الصاحب بهاء الدين مدة حياته[1] وكان الامراء والكبار يحملون اليه في كل سنة دراهم وغلة وكسوة وغير ذلك . . . »[2] ورغم الحروب التي اقامها بيبرس في سورية لم نجد ابن شداد يغامر معه في جميع الهجمات، لانه كتب عن فتح انطاكية آخذًا المصادر عن بيبرس نفسه (٦٦٦) لكننا نراه في حصار عكار التي استسلمت اليه في اليوم التاسع والعشرين من رمضان (٦٦٩)[3] .

وبعد هذه الحوادث ابتدأ بتأليف كتابه « الاعلاق الخطيرة في ذكر امراء الشام والجزيرة » وهو في ثلاثة اجزاء ظهر الاول منها سنة ٦٧٣ وموضوعه سورية الشمالية[4]. والجزء الثالث عن سورية الجنوبية ظهر سنة ٦٧٤[5]. قبل الجزء الثاني الذي يعود تاريخ ظهوره الى سنة ٦٧٥ على الارجح. وقد اضاف المؤلف نفسه بعض زيادات على هامش الجزء الاول والثاني[6] .

---

١) . النويري : نهاية الارب — Paris, B. N. 1579, fol. 56 ترجم M. Quatremère هذه النبذة *Histoire des Sultans Mamluks*, II, 83 . ولا نعلم لمَ قرأ « بدر الدين » بدل « بهاء الدين »

٢) تاريخ الدول لابن الفرات Vienne A. F. 117-125 (= Cat. 814) 27v . توفي علي بن محمد بن سليم ابو الحسن بهاء الدين بن حِنّى في اليوم الاخير من ذي القعدة ٦٧٧ (Quatremère, I, 167) . ويوجد في كتاب الصفدي معلومات وافرة عنه *British Museum*, Or 6587, fol. 165.

٣) Sobernheim, *Matériaux pour un CIA*, ds les *Mémoires de l'Institut Français d'Archéologie du Caire*, 1909, pp. 6 sq.

٤) اننا نجد في اخبار مدينة اعزاز (ڤاتيكان ٧٣٠ ، صفحة ١٥٠ قفا) ما يأتي : « ثم كانت في يد مولانا الملك الظاهر الى عصرنا وهو سنة ٦٧٣ »

٥) Rieu, *Cat. Cod. Orient. Musei Britannici*, n° 1324

٦) هذه المعلومات توجد على هامش المخطوط الڤاتيكاني ٧٣٠ في صفحة ٦٧ قفا ؛ ٢٢٢ قفا . اطنب هامش الجزء الثالث في Rieu, 1324

ومن الراجح انه كان بعض الهوامش في الجزء الثاني (تاريخ الجزيرة) فادخلها احد النساخ في المتن نفسه كما فعل ، مثلًا ، ناسخ مخطوط *Brit. Mus.*, Rieu 1323 ، وهو ينقل مخطوط الڤاتيكان . ومن هذا العمل حدث الخلط في تواريخ هذا المخطوط (*Br. Mus.* 1323) ومخطوط تاريخ الجزيرة . راجع : Ahlwardt, *Handschriften Verzeichnisse* (Berlin) n° 9800

وألف ابن شداد بعد الاعلاق كتاباً في سيرة بيبرس[١]. وحسب رأي السيد F. Amedroz، كتب ابن شداد ذيلاً للتاريخ الكامل لابن الاثير، ولكننا لا نعتقد بان هذا الذيل منفرد عن الاعلاق لان ابن شداد نفسه يقول عن تأليفه هذا انه ذيل لابن الاثير[٢].

وفي السنة ٦٧٦ نرى ابن شداد في دمشق « وكيلاً » للملك السعيد بركة خان في مأتم الملك الظاهر بيبرس الذي كان قد أسس المدرسة الظاهرية الشهيرة التي لم تزل الى يومنا هذا[٣].

وبعد حياة محفوفة بالثراء والاحترام مات ابن شداد يوم الاربعاء في ١٧ صفر ٦٨٤ (نيسان ١٢٨٥) ودفن في سفح جبل المقطم بالقاهرة.

ج – وصف « الاعلاق »

يُقسم كتاب « الاعلاق » الى ثلاثة اجزاء : الجزء الاول في ذكر الشام الشمالية، والجزء الثاني في ذكر الجزيرة، والجزء الثالث في ذكر الشام الجنوبية[٤]. ويعطي المؤلف نبذة تاريخية عن كل بلدة مهمة حسب ترتيب المقاطعات. وها اننا ننشر فهرسه في ما يلي، مشيرين الى ان الاعداد الموضوعة بين معكفين تبيّن صفحات المخطوط الفاتيكاني الواقع تحت رقم ٧٣٠ (في ذكر الشام الشمالية) وهو لم يصفه احد حتى الآن وصفاً دقيقاً.

الجزء الاول

ينقسم الى ثلاثة اقسام

المقدمة [١] والفهرس [٦ قفا]

القسم الاول

يشتمل على ١٧ باباً في ذكر حلب

١ : في ذكر موضعها من المصور [٨ قفا]

---

١) E. Blochet, *Histoire de l'Egypte* (Trad. de Makrizi), Paris, 1908, p. 26

٢) Ahlwardt, 9800

٣) M. Quatremère, II, 163

٤) اننا نضع هذا التقسيم مختلفاً عن تقسيم M. Sobernheim لان المخطوط يدعو « تاريخ الجزيرة » الجزء الثاني، و« تاريخ الشام الجنوبية » الجزء الثالث.

٢ : في ذكر الطالع الذي بُنيت فيه ومن بناها [٩]
٣ : في ذكر تسميتها واشتقاقها [١٢ قنا]
٤ : في ذكر صفة عمارتها [١٣ قنا]
٥ : في ذكر عدد ابوابها [١٥ قنا]
٦ : في ذكر بناء قلعتها والقصور القديمة [١٨ قنا]
٧ : في ذكر ما ورد في فضلها [٢٣]
٨ : في ذكر مسجدها الجامع والجوامع التي بظاهرها وضواحيها [٢٣ قنا]
٩ : في ذكر المزارات التي بباطنها وظاهرها [٣٢ قنا]
١٠ : في ذكر المساجد التي بباطن حلب وظاهرها [٤٧]
١١ : في ذكر الخانقاهات والرُبط [٥٩ قنا]
١٢ : في ذكر مدارسها [٦٢]
١٣ : في ذكر ما بحلب وضواحيها من الطلسمات والخواص [٨٩ قنا]
١٤ : في ذكر حمّامات حلب [٩٥]
١٥ : في ذكر نهرها واقنيتها [٩٩]
١٦ : في ذكر ارتفاع قصبتها [١٠٨ قنا]
١٧ : في ذكر ما مُدحت به نظماً ونثراً [١١٠]

القسم الثاني

يشتمل على ٧ ابواب في ذكر جند قِنّسرين وبلاد العواصم والثغور وبلاد حمص

١ : في تحديد بلاد جند قِنّسرين وصفاتها : بالِسْ [١٢٨] – بِنّين [١٣٢ قنا] – الرصافة [١٣٣ قنا] – خُناصرة [١٣٥] – حيار بني القعقاع [١٣٥ قنا] – قِنّسرين – حاضر قنسرين [١٣٦ قنا] – سَرمين [١٣٨ قنا] – مَعَرّة مصرين [١٣٨ قنا] – حارم [١٣٩ قنا]– عَزَازُ [١٤٥ قنا] – الراوندان [١٥١] – الرَصَافس [١٥٢] – تلّ باشر [١٥٣] – عين تاب [١٥٦] – المَرْزَبان وخُرُوص والزوب [١٥٧] – بَجَسْنَة [١٥٧ قنا] – الباب وبُزَاعا [١٥٩] – الشُغْر وبكاس [١٦٢]

٢ : في تحديد بلاد الثغور : المُصّيصة [١٦٤] – آذنة [١٦٥ قنا] – طرسوس [١٦٦] – الهارونية – الكنيسة السَّوداء [١٦٨] – ومن الثغور الشامية على ساحل البحر : حصن اولاس. والاسكندرونة. وياس. واياس [١٦٨ قنا] والتينات. والمنقب. وسيسية [١٦٩] – ذكر الثغور الجزيرية : مرعش [١٦٩ قنا] – والحَدَث [١٧٠ قنا] – زَبَطْرَة [١٧٢] – حصن منصور [١٧٢] – ملطية [١٧٢ قنا] – سُمَيسَة [١٧٤ قنا] – مختصر في ذكر الوقائع في الثغور منذ السنة ٢٢ للهجرة [١٧٧]

٣ : في ذكر العواصم وحصونها (١ : انطاكية [٢٢٨] – بغراس [٢٣٣ قفا] – درب ساك [٢٣٥ قفا] – برقا [٢٣٧] – تيزين [٢٣٧ قفا] – رعبان [٢٣٩] – دلوك [٢٤٠] – قورس [٢٤١ قفا] – كيسوم [٢٤١ قفا] – منبج [٢٤٢ قفا] – قلعة النجم [٢٦٣]

٤ : في ذكر بلاد جند حمص (٢

٥ : في ذكر ما في مجموع هذه البلاد من الانهار (٢

٦ : في ذكر ما فيها من البحيرات (٢

٧ : في ذكر ما فيها من الجبال (٢

القسم الثالث في ذكر امراء حلب (٣

الجزء الثاني في تاريخ الجزيرة

ينقسم الى ثلاثة اقسام (٣

١ – في ذكر ديار مضر وقصبتها – حرّان – الرُّقة – الرُّها – سروج – قلعة جَعبَر – البيرة.

٢ – في ذكر ديار ربيعة : نصيبين – دارا – راس العين – قرقيسيا – سنجار – جزيرة ابن عمر – (الموصل : ينقص).

٣ – في ذكر ديار بكر : آمد – ميّافارقين – حصن كيفا – ارزَن – ماردين ..

الجزء الثالث

ينقسم ايضاً الى ثلاثة اقسام (٤

القسم الاول

يشتمل على ١٠ ابواب في ذكر دمشق

١ : في ذكر دمشق واشتقاق اسمها.

٢ : في ذكر من بناها وعدد ابوابها وقلعتها.

---

١) الصفحات في تاريخ العواصم غير مرتبة في مخطوط الفاتيكان ، فبعد الصفحة ٢٢٦ اطلب الصفحات ٢٤٩–٢٦١، وارجع من الصفحة ٢٣٠ الى ٢٤٨ ، واطلب اخيرًا ٢٦٢–٢٦٤

٢) ينقص

٣) راجع وصفه المطوّل في Ahlwardt, 9800

٤) له وصف دقيق في Rieu (*Cat. Mus. Brit.*, 1324)

٣ : في ذكر الجامع المنصور.
٤ : في ذكر مساجد دمشق وعددها.
٥ : في ذكر مزاراتها.
٦ : في ذكر الخوانق والرُبط.
٧ : في ذكر المدارس بدمشق وظاهرها.
٨ : في ذكر ما بدمشق وظاهرها من الكنائس والاديار.
٩ : في ذكر الحمامات بباطن دمشق وظاهرها.
١٠ : في ذكر فضلها وما مُدحَت به نثرًا ونظمًا.

القسم الثاني

في ذكر ما هو خارج منها (دمشق) ومضاف اليها

١ : في ذكر انهارها وقنواتها.
٢ : في ذكر جبالها.
٣ : في ذكر ما اشتمل عليه جندها من البلاد : صَرْخَد . بُصْرى . كورة البثنية (الباطنية) . كورة الجبال . الكرك والشوبك . كورة الشارة . ارض البثنا . قلعة الصلت . قلعة عجلون — ومن البلاد الساحلية : عرقة . جُبيل . صيدا . بيروت . الطرابلس — وما كان في يد الفرنج من حصون جند دمشق الجبلية : حصن ابن عكار . حصن الاكراد .
٤ : في ذكر بلاد جند الاردن ومن ملكها : طبرية . بيسان . بانياس . ذكر حصون هذا الجند : صفد . هونين وتبنين . شقيف ارنون . شقيف تيرون . كوكب . قلعة الطور — ذكر ما في جند الاردن من البلاد الساحلية : صور . عكا . حيفا
٥ : في ذكر بلاد جند فلسطين : القدس . مدينة الخليل . نابلس . قيسارية . ارسوف . يافا . عسقلان . غزّة .
٦ : ذكر ما في مجموع بلاد الاجناد الثلاثة من المزارات .

القسم الثالث في ذكر امراء دمشق[1]

٢ مخطوطات الاعلاق

لقد اثبتنا المخطوطات حسب ترتيب الاجزاء الثلاثة من الكتاب . والآن نعطي لكل جزء ما وجده M. Sobernheim من المخطوطات ، وبعد ذلك نذكر ما وجدناه بنفسنا .

١) ينقص . واذا صدقنا مخطوط لندرة (Rieu 1324) يُمكننا ان نقول بان هذا القسم ما وُجد قط ، فقد قيل فيه : رهم ملوك مشهورون ... يحفظهم كل من له اطلاع على التاريخ ، فلذلك اخلّ بهذا القسم لانهُ قليل الجدوى .

British Museum

وأما بشرى

الرسم ٣

صفحة من مخطوطة المتحف البريطاني

نهب شيء وفرق ما حصل منه على الازا والاجناد واخرج بها
ورتب فيها جماعة من الزكان يحفظون ساحلها وحصر
من قتل فيها وكان نيفا عن اربعين الف نفس وخلص من
ايديهم خلقا من اسر الحلب وكان البرنس صاحبها وصاحب
طرابلس توشيا بهم واستريم عند دخول التتر اليها فرق الله
باطلاقهم على يد مولانا السلطان وهذه منه تقلدها رقابهم
وصيرها لهم شمة تقون القابهم وكم لها من اخوات
في فتوحه اعادها الامن بعد نزوحه وصارت
مدونة في صحايف سيره واعماله وبلغ بها من رضاء
الله غايه اماله

ومما كان مضافا الى انطاكية من الحصون

بغراس وهي قلعة مذكورة حصينة وهان
الطريق الى الثغور للغزاة عليها وقد ذكر ابو زيد احمد
ابن سهل البلخي في كتاب وضعه في صفة الارض وما تشتمل

الرسم ٢ — صفحة من مخطوطة الفاتيكان

وفي اعلاها اسم « احمد بن سليمان بن محمد الاسعردي » (؟) مأخوذا عن حاشية في شمال الصفحة الاولى من المخطوطة المذكورة (الرسم ١)

مخطوطات الجزء الاول (في ذكر الشام الشمالية)

١ — Sobernheim: المتحف البريطاني Add. ٢٣٣٣٤ (Rieu ١٣٢٣ =)
— لننغراد : المتحف الاسيوي رقم ٥٢٣ (= Rosen n° ١٦٢ ,v.)

٢ — والآن نضيف الى هذه المخطوطات المخطوطات التالية .

ا : الفاتيكان : عربي ٧٢٠.

العنوان : عنوان الكتاب الحالي مزوّر بانتسابه الى الياقوتي (انظر الرسم ١) امـا العنوان الصحيح فهو « الجزء الاول من كتاب الاعلاق الخطيرة في ذكر امراء الشام والجزيرة » . تأليف الفقير لله الخ . . .

التاريخ : بعد مرور ثلاثين سنة على تأليف الكتاب نجد هذه النسخة بيد احمد بن سليمان الاسعردي (؟) وذلك في اواسط ذي الحجة ٧٠٧ (انظر الرسمين ١و٢) . وكان الكتاب قبلًا لعبدالله بن الافرم الذي لاجله كتبت هذه النسخة[١] . وهذا ما يجعلنا نقول انها كتبت في ايام المؤلف كما تُنبئنا حاشية في آخر صفحة من الكتاب جاء فيها « خط المؤلف » . وهناك صفحـة اخرى كُتبت بخطّ اجدّ من الخطّ الذي كُتب به الكتاب كله . ولقـد كان من الممكن ان تحتوي الصفحة القديمة على اشارة تنسب الكتاب الى المؤلف . وفضلًا عن ذلك فهناك بيّنات تجعلنا نرجع هذه النسخة الى ايام المؤلف . هي الفسحات المتروكة بيضاء في النسخة[٢] ما خلا الهوامش في اطراف الكتاب ، التي يعود تاريخها الى سنة ٦٧٩[٣] . فلا يفهم كيف ان ناقلًا نقل الكتاب بعد سنة ٦٧٩ وترك في الاطراف تلك الاخبار من سنة ٦٧٥—٦٧٩ . واذًا فان هذه الدلائل (البياض والحواشي) تظهر بمكنة اذا اتخذنا سنة ٦٧٣ كتاريخ نسخـة الفاتيكان ؛ ومعروف ان

---

١) ان عائلة الافرم كانت في ذاك العهد ذات شهرة في مصر : Quatremère, I, 172 ; II, 18, 121

٢) انظر مخطوط الفاتيكان : ٦٣ قفا — ٦٥ قفا — ٦٩ ق — ٧١—٧٢—٧٥ ق — ٧٦—٨٠—٨٣ ق — ١٣٦ ق — ١٣٦—١٣٨—١٦٣ ق — ٢٣٣—٢٥٧

٣) راجع الصفحة ١٦٦ من هذا المقال ، الحاشية ٦

الكاتب يترك بياضاً عندما ينقصه مصادر أو مذكرات، وامر طبيعي انه يكتب الحواشي بعد سنة ٦٧٣ على اطراف الكتاب.

فهـذا التاريخ (٦٧٣) يثبت بالمقابلة بين مخطوط الفاتيكان ٧٤٠ (انظر الرسم ٢) ومخطوط المتحف البريطـاني Add ٢٣٣٣٥ (= Rieu ١٣٢٤) (انظر الرسم ٣) وقـد ارّخه Rieu بالسنة ٦٧٤، وهو الجزء الثالث من الاعلاق. ومنه يظهر ان اليد التي كتبته هي نفسها التي كتبت مخطوط الفاتيكان. فالمشابهات كثيرة بين المخطوطتين: منهـا المظهر المادّي: خمسة عشر سطراً تأخذ في الصفحة مساحة مكتوبة ١٨×١٣، استعمال المهملة الدائم على الحروف الغير المنقطـة، وصل الضمة بالفتحة، كتابة الكاف الخ . . . فهذه كلها بيّنات جليّة تعطي برهاناً قاطعاً على ان المخطوطين من يد واحدة، وتحملنا على ان نعزو المخطوط الفاتيكاني الى الوقت نفسه اي الى ٦٧٣.

ب: المتحف البريطاني رقم ٢٨٢ قطع ٤٧–٥٥

يحتوي على القسم الذي ينقص من مقدمة مخطوط الفاتيكان.

ج: حلب: المكتبة المعصومية للشيخ ناجي الكردي.

هذا المخطوط يحتوي على الفصل الذي يتكلم عن تاريخ امراء حلب بعد فصل الثغور الذي لا يوجد في اي مخطوط آخر[1].

د: استنبول: آيا صوفيا رقم ٢٠٨٤

ولكن، لسوء الحظ، لا يدلّنا برنامج هذا المتحف على شيء له علاقـة «بالاعلاق»[2]. على اننا نعرف ان برنامج آيا صوفيا غير منظم.

مخطوطات الجزء الثاني

١ – Sobernheim: بيروت: المكتبة الشرقية رقم ١٩٠[3]؛ برلين

١) الطب اعلام النبلاء في تاريخ حلب الشهباء لمحمد راغب الطباخ، حلب، ١٣٢٤ (١٩٢٣) مجلد ١: ٥٢

٢) حبيب زيات: الدرّ المنتخب في تاريخ مملكة حلب (المشرق ٣٢ [١٩٣٤] ٥٠٤)

٣) ليس هذا المخطوط سوى النسخة التي نقلها رزق الله حسون سنة ١٨٧٦ عن نسخة

المكتبة الملكية ٩٨٠٠

٢ — وبامكاننا ان نضيف المخطوط الآتي : اكسفورد المكتبة البودليانة Marsh ٣٣٣

٣ — دمشق : المكتبة الظاهرية[٤]

مخطوطات الجزء الثالث

Sobernheim : المتحف البريطاني Add. ٢٣٣٣٤ (Rieu ١٣٢٤ =)

ليدن : المكتبة الاكديمية رقم ١٤٤٦ (de Goeje 800 =)

٣ً مآخذ ابن شداد لتاريخ العواصم

انّ ابن شداد يوضح جليًا بانه اتخذ مصادر لتأليفه أشهر كتب المؤرخين ذوي الصدق والاستقامة ، ومع هذا فان تأليفه لا يخلو من معلومات جديدة خصوصاً من بعد السنة ٦٣٠ حيث كان شاهد عيان على امور كثيرة . ومآخذه نفسها جليلة الفائدة لكونها مقتطفة من كتب لم يبقَ لنا من بعضها سوى الاسماء.

واننا نقسم مآخذه الى تاريخية وجغرافية :

المآخذ التاريخية

ا — الاسلامية

١ : الهيثم بن عدي (بركلمن ١ : ١٤٠ — الحاج خليفة ٣٤٢٦) وقد استشهد به دون ان يذكر اسم المؤلف ، وهذا حسب احمد بن محمد بن اسحق

كتبها سليمان الرازي الايوبي في ٢٥ رجب سنة ٧٨٩هـ . واما هذه النسخة فقد ضاعت (Cheikho, *MFOB*, VI (1913), n. 130.) وقريب من الصواب ان نسخة اكسفورد (Marsh 333, Amedroz, *art. cité*) تشبه تلك النسخة التي كانت بيد رزق الله حسون لانها كتبت ايضاً في رجب ٧٨٩ كتبها « سليمان بن رازي بن محمد الايواني » والخلط بين الايوبي والايواني لأمر سهل .

٤) انظر خطط الشام لمحمد كرد علي ، دمشق ١٩٢٥ ، ١ : ١٣ ، وهو لا يذكر شيئاً مفصلاً عن هذا المخطوط .

الهمذاني في كتاب غير معروف معنون بكتاب « بناء المدن »[1] (بركلمن ١ : ٢٢٧) .

٢ : احمد بن يحيى بن جابر البلاذري (بركلمن ١ : ١٤١) قد استند اليه ابن شداد مرّات عديدة مثلًا : في ذكر انطاكية . بغراس . برقا . دلوق . قورس (حصن سلمان) . منبج . وقد اجتهد في التفتيش عن ذكر درب ساك في الفتوح لكنه لم يجده[2] . ويجب القول ان طبعة de Goeje للبلاذري مختلفة عن مآخذ ابن شداد في بعض التفاصيل .

٣ : ابو الفرج حمزة الاصفهاني (بركلمن ١ : ١١٥) وقد استشهد بتأليفه تحت عنوان كتاب « تواريخ الامم » بمناسبة بناء مدينة في المدائن حيث أبعد كسرى الاول اهل انطاكية في سنة ٥٤٠[3]

٤ : أسامة بن منقذ (بركلمن ١ : ٣١٩) قد استشهد به بمناسبة أسر نور الدين لبيموند الثالث ، وهذا مأخوذ من تاريخ القلع والحصن الذي لا نعرف منه سوى الاسم[4] .

٥ : ابو الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم بن الاثير (بركلمن ١ : ٣٤٥) قد استشهد به مرة واحدة بمناسبة عقد معاهدة بين اهل انطاكية وابي عبيدة[5] .

(١ C. Brockelmann, *Geschichte der ar. Literatur*, II vol., Weimar, 1898
كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون *Lexicon a Mustafa... Hâjjî Khalfa compositum*, ed. G. Fluegel, VII vol, Leipzig 1835-1858

(٢ *Liber Expugnationis Regionum*, ed. J. de Goeje, Leiden, 1879. Comparer: F. Justus Heer, *Die hist u. geogr. Quellen in Jacut's geographischen Woerterbuch*, Strasburg, 1898, pp. 45. sq.

(٣ *Hamzæ Ispahensis annalium libri X.* ed. J. M. E. Gottwaldt, Petrop.-Lipsiæ, 1844-1848

(٤ H. Derenbourg, *Ousama b. Monkid*, Paris, 1893, p. 619

(٥ *Ibn al Athîri chronicon, quod perfectissimum inscribitur*, ed. C. J. Tornberg XIV vol., Lugd. Batav., 1851-1876

٦ : يحيى بن حميدة بن ابي طيّ (كشف الظنون ٢ : ١١١٢) يذكره مرتين متواليتين : الاولى بمناسبة موقعة حطين ، والثانية بمناسبة غدارة لاون الثاني الارمني ملك سيس لانطاكية . وتأليف ابن طي لم يزل مفقوداً[1] .

٧ : بهاء الدين ابو المحاسن يوسف بن رافع بن تميم بن شدّاد (بروكلمن ١ : ٣١٦) وقد خُلط بينه وبين عز الدين بن شداد صاحب الاعلاق مرات عديدة ، وذلك من بعد صاحب كشف الظنون (١ : ٣٦٠) فالاستشهاد هنا يأتينا بمناسبة حصار صلاح الدين لبغراس ، وهذا المأخذ ذو معايب كثيرة[2] .

٨ : كمال الدين ابو القاسم عمر بن احمد المعروف بابن العديم (بروكلمن ١ : ٣٣٢) كان كابن شداد يشغل مقاماً سياسياً عند الملك الناصر يوسف ، وقد اخبرنا كتاب السلوك بانه انتدب لامر سياسي في القاهرة على اثر فشل ابن شداد في بعثته الى ميافارقين . استعان ابن شداد بتأليف كمال الدين « زبدة الحلب في تاريخ حلب »[3] ، ولم يذكره سوى ثلاث مرات رغم مآخذه الوافرة عنه . فنراه يتخذه حينما يتكلم عن فضل انطاكية ، والثغور ، وعلاقات لاون الثاني ملك سيس والملك الظاهر ، صاحب حلب ، واخيراً بمناسبة بناء منبج . وكثيراً ما نراه ينقل هذه المعلومات حرفياً دون ان يذكر كتاب الزبدة الذي هو مصدرها وهي :

ا : عبدالملك في منبج وتلاقيه مع هرون الرشيد (Freytag, *Selecta*, 14.)

ب : فتح الروم لانطاكيـة في ١٣ من ذي الحجة ٣٥٨ (*Leo Diac.* (Bonn), p. 389)

---

١) *Recueil des Historiens Orientaux des Croisades*, I. p. L.

٢) النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ، *Recueil des Hist. Orientaux*, III

٣) اننا لا نملك نشرات كاملة من زبدة الحلب لكمال الدين ؛ فلننظر التآليف الآتية : G. W. Freytag, *Regnum Sabedi al Daulæ in oppido Halebo*, Bonn, 1820. - Du même : *Selecta ex historia Halebi*, Paris, 1819. - M. Canard, *Recueil de textes relatifs à l'histoire de Saif Dawla*, in *Bibl. Arab.*, Alger ,1934. - *Hist. Orientaux des Croisades*, III. - Blochet, *Revue de l'Orient latin*, 1895-1898.

ت : فتح الفرنجة انطاكية (*Hist. Orient. des Croisades*, III, 580 sq.)

ث : موقعة دامية بين جوسلين ونور الدين بلك (ibid, 641 sq.)

ج : موت ريموند الانطاكي وزواج كونستنسيا الثاني (*R. O. L.*, 1895, p. 521.)

ح : ثورة سُجناء الفرنج في درب ساك (*R. O. L.*, 1896, p. 213)

وهنا يمكننا القول بان كمال الدين نقل بنفسه وحرفيًا ، دون ان يلمح الى المؤلف، اخبار ابن طي عن موقعة حطّين ، واخبار بهاء الدين بن شداد عن حصار صلاح الدين لبغراس .

ب – المسيحية

١ : سعيد بن البطريق ، بمناسبة تأسيس انطيوخوس انطاكية[1] .

٢ : يحيى بن بريو التكريتي (كشف الظنون ٦٨٩١) . وهذا ايضاً بمناسبة تأسيس انطاكية[2] .

٣ : محبوب بن قسطنطين ، بمناسبة افتتاح انطاكية على عهد هرقانوس اليهودي ، وبمناسبة تأسيس منبج[3] .

المآخذ الجغرافية

١ : احمد بن جعفر بن واضح بن ابي يعقوب (بركلمن ١ : ٢٢٦) قد استشهد به مرارًا بمناسبة فتح المسلمين انطاكية ودلوق وكيسوم ومنبج . وان معلومات ابن يعقوب قد ضاعت . واما de Goeje فقد نشر اخبار دلوق وكيسوم ومنبج عن ابن الشحنة الذي يلتصق بابن شداد[4] .

٢ : ابو زيد بن احمد بن سهل البلخي (بركلمن ١ : ٢٢٩) الذي كتب سنة ٣٠٩ تأليفاً كان له رواج عظيم . وكتابه « صور الاقاليم » قد عاد وكتبه

---

١) ed. Cheikho, in CSCO (Ar. 3-6), 1906

٢) Justus Heer, *op. cit.*, p. 18

٣) ed. A. A. Vasilief in *Patrologia Orientalis* (Graffin-Nau), V sqq.

٤) ed. de Goeje in *BGA*, VII (1892), pp. 231 sq.

الاصطخري سنة ٣٤٠ على التقريب تحت عنوان « مسالك الممالك » ثم ابن حوقل سنة ٣٦٧ ، وهذا ايضاً على التقريب تحت عنوان محرّف قليلًا وهو : « المسالك والممالك » ، ولا بد لابن شداد من ان يكون قد وضع بين يديه تأليف البلخي حين تكلم عن بغراس ومنبج[1] .

٣ : يحيى بن علي بن محمد التَّنوخي المقري (كشف الظنون ٩١٣٤) وهذا بمناسبة قتل ابق الذي قتله رضوان بن تُتُش[2] .

٤ : احمد بن محمد بن اسحق الهمذاني المعروف بابن الفقيه (بركلمن ١ : ٢٢٧) بمناسبة افتتاح كسرى انطاكية[3] .

مآخذ مختلفة

١ : ابو عمرو القاسم بن ابي داود الطرسوسي . وهو من الشعراء الذين لم تبلغ شهرتهم اكثر من حدود منطقتهم . ونرى ابن شداد يستشهد بقصيدة من شعره ركيكة في انطاكية .

٢ : ابو فراس الحمداني (بركلمن ١ : ٨٩) قد استشهد به على رَعبان ومنبج[4] .

٣ : ابو الحسن المختار بن حسن بن بطلان (بركلمن ١ : ٤٨٣) نرى ملخصات من كتابه الى انطاكية عند جميع جغرافيّي العرب (قابل بياقوت : معجم البلدان ١ : ٣٨٢)[5]

---

١) de Goeje, *Die Iṣṭaḫri Frage*, in *ZDMG*, XXV, p. 42. — *Iṣṭaḫri* est édité dans *BGA*, I, et Ibn Ḥawqal dans *BGA*, II.

٢) انظر كتاب معجم البلدان لياقوت = ed. F. Wüstenfeld III, 332 - في مخطوط الثانيكان قد بُدلت قاف المقري بالمين (المري) (٢٤٦ قفا)

٣) *BGA*, V, 115

٤) ديوان ابي فراس الحمداني — غلة قلقاط — بيروت ١٩١٠

٥) ed. J. Lippert, dans Ibn-Ḳifṭī, *Tārīḫ-Ḥukamā*, Leipzig, 1903, pp. 289 sq.

٤ : عبد الرحيم احمد بن محمد القاضي الفاضل (بركلمن ١ : ٣١٦) بمناسبة قلعة النجم .

٥ : ابو حسن محمد بن احمد بن جبير (بركلمن ١ : ٤٧٨) بمناسبة منبج[1]

وربّ سائل يسأل هل عرف ابن شداد معجم ياقوت ؟ فنجيب بانه بعيد عن المعقول ان يكون مؤلّف كهذا قد خفي على ابن شداد ، بعد ما ذكر أنه اغنى كتابه بأثمن المصادر . ولكن ابن شداد لم يذكر المعجم قط واخباره مستقلة عن اخبار المعجم الّا حينما يتكلم عن انطاكية[2] . وهنا نرى بعض هذه المعلومات تتشابه حرفيًا هي والمذكورة في معجم ياقوت ، على كونها اوسع . من ذلك ما يلي :

١ : الشواهد المنقولة عن هيثم بن عدي .

٢ : في ذكر اول سكان انطاكية .

٣ : رسالة ابن بطلان وهي اخصر في الاعلاق منها في المعجم .

٤ : مرور هرون الرشيد في انطاكية .

٥ : مآخذ يحيى بن بريو التكريتي عن انطيوخوس .

وغيرها من المتشابهات التي تدفعنا الى القول ان ابن شداد عرف معجم ياقوت ، او انه توصّل الى مآخذ استغلّها ياقوت في كتابه .

---

١) *G. M. S.*, vol. V.

٢) كتاب معجم البلدان تأليف الشيخ الامام شهاب الدين ابي عبد الله ياقوت edidit F. Wüstenfeld, Leipzig, 1866-1870

من كتاب الاعلاق الخطيرة

لعزّ الدين بن شدّاد

في ذكر العواصم وحصونها[1]

[V. 228] [B. 84 v]

وسُمّيت عواصم لان اهل الثغور كانوا يعتصمون بها اذا جزّبهم امر من العدو وكانت والثغور مضافة لجند قنسرين فلما ولي الرشيد انفرد انطاكية وتيزين ودلوك ورعبان ومنبج وقورس وصيّرها جندًا وسمّاها العواصم.

ذكر انطاكية

وهي في الاقليم الرابع وبعدها من خط الاستوا ست وثلثون درجة وقيل خمس وبعدها من خط المغرب اثنان وستون درجة[2] مدينة قديمة ليس في ارض الاسلام ولا في ارض الروم مثلها . لها سور من حجر دوره اثنا عشر ميلًا[3]

---

١) أخذت هذه النسخة عن مخطوط في الفاتيكان رقم ٧٣٠ [V] وهذا المخطوط هو النسخة الاصلية للاعلاق . اما نسخة المتحف البريطاني Rieu 1323 = add 23334 [B] فلا تختلف عن الفاتيكانية سوى باهمالات وتحريفات كثيرة . واني اعطي الفروق الاكثر اهمية . ولم اتمكن من مطالعة المخطوطات الاخرى التي تختص بهذا القسم للصعوبات التي منعتني عن الوصول اليها . ومن الممكن ان بين هذه المخطوطات التي لم اطالعها تكون النسخة الثانية للاعلاق التي قدمت لبيبرس (اما اول نسخة اي الفاتيكانية فقد قُدّمت لعبد الله بن الاثرم كما نوهنا قبلًا) وقد تحتوي على فروق مهمة . واني لشاكر لحضرات القراء الذين يتكرمون عليّ بمساعدتهم اياي الى كل ما يختص بهذا الموضوع . وقد يكون مفيدًا ان تقارن هذه النسخة عن ابن شداد مع الدرّ المنتخب لابن الشحنة (عني بنشره يوسف اليان سركيس بيروت ١٩٠٩ ص ٢٢٠ – ٢٠١)

٢) ابو الفداء في تقويم البلدان (ed. Reinaud - de Slane, p. 256) يعطي حسب القياس ٦٠ درجة ١٥ و٣٥ درجة ٥٠

٣) ٢٣ كيلومتر ١١ – اطلب J. A. Decourdemanche, *Traité Pratique des poids et mesures*, p. 88

وبُقعتها في لحف جبل مطلّ عليها من شرقيها وهذا السور يدور بسهلها ثم يطلع الى نصف الجبل ثم الى اعلاه ينزل حتى يستدير [V. 228 r.] عليها من السهل ايضاً وفي داخل السور عراص ومزارع واجنة ومياه تتخرق من عيون الجبل مقناة الى البلد والاسواق والمنازل كما يتخرق في دمشق وابنيتها كلها بالحجر وبظاهرها نهر يُسمّى الارنط والمقلوب وسُمّي بذلك لانه يجري من الجنوب الى الشمال عليه العمارات والضياع والبساتين وقد تقدم لنا ذكره بما لا فايدة في اعادته هنا

وبها كنيسة القسيان وهي كنيسة جليلة عظيمة البناء والقدر عند النصارى[1] وهم يزعمون ان بها كفّ [كذا] يحيى بن زكريا والروم يسمونها مدينة الله ومدينة الملك وأمّ المدن لانها اوّل [B. 85] بلد ظهرت فيه النصرانية وبها كرسي باطره وهو المقدّم على التلاميذ وهو شمعون[a] وقيل : هو الذي ابتدأ ببنيان كنيسة القسيان. وفي بعض كتب تواريخ الروم قال: وملك اقلودس ثلثة عشرة سنة وتسعة اشهر وسُمي المؤمنون بالمسيح يعني في ايامه بانطاكية نصارى ومنها كان ابتداء التسمية وانتشر هذا الاسم في سائر البلاد. وذكر فيه [V. 229] ايضاً ان يوسطنيانوس[b] ملك تسعة وثلثون سنة[2] وفي السنة الثالثة من ملكه خُسف بانطاكية وابصر رجل قدّيس في نومه قائلاً يقول له يُكتب على ابواب المدينة الله معنا فمن ذلك اليوم سُميت مدينة الله

واهل التفاسير للقرآن العزيز مجمعون على انها المذكورة في قوله تعالى في قصّة الجدار : حتى اذا اتيا اهل قرية استطعما اهلها ثم قال في اخر القصّة :

---

a) B. سمعول b) V. بوسطيانوس — B. بوساطيابوس

١) يوجد الان في انطاكية، قرب جامع حبيب النجار، مزار الشيخ شمعون، مار شمعون الصغير [Maii Act. SS., V, 409, 414, 416.]. وقد وجدوا تحت الجامع المذكور آثار كنيسة بيزنطية . وهناك يكرّم المسلمون قبر يوحنا المعمدان (ابو يوحنا). ومن زمن مديد قيل بان كنيسة القسيان لا يمكن وجودها في قلعة انطاكية [H. Or., I, 195]

٢) ملك يوستنيانوس من سنة ٥٢٧ — ٥٦٥ وجدّد بناء انطاكية التي هدمها الفرس والزلازل ودعاها مدينة الله . اطلب : Procope, *de Edificiis*, II, 10 ed. Bonn, III, 237 sq. *Theophanis Chronographia*, ed. C. de Boor, Lipsiae, 1883, I, 177-178

وامّا الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة . وفي قوله : اضرب لهم مثلاً اصحاب القرية . ثم قال في اخر القصة : وجاء من اقصى المدينة رجل يسعى . فسماها في كلا الاثنين قرية ومدينة[1]

وحكى احمد بن محمد بن اسحق الهمذاني الفقيه في كتاب البلدان له قال[a] : لمّا فتح انو شروان انطاكية فيما فتحه من بلاد الشام انصرف الى العراق بنى مدينة بالمدائن على مثال انطاكية باسواقها وشوارعها ودورها وسماها زند خسره[b] وهي التي تسميها العرب الرومية وامر ان يدخل اليها سبي انطاكية فلمّا دخلوها لم ينكروا [V. 229 v] من منازلهم شيئاً فانطلق كل رجل منهم الى منزله الّا رجل اسكاف كان على باب منزله بانطاكية شجرة فرصاد فلم يرها على بابه[c] فتحير ساعة ثم دخل[d] الدار فوجد مثل داره .[2] ويُقال في تسمية هذه المدينة باذنجان خسره وتفسيره خير من انطاكية . وذكر حمزه الاصفهاني في كتاب تواريخ الامم : يسري انو شروان بن قباذ وبنى عدة مدن منها مدينة دخلت في عداد مدن المدائن السبع وسماها : به اذ نديو خسره[e] ومعنى به اذ نديو خسره اي خير من انطاكية وقال : اذ نديو اسم لمدينة انطاكية وبه اسم للخير .

قال ابن بطلان في رسالة كتبها الى والده هلل بن المحاس بعد خرجه من بغداد يُخبره باحوال البلاد التي مرّ فيها في سفره وذلك في سنة اربعين واربع مائة[3] : وانطاكية بلد عظيم ذو سور وفصيل ولسوره ثلثماية وستون برجاً

---

a) *BGA*, V, 115 sq = لمّا فتح انوشروان قنسرين ومنبج وحلب وانطاكية وحمص ودمشق وايليا استحسن انطاكية وبناها ولمّا انصرف الى العراق الخ . . .

b) V. وند خسره

c) *BGA* : بابه برومية

d) B. اقتحم

e) B. V. به اوندو

---

١) القرآن ١٨ : ٧٦ – ٨١ ؛ ٣٦ : ١٢ – ١٩ ؛ البيضاوي ed. H. O. Fleischer I, 570 ; II, 157

٢) افتتح كسرى انطاكية في حزيران ٥٣٨

٣) ١٦ حزيران ١٠٦٨ – ٥ حزيران ١٠٤٩ ، انظر هذه الرسالة في ابن القفطي : تاريخ الحكماء ed. J. Lippert, p. 295 sq.

وسكك البلد كنف دائرة قطرها يتصل بجبل [B. 85 v] والسور يصعد مع الجبل الى قلّته فيتمم دائرة وفي رأس الجبل داخل السور قلعة تبين [V. 249] لبعدها عن البلد صغيرة والسور المحيط بالبلد خمسة ابواب

ولها من الكور

كورة تيزين وهي ضياع جليلة القدر. وكورة الجومة وبها العيون التي تجرى الى الحُمَّة وهي كبريتية وقد ذكرناها . وكورة جندارس مدينة عجيبة البناء مبنيّة بالحجارة والعَمَد وكورة ارتاح وهي مدينة جليلة وكورة السُوَيديّة وهي مدينة على ضفّة البحر المالح وكورة الفارسية والعَرَبية وهي جليلة القدر وكورة دايا والقرشية[a] وهذه الكور كانت مُضافةً اليها[1] الى ان مَلك الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي حَارِم وفتح ما كان لانطاكية من البلاد التي في شرقي العاصي مما يلي حلب ولم يبق لها غير البلاد التي في غربيه مما يليها وصار العاصي حاجزاً بينها وبين بلاد المسلمين

ذكر من بناها

[V. 249 v]

يُروى عن ابرهيم الخليل عليه السلام قال : اخبرني ربّي ان اوّل مدينة وضعت على وجه الارض حرّان وهي [العموز ?] ثم بابل ثم مدينة نينوة ثم دمشق ثم صنعآ اليمن ثم انطاكية ثم رومية. وقيل ان اوّل من سكن انطاكية وعمرها انطاكية بنت الروم بن النُعمَى بن سام بن نوح وهي اخت انطالية[b] باللام . وفي كتاب يحيى بن جرير التكريتي الذى ضمّنه اوقات بناء المدن قال: بعد دولة الاسكندر ومرته باثنتي عشرة سنة[2] بنى سلوقس اللاذقية

a) B. بداما والقرشيه b) B. انطاكيه

(١) انظر هذه الكوَر في R. Dussaud, *Topographie historique de la Syrie antique et médiévale*, Paris, 1927

(٢) أسّس سلوقيوس الاول نيقاتور (Séleucus I Nicator) انطاكية سنة ٣٠٠ قبل المسيح

وافامية وبارَوا وهي حلب واذاسا وهي الرُها وكمّل بناء انطاكية وكان بناها قبله انطِغُنُوس في السنة السادسة من موت الاسكندر ثم قال : بنى انطِغُنُوس الملك على نهر اورنطس مدينة وسماها انطوغُنيا وهي التي كمل سلوقس بناهـا وزخرفها وسمّاها اسم ولده انطيوخوس وهي انطاكية [V. 250] وذكر احمد بن محمد ابن اسحق الهَمَذاني المعروف بابن الفقيه في كتاب بنـاء المدن واخبارها : قال الهيثم ابن عدّى : انطاكية بناها انطيُخس الملك الثالث بعـد الاسكندر . وفي تاريخ سعيـد بن البطريق النصراني قال[a] : وملـك بَطْلَميوس[1] مُحِب امّه عشرين سنـة وفي ايامه غلب على ارض[b] الشام وارض يَهوذ انطياخوس ملك الروم فاخرج اليهوذ من الشام ونالهم منه مكروه[c] وملك بعـده[d] بطلميوس ويُلقّب ايضاً الصايغ ثلاثاً وعشرين سنـة وفي ايامه بنى انطيوخوس ملك الروم انطاكية وسماهـا باسمه فَسُمّيت مدينة انطيوخوس [B. 86] وهي انطاكيـة . وقرات في تاريخ محبوب ابن قسطنطين المنبجي

a) *Eutychii patr. Alex. Annales* ed. L. Cheikho in *Corp. Script. Chr. Or.* (Script. Arab., ser. III, tom. VI), p. 86

b) om. ارض c) add. كل شدة وعذاب

d) add. اخوه

وبناها حيّين. وسلوقيوس قلينقوس (Séleucus II Callinicos) (٢٤٦ – ٢٢٥) بنى حيّاً ثالثاً في جزيرة الارنطوس. وانطيخوس الرابع ايفانيوس (Antiochus IV Épiphane) بنى حيّاً رابعاً على جنب جبل سليوس (اطلب Strabon XVI, II, 4, Bibl. Teubner., 1045 sq.) . اما مكان مدينة انطيغونيا فقد اتخذه انطيغونوس الاعور (Antigone le Borgne) . وقد اهمله سلوقيوس الاول. اما تاريخ بناء مدينة انطاكية المذكور هنا فغلط (السنة الثانية عشرة بعد موت الاسكندر هي ٣١١)

١) بطليموس السادس فيلومتور (Ptolémée VI Philométor) (١٨١ – ١٨٦) اسره انطيخوس الرابع ايفانيوس في بيلوس (Péluse) سنة ١٧١ Polybe, XXVII, 17 Bibl. Teubner III, 456 ؛ فانتخب سكان الاسكندرية ملكاً مكانه اخـاه الاصغر بطليموس السابع فيسكون اثرجت (Physcon Évergète) ليقـاوموا انطيخوس الذي نصب نفسه ملكاً على مصر . واخيراً اتفق الاخوان وملكا معاً Polybe, XXIX, 8, Bibl. Teubner. V, 187, 188

النصراني قال[a] : وفي سنة اربع عشرة من سني بطلميوس [وهي[1] من سني اليونانين سنة مائتين وثلاثة واربعين][b] قام هرقانوس ثلاثة وثلاثين سنة رئس الكهنه وفي ذلك الزمان خرب[c] الروم انطاكيـة التي هي من بلاد سورية واستعبدوا اليهوذ واخذوا منهم الخراج.

ذكر كنيسة قسيان

[V. 250 v]

قال ابن بطلان[d] وفي وسطها بيعة القسيان وكانت دار قسيان الملك الذى احيى ولده قُطرُس[e] رئيس الحواريين عليه السلام[f] وهو هيكل طولـه ماية خطوة وعرضه ثمانون وعليه كنيسة على اساطين وكان يدور[f] الهيكل اروقـة يجلس عليها القُضاة للحُكومة ومعلِّموا النحو واللغة وعلى ابواب هـذه الكنيسة فنجان[g] للساعات يعمل ليلًا ونهارًا دائمًا اثنان عشرة ساعةً وهى من عجائب الدُنيا وفي اعلاه خمس طبقات في الخامسة منها حمامات وبساتين ومقاصير حسنة يخرقها المياه وعِلّة ذلـك ان الماء ينزل اليهم من الجبـل المطل عليهم وهناك[h] كنائس لا تُحدّ كثرةً كلها معمول بالفضّ المـذهب والزجاج الملوّن والرُخام المجزع[i] ويقال ما من بناء بالحجارة ابهى من كنيسة الرُها ولا بالخشب ابهى من كنيسة منبج ولا بالرُخام ابهى من قسيان [V. 251] انطاكية

a) Agapius de Menbij, *Kitāb al Unuān*, ed A. A. Vasilief. in *P. O.* (Graffin), XI, 122 b) Ms. سنة ثلاث وسبعين c) Agap. خربوا

d) V. Ibn al Ḳifṭi : *Tārīḫ al Ḥukamā.*, ed. J. Lippert. p. 206

e) Mss. قطرس f) Buṭlān دائر

g) Mss. بنجام h) But. من الكنائس ما لا يُحَدُّ كثيرة مَعمولة

i) والبلاط المنجزع

١) بطليموس الثالث عشر فيلوباتور الثاني فيلادلف Ptolémée XIII Philopator II, Philadelphe (٨١ – ٥٨) . وهنا ايضًا خلل في التاريخ : سنة ٢٤٣ لسلوقيوس توافق ٦٩ قبل المسيح . وقد جُعلت سورية مقاطعة رومانية سنة ٦٦

٢) البيضاوي : تفسير H. O. Fleischer, II, 157

ذكر فضلها

قرأتُ في تاريخ الصاحب كمال الدين بن العديم قال قرأت بخط القاضي ابن ابي عمرو عثمان بن ابرهيم الطرسوسي . وذكر سنداً عن ابن عبّاس وابي سعيد الخُدْرِي وابي هُرَيْرَه قالوا : سمعنا رسول الله صلى الله عليه وسلّم يقول ليلة اسرى الى السماء رأيت قُبةً بيضاً لم أرى احسن منها وحولها قباب بيض كثيرة فقلت ما هذه القباب يا جبرئل قال هذه ثغور امّتك . فقلت ما هذه القبة البيضا فانّي ما رأيت احسن منها قال هي انطاكية وهي أمّ الثغور وفضلها على الثغور كفضل الفردوس على سائر الجنان والساكن فيها كساكن في البيت المعمور يُحشر اليها اخيار امّتك وهي سجن عالم من امّتك وهي مَعقل ورباط وعبادة يوم فيها كعبادة سنة[1] ومن مات بها من أمّتك كتب له يوم القيمة اجر المربطين . وهذا الحديث في فضلها كافٍ

ومن قصيدة لابي عمرو [V. 251 v] القسم بن ابي داورد الطرسوسي مزدوجة يذكر فيها خروجه من طرسوس سنة ثمان وثلاثمائة ويصف فيها المنازل [B.86 v] التي نزلها وذكر انطاكية وفضلها [رجز]

ثم وردنا غدوةً انطاكية واهلها من خيرها مواسية
اهل عفاف وامور عالية اخلاقهم قِدماً عليها جارية
مدينة ميمونة مذ لم تزل[a] النصف في سهل ونصف في الجبل
البقّ لا يدخلها ويتّصل لكن بها نارٌ عظيم كالولول
كثيرة الخيرات والثمار وتينها القلاد في الاشجار
مثل النجوم في دُجى الاسحار حصينة كثيرة الانار
صاحب يس حبيب فيها[b] وكان عند ربّه وجيها[2]

a) cf. B. Šilyna, 206 (Sarkis) منذ بنيت لم تزل

b) V. وقد سقط هذا البيت في ابن الشحنة . حبيب

1) cf. Ps. LXXX, 11

٢) يذكر القرآن في سورة (يس) ٣٦ ارتداد المشركين في انطاكية الى التوحيد بسل مرسلي عيسى (البيضاوي ٢ : ١٥٧)

في الخلد الثار يجتنيها اكرم به مفتخرًا بنيها

وامّا ما ذمّت به ما يُحكى ان هرون الرشيد رحمه الله[1] كان ورد انطاكية فاستطابها جدًّا وهمّ بالمقام فيها وكره ذلك اهلها فقال له شيخ منهم وصدقه عن الصورة : يا أمير المؤمنين ليست هذه من بلدانك . قال وكيف قال : [V. 252] لان الطيب الفاخر يتغيّر فيها حتى لا يُنتفع به والسلاح يصدا فيها ولو كان من قلع الهند . فتركها ورحل عنها

ذكر فتحها وما آل اليه امرها

١ انطاكية الاسلامية

قال ابن الاثير في تاريخه[a] : وسار ابو عبيده من حلب الى انطاكية[2] وقد تحصّن بها خلق كثير من قنسرين وغيرها فلمّا قاربها لقيه جمع من العدوّ فهزمهم والجأهم الى المدينة فحاصرها من جميع نواحيها انّهم صالحوا على الجزية او الجلا فجلا بعض واقام بعض [فآمنهم][b] فنقضوا فوجّه اليهم ابو عُبيدة عياض بن غنم وحبيب بن مسلمة ففتحاها على الصلح الاوّل وكانت انطاكية عظيمة الذكر عند المسلمين فلمّا فُتحت كتب عُمَر الى ان رتب بانطاكية جماعة من المسلمين واجعلهم بها مُرابطةً ولا تحبس عنهم العطآ . قال ابن ابى يعقوب : افتُتحت مدينة انطاكية صلحاً صالحهم ابو عبيدة بن الجرّاح وعندهم كتاب [V. 252 v] الصلح الى هذه الغاية . وقال البلاذرى[c] عمّن حدثه من اهل الشام قالوا ونقل معاوية بن ابى [سُفيان] الى انطاكية فى سنة اثنتين واربعين[3] جماعة من الفُرس من اهل بعلبك وحمص ومن المصريّين فكان

a) كتاب الكامل في التاريخ ed. J. Tornberg, II, p. 385

b) Manque dans les Mss. du Vat. et du Brit. M.

c) كتاب فتوح البلدان ed. de Goeje, p. 148

١) اطلب معجم ياقوت ed. F. Wüstenfeld, I, 382

٢) انظر L. Caetani, *Annali dell'Islam*, III, 795 sq.

٣) سنة ٤٢ = ٢٦ نيسان ٦٦٢ – ١٥ نيسان ٦٦٣

فيهم[a] مسلم بن عبد الله بن حبيب بن النُعمن ابن مسلم الانطاكي وكان مسلم قُتِل على باب من ابواب انطاكيه يُعرَف اليوم بباب مَسلمة[b] وذلك ان الروم خرجت من الساحل فاناخت على انطاكية فكان مسلم على السور فرماه عِلج بحجَر فقتله . وقال البلاذرى [B. 87] : وحدثني جماعةٌ من مشايخ اهل انطاكية منهم ابن بُرد الفقيه ان[c] الوليد بن عبد الملك اقطع جندَ انطاكية ارض سلوقية عند الساحل وصَيَّر الفِلِثرَ (وهو الجريب) بدينار ومُدَّى قمح فعمروها وجرى ذلك لهم وبنى حصن سلوقية ونقل الى انطاكية قوماً من زُطّ السند ممن حمله محمد بن القسم الى الحجاج فبعَث بهم الحجاج الى الشام قال وحدثني ابو حَفص الشامى عن محمد بن راشد عن مَكحول قال : نقل معويه في سنة تسع واربعين او خمسين[1] الى السواحل[V. 253] قوماً من زطّ البصره والسايجة وانزل بعضهم انطاكية .

ولم تزل انطاكية مضافة الى جند قنسرين في صدر الاسلام الى ان كانت ايام الرشيد فافردها واضاف اليها كورًا وجعلها جندًا لكنهُ لم يُخرجها عن الاضافة[2] واستقر الحال على هذه يتصرف فيها عُمّال بني العباس المولون على الشام الى ان اظهر احمد بن طولون العِصيان[3] على ابي احمد المُوفَّق واظهر خلعَه ونزل الى الشام من مصر فملك دمشق وحمص وحلب وانطاكية وخطب لنفسه فاحتاز سيا الطويل الى انطاكية وكان متولياً لهذه الجهات من قبل ابى احمد الموفق اخي المعتمد فحصره احمد بن طولون فالقت عليه امراة حجرًا فقتلته وقيل بل قتله عسكر ابن طولون وذلك في سنة اربع او خمس وستين[4]

a) Bal. منهم b) Bal. مسلم c) B. ابن

١) سنة ٤٩ = ٩ شباط ٦٦٩ – ٢٩ كانون الثاني ٦٧٠

٢) اطلب البلاذري ed. de Goeje, p. 132 . وكانت عاصمة العواصم منبج .

٣) اطلب ذكر هذه الحوادث الى وقت الحمدانيين في زبدة الحلب لكمال الدين ed. G. W. Freytag, *Selecta ex historia Halebi*, Paris, 1819, pp. 28 sq. . وهذا التاريخ من مصادر ابن شدّاد في هذا البحث .

٤) سنة ٢٦٥ انظر G. W. Freytag, *l. c.* (٣ ايلول ٨٧٨ – ٢٣ آب ٨٧٩)

واستولى احمد على قنسرين والعواصم وبقيت في يده الى ان توفى في سنة سبعين[1] وولّى ولده ابو الجيش خمارويه الى ان ولى المعتضد ابو العباس احمد بن ابي احمد الموفق الخلافة فبايعه ابو الجيش خمارويه وخطب له في بلاده حتى قُتِل [V.253 v.] لليلتين خلتا من ذي القعدة سنة اثنتين وثمانين[2] وتولى ابوالعساكر جيش فنزله وولّى اخاه هرون ولم يزل متولياً بحلب والعواصم وانطاكية الى ان نزل عنها وسلّمها للمعتضد في جمادي الاول سنة ست وثمانين[3] فولّى المعتضد فيها من قبله ونحن نستوفي ذلك فيما ياتي من اخبار أمراء حلب

ثم ولى القايم بامر الله الخلافة فولّى الشامات يسرى الخادم فلما وصل الى حمص خرج اليه محمد بن طغج من مصر فاسره وخنقه فولّى ابا العباس بن كيغلغ فوصل الى حلب واتفق مع محمد بن طغج وحالفه وتغلب محمد[B. 87 v] على الشام كله الى ان أخرج ابو بكر محمد بن رايق لقتاله في سنة ثمان وعشرين وثلثمائة[4] فواقعه فهزمه واخرجه عن الشام الى مصر ثم كانت بينهما وقعة أخرى على الجفار فانهزم ابن رايق في ناس قلايل وتبعه عسكر محمد بن طغج ومقدّمه كافور الخادم الى حلب فاخذها وأخرج منها نايب ابن رايق ولم تزل حلب وانطاكيه في يده الى اتفق ناصر الدولة بن حمدان وتوزون التركى في سنة [V. 254] اثنتين وثلثين وثلثمائة[5] . ونابذا المُتقى على ان تكون الاعمال من مدينة الموصل الى آخر اعمال الشام لناصر الدولة واعمال الشين الى البصره لتوزون[a] فولّى ناصر الدولة حلب ودخلها فلما بلغ محمد بن طغج

a) Mss. تورون

١) ١٨ ذي القعدة = ١٨ ايار ٨٨٢ . اطلب تاريخ الرسل والملوك للطبري ٣ : ٢١٠٤ وابن الاثير ٧ : ٢٨٧ ، ونبذة في تاريخ الاسلام للذهبي Ms. 1017 bibl. Koeprülüzade, p. 18-20

٢) يوم الثلاثا ٢٣ من شهر كانون الاول ٨٩٥

٣) ١٥ ايار – ١٤ حزيران ٨٩٩

٤) ١٨ تشرين الاول ٩٣٩ – ٦ تشرين الاول ٩٤٠

٥) ٤ ايلول ٩٤٣ – ٢٤ آب ٩٤٤

ذلك خرج من مصر وقصد الشام بعسكره فخرج ناصر الدوله عن حلب هارباً واخذها الاخشيد ولما استقر بها ركابه سيّر اليه الإمام المتقى من الرقـه وكان هارباً من توزون يسأله ان يسير اليه ليُجدّد معه العهد ويُمنيّه على توزون وسار اليه واجتمعا وكتب له المتقى عهدًا بالشامات ومصر ثم رجع الى مصر فقصد سيف الدولة حلب فتسلمها من نوّابه مع العواصم فخرج اليه الاخشيد فطرده عن حلب والعواصم ثم تَرَدَّدَت الرُسل بينهما الى ان استقر الامر على ان افرج الاخشيد له عن انطاكية وحلب وحمص واستمرّت انطاكية في يد سيف الدوله الى سنة اربع وخمسين وثلثماية[1]

وفيها كان بانطاكية رجل يُقال له الحَسَن ابن الاهوازى يضمّن المغلّات لسيف الدوله فاجتمع برجلٍ [V. 254 v] من وُجوه أهلِ الثغر يُقال له رَشيق النسيمى وكان من القوّاد المقيمين بطرسوس فاندفع الى انطاكيه حين اخـذ الروم طرسوس فتولّى ابن الاهوازى تدبير رشيق واطمعه في مُلك حلب لبُعدِ سيف الدوله عنها وضعفهِ[a] فكاتب رشيق النسيمى ملك الروم على ان يكون من جهتهِ ويحمل اليه عن انطاكية فى كل سنـة مائه الف درهم وكتب الى سيف الدوله ايضاً ان يحمل اليه في كل سنه ستمايه الف درهم على ان يكون بانطاكية فاجابه الى ذلك وقرّر عليه المال وكان بانطاكيه من قبل سيف الدولة

---

a) انظر يحيى بن سعيد الانطاكي *Pal. Or.*, XVIII, 797 : « وكان سيف الدولة عنـد مسيره الى ميا فارقين قد خاف بحلب غلامه قرغوية الحاجب وخاف بانطاكية غلام يدعا فتح روثب اهل انطاكيـة على فتح غلام سيف الدولة واخرجوه وسلّموها الى رشيق النسيمى الوارد من طرسوس والتصق به انسان من اهل انطاكية يُعرف بالحسن ابن الاهوازى وتولّا تدبير امره واطمعه ان سيف الدولـة لا يعود الى الشام واستأمن الى رشيق دزبر الديلمى وجماعة من الديلم الذين كانوا مع قرغوية وسار رشيق وابن الاهوازي الى حلب وجرى بين رشيق وبين قرغوية حروب كثيرة ودخل رشيق الى مدينـة حلب وقاتل القلعة ثلاثة اشهر وعشرة ايام وقُتل رشيق بعد ذلك وانهزم اصحابه الى انطاكية وجعلوا دزبر الديلمى اميرًا عليهم وابن الاهوازى المدبّر له . . .

١) كانون الثاني – كانون الاول ٩٦٥

ابو الثمال فتح اليسكى[a] فلما وليها طمع في مُلكها فجمع اصحابه وقال لهم: اعلموا ان هذا فتح يعجز عن حفظ انطاكية لبُعد سيف الدولة عنه [B. 88] وَضَعف غلامه قرغويه[b] نائبه بحلب وان الروم لا بُدّ لهم ان يملكوا انطاكيه واني قد التجيتُ اليهم وعزمت على ان احمل المال الذى قررتُه لسيف الدولة الى مَلكِ الروم ليَبقى عليّ هذا البلد وقرّر معهم ان فتح اذا نزل عن القلعه وجلس على بابها لقضاء الاشغال فيُظهر بعضكم المُشارّة وارتفعوا اليه [V.255] ليفصل بينكم الخِصام فاذا وقفتم بين يديه اهجموا عليه وخذوه وارفعوا اصواتكم فاني ادخل القلعة واملكها بمن يكون معي. فجرى الامر كما دَبّر وملكها وملك البلد في شوال من هذه السنة[1] ثم خرج الى حلب في جيش كثيف رابع صفر[2] فهجمها فاعترضه سلامة ابن يزيد الشيباني بسيف فقتله وهرب اصحابه ومعهم ابن الاهوازى فدخل انطاكية فكان بها اخوه فاستولى عليها ونحنُ نستوفى ذكر هذه الواقعه فى أمراء حلب ان شا الله. ولما استولى الاهوازى على انطاكيه نصب دَزْبَر بن ارتيم الدثلمى وعقد له الامارة وتوّن له قبل كل من وصل اليه منَ العرب والعجم. فسار اليه الحاجبُ قرغويه نائب سيف الدولة على حلب فاوقع به دَزْبَرُ ونهبه وانهزم قرغويه الى حلب فتبعه دَزْبَر فملك البلد في جمادى الاولى سنة خمس وخمسين[3] على ما سياتى مُفصّلًا في مَوضعهِ فقصده سيف الدولة وواقعه فانهزم عسكره وأُسرَه وأُسرَ ابن الاهوازى وقتلهما وذلك في صفر سنة ست وخمسين[4] وعادت انطاكيه الى سيف الدولة [V. 255 v.] ثم صارت من بعده في يد ولده ابي المعالي سعد الدولة شريف

---

a) V. B. بنج B. الشمكى

b) B. قرعون — قرعويه

١) ٣٠ ايلول — ٢٩ تشرين الاول ٩٦٥
٢) من سنة ٣٥٥ = ٣١ كانون الثاني ٩٦٦
٣) ٢٥ نيسان — ٢٥ ايار ٩٦٦
٤) ١٦ كانون الثاني — ١٤ شباط ٩٦٧

٢ً انطاكية البيزنطية

ولم تزل في يده الى ان قصدها تقفور بعد ان اخذ بلادًا مجاورةً لها ويقال انه اخذ ثمانية عشر منبرًا[1] سوى ما اخذ من القرى التي لا يُحصى عَددُها ولما قصدها بنى حصن بغراس مُقابل انطاكيه ورتب فيه ميخايل البرجي وامر اصحاب الاطراف بطاعتهِ ورتب مع اهل برقا وكانوا نصارى ان ينتقلوا الى انطاكية ويُظهروا انهم انما انتقلوا خوفاً من الروم حتّى اذا حصلوا بها وصار تقفور بعسكره الى انطاكية وافقوه على فتحها فلمّا دخلوا انطاكية وافقهم من بها من النصارى على ذلك وكاتبوا الطربازى[2] واعلموه بان انطاكية خاليه وليس بها سلطان واهلها من المسلمين قد ضيعوا سورها واهملوا حراستها وقد ضَعُفوا عن مدافعة من يأتيهم وكان تقفور قد رتب الطربازى في اطراف [B.88 v] بلاد الروم وكاتبه قرغويه ليتقوى به على ملك حلب فاظهر الطربازى انه يَقصدُه وعدل الى انطاكيه ومعه يأنس[a] بن شُيشيق في اربعين الفاً فاحاطوا بانطاكية [V. 256.] واهل برقا على اعلا السور فى جانب منه فنزلوا واخاره فصعده الروم وملكوا البلد وذلك لثلث عشرة ليلة خلت من ذى الحجة سنة ثمان وخمسين وثلثمائة[3] ودخلوها فاحرقوا واسروا وكانت ليلة الميلاد فلمّا طلع الروم على جبلها جعلوا ياخذون الحارس فيقولون له كبّر وهلل[4] فمن لم يفعل قتلوه . فكان الحراس يكبرون ويهللون والناس لا يعلمون بما هم فيه حتى ملكوا جميع ابرجتها وصاحوا صيحة واحدةً فمن طلب باب الجنان قُتل او أُسِرَ وبنوا قلعةً بجبل وجعلوا الجامع صيرةً للخنازير ثم جعلوه بُستاناً وحرثوه[b]

وسار الطربازى الى حلب وحاصر قرغويه حتى صالحه على بلادٍ مُعيّنةٍ

a) B. بانس b) B. حرقوا

١) بلد ذو اهمية اهل ان يكون فيه جامع .

٢) أنظر الشرح في ما يلي – والطربازي يعني (le Trapézite) : ἐπὶ τῆς τραπέζης
V. Yahya D'Antioche, *Pat. Or.*, XVIII, 814

٣) وهو يوم الاضحى عند المسلمين (٢٩ تشرين الاول ٩٦٩)

٤) اعني القول : « الله أكبر » ، والشهادة : « بان لا اله الا الله » .

بحدود مشروطة وافردوا لانطاكية بلادًا ودخلت فيها سائر العواصم ولما استولوا على انطاكية ابتنوا حصن حارم وسيأتي ذكره مُفصّلًا في اعمال حلب ثم لم تزل انطاكية في ايدي الروم الى ان اغتنم ناصر الدولة ابو الفوارس سُليمن قطلمش بن قاور بن سلجوق غيبة صاحبها الفلادرس [V. 256 v] عنها بالرُّها فسار من نيقيه [قونية] في عسكره وكانوا مائتين وثمانين رجلًا وعَبَرَ الدُروب وأوهم ان الفلادرس[a] استدعاه واسرع السير حتى وصلها ليلًا فقتل اهل ضيعة تُعرف [بالعمرانيه] جميعهم لئلا يُنذِرون به وعلق حِبالًا[b] في شرفات السور بالرماح وكان ذلك بباطن كان له مع بعض اهلها وطلعوا مما يلي باب فارس وحين صار من عسكره جماعة على السور رفعوا مِنشار الباب ونزلوا فتحوه[c] وذلك يوم الجمعة اول شعبان سنة وسبعين واربع مائة

٣ً انطاكية السلجوقية

ولم يشعر بهم اهل البلد الى الصباح وصاح الاتراك صيحةً واحدةً فتوهم اهل انطاكية انهم عسكر الفلادرس فلمّا قاتلوهم انهزم اهل البلد وتمادت الحرب وعلموا ان البلد قد هُجم عليهم فهرب بعضهم الى القلعة وبعضهم رمى بنفسه من سور البلد ونجا ووصل اليه بن منحاك في ثلثماية فارس الى انطاكية ثم ترادف عسكره اليه وفي اليوم الثالث من فتحها امر الناس برجوعهم الى دورهم وردّ اليهم [B. 89] ما سُبي منهم بعد ان حصل على اموالٍ لا تُحصى [V. 257] وفي يوم فتحها صلّى المسلمون صلاة الجمعة في كنيسة القسيان واذّن فيه يومئذٍ ماية وعشر مُؤذّنين.

قال بهآ الدين الحسن بن الخشاب : وجدت خط بعض المنجمين على ظهر كتاب عتيق عند القاضي ابي الفضل بن ابي جرادة بحلب يقول ذكر المخبّر عن اخذ مدينة انطاكية ان دخول العدوّ اليها في وقت كذا وكذا من الليل في سنة ثمان وخمسين وثلثمائة[1] . فان صح قول هذا المخبّر فانها تثبت في ايدي

a) B. الفلادرس b) B. حيالًا

c) Comp. ابن الاثير , ed. Tornberg, 89

١) ٢٥ تشرين الثاني ٩٦٨ – ١٤ تشرين الثاني ٩٦٩

الروم مائة وتسع عشر سنة ووقف على هـذا الخط محمود بن نصر بن صالح عند ذكره في مجلس وكان الامر كما ذكر وفتح القلعه بعد حصارهـا في الثانى عشر من شهر رمضان[1] ليوقيها من القتل والسبي خاصةً

ولم تزل في يده الى ان دخلت سنه تسع وسبعين واربع مائة والتقى هو وتاج الدوله تُتُش صاحب دمشق فقُتل يوم الاربعا لثلث عشرة ليـلة خلت من من صفر[2] . ثم وصل السلطان الملك العادل ابو الفتح ملكشاه وتسلم حلب في الثالث والعشرين من شعبان من هـذه السنه[3] فصـار [V. 257 v] الى انطاكيه تسلّمها من الحسن بن ظاهر وزير سُليمن بن قُتلمش ورتب بانطاكية يغى سنان بن الب في عسكر معه [وقلد اموره الحسن بن ظاهر]

ولم تزل في يد يغى سنان الى ان خرجت الفرنج في المحرّم سنه احـدى وتسعين واربع مايه[4] فحـاصروه وضايقوه فاستنجـد بالمسلمين فجمع كربغا صاحب الموصل جيشاً عظيماً ووصل دقاق صاحب دمشق بعسكرٍ آخر ووصل جناح الدولـة من حمص بعسكر ووصل سكمان بن ارتق ووثاب ابن محمود ومعهم عسكرٌ واجتمعوا على مرج دابق . وكان الفرنج لما نزلوا على انطاكية وهم تسع قوامص[5] مقـدمين وهم كندفري وميمند[a] وابن اخته طنكرى وصنجيل وبعدوين الذي ملك الرها بعد بعدوين القمص والقمص اخو كندفرى . قد جمعهم ميمند فقال لهم هذه انطاكية ان فتحناها لمن تكون فاختلفوا وكل طلبها لنفسه فقال الصواب ان يحاصرها كل واحد منا جمعةً فمن فتحت في نوبته فهى له فرضوا بذلك وحاصروه على ما تقرّر بينهم

a) Mss. هيمند ، بيمند

١) ١٢ كانون الثاني ١٠٨٥

٢) يوم الاحد ٣١ ايار ١٠٨٦

٣) ٣ كانون الاول ١٠٨٦

٤) ٩ كانون الاول ١٠٩٧–٢٨ تشرين الثاني ١٠٩٨ انظر Hagenmayer, *Chronologie de la 1re Croisade*, dans *ROL*, VI (1898), p. 514

٥) Comtes

٤ً انطاكية الفرنجية

فلما [V. 258] كانت ليلة الخميس غُرَّة رجب[1] واطى رجل يُعرف بالزرّاد وغلمان له على برج كانوا يتولون حفظه وكان يغي سنان صادره واساء اليه وحمله الحنق على مُواطاة الفرنج وتسليم البرج اليهم وكانت نوبة ميمند بن الاربوت[a] الذي فتح صقليه فطلع الفرنج اليه وصاح الصايح من [B. 89 v] الجبل فتوهم يغي سنان ان القلعة [قد أُخذت] فخرج من البلد في جماعةٍ مُنهزمين فلم يسلم منهم احد وصار يغي سنان الى ارمناز ضيعة قريبة من معرّه مصرين فادركته الارمن فقتلوه وحملوا راسهُ الى الفرنج ولما وصل هذا الخبر الى عِمّ وإنب هرب من كان بها من المسلمين وتسلمها الارمن . وكان الملك دقاق واتابكهُ طغدكين[b] وكربغا وسُكمان وجناح الدولة ووثاب في تلك الليلة نزولًا فرحلوا عند وصول هذا الخبر الى ارتاح وتوجهوا نحو انطاكية لما بلغهم ان القلعة باقيــة في ايدي المسلمين فوصلوا اليهــا يوم الثالث سادس رجب[2] بعد خمسة ايام من اخذهــا [V. 258 v] فانهزم من كان بظاهر انطاكية من الفرنج اليها ونزل المسلمون عليها مما يلي الجبل ودخلوا البلد مما يلي القلعة وقاتلوا الفرنج في جبل المــدينة واشرفت على التلف فبنوا سورًا على بعض الجبل يمنع المسلمين من النزول اليهم واقاموا كذلك اياماً وعُدم القوت بانطاكيه فاخرج الفرنج كثيرًا من الاسرى الذين معهم فاطلقوهم واحتوى كربغا صاحب الموصل على كثير مما كان بقلعه انطاكية وولّى فيها احمد ابن مروان وتواصلت رُسل الملك رضوان من حلب الى كربغا فتوهم دقاق صاحب دمشق من ذلك وخاف جناح الــدولة صاحب حمص من اصحاب يوسف بن ابق[c] واخيه وجرت بين الاتراك والعرب الــذين مع وثاب منافرة عادوا لاجلها وتفرّق كثير من التركمان بتدبير الملــك رضوان ورسالته وتخيل بعض الامراء من بعض ثم اجتمع رأيهم على التحوّل الى المنازلــة في

a) B. الابنرت b) B. كندكين c) V. اتو ارتق B.

١) من اليوم الاربعاء ٢ حزيران الى اليوم الخميس : Hagenmayer, *ROL*, VII (1899), 284

٢) ٨ حزيران حسب كمال الدين (*H. Or.* III, 382)

السهل بظاهر انطاكية فنزلوا باب البحر وجعل المسلمون بينهم وبين البلد خندقاً خوفاً من [V. 259] مُهاجمة الفرنج . وافرط الجوع بانطاكية حتى اكلوا الدوابّ والميتة . ولم يبق احد من المسلمين يشك في اخذهم باليد[a] فلم يزل الأمر كذلك الى يوم الاثنين السادس والعشرين من السنة المذكورة[1] فخرجت الفرنج من انطاكية فاشار وثاب بن محمود ان يُمنَعوا من الخروج واشار بعضهم بتمكينهم من الخروج وان يُقاتلوهم اوّلاً فاوّلاً وخرج الفرنج من البلد في خلق عظيم وصاروا في الجبل واطلقوا النار مما يلي المسلمين وحمل جناح [B. 90] الدولة عليهم حملةً واحدةً وعاد وعاثت التركمان في عسكر المسلمين فانهزم العسكر وبقي كربغى وحده في قليل من العسكر وتوهمت الفرنج ان ذلك مكيدة فتوقّفوا عن اتباع الناس فسلم من الناس من يُطيق المشي واحرق كربغى خيامهُ وسرادقه وانهزم نحو حلب فنهبت الفرنج ما تركه المسلمون وقتلوا من تاخر وبقي في القلعة احمد بن مروان في جماعةٍ من اصحاب كربغى فراسلته الفرنج على ان تومنه على نفسه وعلى من معه فسلم اليهم القلعة في [V. 259 v] اليوم السادس من الوقعة[2] وسيروا معه من يحفظه ومن معه فخرجت عليهم الارمن فقتلوا منهم جماعةً وسلم احمد ودخل حلب

وبقي [ميسند] مالكها الى ان كسره ابن الدّانشمند على البليخ وأسره وقتل اكثر عسكره في سنة ثلث وتسعين واربعمائة[3] ثم اشترى نفسهُ وخلص واستخلف في انطاكية ابن اخيه طنكري وركب في البحر وسار الى بلاده ليستجيش الفرنج ويعود فاهلكه الله تعالى قبل ذلك ولم يعُد . ودام طنكرى

a) B. بالبلد

١) ٢٨ حزيران ١٠٩٨

٢) اعني ٢ شبان = ٥ تموز ١٠٩٨ (وحسب المآخذ الغربية كان اخلاء القلعة في ٢٩ حزيران) Hagenmayer, *l. c.* اطلب ايضاً *H. Or.*, III, 503.

٣) ١٧ تشرين الثاني ١٠٩٩ – ٦ تشرين الثاني ١١٠٠ . انظر درساً قيماً في امراء انطاكية الفرنجة لادمون راي E. Rey, *Résumé Chronologique de l'histoire des princes d'Antioche*, *ROL*, IV (1896), 321-407

مالك انطاكيه واعمالها الى ان اهلكه الله تعالى في ثاني عشر ربيع الآخر[1] سنة ست وخمسين مائه[a] وملكها بعده روجار وكان طنكري قد استدعاه من بلاد الفرنج وجعلهُ ولي عهده فكان يُسمَّى الوارث وكان من اقوى ملوك الفرنج فحجّ الى القدس ومَشَى بُغدوين الرونس وهو ملك الفرنج وكان شيخاً كبيراً فاجتمع هو وروجار بالبيت المقدس وقرّرا بينهما عهداً انه من مات منهما قبل صاحبه كانت مملكتهُ للباقي وكان روجار [V. 260] شابا عظيم الخلقة وهو زوج بنت بغدوين الملك فقدر الله سبحانه ان التقى روجار ونجم الدين ايلغازي بن ارتق رحمه الله يوم السبت ثامن عشر ربيع الاول سنة ثلث عشرة وخمس مائة[2] على درب سَرمَدا فكسره ايلغازي بالبلاط وقتله وقتل جميع عسكره فسار بغدوين الملك الى انطاكية فملكها واقام مالكها حتى وصل في ثامن[b] بشهر رمضان سنة عشرين وخمس مائه[3] مركب من بلاد الفرنج فيه صبي افرنجي فحضر عند الملك بغدوين وعرّفه انه ميمند بن ميمند[c] الذي كان مالكها فخرج من يومه منها وسلمها الى ذلك الصبيّ وسار الى بيت المقدس

فاستمرّ الصبيّ فيها وكان من شياطين [B. 90 v] الفرنج ودام بها الى ان سار من انطاكية نحو الدروب فلقيه عسكر ابن الدانشمند فكسره وقتله وقتل جماعةً من اصحابهِ بأرض عين زربة يوم الخميس النصف من شهر رمضان سنة اربع وعشرين وخمس مائه[4]. فملك انطاكيه زوجته بندقين[5] بنت بغدوين

a) ست وخمسين وخمس مايه .B b) في ثامن عشر .B c) ميسند .B

١) ٦ كانون الثاني ١١١٢

٢) ١١ حزيران ١١١٩ – وقد تزوج Roger اخت بودوين الثاني. وابن شدّاد هو الوحيد الذي يذكر مقاعدة Roger مع بودوين الثاني. وهذه المعاهدة قريبة جدّاً من الصحة لان Roger لم يكن له ملك دائم في انطاكية اذ كان متوجباً عليه ان يعطي انطاكية لابن بوهيموند الاول عند وصوله الى سورية: E. Rey, *l. c.*

٣) ٢٧ ايلول ١١٢٦

٤) ٢١ آب ١١٣٠. يقول غليوم الصوري *H. Occ.*, I, 399, Guillaume de Tyr أن عماد الدين زنكي صاحب الموصل وحلب قتل بوهيموند الثاني ١١٣١

٥) لا شك في ان اسم بندقين تحريف لاسم بنت بودوين. فالكلام هنا عن أليس الابنة الثانية لبودوين الثاني التي تزوجت من بوهيموند الثاني G. Tyr. 600

ووقع بين الفرنج شر [فوصل] بغدوين من البيت المقدس واغار على [V.260v] انطاكية واخذ قوماً من اصحاب ابنته فقطع ايديهم وارجلهم وفتح قوماً من السرجيديه[a] باب انطاكية فدخلها في سنه خمس وعشرين[1] فطرحت ابنته نفسها عليه وصفح عنها واخذ انطاكية ووهبها جَبَلَة واللاذقية ثم مات وملكها ريند[b] بن بندقين بنت بغدوين وهو بن ميمند بن ميمند فقُتِل في سنة اربع وثلثين[2] على دمشق وتولى البرنس ارناط فقُتِل على حصن أَنَن يوم الاربعا حادى وعشرين من صفر سنة اربع واربعين[3] فملك بعده بيمند وتزوّجت أُمهُ بأبرنس آخر ليُدَبّر البلد الى حين يكبر ابنها فقصدهم نور الدين فاجتمعوا للقائه فهزَمَهُم واسر البرنس واستقل بيمند بانطاكية ولقب بالبرنس فوقعت بينه وبين نور الدين وقعة أُسِر فيها سنة تسع وخمسين على حارم[4] وسنذكُر ما خرج من بلاد انطاكية عنها وانضاف الى غيرها من بلادها مستوفاً ان شا الله . فملك انطاكية وهو في الاسر على ما حكاه اسامة مرشد بن مُنقذ في تاريخه شيطان [V. 261] من ذرية ملكها ميمند الذى كان مالكها ولم يُسَمّه وانما اللقب واقع عليه كما كان على غيره فان الفرنج كانوا يلقّبون مَن ملك انطاكية البرنس وفي مدّته انتهى تاريخه فانه قال : وهو ملكها الى الآن

واستقريتُ التواريخ بعده فرايتُ في تاريخ ابن ابى طىّ : وفي سنة ثلث

a) B. السرحديه b) Mss. ريند

١) ٤ كانون الاول ١١٣٠ — ٢٣ تشرين الثاني ١١٣١

٢) ٢٨ آب ١١٣٩ — ١٧ آب ١١٤٠ ريموند من Poitiers كان ابن Guillaume IX de Guyenne و Philippe de Toulouse فالملك Foulque قد دعاه من بلاط هنريكوس الاول ملك انكلترة ليكون زوجاً لقسطنسة ابنة بوهيموند الثاني. وكانت ما بلغت بعد سنّ الزواج (وزواج بوهيموند وأليس كان في ايلول ١١٢٧) وريموند لم يقتل في التاريخ المعين صدرًا لكن في ٢١ صفر (٣٠ حزيران ١١٤٩) . راجع E. Rey, p. 368

٣) ٣٠ حزيران ١١٤٩ هو تاريخ موت ريموند . وقد اسر جيش حلب ارناط من شاتيلون Renaud de Chatillon في ٢١ تشرين الثاني ١١٥٩ : Rey, 373

٤) ٣٠ تشرين الثاني ١١٦٣ — ١٨ تشرين الثاني ١١٦٤ . تكلم عن بوهيموند الثالث ابن ريموند وقسطنسة الذي خلف ارناط من شاتيلون .

وثمانين وخمس مائة مات صاحب انطاكيه واوصى الى ابن اخته ريمند وفي هذه السنة كانت وقعة بين الملك الناصر صلاح الدين والفرنج على حطين لسبع بقين من شهر ربيع الآخر[1] فهزمهم واسر الملك جفري والبرنس ارناط وكان صاحب الكرك لان السلطان الملك العادل اسره ثم فدى نفسه بعد مُدّة فتزوّج امراة صاحب الكرك وملك الحصن وبقي عليه اللقب وأُسِرَ معه امم لا يقع عليها الاحصاء. وهذه الوقعة لم يجر على الفرنج منذ خرجوا الى الساحل مثلها وغنم فيها صليب الصلبوت وهو قطعة خشب مُغلفة بالذهب مُرَصَّعة [B. 91] بالجواهر يزعمون ان ربهم صُلب عليه ولم يكن ميمند حاضرًا لها . ولما [V. 261 v] كانت سنة اربع وثمانين كرّ صلاح الدين الغارات على الساحل فراسله البرنس بيمند وسأله الكفّ عنه وتركه على ما في يده من حائط انطاكية فاجابه الى ذلك وقال يا الدين ابو المحاسن يوسف [بن رافع بن تميم] بن شداد في كتابه اخبار صلاح الدين[2] ونزل السلطان في هذه السنة ثاني شعبان[2] على بغراس فضرب يَزك الاسلام على باب انطاكية بحيث لا يُشذ عنه من يخرج منها وقاتلها مقاتلة شديدة فراسله اهل انطاكية في صُلح فصالحهم لضجر العسكر على انطاكية لا غير على ان يطلقوا اسارى المسلمين الذين عندهم الى سبعة اشهر فان جاءهم من يَنصرهم والّا سلموا البلد الى السلطان ثم رحل وفي سنة

والاستشهاد بابن شداد فاسد . انظر بهاء الدين: *H. Or.*, III, 116 – فنزل العسكر في مرج لها واحدق العسكر بها جريدة مع ان احتجنا الى يزك في تلك المنزلة يحفظنا في جانب انطاكية لئلا يخرج منها من يجاهد العسكر فضرب يزك المسلمين على باب انطاكية بحيث لا يشذ عنه من يخرج منها . . . ولم يزل [السلطان] يقاتل بغراس مقاتلة شديدة حتى طلبوا الامان على استيذان انطاكية ورقي العلم الاسلامي عليها في ثاني شعبان وفي بقية ذلك اليوم عاد رحمه الله الى مخيمه وراسله اهل انطاكية في طلب الصلح فصالحهم لشدة ضجر العسكر وقوة عماد الدين صاحب سنجار في طلب الدستور وعقد الصلح بيننا وبين انطاكية من بلاد الفرنج لا غير على ان يطلقوا جميع اسارى المسلمين الذين عندهم وكان الصلح الى سبعة اشهر فان جاءهم من ينصرهم والا سلموا البلد الى السلطان.

١) ٢ تموز ١١٨٧

٢) ٨ تشرين الاول ١١٨٨

ست وثمانين وصل ملك اللمان الى الشام فملك انطاكية واخذها من صاحبها ولم يزل بها الى خامس عشر رجب من هذه السنه[1] رحل يريد عكا فقُتل عليها في اثناء السنة

فملك انطاكيه بعده بطريق نصير وكان من اعظم البطارقه همّةً ولما صالح السلطان الملك الناصر للكلدهرى والأنكتار في شعبان سنه ثمان[2] سار الى دمشق وتفقد في طريقه البلاد التى افتتحها [V. 230] ثم سار الى بيروت وهناك اجتمع بالبرنس باطريق نُصَير صاحب انطاكيه وتلقاه السلطان بالاكرام وادنا مجلسه وكتب له مناصفات انطاكيـة مَعيشةً بمبلغ عشرين الف دينار[3] واعجب السلطان منه دخوله اليه بغير امان ولما فارقه شكا اليه ما يلقاه من اذى ابن ليفون صاحب سيس وما يناله من سُوء مجاورته مُذ صار في حصن بغراس فوعده السلطان بما طيّب نفسهُ من امر ابن ليفون وكان لابن ليفون مع بطريق نصير جواسيس اطلعوه على الحال فخاف عاقبة هذا الامر ولما وقع الصُلح الذى قدّمنا ذكره لم يكن لابن ليفون فيه ذكر فلما صار بطريق نصير الى انطاكية ارسل بن ليفون الى نايبه ببغراس وامره ان يُطمع بطريق نُصير البيمند في الحصن فاذا صار اليه يحتل عليه ويقبضه فراسل نائب بغراس البيمند وبذل لـه تسليم الحِصن واطف في الحـال الى ان استحكم طمع البرنس وركب اليه وتبعه جماعة من خواصّه مع ولـده وزوجته فنزل على العين التى تحت الحِصن فحمل اليه النائب طعاماً وشراباً وكان [V. 230 v] البرنس قـد

---

١) ١٨ آب ١١٩٠ . وكان فيليب دي سواب يقود جيشاً المانياً بعد موت فردريك بربروس (Barberousse)

٢) اشارة الى هدنة بين صلاح الدين وهنريكوس دي شمپانيه وريكردوس قلب الاسد (٣١ آب ١١٩٢ : ابن الاثير *H. Or.*, II, 65)

٣) قد اثبت بهاء الدين بن شداد العكس. وهو ان صلاح الدين قد ارجع بوهيموند ثلاث بحلات من اعمال انطاكية تساوي مبلغ خمسة عشر الف دينار *H. Or.*, III, 356 فتاريخ هداوة لاون الثاني الارمني ضد انطاكية مخبر عنه بنوع فريد لكن باجمام ، وسأعود الى شرح هذا التاريخ.

اظهر خرج الى الصيد فلم [٧ 91 .B] يزل على حاله الى ان دخل الليل فنزل اليه النايب وقال له ما أمن عليك ان تبيت ها هنا والصواب ان تصعد الى الحصن انت واصحابك فقد هيأتُ لك مناماً وانت اذا صعدتَ الى الحصن احضرتُ اليك من فيه ليحلف لك فلما قال له ذلك صعد الى الحصن هو ومن كان معه

وكان بن ليفون قريباً من بغراس فلما بلغهُ ذلك صعد اليه ودخل على البيمند وقال له : انت تعلم انه كان بيني وبين السلطان الملك الناصر صلحٌ ومعاهدة وانك ما زلتَ حتى افسدتَ ذلك وما هذا جزاي منك لانني اخذت هذا الحصن من المسلمين وجعلته معقلاً للنصرانية بعد ان عجزتَ عن حفظه واخذه صلاح الدين ثم لم يَكفِ ذلك منك حتى صالحتَ السلطان ولم تذكرني في الصُلح وانا مَنسوبٌ اليك وولايتي مُتَّصلةٌ بولايتك ثم امر بحطّ الحديد في رجليه ورجلي زوجته وولده ثم خرج الى اصحابه وقال : تسلموا لي انطاكيه والّا قتلتكم جميعاً فحلفوا له واتّصل الخبر بالولي [V.231] على انطاكية فخاف تمام ذلك وخشي على نفسه

فسير الى ابن البيمند الكبير وكان يسمّى القومص صاحب طرابلس واخبره بما جرى على بطريق نُصير وحثه على المسير الى انطاكية فصار اليها ودخلها وملكها ولم يزل البرنس في اسر ابن ليفون الى ان استخرجه ملك الفرنج صاحب قبرس الذى كان في اسر الملك الناصر على ان يُسلّم انطاكيه لابن ليفون الى ثلاث سنين وخرج الى انطاكية ومات بها في هذه السنه فملكها بعده القومص بن ريمند وفي سنة تسعين[1] احتال ابن ليفون وهجم انطاكية يوم الثلثا ثاني عشر بشعبان فقاتله اهلها واستظهروا عليه واخرجه منها وكان ذلك بمواطاة من بعض اهلها . وفي سنة ستمائة في سابع عشر ربيع الاول[2] هجم ابن لاون انطاكية ايضاً فلم يَشعُر صاحبها الا وهو على بابها فارتاع لذلك وقاتله في البلد ثم التجى الى القلعة وصاح بشعار الملك الظاهر بن الملك الناصر فكتب

(١) في ٣ آب ١١٩٤ كان ريموند في اسر ابن لاون .

(٢) ٢٣ تشرين الثاني ١٢٠٣

والى حارم على جناح طاير الى الملك الظاهر فخرج بعساكره لنجدة البرنس فلما وصل الى حارم بلغ ابن لاون مسيره فخرج عن انطاكيه وترك فيها رجالًا [V. 231 v] فقُتلوا وكتب الملك الظاهر لصاحبها بما يطيّب قلبه: حكاه ابن ابي طي . وقال ابن العديم سنه احدى وزاد انّ ابن لاون من وُلد بردس الفقاس الذى كان في زمن سيف الدوله ثم [B. 92] ذكر وقعات بين ابن لاون وبين عسكر الملك الظاهر وتردّدت الرُسل بينهما على الموادعه وشرط عليه ان لا يعرض لانطاكية وقرر الصلح الى ثمان سنين . وذلك سنة اثنتين وستمائه[1] .

ولما كان يوم الاثنين ثالث وعشرين شعبان سنه اثنتي عشره وستمائه[2] هجم ابن لاون انطاكيه فملكها وسلبها لان اخته وكان السبب في ذلك ان البرنس ريمند الكبير والد الذى هو ملكها يومئذٍ قد رزق ولدين احدهما بيمند الذى هو ملكها ولآخر اسمه ريمند وكان والده يميل اليه فخطب له اخت ابن لاون وزوّجه بها ونصّ عليه بالملك واشهد عليه اهل ملّته واتفق ان ريمند اصابه الصرع فهلك في حياة ابيه وترك ولدًا من ابن اخت ابن لاون اسمه رومين فانفذ ابن لاون الى انطاكية واخذ اخته وابنها وكان اخوه بيمند ملك [V.232] اطراباس فلما هلك ابوه تغلب بطريق نُصَير على انطاكية ثم مات وملكها بيمند بن رَيمند كما قدمنا وطرّت الوقعات التى قدمناها بينه وبين ابن لاون وفي خلالها شب ابن اخته[a] رومين فلما انقضت الهدنة التي قرّرها الملك الظاهر بينه وبين بيمند كتب اليه انك ظالم خارج عن شرع النصرانية لان ابك اخرج الملك عن نفسه الى اخيك وان اخاك مات وخلف ولدًا والملكُ له من بعده وكان بن لاون قد اخذ خط بطريق انطاكية بان الملك لابن اخته وسير اليه الخط فلما وقف بيمند عليه قال : هذا مُلكي وفي يدى ثم اصعد

a) B. اخت لاون

١) ٢٨ آب ١٢٠٥ — ١٨ آب ١٢٠٦

٢) ١٨ ايلول ١٢١٥ . وفي الاخبار يقول ابن شداد أن لاون امتلك انطاكية في ٢٣ شوال ٦١٢

البطريق الى القلعه فخفّهُ وسار ابن لاون بعد ذالك الى انطاكية وحاصرها دفعات والملك الظاهر صاحب حلب يدفعه عنها ويمنعه بعسكره منها. فلما كان اول السنه التى قدمنا ذكرها بعث اهل قسطنطينية الى انطاكيه بطريقاً مكان الذي قتل[1] فلما حصل في انطاكية انكر على اهلها موافقتهم لبيمند على ملك انطاكية وقال لهم كلما تتقلبون فيه [V. 232 v] حرام فاهاجت الاستبارية[a] لمقالته وكاتبوا ابن لاون في ارسال ابن اخته ليُملكوه انطاكية فجعل يُسير الرجال الى انطاكية شيئاً فشيئاً حتى حصل من اصحابه بها جماعة كثيرة ثم واعدهم الى ليلة الاثنين ثالث عشرين شوال وجاء في الليل فدخلها هجماً من باب بولص على مواعدة كانت بينه وبين من كان بها من رجاله . وملكها وامتنعت عليه القلعة ولم يكن البرنس بيمند بطرابلس [B. 92 v] فلمّا بلغه سار الى تحت المرقب منجداً لمن في القلعة ثم ان ابن لاون ملك القلعة وعاد بيمند الى طرابلس وكتب ابن لاون الملك الظاهر[b] يُعلمه انه كان في خدمته وانه لا يتقلب الّا عن امره ورايه وانما فتح انطاكية اسمه واطلق اسرا من المسلمين كانوا فيها وسيّرهم الى حلب فاحسن جوابه ثم خرج منها وسلّمها لابن اخته . [c] [V. 233]

a) انطاكية المملوكية

ولم تزل في يده الى ان قصدها السلطان الملك الظاهر ابو الفتح بيبرس بعزمه تدنّى له البعيد وتعفّر وجوه اعدايه بالصعيد وخيّم عليها يوم الاربع مستهل رمضان سنة ست وستين وستمائة[2] فخرج اليه اهلها يطلبون الامان فلم يمنعهم

a) B. فاهاجت الاستياريه σπαθάριος, armiger ; cf. Du Cange, *Glossarium*, col. 1415

b) B. الظاهر ابو الفتح بيبرس

c) هنا بياض في المخطوطة الفاتيكانية يبلغ مقدار ١١ سطرًا

١) يعني هنا البطريرك اللاتيني Pierre II, d'Angoulême. اما بطريرك الروم سمعان الثالث (الذي كان قد دخل انطاكية سنة ١٢٠٦ في مناسبة مقاومة بوهيموند والبطريرك بطرس الاول) ، فقد قبله لاون الثاني في ارمينية . بعد ان حرمه البابا اينوشنسيوس الثالث. (*ML*, vol 216, col. 781-786). Voyez Aussi E. Rey, *les dignitaires de la Principauté d'Antioche*, *ROL*, VIII (1900-1901), pp. 139, 147

٢) ١٨ ايار ١٢٦٨

لهم لانهم شرطوا شروطاً لم توافق رايه واحاط بها وملكها بالسيف يوم السبت رابع الشهر في رابع ساعة منه ولم يمكن احداً من المرتزقة من [V. 233v] نهب شيء وفرق ما حصل منه على الامراء والاجناد واخربها ورتب فيها جماعة من التركمان يحفظون ساحلها وحُصر من قُتل فيها فكان نيفاً عن اربعين الف نفس وخلص من ايديهم خلقاً من اسرأ حلب وكان البرنس صاحبها وصاحب طرابلس قد سباهم واسرهم عند دخول التتر فمنّ الله باطلاقهم على يد مولانا السلطان وهذه منة قلدها رقابهم وصيره لهم سنة تفوق القابهم وكم لها من اخوات في فتوحه اعاد بها الامن بعد نزوحه وصارت مدونة في صحائف سيرة اعماله . وبلغ بها من مرضات الله غاية آماله ولم تزل في يده الى ان توفي في ثامن عشرين المحرم من سنة ست وسبعين[1] فانتقلت الى ولده الملك السعيد ناصر الدين بركة قان[a] فاستمرت بيده الى ان خرج الملك عنه لاخيه الملك العادل بدرالدين سلامش ليلة الاثنين ثامن عشر ربيع الاخر من سنة ثمان وسبعين[2] وتسلم الملك الملك المنصور سيف الدين قلاون الالفي العلائي اتابكاً فاستمرت بيد الملك العادل الى ان جلس السلطان الملك المنصور سيف الدين قلاون الالفي المذكور على تخت الملك في يوم الثلثا حادي عشرين شهر رجب من سنة ثمان وسبعين[3] فاقطعها الامير شمس الدين سنقر الاشقر مع غيرها بمنشور كريم وقد ذكرنا ذلك مفصلاً في مواضع[b] وهي في يده الى الآن.

ومما كان مضافاً الى الطاكية من الحصون

بغراس

وهي قلعة مذكورة [B. 93] حصينة وكان الطريق الى الثغور للغزاة عليها وقد ذكر ابو زيد احمد ابن سهل البلخي في كتاب وضعه في صفة الارض وما

a) B. بن كرفان b) B. مواضعه

١) ٢٢ حزيران ١٢٧٧
٢) ٢٢ آب ١٢٧٩
٣) ١١ تشرين الثاني ١٢٧٩

تشتمل [V. 234] عليه من المدن قال[a] : وبغراس على طريق الثغور وبها دار ضيافة لزبيدة[1] وليس بالشام دار ضيافة بغيرها[b] وذكر احمد ابن يحيى البلاذري[c] في كتاب البلدان [كذا] عمّن حدثه من اهل الشام قال : وكانت[d] بغراس لمسلمه ابن عبد الملك فوقفها في سُبل البرّ وكانت عين السلور وبُحيرتها له ايضاً قلت يُريد بعين السلور بحيرة بَغرَا من عمل حارم وناحية العَمْق وقال[f] : وحدّثني بعض اهل انطاكية وبَغراس ان مسلمة لما غزا عَمّورية حمل معه نساءه[g] وكانت بنو اميّة تفعل ذلك ارادة الجد في القتال للغيرة[h] فلما صار في عقبة بغراس المستدقة التي تشرف على الوادي سقط محمل فيه امرأة الى الحضيض فامر مسلمه ان تمشي سائر النساء فشين فسُميت تلك العقبة عقبة النساء وقد كان المعتصم بنى على حد تلك الطريق حائطاً قصيرًا من حجارة . ولما كان في سنة احدى وخمسين[2] قصدت الروم حصن بغراس فاخذت ممّن كان فيه من المسلمين الجزية وكان مبلغها مائة الف درهم ثم أُهمل امر هذا الحصن حتى تهدم فلما ملك الطرباذى الفرنجي [كذا] انطاكية بناه ورتب فيه من يحفظه وقد قدّمنا ذلك سنة سبع وخمسين وثلثمائة[3] ولم يزل في ايدى الفرنج الى ان ملك سُليمان بن قتلمش انطاكية فملكه في اعمالها ثم لما ملكوا الفرنج انطاكية في سنه احدى وتسعين[4] ملكوه ولما ملكوه اشترته الداريّه[i] منهم ولم يزل في ايديهم الى ملكه الملك الناصر صلاح الدين في شعبان سنه اربع وثمانين وخمس

---

a) cf. *BGA.* I, p. 65
b) cf. dans *BGA.* II, 123 add. كبيرة
c) ed. de Goeje, p. 148
d) add : ارض
f) de Goeje, p. 167
g) Bal : وحمل الناس ممن معه نساءهم
h) Bal. add. للغيرة على الحرم
i) Templiers.

١) امرأة هرون الرشيد تزوجها في سنة ١٦٥ وماتت سنة ٢١٦
٢) ١٨ كانون الثاني ٦٧١ — ٨ كانون الثاني ٦٧٢
٣) ٧ كانون الاول ٩٦٧ — ٢٥ تشرين الثاني ٩٦٨
٤) ٩ كانون الاول ١٠٩٧ — ٢٨ تشرين الثاني ١٠٩٨

مائة[1] واخربه ، ثم لما كانت سنه ثمان وثمانين وخمس مائة[1] استولت عليه الارمن وعمرته في سنه اثنتي عشرة وستمائه[2] ولم يزل في ايديهم الى ان صالحهم الملك الظاهر بن الملك الناصر فاخذه منهم في جملة ما شرطه عليهم وسلمه الى مقدم الدّيويه في سنة ثلث عشرة وستمائة ولم يزل في ايديهم الى ان توفّى الملك العزيز بن الملك الظاهر واغارت الدّيوية وكان مقدمهم افرير توماس على نواحي حلب ثم عادوا فخرج اليه الملك المعظم فخر الدين توران شاه ونازل بغراس في اواخر سنة [V. 235] اربع وثلثين وخمس ماية[1] وحاصرها حتى نفد ما فيها من الذخائر واشرفت على الاخذ وانما قبل شفاعته لأنّ الملك الكامل خرج من مصر قاصدًا الشام فرأى رُجوعَهُ الى حلب [V. 93 B.] وحفظها اولى من المقام على بغراس فرحل عنها بعد ان خرب بلدها خرابًا شنيعًا ثم نزل بالقرب من درب ساك فجمع الداويّة جُموعًا واستنجدوا بصاحب جُبيل وساروا من جهة حجر شُغلان الى درب ساك ظنًّا منهم ان يكبسوا الربض على غرّة من اهله وان ينالوا منه غرضًا فقاتلهم اهل القلعة واهل الربض وحموه منهم واشتغلوا بقتالهم الى ان وصل الخبر الى عسكر حلب فركبوا ووصلوا اليهم وقد كلّت خيول الفرنج فوقعوا عليهم فانهزموا وأسروا وقُتلوا ولم يَنجُ منهم الّا القليل وذلك في شوال سنه اربع وثلثين وستمائه[5] وأسر افرير توماس ولم يزل في الاسر الى سنه ثمان وثلثين[6] وكانت وقعة الخوارزميه التي كسرت فيها جيوش حلب فاطلقوه فيمن أُطلِقَ مِن [V. 235 V] الاسرى وعاد الى بغراس ولم تزل في يد الداويه الى ان فتح السلطان الملك الظاهر صاحب مصر انطاكيه فتحه معها

١) ٢٥ ايلول – ٢٤ تشرين الاول ١١٨٨

٢) ١٨ كانون الثاني ١١٩٢ – ٧ كانون الثاني ١١٩٣

٣) ٢ ايار ١٢١٥ – ٢٠ نيسان ١٢١٦

٤) اقرأ ٦٣٤ = ٤ ايلول ١٢٣٦ – ٢٤ آب ١٢٣٧ . قد اغتر الملك الكامل ، صاحب مصر ، موت الملك العزيز ، صاحب حلب ، وحداثة سنّ ابن العزيز ابنه الملك الناصر يوسف ، فأخذ يمتدّ الى سورية .

٥) ٢٨ ايار – ٢٦ حزيران ١٢٣٧

٦) ٢٣ تموز ١٢٤٠ – ١٢ تموز ١٢٤١

وحدّثني شِفاهاً (صان الله من النير مُهجته وابقى لوجهِ الدهر بيقائه بهجته) انه لما قصد انطاكيه بعث سَريّةً من عسكره مُقدمها الامير شمس الدين ابن سُنقر السلحدار [الفرقاني][a] الى بغراس فلما وصل وخيم بالبحيرة التي تحتها حضر اليه رجل اخبره ان الداوية اخلوه ولم يبق به غير رجلين وامرأة فسيّر الى الحصن ثقة فاخبره بما ذُكر فدخله وتسلّمه في ثالث عشر شهر رمضان[1] وحمل السلطان اليه من الذخائر والغلال جملةً وولى فيه من يحفظه وهو الى عصرنا في يده

درب ساك

وهو حصن قاطع النهر الاسود على حلف جبل من جبل اللُكّام ليس لـه ذكر في الفتوح وانما حُدّد في دولةِ الارمن لما ملكوا الثغور . طوله اكثر من عرضه يحيط به [V. 236] سور من حَجر ابيض منحوت ولم يزل بايديهم الى ان فتحه السلطان الملك الناصر صلاح الدين في ثاني شهر رجب سنه اربع وثمانين وخمس مائة[2] فاستمرّ في ايدي من مَلك حلب الى ان اقطعه الملك الظاهر من الملك الناصر الامير سيف الدين ابن علَم الدين فلما كانت سنة اثنين وتسعين[3] عمل من كان بهـا من الاسرا وكسروا القيود وفتحوا خزانة السلاح ولبسوا العُدد وقاموا في القلعة فاحتمى الوالي بها مع جماعة من الاجنـاد وقاتلوهم فعلم الملك الظاهر بذلك فخرج مُجداً في السَير حتى وصل درب ساك فوجـد الوالي قد انتصر على الاسرا وقتلهم ثم اتفقت حادثة نذكرهـا عند ذكرنا [B. 94] لغزاز اوجبت انتزاع درب ساك من نواب [سيف الدين بن[b]] علم الدين ثم اقطعها الملك الظاهر مملوكه الامير علم الدين قيصر الرومي وسلمه اليه فزاد في عمارته وحصّنهُ [وسكنه][c] وشَنّ الغارات منـه على الارمن والفرنج وفي

a) بخط يختلف عن خط النسخة الاصلية
b) كُتبت على الهامش بخطّ يختلف عن خط النسخة الاصلية
c) بخط يختلف عن خط النسخة الاصلية

١) ٢٨ ايار ١٢٦٨
٢) ٢٨ آب ١١٨٨
٣) ٦ كانون الاول ١١٩٥ – ٢٤ تشرين الثاني ١١٩٦

سنه خمس عشرة وستمائة[1] خرج السلطان عزّ الدين [V. 236 v] كيكاوس على الملك العزيز بن الملك الظاهر وتغلّب على اكثر بلاد حلب الشمالية فانضمّ اليه قيصر وصار من عسكره فسيّر اليه مالًا ليستميل به اصحاب الملك العزيز . فلما هُزم كيكاوس وترح عن البلاد اصرّ قيصر على العصيان فسير اليه الملك الاشرف ووعده وضمن له عن الملك العزيز ما يطيب به قلبه فاجاب وتسلم منه الحصن نائب الملك العزيز ولم يزل في ايدي المسلمين الى ان استولوا التتر على البلاد وسلموه لهيتوم[a] بن قسطنطين [الين] صاحب بلاد الارمن فعمره وشيّده فلما هجمت عساكر السلطان الملك الظاهر (اعز الله انصاره وضاعف اقتداره) بلاده في سنة اربع وستين[2] واسر ولده ليفون وبقي في اسر الى ان فادى به الامير شمس الدين سنقر الاشقر العلاى وتسلّم هذا الحصن السلطان الملك الظاهر مع ما تسلّم من الحُصون التي وقع عليها الشرط في الصلح وهو في يد نوابه الى عصرنا [V. 237]

حصنُ بُرقا

وهو حصن له كوره قريب من انطاكيه قال البلاذرى[b] وبنا هشام بن عبد الملك حصن برقا من عمل انطاكيه ثم جُدّدَ واصلح حديثًا[c].

ذكر نيزين

وهي مدينه صغيرة قديمه كان لها سور قد تهدّم واليها تُنسبُ الكورة وان كان فيها ما هو افين منها ولم تزل في ايدي المسلمين الى ان استولت الفرنج على انطاكيه وفي كورتها من المشهورة وقصبتها الان

ارتاح

وهي مدينة صغيره تهدّم سورها ولها حصن مَنيع وبها كنيسة كانت مقصودةً من النصارى يقال لها سناقته[d] ولها بساتين وعيون وارحا وقرًى وهي

a) B. هتون V. هيتون
b) Balad., ed. de Goeje, p. 167
c) وهنا بياض يتجاوز الصفحة
d) B. سلفتة

١) ٣٠ اذار ١٢١٨ — ١٩ اذار ١٢١٩
٢) ١٣ تشرين الاول ١٢٦٥ — ٢ تشرين الاول ١٢٦٦

الحطانية والبزغارية والمشنوفية وسنلقنة والجديدة ولم تزل في ايدي المسلمين حتى خرجت عن ايديهم مع انطاكيه و كانت قبل مضافة الى تيزين فلما خرجت تيزين صارت مضافة الى ارتاح ولم تزل في ايدي الفرنج الى فتحها بُمِزّ الدولة ابوعُلوان يمال بن صالح بن مرداس في سنة اربع وخمسين [B. 94 v] واربع مائة[V. 238][1]

[ثم اخذتها الفرنج منه فى سنة خمسين[2] في يوم الثلثا السابع عشرين من شعبان سنة ثمان وخمسين[3] فتحها المسلمون بالسيف ونهبوها] لانها كانت حينئذٍ قصبة الكورة وقُتل فيها ثلثه الف رجل وكان فَتحُها عظيماً لانّ عمالها متاخم من الفُرات ومن العاصى وافامية وانطاكية والاثارب وأحصى من قُتل في بقية السنة من الفرنج واسر فكان ثلثماية الف نفر ثم لم تزل فى ايدي المسلمين الى سنة احدى وتسعين فأخذها الفرنج عند اخذهم لانطاكية وملكها الارمن فلم تزل فى ايديهم الى سنة ثمان وتسعين[4] فقصدها الملك رضوان بن تاج الدولة تُتُش السلجوقي صاحب حلب فاخذها منهم ثم خرج طنكرى صاحب انطاكية واسترجع [من المسلمين] حُصُوناً كثيرة منها ارتاح بعد وقعة كانت بينه وبين الملك رضوان كسره فيها ولم تزل في ايدي الفرنج الى سنة اثنين واربعين وخمس مائة[5] ففتحها وغيرها من الحصون المجاوره لها ولم تزل في يده الى ان كسر نور الدين [V. 238 v] الفرنج على ارتاح كسرهم اسد الدين شيركوه فلما وصل اليها اركز رُمحه على بابها وقال ارمغان[a] فقال له نور الدين ارمغان وهبها له وذلك في سنه خمس واربعين وخمس مايه ثم ملكها اسد الدين[b]

a) B. رمغان b) B. add. شيركوه

١) ١٥ كانون الثاني ١٠٦٢ — ٤ كانون الثاني ١٠٦٣

٢) اقرأ : الروم وسنة ٤٥٠ = ٢٨ شباط ١٠٥٨ — ١٧ شباط ١٠٥٩

٣) ٢٤ تموز ١٠٦٦

٤) ٢٣ ايلول ١١٠٤ — ١٣ أيلول ١١٠٥

٥) ٢ حزيران ١١٤٧ — ٢٢ ايار ١١٤٨ . وهنا ايضاً يذكر ابن شدّاد تاريخاً مغلوطاً فيه ٥٤٥ = ٣٠ نيسان ١١٥٠ — ٢٠ نيسان ١١٥١ Ibn Alir, *H. Or.*, I, 461 وارمغان يعني « هدية ».

لولده ناصر الدين محمد [فمات وترك ولده الملك المجاهد اسد الدين شيركوه وزوجته ست الشام ابنة نجم الدين ايوب اخت صلاح الدين وبنتاً تسمى بيدة خاتون] فاشترى الملك المجاهد ما خصّ اخته[a] وانتقلت عنه بالوفاة لولده الملك المنصور ابرهيم فمات ابرهيم عن ابن وبنت الملك الاشرف موسى وتوفّى الملك الاشرف[b] وخلف ما يخصّه لاخته المذكورة ولنسائه الثلث وعنه الملك الزاهر مجير الدين داوُد فباع[c] الجميع منهـا ثلثه وعشرين سهما[d] لامير بدر الدين بيسرى الظاهري الشمسى عتيق شمس الدين سرا سنقر عتيق الملك الصالح نجم الدين [وهى الان بيده]

ذكر رعبان

[V.239]وهى مدينة صغيرة قديمة البناء ولها قلعة حسنة وكان لسيف الدولة بن حمدان بها وقعة مع الروم بينها وبين الحدث سبع فراسخ[1]. وكانت الزلازل قد اخربتها وجلا اصحابُها عنه واندرس اثرها وملكها الروم في ايام سيف الدوله فانهض اليها العساكر والصُّناع وانفق عليها الاموال الجسيمة حتى بناها في مدّة شهر والحرب بينه وبين [B. 95] الروم واقعه وكان خليفته على البناء والجيش ابو فراس وبعد ان بناها قصدها الدمستق ونزل عليها فسار اليه سيف الدولة وارتع به وهزمه واخذ اسلحتهُ وتركها في المدينه تقويه لاهلها وفي ذلك يقول ابو فراس

وسوفَ على رغم العدُوّ يُعيدُها[e] مُعوّدةً ذا الثغر والثغر دائرُ

ولم تزل رعبان في ايدي المسلمين الى ان صالح قرغوية صاحب [V.239 v] حلب غلام سيف الدولة في شهر رمضان سنة تسع وخمسين وثلثمائة[2] ملك الروم وقطع عليه قطيعةً يزنها له وحدّدوا البلاد فدخلت رعبان فى حدّ الروم ولم

a) B. ابنه
b) B. add. موسى
c) B. قباع
d) B. add. ونصف
e) Ibn Šihna (ed. Sarkis), p. 223 نعيدها بعودة ذى الثغر وذا الثغر دائر

١) يساوي الفرسخ العربي تقريباً ٥٥٧٢ متراً Decourdemanche *Traité pratique*, 89
٢) ٨ تموز ١ آب ٩٧٠

نزل بايدي الروم الى سنة ثمان وخمسين واربع مائة[1] فنزل افشين التركي على دُلوك فملكها وملك رعبان ولم تزل في ايدي المسلمين تارة وفي يد الروم اخرى ثم كانت في ايديهم الى ان فتحها السلطان مسعود بن قليج ارسلان من يد نوّاب جوسلين سنة خمس واربعين وخمس مائة[2] وما زالت في يده الى ان توفّى وملك ابنه قليج فقصدها نور الدين محمود بن زنكي فاخذها بالسيف ومعها دلوك وكيسوم وسرعش في سنه خمسين وخمس مائة[3] من نوّاب قليج ارسلان فعتبوا عليه وذكّروه ما كان بينه وبين السلطان مسعود من العُهود فردّها عليه ثم في سنه اربع وخمسين[4] تسلّم نور الدين رعبان وكيسوم وبهسنة ودلوك ثم كانت في يده الى ان مات وانتقل الملك لولده الملك الصالح ثم الى الملك [V. 240] الناصر صلاح الدين ثم الى الملك الظاهر ولده ثم الى ولده الملك العزيز فخرج من الروم عزّ الدين كيكاوس صاحب الروم في شهر ربيع الاوّل[5] وقصد رعبان فأخذها مع غيرها من البلاد الاتي ذكرها مُفصّلًا فوصل الملك الاشرف من حِصن الاكراد لانجاد الملك العزيز فرحل عزّ الدين عن منبج وكان قد ملكها ثم رحل الى رعبان فاخذها وسلّمها للملك العزيز ولم تزل في يده الى ان توفّى وملكها ولده الملك الناصر ولم تزل في يده الى ان كانت فتنة التتر وانقضت الدولة فتسلّمها التتر واحرقوا قلعتها ودفعوها لتقفور صاحب سيس فعمرها ولم تزل في يده الى ان استولى عليها السلطان الملك الظاهر فيما تسلّمه من البلاد المتاخمة لبلاد سيس فخربها واسكن ربضها التركمان وهو بهم عامرًا

---

١) ٣ كانون الاول ١٠٦٥ – ٢٢ تشرين الثاني ١٠٦٦

٢) ٣٠ نيسان ١١٥٠ – ٢٠ نيسان ١١٥١

٣) ٧ اذار ١١٥٥ – ٢٥ شباط ١١٥٦ انتهز نور الدين فرصة تملك قليج ارسلان الثاني سلطان الروم لينتزع منه بعض الحصون.

٤) ٢٣ كانون الثاني ١١٥٩ – ١٢ كانون الثاني ١١٦٠

٥) ٢٨ ايار – ٢٧ حزيران ١٢١٨، انظر النبذة عن بغراس.

ذكر دُلوك

قال ابن ابي يعقوب[a] [B. 95 v] ورعبان ودلوك كورتان [V. 240 v] متقاربتان واما دلوك فهي مدينة قديمة لها ذكر وكانت عمارة ولها قلعة من بناء الروم علية مبنية بالحجارة وكان بها قناة قد رُكبت على قناطر يصعد الماء عليها الى القلعة وحولها ابنية عظيمة حسنة منقوشة في الحجر وحولها مياه كثيرة وبساتين كثيرة الفواكه[b] ويُقال انّ مقام داود عليه السلم كان بها وانه جهّز الجيش الى قورس وقتل اوريا ابن حنان[1] وقد خربت المدينة والقلعة وبقيت قرية بها فلّاحون واكره قال البلاذرى : وبعث عياض بن غنم الى ناحية دلوك ورعبان فصالحه اهلها على مثل صلح منبج وشرط[c] عليهم ان يبحثوا[d] عن اخبار الروم ويُكاتبوا بها المسلمين .

وصلح منبج كان على الجزية او الجلاء ولم تزل في ايدي المسلمين الى ان فتح الروم حصن دلوك سنة احدى وخمسين وثلثمائة[2] ولم تزل في ايديهم الى ان كانت سنة ثمان وخمسين[e] واربع مائة[3] خرجت طائفة من الترك كثيرة فنزل بعضها على دلوك وملكوها واغاروا على البلاد [V. 241] واخربوها وكان مقدّمهم الافشين بن يحيي وكان سبب خروجه ان الملك العادل الب ارسلان غضب عليه لانّه في خدمته خادم كان زعيم بعض عساكره فقتله وعبر الفرات

ثم ملكتها الارمن وبقيت في ايديهم الى ان فتح سليمان ابن قتلميش البلاد منهم سنة سبع وسبعين واربع مائة[4] ولم تزل في ايدي المسلمين الى ان ملكتها الروم سنة احدى وتسعين [كذا] ولم تزل في ايديهم الى ان فتحها عزّ الدين مسعود بن قليج ارسلان فنجده نور الدين محمود ابن زنكى من

a) *BGA*, VII, 363 (d'après b. Šihna)

b) cf. add. منها

c) Baladori, de Goeje, p. 150 اشرط

d) Bal. ينجثوا

e) B. ستين

1) cf. II, Sam., XI

2) ٧ شباط ٩٦٢ — ٣٠ كانون الثاني ٩٦٣

3) ٣ كانون الاول ١٠٦٥ — ٢٢ تشرين الثاني ١٠٦٦

4) ١٠ ايار ١٠٨٤ — ٢٩ نيسان ١٠٨٥

جوسلين في سنة اربع واربعين[1] ثم كانت سنة خمسين وخمس ماية[2] فخرج نور الدين الى جهة الشمال ففتح دلوك كما قدّمنا وخربها ثم كانت قرية كما قدّمنا حكايته وصارت مضافة الى عين تاب وقد ذكرنا عين تاب فيما تقدّم ولم يبق لها ذكر بمفردها

ذكر قورس

وهي مدينة قديمة من بناء الروم وبها اثار عظيمة ويُقال انّ بها قبر اوريا بن حنان ولها ذكرٌ في الفتوح قال البلاذري فيما حكاه عن مشايخ الشام قالوا[a] وسار ابو عبيده يُريد قورس [B. 96] وقدّم امامه عياضاً فتلقاه راهبٌ من رُهبانها يسأل الصلح عن اهلها فبعث به الى ابي عُبيده وهو بين جبرين وتلّ عزاز فصالحه ثم أتى قورس فعقد لاهلها عهدًا واعطاهم مثل الذي اعطى اهل انطاكية وكتب للراهب في قرية له سرقتنا[b] وبثّ [بعث] خياله على جميع ارض قورس الى اخر حدّ نقابلس[c] قالوا وكانت قورس كالملحة لانطاكية يأتيها كل عام طالعة من جندها[d] ومقاتليها ثم حُوّل اليها رُبع من ارباع انطاكية وقُطِعتْ الطوالع عنها ولم تزل في ايدي المسلمين الى ان اخذها جوسلين في سنة[e] ولم تزل في يده الى ان ملكها نور الدين محمود بن زنكي بعد قتله جوسلين[3] فخربها وهي في عصرنا كورةٌ تحتوي على ضياع يعمل خَراجها خبز [V. 242] اربعين طواشياً مع خاص مُقدّمهم لكل طواشي اربعة الف درهم ولمقدمهم ثُلث الخراج قال البلاذري ويقال ان سلمان[f] بن

a) Bal., éd. de Goeje, 149. b) Bal. كتابًا في قرية له تدعى شرقتنا
c) B. صديقا بلس d) Bal. جند انطاكية e) بياض في الاصل f) B. سليمن

١) ١١ ايار ١١٤٩ – ٣٠ نيسان ١١٥٠

٢) ٧ اذار ١١٥٥ – ٢٥ شباط ١١٥٦ – يضع كمال الدين Trad de Blochet [ROL, III, p. 526] فتح دلوك في ٥٤٧ . ولكن تواريخه غير ثابتة هنا . فقد كتب مثلاً (p. 524) ان نور الدين اخذ تل باشر في ٥٤٥ وبعدئذٍ (p. 526) يقول ان نور الدين لم يأخذ تل باشر الا بعد دخوله دمشق الذي يضع تاريخه في ٥٤٧ !

٣) وقد اختفى اثر جوسلين الثاني في ١١٤٨ C. de Mas Latrie, *Trésor de Chronologie*, 2211

ربيعة الباهلي كان في جيش ابي عُبيده مع ابي امامه الصُدَي بن العجلان صاحب رسول الله صلّى الله عليه وسلم فنزل حصناً بقورس فنُسب اليه فهو يُعرف بحصن سَلمان قال وقيل ان سلمان بن ربيعة كان غزا الروم بعد فتح العراق وقبل شخوصه الى ارمينية بعسكر[a] عند هذا الحصن[b] فنُسب اليه قال[c] وسمعتُ من يذكرُ ان سلمان هذا رجل من الصقالبة[d] الذين رتبهم مروان بن محمد بالثغور وكان فيهم زياد الصقلبي فنُسب اليه هذا الحصن.

ذكر كَيسوم

ذكرها ابن ابي يعقوب وعدّها في كتاب البلدان من العواصم وكانت مدينة كبيرةً قديمةً وولايةً واسعةً عظيمةً. وكان حُصنها حصيناً وبناؤه قويًّا ركيناً عصى [V.242 v] فيها على المأمون نصرُ بن شبيب العُقيلي فسيّر اليه طاهر بن الحُسين فلقيه نصرٌ وكسره وعاد طاهر مَفلولًا واصرّ نصر على عِصيانه فسير اليه المامون عبد الله بن طاهر فحصره بها الى ان فتحها وخرب الحصن وبقيت المدينة وهي الان قرية بينها وبين الحدث سبع فراسخ عامرةٌ فيها الفلاحون واستولى عليها صاحب سيس مع ما استولى عليه من الثغور والحصون المجاوره لبلاده

ذكر منبج

وهي مدينة حسنة البناء صحيحة الهواء كثيرة المياه والاشجار يانعه البقول والثمار واهلها حلق حسنة ويقال انها كانت مدينه الكهنة ودورُها واسوارها مبنية بالحجارة ولم تزل اسوارها في اكمل عمارة وقال ابن حوقل[e] : ومنبج قرية الى الثغر [B 96 v] ومنها الى الفرات مرحلة خفيفة ومنها الى قورس مرحلتان ومنها الى ملطية [V. 243] اربع ايام. وذكر ابو جعفر احمد ابن

a) Bal. 150, فنكر b) Bal. add. وقد خرج من ناحية مرعش

c) Bal., p. 150 وسلمان وزياد من الصقالبة الذين رتبهم مروان بن محمد في الثغور وسمعت من يذكر ان سلمان هذا الرجل من الصقالبة نُسب اليه الحصن والله اعلم

d) B. الصقاليه

e) *BGA*, II, 127 . . . ومنبج مدينة قريبة من الثغور ومنها

جبير في رحلته مدينة منبج حرسها الله تعالى فقال بلدة فسيحة الارجاء صحيحة الهواء يحويها[a] سور عتيق ممتدّ الغاية والانتهاء جوّها صقيل ومجتلاها جميل ومحلاها[b] ارج النشر عليل نهارها يندى طلّهُ وليلها كما قيل فيها[c] سحر كله يحفّ بغربيها وشرقيها بساتين ملتفة الاشجار مختلفة الثمار والماء يطرد فيها ويتخلّل جميع نواحيها . قلتُ : وفيها يقول ابو فراس بن حمدان يصف متنزهاتها[d] [رجز]

قف في رسوم المتجا ب وحيّ اكناف المصلّى
فالجوسق الميمون فا سقيا بها فالنهر اعلا
تلك المنازل والملا عب لا اراها الله محلا
حيث التفتّ وجدت ما ء سائحاً ووجدت ظلّا
وتحل بالجسر الجنا ن وتسكن الحصن المعلّى
تجلو عرائسه لنا هرج الذباب اذا تجلّى
واذا نزلنا بالشرا جير اجتنينا العيش سهلا
والماء يفصل بين رو ض الزهر في الشطين فصلا
كبساط خزّ جردت ايدي القيون عليه نصلا

وقال ابو زيد احمد بن سهل البلخي في كتاب صوره الارض والمدن[e] :

---

a) *GMS*, V, 248 يحف بها b) نسيمها c) فيه

d) والقصيدة حسب رواية ديوانه ، طبع مخلة قلفاط [بيروت ١٩١٠] ٨٩ ، وعند ابن شداد تُقرأ كما يأتي :

قف بالرسوم وحيّ أكناف المصلى
فالحرس والنور فالسقيا بها فالنهر الاعلى
تلك الملاعب والمناز ل لا اراها الله محلا
حيث التفتّ وجدتماً ء سائحا وسكنت ظلا
يزداد وادى عين قا صر منزلاً رحباً مُطلا
وتحل بالحصن الجنا ن وتسكن الحصن المعلّا
يجلوا عرائسه لنا هرج احمر العيس سهلا . . . [V. 243 v]

e) *BGA*, I, 62

واما منبج فهي مدينة في برّية الغالب على مزارعها الأعداء[a] وبقربها سنجة[b] وهى مدينة صغيره بقربها قنطرة حجارة تُعرف بقنطرة سنجه ليس فى الاسلام قنطرة اعجب منها وقال ابن ابى يعقوب في تعداد كور قنسرين والعواصم[c] وكورة منبج وهى مدينه قديمة افتُتحت صلحاً صالح عليها عمرو بن العاص وهو من قبَل ابي عبيده بن الجراح[1] وهى على الفُرات الاعظم وبها[d] منازل وقصور لعبد الملك بن صالح بن على بن عبد الله بن عباس قلتُ ويُؤيد ما ذكره ان الرشيد لما دخل منبج قال لعبد الملك بن صالح وكان اوطنها هذا منزلك قال هو لك ولى بك قال وكيف بناؤه قال دون منازل اهلي وفوق منازل الناس قال فكيف طيب منبج قال عذبه [V. 244] الماء عديّة الهوآء قليله الادوآء قال فكيف ليلها قال سحر كُلّه[2]

ذكر مَن بناها

قال محبوب بن قسطنطين[e] فى كتاب الذي [B. 97] وضعه فى اخبار ملوك الروم كانت حياة اسحق بن ابرهيم صلى الله عليها الى احدى وثلثين سنة[f] من مولد لاوى بن يعقوب وفي ذلك الزمان بنت الملكة سمرين بيتاً عظيماً لقبوس[g] الصنم في مدينة على شاطى الفرات واقامت له من الكهان سبعين رجلًا وسُمّيت تلك المدينة ابرولوس الذى تفسيره مدينة الكهان وهى

a) add. *BGA*, ومنها البحتري الشاعر فثابت ابنه بنا وسكانها عرب

b) Vat. سبخه

c) *BGA*, VII, 363 (!!) حسب ابن الشحنة

d) ينقص عند ابن الشحنة الى « قلت »

e) cf. *P.O.* V, pp. 663 sq.

f) *P. O.* ماية وثمانين سنة الى عام احد وثلاثين

g) *P.O.* اقرأ قبوام (*Enc. Islâm*, art. *Manbij*) E. Honigmann قبوس وحسب

1) الطلب L. Caetani, *Annali dell'Islâm*, 816 : La spedizione di Menbij fu compiuta, a quanto pare, dopo la caduta di Antiochia e quindi dovremmo attribuire la sottomissione di Menbij, all'opera del solo 'Iyâd b. Ganm

2) انظر G. W. Freytag, *Selecta*, p. 17

مدينة منبج العتيقه وفي بعض التواريخ المدوّنة : ولما كانت سنة خمسين من ملكه يعني بخت نصر قتل فرعون الاعرج ملك مصر واسمه بوياقيم وكان فرعون قد احرق مدينه منبج ثم بنيت بعد ذلك وسُميت ابروقيس وتفسيره مدينة الكهنه ويُقال ان اسمها كان اوّلاً سرياس ثم سُميت ابروقيس وقال كمال الدين بن العديم [V. 244 v] في كتابه اخبرنا ابو المظفر عبد الرحيم بن عبد الكريم بن محمد ابن منصور السمعاني في كتابه الىّ من مرو[a] قال اخبرنا ابو سعيد اجادة قال ومنبج بناها كسرى حين غلب على ناحيه الشام مما كان فى ايدى الروم وسماها منبه وبنى بها بيت نار ووكل بهـا رجل يُسمّى بَزْدانيار من ولد اردشير بن بابك ومَنْبَه بالفارسيه انا اجوّد فعرّبته العرب وقالوا منبج ويُقال انما سُمى منبَه بيت النار [فغلب على اسم المدينه قال ومنبج اسم البلد اعجمى وقد تكلّموا به] ونسبوا اليه الثياب المنبجانية

ذكر ملوكها

قد قدمنا قول ابن ابى يعقوب في فتحها وخالفه البلاذرى فقال : وقدّم ابو عبيده عياض[b] بن غنم الى منبج ثم لحقه وقد صالح مثل صلح انطاكية وقال ايضاً وقربه جسر منبج ولم يكون الجسر يومئذٍ انما اتخذ في خلافه[V.245]عثمان رضى الله عنه . ولم تزل منبج تنتقل فى ايدى من يلى حلب والعواصم مدة بنى اميّه وفي ايام بنى معباس على ما ياتى مُفصّلاً فى اخبار ولاة حلب الى ان وقع بين المعتمد بالله وبين احمد بن طولون المتولّى لمصر ولعنه المعتمد على المنابر ولعن ابن طولون المعتمد على منابر الاعمال التى في يده وخرج اليه من مصر في سنة اربع وستين ومايتين[1] فقصد حلب وكان مُتوليهـا من قبل المعتمد سيما الطويل احد موالى بنى العباس وقوّادهم فخرج من حلب هـارباً الى انطاكيه فحصره فيها فقتله كما قدّمناه آنفاً . فاستولى على ما كان في يده من البـلاد وهى جند حمص وجند قنسرين والعواصم كلها وولّاهـا غلامه لولو ورجع الى

a) B. الى بن مرو b) Bal. 180, عياضا

(1) ١٣ ايلول ٨٧٧ — ٣ ايلول ٨٧٨

مصر فعصى عليه لواو [V. 97 v.] فخرج اليه فهرب ولوْ فولّاها عبد الله بن ابي الفتح ثم توُفّي احمد في سنه سبعين ومايتين[1] وولى ولده ابو الجيش خمارويه فولى الشامات طغج ابن جُف الفرغاني وتوفى خمارويه سنه اثنين وثمانين[2] وولى ولده ابو العساكر جيش فاقرّ طغج والياً على ما بيده [V. 2.13 v.] ثم عزل جيش عن ولايه مصر وولى هرون اخوه فسلم حلب والعواصم الى المعتضد فولى فيها من قِبَله . ولم تزل في ايدى نواب بنى العباس الى ان ولى القايم الخلافه فولّاها بشرى الخادم فخرج اليه محمد بن طغج من مصر فلقيه على حمص فاخذه وخنقه فولى القايم ابا العباس بن كيغلغ فوصل الى حلب واتفق مع محمد بن طغج وحالفه وتغلب محمد على شام كله الى ان اخرج ابو بكر محمد بن رايق لقتاله[a] في سنه ثمان وعشرين وثلثمايه[3] فواقعه مرتين ثم كانت الثانيه على ابن رايق فانهزم في نُوَيس على الجفار وسار كافور الخادم مولى محمد بن طغج الى حلب فملكها والعواصم وقد قدّمنا هذا كله وانما الجانا لذكره في هذا الموضع لانّا جعلنا لكل مدينه مُسيّر تاريخ يستغنى به عن غيره[b] ثم كان تغلّب ناصر الدوله الحسن بن حمدان على الشامات منابذاً المتقى فلما بلغ محمد بن طغج ذلك قصده من مصر فخرج عن حلب هارباً ودخلها محمد وراسله المتقى وهو بالرقه هارباً من توزون التركى على ان يعاضده عليه فسار اليه واجتمع [V. 246] به فاكرمه وقلّده ما بيده من البلاد ثم رجع عنه الى مصر فقصد سيف الدوله حلب والعواصم وملكها واخرج عنها نايب محمد بن طغج وولى ابو فراس منبج فلما كانت سنة ثمانٍ واربعين وثلثمايه[5] خرج منها مُتصيّدًا في سبعين فارساً فصادفته الروم وقد اغاروا على بلد منبج وكانوا زُهى الف فارس يقدّمهم تودرس بن اخت ملك الروم فاشاروا اصحاب ابى فراس عليه بالهزيمه فابى وثبت حتى اثخن جراحاً واسروه ومَضوا به الى قسطنطينية وفي هذه الواقعة يقال[6]:

a) B. خرج الى قتاله b) B. add. شعر

١) ١١ تموز ٨٨٣ – ٢٩ حزيران ٨٨٤ ٢) ٢ اذار ٨٩٥ – ١٩ شباط ٨٩٦
٣) ١٨ تشرين الاول ٩٣٩ – ٦ تشرين الاول ٩٤٠
٤) انظر مصدرا الشذة عن انطاكية . ٥) ١٤ اذار ٩٥٩ – ٤ اذار ٩٦٠

ما للعبيد من الذى يقضى به الله امتناع
ذُدتُ الأُسود عن الفرا يس ثم تفرُسنى الضِباع

ثم خُلص في سنه خمس وخمسين وثلثمائه[1] [ولم تزل في يد بني حمدان الى ان انتهت دولتهم في حلب [لولو او بعده]

وفي سنه ست واربع مائة[2] نادى الفتح بقلعة حلب بشعار الحاكم وعصى بها وصالح [B. 98] صالح بن مرداس على مُناصفات ظاهر البلد واستولى صالح على بلاد منبج وحلب ولم تزل في يد بنى مرداس وهى في خَلَل ايامهم تارةً يتغلبون عليها نواب اصحاب مصر واخرى بنو مرداس الى ان [V. 246 v] قصدتها الروم فاخذوها واحرقوها في سنه اثنين وستين واربع مائة[3] من يد سابق بن محمود بن مرداس ثم عمرها وبقيت في ايديهم سبع سنين وفي سنه ثمان وستين واربع مائة[4] فتح ملك بن نصر بن محمود بن مرداس منبج ثم اخذها منه في سنه سبعين[5] تاج الدولة تُتُش ثم ملكها حسان بن كشتكين البعلبكى فى سنه اربع وثمانين واربع مايه[6] قال الشيخ ابو الحسن يحيى بن على بن محمد التُنوخى [المقرى][a] فى تاريخه وذكر حوادث سنه ثمان وثمانين واربع مائه[7] ان يوسف ابن ابق كان قد استأمن الى فخر المُلك رضوان بن تُتُش صاحب حلب فامر رئيس حلب بقتله فقتلهُ وكان في اقطاعه منبج وبزاعا فتسلمها فهذا مما يدلُّ على ان حساناً ملك منبج بعد هذا التاريخ وان تاج الدوله

a) B. البرى V. المرى (وقد حُكّت القاف)

١) ٢٨ كانون الاول ٩٦٥ — ١٧ كانون الاول ٩٦٦

٢) ٢١ حزيران ١٠١٥ — ١٠ حزيران ١٠١٦. اطلب في تغيير حكام حلب في ذلك الوقت E. de Zambaur, *Manuel de Généalogie..*, p. 33

٣) ٢٠ تشرين الاول ١٠٦٩ — ٩ تشرين الاول ١٠٧٠. ويذكر بعض المآخذ اليونانية Romain IV Diogène فتح منبج في سنة ١٠٦٨. اطلب وعارض تواريخ E. Honigmann, *art. cité.*

٤) ١٦ آب ١٠٧٥ — ٥ آب ١٠٧٦ ٥) ٢٥ تموز ١٠٧٧ — ١٤ تموز ١٠٧٨

٦) ٢١ شباط ١٠٩١ — ١٢ شباط ١٠٩٢

٧) ١١ كانون الثاني — ٣١ كانون الاول ١٠٩٥

تلش قطعها يوسف بن ايق وما زالت في يده الى ان قصده عسكر من جهة نور الدين بلك بن عازي بن بهرام بن ارتق[1] صاحب حلب لشيء بلغه عنه ورتب معهم انهم يمرّوا بمنبج ويطلبوا [V. 217] حساناً ان يخرج معهم للاغارة على تل باشر فاذا خرج قبضوه ففعلوا ذلك ودخلوا منبج فعصى عليهم الحصنُ ودخله عيسى اخو حسان واخذ حسان وحُبس في حصن خرت برق[1] بعد ان عوقب وعُرّي وسُحبَ على الشوك وحوصر عيسى في القلعة فنادى بشعار جوسلين ملك الفرنج فلما بلغ جوسلين ذلك حشد من كل الاقطار وقصد منبج في زهاء اشرة الف فارس وراجل ليرحل عسكر بلك عنها فسار اليه بلك والتقيا يوم الثنين ثمان عشر شهر ربيع الاول[2] فاقتتل العسكران فانهزم الفرنج وتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون الى اخر النهار ثم اصبح وقتل من اسر وركب يرتاد موضعاً لنصب المنجنيق على حصن فجاءه سهمٌ في ترقوته يُقال انه كان من يد عيسى فانتزعه بيده وبصق عليه ومات لوقته فحُمل الى حلب فدُفن بها . فلما قُتل وصل داود بن سكمان فاطلق حساناً واعاده الى منبج ولم يزل في يده الى ان تُوفي سنه تسع واربعين وخمس مائة[3] ووليها ولده سيف الدين ايوب [V. 247 v] ولم يزل بها الى ان توفي في سنه اثنتين وستين وخمس مائة[4] في زمن نور الدين محمود بن زنكي وكان بيده قلعة الجسر فوليها ولده غازي بن ايوب وعصى على نور الدين فنهد عليه عسكرًا كان مُقدمه مجد الدين [B. 98 v] ابو بكر بن الدايه واسد الدين شيركوه فقاتلاه حتى تسلّماها منه وقلعتها وقلعة الجسر وذلك في سنه ثلث وستين[5] وابقى عليه مروجاً فسار نور الدين الى منبج ثم عبر الى الرها وكان بها قطب الدين اينال بن حسان

a) B. om. ابن ارتق

١) يعني حصن زياد . حسب كمال الدين H. Or., III, 641 بانوا

٢) حسب كمال الدين (l. c.) في ١٨ = ١٩ شباط ١١٢٦ – ٧ شباط ١١٢٥

٣) ١٨ اذار ١١٥٤ – ٧ اذار ١١٥٥

٤) ٢٨ تشرين الاول ١١٦٦ – ١٧ تشرين الاول ١١٦٧ ٥) ١٧ تشرين الاول ١١٦٧ – ٦ تشرين الاول ١١٦٨ قابل بكمال الدين ROL. III, 413 sq.

فتسلّمها منه وعوضه عنها منبج وقلعة جعبر وتُعرف الان بقلعة نجم ثم اخذ منه القلعه وابقى عليه منبجاً ولم تزل فيده الى ان كسر السلطان الملك الناصر عسكر الملك الصالح اسمعيل بن الملك العادل ودخل الملك الصالح منهزماً وذلك يوم الخميس العاشر من شوال سنه احدى وسبعين وخمس مايه[1] حلب في خبر يطول ذكره هنا ونحن نستوفيه في امرا حلب ان شا الله ثم سار ونزل منبج فحاصرها في التاسع وعشرين من شوال[2] وبها قطب الدين المذكور وكان قبل شديد العداوة [V. 248] للملك الناصر وفي نفسه منه حزازات فحاصرها حتى اخذها فبقيت القلعه فنقبها النقابون وملكها عنوةً واسر قطب الدين ثم اطلقه فيما بعد وقُطب الدين هذا هو الذى بنى بمنبج المدرسه الحنفيه فلما فتحها اطلقها لامير يُعرف بالدويك ثم اخذها منه سنه اربع وسبعين وخمس مايه[3] واقطعها الملك المظفر تقى الدين عمر بن اخيه مع حماه وافاميه والمعرّة وقلعة نجم ولمّا مات الملك المظفر بخرت برت سنه سبع وثمانين[4] اقطعها السلطان الملك الناصر ولده الملك المنصور ما كان بيد والده من البلاد خلا افاميه فانها اقطعت لعز الدين ابرهيم بن شمس الدين محمد المعروف بابن المُقدّم واستمر منبج في يد الملك المنصور الى ان حاصر قلعه بارين واستولى عليها من نواب عزّ الدين بن المقدّم ثانى عشرى ذى القعده سنه تسع وخمسين وخمس ماية[5] وجرح[a] عليها ولما اتصل ذلك بالملك العادل كتب الى الملك المنصور واشار عليه بان يُعوّض عز الدين [V. 248 v] عن بارين منبج وقلعه نجم فتسلّمها فلم تزل منبج بيد عز الدين الى ان توفى فى ثامن عشر المحرّم سنه ست وتسعين[6] وترك بها ولده شمس الدين محمد وذلك فى ايام الملك الظاهر فجرّد الملك الظاهر عسكرًا

a) B. خرج

١) ٢٣ نيسان ١١٧٦ ٢) ١١ ايار ١١٧٦

٣) ١٩ حزيران ١١٧٨ — ٨ حزيران ١١٧٩

٤) ٢٩ كانون الثاني ١١٩١ — ١٨ كانون الثاني ١١٩٢

٥) هنا يعطي ايضًا ابن شداد تاريخًا خصوصيًا . عارض بأبي الفداء (*H. Or.*, IV, 249) و G. Weil, *Geschichte der Chalifen*, III, 434

٦) ٩ تشرين الثاني ١١٩٦

وسار الى منبج فنازلها فى تاسع عشر من شهر رجب سنه سبع[1] فتسلمها بالامان واخربها واخرب قلعتها وقبض على شمس الدين وعلى اصحابه واقاربه وحبسهم بقلعه [B. 99] حلب وتسلم قلعه نجم من سعد الدين بن فاخر وكان بها نايباً عن ابن المقدّم واقطعه قريه مَاير[b] من اعمال عزاز ووهب قلعه نجم للملك الافضل وكان في خدمته ولما عاد الملك الظاهر الى حلب بعَد فتح منبج اقام اياماً ثم خرج منها قاصداً لحصار الملك العادل فسير الملك العادل يستنجد ولده الملك الكامل وكان على ماردين فسيّر الملك الكامل اخاه الملك الفايز فلما عبر الفُرات اخذ منبج وعبث ببلاد حلب فلما اتفق الصلح بين الملك الظاهر والملك العادل عادت اليه منبج وذلك في [V. 262] سنه ثمان وتسعين[2] ولم تزل منبج فى يد نواب الملك الظاهر مده ايامه ومده من ايام ولده الملك العزيز الى سنه خمس عشره وستمايه[3] قصد كيكاوس صاحب الروم حلب واعمالها ومعه الملك الافضل نور الدين علي صاحب شُميساط فنزل على منبج واخذها مع غيرها من البلاد وخُطب له بها ثم خرج عنها بعد ايام قلايل لما قصده الملك الاشرف موسى ابن الملك العادل وعادت الى الملك العزيز وكانت في يده ثم فى يد ولده الملك الناصر سلاح الدين من بعده الى ان كان اليوم الرابع عشر من شهر ربيع الاخر سنه ثمان وثلثين وستمائة[4] قصدت الخوارزمية منبج وهجموها وقتلوا اكثر من فيها وسبوهم وكانت قد انتهت في العماره في دولتى الملك العزيز والملك الناصر ثم جرَى على الخوارزميه ما نحن ذاكروه ان شا الله تعالى وعادت منبج الى الملك الناصر واستمرت في يده الى ان استولت التتر على بلاد وانقضت دولته ثم لما انهزمت التتر بين يدى السلطان الملك المظفر قُطُز التركى عادت حلب واعمالها اليه ثم [V. 262 v] انتقلت بقتله الى مولانا السلطان الملك الظاهر ابى فتح بيبرس ملك مصر والشام ولكنها خربت على يد التتر وفيها

b1 B. مابرين

١) ٢٥ نيسان ١٢٠١
٢) ١ تشرين الاول ١٢٠١ — ٢٠ ايلول ١٢٠٢
٣) ٣٠ اذار ١٢١٨ — ١٩ اذار ١٢١٩ ٤) ١٣ تشرين الثاني ١٢٤٠

نفر من التركمان قليلون لا يتجاوزون الماية بعد ان كان يُجبى[a] منها فى كل سنة اديوان السلطان ما هذا تفصيلهُ: العرصة ٩٠٠٠٠ ، الجهة المستجدة ٤٠٠٠٠ ، سوق الغزل ٨٠٠٠ ، صبغ الاورق ١٣٠٠٠ ، صبغ الملوّن ٥٠٠٠ ، الافراح ٩٠٠٠٠ ، سوق الغنم ٣٥٠٠٠ ، فندق القزّ ١٥٠٠٠ ، معصرة الثيرج[b] ٣٠٠٠ ، الطارى ٦٠٠٠٠ دلالة الدواب ٦٠٠٠٠ ، الختم والسمسرة ١٣٠٠٠ ، طواحين الخص ٤٠٠٠ ؛ المفادنة ١٠٠٠٠٠ ؛ طواحين الساجور[1] ٢٠٠٠٠ الموارث ٥٠٠٠٠ — فذلك خارجاً عن الضواحي خمس مائة الف وعشرة [B. 99 v] الف درهم [كذا].

وقد ذكرنا من امر هذه العواصم بما اقتدينا في ترتيبه على ما [V. 263] رتبه من عليه في ذلك المعوّل من اهل الصدر الاوّل واتينا بما امكننا منه القدرة والاستطاعة وجرينا فيه طلق الادراك لنيل الاغراض المطاعة ولا ندّعى الحصر والاستقصاء ولا خرجنا عما رسمه الثقات ممن دوّن الاخبار والانباء. وقد تغيرت معالم هذه الحصون وذاع من سر خرابها ما كانت العمارةُ له تصون ولا عجب فان الايام مُدنيات كل جديد الى البلاد[c] وقاضيات على الاوطان بالخراب وعلى القطان بالجلا

واما قلعة نجم

فانها كما قال القاضى الفاضل في بعض رسايله ووافينا قلعة نجم وهى نجم في سحاب وعُقاب في عِقاب وعمامةٌ لها الغمامةُ عمامه واغلةٌ اذا خضبها الاصيل كان الهلالُ لها قلامةُ . وكانت قديماً تُعرف بجسر منبج وهى على شاطى الفُراتِ والجسر في ذيلها ولم تزل بُليدةً صغيرة فى صدر الاسلام الى ان عمرها نجم غلام جنى الصفوانى بعد [V. 263 v] الثلثمايه[2] تقريباً وهى قلعة حسنه

a) B. يجبى b) B. سيرج
c) V. البلا

١) نهر يصبّ في الفرات في الشمال الشرقي من منبج.
٢) ١٨ آب ٩١٢ — ٧ آب ٩١٣

حصينة لها ظاهرٌ باهرٌ للطرف قاصرٌ عنه الوصف ملكها بنو حمدان ثم بنو مرداس ثم كانت لبني نُمير وآخر من كان بها منهم منصور بن الحسن بن جوش ابن منصور النميري وهو من ولد الراعي عبيد بن الحصين الشاعر فقتل منصور واخذت القلعة من ولده نصر وسبب اخذها منه انه اصابه عمى وله من العمر اربع عشره سنه وملكتها بعده التركمان ثم اخذها منهم بنو حسان ولم تزل في ايديهم الى ان انتهت دولتهم وفتح صلاح الدين منبج وجرى فيها ما تقدّم ذكره من انتقالها مع منبج من يدٍ الى يدٍ الى ان اخذها الملك الظاهر ودفعها لاخيه الملك الافضل ثم استرجعها منه لخوفه من اخذ الملك العادل لها وذلك في شعبان سنة تسع وتسعين وخمس[1] ماية ولم تزل في يد الملك الظاهر الى سنة ثلث عشرة[2] اقطعها لعتيقه الامير بدر الدين ايدمر المعروف بوالي قلعة حلب فزاد في عمارتها وبنى بها جامعاً كبيراً بديع البناء واسع الفناء وخاناً [V. 264] للسبيل ورتب فيه صدقة مستمرة ووقف عليها اوقافاً مستقرة ولم تزل في يده الى سنة [B. 100] تسع وعشرين [وست ماية][3] وذلك في ايام الملك العزيز وصارت الى ولده الملك الناصر فيما صار من البلاد وما زالت في ملكه الى ان انقضت الدولة اخربتها التتر جميعاً ثم توفي في شام سنة ثلاثماية [كذا] وخمسين والله اعلم بالصواب.

١) ١٥ نيسان – ١٤ ايار ١٢٠٣
٢) ٢٠ نيسان ١٢١٦ – ١٠ نيسان ١٢١٧
٣) ٢٩ تشرين الاول ١٢٣١ – ١٨ تشرين الاول ١٢٣٢

بنت جفتاح

مأساة شعرية ذات فصلين

جائزة « الجامعة الادبية » للسنة ١٩٣٥

بقلم سعيد عقل

توطئة

وصلنا الادب العربي ، وهو يجهل « الانواع الادبية » ، حتى الاولية منها كالملحمة . وكان على نهضتنا الحديثة ان تحاول جهدها مجاراة آداب الامم في هذا المضمار .

اترك الملحمة لظرف آخر ، واكتفي الان بدرس المرسح .

***

اني ، بكثير من الجرأة ، أشبه ناظري عما وسموه عندنا بسمة المرسح ، فأبدأ بعرض عام ادرس فيه انواع المرسح عند الامم الراقية .

ثلاثة مراسح في الآداب العالمية لم تخنق : اليوناني ، والاتباعي المدرسي في القرن السابع عشر ، والشكسبيري .

المدرسي الفرنسي صورة اروع للمرسح اليوناني ، فاترك سوفوكل وأوريبد الى راسين وكورنيل . فيبقى لديَّ مرسحان لنوعين مختلفين : الشكسبيري والمدرسي . على ان هذا الاخير نفسه ، منقسم الى نوعين مع راسين ، وكورنيل . طريقة راسين تقضي بوصف « العارض في اشد حالاته » ، فاذا المأساة عاصفة مهيئة من زمن تنفجر على المرسح فلا يمكنها ، والحالة هذه ، ان تطول او

تجري في اماكن مختلفة فتتوافر وحدتا الزمان والمكان. وطريقة كورنيل تتابع وصف العارض من نشوئه الى حدّته الى انحلاله. خذ له « السيد » مثلاً، فترى ان العارض لا يبدأ الا بعد صفعة « الكونت »، اذ يقف « رودريك » حائراً: ايترك والده سليب الشرف، ام يقتل والد « شيمين »، والد حبيبته؟ فلو تناول راسين « السيد » هذه، لبدأ الرواية من هنا. ومن البديهي ان تكون طريقة راسين الطريقة الاكمل لبساطتها ولاكتفائها بأخذ البعض من حالات النفس ترسل عليه النور، فتبدو النفس وعواطفها بأجلى مظهر. وعليه يكون النوع الراسيني النوع الذي اقصده من المرسح المدرسي.

اما المرسح المنتسب لشكسبير فالثابت ان صاحبه لم يكن متضلعاً من اللاتينية واليونانية فيأخذ بمرسحهما ويرقيه، كما فعل راسين، فنشأ مرسحه من نوع الادب الاولي، اي « الملحمي ». فكما ترى في « الالياذة » مثلاً، عصور اليونان الاولى، تتهادى امامك حيّة أخلاقاً وعادات، هكذا ترى في « روميو وجوليت » وفي « هملت »، عصرين: ايطاليًا وداغركيًا، يخفقان باخلاق هذين البلدين وعاداتهما.

ظلّ البحث قائماً على راسين وشكسبير، فأيّ النوعين تعتمد في نهضتنا، وقد ثبت لنا انهما مختلفان؟

الاول يدرس « عارضاً » واحداً، ويدرسه بكثير من التعمق بحيث لا يعطيك النفس الواحدة الا وهي تخفق بين يديك كأنها نفسك. والثاني يصف لك « عوارض » عدة وجماعة كاملة. واذا حالت وفرة اشخاصه دون التعمق في درس كل نفس، فتعتاض انت بانّ امام عينيك عصراً كاملاً او بشرية باسرها، ولو باهتة الالوان.

الاول — وهو درس — يقتضي له، على قولهم، انشاء وضعي رصين، يسيّره المنطق، أداة الدرس الاولى، فيخلو من المقاطع الغنائية او الملحمية. والثاني — وهو تصوير عصر او بشرية — يستدعي الانشاء الغنائي والملحمي لغة البشرية في كل آن.

لا يجوز لنا الاخذ باحد هذين النوعين، مهما كان كاملاً، الا اذا وافق

اميـال بيئتنا وذوقنا الحديث. فما هي اذواقنا وما هي اميالنا ؟ وهل نستسيغ راسين بإجماعه ، او شكسبير بإجماعه ؟

ان هوغو ، قد اخفق مرسحه ، يوم اراد ان يحذو فيه حذو شكسبير ، فهل يعني ذلك انّ المرسح الشكسبيري لا يوافق غير الانكليز ولا يلائم العصور الحديثة ؟ وانه لا يستند في البقاء الا على « العتق » ، كأدبنا العربي المزيل ؟ وانه لذلك خليق بالاهمال ؟ لا ؛ والتشبيه الذي جئت به بعيدٌ بعد شوقي عن راسين . . . فانما لمرسح شكسبير مزايا مرسحية حقًّا تفيدنا نحن الشرقيين على الاخص . فهو نوع أمثل « للمرسح الشعبي » (mélodrame) ، الذي نجح عندنا في « عاصفة في بيت » و « الذبائح » و « العواصف » لانطون يزبك . ومن جهة أخرى ارى ان حالتنا ــ تلامذة العرب ــ غير حالة مشاهدي هوغو في فرنسة . هؤلاء اعتادوا مع راسين وكورنيل مرسحاً منطقياً يكاد يخلو من الغنائيات ، فلولا بعض مقاطع من مثل « مونولوج رودريك » و « اغاني استير » ، لرأينا المرسح المدرسي الفرنسي خالياً من الوتيرة الغنائية . وجاء هوغو فقدم لهم فجأة نوعاً مماكساً تماماً . اما نحن ــ تلامذة العرب ــ فوقفنا من هوغو ، التلميذ الصغير لشكسبير ، غير موقف الافرنسيين ، وقد اعتدنا ان نرى شاعراً يسمعنا من على المنبر مائة بيت كلها من النوع الغنائي ، اعتدنا ان نقرأ من الغنائيات حتى الاهاجي والمدائح ، وقل اخيراً اعتدنا ادباً كاملاً يكاد لا يعرف الا النوع الغنائي . الافرنسيون أنِفوا ، في الطريقة المدرسية ، التنظيم ، والبساطة ، والوضوح . ونحن ألفنا « الفوضى الفخمة » والتعرّض « للملحميات الناقصة » من مثل ادب هوغو ، واني على مثل اليقين من ان صاحب « البورگراف » لا يخفق على مرسحنا إخفاقه في باريس .

فنحن بالتالي ، إزاء مرسح شكسبير الغنائي الملحمي ، نحسّ اننا في قلب ادبنا العربي المدرسي الذي لا يمكننا ان نخلعه بالكلية .

امـا راسين فيغري ذوقنا الحديث المثقّف على الادب الاوروبي ، يغرينا بوحدة العارض التي تمكنه من درس النفس البشرية ، الامر الذي نلتفت اليه بظمإ في كتاباتنا الحديثة ، ويغرينا اخيراً بطريقة تسيّل ــ وهي وحدة ومنطق ــ

على الذوق ، عدوّ الضوضاء والفوضى .

فأرى لزاماً ، والحالة هذه ، ان نلتفت بآن واحد الى صاحب «اندروماك» ، وصاحب « هملت » .

***

وبعد فقد تأثرت ، في « بنت يفتاح » ، بطريقة راسين . فأخذت « عارضاً » ووصفته في « حالة اشتداده » فانقادت لي الوحدات الثلاث ؛ كما اني سايرت الميل العربي الى الغنائيات والملحميات فكنت كشكسبير غنائياً ملحمياً ، ولكن الى حدّ ، بحيث لا اسقط من المبالغات حيث سقط هوغو .

وفي وصف النفس البشرية رأيت ان المحدثين من مثل راسين وكورنيل لم يكتفوا بتصوير دقائق العاطفة الواحدة ، والعراك بين الاشخاص المختلفين ، بل صوّروا العواطف المتضادّة في النفس الواحدة ، وهكذا خلقوا « الفاجعة النفسية » او « فاجعة الضمير » . وهذه ميزة للادب الحديث على الادب اليوناني ، فلم امرّ بها دون نظرة جدية .

وإجمالاً كان المرسح عندي « قلقاً » . فقد ذهب جول لمتر الى ان المرسح هو هذا « القلق » الذي يغمر قلوب المشاهدين ، اذ يتوقّعون اصطدام خُلق بخلق مُضاد . فتخلو الرواية من المفاجئات على المشاهدين ، بحيث يتعرّفون الموضوع كله منذ البدء إما لشهرته وإما لاتقان « العرض » القصير ، فلا يتساءلون بعدُ : « ما هو سرّ العراك النفسي ؟ » لانهم يعرفونه ، بل يتساءلون : « كيف يتعرّف اشخاص الرواية الى هذا السرّ ، وكيف يتحاشون خطبه ؟ » . اجل ان هذا « القلق » هو المرسح ، كل المرسح ، وقد تجلّى في الآداب العالمية في مأساة خالدة : « اوديب الملك » لسوفوكل .

***

اما اني كنت في إنشائي على طريقتي المعروفة ، التي تصف العواطف بالصور او على الاصح بالايحاء ، فأمر ما انا بالنادم عليه آتي به في المأساة . وقد آن للمتأدبين ان يفهموا أصول المرسح ومقتضيات انواع المرسح . فالمأساة غير «القطعة» المرسحية ، وغير « المهزلة » ، وغير « المرسح الشعبي » . المأساة مفترض فيها « جلال

الحزن ، وان ترفعك بايهامها الى مثل الحلم » ، فتنفلت انت — وهذا شرط الفن — من الحقيقة الوضعية. ولهذا اوجبوا فيها الشعر دون سواها. فهي ، دون بقية الانواع المرسحية ، لا تحاكي الحياة العادية . والّا كان عليهم ان يحظروا الشعر فيها ، حتى العادي منه ، لانه ليس في حياة العامة . قلت ان انشاء المأساة يجب ان يكون على روعة الإيهام ، يحاول ان يظهر العاطفة بالصور او يوحيها إيحاء . واني مُقدّم نظرية عملية جدّ عميقة ، للسيدة ده ستال ، قالت: « اذا حرّكت النفس عاطفة قوية ، فالمرء العادي نفسه يلجأ الى الصور والاستعارات. هو يستعين بالطبيعة الخارجية ليعبّر من نفسه عما لا يُعبَّر عنه ». وهل المرسح غير تعبير عن « عواطف قوية » ؟

***

مفترضٌ في « المأساة » ان يكون موضوعها عريقاً في القدم ، يعطيه غبار السنين جلالًا . فأخذتُ موضوعي من « العهد القديم » ، واستخدمته للتعبير عن عواطف بلادي وامانيها .

اما اشخاصي فقد جعلتها أميل الى اشخاص كورنيل. ذلك ان الروائي الذي « صوّر الانسان كما يجب ان يكون » لتظلّ طريقته اجدى لبلادٍ تريد في بدء نهضتها ، ان تتوفّر المُثُل العليا . واني لاجدها جريمة كبيرة ان يبدأ المرسح عندنا بوصف نفوس هذا العصر كما هي . ففي مثل هذا الوصف قطع رجاء ، وقنوط من حياة شعبٍ يأمل أحراره منه ان يلتفت الى الشمس .

***

اعطاني « سفر القضاة » من « العهد القديم » — وقل التاريخ — ان يفتاح رجلُ بطش ولدته لجلعادَ امرأة بغيّ . فاذا كبر اخوته ، انكروا عليه الأخوة وطردوه . ولا يذكرونه الا متى اجتاحهم « بنو عمون » واستبوهم . ومقابل محاربة يفتاح للعدوّ يُقرّ له اهله بحقوقه وبالسيادة عليهم. وينتصر يفتاح. لكنه يكون قد نذر قربان الظفر اول بكر تخرج للقائه . فيتفق ان تكون الاولى بنته الوحيدة . ويعطيها شهرين تبكي بكوريتها على جبل جلعاد ثم ينفّذ فيها

النذر. ويصير رسماً عند اسرائيل ان تقوم العذارى في كل سنة الى جبل جلعاد يتفجعن على بنت يفتاح.

وهكذا خلقت الرواية :

افترضت ان يفتاح على اثر طرده استبدل اسمه بجلعاد ، وكتم بنته الامر، فربّاها لا تعرف في والدها — جلعاد — الا رجل اصل واعمال كبار ، كما ربّاها على كره يفتاح، فاذا اجتمعت باتراب لها من اسرائيل يحتقرنه، ويحتقرنَ ذكره، لم تتوانَ عن مشاركتهن هذا الاحتقار . وبدأت المأساة عند تردّد يفتاح لدخول الحرب: ايترك بلاده للعدوّ سبية؟ ام يدخل المعركة فيشتهر اسمه وينتضح أمرُه عند بنته ؟ فكانت روح الرواية في « قلق » المشاهدين على بنت يفتاح « الابية » اذا عرفت سرّ ابيها « الوضيع » ، وعلى يفتاح « المتكتم » اذا « انتضح » امره عندها.

بنت يفتاح *

الاشخاص

يفتاح
راحيل : بنت يفتاح
المجنونة : امّ يفتاح ، عاهرة من جلعاد
تامار : خدمة لراحيل

يمثل المرسح تلّة من « طوب » ، قرب « جلعاد »

الفصل الاول

الحربة

برجٌ على التنور الهوانُ ،
ومـآتمٌ معـه الجنانُ ؛
وبـأضلع الاحرار « آبادٌ
صغيراتٌ » حسانُ ،
إن يستبدَّ بها الزمانُ ،
يُغنِ ثورتها الزمانُ .
لي ، مثـل غيري بالعُلى
المثناف ، مرمى وافتتانُ ؛
انا لا اذلّ ، وفي جبين
الشمس يبدو لي مكانُ !

* الحقوق محفوظة ؛ والنقل محظور ، ولو مقاطع .

الفصل الاول

مضرب إلى اليمين ؛ عرقة متداعية الى اليسار ، يظلّلها شجر جبلي . الليل في السحر يُنازع ثبتاً فثبتاً .

المشهد الاول

يفتاح ثم المجنونة

يفتاح

أيُّ تيهٍ ، يا ربِّ ، أيُّ مقاديرَ تقاذفنَ عزّتي وقيادي ؟
أنا في حيرة ، أهادن دهري ، واهزّ الآلامَ ملء فؤادي ،
انكرتني عشيرتي ، ورمتني هائماً في قفار « طوبَ » الجهم ،
فرعُ مجدٍ ، مدرّبٌ في المعالي ، كنت دنيا ، لولا مذلّةُ أمي .
انكرتني «جلعادُ» عزي ، فلا تذكر بطشي ، لولا العدوُّ الباغي ،
أتُراني مجيرها من عداها ، وانا الثأرُ بين ظفر وناب ؟
انا سرٌّ كتمتُهُ عن كياني ، عن أحبِّ البنين ، عن راحيلا ،
إن أجب داعي الوغى يَشعِ اسمي عند بنتي ، فالتقيا ذليلا ،
وإخال الاسباط تهتف باسمي في غدٍ ، وابنتي تُصِمُّ المسامع .
قذفتني الاقدارُ دُميةَ لامٍ فأنا حائرُ الأماني ، ضائع
بين أمّ مجنونةٍ تملأ البيد صراخاً ، وتملأ الامس عارا ،
وابنةٍ صُنعِ ما أريد ، تردّت بغض يفتاح ، في الحياة ، شعارا ،
ذكرهُ عندها جراحٌ على القول ، وتجديفةٌ على وجه قدسٍ ،
ومرورُ اسمهِ على شفتيها غيمةٌ من أسى على جوِّ عرسٍ !

يصمت فجأة فيرى الحد بشعر كث ، وجنون ناشئ ، واثواب ممزقة

أمّ !

المجنونة

يفتاح .

يفتاح

لا أنا لست يفتاح . انا لابنتي علاء ونور !
أنا . . .

المجنونة

يفتاحُ .

يفتاح

لا تعيدي على اسماعيَ اسمي ، فكل ما بي يثورُ .

المجنونة

اين راحيل ؟ انت تمنعني عنها ؟ ولا كتم بعدُ لا استارا ؛
كبرت ، فالسؤال ينشقّ عن فيها ، وتبدو الدنيا لها أسرارا .
شئتَ أم لا ، أنت ابن فاجرة !

يفتاح

امي، حنانيك ! أقصري في المقال !
انا أدرى ، الى الصميم ، إلى إخفاء حالي عني ، وانكار حالي .

المجنونة

يشتدّ عليها المارض فتقوم بشق الايماءات إلى الفضاء البعيد

عبثاً تصعد التلالَ المنيفات ، وتجري تهرّباً في الفضاء !
أتعدُّ السقوط من علٍ ، يا يفتاح ، من مرتقى ظنون الرائي؟!

يفتاح

عاودتها روى الجنون .

المجنونة

مستطردة

أتبغي مسحَ وجه الاوضاع بالأوهام ؟

عودِ البنتَ رؤيــةَ الحاضرِ القفر ، فلا تشرق الشموس الدوامي .

يفتاح

باشتياق

لو تعي قولهــا ، وتعرف راحيل ، وجوًا عاشت به راحيلُ !

بترفق

طفــلةٌ من تبتسم الصبح في الرونق ، مــالت على العُلى وتميلُ .
مثلُ ابكار ربعها ، تعشق المجــد ، وتزهو بالمحتــد المعبودِ ،
تلتقي ، في الربيع ، بعضَ سجاياها ، وفي الانبياء بعضَ الجدود .

بحسرة

انا ربيتُهــا على كره يفتاح ، وقاسمتهــا مــيتــة إسمي ،
فأنا ، عندها ، ابن اكرم بيتٍ ، باسم «جلعادَ» ، وابن أشرف أمّ !
اتراني أوحي لهــا سرَّ فرعٍ لطختــه أمي بثوب العــار؟!

المجنونة

ترى راحيل فتتنهد اليها

هي راحيــل في الخميلة . . .

يفتاح

يمنعها بشدة

خلّيا شعاعاً في جيرة الأزهــار !

المجنونة

غاضبة لمنعها رؤية حفيدتها

الضيــاء الضيــاء من ترهــاتٍ نسجتهــا أنامــلُ الانســان ؟
وغدُ البكر ليــلةٌ وفرة الرجس ، وجوٌ مخضّبٌ بالهوان ،
كذبٌ طهرها ! . . .

يفتاح

متنفعاً لاهانة بنته

أناتك ، أمي !

المجنونة

كذبٌ مثــل محتــدٍ براق .

يفتاح

انت تضنين بحتدي ؟ وهو معنى فيه ، لولاك ، روعة الاشراقِ .
ولو انشقت الظواهر عني ، لتراءى دمانِ طيَّ جَناني ؛
ولو البرُّ بالأمومةِ يرضى ، لاتبرى واحدٌ لحرب الثاني .

وكأنه قد ندم على اهانة امه

عفوَ أمي ، إن اجرؤ اليومَ بالقول !

المجنونة

وفي جرأة الذليل اتضاعُ !

يفتاح

بتكبر وثورة

ما أنا بالذليل !

المجنونة

ما أنت يفتاح ؟ !

يفتاح

بتكبر وتعسر

بلى ! لو تميد تحتي البقاعُ !
مُرّةٌ في فمي الحياةُ ، ودكناء المرامي في ناظري المكلوم ،
وتكاد الشموس تظلم في وجهي ، ويبكي معي بياض الغيوم !

المجنونة

أبياضٌ في وجه نذل شريدٍ خلّته جلمادُ إلف الذواري؟!

يفتاح

مهلَ أمي ! قربَ ضارٍ من الوحش عليه بعضُ النفوس الكبارِ !

المجنونة

إخفضِ الرأس .

يفتاح

في انكسار جبيني غضبةٌ للعلى ووجه الخيالِ ؛

إن ورثتُ الدم الأذلّ ، فنفسي ، في ضلوعي ، على جبينٍ عالٍ !

المجنونة

خلِّ عنك الإباء .

يفتاح

مشيرًا إلى وجه أمه

لا ، واعتزازي في ابائي لقاء وجهٍ أغرّا ،
انت امي ، وانت سرُّ عذابي ، فدعيني ابثك الحبَّ مُرًّا .

المجنونة

حبك الذل ؟ !

يفتاح

لا ، وفيه جلالٌ .

المجنونة

هو ذلٌّ !

يفتاح

بعناد صبر

ذلٌّ ، إذا يلقاكِ !

وكأنه ندم على كلمته

أنا اهواكِ ، كيف كنتِ .

المجنونة

وقد تقدم يفتاح يريد تقبيل يدها

تراجع !

يفتاح

انا اهواك .

المجنونة

عُدْ

يفتاح

يكون قد ارتمى دونها ، يرغمها على التراجع

أنا اهواكِ !

فاذهبي.

المجنونة

غاضبة لطردها

انتَ ؟ أنتَ يفتاحُ ؟

يفتاح

خلّيني.

المجنونة

مولولة من الداخل

طريد الركبان من كل ظعن؟!
ثمر العار! ولد فاجرة حمراء! وُلدي انا! وتبرأ مني؟!

يفتاح

ايها الحفنة الحقيرة من نثر الضحايا، ومن رفات الجريمه،
لا، وراحيل، ما تبرّأتُ من وجهٍ تهادى عليه طيفُ الأمومه.

المشهد الثاني

يفتاح وحده

ربِّ يكفيك ذلتي في حياةٍ وَفرة الصبر، وَفرة الآلام،
أترى يطلع الصباح، ويفنى اليومُ في سرحة الزمان الدامي؟

يلتفت الى حيث مضت امه

ذهبت تنشر الصراخ وجيعاً، وإخال احتضاره في ضلوعي،
ويكاد البعاد يحجبها عني، وتبقى برّاقةً في دموعي؛
تركتني إلف التأمل في حالي، وفي طالعي الوجيع القروح،
ورمتني سحابةً في فضاء التيه، الموبةً بكفّ الريح.
رأيُ مجنونةٍ لها! أم كلام الوحي ألقاه في لماها الله؟
وإلى مَ الكتمان في أمر سرٍّ بدأت تلتقي عليه الشفاهُ؟

حَيرةٌ مرةً تهدّم نفسي ، وتريني الحياةَ حرّى الكلوم
أيُّ هولٍ غداةَ تعرف راحيلُ ، وأيُّ ارتعاشةٍ في صميمي !
بين خطبينِ صارخين بصدري : ذلُّ أهلي ، وجرحُ آمالِ بنتي ،
كيف أحيا ، وكيف أسحب رجليّ على الأرض ، وهي تنهار تحتي؟!

مستقرّ الرأي

أنا أمضي لمصرعي ، في وغى الأحرار ، أقضي حقَّ الأُباة العوادي ،
إن يَفتني الفرع للهلّل كبرًا ، لا يفتني الردى فداء بلادي .
فتراني راحيلُ في النصر ، أو في الموت ، أسمى مني ، ولم أمحُ ذلي ؛
وإذا يذكرون ذلي لديها ، تلتقيهم برايةٍ أو بنصل !

يتنازل درعه عن المعركة

المشهد الثالث

يفتاح ، راحيل

راحيل

فرحة ، تحمل طاقة من الزهر

أإلى الحرب ، يا أبي ؟

يفتاح

وإلى النصر .

راحيل

هنيئاً لنا افتداء الديار !
انا أهواك ، يا أبي ، قبلة الناس ، عقيد الفوارس الأحرار .
انا اهواك ، حاملَ الرايِ سمحاء ، ومستقبل الطعان سخيًا ،
بين لمع الحراب ، بين المواضي ، يخفق النصر من حواليك حيًا .
تخلع المجدَ والهناء على جلعادَ ، فجرًا مجرّر الاردانِ ،
فيقولون في لقائك : « حرّ » ويقولون : « بنتُهُ » ، وكفاني !

يفتاح

تمشقين العُلى .

راحيل

واعشقه في والدٍ ، مطلع العُلى من ظبـاهُ ،
فهو معطيٌ رفرفاتي إلى المجـد ، ومغنٍ عن علي في سواه .

تبدأ الناجمة النفسية تتراءى على وجه يفتاح ، ويتابع ذلك في كل من المشاهد التي تقوم على يفتاح ويفتو .

عجبٌ ما لوجهك أصفرَ وأنهدَ رواء ؟

يفتاح

راحيـلُ ، خلي المفـاخر .

راحيل

لِمَ يا والدي ؟ ونحن . . .

يفتاح

كباقي الخَلق .

راحيل

لا لا ، ونحن أسمى منـائر ؛
نحن فرع الامجاد . ليس « شكيمٌ » في ذوينا ، وليس « يفتاحُ » . . .

يفتاح

يكفي !
لا تزيدي ، راحيل ، لا تتجنّي !

راحيل

متعجبة

أيَّ ذنبٍ اتيتُهُ ؟ أيَّ خسفٍ ؟
انا عرضتُ ، عن قِلىً ، بالذليلَين : شكيمٍ ، وتربـهِ يفتاحـا :
مائتٍ ، ذكرُهُ ظلامٌ ؛ وحيٍّ ، يجرح الخاطرَ أسنُهُ والصباحـا .

يفتاح

لا تضلّي ، راحيل ، في كفّ يفتـاح أماني الاحرار من جلعـادا .

بطلٌ لا يَخبُ في سرحة المجد سواه ، إذا الفخار تنادى .
فاذكري الحربَ ، واذكري الذلَّ ، يا راحيل ، « عنون » في حمانا يجورُ ،
داسنا : فالربوع نقرٌ ، وأهلوها جباهٌ زلفى له وخورُ .
لا وليٌّ يقودنا . . .

راحيل

لا وليٌّ ؟ !

يفتاح

غير يفتاح .

راحيل

والذليل ذليلُ !

يفتاح

اقصري في المقالِ ! إن يعش يفتاح إلى الحرب ، فاللهاث صليلُ ،
والجباهُ الخنوعُ غضبةُ مجدٍ ، والبلادُ انتفاضةٌ شتاء .

راحيل

بغضب

يا « لجلعادَ » ! يلجأون إلى الذل ، فأين الأحرار ؟ اين الاباء ؟

تشير إلى أبيها

اين جلعادُ ، فارسُ الظفر الزاهي ، أبي ، أين سيفه المسلولُ ؟

يفتاح

كأنه يتحسر

لستُ في الحرب مثلَ يفتاحَ .

راحيل

ما قلتَ ؟ وأمساً قامت اليك السهولُ
في رجالٍ براسلٍ مرّغوا الكبر انضاعاً على تراب الدارِ ؛
بسمة منك أرقصتهم فاجرا طرباً يلتقون لمع انتصارِ ،
هتفوا فيك للوليّ المفدّى ، والتقاك الشيوخ بالصولجان ،

وإذا ازورّ عنهُ طرفُك ، مادت بهم الأرضُ في ثياب الهوانِ .
ثقةٌ فوقها التلفتُ لله ! فهل نال مثلها يفتاح ؟

يفتاح

لا تقيسي إليه أيَّ كميّ تخشع البيضُ دونه ، والرماحُ .

راحيل

انت تعلوه . أنت سيف صقيلٌ شقّه الله مشرقاً في البريّه ،
بطلٌ فيك من يشرعَ مُعيد الشمس ، ليلاً ، بضربةٍ علويّه ،
تقتل الزند من تجهّم لبنان ، وتلهو بالموت حُذرُ بنانك ،
وتكاد الذُرى تُحسُّ تهاديك ، ومرُّ المدى صهيلَ حصانك ؛
انت تعلوه .

يفتاح

لا !

راحيل

بنفاد صبر

اما انت جلعاد ؟ !

يفتاح

بلى ، يا ابنتي ، ويفتاح دوني .

راحيل

أين منك الوضيعُ ؟

يفتاح

وحده

ربي ، كفاني !

راحيل

اين منك الثاوي على كل هونٍ ؟ !
ذلّ يفتاح . . .

يفتاح

بسطوة وقد نفد صبره

هاتِ ، راحيلُ ، سيفي ، ونبالي ، والقوسَ .

تخرج راحيل

يا ويــلاهُ !
ايّ خطبٍ يدهاك ، ان يبدُ أمري ، يا ملاكاً يفتاحُ كان اباهُ !
عُمُرٌ قــاتمٌ يمرُّ ولا ينشقّ ، دون انهياره ، عن هنــاء ،
فيذلّ ابن آدمٍ بيديه ، لا بــذنب الأجــداد والآباء ؟!

يحس وحشة الانفراد

أين راحيلُ ؟ بتّ أخشى انفرادي ، وأرى في الفضاء مرَّ سوادٍ ،
ثقلت أضلعي على قلبي الكاهل ، واهرورقت قوى أجلادي ،
ويكاد الجثمان ينهار عني ، ويكاد الهواء يأبى نهوضي ،
اين راحيلُ ، أرتمي في يديها ، وقعةَ النسر والجناحِ المهيضِ !

يستند تعبا الى المحرقة

راحيل

وقد عادت بالسلاح

والدي ، ما اعتراك ؟ رعشةُ خوفٍ وعلى كفّك انتصار الغداة ؟!

يفتاح

وقد استيقظ من ذهوله وآلامه

لا ، وعينيك ، لم أخفْ ! وسواء وقعُ دنياء عندي ، ووقعُ حصاةٍ .
وإلى الملتقى .

يأخذ السلاح ويخرج

راحيل

على بركات الله مسراك ، والتفاتُ يهامك !
تفتدي روحك البلادَ ، إذا عزّت ، ولم يكفها افتداء حسامك .

المشهد الرابع

راحيل وحدها

كل شيء حولي تغيّر من عهدٍ ، فنفسي في حيرةٍ وظنونٍ ،
وإذا التقي أبي فعلى حزنٍ ، وعهدي به ضحوك الجبينِ .
أيّ سرّ يحوطني بتنوطرٍ ، وانا بعدُ في ربيع الشباب؟!
لم تمرّ الأحلام في خاطري بعد ، ولم تحظَ في الدجى بجوابي .
تدعوني بالأمس مجنونةً مرّت تنادي باسمي ، وتطلب خدري ،
ورموني في عزلةٍ أجدُ الأفراه همساً ، والعينَ لفتة سرّ .

أغانٍ من الداخل

رجّعي ، يا رياح ،
نغمات الهناء ؛
وافتحي باب السماء
للمذارى الملاح .

راحيل

متجهمة الوجه

مُنشداتٌ ! والناسُ في غمرة الذلّ ، وسيف العُداة في جلعاد؟!
مُنشدات أم خالعاتٌ على الابطال روحاً وثابةً وجهاداً؟!

اغانٍ من الداخل

رجّعي ، يا رياح ،
زمزمات القنا ،
وأجتني طيب المنى
عن سيوفٍ صباح .

راحيل

فرحة

تَغَمّ ناصعُ المُنى ، أحمر الإرعاد ، يَنشقّ في رحاب الفضاء ،

لو يحولُ انتفـاضةً في صُدورِ الناس ، أو وثبةً إلى العليا.!

إلى المنيات

يا عذارى جلعادَ ، غنّين بالسيف ، وهجنَ الربى ، وهجن الصخورا ،
وأمتشقنَ الرجالَ من حلـل الأطيافِ ، وابعثنهم لهيباً ونورا .

تدني على الشعر بنيه

غنّ ، يا جبلي ،
بالأمـاني السماح ،
وأمتشق منها الرماح
ليـد البطـل .

. . .

فـارسٌ آمنـا
ببلوغ الأمـل ،
يرتقي أسمى القلل ،
يرقص الزمنـا .

. . .

قم بنا ، يا جبـل ،
نلتقي للشروق .
لك بالجوّ حقوق
مثلما للـدول !

— ستار —

الفصل الثاني

الاسطورة

يا روعةَ القدم المُطلّة
خلل الترفُّع والمذلّة ،
سيانِ أرقصتِ الزمانَ
وشيَّدت كفّاك جهلهْ ؛
أنا دونَ هيكلكِ الرفيعِ
أبثك الإجلال كلّهْ .
جرّحتِ آهاتي ، والقاها
على شفتيَّ نهلهْ ؛
ما شئتِ كوني ! فالألوهة
في وشاحكِ مستظلّهْ !

الفصل الثاني

المشهد الاول

راحيل ثم تامار

راحيل

ملعبَ النورِ ، ملعبَ العطر ، يا جلعاد ، أصبحتَ قدةً من ظلامٍ ؛
خضَّب الاثمُ بالدماء حواشيك ؛ فبهج الصباح ، دونك ، دامٍ !
لم يجئْ بعدُ منبئٌ عن لظى الحرب ، وعن قِرن والدي في الطعانِ .
قيل : إن يدخلِ الوقيعةَ يفتاح يرجّح جلعادَ في الميدان .
وإذا أنكرُ انتصارًا على النذلِ ، فلا أنكرُ الظروف العُجابا ،
رفض الحرب ، مثل جلعادَ ، بالامس ، فهل يَلتوي الذليلُ رغابا ؟

هي تاماز ، خِدنتي ، تحمل الانباء بكرًا من الثقات الناسِ ،
ذكرت حيرتي فجاءت ، ولا بدَّ ، إلى عزلتي بكل مؤاسِ .

تامار

بشرَنا ، أختِ ، بشرنا ! رَضيَ اليفتاح !

راحيل

جوزيتِ ألفَ بشرى لبشرى !

تامار

ومشى للقتال في سحر الأمس ، شجاعاً يجرّر المجد جرًّا .
ما درينا إلّا ماء ، فقمنا بقرابينَ بكرٍ ، وصلاةٍ ؛
فانظريها ، جلعادَ ، قطعةَ نارٍ تتعالى لمبدع الكائناتِ :
الخنايا معابدٌ وصلاةٌ ، والأيادي كنّارةٌ ودفوف ،
وانظري الجوَّ دفقةً من أغانٍ مسعُ الكون دونهنّ وهيفُ ؛
وانظري الحُلمَ . . .

راحيل

ايّ حُلمٍ تذكرتُ وجيعِ الألوانِ مِلءَ جفوني ؟ !
في منامي رأيت سيفَ دماء . . .

تامار

مقاطعة

سيف يفتاح في بني عمون ؛
قاطربي .

راحيل

لا طربتُ ! حلمي مخيف يملأ الصدرَ رعبُه والمآقي ،
فيه زهر البياض يرقص مِغناجاً على حمرة الدم المُهراق :
كنتُ في الحلم طلقة الوجه والقلب ، كورقاء في الربى غناء ،
حدتني الزُهرُ العُلى ، حدتني المُنية البكرُ في هوى عذراء ،
حين نوديتُ من علٍ : أن دعي جلعادَ ، والنصرَ ، واتبعي في الظلام .
فعصيتُ السماء — عفوكَ ، ربي ! — وإذا قِبلتي بريقُ حسامٍ ،
وعصورٌ تدور حولي سِراعاً ، ويشقّ الزمانُ عنها الستورا ،
فأرى عصفة الرياح صراخاً ، وسواقي « جلعاد » دمعاً غزيرا .

تامار

بخوف

ايّ حلمٍ ، راحيل !

راحيل

ما زلتُ حيرى في رُؤاهُ على توقّع خطبٍ ؛
وأحسُّ المساء ملء جفوني ، وعلى بسمتي الجريح ، وقلبي !

تامار

حدّقي ، أختِ : في البعيد سيوفٌ لامعاتٌ بين الغبارِ ، وخيلُ .

راحيل

وقد ازداد تشاؤمها

أتراهم فرسانَ عمون في نصر ، مشي دونهم من السَّبْيِ سيلُ ؟
ملأوا السهل والربى ، فعلى جلعاد ظِلٌّ من الدجى والفناء ،

لا رجالٌ تذود عن قدسنا ، والناس تمشي للحتف مَشيَ الشاء .

يكون التشاؤم قد بلغ منها حدًّا قصيًّا

يا صباحَ الدمار ، اين الدواهي الحمرُ تنقضّ من فجاج السماء !
أين من يعشق النجوم غضاباً ، ويكبّ النيران في الارجاء !
ينثر الموتُ في البرايا غبارًا ، ويردّ الجبال فوق الجبال ،
يبعث البيدَ والبحارَ دخاناً ، عاصفاتٍ رياحُهُ بالزوال ،
ويعيد الغمرَ القديمَ مُخيفاً ، والهيولى وزمزماتِ المنيّه !
إن تُبدنا العُلى ، فلا اشرقت يوماً ، ولا رفرفت بتاج البريه !
الضحايا . . .

المشهد الثاني

راحيل ، تامار ، المجنونة

المجنونة

عشرون الف أسيرِ

راحيل

بحسرة

أتراها البشرى ؟ !

المجنونة

وألف قتيلِ

راحيل

بغضب

حبّذا لو قضوا جميعاً .

المجنونة

قضاء علويٌّ !

راحيل

قضاء شعبٍ ذليلِ !

المجنونة

ومئاتٌ من الخيول السنيّاتِ ، وعشرون وزنةً من نضارِ .

راحيل

لا ذكرت الأموال !

المجنونة

لِمَ لا ؟

تامار

ويفتاح ؟

راحيل

بحسرة وهزء

وحامي الحمى ؟ وحامي الذمار؟!

المجنونة

بين لمع الحراب . . . بين الأسارى . . .

راحيل

مقاطعة

يا اذلَّ العبـدان في عمونِ !
قدتَ جلاداً من مذلة هونٍ أبـديّ إلى مذلـة هونٍ !
سرت . . .

المجنونة

راحيل ! . .

راحيل

سرتَ عبداً ، وعبداً عدتَ . . .

المجنونة

راحيل ! . .

راحيل

لو رجعت قتيلا !
عدت حياً تجرّر القيد . . .

المجنونة

خلّي القيد جنباً .

راحيل

يبقى الـذليلُ ذليلا !

المجنونة

ما تقولين ؟ ما تقولين ، راحيل ؟ ويفتاح قِبلةُ الامصار ،
أشرق العزّ في الربوع ، وخلّاها انتصاراً يقوم إثر انتصار .

راحيل

ما تقولين ، يا عجوز ، انتصرنا ؟ نَحْنُ ؟!

المجنونة

نصراً غنّت به البيداء !

وكأن الفرح قد زاد في خبلها

كنتُ في الحرب كلّ شيء ، وكان الدمُ مني يقضي بها ما يشاء .

تامار

لراحيل

مَن تكون العجوز ؟

راحيل

مجنونة تهذي ؛ دعينا من ترّهات الجنون .

المجنونة

انا قدتُ الرجال . . وُلدي . . دماني ؛ أنا أمُّ الوليّ ، والناسُ دوني .

راحيل

باشفاق

هاجتِ المرأة الشقيّة .

يسمع غناء من الداخل

تامار

خلّيها ، وقومي إلى لقاء الجموع :
العذارى في موكب يتغنّين بفاز يجتاحُ أم بشفيع !!

راحيل

بحسرة

جالَ في خاطري انتصارٌ ، فامسى هذياناً مرّاً على هذيانِ ؛
أملٌ أشرقت جوانبُه ، وانشقّ عند اقتباله عن هوانِ .

المجنونة

مسكة براحيل وقد ارتشكت ان تغرب

أين تمضين ، يا ابنة الظافر الدامي ؟؟

راحيل

دعيني ، واخلي معالم داري .

المجنونة

تطرديني ؟ !

راحيل

باشفاق وندم

طردتُها ، وبصدري بعض ميلٍ لهـا ، وبعض وتارِ .

المشهد الثالث

المجنونة وحدها

سكوت طويل تسند الرسم لي خلاله أغانٍ تجيء من بعيد. وفجأةً تلتفت المجنونة الى الداخل فرحةً ، وكأنّ العارض قد خفّت وطأته

قرب الظافرون من منشداتِ النصر ، يجري جلمـادُ فيهم حبورا ،
مائج الاخضرار في الظفرِ الرحبِ ، تعرّى فيـه الجمال نضيرا .
خلعوا فوقـه البطولـة أبرادًا ، وشقوا الظُبى عليه نجومـا ،
أيُّ قِرنٍ أمـامهم يعتـلي المهر المجلّي ، ويستطير الغيومـا .
فـارسٌ قـدَّهُ المضاء من الشمّ الرواسي ، والشُرَّع الاسيافِ ،
قرّبي منـه ، قرّبي منه ، راحيلُ ، وبثّي لقياه طيبَ القوافي .

يسمع غناء فتاة غريبة ، فتتقابله المجنونة وكأنّ العارض قد عاودها

وأزيحي عن دَرْبه قينةً دكنـاء تشدوه نغمةً دكنـاء ،
الغنـاء الغنـاء عصفة إرعـادٍ ، وأشبـاحُ مأتم تتنـاءى ،
صرخاتٌ غريبـةٌ تمزق الصبح ، وجهش على الدنى ، واحتضارُ ،
أين راحيـل تمـلأ الأفق تحناناً ، فيغفو على يديهـا النهارُ ؟
قـدمتها عـذراء قـمرًا ، والقتها أمام القيان ، بين الدفوف .

يرتفع صوت راحيل ، فتعود المجنونة الى هدوئها

انشديه ، راحيل ، اشجى من الحبّ ، واسـى من اصطكاك السُيوفِ ،
وابعثي اللحن رافـلًا ، واملئيـه بخفيف الجوانح البيضـاء ،

في نفساتك الفتيّة شيء من خضاب الأسى ، ولون الماء .

بدهشة ، وقد عاودها الهارض

ما دهى موكب العلى ؟ أجفل الفارسُ ، أم مادت الربى بالجوادِ ؟
أمر الناس بالرجوع ، وألوى كالفَ الوجه ، واهيَ الاجلادِ .
مستضامٌ ، ترجّل الآن ، وانهال على المنشدات يصرخ ذعرا .
هربت منه خاشعاتُ العذارى غير راحيل ، فهي تهتف بشرا .
وهو ساجٍ ، يُلوي عليها وتُلوي : دفقةٌ من سنًى على لبنان ،
أيّ سرٍّ في قلبه يترك الصبحَ مريضاً في غمرة الاحزانِ ؟
فالبرايا مثلُ ازورارٍ عن الهدْيِ ، ومثلُ اختلاجةٍ وانقضاء ،
والهدوء الرحيبُ ، والقيظ والنارُ انهيارُ الفضاء فوق الفضاء .

بعد سكوت وتأمل

ما ترى الظافر المجلّب بالقوّة ، يبدو موشحاً بالذهول ،
يمسح الدمع خفيةً عن عيون الناس ، عن نفسه ، وعن راحيل !

سكوت طويل ، الغانم تهمهمة تجيء من بعيد . تقعد المجنونة دون تعمد في ظلّ المجرفة بحيث لا يراها الداخلان

المشهد الرابع

المجنونة ، يفتاح ، راحيل

راحيل

هاتِ ، يا والدي ، عن الحرب ، فالدمعُ بعينيك ريبةٌ في انتصارك ،
والتقاء الحان بالبسمة الحرّى دليلُ انتحابةٍ في قرارك ،
اتراها هزيمةً ؟!

يفتاح

لا ، وراحيل ، فيفتاح في انتصار فردٍ :
سَفَحَ العزّ دوننا ، وكانا بردَ مجدٍ رحبٍ على برد مجدِ ،
فجرُ نصرٍ يحيا على الاعصر الغرّ ، وتشدو جلاله البيداء ؛
عاد يفتاحُ بالغنائم والأسرى تضيق الربى بهم ، والفضاء .

ضرب الضربة السخيّة في عتون ، فانهدّ عزّها بحسامه ،
حصد الهام ، فالهول تجلّلنَ بهامٍ وقفٍ على أقدامه .
لقي الجيشَ في « عروعير » صبحاً ، ينزل الرعبَ دقّه ، والظلاما ،
تتزّى الهنات عن جانبيه ، فتخال التهديد منه حِماما ،
لا انتهاء له ، ولا وهَنٌ يضرب منه ، فتبدأ الهيجاء .
وتلوّت رجالُنا مضضَ الحيران لاقته فجأةً نجلاء ؛
لم يطقها يفتاحُ وقفةَ جبنٍ ؛ فعلا صوتُه يُصمّ الرياحا ،
أمر القوم بالهجوم ، وبالموت ، فادمى السنى ، وأدمى الصباحا ؛
كم نفوس تناثرت والعوالي ، وجسوم تعانقت والمواضي ،
خطبة السيف خطبة الحق ، والكاسي ثيابَ الدماء كاسي البياض .
صخب الحاملين ملء الصحاري ، ونزاع الفرسان ملء البرايا ،
والتلال الدكناء من جثث الابطال ، والافق من لهاث الضحايا .
يتهادى يفتاح في مطلع الجيش ، على عزّة الأبيّ الظافر ؛
قيل : مستقتلٌ ، وقيل : شجاعٌ عشقته ، فهادنته البواتر .
يتحاشى عن الجبان ، ويجري عارضاً صدره على المقدام ،
فاذا يلتقيه في فجأة الطالب ، يرمي بنفسه المحسام .
وتردّى النهار بالدم فانزاح ، وابدى الماء قبل الماء ؛
ورأى الناسُ عمرهم مثقل الخطو ، كسولاً إلى لقاء القضاء ؛
فتنادى عصفُ المنية فيهم ، وتهادت منه الربى والسهول ،
فاذا فجعة الحراب فناء ، يتلوّى على المدى ، ويميلُ ؛
وإذا دفقةٌ من البدر تجلو اكمات الاحياء والاموات ،
عرف الناس أيّ شطرٍ اصابوا ، فاذا السيف في ظهور العداة .
وسرى الفتحُ من «عروعير» ، يبغي حدَّ « منيتَ » و« القرى العشرينا» ،
وعلى رقصة السنى والأغاني داس يفتاح في بني عمونا .

راحيل

يا نواجي العهد الجديد ، تغنّي ! واصغَ ، يا كون ، واطربي ، يا سماء !

وتهادي على بطولة قومٍ ، هم جبينٌ إلى العُلى وضّاء !
واملأي الارض باسم ربك مجدًا ، باسم جلعادَ ، باسم اسرائيلا ،
واقطفي الشهب والشموس ليفتاح ، وصوغي لشعره الاكليلا !

تلتفت الى الداخل كأنها تناجي يفتاح ، بينما يفتاح الى جنبها يكظم دموعه وآلامه

يا بريقَ الآمال ، يا جانيَ المجد ، رعاكَ الجلالُ من لبنانِ ،
واشرأبت زرقُ النجوم تحيّيكَ بشتّى الأضواء والالوان .
يا صلاةَ الرجوع لله بعد الكفر ، بعد المحلولكات الخطوب ،
ذكرتك العذراء في صفوة البال ، وفي هجعةٍ بحضن الحبيب .
عفو اردانكَ النقيّة ، يا يفتاح ، عفو الرمال تحت خطاكا !
انا جدّفت ، من غروري ، على القدس ، غداةَ اقتربتُ من ذكراكا .

يفتاح

عدتِ ، راحيل ! للصواب ، والفيتِ بيفتاح زَيْنَ اسرائيلا !

راحيل

زينهم ؟ لا . فحبذا الظافر الأكبر في مثلٍ والديكَ أصولا !

يفتاح

تظلمين اليفتاح ، راحيلُ .

راحيل

لم اظلم . وحقّ تكبّري واعتزازي !

تشير الى أبيها ، وكأنما تذكّره بالكبر الذي رباها عليه

وابي بثني النياسمَ من تيه الرواسي ، ومن شموخ البازِ .
عشتُ في قربه ، يتيمةَ أمٍ ، فانا منه دنيواتُ الهناء ؛
لا اماني لهُ سواي ، ولا لهوَ ؛ يريني في الارض ظلَّ السماء .
كلُّ شيء حولي علاءٌ وكبرٌ ، كلُّ شيء مخضّبٌ بالكمال .
ما قرأتُ التاريخ إلّا جليلًا ، في فم يبعث الكلام لآلي ؛
أو رأيتُ الاعمال الّا كبارًا ، من يدٍ خصبة الندى والسماحِ ؛
وكتابي أبي ، أرى فيه من موسى ، كليم العُلى ، ومن يفتاحِ .

وإذا نلتقي على ذكر أمي ، ففضاء مغرورقٌ بالشعاعِ ،
او نغني بمكرُماتِ جدودي ، فرباعٌ غراءُ إثرَ رباع .
خلِّني ، خلِّني ، على ذكر يفتاح ، ارى فيك أطيب الناس ذكرا ؛
وإذا تشرف البلاد بيفتاح وجلعاد ، تلتقيك الأبرّا .
هاتِ خبّر عن روعة الحرب والنصرِ ، وعن بُدّلٍ لديك أجادوا .

يفتاح

كلُّهم باسلٌ .

راحيل

وايّ الرجال النُّرّ جلّى ؟ يفتاحُ ام جلعادُ ؟

يفتاح

وحده

وبِرّ !

راحيل

قلها بلا اتضاعِ !

يفتاح

بعد تحيّر

كلانا .

راحيل

لا ! وانت المجرّر المجدَ أصلا ؛
إن يعادلك في الطعان ، ففي فرعك كبرٌ يُلقي على الشمس ظلّا .

يفتاح

ما تقولين ؟ بعد رفرفة النصر ، وبعد انتفاضةِ الرايات ،
بعد خوضِ الطعان مرتفعَ الرأس ، وخلع العُلى على الساحات ،
بعد نسج الشموس بردةَ مجدٍ ، لا ترين اليفتاح غير وضيع ؟!

راحيل

هو ما قلتَ ، يا أبي ،

يفتاح

وجلا الفتح ، يا بنتِ ، عن غوالي الربوع ،

وانتشالُ الاطفال من غمرة الموت ، ومنعُ المخدّرات النساء ، وحماء الاطهار فينا العذارى من فجور الصُّابة الاعداء ، والفعالُ الغُرّ العُلى ، مَنْ اتاها غير يفتاحَ ؟

راحيل

انت ، والامجادُ .

يفتاح

ما انا والرجال الّا دمى خرسٌ ؛ ولولا يفتاحُ ، صمٌّ جمادُ . بثّ فينا العلى ، وقادَ الشتاتَ النذر منا ، مجرّحاً ، ملتاعا ، فاذا نحن نقتفي إثر يفتاحَ ، فنمشي الى الخيالِ سراعا . نحن ، لولا يفتاح . . .

راحيل

لقاطعه بمثل الغضب والعتاب

يكفي ! تراءى لك سَمحُ الطعانِ سَمحَ الاصل ؛ امتدحْ طعنةَ الموفّق ، يا جلمادُ ، لا تمتدحْ ذراع الأذلّ .

يفتاح

وحده

ربِّ !

راحيل

حاربتَ جنبه ، فغزا قلبك بالوَفر من جيل الطعانِ ، فنسيتَ الاصل الذليل ؟ !

يفتاح

أناةً . . .

راحيل

مستطردة

واشتريتَ العُلى له بالسنانِ؟!!

والدي ، يا سليلَ مجدٍ عريق ، لي رجاء ، على هواك ، وحيدُ : لا تجد في الفَعالِ مغمزة الذلّ ، فلا يُشترى أبٌ وجدودُ . أنا أخشى مَغبّةَ وَفْرَة الشرّ ، إذا يتحي الخنى في الوليدِ ؛

يطهر المرء ، وهو يرعى رؤى اللعن بثغر الحفيد قبل الحفيد .
لا أطيق امتداح يفتاح من فيك ، فدعني أمضي .

تخرج

المشهد الخامس

يفتاح ، المجنونة

يفتاح

حنانك ! ربّي ،
أيّ كأس تذيقني ، في انتصاري ، من دمائي ومن حشاشة قلبي؟!
انا كفّرت عن خطيئة آبائي بعمرٍ من الأسى والعذابِ ،
واعتزلت الدنيا اغتفاراً ، وضحّيتُ هنائي ، تقرّباً ، وشبابي !
ونذرت الثمين والسمحَ قربان ظهوري على العداة ، وثاري ،
وتماديت انذر الغادة العذراء أولى المغنيات انتصاري ،
وإذا التقي جوع العذارى ، تتراءى راحيلُ نصبَ جنوني ؛
وأشيح الانظار عنها فالقى ، ما تلفّتُ ، وجهها يلتقيني ؛
وسأقضي ، يا ربِّ ، بعدُ على بنتي ، فيا ربِّ ، هل كفتك المنيّه؟!

المجنونة

تكون قد تركت مكانها والتقت يفتاح وجهاً لوجه

ايه ! يفتاح ، ما يجول بعينيك ؟

يفتاح

هارباً

دعيني ، نذرت بنتي ضحيّه !

المشهد السادس

المجنونة ، ثم راحيل

المجنونة

أيّ نذرٍ ! يفتاح ، لا شرعة الله رأته ، ولا كرور السنين !
انا مجنونةٌ ، وأنت على رشدٍ ! فخذ من فمي رشاد الجنون .

تدخل راحيل فترتمي المجنونة دونها ضارعة

أهجري، بنتِ، مضرب الظافر الدامي ، وخلّي مطارف الارجوانِ ،
وتعالَي الى حياةِ البراري ، فهي أبهى من بهجة الصولجانِ .

راحيل

متذكرة الحلم

صوتُ حلمي !

المجنونة

تمهّلي ، فهناء العمر مرمى فراشةٍ من سراجِ !

راحيل

تعود الى نفسها وكأنما تهزأ من المجنونة

أهجرُ البيتَ مثل مجنونة ؟

المجنونة

لا ، مثل من يتّقي جنون التاج !

أسرعي ، بنتِ .

راحيل

في حنانكِ شيءٌ من أبي في تعطّفٍ وتمنٍّ .

المجنونة

في تمنيهِ ؟ في تعطّفهِ ؟ لا .

راحيل

بعجب

أنتِ تأبينَ ؟

المجنونة

بحسرة واعتراف

كلُّ ما فيه منّي .

راحيل

بقلق

من تكونين ؟ يا عجوز ،

المجنونة

دعيني ؛ واهربي قبلما يفوت الاوانُ .

راحيل

وقد تزايد قلقها :

أنبئيني مَن انت أبتكِ .

المجنونة

خليني وشأني ؛ فكل ما بي هوانُ !

راحيل

تهزّها فاقدة الصبر

هل تقولين ؟

المجنونة

لم أعد في جنوني نـازيدَ الضنى بقلبٍ حزينٍ ،
أهربي .

راحيل

ان كشفتِ سرّكِ .

المجنونة

لا ! لا !

راحيل

لِمَ تأبين ؟

المجنونة

لم أعدْ في جنوني .

ترى يفتاح مقبلا

قرب السيفُ ، فاتقي السيفَ ، راحيل !

راحيل

بحيرة

الي !

المشهد السابع .

المجنونة ، يفتاح

يفتاح

يكون قد رأى انه وبنته معاً

مَن أرى ؟ خباءك ، بنتي .

المجنونة

وقد حوّلت تضرعاتها الى يفتاح بعد أن خرجت راحيل

رحمةً بالجمال ، بالرونق الضاحي ، بزهر بكر الجمال ونبتِ !

رحمةً بالشباب ! . . .

يفتاح

من قال ؟ ! . . .

المجنونة

يفتاح . . .

يفتاح

إلهي ! أتسمع أسمي داري؟!

إخفضي الصوتَ .

المجنونة

عفوَ نصرِكَ يفتا . . .

يفتاح

اخفضي الصوت عن نسيم سارٍ .

كلُّ شيء في بيت راحيل كبرٌ ، في ثراها ، في المنحنى ، في التارل ،

إخفضي الصوت يجفل المضرب الذاكي براحيل ، أو هوى راحيل .

المشهد الثامن

يفتاح ، المجنونة ، راحيل

راحيل

يكون قد تقدمها جلبة من الداخل

والدي ، والدي ، أناتك بالنذر ، ورحماك بالعذارى الحسان !

يفتاح

سمعتنا ؟ !

راحيل

رحماك ، جلعادُ .

يفتاح

وحده

جلعاد ؟

لراحيل

اطلبي ، إن اردته ، صولجاني .

راحيل

صولجان ؟ ! أبي ، بجلمادَ ابكارٌ حسانٌ نذرت منهنّ بكرا ، فاعفُ عنها .

يفتاح

ربّي !

راحيل

وابكار جلعاد مروج الربيع نورًا وزهرا ،
فتصوّر منهنّ مفتاحَ خصرٍ تتلوّى على لظى النيران ،
يلفح الوهجُ جبهةً من محيّاها ، وثغرًا لم تلقهُ شفتانِ ؛
ويحرُّ اللهيبُ زرقةَ عينيها ، فتُغضي عن عالَمٍ في انهيار ؛
ويغيم الحدّان عن سحر رحبٍ تراءى عرض اللظى والشرار ؛
ويهيج الصدرُ المهدَّمُ أشلاءَ الاماني ملويّةَ الاعناقِ ،
مثلُ دنيا تموت ، مثلُ خيالٍ يتمحي عن معالم الاحداقِ ؛
فالعصور الطهورُ يركضنَ إعراضًا عن الكون. ضاق بالاثم صدرا ،
ويغيضُ الضياء عمدًا، ويَبكي الزهرُ . . .

يفتاح

بنفاد صبر ، وقد تصوّر بنت لنفسها على المحرقة بهذا الشكل الذي تصفه هي دون ان تعلم

راحيل ، يا ربيعي الأغرّا ،
يا نشيدَ الاضواء ، يا زُرقةَ الحُلم ، فداكِ السنى بسيف أبيك ،
وفداكِ النصرُ المهلّل في الدنيا ، ورجعُ الصلاةِ والتبريك ؛
انتِ نذري !

المجنونة

يفتاح !

يفتاح

أمي !

راحيل

باستفهام ، فحسرة ، بعد ان تنقل طرفها من يفتاح الى المجنونة فتفهم كلّ شيء

ترى ؟ ! . . .

المجنونة

يفتاح ، ردَّ الظلامَ فوق الظلام ،
واطوِ من نصرك البرود السنيّاتِ ، وزفَّ الدنيا سيوفاً دوامي ،
واملأ الأرض والمعالم شرّاً ، وابعث الريح بين جهشٍ وجرحٍ ،
وتحدَّ العُلى ، ولا تغمس الكفَّ وتنهدَّ في دمٍ منك سمحٍ !

تمضي مولولة

راحيل

والدي ، ما شجا فؤادي ، قربَ الموت ، غيرُ النداء : « يا يفتاحُ »
يا منايَ البيضاء ، كيف تموتين ، ويبقى هوى ويبقى صباح؟!
اعشقتِ الحريق ، والكون صحوٌ علويٌّ ، والريحُ طيبٌ خفوقُ ،
أم تحبّين نثر عقدك في النور ، فيبكي على هواكِ الشروق ،
فاذا في الاثير ، منكِ جنازاتٌ ، وفيه تنجّغٌ وجراحُ !

اغانٍ من الداخل بعيدة : رجّعي ، يا رياح ،
نغماتِ الهناء ،
وافتحي باب السماء
للعذارى الملاح !

راحيل

العذارى يُنشدن ، والأكم الخضراء تزهو بهنَّ ، والأدواحُ ،
والأماني زرقٌ على قبب « الكرمل » ، والكون هازج بالعذارى ،
وانا انظر الحياة سواداً ، وجلالَ الحياةِ دماً وعاراً !
والدي ، والتذي ، جنانك شهرين أناجي ، مداهما ، آمالي ...

يفتاح

لكِ ما شئتِ !

راحيل

مستطردة

واقطفُ عمري زهراتٍ بيضٍ كوجهِ خيالي !

— ستار —

زحله ، ٩ حزيران ١٩٣٣ — ٤ ايار ١٩٣٤ — ١٥ ك ١ ١٩٣٤

في تاريخ الفقه الاسلامي

ثلاث محاضرات

للدكتور يوسف شخت
الاستاذ بجامعة كونيكسبرج ، والاستاذ بالجامعة المصرية

١

انّ الغرض من المحاضرات الثلاث التي اتشرّف بالقائها عليكم هو ان اتحدّث اليكم عن الطريقة التي يجري عليها العلم الاوربي في درس الشرع الاسلامي ، وعن بعض النتائج الهامّة التي اسفر عنها البحث . وقد بدا لي انّ هذا الموضع خليق بان يثير اهتمامكم من اكثر من وجهة واحدة . فانّ مصر كبلد اسلامي حديث لا يمكن الّا ان تهتمّ ببحوث علمية ترمي الى اظهار خاصة من خصائص الاسلام ، والعلم الاوربي من جانبه ينبغي الّا يهمل الاتصال بالعلم الاسلامي المعنيّ بهذا الموضوع . ورغم اختلاف المبادئ والطرق والمصالح التي تفصل هاتين المدرستين احداهما عن الاخرى ، فقد الّفت بين بحثيهما في الشرع الاسلامي آصرة مشتركة جوهرية ، هي روح البحث العلمي الذى يحدو المستشرقين الاوربيين اليوم كما كان يحدو علماء الاسلام من عهد القرون الوسطى . هذا العتاد المشترك يبعث على اشدّ التفاؤل بتعاون مثمر قائم على الاحترام المتبادل بين العلماء الشرقيين والغربيين في هذا الباب ، تعاون لا يوهن في تعلّق فريق منها بالتقاليد واستمساك الفريق الآخر باساليبه العلمية ؛ واني لأرجو ان يكون في مقدوري المساعدة على تنمية التفاهم بين الفريقين . وليس في نيّتي ان اعرض صورة عامة الشرع الاسلامي وان اكرّر كثيراً من الاشياء المعلومة لكثرتكم بلا شك ، بل اتكلم عن مسائل خاصة في تاريخ هذا الشرع تناولها علماء اوربة متوخياً عرضها عليكم في صورة قد تثير اهتمام حتى غير الاختصاصيين منكم .

ولنبدأ بالمسألة العامة — مسألة تاريخ الشرع الاسلامي . فهذه المسألة تمكنني

من اطلاعكم على ما بين وجهتي النظر من اتفاق تام . فعلماء الاسلام يرون في الشريعة تعبيراً عن الارادة الالهية التي لا تبديل فيها ؛ وقد كان مع هذا المبدأ من المسلّم به دائماً ان تعبير الفقه عن هذا القانون الالهي مرّ بدور تاريخي حتى ان بعض المؤلفين المسلمين عنونوا مؤلفاتهم «بتاريخ التشريع الاسلامي» ؛ وقد جهد علماء اوربة ببحث هذا التطور دون ان يكون لهم بمسائل العقائد شغل ، وتناولوا بهذا الروح تاريخ الشريعة . والعلماء المسلمون انفسهم ، على الرغم من اعتقادهم بقدسية الشريعة وصبغتها الالهية ، يسلّمون بان احكاماً من احكامها كانت موجودة فعلاً في شرائع اخرى قبل ان يقرّها التشريع الاسلامي ؛ ولنضرب لذلك مثلاً واحداً هو القصاص ، فان مبادئه التي عدّلها واكدها القرآن والسنة ترجع الى القوانين العرفية عند العرب قبل الاسلام . فالعلم الاوربي يبحث فيما يسمّى بالعلاقات بين الشريعة والشرائع التي سبقتها بهذا المعنى التاريخي المحض — ذلك المعنى الذي لا يضير ما في علم اصول الفقه الاسلامي من الحقائق . ومعلوم جيداً ان العلماء المسلمين انفسهم يطبقون على الاسانيد قواعد نقدية ، وهذا النقد الذي وسّع النقاد من علماء اوربة دائرته وذهبوا فيه بعيداً قد بات اداة للعمل لا يستغني عنها العلم الاوربي — اداة ليست سلبية محضة بل قد اعانتنا على تقرير صحة الكثير من الاحاديث . في هذا كله يمكن ان يوجد ، بل يوجد فعلاً اختلاف كبير في الأساليب والنتائج بين علماء الشرق والغرب ، ولكن لا وجود لخلاف جوهري لان مبادئ عقائد الاسلام لا تؤثر في دراستنا التاريخية للشرع الاسلامي . هذه المدرسة الاوربية لا تقف عند حدود الشريعة ، التي تلتزم غايتها الاساسية بطبيعة الحال ، بل تتجاوزها ابحاثها الى وجهات عدة . فتتناول القوانين الاخرى المتصلة بالشرع الاسلامي اتصالاً مباشراً ، سواء أكان ذلك باندماج سنن تلك القوانين في الشريعة الاسلامية بالمعنى الذى اسلفنا بيانه ، ام كان بتأثير الشريعة في تلك القوانين والسنن . والمقصود بذلك قوانين العرب ايام الجاهلية من جهة ، وقوانين الشعوب التي دخلت في دولة الاسلام من جهة اخرى ؛ مثال ذلك التشريع الخاص بالاسبان المسيحيين الذين يتكلمون العربية وهم المستون بالمستعربين . ويتناول

الدرس ايضاً موضوعاً واسعاً ، هو العرف القائم بين الشعوب الاسلامية نفسها. اننا نعلم ان هذا العرف الذي يطلق عليه اسماء مختلفة كالعادة والقانون والدستور الخ قد نشأ الى حد ما في كافة بلاد الاسلام تقريباً ، الى جانب الفقه المعترف به رسمياً ؛ وشرح تاريخ هذا العرف وبيان علاقته بالشريعة امر لا غنى عنه في تفهم جملة الحياة التشريعية عند الامم الاسلامية تفهماً صحيحاً . وقد شهدنا في خلال السنوات الاخيرة تطوراً جديداً في العلاقات القائمة بين الشريعة والقانون بتلك التعديلات التي ادخلتها مصر على الاحوال الشخصية . واخيراً فالعلماء الاوربيون يعنون بالمظهر الاجتماعي للشرع الاسلامي ، لان الشريعة احسن مثال وأهم مظهر لما يسمى « بالقوانين المقدسة » . وبهذا لا نريد مطلقاً ان نضع الشريعة في مستوى واحد مع سائر الشرائع ، بل نحرص كل الحرص على اظهار خواصها الفردية ابتغاء الوصول الى تقدير مركزها الفريد بين الشرائع والقوانين الاخرى . فاذا كان علمنا يضع الشريعة في افق ابعد زاعماً ان تلك الشريعة ليست حقيقة شاذة لا علاقة لها بما حولها ، فانما نفعل هذا لكي ندرسها اوفى درس ممكن من كل جهاتها . كذلك لا يهمل العلماء في اوربا درس الشرع الاسلامي على طريقته التقليدية الخاصة ، فان هذه الدراسة شرط لازم يمهد لكل بحث تاريخي. ولعل في هذه الملاحظات التمهيدية ما ينيلكم فكرة عامة عن هذه الوجهة العامة من بحوثنا وغاياتنا.

وقبل المضي في التفاصيل قد يحسن أن اقول كلمة عن تاريخ هذه الدراسة في اوربة. فوجودها يرجع الى عهد قريب لانها مدينة باصلها للنهضة العظيمة التي تناولتها البحوث الاسلامية في اوربة في النصف الثاني من القرن الماضي . والمشجعان الكبيران على البحوث الاسلامية العامة هما في نفس الوقت واضعا اساس البحث العلمي في الشرع الاسلامي ، وأعني بها الاستاذ المجري الكبير Goldziher (توفي في سنة الف وتسعماية وواحدة وعشرين) والاستاذ الهولندي المحترم Snouck Hurgronje الذي بلغ اخيراً الثامنة والسبعين من عمره . والى اسمي هذين الصديقين الجليلين يجب ان نضيف اسم عالم الماني قضى قبل الأوان في سنة الف وتسعماية وثلاث وثلاثين في الخامسة والاربعين من عمره ،

واعني بـه المرحوم المأسوف عليه الاستاذ Bergstraesser واني لاعتبر نفسي تلميذاً لـ Bergstraesser و Snouck Hurgronje وانا شاعر بجميلها اعمق الشعور ، فخور بها حق الفخر .

ان اولى المسائل الخاصة التي سأعالجها هنا تتعلق بالقانون العرفي عند العرب في زمن الجاهلية ، وهو كالارض التي كانت تنمو عليها شجرة الشريعة العظيمة ، ولهذا السبب فانه يدخل في نطاق ابحاثنا كما المعنا آنفاً . هنالك رأي سائد الى اليوم يعتبر الحياة القانونية في جزيرة العرب قبل الاسلام مما لا يمكن درسه لانتفاء المصادر المباشرة ، ويزعم ان تلك الحياة كانت فطرية بسيطة بحتة . ولقد مكنتنا ابحاث السنوات الاخيرة القائمة على الانتفاع بمصادر غير مباشرة من تصحيح هذا الرأي . فلم يكن فطرياً سوى احوال البدو ، يشهد بذلك الشعر القديم واخبار القبائل ويؤيده ما يصادفه المرء عند البدو اليوم . اما المدن ومنها مكة التي كانت مركزاً تجارياً ذا صلة باليمن وسورية البيزنطية والعراق الساساني ، والمدينة التي كانت مركز زراعة النخيل مركزاً يضم جالية كبيرة من اليهود — نقول : اما المدن ، ومنها ما ذكرناه ، فكان لها بلا ريب قانون اكثر نمواً لم يمكن الا يتأثر بالعوامل الخارجية التي ذكرناها . ويمكننا ان ننسب بالتفصيل الى الاصل البدوي اشياء منها النظام الاجتماعي واحكام العائلات والمواريث وقانون القصاص — وكل هذا بقي سارياً على اهل المدن ايضاً — ، ويمكننا ان ننسب الى التطور المدني الموافقة على قواعد مفصلة تطبق على العقود ووضع اشكال معينة للشركات واستعمال وثائق مكتوبة — كل هذا في مكة — ، ومعاملة بعض العقود الزراعية في المدينة . فكل هذه العناصر لم تبق بمعزل بل اتسع تداخلها بتأثير العلاقات التجارية التي تساعد على نموها الاشهر الحرم والاسواق الكبرى ، حتى ان بلاد العرب كانت في القرن السادس بعد الميلاد محكومة بقانون عرفي متشعب الاطراف . وهذا يطرح مسألة تحليل هذا القانون تحليلاً مفصلاً ساقدم لكم مثالاً منه .

الحالة في الشرع الاسلامي هي ان العنصر الجوهري في كافة العقود يتألف من الايجاب والقبول اللذين يعبران عن تراضي المتعاقدين . وهذا التركيب القانوني

للعقود من ايجاب وقبول تجمع مذاهب الفقه على التسليم به كانه امر طبيعي دون ان يتناقض بعضها مع بعض ، وهو لا بد ان يكون سابقاً لتلك المذاهب فضلاً عن انه لا صلة له بالمبادئ الاسلامية المحضة كمنع الربا ومنع الغرر التي تُبنى عليها كافة الابواب المتعلقة باحكام العقود من الشريعة. وهذا كله ودلائل اخرى تحمل على الاعتقاد بان تلك العبارة القانونية عن طبيعة العقود ترجع الى القوانين العرفية فيما قبل الاسلام. اجل ان هذه الفكرة القانونية تكاد تكون شاذة شذوذاً تاماً في تاريخ القوانين القديمة . فان الامر المعني هنا ليس بذلك الدور الطبيعي الواضح الذي كان للايجاب والقبول دائماً في الحياة الاقتصادية باعتبار انهما مقدمة العقود المتواضع عليها بمحض التراضي؛ ولكن النقطة الحاسمة هي ان الايجاب والقبول يعتبرهما النظر القانوني عنصراً جوهرياً في العقود . واولئك الذين درسوا الشرع الاسلامي او القوانين الحديثة فقط يمكن ان يلوح لهم هذا ضرورياً ، بيد ان التاريخ يدلنا على ان الامر ليس كذلك؛ لان مثل هذا التركيب القانوني للعقود لم تعرفه القوانين القديمة اللهم الا الشرع الاسلامي والقانون البابلي الحديث . فان هذا القانون يعطي نمطاً من صيغة تعاقد يتفق تماماً ونظرية العقود التي اسلفنا بيانها ، بحيث ان نفس العقود البابلية الحديثة لو تُرجمت الى العربية يمكن ان تبدو بين الوثائق الاسلامية القديمة المبنية على النحو الاتي : « هذا ما اشترى فلان من فلان . . . وباع هو اياه . . . بتراض منهما . . . » . هذه الحقيقة الواقعة تحدو بنا الى التساؤل : اتوجد علاقة تاريخية بين هاتين الظاهرتين ؟ ان الفارق الزمني ليس بكبير مهما يظهر منه عند اللحظة الاولى. فان الوثائق البابلية الحديثة تبتدئ من اواخر القرن الثامن قبل الميلاد وتستمر الى نهاية الآداب البابلية حول الميلاد ، والقانون العرفي العربي كان قد اكتمل تطوره في القرن السادس بعد الميلاد. بيد ان بعض خواصه قد يرجع الى ما قبل ذلك . وليس يدعو الى العجب ان تبقى صيغة وثائق جمدت خلال سبعة قرون لكافة الاعاصير السياسية والاجتماعية والاقتصادية في العراق — نقول : ليس عجيباً ان تبقى مثل تلك الصيغة التعاقدية بعد ذلك زماناً ، وان كنا لا نستطيع الجزم بهذا لاننا لا نعلم شيئاً عن تلك الفترة. على ان الاستمرار

التاريخي للبيئة موكد على الأقل ؛ ذلك ان العراق كان يسكنه منذ القرن الثامن قبل الميلاد وعلى الرغم من تبدل الأسر الحاكمة اولئك السكان الآراميون الذين لم يزالوا يسكنونه في خلال الفتح العربي والذين سماهم العرب بالنبطيين . اما القانون العرفي العربي فان التأثر الذي يمكن ان يكون تناوله من جانب العراق ليس اقلّ احتمالاً من التأثير الذي اصابه من ناحية سورية ، وهذا موكد لان التجارة العربية كانت تتجه نحو القطرين على السواء. وصفوة القول انه من الراجح رجحاناً كافياً ان صيغة العقود ذات الجانبين اي الايجاب والقبول قد توورثت من القانون البابلي الحديث. وقد المعنا الى ان تلك الفكرة القانونية في انعقاد العقود ليست بالوحيدة الامكان ، فان هنالك فكرة اخرى منتشرة انتشاراً واسعاً في القوانين القديمة تعتبر العنصر الجوهري للعقود موجوداً في تصرّف واحد من المتعاقدين . مثال ذلك ان ينعقد البيع بنزول البائع عن حقه في الشيء المبيع للمشتري في مقابل ثمن معين . ويظهر من الاصطلاحات العربية ان القانون العرفي قبل الاسلام كان قد عرف هذه الفكرة في طبقة سابقة لدخول الصيغة التبادليّة في العقود ، وهذه الاصطلاحات ترجع بلا شك الى الزمن الجاهلي ايضاً . فبينما الاصطلاح الذي للقبول يعبّر رأساً عن معنى الفعل الذي يقع عليه فان الاصطلاح الخاصّ بالعرض — وهو الايجاب — يتناقض تناقضاً ظاهراً مع الدور المخصص لفعله لو اعتبر العقد ، كما هو الواقع ، آتياً من الجانبين . فهو يصف العرض الذي هو فعل البائع في مثالنا السابق كانه يجعل العقد واجباً نهائياً مختوماً عليه لا رجوع فيه ، بدليل معنى كلمة الوجوب في شواهد كثيرة ؛ منها حديث مشهور اذ يقول النبي عن رجل اسلم ثم استشهد على الأثر : وجبت له الجنة . وعلى النقيض من ذلك فان العقد ذا جانبين لا يصير واجباً الا بقبول عرض سابق ، بينما التصرّف من جانب واحد على نحو ما اسلفنا يطابقه ذلك الاصطلاح تماماً . ان هذا العصر الجاهلي يكشف لنا عن ارض عذرية واسعة خصبة لأبحاث مستقبلة .

والمسألة الثانية التي اودّ ان اتناولها تتّصل بعصر هو احسم من غيره في تاريخ الشرع الاسلامي اعني عصر فقهاء المدينة السبعة . وقد كان الاعتقاد الى الآن

ان عمل هؤلاء الفقهاء الاوّلين للاسلام كان وضعَ نظـام للفقه يطابق حاجات عصرهم المختلفة . ولكن الابحاث التي جعلتنا اكثر معرفة بحالة القانون العربي في العصر السابق للاسلام هي نفسها التي علّمتنا ان نقدّر عمل هذا العصر الآخر بأدقّ مما كنا نفعل ؛ فهذا العمل هو قبل كل شيء ادخال المبادئ الاسلامية في قانون كان قد نما اذ ذاك نموًّا كافياً . واصحاب الفضل الاكبر في ادخال المبادئ الاسلامية في القـانون العرفي الجاهلي كانت تضمّهم دوائر الاصحاب والتابعين وتابعيهم في المدينة . كانوا يعملون على نفاذ الحياة بأسرها ومنها الحياة التشريعية بقواعد دينية اخلاقية، وهذه القواعد كانوا يستمدّونها ويستنتجونها قبل كل شيء من الآيات القرآنية الشرعية ثم من الاحاديث . فالاحاديث التي كانوا ياخذون بها ترجع بلا شك الى عصر قديم جدًّا . ومن الجدير بالذكر ان الابحاث الحديثة افضت بالعلم الاوربي الى تعديل تشككه في صحة بعض الاحاديث — ذلك التشكك الذي كان يغالي فيه احياناً . فكثير من تلك الاحاديث لا يذكر اقوال النبي وافعاله التي كانت تصير قواعد جديدة ، بل يذكر ان النبي قرّر وأجاز عادات اصحابه باستصوابها صريحاً او ضمنياً دون ان يستنكرها . وهذا هو البرهان المباشر لما نسمّيه استمرار السنن القانونية السابقة في الشرع الاسلامي . ولقد كان من هذا التطبيق المحتوم المنظّم لاحكام القرآن والسنة أن اشتمل نظام من « الأوامر والنواهي » على جميع ابواب الحياة القانونيّة حتى التي لم ينصّ القرآن عليها صراحة . وروح هذه « الشريعة المقدّسة » تختلف اصلًا عن روح القوانين المدنية كالقانون الروماني مثلًا . فان امثال هذا القانون تتناول قبل كل شيء الحقوق المشتقة من افعال معينة ذات قيمة قانونية ، على حين ان الشرائع المقدّسة تعني الحكم على الافعـال من حيث انها مباحة او محظورة . وهذا بيّن من الاصطلاحات الفنيّة : ان التدرّج العام لاعمال الانسان من واجبة او مفروضة ومندوبة ومبـاحة او جائزة ومكروهة ومحظورة تعبّر عن صفاتها الدينية والاخلاقية . ولكن كلمة الواجب لم تدلّ في الاصطلاح الجاهلي — كما رأينا — على المفروض بل دلّت على الصحيح وقد تستعمل في هذا المعنى احياناً في كتب الفقه ايضاً . ونحن نشهد حقيقة على تراجع للعنصر القانوني المحض بتأثير

القواعد الاخلاقية . حتى نفس نظام المصطلحات الدالة رأساً على انواع الصفات القانونية ، وهي مشروع وصحيح ومكروه وفاسد وباطل الى غير هذا ، تأثرت بتلك النظرية الدينية : فالصفة العامة وهي المشروعية ، مشروعية البيع مثلاً ، تشتمل حكماً من هـذا النوع الديني الاخلاقي ؛ ثم اننا نجد صفة الكراهة تطلق على افعال قانونية مشروعة صحيحة يليها شيء من المنهي عنه. ومن الجدير بالذكر ايضاً ان هذا النظـام المدرّج الثاني اقلّ تفصيلاً من التدرّج الاول وان بعض المصطلحات الدالة على الصفات القانونية المحضة كاللازم والنافذ والباتّ قد بقي بلا تحديـد حاسم دقيق . واخيراً فان اصطلاح « الجائز » اصبح مترادفاً لاصطلاح « الصحيح » ويدل على ان الافعـال التي يطلق عليها لا بأس بها من حيث التقدير الديني الاخلاقي فهي بهذه المثابة صحيحة . واذا قيـل ان امان المسلم الواحد مثلاً جائز فمعنى ذلك من جهة انه غير آثم في منحه هذا الامان ، ومن جانب آخر انه لا اعتراض على هذا الفعل وانه من اجل ذلك يعتبر صحيحاً . ومن هذا كله يتضح ما للتقدير الديني الاخلاقي للاعمال من اهمية ومن اولوية على الصفات القانونية المحضة في الشرع الاسلامي . وليس هـذا بأقلّ وضوحاً في نظام الاحكام الشرعية نفسها . فان الجانب الاكبر من احكام المعاقدات مثلاً يتسلط عليه الميل الى استخلاص كل النتائج من تحريم الربا والميسر ؛ اما احكام العقوبات فانها لا تتناول الّا جانباً بسيطاً من الافعـال المحرّمة ، بحيث يكون للاوامر والنواهي صبغة ادنى الى ان تكون اخلاقية منها الى الصبغة القانونية. ان مصدراً من مصادرنا الكبرى فيما يتعلق بهذا العصر هو على الرغم من تاريخه الاحدث قليلاً كتاب الموطأ لمالك بن انس . انه جدير بالذكر ان اقوال الفقهاء السابقين تتلو بعضها بعضاً في ابوابه التي تتصـل بالاوامر الاخلاقية وبكافة الاحوال الشخصية والمواريث ـــ تلك الاحكام التي تُرى صبغتها الدينية بادية ظاهرة ـــ ، في حين ان هذه الاقوال نادرة في كثير من الابواب المتصلة بالقانون التجاري الذي كان بعيداً عن دائرة الاخلاق قليل الاكتراث له لا يثير مناقشات اهل الدين . فهذه الابواب من جهتها تمتاز بتغلب مصطلحين فيها وهمـا السنة والاجماع . فمعنى السنة في كتاب الموطأ هو العرف والعادة المسنونة في المدينة ،

لا سنة رسول الله فقط ، والفرق بينها من جهة الاصطلاح ظاهر . اما الاجماع فمقتضاه في كتاب الموطأ غالباً ان سنة من السنن القانونية لم يستنكرها واحد من الائمة لاسباب دينية اخلاقية . ويجب ان نذكر الى جانب كتاب الموطأ لمالك ابن انس مصدراً آخر هاماً لذلك الدور من تاريخ الشرع الاسلامي ، وهو كتاب اختلاف الفقهاء لابن جرير الطبري ، فهو ، على الرغم من القليل الذي انتهى الينا منه ، اكثر دلالة من الكتاب الاول . مثال ذلك ان الطبري يعلمنا انه كانت هنالك عشرة اختلافات اساسية بين مذهب سعيد بن المسيب (اشهر فقهاء المدينة السبعة) واجماع مذاهب الاجيال التالية ، وهو شيء لا يظهر من المواضع العديدة التي اورد مالك فيها من هذا المرجع تأييداً لآرائه الشخصية . وثمة مصدر ثالث رئيسي لدراسة هذا العصر ، هو كتاب اخبار القضاة لابي بكر وكيع القاضي (توفي سنة ثلاثمائة وست) فهو جامع لأخبار قضاة الامصار الكبرى في الدولة الاسلامية طائفة طائفة على الترتيب الزمني من الابتداء الى عصر المؤلف مبيناً ظروف توليتهم وعزلهم مفصلاً الحوادث التي وقعت طول ولايتهم مورداً قضاياهم الهامة واحاديثهم وشعرهم الى غير ذلك من المعلومات . ويفيدنا هذا الكتاب عن مظهر آخر للحياة التشريعية وهو تطور الشرع بالعمل القضائي ، فان قضايا هؤلاء القضاة الاقدمين وعلى رأسهم الخلفاء الراشدين قد ساهمت مساهمة كبيرة في نمو الفقه . ولندع جانباً موادّ اخرى لم يتناولها البحث الى الآن كتلك الموادّ التي يشتمل عليها تفسير ابن جرير الطبري الكبير ، وننتقل الى المصدر الهامّ الرابع لابحاثنا عن ذلك العصر ، ونعني به المعلومات الواردة في كتب الاحاديث وما يتعلق بها . فقد اسلفنا القول بان الفقهاء الاقدمين كانوا يأخذون القواعد التي كانوا يطبقونها على القانون العرفي من القرآن والاحاديث التي كانوا يرونها صحيحة فلذلك ليس من العجب ان نجد الى جانب الاحاديث كثيراً من القضايا والاحكام تتعلق بها لاسيما في الجامع الصحيح للبخاري . فان صاحبه في تراجم الكتب والابواب كثيراً ما يذكر آراء الفقهاء التي تدخل في موضوعه حتى ولو لم تتفق والاحاديث المذكورة او اعوزت الاحاديث كل الاعواز . وان لنا الحق في ان نفترض ان كل حديث ذي

صلة بمسائل الفقه كان يلازمه اصلاً رأي فقهي مطابق له حتى ولو كان هذا الرأي قد اختفى . والاحاديث — سواء أكانت صحيحة ام مطعوناً فيها — هي في الواقع مصدر من الدرجة الاولى لفهم هذا التطور القديم للفقه ، وعلى الباحثين ان يطابقوا بين الآراء الفقهيّة التي تعبّر عنها الاحاديث وحالة الاشياء الحاصلة بعد استكمال الفقه على صورته النهائية . واودّ ان اورد لكم بضعة امثلة لهذه الطريقة — طريقة المطابقة من الاحاديث الشرعيّة والفقه .

فالنص الاساسي للعان ، وهو مثالنا الاول ، هو الآية الآتية : « والذين يرمون ازواجهم ولم يكن لهم شهداء الّا انفسهم فشهادة احدهم اربع شهادات بالله انه لمن الصادقين . والخامسة انّ لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين » . هذا النص لا يفصل في مسألة النكاح : أيقتضي اللعان فسخه ضرورة ام لا . فجميع مذاهب الفقه تقول بالايجاب وتستند في ذلك الى احاديث . ولكن تلك الأحاديث تثبت هذا الرأي بصورة جازمة قوية حتى ان الرأي العكسي لا بد ان يكون قد وُجد قبل تأليف المذاهب . ويقال ان مصعب بن الزبير قد اخذ بهذا الرأي الآخر ، لكن هذا القول لا اصل له ؛ ولكن الخبر المنفرد عن عثمان البتّي انه كان يرى ذلك فيؤكده متن الاحاديث نفسه . فاما فسخ النكاح عند اللعان فقد يحتمل ان يكون على ثلاثة وجوه : ان يفسخ النكاح بالطلاق الذي يجب ان يصدر عن الزوج ، او ان يفسخه القاضي المشرف على اداء اللعان ، او ان ينفسخ بوقوع اللعان نفسه . والرأي الاول يطابق بلا ريب المعنى الواضح لطائفة كبيرة من الاحاديث ، بينما لم يبقَ له اثر ما في الاقوال المروية عن الفقهاء الاقدمين ما عدا جدالًا منفردًا ضدّه ؛ ولا بد ان يكون قد اندثر من زمن بعيد ، وقد فسّرت تلك الاحاديث على انها مؤيدة للرأي الثاني . وهذا الرأي تشهد به احاديث اخرى كثيرة ويصفه الزهري بانه سُنّة ، وهو مذهب الحنفية ؛ ومن الراجح على الظن ان مالك بن انس قد اخذ به شخصياً في حين ان المالكية قد آثروا عليه الرأي الثالث . وهذا قد اخذ به الشافعي ومن بعده الشافعية ايضاً ؛ لكننا لا نجد احاديث تؤيده . وهكذا يظهر من مقارنتنا للاحاديث بالمذاهب الفقهية تطوّر بيّن يتّجه اتجاهاً معيّناً .

فأحكام القصاص — وهو مثالنا الثاني — مبنيّة على آيات عديدة منها الآية التالية : « يا ايها الذين آمنوا كُتب عليكم القصاص في القتلى الحرّ بالحرّ والعبد بالعبد والانثى بالانثى فمن عُفي له من اخيه شيء فاتباع بالمعروف وأداء اليه باحسان » . وقد فسرت هذه الآية تفسيرات مختلفة . منها تفسير يلوح انه مطابق لمعناها الظاهر ، يفيد في الواقع ان رجلاً حرًّا لا يمكن ان يُقتل الا في رجل حرّ وفي المرأة امرأة فقط ، وانه في الحالات الاخرى يجب اداء الدية بدلًا من القصاص . ويزعم اصحاب ذلك التفسير في نفس الوقت ان هذه الآية قد نسختها آية اخرى تنصّ على القصاص العام وهي الآية الآتية : « وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسنّ بالسنّ والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة له ومن لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم الظالمون » . كذلك اجمعت المذاهب الآن على ان الرجل يُقتصّ منه بالمرأة . وقد فسرت الآية الاولى ايضاً بهذا المعنى استناداً الى حديث لا شك في صحته مؤداه ان النبي امر بقتل رجل في امرأة . ومع هذا كله فقد وُجد الرأي القائل بانه لا ينبغي ان يُقتل رجل في امرأة ، ويُذكر من اصحاب هذا الرأي عمر بن عبد العزيز والحسن البصري وعطاء وعكرمة ، ولكن لا يكاد يوجد حديث يؤيد هذا الرأي . وهذا المثال يفيدنا علماً بانه — ولو ان كل حديث يطابق قولًا فقهيًّا — فالعكس ليس كذلك وان بعض الآراء الفقهية يمكن ان يكون مستقلاً عن الأحاديث . ومثل هذا يُقال في مسألة العام بل يقتل كثيرون في شخص واحد اذا اشتركوا في قتله ؛ ولما كان اصحاب هذا القول الذي اخذت به مذاهب ابي حنيفة ومالك والشافعي يعوزهم حديث لا مطعن فيه فقد كانوا مضطرّين ان يستندوا إما الى حديث لم يكن دليلًا قاطعاً وإما الى آراء بعض القدماء ، وهو مما اثار انتقادات خصومهم .

ولعل هذا يكفي في وصف ذلك العصر الخصيب من تاريخ الفقه الاسلامي . وحسبنا ان نلاحظ ختاماً لهذه المسألة انه يمكننا ، بالانتفاع بالمصادر الميسورة اليوم ، ان نفهم فهماً دقيقاً تلك الوظيفة التشريعية التي قامت بها شخصيّة قديمة كشخصية ابراهيم النخعي . وبهذه الاشارة الى ميدان واسع لابحاث مستقبلة عظيمة الشأن نختم هذا الحديث الاول .

شوقي على المسرح

شوقي والفنّ

بقلم ادوار حنين

هل راعى شوقي الجانب الفني في رواياته التمثيلية ؟

مما لا مراء فيه ان شوقي لم يكن فنّاناً فيما خلّفه لنا من الروايات المسرحية ، ان من حيث التنسيق وطريقة الخوض في الموضوع ، وان من حيث ابداع الاخلاق وحسن نسبتها الى اشخاص عليها مسحة ، وان قليلة ، من الحياة .

وسيقف المطالع على كلّ هذا في بحثنا عن التنسيق وفيما سنعرض له من مذهب شوقي في التمثيل ، وفهمه لبعض المبادئ المسرحية .

التنسيق

ففيما يخصّ التنسيق يحسن بنا ان نميّز بين التنسيق الخارجي والتنسيق الداخلي .

١ً التنسيق الخارجي

اما التنسيق الخارجي فعقيم .

من البديهي ان الروايات التمثيلية تُقسم الى مشاهد وفصول . الا ان شوقي احبّ ان يخرج عن المألوف ، في الغالب ، فيتّبع بعض المصريين ، فاوجد ما سمّاه « منظرًا »

هذا المنظر ليس بالمشهد ولا هو بالفصل . وشوقي يقسم رواياته الى فصول فتأتي الواحدة منها في ثلاثة ، او اربعة او خمسة ، ثم يقسم الفصل الى مشاهد ،

على المعروف في هذا الفنّ ويدخل المناظر في الفصول، فيقسم الفصل الواحد الى منظرين ، واحياناً الى ثلاثة ، كالفصل الاول من « قمبيز » والاول والاخير من « اميرة الاندلس» . وان هذه المناظر تتفاوت بالطول تفاوتاً غريباً فالمنظر الثاني من الفصل الثالث من « قمبيز» يتجاوز الى ١٩٠ بيتاً ، في حين ان المنظر الاول من الفصل الثاني من « عنترة » لا يعلو عدد ابياته عن الـ ١٩ بيتاً والمنظر الاول من الفصل الثالث من « قمبيز» لا يتعدّى الابيات التسعة. وهناك المنظر الثاني من الفصل الثاني والمنظر الاول من الفصل الثالث من « عنترة » يبلغ عدد مشاهد الواحد منهما الـ ١٤ مشهداً بينما ان المنظر الثاني من الفصل الثالث من« عنترة » نفسها لا يعلو عن المشهدين، كما ان المنظر الاول من الفصل الثالث من «قمبيز» محصور في مشهد واحد . وكلّها مبرّرات خارجية يلجأ اليها شوقي لعجزه عن حصر الحوادث في الفصول المعروفة العدد ، فيزيد فيها فعلاً ، ويخشى قسمة الرواية الى سبعة او عشرة فصول — على ما قد يكون بينها من التفاوت — فيتهرّب من لفظة «الفصل» لاجئاً الى « المناظر » . وهو عجز فنّي فادح .

ولو ان شوقي عرّض نفسه للاتعاب التي يقاسيها المؤلفون المسرحيون في تنسيق رواياتهم وتنظيمها ، لكان سما ببعض مناظره الى درجة يبلغ معها شأو الفصل وهبط ببعضها الى مستوى المشهد .

امّا ما سوى هذه النقطة ، فيما يخصّ التنسيق الخارجي ، — فكلّ ما عند شوقي عند غيره من المؤلفين المسرحيين .

٢ التنسيق الداخلي

وفيما يتعلّق بالتنسيق الداخلي يجدر بنا ان ننظر الى الموضوع اولاً ، والى الحوادث ثانياً ، باحثين هل كان الموضوع واحداً ، تاماً ، طبيعياً ؛ وهل الحوادث جارية نحو النتيجة ، ملتحمة.

الموضوع

فوحدة الواقعة قليلاً ما كانت تستتبّ لشوقي في رواياته ، اذ اننا نرى في

«مصرع كليوباترا» مثلاً الى جنب الواقعة الكبرى، وهي مصير المتحابين انطونيو وكليوباترا، موضوعاً آخر يمشي والاول جنباً الى جنب. فنرى حابي يتعشق هيلانة فتبادله هذه حبها، فينمو هـذا الحب ويزدهر ويفضي اخيراً الى زفاف هيلانة الى حابي كما رأينا . وقـد شهدنا ايضاً في رواية «علي بك الكبير» عملين يجريان جنباً الى جنب، وهما مصير علي بك الكبير ومناوئيه على ملكه اولاً، ومصير آمال ومراد بك حتى معرفتهما اصلهما الواحد، ثانياً . ولم تخلص «اميرة الاندلس» من تعداد المواضيع فهي ايضاً ذات واقعتين نرى في الاولى منها مصير المعتمد بن عباد بملكه : النفي الى اغمات والسجن، ومصير بثينة وحسون من فراق طويل فتلاق فاقتران.

اما فيما يخص اتمام الموضوع فلروايات شوقي اول وآخر. الا انه يصعب القول انه يحسن اتمام رواياته . وقد يلاحظ القارئ ان خاتمة معظم رواياته التمثيلية الموت يستثنى من هذا الحكم : «اميرة الاندلس» و«عنترة» . ففي «مصرع كليوباترا» مثلاً نرى الدماء تسيل وجثث الآدميين تغطي ارض المسرح، فنعرف في الاموات انطونيو، وكليوباترا، واوروس، وشرميون، وهيلانة التي عادت الى الحياة بطريقة عجيبة. ولم تختم رواية «مجنون ليلى» بغير الموت، فتموت ليلى حرقة، والمجنون لوعة. ومثل هذا قل عن روايتي «علي بك الكبير»، و«قمبيز» اذ يموت في الاولى «علي بك»، ومصطفى البرجي، والد آمال، ومراد بك؛ وفي الثانية: فرعون امازيس، ونفريت ابنته، وفانيس القائد في الجيش المصري والملتحق بالجيش الفارسي، وقائـد جيوش الفرس الشيخ، وابيس العجل اله المصريين... واخيراً ينتحر قمبيز.

امّا الروايات التي تنتهي على غير الموت، فقبيحة الخاتمة عقيمتها . وكنا نود لو انه ختمها كاخواتها، اذاً لنجا من بعض ما وقع فيه. ذلك ان رواية تنتهي باختطاف عبلة من ركب بني عامر واحلال ناجية محلها فيتزوجها صخر، على غير علم منه، ويتزوج عنترة عبلته، ليست اوفر فناً من رواية ينهيها مؤلفها بالموت، كما ان عودة بثينة من حيث كانت وزواجها حسوناً ليست اقرب احتمالاً واغزر فناً وروعة

وما الذي دعا شوقي الى تحكيم الموت برقاب اشخاصه فيفنيهم ؟

ألأنه كان يعتقد ان المأساة يجب ان تختم بفاجعة او فواجع ؟ لا . اذ انه اوجد « عنترة » وكانت خاتمتها الزواج ولعمري لم يكن الزواج يوماً فاجعة من الفواجع — او على الاقل لم يكنه مرّة في الرواية حيث كان يرمز دوماً الى السعادة والنصر — وقد ختم « اميرة الاندلس » ايضاً بالزواج . فما هو الداعي اذاً ؟ هذا ما لا يمكننا الجزم به ، وشوقي على ما ترى من الاضطراب والقلق فلا يثبت على حال او يقر له قرار .

على ان القارئ يلمس فيما تقدّم عجز شوقي الواضح عن اتمام الروايات . ولمّا كان لا بدّ للرواية من خاتمة جعل خاتمتها الموت وهو ، لعمري ، الخاتمة الطبيعية لكلّ ذي حياة على وجه هذه الارض . امّا ان يكون خاتمة جميع ابطال الرواية التمثيلية ، فهذا غير طبيعي .

ويمكننا القول ان صفة مواضيع شوقي ليست الطبيعيّة ، اذ انه استعمل الخوارق في غير مكان من رواياته : في « مجنون ليلى » مثلاً يظهر المؤلف زمرة من الشياطين بينهم الاموي شيطان شعر قيس . وفي عنترة من المآتي الحربية ما يعجز عن اقله « الجن » . هنا عنترة ينازل المئات فيهزم المئات ، وهناك يقاتل ويناضل فلا يردعه عن قصده رادع ، مهما كان الامر صعب المنال . ثم ان في روايات شوقي مفاجآت كثيرة مستنكرة منها اقتران صخر بناجية معتقداً انها عبلة :

مَن هذه؟ عبلة ؟ من بمن تزوجت اذن ؟
من التي تركت في الخباء ومن ترى تكون في النساء ؟

ومنها اخوّة آمال ومراد بك في « علي بك الكبير » التي يظهرها مصطفى اليسرجي بعد اثبات ابوّته لها عند آخر ساعة من حياته . ودخول بثينة الى دار حسون بزيّ الرجال وفضح امرها اذ تقع قلنسوتها فتظهر ضفائر شعرها وتعرف وغير هذا كثير — وكثير جداً —

الحوادث

اما الحوادث وكيفية جريها نحو النتيجة والتحامها فهذا ما سنتناوله بالبحث

فيما يلي :

مما يجدر بالذكر ان روايات شوقي التمثيلية ، على الاجمال ، كثيرة الحوادث ولا اظنني مبالغاً ان قلت ان الرواية عند شوقي هي سلسلة حوادث متوالية متتابعة ، دون ما نظر الى الصلة الرابطة بينها والى الالتحام . ففي عنترة مثلاً من الحوادث ما يكفي خمس روايات ، وفي اميرة الاندلس ، وقمبيز ، ومجنون ليلى ، ما يكفي الثلاثين كما تنبئك اختصاراتنا الموجزة[1]

امّا الالتحام فليس من صفات حوادث هذه الروايات . اعني ان الحادثة الاولى فيها لا تستدعي الثانية ، وهذه الثالثة فالرابعة . . .

فما الذي حمل فانيس مثلاً على الالتحاق بالجيش الفارسي ، وما الذي دعاه الى الفرس ليشي بنتيتاس ؟ ؟ ! ! لا شيء الّا اضطرار الروائي الى اتمام روايته .

فضلاً عن ان هذه الحوادث ليست جارية جميعها نحو النتيجة ، اذ ماذا يفيد النتيجة في « مصرع كليوباترا » مثلاً ان يتزوّج حابي هيلانة ؟ وماذا تفيد النتيجة ليلة الطرب التي اقيمت على شرف انطونيو في القصر الملكي ، وقد استغرقت الفصل الثاني من الفه الى يائه ؟

وماذا يفيد النتيجة وقوف الشعراء والمغنين على قبر ليلى لرثائها ، وماذا يفيد ، ما ظهر به ورد بعد زواجه منها . . . اعني كل ما قيل من الصفحة ١٠٣ فصاعداً ؟

وماذا يفيد النتيجة ، في « علي بك الكبير » ، ان يلتقي سعيد وحسناً ، ويبارز احدهما علياً فيُغلب فتأتي الصفحات الممتدّة من ٦٩ الى ٧٩ بدون ما فائدة ؟

ثم هناك اقسام بكاملها لا تفيد النتيجة شيئاً اذ ماذا يفيد رواية « مصرع كليوباترا » ان يتعشق حابي هيلانة . . . فيتحابّان . . . ويتعاهدان على الزواج ويتزوّجان اخيراً تحت عناية الملكة ؟

وماذا يفيد رواية « علي بك الكبير » وجود آمال التي تزوّجها علي عرضاً ،

---

١) راجع المشرق ص ٦٨-٧٤

وضفر عليها المؤلف حوادث غرامية ، اين منها الحوادث التاريخية اذا ما قيست هذه بتلك .

وماذا يفيد « اميرة الاندلس » ان نطلع على تاريخ ابن عبـاد كله وقت ولايته واسره ؟ او قل ماذا تفيدها حوادث بثينة وحسون ؟؟! ومن يدريك هل الرواية في هذه الحوادث او تلـك اذ ان لهذه من الاهمية المطلقة المجرّدة ما لتلك ، فضلاً عن ان اهميتها النسبية تتمادل بالنظر الى سياق الموضوع ؟ وما الى ذلك مما لا مسبب له او مبرّر .

الاشخاص

بقي ان نتحدّث عن الاشخاص في روايات شوقي التمثيلية ، وعمّا اذا كانت اخلاقهم خطيرة ملائمة ، حقيقية ، ثابتة .

في هذا المقام ايضاً يقصّر شوقي عن القيام بواجب الفنان المبدع ... فهو ، وان لم يقصّر في جميع المواقف — كما سترى — فقد قصّر في معظمها . وهو ، وان احسن تصوير اخلاق كليوباترا وقمبيز ، فقد قصّر في تصوير اخلاق عنترة ، وعبلة ، وابن عبّاد ، وحسون ، وعلي بك الكبير ، ومن اليهم .

هذا عنترة هل له في شوقي شخصية ملائمـة ثابتة ؟ لا . فهو يدعو الى الوحدة العربية ويمثّل الروح القومية الحقّة ، ومع ذلك لا يلبث ان يفتك باخوانه بني لخم وانصـارهم ، فيعمل فيهم القتل والضرب فيقضي على الكثير منهم ويبقي على اقلية تشتت هباء ... فضلاً عن ان العربي ، كما قدمنـا ، فردي فوضوي لا تحمله روحـه على المناداة بالوحدة والرضوخ لسلطان او مليك فرد يأمر وينهي .

فأين الملائمة ! !

وهو يصوّر مالكاً — السيد العربي — خسيساً لئيماً .

وعبلة بطلة الوحدة العربية والداعية الكبرى اليها ... رحم الله الملائمة !

وعنترة عفيف سموح اذ يبقي على اعـدائه المكسورين وامتعتهم ، وهو مستهتر اذ يختطف عبلة من ركب بني عامر ... فاين الثبات ؟

وقد صوّر المهدي،ابا ليلى،ابياً شريفاً،اذ يثور على قيس فيطلب الى السلطان هدر دمه.ثم عاد وصوّر المهدي خاملاً جباناً لا يستنهضه داعي الشرف والاباء ، اذ يحرّم على شعبه الهائج قتل من تجنّى على فتاته ... فاين الثبات ! ! ؟

واعطانا صورة لعلي بك الكبير اظهره فيها سديد الرأي صائبه ؛ واين سداد الرأي في ان يرفض معونة الاسطول الروسي الذي قدّم خدماته معونة له على مناوئيه ومغتصبي عرشه...فاين الثبات !

هذا واننا لا نرى تفاوتاً بيناً بين الاشخاص في حين ان التفاوت ضروري لان جمهور الحاضرين يعجبهم ان يروا شخصاً متفوّقاً وآخر مقهوراً . كما اننا لا نرى في معظم روايات شوقي شخصاً بارزاً عن اقرانه يجبه الجمهور فيشعر بشعوره مهتماً لهمه فرحاً لفرحه ... فشوقي لا يكتفي ، في الرواية الواحدة ببطل واحد ، انما يشحنها بالابطال :

هذه « علي بك الكبير » . فعلي بطل ، ومحمود بطل ، ومراد بك بطل ، وآمال بطلة ، ومن دونهم ابطال ولا تفاوت يذكر بين مقامات هؤلاء الاشخاص. وهكذا قل عن اشخاص « اميرة الاندلس» حيث تضيع بين بطولة بثينة ، وابي الحسن ، وابن حيون ، وحسون ، والملك ابن عبّاد.

كل هذا ناتج عن اكثار الواقعات في الرواية الواحدة كثرة قاده اليها مذهبه في التاريخ

...

وقد لا تفرق اشخاص روايات شوقي عن الآلات المتحركة اذ انها كالآلات في سكناتها وحركاتها ... فهي جارية ابداً الى الامام ... الى النتيجة . فلا عقبة تصد ولا عثرة ترد . لا احتكاك بين الارادات المتماسكة والعواطف المتنافرة ، ولا تردّد نفساني داخلي في الارادة الواحدة

فاي مرّة شهدنا ليلى يولمها زواجها من ورد الماً جدياً ، فتقف امامه مقابلة بين ما عليها وما لها ، ومائلة في النهاية الى حيث شقاؤها ولوعتها ، الى حيث مالت اخيراً دون ما عراك داخلي ودون تمحيص او تدقيق.

اجل ! اننا نعلم انها تحبّ قيساً ، ونعلم انها لن تتزوّجه ونرى كل ذلك واضحاً جلياً في شوقي،ولكننا لم نرَ جلياً هذا الحب — الذي فرض شوقي انه مبرهن عنه في ادمغة الحاضرين — فاهمل امر تبيانه ، ولم نرَ كراهتها لورد الذي استبدلته بقيس ، ولم نرَ الّا انتصاراً — دون ما عراك — على رغباتها وميولها اذ قبلت بورد زوجاً لها.

رأينا ما فيه الكفاية لابلاغ الرواية نهايتها . اما ان نكون شهدنا ما فيه البرهان على مقدرة المؤلف وحسن ذوقه الفني ونقل الطبيعة البشرية الحيّة فهذا ما لا يمكننا الاقرار به.

وهكذا فان على اشخاص شوقي الّا يتأخروا دقيقة عن السير ... الى الامام لئلا يخطئوا النتيجة فيخفق الروائي ، وتهوي الرواية.

كل هذا على درجة من النقص ليست بحاجة الى برهان.

مذهب شوقي في التمثيل

هذه كلمة ارسلناها في الفن عند شوقي ، فتناولنا فيها البحث عن الموضوع والحوادث والاشخاص . واننا نردفها الآن بكلمة عن مذهب شوقي في التمثيل .

وقبل كل شيء ، ما هي الرواية التمثيلية في نظر شوقي ؟

هي كلّ شيء ، الا الرواية التمثيلية . اذ ليست رواياته سوى مغالطات مسرحية شحنها بقصائد رنانة رائعة وابيات محكمة صائبة.

هذه رواياته فمنها ما يظهر عليها النفس الغنائي « كمجنون ليلى » فلا نرى الا المجنون يتغنى بليلاه ويحدّث عنها اينما حلّ . يتذكر حيناً ايام صباه الأول اذ كان يلعب وليلى على سفح جبل التوباد فينشد قصيدته الرائعة :

جبل التوباد ، حيّاك الحيا وسقى الله صباناً ورعى (١

وحيناً يلتقي ليلى فيناجيها بقصيدة تفوق تلك ، يقول في مطلعها :

تعالي نمش ، يا ليلَ ، في ظلّ قترة من البيد لم تنقل بها قدمان (٢

١) مجنون ليلى ص ١٢٢ ٢) مجنون ليلى ص ١١٢

واحياناً تستولي صورة ليلى على مشاعره فتفقده رشده ، فيغمى عليه ، ثم يصحو منشداً :

ليلى ! مناد دعا ليلى ، فخفّ له نشوان من جنبات الصدر عربيد

وهي القصيدة الذائعة الصيت التي تغنى بها محمد عبد الوهاب في اسطواناته « تلفتت »

وما ان ننتهي من غزليات قيس الا تأتي مرثيتا الفريض ، المغني ، وابن سعيد ، ومرثية المجنون نفسه في ليلى مما يجعل الرواية غنائية من اولها الى آخرها .

ويظهر بعضها الآخر وعليها النفس الملحمي « كعنترة » و«علي بك الكبير» و«مصرع كليوباترا». فما اشبه عنترة فاتكاً باعدائه منشداً اناشيد النصر باخيل ، على فروق هامة — طبعاً — بالنفس الشعري والسمو.

وكأن روايات شوقي التمثيلية قصص مسخت روايات تمثيلية اذ اسقطت منها كلمات قال وقالوا وقلت واستبدلت بها اسماء الاشخاص.

ذلك انه كالروائي القصصي لم يراع في رواياته التمثيلية الا الجانب الاخباري القصصي مهملاً كلّ ما يفرق هذه عن تلك.

وعلى كلّ فان شوقي على المسرح من المناظر التي ، ان لم تثر اعجابنا ، فهي تثير عجبنا واستغرابنا ، وان العجب كالاعجاب يستفزنا الى درس هذه الظاهرة من مظاهره العديدة . ولعمري ان شوقي على المسرح بحث احبّ الى النقدة . . . والقراء، من شوقي بين ايادي الامراء والملوك ، او شوقي على مقابر العظماء . . . او شوقي في محادثة الغواني . . . وما الى ذلك مما يمكن درسه في هذا الشاعر الكبير.

اما طريقة شوقي في التمثيل فمضطربة اتفق عليها وجمهرة روائيي الانحطاط كفولتير مثلاً . فهو يستميض عن الجوهر ، اي درس النفس البشرية ، بخزعبلات يتأثر منها الجمهور الا انها ليست من صفات التمثيل العالي.

طرق شوقي الفن التمثيلي ، وكأنه قد ادرك عجزه من قبيل درس النفس البشرية وتحليلها وفقه كنهها ، وفهم ما في سبيل ذلك من العقبات ، فاكتفى

بان جعل من الرواية سلسلة مناظر ومشاهد يصيب بها مخيلة الجمهور ويثير بها مشاعرهم ، وشحنها بالدعايات جاعلاً من الاشخاص ابواقاً ينفخ فيها كل ما يريد. وليس اهون على الناقد من اثبات هذه المقدمات.

المفاجآت

واية مشاهد ادعى الى الاثارة والتهيج من مشاهد « عنترة » و « قيس » و « علي بك الكبير » وما اليها.

فماذا في عنترة سوى غارة وردّ غارات تتمّ الغلبة فيها جميعها لعنترة.

فنحن في طول الرواية وعرضها بين رؤية لصوص يغشون حيّ عبلة فتقاتلهم وتردي منهم اثنين ، وتثابر على الجهاد الى ان يتكاثر عليها اللصوص فيغلبونها على امرها ويحملونها هاربين[1] ، ورؤية عنترة يفتك باللصوص ويستعيد منهم السبيات ... وعبلة[2] ، وينازل منهم اسيد فيرديه . ثم تتوالى الحوادث على هذا الترتيب : حيث نرى عنترة يفتك بقوم كانوا يقودون الهدايا لكسرى ، ويتهم العبدين : ماردًا وغضبان ، فيموت ماردٌ خوفاً ، ويفرّ الآخر مهرولاً ، ثم نراه ينازل جماعة يترأسهم رستم ، موفدين للفتك بعنترة. فيقطع هذا رأس رستم ، ويفتك بمن معه ويفر الباقون ... وهكذا الى النهاية فانه لا يفرغ من قتال الّا ويعلق بآخر وفي جميعها ... الغلبة لعنترة.

ولم يكتفِ شوقي بخلق هذه المشاهد التي تفوز باستحسان السذج من الحاضرين ، وانما ادخل على رواياته عددًا ليس بالقليل من المفاجآت ، وفيها الدلالة الكافية على ضعف عارضة المؤلف المسرحي .

فانظر صخرًا يتزوّج ناجية اعتقادًا منه انها عبلة التي يعشق ويحب ... وعنترة داخلًا الى حيث اجتمع القوم احتفاء بالعروس ، وفي صحبته امرأة متنقبة متسترة فيتهامس القوم فيما اذا كان عنترة هو هذا الداخل ام احد سواه ، وبعضهم يعتقد ان عنترة قتل ، ... فيأخذ مكانه بين القوم ثم يزيح الستار عن وجه

---

١) عنترة – الفصل الاول – المشهد ٧

٢) عنترة – الفصل الاول – المشهد ١٢

امرأته المقنعة فيشرق عليهم وجه عبلة كالشمس المنيرة عند انذهال الجمهور اجمعين... وحيرة صخر الذي كان يعتقد ان عبلة في خدره...

ولم تفت شوقي المفاجآت في « اميرة الاندلس » حيث اورد منها وافرط.

هذه هي بثينة تيتم دار حسون متنكرة متخفية في ثياب رجل ، فيفضح امرها اذ تقع قلنسوتها وتظهر ضفائر شعرها.

وهؤلاء هم حسون وابو الحسن وابن حيون وبثينة يغادرون دار ابي الحسن في زيّ العساكر الشراكسة ، وهذا ابن حيون نعرف فيه تواليًا صياد السمك ، فالاديب والشاعر المجيد ... فاليهودي المفرط غناه.

وقد رأينا مثل هذه المفاجآت في « علي بك الكبير » بالدور الذي قام بتمثيله مصطفى اليسرجي والد مراد بك وآمال المتكتم المتخفي ، وقد افشى سرّ ابوّته ابان الموت ، بعد ان جرى بين ولديه آمال ومراد بك من الحوادث الغرامية ما جرى.

اما رواية « قمبيز » فدعامتها ، بل حجر الزاوية فيها ، تدبير مفاجأة قويّة ، ذلك ان نتيتاس ابنة فرعون ابرياس المقتول تتقدّم للاقتران من « قمبيز » موهمة انها نفريت ابنة فرعون امازيس التي رفضت الزواج من ملك الفرس الهمجي.. وما ان يكشف امر هذه الخديعة الا تثور ثائرة قمبيز فيحمل على مصر حملة شعواء معملًا فيها السيف والنار فيدميها وتتم الرواية.

الدعاية

ثمّ لا يخفى ما في روايات شوقي من الدعاية.

شوقي ابن الفن ... لم يتجرّد لخدمته في الروايات التمثيلية وانما قرن به فيها الدعاية فزاحمته على ملكه.

فانك تجد في « عنترة » و« علي بك الكبير » دعاية للوحدة العربيّة.

وفي « علي بك الكبير » ، و« قمبيز » ، و« مصرع كليوباترا » دعاية لمصر ولتاج مصر.

وانّا لمكتفون باظهار الدعاية العربية فيتم لنا فيها البرهان على ما قدّمناه.

يبدأ شوقي دعايته العربية باثبات اصلنا العربي الواحد وذلك في جواب ضاهر العمر على قول محمد بك هذا :

من فلسطين انت ، ضاهر ، ام من ارز لبنان ، ام لك الشام اصل ؟

حيث جاء :

كل هذا هناك ، مولاي ، اصل واحدٌ يجمع الرجال ، وفصل
عرب كلّنا ، ومنطقنا الفصحى ، وآباؤنا ترارٌ واهل (١

واليك ما جاهرت به عبلة اذ قالت موجهة الكلام لبني لخم :

ما نحن الا ابناء جنس نحن بنو الشمس والصحارى
لا تخذلوا رستماً ، دعوه خلّوه للفرس يثأروه
ولا ينائل اخاً اخوه منكم ، ولا تخذلوا الديارا (٢

هذه تصريحات لم يكتف بها شوقي . وانما عمل عمل الدعاة المحنكين فعرض الطرق التي تؤدي الى هذه الوحدة فنادى « بالتحرّر » جاعلاً منه الطريق الاول للوحدة العربية . من ذلك قول عبلة :

الى كم تعيشون تحت النجوم وتفترقون افتراق السبل ؟
فنصفٌ قطاع رعتها الذئاب ، ونصف على البيد فوضى همل ،
وليس لكم دولة في الوجود ، وتسحبكم كالذيول الدول
الم على حوضكم قيصر ، وكسرى على جانبيه نزل
ويحكم ، تحت نير الغريب ومهازه ، الادعياء الدخل
هم الامراء ، وقد يرتدون بباب الاعاجم ذل النُدُل

سائل وما الذي ترمي اليه ؟
عبلة ارمي « لتحرير » العرب
سائل تحريرهم ممّ ؟
عبلة من القيد
سائل وكيف قيّدوا
عبلة الفرس والروم استرقوا قومنا واستعبدوا (٣

واليك دعوة اخرى من عبلة للغاية نفسها :

---

١) علي بك الكبير ص١٠٦ ٢) عنترة ص ١١٨
٣) عنترة ص ٧٩ ، ٨٠

حشرتمو تحت كل رايه واسرجوكم لكل غايه
وسقتمو الملك والولايه لكل كسرى وكل دارا
قبيلة تحت حكم كسرى، وقيصر الروم دان اخرى
اصبحتمو للغريب جسرا يركبه كلما اغارا

ثم تصيح :

يا لخم يا بني العرب يا لخم حرمة النسب (١

وكأن شوقي قد ادرك انه، لكي يمكن التحرير فالوحدة العربية المطلقة، يجب ان تسود المحبة والاشفاق العرب كلهم. وهذا ما صرّح به عندما استوقفت عبلة عنترة عن الفتك ببني لخم قائلة :

رحماك، عنتر، لا تشم سيفاً ولا تطعن برمح، وانشد ونهل (٢

وهي القائلة في مثل هذا :

عنترة الباس، خلّ سيفك، وعُدّ لخماً في الحي ضيفك
ما انت من ظلم القريب وهذه لخم قرابتنا الاداني، فاعدل
بالامس تبني ركن قومك باذخاً، واليوم تفعل فيه فعل المعول ؟ (٣

وقول عبلة هذا الاخير يطلع القارئ على ان عنترة كان، هو ايضاً، من انصار هذه الفكرة.

هذا وقد جرى البحث عن اصل هذه الدعاية من التاريخ.

اما ما دعا شوقي الى القيام بها فهذا ما نحن مظهرون :

عديدة هي العوامل التي دعت شوقي الى اظهار عنترة وعبلة بهذا المظهر. اولها واهمها عجزه المسرحي، ثم زمن التأليف، وتكفيره عن شعوبية له سالفة، واقتداؤه بشكري غانم.

اما عجزه فهو بادٍ تجاه دون النفس البشرية والولوج في عمق اسرارها، لعجم عودها وكشف ماهيتها كما اشرنا اليه سالفاً.

ولزمن التأليف عمل في الدعاية؛ اذ لا يخفى ان عنترة شوقي من منتجات

---

١) عنترة ص ١١٨، ١١٩ ٢) عنترة ص ١٢٢
٣) عنترة ص ١٢٥

سنة ١٩٣٢ وهي الحقبة من الزمن التي تجدّدت فيها ، على اثر الحرب العالمية الكبرى ، روح القومية عند جميع الشعوب الخانعة الضعيفة ، فتسربت عن طريق العدوى الى الشعب العربي بواسطة رجاله الذين خالطوا الشعوب الاوربية. والعام ١٩٣٢ هو الذي شهد الدعاية العربية في ازدهارها ، اذ أوجدت المجلات والجرائد والمدارس والجمعيات في سبيل هذه الغاية. ولما كان الشاعر او الكاتب ابن بيئته تحتّم على شوقي التأثر بالبيئة ومجاراتها على هواها . فكانت الدعاية العربية بابهى مظاهرها في « عنترة » كما رأيت.

وليس من المستبعد ان يكون شوقي قد فطن — وقد طوى سبعين من سنيه — الى ما فرط منه في السنين الخوالي من شعوبية ، فجدّ يكفّر عنها.. وكان مجال هذا التكفير « عنترة » .

وهناك عامل اخير اظنه هاماً وهو تقليد غانم . فقد اظهرنا فيما سلف من مقابلة عنترتي شوقي وغانم ما كان من التأثير لهذا في ذاك . وليس من المستبعد ان تكون هذه الدعاية اثراً من تلك التأثيرات.

شوقي وبعض المبادئ المسرحية

يبقى ان نبدي رأينا في موقف شوقي تجاه الوحدات الثلاث : وحدة الواقعة ، ووحدة المكان ، ووحدة الزمان ، وخلط المأساة بالمهزلة ، وتفضيل الموتمن على المناجاة ، واخيراً تجاه الزينة المسرحية.

امّا الوحدات فلم يراعِ لها شوقي جانباً . ومن حقّه الا يعبأ بالوحدتين : وحدة المكان ووحدة الزمان ، وقد ذهب في الرواية التمثيلية المذهب الذي اشرنا اليه . امّا ان يهشّم وحدة الواقعة تهشيمه لتينك الوحدتين ، فهذا ما لا نغتفره له ونحن نعلم انها دعامة الرواية الكبرى وشرط اولي من شروط الفن فيها ، ولولاها لما توصل مؤلف روائي الى تأليف رواية ذات شأن.

ولا حاجة للبرهان عمّا كان من خروج شوقي عن وحدة المكان والزمان ، فان كل مطالع يتحقق ذلك فور تصفحه اي رواية من رواياته.

الا اننا لا نعتب على شوقي في هذا الخروج ولسنا ممن يخطّئونه في فعلته هذه . اذ ان من نظر الى الرواية التمثيلية بعين شوقي ، فصنع لها ما للقصة من قواعد وشروط ، وشحنها بالحوادث الكثيرة والاشخاص الكثيرين ، وتعمّد تصوير حقبة من الزمن كاملة (راجع علي بك الكبير ، ومصرع كليوباترا ، واميرة الاندلس) ، واستعاض عن اخبار المؤرخين والروائيين بمشاهد ، وادخل المهزلة على المأساة ، لعلم ان الغرابه الظاهرة في ان يرضخ لهذه القواعد المقيّدة لا في ان يتحرّر منها.

المهزلة والمأساة

امّا فيما خصّ مزج المضحك بالمبكي وادخال المهزلة على المأساة ، فهذا ما لم ينجُ منه شوقي وقد يكون خلطهما نتيجة لازمة لمنهجه في الرواية التمثيلية اذ ان كل حقبة من الزمن ، تتهادى بين الاشهر والسنين ، من حياة رجل ما ، فيها ايامها الباسمة وايامها القاتمة العابسة ، وكل رواية تشتمل على عدد كبير من الاشخاص ، كروايات شوقي ، يجب ان يكون فيها الضاحك والباكي . ولو انه فعل العكس لكان وقع في خطأ عظيم ، وخرج عن الطبيعة التي فيها مسرّة جمهرة الحاضرين.

وليست ليلة الخمر والجمر التي احيتها كليوباترا في قصرها ، بين يومي المعركة التي شبّت على اسوار الاسكندرية ، لتُنتقد من هذا القبيل . انها زيادة من زوائد الرواية وانها خروج عن الموضوع ، وقل مهما شئت فيما خصّ ذلك امّا ان ينتج فسادها عمّا فيها من مضحك مازج ما في الرواية من مبكٍ فهذا ما لا نسلّم به.

ومن كل ما تقدّم نستنتج ان روايات شوقي التمثيلية هي من نوع ما يسميه الافرنج بالدرام (drame) . والدرام فرع مستقل من فروع التمثيل العديدة فليس هو بالمهزلة وليس بالمأساة ، وانما هو مزيج من هذه وتلك.

المؤمن والمناجاة

وفيما خصّ المؤمن والمناجاة يجب القول ان شوقي فضّل المؤمن على المناجاة،

فاكثر من استعمال الاول واقل ، حتى الاجحاف ، من استعمال الثاني . ولولا عراك شبّ بين المدرسيين والمجدّدين فيما خصّ هذه المسألة لما كنا تعرّضنا لها نظرًا لتفاهتها اذ انه ليس في حكم المؤلف ان يستبدل المؤتمن بالمناجاة او العكس لمجرّد التمذهب . وانما هي مسألة يجب ان يراعى فيها المقام ، فيجرد عليه المؤلف تارة بالمناجاة قابضاً عنه المؤتمن ، وتارة بالمؤتمن محتفظاً بالمناجاة وكل ذلك حسب مقتضى الحال.

لقد عاب المجدّدون على المدرسيين « مؤتمنهم » قائلين بجموده التام المنافي سنن الحياة ، واذ ظنوا الحياة في مناجاتهم — على رغم التكلف البادي فيها — طرحوا بالمؤتمن جانباً مستعيضين عنه بالمناجاة حتى تورّطوا في مبالغات غير طبيعيّة.

والحق يقال ان شوقي لم يقع فيما انتقد على المدرسيين في استخدامه « المؤتمن ». ذلك انه عرف ان يحسّن ادواره وان يخصّه ببعض الاهمية فينشله مما كان فيه.

فما قولك باوروس ذاك الذي علّم سيّده انطونيو كيف تموت الاحرار ، وما قولك بيلانة وشرميون وصيفتي كليوباترا ، وزياد ظل المجنون ؟ او ليسوا على قسط وافر من الحياة ؟ ؟ بلى . الّا ان شوقي لم ينصف جميع مؤتمنيه ، فاجحف بحق تني ، وصيفة الملكة نيتتاس ، وعفراء ، جارية ليلى ، وغيرهما اذ جعلهما باهتي الالوان والشخصية.

(للبحث صلة)

اثر المتنبي

احتفلت الجامعة الاميركية في بيروت ، مساء الاحد الواقع في ٢ حزيران ١٩٣٥ ، بمرور الف سنة على وفاة ابي الطيب المتنبي. فتكلم في حياة الشاعر ومختلف آثاره رهط من ادباء العالم العربي وشعرائه ، ممثلين مصر والعراق ، وفلسطين ، وسورية ، ولبنان . وها اننا ننشر في ما يلي الخطاب الذي القاه فؤاد افرام البستاني ، استاذ الآداب العربية في جامعة القديس يوسف ، وموضوعه: « اثر المتنبي »

ايها السيدات والسادة

كان الناس يقولون ، قبل الف سنة ، اذا ما عرضوا لذكر شاعرنا : « المتنبي ؟ ... هو شاعر سيف الدولة ! » اما نحن فنقول اليوم : « سيف الدولة ؟ ... هو ممدوح المتنبي ! »

...

عبثاً ينقب الاثريون ، في ارض حلب ، عن قصر اميرها العظيم ، وعبثاً يفتشون عن مصانعه العديدة في الثغور . فقد انهارت تلك الابنية الفخمة ، في حين ان بناء المتنبي لا يزال ماثلاً في ديوانه العالي ، يرتاده ادباء العالم العربي منذ الف سنة حتى اليوم ، ويردد ابياته كل من عرف شيئاً عن هذه اللغة في اي عالم كان.

بيد ان ابا الطيب لم ينتظر مرور القرون ليتمتع بهذه الشهرة الواسعة ، ويحدث هذا الاثر البعيد.. فقد كان له ، حتى في حياته ، حظ نادر في سعة الشهرة. وبعد الاثر. وكأنه صور حاضره ، وتنبأ عن مستقبله ، عندما قال:

وما الدهر الا من رواة قصائدي اذا قلت شعراً ، اصبح الدهر منشدا
فسار به من لا يسير ، مشمراً ! وغنى به من لا يغني ، مغرّدا

لم يكن ينشد القصيدة الا سارت في البلاد تحدو بها الركبان من منزل الى منزل ، وينقلها الادباء من مجتمع الى مجتمع . يستميد مقاطعها الممدوح ورجاله

طربين ، ويزري عليها الحساد غاضبين . يسمع بها الشعراء ، وهم كثر ، فيقرأونها في خلواتهم ، فيعجب المخلصون منهم بقوتها وسموها ، ويجتهد غيرهم في طمس محاسنها ؛ على انهم جميعاً يتأثرون بها في مدائحهم المختلفة . يتفقد ابياتها ارباب اللغة ، وسادة النحو ، وشيوخ الصناعة النظمية ، فيغتبط الاصدقاء منهم بما فيها من تركيب جديد ، وصورة طريفة ، وجرأة نادرة ؛ ويحتج الاعداء على ما يرون من غموض نافر ، وشرود شاذ . يتعصب له البغاء في بلاط سيف الدولة فينشر مآثره ، ويتعصب عليه ابو فراس فيفتش عن سرقاته وكلهم يعملون ، عن قصد وعن غير قصد ، على نشر شعره والاشادة بذكره . والمتنبي الشاعر لا يبدو حافلاً بهذه المظاهر ، يتابع طريقه فاخراً شامخاً « يترك السرى خلفه » للمتنافسين الساعين وراء القصائد المحكمة ، « وينام ملء جفونه عن شواردها » ، مطمئناً طمأنينة الفنان القدير الذي لا يخشى مزاحمة ولا يخاف غلبة . وتتجاوز المناظرات بلاد حلب الى العراق وفارس ، فيحاول ابن العميد ، زعيم ادباء الشرق في عصره ، اخماد ذكر المتنبي ، فلا يقوى الا على ايلام نفسه . عندما يتحقق ان احدى قصائد الرجل ، وهي مرثيته في اخت سيف الدولة ، قد جابت البلاد العربية والعجمية ، على قلة وسائل النشر وصعوبة المواصلات اذ ذاك ، في اقل من سنة ونصف سنة

ويقضي المتنبي قتيلاً . وتكر الاعوام تلو الاعوام ، والعالم الادبي على انقسام في شأنه ؛ وما انقسم العالم الادبي في شأن شاعر الا كان عظيماً . هناك الناقمون وفي طليعتهم الصاحب بن عباد ، ثم ابو سعيد العبيدي ، يفتشون عن « سرقات المتنبي لفظاً ومعنى » . وهناك المريدون والمعجبون ، وعلى رأسهم ابو العلاء المعري ، يسمون بالشاعر الى الاوج ، فيدعون ديوانه « معجز احمد » . وكان من الطبيعي ، وقد خفت وطأة المآرب الشخصية والتحامل العاطفي ، ان يقوم من الادباء حزب ثالث ينتدب نفسه الحكم الفصل بين الفريقين ، فيتخذ التحفظ واندا والتوسط موقفاً ، معتبراً ان خير الامور الوسط . هو فريق المصلحين . كان منهم القاضي الجرجاني ، وابو منصور الثعالبي ، وابو علي الحاتمي . كتب الاول « الوساطة بين المتنبي وخصومه » ، وافرد الثاني في « يتيمته » فصلاً ضافياً لذكر ما

للمتنبي وما عليه ، وألف الثالث رسالة « فيما وافق المتنبي في شعره كلام ارسطو في الحكمة » . حتى اتى ابن الاثير فذكر كثيراً من محاسنه ومساوئه في « المثل السائر » .

ولكن جهود هؤلاء المصلحين لم تحسم الخلاف ، فظل شاعرنا على روعته يثير الاعجاب والازدراء .. يرى فيه اكثر النقاد الشاعر الشاعر ، فاذا ارادوا ان ينعتوا عبقرية ابن هاني ، اشعر شعراء الاندلس وافريقية في عصره ، لقبوه « بمتنبي الغرب » ، ويحتقره بعضهم فلا يراه ابو هلال العسكري بشيء ، ويخرجه ابن خلدون وشيوخه من هيكل الشعر . ولله ابن خلدون ما انفذ بصره في علم العمران واصوله ، وما اقصره في الحكم على الشعر والشعراء !

ويفوز الحزب الاول فتتراجع حملات الانتقاص شيئاً فشيئاً عن ذاك الصرح العالي ، فيبدو ديوان المتنبي المثال الاعلى للشعر العربي ، ويصبح اسم المتنبي مرادفاً للشاعر العظيم . وهكذا يقطع عصر الانحطاط الى القرن التاسع عشر ، فيتأثر بعظمته الشيخ ناصيف اليازجي ويهتف : « كان المتنبي يمشي في الجو ، وسائر الشعراء يمشون على الارض ! » وتتعدد الشروح والتعاليق على شعره يتناقش فيها ادباء العرب والمستشرقون من ابن جني الى الافليلي الى المعري الى التبريزي الى الواحدي الى العكبري الى اليازجي في الشرق ، ومن رايسكه الى دي ساسي الى هامر الى نيكلسون الى بروكلمن الى بلاشير الى فرنشيسكو گبريالي في الغرب .

***

هذه لمحة سريعة تفيدنا ، وان سطحية ، ما اكتنف اسم المتنبي من شهرة واسعة وما كان لشعره من اثر بعيد ، وما احدثت شخصيته من ضجة « ملأت الدنيا وشغلت الناس » ، على حد قول ابن رشيق .

فاذا اجتهدنا الان في تحديد العوامل التي ساهمت في احداث هذا الاثر ، ثم انتهينا الى الحكم في هل افاد الشعر العربي ام لا ، نكون قد عملنا على جمع اطراف الموضوع .

اما العوامل الخارجية فاقواها ما كان من منافسة امراء العصر ، كل امير

بشاعره ، وما كان من حسد الشعراء بعضهم لبعض. وقد اشرنا الى شيء من هذا بما لا يتسع معه المجال للتفصيل.

على ان هناك عوامل اعمق واثبت تنحصر في صفات هذا الشعر الذي جابه العقبات مدة الف سنة ، ولا يزال ، في قسم كبير منه ، على جدّته الاولية يضاف اليها روعة القدم وجلال التاريخ .

يستند الاثر الادبي في نشأته الى عناصر متعددة منها ما يتعلق بالعصر الذي وُلد فيه ، وبالبيئة التي غذته ، فيتأثر بالمؤثرات الظرفية ، ويخضع للاوضاع والتقاليد المحلية ، ومنها ما يسمو فوق المكان ، فيتصل بطبيعة النفس البشرية وهي واحدة في جوهرها ، على اختلاف ما يكيّفها من الاعراض. فاذا آذن العصر بالانتقال ، وتحورت عادات الشعب وتقاليده ، اضحى الاثر الادبي ، في عناصره الظرفية المحلية ، عرضة للاضمحلال ؛ فلا يبقى الا ما بها من عناصره فوق الاحوال المتقلبة . وكلما قوي اتصال الاثر بالعناصر السامية كان صالحاً للحياة والخلود.

اما شعر المتنبي فان فيه ، والحق يقال ، قسماً كبيراً يستند الى العوامل الظرفية والتقاليد الجارية في زمانه لفظاً ومعنى . وان يكن هذا القسم لا يزال باقياً ، فانما هو بقاء المومياء المحنطة لا بقاء الكائن الحي ، يُحفظ في المكاتب كما تُحفظ في المتاحف . وقد يعجب به مؤرخو الادب وبعض من شبوا على النظر بعيون القرون الخالية فلم يروا الا روعة القدم ؛ ولكنه لا يصلح غذاء للثقافة الانسانية الكاملة . وما اعجاب ادباء القرن التاسع عشر بهذا النوع التقليدي الا الدليل الواضح على ان الذوق الادبي في عالمنا ظلّ جامداً مدة القرون العديدة ، فلم يتطوّر الا في المدة الاخيرة . ولعل من خير الامثلة ما ذكره الشيخ ابراهيم اليازجي في بدائع المتنبي من ابيات :

كأنّ العيسَ كانت فوق جفني مناخات ! فلما ثُرن ، سالا

هذه الصورة الابلية الضخمة ، البيّنة فساد الذوق في عصرنا ، كان يعجب بها الثعالبي قبل عشرة قرون ، ويُعجب بها اليازجي قبل خمسين سنة . . .

او أدلّ من هذا المثل على ان الذوق الشعري قطع في الخمسين السنة

الاخيرة ، بل في العشر السنوات ، مسافة لم يقطعها في الالف السنة السابقة !

***

بيد ان هذه المعاني التقليدية والصور القديمة ليست باكثر ما في شعر المتنبي . فهناك طائفة صالحة تستند الى العناصر الانسانية الشاملة ، المرتفعة فوق الزمان والمكان . هناك الحان فخمة وقّعها ابو الطيب على اوتار العواطف الابدية من شكوى ، وألم ، وتظلّم ، وازدراء ، وترفّع عن التعزية حتى الانفة والكبرياء . هي نغمات تلاقي صدًى بعيدًا في كل قلب بشري . لان في كل منا ميلًا الى التظلم من الناس حتى الاصدقاء ، والى التشكي من الدهر ، والتظاهر بشيء من التشاؤم المترفّع حتى الازدراء بالحياة ومظاهرها الخلابة . وذلك ان هذه الحالات تدغدغ حب الذات وتعمل على رفع الانسان ، وان بالوهم ، فوق اقرانه . وهو مظهر متأصل في النفس البشرية أنى كانت نشأتها .

مَن منا تعاكسه الايام في بعض ما يريد ولا يصرخ بشيء من الاسف :

تجري الرياح بما لا تشتهي السفن !

مَن منا ، اذا تراكمت عليه الرزايا وكاد ينقطع وتر الاحساس من فؤاده ، لا يستسلم قائلًا :

فصرت اذا اصابتني سهامٌ ! تكسّرت النصال على النصال

حتى اذا سمع شاعرنا يقول :

عش عزيزًا ، او مت وانت كريم

عاود الكرة يعارك الدهر ، وفي معاركة الدهر نشوة تلذّها النفوس الكبيرة ، وان آبت بالفشل .

مَن منا اذا اسودّت الدنيا في عينيه ، وسرعان ما تسود ، فرأى نفسه عرضة للتحامل والاجحاف يعرض عنه الاصدقاء ويجفوه الاحباء ، لا يردد متألمًا :

أذمّ الى هذا الزمان أهيله فأعلمهم فدم واحزمهم وغدُ

حتى اذا بلغت به المصائب مبلغ القنوط ازدرى البشر اجمعين ، واعرض عن كل تعزية دنيوية ، فصاح :

ولا تشكّ الى خلق فتشمته شكوى الجريح الى الغربان والرخم

واذا امتزج القنوط في نفسه بالحقد ، رفع صوته وارسل تلك الاحكام الدامغة :

لا تشتر العبد الا والعصا معه !
يا أمةً ضحكت من جهلها الامم !

وهناك ، فوق هذه العواطف ، حالات نفسية سامية يدركها الانسان ، اذا انتابته الخطوب المتعددة ، فصقلت التجارب نفسه ، وخففت من نزوات قلبه ، فاصبح يرى الحياة من قمة عالية فيستغرب اصطخاب الخلق على سطحها الاسفل ونزاعهم في سبيل الغايات الشخصية التافهة ، فيردّد :

ومراد النفوس اصغر من ان نتمادى فيه وان نتفانى

ويخاطب الدنيا مخاطبة القرن لقرنه :

كذا انا ، يا دنيا ، اذا شئتِ فاذهبي

او يقف شاهداً مترفعاً يتفلسف ببرودة تجاه حماقات الزمان ، ومزالاته بين السعادة والشقاء :

مصائب قوم عند قوم فوائد !

حتى اذا اراد ان يحنو على البشر فيقف منهم موقف الناصح الشفيق ، كان له من ابيات المتنبي ايضاً صدى لمقاصده ، وتحقيقاً لرغباته .

وان من يتعمق في درس الحالات النفسية ، ويتغلغل الى خفايا الاخلاق ، ويسير هادياً في متاهات العواطف ، حتى يرى كلّ انسان في اقواله صورة امياله الداخلية ، ويسمع صدى همساته الخفية ، أجديرٌ بان يكون في طليعة المترجمين عن هذا القلب الذي كان ولا يزال محور الادب الخالد ، يكتشف النوابغ كل يوم في حناياه شيئاً جديداً ، وتظلّ اشياء كثيرة قيد الاكتشاف .

هذا هو المتنبي ، الشاعر الانساني ، في القسم المخلص من شعره .

خصّه الباري بعبقرية نافذة ، صقلتها ثقافة واسعة ، وغذتها اختبارات جمة في عصر توافرت فيه الاضطرابات من فكرية وسياسية ، فاقام الشاعر يحلّل قلبه فيشرّح فيه كل قلب ، ويعبّر بلسانه فينطق به عن كل لسان . ويستند ، في كل ذلك ، الى صفة فطرية صبغت اثاره معنى ومبنى ، ووافقت موقعاً حساساً من الناس ، الا وهي القوة .

القوة اسّ لكل ما تقدم ذكره من الصفات الشاملة،تظهر بمظهرين عامين: الثقة بالنفس ، والانفة او الكبرياء . والناس مفطورون على الثقة بالنفس ، ميّالون الى الانفة ، فاذا لم يدركوها استعاضوا بالكبرياء ، تلك الانفة الزائفة. وهم، على ايّ حال ، معجبون بالقوة، حتى الجبناء منهم.

كان من نصيب المتنبي ان يبني ادبه العالي على أسّ القوة، وهو أسّ ثابت، فثبت . بناه على القوة الفكرية واخرجه في القوّة التعبيرية ، فراع الناس بهذا البناء الشامخ ، واعجبهم بما فيه من ألفة بين المعنى والمبنى . والمعنى والمبنى لا ينفصلان في الحقيقة ، فلا يقوم معنى جليل في مبنى ضئيل ، كما انه لا يعيش المبنى المتين على المعنى الضعيف المبتذل ، واذا عاش فالى حين . ولا يدوم الاثر الادبي الا اذا كان مبنياً ذا وحدة متينة ، وسواء أكانت هذه الوحدة في الاثر كله ام في بعض مقاطعه . فان الخلود يلتحق بالمظهر المتوحد ، ولو كان بيتاً فرداً.وهو ما نراه في بناء المتنبي.فان من عوامل تأثيره انفراد ابياته الحكمية وسيرها قطعاً مصكوكة تتداولها الذاكرات ، ويصقلها الاستشهاد ، فاذا هي على كل لسان منذ الف سنة يحفظها العالم والجاهل ، ويوردها المثقف والامي.

على ان هذا البناء العظيم لا يقيمه المتنبي حجارة دكناء لا لون فيها ولا حياة ، على نحو ما نعرف في الكثير من النظم الحكمي . انما هي صور شعرية رائعة كانت جديدة في عصرها فاثرت في السامعين، وتتابع اثرها متغلغلاً الى شعراء اليوم ؛ هي مشاهد فخمة حتى في دقائقها ، منها ما مرّ عليه الزمان فمحاه ، ومنها ما لا يزال في مقدمة المثل الشعرية ، يستفيد منه الكثيرون ، كوقفة سيف الدولة في المعركة :

وقفتَ، وما في الموت شك لواقف؛ كأنك في جفن الردى وهو نائم
تمرُّ بك الابطال كلمى، هزيمة ، ووجهك وضّاح وثغرك باسم

ومثلها كثير . واغلبها في تصوير المعارك مما يتناسب وفطرة المتنبي القوية ، تحفه موسيقى شديدة الوقع ، اثرت دون شك في سير هذا الشعر ، لانها عملت ، مع ما تقدم ذكره من العناصر ، على وقع السامع الى جوّ خاص من العظمة ، تكتنفه الحلبة ، ويسوده شيء من الفوضى الفخمة تسوقها القوة في

التمثيل والايحاء، فتضيع فيه هنات التعبير ونشزات المبالغة، اذ تتناسب مقاطعها وتتقلّم اطرافها، اذا صحّ التعبير، فيقيسها السامع بقياس تأثره وانفعاله. حتى اذا هبط به الناقد الى سكينة العلم، اطلعه على الكثير من مزالق الجرأة ونزوات الخيال. على ان هذه الهفوات نفسها كانت من اسباب شهرة المتنبي ايضاً، اذا اعتبرنا ذوق ذلك العصر، وما كانت توفر من مناظرات لارباب النحو واللغة والشرح يقضون بها ايامهم فيساهمون هم ايضاً، في مدّ شهرة الشاعر وبسط نفوذه، حتى ان الواحدي جعل من اسباب فضل المتنبي « خفاء معانيه، وكثرة ما يحتمل كلامه من وجوه التفسير وضروب التأويل ».

فلا عجب — وهذه شخصية المتنبي — ان يؤثر ذاك الاثر البليغ في الشعر والشعراء، فيقلّده المدّاحون، وينظر اليه نظّامو الحكم في جميع اقطار العربية، من فارس الى الاندلس، منذ عصره الى ايامنا؛ الّا فترات في عصر الانحطاط، قصّر فيها المقلدون حتى عن النظر اليه، فاخرجوه من بين الشعراء، وكأنهم نزعوا من امامهم الهدف الصعب المنال. اجل لا عجب ان نرى اثر المتنبي يطوي القرون حتى يصل الى القرن التاسع عشر بل الى القرن العشرين، فنسمع صدى نبراته القوية في شعر الشيخ ناصيف اليازجي، ومحمد سامي البارودي، بل في بعض شعر احمد شوقي.

***

ولا يسعنا الان — وقد ادركنا ختام البحث — الا ان نتساءل هل افاد هذا الاثر ادبنا العربي ام لا ؟

مما لا شك فيه ان المتنبي رفع مستوى الشعر العربي، فبرز فيه المثال الاعلى يُقتدى به في جميع فنونه. فكان من حسن اثره ان الشعراء، في سيرهم على طريقه، كادوا ينصرفون عن تلك الاستهلالات الغزلية البالية في قصائد المدح. قلنا: كادوا، لان الداء اعدى من الصحة، وفساد الذوق ابلغ اثراً من حسنه. ثم يمكننا الحكم ان المتنبي افاد في ادخال شيء من «الشعر» في تلك المنظومات الحكمية الجافة، وان كان لم يقوَ على تغيير نوع زائف بخروجه عن الطبيعة. ويجب القول ايضاً انه سما بالتعبير الشعري، فاضحى الشعراء بعده

يتطلبون السموّ والفخامة ، وجمال السبك ، وقوة الوقع .

على ان شخصية ابي الطيب البارزة ملكت على مقلديه مشاعرهم . فغدا ذاك المثال العالي في عصره ، مثالًا اعلى لكل العصور والازمنة ، لا في الشعر والاخراج فقط ، بل في التعرض للفنون الشعرية نفسها ، فانصرفوا يجدّون وراءه في ايّ عصر كانوا ، وفاتهم ان لكل عصر زيًّا في الادب ، ومثالًا للشعر ، كما ان لكل عصر فنوناً قد لا تكون للعصر السابق او اللاحق . وفاتهم ان من قلّد شاعرًا بتقيّد ورهبة واحترام ، اقرّ ضمناً بتفوّقه عليه في كل شيء ، فقصّر عنه في كل شيء .

لقد قلّد المتنبي ابا تمام والبحتري ، ولكنه فاقهما . لانه عرف كيف يجعل شعره صورة لحياته المختلفة عن حياتهما . اما شعراء العرب منذ عصر المتنبي ، فلم يتصوروا اختلافاً في حياتهم عن حياته ، وبالتالي فانهم لم يتوهموا فنوناً غير الفنون التي طرقها ، حتى افقنا اليوم وليس في تراثنا الشعري الا قصائد المدح والرثاء والهجاء والمفاخر والحكم . وليس الذنب في ذلك للمتنبي ، انما هو لمقلديه الضعفاء ، ولما كان في محيطهم الادبي من جمود وجفاف :

ان الشاعر ، ايًّا كان ومهما سما ، لا يصلح مثالًا اعلى لجميع الفنون الشعرية في كل زمان ومكان . هو يمثّل اعلى ما وصل اليه فنه في عصره فيصلح مثالًا يُقتدى به لا رسماً يُقلّد ، بل هو غذاء يستفاد منه في تنمية الثقافة العامة وكما ان الانسان ، اذا ما تناول طعاماً ، يكون قصده تحويل الطعام الى ما يصلح لغذائه ، لا تحويل نفسه الى ذاك الطعام ، كذلك على كل من يقتدي بشاعر ان يستمدّ منه غذاء لشخصيته الادبية ، لا ان يحوّل شخصيته الى صورة ناقصة لذاك الشاعر .

هكذا يتقدّم الشعر ، وهكذا تبرز الشخصيات الشعرية . فلا نُستعبد للماضي ، ولا نقطع الصلة بينا وبينه !

مطبوعات شرقية جديدة

TRISTAN D'ATHAYDE, Fragments de Sociologie Chrétienne. Traduit du portugais par JEAN DURIAU et GEORGES RAEDERS [*Questions disputées*, vol. XIII]. In-12, XII-170 pp. Paris, Desclée, de Brouwer et Cie. Prix : 10 fr.

خواطر في علم العمران المسيحي

لقد نشر تريستان داتهيد ، وهو اسم مستعار لأموروزو ليما الكاتب الكاثوليكي البرازيلي المشهور ، مؤلفاً نفيساً بعنوان « التوطئة لعلم العمران » احتوى على المواد التي ظهرت في هذه الترجمة الفرنسوية .

قد يكون علم العمران احوج العلوم العصرية الى الدقة في التحديد والحصر في التعريف . فقد عرض المؤلفون لطائفة من المواضيع في درسهم العمران فتكلموا عن الدين ، والعناصر البشرية ، وما قبل التاريخ ، والنفسيات الخ . . . اما مؤلف الكتاب الحالي فيعمل على الاهتداء في هذه المتاهة ، مدققاً في تعريف علم العمران ، وتحديد مركزه من مجموعة العلوم وتناسقها . ومهما يكن من اهمية هذا العلم فلا يمكنه ان يكون منتهى العلوم ، ولا المعرفة القصوى ، او الحكمة التي تتجه نحوها سائر المعارف . والا لادّى بنا الامر الى تأليه البشرية . ليس علم العمران الا علماً عملياً يبيّن كيفية سير الجماعات البشرية نحو غاياتها الحقيقية . وهنا يتبسط المؤلف في صفة « علم العمران » الغائية من حيث سنّ القانون الاجتماعي . ثم يعرض لدرس المشاكل المهمة التي تجابه علم العمران كعلاقة الانسان بالمجتمع ، وتطاحن الطبقات ، والشيوعية ، والرأسمالية ، والربى ، والأجر ، والثمن ، والملكية ، وتسلط الآلات ، والرقي . . . عاملاً ، في كل ذلك ، على تعيين كل مشكل في مركزه الخاص ، وان كان لا يتعمق في حله . وهناك نظرة جديرة بالذكر تلك التي يظهرفيها الكاتب القرابة بين كارل ماركس وويلفرد باريتو ، اي بين الشيوعية والرأسمالية ، فيبيّن ما اكتنف النظريتين من

جهل اساسي بالقيم الاجتماعية الاوّلية.

ثم يضع المؤلف، فوق علم العمران الطبيعي، علم العمران الروحاني او الفائق الطبيعة، فيتكلم عن الكنيسة، مشيراً، دون ان يدخل في الدروس اللاهوتية، الى كل ما تعمله الروحيات في المجتمع فتطهره وتسمو به الى ما فوق المادّة وقيودها. ونحن اليوم في اشد الحاجة الى وضع العوامل الروحية في مجتمعنا، بعد ان وصلنا الى هذه الهوّة التي طرحتنا فيها المذاهب العمرانية العصرية، فشوّشت مقاييس الفضيلة والرذيلة، واضاعت نظام القيم المختلفة. فكان من فضل المؤلف البعيد النظر، الصافي الذهن، انه شخّص الداء، ووصف الدواء.

R. P. Hadrianus Simon, C. SS. R., Praelectiones biblicae ad usum scholarum. — Vetus Testamentum. — Liber primus. De sacra Veteris Testamenti historia. In-8°, XX-520 pp. Torino, Casa Editrice Marietti, 1934. Prix : L. 30.

هو كتاب تعليمي في شرح الكتاب المقدّس امتاز بالترتيب الواضح من تقسيم الى فقر ومقاطع بعناوين ضخمة وثنوية تعين الطالب في الدرس، وتسهّل عليه فهم المواد الوافرة والمعلومات الدقيقة، وتجعل من الكتاب آلة مرنة لا يستغني عنها الاستاذ ولا الطالب ولا العالم.

Maurice Brillant, Le village de la Vierge, Nazareth. In-12, 255 pp. Paris, Éditions Spes. Prix : 7,50.

الناصرة قرية العذراء.

قام المؤلف بسياحة بل بزيارة تقوية الى بلدة الناصرة، التي لا تزاحمها بلدة على اسم العذراء، مارّاً بحيفا والكرمل. فجمع في هذا الكتاب كثيراً من المعلومات التاريخية الدقيقة، وكثيراً من الذكريات الشعرية ايضاً فرفعت المجلد عن مستوى الادلّة الاثرية الجافّة دون ان تفقده دقة التاريخ. ولا ريب في ان زوّار بلاد الجليل، تلك البلاد التي يُطلق عليها بالعربية اسم «البشارة»، يجدون في الكتاب خير دليل والطف رفيق.

ج. ل.

ÈVE LAVALLIÈRE, **Ma conversion.** Préface et commentaire de PER SKANSEN. Paris, Éditions de la Nouvelle Revue Française. Prix : 3 fr.

امتداني

« على اثر وفاة ايفا لافاليير ، طلبت اليّ احدى مجلات اوسلو ان اكتب بضع صفحات في حياة تلك الممثلة الشهيرة . فقرأت عدداً عديداً مما نُشر عنها من المقالات والاخبار . على اني حرت في امري اذ لم اجد فيها الا مغالطات واوهاماً في شأن ذاك « الكوكب » . فلم اتمكن من الاستناد الى هذه المعلومات في كتابة مقال رصين . وكان ان كاشفت احد اصدقائي بهذا الامر فقادني الى الاب شاتينيه ، خوري رعية شانسو - سور - شوازيل ، ذاك الذي اهتدت على يده ايفا لافاليير ، فكأنه اوصلني الى مصدر الحقيقة . فاستقبلني الاب ببساطة وعطف . واهتمّ كل الاهتمام بتذكّر الحوادث التي اتيت من اجلها ، واطلعني على الكتب التي تبادلها والممثلة المهتدية . فقرأت تلك الصفحات الجذّابة ، وتحققت حالاً ان لديّ مادةً لاكثر من مقالة في مجلة . فاطلعت الاب على فكرتي فلم يستغرب . وكان قد طلب اليه عدد من ناشري الكتب في باريس ان يأذن لهم بنشر تلك الرسائل ، فرفض ، ثم كاد يلين عندما ظهر كتاب مشحون بالاوهام عن ايفا لافاليير ، وكانت المهتدية نفسها قد تأثرت من ظهور هذا الكتاب وحدّثت الاب بامره فوعدها بنشر الرسائل . فكان من حسن حظي ان زيارتي اعادت الى ذهنه وعده السابق . فكلفني القيام بهذا العمل . فاحتججت بصفتي الاجنبية ، وبجدانة عهدي في حضن الكنيسة . . . ولكنه لم يقبل احتجاجي . . . »

هكذا يقدّم بير سكانسين كتابه الى الجمهور . على انه لا يذكر كل ما في الكتاب من اعجاب، واجلال ، وتقوى تصبغ كل معلوماته عن اهتداء ايفا لافاليير واستشهادها ، وما تركته نفسها الكبيرة من آيات مؤثرة في تلك الرسائل الطافحة بالايمان والرجاء والمحبة . وقد نال الكتاب موافقة الرؤساء في ايلول ١٩٣٣

R. P. JUDÉAUX, S. J., Sermons et discours. 2 vol. in-16, 352-366 pp. Paris. G. Beauchesne et ses Fils. Prix : 36 fr.

مواعظ وخطب

قد يكون بين الخطباء من يظهر اقوى عارضة من الاب جوديو او اسرع بديهة ، او اسلس بلاغة ، بيد انه من الصعب ان نرى خطيباً ادقّ درساً لموضوعه واجمع معاني ، واوجز . كثيراً ما طلب من الخطيب المؤلف ان يطبع مواعظه ، ولاسيما ما خصّ منها بتعاليمه عن القديس اغوسطينوس . ثم مرّت السنون ، واذا بعارفي الاب يشعرون اليوم بضرورة طبع هذه الخطب والمحاضرات النفيسة . وقد رُتّبت على ترتيب السنة الطقسية تقريباً ، ابتداء من عيد جميع القديسين حتى يوم تذكار الموتى . فظهر في المجلد الاول سلسلتان من الخطب على قداس الساعة الحادية عشرة للقديس اغوسطينوس في موضوع « الحياة الالهية » . وفي الجزء الثاني مجموعة خطب لتساعية في عبادة قلب يسوع الاقدس .

PERICLE DUCATI, La Scultura Etrusca. [*Novissima Enciclopedia monografica illustrata*. n° 49]. In-8°, 64 pp. à 2 col. ; très nombreuses illustr. non numérotées. Firenze, 1935.

فنّ النحت الاتروسكي

هذا المجلد جزء من مجموعة ايطالية جديدة ظهرت مؤخراً في فلورنسة ، تقوم بنشرها شركة خاصة في سبيل جهرة المثقفين . وقد خصّ هذا الجزء بعدد من اهم روائع الفنّ الاتروسكي الراقية حتى اواخر عهد الجمهورية الرومانية رتبها الاستاذ بريكليس دوكاتي ، الاختصاصي بشؤون الفنّ المذكور ، ووصفها وصفاً موجزاً ، عارضاً صوراً لاهمّ الآثار المميزة لمختلف العصور . بعد الفنّ الوطني القديم الظاهر منذ القرن السابع ق.م. ، يبدو التأثير اليوناني العريق فيزدهر مدة القرن الخامس ، ويستمرّ حتى في العهد اليوناني الحديث ، فيهذّب الفنّ الوطني الاصلي دون ان يحدث تغييراً جوهرياً في مظاهره ولا في اتجاهاته الخاصة . ولم يهمل المؤلف مكاناً ولا متحفاً فيه آثار ذاك الفنّ الا استفاد ، ولاسيما متاحف ايطالية ومتحف فلورنسة خاصة ، وهو اغناها واوفرها تمثيلاً للفنّ المذكور . وقد جرى ، في بحثه ، على ترتيب طبيعي ، ذاكراً المذاهب الفنية المتنوعة والمراكز

والمدن ، واصفاً الآثار بالنسبة الى غاياتها كالنحوت الحجرية والبرونزية ، وزخارف الهياكل ، والفخار والخزف ، والنواويس ، والجرار المدفنية ، والنذور ، وغير ذلك.

هذا والكتاب سهل الاسلوب يستفيد منه ، على ما نرى ، جميع المثقفين في بلادنا فيطلعون ، بواسطة هذا الوصف المتحفي ، على مدنية ظلّت حية ، على عهد الامبراطورية الرومانية ، في المثال التصويري الذي يمتّ بالصلات المتينة الى فنّ الجدود الاقدمين.

فللمؤلف العالم كل تهانينا لما توفق فيه من اختيار الامثلة الفائقة ، لا من حيث الفنّ فقط ، بل من حيث الاخلاق ايضاً. وذلك ان الفنّ الاتروسكي كان ينقصه كثير من الاهتمام بالاخلاقيات.

اما فكرة انشاء دائرة معارف مصوّرة تتألف من ابحاث مستقلة تماماً احدها عن الآخر ، فجديرة بالتشجيع والتقدير على شرط ان تجمع نخبة من العلماء وذوي الاختصاص . وهكذا يمكن السير دائماً دون الاهتمام بالعقبات التي تنتج من وضع تصميم محدّد للعمل . بقي ان نسأل هل يكون لنا شيء من هذا في بلاد اللغة العربية ؟ اما عناصر العمل كالعلماء ومواد البحث فقد لا نفتقر الى وجودهم . ولكن من يمكنه اليوم في بلادنا ان يُنشئ مثل هذا المشروع الخطير ؟ . . .

س . ر .

Zeitschrift für Rassenkunde und ihre Nachbargebiete, unter Mitwirkung von X, Y, Z, herausgegeben von Egon Freiherr von Eickstedt. Bd I, Heft I-II. In-8°, ill. Stuttgart, Ferd. Enke, 1935.

مجلة علم السلالات البشرية وما جاوره من العلوم

ان المجلة التي نقدّمها اليوم الى قرائنا أُنشئت في اوائل هذه السنة في ستوتكارت ، انشأها احد كبار اساتذة علم الانسان والسُلالات البشرية في جامعة برسلو ، وتوفق ، منذ خطوات المجلة الاولى ، الى معاونة اكثر من ٣٥ عالماً اختصاصياً من اوربة واميركة وآسية ايضاً (تركية ، والصين واليابان خاصة) . وقد جاءت المجلة موافقة لنزعة مهمة من نزعات المانية الحاضرة ، ولكنها لا تساهم في الدافع القومي الذي حدا بالالمان الى تلك النزعة ، بل تظل

في الميدان العلمي دون ان تتجاوزه . وانه لمن الصعب على من لم يكن من ذوي الاختصاص ان يقدر قيمة هذه المجلة ويحكم على مستقبلها . ولكننا اذا نظرنا الى مظهر المجلة الفسيح ، ودقتها العلمية ، وما امتازت به المقالات من الرصانة ووفرة المعلومات ، كمقال مؤسسها الذي خصّ به درس عنصر البحر المتوسط في بلاد الغال ، ومقال شويدتسكي في التفتيش عن السلالات في بلاد بولونية ، وجب علينا ان نقول ان هذه المجلة الجديدة قد احتلت مركزاً مهماً بين المنشورات العديدة الخاصة بعلم الانسان والسلالات البشرية وعلم ما قبل التاريخ، الظاهرة في اوربة واميركة . اما في بلادنا الشرقية فمن العسير ان نتصوّر عدد العلوم والمعارف التي نحن مدينون لها في درسنا السلالات البشرية . وقد يؤلمنا ان لا نرى في مصر ، ولا في العراق ، حتى ولا في سورية ، وفيها ما فيها من الجامعات ، احداً من العلماء يخص حياته بتقدّم هذه العلوم الضرورية في عصرنا . ثم ان المجلة تقوم بوصف للمطبوعات الجديدة ، وتنشر فهارس قصيرة للمنشورات القريبة من موضوعها . وهي حافلة بالصور الحسنة ، وتظهر اربع مرات في السنة بثمن يبلغ ٢٢ مركاً . س . ر .

JOHN WALKER, Folk Medicine in modern Egypt. Being the relevant parts of the Tibb al-Rukka or Old wives' Medicine of 'Abd al-Raḥmān Ismā'īl. In-8°, 128 pp. London, Luzac and Co., 1934.

طب الركّة والتدجيل في مصر الحديثة

لمؤلفه الدكتور عبد الرحمن اسماعيل من خريجي القصر العيني بمصر ، جمعه في كراسين مجموع صفحاتهما ١٥٨ صفحة،طبع الاول منهما سنة ١٨٩٢ والثاني سنة ١٨٩٤ ؛ وترجمه للانكليزية الاستاذ جون واكر من المتحف البريطاني. والنسخة التي لدينا هي النسخة الانكليزية المطبوعة في لندن سنة ١٩٣٤، وعدد صفحاتها ١٢٨ صفحة .

قال المترجم في مقدمته ان المؤلف ، رغماً من كرهه للتدجيل في الطب ، قد درس الموضوع بدقة في مصر وساعدته وظيفته في مصلحة الصحة المصرية للوصول الى معلومات وافرة وموثوقة هي خير ما كتب عن التدجيل في مصر

والاقطار الاسلامية المجاورة ؛ وستكون لها قيمة أثرية قريباً ، لان التهذيب والاخذ بالعلوم الحديثة ، ومنها الطب ، ينتشران بسرعة في مصر ، والحكومة المصرية جادة في انشاء المستشفيات وتعميمها في انحاء القطر مما يجعل حياة التدجيل قصيرة ، والقضاء على الدجالين قريباً .

امّا مقدّمة المؤلف نفسه فتشير الى ما قضى من الصعوبات في جمع هذه المعلومات من مصادرها وارباب الذين يحرصون على كتمانها حرصهم على ارواحهم ، لانها مورد رزقهم ؛ كما يشير الى ان انتشار التدجيل في مصر عائد الى تفشي الجهل والخرافات فيها . ومصدر الخرافات في الغالب الامهات يغرسنها في اطفالهن ، فيشبّون على تصديق ما هو خارج عن العقل والمنطق ، وعلى الاعتقاد بقدرة السحرة والدجّالين على شفاء الامراض وجلب الحظوظ .

والكتاب يحتوي ، في جزئيه ، على ٧٩ فصلًا ، او وصفة لا يمكننا في هذا المقام ان نشير لاكثر من بضعة وصفات منها :

١ – التعريفة

التعريفة علاج القرف . والقرف مرض مزمن في الامعاء ، لعلّه الاسهال او الزحار . وهذا العلاج اي التعريفة مؤلف من تدليك ودواء للشرب وغذاء . اما التدليك ، وتقوم به امرأة في الغالب ، فيكون بدلك البطن شديداً ، ثم فرك الراس طويلًا ، ثم بربط عنق المريض بحبل يشدّ تارة الى اليمين وطوراً الى اليسار بقسوة تنتهي في بعض الاحيان الى وفاة المصاب . والقصد منها اخراج الشياطين من راسه . اما الدواء فعبارة عن قطع الليمون الحامض مغموسة بالملح والفلفل والرماد ، والغذاء مؤلف من الخبز الناشف مع الملح والفلفل فقط ، ولا يأكل المريض سوى مرة واحدة في النهار .

٢ – المشومة

المشومة اسم للحمى المتقطّعة التي كثيراً ما تشفى ثمّ تنتكس . وهاك طريقة علاجها : تحضر احدى النساء الى خارج بيت المحموم وتنادي : هل عندكم منكوس . فتجيبها صاحبة البيت : ما عندنا منكوس ، ولا وجع في الروس ؛ وترشقها بقطعة من الزبل الناشف . ثم تكرّر الاولى النداء ، والثانية الجواب

ورشق الزبل اثنتي عشرة مرة . فتجمع الامرأة الاولى قطع الزبل وتذهب تلقيها في بئر مهجورة فيشفى المريض !

٣ – المشحّرة

المشحّرة هي عقد مؤلف من الصدف والدمى والحجارة المختلفة الالوان ، وفي وسطه حجر بارز يدعى حجر القبانس . والعقد واقٍ وشافٍ معاً من بعض الامراض . فاذا لبسه الاولاد فلا يصابون بالرمد ، وان لبسته الحاملات سهلت ولادتهن . اما المصابون بالرمد ، والمصابات بحمى النفاس ، فيكفي ان يغسل حجر القبانس بالماء ويستعمل الماء غسيلاً للعيون المصابة او شراباً للامهات المريضات فيشفوا ويشفين حالاً !

٤ – التاتم

يحتكر المغاربة علم التاتم وعملها في مصر . واذا اصيب شخص باضطراب عصبي او اعراض دماغية ظنّ اهله ان الجنّ استولوا عليه ، فيلجأون الى المغربي لتفقه منهم . وقد شاهد المؤلف مشهداً رواه كما يأتي : قال كنت اعود فتى مصاباً بالتهاب السحايا الدماغية عندما دخل علينا والد المصاب ومعه مغربي معمّم طلب ناراً والقى فيها من جرابه مادة كريهة جداً جعلت الحاضرين يفرون خارجاً . اما انا فقد جمدت مكاني لارى ماذا سيعمل . ثم اخذ خيطاً ربط به قدم المريض وجذبها بعنف ثم قال ان الشيطان الذي حلّ بالمريض هو احد ابناء الملوك الكفرة ، ولا يخرج الا بالضرب فاخذ والد المسكين واحد اقاربه يلهبان جلده بسياطهما وهو يستغيث ولا يغاث . فاخذتني الشفقة ورجوت والده ان يكفّ عن الضرب فاجابني بان الامر لا يعنيني .

٥ – المتمرّقة

هي الزوجة الولود التي لا يعيش اولادها ، فيعتقد الجهلة ان للزوج زوجة اخرى من الجن تدعى التابعة تغار من زوجته وتقتل اولادها . ولذلك فهم يجرون عملية « قطع التابعة » وتقوم بها عجوز دردبيس محنكة في النصب والاحتيال ، تحضر الى بيت الزوجين ومعها فرخة ناصعة البياض ، فتوقف الزوجين وجهاً لوجه وتربط اقدامهما معاً بخيط ثم تذبح الفرخة وتنتف ريشها وتبقر بطنها

وتجمع الاحشاء والريش وتربطها بالخيط الذي تحلّه من اقدامها ، وتدفنها تحت عتبة الباب .

٦ – ابو ريش

هو الولد البكر الذي يخاف عليه اهله من الموت عندما يولد له اخ جديد، فتأتي الدجالة وتلبسه طرطوراً من الريش وتركبه حماراً ، في القلب ، وراسه متجهاً الى الوراء وتوقفه في البلدة ، ومعها الاولاد ينادونه « يا ابو ريش ان شاء الله تعيش » ، فيعيش !

٧ – وجع الرقبة

وهو التهاب اللوزتين . وعلاجه ان يبلع المصاب بيضة مسلوقة « بامها وابوها » اي بقشرها ، وقد حدث مرة ان اختنق المصاب ومات اثناء البلع .

٨ – الزار

من الزيارة ويقصد به ان المرأة المريضة زارها الشيطان ولا يخرج منها الا بحفلة الزار . وتقوم بمراسيم هذه الحفلة الكوديّات (جمع كوديّة) ، والكودية هي الامرأة التي تدعي ان أحد الاولياء حلّ عليها . وان لهذا الولي عفريتاً يطيع اوامرها وينفذ طلباتها ومنها طرد الشياطين ، ولكن العفريت نفسه لا يجيب الطلب الّا بعد ان تجاب طلباته هو ، اي طلبات الكودية ، ومنها تقديم الهدايا من نقود وحلى وثياب ونحر الذبائح وحرق البخور واقامة الولائم . والحفلة تقام للنساء فقط ولا يحضرها الرجال مطلقاً . وهذه مراسيمها في الغالب : تُقام الحفلة في دار فسيحة مفروشة بالسجاد في وسطها كرسي مخصوص تجلس عليه المريضة، وتأتي الكودية بديك وفرختين تضع الديك على راس المريضة والفرختين على كتفيها . ثم تنقر طبلتها فتذعر الدجاج وتصيح بينما هي تتلو كلاماً غير مفهوم . ثم تاخذ الدجاج الى خارج الدار وتذبحها وتجمع دمها في اناء تسقي بعضه للمصابة ، وتدهن بالباقي يديها ورجليها بين قرع الطبول والصنوج . ثم تلبس المريضة ثوباً من الحرير ، وعباءة مزركشة بخيوط الفضة ، وطربوشاً مرصعاً بالحجارة الكريمة ، وتتقلد سيفاً وتقبض بيمينها خنجراً ، ثم تنحني امام الحاضرات مسلّمة فيسألنها : من انتِ ؟ فتجيب : انا الشيخ عبد السلام .

حينئذٍ تتقدم منها الكودية وتفرك جسمها فيخرج منها الشيخ عبدالسلام. ولكن تحلّ محله زوجته الست رقية التي تتهدد بان لا تخرج منها الا اذا احضروا لها سبعة اثواب من الحرير وكمية من الحلى تلبسها الواحدة بعد الاخرى بين ضرب الطبول والصنوج . وبعد ذلك يعدُّ الطعام الفاخر للحاضرات.

٩ ـ الشبشبة وصلب النجوم

الشبشبة عملية تقوم بها احدى النساء ، وتدعى المُشبشبة ، لامرأة قد اهملها زوجها. واشهر مُشبشبة في مصر كانت الشيخة خضرة الاصوانية المقيمة بسفح المقطم بجوار قبر الفارضي تقصدها النساء من كل حدب وصوب . فتخرج من كوخها عند طلوع النجوم لابسة ثوباً اسود منكوشة الشعر، وعلى يديها ووجهها طلاء اسود ، وتقبض بيمينها ثلاث ثمرات صفراء وبيسارها على يد المشبشب لها وتنادي : « يا عفريت العفاريت ، يا جن الجبال ، يا سكان البحور ، يا بعّاد في البرّية ، يا قاتلين الذرّيه ، يا مخالفين سليمان ، يا مبرطمين في الوديان ، تعالوا وساعدوني على صلب النجوم » . ثم تلقي السلام على النجوم وتخاطبها : « ايتها النجوم الصفراء كالثمرات التي بيدي والتي سألقيها عليه ـــ وتسمي اسم الزوج ـــ القي انتِ مثلها واحدة على عينه حتى لا يرى سوى زوجته ، وواحدة على لسانه حتى لا ينطق بغير اسمها ، وواحدة على اذنه حتى لا يسمع سوى صوتها »

هذه امثلة مما في الكتاب . ويا ليت احد اطبائنا يقوم بجمع الخرافات الطبية وطرق التدجيل في بلادنا ، فيكون كتابه عظة وعبرة للقارئين.

الدكتور مصطفى ابو عزالدين

J. S. WILENÈTCHIK, Le problème de l'orthographe dans les pays de langue arabe. [*Annales de l'Institut oriental de l'Académie des Sciences de l'URSS*, t. III, 1935, pp. 125-158]. Leningrad.

مشكل الابجدية في بلاد اللغة العربية

يبحث الكاتب في استعمال الحروف اللاتينية لكتابة اللغة العربية ، فيعرض كل ما ظهر من الآراء والمشاريع في الموضوع منذ اواخر القرن التاسع عشر الى

يومنا . ويتبع تطوّرها ، مظهراً موقف الطبقات الاجتماعية المختلفة ، منتشاً عن اسباب كل ذلك . اما هو فيميل شخصياً الى استعمال الابجدية اللاتينية لانه يعتقدها ضرورية لكل شعب لا يزال على تأخر في تطوّره الاقتصادي الفني . وهو يرى في الابجدية اللاتينية واسطةً للوصول الى الرقي الصناعي العصري الذي يعتقده مقدّمة للرقي العامّ .

ولا يخفى ان المناظرة الشديدة في هذا الموضوع بدأت منذ عشر سنوات ، عندما دخلت بلاد اللغة العربية في الحركة الاقتصادية العالمية ، بفضل تلك السلسلة من المعاهدات الدولية التي عقدتها الامم بعد الحرب الكبرى . ثم كانت الحركة التركية فاحدث عملها اثراً لا يُنكر . ويعتقد المؤلف ان اللغة العربية الفصحى ، من حيث كونها فوق طاقة الجمهور ، تظلّ مادّة لاحتكار التعليم في الطبقة الراقية من المجتمع . وهو يسير من هذا المبدأ الذي ينسبه مجّاناً الى افراد الطبقة العالية في الجماعات المتكلّمة بالعربية ، فيتوسع في موضوعه وفقاً للنظريات المركسية في تطاحن الطبقات ، ويستنتج ان موقف السراة ورجال الاكليروس في معاكسة استعمال الحروف اللاتينية ان هو الا نتيجة رغبتهم في احتكار التعليم واعمالهم تثقيف الشعب . اما الحقيقة فيجب على من يفتش عنها في هذا الموضوع ان يعيش في بلاد اللغة العربية ؛ فيرى رأي العين انه ليس من بلد ابعد عن نظرية تطاحن الطبقات الاجتماعية ! وان يكن من مذر للكاتب فهو في عدم اتصاله بالمجتمع العربي . بقي ان نشير الى ان مآخذ البحث وافرة مذكورة بكل ترتيب من اسماء المؤلفين ، الى اسماء الصحف بالحروف اللاتينية وغيرها . مما يجعل للبحث قيمة رصينة لذيذة .

Islamica, VIe vol., 1934, 4^e cahier. Leipzig, Verlag Asia Major.

مجلة الاسلاميات : الجزء الرابع من المجلد السادس (١٩٣٤)

ممّا يجدر بالذكر ، في هذا الجزء ، نشر قسم اول من كتاب بدر الدين ابن جماعة المعروف « بتحرير الاحكام في تدبير اهل الاسلام » وهو بحث في تنظيم الدولة الاسلامية ومختلف دوائرها من نوع « كتاب الاحكام السلطانية » للماوردي . الا ان الاول يفوق هذا بنظرته التطبيقية واهتمامه الوضعي في حين

ان صاحب « الاحكام السلطانية » يضيع في النظريات المثلى فيرى الاوضاع لا كما هي حقيقة ، بل كما يجب ان تكون في رأيه . ومما لفت نظرنا في القسم المنشور بعض آراء للمؤلف في الجهاد فهو لا يزال يعتبره « فرض الكفاية » في حين ان الاسلام لا يحاربه احد ولا يهدده . وللنساء ان يشتركن بالجهاد بصفة ممرّضات . ه . ل .

GÉNÉRAL BREMOND, Marins à Chameau. Les Allemands en Arabie, 1915-1916. Charles-Lavauzelle et Cie, Éditeurs. Prix : 8 fr.

ملاحون على الجمال

يصف كتاب الجنرال بريمون بعض الاوربيين في الحجاز وما قاسوه في ذاك القطر بسبب جهلهم طبيعة البلاد واخلاق سكانها ، كما انه يظهر ما بذلوه من جهود ومغامرات عجيبة في حدّ نفسها ، ولكن تظهر نافلة لو كانوا قد درسوا البلاد وسكانها قبل ان قاموا باعمالهم تلك . وعليه فان للكتاب المذكور قيمة تعليمية اختبارية يستفيد منها الاوربيون اذا ما ارادوا الاطلاع على بعض مظاهر الدين الاسلامي ، وعلى حالات البدو خاصة . فيرون انه من اللازم ان يتخلّص الانسان من احكامه السابقة احياناً ليباشر درس بلاد تختلف عن بلاده ، واخلاق تباين ما اعتاده في محيطه ، حتى لا يجازف في احكامه ، ولا يصادف ما يعاكس تقديراته .

P. H. MAMOUR, Polemics on the Origin of the Fatimi Caliphs. In-12, 231 pp. London, Luzac and C°.

في اصل الخلفاء الفاطميين

من اغمض المشاكل في التاريخ الاسلامي مشكلة نسب الخلفاء الفاطميين في مصر . ولا يخفى ان خلفاء بغداد اعتبروهم دخلاء مغتصبين ، بل صرّحوا مرّات بفساد نسبهم وبان ليس من صلة بينهم وبين فاطمة بنت النبي . من الحق ان احكام العباسيين لا تبرهن عن شيء ، لانهم كانوا خصوماً وحكاماً في الوقت نفسه . ولكن هناك آراء الاكثرية المطلقة من افاضل الكتاب والمؤرخين ، ومن

مستشرقي اوربة . تجاه هذه الآراء قام مؤلف الكتاب فجرّب ان يدحض اقوال المؤرّخين الشرقيين والمستشرقين الغربيين راداً عليهم جميعاً . ولكنه لم يتوفق في تجربته ، فظلّ المشكل هو هو حتى بعد قراءة الكتاب . بيد انه مفيد في تاريخ البدع الشيعية ، ولاسيما البدعة الاسماعيلية منها . ه ل.

VLADIMIR LAZAREVSKI, La Russie sous l'uniforme bolchevique. In-12, 256 pp. Paris, Éditions Spes. Prix : 10 fr.

روسية في اللباس البلشفي

مؤلف هذا الكتاب ضابط في الجيش الروسي ، شاهد كل ما اصاب ذاك الجيش من التقلبات والتطورات التي ادّت الى فساد نظامه القديم . فاخذ يذكر تاريخها وتتابعها مستطرداً الى درس الأساس التي يرتكز عليها النظام البلشفي ، وما كان له من تأثير في الاخلاق والحياة المادّية ، خاتماً بالقول ان البلشفية خطر دولي . وكان قد تقدّم الكاتب كثير من المؤلفين في مختلف الموضوعات الروسية فاستنتجوا النتيجة نفسها . على ان المؤلف الحالي لم يردّد اقوالاً سابقة، بل ظلّ محتفظاً بشخصيته وطرافته . ج. ل.

N. DOMBROUSKI-RAMSEY, Injustices, révolutions, guerres. In-12, 91 pp. Paris, Alcan, 1933. Prix : 9 fr.

ظلامات ، ثورات ، حروب

هل يستفيد المطالع شيئاً من هذا الكتاب الصغير الحجم الهائل العنوان؟ هو ما نشكّ فيه لان المؤلف انصرف الى الاكثار من الجمل الطنانة المتداولة قوالب فارغة في « الظلامات الاجتماعية ، والاستبداد الدولي ، والانانية الفظيعة» وغير ذلك مما اكتفى به منصرفاً عن ذكر الحوادث ودروسها . ينهي كلامه بنصيحة اتت موافقة لروح الكتاب من الرغبة في التوسيع اللفظي ، فقد اشار على كل محبي الخير والعدل والصلاح ... ان ينزعوا الاسلحة القتّالة من ايدي ذوي الانانية الدامية ... هذه نصيحته ، اما القيام بها فلا يكفي لتحقيقه طبع ٩٠ صفحة من هذا الاسلوب ... ج. ل.

لبنان في عهد الامراء الشهابيين

وهو الجزء الثاني والثالث من كتاب الغرر الحسان في اخبار ابناء الزمان للامير حيدر الشهابي

عني بضبطه ونشره وتعليق حواشيه ووضع مقدمته الدكتور اسد رستم ، احد اساتذة التاريخ الشرقي في جامعة بيروت الاميريكية، وفؤاد افرام البستاني، استاذ الآداب العربية في كلية القديس يوسف

القسم الاول : لبنان والاقطار المجاورة في القرن الثامن عشر
القسم الثاني : الحملة الفرنسوية على مصر واوائل حكم بشير الثاني
القسم الثالث : لبنان في عهد الامير بشير الثاني
ثلاثة مجلدات (ص ٩٢٦) مع مقدمة عربية (ص ١٩) وافرنسية (ص ١٦) قطع الربع – المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ١٩٣٣

طُبع بعض هذا الكتاب سنة ١٩٠٠ في مطبعة السلام بمصر بهمة نعوم مغبغب طبعةً غير علمية،وهو من المراجع الاساسية لتاريخ لبنان فانتدبت مديرية المعارف العامة والفنون الجميلة في لبنان لطبعه هذه الطبعة العلمية النفيسة استاذَي الجامعتين البيروتيتين. استعدا لهذا العمل الخطير بسنين عديدة قضياها بالدرس والتدريس في المعاهد الثانوية والعليا طبقاً للاساليب العصرية العلمية التي ادّت اليها النهضة الادبية في لبنان وسورية، وكان الباعث اليها الارساليات الاجنبية. وحسبنا القول ان الدكتور اسد رستم هو الذي نشر «الاصول العربية لتاريخ سورية في عهد محمد علي باشا» وغيرها من الابحاث التاريخية النفيسة . وان الاستاذ فؤاد البستاني هو صاحب «الروائع» وكاتب سر ادارة مجلة المشرق ذو الشخصية الجذابة ، والاسم العريق بنسب العلم والادب . فالخير كل الخير متوسم من قراءة اسميهما على جلد الكتاب،وقد يزيدنا اطمئناناً لصدق العمل وحسن القيام به ، علمنا ان رئيس الحكومة والجمهورية اللبنانية فخامة حبيب باشا السعد قلّد بوسام الاستحقاق اللبناني صدر الناشرين مكافأة لهما واقراراً بفضلهما واجتهادهما في خدمة المصلحة الوطنية بنشر اصول تاريخ البلاد .

من هو الامير حيدر الشهابي ؟ جاءت ترجمته في المقدمة: هو سليل الاسرة الشهيرة بكبيرها الامير بشير . ولد سنة ١٧٦١ في دير القمر او في المعاصر في جوارها ، وتوفي في دير القرقفة سنة ١٨٣٥ وعمل للامير بشير في حكمه. وكان مسيحياً تقياً سخياً محباً للسلام ، لكنه الجئ الى كبح جماح الفتن بالقوة بامر نسيبه بشير.

يتناول هذا التاريخ الاخبار السياسية ، وبعض الامور الاجتماعية والاقتصادية وشيء من الحوادث الطبيعية التي جرت في لبنان وغيرها مما جرى في فلسطين وسورية وسائر اقطار الشرق الادنى وبعض البلدان الاوروبية منذ ظهور الهجرة الى السنة ١٨٣٥ .

ومصادر الكتاب في جزئه الاول مأخوذة من المؤرخين العرب واخصهم الطبري وفي جزئيه الثاني والثالث من مذكرات الامير الشخصية ، ومن الوثائق الرسمية او التاريخية في زمانه ، وفيه بعض النقائص من قلة ضبط بالتمحيص والترتيب ، ولكنه بمجمله مرآة حية للزمان الذي عاش فيه. المؤلف.

اهمل الناشران الجزء الاول من الكتاب المبتدي بالهجرة والمنتهي بقدوم الشهابيين الى لبنان سنة ١٦٩٦م (١١٠٨هـ) لانه نُشر بطبعة المغبغب وغيرها من الكتب العربية المطبوعة التي تغني عنه وحصرا جهودهما في معالجة الجزئين الاخيرين ، وهما بغاية الاهمية فيما يخص تاريخ بلادنا منذ اواخر القرن السابع عشر الى منتصف القرن الماضي.

للمؤلف نسخ عديدة سعى الناشران بالحصول عليها اهمها ثلاث ترقى كلها الى عهد المؤلف ، وفيها آثار خطه فاعتمدا على احدثها عهداً لطبع المتن ، واستعانا بالنسختين القديمتين لوضع الحواشي . النسخة الاولى اصلها من المكتبة الشرقية في كلية القديس يوسف رقمها ١٦٠ ؛ تبتدي باخبار سنة ١١٠٩ هـ (١٦٩٧ م) وتنتهي باخبار سنة ١٢٣٤ هـ (١٨١٨ م) ، وفيها آثار خط المؤلف.

النسخة الثانية هي ايضاً من المكتبة الشرقية اليسوعية تبتدي ١٢٠٤ هـ (١٧٨٩ م) وتنتهي بذكر حوادث ١٢٤٥هـ (١٨٢٩ م)

النسخة الثالثة من مكتبة الجامعة الاميركية وفيها آثار عديدة من خط

المؤلف وعدد صفحاتها ٧٦ (لم تذكر في المقدمة سنة بدئها ومنتهاها)

وهناك نسخة ٤ بدؤها ١٨١٣ ولم يذكر آخرها . ونسخة ٥ ونسخ ثلاث غيرها بخط نصيف اليازجي كانت لعالي سميث ، وعليها كان اعتمد المعنى في طبعته ؛ فاعتمد الناشران على النسخ الثلاث الاولى ، او قل بالاحرى ، على النسختين الاوليين وهما من المكتبة الشرقية لنشر الكتاب لان النسخة الاميريكية الثالثة قصيرة وناقصة فلم تزدِ الا القليل من الاختلافات وسبب اعتمادها كما شرحاه هو ان المؤلف بتوقيعه الحواشي بخطه على النسختين الاوليين يكون « كانه يمهرها بخاتمه ويؤيد كل ما فيها صادراً عنه »

لقد قام الناشران بمهمتها خير القيام : صوّرا خط المؤلف التصوير الشمسي ووضعا في اسفل الصحائف التعليقات المفيدة ليس للمقابلة بين الاصول فقط ولكن لكشف القناع عن مبهمات الالفاظ العسكرية والاقتصادية وغيرها ايضاً، وجعلا في رأس كل صحيفة التاريخ الميلادي بالسنة واليوم من الشهر ، تسهيلاً للمراجعة ، وذيّلا النشرة بفهارس ثمينة للغاية ، فنهنئهما على عملهما ونفرح لكون المكتبة الشرقية ادت مادة متن الكتاب فتحققت فيه آمال المرحوم الاب شيخو لما عرّفه في كتابه على مخطوطات المكتبة وتمنى نشره. ف.ت.

معضلة السرطان

تأليف وليم سيمن بايبردج — ترجمة يوسف اسكندر حتي وشاكر خليل نصار

٢٢٧ ص. متوسطة – المطبعة الاميركانية – بيروت ، ١٩٣٥

بهذا الاسم وضع الحكيم بايبردج كتاباً ضخماً نقله الى العربية صديقي الحكيم يوسف حتي ، والسيد شاكر خليل نصار.

وما اكثر ما كتب ونشر ويُنشر في بعض المعضلات كالسلّ والسرطان . ولكن ما أقلّ الفائدة التي تشعر بها بعد القراءة ، ولاسيما بعد التجربة ! السرطان ، ألم يزل مجهول الاصل والسبب ، مجهول الدواء ، ولم يُعرف منذ البدء الى الآن ان احداً شُفي منه بقوّة الطبيعة وحدها . فهو يؤلم ويُضعف ويعذّب ويؤدي حتماً الى الموت.

لثلاث سنين مضت ، وقف الاستاذ الشهير هارتمان الباريزي يخطب في نادي الحفلات بكلية القديس يوسف في السرطان باحثاً في هذا الموضوع ، وهو اعرف الناس به ، وقد أسهب في بيان ما هو معروف من أمره وأسبابه ونظرية بعضهم ، وهل هو جرثومي الاصل كالسل والزهري . وفنّد مذهب القائلين بان السرطان على ازدياد : فذكر ان احصاءات السرطان الداخلي بموجب ما يتبيّن في التشريح تدلّ على انه لم يزدد عدداً، وان ما ظهر من زيادة فنتيجة ان متوسّط العمر أخذ في الطول بفضل تقدّم الطب وفنّ الوقاية .

ولم يذهل عن الحكم على ما يُقال من ان بعض العناصر الكيماويّة وغيرها من رصاص وزرنيخ او نحاس وماغنيزيوم (رأي الاستاذ دلبه) او موادّ عضويّة او جرثوميّة (كما فعل الجراح المشهور بالامس دوبّن) تقي من هذه الآفة او تشفي منها . فكنا بعد خطابه كما نحن بعد النظر في تأليف « معضلة السرطان » حيارى في سبب السرطان وعلاجه .

على انه يجب علينا شكر المترجمين شكراً خالصاً لتنبيهما أفكار الناطقين بالعربية الى ما أصبح معلوماً من عارفي لغات الغرب وتجب معرفته وتفيد وهو ان السرطان في اوله مرض موضعيّ محصور في نقطة ، لكنه لا يلبث ان يذيع في محيطه بل في انحاء الجسم فلا يعود بالامكان ان يُكشف ولا ان يطاله العلاج (صفحة ١٥٣)

وانه كثيراً ما يجيء في الثآليل ، وامكنة الاحتكاك ، والندبات ، والمخيلان (جمع خال) ، والشامات ، والمحال المعرّضة للتخديش المزمن وممانسة القطران والزفت واشعة اكس (المجهولة) والرديوم وبعض القروح المزمنة والاورام .

وان معالجته تقضي بالمعاجلة . والمعاجلة انما هي بالاشعة المجهولة اي اشعة اكس او رنتجن ؛ والغريب ما ذكرنا من انها في مستخدميها منهم من رجال الفنّ تعرّضهم للداء اللعين عينه . وللرديوم شأنه العظيم في مداواة السرطان لاسيما الظاهريّ او الجلديّ (الآكلة) وأول بل خيرُ العلاج جراحة تستأصل العلّة بتمامها : أصلها وجذورها . والاختبار أثبت ان هذه الوسيلة تضمن الشفاء النهائي للكثيرين من المبتلين .

امين الجميّل

الكنيسة وما هي

رأي كاهن كاثوليكي وردّ احد الاخوة عليه

هل بلغ اليك هذا الكتاب ؟ فلا بد من ان نسمعك كلمتنا عليه. وان لم يبلغ اليك فلا خير لك فيه، ايها القارئ العزيز، لانه مجموع من الاقوال التي يرشق بها جماعة البروتستانت، المنتمي اليهم المؤلف، تعاليم الكنيسة الكاثوليكية، وفيه يحاول عرض تعليم البدعة في اهمّ المسائل الدينية . قلت « يحاول » لان من العسير جدًّا على البدعة تدوين معتقداتها بدستور رسمي ، فلا يتفقون على تحديد المسائل الدينية ليعرفوا هل هي جوهرية تضطرهم الى اجماع الراي عليها او عرضية تترك لكل منهم حرية الاختيار فيها . وانّ ما كانوا يعتبرونه جوهريًا بالأمس اصبحوا ينكرون اهميته اليوم ، حتى صار امر لاهوت المسيح في نظر بعضهم من الامور الممكن الاقرار بها او نبذها . يدّعون بنهج طريق الخلاص للنفوس وقد ضاعت بين يديهم حقيقة الاسرار (راجع ما كُتب على مؤتمر الانكليكان وعلى مؤتمر لامبث في المشرق ٢٥ [١٩٢٧] ٧٦١-٧٧٢)

على ان صاحب هذا الكتاب حاول تحديد تعليم البروتستنت فقال : انه يحثّ على قراءة الكتب المقدّسة (ص ٣) وان قراءة الكتب يجب ان تكون من دون تفسير « يجعل ثغرةً بين المسيح وبين المؤمن » (ص ٧) فلا وسيط بينه وبين الله (ص ٨) ومضى من ثم في سبيله معالجًا ذلك بالآيات الكتبية معارضاً في اقواله ما اصطلحت عليه الكنائس الشرقية والغربية من المبادي المكوّن منها قانون الايمان ، وطعن بالكنيسة الرومانية خاصة وبالحبر الاعظم وبالرئاسة البطرسية. فيقتضي الرد عليه كتاباً برمته وما احرانا ان نرجع بالقراء ونحن في هذا الصدد ، الى كتاب الاب اده ، وقد وصفه المشرق في هذا المجلد ص ١٥٣ .

ولكن نكتفي بكلمة . ان كان الكتاب المقدس هو الاساس الوحيد المبني عليه الايمان فكيف ينالُ الايمانُ الجهالَ الاميين الذين لا يعرفون القراءة؟ وكيف نال الايمانُ المؤمنين في ايام الكنيسة الاولى اذ لم تكن كتب العهد

الجديد قد وضعت بعد ؟ ألا انهم تعلموا حقائق الدين « بالسمع » كما قال القديس بولس ؟ والسمع ليس هو بالقراءة ولكن بالكلام والتبشير. فالكتاب وحده لا يكفي للايمان ولا بد من يد تعرضه للمؤمنين ومن سلطة معصومة تفسره لهم والا فالتبس الامر وتضعضعت المبادي !

وهل من المعقول ان الكنيسة ظلت سحابة ١٦ قرناً جاهلةً مبدأ الإصلاح الموهوم الى ان اتى لوتيروس الراهب ، الذي خلع عنه الثوب الرهباني واخترق حرمة النذور اتباعاً للشهوات ، ليُصلحها !

ف . ت

دمعة الوفاء والادب

على فقيدي الدين والفضل والحسب الورتبيتين الاخوين
جبرائيل وبولس اسيون
المطبعة المارونية بحلب ، ١٩٣٥ ، من ٩٢ باللغة العربية
وبعدها ص ١٢ بالافرنسية قطع الثمن

الورتبيت بولس اسيون ، وُلد في حلب سنة ١٨٨٤ من عائلة ارمنية كاثوليكية من ابوين فاضلين فتح الله اسيون وسيود جهامي . درس في مدرسة الآباء الفرنسيسكان في حلب ، ثم في مدرسة البروبغندا في رومية وتفانى كاهناً في خدمة النفوس في حلب من السنة ١٩٠٩ الى سنة وفاته ١٩٣٠ . اما اخوه الورتبيت بولس فولد سنة ١٨٨١ ، وسبق اخاه في الطريق التي سلكها وتبعه بالموت سنة ١٩٣٤ ، وله زهاء ١٩ سنةً في خدمة النفوس وان الخسارة الجسيمة التي حلّت بالمسيحيين الحلبيين بفقد الاخوين البارّين استذرفت دموعاً حارّة واطلقت السن الخطباء وشحذت قرائح الشعراء ، وكان لصدى تلك الاقوال تردّده في هذه النشرة وقد عنيت بجمعها اخوية الحبل بالعذراء البريء من الدنس للارمن الكاثوليك ، ففيها ذكرى الفضيلة والقداسة وتعزية لكل من تعرف الى الابوين الاخوين رحمهما الله .

ف . ت

سيرة الاب البار بشارة ابي مراد المخلصي

بقلم الخوري قسطنطين الباشا المخلصي

الطبعة الثانية – مطبعة دير المخلص صيدا – لبنان ١٩٣٥

ظهر هذا الكتاب في العام الماضي ووصفه المشرق في عدد كانون الثاني – آذار من هذا العام ص ١٥٧ . وها ان مؤلفه وافانا بطبعته الثانية وقد زاده تعليقات جديدة اخذها مما كتبه على الاب الطيب الذكر مراسلو البشير والمرة ورسالة قلب يسوع وغيرهم من الاتقياء والافاضل الذين تعرفوا الى الاب بشارة وشهدوا له بالفضائل والمبرّات التي تجعله مثالاً للرهبان بتقواه ، وللعمال الرسوليين بغيرته وتفانيه ، خاصةً في سماع الاعترافات وهداية الخطأة الى التوبة . تصفحنا الكتاب فغذينا النفس بروحه الفائقة الطبيعة وتمنينا ان يفرح عطر فضائل الاب بشارة المخلصي الى ابعد من ارجاء بلادنا ، الى المدينة الابدية فيلفت انظار اب المؤمنين العام الى ما جناه المسيح في بستان الرهبانية التي تشاركنا بحملها اسم الفادي يسوع من اثار بهية للسماء فيتعزى ويفرح بها ويعرضها انموذجاً للمؤمنين عامة وللاكليروس خاصةً .

ف . ت

جولة اثرية في بعض البلاد الشامية

وصف طبغرافي تاريخي اثري عمراني للبقاع والبلدان الممتدة من شمالي الاسكندرونة الى ابواب دمشق . بقلم المهندس الزراعي احمد وصفي زكريا

المطبعة الحديثة ، دمشق ، ١٩٣٤–١٩٣٥ ص ٤٠٨ ، قطع ٨ – مصور بخمسة وعشرين رسماً

« لما كنت مفتش املاك دولة الشام في سني ١٣٤٤–١٣٥٢ ، كان يعهد اليّ بالتجوال من حين الى آخر في تلك الاملاك الشاسعة فانتهزت الفرص بسائق الولع لاستقصاء اوصافها من نواحي الطبيعة والزراعة والعمران في معرفة احوال السكان ودرس الآثار وجمع ما يفيد جمعه من التعليمات على تلك البلاد ؛ واذ عدت الى دمشق كنت اطالع المؤلفين من عرب وافرنج واتمم بهم معارفي فاستخلص من ثم مادة هذا الكتاب » . هذه الاسطر تكاد تعرف اليك بحرفها فاتحة الكتاب وخلاصته .

من الكتب التي وضعها المؤلف اساساً لما كتبه «رحلة السائح التركي اولياچلبي» وقد عربها عن التركية بتصرّف ، وعلق عليها شروحاً صار يزيد عليها ويطوّلها مع اغراقه في التأليف . ولم يمنعه عن الاسهاب هم التناسب والتناسق في اجزاء الكتاب ليكون بناية واحدة ، بل كان همه الاهم ان يزف الى قراء العربية مادة جديدة توقفهم على شيء مما يجهلونه من امور بلادهم « وقد طالما درسها رواد الافرنج وعلماؤهم وسياحهم فصاروا لنا قدوة في البحث على شؤون بلادنا » فدعهم المؤلف على ذلك واستحث القراء الى اقتفاء آثارهم.

اما جولته فتجتاز الطريق التي سلكها الچلبي من طرسوس وادنه الى مسيس وبياس والاسكندرونة وجبل اللكام او الامانوس وبيلان وسهل العمق وانطاكية وجبل القصير وجسر الشاغور وسهل الغاب وقلعة المضيق وقلعة شيزر وحماة والرستن وحمص وحسية والنبك والقطيفة الى باب دمشق . قطع تلك البلاد ووصف منها ما يراه السائح من المناظر الطبيعية والآثار القديمة وسعى في معرفة السكان واسرهم ومن اقواله : « رايت ان الاسر الكبيرة المدّعية بعراقة النسب جلّ ابنائها في غفلة عن ماضيهم لا يعرفون اسماء اجدادهم الاقرباء دع اسلافهم البعداء . . . ومن الغريب ان كثيراً منهم يتوق الى ربط سلسلته بحلقة احد آل البيت او احد الصحابة او الاولياء او الابرار او احد الملوك والامراء وقلّ من يستطيع ان يؤيد مدعاه بوثائق »

وفي الكتاب صور بينة مأخوذ بعضها عن كتاب الكولونيل جاكو على انطاكية والشمال السوري وقد طبعت في المطبعة الكاثوليكية . نستميح الاذن في ابداء ملاحظات عسى ان يستفاد منها في طبعة الكتاب الجديدة . ابى المؤلف الا استعمال لفظة الشام عوض لفظة سورية وذلك حتى في تاريخ سورية على العهد اليوناني والروماني (ص ٩٦) ولكن اللغة العربية لم تكن شائعة آنذاك في البلاد لتدعى باسم الشام ، واعمال لفظة سورية يؤدي الى الالتباس التاريخي . وقال المؤلف ان سلوقوس مؤسس انطاكية اسكن فيها مزيجاً من الكرد[1]

(١) لم يذكر المؤرخون الكرد الا في القرون الوسطى في شمالي سورية ، ولا حجة من سم الجبل كرد طاغ ، لاثبات قدم تلك القبائل في بلادنا ، لانها حلتها في زمان قريب الينا

واليونانيين واليهود،فتحاشى ذكر السوريين او السريان، مع ان المؤرخين يسمونهم عوض الكرد او الاشوريين (ص ٨٧) وكتب لفظة هيرودوتس عوض هيرودس (ص ٩٠) والفرق بين الرجلين اشهر من ان يلفت النظر اليه ؛ وجاء (في ص ٩٤) ان قسطنطين قسم دولة الرومان في سنة ٣٩٦ الى دولتين شرقية وغربية والحقيقة ان تلك القسمة تمت على يد ثاودوسيوس . ولكن ذلك لا يذهب بمحاسن الكتاب وهو خيرة ما ظهر من نوعه في اللغة العربية. ف.ت.

علم الطبيعة

الجزء الرابع : في الكهرباء

بقلم هاشم الفصيح وتوفيق المنجد وانطون الجناوي

٢١٢ ص متوسطه مصوّرة – مطبعة الترقي ، دمشق ، ١٩٣٦ – الثمن : ٣٠ فرنكاً

تصفحت هذا الكتاب الجديد في العلوم الفيزيكية ، وهو مطابق لبرنامج البكالورية للصف الاول ، فوجدته سهل المأخذ ، حسن التقسيم ، جزيل الفائدة بمادّته ورسومه. وقد اجاد المؤلفون اختيار الالفاظ الفنية ، وهي، كما لا يخفى، من الشيء الصعب في اللغة العربية... ويا حبذا لو جاء في آخر كل فصل مثال لعملية حسابية في الموضوع ، وذلك تتمة للفائدة وتسريحاً للافكار. ا.ب.

علم قياس المثلثات المستوية

بقلم توفيق علوش

٢٢٢ ص: متوسطة مصوّرة – مطبعة السلامة ، حمص ، ١٩٣٦

هو اول كتاب عرفته من نوعه فاعجبت بتنسيقه واسلوبه وشروحه ، وقد استحق مؤلفه كل ثناء لما عاناه ، ولا شك ، في وضعه من الجهود.

جاء هذا الكتاب الجديد يسدّ خللاً في مدارس التعليم ودوائر المساحة والمكاتب الفنية ، محتوياً على ٦١ دستوراً و٧٥ شكلاً و١٥٠ تمريناً واكثر من ٦٥ مسألة محلولة ... واني ارجو ان يقدر رؤساء المعاهد قدره تشجيعاً لصاحبه واعترافاً بفضله. ا. ب.

وبعيد عن زمان تأسيس انطاكية . (راجع Paulys, *Real-Encyclopaedie*, art. *Syria* (Ethnographie) Col. 1573, C. 63.)

تنبيه

وقع بعض اخطاء ونواقص في نشر مخطوطة « الاعلاق الخطيرة » في اول هذا الجزء ، فرأينا أن نشير هنا الى اهمها :

صفحة	سطر	خطأ	صواب
١٨١	١٦	المحاس	المحاسن
١٨٦	٨	احبي	أحيي
١٨٥	٢٤	Ps. LXXX, 11	Ps. LXXXIII, 11
١٨٩	٩	المنلات	المستنلات
١٩٢	٢٥	Tornberg, 89	Tornberg, X. 89
١٩٣	٩	امورة	امورَهُ
١٩٣	٢٤	Hagenmayer	Hagenmeyer وهكذا كلما ورد هذا الاسم
١٩٧	٦	أتن	إتب
١٩٧	٢٥	٢١ تشرين الثاني ١١٥٩	٢١ تشرين الثاني ١١٦٠
١٩٩	٥	الكلدهرى	الكندهرى
٢٠٠	١٣	بالولى	بالوالي
٢٠١	٢	بطيب قلبه	بطيب به قلبه
٢٠٢	١٨	خير	خيم
٢٠٣	٩ — ١٧		يُشار في حاشية إلى ان المقطع من « ولم تزل في يده . . . » حتى آخره : « الى الان » مما كتب على هامش المخطوطة .
٢٠٧	١٨	افين	أمين
٢٠٨	٨	الفرات	يضاف في حاشية : اقرأ : الافرين
٢١٣	١٨	واعلها	ولاعلها — —
٢١٦	١٥	يكون	يكن
	١٧	مباس	عباس
٢١٩	٥	خرت برق	خرت برت
٢٢٠	١	منج	منج

المشرق

السنة الثالثة والثلاثون — تموز – ايلول ١٩٣٥

جريدة

توزيع مال خراج لبنان الاميري

في عهد الامير بشير الشهابي

نشرها وعلّق عليها

الخوري قسطنطين الباشا المخلصي

توطئة

بين اوراقي القديمة ورقة كبيرة من الورق العادي القوي السمين الذي كان يُستعمل لكتابة الاوامر السلطانية والصكوك الديوانية ، طولها ٨٠ سنتي من المتر وعرضها ٥٢ سنتي . وقد كُتبت على صفحتين او وجهين ، وكل صفحة منها مقسومة طولًا الى اربعة اقسام متوازية باربعة عواميد او حقول . وارى انها لشكلها الطويل هكذا يُقال لها قائمة . وهي تتضمّن توزيع مال خراج لبنان الرسمي المفروض دفعه للامير الكبير

الحاكم ، الذي كان يطلق عليه لهذا السبب المال الاميري ويقال له بلغة العامة الميري والميرة.

ولا ريب ان هذه الجريدة كُتبت في عهد الامير بشير شهاب الثاني نحو سنة ١٢٤٨ هجرية ، اول عهد ابرهيم باشا في لبنان الموافقة سنة ١٨٣٢ مسيحية من اول ايار ،

اولاً لانه ذُكر فيها مراراً سنة ١٢٤٤ وسنة ١٢٤٥ وسنة ١٢٤٧ باعتبار انها قد سلفت وعبرت.

ثانياً لان تولي ابرهيم باشا شؤون لبنان كان يقتضي عمل مثل هذه الجريدة، وقد اشار الى ذلك طنوس الشدياق بعبارة وجيزة في صفحة ٥٧٧ من كتابه « تاريخ اعيان لبنان » .

ثالثاً لان صنف الورق الذي كتبت عليه ، وشكله ، والخط الرقمي الديواني الذي كتبت به ، لا تدع لنا سبيلاً للشك في هذا الامر.

رابعاً لان هذه الجريدة قد خلت من ذكر املاك الامير بشير واملاك اسرته الشهابية . وكما يعلم كل من له معرفة بتاريخ لبنان لذلك العهد انه لم يكن على هذه الاملاك مال ميري مطلقاً.

خامساً لكون مضمونها ينطبق في بعض مفرداته على ما وقفنا عليه من الوثائق الرسمية كالحوالة المالية بامضاء الامير وختمه على ارزاق دير المخلص.

وجدنا هذه القائمة بين اوراق المرحوم يوسف بك المبيض مع سواها من الوثائق الرسمية المهمة المفيدة لتاريخ لبنان في ذلك العهد ، تكرم بها صهره المرحوم الشيخ ابرهيم سمعان (من مغدوشة) والد نجيد افندي سمعان مدير مال الكورة حالياً. وكان يوسف بك المذكور عمدة النصارى في جنوب لبنان في عصره ، خلفاً لوالده جرجس المبيض، ولم يكن احد من النصارى في اقليم التفاح واقليم جزين واقليم الخروب يساويه بغناه وبسعة املاكه وكرمه وشجاعته وبأسه وعلو شانه . وقد جعله شكيب افندي ، وزير الخارجية العثماني الموفد الى لبنان سنة ١٨٤٦ ، وكيلاً للنصارى في ديوان قائمقام الدروز ، عندما قسم

لبنان قسمين يتولى قسماً منه قائمقام من النصارى في كسروان ، والقسم الآخر قائمقام من الدروز في الشوف . وقد تولى يوسف بك امر مساحة لبنان مراراً هو وابنه حبيب كلما تكررت الاوامر بذلك من اولي الشان في ذلك العهد الكثير التقلبات ، كما لا يخفى . ولما تشكلت المتصرفيـة في لبنان ، بعـد حوادث سنة ١٨٦٠ ، تعيّن يوسف بك عاملاً ومديراً لاقليم التفاح بايعاز فؤاد باشا . ولبث في وظيفته هذه كل مدة متصرفية داود باشا ، ونصرالله فرنكو باشا ، الى ايام رستم باشا . وقد منحه فرنكو باشا لقب بك مكافأة له على حسن قيامه بخدمته هذه .

واذ رغب اليَّ كثيرون من الاصدقاء ان انشر هذه الجريدة القديمـة في مجلة « المشرق » الراقية ، واعلق عليها شرحاً وجيزاً لبيان اصلها وايضاح ما فيها من الاشكال ، نزلت عند رغبتهم توخياً لما ارادوا من نشر ما انطوت عليه من الفوائد التاريخية والجغرافية والمالية الخاصة بلبنان الشهابي . وهي على ما لا يخفى وثيقة رسمية يصحّ الاعتماد عليها ، كما سبق القول . واذا لم تعدّ رسمية لخلوّهـا من امضاء وختم الامير ، او احد اصحاب الشان ، فهي شبه رسمية . وهي ، على كل حال ، طرفة نادرة بل فريدة في بابها ليس لها نظير فيما نعلم . واذ مضى عليها اكثر من مئة سنة في زوايا الخبايا صارت لا محالة في نظر اهل البحث والتنقيب اثراً كريماً من آثار السلف يحلو نشره ويحسن حفظه في اذهان القراء . وهي ، على ما تضمّنت من الفوائد والمعلومات الراهنة عن حالية لبنان في تلك الايام ، فيها مجال للنظر في الفرق بين العهدين الماضي والحاضر مما يدعونا الى القول سبحـان الباقي الذي يغيّر كل شيء ولا يتغير .

ومن اهم ما يلاحظه المطالع النبيه في هـذا التقويم ان اكثر الاراضي في لبنان كانت حينئذٍ تخصّ الامراء وكبار المشايخ اصحـاب المقاطعات الواسعة الشاملة لعدة قرى وضيع شتى والصغار منهم اصحـاب الارزاق الكثيرة في بلدتهم التي يقيمون فيها .

فقد كان في لبنان منذ القديم ، ولا سيما في الشوف ، عدة طوائف من رتبة المشايخ يفوّض الامير الى احد افرادهم الحكم في مقاطعة او عـدة مقاطعات

اكثرها من املاكهم يتفقون عليه خلفاً لابيه وجدّه من عهد الامراء بني معن، او من عهد الامير حيدر شهاب بعد موقعة عين دارة التي جرت نحو سنة ١٧١٢ بين حزب اليمنيين والقيسيين. فان الامير المشار اليه، الذي كان على راس القيسيين، احدث انقلاباً اجتماعياً مهماً في طبقات الناس من سكان لبنان بعد انتصار القيسيين فيها، وانخذال اليمنيين تمام الانخذال. وكذلك فعل الامير يوسف شهاب، بعد ان تولى من قبل وزير طرابلس على بلاد جبيل والبترون وما يتبعهما سنة ١٧٦٣، ولاسيما بعد تغلبه على المشايخ بني حمادة المتاولة الذين كانوا يتولون قبله هذه البلاد، فانه احدث انقلاباً مهماً في طبقات سكان هذه البلاد بان اقطع عدة قرى لذوي الزعامة الذين اعانوه على قتال بني حماده. فانه جعلهم برتبة المشايخ، واقطع لهم الاقطاعات الكافية واقر من كان سابقاً منهم كذلك. واولهم الشيخ سعد ابن الخوري صالح من رشميا، والشيخ سمعان البيطار من غرسطا (كسروان) الذي سكن بلاد البترون وكانا كلاهما مدبرين لاموره، ومنهم الشيخ جرجس ابي صعب اكبر فوارسه المشهورين. ومنهم بيت ابي طربيه في تنورين من بلاد البترون العليا، وبيت كرم في اهدن وزغرتا، وبيت الشدياق ابي خطار في عينطورين، وبيت الخوري في اهمج من بلاد جبيل، وغيرهم، واكثرهم موارنة. ومنهم مسلمون مثل بيت رعد في الضنية. واما مشايخ بيت العازار في اميون من الكورة، فقد كانوا كذلك من عهد قديم جداً قبل عهد الامير يوسف. وكانوا يلتزمون مال الكورة من قبل وزير طرابلس.

وكان الامير الكبير الحاكم اذا اختار رجلاً من لبنان لتدبير اموره من غير المشايخ، او كاخية له، رقاه الى رتبة المشايخ وصار يكتب له «الاخ العزيز»، واقطعه بعض الضيع كما فعل الامير يوسف مع سعد الخوري صالح وسمعان البيطار. وكما فعل الامير بشير مع بني الدحداح، ومع يوسف ابي انطون باخوس الذي اتخذه كاخية له الامير حسن شهاب، اخو الامير بشير في غزير. وهذا كان شان كل امراء بني شهاب. واذا لم يكن الكاخية من لبنان اكتفى الامير باعطائه لقب المعلم نظير المعلم بطرس كرامة الحصني.

ولا يخفى ان لا ذكر في هذه الجريدة لزحلة ولا لمعلقة زحلة ، كما لا ذكر فيها لعدة قرى كانت ذات شأن في لبنان لذلك العهد. ولعل السبب لعدم ذكر زحلة هو انها كانت حينئذٍ في عهدة الامراء اللمعيين المذكورين باسمائهم ، وما كان في عهدة كل واحد منهم، ولاسيما علي وسعيد من آل مراد. ويقول صديقنا الاستاذ عيسى المعلوف في كتابه تاريخ زحلة،صفحة ١٤٧،ان الامير بشير وضع على زحلة ٢٥ قنطار سمن تصل الى داره وقد استبدل ذلك بخمسة عشر الف قرش.

واما المعلقة فقد كانت من املاك ابناء الامير بشير شهاب الخاصة بقاسم وخليل وامين،بعد طرد اصحابها منها بني القنطار الدروز. وقس على ذلك قرى كثيرة لم تذكر في هذه الجريدة مثل كفرشيما والحدث وبعبدا من املاك الشهابيين، مع انه قد ذكر فيها اماكن كثيرة لا شأن لها اليوم قد تبدلت اسماؤها بتقلب الايام حتى خفيت علينا ، او لكونها بقعة من خراج قرية قريبة اليها اهم منها وتابعة لها.

تنبيه : علامات الكسور من القرش التي كان الكتاب يجرون عليها في ذلك العهد هي هكذا :

٢ نصف غرش

٣ ثلث غرش

٤ ربع غرش

٤ ثلاثة ارباع الغرش

٥ خمس بارات او خمس مصريات من القرش الذي هو اربعين مصرية او بارة ، ويقال لها فضة ايضاً

وكانت قيمة القرش لذلك العهد تساوي سبعة غروش لعهدنا او اكثر من قيمة القرش المصري ذهباً في هذه الايام.

وضعنا بين هلالين ما زدناه في بعض الاماكن تفسيراً وايضاحاً لبعض اعلام الاماكن المذكورة قبلها بصورة او بصيغة مجهولة او مبهمة، وقد حافظنا على الاصل تمام المحافظة بدون تغيير ولا حذف شيء.

علم مال ميري جبل لبنان

كل مقاطعة بمقاطعتها كما يأتي بيانه

مال واحد

جبل الريحان

		بارة غرش
لوسي عن ميرة الملاكة[1]		٤ ٧ ١٩٩
ميدون الملاكي مالين[2]		٤٠ ٤ ٣٥
عرمتي	مالين الميري	٢ ٤ ١٣٢١
العيشية	مالين الميرة	٦ ٤ ٣٢٣
الجنينات	مالين الميرة	٦ ٧ ٢١
القطراني	مالين الميرة	٠ ٧ ١٢١
الدمشقية	حصة حماد مبارك والباقي ضمان مالين الميرة	٦ ٧ ٤٦
اللوازعية	مالين الميرة	٦ ٧ ٣٧١
بقيرة[3]	مالين الميرة	٨ ٧ ٤٠٢

١) الملاكة والملاكي جمع ملاك بانة العامة ، وهم اصحاب الاملاك من غير المشايخ ، اصحاب المقاطعة .

٢) المراد بالمالين هنا مال الخراج مضاعفاً لا باضافة مال السنة الجارية الى مال السنة الماضية ، كما يتبادر الى الذهن . بل هو ان الامير كان يفرض في بعض السنين مال الاميري مضاعفاً ومثلثاً ورباعاً واكثر ايضاً على من كان يعاديه من اعيان لبنان من باب البطش او الطرح ، كما كانوا يقولون في ذلك العهد . او لاستيفاء المال المطلوب من الامير لعبد الله باشا فوق العادة . وهذا الامر دليل قاطع لا مرد له بان الامير كان مستقلاً بحكمه . ومعلوم ان اكثر قرى جبل الريحان واقليم جزين واقليم التفاح واقليم الخروب كانت من املاك آل جنبلاط واحزابهم الذين كانوا معادين للامير ، ولاسيما بعد قتل الشيخ بشير جنبلاط في عكا بايعاز الامير سنة ١٨٢٥ ، ومجاهرة اولاده بمعارضة الامير وابرهيم باشا في اول احتلاله لبنان ، ولذلك وضع على املاكهم مالين .

٣) ويقال لها اليوم المحمودية .

	٤٧ ٧	بيت العرقوب	مالين الميرة
٦	١٥٦٤	الريحان	مالين الميرة
	١٢٥	الوردية	مالين الميرة
٤	١٦٣ ـ	شبيل	مالين الميرة
	٤٠٠	الصويري	مالين الميرة
	١٢١ ٤	الزغرين	مالين الميرة
٤	١٠٨ ـ	خلة خازن	مالين الميرة
٦	١٦٦ ٧	تمرة	مالين الميرة
٤	١٠٨ ـ	الصريرة	مالين الميرة

٦ ـ ٥٦٥٠

اقليم جزين[1]

		بارة غروش	
٤	١٨٩٧ ـ	جزين	مالين الميرة
٤	١٢٣٢ ٧	كفرحوني	مالين الميرة بخراج الجديد سنة ١٢٤٤
٦	٨٩٥	بكاسين	مالين الميرة
٢	٤٥٤	قيتولي	مالين الميرة
٢	٩١	مراح المكنونية	مالين الميرة
	٥٠	الرماني	مالين الميرة
٢	٣٧١	روم	مالين بعد خصم رزق الشيخ كليب[2] [جنبلاط]

١) الاقليم اسم يوناني الاصل معرب. ويراد به اولاً المناخ ومنه الاسم الفرنساوي climat. ثم صار بالنقل يراد به البلاد، او المناطق ذات المناخ الواحد. ولم يزل غالباً بالاستعمال بهذا المعنى بين اهل لبنان على اقليم جزين، واقليم التفاح، واقليم الحروب، واقليم الريحان ايضاً. وفي سورية على اقليم البلان.

٢) الشيخ كليب جنبلاط ابن عم الشيخ بشير جنبلاط الشهير. ونظن انه لم يكن معادياً للامير بشير في تلك السنة، او انه لاذ الى عفو الامير، كما فعل كثيرون من بيت جنبلاط

	٧ ٨ ١٠٨	مليخ ولويزه	مالين الميرة
	٨ ٧ ٥٢٥	بسري	مالين الميرة
	٥٤	عازور	مالين الميرة مع فايضها
	٤ ٤ ٢٣١	بسري	دفتر براني[1] مالين الميرة
	٢ ٣ ٣٧٣	جبل طوره	دفتر براني مالين الميرة
٧١١٩ ٤	٦ ٥٣٥	جزين	دفتر براني المالين
١٢٧٧٠ ٦			

عن ميري رزق الشيخ كليب [جنبلاط] بالاقليم مستجد سنة ١٢٤٤

	١ ٣ ٥٤	في جزين	مال
	٤ ٣ ٥½	في وادي جزين	مال
	٦ ٣٣٥	بروم وقطين	مال
٢ ٧ ٧٨٩	١ ٤ ٣٩٤	تاني مال	شرحه
٨ ٧ ١٣٥٥٩			

ميري رزق الشيخ علي نجم[2] مستجد سنة ١٢٤٤

	٧ ٧ ٦	رزق بيسره[3]	مال

واحزاجهم فنفا عنهم الامير. ولذلك فرض على املاكه كما نرى مالاً واحداً. (راجع تاريخ اعيان لبنان صفحة ١٢٦)

١) المراد بالدفتر البراني دفتر آخر وضع من جديد غير دفتر الخراج العام الذي تحرر سنة ١٢٤٤ وسنة ١٢٤٥، وكان المعدة عليه بتحرير هذا التقويم، او بنقله عنه كما يظهر من التصريح بذكره مراراً.

٢) الشيخ علي نجم هو علي بن بشير بن نجم علي جنبلاط الكبير، كان اغنى افراد اسرته بالمال حتى كان الامير بشير يلتجئ اليه اذا كان بحاجة الى المال. ونظن انه لم يكن من المعادين للامير. ولذلك فرض على املاكه مالاً واحداً لا غير.

٣) الكاتب يجري على لغة العامة او لغة الدواوين فيكتب تارةً بسري وتارة بسره على السواء، كما يكتب مال الميري والميره، والمربه والمربي، والملّاكه والملّاكي، وامثال ذلك

		٣ ٤ ٥٥	عن حصته بالخربي[1] وهي النصف مال
		٤ ٤٣	عن حصته في صليا النصف مال
		٢ ٧	الخوري فرنسيس من بسري[2] مال
٨	٢١٦	٤ ١٠٨	مال ثاني

ميري رزق الشيخ بو سعده[3] مستجد سنة ٤٤

		٨ ـ ٢٠	عن رزقه ببسري مال
		٢ ٧ ١٢	عن وادي جزين مال
	٦٦	٣٣	مال ثاني
٢ ـ ١٤٩		٢ ـ ١٤٩	عن ميري رزق الشيخ قاسم حصن الدين[4] في سفاريه سنة ١٢٤٤ مالين

ميري رزق مشايخ بيت شمس[5] باقليم جزين سنة ٤٤

٧ ٧ ٧٣	الشيخ بشير في حيطوره	مال
١٥	المذكور بعين الثغرة	مال
٧ ٧ ٣	المذكور ببسرة	مال
٥ ٤ ١٥	الشيخ ذاته في بسره	مال
ـ ٦	الشيخ قاسم بجوار السوس وجزين والوادي	مال

١) المراد بالخربة خربة بسري.

٢) لم يزل في بسري الى اليوم من سلالة الخوري فرنسيس المذكور من اصحاب الاملاك فيها يُعرفون ببيت الخوري.

٣) لا نعلم من كان هذا الشيخ.

٤) كان الشيخ قاسم حصن الدين من دُعاة لبنان في عصره، فكان عمدة الشيخ بشير جنبلاط الشهير في حياته. وبعد موته سنة ١٨٢٥ لاذ آل عنو الامير بشير، فصار عمدته في تمام اموره مع الدروز. وبعد سفر الامير من لبنان سنة ١٨٤٠، عاد الى حزب آل جنبلاط وصار عمدة سيد بك جنبلاط. (راجع تاريخ الاعيان لطنوس الشدياق صفحة ١٧٤ وما يليها)

٥) بيت شمس او بيت شمس الدين من كبار مشايخ الدروز من غريفة، وان لم يكن لهم ذكر في تاريخ اعيان لبنان.

	٧ ـ ٣	الشيخ حسين في جزين وبسره مال
٩ ٢٣٦	٣ ٤ ١١٨	مال ثاني

ميري رزق مشايخ بيت ابو هرموش[1]
باقليم جزين مستجد سنة ١٢٤٤

	ـ ١٤	الشيخ عبدالله اخو الشيخ قاسم عن حصته بالباقي في ابتدين اللقش مال
	٧ ـ	الشيخ خطار في بسره مال
	٣ ٤ ١	الشيخ عبدالله في الحرف مال
٣٣	١٦ ٤	ثاني مال

ميري دير المخلص ودير السيدة
بالاقليم المذكور مستجد سنة ١٢٤٤[2]

	٣ ١	في بسره مال لدير المخلص عن النصف
	٣ ٤ ٥٥	للدير المذكور عن حصة بالخربة [خربة بسري] مال
	٣ ـ ٢٣	ايضاً له عن عمواريت[3] التحتا مال

---

١) بيت ابي هرموش من اقدم واغنى مشايخ الدروز في الشوف ، وان لم يكن لهم تاريخ خاص في كتاب تاريخ الاعيان . ومنهم محمود باشا ابو هرموش الذي كان له شأن عظيم في عهد الامير حيدر شهاب ، وهو اول من نال لقب باشا من اهل لبنان .

٢) عندنا وصل بمال الميري عن الداوديات بتاريخ سنة ١٢٦٣ هجرية بامضاء علي جنبلاط ونجم جنبلاط شركا رهبان دير المخلص فيها . والداوديات تابعة قرية بسري ، لكن في اقليم الخروب لا في اقليم جزين . وهذا نصه :

وصلنا من رهبان دير المخلص عشر قروش نصفهم خمس غروش من ميرة الداوديات حرر في شهر ربيع الاول سنة ١٢٦٣ نجم جنبلاط علي جنبلاط

وايضاً تابعهم ميرة البزر (الحرير)

٣) عمواريت غلب عليها اليوم اسم حواريت ، وهي اليوم تابعة لقرية قنالة التي كانت لذلك العهد تابعة قرية بسري .

	٧ ـ ١٠	دير السيدة عمواريت الفوقا مال
٢ ـ ١٨١	٦ ٧ ٩٠	مال ثاني

ميري دير مشموشة

	٤ ٤٣	عن حصته بصليا النصف مال
	٧ ١٨	عن حصته بالحرف مال
	١ ـ ٧١	عن حصته في بتدين اللقش مال
٢٦٥ ٥	٥ ١٣٢	ثاني مال
	٩ ٧ ٤٢	عن ميرة الرزقة الذي اشتروها[1] في بتدين من المشايخ قاسم واسعد واولادهم من اصل ٩ ٧ ٥٦ وكالتها ـ ١٤
	٩ ٧ ٤٢	ثاني مال
	٢ ـ ١	عن ملك راشد بمكانه غرش ونجم الحاج ١٢ فضة
	ـ ٨٦	عن حصة الدير المذكور بالميدان مالين
٥٢٥	ـ ٨٦	يخص ملاكة الميدان فلاحين
٩ ١٤٩٦٦		

اقليم التفاح[2]

٥ ـ ٣٨٦	لبا	مالين
٩٢	عين الدلب	مالين
٨ ـ ١٤١	كفرنا الفوقا	مالين
٧ ـ ٨٤	مراح كيوان	مالين
٧ ٧ ١٠١	حيتولة	مالين

١) يرجع ضمير الجمع في قوله اشتروها الى رهبان دير مشموشة.

٢) كان اقليم التفاح لذلك العهد من املاك آل جنبلاط واحلافهم الدروز واملاك الامراء بيت ارسلان. ولم يكن فيه للنصارى املاك تستحق الذكر، الا املاك يوسف بك الميض الذي كان يملك اكثر من خمس عشرة ضيعة، وبيت الخوري في قرية برقي اجداد المرحوم غله بك الخوري.

٥	٧٢	وادي بعنقودين مالين
٥	٢٠٥ ٧	وادي اليمون مالين
٢	٣٢٠ ٤	برقي مالين الميره عدا حصة الدولة[1]
٤	٣٣٣ ـ	كفرحتا مالين الفايض غروش ـ ١٤٥
٩	٩١ ٧	بيصور التفاح مالين
٣	١٨٧ ٧	الحانيات الفوقا والتحتا مالين
٣	١٤٩ ٤	المجيدل مالين عدا عن حصة الدولة
٤	٢٢٥ ـ	جنسنايا مالين بعد ترك حصة عبد الملك خاصة الدولة ٤ ١٢ غرش
٨	٧٩ ـ	شواليق مالين الميرة
٤	٤٣ ـ	كرخا التحتا مالين الميرة منها ما يخص جنابه[2] ٧ ٧ ١١ غرش الشركة ٧ ـ ٢
٤	٢٨٧ ـ	المحاربية مالين الميرة عدا حصة الدولة
٤	٢٢٥ ـ	عبرا مالين عدا حصة الدولة غروش ٤ ـ ٨٧
٦	١٦٦ ٧	زغدرايه مالين الميرة
٥	٢٣٩	الصالحية مالين الميرة
٢	١٨٢ ٧	جرنايه مالين الميرة عدا حصة الدولة
٥	٤٣٨	كفر فالوس مالين: الشركة ربع الاغراس ٢٥٧٥ — يخص جنابه ٨ ١٦٩ — الفلاحين ٢ ـ ٢٤٣

١) كان في بعض القرى من اقليم التفاح املاك تخص سنجق صيدا المجاور لها ويقال لها املاك الدولة. وكانت هذه الاملاك تابعة للولاية مع سكانها الى آخر ايام الحرب الاخيرة. وكان وجودها في قلب هذه القرى اللبنانية مدعاة لمشاكل كثيرة بين رجال حكومة لبنان ورجال حكومة الولاية. فانه في قرية برقي مثلاً كان بيت واحد لا غير يخص الولاية. والباقي منها يخص لبنان. وفي بعض القرى كانت حصة الولاية مشاعة فيها كالنصف والربع. وكان ذلك يشل الارض وسكانها.

٢) نظن ان المراد بجنابه الشيخ بشير والمراد بالشركة الشركاء معه في رزق القرية

٥ ٧ ٦٥	عريض ناصر	مالين
٥ ٤ ١٢٨	كفربرة	مالين
٨ ٤ ٧٦	كفرتيه	مالين
٧ ٢٦٨	مجدليون	مالين
٢٤	جبل الاعور	مالين
١٣٠	مغدوشه	مالين
٣ ـ ٢١٨	الاسطبل	مالين
١٣٠	الهلالية	مالين
١ ٩٠	كفرشلال	مالين عدا حصة الدولة

عن ميرة جل البرميل في زغدرايه

٧ ٥١٩١ ٨ ٤	يخص حنا الزهار	١ـ٩
	يخص حنا رعد	٧
	يخص برجس الخوري واخوته من برتي	٢٤٩
٩ ـ ٢٠١٥٨		

اقليم الخروب

مال ميرة مالين

٢٢٢٧	عانوت
٧٩٧	داريا
٧ ٨٠٧	حصروت
٤ ـ ٧٠٢	الزعرورية
٧ ٥٦٧	بسابا
١٠٣	بكيفا
٤ ٤ ٢٧٤٥	شحيم

٤ ـ ١٠٩٤		مزبود
٧ ٧٢٠		البرجين
٧ ٧ ٥١٤		سبلين
٨٣٨		كفرماية
٧ ٧٢٠		الرميلة
١١١٩		المغيرية (مع مجدلونا)
١٠٣		علمان
٨ ٢٠٥٨		جون مع العوارض غروش١٤٥ بعد خصم ديوس[1]
٨ ٧ ٦٦		اسم يوسف بو شقرا ديوس يوسف بو شقرا واولاد اخوته عن نصف السرعونيه المنشراة من البطرك مالين ٣٠ (تابعة لجون) عن نصف الثاني منشرى من الشيخ بشير بموجب الخراج ٣٦٧
٤ ١٦٣		خربة المراح [مراح الظهر]
٢ ٧ ١٥٣٤٨		

١) مال العوارض مال كان يُضاف على مال الميري او الديوس ، وهي كلمة لاتينية يونانية من بقايا لغة الروم ومعناها العشر ، ومنها الاسم الفرنساوي dimes ، والمراد بها مال الخراج . وقد وُضع هذا الرسم على املاك بيت ابي شقرا من اهل عاطور التي اشتروها من املاك آل جنبلاط، وكذلك املاك بطريرك الروم الكاثوليك الذى كان يقيم في دير المخلص بجوار جون . وكانت جون كلها او اكثرها من املاك بيت جنبلاط . ولذلك وضع عليها رسم ديوس وعوارض ومالين .

ثم كان دير المخلص لذلك العهد تابعاً بخراجه لقرية جون من اقليم الخروب . وكذلك كان دير السيدة ودير الراهبات تابعين له مع معظم ارزاقهما . واكثر املاكهما في الاصل من الاملاك الجنبلاطية ومن املاك المراشة، وان كان لها بعض الاملاك في قرية بسري من اقليم جزين المتقدم ذكرها . ويظهر من بعض اوراق عندنا ان سعيد بك جنبلاط ، ابن الشيخ بشير جنبلاط المشهور ، كان يملك وحده من الاراضي في قرية جون قدر نصفها . وكان عليه بعد سنة ١٨٤٠ ثلث مال الميري ، وعلى الاديرة المذكورة الثلث ، وعلى الاهالي الثلث الآخر وقدر الثلث نحو ١٦٥٠ قرشاً ، وقد كان يزيد هذا المبلغ بزيادة الارزاق المستجدة .

ميرة برجا بموجب خراج سنة ١٢٤٤

١٧٥٨٩ ٨ ـ ٢٢٤٠	مال عن درهم ٦٣٢٣ عن كل عشرة غرش	٢ـ٦٣٢
	ثاني مال شرحه	٢ـ٦٣٢
	عن خلة البوم بموجب حكرها	٦
	بعاصير بموجب خراج سنة ١٢٤٤	١ـ٧١
	ثاني مال	١ـ٧١
	دلهون مالين سنة ١٢٤٤	٥٣٦٧٦
	الدبية مالين مستجد	٢٨٥٧٦
	عن حكر في جبل القبة الى سلوم نادر[1]	٥

٩ ـ ٣٧٧٤٧

ميرة الشوف

٧ ٣٥٤٤	بعقلين	مالين
٦ ١٠٢٦	عنبال	مالين
٦ ٧٥١	عترين	مالين
٦ ٧ ١٦٤٣	غريفة	مالين
٧ ٣٩٧	الكحلونية	مالين
٦ ٦٨٠	الجديدة	مالين
٧ ٧ ٨٩٢	المزرعة [مزرعة الشوف] ودفتر بيقون مالين ميرة الضيعة	
٤ ـ ١٣١٣	مالين ميرة الدفتر	
١ ٧ ١٤٣	دفتر القليعة بخراج سنة ٤٥ مال بعد اخراج اسم ميخايل جدعون بالحجج[2]	

١) هو سلوم نادر البستاني، اخو المعلم عبدالله البستاني، وجد سليمان البستاني الوزير الثاني المشهور، معرّب الالياذة.

٢) ميخائيل جدعون المذكور كان بلوكباشي عند الامير اي رئيس فرقة من الجند وقد سافر معه في منفاه الى مالطه. ولذلك لم يكن على املاكه مال الميري بطريق المعافاة والاتمام.

٧	١١٣	ثاني مال
١	٧ ٤٩	ميرة السمقانية ميرة سنة ١٢١٥
١	٧ ٤٩	شرحه ثاني مال
	٨٨٠	المختارة مالين
	٧ ١٧٨٩	حارة حريم[1] مالين
٤	٤ ١٣٣٧	حارة جندل مالين
٦	٧ ٧١٣	عين قني مالين
	٤ ١٠٠٩	باتر مالين
٦	٨٠١	جباع مالين
	٧ ٧٥٣	موستي مالين
٤	٢٨٣١ ـ	بيان تفريق ميرة نيحا على الاربع طرايف

بني قصيق مالين ٦٦٦٧٣
بني خميس مالين ٨٠٧٧٩
بني ركين مالين ٥ ٨٣٢
نصارة نيحا مالين ٥٢١٤٧

٤ ٢٠٧٥٢ ٢٨٣١ـ٤

	١٧١٠	ميرة بعضران [بعدران] مالين
٦	٨٧٥	الخربية مالين
٤	٢٣٠٣ ـ	المعاصر مالين
٤	٤٧٣ ـ	بطحة مالين
٥	١٠٧١ ـ	دفتر براتي عماطور وبعضران

---

١) ليس في الشوف بلدة بهذا الاسم. ولعل المراد بها دار الشيخ بشير جنبلاط اطلق عليها هذا الاسم «دار الحريم» بعد قتله في عكا بايعاز الامير. وكانت سنة ١٨٣١ و١٨٣٢ خالية من اولاده الذين هاجروا من لبنان وانحازوا الى عسكر الدولة العثمانية لمحاربة جند ابراهيم باشا والامير بشير. ومما يرجح هذا الظن عظم المبلغ الباهظ الذي فرض عليها. وربما يكون المراد بها مزرعة حوش حريم المجاورة للبقاع الغربي، وهي من املاك آل جنبلاط.

٤	٨٦٩	نيحا والشامخه وعاريه دفتر براني
	٢٦٠	العوامية على اهالي باتر دفتر براني مالين
٧ ـ ٢٨٣٧٦	١٢	عن رزقة في المشانيه وعاريه الى سلوم نادر[1] حكر
٦ ≤ ٦٦١٢٣		

مال ميرة العرقوب

٤ ـ ٢٤٣٧		ميرة الباروك مالين
٦	١٣٤٤	الفريديس مالين
٦ ∠ ٨٠٧		بتلون التحتا مالين
∠ ٢٦٧		بتلون الفوقا مالين
	٥٠٠	عين وزين مالين
٤ ≤ ١٢٠٦		بهريه مالين
	١٤٠٨	كفرنبرخ مالين
٦ ∠ ٢٤		دفتر مستجد في عين وزين عن ارزاق منباعة من الترك عن مالين
	١٢٢٩	مجدالمعوش مالين
٤ ـ ١٣٦٠		بريح مالين
٨ ∠ ١١٣٥		ميرة عنداره ميرة مشايخ بيت عطاالله
٤	٧٧٨	مشايخ بيت العقلين وبيت زينونه
٢ ـ ٧٣٩		ميرة نصارة عنداره مالين
٦ ≤ ١٥٤		ميرة كفرنيس وشوريت والمريجات من خراج عنداره مالين
	٦٠٤	العزونيه بعد خصم اقلام حرف لوزه
٣ ≤ ١١٧١		دفتر الحمره ووادي الدلم بخراج سنة١٢٤٥ مالين
≤ ٤٣		دفتر حما الحمره والنوته مال واحد

١) سلوم نادر: راجع ص ٢٢٥

٨ ≤ ١١٦ دفتر كفرنيس مالين

٨ ≤ ٢٨٤ دفتر البصنيه مالين

٨٩٦ عهدة الشيخ حسين وسلمان العيد عدا كفره وعين زحلته مال واحد

٨٤ < ٣٤٤ الورهانيه مال واحد

٣ – ٧٧٦ اغميد مال

٢ ١٩٧٤٩ ١٤ ١٠١٧ مال ثاني

٨ ≤ ٨٥٨٧٢

عهدة المشايخ النكدية[1]

٣ < ١١٩٤ الدير [ديرالقمر] بعد خصم ميري بطرس الجاويش[2] من الاصل ١٩٤ سنة ١٢٤٤ مال

٩٤ ≤ ٥١ دفتر الجنينات

٤٥٠ ديردوريت مال

٧ ≤ ١٦٥ الجاهليه مال

٧ ≤ ٣٧٠ كفرحيم مال

٧ ≤ ٤٦٨ دير بابا مال

٦ < ٣٤٣ دفتر دميت مال

< ٤٧٥ كفرقاقود مال

٣) < ٣٢٣ بشتفين مال

٣) – ١٤٣ دركوشه مال

٣) < ٢٠٣ كفرقطره مال

---

١) يظهر ان المشايخ النكديين عادوا حينئذٍ الى الدخول في خاطر الامير بشير. ولذلك نرى ان قد وُضع على القرى التي بعهدتهم مال واحد.

٢) بطرس الجاويش كان من كبار تجار ديرالقمر بالحرير والشرانق وكان عميل الامير بشير يشترى حاصل مواسمه. ولهذا السبب اعفي من رسم الدبوس على املاكه. وهو والد خليل الجاويش، اول قائمقام لزحلة والكورة.

٢٧٣ ٩ ٤	دفتر مزارع الشوف خراج سنة ٤٥ بعد خصم ضريبة المراح وبصنيه	
٧١٩ ٧ ٤	عبيه	مال
٢٠٥ ٣٧	بموزته منها ٧٣ ٧ بيت عز الدين ١٣١ ٣٧ بيت العياش	
٨٢٣ ٣	كفرمتى	مال
٤٧٠	الناعمي	مال
٦٠٦ ٦ ٤	البنيه	مال خراج سنه ١٢٤٥
١٤٠	عين كسور	مال
٢٨٣ ٣ ٤	سلفايا	مال
١٦٦ ٧ ٧	دفتر بقعات	مال خراج سنة ١٢٤٥
١٩ ٦	ميري المشايخ حمود وناصيف مال عدا اسهم	
٣٦١ ٤	دفتر اقلام الشجار	
٨٢٦٠ ٧ ٩	ثاني مال	
١٥٨٠ ٨ ٤	عن دفتر عين صوفر مالين الميرة	
١٨٣٣٠ ١٢ ٤ ٢٢٨	دفتر حرف لوزي مستجد سنة ١٢٤٤ مالين	

عهدة الشيخ شبلي عبد الملك

٣٦٠	شانيه	مال
٧٢٨ ٧	بجمدون	مال
١٧	حصته من كفرعمي	مال
٥٧ ٤ ٤	الاقلام	مال
١١٦٣ ٤ ٤ ٢٣٢٧ ٧ ٨	ثاني مال	

عهدة الشيخ فندي

٨٢٣ ٤	مجدل بعنا	مال
٣٦٠	المشرفة	مال

	١٧٨ ـ	الاقلام	مال
	٧ ٢	حصته من كفرعميه	
٨ ٢ ٢٧٣٨	٤ ـ ١٣٦٩	ثاني مال	
١٠٩٢٩٦٤ ٧ ـ			

عهدة مشايخ التلاحقة اولاد الشيخ كليب

	٦٦٢ ٢	شارون	مال
	٣٦٠ ـ	الرمليه	مال
	٥٥٠ ٢	بتاتر مال بعد خصم فرايض المشايخ الصغار سنة ٥٢	
	١٨٥	معصريتي عدا الزيتون	مال
	١٥ ـ	ما يخصهم من كفرعميه	مال
	١٤٢	الاقلام	
	٣٦٠ ـ	شرتون	مال
	٣٩١ ـ	بدغان	مال
٥٣٣٤	٢٦٦٧	مال ثاني	
٣٧	٣٧ ـ	ميري سيريا على مشايخ بيت الخوري[1]	مالين

ميري ارزاق المشايخ التلاحقة في بسوس

ميرة جديدة خارج عن دفترهم مالين

عهدة اولاد الشيخ ابرهيم عن غرب الفوقاني مال

	١١٩ ـ	حصتهم[2] من شملان	ثلاثة ارباع
	٥٠	حصتهم من عيناب	الربع

١) مشايخ بيت الخوري كانوا يسكنون في رشميا وعين تراز . وسيريا محرفة عن سير وهي قرية بجوار رشميا . ولم يذكر في هذه الجريدة ما يجب ان يدفعوه للامير عن رشميا وعين تراز التي كانت بمدغم وربما كان سبب ذلك اخلاص موالاتهم للامير بشير .

٢) ضمير الجمع في حصتهم يرجع الى المشايخ التلاحقة . وضمير المفرد بخاصته يرجع الى الشيخ ابرهيم .

	٧٥	حصتهم من عيتات	الربع
	٣٦ ٤	حصتهم من كيفون	قيراط ٩
	٨١ ٧	بمكين والرويس	خاصته
٥٠٨	١٤٢ ٦	حصتهم من بسوس	قيراط ٩

عنا يتبع المشايخ التلاحقة

	١١٣٣ ٣	عاليه	خاصته
	٣٣ ٤	حصتهم من رحتا (رحاتا)	قيراط ٩
٦ ٢٣٣٤	١١٦٧ ٣	مال ثاني	

المشايخ المرقومين عن غرب التحتاني

	٦٦٥	بشامون	خاصته مال
	٥١٤	دير قوبل	خاصته مال
	٨٨	الفساقين	النصف مال
٢٥٣٤٧	١٢٦٧	ثاني مال	

عهدة اولاد الشيخ بشير تلحوق في غرب الفوقاني مال

	١٣ ٤	حصتهم من عيتات	قيراط ٧٢ مال
	٤٥٠	حصتهم من بيصور	ثلاث ارباع
	١٠٠	حصتهم من مجدليا	النصف
	٥ ٢٨	حصتهم من رحاتا	قيراط ٧٢
	٧ ٦٠	حصتهم من كفره	النصف
	٥ ١٩ ٤	حصتهم من شملان	قيراط ٣
	٣٠	حصتهم من كيفون	قيراط ٧٢
	١١٨ ٤	حصتهم من بسوس	قيراط ٧٢
٧ ٩٤٦	٤٥	حصتهم من القاطيه	النصف

عهدة اولاد الشيخ بشير تلحوق في الغرب التحتاني مال

	٤٠٠	حصتهم من عين عنوب النصف

		٣٥٨	حصتهم من عرمون النصف
		٧ ٩١	حصتهم من سرحول النصف
		ـ ٤٤	حصتهم من الفساقين الربع
٤ ≤ ١٧٨٦	٧ ـ ٨٩٣		مال ثاني

عهدة الشيخ حمد تلحوق

غرب الفوقاني مال

		١٣٠	حصته من عيتات قيراط ١٠٧
		١٥٠	حصته من بيصور ٦
		١٠٠	حصته من مجدليا ١٢
		٥ ٢٨	حصته من رحاتا ٧٧
		٧ ٧ ٦٠	حصته من كفره ١٢
		٥ ≤ ١٩	حصته من شلان ٣
		٣٠	حصته من كيفون ٧٧
		≤ ١١٨	حصته من بسوس ٧٧
		٤٥	حصته من القماطية ١٢
		١٥٠	حصته من عيتات ١٨
٤ ≤ ١٦٦٤	٧ ـ ٨٣٢		مال ثاني

عهدة الشيخ حمد تلحوق

الغرب التحتاني مال

		٤٠٠	حصته من عين عنوب النصف
		٣٥٨	حصته من عرمون النصف
		٧ ٩١	حصته من سرحول النصف
		ـ ٤٤	حصته من الفساقين الربع
٤ ≤ ١٧٨٦	٧ ـ ٨٩٣		مال ثاني

١٢٦٣٠٢٧٢ـ

جناب الامير بشير [ارسلان] عن الشويفات والدفاتر

٢٠٤٨ الشويفات مال

٢ ٣٥٢٧ دفتر الجرامنيه وكفرشيما وفرطه بخراج ٤٥

٤ ٧ ١٤٧ دفتر خلده مال مستجد ٤٥ بمطره درهم ١٢

٩ ـ ٦٠ دفتر مال النهر [نهر الغدير] خراج ٤٥

ـ ١١٥٦٦ ٥ ٥٧٨٣ مال ثاني

ميري برج البراجني

١٥ عن الحكورة المرقومة مقابله
- مار عبدا[1] ٥
- راشد النباله ٢
- الشيخ سلوم[2] ٢
- قاسم العرب ٦

٨ ٧ ١١٠٠ مال اول

٦ـ٢٢١٦ ٨ ٧ ١١٠٠ مال ثاني

٢ ـ ١٧٣٨ حانا مالين الميري

٢ـ١٩٠٥ ١٦٧ ميري القربي[3] مالين

عهدة الامير عبد الله مراد[4] واخوته

٤ ١٣٥١ مال الاصلي

٨ ٢٧٠٢ ٤ ١٣٥١ ثاني مال

٣٦٠٢ عهدة الامير علي مراد واخيه الامير سعيد مالين

---

١) هو دير مار عبدا لرهبان الموارنة بخراج المدث.

٢) الشيخ سلوم من بيت الدحداح من كتاب الامير بشير.

٣) نظن انها محرفة عن القرية.

٤) هو الامير عبدالله بن شديد بن الامير مراد الذي أمره الامير حيدر شهاب بعد موقعة عين داره، وهو جد آل مراد من بيت ابي اللمع اصحاب صلبا.

		٤ ٧٥٠	عهدة الامير سلمان مراد	مالين الثلث
		٤ ٧٥٠	عهدة الامير موسى مراد	مالين الثلث
		٤ ٧٥٠	عهدة الامير يوسف مراد	مالين الثلث
		٦ ٢٢٥٢	عهدة الامراء اولاد منصور مراد	مالين
		٤ ٦٣١	عهدة الامراء اولاد الامير بللمع	مالين
		٣٨٢	عهدة الامير عباس بسكنتا	مالين
		٣٨٢	عهدة الامير طرودي[1]	مالين
		٢٧٩	عهدة الامير حيدر واخيه الامير كنج	مالين
		٢٧٩	عهدة الامير درويش واخيه الامير علي	مالين
		٤ ٦٩٣٧	عهدة الامير حسن قيدبيه وعهدة عمه	مالين
		٤ ٦٩٣٧	عهدة الامير عساف وعمه	مالين
		٤ ٦٩٣٧	عهدة الامير حيدر اسماعيل وعمه	مالين
		٤٦٤	عهدة الامير منصور قيدبيه	مالين
		٤٦٤	عهدة الامير احمد	مالين
		٤٦٤	عهدة الامير نجم قيدبيه	مالين
		١٩٣٠	عهدة الامير فارس الراس[2]	مالين
٥	٣٦٣٣٤	٢١٣٦	عهدة الامرا [في] الشانيه	مالين

عهدة كسروان لجناب الامير عبدالله[3]

٥		١٢٠٤٥	مال بعد ترك الشيخ منصور[4]	٣٦٤٨
٥		١٢٠٤٥	ثاني مال	

١) طرودي وتكتب ايضاً طروده كان يقيم في بسكنتا، وداره لم تزل قائمة فيها.
٢) راس المتن حيث كان يقيم.
٣) الامير عبد الله المذكور هنا هو ابن الامير حسن شهاب اخي الامير بشير الكبير، فانه تولى من قبل عمه على غزير ومقاطعتها خلفاً لوالده الامير حسن.
٤) الشيخ منصور المذكور هو ابن الشيخ سلوم الدحداح من كتاب الامير بشير.

		عن مالين مستجد حدود خراج بسكنتا	
٢٤١٢٨ـ	٣٨	على مشايخ بيت ابو خطار [1]	
	١٥٥٥ ٤ ٩	دفتر مال النهر [2] بعد خصم الغلط بالدفاتر اسامي مفرقة	
٣١١١ـ٨	١٥٥٥ ٤ ٩	مال ثاني	
	١١٨ ٤ ٩	دفتر بكليك الغربي [3] سنة ٢٤٤ و١٢٤٥ مالين	
	ـ ١١٠٠	دفاتر كسر الاقلام وراجعي كسروان [4] مال عدا الطواحين	
	٤٣٥ ٤	دفتر انطلياس بعد خصم الذي فيه للحكم مالين	
	١٢٠ ٨	دفتر الحافريه [5]	مالين الميري
	١٨٧ ٢	دفتر دير ناعس البراني	مالين
	١٩٥ ٤ ٥	دفتر جوالي سغبين [6]	مال واحد

١) ابو خطار هو جهجاه ابن حنا الدحداح.

٢) لعلّ المراد بهذا النهر الاراضي التي يسقيها نهر ابراهيم.

٣) المراد بقوله بكليك الغربي بعض قرى البقاع الغربي التي كان يتنازع الولاية عليها الامراء الشهابيون من لبنان وولاة الشام، حتى قرّ القرار الاخير سنة ١٢٤٣ بشاجا بالاتفاق مع الامير بشير وصالح باشا والي الشام ان تكون للبنان وان يدفع عنها كلها الامير عشرين الف غرش. واكثر هذه القرى كانت ملكاً خاصاً للامراء الشهابيين وآل جنبلاط (راجع بشأنها تاريخ الامير حيدر صفحة ٧٩٠ من طبعته الجديدة في بيروت)

والبكليك لفظة تركية نسبة الى البك الحاكم. والمراد بها الاراضي التي كانت تخص حكومة ولاية دمشق في البقاع، والتي كانت تخص حكومة سنجق صيدا في اقليم التفاح، والتي كانت تخص حكومة سنجق طرابلس في الكورة ثم تولى عليها حكام لبنان الامراء الشهابيون ومن خلفهم من المتصرفين.

٤) نظن ان المراد بقوله دفتر كسر الاقلام المال الباقي من المال المفروض على ما كان في عهدة الامير عبدالله شهاب، حاكم كسروان من قبل الامير بشير الكبير. ويجب علينا ان نوضح هنا ان ذكر كسروان وانطلياس هنا مع قرى البقاع الغربي هو في غير محله، كما لا يخفى.

٥) لا نعلم اين تقع هذه القرية. ولعلها تكون محرفة عن الحفيرة. وهي مزرعة صغيرة بخراج قرية سغبين.

٦) الجوالي جمع جالية والمراد بها المال الذي يُفرض على الغرباء مقابل اقامتهم في بلاد السلطان او هي مال الجزية التي تفرض على اهل الذمة الواجب جلاهم واخراجهم من بلاد السلطان. والمستفاد من هذا ان اهل سغبين او بعض سكانها كانوا غرباء او يحسبون غرباء.

٤ ١٤٦ دفتر خربة قنابيت فار مع فرح مالين
٦ ١٩٦ دفتر عين زبده مال واحد
٨ ٢٢٠ دفتر عميق مال واحد
١ ١٥٨ دفتر سحمر حسب عادته مال واحد
١ ٢١٠ دفتر يحمر مال واحد
٣٠٩٩٤ ١٠ عن كروم استجدت في زلايا
٢١١٢٦٦ ١٢

بيان قاعدة اموال مقاطعة بلاد جبيل

عن مال واحد سنة ١٢٤٧

مقاطعة الفتوح

٢٩٨ رزق المشايخ بيت الدحداح
٨ ١٠٢ مزرعة محبوبة ومار عبدا هرهريا
٩ ٧٨ ارماود وتعيت والنخوري
٧ ١٨٢ المواد والبوار
٧ ١٣٣ غرشريا وشوان والصالحيه الفوقا والتحتا وحقل الكبير والصغير
٣٧٢ الصفرا
١١٢ حدشات
٨ ٢٤٣ يحشوش
٣ ٢١١ شحتول والغينة والمثاني ونهر النهير والمراج وبجاره
١١٤ غدراس
١٣٠ الحصين
٦ ٩٤٩ غبالي
١٠٥ قر الفوقا والتحتا والكنيسة والشمرة وترك [مال] الشيخ امين دحداح ٦٨

	٦ ≤ ١١٠	بزحل	
	٨ ≤ ٣٣	قامة	
٨-٣٩٠٤	٦ ٧ ٧٢٥	مال دفتر المشايخ بيت حيش مع ترك [مال] الشيخ امين عن مال	

مال ميرة بلاد جبيل

٧	٣١١	بنتاعل
-	٣٣١	الكفر [كفر جريف]
٥ ≤	١٥٦	كفون
١	١٢٣	الجدران
٢ ٧	٢٤	زروق
٤ ≤	٣٥٤	عمشيت
٤ ٧	٨٧	بهرمن
٨ ٧	١٤٧	حصرايل
٩ -	٢٣١	غرزوز
٩ -	٢٣٢	جدايل
٥	٦٢	كور [كور الهوى]
٨	١٦٢	شيخان
٩	٣٣٣	منصف
١ ٧	٣٨٢	البربارة
٣ ≤	١٣٠	كفر كدة
٧	٩٥	شمون
٦	١٩٣	فنال
٣ ٧	١١٠	اده
٨ ≤	٥٤	غرفين
٥	١٤٢	مجماز

٣ ـ ١٣٣	حبالين
١ ٤ ٢٠٨	حدالات [حصارات]
٩ ٤ ١٣٣	غلبون
٩ ـ ٢٤٩	مماد
٥ ≤ ٤١٧	كفاع
≤ ٣٧٩	بحسب [كذا]
١ ـ ١٤٥	بيت حباق [بيت حبق]
١ ٢٧١	عبادات [عبيدات]
٢ ≤ ٥٦٤	حاتل
٨ ـ ٤١٧	مشمش
٨ ٢٨٧	اهمج
٤ ٤ ٣٩	اللقلوق على اهمج
٢ ـ ١٧٧٦	ميرة سهل جبيل بعد ترك النلط على شاهين حنا الخوري نقل من السهل المذكور على اصحابه في حالات
٦ ٤ ١٣٧	مدرسة عين ورقة
٤ ـ ٥٣	المشايخ اولاد خازن الخازن
٣ ـ ٥٣	المشايخ اولاد راشد الخازن
٧٤ ـ ٢٦	المشايخ اولاد ابراهيم الخازن
٢ ≤ ٢٤	الشيخ كروان الخازن
٨٤ ٩٠١١ . ٦ ٣٢	المشايخ اولاد عبد الاحد باز
١٠٢٩١٥٤٦٤	

اول البطرون[1]

٨ ٤ ٢٩٨	كفر عبيدا

١) المراد بقوله اول البطرون بلاد البترون التي على ساحل البحر او بجوار البحر ، ويقال لها البترون السفلى تمييزًا لها عن البترون العليا .

٦	٧	١٨٢	ميرة اشحوم [تحوم]
٩	ـ	٦٩٤	ميرة صمار جبيل [سمار جبيل]
٩	ـ	٢٦	ميرة دير شرارح [شراح]
٩	٧	١٥١	جدبرا
٢٧		٢٢١	ادن [اده]
٤		٣١٠	بسنايا مع رزق يعقوب البيطار[1] ٩-٢٩١
٧	≤	٦٩٨	عيرين
٦	٧	٢٣٠	كفتون
٩		١٦٨	بتعبوره
	٧	٣٩	يتبعها ميرة نصب مال واحد
٣	ـ	١١٠	دير كفتون
١	≤	٣٣٧	بقسميا
٢	ـ	٢٦٨	كفرحي
	٧	٢٥٠	كور البطرون
٩	ـ	١٦٧	رشكيدا
٦	٧	٤٧٠	بجدوفل
	٧	٣١٩	كفيفان
٣	ـ	١٤٧	صنار
٧	٧	٢١٧	جران
٨	٧	١٨٧	جربتا
١	≤	٣١٨	تولا
٣	٧	٣٥٠	عبدلي
٥		٧٩	دربه [دربلاه] والبقيه

١) يعقوب البيطار هو ابن الشيخ سمان البيطار ، كاخية الامير يوسف شهاب ، الثاني في الرتبة بعد الشيخ سعد الخوري ، واصله من غوسطا كسروان . لكن توطن هو وسلالته بلاد البترون .

٦	٣٥٣	صورات وعزز [عرتز]
≤	١٠٨	كفرحتنا
٥ ∠	٣٥٧	حلتا
٥	١٠٧	جبلا
∠	١٤٥	راشا
٦٧	٨٦	الملالي
١ ∠	٢٢٣	حدتون
٣	١٣٤	محمراش [محمرش]
٥ ≤	٧٣	مار ماما
٦	٢٤٤	زان
٦٧ ≤	١٦٤	الذوق
١٧	١١٧	مسرح
٢ ≤	١١١	رام
٨	٥٦٠	شبطين
	٥٣١	سراح الحاج
٧٧	٢٧	مزرعة سيدة هيا
٧	١٥٩	مزرعة الشيخ عيسى الملحم
٥	٥١٦	بشتودار
٩ ≤	٧٥٣	بشملا [بشملي]
٣٧	١١٤	حارة البكليك شلالا [حارة بيت شلالا]
٦ ≤	٣٥٠	كفرحلده
≤	٥٤٢	الكفور [كفور العربة]
≤	٥٠٠	حردين
١٧	٨٠٧	دوما
٥٧ ∠	١٦١	دير مار يوحنا [للروم بجوار دوما]
٩	١٠٨٨	تنورين

	٤٠٨ ≤	المشايخ اولاد بو طربيه	
	٣ ٦٩	كفرحي	
	٣٧ – ٦٤٨	دير ميفوق	
	٨ ٣٥	ارض الحما	
	٢ ١٩١	دير حوب	
٣٧ ١٦٣٩٣	٤٥٠	دير كفيفان حكر	

قرايا الجرد

	٩ – ٦٤٦	لحفد
	٨ ≤ ٤٥٣	جاج
	٢ ≤ ٣٢	ارض الجبل على جاج ٢٦٧٧٢ وعلى ترتج ٦٥٧ قرطبا للمشايخ
	٧ ٤٠٨	حصة اولاد ابو بريده
	١٧ ٦٧	مال المشايخ
	٢ – ٣٥٥	المشايخ اولاد ابرهيم
	٦٧ ≤ ٦٥	مال المشايخ ارض الحما
	٤ ٧٢	على اهالي قرطبا ارض الحما
	– ٣٦	دير مار سركيس عن ميرة الحما في قرطبا
	– ٩٤٣	الماقوره
	٨ – ١٠٢	ميرة المشايخ بيت ابو هاشم [عماد] في الماقوره
	٩ ١٥٢	قاعدة الرزق المباع من المشايخ اولاد اسماعيل حماده سنة ١٢٤٥ في بلاد البطرون
	٤ ١٠٦	في بلاد جبيل
	٧ ١٩٤	ميرة وطا القبة عنا خص اولاد يوسف باخوص
	٤ ١٠١	عنا خص مار جرجس علما دير المسابكه
٢–٣٧٦٤	٢٥٧	عنا خص المدرسة

القويطع

٢ ـ ٨٩٦	حامات
ـ ٢٧٠	اجد عبرين
١ ٧٣٧	راس نخاش
٢ ٣٩٥	وجه الحجر
٢ ٣٠٢	المجر
٢ ٢٩٧	بدنايل
٤ ٢٩٦	كفريا
٣ ٣٦٠٧	كفرحتا
١٢٨	المجدل
٥ ١٢٨٧	سلماتا
٣٧٧	مزرعة حنوش
٥ ٤٦٧	كلبانا خاصة اولاد برحيدر
٤٠	حكر مدرسة عين ورقة
٣٧ ١٣	بيرة نصب تين
٦ ـ ١	عن نصب اجدعبرين عن مال
	٥٧ ٣٠٢٠

بيرة المشايخ اولاد جرجس بو صعب
تابع الجرد [جرد البترون]

٥ ٥٤٧	عن مزرعة الحاج حسن وعابدين وراس دبين
٤ ٢٠٧	مزرعة الحاج حسن
٤ ـ ١٢٦ ٥ ٥١	كفركاوس [كفردلاقوس] والمرمرا والحكورة
	٥ ٢٣٣٠١

الكورة

١٢٤	شكا
٩ ـ ١٢٤١	اميون
٨ ≤ ١٦١٩	كوسبا
١٧ ≤ ١٩٧٧	كفرحزير
٦٧ ≤ ٥٠٨	حصة الشيخ غندور [الخوري] في ترزا ٥ ـ ٣٧٠ ترزا ١٧ ١٣٨٧
٥٧ ١١٠٧	مزارع البكليك في كفرعقا
٣ ≤ ١٥٤	عابا
٩ ≤ ٢٠٢	بدبا
١١٠	دار بشمتار
٧٦	دار شزنا
٥ ٢١٣٧	بزيزا
١٠	فدادين كوسبا
٨٥	داريا
١ ٣٣٧	تابع البكليك كرم عابا
٨٧	ميرة فرع النجار
٥ ١	عنا مستجد تابع البكليك سنة ٤٦ موسى عيسى من يتعبوده
٧	برجس عيسى
٧	يوسف كنعان
٩	سلمان نصار
١ ٢٧	عنا مستجد نفدات مفتدة

١٠٨١٠ ≤ ٧٧

الزاوية

٧٧ ـ ١٤٥١	دير تزحيا بالزاوية
٤ ٢١ ٧ ,,	دير قنوبين
٨ ـ ٨٧٦ ,,	عهدة الشيخ ميخايل ضاهر عرجس
٥ ٧ ٧١٨ ,,	ادن[1]
٤ ـ ٣١١ ,,	بسبعل عهدة الشيخ سليمان ضاهر
٧ ـ ٧٤٨ ,,	كفردلاقوس
٣٠	حكر دير بزمار عن الشوتيات
ـ ١١٤	من عربو سبط
٥ ٢٠	بستان لحود على الشيخ غندور
٧٧ ـ ٥٥	دير مار سركيس [في اهدن]
١٧ ـ ٧٢٥ ,,	اهدن عهدة الخوري يوسف ضاهر
٥ ١٣٤	كفريشيت
١١٢ ٧	كفريا
٥ ـ ٢١	جربق
٧ ٩٦٤	عهدة الشيخ شاهين ضاهر عن تلات ارباع كفرحون واجبع
٢٧ ـ ٢٢٨	عن مزرعة عساف
٧ ـ ٢٤١	عهدة الشيخ قيس ضاهر عن مال كفرحورا
٩ ٧ ٦٠٧ ,,	كفرزينا
٧٧ ـ ٤٣٨	رشعين
٥٧١ ,,	اصنون بعد خصم الغلط غير ١٠
١٦٠	ميرة المشايخ جرجس روحانا وابن عمه البدوي ابن موسى

1) ربما تكون محرفة عن اردة او عن اهدن

٤٩٥ـ٣٧	كفرحاتا
ـ٩ـ١١٨	المشايخ اولاد غالب الحاقلاني
١١٩٠ ٤٧	زغرته
٤٦٩ـ٧٤	بشنين
٧٥ ٥	مزرعة الخالديه الى بيت الشدياق
٣	مال براني المشايخ اولاد سركيس زيتون زكا براني الخالده
٣ـ٥	المشايخ اولاد بركات كرم عيسى
٤ ٨	المشايخ اولاد سركيس والشيخ الياس عبيد في درحليا
٢٧	زيتون المشايخ بيت ضاهر في درحليا
٧	لطوف الشي زيتون الخالديه
٧ ٥	تفريع خراج الخالديه اسامي معلومه في الرزمه
٦٨٧٥	ميرة ملاكة داريا
١١٤٠٠ ٤٤	

الجبة

٦١٥٤	دير قزحيا
٦ـ٤٨٧	عهدة المشايخ اولاد حنا ضاهر
٥٠٠	قنات
٥١٧	الوطا
٣ـ٧١٣	نصف بشري
٣ـ١٠٧	نيحا
٢٣٤٢	المدقور
٣ـ٧١٣	عهدة المشايخ رزق‌الله وشبلي الخوري نصف بشري
٧ـ٣٣٢	بزعون
٥٤٧٤٧	دير قنوبين

١ ١٢٩٦	عهدة المشايخ اولا ابو سليمان [عواد] حصرون	
٤ ـ ١٦٥	برحليون	
٢٣٣ ٤٣	نصف راس كيفا	
ـ ٦٣٦٢ ١ ١٠٩	دير حماطوره	

عهدة المشايخ اولاد عبيد بولياس الظاهر

٨ ـ ٢٦٧	كفرسغاب	
٩ ٣٠	المراح	
٨ ٣٠٠	تولا	
٦٧ ٧٠٩ ٤٧	ربع راس كيفا	١١١ ≤ ١٧

عهدة الشيخ انطونيوس لياس

٤ ـ ٢٨٥	كرم سدة	
١١١ ≤ ١٧	ربع راس كيفا	
١٠	طاحون العبيري	
٧٧ ـ ٢٧	مال بيت زعيتر[1]	
٧ ١١٣٦	الحوش	٧٠١ ٧٤

عهدة بيت كرم

١٠٤٩ ≤ ٦	اهدن	
٦٥	حدشيت	
٣ ـ ١٨٢٥	بقعكفرة	٧ ـ ٧١٠

عهدة الشيخ ليشاع الشدياق

٨ ١٤٥	عين تورين	
٣٩١ ≤ ٣	اجباع ومزرعة التفاح	
١٩٢ ٤٥	بيت شعيا	

١) فرع من آل الظاهر

	٤ ـ ٥٥	مال فلاحين سرعل
	٦ ٢٢٩	بقرقاشا مال الفلاحين
	١٦	مال قزحيا
	٥ ٤٤	مال بيت بوسليمان عواد
	٨٧	مال بيت باخوص
٨ ١٢٠٨	٩ ١٤	المذكورين [بيت باخوص] من مال بيت ابوسليمان

عهدة المشايخ بيت رعد [في الضنية]

	٧ ٣٩٧	الشيخ مرعي[1]
	٣ ٦٥٠	الشيخ محمد فاضل
	٣ ـ ٥٢٢	الشيخ علي
٩ ١٦٨٥	٦ ـ ١١٤	الشيخ حمد عدا الخراج

ملحق

ونضيف الى هذه القائمة:

اولًا : مجموعاً عاماً للمال الاميري مفصلًا حسب المناطق ، على ما ورد في القائمة المنشورة اعلاه :

٦ ـ ٥٦٥٠	جبل الريحان
٣ ٩٣١٦	اقليم جزين
٧ ٥١٩١	اقليم التفاح
١٧٥٨٩	اقليم الخروب
٧ ـ ٢٨٣٧٦	الشوف
٢ ١٩٧٤٩	العرقوب

١) الشيخ مرعي رعد كان اكبر آل رعد ، وفي سنة ١٨٣١ عهد اليه ابرهيم باشا بان يكون نائب مصطفى اغا بربر مقام طرابلس.

عهدة الامراء والمشايخ في الشوف والمتن وكسروان	١٢٥٣٩٣ ≤ ٣ر٥
بلاد جبيل	١٢٩١٥ ٧ ٦ ٧
البطرون	٢٣٣٠٤ ٧ ٥
الكوره	١٠٨١٠ ≤ ٧ ٧
الزاوية	١١٤٠٠ ≤ ٤ر
الجبّة	٦٣٦٢ ـ
عهدة المشايخ في الشمال	٦٥٦٥ ٥ ٧
	٢٨٢٦٢٥ ٧ ١ ٧ ٥

ثانياً : صورة حوالة مالية بستة اموال طرحاً بامر مشدَّد من الامير بشير بامضائه وختمه، بايعاز ابرهيم باشا، كما يستدل على ذلك بقوله: «تشرفنا برسوم شريف» وقوله: «حسب الامر الآصفي» (الوزاري)

المطلوب من ارزاق دير المخلص وارزاق الراهبات عن ستة اموال الطرح على حصتهم

بارة	غروش	
٨ ـ	٦	عن حصتهم في رزقة بسري
٨ ≤	٣٣٤	عن حصتهم في الخربة
٨ ≤	١٣٩	عن داودية التحتا
٢ ٧	٦٢	عن داودية الفوقا تخص الراهبات
٦ ≤	٥٤٣	جميعاً خمسماية وثلاثة واربعين وزاطة وستة فضة لا غير

عزيزنا رئيس دير المخلص وشركا المحلات المرقومين سلمهم الله تعالى بعد الشوق نعرفكم بخصوص الايرادات للخزينة العامرة بتاريخه تشرفنا برسوم شريف فحواه السامي المنيف مداركة الايراد . فحسب الامر الآصفي

امرنا بتوزيع المطلوب عن الطرح والوزانة في الحرير كما مشروح اعلاه . المراد تداركوا الايراد عن يد عزيزنا ناقله وامرناه بالتحوّل ولا يرتفع للخلاص

بشير
شهاب

وختم الامير موضوع في هذه الورقة وفي الورقة التالية على ظهرها ، على قفا امضاء الامير تماماً ، كالعادة الجارية لذلك العهد. والمراد بالطرح المال المفروض علاوةً على مال الخراج ، حسب الرسم المعتاد بالديوس في لبنان . وكان يؤخذ رسم خاصّ من حاصلات موسم الحرير في لبنان . ولذلك كان للحرير ميزان خاص بالحكومة يقال له ميزان الميري في دير القمر ، للشوف ، وآخر في زوق ميكائيل ، في بلاد كسروان وجبيل والبترون . وهما البلدتان المشهورتان بصناعة حياكة الحرير.

ويحسن بنا ان نذكر هنا امر الامير بشير برفع الجند المحوّل اليهم تحصيل المال المذكور ننقله بالحرف :

عزازنا حوالة الخربة والداورديات وبسري عن ارزاق عزازنا دير المخلص بالميري والطرح.

بخصوص عزازنا المذكورين اوردوا الميري والطرح عن ارزاقهم وارزاق الراهبات كما مدوّن علمهم مع خدمة الطرح . المراد ترتفعوا عنهم وتاخذوا منهم خدمة الميري تسع غروش ومصريتين لا غير . ومن وزانة الحرير المتوجبة عليهم من جهة الرزقة المذكورة مدون عليها بالقاعة الذي بيد اعزازنا المشايخ عبدالله مالك وطنوس جبيقة يستوردوها منهم كما مدون علمها معهم عرفناكم.

الفقير
بشير
شهاب

المراد بخدمة الطرح وخدمة الميري الرسم الواجب دفعه علاوة على ذلك

لمباشري الحكومة او الحوالية وهو الرسم الذي يدعوه الاتراك خرج راح.

***

ومن المفيد ان ننقل هنا ما ذكره الشماس انطونيوس ابن الشيخ ابي خطار العينطوريني في تاريخه للجبة المخطوط وعندي نسخة منه ، في تاريخ الامير يوسف شهاب ، بعد ان تولى مقاطعة الجبة تبعاً لبلاد جبيل والبترون من وزير طرابلس محمد باشا ابن عثمان باشا الصادق سنة ١٧٦٣ ، وبعد ان ازال من هذه البلاد مشايخ بيت حمادة بعدة مواقع لا محل لذكرها هنا ، قال :

ان الامير يوسف اجرى ديوس الجبة سنة ١٧٦٦ وكان معتمد الديوس الشيخ ابو فارس سمعان البيطار الذي كان كاخية ثانياً عند الامير وكان اليازجية الشيخ ظاهر الدحداح من غزير وفرنسيس عزيزة من اهدن . وعملوا الديوس على قدر مال البلاد فطلع على حمل الورق ثلاثين مصرية وشاهية وبذار شنبل الارض قرش وشاهية واصل الجوز نصف غرش واصل الزيتون ثماني فضه وماية جفنة الكرم نصف غرش وجيالة (جالية) الرجل المزوج خمسة غروش ونصف . والاعزب ثلاثة غروش الا ربع . وعلى هذا الحال مشى البلاد بكل امانة وراحة وعمّر البلاد ومشى فيه كل عدل واستقامة الى ان حصل النزاع بين الامير يوسف وبين الامير بشير الجالس اليوم في تخت ديرالقمر . وحين سعادة الامير بشير حكم بلاد جبيل وتوابعها مشى بها كافة الاحكام الشرعية وكل حق وعدل وامان من غير انحراف ولا ميل ولا محاباه . وبعد كم سنة من حكمه اجرى الديوس في مقاطعات بلاد جبيل وفي جبة بشري على المال (الرزق) مثل الديوس الاول . ومن زود عمار البلاد فرقت المطره (النتيجة) فحمل الورق صار عشرة فضة وبذار شنبل الارض زلطة وثماني فضة واصل الجوز والزيتون والكرم بقي على مطرته مثل الاول . وتم على هذا الحال . نسأل الله تعالى يجعل تمام كل شيء الى خير . امين

في تاريخ الفقه الاسلامي

ثلاث محاضرات

للدكتور يوسف شخت
الاستاذ بجامعة كونيكسبرج ، والاستاذ بالجامعة المصرية

٢

قدمنا في محاضرتنا الاولى بضع ملاحظات على الطريقتين الشرقية والغربية لدرس تاريخ الفقه الاسلامي وابدينا الكلام عن بعض مسائل متعلقة بعصرين هامين من تاريخ الشريعة : العصر التمهيدي وهو ما قبل الاسلام ، والعصر الأساسي وهو زمن فقهاء المدينة السبعة . وتتناول محاضرتنا هذه دوراً ثالثاً : الدور الذي تكونت فيه المذاهب. فاول مَن اسّس مدرسة في تاريخ الشرع الاسلامي هو ، كما نعلم الان ، محمد بن ادريس الشافعي. وكونه المؤسس لعلم حقيقي في الفقه امر يظهر بجلاء من كتابه الموسوم بالرسالة في اصول الفقه الذي بحث فيه عن طريقة هذا العلم ، كما يبدو من النظام الباهر الذي وضع عليه الشريعة في كتابه الكبير المسمى بالأم. وفضله هو انه بعث اليقظة في الفكرة الفقهية الاسلامية ، وانه لا يبرهن عند الحاجة الى الدلائل وابتغاء الوصول الى نتائج عملية فقط ، بل يبرهن دائماً ومبدئياً ، وانه يبحث ايضاً شروط الاحتجاج التشريعي وطرقه بوجه عام . وكتابه العظيم يتيح لنا ادراك طبيعة فكرته الفقهية وعناصرها ادراكاً تاماً ويمكننا من مقابلتها بآرائه في طريقة علم الفقه المعروضة في كتاب الرسالة. وخاصتها البارزة هي الدقة والجلاء اللذان يحملانه على مخالفة كثير مما كان مسلّماً به قبله دون ان يضيق بهذا افق تفكيره ودون ان يحصر نفسه في دائرة مخصوصة. فان اجتهاد الشافعي ليتجه على الاخص الى تنظيم الفقه ؛ ونراه يعمل بلا انقطاع على ايجاد تماسك بين الاحكام المنفردة وعلى التحاشي عن اي تناقض بين نتائجها الاخيرة. ومهما

يكن من امر السابقين واللاحقين في هذا الشان فان الشافعي كان له اعمق الاثر في تنشئة طريقة القياس التي ظلت من مميزات علم الفقه ؛ ونقصان التعريفات والتحديدات القانونية الفنية في الشرع الاسلامي يتصل مباشرة بالدور الحاسم الذي يقوم به القياس . من الطبيعي جدًا ان ذلك النجاح العظيم الذي لم يسبق له مثيل والذي افتتح في تاريخ الشرع الاسلامي عصرًا جديدًا قد احدث ضجة واسعة وافضى الى تأسيس المذهب الشافعي . ولكن كل هذا لا ينطبق على المذاهب التي سبقته وعلى الاخص المذهبين الحنفي والمالكي . والارجح انها نزعات عامة كانت قد بدت في نواحٍ مختلفة ، وما بينها من الخلاف يرجع قبل كل شيء الى اسباب جغرافية ومدنية عامة : إما بتنوّع القوانين العرفية المندمجة في الفقه ، وإما باتحاد العمل والعلم في نواح متماسكة ؛ اما اختلاف الاساليب والطرق الفقهية فليس له الا المقام الثاني . كذلك مذهب الحجاز لم يكن تقليديًا من حيث المبدأ بل من حيث انه يمثّل السنّة المدنيّة ؛ ومذهب العراق لم يكن اوسع حريّة من ذلك بل كل ما هنالك انه متفق وتطور حياة العراق المادية والفكرية التي تعرضت لكثير من التأثيرات الخارجية وامتزجت بكثير من العناصر الاجنبية . كان هذان المذهبان في مرحلتهما القديمة يحتاجان الى تنظيم محكم ، فهما لم يرتبا صفوف اتباعهما الا بتأثير المذهب الشافعي وعلى غراره . فاختار كل واحد منهما شخصاً ممتازًا ينتسب اليه جديرًا بتمثيله . والادلة كثيرة على هذه الطريقة من النظر في نشأة المذاهب الفقهية : فلقد ظلت التسميتان الاصليتان من « اهل العراق » و « اهل الحجاز » تطلقان على اصحاب هذين المذهبين حتى بعد عصر مؤسسيهما المزعومين ابي حنيفة ومالك ، في حين ان اصحاب الشافعي كانوا يُنعتون بهذا الاسم منذ اول الامر ؛ وانه لا يزال موضع شك في عدد كبير من الفقهاء ان يُعتبروا اعضاء للمذهب المالكي وخصوصاً للمذهب الحنفي او يعتبروا فقهاء مستقلين ، على حين ان مسئلة كهذه لا تلحق الشافعية . اما مالك فان الشهرة الشخصية العظيمة التي ظل يستمتع بها طول حياته لا بد ان تكون قد ساعدت على اختياره رئيساً نابهاً لمذهب الحجاز ؛ بيد ان هذه الشهرة قد عزتها اليه المصادر المتناهية

في القدم لنقده الدقيق للاحاديث ولرجالها لا لاجتهاده التشريعي البحت . وكون الشافعي قد ميزه بين اهل المدينة بان الف كتاباً صغيراً فيما خالف فيه مالكاً من المسائل ليس بعجيب لان الشافعي اخذ العلم منه. ونفس النجاح العظيم الذي لقيه كتاب الموطأ لمالك وحده بين عدد من الكتب المماثلة له يمكن ان يعلل ابسط تعليل اذا لم نعده كتاباً مبتكراً ذا آراء شخصية بل عددناه كتاباً يعبر عن اجماع المدنيين في عصر المؤلف ملتزماً الطريقة الوسطى مجتنباً التطرف في المسائل المختلف فيها . ولدينا ما يحملنا على الاعتقاد بان مالكاً قد توخى هذا الغرض وهو شاعر بذلك كل الشعور . اما في المذهب العراقي فواضح ان ابا حنيفة يشغل من حيث تطور آرائه مكاناً اقل شأناً بكثير من مكانة اصحابه ابي يوسف وزفر ومحمد بن الحسن الشيباني . وانما يرد ذكرهم كثيراً على هذا الترتيب في الكتب الاقدم عهداً ؛ وانما ذكر زفر وثبوت ثالوث ابي حنيفة وابي يوسف ومحمد وكذلك وضع قواعد للايثار عند الاختيار بين آرائهم المختلفة — كل هذا يرجع تاريخه الى عهد متأخر نسبياً . وليس لابي حنيفة فيما عدا الفقه الاكبر — وهو عقيدة وجيزة ذات روايات مختلفة بعضها موضوعة ولكن واحدة منها صحيحة — ليس له فيما عدا هذا كتاب صحيح من تأليفه ؛ لان مسانيد ابي حنيفة قد جُمعت فيما بعد من احاديث وردت في كتب اصحابه ؛ والاقوال الواردة عنه في مؤلفات تلاميذه لا يتجاوز غالبها المراجعات العامة يسندون بها اليه آراءهم الشخصية . وهذا يحمل على افتراض انه لا يرجع الى اجتهاد ابي حنيفة الشخصي من تفاصيل المذهب الحنفي الا شيء قليل .

وعلى الرغم من ذلك فان المصادفة السعيدة قد مكنتنا من ان ندرك على الاقل ناحية من شخصيته التشريعية . فقد حكى محمد بن الحسن الشيباني في كتابه المسمى بالمخارج في الحيل ما يأتي : « سئل ابو حنيفة عن اخوين تزوجا اختين فزفت كل واحدة منهما الى زوج اختها ولم يعلموا حتى اصبحوا فذكر ذلك لابي حنيفة وطلبوا الحيلة فيه فقال ابو حنيفة ليطلق كل واحد من الاخوين امرأته تطليقة ثم يتزوج كل واحد منهما المرأة التي دخل بها مكانها [فيكون ذلك جائزاً لانها منه في عدة ولا عدة عليها من الزوج الاول] . قال محمد وقد

جاء في هذا حديث عيناه ». ولا يسع احداً ان يزعم ان هذه الحكاية ليست الا انتقاء موضوعاً اريد به تعظيم حكمة ابي حنيفة ، لان عين ذلك الجواب موجود ايضاً في كتاب الآثار لنفس المؤلف مروياً عن ابي حنيفة عن حماد عن ابراهيم النخعي. واما الحديث الآخر الذي عابه الشيباني نفسه فقد احتفظ به شمس الائمة السرخسي في كتاب المبسوط قال فيه : « ذُكر لهذه المسألة حكاية انها وقعت لبعض الاشراف بالكوفة وكان قد جمع الفقهاء رحمهم الله لوليمته وفيهم ابو حنيفة رحمه الله وكان في عداد الشبان يومئذٍ فكانوا جالسين على المائدة اذ سمعوا ولولة النساء فقيل ماذا اصابهنّ فذكروا انهم غلطوا فادخلوا امرأة كل واحد منهما على صاحبه ودخل كل واحد منهما بالتي ادخلت عليه فقالوا ان العلماء على مائدتكم فسلوهم عن ذلك فسألوا فقال سفيان الثوري رحمه الله : فيها قضى عليّ رضي الله عنه: على كل واحد من الزوجين المهر وعلى كل واحدة منهما العدّة فاذا انقضت عدّتها دخل بها زوجها ، وابو حنيفة رحمه الله ينكت باصبعه على طرف المائدة كالمفكر في شيء. فقال من الى جنبه ابرز ما عندك هل عندك شيء آخر ، فغضب سفيان الثوري رحمه الله فقال ماذا يكون عنده بعد قضاء عليّ رضي الله عنه، يعني في الوطء بالشبهة. فقال ابو حنيفة رحمه الله : عليّ بالزوجين ، فأتي بهما فسأل كل واحد منهما انه هل تعجبك المرأة التي دخلت بها قال نعم ، ثم قال لكل واحد منهما طلّق امرأتك تطليقة فطلّقها ، ثم زوّج من كل واحد منهما المرأة التي دخل بها وقال قوما الى اهلكما على بركة الله تعالى. فقال سفيان رحمه الله: ما هذا الذي صنعت. فقال احسن الوجوه واقربها الى الالفة وابعدها عن العداوة أرأيت لو صبر كل واحد منهما حتى تنقضي العدّة أما كان يبقى في قلب كل واحد منهما شيء بدخول اخيه بزوجته ... فعجبوا من فطنة ابي حنيفة رحمه الله وحسن تأمله » . والفرق بين المسألة الفقهية في الاولى والقصة الروائية في الثانية واضح. ومن المهم ان نعرف ان مثل هذه الحكايات الرامية الى تعظيم ابي حنيفة قد استطاع معاصرو الشيباني من اذاعتها حتى يعيبها هو. وليست هذه الحكاية بالوحيدة من نوعها بل توجد أخرى تشبهها كل الشبه . فالشيباني يروي في كتابه المذكور ما يلي :

« حدثني حفص بن عمر ان رجلاً اتى ابا حنيفة ليلاً فقال اني كنت مع امرأتي . . . اذ تغضبت عليّ . . . فأبت ان تكلمني فقلت لها انت طالق لئن لم تكلميني الليلة . . . فأبت ان تكلمني . . . واخاف ان يطلع الفجر ولم تكلمني فتذهب مني . فقال ابو حنيفة ما اجد لك من حيلة الا في خصلة واحدة . . . اذهب فقل لها : تذكرين انك عربية واني انما خرجت الساعة فسألت عن ابويك فاذا أمك نبطية . . فأتاها فقال : يا عدوّة الله الخ . فقالت : كذبت والله » . وها هوذا السرخسي ايضاً يورد لهذه الحكاية صورة روائية محضة : « انه قال للرجل ارجع الى بيتك حتى آتي بيتك فاتشفّع لك فرجع الرجل الى بيته وجاء ابو حنيفة رحمه الله في اثره وصعد مئذنة محلته وأذّن فظنّت المرأة ان الفجر قد طلع . فقالت : الحمد لله الذي نجاني منك . فجاء ابو حنيفة رحمه الله الى الباب وقال قد برّت يمينك وانا الذي اذنت اذان بلال رضي الله عنه في نصف الليل » . ولا يسعنا ان نشك في ان الصيغة الاولى لهذه القصة تاريخية والاخرى خيالية . والمغزى ان ابا حنيفة كان فقيهاً عملياً كثير الحيل حتى ان الحيل الذي تلاه بالغ في وصفه بتلك الصفة ، التي لا بد ان تكون بدت له من خصائص ابي حنيفة الشخصية ، بالحكايات الموضوعة . ومن الغريب ان نلاحظ انه في زمن متأخر صار ابو يوسف هو الذي اشتهر عند القصاص بانه مثال الفقيه المبتكر للحيل العملية .

والشيباني احرى من اصحابه بان يشغل بين الحنفية مكاناً يشبه المكان الذي يشغله مالك بين المالكية . ومن سوء الحظ انه ليس بين ايدي الجمهور الى الان من كافة كتب الشيباني الا موجزان وهما كتاب الجامع الصغير المطبوع في بولاق وكتاب المخارج في الحيل السالف الذكر الذي نشرناه نحن (وطبعات مؤلفين من مؤلفاته الاخرى طُبعت في الهند نادرة جدًا فهي كأنها غير موجودة) وليس كتاب المخارج في الحيل الا في موضوع محدود ، وبناء الجامع الصغير على مسائل منفردة — وهو ترتيب تطرف فيه الشيباني في هذا الكتاب تسهيلاً للحفظ — لا يسمح لنا باستخراج المبادئ التي تقوم عليها الاحكام الا من طريق الاستنتاج غير المأمون . ومؤلفات الشيباني الرئيسية موجودة مع ذلك في

مخطوطات قديمة صحيحة موجود منها قسم عظيم جداً في مكاتب استانبول . أُتيح لي انا شخصياً ان انشر في مؤلف ذي ثلاثة اجزاء فهرستاً لتلك المخطوطات ولغيرها تهمّ مؤرخي الفقه ، وتسمح هذه الفهارس لمن اراد ، ان يطّلع عليها بسهولة ويتولى طبعها. والحاجة قبل كل شيء الى تعريف كتاب الاصل الذي هو اوسع مؤلفات الشيباني ، وكتاب الجامع الكبير . ومع كل منهما يوجد عدد كبير من شروح وتلخيصات وحواشٍ الخ. تسهل دراستهما . ويكاد لا يقل عن هذين الكتابين اهمية كتاب الزيادات ، وقد شرح ايضاً مراراً كثيرة، وكتاب زيادة الزيادات ، يدلّ عنوانهما على غرضهما اي لتام ما في المؤلفين الكبيرين ، ثم كتاب الآثار ، ثم كتاب الحجج. وهذا الكتاب ، ومعه مسانيد ابي حنيفة التي لا يزال اقدم رواياتها غير مطبوعة ايضاً ، يعلمنا الاساس السنّي لا للمذهب الحنفي فحسب بل للمذهب العراقي في العصر السابق له ايضاً . وكتاب الحجج هو اول مثال لما أُلف في اختلاف المذاهب ، وصاحبه يعنى بوجه خاص بانواع الخلافيات بين اهل الكوفة واهل المدينة ، فانه يسمي الحنفية والمالكية على هذا النحو . ولكي نقدر اصول المذهب الحنفي حق القدر ينبغي ان نطّلع على نصوص هذه الكتب بعينها . ذلك ان مذاهب الفقه المختلفة لا تميزها مبادئ احكامها فحسب بل تميزها ايضاً قائمة المسائل التي تدرس في كل واحد منها ، مع طبيعة هذه المسائل. ففي باب الغصب مثلاً يتناول مالك بالبحث قبل كل شيء الحالات التي يكون فيها الشيء المغصوب مِثلياً ، فيحمله هذا على ميل الى مصلحة الغاصب حتى لا يكون عليه الا ان يعوّضَ من الشيء المغصوب كمية مماثلة. اما الشافعي فعلى النقيض من ذلك يعنى بالحالات التي يُدخِل فيها الغاصب تعديلاً على الشيء المغصوب ، فيميل بذلك الى تحميله التبعة عن كل ضرر قد ينشأ عن ذلك التعديل بحيث يصبح موقعه عند الشافعي اسوأ بكثير مما هو عند مالك. اما مبادئ مذهب الشيباني فنحن عاجزون عن الحكم عليها الى الان لانتفاء النصوص. وطبع هذه النصوص لازم ايضاً باعتبار انها المبدأ للبحث عن تطوّر الاحكام داخل المذهب الحنفي. والقاعدة العامة هي ان المسائل التي قرّرتها الكتب السابقة تنضمّ صراحةً او على الاقل

اضافاً الى الكتب اللاحقة التي تكون من جنسها ، فالمسائل التي ترد في كتاب لاول مرة تمثل على وجه الاجمال النتائج التي استحدثتها المباحثات وتطور الاقوال بين هذا الكتاب والكتب التي سبقته. وهذه الطريقة التي تنطبق بطبيعة الحال على كافة المذاهب الفقهية ستسمح لنا بان نتبع عن كثب تاريخ احكامها واقوالها.

ونحن الى الان لم نذكر المذهب الحنبلي . وكثير من الفقهاء المسلمين وفي جملتهم ابن جرير الطبري قد آخذوا احمد بن حنبل الذي يعتبره الجمهور مؤسساً لهذا المذهب بانه محدّث فقط وليس بفقيه ، ولم يكن من الميسور لنا الى الان ان نقرّر لهذا الرأي ما يبرّره ام لا. ولكن كتاب المسائل الموجود منه ثلاث روايات لم يطبع منها الا واحدةٌ طبعةً خاصة يصعب الحصول عليها — اقول ان كتاب المسائل هذا الذي يشتمل على اجوبة الامام احمد بن حنبل على المسائل التي وجهت اليه في كافة ابواب الفقه كما يشتمل كتاب المدونة الكبرى على اجوبة مالك ابن انس يسمح لنا بان نؤكد ان الامام احمد نفسه اراد ان يكون فقيهاً لانه كان يعلّم مذهباً فقهياً مفصلاً لا يقتصر على شرح الاحاديث . ولهذا ينبغي الا نعتبر مجموع احاديثه الكبير المشهور بالمسند كأنه مؤلف قائم بذاته فحسب بل نعتبره ايضاً كتاباً يضع الامام احمد فيه الاساس لمذهبه الفقهي . ولا يعني هذا انه اسس المذهب السني السلفي في الفقه بنفس المعنى الذي اسس الشافعي مذهبه على مقتضاه ، لاننا نجد قبله وبعده فقهاء عديدين ذوي صبغة سنية سلفية ومذهبهم مستقل عن مذهب الامام احمد. ويلوح مع ذلك ان دائرة تلاميذه بمذهبهم كانت الوحيدة التي بقيت من تلك الطريقة السنية السلفية المصبوغة بالاخذ بالاحاديث قبل كل شيء في الشرع الاسلامي.

واني لاختتم هذه المحاضرة الثانية متمنياً ان تنشر الكتب الحنفية العظيمة الشان التي اسلفنا الاشارة اليها اقرب ما يمكن. فان هذا الميدان خصب للتعاون بين العلماء الشرقيين والاوربيين ، ذلك التعاون الذي المعت اليه في بدء حديثي الاول . فان فقهاء اليوم باشتراكهم في تحقيق هذا الغرض سوف يعودون بفضل احياء ماضي علمهم كما قد فعلوا بطبع كتاب الام للامام الشافعي.

الموشحات الاندلسية

اختراعها ، اغراضها ومعانيها ، لغتها ، تأثيرها

بقلم الاستاذ بطرس البستاني

الموشّحات فنّ جديد في شعر المتقدّمين ، استنبطه اهل الاندلس وسمّوه موشّحاً لما فيه من الصنعة والتزيين ، فكأنهم نظروا الى وشاح المرأة وما فيه من ترصيع وتكريس[1] وتفصيل فشبّهوه به في اسماطه وابياته واقفاله.

ولابن سناء الملك تعريف ضافٍ بالموشّحات في كتابه « دار الطراز » ، يستخلص منه ان الموشّح يتألف في الاكثر من ستة اقفال وخمسة ابيات ، ويقال له «التام». وربما تألف من خمسة اقفال وخمسة ابيات وقيل له «الاقرع». والتامّ ما ابتدئ فيه بالاقفال ، والاقرع ما ابتدئ فيه بالابيات.

والاقفال اجزاء مؤلفة يلزم ان يكون كل قفل منها متفقاً مع سائرها في وزنه ، وقوافيه ، وعدد اجزائه ، كقول ابن الخطيب :

جادك الغيث ، اذا الغيث همى ، يا زمان الوصل بالاندلس !
لم يكن وصلك إلّا حلما في الكرى ، او خلسة المختلس

فهذا القفل يتردّد ما يشابهه وزناً ، وقافيةً ، وعدد اجزاء ، ست مرات في الموشحة لانها تامة.

والابيات اجزاء مؤلفة يلزم ان يكون كل بيت منها متفقاً مع سائر ابيات الموشّح في الوزن وعدد الاجزاء ، لا في القافية ، كقول ابن الخطيب ، بعد القفل الذي اوردناه :

---

1) التكريس : ان ينظم اللؤلؤ والمرز في خيط ثم يضما منصولين بخرز كبار.

اذ يقود الدهرُ اشتاتَ المنى ، تنفل الخطو على نرسُمُ
زُمرًا بين فُرادى وثُنا ، مثلما يدعو الحَجيجَ الموسمُ
والحيا قد جلّل الروضَ سَنا ، فتفورُ الزهر فيه تبسِمُ

فهذا البيت يتردّد في سائر الموشّحة خمس مرات بوزنه وعدد اجزائه ، ويختلف في قافيته.

والقفل الاخير في الموشّحة يقال له « الخرْجة » ، وشرطها ان تكون عامية غير معربة الا في المدح. فمثال العامية :

انا قولْ ذُوقُو ليس بافهْ تَذُوقو

واكثر ما تُجعل على السن الجواري ، والغلمان ، والسكارى . وربما جاءت على السن الحيوان ، والطير ، والاشياء المعنوية ، كالحب والحرب.

والموشّحات منها ما جاء على اوزان العرب ، ومنها ما خالفها. فاما الموزون فيعده اصحاب الصنعة مرذولًا الا اذا اختلفت قوافي قفله كما في موشّحة ابن الخطيب . وقد تكون اقفال الموشّح موافقة لابياته في الوزن ، وقد تكون مخالفة لها.

اختراعها

قال ابن خلدون في مقدمته : « واما اهل الاندلس ، فلما كثر الشعر في قطرهم ، وتهذّبت مناحيه وفنونه ، وبلغ التنميق فيه الغاية ، استحدث المتأخرون منهم فنًّا سموه بالموشح. » اه

وقال ايضاً : « وكان المخترع له بجزيرة الاندلس مقدّم بن معافر الفريري من شعراء الامير عبدالله بن محمد المرواني. واخذ ذلك عنه ابو عبدالله احمد بن عبد ربه صاحب كتاب العقد . ولم يظهر لهما مع المتأخرين ذكر ، وكسدت موشّحاتهما . فكان اول من برع في هذا عُبادة القزّاز ، شاعر المعتصم بن صُمادح صاحب المَرِيّة. » اه.

فيتبين من كلام صاحب المقدمة ان الموشّحات ظهرت بالاندلس في القرن

الثالث للهجرة ، لان خلافة الامير عبدالله بن محمد ، كانت من سنة ٢٧٥ الى ٣٠٠ هـ (٨٨٨ — ٩١٢ م) . على انه لم يصل الينا شيء من موشحات مقدّم ابن معافر مخترع هذا الفنّ ، ولا من موشحات ابن عبد ربه لان موشحاتهما كسدت واهملت ولم يروها الناس . واقدم ما وصل الينا ما جاءنا عن عبادة القزّاز المتوفى سنة ٤٢٢ هـ (١٠٣٠ م) وهو قوله :

بدر تمّ شمس ضحى غصن نقا مسك شمّ
ما اتمّ ما اوضحا ما اورقا ما اتمّ

وفي ديوان ابن المعتز العباسي موشّحة لطيفة ، لو صحّت نسبتها اليه ، لما بقي فضل اختراع هذا الفنّ لاهل الاندلس . لان ابن المعتز كان معاصرًا لمقدّم ابن معافر . ومقدّم كسدت موشحاته لغثاثتها ، وابن المعتزّ خلدت موشحته لجودتها . غير اننا نشك في صحة نسبتها اليه ، لاسباب : منها ان مؤرخي ابن المعتزّ لم يذكروه في عداد الوشّاحين ، ولا ذكروا موشحته هذه . ومنها ان هذه الموشحة رويت لشاعر آخر يقال له الحفيد بن زهير ولعله اندلسي[1] . ومنها ان ديوان ابن المعتز لا يحتوي غير هذه الموشحة . فلو عرف صاحبه فنّ التوشيح لاكثر منه لانه يتلاءم مع اغراضه التي اختص بها ، كوصف الطبيعة ، ومجالس اللهو والشراب . ومنها انه لم تروَ موشحة لشاعر مشرقي غير ابن المعتز في العصر العباسي الثاني . ولا رويت موشحة لشاعر في العصر الثالث . ومنها ان المؤرخين اتفقوا على نسبة الموشحات الى اهل الاندلس لانها من مستنبطاتهم ، ولم يذكروا مشرقيًا في الوشّاحين قبل ابن سناء الملك المصري من شعراء العصر العباسي الرابع . فهذه الاسباب تعزز شكنا في موشحة ابن المعتزّ ، وتعزز اعتقادنا ان الشرق لم يعرف هذا الفنّ الا في اواخر الاعصر العباسية ، بعد ان شاع وازدهر

١) رويت للحفيد بن زهير كما رويت لابن المعتز في كتاب « المذارى المائسات في الازجال والموشّحات » ، لجامعه فيليب قعدان المازن . ولعله الحفيد بن زُهر . لان ابناء زهر اشتهروا في الاندلس بعلومهم وآدابهم . ولاسيما ابو بكر بن زهر الذي شرّقت موشّحاته وغرّبت كما يقول ابن خلدون . وقد ورد اسمه محرّفًا من زهر الى زهير في مقدمة ابن خلدون ، وفي المذارى المائسات . فلا يبعد ان يكون وقع هذا التحريف على الحفيد ايضًا .

في الاندلس ، وظهر امثال عبادة القزّاز ، وابي بكر بن زهر ، وابن بَقيّ ، والاعمى التُطيلي ، وابن باجه ، وسواهم من الوشّاحين المشهورين.

ولم يحدث هذا الفنّ الجديد دون ان يلقى مقاومة ، وانكاراً ، فان جماعة المحافظين على القديم تجهموه ، وعدّوه خروجاً على الاصول ، وضعفاً ، وعابوا اصحابه ولكن سيله طما وطغى واجترف مقاوميه.

ولا بدّ من القول ان الخروج على نظام الشعر ظهر عند المشارقة في صدر الدولة العباسية . فان بعض الشعراء اخذوا ينظمون الفنون العلمية والقصص الطويلة مزدوجات اذ لا يستطاع نظمها على قافية واحدة ؛ كما فعل أبان بن عبد الحميد في كليلة ودمنة . ونظموا ايضاً المسمّطات والمخمسات كما فعل قُطرُب في مثلثاته . غير ان فحول الشعراء تحاموا هذه الانواع ، ورأوا فيها عجزاً ، وضيقاً . وآثروا التزام القافية الواحدة ، الا بشاراً وابن المعتز . فقد ذكر ابن رشيق ان الاول كان يصنع المخمسات والمزدوجات عبثاً واستهانةً بالشعر. واما الثاني فصنع مزدوجة في ذم الصبوح ، واخرى في سيرة المعتضد.

وسرى فنّ المسمّطات والمزدوجات من الشرق الى الغرب كما سرى غيره من الفنون والعلوم . فنظم فيه شعراء الاندلس فعلَ ابن عبد ربه في مزدوجته التي ذكر بها غزوات الخليفة الناصر . والاندلسيون اسرع الى الخروج على القديم من المشارقة ، لان الشرق مهد العربية ، وطلل البادية ؛ لا ينفك البدو يختلفون الى امصاره ، وابناء الامصار يختلفون الى باديته . فروح العروبة فيهم ارسخ واقوى ، مهما غلوا في تجديدهم ، وافرطوا في انكار قديمهم . واما الاندلس فلم تكن قرارة العرب قدماً ؛ وهي من شمالها محاطة بدول نصرانية اعجمية ، ومن جنوبها بقبائل بربرية مغربية . ولولا اعراق بعض الاسر الاندلسية في العروبة ، ومناصرة الملوك للادب والادباء ، وشغفهم برواية الشعر الجاهلي ، وتردّدهم في الشرق ، وتردّد المشارقة في بلادهم ؛ لما رسخت ملكة الفصاحة هنالك . وخصوصاً ان العرب الذين نزحوا الى الاندلس اكثروا من الزواج بالنساء الاسبانيات ، وسواهن من الاوربيات ، فولدن لهم اولاداً يعتلج في عروقهم الدم الشرقي والغربي ، فكانت لهم عادات وطباع وازياء وفنون

يختلفون بها عن عرب المشرق جدّ الاختلاف ، ويقتربون بها من النصارى الاسبانيين كل الاقتراب.

وقد ظهر اثر هذا الاختلاط في استعراب النصارى واليهود من اهل الاندلس، واتقانهم لغة الضاد وآدابها. وفي طراز بنائهم المستعرب (mozarabe) وفي انتشار العلوم الدخيلة بالممالك الاسبانية ، وفي استعمال الحروف العربية ببعض ولاياتها ، ويسمون ذلك عندهم بالادب الاعجمي (Litteratura aljamiada) . ثم في اتخاذ المسلمين ازياء النصارى ، فقد ذكر صاحب « نفح الطيب » ان الاندلسيين العرب غلب عليهم ترك العمائم ، فكان عزيز بن خطّاب ، اكبر عالم في مُرْسية يخطب في حضرة السلطان وهو حاسر الرأس . وكان ابن هُود ، وابن الاحمر ، يدون عمامة ايضاً . وكثيراً ما كان سلاح السلاطين والجنود كسلاح النصارى ، واقبيتهم كاقبيتهم . واثرت العجمة في لغة التخاطب عندهم ، فانحرفوا بها عما تقتضيه الاوضاع العربية ، حتى اذا تكلم احدهم بالاعراب ، وجرى على قوانين النحو ، استثقلوه واستبردوه[1] .

وكذلك الغناء اثر فيه اختلاط العرب بالاسبانيين تأثيراً بليغاً ، واثر ايضاً في الشعر الذي يتغنى به . وكانت مجالس الطرب في الاندلس على انتشار عظيم ، وانعقاد مستمرّ . فان جمال الاندلس وخصبها ، وغنى اهلها ، من دواعي اللهو والعبث . ولا شيء ادعى الى اللهو من الغناء والطرب . فلا غرو ان يشيع هذا الفن ، وتكثر مجالسه ، ويعظم قدر المغنين . وحسبك ان تعلم كيف احتفى عبد الرحمن الثاني بزرياب ، لتتبين منزلة الغناء والمغنين .

ولا ريب ان لزرياب يداً طولى في رفع شأن الغناء بالاندلس لما ادخل عليه من التحسين . قال فيه ابن خلدون : « فاورث بالاندلس من صناعة الغناء ما تناقله الى ازمان الطوائف ، وطما منها باشبيلية بحر زاخر » اه

---

١) راجع ، في هذا البحث ، ما نشره الاب لامنس عن « لغة مسلمي الاندلس » ، في « المشرق » (٢٦ [١٩٢٨] ١٠٣ – ١٠٨) .

ولم يكن للاسبانيين موسيقى راقية قبل الفتح الاسلامي . فلما افتتحت الاندلس ، وانتشر الغناء العربي ، تهذبت موسيقاهم ، واصطبغت بالوان عربية بيّنة . منها انهم اتخذوا الشبّابة من آلات الغناء وهي عربية الاصل . ولهم اناشيد يسمونها بالزجل (segrel) ، وهي مأخوذة عن الزجل العربي . وعندهم طرب بمعنى الف الالحان ، وطروب بمعنى مؤلف الالحان . وعندهم ربع صوت ، وثلث صوت . واجزاء الاصوات عربية لا يستعملها في اوربة غير الاسبانيين . وتقاطيعهم الصوتية تجري على نغم واحد كالتقاطيع العربية . ومن الفاظهم ما يراجع في الغناء غير مرة كما يراجع لفظ « يا ليل » في الغناء العربي .

وكان الادب الاسباني قبل دخول العرب رومانيًا يتعهده الرهبان في اديارهم منذ القرن الخامس للمسيح ، ولكنه لم يشمل طبقات الشعب كلها لان العامة لم تتأثر بالعلوم اللاتينية الراقية ، وانما كان منها شعراء ومغنون لهم ادب شعبي خاص ، لا يختلف ، فيما نرى ، عن ادب عامة الغاليين لما بين الامتين من الاتصال ، ولما كان لجماعات الجنكلير من يد في نشر هذا الادب .

وجماعات الجنكلير عُرفوا في غالية بين القرن السابع والثامن ، وكانوا يطوفون البلاد رجالًا ونساء يتغنون باناشيدهم . واناشيدهم منها حماسية ، ومنها غرامية ، ومنها قصص نثرية . وليست هذه الاغاني شعرًا صحيح الاوزان ، مطّرد القوافي ، وانما هي مقاطع لا ضابط لها ، وربما اتحدت في اواخرها الصوتية اتحادًا غير ملتزم .

فاما ، وقد علمنا ما كان بين العرب والاسبانيين من الامتزاج القوي في السكنى والزواج والبناء واللغة والمأكل والازياء والغناء ، فغير عجيب ان يشمل هذا الامتزاج الادب ، فيسمع العرب اناشيد الجنكلير ، فتنبههم في القرن التاسع الى استنباط اناشيد للغناء طليقة القوافي والاوزان سموها بالموشحات . وكان لهم من مزدوجاتهم ومخمساتهم سابقة في الخروج على القافية الموحدة ، غير انهم لم يتخلوا منها اصلًا لتعودهم اياها . ثم لانها عنوان رقي شعرهم . فجاءت موشحاتهم مختلفة الاوزان والقوافي شاذّة عن النظام الشعري المألوف .

ودليلنا على ان العرب استنبطوا الموشحات من اجل الغناء . هو انهم كانوا يراعون فيها التلحين مطلقاً وان افضى الى افساد التعبير . قال ابن سناء الملك : « والموشحات تنقسم من جهة اخرى الى قسمين : قسم يستقل التلحين به ولا يفتقر الى ما يعينه عليه ، وهذا اكثرها . وقسم لا يحتمل التلحين ، ولا يمشي الا بان يتوكأ على لفظة لا معنى لها تكون دعامة للتلحين وعكازاً المغني كقول ابن بَقي :

مَن طالبٌ نار قَتلى ، ظَبَيات الخُدُوجْ ، فَتَّانات المَجيجْ

فان التلحين لا يستقيم الا بان يقول: لا لا بين الجيمين من هذا القتل» اه. وكذلك لا لا تُستلذ رنة الموشح الذي يخالف الاوزان الشعرية الا اذا غني فيه لانه خلق للغناء لا للانشاد.

اما اغاني الجنكلير ، فليس بين ايدينا شيء منها فنقابله بالموشحات . وانما نعتمد على اناشيد التروبادور التي ظهرت بجنوب فرنسة في القرن العاشر . وكان اصحابها يقصدون القصور ، ودور الملوك ، ومواسم الاعياد ، يتغنون بها ، او يغني لهم فيها جماعة الجنكلير . وهي تتناول اغراضاً شتى كالغزل ووصف الطبيعة ، والمدح والهجاء ، والقصص . واغراض الموشحات يقوم معظمها على الغزل والطبيعة والمدح . واناشيد التروبادور غنائية منسجمة الالفاظ حسنة التوقيع غير انها ضعيفة الميزة الادبية في معانيها المزيلة ، واغراضها المكرورة . ولها اسماط واجزاء لا تتوافق اوزانها احياناً ، ولا تلتزم فيها القافية كما تلتزم في الشعر . وانما تلتزم في كل ثلاثة اجزاء او ستة ، وفي نهاية كل سمط ، ويراعى في التزامها الوزن الذي وردت فيه اولاً . فهي من هذا القبيل اشبه شيء بالموشحات.

ونهضت اناشيد التروبادور في القرن الحادي عشر وهو الزمن الذي نهضت فيه الموشحات . ولكن لم يصل الينا منها الا منذ منتصف القرن الثاني عشر ، في حين انه وصلت الينا موشحات منذ القرن الحادي عشر.

فاتفاق منظومات التروبادور والموشحات في اكثر النواحي يحملنا على

الاعتقاد ان العرب تأثروا بالادب الاسباني الفرنسي[1] ، كما تأثر الاسبانيون والفرنسيون بالادب العربي، فاخذ العرب فكرة التحرّر من الاوزان في اغانيهم، واخذ اولئك القافية والصور الخيالية الجميلة.

فالموشحات اذاً ، ليست بعربية بحتة، انما هي مستعربة « mozarabe » ، كأهل الاندلس ، وما في الاندلس من فنون وعادات وازياء . وكانوا في بدء نشأتها يُحلّونها بالالفاظ الاعجمية كما ذكر ابن بسّام في « الذخيرة ».

اغراضها ومعانيها

فاما وقد علمنا ان الموشحات اخترعت من اجل الغناء فلا غرو ان تكون اغراضها في اول الامر مناسبة لهذا الفن ، فما يُنظم فيها غير الغزل والخمر والمجون ووصف الطبيعة . واتبعوا بها المدح لان ابهى مجالس الغناء كانت تُعقد في قصور الملوك والامراء . والتغني بمناقبهم عدّة التكسُّب للشاعر والمغني معاً. ثم توسعوا فيها الى سائر اغراض الشعر كالهجو، والرثاء، والزهد، والتصوف.

واكثر ما نظمت فيه الموشحات ما اجتمع به الغزل والطبيعة والخمر والمدح . وربما استهلّوا بالغزل ، وانتقلوا الى المدح ثم رجعوا الى الغزل فجعلوه ختاماً للموشح.

على انه مهما تعددت اغراض الموشحات ، فللطبيعة النصيب الاوفر ، فاهل الاندلس اشغف الناس بطبيعة بلادهم ، لا يفترون عن ذكرها في توشيحاتهم كما لا يفترون عن ذكرها في اشعارهم . وهي في الموشحات اشمل واظهر. فما تقرأ موشحة لهم الا رأيت الطبيعة ماثلة بالوانها واصباغها ، وازهارها

---

١) غلبت الصبغة الفرنسية على الادب الاسباني الشعبي لتسرّب عنصره الى الاندلس مع التجار اليهود خاصة . ثم مع المرسلين الكاثوليكيين الذين جازوا البيرنه ، وانشأوا الديورة الكبار تضم اولاد الفقراء ، ويعلمهم فيها اساتذة فرنسيون . وقد درس المؤلف غستون باري صلة الادب الفرنسي بالادب الاسباني . ودلّ بحجج راهنة على تأثير الاول في الثاني حتى قال : « ان الادب الاندلسي في اول عهده هو فصل من تاريخ الادب الفرنسي في القرون المتوسطة ». اه.

ورياضها ، ومدنها وعمرانها . يتغنى بها الوشّاح اكثر مما يتغنى بمحبوبه . فهي الحبيب المالك عليه شغاف قلبه، المستولي على جميع احساسه ، يروقه منظر الزهر والبلبل عند الصباح ، وتشوقه بهجات الوانه . ويملأ فؤاده عبيره ، ويخلبه الماء المنساب في الجداول والانهر . وتطربه الاطيار تغرّد على غصون الشجر . وكل صورة من صور الطبيعة عنده شاعرة حساسة ، يغوص على طبائعها ، ويستشف دخائلها ، ويتبين سرورها والمها . فاذا بابن الخطيب يقول :

اي شيء لامرئ قد خلصا ، فيكونَ الروضُ قد مُكّن فيهْ
تنهب الازهارُ منه الفرصا ، أمنت من مكره ما تتقيهْ
فاذا الماء تناجي والحصى ، وخلا كل خليل باخيهْ
تُبصرُ الوردَ غيورًا برمًا ، يكتني من غيظه ما يكتني
وترى الآس لبيبًا فهما ، يسرق السمعَ باذني فرس

ويقول ابن زَمرَك متشوّقًا الى غرناطة ، وكان بعيدًا عنها :

نسيمُ غرناطةٍ عليلْ ، لكنه يُبرئ العليلْ
وروضها زهره بليل ، ورشفه ينقع الغليلْ
سقى بنجدٍ ربى المصلّى ، مباكرًا روضَه ، الغمامْ
فجئته كلما استهلّا ، يبتسم الزهر في الكمامْ
والروضُ بالحسن قد تجلّى ، وجرّد النهرُ من حسامْ

واليك المدح كيف تظهر فيه الطبيعة كل الظهور . قال ابن زمرك يهنئ السلطان ابن الاحمر بشفائه :

قد انعم اللهُ بالشفاء ، واستكملت راحةُ الامامْ
فانتطق الطيرُ بالمناء ، وليضحك الزهرُ في الكمامْ
وُجودُه بهجة الوجودْ وبرؤه راحة النفوسْ
قد لاح في مَرقَب السعودْ واستبشرت اوجه الشموسْ
فالدَوحُ يومي الى السجودْ اكمامه حطّت الرؤوسْ

ومعاني المرشحات لطيفة سائغة كاغراضها ، ناعمة الخيال ، مشرقة الصور لامتزاجها بصور الطبيعة الناعمة والوانها . الّا انها مكرورة معادة ، طافية غير بعيدة الغور . وقلما وقعت على معنى يستوقفك ببراعته ، وعمق صورته . وانما انت تؤخذ على الاكثر برقة الالفاظ وحسن موسيقاها ، ولطف ما فيها من الاساليب

البيانية المختلفة الوجوه . فيلهيك هـذا الجمال الخارجي عما في داخلها من معانٍ تافهة او مبتذلة . وربما رأيت فيها غموضاً مع خفتها وقرب متناولها لغلبة الصناعة اللفظية عليها ، كما في موشحة لسان الدين بن الخطيب حين يقول :

وروى النعمانُ عن ماء السما كيف يروي مالكٌ عن أنس (١

او لحب الاغراب ، وسقم التعبير ، وضيق الالفاظ عن ايضاح المعنى . كقول ابن الخطيب ايضاً :

ايُّ شيء لامرىء قد خلصا ، فيكون الروض قد مُكّن فيه (٢

وقـد تقرأ الموشحة فلا تجد ارتباطاً في معانيها ، ولا تختلف في نظرك عن تلك الاغاني الشعبية التي تسمعها في زماننا ، فتطربك بالحانها دون ان تأبه لما فيها من سخف المعنى وتفكك وانحلال . فهذه موشحة ابي بكر بن زُهر من اشهر الموشحات ، تقرأها فتلذّ لك صورها والوانها ، وما فيها من الفاظ الحب والخمر والطبيعة فاذا تدبرت معانيها لم تقع على شيء حقيق باللذة والاستمتاع ، وانما هي قطعة صالحة للغناء :

ما للمولّهْ ، من سكره لا يُفيقْ ، يا لَه سكرانْ
من غير خمرْ ، ما للكئيب المشوقْ ، يندب الاوطانْ

***

هل تُستعادْ ، ايامنا بالخليجْ ، ولياليـنا
او يُستفادْ ، من النسيم الاريجْ ، مسكُ دارينا
اوهل يكادْ ، حسنُ المكان البهيجْ أن يحيّينا

---

١) النعمان : ملك الحيرة ابن المنذر اللخمي . والمراد هنا شقائق النعمان . ماء السماء : ام المنذر اللخمي ، وجدة النعمان . والمراد هنا المطر . مالك : امام المدينة ، واحد الائمة الاربعة . أنس : والده . يقول : ان زهر الشقائق روى لنا عن والده المطر كيف كان يروي مالك عن والده انس رواية صدق . وصدق رواية الشقيق عن المطر بادية في ازهاره وحسن منظره . وفي المصراع الاول توريتان ظاهرتان .

٢) خلص : صفا . الظاهر من معناه انه لو صفا شيء لمخلوق لتمكن الروض من الحصول على هذا الصفاء لانه احقّ به من سواه . وقوله مكّن فيه اي مُكن منه . ومن معاني في ان تكون مرادفة لمن .

وكذلك موشحة ابن الخطيب ، وهي اسير الموشحات ، واخلدها ذكرًا ، اذا حبست نفسك عن الاستسلام الى موسيقاها ، والافتتان بصورها البيانية والوانها ، وغصت على معانيها تتقصاها في مواطنها ، رأيت انك امام اوصاف عادية متداولة ، ومعانٍ متعارفة مبتذلة . فكأن الوشّاح الاندلسي جعل همّه في اخراج موشّح لطيف سائغ يصلح للغناء ، لا يعنيه ان يكون فيه معنى مبتكر او معنى دقيق . فالموشحات لم تخلق لارضاء التفكير وتغذية الذهن ، وانما خلقت لاثارة الخيال والعاطفة ، وابهاج النفس والعين والاذن .

لغتها

كانت لغة الشعر التقليدي في الاندلس ضعيفة بالاضافة الى لغة الشعر العباسي ، فجاءت لغة الموشّحات الين واضعف ، فهي فنّ استعرب ولم يكن عربيًّا ، وابتدع ولم يكن تقليديًّا : ووجد من اجل الغناء ، والغناء يتطلب الالفاظ السهلة السمحة ، والتعابير اللطيفة اللينة ، وهذه تقود غالبًا الى الضعف والركاكة لطواعيتها ، وائتلافها بمبتذلات العامة . وزادها فسادًا ما اشترط في خرجاتها ان تكون عامية التعبير ، فاجترأ الوشّاحون على التساهل اللغوي في غير الخرجة . كقول بعضهم :

يا غالي حقًّا يكفيك ما الفى
أفتنتني عشقًا
برهتني عيناك اما كفاك !

وافرطوا في استعمال المجاز على انواعه ، فحفلت موشّحاتهم بشتى الكنايات والتشابيه والاستعارات ، وافتنوا باوجه البديع ، والتزموه التزامًا لا لتحسين المعنى ، وانما لتحسين اللفظ وتوشيته . فابن الخطيب كان له مندوحة عن قوله :

وروى النعمان عن ماء السما كيف يروي مالك عن انس

ولكن الثورية قادته الى هذا التلاعب بمعاني الالفاظ . ولم يكن لاقحام مالك بن انس من داعٍ لولا قوله : وروى ، فالرواية تعني الحديث ، ومالك محدث عظيم .

وهذه الاشياء وامثالها كثيرة في الموشحات ، وهي التي اورثت بعضها غموضاً على سهولة الفاظها ورقتها.

وللموشحات الفاظ وتعابير خاصة لا تكاد تختلف في ذكر الطبيعة والخمر والحبيب ، فيها كثير من السماء وشموسها وغمامها ، وفيها كثير من الارض ورياضها وانهارها . ولها وقع جميل في النفس ، وان خلت من المعاني البارعة . ومن الالفاظ التي يكاد يتفق عليها الوشاحون ، وكان لها حظ غير قليل في الشعر الاندلسي لفظة الاقتراح وما يتفرع منها :

ليلى أزَيْنَ الملاح ليلى عليك اقتراحي

تأثيرها

كان لظهور الموشحات اثر بليغ في الشعر والشعراء ، لان اعتمادها على الغناء جعلها تطير على افواه المغنين . ويتلقفها الناس من كل صوب ، ويحفظونها ويتناقلونها ، حتى غلبت على الشعر ، واحتلت مكانه ، واصبح الملوك يأنسون بها في مدائحهم ويطربون الى سماعها ، ويجيزون عليها كما يجيزون على القصائد . وبلغ من شغف الشعراء بها انه ما اشتهرت موشحة ، وتداولتها الالسن ، الا انبرى جماعة منهم الى معارضتها . فقد نظم ابن سهل موشحته التي اولها :

هل درى ظبي الحمى أن قد حمى قلبَ صبٍّ ، حلّه عن مكنسِ
فهو في حرّ وخفقٍ ، مثلما لعبت ريح الصَّبا بالقبسِ

فغنى فيها المغنون ، وتحدث بها الناس . فانبرى لسان الدين بن الخطيب يعارضها بموشحته : « جادك الغيث . . . » فسارت كل مسير ، وحجبت موشحة ابن سهل ، ورويت لها عدة معارضات قصرت عنها في المضمار.

ولم تنحصر الموشحات في الاندلس ، بل جاوزت بحر الزقاق الى المغرب والمشرق ، فنظم فيها المغاربة والمشارقة ولكنهم لم يبلغوا شأو الاندلسيين ، الا ابن سناء الملك المصري ، فان له موشحة شرّقت وغرّبت ، وهي التي يقول في اولها :

كلّلي ، يا سحب تيجان الربى بالحُلي

على ان هذا الفن، مع جماله ورشاقته، كان له اثر سيء في الادب اذ قاده الى الانحطاط. قال ابن خلدون: « ولما شاع فن التوشيح في اهل الاندلس، واخذ به الجمهور لسلاسته، وتنميق كلامه، وترصيع اجزائه، نسجت العامة من اهل الامصار على منواله، ونظموا في طريقتهم بلغتهم الحضرية من غير ان يلتزموا فيه اعراباً، واستحدثوه فناً سموه بالزجل. والتزموا النظم فيه على مناحيهم الى هذا العهد.» اه

فاقبال العامة على هذا الفن لسهولته، وحسن موازاته، انحدر بالشعر الى العامية، فصار الى ساقط القول. غير ان الشعراء المحدثين من اهل زماننا، عادوا به الى الفصحى، ورفعوا منزلته، واعتمدوا عليه في منظوماتهم الطويلة، كما فعل سليمان البستاني في الياذة هوميروس، واحمد شوقي في قصصه التمثيلية.

والموشح اذا روعيت فيه الفصاحة، والاوزان الشعرية، شائق فتان، للطفه وحسن مساغه. فهو شعر الحب والطبيعة والجمال والفن، وشعر القصائد الطويلة التي لا يضيق عليها اختلاف وزن واحد، وقافية واحدة. وهو فتح مبين في الادب العربي، يعود الفضل فيه الى الاندلس، واهل الاندلس.

الشعر اللبناني باللغة الفرنسوية *

شارل قرم : الجبل الملهم
ميشال شيحا : بيت الحقول
ايلي تيان : القصر العجيب
هكتور خلاط : الارز والزنابق

بقلم سعيد عقل

أيكون المعين الغربي أفعلَ في شاعريّة اللبنـاني من المعين العربي ؟ أيكون لبنان بلدًا حائرًا ، ولكنّه مرجّح الاتجاه إلى الغرب ؟ أيزول الاعتقاد بان ثمة روحاً غربية وروحاً شرقية مُغلقتين الواحدة على الاخرى ؟ أم يقوم – بالعكس – اعتقاد بان اللغة العربية اروع اداة من الفرنسية في نظم الروح الانسانية التي لا تختلف ؟ ايكون بعض شعرائنا بالفرنسية ادركوا ما ظلّ حتى السنوات الاخيرة مغلقاً على زملائهم بالعربيـة كالابتكار ، والصـدق ، وخوض المشكل الفلسفي العميق ، ووصف النفس البشرية ، والتغني بالوطن ؟ أنأملُ ، بعـد شعرائنا الفرنسيين ، بشقّ الطريق إلى مصافّ الشعراء العالميين ؟ أم اننا ، بعد المقاطع الانسانية من « الجبل الملهم » ، في قلب الادب الانساني ؟

تلك اسئلة تصدّت لي وأنا اقرأ القرم وشيحا وزميليهما التيان وخلاط .

***

* CHARLES CORM, La Montagne inspirée. In-8°, 97 pp.
MICHEL CHIHA, La maison des champs. In-8°, 96 pp.
ELIE TYANE, Le Château Merveilleux. In-8°, 96 pp.
HECTOR KLAT, Le Cèdre et les Lys. In-8°, 96 pp.
[*Les Auteurs Libanais de Langue Française*, 1, 2, 3, 4]. Editions de la Revue Phénicienne. Imprimerie Catholique, Beyrouth, 1934 et 1935.

كان الشعر في لبنان، خلال السنوات العشر التي تلت الحرب، أرقى منه في اي بقعة عربية ، وان ظهر شوقي على ما ظهر عليه من شهرة يجب ان لا نردها دائماً إلى الموفق الرفيع من شعره.

على ان هـذا التفوق اللبنان لا يجوز ان نراه إلّا على تواضع — وقل على اتضاع — إزاء الشعر الحق ، فشعراء ذلك العهد كانوا بعدُ تحت تأثير اليازجي او من تيسر لهم ان يقرأوه من الشعراء القدم ؛ تقوم مواضيعهم — ويا لاسف القرن العشرين ! — على شعر الحفلات ، من رثاء ومديح خلو اجماعاً من اي عاطفة . وقد يتطور بعضهم إلى اسخف ، فينشد في الحفلة « أقصوصة » يتعمد فيها الحزن ، ولكنها لا تصف من العواطف البشرية حتى الحزن نفسه . وهي تدور أبداً على « واحد يحب واحدة » يقوم بينهما حاجزٌ مضحك يلقيان فيه الحتف ، على حدّ ما تولده مخيلةٌ حبلى بقصة « بوليسية » . واذا لم يكن الدافع الى النظم حفلةٌ ما، نشر لنا الشاعر نتفاً غنائية ، تقوم على الغزل ، فيصف الموفق منها عاطفتي الشوق او القنوط . واما الباقي فاحساسٌ بهيمي — إذا جاز ادخاله في الاحاسيس الشعرية — يقوم على الضم والشم والتقبيل وانعال المحبوبة كبد الشاعر ، الى ما هنالك من الوتيرات التي ضرب عليها العرب الاقدمون . والعرب لم يكونوا يوماً مثالاً للشعر ؛ وما عندهم من شعور وخيال ، وان غير مشكوك به ، هو نسبي يبدو ازاء الادب الحق ضئيلاً . فظاهر « شعورهم » في لـذة الحواس ، ومرامي « خيالهم » في دائرة الحواس أيضاً . فهم لا يتصورون السماء إلّا حوارياً ، ونهر عسل ، ونهر لبن ، وتفاحاً ورماناً ، الى ما هنالك مما يشبع اللذة البهيمية او الجوف النهم .

واذا كان شعور الانسان المتزن على قوى ثلاث متزنة بين العقل والقلب والشهوة ، فارى ان الاخيرة كانت المسيطرة عند العرب . وكيف تصلح مثلاً أعلى لتلامذة المرامي الانسانية والجمالية (Esthétique) ؟

ويعجب المرء اذ يرى تقاعس الشعراء اللبنانيين — او الشرقيين عامةً — عن تثقيف انفسهم على الروح الانسانية . وتعليل ذلك ان القليل منهم من كان متضلعاً من الفرنسية او الانكليزية يتصل بالمحور الانساني . فبينما كان طاغور

في اقاصي الهند يدخل المعمعة العالمية ، الى جنب ڤاليري ، كان الشاعر اللبناني وبالتالي العربي يعيش في لبنان ، ويخفق قلبه للحجاز ؛ يتفيأ الارز والصنوبر والشربين اظلالاً واندا ، ويتغنى بالبيداء ؛ يمرغ انظاره على زرقة السماء في لبنان او احمرار الشفق في خليج القديس جرجس ، يمرغه على شروق الشمس فوق اللقاوق او حرمون ، ويشبه الخدّ بالتفاح والصدر بالرمان والعين بالنرجس شأنَ البدوي الذي لم يرَ هذه الفاكهة الا كل حول ؛ تغمرهُ بيروت ، بما فيها من اهل وانس وجمالات ، ويتغنى بالجؤذر والغزال والمهاة ، الحيوانات التي لم يرها في حياته . والتي لم يكن سواها ليؤنس البدوي في قفره ، فيشبه بها المحبوبة ؛ يعيش على شاطئ بيروت ولا يصف البحر ببيت شعر .

ان الشاعر اللبناني كان منا ، « وكان لسانه يلمعُ علينا » بما يسرقه من ريق البدوي ، كان يُدعى الشاعر الذي يُجمّلُ (idéalise) ما حوله من طبيعة ونفس ، وفي الواقع كان السارق الذي يلوي في الليل على دواوين البدو ، فيسرقها سرًّا ، او يهضمها ويجترها جهارًا . كان غير شخصي ، وغير مبتكر وكان في غير دائرته يحتار ويحيّر ، واخيرًا يستدعي الشفقة .

تلك كانت حالة الشعر عندنا في السنوات التي تلت الحرب الكبرى وذلك كان معين ادبنا .

وانقضى الربع الاول من القرن العشرين ، ودخل الشعراء الشباب غمرة الادب الانساني على يد الفرنسية خاصةً ، فبدأت منتوجاتهم تبشر بالعهد الجديد .

وبينما كان هذا التطوّر يكتمل عند شعرائنا باللغة العربية ، كان نفرٌ لم يتأثروا « بالشرق - الكتب » وان عبدوا « الشرق - الطبيعية » ، لم يُتقنوا اللغة العربية ، وان أتقنوا عشق بلادهم .. فعادوا ، اذا ينظمون ، فانما يصبّون على الورق شعورهم هم ، واذا يتغنون بالشرق فمن حب مخلص .

هؤلاء شعراء لبنان باللغة الفرنسية . احبوا الشرق في جزئه لبنان فانعكس في قصائدهم حبًّا بأرزه وسهله وأطلّ باساطيره ، وتاريخه ، وتغنى بآمال اهله ، وجاش بعواطفهم .

وهؤلاء الشعراء زجّوا رأسهم في العالم ، فوسّعوا بذلك دائرتهم ، وتطلّعوا

الى المشاكل الفلسفية.

ان الادب العالمي ، لا يقوم ، كما يتوهم البعض ، بان يصف اللبناني فرنسة او افريقية ، او الفرنسي لبنان او الهند ، بل يقوم بوصف ما هو فوق الزمان والمكان ، يقوم « بوصف النفس » — والنفس واحدة في العالم .

***

والآن ننتقل الى درس شعرائنا الفرنسيين في موضوعاتهم ، وشاعريتهم ، ونظمهم :

« الجيل الملهم » والصلاة سواء.

ولا اعرف شعراً عندنا تصدق فيه هذه الكلمة كشعر شارل قرم.

اما الصلاة فروح الشعر ابداً . كلمة قالتها السيدة ده ستال منذ اكثر من قرن ، ورددها كبار الشعر النظريين في الشعراء كهنري برومون صاحب « الشعر الصافي » . فقال : « يقتضي للشعر ، فيما يقتضي ، سحرٌ سري يصل الى الصلاة » . و« الجيل الملهم » ثلاثة اناشيد : « قول الحماسة » و« قول الاحتضار » و« قول الذكرى » .

في الاول صورة شعب يهب باسره الى ملاقاة فرنسة يرى النور والحياة على يدها رؤية المؤمن للسعادة الابدية .

يصف القرم هذا الشعب فرداً فرداً بما هو اقرب الى عمل الحاسب منه الى روح الفنّان ، وهذه الطريقة تضعف العمل الجمالي في النشيد وتخفف شيئاً من شاعريته الفياضة .

لكن الطريقة الحسابية النافرة تمحي منذ النشيد الثاني . ولو كان الشاعر يميل بنا اكثر الى الجمالية في بعض تعابيره ، لكان لنا من « قول الحماسة » وحده تحفةٌ شعرية بكر .

ان هوغو ، في قنة « عقاباته » « Les Châtiments » ليظل دون شاعرنا ألماً وانتفاضاً ، ولا ادري أيكون القرم ظليماً في مقابلته بهوغو ام لا ؛ فاني لا اجد في الآداب ما يشبه حنق القرم هنا ، الا حماسة بندار اليوناني - الفنيقي ،

ولهجة الانبياء العبرانيين ، تهدد آناً ، وتنعي احياناً ، صواعق في انقضاض ، وعوالم في انهيار .

ومن خلال هذه النبرات والجهشات يطل عليك الجبل اللبناني المحتضر بعد السنين الخمس العشرة من الانتداب .

وفي هذا النشيد مقاطع تخال من اخراج « ڤاليري »

امّا « قول الذكرى » ، وهو الصفحات كلها تقريباً ، فانه لبنان يخفق حيّاً على اصابع شاعر مؤمن بحياته ، يستنطق لغة الغنقيين ، لغته اللبنانية ، وهو بين الحماسة والجهش ، بين عظمة اجداده والتفجع على لغة كانت للغات سفر تكوين ، وأمست اليوم في القبور والنواويس ، يستنطقها عن تاريخه ، فتطل الوجوه من كل أفق فينقية لبنانية ، تزرع العالم كبراً وعاوكاً واولوية . يستنطقها عن اساطير لبنان واخلاقه ، فتموج مغارة افقا ونهر ادونيس ، اسطورة يأخذ الشاعر من دمها معابد للغته ، وتتكسر الانوار من خلال الارز على الارض علامات من ظل توحي للفنيقي فكرة اللغة .

ويتهادى القارئ في نشيد الذكرى بين المارك والجبلات والشموس ، بين العذارى الطهورات حاملات الجرار الى عين القرية ، والخيالة البسل لاعبي «الجريد» ، بين منشدي « الحدا » و«العتابا» الباكية . حتى اذا أوشك النشيد ان ينتهي تكون قد تقاسمت القلب عواطف النفس جمعاء ، فحزن وحنين الى العهود الذهبية ، وتحسر وغبطة ازاء الفخامات ، وفرح وعبادة دون العيشة الهانئة وجمالات الطبيعة ، الى ما هنالك من الاحاسيس ، بحيث ترى القرم الشاعر العالمي الذي يحاذي صاحب «الانياذة» او صاحب « الالياذة » . عند هوميروس بشرية تخفق بمجموع عواطفها ، وعند القرم كذلك .

ويعلو الشاعر اللبناني اصحاب الملاحم الاولية بانسانيته . وانك لتعجب لهذا الذي يقول « بالوطن » كيف يغمره « شعور انساني » الى جاره او الى ابعد قطر في العالم . كيف يريد هذا الهتلري اللبناني استقلال وطنه ورفعه الى الاوج دون ان يخالجه الشعور الملحمي الاولي بالانقضاض على أثراس أو لوبن يقتل ويذبح . ولا أعلل روح الوطن تمتزج بروح الانسانية في قلب الشاعر الا بان « القرم »

نشأ في بلاد مستعبدة وفي قرن انساني فاذا هو هوميروس في محبة ابطاله ووطنه واذا هو فوق هوميروس في محبة الانسانية[1].

ويسترسل الشاعر في آخر النشيد في التغني بآثار بلاده وطبيعتها بما يقرب من العبادة. تترك قاديشا وبعلبك وناوي على نشيد الشمس فتحس رعشة لا نعرفها الا عند الكونتس ده نوايل او في بعض مذاهب الشعراء السنكريتيين الذين أثروا على الشعر الفرنسي في اواخر القرن الماضي. فهذا الانفلات من الارض وهذا الشعور الفياض بالوهج لم تعرفهما اوربة الا في انفلاتات صاحبة « Eblouissements » فهي تقول في قصيدة « إعطاء »

« انا اترك لكم . . .
نظري وجبيني ،
ونفسي المشتعلة ابدًا والسكرى ابدًا ،
حيث تغاب ايديكم ،
اترك لكم شمس وجهي الوضاءة ،
والملايين من خيوطها.

. . . . .

أترك لكم قلبي ، وكل تاريخ قلبي ،
وعذوبته البيضاء.
وفجر خدّي ، والليل الازرق الاسود ،
المفعم به شعري. »

---

١) وان هذه « الانسانية » في آثار قرم هي التي دعت « جوقة الاستحقاق الانساني العامة » في جنيف الى منحه لقب ضابط في جوقتهم وقد اوضحوا اسباب ذلك في كتابهم المؤرخ في ١ ايلول ١٩٣٤، فاذا هم يعرفون لشارل قرم « خدماته في سبيل المجموع الانساني ؛ وتعبيره ، في « الجبل الملهم » ، عن اشرف العواطف واسماها ».

ولا شك في ان هذه العاطفة الانسانية نفسها ، المترفعة فوق الزمان والمكان ، هي التي دفعت جمعية الشعراء الفرنسيين الى تفضيل شاعر « الجبل الملهم » على مئات الشعراء المنتمين الى اربع عشرة دولة ، المتبارين في نيل جائزة ادكار بو للشعر الاجنبي باللغة الفرنسوية ، فبزّهم شاعرنا ونال الجائزة المذكورة ، على نحو ما نشرته شركة هافاس ، بتاريخ ١٧ ايار ١٩٣٥ (المشرق)

ويقول القرم للشمس :

« خذي جسدي ،
في ذهبك الزلال .
خذي البروتز والعنبر ،
من ايّ اجلادي .
والابنوس والمخمل من قاتم شعري .
والمرجان من فمي، والعسل من عيني .
إنني اقدم ذاتي اليك ، يا شمس . »

. . .

ولو يمكن للترجمة ان تبقي خفايا الشعر ، و«ما لا يقال» من الشعر ، لاثبتُّ من هذا النشيد ما استشعره الفرنسيون في قصائد ده نوايل ، ولكنهم لم يصلوا اليه مع ايّ شاعر مثلنا مع القرم.

على اننا مهما اعتدنا عند الاوربيين من شعر وضعي (réaliste) ، فلا يمكننا ان نقبل من شاعرنا بعض تعابير توحي الينا الآلات ، او بعض طرق في التعداد تذكرنا الطرق الحسابية ، ولكنها تكاد تغرق بما يطفو عليها من طول نفس وفيض شعور. أما التعابير الآلية فهي ، ولو قليلة في قول الذكرى، كثيراً ما تعمل على تبديد الحالة الشعرية التي يكون النشيد قد بلغ بها الاوج .

من وسائل القرم في الاخراج : الايحاء . يعمد الشاعر الى تكبير القلوب وتقوية الايمان بهذا الوطن الصغير ، فيتغنى بتاريخه وجمالاته يوحيها ايحاء مختلفاً وبنفس طويل هو من خصائص شاعرنا ، دون بقية الشعراء اللبنانيين ، فيرفعك الى الحقيقة على الموسيقى والصلاة وما « لا يعبّر » عنه من البيت.

ان القرم في « جبله الملهم » لمدرسة وطنية وشعر .

***

وبين « الجبل الملهم » و«بيت الحقول » شقة مشمة . ومن يقرأ ميشال شيحا على اثر شارل قرم يحسّ وتراً آخر اقلّ فخامةً واكثر نعومةً . فلبنان في « بيت الحقول » لا يخفق ، والوطنية تترك الصوت لاختلاجات نفس قلقة تتساءل وتحبّ وتحنّ.

لا يصل جوح الشعر بميشال شيحا الى اجواء شارل قرم بل يظلُّ عنها بعيداً، ولكنه يسحرك ببعده.

أقف امام « بعلبك » أو بين أظافر « ابي الهول » فاحسّ اني صغير حقير، أتلقت من اسفل الى علو، فأدهش وأعجب وأرهب، وأحسّ كان يداً تنزل مثقلة على رأسي تقول: « إخشع » . فاخشع.

هكذا أنا من « الجبل الملهم » او اللون المسيطر فيه.

وأقف امام رسم رصاصي «لبوشه» تناسقت خطوطه واستيقظ نصف يقظة، عذباً طارئاً، ثم ألتفت متواضعاً بما يشيع حوله من موسيقى فأحسُّ اني اتقدم اليه من نفسي واحس انه اخي، لا تكلف بيننا ولا تباعد، فاطبع على ثغره قبلةً هادئةً ناعمة خوف ان اخدش الحلم الذي يشيعه. هكذا انا من « بيت الحقول » .

على انني في بعض مقاطع من شارل قرم، مقاطع التغني بجمال الجبل وعذارى الجبل واساطيره، أشعر بما عرفته ازاء ميشال شيحا. ولكنني في قصائد شيحا لا اشعر بما عرفته ازاء القرم. صاحب « بيت الحقول » يبدو وصيناً في عاطفته عميقاً. وقد تتنازعه « الرواقية » ازاء الحياة، وان يكن يرى بعض الاحيان « ساعة وردية حيث النحلة السكرى » او يستوي عنده الحب والالم فهما « ينبوع افراحه وينبوع آلامه » . ولا يقدر ان يعيش بدون حب فيعاتب الله على ذلك ويقول: « يا ربي لقد خلقت لي قلباً كبيراً عليّ »

اذا كان القرم في انفلاته يشبه الكونتس ده نوايل ويزيدها في هذا الشعور، فان شيحا بما يغمر نفسه من عاطفة عميقة لا يطمع الا بمجاراة صاحبة « شرف المذاب » أو « القوى الابدية » .

وشاعرنا متزن اللهجة يتكامل الحلم عنده على مهل كيقظة الفجر في الصباح الضبابي، هو فيلسوف يتساءل عن اسباب كثيرة ويجيب باتضاع موفق. ولقد يقع من الفلسفة في قصائد تظهر فيها مذاهب الكتب المدرسية فيعدم الفنّ شأنه في قصيدته « فلسفة » . واجماعاً نرى شيحا يضرب دائماً على الاوتار العميقة الناعمة، لا يدرس العواطف فقط بل يدرس دقائق العواطف، فهو مرةً ذكرى

ومرة حنين ، وما أدق الفرق بين الاثنين . وهو ملاحظ دقيق يعود من باريس وفي قلبه احاسيس نافرة لخطوط هناك خافتة . فيقدم لنا في ابياته « البركة » راهباً في ثوبه الاسود كأنه آتٍ من « اعماق العصور الوسطى » ، او يصور لنا قصوراً ذات عتق ، تطل منها اطياف الاميرات اللواتي يتحدثن بالغرام على اثر حضور القداس .

وفي قصائده « الحصاد الجديد » رعشة يخصب فيها السكوت والحلم وكل ما يوحي حالات القلب البشري ، بليغة في ابهامها ، ضبابية في جمالاتها . ان ميشال شيحا شاعر الدقائق في العاطفة وشاعر الايحاء . واذا يصف قطعة من الطبيعة فليقول لنا كيف تنعكس في قلبه واي تأثير تحدثه . وبينا هو في غمرة من الكآبة تراه يطل حاملاً مخارج من متاعب الحياة ، فاذا القصيدة ذات روح حكمية ، روح اود ان تطغو على طريقة العرب في الحكم ، تلك الطريقة العقيمة التي تقوم على « افعل ولا تفعل » من مثل قصيدة ابن الوردي .

لم يخرج الشاعر في كل ديوانه تقريباً عن النظم المدرسي تغمره الموسيقى والالفاظ والتعابير الايحائية . وانه في « ملاحظات باريس » و« الحصاد الجديد » شاعر التأملات الخصبة التي لا يخشى الاسترسال بها ، فهي بالعكس تعطي القصيدة تلك الجمالية التي ترقي الشعور ان بجوها الفني او بغمرتها الحكمية .

***

ويتوشح « القصر العجيب » لايلي تيان بما يسمونه « لذة التخيل » ، على ان هذه اللذة في القصائد الاول ، اذا توفقت في الاخراج ، فتتوفق في روح القصيدة اجماعاً او في عنوانها ، لا في مقاطعها او تعابيرها منفردة . يأخذ ايلي تيان موضوعاً كتبياً اعطاه الزمن روعة القدم وروعة الايحاء . « كالحناء النائمة في الغاب » او « العصفور الازرق » او « ربة الشعر » . — وكل من يعرف « حكايات الجن » في الفرنسية يعرف الروعة التي لهذه المواضيع — ولا يحوك شاعرنا حول هذه المواضيع كثيراً ، ولكنه اذا يحوك شيئاً فبلهجة المناجاة ، فتصف القصيدة بعضاً من حالات النفس كالامل والشوق والحنين .

اما بقية الديوان فمناجاة عاطفية قد تطول وقد تقصر ، فكاد لا نؤمن

بروعتها الشعرية لولا الموسيقى التي فيها، والموسيقى احياناً هي الشعر كلُّ الشعر.

وفي الديوان قصائد اخر حكمية تقوي الايمان بالحياة، وقصيدته « نصيحة » هي تفاؤل قوي، نود لو يطفو على الكثير من القصائد المائعة عند شعرائنا بالعربية على انك كلما تقدمت في الديوان تلألأت لعينيك الطريقة الايحائية الصافية وقلت التراكيب المبدّدة للحالات.

ويفضل التيان شيخا بقصائده الاخيرة المعنونة « يا بلادي » اذ يعود الى طريقة القرم في التغني بلبنان.

ولقد قرأت القصر العجيب منذ سنتين وهو يومئذ مخطوطة لم يكتشفها صاحب « المجلة الفينيقية » فاذا هو خلوٌ من هذه النفحة اللبنانية، فهي اذن من نظمه الحديث.

والوطنية في قصيدة « يا بلادي » صورة للكثير — ان لم اقل للمجموع — من النفوس اللبنانية التي لم تصل بعد الى ايمان شارل قرم بعبادة لبنان، ولكنها على الطريق.

وفي هذه القصيدة مقطع دقيق الوصف هو بين أرق ما قرأت من شعر. قال التيان :

« ولكن (يا بلادي) ما مثلك أحد له هذه العذوبة الجريح ،
هذه الفتنة الحزينة.
من روح أحبّت ولكنها تُركت ،
على انها ظلت تبتسم. »

لا يصل « التيان » إلى نفس القرم الطويل ، لا يصل الى تلك القوّة في الاداء . على انه رغم ذلك يعرف ان يساوي بين عواطف قصائده الرصينة والقول المتّزن.

واجمالاً ، ارى ان ديوان ايلي تيان على روح جمالية لا تنفكّ تغمره الى النهاية.

***

وهكتور خلاط ؟ قد يكون اول من تغنى بلبنان اذا اخذنا بتاريخ

قصائده ، على ان هذه القصائد اللبنانية لا تعلو عن مستوى شعرنا العربي الظرفي.

وآسف ان يكون مثل هذا الاداء لمثل هـذا الاسفاف في المواضيع والفكر.

فقصيدة الاستهلال ، وشكر الكونتس ده نوايل،ومديح شبلي ملاط ، لما يوحي عكس الاعجاب . اما القصيدة الاخيرة فتضرب المقياس بهزال الابتكار وقوة الصبيانية :

فقد الشاعر واحدة من ربّات الشعر التسع ــ وياليته فقد الجميع ! ــ فجاء يسأل عنها اترابها . وهذا جواب احداهن بالحرف :

« . . . يا من لا يمكن اصلاحه، يا خلاط ،
أنت تريد أختنا في لفتة الشباء
اذهب فتراها تحت سقف الملاط »

وفعلًا تجيء القافية . . . واذا « خلاط » قافية « للملاط » . . .

وشاعرنا كما يظهر على بعض الاتصال بالادب العربي ، فهو يلتقي بالشاعر العربي الذي يشبه الحاجب بالنون ، ولا ينقصه الا ان يسرق مثل هذا التعبير من « شاعرنا الكبير » :

ضربتني فألمت، لا كضرب دار في النحر بين زيد وعمرو

وفي الديوان ، عدا هذا النمط العربي ، مجموعة بعنوان : « مقاطع نرجس » أذكر اني قرأتها في « المجلة الفنيقية » ، وكل ما يقال بها : « انها مقبولة » ولا يذهب كثير عبقرية ولا كثير اسفاف ليكون الشيء مقبولًا .

اما القصيدة التي تشرف الشاعر ، او الادب اللبناني اجماعاً ، فهي « الرقص تحت الارز »

حقًا ان للشاعر خلاط دَيناً على كل فنان لا يدرس هذه القصيدة درساً عميقاً ويطريها . فهي وحدها ديوان .

واذكر اني قلت لاحد شعرائنا ، ونحن نقرأها معاً :

« اني لم اشعر بمثل هذا الشعور الا عند قراءتي « الروح والرقص » لبول ڤاليري » .

في القصيدة وصف عاطفة تندفع رصينة ثم تعلو الى الجموح على روعة فنية لا تخدشها نبرة . يظهر ان الشاعر قد افلت من يده الى الموت حسناء غالية يذكر لها رقصها في ظلال الارز . فاذا يحجّ يوماً الى المكان ، حجّ ثني الى رونسفو ، يرى في انغام الناي أشجى من رؤية شاعر « الصُور » فيقدّم لنا من خلال الذكرى والحنين والاعجاب ، والنشوة ، ألف صورة وبراجة ضاحكة فتانة لتلك المحبوبة الراقصة . ويطول الوصف الفني ، دون ما اسفاف ، بل يزداد ارتفاعاً كانه يتناسب وعاطفة الراقصة المتزايدة مع نشوة الرقص .

واذا ينفلت الشاعر من الموسيقى الشائعة على خطى الراقصة ، يجهش في صرخة دامية :

« ايتها الراقصة ، ذات الخطى المضطرمة ، ماذا حلّ بك ؟! »

لقد قرأت القصيدة مثنى وثلاث وسأقرأها طويلاً ، اتمتع بعاطفتها المضطرمة والحنون معاً ، واخراجها الايحائي الرفيع المتلئ المستوى ، وسأظل اجد فيها صورةً للشعر رفيعة .

***

لم يكن شعراؤنا بالفرنسية واقفين على الادب العربي ، يستوحونه ، فنشأوا شخصيّين ؛ لم يعرفوا تشابيه العرب فيؤخذوا بها كغيرهم ، فنشأ شعرهم مبتكرًا بعيدًا عن « القوالب » التي يأخذها شاعرنا بالعربية عن الاقدمين ، لا لانه يحبّها بدوره بل لان اولئك قالوها في مثل ظرفه .

واقترن الابتكار عندهم بالثقافة فولد شعرًا مخلصاً وفنياً .

اما الاخلاص ففي وصفهم بلادهم يوم لم ينكر شاعر عربي بها ، فخدموا النهضة الوطنية ، اذ تغنوا بامجاد البلاد واظهروا امانيها . واما الثقافة ففي درسهم النفس والتعرض للمشكل الفلسفي .

وانتا ، بعد متاطع ميشال شيحا العميقة ، لعلى كثير تفاؤل ببلوغ مكانة يحترمها الغير ، وبعد الروح الانسانية التي تغمر « الجبل الملهم » ، لعلى تتطلع جريء الى أبعد من الحواجز والحدود .

هذا فضل المعين الاوربي علينا ، المعين الـذي ارتجع اتجاهنا اليه بعد فترة الحيرة التي نحن فيها.

ولا يزعم زاعم ان الفضل في نجاح شعرائنا بالفرنسية يعود الى اللغـة التي نظموا فيها ، فهذه اهانة مجانية للغة العربية ، يجب ان ترد الى المقلدين او غير المبتكرين . فشارل قرم نفسه ، بعـد فاليري ولامرتين ، يتذمر من اللغـة الفرنسية ووضعيتها في الاداء الشعري ، فالعربية ــ والفاظها غير خاصة لانهـا لم تُغرق بعدُ في التآليف العلمية ــ هي خير من الفرنسية في الاداء الشعري.

واني في النتيجة لا افهم هذا النجاح في شاعر لبناني يخفق قلبـه بالشرق واماني الشرق وينظم بلغة غريبة عنه ، الّا دليلًا على عدم تجزؤ الروح في العالم، واتمنى الّا يقال بعد اليوم : « روح غربي وروح شرقي». ان هذه النغمة ستمـي قديمة ، والنفس البشرية واحدة أين كانت.

شوقي على المسرح

شوقي والفن

بقلم ادوار حنين

شوقي وبعض المبادئ المسرحية (تتمة)

المحسّنات التمثيلية

ثم تعرض مسألة المحسّنات التمثيلية من ترتيب الزينة ، وتهيئة الانقلابات ، وما كان من امرها وشوقي.

ففيما يتعلق بالزينة ، علينا ان نميز بين الزينة الخارجية اولاً من زينة الاشياء وزينة الاشخاص ، والزينة الداخلية ثانياً.

امّا الزينة الخارجية فمما لا مراء فيه ان شوقي اوجد ما يلائم قصور المماليك في « علي بك الكبير » ، وقصور قدماء المصريين في « مصرع كليوباترا » ، و«قمبيز» ، ومضارب الاعراب في «عنترة» و«مجنون ليلى» . وقد خصّ كل قوم بما يناسبهم من الثياب ، فرأينا عنترة مثلاً عربياً في ارض عربية ، والفراعنة مصريين في دور مصرية .

الا ان هناك الزينة الداخلية ، اعني عادات الاشخاص واعتقاداتهم وكل ما من شأنه تذكير الناظر بعصرهم وباصلهم العربي او الفارسي او المصري او الاندلسي او الشركسي.

فمن هذه الناحية ، لا نشك في ان شوقي جعل الفارسي (قمبيز) والمماوك (علي بك الكبير)والشركسي(مصطفى اليسرجي) والرومي (انطونيو) والاندلسي (بثينة) والمصري (نتيتاس) على مثال واحد ، هو المثال العربي . ان هؤلاء اجمعين ينهجون منهج الاعراب في حياتهم العادية والعائلية والاجتماعية . . . هذا نقص كنا نودّ لو فطن له شوقي ، اذاً لكان اصلح من امره الكثير.

ولا اظنني افاجئ احداً ان قلت ان شوقي «العربي» لم يحسن تصوير العرب الاقدمين فيما ذكره عن عنترة وعبلة والمجنون وليلى وغيرهم . افما رأيت كيف اخطأ تصوير السيد العربي[1]؟ اجل، ان شوقي لم يحسن تصوير العربي في محيطه العربي وبيئته العربية،وان اورد في «مجنونه» بعض ما يقنع القوم بانه حريص على عادات العرب واعتقاداتهم[2] . ذلك انه لم يستطع نقل الحاضرين من بيروتهم وقاهرتهم وبغدادهم الى بادية نجد حيث عاش المجنون وليلاه ، والى احياء بني عبس وبني عامر وما جاورهما حيث عاش عنترة وعبلة وربعهما .

الانقلابات

وزانا مسوقين الى التحدث عن الانقلابات في حديثنا عما خص المحسنات التمثيلية .

فمما يجدر بالذكر هو ان شوقي لم يكثر من استعمالها ، وانما اقتصر على اللازم الضروري . ومع ذلك نراه لم ينجح في هذا القليل الضروري ، فانه لم يحسن واحدة منها ، حتى في احرج المواقف ، وادعاها للابداع . وهل للمجنون احرج من الموقف الذي يخبر فيه ان ليلاه ماتت ؟ . . .

فانظر كيف اعده شوقي وكيف اوقعه ، واحكم .

لقد جاء في الصفحات ١٣٤ من «مجنون ليلى» وما اليها ما يلي :

يظهر بشر قادماً الى المقبرة من ناحية الحي ، اذ كان قيس ينشد قصيدته الساحرة في الذكرى :

«جبل التوباد حيّاك الحيا وسقى الله صبانا ورعى» (٣)

فيقول بشر :

عزاء قيس .

قيس مَن؟ بشر ؟

بشر أجل !

قيس فيمن تعزّيني

---

١) راجع «مشرق» السنة الحالية ، ص ٨٦-٨٨

٢) مجنون ليلى،ص ٢٤،٧٢،٧٤،١٢٦ . . .

٣) مجنون ليلى،ص ١٣٢

انا الميّت ، يا بشر ، وان أخرّ تكفيني

يضطرب بشر وقد ادرك جهل قيس وخرج الموقف فيتحامس وزياد ... ثم يسأله قيس عن الحي واهله وعن امه ومهاره ، واذ هما آخذان بالحديث يضطرب بشر ثانية فيسأله قيس :

قيس ويح بشر ماذا به ؟

بشر قيس!

قيس بشر انت في نفسك المفيّة سائر

تشبه الحزن والبكا نبرات لك كانت كضاحكات المزاهر

بشر : الى نفسه ثم الى قيس

ربّ ماذا اجيب ؟ لا شيء، ياقيس،

قيس بل الحزن في محيّاك ظاهر

ولقد راعني لك اليوم جدّ من خليع العذار بالامس سادر

تغرورق عينا بشر بالدموع

ما جرى ؟ ما الذي اثارك يا ابن العم ؟ ما هذه الدموع البوادر ؟

بشر قيس ، لا شيء

قيس بل كنت جليلاً هذه وجهة الشيّ المحاذر

بشر قيس!

قيس . لا تجم ، ولا تخف شيئاً ، انا ، يا بشر ، بالفجيعة شاعر

خلجت،قبل التقي،عيني اليسرى وريع الفؤاد روعة طائر

بشر اعني ! اعني ! بربك ما انت على ما اقوله لك قادر

قيس اماتت!

بشر اجل قضت امس

قيس والبلاء !

بشر ما اشدّ المقادر

هذا انقلاب لا اظنه احدث في قلوب الحاضرين ما ينتظره المؤلف الروائي من انقلاباته . ولماذا ؟ ألانه لم يحلّ محلّاً حسناً في سياق الموضوع ؟ لا . اذ اي موقع احسن من هذا الذي هو فيه : ماتت ليلى ... قيس يجهل الخبر ... جاء بشر معزياً فكان الناعي ... ان الموقف لمختار وفق فيه المؤلف.

فلماذا اذاً اخفق شوقي ؟

ذلك انه جعل الكلمات الاساسية في هذا الانقلاب : « ماتت » ... « ليلى » ... على سبيل الاستفهام،اذ قال قيس : « أماتت » ؟

ذلك ان شوقي اسقط اسم ليلى الذي، على ما ازعم، يحدث حدثاً لا يقوى عليه الضمير.

ثم ان شوقي جعل الخبر على لسان المجنون نفسه ... فكان القائل والسامع فايّ وقع تحدثه كلمات على مصدرها ؟ ! اما لو قيلت على مسمع من قيس ، لا منه مباشرة ، لكانت ابعد اثراً في نفسه ونفوس الحاضرين.

واظن ان شوقي لم يحسن تمهيد حدوث الانقلاب، اذ جعل « المجنون » في حالة محزنة لا يستغرب معها خبراً من الاخبار ... فهو يستنظر كما قال خبر سوء :

لا تجم ولا تخف شيئاً ... انا ، يا بشر ، بالنجيعة شاعر
خلجت ، قبل تلتقي ، عيني البشرى وريع الفؤاد روعة طائر

ولو انه اعطاه حالة فرح ومرح ينشد معها الشعر ويحتسي الخمر ويناجي شبح ليلى لكان وقع الانقلاب في ارض صالحة ، واحدث ما يرتجيه المؤلف منه.

ثم افما رأيت شوقي كيف يحط الحديث دون ما مبرر ؟ .. وكيف اوقف مجرى افكار قيس في سبيل هذه الغاية ؟ اذ ما الذي دعا قيساً الى الاقلاع عن الحديث الاول الذي تناول فيه بشر العزاء الى آخر تناول فيه قيس الاستعلام عن الحي ... وكيف اعاد الحديث ! ! كل هذا من التكلف والتصنع على جانب كبير.

ونحن ذاكرون لك انقلاباً آخر لا يبعد بالنوع عن هذا لتحكم فيه ذوقك دون ان نعلق عليه حرفاً[1]

مصطفى انت تحبها (٢)
مراد اجل !
مصطفى انت ؟
مراد اجل ؟
مصطفى حذار ، يا مراد ، من هذا الهوى
مراد : مضطرباً :
ولم ؟ وما آمال ؟ اهي من دمي ؟ ام هي لحمي ؟
مصطفى هي، والله، ما

١) علي بك الكبير ص ١١٢ ٢) الضمير عائد الى آمال

مراد: احبي ؟

مصطفى: اجل اختك

مراد: يا لي ولها من هول ما كنت عليه مقدما !

شوقي النفساني

اذا ما فهمنا « بالنفساني » ذاك الكاتب الذي يرى عادات البشر واعمالهم. فينقدها ليقوّم المعوج منها،يجب ان نعجل بالقول ان شوقي ليس بذاك الكاتب. امّا اذا كان المقصود من ذاك الاسم الرجل الذي يعرف ان يقرأ بعض ما يجول في النفس البشرية ، فقد لا ينكر على شوقي بعض محاولات وُفق فيها احياناً ، على بعض شذوذ واضطراب.

لقد حاول شوقي — مع بعض التوفيق — تصوير الرجل الحازم الذي لا تثني عزيمته الموانع الجدية ، مهما صعبت وكثرت، الرجل الحديدي الذي يضع نصب عينيه غايته فيسعى اليها امثال عنترة ، واكتافيوس،وقمبيز. وقد حاول، مع بعض النجاح ، تصوير النفس اللئيمة في مالك وثانيس ، والنفس العاقة في محمد ابي الذهب ومراد بك ، والنفس الامينة في شرميون وهيلانة واوروس وزياد ، والنفس العزيزة الشريفة في ضرغام وليلى، وكلها صور ولكنها قاتمة يطغو عليها وشاح من العجز والتقصير يستدعينا الى استرجاع ذاك البعض القليل من مقدرة الكاتب النفساني الذي اقررنا له به.

شوقي والشعب

ولشوقي النفساني آراء في الشعب. وهي وان لم تكن مبتكرة، فعلى جانب يذكر من الصحة،اذ صوّره لنا عبد الاشاعات والاخبار السيارة ، كثير التقلب والتغيّر .

امّا الصورة الاولى فواضحة في المشهد الاول من الفصل الاول من «مصرع كليوباترا » ، حيث نرى الشعب ، وقد انتهت موقعة اكتيوم البحريّة ، فرحاً جائباً الشوارع والازقة ، راندًا حوالي القصر ، هاتفاً بحياة مليكته ، هازجاً اهازيج الانتصار والحبور ، في حين ان مليكته لم تلقَ الا الانكسار وعار الهزيمة والشنار . هذا ما فسح المجال لشوقي فقال :

إسمع الشعب ديون ، كيف يوحون اليه
ملأ الجو هتافاً بحياتي قاتليه
أثر البهتان فيه ، وانطلى الزور عليه
يا له من بغاء عقله في أذنيه ! (١)

اما الصورة الثانية حيث يتراءى لنا الشعب احمق ابله كثير التغير والتقلب ، ففي « مجنون ليلى » اذ يخطب منازل في القوم مظهراً حسنات قيس مقرظاً صفاته ، ثم لا يلبث ان يثيرهم عليه بقوله :

. . . . اذن ما بالكم لم تثوروا ، ما لكم لا تغضبون ؟
هوذا قيس مع الوالي اتى يطأ الحي ، وانتم تنظرون
قيس لم يترك لليلى حرمة ، ما الذي انتم بقيس فاعلون ؟
صوت : ماجن لا بد من تأديبه !
صوت آخر : ان بالسوط يربي الماجنون !
منازل حلل السلطان بالامس لكم دم قيس ، ما الذين تنتظرون ؟
صوت حلل السلطان بالامس لنا دمه !
صوت انا بقيس فاتكون ! (٢)

يسمع ضجيج واندفاع ثم يصعد بشر منبر الخطابة فيجتمع حوله جماعة من الناس :

قائل ارجعوا يا قوم هذا منبر ، وخطيب ،
سائل ليت شعري من يكون ؟

فيخطب بشر ثم يعقبه زياد فيستميل اليه الرأي العام مكرهاً القوم بمنازل ، فيشتم القوم منازلاً بعد ما هتفوا لقوله مستحسنين . واليك المشهد(٣) :

زياد منازل ، كنت كثير الكلام ، ووالله ما قلت الا الكذب
صوت اتزعمه كاذباً ، يا زياد ، وقد ذاد عن حرمات العرب
زياد رويدك ! لا تنخدع يا فتى ، ولا تأخذ الامر دون السبب
صوت منازل ، دافع عن سنة معظمة من قديم الحقب
زياد تأمل ، منازل ، سخط الجموع ، وجهلك ماذا عليهم جلب

---

١) مصرع كليوباترا ، ص ٢
٢) مجنون ليلى ، ص ٥٨ ، ٥٩
٣) مجنون ليلى ، ص ٦٦ وما بعدها .

اجل قد غضبت ، ولكنما لنفسك ، ليس الى الغضب
تحض على قتل قيس الرجال لتحظى بليلى ، اذا ما ذهب

اصوات ليحظى بليلى ؟
زياد نعم
آخر أين
ثالث ان هذا عجب
زياد سلوه الم يكن ينشى النديّ ، ويطاب ليلى اشد الطلب
صوت اذا كان يخطب ليلى ؟
المهدي نعم
صوت اذن قد تجنّى !
صوت اذن قد كذب !
زياد منازل ، قل لهو كم ضرعت الى ليلى ، وكم اعرضت لم تجب
صوت منازل اخدع وغشّ غيري
آخر قد جاز الا عليّ كذبك
ثالث وما انت الا جو شقيّ تحبّ ليلى ولا تحبّك

شوقي المهذّب

هل يصحّ في شوقي ما قاله «ڤولتير» في كورنيل : « ان رواياته التمثيلية مدرسة لعزّة النفس والاباء » ؟

افلا نجد مبرّرًا لهذا الزعم في « نتيتاس » ، ابنة فرعون « ابرياس » ، التي ضحت بصفو عيشها وهناتها في سبيل فداء تربة الاجداد من همجية « قمبيز » ، اذ رمت بنفسها بين يديه لخلاص الامة المصرية جمعاء .

وليلى ؟ ! او ليس فيما صدر عن هذه الفتاة العربية من تضحية بالحب وتقديس للشرف والواجب ما يُعد مبرّرًا لما سبق ؟ واية فوارق تفرقها عن « شيان » في « سيد » كورنيل ؟ ؟

وايّة أمة هي آمال ؟ انها لمن الحرائر اذا ما استُند الى اعمالها للحكم عليها . . .

واية ميتة ماتها انطونيو وكليوباترا اللذان عاشا في اللهو والفسق طيلة ايام حياتهما جنبًا الى جنب ! ! شرّ ميتة : بالانتحار .

امّا طريقة شوقي في التهذيب والتعليم فهي مزدوجة. فالطريقة الاولى كانت في ان يعرض اشخاصاً حياتهم مثال الحياة الصالحة واعمالهم منهاج صادق لاعمال الخيرين[1] . والطريقة الثانية كانت في ان يصوّر اشخاصاً فاسقين كانطونيو وكليوباترا على شرط ان يقيامهم جزاءهم السيئ قبل الانتهاء[2] .

وكلتا الطريقتين تبلغان بصاحبها الى نتيجة حسنة. الا انه يخاف على متبع الطريقة الثانية من مخاطر الشهرة واهوالها بان لا يعلق في واصف الجمهور الّا القبيح المرذول.

وقد اضاف شوقي الى عمله هذا عملاً تعمّد فيه وعظ القوم مباشرة فلم يكن بأحسن ما فعل وذلك بايراد ابيات حكمية في سياق المواضيع ... ومن ذلك قوله :

وداعاً ، عروس الشرق ، كل ولاية وان هزّت الدنيا لها الموت آخر (٣

وقوله :

من القصر لا تلتمس خلوة وان هو من كلّ حسّ خلا
سماء القصور لها اذنا نٌ وارض القصور بعين ترى (٤

وقوله :

وما كمن الشيوخ اذا احبّوا وليس وراء غيرهم بلاء (٥

وهذا :

ولديّ ، اهجرا القصور فاني قد وجدت النعيم فيها غريبا (٥

وهذا :

وماذا يقول العاجزون اذا ابتلوا ؟ يقولون : حكم الله ، ياقلب ، فاصبري ! (٦

هذا وليس من المستنكر ان ينتج عن الرواية امثولة صالحة — لا بل انه لا بد من ان ينتج عن الرواية امثولة . قلنا : فلتكن صالحة بدل ان تكون طالحة على شرط ان لا يكون همّ الروائي الاكبر الوعظ والارشاد ...

---

١) الطريقة تتبعها في « قمبيز » ، « مجنون ليلى » ، « علي بك الكبير »
٢) الطريقة تتبعها في مصرع كليوباترا مثلاً
٣) مصرع كليوباترا ١١٣ ٤) مصرع كليوباترا ٢١-٢٢
٥) « « ٦ ٦) « « ٦٠

شوقي الشاعر الوطني

وقبل ان نختم هذه الشذرات علينا ان نشير الى ان شوقي كان في معظم رواياته شاعرًا وطنيًا . ولا سبيل للمعاكسة اذ ان نظرة الى اسماء رواياته تكفي لاقناعنا :

مصرع كليوباترا	رواية مصرية
قمبيز	رواية مصرية
علي بك الكبير	رواية مصرية

فكلها تدعو الى مصر وابنائها وتاج الفراعنة.

ولم يفته كذلك ان يدعو الى الوحدة العربية والعرب كما اشرنا سالفاً ، مكتفين بما تقدّم .

المبنى في روايات شوقي

لشوقي ، كما سبق لنا القول ، خمس روايات شعرية ورواية سادسة نثرية . فما هي صفات شعره ونثره في هذه الروايات ؟

ولنبحث قبل كل شيء في صلاح الشعر العربي للتمثيل.

لقد صلح الشعر العربي منذ القدم للمدح والفخر والرثاء والوصف والغزل والهجاء. فكان لنا ما نسميه اليوم « الشعر الغنائي » وارباب كثيرون عند العرب في كل عصر من العصور. ولم يعجز عن استيعاب الحكَم والآراء الفلسفية، كما دلَّ على ذلك شعر زهير بن ابي سلمى وطرفة في الجاهلية ، وشعر ابي العتاهية وابي العلاء في الاسلام ، وغيرهم من السابقين واللاحقين. وقد ثبت لنا ايضاً انه لا يقصر عن وعي القصص طالت او قصرت ، والياذة هوميروس التي عرّبها سليمان البستاني شعرًا تفحم من يحاول الانكار . . . افيصلح هذا الشعر للروايات التمثيلية ، كما صلح لذلك شعر كورنيل وراسين وغيرهما من شعراء الافرنج ؟

ان رجعنا في ذلك الى العقل نرى انه لا مسوّغ للشعر العربي للتقصير في هذا المضمار.

ينظم الافرنج رواياتهم التمثيلية على نوع واحد من البحور ، هو البحر « الاسكندري » اطول البحور عندهم والينها . وقد يندر ان ترى مقطعاً في رواياتهم يخرج عن هذا القياس الطويل . اما نحن ، ابناء العربية ، فلكل ناظم عندنا ستة عشر بحراً يلج فيها متى شاء وانّى شاء ، ولكل بحرٍ من الاعاريض والضروب ما يزيد على الثلاثة او الاربعة مما يضيف الى عدد الاوزان عدداً ليس بالقليل . وقد لاحظ أئمة الشعر ، كالعلامة سليمان البستاني في مقدمة الالياذة[1] ، ان لكل بحر من البحور نوعاً من الافكار والعواطف يصلح دون سواه للتعبير عنها . فالطويل مثلاً يتسع للفخر والحماسة ، وسرد الحوادث ، وتدوين الاخبار ، ووصف الاحوال . والبسيط ، الذي يقرب من الطويل ، يقصر عنه في بعض المواضيع ويفوقه رقّة وجزالة في غيرها . واشار الى ان الكامل هو اتمّ الابحر السباعية ، وانهم احسنوا بتسميته كاملاً لانه يصلح لكثير من انواع الشعر ، وانه اجود في الخبر منه في الانشاء ، واقرب الى الشدة منه الى الرقّة ، وانه اذا دخله الخذذ وجاد نظمه بات مطرباً مرقصاً وكانت به نبرة تهيج العواطف . وهناك الوافر ، البحر اللين الذي يشتدّ اذا شددته ، ويرقّ اذا رققته ، وهو يصلح للفخر خاصة . والخفيف ، وهو البحر الذي يصحّ للتصرّف بجميع المعاني كما يلاحظ الكاتب المذكور ، ليس له نظير في السهولة والانسجام . وهو ، اذا جاد نظمه ، رأيته سهلاً ممتنعاً لقرب الكلام المنظوم فيه من القول المنثور . والرمل الذي يجود نظمه في الاحزان والافراح والزهريات . وقد يحسن الوصف وتمثيل العواطف في البحر السريع ، ويصلح المتقارب للعنف اكثر منه للرقة ، والمجتث او المتدارك هو اصلح البحور لنكتة او نغمة او ما اشبه وصف زحف جيش او وقع مطر او سلاح . ثم يأتي الرجز ، اسهل البحور في النظم ، واقلها جميعاً في ايقاظ الشعائر واثارة العواطف ، فيجود في وصف الوقائع البسيطة وايراد الامثال والحكم والتعبير عما يريد المؤلف نظمه ، مما لا عاطفة فيه ، ولا شعور قوي او فكر سام يحلّ محل العاطفة .

---

١) مقدمة الالياذة ، ص ٨٠ وما بعدها .

واما الابحر الستة الباقية وهي: المضارع ، والمقتضب ، والمجتث ، والهزج ، والمديد ، والمنسرح. فكلها، كما قال البستاني، تجود في نظم الاناشيد والتواشيح الخفيفة . وكلها تصلح للمسرح وربما كانت خلقت له ، فهي تظهر تلاعب العواطف في اشخاص الروايات والتردد والحيرة ، وهي تعي النبرات الغضبية ، ولهثات المتنازعين ، واحاديث الضعفاء، مع كلامهم المتقطع المترجرج. وقد يحسن بالمؤلفين الروائيين ان يلجأوا الى المديد عندما يحتاجون الى النثر للتعبير عما هو بسيط عادي... فاين من هذه كلها الوزن « الاسكندري » مهما لان وتنوّع ؟ !

وربّ قائل يقول : ولكن الشعر لا يستعمل الا في التعبير عما هو سام من العواطف والافكار . فنجيب ان عندنا من البحور ما يقرب من النثر فنستخدمها فيما انحطّ فكرًا وعاطفةً ، ونحتفظ بالبحور الموسيقية الرنانة لما يسمو منها ويعلو . ثم ان ليس شأننا في هذا المقام شأن الافرنج الذين ينظمون شعرًا رواياتهم التمثيلية ولا يندمون ؟ او هل كان شعرنا العربي اكرم محتدًا واشرف نسبًا من شعر اولئك ؟ ام كلنا في الشعر سواء ؟ فان صحّ في الروايات عندهم ، فلماذا لا يصحّ عندنا وشعرنا اكثر تنوّعًا من شعرهم واكثر بحورًا واوزانًا واقرب ، في بعض اوزانه ، الى النثر مما سواه من شعر الفرنجة وغيرهم ؟ !

هذا ، وهل صلح الشعر العربي قبلًا للروايات التمثيلية ؟ وكيف حاله وشوقي ؟

مما لا جدال فيه انه ، الى ما قبل شوقي ، كان الشعر العربي في الروايات التمثيلية ، لا يزال خشنًا قاسيًا لا يلين للاحاديث المسرحية المتنوّعة ، ولا يجود في بعض مواقف تتطلّب سرعة في التعبير ورشاقة . وذلك لاسباب قد ثبت لنا فيما بعد انها تعود للمؤلفين ، لا لطبيعة الشعر العربي . واهم هذه الاسباب ان اولئك المؤلفين المسرحيين ، ما عدا الشيخ خليل اليازجي ، والشيخ عبدالله البستاني ، لم يكونوا من الشعراء الافذاذ، ولا ممن يكثر نظم الشعر وقرضه. ومن لم يكن شاعرًا فذًّا ، ومن كان لا يتعاطى الشعر الا قليلًا ، فهذا لا يجيد الشعر في اسهل فنونه ، فكيف به في اصعبها ؟

ثم ان اولئك الشعراء الذين تقدّموا شوقي في وضع الروايات التمثيلية الشعرية ، غير مستثنين واحداً منهم ، صعب عليهم الانتقال دفعةً واحدة من المحافظة الكليّة على وحدة البحر والقافية في المنظومة الواحدة الى العبث بتلك الوحدات والتنقل من قافية الى قافية ، ومن بحر الى بحر ، انّى عنّ لهم ذلك ومتى رأوه موافقاً . واثباتاً لذلك نرى ان المؤلف المسرحي القديم — واعني بالقديم كل من تقدّم شوقي — كان يجهد نفسه فيثابر على القافية الواحدة والبحر الواحد في كل فصل من فصول روايته الاربعة او الخمسة . وان اعجزه ذلك كان يرضخ ، وفي القلب ما فيه ، للحكم الجائر الذي كان يقضي عليه بحفظ وحدة القافية والبحر في المشهد الواحد ، واذا استطاع ففي المشهدين او الثلاثة وما فوق .

وهكذا تكاد تخار كل تلك المؤلفات التي تقدّمت شوقي من مشهد ينتقل فيه مؤلفه من بحر الى آخر ومن قافية الى أخرى .

اما الشيخ عبدالله البستاني ، اكثر الاقدمين تنوّعاً بشعره الروائي ، فهو اكثرهم حرصاً على هذه الشريعة النظمية . وقد شهدناه في روايته « مقتل هيرودس لولديه » ، التي تتجاوز الالف بيت[1] ، يبدّل قوافيه ٣٣ مرّة لا غير ، اي انه كان يحافظ على وحدة القافية في عدّة مشاهد متوالية . وقد يلوح للقارئ ان حنين الشيخ الى القافية المهجورة قويّ جداً ، فهو لا يكاد يودّع قافية من القوافي الا ويرتع بلقاء أخرى ودّعها قبل حين ، ولا يلبث طويلاً الا ويعود الى التي ودّعها بدءاً . وعلى هذا فانك لا ترى في منظومته الكبيرة سوى خمس او بيت قوافٍ تروح وتجيء . ومثل هذا قل عن حنين الشيخ الى بحوره ، فقلما يترك بحراً لآخر الا ويعود الى البحر المهجور في البداية .

ان احتفاظ الاقدمين الزائد بوحدة البحر والقافية ، كما وصفنا اعلاه ، حال بينهم وبين اكساب الشعر العربي ليناً ومرونة قد اكتسبهما فيما بعد . ونحن ممن لا يداخلهم ريب في ان الشيخين اليازجي والبستاني وغيرهما كانوا توصلوا الى

---

١) في مقتل هيرودوس لولديه ١٠١١ بيتاً .

نتيجة محمودة ، لولا تقيدهم المسرف في اتباع آثار السلف.

وظلّ الحال على هذا المنوال الى ان جاء شوقي وكان قد انفق نصف قرن في قرض الشعر حتى ليّنه تليناً يحمد عليه ، واصبح يلعب فيه لعباً ، فجعله كمجونة تتقبّل جميع الاشكال والصور ، معرضاً عن التمثيل الا في السنين الخمس الاخيرة من حياته ، بعد ان صنع في الشعر ما صنع.

فلننظر اولاً كيف لعب شوقي بالبحور والاوزان متبعين ذلك ببيان عن لعبه بالقوافي.

اما البحور فامرها وشوقي عجيب. فانه، على خلاف اسلافه، لا يحرص على وحدة البحر في الفصل الواحد او المشهد الواحد ان اعجزه الفصل ، وانما يعبث بالبحور عبثاً تاماً ، فتراه ينتقل بسرعة لا تعادلها سرعة من طويل الى قصير او بالعكس ، ومن ابيات لا موسيقية الى ابيات هي السحر والنغم. فانظر كيف جمع النقيضين اذ ضمّ الى مثل هذا الوزن والقول لبلها[1] :

القلب! اين القلب! اين، يا ترى، وضعته
يا ويح لي! نسيت اني بيدي نزعته

وزناً كهذا ، والكلام لقيس :

«وشاة يلا قلب يداورنني بها وكيف يداوي القلبَ من لا له قلبُ»

ولم يقلّ ازدراء شوقي للقوافي عن ازدرائه للبحور . ومن البديهي انه عند كل انقلاب في الوزن ، نرى انقلاباً في القافية ، والقليل المذكور اعلاه دليلك على صحة ذلك. وانك ترى غير واحد من اشخاص رواياته يخاطب آخر بابيات تربطها وحدة القافية ، فيجيبه المخاطب بعجز تكملة لبيت قال صدره المخاطب ، ولكنه يختلف عما تقدّمه قافية ، وان تشابه واياه بحراً . واليك مثالاً على ذلك :

قال سعد : قد فضّه ابن ذريح نفضَ عقداً نظيماً
اثار ليلى فهاجت كما تنفرّ ريما
ترى اتبغض فيما ؟

فيجيب ابن ذريح : لا تقلبوا الحبّ بغضا

---

١) مجنون ليلى ، ص ٣٥

ليلى المنية غضى ويصبح الصبح ترضى(١)

وكان من المنتظر ان يجيب ابن ذريح سعداً بما يتمّ عليه بيتاً ابتداه ، وقافية قام بالنظم عليها.

فضلاً عن ان شوقي عرف ان يخمّس كل موقف من المواقف بما يلائمه من اللهجة الشعرية ، وقد اجاد الشاعر حيث استعمل المخاطبة والتجاوب...

وابدع في قصائده الطوال ابداعه في « طويلاته » ، خارج الروايات. واي ابداع ابداعه في :

زوّمّا ، حنانك ! واغفري لفتاك ! اوّاه منك ، وآه ما اقساك (٢

وهذه: ازوس ، ارى الدنيا بعيني اظلمت ، وكانت قديماً كالصباح المنوّر (٣

وهذه: اليوم اقصر باطلي ، وضلالي ، وخلت ، كاحلام الكرى ، آمالي (٤

وهذه: صبرت طويلاً ، يا بشير ، فما جلا ولا ذلّل الصبر الجميل مصابي (٥

وهذه: سلام على قصر الامارة والفنّ وايوان سلطاني ، ودست جلالي (٦

وهذه: ويحٌ لي ! ويح ! قد قسوت عليه وتجاوزت في العقوبة حدّي (٧

وهذه: سلي الصبح عني كيف ، يا عبل ، اصبح واين يراني نجمه حين يلمح (٨

وهذه: اجل لي ثلاث البس البيد حائراً كما يلبس الليل الطويل سقيم (٩

وهذه: لا ، وعيشك ، واعظم بالقسم ! وفم عن غرّة الصبح ابتسم (١٠

وهذه: سجا الليل حتى هاج لي الشعر والهوى ، وما البيد الا الليل والشعر والحب (١١

وهذه: ليلى ! مناد دعا ليلى ، فخفّ له نشوان في جنبات الصدر عربيد (١٢

وهذه: ارى حيّ ليلى في السلاح ، ولا ارى سلاحاً كهجر العامرية ماضي (١٣

وهذه: تعالي نشق ، يا ليلَ ، في ظلّ قفرة من البيد لم تنفل بها قدمان (١٤

وهذه: جبل التوباد حيّاك الحيا وسقى الله صبانا ووعى(١٥

وغيرها كثير مما تقوم عليه شهرة شوقي اليوم.

---

١) مجنون ليلى ، ص١٦
٢) مصرع كليوباترة ، ٥٦
٣) مصرع كليوباترة ، ٥٨
٤) مصرع كليوباترة ، ٦٨
٥) علي بك الكبير ، ٢٤
٦) علي بك الكبير ، ٢٧
٧) علي بك الكبير ، ٥٠
٨) عنترة ، ٥
٩) عنترة ، ٣٥
١٠) عنترة ، ٩٠
١١) المجنون ، ١٧
١٢) المجنون ، ٤٥
١٣) المجنون ، ٥٢
١٤) المجنون ، ١٢
١٥) المجنون ، ١٢٢

يبقى ان نقول كلمتنا عن شوقي الناثر :

لقد اصبح من المعلوم الثابت ان شوقي شاعر لا ناثر ، فهو شاعر مجيد، وناثر لا شأن له في عالم الكتابة، لما يتعمده في كتابته النثرية من الزخرف والتسجيع وطلب الاناقة المتكلف فيها. هذا هو المعروف عن شوقي الناثر. الا انه في «اميرة الاندلس» ، اقلع عما كان فيه ، فاستخدم الانشاء المرسل وابعد عن اسلوبه الزخرف اللفظي ، وطرح جانباً التكلف ، ظاهراً بمظهر الكاتب العصري ، مع متانة في التعبير واحكام في استعمال الالفاظ . فكأنه ادرك ان النثر الذي اعتاده من عصر غير عصرنا ، وهو لا يصلح للروايات التمثيلية ، فاقلع عنه او قل ادخل عليه بعض التعديلات والتبديلات الظرفية . وخير وسيلة للمس هذه الناحية ، هي ان يقرأ المطالع شيئاً من مقدمة « الشوقيات » ، او مما سوى ذلك من نثره الذي ورد في غير هذه الرواية او — لكي لا نبعد — شيئاً من مقدمة الرواية نفسها ، ويتبع ذلك بقراءة بعض صفحات من هذه الرواية . فيلمس الفرق ويقره .

استهل شوقي مقدمة روايته بقوله :

« جرت حوادث هذه القصة في زمن كان قطعة من ليل الملمات . اخذت الاندلس في جنحها الحالك ثم تركته نظماً منحلاً . ورسكناً مضمحلاً . وشمساً من دول الاسلام سقطت . فالح عليها السقم فاحتضرت . فكانت لما في الغرب هدة . وكانت عليها في الشرق حجة . وخلال تلك القطعة من ليل الملمات كان الاندلس تحت ملوك الطوائف وكان . . . » .

واستهل روايته بهذه الاقوال :

جوهر (الى لؤلؤ) : كيف وجدت وجه الملك اليوم يا لؤلؤ ؟

لؤلؤ : كسته ، يفيض من البشاشة والبشر .

جوهر : بل انت واهم يا لؤلؤ ! ان وجه الملك تغير في هذه الايام وبدا عليه التغضن ، واثرت فيه الهموم اثرها الظاهر المبين .

مقلاص : كان الله عون الملك ، انه ليحمل من هموم الملك واكدار السياسة ما تنوء به الجبال ، لعن الله السياسة وقبح الولاية ولا جعل لي من اشغالها نصيباً » .

جوهر : واي نصيب كنت تؤمل من امور الدولة ، يا مقلاص ، حتى سألت الله ان يحرمك منه ؟

هذا ، وقد عرف شوقي ان يعطي كل موقف لهجته الموافقة ، فلانشائه في الاخبار صبغة خصوصية :

« وكانت لابي الحسن التاجر في لجج البحار ثلاثُ بوارج وهي الزهرة والثريا والجوزاء . خرجت الزهرة الى الاسكندرية تحمل اليها مقداراً عظيماً من الزيت الاشبيلي فاخذها عاصف فغرقت في الطريق . واقامت الثريا بعد ذلك بايام مشحونة بالمتاجر المتنوعة الى ثغور الاندلس فصادفها اسطول الفرنجة كان يتجول على الشواطئ فاخذها مغنماً بارداً . وكانت الجوزاء قد سبقت اختيها الى عرض البحر تقصد سواحل المغرب محملة الشيء الكثير من مصنوعات الاندلس ومتاجره فشبّت فيها النار فأعيا اطفاؤها فسقطت شعلة في الماء » .

ولانشائه في التخاطب مسحة خاصة كذلك ، كما رأيت مما ذكرناه استشهاداً في اول هذا الكلام . وله مسحة غيرها في الخطابة والامر :

«انقلوا ايها النبلاء الى الملك الفرنسي ما سمعتم ، وصفوا له ما رأيتم ، وتحدثوا به في طول بلادكم وعرضها . ليعلم الناس هناك ان الاسد العربي لا يُشتم في عرينه وانه لو غلب على غابه حتى لم يبقَ له منها الا قاب شبر من الارض لما استطاعت قوى الانس والجن ان تنفذ الى كرامته من قاب هذا الشبر » .

هذه خطوة ، الى الامام ، خطا بها شوقي بنثره نسجاها له فرحين ، وان لم تصلح نقائص فرطت منه في الفنّ الروائي .

ملحق

نظرات تحليلية في « مصرع كليوباترا »

لقد رأينا ان نلحق ببحثنا هذا عن شوقي ، المؤلف المسرحي، تحليلاً لاحدى رواياته المشهورة . وقد اخترنا لهذه الغاية رواية « مصرع كليوباترا » التي هي ، في ظننا ، اتمّ رواياته واقربها الى الفنّ التمثيلي ، رغم معايبها الكثيرة . ولذلك ترانا نختصر ما جاء في فصولها الاربعة فصلاً فصلاً ، فنعرض مهبين اخلاقَ اشخاصها وطباعهم ، خاتمين بكلمة عن الفنّ فيها.

التلخيص

الموضوع الروائي : مصرع العاشقين : كليوباترا وانطونيوس.

الموضوع التاريخي : هبوط عرش مصر في ايدي الرومان.

المغزى : جاء على ذكره اكتافيوس ، اذ قال مودّعاً جثّة كليوباترا :

وداعاً ، عروس الشرق ، كلّ ولاية ، وان هزّت الدنيا ، لها الموت آخر (١

الفصل الاول (١—٣٣)

قسم الفصل الاول من هذه الرواية الى منظرين :

المنظر الاول (١—٢٠)

تجري حوادثه في مكتبة قصر كليوباترا ، تصف فيه الملكة موقعة اكتيوم.

يُزاح الستار عن امناء المكتبة في المكتبة ، والشعب يهتف ، في الخارج ، بحياة مليكته. تظهر هيلانة معلنة قدوم الملكة ، فتدخل هذه وتسمع اهازيج الشعب بالنصر ، فتذهل ، وتقصّ على حاشيتها اخبار موقعة اكتيوم ، واصفة الموقعة بدقة قائلة انها عندما رأت الدوائر دائرة على انطونيو ، اركنت الى الفرار ، تاركةً ابناء رومة يتقاتلون ويتمزّقون . . . والغلبة لاكتافيوس.

---

١) مصرع كليوباترا ، ص: ١١٢

المنظر الثاني (٢٠ - ٣٣)

اما المنظر الثاني فقد جرت حوادثه في احدى غرف القصر الملكي ، ورحى الحرب دائرة بين اكتافيوس وانطونيوس على اسوار الاسكندرية . الملكة تسعى في زفاف هيلانة الى حابي . انطونيو يكذّب هواجس الملكة ، وينتصر في الموقعة البرية .

شعرت كليوباترا بالرابطة التي تربط قلبي هيلانة وحابي وكانت تفتش عن سعادة وصيفتها ، فسعت في جمعهما ، رغم ما فرط من حابي من مظاهر البغض والعصيان للملكة فاستدعت المتحابين واوقفتهما بحضرة الكاهن انوبيس وتم القران .

وما ان تمت حفلة القران الا دخل على الملكة جندي يبشرها بتغلب انطونيو على اكتافيوس . قليلاً ويأتي هذا متباهياً بنصره ، ويطلب الى «سلطانته» ان تحيي على شرفه ليلة انس فتعده خيراً .

الفصل الثاني (٣٣-٥٠)

في حجرة الولائم في القصر الملكي حيث تقام ليلة الطرب . اوبيسة كليوباترا ، ملكة الاسراف واللهو .

اجتمع سراة القوم في قصر الملكة ومنهم : كليوباترا وانطونيو وقوّاد الفريقين وبعض شخصيات بارزة ، فتلذذوا برؤية الرقص والراقصات ، وسماع الانغام ، وتبادلوا عبارات التهاني والتحابّ . فانشد المنشدون ، وغنّى المغنون ، وقام بكشف الغيب العرّافون ، وكان يتخلل كل ذلك تسكاب الخمور المعتقة . انقضى الليل الا اقله وكان القوم قد سكروا فهمّوا بالانصراف . فمنهم من خرج شاكراً ، ومنهم من خرج غاضباً ناقماً . اما انطونيو فقد غادر الملكة مزوداً بكلامها :

يا ليث سر ، يانسر طر ، عد ظافراً ، او لا تعد .

الفصل الثالث (٥١-٨٢)

في معبد بالاسكندرية ؛ في حديقة المعبد وفي حجرة الكاهن ضمن المعبد . فشل انطونيو ، فراره ، انتحاره .

تصرّمت تلك الليلة الزاهرة ، فاصبح انطونيو على معركة كان قد بدأها بالامس وحال الليل دون انجازها . وها ان النصر الذي كان يحالف انطونيو في

اليوم الاول غدا الى جنب اكتافيوس. واقتناعه بهذه الحقيقة هو الذي استحثه الى الفرار من وجه خصمه المتغلب... فرّ ولجأ الى حديقة المعبد في الاسكندرية حيث نميت له كليوباترا كذباً، فانتحر بعد ان حاول عبثاً الفرار من الانتحار، وذلك على اثر انتحار صفيّه اوروس.

هذا. وقد انتقل المشهد الى داخل المعبد فرأينا كليوباترا في غرفة الكاهن انوبيس تستعلم عن افاعيه وسمومها... وانتهت بان ابتاعت منه «رقطاء» يرسل بها اليها في سلّة تين، اذا ما بات تاج مصر في خطر. وبينا هما على هذه الحال دخل انطونيو الى الهيكل فرأى كليوباترا حية تُرزق، ومات على اثر جراحه البليغة، بعد ان ودّع حبيبته وداعاً صادقاً محزناً.

الفصل الرابع (٨٣ ١١٣)

في القصر الملكي، في غرفة العرش – انتحار كليوباترا ووصيفتيها.

كانت كليوباترا متكئة على شرفة غرفة العرش تناجي نفسها، وكانت شرميون وهيلانة في تلك الغرفة تبكيان، عندما دخل عليهنّ حابي حاملاً سلالاً فيها الافاعي تسترها ثمار التين... فتأهبت الملكة للانتحار، وبعثت تستدعي اياس المغني لينشدها صوتاً قبل الفراق، فامتثل هذا لامر مليكته. واذا قائد روماني يدخل معرباً الملكة عن مقاصد اكتافيوس من انه سيبقيها على عرشها، وسيظل العرش وراثياً. فاعربت هذه للقائد عن رغبتها في مشاهدة اكتافيوس فراح القائد يستدعيه... ثم طلبت ان ترى صغارها فتودّعهم قبل الانتحار ففعلت، واستغرقت في مناجاة طويلة محزنة. ثم تناولت الافعى ومهّدت لها من صدرها فلدغتها ورمت بها عنها، فتمثل بها وصيفتاها... يدخل، على اثر هذه الحوادث، الكاهن انوبيس يرافقه حابي. فتضيع حيلهما في نجاة الملكة. الّا انهما ينجيان هيلانة وينصرف الثلاثة: انوبيس الى محرابه ليبكي مصر طيلة ايام حياته، وذلك الى الحقول حيث الصفاء والهناء... ثم يدخل اكتافيوس موافياً موعد كليوباترا، فيشهد ما يشهد، فيودّع كليوباترا، وينصرف بين صراخ الابواق والخناجر. اما انوبيس فينذر الفاتحين بالشر ويختم الرواية بقوله:

قسماً، ما فتحتمو مصر، لكن قد فتحتم بها لرومة قبرا!

صور تحليلية لاشخاص الرواية

كليوباترا

يصوّر المؤلف كليوباترا من حيث هي امرأة اولاً ، وملكة ثانياً. فلنظهر الاولى والثانية من الصورتين.

المرأة

لكليوباترا المرأة غير مظهر فاستعرض تباعاً صفات حياتها الخاصة ، وما كان يملأها من عشق ، واهتمام بالقراءة . وصفات حياتها العائلية وما كانت تبديه لاولادها وخدمها وزوّارها.

اما حياتها الخاصة فالعشق كان يسيطر عليها. فبأيّ مظهر اظهر شوقي عشيقة انطونيوس هذه ؟

كانت كليوباترا ، في المنزلة الاولى ، جميلة.

وقد اتفق انطونيو ورجال القصر جميعاً على الاقرار بهذا الجمال الساحر الجذّاب الذي كان يؤثر في كل من يرى الملكة . وانه ليطول بنا المجال اذا عرضنا لجميع الابيات التي يصف بها شوقي جمال كليوباترا[1]

وقد كانت كليوباترا تثق بجمالها، وبما فيه من قوة، وتغار على صيانته بدليل سؤالها انوبيس عن مفعول سم الافعى :

ولكن،ابي ، هل يصان الجمال ؟
وهل يعتنأ اللون ؟
وهل يبطل الموت سحر الجفو ن ، ويُبلي الفتور ويُفني الحَوَر ؟
ابي ، والشفاه ؟ (٢

---

١) الصفحات ٦، ١٢، ٣٩، ٥٧، ٦٩، ٩٤

٢) هذا بعض ما جاء عن جمال كليوباترا ، فعلمنا انه قائم على سحر جفونها (٦٩) ، وحور عينيها (٦٩) ، وبياض يديها (٣٩) . وكان على شوقي ، في نظري ، الا يكتفي بترديد كلمة « جمال » وانما جميلة» وهي «جميلة» ، وانما كان عليه ان يظهر اما بلسان انطونيو ، واما بلسان زينون ، واما بلسان احدى وصيفتيها او احد المفتتنين بجمالها ، صفات ذاك الجمال بدقة واتقان ليكون في ذلك مجال لخيال الحاضرين. وكان عليه ايضاً ان يذكر ،وان تلميحاً، طول اظفرها الذي ضُرب به المثل.

وقد كانت كليوباترا من اللواتي يسترسلن في الشهوات . اقرت ذلك على نفسها في قولها :

ووجدتها (١ حبا يفيض ولذة ، فجعلت لذات الهوى اشغالي

وشهد عليها ، في ذلك ، الرأي العام ؛ وهاك ما قاله حابي :

ابرضى ان يكون مربر مصر قوامه الدعارة والبغاء ،

وهي نفسها اختصرت كل هذا بكلام جاء فيه :

يقولون : انني افنت العمر بالهوى بجنة اللذات والشهوات (٢

اما ما عدا ذلك فغرامها غرام مازجته السياسة فنوّعت غاياته ، الا انه على شيء من الاخلاص لانطونيو ، يشهد عليها قولها للموت :

سر بي الى انطونيو في نضرتي ورواء جلبابي وزينة حالي

القراءة

وقد كان من مشاغل حياتها الخاصة القراءة . فكليوباترا مولعة بالمطالعة ، ولهذا اوجدت دار كتب كبيرة في قصرها جمعت فيها عدداً ضخماً من المؤلفات القيمة . وقد ذكر لنا زينون ، مدير مكتبة القصر الملكي ، ان كليوباترا تأتي الى المكتبة مرة في النهار ، وانها تنسى كل شيء عند حلولها بين كتبها :

١) الضحى عائد للدنيا .

٢) وقد احبّ واضع البحث الذي جاء في ذيل الرواية ان ينسب عفة الهوى لكليوباترا فاستعان ، في هذا الصدد ، ببعض ملاحظات ان أُهمل النظر فيها شذّت عن ضعف وفساد بين المقدّمات والنتائج . وقال – فيما قال – ان حابي لم يتهم الملكة بهذه التهم الجارحة التي ذكرنا بعضها فيما سلف ، الا لانه كان لا يعرفها اذ كان براعا عن بعد في ضوء الاشاعة السائرة ، وزاد ان حابي هذا قد عاد عن رأيه فيما بعد عندما عرفها عن كثب وقال : ان ديون الذي كان يشترك وحابي في نظرته الاولى الى الملكة ، لم يظلّ على رأيه الاول الا لانه لم يقترب منها ليرى ما رآه حابي في النهاية .

اما نحن فلنا من هذا برهان يفند قول الناقد فنقول : ان حابي الذي كان يعيش في قصر الملكة كان يعلم حقّ العلم الحياة التي كانت تحياها هذه ، وكان يصرّح علناً بما يعلمه عنها اذ لم يكن من داعٍ لاخفاء ذلك . اما وقد رهبته اعزّ ما لديه في هذا الوجود : هيلانة ، فرأى من حسن السياسة ان يكفّ لسانه عنها ، وان يبدل باهاجيه المدائح . ولنا في ثبات ديون ، الذي لم يلقَ هبة من مليكته ، برهان على صحة ما نقول . فضلاً عن ان كليوباترا نفسها اقرت باندفاعها الكلي الى اللهو والشهوات وكلّ ما من شأنه ان ينقض العفة ويناقضها .

كل يوم . تتجلى ساعة ، هنا ، كالشمس في عز ضحاها ،
تدخل الدار ، فتنسى ملكها بلقاء الكتب ، او تنسى هواها

النزهات العائلية

وكليوباترا هذه كانت تستطيب الاقامة في البراري والحقول وتكثر النزهات اليها . وقد غرست بيدها غير مرة الاشجار والازهار في حقلها المحبوب بسهول « طيبة »

وقد حنت الى هيلانة وحالي العيشة القروية ، في قصيدة طويلة مطلعها :

ولديّ ، اهجرا القصور ، فاني قد وجدت النعيم فيها غريبا

حياتها العائلية

هذه صور اظهرناها في حياة كليوباترا الخاصة . ولكن لكليوباترا حياة عائلية رسمها شوقي بجلاء في روايته ، واليك تفاصيلها :

كانت كليوباترا ام بنين :

بروحي ، وان لم تبقَ مني بقية ، صغار ورائي ذوق البتر ، نوح

منهم قيصرون ، اشارت اليه في قولها لانطونيو :

انت لروما ، في غد ، وقيصرون بعد غد

وابنتان ذكرتهما ايضاً في قولها لوصيفتيها :

واعلما بنيّ ، ان البؤس والنعمى ديون (١)

اما موقف هذه الام من بنيها فموقف جهاد في سبيلهم ؛ فهي التي تسعى ، وابنها صبيّ بعد ، لترقيه الى عرش روما . وكليوباترا لها حنان الامهات :

اذوب لبلوام ، واعلم انني حملت عليهم ما يجلّ ويفدح

وهي مستعدة ان تضحي بكل نفيس في سبيل سعادتهم الا . . . الشرف :

وقد اشتهي عيش الذليل ، لاجلهم ، فلا المجد يرضى لي ، ولا النبل يسمح

---

(١) وقد اعلمنا التاريخ انه لم يكن لكليوباترا غير هؤلاء : ولد ذكر ، قيصرون رزقته من يوليوس قيصر ، وابنتان كانتا نتيجة علاقاتها بانطونيوس . ولم يذكر شوقي غيرهم ، مجاريًا التاريخ في ذلك .

وكليوباترا لا تنسى صغارها في صلاتها :

كاهن الملك ، سلام ! لا عدمنا بركاتك
صلِّ من اجلي ، ولا تنسَ صغاري في صلاتك .

وفي العائلة غير الاولاد هناك الخدم. فاذا هو موقف الملكة تجاه خدمها ؟ كانَ كليوباترا ليست بالملكة ، وكانَ خدمها ليسوا بالخدم . هذا خير كلام يمكننا ان نظهر فيه ماكانت تبديه هذه من الدماثة واللين تجاه حاشيتها وخدمها اجمعين ، فهي ان عرّجت على مكتبتها حيّت الحاضرين قبل ان تُحيّا :

تحيّتي لامناء المكتبة ، وشيخهم ، اعلى الشيوخ رتبة

واذ يدخل عليهم الكاهن انوبيس ، وهم في المكتبة ، تعاجله بالتحية قبل ان يحيي :

كاهن الملك ، سلام ؟ لا عدمنا بركاتك !

وهي تتحدث الى امناء المكتبة ووصيفتيها ، كانما تحدث اقرانها فتسرد لهم حوادث الحرب البحرية التي شبت في « اكتيوم » ، وكيفية هربها وما سبب ذلك . وكليوباترا لا تجد فارقاً عظيماً بينها وبين خدمها وانما تحسبهم اقرباءها ، اذ تقول لشرميون :

انت لي خادم ، ولكن كأنا في الملمات اهل قربى وصهر
انما الخادم الوفيّ من الاهل ، وادنى ، في حال عسر ويسر

وقد لا تفرق خدمها عن اولادها قولاً وفعلاً. فانظر كيف اعادت حاني الى حظيرة الاخيار ، وكيف اغدقت عليه وعلى زوجه هيلانة خيراتها وانظر كيف تدعو وصيفتيها :

يا خادميّ ، بل ابنيّ ، تلطفا في البحث حتى تأتيا بأياس

واسمع كيف تخاطب الكاهن انوبيس :

ابي ، انوبيس ، ارجو

فيستعظم هذا ملاطفة الملكة له ويقول :

بل تأمرين مطاعة

هذا . وقد يعود الملكة في قصرها زوّار ، وتحيي لرجالات البلاط والبلاد ليالي حافلة ساهرة ، فكيف تظهر هذه بين الزائرين ؟

كسيدة من سراة الاوربيين في عصرنا الحاضر ، فهي ان اقامت ليلة طرب كانت اولى المتمتعين بلهوها وطربها ، فتشرب نخب من يشرب نخبها :

على حبك ، انطونيو ، على الجيش ، على مصرا !

تأخذ في طرف كل حديث وتميت الاحاديث التي من شأنها ازعاج جمهور الحاضرين :

اخيل : دعنا من غد ان غداً توهم !
فلا نكن كداخل على الندامى يلطم
انتهم مناداً ، لم تأتم ليندموا .
اليوم شربٌ

وقد لاحظ حافظ انها قوية البيان حلوة المحادثة يصعب على سامعها الا الاقتناع .

اما من حيث الدين فقد رغب صاحب النظرات التحليلية[1] ان يجعل من كليوباترا ملكة متمسكة بدينها . اما نحن فننفي ذلك عنها لان هذه الصفة لا تجد ملائمة مع صفاتها الاخريات ، وان التدين لا يتفق واتباع اللذات والشهوات ، ولان ما يستند اليه الناقد لاثبات ما قدم لا يبلغ بنا الى هذه النتيجة . اجل ان كليوباترا تقول لانوبيس :

صلِّ من اجلي ، ولا تنسَ صغاري في صلاتك

ولكنها ، وهي المحدثة الشهية التي تعطي لكل ما يسره ، حدثت الكاهن عن الصلاة فكان له سروره كما انها كانت بهجة انطونيو في حديث غرامي ، والشاعر برلا في حديث عن الشعر .

اما ما ذكره الناقد من قولها :

هذا مقام صلاتي ، وهيكلي للضراعه
ولي خطايا كثيرة ، لا تبرح البال ساعه
فادخل ، وصلِّ لاجلي فنك ترجى الشفاعه

فصحيح . الا انها لم تركن الى الصلاة في تلك الساعة ، الا لانها ضاعت في الخلاص كل حيلها الدنيوية .

١) . راجع مصرع كليوباترا ، ص ١٢٠

واذاً ليست كليوباترا متمسكة بدينها ، وانما تعود اليه كما يعود مفلس الى دفاتره القديمة ، وذلك عند الحاجة القصوى والاضطرار القوي . . .

الملكة

يبقى ان نتحدث عن الملكة فنظهر ما اقرّه لها شوقي من الصفات لسياسة الملك ، ونبيّن خفايا سياستها .

اما صفات الملكة فجاء معظمها في هذا البيت الذي قالته تجاه تمثال ايزيس :

بنت الحياة انا ، وتشهد سيرتي ، ما كنت من امّي سوى تمثال

فتقرّ لنفسها الصفات التي تقرّها للحياة من رياء وخداع ، من قسوة ولين ، من رشد وغيّ ، الى غير ذلك . وقد اتت وصف نفسها بقولها الافعى :

هلمّي عانقي افعى قصور جا شوق الى افعى التلال

وهي صفات شهد لها حابي اذ قال :

هيلانة ، خليك من ذكرها(١) ، حديث الافاعي طويل المدى

وزينون في قوله :

عليّ تلوّت الافعى ، فهل لي من الافعى ونكزتها نجاء ؟

كليوباترا بنت الحياة ، وكليوباترا افعى قصور . هذا ما يلفت الانظار الى شخصيتها في الدرجة الاولى ، ولها غير هذه الصفات :

اخصها الصبر والجلد ، والفخر والثقة بالنفس ، والاباء والجرأة . ومن صفاتها الحلم ؛ من ذلك قولها لحابي :

ولكن لننسَ الذي قد مضى ؛ فتلكَ تاب ، ومثلي عفا

وهي تكره التملّق ، وتسيء الظن بالناس حتى التشاؤم . فتقول مخاطبة الكاهن :

تكلّم ، فليت سموم الارا قم ، في الخبث ، دون سموم البشر

ثم هي وطنية صادقة في حبّها لوطنها :

اموت ، كما حييت ، لعرش مصر ؛ وابذل دونه عرش الجمال

وشهد انوبيس على صحة ذلك :

---

١) الضمير عائد لكليوباترا .

سيقول بعدك كل جيل منصف: ذهبت . ولكن في سبيل التاج (١

تضحي في سبيله بكل شيء وتظهر كل ما لها من قوة ودهاء متلاعبة بانطونيو ويوليوس ، وذلك قول اكتافيوس :

لعبت بانطونيو ويوليوس حقبة ، كما جاء بالمسحور او راح ساحر

وقول انطونيو نفسه :

اخرجت امري واختياري من يدي وتركتني نفساً بغير ملاك

ودليل طموحها ما قاله اكتافيوس في رثائها :

وانت التي نازعت روما مكانها وجرّت بناديك النيود القياصر

هذا ما اطلعنا عليه شوقي من صفات الملكة ، اما سياستها فكانت على قسمين : سياسة داخلية تنظر فيها الى شؤون المصريين ومصالح البلاد ، واخرى خارجية تدرس فيها مصر ومكانتها بين الدول .

اما فيما خصّ سياستها الداخلية فكانت سياسة اصلاح : شجعت الزراعة في البلاد ، وادخلت تحسينات عظيمة على الجيش والاسطول خاصة . فهي القائلة في مناجاتها للاسكندرية :

وشيت برك جدولاً وخيلة ، وكسوت بحرك عدة وشراعا
وانا اللباة ، وقد ملأتك غابة ، وانا المهاة وقد ملأتك قاعا

وقد رأيناها تغرس الاشجار والازهار .

وكان خير مجلى لسياستها الخارجية بغضها رومة الظاهر في الرواية كلها ، بغضاً دفعها الى ان تذلها ، وتجعل سيادتها عليها ، فاستخدمت لهذه الغاية سحر عينيها حكمته في يوليوس قيصر وانطونيوس ونجحت ؛ الا انها لم تبلغ منهما مشتهاها . فرأت اخيراً ان تتبع سياسة التجزؤ فاقامت انطونيوس على اكتافيوس ورأت « شطراً من القوم الروماني في عداوة شطر . » وهكذا ، في حسبانها ، يتمّ ضعف رومة وتتمكن من بسط النفوذ اليها . . . الّا انها ماتت انتحاراً قبل البلوغ الى النتيجة .

هذا في الغرب . اما الشرق فقد كانت فيه المسودة وهي القائلة :

---

١) يفهم من الموقف ان المراد « بالتاج » الوطن . . . لا الملك .

والشرق سلطاني الذي أكليله لي انعقد

وقال اكتافيوس في ذلك :

وداعاً ، عروس الشرق ، كل ولاية ، وان هزّت الدنيا ، لها الموت آخر

وهكذا . فقد ابدع شوقي في خلق هذه الشخصية وتصويرها ابداعاً لم يتوصل الى اقله ، في ما سوى هذه من رواياته التمثيلية.

انطونيوس

لانطونيوس غير مظهر : فهو قائد وجندي : قائد الجيوش ، وجندي الحسان. وقد عرض شوقي هذين المظهرين في اقوال عديدة ، ووضعها على شفتيه منها :

كان الملوك عبيدي ، فصرت عبد الحسان

وهذا :

بطل لم تظفر الحرب به ؛ في الهوى ، تحت لواء الحبّ ، مات

وهذا :

قدت الجحافل والبوارج ، قادرًا ؛ ما لي ضعفت ، فقادني جفناك .

كلها اقوال تظهر ان انطونيوس مزيج من القوّة والضعف ؛ قوّة محض في القسم الاول من حياته ، الى ما قبل تعلّقه بكليوباترا ، وضعف محض في القسم الثاني ، بعد ان تعشّق كليوباترا .

بطل لم تظفر الحرب به ! ! ! هو ، لعمري ، لنعم البطل ! يجمع الناس على تقديره ، من صفيّه اوروس :

رأيتك ، والحرب ، تبلو الكما ة ، فاشهد : كنتَ إله الوغى ،
وقد كان سيفك غول السيو ف ، وكانت قناتك غول القنا
وكنتَ ، اذا الموت افضى اليك ، تحدّيته ، فاتقى القهقرى .

الى جنوده ، الى خصمه اكتافيوس ، الى كليوباترا نفسها ، الى كل من رآه او سمع به . افاضوا كلهم بوصف شجاعته في ابيات يطول بنا ذكرها.

هو انطونيوس القائد ، انطونيوس المجاهد ، فتى رومة الأبر وسيفها الباتر . اما انطونيوس العاشق ، فهو ، قبل كل شيء ، كثير الهيام ، حتى يضعضعه . تشهد على ذلك افعاله العديدة ، المتناقضة وسوء مركزه الحربي . او ليس كذلك

تركه ساحة القتال ، وهربه ليلاً الى كليوباترا ؟

او ليس خضوعاً للغرام ان يغتفر قائد حربي لمخاوق خيانتين متواليتين به وبجيوشه ؟ وهل اغراه بالانتحار سوى نبأ انتحار كليوباترا ؟ ؟

وان من صفات هذا المحب الاخلاص . فانطونيوس مخلص بحبه ، وفيه قالت كليوباترا :

ايا المخالص وداً ، ليس ودي بالمشوب ،
ايها الصادق وعداً ، ليس وعدي بالكذوب !

هذا هو المحاوب ، وهذا هو المغامر . الا ان صفات هذا لا تذكرنا بصفات ذاك . فقد مسخت فيه القوة ضعفاً والشجاعة جبناً . اجل ان انطونيوس العاشق لضعيف :

قشريرة الحوف اعترتني ، ولم تكن ، اذا ما اقشعرت تحتي الارض ، تعتري

وهذا الصادق حباً ، المخلص فيه لم يكن يضير حبه ان تخونه حبيبته مرتين متواليتين فتعرضه وجيوشه للقتل والانكسار .

وقد راح به ضعفه الى انكار جنسيته الرومانية ، فاسمعه يجيب القائد الروماني عن سؤاله هذا :

احق مارك انطونيو س من رومية تبرا ؟

انطونيوس :

اجل اتبع مولاتي ، ولا اعصي لها امرا .

اما الجبن ففراره من المعركة البرية خير دليل عليه ، وقد ذكر هذا الفرار بقوله :

جللت نفسي بعار يبقى بقاء الزمان ،
لما حملت جوادي على الفرار ، ازدراني .

وقد شهد لهذا الضعف ، كما شهد لقوته وشجاعته ، قوم كثير . قال احد قواده :

الا انه ليل له ما وراءه غرامك حي فيه ، والمجد ميت

وقال آخر :

فما المدله الكبير املاً لتصره السيوف ، اذا استللنا

وثالث :

لو كنت منه قريباً لقلت في اذن حبرا :
حيانه في يديه ، ام في يدي كليوباترا؟

اكتافيوس

زجرت ؛ فلم أسمع ؛ فقاتلت مكرهاً ، وفي الحرب ، ان لم تردع السلم ، زاجر

هذا هو اكتافيوس .

محارب عظيم ! الا انه لا يفتش عن الحرب . وانما هو متبع قول القائل : « ان اردت السلم فاعدّ الحرب . »

ان اكتافيوس ، محارباً ، قرين انطونيوس . وقد قال فيه وفي قرينه قولاً ذكرناه ، منه :

وتأتي القلاع ، فنحتلها ، وان بعدت كالنجوم القلاع
ونركز في السهل ارماح روما ، ونُطلع اعلامها في البقاع

كان يعلم من هو ولا يتأخر في التصريح بذلك كما رأيت وترى في قوله لجندي وقف حيال انطونيوس المنتحر :

تنحّ ، اخا الجند ، ما انت والميت ؟ لا يقرب الشمس الا شعاع

وقوله :

وكنا نشيد لروما الفخا ر ، ونجني لها النار من كل قاع .

وكانت في هذا القائد الروماني رزانة لم يفسدها عليه شيء . اذا رأيته لا يركن الى كليوباترا فيقرب بنفسه من انطونيوس ، ليتحقق موته .

الا ان هذا القائد الروماني هو غير « هوراس » كورنيل ، فلم تنزع الوطنية من قلبه كل عاطفة انسانية ، فهو يقول مثلاً :

فمن حقي اليوم ، بل واجب ، عليّ اقدسه ان يُضاع :
اقبّل ما قبّل النار منك ، واهتف : انطونيوس ، الوداع !

ويقول :

عما الموت اسباب العداوة بيننا ؟ فلا الثار ملحاح ، ولا الحقد ثائر

واليك ما يفيدك ان هذا القائد العظيم لم ينجُ من حيل النساء ومكرهنّ :

آلهة الرومان ماذا ارى ؟ امرأة تسخر من قائد
قد ابطلت كيدي ، عى ضعفها ، ولم تزل تسخر بالكائد ،

انوبيس

كاهن ورع ، جمع بين العلم والدين وكان علمه مقتصراً — فيما يظهر — على علم الحيوان، اذ هو خبيرٌ بالافاعي والسموم الناتجة عنها والدرياق لمداواتها. وقال في ذلك :

اتيت جنّ (١) لدرس السو م ، ولم اخلُ في علمها من نظر
اداري بها او بترياقها ، حُبّ الحياة او المنتحر

وقد لُخّصت حياته في هذين البيتين :

انوبيس — سيدتي تأذن في انسحابي ؟
الملكة ضاحكة — الى الافاعي ؟
انوبيس — لا الى المحراب

فقد قضى عمره بين افاعيه ... ومحرابه.

وقد ضمّ الى علمه ودينه عاطفة الوطنيّة الصادقة التي تجلّت ببغضه رومة وحبه كليوباترا ، امّا بغضه لرومة فظاهر في قوله :

حابي ، أحيط القصر بالذئاب ، وبي من السخط عليهم ما بي

ويُظهر اعتباره لكليوباترا فيقول:

ما يبتغي قيصر من أسيرته ، ان التي اهدمها زينته
ماتت ، ولم تنزل على مشيئته . بورك في النبل وفي عتيقته !

وان الذي يدلنا على ان وطنيته لا تتوقف عند بغض رومة واعتبار كليوباترا قوله :

بيناً بأزيس ، احمينّ (٢) اليك ، ولو في سلال الخضر
اذا بات في خطر تاج مصر ، سبقت اليك جنّ الخطر

حيث يقدّم منفعة مصر على مصلحة كليوباترا.

---

(١) اي بالافاعي.
(٢) اي الافاعي

وقوله :

بني ، رجوتك للضحيّة والنِدا ، فوجدت عندك فوق ما انا راجي
سيقول بعدك كل جيل منصف : ذهبت ، ولكن في سبيل التاج !

ثمّ أولسنا نرى الوطنيّة الحرّة الصادقة تتدفق من قوله هذا الذي ختم به الرواية :

اكثري ، ايها الذئاب ، عواء وادعي في البلاد عزّاً وقهرا
قسماً ، ما فتحتم مصر ، لكن قد فتحتم بها لرومة قبرا

حابي

عشيق هيلانة . احبّ هيلانة فجاء حبه مقروناً بشيء من الاعتبار . . . وحابي يبغض الملكة . فهو مثال حيّ للمقرّبين من الملوك والامراء والسلاطين . فهم ، ان لم يغمروا بالهدايا والعطايا ، تذمروا وتشكوا ، وربّما تعدّوا ذلك الى الحقد والنميمة . . . وسرعان ما تنقلب شكواهم الى ابتسامة رضى ، وحقدهم ونميمتهم الى صفاء وثناء ، اذا ما اندت السلطة عليهم . . . هكذا هم المقرّبون من الملوك ، وهكذا هو صاحبنا حابي . فاسمعه يذكر الملكة في حالة تذمّره :

هيلانة ، خلّيك من ذكرها ! حديث الافاعي طويل المدى
اترضى ان يكون سرير مصر قوائمه السدعارة والبغاء

واسمعه الآن في حالة ضغائنه :

تداركتنا ابرّ المالكات به(١) ، واشرف الناس احساساً ووجدانا
واني اليوم ابكيها واندبها ولا اقيس بها في الطهر انسانا

فاين هذا من ذاك ؟ وقد لاحظت هيلانة هذا الانقلاب فقالت :

حابي ، عرفتَ الخلال الطيبات لها ؟ وكنت امس اقلّ الناس عرفانا ،

ثمّ الم يكن عند حابي شيء من الدهاء اذ اكتشف خبايا زينون وفضح امره ؟ (ص ٨)

---

١) البستان .

هيلانة وشرميون

وصيفتا كليوباترا . كانتا على جانب عظيم من المحبة والامانة لمليكتهما . فهذه هيلانة تقول لحابي حبيبها :

فلو كنت وحدك شغل الفؤا د لهان البلاء ، وقلّ العنا
ولكن حقوق كليوباطرة . . . . . .

ثم . افليس فيما اشاعته شرميون كذباً عن الانتصار ما يدلّ على هذه المحبة ؟ — وانتحارهما ؟ ؟ ! !

ونحن نعلم ان كليوباترا قابلت محبّة وصيفتيها وامانتهما بكثير من الحنوّ ، كما رأينا ، اذ باتت لا تدعوهما الا بابنتيها :

انما الخادم الوفي من الاهل وادنى في حال عسر ويسر

اوِلا تُعدّ مظهراً من مظاهر تلك المزّة هبة البستان لهيلانة ؟

رينون

امين مكتبة قصر كليوباترا . احبّ الملكة في سرّه . فاضناه حبه ، ولم يستطع كتمانه . ولرينون ما لرجال البلاط من الصفات اهمها اكثار الثناء على اعمال الملوك والاطناب بمدحهم :

تمنيت رأسين لا واحداً ، اذا مسّت الارض هام الرجال
لطأطئ رأساً لمجد النبو غ ، واخفض رأساً لمجد الجمال

ويجدر ان نلاحظ اننا لم نرَ في افعال الرجل كلها مبرّراً لقول انشو فيه :

اما بنيه من رأسين رأس فيه وجهان :
فحيناً هو مصري ، وحيناً هو يوناني ..
وفي مجلس بوليوس وانطونيوس ، روماني
وان لاقى أغا القصر نوبي وسوداني ؟

اوروس

صفي انطونيوس . فيه لسيده ما في شرميون وهيلانة من المحبة والاخلاص لمليكتهما . . . وهو ايضاً قد انتحر امام مولاه . وقد اغضبه تقدير مولاه حبه

له بالاشياء المادية اذ وهبه سيفه واثوابه ودرعه ومغفره ، ان قتله ، فاجاب :

معاذ خلال البرّ ، مولاي ؟ اغتني قلبس يدي تقوى ، ولا السيف يبتري ،
اتجعل في الميزان حبي وطاعتي وشق عروض من ثياب وجوهر ؟
لقد جاد لي بالسيف والدرع قيصر (يطعن نفسه بخنجر)
وجدت بابام الحياة لقيصر

اولمبوس

طبيب روماني في بلاط كليوباترا ، وجاسوس اكتافيوس لدى انطونيوس. قام بمهمته خير قيام ، وتمكن من اقناع انطونيوس بانتحار كليوباترا اقناعاً جلب له الانتحار .

انشو ، غانميرُ ، مبرا ، اياس ، بولا

مضحك الملكة ، وساقيها ، وعرّافها ، وشاديها ، وشاعرها . . . ظهروا كلهم في الليلة الراقصة التي احيتها كليوباترا في بلاطها اكراماً لانطونيو . . . فقام كل منهم بواجباته . . . وقد تجلت نكتة انشو في غير موقف ، واطرب اياس وبولا هذا في انشاده وذاك في شعره . . . اما حبرا فقد كان عرّافاً بابهامه وكشفه الغامض للغيب . . .

***

هذه رواية ، كما ترى ، لم تخلُ من نقص ابديناه في عرض بحثنا . فلها ، من حيث التنسيق ، ما لروايات شوقي اجمع ، من فساد واضطراب . وذلك ان تنسيقها الخارجي لم ينجُ من المناظر النافلة حلّت في فصلها الاول فافسدته . وهي لم تتحرر ايضاً من نقائص التنسيق الداخلي اذ نرى الفصل الثاني منها ، (من ص ٣٣ الى ص ٥٠) الذي جرت حوادثه في القصر الملكي حيث اقيمت ليلة الطرب ، حائلاً دون متابعة العمل وانجازه . ومن ذلك مشهد حالي وهيلانة اذ يشوّهان وقع انتحار الملكة بمحاورة غرامية اقل ما فيها انها خارجة عن الموضوع .

اما من حيث الاخلاق فانا لا اشك في ان شوقي افرغ في تصوير شخصيات

هذه الرواية كل ما في جعبته من فنّ وابداع ، غير مبق على شيء لما يتبع .

واما الشعر في هذه الرواية فحدّث عنه ولا حرج . فالشاعر يبدع في قصائده الطوال ابداعاً لم يتوصل اليه في غير رواياته التمثيلية :

روما ، حنانك! واغفري لفتاك أواه منك وآه ما اقساك

اليوم اقصر باطلي وضلالي وخلت كاحلام الكرى آمالي

ولم يكن اقل منه ابداعاً في المحاورات الشعرية ... فقد اخضع الشعر لكل نوع من انواع العاطفة . وليست رواية مصرع كليوباترا الوحيدة من هذا القبيل ، وان امتازت عن رفيقاتها جودة من حيث متانة اللغة واحكام الشعر .

***

والآن نسدل الستار على شوقي ومسرحه واعدين بالعود اليه ، اول فرصة تعرض ، لدرس شعره الغنائي حيث نرى سموًّا وهبوطاً ، ابتكاراً وتقليداً ، وحيث نجد ما ينتفر له هفواته المسرحية العديدة .

لقد حلّق في الغناء وهوى في التمثيل ، وهذا طبيعي عند امثال شاعرنا ؛ لان التمثيل يتطلّب درساً ، والتمثيل يتطلب مطالعة واسعة ، والتمثيل يتطلّب وقتاً للتأليف ، وعملاً جدياً وجهاداً قويًّا . . . وشوقي لم يكن من اصحاب الدرس والمطالعة والعمل والصبر . فاخفق حيث لمع من هم دونه عبقرية ونبوغاً ، واجاد حيث اخفق اولئك ، فبقيت له منزلته الرفيعة بين الشعراء الغنائيين ... وهذه روايات شوقي التمثيلية ، ان كان لها من فضل على شهرة صاحبها ففي انها استفزته ، في بعض المواقف الرائعة ، الى نظم قصائد يمكننا ان نقول عنها بحق انها دعامة شهرته « الغنائية » .

وفيها يكون لانصاره البرهان القاطع بتفوّق شاعرهم ... وهي ، على قلّتها ، تعوّض عن الكثير مما خلفه لنا شوقي في « شوقياته » من مراثٍ ومدائح .

الثأر عند العرب

وصفته الدينية

بقلم الاب لامنس اليسوعي

٢

لقد حاولنا ، في مقالٍ سبق[1] ، ان نحدّد ما كان يكتنف عادة الثار من مظاهر وصفات تُلحقها بالمؤسسات الدينية عند العرب الاقدمين. وها اننا اليوم نعرض لدور النساء ، نوادب وشواعر ، في تحريض الموتور على الاخذ بثأره ؛ منتقلين الى موقف الموتور من واتره عند الاثار ؛ وما كان يقوم به ، بعد ادراك الثأر ، من اعلان عن عمله ونشر لمأثرته. وقد وصلنا ، في كل هذه الابحاث ، الى بُعيد الهجرة ، وعقلية العرب لم تزل هي هي في ما خصّ شريعة الثأر.

اذا تردّد ابناء القتيل ، او اخوته ، في القيام بواجب الاثار - واحياناً كانوا يترددون متراجعين إمام العقبات والمخاطر العديدة — عند ذاك كانت تنبري النساء ، فيرفعن اصواتهنّ ، مذكّرات الرجال بالواجب المقدّس ، ويذكين في الافئدة المتناسية شعلة الثأر ، فتضطرم مثيرةً عصبيّة البدوي ، مبيدةً ، الى وقتٍ ما ، حماسته الاولية ، دافعةً به الى اقتحام الاهوال في سبيل ثاره . تلك حالة دريد بن الصمّة وريحانة بنت معديكرب ، اذ حضّته على القيام بواجبه قائلةً : « يا بنيّ ، ان كنت عجزت عن طلب الثأر باخيك ، فاستعن بخالك وعشيرته من زبيد . » فانف ، وخرج غازياً حتى جاءها بالقاتل فقتله امامها ، في

---

١) « مشرق » هذه السنة ، ص ١—٢٠

فنائها[1]. وتلك حالة عمرو بن معديكرب، وقد قتل اخاه رجلٌ من بني مازن. فجاءه اهل القاتل ورجوا منه ان يقبل الدية. فهمّ عمرو بذلك، وقال: «احدى يديّ اصابتني.» فبلغ الخبر اختاً لعمرو يقال لها كبشة ... فغضبت. فلما وافى الناس من الموسم قالت شعراً تعيّر عمراً:

أأرسل عبدالله، اذ حان يومه، الى قومه: لا تقتلوا لهمُ دمي
ولا تأخذوا منهم افالاً وأبكراً، واترك في بيت بسعدة مظلما[2]
ودعْ عنك عمراً، ان عمراً مسالمٌ؟ وهل بطن عمروٍ غير شبر لطعم؟
فان انتم لم تقبلوا، واتديتمُ؛ فشُوا بآذان النعام المصلّم[3]
أيقتل عبد الله سيّد قومه بنو مازنٍ، ان سبّ راعي المخزّم[4]

فانصرف عمرو عن قبول الدية، واغار على بني مازن[5].

وتلك حالة مصعب وجناح ابني عمرو السلولي، عندما قتل ابن الدمينة اخاهما مزاحاً. فسعى قوم في الصلح بين اهل القاتل واهل القتيل لما كان بينهما من صلة النسب، فقالت امه ترثيه وتحضهما على ادراك ثأره:

باعلي، ومالي، بل يحلّ عشيرتي قتيل بني قيس بغير سلاح[6]
فهلّا قتلتم بالسلاح ابن اختكم، فتظهر فيه للشهود جراح!
فلا تطمعوا في الصلح، ما دمت حيّةً، وما دام حيّاً مصعبٌ وجناح
ألم تعلموا ان الدوائر بيننا تدور، وان الطالبين شحاح[7]

واكثر ما كان يتجلّى دور النساء في المآتم. فان الأمهات، والاخوات،

---

١) وقد ذكرنا هذه الحادثة في المثال الاول: «مشرق» هذه السنة، ص٥. وراجع: شيخو: شعراء النصرانية، ص ٧٦١؛ الاغاني ٩: ٧

٢) بسعدة: وفي رواية: بصعدة.

٣) وقد ذكر الجاحظ الشطر الاول من هذا البيت:
فان انتم لم تثأروا باخيكمُ ..

٤) وفي الجاحظ:
جدعتم بعبد الله آنف قومكم، بني مازنٍ، ان سبّ راعي المخزّم

٥) الاغاني ١٤: ٢٤-٢٥؛ الجاحظ: الحيوان ٤: ١٢٧

٦) بغير سلاح: وذلك ان ابن الدمينة كان قد قتله بثوب فيه حصى جعل يضرب به كبده.

٧) الاغاني ١٥: ١٥٢

والزوجات – الّا اذا كانت الزوجة من قبيلة غريبة[1] – وسائر ذوات القربى يبدأن بانشاد المراثي ؛ وفي كل مرثية مكان خاصّ للتحريض[2] . يشهد بذلك شعر الخنساء بجمله ، واكثر الشعر الرثائي الجاهلي ، حتى ان البحتري افرد فصلًا من « حماسته » ، هو الفصل العاشر ، « لما قيل في التحريض على القتل بالثأر وتركه قبول الدية » وفصلًا آخر ، هو الفصل الحادي عشر ، « لما قيل في الامتناع عن الصلح »[3] جمع فيهما عدة مقاطع من شعر الرجال والنساء .

وقد كان من تأثير هذه العادة في الشعر ان المراثي فقدت كثيرًا من قوة الابتكار ، فغدت تدور على محور معروف وتقسيم مقرّر ، فتراجع التعابير نفسها ، على وتيرة واحدة ، بل اضحت كانها نسخ متعدّدة لصورة اصلية واحدة ، كلّما زاد عددها نحل رواؤها ، وضعفت شخصيتها . وهو ما نراه في شعر الخنساء نفسها ، فنأسف لتلك المراجعات المتواترة ، وتخفّف من اعجابنا بشواعر العرب قبل الاسلام . ذلك ان العادات الرثائية كانت تفرض عليهنّ الندب في سبيل التحريض ، كما قدّمنا ، وواجب التحريض كان يفرض المراجعات ، بل الدوران في محيط ضيّق .

ونتيجة ادبية اخرى ادّى اليها واجب التحريض في المراثي ، هي تلك المبالغات الشعرية المضحكة التي كانت تصل اليها الشواعر في ندبهنّ وبكائهنّ . كان عليهنّ ان يدفعن القوم الى الاخذ بثأر القتيل . واذًا فقد كان يجب ان يظهر القتيل بمظهر مَن يستحقّ ان تهتمّ القبيلة جماء باخذ ثأره . وهكذا فقد كان ادنى رعاة الابل خطرًا يتحوّل الى سيد كريم يحمي الارامل ، ويطعم الايتام . وقد شعر العرب انفسهم بما في هذا النوع من مبالغات مضحكة ، واكاذيب تدفع الى الهزء ، فقالوا :

. . . وبعض الباكيات كذوبُ (٤)

---

١) الاغاني ٦ : ١٥١ ؛ ابن سعد : الطبقات ٣ : ٨١

٢) اطلب : Rhodokanaki, *Ḥansā' und ihre Trauerlieder*, p. 85

٣) البحتري : الحماسة (طبعة شيخو) ص ٢٨ و ٢١

٤) الاصمعيات (Ahlwardt) ١١ : ١٧

وجمعوا النوادر المتنوعة على النوادب. وقد لا يخلو من فائدة ذكر واحدة منها نقلها ابن عساكر منسوبة الى الاصمعي ، وذلك في ترجمته لاسماء بن خارجة ، قال:

« كان اسماء ، ذات ليلة ، جالساً في منزله ، على سطح ، ومعه نساؤه ، اذ سمع في جوف الليل نادبة تندب ، وهي تقول :

ألا فابكي على السيّد لما تمشُ نيرانُهْ
ولما يطل العهد ، ولمّا تقل أكفانُهْ
عظيم القدر والجفنة ما تخمد نيرانُهْ

فاستوى اسماء جالساً ، وقد اشتدّ جزعه ، وهو يقول : « انا لله وانا اليه راجعون ! يا غلام ، يا غلام » . فاتاه جماعة من غلمانه فوقفوا قريباً منه حيث يسمعون كلامه. فقال لاحدهم : « انه قد حدث في بعض اشرافنا حدث. فانطلق الى منزل عكرمة بن ربعي التميمي ؛ فانظر هل طرقهم شيء ؟ » فذهب الغلام. ثم عاد ، فقال : « ما طرقهم إلّا خير . » فقال له : « اذهب الى منزل عبدالملك بن عبدالله التميمي ؛ فانظر هل طرقهم شيء ؟ » فذهب ، ثم عاد ، فقال : « ما طرقهم الا خير . » ثم لم يزل يبعث الى منازل اشراف الكوفة رجلاً رجلاً ممن يقرب جواره ، فيسأل عنهم ، الى ان قال له بعض جيرانه : « اصلحك الله ! ليس الامر كما تظنّ . » قال : « فما هذه النادبة ؟ » فقالوا : « هذه ابنة فلان البقال توفي ابوها فهي تندبه . » فقال اسماء : « سبحان الله ! ما رأيت كالليلة قطّ . » ثم اقبل على نسائه فقال : « عزمت على كل واحدة منكنّ ، ان حدث بي حدث ، ان لا تندبني نادبة بعد ليلتي هذه ابداً . »[1]

على ان التحريض نفسه ، بصرف النظر عن موادّ الرثاء من تعظيم قدر المرثي وشمول المصيبة به ، كان يسمو في اكثر الاحيان فوق التقليد والمبالغات ، فيخرج من القلب طبيعياً شخصياً. وذلك ان شعور الامّهات والاخوات والزوجات اسهل استثارة من شعور الاخوة والابناء والآباء ، وادعى الى الاخذ بالخيال والتصوّر. حتى انهنّ يتناسين ، او ينسين فعلاً ، كل ما يحول دون ادراك الثأر

١) ابن عساكر: تاريخ دمشق (طبعة بدران) ٣: ٤٥-٤٦

من مخاطر وعقبات ، بل يصبحن مستعدات لقبول مصائب جديدة في سبيل ادراك ثأر قديم. ذلك ان نداء « الدين » ، نداء العاطفة الصلبة ، يرفعهنّ حيناً فوق نزعات الحنوّ النسائي المعتادة . فضلاً عن ان المعيشة القلقة في ذاك القفر المخوف عملت نوعاً على تقوية صبرهنّ تجاه المخاطر الدائمة. حتى اصبحت حياة البدو خاضعة الخضوع التام لشريعة الثأر وما تثيره من واجبات ومشاكل ، وحتى اصبحت مراحل تلك الحياة تُقطع حسب هذا النظام الذي لخّصه دريد ابن الصمّة بقوله :

يُغار علينا ، واترين ، فيُشتفى بنا ، إن أصبنا ؛ او نُغير على وتر (١)

وان لنا في ديوان الخنساء المثال الاعلى لهذا النوع من الشعر الرثائي التحريضي - من الحق ان الشاعرة لم تخترع شيئاً ، لان صفة النوع التقليدية الدينية كانت تحول بينها وبين الاختراع فتدفعها الى المراجعات الدائمة والدوران المتتابع ، ولكن من الحق ايضاً ان الخنساء اظهرت شيئاً من الشخصية حتى ضمن ذاك المجال الضيّق ، فاخذت تردّد عوامل التحريض بعاطفة ، وطول نفس ، وتفنّن ، اوصلتها عن جدارة الى اعلى مرتبة بين شواعر العرب. على كونها لم تخلُ من مبالغة في دفع قومها بني سُليم الى الاثار لاخويها . فان اخاها صخراً مات في فراشه بعد مرض طويل تحمّله على اثر طعنة اصابته. اما معاوية فكان مدفوناً في ليّة ، جنوبي الطائف(٢). وقد يكون طول المدة ، وبعد القبر ، دفعا السُليميين الى النسيان ، فقامت الخنساء بواجب التذكير والتحريض. والنساء ، في مثل هذا الموقف ، ينسبن الرجال الى الجبن ، والرغبة في الطعام والشراب اذا ما قبلوا الدية ، فينادين بالويل والعار ، حتى يأنف الموتور من بيع فقيده باللبن ، اي من قبول الدية . واذا اصرّ عليه رجال الحيّ ، قال قول مسور بن زياد الحارثي ، وقد عرض عليه سعيد بن العاصي سبع ديات ، فابى وانشد :

يقول رجال ما أُصيب لهم ابٌ ولا من اخٍ : اقبل على المال تُعقَلِ ! (٣)

---

١) شيخو : شعراء النصرانية ، ص ٧٥٤

٢) راجع Lammens, *La cité arabe de Ṭāif à la veille de l'hégire*, p. 75, n. 3.

٣) ابو تمام : الحماسة ، ص ١٣٠ ، البيت ٢

واذا ادرك الموتور هذه الحالة ، بفضل التحريض والتذكير، فانه يترفع عن كل رغبة في المال ، مهما كان فقيرًا ، فيأبى نياق الدية مهما بلغ عددها من مئات والوف ، ويربأ بقبيلته ان ترضى بالعقل ، لانه

دنسٌ تسودّ منه ثيابُها ؛
وانّ ابنَ عمّ المرء خيرٌ من التي تبيت تماوى بالفلاة سغابُها (١

ولا يرضى حتى يذيق الواترين « حدّ السلاح »(٢ فيمكنه ان يردّد مع عبد العزّى بن مالك الطائي :

اذا ما طلبنا ثبّلنا عند معشرٍ أبينا جلاب الدرّ او نشربَ الدما
وعمدّ قتلنا ، بعدما عرضوا لنا مغاريهم شُعثًا ، وألفًا مزنّما (٣

ويفتخر وليّ الثأر بانه لا ينسى قتيله مدى الدهر ، فهو ان « لم ينل ثأره من اليوم او غدٍ ، فالدهر ذو متطول »(٤ . وكثيرًا ما يسمع اسمه تردده « ابنة الجبل » اي الصدى ، على ما في قول سدوس بن ضباب :

اني الى كل أيسارٍ ونادبة أدعو حبيشًا ، كما تُدعى ابنة الجبلِ (٥

هذا شيء مما يردّد على مسامع الموتور لتحريضه، يردّده النساء خاصة، وقد يردّده الموتور فيحرّض نفسه على قبول واجبات « ولي الدم » . والموتور هو اقرب اقرباء القتيل ، كما قدّمنا ، الا ان يكون هذا قد عيّن وليّ ثأره قبل موته .

فاذا اخذ على عاتقه هذا الواجب المهمّ ، امتنع عليه ان يكلّف غيره القيام به ، او يشركه بذلك . انما يجب عليه ان يضحي بنفسه في سبيل ادراك

١) حماسة البحتري : الرقم ١١٥
٢) حماسة البحتري : الرقم ١١٧
٣) حماسة البحتري : الرقم ١١٢
٤) حماسة ابي تمام ، ص ١١٦
٥) ابو زيد الانصاري : النوادر ، ص ١٢٤ . وقد قال شارحًا : « ان ابنة الجبل هو الصوت الذي يجيبك من الجبال والصحراء . . . يقول : اذا ندبت المرأة ميتها دعوت لها هذا الرجل ، فيجيبني للاخذ بثأرها كما تجيب ابنة الجبل . »

ثأره . من حقّه ان يلجأ الى المعاونين والمساعدين من كبار قبيلته او من غير قبيلته[1] . فيمهدون له سبيل الوصول الى مهمته ، كأن يدلونه على الواتر ، او ينصبون الحبالة فيقع هذا فيها . الا انهم جميعاً يجب ان يختفوا في ساعة الثأر ، فيتأخروا عن صاحبه ، تاركين للوليّ وحده حق القيام بثأره وقتل واتره . وهو حقّ لا يتخلى عنه الموتور لحظةً ، وكثيرًا ما سمعناه يطالب به بالحاح ، فيقول قول خالد لرفيقه نافع ، وقد اعانه في ادراك واتره ، فلما رآه صاح بنافع : « اياك ان تعرض له ، فاني اضربه . »[2] او قول الحصينين : حصين بن زهير بن جذيمة ، وحصين بن اسد بن جذيمة العبسيين لقومهما : « يا بني عبس ، دعونا وثأرنا . » وفي رواية اخرى انهما قالا : « قفوا علينا حتى نعلم علمه (الضمير للواتر) فقد امكننا الله من ثأرنا . » ولم يريدا ان يشركهما فيه احد[3] .

وهناك واجبات شبه طقسية على الموتور ان يحافظ عليها اثناء قيامه بالثأر . من ذلك ان يصيح بواتره ، في هجومه عليه ، او قبل ان يضربه الضربة القاضية ، فيذكر سبب عمله ، ويذكّر القاتل باسم القتيل ، صارخاً : « يا لثارات فلان ! »[4] في هذه الدقيقة الرهيبة يخرج البدوي من التخفي والتستر ، وقد جاز له ان يلجأ اليهما حتى هذه الآونة ، فيبدو ديّاناً وحاكماً ومنفّذاً ؛ فلا بدّ ، والحالة هذه ، ان يسمع المحكوم عليه حيثيات الحكم من فم قاتله !

وقد تجاوزت هذه العادة في ذكر « الثارات » العصر الجاهلي الى صدر الاسلام ، فكانت كلمة التوحيد بين افراد العثمانية ، ينادون بها في مطالبتهم

---

١) الاغاني ١٥ : ١٢

٢) الاغاني ١٥ : ١٢ ، السطر ١٤

٣) الاغاني ١٠ : ٩ و١١ ؛ ابن دريد : الاشتقاق ١٨٥ ، ٣ – وراجع قصة قيس بن الخطيم التي نشرناها في القسم الاول من هذا المقال : « مشرق » السنة الحالية ، ص ١٠

٤) راجع الامثلة العديدة على هذا في الدينوري : الاخبار الطوال (طبعة Guirgass) ، ص ٣٠٢ ؛ البلاذري : فتوح البلدان ، ص ٤١٦ ؛ الاغاني ١٢ : ٧٧ (وفيها مثل مضحك) ، ١٧ : ١٦٤ ؛ ديوان حسان بن ثابت ٢٠ : ٤ ؛ ابن دريد : الكتاب المذكور ، ص ١٨٥ ؛ رحلة ابن بطوطة (طبعة مصر) ١ : ٧٢ ؛ Lammens, *l'islam*... p. 168

بثأر الخليفة الثالث ، فيصيحون : « يا لثـارات عثمان ! »[1] وهي الكلمة التي نادى بها ، بعد العثمانية ، « توّابو » العراق ، عندما ارادوا ان يثأروا للحسين بن علي ، قتيل كربلاء ، فيكفّروا عن تخليهم عنه اثناء المعركة .

على ان العرب كانوا يمتنعون عن هذه المناداة في اشهر الحرام[2] امتناعهم عن الغارات . فكانوا يوقفون شريعة الثار بتأثير شريعة دينية اخرى .

وكان من الممكن ان يتنوّع التعبير في المناداة . الا ان اسم القتيل ضروري ذكره . وقد يُكتفى بذكر الكنية ، كما قال انس بن عباس حين قتل ابن ورقاء الخزاعي في ابن اخته ابي الزّبان طعيمة بن عدي ، يوم بئر معونة .

تركتُ ابن ورقـاء الخزاعيّ ثاويًا بمترك تـغني عليـه الاعـاصرُ
ذكرتُ ابا الزّبانِ لمـا رأيته وأيقنتُ اني عند ذلـك ثائرُ ! [3]

وقد يستعمل الموتور تعبيرًا آخر هو قوله ، قبل ان يضرب الواتر : « بوءْ بدم فلان ! » اي مُت به ! وليكن دمك كفوءًا لدمه ! كلّ ذلك لأن الموتور يريد ان يعيّن الغاية من ضربته ، فهو يوضح نيّته بطريقة ترفع الالتباس ، حتى اذا كان في الامر ما يشكل ، لم يتراجع عن ان يوضح حقيقة غايته . كما جرى لحليس النصري ، وقد لقي خويلدًا الخزاعي ، قاتل احـد اقاربه المدعو هريم بن مرداس ، فقتله . فقال بنو نصر : بوء بدم فلان النصري ، رجل كانت خزاعة قتلته . فقال الحليس : « لا بل هو بوء بدم هريم بن مرداس . »[4]

وهكذا نرى ان عادة الثأر عند العرب ، كعادة البراز عنـد معاصرينا ، مقيّدة بنظام دقيق على الموتور ان يتبعه ، منذ يبدأ بحمل « الوتر العظيم » ، اي منذ يصبح وليّ الثأر ، فيتقيد به تقيدًا طقسيًا يشبه تقيّده بالعبادات القليلة في « دين » العرب .

بيد انه لا يتقيد بهذه الطقسيات ، من واجب اظهار شخصيتـه وذكر اسم

---

١) راجع كتابنا في معاوية ص ١٠٦ وما بعدها .

٢) الاغاني ١٠ : ٢٢

٣) ابن هشام : سيرة الرسول ، ص ٦٥١ ؛ ووردت الحادثة مع شيء من التحريف في الاعلام ، في ابن عساكر : تاريخ دمشق ٣ : ١٢٨

٤) الاغاني ١٣ : ٦٩

القتيل ، الا في آخر دقيقة ، وقد سهل عليه ادراك الثأر فلم يبقَ الا الضربة القاضية. اما اول الامر فيمكنه الالتجاء الى جميع الوسائط ما صلح منها وما فسد. له ان يختفي وراء الشجر ، وله ان يغيّر زيه ، وله ان يصبغ غرّة فرسه، وله ان يلتجئ الى واتره نفسه ، حتى اذا سانت منه غفلة هجم عليه فقتله غيلة. وقد ذكرنا عدة شواهد على هذه الحالات في القسم الاول من المقال . وان لنا شاهدًا جديدًا في حادثة معاوية اخي الخنساء. وكان قد اغار على قوم هاشم ابن حرملة فخرج اليه هاشم واخوه دريد. فاردى معاوية هاشماً عن فرسه. وانفذ هاشم سنانه من بطن معاوية . ثم كرّ دريد على معاوية ، وهو يظنه قد قتل هاشماً ، فضربه بالسيف ، فاجهز عليه[1] . وظلّ بنو سليم ، قوم معاوية ، مدة يجهلون مَن القاتل ، فيتهاملون بادراك ثأره. فكانت الخنساء تقرّعهم وتحرّضهم بتلك القصائد التي ضخّمت ديوانها. حتى عرف القاتل رجلٌ اسمه عمرو بن قيس الجُشمي فلحقه وقال : « هذا قاتل معاوية ، لا وألت نفسي ان وأل . » فلما نزل هاشم وخلا لحاجته ، كمن له عمرو بين الشجر ، حتى اذا كان خلفه ارسل اليه معبلة فقتله[2] .

اما اليوم فان اغتيال هاشم على هذه الصورة لأبعد من ان يثير فينا عاطفة تقدير واعجاب . واما في ذاك العصر فان البدوي لا يرى في الحادثة الا القيام بواجب مقدس . لقد ادرك غايته من الثأر فاطمأنت نفسه اذ اطمأنت نفس القتيل ؛ فهو لا يهتمّ بالوسائل التي استعملها في سبيل ذلك ، بل لا يهمّه ان يفكر فيها . فلا عجب اذًا ان نسمع الخنساء تفدّي الفارس الجشمي بكل عزيز لديها ، فتقول :

فدى للفارس الجشميّ نفسي ، وافديه بمَن لي من حميم
افدّيه بكل بني سُليم : بطاعنهم ، وبالأنس المقيم
كما من هاشم افررت عيني ، وكانت لا تنام ولا تنيم[3]

---

١) الاغاني ١٣ : ١٤١

٢) الاغاني ١٣ : ١٤٦ . والمعبلة : السهم اذا كان نصله عريضًا .

٣) الاغاني ١٣ : ١٤٦ ؛ واطلب ديوان الخنساء (طبعة شيخو) ، ص ٨٠

وقد استغرب الاب دي كوبيه ، مترجم ديوان الخنساء الى الفرنسوية ، هذا المدح الرفيع « لحادثة اغتيال متصفة بالجبن » ، وزاد « انه يدلنا ، اكثر من اي وثيقة ، على ما وقر في نفوس البدو من حقهم المزعوم بالثأر . وان مقتل العدوّ كان لديهم من المآتي الرفيعة . »[1] على ان هذا الشرح لم يصب كبد الحقيقة تماماً ، لانه اهمل معنى الثار الخاصّ عند البدو . قد يمكن ان نسمّي الثأر « حقًّا » في جماعاتنا المنظّمة ؛ اما في البيئة البدوية اذ ذاك ، فكان واجباً مقدساً ، كما قدّمنا . وعليه فلم يكن العرب ليتوقفوا في الحكم على شرعية الوسائط المستعملة للقيام بهذا الواجب المحتّم ؛ واذاً فقد كانوا ابعد من ان يعتبروا صفة القتل ، كما في حادثة الجُشمي ، هل هو من المآتي الرفيعة ام لا ؟

وما رأي معاصرينا في عمل مِقْيَس الكناني الذي يفوق عمل الجُشمي غدرًا وخيانة ؛ حتى اننا لا نكاد نجد في مفرداتنا العصرية كلمة شديدة الوقع تصم بها هذا العمل الشائن . وتفصيل ذلك انه كان لمقيس اخ اسمه هاشم اسلم وشهد غزوة المريسيع مع النبي . فاتفق ان قتله رجل من الانصار خطأً ، وهو يظنه مشركاً . فقدم مِقيس على النبي ، فقضى له بالدية . فقبلها ، واسلم ، دالًّا بذلك انه عدل عن طلب ثأره ، حتى اذا صادف واتره مطمئنًّا هجم عليه وقتله . وهرب مرتدًّا عن الاسلام ، مفتخرًا بعمله :

شفى النفسَ أن قد بات بالقاع مسندًا ، يضرّج ثوبيه دماء الاخادعِ
ثأرتُ به قهرًا ، وحملت عقله سراة بني النجّار ارباب فارعِ
حللتُ به وتري ، وادركت ثُؤرتي ؛ وكنت عن الاسلام اوّلَ راجعِ[2]

هذا عمل مِقيس . اما اليوم فليس من شكّ في خيانته وغدره ؛ واما في ذاك العصر فلم يلمه احد ، اذا استثنينا المجتمع الاسلامي في المدينة الذي نظر خاصّةً الى ارتداد الخائن عن الاسلام . بل ان قومه عرفوا لهُ تلك الجرأة في الاخذ بالثأر ، والقيام بالواجب المقدس ، حتى انه عندما قتله احد بني قومه المدعوّ نُميلة ، مال الرأي العام الى تقريع نُميلة دالًّا على ان المجرم في نظره ، ليس مقيس

(٢ *Le diwan d'al-Ḫansā'*, traduit par De Coppier, p. 175

(٠ البلاذري : فتوح البلدان ، ص ٤١ ، وراجع القسم الاول من مقالنا ، ص ٢٢

الخائن الغادر ، بل نُميلة الذي « اخزى رهطه » ، على قول اخت مقيس :

لعمري ! لقد اخزى نُميلة رهطَه وفجّع اضياف الشتاء بمقيَس
فلله عينا من رأى مثل مقيس ، اذا النُفساء اصبحت لم تُخرَّس (١

واذاً فان الخيانة وما اليها ، اذا كانت من مقدمات الثأر ، ليست بالخلة المذمومة في نظر البدو . بل انهم كانوا يعتبرون الخداع من معدات الحرب فيقولون : « الحرب خدعة » . ويتكلون على السرعة اتكالهم على المقدرة ، فيذكرون في صفات الجواد الحسنة سرعته في ادراك الثأر(٢) .

خيانة ، وغدر ، واسراع في الهجوم وفي الفرار ، مع جميع انواع التخفي والتستر ، من انكار الاسم ، والانتماء الى غير القبيلة ، وصبغ الناصية ، وتسويد غُرّة الفرس ، والتظاهر بالنسيان ، والصبر للفرصة مدة طويلة . كلها اساليب يلجأ اليها الموتور ، فينيم حذر الواتر ، ويسهل على نفسه القيام بفرائض الثأر . على ان هناك من الابطال الفتّاك مَن لم يكن يرضى بهذه الطرق المائتة الى الجبن . فكانوا ، كالحرث بن ظالم المرّي ، يتهددون اعداءهم علانيةً ، وينبّهونهم الى قرب يوم الثأر :

تعلّم ، ابيت اللعن ، اني قاتلك من اليوم ، او من بعده ، يابن جعفر
أخالد ، قد نبّهتني غيرَ نائم ، فلا تأمَنَنْ فتكي ، يد الدهر ، واحذرِ (٣

ولكنّ ستار التخفي ، ايًّا كانت صفة الموتور ، يجب ان يسقط اثناء ضرب الواتر ، كما قدّمنا . عند ذاك يخرج الوليّ من تستّره ، فيُعلن اسمه واسم القتيل الذي يثأر به ، ويشير الى نسبه منه ، ان شاء ، ويذكر اسم الواتر الذي يقتله ، على نحو ما سبق لنا فاشرنا اليه . وهو لا يكتفي بكل هذا ، بل يعمل على اعلان عمله بالشعر ، ونشره مع الركبان في انحاء البلاد العربية . وكانه يعوّض عما بدا منه من مظاهر التخفي سابقاً ، فينادي الآن باسمه ، فعلَ خُفاف بن

١) ابن هشام : السيرة ، ص ٨٢٠
٢) ابن قتيبة : كتاب العرب (طبعة كردعلي في « رسائل البلغاء ») ص ٢٧٣ ؛ الاغاني ٤ : ١٥١
٣) الاغاني ١٠ : ١٨

ندبة اذ قتل مالك بن حمار الشمخي :

اقول له ، والرمح يأطر متنه : تأمل خفافاً ، انني انا ذلكا ! (١

او فعل علقمة بن سباع حين قتل عمرو بن الجميد :

قلت له : خذها فاني ابن ... (٢

ويستشهد الناس على فعلته :

الا سائل النعمان ، ان كنت سائلاً وحيَّ كلاب : هل قتلتُ بخالدِ ! (٣

ويتبسّط في ذكر الحادثة ، واصفاً المكان والزمان ، كما في ابيات خفاف المتقدم مطلعها :

وقفتُ له علوي ، وقد نام صحبتي لاني بجداً ، او لاثأر مالكا ،
لدن ذرّ قرن الشمس ، حين رأيتهم سراعاً على خيل تؤمّ المسالكا . . .
تبيّنت كبش القوم ، حين عرفته ، وجانبت شأن الرجال الصعالكا ؛
فجادت له يمنى يديَّ بطعنةٍ كست متنه من اسود اللون حالكا .
انا الفارس الحامي الحقيقة ، والذي به ادرك الابطال قدماً كذلكا !

وقد يصف عاطفته المضطربة بين الخوف والشجاعة، بين الاقدام والاحجام، بين حب الحياة والقيام بالواجب ، عندما يرى واتره القويّ فيظنّ انه ليس بكفوء له، ولكنه يشجع نفسه ويُقدم . وذلك قول مكرز بن حفص بن الاخيف القرشي وقد ثأر لاخيه الاصغر من سيد بني بكر ، عامر بن يزيد :

لما رأيت انه هو عامرٌ ، تذكّرت اشلاء الحبيب الملحّبِ
وقلت لنفسي : انه هو عامرٌ . فلا ترهبيه ، وانظري ايّ مركبِ !
وأيقنتُ اني ان اجللتُه ضربةً ، متى ما أصب بالذُّوافر يعطبِ
حفظتُ له جأشي ، وألقيت كلكلي على بطلٍ شاكي السلاح مجرّبِ
ولم اكُ ، لما التفّ رُوعي وروعُه ، عصارةَ هُجنٍ من نساء ومن أبِ .
حللتُ به وتري ، ولم أنسَ ذحله ، اذا ما تناسى ذحله كلُّ غيهب ! (٤

---

١) ابن دريد . الاشتقاق ، ص ١٨٨ ؛ الاغاني ١٣ : ١٤٢
٢) الاغاني ١٥ : ٧٦
٣) للحرث بن ظالم، بعد ان قتل خالد بن جعفر ، الاغاني ١٠ : ١٩
٤) ابن هشام : السيرة ، ص ٤٣٢ — الغيهب : الذي لا عقل له .

وهو حريص على ابلاغ الناس انه قام بواجبه في رائعة النهار :

ولم اقتلكم سرًّا، ولكن علانيةً، وقد مطع الغبارُ (١

او في الصباح :

نحن الذين صبّحوا صباحا يوم النُخيل غارةً ملحاحا
نحن قتلنا الملك الجحجاحا، ولم ندع لسارح براحا،
الا دياراً او دماً مُناحا. نحن بنو خويلدٍ صراحا
لا كذب اليوم ولا مزاحا !(٢

لا كذب ولا مزاح ! بل هي الحقيقة يهمّ الوليّ الثائر ان يعلنها كما هي، دون تعمية ولا اسرار، وقد خرج من طور التخفّي، فاخذ يخاطب الركبان ويكلّفهم نشر عمله بين الناس، وطريقة النشر الوحيدة، اذ ذاك، هي الشعر :

يا راكباً، إمّا عرضت، فبلّغن ابا غالبٍ ان قد ثأرنا بغالبِ ! (٣

الا أبلغ بني العشراء عني علانيةً، وما يُغني السرارُ :
قتلتُ سراتكم، وحملت منكم حميلاً مثل ما حمل الوبارُ (٤

وقد نخطئ اذا نسبنا غاية البدويّ في نشر قيامه بثأره الى الفخر المعتاد بين العرب، او الى عاطفة الحقد والرغبة في اهراق الدماء. انما غايته الحقيقية ان يُطلع القوم على قيامه بالواجب الديني. هي عاطفة الاطمئنان، وراحة الضمير بالخروج من الاثم، تدفعه الى نشر عمله المبرور :

من مبلغ افناء مذحج انني ثأرتُ بخالي؛ ثم لم اتأثمِ (٥

هي الغبطة بقيامه بالوصية، « بولاية الاشياخ » :

ثأرت عدياً والمطيم، فلم أضعْ ولاية اشياخ جُعلت ازاءها
ضربت بذي الرمّين ربقة مالكٍ فابتُ بنفسٍ قد اصبت شفاءها (٦

---

١) البيت لحذيفة بن بدر الفزاري؛ الاغاني ١٦ : ٣٣
٢) الابيات لابي حرب بن الاعلم العُقيلي؛ ابو زيد: النوادر، ص ٤٧
٣) دريد بن الصمّة؛ الاصمعيات ٨ : ١ — وكثيراً ما يتردّد هذا التعبير في شعر الثأر؛ اطلب ديوان اوس بن حجر ٣٠ : ١؛ المفضليات ص ٢٥٤ الخ...
٤) شدّاد بن معاوية العبسي: الاغاني ١٦ : ٣٣
٥) عدي بن حاتم؛ حماسة البحتري: رقم ١٥١
٦) ديوان قيس بن المطيم ١ : ٤—٥

هي ذكرى الفقيد ، والامل بان ادراك الثأر يسهل عليه الاقامة في ذاك « البيت المظلم » ، فيسكن صداه ، وقد ارتوى ظمأه . كل ذلك يحمله على اعلان عمله ، وان تعرّض بدوره لثأر جديد .

ثم من شروط الثأر الا يستفيد الوليّ الثائر فائدة مادية ، فلا يسلب قتيله ، ولا يأخذ راحلته . وهذا دليل جديد على صفة الثأر الدينية . وان هذا القيد لمن اصعب القيود على البدوي الذي لا يتراجع عادةً عن السلب والذي كثيراً ما يشتهي ان يكون له فرس خصمه ! فاذا قام بالثأر ، كما يجب ، وسواء اقتل القاتل نفسه ام غيره من قبيلته او من دينه[1] ، ام قتل عشرة بدل الواحد ، ام مائة ، كما يقول بعضهم ، « فلا لوم عليه ولا عذل »[2] .

وسواء اكان القتلى من عامة الشعب ام من الملوك :

الا تستحي منا ملوك ، وتتقي عارمنا ؟ لا يَبْوُء الدمُ بالدم !
نعاطي الملوكَ السلم ، ما قصدوا بنا ؛ وليس علينا قتلُهم بمحرَّم ! (٣

ويجدر بنا ان نلاحظ ذاك الاهتمام الذي يبديه جميع الثائرين بذكر قداسة عملهم وانه فوق التأثم واللوم والعذل ، يريح الضمير ويشفي النفس . هم يفتخرون بذلك وحق لهم الفخر ! لان اخذ الثأر اصعب المظاهر الدينية القديمة تنفيذاً ، واعظمها خطراً على القائم به ، واقربها الى التجرّد والاخلاص . وان تكن

---

١) في الاغاني ١٢ : ١٢٤ ان رجلاً اتى حصين بن الحمام السهمي فقال له : « ان جارك حصيناً اليهودي قد قتله ابو جرشن ، جار بني صرمة » . فقال حصين : « فاقتلوا اليهودي الذي في جوار بني صرمة » . فاتوا جهينة بن ابي حمل فقتلوه . فشدّ بنو صرمة على ثلاثة من حيس بن عامر ، جيران بني سهم ، فقتلوهم . فقال حصين : « اقتلوا من جيراننا بني سلامان ثلاثة نفر . » فقتلوا .

٢) حماسة البحتري : الرقم ١٥٦

٣) جابر بن حُنَيّ التغلبي في المفضليات (Thorbecke) ص ٥١ : ١٨-١٩

– ولا يخفى ما في قوله : « لا يبوء الدم بالدم » من ايجاز غامض ، صعب الشرح والتأويل . أأراد ان يقول ان الدم لا يمحو الدم وان القتل لا يشفي من القتل ؟ أم شاء الاشارة الى ان الثأر يدعو الى ثأر جديد ، وهكذا الى ما لا نهاية له ؟ ام رأى ، في عنجهيته البدوية ، ان ليس دمٌ يصلح كفوءاً لدم قتيله ؟

العواذل والنوادب قد اكثرن من اللوم والتحريض، بسبب الاهمال او التناسي، فها ان الثائر الآن، وقد اخذ بثأره «وغسل عاره»، يردّ على اولئك اللائمات، عالي الصوت، مرتفع الجبين. ويجب الا ننسب كل ما يقوله الى مفاعيل الافتخار. قد لا نصدقه في تعداده القتلى وفي كل ما تمده به مخيلته من وصف المخاطر والصعوبات. ولكن من الصعب الا يؤخذ المطالع بذاك الاخلاص، عندما يتنفّس البدوي الصعداء، كانه، بادراك ثأره، وضع عن عاتقه حملاً باهظاً، بل «شفى نفسه» كما يقول. هي عاطفة الخاطئ كفّر عن اثمه، وهتاف المؤمن اتى بعمل صالح. يشترك في ذلك النصارى كعدي بن حاتم، والمشركون كقيس بن الخطيم؛ فيملأون القفر شعراً. وكثيراً ما يكون ادراك الثأر سبباً لظهور شاعريّتهم.

***

قادنا ذكر بعض الحوادث الى تجاوز العصر الجاهلي حتى اوائل العصر الاسلامي، فكان من المفيد ان نعرف موقف نبي الدين الجديد من تلك الشريعة القديمة. لم يتردّد محمد في اقرار اصلها الديني، فذكرها بين الاحكام المدوّنة في «الكتاب»، اي في الوحي القديم. ولم يرَ لنفسه الحق في حذفها. على انه، لما كان ارقى من عامة معاصريه عاطفةً، واوسع فهماً ومداركَ، حاول ان يخفّف من وطأة الثأر في الحياة العملية. تتحقق ذلك في القرآن، اذ يجعل القصاص «مكتوباً» على المسلمين، اي موجوداً في الوحي منذ القدم: «كُتب عليكم القصاص: الحرّ بالحرّ، والعبد بالعبد، والانثى بالانثى.»[1] وهو لا يختلف، في هذه اللهجة، عن الشعراء الجاهليين. واذا رضي عن القتل بالدية — وهذه من مؤسسات اسماعيل الجدّ الاعلى، كما ينتج من التقليد[2] — فهو يُظهر هذا التجديد، لا مظهر شريعة تحلّ محل الشريعة السابقة، بل مظهر «تخفيف» لها، و«رحمة» من الله: «ذلك تخفيف من ربكم ورحمة»[3] ولا يخفى ان هذا الموقف تقريرٌ بيّن للعقيدة البدوية القديمة في شريعة «الثأر»، وما يلحق

١) القرآن ٢ [البقرة] ١٧٢
٢) ابن قتيبة: كتاب العرب، ص ٢٦١
٣) القرآن ٢ [البقرة] ١٧٤

بها من عادة « الثأر » . ولو لم يفهم النبي عقلية البدو في نظرهم الى هذه الشريعة، فيدرك انها فرض مقدس ، بل « حق » بالمعنى الذي تظهر به هذه اللفظة في لغة القرآن[1] ، لما احتاط هذا الاحتياط في تخفيفها بعض الشيء ، ولما كان من معنى لهذه اللهجة في سن القوانين . اما لو كانت عادة الثأر وليدة حقد البدوي ورغبته في اهراق الدم ، او اثرًا من الآثار الهمجية الراقية الى « العصور الجاهلية » ، لما تردّد القرآن في نسخها ، ونسبتها الى « الكفر » ، كما فعل بعددٍ من تلك العادات القديمة ، كالنسيء مثلًا[2] .

وهل يبقى من شكّ في صفة الثار الدينية اذا ما اطلعنا على ما ذكره ابن هشام في حادثة مكرز بن حفص القرشي ، قاتل عامر بن يزيد ، سيد بني بكر، بثأر اخيه . وخلاصة ذلك ان القاتل، بعد ان رمى واتره، « خاض بطنه بسيفه . (بسيف الواتر) ثم اتى به مكة فعلّقه من الليل باستار الكعبة . »[3] ، كما يعلّق الرجل التقي نذرًا جديرًا بشكر الآلهة . . .

واننا نأخذ عن ابن هشام نفسه ، كاتب سيرة الرسول ، حادثةً تدلّ على قوّة هذه العقيدة ، وتمكنها حتى من المسلمين ، وهي واحدة من كثير مما ذكرناه في هذا القسم وفي القسم الاول من مقالنا :

كان عبدالله بن أبي من سادة المدينة . وكان لا يرى بعين الرضى تقدم المهاجرين في مدينته — وذلك بعد الهجرة — وتدخلهم في كل شيء . فحاول ان يضع حدًّا لهذه الحالة ، دون ان يجابه الاسلام . فغضب عليه النبي ، واراد قتله . وكان لعبد الله ابنٌ بارّ به ، قد دخل الاسلام واصبح من اشدّ المسلمين غيرةً على دينه الجديد ، وعلى سياسة النبي . فلما علم بالخلاف بين الرجلين ، وخشي ان يبعث النبي من يقتل اباه ، اتى محمدًا فقال : « يا رسول الله ، انه بلغني انك تريد قتل عبدالله بن أبي فيما بلغك عنه . فان كنت فاعلًا فمرني به . فانا احمل اليك رأسه . فوالله لقد علمت الخزرج ما كان لها من رجل ابرّ بوالده مني .

---

١) راجع القرآن ٢ : ٥٨ ؛ ٦ : ١٥٢ ؛ ١٧ : ٣٥ ؛ ٢٥ : ٦٨

٢) القرآن ٩ : ٣٧

٣) ابن هشام : السيرة ، ص ٤٢١ ؛ الواقدي (Kremer) ص ٢٢

اني اخشى ان تأمر به غيري فيقتله ، ولا تدعني نفسي انظر الى قاتل عبدالله ابن أبي يمشي في الناس، فاقتله ، فاقتل رجلاً مؤمناً بكافر ، فادخل النار.»[1]

مهما يكن من المبالغة في هذه الحادثة ، فانها تصوّر خير تصوير تأصّل عقيدة الثأر الدينية. ولنلاحظ ان هذا المسلم المتديّن لا يخالجه ادنى ريب في شرعية الثأر ، فهو لا يخشى من ان تحمله نفسه على قتل قاتل ابيه — وقد يكون خشي ذلك لو كان الاسلام قد حرّم الثأر — انما يخشى ان يقتل بابيه «رجلاً مؤمناً». وبكلمة اخرى فهو لا يخشى الثأر، انما يتراجع امام صفة الوازع، فيما لو كان مسلماً...

***

هذا ما رأينا ذكره في المقال الحاضر ، واعدين القراء بالعود الى الموضوع، في قسم ثالث ، فنجرّب وصف الضحية التي يثأر منها المرتود، منتهين الى ذكر تلك المحاولات التي اخذ حكماء العرب يقومون بها، قبيل الاسلام، في سبيل تخفيف نتائج الثأر باقرار الدية.

(١) ابن هشام: السيرة ، ص ٧٢٧-٧٢٨

شذرات

اغناطيوس غويدي ، المستشرق الايطالي الكبير ١٨٤٤ ــ ١٩٣٥

في ١٨ نيسان من هذا العام ، يوم خميس الاسرار ، نعت الصحافة فقيد العلم والفضيلة وشيخ المستشرقين اغناطيوس غويدي ، صاحب المؤلفات والنشرات العديدة المختصة بالعلوم واللغات الشرقية ، لاسيما العربية والسريانية والحبشية . مات في السنة التسعين من عمره بعد ان قضى حياة بارة مزدانة بالاعمال الحميدة ، العائدة بالفخر على آله وبلاده وعلى المسيحية جمعاء .

وُلد في رومة من أسرة عريقة بالنسب اشتهر رجالها بخدمتهم البلاد والكنيسة والعلوم . عُهد اليه بتعليم اللغة العربية واللغات السامية المتقابلة ، في جامعة رومة . ومنذ ١٨٨٥ ، أقيم معلّم تاريخ الحبشة ولغتها ، الى ان بلغ عمر التقاعد ، فاقيل من منصبه ١٩١٩ ، وكان قد تعيّن عضواً في مجلس الشورى ١٩١٤ .

وصفت الصحافة الايطالية معارف هذا الرجل واعماله فادهشت[1] . اتقن اللغة العبرية القديمة والحديثة ، واللغة الكلدانية ، والآرامية ، واللغة العربية الشمالية ، والجنوبية المسماة « حِميَرية » ، والفارسية ، والتركية ، فيما لها من علاقات مع اللغات السامية ، والقبطية ، والارمنية ، والاشورية ، والبابلية ، والحبشية القديمة والحديثة . واضاف الى ذلك ثقافة واسعة في علم التاريخ والجغرافية وقراءة الآثار والنقود . وكتب باللغات الاوربية : الالمانية ، والافرنسية ، والانكليزية ، واللاتينية ، فضلاً عن الايطالية لغته . وقرأ الروسية ، والهولندية ، وغيرهما من اللغات الحديثة . اما اليونانية فعرفها معرفة مكّنته من تلاوة الشعر التمثيلي القديم استظهاراً ، وهو في آخر ايامه .

فلا اقل من ان نحني لذكرى هذا الرجل الكبير ، ومن ان نسرد لائحة اهم مؤلفاته التي خدم بها البشرية عامة ، وشرقنا خاصة ، فنفيه حقه باعجابنا

(1) Giuseppe Gabrieli, *Ignazio Guidi : il Nestor degli Orientalisti d'Italia.* *Il Giornal d'Italia*, 21 aprile XIII.

وشكرنا، ونؤدي لتاريخ الثقافة الشرقية صحيفةً سطرتها حياته الطويلة الخصيبة.

***

خصّ جورجي دلّا ڤيدا الناقد الكريم بمقال نشرته مجلة « الاورينته مودرنو »[1]، ونظر فيه الى النواحي الثلاث التي ظهر فيها اجتهاد غويدي وهي الآداب العربية الاسلامية، والآداب المسيحية الشرقية، واللغة والتاريخ والآداب الحبشية، ومنه ملخص كلامنا في الناحيتين الاولين.

١ الآداب العربية الاسلامية

حصّل غويدي اللغة العربية تحصيلاً علمياً كما يحصّله الافرنج، وذلك في درس الفراماطيق بالمقابلة بين زمانه الحاضر والغابر، وتضلّع من العربية الفصحى والعامية، باتصاله برجال الاكليروس الماروني، المقيمين في رومة، واخصهم الاباتي جبرائيل القرداحي صديقه الحميم.

قبض غويدي على ناصية العربية بيد مكّنته من التحرير نثرًا ونظماً فصارت له آلةً استعان بها في التفتيش عن النصوص القديمة وقراءتها وتفسيرها وطبعها، فبرز فارساً في ميدان النشر العلمي لم يسبقه مسابق، واول ما اتاه شاهداً على مقدرته في الشرح والتعليق كتاب « كليلة ودمنة »، اكتشفه في جزء من كتاب ايطالي فنشره، ثم نشر قصيدة كعب بن زهير « بانت سعاد » لشارحها جمال الدين بن هشام، ثم كتاب « الاستدراك » لابي بكر الزبيدي، وكتاب « الفصل » لابن القوطيّة، وهي نصوص قديمة صعبة الجأته الى مراجعات تاريخية وادبية عديدة ليتمكن من ضبطها وتفسيرها والتعليق عليها.

ولم يكتفِ غويدي باتقان العربية بذاتها، بل درس علاقاتها باليونانية في المقال الذي وضعه مقابلاً بين تاريخ العربية وتاريخ اللاتينية.

هذه المطبوعات وغيرها هيأته للقيام بمشروع خطير، هو نشر تاريخ الطبري في جزءه المختص بالامويين في ٧٦٠ صفحة مكتظة بالوثائق القديمة الراقية الى القرن الاول والثاني للهجرة. ما اطيب لغتها وما اصعبها! اما غويدي

(١) Giorgio Levi Della Vida, *l'Opera orientalistica di Ignazio Guidi*; Oriente Moderno, Maggio 1935, p. 236 sqq.

فقد قوي على تذليل عقباتها والى نشره خيرة ما نُشر من تاريخ الطبري الضخم.

لم يتمكن غويدي من القيام بتلك الاعمال الا بالمطالعات الواسعة ، وهذه كانت في كتب لم تنشر النشر العلمي المقرّب موادّها الى القراء ، فنشر عن ساعد الجدّ ، واخذ يعالج الشعر القديم ، فوضع فهارس اشعار خزانة الادب ، وشرح شواهد الالفية ، وقام بوضع فهارس الاغاني الكبير ساعده بعضهم عليه، لكن كتابته كلها بيده ، وهو آية من آيات الصبر والجلد على العمل. ووضع غويدي فهرساً ثانياً للقوافي استنله من مطالعة ٤٠٠٠ صفحة من الاغاني.

وخدم العربية بوضعه لوائح المخطوطات الموجودة في بعض خزائن الكتب في ايطالية وبلغ به البحث الى التفتيش عن تاريخ مدينة رومة ، مسقط رأسه ، اخذاً عن وصفها في النص السرياني من التاريخ المنسوب الى زكريا البليغ . فميز بين ما وصل الينا عنها من الاخبار الصادقة ومن الاساطير ، فتعقب اثرها وبحث عن مصادرها بالعربية وعن كيفية بلوغها الينا. والقى في الجامعة المصرية محاضرات نشرت من ثم باسمه ، فكان مع غولدسيهر منبهاً الى درس المدنية العربية في نواحيها اللغوية والادبية والتاريخية والجغرافية.

لم يصرف غويدي همه الى الدروس الاسلامية شأنه الى الدروس المسيحية. ومع ذلك فقد قام بترجمة « المختصر في الفقه المالكي » لخليل بن اسحاق ، وعلّق عليه. وله في هذا الصنف مقالات.

وفي سنة ١٩٠٩ القى بالافرنسية اربع محاضرات على الجزيرة العربية في عهد الجاهلية ، وعلى تأثير السريان واليهود في تكوين البيئة التي نشأ فيها الاسلام. وكانت تلك المحاضرات وحياً لمن اتخذ مواضيعها فيما بعد مادّة توسع بها.

٢ الآداب المسيحية الشرقية

للمسيحيّة في الشرق حياة فكرية تختلف مع اختلاف البلاد واللغات ، وهي مع ذلك موحدة بالمشاكل او الدروس التي تشغلها اعني بها المجادلات اللاهوتية ، وتاريخ الانشقاقات ، وتعاقب رجال الاكليروس في المناصب الكنائسية . وان هذه الحياة الفكرية لها مقامها في تاريخ المسيحية العام ، ولا بدّ من الاهتمام بها . على ان معالجتها تضطر الى معرفة لغات عديدة تمكن من

الالمام بالمواضيع من سائر وجوهها ، وان معارف غويدي الواسعة وتضلعه من اللغات الشرقية اهبته ليكون خير عامل في ذلك الحقل الواسع . فجاء اسمه في سلسلة المؤلفين العظام الذين ساروا وبيدهم مصباح العلم فبددوا الظلمات . لقد يضيق بنا المقام في سرد لائحة النصوص العربية والسريانية والقبطية والحبشية التي نشرها في الشؤون المسيحية ، وحسبنا ان نذكر « قصة اصحاب الكهف » الشهيرة ، فقد طالع غويدي نصوصها في مختلف اللغات وقابل بينها وكشف اصلها . ونشر رسالة سمعان اسقف بيت ارشم على « الشهداء المسيحيين في جنوبي الجزيرة العربية » وساعد على تاريخ الموتوفيسية في تعريف رسالة فيلكسين المنبجي . وكتب في دخول التعليم اليوناني في سورية ، اخذاً عن « دستور مدرسة نصيبين » ، وكشف القناع عن نصوص باللغة القبطية ، تشهد له بطول الباع في تلك اللغة ايضاً . ومما استغله في ذلك الحقل الآثار الشرقية المسيحية كاعمال الشهيد يهوذا القورشي اسقف اورشليم .

اضف الى ذلك ابحاثه التاريخية الادبية ، ومنها درسه ترجمة الانجيل من الحبشية الى العربية ، فتح به للدارسين باباً جديداً دخل منه غيره واتسع من ثم نطاق الدروس الكنائسية الشرقية . ومن آثاره المقال في اعمال الرسل المكذوبة في نصوصها العربية والقبطية والحبشية ، والمقال في قانون الكنيسة القبطية ، ومقالات عديدة ورسائل في مواضيع واسعة من مؤلفات الآباء ، وسير القديسين ، واصول الليتورجيات . وادى مساعدته في نشر اعمال الشهداء بمجلداتها السبعة ، وفي نشر مجموعة مؤلفات الكتبة المسيحيين الشرقيين وغير ذلك .

***

هذا وصف وجيز لحياة طويلة نال فيها صاحبها من مواهب الرحمان وزنات عديدة تاجر بها وكان من الرابحين . لقد ذاع صيته بين علماء الخافقين ، فاشتهر بنبوغه وتواضعه ووداعته ، وصار قدوة لحملة الاقلام المجاهدين في سبيل العلم والحق .

الاب فردينان توتل اليسوعي

مطبوعات شرقية جديدة

Fr. X. Kortleitner, o. p., Sacrae litterae doceantne creationem universi ex nihilo. [*Commentationes biblicae* IX]. 76 pp. Innsbruck (Autriche) Feliz-Rauch. Prix : 2 M.

في شرح التعبير : « الخلق من العدم »

هذه الحلقة التاسعة من سلسلة شروح الكتاب المقدّس ، خصها المؤلف بتفسير « الخلق من العدَم » . ما معنى هذا التعبير ؟ وما هي النصوص في العهد القديم وفي العهد الجديد التي تستعمله وتبرهن عليه ؟ ومَن هم الذين ينتقدونه او ينكرون صحته ؟ كلّها اسئلة عرضها المؤلف واجاب عنها بما عرف به من دقة العلم وسعة الاطلاع ، مضيفاً بذلك خدمةً جديدة الى ما اداه من خدم قيّمة في سبيل افادة الناشئات الاكليريكية في العالم . وقد كتب الكتاب باللغة اللاتينية تسهيلاً لانتشاره . وختمه بجدولين : الاول جمع النصوص الكتابية المذكورة ، والثاني ضمّ اسماء الاعلام والاشياء الواردة في الكتاب . ج . ل .

L'œuvre exégétique et historique du R. P. Lagrange. [*Cahiers de la Nouvelle Journée*, N° 28]. In-8°, 232 pp. Paris, Bloud et Gay. Prix : 20 fr.

اثر الاب لاگرانج في شرح الكتاب المقدّس وفي التاريخ

لقد اجتمع ستة من كبار الشخصيات في العلوم الكتابية ، ومنهم الكردينال ليبنار ، على اخراج هذا الكتاب ذاكرين فيه رأيهم في ما خلّفه الاب لاگرانج من دروس دقيقة نفيسة في شرح الكتاب المقدّس وفي التاريخ . فكان عملهم عمل النقدة العلماء الذين لا يُغدقون التقريظ الا مستندًا الى البرهان . كان الاب لاگرانج من كبار اعلام العصر في الشؤون المذكورة ، فأسس « المدرسة الكتابية » ، ثم « المجلة الكتابية » ، ثم « مجموعة الدروس الكتابية » . فوفّر من ثم لدارسيه مادّة واسعة بحثوا فيها ، على الاقسام التالية : العهد القديم واللغة السامية ؛ العهد الجديد واصول النصرانية ؛ الاب لاگرانج

عالماً باليونانية ؛ تاريخ الاديان بالمقابلة والدين الموحى به ؛ تأثير الاب لاگرانج. ولا شكّ في ان مطالع الكتاب يتحقّق سموّ الاب في عالم العلم وتتابع جهوده، فيشترك مع المؤلفين في الاعجاب به وتكريمه.

CARBONE, Circulus philosophicus sen objectionum cumulata collectio juxta methodum scolasticam. Vol. 1, Logica. In-8°, VIII - 532 pp. Torino, Casa editrice Marietti. Lir. ital. 15.

في الاعتراضات الجدلية

يرى طلّاب المعاهد الفلسفية، في هذا الكتاب، مجموعة من الاعتراضات المنطقية التي يتداولها الطلّاب فيناظرون بها بعضهم بعضاً، ويتمرّنون على الجدل مقلّبين الموضوع على مختلف وجوهه. واذاً فهو يفيدهم الفائدة الجمة. وقد رتّب المؤلف هذه الاعتراضات باسلوب سهل مبتدئاً بمقدّمة في العمل الجدلي والمناظرات التمرينية وفوائدها، منتقلاً الى درس ٣٢ فرضية تتناول المنطق بكل فروعه من جدل، ونقد، واسلوب علمي. ج. ل.

L'ABBÉ C. DE CLERCQ, Les Eglises unies d'Orient. [*Bibliothèque Catholique des Sciences religieuses*]. In-12, 160 pp.

كنائس الشرق المتّحدة

يعرض المؤلف في هذا الكتاب، وهو اشبه بجدول موجز ولكنه دقيق، لدرس جميع الكنائس الشرقية المتحدة، لا الاشورية والافريقية فقط، بل الاوربية ايضاً كالكنائس الايطالية - اليونانية، والرومانية، والصربية، والبلغارية، والرومانية؛ فيبلغ مجموع المنتمين اليها ثمانية ملايين، يقابلهم ١٧٢ مليوناً من المنشقّين. والكتاب خير متمّم لكتاب الاب جانّن في «الكنائس الشرقية المنشقّة» يتّبع ترتيبه في ذكر الفصول وتتابعها، على فرق ان في الكتاب الجديد فصلاً لا مقابل له في القديم، وهو الفصل الخاص بالموازنة. ومما يلاحظه المطالع بسهولة اهتمام المؤلف بالدقة العلمية. فهو لا يألو جهداً في درس الوثائق الرسمية، بل في السفر والاطلاع على الحياة الدينية في الكنيسة التي يكتب عنها. حتى بدا كتابه دليلاً اميناً لا يستغني عنه كل من اراد الاطلاع على

دقائق الموضوع. ج. ل.

PIERRE-MARIE BRETONNET, Le chanoine Mangou et la première communauté sacerdotale de Larchant. Un vol. 22×15, 224 pp., 2 portraits et 1 carte. Paris, Bonne Presse, 1935. Prix: 10 fr.

حياة الخوري مانكو واعماله

من اصعب المشاكل التي تعرض لرؤساء الدين مشكلة حفظ الايمان، والقيام بالعبادات في ضواحي المدن، وفي القرى النائيـة. فاذا وُجد من يحلها، فيهتم بالالوف المؤلفة من العملة المساكين ومن الفلاحين البعيدين عن الاوساط الدينيـة، كان له الفضل الجزيل. وعليـه فللاب مانكو فضل لا يُنكر، وهو الذي قضى السنوات العديدة يعمل على تبشير سكان «الضاحية الدكناء» في السين والمارن، باذلاً ما يستطيع بل فوق مـا يستطيع، حتى توصل، في جملة ما قام به من المشاريع، الى تأسيس حياة مشتركة لكهنة الرعايا، تساعدهم في تنمية غيرتهم وتوسيع منطقة تبشيرهم. وقد شعر الكاهن الغيور، بعـد ان ذاق الم التضحيات الجمة، بتعزيات اثلجت صدره وشجعته في اعماله الصعبة. وهذا ما اراد ان يعرضه المؤلف الذي كان شاهداً لاعمال الكاهن المـذكور، ومعاوناً له في بعضها. فجمع معلوماته في هذا الكتاب الشائق الذي لا يخلو من التدقيق العلمي، على ما فيه من عاطفة مشروعة. وقد مهّد له سيادة المطران بردريليار بمقدمة نفيسة في صعوبة العمل الرسولي في الضواحي ومـا يتطلب من صاحبه من تضحيات وجهود جعلت للمترجم ذكراً صالحاً بين رجال الاكليروس الفرنسوي.

P.P. BAUDOT ET CHAUSSIN, O. S. B., Vie des Saints et des Bienheureux selon l'ordre du calendrier. T. I, Janvier. In-8°, 663 pp. Paris, Letouzey et Ané, 1935.

حياة القديسين والطوباويين

اننا نقدّم الى القراء الكرام مجموعةً جديدة لتراجم القديسين والطوباويين، سيستقبلونها، دون شك، بكل ارتياح، لما عُرف عن مؤلفيهـا من العلم، ولما قاما به من ترتيب اذ عرضا التراجم حسب كلندار الاعياد يوماً فيوماً منذ

اول كانون الثاني. وهكذا يرى المطالع ، كل يوم ، اولاً ترجمةً مشروحة عن كتاب « اعمال الشهداء » الروماني ، ثم لائحة باسماء مَن لم يدوّن في الكتاب المذكور من القدّيسين والطوباويين ، مع ترجمة مختصرة لبعضهم صُرفت فيها عناية خاصة الى الجهة الطقسية ، واردفت بلائحة المصادر. واننا ، دلالةً على ما في التراجم من التنوّع ، نُشير الى ان ، في اول كانون الثاني ، ١٢ ترجمة في ٢٦ صفحة ، منها ٧ صفحات لذكر الختانة . ويُختم الكتاب بجدول ابجدي يتضمّن اسماء الاعلام . وقد يكون من المفيد لو اردف بجدول آخر يتضمّن اسماء الاعياد يوماً فيوماً. ج. ل.

A. CHEREL, **Fénelon ou la religion du pur amour.** [*Les Maîtres de la pensée religieuse*]. In-12, 283 pp., Paris, Denoël et Steele.

فنيلون او دين الحبّ الخالص

ايّ مركز يحتلّ في تاريخ الافكار المسيحية من اخلاقية ودينية ، ذاك الذي استخرج من النزعة الروحانية مذهباً خاصاً في الاخلاق والسياسة بل في شؤون الذوق ؟ هذا ما يجتهد المؤلف في تحديده دارساً تلك الشخصية البارزة التي لا تزال ، حتى اليوم ، تؤثر الاثر البليغ في رجال الثقافة العصرية على اختلاف مناحيها. ليقرأ المطالع مقدمة الكتاب فيفهم قيمة شخصية فنيلون، ويدرك لماذا اختار المؤلف درسها ، على اثر الكثيرين من متقدّميه ، فوجد فيها مادّة واسعةً تجعل من كتابه مؤلفاً في موضوع عصري لا تزال له جدّته واهميته وجاذبيته.

درس الكاتبُ صاحبَ الترجمة منذ شبابه ، منتقلاً به الى زمن اتصاله بالاب فلوري واتخاذه مذهبه ، ومذهب مدام گويّون ، وكيف اصبح فنيلون من ارباب اللاهوت الروحاني ؛ وكيف اظهر الخضوع التام عندما رشقت رومة بالحرم كتابه في « حِكَم القديسين » ، فانصرف الى التبشير بالحبّ الخالص او المحبة. يذكر الكاتب هذه المظاهر ، دارساً اهم آثار الاسقف الكبير كآرائه السياسية في تلماك ، ومجموعة رسائله ، وردوده على الجانسينيين . ولم يمت اثر فنيلون بموته ، بل قامت تتنازعه الفئات المختلفة ولا تزال . على ان ما يهمنا فيه

خاصة انما هو الاخلاقي المسيحي صاحب القلب الكبير والفكر النيّر. ج.ل

G. BERNOVILLE, Les Jésuites. [« *Les grands ordres monastiques et instituts religieux* », vol. XVII]. In-12, 334 pp. Paris, Bernard Grasset, 1935. Prix : 15 fr.

اليسوعيّون

كان الكثيرون ينتظرون هذا الكتاب بشيء من الفضول والرغبة في معرفة ما سيقوله المؤلف، اذ ليس من السهل على من كان غريباً عن الموضوع ان يجمع بين الثقة، والتدقيق، والروح النقدي، في كلامه عن رهبنة طالما اختلف الناس في الحكم عليها. على ان الكتاب ظهر موفّقاً بالنظر الى الجمهور الذي كتب في سبيله، حتى اننا لا نرى مانعاً في ان نوصي بقراءته من اراد معرفة مَن هم اليسوعيون. اما محتويات الكتاب فتبدأ بفصل خاص بالمؤسس، ثم تُذكر «تمارين الرياضة» المشهورة، ثم نظام الرهبنة. يلي ذلك ذكر العمل الرسولي والتبشيري، و«سرّ» هذا العمل. وفي الختام ملحق فيه تصميم «التمارين الروحية»، وحالة الارساليات اليسوعية في البلاد غير المسيحية في السنة ١٩٣٢ ج. ل.

MENAHEM NAOR, Cours pratique de langue hébraïque. 1 vol. in-8°, XII - 96 - 112 pp. Jérusalem, Divan, 1935. Prix : 30 fr.

كتاب تعليمي للغة العبرية

هو كتاب بسيط واضح يبدو لنا غاية ما يتمنّاه من لم يتعوّدوا الاضطلاع بالمشاكل اللغوية. اما اللغة العبرية التي يعلّمها فليست عبريّة الكتاب المقدّس، ولا ما نراه في كثير من الغراماطيقات من مزيج بين العبرية القديمة والحديثة، انما هي العبرية الحالية التي يتكلمها الاسرائيليون في فلسطين. وفي المجلد قطع ادبية مختارة كلها تقريباً من آثار الادباء المعاصرين، وقد وددنا لو كانت اكثر مما هي. ولا شك في ان الكتاب يؤدي خدمةً جزيلة، ولا سيما اذا عرفنا ان الكتب التعليمية من نوعه قليلة جداً. وقد تناولنا، مع هذه الطبعة الفرنسوية، طبعة عربية للكتاب المذكور استفاد منها الكثيرون ممن تدفعهم اعمالهم الى التعامل مع الاسرائيليين في فلسطين. ب. م.

J. B. CHABOT, Littérature syriaque. [*Biblioth. Cathol. des Sciences religieuses*]. In-12, 165 pp. Paris, Bloud et Gay.

الآداب السريانية

يتحف هذا الكتاب ، على صغر حجمه ، بدقة ووضوح لا نراهما الا في آثار الاختصاصيين من امثال المؤلف. يشعر المطالع بذلك في المقدّمة ، ثم في التمهيد ، وقد رأينا ان نذكر قسماً منه وهو افضل تعريف للكتاب:

«لا يمكننا ان نسرد في هذا الكتاب، ضمن الحدود الموضوعة له ، تاريخاً مفصّلاً للآداب السريانية ، ذاكرين كل المؤلفين ، معدّدين جميع آثارهم. وهو لم يُكتب للمستشرقين الذين يستغنون عنه بما لديهم من منشورات اوفر اختصاصاً واوسع تفصيلاً . انما غايته ان يلقي نظرةً اجمالية على اغنى الآداب المسيحية الشرقية ؛ فيظهر ، بالايجاز ، تلك الكنوز المتنوّعة التي توفّرها هذه الآداب لارباب التاريخ ، والتفسير ، واللاهوت ، واللغة ؛ فيدفع القرّاء الى التزيّد من معرفتها. ويمكن القول ان ليس من ادب، بعد الادب اليوناني والادب اللاتيني، اكثر فائدةً لدرس النصرانية من الادب السرياني ، وبالتالي اجدر بان يلفت انظار كل من يهمهم تقدم الدروس الدينيّة . »

IBN AL-'ARĪF, Maḥâsin al-Majâlis. Texte arabe, traduction et commentaire par MIGUEL ASIN PALACIOS. [*Collection des Textes inédits relatifs à la Mystique musulmane*, t. II]. In-8°, 106 pp. Paris, Geuthner, 1935. Prix : 60 fr.

محاسن المجالس لابن العريف

ابو العباس احمد بن محمد الصنهاجي ، المعروف بابن العريف ، من كبار صوفيي الاندلس النابغين في النصف الاول من القرن الثاني عشر († ١١٤١) . عُرف محدّثاً فقيهاً ؛ ثم تزهّد ، وسنّ طريقةً صوفيةً في المريّة لم تلبث ان عُرفت في انحاء الاندلس عامةً ، فتبعها الكثيرون من كبار الصوفيين ؛ وانتقلوا الى المريّة فاصبحت عاصمة التصوّف الاندلسي . وقد اثّرت طريقة ابن العريف ونظريّته في « محبة » الله خاصة و « التوكل » عليه ، في جميع مَن اتى بعده من

الصوفيين ولاسيما ابن العربي ، اثرًا ادّى ببعضهم الى تجاوز حدّ المحبة الى الحلول ، وحدّ التوكّل الى التواكل والخمول . فضلًا عن كون ابن العريف عمل على تنظيم فضائل الصوفية وترتيبها بحسب « منازل » الحياة الصوفية من معرفة وارادة وزهد وتوكل وصبر وحزن وخوف ورجاء وشكر ومحبة وشوق ، يلحق بها التوبة والانس . فلا عجب اذًا ان عدّه العلماء من كبار مؤسسي الصوفية الاندلسية كما تجلّت لنا في آثار ابن العربي خاصة . ولا عجب ان تلفت شخصيته نظر العلّامة اسين بلانيوس ، كبير الاختصاصيين بالتصوّف العربي الاندلسي ، فيفتش عن آثاره ، فلا يقف الا على اربع نسخ «لمحاسن المجالس» ، فيعتمد اثنتين منها : نسخة برلين ، ونسخة الاسكوريال ، في اعداد هذه الطبعة المفيدة . ولا يخفى ما « لمحاسن المجالس » من اهمية في درس الصوفية العربية لا في مظهرها الاندلسي فقط ، بل في مظاهرها الشرقية ايضاً ؛ ولاسيما بعد ان قدّم عليها الناشر بحثه الجامع الموجز في حياة ابن العريف ، وآثاره ، وتحليل « المحاسن » ، وذكر اشارات ابن العربي في « فتوحاته » الى ابن العريف او الى « محاسنه » ؛ وبعد ان اردفها بترجمة واضحة تزيل ما تتصف به النصوص الصوفية عادةً من ايجاز وغموض : فاضاف مأثرةً جديدة الى مآثره العديدة في سبيل درس هذه النفحة الروحانية . ف . ا . ب .

FÉLIX M. PAREJA CASANAS, Libro del Ajedrez de sus problemas y sutilezas de Autor Arabe desconocido. [*Publicaciones de las Escuelas de Estudios Arabes de Madrid y Granada. Serie A., num.* 8], 2 vol. in-8, 259 + ٢٥٠ + CXXIX + 247 pp., Madrid, Maestre, 1935. Prix : 50 pesetas.

كتاب في الشطرنج ومنصوباته وملحه

لقد اولع العرب بالشطرنج ولمّا كاد يصرفهم احياناً عن واجباتهم ، حتى حرّم بعض الخلفاء هذه اللعبة تحت طائلة العقاب الشديد ، كما يظهر من رسالة للكاتب عبد الحميد الى احد عمال الخليفة الاموي مروان الثاني . ثم كان ان الخلفاء العباسيين ادخلوا الشطرنج بلاطهم وخصوا به قسطاً من اوقات فراغهم ،

فزاد اقبال السراة والعامة عليه ، ونشره الرحّالة والقوّاد في انحاء العالم العربي . فكان لا بدّ من ضبط قواعده ، وتوقّع مختلف منصوباته ، والعمل على حلّها . فنشأت المؤلفات الخاصة بذلك . ومنها هذه الرسالة الفريدة في بابها ، لمؤلف يُجهل اسمه ، ولا يُعرف كتابه الا في نسختـه الوحيدة المحفوظة في المتحف البريطاني . وهي النسخة التي وقف عليها حضرة الاب فليكس باريخا اليسوعي فدرسها ، وضبط نصها ، وطبعها مع ترجمة الى الاسبانية ، وصوّر فيها جميع هيئات الشطرنج في المنصوبات المختلفة . هذا في المجلد الاول . اما المجلد الثاني فخصه بدرس المخطوطة ، وذكر مصادر البحث ، وتفسير الكلمات الوضعية ، وبشرح جبري علقه على المنصوبات المذكورة . فاتى عملاً دقيقاً يُذكر بالشكر كلما ذُكر هذا اللعب الذي جعل منه المؤلف ، ثم الطابع ، علماً ذا قواعد وضوابط راهنة . ف . ا . ب .

HENRI MASSÉ, Firdousi et l'épopée nationale. In-16, 304 pp. Paris, Librairie académique Perrin, 1935. Prix : 15 fr.

الفردوسي والملحمة الوطنية

لا يزال صدى الاحتفال العالمي بمرور الف سنة على مولـد الفردوسي ملء الاسماع . ولا شك في ان الكثيرين من ادباء الشرق والغرب ، غير العـارفين بالفارسية ، يتوقون الى الاطلاع على شخصية الشاعر الكبير ، وعلى تلك الملحمة التي ثبّتت اركان اللغة الفارسية الحديثة ، فقامت لها مقام القرآن للعربية ، او مقام ملحمة دانتي للايتالية . هذا ما اهاب بالاستاذ هنري ماسّه فوضع هذا الكتاب عارضاً فيه بوضوح تامّ ، واسلوب سهل ، كل ما تهمّ معرفتـه بشأن المؤلَّف والمؤلِّف . بدأ بمقدّمة موجزة ذكر فيها معنى الملحمة الوطنية ، وألقى نظرة سريعة على بلاد ايران القديمة ، وبيّن كيف ان السيطرة العربيـة لم تقوَ على محو التقاليد المحلية . ثم تناول موضوعاً مهمّاً في نشأة الملحمة الوطنية ، وما سبق عهد الفردوسي من شعر ملحمي متقطع يرقى اكثره الى ما قبل الاسلام ؛ وما كان من نهضة الفرس وعودتهم الى لغتهم الاصلية وآدابهم القديمة ، بعد ان عنوا مدة للغة الفاتحين فترجموا اليها شطراً من تلك الآداب . ويصل في الفصل

الثالث الى حياة الفردوسي الوافرة الاضطراب ، الكثيرة العِبَر . ومنها ينتقل الى « الشاهنامه » فيشير الى تأثيرها ، ويبيّن اقسامها ، وما استند اليه فنّ الشاعر فيها من عواطف الثأر ، والحرب ، والحبّ ، والملاهي ، والخوارق . ويجتهد في تحديد الاشخاص ، والعادات ، والمناظر ، ويحكم على اللغة والاسلوب الانشائي . ثم يحلّل اخلاق الفردوسي وآراءه في السياسة والاخلاق ، وعواقب الانسان . ويختم الكتاب بفصل قيّم خصه بتأثير الفردوسي في الشرق ، وفي الغرب حتى الادب الفرنسوي .

هذا مضمون الكتاب باختصار . ولا مندوحة لادباء العرب خاصة عن مطالعته ، فيكون خير تمهيد ينتقلون منه الى درس « الشاهنامة » ، وقد آن لنا ان ندرس هذا الادب الخصب فنستفيد منه في الحكم على ادبنا العباسي القديم ، وفي توجيه ادبنا العصري الجديد .

ف . ا . ب .

J. F. Gellert und H. Lorenz, Die Innenkolonisation Schwarzmeerbulgariens. Mit 18 Abb., 148 pp. Breslau, F. Hirt, 1934.

السكنى على الشاطئ البلغاري من البحر الاسود

مؤلفا الكتاب طالبان في معهد الجغرافية من جامعة ليبسيك خصّا درسهما بالسكنى على الشاطئ البلغاري من البحر الاسود ، فاتى مثالاً حسناً للدروس الجغرافية المحلية . وزاده اتقاناً عمل الطابع ، فأخرجه تحفة فنية لا بأس بها . ولا يخفى اهمية تلك المنطقة ، وهي منفذ بلغارية الوحيد الى البحر . وقد دقق الكاتبان في وصفها ، وطرق السكنى فيها تاريخياً واجتماعياً ، وعلى اي صورة يظهر فيها بيت السكن ، فالقرية ، فالمدينة ؛ وما هي المزروعات ، وتاليب الصناعة الزراعية ، الى غير ذلك من الشؤون الماسة بالجغرافية البشرية والاقتصادية ، وقد درسها المؤلفان في مكانها في السنوات ١٩٢٦ و١٩٢٧ و١٩٢٨ . وزادها تقريباً للافهام ما زيّناها به من صور ورسوم وخرائط ولوائح احصائية عديدة .

ج . ل .

J. WEULERSSE, L'Afrique noire, précédée d'une vue d'ensemble sur le continent africain. [*Géographie pour tous*, n° 3]. In-8°, 482 pp., Paris, A. Fayard et Cie.

افريقية السوداء

هي الحلقة الثالثة من مجموعة جديدة اسمها « الجغرافية في سبيل الجميع ». ظهرت، كما ظهرت الحلقة السابقة وموضوعها «اميركة الشمالية» للاستاذ بلانشار، على غاية ما يُرجى من الاتقان في الدرس وفي الخرائط خاصةً ، مما يمهد السبيل الى شهرة هذه المجموعة . وكان من حق السود ان يحتلوا المحلّ الاول في افريقية، وهو ما يقوم به المؤلف، فيلقي اولاً نظرة اجمالية على القارّة الافريقية فيدرس طبيعتها ، ورحلتها ، وازدواج العناصر فيها على طريقة مبتكرة جذابة. ثم ينتقل الى درس ممثلي العنصر الاسود في مناطقهم الطبيعية بادئاً بافريقية الغربية ، فالمتوسطة، فالجنوبية ، فافريقية الهندية مشتملةً على مدغشقر وما اليها من الجزر الثنوية. كل ذلك بدقة واسلوب يشكر المؤلف عليهما. بيد ان هناك افريقية اخرى ، هي افريقية البيضاء، لم يعرض لها المؤلف بل تركها موضوعاً لكتاب آخر سيظهر في المجموعة نفسها. ج.ل.

JEAN DESPOIS, Le Djebel Nefousa, (Tripolitaine), étude géographique. In-8°, 325 pp., 17 planches photographiques, 3 cartes et 19 fig. et croquis. Paris, Larose. Prix : 50 fr.

جبل نفوسه

هناك سلسلة جبال متسعة تسير على شكل هلال من قابس في تونس حتى اطلال لبتيس ماغنا في طرابلس ، محيطة بسهل فسيح ينبسط على شكل نصف دائرة ويُدعى جفارة. في وسط هذا الهلال الجبلي يرتفع جبل نفوسه ، على طول نحو ٢٠٠ كيلومتر ، موازياً البحر الذي يبعد عنه من ١٠٠ الى ١٥٠ كيلومتراً.

صرف المؤلف ، وهو فرنسوي من سكان تونس ، عدة سنوات في درس هذه المنطقة درساً ساعدته عليه السلطات الايطالية . وكان من نصيبه ان يصل اول الرواد الى بقعة لم يدرسها احد قبله ، فقام بعمل مبتكر يبدو عليه التدقيق

والرغبة في اتباع البحث حتى النهاية . فبيّن لنا طبيعة الارض ، ومناخها ، ومياهها ، ونباتها . وطرق المعيشة فيها من زراعة وتربية مواشٍ ، وذكر سكانها البربر والعرب . وحالة السكنى في الحاضر والماضي ، وما أثّر فيها من تطوّر الحياة الاقتصادية ، ومناطق السكن منذ اوائل عهدها بالتاريخ حتى الاحتلال الايطالي .

ج . ل .

Guide Michelin : Maroc, Algérie, Tunisie. 2e édition. Prix : 25 fr.

مراكش والجزائر وتونس

ان معامل ميشلن ، المشهورة بصنع دواليب الكاوتشوك ، تهتمّ بتنظيم رحلات وسياحات في فرنسة والخارج . وقد دُفعت الى وضع هذا الدليل لزائري افريقية الشمالية ، فاتى حاوياً ، باسلوب موجز واضح ، كل ما تهمّ السائح والمسافر معرفته عن مراكش والجزائر وتونس من معلومات تاريخية ، وجغرافية ، وادارية خاصةً ؛ واصفاً ٨١ طريقاً عامًّا في تلك البلاد ، و ٢٨ محلّ نزهة ؛ مشيرًا الى المجازات في قلب الصحراء . يوضح كل ذلك ١٣ رسماً بالحبر الاسود و٧ بالحبر الملوّن .

Petit annuaire statistique de la Pologne. IVe année, 1935. [*Office centrale de Statistique de la République Polonaise*]. In-12, 195 pp. Prix : 1. 2.

دليل سنوي احصائي لجمهورية بولونية

تهتمّ بولونية جدّ الاهتمام باطلاع العالم على ما فيها . وها هي السنة الرابعة التي تنشر فيها هذا الدليل الجامع الرامي الى ان يكون صورة حقيقية لكل ما في البلاد من مظاهر الحياة الاقتصادية والاجتماعية والعقلية ، مقابلةً بما يشبه ذلك في انكلترة ، وفرنسة ، والمانية ، والولايات المتحدة . وقد وُزّعت المعلومات والاحصائيات على ٢٤ فصلًا عناوينها : الظواهر الجوّية ، الجغرافية ، حركة السكان ، الملكية العقارية ، الزراعات ، الجمعيات ، المعادن ، الصناعة ، المواصلات ، التجارة ، النقد ، الاعتماد المالي ، الاسعار ، العمل ، الاسعاف الاجتماعي ، الصحة العامة ، الضمانات ، التعليم ، الحياة العقلية ، الاحصائيات السياسية ، العدلية ، الادارة ، الجيش ، المالية .

E. LESOURD, Lectures historiques 1789-1848 In-8°, 361 pp. Paris, Larose.

مطالعات تاريخية ١٧٨٩-١٨٤٨

فائدة هـذا الكتاب كبيرة لاساتذة التاريخ في الصف الثاني من التعليم الثنوي ، اذ لا يخفى ما يجده الطلّاب من لذّة وفـائدة في قراءة فصل موافق لمادّة الدرس. وجميع فصول الكتاب موافقة ، منتخبـة باسلوب يميل الى السرد والقصص عن المناظرة والجدل. وقـد قُدّم على كل فصل شرح موجز ، وعرض يلخّص الاقسام المهمّة. وأُردف الكتاب بحواشٍ موافقة.

GASTON COLIN, Xénophon historien d'après le livre II des Helléniques (hiver 406/05 à 401/0). [*Annales de l'Est*, 1933, *Mémoires* n° 2]. Paris, Les Belles-Lettres, 1933.

كزينوفون المؤرّخ

لا يتفق العلماء على قدر قيمة كزينوفون المؤرّخ. هذا مـا دفع المؤلف الى اعادة النظر في الموضوع ، مستندًا الى الكتاب الثاني من تاريخ اليونان، اي منذ اقامة الاثينيين الدعوى على قوّادهم المنتصرين حتى صلح الاحزاب النهائي. وهي حقبة مهمة من التاريخ اليوناني. وقد تابع الكاتب بحثه بتؤدة ودقة فتحقق ان كزينوفون كان يهتمّ بالحركات العسكرية والاعمـال الحربية اكثر من اهتمامه بالشؤون الدستورية ؛ فضلًا عن كونه لم يخلُ من الغرض الحزبي ولم يكن دائمًا يملك الموضوع الذي يكتب فيه . فنتج من ذلـك شيء من عدم التدقيق في سرد الحوادث وفي تأريخها، حتى انه لم يذكر رقمًا واحدًا دقيقًا في الحقبة الخاصة بالموضوع ، ثم يجب القول ان كزينوفون كان يرى التاريخ اثرًا من آثار الفنّ فكان ينصرف خاصة الى الاسلوب الادبي عن التدقيق العلمي.

اما الناقد العصري، الاستاذ كولن، فيظهر غالبًا شديد الوطأة على المؤرخ القديم . وما ذاك الّا لانه بنى حكمه على قسم من كتاب كان من اقـل مؤلفات كزينوفون قيمةً . بيد ان هذا الحكم يؤيد آراء القدماء بالمؤرّخ اذ شبّهوه بالنحلة التي تحوم على كثير من الازهـار فتمتصّ شيئًا من كل منها .

ج. ل.

ROBERT VALLERY-RADOT, Dictature de la Maçonnerie. In-12, 302 pp. Paris, Bernard Grasset. Prix : 15 fr.

استبداد الماسونية

يشعر مطالع هذا التاريخ بشيء من الاسف اذ يتحقق اعمال تلك الجمعية السيئة المقاصد التي نفثت سمها في التاريخ الاوربي العام مدة قرن كامل ، بواسطة رجال ظهر اكثرهم ابعد ما يمكن عن التجرد والاخلاص . على انهم كانوا مقودين في اكثر اعمالهم ، يسيرون سيرة عمياء الى تحقيق رغبات قوادهم الذين لا يعرفونهم ولا يعرفون نياتهم . وقد بدأت قوة الماسونية تظهر على كمالها منذ القرن الثامن عشر ؛ ومنذ هذا التاريخ يتبعها المؤلف فيدرس اعمالها في قسم اول من محفل لوندرة الاكبر حتى العهد الدستوري زمن لويس الثامن عشر ، وفي قسم ثانٍ من العهد الدستوري حتى معركة سيدان ، واخيراً في قسم ثالث من معركة سيدان حتى ستافسكي . ج . ل .

RENÉ GONNARD, Histoire des doctrines monétaires dans ses rapports avec l'histoire des monnaies. t. I, De l'Antiquité au XVIIe s. In-8°, 291 pp. Paris, Librairie du Recueil Sirey. Prix : 30 fr.

تاريخ النظريات النقدية في علاقاتها بتاريخ النقد

يشمل هذا الكتاب مجلدين بين ايدينا الاول منهما بادئاً بالعصور القديمة اليونانية والرومانية ، فالعصور الوسطى ، منتهياً بعصر التجارة الواسعة اي القرن السادس عشر والقرن السابع عشر . وغاية المؤلف ان يدرس باي شكل ظهرت الصعوبات النقدية ، وكيف شعرت بها الشعوب فعملت على حلها عارضة آراءها ونظرياتها من معقولة وغير معقولة ، مصيبة وفاسدة ، موفقة وفاشلة ؛ يعرض ذلك في المقدمة مشيراً الى الاسباب التي دفعته الى ان يبدأ تاريخه بالمدنية اليونانية لا بما تقدمها من المدنيات .

هذا ، والكتاب سهل الاسلوب لا نشك في ان كل مثقف يجد فيه لذة وفائدة في موضوع اصبح يهم الجميع لان تأثير النظريات النقدية غدا واضحاً في جميع مناحي الحياة بسبب ما تقوم به الحكومات احياناً من فرض حلول تمس افراد شعبها على السواء . ج . ل .

JEAN CAUMARTIN, Les principales sources de documentation statistique. 10×27, 40 pp. Paris, Dunod, éditeur, 1935. Prix : 16 fr.

المصادر المهمّة للوثائق الاحصائية

لا تخفى على احد اهميـــة الاحصائيات في تنظيم اي ادارة من الادارات الخاصة ، فكيف بها اذا كانت الادارة عامة تشمل مقاطعة كبيرة ، بل تشمل دولةً بأسرها ؟ فالدقة في المعلومات والسرعة في ايصالها من مرجع الى آخر لا توفرهما الا الوثائق الاحصائيـة المنظمة ، فتطلع اولياء الامر على حالـة البلاد الداخلية في مظاهرها المتنوّعة ، وعلى ما هناك من عوامل خارجية قد تؤثر في الدولة كالاتجاهات الاقتصادية ، وتطوّر المنافسة الدولية ، وهيئـة النقابات ، وتقلّب الاسعار ، وحالة الطلبات الخارجية ، الى غير ذلك مما يحدث الاثر العميق في حركة الانتاج والاصدار والاستهلاك.

ولما كانت الوثائق الاحصائيـة في فرنسة غير موحّدة ، كان لعمل المؤلف فضله العميم. فقد لخص المصادر المهمّة لهذه الوثائق ورتّبها على طريقة تقرّبها من رجال العمل كلهم سواء اكانوا من رؤساء المشاريع العمرانية ، ام من الزرّاع والصناعيين ، ام من التجار ، ام من رجال الادارة ؟ فافاد تنظيم حركة التوزيع والاستهلاك التي لا تزال ضعيفة بالنسبة الى الانتاج.

Thalès, recueil annuel des travaux de l'Institut d'histoire des sciences et des techniques de l'Université de Paris. Première année, 1934. In-4°, 187 pp. Paris, F. Alcan, 1935. Prix : 30 fr.

مجموعة سنوية لمعهد تاريخ العلوم والفنون في جامعة باريس

ان معهد تاريخ العلوم والفنون في جامعة باريس حديث العهد، لم يمضِ على نشأته القليل من الزمن حتى اختصّ بنشرة هي هذه المجموعة السنوية التي تظهر لاول مرّة عن السنة ١٩٣٤.

نرى في هذا الجزء الاول كل ما تهمّ معرفته عن المعهد المذكور وغايته ، وطرق تنظيمه ، وامتحاناته ، وشهاداته ، ودروسه ومحاضراته التي ستُنشر كاملة او ملخّصة في المجموعة. وقد بدأ الجزء الاول منها بتنفيذ هذا الوعد فنشر شيئاً

من محاضرات الكليات والمعاهد العامة التي توافق بمنهاج المعهد الجديد ، كما انه نشر شيئاً من محاضرات المعهد نفسه ، وعدة ابحاث وآراء ، ونظرة اجمالية في الحالة العالمية ، مع دروس نقدية على الكتب الجديدة . واننا نشير ، في هذا القسم ، الى ذكر الكتب العربية ، وهي تبدو ضئيلة بالنسبة الى ما تنشره « إيزيس » مثلاً . كما اننا نشير ، في قسم المحاضرات ، الى ملخص محاضرة للاستاذ ماسينيون القاها في كلية فرنسة ، وموضوعها علم العمران الاسلامي ؛ متمنين للمجموعة الجديدة ازدهاراً متواصلاً . ج . ل .

PIERRE MAES, Un ami de Stendhal, Victor Jacquemont, d'après des documents inédits. [Collection « *Temps et Visages* »]. In-8°, 632 pp., 8 illustrations hors-texte. Paris, Desclée de Brouwer et Cie. Prix : 30 fr.

ڤيكتور جاكمون ، استناداً الى وثائق لم تُنشر بعد

لم يكن جمهور المتأدبين ، حتى هذه الايام الاخيرة ، ليعلم شيئاً مهماً عن ڤيكتور جاكمون ، على الرغم من ان رسائله الى اسرته واصدقائه مدة سفره الى الهند (١٨٢٤—١٨٣٢) كانت مطبوعةً منذ السنة ١٨٣٣ ، ومعتبرةً من ارقى الآثار الادبية بشهادة كبار النقاد كسانت بوف وفرنسيك سارسي . بيد ان الاحتفال الذي قام به ، في متحف التاريخ الطبيعي في باريس ، علماء فرنسة وغيرها من دول اوربة ، بمناسبة مرور مائة سنة على وفاة ذاك الرحالة العالم الذي نُقلت عظامه من الهند فدُفنت في المتحف المذكور سنة ١٨٩٣ ، ان ذاك الاحتفال لفت نظر الادباء والعلماء الى شخصية جاكمون ، فنشر مؤلف هذا الكتاب ، بمعاونة امين مكتبة المتحف ، مجموعتين من رسائل العالم الاديب الى صديقه الروائي ستندال ، والى العالم السويسري جان دي شرپنتيه . فتلقاهما الادباء بكل ارتياح . ثم عاد الناشر فدرس شخصية جاكمون في هذا المجلد الكبير ، الذي تضمن ثمرة ابحاث وتفتيشات دامت عشرين سنة ، فاظهرها واضحةً مرتبة فيها كل ما يرجو الادباء معرفته عن جاكمون العالم والكاتب ، ذي الحياة الحافلة بالرحلات والمغامرات في اميركة ولاسيما في الهند ، حيث توفي ، في مدينة بومباي ، غير متجاوز الحادية والثلاثين . هو كتاب مستند الى الوثائق الدقيقة من

معلومات ومراسلات لم يسبق نشرها ، على كونه يظهر في لذة الروايات ، وقد توفق المؤلف الى الجمع بين دقة البحث وحسن الاسلوب.

HENRI PRADEL, Les devoirs de vacances des Parents. In-12, 320 pp., Paris, Desclée de Brouwer et Cie, Prix : 12 fr,

واجبات الوالدين في العطلة المدرسية

عنوان هذا الكتاب يشير الابتسام على شفاه الابناء ، ولكنه يدفع والديهم الى التفكير في خطر تلك الاسابيع التي يقضيها اولادهم زمن العطلة المدرسية. في تلك الاسابيع يتذوق الاولاد حياة الحرية فيشعرون شيئاً بالمسؤولية الشخصية. ولا يخفى ما لهذه الحالة من الاهمية بالنظر الى مستقبلهم . وعليه فان من واجبات المدربين ، والوالدون في مقدمتهم ، ان يسهروا السهر كله عليهم ويستعينوا بنصائح ذوي الخبرة . ومنهم صاحب هذا الكتاب ، وهو مدير مدرسة ماسيلون ، الذي عرض لجميع المشاكل التي تثيرها ايام العطلة المدرسية فحللها بجرأة ورصانة ، وتنقل بينها ذاكراً خطر ايام العطلة ، ومدتها ، واعدادها ، وحريتها ، وما تفرضه من واجبات رياضية وعقلية واخلاقية وعائلية واجتماعية ودينية. وقد كتب مقدمة المؤلف سيادة المطران كوركو ، اسقف اورليان ، فذكر ما امتاز به من وضوح وسمو افكار.

JACQUELINE VINCENT, Rosie et l'amour, roman [*Collection Perceval*] In-12, 339 pp. Paris, Desclée de Brouwer et Cie. Prix : 10 fr.

روزي والحب

من مبتكرات طابعي الكتاب نشرهم هذه المجموعة المعروفة «بمجموعة برسفال» ، المختصة بالناشئة المثقفة ، والمشتملة على كتب ، من روايات وغيرها ، صالحة لان يطالعها الجميع. ومنها الرواية التي نصفها اليوم ، وبطلتها روزي وهي ابنة في السادسة عشرة من عمرها من عائلة غنية ولكنها محافظة على العادات الصالحة والمبادئ الاخلاقية . تتنوع وقائع الرواية فتأتي كلها قاضية على ما يراه بعض حديثي النعمة من شروط المدنية والتقدم كالاخذ بالتطرفات الاخلاقية وما اليها . وكلما تقدم المطالع في قراءة الكتاب شعر بتلك الروح العالية تختلج في جميع سطوره ، وتأكد ان المؤلفة نجحت النجاح التام في روايتها.

دائرة المعارف الاسلامية

المجلد الاول : العدد العاشر ، ٦٣ ص. كبيرة

المجلد الثاني : العددان الاول والثاني ، ١٤٢ ص. كبيرة

٣٠ شارع نوبار باشا ، مصر ، ١٩٣٥

لا حاجة بنا اليوم، وقد تقدّم لنا كلام سابق في الموضوع، الى تعريف هذا العمل المهمّ الذي تقوم به مصر العصرية ، ناقلةً خلاصة ابحاث المستشرقين المدوّنة في « دائرة المعارف الاسلامية » الكبرى . انما نشير الى ان الجامعة المصرية اختارت احد اعضاء لجنة الترجمة ، الاستاذ محمد ثابت الفندي ، فارسلته عضوًا في بعثتها العلمية الى فرنسة ، فكان ان اللجنة اختارت الاستاذ عباس محمود ، فحلّ محلّ الاستاذ المستقيل ، وباشر عمله مع زملائه منذ اول المجلد الثاني .

اما محتويات العدد العاشر من المجلد الاول فاهمها بحث ننسنك في « ارم ذات العماد » ، ودرس ستزك الواسع في «ارمينية»، وكذلك درس مينورسكي في « أرمية » وبحيرتها . وليس فيه من الحواشي ما يستحقّ الذكر .

واما العددان الاول والثاني من المجلد الثاني فقد جمعا من « ارنوط » الى « اسكوب » محتويَين على مباحث مهمّة ، منها الدرس الاول في « الارنوط » لسوسهيم ، مع ملحق في «البانيا بعد ١٩٠٢» زاده الاستاذ شفيق غربال على المادة الاصلية . ومنها البحث المصوّر في « الازهر» لفولرز مع ما اضافته لجنة الترجمة عن « الازهر في عهده الحالي » . ومنها موادّ « الاسكندرية » لكست ، و«الاسطرلاب » لنللينو ، و«الاسرا. » لشريك ؛ وما عُلّق على « الاسرا. » و«الاستسقا. » و« أسامة » و« اسحق » و« اسرائيل » من حواشٍ كثرَ في بعضها ترديد الفاظ « العلم » و«العقل » و« حرّية البحث » واستندت في اكثرها الى حجج دينية عاطفية ، واحاديث تقليدية ، لا يسلّم بها كتّاب الدائرة الذين يردّ عليهم معلّقو هذه الحواشي . وانما تقوم فائدة هذه المناظرات ، ان كان لها من

فـائدة ؟ بان يسير الفريقان على اساس علمي مشترك يُقرّانه ويسلّمان بصحة مقدّماته ، فتتعادل اسلحتها ، ويتوحّد موضوعها . اما ان يستند احد الفريقين الى الحوادث الوضعية والوقائع الثابتة ، ويلجأ الآخر الى المعتقدات والتقاليد والاحاديث ، فما لا تقرّه المناظرة العلمية الصحيحة ، ولا ينتج الا التباعد عن الحقيقة ، هذا ان لم يؤدِّ الى المهاترة واثارة الحفائظ. ف.ا.ب.

كتاب الاوراق: قسم اخبار الشعراء

لابي بكر محمد بن يحيى الصولي

عُني بنشره ج. هيورث دن

٢٨٦ ص. متوسطة — مطبعة الصاوي ، مصر ، ١٩٣٤

كان ابو بكر محمد بن يحيى الصولي من كبار الادباء في العصر العباسي الثاني ، اخذ عن رهطٍ من مشهوري الفقهاء والمحدّثين ورجال العلم كالسجستاني والمبرّد وثعلب ، واخذ عنه عدد من ائمة الادب كالمرزباني ، صاحب الموشّح وغيره . وقد اتصل بالخلفاء ووزرائهم ، وكان له حوادث معهم ، كما كان له وقائع مع معاصريه من شعراء وكتّاب وادباء . وكان يدوّن كل ما يعجبه في قراءته او سماعه ، على قلة اهتمام الادباء بالتدوين اذ ذاك ، حتى عُرفت له « خزانة » ادب يرجع اليها في تآليفه ، فهجاه بها ابو سعيد العقيلي قائلاً:

انما الصوليُّ شيخٌ اعلمُ الناس خزائنْ
ان سألناه بعلمٍ طلباً منه إبانَهْ
قال: يا غلمان ، هاتوا رزمةَ العلم فلانهْ !

وكان ان جمع الصولي ثمرة مطالعاته واطلاعاته في خمسة او ستة اجزاء سمّاها كتاب « الاوراق » ، فألف منها مجموعة نفيسة في التاريخ والادب ، على انها لم تُطبع ، وعبثت يد الدهر باجزائها ، فلم يبقَ منها الا اربعة مجلّدات متفرّقة في لينغراد ، واستانبول ، والقاهرة . منها هذا الجزء ، وهو الاخير ، وقف عليه في دار الكتب المصرية الاستاذ ج. هيورث دن ، خريج مدرسة العلوم الشرقية بلندن ، فنشره بعد ان قدّم عليه مقدّمة في المخطوطة وترجمة

مؤلفها وددنا لو كانت اطول ، وارفر دقـة ، واعمق درساً . والاستاذ معجب بكتاب « الاوراق » اعجاباً قـد لا يشاطره اياه جميع النقاد . على ان اعجابه افاد تاريخ الادب اذ دفعه الى طبع هذا القسم من الكتاب . وهو من المصادر المهمة لدرس عدد من الشعراء الثنويين في العصر العباسي الاول . اما طريقـة المؤلف فلا تكاد تختلف في شيء عن المعروف في كتب التراجم : يذكر الشاعر بنسبه القريب والبعيد ، ويسرد ما « حُدّث » به عنه من اخبـار ونوادر ، ثم يورد عدداً لا بأس به من قصائده ومقطعاته ، تارةً يختار وينتخب وطوراً يورد كل شيء ، اذا كان الشاعر مقلاً . فهو ، من هذه الناحية ، ذو قيمة لا بأس بها ؛ لانه ، وان كان يقلّ قيمةً نقدية عن مترجمي الشعراء كابن قتيبة مثلاً ، نراه يفوقهم في ايراد شعر من يترجم لهم ، فينال صفـة جامع المنتخبات والدواوين فوق صفة المؤرخ الادبي . اما الذين ترجم لهم في هـذا الجزء فاولهم أبان بن عبد الحميد اللاحقي ، شاعر البرامكة ، وناظم كليلة ودمنة ، وغيرهـا من القصائد الطويلة المعروفة بالمزدوجات ، النائمة عن نفس طويل وصناعة سهلة ، المتحرفة بصاحبها اولاً وبتقليده ثانياً الى ذاك النوع من الحكم المنظومة الذي اصبح في ما بعد من آفات الشعر العربي . ثم ترجم المؤلف ، بعد أبان ، لعدد من ذويه ؛ منتقلاً الى ترجمة اشجع السلمي واخيه احمـد ، وهما من الشعراء المعروفين ، ولاسيما اشجع ، وقـد اورد الصولي كثيراً من شعره في المدح والرثاء خاصة . يلي ذلك اخبار احمد بن يوسف ، وزير المأمون ، فيوسف بن القاسم ، فـالقاسم بن يوسف وهو من الشعراء الكبار ، وان لم يخصّه تاريخ الادب بذكر صالح ، اشتهر خاصة بمراثي البهائم على طريقـة مبتكرة قلّما عرفناها في الشعر العربي ، وقد احسن الصولي صنعاً بجمعه كل شعره تقريباً . وينتهي الكتاب بذكر محمد بن عبدالله بن احمـد بن يوسف المتقدم خبره ، واحمد بن ابي سلمة الكاتب ابن اخت احمد بن يوسف المذكور .

هذا ملخص ما جاء في القسم الحاضر من كتاب « الاوراق » ، ولا حاجة بنا الى لفت نظر النقاد ومؤرخي الادب الى مطالعته والاستفادة من معلوماته .

ف . ا . ب .

اخبار الراضي والمتقي
من كتاب الاوراق للصولي

عني بنشره ج. هيورث دن

٢٢٢ ص . متوسطة – مطبعة الصاوي ، مصر ، ١٩٣٥

وهذا ايضاً جزء من كتاب « الاوراق » للصولي ، أُخذت صورته عن نسخة في مكتبة شهيد علي بالاستانة ، وحُفظت في دار الكتب المصرية الى ان قيّض لها الله الاستاذ هيورث دن ، فاعجب بها اعجابه بالقسم المتقدم ذكره من الكتاب ، بل فوق ذاك الاعجاب ، فنشرها على طريقته في نشر القسم السابق . وهي تتضمن تاريخ عشر سنوات من العصر العباسي الثاني ، اي اخبار الراضي بالله (٩٣٤–٩٤٠) والمتقي لله (٩٤٠–٩٤٤) وفيها بدء انحطاط الخلافة العباسية . وقيمة الكتاب في ان الصولي يمزج بين التاريخ السياسي والتاريخ الادبي ، فيدوّن كثيراً من الامور التي شهدها بنفسه ، اذ كان متصلاً بالراضي ، ويورد كثيراً من شعره ، ومن شعر الراضي ايضاً . فله من ثمّ قيمة شاهد العيان ، وقيمة المؤرخ الرسمي للدولة . ف.ا.ب.

ديوان حافظ

لمحمد حافظ ابراهيم

٢٧٦ ص . متوسطة – مكتبة الهلال ، مصر ، ١٩٣٥

كان حافظ ابراهيم ، ولا يزال ، في مقدّمة شعراء القرن التاسع عشر . نقول القرن التاسع عشر ، وان يكن قد توفي بعد ان طوى ثلث القرن العشرين ، لانه قلّما جارى الذوق العصري في شعره الكثير . كانت ثقافته محصورة في ناحية من الادب العربي ، وكان اضطلاعه بالمشاكل الاجتماعية سطحياً على الغالب ؛ فاكتفى ، من الشعر ، بتجويد النظم حريصاً على انتخاب الالفاظ الشعرية ، راغباً في الاساليب الموسيقية ، ساعياً وراء الديباجة العربية الصافية ؛ واكتفى ، من التفكير ، بالتعرّض لهموم الشعب المصري العامة ، معبّراً عن امانيه ، مصوّراً مخاوفه ، مادحاً ورائياً عظماءه . هذا الى شخصية جذّابة بفطرتها ، محبّبة

بساطتها واخلاصها ، حتى اصبح الشاعر ، في حياته ، احبّ شعراء مصر الى الشعب المصري ، لا يقول القصيدة الا تناقلتها الصحف ، وتناشد مقاطعها الادباء وغير الادباء ، فكان من الشعب وللشعب . على ان « ظرفية » هذه القصائد ، التي كانت اساس شهرته في حياته ، تنزل بها عن مستوى الشعر العالي . وها اننا نطرح هـذا الديوان بين يدي النقّاد ، ولم يمرّ على وفاة صاحبه الا السنوات القلائل ، ونسألهم كم هي القصائد الجديرة بالخلود بين هذه المئات ؟ بيـد ان نشر الديوان مفيد لتصوير ناحية من الشعر العربي في طوره الانتقالي من القرن التاسع عشر الى القرن العشرين . وقد وُزعت فيه القصائد على ابواب في عناوين بعضها دليل التقليد ، وهي : المديح ، شكوى الزمان ومعاتبة الاخوان ، الوصف وفيه اربع قصائد لا غير ، الخمريات ، المراثي ، المقطعات ، وقد نُشرت تحت هذا العنوان قصائد لا تمتّ اليه في شيء منها في المدح والرثاء ، ومنها في الحوادث السياسية والاجتماعية ، ومنها في الادب ، ومنها في القصص : وكأن متولي نشر الديوان ضجر من ترتيبها فنشرها كلها تحت هـذا العنوان الجامع . وياليته لم يفعل ! كما ضجر من وضع فهرس ، فاتى الديوان أبتر لا يستفاد منه الا بتصفّحه كله .

وقد عُني الشاعر الاكبر ، خليل بك مطران ، بوضع مقدّمة للديوان دافع فيها عن الامة المصرية ، وذكر الشيء الكثير عن شخصيـة حافظ وشعره ، فبرهن عن ادب عالٍ ، ولطف جزيل . ف . ا . ب .

كلمة سواء

مكاتبة بخصوص عقائد وآراء بين مفكرين من المسلمين والقسيس الفريد نيلسن
المطبعة الاميركانية ، بيروت ، ١٩٣٦

بعد اقـامة طويلة في الشرق تحقق المؤلف الفرق بين الـدين الاسلامي والمسيحي ، وسوء الظن الموجود بين المسيحيين والمسلمين وسببه ، في زعمه ، سوء التفاهم بين الفريقين فيما يخصّ اصول دينهم . فاراد ازالة ذلـك بان يسهل طريق التفاهم ، فدعا المتنوّرين من الطرفين « ليقدموا احسن ما يعرفونه من

امورهم الدينية » ويعرفوه الجميع . فصار بين القسيس نيلسن وبين سبعة من مفكري المسلمين مراسلات في كل منها يعرض احد المسلمين اعتراضاته على القسيس البروتستنتي ، ويردّ هذا عليه بالجواب ، وهو يتوخى فيه لا ان ياتي « ببراهين او ادلة فلسفية ومنطقية تبطل حالاً كلام الخصم لكن مقابلة ما يقال من الجهتين لنفهم كيف وصل كل طرف الى فكره » (ص ٤٧) ويقول (ص ٤٩) : « واذا لم يمكنا الاتفاق مع المسلمين (فيما يخصّ سر الفداء واعتباره وسيلة لمحاربة الخطايا والسعي نحو الكمال) ، فلنعش كالاخوة »

ان القسيس نيلسن يستحق الثناء فيما يتوخاه من التأليف بين المسلمين والمسيحيين . اما الطريق التي يسلكها الى ذلك فهي في رأينا بئس الطرق . كيف لا وقد انهالت عليه في رسائل المسلمين الاعتراضات الجوهرية العظمى في اهم اسرار ديننا المقدس ، وقد يرتبط شروح مباديها باصول فلسفية تقتضي الكلام بالاساليب المدرسية التي تتخطى بالمناظر خطوات متلاحقة ، فيرتقي تدريجاً من النظر الفلسفي الى النظر اللاهوتي الى ضبط اصول الوحي والتفسير وتعليمه بموجب سلطان الهي « يسبي كلّ بصيرة الى طاعة المسيح » (٢ كور ١٠–٥) !

خاض نيلسن المعمعة وهو اعزل ، او يكاد ، لان المطلع على رسائل المسلمين وعلى الردود عليها كما جاءت في كتاب نيلسن لا يغلق الكتاب وهو في راحة الى معتقد الدين المسيحي وقد تشوّهت صورته فاسودت بين يدي القسيس البروتستنتي ، وهو الموافق على كلام من قال : « ان مسيحيي الشرق الادنى لا يخسرون شيئاً اذا تركوا الدين المسيحي فصاروا مسلمين » فهل من صفعة آلم من هذه الصفعة في وجهنا ! وهل هذا كل ما ادّت اليه جهود نيلسن بعد طول اقامته بيننا !

منذ ايام قادتني مهمتي الكهنوتية الى مصح المسلولين البروتستنتي حيث لا كاهن ولا مرشد ، ولكن نفوس تعاني النزاع بينما ينخر اجسادها الداء الهائل . هناك الشبان من مسيحيين ومسلمين . وما ان رآني احد المسيحيين الا اتى يلحّ عليّ ان ابدد الشكوك التي حدثت في فؤاده بعد قراءة كتاب « كلمة سواء » وقد وقف منه على الاعتراضات ولكن لم يجد فيه الرد عليها ! والمسكين يشعر

ان ايامه معدودة ويوم الرب قد اقترب اليه ! هذه الشكوك هي ثمرة الجدال العقيم والفحص الديني غير المفيد بسلطان مَن يعدّهم شعبهم مقامين من قِبَل المسيح رعاة للنفوس ومرشدين لها. ف. ت

المصطلحات العلميّة العربيّة وما يقابلها باللاتينية والانكليزيّة والفرنسية لاسماء الحيات

بقلم برجس فيلوثاوس عوض والدكتور رمسيس برجس

المطبعة المصرية الاهلية الحديثة ، بالقاهرة ، زهاء ٧٠ ص . قطع ١٢

السيد فيلوثاوس معروف بمؤلفاته على الكنيسة القبطية . اجتاز دائرتها الى بحث صعب جداً وهو تعيين اسماء الحيات باللغة العربية ، « على امل ان يساعد المجمع العلمي الملكي باعماله وهي اوسع مادة من ان يقوم بها اعضاء المجمع من دون مؤازرة غيرهم » . فاشعر مع نجله الكريم باستعدادهما الى معالجة اسماء الحيات لكونهما اشتغلا سابقاً بالعلاقات بين اللغات الشرقية ، واقبلا على العمل بعد مراجعات الكتب العربية والافرنجية المختصة بابحاثهما وقد رويا مصادرها . في آخر الكتيّب لائحة اسامي الحيات باللغة العربية وعددها يزاهي المئتين ، اغلبها لا يوجد الا في القواميس الكبرى ، وهي مأخوذة من اقوال العرب وتآليفهم . فللمؤلفين الفضل في التفتيش عنها وجمعها . ولكن هل يا ترى اصابا في وضعها دلالةً على الحيات المتنوعة الآتي وصفها في الكتب العلمية المأخوذة منها اسماؤها العربية ، وهي مرتبة الترتيب العلمي بموجب الفصيلة والجنس والنوع مما لم يخطر امره على بال العرب ؟ وهؤلاء لا يكاد يجاوز وصفهم الحيةَ لونَها وحجمها فلا يفيدون في الاسم الذي اطلقوه عليها بتعريف طبيعتها الخاصة ليتاح لمن يستعمل الفاظهم ان يعيّن مدلولها من دون خطر الغلط ؟ — جاء في القاموس : « حباب » معناها الحية ؛ و« الحبث » حية عوجاء بتراء ؛ و« حر » ولد الحية اللطيفة ، قال الطرماح :

منطوي في جوف ناموسه كانطواء الحرّ بين السلام

(عن اقرب الموارد)

و«حراش» الحية السوداء، و«حريش» الكبيرة من الافاعي؛ و«حراف» حية مظلم اللون يضرب الى سواد اذا اخذ الانسان لم يبق منه دم الا خرج (عن اقرب الموارد واللسان) و«حصيفة» وهي الحية بلغة طي عن اللسان . فترى ان الصفات المساعدة على تعيين هوية الشيء باسمه الفارق بينه وبين غيره من سلسلة الكائنات التي من جنسه ونوعه غير واضحة في عرف العرب ولغتهم ؛ فهل من الافادة في استعمال تلك الالفاظ في معجم علمي لتعريب الاسماء التالية : Vernicella, Tropidechis, Gunther, Petalognatus وغيرها وغيرها ! اما تعريب اللفظة الافرنجية بنقلها باحرفها الى العربية فلا نرى بدًا منه في هذه الناحية الوعرة من المعارف ، وقد نوافق فيها المؤلفين الفاضلين ونقول طربدخ ، ورمسل ، بتلغنط ، في تعريب الالفاظ الافرنجية المذكورة. ف. ت.

تحت راية الحق

في الرد على الجزء الاول من فجر الاسلام

لمؤلفه الشيخ عبدالله السبيتي العاملي

مطبعة العرفان ، صيدا ، ١٩٣٣

في شهر نيسان الماضي قضينا بضعة ايام في صيدا تسنى لنا في غضونها ان نزور مكتب العرفان فتشرفنا بمصافحة الاستاذ عارف الزين صاحبه ، واجتمعنا عنده بالشيخ عبدالله السبيتي العاملي ، فقدّم لنا هذا الكتاب هديةً وان فيه ما يذكرنا بكتاب تحت راية القرآن وردّه على اقوال طه حسين في الشعر والادب الجاهلي .

صدّر السبيتي كتابه بمقدمة واضحة الاسلوب غنية المواد سطّرها الشيخ مرتضى آل الكاظمي مُبيّناً الفرق بين السنة والشيعة واسباب التنافر بين الفرقتين. وان لتعليقاته وقعها الحالي بالنسبة الى ما تحمله الينا الانباء من اخبار العراق ومعارضة الشيعيين فيها حكامهم السنيين.

تتبع المؤلف اقوال احمد امين بندًا بندًا في العبارات الملخصة وجوه الخلاف فرد عليها محتجًا بالبراهين التاريخية المأخوذة ليس عن اهل الشيعة فحسب ولكن

عن اهل السنة ايضاً .

لا يسعنا الا الحياد في مناظرة ليس من شأننا التدخل فيها . ولكن مطالعتنا الكتاب اوقفتنا على تعليقات قيمة مفيدة نشكرها للمؤلف . ومنها تفسير لفظة شيعة (ص ٦١) وتاريخ انتسابها الى اهل البيت ، وتمسكها بخلافة علي ، ابن عم محمد وزوج ابنته ، واقوالها في المهدي ، واختلافها في تشخيصه هل ولد ام هل سيولد ؟ وهل هو الامام الحسن العسكري او غيره (ص ١٢٠) ومن الاقوال التي امتازت بها الشيعة « التقية » او اتقاء الاضطهاد بالتكتم في الاعمال والتظاهر بما ليس في القلب ، «فيكتم الشيعي تشيعه احتفاظاً بحياته ما دام الكتمان ممكناً اما اذا لم يكن ممكناً ترك التظاهر بما يخالف اهل السنة من الاقوال والافعال وجاراهم اتقاء الفتنة كما يفعله اليوم اهل السنة في الحجاز » (ص ١٢٧) واستشهد المؤلف على صحة قوله بآية القرآن « من كفر بالله بعد ايمانه الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان فعليه غضب من الله » (ص ١٢٦) والكتاب مشبع بالنصوص القديمة واقوال المحدثين القليلة الالفاظ الغزيرة المعاني ؛ وددنا لو تخللتها علامات الوقف في المواضع المساعدة على فهم الكلام من تقاطيعه فزادتها وضوحاً .

ف . ت .

مكتبة الاطفال الحديثة

يصدرها احمد عطية الله المفتش بوزارة المعارف

تنشرها مكتبة عيسى الحلبي وشركاه بالقاهرة

هي اربعة كتب صغيرة اهداها الينا السيد عيسى الحلبي فيها ، مع جميل الصور ورقيق المباني ، الحكايات والملاحظات الاجتماعية والتاريخية والعلمية الجديرة بتنبيه الاطفال الى نواحي التفكير والثقافة فيستعدون بها الى الدروس الرسمية . اليك اولاً كراسة «صورة فكهة للاطفال» ، وعلى صفحتها الاولى قط ذو ذنب « معكوف » خارج من خلال السترة والبنطلون لانه لابس اللبس المصري ! مما يضحك الطفل ويشوقه الى تقليب الكتاب ؛ وهناك كتاب « اطفال العالم » وفيه صور واوصاف الطفل الانكليزي والفرنسي والمصري وغيره وغيره ؛ وهناك

«حكاية الطعام» وهي سلسلة الثقافة العامة ؛ واخيراً كتيب عنوانه «لماذا» وفيه اجوبة على اسئلة علمية بسيطة جداً.

ماذا يكون نصيب النجاح لمثل هذه المكاتب في المدرسة ؟ — الايام كفيلة بالجواب. على اننا نرى افادة بان تعطى هذه الكتب جوائز للاطفال مكافاة، كما تعطى امثالها امثالهم عند الافرنج. ف. ت.

ايام بغداد

تأليف امين سعيد

٢٤٧ ص صغيرة – مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر ، ١٩٣٥

سافر مؤلف الكتاب الى بغداد مع الوفود التي أمّتها لتأبين الملك فيصل في تشرين الاول ١٩٣٣ ، مندوباً عن الهيئات السورية بمصر ، ومصر لم تُرسل وفداً يمثلها في تلك الحفلة الكبرى ، (ص ٣١–٣٢) ؛ فدوّن ما رأى وسمع في طريقه ، واثناء اقامته في بغداد وغيرها من بلاد العراق ، جامعاً هذا الكتيب اللطيف المفيد . اما الاسلوب فصحفي تامّ بما فيه من سعة المعلومات ، وسهولة الترتيب ، والتقسيم الى فصول قصيرة واضحة ، وبما ينقصه من تدقيق ، ولاسيما في ما خصّ البلاد المشمولة بالانتداب الفرنسوي. ف.ا.ب.

النجوى

بقلم الخوري يوسف الحداد

١٤٢ ص. متوسطة – مطبعة المرسلين اللبنانيين ، جونية ، ١٩٣٥

هي مجموعة مباحث نظرية اخلاقية في الوطن اتت صورة افكار واقوال للعامة والخاصة ، كان مؤلفها قد نشرها تباعاً في جريد المراقب (مناوس البرازيل) بامضاء «مفكر» ، فاعاد النظر فيها وطبعها منقّحةً . وقد اخذ الكثير من موضوعاتها عن الطبيعة الحافلة ، في نباتها وحيوانها ومختلف مظاهرها، بالمواعظ والعبر ، ينظر فيها المفكر الحكيم فيستخرج الامثال المفيدة والنظرات الدقيقة ، ويعرضها باسلوب شائق عُرف به المؤلف.

اسرار الطفولة وخفايا الشباب

بقلم ميلاد كدواني

١٥٢ ص . صغيرة – مطبعة المجلة الجديدة ، مصر ١٩٣٥ – الثمن : ٨ قروش صاغ

لقد مارس المؤلف فنّ التربية ، فعانى مـا يلاقيه المربي من العقبات في تفهّم عقلية الاولاد ، وفي تدريبهم خاصة . وطالع كثيراً من النظريات لفريق من اختصاصيي العصر بشؤون الاطفال والشباب ، ووقف على شيء من الاختبارات في هذا الموضوع . فجمع ، وعرّب ، ورتّب ، واذا به يعرض سلسلة من هـذه الابحاث تفتح نافذةً ، بل نوافذ ، على نفسية الأطفال والشباب ، منتقلةً بالمطالع من ملاحظة الطفل الصغير ومـا يبدو عليه من مظاهر الغيرة ، والبكاء ، والخوف ، والشراسة ، وغيرها ، الى مراقبة المراهق وما يجول في نفسه من آمال وميول . . . ؛ يتخلل ذلك بعض الآراء في الامزجة ، والغريزة والبيئة وتأثيرهما ، وموقف الطفل من المظاهر الاجتماعية ، ومسؤولية الوالدين . كل هذا باسلوب مقبول قد يشكو من الايجاز المخلّ احياناً ، كما يشكو من نقص في الترتيب والتنسيق . ومن البديهي ان الكتاب موضوع للوالدين والمربّين وحدهم ، وفيه ما يفيدهم فائدة جزيلة ، وان لم يُقرّوا المؤلف على بعض آرائه .

ف . ا . ب .

روائع اليوبيل المئوي الثاني

لتخليد ذكرى المطران جرمانوس فرحات

٨٠+١٢٢ ص . متوسطة – المطبعة المارونية ، حلب ، ١٩٣٤

كان المشرق في طليعة الصحف البـداعية الى الاحتفال باليوبيل المئوي الثاني للمطران جرمانوس فرحات ، فنشر مقالاً مطوّلاً في الموضوع ، (٣٠ [١٩٣٢] : ٤٩) ، وأبدى رأياً في طريقـة الاحتفال اولاه القائمون به بعض الاعتبار ؛ ثم وصف تلك الحفلة الشائقة التي اقامتها الشهبـاء في ٢٠ ايار ١٩٣٤ (المشرق ٣٢ [١٩٣٤] ٣٠٠) وها انه اليوم يقدّم الى القرّاء الكرام هذه المجموعة القيّمة

التي شاء خليفة فرحات على كرسي ابرشية حلب ، سيادة المطران ميخائيل اخرس ، ان يجعلها تذكاراً لتلك الحفلة ، فتظل ذكرى فرحات ملء الانظار والاسماع . وقد قسمت المجموعة الى قسمين : اشتمل الاول منهما على ترجمة المطران النابغة ، وعلى بعض الدروس في حياته الرهبانية ، ومنشآته الاسقفية ، ومقدرته اللغوية ، وموهبته الشعرية ، وما ترك من آثار في الدين والعلم . وخُصّ الثاني بما قيل في الحفلة نثراً ونظماً بالعربية ، والفرنسوية ، والسريانية . وقد زيّن المجلد بصور للمطران المحتفى بيوبيله ، وتمثاله ، ولبعض خطباء الحفلة . فاتى اثراً لائقاً عن اجمع الناس على تكريم ذكراه . ف.ا.ب

كتاب الاغاني

تأليف ابي الفرج الاصفهاني

الجزء السادس : ص ٤٤٨ ، والسابع : ص ٣٦٢ ، قطع الربع
مطبعة دار الكتب المصرية ، ١٩٣٥

الجزءان تابعان للاجزاء التي وصفها « المشرق » عند ظهورها ، وفيهما الصفات الفنيّة والادبيّة والعلميّة المذكورة سابقاً : جمال الاحرف وجلاؤها ، مراعاة حقوق العين في ترتيب الفصول ووضع العناوين والهوامش ، وعناية بالمقابلة بين النسخ والتنبيه الى الفروقات بينها لتمحيص المعنى ، فضلاً عن حواش تاريخية وجغرافية وادبية ولغويّة تزيد في قيمة هذا الكتاب الفريد في نوعه ، فانّه ، دون حواش ، كاللغز في كل صفحة من صفائحه لما يعتور شعره ، على الاخص ، من الالفاظ والتراكيب البعيدة عهداً عن اساليبنا العصرية في البيان والمعاني . ولذلك لا يسعنا الا الثناء ايضاً على واضع الفهارس فسوف يرجع اليها العلماء في سبر غور هذا البحر والتقاط الدرر منه ونظمها عقداً تنعكس عليه حوادث القرن السابق للهجرة والقرنين الاول والثاني بعدها ، فنستمد منه نوراً لا نزل بحاجة اليه والدروس التاريخية بيننا هي في مهدها .

اليك اسماء الشعراء المشهورين المذكور اسمهم ونسبهم في الجزء السادس : الصمة القشيري ، داود بن سلم ، دحمان ، اعشى همدان ، احمد النصبي ، حماد

الراوية ، عادل ، المرقش الاكبر ، والاصغر ، سياط ، نبيه ، سليم ، ابن عباد ، يحيى المكي ، النميري ، وضاح اليمن ، ابو ذؤيب ، حكم الوادي ، ابن جامع .

وينتهي الكتاب بذكر ابي سفيان وفيه الخبر الذي ينسبه المؤلف الى التاريخ ، ومن المعلوم انه غير ثابت ، فيما كتب من الرسائل الى هرقل وما كان من امره وامر بطارقته (ص ٣٤٨)[1]

اما الجزء السابع ففيه اخبار الوليد بن يزيد ، وحسين بن الضحاك ، وكان ولا بد من نشرها لئلا ينقص جزء من الكتاب ، ولكن من الواجب ان ترفع من بين ايدي الناشئة لما فيها من ذكر حوادث المجون . ف . ت .

أسرار اللاسلكي

بقلم نجيب يوسف البستاني

١٦٦ ص . متوسطة – مطبعة الخطيب ، بيروت ، ١٩٣٥ – الثمن : ٥٠ غرشاً سورياً

هو كتاب فريد في بابه باللغة العربية ، وضعه المهندس الكهربائي نجيب يوسف البستاني ، بعد ان قضى في جامعة غرينوبل ، وفي المعهد الفني الباريسي السنين الطوال ، فامعن في درس اللاسلكية ومظاهرها المتنوعة ، ورأى افادة

---

١) خلاصة الخبر ان ابا سفيان خرج الى الشام بتجارة فسأله هرقل عن احوال نبي المسلمين ، فاجابه بما ادى به الى الاقرار بنبوة محمد . ثم وفد الى هرقل دحية ابن الخليفة الكلبي ، ومعه كتاب محمد الى ملك الروم ، وفيه الدعوة الى الاسلام ، فكاد هرقل يعتنق الاسلام لولا معارضة بطاركته .

وما الفصل الا احد فصول البعثات التي ينسبها المسلمون الى محمد وقد يذكرها مؤرخوهم : ففي البعثة الى النجاشي ملك الحبشة ، والى المقوقس صاحب مصر ، والى هرقل ملك الروم ، والى كسرى ملك الفرس . وقد عم خبرها وتداولته الاقلام من غير ما تمحيص الى ان تعرض له المستشرقون المحدثون ، واخصهم كايتاني ، فاثبت ان ما ينسب من الوقائع والاخبار عن العلاقات بين محمد والملوك قد كُتب زماناً بعد ابن اسحاق صاحب السيرة . فان يكن فيه مادة لتغذية العاطفة الدينية ، فليس فيه من الحقائق الثابتة تاريخياً ما يرضي العقل . ذلك واضح من تناقض التواريخ وعدم امكان التوفيق بين المؤرخين الاقدمين ابن اسحاق والواقدي . راجع VIRGINIA VACCA; *Le Ambascerie di Maometto ai Sovrani Secondo Ibn Isbâq e Al-Wâqidi.* [*Rivista Degli Studi Orientali*, vol. X, p. 87 sqq., an. 1923]

بني لغته في هذا الفنّ فوضع هذا المؤلف مُلمّاً في اوله بمعلومات تمهيدية في القدرة الكهربائيـة ، والاشعاع ، والتموّج ، منتقلاً الى الاذاعة ومأخذها ، والمحوّلات والمضخّمات ، وما يعرض للاذاعات من اصداء وما هي وسائط الوقاية منهـا ، وكيف تُصلح الآلات المعطّلة ، منتهياً الى تطبيقات متنوعة للاسلكي . وقـد ألحق بالكتاب جدولاً واسعاً بتموّجات الاذاعات اللاسلكية الاوربيـة . كل ذلك بلغة سهلة واسلوب لطيف زادته وضوحاً تلك الرسوم المتقنة المتعـدّدة ، فجاء الكتاب مما لا يستغني عنه هواة اللاسلكية ، ولا ذوو الاختصاص بها من ابناء اللغة العربية . ف . ا . ب .

الحكيم وسلمى

بقلم توفيق حسن نادر الشرتوني

١٢٦ ص . متوسطة – بيروت ١٩٣٣

ان سُئلتَ ما الرواية واجبت معتمداً كتاب « الحكيم وسلمى » فقد اخطأت السبيل الى تحديدها وشططت . لم تكن الرواية يوماً في عرف اديب مـا هي اليوم في عرف صاحب الكتاب . والغريب انه ، وقـد شهد دون شك تطوّر الرواية العصريـة ووصولها الى ما وصلت اليه من الرقي والفن ، يعود بها الى اوائل عصرها فيتخذها في اقبح مظاهرها ويؤلف روايته ، الحكيم وسلمى ، فتأتي مجموعة من الحوادث العادية مازجتها عظات في الحب واليأس والشقاء ، في الخطبة والزواج ، والحياة على الاطلاق ، سببتها اخبار سلمى عن تعشقها شاباً يطلب العلم في بيروت واخبار الحكيم عن عشق لـه مضى . وقد يرى القارئ قبح الاسلوب ، ان هو اقدم على قراءتهـا ، عندما يقاطع الحكيم سلمى عن سرد حبها فيدلي بنصيحة او بملاحظة ، وكلهـا نصائح وملاحظات لا يحسد حكيمنا عليها ، وكأنه قضى على نفسه بنفسه عندما قال (ص ٢١) : « لا لستُ الا رجلاً ساذجاً » . ولم يتأخر صاحبنا عن عرض نصائحه تحت اعداد وارقام بلغت به احيـاناً الى العشرة (ص ١٣١) فهبط بالاسلوب الروائي الى اساليب رجال الدواوين وارباب الشرع .

وان ننسَ لا ننسَ رغبته في الظهور بمظهر الشاعر ، اذ قام يخبر سلمى بغرامه الاول ، وما نتج له عنه من عذاب ، وما اسال من شعر . وكأني به لم يرَ مجالاً لتدوين هذه الابيات في غير هذه الرواية ، فانزل فيها قصائده حشواً بيناً ، وقد تراها جميعها مقدّمة بمثل قوله (ص ٩٠) : « وقد نظمت قصيدة في هذا المعنى لا تزال بعض ابياتها عالقة بذهني وها هي على علاتها ... »

وينهال عليك هذا البعض فاذا هو قصيدة تحار كيف تنعتها . او مثل هذا : « وهاجني الوجد اليها يوماً فنظمت قصيدة هذه بعض ابياتها » — ولم يكن هذا «البعض» بافضل من «البعض» الاول .

ا . ح .

تقويم بكفيا الكبرى وتاريخ اسرها

ألفه الشيخ ادمون بليل

٢٦٥ ص . متوسطة — مطبعة العرائس ، بكفيا ، ١٩٣٥ — الثمن : ٥٠ غرشاً سورياً

هي مجموعة مفيدة لما احتوت عليه بكفيا ، والمحيدثة ، وساقية المسك ، وبجرصاف من منشآت ومصانع ، مع ذكر اسرها القديمة والحديثة وتاريخ بعضها وترجمة مشهوريها من رجال الدين والدنيا ، مما كلّف المؤلف جهداً دائماً يشكره له ارباب وطنه ، دون شكّ ، واقصى سناه « ان يحمل ساقية المسك وجاراتها الثلاث على رأسه ليرفعها كلها الى العلاء ويضعها فوق النجوم . » (ص ٢٣٥) .

اما المعلومات التاريخية عن الاسر والاحداث فاكثرها مستند الى روايات تقليدية شفهية ، او الى استنتاجات تفتقر الى اثبات علمي . هذا وقد يشط بالمؤلف قلمه ، في حبه لوطنه ، فيفرد فصلاً لذكر « الدول التي حكمت سورية ولبنان بعد الطوفان ، ولا تزال آثار بعضها باقية في ناحية بكفيا الى الآن » ثم يذكر ٣١ دولة من الكلدان الى الجمهورية اللبنانية ، ولا نعلم ان اكثرها اثرت شيئاً في مجرى حياة بلدته ، ولو كانت آثارها « لا تزال باقية في ناحية بكفيا الى الآن » ، لكانت بكفيا من اعظم متاحف الكون . . .

ف . ا . ب .

يزداندوخت الشريفة الاربيلية

بقلم القس سليمان صائغ

جزءان في ٣٦٠ ص. متوسطة – مطبعة النجم الكلدانية، الموصل، ١٩٣٤

اوفر الروايات لذة وفائدة هي تلك التي تمتزج فيها القصة بالتاريخ، وسرد الحوادث بالدرس النفسي، وتحليل العاطفة الفردية بتحليل المشكل الاجتماعي. ومنها هذه الرواية التي اورد فيها المؤلف فصولاً اخلاقية تمثل مواقف من التجرّد والتضحية في خدمة الوطن، كما عرض لقضية تاريخية ما زالت في ظلّ كثيف من الغموض، كما يقول، وهي زمن دخول النصرانية الى العراق وما بين النهرين. وهكذا جمع بين التاريخ والقصة، بين السرد والتحليل العاطفي، فاذا احوال العراق على عهد الساسانيين ماثلة امامنا كانها من احوال عصرنا الحاضر، واذا بنا نطّلع على ما كان يشعر به قسم كبير من سراة وعامة تلك الشعوب، فنعرف لتلك الحقبة من التاريخ العراقي قيمتها المدنية العالية، ونعرف للمؤلف فضله الجزيل. ف.ا.ب.

* البيت الكرمي في اهدن * ٤٨ ص. متوسطة، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٣٥ – هي المخطوطة عن رحلة الامير دي جوانفيل الى لبنان التي نشرها في «مشرق» هذه السنة الاب اغناطيوس طنوس الخوري كفرشخنا، طبعها على حدة، بعد ان اضاف اليها مقدّمة في البيت الكرمي واصله، ومشاهيره مع صورهم، وذكر من زاره من الامراء والعظماء.

* الام ماري روز غانم * ٣٦ ص. صغيرة، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٣٤ – نبذة في حياة الام ماري روز غانم من راهبات القلبين الاقدسين (١٨٧٦–١٩٣٢)، ابنة البطل اللبناني ابي سمرا غانم، ظهرت اولاً في «رسالة قلب يسوع»، ثم على حدة.

* خلاصة اعمال شركة القديس منصور دي بول في بيروت عن سنة ١٩٣٤ * ٦٥ ص. صغيرة، بيروت، ١٩٣٥ – هي السنة الخامسة والسبعون لعهد تأسيسها في بيروت.

* تقرير عن اعمال الجمعية الخيرية للقديس منصور دي بول في دمشق، عن سنة ١٩٣٤ * ٥٦ ص. متوسطة، مطبعة القديس بولس، حريصا – هي السنة الحادية والسبعون لتأسيسها في دمشق.

* جمعية اصدقاء الاشجار في لبنان * تقرير عن زراعة الاشجار المثمرة مقدّم الى ادارة الجمعية من احدى لجانها الفرعية، يوم عيد الشجرة ٥ ايار ١٩٣٥ – ٨ ص. متوسطة، مطبعة الريحاني، بيروت ١٩٣٥.

المشرق

السنة الثالثة والثلاثون — تشرين ١ – كانون ١ ١٩٣٥

في الطقس الماروني

بقلم الخوري ميخائيل الرجي

تمهيد

قد نقرأ في مؤلفات البعض من اهل الغرب انّ الموارنة لا طقس لهم خاصاً بهم . فهم انما يجرون ، في اقامة فروض العبادة الالهية ، على غوائد الكنيسة الرومانية . وقد بدأوا بتقليدها في زمن الحروب الصليبية ، من عهد البابا زخيا الثالث . ثم تأصلت عندهم ، بعد تأسيس المدرسة المارونية في رومية ، في آخر القرن السادس عشر . وها هي كتبهم حافلة بما يدلّ على نسبتها الى الطقس اللاتيني .

ومن المؤلفين ، غربيّين وشرقيين ، من لا يذهبون الى هذا الحدّ الاقصى . فيعترفون بان بعض الرتب اللاتينية قد تسرّبت الى الكنيسة المارونية . غير ان هذه الكنيسة لا تزال ، في مجمل طقوسها ، شرقية سريانيّة . فان هي الا

فرع من فروع الكنيسة الانطاكية السريانية ، يؤلف اتباعها ، مع اليعاقبة والملكيين ، من يسمونهم السريان المغاربة ، بالمقابلة مع السريان المشارقة اي النساطرة ومن اليهم من الملابار . ولهذا ، فان اختلفت في المعتقد مع جيرانها ، فهي تتفق معهم في الطقس . فللموارنة ولليعاقبة ، وكذلك للملكيين الاولين ، طقسٌ واحدٌ في الاصل ، كان ولا يزال في جوهره واحداً ، وان اختلف فقط في امور عرضية باختلاف هذه الطوائف .

ولم نجد مؤلفاً واحداً ينسب الى الموارنة طقساً خاصاً بهم يمتازون به عن اليعاقبة وسائر السريان ، فضلاً عن اللاتين . على اننا قد نوفق ، بعون الله تعالى ، في هذا المقال ، الى الدلالة على أن للموارنة طقساً مارونياً ، لا يعقوبياً ولا لاتينياً . وهو يقوم بصلوات مختلفة عن صلوات الطقوس الاخرى . واهمّ من ذلك ان له سياقاً ونظاماً ، في اقامة الصلوات ، يختلف به عن سواه . ومن ثمّ كانت رتبه وخدمه وقروضه ، بادّتها اي بصلواتها ، وبصورتها اي بسياق هذه الصلوات ، قائمة بذاتها ، ذات اسلوب يميّزها عن سواها او كيان خاص بها ، مستقلةً عمّا يقابلها في بقية الطقوس المسيحية .

ولا مشاحة في ان اشياء كثيرة وهامة قد تسرّبت الى الطقس الماروني من عوائد الكنيسة الرومانية ، خاصة في القرنين السابع عشر والثامن عشر . وان اشياء كثيرة وهامة كذلك كانت قد تسرّبت اليه قبل ذلك من الطقس اليعقوبي . لكن هذه الاشياء لم تفسد جوهر الطقس ، وان تكن قد حجبته ؛ ولم تدخل فيه ، ما عدا القليل منها ، بطريقة شرعية . بل مانع الرؤساء في بعضها ممانعةً عنيفة ، وانكروا البعض الآخر . وبرّب البطريرك العظيم والعالم الكبير اسطفان الدويهي ان يعود بالطقس الى سلامته الاصلية . وعقبه المجمع اللبناني المقدس فالمح آباؤه الى شروط الاصلاح الطقسي ، على قدر ما لاح لهم منها ، وكان بامكانهم تقرير اجرائها .

وسبيلنا في الوصول الى غايتنا ، بعد تبيان ما دخل الطقس من عناصر اجنبية ، شرقية وغربية ، يعقوبية ولاتينية ، ان نبعث المخطوطات القديمة من مدافنها ، وننفخ فيها روحاً جديدة : نسألها فتجيبنا ، نصغي اليها فنسمع صدى

اصوات اجدادنا ومعلّمينا المودعة فيها ، نحدق اليها تارةً ونشخص اخرى فتظهر لنا حقيقة امرها مجرّدة واضحةً .

العهد اليعقوبي

بدون عناء ، يدرك الباحث أنّ من المخطوطات التي سلبت من ايدي الحدثان فصانتها لنا خزائن الكتب الخاصة والعامة ، شرقاً وغرباً ، ما لا ريب في صحة نسبته الى الموارنة . ومخطوطات اخرى ، ان جاز الشك في نسبتها اليهم ، فلا نكير في انها كتبت في بلادهم ووُجدت في اديرتهم ، وقد يكون استخدامها قد جرى في كنائسهم .

على ان ما يجب الالتفات اليه أنّ هذه المخطوطات ، على علّاتها ، قلّما ترجع بعهدها الى ما قبل القرن السادس عشر . وهي تكثر شيئاً فشيئاً ، كلما اقتربت من القرون اللاحقة . والقليل القليل منها يعود الى القرن الخامس عشر . اما ما كان منها من الرابع عشر ، فقد لا يتجاوز اصابع اليدين عدّاً . وهيهات ما هو منها قبل هذا القرن .

وبدون عناء ، يعرف المطّلعون ان القرن الخامس عشر كاد يكون في لبنان ، وعلى الاخصّ في شماليه ، في جبة بشرّاي ، مطبوعاً بطابع اليعقوبية . فالقليل الذي ذكره مؤرخو الموارنة ، عن امامهم الدويهي ، في هذا الصدد ، يدلّنا على انتشار اليعقوبية انتشاراً واسعاً في هذه الناحية المارونية ، وعلى شدّة تأثيرها حتى انخدع بعض الموارنة هناك بها .

كان حكّام الجبة في هذا القرن ، وفي القسم الاول من القرن التالي ، المقدّمون يعقوب بن ايوب وسليله . وبعنايتهم وفضلهم ، « استتبّت الراحة ، وكثر العمران ، وأُنشئت الكنائس والمدارس ... ومَن كانوا من النساخ في ذلك العصر ... ينيفون على مئة وعشرة نساخ »[1] . ولهذه الاسباب امّ لبنان كثيرون من البلاد البعيدة للسكنى فيه . وكان في جملتهم عدد من اليعاقبة .

(١) عن الدويهي في الدبس : الجامع المفصّل في تاريخ الموارنة المؤصّل ، بيروت ، سنة ١٩٠٥ ، ص ٣٤٧ .

جاؤوا من عين حليا ، ومن صدد الشرق ، ومن نابلس ، ومن القدس ، حتى من الحبشة[1] . وكان منهم بدون شك رهبان علماء ، وتجار اغنياء ، فأخذوا رويدًا رويدًا يسيطرون في محيطهم ، وهو على الارجح دونهم علماً وثروةً ، حتى توصلوا الى اغراء المقدّم عبدالمنعم ، فناصرهم جهراً وتهدّد من يقاومهم[2] .

وكان بطاركة الموارنة ، حتى اوائل القرن الخامس عشر ، لا يزالون يقيمون في اديرة بلاد جبيل ، في يانوح او في وادي ايليج وما اليها[3] ، بالرغم من ان بعضهم ، كالبطاركة الحدثيين ، كانوا من جبة بشرّاي . فاستجذبهم عندئذٍ ما كان في الجبة من عمران وامن بواسطة المقدمين ، فانتقلوا الى دير قنوبين[4] . وقد يكون الدافع لهم كذلك ، في رأينا الضعيف ، ان يكونوا على مقربة من اليعاقبة ليكسروا شوكتهم ، ويخلّصوا البلاد والطائفة من شرّهم .

ويحملنا على هذا التقدير ما نراه من ان البطريرك بطرس الحدثي ، وهو الثالث في قنوبين ، ارسل ينهاهم عن طغيانهم ، فكان لهم من حماية مقدّم بشراي ما جرأهم على عدم الانقياد له . فاتفق البطريرك مع اهل اهدن ، وسام مطراناً منهم ولّاه على دير الاحباش في اهدن . فعظم الامر على هؤلاء ، فزحفوا الى حدشيت محتمين بمقدم بشرّاي وبشدياق حدشيت . فاستنجد هذان برجال الضنية على اهل اهدن . وكان ما كان من فتك الاهدنيين بهم فتكاً ذريعاً . فتنكب اليعاقبة بذلك ، وهربوا من جبة بشراي ، وتشتتوا ايدي سبا . وكانت نكبتهم هذه سنة ١٤٨٨[5] .

على ان تأثير اليعقوبية كان قد تأصّل عند الموارنة ، فبلغ حدًّا جعل البعض يزعمون ان الموارنة فرقة من اليعاقبة . فقام ابن القلاعي ينفند زعمهم في كتابه الموسوم « مارون الطوباوي »[6] . وما يدهش شديد الدهش ان البطريرك ميخائيل

١) الدبس ثمّ ، ص ٢٤٧ .
٢) الدبس ثمّ ، ص ٢٤٨ .
٣) الدبس ثمّ ، ص ٢٠٠–٢٠٧
٤) الدبس ثمّ ، ص ٢٥١
٥) الدبس ثمّ ، ص ٢٤٨–٢٤٩
٦) ذكره الدبس ثمّ ، ص ٢٤٩ و ٢١٠

الرزي (١٥٦٧-١٥٨١)، قد اضطره بعض الخصوم الى المدافعة عن نفسه، تجاه الكرسي الرسولي المقدس، أنه ليس يعقوبياً، ولا من اصل يعقوبي[1]. وكان هذا، كما ترى، بعد نكبة اليعاقبة بما يقرب من قرن كامل.

واذا كان التأثير اليعقوبي قد بلغ هذا المبلغ عند الموارنة مدة قرنين، فلا غرابة ان يكون قد ترك آثاراً جمة في الطقس. فاليعاقبة، وبينهم رهبان علماء، قد غمروا الاديرة والكنائس، بل البلاد كلها، بمخطوطاتهم الطقسية وغيرها؛ ونساخهم اخذوا يخطّون الكتب لحساب الموارنة. وهؤلاء قد خلب بعضهم بمظاهر العلم والفن والجاه التي كانت لضيوفهم اليعاقبة، فاهملوا كتبهم العتيقة، واخذوا باقتناء هذه الجديدة، وبالنسج على منوالها، وبالنتيجة باستعمالها. نرى ذكراً لذلك في كتاب رحلة الاب دندينى القاصد الرسولي الى الموارنة، حيث قال في آخر الفصل الثامن عشر: «ان الكتب الفاسدة الرديئة منتشرة جداً ما بينهم (الموارنة)، لانها ليست محرمة. ومنها مؤلفات للنساطرة واليعاقبة وتباع ديوسقوروس وغيرهم من اصحاب البدع، الذين يقيمون مسا بينهم وينشرون كتبهم بذهاء وعناية، فيحرزها هؤلاء بدون الانتباه الى ما تتضمنه من ضلال. وقد اخبرني بعضهم ان اليعاقبة ادخلوا من كتبهم الى بلاد الموارنة، من زمن ليس ببعيد، ما يقارب خمسين حمل بغل.»[2]

ولما كانت المخطوطات التي سميناها مارونية، على ما مرّ، اما لاستعمالها في كنائس الموارنة واما لكتابتها في بلادهم وحفظها في خزائنهم، يرجع اغلبها الى هذين القرنين الخامس عشر والسادس عشر، المطبوعين بطابع اليعقوبية، فلا غروَ ان يكون قد اعتورتها اشياء واشياء من طقس اليعاقبة ومعتقدهم، بحيث يتحتم على الناقد البصير الّا يركن اليها تمام الركون انها شواهد عدل على

---

١) في الدبس ج، ص ٢٩٠

٢) دندني: *Missione Apostolica al Patriarca et Maroniti del Monte Libano*, Casena, 1656. وقد ترجمه ريشار سيمون الى الفرنسية. — *Voyage au mont Liban*, du R. P. Jérôme Dandini. Paris, 1675. وعرّبه الخوري يوسف بزبك العشيقي وطبعه في بيت شباب، لبنان، سنة ١٩٣٣.

معتقد الموارنة وطقوسهم ؛ بل ان يميز غثها من سمينها ، يعقوبيها من مارونيها ؛ ويمحصها حتى تنقى مما قد خالطها ومازجها ، ولا يفتأ يعالجها حتى تنجلي الرغوة عن الصريح .

هذا ما جاهر به الموارنة المجتمعون بحضرة الاب دنديني المشار اليه . فلما كان يعترض على صحة معتقدهم ببعض اغلاط ذكرتها كتبهم ، كانوا يجيبونه منكرين نسبة هذه الكتب اليهم ، ومؤكدين انها لليعاقبة الذين كانوا ينشرونها بدهاء ومكر ما بين ابناء الطائفة ، وهي تختلف اختلافاً بيناً عن كتبهم[1] .

وهذا ما كان قد كتبه قبل ذلك البطريرك ميخائيل الرزي الى الكردينال كرافا سنة ١٥٧٨ : « اذا كان في بعض النسخ شيء يخالف ذلك (معتقد الكنيسة المقدسة) ، فقد ادخله الهراطقة المحدقون بنا على تلك الكتب من زمان طويل . »[2]

وكما انه لا يصح اتخاذ هذه الكتب قاعدة لايمان الموارنة ، كذلك لا يصح اعتبارها جامعة لطقوسهم ورتبهم . فبعض الكتب الطقسية ، المصدرة باسماء ائمة اليعاقبة ، مثل ساويرا وبرصوما وامثالهما ، والحافلة بالرتب المنسوبة اليهم ، ليست مارونية ، بل يعقوبية موسومة بطابع ائمة اليعاقبة ، وهي هي تنادي بيعقوبيتها . فلا يجوز اعتبارها مارونية ، ولو وجدت بين ايدي الموارنة[3] او طبعت لاستعمال الموارنة[4] . فوجودها نتيجة ما سبقنا فقلنا . وطبعها ثمرة

---

١) دنديني . في هشيتي ، ص ٨٢ .

٢) ذكره الدبس م ، ص ٣٩٣ .

٣) لا تخلو خزانة الكرسي البطريركي من امثال هذه الكتب ، حتى يومنا هذا . من ذلك المخطوط عدد ٩٧ المحتوي على رتبة عماد يعقوبية منسوبة لساويرا . وقد خطه سنة ١٨٦٢ يونانية (١٥٥١ م .) جرجس شماس من ادنيت للقس نعمه ايطو وقفاً لمار مركيس . وقد شطب فيه اسم ساويرا وصححت بعض عباراته في المتن وعلى الهامش ، وصححت صورة العماد والتثبيت الخ قصد تقريبها من الرتبة المارونية .

٤) من ذلك كتاب القداس الذي طبع في رومية سنة ١٥٩٢–١٥٩٤ . فان مجموعة النوافير المطبوعة فيه تحتوي على بعض نوافير منسوبة الى ائمة اليعاقبة : كالبطريرك يوحنا بن

التسرّع في العمل ، والجهل باصول الطقس والعلم ، ليس الّا. وما على الموارنة في ذلك من حرج[1].

ولو اهتدى بنور هذه المبادئ من كلفوا بفحص شؤون الموارنة من القديم، وكذلك من عنوا انفسهم بتخطئة الموارنة وتسويد صفحة ايمانهم النقية ، لكانوا كفوا انفسهم والموارنة والتاريخ مؤونة ما ردّدوه واودعوه كتبهم من تهمات باطلة استقوها من هـذا الينبوع المسموم او الملوّث ، اعني ينبوع المخطوطات اليعقوبية او المتأثرة باليعقوبية .

وكما يؤاخذ الاجانب عن الطائفة في صدد نسبة معتقد اليعاقبة الينا ، يؤاخذ ابناء الطائفة انفسهم ، وخاصةً العلماء منهم ، في خلطهم بين كتب الطائفتين وطقوسهما ، وفي عدم تمييز الماروني من اليعقوبي ، وفي اعتقادهم ان للطائفتين طقساً واحداً.

وقد قرأنا لبعضهم عبارات مدهشة في هذا الصدد ، لا بأس بايراد ما يتسنى لنا الوصول اليه منها . كتب العلامة جبرايل الصهيوني سنة ١٦٤٤ الى العلامة نيكوسيوس ، في معرض الكلام عن كتاب القداس والتوافير ، ان التوافير مشتركة بين الموارنة واليعاقبة : « لان الكتب الكنسية هي واحدة الموارنة واليعاقبة . »[2] وقد ذهب العلامة اسطفان عواد السمعاني ، في كتابه : « لائحة المخطوطات الشرقية في المكتبة المديشية بفلورنسة » ، الى حدّ انه وضع العنوان التالي لاحد المخطوطات : « كتاب القداس السرياني بحسب طقس الكنيسة الانطاكية للسريان اليعاقبة والموارنة »[3] . والسمعاني الكبير كتب ، تعليقاً على رتبة سر الزواج المدرجة في المخطوط الفاتيكاني عدد ٢٤٢ ، هذه العبارة : « ان السريان ، الموارنة منهم واليعاقبة ، يستعملون في خدمة الاسرار طقساً

شوشان ومتى الراعي وغيرهما . وفي نافورة مار يعقوب يذكر في تذكار القديسين برصوما (ص ١٩٨) ويعيد ذكره في المتام (ص ٢٤٥)

١) انظر بيان البطريرك سركيس الرزي امام دندني في الدبس ثمّ ، ص ٢٩٨

٢) ذكره الاب ديب في كتابه *Etudes sur la Liturgie Maronite*. Paris, 1919. ص ٤٠

٣) ذكره ديب ثمّ ، ص ٤٠

واحداً تقريباً . »[1] والى الآن ، اذا تحدثت الى اهل المعرفة والاطلاع في الطائفة بهذا الموضوع ، اجابوك فوراً : اننا الموارنة قد اختلفنا مع السريان الآخرين في المعتقد فانفصلوا عنا ، لكن الطقس ظلّ مشتركاً بيننا .

ولما كان هذا ما يعترف به الموارنة بكل هذه الصراحة ، فاحر بسواهم من السريان ان ينادوا به . قال المطران يوسف داود ، السرياني الكاثوليكي ، ما نصه : « كانت الكتب الطقسية للطائفتين (اليعاقبة والموارنة) واحدةً ولاسيما كتب توزيع الاسرار ، كما هو معلوم ولا حاجة الى بيانه »[2] ؛ وكذلك : « من غرائب ما نراه في الشيعة المارونية القديمة انها مع كونها اتخذت في طقسها جميع ما عند اليعاقبة تقريباً . . . »[3] .

قلنا كان الاحرى بعلماء الموارنة ان يأخذوا بقول ابن القلاعي ان الموارنة ليسوا فرقة من اليعقوبية ، وببيان البطريرك سركيس الرزي ان في الطائفة كتباً احضرها فاطلع عليها القاصد الرسولي ايرونيموس دنديني ، وكان قد قدمها قبلاً بيده للقاصد الاخر الذي سبقه اي يوحنا المعمدان اليانو فظهر ان الاغلاط التي اشار اليها يوحنا المعمدان لم تكن في كتب الموارنة بل في كتب اليعاقبة ، حتى تعجب الاب دنديني واقرّ انّ ما اتهم به الموارنة القصاد الرسوليون هو تجنٍّ عليهم[4] . فهم لو فعلوا لكانوا قد اهتدوا الى كتب الموارنة « التي تختلف اختلافاً بيّناً عن كتب اليعاقبة »[5] ، ولكانوا حفظوا لنا هذه الكتب النفيسة . ولا شك في ان منها كتباً طقسية تختلف كذلك عن كتب اليعاقبة في صلواتها ، وفي سياق هذه الصلوات . كالكتب النادرة التي توفقنا الى الاطلاع عليها والتي سنتكلم عنها ، ان شاء الله .

وقد ساعد الموارنة على الوقوع في هذا الخلط ما عمله بعض القدماء منهم . فانهم اذ رأوا نفر الطائفة ، بالنسبة الى اليعاقبة ، في المؤلفات الطقسية والقانونية ،

١) السمعاني : لائحة الكتب السريانية في المكتبة الفاتيكانية ، رومية ١٧٥٩ ، ص ٥٢٢
٢) كتاب جامع الحجج الراهنة في إبطال دعاوي الموارنة . مصر سنة ١٩٠٨ ، ص ٦٤
٣) الكتاب نفسه ، ص ٤٠٢
٤) الدبس تم ، ص ٢٩٨
٥) في دنديني ، عشيتي ، ص ٨٣

فضلاً عن سواها ، اخـذوا عن هؤلاء بعض كتبهم كالناموس لابن العسال ، وكتاب شرح الليترجية لابن الصليبي ، ونافورات اليعاقبة ، وغير ذلـك ، وحوّروها قليلاً على موجب بعض عاداتهم وطقوسهم ، ونسبوهـا الى علمائهم الاقدمين . ولما كانت هذه الكتب تحتوي على طقس اليعاقبة ليس غير ، فقد ظن الموارنة بعدئذٍ ان للطائفتين طقساً واحداً . ويا ليتهم اكتفوا بالقليل الذي كان لديهم من كتبهم الصحيحة التي لا شبهة عليها وقنعوا به : فالقناعة غنى .

وهذا الفقر في الكتب الكنسية دفع بعض الموارنة الى المخاماة عن بعض ائمة اليعاقبة كالسروجي والرهاوي ، واجهاد النفس في تبيان كونهم ارثوذكسيين كاثوليكيين . ذلك لكي يتمكنوا من الاستعانة بمؤلفاتهم . وما كان اغناهم عن ذلك !

العهد اللاتيني

تجاه هذه الحالة ، وقد تسرب الطقس اليعقوبي الى الكنيسة المارونيـة ، فكان سبباً لاتهام الموارنة ، لدى الكرسي الرسولي المقـدس ، باتباع ضلال اليعاقبة ، كان لا بدّ من القيام بالاصلاح الواجب .

قلنا فيما سبق ان هذه الغاية قد تكون بعض ما حدا بالبطاركة الى النزوح من وادي ايليج الى دير قنوبين في وادي قديشا . وقد رأينا البطريرك ميخائيل الرزي ، وخلفه شقيقـه البطريرك سركيس ، يتنصلان من تهمة اليعقوبيـة ، ويبيّنان الاختلاف البيّن الموجود بين كتب اليعاقبـة وكتب الموارنة ، فيقتنع بذلك الاب دندبني ، القاصد الرسولي ، فيصرح « ان الكتب المارونية الحقيقية هي كاثوليكية صرفة ، لا غبار عليها ولا يشتم منها رائحة الضلال . »[1]

ومنذ ذاك الحين اخذ البطاركة يسعون في ان يتلقى بعض الموارنة العلوم الكافية ويحصلوا المعارف الوافية ، ليقفوا معهم في وجه التيـار اليعقوبي ، ويساعـدوهم في الاصلاح المنشود . فولوا وجوههم شطر الغرب ، ورغبوا في استقاء العلوم من منهل الكنيسة الرومانية ، امّ جميع الكنائس ومعلّمتهنّ .

(١) مشبقي ، ص ٨٢

وقد ذكر الدويهي ان اول من فكر في ذلك البطريرك سمعان بن حسان الحدثي، فارسل الى رومية ، سنة ١٥١٥ ، كاهناً وراهبين ليتعلموا اللاتينية ويقتبسوا العلوم[1] . وسنة ١٥٤٢ ، كتب البطريرك موسى العكاري الى البابا بولس الثالث يسأله ان يوعز الى رهبان القديس فرنسيس بارسال ستة كهنة لينشئوا مدرسة بلبنان لتعليم بعض الشبان الموارنة اللغة اللاتينية[2] . وسنة ١٥٧٧ ، زار الموارنة من قبل الكرسي الرسولي الاب يوحنا المعمدان الياتو فاطّلع على امورهم وطلب من الحبر الاعظم، غريغوريوس الثالث عشر ، في جملة ما طلب، ان تُنشأ مدرسة في رومية يتأهب فيها الموارنة الى قبول الدرجات المقدسة[3]. فتنازل قداسته الى اجابة الطلب واسس المدرسة الحبرية المارونية الشهيرة في رومية سنة ١٥٨٤[4] . وقد اقام البطريرك يوحنا مخلوف مدرسة في دير سيدة حوقا في وادي قديشا، سنة ١٦٢٤، يتعلم فيها الشبان العلوم الاكليريكية، حتى اذا نبغ احد منهم وفاق اقرانه، ارسل الى المدرسة الرومانية[5].

وفي الوقت نفسه ، استرعت انتباه الجميع حاجة الطائفة القصوى الى طبع الكتب ، خاليةً من النقائص والشوائب والمفاسد . فاقترح الاب الياتو السابق ذكره على قداسة البابا غريغوريوس الثالث عشر انشاء مطبعة سريانية وعربية لفائدة الموارنة في رومية . فتمّ الامر ، وطبعت بعض الكتب الروحية سنة ١٥٨٠ ، والطقسية كالتريسة اي كتاب الجناز سنة ١٥٨٥ ، وكتاب القداس سنة ١٥٩٤[6]. وتوالى طبع الكتب الطقسية في مطبعة المجمع المقدس في السنين والقرون التالية على ما هو معلوم.

ومن البديهي ان الدارسين والطابعين كان ينتظرهم خطر كبير ، وكانت الظروف التي وجدوا فيها مدعاةً الى سقوطهم فيه . فعوضاً عن ان يرجعوا ، في الامور الطقسية ، الى الكتب المارونية القديمة التي اراها البطاركة آل رزي

١) في الدبس ثمّ ، ص ٢٥٩
٢) في الدبس ثمّ ، ص ٢٨٦
٣) في الدبس ثمّ ، ص ٢٩٣
٤) في الدبس ثمّ ، ص ٢٩٧
٥) في الدبس ثمّ ص ٣٥١
٦) انظر مقالتنا في المشرق . غرز - ايلول ، ١٩٣٦ ، ص ٣٥٩

لقصاد البابا ، وشهد هؤلاء باختلافهـا البيّن عن كتب اليعاقبة ، كان لهم من تاثّرهم العلوم على ايدي الغربيين ، واضطلاعهم بالطقوس الغربيـة ، وقيامهم بالعمل تحت اشراف اصحاب السلطة الرومانية ، ما جعلهم يدخلون في طقسنا عناصر كثيرة وهـامة ، وخصوصاً في خدمة الاسرار ، من الطقس اللاتيني. فهم ، اذا كانوا قـد جردوا بعض الطقوس من العناصر اليعقوبية ، فانهم قد ادخلوا فيها عناصر لاتينية مكان اليعقوبية . وقد اخطأوا بذلك خطأ جسيماً .

حاشا لنا ان نبخس الطقس الروماني حقه ، او نخفض قدره ؛ فله شرفـه وروعته وجلاله وجمالـه . فضلاً عن ان المسيحيين الذين يرعونه ، ويؤدّون واجباتهم لله تعالى على طريقته ، يبلغون مئات الملايين عدّاً . فاستدراج الموارنة الى اتباعه ، وقليل عددهم ، لا يزيده شيئاً ، كما ان استقلالهم عنه لا يضيره .

وبالعكس لو تمّ الامر الاول ، لفقدت الكنيسة الجامعة طقساً قديماً جليلاً، تمتدّ اصوله ، مثل سائر الطقوس ، الى القرون الاولى وحتى الازمنة الرسولية ؛ ولحرمت البيعة صوتاً يرتفع الى الله ، منضماً الى الاصوات الاخرى التي تتألف منها هذه التسبحة الكاثوليكية العديمة النظير بتعداد انغامها ، ودقة ايقاعها ، وبديع توازنها ، هذه التسبحة المنسوجة على منوال التسبحة السماوية الابدية ، التي يُنشدها امام العرش وامام الحمل « جمّ غفير من كل امة وقبيلة وشعب ولسان . »[1]

وقد اعلن الكرسي الرسولي المقـدس مرارًا عديدة ، وبصور شتى خاصة وعامّة ، حافلة وبسيطة ، اعتباره للطقوس الشرقية ، واحترامه لهـا ؛ وشدّد الاوامر بالمحافظة عليها . لكن ذلك كان بعد الزمن الذي نحن فيه .

ففي هذا الزمن وفيما سبقه من الازمنة ، كانت الافكار في رومية منصرفة الى تقييد الموارنة ، خاصة في خدمة الاسرار ، بوجوب استخدامهم من الطقس اللاتيني ما يستوفيه صور الاسرار ، واقتدائهم بعادات الكنيسة الرومانية . وآثار ذلك واضحة جلية في براآت الاحبار الاعظمين : من زخيـا الثالث سنة

١) رؤيا ٧ : ٩

١٢١٥[1] ، فلاون العاشر سنة ١٥١٥[2] ، الى غريغوريوس الثالث عشر سنة ١٥٧٧[3] .

ونظن ان اول من قام بين الموارنة يجنح الى الطقس اللاتيني ويدعو الى اتباعه ، عملاً بنصّ البراآت الحبرية ، بل غيرةً منه تجاوزت منطوق هذه البراآت، كان جبرائيل بن القلاعي اللحفدي الذي انضم الى رهبانية القديس فرنسيس سنة ١٤٧١ ، وعاد الى لبنان سنة ١٤٩٤ ، وسيم كاهناً سنة ١٤٩٦ ، واقام بقبرس في رهبانيته. ثم سيم اسقفاً مارونياً على قبرس سنة ١٥٠٧ ، وتوفي هناك سنة ١٥١٦[4] .

فهذا جعل دأبه حثّ الموارنة على التمسك بالكرسي الروماني كاجدادهم . وخيّل له ان من موجبات هذا التمسك اتباع الطقس اللاتيني . ومن مؤلفاته كتاب في الناموس البيعي نجد نسخة منه بين المخطوطات العربية في المكتبة الفاتيكانية ، عددها ٦٣٩ ، وتاريخها سنة ١٥٧٤[5]. وفي مكتبة دير الكريم مخطوط هو مجموعة قوانين، اهم اجزائه كتاب الناموس لابن العسال . ومن جملة محتوياته «شرح مختصر من ناموس البيعة عن السبع تقدمات[6] الكنيسة المقدسة» . وقد كتب هذا الجزء «يوسف بن داود قسيس من كرمسدي سنة ١٦٠٨ للمسيح في رومية» . ولا يبعد ان يكون هذا الجزء نسخة من كتاب الناموس البيعي لابن القلاعي . فهو يتكلم عن القداس ، فالعماد ، فالتثبيت ، فالمشحة ، فالرسامة[7] . ويذكر لكل من هذه الاسرار شرح رتبته اللاتينية ، ويورد له الصورة اللاتينية بالحرف.

ودونك ما يقوله في العماد . «الصورة الجوهرية . . . انا بعمدك فلاناً بسم

---

١) دبس ثمّ ، ص ٢٢١ ٢) دبس ثمّ ، ص ٢٥٧
٣) دبس ثمّ ، ٢٩٤ ٤) دبس ثمّ ، ص ٢١٠-٢١٢
٥) الاب ديب في كتابه السابق ذكره ؛ ص ١٤٢
٦) المراد بالتقدمات هنا اسرار البيعة.
٧) لم يتسنّ لنا الاطلاع على الاصل المحفوظ في دير الكريم ، بل على نسخة مأخوذة عنه. وفي هذه النسخة لا ذكر للزواج ولا للتوبة . ولا ندري هل هذا النقص في الاصل نفسه.

الاب والابن والروح القدس امين . ولا يقول مثل الروم : ينعمد فلان بسم الآب والابن والباقي،ولا مثل المشارقة ܐܢܐ ܡܥܡܕܝܢܢܘܢ ܠܟܘܢ ܡܢ ܗܫܐ ܘܥܕܡܐ (انا اعمد حملًا في رعية المسيح) . ولا يزيد امين بين الكلام الجوهري ويبطل الفعل ولا يخلي امين في الاخير . ولا يقول ܡܢ ܚܝܐ ܠܚܝܐ ܥܕܡܐ (الحي للحياة حتى الابد) . . . وليس يفعل المكتوب (يريد الصورة المسطورة امام الكاهن في الكتب آنئذ) بل باطل يكون هو فعله». وبعد ذلك يشرح ما في رتبة العماد من نفخ ،وتصليب ، وملح ، وريق الخ، مما يدل جليًا على انها الرتبة اللاتينية.

وهكذا في « تقدمة الثبات في الميرون من يد رئيس الكهنة » ، يشرح الرتبة اللاتينية ويورد صورتها . ومثله «عن دهن الزيت . . . قبل طلوع الروح من الجسد » يشرح رتبة اللاتين ويورد صورة المسحة عندهم. وكذلك يطابق كلامه في الرسامة رتب الطقس اللاتيني.

ينتج من كل ذلك ان لابن القلاعي اليد الاولى والطولى في ابدال الطقوس اللاتينية من المارونية في خدمة الاسرار . على ان دعوته ، في مؤلفه هذا وفي سائر مصنفاته، الى اتباع الطقس اللاتيني، ما كانت قد لقيت اذاناً صاغية ، لو لم يكن لها من جانب الكرسي الرسولي المقدس تشجيع وترويج ، ولو لم يقم بين الموارنة انفسهم من يواصلها.

ان اعمال الكرسي الرسولي المقدس في هذا الصدد ، نجد اساسها في البراآت الحبرية التي سبقت الاشارة اليها ، وتفصيلها في القوانين التي عرضها قضاده الاب اليانو ، ثم الاب دنديني ، ورفاقهما على الموارنة في المجامع التي عقدها بحضرتهم البطاركة ميخائيل الرزي سنة ١٥٨٠ ، وشقيقه سركيس الرزي في ايلول سنة ١٥٩٦ ، وابن شقيقهما يوسف الرزي في تشرين الآخر سنة ١٥٩٦ نفسها[1] . فهي تحتم باتخاذ صورة العماد ، والحلة ، والمسحة الاخيرة ، والرسامة ، عن الطقس اللاتيني . وبفصل التثبيت عن العماد ، وتعيين الاسقف خادماً له

١) راجعها في الدبس تم ، ص ٢٠١–٢١٠ ؛ وفي ذيل المجمع اللبناني ؛ ترجمة المطران يوسف نجم ، ص ٩–١٩

دون الكاهن . وتحرم على الكهنة تبريك زيت المرضى المحفوظ للاسقف . وترفض صور الاسرار اذا جاءت بصيغة الطلب . واشياء مماثلة لهذه .

وفي هذه الغضون طبعت التوبة في رومية سنة ١٥٨٥ ، وفيها بعض صلوات مترجمة عن اللاتيني[1] . وكتاب القداس سنة ١٥٩٤ وفيه كلام التقديس مأخوذ عن اللاتيني . وفي المجمع المومأ اليه ، الحّ الاب دنديني على البطريرك يوسف الرزي ان يسقف برجس عميرة ، تلميذ رومية ، ويكل اليه تأليف كتب نافعة ، منها كتاب الرتب لتوزيع الاسرار . وكانت حجة الاب دنديني ان عميرة قد عني بطبع كتاب القداس في رومية ، وان له من علمه وفضيلته ، وكذلك من شديد تمسكه بالكرسي الروماني ، ومن اخلاصه الخدمة له ، ما يؤهله لان ينظم ، بواسطة هذا الكتاب وغيره ، عبادة الله في هذه البلدان « على موجب الطقس الحقيقي والكاثوليكي ». وقد أيد عميره استعداده هذا ، اذ اظهر رغبته الصريحة في قبول الدرجات المقدسة على يد المطران موسى العنيسي ، تلميذ رومية ، بحسب عادة كتاب الجريات الروماني[2] . فسقفه البطريرك على اهدن ، بالرغم من الصعوبات التي اعترضته ، وعهد اليه بتأليف او ترتيب الكتب .

وقد عدنا الى الآثار المارونية المعروفة نفتش عما عمله عميره ، ان في ايام اسقفيته وان في ايام بطريركيته ، في جانب الطقوس ، فلم نجد شيئاً ، اللهم الا انه ساعد المطران سركيس الرزي في طبع كتاب المزامير بالسريانية في قزحيا سنة ١٦١٠[3] .

وما لم يعمله عميره ، اتمه غيره من تلاميذ رومية ، اقتداء بابن القلاعي . نذكر منهم طابعي الكتب في رومية كالخوري يوحنا بن ايوب الحصروني طابع التوبة ، والمطران اسحق الشدراوي ، والقس عبدالمسيح الطويل الحدثي طابعي الشحيمة المتوسطة المعروفة باليوسفية سنة ١٦٤٧ . وفي آخرها ملحق يحتوي على

١) انظر درسنا على كتاب الجناز ، في كراس مطبوع في بيروت ، سنة ١٩٢٦
٢) دنديني ، في عمشيتي ، ثم ، ص ١٠٣ و١٠٤ و١٢٠ . بعد مقابلته بالاصل .
٣) انظر مقالنا في هذا الكتاب في المشرق (٣٢ [١٩٣٤] ٢٢٦-٢٦٢)

بعض رتب لتوزيع الاسرار ، وعلى بعض تبريكات وتكريسات ، وهو مترجم كله من اللاتيني . ونخص بالذكر الاب اليسوعي الماروني الاصل بطرس مبارك، جامع كتاب الرتب الكهنوتية ، الذي طبع بعد موته سنة ١٧٥٢ ، مشتملاً على خدمة الاسرار الالهية واشباهها مترجمة بالحرف عن اللاتينية . بحيث يصح ان نعتبر عمله محاولة واسعة وكاملة لادخال رتب الطقس اللاتيني في خدم توزيع الاسرار وما اليها ، عند الموارنة .

ومع هذه الآثار المطبوعة ، لا بأس بذكر بعض الرتب اللاتينية المترجمة الى السريانية والمودعة في مخطوطات ترجع بتاريخها الى هذا العهد . من ذلك المخطوط الفاتيكاني السرياني عدد ٢٣٠ ، الذي خطّ احد اجزائه ، سنة ١٥٩٥، ملكيزادق من حصن كيفا من بين النهرين ، والجزء الآخر يوسف الباني سنة ١٥٨٦ . فانه يحتوي ، بين هذين الجزئين ، على جزء آخر هو رتبة التثبيت اللاتينية منقولة الى السريانية[1] .

وكذلك المخطوط السرياني الفاتيكاني عدد ٣٠٠ ، الذي كتبه في قزحيا الراهب سركيس ، سنة ١٦٠١ . فانه يحفظ للاسقف ، دون الكاهن ، حق ايلاء التثبيت[2] . ويورد بالسريانية رتبة العماد اللاتينية[3] .

وفي الخزانة البطريركية مخطوط سرياني تاريخه سنة ١٦٠٦ ، كتبه المطران بطرس بن سابا العاقوري . في اوله رتبة تبريك ماء العماد يتبعها بدء رتبة العماد وكمالها مفقودة . وبعده صورة الحلّ من الخطايا ، وصورة مسحة المرضى بعد رتبة القنديل . وفي آخر ورقة منه ارشاد الى كيفية تبريك زواج الارامل . فكل هذا مأخوذ بالحرف من الرتب اللاتينية المماثلة ومنقول الى العربية .

وفي الخزانة نفسها مخطوط آخر عدده ٩٥، كتب في قنوبين سنة ١٦٥٤، برسم المطران يوسف (الحصاراتي) بدير سيدة حوقا . فانه يشتمل على الخدم الجارية من تثبيت وتكريسات وتبريكات مأخوذة بالحرف عن اللاتيني ، وعلى

١) السماني . لائحة المخطوطات السريانية الفاتيكانية . مجلد ٢ ، ص ٥١٥
٢) ذكره الاب ديب ثمّ ، ص ١٢٢ ، في الحاشية ٣
٣) ديب ثمّ ، ص ١٠٨ ، في الحاشية ٢

رسامة المرتل والقارئ وما بعده حتى الخوري ، وهي الشرطونية المارونية ادخلت عليها الصورة والمادة من الرتبة اللاتينية.

وعند حضرة البرديوط يوسف الرامي ، من فالوغا ، مخطوط تاريخه سنة ١٦٥٠ ، يحتوي على مجموعة فتاوى قانونية ولاهوتية ، كان للمطران يعقوب الرامي . ففي آخره صورة الحلّ من الخطايا ، وصورة الحلّ عند ساعة الموت ، وكلتاهما لاتينية محضة.

على ان ادخال هذه الطقوس والعادات اللاتينية عند الموارنة لم يتمّ بدون مقاومة من جانبهم . ولنا دليل على هذه المقاومة ان الكرسي الرسولي المقدّس ظلّ مدى قرون طويلة ، من زخيا الثالث الى لاون العاشر ، الى غريغوريوس الثالث عشر ، وحتى المجمع اللبناني في عهد مبارك الرابع عشر ، يعمل في سبيل اقرار الامور نفسها . مما يخوّلنا حتى القول أنّ هذه الامور لم يكن من السهل ادخالها في عادات الطائفة .

وبواقع الحال نرى البطريرك ميخائيل الرزّي يكتب ، فيما كتبه دفاعاً عن نفسه : « ان غيرت عادة من عادات الكرسي الانطاكي فاكون مؤاخذاً امام الله والكرسي الرسولي »[1] . وليس ما يمنع ان نرى في هذا التصريح اشارة الى ما نحن في صدده من الامور الطقسية.

وهذا خلفه وشقيقه سركيس يتولاه الغيظ الشديد ، بحضرة الاب دنديني ، اذ يعرف بما نسبه البعض الى معتقدنا وطقسنا ، ويرفض زمناً طويلاً عقد مجمع كان الاب دنديني يشوقه اليه ، خوفاً من تجديد مثل هذه التهم ؛ ولا يقبل اخيراً بعقده الا نزولاً عند الحاح الاب دنديني ، وبعد حصوله منه على التأمينات اللازمة[2] . وبالرغم من ذلك ، نرى الاب دنديني قليل الثقة بتنفيذ القوانين التي حتم بها المجمع ، وذلك بسبب التعصبات التي كان البطريرك قد اظهرها ، وبسبب ما تحقّقه من ان الموارنة عامةً لا ينظرون الى هذه القوانين كقواعد

١) في الدبس تم ، ص ٢٦١

٢) دنديني في عشيتي تم ، ص ٣٨ و٧٧ . والدبس تم ، ص ٢٦٨

للايمان والعمل ، ومن ان البطريرك نفسه كان يصعب عليه امر تنفيذها[1].

ولما توفي هذا البطريرك وقام مكانه ابن شقيقه يوسف الرزي ، نرى هذا الاخير ، بعد ان أقرّ قوانين المجمع السابق وزاد عليها ، يستدرك قائلاً : « ليس الباعث على تجديد هذه القوانين كونها لم تكن مرعية عندنا فيما سلف »[2].

وهذا البطريرك نفسه لاقى معارضة في سبيل استجابة الاب دنديني الى تسقيف عميره فسببه ، على ظننا الضعيف ، فيما أوخذ به طابعو كتاب القداس في رومية ، وعميره منهم ، من وضع كلام التقديس اللاتيني فيه مكان الماروني ؛ وفيما كانوا يخشونه من ميول عميره الرومانية ، فيما لو وُكل اليه اعداد الكتب الطقسية ، على ما نرأيت . . . . . .

ونسمع صدًى عنيفاً لهذه المعارضة في حاشية كركونية خطّها بيده يوسف الباني سنة ١٦٦٥ على مخطوط تاريخه سنة ١٥٠٦ ، اهداه الى مرهج بن نيرون ، وهو محفوظ الآن في المكتبة الفاتيكانية تحت عدد ٤٨ . وهاك هذه الحاشية بنصّها وفصّها كما نقرأها في لائحة المخطوطات السريانية للسماني : « فلما كان تاريخ سنة ١٦٦٥ مسيحية ، وصل الى رومية يوسف الباني العياوي ، وجاب معه كتابين الشرطونية السريانية القديمة ، مع باقية الرتبة القديمة الذي ليس حدث فيها لا زيادة ولا نقصان من معلمين بني مارون الذين اختاروا لهم الذكا والمعرفة ازكى من ابهاتنا القدماء مار افرام السرياني ، ومار يعقوب الرهاوي ، ومار اسحق ومار مارون وسائر ابهاتنا الشرقيين . فغيروا العماد القديم السرياني وتمسكوا في عماد الافرنج وفي رسامة الافرنج . وزادوا على الشرطونية القديمة صورة الافرنجية ، مفسّرة منهم باللغة العربية ، لكونهم ما عرفوا يفسروها باللغة السريانية . فلكن اذا كان شرطونيتنا القديمة ليس يحل فيها رسامة فما احد اذًا قبل درجة الكهنوت ، ووضع اليد صار باطلاً » الخ . . .[3]

---

١) دنديني في عمشيتي ، ثمّ ، ص ٩٢

٢) عمشيتي ثمّ ، ص ١١٧ . وذيل المجمع اللبناني ، ص ١٩

٣) لائحة السماني . مجلد ٢ ، ص ٢١٠

عمل الدويهي في سبيل الاصلاح

وفي هذه الاثناء، انعم الله على الطائفة برجل خصّه الخالق بمواهب سامية، وحبته النعمة فضائل راسخة، وقادته العناية الالهية الى ورد المعارف والعلوم من المدرسة المارونية برومية، فصدر عنها ريّان، وعاد الى موطنه فكرّس شخصه وذاته، علمه وعمله، قوله وفعله، لسانه وقلمه، وبوجيز العبارة كل كيانه، ما هو وما له، للطائفة العزيزة: ذلك الرجل هو البطريرك العظيم اسطفان الدويهي (١٦٧٠ — ١٧٠٤)[1].

وكان من جلّ الامور التي انصرف اليها، تنظيم الكتب الطقسية. ولما كان له من اشغاله ومشاغله العديدة، وهو رئيس الطائفة، ومن محنه الشديدة في تلك الاحقاب العصيبة، ما لا يمكنه من القيام وحده بهذا العمل الشاق، الذي يقتضي مدّى طويلة، واشخاصاً كثيرين، فقد انتدب لمساعدته وللعمل تحت تدويبه المطران بطرس مخلوف، والمطران يوسف شمعون الحصروني[2]. تزيد عليهما المطران يعقوب عواد الحصروني[3]. وقد يكون منهم المطران يوسف مبارك[4]. وما عدا ذلك، فقد حثّ هذا الاب المغبوط كثيرين على النسج على منواله. فنشط جبرائيل حوّا الحلبي، بعد ذهابه الى رومية، على طبع الكتب اللازمة للطائفة؛ وحمل بعض الكهنة والاساقفة على استخراج قصص القديسين من السريانية الى العربية؛ والتمس من الكرسي المقدس طبع كتابي الاناجيل والرسائل في السريانية والعربية لاستخدام الكنائس، فطبعا في ايامه سنة ١٧٠٣؛ ووجه الى رومية ابرهيم النزيري، وميخائيل المطوشي، ليسعيا في تجهيز مطبعة لكتبنا الطقسية[5]. مما يدلّ على انه كان شديد العناية باصلاح الطقس، يوليه

---

١) نعتمد خاصة، في ما نستقيه من المعلومات هنا، على كتاب المثلث الرحمة المطران بطرس شبلي: « ترجمة ابينا المغبوط اسطفانوس بطرس الدويهي بطريرك انطاكية ». بيروت ١٩١٣

٢) شبلي ثمّ، ص ٢٠٠، والاب ديب ثمّ، ص ٩٠

٣) شبلي ثمّ، ص ١٥٨، والحاشية في ص ١٥٧

٤) شبلي ثمّ، ص ١٥٦

٥) شبلي ثمّ، ص ٢١٧

قسطاً كبيراً من اوقاته واهتمامه.

وقد استعدّ الدويهي لهذا العمل منذ سني الدراسة في رومية. ذكر عنه البطريرك سمعان عواد، انه في ذلك الحين «ما كان يجد نصاً عن الموارنة الا وينسخه، وانه ما كان يهدس الا بفحص عوائد كنيستنا القديمة». وقال في محلّ آخر انه، بعد ارتقائه السدة البطريركية، «اخذ يطوف في كل رعيته... ونقى كتبنا... وردّ كل عوائدنا القديمة ورتبها احسن ترتيب. وكان ارسلها سابقاً الى رومية لتطبع... ودرس كتب البيعة درساً بليغاً»[1]. ولا شك في ان اقامته في حلب، مدة ست سنوات قبل تسقيفه، مكنته من الوصول الى معرفة طقوس الطوائف الشرقية منشقة ومتحدة، فضلاً عن حالة طقسنا الماروني في تلك المدينة.

اما الكتب الطقسية التي جمعها الدويهي ورتبها، فقد جاء ذكرها في رسالة انفذها هو نفسه في اول ايار سنة ١٧٠١، الى الاب بطرس مبارك، اجابةً لطلبه منه ان يلخص له ترجمة حياته[2]، وهي كتاب الشرطونية اي رسامات الكهنوت: ونسخته الاصلية موجودة في الكرسي البطريركي، ومنه نسخ عديدة في اماكن مختلفة؛ — كتاب ܗܕܝܢܐ ܘܡܬܩܠ: قص شعر الرهبان او تكريسهم، ولم نعرف مَن ذكره بين المؤلفين؛ — تكريس الكنائس وآنيتها: ومنه نسخة في الفاتيكانية من عهد الدويهي، عددها ٣١٠[3]، وعلى جلدها لائحة محتوياتها بخط يده؛ ومنه نسخة في بكركي في الكنيسة؛ — كتاب الصلوات: ولا نظنه الشحيمة، كما ظنه البطريرك برلس مسعد، ومال المطران شبلي الى موافقته عليه، بل كتاب التبريكات والصلوات التي يقوم بها الكاهن، اذ ان الكتاب السابق يحوي التكريسات المحفوظة للحبر؛ وهذه الصلوات تؤلف جزءاً من المخطوط الفاتيكاني عدد

١) في شبلي ثمّ، ص ١٩٨. وفي الدبس ثمّ، ٢٦٥ – ٢٦٦ و٢٦٢

٢) ذكرها الدبس بحرفيتها، ثمّ، ص ٢٦٣ – ٢٦٤، واستند اليها شبلي في تعداد مؤلفات الدويهي، ثمّ، ص ١٩٩ – ٢٠٧

٣) الاب ديب ثمّ، ص ٩٢

٣١٢ الذي خُطّ في رومية سنة ١٧١٥ [١] ؛ ولم نعثر على نسخة أخرى منها ، بالرغم من تفتيشنا الحثيث ؛ — كتاب تافورات القداس : ونسخه كثيرة ، منها واحدة من عهده في خزانة الكرسي البطريركي ؛ — كتاب اسرار البيعة : وقد ارتأى البطريرك برلس مسعد ، ووافقه المطران شبلي ، انه كتاب بخدمة الاسرار الالهية . ولا شك عندنا في ذلك . وزاد المطران شبلي قائلًا : « وهذا الكتاب لم نعثر على نسخة كاملة له » . وقد نسب الاب ديب الى الدويهي الرتب المسطورة في المخطوط الفاتيكاني عدد ٣١٢ السابق ذكره ، ببعض تحفظ . ومن المؤكد ان رتبة العماد التي نشرها العلامة يوسف لويس السمعاني ، في مجموعته الطقسية ، في الحاشية ، منسوبة الى الدويهي [٢] ، وكذلك رتبة العماد التي نجدها في المخطوط البطريركي عدد ١٩٦ ، الذي كتبه المطران يعقوب عواد الحصروني في قنوبين سنة ١٧٠٠ ، تحت نظر الدويهي ، تصح نسبتها اليه ؛ — كتاب المدعذان : وهو يحتوي على الرتب التي تقام في الاعياد ، اي المواسم السنوية ، كتبريك الماء في الغطاس ورتبة الشعانين وما اشبه . وكان محفوظاً نسخةً واحدةً في الكرسي البطريركي ، منقولًا اليه من دير مار شليطا مقبس ؛ — كتاب الجناز : وكان قد شرع في تنقيحه فلم ينجزه .

وقد ذكر كل هذه الكتب المطران يوسف مبارك باختصار في آخر كتاب الشرطونية الذي خطه بيده ، قائلًا : « وتعب خصوصاً على كتاب الرسامات ، والتكريسات ، والتبريكات ، والصلوات ، وسائر الرتب التي تصير في طول السنة » [٣] .

ولم يكتفِ الدويهي بجمع الرتب ، بل ألف شروحاً وافية شافية ، في معظمها واهمها ، ضمنها ثلاثة كتب : الاول في القداس الالهي ، والثاني في التكريسات ، اي الخدم الحبرية ، والثالث في الشرطونية ، اي الرسامة .

---

١) الاب ديب ثمّ ، ص ٩٢

٢) *Codex Liturgicus Ecclesiæ Universæ*, liv. II p. 310 sqq. et liv. III p. 184 sqq.

٣) في شبلي ثمّ ، ص ٢٢٠

وقد اودع هذه الكتب تفاسير الرتب، وايضاح الرموز. وقرن الاعتبارات الروحية التقوية بالابحاث العلمية من لاهوت، وقانون، وتاريخ، وطقس. وقابل بين طقوس العتيقة والجديدة، وبين عادات الكنائس في الغرب والشرق. فجاءت هذه التآليف آية في بابها، وخصوصاً فيما يتعلق بالقداس الالهي[1].

ومن شاء ان يتلمس خطة الدويهي في عمله، عليه ان يفتش عنها في حواشي هذه الشروح، فلا يصعب عليه العثور عليها، وخاصةً اذا قرن ما يجده فيها بما يعرفه من سائر اعماله في كتبه ومجموعاته الاخرى.

قلنا فيما سبق ان القرنين الخامس عشر والسادس عشر كانا مطبوعين، في لبنان الشمالي اقله، بطابع اليعقوبية، وان تلامذة المدرسة المارونية برومية كانوا قد بدأوا، منذ اواخر القرن السادس عشر، يقاومون هذا التيار، مستنجدين بالطقس اللاتيني، يترجمون بعض رتبه الى السريانية او العربية، كما رأيت من كلام الباني، وكما صرح الدويهي نفسه في شرحه على تكريس الميرون، حيث قال: «ان العادة القديمة ما زالت دارجة، حتى قام تلاميذ المدرسة الرومانية. ولكن هؤلاء استصعبوا الرتبة السريانية ونقلوا تكريسة الميرون من اللغة اللاتينية الى العربية ليستعملها الرؤساء.»[2]

فما يكون موقف الدويهي، يا ترى؟ افلا يجري على آثار من سلفوه من تلاميذ المدرسة الرومانية، وهو نابغتهم؟ واذا عاد الى ما قبل عهد هذه المدرسة، ايمكنه النجاة من شرك المخطوطات اليعقوبية التي كانت قد غمرت الطائفة، وخاصةً في جبة بشراي، وهو ابن الجبة البار؟

ان فضل الدويهي الاكبر، وسبب مجده الاعلى، انه فطن للامرين وتحذر من الخطرين، وإن بتفاوت ظاهر. فلما قام ليشيد بناءه، حاد عن ضخامة الاسس اليعقوبية، اقله الحديثة، واعرض عن زخرف البنايات الرومانية. فوضع

---

١) شبلي ثمّ، ص ٢٠٤ – ٢٠٧. وقد نشر الاستاذ رشيد الشرتوني هذه التآليف في المطبعة الكاثوليكية ببيروت: مناثر الاقداس سنة ١٨٩٥ – ١٨٩٦، وشرح التكريسات والشرطونية معاً سنة ١٩٠٢.

٢) شرح التكريسات (طبعة الشرتوني) ص ٥٢

الاساس على صخور مارونية ، متينة ، لا شبهة فيها . فما هو يتجاوز المصادر المارونية التي خُطّت فيما سميناه العهد اللاتيني واليعقوبي ، ويرجع الى ما قبل .

وقد صرّح بذلك في مقدمة كلامه على شرح التكريسات حيث قال : « هذه الرتب التي تتصرف بها رؤساء الكهنة ، اجتهدنا على جمعها وتحريرها . . . على موجب النسخات القديمة [التي خطت] منذ ثلاثماية سنة وازيد »[1] . وكذلك في مقدمة كلامه على شرح الشرطونية ، يعتمد قبل كل شيء ، على نسخة البطريرك ارميا العمشيتي (١٢٠٦ – ١٢٣٩) ، وعلى نسخة أخرى كتبها مرقس لمتاوس ، اسقف عرقا وعكار سنة ١٣١١ ، وعلى نسخة كتبت في العاقورة سنة ١٢٩٦ ، وعلى غيرها[2] . وقد ذكر في مناثر الاقداس ، عند كلامه في صورة التقديس ، بعض المخطوطات التي استند اليها . فاذا منها كتاب النواقيز الذي خطه حوشب بن اسطفان بن مسعود بن الخوري اسطفان بن الخوري شمعون من شموت[3] سنة ١٣٢٩[4] .

وقد كتب الدويهي نفسه ، سنة ١٦٧٤ ، الى مرهج بن نيرون الباني ، ان هذه الكتب القديمة لا تزال موجودة في جبل لبنان ، باقية بعينها ، كاملة « بلا مكر »[5] . ولا شك في انه يعني بها هذه المخطوطات التي تعود الى القرن الرابع عشر فما قبل . وكان الاب دنديني قد اشار الى ذلك ، كما تقدمنا فقلنا . ومن هذه الكتب ما لا يزال موجودًا ، لحسن الحظ ، حتى يومنا ، وان كان قليلًا ، على ان قيمته تزداد بنسبة قلّته وندورته .

فاستنادًا الى هذه الآثار المارونية القديمة ، قام الدويهي ينقي كتبنا الطقسية من العناصر اللاتينية واليعقوبية التي خالطتها .

---

١) شرح التكريسات (طبعة الشرتوني) ص ٣

٢) شرح الشرطونية (طبعة الشرتوني) ص ٨٦

٣) هكذا في النسخة المطبوعة . أما المكتوبة بخط يد المؤلف والمحفوظة في خزانة سيادة المطران عبدالله خوري ، النائب البطريركي العام ، فاسم البلدة فيها شتا .

٤) مناثر الاقداس (طبعة الشرتوني) الجزء الثاني ، ص ٢٠٠–٢٠١ .

٥) شبلي ، عن مرهج نيرون . ثمّ ، ص ٢٠٤

وكان موقفه من مقررات السلطة الرومانية في جانب الاصلاح الطقسي موقفاً شريفاً . فهذا العلامة وقف حياته على الدفاع عن بني قومه وملّته ، ووضع في ذلك كتباً كثيرة ، جاء فيها على دحض الافتراآت والتهم التي وجهها الى الموارنة عن قصد او عن جهل بعض الكتبة . ومن جملة الامور التي اقرّها ان ما كان يرعاه الموارنة في طقوسهم مما لا يتفق مع عوائد الغربيين ، ليس مما يمكن شجبه او نبذه . واتى بالبراهين والحجج الدامغة على ان ذلك من مخلفات الكنيسة الاولى . واثبت انه شرع وحق وصواب . وكان يقصد بذلك كثيرين من كتاب الغرب ، ومنهم بعض قصاد الكرسي الرسولي المقدس .

على انه قد احترم غاية الاحترام ارشادات الاحبار الاعظمين ، واطاع اوامرهم ، في صدد الاصلاح الطقسي ، فعدّل بموجبها اموراً رأوها خللاً وشواذاً ، وهي ليست بالخلل ولا بالشواذ الا بالنسبة الى الطقس اللاتيني ، والطقس اللاتيني لم يكن قط قاعدة للكنيسة الكاثوليكية في طقوسها المختلفة العديدة . وقد قرأنا له في ذلك عبارة تدل على مبلغ انصياعه لرغبات رومية ، نوردها دلالةً على شرف عواطفه ، وقد قالها في معرض كلامه عن وجوب تكريس الميرون من الزيت والبلسم دون غيرهما ، وهي : « طوعاً لصاحب السلطان الاعلى . »[1]

فعملاً بهذا المبدأ السامي ، قبل الدويهي بجمل ما طلبه الاحبار الاعظمون في براآتهم ، وبعض ما قرره الموارنة في مجامعهم المتأخرة ، ووضعه موضع العمل في ترتيب الكتب الطقسية . ولو جئنا نعدّده ونبيّنه هنا ، لطال بنا المجال . فيكفينا القول انه نبذ كلما كان رتبةً لاتينيةً كاملةً . وعدل تعديلاً طفيفاً بعض رتبنا ، تطبيقاً لما على مقررات السلطة الرومانية . ولا ندري لماذا احتُفظ في العمل المنسوب اليه ببعض صلوات مترجمة من اللاتينية ، مثل احدى صلوات رتبة الاكليل ، وغيرها . فادماج هذه في الطقس ليس من باب ما قاله ونقلناه عنه : « طوعاً لصاحب السلطان الاعلى . »[2]

---

١) شرح التكريسات (طبعة الشرتوني) ص ٥٢

٢) نريد هنا رتبة الاكليل المدرجة في المخطوط الفاتيكاني عدد ٣١٢ . ولما كان تاريخه سنة ١٧٤٥ ، اي بعد وفاة الدويهي بزمان ، فقد تكون هذه الرتبة مزيداً فيها . وعليه

وقد ابقى الدويهي كذلك في الكتب التي نظّمها آثاراً عديدة ، بل رتباً كاملةً ، من الطقس اليعقوبي . فهل اجرى ذلك يا ترى بسبب اندماج هذه العناصر اليعقوبية في طقسنا ، ورسوخها في عوائدنا ، بحيث اصبحت يصعب تمييزها من العناصر المارونية ، وخاصة عند عدم الوصول الى الرتب المارونية الاصلية المماثلة لها ؟ قلنا ان فكرة استقلال الطقس الماروني عن اليعقوبي استقلالاً تاماً ، على نحو ما نبسطه هنا ، هي فكرة جديدة . فقبل الدويهي وبعده، كان العلماء الموارنة وغيرهم ، على ما بيّنا سابقاً ، يعتقدون ان للموارنة وللسريان طقساً واحداً وكتباً واحدة . ولا غرو ان الدويهي كان من هذا الرأي . وبه الكفاية في سبب ابقائه في طقسنا على كثير من الطقس اليعقوبي ، حال كونه قد قضى تقريباً على ما كان فيه من الطقس اللاتيني . على اننا نظن، بالرغم من ذلك ، ان الدويهي ، اذا كان لم يرَ جلياً الفرق التام بين طقس الموارنة القدماء وطقوس جيرانهم من سائر السريان ، فهو قد تبيّنه بدون شك . وقد لا تخلو مؤلفاته من ادلة على ذلك ، لا مجال لسردها هنا .

اما الروح التي استرشد بها الدويهي في عمله ، فقد عبّر عنها في مقدمة كلامه على شرح التكريسات بهذه الكلمة : « لئلا نحيد بشيء عمّا تسلّم ، من الرسل ابواق الروح القدس ، آباؤنا ومعلمونا ، الذين سلفوا قبلنا بكل طهارة وحكمة على هذا الكرسي الانطاكي المعظم »[1] . ونعمّا هذه الروح !

على اننا يظهر لنا ان احترامه العميق للسلف الطاهر الحكيم قد تفوّق لديه على ما قد يقتضيه احياناً النقد المجرد . فقد قبل كل ما خاله تراثاً عنهم فجمعه على علاته ، بدون ان يعالجه مقابلة ومعارضة ، وتشذيباً وتصحيحاً . فضمّ الى واحد كل ما وجده مبعثراً ، بدون ما نظر اليه من حيث التلاحم والملاءمة . فلم يخلُ عمله ، او اقله العمل المنسوب اليه ، كما في خدم الاسرار، من الجمع بين طقوس مختلفة في الرتبة الواحدة ، او من ايراد رتبتين مختلفتي الطقس

لا يمكن البتّ في هذا الامر الا بعد الاطلاع على نسخة الدويهي الاصلية . وهذا ما نجد البحث عنه .

١) شرح التكريسات (طبعة الشرتوني) ص ٢

لخدمة السر الواحد[1] ، او اختصار بعض صلوات هي من كيان الرتبة[2] ، او تغيير موضوع صلوات اخرى[3] .

لكنه لم يحجم عند الضرورة عن التملص من هذا القيد . ويلذ لنا ان نسمع ما قاله في صدد رتبة تكريس الميرون ، التي اضطر الى نظمها في سلك جديد . فلما رأى ان قبول الرتبة القديمة على علاتها اصبح غير ممكن ، « وان كان ما يمكن اننا نذمها »[4] ، وكان لا يوافق تلاميذ رومية على ابدالهم الرتبة اللاتينية منها ، كما رأيت ، صرح بما يلي : « فالتزمنا نقف عليها (الرتبة) ونقطف الذي هو ضروري لتكريس الميرون ، ولتحسين الرتبة على زي البلاد . والباقي تركناه ، كما يرى القارئ الذي يتأمل النسختين ، ان لا صار تغيير في التكريس ولا في الرتبة»[5] . قلنا حبذا القول خطة عامة . على اننا لا يمكننا التأكيد ان الدويهي قد عمل كل العمل بهذه الخطة ، حتى في رتبة تكريس الميرون ، او اتبعها في تنظيم سائر الرتب . فهذا يقتضي له الالمام بعمله كله مجملاً ومفصلاً . ولكن يمكن القول ان هذه الخطة كانت نصب عينيه . جاء في مقال للاب ابراهيم حرفوش ابن الدويهي علق مفكرة بخط يده على كتاب المدعدان ، الذي كان محفوظاً في مار شليطا مقبس ونقل الى خزانة الكرسي البطريركي ، في رتبة تبريك الماء يوم عيد الدنح « يختصر بها هذه الرتبة الطويلة جداً . »[6]

واذا كان الدويهي لم يعمل بهذه الخطة حتى النهاية ، كما نظن ونرجح ،

---

١) مثل ذلك رتبة الاكليل في المخطوط الفاتيكاني ٣١٢ . فهي مزيج غريب من الطقس الماروني واليعقوبي واللاتيني .

٢) في رتبة العماد في المخطوط نفسه .

٣) في رتبة القنديل والمسحة الاخيرة في المخطوط الفاتيكاني عدد ٣١٠ ومخطوط بكركي .

٤) شرح التكريسات ، ثم ، ص ٤٨

٥) ثم . ص ٥٢

٦) المشرق ٦ [١٩٠٣] (٥١٦) . وقد راجعنا لائحة المخطوطات في الكرسي البطريركي فلم نجد فيها ذكراً لهذا الكتاب . . .

بسبب ظروف زمانه الخاصة ، فلا نكير انه وضع بهذه الكلمات القاعدة التي يحسن بل يجب اتباعها في تهذيب الطقس وتنظيمه في هذا الزمن الحاضر.

ولسائل ما كان اثر هذا الاصلاح الطقسي في الطائفة ؟ ان الدويهي اذاع عمله بمنشور على الطائفة وحتم برعايته وحده في خدمة الاسرار[1] . ويقيننا ان الاساقفة وافقوه على ذلك ولم تبدُ منهم معارضة . ولا نظن ان الخلاف الذي نشب بينه وبين بعضهم ، كان من اسبابه هذا الاصلاح الطقسي[2] . ذلك ان المطران يوسف مبارك ، الذي كان بدون ريب من جملة القائمين عليه بل زعيمهم ، يطرئ عمل الدويهي في الطقوس بهذا الكلام : « من حين جلس هذا الاب النبيل القديس على كرسي البطريركية ، لاجل زيادة غيرته الالهية ، فحص اكثر كتب طائفتنا ، وصحّحها وردّها الى نصّ الرسل الاطهار والآباء الابرار . »[3]

والكرسي الرسولي المقدس ، بعد ترجمة كتب الدويهي الى اللاتينية ، وافق عليها ، وعمد الى طبعها على نفقته[4] ، وفضّلها على الكتب التي اعدّها فيما بعد المطران يوسف اسطفان[5] .

وصرح آباء المجمع اللبناني ، المنعقد سنة ١٧٣٦ ، بوجوب اعتماد كتاب الرسامات « الذي هذبه منذ عهد قريب البطريرك اسطفان الطيب الذكر »[6] . وكذلك آباء المجمع المنعقد سنة ١٧٥٥ ، برئاسة البطريرك سمعان عواد ، امروا في البند الخامس ، ان « تحفظ في الطائفة كلها رتبة كنائسية واحدة وهي التي جمعها المثلث الرحمة اسطفانوس البطريرك الانطاكي ، وهي الدارجة الآن في طائفتنا »[7] . على ان المجمع الذي عقبه السنة التالية في بقعاتا ، برئاسة البطريرك

١) الاب ديب ثمّ ، ص ٩١ و١١٩
٢) انظر في هذا الخلاف شبلي ثمّ ، ص ٦٥ و١٦٦
٣) في شبلي ثمّ ، ص ٢٢٠
٤) الاب ديب ثم ، ص ٩١ و١٢٢ وغيرهما .
٥) الاب ديب ثم ، ص ٩٦ فما بعد و١١٩
٦) المجمع اللبناني ٢ : ١٤ ؛ ٥ . ترجمة نجم ص ٢٢٨
٧) المشرق (٧ [١٩٠٤] ٨٠٤-٨٠٥)

طوبيا الخازن ، قد رجع فيه الآباء عن ذلك بقولهم في البند الثاني عشر : « لتكن في الطائفة كلها رتبة كنائسية واحدة ، ولا يُستعمل الا كتاب القداس المطبوع ، وبقية الرتب الكنائسية التي نعتني الآن باصلاحها . »[1]

يضطرنا الواقع الى القول ان عمل الدويهي ، الذي استنكف مجمع البطريرك طوبيا الخازن ذكره ، قد دُفن معه لسوء الحظ . ولم يطبع منه حتى اليوم جزء واحد ، اللهم الا بعض صلوات وتبريكات ، وضعت ملحقةً في آخر كتاب القداس المطبوع في رومية سنة ١٧١٥—١٧١٦ . قال الطابع في المقدمة : « وختمناه ببعض تبريكات مفيدة ، قد وجدناها في كتاب رتبتنا باللغة السريانية ، المجموع بعناية الاب النبيل والمعلم الجليل مار اسطفانوس الدويهي البطريرك الانطاكي . . . ونقلناها الى اللغة العربية ليطلع كل كاهن على معانيها . » وهذه التبريكات ادمجت كذلك باللغة العربية في كتاب الرتب الكهنوتية المطبوع في رومية سنة ١٧٥٢ . وما عدا ذلك ، وذلك قليلٌ وقليلٌ جدًا ، لا شيء ، على ما نعلم . وما عداه مما طُبع لخدمة الاسرار خاصةً ، وهو المرعي الآن في الطائفة ، لا أثر فيه لعمل الدويهي ، بل هو ترجمة الرتب اللاتينية . وما عداه مما لم يطبع بعد ، كالشرطونية وغيرها ، لا يراعى فيه عمل الدويهي كما هو .

ان العقل ليقف حائرًا امام هذا الامر الواقع . ولا ندري الى ايّ الاسباب ننسبه ! أإلى جنوح قومنا الى الطقس اللاتيني ، لتأثرهم بالثقافة الغربية في رومية ؟ ام هناك اسباب اخرى محلية مكانية ، تافهة ، يؤلمنا ان نشيها ، ونستنكف ان نتبسط فيها ؟ والدليل اليها ما رأيناه من التناقض بين مجمع البطريرك سمعان عواد ، ابن الشمال ، الذي قضى باتباع الرتب التي جمعها الدويهي الشمالي ؛ ومجمع البطريرك طوبيا الخازن ، ابن كسروان ، الذي حتم بانتظار الرتب التي يُعنى باصلاحها . وآباء المجمعين هم هم . والبزهة بين المجمعين لا تبلغ السنة !!!

---

١) المشرق ثمّ ، ص ٨١٠

المجمع اللبناني

لم يرد في المجمع اللبناني باب خاص في الطقس الماروني وما يحتاج اليه من اصلاح. فالآباء المجتمعون قد تمشوا، بالاجمال، على آثار الدويهي في شأن المحافظة على طقسنا القديم والتمسك به وعدم مزجه بآخر. اما في الانصياع لرغبات الكرسي الرسولي في شأن الطقوس، فتراهم قد تعدّوا حدود الدويهي، فاوجبوا التقيّد بالصور اللاتينية في خدمة الاسرار. وقد يكون هذا ما حال دون قبولهم كتب الطقس التي كان الدويهي قد جمعها، ودون اقرارهم اياها، بالرغم من سنوح الفرصة. فوكلوا الى السيد البطريرك ومجمعه امر النظر في الكتب الطقسية وطبعها بحسب الاصول.

يضع الآباء هنا وهناك مبادئ غاية في وجوب التمسك بالطقس القديم. من ذلك قولهم، عند الكلام عن الانعام المفاض على كهنة اللاتين بتلاوة ثلاثة قداديس في عيد الميلاد، ان هذا الانعام لا يشمل كهنتنا: «لا لاننا نحرم عادة جرت عليها الكنيسة الرومانية المقدسة... ولكننا نريد المحافظة على طقسنا القديم.»[1] فنعم المبدأ رعاية طقسنا القديم، وحبذا بالحري التمشي عليه.

ويؤكد الآباء هذا المبدأ ويعززونه بكلامهم في العماد حيث يقولون: «يأمر هذا المجمع المقدس حتماً بان لا يُجرى في خدمة هذا السرّ الا على طقسياته المرعية في الكنيسة الشرقية، مما رسمه آباؤنا وعهدوا به الينا»[2]. وفي محل آخر، في جانب القداس يوم خميس الاسرار والسبت العظيم، يوجبون رعاية عادة القداس الواحد، لانطباقها على الطقس القديم[3].

ولا ريب في ان الآباء كانوا يرغبون في اعادة الطقس سالماً من كل دخيل، ويعملون على تجديد رونقه القديم، بدليل ما يصرحون به، فيما

---

١) المجمع اللبناني: ٢: ١٢ و ١٧ في ترجمة نجم، ص ٢٢٥
٢) المجمع اللبناني: ٢: ٢: ٢ في نجم، ص ٤٠
٣) ثمّ ٢: ١٢: ١٧ في نجم، ص ٢٢٧

يلامس الطقوس الشرقية ، كاثوليكية وغير كاثوليكية ، حيث يقولون ، في باب الاوخارستيا ومادتها : « يجب الاحتراز مما يختلف به عنا بعض طوائف المسيحيين ، القاطنين نحن فيما بينهم ، في الاصطلاحات والعادات الذميمة والاضاليل.»[1] وهذا موقفهم تجاه الطقس اللاتيني نفسه، على ما رأيت ، ليس على سبيل تحريمه ونبذه ، ولكن محافظة على طقسنا القديم.

على انه كان لا مناص للآباء من قبول بعض طقوس رومانية ، كان الاحبار الاعظمون في براآتهم ، والقصاد الرسوليون في المجامع التي عقدت بحضرتهم ، قد عملوا على ادخالها في الكنيسة المارونية . وخصوصاً ان السلطة الرومانية ، التي وضعت رسوم المجمع اللبناني وقوانينه ، بواسطة قاصدها السيد يوسف السمعاني ، كانت لا تزال متمسكة بها فجرى الآباء في قبولها على آثار من سلفوا.

من ذلك ، في ايلاء سرّ التثبيت ، يحكم الآباء : « موافقةً للطقس اللاتيني ، ألا يخدم سرّ التثبيت الا الاسقف »[2] ؛ « ورغبةً في الجري قدر المستطاع على طقس الكنيسة الرومانية ، يأمر المجمع بان يقتصر في دهن طالب التثبيت في جبهته لا غير ، ويسمح في دهن طالب العماد في صدره وبين كتفيه فقط ، خصوصاً اذا كان بالغاً ، مع العدول عن المسحات التي كانت تجري سابقاً في الفم والاذنين والقدمين واليدين وفي عامة البدن » ، ان في المعمودية وان في التثبيت[3] . وهو يرسم كذلك ان يفصل التثبيت عن المعمودية، ولا يعجل منحه للاطفال قبل اتمامهم السنة السادسة[4] .

ومنه في سر الزواج، يأمر المجمع الاساقفة والكهنة « ان يجروا بالتدقيق على عادة الكنيسة الرومانية المقدسة في عدّ الموانع ورعايتها »[5] ، ولا يحرم

---

١) ثم ٢ : ١٢ : ٧ اوله في نجم ، ص ١٦٥
٢) ثم ٢ : ١٢ : ١٥ في نجم ، ص ٤٨
٣) ثم ٢ : ٢ : ٤ في نجم ، ص ٥٤
٤) ثم ٢ : ٢ : ٨ في نجم ، ص ٥٧
٥) ثم ٢ : ١١ : ٧ في نجم ، ص ١١٨

« الزواج الثاني ولا الثالث ... عملاً بما للكنيسة الرومانية المقدسة ... من العادة والتعليم . » [1]

ومنه في سرّ الاوخارستيا ، في مناولة المؤمنين تحت الشكل الواحد او الشكلين، « يأمر المجمع ويحتم حتماً باتباع رسوم الكنيسة الرومانية المقدسة » [2]. ويحكم بالاحتفال بعيد جسد الرب ، « ارتياحاً الى العمل بمنشور البابا اوربانوس الرابع » [3]. ويحفظ اقامة رسم الكاس او القداس السابق تقديسه ، ليوم الجمعة من سبْت الآلام فقط ، « وفقاً لما هو جارٍ في الكنيسة الرومانية المقدسة . » [4]

وهذا الامر الاخير لم يوجبه الاحبار الاعظمون ، لكن « الاقدمين من آبائنا » قد عملوه [5]. وما عمله المتقدمون من آبائنا في جانب رسم الكاس ، عمله آباء المجمع في جانب أمور أخرى . من ذلك انهم ، بالرغم من معرفتهم بوجود صورة طلبية للحلّ من الخطايا في كتبنا الطقسية ، فمع ذلك يأمرون الكهنة جميعاً « ان لا يستعملوا صورة الا هذه المعبر عنها بصيغة الانشاء : « انا أحلّك الخ » [6]. وكذلك عند كلامهم عن مسحة المرضى ، فانهم يفضلون بجلاء « الجري على عادة الكنيسة الرومانية المقدسة » ، وان كانوا لا يحرّمون الصورة الشرقية [7] ؛ ويعلنون للجميع « انه لا يلزم في اتمام هذا السرّ ضرورةً سوى حضور كاهن واحد » [8]. ثم انهم يضعون ازاء الصورة الشرقية في ايلاء التثبيت ، الصورة اللاتينية . تاركين الخيار في استعمال احداهما [9] . كما انهم اباحوا العماد ، اما بالغمس بموجب الطقس القديم ، واما بالسكب بحسب العادة

١) ثمّ ٢ : ١١ : ٢١ اخره . في نجم ، ص ١٥٢ و١٥٣
٢) ثمّ ٢ : ١٢ : ٢١ في نجم ، ص ١٩٩
٣) ثمّ ٢ : ١٢ : ٢٦ في نجم ، ص ٢٠٥
٤) ثمّ ٢ : ١٢ : ١٧ اخره . في نجم ، ص ٢٢٧
٥) ثمّ ٢ : ١٢ : ١٧ اخره . في نجم ، ص ٢٢٧
٦) ثمّ ٢ : ٤ : ٢ في نجم ، ص ٦٢
٧) ثمّ ٢ : ٨ : ٥ في نجم ، ص ١٠١
٨) ثمّ ٢ : ٨ : ٨ في نجم ، ص ١٠٢
٩) ثمّ ٢ : ٢ : ٥ في نجم ، ص ٥٤

الرومانية [1].

على ان من حسنات المجمع أنه سمح للكهنة ، عند الضرورة القصوى ، « ان يباركوا زيت المرضى في خدمة سر المسحة الاخيرة... بموجب العادة القديمة في طقسنا السرياني » [2] ؛ واباح للكهنة ، « وان تحتم عليهم استعمال الملابس الكهنوتية على طريقة اللاتين... ان يستعملوا بعض اشياء مما يشعر بطقسنا القديم . » [3]

هذا في شأن الطقس اللاتيني ، ولم يذكر المجمع شيئاً ، ولا من قبيل التلميح ، عن العلاقة بين الطقسين الماروني واليعقوبي. ولا بدع ، فقد رأيت فيما مرّ ان السمعاني وافق من سلفه من علماء الموارنة على ان للطائفتين طقساً واحداً وكتباً واحدة. فلم يخطر اذاً بباله ، ولا ببال الآباء المجتمعين بحضرته ، ان للموارنة طقساً خاصاً مارونياً ، مستقلاً عن طقس اليعاقبة وسائر السريان ، يجب توخيه ورعايته ، سليماً من كل خليط ومزيج ودخيل ، لاتينياً كان او يعقوبياً.

نلخص من ذلك ومثله ان آباء المجمع لم يشاؤوا البتّ النهائي في جملة امور طقسية ، ولا في مجمل الطقس ومجموعه. اما اصعوبة الامر ، بسبب ان العادات القديمة لا يسهل اقتلاعها او تحويرها ، وان الكتب الطقسية ، الجاري العمل بموجبها ، كانت تساعد طبعاً على ابقاء القديم على قدمه ؛ واما لتعذر القيام بهذا الاصلاح الطقسي على واضعي المجمع والقائمين به ، كما يتضح لمن يدقق في درس رسومه وقوانينه.

ولهذا نراهم ، اذا اشاروا اشارة الى ما يمكن اعتماده في الحاضر ، يحتمون حتماً بما يجب توخيه في المستقبل في طبع الكتب الطقسية. فقد اوجب المجمع « على السيد البطريرك السامي الاحترام وعلى الاساقفة معاً ان يختاروا رجالاً اكفاء ، ينقدون الرتب البيعية ويضمونها كلها الى مجموع واحد ، اي كتاب

١) ثم ٢ : ٢ : ٢ في نجم ، ص ٤١
٢) ثم ٢ : ٢ : ٨ في نجم ، ص ٩٩
٣) ثم ٢ : ١٢ : ٨ في نجم ، ص ٢١٢

القداس وكتاب الجبريات وكتاب الفرض الالهي ... وما اشبه ذلك فيثبتها السيد البطريرك والاساقفة ، فتُنشر مطبوعة وتُوزَّع على الكنائس والاديار والابرشيات »[1] . وقد اولوا السيد البطريرك في سبيل ذلك سلطة « الاستئثار بالولاية على الطقوس البيعية في بطريركيته ، بحيث يسوغ له ان ينقص ... ويهذّب ، ويدخل فرضاً جديداً او ينسخ قديماً ... حتى ان له ان يزيد او ينقص في الطقس ، ولكن على شرط ان يبقى الجوهر سالماً ، وان يتمّ ذلك براي الاساقفة واهل العلم . »[2]

وما ذكروه هنا اجمالاً اعادوه وكرّروه لدن تكلموا عن كل كتاب بمفرده في بابه . فاوجبوا على السيد البطريرك «ان يعنى» وفاء بواجباته الرعائية، بتعاهد كتابي الطقسيات والجبريات ، وتثبيتهما وطبعهما وتوزيعهما ، فيجري الكهنة والاساقفة جميعاً على الطريقة الواحدة نفسها في خدمة الاسرار . »[3] وقد جاء في محلات أُخرى ، ذكر كتاب الطقوس المثبت[4] ، والمعزوم على وشك طبعه[5] ؛ « وكتاب القداس الذي يكون السيد البطريرك السامي الاحترام قد وقف عليه واثبته ... حتى اذا طُبع ... ينشر في الخورنيات »[6] ؛ « وكتاب الجبريّات اي الشرطونية ، على ان يعتمد الكتاب الذي هذّبه منذ عهد قريب البطريرك اسطفان ... والمنتظر نشره بالطبع عما قليل»[7] ؛ « وكتاب الاقسام الذي يجب على السيد البطريرك ان يتصفحه ويحرّره ويثبته فيضاف الى كتاب الطقوس »[8] ؛ وكتاب السنكسار الذي يتحتم نقده « وحذف الاقاصيص المصنوعة والاساطير الملفقة منه ، والاقتصار فيه على تراجم القديسين

---

١) ثمّ ١ : ٢ : ٥ في نجم ، ص ٢٢
٢) ثمّ ٣ : ٦ : ٢ بند ٢٢ . في نجم ، ص ٤٢٥
٣) ثمّ ٢ : ١ : ٢ اخره . في نجم ، ص ٢٠٩
٤) ثمّ ٢ : ٢ : ٢ في نجم ، ص ٤٠
٥) ثمّ ٢ : ١٥ : ٢ في نجم ، ص ٤٩
٦) ثمّ ٢ : ١٢ : ٥ في نجم ، ص ٢٠٩
٧) ثمّ ٢ : ١٤ : ٥ اخره . في نجم ، ص ٢٢٨
٨) ثمّ ٣ : ٢ : ٦ اخره . في نجم ، ص ٢٢٠

المحققين وسيرهم المثبتة. »[1]

فالمجمع ، وان كان قد حتم ببعض أمور فيما يلامس علاقتنا بالطقس اللاتيني ، لم يقم باعباء الاصلاح الطقسي ، على ما ترى ، ولكنه ترك هذا الامر للسيد البطريرك ، واولاه سلطة واسعة جداً فيه ، مشترطاً عليه ان يتم عمله « براي الاساقفة واهل العلم ».

وكنا نودّ لو تمّ هذا العمل ، كله او جله على الاقل ، وقد مضى على المجمع اللبناني المقدس قرنان كاملان . فالاصلاح الطقسي الذي اوجبه المجمع اللبناني لم يُنفّذ ، على شدة الاضطرار اليه ، في كتاب واحد من الكتب الطقسية المذكورة . فمنها ما لم يزل مخطوطاً ، كالشرطونية والسنكسار والاقسام وبعض اجزاء الفرض الالهي والكتاب المقدس . ومنها ما طُبع ، ولكن على غير ما رسمه المجمع من خطط واوحى به من روح ، ككتاب الطقوس بجزئيه : خدمة الاسرار والمعدعدان . ومنها ، وهو المطبوع قبل انعقاد المجمع ، ما أُعيد طبعه على علّاته ، مثل كتاب القداس وما اليه ، وبعض اجزاء الفرض الالهي والجناز .

الشواذ الحلبية

لم يكتف الطقس الماروني القديم ما اصابه من طوارئ الحدثان ، ويعاقبة السريان ، وتلامذة الرومان ، فناه الله بما يمكن تسميته بالشواذ الحلبية .

من المعروف ان من جملة ما التأم لاجله المجمع اللبناني المقدس ، الاهتمام بحالة الطقس الماروني في حلب ، وخاصة عود الموارنة في هذه المدينة الى استعمال اللغة السريانية في الطقوس . وقد ذكر ذلك الاب فروماج اليسوعي في رسالته عن المجمع الى رئيسه العام قائلاً : « ان موارنة حلب ... عدلوا عن الترتيل في الكنائس الا بالعربية . ونسخوا العادة القديمة ان يتلى الفرض الالهي وسائر الصلوات بالسريانية . »[2]

---

١) ثمّ ١٢:٥:١ في نجم ، ص ٢٢

٢) *Lettres édifiantes*, éd. Paris, 1870. II, p. 201 sq. وكذلك في مجموعة

ومما يذكره المؤرخون ان اللغة العربية قد احتلت الكنائس المارونية في حلب ، « حتى شاع عن المطران جرمانوس انه ابطل استعمال اللغة السريانية في كنيسته بالكلية »[1] . وهذا المطران جرمانوس هو العلامة الشهير جرمانوس فرحات مطران حلب (١٧٢٥–١٧٣٢) . واليه انفذ البطريرك يعقوب عواد والاساقفة ورقة حرم سنة ١٧٢٨ لانه تعدى حقوقه الطقسية فكرّس الميرون[2] .

ومن الثابت ان المطران عبد الله قرألي ، احد معاصري فرحات ووطنيه واخوته في الرهبانية والاسقفية ، واحد آباء المجمع اللبناني المقدس ، قد ألف بالعربية ما تدعوه « الافراميات » . فاخذت تنتشر في الطائفة ، مستعملةً في القداس الالهي .

فوقف المجمع اللبناني المقدس في وجه هذا التيار الحلبي العربي . ووضع الحدود في كيفية استعمال اللغة العربية في الطقوس[3] . وبعد انفضاض المجمع بايام ، افاد الاب فروماج الموما اليه ، ان الحلبيين ، بعد المجمع اللبناني ، ابطلوا الترتيل بالعربية في كنائسهم ، وعادوا الى استعمال السريانية ، بحسب العادة القديمة[4] .

وكذلك مجمع البطريرك سمعان عواد سنة ١٧٥٥ ، ومجمع خلفه البطريرك طوبيا الخازن سنة ١٧٥٦ ، عادا فاهتما « بالقطع والمزمورات التي رتبها المرحوم جرمانوس مطران حلب على الاوزان الموسيقية » ، وحصرا استعمالها « في القداس الاحتفالي للسيد البطريرك والمطارنة ورؤساء الرهبان . »[5]

لكن هذه التدابير والاحتياطات لم تحل دون استعمال اللغة العربية في الطقوس . ولو وقف الامر عند هذا الحد لهان . فان البعض قد اخذوا ، في

المجامع الحديثة المطبوعة في فريبورج سنة ١٨٧٦ والمعروفة باسم *Collectio Lacensis* في ذيل المجمع اللبناني ، عمود ٤٨٦ .

١) تاريخ الرهبانية اللبنانية المارونية . للاب يليل . مجلد اول . مصر ١٩٣٦ ، ص ٦٨ ! ، من رسالة نائب الرهبانية العام الى رئيسه العام .

٢) ثمّ ، ص ١٦٨ و١٦١

٣) المجمع اللبناني ٢ : ١٢ : ١١ في نجم ، ص ٢١٤

٤) ذيل المجمع اللبناني في المجموعة الآنفة الذكر . عمود ٤٨٨

٥) المشرق (٧ [١٩٠٤] ٨٠٤ و٨١٠)

بعد ، يؤلفون ، في حلب ولبنان ، عبادات تقوية باللغة العربية رأساً ، وبدأوا يقيمون هذه العبادات في الكنائس ، اسوة بالرتب والخدم الطقسية القديمة ، كرياح الميلاد وزياح القربان ، وزياحات الايقونات المختلفة ، وما اشبه ذلك ؛ فضلاً عن تأليف افراميات جديدة وطلبات عربية يُختتم بها الفرض الالهي عشية الاعياد الكبيرة.

الكتب المطبوعة

لسنا نتوخى الكلام هنا في كل كتاب طقسي بالتفصيل . وانما غايتنا ان نلقي نظرة عامة على الكتب الطقسية المطبوعة[1] فنرى هل هي تمثل الطقس الماروني صحيحاً ، ام ممزوجاً بعناصر اجنبية : يعقوبية ، او رومانية ، او عربية حلبية ؛ وهل تمشى الطابعون ، بعد السدوهي والمجمع اللبناني ، على المبادئ والخطط التي وضعها هذا البطريرك العظيم الشأن ، وآباء المجمع المحترمون.

اول ما طبعت كتبنا الطقسية ، كان ذلك في رومية العظمى ، على ايدي اساقفة او كهنة مارونيين ، وتحت اشراف الكرسي الرسولي المقدس وتدبيره. فطبع في اواخر القرن السادس عشر كتاب الجناز المعروف بالنوبة سنة ١٥٨٥ ، فكتاب القداس الالهي سنة ١٥٩٢ – ١٥٩٤ ، يليه كتاب الشماس في خدمة القداس سنة ١٥٩٦ . وكان الطبع غاية في الاتقان والاحكام

الا انه لما كان التأثير اليعقوبي لم يزل قوياً بعد ، وكان الطابعون حديثي العهد بمثل هذه الامور ، فقد تسرب الى كتاب القداس اجزاء كثيرة وهامة من الطقس اليعقوبي ، بل نوافير كاملة ، حافلة باسماء ائمة اليعاقبة . فجاء الكتاب مزيجاً من طقسنا القديم ومن طقسهم . وجاورت نوافيرهم ، بل تقدمت في الترتيب نافورتنا القديمة المنسوبة الى الرسل والمبدوءة بلفظة هذه ، حتى يصح ، في رأينا الضعيف ، نسبة هذا الكتاب الى اليعاقبة اكثر منها الى الموارنة . وفوق ذلك قد أُبدل في النافورة الكلام الجوهري ، اي كلام التقديس ، من

---

١) ذكر تاريخ طبع الكتب الطقسية عند الموارنة بكل تفصيل حضرة الاب ديب في مؤلفه المذكور سابقاً : *Etude sur la Liturgie Maronite*. Paris, 1919.

مثله في النافورة الرومانية.

ولما وصل هذا الكتاب الى الطائفة ، احتجّ البطريرك سركيس الرزي على وضعه وطبعه بهذه الصورة ، وخصوصاً على ابدال كلام التقديس ، وحرم استعماله في الطائفة ، ثم اذن به بعدئذٍ نزولاً عند الحاح الكرسي الرسولي المقدس ، بواسطة قاصده الاب دنديني . وقد لاحظت بدون ريب ان المجمع اللبناني لا يقرُّ هذا الكتاب ، ذلك لانه يوجب اتباع كتاب القداس « الذي يكون السيد البطريرك السامي الاحترام قد وقف عليه واثبته . »[1] وقد اعيد طبع الكتاب في رومية سنة ١٧١٦ ، بعد ان حذفوا منه لسوء الحظ نافورتنا القديمة الخاصة بنا، او بالحري بعد ان حولوها الى نافورة لرسم الكاس، فتأمل. وعلى هذا النحو اعيد طبعه اربع مرات في دير مار انطونيوس قزحيا بلبنان ، في السنوات ١٨١٦ ، ١٨٣٨ ، ١٨٥٥ ، ١٨٧٢ . ومرتين في بيروت سنة ١٨٨٨ و١٩٠٨ .

وفي القرن السابع عشر طُبعت كتب الفرض الالهي اكثرها : اي الشحيم الكبير سنة ١٦٢٤ ، والشحيمة المتوسطة المعروفة باليوسفية سنة ١٦٤٦ ، والفنقيط الشتوي سنة ١٦٥٦ ، والصيفي سنة ١٦٦٦ . ولم يتسنّ لنا درس هذه الكتب وفروضها درساً خاصاً بعد ، ولكن اذا ثبت انها لم يداخلها شيء من الطقس اللاتيني ، فلا ندري مبلغ اتصالها بالطقس اليعقوبي . وقد أُعيد طبع الكتاب الاول في بيروت سنة ١٨٩٠ ، والثاني في رومية سنة ١٧١٣ ، وفي لبنان ، اي في قزحيا وغيره ، مراراً عديدة ، بدون ما تغيير.

وفي اوائل القرن الثامن عشر ، طُبعت الاناجيل في رومية سنة ١٧٠٣ ، موزعةً قراآتٍ تُتلى في اقامة الطقوس . ثم سنة ١٧٣١ طبعت الشحيمة الصغيرة في رومية ، واعيد طبعها مراراً عديدة في رومية حتى سنة ١٨٦٣ ، ثم في لبنان، من سنة ١٨٧٦ فما بعد .

وفي منتصف القرن الثامن عشر ، بعد الدويهي وعقيب المجمع اللبناني ، حدث حادث جلل في تاريخ طقسنا ، لم يأبه محدثوه لعمل الدويهي ولم يكترثوا لمقررات المجمع اللبناني . فقد طبع في رومية العظمى ، سنة ١٧٥٢ ، « كتاب

١) المجمع اللبناني ٢ : ١٢ : ٥ في نجم، ص ٢٠٩

الرتب الكهنوتية ، وهو يشتمل » في اوله « على خدمة الاسرار المقدسة وصلوات وتبريكات مختلفة » ؛ وفي آخره ، على « رتبة جنازات الموتى ودفنهم » . وقد نظمه احد الآباء اليسوعيين وهو من ابناء الطائفة ومن تلامذة المدرسة المارونية، على ما يذكر في المقدمة ؛ ولا شك عندنا في انه الاب بطرس مبارك . وهو كتاب جليل ؛ ينم عن سعة معارف الجامع ومن مقدرته في الطقوس ، ويتضمن كل ما يحتاج اليه الكاهن خادم الرعية للقيام بواجبات وظيفته ، وذلك بنظام جميل وترتيب دقيق .

على ان ما يؤسف له ان رتب خدمة الاسرار قد اخذت بالحرف من الطقس اللاتيني ؛ ما عدا بعض اجزاء رتبة الزواج ، فقد أخذت من كتب السريان اليعاقبة ؛ وما عدا الصلوات والتبريكات فمعظمها من مجموعة الدويهي . فيحق لنا القول اذاً ان واضع هذا الكتاب قد ادخل الطقس اللاتيني في الكنيسة المارونية بصورة تكاد تكون كاملة شاملة . ولم يكتف بوضعه الى جانب رتبنا القديمة ، بل ابدل ذلك الطقس اللاتيني من طقسنا القديم . ولم يترجمه الى السريانية ، بل نقله رأساً الى العربية ، وبها ادرجه في كتابه ، على ما في ذلك من مخالفة للمجمع اللبناني المقدس .

وما يدعو الى الدهشة ان هذا العمل قد تم بعد المجمع اللبناني بقليل من الزمان ، وايا كان العاملون ، فلا شك في ان السمعاني الكبير ، واضع المجمع اللبناني ، وهو آنذاك في اوج عزه ومجده في رومية ، لا يقرر شيء بدونه فيما يلائم الكنائس الشرقية ، وبالحري الكنيسة المارونية ، لا شك في انه قد علم بهذا الكتاب ، وقد يكون له يد في اتمامه . افهذا اذاً ما كان يخشاه السمعاني من الاصلاح الطقسي ! امن المحافظة على القديم ، « على الطقسيات التي وضعها آباؤنا وعهدوا بها الينا » ، كما جاء في المجمع اللبناني !

اما رؤساء الطائفة ، اي بطاركها ومطارنتها ، فلا نخالهم علموا بهذا الكتاب قبل طبعه . ودليلنا على ذلك ان جامع الكتاب وضع في اوله رسالة الى « قدس السيد البطريرك الانطاكي . . . وسائر مطارين واساقفة الملة المارونية » ، يشرح بها ما اتاه بكتابه ، ومقدماً اياه « خدمة نافعة وضرورية لجماعة

الاكليروس » . ثم يرجو منهم « ان يقتبلوا الكتاب . . . ويأمروا كلًا من كهنتهم بان يقتنيه ويعوّل عليه في لوازم دعوته ». وما كان اغناه عن كل ذلك، لو كان الكتاب مطبوعاً بعلم هؤلاء الرؤساء ، وبالحري بموافقتهم :

ولهذا السبب احدث كتاب الرتب الكهنوتية ضجة عظيمة في الطائفة، نسمع صداهـا في المجمعين المنعقدين سنة ١٧٥٥ و١٧٥٦[1] . فالآباء، وان لم يسموا هذا الكتاب تصريحاً ، فهم يقصدون ضمناً تحريمه ومنع استعماله في الطائفة ، حيث يقولون: « لا يستعمل في جنّاز الاموات الا النويسة المطبوعة . ولتحفظ في الطائفة كلها رتبة كنائسية واحدة ، وهي التي جمعها المثلث الرحمة اسطفانوس البطريرك الانطاكي ، وهي الدارجة الآن في طائفتنا . »[2] وبهذين الامرين شجب للجنّازات ولرتب الاسرار المسطورة في الكتاب الجديد ؛ وكذلك حيث يقولون في المجمع اللاحق : « فلتكن في الطائفة كلها رتبة كنائسية واحدة. ولا يستعمل الا كتاب القداس المطبوع وبقية الرتب الكنائسية التي نعتني الآن باصلاحها. »[3]

هذا ما نقرأه . اما ما جرى في الواقع فكان بالعكس . فقد عمّ في الطائفة استعمال الرتب اللاتينية بواسطة هذا الكتاب ، وكان قد بدأ من قبل يتغلغل في نواحيهـا شيئاً فشيئاً بواسطة بعض المخطوطات ، ثم بواسطة الشحيمة المتوسطة ، المحتوية في ذيلها على بعض خدم الاسرار منقولةً عن الطقس اللاتيني.

ولا ادلّ على ذلك مما حدث فيما بعد ، في اوائل القرن التاسع عشر . فقد اعدّ المطران يوسف اسطفان ، مطران قورش ، كتاباً جديداً للرتب الكنسية ، يحتوي معاً على الرتب السنوية اي المعدعدان وعلى رتب خدمة الاسرار الالهية : جمع الاولى من الكتب الطقسية واضاف اليهـا بعض عبادات تقوية ، لا صفة طقسية لها ؛ واخذ الثانية من كتاب الرتب الكهنوتية السابق ذكره ، بدون ان يحدث او يجدد فيها شيئاً . فارسل البطريرك يوحنا الحلو هذه الرتب كلها

١) المشرق (٧ [١٩٠٤] ٨٠٤ و٨١٠)
٢) ثمّ ، مجمع سنة ١٥٥٥ ، القانون الخامس.
٣) ثمّ ، مجمع سنة ١٥٥٦ ، القانون الثاني عشر.

الى رومية . والحّ خلفه البطريرك يوسف الحبيشي بشأنها . فدُرست في الدواوين الرومانية ، بالمقابلة مع مجموعة الدويهي . فاثار درسها اعتراضات جمة . ولكن البطريرك عاد فارسل عريضة ، وقعها معه المطارنة . وبها يقبلون بالكتاب على علاته ، بعد قسمته الى جزئين ، ويرجون الاسراع في طبعه . فتمّ ذلك وطبع الجزء الاول منه اي المعدعدان سنة ١٨٣٦ ، وهو الذي اثار جلّ الاعتراضات ؛ وقد اعيد طبعه في بيروت سنة ١٩٠٩ . وطبع الجزء الاخر ، اي رتب خدمة الاسرار ، سنة ١٨٤٠ ؛ وقد اعيد طبعه في بيروت سنة ١٨٩٧[1] .

وهذان الكتابان يجري استعمالهما لليوم في الطائفة . وقد رأينا ما فيهما من عبث برسوم المجمع اللبناني المقدس ومن مخالفة لعمل الدويهي . وقد ذكر شيئاً من ذلك العلامة الكردينال انجلو ماي في تقريره بشأن هذا الكتاب بجزئيه : من ذلك «انه لم يتمّ برأي الاساقفة واهل العلم ، ولم تدرج السريانية فيه قبالة الكرشونية ، وهو يبعد جداً عن مجموعة الدويهي ، التي كان مجمع نشر الايمان قد صدقها واثبتها ، وهو كله تقريباً بالعربية بعكس كتاب الدويهي ، فضلاً عن ان فيه امورًا عديدة مأخوذة من المؤلفات الروحية او التقوية العصرية الغربية»[2] .

اما في شأن ما اخذه الكتاب ، في جزئه الثاني ، من كتاب خدمة الاسرار الروماني ، فالعلامة ماي لا يعترض الا على طريقة اخذه . ودونك كلامه : «وحيث يتبع (الكتاب الماروني) كتاب خدمة الاسرار الروماني ، فهو ليس مضبوطاً بالتمام ، لكنه بالحري محرف .»[3] وزاد الكرادلة المكلفون تصحيح كتب الكنيسة الشرقية ، فاظهروا بجلاء موافقتهم على دخول هذه العناصر اللاتينية في الطقس الماروني ، حيث قالوا : «لا مانع من ان يتخذ من الكتاب الروماني تلك الاجزاء التي تعتبر ملائمة ، وخصوصاً فيما يلاحظ الاسرار او رتبة اخرى قديمة هامة ، على ان يتمّ ذلك بترجمة مضبوطة وبفطنة .»[4]

اطلنا الكلام في كتاب الرتب الكهنوتية ووليده كتاب المطران يوسف

١) راجع كل ذلك في كتاب الاب ديب المذكور سابقاً ، ص ٦٤ فما بعد .
٢) ذكر ذلك الاب ديب ثمّ ، ص ٦٧
٣) الاب ديب ثمّ ، ص ٦٧ ٤) الاب ديب ثمّ ، ص ٦٨

اسطفان بجزئه الثاني ، لاننا نرى انه نفذ تلك الخطة التي بدأ بوضعها ابن القلاعي ، وجاراه فيها معظم تلاميذ رومية ، وهي الجري على عادات الكنيسة الرومانية وطقوسها ، فيما يلامس خدمة الاسرار المقدسة.

اما فروض الجناز في هذا الكتاب ، فقد سرت في الطائفة ، حتى اعاد طبعها المطران الدبس سنة ١٨٨٤ و١٨٩٨ ، فعرّل بالاجمال على النويسة القديمة ، المطبوعة في رومية سنة ١٥٨٥ . وقد ضمّ الدبس الى كتاب الجناز الافراميات والطلبات العربية التي اتينا على ذكرها بكلمة . وطبع كذلك سنة ١٨٨٤ ترجمة الحسايات الاكثر استعمالاً . وكانت مطبعة قزحيا قد اصدرت سنة ١٨٤١ كتاب القراآت التي تتلى من الكتاب المقدس في الفرض الالهي ، ما عدا الاناجيل . فهذه كان قد سبق طبعها في رومية سنة ١٧٠٣ . بقي كتاب الرسائل البولسية التي تتلى في القداس الالهي ، فهذه طبعت مرارًا كثيرة في قزحيا وحلب وبيروت ؛ وكتاب الحاش ، فقد طبع في جونية سنة ١٩٠٢ . نكتفي بذكر هذه الكتب وطبعها ذكرًا بسيطاً . فهي لا شأن لها كبيرًا في ما نتوخاه من درسنا الحاضر.

الطقس الماروني القديم

ان الكتب الطقسية المطبوعة ، يمكن وضعها في ثلاثة ابواب : كتب خدمة القداس ، وقد قلنا انها اصبحت اقرب الى الطقس اليعقوبي منها الى الماروني ؛ وكتب خدمة الاسرار ، وهي لاتينية صرفة تقريباً ؛ وكتب الفرض الالهي ، ولم ندرسها درساً مستفيضاً فنعرف هل هي مارونية بحتة ، ام مزيج من الفروض المارونية واليعقوبية . اما قراآت الكتاب المقدس ، فلم تطبع كذلك طبعة قانونية ، بل طبع قسم منها بالعربية ، دون السريانية ، وهذا مخالف للاصول . واهم من ذلك ان العربية ليست في الغالب مترجمة بدقة وضبط عن السريانية المعروفة بالبسيطة . ثم ان من الكتب الطقسية ما لا يزال مخطوطاً ، على ما ذكرنا .

فمن الواجب ، والحالة هذه ، الرجوع الى الطقس القديم . وهذا امر يفرضه

البرّ بالواجب تجاه السلف الكريم والائمة الاقدمين ؛ ويجنبه احياء امجاد هذه الكنيسة المارونية ، وقد تحالفت العوامل المختلفة على طمسها ؛ ويدفع اليه ويشجع عليه ما قام مؤخراً ويقوم في الغرب من مثل هذه النهضة المباركة . فليس الّا ان تعقد النية على القيام بهذه المهمة ، مهما كلفت من مشاق ، وتستجمع القوى لتذليل ما يقوم في سبيل تحقيقها من عقبات ، وتتخذ الاحتياطات لاحباط ما قد يثور في وجهها من عراقيل .

ولا شك في ان للموارنة طقساً خاصاً بهم ، يستقلون به عن سواهم . وهو اذا سهل على كل مطلع فصله عن الطقوس الغربية ، فلا يتعذر على الباحث البصير تمييزه من طقس السريان المجاورين .

وتوصلاً الى ذلك ، يجب اطراح كل المستجدات التي دخلت الطقس ، وسميناها الشواذّ الحلبية ، وما نُسج على منوالها في لبنان . فكل ما وضع في الاصل بالعربية ليس من الطقس الماروني في شيء .

ثم يجب الاحتراز شديداً من كل المخطوطات التي عقبت تأسيس المدرسة المارونية برومية سنة ١٥٨٤ ، ومن المطبوعات التي اخذت عنها . فهي جدّ متأثرة بالطقس اللاتيني ، بل بعضها واكثرها متحولة اليه ، حتى يصح اعتبارها كتباً طقسية لاتينية ، مكتوبة فقط باللغة السريانية او العربية .

واخيراً يجب الايقان أن المخطوطات التي كتبت من اوائل القرن الخامس عشر فما بعد ، وخصوصاً في جبة بشراي ، حيث كان النفوذ اليعقوبي سائداً ، ليست في الغالب سوى مخطوطات يعقوبية ، سواء أكتبت لاستعمال اليعاقبة ، ام دنست دساً للاستعمال في كنائس الموارنة . فلا تصح اذاً نسبتها الى الطقس الماروني . على ان ما كتب في تلك الحقبة ، حتى في الجبة ، قد يكون بعضه مارونياً اقله في بعض اجزائه ، فيمكن الاستفادة منه .

اما كتب الطقس الماروني القديم فعلينا ان نفتش عنها قبل هذه الازمنة ، وبعيداً عن هذه الامكنة . فكل كتاب خطّ في القرن الرابع عشر فما قبل ، وقام الدليل على نسبته الى الموارنة ؛ وكل كتاب خطّ في تلك الحقبة او بعدها في نواحي البترون وجبيل ، وخصوصاً في وادي ايليج : حيث اقام بطاركتنا

حتى اوائل القرن الخامس عشر ، هو كتاب ماروني صحيح .

لا نكير ان هذه الكتب نادرة جداً . على ان قسماً منها لا يزال محفوظاً في خزانة الكرسي البطريركي وفي سواها من خزائن الكتب في لبنان ؛ وقد يفضي التفتيش الى العثور فيها على غيره . وقسمٌ منها تحتوي عليه خزائن الكتب في رومية وباريس ولندن وغيرها في الغرب . واذا كنا لا نعرف كل هذه الكتب ، فلأنّ الانظار لم تتخذ حتى الآن هذا الاتجاه الذي اتخذناه . بل كان الكتبة والعلماء يكتفون بما يرددونه من ان الموارنة واليعاقبة ، وان اختلفوا في المعتقد ، فهم متفقون في العادات والطقوس .

على ان ما نعرفه حتى الآن من هذه الكتب، على قلتها ، يمكننا من القول انها تبعد عن الكتب اليعقوبية ، ليس فقط في صلواتها ، بل كذلك في سياق هذه الصلوات وتنظيمها وترتيبها فيها . وهي على قلتها تشتمل على رتب طقسنا القديم ، او اقلّه على معظمها واهمها ، كالقداس الالهي وخدمة الاسرار والفروض . اما ماهية هذه الرتب ومكوّناتها ومميزاتها ، والى اية طائفة طقسية تعود ، فتلك امور لا سبيل الآن الى التبسط فيها

وقد ادى البطريرك الدويهي ، على ما ذكرنا ، خدمة جلّى ، اذ ابقى لنا في مجموعته شواهد ناطقة بمحتويات هذه الكتب . لانه قد عول على الكتب المارونية حين عمد الى تهذيب الطقس وترتيبه . فاستند الى الكتب السابقة لزمانه « بثلاثماية سنة وازيد »، اي العائدة الى ما قبل القرن الخامس عشر . فساغ لنا ان نعتبر مجموعته كنسخة عن هذه الكتب القديمة ، اللهم الا بعض تحويرات، اقتضاها واجب « الطوع لصاحب السلطان الاعلى » ، في الجري على بعض عادات وطقوس لاتينية ، او جاء بها الزمان من طقوس جيراننا وضيوفنا اليعاقبة ، او آثرها هو نفسه رغبة في تحبين الطقوس ، على ما ذكر ونقلنا عنه .

فاقتفاء لآثار هذا الرجل الماروني ، يجب ان نعمد الى هذه الكتب القديمة ، فنستخلص منها طقسنا الاصلي . وعملاً بمبدإه ، يجب ان « نقطف ما هو ضروري» لقيام الطقوس، « وتحسين الرتبة على زي البلاد » ، بحسب مقتضيات الازمنة والامكنة ، ولكن على شرط ان لا « يصير تغيير في [الطقس] ولا في الرتبة . »

فخر الدين الثاني

١٦٣٥ - ١٩٣٥

فخر الدين

١٦٣٥ - ١٩٣٥

لمرور ثلاثمائة عام على مقتله في الاستانة

بقلم سعيد عقل

يا اندفاعَ الامواج في شاطئ البوسفورِ ، رفقاً بذكرياتِ الاميرِ !
ببقايا حُلم تقوّف بالصبح ، والوى ؛ فالصبحُ مأتمُ نورِ ؛
فيه من وثبة الجريح الى الثأرِ ، وفيه من احتضار النسورِ .

...

هو فخرُ الدين ، الفتى ، يقرأ الأيامَ في قولِ خازنيّ وقورِ ؛
فيرى الامسَ من مذابحَ حمرٍ ، نافراتٍ على ممرّ الدهورِ ؛
جدُّه ، قِبلةُ الشموسِ ، قتيلٌ ؛ وأبوه ، دُنيا اسى ، في حفيرِ ؛
والدروز الأباة يغويهم السيفُ ، فيلقونه رحابَ الصدورِ ؛
واذا وجهُ عين صوفر اشلاءٌ ، وآفاقها بلون الزفيرِ .
فيغضّ الاميرُ طرفاً ، ويخفي ، خلفَ جفنيه ، هزّةً للعصورِ .

...

بسم الدهرُ للشريد ، وشاد العرش ، ظمآن ، للامير الصغيرِ .
أفقُ لبنانَ ضيّقٌ ، وامانيه رحابٌ مدى شرود الضميرِ .
هزّ فخرَ الدينِ انقباضُ حدودٍ ، فرآها على شفا المعمورِ ؛
فاستثار الابطالَ يمضون للمجدِ ، غضاباً ، ولامتشاق البدورِ .
سال فيهم شاطئ طرابلسَ ، وانشقّ ، تيهاً ، عن أنجمٍ في مسيرِ ؛
وتداعى عرشُ ابنِ سيفا الى الترب ، وخلّى الصدى بصمّ الصخورِ ،
فاذا يُنعتُ البنون الى الموج ، يحتونها قناً في الهديرِ .
وتنادوا من الشمال الى زحلة ، يترفدونها في الكرورِ ،

فيهبّ الابطال منها ، ولا حدّ لوثب الرحليّ ، يوم الظهورِ .
دان مجد الفُرَيخ ، دان شفا الاردنّ ، في وثبة ، ونفخة صورِ .
عصبةٌ من فوارسٍ حملوا البيض لقبر المسيح ، حملَ النذورِ ،
قيل : حجٌّ ! وقيل : شوقُ سيوفٍ حدُّها ، في الطموح ، حدُّ النورِ !

. . .

كاد وجهُ الامير يَحجب من مجدٍ عريقٍ ، على السهى منشورِ !
كاد لبنان يلتقي « العاليَ البابَ » بزندٍ سمحِ الفتول ، قديرِ !
فتلوّت استانةٌ : روعةَ الواجف هزّته غصّةُ المقهورِ .
حلت بالشواظ يسطر لبنان ، وبالكرّ في العديد الوفيرِ ؛
فاذا البرّ من غبار عباب ، واذا البحر من دخان حرورِ ،
من عدى بكر العتاد ، تكاد الارض ترنو اليهم بنفورِ .
لم يرعه التقاؤهم ، وعلى الكفّ فؤادٌ له حبيبُ الكرورِ ؛
راعه حُلمه تحطّمه الاقدار ، طفلاً في هدهدات السريرِ ،
فامحى عن عداته ، يكظم الانفاس خوفاً على الفضاء الكبيرِ .

. . .

بينما سُدّة الامير عليٍّ تتعزّى بابن الخيال الكبيرِ ،
كان في مقلب النهار أميرٌ مجهدُ الطرف ، مجهدُ التفكيرِ ،
يتلوّى على الخريطة ، حُلماً شائماً في خطوطها ، والسطورِ ؛
متعب ، يفجر الأسى محجريه ويروّي مزقَ الفمِ المحرورِ ،
تعتريه ، شوقاً الى مجد لبنان ، ارتعاشاتُ مطلبٍ مأسورِ ،
ويودّ الوصولَ للارز بالوهم ، فيجري به الى البوسفورِ .
واذا بالصباح يستبق الوقت ، ويطفو في قلبه الموتورِ ،
فيخال الخريطة ارتقصت ، زهواً ، وراحت من كفّه في سرورِ !

. . .

حملته ، الى شواطئ لبنان ، اواذيُّ من منًى وحبورِ ،
فالتقاه البلاط ، مولًى سيحمي جبهةَ الترك من عدوٍّ مغيرِ ،

شفيتْ من طموحه مقلتاهُ ، وتعرّى من الخيال الخطير .
لو رأوا في البلاط نورًا ، لكبّوا ، في خضمّ البوسفور ، بازّ القصور !

...

داس في أرضه الاميرُ ، فراح الجبل الميتُ في ثياب النشور ،
وسرت رعشةٌ بلبنان هزّت من ذرى أرزه الى صخر صور :
أمّة تستردّ مجدًا سليباً ، واميرٌ يلهو مع المقدور .

يا حجارًا خوافت اللون في لبنان ، قصيّ كتابَ عهدٍ نضير !
قلعاً كنتِ ، ضاحكاتٍ من النجم ، حساناً ، ممرّدات الخصور ،
انتِ تيرون ! انتِ عجلون ! انت المرقب السمح ماطرًا بالسعير !
انا ما دستُ مرّةً حجرًا منك ، ولم انتفض لذكرى الامير !
حدّثي ! حدّثي ! ففي لونك الناحل اطيافُ جيشنا المنصور !

سالت الارض بالخيول الى الاردنّ ، سالت مع الخيال النفور ،
تزرع الرايَ خافقاتٍ ، من العاصي الى الميت ، ضاحكاتِ النشور ،
ومن الابيض الكبير الى تدمر ، وقراقةَ السنى والجبور .
ضحكت ، يومَ عنجر ، الأسلُ السمرُ ، وشكّت قلب الضحى المستطير .
أمّةٌ وفرةُ العتاد تلاقي باقةً من شبابنا المبرور .
اجفل السهلُ للطعان ، واغضى وجهُ حرّمون للدم المهدور ؛
ينثر السيفُ خصمه ، فتخال الانجمَ الحمر من حُمام نثير ،
وتخال الامير ، في جيشه العابس ، يمشي على ابتسام الثغور .
ظلّ صوت الطعان يرتجّ في الليل ، الى سفرة الصباح الطرير ،
فتملّاه مصطفى ، قائد الترك ، حزينَ السنى ، حزين السفور ؛
ما رآه الامير الّا التقاه بسخيّ في كفّه ، موزور ،
ضربةٌ سمحةٌ كفت ، فارتمى الفارس في قلب جيشه المندحور ؛
وأطلّت شمسُ الصباح ، فحيّت جند لبنان بالشعاع النرير .
لم يمت مصطفى . فقال ابن معن : « رح الى النور ، لست لي بأسير ،

انت حرّ ! فمدّ للشمس طرفاً واملأ العين من سنى التحرير!»

...

نكست هامها الجبالُ ، ودان الشرقُ للمستقلّ فيه ، الجديرِ .
وجه فخر الدين انتفاضة قلب مستهامٍ الى الخيال ، كبيرِ ،
قدّةٌ من جبال لبنان ، في الليل ، ومن ضحكة القنا في النحورِ .
يعتلي صهوة الجوادِ عبوساً ، فعلى الشرق رعشة المخمورِ .
ويذوب الصهيلُ في سمع استانة ، نجوى « جدا » ونجوى نفيرِ .
ايخلّي مراد الرابع العرش على وهدة الردى والشفيرِ ؟
ايخلّي الاميرَ ، مملوكه ، امسِ ، يشكّ البنود في البوسفورِ ؟
حُلمٌ في خيال لبنان رحبٌ ، رعرعته فتيقيا في الصدورِ :
سفنٌ تمخر العباب وتبقى الهرقليّات ، خلفها في قصورِ ،
تقصد القطب ، والجزائر في القطب ، وتأتي مناجماً في بكورِ ،
وتدور اعتزازةً حول بكر الارض ، تجني النضار من أوفيرِ ،
تزرع المُدنَ في الشطوط ، وتنشي مَن يهزّ القنا بوجه القديرِ .
ويتيه السلطان في حُلم لبنان ، فيلوي على جسام الامورِ .

...

حملة اليوم ، لو تكون للبنان ، لأودى بعزّة المعمورِ !
من رجالٍ في سرحة الفكر عدّاً ، وسفينٍ في منتهى التقديرِ .
فاللهيبُ ، اللهيبُ يطرِ لبنان ، ويرفضّ بالردى والدثورِ ؛
وحوالي الامير بين كاظمٍ قسراً ، ومن حاسدٍ أتى الشرورِ ،
أعينٌ يخنق السنى لفتةً منها ، فتغضي على مرادٍ ضريرِ ،
ما أحسّت بالترك يولونها القوّة ، الّا تفجّرت عن قبورِ .
العدى في رجاله ، والعدى الترك بجور اليه إثرَ بجورِ ،
يلتقيهم لبنان بالعصبة البتل يضون للطعان الاخيرِ ،
فيموتون عن نفوس كبارٍ ، وينامون مثلَ طرف قريرِ .
قلعةٌ إثر قلعةٍ تسلم الابراج ، الّا تيرون ، اخت النسورِ ،

معقل الحلم لم تشأ ان تـداعى ، هُزُءا بالزمـان والمقـدورِ ،
لم يدعهـا الامير تسقط ، لولا السمُّ في مائهـا الزلال النميرِ ،
نزعاهـا بطرفـه ، ورعته ، في وَداع أدمى غنـاء الطيورِ ؛
ومضى يسحب القيود باستانـة ، مخضوبةً بحلم كبيرِ !

. . .

يا اندفاع الامواج في شاطئ البوسفور ، رفقاً بذكريات الامير !

زيارة الى قلعة المرقب

بقلم الاب فرديناند توتل اليسوعي

توطئة

ان يكن للسيارات منافعها في تقريب المسافات وحمل الزاد ، بسويعات معدودة ، من اقاصي البلاد الى اقاصيها ؛ فلها مضراتها ، وهي آفة الصبر وبليّة التأني الذي لا بد منه في زيارة الآثار ، للنظر اليها بعين الدقة والتمحيص .

واننا في زيارتنا قلعة المرقب في اوائل تموز ، مع اساتذة الجامعة اليسوعية ، اختبرنا من السيارة منافعها ومضراتها . على ان المنافع ، والحمد لله ، غلبت المضرات . وبفضل آلة التصوير الشمسية طبعنا على اطار البلور ما لم يتسنَّ للعين ان تطبعه في الذاكرة . فجلنا في قلعة المرقب جولة المستعجلين لكننا لم نبارحها الا وفي الجعبة تصاوير عديدة لبروجها ومشارفها وجدرانها ، وفي الذاكرة شبحها الهائل المتقطعة رجومه على صفاء الاديم الازرق في سماء بلاد العلويين .

وعدنا الى الجامعة ، والى المكتبة الشرقية ، فانتقلنا من سياحة السيارات الى مراجعة التآليف واذا هي حافلة بذكر المرقب وآثاره وتاريخه واكثرها الكثير هو باللغات الافرنجية ، من كتاب الكولونيل جاكو الموضوع دليلًا لارض العلويين ، الى مؤلف فان برشم فاسيو ، المطبوع في القاهرة سنة ١٨٩٧ ، وفيه وصف الرحلة السورية ، الى مؤلفات دوسو الافرنسي ، وريتر الالماني ، وهونيكمان[1]

---

١) دائرة المعارف الاسلامية وفيها سلسلة المصادر ، مادة « مرقب »

ومن رُوي عنهم من امثال بوركارت ، ووالپول ، ولسترانج . وهؤلاء لم يغفلوا الاطلاع على ما كتبه العرب في حصن المرقب كياقوت ، وابي الفداء ، وصاحب كتاب تشريف الايام ، مترجم السلطان قلاون ، وابن بطوطة ، وسيف الدين الدمشقي ، والقلقشندي ، وغيرهم ؛ فعليهم معوّلنا.

ولا عجب ان تكاثرت المصادر في البحث ، وتاريخ المرقب صفحة من اروع صفحات تاريخ الحروب الصليبيّة ؛ عالج الافرنج امره لما له من المكانة في الحُصن التي ابتنوها او رمّموها ، وعظّم العرب شأنه وقد يكون فتحه عنوان انتصارهم النهائيّ على الصليبيّين.

لقد تعقبنا المستشرقين في وصف القلعة الفني ؛ واستعرضنا اقوال المؤرخين ، واخصّهم العرب في ذكر الوقائع التي جرت فيها وحولها ؛ ولم يفتنا ما في مقالنا من تطفّل وجرأة بالاقدام على الخوض في بحث لا يمسّه الا الاختصاصيون. ولكن استنادنا الى مؤلفاتهم ، وقلة ما يعرفه عنها ، لا اقول العامة ، ولكن الخاصة من الناطقين بالضاد ، ورغبتنا في تنبيه الخواطر الى الاهتمام بامر آثارنا ، تلك كانت الاسباب التي دعتنا الى الكتابة ، وقد تأتي في بابها صلةً لما سبقنا ووضعناه في « المشرق » وصفاً لما زرناه من قرى فلسطين وحوران وبلاد الفرات وبلاد العاصي[1].

من بيروت الى بانياس فالمرقب

من بيروت الى طرابلس مسافة ٩٠ كيلومترًا ، ومنها الى طرطوس ٦٠ ، ومنها الى بانياس ٣٨ ؛ تجتازها السيارة فتسرّ على الطريق التاريخيّة القديمة ، قاطعةً نهر الكلب ، وبلاد جبيل ، والبترون ، فبكار الى ان تدخل بلاد العلويّين. اليك عتليت وانصابها الفنيقية ! وهناك عن بعد ، جزيرة ارواد وبناياتها ، كأنها العمارة البحرية الكبرى . جميلة هي كنيسة طرطوس الملوكية وقد وضعت عليها الحكومة يدها فجعلتها متحفاً تأوي اليه الآثار المكتشفة في تلك الربوع من اجزاء عواميد ، واعضاء تماثيل يغلب في صنعها الفنيقي اثر الفن

(١) في المجلدات ٢٠ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٣١ ، ٣٣

المصري . نظرة عليها نلقيها وكفى ؛ والسائق خطفنا خطفاً. تركنا شعبة الطريق الى دريكيش ، عند خروجنا من طرطوس ، وبعدها الشعبة الى الشيخ بدر ، والمصيف. ثم تعطلت بنا السيارة فنزلنا وتعرفنا الى القرية المجاورة لذلك الموضع. هي متن عرنوق وسكانها من الملكيين الارثوذكس. طربنا لسماعنا احد فتيانهم يتلو على مسامعنا الصلوات المألوفة : « قدوس الله قدوس القوي ... نسبحك نمجدك ... يارب، يا اله ! » فقلنا له : « زاد الله عدد المسيحيين ! » ففرح لتمنياتنا. ثم ركبنا ، فجزنا جسوراً وانهاراً ، الى ان حطت بنا الرحال في بانياس، وقد سماها اليونان بالانيا واللاتين فالانيا . كانت على ايام اليونانيين الاقدمين مركزاً لجالية اصلها من سكان ارواد ؛ وتبعت مقاطعة اقليم سورية الى ان صار مرجعها لاوديقية (اللاذقية) على ايام جوستينيان في القرن السادس الميلادي ، لكنها كانت ترجع بالروحيات الى اسقفية افامية . وفي القرن العاشر كانت تعود الى انطاكية ، طبقاً لما بلغنا عنها في لائحة الاساقفة البيزنطيين . وجعل الصليبيون اسقفاً لاتينياً في فالنيا ، لكنه قلما اقام فيها لكثرة الحروب ، فكان يلجأ الى المرقب.

وفي كتاب الاعتبار لاسامة بن منقذ[1] اخبار طريفة تفيدنا عن علاقات الصليبيين والمسلمين فيها ، اخذاً عن شاهد عيان . وان اسامة لا يذكر الافرنج الا باللعن ، ولكنه اذا تطرق الى الكلام عن عدالتهم لا يتمالك عن وفائهم حقهم من الانصاف ، فشهادته غير مجروحة ، وسوف تساعدنا في الرد على من يتهمون الصليبيين بمخالفة وعودهم في فتح المرقب.

قال ص ٦٤ : منزلة الفارس عند الافرنج :

« والافرنج ، خذلهم الله ، ما فيهم فضيلة من فضائل الناس سوى الشجاعة، ولا عندهم تقدمة ولا منزلة عالية الا للفرسان ، ولا عندهم الا الفرسان اصحاب الرأي وهم اصحاب القضاء والحكم . وقد حاكتهم مرة على قطعان غنم اخذها صاحب بانياس (واسمه رتيه) من الشعراء ، وبيننا وبينهم صلح وانا اذ ذاك

---

(١) طبعة فيليب حتي.

بدمشق . فقالت للملك فلك بن فلك : « هـذا تعدّى علينا واخذ دوابنا ، وهو وقت ولاد الغنم . فولدت وماتت اولادها ، وردّها علينا بعد ان اتلفها » فقال الملك لستة سبعة من الفرسان : « قوموا اعملوا له حكماً . » فخرجوا من مجلسه ، واعتزلوا ، وتشاوروا حتى اتفق رأيهم كلهم على شيء واحد ، وعادوا الى مجلس الملك . فقالوا : « قد حكمنا ان صاحب بانياس عليه غرامة ما اتلف من غنمهم . » فامره الملك بالغرامة . فتوسّل اليّ ، وثقّل عليّ ، وسألني حتى اخذت منه اربع مائة دينار . وهذا الحكم بعد ان تعقده الفرسان ما يقدر الملك ولا احد من مقدمي الافرنج يغيّره ولا ينقضه فالفارس امر عظيم عندهم . »

واذ نحن في التنقيب على اخبار ذلك العهد في الارض التي تطأها اقدامنا، وعليها سوف نضرب خيامنا لكي نقضي الليلة على الحشيش او « الحلفاء » تصورنا جماهير الصليبيين والمسلمين المحتشدة في تلك الربوع ، ايام السلم ، وكل فريق يلتهي بالنظر الى اعمال الفريق الآخر ، وقد صار الموضع محجة للبراغيث فكثرت مع كثرة الناس وفتكت في لحمانهم فتكاً . والخبر جاء في كتاب ابن منقذ (ص ٨٦) قال : « عسكر الافرنج على بانياس في جمع كثير ، وان لم يكن في حرب ، وكان معهم البطرك ، وقد ضرب خيمة كبيرة جعلها كنيسة يصلّون فيها . يتولى خدمتها شيخ شماس منهم ، وقد فرش ارضها بالحلفاء والحشيش فكثرت البراغيث ، فوقع لذلك الشماس ان يحرق الحلفاء والحشيش لتحترق البراغيث فطرح فيه النار وقد يبس فارتفعت السنتها وعلقت بالخيمة فتركتها رماداً . »

وقضينا الليلة في جوار بانياس ولم نتحيّر باي القوين تعبّر عن احوالنا وهل الاصح ان نقول : اكلوني او اكلتني البراغيث . ولم يتطرق الينا الّا رجال المكوس ، وقد توهموا امتعتنا بضاعة مهربة ، فلما تحققوا امرنا عادوا ادراجهم وتركونا بسلام ، ولا صوت يناغي نومنا الهادي الا صوت موج البحر المبتسم على الشاطئ .

وصف المرقب

خرجنا من بانياس من جهة الجنوب ، وبعد زهاء ٨٠٠ متر تحولت بنا السيارة يساراً الى الشرق ، فارتقت سفوح جبل سهلة الانحدار ، بانت لنا منها واجهة القلعة الشمالية . واجتزنا ، من ثمّ ، قرية المرقب . وما كانت دقائق حتى دارت بنا السيارة حول القلعة فبلغت الى ناحيتها الجنوبية ، وهناك وقفت ، فنزلنا عند المدخل .

رسم المؤلف ري الافرنسي قلعة المرقب رسماً اعتمد عليه الكتبة من بعده وقد نقلناه في الرسم ٢ :

ان انقاض الحصن كما هو في يومنا تشبه صورتها قنينةً راسها موجّه الى الجنوب وعقبها الى الشمال ؛ وفيها قسمان : القسم الجنوبي وفيه انقاض البروج والمعاقل والمشارف المكوّنة منها القلعة بمستحكماتها ، وهي تشرف على الساحل ، بينها وبينه صخور وقيعان تمخضت بها الارض فاحدثتها في ثوراتها البركانية بين زلازل واعصار . والقسم الشمالي كانوا يلجأون اليه في سكناهم فكان اشبه بالقرية ، وهو الى يومنا مبيت لبعض الفلاحين . وكلا القسمين يحيط بهما سور منيع مزدوج الجدران مدعم بالبروج ، اعظمها البرج B وقد اعاد بنيانه المسلمون بعد استيلائهم على الحصن .

اما مدخل القلعة من الجنوب فهو باب واسع يُرقى اليه بدرج عريض يصلح لسير الناس والدواب ، ومنه يدخل الى بائكة محكمة البنيان ، منها المنفذ الى حرم القلعة ، ومنها ايضاً الدرج المؤدي الى سطحها ، المحاط بمشارف وهو من بناية القرن الثالث عشر .

من صحن القلعة يمتدّ النظر جنوباً نحو مدخل المعبد H (الرسم ٥) وهو بهو كبير وصفه انلار في كتابه على «آثار الصليبيين الدينية» (المجلد الثاني ص ٤٤٢ – ٤٤٣) وان متنه الافرنسي مكتظ بالالفاظ المخصوصة بفن البناء ، حاولنا تعريبها ما استطعنا اليه سبيلاً ، قال : « كان معبد مرگات (المرقب) كنيسة لسكان القلعة ومصلى لمطران فالنيا او بانياس تلك الكنيسة فيها صحن وحيد معقّد السقف

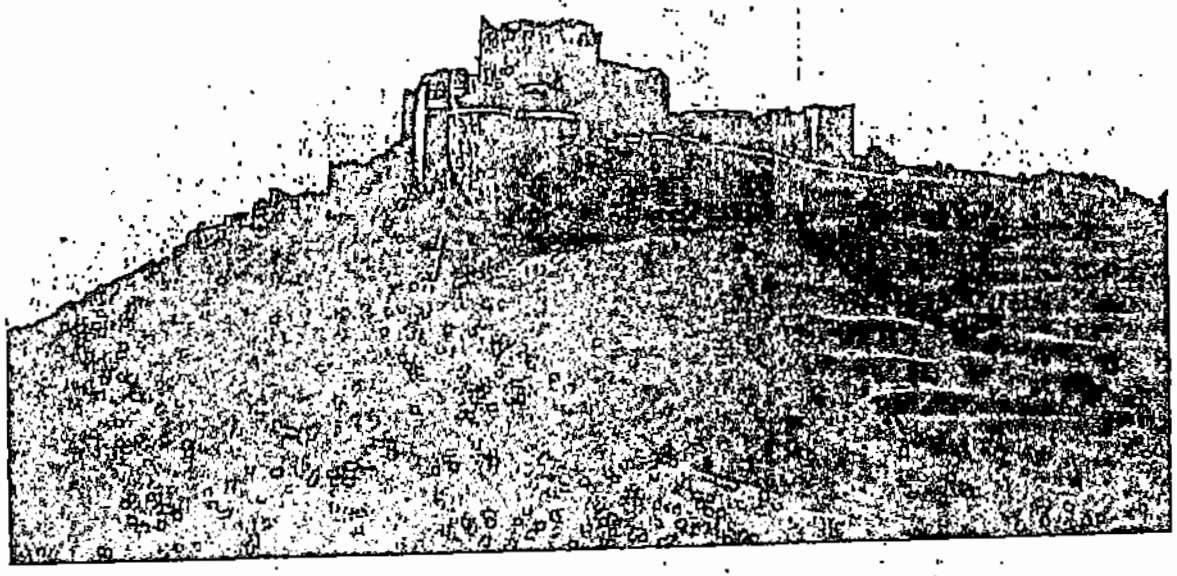

الرسم ١ - قلعة المرقب من بناء القرن الثاني عشر والثالث عشر

PLAN DU CHÂTEAU DE MARKAB (MARGAT)

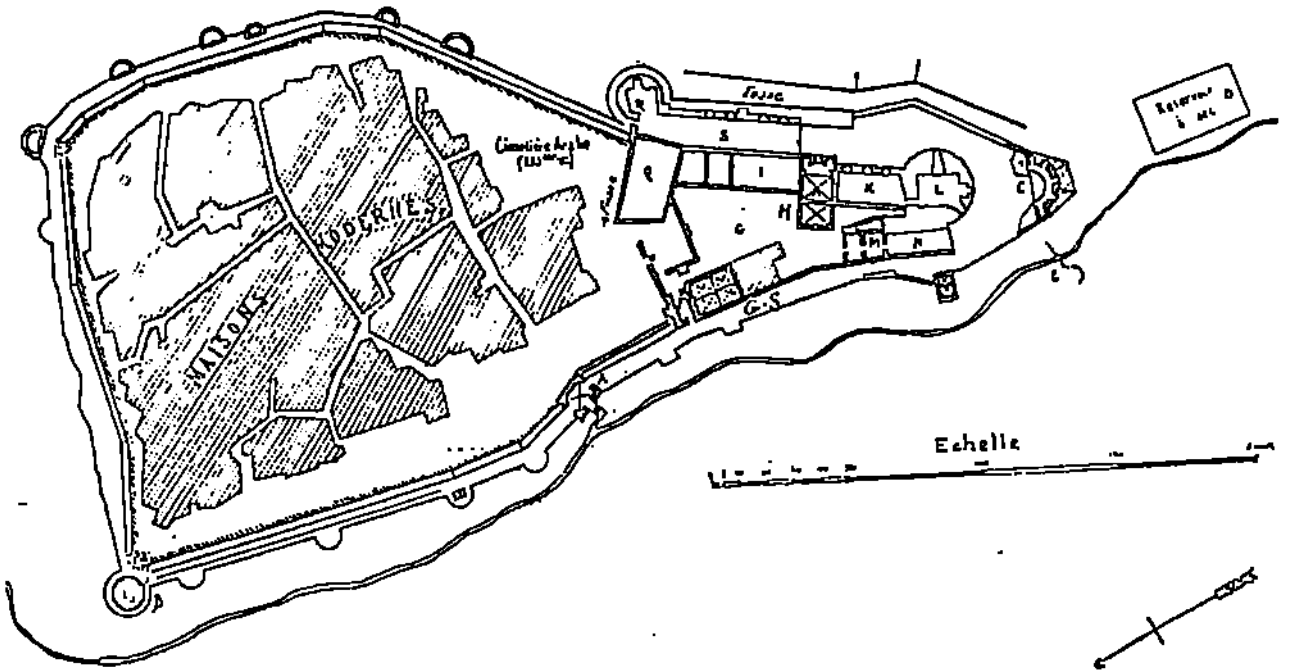

الرسم ٢ – رسم ري

الرسم ٣ – المرقب عن بعد

الرسم ٤ – انقاض الباشورة

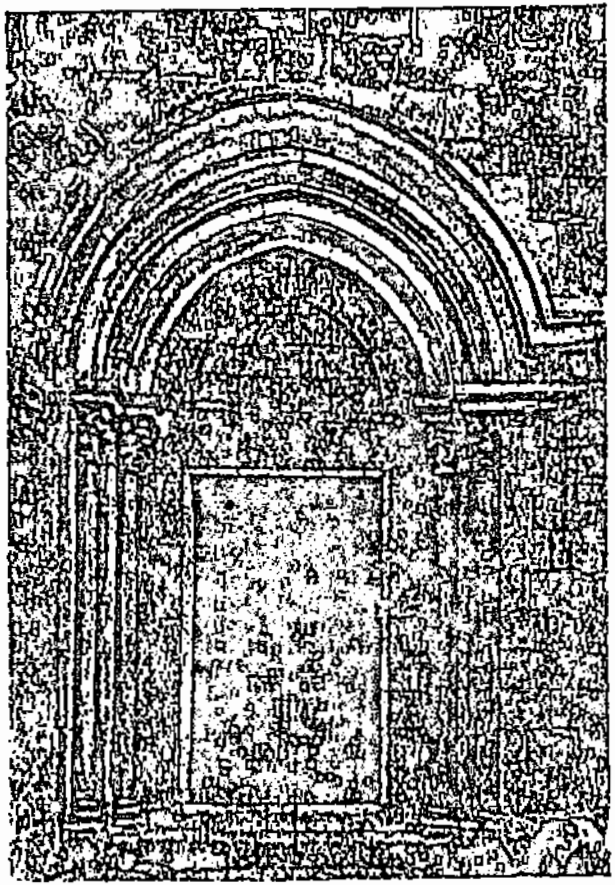

الرسم ٥ – باب الكنيسة

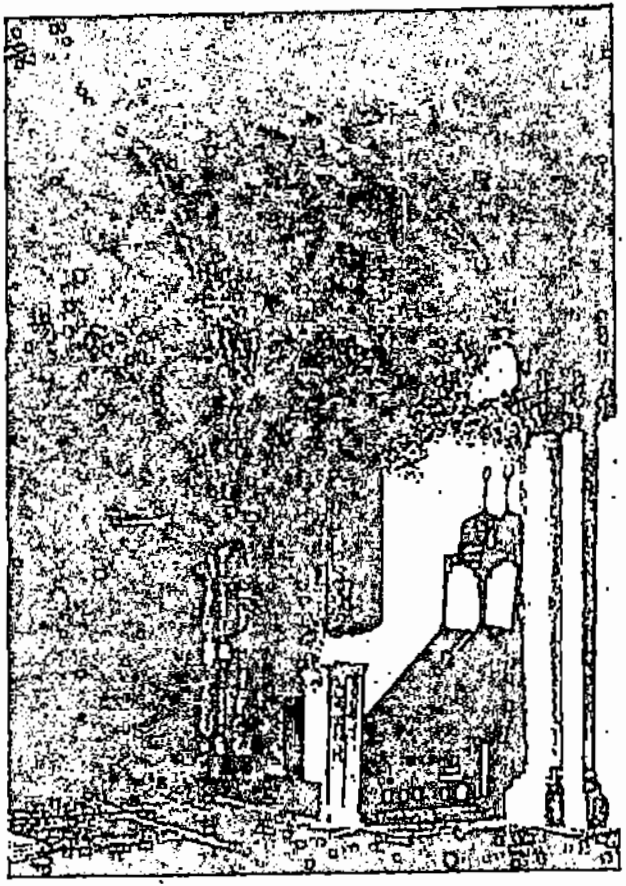

الرسم ٦ – داخل الكنيسة

بحنايا ، ولها صدر او محراب مبني في مربع مستطيل وعلى جانبيه في الزاويتين غرفتان صغيرتان للسكرستية . هذه الكنيسة الصغيرة بُنيت بالحجارة المنحوتة الجميلة على طراز شريف وبسيط معاً وقسمت الى شطرين بقنطرة مستندة الى عمودين وراءهما قوائم ملتصقة بالحائط مربوعة وعليها تاجان ملتصقان برؤوس القوائم . وهناك شبابيك رؤوسها مثلثة الاضلاع وهي في فتحة من الحائط ، واسعة في جانبها المحاذي لصحن الكنيسة ، ضيقة في صدرها ؛ منها شبّاك في صدر الكنيسة ، وشبّاك في الواجهة ، وشباكان في كل قسم من قسمي الصحن . وللكنيسة بابان جميلان احدهما في الغرب ، والآخر في الشمال لكل منهما حنية عقد مثلثة الاضلاع ، ظريفة القد ؛ وهي من صنع القرن الثاني عشر ، وعليها تضافير بارزة وتحتها قاعدتان عليهما عمودان أهيفان اما واجهتا البابين فمنحوتتان ، وليس للعتبتين الفوقانيتين مقرنصات تستندان اليها . وان صانع عقد الحنايا قطعها افقياً عند الواح تيجان العواميد وفصل بين حنية وحنية بعرض المدماك .

اما ارجل العواميد فتذكّر بالقد الاتيكي الحسن ، وتيجانها تتشابه ، وهي من الرخام ، وطرازها كورنتي باوراق غير مثقوبة منحنية الاطراف على شكل اقواس الدائرة كما يوجد ذلك في كنيسة طرطوس ، وفي محراب اللدّ ، وفي باب غزة ، وفي غير ذلك من البنايات الصليبية . وهذا المعبد الجميل هو مثال صاف لطراز الفن الروماني (roman) المستعمل ما وراء البحار ، خارج اوربة .

في ناحية صحن القلعة الغربي بقايا برج كبير G S فيه اربعة مقاطع كان سقفه ذا حنايا يحملها في الوسط عمود مركزي ، وفي الاطراف اركان وقوائم . وكانت جدران البرج مزينة بالصور ، وفيه عقدت مشورة الفرسان الاخيرة حيث قرّ قرارهم على تسليم القلعة للمسلمين في ٢٧ ايار سنة ١٢٨٥ . اما البرج الاكبر فعلوه ٣١ مترًا ، وطول قطر دائرته ٢٩ مترًا ، وسمك جدرانه خمسة امتار وفيه طبقتان للدفاع ؛ وكان بين الطابق الاعلى والطابق الاسفل ثقوب يتكلمون فيها ، وبفضلها يصير التفاهم بين العساكر في القبو التحتاني وبين الحرس الواقف على المشارف . وفي اعالي ذلك البرج كانت طريق مستديرة محوّطة بالمرامي المخرّمة ، وهناك سطح كانوا يضعون عليه آلات الحرب الكبيرة .

في الصور التي عرضناها تظهر انقاض متراكمة (الرسم ٨) من بقايا مساكن وغرف واقبية دارسة كانت فيها المخازن والاسطبلات، ومواضع سكنى العساكر، والدهاليز الرابطة بين سائر الحصن. انما هي اثر بعد عين صبرت على مئات السنين وهي تحدثنا اليوم باعمال الصليبيين.

قلت اعمال الصليبيين، لان بنايات المرقب بعضها ينسب الى البيزنطيين وبعضها الى العرب. ولكن اجمل ما بقي فيها انما هو من اعمال الافرنج وقد ختموه بختمهم، وهو طرازهم الخاص في البناء النوطي الرومني. تصفح انلار تفاصيله في الحجارة وسمّى كل حجرة باسمها او كاد، وان نقل اقواله الى العربية لمستحيل. ونتمنى ان يوفق ائمة اللغة الى وضع الالفاظ المساعدة على ترجمتها. ولا بد، في وصف المرقب، من ملاحظة تأتي بها خدمة للصدق في التاريخ.

ان بعضهم لا يزالون الى يومنا يبخسون الصليبيين حقهم من الفضل على الفن والصناعة في الشرق، ولم ينسبوا للعرب الّا كل حسنة وللصليبيين الّا كل سيئة. وربما استبانوا بعض فوائد الحروب الصليبية، لكنهم لا ينفكون يشنّعون سمعتها، فينسبونها وشرورها الى الكنيسة ورجالها، فيغفلون ذكر الاسباب الجوهرية التي دعت بالمسيحية لتكافح عن كيانها بالسيف لئلا «يلتحم عليها طرفا الهلال.»

في مقال على سورية في زمن الصليبيين نشره السيد نقولا زيادة[1]، وصف احوال البلاد وصفاً قيّماً مستندًا الى المصادر؛ لكنه لم يميّز بين الغثّ والسمين. فلا كرد علي ولا برورتز عمدة يُعتمد عليها في الدرس الصادق لحوادث الحروب الصليبية؛ ينظر اليها الاول بعين غير مجردة عن التعصب الديني، والثاني يحصر نظره في دائرة المسائل الثانوية فيجمع للصليبيين ذكرى الحوادث السيئة، وهذه تحدث اينما كان بشر، ولم ينسب الى نور الدين وصلاح الدين واشياعهما الا كل فضيلة وحسنة[2] فما احرانا ان نرجع بهؤلاء الى قلعة المرقب ليدرسوا في انقاضها

---

١) في مقتطف ١٩٣٥، يونيو، ص ١٦ وما بعدها، ويوليو، ص ١٩٢ وما بعدها.

٢) لامنس: سورية ١: ٢٢٦

آثار الفن البنائي الصليبي ولا يخصوا محاسنه كلها بالمسلمين كما فعل الكاتب المذكور اذ قال في الصليبيين : « انهم قلدوا المسلمين في البناء الحربي الديني » (ص٢٠٢) ولم يزد على ذلك ، فاوهم انهم لم يبتكروا . والواقع خلاف الوهم، والمرقب شاهد.

تاريخ المرقب

البيزنطيون يسمونه Μαργάτης واللاتين « مرگات » او « مرگاتوم » (Merghatum) وان له تاريخه قبل الفتح الصليبي ، وفيه ، وبعد نزوح الصليبيين عنه .

قبل الفتح الصليبي – بناء الحصن

في ذلك العهد تناوب العرب والبيزنطيون في تملك القلعة ، فوضعوا بناياتها الاولية ، ولعلهم وجدوا فيها آثاراً لمن سبقهم في الاستيلاء على البلاد ، لان لفظة « عمّر » التي رواها ياقوت يمكن تأويلها بان « المعمّرين » وجدوا في آثار غيرهم مادة لما بنوه . قال في المعجم[1] :

« المرقب بالفتح ثم السكون والقاف وباء موحدة ، وهو اسم الموضع الذي يرقب فيه ، بلد وقلعة حصينة تشرف على ساحل بحر الشام وعلى مدينة بانياس. قال ابو غالب همام بن المهذب المعري في تاريخه[2] : وفي سنة ٤٥٤ هـ (١٠٦٢) فيها عمّر المسلمون الحصن المعروف بالمرقب ، بساحل جبلة ، وهو حصن يحدّث كل من رآه انه لم يرَ مثله ، واجمع رأي اصحابه على الحيلة بالروم فباعوهم الحصن بمال عظيم وبعثوا شيخاً منهم وولديه رهينةً الى انطاكية على قبض المال وتسليم الحصن . فلما قبضوا المال ، وقدم عليهم نحو ثلاثمائة لتسليم الحصن ، قتلوهم واسروا آخرين كثيرين فباعوا انفسهم بمال آخر ثم فدوا ذلك الشيخ وولديه بمال يسير وحصل المسلمون على الحصن والمال . »

١) طبعة وستنفلد ، ص ٥٠٠ من المجلد ٤

٢) مؤرخ نجهله . عسى ان يوفق منقب الى اكتشاف مؤلفه .

وترى ان وصف ياقوت للقلعة لا يعرفنا بها التعريف الذي يرتاح اليه الخاطر ، وما اكثر ما يوجد من حصون كل من يراها يحدث انه لم يرَ مثلها، ويكفي ان يكون لم يخرج من قريته فيحدث عن اكبر بناية فيها « انه لم يرَ مثلها » .

اما مخالفة سكان الحصن وعهودهم فسوف تؤدي لنا مادة لنظرات قيمة في تاريخ الصليبيين والردّ على من اتهمهم بقلة البرّ بالوعود .

وفي كتاب « عجائب البر والبحر » لشمس الدين الدمشقي[1] تعليمات على المرقب لم يأتِ بها صاحب المعجم . قال شمس الدين : « المرقب ثغر منيع ، على راس شاهق ، مطلّ على البحر ، كبير ، مثلث الشكل ، بناه الرشيد على اثر قديم ، ثم النصارى ، ثم ملكه المسلمون في عصرنا . »

وقال فان برشم (ص ٣٠٤ في الحاشية ٧) : ليس من المحتمل ان ينسب الصرح الى رشيد الدين سنان زعيم الاسماعيلية لان المرقب على ايامه كان في أيدي الاسبيتاليين ؛ وارتأى ان الرشيد انما هو هارون الخليفة وقد ذكر على سبيل المجاز ، اذ نسبوا اليه كل عمل عظيم كانوا يجهلون اصله ، شأنهم في نسبة امثاله الى سليمان . ولكن ليس ، في نظرنا ، مانع يحول دون ان يكون الرشيد هو الذي وضع اساسات المرقب ، ومعروف ان على ايامه بنيت العواصم والثغور ، صيانة للبلاد من هجمات البيزنطيين[2] .

وفي السنة ١١٠٤ احتل البيزنطيون المرقب وغيره من الحصن المجاورة كصافيتا وجبلة وغيرها .

استيلاء الافرنج على المرقب

في اي سنة فتح الافرنج المرقب ؟ وكيف فتحوه ؟ وكيف عاد فانتقل من ايديهم الى ايدي المسلمين ؟ هذه اسئلة مصادر الجواب عليها نوعان منها عربية ومنها لاتينية ؛ وبالمقابلة بينها حصّل المؤرخون التعليمات التي ساعدتهم على وضع تاريخ الحصن .

---

١) طبعة مهرن الافرنجية ، ص ٣٠٨

٢) لامنس : سورية ١ : ١٢٦

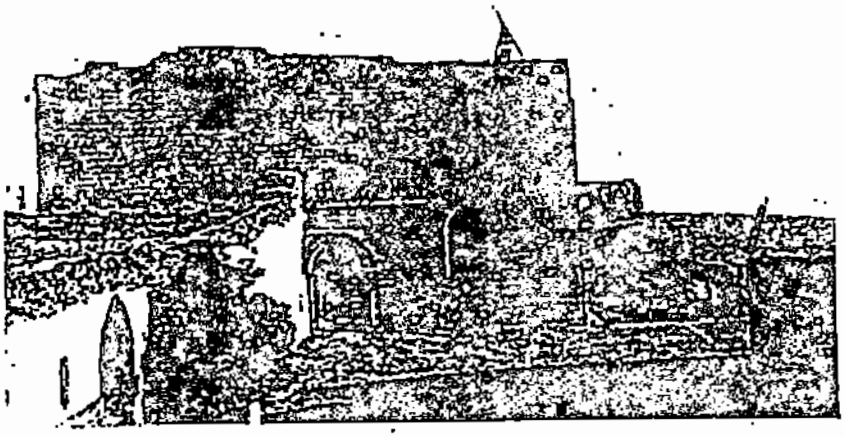

الرسم ٧ - واجهة الكنيسة الشمالية

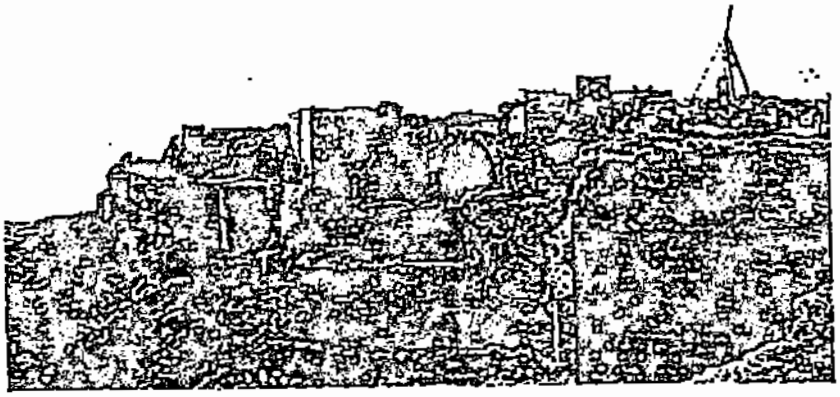

الرسم ٨ - انقاض متراكمة

في السنة ١١١٧-١١١٨ هاجم الصليبيون المرقب وكان في حوزة المسلمين، فضايقوه وكان صاحبه يعرف بابن محرز . فارسل الى اتابك طغدكين يسأله ان يستلم القلعة لئلا تسقط في يد الصليبيين ؛ وكان طغدكين حاكم دمشق ومؤسس دولة المماليك وجامع كلمة امراء المسلمين[1] .

وكان الحصار قد اخذ بخناق الحامية وقلت المؤونة وارتفع سعر القوت والحاجيات واشتد الغلاء ؛ وفي غضونها كان حاكم جبلة ابو محمد بن الصليعة في دمشق ، بالقرب من طغدكين ، فاستنجده ايضاً ابن محرز برسالة عرض فيها عليه الحصن ليستولي عليه ويؤمنه من الافرنج وقال : « ان لم تلحقونا اعطيناه للفرنج . » وكانت جبلة قد سقطت في ايدي الصليبيين ، فكانت الفرصة سانحة لاستردادها ، ودفع غارات الصليبيين عن المرقب . فاشار اتابك طغدكين على ابن الصليعة باخذ المرقب ، واطمعه في انه يسترد جبلة ووعده النجدة والمعونة فسار ابن الصليعة من دمشق وذهب الى حماة ، ومنها الى حصن شيزر فابتاع فيها ما يكفيه من غلال عدة شهور ، فبلغ الى قلعة المرقب وتسلمها ؛ وظل ابن محرز فيها ؛ وارسل ابن الصليعة نوابه لاسترداد جبلة . وحدثت في السنة ٥١١ هـ (١١١٦م) مجاعة من جراء اتلاف المزروعات في البلاد فارسل ابن الصليعة الى اتابك طغدكين على يد ابن محرز صاحب الحصن يسأله المعونة بغلة تحمل اليه .

وفي غضونها كان روجار ، صاحب انطاكية ، قد خرج الى حماة ورفنية ، فخرج اليه اتابك طغدكين . وكادا يلتقيان بالقتال ؛ ثم جرت بينهما مراسلات ادى امرها الى ان يبتعد روجار عن حماة وعن رفنية ، على ان يتسلم المرقب . ودفع اتابك اربعة من اصحابه رهينة على الوفاء . وعاد روجار الى انطاكية . وراسل طغدكين الذين بالمرقب ، وأمرهم بالتسليم الى الافرنج على غير قيادة ولا تعويض . فارتاعوا من هذه الرسالة وصرفوا رجاله ، وابوا التسليم الى الافرنج ولم يحفظوا العهود التي قطعها اتابك طغدكين ، ملك دمشق ، مع

---

١) راجع كرد علي : خطط الشام ١ : ٢٨٥

ووجار . فصار الافرنج يلتمسون الحيلة الى احتلال القلعة .

ودبّ الخلاف بين ابن الصليعة وابن محرز . وخاف ابن الصليعة من اهل المرقب ، فخرج منها . فوثب اهل المرقب ونهبوا ماله ؛ فأشعر ابن محرز بضعفه وارسل الى افرنج بانياس بتسليمهم المرقب ، على ان يبقى اهله في جانب منه .

فاجابوه وتسلّموا المرقب منه . وبعد ايام يسيرة اخرجوه منه وعوضوه بالمنيقة .

هذه رواية كتاب مخطوط عنوانه « تشريف الايام والعصور بسيرة السلطان الملك المنصور » طبع ثان برشم شيئاً منه فاخذنا عنه . ونوّه هونيكمان بحوادث فتح المرقب فقال : ان الافرنج نكثوا العهود . ولم ينتبه الى كون اصحاب المرقب هم الذين خالفوا ما كان تعهّد به سلطانهم وكانوا اول من نكث العهد ؛ ثم من معاملتهم ابن الصليعة الذي نجدهم واحسن اليهم تستدل على ان الافرنج لم يُبقوهم في المرقب الا خشية الخيانة ؛ وعلى كل حال فقد عوّضوا عليهم بغير موضع للسكنى .

ودخل المرقب في دور تاريخه الثاني .

على عهد الصليبيين

واختلف المؤرخون على سنة فتحه ، وعلى اسم صاحبه ، لكنهم اجمعوا على انه كان من اسرة منسوير (Mansuer) وهم من موالي امير انطاكية . على ان دولة آل منسوير في المرقب لم تطل مدتها . وفي اول شباط سنة ١١٨٦ اشعروا بعجزهم عن القيام بهمتهم والدفاع عن الحصن فدعوا فرسان الاسبيتار وسلّموهم المرقب وتخلوا عنه .

كيف جرى ان اسرة منسوير النبيلة تخلّت عن حصنها ، وعن عنوان شرفها وما كان الداعي الى ذلك ؟ قد يرى المؤرخون السبب في ذلك الخراب الذي حلّ بالمرقب والمخاطر التي احدقت به ، مع انحطاط قوى اصحابه ، مما جعل اكتافهم تنوء دون حمله الثقيل ولا بد من كلمة استطراد في الموضوع تفسيراً لوقائع المرقب .

الفرسان «الاسبتار»

ان الحملات الصليبية كانت في جوهرها حروباً مقدسة ، وغايتها الاساسية تحرير الاراضي المقدسة من نير المسلمين . فكان السواد الاعظم من الصليبيين يدخلونها مدفوعين بالداعي الديني ، واذا أتوا الشرق وقاموا بما كانوا يعتقدونه واجباً تقيدوا به في خدمة الدين ، كانوا يهتمون بالعودة الى بلادهم . فعادوا اليها كباراً وصغاراً ، امراء وملوكاً وعامة ، لكنهم سعوا الا تذهب اثمار فتوحاتهم ضياعاً فجهدوا في تأسيس مملكة اورشليم وتنظيم اماراتها لتكون مستعمرة كاملة فيها من القوات ما يكفيها للدفاع عن ذاتها بذاتها ، من غير التعويل على اوربة لكي تواصلها بنجداتها . وبالطبع كان امر التجند اهم الامور في تلك المملكة ، والمسلمون كانوا يهادنون لمدات قصيرة ثم يعودون يهاجمون الصليبيين . فاهتم الامراء الصليبيون في حشد العساكر من سائر العناصر التي دخلت في طاعتهم ، ليس فقط من مسيحيين ، ولكن من مسلمين ايضاً . على ان هؤلاء الرجال كانوا معاونين ، ولم يُعهد اليهم بامر القيادة وبالاعمال المتعلقة بها مقدرات المملكة وحياتها ؛ فكان الجيش النظامي الثابت اخصه من جماعة من الافرنج لا من عامتهم ولكن ممن تخصصوا للجهاد وقد انخرطوا بسلك الرهبان ونذروا النذور ، وضحوا بحياتهم في خدمة المصلحة الصليبية ، طبقاً لما كانت تقتضيه الظروف . ومن هؤلاء كان الفرسان الاسبتار كما سماهم العرب .

دعوا بذلك الاسم نسبة لمستشفى القديس يوحنا في اورشليم المؤسس فيها قبل حملات الصليبية ؛ وعاشوا ، في بادئ الامر ، مقيدين بقانون القديس بندكتوس ، وقد بسط البابا حمايته عليهم . ولهم امتيازات وحقوق يتمتعون بها . لباسهم الوشاح الاسود المعلم بالصليب الابيض ، وختمهم فيه صورة مريض عنواناً لغايتهم الاولى . كانوا اولاً مختصين لمعالجة المرضى ، وصاروا من بعد يحملون السلاح في زمان الشدائد . وان ذلك الزمان حان في اواخر القرن الثاني عشر ، عقب الزلازل التي خربت المدن والقلاع واوهنت قوى المرقب فجعلتها مطمعاً للمسلمين . هي المزات الهائلة التي اجمع المؤرخون على ذكرها ولنا في تاريخ الازمنة للدويهي وصفها المعتبر لما بذله المؤرخ الماروني من الهمة في

استقصاء اخبار تلك الايام قال[1]:

« في السنة الف وسبع مئة كانت الزلزلة العظيمة في الشام فلم يسمع مثلها. دامت نحو اربعة اشهر ولم تزل الناس تشاهد الرجفة من شدة الريح الذي انحصر بباطن الارض . وخربت انطاكية وجبلة وحلب وشيزر وحماه وحمص. واما طرابلس فصارت كلها بشبه المقبرة. ما ثبت فيها بيت عامر ولا خلص منها رجل حتى حكمه الموت ».

لم يأتِ اسم المرقب في لائحة الدويهي ولا في سائر المؤرخين العرب. اما الافرنج فذكروه في كتبهم بين الحصن التي خربتها الزلازل . فاشعر آل منذير بعجزهم عن ترميمه وقد اعتراهم الملل من الجهاد المستديم فحنّوا الى بلادهم وتاقوا اليها ، فسلّموا المرقب الفرسان الاسبيتار وهم مستعدون لحمايته.

تحصين المرقب

فاحتلّ الفرسان الاسبيتار قلعة المرقب ، وصاروا يعنون بترميم خرابها وتحصينها ، وشحنها بالمؤن والذخائر اتقاء هجمات العدو . فتعززت على ايامهم وعمُرت . كان آل منذير قد بنوا الناحية الشرقية الكبرى في القلعة بجدارها المزدوج ، وخطوطها البسيطة ، وبروجها المستديرة الصغيرة الاطار المحصّنة بطبقة واحدة.

اما الفرسان الاسبيتار (١١٨٦—١٢٨٥) فبنوا القلعة في نصفها الجنوبي الاصغر ، اي المثلث الزوايا المستطيل الواقع بين الجبهة A غرباً ، والبرج R شرقاً ، والمسند C ، ذلك ما تدل عليه هيئة البناية اجمالاً وهي تنم عن اواخر القرن الثاني عشر ، واوائل الثالث عشر.

في السنة ١٢١٢م زار المرقب سائح افرنجي اسمه ولديرد ، فوصفه ، وافادنا عليه ما لم يأتنا به ياقوت. قال:

« خرجنا من طرطوس فصعدنا الى المرقب وهو قلعة واسعة محصّنة يحيط بها سوران فيهما بروج عديدة . والجبل الذي بنيت عليه القلعة عال فهو حصن

---

١) مخطوط المكتبة الشرقية

الاسبيتار ، واعظم معقل في تلك البلاد وقد وُضع ضد المعاقل القوية العديدة التي بناها « شيخ الجبل » وسلطان حلب . فكبح حصن المرقب جماحها ، والجأها الى دفع الجزية ، فصارا يبتاعان الامن كل عام بالفي مارك . وخشية ان يهاجم الحصنُ مباغتةً ، لا ينفك الحراس عن حراسته ليل نهار ؛ وقد يحوي عدداً من من السكان عديداً ، ويطعم فيه الاسبيتار الف رجل عدا العساكر ، وفيه المؤونة لخمس سنوات . »

ومن البديهي ان « الاسبيتار » ، على كثرة اموالهم وغناهم ، لم يستطيعوا ان يقوموا وحدهم بكل ما كانوا يحتاجون اليه من النفقات ، فيذكر تاريخهم ان ملك المجر ، بعد عودته من الحملة على الاراضي المقدسة ، مرّ بالمرقب . فاستقبله الاسبيتار ورحبوا به فجعل لهم اموالاً ينفقونها في ترميم ما انتقض من الحصن وفي صيانته . فعظم شأن الحصن . ومما يدل على مناعته في ذلك العهد ان صلاح الدين ، بعد ان ظفر في وقعة حطين وفتح القدس وغيرها من مدن المملكة اللاتينية ، طمح ببصره الى المرقب فسار اليه سنة ١١٨٨ لكنه لم يجرأ على مهاجمته فتحول عنه . قال ابن شداد في سيرة صلاح الدين[1] :

« لمّا تكاملت عساكر صلاح الدين رحل ونزل تحت حصن الاكراد فنزل على انطرسوس فوجد الفرنج قد خلوا انطرسوس فسار الى مرقية فوجدهم قد خلوها ايضاً ، فسار تحت المرقب وهو للاسبتار فوجده لا يرام ولا لاحد فيه مطمع » .

وكأني باحد شعراء القائد الكبير سار واياه على السفوح المحيطة بالقلعة ، وقاسها بنظره من اسافلها الى اعاليها ، وشاهد السحب تحف بجوانبها كموج البحر والقلعة سفينتها ، وحاول ان يكتشف مواضع بنيانها على الصخر ، فاذا هي قطعة من الجبل والجبل قطعة منها . نظر الى كهفها وخوافيها فاذا فيها يعشش النسر ، فقال فيها شعراً سار مثلاً في الناس :[2]

---

١) طبعة شولتنس وترجمته ، ص ٤٤

٢) عن النويري : نهاية الارب في فنون الادب ، ص ٤٠٥ من الجزء الاول

وقلعة عنق العيوق سافلها ؛ وجاز منطقة الجوزاء عاليها
لا تعرف الفطر ، اذ كان الغمام لها ارض توطأ قطريه مواشيها
اذا الغمامة لاحت ، خاض ساكنها حياضها قبل ان تمسي غزاليها
يُمدُّ من أنجم الافلاك مرقبها ، لو انه كان يجري في مجاريها
على ذرى شامخ وعر ، قد امتلأت كبرًا به ، وهو علوه بما تيها
له عقابٌ ، عُقابُ الجوّ حائمةٌ من دونها ، فهي تخفى في خوافيها

ابتعد صلاح الدين عن قلعة المرقب ولكن لم يحول المسلمون نظرهم عنها . وقد قيض لهذه البلاد العزيزة ان تكون في موقعها الجغرافي جبهة التقاء الشرق بالغرب ، فان تمتعت بالسلم ساعة ، فالايام تتمخض لها بما ليس في الحسبان.

ففي السنة ١٢٠٤ سيّر السلطان الملك الظاهر الغازي ، صاحب حلب ، حملةً على المرقب . فهاجم جنوده السور وخربوا منه برجين ، وكادوا يدخلونه لولا سهم قتل قائدهم فارتدّوا خائبين . وكان فرسان الاسبيتار يخرجون من المرقب ، من حين الى حين ، فيغزون للامتيار ، ويرجعون واشعر المسلمون ان لا راحة لهم ما دامت الحصون الكبرى في ايدي الافرنج . نعم ان بيبرس انشأ عهد مهادنات كان القتال يكفّ فيها من الجانبين ، فيتاح لكل فريق معالجة شؤونه وتضميد جراحاته . ولكن كل منهم كان يتمثل بقول الشاعر ويتأهب للقاء عدوه :

ان العدو ، وان ابدى مسالمة ، اذا رأى منك يومًا غرة ، وثبا.

وفي السنة ١٢٧١ سقط حصن الاكراد بيد المسلمين فاشعر فرسان الاسبيتار في المرقب بالخطر المحدق بهم ، والجئوا الى مهادنة ضحوا فيها بنصف املاكهم ، وتعهدوا الّا يزيدوا في بنايات المرقب بنايات غيرها.

ومات السلطان بيبرس ، وظهر التتر في نواحي حلب ، وهم احلاف الافرنج ، فاغتنم الصليبيون الاسبيتار الفرصة ، فغزوا اراضي المسلمين وروى ابو الفداء خبرهم ، فقال :

« في السنة ٦٨٠ (١٢٨١ - ١٢٨٢م) استأذن سيف الدين بلبان الطباخي ، احد مماليك السلطان الملك المنصور ، وكان نائب السلطان في حصن الاكراد ، في الاغارة على بلد المرقب لما اعتمده اهله من الفساد عند وصول التتر الى حلب ، فاذن له السلطان في ذلك ، فجمع بلبان الطباخي المذكور عساكر الحصون

وسار الى المرقب ، فاتفق هروب المسلمين ونزل الفرنج من المرقب وقتلوا واسروا من المسلمين جماعة »[1].

وكان لذلك الفشل تأثيره المؤلم في المسلمين ، وتأهبوا للثأر . واشعر الاسبيتار بالخطر المحدق بهم فصاروا يتحفظون لئلا يفاجئهم السلطان على غفلة منهم .

سقوط المرقب في يد السلطان قلاوون

قد حفظ التاريخ للحروب الصليبية ذكرى وقائع شهيرة من قتال وفتح ، وربما كان دخول المسيحيين بيت المقدس وخروجهم منه وانكسارهم في حطين ، وجهادهم في عسقلون ، مما تثير قصته الاعجاب فتحول النظر عما دونها اهمية ؛ على ان الكفاح الاخير حول المرقب هو من الحوادث الخطيرة المعدودة محطة حاسمة في الحروب الصليبية الجديرة بذكرى التاريخ . لم يحفظ لنا الافرنج الا تفاصيل ضئيلة . ولا عجب ، فان ذكرها يثير اسفهم على فقدان حصن من اعز حصونهم . اما العرب وقد نالوا من فتح المرقب النصر ونتائجه ، فأسهبوا في الكلام على فتحه . ولنا من اقوالهم ما كتبه الشاهد العيان لتلك المواقع ابو الفداء ، وكان في الثانية عشرة من عمره لما حضر حصار المرقب ، وصاحب كتاب تشريف الايام المذكور سابقاً . وقد وصف فيه فتح قلاوون للمرقب وصفاً مفصلاً فعولنا عليه في سرد الحوادث .

مات السلطان بيبرس سنة ١٢٧٧ فخلفه قلاوون وصي ابنه واعلن ذاته سلطاناً سنة ١٢٧٩ ، فحارب المغول واحلافهم الصليبيين وكسرهم في سهول حمص سنة ١٢٨١ ، وتغلب على خصمه صنقر الاشقر صاحب دمشق ، وحمل على المرقب . وكان حصار القلعة يقتضي عدداً عديداً من العساكر . ولكن المثل السائر يقول : « اللطف بالحيلة اجدى للوسيلة » فاوهم قلاوون الصليبيين انه اعرض عن المرقب . وصار يحشد العساكر سراً ليفاجئ اعداءه على غير أهبة منهم .

فجهز المجانيق في دمشق ، وأمر بحملها الى الجهة المجهولة . فسار الرجال ، ولا يعرفون الى اين السير والمصير . وتجهزوا بازوادهم ومقدميهم . وهم يضربون

1) راجع مجموعة مؤرخي الحروب الصليبية : المؤرخون الشرقيون ١ ص ١٥٨

اخماساً لأسداس ، ويتحدثون في اي موضع يلاقون العدوّ ، وبعضهم يقول : ان الحملة الى بلاد الروم ، وغيرهم غير ذلك.

وفي غضونها تحركت العساكر من مصر بعددها وعديدها، فكانت زردخانة بكمالها ، وفيها احمال كثيرة من النشاب. ففرّقت على الامراء والجند. وجُهّزت آلات الحديد والنفط . وأُحضر الاختصاصيون من المهندسين والصناع الخبيرين بضرب الحصار واستعمال المجانيق.

ودار عمال قلاون على القلاع المجاورة للمرقب ، وهي في حوزة المسلمين فجردوها من مجانيقها ، من غير رهج ولا اظهار شيء. وحُملت الآلات والمجانيق على الاعناق والرؤوس ، وسار السلطان قلاون.

وبلغوا الى المرقب فنازلوه ، وذلك في يوم الاربعاء العاشر من شهر صفر (١٧ نيسان ١٢٨٥) وللوقت حُيلت المجانيق على الاكتاف وطاف البلاء بالحصن من كل مكان ونُصبت المجانيق الفرنجية والقرابغا . ومن جملة ذلك مجانيق فرنجية كبار ثلاثة ، ومجانيق قرابغا ثلاثة ، ومجانيق شيطانية أربعة ، بحيث انها طافت بها من كل مكان واستمرّت ترمي من الحجارة بما يتطاير شرره.. واخذت النقوب من كل جانب واتفق ان المجانيق الفرنجية التي كانت في ايدي الاسلام كسرت مجانيق الفرنج . وتقدمت الاسلامية الى قريب القلعة فاصلح الافرنج مجانيقهم ورموا على المجانيق الاسلامية فكسروا بعضها. وقُتل تحتها جماعة من المسلمين... وانتهى النقب السلطاني وحُشي بالاحطاب وأُوقد في يوم الاربعاء سابع عشر شهر ربيع الاول . فعملت النيران في وسط النقب في البرج الذي في الباشورة[1]

وزحف المسلمون ليتسلقوا الباشورة ، واشتد القتال ، وقصدوا الصعود ، فما تمكنوا. فبطل الزحف، وانفصل هذا النهار ، وسقط البرج وتوهم المسلمون عسر التوصل الى الحصن وباتوا في قلق عظيم لان المجانيق تعطلت والنقوب التي صارت في السور ترممت ... فلما كان يوم الجمعة ... خيل الله للفرنج ان النقوب في

١) الباشورة : هي البرج المتعالي على مدخل القلعة ، وقد سماه الافرنج « Barbacane » (van Berchem)

بقية الاسوار قد اصابها ما اصاب النقب السلطاني وان النقوب تخرج الى الخنادق ومنها الى الابراج ، وهم لا يشعرون بذلك فأيقنوا بالهلاك وطلبوا الحديث في الامان والمعاملة بالعفو والاحسان ... فرأى السلطان ان اختيار الغنيمة بهذا الحصن العظيم اولى من التطويل في حصاره ... فأجابهم الى العفو والامان ... فبرزوا اكابرهم الى الدهليز ، ولم يسألوا غير الامان على النفوس ، وان لا يخرج معهم لا مال ولا سلاح متعلق بالحصن خاصة ... ومن له مال يتعلق بنفسه يُنعم عليه به ... وكتبت لهم امانات . وصعدوا ومعهم الامير فخر الدين المقري الحاجب . فحلف الجسطلين وبقية الفرسان وسلموا الحصن جميعه في ثامن ساعة من نهار الجمعة ثامن عشر شهر ربيع الاول (٢٤ ايار) . ودخله السلطان يوم السبت واجتمع الامراء الاكابر في خدمته . وضرب للحال مشورة في هدم القلعة او ابقائها فمنهم من اشار بهذا ، ومنهم من اشار بهذا ، فرأى السلطان ابقاءها لحصانتها ومنعتها وتحسينها وتزيينها ... ورتب بها الف راجل اقجية وبرخية ومقاتلة ، واربع مئة من ارباب الصنائع ، ورتب بها جماعة من الامراء اصحاب الطبلخانات ، وجماعة من البحرية الصالحية والمنصورية مائة نفر ، ونقل المنجنيقات التي كانت ترمي عليها فصارت ترمي منها وكذلك الآلات والاخشاب والاحطاب والنشاب والزردخانة والنفط ، ومن كل شيء كان في صحبته من اصناف الحصن وآلاته . ورتب لها خاصاً بلاد كفرطاب ، ومدينة انطاكية ، ومدينة اللاذقية ، والمينا ، وبلاد المرقب التي كانت خاصاً له وما كان مُقطعاً قبل الفتح . وجملة ما يتحصل منه عند عمارته الف الف درهم . ورتب كلف عمارته ونفقات رجاله على البلاد الى ان تتعمر وتتراجع اهلها . ولما تمت هذه الامور رحل فنزل بالوطاة على مدينة بلنياس[1] .

وما زال ذكر الفتح منقوشاً الى يومنا في برج القلعة الاكبر ، وقد رممه قلاون واصلحه واليك نصه (عن فان برشم) :

(بسملة) . فتح هذا الحصن المحروس وانشأ هذا البرج المبارك

١) فان برشم ، ص ٢١٠ ، اخذاً عن القشريف ، ص ١٤٦

مولانا . . . سلطان الاسلام والمسلمين، قاتل الكفرة والمشركين مبيد الطغاة والمنافقين سيف الدنيا والدين قلاون الصالحي ابو الفتح قسيم امير المؤمنين. وذلك في شهور سنة اربعة وثمانين وستمائة وذلك بتولي العبد الفقير بلبان المنصوري .

وها ان الايام طويت ، والسنين مضت ، وانقرض عهد المماليك وعاد الافرنج الى البلاد السورية ، لا كالفاتحين، ولكن كالاصدقاء المرافقين والخلان المساعدين. لقد زرنا انقاض المرقب ، واحيينا في ذكر تاريخه حياة البطولة . عسى ان نحيا بها نحن ايضاً وهي خير تراث خلف عن سلف.

في تاريخ الفقه الاسلامي

ثلاث محاضرات

للدكتور يوسف شخت
الاستاذ بجامعة كونيكسبرج ، والاستاذ بالجامعة المصرية

٣

تكلمنا في المحاضرتين السابقتين عن مسائل تتعلق بثلاثة ادوار قديمة من تاريخ الشرع الاسلامي ، وهي العصر الجاهلي — وليسمح لي بادخاله في هذا النطاق الواسع — ، وعصر فقهاء المدينة السبعة ، والعصر الذي تكونت فيه المذاهب الكبرى. فالان، ونحن مستمرون على السير بموجب الترتيب الزمني، ننتهي الى دور تندر مصادره . فمن العجب ان نلاحظ انه لم يبلغنا الا القليل جداً من مؤلفات الزمن بين بدايات المذاهب (التي توجد لها مصادر معاصرة ولو لم تطبع كلها) والنهضة العظيمة التي بلغها علم الفقه في القرن الخامس للهجرة . ونتيجة هذا الدور لا بد ان تكون ذلك التنظيم والتنسيق للفقه الذي نشاهد اكمل مظاهره عند المذاهب الثلاثة في وقت واحد تقريباً — للحنفية على يد القدوري، وللشافعية على يد الغزالي ، وللمالكية على يد سيدي خليل . ويلوح انه ليس مستحيلاً ان نتمكن من اكتشاف وثائق اكثر تبياناً لهذا الدور الغامض ، اذا ما وجدنا ان بعض مؤلفات ابي جعفر الطحاوي الفقيه المصري المشهور وبعض الكتب الاخرى التابعة لذلك العصر قد كانت حليفة البقاء . وقبل ان يتحقق هذا الامل علينا ان نقتبس معارماتنا من الكتب التي تعالج اختلاف الفقهاء ، وهي كتب هدتنا المصادفة الغريبة الى عدد غير قليل منها يرجع الى القرن الرابع الذي نبحث عنه. وهذا مما يبرر بضع ملاحظات على هذا النوع من كتب الفقه على العموم. فقد ذكرنا في محاضرتنا السابقة اول كتاب وُضع في هذا الفن وهو كتاب الحجج لمحمد بن الحسن الشيباني . فهذا الكتاب يشترك مع بضع رسائل

للشافعي في غرض يحتمل ان احدث هذا الفن كله ، وهو مجادلة المعارضين التي تستلزم بطبيعة الحال ابداء آرائهم . وأمّا كتاب اختلاف الفقهاء لابن جرير الطبري الذي ذكرناه ايضاً قبلاً فيحلّ فيه محل هذا الغرض شيء آخر، هو المقارنة والموازنة بين اقوال المتقدمين تأسياً لمذهب المؤلف نفسه ؛ وان هذا الكتاب اولى ان ينسب الى القرن الثالث وان كان مؤلفه قد مات في سنة ثلاثمائة وعشر . وهذان النوعان من كتب الاختلاف ظلّا قائمين الى القرن الرابع ، والى جانبهما قد نشأ نوع آخر ، وهو نوع الكتب التي تُثبت الآراء المتنافسة لغرض علمي محض . واحياناً نجد المؤلف الواحد قد ألف في الاختلاف اكثر من كتاب واحد . ومن ذلك ان الطحاوي الذي اسلفنا ذكره الف كتاب شرح معاني الآثار وغرضه الراجح هو المجادلة بحيث انه لا يذكر حتى اسماء خصومه ، ولكن له ايضاً كتاب اختلاف الفقهاء الذي يدلي فيه برأيه الشخصي على اثر عرض الآراء المختلفة والأدلة الدالة عليها . — وقد الف معاصره محمد بن ابراهيم بن منذر النيسابوري كتاب الاختلاف الذي يمثل هذا النوع الثاني ، كما الف ايضاً كتابين من النوع الثالث وهما كتاب الإشراف على مذاهب اهل العلم والكتاب الاوسط في السنن والاجماع والاختلاف ؛ وهذا الاهتمام العلمي المحض قد حمله ايضاً على ان يجمع في كتاب الاجماع المسائل التي لا اختلاف فيها . اما المسائل المختلف فيها ضمن المذهب الحنفي فلدينا الروايات الثلاث لكتاب مختلف الرواية لأبي الليث السمرقندي وهو ايضاً من النوع الثالث العلمي المحض . وقد ذكرت كل تلك الكتب تفصيلاً لانها على العموم غير معروفة الا للقلائل رغم أهميتها ، ولانها لم تطبع بعد الا شرح معاني الآثار للطحاوي . وما اكثر الكتب المؤلفة في هذا الموضوع في زمن متأخر في القرن الخامس وما بعده فلا يمكننا ان نوازي بينها وبين تلك المصادر القديمة ولا ينبغي ان نعتبرها وسيلة يعتمد عليها في الحصول على معلومات جلية ، لان تلك الكتب كثيراً ما تناقض نفسها وتناقض حقيقة الامر اي اقوال المذاهب المشهورة . وذلك لانها ليست قائمة على معلومات مباشرة بل يتوقف بعضها على بعض . كذلك كتاب الميزان الكبرى للشعراني ليس الا تغييراً لكتاب رحمة الامة في اختلاف الائمة للدمشقي،

في تاريخ الفقه الاسلامي

ثلاث محاضرات

للدكتور يوسف شخت
الاستاذ بجامعة كونيكسبرج ، والاستاذ بالجامعة المصرية

٣

تكلمنا في المحاضرتين السابقتين عن مسائل تتعلق بثلاثة ادوار قديمة من تاريخ الشرع الاسلامي ، وهي العصر الجاهلي — وليسمح لي بادخاله في هذا النطاق الواسع — ، وعصر فقهاء المدينة السبعة ، والعصر الذي تكونت فيه المذاهب الكبرى. فالآن، ونحن مستمرون على السير بموجب الترتيب الزمني، ننتهي الى دور تندر مصادره . فمن العجب ان نلاحظ انه لم يبلغنا الا القليل جداً من مؤلفات الزمن بين بدايات المذاهب (التي توجد لها مصادر معاصرة ولو لم تطبع كلها) والنهضة العظيمة التي بانها علم الفقه في القرن الخامس للهجرة . ونتيجة هذا الدور لا بد ان تكون ذلك التنظيم والتنسيق للفقه الذي نشاهد اكمل مظاهره عند المذاهب الثلاثة في وقت واحد تقريباً — للحنفية على يد القدوري، وللشافعية على يد الغزالي ، وللمالكية على يد سيدي خليل . ويلوح انه ليس مستحيلاً ان نتمكن من اكتشاف وثائق اكثر تبياناً لهذا الدور الغامض ، اذا ما وجدنا ان بعض مؤلفات ابي جعفر الطحاوي الفقيه المصري المشهور وبعض الكتب الاخرى التابعة لذلك العصر قد كانت حليفة البقاء . وقبل ان يتحقق هذا الامل علينا ان نقتبس معلوماتنا من الكتب التي تعالج اختلاف الفقهاء ، وهي كتب هدتنا المصادفة القريبة الى عدد غير قليل منها يرجع الى القرن الرابع الذي نبحث عنه . وهذا مما يبرر بضع ملاحظات على هذا النوع من كتب الفقه على العموم . فقد ذكرنا في محاضرتنا السابقة اول كتاب وُضع في هذا الفن وهو كتاب الحجج لمحمد بن الحسن الشيباني . فهذا الكتاب يشترك مع بضع رسائل

مكروه اشد الكراهة » وهذا ليس صحيحاً لان الشيباني قد جمع امثال تلك الحيل في باب طويل من كتابه المتقدم ذكره نقرأ فيه كلاماً كهذا : « ارأيت رجلاً يريد ان يشتري داراً ويخاف ان ياخذها جارها بالشفعة فكره ان يمنعه من ذلك فيظلمه وكره ان يعطيه الدار فيدخل عليه ما يُكرّه هل عندك في ذلك حيلة ؟ قال: نعم الخ » . واليكم مسألة تدل على ان رأياً نُسب خطأ الى ابي حنيفة قد ظفر بان يصبح مسلماً به في المذهب كله ؛ فنقرأ في الفتاوى العالمكيرية : « فاعلم بان الوقف على قول ابي حنيفة رحمه الله لا يصح مضافاً الى ما بعد الموت الا بطريق الوصية ، هكذا ذكر الخصاف رحمه الله ، ومحفوظنا ان الوقف عند ابي حنيفة رحمه الله صحيح اذا كان مضافاً الى ما بعد الموت او كان موصى به » . ومع ذلك فالخبر الذي ذكره الخصاف هو الصحيح لان هذا يظهر من قول الشيباني نفسه في كتاب المخارج في الحيل . وقد امكن ايضاً ان تتسرب اخبار ملفقة الى حواشي كتب الشيباني حتى في زمن قديم جداً . وينبغي لهذا كله ان يتحاشى المرء قبول شهادة كتب احدث عهداً في اقوال الائمة الاقدمين من دون تمحيص . وسبب تلك الاغلاط يرجع قبل كل شيء الى تضاؤل الاهتمام بآراء فقدت اهميتها العملية بعد التدوين النهائي للاحكام في المذاهب ، ويرجع ايضاً الى الظن الطبيعي ان تلك الاحكام المدونة هي عين الآراء الشخصية للائمة الاقدمين ، ويرجع اخيراً الى استبدال عبارات مثل « في قياس قول ابي حنيفة » بعبارات اخرى مثل « في قول ابي حنيفة » فحسب وهو شيء نراه حتى في الكتب القديمة جداً .

وأخرى المسائل التي سنبحث عنها هي مسألة القانون العرفي في بلاد الاسلام . فبينا ان العلاقة بين الاحكام الشرعية والاحكام العرفية — كما رأينا — وجهة مركزية من تطور الفقه نفسه في الادوار الاقدم عهداً فان هذه العلاقة تصبح بعد ذلك عندما استقر الفقه في صورته النهائية مطلباً مستقلاً . ومن بينات القوة الروحية العظيمة التي استمتعت بها الشريعة انها بلغت حدّ فرض نفسها على القانون العرفي وان كان هذا القانون قد بلغ من ناحيته او كاد يبلغ حدّ احتكار العمل القانوني من الوجهة المادية . وهذا بادٍ من ان الناس تحققوا وجود قانون عرفي

يعارض كثيراً من الاحكام الشرعية ؛ وانهم فسروا هذا من الوجهة التاريخية بان الأجيال المتاخرة لم تبلغ شأن السلف الصالح ، ومن الوجهة الاخلاقية بمبدأ الضرورة التي اغنت عن العمل بالاحكام الشرعية . وعلى هذا النسق الفكري اوجد عالم معاصر فيما يتعلق بالخلافة التي تناءى تاريخها اصلاً عن قواعد الشرع ، قواعد ثانية موجهة الى التطبيق العملي ولكنها مع ذلك مصنوعة على طراز تلك القواعد الشرعية . فاما ما يتعلق بالفقه فقد رأى اهله ان يوفقوا بينه وبين العرف على قدر المستطاع مما افضى في التطور المتأخر للمذهب المالكي المغربي خصوصاً الى ان يجيزوا عدة تصرفات عرفية لم تكن تعرفها الشريعة من قبل . اما العمل العرفي فكثيراً ما حاول اصحابه ان يحتفظوا بظاهر المطابقة للشريعة على الأقل ، في حين ان حقائق الامور كانت بعيدة عنها بعداً شاسعاً . وهكذا اقاموا في حالة اخذ السارق والسكران عند ارتكاب الجريمة حدود السرقة والشرب رأساً معتقدين اعتقاداً صبياً انهم يطبقون الشريعة ولكن دون ان يعنوا بالاجراآت الدقيقة التي فرضتها الشريعة . وهكذا ذهب بعضهم الى حد ذبح مجرم يستحق الموت وفاقاً لقواعد ذبح الضحايا . وأنظمة المحتسب وناظر المظالم لا يراد بها الا اجتياز الهوة التي تباعدت شقتها بين منطقة الشريعة ومنطقة الحياة القانونية العرفية ، فلهذا ليست من الشريعة المحضة . ومنذ الزمن القديم كانت حاجة الشريعة محسوسة الى ان يندمج فيها العرف القانوني وان تتيح لمن يهمهم الأمرُ الوسائلَ لعقد تصرفات تقتضيها العادة مع مراعاة احكام الشريعة الالهية مراعاة تامة . وهذا هو الغرض من الحيل الشرعية التي تجمع بين المخارج البسيطة والطرق الفقهية الأدبية . فبهذه الحيل يصل المرء من طريق تصرفات شرعية الى نتائج تطابق الحاجات العملية ولكن لا تسلم بها قواعد الفقه رأساً ؛ فهي من جهة الفقه مخارج ومواضعات ومن جهة العرف جهود في جعل العرف مقبولاً موافقاً للشرع .

وقد انشأ الحنفية هذا الفن من الفقه وتعهدوه ، ونجد ان ابا يوسف ومحمد ابن الحسن الشيباني على رأس سلسلة طويلة من الفقهاء قد الفوا في الحيل ؛ وقد انتهى الينا كتاب محمد بن الحسن كاملاً (وهو المسمى بكتاب المخارج في

الحيل الذي ذكرناه سرارًا) ويشتمل على مسائل عديدة نقلها صاحبه من كتاب ابي يوسف. اما المذاهب الاخرى فالحيل فيها اقل شأناً منها عند الحنفية ، حتى ان الشافعي والبخاري الذي كان نفسه شافعياً وغيرهما قد حاربوا الحيل حرباً عواناً. ولم يمنع هذا ان المتأخرين من الشافعية قد احسوا بالحاجة الى تأليف كتب في الحيل على مثال كتب الحنفية وان ينسبوا الى الشافعي نفسه من المخارج العملية ما قد ورد في كتاب محمد بن الحسن الشيباني ، وقد افرد الحنبلي الكبير ابن قيم الجوزية للحيل بحثاً طويلاً ، ورغم مناهضته للمكر ومنعه للفرار من احكام الشريعة وصل في بحثه الى اعتبار كثير من تلك المخارج مشروعاً خاصة في دائرة التصرفات التجارية . واشهر كتاب في هذا الباب هو كتاب الحيل والمخارج المنسوب خطأ الى ابي بكر احمد بن عمرو الخصاف الحنفي. فالواقع ان كتابه الحقيقي ليس الا رواية لكتاب المخارج في الحيل للشيباني عني الخصاف بان يستبعد منها كل اشارة قد تدل على مؤلفه الاصلي . والكتاب الذي اشتهر به هو تأليف عظيم الشان لمؤلف مجهول عاش في حوالى سنة اربعماية ، وهو مصدر فريد في بابه لمعرفة القانون العرفي الذي كان يعمل به في ذلك الزمن في العراق (كما نظن) يكشف لنا عن مستواه العالي واصطلاحاته الراقية . وهذا القانون العرفي يميزه الدور الهام الذي يقوم به الاقرار ، فانه لا سبيل الى الرجوع فيه ولهذا يصلح جيدًا لأن يكون مبعثاً للنتائج القانونية المقصودة ؛ كما يميزه دور العدول الامناء الذين يثق بهم المتعاقدان يقومون بالتوسط بينهما في علاقاتهما التعاقدية ، وكما تميزه ايضاً كثرة استعمال الوثائق المكتوبة. فكل هذه الخصائص توجد مجتمعة في كتب « المواضعة ». وهي وثائق يكتبها المتعاقدان وليست لها قيمة قانونية مباشرة لكنها تصلح لاثبات حقيقة الامر فيما بين المتعاقدين من العلاقات التي لا يكشف عنها بل يسترها عادةً عدد من التصرفات والاقرارات الموضوعة ؛ وتحفظ هذه الوثائق — اي كتب المواضعة — مع الوثائق الفقهية الحقيقية التي توضح وظيفتها عند عدل امين يثق به المتعاقدان ويعمل هو بمقتضاها فيما بينهما ابتغاء معاملتهما بالعدل والانصاف ومنع اي منهما عن ان ينتفع بتصرف او اقرار منفرد لما فيه ضرر لمصلحة الآخر واليكم مثالاً قد يوضح كل هذا

ايضاحاً تاماً: «قلت: رجل له على رجل مال فوكل رجلاً ان يتقاضى هذا المال ويستخرجه على ان له نصفه او ثلثه هل يجوز هذا؟ قال: لا وان وكله على هذا الشرط فاقتضى المال كان له اجرة مثله لا يجاوز بها ما جعل له... قلت: فهل في هذا من حيلة؟ قال: نعم الحيلة في ذلك ان يقر الذي باسمه المال لابن هذا الوكيل او لرجل يختاره الوكيل بثلث المال بحق عرفه له ويوكله بقبضه... ثم يوكل الذي باسمه المال والمقر له بالثلث هذا الوكيلَ باستيفاء المال واستخلاصه فان خرج المال كان للمقرّ له الثلث من ذلك... قلت: فان قال صاحب المال ارأيت ان اقررت بثلث المال لمن يريد الوكيل فاذا وقعت الشهادة على ذلك لم يقم هذا الوكيل باستيفاء المال او احدث حدثاً تبطل به الوكالة فقد صار هذا الرجل شريكاً لي في المال بثلثه فما الحيلة؟ قال: يعدّلون كتاب الاقرار على يدي من يثقون به ويكتبون مواضعة بينهم تكون على يدي العدل يعمل بما فيها ويحملهم عليها فان خرج هذا المال بتقاضي الوكيل وقيامه كان لهذا الرجل الثلث... وان لم يخرج من المال شيء او لم يقم بذلك او احدث حدثاً يطلب الوكالة به لم يكن للرجل المقرّ له بثلث المال شيء ورد العدل منهم الكتب على من يجب ردها عليه ويحكمون في المواضعة امرهم كله ليعمل العدل بينهم بذلك».

والمصدر الثاني الرئيسي لمعرفة القانون العرفي في بلاد الاسلام هو الشروط والوثائق. ويوجد الى جانب الدور الهام الذي تؤديه الوثائق المكتوبة في باب الحيل كتبٌ كثيرة في الشروط عند الحنفية كما هي موجودة عند المالكية والشافعية. وجدير بالذكر ان اكثر المؤلفين لكتب الحيل من الحنفية الفوا ايضاً في الشروط وانهم من جانب آخر قد اشتغلوا غالباً بالوصايا والاوقاف ايضاً بصورة تجعل من الممكن ان يستبين المرء في الكتب الحنفية على مرور القرون ميلاً ظاهراً الى البحث عن الموضوعات ذات الاهمية العملية. وتلك الاهمية العملية لكتب الشروط ناتجة عن نفس وجودها. ذلك ان علم الفقه لا يقبل الا الشهادة الشفوية ولا يستلزم وثائق مكتوبة، وذلك العلم وحده لم يفلح في جعل الشروط في ذلك المركز العظيم الذي هي فيه كتب الفقه. وترجع عادة تحرير التصرفات الى العصر الجاهلي، فقد ظهر ان الوثائق في ذلك الزمن لم

تكن محض مذكرات يستعين بها الشهود (كما هي الحال في علم الفقه) بل كانت وثائق مستقلة تنطق بمضمونها لا ريب انها لم تزدوج بالشهادة الثانوية الا في مرحلة ثانوية وقد اقر القرآن هذه الحالة في نوع من العقود في الآية التالية: «يا ايها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين الى اجل مسمى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل ولا يأب كاتب ان يكتب كما علمه الله فليكتب وليملل الذي عليه الحق وليتق الله ربه ولا يبخس منه شيئاً فان كان الذي عليه الحق سفيهاً او ضعيفاً او لا يستطيع ان يمل هو فليملل وليه بالعدل واستشهدوا شهيدين من رجالكم فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء ان تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى ولا يأب الشهداء اذا ما دُعوا ولا تسئموا ان تكتبوه صغيراً او كبيراً الى اجله ذلكم اقسط عند الله وأقوم للشهادة وأدنى الا ترتابوا الا ان يكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح الا تكتبوها واشهدوا اذا تبايعتم ولا يضار كاتب ولا شهيد وان تفعلوا فانه فسوق بكم واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شيء عليم. وان كنتم على سفر ولم تجدوا كاتباً فرهان مقبوضة فان امن بعضكم بعضاً فليؤد الذي اؤتمن امانته وليتق الله ربه ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فانه آثم قلبه والله بما تعملون عليم.» وفي آية اخرى ذكر القرآن الوثائق المكتوبة في اعتاق الرقيق على انها شيء معروف: «والذين يبتغون الكتاب مما ملكت ايمانكم فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيراً.» حتى الاصطلاح الخاص بالاعتاق التعاقدي في مصطلح الفقه، وهو الكتابة، يدل على ان ذلك الاعتاق كان مكتوباً في الغالب على الاقل. والأمر السابق الذكر وهو ان الشروط والوثائق تقوم في تطبيق الشريعة العملي بدور اهم بكثير مما يعينه لها علم الفقه — ذلك الامر لا نفهمه الا ببقاء عادة ثابتة قديمة تقتضي تحرير العقود بالكتابة؛ ومن الراجح ان تلك العادة الموجودة في القانون العرفي العربي الجاهلي كانت قد تأثرت بنفوذ التمدن العراقي، فان العراق مشهور بالدور الهام الذي قامت به الوثائق المكتوبة في حياته القانونية والادبية منذ زمن قديم جداً. اما الوثائق التي تبينها وتوضحها كتب الشروط وكذلك الوثائق الاصلية التي احتُفظ بها فهي تتفق

بطبيعة الحال في مضمونها المادي واحكام الشريعة الاسلامية بحسب الظروف والأمكان ، وخصائصها البارزة لا تظهر الا في صيغها التي تغيرت تغيراً كبيراً على كر القرون لكنها كانت دائماً خاضعة لقواعد فنية صارمة . واليكم خاصة جديرة بالذكر تشترك فيها كتب الشروط القديمة باجمعها : قد تلونا آنفاً آية قرآنية تنص ان « الذي عليه الحق » يكتب ويملي ؛ واما في كتب الشروط القديمة فالقاعدة الاساسية هي ان يملي الكتاب المدين (او من يقوم مقامه من المتعاقدين) على المدين (او القائم مقامه) وأن يقر هذا بصحة الوثيقة ويُشهد على ذلك الشاهدين.

وثمة مصدر ثالث لدراسة القانون العرفي ، وهو التشريع المدني الدنيوي في بلاد الاسلام. ومن الحق ان الشريعة الاسلامية لا تعترف بتشريع مستقل يقوم الى جانبها ، وتلك التشريعات المدنية حتى في اوائل العصور الحديثة لم تزعم اكثر من ان تكون ملحقات بالشريعة في الدائرة التي سمحت لها بها ؛ والواقع ان تلك التشريعات كثيراً ما جاوزت هذه الحدود . وأشهر مثال لمثل تلك التشريعات هو ما يسمى بالقانوننامجات العثمانية . فانه بينما كانت اكثرها تتصل بمسائل ادارية قد ردتها الشريعة الى اختصاص الدولة فان اول قانون من هذه القوانين وهو قانوننامه السلطان محمد الفاتح ينظم العقوبات ايضاً ، والاحكام الشرعية في الواقع لم تنفذ في تلك المنطقة احياناً كثيرة. وتفترض هذه القانوننامه ان القصاص يمكن اجراؤه بخلاف الحدود ، وقد وضعت بدلا منها قانوناً جنائياً كاملاً يختلف اصلاً عن احكام الشريعة وان كان يذكرها في مواضع عديدة ويستعير منها بعض القواعد الأساسية . ويمتاز هذا القانون الجنائي بالدور الهام الذي تؤديه الغرامات المالية المختلفة المبالغ تبعاً لثروة المذنب . حتى الزاني بشرط ان يثبت عليه البينة وفاقاً لقواعد الشريعة يعاقب عليه بغرامات مختلفة القدر على حسب كونه متزوجاً او غير متزوج (وتهمنا ملاحظة التعديل الذي ادخل بهذا على فكرة الاحصان في الشريعة) والأرقاء لا يدفعون الا نصف المبلغ المفروض على الأحرار . والسكر ايضاً (وهو يقوم مقام الشرب في الشريعة) لا يعاقب عليه الا بالتعزير ؛ وهو يُترك في الشريعة لتقدير القاضي ،

واما في هذه القانوننامه فالتعزير دائماً ضربات بعصا مقرونة بغرامة مالية. ويطبق نفس هذا التدبير على السرقة ولا يقام الحد الا في سرقة الخيل ، ويكون في هذه الحالة إما قطع اليد وإما غرامة باهظة جداً ولا بد من ان هذه الجريمة كانت تعتبر خطيرة بصفة خاصة. وجلي ان هذا القانون الجنائي يراد به ان يحل محل القسم المطابق له من الفقه تماماً لا اكماله فقط، لكنهم على كل حال يتحاشون ان يقولوا بهذا صراحة ويطلقون عبارات من قبيل « السياسة في مقابلة الجنايات» او « بدل السياسة » على ابدال الحدود بالغرامات المالية. وقد اتخذت هذه القانوننامه انموذجاً للقوانين العثمانية التالية لها التي تعالج نفس الموضوع.

وعلاقة اخرى بين الشريعة الاسلامية والتشريع المدني ، تخالف كل ما تقدم مخالفة تامة ، توجد في الدور الاخير من تاريخ الشرع وهو دور تطوره المعاصر. وحسبنا ان نذكركم بالتعديلات التي أدخلت منذ سنة الف وتسعمائة وعشرين على الاحوال الشخصية في مصر. ولسنا نريد ان نبحث الآن تلك الظاهرة المهمة للحياة القانونية المصرية لان الوقت الذي نملكه قد انتهى. وانما نحن نستشهد بها هنا كدليل على ان العلم الاوربي الذي يشتغل بتاريخ الفقه الاسلامي لا يتناول الازمان الماضية فقط بل يجهد في استيعاب الحياة الحاضرة ايضاً وان موضوعه الواسع ليس ميتاً جامداً بل لا يزال قوياً متطوراً. فان كنت قد رُفقت الى اطلاعكم على شيء من الروح العلمية الخالصة المهيمنة على دراساتنا هذه فقد حققت بعض الغرض من هذه الأحاديث كل التحقيق.

الثأر عند العرب

وصفته الدينية

بقلم الاب لامنس اليسوعي

٣

(تتمة)

اذا عرضنا ، في القسم الثاني من مقالنا ، لدور النساء ، نوادب وشواعر ، في تحريض الموتور على الاخذ بثأره . ثم انتقلنا الى موقف الموتور من واتره عند الاثنار ، وانتهينا الى اثر هذه العقيدة حتى بُعيد الاسلام. ويهمنا الآن ان نبحث في الضحية المختارة هدفاً للثأر فنجرّب وصفها ، متطرّقين في القسم الاخير الى ذكر تلك المحاولات التي اخذ بها حكماء العرب ، قبيل الاسلام ، وغايتهم تخفيف نتائج الثأر باقرار الدية .

وان لنا في حكاية قيس بن الخطيم ما يدفعنا الى التعمّق في فهم عقيدة الثأر وما كانت تمثّل في عقلية البدوي الجاهلي . وقد سردنا تلك الحكاية في القسم الاول من المقال . على ان ما لم نسرده هو كيفية موت الشاعر المذكور . وتفصيل ذلك انه ، بينا كان مارًّا في حيّ بني حارثة في المدينة ، أُصيب بثلاثة اسهم ، فخرّ صريعاً . ولم يُعرف مُطلق الاسهم . الّا انها طارت من أُطم لبني حارثة . فكان على اقرباء قيس واصحابه ان يأخذوا بثأره ، وهم لا يعرفون الواتر : على انهم لم يتراجعوا ، ولم يتردّدوا لحظة في اختيار الضحية . واذا بهم يهجمون على ابي صمصمة يزيد ، لا لكونه ظهر على شيء من الاضطلاع بالجريمة ، بل لانهم لم يروا سواه كفوًا لقتيلهم ، وهو من سادة بني النجّار المنتسبين الى بني حارثة . فقتلوه ، وساروا حتى اتوا قيس ، وهو يحتضر ،

فوضعوا رأس ابي صعصعة امامه على الارض . فطابت نفس قيس ، ومات[1] .

ولا يخفى ما كان قد وقر في اذهان العرب في ما خصّ الضحايا ، وسلامتها من كل عيب او دنس ، كي يتقرّب بها المضحّي من مقام الالوهية[2] . وكلّما كانت الضحية سالمة صحيحة ، زادت قيمتها ، فرضي الاله عنها . هكذا نظر العرب الى ضحاياهم الدينية ، وهكذا نظروا الى ضحاياهم في سبيل الضيف ، والضيافة مظهر من مظاهر « الدين » القديم كذلك ، فافتخروا بانهم لا يقرون الضيف الا ما كان صالحاً من اللحم :

وانا لنُقري الضيف ، ان جاء طارقاً ، من الشحم ما أسى صحيحاً مسلّما (٣

وهكذا نظروا ايضاً الى ضحاياهم في سبيل الثأر . فلا يقوم بثأرهم فينفّس عن الميت ، الا قتلُ السيد ، او اكرم شخص في قبيلة الواتر . « ان الدم الكريم هو الثأر المُنيم ! »[4] كما قالوا ، او كما قال الشيبانيون ، على اثر مقتل بسطام بن قيس : « لا يوفي ببسطام قتيل ! »[5] ذلك ان الثأر ، كان قد اصبح هو ايضاً عملاً دينياً تُفرض فيه الضحية . فكان يُنظر فيه الى سلامة الضحية واهميتها لتزداد قيمةً في نظر المضحّي والمُضحَّى له ، وتخفّف به وطأة المصيبة على اسرة القتيل .

لقد كان في مبدأ الثأر ان العقاب يجب ان يتناول الواتر نفسه ، اي قاتل القتيل . على ان الموتور كان يقوم بمعادلة بين الجرم وعقابه ، بين القتيل والضحيّة . فكان الحرّ ، عضو القبيلة ، يُقتل بالحرّ ، والمولى بالمولى . وهو المبدأ الذي

١) اطلب ديوان قيس بن الخطيم ، ص ١–٢

٢) راجع في ذلك : ابو دوّاد : السُنن (طبعة الهند) ٢ : ٣ ؛ الدارمي : السُنن (مخطوطة المكتبة الملكية في القاهرة) ص ٢٨٥ ؛ Gaudefroy-Demombynes, *Le pèlerinage à la Mekke*, Paris, 1923, p. 279

٣) حسان بن ثابت : الديوان ٤ : ٢٠

٤) الجاحظ : الحيوان ٢ : ٣

٥) الاصمعيات (طبعة Ahlwardt) ٦٣ : ٧ ؛ ابو تمام : الحماسة ، ص ٤٥٦ – ولا يظهر دور بسطام السياسي الا بصعوبة من ذلك الدرس العميق ، الظاهر ، مع ذلك ، على شيء من الابهام والغموض ، الذي نشره : Erich Bräunlich, *Bisṭām ibn Qais, ein vorislamischen Beduinenfürst und Held*, Leipzig, 1923.

اقرّه القرآن فيما بعد ، فقال : « الحرّ بالحرّ ، والعبد بالعبد ، والانثى بالانثى »[1]
والذي دلت عليه حادثة حُصين بن الحمام السهمي ، المرويّة في الاغاني ، وتفصيلها انه كان له جار يهودي فقتله ابو جوشن ، احد جيران بني صُرمة ؛ فجاء الخبر حصيناً ، وكان حُصين من اعقل اهل زمانه ، فلم يتردّد بان يجيب المخبر بقوله : « فاقتلوا اليهودي في جوار بني صُرمة »[2] — جار يهودي بجار يهودي ! — فاتوا جهينة بن ابي حمل ، فقتلوه . فشدّ بنو صرمة على ثلاثة من حميس بن عامر ، جيران بني سهم ، فقتلوهم . فقال حصين : « اقتلوا من جيرانهم ، بني سلامان ثلاثة . » ففعلوا[3] .

وهكذا لم يكن الانتقام ليقف عند منطوق العدالة البدوية الماثلة بالتعبير الموجز : « رجل برجل » ![3]

على ان القرآن ، وهو اقرب الى الانسانية من ممثلي تلك العدالة ، صرّح عالياً بانه « لا تَزِرُ وازرةٌ وِزرَ أُخرى »[4] . ولكن كان من الصعب ان يسمع له اولئك البدو ، وان يعملوا باحكامه . وهم ، فوق ما كانوا يعتبرون من التبعة الشاملة الملقاة على عاتق اسرة القاتل كلها بل على عاتق قبيلته جمعاء ، كانوا يعتبرون حالةً اخرى لا تدخل في مجال قياساتنا ، وعنصراً صعب التحديد ، الا وهو مركز القتيل من المجتمع ولا يخفى ما في تقدير هذا المركز من الافتئات ، والاستبداد بالرأي ، والاتكال على تقدير البدوي الشخصي ، وهو ميّال بالفطرة الى التأثر بالهوى ، مُتشبّع بما وقر في ذهنه من سموّ قدره ، واهميّة مقامه الاجتماعي . ولنا في عدة حوادث ادلة ساطعة على ما قدّمنا ، من ذلك حادثة جُويّ المُزني ، وقد اصابه الخزرج في قتالهم للاوس ، فلما احسّ بالموت ، رفع رأسه ، وقال : « اعطي الله عهداً ليُقتلنّ منكم خمسون ليس فيهم اعور

---

١) القرآن ٢ [البقرة] ١٧٣
٢) الاغاني ١٣ : ١٣٤
٣) ابن هشام : السيرة ، ص ٤٢١ ، ٦٤١
٤) القرآن ٦ [الانعام] ١٦٤ ؛ ١٧ [الاسرى] ١٦ ؛ ٣٥ [الملائكة] ١٩ ؛ ٣٩ [الزمر] ٩ ؛ ٥٣ [النجم] ٣٩ .

ولا اعرج»[1] وهكذا قدر ذاك البدوي العامي نفسه بخمسين من افاضل الرجال ! غير مكتفٍ بالشريعة السائرة : رجل برجل ! فكيف لو كان من السادة الكبار ! كالزبير بن العوّام مثلاً ، حواريّ محمد ، الذي قُتل غدرًا في يوم الجمل. فلم يكن اهله ليرضوا برأس القاتل ، وهو من عامة الناس[2]. وعلى هذا القياس ، لم يكن اهل القتيل ليرضوا برأس القاتل ، اذا كان من اولئك «الخلعاء» المنبوذين الذين «تخلعهم» قبيلتهم لتتخلّص من تبعة اعمالهم ، وتصرّح بانها لا تأخذ بثأرهم اذا قُتلوا[3] . فيقول الموتورون ، اذ ذاك ، وحقّ لهم القول ، ان لا نسبة بين فقيدهم وقاتله «الخليع» .

على ان البدويّ الموتور ، حتى في غير هذه الاحوال الخاصة ، يدّعي دائمًا ان لا نسبة بين فقيده والواتر . فالفقيد الكريم ، وكل فقيد كريم في نظر اهله بل هو «خير الناس !»[4] افضل من القاتل . واذًا على الموتور ان يرمي افضل اهل الواتر ، اي سيد القوم . عليه ان يرمي بقتيله «خير الناس» او «افضل الناس»[5] كما يقول ، ولا يعني بخيرهم اعظمهم فضائل اخلاقية ، بل ارقاهم مركزًا في المجتمع ، وهذا المركز وحده يهمّه في ادراك ثأره . فهو يضرب «كبش القوم»[6] ؛ ذاك الذي يكون «اعزّ فقدًا وهالكاً»[7] . وهو ما دام لا يرتاح الى انه رمى افضل القوم واشرفهم ، يظلّ قلقاً مضطرباً ، ولو قتل بقتيله سيّدَين بدل السيّد . فان دمهما لا يفي بدم فقيده ، كما يقول:

---

١) ابو تمام : الحماسة ، ص ٤٤١

٢) الاغاني ١٦ : ١٢٢

٣) الاغاني ١٩ : ٧٦

٤) ابن عساكر : الكتاب المذكور ٥ : ٨٠ ؛ وان يكن ظالمًا فهو «خير الناس» . اطلب كتابنا : *Le Berceau de l'Islam* I, 127

٥) هي التعابير التي يردّدها الشعراء الثائرون حتى تصبح من القوالب الانشائية — اطلب الاغاني ١٩ : ١٢٩ ؛ ٢١ : ٣٧٦ ؛ البلاذري : فتوح البلدان ، ٤١٣ ؛ عبيد بن الابرص : الديوان (طبعة Lyall) ١٧ : ٩

٦) الاغاني ١٣ : ١٤٢ ؛ ١٦ : ١٢٩ ؛ السمهودي : وفاء الوفاء ٣ : ٢٧٢ .

٧) عبيد بن الابرص : الديوان ١٧ : ٧

ونحن قتلنا سيّدهم بشيخنا سويد ، اذا كان وفاء بـه دما (١

والسيد ، في حياة القفر ، يمثّل قبيلته ؛ فلم يكن لـه مندوحة عن ان يتحمّل شيئاً من مساوئ افرادها . على ان العادة التي شاءت ان تحمّله دم من يقتلهم ذووه كان من شأنهـا ان تدفع البدو الى الغلوّ والمبالغة في المطالبة بثأرهم . حتى اذا كان القتيل ذا خطر في المجتمع ، وكل قتيل ذو خطر في نظر ذويه ، كان الموتور لا يكتفي بقتل سيّد واحد ، بل يجمع بين المركز الاجتماعي والعدد . فيرمي الى قتل ثلاثة سادة بسيّده[٢] ، « فيدرك ثأره ويزيد » ، على قول الافوه ، احد حكماء العرب[٣] . واذا جرى البدوي هذا المجرى ، فلا حدّ ولا تحفّظ ، ولا اعتبار يوقفه عند عدد معلوم . بل هناك تسعة قتلى بقتيل واحد بعض الاحيان ، وهناك هجوم على قبيلة الثائر صميمها ومواليها[٤] . وكلّما زاد عدد الضحايا عظمت قيمة السيد الفقيد . وقد لا يكتفي الثائر بكل ما تقدّم ، اذا لم يضرب سيـد القوم فيقتله[٥] : فيظلّ نشيد فخره خافتاً اذا لم يختمه بنغمة الثأر المتواترة : « قتلتُ سيدكم ! »[٦] . وقد اصبحت هـذه النغمة كتعبير طقسيّ يلفظه القاتل ، على اثر قيامه بذلك الواجب . حتى اننا نسمعهـا بعد الاسلام ، دالّة على تأصّل تلك العادة في البدو ، وفي الشعر البدوي وهو اجلى صورة للعادات القديمة . وهـا ان قاتل حفيد النبي ، الحسين بن علي بن ابي طالب ، في كربلاء ، يصيح مفتخراً :

قتلتُ خيرَ النـاس أمّاً وأبـا ؛ وخيرَهم ، اذ يُنسبون ، نسبا (٧

---

١) الاغاني ١٦ : ١١٦ ؛ وراجع الاغاني ١٥ : ٧٥–٧٦ ؛ ١٦ : ٢٢، ٥٢–٥٤ ؛ البحتري : الحماسة : الباب الثالث عشر .

٢) الواقدي (طبعة Kremer) ٢٢

٣) الاغاني ١١ : ٤١ ؛ الاصمعيات ٣٨ : ٢٢

٤) لبيد : ديوانه (طبعة Huber) ٤٨ : ٢

٥) ابن هشام : السيرة ، ص ٤٢١

٦) البحتري : الحماسة ، عدد ١٤٨ : ٥ ؛ حسّان بن ثابت : ديوانه ١١ : ١٦

٧) ابن الاثير : أسد الغابة ٢ : ٢١

هذا ما يُستنتج من اقوال الثائرين الشعرية الفخرية . اما الحقيقة فلم تكن دائماً لتوافق هذه الاقوال[1] . حتى ان البدو انفسهم عرفوا «كذب الباكيات»[2] ومبالغة الشعر الثأري ايضاً . كان من همّ الثائر ان يزيد عدد ضحاياه ويضخّم اهميتهم في المجتمع[3] ، فيصبح كل قتيل سيداً كريماً ، بل يصبح القتيل عدة قتلى ، فتزداد اهمية الفقيد المطالب بثأره ، وتزداد شجاعة الثائر كذلك . وهذا دريد بن الصمّة لا يرضى ، في ثأر اخيه عبدالله ، الا بان يقتل «خيرَ لداته»[4] وهذا حسان بن ثابت يقتل كل السادة ، وكل الاشراف[5] ، دون تمييز . بينما غيرهما من الشعراء الثائرين يهتمون بالتدقيق فيعدّون ضحاياهم ، ويذكرون مركزهم . فهم ثلاثة ، او ستة ، كما في قول الاجدع بن مالك :

ولقد قتلنا من بنيك ثلاثةً : فلتترعنَّ ، وانتَ غير مطاع[6]

او قول العباس بن مرداس :

قتلنا به في ملتقى الخيل خمسةً وقاتلَه زدنا ، مع الليل ، سادسا[7]

بل هم سبعة من خيرة القوم :

اصبنا به من خيرة القوم سبعةً كراماً ؛ ولم ناكل به حشف النخل[8]

حياة البدوي ثمينة في نظر اهله ، ودمه غالٍ لا يُعدل به دم رجل آخر ايًا كان . فبئس الآية القديمة : «رجل برجل» ! وبئس ما فيها من مساواة لا يرضاها السريّ من البدو ، وكأنهم سراة ! وهكذا أُبدلت بتلك الآية آية

١) راجع في «اسراف الشعراء وافراطهم» اقوال الجاحظ : كتاب الحيوان ٦ : ١٤١–١٤٢ ، وكتابنا *Ṭāif*, p. 145-146

٢) راجع القسم الثاني من هذا المقال : المشرق ، ص ٤٣٠–٤٣١

٣) عبيد بن الابرص : ديوانه ١٧ : ٧–١٣ ؛ المفضّل : الفاخر (طبعة Storey) ص ٢٢٤

٤) شيخو : شعراء النصرانية ، ٧٦١

٥) حسان بن ثابت : ديوانه ١١ : ١٥–١٨

٦) في الاصمعيات ٤٥ : ٦

٧) الاصمعيات ٣٨ : ٢٤

٨) الاغاني ١٦ : ٥٨ ؛ الجاحظ : الكتاب المذكور ١٥٣ ؛ وراجع Nöldeke, *Beitr. Zur alten Poesie*, p. 149

جديدة فقيل: «سيد بسيد»، و«كريم بكريم»[1]. على انها لم تحلّ المشكل لان كلّ البدو اشراف كرام، كما قدّمنا. واذًا فقد ظلّ الموتور يرمي رأس القوم، فينتصر من سيد قبيلة واتره، وسواء أأصاب الواتر المذكور ام لم يُصبه. بل قد لا يفتّش عن شخص الواتر، فيضرب لا يبالي من يصيب على شرط ان يصيب رجلًا من السادة الاشراف:

وشريف لشريف مناجد لا نباليه، لدى وقع الاسل! (٢

وعلى هذا فاننا نرى الرثاء الممتزج بالثأر يشاطر الفخر، بل يزيده، افراطاً ومبالغة، مستندًا في ذلك، فوق العواطف الحالية، الى ما وقر في ذهنه من اساليب الشعر القديم وكلها تأخذ بالقسط الوافر من المبالغات. ولا يخفى ما في الشعر العربي من تأثير الاسلوب والاخذ بالقوالب المتوارثة[3]. حتى لا يتمكن البدوي الشاعر من ان يتخلّص من حكم تلك الحكم والامثلة الموجزة الجامعة التي لخّصت، في الشعر القديم، عقائد البدو في مناحي الدين والاخلاق والاجتماع، فقامت لهم مقام الكتب المنزلة متصفة بصفة تقرب من التقديس. اذا عرفنا ذلك، ادركنا بعض ما أهاب بمحمد فدفعه الى شنّ تلك الغارة على الشعراء، راغباً في ان يُحلّ القرآن محلّ تلك الاخلاقيات والحكميات الجاهلية. بيد انه لم ينجح الا بجهد وصعوبة. تتحقق ذلك من اقوال المؤرخين المسلمين الذين يذكرون انّ البدو ظلّوا، حتى العصر الاموي، يخلطون بين الآيات القرآنية وحكم شعرائهم وامثلة حكمائهم الاقدمين؛ بل ان هذا الخلط كان يتجاوز جهلة البدو الى خطباء المسلمين انفسهم، اثناء خطبتهم الطقسية، من على منابر الجوامع[4].

ولا يخفى ان هذا الشعر القديم مشحون بعواطف الثأر، وما تجرّه من فخر

---

١) ابو تمام: الحماسة، ص ٢٨٠؛ الاعشى في كتاب الاضداد (طبعة صالحاني – هفنر) ص ٨٥

٢) حسّان بن ثابت: الديوان ١١: ١٧

٣) راجع في ذلك Nöldeke, *Fünf Mo'allaqāt*, I, 3-5

٤) ابن عساكر: الكتاب المذكور ٥: ٨٣؛ الاغاني ١٦: ١١٣

وحماسة وتحريض ، ملآن بمآتي الموتور قبل ادراك ثأره وبعده . يردّد الموتور ذلك فيزداد حزنه حتى اليأس ، ويندفع في سبيل التضحية حتى لا يرضى بالثلاثة القتلى ، ولا بالستة ، ولا بالتسعة ، وان زاد عليهم ستة من السادة الكرام[1] ! وهو يسير ، في كل ذلك ، على اثر الشعراء الاقدمين متخذًا قوالبهم الفخرية ، متحلًا عواطفهم نفسها ، فيصبح ، ولا فرق بينه وبينهم ، بفضل ما غذّى به مخيّلته من مفاخرهم القديمة فسحر لبّه ، وجعله لا يكاد يميّز بين اقواله واقوالهم ، ولا بين مآتيه ومآتيهم . فيرى افضل مظاهر الحياة الفخر بالبطش والشجاعة ، بل غاية الحياة نفسها غزوة مستديمة :

ليدرك ثأرًا ، او ليدرك مَغنما [2]

واذا قُتل احد انسبائه في غزوة بسيطة ، فلا يرى الا حشد جيشه من « خيّالة ومشاة » [3] في سبيل الثأر ، وهو في الحقيقة لا يسخو بتعريض جواده للخطر ، هذا اذا كان له جواد ! [4] على ان الشعر غير الحقيقة ، الشعر المحفوظ المردّد في ذاكرته ، والذي يهيب به الى المعارضة ، ومن شروطها المبالغة في كل شيء . وهكذا نراه يقتل ، شعرًا ، اهل بيتٍ « على دم واحد »[5] اي ليثأر برجل واحد . بل هو يلقي تبعة القتل على القبيلة كلها ، وقد يهدّد بافناء قبيلتين كاملتين : خزاعة وبكر ، مثلًا[6] ؛ وهل من حاجة الى القول ان خزاعة وبكرًا لم ينلهما الفناء !

وهكذا كان موقف المهلهل ، على اثر مقتل اخيه كليب ، عندما صرّح بانه سيفني حيّي قيس وذهل ، بلّ اراد ان يفني آل بكر عن آخرهم ، فقضى

---

١) الاصميات ٣٨ : ٢٤ ؛ ٤٥ : ٦ . . .

٢) الاصميات ٩ : ٢

٣) وهو قول دريد :

تكرّ عليهم رجلتي وفوارسي ، واكره فيهم صعدتي ، غيرَ ناكبِ

(الاصميات ٨ : ٥)

٤) راجع كتابنا : *Tāif*, p. 147

٥) حاتم الطائي : الديوان ، ص ١٢

٦) ديوان الهذليين ٢٠٠ : ٧ المفضل : الفاخر ، ٢٥٢

اربعين سنة ، على قول الرواة ، في طلب ثأره . وهو مطلب يشبه ما طلبه صخر في ثأر اخيه معاوية اذ شهر حرب الفناء على آل مُرّة ، وعلى بني غطفان[1] . حتى اذا اصاب منهم مَن اصاب، عدّ القتلى وصاح بانه غير راضٍ او يفني القبيلة ، او يبيدها فردًا فردًا .

على اننا نتساءل : هل كان صخر مؤمناً بما يقول ؟ وهل كان يتقيّد فعلًا بواجبات الثأر ؟ وقد رأينا مضطرّين الى الجواب بانه لا هو ، ولا سابقه المهلهل[2] ، ولا رجال قريش بعد انكسارهم في بدر ، ظلوا محافظين على التحريمات الشاقة التي كانت تفرضها عادة الثأر الدينيّة . وهذا ما يدفعنا الى القول بان تلك الطقسيات القديمة ، لم يبقَ منها قبيل الهجرة الا القليل الرامز الى اصلها . حتى انها لم تكن تحول في شيء دون متابعة الحياة العادية في مكة . وهذا صخر لا نراه ينفصل عن اسرته ؛ كما اننا نرى المهلهل يتزوج عدّة مرّات اثناء طلبه بثأر اخيه .

اما في ما خصّ عدد القتلى ، فيحقّ لنا ان نحتاط الاحتياط نفسه . وهذا صاحب الاغاني يقرّ بصراحة ان قتلى قبيلتي بكر وتغلب، طول حرب البسوس التي دامت اربعين سنة ، لم يتجاوز العشرة . بيد ان هذا العدد لم يكن ليرضي الشعراء ، كما لا يخفى . ولا تتغذى مخيّلتهم باقل من عشرين الى خمسين قتيلًا[3] واحياناً كان القتيل نفسه يفرض هذا العدد ، قبل وفاته ، كما قدّمنا[4] . وقد يُضاعف عدد الخمسين ، فيبلغ القتلى مائة في ثأر رجل واحد . كما في حادثتي امرئ القيس والشنفرى الشهيرتين[5] . وهناك غيرهما من الحوادث تبلغ فيها القتلى مائة[6] وتزيد ، فيرى حسان ان مائة قتيل لا تكفي في ثأر فقيده[7] ،

١) De Coppier, *op. cit.*, p. 17

٢) الاصمعيات ٦٩ : ٤

٣) ابو تمام : الحماسة ٤٤٢ ؛ المفضّل : الفاخر ٢٣٠

٤) ابو تمام : الحماسة ٤٥١

٥) الاغاني ٨ : ٦٧–٦٨ ؛ ٩ : ١٥٨ ؛ المفضّليات (Lyall) ١٩٦

٦) البحتري : الحماسة ١٥٤

٧) حسان بن ثابت : الديوان ٢٠٣ : ٦

ويبلغ بها غيره سبعمائة[1]، بل تبلغ احياناً الف قتيل في ثأر امير[2]. ولا يخفى ما في كل هذا من فخر وتبجح أصيلين في العنصر العربي.

ومما يجب ذكره ان الموتور كان شديد الايمان بان الله لا يميته الا بعد ان يدرك ثأره ويقوم بنذره، فيزيح عن صدره « همّاً كأنه جبل »[3]. والله حقيق بان يسهّل عليه هذه المهمة، فيكلم الجرح الذي احدثه في نفسه مقتل قريبه. عند ذاك يستريح الموتور، فيتخلص كالغزال الناشط من حبائله[4]. ولم تكن هذه الحبائل الا تلك التحريات المفروضة على الموتور في سبيل ادراك وتره، والتي عدّدناها سابقاً. ولا نجاة منها، في الاصل، الا بالثأر؛ وهو الذي يولي الحياة للموتور « الميت »، على قول مالك بن عمرو:

فليجدوا مثل ما وجدت، فاني كنت ميتاً قد متى جزعُ! (٥

ويعيده الى معيشة القبيلة يشرب، ويلهو[6]، ويقول الشعر، مردّداً:

واصبحت قد حُلّت يميني، وادركت بنو نُمل تبلي، وراجعني شعري! (٧

وكان، قبل ذلك، قد ترك حتى قول الشعر في هجاء اعدائه. وبالتالي فقد ترك النسيب وما اليه مما قصده عمرو بن مالك بقوله:

لا اسمع اللهو في الحديث (٨ . . .

كما ترك الفخر باعماله وباعمال قبيلته. وكلها تحريات مفروضة على الحجّاج

---

١) الاغاني ٩: ١٥٩؛ ٢١: ١٤٢–١٤٣؛ المطهّر المقدسي (Huart) ٥: ٢٠١؛ وراجع Jacob, *Altbeduinenleben*, p. 145

٢) الاغاني ١٩: ٨٥

٣) البحتري: الحماسة ١٥٣: ١

٤) الجاحظ: الحيوان ٦: ١٤٢

٥) البحتري: الحماسة ١٤٨: ٢

٦) راجع الشواهد التي اوردناها في الصفحة ٧ و ٨ من القسم الاول من هذا البحث، مع اصلاح البيت الاخير من الصفحة ٧ بما يلي:

واحلّ لي ماويةَ النتلُ

اي ان ادراك ثأره احلّ له امرأته ماوية.

٧) ابو تمام: الحماسة، ٢٠١

٨) البحتري: الحماسة ١٤٨: ٢

ايضاً[1] ، مما يدل على صفتها الدينية . فاذا قام بثأره عاد الى كل ما تقدّم ، فدخل في « الحلّ » ،

غيرَ مستحقبٍ إثماً من الله ، ولا وافلِ[2]

هذا ما يُظهر من الشعر العربي في الثأر ، وهو صورة تلك المؤسسة القديمة في « دين » البدو .

اما التعبير « اثم من الله » فليس من السهل الوصول الى معناه الحقيقي . هل يقصد به الشاعر جناية على الله او امام الله ؟ ام هل ينبغي ان نرى فيه معنى الخطيئة ؟ هذا ما رمى اليه ولهوسن[3] . على ان حلة استعمال هذا التعبير تفسح مجالاً للتأمل . ونحن لا نراه الا في شعر امرئ القيس هذا ، ثم في اسطورة تأبط شرّاً اذ تلومه امرأته لتركه اخذ اقربائه وحيداً امام عدوّه[4] . ثم ان ما يخافه الموتور خاصةً هو « وَجْدُ الاله »[5] ، اذا اهمل القيام بواحدة من التحريات التي يفرضها عليه واجب الثأر . اما اذا قام بكل ذلك فادرك ثأره فانه يلقى الله ، ولا اثم عليه ولا حرج .

وقد قدّمنا ان البدوي ، في ادراك ثأره ، يستحلّ كل الطرق حتى ما يحرّمه منها دينه ، كما يظهر في حادثة رواها ابن هشام عن بني الديل من بكر ، وكان لهم ثارات في بني خُزاعة . فخرج نوفل بن معاوية الديلي ، وهو يومئذٍ قائدهم ، حتى بيّت خزاعة ، وهم على ماء لهم اسمه الوَتير . فاصابوا منهم رجلاً ، وتابعوا القتال . فتراجع بنو خُزاعة مستفيدين من الظلام ، ولجأوا الى حرم مكة مستأمنين . فلحقهم بنو الديل الى حدود الحرم ، فتوقفوا هيبةً . وارادهم قائدهم على متابعة الهجوم . فصاحوا به : « يا نوفل ، انّا قد دخلنا الحرم ، الهك ! الهك ! » فقال كلمةً عظيمة ، على ما روى ابن هشام ، وزاد : « لا اله له اليوم . يا بني بكر ، اصيبوا ثأركم . فلعمري انكم تسرقون في

---

١) قابل بما ورد في القرآن ٢ [البقرة] ١٩٣

٢) البيت لامرئ القيس في حماسة البحتري ١٥٣ : ٢

٣) Wellhausen, *Reste*, p. 224

٤) الاغاني ١٨ : ٢١٣ ٥) اوس بن حجر : ديوانه ٥ : ٢

الحرم[1] . افلا تصيبون ثأركم فيه . »[2]

وان هذا المثل وغيره من الامثلة التي عدّدناها في اقسام المقال تدلنا ، في ما تدلّ عليه، على ان العرب قبيل الهجرة كانوا قد رموا الى التحرّر شيئاً من اكثر تلك التحريمات: تحريمات الثأر ، وتحريمات غيره من مؤسساتهم الدينية القديمة. اما ما بقي من جوهر الثأر ، اي حقّ الموتور بدم الواتر فقد ظلّ مقرّرًا ، على ما بذله الاسلام ، عن طريق الخلافة والجماعة ، من جهود كانت ترمي الى دعوة صاحب الحقّ الى المحكمة المنظّمة هذه المادّة. وقد اظهر البدو ، كلما عرضت لهم الفرصة ، بانهم ينكرون هذا التدخّل في شؤونهم الخاصة ، معلنين ان لجماعة البدو وحدها — سواء اكانت حيًّا او قبيلة — الحق المطلق بالمطالبة بدم احد اعضائها ، وانه لا يمكنها ان تتنازل عن هذا الحق. ولنا في بعض الحوادث المهمة ، الجارية بعد الاسلام ، خير شاهد على هذه العقلية في اولئك البدو ، ولم يصبغهم الاسلام الا صبغة سطحية:

كان مصعب بن الزبير ، والي العراق ، قد سمح بقتل احد شذّاذ البدو ، فقُتل . فاخذ اخوه ابن ظبيان يُعدّ العدّة لادراك ثأره ، حتى اشترك في مقتل مصعب الثائر على الخليفة عبد الملك . على ان القاتل رفض مكافأة عبد الملك كي لا ينقص شيئاً من قيمة عمله في ادراك ثأره[3] . وهذا مثل آخر في مقتل المختار بن ابي عُبيد الثقفي ، وكان قد ثار على الخلافة بل على الاسلام الصحيح ، فقتله مصعب بن الزبير نفسه . فهلّلت الجماعة الاسلامية بكاملها ، ولم يُستثنَ منها الثقفيون انفسهم قوم المختار ، وامناء الدولة الاموية[4] . بيد انهم ، على الرغم من اخلاصهم الديني والوطني للدولة الحاكمة ، اعتبروا انفسهم مدفوعين الى المطالبة بثأر المختار ، ولاسيما اذ رأوا ان مضعباً امر بتسمير يدي

١) كان البدو في جوار مكة يسمون « سُرّاق الحجيج » ، وهو اسم طالما استحقوه ، ولم يكونوا يحتجّون على من يدعوهم به .

٢) ابن هشام : سيرة الرسول ، ٨٠٢

٣) الطبري : تاريخه ٢ : ٨٠٩

٤) راجع كتابنا : *Tâif*, p. 188-199

الثائر على باب جامع الكوفة[1] ؛ ولم يعتبروا ان هذا الشقي قد سقط قتيلاً في ساحة الحرب في ثورته على الخلافة[2] ، انما ما يهمهم قبل كل شيء هو ان دمه ذهب هدرًا . وعليه ، فقد تطوع احد افرادهم للاثآر له من مصعب . حتى اذا حميت المعركة ، اقترب من مصعب ، وقبل ان يضربه ، صاح الصيحة التقليدية : « يا لثارات المختار ! »[3] دالاً بذلك انه يقوم بواجبه كرجل ثقفي ، لا كجندي اموي . وهذه الفكرة نفسها هي التي قادت الحجاج ، والي خلفاء دمشق ، واداتهم التنفيذية العمياء ، الذي قضى حياته الادارية الطويلة مكافحاً عقلية البدو الجاهلية[4] . هذا الرجل نفسه ، عندما دخل الكوفة ، والياً عليها ، كان من اول مآتيه انه أمر بان يرفع عن باب الجامع ذاك الاثر الدامي الماثل شاهدًا على ثورة المختار . وما ذاك الا لان المختار كان من قبيلته من ثقيف . ونحن ، لو سألنا الحجاج ، وقد خلا الى نفسه فتخلص من واجبات الولاية ، رأيه في المختار ، لاجاب : « لله درّه رجلاً وديناً ! »[5] ، ولا شك في انه يقصد « بالدين » ما كان يفهمه بهذه اللفظة عرب الجاهلية . ولا يزال البدو الى يومنا هذا ، يصيحون : « الثار ولا نترك الثار » !

***

لنعد الآن الى قُبيل الهجرة . فاننا نرى حركة مباركة ترمي الى وضع حدّ لما تجرّه عقيدة الثأر من تعديات ظالمة . وقد اخذ بعض المفكرين يتصوّرون حلاً قد يكون افضل من تلافي احراق الدم بالدم . ولم يكن بدّ ، في هذه الحركة المباركة ، من الالتجاء الى الشعر ؛ والشعراء في طليعة المفكرين ، اذ

---

١) الطبري : تاريخه ٢ : ٧٤١ ؛ واطلب Van Gelder, *Mohtār de valsche profeet*, p. 134

٢) وهناك حوادث تدلّ على ان شريعة الثأر تُطبّق حتى في المعارك الحربية ، راجع ابن هشام : السيرة ، ٥٧٩ ، وقابل بحادثة يوآب ، وكيف اغتال أبنير لانه قتل عسائيل اخاه « بجمون في الحرب » (سفر الملوك الثاني ٣ : ٢٦-٢١)

٣) ابن دريد : الاشتقاق ١٨٥ ؛ الطبري : تاريخه ٢ : ٨٠٦

٤) راجع ... *Tāif*, p. 190 etc.

٥) الطبري : تاريخه ٢ : ٥٢٥

ذاك . وهذا زهير بن ابي سلمى ، الشيخ الحكيم ، يقرّظ التحكيم ، ويمدح المصلحين بين القبائل المتعادية ، عارضاً ان «تُعفّى الكلوم» لا «بكلوم» جديدة ، بل بالنياق يُعطيها ، لا القاتل او قومه ، بل حَكَمٌ يكون غريباً عن موضوع الخلاف ، فهو «ليس بمجرم» :

تُعفّى الكلومُ بالمئين ، فاصبحت يُنجّمها مَن ليس فيها بمجرم.[1]

وهكذا عمل زهير وزملاؤه من الشعراء على تقريب التحكيم من عقلية البدو شيئاً فشيئاً ، فاصبح هؤلاء لا يستبعدون ، او لا يرون مستحيلاً ، ان يُحلّ مشكل الدم بغير اهراق الدم . وقد سارت هذه الفكرة ، معبّرًا عنها باسلوب لطيف يسنده مدح السادة الكرام الذين كانوا يقبلون بهذا الشرف العالي، شرف التحكيم، فيدفعون ثمنه غالياً ، وينالون عليه ثناء الشعراء الخالد ، من شاعر الى شاعر حتى دخلت التشريع القرآني . وكان السادة الكرام يتنافسون في الحصول على ذاك الشرف ، فيعملون على اقرار الطمأنينة شأنَ «فاعلي السلام»[2] ؛ وهم بقبولهم ان يحلّوا محلّ «صاحب الدم» متعهدين بدفع الدية البالغة مائة ناقة ، على اقل تقدير ، كانوا يعملون على نزع وليّ الثأر من تأثير النوادب المحرّضات . ومما يدلّ على ما لاقاه تعبير زهير من اثر صالح ان كثيرًا من السادة كانوا يطمحون الى لقب «حامل مئين» ؛ وهو تعبير سنراه كثيرًا في الشعر العربي بعد زهير . وها ان القرشيين الذين سقطوا يوم بدر يصبحون كلّهم من واهبي المئين[3] . . .

ويتناول الشعراء هذا الاسم فيضمونه الى جنب صاحب «المرباع» ، اي ربع السلب بعد الغارة ، وهو نصيب الرئيس المغوار[4] ، فيرفع حامله ، في نظر الرأي العام ، الى مقام الملوك المتوّجين[5] ، فيقول حسان :

---

١) شيخو : شعراء النصرانية ، ٥١٧ ؛ واطلب شرح نولدك Nöldeke, *Fünf Mo'allaqāt*, III, p. 29

٢) انجيل متى ٥ : ٩

٣) ابن هشام : السيرة ، ٥٢٢ ؛ واطلب كتابنا *Le Berceau de l'Islam*, I, p. 249-251

٤) الواقدي (طبعة Kremer) ص ١٨٦ ٥) اي الساسة والمناذرة .

حمّال اثقال الديات متوّج (١

وينتقل هذا الشرف من الاباء الى البنين ، فيفتخر الوالد بكونه « ابن حمّال مئين »[٢]. وينتهي تأثير زهير الى الاسلام ، فيعجب ارباب الحديث بتعبيره فيرون من اللائق ان ينسبوه الى النبي ، او الى جدّه عبد المطّلب ، مع موافقة النبي عليه[٣] .

ثم يطلّ العصر الاموي ، واذا بخلفائه ، وهم حفدة سادة العرب وورثاؤهم ، يطالبون بلقب « واهبي المئين » ، ولاسيما بعد ان يدلّهم الاختبار على عجزهم عن التدخل في شؤون القبائل الخاصة ، وبالتالي على صعوبة صرف البدو ، بطريق النظام التشريعي ، عن عادة الثأر والانتقام الفردي.

ويجرّنا البحث الى ذكر حادث مهمّ دلّ على تأصل هذه العادة الثأرية في عقلية البدو ، حتى في ما بعد الاسلام . هو حادث « العثمانيــة » . بعد وفاة محمد بخمس وعشرين سنــة ، تألف حزب خطير من مؤمني المسلمين للمطالبة « بثأر » ثالث الخلفاء الراشدين ، عثمان « المظلوم » و« الشهيد » . وقــد فرضوا عليهم هذه المطالبة كما تُفرض الواجبات الدينية[٤]. ولا يمكن القول بان السياسة أثرت في عقيدتهم هذه . فان اكثرية حزب « العثمانيــة » ، في اول الامر ، رفضت ان تلتحق بالحزب الاموي . انما كان يهيب بها « دين عثمان »[٥] وحده ، وقد اتحد ، في نظر اولئك المؤمنين ، « بدين الله » ، فولّد فيهم الصفة الفرضية

١) حسّان بن ثابت : ديوانه ٨٠ : ٦ — ونسمع صدى ذلك في قول الاخطل :
ضخمٌ تُعلّق اشناقُ الديات به ، اذا المئون أُمرّت فوقه ، حملا
ديوانه (صالحاني) ١٤٢

٢) راجع *Le Berceau...* I, 250

٣) اطلب الترمذي : الصحيح (طبعة الهند) ١ : ١٦٦-١٦٧ ؛ ابن سعد : الطبقات ١ : ٥٤ ؛ ابن قتيبة : معارف (طبعة مصر) ١٨٦

٤) وقد اعلن خطة هذا الحزب الشاعر الانصاري كعب بن مالك ، الاغاني ١٥ : ٢٨

٥) معاكسة « لدين علي » ؛ اطلب ابن دُريد : الاشتقاق ٢٤٦-٢٤٧ ، وكتابنا *Yazīd*, p. 167, 168 — ولا يخفى ان لفظة « دين » لا تحتمل هنا معنى الخضوع والطاعة (شعراء النصرانية ٥٥٤ ، سطر ١) لان « دين عثمان » ظلّ « ديناً » حتى بعد وفاة الخليفة باكثر من قرن كامل.

نفسها[1] .

ولم يتحوّل دين عثمان الا بعد منتصف القرن الاول للاسلام ، فاخذ يميل الى نوع من الايمان بالدولة الاموية وبالاخلاص لها . وجعل خلفاء دمشق يوصون ولاتهم في المناطق البعيدة بالسهر على هذا « الدين » وباستعماله آلة للحكم[2] . وفي رأينا ان گولدسيهر لم يُوفَّق اذ قال ان اسم عثمان كان منذ البدء رمزاً بل كلمة تلخّص مرامي الامويين،معاكسةً لاسم علي الذي كان يستخدمه اعداؤهم السياسيون . »[3] فان هذا الوصف لا ينطبق الا على ما آل اليه هذا الحزب بعد الحقبة الاولى . ثم ان گولدسيهر يصرّح بانه « لا يفهم كيف نُسب الى العثمانية ضحار بن عباس الخارجي »[4] ، وهو تضادّ ظاهري لا غير ، اذا فهمنا حقيقة « العثمانية » في اصلها[5] .

وعلى هذا فاننا نرى بين الحنابلة انفسهم ، مع ما نعرف من تقيّدهم وتضييقهم ، انصاراً متعصّبين بل « غلاة » في التعصّب لمعاوية[6] . ولم تكن غاية هؤلاء الغلاة ان يدخلوا في المشاحنات بين الامويين وخصومهم ، ولا ان ينتصروا للعباسيين او للعلويين او عليهم ، انما كانوا يحتجون بتكريمهم ذكرى معاوية على ما كانت تظهره بعض المذاهب الاسلامية ، حتى خارج البدع الشيعية ، من الاحتقار لشخص معاوية[7] ؛ معتبرين ان كونه من الصحابة ومن خلفاء الاسلام لجديرٌ بان يفرض احترامه على جميع المؤمنين المخلصين . اما الخوارج فانهم ادخلوا في الاسلام كل عقائد المساواة الديموقراطية المتأصلة في البدو الاقدمين . ولم تكن لتهمّهم المشاحنة الدينية بين علي ومعاوية ، الا ما

---

١) راجع كتابنا *Mo'āwia*, p. 109 etc.

٢) الطلب *Mo'āwia*, p. 123-125, 182-183

٣) *Muhammed. Studien*, II, p. 119

٤) ويدعى ايضاً ابن عياش ، اطلب ابن الاثير : اسد الغابة ٣ : ١١

٥) ولا يدل كتاب الجاحظ في « العثمانية » على انه كان من هذا الحزب المتعرض في عصره . فان الكاتب الظريف لم يرَ في الموضوع الا مجالاً لعرض معلوماته وآرائه .

٦) راجع في « غلاة » معاوية مقالاً لحبيب زيات في المشرق ٢٦ [١٩٢٨] ٤١٠-٤١٥

٧) راجع *Yazīd*, p. 187 etc.

كانت تذكّرهم به من مرامي السيطرة القرشية القديمة التي تحاول استعادة مركزها حتى في الاسلام. ولهذا لم يكن بامكان الآخذين بالمنطق من الخوارج، كصُحار مثلاً، ان يكتفوا بالانحياز الى الحياد بين « المعتزلة »[1]، ولا ان يعتبروا مقتل عثمان امراً مفروغاً منه. وهكذا كانت البصرة « عثمانية »[2]، وهي اكثر مدن الخلافة العربية فوضى، واقربها الى التعلق بعادات القفر البدوية[3]. وقد صرّح كعب بن مالك، والنعمان بن بشير، وحسّان بن ثابت، باسم هذا الحزب، في حضرة علي بن ابي طالب، عندما اخذ علي يحتج في مقتل عثمان ويعتذر قائلاً: « لكم عندي ثلاثة اشياء: استأثر عثمان فأساء الاثرة، وجزعتم فأسأتم الجزع، وعند الله ما تختلفون فيه الى يوم القيامة. » فقالوا: « لا نرضى بهذا العرب، ولا تعذرنا به. »[4]

فنتحقق من ذلك ان العرب داوموا على الاخذ بدين القفر القديم، حتّى في الاسلام، وبعد استقراره. اما زمن المروانيين، ولاسيما منذ خلافة عبد الملك، فان اسم « عثماني » اصبح يعني المنتمي الى حزب بني امية. وفي هذا الزمن يصيح الشاعر ابن الزّبير مهدّداً ثوّار العراق، دائناً « بدين » عثمان:

فقي رجب، او غرّة الشهر بعده، تزوركمُ حمرُ المنايا، وسودُها
ثمانون الفاً دينُ عثمان دينُها كتائب فيها جبرئيل يقودها[5]

وقد آن لنا ان نختم هذا البحث في صفة الثأر الدينية عند العرب الجاهليين، بعد ان برّئنا، على اثر المطالبين بثأر عثمان، الى ما بعد الحدّ الذي وضعناه له في القسم الاول.

---

١) راجع *Mo'āwia*, p. 113-125، والمقصود بالمعتزلة حزب سياسي

٢) الجاحظ: ثلاث رسائل (طبعة de Goeje) ص ٩؛ الذهبي: ميزان الاعتدال ٢: ٢٢٩؛ ٣: ٢٢٧. وهناك « عثماني غالٍ » يُذكر في الكوفة لغرابة وجوده فيها، الذهبي: الكتاب المذكور ١: ٤٤٩؛ الطبري، في ذلك، كتابنا *Ziād ibn Abīhi*, p. 47؛ و *L'avènement des Marwāni des et le califat de Marwān* 1er. p. 8

٣) *Ziād ibn Abīhi*, p. 27 etc.

٤) الاغاني ١٥: ٣٠

٥) الاغاني ١٣: ٢٨ – وابن عساكر (طبعة بدران ٥: ١٢٨) ينسب الابيات لابن خزيمة، وهو احد شعراء بني اسد ايضاً، الا انه عاصر معاوية.

آخر مظهر

لسياسة روسية الدينية في الشرق الادنى

١٨٩٥ - ١٩١٤

استناداً الى وثائق غير منشورة

بقلم
الكسيس بوكوليوبسكي ، والاب جبرائيل لوفنك اليسوعي

لقد اعتاد الباحثون ، اذا ما تكلّموا عن تدخّل روسية بشؤون الشرق الادنى الدينية ، ان يرقوا بمظاهر هذا التدخّل الى معاهدة كاينارجي المعقودة سنة ١٧٧٤ ، والواضحة ، في نظرهم ، مبدأ اهتمام روسية بشؤون الطائفة الارثوذكسية في سورية . على ان هذا الاهتمام يرقى، في الحقيقة ، الى ما قبل القرن الثامن عشر، فيبدأ في اواخر القرن السادس عشر ، عهدَ اخذت موسكو تظهر بمظهر الدولة الكبيرة مستقلةً بطاريركيتها بشؤونها الدينية . منذ ذاك العهد ، بدأ بطاركة العالم الارثوذكسي يتجهون بانظارهم نحوها ، فيسألونها المعونة المادّية خاصةً . ولنا في رحلة البطريرك مكاريوس (١٦٥٢ - ١٦٥٩) التي نُشرت مرّات[1] ، دليل على ما كانت تتحف به روسية احبار الارثوذكس من هدايا وإعانات . وكان يقابل هذه الرحلات الى روسية رحلات أُخرى يقوم بها عدد من الروسيين فيزورون البلاد المقدسة ويقيمون مدة في سورية . وقد يُدفع بعضهم الى درس الطقوس الشرقية الارثوذكسية والمقابلة بينها وبين طقوسهم المسكوبية .

هذا ملخص ما كان من العلاقات بين العالم الروسي والعالم الارثوذكسي في الشرق الادنى ، قبل معاهدة كاينارجي . وقد كان من المنتظر ان تأتي

---

١) اطلب *Patrologia Orientalis* XXII, 1930.

هذه المعاهدة بصلات جديدة ، متتابعة . على انها ظلت مدة طويلة محفوفة بالغموض حتى لا يمكننا درسها وتمييز مظاهرها.

الى ان كان القرن التاسع عشر ، فرأينا الحكومة الروسية تهتم الاهتمام الجدي باولئك الزوّار الروس الذين لم ينقطعوا عن رحلاتهم الى الشرق الادنى، فتعمل على تسهيل اقامتهم وتحسين احوالهم ولا سيما من الوجهة المادّية ؛ كما انها بدأت تهتمّ كذلك بحالة ارثوذكس الشرق، فنظمت ارساليات دينية كانت تقوم بكل نفقاتها . ولكن نتائج هذه الاعمال كانت ضئيلة ، لم يرضَ عنها ولاة الامر انفسهم في روسية . اما اسباب هذا الفشل فكانت تُنسب من جهة الى مقاومة الحكومة التركية ، ومن جهة اخرى الى معاكسة الاكليروس الارثوذكسي نفسه ، وكل بطاركته من اليونان.

بيدَ انه حصل حدَثٌ مهمّ في السنة ١٨٨٢ . تأسست جمعية روسية دعت نفسها « جمعية فلسطين » ، واتكلت على رجل شديد الايمان ، بعيد الهمة ، قويّ الارادة ، هو باسيل خيتروفو . فهم غايات الحكومة الروسية ، ولكنه لم يكتفِ بمظاهرها الضئيلة ، فوسّع نطاق عمله ، واضعاً نصب عينيه تحقيق فكرة اولية هي مقاومة الاكليروس اليوناني . كان يرى ان مصائب الارثوذكسية ، ولا سيما من حيث الاخلاق ، ناتجة من الغرب ، وان الاكليروس نفسه مصاب بوباء « الاستغراب » ، فاذا عملت « جمعية فلسطين » على محاربة الاكليروس اليوناني ، تكون قد مهدت لها السبيل الى ترقية ارثوذكس سورية علماً واخلاقاً ، مستندةً في مهمتها هذه الى معاضدة الزوار والسيّاح الروسيين المقيمين او المارّين في سورية . وعليه فقد كانت السياسة الوطنية الروسية ، في نظر خيتروفو ، متعلقة بالسياسة الدينية ، وتابعة لها . من الحق ان هذه النظرية لم ترق جميع اعضاء الجمعية ، وقد رآها بعضهم على قسطٍ وافر من التطرّف . الا انها لم تحدث اختلافاً يُذكر ، فأخذت الجمعية تقوم بجهود جبّارة ، سائرةً على مدة ، جنباً الى جنب ، مع رجال السياسة الرسميين .

وكان اول ما رمت اليه نزع بطريركية اورشليم من الاكليروس اليوناني . ولكن كل ما قامت به من المحاولات كان نصيبها الفشل . فاتجهت انظارها

الى بطريركية انطاكية ، والعنصر اليوناني فيها اضعف ، وارثوذكس سورية ارقى ثقافةً ، واوفر غنى ، واقرب الى المشاغبة ، من ارثوذكس فلسطين . وهكذا تحوّلت اعمال الجمعية الى سورية ، على احتفاظها باسمها الاصلي اي « جمعية فلسطين ». فبدأت مشاريعها سنة ١٨٩٥ . ولم يمضِ عليها خمس سنوات حتى كان لها ٤٢ مدرسة روسية في مختلف الابرشيات من بطريركية انطاكية. وفي السنة ١٩١٣، كان لها ٨٢ مدرسة فيها ١٢٠٠٠ تلميذ من الجنسين. اما في فلسطين فلم يكن لها الا ٢٥ مدرسة. وكل هذه المدارس كانت مجانية ابتدائية، يعلّم فيها اساتذة سوريّون يديرهم على الغالب مديرون من الروس . وكانت مقسومة الى منطقتين : المنطقة الشمالية تتعلق بمفتش مركزه طرابلس ؛ والمنطقة الجنوبية يراقبها مفتش آخر مركزه دمشق . وكانت الجمعية تنتظر من كل هذه الاعمال نتائج دينية . اما الحكومة فكانت ترجو نتائج سياسية . ومن هنا يقدر الباحث ان ذلك الاتفاق الاصلي بين المؤسستين لم يكن ليدوم طويلاً بسبب اختلاف الغايتين .

وقد فازت الجمعية بنصر باهر سنة ١٨٩٩ ، اذ عملت على نزع البطريركية في سورية من يد الاكليروس اليوناني . وكانت الحكومة قد بدأت منذ السنة ١٨٩٥ ، سنة دخول الجمعية سورية ، بتوزيع عدد مهمّ من الاوسمة ، فمنحت البطريرك اسبيريدون ، وكان من المحكوم عليهم في نظر الحكومة والجمعية ، وساماً من اكبر اوسمة الامبراطورية وهو وسام القديس اسكندر نفسكي ؛ ومنحت المطران غرانيل ، متروبوليت بيروت ، وسام القديسة حنة من الدرجة الاولى، وكلًّا من المطران اثناسيوس ، متروبوليت حمص، والمطران جراسيموس ، متروبوليت سلوقية ، وسام القديس فلاديمير من الدرجة الثالثة . ومنحت عدداً من رجال الدنيا اوسمة من جوقة القديس ستانيسلاس من الدرجة الثالثة ، وبعض المداليات [1] . ولم يُحرم موظفو الدولة التركية من هذا التوزيع .

---

١) عن كتاب مدير القسم الاسيوي المؤرخ في ٢٨ اذار ١٨٩٦ ، برقم ٣٢٥٤ ، وكتاب جدوفسكي ، السفير في القسطنطينية ، في ٢٧ حزيران ١٨٩٦ ، رقم ٤٧٤

فمنح ناظم باشا ، والي دمشق ، وسام النسر الابيض[1] . وقد قامت الحكومة التركية ، من جهتها ، سنة ١٩٠٢ ، فاعترفت بالمدارس الروسية في بلادها .

على ان هذه المدارس ، مع ما كلفته من الاهتمام ، كانت عرضة لانتقادات كثيرة من وجوه مختلفة :

كان اعضاء الجمعية « الصهيون » ، حتى رئيسها الغراندوق سرج (الذي اغتيل سنة ١٩٠٥) ، لا يرون بعين الرضى تعدد المدارس في سورية ، معتبرين ان في هذا المظهر انحرافاً عن غاية الجمعية الاصلية . وكان ارباب السياسة الروسية يرون في المدارس المذكورة ادوات لنشر النفوذ الروسي في تركية ، ولكنهم لم يكونوا ليهتموا بسلامة عقائد الجمعية ، ولا بتعليم اللغة الروسية ، وهما من النقاط المهمة في انشاء هذه المدارس .

اما السكان فلم يكونوا يطلبون الا مدارس عملية تعلّم اولادهم علوماً يمكنهم استخدامها حالاً ، فتساعدهم على تحصيل معيشتهم . ولهذا كانوا يطلبون بالحاح تعليم اللغات الاجنبية . وهو ما لم تكن تصغي اليه الجمعية ، رافضة تعليم اللغة الفرنسوية واللغة الانكليزية .

واما الاتراك فكانوا يرون هذه المظاهر فيعتبرون بها ، ويستفيدون من الحوادث ، كما فعلوا على اثر الحرب الروسية اليابانية . ولكنهم لم يتابعوا سياستهم هذه في عرقلة سير المدارس الروسية[2] .

حتى كانت السنة ١٩٠٦ ، فأتت بفشل مهم في السياسة الروسية المدرسية . وكان سببه ارثوذكس سورية انفسهم . وتفصيل ذلك انه في السنة ١٩٠٦ ، توفي اول بطريرك وطني وهو البطريرك ملاتيوس . فرشحت روسية المطران اثناسيوس عطا الله ، متروبوليت حمص . ولكنها لم تنجح ، اذ فاز بالبطريركية

---

١) كتاب زينوفييف ، السفير في القسطنطينية ، ١٤ تموز ١٩٠٠ — وان هذا التاريخ يدفعنا الى السؤال : هل من علاقة بين هذا الوسام الكبير الممنوح الى والي دمشق ، ونجاح السياسة الروسية في انتخاب بطريرك عربي الاصل في السنة ١٨٩٩ ؟

٢) تقرير سري لباتيوشكوف ، قنصل روسية في دمشق ، بتاريخ ٤ تشرين الاول سنة ١٩٠٥ ، رقم ٣١٦

المطران غريغوريوس حداد ، من طرابلس ، الذي لم يكن من محبي روسية ، ولا من الراضين عن سياستها . ومنذ ذاك الحين اخذت العلاقات تتوتر بين الجمعية ، وقنصلية روسية في دمشق ، والطائفة الارثوذكسية .

وقد صرح باتيوشكوف ، قنصل روسية في دمشق ، في تقرير رسمي « ان كثيراً من التلميذات تترك مدارسنا وتدخل في مدارس اللعازريين[1] او في مدارس الانكليز البروتستانت » وهو ينسب هذا الحادث الى رغبة الاهالي في المهاجرة الى اميركة ، ويذكر من حججه طلب عدد من الفلاحين ان تُدخل المدارس الروسية اللغة الانكليزية في موادّ التعليم . وهو يعود الى هذه الفكرة في حديثه لاحد مراقبي الجمعية ، فيلفت نظره الى هذه الظواهر المؤسفة ، وينصحه « بتعليم اللغة الفرنسوية ، على الاقل ، وهي لغة نافعة في التجارة » . ولكنه يزيد قائلاً : « يظهر ان هذا معاكس لقوانين الجمعية . »

وفي تقرير آخر[2] يقوم القنصل بحملة شديدة على طريقة تعليم اللغة العربية في تلك المدارس ، ناسباً المعلمين الى جهل مهنتهم احياناً ، قائلاً ان عددهم قليل ، على كل حال ، ومعاشهم ضئيل .

وكأنه اخذ على نفسه ان يعمل جهده في تحسين تلك الحالة ، فكتب في السنة نفسها[3] : « لقد اخذ السكان يعتقدون شيئاً فشيئاً ان للجمعية غايات خاصة تجعلها تصرف هذه المدارس عن كل تظاهر علني باعمالها . فلا حفلات ختامية للسنة المدرسية ، ولا توزيع جوائز . . . ولا يخفى ما في هذا من الضرر للجمعية . ومهما يكن من أمر فان مدارس الجمعية احط من مدارس منافسيها . »
اما المعلمون الروسيو الاصل ، فكانوا يظهرون عجرفةً ممقوتة ، ويعيشون منفردين عن زملائهم السوريين ، على عكس ما يظهر بين معلمي سائر البعثات الاجنبية ، فانهم ، وان كانوا منتمين الى رهبنات او جماعات دينية ، يظلون على اتصال بكثير من الوطنيين .

---

١) اي مدارس راهبات المحبة .
٢) بتاريخ ٢٦ شباط ١٩٠٦ ، رقم ٣٦
٣) بتاريخ ٢٦ حزيران ١٩٠٦ ، رقم ٨٠

وان في المراسلات بين قنصلية دمشق ، وسفارة الاستانة ، موضوعات جمة تظهر التذمر والاحتجاج . من ذلك انه في السنة ١٩٠٩ ، اقفلت الجمعية كثيراً من مدارسها في ابرشية عكار بسبب ما قام به متروبوليتها ، المطران باسيليوس ، من عمل عدّته الجمعية غير لائق . فكتب السفير تشاريكوف ، من الاستانة ، يوصي القنصل بان يزور البطريرك ، فيقنعه بضرورة حرمان المطران باسيليوس من نصيبه بالاعانة المعطاة لبطريركية انطاكية ، « على الاقل ، حتى يمحو بسلوكه واعماله ، تذكار تلك الحملة الشائنة التي قام بها على روسية وعلى جمعية روسية .»[1] ولكن هذا التوتر بالعلاقات لم يطل . فان الاحتياجات عملت على التخفيف من تلك الصعوبات التي ذكرها قناصل روسية بين قنصلياتهم والطائفة الارثوذكسية . وكانت الحكومة الروسية قد اعلنت عزمها على امداد احبار الطائفة باعانات سنوية ، ودفعت فعلاً الى البطريرك ٤٠٫٠٠٠ فرنك عن السنة ١٩٠٨ . فقام غبطته في آخر السنة المذكورة ، بتاريخ ١٩/٦ كانون الاول ، بمناسبة عيد الامبراطور ، بحفلة باهرة في كاتدرائية دمشق ، القى فيها خطاباً رنّاناً في مآثر جلالته ومآثر الدولة الروسية . ولهذا ، عندما بلغه القنصل رغبة السفير في حرمان المطران باسيليوس من نصيبه ، لم يرَ صعوبة في تحقيق تلك الرغبة . فخصص مبلغ الاعانة ، على ثلاث سنوات ، (٣٦٠ ليرة فرنسوية ذهباً) لتسديد ما تركه سابقاً المطران باسيليوس ، وهما المطرانان كريسانتوس ونيقوديموس ، من ديون بلغت ٤٠٫٠٠٠ غرش ، « عملة طرابلس »[2] .

الّا ان آمال القنصل بهذه الاستعدادات الطيّبة لم تتحقق تماماً . فان المعارضة عادت الى الوجود عندما حان وقت توزيع الاعانات . فاضطر اولياء الامر الى زيادتها حتى بلغت ٨٠٫٠٠٠ فرنك ذهبي ، اي ما يعادل تقريباً ٤٥٠٫٠٠٠ فرنك من العملة الحالية . وكان البطريرك ، فوق ذلك ، يطلب ، بواسطة ممثّله في الاستانة ، ان تسدّد روسية ما على البطريركية من ديون قديمة . وهو طلب ردّ عليه الامير بوريس شاكوفسكي ، قنصل دمشق الجديد ، بانه مستحيل

١) من رسالة السفير المؤرخة في ٢٩ تشرين الثاني ١٩٠٩ ، رقم ٨١

٢) من رسالة البطريرك غريغوريوس في ١٥ حزيران ١٩١٠ ، رقم ٣٨

التحقيق . وزاد قائلاً : « ان السفارة الامبراطورية تأمل ان ترى كنيسة انطاكية عاملةً على تهيئة نظام عامّ ، توافق عليه الحكومة العثمانية ، وتنظّم بموجبه اعمال البطريركية الادارية والمالية . »[1]

وقد كانت هذه الرغبة رغبة القنصل المقيم في مركز البطريركية ، والواقف على كل ما هناك من صعوبات ومشاحنات ، اكثر منها رغبة الحكومة الروسية ، او رغبة الامبراطور نفسه . لان الوزارة التي كانت قد ارسلت الى القنصل مبلغ الـ ٨٠٫٠٠٠ فرنك ، لم تطلب سوى البلاغ بوصول المال ، مع وصل بامضاء البطريرك بتسلّم القيمة بجملها . وهذا ، وفقاً لروح تقرير وزارة الخارجية الذي اقرّه الامبراطور بتاريخ ١٧ تموز ١٩٠٨[2] . ولم تكن السفارة تتكلم كالوزير تماماً . اما القنصل فلا يظهر انه اهتمّ باقوال الوزير ، ولا باقوال السفير . بل كتب بتاريخ ١٠ كانون الاول ١٩٠٩ ، تحت رقم ٣٣٦ ، معلناً الى البطريرك وصول القيمة ، قائلاً : « انه من الآن فصاعداً ستتولى القنصلية توزيع انصبة الابرشيات ، فتعطي هي نفسها كل ابرشية ما يصيبها من المال » . وفي ٢٣ كانون الاول (رقم ٦٤) يُعلن طريقة التوزيع : كل ابرشية تنال من ١٢٠ الى ١٥٠ ليرة فرنسوية ذهباً ، ما عدا ابرشيتي بيروت وطرابلس ، فلا تنال كل منهما الا ٥٠ ليرة ، لانهما « ليستا بحاجة الى الاعانة » . وهو يسير الى ابعد من ذلك ، فيقسم كل نصيب الى قسمين : قسم للنفقات الخاصة لا يراقب انفاقه احد ، وقسم لاعانة المدارس والكنائس ، ويجب ان يدوّن بهذه النفقات حساب خاصّ يُرفع الى القنصلية .

وعلى هذا المبدأ ، تناول البطريرك ، تلك السنة ، ١٢٠٠ ليرة فرنساوية ذهباً قُسمت كما يلي : ٤٠٠ ليرة لنفقاته الخاصة ، و٤٠٠ للمدرسة الاكليريكية في دير البلمند ، و٤٠٠ للمدارس والكنائس . ونال متروبوليت حمص ٦٠ ليرة لمدارسه وكنائسه . وقد تناول ، عدا ذلك ، اعانة سنوية تبلغ ٥٠٠ روبل (نحو ١٤٫٠٠٠ فرنك ذهباً) للمدرسة الارثوذكسية في حمص المؤسسة تلك

١) من رسالة قنصل دمشق بتاريخ ٩ كانون الاول ١٩٠٩ ، رقم ٣٣٥

٢) من رسالة بتاريخ ٢٦ تشرين الاول ١٩٠٩ ، رقم ٦٣

السنة . وكذلك نال كلّ من مطارنة حماه ، وحلب ، وديار بكر ، ونائب مرسين ١٥٠ ليرة . على ان الاثنين الاخيرين لم يكن عليهما تقديم حساب لقنصلية دمشق ، لانهما خارجان عن منطقة سورية . ونالت ابرشيات اللاذقية، وزحلة ، وحوران ، وصور ، ١٥٠ ليرة لكلّ منها . اما ابرشية لبنان فلم تنل الا ٦٠ ليرة . وكان قسم النفقات الخاصة يبلغ من ٢٠ الى ٥٠ ليرة .

اما نتيجة هذا التوزيع فكانت ضجة صاخبة اشترك فيها السفير ، وجمعية فلسطين ، والبطريرك ، والمطارنة ، واعيان الطائفة . حتى الجرائد الروسية نفسها ، فذكرت جريدة « نوفوي فريا » بتاريخ ١٠ نيسان ١٩١٠ ، التأثير السيء الذي احدثته تلك الطريقة في التوزيع ، في الاوساط الارثوذكسية السورية . وارسل وزير الخارجية يطلب ايضاحات من السفير في الاستانة ، ويستنكر تلك الغيرة التي اظهرها قنصل دمشق ، قائلاً : « اعتقد من واجبي ان الفت نظركم الى ان فكرة الامير شاكوفسكي بتوزيع الاعانات رأساً على المطارنة والمؤسسات الدينية ، خارجاً عن البطريرك ، لا اراها صالحة . لان هذه الطريقة في التوزيع تكوّن ، في الحقيقة ، تدخلاً بشؤون البطريركية الداخلية قد يؤدي الى نتائج مؤسفة . وفضلاً عن ذلك ، فان طريقة كهذه تعاكس المعنى الدقيق للقرار المقدم الى الامبراطور والذي اقرته جلالته بتاريخ ١٧ تموز ١٩٠٨ . وترون طيه نسخة عنه .»[1]

وهكذا قضي على تجربة قنصل دمشق .

اما المشكلة المدرسية فكانت اصعب من ان تحلّ بمثل هذه السهولة . كانت الحكومة الروسية ترغب في اصلاح هذه المدارس مدفوعة بروح السياسة الوطنية العملية . وكانت الجمعية ، في استنادها الى روح التقليد باسم روسية المقدسة ، ترفض كل تلك المحاولات الاصلاحية بحجة انها مأخوذة عن الروح الغربية . وقد زاد تشبثها بهذه المبادئ التقليدية حتى انها فكرت ، اذا اضطرت الى قبول الاصلاح ، بالغاء المدارس كلها .

على انه بالنظر الى الروح الجديدة في روسية البرلمانية ، والى الروح الجديدة

١) من رسالة الوزير بتاريخ ١٢ نيسان ١٩١٠ ، رقم ١٢,٢٥٣

كذلك في تركية الفتاة ، اخذت الحكومة الروسية تتسع في مرمى انظارها على آسية التركية ، فتعدّ العدّة لعمل واسع في الشرق الادنى. وهو ما كان قد خطّه السفير تشاريكوف الى قنصل دمشق، بناء على تعليمات وزارة الخارجية[1].

وكان من مظاهر هذه الخطة ان أُعطي قنصل دمشق وحده حقّ التدخل السياسي بالشؤون المتعلقة ببطريركية انطاكية . اما سائر القناصل فكان عليهم الّا يغفلوا المراقبة الدقيقة لحوادث الحياة الدينية ومظاهرها في الابرشيات. على انهم لم يكن من حقّهم ان يبدوا الملاحظات او يعطوا النصائح في الشؤون الدينية ، لا الى اعضاء الاكليروس ولا الى العلمانيين . ولم يكن من حقّهم ان يقبلوا العرائض ولا ان يحوّلوها ، ولا ان يسمعوا التصريحات او المعلومات المتعلقة بالبطريركية ، او بشؤون الكنيسة الداخلية.

فكان من الطبيعي ان يزداد نفوذ قنصل دمشق ، اذ صار في يديه سلاح جديد سيستعمله في حلّ مشكل المدارس المقلق . لان الجمعية عندما تكلمت بعزمها على اقفال مترصفيها ومدارسها البالغة ٨٢ ، اقلقت فعلاً كل اولياء الامر . فطلب السفير من قنصل دمشق تقريراً ضافياً مفصّلاً. فسار القنصل الى الاستانة ، وكانت جمعية فلسطين قد ارسلت ايضاً الى الاستانة ، في كانون الاول ١٩٠٩ ، سكرتيرها العامّ ، الاستاذ دمتريفسكي ، ومفتش مدارس الجليل ، السيد رياجسكي ، وهما مشهوران باللطف والمرونة. فاستقبلهما السفير واضاف اليهما السيد كوهتنسكي ، وكيل القنصل في بيزرند ، بصفة مقرّر عامّ.

ولم يكد الامير شاكوفسكي يرجع الى دمشق حتى ارسل الى السفير ، في ١٨ كانون الاول ١٩٠٩ ، رقم ٣٦ ، التقرير المطلوب ، متضمّناً فكرة رجال السياسة وموظفي حكومة الامبراطورية ، حاملاً حملة شديدة على نظريات الجمعية ، وخاصّة تعليم اللغة الروسية في مدارسها ، مستنداً في كل ذلك الى روح الوطنية المخلصة ، والسياسة الروسية الحقّة ، مصرّحاً انه ليس بالامكان ان نفكر بالغاء هذه المدارس . والّا فانّ هذا العمل انتحار ادبي لروسية

١) رسالة السفير بتاريخ ٢٢ كانون الاول ١٩٠٩ ، رقم ٩٨

في الشرق . وذلك ان الجمعية — على كونها جمعية خاصة في نظر الشرع — لا يمكن ان تنفصل في نظر الشرقيين عن الحكومة الروسية . ومن البراهين على ذلك انه ، مدة الازمة البطريركية في السنة ١٨٩٨—١٨٩٩، كانت السفارة الروسية تعضد ، لدى الباب العالي ، حق الطائفة الارثوذكسية الوطنية في سورية، وتضع تحت تصرف قنصل دمشق مبالغ كبيرة في سبيل مساعدة المطارنة الوطنيين في ذاك الانتخاب ؛ تقوم بذلك لحساب جمعية فلسطين . وهو امر معروف مشهور . ثم ان الحكومة التركية اعترفت رسمياً سنة ١٩٠٢ بهذه المدارس بصفة كونها روسية . وان لنا فيها ادوات حسنة للعمل والتأثير لا يجدر بنا ان نهملها في هذه الايام ، ولا نعرف ما يخبئ المستقبل للدولة التركية .

ولكن ان يكن من المستحيل الغاء المدارس الروسية ، فمن المستحيل كذلك ان تترك في حالتها الحاضرة . لا شك في انها تجابه أزمة مدرسية شديدة ، وهو امر لا ينكره مجلس ادارة الجمعية . فما هي اسباب هذه الازمة ؟ هي اولاً الجمود مدة ٢٥ سنة في عصر كل ما فيه يتحرك ، ويتحرك بسرعة . ثم الانصراف عن تعليم اللغات الغربية . وفي اي حالة يكون النفوذ الروسي اوسع واعمق اثراً ؟ أفي مدرسة خالية من التلامذة يكون فيها تعليم اللغة الروسية اجبارياً ، ام في مدرسة لا تجبر على تعليم هذه اللغة ، ولكنها مأهولة بالتلامذة ؟ لندخل في منهاج التعليم اللغة الفرنسوية واللغة الانكليزية . هذا شرط اساسي بدونه لا حياة لمدارس الجمعية .

ثم ان القنصل يعرض فكره في مسألة التعليم المجاني ، فلا يوافق عليه . ويقدم ملاحظات وآراء بشأن فتح مدارس للتعليم الثنوي ، طالباً اصلاحاً تاماً لتنظيم مدارس الجمعية .

وفي اوائل سنة ١٩١٠ ، بعد ان قام مفتشو الجمعية بدورة على المدارس ، وصلوا الى دمشق في ٢٧ كانون الثاني ، فاجتمعوا في دار القنصلية بممثلي وزارة الخارجية . وكان قد أضيف الى المفتشين المذكورين اعلاه السيد ستاسيفتش ، مفتش مدارس سورية الجنوبية .

وهناك طالت المناظرة واحتدمت ، وكان لكل فيها نصيب وافر . واخيراً اسفرت عن ترك نظرية الجمعية الى الاخذ بالآراء الاصلاحية . ثم نُظّم مشروع بالاصلاحات المهمة . ولقد كان من الممكن تنفيذها حالاً ، لولا مجلس « الدوما » الذي كان يغربل كل الحسابات ، ولولا التسلسل الاداري الذي كان يؤخر كل التقارير . واخيراً أقرّت النفقات الاصلاحية لاول كانون الثاني ١٩١٣ . وكانت الجمعية في تقريرها المرفوع الى الامبراطور عن السنة ١٩١٢ — ١٩١٣ ، وفي مشروعها لموازنة السنة ١٩١٤ ، قد ادخلت الاصلاحات المفروضة .

ثم جاءت الحرب ، فغيّرت مجرى كثير من المشاريع . على ان مفتش المدارس في سورية الشمالية قرّر فتح المدارس ، ومتابعة العمل[1] . حتى اذا شُهرت الحرب ، اخذ قنصل بيروت ، السيد باتيوشكوف ، جميع المعلمين الروسيين في صحبته ، على ان تواصل المدارس عملها بواسطة المعلمين الوطنيين . ولكن هذا القرار لم يصادفه النجاح ؛ كما ان البطريرك جرّب ، اثناء الحرب ، ان يحافظ على بعض مدارس البنات فلم ينجح . بل تلاشت هذه المشاريع كلها بتلاشي روسية الارثوذكسية .

***

بقي ان نسأل عمّا كان يعرفه ويقوله المرسلون اللاتين عن هذه التنظيمات الروسية والمشاريع الارثوذكسية ؟ من الحقّ انهم لم يعرفوا شيئاً مما اطلعتنا عليه الوثائق الرسمية . ولا غرابة في ذلك . فان اطلاعهم لا يتجاوز مشاهدة المظاهر الخارجية المدرسية خاصّة . وهو ما نتحققه من هذين النصّين اللذين نعرضهما على القرّاء ، على سبيل المقارنة بينهما وبين ما تقدّم :

النصّ الاول يرقى الى السنة ١٨٩٨ ، اي الى اوائل الدعاية الروسية ، وهو مأخوذ من رسالة كتبها الاب جوزف برنيه اليسوعي الذي كان متّصلاً بارثوذكس حمص وعكار ، قال : « ان موظفي روسية يعملون عملهم ، من مدّة طويلة ، بين الارثوذكس . حتى يمكن ان نعتبر اليوم انهم فازوا بالنصر . وها ان قيصر روسية كاد يصبح الهاً في نظر روم سورية . يدلّ على ذلك موقف فلّاح من

[1] من رسالة بتاريخ ١٤ ايلول ١٩١٤ ، رقم ٢٢٠

حمص دخل بيتاً مارونياً في ضواحي طرابلس ، فرأى فيه صورةً لبقولا الثاني ، ولما سمع انها صورة امبراطور روسية ، دهش اصحاب البيت ، اذ رأوه يكشف عن رأسه ويأخذ بتعداد رسم اشارة الصليب ، وبالسجود ، كما يفعل امام مذبح كنيسته ، او امام صورة العذراء ، وصورة القديس جرجس . ولا يخفى ان المدارس الرومية الموجودة تأخذ الاعانات من روسية . وقد فتحت مدارس جديدة حيث لم يكن . وفي كل هذه المدارس تُعطى الاهمية لتعليم اللغة الروسية . حتى اخذت هذه اللغة ، في حمص ، تدخل في التراتيل والصلوات الطقسية ، بل في القداس نفسه . ولكن من الراجح ان هذا الحادث موضعي فقط . »[1]

وهذا نص آخر نأخذه عن تقرير وضعه ، في السنة ١٩٠٦ ، ش . گيرَن ، ولم يُنشر بالطبع ، على ما نعلم . قال (ص ٣٣) :

« ان النفوذ الروسي الذي كان عظيماً قبل الحرب الروسية اليابانية قد ضعف منذئذٍ . » ثم ذكر هذا الامر الغريب وهو « ان ارادة سنية (تركية) حرّمت على المسلمين ان يذهبوا الى المدارس الروسية . وقد نُفّذت هذه الارادة . » وكان ذلك قبل سنة ١٩٠٢ ، كما يُستنتج مما تقدم ، لانه في تلك السنة (١٩٠٢) اعترفت تركية بالمدارس الروسية . اما في ما خصّ عدد هذه المدارس فيذكر منها المقرّر مدرسة للبنات في بيروت ، وبضع مدارس في حمص ، ومدرسة في بسكنتا ، ومدرستين في طرابلس فيهما ٣٧٠ تلميذاً ، ومدرستين في الناصرة فيهما ١٤٥ تلميذاً . ويذكر ان في القدس ٧٠ تلميذاً ، وفي اللاذقية ٢٠٠ تلميذ .

***

هذا ما رأينا استخلاصه من تلك الوثائق الروسية التي لم يسبق نشرها ، ولا نظن انها تُنشر يوماً ما . عسى ان يكون فيه مادّة للمشتغلين بهذه الناحية من تاريخ سورية المعاصر .

---

[1] راجع *Relations d'Orient*, 1898, p. 43

عز الدين بن شداد

وقيمته التاريخية

نظرة في تاريخ « العواصم »

بقلم الاب شارل لودي (تروى : فرنسة)

يذكر قراء « المشرق » الكرام ما نشرناه عن ابن شدّاد و«اعلاقه الخطيرة » في تاريخ « العواصم »[1] . وقد رأينا ان نتمّ البحث بهذا المقال ، فنضع تلك النصوص في مكانها التاريخي . ولهذا دُفعنا الى ترتيب هذه الشروح والمعلومات على اربعة اقسام :

١ً – الزحفات البيزنطية على سورية من السنة ٩٦٥ الى السنة ٩٦٩
٢ً – حالة سورية السياسية على عهد الفتح الصليبي .
٣ً – وقائع نور الدين في سورية الشمالية .
٤ً – هجمات ليون الثاني الارمني على انطاكية .

الزحفات البيزنطية

يتبع ابن شدّاد ، في هذا الموضوع ، معلومات المؤرّخ كمال الدين[2] حتى انه لا يكاد يحيد عنها . على اننا رأينا اعادة النظر في هجمات البيزنطيين على سورية ، والتحقيق في تأريخها ، من السنة ٩٦٥ الى سنة ٩٦٩ . ولاسيما ان التواريخ التي فرضها شلومبرجر[3] بحاجة الى مزيد تدقيق ، فضلاً عن كونه تأما

---

١) اطلب مشرق هذه السنة ، ص ١٦١ – ٢٢٤

٢) قابل بما ورد في G. W. Freytag, *Geschichte der Hamdaniden*, in *ZDMG*, XI, (1857) p. 177 sq. et M. Canard, *Sayf al Dawla*, Paris-Alger, 1934.

٣) G. Schlumberger, *Un Empereur Byzantin au Xe siècle, Nicéphore*

يذكر المصادر التي استند اليها.

السنة ٣٥٤ (٧ كانون الثاني – ٢٨ كانون الاول ٩٦٥)

في ١٥ شعبان (١٦ آب) خضع رشيق النسيمي ، حاكم طرسوس من قِبل الحمدانيين ، مستسلماً للروم ، فاصبح الامبراطور نقفور سيّدًا لتلك المدينة . وتراجع رشيق الى انطاكية[1] . فقام ابن الاهوازي بهياج الثورة في انطاكية ، على ما رواه ابن شدّاد[2] . ولم يمض شهران على وصول رشيق الى انطاكية (شوّال = ٣٠ ايلول - ٢٩ تشرين الاول) حتى كان سيد المدينة.

وفي اول ذي القعدة (٢٩ تشرين الاول) دخل رشيق حلب[3] فخضعت له الا قلعتها . وكان فيها قَرْغويه ، يحاكمها لسيف الدولة ، فحاصرها رشيق ثلاثة اشهر وعشرة ايام.

السنة ٣٥٥ (٢٨ كانون الاول ٩٦٥–١٧ كانون الاول ٩٦٦)

في ١٠ صفر (٦ شباط) ارسل سيف الدولة جيشاً بقيادة الخادم بشرة ، فخلّص حلب من يد رشيق . فلجأ هذا الى الفرار ، وبينا هو هارب ، سقط عن فرسه ، فقُتل .

وقد لحق قرغويه بالمنهزمين حتى ابواب انطاكية . وكان دِزْبَر قد تولى فيها الحكم ، فخرج الى قرغويه . وهزمه بدوره حتى حلب . ثم دخل دِزْبَر حلب في جمادى الاولى (٢٥ نيسان – ٢٥ ايار) . ويزيد فريتاغ ان دِزْبَر دخل قلعة حلب . وهو امر صعب تحقيقه ، لان المؤلف لا يشير الى النصّ العربي الذي استند اليه في هذا الاستنتاج . وعلى كل فان استيلاء دِزْبَر على قلعة حلب يظهر لنا مشكوكاً فيه لسببين : اولاً ان ابن شدّاد يقول عن دِزْبَر انه

Phocas, Paris, 1890 et 1923. وهذه الطبعة الثانية لا تختلف عن الاولى الا بحذف الرسوم والصور ، وهي التي نشير اليها.

١) راجع المؤرخ يحيى في *P. O., XVIII*, 796

٢) المشرق المذكور ص ١٨٩–١٩٠ ؛ وراجع ابن الاثير ٨ : ٤١٥–٤١٦ ، وهو يجمع هذه الحوادث كلها في سنة واحدة.

٣) Freytag, *Gesch. der Hamdaniden*, *ZDMG*, XI, 1857, p. 211

استولى على « البلد » لا على « القلعة » ، وهو يستند الى كمال الدين في كل هذا القسم من تاريخه ، كما قدّمنا ، ومن السهل المقارنة بين قوله والنصّ الاصلي[1] . ولا يخفى ان قلعة حلب تكوّن مدينة في قلب المدينة فيمكنها ان تقاوم الفاتح مدة طويلة ، فليس من اللازم ان من يحتلّ المدينة يدخل القلعة ايضاً ، وهو ما حدث لرشيق عندما فتح حلب . وثانياً ان المؤرّخ يحيى يقول عن دِزْبَر انه اتبع آثار قَرْغويه حتى حلب . ثم ان جيوش قرغويه ردّته عنها ، فرجع الى انطاكية[2] . ولا يخفى ان جيوش قرغويه لم تكن لتقاوم دِزْبَر وتردّه لو كانت القلعة قد سقطت في يده . ولا شكّ في ان قرغويه كان سيد المدينة ، عندما اتى سيف الدولة حلب ، فقضى فيها ليلةً بعد ان تبادل الاسرى ونقفور ، ملك الروم (١ رجب ٣٥٥ = ٢٣ حزيران ٩٦٦)[3] .

على ان ابن شدّاد يزيد الحادث غموضاً اذ يذكر ان سيف الدولة رفع دِزْبَر عن حلب في شهر صفر ٣٥٦ (١٦ كانون الثاني — ١٤ شباط ٩٦٧) . والظاهر انه يخلط بين حوادث صفر هذا وحوادث صفر السابق سنة ٣٥٥ ، وفيها خلّص جيش سيف الدولة حلب من رشيق النسيمي ، على نحو ما تقدّم . ولا يبقى في الامر من شكّ ، اذا عرفنا ان سيف الدولة لم يحتج الى تخليص حلب في صفر ٣٥٦ ، لانه كان فيها ، بينما كان نقفور يقوم بزحفته على سورية (شوال - ذي القعدة ٣٥٦ = ايلول - تشرين الاول ٩٦٦)[4] . ثم خرج منها الى

---

١) اطلب Freytay, *op. cit.*, 212 والنص ، ص ٤٤ ؛ ولا يخفى ان فريتاغ يكتب تاريخه مستنداً ايضاً الى كمال الدين .

٢) يحيى *P. O*, XVIII, 793

٣) يحيى : المحل المذكور ، وقابل بقول Schlumberger, *op. cit.*, p. 428 . ويمكن الفرض ان اقتراب سيف الدولة من حلب دفع دِزْبَر الى رفع الحصار عن قلعتها ، والتراجع من المدينة .

٤) وقد يكون شلومبرجر جاهلاً نصّ المؤرّخ يحيى عندما كتب (ص ٤٢٦) « ان المناوشات مع الروم عادت حالاً (بعد رجوع سيف الدولة الى حلب في تموز ٩٦٦) وانه يجب ان نفرض حملة جديدة قام بها نقفور ، ولكننا لا نعرف عنها شيئاً واضحاً . » اما يحيى فيقول (٨٠٥) : ان نقفور سار من سُتَيْتة ، حيث حصل تبادل الاسرى ، الى آمد ،

شيزر . زمنا لم يترفق ابن شدّاد في ابتعاده عن نصّ كمال الدين .

اما زمن تخليص حلب للمرّة الثانية فيجب ان يوافق اعادة السلطة الحمدانية على انطاكية ، وتفصيل ذلك ان دِزَبْر ، بعد ان تراجع عن حلب لاقتراب سيف الدولة منها ، عاد طامعاً فيها ، ولحق جيش سيف الدولة عندما ابتعد هذا عن المدينة ؛ حتى التقى الجيشان في بالس . فكُسر جيش دِزَبْر ، وأُخذ اسيراً هو وابن الاهوازي ؛ فقُتلا . واعطى سيف الدولة حكمَ انطاكية لخادمه تقي الدين[1] .

السنة ٣٥٦ (١٧ كانون الاول ٩٦٦ – ٧ كانون الاول ٩٦٧)

في شهر صفر (١٦ كانون الثاني - ١٤ شباط ٩٦٧) مرض سيف الدولة فنقل من شيزر الى حلب حيث مات . فخلفه ابنه ابو المعالي سعد الدولة شريف[2] .

على ان وفاة سيف الدولة اعادت الاضطرابات الى سورية . وقد كان عامله على انطاكية ، تقي الدين ، رافق جثمانه الى ميّافارقين ، فانتقض اهل انطاكية على الحمدانيين ونادوا بملوش الكردي حاكماً عليهم . وكان في انطاكية كذلك الخراسانيون الذين اتوا غازين بلاد الروم ؛ ويظهر انهم لم يتركوا المدينة قبل حزيران لاننا نراهم فيها في ١٠ جمادى (٢٣ ايار) . ثم تقدّموا منتصرين في مناطق قليقية . وهو ما دفع نقفور الى ان وجّه اليهم بطرس الستراتوبيدارك ، وهو الذي يسمّيه ابن شدّاد الاطربازي ، فكسر الخراسانيين ، ولا نعلم بايّ شهر[3] .

في رجب (١٢ حزيران – ١٢ تموز) رجع ابو المعالي من ميّافارقين ، فدخل

فدارا ، ومنها الى نصيبين . ثم رجع فجأة الى الشرق ووضع الحصار على مَنْبج (١٨ شوال ٣٥٥ = ٧ تشرين الاول ٩٦٦) ودخل آسية العظمى ساوًا بيالس ، وارتاح ، وتيزين وانطاكية . قابل بما يرويه فريتاغ (ص ٢١٢ ؛ وهو يقرأ : « تترين » بدل « تيزين » .

١) يحيى ، ٨٠٥

٢) يحيى ، ٨٠٧

٣) يحيى ، ٨٠٧ ، ٨٠٦ ، ٨١٣-٨١٤

حلب دخولاً حافلاً[1].

السنة ٣٥٧ (٧ كانون الاول ٩٦٧ — ٢٥ تشرين الثاني ٩٦٨)

في ربيع الثاني (٥ اذار - ٣ نيسان) انتهت المناوشات بين قرغويه وابي فراس بقتل الشاعر في جوار حمص[2].

في ذي القعدة (٢٠ ايلول - ٢٦ تشرين الاول) دخل نقفور سورية غازياً فاكتسح وادي العاصي حتى حمص . وهبط منها على طرابلس ، ثم صار على الساحل حتى انطاكية . ولعله كان لا يزال في سورية في اوائل السنة ٣٥٨

السنة ٣٥٨ (٢٥ تشرين الثاني ٩٦٨ — ١٤ تشرين الثاني ٩٦٩)

في محرّم (٢٥ تشرين الثاني — ٢٤ كانون الاول) اخذ قرغويه يرمي الى الاستقلال بحكم حلب ، فاستفاد من بعض الاشاعات المقلقة ، وابعد ابا المعالي عن حلب مقنعاً اياه بان نقفور سوف يقضي الشتاء في سورية ، ولا شك في انه يحاصر حلب ان لم يسرع صاحبها فيلجأ الى مكان امين . فاسرع ابو المعالي الى الاتجاه نحو ميافارقين . ولكنه لم يكد يصل الى بالس ، على الطريق ، حتى تناول من قرغويه خبراً يعلنه فيه بانتقاضه عليه ، وباستقلاله في حلب[3] . اما نقفور فلم يقض ذاك الشتاء في سورية ؛ ولكنه استعد لغزوة الربيع ، فمرّ بفراس ، ونقل اهل بوقا الى انطاكية ، وجهّز جيوشه للحرب . وقضى الطربازي شتاءه في تليقية[4] . على ان نقفور لم يتمكن من القيام بغزوة الربيع ، لانه اضطر الى البقاء في بيزنطية ، وكان قد زاد شغب السكان عليه حتى اردى به في آخر السنة نفسها .

في رمضان (١٩ تموز — ١٧ آب) لا تزال المنازعات سائدة في سورية : ابو المعالي جمع رجاله واتى ، مستفيداً من الصيف ، فحاصر حلب مدة ثلاثة اشهر[5] . في انطاكية ، ثار الزُغيلي الاسود ، على مضيفه الحاكم علوش الكردي

---

١) Freytag, op. cit., p. 226 ٢) ابن الاثير ٨ : ٤٢٤ Freytag, op. cit., p. 227

٣) ابن الاثير ٨ : ٤٢٤ ؛ يحيى ، ٨١٥ ؛ Freytag, 228

٤) راجع « المشرق » ص ١٦١ ؛ Cedernus (Bonn, II, 364-365) -

٥) يحيى ٨٢١—٨٢٢

فقتله ، وضبط حكم المدينة[1] .

اما قرغويه فلم يرَ وسيلةً للخروج من موقفه الحرج الّا باستدعاء الطربازي، ووعده باعطائه قسماً من الاراضي . وكان اهل انطاكية قد ارسلوا الى حصن بغراس يعلمون صاحبه بما يسود مدينتهم من الفوضى[2] . فمشى الطربازي على حلب مارًّا ببغراس . فاعلمه صاحبه مخائيل البرجي بحوادث انطاكية. ولم يلبثا ان قرّرا المسير اليها اولًا . فدخلاها معاً في ١٣ ذي الحجة ، (٢٨ تشرين الاول ٩٦٩) [3] ، على ما رواه ابن شدّاد ، في ذاك الوصف الشائق[3] .

ومن هناك سار الطربازي على حلب . فانسحب ابو المعالي الى حمص . وشمل الفرح قرغويه . الا ان فرحه لم يطل ، لان الطربازي اخذ بمحاصرة المدينة لحسابه هو . وبعد ٢٧ يوماً ، سلّمت حلب في صفر (١٤ كانون الاول ٩٦٩ — ١١ كانون الثاني ٩٧٠) فعُقدت معاهدة بين الغالب والمغلوب . وهي معاهدة آية في الاتفاقات السياسية ، وكل ما فيها آتل لمصلحة البيزنطيين . وقد اكثر المؤلفون من وصفها ودرسها ، فلم نرَ حاجة للرجوع اليها[4] .

---

١) كان الرُّقيلي مهاجرًا من طرسوس ، لجأ اولًا الى مصر ، ثم الى انطاكية ، فاشترك ببعض الغزوات على بلاد الروم . ثم دخل على علوش مسلّماً ، فهجم عليه وقتله . فتفرّق رجال علوش ، وكانوا كثيرين ، فاستقلّ الرُّقيلي بحكم المدينة .

٢) « المشرق » ، ص ١٩١

٣) هو التاريخ الذي يذكره يحيى (٨٢٢) وابن شدّاد . ولا اعلم اي قيمة لما يسرده Cedrenus II, 366 ، وهو يخطأ خطأً تاريخيًّا يجعله فتح انطاكية في السنة الثالثة لنقفور (اذار ٩٦٦ — اذار ٩٦٧) . وقد تعوّد مثل هذا الخطأ . اوّلم يجمع معاً (٢ : ٢٦٤) غزوتين من غزوات نقفور (في السنة ٩٦٦ والسنة ٩٦٨) فيجعلهما غزوةً واحدة ؟ وهو يصف فتح انطاكية على الصورة الآتية فيقول : ان مخايل البرجي حاول وحده دخول المدينة مستعيناً بحامية بغراس القليلة . فاحتلّ البرجين . ولكنه حوصر فيها . ثم ارسل الى الاطربازي (ولا نعلم باي طريقة ؟) فاخبره بموقفه الحرج ، فاتى هذا الى معونته بعد ثلاثة ايام ، فخلّصه، ودخلا المدينة . ولا يخفى ان هذه الرواية يجهلها مؤرخو العرب كافة (ابن الاثير ٨ : ٤٤٤ ؛ ابو المحاسن ٢ : ٤٠٢ ؛ كمال الدين في Freytag, *Gesch.. ZDMG*, XI, 230) كما يجهلها لاون الشماس ، معاصر تلك الحوادث (راجع Leo Diaconus IV (Bonn) 70 sq.)

٤) نُشر نصّ هذه المعاهدة في G. W. Freytag, *Regnum Saabd al Daulae in Oppido Halebo*, Bonn, 1820. p. 9-14 ; M. Canard, *Sayf al Daula*, p. 419-424

سورية على عهد الفتح الصليبي

ان الانقسامات المتتابعة والمطّردة بين امراء سورية التي ساعدت البيزنطيين في حملاتهم على انطاكية ظلّت هي هي حتى عهد الصليبيين ، فساعدت هؤلاء في حروبهم وفتوحاتهم . وهذه ، في ما يلي ، حالة سورية ، عندما تقدّم منها الصليبيون ، في تشرين الاول ١٠٩٧

١ – السلاجقة وعمّالهم المعروفون بالاتابك

كانوا سادة الشمال والساحل حتى اللاذقية ، وسادة المنطقة الداخلية حتى دمشق . ولا يفيد هذا انهم كانوا على حسن تفاهم بعضهم مع البعض . فهذا رضوان بن تتش ، صاحب حلب ، يستعين بسُكمان بن ارتق ، صاحب سروج ، فيهجم على اخيه دُقاق بن تتش ، صاحب دمشق ، ويكسره عند اسوار قِنّسرين . وكان دقاق يحلم باخذ حلب مستعيناً بياغي سيان ، صاحب انطاكية[1] .

وهناك خلاف آخر بين رضوان ورجاله انفسهم . من ذلك انه ، على اثر موت تتش سنة ٤٨٧ (١٠٩٤) ، هرب الى حلب احد رجال شحنته السابقين في بغداد ، واسمه يوسف بن ابق ، فلجأ الى جناح الدولة ، احد قوّاد رضوان . وكان في حلب رجل اسمه يجنّ ، وهو قائد الاحداث ، ولم يكن يخلو من طمع في الاستقلال بحكم المدينة ، فاتهم يوسف بن ابق بكونه على اتصال بياغي سيان ، وزيّن لجناح الدولة ان يقتله . فاذن جناح الدولة بقتله . ثم اوهم يجنّ جناح الدولة بان حياته على خطر في حلب . فسار الى حمص واحتلّها . وكان رضوان قد ضجر من اعمال يجنّ ، فقصد لتأديبه . فنشبت بين الاثنين معركة دارت رحاها على يجنّ فقُتل وكسر جيشه[2] . فبقي على رضوان ان

وقد عاد فريتاغ الى ذكرها في *Gesch. der Hamd.* (ص ٢٢٤) وذكرها كذلك Schlumberger, *Nicéphore Phocas* (ص ٧٣٠)

١) ابن الاثير : في السنة ٤٩٠ (١٩ كانون الاول ١٠٩٦ – ٩ كانون الاول ١٠٩٧) ١٠ : ١٨٢–١٨٤ ؛ وقابل : Weil, *Gesch. der Chalifen*, III, 150 sq.

٢) ابن الاثير ١٠ : ١٧٤

يتخلّص من رجال يوسف بن ابق . ولما عرف ياغي سيان بهرب جناح الدولة ، اخذ يتقرب من رضوان[1] ، فتهادنا على ان يساعده رضوان ، اذا ما هاجمه الافرنج في انطاكية[2] . ولكن رضوان لم يرضَ البتة بان يدخل في الحلف الاسلامي على الفرنجة ، اي بين الامراء المسلمين المتحدين على محاربتهم ، وذلك ان اعداءه كانوا كثيرين في ذاك الحلف . فكان من نتائج الامر ان تدخله بشؤون كربغا احدث انشقاقاً في جيوش الامراء المرابطة امام انطاكية ؛ ولم تكن صداقته لسكمان بن ارتق ، المحارب الى جنب دقاق ، لتحسّن صلاته بهذا الامير[3] .

ب – الفاطميون

كان الفاطميون اصحاب السيادة في المناطق الجنوبية . وبعد ان ردّهم السلاجقة مدّةً ، عادوا فاسترجعوا اورشليم[4] . وظلّ الساحل في ايديهم حتى طرابلس[5] . فلم يكن يسوءهم ان يشهدوا ضعف السلطة السلجوقية ، حتى

١) ابن الاثير ١٠ : ١٨٢–١٨٤

٢) راجع كمال الدين (*H. Or.* III, 578) : « وخرج في المحرّم في سنة إحدى وتسعين واربع ماية نحو ثلثين الفاً من الفرنج الى اعمال المسلمين ببلد حلب فافسدوا وخربوا وقتلوا من وجدوا . وكان قد وصل الملك دقاق واتابك (طنتكين) ومعهما جناح الدولة (وهم اعداء رضوان) ونزلوا ارض شيزر ومعهم ابن ياغي سيان وهم سايرون لانجاد ايه . » ثم يذكر المؤرخ تلاقي قسم من هذا الجيش بالفرنجة ، وتراجع هؤلاء نحو الشمال . ثم عودة هذا الجيش الدمشقي . بعد ذلك يظهر رضوان ومعه سكمان بن ارتق فيزحف على الافرنج زحفة لم ينجح فيها .

٣) يظهر من رواية كمال الدين (ص ٥٧٩) ان سكمان انتقل من محالفة رضوان الى محالفة اخيه دقاق ، وذلك بالتحاقه بالجيش المتحد . على اني لا ارى في هذا الحادث خروجاً على المحالفة الاولى ، فان سكمان كان اضعف من ان يستقلّ بالعمل ، فلزمه اذاً ان يلتحق بذاك الجيش المشترك . ومهما يكن من امر فان النزاع الدائم بين امراء التركمان (راجع « المشرق » ١٩٤–١٩٥) كان ينافي الاتفاق الوثيق . راجع ابن الاثير (*H. Or.* I, 194) وهو يلقي على كربغا تبعة ذاك الخلاف .

٤) وذلك نحو السنة ٤٨٩ (٣١ كانون الاول ١٠٩٥ – ١٩ كانون الاول ١٠٩٦) على الارجح . اطلب Weil, *Gesch.* III, 163, 2

٥) في السنة ٤٨٢ (١٦ اذار ١٠٨٩ – ٦ اذار ١٠٩٠) تقدّمت الجيوش المصرية

ان ابن الاثير يتهمهم صراحةً بانهم دعوا الافرنج « الى الخروج الى الشام. »[1] ومهما يكن من امر فاننا نرى وفودهم في جيش الفرنج امام انطاكية[2].

ج – العرب

لم يكن في ايدي العرب ، ذاك الزمن ، الا مناطق صغيرة تكاد لا تذكر في تلك الدولة السلجوقية الباسطة سلطتها على سورية الشمالية بكاملها . وكان يمثلهم بنو كلاب ، وبنو عقيل . وكان لامير بني كلاب ، وثّاب بن محمود ، بعض المواقع في الجزيرة ، احتلّها منذ طرده من حلب[3] . وكان متحدًا مع رضوان . وقد حارب في جيشه في السنة ٤٨٨[4] . فكان ان انتسابه الى العرب ، واتحاده مع رضوان جعلاه غير مرغوب فيه في نظر تركمان حمص ودمشق.

اما بنو عقيل فكانوا يسيطرون على الرقة وقلعة جعبر . وليس ما يثبت لنا انّ اميرهم شمس الدولة سليم بن مالك بن بدران كان في جيش كربغا . بيد اننا نظنّ ذلك.

د – الروم

لما اخذ سليمان بن قطلميش انطاكية في السنة ٤٧٧ ، كان فيلاريتوس لا

فاستعادت صور ، وصيدا ، وجبيل ، وعكا (ابن الاثير ١٠ : ١١٦–١١٧) وقد اخضعت صور بعد ان خنقت ثورتها بشدّة وقسوة (ابن الاثير ١٠ : ١٥٢) في السنة ٤٨٦ (١ شباط ١٠٩٣ – ٢١ كانون الثاني ١٠٩٤) . راجع ايضاً Et. Quatremère, *Mémoires historiques et géographiques sur l'Egypte*. Paris, 1811, p. 482-486

١) وهذا قوله : « قيل ان اصحاب مصر من الفاطميين لما رأوا قوّة الدولة السلجوقية وتمكنها واستيلاءها على بلاد الشام الى غزة ولم يبقَ بينهم وبين مصر ولاية تمنعهم من دخول الافسيس الى مصر وحصرها خافوا فارسلوا الى الفرنج يدعونهم الى الخروج الى الشام . » (*H. Or.* I, 191)

٢) اطلب H. Hagenmayer, *Chronologie de la 1re Croisade*, N°s 234-245 (ROL IV [1898] 536, 596)

٣) ابن الاثير ١٠ : ٧٤ مكرّر

٤) ابن الاثير ١٠ : ١٦٧ . كان وثّاب يترل ، في آخر حياته ، قلعة مصياف ، وفيها مات . اطلب الصفدي : مخطوطته في مكتبة تونس رقم ٤٨٥١ ب ، الورقة ٤٥ ق.

يزال صاحب السيادة في حصن زياد والرها[1] . الا انه لم يلبث ان فقد حصن زياد لعجزه عن تموينه . ثم تقدّم ملكشاه فنزع منه الرها ، بعد ان كان قد تركها بين يديه ، واعطاها للامير بوزان[2] . ثم ان بوزان نفسه قُتل في معركة بينه وبين تتش سنة ٤٨٧ (٢١ كانون الثاني ١٠٩٤ – ١١ كانون الثاني ١٠٩٥)[3]. ولم تكن الرها قد خضعت خضوعاً تاماً للمسلمين ، بل كانت لا تزال على شيء من الاستقلال الداخلي ، مع دفعها الجزية للمسلمين بدليل انه كان لا يزال فيها امير روماني اسمه طوروس ، وهو الذي استقبل بغدوين وتبناه[4] . وكان لا ولد له ، فشاء ان يجعل خليفةً في امارته ، فضلًا عن كونه رأى في هذا التبني افضل واسطة ليستقلّ تماماً عن المسلمين . ومعلومٌ ما كان من نصيب طوروس ، وما اظهره بغدوين من نكران الجميل لمن تبناه .

وهكذا تظهر لنا سورية مجموعةً من الامارات المتنافسة ، والمقاطعات المتدابرة ، بل المتهالكة في سبيل اضعاف بعضها البعض الآخر . فلا عجب اذًا ان يكون رأى فيها الفرنج ارضاً صالحةً يستغلّون فيها تلك المنازعات الداخلية .

وقائع نور الدين في سورية الشمالية

اطلعتنا الصفحات السابقة على ما كان يقوم به البيزنطيون ، ثم الصليبيون ، من غزوات في مناطق سورية كانت في اكثرها تُسفر عن انتصارات باهرة . وكان من اسباب ذلك انقسام امراء سورية بعضهم على بعض . وسنرى الآن كيف توفق احد كبار القواد الى جمع الكلمة حوله ، فالى مقاومة التيار الفرنجي

---

١) ابن الاثير : *H. Or.* I, 244

٢) ابن الاثير (Tornberg) ١٠ : ٨٧ ، في السنة ٤٧٩

٣) ابن الاثير ١٠ : ١٥٨

٤) تاريخ متى الرهاوي ... *H. Arm.* I, 35 ، وهناك ذكر بعض المصادر . وايراجع ايضاً Guibert de Nogent, *H. Occ.* IV, 165 وفيه وصف غريب لطريقة التبني :

« Adoptionis autem talis pro gentis consuetudine dicitur fuisse modus. Intra lineam interulam quam nos vocamus camisiam, nudum intrare eum faciens sibi adstrinxit et haec omnia osculo libato firmavit; idem et mulier post nudum fecit. »

مقاومةً ادّت الى نجاح لا يُنكر. وقد فضلتُ اختيار مثل نور الدين على صلاح الدين ، لانه اقلّ شهرة . وفضلًا عن ذلك ، فان المؤرخ لا يفهم سر اضمحلال مملكة اورشليم اللاتينية في معركة حطين (تموز ١١٨٧) ، الا اذا اعتبر ذاك الاضمحلال نهاية نزاع طويل بدأت مظاهره في سقوط كونتية الرها على يد نور الدين.

توفي زنكي في شهر ربيع الثاني سنة ٥٤١ (١٠ ايلول – ٩ تشرين الاول ١١٤٦) ، وكانت ممتلكاته تنبسط من الموصل الى حلب بما فيها مدينة الرها التي كانت قد عادت فخضعت للسلطة الاسلامية[١] . فاقتسم ولداه هذا الملك ، فنال سيف الدين منطقة الموصل ، ونور الدين منطقة حلب . اما الرها فاستدعت اليها جوسلّن[٢] . وعادت بعلبك فخضعت لدمشق[٣] .

ا – هجوم نور الدين على ممتلكات الفرنجة في الرها وانطاكية

اسرع نور الدين الى الرها ، فاخمد ثورتها . فهرب جوسلّن الى تلّ باشر (Turbessel) . ولم يبقَ من الكونتية الا المواقع الكائنة غربي الفرات ، ما عدا البيرة[٤] . وفي السنة التالية اي ٥٤٢ (٢ حزيران ١١٤٧–٢٢ ايار ١١٤٨) وجّه نور الدين جيوشه جهة امارة انطاكية فانتزع ارتاح[٥] . فاضطربت انطاكية ، اذ شعرت بقرب العدوّ ، ولم تكن ارتاح الا على نحو ثلاثين كيلومترًا منها.

وفي السنة ٥٤٣ (١١٤٨) كان نور الدين قد جمع جيوشه للمدافعة عن دمشق[٦] ، فقادها الى غزوة جهات انطاكية ولكنه لم يتوفق ، اذ تصدّى له

١) في ١٦ جمادى الثاني ٥٣٩ = ١٤ كانون الاول ١١٤٤ ؛ ابن الاثير *H. Or.* I, 443

٢) ابن الاثير *H. Or.* I, 457

٣) ابن الاثير *H. Or.* I, 459

٤) ابن الاثير *H. Or.* I, 445 : احتل الاتابك سروج وغيرها من ممتلكات الفرنج شرقي الفرات.

٥) ابو شامة : كتاب الروضتين *H. Or.* IV ؛ ابن الاثير ، ٤٦١

٦) لا يخفى ان سقوط الرها كان من الاسباب التي دفعت الى تسيير الرحلة الصليبية الثانية ، وتقدّمها نحو دمشق . الا انها لم تنجح في هجومها على المدينة (٦ ربيع الاول ٥٤٣ = ٢٥ تموز ١١٤٨)

جوسلّن وكسره في ضواحي افامية[١].

على ان السنة التالية كانت اوفر عائدة على نور الدين. فانتصر على الفرنج في إرْتب انتصارًا باهرًا، وذلك في ٢١ صفر ٥٤٤ (٢٩ حزيران ١١٤٩). وقد اسفرت تلك المعركة عن قتل ريموند، امير انطاكية[٢]، وفي السنة نفسها دخل نور الدين افامية[٣].

في ٥ محرّم من السنة التالية ٥٤٥ (٥ ايار ١١٥١) وقع جوسلّن اسيرًا في قبضة نور الدين[٤]، فكان آخر العهد بكونتية الرها. ولم ينتشر هذا الخبر حتى مشى مسعود بن قليج ارسلان على ممتلكات الفرنجة نحو الجنوب. وكان قد استفاد من مقتل ريمون في السنة السابقة، فانتزع من جوسلّن بضعة مراكز منها مرعش، وكركر؛ وحاصر جوسلّن نفسه في تل باشر، ولكن هذا هادنه على مبلغ من المال[٥]. اما هذه السنة فقد تقدم مسعود، وانتزع كيسوم، وبهسنة؛ واتفق مع نور الدين على حصار تلّ باشر، ولكنه لم ينجح[٦]. بينا كان نور الدين ماضيًا في زحفه ينتزع المراكز بعد المراكز حتى لم يبقَ من الكونتية الا مواقع معدودة منها تل باشر، ورونداان، والبيرة، وسيسة. عند ذلك خشي بغدوين ان يعجز عن المحافظة على ما بقي له من الحصون، فسلّمها للبيزنطيين[٧]. فاسرع نور الدين في الاستيلاء عليها واقتسم المنطقة بينه

١) ابو شامة H. Or. IV, 60

٢) ابو شامة H. Or. 62-63

٣) ملخص من قول ابي شامة. اما ابن الاثير فيعين للحادث سنة ٥٤٥ (H. Or. I, 478)

٤) ابو شامة H. Or. IV, 67؛ قابل بابن الاثير H. Or. I, 480

٥) راجع ما تقدّم ذكره من المصادر، ثم: Röhricht, Geschichte der Kœnigreiches Jerusalem, 266

٦) وذلك في رجب ٥٤٥ (٢٤ تشرين الاول – ٢٣ تشرين الثاني ١١٥٠). راجع H. Or. IV, 67-68. اما ابن شدّاد («المشرق» ٢١١–٢١٢) فيذكر ان مسعودًا اخذ دلوك في السنة ٥٤٤

٧) كان بغدوين الثالث، ملك اورشليم، يتولى حكم انطاكية منتظرًا ان يبلغ برهيمند الثالث رشده. ولكن لما تزوّج رينولد دي شاتيلون كونستنسيا، سنة ١١٥٣، تنحّى له عن الحكم.

وبين مسعود ، ومُحي من الوجود ذكر كونتية الرها .

ب – وقائع نور الدين مع سلطنة الروم

على اثر انقسام المناطق التي كان يملكها مسعود نال ابنه قليج ارسلان سلطنة الروم[1] . فاستفاد نور الدين من الاضطراب اللازم لكل انتقال في السلطنة، وهجم على اراضي قليج ، فانتزع منها عينتاب[2] . ثم بعد ان احتلّ دمشق (٢٦ نيسان ١١٥٤) عاد الى ارض السلطنة فانتزع منها دلوك ، ورعبان ، وكيسوم . فعتب عليه الامراء وذكّروه عهده للسلطان مسعود ، فردّها[3] . واقام ينتظر مدة طويلة يتابع تدخلاته في شؤون السلطنة . حتى كانت السنة ٥٦٨ (١١٧٢–١١٧٣) فنزع قليج ارسلان ممتلكات ذي النون بن دنشمند ، صاحب سيواس وسميسة . فاستغاث هذا بنور الدين . فزحف نور الدين على بلاد قليج ، وملك نهائيًا رعبان ، ودلوك ، ومرعش، وبهسنة[4] . فعادت سلطنة الروم الى حدودها الاصلية، اي الى الحدود التي كانت لمملكة مسعود قبل توسّعه بما اجتلّه من اراضي كونتية الرها .

ج – وقائع نور الدين مع امارة انطاكية

كانت القلعة الاخيرة التي توقف نور الدين في طريقه الى انطاكية قلعة حارم، فاخذ يحاول اخضاعها حتى نجح في السنة ٥٥٩ ؛ فدخلها ، على اثر معركة

---

١) يظهر ان السلطان مسعودًا قسم ممتلكاته في حياته . وقد يكون حصل ذلك سنة ٥٤٧ (نيسان ١١٥٢ – آذار ١١٥٣) . وهي السنة التي يعيّن فيها اسامة بن منقذ وفاة السلطان مسعود (راجع Roehricht, *op. cit*, 281) على ان de Zambaur, *Manuel de chronologie* يعيّن لوفاة مسعود السنة ٥٥١ ، ولعله الارجح .

٢) في السنة ٥٤٨ (اذار ١١٥٣ – اذار ١١٥٤) راجع Roehricht, 281 ، بناء على روايتي ابن الاثير وابي الفرج .

٣) وذلك في السنة ٥٥٠ (٧ اذار ١١٥٥ – ٢٥ شباط ١١٥٦) ، وقد انفرد ابن شدّاد بذكر غزوة في هذه السنة (المشرق ، ٢١٠) .

٤) هي السنة التي يذكرها كمال الدين (*ROL*, 1895, p. 554) ، وابن الاثير (*H. Or.* I, 591) اما ابن شدّاد فيعيّن لذلك السنة ٥٥٤ (٢٣ كانون الثاني ١١٥٩ – ١٢ كانون الثاني ١١٦٠) .

شديدة أسر فيها بوهيمند الثالث ، امير انطاكية[1] . فلم يبقَ ما يمنع نور الدين من السير على انطاكية . على انه اظهر من الحكمة والرصانة ما لم يظهره اعداؤه من قوّاد الزحفة الصليبية الثانية ، اذ اسرعوا في الهجوم على دمشق ، فلاقوا الفشل ؛ فلم يسرع في الزحف على انطاكية ، بل تركها مستقلة ، عاجزة عن ازعاجه . وذلك انه كان يخشى ، اذا مشى عليها ، ان يستغيث اصحابها بمانويل كومنين[2] .

توفي نور الدين سنة ١١٧٤ ، بعد ان حمل على الفرنج حملات قويّة زعزع فيها موقفهم في الشرق . فانتزع المناطق العديدة من ايديهم . نجح في مصر ، فلاشى سلطة أموري ، فاستقرت سلطة صلاح الدين ؛ ونجح في سورية فوحّد كلمة الامراء المسلمين فيها ، وانتزع كثيراً من الامارات اللاتينية . فمهّد السبيل ، في كل هذا ، لصلاح الدين ، وهيأ له طرق الانتصار — وقد حقّ لمؤرخي الاسلام ان يظهروا عليه الأسف ، ويغدقوا المدح والثناء .

لاون الثاني الارمني ومعضلة انطاكية

رأينا ما كان من قيام امراء الاسلام على الفرنجة من كل جهة ، وما كان من انتصاراتهم المتتابعة . على ان كل هذه الاخطار الخارجية ما كانت لتهيب بامراء النصارى الى الاتحاد والتآلف ، بل الى خلف كافٍ ليضمن لهم مقاومة الاعداء . وافضل مثال على هذا الانشقاق الداخلي العقيم ما نراه في النزاع الطويل بين لاون الثاني الارمني وامراء انطاكية . وهو آخر الاقسام المهمة في تاريخ عزّ الدين بن شدّاد . وسنجتهد بتلخيص اسباب هذا النزاع ، وتطوراته ، وكيف

١) في ١٠ آب ١١٦٨ . وهو التاريخ الذي يذكره ابن الاثير . وليس من اتفاق بين المصدرين الاساسيّين لتاريخ نور الدين . راجع ابن الاثير 540 — 537 ,501 ,477 ,I ,H. Or. وابا شامة H. Or., IV, 83, 85, 105, 126

٢) وانا نشير هنا الى تلك الحفلة بدخول مانويل كومنين انطاكية في عيد الفصح ١١٥٩ والى اقترانه بماري الانطاكية ابنة ريموند ، في كنيسة القديسة صوفيا ، نهار عيد الميلاد من سنة ١١٦١

انتهى به الحل[1].

أ – اسباب النزاع

لم تكن العلاقات بين إمارة انطاكية ومملكة سيس الارمنية على نصيب من الصفاء الدائم . فانه على اثر وفاة مانويل كومنين في السنة ١١٨٠ ، هجم روبين الثالث، صاحب سيس، على مناطق الروم، فانتزع منها طرسوس ومامشترا فنازعه هيطوم ، صاحب لامبرون ، وصديق الروم المخلص . فشى روبين ، سنة ١١٨٣ ، على بلاد هيطوم . فما كان من هذا الا ان لجأ الى معونة بوهيمند ، امير انطاكية . وكان هذا على قسطٍ من الدهاء ، فاحتال حتى اوقع روبين في شركٍ واخذه اسيرًا . فخلفه اخوه لاون على حرب لامبرون واضطرَّ صاحبها هيطوم الى ان يطلب من بوهيمند اخلاء سبيل الاسير . فرضي بوهيمند باخلاء سبيل روبين ، على شرط ان يوسّع مناطق امارته حتى جيحون[2].

وكان من انتقام الامير الارمني ان هجم على ارض بوهيمند فاحتلَّ بَغراس[3] ، واخذ يهدّد انطاكية .

وفي ٢١ شوّال ٥٨٨ (٣٠ تشرين الاول ١١٩٢) ، كان صلاح الدين يستقبل، في بيروت، بوهيمند الثالث ، امير انطاكية ، آتيًا للمصافاة والصلح . وكان ذاك الاستقبال على غاية من الودّ ، وقد أخذ صلاح الدين بالثقة التي اظهرها ضيفه ، اذ اتى اليه دون ان يطلب « الامان » . فدخل واثقًا بعدل

١) يمكن الرجوع في هذا البحث الى M. Alishan et G. Bayan, *Léon le Magnifique, premier roi de Sissouan ou de l'Arménie-Cilicie*, Venise, 1888, ch. VI, p. 221 وهو على قسطٍ وافر من الغموض . ثم A. Luchaire, *Innocent III. La Question d'Orient*, Paris, 1907 ، وهو لا يذكر المصادر .

٢) راجع Tchamitch, *H. Arm.* I, 394, note ، وهو يذكر ، في هذه الفترة ، « زفاف اليس ، ابنة روبين ، الى بوهيمند ، الثاني من ابناء بامب » . ولا ينقل لاون عندما يأسر بوهيمند ، في بَغراس ، عن ان يذكره أسره روبين اخاه .

٣) يذكر ابن شدّاد تاريخًا غير دقيق بشأن احتلال لاون حصن بغراس سنة ٥٨٨ . ولا شك في ان ذلك جرى قبيل زيارة بوهيمند لصلاح الدين ، التي تظهر لنا من نتائج ذاك الاحتلال .

السلطان الايوبي. واستفاد من ذاك الجوّ المفعم بروح الصداقة « فشكا للسلطان ما يقاسيه في جوار لاون ، ملك سيس ، منذ ان احتلّ هذا حصن بغراس . فوعده السلطان بما يفرح قلبه ».

بيد انه كان للاون جواسيس في بيروت ، فنقلوا اليه كل ما دار بين الاميرَين ، فجزم بان يبدأ الزحف على ارض بوهيمند[1] . فنصب شرك بغراس الذي نجح كل النجاح ثم حاول هجمةً على انطاكية لم تنجح[2]. على ان بوهيمند ظلّ اسيره حتى السنة ١١٩٥ . فاخذ هنري دي شمپاني يفاوض لاون بشأن اطلاقه ، على الشروط الاتية : ١ً ان ريموند ، كونت طرابلس ، وبكر بوهيمند الثالث ، امير انطاكية ، يتزوّج اليس ابنة اخ لاون الثاني . والولد الذي يثمر عن هذا الزواج يكون وارثاً لإمارتي انطاكية وارمينية . ٢ً تعاد الحدود موقتاً ، بين الامارتين ، الى بورتيل[3] . ولا يظهر ان الكلام تناول حصن بغراس ، فبقي ظلماً في يد لاون[4].

في السنة ١١٩٨ ، توفي ريموند عن غلام ذكر دعي ريموند. روبين ، وقد اقرّ له بوهيمند الثالث بحقه في خلافته على امارة انطاكية ، وفقاً لما تنصّ عليه معاهدة سنة ١١٩٥ المذكورة[5]. الا ان بوهيمند الرابع ، اخا ريموند المتوفى ، لم يرضَ بان يرى نفسه محروماً من الامارة ، فعمل على اقصاء ابيه الشيخ عن الحكم ، ونادى بنفسه بامير انطاكية . فخاف لاون على ابنة اخيه اليس وعلى ابنها ، فأخذهما ووضعهما في مأمن في قليقية. ومن ثمّ بدأ النزاع بين الاميرين:

---

١) اطلب *Le livre d'Eracles* (*H. Occ.* II, 107) ، وهو يتهم بتلك الخيانة امرأة بوهيمند.

٢) « المشرق » ، ص ١٦٦

٣) Sempad, *H. Arm.* I, 632 ; Eracles, *H. Occ.* II, 212 (D) et 215 (B); Tchamitch, H. *Arm.* I, 394

٤) كان من الحق ان يعود حصن بغراس الى إمارة انطاكية ، لانه واقع في منطقتها التي حُدّدت مجدّداً ، او الى فرسان الهيكل، او « التامبليين »، اصحابه السابقين. ولكن هؤلاء كانوا من اصدقاء بوهيمند.

٥) اطلب *M. L.*, 214, col. 810-811

الانطاكي والارمني.

ب – تطوّر النزاع

وكان لاون قد تناول تاج الملك ، في آن واحد ، من الامبراطور الرومي المنفصل عن رومة، ومن البابا نفسه[1]. ففكر بانه قد يؤكد النجاح في حملته على إمارة انطاكية ، اذا جعل البابا يتدخل بتلك الشؤون ، فرفع اليه النزاع ، طالباً حكمه[2]. وفي الوقت نفسه قام التامبلية يحتجون ، في البلاط البابوي، على ملك ارمينية ويطلبون ان يرجع اليهم حصن بَغراس . وفي ايديهم رسالة وقعها البابا اينوشنسيوس الثالث قبل السنة ١٢٠١ ، ووجّهها الى لاون بارجاع الحصن المذكور[3].

اما في شأن النزاع بين ارمينية وانطاكية ، فقد اجاب اينوشنسيوس الثالث بانه عهد الى موفديه في درس ذلك المشكل وفي حلّه . وسيسافر الموفدون مع الحملة الجديدة[4].

ولكن لاون لم ينتظر وصول الوفد . فلم يكد يعرف بوفاة بوهيمند الثالث سنة ١٢٠١ [5] ، حتى هجم مسلحاً على انطاكية . وكان بوهيمند الرابع قد جمع رجاله فقاومه . وارسل فطلب معونة ركن الدين سليمان ، سلطان

١) كان لاون الارمني يلعب على الحبلين مرضياً اللاتين واليونان ، او غاشاً كلًّا من الفريقين . اطلب Guiragos de Kantzag, *H. Arm.*, I, 423 . وكان اللاتين ، قبل مسحه ملكاً ، قد طلبوا منه ادخال اصلاحات طقسية ثلاثة تتعلّق بالاحتفال ببعض الاعياد ، وتلاوة القرض ، والقطاعة في بيرمون الميلاد والفصح . فرفض الاساقفة الارمن . فخفّف لاون من حدّتهم قائلاً : « لا تخافوا ، سأرضي اللاتين بالخضوع الخارجي فقط » . – وقد حضر بطريرك طرسوس اليوناني حفلة تتويج لاون (قابل بما ذكر Sempad, *H. Arm.* I, 633) ، وفي السنة ١١٩٧ ارسل لاون الى عكا وفداً يطلب التاج الذي اعطاه هنري السادس ، وهو الذي كان قد طلبه لاون من البابا سنة ١١٩٥ . وفي الوقت نفسه ارسل لاون الى القسطنطينية وفداً آخر يؤكد للامبراطور « وفاءه واخلاصه » .

٢) اطلب *M. L.*, 214, col. 810-812

٣) *M. L.*, 214, col. 819-820

٤) *M. L.*, 214, 813-814 (XVI kal. Januarii 1199)

٥) *Archives de l'Orient Latin. Annales de Terre Sainte*, II, ii, 434

الروم ، فاضطر لاون الى الرجوع عن انطاكيـة . ولم يخجل ان يكتب الى البابا اينوشنسيوس الثالث بانه ترك كل الاعمال الحربية « حباً للبابا »[1].

اول بعثة بابوية

فاجاب البابا لاون مخبرًا بانجـاز البعثة التي من شأنهـا ان تحكم في النزاع بينه وبين كونت طرابلس (اي بوهيمند الرابع المطالب بامارة انطاكية)[2] وكانت البعثة مؤلفة من الكردينال سوفريد الحامل لقب القديسة پراكسيد ، والكردينال بطرس، الحامل لقب القديسة سوسان. وقد ترك كلٌّ منهما تقريرًا ضافياً عن عملهما ، هذه خلاصته :

طلب سوفريد الى طرابلس كلًّا من الاميرين المتنازعين ، في شتاء السنة ١٢٠٢ — ١٢٠٣ . فجاءها بوهيمند الرابع للنظر في بعض شؤونه ، ولكنه لم يتنازل لمقـابلة سوفريد ، ولا اراد ان يتصل به حتى بواسطة غيره[3]. فعاد سوفريد الى عكا. على انه نزولًا عند رغبة ملك اورشليم ، ورئيس التامبلية ، وكثير من امراء الفرنج ، ركب البحر جهة انطاكية . فحضر الى مواجهته ، ملك ارمينية ؛ ولا يقول هل حضر بوهيمند ام لا . لكننـا نستنتج انه لم يحضر، لما ظهر منه سابقاً من الانصراف عن سوفريد. على ان حاشية الكردينال كانت مائلةً كل الميل الى كونت طرابلس. حتى ان سوفريد نفسه ، على مـا ظهر له من حقّ ملك ارمينية ، لم يتمكن من انالته مبتغاه . فانسحب متأثرًا آسفاً الى حصن المرقب.

وكان الكردينال بطرس قد وصل عكا في صيف السنة ١٢٠٣ ، آملًا ان يرافقه النجاح ، فيكون اسعد حظًّا من زميله . فكان اولَ ما قام به انه اتى انطاكية ، وجرّب حاولًا ثلاثة : اولها حلّ حبي بين المتنـازعين ؛ فلم ينجح فلجأ الى المفاوضات ، وعرض عليهما اقتراحاً مآله ان « الفريقين المتنازعين يتركان له وللسيد الكردينال (سوفريد) ، ان يتفقا ويحكما حسب العـدل

١) كتب من سيس بتاريخ تشرين الاول ١٢٠١ *M. L.*, 214, col. 1003-1006

٢) *M. L.*, 214, col. 1007 وقابل بما في *Gesta*, CLI-CLIX

٣) *Gesta, l. cit.*

والانصاف » ، فلم يلاقِ هذا الاقتراح قبولاً . اخيراً اعلن انه مستعدّ للفصل بين المتنازعين اذا رفعا اليه دعواهما . ولكن لم يتقدّم احد بدعواه . عندئذٍ « ظهر من الفريقين مشاحنات كثيرة ، وكلمات يطول بنا سردها » ، فانسحب الكردينال بطرس الى عكا، بعد ان حرّم على المتنازعين ان يلجآ الى الحرب . ثم ارسل اليهما من عكا طلباً بالحضور الى محكمته ، والّا فانه يحرمهما . اما ملك ارمينية فاجاب . واما كونت طرابلس ، فلم يجب ولم يعيّن احداً موفداً عنه . على ان الكردينالَين لم يعلنا حرمه واكتفيا بان صرّحا بعدم تمكنهما متابعة تلك القضية ، لاضطرارهما الى السفر نحو القسطنطينية ، وعليهما فيها واجبات بشأن معونة زوّار الارض المقدسة[1] .

وبين قرار الكردينال سوفريد ، وقرار الكردينال بطرس ، يجب ان نذكر ، في عيد القديس مارتين سنة ١٢٠٣ ، غزوة قام بها لاون على انطاكية . فردّه عنها الملك الظاهر ، سلطان حلب . وكان التامبلية يسندون حزب بوهيمند[2] . فانتقم منهم لاون بان انتزع ممتلكاتهم في ارمينية واشهرها : لاروش غليوم ، ولاروش روسول ، واصابهم بكثير من الاضرار[3] . فكان من نتيجة ذلك انه رُشق بالحرم . ولكنه عاد فتصالح مع البعثة البابوية في عكا ، في ايلول ١٢٠٤ ، عندما ارسل الكردينال بطرس فدعا المتنازعين الى محكمته .

وفي محرّم ٦٠١ (٢٩ آب — ٢٨ ايلول ١٢٠٤) ، نزى لاون من جديد يحاصر انطاكية ، فيصدّه عنها الملك الظاهر مرةً ثانية[4] .

---

١) *Gesta. Inn. III, M. L.*, 214, col. CLVI sq.

٢) راجع *Ann. Terr. Sainte* dans *Arch. Or. Latin*, II, ii, 435 وقابل بما في *M. L.*, 215, col. 687-689 ، و« المشرق » ، ص ٢٠١

٣) *M. L.*, 215, col. 504 ، وليس من تاريخ لرسالة ايوشنيوس الثالث التي يلوم بها لاون على هذه التعديات . اطلب Rey *R.O.L* IV, 387 ، وهو يميل الى تأريخها في ١٢٠٧ (كذا ، ص ٢٢٥) . اما مؤرّخو الصليبيين فلم يتعرّضوا لذكر هذا الحادث .

٤) كمال الدين *R.O.L.*, V (1897), p. 41

البعثة البابوية الثانية

عندما تحقق لاون ، كل ما يجابهه من الصعوبات في سبيل الوصول الى انطاكية عنوةً ، اخذ يحاول حلاً سلمياً جديداً ، فكتب الى البابا ، يطلب اليه بكل احترام ان يعيد ، في حلّ ذاك النزاع ، الى « قضاة فوق الظنون »[1] . وذلك بعد ان سرد له ملخّص الحوادث ، على طريقة توافقه طبعاً .

فاجاب اينوشنسيوس الثالث بتعيين قضاة جدد[2] . ولا نعلم هل قدمت هذه البعثة الى الشرق ام لا . الا اننا نتحقق ان لاون عاد الى الحرب في جمادى الاولى سنة ٦٠٢ (١٤ كانون الاول ١٢٠٥ – ١٣ كانون الثاني ١٢٠٦)[3] . ولكنه لم يتوفق هذه المرّة ايضاً ، فتشلت مساعيه ، واضطرّه الملك الظاهر ، الى عقد مهادنة مدّتها ثماني سنوات ، يمتنع فيها عن كل محاولة في سبيل فتح انطاكية[4] .

- ثورة العامّة في انطاكية

ولا نعلم هل كان للاون ضلع في هياج الثورة في انطاكية سنة ١٢٠٧[5] . ولا يفيدنا ابن شدّاد شيئاً واضحاً في الموضوع . على انه يذكر بطريقاً هيّج حركة ثورية ، فقُتل ونحن نعرف ان بوهيمند كان قد نصب في انطاكية بطريقاً من الروم المنفصلين ، اسمه سمعان الثالث يوليانس[6] . فلا غرابة بان يكون قد عمد الى الانتقام من لاون ، لتدخله بشؤون الامارة ، فاستدعى سلطان الروم كيكواس الاول من قليقية ، رامياً في ذلك ، الى شغل لاون ، وصرفه عن

---

١) *M. L.*, 215, col. 687-692

٢) *M. L.*, 215, col. 557-559 (VI Nonas Martii 1205)

٣) كمال الدين *R.O.L.*, V, 43

٤) كمال الدين : المحلّ نفسه .

٥) *Ann. de Terre Sainte, Or. Lat.*, II, ii, 436 ، ولا يميز هذا المصدر بين توقيف البطريق ، وسنة وفاته . قابل بما في *M. L.*, 215, col. 1321-1323, Fev. 1207 ; *His. Occ.*, II, 313-314

٦) راجع Rey. *Les dignitaires de la principauté d'Antioche*, *R.O.L.* VIII, (1900-1901), p. 137, 149

الهجوم على انطاكية . الا ان لاون سيّر الملك العادل ، وهو اقوى السلاجقة ، فاضطر كيكواس الى عقد الصلح . وكان من شروط هذا الصلح ان لاون يترك انطاكية وشأنها ، ويُعيد حصن بَغراس الى التامبلية[1] .

ومن المعلوم ما اتصف به موقف اينوشنسيوس الثالث من الحزم في هذه الحادثة . فانه احتجّ بشدّة على حبس بطرس الاول دانغوليم ، بطريرك انطاكية اللاتيني ، وسفّه تعديات بوهيمند التي سبّبت وفاته ، وانتهى بان حرم بوهيمند[2] .

البعثة البابوية الثالثة

وكان من نصيب لاون ان يستفيد من موقف بوهيمند الحرج ، على اثر وفاة البطريرك اللاتيني ، فيطلب من الحبر الاعظم ان يتدخل بذاك النزاع ، للمرّة الثالثة . فارسل وفداً الى رومة . فاجابه البابا بانه يعهد ، للمرّة الثالثة ، الى وفد خاص ، بحلّ ذاك المشكل[3] . ولا نعلم شيئاً عن اعمال هذه البعثة . ومهما يكن من امر فان لاون لم يرضَ بها . وذلك اننا نراه يعود الى طرق ابواب رومة ، فيطلب بواسطة موفديه ، تأليف لجنة بابوية جديدة .

وقد وقع اختيار البابا ، هذه المرّة ، على سيكار ، اسقف كريمونه ، فكلّفه درس النزاع وحلّه ، وفي غيابه يعود الحق لبطاركة انطاكية ، فيمكنهم ان يحكموا ، وينفّذوا حكمهم بقوّة الحرم[4] . ولكن لاون لم يحضر المحاكمة ، بل عاد الى الاعمال الحربية فاحتلّ بور يونيل من ارض التامبلية ، على حدود ارمينية ، واخذ يكتسح سائر ممتلكاتهم ، حتى تلك التي كانت تعطيه وارداتها . فتفاقم بعمله الخطب ، ولم يبقَ في وسع البابا ان لا يحرمه ، فرشقه

---

١) كمال الدين : ك . م . ٤٥ ، في السنة ٦٠٥ (١٦ تموز ١٢٠٨ - ٦ تموز ١٢٠٩)

٢) *M. L.*, 215, col. 1345 et 1428-29

٣) *M. L.*, 216,54-56 (II nonas Jun. 1209) ، والراجح ان هذه البعثة لم تأتِ الشرق ، لان بعثة سيكار (Sicard) ، ثبت بعد هذا التأريخ بزمن قليل ولعل البابا قد اشار الى بعثة سيكار في جوابه المذكور .

٤) *M. L.*, 216, col. 310-311 (XIII Kal. Sep. 1210)

بالحرم وامر ملك اورشليم بان يساعد التامبلية في المطالبة بحقوقهم[1] . فجهز هؤلاء جيشاً ، واخذوا بالزحف على ارض لاون . فارجع اليهم حصن بغراس[2] .

ج – حلّ النزاع : فتح انطاكية

وكانت السنون التالية احسن طالعاً على لاون . فانه لم تنتهِ تلك الهدنة ، هدنة الثماني سنوات ، التي عقدها مع الملك الظاهر ، وكان من شروطها انه لا يحاول هجوماً على انطاكية ، حتى اخذ يعيث في اراضيها فوجه اليه البابا الملام[3] .

ولما كانت قضية النزاع لا تزال معلقة في المحكمة الاكليريكية ، اراد لاون ان يتظاهر بالخضوع هذه المرة . الا ان بوهيمند لم يحضر المحاكمة[4] . وصرح انه لا يتعلق منذ اليوم الا بامبراطور الروم وحده . فزاد المشكل تعقداً حتى ظهر حله مستحيلاً .

بيدَ ان لاون وجد طريق الحلّ . وذلك انه عمل على ازدياد افراد حزبه في انطاكية ، ثم ارسل اليها قسماً من اتباعه ، حتى اذا بلغوا عدداً مهماً ، دخل المدينة ، دون حرب ولا مقاومة ، في ١٢ شباط ١٢١٧ . فانتهى ذاك النزاع المستطيل .

النتيجة

لا شكّ في ان المطالعين الكرام ، وقد قرأوا نصّ « الاعلاق » وتعليقنا عليه ، قدروا قيمة ابن شدّاد التاريخية . ولا يضيره ما هناك من انحطام واضطرابات لا يخلو منها تأليف من هذا النوع . على ان ما يجعل له ميزة خاصة تلك الدقائق التاريخية المفيدة التي يودعها معلوماته ، ولاسيما ما اختصّ منها

---

١) *M. L.*, 216, col. 430-431 (XV Kal. Junii 1211)

٢) Eracles, *H. Occ.*, II, 317

٣) *M. L.*, 216, 781-786

٤) *M. L.*, 216, 792-793

بالزمن القصير الذي كان فيه شاهد عيان.

ولربَّ سائل يسأل لماذا اهتممت بفصل قليل الاهمية « كالعواصم » ، بالنسبة الى ما هناك في تأليف ابن شدّاد من فصول تدل على مقدرته في الخطط كوصفه مدينة حلب مثلاً . فأجيبه ، بكل بساطة ، ان وصف مدينة حلب منقول بالحرف تقريباً الى كتاب ابن الشِحنة « الدرّ المنتخب في تاريخ مملكة حلب » ، ما عدا الفصلين المختصّين بجوامع حلب ومدارسها ، فانهما ملخّصان في الكتاب المذكور . ولا يزيد ابن الشِحنة على ذلك الا أخطاء في القراءة ، وبعض التقديم والتأخير ، وزيادات اخذها عن ابن خطيب الناصرية وابي درّ . ولا يخفى ان نشر وصف حلب هذا عمل سهل سوف لا يتأخر طويلاً.

ولهذا رأيت ان انشر من « الاعلاق » ، ما كان اقلّ شهرةً ، واصعب منالاً . ولعلي وُفقتُ في شيء من ذلك !

شذرات

مجلة مجمع اللغة العربية الملكي *

في ١٣ كانون الاول ١٩٣٢ ، صدر من سراي عابدين ، في القاهرة ، مرسوم جلالة الملك فؤاد ؛ وبموجبه أُنشئ مجمع اللغة العربية وقرّر اصدار مجلته لنشر ابحاثه وأهمّ اعماله . وعُيّن عدد الاعضاء العاملين والفخريين فيه ، فضلًا عن المراسلين « من غير تقيد بجنسية او دين »

وفي ٣٠ كانون الثاني سنة ١٩٣٤ ، أُفتتح المجمع ، ثم عُقدت جلساته وتوالت . وفي اوائل العام ١٩٣٥ صدرت مجلة المجمع ووصلت الينا بارزةً بحجم جليل وطبع انيق ، تتصدرها صورة الملك فؤاد « مجدد النهضة العربية »

يحتوي العدد الاول خلاصة اعمال المجمع في سنته الاولى ، وابحاثاً عديدة تذكر منها القرارات العلمية ، وفيها ١٧ بندًا كل بند اشبه بقاعدة ادخلها المجمع في غراماطيق اللغة او أقرّها فيه ؛ ومن بعدها لائحة الاسماء الموضوعة لمسميات في شؤون مختلفة : كبناء البيت ، والمائدة ، والمكتب وادواته ، والسكك الحديدية ، والدباغة ، والملابس والزينة ، والآلات والادوات ، وغيرها من الفاظ علمية وطبية . تلك الابحاث عرضها المجمع على الخاصة والعامة ممن يهمهم مصير اللغة العربية واستفتاهم في شأنها .

واننا ارجأنا الكلام في مجلة المجمع على امل ان نقرأ صداها في المجلات والصحف ، فنستعين باقوال الكتاب على الالمام بمواضيع البحث ، ولا نبدي رأينا فيه الا عن التمحيص والتروي المرهون بمبادئ اصول اللغة وتطورها في حكم الشعب الناطق بها .

ولكن لم تتجاوز اقوال الصحف والمجلات حدود النقد او التقريظ على العموم الا في النادر ، كأنها اشعرت بحراجة الموقف وصعوبة الطريق ؛ فجلة

* القاهرة ، المطبعة الاميرية ببولاق ، ١٩٣٥ ، ص ٤٠٠ ، قطع ٨ كبير

المجمع العلمي العربي الدمشقي اقتصرت على ذكرى تأسيس المجمع (١٣ جزء ٥—٦، ص ٢٥٩) واصدر حضرة الاب انستاس الكرملي في المقتطف (٨٧، ٢، ص ١٣٦) مقالاً عنوانه: «بحث لغوي في مجلة المجمع الملكي»، لم يأتِ فيه الا على نقد النسبة الى فعيل وفعيلة.

وكان «للمسرّة» الحظ الاوفر في الكلام على مجلة المجمع فخصتها بمقال مطول (حزيران، ص ٣٨٧ — ٣٩٠ وتموز، ص ٤٤٩ — ٤٥٥) ولها النظرات القيمة في مهمة المجمع، وهي: «أن يكون المغربل لاوضاع الكتّاب لا المغربّل» والا يضيّق على الكتّاب فينفرهم من امهم ويلجئهم الى عقوقها (اخذاً عن الشيخ مصطفى الغلاييني).

وقيل ان السيد عيسى اسكندر المعلوف جمع كتاباً مطولاً سمّاه «معجم الاصطلاحات» فرغّب الناس في مطالعته. ولكن الكتاب، على ما يقال، لا يزال مخطوطاً شأن الكثير من مؤلفات صاحب مجلة «الآثار» المحتجبة؛ وفي النتيجة ان جهود هؤلاء المجاهدين في سبيل اللغة العربية الشريفة لم تتجاوز حدود الاقتراحات والاعمال التمهيدية الى تحصيل اثمار سوف تنضج فتقطف في المستقبل ان شاء الله.

وانا وددنا لو اشار اعضاء المجمع الكرام في سياق اعمالهم الى الدروس التي ظهرت في المجلة الالمانية[1] «رسائل معهد اللغات الشرقية» (سنة ١٩٢٧ و١٩٣٤) وفيها لوائح الفاظ فنية وصناعية وعلمية قد جمعها المستشرقون من اللغة المستعملة في مصر مع تأدية معانيها بالانكليزية والافرنسية وأضافوا اليها المصادر التي اخذوها عنها. ان فيها الغثّ والسمين بما حوته من الفاظ كثيرة جديدة في صيغتها او في معناها، وقد نُسخت من قوائم فهارس المعامل والورشات وتزيّت بزيّ الافرنج؛ ولا عجب ومادتها اتت الينا من بلادهم !!! على انها هي هي

(١) راجع *Mitteilungen des Seminars für Orientalische Sprachen an der Friedrich-Wilhelms-Universitaet zu Berlin.* Jahrgang XXIX und XXX, Zweite Abteilung. Mohammed Brugsch und Georges Kampffmeyer : *Aus den heutigen Wirtschaftsleben Aegyptens* — Hans Wehr : *Die Besonderheiten des heutigen Hocharabischen.* Jahrg. XXXVII. 2 Abt.

التي تصلح لان يغربلها المجمع فيحفظ منها ما يراه موافقاً للاحتياجات الحاضرة ، ملائماً روح اللغة واصولها . ومن اسلوبها مصدر اساليب العمل في هذه الناحية ، واليك شيئاً عنها عسى ان تُوفق الى مطالعتها بكمالها :

في المقال الاول عني محمد برغش وجرج كيفاير بجمع الاصطلاحات الفنية عن الدليل العام للقطر المصري والخارج للسنة ١٩٢٥،وقد وجدا فيه الاساس لدرس الالفاظ المستعملة في الحاضر تعبيراً عن الاشياء في ميدانها الواسع النطاق الصعب الخوض فيه لابناء اللغة العربية .ولم يغفل صاحبا المقال ان ترادف الالفاظ الاوربية باللفظة العربية كما هو معروض للقراء ليس مما يرتاح له الخاطر والذوق العربي ؛ ولم يجهلا ان الامال معقودة على ابراز مؤلف في تلك الناحية ارقى واحسن من الدليل المذكور ، ولكن ما دام الامل لم يحقق فلا بد من الاخذ بالموجود مادةً تساعد على البلوغ الى الكمال.

لقد وردت تلك المادة في ١٩٦٩ جملة او تعبيراً لم يكتف المؤلفان بروايتها على علاتها ، واخذاً عن مصادرها فحسب ، بل بذلا وسعهما في درسها الدرس اللغوي بنقدها ، والتفتيش عن اصولها في المعاجم الشهيرة العربية والافرنجية.

اما المقال الثاني فدرس فيه هانس وهر خواص العربية الفصحى ، حاضراً ، في النحو والتركيب واللفظ . وعالج في اللفظ ما كان منه مترجماً عن اللغات الاوربية وما خرج من صميم اللغة العربية وتطور فاعرب عن شيء جديد ؛ ومن امثال ذلك : دار الآثار ، ومأساة ، وتأشير ، ومؤتمر ، وآلة كاتبة ، وبوقية ، ومتحف،وجمهورية ، واجتماعي ، ومجهر ، وحافلة ، وحقانية ، واحتياطي ، ومختبر ، واختزال ، ومدفعية ، ودواسة ، ورشاشة ، ومرقب ، ورقم القياس ، ومسدس الخ الخ من عشرات وعشرات الالفاظ . وعرض المؤلف للائحة الفاظ تحولت من معناها الاصلي الى غيره كالمطعم ، والمعرض ، والميّار ، وغيرها . . . وقصر نظره على بحث مواده في ٨٠ عدداً من جريدة الاهرام ، وفي المقتطف ، وفي مؤلفات الكتبة المصريين المحدثين مَن رآهم يمثلون الحركة الفكرية اللغوية في وادي النيل ، واكتفى بهم .

اما بعد فنقول :

نتمنى لو اطلعت لجنة المجمع المخصصة بالقاموس على ما وضعه المؤلفون المذكورون ، وبثّت فيه حكمها عن تساهل ورحابة صدر ، فوضعت في الحين ذاته اساساً متيناً للقاموس الجديد المرغوب فيه.

ولو ان جهود مجلة المجمع توجّهت الى التعريب ، شأن المجلات الراقية في سورية ولبنان وفي مصر ، فحاولت نقل الدروس في العلميات والفنيّات الى العربية ، لكانت توافرت لدينا مؤلفات يستنجم منها البحاثون اصطلاحات والفاظاً يحتاج اليها القاموس وهذه الالفاظ تدخل اللغة بطرقها البديهية الفطرية ، ناشئةً حيّةً من عقول الاحياء والبابهم فيحق لها البقاء.

فمن ثمّ نتمنى لو عُرضت بالمباراة والمسابقة على ادباء العربية ترجمة المقالات العلمية في المواضيع الخاصة كالكهرباء والميكانيك وغيرها ، فلا شك ان الجهود التي تبذل في ذلك السبيل تؤدي الى نتائج محمودة وليس المال الذي ينفق مكافأةً للفائزين في السباق مما يحول دون نجاح العمل لاننا عهدنا من السخاء والجود في الحكومات والافراد نحو مشاريع دون مشروع ترقية اللغة العربية الشريفة أهميّةً ، ما يدعونا الى التفاؤل في تحقيق امانينا.

الاب فردينان توتل اليسوعي

« جريدة توزيع مال خراج لبنان الاميري في عهد الامير بشير الشهابي »

ملاحظة بسيطة

نشر ، تحت هذا العنوان ، في «مشرق» هذه السنة (٣٣ [١٩٣٥] ٣٢١–٣٦١) ، حضرة الخوري قسطنطين الباشا جدولاً قديماً للاموال الاميرية المترتبة على اللبنانيين في احدى السنين من ولاية الامير بشير الكبير. وقد رأى الناشر المحترم ان يقدّم على الجدول بحثاً في النظام الاقطاعي في لبنان الغابر ؛ فأخذنا عليه بعض المسائل وهي :

١ً قال عن الامير يوسف ، بعد استيلائه على بلاد جبيل والبترون : « انه احدث انقلاباً مهماً في طبقات سكان هذه البلاد بان اقطع عدة قرى لذوي الزعامة الذين اعانوه على قتال بني حماده. فانه جعلهم برتبة المشايخ ، واقطع لهم

الاقطاعات الكافية واقرَّ من كان سابقـاً منهم كذلك » (ص ٣٢٤) .
وهنا عدّد هؤلاء المشايخ فذكر سعد الخوري صالح، وسمعان البيطار ، وجرجس ابي صعب ، وبيت ابي طربيه ، وبيت كرم ، وبيت الشدياق ابي خطار ، وبيت الخوري (في اهمج) ، وبيت رعد المسلمين ، « وغيرهم ».

فقلنا : اوّ لم يبالغ حضرته في الإكثار من اولئك المشايخ ا اجل ، فان التقاليد المشهورة التي تؤيدهـا التواريخ الصحيحة لا تعرف في لبنان الشهابي الا بضع عائلات اقطاعية ، ذكر شيئاً عنها العينطوبني[1] ، واورد الشدياق اخبارها مفصلة[2] . وهذه العائلات هي، كما جاء ذكرها في « اخبار الاعيان » : الامراء : شهاب ، وارسلان ، وابي اللمع . والمشايخ : الخازن ، وحبيش ، والدحداح ، والضاهر ، والخوري صالح ، وجنبلاط ، والعماد ، وابي نكد ، وتلحوق ، وعبد الملك ، وحماده (الشيميون) . فاذا كان الناشر الكريم قد اكتشف اكتشافاً جديداً يتيح له بهذا الاكثار في تعداد ذوي الاقطاع ؛ فليتفضل ويرشدنا الى مصادره ليستقي منها جميع المؤرخين .

٢ ثم قال : « وكان الامير الكبير الحاكم اذا اختار رجلاً من لبنان لتدبير اموره من غير المشايخ ، او كاخية له ، رقّاه الى رتبة المشايخ وصار يكتب له « الاخ العزيز » واقطعه بعض الضيع » كما فعل الامير يوسف مع سعد الخوري صالح وسمعان البيطار ، وكما فعل الامير بشير مع بني الدحداح ، ومع يوسف ابي انطون باخوس الذي اتخذه كاخية له الامير حسن شهاب ، اخو الامير بشير ، في غزير » (ص ٣٢٤) .

فنقول : ١ جعل الخوري قسطنطين في كلامه هذا فرقاً ، اقله في الزمن ، بين رتبة الشيخ سعد الخوري وبني الدحداح . في حين ان الامير يوسف في كلامه عن سعد الخوري[3] ، يسميه : « عزيزنا الشيخ سعد الخوري » وذلك في سنة ١٧٨٤ ، اي قبل وفاة الشيخ سعد ببضعة اشهر . ولدينا ورقة مؤرخة

---

١) المشرق ٤ [١٩٠١] ٧٦٤ و ٨٢٠ ٢) اخبار الاعيان في جبل لبنان .
٣) سلسلة بطاركة الطائفة المارونية ، طبعة الشرتوني ، ص ٧٤٠ .

سنة ١١٧٩هـ. (١٧٦٥م) يقول فيها الامير يوسف نفسه : «وهبنا عزيزنا الشيخ منصور الدحداح» ٢ نرجو منا من حضرته ان يدلنا على ما يثبت قوله ان الامير يوسف كتب الى الشيخ سمعان البيطار «الاخ العزيز»، وان الامير بشير اقطع يوسف ابي انطون باخرس ودعاه «الاخ العزيز». ٣ خلافاً لقول الخوري قسطنطين، نعلم ان الدحادحة كانوا مشايخ قبل تولي الامير يوسف على بلاد جبيل[1] فانهم دبروا شؤون الامراء الحرافشة والشيخ اسماعيل حماده. ثم سعى احدهم، الشيخ منصور بن يوسف، في تولية الشهابيين على معاملة طرابلس، فثبت الامير الدحادحة في مركزهم وجعلهم اقطاعيين على بلاد جبيل[2]، وعلى بلاد الفتوح[3]. اما الامير بشير فانه كتب اليهم «الاخ العزيز»، على انهم كانوا مشايخ اقطاعيين قبل عهده، ولم يكن في استطاعته ان يفعل غير ذلك.

٣ اراد حضرته ان يعطف على بطرس كرامه، فقال : «واذا لم يكن الكاخية من لبنان اكتفى الامير بإعطائه لقب المعلم نظير بطرس كرامه الحمصي» (ص ٣٢٤).

قلنا : فما قول الاب قسطنطين «بالمعلم» الياس اده. و«المعلم» نقولا الترك[4]، وغيرهما من «المعلمين» اللبنانيين ؟

هذه ملاحظة بسيطة رأينا ان نعلق بها على مقال الكاهن الفاضل خدمة للحقيقة، لا زال حضرته من انصارها!

نجيب سليم الدحداح

تيه

وقع بعض اخطاء في طبع المحاضرات الثلاث «في تاريخ الفقه الاسلامي» للدكتور يوسف شخت في الاجزاء الثاني والثالث والرابع من السنة الحالية،

---

١) ترجمة اسطفانوس بطرس الدويهي، بيروت، سنة ١٩١٣، ص ٢٥٤ – المجمع اللبناني (طبعة جونية)، ص ٥٦٢ – اخبار الاعيان، ص ١٠٧ وما يليها.

٢) اخبار الاعيان، ص ١١٢. ٣) الكتاب المذكور، ص ١١٢.

٤) الدرر الحسان (الطبعة الاخيرة)، ص ١٥٩، ٢٤١، ٢٥٨، ٤١٠ الخ...

وهي الآتية :

صفحة	سطر	الخطأ	الصواب
٢٦٢	٨	عنها الدرس	عنها هذا الدرس
٢٦٢	٩	الموضع	الموضوع
٢٦٣	٢	تبديل	تبدل
٢٦٣	٢٥	ذلك التشريع	ذلك هو التشريع
٢٦٤	٢٢	بما	بما
٢٦٨	١٦	من هذا	من نتائج هذا
٢٧١	٦	من	بين
٣٦١	١٧	شروط	عن شروط
٣٦٦	١٩	ميل	الميل
٣٦٧	٢٢	الميدان	لميدان
٥٤٧	٢٠	يرجع	راجع
٥٤٨	٩	ومن	من
٥٤٨	٢٠	وما	واما
٥٤٩	١٢	لشرح	بشرح
٥٥١	٤	عالم معاصر	عالم مصري معاصر
٥٥١	٥	ثانية	ثانوية
٥٥١	١٤	محرم	مجرم
٥٥١	٢٤	وقد	قد
٥٥٢	٢٦	الآخرة	الآخر
٥٥٣	١٢	يطلب	تبطل
٥٥٣	٢٥	كتب	في عمل
٥٥٤	١١	يكون	تكون
٥٥٦	١٢	الآن تلك	الآن عن تلك

مطبوعات شرقية جديدة

FRANCISCUS TER HAAR, C. SS. R., Casus conscientiae de praecipuis hujus aetatis occasionibus peccandi. In-8°, 184 p. Turin, Marietti, 1934. Prix : 10 L.

بعض حوادث الضمير الثائنة عن اهم اسباب الخطيئة

كان حضرة المؤلف الاب تيرهار قد نشر ، سنة ١٩٢٧ ، كتاباً مهماً خصّه « باسباب الخطيئة وتعوّد السقوط فيها » De Occasionariis et Recidivis فبسط فيه مبادئ القديس الفونس دي ليگوري ، ودافع عنها . فكان لكتابه وقع حميد ، واثر لا يُنكر في حلّ عدد من حوادث الضمير . وقد وصف المشرق الكتاب في حينه (٢٦ [١٩٢٨] ٤٧٠) .

وها ان المؤلف يعود اليوم ، رامياً الى تقريب عقيدة القديس الفونس دي ليگوري ومبادئه في الموضوع المذكور من منال الكهنة والمعرّفين خاصة ، فينشر هذا الكتاب الجديد ، جامعاً فيه عدداً كبيراً من حوادث الضمير ؛ ويعلّق على كل حادثة مختصراً مبادئ القديس الفونس الموافقة ، عارضاً لها حلّاً واضحاً صريحاً لا شك في انه يرضي حتى المتشدّدين . واننا نكتفي ، دلالةً على منفعة الكتاب ، بسرد بعض الحالات التي يعرضها . يبدأ ، في القسم الاول ، بذكر السبب المباشر للخطيئة اجمالاً ، وما يتفرّع عنه من المظاهر المختلفة . ثم يتوسع ، في القسم الثاني ، بدرس الاسباب الخاصة البادية في ايامنا كالمدارس الخطرة ، والكتب الفاسدة ، والمراقص ، والمراسح وجدور السينما ، ومواعد العشاق ، والزيجات غير المشروعة ، والملابس المنافية للياقة والادب ، والاذاعات المفسدة ، والمقاهي . في كل هذه الموضوعات ، وهي ، كما لا يخفى ، مصدر الكثير من المشاكل في كرسي الاعتراف ، يجد الكاهن ، في الكتاب المذكور ، ادارة رصينة ودليلاً هادياً يقوده الى طريق الصواب .

ي . م .

Jus religiosorum in compendium redactum pro juvenibus religiosis a P. Thoma Villanova Gerster a Zell. In-8°, 324 p. Turin, Marietti, 1935. Prix : 15 L.

مختصر الشرع الرهباني للمبتدئين

لم يكد يظهر قانون الحق القانوني حتى تعددت الشروح والتعاليق إمّا على مجموعة الحق المذكور او على اقسام منها . وكان لا بدّ للشرائع الرهبانية في من ان تلفت انظار الشرّاح والمفسّرين ، فرأينا الشروح الواسعة المهمة في الموضوع كشرح الاب ڤيدال اليسوعي ، وشرح الاب فنفاني الدومنيكي . على ان مثل هذه الشروح الطويلة ليست بمتناول الجمهور، ولا يمكن للشبان من الرهبان خاصة درسها الاستفادة منها . فكان ان المؤلف عمل على سدّ هذه الثلمة ، فنشر في سبيل المبتدئين شرحاً مختصراً ، على شموله كل الشرائع الرهبانية ، وكان اولاً قد القى هذه الدروس على مبتدئي رهبنته ، فعمّها بالطبع ؛ وحسناً فعل، اذ اتحفنا بكتاب جدير بان يكون في مكاتب الديورة جميعها . ي. م.

Ivo Benedetti, Ordo judicialis processus canonici instruendi, (pro curiis et tribunalibus dioecesanis) In-8°, 165 p. Turin, Marietti, 1935. Prix : 8 L.

طريقة المحاكمات في الحق القانوني ، في سبيل الدواوين الاسقفية

من المعلوم ان المحاكم الكنسية الرومانية كمحكمة « الروتا » ومحكمة « التوقيع الرسولي » هي محاكم استئنافية على الغالب. فوجب من ثمّ ان تُسمع الدعاوي الكنسية اولاً في محاكم الابرشيات او الدواوين الاسقفية. على انه كثيراً ما يحدث في هذه الدواوين ، ولاسيما ما كان منها قليل الدعاوي ، اضطرابات وتقلقلات في طريقة سير الدعوى ، وفي تدوين الاحكام والمحاضر المختلفة . وكان المؤلف ، ايفو بنديتي ، وهو محام لدى محكمة « الروتا » ، قد شعر بما يجابه قضاة الدواوين الاسقفية وكتابها من الصعوبات في تسيير المحاكمات ، فرأى ان يسهّل عليهم اعمالهم ، ويرشدهم الى الطريق الاقوم في اصول المحاكمات المذكورة ذاكراً سير الدعوى خطوةً خطوةً ، مردفاً بمثل واضح على ذلك ،

راغباً في ان جميع المحاكم البدائية في الاسقفيات تتبع الاصول المرعية في المحاكم الرومانية . فاثمر عمله هذا الكتاب المفيد . بدأه بدرس تأليف المحكمة ، وواجبات كل من اعضائها ؛ منتقلاً ، في القسم الثاني ، الى شرح ترتيب الدعوى ؛ عارضاً ، في القسم الثالث ، دعوى زواج درسها في جميع تطوراتها مثالاً على الدعاوي الممكن ورودها على المحاكم المذكورة . واخيراً ، في القسم الرابع ، يعيّن الطريقة المتبعة في الدعاوي المتعلقة بالزواج المعقود غير المنفذ ، اذا ما شاء اربابه ان يطلبوا الغاءه من الحبر الاعظم ، وهي طريقة قُررت مؤخراً في مجلة « اعمال الكرسي الرسولي » .

يتضح مما تقدّم فائدة الكتاب واهميته لكل رجال الاكليروس الذين يمكنهم يوماً ما ان يهتموا بالدعاوى الكنسية ، فننصحهم باقتنائه ، وهو زهيد الثمن .

ي . م .

Répertoire pratique de droit civil et ecclésiastique, par un groupe de Professeurs et de Jurisconsultes, t. II, *Bail – Bureaux de placement*. In-12, 560 pp. Paris, Maison de la Bonne Presse, 1935. Prix : 15 fr ; port, 1 fr. 45.

معجم للحق المدني والكنسي

هو المجلد الثاني من معجم جامع للحق المدني والكنسي ، قام بتأليفه نخبة من اساتذة الحقوق والفقهاء ، فجمعوا ، على طريقة الترتيب الهجائي ، كل ما تهم معرفته رجال الحق القانوني والحقوق المدنية من قضاة ومحامين واساتذة وطلاب ، فاتوا بفائدة جليلة عرفتها لهم كل الاوساط الاختصاصية بالعلوم المذكورة . وسيظهر المجلد الثالث في اوائل السنة الجديدة ١٩٣٦ . اما الكتاب بكامله فيبلغ عشرة مجلدات .

THOMAE DE VIO, CAJETANI, O. P.; In De Ente et Essentia D. Thomae Aquinatis commentaria cura et studio P. M.-H. LAURENT, COLLEGII HISTORICI FR. PRAEDICATORUM. In-8°, 260 p. Taurini, Marietti, 1934. Prix : 12 L.

شرح تأليف القديس توما الاكويني : « في الكائن والجوهر »

لقد اصاب مَن قال ان رسالة القديس توما « في الكائن والجوهر » ،

تنزل من آثاره منزلة « المقال في المنهج » من آثار ديكارت ، ومنزلة « الوحدات » من آثار ليبنيز . ذلك اننا نرى في هذه المنحات ملخصاً لمبادئ ما وراء الطبيعة كلها ، وهي المدخل الذي لا يُستغنى عنه الى تفهم فلسفة القديس توما ، وبالتالي الى تفهم لاهوته . على ان هذه الآراء والاحكام المائلة الى اعمق ما يثيره العقل البشري من المشاكل ، تظهر قابلة للمناقشة حيناً ، وللشروح المتعددة احياناً . حتى قام من الفلاسفة اللاهوتيين انفسهم مَن ناقش حاول القديس توما في عدد من المشاكل ، فعاكس بعضها ، واوّل بعضها تأويلات مختلفة ، فكان ولا بدّ ان شرح الرسالة يُثير عدداً مهماً من المشاكل لا يزال الفلاسفة في شأنها على مناقشة متواصلة وانقسام دائم .

وان من اشهر الشروح للاثر المذكور ، ان لم نقل اشهرها ، شرح الكردينال كايتان الدومنيكي المتوفى في السنة ١٥٣٤ ، وقد كان من اعظم لاهوتيي عصره . فبدا من صائب الراي ان يطبع ذاك الشرح طبعاً لائقاً ، بمناسبة مرور اربعمائة سنة على وفاة صاحبه . فكان هذا الكتاب الذي نصفه اليوم ، بارزاً في مظهر انيق ، مظهراً المعلومات الكافية لمن يرغب من القرّاء في التعمق بدرس هذه الشؤون العويصة ، متغلباً على ما دونها من عقبات الجدل والمناقشات

الاب غ . نيرون

PRADO (GERMANUS) O. S. B., Devotionale pii clerici et religiosi. In-32, 416 pp. Turin, Marietti, 1935. Prix : 7 L.

نصوص تقوية

يجمع هذا المجلد ، في حجم صغير ، عدداً مهماً من النصوص التقوية مختارة من الكتاب المقدس ، ومن تآليف الآباء ، ثم من الصلوات الطقسية والمغفرة . وينتهي بعدد من الادعية مرتبة حسب نظامها الطقسي .

Mgr LAGIER, L'Orient Chrétien, des Apôtres jusqu'à Photius. In-8°, 480 pp. Paris, Bureau de l'*Œuvre d'Orient*, 1935. Prix : 20 fr.

الشرق المسيحي من زمن الرسل حتى فوطيوس

ظهر هذا التأليف اولاً اجزاء متتابعة في مجلة *Œuvre d'Orient* من السنة ١٩٢٨ الى السنة ١٩٣٤ ، ثم جمعت هذه الاجزاء في تأليف على حدة بلغ مجلده

الاول ١٨٠ صفحة ، بعد ان اعاد المؤلف نظره فيها ، فاصلح بعضها وفقاً لنتائج الابحاث الحديثة ، واتبع فيها كلها الترتيب التاريخي مجتهداً في استدراك ما يكون عادةً في المقالات المتتابعة من تقطع ومراجعات .

طالما شكا المؤرخون من اهمال شأن الشرق المسيحي في تواريخنا العصرية . فقام المؤلف يخفف من موجبات هذه الشكوى ، ويدلّ الغرب على اصول مسيحيته ، وعلى ما ظهر في الشرق من شخصيات دينية ومدنية جديرة بكل اعجاب واحترام . كما ان هذه الصفحات تعيد الى الشرقيين انفسهم ذكرى ماض مجيد خط الشهداء صفحاته بدمائهم الزكية ، والمرسلون بمشاريعهم الجريئة ، والآباء بمعارفهم النيّرة ، والامبراطرة بجلالهم الفخم . كما ان الكنيسة جمعاء ، شرقية وغربية ، تستعيد ذكرى وحدة وثيقة واتفاق شامل . فضلاً عمّا يجده ، في هذا الكتاب ، الرجل المؤرّخ ، بل محبّ التاريخ ، من حوادث ومآس .

وقد اضاف المؤلف ، تسهيلاً للاستفادة من كتابه ، فهارس ابجدية ، وجدولاً توقيتياً لاهم الوقائع ، ولائحة باسماء الامراء والرؤساء كنسيين ومدنيين ، مدة القرون التسعة ، مزيّناً كل ذلك باربع خرائط ملوّنة تمثل انتشار المسيحية والامبراطورية البيزنطية .

J. Francez, S. J., Un pseudo-linceul du Christ. Plaquette 17×25 de 60 p. sur papier couché. 6 planches. Paris, Desclée, de Brouwer et Cie. Prix : 10 fr.

كفن مزوّر للسيد المسيح

تُلقي هذه الصفحات نوراً جديداً على تاريخ دفن المسيح ، وقد اصبح من الابحاث العصرية بفضل ما أثير من الضجة حول كفن مدينة تورين المشهور . يبين فيها المؤلف كيف اغترّ المؤمنون ، مدة القرون المديدة ، في مدينة كادوَن (من مقاطعة الدُردوني) فاخذوا بتكريم قطعة نسيج اسلامية الاصل ، ظانّين انها كفن مأخوذ من يوسف الرامي ، وكيف توصّلوا الى الخلط بين هذه القطعة والكفن الذي كان محفوظاً في القبر المقدس في اورشليم ، والذي رآه فيه الاسقف الغالي أركولف في القرن السابع . ثم ينتقل المؤلف فيبرهن ان كفن

كوبيني ، الذي كان يكرمه الغربيون منذ عصر شارلمان الى زمن الثورة الفرنسوية ، يوافق موافقة تامة للاوصاف التي ذكرها اركولف عن كفن القبر المقدس. واخيراً يرد على الاعتراضات العديدة التي يثيرها الراغبون في تكريم كفن كادوَن. ويبيّن ان عصمة الكنيسة لا يضيرها في شيء اكتشاف الخطأ ؛ جامعاً، في هذه الصفحات القليلة ، بين مبادئ تاريخية ودفاعية قيمة جديرة بافادة الكهنة والمؤمنين جميعاً ، فضلاً عما فيها من دروس اثرية قبطية واسلامية ، سيكون لها خير اثر في توسيع ثقافتنا التاريخية.

La continuité pontificale. Conférences prononcées à la VIe session de l'Institut Pie XI, par Mgr Suhard, P. Léon Merklen, A. A., M. Paul Chanson, M. Louis Le Fur, Mgr Vanneufville, P. Paul Dabin, S.J. In-12, 284 p., avec 7 figurines d'Hirlemann et une couverture artistique en 2 couleurs. Paris, Bonne Presse, 1935. Prix : 10 fr.

دوام السلطة البابوية

سلسلة محاضرات القاها عدد من الاختصاصيين في الدورة السادسة لمعهد بيوس الحادي عشر ، فنالت نجاحاً واقبالاً دفعا اربابها الى نشرها مجموعة في هذا المجلد . وقد درسوا السلطة البابوية ، على عهد الاحبار الاربعة الاخيرين خاصة ، ناظرين الى الموضوع من مختلف وجوهه العقائدية ، والارسالية ، والسياسية ، والاجتماعية ، والدولية . فاتوا بكتاب يجدر بكل مسيحي ان يقرأه .

Francesco Gabrieli, **Il califfato di Hishâm.** Studi di storia omayyade. [*Mémoires de la Société Royale d'Archéologie d'Alexandrie*, t. VII, 2], 142 p. Alexandrie, Société des Publications Egyptiennes. 1935.

خلافة هشام

تقدّم لنا فذكرنا ، غير مرّة ، دروساً قيّمة لهذا المستشرق الشاب خصّها بموضوعات مختلفة من التاريخ العربي ، فاظهرنا ما فيها من اطّلاع واسع على المصادر ، ونقد دقيق ، ومقدرة على العرض والمناقشة . وها ان المؤلف يدرس

اليوم موضوعاً وافر الاهمية ، خلافة هشام بن عبد الملك ، وهي من اطول الخلافات في الدولة الاموية ، ومن اوفرها حوادث ووقائع . وقد ادّى كل هذا الى اختلاف دائم بين المؤرّخين فدُفعوا الى الحكم على هشام احكاماً متباينة حتى المعاكسة احياناً . فكان من فضل المؤلف ان توفّق الى توضيح تلك المعلومات الكثيرة المختلطة ، ففصّل الحروب العربية في آسية المتوسطة ، وفي شمالي افريقية ، وفي اسبانية حتى شمالي جبال البيرينه . واجتهد في شرح المعنى الحقيقي لمعركة بواتيه الشهيرة . كل ذلك دون ان يهمل ذكر الشخصيات البارزة في رجال هشام وعمّاله كخالد القسري ، ونصر بن سيّار . هذا ما يدفعنا الى اقرار شخصية هشام ، كما اخرجها المؤلف ، محتفظين بها ، واثقين بصفاتها ، حتى تخرج لنا الابحاث معلوماتٍ جديدة . وعليه فاننا نهنئ المؤلف على نجاحه في درس هذا الموضوع الصعب. ه. ل.

JESAIAS PRESS, Neues Palaestinahandbuch. Führer durch Palaestina. 18 mehrfarbige, 3 schwarze Karten und Planbeilagen, 18 Pläne im Text. In-12. Wien, Fiba Verlag, 1934.

دليل فلسطين

كان المؤلف قد نشر ، منذ اربع عشرة سنة ، دليلاً الى معرفة ارض فلسطين وسورية الجنوبية. ثم كان ما كان من تقلبات وتطوّرات ، فاضطرّ الى نشر هذا الدليل الجديد. على ان الكتاب لا يختصّ بالمعلومات المختصرة الجافّة شأنَ الادلة المادية ، بل فيه فوق ذلك ، فيه نظرات شاملة وفوائد متعدّدة يتحققها المطالع منذ الصفحات الاولى ، فترفع الكتاب ، في نظره ، الى درجة المؤلفات التاريخية الجغرافية . والمؤلف لا يكتفي بفلسطين ضمن حدودها الحالية ، بل يسير بالمسافر الى شرقي الاردنّ ، ودمشق ، وبعلبك ، وبيروت ، ليعود به الى فلسطين ، على طريق الساحل . كل ذلك تزيّنه الخرائط والرسوم المتعدّدة ، ويردفه المؤلف ببضعة ملحقات في : المستعمرات الزراعية اليهودية ، وبعض التعابير العبرانية ، والنصوص الكتابية الواردة في الدليل ، والاسماء الجغرافية العربية ؛ ثم بلائحة عامة بالاعلام الجغرافية. ج. ل.

RENÉ GROUSSET. **Histoire des Croisades et du royaume franc de Jérusalem. t. II, Monarchie franque et monarchie musulmane. L'équilibre.** In-8°, 920 p., 9 cartes dans le texte. Paris, Plon, 1935. Prix : 60 fr.

تاريخ الصليبية ومملكة اورشليم الفرنجية

لم تمرّ السنة على وصفنا الجزء الاول من هذا الكتاب النفيس (المشرق ٣٣ [١٩٣٥] ١٤٦) ، وها ان المؤلف يتحفنا بالجزء الثاني ، مشتملاً في اكثر من ٩٠٠ صفحة ، على تاريخ ٦٠ سنة من العهد الصليبي (١١٣٠-١١٩٠). تبدأ تلك الحقبة بالتعادل بين القوى المتعاكسة : قوى الصليبيين وقوى المسلمين ، وتنتهي بتراجع الافرنج حتى لا يبقى لهم الا القليل من ممتلكاتهم ، فيبدأون بتنظيم الزحفة الصليبية الثالثة. على ان المؤلف لم يضيّق أفقه بالاكتراث للاعمال الحربية وحدها ، بل اننا نرى في الكتاب موادّ مختلفة غير الهجمات والزحفات. لا شك في ان للحرب اهميتها ، ومن هذه الجهة يمكن القول ان الصليبيين ظلّوا ، طول تلك الحقبة ، على خطر دائم في مقاومة المسلمين. على انهم كانوا يعيشون حياةً اجتماعية ادبية لم تفسدها المعارك. وقد كان للمؤلف الفضل بانه نظر الى هذه الناحية فبعث تلك الحياة بتفصيل يجعل للكتاب لذّة خاصّة ، ويطلع قرّاء العصر على شؤون لا تزال لها روعتها ووقعها الحالي ، ان لم نقل جدتها ، على رغم ما كرّ عليها من قرون. يذكر صفات الامراء والملوك من اسرة أنجو وكيف أثّروا في البلاد التي احتلوها ومصروها ، وكيف اثّرت هي بدورها في الفاتحين. يظهر ذلك خاصة في المقابلة بين الصليبيين الاوّلين ، بعد تبليدهم في الشرق ، واخوانهم من ارباب الزحفة الثانية ، وما كان هناك من فروق ظهرت آثاره في الهجوم على دمشق (ص ٢٢٥).

وهناك السياسة ودرسها جزيل الفائدة في كل عصر. قد يخال الناظر لاول وهلة ان الاتفاق كان تامّاً بين الفرنج والبيزنطيين. هذا ما كان واجباً ان يكون. اما الواقع فان البيزنطيين كانوا يتبعون دائماً سياسة التوازن بين المسلمين والفرنج.

ومن اشهر الشخصيات التي يدرسها المؤلف حيّةً باررةً شخصية الملك

بقدين الرابع الابرص ، الذي كان على عرش اورشليم، عهدَ نشأة صلاح الدين وازدهار اعماله الحربية. فيصف المؤلف شجاعته وقوة صبره وجلده ، على ما كان يحيط به من عقبات ناشئة عن حالته ، وانقسام الامراء الداخلي بسبب مطامعهم الخاصة ، وخطر العدوّ الخارجي. بيدَ انه مات قبل ان يرى انهيار ملكه ، وبه انتهت اسرة أنجو. اما المجلد فينتهي بحكم الملك گي دي لوزينيان ، وسقوط مملكة اورشليم في يد صلاح الدين. ج. ل.

L'art italien. Exposition du Petit-Palais, mai-juin-juillet 1935. Cent-soixante-seize reproductions dont huit en couleurs. In-8° Paris, Librairie Floury, 1935. Prix: 20 fr.

الفنّ الايطالي

جمع هذا المجلد اشهر الرسوم التي اعجب بها زائرو المعرض المذكور اعلاه مدة ثلاثة اشهر ، فرأى امين المعرض ان يُعجب بها ايضاً من لم يتمكنوا من مشاهدتها ، وحسناً فعل . فعرضها بطبع انيق ، بعد ان قدّم عليها بحثاً يجمع صفاتها في وحدة فنيّة ، ويسهّل فهمها على المطالعين.

ROBERT NEUMANN, **Sir Basil Zaharoff, le roi des armes.** In-12, 255 p. Paris, Editions Bernard Grasset. Prix : 15 fr.

السر باسيل زَهاروف ، ملك السلاح

لا شكّ في ان القرّاء يقبلون على مطالعة هذا الكتاب المترجم عن الالمانية لما فيه من غرائب تتصل باهمّ ما عرفناه من الحوادث العالمية في تطاحن الدول الكبرى ، فتغشي اسراراً عديدة ، وتفضح اعمالاً شائنة : اما بطل الكتاب فاصله يوناني فقير يسير من لا شيء ، فيرتقي ويرتقي حتى ينهي ايامه وقد كظّته الاموال واغدقت عليه فرنسة وانكلترة ارفع ما عندهما من الرتب السامية والالقاب الطنانة. بيد ان في الكتاب اضطراباً في تحقيق بعض الحوادث وفي التأليف كذلك . على ان فيه من التحقيقات ما لا يدع مجالاً للريب كمسألة بترول الموصل ، ومسألة موناكو . اما الخلاقيات بينة تسهّل مثل هذه الاعمال فما عسى ان نقول فيها ؟ أوَ ليس في تلك الاوساط الدولية فساد مفسد يغذّيه المال وتحضنه المطامع الاشعبية ؟ ج. ل.

ROGER LÉVY, Extrême-Orient et Pacifique. In-16, 5 cartes, Paris, Armand Colin. Prix : 10 fr. 50.

الشرق الاقصى والمحيط الهادئ

من لا يقلق اليوم لحادث ينشأ في المحيط الهادئ ، فتعمّ كوارثه الكون ؟ ها ان اليابان تغرق الاسواق العالمية بمحصولاتها ، وهي تتململ متضايقة في جزرها الصغيرة ، فتنظر الى الصين طامعةً محققةً هذا الطمع ، وتنظر اليها روسية شزرًا مستعدة للطوارئ ، بينما الامبراطورية البريطانية تتحقق النقص الواهي في تجارتها ، وبينا الولايات المتحدة تنيل جزر الفليبين استقلالها ، والمانية تستعيد مركزها السابق في بلاد الصين . كلها مظاهر تدل على ان الخطر الاصفر لا يزال على اشدّه ، بل هو يتقدّم شيئاً فشيئاً بشهادة ما تحمله الينا كل يوم شركات البرقيات والاذاعات اللاسلكية عن الشرق الاقصى والمحيط الهندي من اخبار متقطعة ، متناقضة احياناً ، غير مفهومة . على ان بين اسباب كل هذه الحوادث صلة تظهر متينة لمن يدرس التاريخ مقروناً بالجغرافية والاقتصاد والسياسة والفنّ الحربي . وهذا ما يجتهد في اظهاره مؤلف الكتاب ، وهو السكرتير العام للجنة درس مشاكل المحيط الهادئ ، فيعرضه بأسلوب واضح يرتجف حياةً ، جاعلًا من مؤلفه ، بفضل ما فيه من المعلومات الدقيقة والآراء والنظريات ، دليلًا ضرورياً لا للمسافرين ، والسياسيين ، ورجال الدولة ، وارباب العمل فقط ، بل لكل مَن شاء الوقوف على حالة الشرق الاقصى وما تثيره من المشاكل في المحيط الهادئ .

HANSJULIUS SCHEPERS, Japans Seefischerei. Eine wirtschaftsgeographische Zusammenfassung, 228 p. mit 6 Karten, 12 Abbildungen, einer statistischen Tafel und einer Zeichnung im Text, 1935. Prix : RM. 6.

صيد السمك في اليابان

مَن يعرف ان اليابانيين اعظم الناس اكلًا للسمك ؟ هذا امر توضحه الاحصائيات بكل تدقيق فتدلّ على ان اليابان تخرج من بحارها ، كل سنة ، من مليونين الى ثلاثة ملايين طن من السمك . وهو رقم يمثّل ما تصطاده انكلترة

والولايات المتحدة مجتمعتين . ينتج من ذلك ان من واجب الحكومة الاهتمام بتنظيم هذا المورد المهم ، وبسن القوانين المتعددة الخاصة «بسياسة الصيد» ، وهو الواقع . وقد اهتم المؤلف بدرس الموضوع ، على مختلف وجوهه ، معددًا الخرائط والرسوم ، حتى اتى بمثال حسن لما يمكن ان يؤلف في مثل هذا النوع من المواد .

ج . ل .

علم الامراض الباطنة : امراض الجملة العصبية

تأليف الحكيم حسني سبح

٨٨٥ ص . كبيرة – مطبعة الجامعة السورية ، دمشق ، ١٩٣٩

بهذا العنوان مجلد كبير جميل وصل الينا هديةً فوجدناه تحفة مؤلفه الحكيم حسني سبح ، استاذ الامراض العصبية والباطنة في مدرسة العاصمة السورية . ثم كتب الينا الاستاذ المفضال مرشد خاطر لنقد هذا التأليف الاول من نحوه والفريد في اللغة العربية من نوعه .

ما كدنا نتصفح بعض صفحات من الكتاب حتى شعرنا بنشوة الوطنية والاخاء ، وهزتنا حبّ الفنّ ولغة قومنا . اكثر الله من افراد هذه الامة اللامعين في شرقنا ، ولا زالوا يتفوقون في المعارف واللغات ! خذ من الامثلة على هذه النهضة العلمية باللغة العربية مدرسة الطب في دمشق ، واعتبر ما صدر عنها من المباحث والتآليف والمجلة الخاصة بها ، وما لمستشفياتها ومستوصفاتها من معالجات متقنة واعمال جراحية عظيمة ، وما لفروع الاختصاص هناك من الشأن كطبّ الاسنان ، وفنّ القبالة ، وعلم الجراثيم ، وإعداد اللقاح للجدري . واللطيف ان الانتداب الفرنسوي عينه جاءها مفيدًا محبًا ، وقد تمثّل بحكيم بارع ، وبجرّاح ممتاز ، هما ترابو ولسركل ، حبيبا دمشق التي قابلتهما بالاخلاص لصداقتهما وتفوقهما .

وعليه لا يتمالك المطلع على نهضة الطبّ باللغة العربية في دمشق من ان يتمنى لمصر رجالَ سورية ، ولسورية مالَ مصر ؛ فيزول من بين الاطباء المصريين اليأس من مستقبل العربية . وهذا ما جعلنا نلقبهم ، لحضرة الرئيس الكبير

علي باشا ابراهيم ، « بالانهزاميين: défaitistes » ؛ ونحن لا ننكر ان لهم على ذلك الاعذار العديدة .

والآن يُحصر البحث والكلام في تأليف الاستاذ سبح، نتخذه اساساً نبني عليه كحجر زاوية من حجارة العمران الوطني .

من طالع هذا الكتاب اكبرَ ، بدون مشاحّة ، علم واضعه ، وعظم جهاده ، وجودة اسلوبه ، وجلاء بيانه ، وتمام توفيقه في مهنته الشاقة . طالع : « الوهن العصبيّ la neurasthénie » ومرض « هين مدن Heine Mêdin » اي التهاب دودة الظهر السنجابيّة او عرق النسا ، تجد كم انه أجاد ، فتشتاق الى الوقوف على الجزء الثاني ، طبقاً للوعد ؛ وهو مخصّص بالأمراض الجرثومية ، بتلك الميكروبات الذائعة بأوبئتها ، الفاتكة بسمومها ، الشائعة بعدواها ، عنيتُ : الطاعون والكوليرا والبرداء والزحار والخناق والزُّهريّ والتيفيّة ، وهلم جرّاً . وهي الامراض التي ظلّت الى امس مجهولة الاصل والفصل ؛ فصارت في جيلنا اوضح العلل سبباً ، وأفيدها وقاية ، وأنجعها معالجةً بالمطهّرات من الداخل والخارج والمطاعيم والمصول .

وكان حقّ هذا الجزء الثاني ان يكون الاول لما تقدّم من الاسباب ، ولاسيما ان الامراض الجرثومية تولّد عللاً كثيرة ولاسيما في الجملة العصبية . ومن يتصفّح كتاب استاذنا يجد في كل صفحة ان الزُّهري علّة لتلك العلّة ، ولو اختلف نوعها وموقعها من الجهاز العصبي . لكنّا نبرّر بعضها من بعض مما اتهم به ، ولو بصورة التقليل ، كالبرداء في الالتهابات العصبية . ومؤلّفنا نفسه سجّل للبرداء انها افضل معالجة لشرّ الالتهابات العصبية .

وبعد تسطير الثناء ايضاً على الصوَر الوهّاجة التي تخللت المواد ، وعلى المعجم المفيد الموضوع في نهاية المؤلّف ، نستأذن حضرة الاخ بذكر بعض ملاحظات :

نشكر له اثباته بعض الاوضاع لموافقتها ، فضلاً عن شيوعها ، كالبرداء لما هو الملاريا (البرديّة) والزحار للدوسنطاريا ، وادخاله بعض مصطلحات جديدة كالتصنيع لـ orthopédie .

وكنا نودّ لو اعتمد حضرته اطباء العرب (ابن بطلان) ، وجمعية الاطباء

والصيادلة والعامة في ايامنا في استعمال الخناق للفظة على الصورة الطليانية : دفتيريا ، ولو قال: الشلل « الخناقيّ » بدلًا من الشلل « الدفتيرياني »

ونسأل الزميل لماذا آثر استعمال: عرق الورك لما هو علمياً وعملياً مُسمّى عرق النسا ؛ ولماذا يكتب بالقاف : الدقتور وشارقو وقلود وهذه كلها تُلفظ في أصلها بما يوازي الكاف ، ونكتبه عربياً: الدكتور وشاركو وكلود.

وكتّابنا قد تعوّدوا ان يستخدموا لفظة: الكحول ، الامراض العفنيّة ، الجهاز العصبي ، ونحن نرى الاستاذ يستبدلها كاتباً: النول ، والامراض الانتانية والجملة العصبية. ولعلّه فضّل هكذا ترجمة système وترك جهاز لكلمة appareil والمالطيّون ، قُل الانكليز ، قد احتجوا رسمياً على التسمية: الحمّى المالطية لهذا الداء دائهم fièvre de Malte ، افلا يظنّ الاخ انه اذا قرأ الافرنج عبارته الواردة بالمئات : الداء الافرنجي(syphilis) احتجوا وهاجت اعصابهم: فعلى مَ لا يعبّر عنه كما هو مألوف بكلمة: زهريّ ذلك مع اعترافي الصريح كما في كتابي: « الطبّ والصحة في التوراة » ان الزهري حديثٌ بيننا ، وان في الكتاب المقدس قد تكرّر ذكر داء السيلان (التعقيبة) واهواله وتحذيره والطاعون والتيفوس الخ ولم نعثر قط على ما يُشير الى وجود الزهريّ اذ ذاك.

واذا أذن الاستاذ اقترحنا عليه الترجمة الآتية باعتبار المعنى قبل اللفظ :

ملاشاة السمّ	neutraliser le poison	في مقام تعادل السمّ
المصل العديد القوى او المفاعيل	polyvalent	« العديد التعادل
الشلل المضطرب	paralysie agitante	« الشلل المتهيّج
الشلل المزداد او المتصاعد	paralysie progressive	« الشلل المترقي
التشنجات المتصلبة	toniques	« التشنجات المقوّية
حفظ المصل في نفّاخات (ا. اليازجي)	ampoules	« حُوفظ في مجلات

حفظ المصل في الحباحب (مع الصديق صلاح الدين الكواكبي)

ولحضرة الاستاذ الكبير مرشد خاطر بحث في هذا الموضوع ظهر في العدد الاخير من مجلته ، وردت فيه آراؤه الناضجة.

ومعاذ الله ان افتح هنا باب النقد اللغوي كأن نأخذ على الزميل: « تراوح»

المرض بين الشدّة والخفة ، وتراوح لا يُسند الا الى اثنين ؛ والصحيح يراوح: (ا. اليازجي) ؛ وانعدام (ولم يُذكر في أقرب الموارد التي قد يستشهد به الاخ) بمعنى فقدان ؛ وتوضعت الحُمّة اي استقرّت ؛ والبرهة للوقت القصير وهي لا تعني بتةً: هنيهة.وغيره كثير.«فمن في ذلك منا بلا خطيئة فليرجمه بحجر» ؛ واما انا فاني ارجم الكاتب بوردة لانه لو تعمّق وتقيّد تقيداً اعمى بما قاله الاعرابي وراء الابل في البادية من ١٥٠٠ سنة ، لعجز حتماً عن ادراك العلوم المفيدة والمعارف العصرية العجيبة على تنوّعها وسعتها وراء باستور واديسون ورنتجن والسيدة كوري ومركوني.

وبعد كل ما تقدم ، وكلّ ما لم يُقل ، حرمةً لضيق المقام ، فنتمنى ان يعطينا الاستاذ سبح كلّ ما وعد ، وكلّ ما لنا فيه من أمل ؛ وان يكون حظّ اللغة العربية به أوفر من حظها بالاستاذ المرحوم دي برُن الذي وقف لخمسين سنة خلت عند الجزء الاول (امراض الجهاز التنفسي) من «خلاصته الطبية» .

اخي الاستاذ ، سِرْ في خطتك على توفيق الله. فان لنا من علمك وعملك وعمرك ولغتك ووطنيتك ومحيطك ودعاء اخوانك ، ما يقوّيك على المصاعب ، ويحقّق الآمال بك ويخلّد اسمك وفضلك في أمتك !

الحكيم امين الجميّل

الهدى

نشره عن مخطوط الواتيكان رقم ١٢٢ المنسوخ سنة ١٧١٣ للاسكندر (١٤٠٢ م)

الاخ بطرس تامر فهد العشقوتي

٤٠٩ من ، المطبعة المارونية ، حلب ، ١٩٣٥

برز هذا السفر الجليل الذي كان يتوق الى الوقوف عليه جمهور الادباء والكتبة شرقيين ومستشرقين . وهو يُحصى من أقدم الآثار وأثمن المصاحف التي أبقتها يد الزمان لما تضمّنه من القواعد الدينيّة ، والدساتير الرسولية ، وقوانين المجامع الاقليميّة والمسكونيّة ، وسُنن قسطنطين ، وثاودوسيوس ، ولاون ،

ملوك قسطنطينية ، منذ اوائل النصرانية حتى القرن السابع . وقد قابله الناشر الهمام على أربعة مخطوطات ، غير المخطوطة الفاتيكانية القديمة ، وأشار الى الفروق في الهوامش .

وكان جامع هذه الدساتير او مؤلفها قد أثبتها برمّتها بلغته السريانية في عهد لا يعرف تاريخه ، حتى جاء داود المطران ، فنقلها الى العربية عام ١٣٧٠ للاسكندر اليوناني ، الموافق للعام ١٠٥٩ المسيحيّ .

وقد رأينا ان نثبت كلمة عن هذا الدستور القيّم ، في ما خصّ انتسابه الى الطائفة السريانية المارونية الجليلة ، نقتطفها ملخّصةً مما جاء في الكتاب نفسه :

١ً افتتح المترجم كتابه بقوله : « نبتدئ بعون الله ونكتب الرسالة التي وصلت من الاخ المبارك الخيّر مار يوسف الراهب القس الى داود المطران في سنة ١٣٧٠ للاسكندر اليوناني » . فانت ترى انّ هذا العنوان الصريح لا يبرهن ، بل ولا يشير الى ان الراهب يوسف وداود المطران هما سريانيان مارونيّان :

٢ً كتب داود المطران الى يوسف الراهب الجواب بقوله (ص ٦) : « سالتَ . . . ان انقل لك الكتاب المرسوم بكتاب « الكمال » المنسوب الى الاب القديس من اللغة السريانية الى اللغة العربية . . . فاجبتك الى ذلك » . وكتب (ص ١) : « اذا ذكرتُ هذا الكلام لسيدنا الاب القديس جعل الله المذهب ببقائه وزيّن الشريعة والعالم بدوام ايامه » . فيستفاد من ذلك ان هذا الاب القديس كان في قيد الحياة عندما ترجم داود المطران كتابه هذا المدعوّ « الكمال » . ولكن مَن هو هذا الاب القديس ؟ وما هو هذا كتاب « الكمال » ؟ ذلك سرّ يجهله الى يومنا الباحثون ، والمؤرخون المدققون ، والمتعمقون في درس آثار الكنائس الشرقية واخبار ادبائها . على ان نصّ كتاب « الكمال » يشتمل على مواضيع (ص ١٣–١٤) لم يثبتها داود المطران في هذا الكتاب (الهدى) كقوله مثلاً : « قوانين المعاملات والتجارات وجميع المعايش واسباب الودائع والاجارات والعارية الخ » .

٣ً قال داود المطران (ص ١٤—١٥) : « ثم نقلت الجميع منه من لسان السرياني الى لسان العربي ... ليكون هذا الكتاب موجود باللغتين السريانية والعربية ووسمته باللغة السريانية « ܐܡܘܢܐ ܡܪܝܐ » وباللغة العربية « بالمرشد »

فيتضح من قولـه هذا ان عنوان الكتاب هو ܐܡܘܢܐ ܡܪܝܐ اي الهادي او المرشد وليس « الهدى » . وقد أطلق عليه الناسخ (ص ٤٠٦) عنواناً آخر فسماه « كتاب الناموس »

٤ً لسنا نرى ان « داود المطران » مترجم الكتاب كان مطراناً والا لقال صريحاً « المطران داود » لا « داود المطران » واثبت اسم ابرشيته كألوف العادة البيعية المشهورة ، خصوصاً عند السريان ، كقولهم مثلاً ܕܘܝܕ ܡܛܪܢܐ ܕܕܡܫܩ داود مطران دمشق الخ .

٥ً نرجح ان كتاب « الهادي » يخصّ الطائفتين المارونية والملكية معاً . وقد اثبت هـذه الحقيقة المترجم عينه ، فانه بعدما عدّد فرق الاريوسيّة والنسطورية واليعقوبية الخ . قال (ص٣٨) : « على ان الفرقتين الملكية والمارونية التي [اللتين] ذكرناهما انما هما فرقة واحدة » . ثم قال (ص ٤٤) : « فاما فرقة الملكية والمارونية فادّعت (بالمفرد لا بالمثنى) بان المسيح بعـد الاتحاد يوصف بانه جوهران » فقوله فرقة يدلُّ به على ان الطائفتين طائفة واحدة ، في نظره ، وقد كانت كنائس الفرقة الملكية والمارونية في حلب ومنبج والرها وغيرها كنيسة واحدة حتى القرن الثامن ، كما اثبت المؤرّخون المعاصرون .

ومما يعزّز برهاننا هـذا ان المترجم ذكر الروم مراراً شتى وصرّح بانهم مخالفون له في بعض العـادات . فقال مثلاً (ص ٥٦) : « الى ان صار اكثر النصارى وهم كافة الروم والارمن » . واستطرد (ص ٥٨) : « فاما الروم ومن يجري مجراهم من الارمن ومن الافرنج وغيرهم » . وقال (ص ٦٧) : « على رأي كافة النصارى ما خلا الروم ومن كان على رأيهم من الملكية » . فأيد بقوله هذا ان الملكية لم يكونوا باجمعهم ، تابعين مقالة الروم والارمن .

ثم قال (ص ٩١) : « اختلفت اراء النصارى في اخذ القربان . فرأت الروم ان تقريبه في كل يوم واجب ... فاما الارمن فـانهم لا يرون تقريبه بالجملة

الا في اوقات مخصوصة مثل الخميس الكبير ... فاما اكثر السريان وهم اهل مذهبنا... فرأيهم ان المواظبة على اخذه في جميع الاوقات أولى من تركه حتى ان اهل مذهبنا رأوا انه ان امكن الانسان الا يذهب يوم واحد الا وياخذ فيه الجسد كيفما قدر عليه وحيثما قدر عليه كان اولى واحرى ». واستتلى (ص ٩٩) : « فيجب بذلك ان نواظب على اخذه ونجتهد فيه ولا نقطع انفسنا من الدنوّ اليه والقرب منه. لننال بذلك ما نؤمله ويجوز به ما نرجوه من الخلود في ملكوت السماء التي لا فناء لها ولا زوال ».

ونضيف الى رأينا بان المارونية والملكية كانتا امة واحدة ان صاحب كتاب « الهادي » اثبت (ص ١١٠) كيفية العماد على نوعين اعني بصبّ الماء على رأس الطفل ثلاث مرات كما هو جارٍ عند السريان، او بتغطيسه ثلث غطسات كما هو جارٍ عند الملكيين.

ثم كتب في الصوم (ص ١٤٨) ما نصه : « فقالت الروم اذا كان سيدنا ومتولي خلاصنا صام اربعين يوم واربعين ليلة لم يفضل فيها صوم النهار على صوم الليل ... » واستتلى (ص ١٥٠) : « فثبتت الروم ومن والاهم ورأى ارايهم من الجرجان والابكار (والبلغار) وغيرهم على الرأي الذي رأوه ... وثبت باقية النصارى على الرأي الصحيح الذي أسسه أوائلهم ولم يغيّروا منه شيئاً الى يومنا هذا ».

هذا بعض ما لفت نظرنا حين مطالعتنا هذا الاثر النفيس . وهو ليس بنقدٍ كافٍ للكتاب لان هذا العمل يتطلّب بحثاً طويلاً. على اننا نكتفي بالاشارة الى ظهوره بالطبع مثنين اطيب الثناء على ما تكلّفه من العناء حضرة ناشره الهمام، الراهب بطرس فهد، الورع، العامل على تخليد آثار السلف . ا. ا.

الصليب في الاسلام

درس مذهبي ادبي تاريخي مقتبس من الاصول الاسلامية بقلم حبيب زيات

١٩٣٥، مطبعة القديس بولس حريصا، ص ١٢ قطع ٨ كبير

في نية المؤلف المتضلّع من تاريخ النصرانية في الشرق ان يباشر، في الاجل

القريب ، نشر بعض صفحات وفصول في تاريخ النصرانية في الاسلام . وقد استعد للقيام بمهمته فزار المكاتب الكبرى في الشرق والغرب ، وطالع المخطوطات القديمة ، واخذ عنها معلومات نادرة سردها في سلسلة فصول هذا الكتاب ، وهو الفاتحة لما سيأتي بعده . وقد يتوسم القارئ خيراً للمستقبل من عنوان الحاضر ، ويعجب بسعة اطلاع المؤلف وتدقيقه في اثبات المصادر ونقدها .

الصليب في الاسلام ! ان مجاورة اللفظتين تثير الرغبة في تصفح الكتاب لمعرفة الصلة بين الاسلام والصليب ، ولا صلة حقيقية بينهما الا التي اتخذها المؤلف سلكاً يضمّ اليه اخباراً وملاحظات سوف يقدرها القارئ حق قدرها اذا ما طالع التاريخ الموعود به . وقد اهدت ادارة مجلة المسرة الكتاب الى قرائها وهو الحلقة السادسة من هداياها ، وجزء من «الوثائق لدرس تاريخ البطريركيات الملكية» ، فلها الشكر . ف . ت .

الادب العربي في آثار اعلامه

الجزء الثاني : العصر العباسي

نصوص انتخبها خليل تقي الدين ، وفؤاد افرام البستاني ، وواصف بارودي

٤٥٥ ص . متوسطة – المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ١٩٣٥ – الثمن : ١٥٠ غ . ل . س .

منذ طلعت علينا البكلوريا اللبنانية والجهود متواصلة في ترقية الآداب العربية ، وجعلها في مصافّ الآداب الاجنبية التي تدرّس في لبنان فهي التي ساهمت في احداث تلك الموجة الادبية التي تجتاح لبنان اليوم ، وهي التي استحثت الادباء افراداً وجماعات الى صدار تآليف ادبية عديده مذيّل معظمها بالجملة : «وضع حسب منهاج البكلوريا اللبنانية» ، وهو قول يثبت ان الباعث الاول للتأليف ، عند هؤلاء ، انما هو البكلوريا اللبنانية . فهي ، وان كانت لا تشكر دائماً على ما اثارت من اقلام واحدثت من تآليف ، تستنهضنا الى اعتبارها ، لانها ايقظت روحاً ، لم تكتمل بعد ، على انها روح نعرف فيها انفسنا ، وهي معرفة كنّا اخطأناها لولاها ولولا عدد من الجهود الموفقة قام بها البعض من رجالات لبنان وادبائه . وليس ما يغتفر جناية البكلوريا على الادب العربي ، يومَ ايقظت «العنداري»

للتأليف في الادب والفلسفة الا بعض منشورات تقوم بها نخبة صالحة من رجال الادب والفن نعترف لها بكل يد بيضاء على الناشئة خاصة والادب عامة. وما كان اصحاب « الادب العربي في آثار اعلامه » الا من هذه النخبة الصالحة.

وليس من شك في العناية الظاهرة في هذا الكتاب المفيد. كما اني لا اعرف كتاباً في العربيّة كلها يجمع لبشار، وابن الرومي، وأبي نواس، والجاحظ، وبديع الزمان الهمذاني، وغيرهم من شعراء العصور العباسيّة وكتّابها ما جمعته لهم هذه المختارات. ونظرة واحدة سريعة على مقدمات المنتخبات، تلك المقدمات الصغيرة، الجمة الفائدة، وعلى الذيول والحواشي الكثيرة تكفي لندرك جهود اصحابه واطلاعهم الوافر. وهو ما تحققناه كذلك في الجزء الاول (المشرق ٣٢ [٩٣٤] ٦٣٦).

ونحن نرى في هذه السلسلة التي تعدّها المعارف بعناية الاساتذة الثلاثة خيراً جزيلاً للطلّاب الذين تعوّدوا الاستيعاب والحفظ دون ما برهان او اثبات. وعذرهم كبير في مسلكهم هذا، لأن جلّ ما كان يتصل اليهم بعض آراء استقاها استاذهم من هنا وهناك، وضمّ اليها رأياً شخصياً لم يكن في غالب الاحيان الّا رأي الاكثريّة. اما الآن، وقد باتت هذه المجموعة بين ايديهم يعودون اليها ساعة يرغبون، فاصبحنا نظنّهم يقلعون عن طريقتهم القديمة، واصبح بمقدورهم ان يضعوا على محكّ النقد الآراء التي يسمعون فيما بينها رأي استاذهم الكريم. فكل رأي لا تقيّده الشواهد والاثباتات مرذول بنظرهم، وانّى لهم، في سبيل الاستشهاد، بمجموعة من الشعر والنثر اكبر واصدق من هذه التي تضعها اليوم مديرية المعارف بين ايديهم!

فعسى ان يعود هذا الكتاب بالمنفعة المتوخّاة على الطلبة والتلاميذ والأساتذة، فتنشط المعارف الى انجاز مهمتها الكبيرة، فتتمّ علينا هذه السلسلة الكثيرة الفوائد. ونودّ لو ان المعارف تؤلّف اللجان القديرة في كل فرع من فروع العلم والادب لاصدار منشورات تتفق ونزعاتها اللبنانية الشريفة، فتتسع الفائدة على طلّابها، وتكون هذه المنشورات الادبيّة القليلة طالعة عهد جديد في حياتنا العلميّة وحياة المعارف اللبنانية. والله المجيب.

ا. ح.

المعجم الفلكي

تأليف الفريق امين فهد المعلوف

١٤٤ ص. متوسطة صغيرة مطبعة – دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٣٥

لصاحب الكتاب يد طيّبة عند جميع المشتغلين بالعلوم الطبيعية في لغتنا ، فمن « معجم الحيوان » الى « المعجم الفلكي » سبيل واسع عمل على تمهيده فاستحقّ الشكر والاعجاب كل ذلك الى بساطة في العرض، وسلاسة في المأخذ، وامانة في ردّ الفوائد الى مصادرها لا يتّصف بها الّا العلماء المخلصون، وما اقلّهم عندنا ! كان المؤلف قد نشر، منذ بضع سنوات، في « مجلة المجمع العلمي العربي » الدمشقي اسماء بعض النجوم بالانكليزية وما يقابلها بالعربية، ثم اتاحت له الاحوال ان عرض هذه اللائحة على بعض الاختصاصيين ، فزاد ، ودقّق ، واصلح ، حتى تولّد هذا المعجم اللطيف يستفيد منه لا الفلكيون فقط ، بل كلّ اديب تعرض له اسماء النجوم في مطالعاته العربية فيودّ ان يعرف ماهيّتها وموقعها ، وما تدعى به باللغات الاجنبية . هذا والمؤلّف عارف قدر عمله معرفةً تامّة ، لا ينقص منها التواضع الزائف، ولا يطوّح بها الغرور ، على نحو ما قال في ختام مقدّمته : « هذا مؤلّف صغير ولكنه مبتكر في العربية لم ينسج على منواله قبلًا فلا غرو اذا كثر الخطأ والنقص فيه . » قلنا : امّا الاخطاء والنواقص فاننا نترك تداركها لارباب هذا الفنّ ، وامّا الابتكار فان بامكاننا ان نتحقّقه ونهنئ به المؤلّف

ف . ا . ب .

خصائص اللغة العربية

تأليف حبيب غزاله بك

٢٢ ص. متوسطة – المطبعة المصرية ، مصر ، ١٩٣٥

شاء مؤلّف الكرّاس ان يجعله « بحثاً في اللغة العربية الفصحى والعامية ، وما يقابل خصائص الفصحى في غيرها من اللغات »، فلم تكن مشيئته، إمّا لقلّة الموادّ واما للرغبة في الاختصار ، فاكتفى بجمع معلومات في خصائص العربية منها ما يختصّ باللغة نفسها ، ومنها ما يتعلّق بالبديع ، ومنها ما يتصل بالحروف

بيد انها كلها تظهر بحاجة الى حسن ترتيب ، وضبط تأليف ، وتحفّظ في الاستقراء والاستنتاج ، وعرض على « ما يقابلها في غيرها من اللغات » ، كما ذكر . ولعلّ من غرائب المبالغة في اعلاء شأن لغتنا « سيّدة اللغات » قول المؤلف : « ومن محاسنها تصويرها لأحوال النفس تصويرًا دقيقاً بليغاً » (ص ٢٠) ، وكلنا يشعر بعجزها عن التحليلات النفسية ! ثم استشهاده بفوستاف لوبون ، ولم يبقَ من يجهل اليوم غرور هذا المتصدّي للاستشراق ، ونقله لقول بوركهارت : « انه مع كثرة اللهجات في اللغة العربية يتيسّر لمن يعرف لغة واحدة منها ان يفهم سائر اللهجات . . . » (ص ٢٤) حتى لقد حزنا ، بايّ امر نأخذ : بقول الرحّالة الشهير فنؤمن انّ بامكاننا ، ونحن نعرف اللهجة اللبنانية والسورية ، ان نفهم اللهجة المراكشية والحجازية واليمنية ، أم بالأمر الواقع وهو عجزنا حتى عن فهم اللهجة العراقية ! ولكنّ للمؤلف عذرًا في حبّه للغته وغيرته عليها ، « والله وليّ الهداية والتوفيق الى ما فيه اعلاء كلمة الادب ورفع منار لغة العرب » (ص ٣٢) . ف . ا . ب .

مآثر نابوليون بونابرت

تأليف حبيب غزاله بك

١٥ ص . متوسطة — المطبعة المصرية ، مصر ١٩٣٥

وهذا ايضاً كرّاس للمؤلف نفسه ، ولكنه في التاريخ ، وفي ناحية خاصة منه : مآثر نابوليون بونابرت . جرى فيه على اسلوب موجز جامع ، عارضاً حياة نابوليون السياسية ، فآثره في فرنسة وغيرها من اقطار اوربة ، ففي مصر ، بلد المؤلف . ف . ا . ب .

درجات الحساب الحديث للمدارس الابتدائية : الدرجة الاولى

تأليف منصور برداق

المطبعة الاميركانية ، بيروت — قطع ١٢ كبير ، ٢٦١ ص .

مؤلف الكتاب معروف بالكتب العديدة التي وضعها في العلوم الرياضية . ولائحتها لا تقل عن ١٣ ، ويذكر له قراء مجلة « الكلية » (سابقاً) مقالاته في

علم الفلك . وهو استاذ الرياضيات ، ومدير الدروس الهندسية في الجامعة الاميركية ببيروت ، وعضو جمعيات علمية في الشرق والغرب ، جرى في هذا الكتاب على اسلوب الافرنج في تعليم الحساب صغار الناشئة بتفتيق عقولهم وتلقينهم ضبط الاعمال ، وسرعة التدقيق . وان كتابه وضع للصف الاول والثاني من القسم الابتدائي الاعدادي للشهادات في مختلف البلدان العربية ، وفيه الصور والتمارين والاسئلة المفيدة ، المساعدة على التدريس. ف . ت .

غوردون باشا

بقلم ه . س . جاكسون ، مدير مديرية وادي حلفا سابقاً

تعريب عزيز يوسف عبد المسيح

صدر من جمعية نشر المعارف المسيحية ويطلب من ادارتها ببولاق مصر ، ومن كاتدرائية سانت جورج بالقدس ، ومكتبة السودان ، الخرطوم . قطع ١٢ . كبير ؛ ص ١١٥

ذكرت سنة ١٩٣٣ اصحاب غوردون باشا بمئة سنة مضت على ميلاده في انكلترة ، سنة ١٨٣٣ ، فاتى هذا الكتيب عنواناً لتلك الذكرى . ان حياة غوردون متصلة بتاريخ السعي الانكليزي في الصين ، وفي تركية ، وفي مصر ، وفي السودان ، الى ان قُتل فيها ابّان ثورة المهدي ، فادى موته فرصة لتدخل الانكليز في السودان ، ولم يخرجوا منها بعد .

كان غوردون رجلاً سياسياً ، وكان رجلاً عسكرياً ، وكان رجلاً ادارياً وكان . . . مبشراً انجيلياً او شيئاً اشبه بالمبشر . هذه الملامح بيّنة عليه في ترجمة حياته كما وضعها جاكسون وقد توخى في مؤلفه ان يضع امام القراء وبطانهم مثلاً يُقتدى به في الصلاة ، والتسليم لارادة الله ، وحب الفقراء وغير ذلك من الفضائل .

وحبّذا النصح الداعي الى ممارسة الفضائل ، لولا ان امراً فات المؤلف وهو انه صوّر بطله تصويراً يؤدّي لاعداء الارساليات المسيحية علة ليحتجوا على المرسلين انهم يأتون البلاد بعلة التبشير في الظاهر ، واما في الحقيقة فغايتهم انما تمهيد السبيل للفتح الاستعماري .

ان الموسل المسيحي في البلاد الغير المسيحية قد تلجئه الظروف الى الاستعانة بحماية دولته ليتمتع بالحرية التي يتمتع بها الناس. وان تقض الظروف في تطور الاحوال السياسية بما لم يكن بحسبان المبشرين، فلا لوم عليهم في ذلك، وحياتهم تشهد انهم رجال دين لا سياسة. اما غوردون فكان رجل دين وسياسة، ومعروف ان انكلترة (ص ٨٦) ارسلت غوردون الى السودان تحت ضغط شديد من الراي العام الذي ثار يطلب تدخل حكومته لابطال الرقيق ومحو الحماسة، فارسلته بلا قوة. وبعد وصوله بشهور، ارسلت اليه قوة لتنجده: ولكن النجدة وصلت بعد مقتل غوردون، وكان قد حبس نفسه في الخرطوم، فمات. ودخلت من بعده البلاد السودانية في ظل العلم البريطاني، واقاموا كاتدرائية فخمة تخليداً لذكره (ص ١١٣) ف. ت.

تساعية تتلى قبل عيد الحبل بلا دنس

تأليف الخوري مخائيل غبريل

مطبعة العرائس، بكفيا، قطع ١٦ صغير، ص ٦٤

للسيدة العذراء في بيت شباب كنائس بنتها اسر تلك البلدة، وتنافست فيها بتكريم البتول الطاهرة، وقد أسعدنا غير مرات بزيارة تلك الكنائس وخدمة المؤمنين فيها ابان القيام بوظيفتنا في ادارة مدارسها سنة ١٩٢١ و١٩٢٢. اذ ذاك كان الاب الوقور الخوري مخائيل غبريل، مرشد اخوية الحبل بلا دنس في كنيستها الواقعة في وسط البلدة بالقرب من المدارس. والاب مخائيل معروف في عالم الادب والتاريخ بعدة مؤلفات منها تاريخ الكنيسة المارونية، وترجمة التعليم المسيحي للبابا بيوس العاشر وها انه اضاف اليها مؤلفاً جديداً طبعه مصدراً بختم صاحب السيادة المطران بولس عواد، وفيه التمارين والممارسات الروحية الاستعدادية لعيد الحبل بلا دنس كل تمرين يبدأ بتلاوة ثلث المسبحة، وفيه تأمل يلحقه خبر روحي وصلوات، على نسق تمارين الشهر المريمي، وهذه التمارين وضعت لتسعة ايام. وقد انجلت لهجة الكتيب بعبارات التقوى. فكان مساعداً على اغناء العبادة للسيدة الطاهرة. ف. ت.

حوادث وعبر

تأليف دلال خليل صفدي

مرجعيون ١٩٣٥، ص ٧١، قطع ٨

سبق للمشرق تعريف الآنسة ، واضعة هذا الكتاب ، فهي معلمة في احدى المدارس ، لم تكتف ان تبذل تعبها في تلقين الناشئة مبادي العلم والادب ضمن منطقة مدرستها ، بل ارادت مجاوزة المحيط الذي هي فيه ونشر اقوالها وافكارها في كتيب مراميه بعيدة الاطراف وفيه الفكاهات والعبر، وهو عنوان الجهود والنهضة التي تدفع العقول والايادي الى العمل لا في المدن الكبرى والمعاهد الشهيرة فقط ولكن في سائر انحاء سورية ولبنان ايضاً ت. ت.

الروضة الطبية لعبيدالله بن بختيشوع

مختصر في علم النفس الانسانية لابن العبري

نشرهما القس بولس سباط

٧٣ ص متوسطة – مكتبة ه. فريدريخ وشركاه ، مصر، ١٩٢٧

٦٥ ص. متوسطة – مكتبة ه. فريدريخ وشركاه ، مصر ، ١٩٢٨

تأليفان قديمان مفيدان اولهما في الاصول الطبية العملية اختصره مؤلفه عبيدالله ابن جبريل بن بختيشوع النسطوري († ١٠٥٨) من كتابه المعنون « تذكرة الحاضر وزاد المسافر » تلبيةً لاقتراح ابي الحسن محمد بن علي . وثانيهما في الفلسفة النفسية لغريغوريوس ابي الفرج المعروف بابن العبري اليعقوبي (†١٢٨٦) . وكانا لم يظهرا بالطبع بعد ، فاهتم القس بولس سباط بدرس ما جمع عنهما من مخطوطات ، ونشرهما مع حواش قليلة ، ومقدمة موجزة حتى التقصير ، مستنداً في الاول الى ثلاث مخطوطات من مكتبته ، وفي الثاني الى مخطوطتين من مكتبته نفسها . ومن المفيد ان تُقابل رسالة ابن العبري هذه برسالة ثانية له في الموضوع عينه : « النفس البشرية » نشرها الاب شيخو في المشرق (١ [١٨٩٨]

٧٤٥ . .)، ثم في مجموعة « المقالات الفلسفية القديمة لبعض مشاهير فلاسفة العرب »، بيروت، سنة ١٩١١ (الطبعة الثانية) ف ا. ب

روزنامة سيدة التلة الكنائسية للسنة ١٩٣٦

هي السنة الرابعة والعشرون لهذه الروزنامة الجامعة ، التي ينتظر ظهورها ، في مطلع العام الجديد ، كل من اعتادوا ، من اكليريكيين وعلمانيين ، ان يهتدوا باشاراتها الى التواريخ والاعياد الشرقية والغربية والهجرية ، ويطلعوا بتنبيهاتها على الفروض والاحتفالات الخاصة بالطقس الماروني ، ويستنيروا بحكمها ووصاياها ، ويتفكهوا بنوادرها ونكاتها المستملحة . فيسرنا ان نعلمهم بصدورها حافلةً بكل ما تقدّم ذكره ، وانها تطلب من حضرة مؤلفها الاباتي افرام حنين الديراني الحلبي اللبناني ، في دير القمر ، ومن مخزن الخواجات خليل حنين واولاده في سوق الجميل ، بيروت ، ومن مطبعة الآباء المرسلين في جونية ، ومن اشهر المكاتب

* التأبين الذي القاه ابّان الصلاة على جثمان المرحومة نبيهه كرم الاب انطونيوس شبلي اللبناني * ١٦ ص. متوسطة – مطبعة القديس بولس ، حريصا ، لبنان، ١٩٣٥

* التقرير السنوي الثالث لمشروع انعاش القرى في الجامعة الاميركية في بيروت * ٣٠ ص. متوسطة – المطبعة الاميركانية ، بيروت ، ١٩٣٥

* الروح فوق المادة * تأليف جوزف هوكن ، تعريب تمام داود – المطبعة الاميركانية ، سنة ١٩٣٤ ، قطع ١٢ صغير ، ص ١٧٠

* الاعرج عند الباب الجميل – في طريق الشام – هرب شاول من دمشق * تأليف اليزا انا-وود ، كراريس صغيرة – جمعية نشر المعارف المسيحية ، بولاق، مصر

* قصة عزيزة وعدلي * تأليف فلورنس فرينا تل ، تعريب سنيورة جرجس – جمعية نشر المعارف المسيحية ، بولاق ، مصر ، قطع ١٢ ، ص ١٥٧

* فهرس الكتب المستجدة والمطبوعات النادرة في « مكتبة العرب » لصاحبها الشيخ يوسف توما البستاني * ٥٤ ص. متوسطة – مطبعة العرب للبستاني ، مصر ، ١٩٣٥

فهارس المشرق

للسنة الثالثة والثلاثين

١٩٣٥

فهرس اوّل

لموادّ السنة الثالثة والثلاثين من مجلة المشرق

الجزء ١ (كانون الثاني – آذار) : الثأر عند العرب وصفته الدينية : ١ً ، بقلم الاب لامنس اليسوعي (١ – ٢١) = في الشعر : خواطر ونماذج ، بقلم سعيد عقل (٢١ – ٤٧) = مواسم الحجاز وتسهيلها سبل اللهو في العصر الاموي ، بقلم جبرائيل جبور (٤٥ – ٦٨) = شوقي على المسرح : ٢ً شوقي والتاريخ ، بقلم ادوار حنين (٦٨ – ٩٢) = الامير دي جوانثيل في شمالي لبنان (مصوّرة) : مخطوطة نشرها الاب اغناطيوس طنوس (٩٣–١١٧) = شذرات : دروس الآداب الشرقية في السنة ١٩٣٤ – ١٩٣٥ – علم قراءة القرآن وفهرس مخطوطاته (ف. ت.) – الاصلاح اللغوي في تركية (ف. ت.) – فهارس «صبح الاعشى» للقلقشندي (ف. ت.) (١١٧–١٢٩) = مطبوعات شرقية جديدة : وصف ٣٨ كتاباً باللغات الاوربية ، و١٩ كتاباً باللغة العربية (١٢٩ – ١٦٠)

الجزء ٢ (نيسان – حزيران) : الاعلاق الخطيرة : مخطوطة لعزّ الدين بن شداد (مصوّرة) ، نشرها الاب شارل لودي (١٦١ – ٢٢٤) = بنت يفتاح : مأساة شعرية ذات فصلين ، بقلم سعيد عقل (٢٢٤ – ٢٦٢) = في تاريخ الفقه الاسلامي : ثلاث محاضرات : ١ ، بقلم الدكتور يوسف شخت (٢٦٣ – ٢٧٢) = شوقي على المسرح : ٣ً شوقي والفن ، بقلم ادوار حنين (٢٧٣ – ٢٨١) أثر المتنبي ، بقلم فؤاد افرام البستاني (٢٨١ – ٢٩٨) = مطبوعات شرقية جديدة : وصف ١٤ كتاباً باللغات الاوربية ، و٨ كتب باللغة العربية (٢٩٨–٣٢٠)

الجزء ٣ (تموز — ايلول) : جريدة توزيع مال خراج لبنان الاميري ، في عهد الامير بشير الشهابي ، نشرها المحوري قسطنطين الباشا (٢٢١ – ٢٦١) = في تاريخ الفقه الاسلامي : ثلاث محاضرات : ٢ ، بقلم الدكتور يوسف شخت (٢٦١ – ٢٦٨) = الموشحات الاندلسية ، بقلم بطرس البستاني (٢٦٨ – ٢٨١) = الشعر اللبناني باللغة الفرنسوية ، بقلم سعيد عقل (٢٨١ – ٢٩٤) = شوقي على المسرح : ٤ شوقي والفنّ — نظرات تحليلية « في مصرع كليوباترا » (تتمة) ، بقلم ادوار حنين (٢٩٤ – ٤٢٨) = الثأر عند العرب وصفته الدينية : ٢ ، بقلم الاب لامنس اليسوعي (٤٢٨ – ٤٤٥) شذرات : اغناطيوس غويدي ، المستشرق الايطالي الكبير (١٨٤٤–١٩٣٥) (ف . ت .) (٤٤٥ – ٤٤٩) = مطبوعات شرقية جديدة : وصف ٢٧ كتاباً باللغات الاوربية و٢٣ باللغة العربية (٤٤٩ – ٤٨٠)

الجزء ٤ (تشرين الاول – كانون الاول) : في الطقس الماروني ، بقلم المحوري ميخائيل الرجّي (٤٨١–٥٢٢) = فخر الدين ١٦٣٥–١٩٣٥ : قصيدة (مصوَّرة) ، بقلم سعيد عقل (٥٢٣–٥٢٨) = زيارة الى قلعة المرقب (مصوَّرة) ، بقلم الاب فرديناند توتل اليسوعي (٥٢٨–٥٤٧) = في تاريخ الفقه الاسلامي : ثلاث محاضرات : ٣ ، بقلم الدكتور يوسف شخت (٥٤٧–٥٥٧) = الثأر عند العرب وصفته الدينية : ٣ ، بقلم الاب لامنس اليسوعي (٥٥٧–٥٧٤) = آخر مظهر لسياسة روسية الدينية في الشرق الادنى ١٧٩٥–١٩١٤ ، بقلم الكسيس بوكولوبسكي والاب لوئنك اليسوعي (٥٧٤–٥٨٦) = عزّ الدين بن شدّاد وقيمته التاريخية : نظرة في تاريخ « العواصم » ، بقلم الاب شارل لودي (٥٨٦–٦٠٩) = شذرات : مجلة مجمع اللغة العربية الملكي (الاب توتل اليسوعي) – جريدة توزيع مال خراج لبنان الاميري : ملاحظة بسيطة (نجيب الدحداح) – تنبيه (٦٠٩–٦١٦) = مطبوعات شرقية جديدة : وصف ١٦ كتاباً باللغات الاوربية ، و ٢٢ باللغة العربية (٦١٦–٦٤٠)

فهرس ثانٍ

يحتوي اسماء كتبة المشرق ومقالاتهم

ابن شدّاد (عزّ الدين) : اطلب لودي (الاب شارل)

ابو عز الدين (الدكتور مصطفى) : له وصف مطبوعة ٢٠٣

ارملة (المطران اسحق) : له وصف مطبوعة ٦٢٩

باز (انطوان) : له وصف مطبوعات ٢١٩

الباشا (المطران قسطنطين المخلصي) : جريدة توزيع مال خراج لبنان الاميري في عهد الامير بشير الشهابي (نشر مخطوطة) ٢٢١-٢٦١

البستاني (بطرس) : الموشحات الاندلسية ٢٦٨-٢٨١

البستاني (فؤاد افرام) : اثر المتنبي ٢٨٩-٢٩٨ — وله وصف مطبوعات ١٤٤-١٤٦؛ ١٥٠؛ ١٥٦-١٦٠؛ ٤٥٤-٤٥٧؛ ٤٦٥ - ٤٦٩؛ ٤٧٤-٤٧٦؛ ٤٧٧؛ ٤٧٩؛ ٤٨٠؛ ٦٢٥؛ ٦٢٦؛ ٦٢٩ — وله تعريبات وشذرات متفرقة

بوشون (الاب لوسيان اليسوعي) : له وصف مطبوعات ١٢١-١٢٤

بوكوليوبسكي (الكسيس) آخر مظهر لسياسة روسية الدينية في الشرق الادنى ١٨٩٥-١٩١٤ (راجع لوتنك) ٥٧٤-٥٨٦

توتل (الاب فردينان اليسوعي) : زيارة ال قلعة المرقب ٥٢٨-٥٤٧ — وله شذرات متفرّقة : ١١٩-١٢٩؛ ٤٤٥ - ٤٤٩؛ ٦٠٩-٦١٢ — وله وصف مطبوعات ١٥٢-١٥٦؛ ٢١١؛ ٢١٥-٢١٩؛ ٤٦٩؛ ٤٧٤-٤٧٦؛ ٦٢٢؛ ٦٢٦-٦٢٩

جبّور (جبرائيل) : مواسم الحجاز وتسهيلها سبل اللهو في العصر الاموي ٤٥-٦٨

جميّل (الحكيم امين) : له وصف مطبوعات ١٥١؛ ٢١٣؛ ٦٢٦

حنين (ادوار) : شوقي على المسرح : شوقي والتاريخ ٦٨-٩٢؛ شوقي والفنّ ٢٧٣-٢٨٩ ؛ ٢٩٤-٤١٠ ؛ نظرات تحليلية في « مصرع كليوباترا » ٤١٠-٤٢٨ — وله وصف مطبوعات ٤٧٨؛ ٦٢٢

الدحداح (نجيب سليم) : له شذرة ٦١٢-٦١٤

الرّجي (المطران ميخائيل) : في الطقس الماروني ٤٨١-٥٢٢

روش (الاب يوحنا اليسوعي) : له وصف مطبوعة ١٢٤

روتزفال (الاب سبستيان اليسوعي) : له وصف مطبوعات ١٢٦-١٢١؛ ١٢٨-١٤٤؛ ٢٠١-٢٠٢

شخت (الدكتور يوسف) : في تاريخ الفقه

الاسلامي : ثلاث محاضرات ٢٦٢-٢٧٣ ؛ ٢٦١-٢٦٨؛٥٤٧-٥٥٧؛٦١٤

طنوس (الاب اغناطيوس اللبناني) : الامير دي جوانثيل في شمالي لبنان (نشر مخطوطة) ٦٣-١١٧

عقل (سعيد) : في الشعر : خواطر ونماذج ٢١-٤٥ — بنت يفتاح : مأساة شعرية ذات فصلين ٢٢٤-٢٦٢ — الشعر اللبناني باللغة الفرنسوية ٢٨١-٢٩٤ — فخر الدين (قصيدة) ٥٢٣-٥٣٨

كوسيه (الاب شارل اليسوعي) : له وصف مطبوعة ١٤٩

الكيلاني (مصطفى) : له وصف مطبوعة ١٥٦

لامنس (الاب هنري اليسوعي) : الثأر عند العرب وصفته الدينية ١-٢١؛٤٢٨-٤٤٥؛ ٥٥٧-٥٧٤ — وله وصف مطبوعات ١٤٤؛٢٠٨؛٢٠٦؛٦٢١

لودي (الاب شارل) : الاعلاق الخطيرة لعز الدين ابن شداد (نشر مخطوطة) ١٦١-٢٢٤ — عز الدين بن شداد وقيمته التاريخية ٥٨٦-٦٠٦

لوفنك (الاب جبرائيل اليسوعي) : آخر مظهر لسياسة روسية الدينية في الشرق الادنى ١٨٩٥ — ١٩١٦ (راجع بوكوليوبسكي) ٥٧٤-٥٨٦ — وله وصف مطبوعات ١٢٥-١٢٨؛١٤٦-١٤٩؛ ٢٩٩؛٢١٠؛٤٤٩-٤٥٢؛٤٥٧-٤٦٥؛٦٢٢-٦٢٦

موترد (الاب بولس اليسوعي) : له وصف مطبوعة ٤٥٣

موترد (الاب رينه اليسوعي) : له وصف مطبوعة ١٣١

مونجان (الاب يوسف اليسوعي) : له وصف مطبوعات ٦١٦-٦١٨

نيرون (الاب غرستاف اليسوعي) : له وصف مطبوعة ٦١٨

فهرس ثالث

للمطبوعات التي ورد وصفها في السنة الثالثة والثلاثين المشرق

على ترتيب اسماء مؤلفيها

١ — المطبوعات العربية والسريانية الخ.

ا

ابراهيم (حافظ) : ديوان حافظ ٤٦٨

ابن المجري : مختصر في علم النفس الانسانية . نشر الفس بولس سباط ٦٣٦

ابو شادي (احمد زكي) : فوق العباب ١٥٠

اده (الاب خليل اليسوعي) : الكنيسة او مملكة المسيح عى الارض ١٥٣

ارملة (المنوري اسحق) : اجمل زهرة في حديقة آل ميرا ١٥٣

اسيون (الاخوان الورتيتان جبرائيل وبولس) : رثاؤهما ٢١٦

الاصفهاني (ابو الفرج) : كتاب الاغاني ٦ و٧ ٤٧٦

انا - بود (اليزا) : الاعرج عند الباب الجميل — في طريق الشام — هرب شاول من دمشق ٦٤٠

ب

بارودي (واصف) : اطلب : تقي الدين (خليل)

الباشا (المنوري قسطنطين المخلصي) : سيرة الاب البار بشاره ابي مراد المخلصي ١٥٧، ٢١٧

بايتبردج (وليم سيسن) : معضلة السرطان ، ترجمة يوسف اسكندر حتي ، وشاكر خليل نصار ٢١٣

البستاني (فؤاد افرام) : اطلب تقي الدين (خليل) — والشهابي (الامير حيدر)

البستاني (نجيب يوسف) : اسرار اللاسلكي ٤٧٧

بليل (الشيخ ادمون) : تقويم بكفيا الكبرى وتاريخ اسرها ٤٧٩

ت

التقرير السنوي الثالث لمشروع انماش القرى في الجامعة الاميركية في بيروت ٦٤٠

تقي الدين (خليل) : الادب العربي في آثار اعلامه : الجزء الثاني — بالاشتراك مع فؤاد افرام البستاني ، ووصف بارودي ٦٢٣

تيمور (محمود) : الاطلال ١٥٦

ج

جاكون (م. س.) : غوردون باشا — تعريب عزيز يوسف عبد المسيح ٦٣٧

جرجس (شيوزة) : اطلب : تل (فلورنس فريا)

جرداق (منصور) : درجات الحساب الحديث للمدارس الابتدائية : الدرجة الاولى ٦٣٦

جمعية اصدقاء الاشجار في لبنان : تقريرها ٤٨٠

جمعية القديس منصور دي بول في بيروت : خلاصة اعمالها عن سنة ١٩٣٤ ٤٨٠

جمعية القديس منصور دي بول في دمشق : تقرير عن اعمالها في السنة ١٩٣٤ ٤٨٠

الجناوي (انطون) : اطلب : الفصيح (هاشم)

جول (اسماعيل) : اليزيدية قديماً وحديثاً ،

نشرها قسطنطين زريق ١٥٤
جيد (اندره) : الملك اوديب ، تعريب الشيخ حبيب البازجي ١٥٩

ح

حبيقة (المطران اسطفان بطرس) : مآثر عريضه : ٣ ١٥٨
حتي (يوسف اسكندر) راجع : بايبردج (وليم سيمن)
الحداد (المطران يوسف) : النجوى ٤٧٤ .
حنين (الاباتي افرام) : روزنامة سيدة التلة الكنائسية للسنة ١٩٣٦ ٦٤٠

خ

خالدي (الدكتور مصطفى) : على عتبة الامومة ١٥١

د

دائرة المعارف الاسلامية : المجلد الاول : ٨و٩ ١٥٦ : ١٠ ، المجلد الثاني : ١ و٢ ٤٦٥
داود (غام) : اطلب : هوكن (جوزف)
داود المطران : كتاب الهدى ، نشره الاخ بطرس تامر فهد المشقوقي ٦٣٦ .

ر

رستم (اسد) : اطلب : الشهابي (الامير حيدر)

ز

الزركشي (بدر الدين) : لقطة العجلان ، شرح جمال الدين القاسمي الدمشقي ١٥٨
زريق (قسطنطين) : راجع : جرل (اسماعيل)
زكريا (احمد وصفي) : جولة اثرية في بعض البلاد الشامية ٢١٧
زيات (حبيب) : الصليب في الاسلام ٦٣٣

س

سباط (القس بولس) : راجع : ابن العبري ، وعبدالله بن بختيشوع
سبح (حسني) : علم الامراض الباطنة : امراض الجملة العصبية ٦٣٦
السبتي (عبدالله) : تحت راية الحق في الرد على الجزء الاول من فجر الاسلام ٤٧٣
سعيد (امين) : ايام بغداد ٤٧٤

ش

شبلي (الاب انطونيوس) : تأبين ٦٤٠
الشروني (توفيق حسن نادر) : الحكيم وساس ٤٧٨
الشهابي (الامير حيدر) : لبنان في عهد الأمراء الشهابيين ، نشره اسد رستم وفؤاد افرام البستاني ٢١١

ص

صائغ (القس سليمان) : يزداندوخت الشريفة الاربيلية ٤٨٠
صفدي (دلال خليل) : حوادث وعبر ٦٣٩
الصولي (ابو بكر محمد) : كتاب الاوراق : قسم اخبار الشعراء نشره ج . هيورث دن ٤٦٦ — اخبار الراضي والمتقي ٤٦٨

ط

طنوس (الاب اغناطيوس) : البيت الكرمي في اهدن ٤٨٠

ع

عبد المسيح (عزيز يوسف) : راجع : جاكسون (ه . س .)
عبيد الله بن بختيشوع : الروضة الطبية — نشر القس بولس سباط ٦٣٩
عطية الله (احمد) : مكتبة الاطفال الحديثة ٤٧٢
علوش (توفيق) : علم قياس المثلثات المستوية ٢١٩
عوض (جرجس فيلوثاوس والدكتور وسيس جرجس) : المصطلحات العلمية العربية وما يقابلها باللاتينية والانكليزية ٤٧١
عيساني (ليون لورنس) : عمال القلم ١٥٩

غ

غانم (الام ماري روز) : ترجمة حياتها ٤٨٠
غبريل (الخوري مخائيل) : تساعية تُتلى قبل عيد الحبل بلا دنس ٦٣٨
غزاله (حبيب) : خصائص اللغة العربية ٦٢٥ – مآثر نابوليون بونابرت ٦٣٦

ف

فرحات (المطران جرمانوس) : ذكرى يوبيله المئوي الثاني ٤٧٥
الفصيح (هاشم) : علم الطبيعة : في الكهرباء بالاشتراك مع توفيق المنجد وانطون الجناوي ٢١١
فكري (علي) : الانسان ١٥٥
فهد (الاخ بطرس تامر المشقوقي) : راجع : داود المطران

ق

القاسمي (جمال الدين) : راجع : الزركشي (بدر الدين)
القوة بالاتحاد ١٦٠

ك

كبراني (ميلاد) : اسرار الطفولة وخفايا الشباب ٤٧٥
الكنيسة وما هي ٢١٥
الكيلاني (كامل) : قصص علمية للاطفال : ١ النحلة العاملة ١٥٧

م

مجلة مجمع اللغة العربية الملكي ٦٠٩–٦١٢
المعلوف (امين فهد) : المعجم الفلكي ٦٢٥
المنجد (توفيق) : راجع : الفصيح (هاشم)
مكتبة سعد بمصر ومطبعتها : قائمة كتبها للسنة ١٩٣٣ ١٦٠
مكتبة العرب : فهرس الكتب المستجدة والمطبوعات النادرة فيها للسنة ١٩٣٥
مكتبة لويس سركيس : لائحة كتبها للسنة ١٩٣٥ ١٦٠
مكتبة الهلال : قائمة كتبها العمومية للسنة ١٩٣٣–١٩٣٤ ١٦٠

ن

نتل (فلورنس فريا) : قصة عزيزة وعدلي – تعريب سنيورة جرجس ٦٤٠
نصار (شاكر خليل) : راجع : باينبردج (وليم تيمن)
نيلسن (الفرد) : كلمة سواء ٤٦٩

هـ

الهلال : تقويمه للسنة ١٩٣٥ ١٦٠
هوكن (جوزف) : الروح فوق المادة – تعريب تمام داود ٦٤٠
هيورث دن (ج.) : اطلب : الصولي (ابو بكر محمد)

ي

اليازجي (الشيخ حبيب) : راجع : جيد (اندره)

٢ – المطبوعات الأوربية

Alt (A)..., Festschrift Otto Procksch. (142)
L'art italien. (624)
Asin Palacios (Miguel), cf. Ibn Al-'Arif.
Athaydo (Tristan d'), Fragments de sociologie chrétienne, trad. de Jean Durian et Georges Rhodors. (298)
Baudiment (Louis), François Pallu, principal fondateur de la Société des Missions Etrangères, 1626-1684. (136)
Baudot et Chaussin, o. s. b., Vie des Saints et des Bienheureux selon l'ordre du calendrier, t. I. (451)
Benedetti (Ivo), Ordo judicialis processus canonici instruendi. (617)
Bernoville (G.), Les Jésuites. (453)
Bremond (Général), Marins à Chameau. Les Allemands en Arabie,

1915-1916. (309)
Bretonnet (Pierre-Marie). Le chanoine Maugou et la première communauté sacerdotale de Larchant. (451)
Brillant (Maurice). Le village de la Vierge. Nazareth. (299)

Cajetani (Thomae de Vio), o. p., In De Ente et Essentia D. Thomae Aquinatis commentaria cura et studio P. M-H. Laurent. (618)
Carbone, Circulus philosophicus seu objectionum cumulata collectio juxta methodum scolasticam. t. I. (450)
Caumartin (Jean). Les principales sources de documentation statistique. (462)
Chabot (J. B.). Littérature syriaque. (454)
Chanson (Paul) cf. Suhard (Mgr).
Chaussin cf. Baudot.
Cherel (A.). Fénelon ou la religion du pur amour. (452)
Chesnelong (Charles), L'avènement de la République, 1873-75. (148)
Chiha (Michel). La Maison des Champs. (381-394)
Chrétien (Henri). Les méthodes de prévision du temps à courte et à longue échéance. (149)
Clercq (Abbé C. de). Les Eglises unies d'Orient. (450)
Colin (Gaston). Xénophon historien d'après le livre II des Helléniques (460)
Colin (G.), cf. Renaud (H. P. J.).
Contenau (Dr G.). Monuments mésopotamiens nouvellement acquis ou peu connus. (140)
Corm (Charles). La Montagne Inspirée. (381-394)

Dabin (Paul). s. j., cf. Suhard (Mgr).
Despois (Jean). Le Djebel Nefousa. (458)
Diringer (David). Le Iscrizioni antico-ebraiche palestinesi. (140)
Dombrowski-Ramsay (N.). Injustices, révolutions, guerres. (310)
Dossiers de la coopération intellectuelle. L'adoption universelle des caractères latins. (148)
Ducati (Pericle). La Scultura Etrusca. (301)
Durlan (Jean), cf. Athaydo (Tristan d').

Ebersolt (J.), Monuments d'architecture byzantine. (131)

Faguet (E.), Histoire de la poésie française de la Renaissance au Romantisme, VII, Voltaire. (149)
Fausti (Giovanni), s. j., L'Islam nella luce del pensiero cattolico. (144)
Francez (J.), s. j., Un pseudo-linceul du Christ. (620)

Gabrieli (Francesco), Il califfato di Hishām. (621)
Gellert (J. F.) und Lorenz (H.). Die Innenkolonisation Schwarzmeerbulgariens. (457)
Goblet (J. M.). Le crépuscule des traités. (147)
Gonnard (René), Histoire des doctrines monétaires dans ses rapports avec l'histoire des monnaies, t. I. (461)
Granmaison (Léonce de), s. j., Ecrits spirituels, II, Retraites. (138)
Grousset (R.), Histoire des Croisades et du Royaume Franc de Jérusalem. t. I. (146) — t. II. (623)
Guido Micheli : Maroc, Algérie, Tunisie. (459)

Hommage à Alexis Petrovics. (143)

Ibn al-'Arīf, Maḥāsin al-Majālis. Publié et trad. par Miguel Asin Palacios. (454)
Islamica, VI, 1934, 4e fasc. (308)

Jullieaux, s. j., Sermons et Discours. (301)

Klat (Hector). Le Cèdre et les Lys. (381-394)
Kortleitner (Fr. X.). o. p., Sacrae litterae docentne creationem universi ex nihilo. (449)

Lagier (Mgr), L'Orient Chrétien, des Apôtres jusqu'à Photius. (614)
Lagrange (R.P.), son œuvre exégétique et historique. (449)
Laurent (P. M.-H.), cf. Cajetani
Lavallière (Eve). Ma conversion. (300)
Lazarevski (Vladimir). La Russie sous l'uniforme bolchévique. (310)
Le Fur (Louis). cf. Suhard (Mgr).
Lercher (L.), s. j., Institutiones theologiae dogmaticae, vol. II, III, IV. (137)

Lesourd (E.), Lectures historiques 1789-1848. (460)
Lévy (Roger). Extrême-Orient et Pacifique. (625)
Licari (Mgr Natale). Grandeurs mariales étudiées dans l'Ave Maria. (139)
Lorenz (H.), cf. Geltert (J. F.).

Maes (Pierre). Un ami de Stendhal. Victor Jacquemont, d'après des documents inédits. (163)
Mamour (P. H.). Polemics on the Origin of the Fatimi Caliphs. (309)
Massé (Henri). Firdousi et l'épopée nationale. (456)
Merklen (Léon), cf. Suhard (Mgr).
Milkor (Fritz). Geschichte der Bibliotheken im alten Orient. (138)
Mohammed (Soualah). L'Islam et l'évolution de la culture arabe depuis l'Antiquité jusqu'à nos jours. (144)
Muller (Henri). Tuti-Namch ou les contes du perroquet. (146)

Naor (Menahem). Cours pratique de langue hébraïque. (153)
Neumann (Robert). Sir Basil Zaharoff, le roi des armes. (624)

Paré (Louis). s. j.. L'Eucharistie vie de nos âmes. (131)
Pareja Casañas (Felix M.). Libro del Ajedrez de sus problemas y sutilezas. (455)
Petit annuaire statistique de la Pologne. IVe année. 1935. (459)
Petrovics (Alexis), cf. Hommage...
Pradel (Henri). Les devoirs de vacances des Parents. (464)
Prado (Germanus), o. s. b., Devotionale pii clerici et religiosi. (619)
Press (Jessias), Neues Palästinahandbuch. Führer durch Palästina. (622)
Procksch (Otto), cf. Alt (A.).

Raeders (Georges), cf. Athayde (Tristan d')
Renaud (H. P. J.) et Colin (G.). Tuhfat al-Alibb. Glossaire de la matière médicale marocaine. (145)
Répertoire pratique de droit civil et ecclésiastique, t. II. (618)

Sbath (P. Paul), cf. Yohanna ben Massawaih.
Schepers (Haasjulius). Japans Seefischerei. (625)
Schneider (Alfons M.). Die Brotvermehrungskirche von Et-tâbga am Genesarethsee. (129)
Simon (P. Hadrianus), c. ss. r., Praelectiones biblicae ad usum scholarum. Vetus Testamentum, t. I. (299)
Soloviev (Vladimir). Les fondements spirituels de la vie. (133)
Suhard (Mgr). P. Léon Merklen. A. A., M. Paul Chanson, M. Louis Le Fur, Mgr Vanneufville. P. Paul Dabin. s. j.. La continuité pontificale. (621)

Ter Haar (Fr.), c. ss r., Casus conscientiae de praecipuis hujus aetatis occasionibus peccandi. (616)
Thalès, recueil annuel des travaux de l'Institut d'histoire des sciences et des techniques de l'Université de Paris. (462)
Tjane (Elie). Le Château Merveilleux. (381-394)

Vallery-Radot (Robert), Dictature de la Maçonnerie. (461)
Vanneufville (Mgr), cf. Suhard (Mgr).
Vincent (Jacqueline), Rosie et l'amour. (464)
Visser (W. J. A.). Die Entwicklung des Christusbildes in der frühbyzantinischen Zeit. (129)

Walker (John). Folk Medecine in modern Egypt. (302)
Waltz (Pierre). Le monde égéen avant les Grecs. (141)
Woulesse (J.), L'Afrique noire, précédée d'une vue d'ensemble sur le continent africain. (458)
Wilenètchik (J. S.). Le problème de l'orthographe dans les pays de langue arabe. (307)

Yohanna ben Massawaih, Les axiomes médicaux, publiés par le P. Paul Sbath. (145)

Zell (Thoma Villanova Gerster A.). Jus religiosorum in compendium redactum pro juvenibus religiosis. (617)
Zeitschrift für Rassenkunde und ihre Nachbargebiete, unter Mitwirkung von X. Y. Z. herausgegeben von Egon Freiherr von Eickstedt, I. (302)

فهرس رابع

لجميع موادّ السنة الثالثة والثلاثين من المشرق

ا

آخر مظهر لسياسة رومية الدينية في الشرق الادنى ٥٧٤–٥٨٦

الآداب الشرقية : منهاج الدروس للسنة ١٩٣٤–١٩٣٥ ١١٧

ابن شدّاد (عزّ الدين) : كتابه « الاعلاق الخطيرة » ١٦١–٢٢٤؛ ٢٢٠ — قيمته التاريخية ٥٨٦–٦٠٩

الاتابك في سورية ، على عهد الصليبيين ٥٩٢

اثر المتنبي ٢٨٩–٢٩٨

ارتاح ٢٠٧

الارز : الامير دي جوانثيل فيه ١٠٦

الاصلاح اللغوي في تركية ١٢٣–١٢٦

الاعلاق الخطيرة لعزّ الدين بن شدّاد ١٦١–٢٢٤؛ ٢٢٠

الاموي (العصر) : اللهو فيه ، في مواسم الحجاز ٤٥–٦٨

الاندلس : الموشحات فيه ٢٦٨–٢٨١

انطاكية : تاريخها ١٧٩–٢٠٢ — هجمات لاون الارمني عليها ٥٩٩–٦٠٧

امدن : الامير دي جوانثيل فيها ١٠٥

ب

البترون ٢٤٨

بشراس (حصن) ٢٠٢

بنت بنتاح : مأساة شعرية ٢٢٤–٢٦٢

بوقا ٢٠٧

البيزنطيون : زحفاتهم على سورية في السنوات ٩٦٥–٩٦٩ ٥٨٦

ت

تركية : الاصلاح اللغوي فيها ١٢٣–١٢٦

التفّاح (اقليم) ٢٢١

تنيه ٦١٤

تيزين ٢٠٧

ث

الثأر عند العرب وصفته الدينية ١–٢١، ٤٢٨–٤٤٤؛ ٥٥٧–٥٧٤

ج

الجبّة ٢٥٥

جبيل ٢٤٦

جريدة توزيع مال خراج لبنان الاميري في عهد الامير بشير الشهابي ٢٢١–٢٦١ — ملاحظة ٦١٣–٦١٤

جزين ٢٢٧

جوانثيل (الامير دي) في شمالي لبنان ٩٣–١١٧

ح

الحجاز : مواسمه وتسهيلها سبل اللهو في العصر الاموي ٤٥–٦٨

الحجّ ومواسمه ٥٨

الحلبيّون : اثرهم في الطقس الماروني ٥١٣

خ

الخرّوب (اقليم) ٢٢٢

خواطر في الشعر ٣١–٤٠

د

درب ساك ٢٠٦

دلوك ٢١١

الدويهي (البطريرك اسطفان) : اثره في اصلاح الطقس الماروني ٤٦٨

ر

رعبان ٣٠٤
روسية : آخر مظهر لسياستها الدينية في الشرق الادنى ٥٧٤-٥٨٦
الروم في سورية ، على عهد الصليبيين ٥٩٤
الريحان (جبل) ٢٢٦

ز

الزارية ٢٥٤
الزحفات البيزنطية على سورية في السنوات ٩٦٥-٩٦٩ ٥٨٦
زيارة الى قلعة المرقب ٥٢٨-٥٤٧

س

سكوت : قصيدة ٤١
السلاجقة في سورية ، على عهد الصليبيين ٥٩٣
سورية : الزحفات البيزنطية عليها من السنة ٩٦٥ الى السنة ٩٦٩ ٥٨٦ — حالتها السياسية على عهد الفتح الصليبي ٥٩٣ — وقائع نور الدين في شمالها ٥٩٥
سياسة روسية الدينية في الشرق الادنى : آخر مظهر لها ٥٧٤-٥٨٦

ش

الشاطئ : قصيدة ٤٤
الشرق الادنى : آخر مظهر لسياسة روسية الدينية فيه ٥٧٤-٥٨٦
الشعر : خواطر ونماذج ٣١-٤٥
الشعر اللبناني باللغة الفرنسوية ٢٨١-٢٩٤
الشهابي (الامير بشير) : توزيع مال لبنان الاميري على عهده ٢٢١-٢٦١؛ ٦١٢-٦١٤
الشوف ٢٢٥
شوقي على المسرح : شوقي والتاريخ : تلخيص رواياته — موقفه من التاريخ ٦٨-٩٣ — شوقي والفن ٢٧٣-٢٨٩؛ ٢٩٤-٤١٠ — نظرات تحليلية في «مصرع كليوباترا» ٤١٠-٤٢٨

ص

صبح الاعشى : فهارسه ١٢٦-١٢٨
الصليبيون : حالة سورية السياسية على عهد فتوحاتهم ٥٩٣

ط

الطائف واللهو فيها ٥٢
طرابلس : الامير دي جوانتيل فيها ١٠١
الطقس الماروني ٤٨١-٥٢٢

ع

العرب : الثأر عندهم وصفته الدينية ١-٣١؛ ٤٢٨-٤٤٤؛ ٥٥٧-٥٧٤ — في سورية على عهد الصليبيين ٥٩٤
العرقوب ٢٢٧
العتيق وحلقات اللهو فيه ٤٨
علم قراءة القرآن وفهرس مخطوطاته ١١٩-١٢٣
العواصم : تاريخها لعز الدين بن شداد ١٦١-٢٢٤؛ ٢٢٠؛ ٥٨٦-٦٠٩

غ

غويدي (اغناطيوس) : ١٨٦٦-١٩٣٥ ٤٤٥-٤٤٦

ف

الفاطميون في سورية على عهد الصليبيين ٥٩٣
فخر الدين : قصيدة ٥٢٢-٥٢٨
الفرنسوية (اللغة) : تعبيرها عن الشعر اللبناني ٢٨١-٢٩٤
الفقه الاسلامي : في تاريخه ٢٦٣-٢٧٣؛ ٢٦١-٢٦٨؛ ٥٤٧-٥٥٧؛ ٦١٤
في الشعر : خواطر ونماذج ٣١-٤٥
في الطقس الماروني ٤٨١-٥٢٢

ق

قراءة القرآن : علمها وفهرس مخطوطاته

١١٩-١٢٢
القلقشندي: فهارس صبح الاعشى ١٢٦-١٢٩
قورس ٢١٢

ك

الكورة ٢٥٢
كيسوم ٢١٢

ل

اللاتين: اثرهم في الطقس الماروني ٤٨٩
لاون الثاني الارمني: ومعضلة انطاكية ٥٩٩
لبنان: الامير دي جوانيل في شاله ٩٢-١١٧ —
توزيع المال الاميري فيه على عهد الامير بشير الشهابي ٢٢١-٢٦١؛٦١٢-٦١٤ —
الشعر فيه باللغة الفرنسوية ٢٨١-٢٩٤
اللبناني (المجمع): اثره في الطقس الماروني ٥٠٨
ليلة قمراء: شعر ٤٠

م

الماروني (الطقس): نظرات فيه ٤٨١-٥٢٢
المال الاميري في لبنان: توزيعه على عهد الامير بشير الشهابي ٢٢١-٢٦١
المتنبي: اثره ٢٨٩-٢٩٨
مجلة مجمع اللغة العربية الملكي ٦٠٩-٦١٢
المجمع اللبناني: اثره في الطقس الماروني ٥٠٨
المدينة وتلبو فيها ٤٥
المرقب (قلعة): زيارة اليها ٥٢٨-٥٤٧: وصفها ٥٢٢، تاريخها ٥٢٥، تحصينها ٥٤٠، سقوطها في يد السلطان قلاون ٥٤٢
مسرح شوقي ٦٨-٩٢؛٢٧٢-٢٨٩؛٢٩٤-٤٢٨
المسيح: مقطع شعري ٤٠
مصرع «كليوباترا» تعليلها ٤١٠-٤٢٨
المتنبي: قصيدة ٤٢
مكة ومواسمها ٥٦
منبج ٢١٢
مواسم الحجاز وتسهيلها سبل اللهو في العصر الاموي ٤٥-٦٨
مواسم الحج ٥٨
الموشحات الاندلسية ٢٦٨-٢٨١

ن

نجم (قلعة) ٢٢٢
نماذج شعرية ٤٠-٤٥
نور الدين: وقائعه في سورية الشمالية ٥٩٥

و

وصف معركة: قصيدة ٤٢
وقائع نور الدين في سورية الشمالية

ي

اليماقية: اثرهم في الطقس الماروني ٤٨٣

AL - MACHRIQ

Revue Catholique Orientale Mensuelle

SCIENCES—LETTRES—ARTS

Sous la direction des Pères de la Cie de Jésus

UNIVERSITÉ St JOSEPH

Trente troisième année

1935

BEYROUTH
Imprimerie Catholique
1935

TABLE DES SOMMAIRES

XXXIIIe ANNÉE, 1935

JANVIER-MARS

Le ṭar chez les Arabes. Son caractère religieux (p. 1) *P. H. Lammens, S. J.*

De la Poésie. Réflexions et exemples (p. 31) *Mr Saïd Akl.*

Les Mausims du Hedjaz sous les Omayyades (p. 15) *Mr J. Jabbour.*

Le théâtre d'Aḥmad Chauqi : II, Chauqi et l'histoire (p. 68) *Mr E. Honaïn.*

Le prince de Joinville dans le Liban Nord en 1836 (*manuscrit inédit*) (*illustré*) (p. 93) *P. J. Tannous.*

Varia : Les « Leçons de Lettres Orientales » en 1934-1935. — La lecture du Qorān (F. T.) — Réformes linguistiques en Turquie (F. T.) — Les tables du Sobḥ al-A'śa (F. T.) (p. 117).

Bibliographie (p. 129).

AVRIL-JUIN

Al-A'lāq al-Ḫaṭīra, un manuscrit d'Ibn Śaddād, (*illustré*) (p 161) *Abbé Ch. Ledit.*

La Fille de Jephté, *tragédie en deux actes, en vers* (p. 224) *Mr Saïd Akl.*

De l'histoire de la Jurisprudence musulmane : I (p. 262) *Dr J. Schacht.*

Le théâtre d'Aḥmad Chauqi : III, Chauqi et l'art (p. 273) *Mr E. Honaïn.*

L'Influence d'al-Mutanabbi (p. 289) *Mr F.-E. Boustany.*

Bibliographie (p. 298).

JUILLET-SEPTEMBRE

Répartition de l'impôt foncier au Liban sous l'émir Béchir II (p. 321) *P. C. Bacha, B. S.*

De l'histoire de la Jurisprudence musulmane : II, (p. 361) *Dr J. Schacht.*

Al-Mowaššahāt (p. 368) *Mr P. Boustany.*

Poètes libanais d'expression française (p. 381) *Mr Saïd Akl.*

Le théâtre d'Ahmad Chauqi : IV, Chauqi et l'art (suite et fin) (p. 394) *Mr E. Homaïn.*

Le tar chez les Arabes. Son caractère religieux : II, (p. 428) *P. Lammens, S. J.*

Varia : Ignace Guidi (1844-1935) (p. 445).

Bibliographie (p. 449).

OCTOBRE-DÉCEMBRE

De la liturgie maronite (p. 481) *Abbé M. Rajji.*

Fakhreddine, 1635-1935, *poème (illustré)* (p. 523) *Mr Saïd Akl.*

Une visite au Marqab (*illustré*) (p. 528) *P. F. Taoutel, S. J.*

De l'histoire de la Jurisprudence musulmane III, (*fin*) (p. 547) *Dr J. Schacht.*

Le tar chez les Arabes. Son caractère religieux : III (*fin*) (p. 557) *P. Lammens, S. J.*

Dernière manifestation de la politique religieuse russe dans le Proche-Orient, 1895-1914 (p. 574) *Mr A. Bogolioubsky et P. G. Levenq S. J.*

'Izz-ed-Dīn Ibn Šaddād, sa valeur historique (p. 586) *Abbé Ch. Ledit.*

Varia : La Revue de l'Académie Royale du Caire. (F. T.) — A propos de la « Répartition des Impôts au Liban sous Béchir II » (N. D.) — Errata (p. 609).

Bibliographie : (p. 616).

المشرق

السنة الرابعة والثلاثون — كانون الثاني – اذار ١٩٣٦

الاحابيس
والنظام العسكري في مكة
زمن الهجرة

بقلم الاب لامنس اليسوعي

١

لم تكتفِ مكة ، في الجاهلية ، بكونها مدينة تجارة واهمة يهتم بها الرأسماليون والمرابون . بل كانت ، فوق ذلك ، مركزًا دينيًا يؤمّه ، في المواسم ، كثير من القبائل العربية . الا ان مكانها من الحرم كان يجلب اليها[1] عددًا كبيرًا من شذّاذ القفر الخارجين عن نطاق قبائلهم ، من أولئك « الخلعاء » و« الصعاليك » و« الفتّاك » و« المتشيطنة » و« اللصوص »

١) البعقوبي : تاريخه (Houtsma) ٢ : ١٤–١٥ ؛ الاغاني ٢١ : ٦٢ ، ٦٨

و«الذؤبان»[1]. ولا يخفى ان تعدّد هذه الاسماء يكفي للدلالة على عدد اولئك الشذّاذ ، وعلى ما كان من ضعف في تنظيم السلطة العربية القديمة . وقد اشرنا مراراً[2] الى تلك الطبقة من الشذّاذ الذين كانت قبائلهم « تخلعهم » رسمياً ، « فتتبرأ من جرائرهم »[3] ، وتتخلص من تبعة اعمالهم .

من اهم صفات « الخليع » الجرأة والبطش ، وانه ليفوق فيهما اشهر ابطال العرب وابعدهم صيتاً من الذين كانوا يتحيّنون الفرص في اظهار شجاعتهم ، ويراقبون الاحوال فيستغلّون ظروفها في العمل على نشر مفاعيل سطوتهم وبطشهم ؛ كما روي عن عنترة ، وهو اوسع ابطال الجاهلية ذكراً ، من انه سُئل عن اسباب شهرته فقال : « كنت اقدم اذا رأيت الاقدام عزماً ، واحجم اذا رأيت الاحجام حزماً ، ولا ادخل موضعاً لا ارى لي منه مخرجاً . »[4]

اما « الخليع » فانه كان على نقيض هذا القول يندفع هاجاً فلا يبالي ، ولا يفتش عن المخارج . فكان من تأثير هذه الصفات الجريئة ان الكثيرين من بني قريش ، من ارباب الاموال ، واصحاب القوافل ، لم ينفروا من تكاثر الشذّاذ والخلعاء في ارض الحرم . لانهم كانوا يرون فيهم زبائن ذوي اموال لم يبذلوا الجهد الكثير في تحصيلها ، فينفقونها بسهولة في حوانيت مكة . وكانوا يرون فيهم ، فوق ذلك ، معاونين و«حلفاء» ، يستأجرونهم للمحافظة على قوافلهم الغنية في رحلاتها البعيدة[5] . وكان لكل من اسياد مكة جماعة من

---

١) الواقدي : تاريخه (Kremer) ٥٨ : الطبري ١ : ١٤٣٨ ؛ الاغاني ٨ : ٦٥ . وقد سمّي هؤلاء اللصوص ذؤباناً لانهم يشبهون الذئاب (ابن الاثير : النهاية ٢ : ٥٢) . وهناك «الريل» او «الرئبال» وهو اللص الذي يفتك وحده كالذئب (ابن الاثير ٢ : ٦٣) ويذكر بين هؤلاء الذؤبان بعض الصحابة او اصحاب النبي (اسد الغابة ٥ : ١٧٨)

٢) اطلب كتابنا *Le Berceau de l'Islam*, I, 193-194

٣) الاغاني ١٣ : ٢

٤) الاغاني ٨ : ١٥٢ ، وقول عنترة هذا يعاكس قول عباس بن مرداس (اسد الغابة ٣ : ١١٢) :

أقاتل في الكتيبة ، لا أبالي أفيها كان حتفي ام سواها !

٥) راجع *Berceau*, I, 334 ؛ الازرقي ٤٦٢ ؛ الواقدي ٣٠

الشذاذ ينتمون اليه ، ويختصون به ، فهو « مأوى المطرد »[1] ، على قول الشعراء ؛ وهم رجاله وحلفاؤه ؛ فالبرّاد ، وحاجز ، وابو الطمحان ، والحرث ابن ظالم يبذلون نفوسهم في سبيل الامويين ، والمخزوميين ، والهاشميين[2] ، ويلقون الرعب في انحاء الجزيرة بذكر فتكاتهم واهوالهم . وكذلك نرى امراء غسان ، وملوك الحيرة ، واقيال اليمن يعملون على ان يقرّبوا منهم اولئك الشذاذ فيجيئون صحبتهم ، حتى اذا ارادوا تنفيذ خطة او نصب مهلكة ، قذفوا بهم فكانوا لهم خير عون . وقد رأينا عدداً من سادة القبائل ، اذا احتاجوا الى ذوي جرأة وبطش ، اتوا الحرم فاستأجروا مَن صادفوا فيه من « الصعاليك »[3] . وهي عادة عهدها ارباب السلطة منذ القدم . أوَ لم يستأجر أبيماك ، بسبعين من الفضة ، « رجالاً بطّالين اشقياء »[4] فتبعوه في غزوته ؟ أوَ لم يستأجر امرؤ القيس « اخلاطاً من شذاذ العرب »[5] في طلبه بثأر ابيه !

اذا دقّق الدارس في اخبار مكة في العصر الجاهلي ثبت لديه ما كان يقوم به القرشيون من محاولات في سبيل توسيع تلك المنطقة الممتازة الواقعة تحت شعار العاطفة الدينية ، المعروفة بالحرم . وذلك ان هذا الامتياز الديني كان يضمن لهم ، على الغالب ، سلامة ارزاقهم ؛ وكان يضع حوانيتهم وبيوت اموالهم على مسافة بعيدة عن جيرانهم من ذوي المطامع الجريئة التي كانت تدفعهم احياناً الى غزوة منطقة الحرم نفسها فينهبون حتى الكعبة[6] . كان اولئك الدوشر سكان تهامة يرودون حول الحرم ، كما كانت قريش نفسها قبل ان ترتقي الى مركزها الحالي ، ترود حول تلك المنطقة ، فتؤجر دوابها ، وتسير في خدمة القوافل هادية محافظة ، هذا اذا لم ترابط متسترة في غزوي

١) زهير (Ahlwardt) ٣ : ٢٤ ؛ الاغاني ١٠ : ٢٨ ، ٣٣
٢) الاغاني ١٢ : ٤٩ ؛ ١٩ : ٧٦
٣) الاغاني ٢١ : ٦٣ ، ٦٨
٤) سفر القضاة ٩ : ٤
٥) الاغاني ٨ : ٦٨—٧٠ ، وفيه (ص ٧٢) ذكر « لذؤبان من قيس »
٦) الاغاني ٨ : ١٨٩

تهامة ، منتظرةً مرور القوافل فتهجم عليها وتنهبها . لقد طال عهدهـا بحياة التشرّد هذه ، فمرن اربابها على الاحتيال والنهب ، حتى اهاب بهم سيد جري هو قُصَيّ فاخرجهم من فرضاهم ، وادخلهم قلب مكة فاقامهم فيها اسيادًا .

لم يكن عهد قريش ببعيد بهذه الحياة . الا ان سادة البطحاء ، واصحاب المصارف الكبرى ، وارباب المضاربات المالية ، كانوا ينفرون من تلك الذكريات ، دون ان يهملوا الحذر ممن حلّ محلهم في مرتفعات تهامة المجدية ، ولاسيما بنو غفار[1] المتصلون مثلهم بجذع كنانة . ولم نذكر غفارًا ، بين القبائل الضاربة حول الحرم ، الا لانها تمثل خاصة تلك الطوائف الفقيرة الجريئة التي كانت تحتال على الحياة ، في جوار مكة[2] ، بجميع الطرق المشروعة وغير المشروعة . ولم تكن غفار وحدها في تلك المنطقة ، بل هناك قبيلة بني أسلم[3] وهي لا تقل عن الاولى في شيء من الخبث ، والدهاء ، وعدم التحرّج . وكثيرًا ما جمعهما اصحاب كتب « الصحيح » ، بل ان النبي نفسه جمعهما في دعائه[4] . وبنو اسلم يمثلون في قبيلة خزاعة ما يمثله بنو غفار في قبيلة كنانة المنافسة ؛ على فرق ان الخزاعيين تقربوا من النبي ، منذ اول عهده ، نكايةً بالقرشيين منافسيهم وخلفائهم في مكة[5] . ولهذا رأينا ان نذكر منذ الآن غفارًا واسلم[6] ، على ما بينهما من عداوة اصيلة[7] . وذلك ان قريش اعتادت ان تختار من هاتين القبيلتين ضباطًا لعسكرها المأجور المعروف باسم « الاحابيش » . على ان هذه العلاقات بقريش ما كانت تمنع افراد القبيلتين عن متابعة مفاسدهم فغزاهم ينهبون ، ويقتلون من يستفردونه من اهل مكة ،

١) الاغاني ١١ : ٤٧

٢) وقد ذُكر بعض الغفاريين في ارض المدينة (الاغاني ٤ : ٣٠) وهناك احد منازلهم يرشق نخل الانصار (ابو داود : السنن (طبعة الهند) ١ : ٣٥٩ ؛ الذهبي : الميزان ١ : ٤٥٥)

٣) الاغاني ٢١ : ٦٨

٤) الترمذي : الصحيح (طبعة الهند) ٢ : ٢٢٤ ؛ الطبري ١ : ١٦١٩

٥) لقد انتزع قصيّ الرئاسة من خزاعة ، على انه لم يطردهم من ارض الحرم .

٦) الجاحظ : البخلاء ٢٤٨

٧) حسّان بن ثابت : ديوانه ١٦٠ : ٩ يذكر معًا غفارًا واسلم

دون ان يستثنوا المسلمين انفسهم[1] ، وهي مآتٍ قد تمتاز بها غفار على اسلم . اما الاوتار بين افراد القبيلتين ، بدواً وحضراً ، فكانت دائمة كلما انقضى وتر منها تجدد آخر[2] . وكان الغفاريون مشهورين بالتلصّص ونهب المسافرين حتى الحجاج منهم ، فسمّوا « سُرّاق الحجيج »[3] ، يفعلون ذلك فلا يحترمون ارض الحرم ولا اشهُره . وكانوا ينزلون منطقة بدر[4] وارض فُرع[5] ، فيجتمعون شذاذاً من السراق والفتّاك[6] ، يعرقلون سير القوافل ، ويفسدون على تجار مكة آمالهم ومساعيهم . وقد ظلّ البرّاد مثالاً اعلى لاولئك الخلعاء الغفاريين ؛ يقوم بمغامراته خفيةً ثم ينشرها في انحاء الجزيرة بكل ما تقتضيه شروط التمثيل المسرحي من ظهور وافتخار . حتى ضجّ القرشيون من اعماله فاستلحقه بنو امية وجعلوه حليفاً لهم ، وانزلوه مكة . بيد انه لم يفارق ما شبّ عليه من اعمال النهب والسلب ، فعاد القرشيون الى التذمّر منه . فترك المدينة دون ان يترك حلف الامويين . ثم علقت الاسطورة بمغامراته وما اتصفت به من جرأة وحيلة وبطش ، فتوسعت فيها ، وولدت منها آثاراً أُضيفت في ما بعد الى المجاميع الادبية المختصة « باللصوص »[7] .

واذا ذكرنا بني غفار وبني اسلم فاننا لا ننفي وجود الخلعاء في سائر القبائل والبطون . فلكل قبيلة ، شريفة كانت او حقيرة ، لصوصها وخلعاؤها تدفعهم فطرتهم الفوضوية الى الخروج عن الانظمة والشرائع . حتى انه ليصعب علينا ، اذا ما دققنا البحث في حياة كبار السادة انفسهم كحاتم طيء ،

---

١) الواقدي ٢١ ؛ ابن هشام : سيرة الرسول ٤٢١ ؛ اسد الغابة ٢ : ٢٢٥

٢) ابن هشام : السيرة ٤٢١

٣) الطبري ١ : ١٦٣٠ ، ١٦٥٠ ؛ الاغاني ١٦ : ٦٣ ؛ ابن هشام : السيرة ٨٠٢ ؛ اسد الغابة ٣ : ١٥٠ .

٤) السمهودي : وفاء الوفاء ٣ : ٢٥٦

٥) السمهودي : وفاء الوفاء ٣ : ٢٦٠

٦) مسلم : الصحيح ٢ : ٢٦٧-٢٦٨ ؛ ابن سعد : الطبقات ٤ : ١٦١ ، ١٦٢ ، ١٦٤

٧) الاغاني ١٩ : ٧٥-٧٦ ؛ والطب ابن عبد ربه : العقد ٣ : ٩٣ ؛ ابن هشام : السيرة ١١٨-١١٩

ومروة بن الورد ، وتوبة بن الحُمَيِّر ، ان نميّز في شخصياتهم اخلاق الفارس الكريم من صفات اللص الصعلوك ؛ كما انه يصعب علينا ان نفصل ، في تلك الحروب العربية ، بين الغزوة المشروعة في نظر البدو ، والسرقة البسيطة . ولم يكن هذا الجمع بين صفات الفروسية ومظاهر الصعلكة ليجحف بحق اولئك السادة ، او يحطّ من قدرهم في نظر السلف[1] . فان شريعة القفر ما كانت لتصم هذه الاعمال بالوصمة الشائنة ، بل جلّ ما كان ينال الصعلوك تعرّضه للخطر ، وتعريضه قبيلته للثأر بعض الاحيان. اما ما سوى ذلك من عار او احتقار فلا وجود له . وكثيرًا ما كان الشعراء من اولئك الصعاليك يفتخرون ، بكل اخلاص ، بانهم يرتون ، كما عاشوا ، على سُنّة الاباء والشرف[2] . ولم يرتفع صوت واحد منهم فيخرجهم من غرورهم وادّعائهم . اما الفرق بين الغزوة والسرقة فهو ان الغزوة كانت شرطًا من شروط الحياة البدوية ، بل هي صناعة وطنية في ذلك القفر[3] ، لا يُلام عليها الا اذا خرجت عن كونها عمل الجمهور فانفرد بها واحد او اثنان في سبيل منفعة خاصة لا تهمّ القبيلة بجملها . على انه ، حتى في هذه الحالة الخاصة ، لم يكن البدو ليخفوا اعجابهم باعمال الصعاليك الجريئة ، وخصوصاً بجيلهم الغريبة . وكثيرًا ما كان الصعاليك يتّحدون فيؤلفون جمعية من اللصوص لا تقف في وجهها العقبات ، كما نرى في بني غفار نفسها ، وقد ساعدهم في اعمالهم هذه ان بلادهم كانت على ممرّ القبائل من مكة الى الشام[4] . والاغرب ان سادة هذه القبيلة لم ينكروا بخلع هؤلاء الصعاليك[5] . حتى عُرفت قبيلتهم بهذا ، ورأى بعض الشرّاح انهم

---

١) *Le Berceau...* I, 191 etc.

٢) الاغاني ١١ : ٤٥ ؛ *Berceau*, I, 159

٣) *Berceau*, I, 177

٤) أسد الغابة ٥ : ١٨٧ ؛ وفيها ان غفارًا كانت تنزل في عَرْج ، متوسط الطريق بين مكة والمدينة (٥ : ١٤٢) ؛ وفي الكتاب نفسه ان بني اسلم كانوا ينزلون ذاك المنزل (٥ : ١٤٣)

٥) بل قد يفتخرون بهم كما قالوا ، وقد رأوا رجلًا مجهولًا لا يحترم الكعبة : « ما اخلق ان يكون من بني بكر ! » (اسد الغابة ٣ : ١٥٠) . اما التسمية ببني بكر فان غفارًا كثيرًا ما دُعيت « بكر بن عبد مناة »

هم المقصودون بجملات القرآن على البدو في مثل الآية : « وممن حولكم من الاعراب منافقون . »[1] فاذا صحّ هذا الشرح ، كانت هذه الآيات ترقى الى عهد كانت غفار لا تزال على حلف قُريش تخدمها في صفوف الاحابيش . ولكن لم يكن العهد بعيدًا بيوم يُغدق فيه النبي الدعوات والبركات عليها، وعلى منافستها قبيلة بني أسلم .

واننا نفهم الآن لماذا كان يتردّد الغفاريون في ذكر نسبهم امام اهل مكة، وقد سبق ان آذوهم بنهب اموالهم . وقد كان يجتنب ذكر هذا النسب حتى مَن يُقبل على الاسلام من الغفاريين ، وكأنهم يستحيون من ذكره امام النبي نفسه ، كما حصل لابي ذرّ عندما التحق بالنبي ، فقال بعد ذلك : « كره اني انتسبت الى غفار »[2] . وكان ابو ذرّ ، اول امره ، من اولئك الصعاليك . ثم قدّسه الاسلام ، واتخذته الشيعة خاصة من اوليائها[3] . بيد ان الغفاريين ادّوا خدمات جليلة للنبي ، فوجب على كتب الحديث ان تدوّن مناقبهم[4] . وقد اكتفى النبي ، في عقابهم على سيئاتهم العديدة ، بان اظهر اسفه[5] ، طالبًا من الله ان يعفوا عن هذه السيئات ، مستندًا الى الاشتقاق البياني مقابلًا بين اسم القبيلة « غفار » وفعل الغفران ، قائلًا : « غفار غفرها الله ! »[6] ولا يخفى ان

---

١) القرآن ٩ : ١٠٢ ؛ راجع الواحدي : اسباب النزول ١٦٤ ؛ الطبري ١ : ١٦١٩ ؛ ابن هشام : السيرة ٨٩٦ ، ٩٢٧

٢) ابن حنبل : المُسند ٥ : ١٧٥

٣) ابن سعد : الطبقات ٤ : ١٦٢ ؛ اسد الغابة ٥ : ١٨٧-١٨٨ ؛ مطهّر المقدسي (Huart) ٥ : ٩٢

٤) مسلم : الكتاب المذكور في الموضع المذكور ؛ ابن حنبل : المسند ٢ : ٢٣٠ ، ٢٦٩ ، ٤٢٠ ، ٤ : ٥٥، ٥٧ ؛ الدارمي : المسند (مخطوطة ليدن) ٢١٣-٢١٤ ؛ البناوي : المصابيح ٢ : ١٩١-١٩٢ ؛ الترمذي : الصحيح (طبعة الهند) ٢ : ٢٢٣-٢٢٤ ؛ ابن الدَّيْبَع : تيسير الاصول ٣ : ١٠٦ ؛ وقابل بما ورد في السيوطي : موضوعات ١ : ٧٥

٥) ابن سعد : الطبقات ٤ : ١٦٤ ؛ ويدعى بنو غفار « بكر بن عبد مناة » ، كما قدمنا، الاغاني ١٩ : ٧٤-٧٦

٦) اسد الغابة ٣ : ١٧٨ ، ٢٦٨ . . . مسلم : الصحيح ١ : ٢٥٤ ؛ ابن الاثير : النهاية ٣ : ١٦٥ ؛ ٤ : ٢٢٢

حاجته الى من يتكل عليهم في مقاومة اعدائه دعت به الى التسامح، والتجاوز عن مساوئ رجاله[1]، فضلاً من كون الاسلام «يجبّ ما كان قبله» اي يمحو ما تقدّمه من السيئات[2]. فعمل على استجلاب شذّاذ الغفاريّين، عاهدًا اليهم بقيادة الغزوات المخطرة، تلك التي كان يخشى من السير فيها بعض الصحابة من قريش[3]. ذلك ان النبي، وهو القرشي، لم يكن لينسى شجاعة هؤلاء الشذّاذ وتفوّقهم الحربي على المهاجرين من التجار والسماسرة الذين اقتلعتهم الهجرة من حوانيتهم ومصارفهم في مكة. وفي اثناء تغيّباته عن المدينة، كان يعهد للغفاريين ايضاً[4] في السهر على نظام العاصمة الجديدة؛ او في غير ذلك من الشؤون[5] حتى كان منهم احد خدمه[6]. على انه لم يكن يهمل مراقبتهم والحذر منهم احياناً[7].

***

اما وقد تحقّقنا صفات الغفاريين هذه، فسهل علينا ان نفهم رغبة اهل مكة في جذبهم الى حلفهم، واسراعهم الى الاحتفاظ بهؤلاء الجيران المندفعين الى النهب[8]، المضطرمين رغبةً في الافساد، حتى انهم كثيرًا ما ازعجوا القائمين

١) اطلب بحثنا في *Ziād ibn Abīhi*. 3، وفي *Mo'āwia*, 423؛ وابن حنبل: المسند ٦: ٧٤

٢) اسد الغابة ٥: ٥٤، ابن هشام: السيرة ٧١٧-٧١٨

٣) الطبري ١: ١٥٧٥

٤) ابن سعد: الطبقات ٣: ٤٤، ٧٧، ٨٧ . وذلك لانهم، وهم من كنانة، كانوا ابعد من ان يتحدوا مع العناصر الوطنية او تلك العناصر المضطربة المتذبذبة في المدينة، قابل بما في اسد الغابة ٤: ٢٥٠؛ وقد ذُكر ابو ذرّ بين اولئك الغفّارين (الطبري ١: ١٦٢٧)؛ ابن هشام: السيرة ٥٤٠، ٦٦٢، ٦٦٨، ٧٢٥، ٩٠٥، ٩٦٦

٥) ابن هشام ٧١٦، ٧١٩

٦) اسد الغابة ٥: ٧٧

٧) قابل بما في اسد الغابة ٤: ١٢٧؛ وفي مصدر آخر ان بعض الغفاريين حضروا يوم بدر حضور الشاهدين المنتظرين غاية العراك ليسلبوا المغلوبين (اسد الغابة ٥: ٢٦٠). على ان غيرهم من السيد الغفاريين كانوا يحاربون مع النبي في بدر (اسد الغابة ٤: ٢٢٨؛ ابن الاثير: النهاية ٣: ٩٦)

٨) جاء في اسد الغابة (٣: ١٩)، ان اخت ابي سفيان كانت زوجةً لسيّد غفاري من حلفاء قريش.

بسوق عكاظ[1] . فوجب من ثمّ ان يعمل القرشيّون على صرف هذا النشاط وتسيير تلك القوة الى ما فيه مصلحتهم والدفاع عن منافعهم السياسية والتجارية . وهكذا نشأت فكرة استخدام اولئك البدو ، بدو تهامة ، سواء أكانوا ينتمون الى كنانة او الى خزاعة . فجعل القرشيون يختارون منهم عدداً من العسكر المأجور ألف النواة الاولى ، او الضبّاط الموظفين او « اركان الحرب » ، كما نقول اليوم ، في ذاك الجيش من « الاحابيش » المتصف بالشهرة الواسعة في « المغازي » ، او حروب محمد . ولما تمّ ملاك الجيش الخارجي باولئك البدو المأجورين ، عمد بنو قريش الى تعبئة اقسامه بعدد من الافريقيين النازلين مكة[2] . وقد كان من تقاليد العرب ان يستخدموا ، عند الحاجة ، من كان يرتزق في بلادهم من الافريقيين عبيداً كانوا ام فَعلةً ومَهنةً ؛ وذلك لما عُرف من شجاعتهم ، وجلدهم ، وطاعتهم . حتى ان سادة القبائل الحجازية ، و« ملوك العرب » ، كانوا يؤلفون من اولئك الحبشان حرسهم الخاصّ . وهذا ابن سعد يذكر عن احد سادة هذيل انه كان « يمشي وراءه الاحابيش »[3] . وليس من شك في ان هؤلاء « الاحابيش » من سودان افريقية ، لا من العرب احلاف بني قريش . وهذا صاحب الاغاني يذكر ان الملك سيف بن ذي يَزَن قد استخدم في جيشه رجال أبرهة ، بعد تلك الغزوة الاكسومية التاعسة[4] . ومهما يكن من خطر في اتخاذ هؤلاء العساكر ، فان خبراء العرب بالشؤون الحربية كانوا يفضلون السودان لحسن طاعتهم[5] على رجال البدو النافرين من كل نظام ، الرافضين الحرب الا اذا كانت منفعة قبيلتهم الخاصة تدعو اليها .

---

١) الاغاني ١٩ : ٧٤ ؛ العقد ٣ : ٩١ ، وان العشرة الاميال المذكورة في الصفحة ٩٢ ، السطر الاول ، لا تمثل المسافة بين عكاظ والطائف ، كما يتوهم المؤلف ، بل هي طول سوق عكاظ .

٢) الاغاني ١ : ٥٢ ؛ الطبري ١ : ١٦٢٠

٣) ابن سعد : الطبقات ٢ : ٢٦

٤) الاغاني (طبعة صالحاني) ٢ : ٥٣ ؛ وقابل بالاغاني ١١ : ١٢٢ ، ١٦ : ٧٥ ؛ الجاحظ : البخلاء ؛ ٢٤١ H. Grimme, *Mohammed* (1904) p. 7

٥) الجاحظ : رسائله الثلاث (طبعة Van Vloten) ٦٥ : ٦٦

وفي عصرنا هذا لا يزال افراد الجيش ، في حضرموت ، من المستعبدين[1]

واذاً فقد كان ابناء جبال الحبشة ، قبيل الهجرة ، رجال الجيش وافراد الشرطة في بلاد العرب . ولم تكن من صفاتهم الغالبة الامانة والاخلاص ، بل قد يرتدون على ساداتهم ويقتلونهم[2] . على انهم كانوا يتصفون بالشجاعة الجريئة ، والمزء بالخطر ، والخضوع للنظام . وهي صفات اختصّ بها عنصرهم على مرّ الاجيال[3] . وكان من حقّ العرب ان يعجبوا بها وهي قليلة في ما بينهم . حتى غدا اشجع العرب ، واجرأهم ، وافتكهم ، اولئك الابطال من ذوي الدم المختلط بالدم الحبشي او السوداني[4] ، الذين دعوا بحقّ « اغربة العرب » ، وكان اشهرهم عنترة بلا خلاف . وليس بعيداً ان يكون لبيد قد اشار الى هذا الحرس الافريقي في قوله :

... حُبشاً قياماً بالمراب وبالالال (٥

ولابن ذئبة ، احد شعراء تقيف من غير المشهورين ، ابيات يشهد فيها بتذكار ما تركه في مخيّلة ساكني جبل سراة والحجاز مرور الحبشيين ظافرين في سهول تهامة ، وقد دخلوا بلاد اليمن واخضعوها ، قال[6] :

---

١) Snouck Hurgronje dans *Zeitschr. f. Assyr.* XXVI, 223, 236, n. 3

٢) الاغاني ١٦ : ٧٥ ؛ اسد الغابة ٥ : ٥٢٠

٣) وقد استخدم علي بك الكبير هذه الصفات ، فجيّش في مصر أيالات من السودانية (راجع de Vogüé, *Hist. orientales*, 177) وكذلك الكلام عن الجيش المصري قبل محمد علي وبعده (اطلب J. Maspero, *Organisation de l'Égypte byzantine*, 64)

٤) الجاحظ : رسائله ٦٥ – ٦٦ ، وكل رسالته المنونة : « كتاب فخر السودان على البيضان » في المجموعة المذكورة ، ص ٥٧ . . . ؛ الاغاني ٧ : ١٥٠ ؛ البلاذري : الانساب *Berceau* I, 192 ؛ ٢٠٦–٢٠٧ (Ahlwardt)

٥) الجاحظ : الكتاب المذكور ٧٠

٦) ابن هشام : السيرة ٣٧ ؛ الطبري ١ : ١٣٦ ؛ Noeldeke, *Perser-Araber*, 194 وفيها خصّ الشاعر ذا جدّن بقول نولدكه : « يظهر ان الشاعر يرى ما يراه الحديث التقليدي بالنثر » ، قلت : ولا غرابة في الامر فان الحديث جرى هنا ايضاً على طريقته المعروفة ، فاستقى معلوماته من الشعر . ولعلنا نوفق يوماً الى اقرار هذا المبدأ الاساسي في نقد « السيرة » و « الحديث » .

ابد قباتل من حمير ، أبيدوا صباحاً ، بذات العَبَرْ
بألف الوفٍ وحُرَّابةٍ كمثل الساء قُبيل المَطَرْ
يُمسّ صباحهم المقربات ، ينفون من قاتلوا بالزَفَرْ
سالى كمثل عديد التراب ، يبيس منهم رطاب الشجَرْ

ولم يكن النبي ، وقد اصبح امير المدينة ، ليخرج عن هذه العادة . فكان عنده من « الاحابيش » بلال، واخوه ابو رويحة[1] — وهي كنية بعيدة الدلالة — وكان بلال يمشي امامه متلّا سيفه . على ان الاخوين لم يكونا الوحيدين من بني جلدتهما في بلاط يَثرب . فقد اشار المحدثون الى وجود غيرهما من الحبش في حاشية النبي ، حتى انهم ذكروا من هؤلاء اخا النجاشي نفسه[2] . وقد اهتمت « السيرة » ببلال اهتماماً خاصاً ، لانها رأت فيه « سابق الحبشة » ، كما تسميه تراجم الصحابيين[3]، اي السابق من رجال الحبشة

١) اسد الغابة ٢ : ٨٧ . وهناك ابو رويحة آخر ، من العرب ، وعد صاحب «اسد الغابة» (٣ : ٢٠٠) بان يتكلم عنه في باب « الكُنى » من المجلد الخامس . وقد قام بوعده فوق المقصود (٥ : ١١٥–١٦٦) اذ جعل من ابي رويحة الواحد رجلين اثنين تكلم عن كل منهما . على ان احدهما مثّل، دون شك ، دوراً حربياً لا بأس به ، فعهد اليه النبي في حمل الراية (٥ : ١١٦، ٤) . وفي المجلد الخامس نفسه من « اسد الغابة » بعض الصحابة ازدوج عددهم فولّد كل واحد منهم صحابيّين ، وذلك في الصفحات ٥٨، ٦٢، ٧٠، ٧٤، ٧٥، ٧٩، ٨٠، ٨٢، ٨٧–٨٨، ١١١، ١١٩، ١٢١، ١٢٥، ١٢٥–١٢٦، ١٦٤، ١٧٧ ؛ وكذلك في الجزء الثالث في الصفحات ٢١٦، ٢٠٨، ٢٢٢، ٢٤٦، ٢٦٢، ٢٩٧، ٤٠٤، ٤١٢، ٤١٧ . . . بل هناك من الصحابة مَن تثلّث عددهم فولّد الواحد ثلاثة صحابيين كما ترى في المجلد الثالث ص ٢٠٢، ٢٩٧ ؛ والمجلد الخامس ، ص ١٤٨ . على ان ابن الاثير شعر بشيء من هذه الازدواجات والتعدّدات ، فشكّ في حقيقتها ، او اشار اليها صراحة كما في ٣ : ٢٤، ٢٥، ٢٩–٣٠، ٤٥، ٤٦–٥٧، ٥٨–٩٢، ٩٣، ٩٤، ٩٩–١٠٠، ١١٧، ١١٩، ١٢٠، ١٢٥، ١٤٦، ١٦٥، ١٦٧، ١٦٩، ١٧٣، ١٨١، ٢٠٠، ٢٠٢، ٢٤٣، ٢٤٥، ٢٤٩، ٢٦٥، ٢٦٩، ٢٨٨، ٢٨٩ فقال ان الالتباس بين «الاب» و«الابن» هل على تكثير الصحابة ٣ : ١٦٥ ، ٢٨٨ ، وفي هذه الصفحة ذكر لصحابي وهمي لم يوجد . وفي ٥ : ٥٠ – ٥١ ذكر لصحابي من الجنّ . . .

٢) راجع في ما تقدم اسد الغابة ٣ : ٣٦ ؛ ٥ : ٢٨٦ ؛ ابن حنبل : المسند ٤ : ٩٠ ؛ ابو يوسف : الخراج ١١٩ ؛ وكتابنا في Fātima . 66, 69 — وقد ورد ذكر عدد من السودان في حرس بعض الاسر المكية الكبيرة (اسد الغابة ٤ : ٢٥٢)

٣) اطلب ترجمته في اسد الغابة لابن الاثير ، وفي الاصابة لابن حجر

الى الدين بالاسلام . ثم صار بلال ، بعد ذلك ، في نظر ارباب الحديث ، مثالاً لجميع المؤذنين، اولئك الاشخاص ذوي المركز المتضع في الجماعة الاسلامية وذوي الفائدة الجمة اذ يدعون المؤمنين الى الصلاة . بيد ان هذه النزعة في اصحاب الحديث لاظهار بلال على هاتين الصورتين قد اهملت ، دون شك ، كثيراً من المعلومات عن بلال الحبشي فافسدت ما كان من الممكن ان نستخلصه عن دور بلال في حاشية النبي قائماً بما كان يقوم به امثاله من الاحابيش في حاشيات سراة القوم من القرشيين. ولعلنا كنا توفقنا الى وجود نظام «للاحابيش» في المدينة ، كما وجدنا نظاماً لهم في مكة[1].

كان المكيون يتخيرون رجال شرطتهم من جمهور بدو تهامة ، وعبدان افريقية ، فيؤلفون القوة العسكرية المدافعة عن تلك الجمهورية التجارية . وكان الغفاريون كثيراً ما يتولون قيادة تلك القوة فيكون الملاك او اطار الجيش منهم، اما المادة فمن « الاحابيش »[2] . وليس في هذا الجيش المأجور من العناصر الوطنية المكية ما يستحق الذكر . ذلك ان قريش كانت قبيلة قليلة العدد حتى انها لم تكن لتحتل منطقة الحرم بكاملها . فكانت كلها تنزل وادي الكعبة الضيق[3] . ولا نرى ان عدد القرشيين ازداد منذ ان ترك اجدادهم حياة البداوة ، فتحضروا في مكة . بل اننا ، لولا من كانوا يستلحقونهم بهم من الحلفاء ، لتحققنا نقص عددهم الاصلي . ولا يخفى ان مرافق الحياة في ذاك الوادي ، وادي الغور ، الضيق المعرض دائماً للفح السموم ، الخالي من الماء ، ومن الهواء اللطيف ، ومن الشجر — حتى نعته القرآن بانه « غير ذي زرع »[4] — كانت ابعد من ان تسهل النمو الطبيعي في حياة شعب حضري.

١) قابل بما سنورده ادناه من ان النبي استقبل بمعاونة عدداً من سودان مكة . وهناك غيرهم من السودان كانوا يرافقونه مسلحين في غزواته (ابن سعد: الطبقات ٣ : ٩٠)

٢) في الاغاني ١٩ : ٧٦ ذكر لاسد الغفاريين سيد الاحابيش. واني اميل الى الرأي بان الغفاريين الذين قادوا رجال النبي في المدينة ، كانوا اولاً من سادة احابيش مكة . .

٣) قابل بما في ابن هشام : السيرة ٧٣ ، وهو يشرح اسم « بكة » بما كان فيها من الازدحام .

٤) « وادٍ غير ذي زرع » القرآن ١٤ : ٤٠ . وقد طلب القرشيون آية على صحة نبوة

ولهذا لم يوافق نموّ القبيلة ازدهارها الاقتصادي العجيب ، فكان بعض كبارها يتذمّرون من مناخ مكة ، فيقولون ما قاله صفوان بن امية وزملاؤه من رجال « الملأ » او مجلس الشورى القرشي : « ليس لنا بها مقام »[1] هذا على الرغم من انهم كانوا يتمتعون بالراحة المستطيلة مدة الصيف في قصورهم البهجة في الطائف[2] وجبل سراة .

وعليه فقد اضطرت مكة الى استخدام المأجورين في سبيل المحافظة على الامن الداخلي ، والدفاع عن منافعها التجارية ، وان تعرّضت احياناً الى مخاطر سياسية كان تتخلص منها بالدهاء والحيلة . وفضلاً عن ذلك ، فان اولئك المأجورين من الشذّاذ والفتاك والخلعاء واللصوص والاحابيش اللاجئين الى ضواحي مكة او «الظواهر» كانوا يفرقون بما لا يُقاس رجال قريش ، « قريش البطحاء » او « قريش الوادي » ، اي سكان وسط المدينة من السراة ، رباطة جأش ، وشجاعةً ، وجرأةً . ولنا شاهد في يوم بدر ، وقد انتصر فلاحو المدينة على القرشيين على رغم الزيادة في عدد هؤلاء ، والتفوّق في تسلّحهم ، وذلك لان القرشيين لم ينتظروا تنظيم الاحابيش .

***

يدفعنا كل ما تقدم ، وما سيلي ، الى الاقرار ان البدو لم يكونوا يعتبرون في شيء شجاعة القرشيين . ولم يشأ شعراء الجاهلية ان يجهّل ذلك . وهو رأي جدير بان نقف قليلاً في تفهّمه ، وقد يكون منه فائدة في تمحيص تلك الاساطير المتعدّدة التي حاكتها المخيّلات حول ابطال « المغازي » ، اذا توفقنا يوماً الى درس القسم الحربي في سيرة الرسول[3] .

وقد اثار هذا المشكل احدُ مترجمي النبي من الاوربيين ، في سيرة كتبها في النصف الثاني من القرن الثامن عشر ؛ وجرب ان يحله بشرح رأينا ان نورده

محمد ان يوجد لهم مخيلاً وجنائن (القرآن ١٧ : ٩٣ ؛ وراجع اسد الغابة ٣ : ١١٨) واطلب شهادة القديس يوحنا الدمشقي الموردة في *Zeitschr. für Assyriol.* XXVI, 182

١) الواقدي ١١٦

٢) راجع كتابنا في *Tâif à la veille de l'hégire*, chap. III, 45 sqq.

٣) اطلب الجزء الثاني من طبقات ابن سعد ، وهو مختص بالمغازي .

على طوله ، قال: « قد يبدو غريباً ان يكون العرب، ولاسيما المكيّين منهم ، التارقين بالشؤون التجارية ، قد ظهروا دائماً على قسطٍ من الشجاعة والميل الى الحرب . ولا يخفى ان شعباً دائم الاهتمام بكنز الاموال لجديرٌ بان يعرض عن ذاك المجد الذي يوليه الرأي العام حملة الاسلحة . ولكن التجارة في بلاد العرب كانت مرتبطة بمهنة الحرب . كان لا بدَّ من اجتياز المفازات المقفرة ... يعيث فيها الشذّاذ فينهبون المسافرين ... فوجب الاستعداد الدائم للهجوم او للدفاع ، لنهب القوافل او للمحافظة عليها . وهكذا غدت حياة العرب حالةَ حرب دائمة ، فألفوا المخاطر ، وكان لهم ما يعزّز شجاعتهم القومية »[1].

هذا ما حاول تورپن ان يشرح به تلك الشجاعة المنسوبة للمكيّين . وهو يظهر طبيعيًّا لاول وهلة ، حتى اننا لا نكاد نتردّد في اثباته لو لم يكن هناك ، قبل تأليف « السيرة » ، وخارجاً عنها ، تقليد ادبي شعري يناقض هذه النظرية المتأخرة المنشأ . وقد كنا تجرّأنا على الشك في صحة هذه النظرية ، اذ عرضنا لتلك الاعمال البطولية الجبّارة المنسوبة لعليّ بن ابي طالب، ولحمزة[2]. فردّ علينا المرحوم كليمان هوار قائلًا : « ان اولئك العرب كلهم ، حضرًا كانوا او بدوًا ، كانوا يولدون رجالَ حرب »[3]. والحال ان هؤلاء البدو انفسهم يعلنون ، بلسان منشديهم وشعرائهم ، اعراضهم عن تلك الاناشيد المأتمية التي تُردّد على قبور الابطال ، ونفورهم من ان يكونوا في تلك القبور . ذلك انهم مهما يبالغ النساء في الندب والبكاء ، ومهما يردّدن « لا تبعد ! » ، فتلك تلك الاناشيد لا « تعيد البطل الى الحياة »[4].

اما قبيلة قريش الحضرية فقد اهتمّت شديد الاهتمام بان تؤيد شهرتها ، فتحمي نفسها، بعدد من الاقوال والوصايا منسوبة للنبي[5]. ويراها المطالع مبسوطة

١) Turpin, *Histoire de la vie de Mahomet*, Paris, 1773, I, 304-305

٢) راجع كتابَيْنا في *Fâtima*, 29 ; *Berceau*, I, 191..., 332, 334

٣) وهي حجة تورپن المذكورة سابقاً . *Journ. Asiat.*, 1913¹, 216

٤) اطلب في ذلك Rhodokanakis, *Al-Hansâ' und ihre Trauerlieder*, 58

٥) راجع مثلًا : ابن الديبع : تيسير الوصول ٣ : ١٠٨ ، ١١٠ ؛ ابن سعد : الطبقات ٣ : ٥

في كتب « الصحيح » ، « والسُنن » وكلها تنطق بيقظة الخلافة العباسية ، وغيرتها على حفظ هذه الشهرة السائرة . وان يكن وصل الينا شيء من الشعر البدوي القديم يناقض هذه الشهرة[1] ، فلا شك في ان ذلك من نتائج الصدفة التي ابعدته عن عيون المراقبة العباسية . فعرفنا ، بالاستناد الى هذا القليل من الشعر ، ان البدو كانوا ينظرون الى قريش غير نظرة جماع الاحاديث . كانوا يرون في قريش تجاراً لا همّ لهم الا جمع المال والاكثار من الارباح ، وهم ما عدا ذلك ، جبناء لا يجرأون على تسيير قوافلهم الا اذا دفعوا لبعض سادة القفر مبلغاً من المال في سبيل خفارة تلك القوافل[2] ، فتسير آمنةً « بما فيها من الحُماة والحفراء »[2] . ثم ان البدو كانوا ينفرون من الاقامة بمكة ، لانها كانت تمثل لهم مكاناً لا راحة فيه ،

ولا مرتع للبين ، او متنفّس ؛ ولكنّ تجرًا ، والتجارة أُحفرُ !(٤)

وهم يفتخرون احياناً بانهم يفلّقون جماجم اولئك التجار ، ويشقّون زقاق خمورهم ، فينتقمون لانفسهم او لذويهم ، وقد اجحف القرشيون بحقهم ، في تلك الايام العصيبة التي كانوا يلجأون بها الى مكة فيقفون على ابواب المصارف القرشية يطلبون قليلاً من المال على سبيل القرض[5] . فكان لا بدّ من اخذ الثأر ، ومن ان ينتصر البدو لانفسهم من اولئك التجار الذين اهانوهم فآلموا كبرياءهم . ولهذا كانوا ينتظرونهم خارج مكة ، فيهاجمونهم على رغم ما كان

١) كذلك الشعر الذي حذفه ابن هشام ، عندما اعاد النظر في « السيرة » ، ص ٥٧٢

٢) وهو امر لا بدّ منه . اطلب العقد ٣ : ٩١ ؛ الاغاني ١٩ : ٧٥ – حتى ان محمداً يذكر من العجائب انه يأتي يوم تسير فيه المرأة بلا خفير ، اسد الغابة ٣ : ٢٦٣

٣) الجاحظ : رسائله ٦٦ ؛ العقد ٢ : ٨٠ – واطلب ، في شجاعة المكيين ، الاسانيد العديدة التي يوردها Snouck Hurgronje, *Mekka*, I, 31, 32 . حتى ان القرشيين تركوا النزو لما كان يعرّضهم له من السرقة والنهب . . . السيرة الحلبية ١ : ٢٢٢

٤) الجاحظ : رسائله ٦٣ . ويقول الطبري في تفسيره ٣٠ : ١٧٢ ، عارضاً للسورة ١٠٦ من القرآن ، ان البدو كانوا لا يتعرّضون لقوافل قريش . وهذا من تأثير تلك النظرية الرسمية الرامية الى اقرار السيادة القُرشية حتى في العصر الجاهلي . . .

٥) راجع كتابنا في *La Mecque à la veille de l'hégire*

يعلقه القرشيون على انفسهم من لحا الشجر ليموّهوا على الناس انهم حجّاج فلا يتعرّضوا لهم. ذلك ما نستنتجه من قول الشاعر معاوية بن أوس ، وهو جاهلي :

وزنِ سَبات لذي مَنجرٍ أسْبَود كالرجل الاسحم
ضربت بجيب على غره ، وقائمه كيد الاجذم
الى التاجر العربيّ الشحيح او غر ذي النُطف الطمطم (١)

ومن شرح الجاحظ : « اراد بهذا كله قريش . يقول هم تجار ، وقد اعتصموا بالبيت ، واذا خرجوا علّقوا عليهم المُقل ولحا الشجر حتى يعرفوا فلا يقتلهم احد »(٢) . وكان البدو ، اذا اكتشفوا هذه الحيلة ، تزداد نقمتهم على أكلة « السخينة » ، والسخينة نوع من الطعام يُتخذ من الدقيق ويؤكل في شدّة الدهر وغلاء السعر ، وكانت قريش تأكله فعيّرت به وهُجيت(٣) ، حتى لُقّبت « بالسخينة » قال خداش بن زهير :

يا شدّة ما شددنا ، غيرَ كاذبة على سخينة ، لولا الليلُ والحَرَمُ

وقال عبد الله بن همام :

اذًا لضربتهم حتى يعودوا لمكة يلعقون بها السخينا (٤)

واننا لنسمع صدى هذا اللقب ، خمسين سنة بعد الهجرة ، في اهجية مرّة للنجاشي لذع فيها القرشيين ، حتى ان ابن قتيبة ، المتعصب للعروبة زمن العباسيين ، لم يغفر له هذه الجرأة ، فقال عند ذكره : « هجا قريشاً لعنه الله ! »(٥) . اما الابيات فمنها :

سخينةُ حيٌّ يعرف الناسُ لؤمَها قديمًا ، ولم تُعرف بمجدٍ ولا كرَمْ
فيا ضيعة الدنيا ، وضيعة اهلها ، اذا ولي الملك التابلة القُدُم

---

١) الجاحظ : رسائله ٦٢ ؛ البكري : المعجم ٦١٦ ؛ الازرقي ١٥٥ ، ٤٨٤
٢) الجاحظ : ك . م . ٦٢
٣) اطلب المصادر في كتابنا Yazîd, 45, n. 3 ؛ ابن هشام : السيرة ٧٠٥ ؛ ابن الاثير : النهاية ١ : ٦ ، ٣ : ١٥٢ – ١٥٣ ، ١٩٤
٤) الجاحظ : البخلاء (Van Vloten) ٢٥٨
٥) ابن قتيبة : الشعر والشعراء (de Goeje) ١٩٠ – اما في شأن عصبية ابن قتيبة للعرب وسيادة قريش فلتراجع رسالته المنونة « كتاب العرب » المطبوعة في « رسائل البلغاء » الطبعة الثانية ، نشر محمد كرد علي . ويبقى ان تثبت نسبة الكتاب لابن قتيبة .

هذا الهجو المؤلم اذاعه الشاعر في عهد معاوية الاول ، فدلّ على ما كان لا يزال واقرّاً في اذهان العرب من ازدراء قريش ، على رغم ما اتاه ذاك الخليفة الكبير، بشخصيته الجذابة وبانتصاراته السياسية، في تقريب العرب من الاقرار بسيادة قبيلة . ومن ذاك العصر ايضاً اهجية اخرى للنجاشي في قريش منها هذا البيت الذي يفوق ما تقدّم ايلاماً ولذعاً :

وحُقّ لمن كانت سخينة قومه ، اذا ذُكر الاقوام ، أن يتفتّما (١)

وهناك امر آخر كان يحطّ من شجاعة المكيين في نظر البدو ، هو ما أشرنا اليه من تعوّد القرشيين في الجاهلية الالتجاء الى مأجوري الاحابيش في الدفاع عنهم والمحاربة دونهم . وقد ذكر الرواة مقطعاً شعرياً مزدوج الفائدة لانه يطلعنا على قدم هذه العادة في اتخاذ « الاحابيش » ، دالّاً على انها ليست من الطرق التي لجأ اليها القرشيون مرةً مفردة او مراراً قليلة ، في عصر قريب من الهجرة ؛ كما يطلعنا على تلك العاطفة المتأصلة في سكان البادية تجاه هذا المظهر القرشي : ذكر صاحب الاغاني المقطع المذكور ، واشار الى قدمه قائلاً : « هذا شعر هجوا به قديماً » (٢) ، وهو :

فضحتم قريشاً بالفرار ، وانتم تعدّون سوداناً عظامَ المناكبِ
فاما القتال ، لا قتال لديكم ؛ ولكنّ مجراً في عراض المواكبِ

واذاً فلم يبقَ من شك في ان المكيين كانوا يستأجرون «السودان» الافريقيين في حروبهم ، سوداناً لا شك فيهم ، « عظام المناكب » . ولا يخفى ان هذا الوصف ذو قيمة جليلة لانه يطلعنا على ابناء حام فيحول بيننا وبين ما قد يتوهمه البعض ، اذ ينفون وجود السودان ويفسّرون « الاحابيش » بالعرب المسوّدة وجوههم بتأثير شمس الحجاز ، او المنسوبين الى ما يتصوّره اللغويون من وجود جبل اسمه الحَبْشي او الحُبْشي ... مما سنعود اليه . هؤلاء سودان يختلفون ، « بعرض المناكب » ، عن العرب المسوّدة وجوههم في مناطق الغور .

ولكن مَن كان بالحقيقة اولئك « الاحابيش » الذين ذكرناهم مرّات في

١) ابن قتيبة : الكتاب المذكور ، ص ١٦٠
٢) الاغاني ١ : ٢٠

الصفحات السابقة ؟ يحلّ ولهوسن المشكل بكل بساطة اذ يحكم ، بايجاز المعتاد ، انهم « حلفاء قريش السياسيون »؟[1] وهو قول «السيرة» ترجمه الى مدلوله العصري وانته الالمانية . على ان لفظ الاسم ، وما يثيره من تفكير سكان الحبش ، يحولان بيننا وبين الايمان المطلق بالشرح التقليدي[2] . ولا يخفى ان اسم الجنس « حبش » يجمع على « أحبوش » و«أحبوش» يجمع على « احابيش »[3] . وكلتا اللفظتين تدلّ على السودان ، على سكان حدود اريترية . وكانت تشير في اوائل القرن السابع خاصة الى اولئك العساكر السودان المأجورين[4] . ذلك ان اقيال اليمن ، على الرغم مما تناقلوه اباً عن جدّ من التذكارات المؤلمة عن احتلال الحبش بلادهم ، كانوا يتخذون جسوم من رجال الحبش ، كما قدّمنا . حتى اصبح الامر زيّاً معروفاً يتبعه الامراء والسادة ، وقد كان من الدوافع اليه نفور العرب من الخضوع للنظام العسكري . فاصبح لكل بلاط في اليمن ، مهما كان حقيراً ، عدد من اولئك « الاحابيش » ذوي الحراب ، يقومون بما كان يقوم به في اوربة الحرس السويسري . ولنا في شعر ابي الطمحان صورة حية لهذا الحرس الاسود ؛ وابو الطمحان من جملة الصعاليك الشعراء المخاوعين الذين عرفناهم بين اللاجئين الى مكة . ولا شك في انه خدم القرشيين خدماً تُذكر حتى

١) Wellhausen, *Reste arab. Heidentums*, 86, n. 3

٢) قابل بما ذكره كليان هوار في : Cl. Huart, *Nouvelles recherches sur la légende de Salmân du Fars*, p. 3 فقال : « الاحابيش . . . لا يسعنا الا ان نقارب بين هذا الاسم واسم الحبش »

٣) ابن دريد : الاشتقاق ١١٩ ؛ تاج العروس ٦ : ٢٦٢ ؛ Dozy, *Supplément*. I. 245 ويجمع ايضاً على « حُبشان » الاغاني ٢ : ٦٨ . اما في قول ابن قيس الرقيات (ديوانه ص١٧٩ البيت الاول) : « رجال من الاحابيش » فان اللفظة تعني هنا البدو ، وسنرى سبب ذلك في ما يأتي .

٤) الاغاني ١٦ : ٧٣ ، ٧٥ ؛ الجاحظ : الكتاب المذكور ٧٠ ؛ ابن السكيت : تهذيب الالفاظ (طبعة شيخو) ٥٢ وهو يورد قول العجّاج «أحبوش من الانباط» ، واذاً فهو غريب عن العنصر العربي . وفي غير ذلك « الاحابيش » = السودان كما في الجاحظ : الحيوان ٣ : ١٦٧ ، وفيها يذكر خصياناً من السودان فيقول : « فتيان من الاحابيش » ؛ وراجع ابن جبير : رحلته ١٩٤ ؛ ابن بطوطة ١ : ٢٧٨

شرّفوه برتبة « الحليف »[1] . على ان مـا يهمنا الآن شهادته القيّمة بشأن « الاحابيش » ، قال :

ولو كنت في ريّان يحرس بابه اراجيلُ أحبوشٍ ، وأغضفُ آلفُ
اذاً لاتتني ، حيث كنت منيّتي ، يخبّ بها هادٍ بأمري ، قائفُ[2]

***

واذاً فان « احابيش » السيرة والحديث يؤلفون هـذا الجيش الاسود ، وتكون مكة قد حلّت مشكل تجنيد السودان[3] قبل اوربة المتمدّنة بثلاثة عشر قرناً . فلا عجب ان صادفنا في جيش القرشيين فرقاً من هؤلاء السودان ، ونحن لا نزال نسمع الكثير من شجاعتهم واعمـالهم حتى في عصر المأسين ، بعد ان نُظّم الجيش العربي في القرن الاول للهجرة[4] ، بساعي معاوية الكبير ،

١) كان حليفاً للزبير بن عبد المطلب الهاشمي ، وهو رجل لا نعرف عنه شيئاً .

٢) الاغاني ١١ : ١٢٢ ؛ البحتري : الحماسة (طبعة شيخو) الرقم ٤٤٠ . وراجع ، بشأن ريّان القصر اليـني ، الهمداني : صفة جزيرة العرب ٢٢٤ ، وبشأن اراجيل ، وهو جمع رجال او رجالة ، ابن الاثير : النهاية ٢ : ٧٠ ؛ وبانت سُعاد (طبعة Guidi) ١٦٦ — وفي حماسة البحتري فصل كامل (الفصل الثالث والخمسون) لما يشبه بيتي ابي الطمحان في ذكر الموت وشموله وادراكه الانسان حيث كان . وما أشبه قول الشاعر العربي بمقطع مالرب (Malherbe) على لن يدل اللوفر بقصر ريان ، والحرس السويسري بالاحابيش :

Le pauvre en sa cabane, où le chaume le couvre,
Est sujet à ses lois ;
Et la garde qui veille aux barrières du Louvre
N'en défend point nos rois.

راجع ، في ذلك ، فؤاد افرام البستاني : توارد الخواطر بين بعض ادباء العرب وغيرهم من ادباء الاجانب (المشرق ٢٧ [١٩٢٩] : ٦٠٢-٦٠٣)

٣) اطلب في هذا الموضوع : *L'armée noire* dans la *Revue des deux mondes*, 15 Août 1912, p. 849-870

٤) الجاحظ : رسائله ٧٠ ، ٧١ ؛ الازرقي : ١٩٤ ، وفيه ذكر لجنود من السودان في جيش الحجّاج محاصراً مكة ؛ البلاذري : انساب الاشراف (مخطوطة) ص b٦٩٧ . وهناك ذكر لشرطة من السودان في المدينة على عهد المروانيين ، الاغاني ٢ : ١١٢ ؛ والحرس اسود في حاشية خالد القسري ، ابن عساكر (طبعة مدران) ٣ : ٤١٣

وبفضل تجنيد عرب الشام الذين كانوا قد الفوا نوعاً ما النظام الروماني . وقد دفعت هذه الذكريات الجاحظ الى تأليف رسالة ظريفة في « فخر السودان على البيضان » يُرخي فيها العنان لبلاغته وظرفه، فيدلّ على تفوّق السودان في الحروب خاصة على البيضان، اي على العرب[1] .

ولنعد الى زمن الهجرة فنرى من مآتي « الاحابيش » فيه ان اهل مكة ، لما اسرعوا الى موقعة بدر ، لم ينتظروا تجييش « احابيشهم » . وكان ذلك ، كما قدّمنا ، من هفوات زعمائهم ارباب المصارف الذين لم يتعوّدوا الحروب . فكان انهم اكتفوا ببعض الرجال من الحبش انفسهم خرجوا « يتقاذفون بالحراب » كما يقول الواقدي[2] ، ونحن نعرف ان الحراب سلاح الاحباش العادي[3] . ولا يخفى ان الحُبش هنا لا تفيد العبيد ، فان المكيين كانوا ابعد من ان يسلّموا عبيدهم السلاح . وكذلك القول عن وَحشي الاسود قاتل حمزة ، وابن الاثير يعدّه « من سودان مكة »[4] ، وقد كان دون شك من اولئك الجنود الذين الفوا مهنة الحرب ، وكان يستعمل الحربة كغيره من ابناء جلدته « وقلّما اخطأ بها شيئاً » ، على قول الواحدي[5] . وقد شاء ابن هشام[6] ان يخرج وحشياً من المعركة ، بعد قتله حمزة ، ليوهم ان السودان لم يكونوا يحاربون كمعسكر منظّم . ولكن لا مستند لقوله . بل اننا نرى وحشياً يحارب حتى في عهد ابي بكر ، فيشترك في حرب مسيلمة وليس لنا ما يدلّ على انه كان

---

١) طُبعت الرسالة في مجموعة من ثلاث رسائل : « مناقب الترك ، فخر السودان على البيضان ، التربيع والتدبير » وقد اهتمّ بطبعها Van Vloten ، فظهرت بعد وفاته ، سنة ١٩٠٣

٢) الواقدي (Kremer) ٢٢

٣) ابن هشام : السيرة ٥٨٢ ؛ الطبري ١ : ١٣٨٥ في كلامه عن وحشيّ : « يقذف بحربة له قذف الحبشة » ؛ السمهودي : الكتاب المذكور ١ : ١٨٧ ، ١٨٩ ؛ وراجع بيت لبيد المذكور سابقاً ، ص ١٠

٤) اطلب ترجمته في اسد الغابة ٥ : ٨٣

٥) الواحدي : اسباب النزول ٢١٥-٢١٦ ؛ واطلب ، في مهارة الاحباش بالجراز واستعمال السيف والترس ، صحيح مُسلم ١ : ٢٢٨ ، وصحيح البخاري ١ : ١١٦ ، ١١٧ ؛ ٣ : ٣

٦) ابن هشام : السيرة ٥٦٤

وحيداً من ابناء جلدته ؛ بل اننا لا نخطئ اذا اعتبرنا كلّ الحبش الذين حاربوا في بعوث قريش ، في بدر وأحد ، من اولئك « الاحابيش » النظاميين ؛ فخالفنا بذلك اقوال مؤرخي المغازي ، وكلهم يضنون على السودان بهذه الصفة ، فلا يرون فيهم الا عبيداً غايتهم الهاء سادتهم بالعاب السيف والترس ، كما كانت تلهيهم بالغناء تلك الجواري اللواتي كان يشتريهن تجار قريش بالثمن الغالي . حتى ان كتب الحديث تذكر لنا في المدينة بعض الحبشان يسلّون عائشة لاعبين بالسيوف . اما نحن فيمكننا ان نرى في اولئك العبيد السود فوق ما يريد ان يراه ارباب الحديث ، فلا نتراجع عن السؤال: أو لم يكن حبشان المدينة المذكورون من حرس النبي الاسود ؟

ولنتقدّم في ذكر النصوص القديمة في الحبش والاحابيش . ذكرت السيرة انه كان في معركة أحد « احابيش وعبدان اهل مكة »[1] . ولا يخفى ان واو العطف لا تفيد هنا التفرقة بل الشرح . فنتج ان « الاحابيش » المذكورين لا يمكن ان يكونوا الّا من اهل الحبش ، وهو معنى « العُبدان » ايضاً . وذلك ان الاكثرية الساحقة من الرقيق في بلاد العرب القريبة كانت من السودان في هذا العهد . وقد مال بعض العلماء المسلمين الى هذا الشرح منذ اقدم العصور . فتخيّلوا ، في ما تخيّلوه من شروح لاسم « الاحابيش »[2] ، ان هؤلاء المحاربين سُمّوا كذلك « لاسوادهم »[3] . كلّ هذا يدفعنا الى الاستنتاج ان الاحابيش كانوا من عنصر افريقي ، وكانوا يؤلفون كتائب سوداء ، في الجيش العربي ، وما اشبهها بكتائب السودان في الجيوش الاوربية اليوم ، بكتائب « العسكر » الاريتري في الجيش الايطالي ، وقد كثر الكلام بشأنها في يومنا هذا . يسمّي الايطاليون هؤلاء الجنود الافريقيين (askari) من لفظ المفرد عسكري . ومن

---

١) ابن هشام : السيرة ٥٦١–٥٦٢ ؛ الواقدي : ك . م . ٢٢١ ، ٢٢٨–٢٢٩ ، يذكر « عبيد قريش » (من السودان) يحاربون في أحد ، وبينهم وحشي ، وصوّاب . وسنعود الى ذكر هذا الاخير .

٢) ابن الاثير : النهاية ١ : ١٩٦ ؛ واطلب ما سيلي من الشروح اللغوية للفظة .

٣) تاج العروس ٦ : ٢٤٣

غرائب الاتفاق ان اللفظة نفسها: «عسكر»، «عساكر»، كانت تدل، في عرف العرب الاقدمين، على المحاربين المأجورين، بخلاف مَن كانوا يقاتلون في سبيل الذود عن قبيلتهم ومنازلهم. هذا ما يظهر من قول قيس بن الخطيم، الشاعر اليثربي، المتوفى قبل الهجرة بسنوات قلائل[1]. ولعله فكر، في قوله ذاك، باختلاط البدو والسودان اللاحقين بالجيش القرشي، ملتمعاً الى ان قومه آنف من ان يقبلوا معاونة «العسكر» المأجور؛ ولا نزانا مبالغين في استنتاجنا هذا، اذا ما انتبهنا لتلك المنافسة الدائمة بين المدينتين: مكة ويثرب!

***

بيد ان ما توصلنا اليه من نتائج بشأن المكيين واستعانتهم «بالاحابيش»، وباصل هؤلاء ومركزهم من الجيش القرشي، لأبعد من ان يُقرّ به التقليد الاسلامي المستند خاصة الى حوادث «السيرة» و«المغازي»، وكلها متأثرة بالرأي العام الاسلامي، على عهد العباسيين، من سيادة قريش، وشجاعتها، وتقدمها في كل شيء منذ العصر الجاهلي. ولا غرابة في الامر. فان ما يُنسب الى خالد بن الوليد وعمرو بن العاص[2] وغيرهما من كبار القرشيين، قادة الفتوح العربية، لا يتفق وما ذكرناه من ميل قريش عن الحرب والكفاح الى التجارة وتدبير الاموال، وما يتبع ذلك من تأصل الحذر والخوف الدافعين الى الجبن. ولا يخفى ان هذه الصفات تُلقي ظلاً من الشك يخفف من لمعان تلك المآثر الاسطورية المنسوبة الى علي وحمزة[3] وغيرهما من ابطال «المشاهد» او معارك الجهاد الملحمية. واننا نكتفي الآن بالاشارة الى هذا التناقض. على ان قدماء المؤلفين انفسهم لاحظوا شيئاً من ذلك، فحاروا في تعليل تلك الاعمال الخطيرة المنسوبة الى العبيد من السودان، فاخذوا يخرّجونها على طرق متنوعة،

---

١) راجع ديوانه (Kowalski) ١٨: ٢.

٢) كان عمرو، قبل هجرته الى يثرب، ينفق كل وقته في اعمال التجارة والمناقشات المالية والادارية.

٣) يذكر عن حمزة انه قتل بيده، في يوم أحد وحده، ٣١ رجلاً (اسد الغابة ٣: ١٨٥). اما علي فراجع ملخص مآثره في اسد الغابة ٤: ١٦-٢١

منها ما توفقوا فيه ، ومنه ما ظهر تكلّفه وتعمّله . من ذلك انهم جعلوا « احابيش » مكة يلتحقون ، في يوم أحد ، بالبثربي ابي عامر الراهب[1] . فاصابوا هدفين : علّلوا شجاعة الاحابيش بطريقة لا تنال من شجاعة قريش المزعومة ، وعملوا على خفض شأن السيد النصراني وقد غدا مكروهاً في نظر التقليد المدني لانه فضّل استقلاله الشخصي على الخضوع للنظام الشديد الذي سنّه النبي في المدينة . وهناك رواية ثانية عملت على انكار شجاعة الاحابيش انكاراً تاماً ، فزعمت ان قريش منعتهم الاشتراك في المعركة ، وتركتهم يحفظون الاعتدة والامتعة[2] . وكلها محاولات تنمّ عن حيرة الرواة الاقدمين . والغريب انها لم تلفت نظر علماء المستشرقين قبل عهدنا ، فظلّوا مدة على اعتقاد ولهوسن يكرر « الاحابيش حلفاء قريش السياسيين » .

هكذا يحاول الرواة ومؤرخو المغازي الحطّ من عمل الاحابيش في موقعة أحد ، وفي غيرها من المواقع ، ليظهروا شجاعة قريش ، حتى في زمن كانت لا تزال فيه على شركها ، فتنارى النبي وتكسر جنوده وانصاره كما حصل في موقعة أحد نفسها . على ان التاريخ ينسب هذا الانتصار لشجاعة الاحابيش وكثرة عددهم في الجيش المكي . ولكن لا بأس بذكر شيء من تلك المحاولات ، سواء أكانت في تخفيف وقع الانكسار على النبي وانصاره ، ام في الاشادة بشجاعة القرشيين المنتصرين . ولا يخفى ان موقف مؤرخي المغازي هنا على غاية من الدقة والحرج ، فهم في حيرة مزدوجة ، ولا مصادر لهم في الحقيقة الا ذاك الشعر القليل الراقي الى عهد الحوادث او الى ما بعدها بقليل . فكان لا بدّ لهم من استغلاله ، الا انهم لم يصرّحوا بهذا الاستغلال ، بل عرضوا ما استفادوه من الشعر ، كأنه معلومات مستقلة ، ثم اتوا بالابيات المستقلّة شواهد عليها . بيد ان النقد الحديث كشف الستار عن هذه العملية ، اذ تحقق وهن معلومات السيرة حيث لا شعر يسندها ، ولاحظ توافق معلومات السيرة والشعر القديم في مواضع النقص والاهمال . اما في ما يهمنا من موقف قريش والاحابيش اثناء

١) اطلب هذا الاسم في فهرس ابن هشام : السيرة ؛ السهودي ١ : ٢٠٣

٢) الواقدي ٢٢٧ ؛ الاغاني ١٤ : ١٢

المعركة ، فان حسّان بن ثابت، الشاعر اليثربي، ذكر ان لواء قُصيّ ، جدّ القرشيين في مكة وواضع دستورهم، نُقل من واحد الى واحد في معركة أُحد حتى قُتل من حَمَلته عشرة رجال[1] . فأسرعت السيرة الى تدوين هذا الحادث ، وفيه تظهر شجاعة قريش . ولقد كاد اللواء يؤخذ ، بعد مقتل هؤلاء العشرة ، لولا ان تقدّمت امرأة من اللواتي كان القرشيون قد اتوا بهنّ الى المعركة « لئلا يفرّوا »[2] ، واسمها عَمْرة الحارثية[3] ، فخاطرت بنفسها ورفعت اللواء . وهذا ما يشير اليه حسان بقوله :

... فلولا الحارثيةُ ، اصبحوا يباعون في الاسواق بيع الجلاجب[4]

وهو لا يدع تلك الفرصة تفوته، فيحمل على القرشيين ويعيّرهم بان رجالهم لم تطق حمل اللواء ، لان اللواء لا يحمله الا « الاشراف المرقون » وهو معنى « النجوم » في قوله :

لم تُطق حملَه العواتقُ منهم ؛ انما يحمل اللواءَ النجومُ ! [5]

ومهما يكن من تلميحات السيرة ، فان السودان ، فضلاً عن وحشي ،

---

١) حسّان : ديوانه ٥ : ١٧ ؛ الواقدي ٢٢٢

٢) الطبري ١ : ١٣٨٥ ؛ ابن هشام : السيرة ٥٥٧ ؛ السهودي ١ : ٣٠٠

٣) تجد نسبها في الواقدي ٣٠١

٤) ابن هشام : السيرة ٥٧١

٥) الديوان ٥ : ٢٢؛ وشرحه ، ص ١١ — ولا بأس بايراد عدد من ابيات هذه القصيدة، فتدلّ على روح حسّان الهجائية ونقمته على قريش، كما نشير الى المقطع الذي استقى منه مؤرخو « السيرة » ، في وصف تلك الحادثة . قال مخاطباً بني عبد الدار بن قُصيّ ، وهم من المشركين ، يومَ أُحُد :

ولي البأس منكم ، اذ حضرتم ، أسرةٌ من بني قُصَيّ ، صميمُ .
تسعةٌ تحمل اللواء ، وطارت ، في وعاءٍ من القنا ، مخزومُ .
لم يُولّوا حتى أُبيدوا جميعاً في مقامٍ ، وكلهم مذمومُ
بدمٍ عاتكٍ ، وكان حفاظاً أن يُقيموا ، ان الكريم كريمُ !
واقاموا حتى أُزيروا شَعوباً ، والقنا في نحورهم محطوم ،
وقريشٌ تلوذ لنا لواذاً ، لم يقيموا ، وخفّ منها الحلومُ ؛
لم تطق حمله العواتقُ منهمْ ؛ انما يحمل اللواءَ النجومُ !

قد اشتركوا في معركة أُحد . وها ان احدهم صُؤاب الحبشيّ[1] ، يتناول اللواء اخيرًا فيحميه حتى يُقطَع عليه . ولم يغفل حسان عن هذا الامر ، فاستغله على طريقته من هجو القرشيين بذلك الاسلوب اللاذع ، فقال :

جعلتم فخركم فيه لعبدٍ من ألئم من يطا عَفَر التراب[2]

من الحقّ ان حسان مر الهجاء، لاذع اللسان، وافر الفحش[3]. ولكنه يبذل جهده في تحريج انكسار قومه في أُحد ، وبالتالي فشل المسلمين. وما كنا لنلومه في هذا الاجتهاد. اما الغريب فهو ان تكتفي السيرة بجلّ ابيات حسان مقتنعةً بمعلوماته وحدها في تأريخ الحوادث ، فتذكرها دون اسناد ، او باسناد غامض لا قيمة له كقولها : « حدّثني بعض اهل العلم »[4] . بيد اننا لا نأسف لهذه السذاجة التي تطلعنا ، من حين الى آخر ، على طرق السيرة في جمع الاسانيد ونقد المعلومات ، فترفع ما قد يعلق في ذهننا من شكّ في سياسة القرشيين النفعية ، وعدم تعرّضهم ، ما امكنهم ذلك ، لمخاطر الحروب.

وقد شعر البدو ، منذ القِدَم ، بهذه الصفات في اهل مكة ، فعبّروا عنها باسلوبهم الشائق ذي الصور الفطرية ، مشبّهين قريش بالضبّ ، لانها تتراجع فتحتمي بالحرم اذا ما احسّت بالخطر، كما فعلت في اوائل حرب الفجار، وذلك قولهم : « سُمّي قريش البطاح الضبّ للزومها الحرَم »[5] . « وقريش البطاح » ، تعني سكان اوساط مكة ، وهي احياء السراة من كبار الراسماليين ، مقابلةً

١) وقد شاء بعض المؤرخين ارضاء الجميع ، فجعلوا صؤاب المذكور عبدًا لبني عبد الدار ، حملة اللواء الرسميين (الواقدي ٢٢٥ ؛ ابن الاثير : النهاية ١ : ٧٠) . على ان السيرة لا تذكر كيف انتقل اللواء من حُمْرة الى صؤاب . وانّى لها ذلك ولا مصادر لديها الا بيت حسان المذكور (السيرة : ٥٧٠-٥٧١ ؛ ٦١٠) ، فحيثما كثر الشعر القديم زادت معلومات السيرة ، والضدّ بالضدّ .

٢) الديوان ٢٠٠ : ٢

٣) حتى أن ابن هشام يحذف عددًا من ابياته بسبب افذاعها (السيرة : ٥٢٢ ، ٥٢٤ ، ٥٧٢ ، ٥٨١) .

٤) ابن هشام : السيرة ٥٧٠ . اما الواقدي فيحذف هذا الاسناد في سبيل ايجاز روايته .

٥) البلاذري : الانساب ، المخطوطة المذكورة ، ورقة ٢٢ قفا .

« بقريش الظواهر »[1] . وكذلك الكلام عن اهل المدينة من الانصار ، وهم اخبز من غيرهم بالقرشيين ، واقلّ تلطفاً في نعتهم ، اذ كانوا يشبهونهم بالعجائز الصُلع في جبنهم وضعفهم في مواطن القتال[2] . حتى ان يهود يثرب انفسهم نبهوا النبي كي لا يغترّ بانتصاره على قرشيّ مكة لانهم «اغمار لا يعرفون القتال»[3] . ولقد ازداد احتقار اليثربيين لاهل مكة ، دون شك ، كما يُستنتج من احتجاج النبي امـام الانصار ودفاعه عن شجاعة قريش[4] ، كما دافع ايضاً عن جمالهم ، امام انصاره المدنيين انفسهم[5] . ولا بأس في ان نذكر من جملة تلك المنازعات بين القرشيين والمكيين، ما وقع لحسّان بن ثابت، والحرث بن هشام المخزومي. وقد فرّ هذا في وقعة بدر، فهجاه حسان وعيّره جبنه وفراره. فلم ينكر الشاعر — وقد كان الحرث شاعراً — ولم يجد غير هذا العذر دفاعاً عن موقفه ، بل فراره المخجل ، قال :

وعلمتُ اني ، ان اقاتلْ واحداً أُقتَلْ ، ولا يضررْ عدوّي مشهدي[6]

أو هناك اوضح من هذا الاقرار بجبنه وجبن قومه ، وفرارهم جميعاً ؟ على ان هذا البيت المشؤوم، الذي لا ينتهي جمّاع المنتخبات الادبية من الاعجاب به[7]، لم يمنع الشاعر المخزومي من التمتع باحترام عشيرته ؛ فعندما اراد هجر مكة ، لعشر سنوات مرّت بعد الحادثة ، ودّعه سكانها وداعاً قلّ ان يحدث مثله ، فشيّعوه والحسرة في قلوبهم ، والدموع بعيونهم حتى « لم يُرَ يوم كان اكثر

١) اطلب اسد الغابة ٣ : ١٧٢ ؛ Lammens, *La Mecque*, 53...

٢) قابل بابيات كعب بن مالك في يوم بدر ؛ ابن هشام : السيرة ٥٢٨ ؛ ابن الاثير : النهاية ٢ : ٢٧٢

٣) ابن هشام : السيرة ٢٨٢ ؛ الواقدي ١٧٨ ؛ ابن الاثير : النهاية ٣ : ١٧٠

٤) الواقدي : ١١٠، ١٧٨

٥) اسد الغابة ٣ : ٢٧٣

٦) ديوان حسان ٣ : ١١ ؛ ١٥١ ؛ ابن قتيبة : المعارف (الطبعة المصرية) ٦٥ ؛ ابن هشام : السيرة ٥٢٢ ؛ ثم ٥١٧ ، ٥٢٠ ، ٥٦٦

٧) راجع العقد ١ : ٤٢

باكياً وباكيـةً »[1] . ولا شكّ في ان اولئك الرجال تدارسوا بعضهم بعضاً ، فتفاهموا ، وتساءلوا مـا قد يعدّه غيرهم من مخازي الرجولية . يؤيّد ذلك ان النبي نفسه شعر بالحاجة الى تحليفهم اليمين كي لا يفرّوا في الحديبية[2] . كلها اسباب دفعت مؤلفي السيرة وارباب التأريخ الرسمي الى العمل على اخفاء بعض هذه المخازي ، متناسين مقاومة قريش المستطيلة للنبي، مجتهدين في سدل الستار على مظاهر جبنهم ، واتقائهم مخاطر الحرب، يوم أُحد، باحابيشهم وعبدانهم . وهل من حاجـة الى المراجعة واقرار الترادف بين هاتين اللفظتين ؟ ان يكن الاحابيش « حلفـاء قريش السياسيين » ، على ما يريد ولهوسن ، فاي معنى محقّر في اسمهم ، وكيف صارت اللفظـة « احابيش » من اقـذع الشتائم واقبح النعوت كما نراها في فم نابغة الهجاء حسّان ، وهو من اعرف ابناء عصره بقيمة الالفاظ الهجائية ، ومواضع السباب ، اذ نراه لا يتردد في استعمالها ، عندما اراد هجو بعض اعداء النبي ، من البدو ، فقال :

انّ احابيش جُمّعتم بلا نسبِ[3]

هذا السهم الدقيق المسدّد يقع دون الهدف ، وبالتالي فلا يخلق بحسّان ان يريشه ، اذا فهمنـا « بالاحابيش » مـا يقصد المحدثون ان يفهمونا اياه من كونهم « حلفاء قريش السياسيين ! » وهم لا يتعبون هذا التعب الا في سبيل تخليص قريش من عـار الالتجاء الى عبدان اجانب عن العرب . فتراهم يتمثلون للفظة « احابيش » ، شروحـاً تُرضي السيادة القرشية ، مسلّمين بان قوم ابن جدعان ، وابي أُحيحة ، وابي سفيان ، كانوا يلجأون الى جيرانهم البدو ، الى الحلفاء ، الى اللصوص من أسلم وغفار . ولا بأس في ذلك ما دام هؤلاء من العرب . وهو ما تفهمه السيرة بلفظة « احابيش » . أوَ لم يقرّ معاوية الكبير هذا

---

١) والتعبير من القوالب التي يردّدها الحديث مئات المرّات . اغاني ١١ : ١٥٢ السهودي ١ : ٢٢٧ ؛ ٢ : ٤٠٩ ؛ *Le Berceau*, I, 196

٢) اسد الغابة ٣ : ٢٦٥

٣) الديوان ٦١ : ٢

الحـادث ، وهو اشهر مَن يمثل العلم السياسي عند العرب[1] ، فهنأ البدو على محاربتهم في سبيل قريش[2] . وقد كان خليقاً بهذا السياسي الداهية ان يتكلم بما شاءت له مهارته البليغة - على انه لم يتوصل الى اقناع شعراء البدو ، وفيهم من كان يجمع السذاجة الظاهرة الى دقة الملاحظة وتفهم حقيقة الامور، فيقول:

نزلت قريشٌ لذّة العيش ، وانّفت بنا كلّ فجٍّ من خراسان ، اغبرا (٣

هذا في الاسلام ، وقد اخذت الامبراطورية العربية تنشر السيادة القُرشية بانتشار اعلامها وجيوشها . اما قبل الفتوح فلم يكن البدو ليصبروا على ادعاء القرشيين ، ولا ليحترموا « سخينة » . وشاهدنا ذاك الشعر الجاهلي الذي يفتخر فيه اربابه بانتصارهم على اهل مكة ، ويحملهم على « سخينة » حملات لم يوقفها الا الليل ومنطقة الحرَم . وقد ذكرنا شيئاً من هذا الشعر في ما تقدّم . ولا بأس باعادة بعضه . من ذلك قول خداش بن زهير :

يا شدّةً ما شددنا ، غير كاذبةٍ على سخينة ، لولا الليل والحرَمُ ! (٤

بيدَ ان بني غفار لم يكونوا ليحترموا الحرَم ، كما تقدّم لنا فذكرناه في اول هذا المقال. اما غيرهم من البدو فكانوا يتجاوزون ذلك في ذكر شجاعتهم وبطشهم بالقرشيين ، فيقولون ما قال عبدالله بن همام :

اذا لضربتُهم حتى يعودوا لمكة يلتمون بها السخينا (٥

---

١) اطلب كتابنا *Mo'âwia* ، واستنتاجاتنا في *Berceau*, I, 332-334

٢) العقد ٣ : ٤١ – كان النبيّ افضل من يمثل الشجاعة المكية ، في نظر المسلمين ؛ النبي ثم ابو بكر ، وقد ظهر كلاهما في العريش ، اي الخيمة من ورق الشجر ، في بدر ، يراقبان تطورات المعركة ، ويصدران الاوامر عن بعد (اسد الغابة ٣ : ٢١٣) . حتى ان الملك جبريل لام النبي بكل بساطة ، فقال : « انت في الظلّ ، واصحابك يقاتلون في الشمس ! » (اسد الغابة ٥ : ١٦٦) .

٣) ابو تمام : الحماسة (Freytag) ٦٦٧ ؛ قابل بابيات عمرو بن معديكرب : (الاغاني ١٤ : ٤٠) . وفي اسد الغابة (٣ : ٢٨٠) ، ان البدو « مادة الاسلام » ، راجع *Berceau*, I, 332

٤) الجاحظ : البخلاء ٢٥٨ ؛ الاغاني ١٩ : ٧٦ ؛ العقد ٣ : ١٣

٥) الجاحظ : البخلاء ٢٥٨ ؛ Yazîd, 46 – وهناك بيت في هجو « سخينة » اورده صاحب الاغاني (١٥ : ٣٩) وهو :

همّت سخينة ان تغالب ربّها وليُغلبنّ مغالب الاغلابِ

واننا لنخطئ اذا صدقنا هذه الاقوال ، كما هي . ولكن مهما كان فيها من المبالغة ، فان القرشيين كانوا ، في العصر الاسلامي ، يشعرون بشدة وطأة تلك التذكارات القديمة ، وبعدم توافقها والسيادة الحالية على العالم العربي . فكان لا بدّ من محوها شيئاً فشيئاً ، والعمل على ان تبدل بها سيادة قرشية تستند الى اقدم العصور . هذا ما كان من واجبات المؤرخين الرسميين ، وهم يكتبون تحت مراقبة خلفاء بغداد ، اشهر من يهمهم هذا الابدال .

***

ولنعد الى الاحابيش او العساكر السود . فكر النبي ، بعد فتح مكة ، بالسير على بني هوازن . فنصحه ابناء وطنه ان يستخدم ، في ذلك ، الحبشان واكثرهم من رقيق بني مخزوم[1] . واذاً فقد كان هذا النوع من التجنيد معروفاً . على ان النبي اجاب ، كما يزعمون ، بقوله : « لا خير في الحبش ؛ ان جاءوا سرقوا ، وان شبعوا زنوا »[2] . واي حكم اوضح من هذا ، واشدّ وقعاً ! وكيف لنا بالبرهان على شجاعة القرشيين المشركين ، الذين كسروا في بدر ، والخندق ، ويوم الفتح ، وكانوا يدفعون بالعسكر المأجور ليحارب عنهم ، حتى انهم حضروا وقعة حنين حضور المشاهدين ليس غير ولم يخطئ الانصار اذ وصفوهم فقالوا : « كثير شحم بطونهم » . وهي صفة رجال الاعمال المستقرّة ، والتجارة المطمئنة ، لا رجال الكدّ والسفر والحروب . وهناك مشكل جديد يقتضي بعض الشروح . وهو ان النبي نفسه الذي يحكم الحكم الشديد على الحبش في هذا القول فينفي صلاحهم للحرب ، يمدح ، في قول آخر ، خالد بن الوليد لانه وقف « رقيقه في سبيل الله »[3] ، اي في سبيل الجهاد ، في سبيل الحرب المقدسة . ولم يكن رقيق خالد ، وهو مخزومي ، الا من اولئك العبيد . لان الرقيق

---

١) الاغاني ١ : ٢٢

٢) الاغاني : الموضع نفسه ؛ والسيوطي : الموضوعات ١ : ٢٢١

٣) ابو عبيد : غريب الحديث (مخطوطة كوبريولو ، استانبول) ، ص ١٠ ؛ ابن الاثير : النهاية ٢ : ٢٠

الابيض كان نادراً في مكة آنذاك[1] . ومهما يكن من امر ، فان المؤرخين الرسميين لا يرضون ، بحالٍ من الاحوال ، ان يخلط بين هؤلاء العبيد الحبشان « وأحابيش » قريش . وهم يزعمون ان « الاحابيش » ، بدو من قبائل تهامة ، وقبائل جنوبي الحجاز ، من كنانة[2] وخزاعة . واذاً فهم عرب خُلَّص[3] ، كانت قريش ، استناداً الى معاهدات وحالفات سابقة ، تستدعيهم للاشتراك معها في الحروب . وهذا معنى ما يوردونه من اقوال عن قريش وانها كانت « تستجلب العرب في بواديها »[4] ، واحياناً كانت تستأجر حياً كاملاً من قبائل العرب[5] .

اما من لا يكتفي بهذه الشروح الواضحة في نظر المؤرخين الرسميين ، فلا يستحق الجواب الشافي . على ان هناك مشكلاً لم يُحلّ ، وهو الشبه القريب بين لفظ « الاحابيش » ، واسم سكان حدود الاريتره الغربية . وهنا اخذت مخيّلات لغويي العرب بتوليد الشروح والمشابهات المتنوعة ، ولا شيء يصدّ تلك المخيّلات في سبيل الشرح والتعليل . فكلما غرب اللفظ غرب شرحه وبعُد استخراجه . يسهّل ذلك ما في اصول اللغة من مرونة ، وما في تصاريفها وصيغها من لين وتنوّع . فكانت النتيجة ان من يشرح لفظ « الاحابيش » بقرابته مع « الحَبَش » و« الاحبوش » يضلّ ويضلّل . أوَ ليس في اللغة فعل « تحبّش »

---

١) راجع الاغاني ١ : ٢٢

٢) قابل بشطر يورده ابن هشام : السيرة ٧٠١ ، لشاعر مكّي معاصر :

جمع من كنانة غير عُزْلِ

٣) ابن قتيبة : المعارف (طبعة مصر) ٢٠٧ ؛ العقد ٣ : ٤٧ ؛ الازرقي ٧١ ؛ البكري : معجم ٢٦٣ - ٢٦٤ ؛ ابن دريد : الاشتقاق ١١٩ ؛ ياقوت : معجم (طبعة مصر) ٣ : ٢٤١ ؛ الاغاني ١٩ : ٧٦ . وقد ذكر ميل خزاعة الى محالفة محمد منذ الهجرة خاصة ، الواقدي ٢٢٩ ؛ الطبري ١ : ١٥٢٥

٤) الواقدي ٢١١ ؛ وقابل بقول حسان المذكور اعلاه :

انتم احابيش جُمعتم بلا نسب !

٥) الواقدي ٢٦٢ — او يصحّ ان نرى الاحابيش في اولئك الشذّاذ من « اوباش واتباع قريش » ، الذين قاوموا خالد بن الوليد ، يوم الفتح ؟ الطبري ١ : ١٦٢٥ ؛ الحازمي : ناسخ ومنسوخ ١٥٤ ؛ ابن الاثير : النهاية ٤ : ١٩ — وعلينا ان نشير هنا ان مادة « الاحابيش » غير موجودة في دائرة المعارف الاسلامية !

بمعنى « اجتمع » ، يعززه عدد من اقوال الائمة ونصوص القدماء[1] ؟ واذاً « فالاحابيش » غير سكان بلاد الحبش . يُسلّم اللغويون والمؤرخون بانهم من العسكر المأجور الذي كانت تستخدمه قريش ، لانهم لا يمكنهم انكار كل الحقائق التاريخية . على انهم يتراجعون امام الفكرة بان قريش استعانت بالحبش . فيجعلون الاحابيش من العرب ، تحالفوا مع قريش ، قديماً[2] ، فكانت تستعين بهم لتعبئة جيوشها[3] . اما اسم « الاحابيش » الذي يُطلق على هؤلاء العساكر فيشتقه اللغويون من اسم جبل حبشي الذي تحالفوا عنده . وهذا قول ابن دريد عنهم : « حلفاء قريش تحالفوا تحت جبل يقال له حبشي فسمّوا الاحابيش »[4] . اي شرح ابسط من هذا ، واقطع المسؤال والاستيضاح والنقد . على ان النقد لا يؤمن بهذه البساطة ، فيسأل : ولماذا سار المكيون بعيداً ، ففتشوا عن موضع لاجراء ذلك التحالف ، خارجاً عن حرمهم ؟ ولا يخفى ان المعابد كانت كثيرة في مكة ، ويقول الحديث ان العرب كانوا يقدمون اليها من جميع انحاء بلادهم ، بل من الشام والجزيرة ليعقدوا محالفاتهم او ليجددوها[5] ! ولا يمكن القول ان موقع الحلف اختاره « الاحابيش » انفسهم واضطروا قريش الى قبوله . فان اولئك المعاهدين ، في نظر الرواة ، كانوا من خُزاعة ومن كنانة . ويظهر ان بعض المؤرخين شعروا بامكان هذا الاعتراض ، فحاول اليعقوبي التخلص منه واضعاً في فناء الكعبة مكان حِلف الاحابيش[6] . ولاشكّ

١) اطلب ابن السكيت : تهذيب الالفاظ (طبعة شيخو) ٥٢ ، ٧٠٦ ؛ ابن قتيبة : المعارف ٣٠٢ ، نقلاً عن حماد الراوية ؛ حسان بن ثابت : ديوانه ٦٣ : ٢ ؛ وابن هشام : السيرة ٢٤٦ ، ٣ : ٨٠

٢) اطلب رواية نقلها صاحب الاغاني (١٦ : ٦٦ ، ٦٧) ، ولكنها غير قديمة ، وعليها مسحة الوحي السبامي .

٣) وهو معنى « استأجر » الواردة في كثير من النصوص القديمة . اطلب الاغاني ١٨ : ٢١٢

٤) ابن دريد : الاشتقاق ١١٦ ؛ ابن هشام : السيرة ٣ : ٨٠

٥) ابن سعد : الطبقات ١ : ٤٤ ، وهكذا يسمي المحدثون على جرّ قبائل كلب وتغلب الى مكة احياناً . . .

٦) اليعقوبي : تاريخه ١ : ٢٧٨ ، ١٧٦ . وقد استند التاريخ الى الشعر على طريقته المعروفة . قابل بما في ابن هشام : السيرة ٥٥٦ ، وهو يذكر الحطيم . « والحطيم » مسجد لم تتفق هويته بعد .

في انه بهذا الوضع اولى الحلق روعة دينية لم تكن له. ولكنه ، بحذقه جبل « حبشي »، افسد على اللغويين شرحهم واجتهادهم في تخريج اصل « الاحابيش » من غير سكان الحبش. . .

بيد ان هؤلاء لم يتنازلوا عن جبلهم «حبشي»، بل ظلوا متمسكين به، على حيرتهم واضطرابهم في وضعه من تلك الارض . وهو بحث سنعود اليه، فنزيد معلوماتنا عن اصل « الاحابيش »، في جزء مقبل من « المشرق »، ان شاء الله !

الارز

الارز

عن « الجبل الملهم » لشارل قرم*

نقلها سعيد عقل

ايها الارزُ ، غابةَ الربِّ ، ايّ المبتريين لا يهي في نشيدِكْ !
انتَ ، يا شاهد الممالك والآزال تنهار في ظلال خلودِكْ !

يا سخياً على سليمانَ ، يبني منك ، في قدسه ، قبابَ الهيكلْ ؛
زارعَ البحرِ والعصور الخوالي سفناً كنْ للبريّة مِشعلْ .

ارزَ لبنان ، ارزَ بحرانِنا الحلوِ ، وارزَ الذهولِ والخُيَلاء ،
قَبَسٌ منك ، فوق راحة لونجين ، ارتمى تَدْمُرًا على الصحراء !

يا عَطوفاً بالظلّ من معطفِ الخضرَ ، والفرحِ من طيوبٍ زكيّهْ ،
بغنوج الحريرِ والدرّ يحمي حقّنا بالحياةِ والحريّهْ !

خاطبِ القبةَ الحنونَ ، ولا تقطعْ مع الله من حديثك شيأ ؛
ضجّ باللحن فوق اعوادك الجُهمِ ، وبالصوت خافقَ النبض حيأ !

---

*) الثقل محطور .

ايُّ داودٍ ينثيك : سماء ، وقبابْ ،
حيث لا فاتحَ الا ارتدْ : طَرفاً ، وحرابْ ،
واكتسى لون العذابْ !

ايُّ فكرٍ يتقصّاك : جباهاً ، وقُلَلْ ،
وقصوراً من زهورٍ وعناقٍ وقُبَلْ ،
انت ، يا ارزَ الازلْ !

ايُّ سحرٍ علويٍّ يملأ الارض فتونْ ،
والاساريرَ رضًى أنورَ ، والقلبَ جنونْ ،
منذ تلقاك العيونْ !

كيف تبدو ، يا مزيجاً من شفافٍ وضياءْ ،
جامعاً في اجنحِ الاملاك ، في وهم الفضاءْ ،
بين ارضٍ وسماء !

انتَ ظلّلتَ قلوبَ الاهلِ ، ظلّلتَ الوطنْ ،
عهدَ كنّا ، في النوايا البيض ، اهلاً للزمنْ ،
تحت افياء القُنَنْ !

قانعٌ انتَ بتلٍّ ، قبلُ جلّلتَ سفوحَهْ ،
قانعٌ بالجذع يسقيك – ولو تدري طموحَهْ ! –
دمَ لبنانٍ ، وروحَه !

يا رعاك الشلُّ ، فوق التلّ ، ورديًّا ، أجدْ ،
ملأت اغصانُك الخضراءُ آفاقَ الجلَدْ ،
عانقت وجهَ الابدْ !

هوذا سورك يحني دونه شمّ الجباه ،
قدسيُّ الباب والنبرة ، تلقاه الشفاه
بخشوع وصلاه !

جوّه ينقل من سرّ الى سرّ عميق ،
باعثاً في الفيء شدواً ، وعلى التلّ بريق
من الصمت يستفيق !

ايها الارز ، ذخيرات الزمان الاقدس ،
حضن ابراهيم انت ، ارتاح بين السندس ،
يا نعيمَ الانفس !

هوذا واحدة منك اكتست ثوب الجدود ،
جذعها ضمّة عشر من جميلات القدود ؛
عمرها بعض الخلود !

هوذا واحدة ، كالليلة القمراء ، تنعس ،
تتهادى بين جذعين من الصلب ، فتلبس
رمزَ ثالوثٍ مقدس !

هوذا واحدة كالوبّ بين الرُسُل ؛
كبرت ، واسمَ لامرتين ؛ ولما تزل
في فضاء النزل !

هوذا واحدةٌ أحرقها النازي ضحيّة ،
وتراها لم تزل تُلوي على اختٍ فتيّة ،
تنهل الخضرةَ حيّة !

هذا واحدةٌ تنشقُّ عن نبعِ مياهْ ،
يملأ الزائرُ منها كفّه ، يروي اللهاهْ ،
بعد حجٍّ وصلاهْ !

***

وأرى الوَلهى من الادواح ، والحرّى الشُّهادْ ،
وأرى الكرمةَ ، أمَّ الدهر ، والاسمى مرادْ ،
ارزةً رامزةً ، او ارزةً فوق العبادْ ،
وأرى الرُّؤيا بحبِّ الناس ، والغضبى الفؤادْ ؛
ارزنا اجمع يستهويه غفرانُ الذنوبِ ،
والتفاتُ القريبِ ؛
فهو حُبٌّ وجهادْ !

الملكيون

بطاركتهم الانطاكيّة، ولغتهم الوطنيّة والطقسيّة

بقلم الخوري اسحق ارملة السرياني

تمهيد

١ً : الملكيّون

الملكيّون، والملكانيون، والملكانيّون، جمع ملكيّ، وملكانيّ، وملكانيّ، من السريانية ܡܠܟܝܐ و ܡܠܟܝܐ، باسكان اللام مطلقاً[1]، هم المسيحيّون الشرقيون المنتمون الى الكرسي الانطاكي، الخاضعون لملوك الروم، المعتقدون بتقرير المجمع الخلقيدونيّ المسكونيّ، المحافظون على عهود الولاء والطاعة للكرسي الروماني، اوّل الكراسيّ الرسوليّة الاربعة.

واسم «الملكيّ» هذا قد أطلقه عليهم، منذ اواسط القرن الخامس، اخوانهم السريان الذين كانوا مثلهم ثابتين في المعتقد القويم. وأسموهم ايضاً «روماً» و «خلقيدونيّين» و «يونانيّين»، لانهم قالوا بمقالة مرقيان ملك الروم (٤٥٠ – ٤٥٧)، واتبعوا معتقد المجمع الخلقيدوني المنعقد عام ٤٥١، وتركوا على تراخي الزمان طقسهم الانطاكيّ السريانيّ القديم وبدّلوا به الطقس البوزنطي اليونانيّ. قال ابن الصليبي الكاتب السرياني المشهور († ١١٧١): «ويسمّون ايضاً ملكيين لانهم تركوا ايمان الآباء وتبعوا رأي مرقيان الملك»[2]. وقال طيمثاوس، جاثليق السريان الناطرة (٧٧٩ – ٨٢٣): «لمّا استخرجنا كتاب

١) وهكذا شبّاه الفرنج نقلاً عن السريان، فقالوا : Melkite

٢) ܡܠܟܝܐ ܕܡܬܩܪܝܢ ܐܝܟ ܕܫܘܬܦܘ ܕܐܝܡܢܘܬܐ ܕܐܒܗܬܐ ܘܐܬܟܢܝܢ ܠܪܥܝܘܬ ܡܠܟܐ. (مقدّمة القدّاس). اما زعمه اسم «تركوا ايمان الآباء»، فلأنّ الكاتب ابن الصليبي كان مونوفيزيتياً مخالفاً لعقيدة مرقيان والمجمع الخلقيدوني.

التيكون من السريانية الى العربية . كان مضا (في بغداد) قومٌ يونان بينهم بطريرك الملكيّين »[1] . وكتب الى ماران زخا ، اسقف نينوى : « ان الايمان والعماد والكهنوت واحدٌ عندنا وعند الملكيين وعند السوريّين »[2] . وكتب المؤرّخ الرهاويّ عن يوحنا بن عبدون ، بطريرك السريان المنوفيزيتيين (١٠٠٤ - ١٠٣٠) ، انه لما ارتحل في ستة اساقفة وعدّة رهبان الى قسطنطينية كان معهم : « يوحنا اسقف ميافرقين الملكي »[3] . وكتب المؤرّخ عينه عن موديانا ܡܘܕܝܢܐ ، اسقف ماردين ، انه في نحو السنة ١١٩٤ « ظعن الى قسطنطينية وصار خلقيدونيًا وولّاه الخلقيدونيون أبرشيّة ميافرقين . وهم ملكيّون يقضون صلواتهم وطقوسهم باللغة السريانية »[4] . وكتب المفريان غريغوريوس ابن العبري في معرض كلامه عن الأديان الشائعة في عهده : « ومن النصارى من تحرّى طريقة وسطى بين طريقتي اليعاقبة والنساطرة فقالوا بالاتحاد الاقنومي الطبيعي . وهم اليونان ، والروم ، والملكيون السريان ، والموارنة السريان »[5] .

وما عدا السريان ، فان الملكيين انفسهم قرّروا ان اسم « الملكية » أطلق عليهم منذ عهد مرقيان . قال سعيد ابن بطريق († ٩٦٠) : « وخلف مرقيانَ الملكَ لاونُ وكان حسنَ الايمان ملكيًا »[6] . وكتب عن انسطاس الملك انه

١) هو ثاودوريط بطريرك الملكيين (٧٨٧-٨١٣) وسيأتي ذكره في محله .

٢) ܘܠܘܬ ܐܝܟ ܡܫܝܚܐ ܕܡܠܟܝܐ ܕܢܝܢܘܐ : ܗܘܝ ܒܗ ܡܢ ܡܫܝܚܐ ܕܡܠܟܝܐ ܕܢܝܢܘܐ ܕܡܬܩܪܝܢ ܡܠܟܝܐ . واراد « بالسوريّين » اتباع سويرا ، بطريرك انطاكية (٥١٢-٥١٨) الآتي ذكره .

٣) ܡܝܡܪ ܐܝܣܬܦܢܘܣ ܡܠܟܝܐ ܕܡܝܦܪܩܝܢ : الرهاويّ ٦٣ من التاريخ اليعي . وميخائيل الكبير ٥٦٣ .

٤) ܐܝܟ ܐܦ ܡܫܝܚܝܘܬܐ ܕܡܠܟܝܐ ܕܡܘܕܝܢܐ ܕܗܘ ܡܬܩܪܝܢ ܡܠܟܝܐ ܕܡܬܩܪܝܢ ܡܠܟܝܐ : ܘܐܝܟ ܡܠܟܝܐ . ܕܡܬܩܪܝܢ ܡܠܟܝܐ ١٠١ من التاريخ اليعي . واطلب مقالتنا في المشرق ١٠١ [١٩٠٧] ٦٩٦ .

٥) ܡܢܝܢ ܐܝܟ ܕܡܬܩܪܝܢ ܡܠܟܝܐ ܕܐܪܡܝܐ ܕܐܝܬ ܒܗ ܡܫܝܚܐ ܕܡܠܟܝܐ ܕܡܘܕܝܢܐ ܕܡܬܩܪܝܢ ܡܠܟܝܐ . ܕܡܬܩܪܝܢ ܡܠܟܝܐ . ܕܡܬܩܪܝܢ ܡܠܟܝܐ . منارة الاقداس ف ٣ ق ٦ اساس ٤ .

٦) تاريخ ابن بطريق ، طبع بيروت ، ١ : ١٨٤ و١٩٣

« كان يعقوبياً مخالفاً لمقالة الملكية » . وكتب ابن الراهب القبطي : «مرقيان الملك في ايامه كان المجمع الرابع بخلقيدونية في اوّل سنة من ملكه بحضور ستمائة وثلثين اسقفاً . وسُميت الطائفون للملك القائلون بقوله ملكية » . وكتب ايضاً : « انسطاس يعقوبيّ . نفى . . . فلابيانس بطريرك انطاكية لاجل انه كان على رأي الملكية »[1] . وكتب اغابيوس المنبجيّ الروميّ الملكيّ : « ومات بلودوسيوس الصغير وملّك بعده مرقيان قيصر الحسن العبادة . . . وكان في ايامه المجمع الرابع في خلقيدونية . . . افهم يا اخي الملكي : ان السريان يبغضون هذا الملك »[2] . وكتب المؤرخ نفسه : « وفي السنة الرابعة عشرة لهرقل (٦٢٤) ضيق كسرى على اهل الرها ممن كان على رأي الملكية . واخذهم بان يقولوا بقول اليعقوبية »[3] . وكتب ايضاً : « اتى هرقل الرها فأمر النصارى الذين بها بالرجوع الى رأي الملكية فرجعوا الى هذه الغاية عن اليعقوبية خلا نفر منهم فانهم ثبتوا في اليعقوبية »[4] . وكتب المؤرخ القبطي ابن العميد († ١٢٧٣) : « وأمر مرقيان بحرم ديسقورس . . . فمن ذلك الوقت افترقت الكنيسة وصارت على مذهب مرقيان الملك . واليعقوبية على مذهب ديسقورس » . واستتلى : « وكان لاون الملك على مذهب الملكية . . . يوسطنيانس ملك تسعاً وثلاثين سنة باتفاق المؤرخين . . . وكان ملكياً . . . واحضر طيماثاوس بطريرك الاسكندرية الى قسطنطينية وأمره ان يرجع الى مذهب الملكية فلم يقبل »[5] .

اخيراً كتب السيد البطريرك مكسيمس الثالث مظلوم (†١٨٥٥) : « واما لقب كنيستنا بتسمية ملكية . . . فقد أُعطي لها غبّ نصف الجيل الخامس للمسيح . من السريان الذين حُرموا من المجمع الخلكيدوني . . الذي كان مخالفاً عن تحديداته وأوامره المقدسة الملك مركيانس . . . فهذا اللقب الذي

١) تاريخه الذي نشره الاب لويس شيخو اليسوعي ٤٨-٤٩
٢) تاريخه الذي نشره الاب المشار اليه ٢٧
٣) فيه ٢٢٥-٢٢٦ ٤) فيه ٢٢٩
٥) تاريخه . نسخة دير الشرفة المكتوبة في السنة ١٦١٨ ، صفحة ٣٨ و٣٩ و٤٤ و٤٥ من نسختنا المنقولة عنها .

درج على ابنـاء الكنيسة اليونانية خاصةً اي ملكية انما يعني تابعي المجمع الخلكيدوني... لان نسبته هي للملك مركيانس لا غير . ومعناه اتباع المجمع الخلكيدوني لا سواه »[1].

اما كتبة العرب ومؤرخوهم فقد نهجوا نهج السريان باطلاقهم على الملكيين اسم « ملكيين » و« ملكائيين » و« ملكانيين » . قال محمد بن احمد البيروني في صدر « كلندار الكنيسة الانطاكية » : « القول على مـا يستعمله النصارى الملكائية في الشهور السريانية . النصارى مفترقون فرقاً فالاولى منهم الملكانية وهم الروم . وانمـا سُمّوا بذلك لان ملك الروم على قولهم ... الثانية النسطورية ... والثالثة اليعقوبية »[2] . وكتب القلقشندي نقلاً عن شهاب الدين العمري الدمشقي : « وصيّة بطريرك النصارى الملكانيين ... الباب (البـابا) الذي هو رأس الملكانيين ... مكاتبة الباب (البـابا) وهو بطريرك الملكية القائم عندهم مقام الخليفة »[3] . وكتب عبدالله بن اسمعيل الهاشمي في رسالته الى عبد المسيح بن اسحق الكندي : « وناظرتُ فيها (في المسائل الدينية) من اهل فرقكم هذه الثلث التي هي ظـاهرة . اعني الملكيّة القابلين مركيانوس الملك ... وهم الروم . واليعقوبية ... والنسطورية »[4].

ونقل الاب لويس شيخو اليسوعي : « ان النصـارى اصبحوا ثلاث فرق مشهورة وهي الملكية اهل الامانة الذين نسبوا الى مرقيـان قيصر الملك . واليعقوبية وهم اهل مذهب ديسقورس ... والنسطورية وهم نصارى الشرق »[5].

وكانت هذه الفرق الثلاث آرامية الجنس ، سريانية اللغة والطقس.

يستخلص من ذلك كلّه ان اسم « الملكية » أُطـلق منذ أواسط القرن الخامس على اتباع المجمع الخلقيدوني المقدس ومرقيان ملك الروم ، اعني على الروم ، وعلى السريان الموارنة معاً . وظل هذا الاسم يشمل الامتين السريانيتين

---

١) الفائق الامين ١ : ٦

٢) المشرق ٥ [١٩٠٢] ٢

٣) المشرق ٥ [١٩٠٢] ٢٠٨

٤) طبعة لندن ، سنة ١٨٨٠ ، ص ٥

٥) مجاني الادب ٢ : ٢١٥

الموماً اليها مدة تنيف على مائتين واربع وثلاثين سنة (٤٥١ — ٦٨٥) ، فافترقتا[1] ، وانشأت كل منهما بطريركيةً مستقلةً عُرفت احداهما ببطريركية السريان الموارنة ، والاخرى ببطريركية السريان الملكيين . وكلتاهما انطاكيتان .

٢ً : البطريركية الانطاكية

كانت سلطة البطريرك الانطاكي ، حتى القرن الخامس ، تشمل جميع نصارى سورية ، وفلسطين ، وقبرس ، وفونيقي ، وما بين النهرين ، وارمينية ، وآسية الصغرى ، والعراق ، والعرب ، وفارس[2] . فانسلخت عنه ، اول بدء ، باثليقيّتا آسية والبنطس . ثم قبرس عام ٤٤٥ ؛ فسليق وقطسفون اي المدائن عام ٤٩٨ ؛ فبطريركية السريان المنوفيزيتيين عام ٥٣٩ ؛ فجثلقة الارمن .

وقد انشأ كاتب يوناني في عهد انسطاس الاول ، بطريرك انطاكية (٥٥٩ — ٥٧٠) ، لائحة ضمّنها اسماء الكراسي المطرولية والاسقفية اللائذة بالكرسيّ الانطاكي . وهذه اللائحة نُقلت الى السريانية في تلك القرون ، وحُفظ منها نسختان قديمتان احداهما في دير الزعفران ، والثانية في الرها ، هذا ملخصهما :

« كرسي انطاكية البطريركي . يخضع له سبعة كراسي اسقفية مستقلة يُسمّى اصحابها وكلاء . وهي : حلب . قنسرين . جبلة . سلوقية . حنصرتا . فلاطونية . جبّول . وكرسيّان اسقفيّان يرسل البطريرك صاحبيهما في شؤون دينية . وهما : سلامية وبراقوسون . واربعة كراسي يساعد البطريرك اصحابُها في الشؤون الخطيرة وهي : بيروت . حمص . اللاذقية . قورس .

« اما مطروليّات البطريركية الانطاكية فهي اثنتا عشرة . اولاً : صور واساقفتها ثلاثة عشر ، ثانياً : طرسوس ٦[3] ، ثالثاً : الرها ١٢ ، رابعاً : ارفامية ٧ ،

١) استمرّت هاتان الامتان السريانيّتان امةً واحدةً حتى اواسط القرن الثامن كما سترى في كلامنا عن الحقبة التي فرغ فيها الكرسي الانطاكي من السنة ٧٠٢ الى السنة ٧٦٢

٢) كان الملكيون منتشرين في العراق ، واذربيجان ، ومرو بخراسان ، حتى اواخر القرن الثالث عشر (التاريخ المدني السرياني لابن العبري ٥٢٧ ، والمشرق ٥ [١٩٠٢]٥)

٣) تدل الارقام على عدد الاساقفة .

خامساً : منبج ١١ ، سادساً : بصرى ١٩ ، سابعاً : عين زربا ٨ ، ثامناً : سلوقية ايسوريا ٢٥ ، تاسعاً : دمشق ١١ ، عاشراً : آمد ٨ ، حادي عشر : الرصافة ٥ ، ثاني عشر : دارا ٠٣ والجملة بطريرك ومائة وثلاثة واربعون اسقفاً »[١].

وقد أصاب مجمع السريان الموارنة باحصائه هذه الابرشيات بعينها[٢]. وحذا حذوه السيّد غريغوريوس عطا ، مطران حمص وحماة ، مع بعض تحوير ، وختم بقوله : « وهكذا كان يخضع للكرسي البطريركي الانطاكي مائة وثلاثة وخمسون اسقفاً على عدد السكات الكبار التي وُجدت في شبكة بطرس هامة الرسل ، مؤسّس هذا الكرسي »[٣].

وبعد هذه اللائحة انسلخت عن الكرسي الانطاكي ابرشية العرب ، وتمذهب سكانها ، منذ القرن السادس ، بمذهب المنوفيزيتيين . وفي نحو السنة ٧٣٢ ، سلخ منه لاون الملك مطروبوليتية ايسورية مع كراسيها الخمسة والعشرين . ثم انفصلت عنه ، في نحو السنة ٧٦٨ ، مطرانية الكرج ، وصيّرها البطريرك ابن قنبرة (٧٤٥ - ٧٦٨) جاثليقاً وتأيدت هذه الجاثليقة عام ١٠٥٣[٤].

ومّما كان للبطريركية الملكية في اوّل عزّها من كثرة الاساقفة في قلب ابرشيات السريان المنوفيزيتيين كملطية ، والرها ، وحرّان ، وديار بكر ، وميافرقين ، ومنبج ، وحلب ، وبغداد ، واذربيجان ، ومرو ، وقيليقية ، فقد تناقصت في القرون المتوسطة شيئاً فشيئاً ، وأمست لا تشتمل على ثلث ما تشتمل عليه بطريركية السريان المنوفيزيتية . فقد انطوت هذه البطريركية في تلك الحقبة على نيّف ومائة وستين ابرشية كان يشغلها زهاء مليونين من النفوس - امّا بطريركية الملكيين فلم تكن تتجاوز ابرشياتها الثنتين والخمسين ، ولم يكن يشغلها اكثر من نصف مليون . بل ان عدد السريان المنوفيزيتيين ، يوم

١) مجلة الآثار الشرقية في اعداد سنتها الاولى ١٩٢٦

٢) المجمع اللبناني المعقود عام ١٧٣٦ (٢٥٧-٢٦٠) ؛ المشرق ٩ [١٩٠٦] ٢٠١

٣) الجدول الثالث المختصر نقلاً عن التختيكون (صفحة ٤ من النسخة المكتوبة بخط يد المؤلف عام ١٨٧٤) وهي تخصّنا.

٤) المشرق ٩ [١٩٠٦] ٢٠٢

احتلّ الصليبيون بلاد المشرق ، كان يفوق عدد الملكيين واليونان حتى في انطاكية وضواحيها عينها[1] .

امّا في عهدنا فقد انحصرت ابرشيات الملكيين في ثلاثة عشر كرسياً وهي: دمشق . حلب . صيدا . بيروت . حمص وحماة وبيرود . زحلة والفرزل . بعلبك . صور . عكا . حوران . ديار بكر . جبيل . طرابلس . ويضاف اليها ، عند الملكيين الكاثوليك ، ثلاثة اساقفة باسم القلالي الانطاكية ، والاسكندرية ، والاورشليمية[2] . وعند الملكيين ، غير الكاثوليك ، كرسي اللاذقية ، وكرسي عكّار ، ومطران في اميركة .

ومن البطريركية الانطاكية تفرّعت عام ١٠٩٨ - ١٢٦٧ بطريركية اللاتين . وفي القرن الثالث عشر ، انفصلت بطريركية الملكيين ، وسُمّي اصحابها فوتيوسيين . وفي السنة ١٦٦١ نشأت بطريركية السريان الكاثوليك . وفي السنة ١٧٢٤ تأيدت بطريركية الملكيين الكاثوليك . فاصبح من ثمّ في عهدنا هذا ستة بطاركة انطاكيين وهم بطاركة الموارنة ، والملكيين ، والسريان ، واللاتين ، واربعتهم كاثوليكيّون . ثم بطريرك السريان اليعاقبة ، وبطريرك الملكيين غير الكاثوليك .

هذا واذا شئنا ان نخصّص الكلام ببطاركة انطاكية ، قلنا : ان عدداً صالحاً منهم ، ولاسيما الاوّلين ، قد زيّنوا هذا الكرسي الرسولي بمآثرهم وسفك دمائهم وعبقريتهم وغيرتهم . كاغناطيوس النوراني ، وثاوفيل ، وبابولا ، واوسطاثيوس وميليطس ، وفلبيانس الخ .

ومنهم مَن مرق من الدين القويم كبولس الشميشاطي ، وزعماء الاريوسية ، والمنوفيزيتية ، والمنوثوليتية ، والفوتيوسية . ومنهم من خرج عن طاعة الكرسي الرسولي الروماني .

وما عدا تزاحم بطاركة اريوسيين ومنوفيزيتيين ومنوثولوتيين وفوتيوسيين

١) راجع كرلفسكي ، ص ٦١٣ من معجم التاريخ والجغرافية اليسوعي . ومن شاء الاطلاع على عدد ابرشيات السريان في تلك العصور فليراجع النهارس الملحقة بتاريخ ميخائيل الكبير

٢) السيد غريغوريوس عطا : الجدول الثالث المختصر .

ودخلاء في الكرسي الانطاكي، فقد انتابت هذا الكرسي غوائل شتى وآفات قتالة لسبب الزلازل[1]، او لدواعٍ دينية ومدنية كالبدع المتواصلة، والحروب الطاحنة، وتسيطر ملوك بوزنطية وبطاركتها . فأمسى ذلك الكرسي بسببها شاغرًا اكثر من مائتين وثمانين سنة في فترات مختلفة . ثم أُلجئ بطاركته ان يقبلوا السيامة ، او التثبيت ، من يد اساقفة قسطنطينية الذين كانوا دونهم رتبةً ، ويقيموا في تلك العاصمة كرهاً او طوعاً زهاء ثلاثمائة سنة ، الى ان جعلوا مركزهم في دمشق منذ نيف وخمسمائة وسبعين سنة . ومن ذلك كله يتحصّل ان بطاركة انطاكية الملكيين لم يستقرّوا في انطاكية اكثر من ثلاثمائة وثلاثين سنة فقط . هذا ما عدا ان فريقاً منهم كانوا يونانيين جنساً ولغةً ، مما اثر في الطقس الانطاكي القديم وبُدّل به الطقس البوزنطي الحديث .

***

بعد هذا نقول : اننا نشرنا ، منذ ربع قرن ، كتابنا « الزهرة الزكية في البطاركة السريانية الانطاكية » بدءًا من مار بطرس رئيس الرسل حتى عهدنا . ثم اثبتنا على صفحات المشرق ، عام ١٩٢٣ ، سلسلة بطاركة انطاكية السريانيين المنوفيزيتيين . والآن رأينا ان نثبت ، تكملة للسلسلتين ، سلسلة بطاركة انطاكية الملكيين ، مستندين ، في ما نرويه ، اولاً : الى مقالة متسة انشأها البحّاثة المدقّق كرلفسكي ، ونشرها المونسنيور بودريار عام ١٩٢٤ في معجم التاريخ والجغرافية البيعي[2] . ثانياً : الى تاريخ سعيد بن بطريق ، بطريرك الاسكندرية ، ويحيى بن سعيد الانطاكي[3] . ثالثاً : الى تاريخ اغابيوس بن قسطنطين الرومي المنبجي[4] . رابعاً : الى تاريخ ابن العميد[5] . ونتنبه القارئ النجيب ان اثنين فقط من هؤلاء

١) اثبت الاب لامنس اليسوعي ذكر زهاء خمسين زلزلة حدثت في سواحل البحر المتوسط منذ السنة ١٣١ م حتى السنة ١٨٧٣ ، ولاسيما في انطاكية ، اعظمها زلزلة السنة ٥٢٧ في عهد البطريرك افرام (٥٢٦-٥٤٥)

٢) *Dictionnaire d'histoire et de géographie ecclésiastique*, III, pp. 583-703

٣) نشرها الاب لويس شيخو ، في الطبعة الكاثوليكية ، عام ١٩٠٩

٤) نشره الاب لويس شيخو ، عام ١٩١٠-١٩١٢

٥) نسخة دير الشرفة المكتوبة عام ١٦١٨

المؤرخين الاربعة ، وهما يحيى بن سعيد واغابيوس المنبجي ، كانا من اتباع البطريركية الانطاكية الملكية . اما المؤرخان الآخران فكانا من اتباع بطريركية الاسكندرية .

على انه لما كانت تواريخ هولاء الاربعة ، مع تاريخ ابن الراهب القبطي ، عمومية اي دينية ومدنية معاً ، وكانت اخبارهم مختصرة وجيزة لا تفي بالمرام، رحنا نستعين في تأليفنا هذا بمؤرخي السريان ، ولاسيما ميخائيل الكبير (†١١٩٩) والرهاوي الذي تستغرق اخباره الدينية حتى السنة ١١٣٤ ، وتواريخ ابن العبري (†١٢٨٦) البيعية والمدنية ، في السريانية والعربية . ولا يخفى ان ما رواه هولاء الثلاثة عن بطاركة انطاكية الملكيين يفوق جداً ما كتبه الملكيون انفسهم، كما سترى ، وهو يستحق كل اعتبار وثقة ، لانهم كتبوا ما كتبوا عن شهود عيان ، وعن وثائق خطيّة راهنة ، وقد كانوا عائشين مع الملكيين وممتزجين بهم اصلاً ولغةً وطقساً[1] .

اما الملكيون المتأخرون ، كالبطريرك ميخائيل الثاني ، عام ١٤٠٠ ، ومقار

١) استقى السريان مصادر تواريخهم عن اوسابيوس القيصري ، فنقلوا تاريخه الى لغتهم ، قبل السنة ٤٦٢ ، كما يستفاد من نسخة مكتبة بطرسبرج السريانية المكتوبة في هذه السنة والتي نشرها الاب بولس بيجان عام ١٨٩٢ . ثم استمانوا ، كما اثبتوا في مقدمات كتبهم ، بتواريخ زوسيمس ، وافريقانس ، وسقراط ، وثاودريط ، واندرونيقس . وبعد هذا اخذوا يصنفون التواريخ البيعية والمدنية بلغتهم السريانية توًّا بدءاً من زكريا البليغ ، اسقف ملطية ، الذي درس الفقه في جامعة بيروت عام ٤٨٧ و٤٨٨ واضى تاريخه في عهد مرقيان في السنة ٤٥٧ ، ثم يوحنا تلميذ بطرس اسقف الكرج . ويوحنا فيلوقونس النحوي الاسكندري . وقورا القس السروجي الذي ختم اخباره في عهد طيباريوس الملك (†٥٨٢) ويوحنا ، اسقف اسية ، الذي نشر كيرتون تاريخه في اكسفرد عام ١٨٦٣ ، وتنتهي اخباره في السنة ٥٨٥ ، وجورجي اسقف الكوفة . ويوحنا العمودي اليعقوبي نحو السنة ٦٨٨ ، ويعقوب الرهاوي (†٧١٨) وديونوسيوس التلمحري ، البطريرك († ٨٤٣) ودانيال بن موسى الطورعبدني؛ ويوحنا بن سموئيل ؛ وتاوفيل بن توما الرهاوي الماروني († ٧٨٥) وثاودوسيوس ، اسقف الرها ، نحو السنة ٨٥٠ ؛ واغناطيوس الملطي († ١٠٩٠) ؛ وايونيس ، مطران كيسوم ؛ وابن الصليبي ، مطران امد († ١١٧١) . وقد ذكر ميخائيل الكبير كلًّا من هؤلاء في موضعه، واثبت ما نقله عنهم بالحرف الواحد . ويضاف الى هؤلاء المتريان برصوما ، شقيق ابن العبري († ١٣٠٨) الخ .

الثالث (†١٦٧٢) والارشدياقون بولس ، واثناسيوس دبّاس (†١٧٢٤) والقس ميخائيل بريك ، والسيد مكسيمس مظلوم ، والمطران غريغوريوس عطا ، فان رواياتهم كلها مختصرة جدًا ، وليست بذات بال ، ولا يُعتمد عليها.

وعليه فسدًا للخلل ، وتكملةً لاخبار الملّة الملكية الكريمة ، رأينا ان ننشر كلمتنا هذه في قسمين :

تدرج في القسم الاول اخبار بطاركتها الانطاكيين تدريجًا ، بدءًا من مار بطرس ، رئيس الرسل ، حتى يومنا.

ونخص القسم الثاني بذكر لغتها الوطنية والطقسية سابقًا وحاضرًا ، فنقول :

القسم الاول

الحقبة الاولى

اساقفة انطاكية (٣٦–٥٢٦)

لم يُطلَق على اساقفة انطاكية اسم «بطاركة» الّا في اواسط القرن الخامس ، فكانوا لذلك العهد يُسمّون اساقفة سوريّة او اساقفة انطاكية. واليك سلسلتهم واحدًا فواحدًا ، نقلًا عن كرلفسكي البحّاثة المدقق :

١ بطرس الاول رئيس الرسل (٣٦–٤٣)

انتشر الايمان المسيحي في انطاكية بمساعي آبائنا الرسل ، وفي مقدمتهم بولس الرسول ، الذي قصد تلك العاصمة اربع مرّات ، ووطّد ابناءها في الايمان حتى دُعوا فيها مسيحيين اولًا (اعمال الرسل ١١:٢٦) ، قبل سائر المؤمنين . وقد أجمع المؤرخون كافةً على مجيء كيفا هاهنا بطرس الى انطاكية (غلاطية ٢:١١) بين السنة ٣٦ و٣٨ ؛ غير انهم اختلفوا في تحديد مدة اقامته فيها اختلافهم في تعيين السنة التي فارقها الى رومية حيث أسس كرسيه ، وفيها تم تكليله عام ٦٧ .

٢ اوديوس

لم يتصدَّ اوسابيوس القيصري وغيره لتحديد سنة جلوس اوديوس على الكرسي الانطاكي، كما انهم لم يذكروا سنة وفاته.

٣ اغناطيوس الاوّل (+ ١٠٧)

حفظ لنا التاريخ شيئاً من اخبار هذا الاسقف الانطاكي النبيل، كما حفظ رسائله المتبدعة المؤثرة. وقد نُشر نصّها السرياني[1]. واثبت التقليد اليوناني عنه انه هو الذي احتضنه السيد المسيح، وقال: «من قبل هذا الصبيّ باسمي فأياي يقبل» (مرقس ٩: ٣٧). ثم تتلمذ ليوحنا الرسول الحبيب، ورقّاه بولس الرسول الى اسقفية انطاكية. وروى المؤرخون السريان ان اغناطيوس هذا رأى بالروح الملائكة يترنمون جوقتين، فلقن الكنيسة ان تحذو هذا الحذو في صلواتها. وقد ساس الكرسي الانطاكي حتى السنة ١٠٧، فكُبّل بالقيود، وسيق الى ازمير فرومية، وأُلقي الى الاسود في مسرح العاصمة فنهشته، ولم تُبقِ الّا عظامه الكبيرة، فنقلها الى انطاكية خلفهُ ثئودوط (٤١٧-٤٢٨). وتحتفل الكنيسة بتذكار استشهاده في ٢٠ كانون الاوّل، وبتذكار نقل عظامه الى انطاكية في ٢٩ كانون الثاني.

٤ هيرون

٥ قرنيليوس

٦ اروس

لم يُثبت اوسابيوس (٤: ٢٠) عن هؤلاء الاساقفة الثلاثة الانطاكيين شيئاً غير اسمائهم فقط. ويقال ان اولهم استُشهد عام ١٢٧، وثانيهم عام ١٥٤، وثالثهم عام ١٧٠.

---

١) اخبار الشهداء والقديسين في السريانية، طبع الاب بولس بيجان، ٢: ١٩٦-٢١٥؛ واوسابيوس القيصري ٣: ٣٦؛ وفيها يُدعى «اسقف سورية» و«اسقف انطاكية».

٧ ثئوفيل († ١٨٢)

انشأ هذا الاسقف الانطاكي الجليل مقالات وتآليف دينية جيّدة ، اطّلع عليها اوسابيوس المؤرخ ووصفها (٤ : ٢٤) . منها ثلاث مقالات ضدّ اوطوليقس ، ومقالة ضد هرموجنيس ، ومقالة مُحكَمة ضد مرقيون . وصنّف كتباً أخرى في صحّة الدين المسيحي . وانتقل في عهد مرقس اوراليوس ، نحو السنة ١٨٢

٨ مكسيمينس (١٨٢ — ١٩١)

ترأس ، فيما قيل ، ثماني سنوات . وروى بعضهم اسمه مكسيمس ، بدلاً من مكسيمينس .

٩ سربيون (١٩١ — ٢١١)

انتُخب عام ١٩١ ، واشتهر برسالةٍ كتبها الى قرقس وفنطيقس ، دحضاً لبدعة الفرزجيّين . وقد وقّع على رسالته هذه اساقفة كثيرون ، ووافقوا عليها[1] . وحلّت وفاته عام ٢١١

١٠ اسقليباد (٢١١ — ٢١٨)

لم يروِ المؤرّخون سوى سنتي تنصيبه ورقاده ، كما اثبتناهما

١١ فيليطس (٢١٨ — ٢٣١)

روى بعضهم اسمه « فيلين » بدلاً من « فيليطس » ، ولم يذكر المؤرّخون شيئاً من اعماله

١٢ زبينا (٢٣٢ — ٢٣٨)

يظهر من اسمه السرياني احمد اي « مُشتَرٍ » انه كان من انطاكية او من ضواحيها . ويرجّح انه تولّى الاسقفية في عهد مكسيمان قيصر (٢٣٥-٢٣٨) وقيل انه شغل الكرسي الانطاكي الى عهد غرطيان الثالث (٢٣٨ — ٢٤٣)

---

١) اوسابيوس ٥ : ١٩ و ٢٢

١٣ بابولا (٢٣٨ او ٢٤٤ ــ ٢٥٠)

قيل انه تولى الكرسي الانطاكي عام ٢٣٨ ، وقيل بل عام ٢٤٤ . وفي هذه السنة حج على مرقس يوليوس فيلبس، حاكم انطاكية المسيحي، الدخول الى الكنيسة ، فجرد مرقس وأوغر عليه صدر مكسيمان قيصر ، فألقاه في السجن . ثم استبق الى دفنه (دفلي) ، بجوار انطاكية ، في ثلاثة من تلاميذه وجماعة من المسيحيين وهناك استشهدوا جميعاً في السنة ٢٥٠ . وابتنى لهم غاليوس قيصر مزاراً كان يحجه المسيحيون الى عهد يوليانس الجاحد . ويقيم السريان تذكاراً لبابولا والصبيان الذين معه في ٢٤ كانون الثاني وفي ٤ ايلول .

١٤ فبيوس (٢٥٠ــ٢٥٣)

خلف بابولا عام ٢٥٠ ، وكاتب قرنيليوس الحبر الروماني (٢٥٤-٢٥٥) في مسئلة ناباطيان الذي اختلس الكرسي الروماني . وتوفي فبيوس في السنة ٢٥٣

١٥ دمتريانس (٢٥٣ ــ ٢٦٠)

انتُخب في بدء السنة ٢٥٣ ، ويقال انه استُشهد عام ٢٦٠

١٦ بولس الاوّل (٢٦٠ــ ٢٦٩)

هو المشهور بالشميشاطي ، نسبة الى بلدة على ساحل الفرات . كان ثاقب العقل، مستخدماً في بلاط زينب ملكة تدمر . وما كاد يرقى الى الاسقفية الانطاكية حتى انجلت مضمرات قلبه ، اذ ادّعى ان المسيح ربّنا انسان فقط تبرّر باعماله وتألّه . فالتأم في انطاكية عام ٢٦٤ ثلاثة عشر اسقفاً بداعي ديونوسيوس اسقف رومية (٢٦٥-٢٧٢) فأرشدوه ، فارعوى ، فأيدوه في كرسيه . بيد انه ما لبث ان انقلب على غوايته ، فاجتمع ثمانية وثمانون اسقفاً في انطاكية عام ٢٦٩ ، وعزلوه وحذفوا اسمه من الذبيحة[1] ، واقاموا بدلاً منه دمنوس[2] . ثم نفي عن انطاكية عام ٢٧٢ .

١) الذبيحة لفظ يوناني يراد بها صحيفة تُرقم عليها اسماء الآباء الابرار ، وتوضع على المذبح .

٢) المشرق ١ [١٨٩٨] ٩٩١-٩٩٥

١٧ دمنوس الاوّل (٢٦٧ــ٢٦٨)

كان ابن ديمتريانس ، اسقف انطاكية السابق ذكره ، وحلّت وفاته في السنة ٢٦٨ ، وقيل في السنة ٢٧٠

١٨ طيمثاوس (٢٧٠ــ٢٧١)

لم يترأس ، فيما يرجّح ، الا سنة واحدة.

١٩ قرلّس الاوّل (٢٧٩ــ٣٠٣ † ٣٠٦)

هو الذي قبل القديس لوقيان في شركة الكنيسة ، ورقّاه الى الرتبة الكهنوتية. وكان لوقيان هذا خبيرًا بعلم الكتاب المقدّس[1] . اما قرلس الاول فقد نفي عن انطاكية واقام في المنفى ثلاث سنوات (٣٠٣-٣٠٦) وانتقل الى الاخدار العلويّة ، وأُحصي في مصاف الابرار المعترفين.

٢٠ طورانس (٣٠٣ــ٣١٤)

في عهد اسقفية طورانس جدّد ديوقلطيانس قيصر (٢٨٤-٣٠٥) الاضطهاد على المسيحيين. فأقبل الى انطاكية إجابة الى طلب واليها مكسيمنس هرقوليس فقتل خلقاً كثيرًا اشهرهم لوقيان السابق الذكر ، ورومانس ، وطيرانيون اسقف صور ، وزنوبيس قسّ بيعة صيدا الطبيب الماهر ، وسلوانس اسقف حمص الذي ساس رعيته اربعين سنة[2] ، وسلوانس اسقف غزّة مع تسعة وثلاثين شهيدًا ، وبمفيليوس اسقف قيسارية فلسطين. وتوفي طورانس عام ٣١٤

٢١ فيطاليس (٣١٤ــ٣٢٠)

حضر فيطاليس ، في اول سنة اسقفيّته ، مجمع أنقرة الاقليمي عام ٣١٤ ، وحضر ايضاً مجمع تاوقيسارية بنطس. وأسس كنيسة في ضواحي انطاكية.

---

١) اوسابيوس ٨:١٣ ، و٩:٦

٢) اوسابيوس ٩:٦

٢٢ فيلوجين (٣٢٠ــ٣٢٥)

أكمل فيلوجين الكنيسة التي وضع سالفه حجرها الاول . وأبدى شجاعة وغيرةً وشهامةً في الدفاع عن الايمان المقدس مدة ثلاث سنوات ، واستغرقت اسقفيته خمس سنوات ، على ما اثبت تلوفان المؤرخ.

٢٣ اوسطاثيوس (٣٢٥ــ٣٣١ † ٣٣٧)

اشتهر اوسطاثيوس بدحضه بدعة اريوس الملحد . وحضر المجمع النيقاوي المسكوني الاول من ٢٠ ايار الى ٢٥ آب ٣٢٥ ، مع ثلاثمائة وثمانية عشر اسقفاً[1] . وتمتعت الكنيسة في ايامه بالهدوء والسكينة بساعي قسطنطين الكبير الذي ابتنى ، هو وامّه هيلانة الرهاوية[2] ، كنائس جمة ، ومن جملتها كنيسة مثمنة الزوايا ابتناها في انطاكية تيمناً باسم والدة الله مريم العذراء . وقد قرّر آباء المجمع النيقاوي : « ان صاحب انطاكية يكون مستولياً على اصقاعه كلها وان يخضع له مائة وثلاثة وخمسون مطراناً واسقفاً لكونه متولياً عمل فارس والمشرق » . وكان الكرسي الانطاكي يشتمل ، في تلك الحقبة ، على ثماني مقاطعات وهي : فلسطين ، وفونيقية ، وسورية ، والعرب ، وما بين النهرين ، وقيليقية ، وايسورية ، وقبرس . كان يسوسها ستة وتسعون اسقفاً . وقيل انه مُذ ذاك ، أُطلق لفظ « بطريرك »[3] على الحبر الروماني ، ثم على الحبر الانطاكي ، ثم على الحبر الاسكندري.

---

١) عرف هذا المجمع المسكوني الاول باسم مجمع الثلاثمائة والثمانية عشر . مع ان اساقفة العالم المسيحي كانوا في ذلك العهد اكثر عددًا . وقد اثبت ميخائيل الكبير في ملحق تاريخه (صفحة ٧٤٦) : « ان ثمانية اساقفة كانوا خاضعين للبابا ليباويوس » (٢٥٣-٣٦٣) فيستنتج من ذلك انه لم يتيسّر لجميع الاساقفة حضور المجمع لدواعٍ قاهرة.

٢) ابن العميد ٢٠

٣) قيل ان اباء المجمع المقنيسدوني هم اول من أطلقوا اسم « بطريرك » على لاون الاول الحبر الروماني . وقيل ان سقراط المؤرخ († ٤٤٠) ذكر هذا الاسم ، وان مار غريغوريوس النزيانزي استعمله عام ٣٨٢ . وقد خصّصه قرلس الاسكندري بالبابا قلستينس الاول (المشرق ٥ [١٩٠٢] ٤٢٩، ٥٨٨)

على ان اوسطاثيوس ، لما عاد من نيقية الى انطاكية ، صادف فريقاً من الاهالي مشايعين لأريوس ، فناهضهم بكل مكنته . لكنهم تغلّبوا عليه ، ونفوه عام ٣٣٠ . وقضى في المنفى سبع سنوات الى ان انتقل عام ٣٣٧ ، وقد أحصي في زمرة الابرار ، واثبت الكلندار الانطاكي السرياني تذكاره في ٢٣ آب وفي ٥ حزيران ، والكلندار الروماني في ١٦ تموز ، والكلندار القسطنطيني في ٢١ شباط .

٢٤ فولين (٣٣٠ † ٣٩٤)

أحصي فولين في عداد اساقفة انطاكية ، مع انه نُصب في حياة سالفه اوسطاثيوس البطريرك الشرعي وما مرّت ستة شهور على اسقفيته حتى عُزل . ثم رُدّ ثانية الى الكرسي وتوفي عام ٣٩٤

٢٥ اولاليوس (٣٣٠ــ٣٣٢)

كان مولده في قبدوقية ، وصُيّر اسقفاً على انطاكية عام ٣٣٠ ، حال كون اوسطاثيوس وفولين سالفيه في قيد الحياة . وتوفي عام ٣٣٢

٢٦ افرونيوس (٣٣٢ † ٣٤٣)

هذا ايضاً نُصب اسقفاً لانطاكية في حياة اوسطاثيوس وفولين ، وتوفي عام ٣٤٣

٢٧ فلاقلّس (٣٣٥ــ٣٤٣)

في السنة الثانية لاسقفيته توفي اوسطاثيوس الاسقف الشرعي فتأيّد فلاقلّس في منصبه . وفي السنة ٣٣٥ ، حضر مجمع صور الذي فيه عزل القدّيس اثناسيوس اسقف الاسكندرية . ومن اخبار فلاقلّس انه استدعى الى انطاكية بعض اساقفة كرسيه ، ودشّن الكنيسة الكبرى التي باشر ابتناءها سالفه اوسطاثيوس . وعلى اثر التدشين عقد فيها مجمعاً منذ ٢٢ ايار الى ايلول ٣٤١ ، وسنّوا خمسة وعشرين قانوناً[1] . وتوفي فلاقلّس عام ٣٤٣

١) نُقلت هذه القوانين الى السريانية في القرن السابع . وفي النسخ السريانية يُسمى هذا المجمع مجمع تدشين كنيسة انطاكية : « ܣܝܢܘܕܐ ܕܩܕܝܫܬܐ ܕܐܢܛܝܟܝܐ »

٢٨ اسطفان الاوّل (٣٤٣ــ٣٤٤)

شايع اريوس في بدعته ، فنُزل في صيف السنة ٣٤٤

٢٩ لاونطيوس (٣٤٤ــ٣٥٨)

دافع عن بدعة اريوس كسالفه ، واستغرقت اسقفيته اربع عشرة سنة .

٣٠ اودكس (٣٥٨ــ٣٥٩ † ٣٧٠)

كان اسقفاً على مرعش ثم انتخب لانطاكية فشغل كرسيها حتى ايلول ٣٥٩ وفي ٢٧ كانون الثاني ٣٦٠ نُقل الى بوزنطية ، وساس كرسيها الاسقفي عشر سنوات ، وتوفي عام ٣٧٠

٣١ ميليطس (٣٦٠ــ٣٨١)

كان اسقف سبسطية بارمينية . ودافع عن حقيقة الاعتقاد بازلية ابن الله عزّ وجلّ . ولما كان يخطب يوماً في الكنيسة الكبرى ، مؤيداً تلك العقيدة الراهنة ، هاج الاريوسيون وماجوا ثم نفوه الى ملطية ، وسموا بدلاً منه اوزيوس الاسكندري،حليف اريوس . فهبّ الارثذكسيون ونادوا باسم فولين السابق ذكره . وفي السنة ٣٦٢ عاد ميليطس الى انطاكية .

واتفق اذ ذاك ان يوليانس الجاحد ، « اعتزم على حرب الفرس فوافى الى انطاكية واراد يعلم هل ينجح ام لا . فدخل الى ايلون العرّاف ليسأله فلم يقض له بشيء . وقال ان العظام التي بجواري تمنعني ان اعرّفك وعنى بذلك عظام القديس بابولا بطريرك انطاكية[1] . فامر الملك ان تخرج تلك العظام من المكان . فأخذها اهل انطاكية وجعلوها في صندوق في كنيسة . فحكم له ايلون العرّاف بعد ذلك بالنصر ! »[2] .

وفي السنة ٣٦٥ ، جدّد والنس قيصر الاضطهاد على الارثذكسيين ، فعاد ميليطس الى ارمينية . واحتلّ الاريوسيون الكنائس ، فاضطر الارثذكسيون ان

---

١) اطلب هنا الرقم ١٢

٢) تاريخ المنبجي ٢٣ ، وعنه نقل المعبر ابن العميد ٢٨-٢٩ من نسختنا

يقيموا الصلوات والطقوس في البراري والمناور المجاورة لانطاكية . وبعد هـذا تيسّر لميليطس العودة الى كرسيه بين السنة ٣٦٧ و٣٧٠ . وفي هـذه المدة عمد يوحنا فم الذهب ورقّاه الى الرتبة الدياقونية ، وخوّله وظيفة الوعظ في الكنيسة الكبرى . على ان والنس جعل مركزه في انطاكية منذ السنة ٣٧١ حتى وفاته في ٩ آب ٣٧٨ ، فنفى ميليطس ثالثةً . وظلّ في المنفى حتى ملك غرطيانس في آب ٣٧٨ ، فأعاده الى انطاكية ، واعاد معه جميع المنفيّين .

وفي ايلول وتشرين الاوّل من السنة ٣٧٩ ، عقد ميليطس مجمعاً في انطاكية مؤلفاً من مائة وخمسين اسقفاً تلوا في اثنائه الرسالة التي بُعث بها من رومية . وفي شباط ٣٨١ عرض ميليطس على فولين الدخيل[1] ان يسوسا كلاهما الكرسي الانطاكي ، فأبى فولين . وتوجه في خريف السنة ٣٨٢ الى رومية ، وحضر هناك مجمعاً عُقد فيها ، وحصّل الاجازة بان يكون وحده الاسقف الشرعي ، وعاد الى انطاكية . وكان ميليطس قد توفي قبل سنة . ولميليطس هذا ذكرٌ في الكلنداريّن الروماني والقسطنطيني في ١٢ شباط[2] .

٣٢ فلبيانس الاوّل (٣٨١ــ٤٠٤)

أفضت اليه الرئاسة في آب ٣٨١ ، وكان فولين في قيد الحياة حتى السنة ٣٩٤ ، كما ذكرنا ، فاصبح فلبيانس منذ هذه السنة وحده في الكرسي الانطاكي . وسافر الى رومية وتأيد في منصبه ثم عاد الى انطاكية . وفي السنة ٣٨٧ نادى تلودوسيوس الكبير بابنه ارقاديوس ملكاً ، وكتب الى جميع اهالي مملكته ان يحتفلوا له ولوليّ عهده بعيدٍ وطني . وزاد الضرائب ليتكرّم بها على جيشه . فسخط الانطاكيون ، وعمدوا الى تمثاله ، وحطّموه ، وحطّموا تماثيل الملكة واولادها معاً ، فحنق الملك وأمر بتعذيب المشغّبين . وفي تلك الازمة الحرجة ظهر يوحنا فم الذهب على المنبر ، وتمكن ببلاغته المشهورة من اخماد اجيج الثورة . امّا

١) اطلب هنا الرقم ٢٤

٢) اطلب مقالة ممتعة عن تنازع اسقفية انطاكية من عهد ميليطس الى عهد الكسندر (٣٦٢-٣٩٢) في المشرق ٢٦ [١٩٢٨] ٧٣٦-٧٥١ . ويذكر السريان في كلنداريهم فولا ويوحنا وميليطس في ١٢ شباط ؛ واوسطاثيوس وميليطس في ١١ كانون الاول .

فليانس فقصد العاصمة واسترضى القيصر ، وعاد الى مركزه يسوس رعيته بحكمته وغيرته حتى توفاه الله في ٢٦ ايلول ٤٠٤

٣٣ بورفيرس (٤٠٤ــ٤١٦)

ساس الكرسي الانطاكي اثنتي عشرة سنة . واضطهت الشيعة الاريوسيّة سنة قبل وفاته . وكان بورفيرس من افاضل الاساقفة الانطاكيين ، انفذ عام ٤١٠ الى ماروثا ، مطران ميافرقين السرياني الشهير ، رسالة تلاها اساقفة المشرق في مجمع عقدوه في السنة المذكورة وامضاها اقاق اسقف حلب ، وفقيدا اسقف الرها ، واوسابيوس اسقف تلّ موزل ، واقاق اسقف آمد . واشتهر في عهده بورفيرس سويرنس ، اسقف جبلة المجاورة لانطاكية ، فاستُدعي الى بوزنطية ، وولاه اسقفها يوحنا فم الذهب منصب الخطابة في الكنيسة . وعلى رغم القائه الخطب باليونانية كانت لهجته السريانية ، اعني لغته الوطنية ، ظاهرة في تعابيره[1] .

٣٤ الكسندر (٤١٦ــ٤١٧)

الى هذا الاسقف الانطاكي كتب اينوكنتيوس الحبر الروماني (٤٠٢ــ٤١٧) يذكره بالبند السادس من بنود المجمع النيقاوي الاول ويقول : « ترى من هذا البند ان كرسيك الانطاكي لم يحز هذا الامتياز الفاخر لعظم شأن انطاكية بل بالاحرى لان انطاكية كانت اول كرسي شغله بطرس هامة الرسل . »[2]

٣٥ ثئودوط (٤١٧ــ٤٢٨)

في عهد ثئودوط هذا نُقلت عظام مار اغناطيوس النوراني سالفه من رومية الى انطاكية ، بمساعي ثاودوسيوس قيصر الثاني (٤٠٨ــ٤٥٠)

٣٦ يوحنا الاوّل (٤٢٨ــ٤٤٢)

كان صديقاً لنسطور اسقف قسطنطينية (٤٢٨ــ٤٣١) . ولما عُقد المجمع الافسيّ المسكوني عام ٤٣١ انقسم الاساقفة حزبين : هذا مع يوحنا الاول ،

١) المنتخبات السريانية للسيد اغناطيوس افرام رحماني ٣:٨

٢) المشرق ٥ [١٩٠٢] ٤٢

وهذا مع قرلس اسقف الاسكندرية، ومنون اسقف افسس. وما مرّت السنتان على هذا الاختلاف حتى كتب يوحنا، عام ٤٣٣، صحيفة وقّعها هو واساقفته، مؤيدين فيها حرم نسطور، وبعثوا بها الى قرلس الاسكندري. فتمّ الاتفاق بين الكرسيين الاسكندري والانطاكي. واشتهر في تلك الحقبة ربّولا اسقف الرها السرياني († ١٨ آب ٤٣٥) الذي راسل قرلس، ثم يمم قسطنطينية، وألقى في كنيستها خطبةً نفيسةً محكمةً دحض فيها زعم نسطور، وأيد الحقيقة الدينية باقنوم ابن الله الواحد، وبكون مريم العذراء امَّ الله حقًّا[1].

٣٧ دمنوس الثاني (٤٤٢—٤٤٩)

هو ابن شقيق يوحنا اسقف انطاكية، خلف عمه عام ٤٤٢. وفي عهده ظهر اوطاخي المبتدع الزاعم بالطبيعة الواحدة. فاعلن الملك ثاودوسيوس (٤٠٨—٤٥٠) بعقد مجمع في افسس في آب ٤٤٩، وكتب الى لاون الاول، بابا رومية (٤٤٠—٤٦١)، في ارسال قضاده. غير ان ديسقروس، اسقف الاسكندرية، تغلب في هذا المجمع الذي دُعي «مجمع اللصوص»، وقرّر الزعم بالطبيعة الواحدة كاوطاخي. واغلب اساقفة الكرسي الانطاكي لم يحضروا هذا المجمع. وعلى اثر ذلك عُزل دمنوس الثاني. واقام اناطول، اسقف قسطنطينية، مكسيمس الاول بدلًا منه، ورقاه بيده، خلافًا للقوانين المرعية. وتوفي دمنوس في ايلول ٤٤٩.

٣٨ مكسيمس الاول (٤٤٩—٤٥٥)

نصبه اناطول اسقف قسطنطينية، كما قلنا. وفي السنة الثالثة لاسقفيته، عُقد المجمع الرابع المسكوني في خلقيدونية، وحضره ٦٣٦ اسقفًا تقدّمهم لاون الحبر الروماني بقضاده. وتُليت فيه رسالته المشهورة بالطومس ܛܘܡܣܐ. وأيد الاباء مكسيمس في كرسيه. وكان الملك مرقيان والملكة بولخاريا حاضرين في هذا المجمع. وأعلن اغلب الاساقفة، في غياب قضاد البابا الروماني،

(١) اخبار الشهداء والقديسين في السريانية، طبع الأب بيجان ٤٥٤:٦—٤٦٤. ويقيم الملكيون ذكرًا لربّولا في ٩ آب (المشرق ٥ [١٩٠٢] ٦٨) والسريان في ٨ اب، وفي ١٢ كانون الاول.

ان تكون الكرامة ، بعد صاحب رومية ، لصاحب قسطنطينية ، فعُدلوا. اما مكسيمس الاول فعُزل عن كرسيه عام ٤٥٥ ، واشتهر اذ ذاك مار اسحق رئيس الدير الانطاكي الملقان . وهو اول كاتب سرياني ملكي انشأ في السريانية الفصحى ميامر بليغة سديدة المعاني جزيلة الفوائد ناهض بها بدعتي نسطور واوطاخي مناهضةً قوية . وكانت وفاته في السنة ٤٦٠

٣٩ باسيل الاول (٤٥٦ــ٤٥٨)

شغل الكرسي الانطاكي سنتين.

٤٠ اقاق (٤٥٨ــ٤٥٩)

قيل ان اقاق تولى الكرسي الانطاكي عام ٤٥٨ ، وذكر ابن بطريق[1] وغيره ان مرطوريس تولى بعد باسيل ، واثبت ابن العبري مرطوريس بعد مكسيمس . اما ميخائيل الكبير فذكر دمنوس الثاني ، فكسيمس الاول ، فرطوريس ، فيوليوس ، فاسطفانس ، فاسطفانس آخر ، فبطرس القصار.

٤١ مرطوريس (٤٥٩ــ٤٦٨)

قيل ان مرطوريس ، بعد ما شغل الكرسي الانطاكي تسع سنوات ، نفاه زينون البطريق ، واقام بدلاً منه بطرس الثاني المعروف بالقصّار . ثم عزل القصار ، وأُعيد مرطوريس وشغل الكرسي ثلاث سنوات ايضاً ، وتوفي على ما يُرجح في المنفى.

٤٢ بطرس الثاني (٤٦٨ــ٤٧١ † ٤٨٨)

هو بطرس الملقب بالقصّار . كان قسيس بيعة خلقيدونية .وكان له صلات مع زينون البطريق ، فاستولى على الكرسي الانطاكي بنفوذه بين السنة ٤٦٨ و ٤٧٠ ؛ وفي السنة ٤٧١ ، حفل جناديوس اسقف قسطنطينية من لاون الملك امراً باعادة مرطوريس الشرعي وخلفه يوليان (٤٧١ــ٤٧٥) . ثم عاد القصار فاختلس الكرسي حتى عزله زينون صاحبه عام ٤٧٧ ، فسمى احزابه المنوفيزيتيون يوحنا اسقف افامية بدلاً منه ، وظل يوحنا هذا ثلاثة اشهر فقط ريثما اقام

(١ ١٨٣

زينون اسطفان الثاني (٤٧٨–٤٨١) عوضاً عنه . وهذا اسطفان فتك به كهنة المنوفيزيتيون . فاقام اقاق اسقف قسطنطينية بدلاً منه قلنديون (٤٨١–٤٨٥). وهذا قلنديون نقل ، عام ٤٨٤ ، رفات اوسطاثيوس سالفه الى انطاكية. ونفي قلنديون عام ٤٨٥ ، فتغلب بطرس القصّار على الكرسي حتى اخترمته المنية عام ٤٨٨ ، وهو الذي اضاف الى التريصاجيون ، اعني التقاديس الثلاثة ، زيادة «يا من صُلبتَ لاجلنا» التي امست العلامة الفارقة بين الكاثوليكيين وبين السريان والارمن المنوفيزيتيين . وانشأ بطرس القصار رتبة تبريك الماء ليلة عيد الظهور (وعمل الدنح) .. وأمر بتلاوة قانون الايمان اثناء القدّاس في كنائس انطاكية.

٤٣ يوليان (٤٧١–٤٧٥)

تولى الكرسي الانطاكي اربع سنوات،فعاد بطرس القصّار واغتصبه.

٤٤ يوحنا الثاني (٤٧٧–٤٧٧)

قيل انه سُمّي اسقفاً لانطاكية بمشورة سمبليقيوس بابا رومية (٤٦٨–٤٨٣) وقيل ان المنوفيزيتيين سموه اسقفاً ، واقام ثلاثة اشهر . قال ابن بطريق : «وخلف مرقيان لاون وكان حسن الايمان ملكياً . وفي اثنتي عشرة سنة من ملكه صُيّر يوحنا بطريركاً على انطاكية . اقام ست سنين ومات وخلفه يوليانس خمس سنوات »[1].

٤٥ اسطفان الثاني (٤٧٨–٤٨١)

تولى الاسقفية الانطاكية ثلاث سنوات ، وادركته المنون في ١٤ اذار ٤٨١

٤٦ قلنديون (٤٨١ – ٤٨٥)

على اثر عزل بطرس القصّار ، ثالث مرة ، نُصب قلنديون اسقفاً لانطاكية ، كما ذكرنا ، حتى نُفي عام ٤٨٥ ، فعاد القصار وتغلب على الكرسي .

١) ابن بطريق ١ : ١٨٤ ؛ قال البحاثة كرلنسكي، غير مرة ، ان السنين التي يثبتها ابن بطريق لا يُعتمد عليها.

٤٧ بلاديوس (٤٨٨ــ٤٩٨)

تظاهر بلاديوس بالمنوفيزيتية مجاراةً لانسطاس الملك (٤٩١ــ٥١٨) المنوفيزيتي الذي ألجأ المؤمنين ان يستعملوا ما اضافه بطرس القصار الى التريصاجيون. وذكر ثاودريط المؤرخ ان بلاديوس امر بنزع صور بعض الآباء من الكنائس.

٤٨ فليبانس الثاني (٤٩٨ــ٥١٢)

جلس على الكرسي الانطاكي بامر انسطاس الملك. وكان قسيساً في انطاكية، ووافق على كتاب زينون المعروف باسم «هنوتيكون»[1]. غير انه ما لبث ان جاهر بايمان المجمع الخلقيدوني، فسخط عليه الملك، ونفاه الى بترا. وفي عهده انسلخ السريان الشرقيون عن طاعة الكرسي الانطاكي وعُرفوا بالسريان الناطرة، واقاموا لهم رئيساً مستقلاً دعوه جاثليق المشرق عام ٤٩٨، وكان باباي اول من تولى ذلك المنصب في المدائن بجوار بغداد.

٤٩ سويرا (٥١٢ــ٥١٨)

سماه انسطاس اسقفاً على انطاكية بعد نفيه فليبانس سالفه[2]. وتمّ ارتقاء سويرا الى الكرسي الانطاكي في ٦ تشرين الثاني ٥١٢ وكان خبيراً باصناف العلوم. اقتبس الفقه في جامعة بيروت، مع صديقه زكريا البليغ في السنتين ٤٨٧ و٤٨٨، وانشأ خطباً شتى وترانيم يونانية، نُقلت الى السريانية وهو حي. وبعد وفاة انسطاس، في ٩ حزيران ٥١٨، عُزل سويرا لشديد تشبثه بالزعم بالطبيعة الواحدة. ونفاه يوسطينوس الاول (٥١٨-٥٢٧) في ٢٠ ايلول ٥١٨ الى برية مصر، وتوفي عام ٥٣٨

٥٠ بولس الثاني (٥١٩ــ٥٢١)

تولى الكرسي الانطاكي مذ اواخر ايار ٥١٩ حتى اول ايار ٥٢١ وناهض

---

١) هنوتيكون من اليونانية يراد به «كتاب الموافقة»، اصدره زينون قصد الموافقة بين الارثذكسيين والارطاخيين، فلامه البابا فلكس الثالث (٤٨٣ــ٤٩٢) لتعرّضه للمسائل الدينية.

٢) ابن جلريق ١: ١٩٤، وميخائيل الكبير ٢٦٠

المنوفيزيتيين بجامع قواه . ولما احبّ ان يدوّن في صحيفة الذبتيخة اسماء آباء المجمع الخلقيدوني الثمانة والستة والثلاثين عارضه بعض الاساقفة . وبعد هذا استدعى اليه جميع اساقفة سورية واضطرّهم ان ينادوا بالمجمع الخلقيدوني ، فانكر عليه ذلك زهاء اربعين اسقفاً في جملتهم بطرس اسقف العرب بني معد، وفالغ اسقف قبيلة المنذر[1] .

٥١ افرسيوس (٥٢١ــ٥٢٦)

كان قسيساً في اورشليم ذاهباً مذهب المنوفيزيتيين . ثم اعلن حقيقة الايمان بما قرّره المجمع الخلقيدوني . وارتقى الى الكرسي الانطاكي عام ٥٢١ . وانتقل الى جوار ربه في ٢٩ ايار ٥٢٦ ، اثناء زلزلة هائلة حدثت في انطاكية، واتلفت خلقاً كثيراً ، حتى انه لم يبقَ فيها من السكان على ما قيل اكثر من الف ومائتين وخمسين نسمة.

الحقبة الثانية

بطاركة انطاكية الملكيون (٥٢٦ــ٩٦٩)

٥٢ افرام (٥٢٦ــ٥٤٥)

هو افرام السرياني الامدي ، احد مشاهير المنضبين في بلاد المشرق ، ومن جهابذة العلماء . انتخبه الشعب الانطاكي بطريركاً عام ٥٢٦ . ولم تكد تمرّ السنة على بطريركيته حتى بعث بالرسائل الى جميع كنائس المشرق في قبول المجمع الخلقيدوني . ثم دفعته الغيرة الدينية الى اقتحام مشقات الاسفار الى بلاد ما بين النهرين وغسان ، حباً لتعزيز الايمان القويم . وقد كتب السريان ، ولاسيما ميخائيل الكبير ، الشيء الكثير عن هذا البطريرك ، بخلاف المؤرّخين الملكيين الذين لم يذكروا الا اسمه فقط . فرأينا ان نلخّص اعماله نقلاً عن تواريخ السريان لما تضمّنته من الفوائد . قال ميخائيل[2] :

---

١) ميخائيل الكبير ٢٦٥-٢٦٧

٢) ننقل الاخبار التالية عن ميخائيل الكبير ٢٧٤ ، ٢٧٦ ، ٢٨٢ ، ٢٨٨ ، ٢١٠

« سار افرام البطريرك الى بلاد الشرق ليناهض المؤمنين (المنوفيزيّين او اليعاقبة) ويضطهدهم ستيناً بابرهم بن كيلي ، اسقف آمد . فشارف الرها ، وارسل الى اهاليها على يد شقيقه يوحنا ، وكان والياً ، ان يذعنوا له ، فيصير اليهم ، او يحضر اليه وفدٌ من قبلهم يحتجّ عنهم . . . فرفضوا طلبه اوّل بدء . ثم اقبل اليه بعض الرهاويين ، وجرت محاورة دينية بينهم وبينه وبين الاسقف والوالي ، فعجز البطريرك عن اقناعهم ، وعاد الى انطاكية . . .

« وبعد اربع سنوات ، حدثت زلزلة مادحة عنيفة في انطاكية قوّضت جميع كنائسها ودورها الحديثة والقديمة وقراها المجاورة . وأحصي عدد الغرقى فكان اربعة آلاف وسبعمائة وسبعين نفساً . اما الذين افلتوا من الناقمة فانهزموا الى المدن والجبال ، حتى امست المدينة خاويةً خاليةً مدة خمسة اشهر ، فعاد اليها بعض افراد ، وكان البطريرك افرام مقيماً في كرسيّه ، فكتب الى الملك يخبره بالفاجعة .

« واقبل في تلك الاثناء الى انطاكية سرجيس الراسيني ، السرياني الملكي ، الفيلسوف الشهير ، ليقيم الدعوى في الديوان البطريركي على اسول اسقف وطنه . فتوسّم البطريرك في سرجيس علائم النجابة والعبقرية ، ووقف على مقدرته وتضلّعه من اليونانية والسريانية ، وسأله ان يرتحل الى رومية في وسائل يحمّله اياها الى اغابيط الحبر الروماني . فلبى سرجيس طلب البطريرك ، وانطلق الى رومية ، ومنها الى قسطنطينية .

« وبعد هذا كتب البطريرك افرام الى الملك في ان يسيّر اليه شرذمة من الجند يستصحبهم الى بلاد المشرق ، في سبيل تعزيز ايمان المجمع الخلقيدوني ، فترجه بهم الى فارس وسنجار ، وتمكن بنفوذه من اجتلاب كثيرين منهم ، في جملتهم يوحنا اسقف تلاّ . . .

« ثم عاد البطريرك الى انطاكية ، وابتنى فيها كنيسة مستديرة الشكل يحدق بها اربعة منازل ، واستدعى الى تدشينها مائة واثنين وثلاثين اسقفاً من اساقفة كرسيه الانطاكي قرّروا باجمعهم عقيدة المجمع الخلقيدوني ، وأمضوها خطاً ، وحرموا سويرا البطريرك ومشايعيه .

وبعد هذا كتب الملك الى البطريرك افرام ان يقصد الحارث بن جبلة ، ملك العرب النصارى ، ويحادثه في العدول عن المذهب المنوفيزيتي ، وقبول المجمع الخلقيدوني . فلبى البطريرك الطلب ، وسافر الى بلاد غسّان ، واجتمع بالحارث ، وجرت بينهما مفاوضة هذا تعريبها :

« قال افرام للحارث : علامَ ترتابون فينا وفي الكنيسة ؟ قال الحارث : لسنا نرتاب في كنيسة الله . لكننا نتهرّب مما اضفتموه الى الايمان ، اذ اخترعتم رابوعاً بدلاً من الثالوث ، والجأتم الناس ان يجحدوا الايمان الحقّ . قال افرام : هل ترى ايها الملك من العدل والصواب ان ستمائة وستة وثلاثين اسقفاً يكونون مخالفين للحق مشعوذين ؟ فلو كانوا مشعوذين لوجب ان يُحرموا . والاّ فكيف يجوز العدول من قول هؤلاء الاساقفة الكثيرين ، والتشبّث بدعوى اساقفة قليلين هم اراتقة ؟ قال الحارث : انا رجلٌ امّي فلّاح . وعلى كوني لم اطالع

الكتب آتيك بهذه البيّنة وهي: اني اذا أمرت خدّمي ان يهيّئوا لجنودي طعاماً ويطبخوا في الطاجن لحم خنزير وبقر طاهرًا ، واتفق ان فارة تقع في ذلك الطاجن ، قل لي بحياتك ، ايا البطريرك ، هل يتدنّس ذلك الطعام الطاهر كلّه ام لا ؟ قال البطريرك : بل يتدنّس . قال الحارث : فاذا كانت فارة صغيرة تدنّس لحماً كثيرًا فكيف لا تدنّس بدعة ميتة جمهورًا غفيرًا ؟ . . .

واستلى المؤرّخ المنوفيزيتي :

« تعذّر على البطريرك الجواب ، وطفق يلحّ على الحارث ان يتقرّب من القربان الذي يقدّسه . فقال له الحارث : نجلس اليوم معًا على المائدة . ثم اوعز الى عبيده باللغة العربية[1] ألّا يحضروا على الموان الّا لحم جمل فقط . وما ان أحضر اللحم حتى قال الحارث للبطريرك : بارك مائدتنا . فتمنّع البطريرك مضطربًا ، ولم يباركها . وجعل الحارث يأكل كعادته . فقال له افرام : انكم قد دنّستم المائدة باحضاركم امامنا لحم جمل . قال الحارث : فما بالك تكرهني على تناول قربانك ، وانت ترى ان طعامي يدنّسك ؟ فخجل افرام وودّع الحارث ولم يستطع الى خدعه سبيلًا . »

وهكذا ظلّ العرب النسطوريون متشبّثين بالمنوفيزيتيّة . امّا البطريرك افرام فعاد الى انطاكية يواصل اعمال غيرته ، حتى توفاه الله براحة القداسة[2] عام ٥٤٥ ، وخدم البطريركية تسع عشرة سنة .

وفي عهد هذا البطريرك شمل اسم « الملكيين » جميع المعتقدين بتقرير المجمع الخلقيدوني في البطريركيات الثلاث اعني الانطاكية ، والاسكندرية ، والاورشليمية ، دون تمييز بين العنصرين السرياني واليوناني .

٥٣ دمنوس الثالث (٥٤٥-٥٥٩)

روى ميخائيل الكبير عن البطريرك دمنوس الثالث انه لم يكن يهتم بسوى تغذية جسده وركوب الخيل ليهضم ما يأكله[3] . ومما يؤثر عنه انه أمضى اعمال المجمع القسطنطيني الثاني المسكوني عام ٥٥٣ ، طبقاً لارادة يوسطنيانوس .

(١ نستنتج من ذلك ان البطريرك افرام لم يكن يعرف العربية ، فالمحادثة جرت بينهما بالسريانية ، او باليونانية .

(٢ قال السيد مكسيمس مظلوم : « افراميوس قُتل تحت ردم الزلزلة سنة ٥٢٦ وقام بعده القديس افراميوس الذي رقد بالرب سنة ٥٤٥ » . القائد الامين ٢٢ : ٥٥

(٣ ميخائيل ٢٢٢

الملك (٥٢٧—٥٦٥).

٥٤ انسطاس الاول (٥٥٩—٥٧٠ و٥٩٣—٥٩٨)

هو القديس انسطاس السيناني. وُلد في فلسطين، وترهّب في طورسيناء. وما ان افضت اليه البطريركية الانطاكية حتى عارض يوسطينس الثاني (٥٦٥—٥٧٨) في معتقده فجاهر الملك بعزمه على نفيه، وأعدّ البطريرك كتاب الوداع لرعيته. وفي السنة ٥٧٠ نُفي البطريرك لداعٍ ذكره ابن بطريق قال:

«ان انسطاس الكبير، بعد ما اقام ستّ سنين (احدى عشرة سنة؟) في البطريركية، ادّعى اهل انطاكية انه زنى. فهرب منهم، وأخذ ثيابه التي كان يقدّس فيها، ودفنها، وسار الى بيت المقدس... وصُيّر بدله غريغوريوس بطريركاً على انطاكية. اقام اربعاً وعشرين سنة ومات. فخرج اهل انطاكية الى بيت المقدس يطلبون رجلاً يجيّشونه عليهم بطريركاً. فوقع اختيارهم على انسطاس الذي كان رموه بالزنى، وهم لم يعرفوا انه هو. وهو الذي صرّح لهم بأمره. فأخذوه الى انطاكية، وجاء بهم الى الموضع الذي دفن فيه ثيابه، فأخرجها، وردّوه الى الكرسي! فاقام عليهم بطريركاً تسع سنين (خمس سنين؟) ومات» (١).

ومما يؤثر عن البطريرك انسطاس انه، في يوم الاربعاء اسبوع الآلام ٢٥ اذار ٥٩٣، القى خطاباً في كنيسة انطاكية. وظلّ يرعى رعيته بالحزم والغيرة حتى رقد بالرب عام ٥٩٨.

وروى ميخائيل الكبير: «ان يوسطينس قيصر اوفد الى البطاركة والاساقفة رسالة عمومية سماها «انديفطيون» يدعوهم الى الموافقة على بدعة الخياليّين الزاعمين ان جسد ربنا يسوع المسيح لم يكن قابلاً للآلام والموت. فلما اطلع عليها البطريرك انسطاس واساقفته، رفضها قوم، وقبلها آخرون. فأمر الملك فعقد مجمع في انطاكية حضره مائة وخمسة وتسعون اسقفاً، تحت رئاسة البطريرك الانطاكي. وما ان قرئت الرسالة حتى نهض لاونطي اسقف حنصرتا، وابرهيم اسقف الرصافة؛ وقالا: ان وافقنا على هذا الانديفطيون اضمحلّت الكنيسة... ثم قال البطريرك والاساقفة كافة: «لئن تخلّى عن كراسينا، ان اضطرّنا الأمر، أولى لنا من الموافقة على زعم الخياليّين». ثم كتبوا الى الملك يصارحونه بالحقيقة، فلما طالع رسالتهم رأى من الحكمة ان يكفّ عن رأيه.» (٢)

---

١) ابن بطريق ١: ٢٠٨-٢١١

٢) ميخائيل ٢٣٥ و ٢٣٠

٥٥ غريغوريوس (٥٧٠ــ٥٩٣)

ترأس عام ٥٧٠ ، على أثر نفي سالفه . ونجا من زلزلة عنيفة حدثت في السنة ٥٧٧ . وناهض استريوس،عامل المشرق ، فأهاج عليه العامل اهل انطاكية . فاضطرّ البطريرك ان يقصد العاصمة ليزكي نفسه . ثم عاد الى كرسيه . وما مرّ على عودته اربعة اشهر حتى حدثت زلزلة ثانية في ٣٠ ايلول ٥٨٩ اتلفت زهاء ستين الفاً من الانطاكيين .

واتفق في تلك الاثناء ان يعقوب البرادعي ، رأس الفرقة السريانية المنوفيزيتية ، توفي في ٣٠ تموز ٥٧٨ ، فقدم الى انطاكية دوميان ، بطريرك الاسكندرية ، في اسقفين وثلاثة رهبان ؛ واصطفوا رجلاً يقال له سويرا الاشمث ، ومضوا به الى كنيسة القسيان ، ودفعوا الى قيّمها ثمانية عشر ذهباً رشوةً ليفسح لهم المجال ان يقضوا حفلة السيامة البطريركية فيها ، تحت الليل . فشعر غريغوريوس البطريرك الملكي ، وارسل فقبض على الرهبان الثلاثة . اما دوميان البطريرك الاسكندري واسقفاه والمنتخَب فاختفوا في الكنيف ، حتى الفجر . ثم لاذوا بالفرار ، ولم يتوفّقوا في مهمتهم .

وقد تواجه دوميان ، في قسطنطينية ، المنذر بن الحارث ، ملك العرب النصارى (المنوفيزيتيين) . فاخذ المنذر يعنّف البطريرك على افعاله . ثم سأله ان يجعل حدًّا للنزاع ، ويتفق مع فولا بطريرك المنوفيزيتيين (†٥٧٥) فسأقسم دوميان انه يكفّ عن التعدّي . ولكنه أخلف في قسمه ، فكتب له المنذر يبكّته على تصرّفه[1] .

وكان المنذر يفرغ الجهود في الاتحاد فكتب في ذلك الى طيباريوس قيصر (٥٧٨ــ٥٨٢) وهذا راسَلَ الاساقفة والبطريرك غريغوريوس ليطلقوا الحرية للنصارى كي يصلّي كلٌّ اينما شاء وكيفما شاء . بيد ان غريغوريوس لم يوافق على ذلك ، ولم يأذن ان تقرأ رسالة الملك[2] . وتوفي البطريرك عام ٥٩٣ ، فأعيد سالفه انسطاس الى الكرسي حتى وفاته عام ٥٩٨ ، كما ذكرنا .

---

١) ابن العبري : التاريخ السيحي (ص ٣٨ من نسختنا)

٢) ميخائيل ٣٧١

٥٦ انسطاس الثاني (٥٩٩-٦١٠)

تولى البطريركية عام ٥٩٩ على اثر وفاة انسطاس الاول . وكاتب البابا غريغوريوس الاول الكبير (٥٩٠ — ٦٠٤) . ومن اخباره انه توجه الى عاصمة الفرس ، في نخبة من الاساقفة والوجهاء ، واحتفل بزفاف مارياً ابنة موريقي قيصر (٥٨٢—٦٠٢) الى ابن كسرى ابرويز . وابتنى كسرى ، اكراماً للعروس ، ثلاث كنائس كبيرة الاولى على اسم العذراء والدة الله ، والثانية على اسم الرسل ، والثالثة على اسم سرجيس الشهيد . ودشن الكنائس الثلاث البطريرك انسطاس ، وحصل الصلح بين الدولتين[1] .

وكان يشوع الملكيين في الرها اسقفهم سويرا ، الذي شاد بلاطاً واروقة على النهر وأسس ابنية اخرى كثيرة . فقصد نرسا البطريق تلك المدينة ، وادّعى أن سويرا مُوالٍ لفوقا قيصر (٦٠٢—٦١٠) فاستحضره الى دار مارينا ، وطرح عليه ما شاء من الاسئلة ، ثم أمر به ، فأخرجوه ظاهر المدينة ، وأوصدوا ابوابها تلافياً للشغب ، ورجموه في محلٍّ يُسمّى قوينجين قرب راس النبع . فاقام الرهاويون بدلاً من سويرا ثاودوس الرهاوي اسقفاً[2] .

وفي السنة الاولى لهرقل (٦١٠—٦٤١) قُتل انسطاس الثاني ، وترمّل كرسي الملكيين الانطاكي من بعده ثماني وثلاثين سنة[3] . وكان الملكيون والمنوفيزيتيون في تلك الحقبة يترافعون الى ملوك الروم وملوك الفرس . فكان الفريق المتغلّب يستولي على الكنائس والاديار في اطراف الرها ، وحرّان ، ومنبج ، وملطية ، وغيرها[4] .

فراغ الكرسي الانطاكي الملكي اول مرة (٦١٠ — ٦٤٠)

استغرق فراغ الكرسي الملكي الانطاكي نحو احدى وثلاثين سنة على

---

١) ميخائيل ٣٨٧

٢) ميخائيل ٣٨٧ ، والرهاوي ١٣٥

٣) ميخائيل ٤٠٣ ، اما ابن بطريق فقال (١ : ٢١١) « اثنتين وعشرين سنة » .

٤) ابن العبري : التاريخ السيعي ١ : ٣١٠ من نسختنا ، والرهاوي ١٣٦ و ١٤٧

الاصحّ . وظهر العرب في تلك النضون وفتحوا بلاد سورية ، وما بين النهرين ، فكتب ابنُ بطريق[1] :

« خرج هرقل الى دمشق في سنتين من ملكه (٦١٢) . وكان بدمشق رجل يقال له منصور بن سرجون عاملاً على الخراج من قبل موريق الملك ؛ فطالبه هرقل بمال طول السنين التي كانت الروم محاصرين في القسطنطينية . فذكر له انه كان يحمل اموال دمشق الى كسرى . فطالبه مطالبة شديدة بالضرب والحبس ، حتى استخرج منه مائة الف دينار (٢ . ثم اقرّه على العمل . فكان منصور موغر الصدر على هرقل . . .

« ثم سار هرقل الى القدس . فقال له الاهالي : نجعل لك جمعة البيض والجبن التي قبل الصوم الكبير صوماً تيًّا في جملة الصوم الكبير نصومها لك . . . ما دامت النصرانية . لان الملكية كانوا يمتنعون في هذه الجمعة عن اكل اللحم ويأكلون فيها البيض والجبن والسمك ، على ما بيّنه القديس مار سابا . . . فاجابهم هرقل الى ذلك ، وقتل من اليهود حول بيت المقدس وجبل الجليل ما لا يُحصَى عددُه . . . وصيّروا اول جمعة من الصوم . . . صوماً تيًّا وكانوا يصومونها لهرقل غفرانًا لنقضه العهد وقتله اليهود . . . واهل مصر القبط الى الآن يصومونها ، الا الشام والروم الملكية ، فانهم بعد موت هرقل (+٦٤١) رجعوا يأكلون في هذه الجمعة بيضًا وجبنًا وسمكًا . . .

« ولمّا وافى المسلمون الى دمشق سنة ٦٣٣ (٣ نزل خالد ابن الوليد باب الشرقيّ . . . وعمرو بن العاص بباب توما . . . واقاموا الحصار على دمشق ستة اشهر الّا يوم . . . فلمّا اجهد اهل دمشق الحصار ، صعد منصور ، عامل دمشق ، على الباب الشرقي ، فكلّم خالد ابن الوليد ان يعطي الامان له ولاهله ولمن معه ولاهل دمشق ، سوى الروم ، حتى يفتح ابواب دمشق . فاجابه خالد ابن الوليد الى ما سأل ، وكتب له امانًا . . . ففتح منصور باب الشرقي . . . فلموه فعله ، وما عمل بالروم حتى قُتلوا واعان المسلمين عليهم ، لنوه (٤ جميع البطاركة والاساقفة في الدنيا كلّها . » (للمقال صلة)

١) ٢ : ٥-٦ ، ١٤ ٢) ابن العميد : « ثلاثة آلاف دينار »

٣) كتب الاب لامنس المدقّق : حوصرت دمشق في اذار ٦٣٥ ، وضيّق عليها ستة اشهر حتى ايلول . وكانت حامية هرقل قد تركت المدينة في آب ، فاوفد المسيحيون اسقف دمشق ومنصور بن سرجون ليحادثا ابن الوليد في الصلح (المشرق ٣٩ [١٩٣١] ٤٨١-٤٨٥ ، ٨٦٤)

٤) لاحظ قوله « سوى الروم » و« لنوه » ، اذ يُستنتج منه ان منصورًا لم يكن روميًّا ملكيًّا بل كان سريانيًّا ، وسريانيًّا يعقوبيًّا او منوفيزيتيًّا . وقد كتب ابن بطريق عينه (٢ : ٦١) : « صُيّر سرجيس ابن منصور الذي كان اعان المسلمين على فتح دمشق ، ولُعِن في الدنيا ، بطريركَ بيت المقدس » . وقال ايضًا (٢ : ٦٩) : « صُيّر ايليا بن منصور ، الذي كان اعان المسلمين على فتح دمشق ولُعِن في جميع الدنيا ، بطرك على بيت المقدس » طالع ايضًا :
Carra de Vaux, *Les Penseurs de l'Islam* II, 244.

شخصية احمد شوقي

شاهد عصره ، ومعلّم جيله

بقلم فؤاد افرام البستاني ، استاذ الآداب العربية في جامعة القديس يوسف

كتب هذا البحث مقدمة لدرس الاديب ادوار حنين في « شوقي على المسرح » . ولما كان قرّاء « المشرق » قد اطلعوا على ذاك الدرس في مجلد السنة الثالثة ، كان من حقهم كذلك ان يطلعوا على المقدمة :

من الشعراء مَن لا يتجاوزون تصوير انفسهم ، يدرسونها بدقة واخلاص ويصفونها بصراحة وطبيعية ، فلا تخالجهم عاطفة ، ولا يدفعهم امل ، ولا يقعد بهم يأس ، الا رأينا أثر ذلك على شفاههم المختلجة ، وفي نبراتهم المضطربة . وكأنهم اكتفوا ، من العالم كله ، بانفسهم الحساسة ينبوعاً فوّاراً متجدّد الدفقات ، فشعرهم اصدق تمثيل .

ومنهم مَن اصطفتهم الحياة لرسالة افسح مجالاً ، وانبل غاية ، فرفعتهم من تمثيل انفسهم الفردية في حالات خاصة ، الى تمثيل النفس البشرية وقد احاطت بها مشاكل الحياة المتعدّدة . واذا بفواصل الزمان والمكان تنهار امام عبقريتهم ، واذا بهم شعراء الانسانية الشاملة .

ومنهم مَن خصهم التاريخ بتمثيل عصورهم فشاهدوا ما يبدو عليها من قلق وطمأنينة ، واحسّوا ما فيها من نزعات وسكنات ، فشاركوا اخوانهم باللذات والآلام ، وجمعوا في شخصياتهم ما تفرّق في الجمهور من عواطف غامضة تبدو تارة في المسرّات الصاخبة ، وطوراً في الفواجع البكماء . واذا هم شواهد عصور ، ومعالم اجيال .

من هؤلاء الشعراء كان احمد شوقي . ومن هذه الصور القلقة المضطربة كان عصره في مصر . وكأنّ الحياة قرنت بين اضطراب عناصر الشاعر واضطراب مصره ، فانبتت لنا تلك الزهرة الغريبة بما جمعت من فواقع الاصباغ وخوافت

الالوان ، العجيبة بما اثارت من نوافح الرائحات ونواعم الطيوب ، حتى انتجت تلك الثمرة اللذيذة بما خالط نضجها من عفوصة الفجاجة.

ظهر شوقي مضطرب العناصر الدموية ، مختلج النزعات الوراثيـة . فهو كردي عربي من ناحية جدّه لابيه ، تركي من ناحية جدّه لوالـدته ، يوناني من ناحية جدته . « أصول اربعة في فرع مجتمعة » ، كما يقول . بيد انه لم يكن لهذا الفرع من ضابط كافٍ يوازن بين تلك الاصول فيوحّد نزعاتها ، ويسوقها جميعاً في ثقافة واحدة . فظلّت هائمةً تضرب على غير هدى ، تارةً تتفرق ، كلٌّ في مذهبه ، فتتنازع شخصية الشاعر الحائرة بين تلك الرغبات ؛ وطوراً تجتمع معتلجةً في تلك الشخصية فتثيرهـا حتى الفوضى . واذا وصف اليونان ، الى حكمة العرب ، الى حسّ الترك ، الى غرائب الاكراد ، في بوتقة جائشة ، تتوائب وتتماسّ ، ولكنها لا تمتزج في سبيكة واحدة.

ويشبّ الشاعر في هذه الفوضى العنصرية ، فـلا يلبث ان يتأثر بفوضى اخرى ثقافية . وقد كان من الصعب ان تكون الثقافة غير فوضى في ذاك العصر . يدرس الحقوق ، ويدرس الترجمة ، ويقرأ كل ما تصل اليه يده من كتب الادب وكتب الشعر خاصةً ؛ يقرأ البهاء زهير المائع ، ويقرأ ابن مطروح وابن النبيه السيّالين ، ويقرأ ابا نوّاس الخنّير ، ويقرأ البحتري المزخرف ، ويقرأ المتنبي الشامخ ، ويقرأ المعرّي المفكر ، وفي كل منهم يرى ما يعجبه ويرضي ناحية من شخصيته المركبة.

وينتقل به الحظّ الى مونبلييه يتابع درس الحقوق ؛ فـالى باريس ، عاصمة الفنّ والجمال ، في عصر كان من اوفر العصور عائدةً على الفنّ والجمال . يصل شوقي باريس في حقبة ازدهرت فيها المذاهب الشعرية ، وكثر الشعراء . فلكل فكرة شاعر ، ولكل شهوة شاعر ، ولكل مظهر من مظاهر الحياة شاعر ، بل لكل وهم شاعر . فهناك البرناسيّون والرمزيّون ؛ وعبـدة الفنّ للفنّ ؛ وهناك المغالون في تصوير الطبيعة ووصف الواقع ؛ وهناك مَن تأخر من المدرسين ومن متأزعيهم ارباب الرومانتيسم.

هناك كاتول مندس (Catulle Mendès) ، وديزيسّار (des Essarts) ،

ودي ريكار (de Ricard) وانـدادهم يؤسسون البرناس وينعشونه بآثارهم الانيقة ، وهناك هنري كازاليس (Cazalis) يُثير في شعره الرقيق نفحات شرقية بعيدة ؛ هناك فرنسوا كوبيه(Coppée) شاعر العاطفة الناعمة ، وسوللي بريدوم (Sully Prudhomme) شاعر الفكرة الحائرة المتزنة . هناك بول ديروليد (Déroulède) يهيج العاطفة الوطنية في قلوب الشباب فيتحمسون حتى الموس . وهناك ڤرلين (Verlaine) يهيم بادوائه الجدية والخلقية من مستشفى بروسيه الى الحيّ اللاتيني ، فالى حلقات الادب ، فالى المواخير والحانات ، فالى المستشفى راجعاً ، منشداً آلامه وآماله ، تاركاً على اشواك الحياة قطعاً دامية من تلك النفس المتنازعة ابداً بين لذعة الشهوات البهيمية ولذة الفضائل السامية . وفوق هذه الجماعات المضطربة الضاجة كان لا يزال صوت ڤيكتور هوغو يدوّي صداه الضخم حتى في حنايا المحفل الادبي فيخضع اعضاؤه لوصية الشيخ الراحل ، و«يمينون» بينهم لوكونت دليل (Leconte de Lisle) ؛ واذا « بشاعر التشاؤم » يصبح عضو المحفل الادبي على رغم اعدائه العديدين ، ويصبح «اميراً للشعراء» كما سيصبح شاعرنا بعد حين .

كلها مظاهر لم تكن بعيدة عن شوقي الطالب في باريس، لو شاء ان يرهف اذنيه لشعر الاحياء ؛ بل كلها مناحٍ كان من الخليق به ان ينحى بعضها ، لو شاء ان يفتح عينيه فيرى فيها شيئاً لما في نفسه . على انه مال عن الادباء الى كتب الادب ، وعن الشعراء الاحياء الى المنتخبات من شعر الموتى . فأخذ بروعة هوغو وفخامته الصاخبة ؛ واعجبته قصص الحيوانات في امثال لافونتين ، وتأثر برقة دي موسيه وصراحته المؤلمة ، وجرى مع سلاسة لامرتين وغزله المائع ، ولا نراه وصل الى لذعة بودلير وحرقته . كما انه أخذ ، في ما سبق ، بروعة المتنبي ، وأعجب بزخرف البحتري ، وتأثر برقة البهاء زهير ، دون ان يصل الى عمق المعرّي او لذعة ابن الرومي . وكما انه قلّد قدماء العرب ، بين النجاح والفشل ، جرّب تقليد من عرفهم من شعراء الفرنج ، فنجح وفشل كذلك .

وهكذا فان الثقافة الفرنسوية لم تقوّم ما تحققناه من اعوجاج في ثقافته

العربية ، ولم تُنظّم تلك الفوضى العنصرية.

ولم يكن حظ مصر ، اذ هبطها شوقي ، باوفر من حظ الثقافة الفرنسوية في تنظيم تلك الفوضى ، ومصر تتخبط في فوضى سياسية شبيهة بها . كانت مصر حائرةً مضطربةً بين خلافة « المتبوع الاعظم » ، وحماية ملك الانكليز وامبراطور الهند ، وسلطة الخديوي المباشرة ، ونزعات ارباب الوطنية من رجال السيف والقلم.

شوقي الشاعر الشاب المتدفق شعورًا ، المضطرم خيالًا ، يعود من باريس الى مصر في اشدّ ازمنة مصر حرجاً ، واجدرها باثارة الشعر . فماذا يصنع ؟ وكيف يتجه ؟ واي مذهب يتخذ ؟ الثورة العرابية لم تنطفئ جذوتها بعد، وكبار الوطنيين مشتتون في المنافي ، والانكليز شديدو الحرص دائمو الحذر ، والخديوي يعاني المصاعب ويصطدم بالعقبات ، وشوقي ... يعيّن رئيساً للقسم الافرنجي بحمية الخديوي عباس حلمي . هوذا الشاب النازع بالطبع والثقافة الى الفوضى والحرية والصراحة يُقيّد بواجبات الادارة الرسمية وما تفرضه من تحفّظ واحتياط وملاينة ومداراة . هوذا المصري الراجع من فرنسة ، سنة ١٨٩١ ، حالماً بكل ما يجيش في البلدين من ثورات وطنية ، يُصبح من دعاة النظام المستقرّ ومن مبرّري مآتي السلطة المشروعة . هوذا الشاعر ينقلب رجل سياسة، يستقبل بلطف ويودّع ببشاشة ، يدوّن اعمال سموّ الامير ، ويشكر السلطة الحامية ، ويهنئ « المتبوع الاعظم » خليفة المسلمين ، بالاعياد والمواسم . واذا بقي له شيء من شاعرية ، بعد هذا ، فلا بأس بان يلهو ببعض الاستهلالات الغزلية ، او ان يعبث ببعض الفلتات الخمرية ؛ واذا سمت شاعريته فالى مدح الانبياء والاولياء على طريقة الخطاطيبِ الصوفيين ، او الى نظم تاريخ العالم يقلّد به الملاحم الاصطناعية ، او الى معارضة بردة البوصيري... واي حاجة به الى الكدّ وراء المستصعبات ، وهو

شاعر « العزيز » ، وما بالقليل ذا اللقبُ !

عشرون سنة تنقضي على الموظف الرسمي يستفيد فيها شوقي مالًا كثيرًا ، وكياسة ادارية ؛ ويستفيد كذلك اكراماً شاملًا واعجاباً عامًا ؛ لانه كما عرف

ان يرضي روّاد القصر بتلطفه السياسي ، عرف كذلك ان يرضي طبقات الناس في مصر ، وفي غير مصر ، بمرونته الشعرية . يرضي الوطنيين ويرضي الانكليز ، يرضي المصريين ويرضي العثمانيين ، يرضي المسلمين ويرضي النصارى . اما هل يرضي الشعر الحقيقي ؟ اما هل يرضي شخصيته الشاعرة ؟ فسؤال ما نخال شوقي يجيب عنه بالاطمئنان ، لولا ذاك الكسل العقلي الذي مُني به اثناء تلك الحياة الطويلة المنيمة فحال بينه وبين الجدّ في سبيل المثل الاعلى .

من الحق ان شوقي كان يطالع بكثرة ، ويطالع فنوناً مختلفة . الا ان مطالعته هذه لا تخرج عن مظاهر الكسل العقلي ، بل هي شرّ مظاهره ، لانها توهم صاحبها بالعمل ، ولا عمل الا اضاعة الوقت في تصفح سطحي بعيد عن الدرس والاجتهاد .

من الحق ان شوقي كان يحبّ تنقيح شعره ، وكانت آماله تنبسط الى ان تنشره الصحف اوسع نشر ، فيقرأه الزملاء ، ويتدارسه الادباء . ولكن على شرط ألاّ يحوجه ذاك التنقيح الى ازعاج نفسه ، والاّ يعرّضه الزملاء بالمنافسة ، ولا الادباء بالنقد . فهو لا يقوى على مجاراة الاحياء ، لا عن شعور بالعجز — لان من يجاري ابا تمام والمتنبي وهرغو لا يخشى مجاراة حافظ واحمد نسيم وامثالهما — بل عن هرب من الكدّ والتعب . وهو لا يطيق النقد ، لان النقد يوضح له ذاك الشعور النفسي الناهض بالنقص ، وكانه يوقظه من استكانة الى الغرور لا يحبّ ان يقلقها عليه احد .

من الحق انه كان يحب الاطلاع على الجديد من الافكار ، وعلى الحديث من الاكتشافات والاختراعات . الا انه كان يفعل ذلك ليموّه على نفسه فيرضيها ، او يظن انه يرضيها ، فلا تنكر عليه كسله ، وهو لا يزال شاعراً بتبعة ذاك الكسل ثم ليرضي السطحيين من الناس ، اذ يقرأون في شعره تلك التلميحات العامة الى التاريخ والفن والعلم والفلسفة ، فيعجبون ، ولا يدرون ان الشاعر يتكل ، في نيل هذا الاعجاب ، على جهلهم هم ، لا على علمه هو .

من الحق ان شوقي ظلّ على مظاهر عدّة من تلك الفوضى التي تحققناها في ما تقدّم . ولكنها ، بعد ان قيّدها بالنظام الخارجي في الحياة الرسمية وفي

الشعر الرسمي ، لجأت الى الحياة الداخلية ، الى الاخلاق ، والى ما ينظم من تلك المقاطع « البيتية » ، ان صحّ التعبير ، التي يقصر عنها نظر الامير ، ولا ينالها حكم الجمهور . واذا بشوقي يتفلت احياناً من واجبات البلاط ، فتراه في المطاعم الحقيرة ، مشتهياً المآكل الخشنة ؛ وتراه في الطرق المقفرة يهيم متصعلكاً متشرّداً حتى يطرق ابواب اصدقائه في ساعات متأخرة من الليل ؛ وتراه في مجالس لا تنفذ اليها عين الرقيب ، لاهياً عابثاً . تلك منافذ للفوضى ، وقد قُيّدت رسمياً في حياة القصر . الا ان الشاعر تأثر ، حتى في هذه الفلتات ، بمظاهر البلاط الفرّيسية ، فوجب عليه ان يخفّف من صراحته وطبيعته ، فيتظاهر دائماً بالرصانة ، ويمدح التديّن والتقوى ، ويكثر من الاشادة بذكر الاخلاق الصالحة . . .

هذا ما جنته تلك الحياة الرسمية السهلة على عبقريّة ، لو نضجت حُرّةً ، لفاخرنا بها الشعر العالمي .

***

وتدور الايام دورتها ، واذا بالامير مُنزل عن عرشه ، واذا بشاعر الامير منفيّ في الاندلس ، يبكي على مدنية بكى على اختها بالامس ، ويجول في آثارها الفخمة ، فيحسّ عصورها الذهبية ، ويحييها بخياله الخصب ، وقد زاده سنّ الكهولة توازناً ونضجاً ، ونفحته ريح المنفى حريّةً كانت تعوزه في بلاط اميره . فغدا اقرب الى الخلافة المروانية منه الى خلافة آل عثمان ، وادنى الى العرب منه الى الترك ؛ حتى اذا عاد الى الكنانة ، وقد تحرّرت خريطة الشرق الادنى ، فتمخّضت الامبراطورية العثمانية عن ممالك وامارات وجمهوريات جديدة ، انقشعت عن ناظريه غشاوة الذهب الخديوي ، فاتسع افق تفكيره ، وانبسط جناح خياله ، وانتشرت اعصابه تحسّ باحساس تلك الشعوب المستيقظة الى النور ، الناهضة الى الحرية والاستقلال نهضة الفتى النشيط بعد السُبات الطويل . واذا باحمد شوقي يتحوّل من شاعر الامير الى شاعر الشعب ، من شاعر مصر الى شاعر البلاد العربية ، من شاعر الخليفة العثماني الى شاعر العالم الاسلامي ، بل الى شاعر الشرق على اختلاف ميوله ونزعاته واديانه .

ولكن تلك رسالة تتطلب اقداماً نشيطاً وكداً متواصلاً ؛ وشوقي ، وقد جاز الخمسين من حياة قضى نصفها في الراحة والرفاهية ، اصبح من الصعب عليه ان يلاقي الحوادث المقبلة ؛ فانقلب يركض وراء الزمن الفالت . يا لآثار الايام ! ويا لانتقام الطبيعة ! عندما كانت المواهب متوافرة لهذه العبقرية الفذة اخذ الشاعر يهملها ، بل يقتلها بالمدائح السخيفة والتهاني المبتذلة ، حتى اذا جاء وقت الانتاج المثمر ، حتى اذا نادى العصر شاعره ، طلب الشاعر هذه المواهب فلم يجدها ؛ انما وجد آثارها الناحلة ورسومها الشاخصة وقد مرّ عليها الزمان ، واخلقها الاهمال . عندما كانت طرق الابتكار ممهدة امامه كان يتنكب عنها الى مجازات التقليد السهل فيجري فيها عن كسل وتراخ ، حتى اذا شاقه الرجوع الى تلك المسالك الصعبة راغباً في الابتكار والتجديد ، خانته القوى ، فلم يجد الا التقليد يرقع به ثغور نبوغه . يتوكأ على بعض شعراء الافرنج حيناً ، ويلجأ احياناً الى العرب الاقدمين : يعارض ابا تمام ، ويقلد المتنبي ، ويجري على اسلوب البحتري ، ويحاكي شعراء الغزل . . .

وما كان ليرأب بهذه الرمم صدوع شاعريته ، لولا ان الشرق العربي اعتاد الاعجاب ببعض الكلمات « الطقسية » ، كما اعتادت اذنه تذوق الموسيقى التقليدية الموحدة النغم . ولا مشاحة في ان شوقي كان من ارباب هذه الموسيقى الماهرين ، ومن سادة المتلاعبين بتلك الالفاظ السحرية . له من هلهلته الشعرية ما يولد المطالع الفخمة الرائعة تفسح للسامعين آفاقاً من الشعر الصافي لا يحدّها الا عجزهم عن ارتيادها ؛ وله من عاطفته الشاملة ما ينيله التأثر السريع والشعور البصير لشعور الجمهور ، فيحس لشعب كامل بل لشعوب . ويهديه لطف حسه الى اختيار الفاظ جلاها الاستعمال مدة قرون ، ومسحها التاريخ بقدرة الايحاء ، وسكب عليها الدين صبغة التقديس ، فغدت تختزن بين حروفها قوة على اثارة التذكارات عجيبة ، وتجتمع في نبراتها خلاصة امجاد الشرق الاسلامي على تتابع الاجيال ؛ وكأنها تلك الخزانات الكهربائية المفعمة لا ينالها الخط الموصل حتى تتزاحم شراراتها ، وتتدافع تياراتها ، ثائرة صاخبة . هكذا كان شوقي يرقب جو الجمهور الاسلامي الشرقي ، المضطرب حزناً على اثر الفشل ، او

المترنح طرباً لبعض الانتصارات ، او المنتفض حماسةً في متابعة آماله المتعددة ، فيطلق فيه تلك الالفاظ السحرية ، وكل منها تلخص تاريخاً برأسه ، بل عقيدة كاملة ، من امثال «الله اكبر!» – «يا اخت اندلس» – وما الى ذلك من ذكر محمد وموسى وابن مريم ، والاسلام والاذان ، وجلق ومروان ، والاهرام ، والفراعنة . . . وغيره كثير ؛ يطلق تلك الالفاظ في ذاك الجوّ المفعم ، فتتماوج ، وتتلاقى موجاتها ، وتهبط دوائر مستطيلة ، وكأنها رقمت على السامعين بكل ما ترمي اليه من تاريخ لا يريده الخدّة الا مجيداً ، ومن ذكريات لا يرونها الا موافقة للحالة الحاضرة ؛ واذا بالشاعر في كل قلب ، واذا بشعره على كل لسان .

هو شوقي يقول ما يفكر به الجمهور ، ويعبّر بصراحة وثقة عما يشعر به الشعب بغموض واضطراب . فهو شاعر العصر بلا خلاف ، بل هو يلخص في شخصيته الشرق الاسلامي بكل ما فيه من انبساط وانكماش ، من امل ويأس ، من سعي مثمر وتواكل مؤلم ، «يغني في فرحه ، ويعزّي في احزانه» . . . ثم يتجاوز تلك المظاهر السياسية العامة الى رغبات الشعب الحيوية ومراقته اليومية – واكثرها بعيد عن الشعر – فيناصر المشاريع الاقتصادية ، ويُعلن عن المصارف الوطنية ، ويهتم بشؤون العمال ، ويؤرّخ الحوادث المحلية ايّاً كانت . يبتهج مع المبتهجين ، ويبكي مع الباكين . يرى الناس مندفعين الى الغناء ، فيظهر رغبته في التلحين ، فيغني ، ويجيد . ويرى الفنّ التمثيلي على تقدّم ، في مصر ، والاجواق تتكاثر وتزدهر ، فيجاري الذوق العصري ، وينظم في التمثيل ، غيرَ هيّاب . وان يكن شوقي لم ينجح في التمثيل نجاحه في الغناء ، فلانه كان ذا ميل فطري الى الموسيقى ، ورغبة في نظم الاغاني ، منذ ان عرف عبده الحمولي في بلاط الخديوي اسماعيل . ولم نعرف عنه انه مال الى التمثيل ، او اضطلع به ، الا ما ذُكر في أخريات ايامه من انه كان يكثر الاختلاف الى دور السينما . والسينما والتمثيل ظاهرتان منفصلتان للفنّ ما اتحدتا الا فسدتا جميعاً .

هكذا كان شوقي ، في القسم الاخير من حياته ، مسايراً الجمهور في

عواطفه ، دائم الاتصال به ، مطلعاً على ما يصيبه من احداث يستغلها في شعره الرائع . ولو كان لعبقريته ، اذ ذاك ، قوة الابتكار لما اكتفت « بالغناء في الفرح ، والعزاء في الحزن » بل لسبقت الاحداث فهيأتها على ما تريد ؛ ولما رضيت بالسير في القافلة البشرية بل لتقدمتها هادية الى محجة الحياة المثلى . ولكن الابداع صعب على تلك الشخصية في تلك الاحوال. فكان من نصيب الشاعر الكبير ، وقد عجز عن خلق الحديث ، ان يحيي القديم ، ويحييه رائعاً ؛ كما كان من حظه ، وقد قصر عن هدي قومه الى فجر جديد من الشعر العربي، ان يظلّ شاهد عصره ، ومعلم جيله.

***

هذه لمحات مقتضبة متقطعة في شخصية شوقي ، وفي ما كان من تفاعل عناصرها الدموية ، ومن تأثرها باحداث البيئة والعصر . واذاً فهي لا تغني في درس فنونه الشعرية ، وصياغته النظمية ، وميزاته الخاصة . وكلها موضوعات لا يفرغ منها الادباء لمدة طويلة . وليس لنا الآن الا التمني بان ينهض لدرسها من يختصون بما اختص به صاحب هذا الكتاب الذي نقدمه الى القراء ، فيسيرون على طريقه القويم ، وينتقدون مدائح شوقي ، وغنائياته ، وملاحمه ، وامثاله ، كما انتقد رواياته التمثيلية ؛ ويتوفقون ، ان والاهم الحظّ ، الى ما توفق اليه من شمول الدرس ، ودقة البحث ، ووضوح الاسلوب ؛ حتى جعلنا ، وبين يدينا هذه الباكورة الشهية ، نتفاءل خيراً بما سيهدي الينا من ثمار ناضجة ، ان شاء الله.

حفريات افامية *

بقلم فرنان ميانس
الاستاذ في جامعة لوفَن ، ومدير حفريات افامية

كان « المشرق » قد اطلع قرّاءه ، منذ السنة الاولى لحفريات افامية ، على تاريخ تلك المدينة ، وكيف التفت اطلالها انظار العلماء ، فتألفت البعثة البلجيكية التي يرئسها الاستاذ ميانس ؛ وذكر ما كان من نتائج الحفريات في السنوات الثلاث ١٩٣٠ ، و١٩٣١ ، و١٩٣٢ (١ . وها ان مدير الحفريات نفسه يحدثنا اليوم عن حفريات السنتين ١٩٣٤ ، و١٩٣٥ ، ملقياً نظرة اجمالية على موقع المدينة ، وتقلبات صروف الدهر عليها مما ظهرت معالمه في تلك الاكتشافات . وهذا ملخص حديث :

لا نطيل في ذكر تأسيس هذه البعثة ، وما كان في ذلك من فضل للاستاذ كومون (Cumont) بلفته نظر العلم البلجيكي الى اهمية اطلال افامية ؛ وما كان للجنة « الاعتماد الوطني للابحاث العلمية » من غيرة فعّالة على تنفيذ هذه الفكرة[1] . ولا نطيل في ما ولي ذلك من الحفريات المتتابعة ، في السنوات ١٩٣٠ ، و١٩٣١ ، و١٩٣٢ ، و١٩٣٤ ، ١٩٣٥ ، مدة سبعة اسابيع من خريف كل سنة . واني اعرض عليكم اليوم نتائج ما اكتشفناه في هذه السنوات الخمس .

اما تاريخ افامية في العصور السحيقة ، فنستند فيه الى معلومات قليلة ، بل الى اشارات وردت عرضاً في آثار القدماء ، نعرف منها ان اسم المدينة الاقدم كان « فرناكه » . ثم دُعيت « پيلا » على عهد المقدونيين . حتى كبّرها وجمّلها سلوقوس نيقاطور ، وسمّاها « افامية » ، باسم امرأته . وجعل فيها مستودعاً

*) ملخص محاضرة من محاضرات « معهد الآداب الشرقية » ، في فرع « تاريخ سورية وفينيقية وآثارها »

١) راجع : فؤاد افرام البستاني : مدينة افامية واهمية اطلالها (المشرق ٢٩ [١٩٣١] ١٠-١٨) ، واطلب ايضاً المشرق ٣٠ [١٩٣٢] ٧٠ ؛ ٣١ [١٩٣٣] ٧٢

٢) راجع ، في ذلك ، المشرق ٢٩ [١٩٣١] ١٢-١٤

للفيلة والخيول والمؤن والذخائر . وقد قال اسطرابون انه كان لسلوقوس فيها ٣٠٠ جواد من كرام الفحول و٣٠,٠٠٠ فرس انثى .

ويأتي العصر الروماني ، فلا نسمع لها ذكرًا الا ما جاء عرضاً ، كما في قول شيشرون ذاكرًا سيسيليوس باسوس وما قاساه من الحصار في افامية .

اما في صدر النصرانية فكانت المدينة لا تزال على اهميتها وازدهارها ، وقد اصبحت مركز اسقفية . حتى كان القرن السادس ، وقد اشتدت الحروب في اواسطه بين يوستنيانوس قيصر وكسرى الثاني ، فدخلها هذا سنة ٥٤٠ ، واخربها .

وفي السنة ٦٣٨ ، دخلها ابو عبيدة صلحاً على الجزية والخراج . ثم اخذت تتضاءل حتى كان القرن الثاني عشر ، فحدثت فيه زلزلة قوية سنة ١١٢٥ ، فقوّضت ما بقي فيها من البنايات . وهكذا دخلت هذه المدينة الزاهرة قديماً على عهد اليونان والرومان ، في ظلّ النسيان نحو ثمانية قرون . حتى قُيّض لنا ان نكشف الستار عن بعض ما كان فيها . فنزورها اليوم ، زيارة سريعة ، واقفين على اهم ما ظهر لنا من آثارها الجليلة .

ولا بدّ من ان نستعين اولًا برسم جوّي يُظهر لنا تخطيط هذه المدينة ، فتلفت نظرنا نقطة بارزة تمثل تلّ المدينة القديم وقد كانت عليه قلعتها في العصور السحيقة ، فتدفعنا الرغبة الى اجراء الحفريات فيه . ولكنّ الظروف تحول بيننا وبين تحقيق هذه الرغبة . ذاك انّ على هذا التلّ قرية حديثة ، هي قرية قلعة المضيق ، قامت على انقاض قلعة المدينة الاصلية واستخدمت حجارتها . واذاً فليس لنا الّا الانصراف عن هذا الموقع المهمّ . فانصرفنا الى منبسط شرقي التلّ ، قامت عليه المدينة في العصر اليوناني ، واحاطت بها اسوار فسيحة درسنا آثارها الباقية — وهي ، في بنائها الحالي ، من العهد العربي ، الّا انها قامت على آساس الاسوار القديمة — فدلّتنا على ان محيطها كان يتجاوز ستة كيلومترات ، وفيه ٢٩ برجاً .

ولا يزال شيء من آثار الاسوار العربية في الجنوب الغربي من التلّ تدلّ على استناد بنائي ذاك العصر الى القناطر الضخمة في دعم الصروح والبروج .

وهناك في جنوبي الموقع خان كبير على شيء من الاهمية ، لانه مبني بما استُل من حجارة المدينة القديمة . وفي الجنوب الشرقي بقايا مرسح فسيح ذي متدرّج كان الشاهدون فيه ينظرون جهة القلعة . ولم يبقَ شيء يُذكر من هذا المرسح لان حجارته نُقلت ، كما نُقل غيرها ، الى بنايات احدث عهداً . على ان ما اجريناه من حفريّات سبرت الانقاض دلّتنا على وجود الدرج ، واظهرت لنا بعض الزخارف ، كما انها اطلعتنا على دهليز تحت المُشَل عُقد سقفه بالحجارة .

وقد امكننا ، على اثر حفريّات سنة ١٩٣٢ ، ان نضع تصميماً للمدينة بكاملها مقدّرين مساحتها بـ ٢٥٠ هكتاراً (الرسم ١) ، يشق هذه المساحة من الشمال الى الجنوب شارع عظيم يسير مستقيماً من الباب الشمالي على طول نحو كيلومترين . الّا ان آثاره تختفي ، على قرب مائتي متر تقريباً من الباب الجنوبي . امّا عرض الشارع فيبلغ ٢٣ متراً . وقد اكتنفته عن الجانبين اعمدة ضخمة تسند اروقة تنوّعت زخارفها ، واتسع عرضها الى سبعة امتار . وابتعد العمود عن الثاني نحو ثلاثة امتار ، فكان على جانبي ذلك الشارع نحو ١٢٠٠ عمود يبلغ ارتفاعها عشرة امتار . وكانت قواعد الاعمدة مطمورة بعضها على عمق ٣ امتار ، واكثرها على عمق ٧,٥٠ امتار . وقد حُفرت الخنادق الواسعة حتى كُشف عنها (الرسم ٢) .

وكانت تتفرّع ، عن هذا الشارع الاعظم ، شوارع ثنوية تنفصل على زوايا مستقيمة من الشرق الى الغرب ، ويقطعها شوارع ثنوية تسير من الشمال الى الجنوب موازية للشارع الاعظم . وقد اصبح من المقرّر ان هذا التصميم في بناء المدن ، بما فيه من شوارع متوازية متقاطعة ، مشترك بين المدن السورية القديمة جميعها . ويرقى به بعض العلماء الى العهد اليوناني . فاذا ثبت هذا الفرض ، نتج ان الرومان اكتفوا بالتوسّع بذلك التصميم السابق .

ولا يخفى انه لم يكن ممكناً ان نحفر عن الاعمدة ، على طول الشارع الاعظم ، وهو عمل يكلّف ما يفوق طاقتنا ، فاكتفينا بسبر زوايا الشوارع والمنعطفات ، وما رأيناه جديراً بالدرس من آثار الابنية العامّة ، والمنازل المهيّئة ، اعتباراً من الباب الشمالي ، وحوله سور حسن البناء لا يزال محفوظاً في بعض

الرسم ١ – مخطط افامية ، وهو محفوظ في متحف بروسل . وتظهر في اعلاه المدينة الرومانية التي تبلغ مساحتها ٢٥٠ هكتارًا .
وفي اسفل الرسم ، على تلّ مستدير مشرف على سهل العاصي ، يظهر مخطّط القلعة ، وقد قامت عليه القرية الحاضرة .

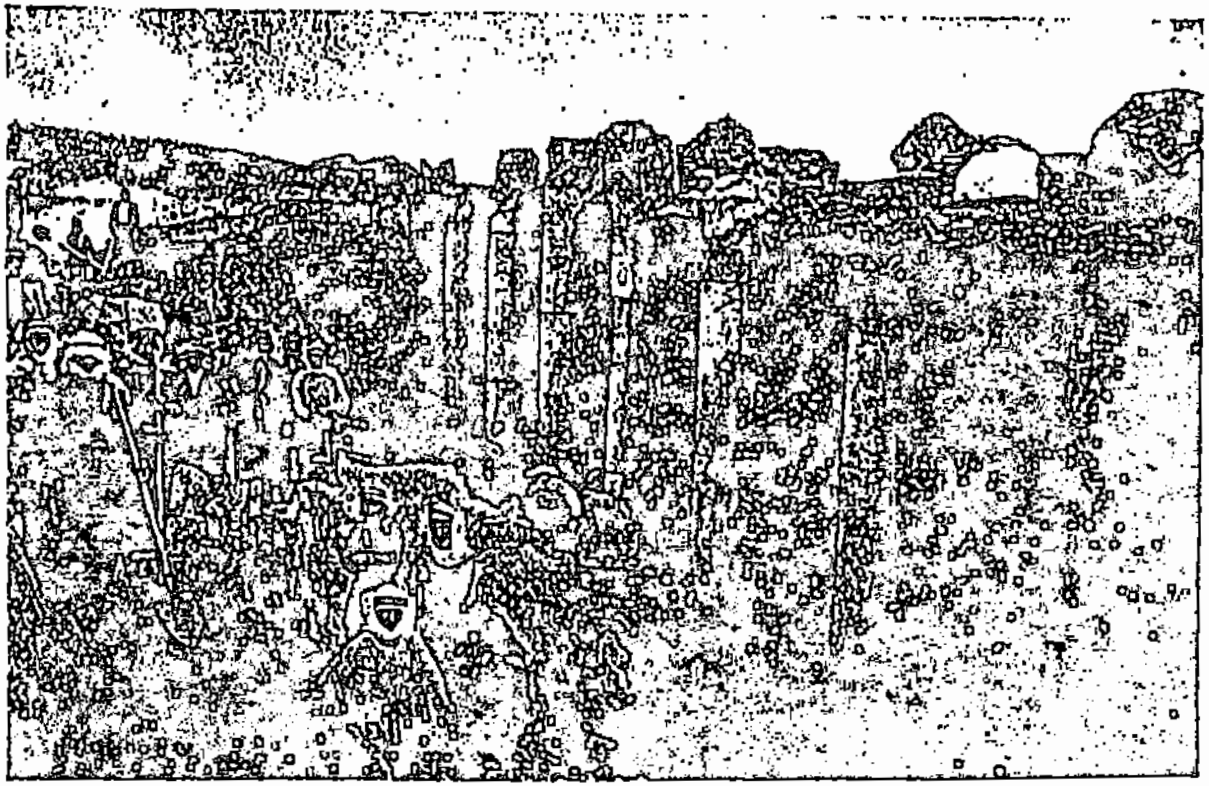

الرسم ٢ – منظر بعض الاعمدة المطمورة

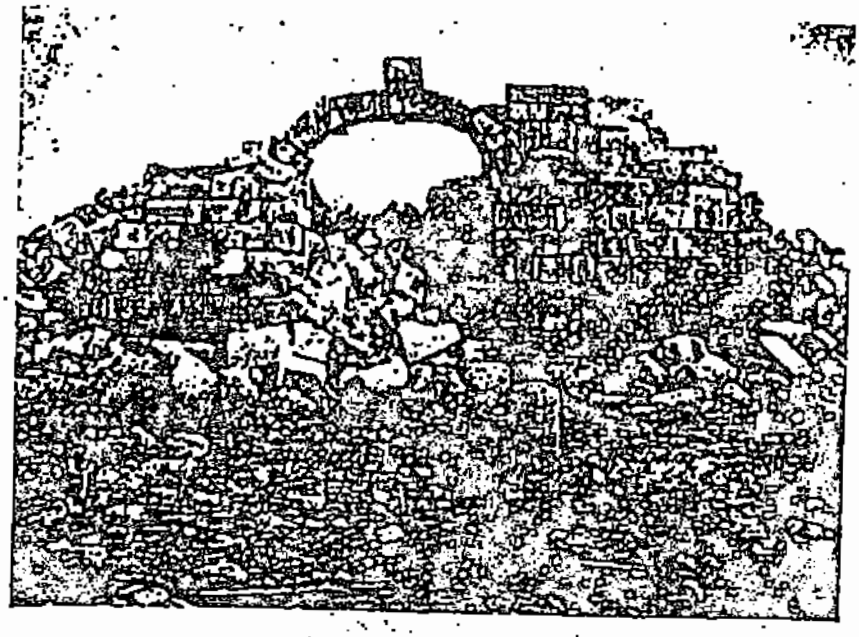

الرسم ٣ – اطلال الباب الشمالي

الرسم ٤ – الاعمدة المنقولة الاضلاع

الرسم ٥ – مشهد لاروايا الاموية المحيطة بالشارع الاكبر عن جانبيه ، وقد أعيد بناؤها في متحف بروسل

اجزائه الى علوّ ثمانية او عشرة امتار . اما الباب الشمالي نفسه فلا يزال ظاهراً على شكل طرأ عليه شيء من التحوير في العصور المتأخرة ، وكان في بنائه الروماني يتألف من قنطرة شاهقة ، لا تزال قائمة حتى اليوم (الرسم ٣) تستند الى ركنين مربعين يزينها عمودان داخليان من النوع الكورنثي . وقد رُمّم الباب في العصر البيزنطي . فاحتفظ المرمّمون بالقنطرة ، الّا انهم تراجعوا ، في اساس ركنيها نحو ثلاثة امتار عن الأس الروماني . وقد استخدموا في ذلك الحجارة الرومانية نفسها . وولي هذا العهد ترميمات مختلفة استخدمت فيها كلها الحجارة الرومانية، ولم نرَ من زخارف العصور المتأخرة الّا عمودَين ضيقَي الصنعة .

اذا تجاوزنا هذا الباب الشمالي ، بدت لنا آثار رواق متهدّم بكامله ؛ وقد بقيت حجارته على وجه الارض ، فوقفنا عليها دون صعوبة . وكنا نضطر ، في الوقوف على غيرها من العصر نفسه ، الى النزول بالحفر الى عدة امتار (راجع الرسم ٢) . ولا غرابة في هذا الاختلاف في مستوى الارض . فان عمل السنين في نقل التراب ، وما تعاقب على الموقع الواحد من البنايات المتتابعة ، وقد كثر فيها استعمال الحجارة القديمة ونقلها من مستوى الى مستوى ؛ كل ذلك ادّى الى هذا الاختلاف ، حتى اننا لنجد آثاراً مسيحية على ستة او سبعة امتار تحت المستوى الحالي ، بينما نجد بعض الآثار اليونانية على ظاهر الارض .

بيد ان ما لاحظناه خاصةً في الاروقة المحفوظة آثارها طول الشارع الاعظم انما هو الترتيب التامّ في الابواب والنوافذ والقناطر ، مما يدلّ على اهتمام بمظهر الوحدة في ذاك التصميم ، وفي طريقة القيام به . وكانت الاعمدة المتتابعة ، تنفرج على مسافات متباعدة ، امام صرح كبير تطلّ واجهته على الشارع الاعظم؛ كما انها كانت تنفرج فتفسح المكان للدخول في شارع جديد، فتؤلف ساحة في المفرق تكتنفها القناطر العالية الرشيقة . وقد يكون امام هذه القناطر اعمدة تؤلف انصاباً تذكارية او تمجيدية عريضة القواعد مزخرفتها بالنقوش البارزة احياناً . وفي غيرها ، كانت الاعمدة تظهر مفتولة الاضلاع (الرسم ٤) على طريقة غاية في الاتقان . ومما يجدر بالذكر ان مساند الاعمدة لم تُقطع في حجارة مستقلة ، بل قد حُفرت في قطعة العمود نفسها . وهناك زخارف متنوّعة في

تيجان الاعمدة والاعتاب اكثرها رؤوس للبيدوز ، وبعض التمثيلات الحجرية المتعلقة بالاله باخوس . على ان الرقم الكتابيـة قليلة جداً ، منها رقيم باسم لوكيوس بن غايوس يوليوس اغريبا يشير الى ان سلفاءه نالوا رتبـة شرف من الامبراطور اغسطوس. ومنها رقيمان ، على بعض الاعمدة ، يذكران الامبراطور مرقس اوريليوس ، والامبراطور لوسيوس ڤيروس . واذاً فان رواق الاعمدة كان لا يزال قائماً في منتصف القرن الثـاني ، وقد ملك لوسيوس ڤيروس من السنة ١٦١ الى السنة ١٦٩ م.

ومما يجب ذكره ايضاً الساحة العمومية الممتدة على طول ١٥٠ متراً ، وما يزينها من اروقة تستند ، في الجهة الشمالية ، الى اعمـدة تختلف عن سائر الاعمدة ، فيبلغ قطرها ١٣٠ سنتيمتراً . وهذه الاعمدة وقعت ، بعد انحطاط المدينة ، على ما تراكم من البقايا. وكان وقوعها كلها نحو الوسط ، دالةً بذلك على ان سبب هذا الوقوع هزّة ارضية مالت بها الى جهـة واحدة ؛ وظلت في هيأتها حتى اليوم.

وقد بدا لنا ، منذ السنة ١٩٣١، بعد ان كشفنا القسم الاكبر من الشارع الاعظم ، ان نحقق هذا القسم من المدينة ، فنعيد تمثيله ، كما كان ، ونعرضه على اهل عاصمتنا بروسل ، بمناسبة المعرض العامّ . فاستندنا الاستناد الدقيق الى نتائج الحفريات،وقام معاوني،المهندس لاكوست، بصنع القوالب من الجصّ بادئاً بها في افامية نفسها . ثم اتمها وعرضها في بروسل ، على طول ٣٠ متراً وفي الرسم ٥ يبدو قسم منها .

***

اشرنا ، في ما مضى ، الى تقلب صروف الدهر على هذه المدينة ، والى ما كان من تتابع البنايات في اثنائها بعضها فوق البعض الآخر . فكان لا بدّ من ردم القسم الكبير منها ، ونقل الاعمدة البنائية من مكان الى مكان . ولا يزال امامنا شاهد مقنع في قلعة المضيق التي بُنيت كلها بحجارة المدينة القديمة. ولعلّ هذا هو السبب في خلوّ اطلالها من آثار الفنّ الدقيقة ، ومرافق الصناعة حتى العادية منها . فاننا لم نقف على شيء من ذلك ، كما اننا لم نقف على شيء

الرسم ٦ – تمثال من العهد اليوناني يمثل بسيكه جالسة ، وهو محفوظ في متحف دمشق

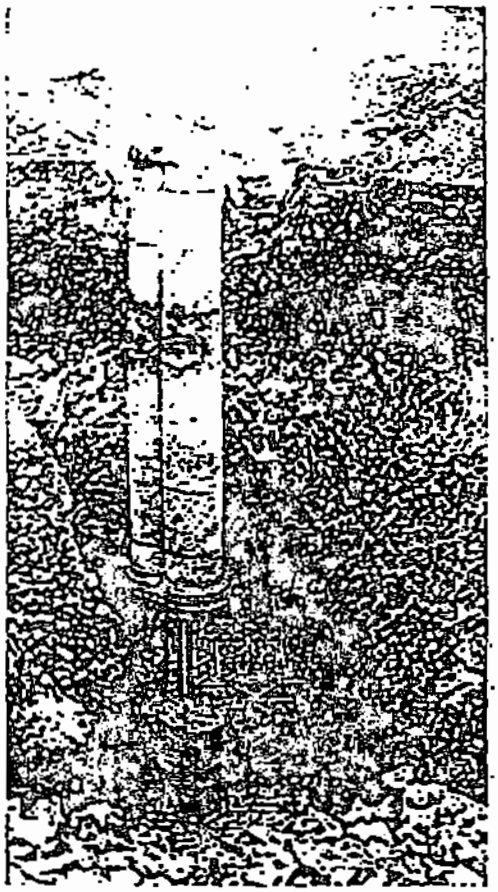

الرسم ٧ – منظر لقسم من الفسيفساء التي كانت تغطي ارض الشارع الاكبر

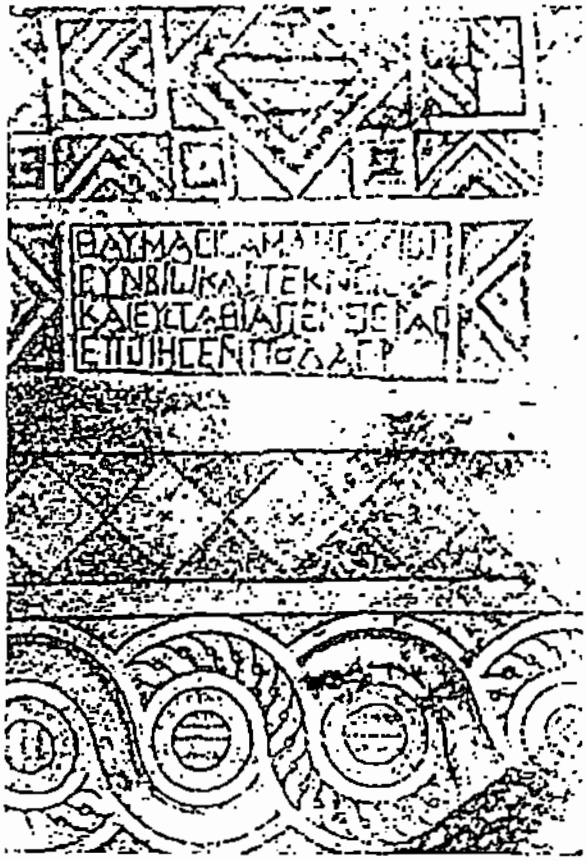

الرسم ٨ – قسم من الفسيفساء المغطية ارض الكنيس اليهودي . والكتابة تشير الى ان احد السكان ، المدعو توماميس ، دفع من جيبه ثمن مائة متر مربع من الفسيفساء.

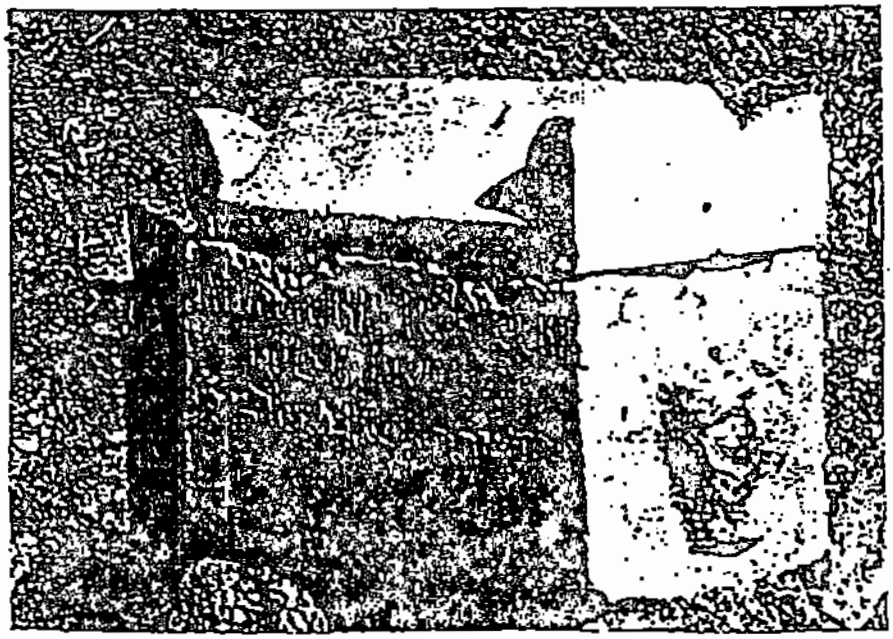

الرسم ٩ – بيت للذخائر وجد في اطلال احدى الكنائس ، وفيه ذخائر القديسين تزما ودميانوس

من الحلي، والحجارة الكريمة ، والمصوغات الثمينة . وجل ما استخرجناه من آثار الفن بعض التماثيل البارزة المتعلقة بالعبادات الخمرية ، عرفنا بينهـا تمثالاً لباخوس نفسه ، وقد افسدته الايام ، الا انه ظلّ معروفاً . وهو مرتـدٍ ثياباً شرقية . وهناك تمثال لليكورغوس ، وقـد حُكم عليه بان يموت بين دوالي العنب ، فاحاطت بجسمه ، وقيّدت اعضاءه . وهي كل ما وجدناه من الآثار الدالة على عبادات الاقدمين في افامية . وقـد يكون النصارى اتلفوا اكثرها عندما بنوا كنائسهم على انقاض الهياكل الوثنية.

وفوق ما تقدم ذكره ، فقد وجدنا اثناء الحفريات بعض الآثار النحتية ، ولكنها جميعاً من آثار الزخرف ، واشهرها تمثال ضخم لجبّار راكع ، كأنه يحمل على يديه القسم الاعلى من البناء ؛ وفي هذا يختلف عمّا نعهده في هـذا النوع من الزخرف ، اذ يُمثّل الانسان حاملاً حمله على كتفيه ، لا على يديه . وقـد خال بعضهم وجودَ أثر لفنّ الشرق الاقصى في هـذا التمثال ، ولاسيما في جلسته المذكورة . والتمثال منحوت نحتاً بارزاً في صلدٍ من الحجر مربّع يبلغ ضلعه ١٤٠ سنتيمتراً. ورأسه واعلى صدره ويداه على غاية ما يمكن من الجلاء، حتى يمكن القول ان الرأس اتمّ ما اكتشف من نوعه من حيث تمثيل الواقع ، والمبالغة في اظهار القسمات.

وقد اكتشفنا كذلك ، في الشارع الاعظم ، ناووساً سورياً عليه نقوش من الجهتين تمثل آلهة الحب والانتصار . على ان وجود هـذا الناووس مطروحاً في الشارع يدلّ على ان مقبرة المدينة القديمة قد نُهبت ، ونُقل هـذا الناووس فاستُعمل حوضاً للمياه.

ومن مكتشفات السنـة الفائتة عدد كبير من التماثيل الصغيرة أدخلت في احد الجدران مع موادّ البناء ، منها ما يُمثّل آلهة الحب والانتصار وبينهـا تمثال بسيكه جالسةً (الرسم ٦) ، ومنها ما يمثّل اشخاصاً ملتحفين بالاردية . وشد ما كان سرورنا عندما وقعنا على قطع عديدة من الفسيفساء رُصفت بها اروقة الشارع الاعظم ، وكان اجملها قرب الرواق الغربي (الرسم ٧) . اما موضوعاتها فمستوحاة من الحياة الشرقية ، وفي مقدمتها مشاهد الصيد . فهناك اسود تعدو

وراء الغزلان ، وهناك كلاب صيد وايائل ، وعدد من البطّ والاوزّ والجباريات، وكلاب سلوقية راكضة وراء الطيور المختلفة. كل ذلك يظهر في مسارح مملوءة بالازهار المشتبكة مما يقرب من منسوجات السجاد الشرقي . والجدير بالذكر ان هذه الحيوانات متجهة الى النواحي المختلفة ، حتى ان السائرين في تلك الاروقة ، يرون ، كيفما ساروا ، بعض المشاهد متجهة نحوهم . والى جنب مشاهد الصيد هذه ، مناظر اتخذت من الحياة العادية ، فمثل بعضها قوافل من الجمال متتابعة السير ، وقد عُلقت الاجراس الصغيرة في اعناقها ؛ ومثل بعضها ناعورة دقيقة الصنع ، دائرةً حول مرتفع من الحجارة يُصعد اليه بدرج ، كما هي الحال في نواعير حماة اليوم . وبقربها رجل تظهر عليه امارات التعب كانه ينقب الارض او يسقيها.

وفي السنة الحاضرة زادت هذه المجموعة من الفسيفساء بقطعة جديدة مثلت سبعة من الصيادين بعضهم على الخيل وبعضهم رجّالة ، يعدون وراء ارنب برّية وفهد.

اما زمن صنع هذه الفسيفساء فلنا عليه دليل واحد وهو ان احدى القطع تحمل تاريخ السنة ٥٣٩ للمسيح.

ومن المكتشفات الحديثة كنيس يهودي بُني على انقاض هيكل قديم. وفيه قطعة فسيفساء تحمل رقماً يشير الى ان احد السكان المدعو توماسيس دفع من ماله الخاصّ ثمن مائة متر مربع من الفسيفساء. (الرسم ٨)

ومنها كنيسة مسيحية كبيرة ، مربّعة التصميم ، بُنيت على انقاض هيكل قديم كذلك ، محتفظةً ببعض اركانه. وقد وجدنا تحت مذبحها ، على عمق ١٥٠ سنتيمترًا ، قطعة من الفسيفساء ترقى ، دون شك ، الى العهد الوثني . ووجدنا كذلك عددًا من الآنية الحجرية تشبه النواويس الصغيرة ، الا ان في احد جوانبها مصرفاً للسوائل . فترددنا طويلاً في معرفة الغاية منها ، وملنا الى القول بانها احواض صغيرة لحفظ الماء . حتى اكتشفنا ، في السنة الفائتة ، واحدًا جديدًا من هذه الآنية، وعليه الرقم التالي: «هنا ذخائر القديسين قزما ودميانوس وغيرهما من القديسين.» فتحققنا ان تلك الآنية بيوت تُحفظ فيها الذخائر

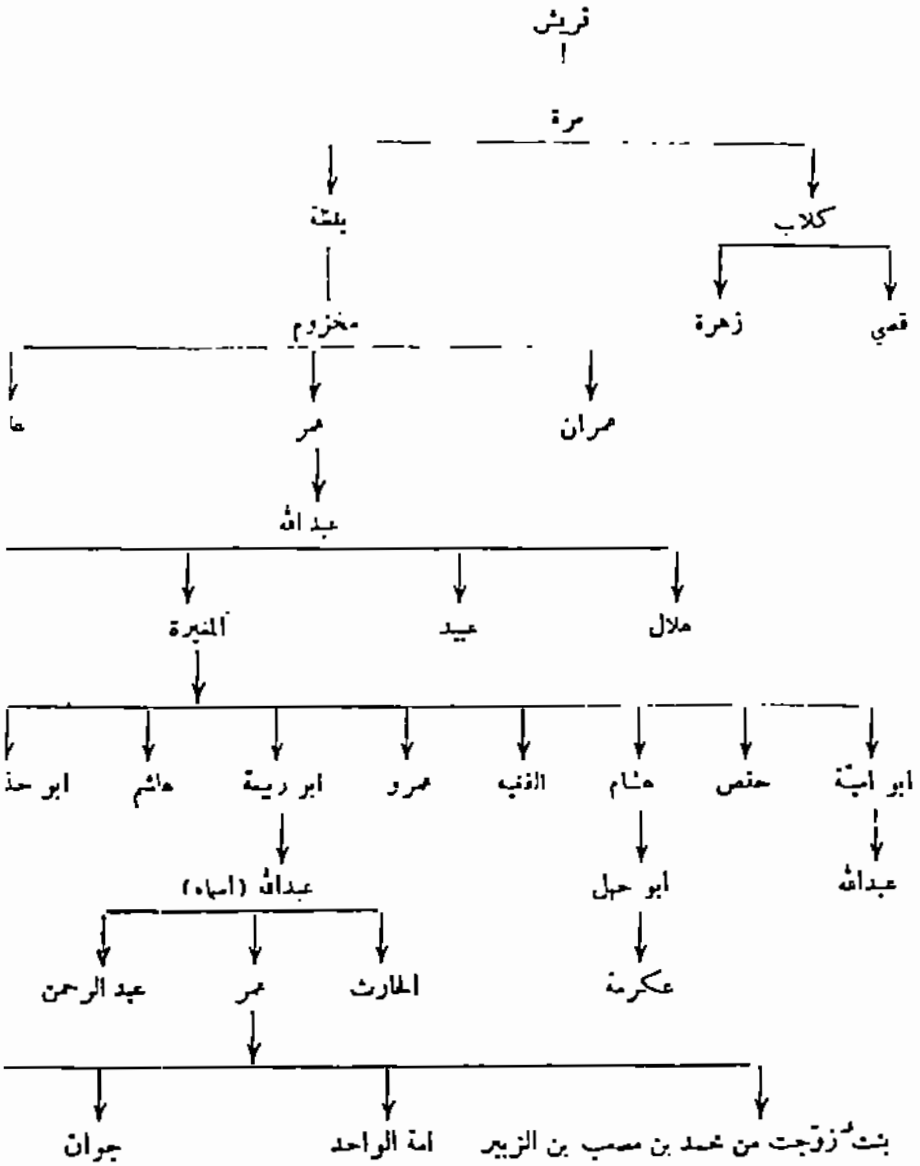

جدول يظهر نسب بني مخزوم في قريش ، دون ان يتصلوا بقصي ، وفيه ذكر لاكثر الرجال والنساء

الرسم ١٠ - الاقنية الحجرية المتفرعة تحت الارض

المذكورة ، وتُستعمل لتحريك بعض السوائل من زيوت وغيرها ، فتمرّ على البقايا المقدسة وتخرج من تلك المصارف التي اشرنا اليها . (الرسم ٩)

بقي ان نشير الى آثار لا تقلّ اهمية عما تقدّم ، كما انها لا تقل دلالة على تقدّم تلك المدينة في العمران ، وعلى مقدرة اهليها في الهندسة والصناعة ، الا وهي الاقنية الحجرية التي كانت تتفرّع في ارض المدينة فتوزّع الماء على انحائها المختلفة . لقد جُرّت المياه الى المدينة من نقطة بعيدة في اقنية مرتبة كشفت الحفريات عن بعضها فرأينا قناةً كبيرة رُفعت ، في بعض الاماكن ، على قناطر ضخمة واركان قويّة ، والى جنبها اقنية صغيرة تتفرّع منها او عن غيرها ، حتى وصل عددها في بعض الشوارع الى خمسة اقنية ، وكلها مستديرة تجري فيها المياه مغطّاة . وقد بلغ قطر بعضها ٤٥ سنتيمترًا . والعجب فيها ان كلّها من الحجر المحفور حتى منعرجاتها وزواياها ، وقد أُحكمت اشدّ احكام . (الرسم ١٠)

***

هذا ملخّص ما وقفنا عليه من آثار افامية في العهدين الروماني والمسيحي . اما العهد اليوناني فلم نتمكن من ان ننسب اليه أثرًا يُذكر . ولعلنا نقف في المستقبل على شيء من ذلك .

نسب عمر بن ابي ربيعة*

بقلم جبرائيل جبور
من اساتذة الادب العربي في جامعة بيروت الاميركية

وفا موسم الحج ، عامَ ثلاثة وعشرين للهجرة ، وكان موسماً حافلاً . فقد كانت خلافة عمر بن الخطاب . وكان العرب قد اخضعوا الفرس والروم ، وغلبوهم على ممتلكاتهم في العراق وفارس والشام ومصر؛ وكان قد تحدّر الى الحجاز سيل كبير من سبي هذه الاقطار فُرّق في اهليه ، واخذوا يقومون لهم في مختلف الاعمال.

وشرعت وفود الحجاج تؤمّ بيت الله الحرام قادمةً من بلدانها المختلفة ، يتقدّمهم عمال عمر عليها . وكان من سنّته ، فيما يروون ، ان يأخذ عماله بموافاة الحجّ في كل سنة ، فيحاسبهم ، ويناقشهم في سياستهم ، ويفسح لرعاياهم مجالاً لشكايتهم ، ووقتاً ينهونها فيه اليه[1].

وانسلخت ايام الحجّ بهدوء وسلام . فنفر الناس الى اوطانهم ، وغادروا مكة ، الا من اثر البقاء فيها للتبرّك بمشاهدها ، والعيش في حماها . وعاد عمر الى المدينة ، مقرّ خلافته ، مع من عاد اليها من عماله واتباعه ، وشهرُ ذي الحجة لم ينسلخ بعد.

وكانت ليلة السادس والعشرين من الشهر نفسه . القمر في اواخره ولم يبقَ له الا ايام اربعة حتى يولد من جديد . وقد وافقت ليلة الرابع من تشرين

---

*) فصل من كتاب في « حياة عمر بن ابي ربيعة »، يظهر قريبا في المطبعة الكاثوليكية.

1) الطبري ١ : ٢٦٨٠

الثاني سنة ٦٤٤م ، فكانت ليلة من ليالي قلب الخريف الثقيلة المظلمة ، وقد رقدت يثرب ، مدينة النبي ، في هدوء. ذلك الظلام واجمة ، ساكنة ، غير عالمة بما خبأه لها من الامر صبح ذلك الليل.

هوذا الفجر يتنفس فينعش طيبُ انفاسه ما حول المدينة من ربى واودية. ثم هوذا هو يتحرك فيبرز أُحد ، ويظهر العقيق ، وتدبّ الحياة في ساحات طيبة ، فينتفض المصلّى ، والبلاط ، والبقيع. وقد نهض الخليفة باكرًا الى الصلاة كعادته ، واخذ الناس يتهافتون متزاحمين الى مسجد النبي . فوكل بالصفوف رجالًا ، حتى اذا استوت تقدم هو فكبّر.[1]

ودخل في هؤلاء الناس رجل فارسي ، مولى للمغيرة بن شعبة ، لعلّه لم ينم تلك الليلة ، او لعله كان يرقب مثل تلك الليلة المظلمة لينفّذ في فجرها جريمته النكراء . وهوذا هو يشقّ الصفوف ساترًا الى الامام ، وفي يده خنجر له رأسان ، نصابه في وسطه ، حتى يصل الى الخليفة عمر فيطعنه طعنات ستًّا . فيسقط الخليفة . وينادي بابن عوف ان يتقدّم الناس بالصلاة ، فيصلي ، وعمر جريح يعالج الموت[2].

مات عمر ، وذاع النبأ في المدينة ، فاستسلمت الى حزن عميق . وانها لفي حزنها ، وصوت النعيّ بمقتل كبير قريش يتردّد في بيوتها لينقله الركبان الى سائر الجزيرة والعالم العربي ، اذا بصوت البشير في بيت قرشي من بني مخزوم ، يؤذن بولادة صبي له. قالوا: فسمّي الصبي باسم الخليفة المقتول وكني بكنيته[3]. لكن هذا الاتفاق ذكر لبعضهم ، فيما بعد ، فقال: ايّ حق رفع ! وايّ باطل وضع ![4]

ولعلّ من الخير الآن ان نترك هذا القرشي الصغير في مهده ، وننطلق نتعرف الى عشيرته واهله . فقد ييسّر ذلك علينا فهم المحيط الذي نشأ فيه ، ويهيئ امامنا السبيل لدرس الحياة التي عاشها بين اهله ومعاصريه.

---

١) الطبري ١ : ٢٧٢٢

٢) الطبري ١ : ٢٧٢٣

٣) الاصبهاني ١ : ٢٤ ؛ وابن خلكان ١ : ٥٢٩ ، و٢ : ١٥٩ ؛ والبغدادي ١ : ٢٤٠

٤) الاصبهاني ١ : ٢٤ ؛ والعيني ١ : ٢١٥ ؛ والدميري ١ : ٢٢٦

من قريش

هو من قريش ذلك القبيل الذي انجب محمد بن عبدالله ، نبيّ العرب ، وجامع شملهم . وكانت قريش ، في قديمها ، قد استقرت في بلدة تقع على مفترق الطرق التجارية العربية ، هي مكة . ثم لم تلبث هذه الجالية الجديدة ان تولت الزعامة فيها ، وحملت عبء المسؤولية الكبرى ، فسارت بتجارة البلد احسن سير ، واحكمت ربط العلاقات مع مجاوريه ، فنفذت منه الى اليمن حتى شواطئ البحر الهندي ، واتصلت ببابل وسورية ؛ وعبرت البحر الاحمر الى افريقية . وعقدت المحالفات مع اقيال اليمن ، وشيوخ نجد ، وامراء العراق ، وزعماء سورية ، ورؤوس الحبشة . وكان لهم متجر عظيم ومضطرب واسع يتنقلون بين اطرافه في رحلات خاصة فيشترون السلع من قطر ، ثم يبيعونها في اسواق القطر الاخر[1]. « لايلاف قريش ، ايلافهم رحلة الشتاء والصيف ، فليعبدوا ربّ هذا البيت الذي اطعمهم من جوع ، وآمنهم من خوف . »[2]

وكانت قريش فريقين : فريقاً حلّ ببطحاء مكة ، فكانت بيوتهم حول بئر زمزم ، وقرب ساحة الكعبة ، فعرفوا « بقريش البطاح » . وفريقاً استقر في ظواهر البلد ، فعرفوا « بقريش الظواهر » .

وكانت قريش البطاح عشرة بطون[3]، لها شرفها ومكرماتها . وقد وزعت على رؤساء هذه البيوت الكبيرة مصالح الحكم والسلطان ، فكانوا اصحاب النفوذ في مكة .

من مخزوم

وكان حظ هذا الحي ان يتحدر من مخزوم . ومخزوم ريحانة قريش[4] ،

١) راجع ، اذا شئت التوسّع ، مقالي الاب لامنس في الموسوعة الاسلامية تحت *Mecca* و *Kuraish*

٢) القرآن ١٠٦ .

٣) هاشم ، وامية ، ونوفل ، وعبد الدار ، واسد ، وتيم ، ومخزوم ، وعدي ، وجمح ، وسهم (ابن عبد ربه ٢ : ٤٥) ويروي ابن عبد ربه ، في الموضع نفسه ، ان جدّ قريش كلها فهر بن مالك ، فما دونه قريش ، وما فوقه عرب مثل كنانة واسد وغيرها .

٤) ابن عبد ربه ٢ : ١٥٤ ؛ وابن ابي الحديد ٦ : ٢٦١

وبيت من بيوتها الاولى في الشرف والجاه والعز والمنعة والجود[1]، يرجع نسبهم الى يقظة بن مرة ، ثم الى قريش ، دون ان يتصل بقُصَيّ[2]. وكان نصيبهم من مكرمات قريش في الجاهلية القبة والاعنة . وزعم الرواة ان هذه المكرمة ظلت لهم في الاسلام ، فكان منهم خالد بن الوليد الذي انتهى اليه شرفها في الجاهلية فوصله بالاسلام[3]

غنى مخزوم

ولقد عرفوا بالغنى والثروة في جاهليتهم . فكان منهم التجار الاغنياء ، واصحاب الثروات الكبرى ، امثال الوليد بن المغيرة ، وقد قال فيه القرآن ، فيما يقول المفسرون ، « ذرني ومن خلقت وحيدا ، وجعلت له مالاً ممدودا ، وبنين شهوداً ، ومهدت له تمهيدا ، ثم يطمع ان ازيد . كلّا انه كان لآياتنا عنيدا . »[4] وعكرمة ابن ابي جهل ، وقد روي عنه انه لما وفد على النبي مسلماً قال له النبي : « ما انت لتسألني اليوم شيئاً اعطيه احداً من الناس الا اعطيتكه . » قال عكرمة : « فقلت ما انا لاسألك مالاً ، اني لمن اكثر قريش مالاً . »[5] وكان لهذه العشيرة المخزومية من الاموال في قافلة بدر ما قيمته نحو خمسة آلاف مثقال من الذهب[6]. وما يؤيد انه كان في حوزتهم كثير من النقد انهم عرضوا ، فيما يروى ، على النبي ان يبيعهم جسد قتيل واحد من قومهم قتل يوم الخندق ،

---

١) ابن ابي الحديد ٤ : ٢٦٢

٢) وستنفيلد G. T., II, S.

٣) ابن عبد ربه ٢ : ٤٥ . وفيه : « اما القبة فاضم كانوا يضربونها ثم يجمعون اليها ما يعزون به الجيش – جيش قريش – واما الاعنة فاضم كانوا على خيل قريش في الحرب . » غير ان الاب لامنس ينكر ان يكون لهاتين المكرمتين هذا المعنى الحربي ، ويزعم ان القبة من بقايا تقاليد القوم في الجاهلية ، وانما كانت تحوي رموزاً لمعبوداتهم وتوضع كهودج على جمل وتتناوب الاعيان والاشراف قيادة الجمل من عنانه . وينفي ان يكون ابن الوليد قد احتكر هذه المكرمة . (الموسوعة الاسلامية ، تحت *Mecca* ٤٢٨)

٤) القرآن ٧٤ : ١١–١٦ ؛ والبيضاوي ٢ : ٢٦٨

٥) الطبري ٣ : ١٣٨٦

٦) لامنس : الموسوعة الاسلامية ، تحت *Makhzum* ، ص ١٧٢

واعطوه بجسده عشرة آلاف درهم[1] . وقدموا في فداء اسراهم في واقعة بدر، فافتدوا كل اسير باربعة الاف درهم[2].واستسلف النبي من احدهم ، بعد فتح مكة، بضعة عشر الفاً. فلما رجع من حنين دعا به فردّ عليه ماله وشكره[3].

وظلت العرب تتحدث بغناهم حتى زعموا ان معاوية قال لجلسائه : « اذا جاءت هاشم بقديمها وحديثها ، وجاءت بنو امية باحلامها وسياستها ، وبنو اسد بوافدها ودياتها ، وبنو عبد الدار بحجابها ولوائها ، وبنو مخزوم باموالها وافعالها ، فمن ذا يحمل مضمارها ويجري الى غايتها ؟ »[4]

تجارتهم وتعوذهم

وكانوا اهل نشاط وهمة . ويظهر انهم هم الذين فتحوا الخطوط التجارية المكية الى مختلف الجهات لذكائهم ونشاطهم وحدّتهم ، وقد قيل فيهم انهم كالنار :

ابناء مخزوم الحريق ، اذا حركته نارةً ترى ضرما
يخرج منه الشرار، مع لهبٍ، مَن حاد عن حدّه فقد سلما[5]

ويشير الاب لامنس الى انهم ، في منتصف القرن السادس للميلاد ، كانوا مالكي زمام اهم امور مكة ، لا يستثني الا الدينية . وانه لم يكن هناك غيرهم يستطيع حفظ التعادل مع قوة الامويين التي كانت تزداد . ويذكر ان اسمهم في هذا الزمن اخذ يُعرف ويشتهر حتى صار مرادفاً لقريش[6].

المغيرة وابناؤه

وظهر في مخزوم المغيرة بن عبدالله ، وكان معاصراً لعبد المطلب ، جدّ النبي العربي[7] ، فكان سيداً في عشيرته . واخذ ابناؤه ينتسبون اليه حتى صارت

١) ابن هشام ٢: ٦٦٦
٢) الواقدي (م) ١٣٦
٣) الطبري ٣: ٢٣٨٦
٤) ابن عبد ربه ٢ : ١٣٥
٥) لامنس: الموسوعة الاسلامية ، تحت *Makhzum* ، ص ١٧١
٦) لامنس: الموسوعة الاسلامية ، تحت *Makhzum* ، ص ١٧١
٧) لامنس: الموسوعة الاسلامية ، تحت *Makhzum* ، ص ١٧١

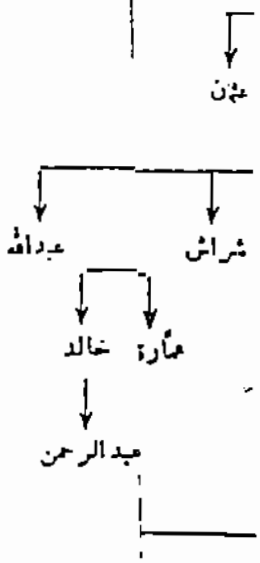

وجت من مطكم (؟)

يتنافظر و. (G. T., Part.

كلمة المغيري مرادفـة للمخزومي[1] . بل كان عمر فيما يظهر من شعره يؤثر الانتساب الى المغيرة ، وقد قال :

قفي، فانظري، اسماء، هل تعرفينه ؟ اهذا المغيريّ الذي كان يذكر ؟ [2]

وكان للمغيرة من الابناء احد عشر ذكرًا[3] كاثر بهم قريشاً . ولعلهم كانوا عاملًا في عزّه ومناعته .

ونبغ منهم ثلاثة : هشام ، والوليد ، وابو ربيعة . اما هشام فقد عزّ حتى لقّب برب مكة ، فيما يزعمون[4] . وضرب بأسه المثل ، وتغنى بمجده الشعراء ، فقال ابن غزالة الكندي ، وهو يمدح بني شيبان ، ولم يكن في موضع رغبة الى بني مخزوم ولا في موضع رهبة :

كاني ، اذ حططت الرحل فيهم ، بمكة ، حين حلّ بها هشام ! [5]

وقال آخر :

واصبح بطن مكة مقشعرًا ، كان الارض ليس بها هشام ! [6]

حتى اذا مات اخذت قريش تؤرّخ بوفاته ، فيما يروون ، لاعظامها اياه[7] .

واما الوليد اخوه فقد رووا عنه انه كان سيدًا من سادات قريش ، وجوادا من اجوادها ، وكان يلقّب بالوحيد ، وزعموا انه كان يجلس بذي المجاز فيحكم بين العرب ايام عكاظ[8] . وادرك محمدًا نبيًّا فانكر عليه رسالته وقال : « أينزل على محمد ، واترك ، وانا كبير قريش وسيدها ، ويترك ابو مسعود عمرو بن عمير الثقفي سيد ثقيف ، ونحن عظيما القريتين ؟ » قالوا : فنزل فيه : « وقالوا لولا نُزّل هذا القرآنُ على رجل من القريتين عظيم . » [9] وهو الذي قال فيه

---

١) ابن عبد ربه ٣ : ٣٧٣ ٢) ابن ابي ربيعة (ع) ١٨٣

٣) وستنفلد G. T., Part. II., S ، انظر الجدول بجانبه

٤) ابن دريد ١٣ ٥) ابن ابي الحديد ٤ : ٢٩٣

٦) ابن ابي الحديد ٤ : ٢٩٣

٧) ابن ابي الحديد ٤ : ٢٩٣ « قالوا : كانت قريش وكنانة ، ومن والاهم من الناس ، يؤرّخون بثلاثة اشياء : كانوا يقولون : كان ذلك زمن بنى الكعبة ، وكان ذلك من عيم الفيل ، وكان ذلك عام مات هشام بن المغيرة . »

٨) ابن ابي الحديد ٤ : ٢٩٤

٩) ابن عبد ربه ٢ : ٢٥ ، والاصبهاني ١٥ : ١١ ، وابن هشام ١ : ٢٢٨

القرآن : « ذرني ومن خلقت وحيدا . . . » الى آخر الايات.

واما ابو ربيعة فقد كان فارس بني المغيرة قاتل يوم عكاظ برحين ، فيما يزعمون ، فسمي ذا الرمحين[1].

وقد قال الشعراء كثيراً في هؤلاء الثلاثة ، وتغنوا بمجدهم :

وبلغ ، ان بلغت بنا هشاماً ، وذا الرمحين بلغ ، والوليدا
اولئك ، ان يكن في الناس جود ، فان لديهم حسباً وجودا
هم خير المعاشر من قريش ، واوراها ، اذا قدحوا ، زنودا (٢

وخلّف هشام ابا جهل ، وكان من اشدّ خصوم النبي[2] ، هو وابنه عكرمة. فلما وفد الاخير على النبي بعد فتح مكة داخلاً في الاسلام ، استبشر محمد بقدومه ، ووثب ، فيما يقول الطبري ، قائماً على رجليه ، وما عليه رداء ، فرحاً بعكرمة ، وقال له : « مرحباً بالراكب المسافر او المهاجر . »[4] وقال ابن ابي الحديد : « لم يقم رسول الله ، صلى الله عليه وعلى آله ، لرجل داخل عليه من الناس شريف ولا مشروف الا عكرمة ، وهو بعد مشرك ، ولم يسلم . »[5]

وخلّف الوليد عمارة . وكان ، فيما يروون ، احد اجواد الركب ، وهم قوم كانوا لا يمرّ عليهم احد الا قروه ، واحسنوا ضيافته ، وزوّدوه ما يحتاج لسفره. ويزعم بعض الرواة انه هو الذي كان يلقب بالوحيد[6] . وكان يشرب الخمرة وينظم الشعر[7] . وخلّف ايضاً خالداً الشهير. فكان اول امره كابي جهل من اشدّ الناس خصومة للنبي العربي. ثم اسلم قبل فتح مكة . واشترك بعدئذ في الفتوحات الاسلامية . فكان من اشهر القوّاد المسلمين على الاطلاق . وقد اسلفنا ان بعضهم يزعم انّ الى خالد هذا انتهى شرف المكرمة التي كانت لبني مخزوم في الجاهلية ، فوصله بالاسلام . وكان لخالد من الشهرة بصحبة محمد والفناء في حروبه ، المحلّ المعروف حتى لقبه محمد بسيف الله . ويروى

١) الاصبهاني ١ : ٣٠
٢) ابن ابي الحديد ٦ : ٢٩٥
٣) ابن هشام ١ : ٢٦٣
٤) الطبري ٣ : ٢٣٠٧
٥) ابن ابي الحديد ٦ : ٢٩٦
٦) الاصبهاني ١٦ : ١٥٨
٧) الاصبهاني ١٦ : ١٥٨

انه لما هاجر الى النبي محمد ، قبل فتح مكة ، هو ونفر من صحبه ، قال النبي ، لما رآهم ، لجماعته : « رمتكم مكة بافلاذ اكبادها . »[1]

وكان عبد الرحمن ابنه ، فيما بعد ، مع بني امية في الشام . ورُوي ان معاوية ، لما اراد ان يظهر العقد ليزيد ، قال لاهل الشام : « ان امير المؤمنين قد كبرت سنه ، ويريد ان يستخلف عليكم فمن ترون ؟ » قالوا : « عبد الرحمن ابن خالد بن الوليد . » فسكت واضمرها . وزعموا انه دسّ ابن اثال الطبيب اليه فسقاه سمًّا فمات[2] .

وكان بنو المغيرة اعزّاء في قومهم ، حتى زعم الاصبهاني انه ضرب بعزّهم المثل ، وذكر شعرًا لابي ذؤيب الهذلي ، في مرثاته الشهيرة ، دليلًا على شهادة الناس بعزّهم :

صخب الشوارب ، لا يزال كانه عبد لآل ابي ربيعة مسبع[3]

ومما يشير الى عزّهم ما رواه ابو الفرج من ان احد المخزوميين من بني المغيرة قدم من البحرين ، فنزل على الزبرقان بن بدر بمائه فحملاه ، فنزل على بني انف الناقة ، فاكرموه ، وذبحوا له شاة ، وقالوا : « لو كانت ابلنا منا قريبة لنحرنا لك منها » . وقال بعض بني انف الناقة يعيّر الزبرقان :

أتدري مَن منعت ورودَ حوضٍ ؟ سليل خضارم شموا البطاحا !
ازاد الركب تمنع أم مثاماً ؟ وذا الرمحين اتهم سلاحا !
هم شموا الابـاطح دون فهر ، ومن بالخيف ، واليدن اللقاحا ،
بضرب دون يمنعهم طلحف ، اذا الملهوف لاذ بهم ، وماحا
وما تدري بأيهم تلاقي صدور المشرفيّة والرماحا[4]

وعُرفوا بالبأس والشدة في الحرب . وفي هذه الابيات ، كما ترى ، اشارة الى بعض مآثرهم فيها . ويظهر من اقوال الرواة انه كان لبني المغيرة مكانة واثر في ايام العرب الاولى . فقد نقل عن ابي عبيدة انه ذكر ، في تاريخ ايام العرب ، في الوقائع بين هوازن وكنانة ، خبر يوم شرب قال : ولم يكن بينهم يوم

---

١) الاصبهاني ١٥ : ١١ ٢) الاصبهاني ١٥ : ١٣
٣) الاصبهاني ١ : ٣١
٤) الاصبهاني ٣ : ٥٦ ؛ وابن ابي الحديد ٢ : ٦٤

اعظم منـه . فحميت قريش ، وصابرت بنو مخزوم وبنو بكر . فانهزمت هوازن وقتلت قتلاً ذريعاً . وقال احدهم يمدح بني المغيرة :

الا لله قومٌ و لدت اخت بني سهم
هشام ، وابو عبد مناف ، مدره الخصم
وذو الرمحين ، أشبال من النوّة والحزم
فهذان يذودان وذا من كثب يرمي (١

ويروي ابن سلام الجمحي انه كان لبني المغيرة بلاء في الفجار[٢] ، ويروي ابو الفرج ان بني مخزوم كانت تلي كنانة يوم عكاظ، فحافظت حفاظاً شديداً . وكان اشدهم يومئذ بنو المغيرة فانهم صبروا وابلوا بلاء حسناً[٣] . وزعم بعض الرواة ان ذا الرمحين سمي كذلك ، لانه قاتل، يوم عكاظ، برمحين[٤] . اما في الاسلام فحسبهم خالد بن الوليد ، وما كان له من الاثر والبلاء في حروب الردة ، وفتوحات العرب في العراق والشام.

ويذكر الاب لامنس انه كان لهم التأثير الاكبر في مجلس كبار مكة « الملأ » . قال : وكان في الغالب يتكلم مخزومي بالنيابة عن الملأ كما جرى يوم مفاوضة محمد ، اول نشره دعوته[٥] .

وكانوا ، فيما يظهر من اقوال الرواة عنهم ، او من شعر شعرائهم ، معجبين بانفسهم . ولعلهم قد احسوا بقدمهم ومكانتهم وصيتهم ، فنشأوا فخورين حتى ان الجاحظ يقول انهم كانوا تياهين[٦] . وذكر القالي في اماليه ان ام المغيرة ابن سلمة قالت ، وهي ترقصه :

فتى به الى الذرى هشام ، قرمٌ ، وآباء له كرام ،
جحاجح ، خضارم ، عظام ، من آل مخزوم ، هم الاعلام ،
الهامة العلياء ، والسنام (٧

---

١) ابن عبد ربه ٣ : ٣٧٢ ؛ والاصبهاني ١ : ٣٠ و٣١
٢) ابن سلام : ٥٨ ٣) الاصبهاني ١٩ : ٧٦
٤) الاصبهاني ١ : ٣٠
٥) لامنس : الموسوعة الاسلامية ، تحت « مخزوم »
٦) الجاحظ : البيان والتبين ٢ : ١٧٧ ٧) القالي ٢ : ١١٨

ويظهر ان هذه العائلة فقدت كثيراً من زعمائها ورجالها في واقعة بدر ، حتى انها اضطرت ، فيما بعد ، ان تتخلى عن الزعامة للبيت الاموي. ويلوح انه مما اضرّ بشهرتهم وسمعتهم في اخبار المسلمين انهم ناصبوا النبي محمداً العداء . وتتخذ الأخبار من شخص ابي جهل عدواً كبيراً لمحمد والاسلام . ولعل مقاومتهم للاسلام ، هم وبنو امية ، كانت من الاسباب التي دعت البعض ان يسمي القبيلتين « بالافجرين » ، وحملت بعض المؤرخين على الغضّ من مكانتها قبل الاسلام وبعده. ومهما يكن من الامر ، فقد حافظ بنو مخزوم في الاسلام على شيء من مكانتهم وجاههم ، ووجد بين المؤرخين من انصفهم . ولقد وضع ابن ابي الحديد ، في شرحه لنهج البلاغة ، فصلاً في فضائل بني مخزوم ، فيه قصة تصح ان تكون ملخصاً له. قال :

« سأل الحجاج اعشى همدان عن بيوتات قريش في الجاهلية. فقال : اني قد آليت الا انفر احداً على احد . ولكن اقول وتسمعون . قالوا : فقل . قال : من ايهم المحبّب في اهله ، المؤرّخ بذكره ، محلّي الكعبة ، وضارب القبة ، والملقّب بالخير ، وصاحب الخير والمير ؟ قالوا : من بني مخزوم . قال : فمن ايهم ضجيع بساسة ، والمنحور عنه الف ناقة ، وزاد الركب ، ومبيض البطحاء ؟ قالوا : من بني مخزوم . قال : فمن ايهم كان المتّبع في حكمه ، والمنفّذ وصيته على تهكمه ، وعدل الجميع في الرفادة ، واول من وضع اساس الكعبة ؟ قالوا : من بني مخزوم . قال : فمن ايهم صاحب الاريكة ، ومطعم الحريرة ؟ قالوا : من بني مخزوم . قال : فمن ايهم الاخوة العشرة الكرام البررة ؟ قالوا : من بني مخزوم . قال : فهو ذاك . فقال رجل من بني امية : ايها الامير ، لو كان لهم ، مع قديمهم ، حديث اسلام . فقال الحجاج : او ما علمت بان منهم ردّاد الردّة ، وقاتل مسيلمة ، وآسر طلحة ، والمدرك بالطائلة ، مع الفتوح العظام والايادي الجسام ! » [1]

---

(١) ابن ابي الحديد ٤ : ٢٦٦

صوت لبنان

في مؤتمر البحر المتوسط

بقلم شارل قرم

عقد المجمع العلمي للبلدان الواقعة على البحر المتوسط مؤتمرًا للثقافة تابعت جلساته ، في مدينة موناكو ، من ٣١ تشرين الاول الى ٢ تشرين الثاني ١٩٣٥ . وقد مُثلت فيه كل الدول الواقعة على بحرنا هذا ، الآخذة بانواع الثقافة المزدهرة على شواطئه ، من اسبانية وفرنسة وايطالية واليونان الى لبنان ومصر وتونس والجزائر ومراكش . ومتى عرفنا ان من اعضاء ذاك المجمع العلمي مَن هم في قمة الثقافة العالمية اليوم ، على اختلاف النزعات ، كلويس برتران ، وبول ڤاليري ، وغبريال هانوتو ، وغبريالي دانونزيو ، وهنري جيرو ، ولويجي بيراندللو ، وبول موران . . . ومتى عرفنا ان هذا المؤتمر الدولي للثقافة هو الاول من نوعه تشترك فيه كل الدول المذكورة ويشرّفه برعايته امير موناكو ؛ ومتى عرفنا انه كان من المساهمين في اجائه م . بوليتيس ، وزير اليونان المفوّض في باريس ، وجان استرليش ، رئيس مجلس الثقافة في تتالونية ، ولويس بيرار رئيس نادي الكتاب في بلجيكة ، وكلود فاريير ، ولويس برتران ، وبول ڤاليري ، وفرديناند باك ، والشاعر جان ديتيو ، وغبريال بوانكاريه وغيرهم ؛ ادركنا عمل المجمع المذكور في سبيل التفاهم بين شعوب ودول اختلفت تاريخًا ونزعات ، على اشتراكها في ثقافة ، متفرّعة المظاهر دون شك ، ولكنها موحّدة الجوهر والميزة الاساسية .

وقد كان من حظ لبنان ان مثّله ، في تلك الحلقة السامية من ارباب الفكر وامراء البيان ، شاعر مفكّر صبغ الهامه الصافي بروعة الجبل الاخاذة ، ومثّل فكرته العميقة بخلجة البحر الرصينة ، واذا به صورة لبنان ، ذاك البرزخ الواصل بين الشرق والغرب ، بل تلك الصلة بين الثقافتين تأخذ ما فيها من حسنات وتخفّف ما اختمتا به من نشزات . مثّل شارل قرم لبنان بكل ما فيه من نزعة الى العلم الصحيح لا يقف في سبيلها عقبة ، ومن اخذ بالشعر الصافي لا يحدّه همّ مادّي ؛ ومن سعة فكر ورحابة صدر امتازت بها تلك الرسالة الانسانية السامية التي اخذ اللبناني على عاتقه ان يبلّغها العالم ، منذ ان كانت فينيقية حتى اليوم ، لا توقفه في تحقيقها حدود جغرافية ، ولا تعصّبات عنصرية ، ولا نزعات قومية . يحدّه ، في كل ذلك

اخلاص تريه لعمله لا تشوبه منفعة ذاتية ، وايمان وطيد بالله لا يحجبه قنوط ، ولا يزعزعه شك . هذا ما بدا في خطابي شارل أفرم ، في اول جلسات المؤتمر ، وفي جلسته الختامية . وهو ، لعمري ، لبنان نفسه يخفق في ماضيه العريق ؛ وحاضره العجيب ؛ ومستقبله الزاهر ، ان شاء الله . وقد كان لجرأة الخطيب الجذابة ، ولفخره المشروع ، ابعد وقع ، واعمق تأثير . فردّدت الصحف الادبية ، من فرنسوية ولبنانية ، صدى التصفيق الشامل الذي عاجه شاعرنا في ذاك الحفل الرصين (١) . وكان من واجبنا ان نلخّص خطابه الاول ، وفيه وصف لبنان ؛ وان ننشر كاملاً خطابه الاخير وفيه امنية لبنان .

بدأ الخطيب كلامه شاكرًا لامير موناكو الحالي عطفه على المؤتمر ، ذاكرًا شكر لبنان للامير السابق تفضّله على مكتبة بيروت الوطنية بمجموعة منشورات معهد الدروس الاوقيانوسية . ثم حيّا المؤتمرين تحيّة اهل لبنان ، الصغير بعدد سكّانه ، الكبير بثقافته الاخلاقية والاجتماعية .

بعد ذلك عرض لوصف لبنان وصفًا جمع بين التصوير الجغرافي ، والمعلومات التاريخية ، والاسلوب الشعري ، مشيرًا الى ان اكثر شعوب العالم مرّت في تلك المنطقة الضيّقة فتركت آثارها الناطقة الى اليوم ، حتى ان من يدرس لبنانا الحاضر ، في طيّات ماضيه ، يخال نفسه في مؤتمر للثقافات المتنوّعة اشبه بالمؤتمر الحالي ، وقد لا يستبعد ان يجد بين اولئك المؤتمرين اجدادًا لنفر واحد من اعضاء مؤتمر موناكو هذا .

ولهذا رأى الخطيب « ان يصوّر لبنان الطبيعي بخطوط اجمالية تُظهر ، على رغم ما يغطيها من تجمّدات خدّدها الزمن ، ومن جراح حفرها المكتسحون ، وجه لبنان المنوي ، وما اختصت به آدابه من نفحة انسانية تولدت في ارض مثلّث بين سكّانها كل العناصر البشرية تقريبًا ، وفي طليعتها فرنسة ، منذ عاريي غاليسة القدماء حتى اساتذة الجمهورية الثالثة ، مارّين بامراء الحملات الصليبية ، وبسادة الادب ، وبما لا يُحصى عدده من مرسلي الرهبنات المختلفة . »

واذا به يندفع في ذلك التصوير الطبيعي الشعري . واذا بنا نرى الجبال اللبنانية ترتفع من سراب الاحقاب مقتربةً من الشاطئ متشامخة لتلقي نظرها الفسيح على تجمّدات الموج ، فتطلع فيها مرآتها المتنابهة الى الابعاد السحيقة . واذا بنا نشاهد المدن القديمة تنفض عنها غبار

---

(١) راجع ، في ذلك ، وفي جلسات المؤتمر عامة :

Les Nouvelles Littéraires, Paris, 3 Nov. 1935, n° 682, p. 7

La Revue du Liban, Paris, Décembre 1935, p. 1, 13, 18; Janvier 1936, p.2

Le Front Latin, organe du Comité France-Espagne, Paris, Janvier 1936, p. 13, 19 ...

Etudes, Paris, 5 Janvier 1936, p. 74.

المعرض ، بيروت ، ٢٧ كانون الاول ١٩٣٥ ، ص ١٤

البشير ، بيروت ، ٨ ، و ١١ ، و ١٣ شباط ١٩٣٦

العصور فنبرز تير، وصيدون ، وبيريت ، وجبيل ، وبوتريس ، وأراد ، وأنتراد ، مخرجة ما في طيّاتها من آثار تلك المدنية الجزيلة الفضل على الانسانية الحاضرة . واذا بنا نرتقع شيئاً فشيئاً من ساحل نهر الكلب – وقد وقّع على صخوره كبار الغزاة من العصور السحيقة حتى عصرنا اللاّجم الضخمة – الى مشارف الجبل. وهناك دير القمر المستريحة فيها عظام الشهداء الى رفات ابطال البعثة الفرنسوية سنة ١٨٦٠ ؛ وهناك حمّاتا وبكفيا وكاتا الى اسس غندان صناعة ليون بجريرها ؛ وهناك بتدين وقصرها الفخم الذي استقبل لامرتين . هناك قصر البطل دي بوفور في مرتفعات مبدا ؛ وهناك في طرابلس قصر ريمون دي تولوز مربع مليئد ، الاميرة البيبدة ، التي اوحت الحبّ لجوفروى رودل ، كما اوحت الفنّ لكردوتشي وادمون روستان . هناك غزير ، منزل رينان الذي فهم فيها لاول مرة عذوبة الاناجيل ، فكتب حياة يسوع ؛ وهناك غوسطا حيث كان يمثّل شيوخنا ، تجاه الشرق المسيحي الاسلامي ، عظمة لويس الرابع عشر ؛ وهناك عمشيت ترقد فيها هنريت رينان في قبر لبناني ؛ وهناك امدن وبشرّي وحصرون آخر معاقل الصليبيين في جبالنا.

وينتقل الخطيب الى منبع الاردن ، فالى سهول البقاع ، فالى ينابيع السامي ، بعد ان يقف على اطلال بعلبك وقفة شاعر ذاكر . ويختم محدّداً بلاده طبيعة ومعنى بكلمة واحدة ، هي الصمود: صمود في تلك الجبال الشامخة ، بل في تلك السهول ، وهذا ارتفاع البقاع يبلغ الالف متر . صمود في تلك الآداب التي عبّرت ، حتى في اللغات الميتة اليوم ، عن اسمى ما في النفس البشرية من طموح الى الحياة الخالدة . ولا يزال اللبنانيون القليلو العدد ، المنتشرون اليوم ، كما كانوا منذ العصور الفينيقية ، في جميع انحاء العالم ، يعملون في حقل تلك المدنية التي اوجدوها ، ونشروها ، وحافظوا عليها ، تلك المدنية المتممة بروح التساهل والمحبة ، الرامية الى تحقيق غاية الثقافة الانسانية ، الموافقة النفس البشرية على اختلاف نزعاتها ؛ تلك المدنية التي نشرها اللبنانيون قبل المسيح ، واسهم الفينيقيون اذ ذاك ، في مختلف الفارات ، والتي ظلّوا على الاهتمام بها ، بعد ان طهّرتها النصرانية فقرّبتها الى الطبيعة البشرية من جهة ، ورفعتها من جهة ثانية الى ما فوق هذه الطبيعة ، فاخذوا يعملون شأنهم في ما مضى على نشرها والدفاع عنها ، متشبّثين بهذه المنطقة الضيّقة التي لجأت اليها النصرانية الاسيوية فحفظتها ، وحدها ، من بلاد اليابان الى تركية ، من المحيط الهادئ الى البحر المتوسط . هذه المدنية اساس الآداب اللبنانية المعبّر عنها في مختلف اللغات ، والتي لا تزال ، لسوء الحظ ، مجهولة على ما فيها من العناصر المهمة لتكوين الثقافة الانسانية السامية . هي آداب شخصية تمثل صلة بين آسية واوربة . فتهمل بعض القيود العقلية الضيقة في مدنية اوربة ، دون ان تنصرف عن فهم الحقيقة كما هي؛ كما انها تبدّد بعض الخيالات الغامضة في المدنية الاسيوية ، دون ان تنحرف عن السير في سبيل المثال الاعلى الفائق.

ثم عرض الخطيب في الجلسات المتتابعة ما يؤيّد قوله من وثائق وابحاث ودروس لبنانية دلّت على ان الادب اللبناني الحيّ يستند الى تلك الاركان الاربعة التي يقوم عليها هيكل المثال الفائق الذي نسمّيه بالمدنية ، الا وهي: محبة الله ، ومحبة الانسانية ، ومحبة الوطن، ومحبة الأسرة.

وختم خطابه بعدد من الاحصائيات دلّت على ان لبنان ، على صغر رقعته وقلة سكانه ، يظهر في طليعة المناطق المثقفة في العالم ، وفي مقدّمة العاملين على اقرار تلك المدنية الانسانية التي من اجلها عُقد مؤتمر موناكو . واذاً فان له امنيّةً ينبغي ان يلقيها في الجلسة الختامية، وينبغي ان تُسمع ، ويُعمل على تحقيقها . وهكذا كان .

اما تلك الامنية فهذا نصّها بالحرف :

امنية لبنان

لما كانت الثقافة العالمية في حوض البحر المتوسط ترمي الى تحقيق نظام فكريّ خاص ، والى الاحتفاظ به ، ونشره ؛ ولما كانت غايتها انشاء مثالٍ انساني اعلى يتمشى عليه الفرد والجماعة ؛ فمن الضروري ان نتفق على تحديد هذا المثال.

نحن اللبنانيون ، العائشون في بلدٍ يبدو صغيحة دائرة تصل الاقطار الثلاثة ، المكتسبون من تقلّبنا في المدنيات جمعاء منذ ستة آلاف سنة ، اختباراً يشهد لنا التاريخ به ، المحتكون بكل المدنيات المعروفة في العالمين ، ماضية وحاضرة ، متأثرين بها ومؤثرين – لا يمكننا ان نحصر هذا المثال الاعلى في تعليم علميّ وادبيّ وفنيّ محض، ولا في تدريب عمليّ يعود علينا بالنفع العاجل، حتى ولا في اجمل طريقة لمزج هذا بذاك.

ان المثال الانسانيّ الاعلى الذي نعتبره غايةً لمدنيتنا ، بل للمدنيات جمعاء ، فندافع عنه ونعتنقه ، هو امتزاجٌ عادل بين ما يفتقر اليه الانسان وما يتوق اليه ، من الوجهتين المعنوية والمادية . وهو – مع كونه لا يتهرّب من الوقائع الحاضرة ولا من ضروريات الحياة المادية – لا يتحقق الا في الميدان الروحي ؛ لانه يتضمن ، في وقت واحد ، التفتيش عن العلل الاولى ، وتحقيق غاية الانسان العليا – وهما شرطان اساسيان ، ان فقدهما الانسان ، ضلّ عن العالم وعن نفسه .

فعلينا اذاً ان نحذر استبدال الانظمة بعضها ببعض ، وان نفرق بين العناصر الماديّة والثقافية وهي ليست الا واسطة؛ والعناصر الخلقية والاجتماعية والروحية،

وهي ، في تدرجها المقرر في الفرد وفي الاسرة ، في المدينة وفي الدولة ، تثبت ذلك المثال الاعلى الذي يجب ان يكون غاية للحضارات كلها.

فاذا كان بعض الفضل في انشاء حضارتنا راجعاً الى الثقافة العالمية المنتشرة في محيط البحر المتوسط ، فليس السبب في ذلك محصوراً بدرس الكتاب المدرسيين من لاتين ويونان ، ولا بامتداد تأثير الثقافة اللاتينية - اليونانية في مظاهر المجتمع الجديد . ذلك ان اولئك المدرسيين ، وتلك الثقافة ، لم يمنعا انهيار اجمل ما بناه من انظمة سياسية واجتماعية في شر الملمات التي لا تزال تهددنا اليوم.

وفوق ذلك فان بقاء الثقافة والحضارة اليونانية - اللاتينية ، بعد تطورها ، في انظمتنا الحاضرة ، عائد الى :

١ً انهما وُلدتا ، قبل التاريخ المسيحي ، مما هو ارحب وامتن من العالم اليوناني - اللاتيني نفسه : من مثل عليا ، كانت لا تزال حائرة في التاريخ القديم ، تتلمس قاعدتها وغايتها من دون ان تجدها ، ولكنها حاصلة على قسط من المحبة البشرية يكفيها لان تدرك اكثر وافضل مما هو سريع التحقيق في الفرد والامة والجنس والانسانية ، ولان لا تفهم الانسان والانسانية كغاية في نفسيهما ، بل كعنصرين ، كلٌ منهما مسؤول تجاه الآخر ، وكلاهما مسؤولان تجاه الكائن المجهول الكلي القدرة الذي تشعران بوجوده . لو كان اكبر المفكرين القدماء يعتقدون ان الانسان والانسانية غاية في نفسيهما ، لما استطاع سقراط ان يبتسم وهو يشرب السم ، ولما كان الاسكندر ، وهو فاتح عالم جاثٍ على قدميه ، يعفّر الجبين امام آلهة نينقية ومصر وفارس والهند.

٢ً لان الدين المسيحي ، الذي لم يفهمه الناس تماماً حتى في عصرنا ، — على كونه يتابع سيره الى تحققه الاكمل ، — نفخ في الثقافة اليونانية اللاتينية حياة جديدة ، فاستطاعت النبتة الوثنية ان تقدم ثمارها ، ثمار اتجاهها نحو تلك الفضيلة السامية التي نعرّف بها المثال الانساني الاعلى ، تلك « المروءة » (virtus) التي طمح اليها حكماء الزمان الغابر ، فلم يُتح لاتباعهم الا مشاهدة قبس ضئيل من نورها — في حين ان النصرانية الصميمة وحدها تكلل بها جهود اية مدنية

كانت.

وقد كان للاسلام اثر حسن ، ولا شك ، في تمدين الاخلاق القديمة ، يوم انتزع من الوثنية طائفة كبيرة من بلدان الشرق الفسيحة . ان محمداً ، الناظر الى المسيح باجلال تشهد به آيات هي من اجمل ما ورد في القرآن ، يدفعنا ، بصفته مهذباً للاخلاق كبيراً ، ان نعترف هنا ، كما نعترف حيثما وُجدنا ، بان لا حضارة ممكنة بلا اخلاق ، ولا اخلاق متينة بلا دين.

لا الميراث اللاتيني - اليوناني ، ولا التعاليم الباقية من عصور « النهضة » ، و« الاصلاح » ، و« الثورة » ، ولا المذاهب العصرية القائمة على الايمان بالواقع او بالعقل او باللذة ، تكفي لانشاء تلك الثقافة العالمية التي نحلم بها ، والتي لا تتحقق الا اذا دعمتها الديانة المسيحية.

حتى في عصرنا الحاضر ، الذي لا تمثل وقائعه لاعين المطّلعين الا تلك الحوادث القديمة ، المادية ، مطبوعةً في آخر صفحات التاريخ ، نجد ان الشعوب الغارقة في تلك المذاهب الرجعية الدائمة بها الى التمسك بغرائزها القبلية مقرونةً باحقادٍ مستلجة ، هي ، بالرغم من ازدهار علومها ، وتقدم ثقافاتها ، ودقة آلاتها ، تلك التي تخلّت عن النصرانية ، عائدةً الى وثنية جديدة ، همجية هدّامة . ان هذه المدنية المزعومة ، مدنية بلدان تُرائي بالنصرانية ، هي التي تثير فينا مطامعنا الشخصية ، وتلقينا في مجازر هائلة ما فتئت عاراً على الانسانية.

وسواء أجاهرت هذه الحضارة بالالحاد ام موّهت بالمسيحية ، فانها ، بما فيها من نهمة للقوة وشغف بالمادة ، ستؤدي باوربة ، ان لم تتنبه الامر، في زمن قد لا يبلغ مئة سنة ، لا الى اضمحلالها التام ، بل الى انحطاطها ، واستعبادها ، واستثمارها على الطرق الاوربية نفسها ، وقد استغلتها شعوب فتيّة نشأت وراء اوربة ولم تنحط عنها قوة وعلماً . فنصبح اذ ذاك ، بفضل تجاهلنا ، وتباغضنا ، وتهالكنا المتبادل ، ارقّاء للصُفر ، او عبيداً للسود ، ما لم نصبح رعية بلهاء للتكنة السوفياتية ، او مستهلكين انهكتهم حاصلات الآلات الاميركية.

واذاً فليس علينا ان ننقذ فقط ميراثنا الروحي في حوض البحر المتوسط ، وحياتنا النفسية ، حلية الانسان وضمانة سعادته في هذا العالم وفي الآخر ؛ انما

علينا ، فوق ذلـك ، ان نحافظ ، في دفاعنا عن هذا الميراث ، على كياننا وكرامتنا .

والنصرانية وحدها تقدّم لنا اسباب النجاة . انا لا اعني بالنصرانية احدى تلك المجموعات لاقاويل جوفاء تخفي سياسةً جائرة في الداخل ومستعمرة في الخارج ؛ انا لا اعني بالنصرانية تلك الديانة الظاهرة على الشفاه وحدها ، قناعاً لماديّة الرأسماليين ومتاهةً لاحلام الخياليين .. انما النصرانية الحقة ــ تلـك التي ما برح المؤلفون اللبنانيون يتغنون بها منذ الفي سنة في الآداب السريانية ، واليونانية ، واللاتينية ، والعربية ، والانكليزية ، والفرنسوية ــ هي المرتكزة على عواطف الانسان واعماله ، المازجة بإنصاف حقوق العقل والطبيعة ، الداعية الى الاتحاد بالكون الشامل ؛ هي الطرح الروحي الذي يحملنا الى ما فوق الطبيعة من دون ان يحتقر الطبيعة ، ويلائم الحياة ملائمةً جعلته يجتاز مراحلها جمعاء فيحوّرها ، من وثنية بولس الطرسوسي ، وشهوانية اغسطينوس ، ووطنية جان دارك ، وشعور دانتي ، وشكّ باسكال ، وعلم باستور ، وجندية فوش ، وبطولة كينيير ، حتى شعر ميسترال ، وفن بوفي دي شاڤان ، وفلسفة مارتين ، وفيزياء برانلي ، وحتى نزعة پاپيني المصرية ؛ ان هذه النصرانية التي تقود الى كمال واحد ما تناقضَ من مصير البشر ، كسهام ترميها ، فتصعد ، بدل ان تغور في اللاشيء ، متصلاً مرماها بالخلود في لانهاية الله ؛ ان هذه النصرانية هي وحدها تحمل لنا النجاة ، لانها ، وحدها ، تثبت روح الحب والتساهل والسماحة ؛ وبدون هذه الروح تصبح كل قوى العالم المتينة الاساس ، الظاهرة على هزء بالدمار ، محكوماً عليها ان تنهار يوماً في تلك المذابح الفائقة الحصر ، المتتابعة مَعالمَ في التاريخ .

حتى الذين لا يؤمنون بالوهية المسيح ، فيفتشون عن معلّم وعن مذهب ، حتى هؤلاء الملحدون ، لو اعتبروا بتعاقب الدول ونظروا الى اعماق ضمائرهم ، لوجدوا ان المسيح هو المعلم الوحيد ، وان تعاليمه هي المذهب الذي ينشدون . ولا فرق في ذلـك بين ان يدرسوا التاريخ كله ، او ان يحصروا جهودهم العقلية في تخيّل ثقافة انسانية تظهر من حوض هذا البحر .

اقول بان كل عمل عادل شريف ، وكل مشروع انساني كتب له البقاء ، وكل ما كان بنائياً على وجه البسيطة ، لصادر عن روح المحبة . تلك الروح التي لا نرى الا شكلها الناقص في كل البلدان وجميع العصور ، يرتسم على قاعدة المفاخر الانسانية او ينتلي قمها الشامخة ؛ تلك الروح التي لا نشاهدها كاملةً ، سامية ، الهية ، الا في انجيل المسيح .

فمجرد خلق العالم عمل حبي لو لم يحبنا الله يوم فكّر في اخراجنا من العدم ؛ لو لم يحبّ العوالم التي كوّنها بنظام عجيب تقصر افهامنا عن ادراكه ، وتذهل علومنا درته فتتيتم امام السر المحيط باصغر قذاة من العشب ؛ لو لم يكن الخالق نفسه محبةً ، لبقي ، حتى الابد ، وحده تجاه نفسه ، ولبقينا ، نحن ، والكون اجمع ، في ابدية اللاشيء ! . . . .

ان نشر النصرانية الحقيقية في بلد ما يكون بتوطيد السلام في ذلك البلد ، بين الافراد والاسر ، بين القبائل والمذاهب ، بين الطبقات والاحزاب ؛ نشرُ النصرانية هو توطيد السلام في الكنائس الكاثوليكية نفسها . اما ارجاع اوربة الى الديانة المسيحية ، فضمانة السلام بين كل الشعوب .

فعلينا ان نختار بين امرين : إما ان نجعل من هذا العالم ، الذي بنيناه بجهود جبّارة دامت الوفاً من السنين ، مدينة الله ومدينة السلام ؛ وإما ان نبقى واقفين بالمرصاد ، في اثناء السلم المؤقت ، ننتظر الحروب المتناوبة ، ونرى هذا القوي يدوس ميراث اجدادنا ودم ابنائنا .

تحاول طائفة من المفكرين — ومن كبارهم ! — ان يتهربوا من عناء التفكير في هذه المسألة الخطيرة ، لاجئين الى مذاهب شتى تختصر بهذا القول الصبياني : « منذ زمن قديم هضمنا مشاكل الايمان بالدين فلم نجد فيها نجاة لنا . فهات شيئاً آخر » . نحن لا نجيب هؤلاء المفكرين اللامعين ، المتخمين علماً ، بانهم لم يهضموا شيئاً من المعتقد الديني ، بل نقول لهم انهم لم يتنشقوا عرفه !

اجل ! نحن لا نطلب ان يقام في البلاد المسيحية نظام سلمي ناتج عن التسليح بتاتاً . ان الوفاً من الاميال تفصلني عن يبشرون بنصرانية شاحبة ، من قسوس جُهم ، وعجائز بله . فالنصرانية لن تمحو في الشعوب التي لا تتبعها ،

ميلها الغريزي الى الحرب والنهب . وان شئنا ان نمشي بالانسانية الى عصرها الذهبي ، وجب علينا ان نصبح اهلاً لذلك ، مجاهدين جهاداً مستمراً لحفظ ممتلكات النصرانية ، روحية كانت او مادية ، فنجابه بالسيف كل عدو ، ومعتدٍ ، وغازٍ — من دون ان نتحدى في ذلك موقف الدفاع عن النفس ، ذلك الموقف الذي خلق مجد يأر ، وجان دارك ، وفوش ، فكلله الله بنجاح مجيد .

في هذه الاحوال فقط تزول الفروق بين الناس ، فيتسنى للافراد والجماعات ان يتحدوا في ظل دين واحد يمكنهم من الدفاع عن كيانهم ، ويضاعف قواهم ويصد عنهم الغارات .

والآن اجيب من سأل عن حلّ للازمة الحاضرة : ان الازمة حادث نفساني على شيء كثير من البساطة . فهي نتيجة الفوضى الاخلاقية الناشبة في نفوس من يمسكون زمام الحكم في المجتمع العصري . وانما المسؤولية في اثارة هذه الازمة واقعة اولاً على الرجال السياسيين ، الفاقدي الضمير والوطنية ، الذين اصبحوا آلات عمياء للمآرب اقتصادية عمياء ، ودُمًى خرساء في ايدي الطامعين من ذوي المصالح ، ورعاةً منافقين لشعوب بريئة . المسؤولون ، هم الكتاب المسيطرون على الرأي العام ، الصادفون عن دورهم الاجتماعي في حلّ معضلات زمانهم ، المؤلفون طائفة حيادية ، هي في هامش الحياة القومية ، نزقة ، لاهية ، لاجئة الى طرق مستهجنة تلاعب بها الرأي العام ، وتساعد ملازمي المشاريع المدامة في مهمتهم الشنعاء ؛ فتصبح ، وفيها اناس يشاهدون ما يُمثل من الفظائع في عقر دارهم ، وكأنهم لا يشاهدون ، فيبقون ، كما كانوا ، عديمي العاطفة الانسانية امام طغيان الفوضى الشاملة . ولو انهم تبعوا واجبهم ، لكانوا ، كاسلافهم الاماجد ، في القرون الاماجد ، اركان النظام الحاضر او بناتي النظام الجديد . المسؤولون ، هم الزعماء الروحيون الذين نسوا انهم قادة النفوس ، فجعلوا من ايمانهم بمهمتهم صورة خيالية صعبة التحقيق ، وحصروه في زوايا نفوسهم الضيقة ، كانهم يقيمونه في ملك خاص ، متوفرة فيها اسباب الرخاء والراحة نحن لو استطعنا ان نزيد في طموحنا الروحي الذي يدرّ علينا خيرات لا تحصى ،

وان نقلل من طموحنا المادي الذي يهيج بعضنا على بعض ، فيهتم ويهتم من دون ان يرتوي ؛ لو كان لنا نصيب اوفر من الفضائل المسيحية ، لما كنا نشعر بالازمة ، حتى في اكثر بلاد الله عملاً.

وفي الختام ، اعرض الاماني التالية :

« لما كانت النصرانية ، حتى في نظر غير المؤمنين ، عملاً تمدينياً من اعظم الاعمال خطورةً في الحقل الروحي ، وحدثاً اساسياً من احداث حوض البحر المتوسط في المنهاج الزمني ، بل هي ، فوق ذلك ، على ما اراه في عقيدتي ، تدخل الهي في مصير البشرية ، كان لزاماً على الثقافة الانسانية في حوض هذا البحر المهتمة بانقاذ حضارتنا ، وعلى هذا المجمع الادبي خاصةً ، وهو يلتمس الوسائل لبلوغ هذا الهدف ، ان ينالا من التعليم الرسمي ومن الجامعات الحرة في كل البلدان المثلة فيه ، بان يُهتمّ بكل ما اخذنا عن النصرانية في بناء حضارتنا ، وبكل ما يمكن ان نأخذه عنها في تأييدها النهائي ، فيُدرس ، ويُدافع عنه ، وتُذاع له الدعوة.»

موناكو ، في ٢ تشرين الثاني ١٩٣٥ شارل قرم

من اعضاء « الجامعة الادبية في لبنان » ،
و« اتحاد الكتاب اللبنانيين باللغة الفرنسوية» ،
ومدير « المجلة الفينيقية » .

تاريخ فخر الدين الثاني

لكاتبه احمد الخالدي الصفدي

بقلم اسد رستم وفؤاد افرام البستاني

تهتم مديرية المعارف العامة والشؤون الجميلة في الجمهورية اللبنانية بنشر النصوص الاصلية لتاريخ لبنان في العصور الوسطى والمتأخرة . وقد عهدت الى الاستاذين اسد رستم وفؤاد افرام البستاني في التفتيش عن هذه النصوص ودرسها وضبطها ، ونشرها نشرًا علميًا يتضمن التعليق عليها ووضع مقدماتها وفهارسها . فجدّ الاستاذان في القيام بهذه المهمة ، وأخرجا ، في السنة ١٩٣٦ ، سلسلة اولى من هذه المنشورات تضمنت ، في ثلاثة مجلدات كبيرة ، تاريخ « لبنان في عهد الشهابيين » للامير حيدر احمد الشهابي (١ . وها انهما ينجزان اليوم طبع تاريخ « لبنان في عهد الامير فخر الدين الثاني » لكاتبه احمد الخالدي الصفدي ؛ وسيخرجانه قريبًا ، عن المطبعة الكاثوليكية . وقد رأينا ان نشحف قرّاءنا الكرام بقسم من المقدمة التي وضعاها في تعريف المؤلف والمؤلف :

المؤلف

هو احمد بن محمد بن يوسف الخالدي الصفدي . وُلد بصفد ، ونشأ بها . ثم ارتحل الى القاهرة ، وطلب العلم فيها . فدرس البخاري على محمد البهنسي العقبي ، وأخذ الفقه ، والحديث ، والتفسير ، والتاريخ ، عن خطيب الجامع الازهر وقتئذٍ ، عبدالله بن بهاء الدين محمد بن جمال الدين عبدالله بن نور الدين الطنبتا التركي ، الشهير نسبه بالعجمي الشنشوري الفرضي . وأخذ ايضاً عن أحمد ابن شمان العمري ، وعلي بن حسن الشرنبلالي ، ومحمد بن محي الدين النحريري . ولما عاد الى فلسطين ، درّس ، وأفتى ، وناب في القضاء ، وألف(٢

---

١) راجع المشرق ٣١ [١٩٣٣] ٢٨٣ ، ٢٦٦ ؛ ٣٣ [١٩٣٥] ٢١١

٢) محمد المحبي : خلاصة الاثر في اعيان القرن الحادي عشر (طبع مصر) ١ : ٢٩٧-

ومن مؤلفاته شرحه المفصّل على الكافية ، منه نسخة خطية في مكتبة برلين العمومية ، ومنها ايضاً تخميسه للقصيدة الهمزية للبوصيري[1] . ويذكر المحبي له كتاباً في العروض ، ورحلة الى الحج ، واخرى الى بيت المقدس.

وكان في اثناء ذلك انه تقرّب الى الامير فخر الدين المعني الثاني فاحبه ، واعتمد عليه في بعض المهمات ، كما يظهر من سياق هذا التاريخ الذي نحن بصدده الآن . فعمد القاضي الخالدي عندئذٍ الى تدوين المهمّ من هذه الاخبار التي شاهد بعضها ، واشترك في البعض الاخر منها . فنتج من عمله هذا مؤلف عظيم الفائدة ، تناقلته ايدي النساخ اللبنانيين منذ ظهوره حتى الان . ولعلّ الامير فخر الدين نفسه هو الذي اشار على المؤلف بوضع هذا التاريخ . فقد ورد في المقدمة ما نصه : « هذا وقد اشار اليّ من اشارته غنم ، ومخالفته غرم ، ان اسطّر في هذه الاوراق ما وقع للامير فخر الدين بن معن ، في زمن توليته علينا . . . مع امراء ايالة الشام وحكامها من الشقاق والنفاق ؛ وابين ما تعاطاه من الحروب بياناً شافياً يشتمل على انواع القضايا والضروب ، بحسب ما اسنده الينا الرواة الثقاة . »[2]

ومن الغريب ان لا يكون احدٌ من مترجمي الخالدي قد ذكر هذا المؤلف في تعداد الكتب التي وضعها . ولعلّ السبب في ذلك يرجع الى الخالدي نفسه . فاما ان يكون قد توفي قبل انهاء مؤلفه هذا ؛ او ان يكون قد اخفى أمرَ هذا الكتاب ، لما أورده فيه من عبارات المدح والاحترام للامير الدرزي اللبناني فخر الدين المعني الذي اتهمه علماء ذلك العصر بالزندقة والخروج عن قواعد السُنّة[3] . وقد يكون المحبّي نفسه أهمل ذكر هذا المؤلف ضنّاً بكرامة

٢٦٨ . راجع ايضاً الشيخ حسن البوريني : كتاب تراجم الاعيان من ابناء الزمان (خط) . وقابل بما ورد على هامش الصفحة ١١٦ من كتاب تاريخ الامير فخر الدين لميشيل اسكندر المطوف (جونية ، سنة ١٩٣٦) .

(١ *Die Handschriften - Verzeichnisse der Königlichen Bibliothek zu Berlin*, Berlin, 1894, vol. VII. n°. 7833, VIII, n°. 6590

(٢ ص ٢ من من طبعتنا .

(٣ المحبي : الكتاب المذكور ٣ : ٢٦٦–٢٦٧ .

الخالدي ، ومحافظة على مكانته الدينية . ولا يخفى ما كانت عليه الناس ، في ذلك العصر ، من التعصب الطائفي ، وقصر النظر من هذا القبيل.

المؤلف

يتناول الخالدي في تاريخه هذا اخبار الامير فخر الدين المعني في لبنان وسائر الاقطار الشامية ، ما بين سنة ١٠٢١ وسنة ١٠٣٤ هجرية (١٦١٢—١٦٢٤ م) فيصف الخلاف الذي نشب بين الامير المعني واحمد باشا الحافظ ، والحرب التي نتجت منه . ثم فرار الامير الى ايطاليـــة . ويشير ، في عرض الكلام ، الى مغامرات الامير علي ابن الامير فخر الدين في حوران وشرق الاردن . ثم يذكر فصل حافظ باشا عن ايالة الشام ، وتعيين جركس باشا ، صديق المعنيين ، بدلاً منه ، وكيف نتج من هذا التعيين رجوع الامير فخر الدين الى هذه البلاد سنة ١٦١٨ ، واستلامه ازمّة الاحكام فيهـــا . وبعد ان يصف انتصاراته على آل سيفا في جهات طرابلس ، وحملاته على آل حرفوش في البقاع وبعلبك ، يذكر مواقعه في فلسطين حتى يافا.

نسخ الكتاب

وقد وجدنا لهذا المؤلف خمس نسخ خطية . منها النسخة ك ملك الشيخ كسروان الخازن ، محافظ طرابلس سابقاً . وهي تقع في ٣٥٢ صفحة ، بقطع ١٣×٢٠ سنتيمترًا . ورقها عادي صقيل من النوع الـــذي شاع استعماله في اواخر القرن الثامن عشر واوائل القرن التاسع عشر. وتمتاز عن اخواتها بتجانس اجزائها من حيث اللغة والاسلوب ، واختصاصها بالتأريخ الهجري.

والنسخة م رقم ٤٢٧ من مجموعة المكتبة العمومية بمدينة مونيخ الالمانية[1]. وهي تقع في ٣٤٥ صفحة من القطع المتوسط ١٦×٢١ سنتيمترًا . وقد جاء في آخرها انها بخط عبد اللطيف ابن الشيخ احمد الرشيدي « الصيدي بلدًا ومولـدًا

(١ J. Aumer, *Die arabischen Handschriften der k. Hof-und Staatsbibliothek in Muenchen*, Muenchen, 1866, n°. 427

والرشيدي اصلاً » . ولكننا ، بالرغم من هذا النص ، لا يمكننا ان نجزم بانها من خط السيد عبد اللطيف ، لاننا لم نجد من خطه حتى الآن ما يصح ان يكون اصلاً للمقابلة . وفي اوائلها عبارة بخط اسكندر اغا ابكاريوس هذا نصها : « خاصة الفقير اسكندر ابكاريوس »[1] مما يدل على انها كانت تباع وتشرى في منتصف القرن الماضي[2] . ولعلها اقدم من ذلك . منها نسخة بالفوتوستات بدار الكتب المصرية ، ونسخة عن هذه بالفوتوستات ايضاً في مكتبة جامعة بيروت الاميركية.

ونسخة جامعة برنستن (Princeton University) في الولايات المتحدة باميركة . وهي رقم ٢١٩ من مجموعة روبرت گاريت (Robert Garret) . وقد ابتاعها لجامعة برنستن من مكتبة المرحوم مراد بك البارودي ، الدكتور فيليب حتي . وهي تقع في ٢٨٢ صفحة بقطع متوسط ، اولها : « تاريخ الامير فخر الدين المعني تغمده الله بالرحمه » وآخرها : « تمّ الكتاب المبارك بفضل الله تعالى وتبارك بقلم العبد الفقير المقر بالذنب والتقصير فرنسيس ابن بو نجم يوسف بو نصر من قرية دير القمر تابعة صيدا المحروسة » والنسخة هذه مخرومة ، متقطعة ، حاملة آثار الهرم.

وقد استنسخها لنفسه ، بواسطة خليل منصور غريّب ، الاستاذ عيسى اسكندر المعلوف ، فتمّ له ذلك في ١١ كانون الاول سنة ١٩١٢ . ثم قابلها بنسخة غيرها وجدها بمكتبة المشايخ بني الجميّل في بكفيا ، لبنان ، فاصلح خرمها ، واكمل ناقصها ، في اواخر شهر ايار سنة ١٩٢٠ . ونسخة الاستاذ معلوف هذه قد اشرنا اليها بالحرفين ج ب . وهي رقم ٣٨٠٥٠ من مكتبة جامعة بيروت الاميركية ، تقع في ٢٤٨ صفحة بقطع ١٧×٢٢ سنتيمتراً . وقد علّق

---

١) ولا نرى مبرّراً لتردّد المستشرق يوسف اوبر (Aubner) في قراءة هذا الاسم ، كما ورد تحت رقمي ٦٢٦ و٦٢٧ من مجموعته المشار اليها آنفاً .

٢) اطلب حياة اسكندر ابكاريوس في كتاب « تاريخ آداب اللغة العربية » لجرجي زيدان ، مصر ، ٦ : ٣٨٨ . راجع ايضاً « آداب اللغة العربية في القرن التاسع عشر » للاب رويس شيخو ، بيروت ، ١٩١٠ ، ٢ : ١١٥-١١٦

عليها الاستاذ المعلوف بما يلي ننشره بحرفه وتمامه ، اكمالاً للوصف :

« نقلت من نسخة قديمة في ١١ كانون الاول سنة ١٩١٢ م وهذه النسخة وجدت في مكتبة صديقنا هرقلو مراد بك البارودي اللبناني الصيدلي في بيروت ولقد قابلتها على نسخة اخرى مختصرة في مكتبة المشايخ بني الجميّل في قصبة بكفيا (المتن) واستنسخت الناقص واصلحت المحرم بالاشارة اليه وذلك في مدينة زحلة (لبنان) في اواخر شهر ايار سنة ١٩٣٠ م والحمد لله اولاً وآخراً كتبه الفقير عيسى اسكندر المعلوف

« يقول مقتني النسخة عيسى اسكندر المعلوف في ترجمة الشيخ احمد الخالدي الصفدي ما ملخصه من ترجمة مطولة عنده هو احمد بن محمد من اسرة في صفد تنتسب الى الامام خالد ابن الوليد والذي صرح به النسابة ان خالداً هذا لم يعقب ولكن يظهر انهم من سلائل بني عمه لان كثيرين ينتسبون الى الخالديين هؤلاء والله اعلم بصحة انسابهم .

« اتصل الشيخ احمد هذا بالامير المعني ودون حوادثه في هذا التاريخ ولقد توهم الشيخ طنوس الشدياق في كتابه (اخبار الاعيان في جبل لبنان) ان للمعني تاريخين احدهما الخالدي والثاني للصفدي والصحيح ان الاسمين لمسمى واحد اي ان احمد بن محمد هذا هو الخالدي نسبة الى اسرته والصفدي الى موطنه فهما لثنان له متواليان وظن بعض المؤرخين ان للشيخ ابي نوفل الخازن تاريخاً للمعني ولم نجد لذلك اثراً عند اسرته الخازنية ولا رواية من احدهم تثبت ذلك بل المرجح عندنا بعد البحث ان ابا نوفل ربما كان ناسخاً لهذا التاريخ او مقتنياً له وواضعاً اسمه عليه والنسخة ليس فيها اسم المؤلف فقيل ذلك وممن روى هذا (ذي لاكروا) في كتابه ولهذا التاريخ نسخ متعددة منها ما هو مطول فيه وصف رحلته الى توسكانه وهذه النسخة احداها ومنها ما هي خالية من الرحلة مقتصرة على حوادث المعني في بلادنا فقط ومنها نسخ متعددة احداها عند الخوازنة

« ومن مؤلفاته شرحه على الفية ابن مالك ورحلته الى القدس نظماً اما تاريخه للمعني فلم يذكره مترجموه وقد ضمنه حوادث المعني من سنة ١٠٢٠ هـ - سنة ١٠٣٣ هـ ١٦١٢ م - ١٦٢٣م وذلك قبل وفاته بالثني عشرة سنة وهذه نسخة منه مخزومة باخرها اصلحتها على قدر الطاقة بالمعارضة والمراجعة وقد نشرت معظم هذا التاريخ في مجلتي (الاثار) في سنواتها الثلاث المتوالية مع رسم الامير المعني الشهير معتمداً على مخطوطات كثيرة ورحلات اوروبيين وغيرهم . ووضعت تاريخاً مطولاً له بصور وحواشي من مصادر مختلفة عربية وافرنسية وايطالية وانكليزية والمانية وروسية وتركية اخذت معظمها من هذا الكتاب اما شؤونه في اوربة فنقلتها عنه بالحرف بلغتها العامية ولعلي اتمكن من نشره

« كتبها الفقير الى رحمة ربه عيسى اسكندر المعلوف »

نقول : لقد احسن الاستاذ المعلوف في تدوين الاختلافات بين النسختين البارودية والجميلية ، لاننا لم نقف حتى الآن على اثر لنسخة بني جميّل . ولكننا ، مع الاعتراف بجهوده واتعابه في هذا المضمار ، لا يسعنا الا ان نقول بان النسخة

ج ب لا تزال مخرومة متقطعة ، وان بعض اصلاحات الاستاذ المعلوف من هذا القبيل لم يقع في محله ، وسنشير الى هذا الخطأ في مكانه ، على هامش الكتاب .

ووجدنا ايضاً نسخة اخرى في مدينة طرابلس لدى المؤرخ برجي افندي يني – استنسخها لنفسه عن نسخة للخوازنة . وبعد المقابلة بين هذه النسخة والنسخة ك ، وجدنا انها لا تختلف عنها بتاتاً . ولذا فاننا اهملنا الاشارة اليها في هامش الكتاب .

طريقتنا في النشر

فيكون لدينا ، والحالة هذه ، نسخ متعددة عن اصل مفقود . فيجدر بنا اذاً ان ننبذ بعضها ، ولاسيما ما يعتمد منها على سابق له . وعليه فاننا قد اهملنا نسخة برجي افندي يني ، لانها تتفق كل الاتفاق مع النسخة ك التي هي اقدم منها . ولما كانت ك ، مع هذا الاتفاق التام ، موجودة لدى الخوازنة ، وكان برجي افندي يني قد نسخ عن نسخة خازنية ، اصبح من المحتمل ان يكون قد نسخ عنها نفسها . وكذلك فانه بالامكان ان تعتبر نسخة جامعة برنستن ، والنسخة ج ب ، نسخة واحدة ؛ لان الاستاذ المعلوف يعترف بهذه الصلة ، ولان المقابلة بين النسختين تؤيدها . وقد آثرنا ان نشير في الهامش الى ج ب ، لا الى نسخة برنستن ، لان الاستاذ المعلوف يحفظ لنا في نسخته بعض الاختلافات بينها وبين النسخة « الجميلية » ، وقد اشرنا الى هذه الفروقات في محلاتها .

وقد لاحظنا ايضاً علاقة ظاهرة بين النسختين م و ج ب ؛ وذلك بالاغلاط المشتركة بينهما . فقد ورد مثلاً في كل من هاتين النسختين ما نصه : « فلما عاد مصطفى كتخدا واعلم الامير علي بالذي صار في بعلبك من الاتفاق وكتب الحجه واستدانته من ابن الحرفوش العشرة الاف غرش وارسلها لابن الحرفوش واستكثر خيره . »[1] وهو كلام مشوه بدليل النقص في معناه . ولا

(١) الصفحة ٦٤ من طبعتنا .

ينجلي المعنى الا بالاتكال على ك فنقرأ عندئذٍ : « فلما عاد مصطفى كتخدا واعلم الامير علي بالذي صار في بعلبك من الاتفاق وكتب الحجه واستدانته من ابن الحرفوش العشرة الاف غرش ودفعه اياها لارباب الديون في الحال جهز الامير علي العشرة الاف غرش وارسلها لابن الحرفوش وتشكر منه » . وفي الصفحة ٨٣ من الكتاب مثال آخر يؤيد هذه الصلة بين النسختين . فقد ورد في كل منها ان الوزير « خليل باشا عين جملة بكلربكية وسناجق ومعهم عشرون الف عسكري جرد خيل وتوجهوا الى اخذ المكسب من المذكورين تصور باله ان لا بد ان يجي الى كبسهم » . وفي هذا القول نقص ظاهر . وصحيحه ، كما ورد في ك : « وتوجهوا الى اخذ المكسب من المذكورين فلما علم الشاه عباس ان جماعة الوزير مروا على التركمان والاكراد المذكورين تصور في باله انه لا بد يجي الى كبسهم » الخ . هذا وقد اشرنا الى جميع الاغلاط المشتركة بين هاتين النسختين في محلاتها ، وهي تربو على الستين . ولا يخفى ان النساخ لا يُجمعون على غلطة ما الا ويكون احدهم قد اخذ عن صاحبه ، كما انه ليس من المحتمل ان يتفقوا منفردين بعضهم عن بعض الا على الصحة[1] . فاما ان تكون نسخة برنستن منقولة عن م ، او ان تكون م ونسخة برنستن منقولتين عن اصل واحد مفقود .

فليس لدينا اذاً ، بعد هذه التربلة وهذا النبذ ، الا نسختان رئيسيتان هما ك و م فيتوجب علينا ان نقابلهما الواحدة بالاخرى وننتقي منها ما نراه اقرب لعصر المؤلف ، وللغته ، واملائه ، فنثبت نصه في المتن ونرجئ للهامش نصّ النسخة الاخرى ، وهكذا فعلنا .

وقد عثرنا في متن م و ج ب على اخبار مفصلة للرحلة التي قام بها الامير فخر الدين الى ايطالية . ونرى انها ليست للخالدي . ولعلها دُسّت عليه . وذلك لان لغتها ، من حيث القواعد الاساسية والاسلوب ، لا تتفق مع لغة المتن الذي وضعه الخالدي . فبينما نرى هذا العالِمَ الازهري يقول « حمداً لمن جعل نظام

---

١) راجع اسد رستم : الاصول العربية لتاريخ سورية في عهد محمد علي باشا ١ : ٥-٦

العالم فضلاً منه صلة الى تصحيح معاش ابن آدم » ، نقرأ في اخبار هذه الرحلة: « ايش معك من اين جاي ايش هذه المسلمين الى الدار التي برات المدينة » وكذلك فان تواريخ هذه الرحلة مسيحية ، وتواريخ الكتاب هجرية. زد على هذا ان النسخة لا تحتوي الا على اخبار وجيزة لهذه الرحلة تتفق وتتسق مع سائر الكتاب.

وقد لاحظنا ايضاً ان هناك زيادة في اكثر من موضع لم يتجاوز الكلام فيها السطرين او الثلاثة ، فاكتفينا بالاشارة اليها في محلها . ولعل مدخل هذه الاخبار هنا وهناك هو احد الخوازنة الذين عُرف عنهم شيء من الاهتمام بتاريخ الامير فخرالدين، حتى روى الرحالة الفرنسي دي لاروك[1] ان ابا نوفل الخازن ألف في تاريخ الامير فخر الدين. اضف الى ذلك ان اكثر هذه النتف المنسوسة تتعلق بالحوادث التي اشترك فيها الخوازنة.

اما خطتنا في النشر ، من حيث ضبط المتن وتعليقات الهوامش وغير ذلك ، فهي الخطة نفسها التي اتبعناها في نشرنا للمجلدات الثلاثة الاولى من منشورات مديرية المعارف العامة والفنون الجميلة ؛ فلتراجع في محلها[2].

---

١) De la Roque, *Voyage en Syrie*, Paris, 1722 ; II, 132, 133

٢) لبنان في عهد الامراء الشهابيين ١ : ص يح – يط.

شذرات

دروس الآداب الشرقية

في السنة ١٩٣٥-١٩٣٦

افتتح الدروس الشرقية ، هذه السنة ، نهار الجمعة في ١٥ تشرين الثاني ١٩٣٥ ، حضرة الاب بولس بيترس اليسوعي ، من جماعة البولنديين ، وعضو المجمع العلمي البلجيكي ، بالمحاضرة الاولى من ابحاثه في « الطريقة الرهبانية القديمة ، ومقدرتها على ايجاد صلة بين الكنائس والطوائف الشرقية » ، فحدّد موضوعه ، وذكر مصادره التاريخية وما اكتنفها من تقاليد محلية واساطير ادبية .

وقد اشرنا في « مشرق » العام الفائت (٣٣ [١٩٣٥] ١١٧) الى ان المعهد يعطي ، في آخر السنة الدراسية الحاضرة ١٩٣٥-١٩٣٦ ، شهادةً اولى بالدروس الشرقية ، موضوعها تاريخ سورية وفنيقية وآثارها في العصور اليونانية-الرومانية والبيزنطية . وسيُبدأ بالامتحان قريباً ، وفقاً للمنهاج الخاصّ بالموادّ المذكورة .

وهذا ، في ما يلي ، مجمل اقسام منهاج الدراسة العام :

١ً اللغة العربية وآدابها

عواصم الادب العربي : السلسلة الثالثة : حلب عاصمة الادب الحمداني .

١٥ اشولة يلقيها فؤاد افرام البستاني ، استاذ الآداب العربية في جامعة القديس يوسف - من ٩ كانون الثاني الى ١٤ ايار ١٩٣٦

٢ً التاريخ والآثار القديمة في سورية وفنيقية

١ : بعض مظاهر المدنية اليونانية - الرومانية في سورية

٧ اشولات يلقيها الاب رينه موترد اليسوعي ، ملحقاً للتعليم الاعدادي في سبيل نيل

الشهادة الاولى . من ٨ كانون الثاني الى ١٩ شباط ١٩٣٦

ب : اصول الفن الاسلامي

٥ اشولات يلقيها غاستون فييت، الاستاذ في مدرسة اللغات الشرقية الحية ، وامين المتحف العربي في القاهرة . من ٦ الى ٢٠ آذار ١٩٣٦

ج : بعض الحفريات في سورية

١ – حفريات الجبل المجيب ، حول كنيسة القديس سمعان العمودي الاصغر .

اشولتان يلقيهما الاب جان سميريان اليسوعي مدير الحفريات المذكورة . في ١١ و١٨ كانون الاول ١٩٣٥

٢ – حفريات افامية .

محاضرة يلقيها فرنان ميانس ، الاستاذ في جامعة لوفن ، ومدير الحفريات المذكورة . في ٢ كانون الاول ١٩٣٥ (١)

٣ – حفريات دورا .

محاضرة يلقيها الكونت دومنيل دو بريسون ، احد مديري الحفريات المذكورة . في آذار ١٩٣٦

٣ً علم الشؤون الارمنية

ارمينية على عهد الصليبيين (من القرن الحادي عشر الى القرن الرابع عشر)

١٥ اشولة يلقيها الاب جان سميريان اليسوعي ، الاستاذ في كلية اللاهوت من جامعة القديس يوسف . من ٢٨ تشرين الثاني ١٩٣٥ الى ٢٦ آذار ١٩٣٦

٤ً تاريخ الكنائس الشرقية القديمة ومؤسساتها

الطريقة الرهبانية القديمة ، ومقدرتها على ايجاد صلة بين الكنائس والطوائف الشرقية .

٥ اشولات يلقيها الاب بيترس اليسوعي ، من جامعة البولنديين ، وعضو المجمع العلمي البلجيكي . من ١٥ تشرين الثاني الى ٤ كانون الاول ١٩٣٥

---

١) هي المحاضرة التي نشرنا خلاصتها في هذا الجزء ، ص ٧٦–٨٤

معلومات جديدة عن مستشرق قديم

الاخ حنا صوصه البرتغالي الاصل ، الدمشقي المولد

من أُسر دمشق القديمة آل صوصه. وهم برتغاليو الاصل ، شريفو النسب، عرفوا باسم دي سوزا de Souza منذ القرن الرابع عشر . وقد جاء احدهم بلادنا سنة ١٥٤٢ ، اثر الحرب بين شارلكان وبربروس ، فاقام في الساحل ، وحُرّف اسمه من دي سوزا الى صوصه. وفي السنة ١٦٨٦ نرى بعض سلالته في دمشق . ومنهم رجل اسمه اليعازار بن عبدالله صوصة ، رزقه الله ثلاثة ذكور : يوسف ، وميخائيل ، وحنا.

توفي اليعازار سنة ١٧٤٥ ، فقدم اولاده الى بيروت . ثم تفرّقوا . اما ميخائيل فعاد الى دمشق واقام فيها الى السنة ١٧٨٠ ، فرحل الى ديرالقمر ملبياً طلب اخيه يوسف ليجتمعا معاً . واما يوسف فقصد عكا سنة ١٧٥٠ ، فتزوج بمريم ابنة ابراهيم الصباغ المشهور الذي كان طبيب ظاهر العمر وكاتمه . وظلّ هناك حتى السنة ١٧٧٥ ، وفيها حاصر الاسطول العثماني عكا وضربها ، وقُتل ظاهر العمر ، وسُجن كاتمه ابراهيم الصباغ . فهرب صهره يوسف صوصه بعائلته الى دير القمر ، عاصمة الامير يوسف . فآمنه هذا ، واكرم مثواه . ومنذ ذاك العهد نُسب آل صوصه الى دير القمر.

اما حنا ثالث ابناء اليعازار ، فقد سافر الى البرتغال سنة ١٧٤٩ . فعيّن مترجماً للحكومة البرتغالية. ثم دخل الرهبنة الفرنسيسية ، وتابع دروسه العربية معلماً ومؤلفاً حتى اصبح من اشهر مستشرقي عصره ، وعرف باسم خوان دي سوزا ؛ فتناسى العلماء اصله السوري. الّا الاب شيخو فذكر انه وُلد في دمشق سنة ١٧٣٠ ؛ على انه أخذ ببعض المعلومات الخاطئة ، فقال ان ابويه كانا مسلمين وانه تنصر على يد المرسلين[1] . ولم يقم احد لتصحيح هذا الخطأ لقلة ما يعرف

---

١) الاب لويس شيخو : الاداب العربية في القرن التاسع عشر ١ : ١٧ — ويذكر الاب شيخو وفاته في السنة ١٨١٢

من المعلومات من المستشرق المذكور . حتى لفت الامر نظر احد افراد عائلة الصوصه الفضلاء، السيد شكري يوسف،فكتب مؤخرًا الى مدير المجمع العلمي في لشبونة ، عاصمة البرتغال ، مستفيدًا مما يُعرف بشأن المستشرق.فاجابه امين سر المجمع ، السيد يواكيم ليتاو ، مستندًا الى معلومات الدكتور دافيد لوبس الاستاذ في كلية الادب بلشبونه ، وهو « اشهر العارفين بالاخ خوان دي سوزا في بلاد البرتغال » ، على قول امين سر المجمع .

وكان ان السيد شكري يوسف صوصه اطلعنا على الكتاب المذكور، وعلى نسخة من رسالة محفوظة في مكتبة ايفورة (Ivora) العمومية ، كتبها المستشرق بخطه الى المطران مانويل دي شيناكولو ، رئيس اساقفة ايفورة سنة ١٧٧٠ . فاستفدنا منها معلومات جمة جديدة ، نلخصها عن رسالة السيد ليتاو ، ونزدفها بتعريب رسالة حنا صوصه بنصها ، شاكرين للسيد شكري اهتمامه .

وصل حنا صوصه (= جان او خوان دي سوزا) الى لشبونه في شهر آب ١٧٤٩ . وفيها دخل الرهبنة الفرنسيسية . وقد عُيّن ترجمان حكومة البرتغال للغة العربية ، ورافق الوفد الذي ارسلته الحكومة المذكورة الى مراكش سنة ١٧٧٣

وانتخب عضوًا مراسلًا في مجمع لشبونة العلمي في ٦ كانون الاول ١٧٨٠؛ واصبح عضوًا مرًا في المجمع المذكور منذ اول نيسان ١٧٩١ . وفي السنة ١٧٩٥ كان استاذًا للغة العربية في المدينة المذكورة .

اما مؤلفاته فاهمها ثلاثة : الاول تتبع فيه اصول اللغة العربية في الالفاظ البرتغالية . ظهر سنة ١٧٨٩ . ثم طبعه طبعةً ثانية المستشرق سانتو انطونيو دي مورا سنة ١٨٣٠ . والثاني جمع فيه مستندات لمؤرخي العرب في تاريخ البرتغال . وله طبعة اخرجها المجمع العلمي المذكور . والثالث لخص فيه قواعد اللغة العربية ، ونشره في لشبونه ١٧٩٥ . وقد طبعه المجمع العلمي نفسه . الا ان طبعته نفدت .

وهذا ، في ما يلي ، تعريب رسالة المستشرق نفسه . وهي لا تبقي شكًّا في انه وُلد في أسرة مسيحية . وفيها، فوق هذا ، معلومات عن علاقة احد امراء لبنان بالغرب يجدر بمؤرخينا الانتباه لها ، والاهتمام بها . وقد كتبها ، كما قدمنا ،

في السنة ١٧٧٠ ، الى السيد مانويل دي شيناكولو الذي صار اسقفاً على بيجا ، ورئيس اساقفة على ايفورة :

« ايها السيد المحترم

ها انا اطلعك اليوم على الامر الذي طالما كتمته في صدري ، فكان لي ، مدة السنين العديدة ، كسرّ المهنة. على اني انشيه الآن لان افشاءه لا يقوى ، اليوم ، على ضرّ من يتعلق به ، واني انشيه الى سيادتك لاني لا اقوى على كتمانها شيئاً ، راجياً ان تكتمه سيادتك دائماً.

تعرف سيادتك انني ، بنعمة الله تعالى ، وُلدت مسيحياً من ابوين ينتميان الى الكنيسة الكاثوليكية الرسولية الرومانية . وقد اعتمدت ، ورُبيت تربية مسيحية في مدينة دمشق . ثم انه حصل اضطهادات في تلك المدينة اضطرّت عائلتي الى النزوح الى بيروت ، وهي مدينة واقعة بين صيدا وطرابلس ، على الساحل الفلسطيني.

ولما كنت قد تلقيت مبادئ التهذيب ، في دمشق ، على يد الآباء بربادنهو (Barbadinho) (كذا) الفرنسويين ، صدف ان الاب الذي علمني ، في دمشق ، مبادئ اللغة الفرنسوية الاولى ، قدم الى بيروت. وكان اسمه الاب جبرائيل دي كانتن (de Quentin). فاخذ يتابع تعليمي ، في ديره ، مبادئ الفرنسوية واللاتينية. ثم ادخلني في خدمة تاجر فرنسوي كان يعيش في بيروت .

ولم تمض سنوات على ذلك حتى اضطرت الحكومة التركية التاجر المذكور الى ترك بلادها ، وذلك انه لم يكن يسمح للاجانب ان يقيموا مدة طويلة في تلك البلاد . فسافر للحال ، تاركاً كل امواله وممتلكاته . فاخذها جماعة من الانكليز . ولم يشأ ان يذهب الى بلده حياء منه وتكدّاً لطالعه ، فسافر الى جزيرة مالطة ، وانا برفقته. ومن هناك سافرنا الى نابولي ، ومنها الى لشبونة سنة ١٧٤٩.

وبعد سنتين من وصولي ، صادفت في هذه المدينة نفسها ، وجلاً لبنانياً ، كان قد اتى لشبونة في اليوم الذي وصلت فيه. اما غايته فالسعي في تحقيق امر اوفده فيه اميره ورئيسه الى الملك خوان الخامس ، وذلك بواسطة الاب

كاربون . وقد اطلعني على تفصيل ذاك الامر الذي الى بشأنه الى البرتغال ، وحلفني ان لا اكشف سرّه لاحد. ثم اتخذني ترجماناً له ، في هذه المهمة ، وامدّا اياي بان يعيدني الى بلادي ، اذا ما نجحت مهمته ، وبان يرقّي أسرتي . ومن ثمّ اخذ يعتبرني كاحد ابنائه. وقد كان اتى لشبونة برفقة ولديه . ثم فارقه احدهما ، فاتخذني مكان هذا الغائب.

وهاك ما اطلعني عليه هذا الرجل :

على ساحل جبل لبنان ، وفي المناطق المجاورة ، عدد من النصارى ، كلهم متمردون، يعيشون مع الترك. ولا يفتأ هؤلاء يلحقون بهم الاذى ويضطهدونهم. فرأى امير النصارى ، الذي كان يحكم لبنان آنئذٍ ، ان يوفد هذا الرجل الى اوربة ، فيدافع عن شعبه ، ويحمل احد امراء اوربة على الذهاب الى تلك البلاد فيخلّص النصارى من نير الاتراك ، ويستولي على ارض فلسطين المقدسة. وفي هذه الغاية أرسل الرجل المذكور الى رومة . فقابل الاب يوسف السمعاني ، امين مكتبة البابوات ، واطلعه على مهمته. فاشار عليه الاب بالذهاب الى نابولي وعرض رغبته على الملك.

وفي وصوله الى نابولي ، قابل الملك دون كارلوس . فاكرم وفادته ووعده بتحقيق آماله . على ان هذه الآمال لم تُحقق. لانه كان في نابولي رجل امتدى مؤخراً الى الدين المسيحي وانخرط في سلك الرهبان الكراسيين. وصار ترجماناً للغة العربية في البلاط ، ولم يلبث ان نال ثقة الملك. فلما علم ان ذاك اللبناني تمكن من الاتصال بالملك ، ومن عرض مهمته عليه ، دون ان يمرّ به ، هو الترجمان ، وان يأخذ رأيه في الامر ، غضب واخذ يعمل من جهته حتى صرف الملك عن الاهتمام بشأن اللبناني . ثم ارسل الى الاتراك يخبرهم بان في نابولي ، جماعة ينشرون الدعوة ضدهم.

اما اللبناني فلما شعر باخفاق مهمته وبان الاتراك ادركوا سرّه ، وعلم ان سلطانهم ارسل امراً بقطع رأس الامير، حاكم فلسطين، الذي اعتبره خائناً لمليكه ؛ لم يجد الا اعمال الحيلة. فتظاهر بالاسلام هو وابناه ، وقال ان غايته كانت ، بتظاهره الاول بالنصرانية ، ان يطّلع على اسرار النصارى ويتجسس احوالهم .

ولا يخفى ما لاقاه من الصعوبات والعقبات اذ ذاك. واخيراً اضطر الى ترك نابولي. فاقبل الى مدريد، وفيها قابل ترجمان الملك، وكان رجلاً كلدانياً من مدينة حلب.

وبعد ذلك قدم لشبونة، واتصل بحضرة الاب كاربون، فساعده كثيراً لدى الملك. ولكن سوء الحظ رافق اللبناني، هذه المرة ايضاً، فتوفي الملك دون خوان. واصبح الرجل ضائعاً لا سند له ولا معين.

حتى أعلن تتويج الملك دون خوسي، فجرّب الرجل المذكور ان يتصل بالاب خوسي موريرا، معرّف الملك. فوعده هذا بالمساعدة، وظلّ سنتين منتظراً دون جدوى.

وكان قد انفق كل ما كان معه من المال. فحال الحياء، بل الفقر، بينه وبين الرجوع الى بلاده، لانه لم يبقَ له ثياب، بل لم يبقَ له ما يقوم بحاجته الى الطعام والشراب. فالتجأ الى أسرة سَلدَنها (Saldanha)، التي اعانته وانزلته في منزلها، فاعطته سريراً وطاولة. وظلّ عندها حتى وفاته. وقد حللت انا محله على اثر ذلك.

وكان ان التحقت ببيت السيد كاسبار دي سَلدَنها، سنة الزلازل، فعيّنني في منزله الخاص في كُوِمبره. فبقيت هناك حتى وفاة اللبناني سنة ١٧٦٨. وعلى اثر ذلك تركته، ودخلت في خدمة ابيه. وقد بقيت محافظاً تمام المحافظة على سرّ اللبناني، وتفصيل علاقاتي به.

اما اليوم، وقد توفّي اللبناني، فرأيت ان اعرّف سيادتك بحالتي كما هي، وان اكشف سرّي ولم يبقَ فيه ما يمكن ان يضرّ احداً. وقد نفّذت قصدي هذا بكتابة هذه الرسالة، وغايتي ان تعرف سيادتك مَن انا، وما الدور الذي مثلته منذ وصولي الى هنا حتى اليوم، تاركاً لسيادتك ملء الحرية في شجبي او مسامحتي.

وقد رأيت، تأييداً لاعترافي هذا، ان الجأ الى الآباء الكبوشيين الفرنسويين الذين عرفوني في دمشق، وعلّموني فيها، والذين يقيمون اليوم في فرنسة، طالباً منهم ان يرسلوا لي شهادة تؤيد حقيقة حالتي. وسوف أرسل لسيادتك

هذه الشهادة حالما تصلني.

واني اجرؤ على الامل بان سيادتك تتنازل فتغفر لي ، ذلك اني لم اكن ذا نية سيئة في كل ما عملت ، ولم يكن قصدي ان اضرّ احداً.

هـذا وفيما انا اضرع الى الله ليشفي سيادتك ويحفظ شخصك الغالي مدّة طويلة ، اقرّ باني خادمك الوضيع ».

انتهت رسالة المستشرق بجرفها. امـا ذاك اللبناني ، الذي توفي في لشبونة سنة ١٧٦٨ ، فلا نعرف عنه شيئاً ، بل لا نعرف اسمه. واما حاكم لبنان ، اذ ذاك ، فقد كان الامير ملحم الشهابي. ولم يرد ، فيما نعرف، انه ارسل مستنجداً بامراء اوربة على الاتراك ؛ وان يكن قد حارب طويلاً الاتراك وولاتهم على الشام وصيدا . ولعل المستقبل يوضح لنـا ، بما يمكن الاطلاع عليه ونشره من الوثائق الخاصة والعامة ، سرّ هذه الوفادة اللبنانية الى عواصم اوربة. هذا ان لم يكن ذاك اللبناني قد اتخذ لنفسه صفة الموفد لجرّ منفعة شخصية لا صلة بينها وبين خير البلاد !

ف. ا. ب.

المجمع اللبناني

الذكرى المئوية الثانية لعقده

١٧٣٦-١٩٣٦

يوم الاحد ، الواقع فيه الثلاثون من شهر ايلول للعـام ١٧٣٦ ، في دير سيدة اللويزة، قرب نهر الكلب، افتتح المجمع اللبناني الشهير جلساته. ولا يخفى ان له النصيب الاوفر في ترتيب الطائفة المارونية ووضـع مقامها ، بل انه كان المثال الذي ارتشدت به كنائس شرقية اخرى في مجـامعها ، بما جاء عاملاً على تـشييد خطواتها في نهج الوحدة الكاثوليكية.

وكان الفضـل في عقد هذا المجمع للبطريرك الخازني الجالس آنذاك على كرسي انطاكية الماروني ، وهو الذي الحّ في طلب عقده من خليفة بطرس ، لاجل « اصلاح ما كان قد تدرّج خطأً الى التهذيب البيعي من الاشياء النادّة به عن بهائه ووضعه الاولين . » وقد ساعد في هذا المسعى المبرور طـائفةٌ من

رجال العلم والفضيلة ، أخصهم رئيس الرهبان اللبنانيين العام ، وآباء الرسالة اليسوعية في لبنان. على ان بطل الساحة الاكبر كان المونسنيور يوسف السمعاني. فاليه أسند الكرسي الرسولي ، بناء على اقتراح البطريرك ، مهمة عقد هذا المجمع وتدوين ابوابه ، لما كان له « من كمال الخبرة بطباع الموارنة وغيرهم من الطوائف الشرقية وعاداتهم ولغاتهم وطقوسهم واصطلاحاتهم ... » ولما كان للكرسي الرسولي « من وافر الثقة بامانته واستقامته وعلمه ودرايته وغيرته الدينية . »

ومما لا ريب فيه هو ان هذا المجمع كان حدثاً تاريخياً في الطائفة المارونية، جدّد بنيانها وعزّز نشاطها ، فكان فاتحة لحقبة جديدة زاهرة، رُفعت فيه سيرة الاكليروس وآدابه ، وأبطل كل ما كان قد تدرّج سهواً او خطأ شيئاً شيئاً الى تهذيب البيعة ، وعكف الرؤساء على نشر الكتب المفيدة للروح والآداب وزيارة الرعايا وتفقّد شؤونها عن كثب ، ورُوعيت الطقوس ونُظّمت الكنائس والاوقاف . وبالجملة فقد أُعيد التهذيب الانطاكي القديم الى رونقه ، وأُنشئت المدارس في القرى لتثقيف الناشئة ، وفتحت المعاهد الاكليريكية بعناية البطاركة ، فكثر بين الاكليروس عدد المتفقهين بالواجبات والوعّاظ والمؤلفين ، الذين نشروا تآليف كثيرة آتت البلاد اعظم الفائدة.

وقد يطول بنا الشرح لو اردنا ان نسرد ، وان بايجاز ، منافع هذا المجمع وتأثيره في لبنان: في حياته الدينية ، وفي حياته المدنية والعلمية والاجتماعية.

وما ان اشرقت انوار هذا العام ١٩٣٦ ، حتى راحت بنا الذكرى الى هذا الحدث الخطير . ولا ريب في ان رجال الخير سيتضافرون منذ الآن في اقامة احتفالات رائعة تليق به ، ويحيون ذكراه مخلّدةً على صفحات القلوب ، باعثين من غبار المكاتب كل ما يتعلّق بالمجمع اللبناني ، متخذين من تعاليمه عبرة زكية لمستقبل البلاد العزيزة . وهاتا نرى ، في ٣٠ ايلول القادم ، مجموعة لهذه الدروس والابحاث تمثل حياة الطائفة تمثيلاً جديراً بتمامها ، وبما حباها المجمع اللبناني من الفوائد الجلّى .

ل. خليل

جريدة توزيع مال خراج لبنان الاميري

جواب وايضاح

اشكر اولاً حضرة الشيخ نجيب سليم الدحداح لاهتمامه بما علقت على « جريدة توزيع خراج لبنان » التي نشرتها سابقاً في هذه المجلة . ويسرني ان اراه يرث حب البحث في تاريخ لبنان عن المرحوم والده . ومن ثم اجيب على ملاحظته « البسيطة » بعنوانها ، مع ما استبطنت من المسائل التي اراد بها ما اراد ، اعزّه الله (المشرق ٣٣ [١٩٣٥] ٦١٢)

اخذ عليّ اولاً اني اكثرت من المشايخ في لبنان بمن ذكرت منهم هناك ، غيرةً منه على شرف هذه الرتبة في اهله ، محتجاً بان ليس لهم كلهم ذكر في « تاريخ اعيان لبنان » المعروف للمرحوم طنوس الشدياق .

فاجيب باني لم اقصد ان اضع هناك بحثاً في نظام لبنان الاقطاعي كما توهم[1] ، ولم اذكر من مشايخ لبنان الا من اقتضت الحاجة الى ذكرهم لايضاح نصّ هذه الجريدة . وهم لا محالة اكثر من ذلك ، واكثر مما ظن حضرة الشيخ النجيب ، وان لم يرد ذكرهم كلهم في تاريخ الاعيان الذي لم يذكر صاحبه فيه من الاعيان الا من وردت اليه اخبارهم من اهلهم ، كما يظهر هذا من كلامه في صفحة ٢٠٠ من كتابه . فقد فاته ذكر بيت القاضي ، وبيت ابي هرموش ، وبيت شمس ، وغيرهم من الدروز . وفاته ذكر بيت اليازجي ، وبيت كساب في صليا ، وبيت المنذر في المحيدثة ، وبيت النفاع في بطشيه من الروم الكاثوليك وغير كاثوليك ، كما انه لم يذكر بيت الجميل وبيت بليل في بكفيا ، ولا بيت مسعد في عشقوت ، وغيرهم من مشايخ الموارنة ،

---

١) امحّ واتمّ ما كتب في بيان نظام لبنان الاقطاعي رسالة مطوّلة للعلّامة المرحوم الشيخ ناصيف اليازجي كتبها سنة ١٨٣٣ باقتراح البارون سلفستروس دي ساسي المستشرق المشهور في ذلك العهد . وقد طبعت مراراً في اوربة مع ترجمتها الى عدة لغات ، وقلّ من وقف عليها في لبنان . ولذلك عزمنا على اعادة طبعها ، وهي اليوم تحت الطبع في مطبعة مار بولس في حريصا ، وهي اول طبعة في لبنان .

كما لم يذكر بيت رعد من المسلمين في الضنية . فان كان حضرة الشيخ الكريم يضنّ على المذكورين بلقب شيخ او يريد ان يجعلهم ادنى رتبة في المقام من بيت الدحداح ، او بمقام شيخ ضيعة ، فالامر بذلك بينه وبين احفادهم ، وفيهم كتاب بارعون ، ومؤرخون مشهورون يغارون على حفظ هـذا اللقب في اسرتهم . وحسبي ان اقول له اني اعلم العلم اليقين مثلاً ان المشايخ من بيت ابي طربيه في تنورين مـا كانوا يتزاوجون من نحو ستين سنة واكثر الا مع بيت الخازن ، وبيت ابي صعب ، وبيت الظاهر ومن هم بمقامهم .

ثانياً اراد حضرته ان يجعل مشايخ بيت الدحداح اقدم عهداً واعلى مقاماً من بيت السعد بحجـة ان بيت الدحداح كانوا يديرون شؤون الامراء بني الحرفوش في بعلبك ثم صاروا يديرون اعمـال الشيخ اسماعيل حمادي في بلاد جبيل ، مستشهداً بكتاب تاريخ الاعيان .

اجيب باني لم اقصد التعرّض لذكر مقام المشايخ وتقدّم بعضهم على بعض ، اذ لا دخل لذلك في توزيع مال الخراج . ولا اريد الآن التعرض لذلـك الا فيما دعاني اليه حضرة الشيخ النجيب ، فاقول :

اولاً ان الشيخ سعد الخوري كان اقرب المقرّبين الى الامير يوسف ، وفوق الجميع ، لا لكونه كاتبه فقط بل لكونه مربيه . وقال عنه الامير حيدر شهاب في تاريخه صفحة ٦٠ من الطبعة الجديدة : « كان هو يقيم الامير يوسف ويقعده ولم يكن يخالفه في شيء اصلاً لما لـه عليه من حق التربية » ثم يقول بعد ذلك : « ان الامير يوسف لم يكن له من العمر لمـا تولى حكم بلاد جبيل والبترون اكثر من ست عشرة سنة » فهو اذاً الذي تسبّب لـه بالولاية على هذه البلاد اولاً ، واستولى عليها بعد مواقع مع المشايخ بيت حمـادي ، وكان له خير الاعوان زعماء هذه البلاد . وهو هو الذي تسبّب له بالولاية ايضاً على الشوف في حياة اعمامه . وبالتالي يصح ان نقول عنه بدون مبالغة انه كان ولي الامير يوسف ، او كان هو الحاكم العام في لبنـان من ولاية طرابلس الى ولاية صيدا باسم الامير يوسف .

اقول ثانياً باني لا استطيع ان اقنع نفسي ، ولا استطيع ان اقنع احـداً

بان الامراء بني الحرفوش المتاولة المشهورين بجورهم يكتبون لرجل نصراني من لبنان « حضرة الاخ العزيز » ، وكذلك لا اقدر ان اقنع نفسي بذلك من قبل بيت حمادي الذين بلغ بهم الجور والغطرسة والبغي على النصارى ان لا يحترموا لهم مطراناً ولا بطريركاً ولا مالاً ولا عرضاً . ويكفي ان نذكر من هذا القبيل ما تجاسر به احدهم على الطيب الذكر البطريرك اسطفان الدويهي سنة ١٧٠٣ ، اذ صفعه على وجهه ورمى بضربته طابيته ، مما هو مشهور ولا يجهله من له المام بتاريخهم . ويقال بالتقليد ان قد بلغت بهم الخسة حتى كانوا لا يدعون نصرانياً يلبس برجله حذاء احمر الا اخذوه منه ولبسوه .

اقول ثالثاً باني راجعت كتاب تاريخ الاعيان فوجدته يقول في صفحة ١١٠ عن يوسف الخوري الدحداح ، بان الشيخ اسماعيل « احبه لحسن تصرفه وخطه وانشائه وامانته وجعله شيخاً على الماقورة » وانه مات سنة ١٧٦٢ في الكفور من كسروان . فلا يحصل من هذا الا انه جعله شيخ ضيعة الماقورة لمدة في الوقت الذي كان فيها مشايخ بيت الهاشم من العماديين . والفرق عظيم بين شيخ الضيعة والشيخ الكبير من مشايخ البلاد فليس الشيخ المعتبر في البلاد الا من قلده هذا اللقب الامير الكبير او الحاكم العام بان يكتب له « حضرة الاخ العزيز الشيخ فلان » ، وبهذا يقوم شرف الشيخ الكبير في لبنان . وقد يخلع عليه الامير خلعة او رداء ثميناً ، ويقطع له ضيعة او اكثر من البلاد لتكون ملكاً له ولذريته . وقد يوليه الحكم على مقاطعة بالتبعية للامر الاول اي الانعام بلقب شيخ .

ثالثاً طلب حضرة الشيخ النجيب من باب التعجيز ، او من باب المبالغة بالانكار ، ان ادله على ما يثبت قولي ان الامير يوسف جعل سمان البيطار شيخاً .

اجيب بان هذا سهل علي ، لكن اكتفي اولاً بذكر ما كتبه المرحوم والده في هذه المجلة سنة ١٩٠١ في صفحة ٣٩٢ في الحاشية بقوله : « الشيخين المرحومين منصور الدحداح وسمان البيطار » واظن انه لا يستطيع ان يكذب قول والده ، ولا يقدر ان يضعف شيئاً من قوة كلامه . ثانياً ادله ان يراجع كتاب

تاريخ الاعيان في صفحة ١١٢ من الفصل الخاص بتاريخ بني الدحداح اذ يقول « فتولّى الامير يوسف المقاطعات المذكورة وجعل منصور يوسف الدحداح شيخاً على بلاد جبيل وكتب له صكاً بذلك برسم عهدة . وسلّم سمعان البيطار مقاطعة البترون وشيّخه عليها وعمّرها »

ولا ريب بان كاتب هذا الفصل الخاص بتاريخ بني الدحداح هو من كبار مشايخهم ، وله معرفة بتاريخ بني شهاب وبني الدحداح والبيطار . وبالتالي ان هذين النصين الواضحين بيّنة لا شك فيها تكفيني مؤونة ذكر سواها . ولكن يجب عليّ ان ألفت نظر حضرة الشيخ النجيب الى النصّ الذي نقلته سابقاً في صفحة ٣٦٠ من هذه المجلة من مجموعة « الشماس انطونيوس ابن الشيخ خطار الميطوريني » وهو قوله « ان الامير يوسف اجرى دير الجية سنة ١٧٦٦ وكان معتمد الديرس الشيخ ابو فارس سمعان البيطار الذي كان كاخية عند الامير . وكان اليازجية الشيخ ظاهر الدحداح . . »

فان حضرة الشيخ النجيب مرّ بهذا النص الشائق مرور البرق ، ولم يلاحظ مضمونه ملاحظة بسيطة مع انه يقدّر صاحبه الشماس انطونيوس قدر شيخ ومؤرخ خاص للمشايخ[1]

والدليل على ان من ذكرت هم من كبار المشايخ سعة املاكهم التي اقطعها لهم الامير يوسف في بلاد جبيل والبترون . فمن اين املاك بيت ابي طربيه في تنورين ، وعليها خراج اكثر من ٤٠٠ غرش ؟ ومن اين املاك بيت الخازن في بلاد جبيل ، وهم من كسروان ؟ ومن اين املاك بيت الدحداح لبساتين العصلة على نهر الجوز في بلاد البترون ؟ ومن اين املاك يعقوب سمعان البيطار

---

١) من نحو ستين سنة ، وانا صغير ، كنت اقرأ بلذة في هذه المجموعة التاريخية في نفس النسخة الخاصة اليوم بالمكتبة الشرقية اذ كانت تخص جارنا ونسيبنا المرحوم حبيب نقولا الباشا . ويظهر ان حضرة الشيخ النجيب لم يطالع من هذه المجموعة الا ما نقله منها المرحوم الاب لويس شيخو في « المشرق » فيما يخص تاريخ بعض المشايخ . لكن لم يلاحظ حضرته ما لاحظه فيها هناك الاب شيخو من النقصان باهمال ذكر كثيرين من كبار مشايخ لبنان مثل بيت المعوري صالح وبيت ابي صعب وغيرهم

في بستايا في بلاد البترون ؟ ومن اين املاك اولاد يوسف باخوس في بلاد جبيل ، وهم من فزير كسروان ؟ على ان هذه الاملاك وغيرها في بلاد جبيل والبترون ولاسيما اوقاف الاديرة والمدارس للموارنة وسواهم ، دليلٌ ساطع على الانقلاب المهم الذي جرى في هذه البلاد بتولي الامير يوسف عليها بعد انتزاعها من المشايخ بيت حمادي

اخيراً وما ضنّ الامير بشير على المعلم بطرس كرامة بلقب شيخ الا لكونه ليس من لبنان ، ولا له فيه عزوة من اهله ، مع انه لحبه واعتباره له جعله معلماً لاولاده ثم كاتباً وكاتبة . ولا يخرج من هذا الحكم المعلم نقولا الترك شاعر الامير ، اذ هو اسطنبولي الاصل كما يدل على ذلك لقبه « الترك » . وكذلك المعلم الياس ادّي ، كاتب الامير ، فانه بيروتي الاصل . ولا اعلم ان الامير بشير المشهور بكرمه ومحبته لهؤلاء المعلمين اقطع لهم ضيعة من الاراضي البكليك او الاملاك الاميرية في لبنان.

هذا ما اقتضى ايضاحه بالجواب على ملاحظة حضرة الشيخ النجيب ، وأرجو ان يرضيه هذا الجواب ، والسلام.

المتوري قسطنطين البابا

حول « الثوابت الحلبية » في الطقس المارونيّ

في مقالنا المدرج في الجزء السابق من « المشرق » . وعنوانه : « في الطقس المارونيّ » ، نقلنا نتفاً من رسالة للاب فروماج اليسوعي ، عن بعض امور جرت في اوائل القرن الثامن عشر في كنيسة حلب . فجاء اليوم حضرة القس غالي يكتب في مجلة « المنارة » هذه الامور العائدة الى ابعد من مائتي سنة ، وحجته قوله : « من كوننا احد كهنة الطائفة المارونية الحلبية ، بل (؟) ادرى من غيرنا بطقوسها . . . »

على ان ما ذكره الاب فروماج يتفق تماماً مع ما نعرفه من اعمال المجمع اللبناني وتاريخه[1] ، وقد المحنا اليه في مقالنا.

---

١) لا بدّ من الاشارة بهذه المناسبة الى انه لا يصحّ نسبة السيد السمعاني : « القاصد

قال القس غالي مغالطاً . « راجعنا المجمع المذكور فلم نرَ فيه ما يشير الى ان الحلبيين غيروا الطقس وابدلوا اللغة » . أفلا يعلم حضرته ان للمجامع الكنسية اساليب ومجاملات يحسن تقيدها بها ، ولكن يقبح تسربها الى التاريخ وحواشيه ؟

نقلنا استناداً الى كتابات متبادلة بين الرهبان ، والحلبيون آنئذٍ كثيرون بينهم ، « انه شاع عن المطران جرمانوس . . . » والجملة موجودة بحرفيتها في الكتاب المستند اليه وقد اوردها القس غالي نفسه ؛ فكيف ساغ له ان يكتب : « راجعنا فرأينا بالعكس (؟) . . . » . اما اذا كان حضرته يقصد ان الكتاب يكذب الاشاعة ، فليعلم اننا لم نتحرَ البحث في مقالنا عمّا اذا كان ما شاع حقيقة ام بهتاناً ؛ على انه حقيقة ، بشهادة ما جاء في رسالة الاب فروماج . على ما ذكرناه .

نقلنا كذلك : « واليه (المطران جرمانوس) انفذ البطريرك والاساقفة ورقة حرم . . . » . وهاك ما جاء في الكتاب المستند اليه : « ان السيد البطريرك والاساقفة كتبوا ورقة حرم للمطران جرمانوس » . ومن لا يدري ان كلمة « كتب له » معناها انفذ وارسل اليه . يؤيد ذلك هنا ما يعقب هذه الجملة : « وحتى ذاك الحين لم يأتِ خبر من حلب ليعرف ما كان من امر الحرم هل تبلغه المطران جرمانوس ام لا » . اما القس غالي فلم يقع نظره على هذه الجملة بل تعداها الى الجملة التالية : « وقد شاع ان ورقة الحرم لم ترسل الى حلب » فغيرها على هذا النحو : « لكنه (البطريرك) لم يتجرأ ان يرسلها الى حلب . » ذلك لكي يتمكن من اتهامنا بما اقترفه عمداً وقصداً ، حيث قال : « راجعنا ايضاً الصفحة التي اشار اليها حضرته واذا هي بالعكس ايضاً » . فتأمل !

على اننا لم نتصدَ في مقالنا للبحث عمّا اذا كان عمل المطران قد استوجب الحرم ام لا . ولا يفهم الا ذو النية الملتوية اننا ، ونستغفر الله ، اردنا

الرسولي المطران يوسف السمعاني » ، كما فعل القس غالي ، لانه لم يكن بعدُ قد رقي الى الاسقفية في زمن قصادته .

الاستخفاف بهذا الحبر الجليل ، مفخرة الحلبيين والموارنة كافة ، حين نعتناه « بالنلامة الشهير ».

وما عدا ذلك مما جاء في ردّ حضرة القس غالي عن مقام الحلبيين في تنظيم الطقوس ، وعن اللغة الطقسية وعلاقتها باللغات الحالية ، وعن طقس ماروني منظم قديم في طائفتنا ، وعن فضل الحلبيين على الدويهي ، وما الى ذلك ، فلا نتصدى له ، خشية ان ننغص عليه هناءه به.

نختم هذه الكلمة — ونأمل ألّا يجدها القس غالي طويلة - بايضاح ما جاء في صدر ردّه من اننا دعونا الى التجزئة والتقسيم في الطائفة وطقوسها ، حين نادينا متمنين ، سنة ١٩٢٥ ، ان يبقى ما لحلب لحلب وما للبنان للبنان. فهذه العبارة يفسرها ما يسبقها ويلحقها من عبارات ، ويبين معناها موضوع المقال المومأ اليه باجمعه . وحكايته ان كتاب القداس الحلبي قد وُضع آنئذٍ في حلب وعُزم على طبعه فيها . فانتقدنا وضعه ، واعتبرناه بمثابة تجزئة للطقس الماروني الواحد ، ورجونا من السلطة الحؤول دون طبعه (ولم يُطبع). وقد قلنا، في جملة ما قلناه ، ما ملخصه : « اما اذا كان لا بدّ من طبع هذا الكتاب حبًّا لموارنة حلب وكرامة ، فجلّ ما نتمنى من هذا القبيل ان يبقى ويستمر ما لحلب لحلب وما للبنان للبنان » .

فهل في ذلك من حرج علينا ؟ ان الحرج كل الحرج على من نعموا آنئذٍ ولا يزالون حتى اليوم ينعون علينا هذا الكلام ، بعد ان اوردوه على عكس ما وُضع له ، وأوّلوه على غير المقصود منه.

الخوري مخايل الربي

مطبوعات شرقية جديدة

P. Seraphin A. Loiano O. M. Institutiones Theologiae moralis ad normam Juris Canonici.

Vol. I, Theologia fundamentalis. In-8°, VII + 492 pp. Prix : Lib. ital. 20.

Vol. II, Theologia specialis : Pars I, De virtutibus theologicis. Pars II, De praeceptis Decalogi. Pars III, De quibusdam Ecclesiae praeceptis. In-8°, 689 pp. Prix : Lib. ital. 25. Turin, M. E. Marietti. 1935

أصول اللاهوت الادبي وفقاً للحق القانوني

لقد جرت العادة في أكثر المعاهد العلمية ان يترك الاساتذة ، في درس اللاهوت الادبي كما في درس غيره من العلوم، تلك الكتب القديمة التي لم تخلُ، على قدمها ، من فوائد مهمة ، ليستبدلوا بها كتباً جديدة يرونها اوفق لروح العصر واكثر انطباقاً على تطوّرات الحياة . بيد ان الافضل ، في نظرنا ، ان يُعاد النظر في تلك الكتب القديمة فيحتفظ بما فيها من صفات حسنة برّرت شهرتها المتنابعة ، ويُضاف اليها ما يجعلها موافقة لحاجات الحياة الحاضرة ، ويُحذف منها ما طوته الايام بطيّ الدوافع اليه.

هذا ما قام به المؤلف الفاضل ، بعد ان قضى ثلاثين سنة يدرّس اللاهوت الادبي ، فحوّر كتاب الاب ڤرسينو القديم ، واخرجه تأليفاً جديداً مهماً يشمل اربعة مجلدات ، ظهر منها اثنان فقط حتى اليوم.

اما الاول فيختص باللاهوت الاساسي محتوياً على الابحاث الاربعة التي تكوّن اساس اللاهوت الادبي ، وهي :

١ً – البحث في الاعمال البشرية وقد توسّع فيه المؤلف توسّعاً ظهر جزيل الفائدة للمعرّفين اذ يرون فيه درساً دقيقاً للعنصر الشخصي في المسؤولية البشرية ، حتى في الاعمال التي يأتيها الانسان عن مرض او عارض طارئ.

٢ً – البحث في الشرائع ، وفيه درس الشريعة عامة ، ثم تحليل الشرائع

المختلفة الدينية : الطبيعية منها والوضعية ؛ والبشرية من كنسية ومدنية.

٣ - البحث في الضمير ؛ يدلنا على اي ضمير ينبغي للانسان ان يتخذه مقياساً شخصياً لاعماله ، واي ضمير ينبغي له ان يتبعه.. ثم يطلعنا هذا البحث على انه من الممكن للانسان ، وقد اخذ بالشك النظري ، ان ينتقل حتى يكوّن لنفسه ضميراً قوياً في مظاهره التطبيقية ومما يجدر بالذكر ان المؤلف يظهر، في هذا البحث، من فريق القائلين بالسلوك حسب الرأي المحتمل.

٤ - البحث في الخطيئة ، وهو بحث متصف بالوضوح التام.

اما المجلد الثاني فصفاته صفات الاول ، وموضوعه حياة المسيحي العملية :

يتناول قسمه الاول الفضائل اللاهوتية ، باحثاً في تجميع الاعمال التي ينبغي قياسها بالايمان والرجاء والمحبة ، مميزاً بدقة بين ما يأمر به الله ، وما تفرضه الكنيسة في سبيل المحافظة على الامر الالهي.

حتى اذا انتقل المؤلف الى القسم الثاني عرض للوصايا العشر ، منظمة الاعمال البشرية ، فدرسها بوضوح تام ، شارحاً المبادئ ، مطبقاً اياها على مختلف مظاهر الحياة ، غير متراجع عن البحث في الصعوبات والعمل على حلها.

وفي القسم الثالث ، وهو الاخير من المجلد الثاني ، يبحث الكاتب في بعض وصايا الكنيسة كالصوم ، والقطاعة ، ومراتبة التآليف الجديدة.

اما الصفة المميزة للكتاب فهي انه لا يكتفي بالنظريات ، على كونه يعرضها عرضاً وافياً ؛ بل انه يتجاوز الى المجال التطبيقي متبعاً المبادئ واحداً واحداً في تطبيقاتها المختلفة . واذاً فهو يقوم بالفوائد الجلى ، لا للاساتذة وحدهم ، بل للمعرّفين ايضاً ، فيغنيهم عن كثير من الكتب الخاصة. ي.م.

F. Cappello, S. J., Tractatus canonico-moralis de sacramentis. Vol. II, Pars III, De sacra ordinatione. Accedit appendix de jure Orientalium. In-8°, 710 pp. Torino, Casa editrice Marietti, 1935. Prix : 27 l. ital.

في اسرار البيعة : بحث قانوني ادبي

هو المجلد الرابع من البحث القانوني الادبي في اسرار البيعة ، خصه المؤلف بسر الكهنوت على مختلف مظاهره ، واردفه بملحق في نحو ثلاثين صفحة ، عن

السر المذكور عند الشرقيين. وقد جمع سعة الاطلاع الى دقة البحث في موضوع يتعلق بالعقائد ، والآداب ، والحق القانوني ، والتاريخ ؛ فنجح بفضل ضبطه العلمي ، وترتيبه الواضح . وظهرت مقدرته خاصة في موضوعات الاسقفية ، وسلطة الكنيسة ، ومادة السر وصورته ، وتعاليم البابا اوجين الرابع بشأن الارمن . . .

ونشير الى ان المجلدات السابقة اتصفت بملحقات عن الحق القانوني الشرقي بشأن المعمودية ، والتوبة ، ومسحة المرضى ، والزواج. ج.ل.

EDMUND KALT, Biblische Archaeologie. 2te, vermehrte Aufl. In-8°, XII + 147 pp. ; 23 fig.sur 8 pl. Freiburg im Breisgau, Herder, 1934. Prix, broché : M. 2, 70.

علم الآثار الكتابية

هذه طبعة جديدة لكتاب الدكتور كلت ، الاستاذ في اكليريكية مانس في علم الآثار الكتابية ، وفقاً لحاجة طلاب اللاهوت . وقد احتفظ المؤلف بظهر الطبعة الاولى ، مستفيداً مما قوبلت به من ملاحظات وانتقادات ، ومن التقدم الظاهر في مجال الاثريات العام . فأمكن القول ان المؤلف نجح في تحقيق غايته اجمالاً ، كما نجح في اقسام الكتاب تفصيلاً : فلسطين وسكانها ، الآثار الخاصة ، الآثار العامة ، الآثار الدينية وما يتفرع عنها. وكذا القول عن مصادر الابحاث الكثيرة ، وعن الجداول المفيدة.

بقي ان نتمنى الاطلاع ، باللغة العربية ، على مثل هذا الكتاب مزداناً بخارطة حسنة ، في سبيل طلاب الاكليريكيات العالية. س. ر.

KURTH GALLING, Biblisches Reallexikon. [*Handb. z. A. T. 1te Reihe*] Lief. 4. Tübingen, Mohr (P. Siebeck) 1935. Prix : M. 3,30.

معجم الاشياء الوارد ذكرها في الكتاب المقدس: الجزء الرابع

ان معجم الكتاب المقدس الذي تكلمنا عنه غير مرة ، بلغ جزءه الرابع ولا يزال القائم به وحيداً ، وهو من كبار الاختصاصيين يندر ان نجد من يقوم مقامه في تأليف معجم مادي لشؤون العهد القديم . وسوف يُلحق بالمعجم جدول صور لم نرَ منه راموزاً بعد

وقد وفق المؤلف في هذا المجلد ، ولاسيما في ابحاثه في صور الالهة والالاهات ، وفي القبور والمنازل ، وفي حيرون ، واريحا ، واورشليم ؛ وكلها حافلة بالمعلومات وببعض الرسوم الضرورية . بيد ان قراءة المعجم تظهر متعبة لوفرة ما في الابحاث من معلومات ، ولشدة ما اخذ به المؤلف نفسه من ايجاز دقيق ، حتى ان ما ذكره من الالهة والالاهات لجدير بان يؤلف مجلداً كاملاً يقرأ بلذة ورغبة اذا ما رافقته الصور ، بدل ان يدفع قارئ المعجم الحاضر الى الرجوع ، في البحث نفسه ، الى عدد وافر من الرسوم والتآليف المشار اليها بكل اقتضاب . وانا نؤمل ان المؤلف يفكر يوماً بان يهيئ لنا هذا المجلد ، بل بان يكتب لنا بحثاً جامعاً في علم الآثار الكتابية ، وفقاً لما وصلت اليه الاكتشافات الحديثة . س . ز .

F.-X. Kortleiner, O.P., Commentationes biblicae. Fasc. X. Quo tempore codex sacerdotalis exstiterit. In-8°, VIII+95 pp. Innsbruck, Verlag F. Rauch, 1935. Prix : 3 M.

شروح الكتاب المقدس : الجزء العاشر

يختص هذا الجزء بنقطة كانت مثاراً للمشاحنات والتأويل بين شراح العهد القديم ، وهي زمن الشرائع المتعلقة بالعبادات . هل ترقى الى زمن الجلاء ؟ واذاً فلا يمكن البرهان عن اصلها الموسوي ؛ او انها اسبق عهداً من ذاك العصر ؟ هذا موضوع البحث الذي جال فيه المؤلف ، فنجح نجاحه في التسعة الاجزاء السابقة ، وذلك في لغة سهلة تجعل استعمال الكتاب ميسوراً على جميع الطلاب الكاثوليكيين في العالم كله . ج . ل .

C. Carbone, Circulus philosophicus seu objectionum cumulata collectio. Vol. II, Ontologia. In-8°, 600 pp. Torino, Marietti, 1935. Prix : I. ital. 18.

مناقشات فلسفية

من المعلوم ان طلاب كليات اللاهوت والفلسفة يجرون على طريقة التمرين العقلي تتناول بعض الاعتراضات في الموضوعات المختلفة ، فيتناقشون فيها رداً ودفاعاً ، بعد ان يعرضوا مجمل النظرية . وقد رأى المؤلف ان يجمع ، في كل من

الموضوعات الفلسفية المهمة ، ما يمكن ابرازه من الاعتراضات ، فألف من ذلك مجلداً اول خصه بالاعتراضات الجدلية ، ووصفناه في « مشرق » السنة الماضية (٣٣ [١٩٣٥] ١٥٠) . وهـا هو يتحفنا اليوم بالمجلد الثاني محتوياً على مجمل الاعتراضات المثارة حول علم الكائن . وسيردفها بمجلدين يخصص الاول منهما بعلم تكوين العالم ، والثاني بالنفسيات . ج. ل.

P. Pierre Raphael, Le rôle des Maronites dans le retour des Eglises Orientales. In-12, 200 pp. Beyrouth, Imprimerie Khalifé, 1935. Prix : 6 fr.

دور الموارنة في ارتداد الكنائس الشرقية

« لقد الى الموارنة بحجرهم ، وان وضيعاً ، في إعادة بناء الكنائس الشرقية » (ص ١٨٥) ، هذا ما قاله المؤلف ، وقد ادرك قمة بنائه في هذا الكتاب المتراص المعلومات ، المرصوف بالاسانيد والوثائق والشهادات . بيد ان المطالع ، اذا ما رافق الكاتب فصلاً فصلاً ، لا يحجم ان يقول عن حجر الموارنة ذاك المخضب بدمائهم احياناً ، انه كان « حجر الزاوية » . رأى الموارنة الحق في كنيسة رومة ، وشعروا بالانحطاط الديني في ما حولهم من الكنائس الشرقية ، وفقهوا محبة القريب السامية ، فاندفعوا لا يألون جهداً في العمل على هداية اخوانهم الشرقيين ، ارشاداً ، ومساعدةً ، وحفظاً في جبالهم المنيعة ، كما انهم اندفعوا في معاونة المرسلين الغربيين ، في سبيل العمل نفسه . وكما اننا نرى اسماء مقدميهم ومشايخهم واعيانهم وبطاركتهم واساقفتهم تملأ حوليات الارساليات الكبوشية والفرنسيسية واليسوعية والكرملية منذ مجيئها الى لبنان (ص١—٢١) كذلك نرى هذه الاسماء بارزة في اول عهود الطوائف الشرقية بارتدادها الى حظيرة الكثلكة ، من الارمن (ص ٢١) ، الى الكلدان والقبط (ص٢٥) ، الى الملكيين (ص ٨٢) ، الى السريان (ص١٤٣) . وليس في ذلك شعر ، ولا خيال . انما هي معلومات ، راهنة يعرضها المؤلف ببرودة العالم ، ويسندها الى مصادرها المفصلة في اسفل الصفحات ، والمجموعة في جدول واضح ختم به الكتاب . فغدا اثراً دقيقاً من آثار التاريخ الكنسي الشرقي ، يجدر بجميع

الكاثوليك فينا ان يطالعوه ، ويتأملوا بمحتوياته ، ويستخرجوا منها عبرًا تقوى على تقلبات العصر ، وطغيان المصالح الذاتية ، وعمل النسيان.

ف.ا.ب.

REV. PETER F. SPEIR, The Syrian Maronite Mass in English. In-16, 52 pp. Detroit, Mich., McDevitt Co, 1935.

القداس السرياني المارونيّ باللغة الانكليزية

كتيب لطيف الحجم ، ثقيل الورق ، جميل الصور ، خصه الاب بطرس فرج صفير بابنائه رعيته المارونية في ديترويت مشيغن (الولايات المتحدة) ، والكثير منهم لا يعرف الا اللغة الانكليزية. فشرح لهم ، بهذه اللغة ، القداس الالهي ، وترجم الصلوات المختلفة ، وختم بذكر قسم من التسابيح والتراتيل المارونية ، اوردها بالسريانية والعربية مكتوبتين بالحرف اللاتيني ، مردفتين بالترجمة الانكليزية. فافاد فائدة جزيلة.

LEMONNYER, O. P., Sainte Catherine de Sienne (1347-1389). [*Les Saints*]. In-16, 224 pp. Paris, J. Gabalda et Cie. Prix : 9 fr.

القديسة كاترينة السينية

من اعجب الشخصيات في القرون الوسطى شخصية هذه القديسة التي جمعت بين الروحانية السامية ، والسياسة البصيرة ، والادارة الروحية برسائلها ، وتدخلها الفعال في ارجاع البابوية من افينيون الى رومة. فلا عجب ان يكون المؤلف اللاهوتي العالم ، اهتم بها ، ولا عجب ان تكون المجموعة المعروفة افسحت المجال لكتابه الذي يمتاز بثبات العقيدة ، وعمق البحث ، والتدقيق العلمي الرصين يزينه اسلوب شائق جذّاب. بيد اننا وددنا لو فُسح في اجل المؤلف فيسر بثمرة جهوده وابحاثه !

DANIEL SARGENT, Thomas More, trad. de MAURICE ROUNEAU. In-8°, 349 pp., 4 illustr. Paris, Desclée de Brouwer et Cie, 1935. Prix : 18 fr.

توماس مور

توماس مور او موروس ، من اشهر رجال الشرع والسياسة في انكلترة

على عهد هنري الثامن ولد في لندرة ، سنة ١٤٧٨. وبدأ حياته العامة في حاشية الكردينال مورتون ، رئيس اساقفة كنتربري. ثم اشتغل بالمحاماة والقضاء الى ان اتصل بهنري الثامن ، فاخذ يتخطى مناصب الدولة حتى اصبح وزيراً اول. وقد اشتهر ببلاغة جذابة تسندها العاطفة القوية والعقل البصير. حتى ان اشهر صفاته ، كانت تلك البصيرة الواضحة الدقيقة الحكم ، التي كانت تسهل عليه تفهم الاخلاق ، وقدر الرجال ، وتمييز الخير من الشر ، مهما اكتنفهما من الرغبات ، ومهما حام حولها من الشبهات. فعرف قدر نفسه ، وسبر عمق مواهبه ، وعرف كذلك قيمة من كان يحيط به من الناس. حتى اذا طلب منه مليكه ان يحلف يميناً رآها مور مجحفة بالحق ، متنكبة عن العدل ، اخذ يحاول التخلص من هذا المأزق. فلا ضميره القويم يجيز له هذا الحلف ، ولا هو يشعر من نفسه بفضيلة الاستشهاد. وما كانت تلك اليمين الا بيعةً دينية لهنري الثامن واقراراً بسلطته على الاكليروس ، وموافقةً له على خروجه عن طاعة الحبر الاعظم في طلاقه المعروف لامرأته كاترين داراگون وتزوجه باحدى وصيفاتها حنة دي بولين. حاول موروس مدةً ان يصرف عنه تلك الكأس ، فيبقى اميناً لمليكه دنيوياً ، ولربه وخليقته على الارض دينياً ، فلم ينجح. لان الملك خيره بين اليمين والموت. فلم يتردد ، مختاراً اتباع الحق على متابعة الحياة ، مصرحاً ، وقد اتهم بخيانة مليكه : « اني اموت اميناً لله وللملك ، ولكن اميناً لله اولاً ! » فقُطع رأسه في ٦ تموز ١٥٣٥. وقد عُدَّ بين الشهداء ، فرفعته الكنيسة الى مقام الطوباويين. ولما كانت السنة الفائتة ، وفيها تذكار مرور اربعة قرون على قتله ، اعلن الحبر الاعظم قداسته. فكان من الضروري ان يطّلع الناس على حياة هذا الرجل الذي جمع بين نزاهة المشترع ، ودهاء السياسي ، وعمق الفيلسوف[1] ، وجرأة الشهيد. وهو ما توفق اليه مؤلف الكتاب.

ف. ا. ب.

---

(١) من آثار موروس بحث اجتماعي دقيق عُرف بعنوان « رحلة الى جزيرة الطوبى ». وقد درسناه في « المشرق » ، وقابلنا بينه وبين « المدينة الفاضلة » للفارابي. اطلب : فؤاد افرام البستاني : الفارابي وتوماس موروس (المشرق ٢٦ [١٩٢٨] ٢٦ – ٣٤).

ولا يسعنا اليوم ان نعدّد محتويات الكتاب في فصوله الاثنين والعشرين ، ولا ان نصفها الوصف الشامل . انما نشير الى ان المؤلف يعرض الديانة المصرية في مظاهرها الاساسية المهمة منذ اقدم العصور حتى انتصار المسيحية .

ولا يسعُ بالنا عن الاشارة الى حسن المظهر واتقان الطبع ، مما يظهر مفخرةً للطابع .

س . ر .

ALFRED POHL, S. J., Neubabylonische Rechtsurkunden aus den Berliner Staatlichen Museen. [*Analecta Orientalia*, 8]. In-4°, 47+85 pp. Roma, Pontificio Istituto Biblico, 1933.

نصوص حقوقية من العصر البابلي الحديث

لقد طلبنا الى مدير المعهد الكتابي البابوي في رومة ، مثالًا من منشوراته في المجموعة « *Analecta Orientalia* » الحديثة بين المجموعات العديدة التي ينشرها المعهد المذكور ، فارسل الينا هذا الكتاب الانيق ، الجزيل الفائدة بما فيه من جداول ، ومن نسخ للنصوص المسمارية ، صوّرها المؤلف العالم بخطه عن الاصول المحفوظة في متحف برلين ، وكلها تتعلّق بوثائق حقوقية ترقى الى العصر البابلي الحديث . هي نشرة علمية لا يقدرها حقّ قدرها الا المشتغلون بالعلوم الاشورية ، بل كبار الاختصاصيين فيهم ، فيشكرون للمعهد الكتابي البابوي اهتمامه العريق بهذه المباحث . وليس في بلادنا الشامية عالم واحد ، لا من الاوربيين ولا من الشرقيين ، يختص بهذه العلوم الوافرة الفائدة على درس التاريخ القديم في آسية الغربية . هي ثغرة واهية نتمنى ان تُسدّ في مستقبل قريب !

س . ر .

Reallexikon der Assyriologie. 2ter Bd, 3te Lief. *Datenlisten - Dunlagga (na)*. Berlin-Leipzig, Walter de Gruyter u. C°, 1935.

معجم الاشوريات : القسم الثالث من المجلد الثاني

تكلمنا ، غير مرة ، عن هذا المعجم الفريد من نوعه في العالم ، والمتابع الظهور ، بفضل العالمين ايلنغ وميسنر الاستاذين في جامعة برلين . وها اننا نتناول اليوم القسم الثالث من مجلده الثاني . وفيه تتمة مقال انكناد (Ungnad) ، في لوائح التواريخ ، وهو طويل يتناول ثلث الكراس . وهناك عدة ابحاث

مهمة كابجات الاستاذ أنكر (Unger)، المقيم حالياً في استامبول، في « إكليل » الالهة والملوك » وتاجهم »، وفي مدينة دِلبات المشهورة، وفي « التنين »، وعراكه. ولا يفوت المؤلفين شيء في هذا المعجم الجامع، حتى انهم ذكروا، بين تراجم حياة علماء الاشوريات، ترجمة الاب دلاتر (P. Delattre)، وقد عرفه غير واحد من قرائنا، دون شك.

بيد ان لاسابيع، بل الشهور تتابع مسرعة، ونحن لم نصل بعد الى آخر الحرف D. ولا نذكر هذا مستعجلين ولا مستغربين، فان المساهمين في تأليف المعجم كلهم من الالمان. ومع كون المانية تفتخر اليوم بان فيها اكثر علماء الاشوريات، فان هؤلاء العلماء لا يمكنهم العمل في التأليف المشترك الا في اوقات فراغهم من واجباتهم وفروضهم الخاصة. فوجب اذاً ان نتوقع عدداً كبيراً من الزيادات، عندما ينتهي المعجم، بعد عشر سنوات تقريباً.

س. ر.

COMTE DU MESNIL DU BUISSON, Le site archéologique de Mishrifé-Qatna. [*Collection de textes et documents d'Orient.* I]. In-4°, 175 pp., 6 fig. Paris, E. de Boccard, 1935.

الموقع الاثري لمشرفة - قطنا

لقد وصفنا هذا الكتاب القيّم في جريدة البشير (٢١ ايلول ١٩٣٥) وصفاً مستفيضاً لما لمسنا فيه من فائدة لشرقنا السوري. وقد رأينا ان لا حاجة في تحوير شيء من ذاك الوصف لقرّاء « المشرق » فها هو، مع مخطط موقع قطنا.

اما الكتاب فعنوانه: « الموقع الاثري لمشرفة — قطنا » وضعه البحاثة النبيل الكونت دو منيل دو بويسون، وقد حظي بمعرفته عدد من اللبنانيين والسوريين، اذ يكاد يزور بلادنا كلّ سنة قصدَ الاشراف على حفريات اثرية باشرها فيها منذ عشرة اعوام. وهو اليوم احد اعضاء البعثة الاميركية الفرنسية لحفريات دورا، التي اكتشفت عدداً عديداً من الآثار القديمة، ولا يُنتظر ان تنتهي من اعمالها هناك قبلَ انقضاء شطر صالح من الزمن.

وكان الكونت من قبل، لدى جولاته الاولى في البلاد السورية، قد حاول سبر بعض الاماكن داخل بيروت. لكن دون اجراء الحفريات في

عاصتنا مصاعبَ جسيمة ، وقد وقفتُ على ما عاناه منها ، فنصحتُ له بان يعمد الى تحريات يقوم بها في « مشرفة » ، وقد كنتُ قبل الحرب وقفتُ على ما لها من المكانة الاثرية ، فاخذت عنها مخططاً تقريبياً نشرته في مجموعة « ابحاث الكلية الشرقية » ، وأتبعته بوصف بعض عاديات أصلها لا محالة من هناك . فعمل الرجل بمشورتي ، فجاءت النتيجة تثير نشاطه الى حدّ انه قام ثمة بسلسلة من الحفريات متواصلة ، آلت به بادئ ذي بدء الى وضع تقرير مفصّل عن كل مرحلة من مراحلها ، كان يرفعه الى « مجمع الرقم » الفرنسي ثم ينشره تباعاً في مجلة « سيريا » ، واخيراً الى تصنيف الكتاب الآنف الذكر ، وهو يقع في ١٧٥ صفحة من الحجم المربّع ، محتوية على رسوم عديدة ، وخمسين لوحة تصويرية أثبتت خارجاً عن المتن ولم يسبق نشرها . ويقوم المصنّف هذا بالاطروحة التي رفعها واضعه الى الجامعة الفرنسية لنيل شهادة الدكتورية في الآداب ، مضافةً الى ما كان قد احرزه سابقاً من لقب دكتور في الحقوق وشهادتي معهدَي اللوفر والدروس العليا ، وقد تخرّج فيها . وله غير مؤلفات في الآثار القديمة وفي وصف الحفريات ، مما يدلّ باجمعه على طول باعه في العلوم الاثرية .

والقرية بما لها من الاطراف هي ملك السيد جورج ثابت ، وقد شيّد فيها مصيفاً يقيم فيه شطراً من الصيف .

اما « المشرفة » نفسها فهي عبارة عن معقل مسوّر يكاد يكون مربّعاً ، توازي اضلاعه الخوافق الاربعة ، وقد بُنيت جدرانه من البرقة تدخل في تركيبها حتى تبلغ بعضاً من الارتفاع فوق الارض . وقد استخرجت البرقة هذه من جانب السور الخارجي ، فتكوّن حوله خندقٌ يكتنفه باجمعه . ويبلغ ارتفاع اعلى حدّ للجدران فوق الارض ، في حالتها الحاضرة ، عشرين متراً بل ينيف على ذلك . وتمتد القرية الحالية الى الجانب الغربي من المعقل ، وفيها ، خارجاً عن نطاقه ، عينٌ يتفجّر منها الماء طول السنة .

ولم يعمد القوم كثيراً الى تهدّم المعقل ، فضلوا تماماً عن حقيقة اصله ، اذ ليس فيه من شيء البتة ينمّ عن الطراز الروماني ، كما هي الحالة مثلاً في المعقل المعروف « بسفينة النبي نوح » ، الواقع قريباً من بحيرة حمص الى جانبها القبلي .

اما طول كلٍّ من اضلاع قاعدة المشرفة فيبلغ كيلومترًا ، مما يدل على ما كان للموقع من المكانة في الازمنة العريقة في القدم . والحق يقال ان ليس في سورية طولها وعرضها من موقع يضاهيه ، فحسبه بسعته وحدها ما يجعله جديرًا بان يخصّ بزيارة في موسم الاصطياف.

وانما القصد من تسطير هذه العجالة لفت انظار المصطافين والسياح الى مشرفة . فهي آيةٌ بين الآثار السورية القديمة ، يرتقي عهدها الى العام ٢٠٠٠ قبل المسيح . والغريب ، مما يكاد لا يُصدَّق ، ان ما من احد يقصد اليها.

اما وقد اتحفنا الكونت دومنيل بكتابه الرائع ، فمن السهل الآن ان يضع احد العلماء السوريين « دليلًا لمشرفة » يضاهي ما كُتب من نوعه في ما يتعلق بيعلبك ، فان الآثار المشرفية يروق المرء الاطلاع عليها اكثر من آثار العهد الروماني ، لما تكشف لنا عنه من الازمنة القديمة للغاية ، وقد عاش فيها الشومريّون والبابليون والميتانيون والحثيون والسوريّون.

ولئن حسن لدى « جمعية تنشيط السياحة والاصطياف » ، نصحنا لها بان تُعنى بنشر الدليل المذكور ، ولا شك انه يصادف رواجاً اكيدًا ، بل قد يُهيب بالبعض الى تشييد فندق في تلك البقعة ، حيث تهبّ الريح لطيفة منعشة طول النهار ، والماء زلال ، والارض خصبة ، وموسم العنب من اطيب المواسم .

س . ر .

XÉNOPHON, Helléniques - Apologie - Mémorables. Trad. nouvelle de PIERRE CHAMBRY [*Classiques Garnier*]. In°-12, 510 pp. Paris, Garnier Frères, 1935. Prix : 15 fr.

ثلاثة كتب من آثار كزينوفون

من المعلوم ان كزينوفون لم يختصّ بنوع واحد من الآداب . انما كتب في التاريخ ، وفي الاخلاقيات ، وفي السياسة ، وفي الفلسفة . وقد جمع له ، في المجلّد الحاضر ، ثلاثة كتب يختصّ ثالثها بالتاريخ متتبعاً الحوادث من السنة ٤٩١ الى ٣٦٢ ق . م . وهو اهم المصادر لتاريخ تلك الحقبة . اما الكتابان الاولان فقد دفعت المؤلف الى كتابتهما ذكرى سقراط ، فجمع فيها احاديث وآراء تدور حول الفلسفة على تنوّع تشعباتها.

ومظهر المجلد انيق تزينه خارطة في اوله ، وتعاليق وشروح في آخره ، مع جدول بالاعلام الواردة في الكتاب التاريخي.

M. M. Moreno, La dottrina dell'Islam. Manuale coloniale. In-12, 191 pp. Bologna, L. Cappelli, 1935.

عقيدة الاسلام

يبدأ هذا الكتاب مجموعة جديدة من المنشورات الايطالية مختصة بدرس المستعمرات . وهي مجموعة سيكون لها اثر قيم دون شك ، اذا استندنا الى عناوين المجلدات المقبلة ، بل الى قيمة الكتاب الحالي . وقد درس فيه المؤلف الدين الاسلامي، كما يظهر في مختلف الشيع المعروفة في العالم الاسلامي الحاضر، من حيث العقائد والمؤسسات الرسمية المقررة ، مهتماً اهتماماً خاصاً بشؤون المسلمين في المستعمرات الايطالية . الا ان هذا الاهتمام لم يصرفه عن النظرات الشاملة التي تجعل لكتابه فائدة عامة، فيقرأه ويستفيد منه كل من شاء الاطلاع على مبادئ الدين المذكور . والكتاب حسن المظهر ، لطيف الحجم ، متصف بالوضوح والدقة ، مستند الى كثير من المصادر والمآخذ، يبدأ بمقدمة وابسة (١٥ صفحة) في اصل الاسلام وتطوره . وينتقل الى الموضوع في ستة اجزاء فيدرس العقيدة الاسلامية ، والعبادة ، والشريعة ، والصوفية ، والبدع ، والاسلام العصري.

ج. ل.

Rudi Paret, Zur Frauenfrage in der arabisch-islamischen Welt [*Veröffentlichungen des orientalischen Seminars der Universität Tübingen*. Heft 8]. In-8°, 70 pp. Stuttgart, Verlag Kohlhammer, 1934.

المرأة في البيئة العربية الاسلامية

غاية مؤلف هذا الكراس ان يعرض حالة المرأة الحاضرة في البيئات الاسلامية. فيكتفي بتحليل ما ظهر من الكتب والمقالات سواء أكانت داعية الى انهاض المرأة وايقاظها ام معاكسة للحركات النسوية . فيحلل مثلاً كتاب الآنسة نظيرة زين الدين، وما كتب عليه من ردود . ولا شك في ان المطالع يذكر اننا توسعنا في وصف الكتاب المذكور (المشرق ٢٦ [١٩٢٨] ٣٦٦–٣٧٥) فأشرنا الى ما فيه من نقاط مهمة اثارتها الآنسة المؤلفة. وقد اتبع صاحب

الكراس النقاط نفسها تقريباً ، فقسم بحثه الى اجزاء اهمها ما يختص بالحجاب ، وملازمة المنزل ، وتعدد الزوجات ، والطلاق. على ان المؤلف لا يتجاوز عرض آراء المتناظرين المسلمين ، فلا يذكر رأيه هو ، ولا يفيدنا عما يراه في حل المشكل المذكور . ثم انه من المعلوم ان النبي لم يكتفِ لنفسه باربع نساء ، كما يجيز لابناء دينه . يورد المؤلف هذا ، ويدعمه برأي احد ارباب الكلام من المسلمين ، قائلاً ان النبي اكثر من النساء كي يسهل نشر الاحاديث المتعلقة بشخصه. ه. ل.

AVERROÈS, La Bidâya, Manuel de l'Interprète des lois et traité complet du Juriste.

Du Mariage et de sa Dissolution. Traduit par AHMED LAÏMÈCHE. In-8°, 311 pp., Alger, 1926.

Des Donations, des Testaments, des Successions, des Jugements. Traduit par AHMED LAÏMÈCHE. In-8°, 124 pp., Alger, 1928.

اقسام مترجمة من كتاب البداية لابن رشد :

١ – في النكاح وفسخه

٢ – في الهبة ، والوصية ، والارث ، والاحكام

رأى المترجم ، وهو استاذ الشرع الاسلامي في مدرسة تلمسان ، ومحام لدى محكمة الاستئناف في مدينة الجزائر ، حاجة طلاب الشرع ، بل اساتذة الحقوق من الغربيين الى ان يطلعوا على اصول الحقوق الاسلامية باللغة الفرنسوية، فلم يرَ اوفق من ان ينقل لهم اقساماً من كتاب «البداية» للفيلسوف الاندلسي الكبير ، ابي الوليد محمد بن رشد . ونعمّا فعل ! اذ اخرج لنا مجلدين حافلين بالموضوعات المهمة . وها انا نفصّل عليها الكلام في ما يلي :

يتضمن المجلد الاول مقدمة تحتوي على قواعد شرعية عامة ، غايتها اعداد القارئ لفهم الفصول التابعة.

ثم يليها كتاب النكاح الذي يقسمه المؤلف الى خمسة فصول : في الفصل الاول يذكر بعض الرسوم الخارجية المتعلقة بالنكاح ، كالاصول المشروطة لطلب المرأة ، وحق الزوج في مشاهدة المرأة قبل النكاح ، وابو حنيفة يرى ان للرجل الحق بذلك. ثم يتكلم في الفصل الثاني عن شروط صحة النكاح ،

فيأتي على ذكر الرسوم والاصول الشرعية لعقده ، ويتوسع في شرط القبول والرضى ، وممن يجب ان يصدر هذا الرضى ، وطريقة صدوره ، وفي اختلاف آراء الائمة فيما يتعلق بوجوب رضى الفتاة البكر لصحة النكاح . ثم يطرق المؤلف شروط العقد الداخلية ، فيتكلّم عن الوصاية كشرط لصحة النكاح ، ويأتي بآراء كبار الائمة ، فيذكر اختلافها ، ويفند بعضها ، ويورد الشروط التي يجب ان تتوافر في الوصي واهمها ان يكون الوصي مسلماً وراشداً ، وان يكون من الذكور . ثم يتكلم عن درجات الوصاية وعن رأي الشافعي القائل : ليس لاحد ان يقوم بالوصاية مع وجود الاب . ولا يجوز للوصي الزواج بالموصى عليها وذلك قياساً لتحريم جاء عن القاضي والشاهد . فالاول لا يستطيع ان يحكم لنفسه ، والثاني ان يكون شاهداً وخصماً وفي كلامه عن الشهادة وانواعها يقول انه لا بد من حضور شاهدين على الاقل لصحة النكاح.

اما الصداق فيتوسع في التعليق عليه ، ويسرد آراء الكثيرين من الائمة الذين يجمعون على ان القسم الاعلى منه غير محدد ، اما القسم الادنى فقد اختلف فيه . اما نوعية هذا الصداق فيجوز ان يكون من كل ما هو صالح للتملك . وللمرأة الحق به في الاصالة ، ولكن الفقهاء لم يتفقوا على تعيين زمن تسلمها اياه ، ودخوله في ملكيتها . فمنهم من قال : يكون ذلك عند دخولها دار الرجل ، ومنهم بعد اتمام الزواج . ثم يطرق المؤلف ايضاً فساد الصداق اذا كان مثلاً من الخمر او لحم الخنزير ، او كان غير محدّد . ويتبعه التعليق على الخلاف بين المرأة والرجل فيما يتعلق بالصداق وتسليمه ونوعه وكميته .

وفي الفصل الثالث من الكتاب نفسه يتكلم ابن رشد عن الاسباب التي تعطي احد الزوجين حقّ الخيار في طلب فسخ النكاح ، واهمها العيب الخفي، وعدم قيام الرجل بدفع الصداق المتوجب عليه وبتقديم الطعام واللباس للمرأة ، وجهل محل اقامة الرجل . ويختم الكتاب بالكلام عن النكاح المحرم من لدن الشارع ، والنكاح الفاسد . ثم يأتي كتاب الطلاق فيقسمه المؤلف الى اربعة اقسام . في القسم الاول يتكلم عن الطلاق البات ، وعن الطلاق المتضمن حقّ الرجوع والعودة بعد الهجر . ويذكر ايضاً الطلاق المعهود والشائع منها

العصور الاولى ، والطلاق الحديث . ويورد العلامات الفارقة بين الطلاق وفسخ النكاح ، وتخويل الرجل المرأة حق الخيار في طلب الطلاق ، وجعلها آمرة حاكمة فيما يتعلق بالعلاقات الزوجية.

وفي القسم الثاني من كتاب الطلاق يتكلم عن الاسباب الحائلة دون الطلاق ، وعن الشروط التي يجب ان تكون متوافرة في طالب الطلاق ، وعن النساء اللواتي هن موضوع طلاق . وفي القسم الثالث عن استرجاع المرأة بعد الطلاق . وفي الفصل الرابع والاخير عن الهبة للمرأة بعد الطلاق .

ويخصص فصلاً في الختام « لشرع ارسال المحكمين » .

ثم بعد انتهاء الكتابين المار ذكرهما . يأتي الكتاب الثالث، وفيه يدرس المؤلف اليمين في الامتناع عن مباشرة الزواج . والكتاب الرابع ، وفيه يبحث في الآية الرابعة من سورة « المجادلة » : « والذين يُظاهرون من نسائهم ثم يعودون ، فتحرير رقبة من قبل ان يتماسا . » ويليه كتاب اللعان . ويختم المؤلف مصنفه الواسع بكتاب الحداد الذي يقضي على كل امرأة في الاسلام بالحداد مدة ترملها الشرعية . والكتب الاربعة الاخيرة على كثير من الايجاز بالنسبة للكتابين الاولين اللذين استغرقا معظم المصنف .

اما المجلد الثاني فيدرس فيه الفيلسوف بعض الامور الشرعية الهامة كالهبة ، والوصية ، والارث ، والاحكام ، مستنداً اقواله الى آراء كبار الائمة ، والى الاحاديث النبوية ، والقواعد الشرعية المطبقة في العالم الاسلامي.

يستهل درسه بلمحة عن الهبة ، فيحددها حسب عرف الائمة ، ويتكلم عن مواضيعها المختلفة ، وعن شروط صحتها ، ذاكراً تشعب آراء الفقهاء واختلافها في الموضوع . ثم ينتقل الى انواع الهبات ، فيقسمها الى هبات عينية، وهبات منافع ؛ ومن حيث غايتها الى هبات لنيل ثواب ، وهبات لارضاء الله ، وهبات غايتها الموهوب له نفسه . ولا ينسى ان يذكر التناقض عند اصحاب الرأي ، ففي هبات المنافع مثلاً اختلافهم ناجم عما اذا مات الموهوب، وكانت الهبة متعلقة على شرط حياته ، هل ترجع الى الواهب وورثته بعد موت الموهوب له ، ام تبقى في ميراث هذا الاخير ؟

ويختم هذا الفصل بالكلام من حقوق الواهب في استرجاع الهبة . وهنا ايضاً يلفتنا المؤلف الى اختلاف الآراء بين اصحاب المذاهب الاسلامية . فالشافعيون يعترفون بهذا الحق للواهب في كل حال . لكن الامام احمد ينكره عليه . اما ابو حنيفة فيقرّ له به ، على شرط ان لا يكون الموهوب له من ذوي القرابة المحرمة . وعلى كل فقد تتفق التعاليم المنتشرة في الاسلام فتمنع الواهب استرجاع هبة بغايتها البر والاحسان . ويرينا صاحب الكتاب بحق ان الائمة يدعمون آراءهم بالحجج والبراهين المستمدة من الاحاديث ، والاقوال الواردة على لسان الصحابة .

وفي دراسة الوصية يبدأ بتحديد انواعها ، فيقول انها تصحّ ان تكون مالاً عينياً ، او من المنافع . واما كميتها فلا يجوز ان تتجاوز الثلث ، اذا كان للموصي ورثة . واذا لم يكن له من وارث ، فيجوز ان تزيد عن الثلث وللموصي الحق بالرجوع عن الوصية ، الا اذا كانت تحتوي على اعتاق . اما الموصى له فلا يصبح مالكاً للموصى به الا بعد موت الموصي . وهنا يذكر اختلاف الامامين الشافعي وابن مالك فيما اذا كان قبول الوصية من الموصى له شرطاً اساسياً لصحة الوصية . ثم بعده ينتقل المؤلف الى قواعد أخرى تتعلق بالوصية كالزكاة ، ووفاء النذور ، والقيام بالحجّ ، المشروطة في متن الوصية ، ويوقفنا ايضاً هنا على الآراء المتضاربة عند العلماء .

وفي تحليله للوراثة يكتفي باعطائه آراء الائمة ، وذكر اختلافهم ، واسباب هذا الاختلاف . اما رأيه الخصوصي فلا يبديه الا عند كلامه عن حصة والد الوالد ، اذا اتى مع الاخوة . وابن رشد يعتبره كأب ويحجب الاخوة ، ويورد تقريراً لهذه الفتوى البراهين العديدة واقوال الرسول . ثم يتوسع في الشرع عن توريث اولاد الزنى ، وعن حقوقهم في الارث . كل ذلك تدعمه آراء الائمة التي من النادر اتفاقها في موضوع واحد .

اخيراً يطرق الموضوع الاخير المتعلق بالاحكام . فيستهلّ بكلامه عن يحقّ لهم ان يتولوا زمام القضاء ، وعن الصفات التي يجب ان يتحلوا بها . ونقف معجبين اذ نسمعه آتياً على ذكر امر هام غدا موضوع ابحاث واسعة لشراع

عصرنا ومفكري ايامنا ، وهو : أيحق للمرأة ان تتعاطى القضاء ؟ وجواب ابن رشد ان الائمة لم يتفقوا على نفي او ايجاب . فابو حنيفة مثلاً يجيز للمرأة تولي القضاء ، ولكن لتحكم فقط في الاشياء العينية . ثم يتكلم عن القاضي الأمي ، وعن الصلاحية التي هي واسعة في نظره اذ ان القاضي « يفصل في حقوق الله وحقوق عباده » وعن وجدان القاضي ، واسباب هذا الوجدان . وعن الشهادة والشهود ، وصفاتهم ، وعددهم . وعن اليمين وصورتها ، والنكول عن اليمين وتأثيره . ثم يطرق الاقرار ، فيذكر صفاته وشروطه . وعن صلاحية القاضي فيما يتعلق بالاشخاص الذين يجوز له ان يفصل في خلافهم ، فنرى مع المؤلف اتفاق الائمة على اعطاء القاضي حق النظر في امور المسلمين الغير المجهولي الاقامة ، واختلاف هؤلاء الائمة فيما يتعلق بصلاحية القاضي تجاه الغير المسلمين ، والمجهولي الاقامة .

اخيراً يتكلم امامنا الكبير عن الاصول التي على القاضي ان يحافظ عليها عند اعطائه الحكم . فيجب على القاضي مثلاً ان لا يتحيز لاحد من المتداعين ، وان يسمع دفاع الثاني اذا سمع دفاع الاول ، وان يبني حكمه عندما يكون سليم العقل خلي البال ، لا تحت الضغط والتأثير . او كما يقول الامام مالك ان « لا يضنكه الجوع والعطش والحزن » . ولا يحق للقاضي ان يسمع احد المتداعين بعد اعلان الحكم ، الا في الامور المتعلقة بالعتق والاتفاق .

وهكذا نرى ان المؤلف ، على ما اتصف به كتابه من جزالة التعبير وحصر الموضوع في مصنف صغير الحجم ، اتى على ذكر عدد غفير من المسائل الشرعية القيمة المفيدة التي كانت ولم تزل موضوع ابحاث الشراع وتعاليقهم .

وكذلك يجب ذكر ما امتاز به المترجم من سعة اطلاع ووضوح اسلوب في عمله هذا ، فاستحق شكر جميع المشتغلين بالحقوق الاسلامية . بيد اننا وددنا لو اطال ، في المقدمة ، فتوسع في درس شخصية ابن رشد الفقهية ، وسطر كتابه الكبير .

ح . ف .

PIERRE BAZANTAY, La pénétration de l'enseignement dans le sandjak autonome d'Alexandrette. In-8°, IX+221 pp., 24 pl., 11 graphiques et 1 carte hors texte. Beyrouth, Imprimerie Catholique, 1935.

تقدم التعليم في سنجق اسكندرونة المستقل

قضى مؤلف الكتاب ست سنوات في سنجق اسكندرونة يطلع من كثب على تقدم التعليم وتطور الثقافة، بفضل مركزه الرسمي في ادارة المعارف، وبفضل ميله الى درس المظاهر الثقافية على تنوعها. فجمع معلومات كثيرة دقيقة فدرسها، واستغلها على مختلف دلالاتها، ورتبها ترتيب العالم الاحصائي، بل ترتيب المهذب الاجتماعي المهتم بمستقبل ذاك السنجق، المتخذ من حاضره عبرًا وعظات في تسيير التعليم وفقًا لحاجات السكان في طبقاته المتباينة وفي مناطقه المتنوعة. فاتى من كل ذلك كتاب نفيس لا نخطئ اذا قلنا انه مثال لما يمكن تأليفه في نوعه. يؤيد هذا القول نظرة سريعة نلقيها على محتوياته فصلًا فصلًا.

يمهد المؤلف بفصل واسع في تقسيم السكان، في سنجق اسكندرونة، بحسب عناصرهم القومية، وطوائفهم الدينية، ولغاتهم. وينتقل الى احصائهم ذكورًا واناثًا وتلامذة في كل طائفة، معلمين وأميين، مدنيين وقرويين، مردفًا بنص القانون الاساسي للسنجق المذكور. ثم يخص الفصل الثاني بالتفتيش عن اسباب التفاوت الثقافي بين عناصر السكان فيتكلم عن هجرة تلك العناصر القومية من مسيحيين ينطقون بالعربية، وارمن، وترك، وعلويين، وشركس. حتى اذا وصل الى الفصل الثالث اخذ يوصف حالة التعليم الحاضرة ذاكرًا جهود المدارس الخاصة من وطنية واجنبية، وجهود الحكومة، في كل من طبقات التعليم الابتدائية والثنوية، منتقلًا في الفصل الرابع، الى ذكر مديرية المعارف وكيفية سيرها، ومديرية الآثار، مشيرًا الى اعمال البعثات الاميركية والفرنسوية.

ولما كان لا بدّ من تتبع اولئك المعلمين، بعد خروجهم من المدارس، افرد المؤلف اربعة فصول جامعة صوّر فيها تهافت المجتمع الحاضر على العلم،

وحالة المعلمين الاجتماعية مستنداً الى الاحصائيات النسبية ، محدداً نصيب كل طائفة من المراكز العالية في المجتمع سواء اكانت المراكز رسمية كوظائف الحكومة ام غير رسمية. ثم انتقل الى اعتبارات عامة في ثقافة الطبقة الراقية ومظاهرها ، مقابلاً ، بين الاجيال السابقة والجيل الحاضر ، من السنيين ارباب اللغة التركية ، والعلويين ، والمسيحيين المتكلمين بالعربية ، والارمن ، والشركس ، مشيراً الى تأثير البلاد المجاورة في تطور ثقافة السنجق : تأثير عربي من ناحية سورية ومصر ، وتأثير تركي من ناحية تركية . وجره ذلك الى القاء نظرة على حالة حملة الشهادات وما ينتظرهم من مراكز في المجتمع : من المحيط الزراعي الى الصناعة ، الى التجارة ، الى المهن الحرة من طب وصيدلة ومحاماة . ولم يسهُ عن الاشارة الى تأثير الحركة الاقتصادية في توجيه المعلمين والتعليم فافرد لذلك الفصل الثامن ، درس فيه نظام ملكية الارض في مختلف المناطق ، وما لهذا النظام من تأثير في الزراعة ، متتبعاً موارد الثروة من المحصولات الزراعية كالحبوب ، والتبغ ، والكرمة ، والحرير ، والزيتون ، والدفلى ، والفواكه ، والغابات ، وما يلحق بها من موارد تربية الحيوانات ، ومن الصناعات التابعة لها كالصابون ، والزيت ، والطواحين... منتهياً الى ذكر الحركة التجارية والسياحة...

وكان من لوازم البحث ، وقد وصف الحالة الحاضرة هذا الوصف الدقيق ، ان يعرض لذكر التلم ، وما يراه في سدها ، والعمل على تحسين الحالة اجمالاً. وهو ما قام به في الفصل الاخير ، مشيراً الى ضرورة اصلاح التعليم الثنوي ، والاهتمام بالتعليم المدني والتعليم القروي ، مع الحاجة الى تنظيم موافق في كل ذلك يسعى اولاً في حسن اختيار المعلمين ، وفي تحسين التعليم الصناعي ، والاخذ بطريقة معقولة موافقة للبيئة ولحاجات السنجق في تعليم النساء ايضاً.

هذا ملخص الكتاب ، وهو كاف للدلالة على قيمته ، اثراً نفيساً في درس موضوعه الخاص درساً دقيقاً واضحاً بتفصيله وبما ازدان به من صور ، ولوائح احصائية وتصميمات رقية ملونة ، ومثالاً في هذه الدروس العنصرية الاجتماعية من الحسن ان يقتدى به.

ف. ا. ب.

J. VILENCIK, Zur Genesis der arabischen Zweisprachigkeit (OLZ, XXXVIII, 12) Dezember 1935.

في ازدواج اللغة العربية

يجتهد مؤلف هذا المقال في ان يشرح ازدواج اللغة العربية: اللغة المكتوبة، واللغة الدارجة في الحديث. وهو يميز لغتين كتابيتين: لغة القرون الاولى للاسلام، واللغة المكتوبة في عصرنا الظاهرة في الصحف. وهو يميز كذلك لغتين دارجتين في الحديث: لغة الحضر، ولغة البدو. وهذه وافرة الغنى بالمفردات المتعلقة بالحياة البدوية ومرافقها، ولكنها ظاهرة الفقر بالمفردات المعقولة. وهي على اي حال، تختلف عن مفردات لغة الحضر باللهجة والنبرات. ومما يجدر بالذكر ان المؤلف يؤكد ان اوربة الرأسمالية هي التي تحول بين اللغة الدارجة واتساعها فتمنع ازدهارها وتضيق عليها. اما الحقيقة فتراها تعاكس مزاعم المؤلف. ذلك ان النزعة العربية القومية هي وحدها الحائلة دون ما يريده الكاتب من ازدهار اللهجات العامية واستقلالها، ولا يخفى ان ارباب تلك القومية يرون في استقلال اللهجات حواجز لتحقيق آمالهم في الوحدة. ه. ل.

CONSTANTIN VII PORPHYROGÉNÈTE, Le livre des Cérémonies. t. I, comprenant un volume de texte et sa traduction et un volume de commentaires, par ALBERT VOGT. In-12, Paris, Société d'édition Les Belles Lettres. 1935 Prix : 60 fr.

كتاب الاحتفالات

لقد ازدانت المجموعة البيزنطية التي تنشر تحت رعاية جماعة غليوم بودي (G. Budé)، بتحفة جديدة، هي كتاب الاحتفالات للامبراطور قسطنطين السابع، الذي كان ينتظر، منذ عهد مين (Migne)، طبعة عصرية. وليس للكتاب الا نسخة واحدة في ليسيك، فدرسها الناشر وضبطها، وترجمها الى الفرنسوية، فعانى صعوبات جمة يعرفها له العلم الحديث دون شك عندما يطلع على الكتاب وترجمته وشروحه الطويلة، فتظهر له المدنية البيزنطية في القرن العاشر على مظهر واضح. اما موضوع الكتاب فتعيين الحفلات الرسمية الدينية التي تجري في البلاط في الحوادث المهمة، والتي ينبغي للامبراطور ان يحضرها. وفي هذا المجلد الاول ٣٨ فصلاً تمثل الفصول ٤٦ الاولى من المخطوطة. ج. ل.

الفن الاسلامي في مصر

الجزء الاول : من الفتح العربي الى نهاية العصر الطولوني

للدكتور زكي محمد حسن ، الامين العلمي لدار الآثار العربية

١٢٢ ص من القطع الاكبر ، مع ٣٧ لوحة

القاهرة ، مطبعة دار الكتب المصرية ، ١٩٣٥

هذا كتاب نفيس اهدته الى مكتبتنا الشرقية ، ادارة مطبعة دار الكتب المصرية ، فوصلت به سلسلة الهدايا التي اتحفتنا بها منذ سنوات ، فلها الشكر المجدد منا ومن روّاد المكتبة الشرقية.

درس الدكتور محمد زكي في جامعة باريس ، وحاز دبلوم آثار الامم الاسيوية والاسلامية من مدرسة اللوفر ، وشهادة اللغات الشرقية بفرنسة ، وليسانس الآداب من الجامعة المصرية ، وشهادة مدرسة المعلمين العليا بالقاهرة ، وساعد ، سابقاً ، على ترتيب متحف برلين العلمي فله من معرفته اللغات الاوربية وسعة اطلاعه واستعداده للكتابة على الفن الاسلامي ما يشوّق الى مطالعة كتابه ، ويدفع الى الطمأنينة في درسه.

ان البحث في الفن الاسلامي مستحدث بيننا ، ولا نغالي ان قلنا ان هذا الكتاب هو الاول في نوعه ، ومصداق لذلك قلة ما يُعرف من صنفه باللغة العربية - بين أنّ للافرنج مؤلفات واسعة عديدة سبقونا فيها الى التفتيش عن آثار ذلك الفن في سائر الاقطار الاسلامية ، على مدى الايام ، منذ العهد السابق للاسلام الى عهدنا. فالفضل كل الفضل للدكتور زكي محمد حسن ، في تعريفه قراء العربية ، هذه الناحية المجهولة من الكثيرين.

صدّر الكتاب باسطر بسط فيها موضوع الكلام ، وبين عنوانه من تقسيم دراسة الفن في مصر الاسلامية الى مراحل ثلاث : فخص الكتاب باولاها ؛ وحدّد عمر الآثار وبلادها في مقدمة تاريخية تناول فيها خلاصة الوقائع التي ادّت بولاة مصر ، منذ الفتح العربي سنة ٦٤١ الى انقراض الدولة الطولونية في اواخر القرن التاسع للميلاد ، الى احياء الفن وانمائه : « لان الفن الاسلامي

فن ملكي ، وهو مدين بكل شيء للسلطان، فالمثالون والمصورون والمهندسون وغيرهم من رجال الفن انما كانوا يشتغلون اجابةً لطلبه ، وليس للفنون الجميلة رعاة الا من بلاط السلطان او في الاسر القليلة التي تسكن العاصمة وتعتمد في معيشتها على السلطان ؛ ولذا فقد تنتسب الى السلطان ، فيقال الفنّ الاموي ، والفن العباسي ، والفن الطولوني الخ (ص ١٩).

وتناول المؤلف الكلام على نشأة الفن الطولوني وقد استوحى اصوله مما رآه احمد بن طولون في سامرّة عاصمة الخليفة المعتصم الجديدة، ثم اخذ المؤلف بوصف وتحليل ذلك الفن في العمارة الدينية ، والعمارة المدنية والحربية ، وفي الصناعات اليدوية الفنية كالمنسوجات والحفر والخزف والتصوير.

وذيّل الكتاب بمراجع عديدة عربية وافرنجية ، وكشّاف ، (هذه الكلمة نرى استعمالها للمرة الاولى تعريباً للفظة اندكس index) فيه فهارس الاعلام والمواد . واخيراً وضع في آخر الكتاب ٣٧ لوحة ، ابرز فيها نماذج الفن الاسلامي من زخارف جصية ، واروقة ، ومحاريب ، ومنارة ، والواح خشبية واقمشة الخ . وليس للفن الاسلامي قبل الدولة الطولونية الا آثار زهيدة .

وفيما نحن نطالع هذا الكتاب ، يتردد على ذهننا ما سمعناه في الامس من المحاضرات التي القاها في « معهد الدروس الشرقية » من جامعة القديس يوسف ، الاستاذ غاستون ڤيات (Wiet) ، مدير المتحف العربي في القاهرة ، واليه يرجع مؤلف هذا الكتاب في مراجعه . وقد يتفق الاثنان في الحكم على الفن الاسلامي انه ليس عربياً الا على سبيل التوسع والمجاز ، لان البلاد الاسلامية التي ازدهر فيها الفن ، ليست عربية باهلها . وما ذلك الفن الا ثمرة جهود الفنانين الموالي من فرس او بيزنطيين او سريان او اقباط ، وقد عملوا في سبيل الفن ، تحت رعاية السلطان « ولذا كان خطأً كبيراً ان يطلق على هذا الفن اسم الفن العربي » (ص ٢٠).

ف.ت

عمر بن ابي ربيعة

الجزء الاول : عصر ابن ابي ربيعة

بقلم جبرائيل سليمان جبور

٢٢٤ ص. متوسطة – بيروت ، المطبعة الكاثوليكية ، ١٩٣٥

لقد تقدّمت الدروس الادبية في زمننا هذا تقدّماً محسوساً ، فاصبح من العسير ان نرضى اليوم بما كنا نرضى به من عشرين سنة ، بل من عشر سنوات. وان يكن « لكل اجل كتاب » ، فلا يمكن ان يكون كتاب اليوم ، في الابحاث الادبية ، احد تلك المجاميع من الاحكام والروايات التي كان ينسقها مؤلف القرن التاسع عشر – واوائل القرن العشرين – فيرضي نفسه ويرضي قرّاءه ، ويتصوّر الفريقان انهما في فنّ البحث الادبي ومجال النقد الشعري . . . حاجتنا اليوم الى تآليف يمتزج فيها النقد الادبي بالدرس الاجتماعي والبحث التاريخي ، جارياً على الاسلوب العلمي الدقيق بما يفرضه من تمحيص روايات ، وتجريح احكام، وتعديل آراء ، وتحفّظ واحتياط في ذلك كله. ونحن لا نعدم، بحمد الله ، من وقت الى آخر ، ظهور كتاب يتصف ، ان لم نقل بكل هذه الصفات فبالمهمّ منها ، وهو كافٍ للدلالة على التطوّر المحمود في دروسنا الادبية. من هذه الكتب ما اهداه الينا الاستاذ جبرائيل جبور في « عصر عمر ابن ابي ربيعة » ، مقدّمةً لمجلدين تاليين في « حياة عمر » وفي « شعره ».

لقد درس الاستاذ موضوعه مدة ستّ سنوات. وليس بكثير على شاعر كعمر يمثل عصراً بكامله ، بل فناً برأسه من فنون الشعر العربي ، ان تُخص بدرسه ست سنوات - على ما نعرف من ان السنوات هذه لم تكن بتمامها وقفاً على درس عمر – ولا بكثير عليه ان تدوّن نتائج هذا الدرس في ثلاثة مجلدات ! واذاً فقد احسن المؤلف « باضاعة » ذاك الزمن في درس شاعر واحد، كما احسن في افراد هذا الجزء لعصر عمر، دارساً نواحيه المختلفة من حياة سياسية واقتصادية اوجز فيهما – وحق له الايجاز – ليصل الى الموضوع المهم، وهو الحياة الاجتماعية وما اتصفت به من مظاهر جديدة للحياة مصطبغة بالوان

من القرف والرخاء ، مروية بانواع من الشراب المحلل والمحرّم ، واقصة على طوائف من الانغام العربية والفارسية ، عابثةً بفنون من الالعاب والملاهي حتى في المواسم الدينية ، بل في المواسم الدينية؛ وكان لا بدّ من الحاق وصف تلك الحياة بوصف الحياة الدينية والعلمية ولاسيما الادبية ، فقام المؤلف بذلك في ثلاثة فصول ، رُفق فيها الى عرض الكثير من المعلومات في ظواهر الحركة الدينية ، واهتمام بعض الناس بالعلم الديني خاصة ، ثم في مجالي الحياة الادبية من نثر وشعر ، وشيوع الشعر في الطبقات المختلفة حضرية وبدوية . حتى اذا اتمّ وصف تلك البيئة التي نشأ فيها عمر وحدّد خطوطها على اتمّ ما يمكن في حالة العلم الحاضرة ، ختم كتابه ، واعدّاً المطالع بالجزء الثاني في حياة عمر . وها هو يُنجز الوعد، ناشراً ، في هذا العدد من « المشرق »، الفصل الاول من الكتاب الجديد. وهو يتصف بما اتصف به الكتاب السابق من اخلاص في التفتيش ، وتقصٍّ في البحث ، وعرضٍ المصادر ، واحتياط يمنعه الاستبداد في عرض الاحكام . هذا شأن الادب الصحيح .

ف . ا . ب .

الاسر العربية المشتهرة بالطب العربي
واشهر المخطوطات الطبية العربية

بقلم عيسى اسكندر المعلوف

٦٠ ص. متوسطة – المطبعة الادبية ، بيروت ، ١٩٣٥

هي محاضرة كان المؤلف قد القاها في المؤتمر الطبي في الجامعة الاميركية ببيروت ، مختصراً فيها اجلّ ما يُعرف عن الأسر الطبية التي نسبها الى العرب تجوّزاً منه، على ما ترى ، وقد كان الكثير منها، ان لم نقل اكثرها،من السريان اليعاقبة والناطرة ، ومن اليهود ، ومن القبط ، ومن الموالي — مرتباً ذلك على ثلاثة اقسام : الأسر الطبية في الشرق ، الأسر الطبية في الغرب والاندلس ، اشهر المؤلفات الطبية ولاسيما المخطوطات ، مزيناً هذا القسم الاخير بصور بعض الاعضاء ورسوم بعض الآلات الجراحية القديمة . وقد اعاد النظر فيها وطبعها،

على نفقة الدكتور سامي حداد ، معنا فائدتها على كل من تهمهم هذه الابحاث، فيشكرون للاستاذ عنايته وجلده ف . ا . ب .

الزراعة العملية الحديثة

تأليف مصطفى الشهابي

قطع ٨ ص ٥١٥ ، مطبعة الاعتدال ، دمشق سنة ١٣٥٤ هـ . و١٩٣٥ م ، ثمن النسخة ٢٠٠ مل .

مؤلف الكتاب عضو المجمع العلمي الدمشقي ، ووزير المعارف، ومهندس زراعي ، فله من دروسه ووظائفه التضلع والخبرة والكفاءة لوضع الكتاب ، فاتى به مجارياً خيرة ما ظهر من امثاله اخيراً في الاقطار الناطقة باللغة العربية .

يحب المؤلف التغني بامجاد العرب في فن الزراعة ، ومبرّرٌ لكلامه المثل السائر : « ان ما يعشقه الفؤاد لا يملّه العقل » ، ومن المعلوم ان كل نظرة اجمالية في تاريخ بلاد امتدت اراضيها من الصين الى الاندلس الجأت الى التمييز بين عناصر وشعوب لم تمتّ الى العنصر العربي مثاً يمكن من نسبة اعمالها الى العرب . . . ولكن لا لوم علينا في تشجيع الزراعة بشيء من المبالغة، والكتاب ليس تاريخياً ، وانما غايته تقريب العلوم الزراعية الحديثة من فهم ارباب الصناعة والزراعة .

قسم المؤلف الى دروس في الزراعة العامة ، اتى فيها بالبحث عن تكوّن الاتربة الزراعية وتركيبها وخصائصها ، وعن الاقاليم الزراعية السورية ، ثم عن حياة النبات والاعمال الزراعية والاسقاء والاسمدة ، وعن جيولوجية الشام ، وعن الدورة الزراعية وتعاقب الزروع ، ثم انتقل الى الكلام في الزراعة النوعية ثم الزراعة في الارض اليابسة ، له في الكتابة على البلاد الشامية صفحات شائقة ممتازة ، فيجب الى القارئ مطالعتها . وراقنا في الكتاب تقطيع البنود وتفصيل المواد بتخطيط عناوينها ، فيهتدي اليها القارئ بسرعة . فنرغب له الرواج في دور التعليم وبين ايدي المزارعين خاصة .

ف . ت .

الخواطر

خطب ومقالات في الاجتماع والسياسة ، بقلم ابراهيم ابي خاطر

٢٨٦ ص ، قطع ٨ - طبع لحساب جريدة زحلة الفتاة ، زحلة ، ١٩٣٥ - ثمن النسخة : ليرة ل .

جمعنا بيتٌ كريم في احدى مدن البقاع ، منذ سنوات ، باحد الادباء . فسمعناه يتحدث الينا عن ذكريات صباه ، وعن كبار رجال تلك البلاد . فلما انتهى الكلام الى اسم المرحوم ابراهيم ابي خاطر قال : كان ذلك الرجل من اهل الزعامة المعدودين في زمانه بين المسيحيين من اهل زحلة .

ولما ظهر هذا الكتاب بهمة وعناية الاستاذ يوسف ابي خاطر ، نجل الفقيد ، وأهدي الى المكتبة الشرقية ، وجدنا فيه ذكرى الخلف الصالح السلف النبيل . يحوي الكتاب بياناً اتى فيه الجامع الاديب على بسط الاسباب التي دفعته الى نشر آثار ابيه ؛ وهي ، مع العاطفة البنوية المقدسة ، الرغبة في افادة القراء ، باطلاعهم على ما كتبه المرحوم من خطب وابحاث ، في السياسة والادب ، كانت الايام قد حالت دون نشرها . اما اليوم ، ويتمتع الناس بحرية النشر والكتابة ، فها هي مدونة ، وعناوينها الشائقة تدعو الى مطالعتها . وحسبنا ذكر اسماء الجريجيري وفرنكو باشا ، وغورو ، لنفهم ان مواد الكتاب تشمل المواضيع الخطيرة الجديرة بان تؤرخ .

اضف الى ذلك ترجمة الفقيد ، بقلم الاستاذ عيسى المعلوف ، ومقدمتين : الاولى لخليل بك مطران ، والثانية للاستاذ شبل دموس ، فترى الكتاب شاهداً على حياة جيل جاهد في سبيل البلاد العزيزة .

– ابراهيم بن يوسف ، الملقب بابي خاطر ، من آل لطيف الحاج نعمة ، وُلد في زحلة في ٢٢ حزيران ١٨٦٩ . درس العلوم في المدرسة الاسقفية في بلدته ، ثم في المدرسة البطريركية في بيروت على الشيخ خليل اليازجي . دخل عضواً في جمعية طلب المعارف الزحلية التي اسسها الجريجيري ١٨٨٤ ، للتمرن على الانشاء والخطابة . تكلم امام جمال باشا ، سنة ١٩١٦ ، ودافع عن السوريين ، وخدم البلاد مفتشاً في المجالس البلدية في لبنان ، وقائمقاماً في زحلة ، اولاً ١٩٠٣ ، وثانياً ١٩١٣ ، وثالثاً ١٩١٨ ، وعضواً في لجنة لبنان الكبير الادارية ١٩٢٠ . وفي السنة ١٩١٢ انشأ جريدة « الخواطر » ، واسس لها مطبعة . وتوفي رحمه الله ، في ٣ اذار ١٩٢٣ .

ف . ت .

نهاية الارب في فنون الادب

تأليف شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب النويري

السفر الحادي عشر من ٢٢٠ قطع ٤ ، القاهرة، مطبعة دار الكتب المصرية ، ١٩٣٥

هو الجزء التابع لما نشرته دار الكتب ، ووصفه « المشرق » ، سابقاً ، من هذا المؤلف الجليل ، وحسن اتقان طبعه والعناية به ، فكان لائقاً باصله الكريم وبالدار التي استحقت لقب « مركز الثقافة العربية المصرية »

ان النسخ التي طبع عنها هذا الكتاب أُخذت بالتصوير الشمسي . الاولى نسخة (ا) كتبت سنة ٩٦٦ هـ. والثانية (ب) نسبت الى خط المؤلف سنة ٩٢٢. اما الثالثة (ج) فناقصة . و«ليس التحريف والطمس والنقص في احدى هذه النسخ الثلاث باقل من الآخرين »، فكان من مهمة الناشر ان يصلح التحريف ويكتمل الناقص ، ويضبط الملتبس ، ويفسر الغريب ؛ واعتمد في العمل كتباً عديدة ذكر مصادرها ، وهي تشمل المؤلفين منذ الكتبة المصريين الى عهد ابن وحشية والفلاحة النبطية.

للفن الرابع الذي خصصه النويري بالنبات اربعة اقسام : الاول يتناول اصل النبات وما تختص به ارض دون ارض والخضروات والبقولات. والثاني الاشجار فيقسمها فيما لثمره قشر لا يؤكل ، وفيما لثمره نوى لا يؤكل ، وفيما ليس لثمره قشر ولا نوى . والثالث الفواكه المشمومة. والرابع الرياض والاوطار والصموغ والامنان والعصائر . ويعالج المؤلف مواضيعه طبقاً للاسلوب الذي وصفناه سابقاً (المشرق ٢٨ [١٩٣٠] ١٣٢ . . .). فيروي اقوال القرآن والحديث وغير ذلك من اقوال حكماء العرب وعلمائهم وشعرائهم ، وكثيراً ما يستشهد بابن سينا في وصف الطب والعقاقير ، وبالثعالبي في تسمية الاشياء ، ويروي الخبر في موضعه ، ولا يستوحش المستغرب.

والكتاب مفيد جداً لارباب التاريخ الطبي، وهو مرجع لا بدّ من التعويل عليه في وضع قاموس اللغة العربية العلمي.

ن. ت.

زراعة الاشجار المثمرة

تأليف متري صائغ مهندس زراعي وعضو شرفي في اكادمي اورديش

قطع ٨ ص ٢٧٢ ، مطبعة العرفان ، صيدا

هذا كتاب علم وتاريخ وزراعة ، قال مؤلفه (ص ٨) :

« لما كانت بلادنا من احسن البلاد للزراعة نظراً لخصب تربتها وغزارة مائها وطيب هوائها واعتدال اقليمها ، وكانت حاوية على السهول الواسعة والاراضي الشاسعة ، كان تقدمها الحقيقي يتوقف على استخدام تلك البقاع واستخراج كنوز الثروة من احشائها. غير ان هذه الكنوز كامنة في تلك البقاع كون النار في الحجر . فلا تخرج منها الا بالعمل ، كما ان النار لا تخرج من الحجر الا بالقدح ».

فكانت غاية كتابه معالجة المشكل الزراعي في بلادنا من وجوه متنوعة ، واخصها العملية ، ومن اجل ذلك اكثر من التعليمات التاريخية، والصور المساعدة على فهمها ، واردف الالفاظ الفنية والاصطلاحات العلمية بحرفها الافرنجي ، وتعريبها ، وغرضه اصابة العقول ممن تعلموا وتثقفوا ورغبوا في احياء اراضيهم واستثمار غلاتها بالبركة. وهذه الفئة الراقية من سكان البلاد ومالكيها سوف تسيغ كتاب الزراعة هذا وتستفيد منه خير الفوائد ، فتنتبه بطالته الى كيفية اكثار الاشجار المثمرة بالبذر والتمقيل والترقيد والتطعيم ، والى انشاء المغارس والبساتين وغرس الاشجار والتقليم ؛ وتفطن الى اسباب قلة المحصول وطرائق جني الاثمار وحفظها ، ومن ثم تنتقل الى درس البستنة الشجرية الخاصة من اشجار ذات العجم والاشجار ذات البذور الصغيرة والاشجار ذات الثمار العنبية واللحمية ، وذات الثمار اليابسة ؛ واخيراً تتعلم من هم اعداء الفلاح ومن هم اصدقاؤه من حيوانات ضارة او نافعة. فنشكر للمؤلف همته الشماء وغيرته على مصلحة البلاد، ونتمنى لكتابه ان تتداوله ليس فقط ايدي المزارعين والملاكين، ولكن ايدي الطلاب في المدارس ايضاً.

ف.ت.

اوراق البردى العربية بدار الكتب المصرية

جمعها وعلق عليهـا ووصفها بالانكليزية ادولف جروهمان ، استاذ اللغات السامية وتاريخ الثقافة الشرقية بجامعة براغ التشيكوسلوفاكية ؛ واشترك مع المؤلف في نقل الكتاب الى العربيـة الدكتور حسن ابراهيم حسن ، استاذ التاريخ الاسلامي المساعد بكلية الآداب بالجامعة المصرية ؛ وراجع الترجمة الاستاذ عبد الحميد حسن ، المفتش بوزارة المعارف.

السفر الاول: يشتمل على بعض الطرز والوثائق الفقهية ؛ وبه ٢٠ لوحة
القاهرة ، مطبعة دار الكتب المصرية ، ١٩٣٦

من الاسماء المذكورة في عنوان الكتاب ، دليل على العنـاية البليغة التي ابرزت الى العالم العربي هذا السفر الجليل ، وهو يضاهي خير ما ينشر الافرنج من امثاله في هذا الصنف.

كان الدكتور برنهارد موريتس ، مدير دار الكتب المصرية سابقاً ، قد اقتنى للدار مجموعة اوراق بردى لها من القيمة الاثرية ، مع ما كان في المكتبة من الآثار ، ما لاق بالقاهرة مركز الثقافة الاسلامية ؛ فنشر العلماء شيئاً منها ؛ ولكن لم تنشر تلك الاوراق كلها بالصور الشمسية ، وليس لنصوصها مؤلف خاص.

فكانت الغاية من هذا الكتاب القيام بذلك العمل الخطير ، ونشر ٢٦٦ قطعة بالطبع مصححة ، و٢٠ لوحة بالتصوير الشمسي. ولم يتم ذلك الا بمساعدة من رفاهم الناشر حقهم من الثناء ، ومنهم الاستاذ مزاريك ، رئيس جمهورية تشيكوسلوفاكية ؛ ومحمد اسعد براده بك ، مدير دار الكتب ، والدكتور شخت ، وغيرهم.

يُقسم الكتاب الى طُرُز ، والى وثائق فقهية. فالطرُز منها مؤرخ باللغتين اليونانية والعربية ، ومنها بالعربية فقط ، واقدمها سنة ٨٦ — ٩٦ هـ. (٧٠٥ — ٧١٥ م.) ، في عهد الوليد بن عبد الملك الاموي ؛ اما الوثائق الفقهية ففيها ١٠

يخص العتق والزواج والميراث والملك والبيوع

وقد أعجبنا بطريقة وصف المؤلف الدقيق. فانه وضع لكل قطعة رقماً كعنوان لها ، ثم عرّف فحواها وتاريخها ، ثم وصف ورقها ، ولونه ، ونوعه ، وسكه ، وطوله ، وعرضه ، وحبر كتابته ، وخطه هل هو بيد مسرعة ، او بيد واحدة او اكثر ؛ وهل طويت الورقة ، وكم لها من طيات ، وما هي قياساتها ؛ واين كشفت الوثيقة ، ومتى ؟

ثم تطرّق الناشر الى تحصيل الاصل ، وطبعه بكماله ، ليكون مفهوماً . امكنه ذلك ، مشيراً بالعلامات المصطلح عليها في مؤتمر المستشرقين ، سنة ١٩٣١ ، في علم اوراق البردى لنشر النصوص وجعلها سائغة مألوفة.

ولما كان التشوّق في كثير من الاحايين مدعاةً الى التعويض عن نواقص الحروف او الالفاظ ، بما يهتدي اليه الناشر من المقابلات بين هذا وذاك من النصوص التي تشبهه ، فقد بذل الناشر وسعه في معالجة الامر ، ولم يهمل نقطة او علامات الا اهتمّ بشأنها ، فاخرج من اجتهاده ايضاحات عجيبة يوفق بها القارئ الى فهم معاني النص في زمانه ومكانه . وناهيك ما لهذه النصوص من القيمة التاريخية ؛ وهنيئاً لبلاد بلغ فيها الرقيّ العلمي ما بلغت اليه البلاد التي نشر فيها من امثال هذا السفر ، وهو حلقة رابطة وبرهان جديد على ان العمل العلمي في هذه الناحية الوعرة لمستحيل دون تعاضد بين الشرق والغرب.

ف.ت.

الفارس الشاب

تعريب نلي نقادي

١٠٢ ص. قطع ١٢ – مصر ، جمعية نشر المعارف المسيحية ، ١٩٣٥

يدور موضوع الكتاب حول مجازفات فرسان «المائدة المستديرة» ، وخصوصاً حول مجازفات فرد منهم ، هو « الفارس الشاب » جلاهاد . وقد وفقت الانسة المعرّبة في تجريد اسلوبها من الصبغة الاوربية لولا بعض هفوات نأخذها عليها في تركيب بعض الجمل من مثل : « كلا ! فقط الى ان نتناول شيئاً من

الطعام وتأخذ قسطاً من النوم » (ص ٧٣). وعدا ذلك فانها جديرة بكل تشجيع ، فعساها تتابع تعريب مثل هذه الكتب التي تعود بالفائدة الكثيرة على النشء الجديد ، اذ تقوّي فيهم روح الفضيلة من جهة ، وتساعدهم على تقوية مخيلتهم من جهة أخرى. ا.ط.

تقويم البشير للسنة ١٩٣٦

٢٦٤ ص. متوسطة – بيروت، المطبعة الكاثوليكية ١٩٣٥ – الثمن: ٢٥ غرشاً لبنانياً سورياً

لقد اشتهر هذا التقويم شهرةً دفعت بعض صحفنا الكبيرة الى تسميته « دائرة معارف صغيرة ». وتمم الاسم ، اذا عرفنا انه يجمع في الحجم اللطيف اكثر مما يحتاج اليه المثقف في بلادنا من معلومات طقسية ودينية وادارية واجتماعية واقتصادية وتاريخية عن لبنان وسورية وسائر المناطق الواقعة تحت الانتداب الفرنسوي يزيّن كل ذلك خرائط متنوّعة بعضها ملوّن ، وصور انيقة لاجمل مناظر البلاد.

* الكهنوت الكاثوليكي * رسالة عامة للبابا بيوس الحادي عشر ، ٥٠ ص. قطع ٨ ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ١٩٣٦ – الثمن: ١٠ غ. ل. س.

* في محبة القريب * رسالة رعائية للبطريرك انطون بطرس عريضه ، ٤٥ ص. متوسطة ، مطبعة المرسلين اللبنانيين ، جونية ١٩٣٦

* استشهاد بولس الرسول * مأساة تمثيلية بثلاثة فصول ، للغوراسقف بطرس حبيقة ، ٦٢ ص. قطع ١٢ ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ١٩٣٥

* تقويم الهلال * وهو جامع لاخبار السنة وحوادثها وتطوراتها ، مصوّر ، مصر ، دار الهلال ١٩٣٦

* دموع الاسى والالم * على المرحومة رمزا لطفي ، قرينة الدكتور لطف الله لطفي ، وكريمة المرحوم جرجس عساش ، ١٨٨٩ – ١٩٣٥ ، ٦٩ + 48 ص. قطع ٨ ، مطبعة القديس بولس ، حريصا.

* الف حزوره وحزوره * لجوزف وحيد غريبه ، كراس ٢٦ ص. قطع ٨ ، المطبعة المارونية ، حلب.

* فهرس مكتبة حامد عجان الحديد ، بحلب * للسنة ١٩٣٥ – ١١٢ ص. متوسطة.

المشرق

السنة الرابعة والثلاثون — نيسان — حزيران ١٩٣٦

دمشق الشام

لمحة تاريخية

منذ العصور القديمة حتى العصر الحاضر

بقلم جان سوفاجيه

كان الاستاذ سوفاجيه قد القى في ٦-٩ ايار ١٩٣٥ ، برعاية معهد الدروس الاسلامية ومعهد الفن والآثار القديمة في باريس ، ثلاث محاضرات في تاريخ دمشق منذ العصور القديمة حتى العصر الحاضر ؛ فرغبنا اليه في تعريبها ونشرها على صفحات « المشرق » ، مناسبة لافتتاح معرض دمشق ، فأذن راضياً ، وباشرنا العمل شاطرين . وها هي مواد المحاضرات الثلاث تنشرها مجردة من ذكر المصادر ، خالية اجمالاً من اساليب المناقشة . وما ذاك الا لان المؤلف يُعد ، في الموضوع نفسه ، دروساً اوسع واعمق ستظهر حافلة بكل ما تتطلبه طرق النقد العلمي.

ف. ا. ب.

تمهيد

مَن يقابل بين سورية وسائر البلدان التي دخلها العرب ، على اثر الفتح الاسلامي ، لا يلبث ان يرى سورية تمتاز بانه لم يُنشأ فيها ، منذ ظهور الاسلام ،

مدينة واحدة نالت اهمية جديرة بالذكر . وان المدينة الوحيدة المنشأة بكلها في الاراضي السورية ، وهي الرملة التي مصّرها سليمان بن عبد الملك ، لم ترتق يوماً الى مصاف الحواضر المهمّة.

وذلك ان سورية عرفت ، في العصور التي تقدّمت الفتح العربي ، تمصيراً مزدهراً متتابعاً تشهد له مدنها المشهورة من امثال صور وصيدا واورشليم ودمشق وانطاكية وتدمر وغيرها . حتى انها فاقت بهذا الازدهار الحضري سائر البلاد الاسلامية ، لا نكاد نستثني منها الّا تركية . اما السبب في هذه الظاهرة فتكوين البقعة الجغرافي من جهة ، وقد قسمتها الطبيعة « بلداناً » متنوّعة ، يفرض كلّ بلد منها وسطاً تجارياً وسياسياً ؛ ومن جهة اخرى تفاعل العوامل التاريخية في تلك البقعة الواقعة بين مصر والجزيرة ، بين منطقتين مشهورتين بخصب ارضها حتى انها اصبحتا من مراكز المدنية العاملة ، منذ فجر التاريخ . فكان لسورية ان تنيل جارتيها الغنيّتين الموادّ الطبيعية الاولى التي تنقصهما كخشب البناء والمعادن وما شاكل . فنشأت فيها التجارة والصناعة ، اولى مظاهر التحضّر ، ولم تلبث مدنها ان ازدهرت منذ العصور الاولى .

ومما يجدر بالملاحظة ان قدم هذه الحركة الحضرية في سورية جعل للجماعات الاسلامية فيها صفةً خاصّة . فبينما نرى ان القيروان والبصرة لم تخرجا بعد من حيّز العدم ، زمن الفتح العربي ، نجد دمشق واورشليم على ماض عريق في القدم . وهكذا بدت المدن السورية مختلفةً اختلافاً جوهرياً عن مدن المغرب حتى امكن احد الجغرافيين ان يقول عن مكناس انها اقرب الى شيكاغو منها الى دمشق . ذلك ان المظهر الاسلامي في المدن السورية كان نتيجة تطوّر متتابع مدة القرون العديدة . ولا بدّ من الوقوف على تفاصيل هذا التطوّر لنفهم ميزات تلك المدن ، بل لنفهم ، الى حدّ ما ، تطوّر مدن القرون الوسطى نفسها .

وان للمدن السورية ، فوق ما تقدّم ، لفائدة اخرى . وهي انها كانت ، على ما نرى ، ذات أثر يُذكر في نشأة المبادئ الحضرية التي تطوّرت بموجبها مدن اسبانية والمغرب . ولا يخفى انه في سورية ، لا في مصر ولا في العراق — ذينك البلدين الزراعيين اصلاً — امكن العرب ان يتصلوا اتصالاً وثيقاً بالمجتمعات

الحضرية الجديدة باسم « المدن » الا وهي المدن الرومانية . فتأثروا بترتيبها وبنظامها ، واستوحوا منها في منشآتهم . يدلّ على ذلك تصميم مدينة الرملة ، وهي مربّعة الزوايا يقسمها شارعان اساسيان يقتطعان في الوسط على زاوية قائمة ويحيط بكل منها سياطان من الحوانيت . بل قد يكون العرب تأثروا بدائرة المديرية الحضرية الرومانية في القسطنطينية مثلاً ، فقلدوها في انشاء دائرة « المحتسب » . واذاً فان لنا ملء الحق بالقول ان بعض ميزات المدن المغربية ، التي تظهر اصلاً غريبة عن شاطئ المتوسط الغربي ، كالقيسارية مثلاً ، ان هي الا ظاهرات سورية نقلها الامويون الى الاندلس اولاً ، ومنه انتقلت الى افريقية الشمالية .

وعليه فلا يمكننا ان ندرس المدن السورية باسلوب تلخيصي سطحي قد يمكننا ان نسير عليه في درس سائر المدن الاسلامية .

اما اختيارنا دمشق مثالاً للمدن السورية فيبرره الاعتبارات التالية :

١ً ان مدن الساحل تتصف بصفات خاصة من حيث انها مرافئ بحرية ، ومن حيث مركزها في عالم البحر المتوسط . ثم لا يخفى انها اكتسحت وأخربت مرات عديدة ، بل ان بعضها نقلت عن مركزها الاصلي كما جرى لطرابلس ، حتى اصبح من الصعب على الدارس ان يتتبع ظواهر تطورها بالوضوح الكافي .

٢ً اما مدن الداخلية الصغيرة كحمص وحماه والمعرة وغيرها ، وكلها جديرة بالدرس لعراقتها في القدم ، فليس لنا من المصادر القديمة ما يسهل علينا وضع تاريخ لها .

٣ً بقيت المدن الثلاث الكبيرة التي تتوافر بشأنها المعلومات التاريخية ، وهي اورشليم وحلب ودمشق . اما اورشليم فصرفنا النظر عن اختيارها بسبب مركزها الديني الخاص ، وبسبب احتلال الصليبيين اياها ، فزيادة فصل جديد في تاريخها الصعب المعقد . اما حلب ودمشق فقد اخترنا منهما الاخيرة لأنها لم تزل ، منذ الفتح العربي ، عاصمة سورية . وهكذا فان تأثير العوامل السياسية ، الآتية بالصلة القومية الى التاريخ الاسلامي العام ، يظهر فيها على وضوح اتم منه في ظهوره في حلب .

موقع دمشق

تقع دمشق تقريباً على الدرجة الواقعة عليها فاس من العرض ، وعلى علوّ ٦٩٠ متراً عن سطح البحر ، عند اقدام المنحدر الشرقي لانتيلبنان ، في اصل تلك السهول الفسيحة الممتدّة شرقاً وشمالاً بشرق حتى الفرات ، وجنوباً حتى قلب جزيرة العرب (الرسم ١) . وبقمتها قاسية جافية لا تظهر ، لاول وهلة ، معدّة لازدهار المدنية فيها . ذلك انها ، على الرغم من قربها للبحر (١٠٠ كيلومتر) ، تشارك صحارى بلاد العرب الشمالية في مناخها الجافّ ، لان قمم لبنان وانتيلبنان الشاهقة تؤلف حاجزاً متتابعاً يمنع عنها غيوم البحر المتوسط، فيخفّف كثيراً من حركة الامطار ، حتى تُصبح على غاية من الشذوذ ، سواء أنظرنا الى توزيعها على ايام السنة أم الى كميّتها (الرسم٢) وهي ، على ايّ حال، لا تتجاوز كميتها ٢٥٠ الى ٣٠٠ مليمتر ، ولا تتسع ايامها الى ما وراء الثلاثة الاشهر تقريباً . اما الربيع والخريف فقصيران يأكل منهما الصيف السودي القاسي ممتدّاً من نيسان الى تشرين الثاني ، متّصفاً بجفاف تامّ تتجاوز فيه الحرارة النهارية ٣٥ درجة في الظلّ ، ويزيد وطأته شدةً تلك الرياح الغربية العاصفة التي يستدعيها الفراغ الهوائي في الصحراء العربية . وعلى الجملة فان مناخ دمشق يتصف بدورين متميّزين : دور شتاء تصير جدّاً قليل الامطار ، ودور جفاف طويل تختلف حرارته كثيراً بين الليل والنهار . فهو مناخ الصحراء يلطّفه، بعض الشيء ، ارتفاع الموقع ، وقربه من البحر .

ومن ثمّ فلم يكن من المنتظر ان نرى ، في هذه المنطقة ، من النبات ما يكفي بكميته ، وخصوصاً بدوامه ، للقيام بحياة الحيوان والانسان . بيد ان الانسان توفّق ، فانتزع من القفر بقعةً صغيرة جعلها من اغنى المناطق الزراعية في آسية الغربية ، مستغلاً ، في ذلك، على افضل ما يمكن من الاستغلال ، مواهب عقله وعزيمته ، مستفيداً من النعمة الوحيدة التي منّت بها الطبيعة على تلك المنطقة ، الا وهي كثرة المياه، هي النهر المتدفّق من الجبل على علو ١١٠٠ متر .

يخرج النهر من انتيلبنان ، فيسير اولاً في وادٍ ضيّق ، (الرسم ٤) ثم يتسلّل

الرسم ١ – موقع دمشق

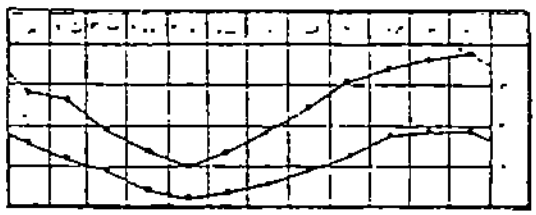

معدّل الحرارة

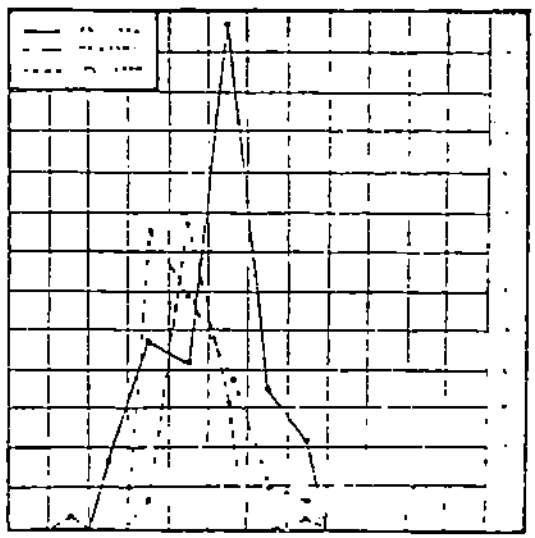

معدّل الامطار

الرسم ٢ – مناخ دمشق

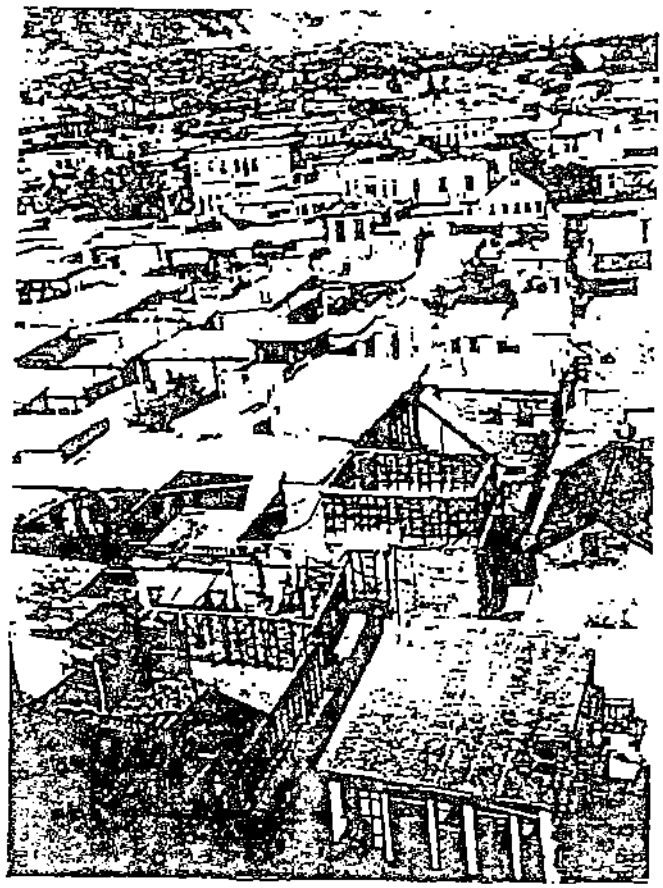

لوحة ٣

من مناظر
دمشق القديمة

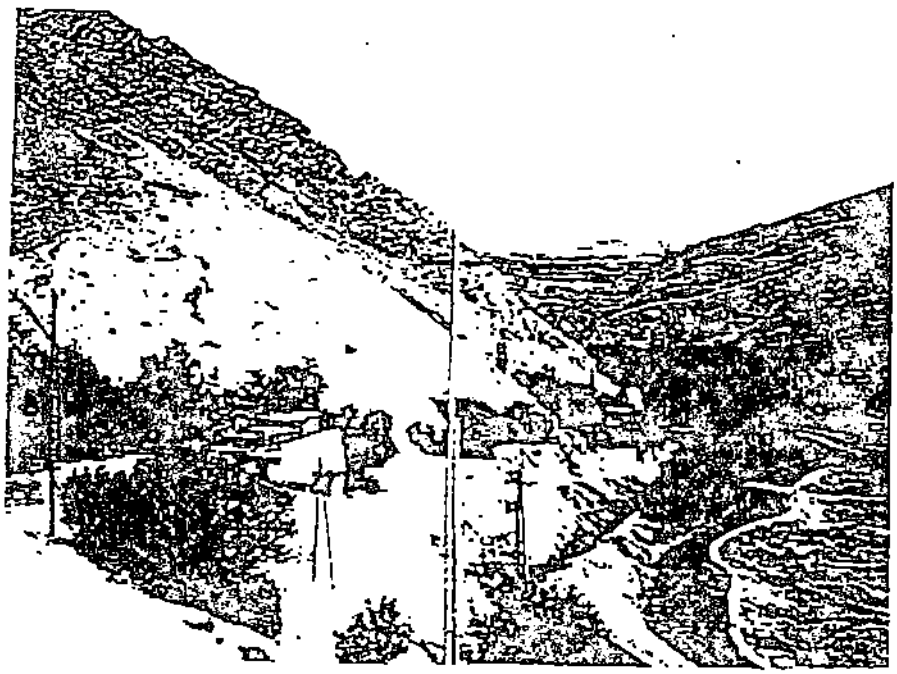

لوحة ٤ – وادي بردى في دمشق

الرسم ٥ و٩ – من تفرّعات النهر في مدخله الى الواحة – وفي وسطه القناة القديمة المعروفة نهر بانياس او « أبانة »

الرسم ٦ – من مناظر الواحة في سفح الجبل

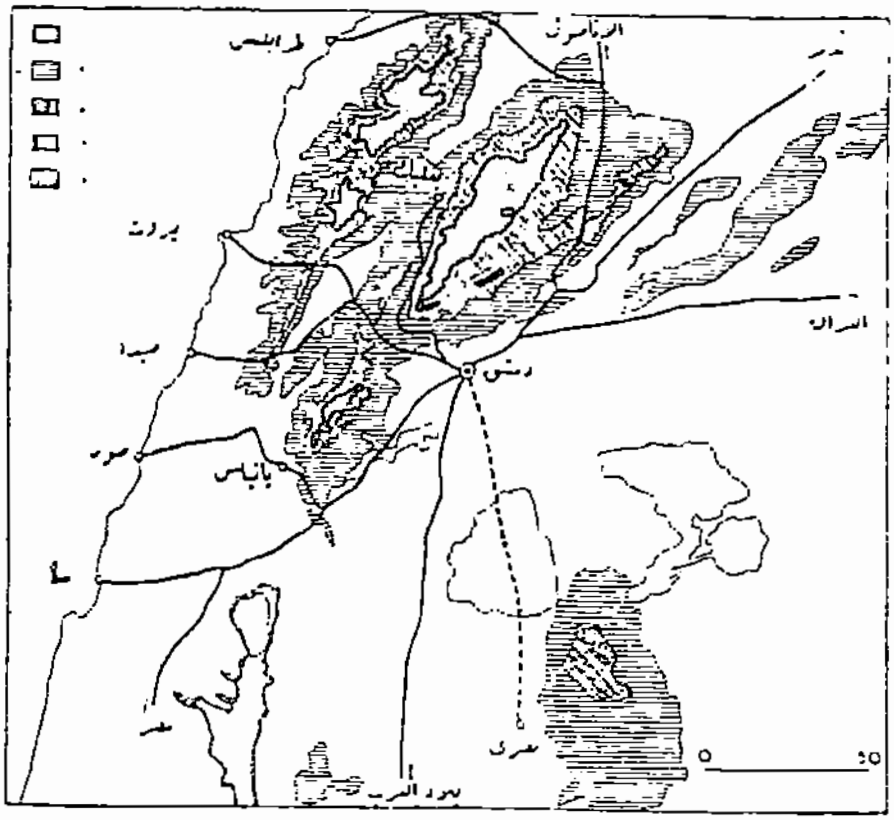

الرسم ٧ – الطرقات حول دمشق

١ – منخفض الاردن
٢ – من ١٠٠٠ او ١٥٠٠ متر
٣ – من ١٥٠٠ الى ٢٠٠٠ متر
٤ – فوق ٢٠٠٠ متر
٥ – حرات بركانية

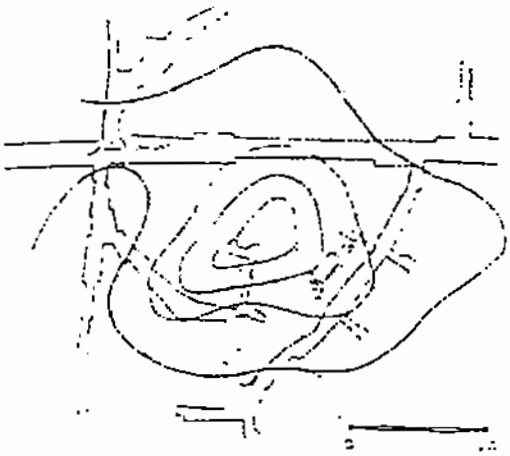

الرسم ٨ – الشيخ [illegible]

الى السهل، حتى يتغلغل بعيداً في الصحراء ، فتبتلعه الرمال في قعر صحن رحيب يملأه بالمستنقعات الفسيحة . ولقد كان في علو مخرجه واتجاه واديه في القسم الاعلى من المجرى ، ما يجعل له صفة السيول المندفعة في الشتاء مياهاً متدفقة باردة ، الجافة في اكثر ايام السنة ، لو لم يمده ، على نحو عشرين كيلومتراً قبل دمشق، ينبوع فياض يغدق فيه ، ايام الشحائح ، مقدار خمسة امتار مكعبة في الثانية . وبفضل هذا الينبوع الدائم ، اصبحت الحياة ممكنة في تلك البقعة للنبات والحيوان ، وبالتالي للبشر ، على رغم قلة الامطار واضطراب مواعيدها. بيد ان الوادي ما كان ليتجاوز مظهر الشريط الضيق من الخضرة وسط تلك الصحاري الجرداء المحرقة ، لولا دهاء الانسان وجده في العمل على انشاء طريقة للري دقيقة التصور (الرسم ٥) تحمل الماء بعيداً عن مجرى النهر ، فتروي برطوبتها المحيية تلك الارض الظمأى فتجعلها قابلة للزراعة موجدة واحة اصطناعية يبلغ طولها العشرين كيلومتراً. (الرسم ٦)

ويوافق ذلك المناخ مزروعات البحر المتوسط كالقمح، والزيتون ، والكرم، والرمان . بيد ان وفرة المياه توجه الزراعة الى ناحية اخرى فيصبح اكثر نباتها من الاشجار المتعودة الرطوبة الدائمة في المناطق الشمالية كالمشمش ، والجوز ، والاكيدنيا ، والحور ، والصفصاف، والدلب. ولكن الشتاء القاسي، وهو نتيجة ارتفاع البقعة ، يحول بينها وبين زرع الليمون والنخل.

وهكذا تزدهر تلك الواحة بالمزروعات المتنوعة ، فتأهل ضواحيها بالسكان. على ان استنقاع المياه في البرك العديدة المهيأة لري البساتين يسهل انتشار مرضين هائلين هما الحمى التيفية ، والبُرَداء.

وهناك غير ما تقدم من مساوئ موقع دمشق . فليس في تكوين الارض عقبة واحدة جديرة بان توقف سير المكتسح ، وتضمن للحامية الظهور عليه . ثم ان الطريقة التي اتسمت بموجبها مدينة دمشق ، مهما تكن طبيعية معتدلة ، فانها تسهل على المكتسح ان يقطع الماء على القسم الاكبر من السكان.

وعلينا ان نشير كذلك الى خلو المنطقة من حجر البناء . فان المدينة القائمة على بسائط من الحصى التي يجرفها النهر ، لا يمكنها ان تستخدم من مواد البناء

الّا صلصال الارض وجذوع حور الوادي ، وهي موادّ ضعيفة ، بعيدة عن الجمال.

واهم تلك النواقص صعوبة المواصلات بين المدينة والبحر (راجع الرسم ٧). كيف لا ومن شاء قطع الحاجز الجبلي المزدوج في لبنان وانتيلبنان عليه ان يقطع إما الثنايا المرتفعة المغمورة بالثلج كل شتاء ، او الاودية الضيّقة العميقة ؛ وكلها طرقات صعبة في كل زمن ، بل انها لا تنقطع على مدة من السنة . اما الى الشمال والشرق والجنوب ، وهي الجهات المطلقة ، فالمواصلات صعبة كذلك لا تسهّل حركة للمبادلات شديدة. وسبب ذلك تلك الحرّات المنبسطة في بعض المناطق ، ونقص الماء طول الطريق ، والخوف الدائم من هجوم لصوص البادية. فان تكن دمشق ، في هذه الاحوال ، قد صارت مركزًا تجارياً فانما كان ذلك لأنها سوق لمنطقة زراعية ، ولأنها مركز صناعي مهمّ . فهي مدينة في ازدهارها لهذه الصفة المزدوجة اكثر منها لموقعها الجغرافي . واذًا فان اهمية المدينة هي التي عزّزت حركة الاخذ والعطاء ، بضدّ ما نراه في غيرها من المناطق.

اما صعوبة اتصالها بالبحر فقد نتج منها ان مصير دمشق تعلّق بمصير الشرق خاصّة ، فانحرفت عن البحر المتوسط ، وغدا تاريخها يهيمن عليه البدوي . واذا بهذا يظهر فيه ، وفقاً للحوادث المتقلّبة ، تارةً صعلوكاً جائعاً عرياناً يروعه جوّ المدينة ولكنه يضطرّ الى دخولها ، فيبدل بمنتجات ماشيته ما يحتاج اليه من الحبوب والسلع ، وطورًا سيّدًا عاتياً جشعاً مخرّباً . وهكذا فان وجود البدو على ابواب دمشق وفّر لها منافع جمّة ، ولكنه وفّر لها كذلك مخاطر مقلقة. وهو ما انتبهت له السلطات المتتابعة على حكم المدينة.

المدينة الاولى

من الطبيعي ان لا يكون لدينا نصّ اكيد على عهد تأسيس المدينة ، ولا على الحوادث التي احاطت بنشأتها.

بيد ان الاشارات الاولى الى دمشق في النصوص المصرية والاشورية تظهر لنا المدينة مركزًا اقتصاديًا وسياسيًا ينال اهميته ، دون شك ، من خصب الواحة المحيطة بها . ولا يخفى ان هذا الخصب مرتبط ارتباطاً وثيقاً بالري ،

والري وحده يضمن الحياة الدائمة للنبات في ارض تحرقها الشمس مدة ثلاثة ارباع السنة . فيلزمنا اذاً الاقرار بان تفرّعات النهر العاملة على ازدهار تلك الواحة كانت موجودة ، إمّا بشعبها المهمة او بقسم منها ، منذ منتصف الالف الثاني قبل المسيح على اقل تقدير . ولا يهمّ بالنسبة عن فقر المعدّات في تلك العصور ، ولا يُعرف منها الّا الحجر ، والخشب ، والبرونز على مقدار ما . ولنتأمل الآن بطريقة الري وما تظهر عليه من تشعّب وتركيب ، وما يفرضه تصوّرها وحده من معرفة واسعة بنواميس المائيات الاساسية . ولنجرّب ، بعد هذا ، تخمين القرون التي مرّت قبل ان يتوصّل الانسان الى إحكام العلم وامتلاك المعدّات الضرورية في سبيل تشعيب مياه النهر ؛ فيبدو لنا ازدهار منطقة دمشق الاقتصادي ، كما تبدو لنا عظمة المدينة نفسها في آخر الالف الثاني قبل المسيح ، ثمرة الجهود المتتابعة دون انقطاع مدّة الالوف من السنين ، وبالتالي نهاية تطوّر طويل بطيء .

وقد نتمكّن من رسم الخطوط الاساسية لهذا التطوّر ، اذا ما استندنا الى خصائص المدينة الجوهرية في القرن الحادي عشر قبل المسيح . ونحن نعرفها في هذا القرن معرفة تاريخية واضحة بفضل النصوص الواردة في العهد القديم .

تبدو دمشق ، في هذا العهد ، مدينةً ذات اهمية تتجاوز البيئة القريبة المجاورة ، حتى انها تظهر في المسرح الدولي فتمثّل دورها في مصير الشرق الادنى بكامله . كانت دمشق ، اذ ذاك ، عاصمة المملكة الارامية . وهذه المملكة اعظم دولة في سورية ، ذات منعة وسطوة ، تفرض ارادتها في اكثر الاحيان على مملكة اسرائيل المجاورة ، بل انها كانت تقاوم دولة الاشوريين نفسها ، وتنتصر عليها مرّات . وقد قرنت هذه السطوة السياسية بالازدهار التجاري ، متّصلةً بفينيقية وبلاد الجليل مصدرةً اليها القمح والخمر . وكانت ، فوق ما تقدّم ، مركزاً دينياً يتسع هيكلها بنفوذ لم يفقده الّا في اواخر ايام الوثنية .

وعلى ما نشعر به من عوز للوثائق الاصلية المباشرة ، فاننا نتمكّن من تصوّر مظهر هذه المدينة الارامية ، في صفاتها المهمّة على الاقلّ .

ونحن نعرف نواتها الاصلية وهي هضبة تقع في قلب المدينة القديمة ، مشرفة على الأرض المجاورة من ارتفاع يبلغ خمسة الى ستة امتار (الرسم ٨). ولما كان بعيدًا ان تكون هذه الهضبة طبيعيّة ، لزمنا ان نرى فيها «تلًا» ، اي واحدًا من تلك المرتفعات التي تكوّنها ، قرنًا فقرنًا ، آثار الابنية القديمة المتهدّمة ، وما يقام عليها من ابنية حديثة تُرفع على انقاض الاولى بعد ان يُسوّى سطحها . وانه لمن الصعب ان نقدّر قطر هذا التلّ الاصلي وقد تضخم شيئًا فشيئًا بارتفاع مستوى الارض المتتابع ، حتى ان ارض القرن الثالث قبل المسيح تقع على ثلاثة او اربعة امتار تحت المستوى الحالي . على انه من الراجح ان يكون هنا ، في هذا التلّ ، موقع قلعة المدينة الاولية ، وموقع قصر ملوك دمشق . يؤيد هذه الفرضية بعض التأييد ذلك الاسم التقليدي الذي كان عالقًا بهذه الناحية من المدينة ، زمن الفتح العربي ، وهو اسم «البريص» ، ومعناه «القلعة» ، واصله يوناني-آرامي نتحقق اثره في اورشليم حيث يدلّ على القلعة الانطونية كذلك .

ونعرف في دمشق ايضًا موقع الهيكل القديم حيث كان يُعبد الاله السوري الكبير هَدَد ، إله الصاعقة . وهو يقابل ، دون شكّ ، موقع الهيكل الكبير الذي بُني ، في العهد الروماني ، لعبادة جوبيتر ، وقد أُدمج بالاله هدد . نعرف ذلك من ان الهيكل السامي تحيطه عادةً منطقة تدعى «الحرم» ، فتجعله مستقرّ التخطيط ، ثابت الموقع . اما مظهره البنائي فسندرسه في ما يلي .

ثم ان لدينا معلومات دقيقة واضحة في ما يخصّ امر توزيع المياه الخطير ، وذلك بفضل حادثة نعمان الابرص الواردة في الفصل الخامس من سفر الملوك الرابع ، وفيها ذكر «لنهري دمشق : أبانة وفرفر» .

اما أبانة فمن الراجح انه المسمى «بنهر باتياس» ، وهو احد الاقنية التي لا تزال ، الى يومنا هذا ، تمدّ بالماء قسمًا من المدينة القديمة . يؤيد ذلك ان اسمه العربي القديم «باناس» قد يوافق النقل اليوناني «أباناس» للاسم الوارد في سفر الملوك . ثم ان تلك القناة ، بين سائر الاقنية المتفرّعة عن النهر ، تظهر اقصرها مدًى واسهلها حفرًا (الرسم ٩) ، وهو ما قد يرجّح قدمها . وهناك ،

فوق ذلك ، دليل جدير بالاعتبار على هذا القدم ، وهو ان القناة المذكورة تمدّ بالماء الهيكل والمدينة الاصلية .

اما قَزْقَز فقد لا يكون الا النهر نفسه أطلق عليه هذا الاسم لفورانه واندفاع تيّاره ، وفي الاسم ما فيه من الدلالة على حركة ناشطة أشرّة كحركة جناحي الطائر او « قَزْقزة » الفراشة .

وليس من شكّ كذلك في ان القناة التي ظلّ عالقاً بها الاسم الآرامي « نهر ثورا » او الثور ، كانت تمتدّ اذ ذاك في كنف الجبل . وهي اعظم الاقنية اهمية في ازدهار الواحة الزراعي مجرية ٢٤/١٤ قيراطاً من المياه راوية اكثر من ٦٠٠ هكتار .

وهكذا فان الهيكل والتلّ ، لاحقاً به القصر ، يمثلان المركزين اللذين تألف حولهما المجتمع الحضري . بيد اننا لا يمكننا تخمين مساحة المدينة لجهلنا تخطيط السور المحصّن الذي كان يحيط بها ، وفقاً للعادة المعهودة في ذلك العصر .

اما مظهر المدينة اذ ذاك ، على ما نتصوّره بالاستناد الى الوثائق الظاهرة من الحفريات ، فقد كان لا يفرق كثيراً عن مظهر القرى المجاورة اليوم ، وهذه قد نشأت وتطوّرت في الحالات نفسها . ويجب في ذلك ألّا ننسى ما تتصف به العوامل الطبيعية من الاستقرار التامّ ، وما يظهر عليه السكان المزارعون في كل مكان من العراقة بالقِدَم . وعلى مثال كل المجتمعات الحضرية المتكوّنة دون تصميم سابق ، كانت دمشق ، دون شك ، بعيدةً عن التنظيم والترتيب . فكان بناء البيوت ، وفتح الطرقات ، لا يعرف قواعد الا تلك التي تفرضها طبيعة الارض ، وحدود الملكية الخاصة ، واهواء الافراد . فليس من اهتمام بمظهر المدينة ولا بما يجب ان يتصف به من فنّ وجمال . ولعل هذه الاعتبارات من بنائي ذاك العصر ، وزيّ البناء العادي يصرفهم عنها ، ولا مادّة لهم الا الطين يستخدمونه تارةً دكّاً ، وطوراً لبناً غير مطبوخة يملأون بها خلايا هيكل يصنعونه من الخشب ، من جذوع حورات الوادي . وهي طريقة في البناء بسيطة ، قليلة النفقات ، لا تتطلب الا الموادّ الحاصلة بين ايديهم . ولا يخفى ان مثل هذه البنايات غير شائقة ولا ممتعة ، فلا تبدو لعين الناظر الا

مكعبات طامسة الجدران ، مطليتها بمزيج من التراب والقش المتقطع . وهي ، فوق ذلك ، عرضة للانهيار .

اما البنايات الكبيرة فقد كانت ، على الارجح ، مبنية على الطرق التقليدية نفسها التي رأيناها في البنايات الخاصة . ولكن هذه الاساليب الابتدائية في البناء لا تنفي بعض الترف كان يؤخذ به في تزيين داخلية البناية . ولقد كان في الهيكل مذبح على شيء من الجمال حتى ان احاز ، ملك يهوذا ، اخذ شبهاً عنه فبعث به ليوضع في هيكل اورشليم . ونحن نعرف شيئاً عن اثاث القصر وقيمته الفنية . وذلك بفضل اكتشاف اثري في الجزيرة اطلعنا ، في اطلال قصر اشوري ، على بقايا مهمة من محفة جليلة كانت للملك حازائيل الارامي (٨٤٤ – ٨١٢ ق.م.) . وفي تلك البقايا عدد يُذكر من الصفائح العاجية ، مزينة بالحفر وبالنقش الناتئ ، وبالتذهيب في بعضها ، وفيها صفائح من البرونز المتزل بالمينا . امّا عناصر الزخرف في هذه القطع الفنية فمأخوذة كلها إمّا عن مصر ، او عن أشور ، او عن مجموعة الفنّ الايجي . وبصرف النظر عن بعض التحويرات المميزة ، فان هذا العمل على توفيق النزعات الفنية لدليل على ان وراءه فكرةً فنيقية .

هذا مجمل ما نعرفه اليوم عن دمشق الآرامية .

***

بيد انه مهما تتصف به هذه المعلومات من غموض ، ومهما تستند اليه من فرضيات ، فانها كافية لترشدنا الى سبب وجود المدينة ، والى اتجاه تطوّرها ، مدة ألوف السنين السابقة ، تلك المدة التي لا تفيدنا عنها الاصول الادبية ولا الوثائق الراهنة . فيمكننا ، والحالة هذه ، ان نعيّن نقطة مهمّة هي موقع المدينة . ذاك الموقع الذي دلّ عليه مركزه الاصلي ، اي التلّ والهيكل ، والذي كان قائماً الى ضفة النهر ، لا في الوادي نفسه ، بل على مرتفع مشرف على قعر الوادي . وهو لا يكاد يختلف عن موقع القرى في المناطق الزراعية المستندة الى الريّ . فان كل بقعة من الارض قابلة للريّ في تلك المناطق ، اياً كان صغرها ، لأثمن من ان تُخصّ بغير الزراعة . ولهذا يمكننا

القول انه وُجد اولاً ، في هذا المكان ، قرية كانت تعيش من حبوب السهل، ومن محصولات الخضر المزروعة في قعر الوادي المرويّة بماء النهر على اساليب ابتدائية بسيطة . وهكذا ، على الارجح ، كانت نشأة مدينتي حلب وحماه . ولا يُعترض على هذه الفرضية بضيق الارض القابلة للزراعة على ضفتي النهر . فان كثيراً من القرى السورية لتغتبط اليوم لو كان لها مقدار تلك المساحة الضيقة من الارض الرطبة الخصبة ، وان كانت لا تكفي طبعاً لحياة مجتمع كبير من السكان.

أما كيف اصبحت هذه القرية الزراعية الصغيرة مركزاً حضرياً ، بل عاصمةً قادرةً على مجابهة المكتسحين الاشوريين ، فقد يكون ذلك نتيجة للفتح الآرامي. وقد يمكن الفرض ان هؤلاء الآراميين أتوا من بلاد ما بين النهرين، وهي البلاد المشهورة بالريّ العريقة بالمدنية ، باساليب وطرُق زراعية اكمل من اساليب السكان الوطنيين ، فاخذوا يمهدون ضفتي النهر لتوسيع المنطقة المرويّة حتى انتصروا على الصحراء فأخّروا حدودها شيئاً فشيئاً امام الاراضي المزروعة. وهناك ما يؤيد هذه الفرضية في اسم المدينة نفسه. فاننا بينا نرى قرى الواحة جميعها تُسمّى بالاسماء الآرامية ككفربطنا وعقربا وغيرهما ، اذا باسم المدينة وحده ، وهو الاسم الذي تدعوها به النصوص المصرية والاشورية ، والذي حفظته مدة القرون العديدة : دمشق ، يبدو غريباً عن اللغات السامية فلا يمكن شرحه بالاستناد الى احداها . ثم انها البلدة الوحيدة ، في كل تلك المنطقة ، التي تظهر قائمة على النهر نفسه ، لا على مجرى متفرّع عنه . هذا المظهر الغريب المزدوج: في اسم المدينة ، وفي مركزها ، يدفعنا الى الفرض ان لدمشق نشأةً مختلفة عن نشأة سائر القرى القائمة في تلك المنطقة . فنقول انها بعد ان انشأها السكان الاصليون في زمن لا نعرفه ، ولكنه عريقٌ جداً في القدم ، استفادت مما اتى به المهاجرون من طرق التحسين في استغلال البقعة المجاورة ، فازدهرت حتى اصبحت ، دون غيرها من القرى الاصلية ، سوق الواحة كلها وسوق البدو الرُّحل . وقد تابعت ازدهارها شيئاً فشيئاً كلما اتسعت الاراضي المزروعة حول النهر، وها هي تبدو مدينة متوسطة تحيط بها الضواحي

الزراعية ، فعاصمة اقتصادية وسياسية للمنطقة جميعها ، حتى تظاهر « رأس بلاد آرام ».

***

ثم يظفر الاخيمينيون فيضمون سورية لبلادهم ، وتنتهي الحقبة الاولى من تاريخ دمشق. وذلك ان عوامل ثقافية جديدة تؤثر فيها سريعاً ، فتعجل تطورها الى اتجاه جديد . على انها تظلّ دائماً على ما ظهرت عليه في هذا العصر ، اي اعظم مجتمع حضري في سورية الوسطى ، محتفظة بكل الصفات التي ستزداد بروزاً في القرون التالية ، الا وهي : كون دمشق مركزاً للحكومة ، ووسطاً اقتصادياً ، ومقاماً لهيكل كبير.

المدينة اليونانية - الرومانية

كان شتاء السنة ٣٣٣ ق. م. محطة حاسمة في تطور دمشق . فانّ المدينة اتصلت ، اذ ذاك ، اتصالاً وثيقاً بالثقافة اليونانية . كانت دمشق قد أدمجت، بلا عنف، بامبراطورية الاسكندر ، بعد معركة إيسوس ؛ فاصبحت، على اثر وفاته ، من نصيب السلوقيين ، بعد ان نازعوا البطالسة عليها وعلى سائر مناطق سورية المتوسطة . وظلّت في ايديهم الى يوم تخلصت فيه رومة من قرطاجة ، فأخذت تتدخل بشؤون الشرق تدخّل السيد المطلق . فانتزعت دمشق من ورثة انطيوخوس . وكان ان الامبراطور بومبي اعلن سورية مقاطعة رومانية في سنة ٦٤ ق. م. فالتحقت بالغرب سياسةً وثقافةً حتى الفتح العربي سنة ٦٣٥.

اما دمشق فكانت طول هذه القرون السبعة ، بفضل سيادة العناصر الغربية ، كأنها مقتطعة من آسية ، فهي أقرب الى المدن الاوربية اتجاهاً واتساقاً في تطورها.

ظلّت مدة القرون الاولى للسيادة المقدونية تحيا حياتها العادية المتتابعة على وتيرة واحدة غير متجاوزة المركز الاقتصادي المحلي الذي عرفناه، حتى خرجت فجأةً من الظلام ، فتحولت ، في زمن لا نعرفه ، الى مدينة يونانية.

ولا يخفى ان خلفاء الاسكندر ، بطالسة وسلوقيين ، اهتموا كل الاهتمام بمتابعة عمله . كانوا يونانيين مؤمنين بتفوّق مدنيّتهم ، فرأوا ان يرفعوا الشعوب التي اخضعوها الى مستوى ثقافتهم الخاصة ولهذا اكثروا في مناطق الامبراطورية من تلك المدن الجديدة يُنزلونها اليونان او الآخذين باليونانية ، على أمل ان تلك الثقافة تتّسع شيئاً فشيئاً فتبسط نفوذها على ما حولها حتى يأتي يوم يمتزج فيه اليونان والاعاجم في ثقافة واحدة . وقد رموا بانظارهم الى سهول سورية الفسيحة المزدهرة فيها معالم المدنية الوطنية ، فانزلوا في كل من مدنها الكبيرة، حلب ، وحماه ، ودمشق ، طارئةً يونانية كانت غايتها ان تعادل تأثير الجمهور الآرامي وان تستسيغ هذا الجمهور ، اذا امكن .

ونحن لا نعرف شيئاً عن اسم طارئة دمشق ولا عن تاريخ تأسيسها . الا اننا نتحقق تارةً وجود طارئة باسم ارسينوي (*Arsinoé*) يُنشئها بطليموس فيلادلف في سورية المتوسطة في منتصف القرن الثالث ق. م. وطوراً نرى اسم ديمتريادس (*Demetrias*) لطارئة أسسها احد ملوك السلوقيين في السنة ٩٥ او ٨٨ ق. م . واحياناً يجعل بعضهم طارئة دمشق ذات علاقة بما انشأه انطيوخوس التاسع السيزيكي في المدينة نفسها على اثر قسمة سورية سنة ١١١ ق. م. وليس ما يمنع ان تكون هذه الحوادث الثلاث تناوبت دورياً على الموقع نفسه فتكون الاولى مؤسسة بطليموس المدعوّة آرسينوي ، يليها اختيار دمشق عاصمة على عهد انطيوخوس التاسع ، ثم انشاء طارئة جديدة مدعوّة ديمتريادس .

بيد ان اليونانيين الطارئين على دمشق ، في هذه الاحوال ، لجّ بعيدين عمّا كان عليه رفاق الاسكندر . فان هجرهم للوطن الاصلي ، وزواجهم بالنساء السوريات ، والمناخ الغريب ، وسهولة المعيشة ، كلّ هذا أثر فيهم فغيّر ميزتهم الاصلية حتى اصبحوا اشبه بمواليد المشرق من الغربيين (*Levantins*) . ولكنهم ظلّوا يونانيين بشعورهم وارادتهم ، محافظين ، ما امكنهم ، على لغتهم ، وآلهتهم ، واوضاعهم السياسية وثقافتهم ؛ عاملين ، في مقاماتهم الجديدة ، على ايجاد نظام خاصّ يتفق ومرافق حياتهم الاجتماعية ، ظاهراً في طريقة البناء وخصوصاً في ذاك العنصر الاساسي لكل مدينة يونانية وهو الساحة العمومية

المعروفة بالأغورا (agora) حيث تُقام السوق ، ويجتمع الوطنيون ، وظاهراً كذلك،اذا كان اليونانيون وافري العدد ، في ساحة الالعاب الرياضية، والمسرح. لهذه الاسباب نرى اليونانيين الطارئين لا ينزلون داخل المدينة الوطنية نفسها.

واذاً فقد اتسمت دمشق بتلك السمة التي نتحققها كلما اجتمعت ثقافتان مختلفتا المستوى ، او متباينتا الصبغة، فاضطرتا الى الحياة معاً في المنطقة نفسها. فاصبحت مدينةً مزدوجةً كما نرى اليوم في شنغاي والدار البيضاء مثلاً . اقام الطارئون الى جنب المدينة القديمة ، في احياء جديدة بنوهـا ونظّموها وفقاً لحاجاتهم الخاصة ، وطرق معيشتهم المستقلة ، فأسسوا الى شرقي المدينة الآرامية الاصلية المتجمعة حول هيكلها ، مدينـة يونانية محيطةً بساحتها العامة . واذا بالمدينتين تعيشان ، مدة القرون العديدة ، جنباً الى جنب ، ولا تتفاعلان تفاعلاً عميقاً.

ومما يميز هـذه الاحياء الجديدة عن المدينة السامية ما يراه الانسان لأول وهلة من تناسق البناء وموافقته لتصميم منظّم :فان البيوت، بدل أن تتكردس بعضها فوق بعض دون ترتيب ، تبدو منسقة في احياء مستطيلة تتعادل مساحةً، وتخترقها شوارع مستقيمة تتقاطع على زوايا قائمـة . وقد روعي في دمشق ما روعي في سائر المؤسسات اليونانية في سورية من اتساع الشوارع اتساعاً يعادل متوسط المساحة لبيت السكن . فاتت الاحياء بالغةً مساحة ١٠٠ متر في ٤٥ متراً على التقريب . وقد حُدّد هـذا العرض على طريقة تمكن من بناء صفّين متوازيين من البيوت في الحيّ الواحد فتتقابل مؤخراتها ، ويكون لكل منها اتصال مباشر بالطريق العام.اما عرض الطريق فكان قليلاً لا يتجاوز ثلاثة الى خمسة امتار . ولكنه كان كافياً عهد لم يكن من طرُق النقل الا الدواب ، واضخم ما يمكن ان يمرّ بالشارع جمل يحمل عِدلَين . واما الساحة العامة فاننـا نجهل مساحتها ، وان كنا نعرف موقعها.

وليس من شكّ في ان هذه المستعمرة اليونانية في دمشق ظلّت ، كسائر المستعمرات في سائر المدن ، ذات اهمية ثنويّة بالنسبة الى المدينة الاصلية التي التصقت بها . وعلى كلّ فقد كانت اقلّ عـدداً واضيق رقعةً ، حتى العهد

الروماني ، فبدأت تتقدّم وتتسع بفضل ازدهار اقتصادي نادر المثال.

***

وكان سبب هذا الازدهار عامل جديد ، بعيد الاثر في النجاح ، عامل لم تعرفه البلاد قبل دخول رومة ، الا وهو السلم . ففي الداخل نظام تام يسود حتى البدو فيضبطهم هائبين ، وفي الخارج لم تكن الحروب ضدّ الفرس لتقف حاجزاً في سبيل تقدم سورية الاقتصادي ، بل انها افادت المدن مورداً جديداً للثروة ، وذلك ان الجيوش المعسكرة ما وراء الفرات كانت بحاجة الى القمح والزيت والخمر . ثم ان حركة المعاملات الواسعة في مناطق الامبراطورية الغربية لفتت انظار التجار ، فعادوا الى اتخاذ طرق البحر متاجرين حتى رومة وبلاد الغال . وكذلك القول عن تقدّم الزراعة ، وقد اصبحت محمية من اكتساحات البدو ، مزدهرة بفضل انشاء سدود جديدة . وها ان النقد يُتداول بكثرة في كل مكان ، وها ان المدن تكبر بسرعة عجيبة كانطاكية وتدمر.

وكان مما ساهم في هذا الازدهار المستند الى الثروة العامة ، ذاك النظام الاجتماعي . وقد احترمت رومة ، في كل مكان ، مؤسسات المدن اليونانية جميعها ، بل انها كافأت بعض المدن على ولائها فاعطتها ميزات دستورية تزيد في استقلالها ، كما حصل لدمشق مثلاً فانها نالت ، على عهد هدريانوس ، لقب « متروبول » ، ثم لقب « مستعمرة رومانية » ، على عهد الكسندروس ساويروس . وهكذا فان تلك المدن ، وقد اثرت وازدادت حركة ، لم تفقد شيئاً من سيادتها السابقة على مقدّراتها الخاصة . بيد انها ، وان لم يتغيّر مبدأ الحكم فيها تغيّراً محسوساً ، فقد تأثرت دون شكّ بمرور الزمن وانقلاب الاحوال . ذلك ان الادارة الرومانية اخذت تبدل بذلك الاضطراب الفوضوي الذي طالما افسد حياة المدن اليونانية ، ميلها الى النظام ، وروحها الآخذ بالترتيب الرصين ، وفهمها للعمل المتتابع والحقائق المحسوسة . ولأول مرّة في التاريخ نرى المدن السورية تنمو وفقاً لمبادئ جدّ ثابتة ، وطبقاً لتشريع تفرضه الادارة البلدية عن اطلاع ومعرفة ، وغاية جهودها السعي في رفاهية الجمهور ، وتجميل المدينة ، واقرار النظام في سبيل الراحة العامة . وكلها جهود حضريّة

تعمل على ان تحلّ نموًّا مُوجّهاً محلّ ذاك النموّ الطبيعي الذي عرفته المدن سابقاً.

وقد ظهرت هذه الجهود في دمشق اولًا بانشاء مشروعين في سبيل الخير العام، هما بناء سور يحيط بالمدينة، وعمل قناة جديدة لماء الشرب.

اما السور، وهو يجمع مساحة ١٠٥ هكتارات، فقد كان يحيط بالمدينة الارامية، وبالاحياء الجديدة، مبنيًا على طريقة التحصين الروماني. اي انه كان مستطيلًا يبلغ ١٥٠٠ متر في ٧٥٠ مترًا، وتمتدّ اضلاعه مستقيمةً تماماً، ما عدا في الجهة الشمالية وهي المشرفة على النهر، الذي قام مقام الخندق، فكان لا بدّ فيها من الالتواءات والمنعرجات. وكان في السور سبعة ابواب: ثلاثة منها في الواجهة الشمالية، واثنان فقط في الواجهة الجنوبية وهي اصعب حماية، واثنان، وهما البابان المهمّان، في الواجهتين الشرقية والغربية.

واما القناة الجديدة فقد دفع الى حفرها ازدياد عدد السكان. وهي لا تزال معروفة حتى اليوم باسم «القنوات» ولا تزال تمدّ بالماء اكثر من ثلاثة ارباع المدينة القديمة؛ تتفرّع عن النهر عند دخوله في السهل، قبل الوصول الى القناة الاصلية. وقبل ان تدخل المدينة، تقطع احدى المنخفضات على جسر من قناطر معقودة. ولا شكّ في انها كانت تتصل، في العصور القديمة، بخزّان فخم تزينه تماثيل آلهة المياه.

وقد أعيد بناء الهيكل من آساسه موافقاً لذوق العصر. ولكنه ظلّ محتفظاً، على مظهره الغربي الجديد، بالمرافق والترتيبات الجوهرية في كل هيكل ساميّ. فظهر حوله سوران دائران احدهما بالآخر: يحدّد الاول منهما، «حرَم الاله» (téménos)، المتصف بصفة الملجأ او الملاذ، بالغًا ٣٦٠ مترًا في ٣١٠ امتار، محفوفاً برواق من الداخل. وفي صدر واجهته الامامية مدخل مسقوف على اعمدة اما واجهته الخلفية فقد تتابعت مستندةً اليها سلسلة مخازن الهيكل ومساكن السدنة. وفي وسط هذه الساحة الفسيحة يرتفع السور الثاني (péribole)، وذرعه ١٦٠ مترًا في ١٠٠ متر، وفيه، كما في السور الاول، ذاك المدخل الفخم ذو الاعمدة، وذاك الرواق الدائر المسقوف، النافذة منه

المداخل. وهذا السور يحيط بالهيكل نفسه المدعو سيلا او ناووس ، المخيّم على الوثن المعبود ، وعلى كنز الاله ، والقائم امامه المذبح ، وحوض الاغتسال . وكل هذا مبنيّ بالحجر المنحوت على الزيّ الكورنثي.

اما الاحياء الجديدة فظلّت على ما كانت عليه في العهد اليوناني، على الاقلّ في ما خصّ التصميم . فقد حوفظ ، في اتساع المدينة ، على ما عهدناه من طرق تخطيط الشوارع ، وتقسيم البنايات الى مناطق ، الا في ما ندر ، فان بعض التخطيطات انحرفت عن اتجاه الشوارع الاصلي . واذا قارنّا بين مظاهر هذا الانحراف وبين الاسم العربي الذي أطلق عليها وهو «النبيطون» فاننا نستدلّ على انها من اثر النبطيين الذين احتلّوا دمشق مرّتين ، على العهد الروماني.

وكان ان بناء الاسوار اضطرّ الى توسيع الشوارع النافذة الى الابواب ، واهمها الجادّة الكبرى النافذة من الباب الشرقي الى الباب الغربي ، وهي محور المدينة . كانت تمتدّ خطاً مستقيماً ، على طول ١٥٠٠ متر ، مخترقةً البنايات المتراكمة في المدينة القديمة ، وقد استملكت من اربابها ، متسعةً على عرض ٢٥ مترًا ونصف المتر ، منها ١٢ مترًا للطريق المرصوفة بالبلاط ، وما بقي للرصيفين المسقوفين ، وراءهما الحوانيت المتتابعة دون انقطاع تحت الرواقين المرفوعين على الاعمدة . وكانت هذه الجادّة المستقيمة تزدان بالآثار البنائية تُقام في المفارق المهمة ، من ذلك ثلاث اقواس فخمة . وكان للمدينة جادّة اخرى الى شمال الاولى، تصل بين الهيكل والساحة العامّة ، وكانت هذه الساحة آخذةً من مدخل مسقوف ، محوطةً ، على ما نرى ، برواقين ، حافلةً دون شك بالهياكل ، والمقامات النذورية ، وتماثيل المحسنين الى المدينة (الرسم ١٠).

وان لنا في الاسماء العربية القديمة ما يكتمل معلوماتنا عن المدينة في ذلك العهد . فان الحيّ المدعو «الديماس» يقابل موقع « Dêmosion » اي «دائرة المالية» القائمة قرب الساحة العامّة . وكذلك الموضع المسمّى «الفُرناق» فانه يدل على مكان الفخّارات «fornaces» لا على اتاتين الكلس، لان بناء القوم كان بالطين . و«البريص» يُشير الى موقع القصر ، و«الفُسقار» «foscarion» يدل على مكان صنع الفُسقة وبيعها والفُسقة شراب فيه ماء وخلّ، كان يشربه الجنود

الرومانيون . ثم المكان المسمّى « المقصلاط » كانت تلتقي فيه ، دون شك ، الاسواق المسقوفة « macella ». وكان امام مدخلها قوسٌ عالٍ يرفع تمثال رجل واقف يمدّ يده .

وان اكثر هذه البنايات التجميلية في المدينة بُنيت على عهد سبتيموس ساويروس وقاراقلا ، اي في اواخر القرن الثاني واوائل الثالث للمسيح . وواضح ان اهميتها لا تقف عند مظهر الجمال فيها ، بل تتجاوز الى انها تظهر مثابرةً بتكوين المدينة نفسها . فان نموّ المدينة في العصور الوسطى تطوّر وفقاً لميزات دمشق الرومانية ، « دمشق الجميلة المقدسة » ، سواء أكان هذا التطوّر متابعاً المبادئ الغريبة أم مقاوماً لها .

الامويون

دخل العرب دمشق في ايلول سنة ٦٣٥

ولم يكونوا يجهلون المدينةَ قبل ذاك . وان تكن بُصرى محطّ رحالهم في اغلب الاحيان يأتون اليها بمحاصلات الهند واصماغ بلادهم المعطرة ، تابعين الطريق العظمى الرومانية على حدود جزيرتهم ، فقد وصل غير واحد منهم الى دمشق ، في القرون السابقة وعاد منها يحدّث ، ويردّد حديثه الشعراء ، بما تمثّل تلك الجنائن المتدفّقة انهارها ، الوافرة ظلالها ، المغرّدة طيورها ، تلك البقعة الفسيحة من الخضرة ، الحافلة بعدد من الشجر يربو على اشجار بلاد العرب جمعاء ، الماثلة لذةً فائقةً بل صورة فردوسية لاولئك البدو ارباب القوافل وقد اضنكتهم اسابيع السير في البيداء المقفرة .

ولم يكن تأثير دمشق على الفاتحين المسلمين باقلّ من هذا التأثير . واذا دمشق في نظرهم شامة الارض ، وجنّة الدنيا ، واحدى عجائب العالم ، يرون فيها احد المواقع التي شرّفها الانبياء ، — واي موقع يشرّفون ان لم يشرّفوا جنة كدمشق ؟ — ففيها قتل قابين هابيل ، وفيها وُلد ابرهيم ، وبها لاذ عيسى وامه لاجئين « إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ » ، وفيها ينزل عيسى في منتهى الازمان ليقاتل المسيح الدجّال . وغير خافٍ ان هذه الصور المجازية ، والعمل على تعيين

الاماكن التقوية، تعبّر كلها عن اعجاب شعب كان محصوراً منذ القدم بين آفاق الحجاز القاحلة الجرداء . بيد ان دمشق لم تملك العرب طويلاً ، والبدو بحاجة ، في رعاية ابلهم ، الى سهول فسيحة لا يجدونها في واحة دمشق . فغدا مجتمعهم الضخم في سورية الوسطى على ٨٠ كيلومتراً من جنوبي دمشق ، في حاضر الجابية من ارض حوران . وهناك اخذ بعض الافراد ، بل اقسام من القبائل ، في التحضّر شيئاً فشيئاً ، ساكنين المضارب او الاكواخ لحقيرة من الطين والقصب .

وهكذا ظلّت دمشق في المحل الثاني من الامبراطورية الجديدة ، حتى بويع بالخلافة لمعاوية ، والي سورية . فاختارها عاصمةً له سنة ٦٥٦ . وقد جاء هذا الاختيار دليلاً ساطعاً على ما كانت تهمّ به الدولة الجديدة ذلك ان البدو كانوا لا يزالون يؤلفون مادّة الحروب في سبيل الاسلام . ولكن الامبراطورية كانت قد تجاوزت حدود جزيرة العرب ، فاتّسعت على بلاد عريقة في التمدّن ، واخذت تستخرج منها مجموع مواردها المالية .

ثم ان امراء الدولة الجديدة كانوا لا يزالون متعلّقين بالعروبة يتدخّلون ، عن رضى ، في مشاحنات القبائل ؛ ويتسلّلون ، كل سنة ، الى البوادي الفسيحة فيعيشون عيشة امراء البدو في المضارب ، مدة الاسابيع الربيعية . على انهم كانوا يؤخذون ، الى ذلك ، بحياة التمدّن ، فينعمون بالحمّامات ، والموسيقى ، ومجالس الانس في الديورة ، تعيّنهم بدائع شعراء البدو وبمظاهر الطراد في القفار . وليست مدينة اجدر من دمشق بان تسهّل عليهم حكم المناطق المتحضرة ، والمحافظة على الصلة بالبدو ، فتجمع لهم بين مرافق المدنية ، وملذّات العاطفة والرياضة في الحياة البدوية .

ولم يكن الحكم العربي ، في اول عهده ، ليؤثّر الاثر العميق في ميزات المدينة . فان سكانها من المسلمين كانوا اقلية ضئيلة بالنسبة الى سائر السكان . ولم يبدُ من مظاهر الحكم الجديد الا بناءان ضروريان هما الجامع ، ودار الخلافة . اما الدار فلم تكن الا مسكن الخليفة الخاصّ . واما الجامع فله اهمية خاصّة في حياة المسلمين . هو المعبد يجب على كل مسلم ان يأتي فيؤدي

فيه صلاة الجمعة كل اسبوع. وهو، فوق ذلك، مركز الحياة العامة. فيه تحتشد الجماعة فتبايع الخليفة بيعةً احتفالية؛ ومن على منبره يلقي الخليفة خطبه السياسية؛ وفيه يستقبل وفود القبائل؛ وفيه يُقام نصاب العدل؛ ويُحفظ بيت المال.

ولما كان هذان الصرحان متصلين صلةً وثيقةً احدهما بالآخر، وذلك ان غايتيهما متعلقتان بالخليفة: الاولى بحياته الخاصة والثانية بحياته العامة، شُيّدا جنباً الى جنب في مكان كان من الامكنة القليلة المتروكة خالية في المدينة، وهو مكان حرم الهيكل القديم، وقد غدا لا غاية له. فبُني الجامع مستندًا الى الجدار الجنوبي من السور الثاني (péribole) (وضمن هذا السور كانت تقوم، اذ ذاك، كنيسة القديس يوحنا المعمدان). اما القصر فبُني الى جنوبي الجامع لا يفصله عنه الا جدار جُعل فيه باب لمرور الخليفة من منزله الخاص الى «مقصورة» الجامع. وامام القصر اسطبلات أُطلق عليها اسم «دار الخيل».

وعلى مقربة منها اجتمعت منازل امراء الدولة الاموية. وقد قامت كل هذه البنايات، كما يؤخذ من النصوص التاريخية، على الاسلوب التقليدي في البناء المحلّي فاستُخدم فيها اللبن المجفف والخشب. على ان اسم «الخضراء» المطلق على القصر قد يفرض بعض التزويق في تزيين داخله. ولهذا لم تكن اهمية هذه البنايات في قيمتها الهندسية بل في كونها جُمعت ملتصقةً بعضها ببعض في قلب مدينة اكثريتها الساحقة من النصارى واليهود فالّفت بلدةً صغيرةً اسلامية كانت مركز سادة الحكم فغدت عنصرًا مهمًا في تطوّر دمشق.

ولم يقلّ اهمية عما تقدّم ما قام به ابن معاوية، في سفح الجبل، من حفر قناةٍ جديدة لا يزال اسمها حتى اليوم «نهر يزيد». فانها فوق ما دفعت اليه من اعادة النظر في توزيع «حقوق الماء» في الواحة كلها، عاملةً على توسيع المنطقة المزروعة باحياء اراضي حرستا والقابون، عملت كذلك على خلق قرى ومزارع في تلك الضاحية كان من نصيبها ان تبلغ في القرون التالية ازدهارًا ما كان ليتوقّع اذ ذاك.

وكان لا بدّ يومًا من ان يضيق الجامع الذي بناه الفاتحون. فان عدد المسلمين على ازدياد متواصل. وها ان الذمّيين ينتقلون الى الاسلام واحدًا

واحداً ، تارةً عن ايمان ، وطوراً عن طمع ، وحيناً — وهذه حالة الاكثرية — عن تخلص من دفع الجزية الفادحة ، وعن هرب من تلك الحالة المنحطة التي وضعهم فيها الإسلام . فوجب اذاً ان يكون لهذه الجماعة الإسلامية المتزايدة العدد جامع اوسع من الاول ، وافخم ، فيكون منظره اقلّ ضعةً بالنسبة لتلك الكنائس الرائعة التي اقامها نصارى الشام.

ولما عزم الوليد، وهو من كبار بناتي الدولة ، على القيام بهذا العمل ، اذا به يصطدم بمشكل صعب الحلّ : في تلك المدينة الغاصة بالسكان حتى تكاد تتجاوز اسوارها ، لم يبقَ ارض خالية من البناء الا الساحة القديمة . وكانت السوق الاسبوعية لا تزال تُقام فيها كل احد . اما حرم الهيكل فكانت بيوت المسلمين الجديدة قد اكتسحته شيئاً فشيئاً ، مدفوعين بقرب الجامع وبالرغبة في الحياة مع ابناء دينهم . ثم ان تجمعهم في هذا القسم من المدينة كان حائلاً دون التفكير بنقل الجامع . فلم يكن للوليد ، والحالة هذه ، الا حلّ وحيد لذاك المشكل ، وهو ما قام به ، عابثاً بالعهود السابقة ، منتزعاً من النصارى كنيسة القديس يوحنا المعمدان . على انه اعاد اليهم ، مقابل ذلك ، عدة معابد كانت قد أخذت منهم سابقاً . وفي ذاك الموقع الملاصق للجامع الأول ، بدأ الوليد، منذ السنة ٧٠٥ ، بناء ذاك المعبد الذي شاءه لائقاً بعظمة سلطانه ، والذي سيبقى شاهداً على دولته فيدعى بحقّ « جامع بني امية » . (الرسم ١١)

لقد بدأ العمال بهدم كل البنايات داخل السور الثاني ، فلم يبقوا الا على حائط السور نفسه ، وعلى ابراجه الاربعة في الزوايا ، فكان لهم فسحة خالية تزيد مساحتها على الهكتار . عند ذاك اتى دور المهندسين ، وهم دون شك من نصارى الشام ، بل قد يكونون من نصارى انطاكية . وقد فرض عليهم ان يعملوا في هذا الإطار الجاهز ، فنجحوا فيه بمهارة نادرة . افردوا القسم الشمالي من الارض لساحة يحيط بها رواق مسقوف تنفذ فيه الابواب ، ويحتوي على قبّة بيت المال . اما في الناحية الجنوبية فقد اقاموا على طول حائط السور الأصلي ردهة واسعة للاجتماع ، تزيد مساحتها عن ٥٢٠٠ متر مربع ، متجهة

اتجاه صفوف المسلمين اثناء الصلاة . وقد قام سقف هذه القاعة على جملون استند الى صفّين من الاعمدة . ولا يخفى ان في هذا التصميم اقل ما يمكن من العوائق . وارتفع سوقها الاوسط ، مكمّلًا بقبة ، مشيرًا الى اهمّ مكان في الجامع : القبلة ، او وجهة مكة ، ومقام الخليفة ، وهو يصل اليه من باب جديد فُتح في الحائط الجنوبي ، وعُرف باسم « باب الزيادة » . وبُني ، امام هذا الباب ، بين القصر والجامع ، ممرّ مسقوف يماثل تلك الممرات التي أُقيمت في العهد البيزنطي مادّةً ، حتى ابواب الكنيسة ، الشوارعَ القديمة المحفوفة بالاروقة عن الجانبين . ولم يخلُ الحائط الشمالي من تجديد ، فقد رُفعت في وسطه منارة عالية مربّعة دلّت ، الى ابعد ما يمكن ، على آخر تجديد في هيكل دمشق القديم .

وقد أُتيم بناء كل هذه التجديدات وفقاً للتقاليد السورية . على انه اتبع في زخرفها اسلوب القسطنطينية . فغطّيت الجدران كلّها بالتلبيسات النفيسة ، منها تلك الصفائح من الرخام المتعدّد الالوان التي ارتفعت حتى مخارج الاقواس ، وفوقها قطع الفسيفساء الرائعة من معجون الزجاج ممثلة اشجارًا ومنازل تبرز بفواقع الوانها على الصفيحة المذهبة .

ولا يخفى ان اتمام هذا المشروع العظيم يتطلّب ، مدة السنوات العشر ، مبالغ هائلة ، وعددًا كبيرًا من العملة . ولما كان المشروع ذا منفعة عامة ، وهو من بنايات الدولة ، جُلب له العمّلة مسخَّرين من جميع ولايات الامبراطورية . على ان النتيجة لم تكن الا موافقة لتلك الجهود . فان الوليد زيّن العاصمة السورية بجامع كان اول بناء جدير بلقب الفخامة والروعة في ارض الاسلام ، بل كان ، فوق ذلك ، احدى روائع الفنّ البنائي في جميع الازمنة والامكنة . فغدا موضع اعجاب الشرق كلّه مدّة القرون العديدة ، وذلك بسعة اقطاره ، وعظمة ترتيبه ، وروعة زخارفه ، وغنى موادّه التي يزيد في اظهار قيمتها فقر بيوت الطين واللبن المحيطة به . بل غدا ، في نظر الشرق ، رمز سموّ الاسلام السياسي ، وتأثيره الادبي . حتى ان اعدى اعداء الامويين لا يتمالكون اظهار اعجابهم واحترامهم امام هذا الاثر .

وكان لقرار الوليد ان يبدأ طوراً جديداً في تاريخ دمشق . فقد ظلت المدينة القديمة ، على رغم الزلازل والاكتساحات ، قائمة بسورها ، وساحتها ، وتربيع شوارعها ، وجادتها ذات الاعمدة (وهي التي اصبحت في ما بعد « السوق الكبرى ») . على ان مدنية جديدة ، اسلامية في جوهرها ، اخذت تنبو فيها شيئاً فشيئاً . فاصبحت الجماعة الاسلامية تجد في جامع الوليد محور حياتها الثقافية ، تلك الحياة التي كانت تزداد سعة وتأثيراً جذاباً كلما ازدادت عقيدة الاسلام ومدنيته ثباتاً وعمقاً .

دمشق في العصور الوسطى

تكوينها

على اثر سقوط الامويين ، تضافرت الحوادث التاريخية فحوّلت مجرى تطوّر المدنية ، وعملت على الاسراع فيه .

كانت سورية هدف استبداد العباسيين ، فارهقوها ارهاقاً منظماً . واتى بعدهم عصر فوضى توالت فيه الحروب وغزوات البدو ، فاخربت البلاد حتى العهد الفاطمي . بيد ان السيادة الفاطمية كانت ابعد من ان تُقرّ الطمأنينة ، فازدادت الحالة حرجاً ولا سيما في دمشق ، وقد نُكبت ، فوق المفاسد الحكومية ، بتلك الاختلافات المتتابعة التي كان يثيرها في جمهور السكان توحش العسكر البربري . ولم ينته هذا العصر الحافل بالاضطرابات والاغتصابات ، وهو من ادكن العصور التي عرفتها سورية في تاريخها ، الا بظهور الاتراك السلجوقيين .

ولا نخطئ اذا قلنا ان العامل الاساسي في التطور المدني ، مدة هذه القرون الفوضوية الثلاثة ، كان اضطراب الأمن ، على مختلف مظاهره . ونفهم باضطراب الأمن لا أزمة كالتي تنشأ عن حالة الحرب ، بل اضطراباً داخلياً دائماً ، مزمناً في بعض مظاهره ، ناشئاً ، في اكثريته ، عن تأليف الحكومة نفسها .

ولم يكن ارباب هذه الحكومة — ولاةً وقضاةً ومحتسبين — من الموظفين

العاديين ، ولا من ذوي الاقطاع ، اذا فهمنا باللفظة معناها الغربي . انما كانوا اشبه بضباط ملكيين لا يقومون باعمالهم الا بناء على تفويض من صاحب الامر. ولما كان هذا التفويض قابلاً للالغاء في كل آن ، اصبح ذاك الاضطراب سائداً على الحكام ، مسيطراً على جميع اعمالهم . فهم لا يثقون بالمستقبل بل لا يعرفون ما يخبئ لهم . واذاً فهمهم الوحيد تقريباً ان يرهقوا المحكومين فينالوا منهم اكثر ما يمكن من المال في اقل ما يمكن من الوقت . ذلك انهم ، على الغالب ، مدينون بارتقائهم لعطف احد كبار الرجال ، من اولئك الذين قد ينالهم غضب السلطان وجفاؤه بين الآونة والاخرى . او انهم اشتروا مركزهم بالمال ، فعليهم السعي الحثيث في استرجاع ما انفقوا ، وهم واثقون بالمناعة لخلو الادارة من اي دائرة للمراقبة .

وكان من نتائج هذا الاضطراب في الامن ان طبقات الشعب الوضيعة اخذت تعمل على المقاومة . ذلك انه لم يكن لها ضمانة الا الحماية الوهمية التي توليها اياها الشريعة القرآنية ، ولا مرجع شرعي تجاه الظلامات الا الاستئناف لدى الخليفة البعيد حتى لا يمكن ان يوصل اليه بسهولة . واذاً فالسوقة عرضة لاستبداد الحاكم اياً كان . فكان من الطبيعي ان تلجأ الى طريقة الدفاع الوحيدة وهي التعاون . وقد بدا هذا في اجتماع تلك الطبقات وفقاً لنزعاتها الدينية ، والجنسية ، والصناعية خاصة ، حتى امكن افرادها ان يدافعوا بالقوة ، آن اللزوم ، عن حياتهم واموالهم . بل انهم بلغوا ما فوق ذلك . كانوا يشترون بمالهم الشفاعات ورضى الحكام ، فينالون شيئاً من الراحة وحسن الحال . وقد ظهر خاصة روح المشاركة هذه في العودة الى الحياة الحرفية او اتحاد ارباب الحرف ، وهي ، دون شك ، من بقايا التنظيم الروماني والبيزنطي . وهكذا اصبح كل شخص ، حتى المكدون والبغايا ، ينتمي الى عصبة او نقابة من ارباب مهنته لها انظمة تحمي اعضاءها من المزاحمة غير المشروعة ، وتمين المصابين منهم والعاطلين . ويسهر عليها رئيس يكون وسيطاً بين ارباب الحرفة والحكومة .

على ان هذه الحياة المشتركة ، التي دفعت اليها الحاجة الى التعاون والتعاضد ، سرعان ما ادخلت التفكك في الوسط الحضري . واذا بالمدينة تظهر منذئذ

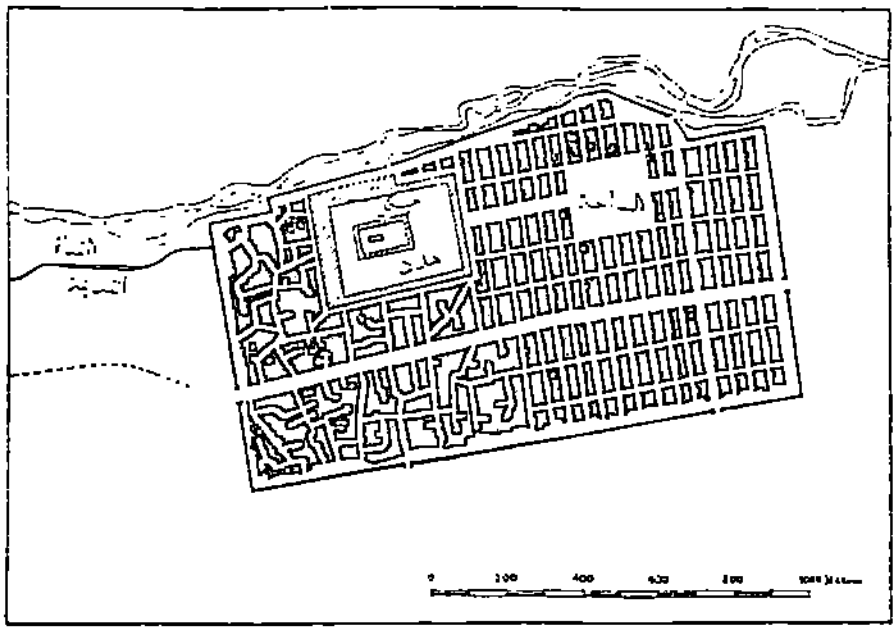

الرسم ١٠ – دمشق في العهد الروماني

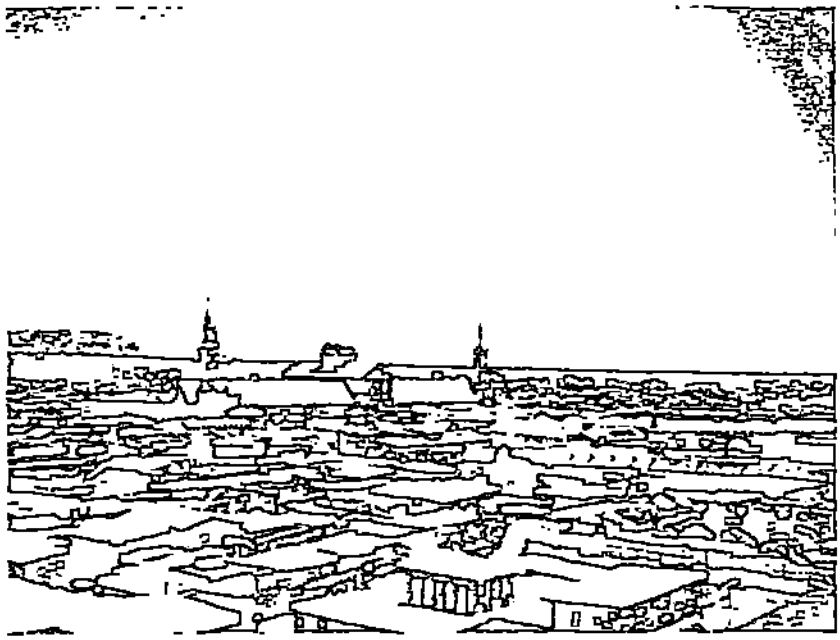

الرسم ١١ – من منظر جنوبي

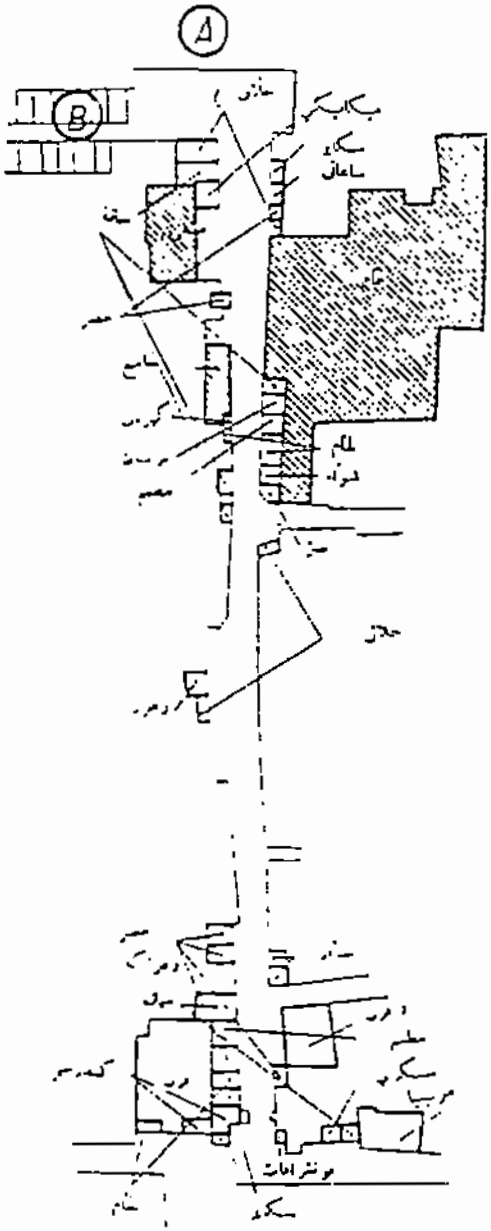

الرسم ١٢

من اسواق الاحياء: سوبة حيرون في حالتها الحاضرة

A – المجمع الاموي

B – احدى الاسواق

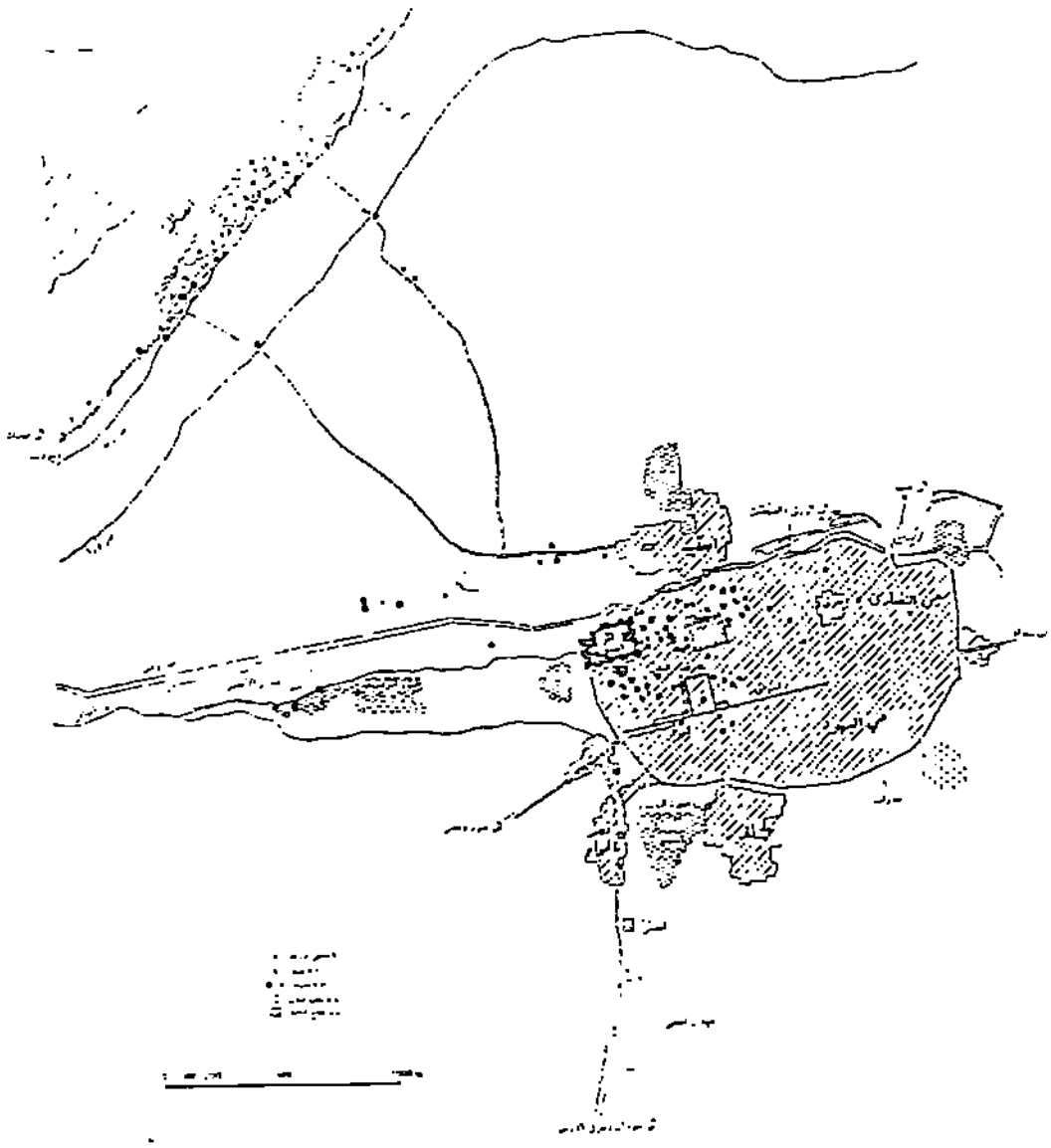

الرسم ١٦ – دمشق في منتصف القرن الثالث عشر

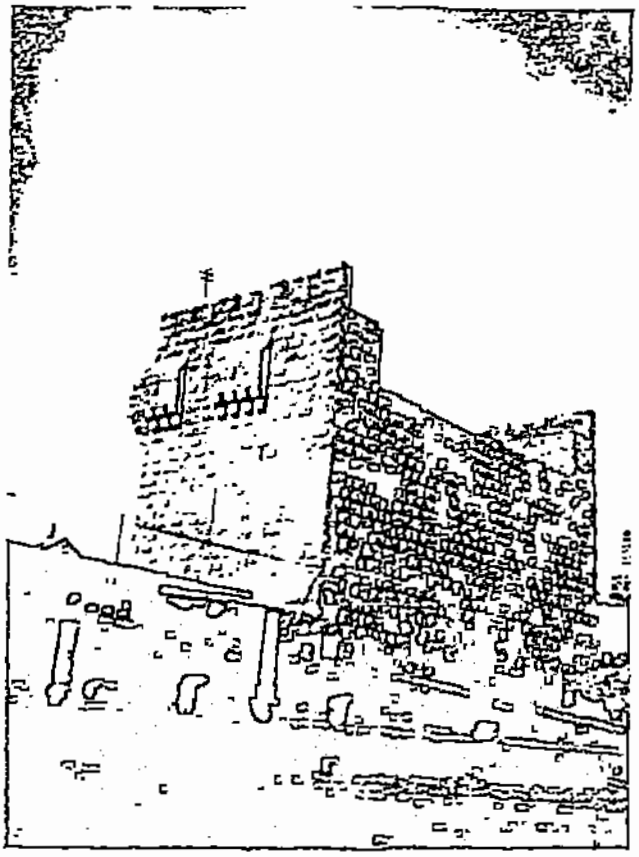

الرسم ١٧ – من بقايا السور

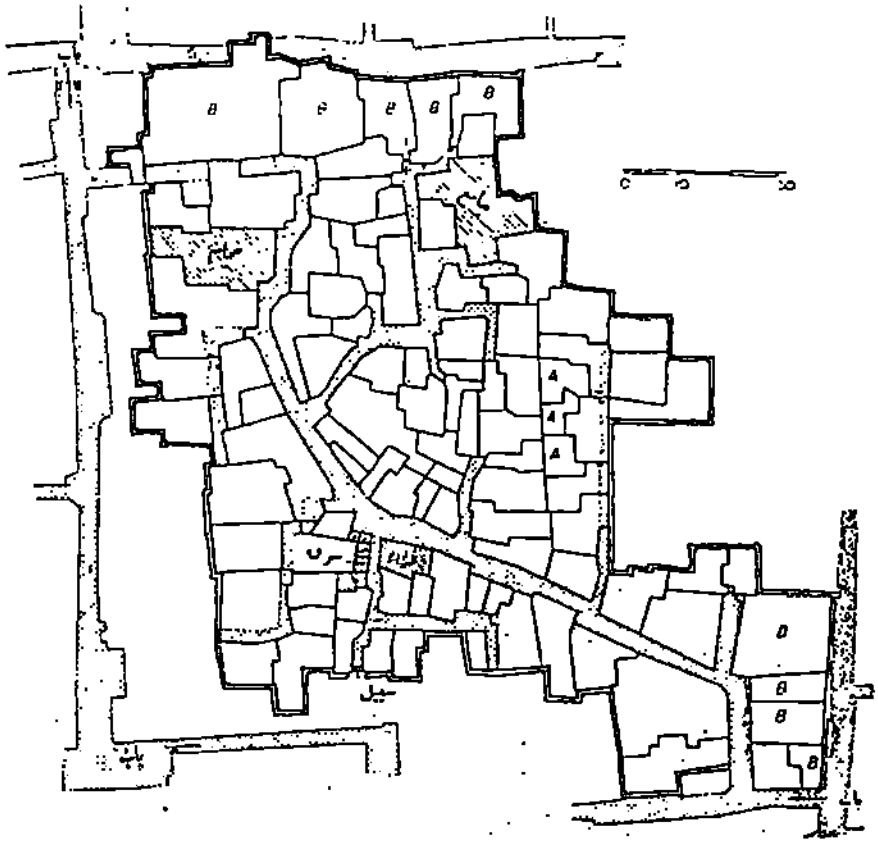

الرسم ١٣ – مخطّط احدى الحارات

A : بيوت لا اتصال لها بالجادة العامة

B : بيوت لها واجهة على الجادة العامة ولكن مداخلها في بعض الدخلات

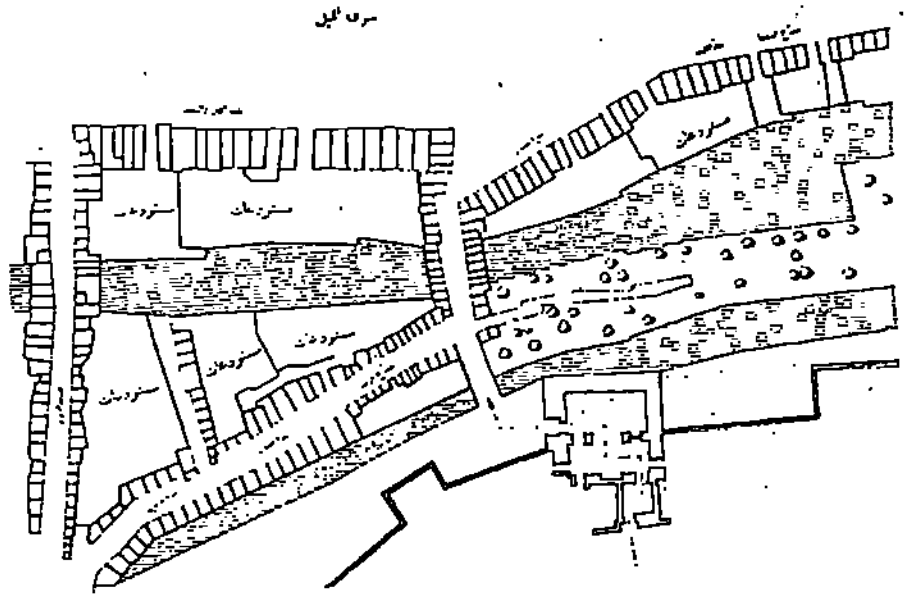

الرسم ١٩ – تكوّن الاسواق « تحت القلعة »

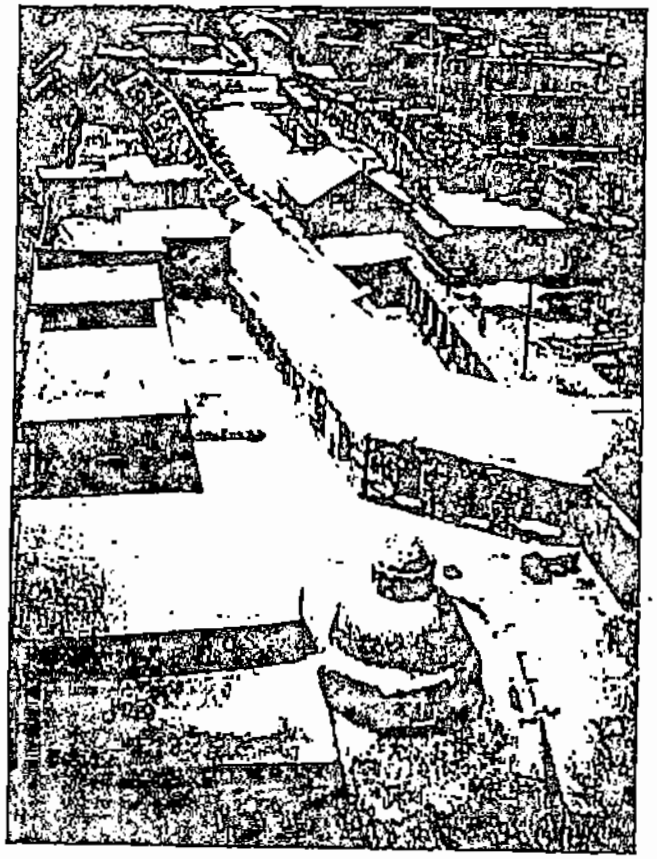

الرسم ١٥ – سقوف الاسواق

الرسم ١٦ – احد ابواب الحارات

بمظهر مجموعة من « الحارات » المستقلة كل منها بحياتها الخاصة ، منفصلة عن حياة جاراتها . وكأن كلًّا من هذه الحارات مدينة مصغرة بمسجدها، وطريقة توزيع المياه فيها، وحمامها، وسويقتها محتوية على الحبوب وسائر الحاجيات (الرسمان ١٢ و ١٣) ولها « شيخها » المسؤول ؛ وشرطتها المؤلفة من افراد العسس الذين يسهرون الليل فيعرفون المارَّة ؛ بل لها حصونها ، وهي الابواب ؛ وجيشها المؤلف من « الاحداث » ، وهم جنود الحرف . اما سكان « الحارة » فيجتمعون ، على الغالب ، من ارباب المنطقة الواحدة كما نرى في « حارة الحوارنة » مثلًا ، او من ذوي الدين الواحد ، او من ابناء القبيلة او الاسرة الواحدة . ولا يندر ان يكون سكان « الحارة » معادين بل محاربين سكان « الحارة » المجاورة .

وتختلف « الحارات » الاختلاف كله ، من حيث التخطيط ، عن احياء المدينة اليونانية-الرومانية . فان المواصلات والانتقالات بين المساكن في المدينة القديمة كانت تجري في الشوارع نفسها . اما في المدينة الحالية فلم يبقَ الا عدد محدود من الشوارع الكبرى للمواصلات الحرَّة . ولكنها لا تنفذ الى المساكن . بل يتفرَّع منها «دروب» خاصة، عليها ابواب تُقفل كل مساء عند غروب الشمس (الرسم ١٤) ومن هذه الدروب تتفرَّع « ازقة » و« دخلات » تصل الى المساكن الخاصة ، وعليها كذلك ابواب يمكن اقفالها . وهكذا فلا يظهر من المنزل الى جهة الشارع الا مؤخرته الخالية من المنافذ . فلا يمكن الوصول اليه الا بعد ان يُقطع باب الحارة ، فباب الزقاق ، فباب المنزل نفسه . فيجد المرء شيئاً من الامان والطمأنينة في بيته بفضل هذه العقبات المتتابعة ، وبفضل ما اشرنا اليه من روح التعاون والتعاضد .

وهكذا فاننا ، اذا لم نتنبه الا لهذه الطريقة في السكنى ، تظهر لنا المدينة مجموعة من « الحارات » خالية من كل صلة تربطها . بيد ان هناك بعض المؤسسات المشتركة تعمل على الوحدة بين احيائها ، وهي :

١ ــ السور المحصِّن يُعيِّن حدود المدينة، ويضمن الامان لسكانها بصرف النظر عن اصلهم ، وديانتهم ، ومركزهم من المجتمع . ولهذا نرى « الاحداث » اي جنود الحرف يسيرون بقيادة رئيس التجار ، فيقومون بحراسته ، في حالات

الخطر ، الى جنب العسكر النظامي.

٢ً ــ الجامع الاكبر . وهو لا يزال مركز الحياة العامة ، وان تكن اهميته قلّت عما كانت عليه عهدَ الامويين ، لان مركز السلطان تحوّل عن دمشق . ففيه تُعلن الانباء التي تهمّ جمهور السكان كتعيين الولاة ، والغاء الضرائب ، وما شاكل . وفيه يظهر الشعب تعلقه بالخليفة وامانته لسلطته ، اذ يأتي كل جمعة فيحتفل بالصلاة ذاكراً اسمه ، داعياً له.

٣ً ــ الاسواق . وهي اهم الاسباب في وجود ذاك المجتمع ، بل القسم الاساسي في « المدينة » ، مقابلةً بجارات السكن التي تؤلّف « البلد » . والاسواق آهلة تماماً بحوانيت التجار والصنّاع تجتمع فيها وحدها . واذاً فعلى السكان ان يطلبوا في الاسواق ، لا في غيرها ، ما يحتاجون اليه من بضائع وسلع . اما تخطيط هذه الاسواق فيمثّل مجموعة من الشوارع المتوازية ، تُقفل بابواب في مداخلها ، ويختصّ كل منها بارباب مهنةٍ واحدة . وعن هذه الشوارع تتفرّع اسواق مغطّاة مسقوفة ؛ وهي «قيساريات» تقوم مقام المثابات (البورصات)، كقيسارية الحرير ، وقيسارية الصيارفة وغيرهما؛ وخانات او فنادق تشتغل بتجارة الاستيراد والاصدار ، متصلة اتصالاً مباشراً بتجارة السوق.

وكان من الطبيعي ان يقوم مجموع « المدينة » هذه في المحل الذي كان يقوم فيه المركز التجاري في العصور القديمة ، فتشعّبت الاسواق مكان الجادّة الرومانية الكبرى المحفوفة بالاعمدة من عن الجانبين . على ان منظرها كان ابعد من ان يُشبه ذاك الترتيب القديم بما فيه من حوانيت واسعة مفتوحة بتخطيط منظّم تحت القناطر الضخمة ، تتسع وسطها الطريق الفسيحة الخاصّة بمرور الحيوانات . لم يبقَ من كل ذلك الا اسواق غير مرصوفة ، مضطربة الاستقامة ، لا يتجاوز عرضها من المتر الى الثلاثة الامتار ، تغطيها الحصر او رفوف الخشب، او سقوف التراب (الرسم ١٥)، وتنفتح ، من على جانبيها ، حوانيت حقيرة لا يندر ان نرى بينها ما لا يتجاوز حجمه حجم الخزانة . وهي تُستخدم للمبادلات واعمال البيع والشراء ، ولا يندر ان تُستخدم محلات للعمل . وهناك الازدحام العجيب من مشترين ، ومارّين ، وباعة تقّالين ، ودلّالين ، وسائلين ،

وحمّالين ، ودواب . حتى كأن الجادّة القديمة تصغّرت وضُغط عليها من الجانبين ، بعد ان رفع منها الرصيف والرواق ذو الاعمدة.

اما طريقة هذا التحوّل فتظهر واضحةً اذا ما قابلنا بين موقع الاسواق بالنسبة الى الجادّة ذات الاعمدة ، وحالة شوارع العصور الوسطى ، وشوارع العهد القديم . وقد كانت هذه الاخيرة تمتدّ ، دون انقطاع ، على خطٍّ مضبوط الاستقامة ، وبعرض لا يتغيّر . اما شوارع العصور الوسطى فقد كانت تنتهي بزوايا لا منافذ لها . وسواء أنظرنا الى مجمل تصميمها ام الى خطوطها المفردة ، فاننا نرى ان الخط المستقيم كان من النادر فيها ، وكذلك القول عن عرضها المختلف باختلاف الممرّات حتى انها كانت تظهر احياناً من الضيق بحيث لا تكاد تتّسع لمرور رجل واحد . على ان هذا لا ينفي النسبة المكانية بين هذه الشوارع والشوارع القديمة . وقد رأينا الكثير منها يتابع نسبياً تخطيط الشوارع اليونانية واتجاهها . واذاً فيحق لنا القول بان سلسلة متتابعة من التعدّي على الطريق العامّ فككت نظام ذاك الترتيب القديم وافسدته ، على طريقة بطيئة ولكنها متواصلة.

وكان مما سهّل حصول تلك التعدّيات ان الشريعة الاسلامية لا تعرف احكاماً خاصة بنظام المدن ، ولا بالمؤسسات البلدية. وهي لا ترى في المجتمع المدني ما كانت تراه اوربة في العصر نفسه ، اي وحدة اقطاعية متوارثة او جسماً ذا ميزات خاصة . انما هو جزء متمم غير منفصل من الجامعة الاسلامية الكبرى ، ولا صلاحية لاحد بان يسوسه ويسهر على مقدّراته الخاصة عن معرفة واستقلال . فان سلطة المحتسب، وهي تتعلق قبل كل شيء بالتجريات، لا توليه حقّ الاقدام على اي عمل كان . وكذلك القول عن الحاكم وواجبه الاساسي يقوم بالدفاع عن المنطقة والعمل على جباية الضرائب ، فلا يرى المدينة الا مجموعة من المكلّفين ، او عنصراً يؤثر بحالة الامن العامّ ايجابياً او سلبياً. وعلاوة على ذلك فان ما تتصف به ولاية هذين الرجلين من الاضطراب والقلق يحول بينهما وبين التعلّق القتال بمقام لا يريانه الا موقتاً ، فلا يسيران، على الغالب، الا بدوافع الرشوى والزلفى لمن كان اكبر منهما .

ومن هذا حصل امر مثقل بالنتائج ، وهو ان المدينة اختلفت عما كانت عليه ، فخرجت عن كونها شخصيةً مستقلة بل كائناً مركباً نابضاً بالحياة . واصبحت مجموعة من الافراد ذوي المنافع المتماكسة، ينفرد كل منهم بمصلحته عاملاً لها في منطقته الخاصة ، منصرفاً كل الانصراف عن جاره ، مستغلاً ، على قدر امكانه ، جميع الحوادث والاحوال في سبيل غايته الشخصية . اما الجماعات المنظّمة ، وهي الحرف والحارات ، فلم تخرج عن هذا الانتقال حتى امكننا الحكم بان تطوّر المدينة اصبح نتيجة لمجموعة من المساعي الفردية ، ليس غير . على انه من الحق ان نشير الى اعمال الامراء وعظماء المدينة ، وما يجب ان نعلق عليها من اهمية لما كان لها من التأثير في عامّة الشعب ، وهي اكثرية السكان عددًا ، واقواهم حركةً .

وقد احتفظت المدينة بهذه الصفات ، لا تكاد تغيّر فيها شيئاً ، طول القرون الوسطى (بالمعنى الغربي) بل طول الحقبة العصرية . فلم تنزع الى تحويرها الا بعد ان دخلتها المؤثرات الاوربية في منتصف القرن التاسع عشر .

تطوّر المدينة

تقدّم لنا القول بان ظهور الدولة العباسية كان بدء عهد انحطاط في دمشق . وذلك ان ذكر الامويين كان ثقيل الوطأة على الخلافة الجديدة فعملت على ملاشاته بطريقة منظمة . فخرّب العباسيون القصور ، وانتهكوا حرمة قبور الخلفاء ، واذروا رمادهم في مهبّ الرياح . وان يكن الجامع الاموي سلم من تلك التخريبات فالفضل لما كان يحيطه من احترام . على ان رجال بني العباس لم يتراجعوا عن تكسير الرقم المشيرة الى مؤسّسه ، ولا عفوا عن ارسال كثير من الزخارف والقطع الفنية الى العراق . حتى انتهوا بان هدموا اسوار المدينة رغبةً منهم في ان يحرموا السكان ما يتحصنون به اذا ثاروا عليهم . وليس من عجب بعد هذا ان تنحطّ دمشق المقهورة ، المغضوب عليها ، الى مصاف المدن الثنوية ، فتعمل فيها عناصر الانحلال المذكورة سابقاً ، وتتابع عملها على تفكيك عرى ذلك النظام القديم .

وقد اسرع فيها الانحلال ، على عهد السيادة الفاطمية ، بسبب الحرائق التي

كانت تشبّ فجـأةً وعن غير قصد اثناء المشاغبات والثورات . ولا يخفى ان شعلة النار ، ايًا كانت ، تتسارع السنتها ، ويمتدّ اذاها ، حتى تُصبح حالًا من الكوارث الهائلة في هذا المجتمع المبني كلّه بالموادّ القابلة الاحتراق . ثم يقوم المصابون فيبنون فوق الانقاض ، دون نظام ولا ترتيب ، ولا اهتمام بالخير العام .

ولما كانت السلطة الحاكمة تخشى هجوم العباسيين على المدينـة ، رأت ان تعيد الاسوار ، فرفعتها اولًا دكًا ثم بالبناء الحجري ، وذلك في القرن العاشر . ولكن التخطيط الجديد لم يوافق ، الا في بعض مواقعه ، تخطيط السور الروماني ، وقد استفاد المجدّدون من ابوابه القديمة ، فاصلحوها واستعملوا منها اربعة او خمسة . ولا سيما ذينك اللذين كانا ينفتحان على طرفي الجـادّة الوسطى . ولكن الابواب صُغِّرت حتى نصفها فسهل تحصينها والدفاع عنها .

ومما يجب ذكره في هذا العهد نشأة بعض الضواحي كضاحية « العُقَيبة » في الشمال ، وهي تصغير « العقبة » سُميت كذلك لوقوعها على المنحـدر الذي يحـدّ وادي النهر من ناحية الشمال . وكضاحيـة « الثاغور » في الجنوب . و« قصر الحجّاج » في الجنوب الغربي ، على مسافة من المدينة ، وقد دعي كذلك نسبةً الى منزل احد امراء الامويين . وقد نشأت هذه الضواحي بداهةً ، دون ان يكون لها تصميم يوجّه تطوّرها ، فاخذت المنازل تتتابع ، على عمق قليل ، طول الطرقات الواصلة الى ابواب السور المحصّن .

وهي في اكثرها ضواحٍ زراعية يقيم فيها باعة الخضروات . ومن ثمّ فلا نغترّ باهميتها ، ولا نستنتج منها ازدهار المدينة . انما كانت هذه تقاسي الامرّين من صعوبة الزمن واهمال السلطة فتحتال على الحياة منتظرةً ايام الهناء .

الاتابك والايوبيّون

(الرسم ١٦)

في السنة ١٠٧٦ ، توفق الامير اتسز التركي ، فنزع دمشق من ايـدي الفاطميين ، واعلن فيها سلطة السلاجقة . فاخذ هؤلاء يحكمونها إما مباشرةً ، وإما بواسطـة اتابكهم . وكان من اشهرهم نور الدين . ثم كان الحكم لصلاح الدين ، فأسس الدولة الايوبية ، متبعاً مبادئ سلفائه وسياستهم . وقد

ظلّت دمشق ايوبية حتى غزوة المغول في السنة ١٢٦٠ .

وكان هذا العصر في دمشق عصر نهضة حقيقية،سبّبها وجود البلاط السلطاني في المدينة . ولا يخفى ما كان في ذاك البلاط من جيوش مأجورة ، ومن حرس خاصّ معروف باسم « المماليك » ومشهور بالامانة ، ومن معاونين ، وقوّاد ، يُضاف اليهم اقرباء السلطان وحاشياتهم ومماليكهم . وان ظهر هذا الجمهور قليل الاهمية من حيث العدد ، وهو لا يتجاوز البضعة الآلاف، فانه كان كثيرها بالنظر الى ما كان لهذه الآلاف من موارد مالية غزيرة تكوّن عاملاً مهمّاً في الازدهار الاقتصادي.وليس بالقليل ما ينفقونه في سبيل حاجاتهم اليومية ، وما يبذرونه في سبيل كمالياتهم الترفية والبذخية.فلهم وحدهم تقريباً تشتغل العامّة، آمنةً في ظلّ النظام الجديد ، وبفضلهم تنهض التجارة والصناعة نهضةً جديدة .

وفوق هذا فان اتابك السلاجقة والايوبيين وسموا دمشق بسمة خاصة دائمة ، اذ جعلوها موقعاً حربياً،ومركزاً ثقافياً ودينياً.وكانت سياستهم متجهة بكاملها نحو تمجيد الاسلام السنّي، يعملون له ، في الخارج، بمحاربتهم الفاطميين والصليبيين ، وفي الداخل ، بنشرهم دعوة فعّالة ضدّ البدع الشيعية . واذاً فقد كان من همّهم ان يعتنوا اعتناء خاصاً من جهة بالمنشآت العسكرية الرامية الى الدفاع عن المدينة وقد هدّدها الفرنجة مرتين سنة ١١٢٩ و١١٤٨، ومن جهة اخرى ببناء « المدارس » العاملة على تثقيف رجال الادارة وفقاً لمبادئ الاسلام الصحيح.

وليس ما يدلّ على هذه النزعات الجديدة كبناء « القلعة » ، وقد انشأها بكاملها الامير اتسز نفسه دون شك ، على الزاوية الشمالية الغربية من السور الروماني ، فاستعان بقسم من الأسس القديمة ومن موادّ البناء كذلك . وقد اعتنى الاتابك بها اعتناء دقيقاً . على انهم رأوا ان يرمموها بكاملها منذ السنة ١٢٠٦ ، فيجدّدوا مواقع الدفاع فيها وفقاً لتقدّم الفنّ الحربي . والى هذا الترميم ترقى في حالتها الحاضرة ، ظاهرةً على شكل مستطيل فسيح يبلغ ٢٢٠ متراً في ١٦٠ متراً عرضاً،له مدخلان،ويدور حوله ثلاثة عشر برجاً عظيماً (الرسم ١٧).ولهذه القلعة قيمة خاصّة بالنسبة الى نظام المدينة وحياتها.فهي لا تكتفي بكونها الملاذ الاخير للمحاصرين تلجأ اليها قوى الدفاع ، كما كانت القلعة

القديمة ، بل انها ، قبل كل شيء ، مقام السلطان . تجتمع فيها ، حول شخصه ، دوائر الحكومة بكاملها . فيها منزل السلطان الخاص وما يتعلق به من المرافق . وفيها ردهة العرش او الايوان ، ودوائر الادارة المدنية والعسكرية ، وبرج الحمائم يأوي اليه حمام الزاجل المستعمل للمراسلات ، وثكنات الحرس ، ومخازن السلاح ، وبيت المال ، ودار صك النقود ، والسجن ، بل فيها قبور الاسرة المالكة . حتى لم يبقَ خارجاً عنها الا المحكمة القائمة ، منذ عهد نور الدين ، في بناء خاصّ يدعى « دار العدل » على مقربة من القلعة . وللقلعة ايضاً سوقها الخاصّة ، وحماماتها ، ومسجدها الجامع يجتمع فيه سكانها لصلاة الجمعة . ولا يخرج منها السلطان الى الجامع الاموي الا في العيدين ، دلالةً واضحةً على كونه رئيساً لدولة اسلامية ، ونائباً للخليفة . وهكذا تبدو القلعة مستقلة الى جنب المدينة ؛ وكأنها السراي العثمانية لما بينهما من اوجه للشبه دقيقة تتجاوز ما تقدّم ذكره . فهي مدينة مستقلة تكتفي بنفسها ، وتنقلنا بالفكر خلالَ بلاد ايران وآسية الوسطى ، الى « المدينة المحرّمة » في المدن الصينية .

ومن مظاهر اهتمام السلاطين بالشؤون الحربية ترميم السور ، في القرن الثاني عشر ، ترميماً نُظر فيه الى مبادئ جدّ قريبة من طرق التحصين الرومانية والبيزنطية . وقد بني امامه ، على قسم من الجبهة الشمالية ، سور جديد في اوائل القرن الثالث عشر ؛ ولا يبعد ان يكون هذا السور نتيجة تصميم حديث كان يرمي الى تجديد الاسوار بكاملها ، كما يظهر في مدينة حلب . فيكون ان العمل اوقف قبل نهايته بسبب الغزوات المغولية سنة ١٢٦٠

ويجب ان نذكر ، من المنشآت المتعلقة تعلقاً وثيقاً بالحياة العسكرية ، ذينك الميدانين اللذين كان ينزلها السلطان وقوّاده وجيوشه ، على طريقة منظمة ، فيلعبون بالكرة والصولجان ، فيروّضون جيادهم ، ويتمرّنون هم ايضاً منتظرين زمن الجهاد . وكان احد الميدانين ، وهو « الميدان الاخضر » ، يمتدّ ، غربي المدينة ، على مرج فسيح قرب النهر ، يبلغ نحو ٥٠٠ متر في ١٥٠ متراً . وفي اطرافه معالم تُشير الى الاهداف ، وحوله إطار من الشجر ، على الارجح . اما الميدان الثاني ، وهو اصغر من الاول ، فكان يقع جنوبي المدينة ممتدّاً على

ارض حصباء ، ولهذا دعي « ميدان الحصى » . ولم يكن الميدانان مختصين بالالعاب ، بل كان يتزلها من تضيق المدينة عن ايوائهم من الجماهير ، كمواكب الامراء والوفود ، والجيوش ، والقوافل المهمة احياناً . وهما ، فوق ذلك ، من اماكن النزهة يقصدها الشعب معجباً بالعاب فرسانه.

اما في المدينة نفسها فقد اتسعت الاسواق فتجاوزت منطقة الجادة القديمة ، متجهةً جهة الجامع الاكبر . وهنا نقطة مركزية يجتمع فيها اكثر السكان اسبوعياً ، ان لم نقل يومياً ، فيسهلون المعاملات التجارية . وكان من فضل هذا الازدهار الاقتصادي ان الضواحي اخذت تتسع بدورها . وقد بلغ من اتساعها ان اثنتين منها ، وهما العقيبة والشاغور ، اضطرتا الى بناء مسجد جامع في كل منهما .

بيد ان هناك ظاهرة مهمة ، بل حادثاً اساسياً ، يجدر بنا تدوينه في هذا العصر ، وهو نزعة بارزة في الطوائف الدينية الى الاجتماع معاً والاستقلال باحياء خاصة من المدينة . هي نزعة بدأت ، دون شك ، في العصور السابقة ، وستتسع كذلك في العصور المقبلة ، ولكنها جديرة بالذكر في هذا العصر خاصة. فان النصارى اخذوا يتجمعون شيئاً فشيئاً في الزاوية الشمالية الشرقية من المدينة، واليهود تجمعوا في الجنوب الشرقي . اما المسلمون فكانوا يتجمعون متكاثرين في القسم الغربي ، يجذبهم اليه الجامع الاكبر والقلعة والاسواق . كما ان الرغبة في الامن والطمأنينة كانت تدفع الاقليات — مع ما نشأوا عليه من العادات والتقاليد ، وما خصتهم به الشريعة الاسلامية من حالة خاصة — الى تأليف جماعات متماسكة متضامنة اشد تضامن . وبالاختصار فان تلك الظاهرة التي رأيناها تؤول الى تأليف الاحياء او « الجارات » في ما مضى ، تعود الآن فتظهر على شكل آخر يتناول المدينة بجملها . على ان الانفصال الثقافي لا ينال تمامه ضمن هذه الحواجز الا في ما بعد ، جارياً مع تقدم الصفة الاسلامية الخاصة في الدولة ، وعمق العاطفة الدينية .

ومن الطبيعي ان يكون تجمع المسلمين في القسم الغربي قد أثر في تعيين موقع البنايات الخاصة بهم ومن التي أنشئت في ذلك العصر . فقام مستشفى نور الدين

المعروف «بالمارستان» — وهو من اشهر «المارستانات» التي عهدها الشرق في القرون الوسطى — على مقربة من الجامع الاموي . وفي جواره عدد من الربط او الخوانق ، وكثير من تلك المدارس العاملة على نشر العلوم الاسلامية بين الشعب وعلى تأييد تعلقهم بالسُنة . ولقد كان الطلّاب في بعضها ، فوق التعليم المجاني ، يتناولون مبلغاً من المال يكفل معيشتهم ، على شريطة ان يصلّوا عن انفس مؤسسي تلك المدارس . وكان هؤلاء المؤسسون ، اول الامر ، من امراء الدولة . ثم اخذ اعضاء الاسرة الحاكمة ، وكبار الرجال والقوّاد ، ووجهاء المدينة يتنافسون في هذه الابنية ، حتى اصبح في دمشق نحو مائة مدرسة في منتصف القرن الثالث عشر ، يقوم اكثرها ، كما قدّمنا ، في القسم الغربي . على ان منها ما قام بعيداً عن ذلك المجتمع ، خارج الاسوار ، في عزلة موافقة للدرس والصلاة . ويمكننا ان نجمع هذه البنايات القائمة خارج الاسوار في مجموعين مهمين : احدهما يشرف على الميدان الاخضر ، في مكان وضعت فيه الاسطورة «قبور البرامكة» ، ولم يلبث ان احاطت به مقابر الصوفية . والآخر في خلف الجبل المشرف على دمشق . وفيه ازدحمت المدارس ، والربط ، والمشاهد ، حتى ألفت ضاحية دُعيت «بالصالحية» نسبةً الى مسجد ابي صالح الذي نزله ، على ما يُقال ، مؤسس اول بناء أقيم في هذا المكان . وكان من نموّ سكان الصالحية انهم لم يلبثوا ان انشأوا سوقاً خاصة ، ومسجداً جامعاً . ثم نزل بالقرب من هذا المسجد طائفة من الاكراد لحقوا بوطنيهم السلطان صلاح الدين . بيدَ ان هذه الضواحي ، وان اعتبرناها تمديدات للمدينة ، فقد ظلت مدة القرون العديدة تحيا حياةً خاصة مستقلة عن حياة المجتمع الاصلي .

ولا يؤخذنّ المطالع بعدد هذه البنايات الجديدة . فانها لم تغيّر شيئاً مهماً في منظر دمشق العام . لا شكّ في انها بنايات حسنة التصميم ، جميلة البناء ، ذات واجهات من الحجر المنحوت ، متميزة تماماً عما حولها من الحيطان المطليّة بالطين . ولكن قوامها لا يرتفع بارزاً فوق مستوى السطوح ، والقبب التي تعلو قبور مؤسسيها لا تتصف من الارتفاع والفخامة بحيث لا تضيع في المنظر العام الشامل . واذاً فان بناء هذه المدارس لم يكد يؤثر في جمال المدينة .

وكان من تعلق رجال السلطة بالسنة انهم اقاموا في المقابر المختلفة الممتدة امام ابواب السور ، ولا سيما في المقبرة الكبرى الواقعة امام «الباب الصغير»، مشاهد تذكارية في عدة مواقع عيّن فيها التقليد قبور الصحابة.

وهكذا كان نصيب دمشق ان تعود الى نهضتها ، منذ منتصف القرن الثالث عشر، بفضل النظام والازدهار الاقتصادي الناتجين من ادارة امراء الترك، فتسترجع صفات المدينة الكبيرة الظاهرة مركزاً سياسياً ، وتجارياً ، وصناعياً، وحربياً ، وثقافياً ، ودينياً.

المماليك

(الرسم ١٨)

ثم كان الاكتساح المغولي سنة ١٢٦٠ ، فبدأت حقبة جديدة في تاريخ دمشق.

اصبحت سورية بكاملها ، اعتباراً من هذا التاريخ، مقاطعة لاحقة بدولة مصر . وعلى رأس هذه الدولة «المماليك» الترك الذين ثاروا على سادتهم ، سلاطين الايوبيين ، واغتصبوا عرشهم . وقد ظهرت هذه الدولة المصرية - السورية ، في اول عهدها، بارزة القوة حتى انها اعتبرت المركز الحقيقي للسياسة والثقافة في العالم الاسلامي. وذلك بفضل ما امتاز به اثنان من كبار سلاطينها ، هما بيبرس وقلاوون ، من صفات خاصة ، وبما توفقا اليه من طرد الصليبيين واتباع تقاليد الايوبيين . على ان هؤلاء المماليك انفسهم اخذوا ، منذ اواخر القرن الرابع عشر ، يجمعون حولهم مماليك جدداً من الجركس لم يلبثوا ان اغتصبوا الحكم بدورهم ، فبدأوا عهداً من الارهاب ، والسلب ، والتعديات ، والتهاون في ضبط الامور ، عجل ، دون شك ، خراب المملكة ، حتى ظهرت جيوش العثمانيين فطردتهم ، دون تعب ، سنة ١٥١٦

وان اهم عامل في تطوّر دمشق ، مدة هذا العهد ، بل العامل الوحيد تقريباً في ذاك التطوّر هو اهمية العنصر العسكري في تكوين الدولة . ولم يكن في هذا العنصر الا المماليك والموالي ، وكلهم جهلة ، جشعون ، شرسو الاخلاق، يخرج منهم رجال الحكم من اصغر موظفي الدولة حتى السلطان نفسه.

وكان من نتيجة ذلك — وهو امر غريب في الظاهر فقط — ان حركة

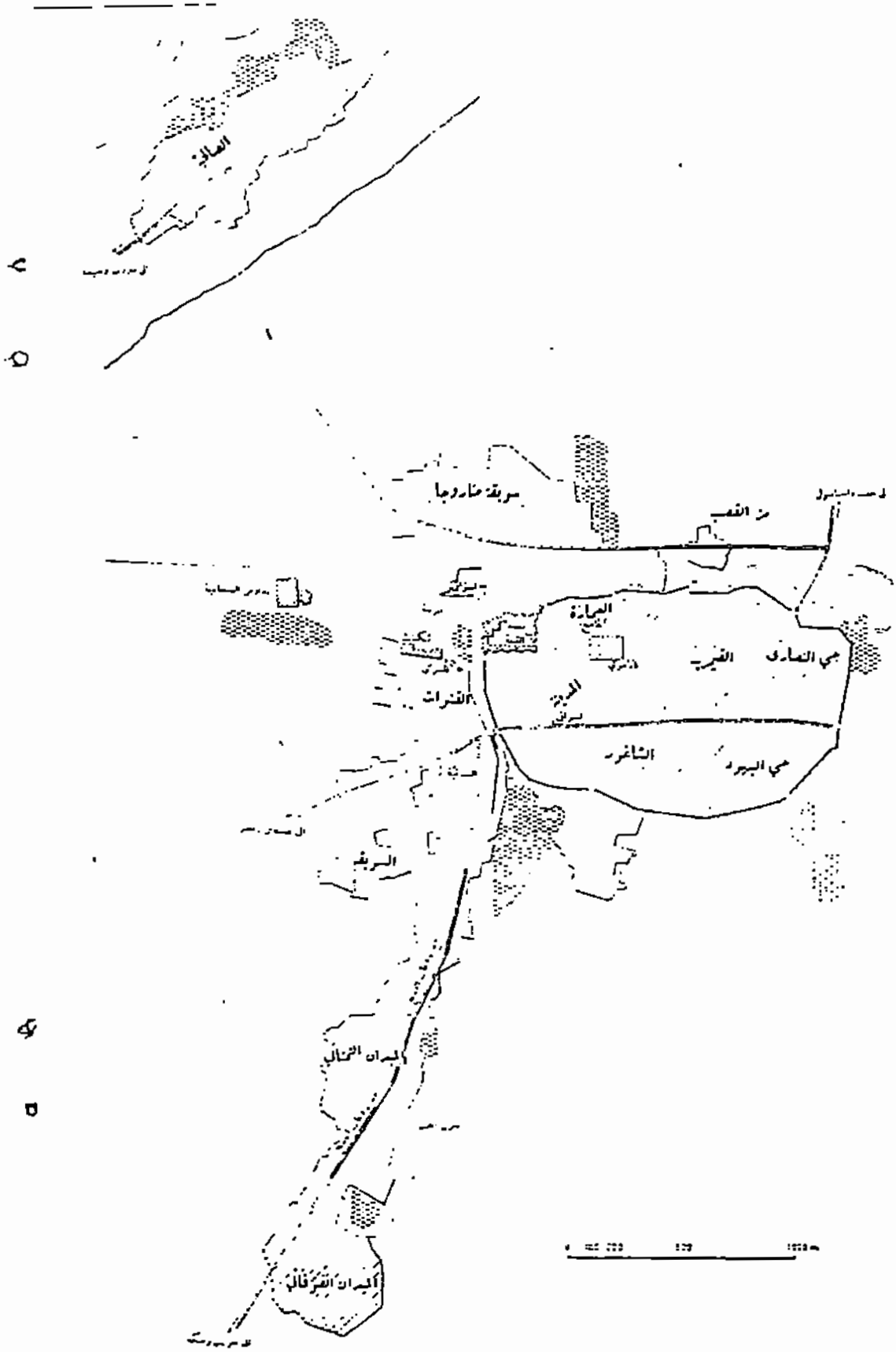

الرسم ٢٠ – دمشق في منتصف القرن التاسع عشر

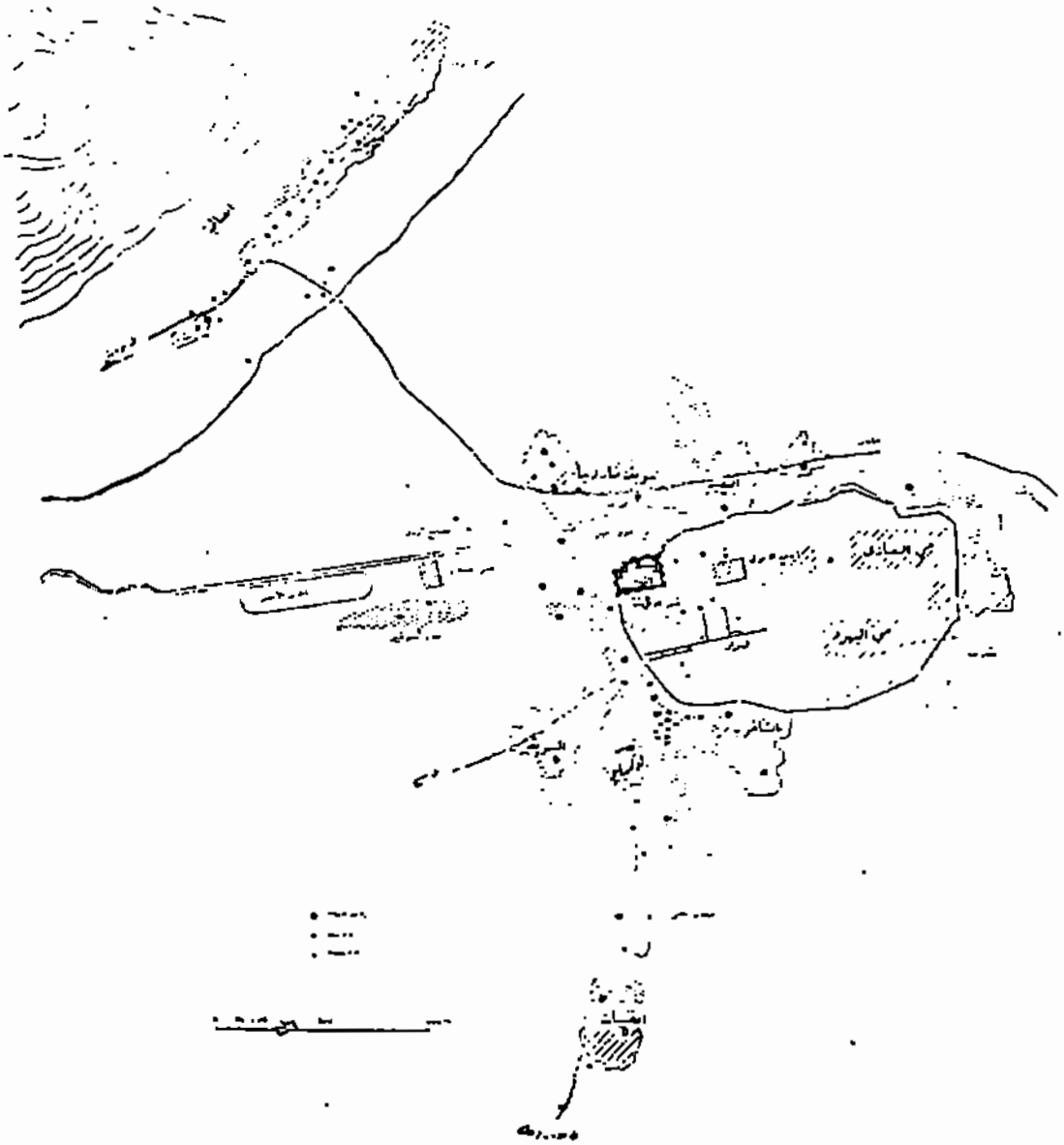

الرسم ١٨ – دمشق في اوائل القرن السادس عشر

المدينة الاقتصادية نالت ازدهاراً عجيباً في هذا العهد التاعس : وذلك ان جميع هؤلاء المغامرين ، الذين نالوا الرفعة من حماقة الحظ فعاشوا يقلقهم خوف الاغتيال او خشية الاعتقال ، لم يهتموا ، من شؤون الدولة ، الا بتوفير ملذاتهم ، والحياة في بذخ وترف غريبين ، نكتفي بمثل واحد في الدلالة على مبلغهما . وهو ان الامير سيلار ، بعد ان قضى احدى عشرة سنة في ولاية مصر ، توفي تاركاً عدة ملايين من النقود وعدداً كبيراً من العبيد والبنايات . يُضاف الى ذلك وزن طن ونصف طن من آنية الفضة ، و٧٥٠ كيلوغراماً من قنا الرايات المصوغة فضة ، و١٠٠ سرج مزركش بالذهب ، و٤٠٠ ثوب من الحرير المبطن بالفرو ، و٣٠٠ من الثياب الفاخرة للحفلات ، و١٠٠٠ قطعة حريرية ، و١٦ مضرباً مغشى بالحرير الاحمر المزركش ، و٣٠٠ فرس ، و٧٠ كيلوغراماً من الحجارة الكريمة ، و٥٩٣٠٠٠ هكتوليتر من الحبوب . واذاً فلا عجب ان تكثر كماليات هؤلاء السادة الحديثي النعمة فيشتغل في سبيلهم جميع رجال الصنائع التي عززها وجود البلاط السلطاني في دمشق مدة القرون السابقة . وهكذا غدت دمشق مدينة صناعية عظيمة مختصة بالمنتجات الشرقية تغذي بها تجارة داخلية واسعة النطاق .

وكانت تلك المصنوعات تُصدر الى الخارج ايضاً . فان الحروب الصليبية كان من نتائجها ان اعادت العلاقات بين الغرب المسيحي والشرق الاسلامي ، بعد ان انقطعت مدة طويلة . وكانت اوربة ، وهي حافلة بمظاهر الحياة اذ ذاك ، لم تتجاوز بعد الافق الجغرافي الضيق الذي عرفته العصور القديمة ، فلم تعرف غير الشرق الادنى سوقاً للمنتجات الغريبة كالاقاويه والاصباغ والحرير وما شاكل . فكانت البندقية وبيزة وجنوى ومرافئ فرنسة الجنوبية تعمل في استغلال تلك السوق على اتم ما يمكن من مهارة ، وتتنافس في الحصول على الاولية التجارية . وكان لدمشق ان تستفيد نوعاً ما من هذه الحركة التبادلية الواسعة ، على رغم ما كانت تعانيه من مزاحمة حلب لها . وموقع حلب الجغرافي افضل من موقعها ، ومقامها كذلك اوفق للفرنجة من مقام دمشق لانهم كانوا في دمشق عرضة لاستبداد الحاكم ، وهو من اعظم رجال المملكة سلطة ، وهدفاً

لبغض السكان المستعدّين دائماً لرجمهم اذا ما ظهروا راكبين الخيل ، او اذا اهملوا التعمّم بعمّة النصارى الزرقاء . ولهذا لم يؤسس تجار الفرنجة في دمشق محلاً دائماً على شيء من الاهمية . انما كانوا يأتون السوق كثيراً ، على مثال جاك كور ، فيبيعون فيها الاجواخ الآتية من الفلاندر ، والعبيد المستوردة من المستعمرات الجنوية في البحر الاسود . ويشترون ، لا الموادّ الاولية كما في اسواق حلب ، بل منتجات الصناعة المحلية النفيسة كالحرائر الدمشقية « *damassés* » والنحاس المُنزّل بالفضة « *damasquinés* » ، ونصول دمشق الشهيرة ، وقد نُقشت قبل سقيها فبدت متموّجة اللمعان ، وآنية الزجاج الدمشقية الفائقة الزخرف بالمينا ، تلك الآنية المذكورة في لوائح اثاث ملوك فرنسة ، والتي تفتخر بها كنوز بعض الكاتدرائيات الغربية .

وكان ان هذه الحركة الصناعية والتجارية اثرت ضرورةً في تطوّر المدينة ، فاتسعت الاسواق اتساعاً جديداً ، واثّر فيها كذلك تفوّق العنصر العسكري ، فاخذت محلات البيع والشراء تتميّز مائلةً الى الاختصاص بالنسبة الى زبائنها .

فظهر ، امام باب القلعة الشمالي ، ميدان فسيح دعي « تحت القلعة » ، كانت تُقام فيه « سوق الخيل » . وهي ضرورية لتموين الجيش المؤلف من الخيالة وحدهم . وفي هذا الميدان ، كان الحاكم يجمع الحامية ، مرتين في الاسبوع ، اثناء الحفلة التي تتقدم مجلس القضاء الحافل ، فيستعرض الجند ويراقب الخيل والسلاح والاعتدة ، ويُعلن الترقيات والقرارات . ولما كانت سوق الخيل قد اصبحت مركز الحياة العسكرية ، وموقف الجنود العادي ، اخذ جميع الصناعيين العاملين في سبيل افراد الجيش ، كتجار الاقمشة والثياب والخياطين ، وصنّاع الاسلحة ، واصحاب المطاعم والخمّارات ، وباعة السلع العتيقة ؛ وجميع من يعملون في سبيل الخيل كباعة الشعير والتبن ، وصنّاع المذاري والغرابيل ، والسروجيين ، يتركون شيئاً فشيئاً حوانيتهم ضمن الاسوار ، ويأتون مجتمعين « تحت القلعة » حول الميدان المذكور ، وعلى ممرّ الطرقات المؤصلة اليه (الرسم ١٩) . وكذلك عمل هذا المركز على جذب باعة الخضر والفواكه ، فاخذ يُقام فيه سوق خاصة كل نهار جمعة .

ومن اثر تجمّع ارباب الصناعات هذا ، خارجاً عن المركز التجاري الاصلي، أنّ الصناعيين والتجار الذين يعملون في سبيل سكان المدينة وجدوا متسعاً لهم في الاسواق القديمة فاستظلوه وفقاً لمتطلبات الحركة الاقتصادية . فتكاثرت الدبّاغات ، وهي ضرورية لصناعة السروج ، حتى ان مصانع الورق التي كانت الى جنبها اضطرت الى الانتقال الى منطقة جديدة . وكذلك القول عن مصانع الفخار فانها تكاثرت حتى ألفت ضاحية جديدة خارج الباب الشرقي ، لان مصنوعاتها ، بعد ان ظهر فيها تأثير الخزف الصيني ، اشتهرت شهرة واسعة محتلّة حتى اسواق القاهرة . اما الساحات التي كانت تُقام فيها اسواق الماشية وسوق الاحد فقد حفلت بالمنازل لان تلك الاسواق لم يبقَ لها من منفعة فتلاشت.

ولا يخفى ان الحاجة الى اليد العاملة تزيد عدد السكان . فنشأ من ذلك ضاحيتان جديدتان خُصّتا بالسكن ، وبرهاننا على ذلك في اسميهما المأخوذين من «السويقة» التي كان سكانها يشترون منها . وقد نشأت الاولى منهما في الجنوب الغربي على الطريق الآخذة نحو عكا وصور ومصر . وذُميت «السُويقة» على الاطلاق، وحفلت بالكثير من الخانات الضرورية لنزول القوافل. إما الضاحية الثانية فاسمها «سويقة صاروجا» ولا نعرف مَن يمثّل هذا الاسم ؛ نشأت في شمالي المدينة على طريق الصالحية وبيروت ، قريبة من سوق الخيل ، واختصت على الغالب بسكنى الضباط والجنود.

اما القلعة فقد كان لها نظام خاصّ . لم يكن للحاكم ايّ سلطة عليها، بل لم يكن له الحقّ بدخولها ، وذلك خوفاً من ان يستند اليها حكام المدينة في ثورتهم على السلطان . انما كانت تخضع لقائد خاصّ يتعلق رأساً بالسلطان . فهي مدينة ملكية مستقلة ، وان لم يكن هناك سلطان تتعلق به . اما الحاكم فقد كان يقيم ، مع دوائر حكومته ، في قصر العدل القديم.

ولم يكن ذلك الازدهار الاقتصادي الذي اشرنا اليه كل ما انتجته من الضرائب سلطة المماليك . فقد كان هؤلاء المسيطرون السكارى الاميّون الجُفاة يرغبون في البناء، وقد تركوا في دمشق عدداً من الآثار غدت زينة للمدينة. ولما كانوا دائمي القلق في حياتهم ، عمدوا قبل كل شيء ، الى تأمين دفنهم ،

فأقاموا تلك المقابر الفخمة ذات الواجهات المتعـدّدة الألوان ، والقبب الرفيعة ، المزيّنة بالتصاوير ، الظاهرة في منظر المدينة مظهر الجمال الملوّن. وهي تتسلسل خاصةً على طريق مكة لينال الباني بركة صلوات الحجاج في طريقهم الى البيت الحرام . واهتموا ايضاً ببناء المساجد الجامعة ، وهي من نتائج تطور الافكار الدينية واتساع المدينة ، فقامت في جميع الاحياء مرتفعـةً بمآذنها المربّعة او المتعدّدة الاضلاع بما عليها من الشرفات والخرجات ، باسقة ، في كل ناحية ، عن مستوى السطوح العادي ، مضيفةً الى منظر دمشق مشهداً جديداً ، معلّقةً وسط السماء ، طول ليالي رمضان ، اكاليل متنوعة من الانوار.

بيدَ انه ، منذ منتصف القرن الخامس عشر ، بدأت ازمة اقتصادية شديدة الوطأة وذلك ان النظام الغريب الذي كان سائداً في مصر وسورية منذ مائتي سنة ولّد فقراً شاملاً في جميع الطبقات . ففرغت خزائن الدولة ، حتى اضطرت الحكومة الى الاحتيال على المعيشة . وقلّت مقدرة كبار الرجال على المشترى ، فخفّفت الصناعة من منتجاتها . وثقلت وطأة الضرائب والمكوس على التجار ، فوق استبداد الموظّفين ، فـدخلت التجارة في طور نزاع حتى قضت عليهـا اكتشافات البرتغاليين عندما افقدوا طرق البحر المتوسط اهميتها السابقة . ولقد كان نصيب دمشق وافراً من ذلك الشقاء ، ولاسيما بعد ان اكتسحها تيمورلنك سنة ١٤٠٠ ، فجلا عنها عدداً كبيراً من الحاكة وصناع الزجاج والاساحـة ، واضطرهم الى المسير نحو سمرقند . فانحطت انحطاطاً لم تنهض منه . ولم تكن الا مدينة نصف خربة عندما دخلها السلطان سليم سنة ١٥١٦

العثمانيون

(الرسم ٢٠)

لم يغيّر خضوع سورية لسلاطين القسطنطينية شيئاً مهمّاً في النظام الاجتماعي ، الا في ما خصّ مبدأ الحكم . فان الباشاوات لم يكونوا ، على الغالب ، اقلّ جهلاً ، ولا شراسةً ، ولا اضطراباً في مراكزهم من حكام المماليك ، ولا ابعد عن النهم في المال بفضل ما كانوا يفرضونه على السكان من الضرائب والغرامات بسبب وبغير سبب . وان يكن جمهور الجيش ابعد عن اثارة الفتن من الجيش

المملوكي ، فان هناك فرقتين ممتازتين ، هما « الشرفاء » و « الانكجارية » ، كانتا تتنافسان دائماً في سبيل التفوق وبسط النفوذ ، وكثيراً ما كانت تنتهي منافساتهما بالعراك المسلح . اما خارج المدن فلم يبق من سيادة للامن ، وها ان البدو وقطاع الطرق ينهبون القوافل ولا يخشون عقاباً .

ولكن لم يكن لهذه المظاهر المحلية من تأثير عام . فان تطور دمشق ، في هذا العصر ، تأثر بعوامل اهم مما تقدم ، هي تلك العوامل التي كانت تهم الامبراطورية بأسرها .

واولها كيان تلك الامبراطورية نفسها الشاملة شرق البحر المتوسط بكامله . حتى اصبح ممكناً لكل فرد من رعية السلطان الاعظم ان يسافر من الدانوب الى الاوقيانوس الهندي ، ومن بلاد العجم الى المغرب ، دون ان يخرج عن الشرائع نفسها ولا عن النظام الاداري الذي اعتاده ، بل دون ان يضطر الى استعمال لغة جديدة ، ولا ان يحتاج الى الاخذ بقطع من النقود غير التي عرفها في بلاده . وهي حالة لا تخفى اهميتها في سبيل تعزيز حركة التجارة الداخلية ، حتى ان المكوس والرسوم المتعددة ، واستبداد الموظفين ، واضطراب الامن في الطرقات لم تتمكن من عرقلتها ، لانها كانت تعد تجارة خارجية وافرة الارباح . وذلك ان الموافقة على « الامتيازات الاجنبية » فتحت المرافئ التركية لتجار اوربة فاخذوا يصدرون اليها الكميات الهائلة من المصنوعات على اختلاف انواعها ، ويستوردون منها كميات كبيرة من المواد الاولية . وكان اكثر الناس فائدة من هذه الحركة تجاري البلاد ، فان معرفتهم بالعادات المحلية سهلت لهم اعمال الوساطة والسمسرة والترجمة . وقد استفادت دمشق فائدة جليلة من هذه الحركة التجارية المزدوجة بفضل قربها من « اسكلة » صيدا الفرنسوية .

على ان حركتها المهمة كانت تتجه ناحية اخرى ، وذلك بفضل موقعها الجغرافي على طريق الحج . وهكذا فقد كان الحج الى مكة مورد المدينة الاعظم حتى آخر القرن التاسع عشر .

ولا يخفى ان الوصول الى الحرمين بطريق البر يفرض مشقات جمة . فكان اذاً على سلاطين آل عثمان ، وهم رؤساء الاسلام السني ، ان يهتموا بتسهيل

الحجّ على المؤمنين ، منظّمين طريقه . فأنشأوا ، على طرقات مملكتهم المتجهة نحو الحجاز ، الخانات ، والجسور ، والمخافر ؛ واقاموا في البادية حصوناً لحراسة الآبار ، وجعلوا من دمشق ، وهي آخر محطة في بلاد الحضر المأهولة المتمدّنة ، محل اجتماع الحجاج القادمين من الشمال . فكان والي دمشق ، في الميعاد المعيّن كل سنة ، وقد دُعي بلقب طالما تاق اليه الباشاوات وهو لقب « امير الحجّ » ، يترك المدينة في موكب حافل ، مرافقاً « المحمل » ، شعار سيادة السلطان على « الحرمين الشريفين » . فيصل الى المزيريب في حوران ، على حدود ارض القبائل ، حيث ينتظره الحجاج . ومن هناك يقود بنفسه تلك القافلة العظيمة يحميها الجيش بمدافعه عند الحاجة ملقياً الهيبة في قلوب البدو . وهي مهمّة خطرة قد تذهب بحياة الوالي ان لم يكن جديراً بتحمل مسؤوليتها .

ولكي نفهم اهمية هذا الحادث السنوي ، على وجهه التامّ ، علينا ان ننتبه ان هذا النظام لا يستفيد منه السوريون وحدهم ، بل هناك ايضاً مسلمو الجزيرة العليا ، وكردستان ، والقوقاس ، واذربيجان ، والاناضول ، والبلقان ، والقريم ومسلمو استانبول نفسها ؛ وهي اوفر مدن البحر المتوسط سكّاناً بعد البندقية . واذاً فان لدينا عشرات الالوف من المسلمين يستدعيهم الامان السائد على « درب الحجّ » فيمرّون في دمشق مرّتين : ذهاباً واياباً .

وفي دمشق يستعدّون لقطع البادية . فيتأبرون او يشترون الدوابّ ، ويأخذون المعدّات للنزول في الصحراء ، ويهتمون خاصة بالمؤونة الكافية لمعيشتهم حتى رجوعهم الى دمشق . لانه لا مورد لهم في الصحارى المقفرة التي سيقطعونها ، ولا في الاماكن المقدسة التي سينزلونها . ومن الطبيعي ان يفضلوا اسهل المآكل حفظاً ، وافضلها غذاء ، وهو القمح . وكم يلزم من اطنان القمح لتغذية عشرين او ثلثين الف رجل مدة ثلاثة اشهر ! ويجتهد الحجّاج في ان يستعيضوا بعض الشيء من نفقات حجهم ، فيأتون ، في ايابهم ، بكثير من البضائع الوافرة الأرباح على صغر حجمها ، كسلع الشرق الاقصى ، والبنّ ، والعبيد السودان والحبش ، فيبيعون كل ذلك في دمشق ، اول مدينة متحضّرة في طريقهم . وهكذا يحدث الحجّ في المدينة حركة نشيطة تظلّ ، حتى اوائل

عصرنا ، العامل الاهمّ في تطوّر تجارتها .

وكان الدور المهمّ في حياة المدينة اذ ذاك للقوافل . وهو ما يبرّر انشاء الخانات العديدة مستودعات وفنادق للاجانب من التجار . واقدم تلك الخانات لا يختلف تصميمه عما نعهده في سورية ؛ ففي وسطه ساحة مربّعة على الغالب ، يحيط بها رواق دائر مرتفع على اعمدة ، تنفتح فيه الحوانيت والاصطبل ؛ وتختصّ الطبقة العليا بغرف السكن . على انه منذ القرن الثامن عشر ، بل قد يكون منذ القرن السابع عشر ، ظهر بعض التغيير في هذا التصميم العادي وذلك ان الساحة المركزية اخذت تضيق وتسقف بالقباب فتتحوّل الى مستودع تكون فيه البضائع بأمن من تقلبات الجوّ . وان نشأة هذا الطراز الجديد، الخاصّ بدمشق ، لدليل على ان الخان اصبح اذ ذاك عنصراً حيًّا فعّالًا في المدينة .

ثم اننا نرى ان كل ما يتعلّق بالحجّ من مظاهر التجارة يتمركز على طريق مكة ، فتظهر هناك خارج الباب الغربي ، على ضفة الخندق ، في المحلّ المدعو «السنانية» ، نسبةً الى الجامع القريب وهو من بناء سنان باشا، مجموعة من الاسواق يجد فيها المسافرون ، وارباب القوافل ، وباعة القمح من الفلاحين ، واصحاب الابل من البدو ، كل ما يحتاجون اليه من ثياب ، واحذية ، ومعدّات للمضارب ، واكياس ، ورحال وما شاكل . وابعد من ذلك ، على الطريق التي تؤدي الى الحجاز والى اراضي حوران الخصبة ، تتتابع مستودعات القمح دون انقطاع بين المشاهد المبنية من عهد المماليك ، فتؤلف ضاحية يبلغ طولها الثلاثة كيلومترات تنمو فتطغى على قرية صغيرة تدعى « القبيبات » اي القباب الصغيرة ، كان يسكنها زرّاع الاراضي المجاورة . ولا تلبث تلك الضاحية ان تدعى «الميدان» باسم «ميدان الحصى» القديم وهو قريب منها . ويسمى طرفها الجنوبي « باب الله » وهو المحلّ الذي يترك فيه الحجاج مدينة دمشق متجهين نحو البيت الحرام . اما سكان تلك الضاحية فكلهم من باعة القمح ، والفلّاحين ، والبدو ومن اليهم . وكان من الطبيعي ان تُقام سوق الجمال على مقربة من هذه الضاحية ذات الاختصاص، كما ان سوق الخيل ، وقد فقدت اهميتها ، اخذت تتراجع امام تقدّم الاسواق التجارية التي كانت تحيط بها .

وكان من نتائج بعد الحدود السياسية ذاك البعد العجيب ان المدينة اصبحت بأمن من الغارات والاكتساحات ، فلم يبقَ من منفعة للتحصينات القديمة . ولهذا رأينا منازل السكن تكتسح الاسوار شيئاً فشيئاً ؛ والخندق تملأه الاوساخ والفضلات . اما القلعة فقد تداعت للسقوط ، ولم يبقَ فيها الا عدد قليل من الرجال العاطلين . على انها ظلّت محافظة على صفتها المعروفة منذ عهد المماليك ، فبقيت تتملق رأساً بالسلطان ، وعليها حاكم خاصّ ، اشارةً الى سلطة السلطان المهدِّدة دائماً الباشا الوالي . ومقام هذا ، مع دوائر الحكومة ، في السراي ، خارج المدينة ، يلتفّ حوله كبار الاسر التركية ، موجدين ضاحية جديدة تمتدّ على طول القناة الرومانية القديمة ، وتدعى «القنوات» . امـا باقي الضواحي كسويقة صاروجا ، والعقيبة ، والسويقة ، فقد اتسعت كذلك بتأثير تلك الحركة العامة . وكذلك القول عن الصالحية المتسعة بفضل وصول طارئة جديدة من الاكراد . وكان الاروبيون من قناصل ، ومرسلين ، وتجار ، ينزلون ، بين ارباب دينهم ، في حيّ باب توما الحافل بالمنازل الجميلة .

ولنشر اخيراً الى ان الباشاوات انشأوا بعض الجوامع الكبيرة ، وان كانت قليلة العدد . وقد بنوها على طراز جوامع القسطنطينية (الرسم ٢١) فرفعت في الفضاء قبابها الفسيحة النصف الكروية ، ومآذنها النحيفة المتوّجة بما يشبه مطافئ الشمع ، فأثرت في منظر المدينة بما اثرت فيه بنايات المماليك . وكان لساحاتها التي تحيطها الاروقة اللطيفة ذات القبب ، وتظللها الدوالي وشجر الدلب ، ان تثير ، في قلب دمشق ، تلك اللذة الكئيبة التي تمتاز بها استانبول .

هذا مظاهر دمشق ، وقد بدت مستعدّة للتأثر بالثقافة الاوربية ، على اثر احتلال محمد علي لسورية ١٨٣٢ — ١٨٤٠

المدينة العصرية

(الرسم ٢٢)

ان درس المدينة في العصر الحاضر يتعلق بالجغرافية اكثر منه بالتاريخ . على اننا رغبةً في ان لا نترك الوصف ناقصاً ، نشير ، وان اشارة سطحية ، الى

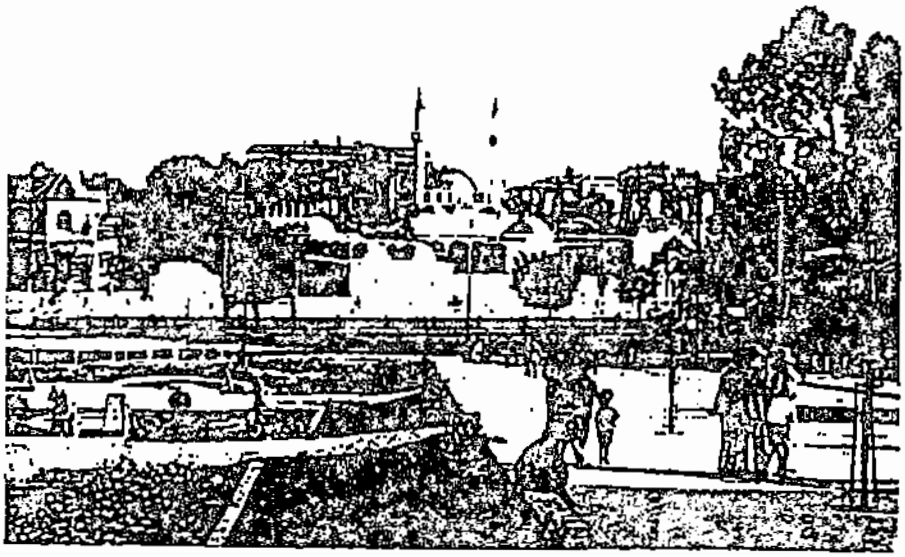

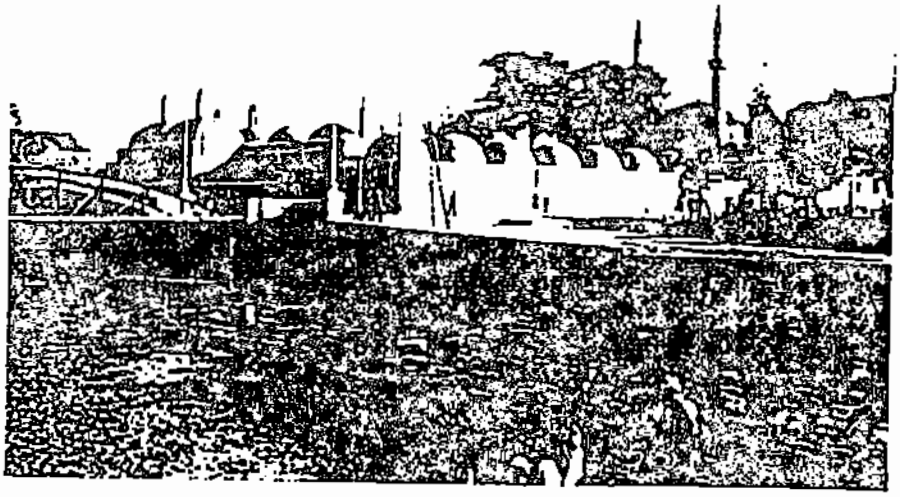

الرسم ٢١ – منظران لتكية السلطان سليم

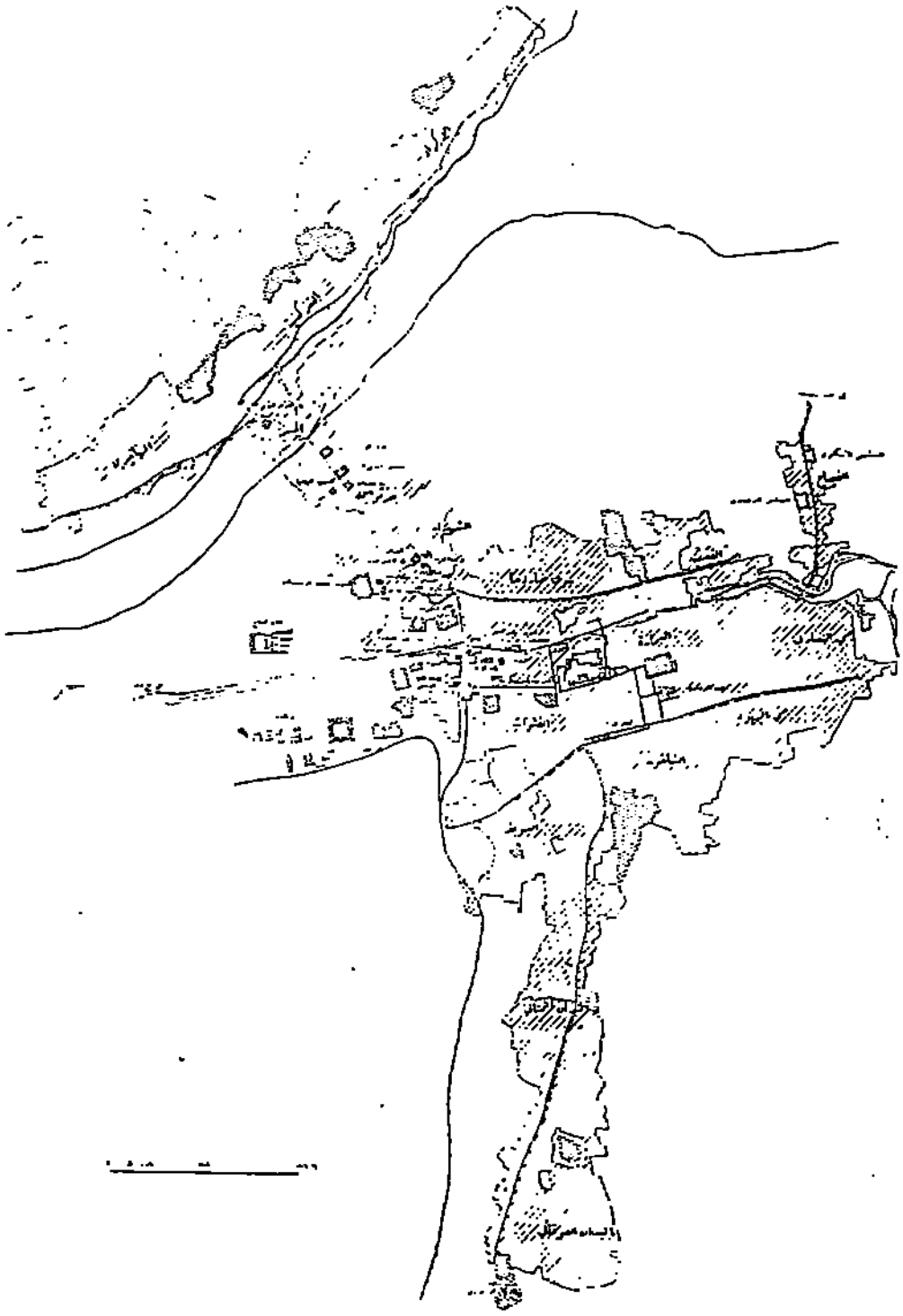

الرسم ٣٢ – دمشق الحاضرة

ما ظهر من نزعات جديدة منذئذ ، والى ما كان لها من تأثير في التطوّر الحضري .

واننا نميز حقبتين في تطوّر المدينة العصرية :

تبدأ الاولى منهما بالاحتلال المصري سنة ١٨٣٢ ، وتنتهي بانتهاء السيادة العثمانية سنة ١٩١٨ . ولا يظهر فيها التأثير الاوربي الا بواسطة الشرقيين انفسهم كالموظفين المصريين ، والباشوات المصريين ومنهم مدحت باشا ، والمنتمين الى حزب «تركية الفتاة» . ولا يخفى ان هذا التأثير كان ناقصاً .

ظهر من جهة باهتمامات جديدة اخصّها ما تعلّق بالصحة العامة ، وبحركة السير ، ومن جهة اخرى بتنظيم اداري جديد ادّى الى اقامة بنايات جديدة اختصاصية .

وقد قامت هذه البنايات على الاراضي التي ظلّت خالية حتى ذاك العهد ، وهي غربي المدينة القديمة ، في « المرجة » على ضفتي النهر . فبنيت هناك السراي — وهي غير مركز اركان الحرب المعروف « بالمشيرية » — ومركز البلدية ، وادارة البوسطة ، وقصر العدل ، والجامعة ، والثكنات ، ومحطة سكة حديد بيروت والحجاز ، وادارة شركة الترامواي الخ . . .

وكان من اثر الاهتمامات الصحية اعادة توزيع المياه ، ونشأة احياء بعيدة عن وسط المدينة القديم . وكانت السلطة في اواخر القرن التاسع عشر ، قد انزلت في سفح الجبل في الطرف الغربي من الصالحية ، من هاجر من مسلمي اقريطش ، في حيّ قسمته الى اقسام منظّمة ، ودعي منذئذ بحي «المهاجرين» . وكان ان الهواء الدائم في ذاك الحي ، وما يمتاز به من جمال المنظر ، اهاب بسراة الاتراك فاخذوا يسكنون فيه . كما ان كثيراً من الاسر الموسرة اخذت تنتقل من المدينة القديمة ، ملاقية طول طريق الصالحية ، بين الجنائن المتتابعة ، منازل افضل من منازلها الاولى .

بقي ان الرغبة بتسهيل حركة السير للعربات الداخلة حديثاً في المدينة دفعت الى توسيع السوق المهمة ، تلك التي تقابل الجادة الرومانية . فنشأ بسبب تضيق مجال التجارة في تلك السوق ، اسواق جديدة قامت مكان خندق القلعة ، وقد

طمرته الحكومة وقسمته .

اما الحقبة الثانية فتبتدئ بالسنة ١٩٢١ ، وفيها استقرّ الانتداب الفرنسوي في دمشق . فاخذ تقدّم المدينة بالنظر الى الغرب يسير سيراً حثيثاً . وذلك لان الاوربيين اخذوا يشتركون فعلاً بادارة البلاد ، ولأن طارئة فرنسوية اخذت تقيم في المدينة ، وان تكن تلك الطارئة قليلة العدد ، فانها شديدة التأثير بسبب غناها النسبي ، واتحادها بعضها ببعض ، ونفوذها الاجتماعي والثقافي .

وبفضل اقامتها في دمشق ، وفي سبيل حاجتها ، تقدمت تلك الاحياء الممتدّة بين الصالحية والمدينة القديمة ، والتي ظلّت ضئيلة حتى ذلك العهد . وهكذا رأينا « الجسر » و« عرنوس » و « الشهداء » ، في أقل من عشر سنوات ، تنمو نمواً فاق كل تقدير . فتظهر بمظهر مدننا الغربيـــة بشوارعها العريضة المستقيمة ، واختلاط سكانها ، حتى لا نرى اثراً لتلك الحواجز العنصرية ، فالاوربيون يعيشون والسوريين جنباً الى جنب . بل ان نصارى المدينة انفسهم اخـــذوا ، بفضل الامن المستتب ، يتركون حيّهم القديم في باب توما وينتقلون شيئاً فشيئاً الى هذه الاحياء الجديدة . وهذه الحوانيت والمخازن تتابع الآن طول الجادة الوسطى ، في هذه الاحياء ، فتظهر لا بمظهر السوق القديمة ، بـــل بمظهر شارع اوربي تجاري تجد فيه جميع اصناف التجارات الواحدة جنب الاخرى .

وليس ما يمنع تتابع هـــذه الحركة العصرية . فان الاحياء الجديدة تترع منذ بضع سنوات الى احتكار الناحية العصرية في حيـــاة المدينة فتنتقل اليها يوماً بعد يوم جميع المؤسسات المهمة في المدينة الحاليـــة كالادارات المتنوعة ، والمصارف ، والفنادق ، والمستشفيات الخ . وهكذا تنشأ دفعةً واحدة مدينة جديدة الى جنب المدينة القديمة . بينا تتجه هذه نحو الانحطاط باسواقها المحتضرة وما يقوم حولها من المؤسسات القديمة كالبطريركيات ، والمحكمة الشرعية ، والمعهد الفرنسي ، ومساكن الطبقات الفقيرة من الشعب .

مآخذ البحث

التآليف العامّة

افضل بحث شامل عن دمشق هو مقال هرتمان المنشور في دائرة المعارف الاسلامية :

R. Hartmann, *Damas*, dans *l'Encyclop. de l'Islam*.

ويجب ان يُراجع كذلك :

A. von Kremer, *Topographie von Damaskus* (dans *Denkschriften d. K. K. Akad. d. Wissenschaften* ; Vienne, 1854-55) et *Mittelsyrien und Damaskus* (Vienne, 1853).

اما النصّ العربي المهمّ، وهو نصّ التميمي، فقد نشره سوفير مترجماً الى الفرنسوية في المجلة الاسيوية : H. Sauvaire, *Description de Damas*, dans *Jour. Asiat.* 1894 à 1896).

وفيه تاريخ مفصّل لكل أثر مع تعاليق وحواشٍ ومعلومات تخطيطية مفيدة جدًّا . ولكنه لا يزال بحاجة الى فهرس.

K. Wulzinger et Watzinger, *Damascus*, I : *die antike Stadt* ; — II : *die islamische Stadt*. Berlin et Leipzig, 1924.

وهما يوردان لائحة اثرية تامّة لما في المدينة . على ان ما استخرجاه من نتائج يظلّ بحاجة الى نظر .

J. Sauvaget, *Les monuments historiques de Damas*, Beyrouth, 1932.

فيه لائحة بالمنشآت بحسب ترتيب بنائها التاريخي.

اما في ما خصّ الإطار التاريخي فليراجع :

H. Lammens, *La Syrie, précis historique*, Beyrouth, 1921.

محمد كردعلي : خطط الشام ، دمشق ، ١٩٢٥ . . .

وليراجع ، في الآثار القديمة :

J. Sauvaget, *L'architecture musulmane en Syrie*, dans *Rev. des Arts Asiatiques*, 1934.

الموقع

افضل درس جغرافي مفصّل هو بحث توماّن

R. Thoumin, *Géographie humaine de la Syrie centrale*, Paris, Leroux, 1936.

ويمكن ان يراجع :

L. Dubertret, *La carte géologique de Syrie au millionième*, dans *Rev. de Géogr. physique et de géologie dynamique*, 1934.

R. Blanchard, *L'Asie antérieure*, Paris, 1929.

ابو البقاء : نزهة الانام في محاسن الشام ، القاهرة ١٣٤١ هـ. — فيه وصف للمدينة في اواخر القرن الخامس عشر ، ومعلومات وافرة الاهمية في تاريخ الزراعة.

ويمكن ان يراجع بشيء من التحفظ :

R. Tresse, *L'irrigation dans la Ghouta de Damas*, dans *R E I*, 1929.

وهناك تأليف دوسو ، وهو مصدر اساسي لتاريخ الطرقات والاعلام :

R. Dussaud, *Topographie historique de la Syrie antique et médiévale*, Paris, 1927.

اصول المدينة

التواريخ العامة للشرق في العصور القديمة ، وخصوصاً

Ed. Meyer, *Geschichte d. Altertums*, Stutgart et Berlin, 1925 et suiv.

يضاف اليها ، في ما خصّ تفصيل الحوادث ، الكتب التاريخية في العهد القديم.

ويجد الباحث وصف الآثار العاجية وتصويرها في : F. Thureau-Dangin, F. Barrois, A. Dossin et M. Dunand, *Arslan-Tash*, Paris, 1931.

وبالاستناد الى Vincent, *Canaan d'après l'exploration récente*, Paris, 1914.

والى الحفريات التابعة ، يستفيد الباحث تقاطاً للمقابلة.

اما البيت الدمشقي في زيّه التقليدي فقد درسه درساً حسناً

R. Thoumin, *La maison syrienne*, Paris, 1932.

المدينة اليونانية - الرومانية

Jalabert, art. *Damas*, dans *Dict. d'Archéol. chrétienne et de liturgie*.

في المؤسسات اليونانية ، اطلب :

Tscherikower, *Hellenistische Städtegründungen* (*Philologus*, Supplément band XIX ; Leipzig, 1927).

H. Wulzinger et C. Watzinger, *Damascus*, I.

مع نقد ، في ما خصّ الهيكل ، بقلم

R. Dussaud, *Le Temple de Jupiter Damascénien et ses transformations aux époques chrétienne et musulmane* (dans *Syria*, 1922).

وسأعرض عن قريب شرحاً جديداً للآثار القديمة أناقش فيه الامور المذكورة هنا.

الامويون

اهم الابحاث في هذا العصر هي ابحاث الاب لامنس

H. Lammens, *Études sur le règne de Mo'âwia Ier*, Beyrouth, 1908.

Études sur le califat de Yazîd Ier, Beyrouth, 1921.

Études sur le siècle des Omeyyades, Beyrouth, 1930.

واحدث وصف لجامع الوليد ظهر في

K. A. C. Creswell, *Early Muhammedan Architecture*, Oxford, 1932.

وقد اعاد النظر في ما ظهر من ابحاث سابقة. وفيه شرح مخالف لما ذكرته هنا وفي كتابي:

Monuments historiques de Damas

وفي اهمية الجامع الاكبر اذ ذاك: Perdersen, art. *masdjid*, dans *Encycl. Islam.*

اما المعلومات عن سائر اقسام المدينة فيجب ان تطلب في التآليف العربية المذكورة ادناه وفي:

H. Sauvaire, *Description de Damas.*

تكوين المدينة في القرون الوسطى

في الاصول العربية معلومات متفرقة في ما خصّ العصر العباسي. اما العصر الفاطمي فأهم نص يُعتمد عليه تراه في:

ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، ليدن ١٩٠٨

في حياة ارباب الحرف يراجع:

L. Massignon, *Enquête sur les corporations musulmanes au Maroc.* (dans *R. M. M*, t. LVIII), et art. *shadd* et *sinf* dans *Encycl. Islam* (av. bibliographie).

في الحارات والاحياء:

R. Thoumin, *Deux quartiers de Damas* (dans *Bull. d'Études Orientales de l'Inst. Fr. de Damas* t. I).

يقابل بكتاب: J. Weulersse, *Antioche* (dans *Bull. Ét. Orient.*, t. IV).

وليس كلّ ما فيه ينطبق على دمشق. اما العناصر الموافقة انحاء المدينة كلها فقد درسها

W. Marçais, *L'Islamisme et la vie urbaine* (dans *C. R. Ac. I. B. L.*, 1928).

الاتابك والايوبيّون

المصادر التاريخية: لاول العهد:

ابن القلانسي، وقد ترجم قسماً منه كيب:

H. A. R. Gibb, *The Damascus chronicle of the Crusades*, Londres, 1932.

ثم النصوص الشرقية المجموعة في سلسلة «مؤرخي الصليبيين».

ابن عساكر: تاريخه (مخطوطة المكتبة الوطنية في دمشق، وطبعته السقيمة التي ينشرها بدران في دمشق) وفيه لائحة مهمة لآثار دمشق على عهد صلاح الدين، وقد نقلها ابن شداد والنُعيمي، ويجب ان يلحق بها ما كتبه ابن جبير في رحلته (طبعة ليدن).

لآخر العهد:

ياقوت: معجم البلدان، كلمة: دمشق.

وصف مفصّل للقلعة في J. Sauvaget. dans *Syria*, 1930

المماليك

الحوادث التاريخية في : Quatremère, *Histoire des Sultans mamlouks*, Paris.

ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة (طبعة Popper ، في بركلي).

ابن اياس : بدائع الزهور (طبعة Sobernheim, Kahle et Moustafa في استنبول ١٩٣٠ و١٩٣١).

في ما خصّ المظهر الاجتماعي والاداري :

M. Gaudefroy-Demombynes, *La Syrie à l'époque des Mamelouks*, Paris, 1923, وهو ضروري جدًّا.

في التجارة :

W. Heyd, *Histoire du commerce du Levant au Moyen Age* (2e éd. Leipzig, 1923).

نظرات عامة في ابن بطوطة : الرحلة (طبع وترجمة Defrémery et Sanguinetti, Bertrandon de la Broquière (éd. Schefer, Paris, 1892).

في سوق الخيل وتأثيرها :

J. Sauvaget, *Décrets mamelouks de Syrie* (dans *Bull. Ét. Orient. Inst. Fr. Damas*, t. II), p. 13-15 et 33-41.

العثمانيون

ليس من تاريخ مفصّل لسورية العثمانية ، ولا تزال سجلّات القنصليات الاوربية غير مطبوعة. واذًا فيمكن الرجوع، في ما عدا التواريخ العامة للامبراطورية العثمانية (Hammer, Jorga) ، الى الفصول ١٣ – ١٨ خاصة من تاريخ الاب لامنس ، والى رحلات الرحّالة الاوربيين العديدين ، وكلها مفيدة في بعض النواحي . نذكر منها رحلات Belon du Mans في القرن السادس عشر ، d'Arvieux في السابع عشر ، Thévenot و Pococke و Volney في الثامن عشر ، Richter و Porter في التاسع عشر .

ولتراجع الحوادث الاجمالية في Mouradgea d'Ohsson, *Tableau de l'empire ottoman*.

وقد درس التجارة :

H. Masson, *Histoire du commerce français dans le Levant au XVIIe siècle*. (Paris, 1896) et *au XVIIIe siècle*. (Paris, 1911).

اما في الحجّ الى مكة فالمؤلف الاساسي هو :

M. Gaudefroy-Demombynes, *Le pèlerinage de la Mecque*. (Paris, 1923).

واما في طريق الحج فيراجَع :

A. Musil, *The Northen Hegaz*, (New-York, 1926), p. 326-331.

نداء

ليوسف غصوب

في نداء البواخر الذاهباتِ دعوةٌ للشرودِ ، والإفلات
من حياةٍ ضئيلةٍ تتفانى في عقيم المنى ، وفي الحسراتِ !
سمت نفسي النداء ، ماء ، مستطيلًا ، مموّجَ النبراتِ ،
فاثار النداء ، من كلِّ صوبٍ ، صورًا في المواطن القاصياتِ ،
وحنيناً الى غريب نجومٍ ، وطيوبٍ غريبة النفحاتِ ،
وانعتاقٍ من القيود الدوامي ، وانتشارٍ كالريح في الفلواتِ ،
وانفراجِ الآفاق ، كلَّ صباحٍ ، عن دُنًى من عجائب الكائناتِ ؟
كلما أخلقَ الماء جمالًا جَدَّ منه روائعٌ في الغداةِ !

***

يا نداء دَوِيُّه يتوالى في ضلوعٍ ، من الاسى ، خافقاتِ ،
لستَ ، في مهجتي ، ترنّ وحيدًا ؛ كم نداء في يقظتي وسُباتي !
كلَّ يومٍ ، تُصيخ نفسي لصوتٍ هابطٍ من عوالمٍ خافياتِ ؟
فهي تهفو الى المنادي ، وترقى كبخورٍ اليه ، او كصلاةٍ .
أتُرى هذه النفوس الحيارى في اغترابٍ عن عدنها ، مبعداتِ ؟
فالى عَدنها تذوب اشتياقاً ، وحنيناً الى قديم الحياةِ !

الطيور الغريبة

لسعيد عقل

هي خرساء في الذُرى الغَنّاء ، ترمقُ الافق عن ضنًى وعناء ،
كظليم يأبى مهادنة الباغي ، فيلقى المات عن كبرياء !
ربَّ نورٍ مكسَّر في الأماليد رأت فيه معطف الظلماء ؛
وغناء ، لون التعلّةِ والحلم ، وعتهُ مخضّباً ببكاء !
موجعاتٌ ، لا تستقرّ على غصنٍ أمينٍ ، إلّا تراه مراني .
أعينٌ في الصدى لجسّ السواقي ، أعينٌ في السنى لجسّ السماء .
كل ما حولَها مخيفٌ ، كليلٍ في حكاياتٍ عبقريٍّ رواني ؛
فتحسُّ الرياضَ محوَ رياضٍ ، في الدجى ، والفضاء عبءَ فضاء .
إنْ يلوّحْ بالبسمة الشفقُ الاحمرُ تنفرْ ، مخمورةً بالدماء ؛
أو يصفّقْ لعرسِ الروضُ ، تزورَّ اجتنابَ التصفيقة السوداء !
هي تعمى عن الجمال ، وتشدو العيدَ أغنيّةً بلون الشقاء !

***

ما تولّاكِ ، يا طيورُ ، فأهويت علينا ، في غيةٍ دكناء ؟
انظري الافق مائجَ البهج ، في لألائه تستجمّ حورُ المساء !
والتلالَ الخضراء تعكس شيئاً قدسيّاً من قبّةٍ زرقاء !
فعلى الجوّ قطعةٌ من رياضٍ ، وعلى الروض قطعةٌ من سماء !
وأحتي الرياح تنثر اصداء تعرّت عن أجنحٍ شقراء ؛
ورمت في الظلام ، ضمّةَ أحلامٍ ، وفي الصبح منتدى شعراء !
وأسمعي النهرَ في خفيٍّ من اللحن يهزُّ المدى بحضن البقاء ،
هانئٌ في المروج ، يعلو ويهوي كصدور العشاق عند اللقاء !

***

يا طيوراً جهماء ، لا تنظري ، في الكون ، غير الجوانب البيضاء !
ما تكونين ، انتِ ، من شعراء هُيَّمٍ ، في بلادهم ، غرباء !

الملكيون

بطاركتهم الانطاكية، ولغتهم الوطنية والطقسية

بقلم الخوري اسحق ارملة السرياني

القسم الاول

الحقبة الثانية

بطاركة انطاكية الملكيون (٥٢٦ — ٩٦٩)

(تابع)

٥٧ مقدونيوس (٦٤٠—٦٤٩)

سأه هرقل قيصر[1] بطريركاً عام ٦٤٠ وكان مونوثوليتياً زاعماً بالمشيئة الواحدة. واقام في قسطنطينية، وفيها توفي. ولم يستعرفه البابا مرتينس الاول (٦٤٩—٦٥٥) بطريركاً، ولم يدخل انطاكية ولم يَرَها.

٥٨ جورج الاول (٦٤٩)

كان جورج الاول كسالفه مونوثوليتياً. ونصب بطريركاً في قسطنطينية ولا يُعرف شيء من اخباره الّا اسمه. وقيل ان اسمه واسم خلفه مقار الاول وردا في اعمال المجمع السادس المسكوني الذي عُقد عام ٦٨٠ دحضاً للمونوثوليتية.

١) اصدر هرقل عام ٦٣٨ كتابه المعروف باسم «الاكثيس»، اي كتاب الشرع، واثبت فيه الزعم بالمشيئة الواحدة انقيادًا لسرجيوس اسقف قسطنطينية. اما البابا يوحنا الرابع (٦٤٠—٦٤٢) فانه رفض هذا الكتاب سنة ٦٤٠، فاستغفره هرقل. (تواريخ القرون المتوسطة تأليف القس لويس رحماني، ٨٧، ٨٨)

وقد اقام جورج الاول في قسطنطينية خمس سنوات وفيها مات ودفن ولم يجيء الى انطاكية[1].

٥٩ مقار الاول (٦٨١)

كان كسالفيه مونوثوليتيًا وصُيّر بطريركاً في قسطنطينية، وفيها توفي ودفن. وروى ابن بطريق : انه اقام في البطريركية ثماني سنوات ولم يجيء الى انطاكية[2] . اما البحاثة كرلفسكي فقال ان آباء المجمع المسكوني السادس عزلوه في جلستهم الثانية في ٧ اذار ٦٨١ . ويروى انه أرسل الى رومية وفيها توفي . وكتب ميخائيل الكبير : « عُقد المجمع السادس في قسطنطينية في عهد اغاثون الحبر الروماني (٦٧٨-٦٨٢) ولم يوافق بطريركا قسطنطينية وانطاكية على توانينه. . . ونفي مقار الى رومية وسجن هناك الى حين وفاته»[3].

٦٠ تاوفان (٦٨١)

نصب بطريركاً بين ٨ اذار و٥ نيسان ٦٨١. وفي ٥ نيسان حضر الجلسة الرابعة عشرة في المجمع السادس المسكوني. ولم يشغل البطريركية الّا زمناً يسيرًا . ولا يعرف هل ظلّ في قسطنطينية ام جاء الى انطاكية. وروى ابن بطريق: « اجتمع في المجمع السادس مائتان وتسعة وثمانون اسقفاً. وكان رئيس هذا المجمع جرجيوس بطريرك القسطنطينية وتاوفانس بطريرك انطاكية لانه في ذلك المجمع صُيّر بطركاً لان مقاريوس الذي كان قبله أُمِن في هذا المجمع . . . ولما تمت هذه القضية في زمان اغابيوس[4] بطريرك رومية القديس صار اهل الشام ومصر من ذلك الوقت يذكرون في الذبتيخة اسم اغابيوس[4] بطريرك رومية الى زماننا هذا »[5].

٦١ توما (٦٨٥)

روى ابن بطريق قوله : « وفي عهد عبدالملك بن مروان . . . مات توماس

١) ابن بطريق ٢ : ٢٧
٢) ابن بطريق ٢ : ٢٧
٣) ميخائيل ٤٢٣
٤) والصحيح اغاثون بابا رومية (٦٧٨-٦٨٢)
٥) ابن بطريق ٢ : ٢٥

بطريرك انطاكية وله بطريركاً عشرين سنة[1] . وفي اول خلافته صُير جريج (جورج الثاني) بطريركاً على انطاكية. » وذهب قومٌ الى ان توما خلفه بطريرك باسم اسكندر. وروى غيرهم ان توما خلفه جورج الثاني.

٦٢ جورج الثاني (٦٨٥ــ٧٠٢)

يرجّح انه تولّى البطريركية عام ٦٨٥ وقيل بل تأيد في البطريركية عام ٦٩٢، وأمضى اعمال مجمع القصر، وهو مجمع مرفوض، عقد في السنة ٦٩١ ويسميه اليونان « المجمع الخامس السادس » كأنه تمم ما نقص في ذينك المجمعين. واجتمع في مجمع القصر مائتان واحد عشر اسقفاً برئاسة بولس بطريرك قسطنطينية، وسنّوا فيه عدة قوانين منها ممدوحة ومنها مذمومة. وحاولوا ترقية الكرسي البوزنطي الى الرتبة الثانية بعد الكرسي الروماني. فرفض البابا سرجيوس الثاني (٦٨٧–٧٠١) وخلفاؤه قوانين هذا المجمع ولم يؤيدوها[2].

فراغ الكرسي الانطاكي الملكي ثاني مرة (٧٠٢–٧٤٢)

أمسى الكرسي الانطاكي الملكي بعد وفاة جورج الثاني شاغراً ثاني مرّة اربعين سنة لدواعٍ لم يثبتها المؤرخون. وقد حدث في هذه الحقبة حوادث شتى بين الفرقتين الملكيتين، اعني الفرقة الجزيانية المارونية والسريانية الملكية، خصوصاً في حلب ودمشق وحرّان بشأن الكنائس ننقلها عن مؤرخي السريان. قال ميخائيل الكبير:

« اصبح الخلقيون فرقتين. فرقة مع اسقفها التابع رأي آل مارون وفرقة مع مكسيمنطا. فحدث بينهما مشاجرة بسبب كنيسة حلب الكبرى التي شادها اقاق اذ كانت كل منهما تدّعي انها تخصها[3]. وافضى بهما النزاع الى الضرب ضمن الكنيسة حتى أمر الوالي ان تُقسم الكنيسة قسمين يستولي كل من الفريقين على قسم. فاستولى الاسقف المارونيّ على الناحية الشرقية[4]

١) لا يدقّق ابن بطريق في السنين التي ذكرها، كما اثبت المؤرخ كولفسكي غير مرّة.
٢) ملحق تواريخ الكنيسة للومون، بقلم السيّد اقليميس يوسف داود، ص ٢٢١–٢٢٥
٣) يستنتج من ذلك ان الامتين السريانيتين كانتا واحدة الى هذا العهد.
٤) يُرجّح من ذلك ان الموارنة كانوا في حلب اهمّ من الملكيين.

واستولى اصحاب مكسيمس على الناحية الغربية . وفصلوا الناحيتين بالواح خشبية . ونصبوا مذبحاً ثانياً غربي الاخشاب . وهكذا اصبحت الكنيسة مقسومة قسمين يقضي كلٌّ من الفريقين الصلوات والقداديس معاً في ناحيته . ويتغالبان في رفع الاصوات ليزعج احدهما صاحبه . . . وأفضى هذا النزاع الى القبض على لحية الاسقف والتنزل في وجهه . ودخلت النساء الى المذبح بوقاحة وقبضن على الكهنة واخرجنهم خارجاً . ولما رأى الوالي ان قسمة الكنيسة لم تكفّ الفريقين عن النزاع والتشويش امر ان ترفع الالواح وان يخضع الجميع للاسقف (المارونى) والا فمن قاوم امره عاقبه وحلق رأسه ولحيته . لكن الكثيرين لم يذعنوا للامر فضُربوا وحُلقت لحاهم . ثم امر الوالي ان يدخل الكنيسة كل يوم كاهنان يقرّبان على مذبحٍ واحدٍ ينتصب احدهما تجاه الثاني ويناول كل منهما ابناء فريقه . فأذعن الفريقان لهذا الحكم المخالف للقوانين البيعية وفعلوا ما لم يفعله احد فيما سبق . فقرّب كاهنان معاً على مذبحٍ واحدٍ في طيفين وكأسين معاً للخصام . وبعد هذا اوفد الوالي بعض المسلمين فكانوا يجلسون على درجة المذبح حاملين الخناجر حتى انتهاء القداس . على ان الحلبيين لشديد ما اعتراهم من الخجل ما لبثوا ان طردوا الجميع من الكنيسة واتفقوا وصاروا مكسيميين »(١)

وهكذا تغلب الملكيون على كنيسة حلب دون اخوانهم الموارنة .

وكتب ابن العبريّ :

« استباح الوليد (٧٠٥-٧١٥) ابن عبد الملك كنيسة اليونان (الملكيين) الكبرى بدمشق واعطاهم بدلاً منها مكاناً ابتنوا فيه كنيسة جديدة على اسم والدة الله . ثم بدّل وضع الكنيسة القديم وحوّلها الى جامع كبير شهير . وأمر كتّاب الحكومة ان يكتبوا الدفاتر بالعربية وألغى الكتابة الرومية . ولما مات يزيد الثاني (٧٢٠-٧٢٤) أمر ان تنزع الصور من الكنائس والجدران والخشب والحجار والكتب . واقترف مثله لاون ملك الروم . . . وغنى كل من لا يعتقد اعتقاد المجمع الخلقيدوني . على ان ايليا بطريرك السريان اليعاقبة (٧٠٩-٧٣٣) واجه يزيد الخليفة واسترخصه في الاقامة بانطاكية اذ كان كرسيها فارغاً . فرخص له بذلك وابتنى فيها كنيسة وكنيسة اخرى في سرمدا بجوارها على رغم من الملكيين » . (٢)

وفي هذه الحقبة عينها اي في نحو السنة ٧٣٢ سلخ لاون الثالث ملك الروم عن الكرسي الانطاكي ابرشية ايسورية التي كانت تشتمل على خمس وعشرين اسقفية كما اثبتنا في التوطئة .

---

١) ميخائيل ٤٦٠

٢) التاريخ المدني السرياني ١١٥ ، ومختصر الدول ١٩٥

٦٣ اسطفان الثالث (٧٤٢-٧٤٥)

وفي ١٩ نيسان ٧٤٢ بعد فراغ الكرسي الانطاكي اربعين سنة نُصب اسطفان الثالث بطريركاً . وما مرّ على بطريركيته ثلاث سنوات حتى أمر الخليفة الوليد الثاني (٧٤٣-٧٤٤) فبتر لسانه ، ولسان بطرس اسقف دمشق ونفاهما الى بلاد اليمن[1] .

٦٤ ثاوفيلكط (٧٤٥-٧٦٨)

هو المشهور بابن قنبرة . ولد في حرّان قرب الرها ، وكان يشتغل بالصياغة . ثم صار قسيساً في الرها . وفي السنة ٧٤٥ نصب بطريركاً بايعاز الخليفة مروان الثاني . وما تولى البطريركية حتى وجه سهامه ضد السريان الموارنة فحصّل الاوامر من مروان المذكور ، وسار في عسكر الى دير مار مارون ، واضطر الرهبان ان يقولوا بقوله . غير ان الموارنة لبثوا على ما هم عليه الى يومنا يقيمون لهم بطريركاً واساقفة من ديرهم ويقبلون المجمع الخلقيدوني . وسار اذ ذاك اندرا الماروني وواجه مروان وحصل منه الامر ببناء كنيسة للموارنة في منبج[2] .

وفي عهد هذا البطريرك سُلِخت جورجية عن البطريركية الانطاكية . وأذن البطريرك ابن قنبرة للكرج ان ينصبوا لهم جاثليقاً مستقلاً .

وفي السنة ٧٥٤ التأم في قسطنطينية مجمع من اهل بدعة الايقونقلست ، اي مكسري الصور والمناقضين لتكريمها ، وحرموا من الكنيسة على زعمهم القديس يوحنا الدمشقي[3] ، وبرجس مطران دمشق ، وبرجس القبرسي[4] .

---

١) ميخائيل ٤٦٤ وكرلنسكي . ويقيم الملكيون لبطرس، اسقف دمشق، تذكاراً حسب كلندارهم في ١٥ كانون الاول (المشرق ٥ [١٩٠٢] ٦)

٢) ميخائيل ٤٦٧

٣) هو القديس يوحنا الدمشقي ملفان الكنيسة (+ ٧٤٩) من أسرة منصور، عامل الروم على دمشق، السابق ذكره . وكان متضلعاً من اليونانية والعربية فضلاً عن لغته السريانية الوطنية (المشرق ٢٩ [١٩٣١] ٤٨١و٤٨٥)

٤) ميخائيل ٤٧٣ ، والمشرق ١٢ [١٩٠٩] ٦١٥

وفي هذه المدة اشتهر تاوفيل الرهاوي (†٧٨٥) ابن توما الماروني المنجم ، مترجم الياذة اوميرس من اليونانية الى السريانية،وصاحب التاريخ الذي عنه نقل ميخائيل الكبير وابن العبري . ومما يستحق الذكر ان الملكيين دون سواهم استندوا في ثبات السنين الى ما قرره وضبطه تاوفيل المذكور اعني ٥٥٠٨ من آدم الى السيد المسيح[1] . وهو التاريخ الذي اعتمده الملكيون في مخطوطاتهم السريانية والعربية . وكان تاوفيل هذا خلقيدونياً يناهض المنوفيزيتيين كل المناهضة ويدحض اقوالهم[2] .

وتوفي البطريرك ثاوفيلكط عام ٧٦٨ وظلّ الكرسي شاغراً من بعده تسع عشرة سنة على ما رجح كرلفسكي .

٦٥ ثاودريط (٧٨٧-٨١٣).

قيل ان ثاودريط نصب بطريركاً على انطاكية عام ٧٨٧ . وفي هذه السنة أوفد وكيله القس يوحنا الى المجمع السابع المسكوني ، وهو النيقاوي الثاني وقرئت فيه رسالة البابا ادريانس الاول (٧٧١-٧٩٥) وتليت كذلك تقارير بطاركة الاسكندرية وانطاكية واورشليم في دحض زعم محاربي الايقونات .

قال ابن بطريق : « في ثماني سنين من خلافة الرشيد (٧٨٦-٨٠٩) صُيّر ثاودريطس بطريركاً على انطاكية اقام سبع عشرة سنة ومات »[3] . فعلى قوله ان ثاودريط شغل الكرسي من السنة ٧٩٤ الى السنة ٨١١

اما ابن العبري فكتب : في عهد الخليفة ابي جعفر المنصور (٧٥٤-٧٧٥) رفعت شكوى زورية على جورجي بطريركنا (بطريرك السريان المنوفيزيتيين (٧٥٨-٧٩٠) فسُجن في بغداد وسجن معه ثاودريطا بطريرك اليونان (الملكيين) ويعقوب جاثليق النساطرة . ومكثوا في السجن تسع سنوات (٧٥٩-٧٦٨ ؟)

١) التاريخ المدني لابن العبري ٢٧ وهذا نصه : « ܡܢܗܘܢ ܕܡܠܟܝܐ ܕܝܘܢܝܐ ܕܡܬܩܪܝܢ ܡܠܟܝܐ : التاريخ الذي يستعمله اليونان (الملكيون) في عهدنا يوافق تاريخ تاوفيل الرهاوي ».

٢) ميخائيل ٢٧٨

٣) ابن بطريق ٢ : ٥٢ ومن هذا يتضح ان السنين التي اوردها ابن بطريق غير مضبوطة .

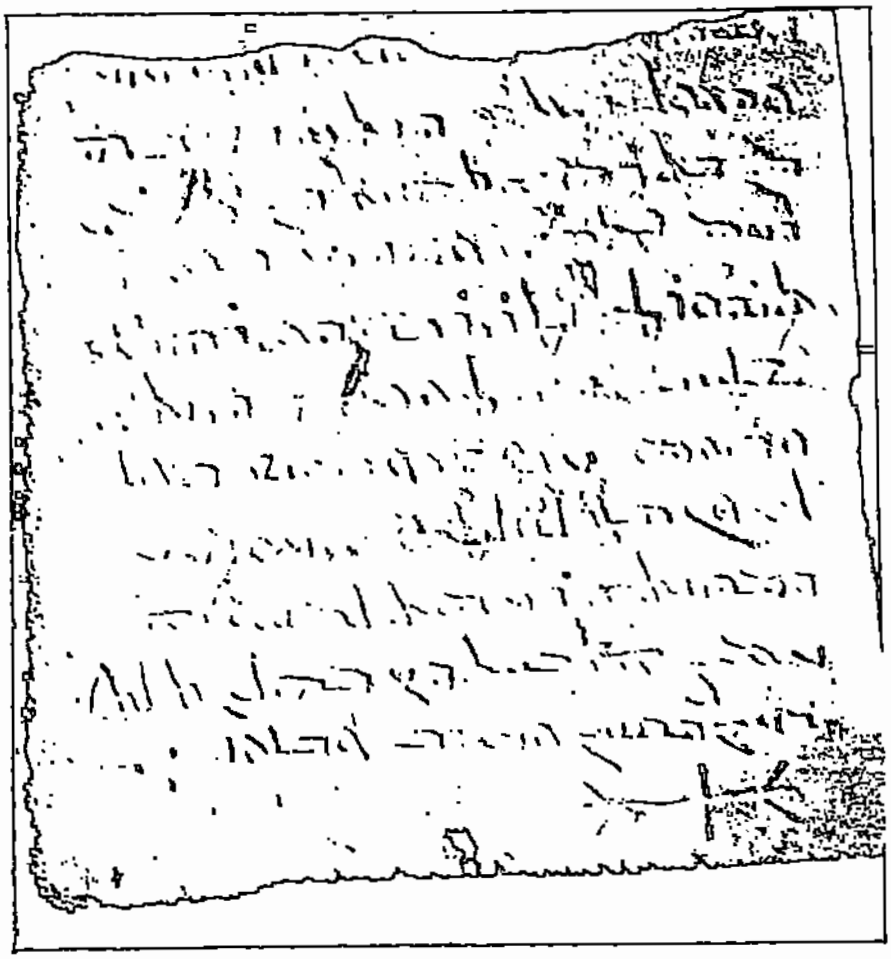

صورة الحجر المكتشف في نواحي حمص ، وعليه الكتابة السطرنجيلية

ثم أطلق سبيلهم بمساعي توفريان مطران نصيبين النسطوري ».[1]

وكتب طيشاوس جاثليق السريان الناطرة (٧٧٩–٨٢٣) : ان بطريرك الملكيين كان في بغداد في عهده «واشتغلا كلاهما في استخراج كتاب التبيكون من السريانية الى العربية».[2] فنرى انه هو البطريرك ثاودريط.

فعلى قول ابن العبري وطيشاوس ان ثاودريط كان بطريركاً قبل وفاة الخليفة المنصور عام ٧٧٥ وكتب ميخائيل الكبير : « اشتهر في هذا العهد رجل رهاوي خلقيدوني (ملكي) يقال له ثاودوريقي وصار اسقفاً على حرّان زماناً حتى عزله ثاودريطا بطريرك الملكيين .. وكان ثاودوريقي خبيراً باصناف العلوم متضلعا من اللغة العربية».[3]

وقد أبقى لنا الزمان حجراً عُثر على شطره الاخير في نواحي حمص، حفرت عليه كتابة سطرنجيلية في عشرة اسطر ورد فيها اسم البطريرك ثاودريط هكذا:

١	ܐܬܒܢܝܬ ܗܕܐ ܕܫܘܫܦܐ ܕܩܕ	والاثم يُحبس فيها
٢	ܡܢ ܒܬܪܗ ܕܐܬܒܢܝ ܒܝܡ ܕܡܪܝ	من بعده فبُنيَت في ايام
٣	ܬܐܘܕܘܪܝܛܐ ܡܪܝܐ ܕܐܠܗܐ ܕܚܠ	المحب الله الجزيل قدسه
٤	ܐܦܣܩܘܦܐ ܕܩܢܛܪܘܢ ܕܚܪܢ	تيدورطي بطريرك كرسي
٥	ܐܢܛܝܟܝܐ ܪܝܫܐ ܕܡܕܝܢܬܐ	مدينة انطاكية الرسولي
٦	ܒܝܡܘܗܝ ܕܡܪܝ ܡܪܝܐ ܕܚܠ	وفي ايام المطران الجزيل قدسه
٧	ܠܘܩܐ ܐܚܘܗܝ ܕܛܪܘܦܝܛܘܣ	لاون اخيه متروبوليط
٨	ܕܡܕܝܢܬܐ ܕܡܫܝܚܐ ܠܡܫܝܚܐ	المدينة المحبة للمسيح
٩	ܒܚܡܨ ܒܗܕܐ ܕܫܢܬܐ ܗܕܐ	حمص فبُنيَت في هذه الثلاثة
١٠	ܬܫܪܝ ܕܩܢܝܢ ܕܐܒ ܕܐܝܠܘܠ	اشهر قنين[4] وآب وايلول

١) التاريخ اليعبي السرياني ٢ : ١٦١ في عهد المفريان يوحنا الثاني سنة ٧٥٧

٢) المجج الرافنة ٧ : ٤

٣) ميخائيل ٤٩٥

٤) قنين : هو شهر تموز في اصطلاح سريان تدمر.

وقد اشار البحّاثة كرلفسكي الى ذلك فكتب : « ان ثاودريط البطريرك كان ابن عامل ارمينية الصغرى. درس اليونانية مع ابناء وطنه فسيّت له خبرته باليونانية النفي الى بلاد موآب » . فترجح ان النفي كان الى بغداد عام ٧٥٦ كما اثبتنا ، وان بطريركية ثاودريط استغرقت اكثر من ستّ وعشرين سنة.

واشتهر بين الملكيين في عهد البطريرك ثاودريط ثاودرس اسقف حرّان (٧٤٠–٨٢٠) المعروف بابن قرّة. وكان من نجباء تلامذة مار يوحنا الدمشقي. صنّف مباحث دينية في العربية[1] . واهمل البطريرك ثاودريط نصبه اسقفاً على حرّان على أثر عزله ثاودريقي اسقفها المذكور آنفاً . او ان ثاودريقي تصحيف ثاودرس !

٦٦ ايوب (٨١٣–٨٤٥)

في اول سنة من خلافة المأمون (٨١٣–٨٣٣) صُيّر ايوب بطريركاً على انطاكية . اقام احدى وثلاثين سنة[2] . ثم سار الخليفة عينه الى قيليقية وأمر البطريرك المشار اليه ان يتوّج توما الرومي ملكاً اذ كان قد بلغه ان الملك لا يكون ملكاً الّا برضا البطريرك. فصلّى البطريرك على توما ونادى به ملكاً وتوّجه بتاج بلغت قيمة ذهبه وحجاره الكريمة ثلاثة آلاف دينار. وما سمع الخبر اهل قسطنطينية حتى اجتمع الاساقفة وحرموا البطريرك المنكود الحظ . على ان الملك اقام سنتين في معسكر المسلمين ولم يتوفق في رتبته الملكية ، فجاهر بالاسلام على يد ابي اسحق، وجحد الدين المسيحي ساخراً باسراره[3] .

ولما نفذ الخليفة المعتصم (٨٣٣–٨٤٢) الى بلاد الروم غازياً حمل معه ايوب البطريرك فحاصر مدينة انكرة. وكان ايوب يكلم الروم بالرومية ويقول لهم : « أطيعوا السلطان وأدّوا له الجزية اخير مما تُقتلون وتسبون » . وكان الروم يشتمونه ويرمونه بالحجارة. ففتح المعتصم مدينة انكرة واحرقها بالنار. ثم سار الى عمورية

١) المشرق ٦ [١٩٠٣] ٦٣٣
٢) ابن بطريق ٢ : ٥٧
٣) ميخائيل ٥٢٤ ، وابن العبري : التاريخ المدني السرياني ١٤٥

فحاصرهـا مدة شهر . فكان في كل يوم ايوب بطريرك انطاكية يتقدّم الى الحصن وحده فيخاطب الروم بالرومية ويخوّفهم ويسألهم ان يعطوه الجزيـة لينصرف عنهم المعتصم . فكانوا يشتمونه ويرمونه بالحجارة . فلم تزل هذه حالهم حتى فتح المعتصم عمورية[٢] . وبعد هـذا عاد ايوب الى كرسيه حتى وفاته عام ٨٤٥

٦٧ نيقولا الاول (٨٤٧—٨٦٦)

ظلّ الكرسي الانطاكي فارغاً سنتين . ثم التأم الملكيون للانتخاب البطريركي فاختلفوا . قال ميخائيل الكبير :

« بعد وفـاة ايوب البطريرك اصبح الملكيون فريقين مختلفين انتخب الفريق الاول شماساً دمشقياً يقال له نيقولا وكان صديقاً لايوب المتوفى . وانتخب الفريق الثاني اوسطاثي شماس باسيل مطران صور . وكان عامل انطاكية الصوري النحلة يعضدهم في انتخابه . فكتبوا صك الانتخاب وحملوه قسيساً ارفدوه الى صور فواجه اوسطاثي وقال له : قد أُرسلت في طلبك وطلب نيقولا الدمشقي فادفع لي دنانير كذا ازيّد انتخابك . فلمّا رأى اوسطاثي ان الانتخاب لا يتم الّا بالرشوة رفضه بتاتاً . فعمد القسيس المرسل الى الصك ومحا اسم اوسطاثي وكتب اسم نيقولا فسُرّ بذلك اغلب الاساقفة ونصبوه بطريركاً في كنيسة حلب .

« وما بلغ الخبر مشايعي اوسطاثي حتى استشاطوا غضباً وأقسموا انهم يرفضون نيقولا رفضاً باتاً . وهم لكذلك قدم البطريرك الجديد الى انطاكية وخرج مشايعوه لاستقباله فاخذ مناهضوه يقذفونه ويقذفون من معه بالحجارة . وكان المسلمون واليهود واقفين يشاهدونهم ويسخرون بهم ويحثون التراب عليهم . واخيراً تغلّب مشايعو اوسطاثي ومنعوا نيقولا البطريرك عن الدخول الى الكنيسة الكبرى وساعدهم في ذلك الوكيل البطريركي اعني الارخدياقن لما له من الولاية على الاساقفة حين فراغ الكرسي فحرّج على مشايعي البطريرك نيقولا ان يطأوا عتبة باب المدينة . وهكذا مكثوا شهرين كاملين ظاهراً حتى كتبوا الى أبي سعيد أمير سورية فأصدر الاوامر الى عامله في انطاكية فأدخل البطريرك ومشايعيه الى المدينة بخفر جم شرذمة من الجند مدججين بالاسلحة وهم يكشفون عنهم المعارضين ويضربونهم . . .

« وما ان وصلوا الى كنيسة القسيان حتى تعرّض لهم اصحاب اوسطاثي وصدّوا الابواب في وجوههم . فعمد الجنود وكسروها وأعملوا فيهم الضرب وقبضوا على قوم والقوهم في السجن واحضروا حين ذاك الكرسي الفضي واجلسوا عليه البطريرك فتعالت الاصوات وتفاقم الهرج والمرج والضرب ضمن الكنيسة . وفي الغد فتح البطريرك نيقولا خزانة الكنيسة

---

٢) ابن بطريق ٢ : ٦٠

وأخرج الاواني الفضية والذهبية ووزعها على العامل وعلى جنوده . . . ثم عيّن العامل رجلاً يقبض منهم كل شهر ثلاثين ديناراً . فكان يجلس عند المذبح يحافظ على الهدوء والسكينة ويكفّهم عن النزاع والضرب.

« اما مشايعو اوسطاثي فاتهم احضروه بأمر الامير الى الكنيسة ولم يكن قد بيع قبلاً فرقّاه اسقف الرقّة المحروم الى البطريركية بمعاونة اسقف ثانٍ غريب . ولما كانت السيامة لا تكمل الّا بالجلوس على الكرسي دفعوا الى العامل خمسمائة دينار رشوةً فاستدعى العامل مشايعي نيقولا البطريرك وأرادهم على اخراج الكرسي من حيث كانوا اخفوه في الدهاليز . فجلس عليه اوسطاثي البطريرك الدخيل يكتنفه الجنود . وهكذا اقتسم الفريقان كنائس انطاكية فاستحوذ فريق على كنيسة والدة الله وفريق على كنيسة القسيان . وكان بعضهم يحرم بعضاً . » [1]

هكذا ظلّ البطريركان نيقولا واوسطاثي يتزاحمان مدّة عشر سنوات حتى توفي اوسطاثي عام ٨٥٧ ثم توفي نيقولا عام ٨٦٦ وساس الكرسي وحده تسع سنوات. وكتب البحّاثة كرلفسكي ان توما[2] اسقف صور حضر المجمع الثامن المسكوني اعني القسطنطيني الثالث مذ ٥ تشرين الاول ٨٦٩ حتى ٢٨ شباط ٨٧٠ ممثلاً البطريرك الانطاكي . وصرّح هذا المجمع في جلسته السادسة ان بطاركة الملكيين الثلاثة اي الانطاكي والاسكندري والاورشليمي لم يشتركوا مع فوتيوس الملحد الذي اختلس الكرسي القسطنطيني في ٢٣ كانون الاول ٨٥٧ وسرق من الكنيسة عام ٨٥٨ وتوفي عام ٨٩١

٦٨ اسطفان الرابع (٨٧٠)

ظلّ الكرسي الانطاكي بعد وفاة البطريرك نيقولا اربع سنوات شاغراً حتى انتخب اسطفان الرابع وأقام يوماً واحداً فقط فقدّس ومات[3].

٦٩ ثيودوسيوس الاول (٨٧٠—٨٩٠)

اسماه ابن بطريق « تدوس » وقال انه اقام احدى وعشرين سنة ومات[4].

---

١) ميخائيل ٥٢٥

٢) صرّح مسجّل المجمع بان توما اسقف صور لم يكن قادراً ان يعبّر عن افكاره في اللغة اليونانية . فكانت لهجته بلا ريب سريانية.

٣) ابن بطريق ٢ : ٦٩ ٤) فيه ٢ : ٦٩

وفي عهده عقد فوتيوس المبدع مجمعاً ليلغي ما قرّره المجمع المسكوني الثامن . وحضر جلسته الرابعة باسيل مطران ميافرقين الملكي بالنيابة عن ثيودوسيوس البطريرك وجاهر بمناهضة فوتيوس وموالاة الحبر الروماني[1].

٧٠ سمعان (٨٩٢–٩٠٧)

على اثر وفاة ثيودوسيوس البطريرك فرغ الكرسي الانطاكي سنتين . وفي السنة ٨٩٢ صُيّر سمعان بن زرناق الدمشقي بطريركاً . واستدعاه لاون الملك عام ٩٠٧ الى قسطنطينية ليتفق مع قصاد البابا سرجيوس الثالث (٩٠٤–٩١١) ومع سائر البطاركة في مسئلة زواجية .

٧١ ايليا الاوّل (٩٠٧–٩٣٤)

قال ابن بطريق : « في السنة الثالثة من خلافة المكتفي (٩٠٢–٩٠٨) صُيّر ايليا بطريركاً على انطاكية وكان كاتباً . اقام ثماني وعشرين سنة ومات . »[2]

وكتب ابن العبري ما شرحه :

« ازداد عدد اليونان (الملكيين) في بغداد في هذا العهد . ونبغ بينهم كتَبَة وأطباء . فأرسلوا الى ايليا البطريرك الملكي في انطاكية يطلبون مطراناً فاوفد اليهم المطران يانّي . فيمّم بغداد وثوى في احدى كنائس الملكيين . فرافعه ابرهيم جاثليق الناطرة الى وزير بغداد محتجاً بان الناطرة موالون للمسلمين داعون الى الله في تعزيزهم بخلاف يانّي الاسقف الغريب المادي لهم . وبناء عليه فلا حقّ له ان يزاحمه في مقامه . فقال الوزير : انتا تعتبركم ايها النصارى على حدّ سوى في بغضكم لنا اذ لستم تحبوننا محبة صادقة . فأطرق الجاثليق صامتاً . ثم قصد احد الكتبة المسلمين الكبار وكان موازياً للوزير في رتبته ووعده بالف دينار شرط ان يساعده في تنفيذ دعواه . فقال ذلك الكاتب للوزير حاش لنا ان نساوي بين الناطرة الذين لا ملك لهم الّا ملك المسلمين وبين اليونان الذين لا يكفّ ملوكهم عن قتال المسلمين . فالفريقان في نظرنا مختلفان اختلاف العدو والصديق . فأيّد الحضور حجّة الكاتب وأدّى الجاثليق ثلاثين الف دينار فيما قيل فاستحضر الوزير ايليا بطريرك الملكيين الى بغداد

---

١) اثبت السيّد غريغوريوس عطا اسم اوسطاثيوس الثاني بعد ثاودوسيوس الاول وقال انه : « تنيّح سنة ٨٩٣ وخلفه ابن زرنق (ص ٤) . مع ان اوسطاثيوس زاحم نيقولا الاول في البطريركية كما ذكرنا . »

٢) ابن بطريق ٢ : ٧٤

عام ٣٠٠ (٩١٢ م) واراده على كتابة صكّ يوقعه بامضائه مقرّرًا انه لا يحل له بثّة ان يقيم جاثليقًا او مطرانًا لبغداد . وأنه له ان يرسل احيانًا مطرانًا من قبَله يتفقد شؤون ابناء جماعته وينهض بحاجاتهم ثم يعود راجعًا الى وطنه .»(١

وفي السنة ٩٢٦ « ثار المسلمون في دمشق فهدموا كنيسة مرقريم ([illegible]) القديسة مريم الكاثوليكية وكانت كنيسةً عظيمةً كبيرةً حسنةً أنفق فيها مائتا الف دينار . ونُهب ما كان فيها من ابنية وغير ذلك من حليّ وستور . ونُهبت ديارات وخاصّةً دير النساء الذي كان جانب الكنيسة . وشعثوا كنائس كثيرة للملكية وهدموا كنيسة النسطوريّة .» (٢

واشتهر في هذا العهد بين الملكيين قسطا بن لوقا الفيلسوف النصراني البعلبكي († ٩٢٣ ؟) بنقله عدة تآليف من اليونانية الى العربية وانشائه رسائل شتّى في اليونانية ومجموعة طبيّة ورسالة في الفرق بين النفس والروح(٣.

وحلّت وفاة البطريرك ايليا في ٢٤ تموز ٩٣٤

٧٢ ثيودوسيوس الثاني (٩٣٥—٩٤٣)

وفي آب ٩٣٥ تولى بطريركية انطاكية اسطفان الكاتب الذي كان مع يونس الخادم في بغداد وسُمّي ثيودوسيوس . وكتب اليه ثاوفيلكتس بطريرك قسطنطينية ان يذكر اسمه في الذبتيخة فأجابه الى ذلك . وكان اسم بطاركة تلك المدينة قد انقطع من كنيسة انطاكية منذ عهد بني امية(٤..

قال يحيى بن سعيد الانطاكي :

« منذ مات غابيوس (اغاثون بابا رومية † ٦٨٢) (٥ لم يقع لنا اسماء بطاركة رومية(٦ . ولم يزل غابيوس هذا يُذكر في الذبتيخن منذ اجتماع المجمع السادس الى بعد وفاة سعيد ابن بطريق († ٩٤٠) بمدة طويلة ليس يُعرف مقدارها . وذكر بعده اسم بطريرك يُدعى بناديكطوس(٧ . فلم يزل اسمه مذكورًا في الذبتيخن الى سنة نيّف وتسعين وثلاثمائة

١) ابن العبري : التاريخ اليعبي السرياني ٣ : ٢٢٥

٢) ابن بطريق ٢ : ٨٣

٣) مختصر الدول ٢٥٩ ، والمخطوطات العربية لكتبة النصرانية للاب شيخو ١٠٥

٤) ابن بطريق ٢ : ٨٨ ٥) الطب مثا رقم ٦٠

٦) يعني مئتين وستين سنة (٦٨٢—٩٤٣) بنيّف

٧) لسنا ندري اي البابا بندكتس اراد المؤلف هل الثاني † ٦٨٥ ام الثالث † ٨٥٥ ام الرابع † ٩٠٣ الخ

للهجرة (٩٩٩ م) . وقد كان صُبر بعد بناديكطوس هذا بطاركة عدّة الا انه لم يُرفع لاحد منهم في بلاد مصر والشام اسم ولا ذكر . واقتصروا على اسم ناديكطس المتوفى . وفي زماننا هذا صيروا عليها بطريركاً يُسمّى يوحنا (السابع عشر ٩٩٩-٩٩٩ ؟) فرفعوا اسمه واسقطوا اسم بناديكطوس . فهذا هو السبب المانع من تدوين اسمائهم . . . »(١)

ثم قال يحيى عينه :

« وفي السنة ٩٤٣ نُقل منديل السيد المسيح من الرها الى قسطنطينية . »(٢)

وأيد ذلك ابن العبري واضاف :

« اوفد ملك الروم وفداً الى المتقي (٩٤٠-٩٤٤) يطلب المنديل الذي وضعه ربنا على وجهه فرُسمت فيه صورته وارسله الى ابجر الذي كان يرغب في رؤيته . وبين ذلك المنديل في كنيسة الرها . ووعده الملك بإطلاق عدد غفير من الاسرى المسلمين كانوا عنده . فاجتمع المتقي بالكتبة المسلمين واستفتاهم فأفتوه بالاجابة الى طلبه . . . »(٣)

وتوفي ثيودوسيوس الثاني عام ٩٤٣

٧٣ ثيوخرسطس (٩٤٤-٩٤٨)

تولى ثيوخرسطس البطريركية اربع سنوات وتوفي . وفرغ الكرسي بعده زهاء اثنتي عشرة سنة لداعي الحروب بين الروم والمسلمين .

٧٤ خرسطفور (٩٦٠-٩٦٧)

كان صديقاً اميناً لسيف الدولة بن حمدان صاحب انطاكية . وكانت الحرب في عهده بين الروم والمسلمين سجالاً . قال يحيى :

« ابتعد البطريرك من انطاكية لئلا يتعلق عليه شيء من سيف الدولة او من اصحابه وسار الى دير سمعان الحلبي واقام به . وقصد ابن الاهوازي اساءته فلم يضطرب لذلك وبقي في دير سمعان الى ان عاد سيف الدولة . فقصده البطريرك الى حلب فأحسن قبوله وشكره على ما فعله في بعده عن المخالفين عليه . . . وبعد وفاة سيف الدولة . . . اتفق رأي ثلاثة من شيوخ انطاكية واماثلها . . . على الايقاع بالبطريرك . . . فقصد البطريرك ابن مانك لثقة بما بينهما . . . ولما وصل اليه وحادثه خض عليه واستنفر اصحابه فوثبوا على البطريرك باختاجر فسقط الى الارض ومع سقوطه قطع رأسه وطرح في آتون حمّام بجوار دار ابن مانك وحملت جثته وطرحت في النهر في ٢٢ ايار ٩٦٧ م . وانفذ ابن مانك قبل الصبح قوماً

---

١) يحيى ٩٢ ٢) يحيى ٩٨

٣) مختصر الدول ٢٧٧ ، والرهاوي ١٧٩

الى كنيسة القسيان .وقبضوا على ما وجدوه في منزل البطريرك وفي خزانة الكنيسة . . . واخذوا اليهم كرسي مار بطرس وهو كرسي من خشب النخل مصفح بفضة وحفظوه في دار شيخ من شيوخهم يعرف بابن هر .ولم يزل في داره الى ان ملك الروم المدينة . . .

« ولبث كرسي انطاكية بعد قتل البطريرك خريسطفورس بلا بطريرك ستين وتسعة اشهر . . . ولما علم ابو المالي فتح انطاكية رحل عن حلب سنة ٣٥٩ هـ (٩٦٩ م) وعاد الى انطاكية واحضر ابن مانك فحبسه اياماً ثم اخرجه الى جسر باب البحر حيث طرحت جثة البطريرك خريسطفورس وقطعه بالسيف عضواً عضواً ورمى بكل ناحية قطعة .»(١)

الحقبة الثالثة

منذ تسيطر بطاركة قسطنطينية على بطاركة انطاكية حتى انتقالهم الى دمشق (٩٧٠ــ١٣٥٩)

٧٥ ثيودور الاول (٩٧٠ــ٩٧٦)

رأيت فيما سبق انه منذ عهد البطريرك مقدونيوس (٦٤٠ – ٦٦٩) حتى بلغ القرن السابع جعل بطاركة قسطنطينية يعينون بطاركة لانطاكية ويضطرونهم الى الاقامة في تلك العاصمة خلافاً للقوانين البيعية . ثم انهم تمادوا في تلك العادة وتوسعوا في مد سيطرتهم على الكرسي الانطاكي منذ عهد ثيودور الاول فاستبدوا بانتخابهم وسيامتهم معاً . وكان الداعي الى ذلك عودة قياصرة قسطنطينية الى بلاد المشرق في السنة ٩٧٠ واستيلائهم على انطاكية وقليقية وحمص وبعلبك وصيدا وبيروت وجبلة وطرسوس[٢] وغيرها . ومن ثم فبوليكط بطريرك قسطنطينية رقي الى الكرسي الانطاكي ثيودور الاول يوم الاحد ٢٣ كانون الثاني ٩٧٠ وبعد ارتقائه الى المنصب البطريركي شخص الى انطاكية ثم خرج الى كنيسة ارشايا[٣] وحمل جسد القديس خريسطفورس سالفه البطريرك الشهيد الى كنيسة القسيان .واقام في الرئاسة ست سنين واربعة اشهر

١) يحيى ١٢٧ و١٣٥

٢) ابن العبري : التاريخ المدني السرياني ١٩١ و١٩٢

٣) لعله تحريف قمعا ريشا المعروف برجل الله المختار .

وخمسة ايام وتوفي[1] . ذلك ان باسيل الملك اوفد يستدعيه الى قسطنطينية فسار وهو عليل. ولما بلغ طرسوس مات في ٢٨ ايار ٩٧٦[2].

٧٦ اغابيوس الاول (٩٧٨—٩٩٦)

قال يحيى بن سعيد :

« وبعد وفاة ثيودور البطريرك بعث اهل انطاكية يلتمسون بطريركاً . . . واستقرّ الامر ان يكتبوا الى باسيل الملك يسألونه في بطريرك يصير عليهم . . . وعولوا على اغابيوس اسقف حلب . وشخص اغابيوس بالكتاب الى حضرة الملك واتى اليه حال المدينة وصورة اهلها وتمسكهم بطاعته . . . ثم عاد الى انطاكية حاملاً كتاباً من الملك . . . وصُيّر اغابيوس بطريركاً (٣ على انطاكية في ٢٢ كانون الثاني ٩٧٨

« ولما استقرّ امر اغابيوس البطريرك في رئاسته كتب الى انبا ايليا بطريرك الاسكندرية كتاباً يسأله . . . ان يرفع اسمه في الذبيحة على ما جرى به الرسم . . . ليعلم منها انه معتقد الامانة التي اتفق عليها اصحاب السبعة المجامع المقدسة . . . فانكر عليه الانبا ايليا ذلك لانه فعل ما لا يجوز . . . من نقله من الاسقفية الى البطريركية(٤ . . . فكتب له اغابيوس الجواب : بسم الله الرحمن الرحيم . كتابي ايها الاب الروحاني الطاهر المشارك في المقدمة المساوي في الرتبة . . . انك تجد القديس افسطاثيوس(٥ بطريرك مدينتي هذه وقد نقله السينودس المقدس بنيقية من حلب الى انطاكية . ووجدت القديس ملاتيوس(٦ منقولاً من لاريسه الى حلب ومن حلب الى انطاكية . . . هذا بعد مار بطرس السليح(٧ الذي هو اساس البيعة وراس الشريعة ومقامه اثني عشر سنة بانطاكية وانتقاله بعد ذلك الى رومية . وكذلك به من شاهد . . ولما وصل هذا الكتاب الى انبا ايليا بطريرك الاسكندرية قبله ورفع اسمه . » (٨

وكتب يحيى عينه عن البطريرك اغابيوس الاول ما نصه :

« وكان بردس الفوقاس قد خلّف ابنه لاون بانطاكية ورسم له ان يتلطّف في اخراج اغابيوس البطريرك عن المدينة لئلا يتم عليه منه حيلة . فاستركبه لاون الى ظاهر المدينة وأوهمه

---

١) يحيى ١٢٨ ٢) يحيى ١٤٨

٣) - بوضع يد بطريرك قسطنطينية .

٤) لم تكن تجيز القوانين البيعيّة في سالف الزمان ان يرقّى الاسقف الى المنصب البطريركي الا نادرًا . فكان البطريرك يُنتخَب من الرهبان توًّا خصوصاً عند الملكيين والسريان والموارنة .

٥) اطلب هنا رقم ٢٢

٦) ميليطس الاول . هنا رقم ٢١

٧) من السريانية مخسا اي الرسول ٨) يحيى ١٥٠

انه يحتاج ان يفاوضه في امر جسّ واستدعى ايضاً جماعةً من اهل انطاكية وعاد لاون الى انطاكية ومنع اغابيوس البطريرك ومَن خرج معه عن الدخول . . . ونقم باسيل الملك على اغابيوس بطريرك انطاكية ونفاه والزمه المقام في احدى ديارات قسطنطينية وله يومئذٍ بالرئاسة اثنتي عشرة سنة (اي سنة ٩٩٠) . . . واقام اغابيوس في النفي دون السبع سنين وهو في مدّة يعمل الشرطونيات لكرسيّه ويُنشّل امرُه فيه .

« ثم التمس الملك باسيل من اغابيوس البطريرك ان يكتب خطّه بالزهد في رئاسة الكهنوت اي رئاسة انطاكية واعتزاله عنها . فامتنع من ذلك امتناعاً شديداً الى ان لطف به وقرّر الحال معه على ان جعل له ديراً في القسطنطينية يُعرف بالافرنذيو يستغلّ منه قنطار دنانير في كل عام وان يحمل اليه في كل سنة من مستغلّ بيعة انطاكية اربعة وعشرين رطل دنانير برسم نفقة مائدته . فجنح الى ذلك وكتب خطّه في شهر ايلول . . . واشرط ان لا يقطع اسمه . وصيّر الملك عوضاً عنه بطريركاً يُسمّى يوحنا من اهل قسطنطينية . »(١

وروى ميخائيل الكبير عن البطريرك اغابيوس ما تعريبه :

«دخل اغابيوس البطريرك الملكيّ الى انطاكية فشاهد ابناء جماعتنا السريان (المنوفيزيتيين) قد ازدادوا فيها ونموا منذ استولى العرب على البلاد . فعاد الى قسطنطينية وحصّل اوامر ملكية وانقلب الى انطاكية يتذرّع اول بدء بالمجاملة والهدايا وفقاً لرغبة الملك في استمالتهم اليه وجعل يأخذ ابناء الوجهاء والاعيان ويعمّدهم ويفرّجهم من قدّاسه ويكتب لكلٍ منهم كتاباً في انتمائه الى ملّته الملكيّة . وهكذا بعد ما اجتذب الوجهاء اليه راح يعاملهم معاملة فظّة ويضطرّهم الى موافقته والانضمام الى جماعته . والذين عاندوه في ذلك اخرجهم ظاهر المدينة»(٢ فكتب اليه اثناسيوس الخامس بطريرك السريان (٩٨٧ - ١٠٠٣) رسائل استعطاف الجأته ان يكفّ عن ملاحقة السريان في هذا الشأن . (٣

ومن مشاهير الملكيين في هذا العهد : القس المجدلوس الملكي المتوفى في دياربكر عام ٩٩٢ ، مفسّر الامانة التي وضعها آباء المجمع النيقاوي الاول(٤) . واغابيوس المنبجي وهو محبوب بن قسطنطين اسقف منبج الملكيّ صاحب كتاب « العنوان المكلّل بفضائل الحكمة »(٥ ، وهو قسمان : الاول من بدء

١) يحيى ١٦٦-١٧٧

٢) ميخائيل ٥٥٧

٣) التاريخ اليعبي لابن العبري ٤٨ من نسختنا .

٤) المخطوطات العربية للاب لويس شيخو اليسوعي ١٨٦ و ٧٢١

٥) النوطة ٢ ، ومن كتابه هذا الذي نشره الاب لويس شيخو اليسوعي عام ١٩١٠ - ١٩١٢ نسخة في دير الشرفة مخطوطة في السنة ١٦٦٣ م .

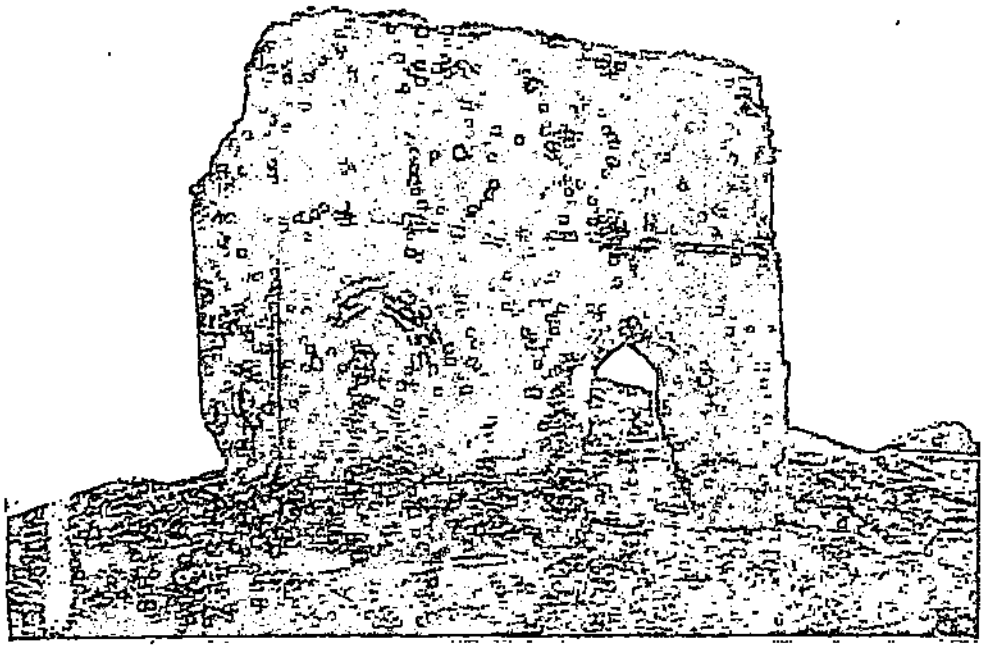

الرسم ٩ - الرقة : باب بغداد

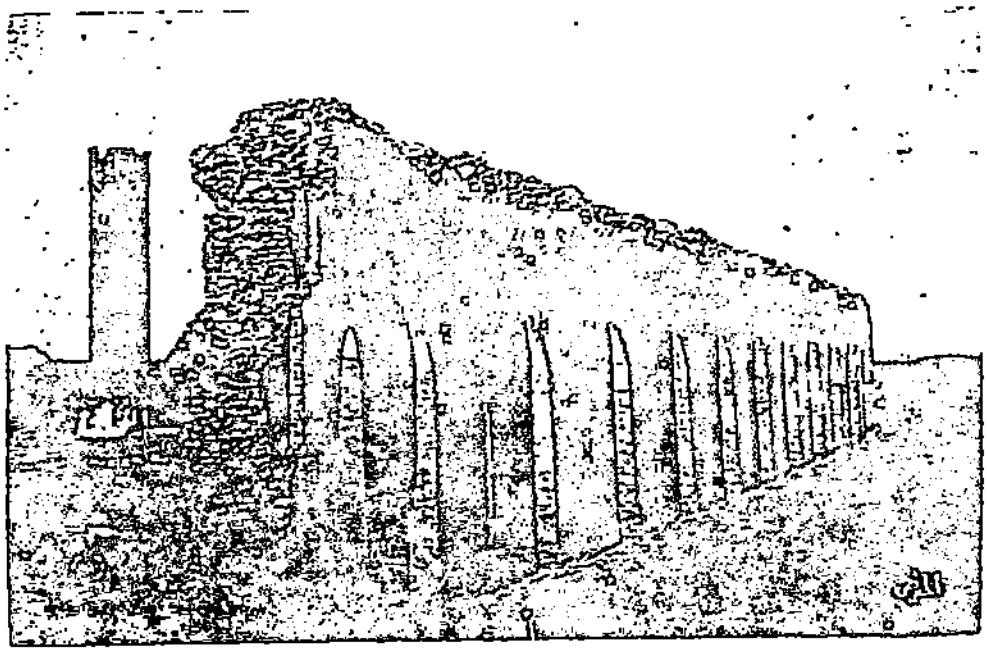

الرسم ١٠ - الرقة : حائط الجامع بقناطره المتتابعة

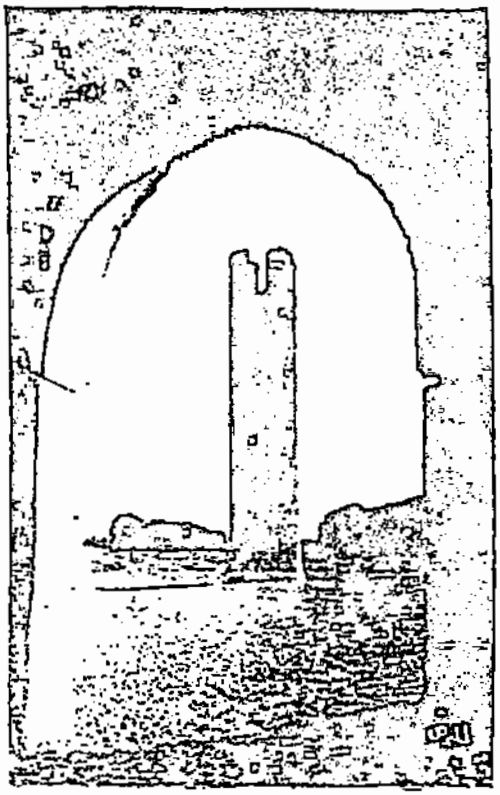

الرسم ١١ – الرقة : منظر المنارة المندثرة من احدى قناطر الجامع

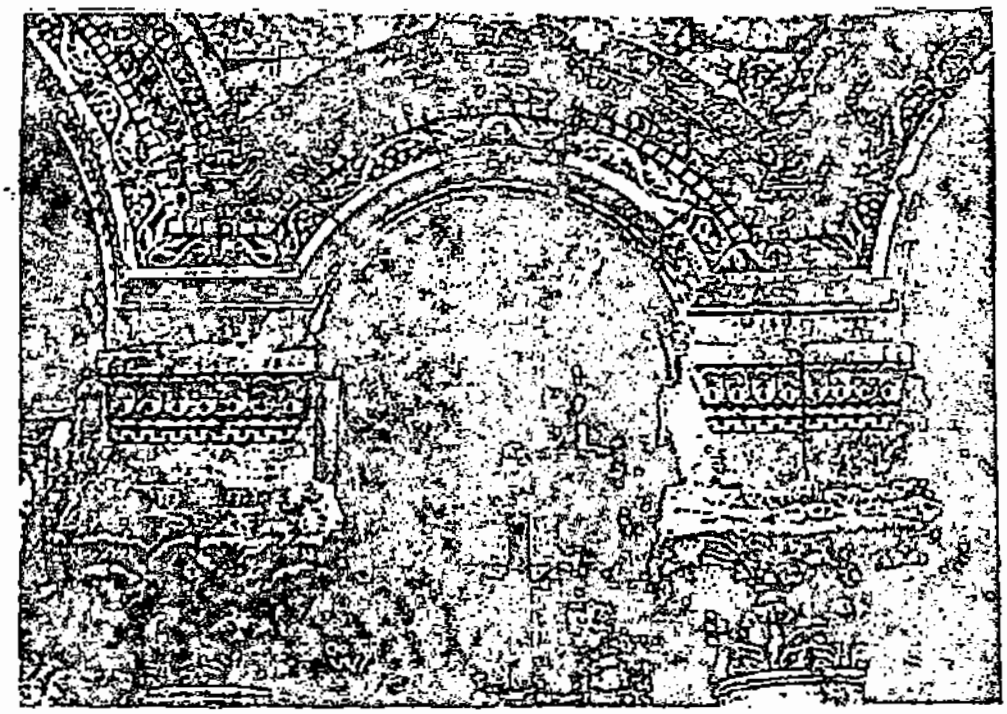

الرسم ١٢ – منظرة المحاورة الباب الشمالي

العالم الى قسطنطين الكبير ، والثاني ينتهي في عهد المهدي (٧٧٥ — ٧٨٥). والقس نظيف بن يُمن البغدادي المتطبب الذي اتخذه عضد الدولة طبيباً وولاه بيمارستان بغداد . ومن تآليفه « شرح كتاب اوقليدس » ، الذي نقل عنه ابن عسّال مقالة « في الاتحاد »[1].

٧٧ يوحنا الثالث (٩٩٧—١٠٢٢)

كان يوحنا هذا من اهل قسطنطينية،وخرطوفيلاكساً في بيعة اجيا صوفية. وفي ٤ ايلول ٩٩٧ صُير بطريركاً لانطاكية بامر باسيل الملك.وما مرّت السنة على بطريركيته حتى توفي اغابيوس سالفه يوم الاحد ٨ ايلول ٩٩٨.ثم ان الملك باسيل اوصى يوحنا البطريرك الانطاكي ان يرتب بيعة القسيان على مثال كنيسة اجيا صوفية.ولما وافى الى انطاكية أرسل اليه يوحنا بن عبدون بطريرك السريان (١٠٠٤ — ١٠٣٠) قميصاً للقداس ظريفاً بثابة هدية ، فسرّ البطريرك يوحنا بالهدية واخذ يتوشح بذلك القميص في جميع المواسم . وقد جرى بين البطريركين مراسلات حبية، وكان بطريرك الملكيين يتوق الى مشاهدة بطريرك السريان[2].

٧٨ نيقولا الثاني (١٠٢٥—١٠٣٠)

وبعد ما ظلّ الكرسي الانطاكي الملكي فارغاً ثلاث سنوات صُير نقولاوس رئيس دير الاصطوديون بطريركاً على انطاكية.. وصُلي عليه في قسطنطينية في ١٧ شباط ١٠٢٥ ،وقد روى يحيى وميخائيل الكبير والرهاوي وابن العبري حادثاً تاريخياً دينياً جرى في عهد هذا البطريرك وبطريرك السريان يوحنا بن عبدون.قال يحيى :

« رقي الى روماتوس الملك خليفة باسيل بان اليعقوبيين (السريان) بطركاً يُسمّى يوحنا يقيم في بلد مرعش يُسمّى ببطريرك انطاكية ويسيم(٣ مطارنة واساقفة للمدن.فاتخذ اشخصه(٤

١) المخطوطات العربية ١٠٥

٢) ميخائيل ٥٦٢

٣) من السريانية معصبه اي يضع اليد ومنه سمّيه أيضاً وضع اليد.

٤) سبق نيقافور الملك فاستدعى الى قسطنطينية عام ٩٦٩ يوحنا التاسع بطريرك السريان

واشخص معه ستة من مطارنته واساقفته(١ ليخاطبه في الرجوع عن اعتقاده والاعتراف بالسبعة المجامع المقدسة وقبول من قبلته ودفع من دفعته. واستدعى نقولاوس بطريرك انطاكية للحضور معه ومشاركته في الخطاب له لانه كان يومئذٍ في القسطنطينية . . .

« وجرى بين الكسيوس البطريرك (القسطنطيني) وبين من اجتمع معه من اصحابه(٢ خطاب في هذه المعاني ولم يُذعن يوحنا بطريرك اليعاقبة للانثناء عن رأيه. واجتمع خلق من العوامّ وهمّوا بالايقاع به(٣ فدُفعوا عنه

« ولما آيس الملك من عودة البطريرك يوحنا عن اعتقاده نفاه الى كفربا بالمغرب .

(٩٦٥-٩٨٦) للبحث في مسائل الدين والاتحاد فسار البطريرك في ثلاثة اساقفة وهم سرجيس ويعقوب وقسطنطين وقضوا ثمانية اشهر يعالجون مسألة الاتحاد دون جدوى ، فعاد البطريرك واساقفته الى كراسيهم (ابن العبري : التاريخ البيعي ، والزهاوي ٨٦) .

١) بعد عيد الفصح ١٠٢٦ ارتحل البطريرك واساقفته الستة وهم : ايونيس وايليا واغناطيوس واسحق وموسى وديونوسيوس اساقفة الحديثة وسيندو وملطية وعرقة وخربوط وتلّ فطريق يصحبهم عشرون راهباً ، ويشوع رئيس دير برجاجي ، وباسيل وداود تلميذا البطريرك ويوحنا كاتب اسراره . . . وفي ٢٥ حزيران وصلوا الى العاصمة . وكان معهم ايضاً يوحنا اسقف ميافرقين الملكي . فمكثوا في كورسفولي اثني عشر يوماً يستريحون (الزهاوي ٦٣) .

٢) كانوا زهاء مائتي اسقف حضروا يومئذٍ ليهنّئوا الملك الجديد . فامر الملك ان يعقد المجمع في كنيسة آجيا صوفية . فحضر الاساقفة يتقدمهم البطريرك القسطنطيني ولم يحضر نيقولا بطريرك انطاكية الملكي . . . فاوعز ايونيس مطران ملطية الملكي الى البطريرك القسطنطيني ان لا يرخّص لبطريرك السريان واساقفته في الجلوس (الزهاوي ٦٤) .

٣) واخذوا يبصقون في وجهه ووجوه اساقفته ورهبانه ، ويحثون عليهم التراب ويرمونهم بالحجار من السطوح . . . وبعد اخذ وردّ كثير أخرج السريان صحيفتين كتبوا احداهما باليونانية والثانية بالسريانية فنشروهما وقرأوا بعض الاسطر . ثم قالوا : اننا لم نُحضركم لتعلّموا الامانة بل لنعلّمكم اياها نحن . فيجب ان تقرّوا بالطبيعتين بعد الاتحاد . قال البطريرك يوحنا اننا لن نبدّل امانة آبائنا . فنهض مطران ملطية الملكيّ . . . ولطم البطريرك . فحوّل له البطريرك الخدّ الثاني . فاستعض اغلب الرؤساء اليونان واشمأزوا ودمّموا وتركوا واسرعوا في الخروج . وبعد ذلك ذهبوا بالبطريرك وحاشيته الى دير مار مينا وفي الغد مضوا بهم الى دير غريغوريوس . وبعد ايام عقدوا جلسةً ثانيةً واستدعوا البطريرك واساقفته واجلسوه واجلسوا ايليا اسقف سيندو لانه كان شيخاً . وتباحثوا طويلاً فلم يثنِ البطريرك عن رأيه . فقالوا : نشرط ألّا تضعوا زيتاً في خبز القربان ولا تصلّبوا باصبع واحدة بل باصبعين . . . فلم يذعن السريان لشرطهم . فاصدروا الحكم عليهم بالسجن . كل اثنين في سجن . ومكثوا هكذا حتى تشرين واتزلوا بهم ما شاؤوا من الاعذبة . . . !

واعترف من السنة الاساقفة والمطارنة الشخصين معه ثلاثة(١) وثبت ثلاثة على ما هم عليه فحُبسوا في الحبس . ومات يوحنا هذا بعد ثلاث سنين من تنيه . واقام اليعاقبة لهم بعد موته بطركاً غيره (وهو ديونوسيوس الرابع(٢ (١٠٣٢-١٠٦٢) . فلما عرف رومانس الملك حاله اتخذ من يحضره فهرب الى ديار بكر من بلاد الاسلام .

« وفي آخر السنة الثالثة من ملك رومانس (١٠٣٠ ؟) سار اليه سليمان بن الكرجي صاحب الرها واستصحب معه الكتاب الوارد من ابجر ملك الرها الى السيّد المسيح وجواب السيّد له . وكان كل واحد منها في ورق طومار مكتوبَين بالسرياني . وخرج الملك والكسيوس البطريرك وجميع اهل المملكة لاستقبالها . وتسلّمها الملك بخشوع وخضوع تعظيماً لكتاب السيّد المسيح واضافها الى الاثارات المقدسة التي في بلاط الملك وعُني رومانس الملك بترجمتها من السرياني الى اليوناني . وترجمها لنا الى العربي الناقل الذي تولّى نقلها الى اليوناني على هيئتها ونصّها . » (٣

اما البطريرك نيقولا الثاني فكان يفرغ كل جهد وجدّ في ان يستميل اليه السريان المنوفيزيتيين المقيمين في انطاكية . وقد حدث في اواخر بطريركيته فتنة بين اولئك السريان أسفرت عن انضمام فريق منهم الى الملكيين ، واستحلوا

١) واخيراً وافقهم اغناطيوس وموسى واسحق اساقفة ملطية وخربوط وعرقة . وكتبوا صورة ايمانهم وامضوها ودفعوها لهم . فأخذها مطران ملطية الملكي الى الملك وقال له : اذا تربّصتَ ولم تتسرّع في غلبة سيلهم اذعنوا كلهم ووافقونا . فارسل الملك يقول ليوحنا البطريرك : « اذا وافقتنا في اماتتنا خوّلناك كرسي انطاكية » . فكتب له البطريرك : « اني حاصل على الكرسي الرسولي في الارض والسماء » . ولما آيسوا من الاتفاق امر الملك فساقوا البطريرك الى المنفى الى دير غايوس ببلاد بلغارية . وهناك اقام اربع سنوات في السجن حتى ادركته المنون في ٤ شباط ١٠٣٠ وكفّنه وصلّى عليه يوحنا كاتب اسراره . وعلى اثر نفي البطريرك استدعي اساقفته الى بلاط الملك . فعرّى بطريرك اليونان الاساقفة الثلاثة الذين وقّعوا صورة ايمانهم وعدهم ثانية . . . على ان اغناطيوس اسقف ملطية اقفع بعد عناده ومات حالاً . اما الاسقفان الآخران فانحزما الى سورية وقضيا بقية عمرهما تائبين . اما ايليا اسقف سيمندو الشيخ الوقور البليغ فقد رجموه على باب البلاط وفتكوا به لانه تغلّب عليهم في الجدال . وقضى ايوتيس اسقف الحديثة نحبه في السجن . وعاد ديونوسيوس اسقف تل فطريق الى كرسيه (الرهاوي وابن العبري في كلامهما عن البطريرك يوحنا في التاريخ اليمني) .

٢) حتم هذا البطريرك ان تكون ديار بكر وماردين مركزاً للكرسي البطريركي قلقاً من الملكيين . وكانت المدينتان المذكورتان في حوزة بني ارتق ملوك ماردين .

٣) يحيى ٣٥٢ و٣٦٢

كنيسة حديثة كانوا قد ابتنوها هم. قال ميخائيل: « فأهبط الله عزّ وجلّ صاعقة على بيعة القسيان الكبرى صباح الاحد في الساعة الثالثة بينما كان البطريرك نيقولا المضطهد يقرّب القداس فاحرقته واحرقت معه الشعب كلّه والكنيسة برمّتها. واضطرّ ابناء جماعتنا السريان ان يغادروا المدينة ايام الآحاد والمواسم الى القرى ويتقرّبوا من الاسرار المقدسة »[1] . هكذا توفي البطريرك نيقولا في ٧ تشرين الثاني ١٠٣٠

٧٩ ايليا الثاني (١٠٣١ــ١٠٣٢)

تولّى البطريركية الانطاكية سنة بعد وفاة سالفه نيقولا . وصُلّي عليه في قسطنطينية يوم السبت الكبير اول نيسان[2] (١٠ نيسان ١٠٣١) وتوفي في ١٨ ايلول ١٠٣٢

٨٠ تيودور الثاني (١٠٣٣ــ١٠٤١)

هو جرجس الاسقرتط[3] انتُخب بطريركاً لانطاكية ودُعي تيودور وصُلّي عليه في قسطنطينية صباح الاحد من الصيام الكبير المقدّس ١٣ اذار ١٠٣٣ وأقام في الرئاسة ثماني سنين وستة اشهر و ٢١ يوماً. وتنيّح[4] في ٢٤ ايلول ١٠٤١

٨١ باسيل الثاني

أثبت كتاب السينوديكون اسم هذا البطريرك الذي خلف تيودور الثاني وأغفل ذكر سنتي جلوسه ووفاته. ويرجح ان المنون ادركته قبل السنة ١٠٥٢

وفي نحو هذه السنة عينها توفي الشمّاس ابو الفتح عبد الله بن عبد الله المطران الانطاكي المشهور بابن الفضل[5]. وقد أحصى الاب لويس شيخو اليسوعي مصنفاته الرائعة وختم بقوله: « منها يظهر فضل هذا الرجل العظيم »[6].

---

١) ميخائيل ٥٧٢ ٢) يحيى ٢٦٥

٣) من اليونانية فالسريانية مُعمنهمص اي الفقيه والمفتي

٤) وفي هذه المدة توفي المؤرخ الملكي يحيى بن سعيد الانطاكي . وقد نقلنا ما اشرنا اليه في الهوامش عن تاريخه الذي نشره عام ١٩٠٩ الاب لويس شيخو اليسوعي.

٥) المشرق ٩ [١٩٠٦] ٨١٦، ٩٤٤

٦) المخطوطات العربية ٤٢

٨٢ بطرس الثالث (١٠٥٢ــ١٠٥٧)

ارتقى الى الكرسي الانطاكي في حزيران ١٠٥٢ وتوفي قبل ٣٠ آب ١٠٥٧ وفي عهده، اعني في السنة ١٠٥٣، حدث انشقاق الكرسي القسطنطيني على يد ميخائيل قرولاريوس البطريرك († ١٠٩٥) الذي كان قابضاً على ازمّة الرئاسة الدينية والمدنية . ويقال ان البطريرك الانطاكي بطرس الثالث انفذ كتاب الشركة الى الحبر الروماني البابا لاون التاسع (١٠٤٩ – ١٠٥٤) وحمّل كتابه هذا سائحاً كان قد حجّ الاراضي المقدسة وانتظر البطريرك جواب كتابه هذا ليبعث الى الحبر الروماني بكتاب ثانٍ على يد دومينيك بطريرك غرادو . وقد ناهض البطريرك الانطاكي بطريرك قسطنطينية وكتب اليه يقول : « اعتبر انه من سبب الانقسام بين كنائسنا وبين الكرسي الرسولي الكبير ألمّت بنا كل البلايا والمصائب . ولذا نرى الامم مضطربة والمدن خربة والولايات مسحوقة وجيوشنا لا تنجح في مكان ».[1]

٨٣ تيودوسيوس الثالث (١٠٥٧)

ارتحل الى قسطنطينية قبل ٣٠ آب ١٠٥٧ ليرتقي الى الكرسي الانطاكي. وأصبح مشايعاً حقيقياً لميخائيل قرولاريوس الذي جدّد انشقاق فوتيوس، وجاهر بالعصيان على كنيسة الله الواحدة . وعقد مجمعاً حرم فيه ثلاثة قضاة البابا لاون التاسع . ومن ثم سقط بطاركة انطاكية والاسكندرية واورشليم في هوة الشقاق وانفصلوا من وحدة الكنيسة الكاثوليكية. وهكذا فالبدعات الكثيرة التي سلمت الى ذاك اليوم من البدع النسطورية والمونوفيزيتية والمنوثولوتية امست هي ايضاً خارجة عن الكنيسة الكاثوليكية. ولم يقف بطاركة قسطنطينية عند هذا الحدّ بل اضطرّوا البطريركيات الشرقية الثلاث الرسولية ان تترك عاداتها الطقسية وتتبع عاداتهم وانتهم، وتُعلن عصيانها على خليفة بطرس رئيس الرسل وتحذف اسمه من الذبيحة. وعليه فالبطاركة الانطاكيون الذين خلفوا تيودسيوس الثالث حاكوه في هذا الشقاق . ومما يبرهن ذلك برهاناً جلياً ان الصليبيين عندما

---

١) تاريخ لومند . مقال السيّد اقليميس يوسف داود ٢٧٩ – ٢٨٤

فتحوا انطاكية ناهضوا بطاركتها ونصبوا بطريركاً لاتينياً سموه بطريرك انطاكية[1]. والخلاصة ان الانشقاق الفوتيوسي تجدّد منذ السنة ١٠٥٧ في بطريركية انطاكية الملكية. فان العقل لا يقبل بتة ان هولاء البطاركة اليونانيي النحلة كانوا يقبلون وضع اليد من بطاركة يخالفونهم في المعتقد!

٨٤ اميليان (١٠٧٤ــ١٠٨٩)

لا يُعرف بالتدقيق زمن وفاة ثاودوسيوس الثالث. وقد خلفه اميليان في نحو السنة ١٠٧٤ وانتهت حياته في قسطنطينية عام ١٠٨٩ او ١٠٩٠. واورد ابن العبري في حوادث السنة ١٠٨٤ ان فيلردس الارمني قصد قسطنطينية وزوّده اليونان بالذخائر والعُدَد واعلنوه والياً. فعاد واستولى على قيليقية وانطاكية ومرعش وكيسوم ورعبان والرها وجيحان وملطية ... وقبض على وجهاء انطاكية واغتصبهم اموالهم... فابغضه الانطاكيون وأبغضهم واقاموا لهم حاكماً فارسياً يقال له اسمعيل ... فأقبل سليمان بن قتلميش الى انطاكية وملكها بمساعدة اسمعيل المذكور واستحلّ كنيسة القسيان واستحوذ على كل ما فيها من امتعةٍ واوانٍ ذهبية وفضية وعلى ودائع الاهالي التي بها وجعلها جامعاً ... ثم طيّب قلوب الانطاكيين... فارتاحوا في عهده واستراحوا[2].

٨٥ نيقوفور (١٠٨٩).

يرجّح انه تولّى الكرسي الانطاكي عام ١٠٨٩ ولا يُعرف متى وانى انقضت حياته. قال العلّامة كرلفسكي ما ملخّصه: «منذ فتوح العرب الى عهد عودة البوزنطيين الى بلاد المشرق كان انتخاب بطاركة انطاكية منوطاً باكليرسها وشعبها. وكان البطريرك الانطاكي مضطرًّا الى الحصول على فرمان من خلفاء بغداد أسوةً ببطاركة السريان المنوفيزتيين وخلافاً لبطاركة السريان الموارنة الانطاكيين فان هولاء كانوا في غنىً عن مثل ذاك الفرمان. وزد عليه ان بطريرك انطاكية الملكي كان يعيّنه معتمَدُه في قسطنطينية او مشايعهُ وكان

١) تاريخ لوند ٢٧٩ – ٢٨٤

٢) ابن العبري: التاريخ المدني السرياني ٢٥٧

ذلك المتمسد او المشايع خاضعاً لاوامر القيصر والبطريرك القسطنطيني . امّا اساقفة الملكيين فكانت كل ابرشية على حدتها تنتخب لها اسقفاً . امّا بشأن عدد الملكيين المنتمين الى الكرسي الانطاكي في نواحي القرن العاشر فيصعب تحديده . بيد اننا نعرف معرفة تامة ان بطاركة السريان المنوفيزتيين او اليعاقبة كانت اكثر واهم فكان اساقفتها ينيفون على المائة والستين اسقفاً كما اثبت بطركهم ميخائيل الكبير[1] وغيره . اما اساقفة الملكيين فلم يكونوا يتجاوزون الخمسين . فيُستنتج من ذلك ان السريان اليعاقبة في تلك الحقبة كانوا يناهزون المليونين من النفوس . امّا الملكيون فلم يكن عددهم يتجاوز النصف مليون . فضلاً عن انه في عهد الصليبيين عينه كان عدد اليعاقبة في انطاكية ذاتها يفوق عدد اليونان او الملكيين بلا ريب»[2] .

٨٦ يوحنا الرابع (١٠٩٨ــ١١٠٠)

وصل الصليبيون الى بلاد المشرق ودوّخوا انطاكية ليلة ٣ حزيران ١٠٩٨ وكان يوحنا الرابع يشغل كرسيها البطريركي فلم يستحسن الصليبيون ان يُستبدلوا بطريركاً غيره . فاسترجعوا كنيسة القسيان من يد المسلمين وامتلكوها ، وأجمع الاكليرس الصليبي والوطني على ترميمها وتقرّر يوحنا في منصبه .

بيد أنه لمّا استوسر بوهيمند ملك انطاكية الصليبي عام ١١٠٠ بذهاء جبرائيل الرومي الملكي عامل ملطية[3] شاع ان ليوحنا البطريرك اصبعاً في الخيانة . ولمّا تعذّر عليه التفاهم مع الصليبيين انطلق الى قسطنطينية التي كانت معادية للصليبيين . وفيها قضى حياته عام ١١٠٠ ، وأمسى الكرسي الانطاكي من بعده شاغراً زهاء ستّ وخمسين سنة[4] .

---

١) اطلب الفهارس الملحقة بتاريخ ميخائيل المذكور .

٢) اكرلفسكي . معجم التاريخ والجغرافية الكنسي ٦١٢

٣) ابن العبري : التاريخ المدني السرياني ٢٦٧

٤) روى لوقيان في هذه الفترة اسمَي بطريركَين ملكيَين هما ثوذوسيوس ويوحنا نقلاً عن تاريخ البطريرك اثناسيوس دبّاس . غير ان الدبّاس زعم ان هذين البطريركين كانا

على ان الصليبيين لما شاهدوا الملكيين يخالفونهم في المبادئ الدينية أخرجوهم عن الكنائس الكبرى ورفضوا بطريركهم واساقفتهم ونصبوا من جنسهم بطريركاً لانطاكية يقال له برنردس عام ١٠٩٨ فشغل ذلك الكرسي ستاً وثلاثين سنة. وهذا البطريرك الصليبي نصب احد عشر اسقفاً لابرشيات طرسوس والمصيصة والرها ودلوك وافامية وطرابلس واللاذقية وجبلة وقورس ومرعش وحارم. ونصب البطريرك الاورشليمي الصليبي ثمانية اساقفة لابرشيات بيت لحم وحبرون والسامرة ويافا والناصرة وقيصارية وصيدا وبيروت. ثم نصب الصليبيون مطراناً لصور لان البطريرك الانطاكي الملكي أبى ان يؤدّي لهم النفقة[1].

وكتب مؤرخو السريان ان باسيل ابن صابوني مطران الرها السرياني رافع بطريركه اثناسيوس السابع (١٠٩١ - ١١٢٩) الى ديوان السيّد برنردس بطريرك انطاكية الصليبي. ولمّا وصل البطريرك اثناسيوس الى انطاكية ادخله الصليبيون الى كنيسة القسيان باحتفال وسألوه ان يغفر لمطرانه المذكور ويصالحه فأبى البطريرك وخرج ساخطاً. ثم لاذ بصديقه عبد المسيح الفيلسوف الرهاوي الملكي[2] فتخلّص من تلك الدعوى وعاد الى كرسيه.

معاصر بن لنيكون المتوفى في سلخ القرن الحادي عشر. فزعمه اذاً يشمل ثيودوسيوس الثالث ويوحنا الرابع.

١) ميخائيل ٥٦٠

٢) الحروب الصليبية في الآثار السريانية بقلم صاحب المقالة ٢٤، ٧٣، ٧٤

رحلة عدنية — الى صحراء سورية الشمالية

رصافة هشام ورقة الرشيد

بقلم فؤاد افرام البستاني
استاذ الآداب العربية في جامعة القديس يوسف

متى تردي الرُصافة تستريحي من التهجير ، والدَّيْر الدوالي !
الفرزدق

اذا الرقّة البيضاء لاحت بروجها ، فدى كلّ عطارٍ بها امّ مربر !
الاخطل

على طريق الصحراء

— الرصافة ؟ رصافة هشام ؟ سرجيوبوليس ؟

— هي بعينها ، على نحو مائتي كيلومتر من حلب ، نكون فيها ضحى الغد ، اذا شئتم.

وشاء الله ان نشاء . فلبينا دعوة الاب بريفو اليسوعي ، مدير النادي الكاثوليكي في حلب ، وقمنا صباح ٢٨ نيسان الفائت ، تاركين الشهباء مطمئنةً الى نوم الصباح ، قاصدين الصحراء الشرقية ، مستيقظةً بما فيها من جماد ونبات وحيوان نحو اشعّة شمس الربيع تبخّر ما تناثر عليها من ندى الليل البارد.

السيّارة متينة من نوع « هدسون » ؛ والدواليب جديدة يرفدها ، عند الحاجة ، دولابان جاهزان على الجانبين ؛ وصفائح البنزين عديدة . والطعام وافر ؛ وكذلك الماء في صفيحة خاصة يطوها قالب ثلج مُلفّف بالخيش . فلا خوف من الانقطاع ، ان شاء الله . اما السائق فماهر ، رصين ، ناطق اذا انطقته ! واما الركاب فهم : الاب بريفو اليسوعي ، والاب ميتيس البندكتي ، وشارل القرم ، وكاتب هذه السطور . اربعة متفقون في الآراء والنزعات لا كلّ الاتفاق ،

مختلفون لا كلّ الاختلاف. فهم اذاً على افضل ما يكون من الحالات استعداداً لاثارة الابحاث في تلك المناطق التاريخية ، بل لتغذية المناقشات طول تلك الرحلة المترامية حتى الخمسمائة كيلومتر . واذا بموضوعات الثقافة المختلفة من تاريخ واجتماع وفنّ وادب وشعر تزدحم ازدحام الذكريات في تلك البطائح المتاوجة بتاوج النسيم ، الخافقة صعوداً وهبوطاً باضطراب السيارة على طريق لم تعبّد كلّها بعد .

هذه مجموعة من قوالب السكر ، بل من اقراص الكبّة ، تبدو في الافق البعيد ، غبراء اللون في ذاك المرج الاخضر . ثم تزحف نحونا شيئاً فشيئاً ، فتضخم اقراصها ، ويقرب لونها من الاصفرار المذهّب تحت اشعّة الشمس . واذا بها بيوت من الطين المجفّف تُقام — ولا نقول تُبنى — على ذاك الشكل المخروط ، لخلوّ السهول من الحجارة والخشب . هي قرية النيرب ، على ثمانية كيلومترات من حلب ، فيها محطة للطيران .

وهذه ، على خمسة عشر كيلومتراً ، قرية جبرين ، وعلى القرب منها تلّان : الواحد الى الجنوب والآخر الى الشمال ، وهما من تلك التلول المتعدّدة في الصحارى والسهول ، كما في سهل البقاع ، والتي كانت ، على ما يظهر ، نقاطاً للمراقبة يُصعد اليها لكشف السهل ورصد حركات العدوّ .

وهناك تلّ آخر ، على خمسة وعشرين كيلومتراً ، يدعى تلّ الشربة . وقبالته ، الى اليمين ، قرية جب الصفا . ووراءها من ناحية الجنوب تمتدّ بحيرة جبُول المالحة او السَبْخة . وهي مصدر للملح جدير بالذكر ، لا ينقصه الّا ان يستغلّ بطريقة منظّمة .

ثم تتابعت السهول ترفد بعضها بعضاً ، لا نرى فيها الا تموّجات الزرع ، وقد اصفرّ في بعض المناطق حتى كدنا نسمع حفيف السنابل المثقلة ، بل انه بوشر حصاده في انحاء عديدة ؛ ولا يزال في غيرها اخضر يافعاً كأنه حديث العهد بالظهور . وهو ، كيف ما كان ، قويّ الساق ، مندفع الرأس ، يبشّر بموسم صالح . ولم يمرّ علينا نصف ساعة في تلك الزروع حتى اشار المعلّم الى قرية جديدة اسمها دير حافر ، واذا هي لا تكاد تختلف عن النيرب الا بالاهمية

والسعة . امـا البيوت فهي هي من تلك القوالب المعهودة . على ان في الدير عدة دكاكين فيها بعض الحاجات الضرورية ومن جملتها البنزين وزيت السيارات . والى شماليها وجنوبيها التلان المعهودان كذلك .

وبعد ان ادركنا قرية عرب ، على ٧٦ كيلومترًا من الشهباء ، اخذنا ننحدر شيئاً فشيئاً نحو وادي الفرات . ولم نلبث ان شاهدنا ، بل تصوَّرنا عن بعـد ، تلك المنعرَجات الفسيحة ، والدورات البطيئة ، الذي يزوَرُّ فيها الفرات « مُنحَنِفرًا من جبال الروم » ، على قول الاخطل . بيد ان ذاك الانحنفار لم يكن قويًّا لان الجبال بعيدة عنا ، ولا يذكّرنا بها الا مرتفعات كلسية على يمين الطريق ، متجهةً جنوباً بغرب ، مستقبلةً اشعة الشمس في تعـاريجها المتنوّعة الالوان الى البياض الأزهر ، مغلغلةً اياها حتى حناياهـا المقوّسة ، وقد اخذت امواج النهر من حروفها في سالف الاحقاب عهدَ كان يمرّ عند اقدامها . اما اليوم فانه يبعد نحو كيلومترين عن الطريق الى الشرق . وها اننا نراه بجلاله البطيء ، ينتقل على مهل من يمين المجرى الى يساره على مسافة قـد تبلغ الخمسمائة متر ، فيطوّق الحنايا والمنعرجات ، ويجرف تراب الضفتين ، مغالباً تلك الشجيرات المرتجفـة بالقرب منه ، جارفاً « ركاماً من الينبوت والخضد » ؛ حتى يصادف عقبة مسكنه الواقعة في تلك المرتفعات الكلسية ، فينحرف عنها نحو الكيلومتر متغلغـلاً في الاكافيف . ومسكنة قرية على مائة كيلومتر من حلب ، فيها مخفر للدرك ، وبها تنتهي الطريق المعبّدة ؛ فيضطرّ المسافرون الى السير في مجاز لا بأس به ، يبلغ الى نحو مائة كيلومتر قبل دير الزور ، فيتصل بطريق جديدة .

وعلى خمسة كيلومترات من مسكنة ، تقع على تلّ الى يمين الطريق ، اسكي مسكنة او مسكنة القديمة ، وهي خرائب مدينة بالس البعيدة الذكر في الحروب المتتابعة بين العرب والروم على عهد الحمدانيين خاصة .

بالس

عُرفت بالس منذ العصور القديمة . وكان اسمها يربالسوس ، وهو آرامي الاصل تحرّف في ما بعد ، فصـار بالس . وقد نالت شهرتها لحسن موقعها على

الفرات الذي كان يمرّ امامها ، فكانت مرفأً مهماً تنزل فيها القوافل الذاهبة من الشام الى العراق ، فتترك الطريق البرية سائرة بطريق النهر . وترسي فيها السفن الآتية من العراق ، فتفرغ بضائعها لتنقلها القوافل بطريق البر . فهي اول مدن الشام من جهة العراق ، تقع على حدّ جغرافي مهمّ ، وعلى حدّ مناخيّ مهم كذلك ، لانّ رطوبة الفرات تخفّف فيها وطأة المناخ الجافّ المتصفة به صحراء حلب القاحلة . ولهذا غدا في نباتها وفي حيوانها ميزات متعدّدة تفصلهما عن نبات بادية حلب وحيوانها .

وقد تعاقبت عليها الدول منذ القدم ، ونالت نصيبها من الغزوات والاكتساحات ، فخربها كسرى انوشروان نحو السنة ٥٤٠ ، على قول بروكوب ؛ فأعاد بناءها يوستنيانوس . ولا يزال من آثاره فيها بقايا ساحة ، واطلال برج .

وفي اوائل الفتح العربي ، دخلها المسلمون . وما زالت تنتقل من سلطان الى سلطان حتى ملكها الحمدانيون، اصحاب حلب ، فاستفاد سيف الدولة من موقعها التجاري ، ففرض الضرائب والمكوس على القوافل القادمة من العراق والذاهبة اليه . ووكل بجبايتها قاضيه ابا حصين الرقّي ، وهو مشهور بالخبث والدهاء والتزلّف لسيف الدولة ، حتى انه كان يبرّر ما يأتيه الامير من ضروب الجور على الرعية ، فيريح ضميره ، ويحلّل له الحرام . ذكره المؤرخ كمال الدين ، فقال : « وكان ظالماً ، فكان اذا مات انسان اخذ تركته لسيف الدولة ، وقال : كل من هلك فلسيف الدولة ما ترك ، وعلى ابي حصين الدرك . » هذا القاضي انفذه سيف الدولة الى بالس ، وفيها التجار معتقلون عن السفر بسبب الحروب بين الامير الحمداني والاخشيد ، فأخذ ابو حصين يرهقهم بالضرائب حتى ابتزّ منهم ، على قول ابن حوقل، «في دفعتين ، بينها شهور قلائل وايام يسيرة ، الف الف دينار .» ومهما يكن من المبالغة في الرقم ، فان الحادثة تدلّ على ازدهار المدينة الاقتصادي .

وكان ينزل بواديها قبائل بني كلاب . وكثيراً ما ثاروا على سيف الدولة . حتى اضطر مرّة الى السير عليهم بنفسه ، فاوقع بهم ، وسبى حريمهم . ثم اشفق عليهم فعفا عن الاسرى ، وردّ الحريم ، سنة ٩٥٤ ، وكان المتنبي معه في تلك الغزوة ، فقال قصيدته التي مطلعها :

بنبرك ، راعيا ، عبث الذئابُ ! وغبرك ، صارماً ، ثلم الضرابُ !

وفي السنة ١١١١ وقعت بالس في ايدي الصليبيين ، اصحاب امارة الرها . وقد زارها السائح بنيامين التوديلي سنة ١١٦٣ . على ان المسلمين لم يلبثوا ان استعادوها ، فشيد فيها الملك العادل ابو بكر الايوبي منارةً مثمنة الاضلاع ، مربّعة القاعدة ، زيّنها بالنقوش والرقم الكوفية ، وهي لا تزال قائمة الى اليوم ، ولم ينل الخراب الا قسمها الاعلى . ويبلغ ارتفاعها ٢٢ متراً ، يُصعد اليها بـ١٠٧ درجات . اما مادتها البنائية فالآجر المصفر . وفي المدينة اطلال الجامع وبقايا كثير من البيوت العربية المبنية كلّها بالآجر او اللبن العراقية كالمنارة الراقية الى اواخر القرن الثاني عشر ، او اوائل الثالث عشر .

بيد ان الفرات ، وهو السبب الاصلي في ازدهار تلك المدينة ، اخذ ينحرف عنها منحدراً الى الغرب في ذاك السهل الفسيح ، حتى اصبح في ايام ياقوت الرومي († ١٢٢٩) ، على بعد اربعة اميال ، او ثمانية كيلومترات . اما اليوم فقد اقترب النهر الى نحو ثلاثة كيلومترات . ولعله يعود ، فيعود الى تلك النقطة ازدهارها السابق . وقد اجهز عليها ، بعد ابتعاد النهر ، اكتساحات المغول فخربها جنكيز خان سنة ١٢٦٠ .

في بطائح الفرات

ولم تكد تغيب عنا خرائب بالس ومنارتها الشامخة ، حتى اخذنا نقترب من الفرات شيئاً فشيئاً الى ان ادركنا تلك المرتفعات فصعدناها في عقبة تدعى دبسة ، ولعلّها ، كما يقول اصحاب « الدليل الازرق » ، هي « تِفْساح » ، اي المعبر ، المذكورة في الكتاب المقدس (سفر الملوك الثالث ٤ : ٢٤) ، او لعلّها تپساك التي ذكرها اسطرابون فقال ان الاسكندر قطع الفرات عندها فانزل فيه سفنه ، وكان قد حملها مفككة من آسية الصغرى . ومن اعالي تلك البقعة منظر فريد على منعرجات النهر المتتابعة ، وتلك السهول المترامية الاطراف حتى الافق البعيد ، لا ينقصها الا مشروع ينظّم طريقة الريّ فيها ، فتغرق سورية بمواردها الخصبة . هذا ما كنّا نفكر فيه ، ونحن نرمي الانظار الكئيبة على

الارض الخصبة التربة ، وعلى الماء المتدفق حياةً ونشاطاً ، وليس من يستفيد من ذاك الخصب ، ولا من تلك الحياة .

وقد شاهدنا في تلك البطائح مجموعة عجيبة من النباتات المتنوّعة ، القويّة الروائح ، كنا نجد بينها كثيراً من حجارة الظرّان المصنوعة . وليس الظرّان من حجارة تلك المنطقة ؛ فلا شك،والحالة هذه ، ان تكون هناك احدى المحطات الظرّانية قصدها فريق من سكان المغاور الأوّلين ، فنزلوا ضفة الفرات يصيدون وحش الصحراء وحيوان الماء . ومهما يكن من أمر فاننا ندلّ علماء العصور السابقة للتاريخ على تلك المحطة ، لعلهم يجدون في ثنايا ترابها ما يفيدهم ويفيد التاريخ .

ويظلّ مجاز السيارات — ولا نقول الطريق — بعيداً عن الفرات حتى يصل الى ابي حريرة ، على ١٢٨ كيلومتراً من حلب . وابو حريرة قرية شركسية فيها مخفر للدرك . وقربها مورد من الفرات تقصده الرعاة بابلها واغنامها وبقرها . اما اصل القرية فلا نعرف عنه شيئاً ، ولا عن ابي حريرة المدعوّة به . ولعلّ اللفظة تصحيف آلالي او هراري ، وهو اسم قرية قديمة كانت في تلك المنطقة، فحُوّل الى ابي حريرة . ثم رُزق ابو حريرة هذا — المتجشم رجلاً — ثلاث بنات أشير الى قبورهنّ بثلاثة ابراج خربة واقعة جنوبي القرية ، في مرتفع يشرف على سهول صفين .

صفين

وما اشرفنا على هذه السهول حتى تمثلنا تلك المعركة الحاسمة في تاريخ الاسلام الاول . وقد احتشدت جيوش معاوية على الفرات ، وقابلتها جيوش علي مما يلي ذاك المرتفع . وفهمنا ما يرويه المؤرخون من أن جيش معاوية امتلك الماء اولاً على جيش علي ، لانه كان اقرب الى الفرات . على ان مركز جيش علي كان امنع دون شك ، وهو اقرب الى المرتفع المطلّ على السهل . وما هي الّا لمحة شاملة ، واذا بذاك المرج الفسيح تحييه التذكارات ، فيأهل بالجيوش الصاخبة ؛ واذا بليلة الهرير (٢٨ تموز ٦٥٧) يحمل فيها الأشتر فيزعزع جيوش

الشام عن مراكزها ؛ واذا بالمصاحف ترفع على رؤوس الحراب في جيش معاوية ؛ واذا بعلي يسقط في يده فيتضعضع جيشه.

واذا بالامويين يقرّون ملكهم على دعائم القوة ، والحلم ، والكرم ، والحق الالهي ، يؤيّدهم الاخطل ، وهو اعظم صحافيي ذاك العصر ، بقوله السائر :

ويومَ صفّينَ ، والابصارُ خاشعةٌ ، أمدَدْنا ، اذ دعوا ، من ربّهم مددُ !

واذا بالاسلام وقد حار مدة بين المفرقين ، يتجه اتجاهاً نهائياً جهةَ الشام فجهةَ المدنيّة الغربية ، صادفاً عن جزيرة العرب ، وعن العراق ، ملقياً بمقدّراته في ايدي السوريين ، فيخدمونه بخدمتهم تلك الدولة العربية الأعرابية حتى يجعلوا منها امبراطورية هائلة تبلغ فتوحاتها قلب اوربة ، وتجاهل آسية الوسطى ، وتهدّد بيزنطية برّاً وبحراً ، ناشرةً مآثر العنصر العربي حتى عهد العباسيين ؛ فتتفرّس الخلافة ، وتصبح الدولة « اعجمية خراسانية » ، على حدّ قول الجاحظ . وليس من شك في انه ، لولا معركة صفين ، بل لو كان الانتصار فيها لعلي ، لكان الاسلام اتجه نحو الشرق منحصراً في العراق والحجاز ، متجاوزاً الى فارس ، منصرفاً ، في كل حال ، عن الشام ، وعن البحر ، وعما وراء البحر من مدنية وعمران.

ولكن ما لنا ولهذه الاعتبارات والفرضيّات ، وقد مرّ على المعركة ما يقرب من ثلاثة عشر قرناً ولا يزال اكثر مؤرّخي المسلمين ، اذا ذكروها ، فكأنّهم يذكرون احدى المعارك الحالية ، فتندفع بهم الحماسة ولا يتمالكون الانحياز ، ظاهراً او ضمناً ، بعضهم الى معاوية ، واكثرهم الى علي .

وقد كان من نصيب صفين ، وهي الواقعة على ممر الجيوش من العراق الى الشام ، ان تشاهد معارك عديدة ، فتشرب دماء كثيرة . وكان اشهر تلك المعارك وقعة بين سيف الدولة والاخشيد لم يُشر اليها المؤرخون ، ولكنها معروفة بابيات للمتنبي . كان سيف الدولة قادماً من العراق ، والاخشيد من الشام ، فتلا دور علي ومعاوية . الا ان الانتصار كان بجانب سيف الدولة ، وهو العلويّ المجاهر بعلويته ، فأثأر لإمامه . واستغلّ المتنبي هذه السانحة ، كما استغلّ اسم سيف الدولة وهو سميّ الخليفة الرابع ، فقال :

يا سيفَ دولة ذي الجلال ، ومَن له خيرُ الخلائق والأنام سميُّ ،
أوَ ما ترى صِفّين كيف أتيتَها ، فانجاب عنها العسكرُ الغربيُّ !
فكأنّه جيش ابن حرب رعتهُ : حتى كأنك ، يا عليُّ ، عَليُّ !

ومن اعالي صفين يطلّ الناظر على ضفة الفرات اليسرى فيرى قلعة فخمة ، فسيحة الرقعة ، ضخمة الاسوار تعلو نشزًا صخريًا تخططه طبقات الحجر الكلسية ، هي قلعة جعبر المشهورة ، لها ذكر مستفيض على عهد الاتابك زنكي ، والد نور الدين ، وقد نُسب الى هذا بناية القسم الاكبر من سورها وابراجها . والى غربي القلعة ، على نحو كيلومترين منها ، يرى الناظر مشهدًا صغيرًا يشير الى قبر سليمان شاه ، احد امراء العثمانيين ، وقد غرق في الفرات في ذاك الموضع . وكان من نصيب تركية الجديدة ان أُعطيت هذا القبر ، ونالت الحق ، وفقًا لمعاهدة انكرة ، بان تبقي فيه حامية قليلة العدد من العسكر التركي ؛ وهو من غرائب تلك المعاهدة .

ولنعد الى الطريق العام او الى المجاز ، فانه يؤدي الى مرتفعات ينحدر منها الى تلّ الفدين ، فالى السَبْخة ، فالى كراكول الحمام . وعند السبخة يتفرّع المجاز الآخذ جنوبًا في صحراء الرصافة ، مقصدنا ذاك الصباح .

ولأمرٍ ما اسرع السوّاق في الاخذ جنوبًا غيرَ منتظر مفرق السبخة ، ولا راغب في الاطلاع على المَعْلَم الهادي .

في مجاهل القفر

ولم يقطع نحو العشرين كيلومترًا حتى ضاعت معالم المجاز . ولم يبقَ امامنا الّا القفر الصامت ، الاجرد « كظهر الترس » ، كما يقول شعراء البدو . وليس ادعى لفهم الشعر الجاهلي ، وتذوّق تلك الاستعارات الصحراوية ، من السفر في قفار لا يكدّر صفاء آفاقها الفسيحة الّا السراب المضطرب في الهاجرة ، واشباح الابل تتضخم وتتضاءل على المرتفعات السحيقة ، وقد عارضتها اشعة شمس الاصيل فغلّفتها بذرور الالوان المذهبة .

اخذ النهار يرتفع شيئًا فشيئًا ، واخذ الهواء يلفح فاترًا فحارًا ، ومرجل السيارة يوالي الأزيز لاهثًا ، والريح تداعب خروق الغطاء المعدني ، فتشارك ذاك الازيز

بانينها الصافر ، وكأنّ عزيف الجنّ يعصف فينا انّى اتجهنا في تلك المفاوز المهلكة . ولا دليل لنا الّا الخارطة تتناوبها اصابعنا،تفتّش فيها بشيء من القلق والايجاس عن اطلال الرصافة ، ولا مرشد الّا الابرة المغنطيسية تضطرب راقصة باضطراب ابصارنا ، ولا تهدأ مشيرةً الى الشمال الّا اذا اوقفنا السيارة .

هناك الى اليمين أشباح سوداء تتمشى ، وكأنها تقترب منا ؛ فلنسهّل عليها السير ، ولنقصر المسافة . واذا بالسائق يدير المقود نحوها ، ويطير على غير هدى ، وقد أمن المعاثر والعقبات والدورات في ذاك السهل الاملس . واذا بها تتراجع وتتمايل حتى تتلاشى ، فلا نستفيد منها الا رؤية السراب ، والكلام عنه كلام شاهد عيان .

ــ وهذا الغبار المتصاعد الى اليسار ؟ فلنقصده فلا بدّ من ان يدلّ على شيء .

ــ هو سراب ! وقد سئمنا مطاردة السراب !

ــ أوَ يُثير السرابُ غبارًا ؟ سِر نحوه ، يا كرنيك .

ويسير كرنيك ــ وهو اسم السائق ــ صامتاً ، فيدخل الغبار ؛ واذا وراءه غزلان برش ، لا تطالعنا الا بدوائر بيض ترفرف فوقها اذنابها القصيرة ، وكأنها تهزأ بنا وبسيّارتنا ، فتجدّ كلّما جدّت ، وتتصاغر تلك الدوائر كلما اتسع بيننا وبينها المجال .

ــ وتلك الحيوانات المتراكضة في الافق الجنوبي ؟ لا شك انها اكبر من الغزلان ، واكثر حركة من مولّدات السراب ! فلنقترب منها .

واذا بالوهم ينجلي عن جمال تتداعب في تلك الرمال ! وألطفُ بعداعبة الجمال أنساً وسلوى ، على ان يكون عندها راعٍ او راعية يفيدنا شيئاً عن طريق الرصافة .

وكأنّ صوت السيّارة نشر الذعر في ذاك السرب المطمئن الى الراحة ، فثار بكامله ، وهو يبلغ المئات ، فشالت الاذناب ، وترجرجت الارداف ، واضطربت الاسنمة ، وتقادّت الرؤوس بين الصعود والهبوط «كسكان يوصي بدجلة معمدٍ» . هي ناقة طرفة تحيا امامنا بتلك النياق الضخمة المكتنزة اللحوم ، لا بهذه الابل

الهزيلة التي نراها تتجرّر على الطرق المعبّدة ؛ وهي الفصلان تتلاعب لاهيةً عن كل شيء في تلك الآفاق الفسيحة المتتابعة على منظر واحد ، بل هي شاعرية العرب نفسها تنبعث في ذاك الاطار الطبيعي الوحيد فتأنس بحيوانه القليل ، ونباته الهزيل ، وتكتفي بتصوير ما تراه . فتتذوّق فنها الدقيق ، وتشعر بشعورها الفرد ، وتجري مع خيالها المحدود ، وتفهم اسباب قصورها عن التنوّع ، فتخفّف من حملاتنا على اصحابها لانهم لم يصوّروا ما لم يروا . هذه الابل انس البدوي ، والهام الشاعر . ولكن هل من ورائها بشر نميل اليه فنسأله عن مقرّنا من تلك الصحراء ؟ هي بدوية وحيدة تستظلّ ظلّ ناقة ساكنة ، كما كان يفعل هلال في إبله . ملنا اليها فسلّمنا ، فردت بلسان جدّ بعيد عن عربيتنا حتى الفصحى . وسألناها عن الرصافة . فاجابت ناظرة الينا بشيء من الاستغراب يساوره شيء من القلق :

ــ الرصافة ؟ هي بعيدة ، بعيدة . لقد تركناها منذ ثلاث ليال.

ثلاث ليال للماشي وراء الابل لا تمثّل شيئاً مهماً للسائر في سيارة متينة.

ــ ولكن ما لنا وللبعد . الى ايّ جهة تقع الرصافة وحسبنا ؟

فاشارت بيدها اشارة غامضة تلتفّ وتستدير حتى تكاد تشير الى كل النواحي معاً .

فودّعناها ، واتجهنا الى احدى تلك النواحي ، ولا تزال ذكريات الابل تحتلّ مخيلتنا . وكأن تلك الصلة الطبيعية بينها وبين القفر اتصلت بنا ، فغدونا لا نرى الصحراء الّا من خلالها ، ولا نأمل بالوصول الى الرصافة الّا على غواربها. أوَ لم يصل اليها ، على هذه الطريقة ، مئات الالوف من البشر مدة القرون العديدة ؟ أوَ لا نرى الآن آثار اخفاف الابل في الاماكن الرطبة اثر المطر الاخير تهدينا في اتجاهنا كما هدت الاجيال المتتابعة من رجال سنحاريب الى رعاة يهوذا ، الى حماة البيزنطيين ، الى زوّار مار سرجيس ، الى شعراء هشام. كما هدت الفرزدق يقطع الايام والاسابيع من مدن العراق ، لا يؤنسه الّا الناقة ، ولا يشجعه على مواصلة السير الّا الامل ببلوغ الرصافة وبنوال هشام بن عبد الملك ، حتى اذا ما لغبت ناقته وتلفّت ضجرة ، مستكشفة الافق البعيد ،

خاطبها مخاطبةَ الرفيق، ومنّاها بقرب الراحة وحضور النغم ، متى وردت الرصافة:

إلامَ تلفّتين ، وأنتِ نفي ، وخيرُ الناسِ كلهم أمامي ؟
متى تردي الرُصافةَ تستريحي من التهجير ، والدَبَرِ الدوامي ؛
وتُلقي الرحل عنكِ ، وتستقيمي بنيث الله والملك الهمام !

فيسمعه جرير ، وجرير منصت لكل ما يقول الفرزدق لينقضه عليه . ولعلّه كان يغبطه لمقامه من هشام في الرصافة ، فيردّ قائلًا:

تلفّتُ أنّما تحتَ ابنِ قينٍ حليفِ الكبرِ والناسِ الكهامِ؛
متى تردِ الرصافةَ تحزَ فيها ، كخزيك في المواسم ، كل عامِ.

بيد اننا لا نأمل الخزي في ورودنا تلك المدينة ، التي تحمّلنا المشاقّ كلها في الوصول اليها.

واذا بنا ناتفت فجأةً ، وسط القفر الاغبر المحمرّ الى بقعة سوداء لمّاعة في اشعة الشمس (الرسم ١)، فتعترينا الدهشة مدة ثوان، ثم نصيح كمن بفم واحد : الرصافة !

الرصافة

تاريخها

ورد ذكر الرصافة في النصوص الاشورية ، وفي سفر الملوك الرابع من الكتاب المقدس . وقد جاء اسمها فيه بصيغة «راصف» . فذكر ان ملك اشور بعث رسلًا الى عدوّه حزقيا ، ملك يهوذا ، يهدّدونه قائلين: «... فانك قد سمعت كل ما صنع ملوك اشور بجميع البلدان وكيف دمّروها أفأنت تنجو ؟ ألعلّ الامم التي اهلكتها آبائي انقذتها آلهتها كجوزان ، وحاران ، وراصف ، وابناء عادان الذين في تلأسّار ؟»[1].

ثم تحوّل اسمها من راصف الى راسابه ، فالى الرصافة او الرصافا . وقد دعيت ، بعد القرن الرابع ، سرجيوبوليس اي مدينة سرج او سرجيس نسبة الى القديس سرجيس الذي استُشهد فيها نحو السنة ٣٠٥، على عهد ديوقلتيانوس، ودُفن هناك . فأقيم دير على قبره ، وكثرت العجائب على ضريحه ، فانتشرت

١) سفر الملوك الرابع ١٩: ١١-١٢

مظاهر تكريمه في تلك الانحاء حتى دعيت المدينة باسمه . وقد فصّل المؤرّخون سيرة حياته . ومن اقدم ما ورد في ذلك اقوال السريان ، واقدم هؤلاء يعقوب السروجي ، اسقف سروج ، المتوفى سنة ٥٢١ . فقد انشأ ميمراً في الثناء على سرجيس وباخوس قال فيه مخاطباً سرجيس : « انت معقل وطننا ، وبك يأوذ صقعنا كله » ، مشيراً الى ان القديس اصبح ، منذ ذاك العهد ، شفيع القسم الاكبر من سكان سورية الشمالية الشرقية ، بل من سكان اعالي الجزيرة . ثم لمح يعقوب السروجي الى العجائب التي كانت تجري ، في عهده ، على ضريح الشهيد[1] . وفي سيرة للقديس ، محفوظة نسختها الراقية الى القرن الثاني عشر في لندن ، « ان الدوق انطيوخس غادر قرية بالس مستصحباً سرجيس الى قرية شورا ، وهناك حاكمه وعذبه . ثم طرده الى قرية مجدل الماء البعيدة ستة اميال عن شورا . ومن شورا مضوا به الى الرصافا وهي تبعد عن المجدل تسعة اميال ايضاً . وهناك امر بقطع هامته بحضور جمهور من المسيحيين . وحاول اهل شورا ان يسرقوا جثمانه فقاومهم الرصافيون . ثم اجتمع خمسة عشر اسقفاً واحتفلوا بتدشين كنيسة ضمن الرصافا ووضعوا فيها الجثمان . »[2]

وقد كان للغساسنة ، وللتغلبيين خاصة ، فضل في نشر تكريم الشهيد ، وفي دفع القبائل الى زيارة ضريحه ، حتى اصبحت كنيسة مار سرجيس في الرصافة من اشهر المزارات . ومن الدلائل على هذا ان قانون الايمان الذي ارسله اساقفة بلاد العرب الى يعقوب البرادعي يحمل تواقيع خمسة عشر منهم يدعون باسم « سرجيوس » ، بل ان احدهم يدعى « سرجون »[3] . وهي صيغة سريانية اضيف فيها الى سرج (وهذه سريانية الاصل معناها النور ، الضوء ، السراج) علامة التصغير « أون » ، فكأننا قلنا سرج الصغير ، او سرج الاصغر[4] . وتذكر

١) اخبار الشهداء القديسين (طبعة بيجان) ٦ : ٦٥٤

٢) اخبار الشهداء القديسين (طبعة بيجان) ٣ : ٢٨٣ و٢٢٤

٣) الطلب في ذلك اعمال مؤتمر المستشرقين الحادي عشر : القسم الرابع ، الصفحة ١١٧

٤) وقد اشتهر في دمشق ، في اواخر القرن السادس والقرن السابع ، آل « سرجون » ، نبغ منهم خاصة منصور بن سرجون ، مدبر المالية ، على عهد معاوية . ومن سلالته ظهر القديس يوحنا الدمشقي .

الوثيقة نفسها عدة ديورة على اسم مار سرجيس . ومن ذلك ان المنذر الغساني بعد ان ثار مدة على بيزنطية ، لم يشأ توقيع عهد الصلح الّا بالقرب من ضريح القديس المذكور[1] . ولما ملك النعمان بن الحرث بن الايهم ، وهو من الغساسنة مكرمي الشهيد ، اصلح صهاريج الرصافة ، وصنع صهريجها الاعظم ، في قول ياقوت[2] . وقد ظلّ العرب يكرمون سرجيس مدة القرون العديدة . وهذا الاخطل يشيد بذكره ويصرّح بانه شفيع قومه التغلبيين ، وبانهم يحملون رايته ، الى جنب الصليب ، في حروبهم ، حتى في تلك التي نصروا فيها الامويين على اعدائهم من آل علي وابناء الزبير ، فدخلوا المدينة ، وحاصروا الكعبة . يقول الشاعر النصراني :

لما رأونا ، والصليب طالعا ، ومار سرجيس ، وشأناً ناقعا ،
وابصروا راياتنا لوامعا ، خلّوا لنا راذان ، والمزارعا .

فيردّ عليه جرير ، ولا تقلّ شهادته عن شهادة الاخطل في تأييد اتخاذ التغلبيين مار سرجيس شفيعاً لهم :

أبالصليب ومار سرجس تتقي شعباء ذات مناكب جهروا ؟ .

ويقول ايضاً عن التغلبيين :

يستنصرون بمار سرجس وابنه ، بعد الصليب ، وما لهم من ناصر !

ذلك ان التغلبيين خاصة ، وسكان الرصافة عامة ، ظلوا على نصرانيتهم بعد الاسلام ، كما يشهد بذلك مؤرخو العرب المسلمون ، ومؤرخو السريان النصارى ، وكما تدلّ عليه الاطلال الباقية الى اليوم . وقد كتب موسى بركيفا ، اسقف الموصل ، المتوفى سنة ٩٠٣ : « لما بلغوا بسرجيس الى الحصن امر الحاكم فقطع رأسه . والى اليوم (اي الى عهد الكاتب من القرن التاسع) يكرم دير الرصافة رفات القديس . »[3] ونقل ياقوت عن ابن بطلان في رحلته سنة ٤٤٠ للهجرة (١٠٤٨ م) وصف كنيسة مار سرجيس في الرصافة وزاد ان سكانها « بادية اكثرهم نصارى . »[4]

---

١) Lammens, *Etudes omayyades*, p. 239

٢) ياقوت : معجم البلدان (طبعة Wüstenfeld) ٣ : ٧٨٤ .

٣) اخبار الشهداء القديسين ٣ : ٢٨٣ . ٤) ياقوت : الكتاب المذكور ٣ : ٧٨٥ .

وقد اولى امبراطرة البيزنطيين الرصافة عناية وافرة منذ اواسط القرن الرابع . وزادت مظاهر عنايتهم عصراً فعصراً بازدياد الاقبال على مزار مار سرجيس . حتى رقي العرش الامبراطور انسطاس (٤٩١—٥١٨) ، فاقام فيها الكنيسة الكبرى ، ومن الراجح ان يكون هو الذي شيَّد اسوارها الضخمة ، وبنى فيها تلك الصهاريج العميقة ، ووضع فيها حامية قوية . الّا انه غيَّر اسمها فدعاها باسمه انسطاسيوبوليس .

وفي القرن السادس ، هجم عليها كسرى الاول في غزوته على سورية الشمالية ، فاخرب قسماً منها ، ولكنه لم يتمكن من الوصول الى بيت المال . فرمّم ما خرب منها الامبراطور موريقي نحو سنة ٥٩٦ . على ان كسرى الثاني نال ما لم ينله جدّه ، فدخلها سنة ٦١٦ ، ناهباً مخرباً .

وعلى هذه الحالة وجدها العرب ، على الارجح . فلم يهتموا بها الّا هشام بن عبد الملك (٧٢٤—٧٤٣) . فلما وقع الطاعون في دمشق ونواحيها اتجه الخليفة الى الرصافة فرمم اسوارها ، واصلح صهاريجها واقام فيها مدة . فدعاها العرب « رصافة هشام » . وقد ازدهرت على عهده ازدهاراً عجيباً فكثر عدد سكانها ، وراجت اسواقها ، واخذ الناس يقصدون اليها من انحاء الشام والعراق بل من اطراف جزيرة العرب نفسها .

اما العباسيون فقد صرفوا عنها انظارهم ، شأنهم في سائر المدن السورية . فتضاءلت اهميتها حتى دخلها السلطان بيبرس (١٢٦٠—١٢٧٧) فجلا عنها اهلها ، ووزعهم بين حماه وسلمية . فخربت وظلت عرضة لمناهب البدو ، وعوامل الطبيعة .

اطلالها

ولم يبقَ منها الا تلك الاطلال الفخمة النابتة دفعةً واحدةً في صحراء ملساء لا حجر فيها ولا شجر . وقفنا امامها خاشعين ، وقد امتلكتنا الدهشة أن يكون بشر نقلوا هذه المدينة كاملةً من احد الاقطار المسكونة ، فعمروا بها ذاك القفر الموحش . وما الحكمة من اقامتها في بقعة قاحلة لا نهر يرويها ولا عين ماء ، بل لا مقلع حجارة تُتخذ منه موادّ البنيان ؟

الرسم ١ – منظر عام لمراتب الرصافة

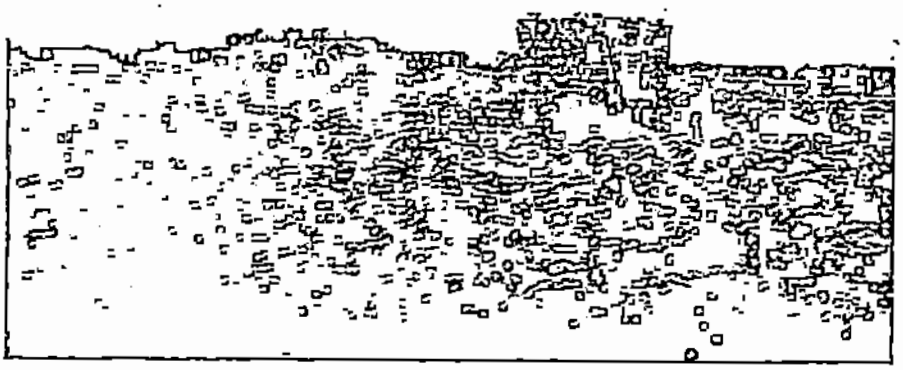

الرسم ٢

منظر عام تبدو فيه اطلال المبد المسدس الاضلاع (الى اليمين) فاطلال الكاتدرائية الى اليسار

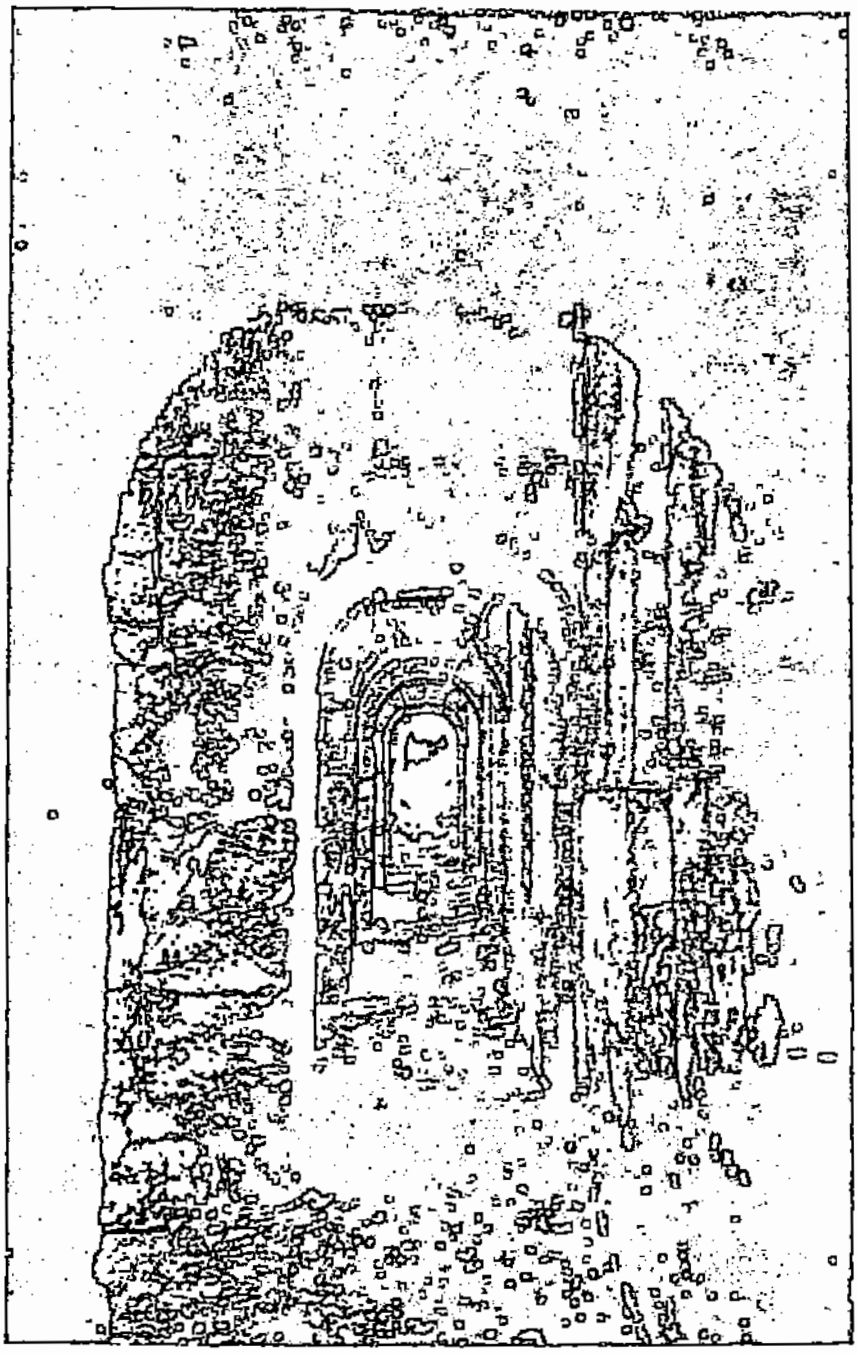

الرسم ٣ – الممرّ المفرد داخل الاسوار

هذا بعض ما جال في فكرنا، ونحن ذاهلون، لدى تلك الزخارف العجيبة ؛ وهو بعض ما جال في فكر غيرنا من الذين زاروها قبلنا ، وهم قلائل ، فتساءلوا عن سبب انشائها في ذاك القفر ، واجتهدوا في شرح ذلك بموقعها الجغرافي ، وبكونها محطّة مهمّة للقوافل التجارية . وكان من اسم « الرصافة » شاهدٌ لبعضهم على موقعها والغاية منها ، فانتبه الاثري كلرمون گانو الى مادّة ذاك الاسم من « الرصف » ، و« الرصيف » ، والطريق « المرصوفة » ؛ واذا به يلفت نظر العلماء الى العلاقة بين هذه المحطة والطريق الرومانية « المرصوفة » الآخذة من الفرات الى البحر مارّةً بتدمر[1] .

هذه الشمس ترتفع حتى تقارب السمت ، يسيل لعابها على زوايا الاطلال فتموّج لمعانها ، وتنحدر اشعّتها عموديةً على اعالي السور فتنفض عنه الغبار ، وتنسلّ من منافذه وخرجاته وشقوقه ، محرقةً ما تجرأ على الظهور من عشب ضئيل ، منيرة الوان تلك الحجارة الضخمة فتتقلب بين الاسود اللامع والابيض الكدر . هي بيضاء في اصلها ، رخامية المنسر ، من نوع الجبس المتفصل الى رقائق مستطيلة شفّافة ، ولكنها كدراء فسوداء تحت الغبار المتراكم ، والرمال الثائرة ، والانوار الوهّاجة . ولعلّ من عجائب تلك المدينة ، بل اولى عجائبها ان تكون باسوارها وهياكلها وبيوتها وصهاريجها مبنيّة كلها بهذا النوع من الحجر الزخرفي الضعيف المكسر ، القويّ على مغالبة الايام . يبدو الصخر منه اسود لماعاً عليه غلاف من الغبار الكثيف ، حتى اذا دنا منه الانسان ، واخذ طرفه بحدّ سكينه او بين ظفريه ، تساقطت منه قطعة بيضاء تنقسم الى ما لا نهاية له من الصفائح الرقيقة المستطيلة . والعجب في ذلك كله ان يكون الفنانون قد توصلوا الى حفر تلك الزخارف الدقيقة المتنوّعة في هذا الحجر اللّيّن الذي يكاد يتهافت تحت اصابع المتلمّس . فما كان اصبرهم ، وما أدقّ ما كانت عليه ادواتهم !

(١ Clermont-Ganneau, *Recueil d'archéologie orientale*, IV, 112-113

وقد وصف اطلال الرصافة قليل من العلماء قد لا يتجاوز عددهم الثلاثة او الاربعة من الذين امكنهم الوصول اليها ، واشهرهم : H. Spanner et S. Guyer, *Rusafa*, Berlin, 1926

درنا حول السور المربع المستطيل على نحو ٥٠٠ متر جنوباً بشمال ، و٣٠٠ متر شرقاً بغرب ، وشاهدنا موقع ابوابه الاربعة، حتى دعانا الباب الشمال ، وهو افضلها حالة، فوقفنا عنده نتأمل تلك الهندسة السورية القديمة ، وقد أثّرت فيها بعضَ الاثر عناصر الجزيرة العليا في القرنين السادس والسابع للمسيح.

هي هندستنا الوطنية التي رفعنا امثلتها في الكنائس العديدة المنتشرة من حوران حتى حلب، ومن البحر المتوسط حتى مجاهل الصحراء ، ولاسيما في تلك « المدن المائتة » في شمال سورية التي احياها الاب ماترن بفنه وعلمه[1] ، ودرس بعض روائعها البنائية والزخرفية الاستاذ لاسوس في سلسلة من الابحاث النفيسة . هي تلك الهندسة الممتازة بالتناسق في النسب والاقسام ، والفنّ في الزخرف ، والرشاقة في الصنعة التي قادتنا الى فرض احترامنا على علماء الفنّ المتأخرين فأمكنهم ان يعتبروا، على قول لاسوس،« ان الفنّ الاصلي في سورية الاسلامية ، ذاك الفن الذي ولد الرائعتين الشهيرتين : قبة الصخرة في اورشليم والجامع الاموي في دمشق ، لم يكن الا امتداداً للفن المسيحي في سورية. »[2]

هذا هو الفنّ الظاهر غالباً في بنايات الرصافة من السور بابوابه الاربعة ، الى الابراج ، الى كنيسة القديس سرجيس ، الى ما حولها من معابد ومنازل لم يبقَ منها الا جدران متداعية ، وقناطر على وشك الانهيار.

يدور السور بالمدينة مربعاً مستطيلاً ، كما قدّمنا، مقتطعاً على زوايا مستقيمة يعلو كلًّا منها برج مستدير للحامية . وعرض جداره ثلاثة امتار ، جُعل فيه ، على طوله، ممرّ داخلي معقود (الرسم ٣) يسير فيه الحرس مدة الحصار، فيراقب من خلال المنافذ الضيقة حركات العدو في الصحراء القريبة. وكأنّ الواجهة الجنوبية كانت عرضة للهجمات اكثر من سائر النواحي، او كأنها هوجمت خاصة في بعض الحصارات ، فقويت بان اردف جدارها بسلسلة من القناطر المتتابعة. اما الخندق

(١ P. J. Mattern, s. j., *A travers les Villes Mortes de Haute Syrie*, Beyrouth, 1933

(٢ جان لاسوس: الفن المسيحي في سورية في القرنين الخامس والسادس. (المشرق ٣٢ [١٩٣٤] ١٦٣)

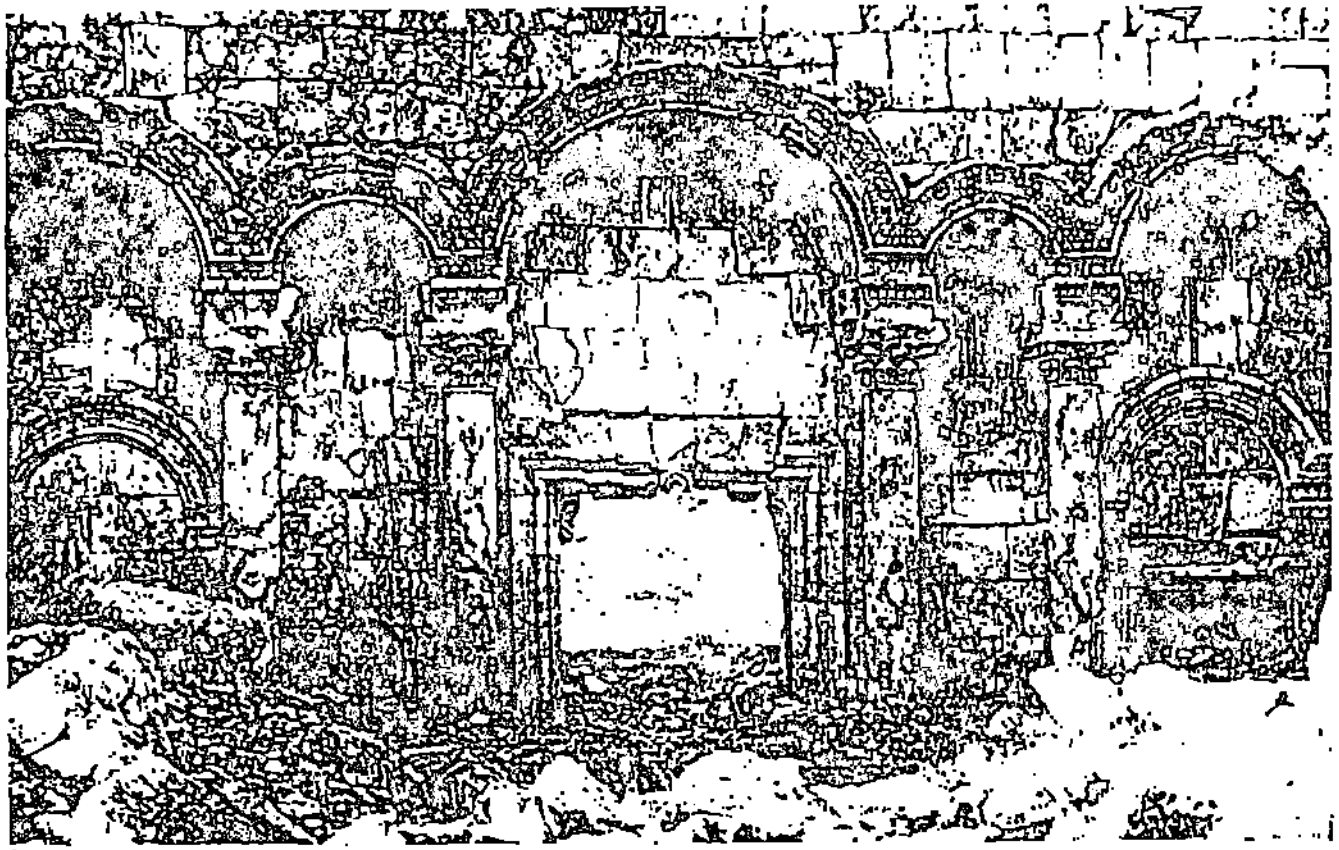

الرسم ٤ – الباب الشمالي

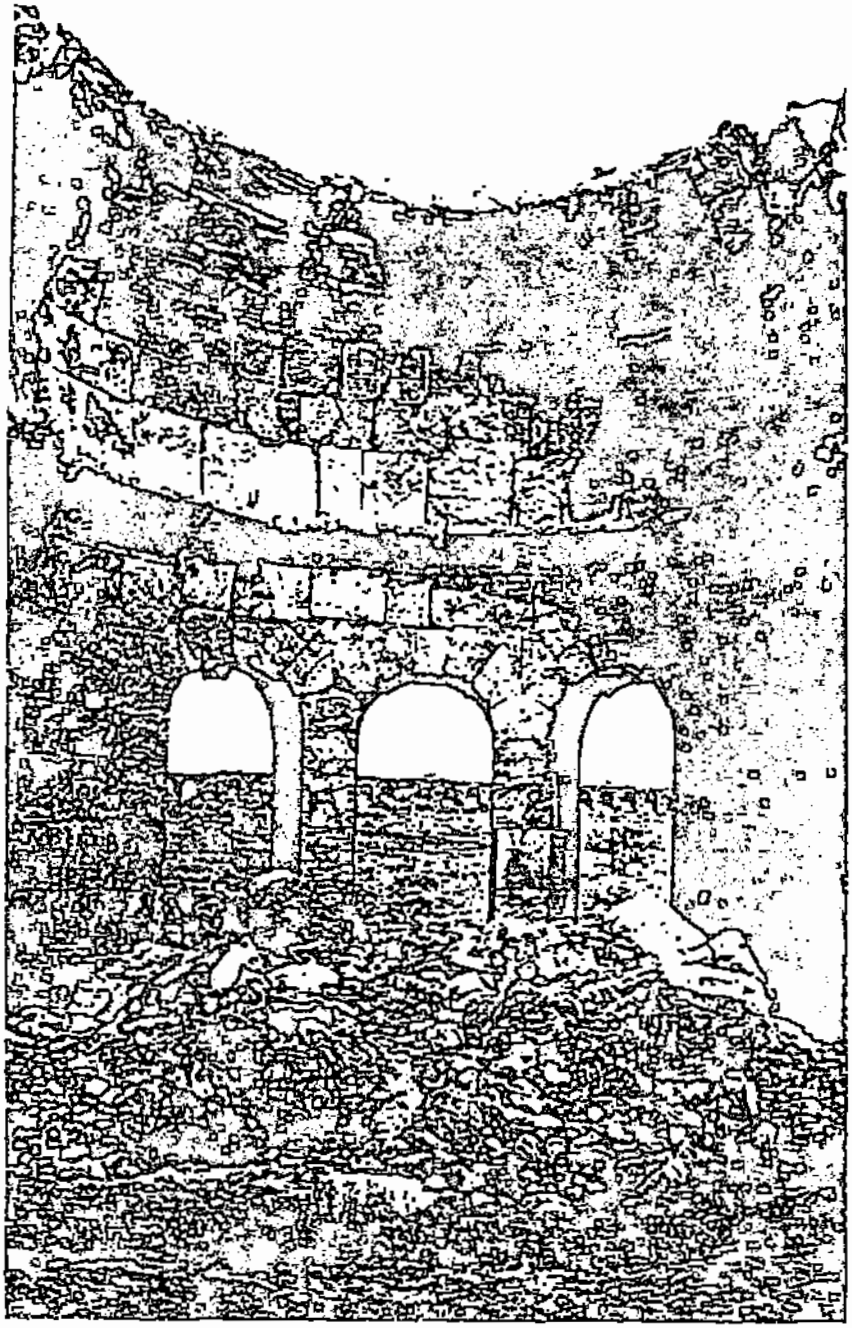

الرسم ٥ - حنية المبد المسدس الاضلاع

الذي كان يدور بالاسوار فقد طمرته الرمال حتى لم يبقَ منه اثر .

وقفنا طويلاً امام الباب الشمالي نتأمل ما حفظته الايام من زخارف تلك الحنايا (الرسمان ٤ و٥) ، ونتخيّل ما كلفته تلك الاعمال من سعة تصور ودقة تنفيذ ، وما دفع اليها من قوّة ايمان ، وثبات عزيمة . جهود جبارة قاومت طوارىء الطبيعة ، وعوادي الزمان كما قاومت غزوات الفرس ، واكتساحات المغول ، فنقلت الينا في زخارفها الغضّة الطريئة ، إقدام سكانها وصلابة قصدهم . بُنيت سرجيوبوليس ، بشكلها الحالي ، سوريةً بيزنطية على اسم مار سرجيس ، شفيع تلك المنطقة ، فحملت اسمه مدة طويلة ، ولا تزال حاملة الى اليوم ، والى يوم تنهار آخر حنية من قناطر واجهتها الشمالية ، شعار الصليب شاهداً حيّاً ، منذ خمسة عشر قرناً ، على نصرانية المدينة . ومما يجدر بالذكر ان من تقلب على حكمها من ارباب الدول المختلفة الديانات لم يتمكنوا من تعفية المعالم المسيحية فيها . وهذا المدخل الشمالي ، فوق ما يظهر فيه من صلبان وسط اقواس الحنايا المزخرفة باوراق العنب والعناقيد ، لا يزال يحمل في شرفته العالية آثار شواهد اربعة ترمز الى كتبة الانجيل . اما هندسة الباب فسورية متأثرة بعض الشيء بالاثر البيزنطي والاثر الجزري . يبدو ذلك في العتبة الاولى الافقية ، واطارها المنقطع الى زاويتين قائمتين ، وبما يعلوها من قنطرة مقطوعة فوق منتصف الدائرة ترتكز على عمودين خارجين عن الباب ، وتتصل بسلسلة من القناطر شبيهة بها شكلاً ، ولكنها اصغر حجماً . وكلها مزدانة بالنقش البارز تمثل فيه اوراق الدوالي والعناقيد ، واوراق اللبلاب والكنكر المنحنية ، وبعض الاشكال الهندسية . (الرسم ٤)

تجاوزنا الباب ذاهلين ، وسط الانقاض المتراكمة ، نطأ برفق ، ولا نكاد ، اقسام الاعمدة المكسّرة ، وصفائح الجبس اللماعة ، وقطع الخزف الملوّن والزجاج المخضرّ ، قافزين على تلك الحفائر التي يحتفرها البدو في مرورهم على الرصافة فيفتشون عما هناك من آثار يخالونها ثمينة . وما ان وصلنا الى اطلال معبد صغير مسدّس الاضلاع ، لا يزال محفوظاً في حنيته المتجهة الى الشرق ، القائمة على ثلاث قناطر (الرسم ٥) ، حتى اندفعنا نتفقد تلك البقايا . فنا من يتسلق الجدران او

يحاول النفوذ في الانفاق ، ومنا من يدرس الهندسة البنائية ، ومنا من يفتش عما قد يكون هناك من كتابة . حتى صاح شارل القرم فرحاً ، واذا به يكتشف ، في حائط الهيكل ، قطعة من خشب الارز يفوح عرفها حتى اليوم ، واذا بنا نسرع اليه نتقاسم شذرات من تلك الذخيرة . ولا يسل المطالع عن نصيب تلك الشذرات من هياج شاعرية صاحب « الجبل الملهم » ! فهو الارز بسموه وفضله ينتقل الى الصحراء فيساهم في حفظ ذاك المعبد ، وهو لبنان بفكره المولد ودماغه المنظم يلقي نوره حتى مجاهل سورية الشمالية ! . . .

ولم نفق من تلك النشوة الا على اصوات بشرية تقترب شيئاً فشيئاً يا لغرابة الاتفاق ! ويا لحسن الملتقى ! هـذا الاستاذ دونان ، مدير حفريات بيبلوس ، والسيدة عقيلته ، والسيد حموه . وبعد تبادل سلسلة قصيرة من المجاملات انتقلنا جميعاً الى تفقد الكنيسة الكبرى ، كنيسة مار سرجيس .

هي في الناحيـة الجنوبية الشرقية من المدينة تنكشف اطلالها عن سوق فسيحة في الوسط يحف بها سماطان من القناطر ترتكز على اعمدة وردية من الغرانيت المصري (الرسم ٦) ، وفي الطابق الاعلى سلسلة من القنـاطر الصغيرة تفرج عن النور فتقوم مقام النوافذ للكنيسة . ولا شك في انها تجمع في شكلها الحاضر مظهرين او اكثر من مظاهر البناء .

اما المظهر الاصلي فلم يكن في بنائه شيء من تلك الاعمدة الغرانيتية . انما كان تصميمه اوسع وقناطره افسح تستند ، لا الى الاعمدة ، بل الى اركان من الحجارة المبنية . ولا تزال تلك القناطر الاصلية الفسيحة ظاهرة في الاطلال . وكل واحـدة منها تشمل قنطرتين من البناء الحديث كما يبدو للمتأمل في الرسم ٦ .

وقـد تكون الطوارىء المتألبة على المدينة ، وبالتالي على الكنيسة ، زعزعت من بنائهـا ، بل قد تكون استُخدمت الكنيسة نفسها ، زمن الاضطرابات والاكتساحات ، معقلاً او حصناً ، فخرب قسم منها . حتى اضطر الناس الى ترميمها في القرن الحـادي عشر ، كما تدل بعض الرقم المنقوشة في رؤوس الاعمدة المصرية ، وكما يُستنتج من رقيم شهير وُجد في الرصافة نفسها

الرسم ٦ – منظر سوق الكتبة

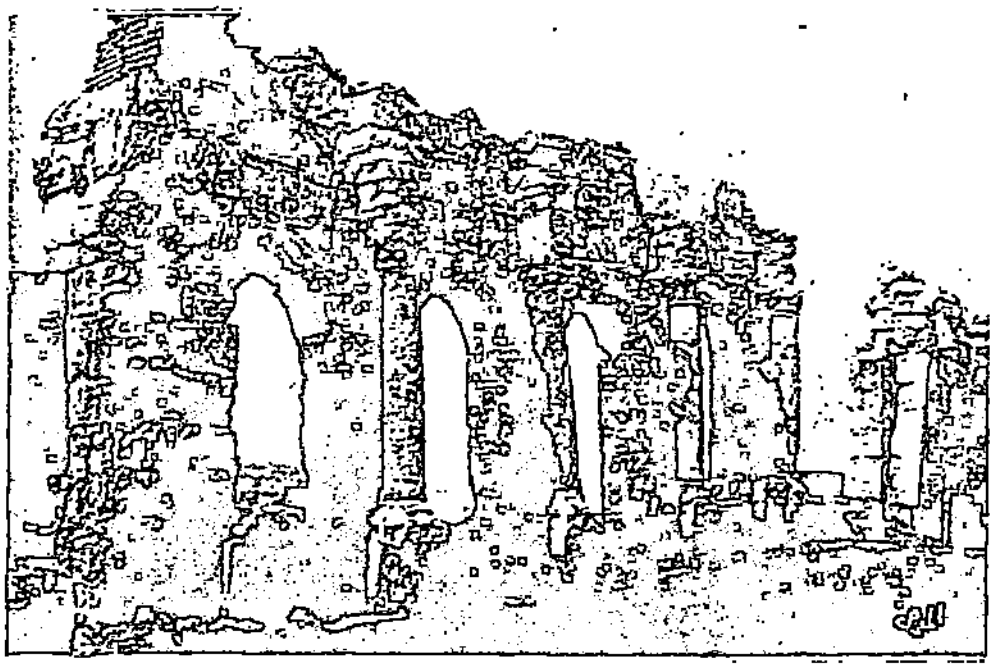

الرسم ٧ – القسم الاعلى من الكتبة ، وفيه منافذ النور

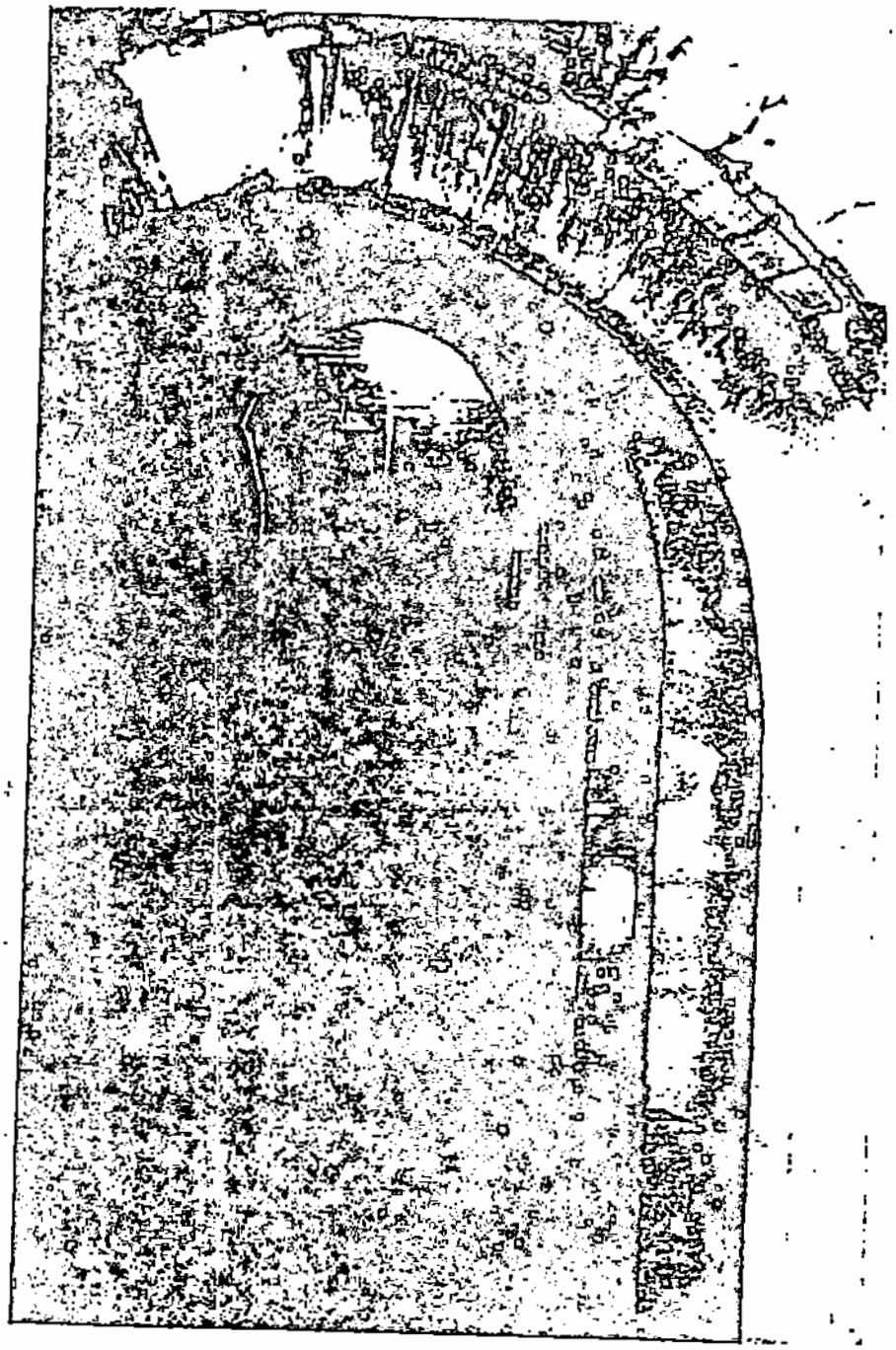

الرسم ٨ – منظر احد المدارج

ونشرته مجلة « اصداء الشرق » في سنتها الثالثة[1] ، وفيه ان هذا الاثر « رُمّم على عهد اسقفية سمعان ، اسقف سرجيوبوليس ، في شهر تموز من سنة ٦٦٠١ للعالم »، وهي السنة الموافقة للسنة ١٠٩٣ من تاريخنا. ومما يدلّ على ان الاعمدة لم تكن في اصل البناء ضعف الفن الهندسي في استخدامها حتى تظهر كأنها منسلخة عن الجدران الاصلية، ولا شأن لها الا تقوية القناطر الاساسية الكبرى. أوَلا يلاحظ متأمل الرسم ٦ هذه الفروق بين نوعي البناء ؟ أوَلا يلاحظ كيف سدّ الفراغ بين عتبة القنطرتين الصغيرتين وحنيّة القنطرة الكبرى ، وكيف رُصفت الحجارة على غير ترتيب فني ؟ كل هذا ، مع ما حُشي في مؤخرة الكنيسة من قطع الآجرّ الراقي ، في طريقته ، الى العهد العربي ، لدليلٌ على ما تداخل البناء الاصلي من فساد. بيد ان رشاقة الهندسة الوطنية لا تزال ماثلة في ارتفاع تلك القناطر المتسعة الاقواس حتى انها لتفوق في هذا كل ما يعرف من نوعها في بناء الكنائس القديمة. وكذلك تظهر تلك الرشاقة في الطابق الاعلى من الكنيسة ، في تلك المنافذ المتحنية المزدانة باعمدة الجبس لا يخالطها حجر اجنبي (الرسم ٧) ، وهي مبنية على طريقة تجعل النور ينفذ الى صحن الكنيسة صافياً متعادلاً في جميع ساعات النهار. ولقد كانت رؤوس تلك الاعمدة الصغيرة، الواقفة على مقاعد مستندة الى القناطر الكبرى ، تستقبل اطراف الجسور القائمة بحمل السقف. وكان المذبح في الحنيّة الشرقية يعلو نفقاً معقوداً جُعل فيه جسد القديس الشهيد. ولهذا النفق سلمان ينحدران بدرج لم يبقَ منه الا بعض الحجارة المبعثرة.

هذه هي البيعة الكبرى التي ردّد ذكرها مؤرّخو العرب والسريان وغيرهم فعظّموها تعظيمهم شفيعها الكبير ، وافاضوا في وصفها ، حتى ذكر ابن بطلان ان بانيها قسطنطين بن هيلانة ، وان ظاهرها مزخرف « بالفصّ المذهب » ، واشار ، في ما نقله ياقوت ، الى « ان تحتها صهريجاً على مثل بناء الكنيسة معقوداً على اساطين الرخام، مبلطاً بالمرمر، مملوءاً بماء المطر ». قلنا: ولعله خلط بين الصهاريج الآتي ذكرها وقبر القديس سرجيس تحت مذبح الكنيسة ! او قد

(١ *Échos d'Orient*. III, 238

يكون تحت الكنيسة صهريج خاص طمرته عوادي الزمن حتى خفي اثره !

في هذه الكاتدرائية ، كانت تُعقد الحفلات الدينية الفخمة ، ولاسيما في عيد شفيعها ، فتتصاعد النغمات ، والتراتيل الطقسية . ويقصدها افراد القبائل البدوية الضاربة في تلك الانحاء ، فضلاً عن الحضر ، فيشتركون في تلك المواسم ، على اختلاف نحلهم . وقد كان الخليفة هشام نفسه يحب سماع صلوات النصارى في اعيادهم ، على ما ورد في تاريخ ساويروس ابن المقفع ، فكان يصغي الى تراتيلهم من قصره اللاصق بالكنيسة . واذاً فقد كان قصر هشام جنب هذه الكاتدرائية . ولعل في هذه الاعمدة المنطرحة ما كان قائماً في دار الخلافة .

وبينا كنا نتناظر في أسلوب بناء الكنيسة ، وتاريخ اقسامها ، وتعيين محلاتها ، ولكل منا رأي يستند تارةً الى أثر ضعيف ، وطوراً الى وهم ، وحيناً الى رغبة في الاطلاع على رقيم يفيده شيئاً ويخفّف عنه التفتيش بين تلك الحجارة المكدّسة ، اذا بنا نذكر رقيماً من القرن الحادي عشر يشير الى اسمين هما سرجيوس ومارونيوس . اما سرجيوس فهو مار سرجيس دون منازع . واما مارونيوس فليس من شكّ ، في نظر شارل القرم ، بانه مار مارون . وليس من شك في نظر الاب منيس البندكتي ، الزائر الرسولي لرهبانية الشوير الملكية ، بانه غير مار مارون . وها اننا نشهد فصلاً جديداً من المناظرة الدائمة بين ماروني اصيل متحمّس ، وروسي كاثوليكي حديث له غيرة المبتدئين ، فلا يقل حماسةً عن الاول . وتتوالى الشواهد من الجانبين ، والمفاضلات الدينية والطقسية ، والمفاخر العنصرية باسلوب يتنقل بين العلم والشعر ، تهيجه النبرات الحماسية ، ولكنه لا يخرج عن ادق مظاهر الذوق ، واصفى صفات الادب . ونشترك جميعنا في تلك الاحاديث ، فتعود الحياة الى صحن الكنيسة المهجورة منذ مئات السنين ، وكأنَّ الحفلات الدينية قامت فيها من جديد ، والمناظرات اللاهوتية استعادت ازدهارها على عهد البيزنطيين . حتى يخرجنا احد الحاضرين من تلك النشوة ، فيقترح نشر الدعوة لزيارة اطلال الرصافة ، وتأليف شركة مساهمة ، يكون هو رأسها طبعاً ، لبناء فندق عصري ندعوه : « سرجيوس ومارونيوس بالاس اوتيل » . . .

بقي علينا زيارة الصهاريج ونحن نعرفها عظيمة ضخمة كافية لتموين المدينة بماء المطر، اذ لا عين ماء عندها، ولا نهر الا الفرات على نحو اربعين كيلومتراً. وها هي تظهر في الزاوية الغربية الجنوبية. ثلاثة منها متشابهة مبنية بحجر الجبس المعروف، راقية دون شك الى اقدم عصور المدينة، ولا تزال محفوظة بقبابها، يبلغ طول الواحد منها لا اقل من اربعين متراً، في نحو ثلاثين عمقاً، في نحو ١٥ عرضاً (الرسم ٨). والى جنبها صهريج رابع مبني بالآجر والخزف يرقى الى العهد العربي. وكأنهم احتاجوا اليه بعد ان كثر سكان المدينة فبناه النعمان بن الحرث ابن الايهم الغساني، على قول ياقوت، وهو الذي وضع الصليب على مدخل المدينة «لانه كان نصرانياً»، في قول المؤرخ نفسه[1]. وقد يكون هشام اصلح تلك الصهاريج وزاد فيها لان سكان المدينة، على عهد هشام، كانوا اكثر منهم في اي عهد. ولم تكن هذه الصهاريج تكفي وحدها لحاجات المدينة، فقد كان هناك آبار عمق الواحد منها، في ما روى الاصمعي، مائة وعشرون ذراعاً الا ان ماءها مالح ردي. فلا يلجأون اليها الا اذا فرغت الصهاريج. يلجأ اليها الفقراء خاصة. اما اهل الثروة فيرسلون عبيدهم يستقون على الحمير من الفرات «يمضي احدهم العصر فيجيء بالماء في غداة غد». والاغنياء كثيرون بينهم لانهم، في اكثرهم، تجار؛ منهم من يسافر الى الانحاء البعيدة ومنهم من يعامل العرب مقيماً في المدينة، وكل رجالهم، اغنياء وفقراء، يغزلون الصوف؛ ونساؤهم يشتغلن بالنسيج، فيصنعن اكسية جميلة مشهورة.

على ان التجار كانوا عرضة لاذى البدو الضاربين حول الرصافة لا يخلصون منهم الا بتأدية خفارة معلومة. فهم بين خطر العطش، وشظف العيش، وتهجم اللصوص والصعاليك، ومع هذا، فانهم لا يرضون عن رصافتهم بديلاً، «ولولا حب الوطن، لخربت» كما في قول ياقوت.

وما هو ان تناولنا طعام الغداء في تلك الخرائب الموحشة حتى ركب الاستاذ دونان ورفيقاه سيارتهم متجهين في الصحراء نحو تدمر، وركبنا سيارتنا نحو الفرات، قاصدين الرقة.

١) راجع الاب شيخو: النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية، ٤٥٦

عبر الفرات

هي الصحراء نفسها تغمرنا في الاصيل بما غمرتنا به في الصباح . الا ان هواءها اسخن ، وشمسها ألذع ، وسرابها اقلّ صفاء . تظهر لنا الواحة المتماوجة ماء ، المزدهرة اشجاراً ، فنُجذب اليها مع علمنا بوهميتها ؛ ولكنها لا تلبث ان تتبدّد ، فتمحوها موجة مكتسحة من الهواء الجافّ اللافح ، او رجّة قويّة من السيّارة وقد تقزت على بعض الاخاديد تغطّيها الاعشاب اليابسة ؛ فنستفيق لحظة ، ثم نعود الى الوهم مدفوعين بتلك الحالة المخدّرة التي تغمر الانسان في الهاجرة ، بين الطعام والمنام . . . ولا نكاد نشعر الا وقد ادركنا مفرق كواكول الحمام ، ذاك الذي تهنا عنه صباحاً . فوقف السائق قليلاً ، ناظراً الينا باستفهام ، متردّداً بين حلب ودير الزور . ولم يكن الّا القليل حتى ادار مقوده الى اليمين ، وسرنا على مجاز دير الزور ، الى الفرات .

لا يشعر اللبناني بعظمة «النهر» الّا اذا خرج من لبنان . يخرج الى مصر فيشاهد النيل في جلاله البطيء ، او الى شمالي سورية فيرى الفرات في تقلّبه وتوثّبه ، وحينئذٍ يتحقق نصيب المبالغة الشعرية في تسميتنا ميل بيروت ، وساقية الدامور ، وجدول الاوّلي ، «انهراً» ، كما يتحقق المبالغة نفسها في دعوة اهل مصر مرتفع المقطّم «جبلاً» ، وفي اجماع السوريين من سكان الشمال على الاعجاب بتنوّع مناظرهم الطبيعية ، والاشادة بذكر مصايفهم ! هي النسبة تعمل في الآراء والاحكام عملها في الخيال والشعور !

ولكن لندع التفلسف جانباً ، ولنفكر في قطع هذا النهر المتدفّق على عرض لا يقلّ عن مائتي متر ، تترحلق مياهه اللزجة على الضفة ، جارفةً تربتها الدسمة ، مصطبغةً بذاك اللون الاغبر حتى تزلق عليها اشعة الشمس فلا تنيرها الا بالكدرة القاتمة ؛ بينا نراها مسرعةً في عرض المجرى ، وقد تنقّت من الكدر فمالت الى الزرقة السماوية تتخلّلها الاضواء القويّة فتزيدها صفاء على صفاء .

هنا على الضفة القريبة ، حيث وقفت بنا السيارة مرغمةً ، اكواخ خشبية

لا تنتأ تتراجع امام هجوم النهر ، فتقصر المسافة بينها وبين مفرق دير الزور . قصدناها مستعلمين عن طريقة الوصول الى الرقة في الضفة الثانية ، فحاولنا الكلام بالعربية والفرنسوية ، ولكن دون جدوى . واذا بنا نشاهد صاحبة احد الاكواخ تدانف نحونا باهتمام — وهي امرأة لا عمر لها يُقدر ، لبست سروالاً لا لون له ، وتمنطقت فوقه بزنّار يستر نصفه بصدرية مخملية الاصل عُلقت فيها طائفة من النقود النحاسية . ابتسمت هذه السيدة عن اسنان بارزة ، واخذت تشير الى اصناف بضاعتها ، عارضةً علينا ما يُؤكل او يُشرب . هذه علب سردين اثرت فيها اشعة الشمس فنصلت الوان ماركاتها . وهذه كعكات شتا عليها الذبّان وارتبع واصطاف فتركها مخطّطةً منمّرة بالسطور المتماوجة . وهذه كاسات فيها سائل اغبر كالحليب الوسخ تشعر العين بلزاجته . واذا هو ماء الفرات يتناوله الاهلون قريباً من الضفة ، ويشربونه بدسمه لا يريدون عنه بديلاً ، لو سهل عليهم وجود ذاك البديل .

شكرنا تلك الفاضلة على قدر المستطاع ، وحاولنا افهامها — على قدر المستطاع كذلك ! — انّا نفتش عمّن يقطع بنا النهر ، فلم نُفلح ؛ ولم نفهم الا كلمة « سرجان » . فاعدناها مثنى وثلاث ورباع . واذا « بالسرجان » مقبل مع اربعة من انفاره . أدّى التحية العسكرية على افضل ما يكون من دقّة ، وسألنا عن قصدنا بلهجة فرنسوية مفهومة . فاستفتيناه بشأن الوصول الى الرقة ، فقال :

— هناك زورق مدني لا يسافر الا مساء . وهنا زورق عسكري يسافر عند الحاجة .

— وهل يمكن ان نقابل ملّاح الزورق العسكري فنطلب اليه نقلنا ؟

— انا ملّاحه . وانا مستعدّ لنقلكم بكل سرور ، على شرط ان تنالوا اذناً من الكابيتين .

فاغتبطنا بهذه النعمة ، وهمسنا بالاسراع الى الكابيتين ، فنحييه ، ونطلب منه الاذن بالسفر . على ان السرجان قطع بنا مجرى السرور ، عندما سألناه عن مركز الكابيتين ، فأجاب :

ـــ هو في الرقة ، على الضفة الثانية !

فزاغت ابصارنا مدّة ، وحارت عقولنا في حلّ هذا المشكل . والسرجان مأمور عسكري لا يفهم الا لغة الاوامر الصريحة . يفهم انه ينقلنا الى الضفة الثانية ، بناء على اذن من الكابيتين . ولكنه لا يفهم انه يجب ان نكون على تلك الضفة للظفر بهذا الاذن . وهكذا درنا مدة ، حتى خطر لاحدنا ، وهو من ضباط الجيش الفرنسوي ، ان يقنع السرجان بطريقة غاب عنا سرّها . واذا به يدعونا بلطف الى الزورق . واذا بالتيّار يحملنا في تدفقه ، فنعلو ، ونهبط ، ونزفّ ، وتتضارب الامواج على الجؤجؤ تثيرها رياح الاصيل ، فتتكسر صاخبة آنّة ، ويتناثر على ثيابنا زبدها المتطاير . هي رياح الربيع اللينة ، ولم تذب الثلوج بعد في « جبال الروم » ، فكيف بالفرات في رياح الشتاء ، بل كيف به اذا ذاب الثلج في حزيران ،

وزعزعته رياح الصيف ، واضطربت ، فوق الجآجئ ، من آذيّه غُدُرُ !

فلا عجب ان تطّرد حملاته اذ ذاك ، فتتواثب اواذيّه الجُون سوداء الاسافل ، بيضاء الغوارب ، فتتدافع السفنّ وتطردها كالنعام الناشرة اجنحتها المزفوف ، كما في قول الاخطل . ولا عجب ان

يغمّس بالملاح حتى يشنّه الحذار ، وان كان المُشيح المورّدا

فيقلق ملتفتاً ذات اليمين وذات اليسار ، ينبّه هذا النوتي ، وينهر ذاك ، يداور التيّار ، ويعارض مقذوفات النهر ، وهو على كل حال ، يظلّ

معتصماً بالجيزرانة ، بعد الاين والنجد .

ولا عجب ان يعلو التيّار الجزائر الصغيرة ، فيجرف ترابها ، ويكسر نباتها حاملاً « الركام من ينبوتها وخضدها » ـــ وها اننا نرى واحدةً من تلك الجزر يحاذيها التيار ، فتهرب مسرعةً الى الوراء بما يحوم فوقها من اسراب الطيور البيضاء ، تحلّق عصائب فوق الموج ، فتنقضّ على ما يلوح في طيّاته من صغير الاسماك ، وتتهافت على ما يلقيه في الشاطئ الرملي من الفضلات النهرية . هي « بنات الماء » الناصعة البياض ، المنتشرة الاجنحة ، الطويلة الاعناق والمناقير ، المضطربة على صفحة النهر باضطراب امواجه ، حتى اذا سكن ، مالت الى الاستراحة

في جوانبه ، فانتظمت صفًّا مرتّباً ورفعت اعناقها البيضاء كرؤوس الاباريق ، في تشبيه الاخطل :

كأنّ بنات الماء ، في حجراته ، اباريق اهدتها دياف لصرخدا !

هذا هو الفرات بما يثيره من قلق ، وبما يدفع اليه من شعر . غذا مخيلة الضاربين على ضفتيه من العراق الى الشام ، من الذبيانيين الى التغلبيين ، من النابغة الى الاخطل ، فخفّف شيئاً من جفاف الصحراء ؛ واذا في قصائدهم من تنوّع الصور ، وطراءة الالوان ، ونضارة الحياة ، ما لم نعهده في صلابة نجد ووهج الحجاز .

الرقة البيضاء

هذا ، وابصارنا ترود الافق القريب ، على الضفة المقابلة ، وقد دنونا منها في دقائق معدودة ، فتفتّش ناهمةً عن « بروج الرقة البيضاء » فلا تقع الا على مئذنة مستديرة الى اليمين ، وعلى خيال بناء ضخم الى الشمال . والى القرب منا ، في مرسى الزورق ، حماران هزيلان تعلو الواحد منهما امرأة محجبة ، حائرة ، في مهابّ الريح الشديدة ، بين ضغط خمارها المتطاير وضبط حمارها المرح ، صائحة بغلام هناك أن يعاونها على الاخذ بزمامه ، بينما كان الحمار الثاني ينتظر بصبر وثبات من يحمله الى الرقة .

وذعنا السرجان منتظرًا الاذن بنقلنا الى الرقة ، واتجهنا الى مقرّ الكابيتين في ذاك البناء الضخم ، ودليلنا احد الغلمان يتنقّل بنا بين الوحل والغبار ، ونبات المستنقعات . ولما طال علينا الطريق ، واشتدّ الحرّ ، سألناه عن وسائل النقل في المدينة ، فذكر الحمير اولًا ، ثم زاد ، كمن تذكّر امرًا مهمًّا :

ــ وعندنا السيّارة !

السيارة ــ على الاطلاق ! ــ وما عسى ان تكون هذه التحفة ؟ وسرع ما ارسلناه يستأجرها ويلاقينا الى مركز الحامية العسكرية ، وكنا قد وصلنا اليه . فاستقبلنا الكابيتين بكل لطف ، واعطانا الاذن الصريح بنقلنا الى الرقة ، ثم باعادتنا الى الضفة المقابلة . ثم جلنا معه في اقسام المركز ، وكلها ناطقة

بنشاط الجند ، وسهرهم الدائم . ومما يجدر بالذكر محاولاتهم الموفقة احياناً في تشجير تلك المحال الجرداء. تقول « الموفقة احياناً » لان من اصعب ما يلاقون في حماية غروسهم ذاك الهواء العاصف الذي لا يكاد يهدأ ليلاً ولا نهاراً . يهبُّ على اغراسهم فيكسر افانينها ويزعزع جذوعها حتى اذا استندوهـا الى العكاكيز الضخمة من الصفصاف ، لم تسلم جذورها من القلقلة والاضطراب . وكثيراً ما رأينا الغرسة يابسة متناثرة الورق ، وعكّازتها حيّة غضّة البراعم . وهو ما اهـاب بالكابيتين الى تحقق مؤلم في ازدهار الطفيليّات بانتزاعها غذاء الاصول . . .

واذا بضجيج صاخب متواصل يقترب منّا ، ويشتدّ . فيه من تقصّف الرعود المفرقعة ، وفيه من أزيز المحرّكات العتيقة ، وفيه من تعقعة الصفائح الحديدية ، وفيه من طقطقة التنك المجرّر . هي « السيارة » التي وُعدنا بها تقف امام مدخل الثكنة متقطعة الانفاس ، مواصلة النحيح والنفيخ . فنودّع الكابيتين ونركبها الى اطلال الرقّة القديمة .

تاريخها

عُرفت الرقّة ، قبل المسيح ، باسم نيقيفوريوم ، بناها الاسكندر الكبير في زحفه على دجلة . ثم عُرفت ، على العهد الروماني ، باسم كالينيكوم نسبةً الى البوفسطاني كالينيكوس الذي قُتل فيها ، على ما يُقال . وسُميت كذلك قسطنطينوبوليس ، ثم لاونتوبوليس نسبةً الى بعض قياصرة الرومان . وقد نالت نصيبها من الفواجع والاحداث ، اثناء الحروب الفارسية الرومانية ، والفارسية البيزنطية، لوقوعها على ممرّ الجيوش . حتى كان الفتح العربي فاناخ عليها جيش عياض ابن غنم سنة ٦٣٨ ، ثم راسل اهلها على الصلح ، فقبلوا. والعرب يسمّونها الرقّة البيضاء — وهناك رقّة سوداء على فرسخ منها الى ناحية البليخ — وفيها يقول سهيل بن عدي ، اثر الفتح المذكور :

وصادفنا الفرات ، غداةَ سرنا ، الى اهـل الجزيرة ، بالموالي :
اخذنا الرقّـة البيضـاء ، لمّا رأينـا الشمر لوّح بالمـلالِ ،
وأزعجت الجزيرة بعد خفضٍ ، وقـد كانت تحوّف بالزّوالِ ؛

وصار الحرج ضاحيةً اليها باكناف الجزيرة عن تلالي[1]

جعلها من الجزيرة لأنها على ضفة الفرات الشرقية ، وهو الحدّ الفاصل بين الشام والجزيرة . ويقسم جغرافيو العرب الجزيرة الى ثلاث مناطق او « ديار » : ديار ربيعة وقاعدتها الموصل ، وديار بكر وقاعدتها آمد ، وديار مُضر وقاعدتها الرقّة هذه .

واتصل ذكرها بالاحداث الاسلامية منذ العصور الاولى، فكانت مشايعةً لعثمان ، ثم للامويين من بعده . وذلك ان كثيرًا من وجهاء العراق ، كزفر بن الحارث ، والجَحّاف بن الحكيم، وعبيدالله بن الحرّ ، ومالك بن مِسمع، هجروا البصرة ، بعد وقعة الجمل ، بل تركوا العراق كلّه قائلين قول بني الارقم : « لا نُقيم في بلد يُشتم فيه عثمان.»[2] فساروا حتى نزلوا الرقّة ، فأثروا في اهلها ، ونشروا فيهم « العثمانية » ، فاندفع هؤلاء حماسةً ومنعوا جيوش علي ان تقطع الفرات[3] . وقد ظلّ اهلها على الولاء للامويين زمن ازدهار الدولة العبّاسية ، وبعد انحطاطها حتى عهد الحمدانيين ، على ما ورد في قول لابن حوقل († ٩٨١) سنعود اليه .

وقد كان ينزل الرقة الوليد بن عتبة الاموي مع صديقه الشاعر ابي زبيد النصراني، فينعمان ببساتينها[4]، وبما توحيه من شعر في جمعها بين الصحراء والنهر ، بل بين « البرّ والبحر » مما لم يعهده البدو ، وان كانوا من قريش او أسد ، كما يقول ربيعة الرقي ، احد شعرائها :

حبّذا الرقة دارًا وبلَدْ بلدًا ساكنه يُسَن تودْ
ما رأينا بلدةً تعدلها ، لا ولا اخبرنا عنها احدْ
انما بريّةٌ بحريةٌ : نورها بحرٌ، وسور في الجَدَدْ
تسمع الصلصل في اشجارها هدهد البرّ ومُكّاء غرِدْ
لم تُضمّن بلدةٌ ما ضُمّنت من جمالٍ ، في قُريشٍ وأسَدْ

---

١) ياقوت : ك . م ٢ : ٨٠٢
٢) راجع اسد الغابة ٣ : ٢٩٧ ؛ وتاريخ اليعقوبي (Houtsma) ٢ : ٢١٥
٣) اليعقوبي ٢ : ٢٨
٤) اسد الغابة ٥ : ٩٣ ؛ وراجع : *Mélanges de la Faculté Orientale*, I, 13-14

ونزلها كثير من رجال بني أمية،فازدهرت عمارتها مدة طويلة وعندما قصد هشام الاقامة في الرصافة ، بنى بالجانب الغربي من الرقة ، في مكان يُسمى رقة واسط ، قصرين كان ينزلهما في طريقه الى الرصافة[1] . واختط فيها سوقاً عظيمة عُرفت «بسوق هشام»[2] .

وفي اواخر العهد الاموي ، مشى عليها الضحّاك الخارجي في جيشه، فأرسل مروان الحمار، سنة ٧٤٦ ، عسكرًا حاربه واضطر الخوارج الى الرحيل عنها . ولعلّ ما اصابها اذ ذاك من المصائب اللازمة للحروب الاهلية ، وما ولي ذلك من إعراض بني العباس عن مصانع الامويين ، عمل على تأخرها وانحطاطها حتى اواخر خلافة المنصور ، فرأى المهدي ، وليّ عهده ، ان يعزّز النفوذ العباسي على حدود سورية الموالية لخلفاء الامس ، فبنى سنة ٧٧٢ ، الى جنب الرقة ، على ثلثمائة ذراع منها ، مدينةً حصينة سمّاها «الرافقة» ، وجعل لها سورين على طراز «مدينة السلام» ، اي بغداد ، التي بناها ابوه المنصور[3] . ورتّب بها حامية من جند خراسان . ولم تلبث البنايات ان اتصلت بين المدينتين ، وكثيرًا ما سمّاها الناس «الرقتين» . الى ان ولي الجزيرة علي بن سليمان بن علي فاقام بالرافقة ونقل اليها اسواق الرقة ، وفيها سوق هشام الكبرى ، فاغتصبت الرافقة اختها الرقة حركتها التجارية ، كما اغتصبت قبل ذلك حركتها الادارية ، وكما ستغتصب بعد قليل اسمها فتُدعى «الرقة» ، وتخرب الرقة الاصلية فتتلاشى آثارها .

وكان هرون الرشيد يستعذب هواءها فينزلها في الصيف ، وهي الطف مناخاً من بغداد واقلّ حرًّا . ولعلّه كان يرمي الى اقرار هيبة العباسيين في الشام ، «ناحية اهل الشقاق والنفاق» كما ذكر رادًّا على اهل بغداد ، وقد لاموه على ترك مدينتهم ، فقال:

---

١) ياقوت : ك . م . ٢ : ٨٠٢-٨٠٤

٢) ياقوت : ك . م . ٢ : ٧٣٥

٣) راجع في بناء بغداد ومدينتها : فؤاد افرام البستاني : بغداد عاصمة الادب العباسي (المشرق ٣٢ [١٩٣٤] ٦٥-١٠٦)

« ولنعم الدار هي ! (اي بغداد) ولكني اريد المُناخ على ناحيـة اهل الشقاق والنفاق ، والبغض لائمة الهدى ، والحبّ لشجرة اللعنة بني أمية ؛ مع ما فيها من المارقة، والمتلصّصة ؛ ومخيفي السبيل. ولولا ذاك ، لما فارقت بغداد. »[1]

واذاً فقد كانت غاية الرشيد في انتقـاله الى الرافقة - الرَّقة سياسيةً عسكريةً ، لا صحيّة . الّا ان يكون قوله من قبيـل الاعتذار للبغداديين . ولعلّه جمع بين الغايتين . ومن آثار الرشيد في الرافقة قصر فخم بناه سنة ٧٩٦ ـ ولعلّ منه بعض هذه الاطلال التي نزورها اليوم ا ـ ومصانع عديدة حفلت بها المدينة فكثر سكّانها وتعدّدت اسواقها ، وازدادت حركة التجارة فيهـا عهداً فعهداً ، الى ان استولى الحمدانيون على تلك الانحاء ، فرأى فيها سيف الدولة ما رآه في بالس من كثرة العمارة ، وازدهار التجارة والصناعة والزراعة ، ووفرة الغنى ، فارهقها بالضرائب كما ارهق تلك ، ودُفع في احتياجاته المتتابعة للمال ، مادّة الحروب الدائمة ، الى مصادرة اهلها . وهذا قول ابن حوقل من جغرافيي العصر :

« اجلّ مدينة لديار مضر الرَّقة . . . وكان لها عمارة ، واشجار ، واعمـال ، ومياه ، ورساتيق ، وكور . وقلّ حظّها من كل حال ، وضعفت بما حمّلها سيف الدولة، اخو ناصر الدولة ـ تجاوز الله عنه ! ـ من الكُلف والنوائب ، وصادر اهلها مرّة بعد اخرى . وكانت خصبة ، رخيصة الاسعار ، حسنة الأسواق . وفي اهلها ولاء بني أمية . »[2]

ولم يكتفِ سيف الدولة بالاموال يفرضها على اهل الرقة ، بل تجاوز ذلك الى ضبط مواعينهم احياناً ، حتى انه نزع ابوابها الحديدية ليرسل بها الى حلفائه القرامطة في هجر ، عاصمة البحرين . قال مسكويه المؤرّخ : « في سنة ثلاث وخمسين وثلثمائة (٩٦٤) استهدى الهجريّون من سيف الدولة حديداً . فقلع سيف الدولة ابواب الرقّـة ، وهي من حديد ، وسدّ مكانها . واخذ حديداً بديار مُضر ، حتى اخذ سنجات الباعة والبقالين . ثم كتبوا اليه : انّا قـد

١) البستاني : دائرة المعارف : الرقة.

٢) ابن حوقل : كتاب المسالك والممالك (de Goeje) ١٥٣-١٥٤

استغنينا عن الحديد. فاخذ القاضي ابو حصين الابواب فكسرها وعمل منها ابواباً لداره . . . »[1]

اما الحادث فلا يُستغرب في تلك الايام . واما ابو حصين فهو مَن عرفناه بالخبث والدهاء والاحتيال[2].

وهكذا ظلّت الرقة تحتال على الحياة بزراعتها وتجارتها ، وصناعتها الخزفية الزرقاء المزركشة بالاسود المذهب، الواسعة الذكر في بلاد الشرق كلّها مدة القرون الوسطى، وبما كانت تستفيده من الجيوش المحاربة فتتعوّض به من بعض خسائرها اثناء الوقائع المتتابعة في الحروب الاهلية بين الخليفة وامرائه — وفيها اجتمع المتّقي بالاخشيد في ايلول ٩٤٤ محاولاً ان يستعين به فلم يُفلح — وبين الاخشيد وسيف الدولة ، وقد لجأ اليها مرّتين ؛ وفي الحروب الخارجية المتواصلة بين سيف الدولة والروم . حتى كان عهد نور الدين فاستعادت شيئاً من الازدهار ، وبنى فيها الملك ، سنة ١١٦٦ ، جامعاً ذا منارة مستديرة لا تزال قائمة حتى اليوم . على ان المغول مرّوا عليها ، في القرن الثالث عشر ، كما مرّوا على بالس ، وعلى الكثير من المدن السورية والجزرية ، فلم يتركوا وراءهم الّا شواهد التدمير ، وآيات الخراب.

اطلالها

من تلك الآيات هذه المنارة المستديرة تطالعنا برأسها الشاهق انى اتجهنا في شارع الرقة المستقيم الطويل ، فتلفت الانظار وتجذب الانتباه. بقعقعة « السيارة » المضطربة ، تقلقلنا حتى لا نستقرّ بل لا نكاد نستطيع الكلام،الّا شارل القرم، وكأنه استأنس باشارة فورد تحملها « السيارة » منذ السنة ١٩١٩ او ١٩٢٠ ، عهدَ كان الوكيل الوحيد في الشرق الادنى لتلك الشركة ، فذكر انها خرجت من احد مستودعاته في بيروت ، او دمشق ، او حلب ، او حيفا ، منذ بضع عشرة سنة ؛ وما زالت تتقاذفها الفلوات فتتلقفها ايدي المصلحين من ميكانيكيين وبياطرة وحدّادين ، حتى استوطنت هضاب الرقّة ، تعلو وتهبط بالمسافرين على

١) مسكويه : تجارب الأمم (Amedroz et margoliouth) ٢ : ٢٠٣

٢) راجع الصفحة ٢٣٨ ، من هذا الجزء.

غير نظام ، وكأنهم على « الجبال الروسية » في العاب اللونا بارك ، بل كأنهم « على قرن الثور ! » كما يقول القدماء . أنس الشاعر « بالسيارة » الأثريّة ، وسائقها ، وفيه ، هو ايضاً ، « لِمُصلِح مستمتَع » ، فاقبل يحادثه بين الصعود والهبوط ، فيتناقشان في السياسة والاقتصاد ، والاكثريات والاقليات ، ونحن نسمع اطراف أحكام ، وشذوذ آراء ، تصل الينا بين الضجيج والصخب ، فنعرف ان الرقة يسكنها الكثير من الشركس والبدو ، والقليل من الأرمن ، وان عناصر السكّان على وفاق تامّ بعضهم مع بعض ، وهم جميعاً يشكرون للدولة المنتدبة فضلها في توسيع الشارع ، واقرار الأمن ، حتى ان الأرمن — ومنهم سائقنا — لا يخشون مذابح بعد اليوم . وإن هم ذُبحوا ، فلا بأس ، وقد تعوّدوا هذا النوع من مفاجآت الحياة ينزل بهم مرة كل خمس عشرة سنة ، فيخفف عددهم ، ويحثّ نشاطهم ، ويجدّد حقدهم على جيرانهم ، فيثأرون افرادًا او جملة ، كلما سنحت الفرصة للثأر . . .

وهكذا قضينا ربع ساعة بين الاستغراب ، والاعجاب ، وخوف الانقلاب ، حتى وصلنا الى الاطلال ومنها ما اندثر تماماً فتحوّل الى هضاب مسطّحة تدلّ على مواقع الابراج التي كانت تدور باسوار الرافقة ، فتحيط من الجنوب ومن الغرب بالمدينة الحالية ؛ ومنها ما ظلّ قائماً كباب بغداد (الرسم ٩) المرتفع على تلك الرمال ، وقد اكل الزمان من قواعده ، فبدا كأنه موضوع ، دون اساس ، ريثما ينقل الى مكان آخر . يقع الباب في الزاوية الجنوبية الشرقية من « الرافقة » وهو آخر اثر يدلّ على السور ، مبنيّ بالآجرّ كسائر ابنية المدينة ، لخلوّ المنطقة من الحجر . اما طرازه الهندسي فجزري متأثر ، بعضَ الشيء ، بالاثر العراقي الفارسي ؛ وذلك في اقواس القناطر المتكسرة خاصّةً . وان يكن فيه ما يُعجب ، فهو تلك الحنايا الزخرفية في القسم الاعلى ، وما ابداه البنّاؤون من حذق في مزاوجة قطع الآجرّ الصغيرة ، والتفنن في تنضيدها وتأليفها حتى اخرجوا منها غاية ما يمكن الوصول اليه في مثل هذه الموادّ الضئيلة من روعة هندسية وجمال بنائي .

وكذلك القول عن بناء الجامع الكبير ، الذي بناه نورالدين سنة ١١٦٦ ،

ممتدًا على ١١٠ امتار في ٦٥ مترًا . ولم يبقَ منه اليوم الا حائط ذو احدى عشرة قنطرة (الرسم ١٠) ، وتلك المنارة العجيبة باستدارتها وارتفاعها . تركنا السائق ، في ساحة الجامع ، نتأمل دقة البناء وشدّة تماسك الآجرّ ، ونعجب بالمنارة (الرسم ١١) فنهمّ بالصعود اليها ، ثم يثنينا ارتفاع المدخل وقصر الوقت، فنكتفي بالثناء العريض على المهندس المجهول الذي توفق الى استخدام آجرّه على هذا الاسلوب الجميل ، فدلّ على سعة مداركه ، وبعد نظره ، وحسن تقديره لموادّ بنائه .

وهناك بقايا قصر لعلّه قصر الرشيد ، يشير بايوانه المتداعي الى عظمته الاصلية . ثم سلسلة من المرتفعات ، او التلال غير الطبيعية ، ممتدةً على مئات الامتار ، تدلّ على ما تحتها من بقايا بنايات تعاقبت ، في المدن المتتابعة على تلك البقعة ، من نيقيفوريوم الى الرقة الحالية ، ولا يبرز منها ما يصلح معلماً لروّاد التاريخ . انما هناك ، تحت الرمال والانقاض ، مدنيات متعدّدة ، نتمنى ان تكشف عنها معاول الحفّارين ، فيظهرها علماء الآثار في تطوّرها وازدهارها وانحطاطها ، منيرين حقبة مهمّةً في تاريخنا المتشعّب .

وطالت التمنيات، على قصر الوقت، تغذيها الخيالات التاريخية من اموية وعباسية وحمدانية ورومية تأهل ذاك القفر الصامت ، وتنعش تلك الآثار الشاخصة... ولكن هذه الشمس تجنح الى المنقلب فتذكرنا بوعدنا الليلة في الشهباء ، والسائق لا يعود من رحلته . درنا حول السيارة مرّات نفتش عبثاً عن الزمور ...ثم صعدنا كل منا على تلّة نصيح في الجهات الاربع . واذا به يهرول نابتاً من احدى الحفر ، منحني الظهر ، مُثقل السراويل بعدد ضخم من القطع الخزفية الزرقاء المزرّرة بالاسود المذهّب ، فألقاها امامنا في السيارة وصاح منتصرًا : هذا افضل ما في الرقة ، يطلبه السياح دائمًا ، ويفتش عنه البدو في هذه الحفائر كلها . فأضفنا هذه الاسلاب الجديدة الى ما جمعناه من ظرّان ابي حريرة ، وجبس الرصافة اللمّاع . ولما سألناه عن خلوّ سيارته من الزمور ، مادحينه على تطبيقه هذا القانون البيروتي الحديث ، اغرب في قهقهة مقصودة ، وصاح:

ـــ واي حاجة بي الى زَمور . واهالي البلدة يسمعون حسّ سيارتي على مسافة كيلومتر فيخلون لي الطريق بكامله !

وهكذا كان، عندما طار بنا ، على اقصى ما يمكنه من السرعة ، في تلك الآكام المتوالية صعودًا وهبوطًا، وبين تلك الازقة الملتوية ، لا ينتبه لعقبة، ولا يحسّ بارتطام ، ولا يسمع لاحتجاج ، حتى حطّ بنا على ضفة الفرات.

وكان السرجان يساوره القلق، فيستكشف ورجاله الضفة القريبة،من مركز قيادة الجيش الى اطراف الاطلال ، وقد أخر البريد نحو الساعة ، فاخذ يشعر بالمسؤولية . حتى اذا وصلنا ، انبسطت اساريره ، وتطلّق وجهه باطلاعه على اذن الكابيتين ، وما هو ان اندفع الزورق في غرض النهر ، حتى حُلّت عقدة لسانه ، فعوّضنا من صمته السابق ... واذا هو شركسي الاصل ، متزوّج من نحو عشر سنوات ، له اربعة اولاد ؛ وقد تطوّع في الجيش الفرنسوي منذ خمس عشرة سنة ، ولولا قلة المامه بالعلوم ، ولولا سوء حظّه خاصّة،لكان الآن برتبة اعلى . لكنه قانع بمركزه ... ولكنه سوف يتركه قريباً فيطلب احالته على التقاعد . فيصبح على شيء من الحرّية يشتغل بما يشاء ، ويستثمر ما سوف يتناوله من معاش قليل . وهو ميّال الى الزراعة في تلك الأرض الخصبة . ولكن الأمن مفقود ، والبدو لا يمتنعون عن شيء في غزواتهم ، وسائر السكّان لا يقلون عن البدو فظاعة وهمجية . هذا رجل قتل اخاه لخلاف بسيط ؛ وهذا شاب ذبح اخته لشذوذ رآه في سلوكها،وصاح: « اذبح تربحا » وهذا آخر احرق بيت قريبه نكايةً وانتقاماً . ولولا وجود الجيش لكانت المعيشة مستحيلة ...

هكذا تتتابع الحياة في تلك المنطقة ، وهكذا يتتابع حديث السرجان بالفرنسوية والعربية ممزوجتين؛ وهكذا تتتابع امواج النهر متدفقةً مدةً طويلة. ونحن كأننا لا نزال في مكاننا... ذاك أنّا سرنا مع التيّار في مجيئنا ، فلم تمض الدقائق المعدودة الّا ونحن على ضفة الرقة . امّا الآن فالتيار يعاكسنا ، والجنود الستة يجذفون بمنتهى قواهم ، والدقائق تمرّ سراعاً ولا نتحقق تقدّمنا البطيء الّا بالزبد المتطاير عن جانبي الحيزوم. هذا اذا لم ينشب الحيزوم بالرمال ، كما حصل لنا في منتصف النهر ، فارتججنا مترنّحين ، وغطس البحّارة يجرّون الزورق بالحبال

حتى تفلّتنا ، وعلى ثيابنا وشعورنا دفقات من الماء على لطخات من الرمل والغبار ...

وصلنا الضفة بعد نصف ساعة ، وكرنيك يقلقه الانتظار . طوراً يكشف ساعته ، وتارةً يكشف الافق الغربي مقدّراً المسافة بين الشمس والبحر ، والرقة والشهاء ، حتى قال : نكون في حلب الساعة التاسعة .

ولا يسل القارئ عن السرعة الهائلة التي عدنا بها ، سرعة التعب من رحلة طويلة وضعتَه على طريق الراحة ؛ وسرعة التائه في القفر دللتَه على المكان المأهول . وان ننسَ فلا ننسى ما كان يتقلّب على عيوننا من خيالات فسيحة في جلال الفرات وسهوله المتباعدة تغمرها سكينة المساء وحمرة الغروب ، وبنفسج الشفق ، الى ان يبدو القمر . وكأنها — في جمود صخورها الكلسية اللينة ، ونشزب نباتها الهشّ لا يتمايل ولا يئنّ ، وصمت مياهها الزاحفة عن بعد بلا حراك ، وذاك السكون الشامل مسفوحاً عليه بياض البدر الازهر الغريب الملمس — كأنها تلك المناظر الباردة المتلفة بالصقيع التي يعرضها الفلكيون صوراً لمناطق القمر الجامدة ، بل كأنها تلك الرسوم الساذجة التي يعرضها الفنانون مشاهدَ للخليقة في اول عهدها ...

ثم تنعطف السيارة بلا رفق الى السهول الغربية ؛ واذا بهذه المناظر آخر ما يعلق باذهاننا من تلك الرحلة القصيرة المدّة ، المترامية الاطراف الى حيث يجتمع الفنّ والادب والتاريخ !

الدياطسرون

في طبعته الجديدة

نظرة نقدية

بقلم الخوري لويس خليل

يهم بكل محبٍ للدروس الكتابية ، بل بكل عامل على إحياء ما خلّف السلف من روائع الآثار في الادب والعلم ، ان يهلل فرحاً ويرحّب بهذه التحفة الفاخرة يقدّمها أحد ابناء الامة الآرامية اللامعين ، الاب العالم الجليل ا . س . مرمرجي الراهب الدومنيكي ، والاستاذ في المدرسة الكتابية والاثرية الفرنسية في القدس[1] .

هو « الدياطسرون » اي الرباعي ، ذاك الانجيل الذي جمعه من المبشرين الاربعة الكاتب السرياني الشهير ططيانُس (١١٠ ؟ — ١٨٠ ؟) وطالما مثّل دوراً خطيراً في حياة الكنائس السريانية وابحاث جهابذة العلم قديماً وحديثاً .

صنّف ططيانس تأليفه هذا اولاً في اللغة اليونانية ثم نقله الى السريانية . على ان الاصل اليوناني لم يبقَ منه الا قطعة وُجدت حديثاً في حفريات دورا[2] . بل والاصل السرياني نفسه لا يُعرف له اثر حتى الآن ، بعد ان درج السريان على تلاوته الى ايام رابولا مطران الرها († ٤٥٣) الذي ترجم الاناجيل الاربعة الى السريانية ، وهي الترجمة المعروفة « بالبسيطة » ، واستطاع ان تقوم مقام

---

١) A.-S. Marmardji, O. P. : *DIATESSARON de Tatien*. Texte arabe établi, traduit en français, collationné avec les anciennes versions syriaques, suivi d'un évangéliaire diatessarique syriaque et accompagné de 4 planches hors texte. In-8°, CXL+539+84 p. Imprimerie Catholique, Beyrouth, 1935.

٢) راجع : Carl H. Kealing, *A greek fragment of Tatian's Diatessaron from Dura*. London, Christophers. 1935.

وايضاً Lagrange : *Un fragment grec du Diatessaron de Tatien*, dans *Revue Biblique*, 1935, p. 321-327.

ترجمة الدياطسرون . بـل ان تيودريطوس ، مطران تورش († ٤٥٧) ذهب الى أبعد من ذلك وعمل على اتلاف تأليف ططيانس فأحرق منـه نحو ٢٠٠ نسخة في ابرشيته وحدها .

ورغم ما تقدّم ، فقد أحرز الدياطسرون مقاماً عالياً في الاوساط السريانية، لا سيما ان ملفان البيعة و« قيثارة الروح القدس » ، القديس افرام ، دبج شرحاً له ، على ما أفاد المؤرخون . غير ان هذا الشرح ايضاً مفقود الآن،وليس لدينا منه سوى ترجمة ارمنية نشرت بالطبع في البندقية عام ١٨٨٣ .

هذا في ما يتعلق بالنصّ السرياني . اما في لسان العرب فلدينا ترجمة محفوظة في النسخ الخطية التاليـة : النسختان الفاتيكانيتان نميزهما بالرقمين ١ و ٢ ، والنسخة المصوّرة المحفوظة في المدرسة الكتابيـة الفرنسية في القدس للآباء الدومنيكان ، ونحن نذكرها بالرقم ٣ وهي مأخوذة عن النسخة الخطية الموجودة في المكتبة البطريركية للاقباط الارثوذكس بمصر القاهرة ، واخيراً النسخة ٤ وهي ملك الاب سباط ، ويعتبر الاب مرمرجي انها من فئة النسخة ٣ ومماثلة لها ، وبالتالي فقد اهملها .

وأول من أقدم على نشر الترجمة العربية هو الكردينال تشاسكا[1]، متخذاً اساساً لعمله هذا النسختين ١ و٢ الفاتيكانيتين ، ناقلاً الاصل، الذي اثبته، الى اللاتينية .

أخذ الاب مرمرجي على عاتقه مقابلة النسخ ١ و٢ و٣ وطبعة تشاسكا فاستخرج منها نصاً جديداً ، اساسه الاول النسخة ٣ ، وذلك بأن اختار افضل عبارة وأضبطها صرفاً ونحواً وبياناً ، وجعل في الحواشي شتى الاختلافات في نصوص سائر النسخ . وكلما كانت العبارة الفضلى المثبتة في الاصل هي ايضاً مشوّشة من جهة التركيب العربي او قواعد الأعراب ، فقـد تركها على حالها منوّهاً في الحاشية عن وجه التصحيح الواجب إدخاله عليها .

وقد سلك الاب الناشر هذا المسلك لما هي عليه الترجمة من ركاكة التركيب والاضطراب في قواعد اللغة . ولم يذكر قياساً آخر لتفضيله هذا بين النصوص الثلاثة .

1) A. Ciasca, *Tatiani Evangeliorum harmoniae arabicae*. Romae, 1888

اما مصادر الفصول والآيات ، نسبةً الى نصّ الاناجيل الاربعة ، فقد أثبت اكثرها في النسخ الخطية ، وكان تشاسكا نقلها وزاد عليها بعض ما كان منها ناقصاً . فجاء الاب مرمرجي وعيّن هذه المصادر بدقة متناهية ، بحيث حدّد مكان كل كلمة من الاناجيل الاربعة . وفي ذلك امثال عديدة تدهش المطالع ، وتبيّن ما للناشر من طول الباع والهمة في استقصاء كل نافلة وتحديد موقعها . اليك مثلاً واحداً يغني عن ألف : وردت العبارة التالية في الدياطسرون منسوبة بجملتها في النسخة الخطية الى انجيل مرقص دون تعيين الفصل والعدد :

« ولما انفردوا تقدّم تلاميذه وسألوه وقالوا له : ما هذا المثل ولماذا كلّمتهم بالامثال ؟ »

وقد زاد تشاسكا في نشرته على اسم الانجيلي قائلاً انها مأخوذة عن الفصل الـ ٤ العدد الـ ١٠ . اما الاب مرمرجي فقد فصّل مصادرها على الوجه التالي :

« ولما انفردوا (مر ٤ : ١٠) تقدّم تلاميذه (متى ١٣ : ١٠[a]) وسألوه (لوقا ٨ : ٩[a]) وقالوا له (متى ١٣ : ١٠[b]) ما هذا المثل (لوقا ٨ : ٩[b]) ولماذا كلّمتهم بالامثال (متى ١٣ : ١٠[c]) »

وهناك ايضاً عبارات وردت في الدياطسرون تكميلاً للمعنى أو لربط الآيات المنزلة ببعضها ، وهي غير موجودة في الاناجيل بل وضعها المؤلف . وقد عيّنها الناشر ، وفصلها عن سائر الآيات .

وبعد ان اثبت الناشر الاصل على هذه الصورة ، ترجمه الى الفرنسية ترجمة حرفية غير عابئ بترويق الكلام ، حاصراً همّه بنقل العبارة العربية كما هي لفائدة المستشرقين .

وقد صدّر الكتاب بمقدمة طويلة بالفرنسية تقع في ١٤٠ صفحة بحث فيها المواضيع الآتية :

١ ططيانس : حياته ، وتأليفه الدياطسرون . .

٢ النصّ العربي ، ونسخه المخطوطة ؛ الاغلاط الصرفية والنحوية والبيانية ، التعابير السريانية ، لائحة الكلمات التي اضافها جامع الدياطسرون وهي غير موجودة في الاناجيل ، تحديد مصادر الآيات في الاناجيل ، طريقة الترجمة . وكل هذه الابحاث مدعومة بلوائح مطوّلة تثبت حقيقة ما استنتجه الناشر ، فتجد في هذه الفصول مثلاً لوائح عن الاغلاط والتعابير السريانية ، وعن الاضافات ،

وكذلك عن مصادر الدياطسرون كله.

٣ً يبحث الناشر عن الاصل السرياني للترجمة العربية ، مقابلًا شتى الترجمات السريانية للاناجيل بترجمة الدياطسرون العربية،مما حمله على القول ان هذه الاخيرة مأخوذة عن « البسيطة » ، وليس عن النصّ السرياني الاصلي لططيانس . وهو يؤكد ان رأيه هذا ثابت بنسبة ٨٠ بالمئة من الاحيان،مما تؤيده اللوائح المختلفة، وقد قابل ترجمة « البسيطة » بالدياطسرون وبمخطوطتي جبل سينا وكيورتون (Cureton) بحيث يتبين للقارئ اتفاق الدياطسرون مع « البسيطة » واختلافه عن النسختين الاخريين . بل وقد عيَّن ايضاً في الحواشي مواضع الاختلاف بين الدياطسرون و « البسيطة » فاذا بها قليلة .

٤ً من هو صاحب الترجمة العربية ؟ هذا باب يجدر بنا بحثه مع الناشر العلّامة ، لما هو عليه من الخطورة.

يجيب الناشر على هذا السؤال ناظرًا اولًا في النصّ نفسه ومضامينه ، فيبدو له ان المترجم هو : ١ً آرامي ، لان اللهجة العربية وصيغتها في الترجمة هي سريانية محضة ، مما جعل التعبير مشوشاً مختلّ التركيب ، — ٢ً نسطوري او من السريان الشرقيين ، لان المؤلف يكتب على طريقتهم « إيسوع » (ܝܫܘܥ) خلافاً للعادة الجارية عند اليعاقبة وسائر السريان الغربيين ممن تعودوا كتابة «يسوع» (ܝܫܘܥ) ، — ٣ً عراقي ، لما هناك من التعابير العربية المختصة بالعراق : المعتزلة = الفريسيون ؛ الكرخ = المدينة؛ القرابة = قنينة كبيرة ؛ المكبَّة = في الموصل هي سلة كبيرة ؛ رابّ ورابي = الكاهن ؛ شِدَدات = القطة ؛ مخروعة = خائنة ؛ حِلتموه = أتهمتموه ؛ يسبح = يغتسل او يستحمّ ؛ يتحرَّقنَ = ينحن ؛ صبيحة = الصباح ، وايضاً الهدية يقدّمها العريس الى آله واصحابه غداة يوم الاكليل .

ثم يتخطّى الناشر الى البرهان الخارجي ، اي التاريخ ، فيقول ان في كلا المخطوطتين ٢ و٣ ، وهما من اصل مشترك ، تصريحاً ينسب الترجمة الى ابي الفرج عبدالله بن الطيب الذي عاش في اوائل القرن الحادي عشر،وكان عراقيًا، نسطوريًا وامين السر لبطريرك النساطرة ، الياس الاول ، وكان عالمًا فيلسوفاً

وشارحاً للكتب المقدسة . غير ان هذا القول ينقضه، على زعم الناشر، امران: اولاً ما من احد من كتبة السريان او مؤرخيهم، لاسيما ممن اثبتوا لائحة تآليفه، نسب له ترجمة الدياطسرون. على ان هناك من يعتبر هذا الاهمال غير كافٍ للانكار على ابن الطيب تأليفه هذا، فقد حدث للمؤرخين السريان انهم اهملوا ذكر مؤلفين آخرين هما الآن في المكتبة الفاتيكانية (شرح المزامير وبحث عن الزواج والطلاق) ولا ريب انهما لابن الطيب ومن قلمه . ومن ثم اذا لم يذكر المؤرخون السريان الدياطسرون في لائحة تآليفه فقد يكون ذلك ناشئاً عن النسيان او الجهل، فلا عبرة به على الاطلاق . غير ان الاب مرسجي يرد على هذا القول قائلاً: لا مبرّر لافتراض الجهل والنسيان، اما اذا علمنا هذا الاهمال بان ابن الطيب لم يؤلف الترجمة فعلاً، فلدينا على ذلك برهان، وهو الثاني لنقض قول النسخ المخطوطة، نأخذه مما في التعبير من ركاكة وفي التركيب من تشويش، مما لا يتفق مع ما هي عليه تآليف ابن الطيب العربية من دقة وحسن تركيب، اذ لا يعقل ان تكون هذه الترجمة، كما هي الآن بين يدينا، من قلم ابن الطيب، بل الارجح انها عُزيت له ترويجاً لها، كما كان يغلب حدوثه في تلك العصور .

وتأييداً لما كان لابن الطيب من طول الباع في الانشاء العربي ومتانة في التعبير، ودقة في تطبيق القواعد الصرفية والنحوية، يعرض الناشر بعض الامثال من تآليفه العربية مأخوذة عن مخطوطات محفوظة في المكتبتين الفاتيكانية والباريسية الوطنية . اليك مثلاً هذا النص كما ورد في ترجمة الاناجيل لابن الطيب، نعرض بجانبه ما يقابله في الدياطسرون، فترى ما بينهما من الفروق الشاسعة في التعبير وسبك المعاني:

الدياطسرون ٧: ٢٤-٢٥	ابن الطيب: مرقس ٢: ٢١
ليس يلقي انسان رقعة جديدة ويخيطها في ثوب بال . لئلا تأخذ جدة الجديدة من البالي، ويحدث خرق عظيم . ولا يجعل انسان شراباً طرياً في زقاق بالية، لئلا يخرق الشراب الزقاق، وهلك الزقاق، وينهرق الخمر . لكن يلقون الشراب الطريّ في الزقاق الجدد .	لا يرقع احد ثوباً بالياً بخرقة جديدة، لئلا تأخذ قوة ذلك الجديد من الخَلَق فيزيد خرقه . ولا يطرح انسان خمراً حديثة في زقاق مُخلَقة، لئلا تذري الخمر الزقاق، وهلك الزقاق، وتنصبّ الخمر . لكن تُلقى الخمر الحديثة في الزقاق الجُدد .

B. N., Paris, MS 86.

وهناك امثلة اخرى اوردها الناشر ، اذا قابلتها بلغة الدياطسرون تحققت فوراً ان هذا الاخير ، كما هو الان ، ليس فيه ما يجعله مقارناً لسائر تآليف ابن الطيب.

وتوغل الناشر في اثبات رأيه هذا ، فتذرّع بالحجة التالية: صُدّرت مجموعة الاناجيل المخطوطة ٤ الموجودة لدى الاب سباط ، وهي من القرن الـ ١٢ ، بمقدمة مما جاء فيها :

« جمعتُ منها (الاناجيل الاربعة) انجيلاً واحداً ، وكان قد تقدّمني في ذلك جماعة من الافاضل ، من جملتهم القس الفاضل ، ابو الفرج بن الطيّب الشرقي ، رحمه الله. فلما وقفتُ على الانجيل الذي جمعه ، وقابلت به على الاناجيل المحرَّرة ، المتّفق على صحتها ، من السرياني والقبطي والرومي ، وجدته قد اهمل بعض النصوص الانجيلية وحذفها من الاصل بالكلية ... فاصلحت ذلك جميعه ... واعتمدت في ترصيعه وترتيبه على فصول اللسان القبطي. فان من يعتمد على لغة قومه ، يصيب ولا يخطئ ... ».

فالاب مرمرجي يرى في هذا القول ما يؤيد نظريته في ان ابن الطيب لم يترجم « الدياطسرون » ، بل ألف مجموعة من الاناجيل الاربعة ، كما كانت العادة جارية في تلك الازمنة ، دون ان يكون اية صلة بين هذه المجموعة وتأليف ططيانس ، وقد اهمل كاتبنا القبطي حتى ذكره.

على ان في مثل هذه الحجة شيئاً من المبالغة ، من شأنه ان يؤيد أيضاً وبالوقت نفسه عكس ما يريد البحّاثة الدومنكي ، من حيث ان حجته هذه تتعدّى الى ابعد ما يتوخى بيانه . فالاب مرمرجي يسلّم بان مؤلف المخطوطة الـ ٤ رجل عالم يعرف قيمة كلامه ، وان مجموعة ابن الطيب كانت بين يديه ، فقلّبها واستعان بها لتأليف مجموعته.

فأين هي هذه المجموعة ؟ وكيف لم يبقَ لها من اثر ؟ بينما في محل آخر يصرّح الاب مرمرجي ان بين المخطوطة الـ ٤ القبطية ، والمخطوطة الـ ٣ صلة وثيقة من جهة الاصل . فلا بدّ من القول ، بناء على هذه الشهادة التي يحلّها الاب مرمرجي مكاناً عالياً في معرض كلامه ، ان الترجمة التي لدينا هي لابن

الطيب ، وان كانت مشوشة العبارة والانشاء . وهـذا اول وجه للتناقض في بحث الاب الناشر . بل مما تقدّم يتبين وجه آخر لهذا التناقض، وهو ان النصوص، التي نحن بصددها الآن والمدوّنة في مخطوطات الفاتيكان وبطريركية الاقباط، لا تنتمي بشيء الى الدياطسرون الاصلي لططيانس، اللهمّ الا بما يتعلق بالمشروع الاساسي ، اي تأليف مجموعة للاناجيل الاربعة وحسب .

فلو ان ابن الطيب ألّف مجموعـة ، فهي ، في رأي الاب مرمرجي ، تأليف خاصّ قام به ابن الطيب لا علاقة له بالدياطسرون لططيانس .

ونحن ايضاً على هذا المنوال ، يمكننا القول ان الدياطسرون العربي الذي يذيعه الاب العالم على جمهور العلماء لا ينتمي بصلة الى الدياطسرون الاصلي ، لا سيما وان حضرته اثبت ان هذه الترجمة العربية لم تؤخذ عن ترجمـة ططيانس السريانية بل عن « البسيطة » .

وايضاً كما انه ينبذ ما جاء في التصريحين المثبتين في صدر المخطوطتين ١ و ٢ وفي خاتمة المخطوطة ٢ ، في ما يتعلّق بنسبة الترجمة لابن الطيب ، يتحتم ايضاً وبالتالي نبذ القسم الآخر من هذين التصريحين ومن خاتمتي المخطوطتين ١ و ٢ حيث يعيّن جليّاً ان التأليف هو الدياطسرون وان صاحبه ططيانس . ومن ثمّ كان على الناشر ان ينبذ تماماً من تأليفه عنوان « الدياطسرون » ونسبتـه لططيانس بعد ان نبذ اسم ناقله الى العربية ، فيكتفي بتسميتـه « مجموعة الاناجيل الاربعة » . اما وقد قبل بالقسم الاول من المقدمة فكان عليه ان يسلم بالآخر ، اذ لا يجوز السلب والايجاب في موضع واحد وضمن حدود واحدة .

كذلك « الاناجيل الدياطسرية » المنشورة في ملحق الكتاب تؤيـد هذه النظريـة القائلة ان العادة جرت بجمع بعض الفصول الانجيليـة من المبشرين الاربعة طبقاً لحاجة الطقوس وفائدة المؤمنين . على ان هذه المجموعات لا تمتّ بصلة الى الدياطسرون الذي ألفه ططيانس .

هذا في ما يتعلق بصاحب الترجمة ونسبتها الى الاصل السرياني . وقد كنا نرغب لو ان المؤلف العلامـة نشر القطعة اليونانية من الـدياطسرون التي اكتُشفت في دورا ، وبيّن صلتها بمجموعتنا هـذه . وكذلك تمنينا لو انه

تكرّم ببعض المعلومات عن الترجمة الارمنية لشرح القديس افرام للدياطسرون، وما قد يكون بينها وبين مجموعته من الصلات ، لعله كان اكتشف في هذا الشرح بعض الدلائل التي تهدينا الى معرفة شيء من حالة الدياطسرون الاصلي . كما واننا لم نفهم لماذا لم يضف ، الى النسخ التي عارضها ، المخطوطة الـ ٤ خاصة الاب سباط، وتلك التي في المكتبة الشرقية لكلية القديس يوسف ببيروت. لا سيما وان هذه الاخيرة تتألف من ورقتين فقط يرتقي عهدها الى منتصف ك ٢ ١٣٥٢ ونُقلتا « عن نسخة عتيقة جدًا. »

واخيرًا نأسف لكون حضرته لم يكتفِ بنصّ مخطوطة واحدة يثبته في المتن ، كما هو ، دون ما تغيير ولا تعديل ، ولا زيادة علامات الشكل والوقف ، مدونًا في الحواشي وجوه الاختلاف بين شتى المخطوطات . فلو اتّبع هذه الخطّة المثلى ، كما اعتاد الآن العاملون في نقد النصوص الخطية وناشروها ، لكان تسنى للمنقبين معرفة النصّ الحقيقي للنسخ وما بينها من الصلات ووقفوا على حالة اللغة كما كانت لما أُلف الكتاب . اما في النشرة الحاضرة فيشقّ على الدارس غربلة ما لديه من المواد المختلفة ، ويتعذّر عليه نسبتها الى المخطوط الاصلي ومعارضتها مع غيرها . وهذا خلل لا يستهان به في مثل هذه الابحاث التي غايتها ان تكون اداة صالحة لدروس جديدة.

على ان تأليف الاب الدومنيكي العلامة طافح بالفوائد والمحاسن العمية التي من شأنها ان تسدل ستارًا واسعًا على ما قدمنا من التحفظات النقدية . ولا يسع كل مطالع الا ان يُعجب لما اقتضى التأليف في صاحبه من جهود طويلة ومعارف واسعة .

والكتاب كبير الحجم في نحو ٧٨٧ صفحة ، حسن التنظيم والتنسيق، جميل الورق . وعدا محاسنه العلمية القيمة ، فانه يُعدّ من حيث حسن طبعه تحفة فنية ، بديعة ، لا سيما وقد اشتبكت فيه مختلف الحروف الفرنسية والعربية والسريانية مما يستدعي كثيرًا من العناية والدقة وتستحق عليه المطبعة الكاثوليكية التي تولت طبعه غاية الشكر والثناء. فنشكر للاب العالم هديته الرائعة وندعو له بأيد الله لمتابعة جهوده في خدمة الكنيسة بواسطة ابحاثه القيمة وعلومه الواسعة.

شذرات

بيان مفيد

وردنا من حضرة الاب صاحب التوقيع ما يلي :

جاء في الكتاب المدعو « دلائل العناية الصمدانية في ترجمة السعيد الذكر البطريرك الحويك » ، الصادر من مطبعة المرسلين اللبنانيين في جونية ، بقلم الخوري ابراهيم حرفوش ، عبارة غير مطابقة للحقيقة ، عند تكلمه عن ادارة الآباء اللعازريين للمدرسة المارونية الرومانية في سنة ١٩٠٥ ، وهي الآتية ، في صفحة ٣٧٨ ، قال :

« غير ان الآمال المعقودة على هذا التغيير لم تأتِ بالنتيجة المرغوبة . فان البطريرك على اثر زيارته رومية سنة ١٩٠٥ اقال الآباء اللعازريين من هذه الادارة . . . »

فنقول : ان المدرسة كانت سائرة سيرها الطبيعي ، والمجمع المقدس كان مسرورًا منها ، فضلًا عن رؤسائها . فلا نعرف الى اي شيء استند الخوري ابراهيم حتى قال : « ان الآمال المعقودة لم تأتِ بالنتيجة . »

اما قوله : « ان البطريرك اقال الآباء اللعازريين » فهو غلط ، لان البطريرك لم يكن قادرًا على اقالتهم . اذ انّ تعيينهم لهذه الوظيفة لم يكن منه ، بل من المجمع المقدس بارادة خاصة من البابا نفسه . والآباء اللعازريون استقالوا من تلقاء نفوسهم لاسباب صوابية ، فاضطرّ المجمع المقدس ان يقبل استقالتهم لظروف عارضة آنئذٍ .

فحبًا للحقيقة التاريخية ، وازالةً للاشتباه الصادر من كلام الخوري ابراهيم حرفوش ، اتينا نرجو نشر كلمتنا هذه في مجلتكم « المشرق » الغراء ، مع اسداء الشكر سلفًا .

طرابلس ، في ١٨ تموز ١٩٣٦

الاب يوسف طوران
اللعازري

جريدة توزيع مال خراج لبنان الاميري

عود على بدء

تكرّم حضرة الخوري قسطنطين الباشا بالردّ على ملاحظتنا السابقة وقد كنّا نودّ ان نتزل عند رغبته فنرضى بالجواب . ولكن انّى لنا ذلك ، وحضرته قد نسي في ايضاحه الكثير من اقواله في مقدمته المهودة ، واهمل الكثير مما ورد في ملاحظتنا . فنستميح القراء عذرًا لنعود بحضرته الى صلب موضوعنا ، فنراه نقطةً نقطةً .

١ً قال حضرته في مقدمته « لجريدة توزيع مال خراج لبنان الاميري » ما يلي حرفيًا عن الامير يوسف : « انه احدث انقلاباً مهماً في طبقات سكّان هذه البلاد (بلاد جبيل والبترون) بان اقطع عدة قرى لذوي الزعامة الذين اعانوه على قتال بني حماده . فانه جعلهم برتبة المشايخ، واقطع لهم الاقطاعات الكافية . »[1] ويُفهم من كلامه هذا ان العائلات التي عدّدها ليست فقط من المشايخ ، بل انها من كبار المشايخ اصحاب الاقطاع .

فاستغربنا صدور مثل هذا التصريح من مؤرخ معروف كحضرة الخوري قسطنطين ، وابدينا استغرابنا في سؤال طرحناه عليه ، واحببنا ان يأتينا بجواب مفيد ، فقلنا : « ان التقاليد المشهورة التي تؤيدها التواريخ الصحيحة لا تعرف في لبنان الشهابي الّا بضع عائلات اقطاعية ذكر شيئاً عنها العينطوريني واورد الشدياق اخبارها مفصلة . . . فاذا كان الناشر الكريم قد اكتشف اكتشافاً جديدًا يسمح له بهذا الإكثار في تعداد ذوي الاقطاع فليتفضل ويرشدنا الى مصادره »[2] .

وكان من حقنا ان ننتظر من الخوري قسطنطين امّا شرحاً مختلفاً عن شرحنا للنصوص التاريخية يُثبت قوله ويُبطل اعتراضنا ، وإمّا اصولًا جديدة نجهلها واعتمد عليها حضرته في مقاله .

---

١) المشرق ٣٣ [١٩٣٥] ٢٢٤

٢) المشرق ٣٣ [١٩٣٥] ٦١٢

فأجاب حضرته : « اخذ عليّ اني اكثرت من المشايخ في لبنان بمن ذكرت منهم هناك غيرةً منه على شرف هذه الرتبة في اهله محتجاً بأن ليس لهم كلهم ذكر في تاريخ اعيان لبنان »[1].

ويرى القرّاء من جملتنا التي اوردناها اعلاه اننا اخذنا على الخوري قسطنطين، ليس إكثاره من المشايخ ايًّا كانوا، وانما إكثاره من المشايخ ذوي الاقطاع دون سواهم . وأردف قائلًا عن تاريخ الاعيان : « لم يذكر صاحبه فيه من الاعيان الّا من وردت اليه اخبارهم من اهلهم كما يظهر هذا من كلامه في صفحة ٢٠٠ من كتابه »[2].

امّا كلام الشدياق الحقيقي فهذا هو : « واعلم اني لم استوفِ الكلام في نسبة بعض الاعيان لأني لم اجد في كتب الاقدمين الّا ما ذكرتهُ عنهم . وهذا هو احتجاجي لدى الذين لم ادخل نسبتهم في هذا المؤلف »[3] . . .

ثم تابع حضرته سلسلته الكريمة فاضاف الى العائلات التسع التي ذكرها في مقاله الاول احدى عشرة عائلة جديدة — ما خلا العائلات الاربع عشرة التي ذكرناها نقلًا عن الشدياق[4] . ولم ينسَ ان يؤكد انهم « لا محالة اكثر من ذلك »[5] .

---

١) المشرق ٣٦ [١٩٣٦] ١٢١

٢) المشرق ٣٦ [١٩٣٦] ١٢١

٣) اخبار الاعيان في جبل لبنان ، ص ٢٠٠ — ويا للعجب كيف تحوّلت « كتب الاقدمين » عند الشدياق الى « اهل الاعيان » عند حضرة الخوري قسطنطين ! ولعلّ هذا التفسير يجعله يقول في مكان آخر : « ان كاتب الفصل الخاص بتاريخ بني الدحداح هو من كبار مشائخهم » . . .

٤) قال حضرته انه يعدّ للطبع « اصح واتمّ ما كُتب في بيان نظام لبنان الاقطاعي » ، رسالةً لناصيف اليازجي منذ سنة ١٨٣٣ . وهذه الرسالة مطبوعة في مجلة « الهلال » (١٣ : ص ٥١٢) . وقد ذكر اليازجي العائلات الاقطاعية كما وردت عند الشدياق ، ولم يختلف الاثنان الّا فيما يلي :

١ً ذكر اليازجي بني الخوري مسالح بين العائلات الثنوية اي الغير الاقطاعية خلافاً للشدياق الذي عدّهم من الاقطاعيين .

٢ً ذكر اليازجي بين الاقطاعيين بني العيد وهؤلاء لم يروِ اخبارهم الشدياق .

٥) المشرق ٣٦ [١٩٣٦] ١٢١

وكنا نقرأ حتى الآن ايضاح حضرته بشوق عظيم الى مصادره وقد اغنته عن الاعتماد على الشدياق ، فاذا به يقول :

« فان كان حضرة الشيخ الكريم يضنّ على المذكورين بلقب شيخ او يريد ان يجعلهم ادنى رتبة في المقام من بيت الدحداح او بمقام شيخ ضيعة قالامر بذلك بينه وبين احفادهم »[1].

فكان انذهالنا عظيماً ، ولا نظن قراء حضرة المؤرخ الأشركاء لنا في الانذهال ! اذاً أيسمح الخوري قسطنطين لنفسه بتوزيع الالقاب والمراتب التاريخية ، ثم ، عندما نسأله عن مستنداته ، يتملص من البرهان ويحيلنا الى احفاد مَن الصق بهم تلك الالقاب ،طالباً اليهم الدفاع عن اقواله في اجدادهم ؟

انها طريقة في التاريخ غريبة كانت تكفينا مؤونة الجدال مع حضرته ، لو لم يكن له احترام في نفسنا يجعلنا نعتقد الاعتقاد الكلي ان عبارته لم تعبّر تماماً عن فكرته الحقيقية .

ان هذا الاعتقاد حملنا على البحث عمّا قد نشتمّ منه رائحة البرهان في مقاله . فوجدنا هذين القولين :

اولاً : « وحسبي ان اقول له اني اعلم العلم اليقين مثلاً ان المشايخ من بيت ابي طربيه في تنورين ما كانوا يتزاوجون من نحو ستين سنة واكثر الا مع بيت الخازن وبيت ابي صعب وبيت الظاهر .ومن هم بمقامهم »[2] . قلنا : وكأنّ حضرته ، بدلاً من ان يبرهن على صحة اقواله في اقطاعية العائلات العشرين ، اكتفى « بعلمه اليقين » عن مزاويج اسرة واحدة . وليست قضية الزواج لتدل على وجود رتبة الاقطاعيين عند عائلة ما .

وثانياً : « والدليل على ان من ذكرت هم من كبار المشايخ سعة املاكهم التي اقطعها لهم الامير يوسف في بلاد جبيل والبترون »[3].

---

١) المشرق ٣٦ [١٩٣٦] ١٢٢
٢) المشرق ٣٦ [١٩٣٦] ١٢٢
٣) المشرق ٣٦ [١٩٣٦] ١٢٤

وغنيٌّ عن البيان ان سمة الاملاك لا تفيد شيئاً ثابتاً. فان الامير الحاكم كان يهب الكثير لجميع الناس من اقطاعيين وغير اقطاعيين وغير مشايخ. وهل املاك الرهبان، وهي من هبات الحكّام، دليل على انهم كانوا اصحاب مقاطعات يحكمونها بالوراثة ؟

٢ً احببنا ان ينظر معنا حضرته في التناقض الواقع بين قوله المنقول عن الشدياق ان الامير يوسف كتب «الاخ العزيز» الى الشيخ سعد الخوري، وبين قول الامير يوسف نفسه: «عزيزنا الشيخ سعد الخوري»[1]. فأجاب[2]:

«ان الشيخ سعد الخوري كان اقرب المقرّبين الى الامير يوسف وفوق الجميع لا لكونه كاخيته فقط بل لكونه مربّيهُ»[2].

لا ندري ما هي العلاقة بين محبّة الامير يوسف لمربّيه وبين قولنا. والمعلوم ان الحكّام اللبنانيين كانوا يتخذون لهم مدبّرين من جميع الطبقات. فان الامير بشيراً الكبير مثلاً قد اتخذ ستة مدبّرين معروفين[4]. وكان اثنان منهم من العامة وهما فارس ناصيف وجدعون الترك، وواحدٌ من المشايخ النويين هو الشيخ نجم العقيلي، واثنان من المشايخ الاقطاعيين هما الشيخان سلّوم ومنصور الدحداح، وواحد من القرباء عن لبنان هو بطرس كرامه، كاتب الامير امين بشير ورفيقه.

٣ً سألنا حضرته سؤالاً واضحاً عمّا «يثبت قوله ان الامير يوسف كتب الى الشيخ سمعان البيطار «الاخ العزيز»[5]، مع علمنا ان الامير يوسف شيّخ المذكور على البترون، وذلك لانه لم يكن جميع المشايخ، حتى الاقطاعيين[6]

١) سلسلة بطاركة الطائفة المارونية، طبعة الشرتوني، ص ٧٤

٢) ظنّ حضرته اننا نريد ان نقابل بين بني الدحداح وبعض العائلات. وحاشا ان نخوض هذه المواضيع الصيانية.

٣) المشرق ٣٦ [١٩٣٦] ١٢٢

٤) المشرق ٢٢ [١٩٢٤] ٥٧١

٥) المشرق ٣٣ [١٩٣٥] ٦١٤

٦) كبني المازار اصحاب الكورة وكان يكتب اليهم الحاكم «عزيزنا» فقط (اليازجي: الهلال ١٣ ص ٥١٦).

منهم ، من رتبة « الاخ العزيز ».

فقال اننا سألناه عمّا « يثبت قوله ان الامير يوسف جعل سمعان البيطار شيخاً »[1]، والفرق بين الامرين ظاهر. وراح يستشهد بالمرحوم والدنا لانه قال في احدى مقالاته: « الشيخين منصور الدحداح وسمعان البيطار»، ثم بالشدياق فأورد النصّ التالي : « فتولى الامير يوسف المقاطعات المذكورة وجعل منصور يوسف الدحداح شيخاً على بلاد جبيل وكتب له صكّاً بذلك برسم عهدة . وسلّم سمعان البيطار مقاطعة البترون وشيّخه عليها وعمّرها »[2].

فنقول اولاً ان قولَي الشدياق والمرحوم والدنا لا يفيان بالمراد لاننا لم نشك بمشيخة البيطار على البترون ؛ بل سألنا عن رتبة « الاخ العزيز ».

ثم نعود الى نصّ الشدياق الوارد اعلاه فنراه يحوي امرين : مشيخة منصور الدحداح من قبَل الامير يوسف على بلاد جبيل ، ومشيخة سمعان البيطار من قِبَل الامير ذاته على البترون . فكيف استند اليه حضرته للقول في مقدمته :

« وكان الامير الكبير الحاكم اذا اختار رجلاً من لبنان لتدبير اموره من غير المشايخ او كاخيةً له رقّاه الى رتبة المشايخ وصار يكتب له « الاخ العزيز » واقطعه بعض الضيع كما فعل الامير يوسف ... مع سمعان البيطار ، وكما فعل الامير بشير مع بني الدحداح...»[3] ؟

أيجوز ان نستغل القسم الاخير من النصّ لنبرهن على امر ما ، وان نهمل، بل نناقض القسم الاول منه لأنه لا يروقنا ؟ أهذا هو الانصاف العلمي الواجبة سيطرته على جميع ابحاث المؤرخين ؟

ونستغرب ايضاً توسّع حضرته هنا في الكلام عن ظلم الحكّام المتاولة للنصارى ، وعن عدم امكان هؤلاء الحكّام ان يكتبوا « الاخ العزيز » لرجل

---

١) المشرق ٣٦ [١٩٣٦] ١٢٢

٢) المشرق ٣٦ [١٩٣٦] ١٢٤ ؛ واخبار الاعيان ص ١١٢

٣) المشرق ٣٣ [١٩٣٥] ٢٢٤

مسيحي[1] . . وحضرته يعلم ان كتابة « الاخ العزيز » عادة درج عليها الحكّام الشهابيون دون سواهم . اما مقام بني الدحداح من الحكّام المتاولة فاننا نكتفي الآن لوصفه بما ورد في تلك المخطوطة التي كان حضرته يتلذذ بقراءتها وهو صغير[2] ، اي مخطوطة العينطوريني ، وقد جاء فيها عن الشيخ يوسف الدحداح انه « توجه الى بلاد بعلبك فصار يازجي عند بيت الحرفوش مدة . وبعده رجع الى بلاد جبيل وتقدم عند الشيخ اسمعيل حمادي وسلّبه كل شيء بيده »[3] . ولم يكن الشيخ اسماعيل المذكور بأقلّ شأناً من معاصريه الاميرين بشير الاول وحيدر الشهابيين ، فان المؤرخ عينه يقول انه « اشتدّ بأسه في كامل المقاطعات . وصارت تهابه كافّة حكّامها . وباقي امره نافذ الى حدّ حلب لخوف الناس منه »[4] .

فاقوال العينطوريني هذه ، ونصّ الشدياق الذي اورده مناظرنا الكريم ، تدلّ دلالةً واضحة على بطلان زعمه في ما سبق ان « الامير بشير رقّى بني الدحداح الى رتبة المشايخ . . . واقطعهم بعض الضيع » .

اما النصّ الذي استشهد به حضرته لانه يقول ان الشيخ سمعان البيطار كان معتمد الديرس عند الامير يوسف ، وان الشيخ ظاهر الدحداح كان يازجي الامير[5] ، فيدلّ على ان ظاهراً المذكور كان شيخاً فلم « يرفع » الامير بشير اذاً بني الدحداح الى هذا المقام . . .

٥ً بقيت قضية « المعلّم » . يصرّ حضرته على ان الامير الكبير كان يمنح هذا اللقب لمدبّريه الغرباء عن لبنان . ولمّا سألناه رأيه في المعلمين الياس اده ونقولا الترك اللبنانيين اجاب : « ولا يخرج من هذا الحكم المعلم نقولا الترك شاعر الامير ، اذ هو اسطنبولي الاصل كما يدلّ على ذلك لقبه « الترك » .

---

١) المشرق ٣٦ [١٩٣٦] ١٢٣

٢) المشرق ٣٦ [١٩٣٦] ١٢٤

٣) مخطوطة المكتبة الشرقية 47°5 ص ٢٦ ؛ والمشرق ٤ [١٩٠١] ٨٢٦

٤) مخطوطة المكتبة الشرقية 47°5 ص ٢٢ ؛ والمشرق ٤ [١٩٠١] ٨٢٤

٥) المشرق ٣٦ [١٩٣٦] ١٢٤

وكذلك المعلم الياس ادّي (كذا بالحرف الاخير) كاتب الامير فانه بيروتي الاصل . »[1].

لنكن صريحين ولنتّفق على احد امرين لا مناص من الاختيار بينهما : إمّا ان يكفي اسم المكان للدلالة على اصل حامله ، واما ان لا يكفي للدلالة عليه . فاذا كان يدل على شيء يجب ان تطبّقه على الرجلين معاً لا على الواحد دون الآخر . يقول حضرته ان اسم « الترك » يدل على اصله الاسطنبولي . فلماذا لا يريد ان يدل اسم « ادّه » على اصله وهي قرية في بلاد جبيل ؟ ولا سيما ان المعلم الياس مولود في تلك القرية[2].

واذا كان اسم المكان لا يدل على شيء، واذا كان ينبغي ان ننظر الى موطن الرجل في مولده وحياته ، فلماذا يظنّ حضرته باللبنانية على نقولا الترك وهو قد ولد ومات في دير القمر وعاش في بلاط الامير[3] ؟

وفي كل حال ، لنفترض جدلاً ان جميع من سُمّوا « معلمين » كانوا غرباء عن لبنان فماذا يفيد ذلك ؟ لماذا حتّم حضرته على الامير الحاكم ان يمنح هذا اللقب وان توازي « رتبة » المعلم رتبة الشيخ ؟ اجل ، كنا نودّ لو ان حضرته لم ينسَ في هذه المرة ايضاً المصادر ، وهي يجب ان تكون الحكَم الفصل في مثل هذه الشؤون .

وفي الاخير نؤكد لحضرة الخوري قسطنطين الباشا اننا لم نسأله سؤالاً واحداً « للتعجيز » كما ظن ، ولا انتقدناه « غيرة منا على شرف الرتبة في اهلنا »[4] بل اضطررنا مكرهين الى ابداء ملاحظتنا غيرةً منا على الحقيقة التاريخية ، وقد كثر مشوّهوها في لبنان.

نجيب سليم الدحداح

---

١) المشرق ٣٩ [١٩٣٦] ١٢٥ — ويظهر ان حضرته اجاب بعجلة كما ترى من كتابته « اده » بالياء وكما يظهر من جملته هذه : « في الوقت الذي كان فيها المشايخ بيت الهاشم من العماديين » ولا معنى لها لأن العماديين فرع من بيت الهاشم.

٢) المشرق ٢ [١٨٩٩] ٦٩٤

٣) تاريخ الآداب العربية للاب شيخو ؛ الجزء الاول : ٢٢

٤) ومن رأينا ان تُلغى جميع الالقاب لأنه لم يَبْقَ لها ادنى معنىً . امّا فائدتها التاريخية ففي امكان طالبيها ان يبحثوا عنها في كتب التاريخ الصحيحة.

مطبوعات شرقية جديدة

P. Dr CHRISTOPHORUS BERUTTI, O. P., **Institutiones Juris Canonici.** Vol. I, Normae generales. In-8°, 180 pp., Torino, Marietti, 1935. Prix : Lib. ital. 12.

اصول الحق القانوني

في الوقت الذي تجتمع فيه لجنة خاصة من موفدي الطوائف الشرقية في رومة ، فتهتمّ باعداد مجلّة الحقّ القانوني الشرقي ، وفي الزمن الذي يُتوقّع فيه تحقّق هذا المشروع الخطير ، يسرّ جميع الكهنة ان يطلعوا على كل شرح جديد للحقّ القانوني في الكنيسة الرومانية ، فيدرسوه ويستعينوا به لدى ظهور المجلّة الشرقية . وذلك انه ، وان يكن للحق القانوني الشرقي شيء من الاستقلال المقرّر بارادة الحبر الاعظم نفسه ، فهو لا يبعد عمليًا عن الحقّ القانوني الروماني لما هناك من وحدة المبادئ بين الحقّين ، ووحدة الاصول وهي قرارات المجامع القديمة ، ووحدة الاختبار الذي استفاد منه الجميع مدة تسعة عشر قرنًا . ولهذا نرى جديرًا بالذكر تأليف الاب بروتي ، وقد اصدر منه الجزء الاول باحثًا فيه الكتاب الاول من مجموعة « القوانين العامة » ، متصفًا بالوضوح والايجاز ، مستفيدًا من جميع التآليف السابقة ، عارضًا عرضًا تامًا كل ما تضمّنته القوانين الـ ٨٦ الاولى من المجموعة ، وهي اشهر القوانين في الشرائع الكنسية .

ي . م .

P. MATTHAEUS CONTE A CORONATA, O. M. C., **Institutiones Juris Canonici ad usum utriusque cleri et scolarum.** Vol. IV, De Delictis et Poenis. In-8°, 680 pp., Torino, Marietti, 1935. Prix : Lib. ital. 30.

في الحق القانوني

هو المجلّد الرابع من تأليف الاب كونتي آ كورونانا خصّه بدرس الجرائم والعقوبات في الشرائع الكنسية ؛ وهي مادّة الكتاب الخامس من مجموعة الحق القانوني ، وما يقابل « قانون الجزاء » في الحكومات العصرية ؛ على فرق ان

في الحقّ القانوني لا مجال للكلام عن عقوبة السجن ، ولا عن عقوبة الإعدام ، كما انه لا مجال للبحث عن السرقة ولا عن القتل . انما هناك عقوبات كنسيّة كالحرم ، والقطع ، والتوقيف . . . تنزلها السلطة الدينية عن ينتهك شرائع الكنيسة المهنة .

ولما كان هذا القسم من الحقّ القانوني اصعب الاقسام واقلّها حظاً بالشرح والايضاح ، كان عمل الاب المؤلف جزيل الفائدة لوضوحه ، وشموله جميع هذه الشرائع المتعلقة مباشرةً بمصالح الاكليروس والرعية . واذاً فلا نشكّ بمنفعة كتابه لا للطلاب فقط ، بل للكهنة واساتذة الحق القانوني انفسهم .

ي . م .

R. LORTAL, P. S. S., Morale sociale générale. Eléments de théologie morale sociale, I. In-8°, 203 pp. Paris, P. Téqui, 1935. Prix : 3 fr. 16.

في اللاهوت الادبي الاجتماعي

كان مؤلف الكتاب، وهو من كهنة سان سولبيس ، واستاذ في اكليريكية اثينيون العالية ، قد القى سنة ١٩٣٣-١٩٣٤ ، دروساً في اللاهوت الادبي الاجتماعي العام . فاعاد فيها النظر ، ونشرها في هذا المجلد جزءاً أول ، باحثاً بمقدمة في ماهية الموضوع ، واقسامه ، واصوله ، وتاريخه ، وطرق درسه ، واهميته ؛ منتقلاً الى درس الهيئة الاجتماعية ، وما تتضمن من جماعات وطبقات ، مدققاً في تحليل الفضائل الاجتماعية ، خاتماً بلحق في الدور الاجتماعي لمواهب الروح القدس ، وفي العدالة الموزعة في المجتمع .

ولا يخفى ما في الموضوع من جدّة ، وما كان للمؤلف من فضل في جميع عناصر بحثه وترتيبها . بيدَ انه ، وان يكن هذا اللاهوت الادبي الاجتماعي غير معروف كوحدة علمية حتى اليوم ، فان مظاهره كانت منتشرة في المعاملات البشرية ، وهو ما يُعرف عن كثير من المعلومات الجديدة أن تكون جارية في مجال التطبيق ، قبل ان تتمركز عناصرها في وحدة العلم النظري .

ج . ل .

Fr.-X. KORTLEITNER, Religio a patriarchis Israelitarum exercitata. In-8°, VII+184 pp. Œniponte, Libraria societatis Marianae, 1936.

ديانة آباء اسرائيل

يتابع حضرة الاب كورتليتنر نشر دروسه الكتابيـة التي باشرها منذ السنة ١٩٠٨ ؛ وقد كان لنا ان نشير اليها ، غير مرة ، على صفحات المشرق ٢٦ [١٩٢٨] ٣٠٠ ؛ ٢٨ [١٩٣٠] ٤٧٤ ؛ ٣٠ [١٩٣٢] ٤٧٦ ؛ ٣١ [١٩٣٣] ١٥٠ ، ٩٥١ ؛ ٣٣ [١٩٣٥] ٤٤٩ ؛ ٣٤ [١٩٣٦] ١٣١) وهو ينشرها باللغة اللاتينية ، فيسهل الاستفادة منها على جميع اساتـذة وطلاب الاكليريكيات الكاثوليكية في العالم . وهي ميزة جديرة بالمدح ، وفضل لا ينكر للمؤلف ، ولا سيما اذا ذكرنا ان عدد كتبه يبلغ العشرين بـين كراس صغير ، ومجلد ضخم كذاك الذي خصه بعلم الآثار الكتابية ، بالغاً به ، في طبعته الثانية ، ٨٢٥ صفحة مزيّنة بالرسوم . ولا يسعنا الا الاعجاب بهـذا الدأب المتواصل ، والاغتباط بان يكون لطلاب المعاهد الاكليريكية مَن يخصّ حياته بنشر المعلومات الصحيحة في جميع العلوم التاريخية والعنصرية والاثرية المتعلقة بالكتاب المقدس ، وذلك على افضل ما يمكن من دقة وتجرّد واخلاص نحن في اشد حاجة اليها في عصرنا الحاضر . حتى امكننا ان نلقبَ الاب كورتليتنر بـ « ڤيگورو » النمسا ، ولا غرو فهو اقدر علمائها بشؤون الكتاب المقدس .

هذا ، وقد رمى في المجلد الحاضر الى البرهان أن دين الاسرائيليين الذي اقرّه موسى ونشره انبياء القرن الثامن هو الدين نفسه الذي كان يقوم بشعائره ابراهيم عندما ترك ، مع قومه ، بلاد ما بين النهرين . ولا يخفى ان ارباب المذهب العقلي يجمعون على نفي هذه الموافقة بين الدينين ، زاعمين ان ابراهيم كان من عبَدَة الاوثان ، قائلين بان ابناءه وخلفاءه تركوا الآثار الناطقة في هذا الموضوع ، وان من اتى بعدهم حوّلوهـا وقرّبوها من « التوحيد » . اما الاب كورتليتنر فيـدافع عن الرأي الكاثوليكي ، متبعاً خطوةً خطوةً تآليف المناقضين ، هادماً نظرياتهم واحدةً واحدةً ، متصلاً بكل الدقائق الضرورية

لفهم تلك النظريات ، باسطاً للاساتذة والطلاب كل ما يحتاجون اليه من معرفة آراء القوم في تاريخية الحوادث المذكورة ، ومن حملاتهم على الكتاب المقدس ، حتى انهم يستغنون عن مطالعة كتبهم بالاعتماد على هذا المجلد المفيد في بلادنا الشرقية خاصةً ، وليس فيها من يقرأ الالمانية بسهولة . ولذا يجدر بكل من يهتمّ بالشؤون الكتابية من رجال الاكليروس ان يضعوا هذا المجلد النفيس على مكاتب عملهم : س . ر .

A.-G. Barrois, O. P., Précis d'archéologie biblique [*Bibliothèque catholique des Sciences religieuses*]. In-12, 202 pp., Paris, Bloud et Gay, 1935.

موجز في علم الآثار الكتابية

ان « المكتبة الكاثوليكية للعلوم الدينية » — وهي التي انشأها مكتب النشر الباريسي « بلو وگاي » والتي تجاوزت منشوراتها مائة مجلد معروف كلها في الشرق — تعتني اليوم بمؤلف جديد كان من الضرورة ان تنشره ، وهو موجز في علم الآثار الكتابية للاب باروا ، احد علماء الدومنيكيين الشبان ، من المعهد الاختصاصي في اورشليم ، ومن بيئة « المجلة الكتابية » . واذا ذكرنا انه قضى عدة سنوات متتابعة في بلاد الشرق ، قائماً بالرحلات في فلسطين ، مطلعاً على حالة الحفريات المختلفة ، بل مباشراً بعضها بنفسه ، تحت ادارة العالم بالاشوريات الاستاذ تورو دانجن (Thureau-Dangin) ، وذلك في التيرب ، قرب حلب ، وفي تل الاحمر في سورية العليا ؛ اذا ذكرنا ذلك فاننا نشير الى توفق مكتب النشر المذكور في اختياره عالماً من خيرة من يكتبون في هذا الموضوع . وهو ما يشعر به مطالع الكتاب فيتحقق ان للمؤلف اختبارَ معلمي الشؤون الكتابية ، وهو مدربها دون شك في معهد رهبانيته حيث دخل فجأة منذ بضع سنوات .

ومهما يكن من امر فان للمؤلف مقدرة الايجاز . فهو يجمع الكثير من المعلومات في القليل من الالفاظ ، مقدماً لاستاذ العلوم الكتابية نصاً لا مندوحة له عن توسيعه في دروسه . يبدأ الكتاب بمقدمة قصيرة في اسلوب البحث ،

والتحريات العلمية ، وطريقة التوقيت العام . ثم ينتقل الى درس الحياة البدوية، وهي اول مظاهر معيشة الاسرائيليين ، متبسطاً في ارتياد المناطق الفلسطينية المهنة ، ذاكراً بعض المصادر، محيلاً المطالع الى « المجلة الكتابية » وقد ظهرت فيها ملخصات عن اعمال الحفريات ونتائجها . تأتي بعد ذلك فصول في وصف المدن الفلسطينية القديمة ، والمقابر والمشاهد المدفنية ، وفي ذكر الحركة الزراعية والصناعية بما فيها من حرف مختلفة خزفية ، ومعدنية ، ونسجية ، ومهن حرة ، وفنون ؛ يلحق بها فصل في المقاييس والموازين والنقود ، والتجارة . هذا ملخص القسم الاول . وهناك قسم ثانٍ يشمل درس الهيئة الاجتماعية : الاسرة ، والقبيلة، والمملكة ، والحقوق والحروب ، والديانات : ديانات الكنعانيين وهيا كلها . . . ثم ديانة اسرائيل من موسى حتى نشأة البدع ، والكنيس . . .

هذا ، ولا يمكن القول ان المطالع يخرج راضياً على اقسام الكتاب جميعها . وذلك ان من الصعب ، ان لم يكن من المستحيل ، أن يُضمّن مجلد صغير كهذا علم الآثار الكتابية . فلا بدّ اذاً من مدرّس يستعين به من يرغب في التعمق بهذا العلم ، فيشرح له الكتاب ويتبسط في بعض اقسامه . على ان اظهر ما يمكن توجيهه من نقد للكتاب المذكور هو ما يتعلق بالصور والرسوم . وذلك اننا لا نتصوّر في ايامنا هذه ان يؤلف كتاب ، مهما كان موجزاً مختصراً ، في علم الآثار القديمة ، دون ان يحفل بعدد من الرسوم والالواح التصويرية . وهو نقد قد يصيب الناشر اكثر من اصابته المؤلف . ومهما يكن من امر، فاننا نرجو ان تسدّ الطبعة الثانية هذه الثلمة ، وان دُفع الناشر الى رفع ثمن المجلد .

س . ر .

Lousseau et Collomb. Manuel d'études bibliques. T. I. Introduction générale. In-8°, 580 pp. Paris, Téqui, 1936. Prix: 30 fr.

كتاب تعليمي في الدروس الكتابية

هو آخر ما ظهر من تأليف لوسّو وكولومب في الدروس الكتابية ، وان كان يمثل المجلد الاول من هذه المجموعة النفيسة . وفيه ما تحققناه في المنشورات المتقدّمة من وضوح في العرض ، ورصانة في العقيدة ، وسعة في المعلومات حتى

احدثها في تقدُّم الدروس الكتابية . وقد خصَّ القسم الاول بدرس الوحي ، وهو بحث مستفيض لا شكَّ في انه من قلم الاستاذ لوسو ، وله في الموضوع اطروحة مهمة . يلي ذلك بحث في درس النصوص الاصلية ، واهم الفروق المتعلقة بنصوص الكتاب المقدس . ثم بحث ثالث في درس معاني الكتاب ، ونقد النصوص ، وقواعد التأويل . وكل هذه الابحاث متسعة واضحة على الغالب . على ان هناك نقاطاً نودّ ان يُعتنى بها مزيد عناية ، فنرى بضع صفحات تُخصّ بتاريخ التفسير ، وعرضاً اوضح وادق لفئات المخطوطات (ص ٥٢٩—٥٣١) . فان مبادئ كانتن (Dom Quentin) المقرّرة في احدى طبعات العهد القديم في ترجمته العامّة ، لا علاقة لها بتحقّقات ڤستكوت (Westcott) وفون سودِن (Von Soden) وستريتر (Streeter) المختصّة بالاناجيل . ب . م .

J. Prado, **Propaedeutica biblica sive introductio in universam Scripturam.** In- 8°, XVI + 416 pp. Torino, Marietti. Prix : Lib. ital. 30.

في الدروس الكتابية

يؤلف هذا المجلد حلقة من سلسلة « الشروح الكتابية » التي يديرها الاب سيمون من آباء الفداء . وان طبعته الثانية لدليل على ما لاقاه من الرواج في المعاهد الاكليريكية الكاثوليكية . وانه لرواج يستحقّه لدقة نصوصه ، ووفرة مصادره ، واتقان فهارسه ، وصوره . ج . ل .

Giuseppe Furlani, **Il primo Libro dei Primi Analitici di Aristotele nella versione syriaca di Giorgio delle Nazioni.** [*Publication de l'Académie dei Lincei*, série VI, vol. V, fasc. III, année CCCXXXII — 1935]. In-4°, 88 pp. Rome, Bardi, 1935.

الكتاب الاوّل من التحليلات (أنالوطيقا) الاول لارسطو في ترجمة السريانية

لا يخفى ما للترجمات السريانية من اهمية في تاريخ الفلسفة اليونانية وانتشارها بين الشعوب الشرقية ، ومن فضل في مساعدتنا على فهم النصّ اليوناني الاصلي ، وقد ساء حفظهُ احياناً . هذا ما اهاب بالمستشرق الفاضل فورلاني ، من جامعة

فلورنسة ، الى نشر ترجمات اسطر السريانية المجموعة في المخطوطة (Add. 14659) وهي من قلم الاسقف اليعقوبي جرجس المنسوب الى الأمم او الى العرب . وان هذه الترجمة لتزداد قيمةً اذا ما عرفنا ان المترجم توفي في السنة ٧٢٤ ، اي قبل ازدهار الترجمات العربية . اما النشر فجميل بارز بالحرف الاسطرنجلي الجلي ، حافل بكثير من الحواشي المنقولة عن المخطوطة السريانية نفسها ، ويرى الاستاذ فورلاني ان هذه الحواشي مترجمة ايضاً عن اليونانية .

ب . م .

Ritus pro ordinibus conferendis ex pontificali romano recognito ad utilitatem clericorum cum codice juris canonici collatus. In-32, 117 pp. Torino, Marietti. Prix : Lib. ital. 1.

رتب منح الدرجات المقدسة

لقد نُشر على حدة هذا المختصر مقابلاً بالحق الكنسي في سبيل الاكليريكيين ، وجعل ثمنه زهيداً جداً .

BLASIUS VERGHETTI, **Joannis Ludovici Vives colloquia.** Nova editio et emendatio. In-8°, VIII + 200 pp. Torino, Marietti, 1934. Prix : Lib. ital. 5.

مناجيات فيفس

وهذا ايضاً من المنشورات على حدة في طبعة سهلة مفيدة بسعة انتشارها . وقد كان مؤلفه كتبه لفائدة من اصبح في ما بعد فيليب الثاني . وها ان فائدته تتجاوز الى الكثير من القرّاء بما فيه من آراء صائبة ، ولغة لاتينية راقية .

LE VÉNÉRABLE LOUIS BLOSIUS, **Speculum monachorum.** In-16, 86 pp. Torino, Marietti. Prix : Lib. ital. 2.

مرآة الرهبان

لهذا الكتاب شهرة واسعة جازت القرون حتى يومنا هذا . فرأى مكتب ماريتي ان يسهّل على ابناء العصر الاغتباط بهذه الطريقة السهلة البسيطة في نوال السلام الداخلي والوصول الى الله ، فكان له ما شاء بطبعة الكتاب الجميلة ، وحجمه الموافق ، وثمنه الزهيد .

CARL WATZINGER, **Denkmaeler Palaestinas.** Eine Einführung... II, Von der Herrschaft der Assyrer bis zur arabischen Probernng. In-8°, 169 pp., 15 fig. dans le texte et 82 en 40 planches à part. Hinrichs, 1935. Prix : 9 Marks.

الآثار الفلسطينية

الجزء الثاني : من تسلّط الاشوريين الى الفتح العربي

سبق لنا (٣٢ [١٩٣٤] ١٣٥) ان قدّمنا ، بكل سرور ، الجزء الاول من هذا الكتاب الذي دعاه المؤلف « بالآثار الفلسطينية » وقال عنه بتواضع انه « توطئة لدرس الأثريات في الاراضي المقدّسة » . وها اننا نسرّ كذلك بتقديم الجزء الثاني ، وهو اكبر من الاول حجماً واجمع رسوماً وصوراً ، مؤلفاً مع سابقه أثراً لا نبالغ اذا قلنا انه افضل ما يُعرَف في موضوعه ايجازاً وشمولاً لجميع ما جرى من تنقيبات في ارض فلسطين منذ القرن التاسع عشر الى اليوم. ولهذا نراه جديراً بان يوضع في ايدي كل من تهمّهم دروس الآثار الشرقية عامّة ، والكتابية خاصة ، يجدون فيه ملخّصاً لجميع المشاكل التي اثارتها ، او حلّتها ، الحفريّات والتنقيبات العلمية ، ويعينهم ، بما يعرضه من لوائح المصادر المبوّبة في الموضوع ، على ان يكوّنوا فكرةً معقولة مرتّبة في هذه الشؤون . ولمّا كان المؤلف من علماء الاثريات المحترفين ، وقد ساهم بنفسه في بعض الرحلات العلمية الى بلادنا ، لم يرضَ بالتقريب في الشرح ، بل تعمّق في جميع ابحاثه ، عارضاً امام المطالع كثيراً من مخطّطات المدن، ورسوم الآثار الحالية وما كانت عليه سابقاً . فليس لنا الّا ان نهنئه باخلاص لعمله هذا المتّصف بالامانة والدقة ، كما نهنئ الناشر لما اظهره من اتقان في الطبع والرسوم . س . ر .

Le Coran, Traduit par AHMED LAÏMÈCHE et B. BEN DAOUD. In-8°, 348 pp., Oran, Editions Heintz Frères.

ترجمة القرآن الى الفرنسوية

هي ترجمة عادية لا تأتي بالفائدة الكثيرة بعد ترجمة كازمرسكي وما وليها. ولاسيما ان المترجمين لم يتكلّفا كتابة شيء عدا ترجمة النصّ ، فلا مقدّمة تصف عملهما واسلوبهما ، ولا حواشي تحاول شيئاً من الايضاح والشرح . الّا انهما خصّا

الكتاب بفهرسين : فهرس عادي للسور ، وفهرس آخر للسور مرتبة حسب تاريخ نزولها ، ولا نعلم الى اي مستند استندا في هذا الترتيب التاريخي !

ف . ا . ب .

ABU-MANṢŪR ʿABD-AL-ḲĀHIR IBN ṬĀHIR AL-BAGHDĀDI, **Al-Fark Bain al-Firak.** Moslem Schisms and Sects. Part II. Translated from the Arabic with introduction and notes by ABRAHAM S. HALKIN. In-8°, XVIII + 261 pp., Tel-Aviv; 1935.

ترجمة « الفَرْق بين الفِرَق » الى الانكليزية

يُقسم الكتاب الى قسمين : في الاول منها ذكرٌ لجميع البدَع التي نشأت في الإسلام ، ولم تلبث ان انفصلت عنه بما اتصفت به عقائدها من المبالغات والانحرافات ، واكثرها تولي مؤسسيها ، او ائمتها ، شيئاً من الصفات الالوهية او الالوهة بعينها . وقد خصّ صاحب الكتاب الباطنيّة وما اليها بنصيب وافر من البحث دلّ على خطر هذه الفِرَق في عصره . اما القسم الثاني فيشمل العقائد الاساسيّة في المعتقد السنّي ، ومنها وجود السماوات السبع المتمايزة . وقد اضاف المترجم حواشي مهمّة مستفيضة لو جُمعت لعادلت المتن على اقل تقدير ، حتى اصبح المجلّد دائرة معارف تاريخية للبدَع الاسلامية وما يتعلّق بها ، فدلّ على سعة اطلاع المترجم ، وما عاناه من التفتيش في المصادر العربية والاستشراقية ، وما استحقّه من ثناء لا يشاركه فيه الطابع الفلسطيني — والكتاب مطبوع في تل أبيب — لاهماله مراقبة العمل حتى طار كثير من الحروف ، وتكسّر كثير غيرها ، فصعبت القراءة في كتاب تزدحم فيه اسماء العَلَم ازدحاماً .

ه . ل .

JOSEPH SCHACHT, G. Bergstraesser's Grundzüge des islamischen Rechts. [*Lehrbücher des Seminars für orientalischen Sprachen zu Berlin*, t. 35]. In-8°, 145 pp. Berlin et Leipzig, Verlag von Walter de Gruyter et C°, 1935.

في الفقه الاسلامي

توفي الاستاذ برگستراسر سنة ١٩٣٣ ، قبل ان ينجز كتابه هذا في الفقه الاسلامي . وهو مجموعة دروس كان الفقيد قد القاها في السنة ١٩٢٨—١٩٢٩ ،

وكان يعدّ العدّة لنشرها في مجلّد خاص عند ما فاجأته المنية في الخامسة والاربعين من عمره. فكان له من صديقه الدكتور شخت، وسائر المعجبين به، خير القائمين على اثره، فتعهدوه بالعناية حتى ظهر في هذا الكتاب متصفاً بما تتصف به مواد التعاليم من دقة ووضوح، مقسوماً الى اثني عشر فصلاً تبحث في مواد الفقه جميعها من الاشخاص، الى الاشياء، الى الأسرة، الى الاجرام والعقوبات، الى الوصيات والدعاوى ... حتى ينتهي بابحاث شاملة في قيمة الفقه الاسلامي وميزاته الفارقة، مختتماً بجدولين للكلمات الوضعية منها واحد باللغة العربية، مسهّلاً بذلك الفائدة لمن تهمهم هذه الابحاث، وهم يتكاثرون يوماً عن يوم.

ج. ل.

Die Diwan der Hudailiten-Dichter. Herausgegeben und übersetzt von JOSEPH HELL. In-4°. XXVII + 112+١٢١ pp. Leipzig, Otto Harrassowitz, 1933.

الجزء الثاني من مجموعة اشعار الهُذليين

لقد نال الشعراء الهذليون نصيباً وافراً من عناية الاستاذ يوسف هل، فخصّ بهم جزءاً اول نشر فيه قصائد ابي ذؤيب مع ترجمتها الى الالمانية سنة ١٩٢٦؛ وها انه يتوفق الآن الى نشر هذه المجموعة الجديدة محتوية على دواوين ساعدة ابن جُؤَيّة، وابي خراش، والمُتنخّل، وأسامة بن الحرث، متصفة بما اتصف به الجزء الاول من حسن الضبط، ودقة الطبع، واتقان الترتيب، ووفرة الحواشي. وقد ترجم الناشر اشعار المجموعة الى الالمانية، وقدّم عليها بحثاً مستفيضاً بلغته درس فيه ما استعان به من مخطوط على طبعته، مشيراً الى بعض ما ورد عن هؤلاء الشعراء في كتب الادب. وختم الترجمة بكثير من التعاليق والحواشي والروايات، كما انه ختم النص العربي بفهارس ثلاثة: لقوافي الاشعار وبحورها، ولاسماء الرجال والنساء والعشائر والاحياء، وللمواضع وما يُنسب اليها. اما موضوعات الديوان فلا تكاد تختلف عن المعروف من امثالها للجاهليين والمخضرمين كالغزل، والفخر، والرثاء والهجو، ووصف بعض المشاهد البدوية كالقتال، وصيد حمار الوحش ايام الشتاء، واشتيار العسل، واختيال

الضبع حول القبور . يتخلل ذلك بعض الآراء الشخصية في الشاب والشيخوخة ، والنساء . . . وعلى الجملة فالكتاب من خير المصادر للادب القديم ، وخير تتمة « لشرح اشعار الهذليين » الذي نشره كوسفارتن سنة ١٨٥٤ ، واذاً فلا غرو ان نشكر للاستاذ هلّ عنايته باضافته هذه الخدمة الجديدة للادب العربي.

ف . ا . ب .

ŞARI MEHEMD PASHA-Naṣa'iḥ ül-Vüzera ve'l-Ümera. The Book of Counsel for Vizirs and Governors. Turkish Text with Introduction, Translation and Notes, by WALTER LIVINGSTON WRIGHT. In-8°, 172+١٢٥ pp. London, Humphrey Milford, Oxford University Press. Princeton, Princeton University Press, 1935

نصائح الوزراء والامراء للدفتردار صارى محمد باشا

في جامعة برنستون مؤسسة غايتها المساعدة المالية على درس تاريخ الامم القديمة والحديثة ، والبحث في علل سقوطها وانحطاطها وموتها واضمحلالها ؛ وما هذا الكتاب الا ثمرة من ثمار تلك المؤسسة التي قامت بنفقاته ، وعهدت بامره الى الاستاذ رَيت ، احد اساتذة التاريخ في الجامعة المذكورة ، ففتّش عن مخطوطات الكتاب ، وطبعها لاول مرة في لغتها التركية ، مع الحواشي المأخوذة من المقابلة بين الاصول الخطية ونقلها الى اللغة الانكليزية ، فجاء كتابه حدثاً جديداً في نشر الآثار الشرقية عامة والتركية خاصة . وهو ، بعد كتاب الاستاذ فيليب حتي الذي وصفناه سابقاً وعنوانه كتاب الاعتبار لاسامة بن منقذ، الحلقة الثانية من منشورات جامعة برنستون.

لقد اتقن الاستاذ رَيت عمله ، واستحق الثناء على الجهاز العلمي الذي شفع به الكتاب ، من ذكره المراجع ، ووضعه الفهارس ، وتنقيبه على هوية المؤلف ، وتحليله الكتاب في فصوله العشرة وذيليه . شاء صارى محمد باشا ان يلتمس السبيل الى تجديد شباب الدولة العثمانية ، وقد طرأ عليها الهرم ، وادركت شيخوختها ادراكاً لم يشعر به الا القليلون. فأتى بما رآه مفيداً لاصلاح الدولة وتدرّج من النظر في اطوار واخلاق الصدر الاعظم ، الى الكلام على

احوال المناصب ومضرّات الارتشاء ، فامور الخزينة وديوان المالية ، فشؤون البكتاشية والعسكر الانكشاري ، فالعناية بالرعية وردّ المظالم ، فالنظر في حركة الاعداء وحماية الحدود ، فالوقاية من البخل والطمع والكبرياء ، فاقتناء الفضائل من الصدق وحسن الظن وترتيب امور الزعامة ، فغير ذلك من النصائح المفيدة للحكّام .

هذه الموادّ عالجها المؤلف معالجة داخلية كاحد رجالات تركية المتكلم عن شؤون بلاده ، فلا يلتفت الى المقابلة بينها وبين غيرها من البلاد . وله من تقلبه في الوظائف الخبرة في احوال تركية الادارية والمالية ، وهي في طور من اطوار انحطاطها السريع في اوائل القرن الثامن عشر . وكانت نهاية الباشا كنهاية الكثيرين من رجال السياسة العثمانيين . حُكم عليه بالاعدام ، وقتل سنة ١٧١٧ فات ضحية الفتن والدسائس .

وقد قدّم الاستاذ رَيت على الكتاب درساً مطولاً حلّل فيه الموادّ ، ثم جمعها في فصول مرتّبة زادت في قيمة الاصل ما يساعد على فهمه وحفظه واستغلال فوائده ، فكانت ديباجة تاريخية فلسفية اجتماعية سياسية موضوعها السلطان ، والصدر الاعظم ، والجيش الدائم والاقطاعي ، والخزينة ، ومساوئ الادارة . وختم بنظرات قيّمة رأينا ان نروي شيئاً منها ليكون القارئ على بينة من اسلوب الاستاذ ومقدرته ؛ وفي كلامه صفحة من تاريخ بلاد كانت بلادنا جزءاً منها . قال (ص ٥٥—٦٠) :

« كان لنظام الدولة العثمانية في القرن السادس عشر مفاعيل صالحة ملموسة ، ما لبثت ان وهنت مع الايام فتغيرت . واصبح البون شاسعاً ، في شؤون الدولة ، بين ما كانت عليه آنذاك وما صارت اليه في اوائل القرن الثامن عشر ، في عهد تولي صاري محمد باشا المناصب في الدوائر المالية .

كان العسكر الانكشاري ولم يزل صاحب القوة والبطش ، وكان مصاف الموظفين ورجالات الادارة في احوال لم تتغير ظاهراً . ولكن كان من البديهي ان وضع مقاليد الامر في ايدي جيش اصله من الرقيق اتقاء المخاطر يوقع الدولة بالمخاطر نفسها على يد ذلك الجيش ، فدبّ الخراب الى الدولة وأمست ، في بدء

القرن الثامن عشر ، في حالة تنذر بموت لا مناص منه.

على ان الدولة العثمانية لم تنقرض لساعتها ؛ فظلت متحدرة الى السقوط ، مدة القرن الثامن عشر كله وهي على اساسها ونظامها المعهود في ايام عزها ، وقد تغير شيء من ذلك النظام في القرن التاسع عشر ، ولم يدنُ اجلها الا بعد مضيه الى العهد القريب منا . وكان ذلك التغير لا بد منه . واننا نريد ان ننظر اليه لا لكونه علامة السقوط ، ولكن لكونه حدثاً احدث اموراً خطيرة في فصل التطوّر السياسي.

تغيرت احوال السلطان ، فترك زمام الامر الى غيره ، وعاش في قصره ضمن نطاق اهل البلاط من مترفين ومتخنثين وسراري. فاصبح ملكاً بالخيال، ومع ذلك فيده قابضة على مقاليد الملك .. واذا ما صدرت ارادة سنية ، لم يُعرف اكانت تلك ارادة السلطان ام ارادة احدى الخلائق السافلة المفسودة ؟ وما ادراك بما تحويه اسرار السرايا ؟ ولكن من الاكيد ان لتلك الارادة كان ردّ فعل خطير في شؤون الملك ، فهي تعزل وتنصب ، وتُحيي وتُميت.

اما حاشية السلطان من نسوة وخصيان فكان محيطهم مغلقاً كمحيطه ، يوحون اليه مشاريع ومراسيم ليست منهم ، ولكن من غيرهم ، من ذوي النيات السيئة ؛ والحرم السلطاني انما هو آلة يديرها محرك من الخارج . اما اهل البلاط فهم اداة الوصل بين السرايا في الداخل والحكومة في الخارج.

ومن هم اهل البلاط ؟ هم اعضاء الطبقة التي كانت مؤلفة من الرقيق سابقاً ، وهم اليوم في مناصب الامر والتأمير. لقد امحت علامة الرق من محيا المملوك ، وهو في مقام الحكم ، ولكن نظام تربية المماليك لم يتغير . فهناك المدرسة التي ينشأ فيها العبيد، ومنها ينتخبون رجالات الحكومة ورفقة السلطان. واكثر المماليك الصغار من بلاد الكرج ، وبعضهم كان من الباشاوات مَن يستحضرونهم من الاقاليم ليقدّموهم هدايا للسلطان ، ويعتمدوهم سنداً لهم وقت الحاجة ، ومن كان من المماليك في معية السلطان كانت بيدهم سلطة الحل والعقد في الدولة.

كثيرون ممن اقاموا في مقامات الحكم العليا ، لم يكن لهم وظيفة رسمية

اعلى من وظيفة الحاجب الاكبر ، ومع ذلك فهم الذين يتساعون حق جمع الضرائب ، وتعيين الصدر الاعظم او عزله.

وكانوا يتحاشون الظهور في المناصب التي تعرّضهم للانظار ، وتجعلهم هدفاً للانقلابات السياسية ، وهم يعرفون ان الولاة في الاقاليم كثيراً ما يُعزلون عن تشكي الرعية ، وان الصدر الاعظم قد يذهب في الجهاد ، ضحية الفشل ، وفي كل حادث عزل او سقوط كانت تضبط اموال المعزول واملاكه وتعود الى السلطان ، مغربلةً بيد اهل البلاط. فيدب الفقر الى الاقاليم، وتباع الضمائر. وهم يتقاضون المال على كل عملية بيع وشراء ، وما اكثر ما كان السلطان واعضاء الديوان العوبة في ايدي بعض ذوي الاغراض السافلة والانانية الطماعة ، ودأبهم الانتفاع من اموال الدولة ، من غير ان يقعوا في خطر ، او يتعرّضوا لكارثة. حتى اعتادوا العمل موافقةً مع سائر القائمين في المناصب، وطبقاً لمؤسسات الدولة ونظامها ، وربما اتفقوا مع العلماء فاتخذوا السلطان دريئةً اختفوا وراءها لكي يستجروا الاموال الى جيوبهم.

والويل للمجددين في ذلك النظام ، لان من كان منهم في وظيفة عالية ، وأتى برأي او عمل جديد مخالف للمألوف ، كان سيف العسكر الانكشاري يناله حال وجود غيره ليشغل منصبه . اما غضب العسكر فيهدأ دائماً بالهبات المالية. ولك عن ذلك مثالات : اظهر السلطان مصطفى انقياداً للمفتي ، فحدثت واقعة ادرنه وكانت نتيجتها ابدال السلطان باخيه . واخذ سليم الثالث ينشئ جيشاً نظامياً ليسترد للدولة عزّها القديم ، فأثار غضب الانكشارية. ولم يستطع السلطان محمود الثاني ان يغيّر هذه الحالة ، الا بعد ان تربص لها ثماني عشرة سنة ، ولم يكن ليتسنى للسلطان السفر من العاصمة خوفاً من انه اذا عاد اليها ظافراً بعد حرب ، لم يتمكن من استعادة سطوة بني عثمان على عمّالهم.

فكان سلب الدولة ونهبها دأب رجالات البلاط. لكنهم لم يريدوا فناءها، فكانوا ، اذا تهدّدها خطر عظيم ، يدعون الى شغل المناصب العليا رجالاً مقتدرين ، يطلبونهم من الاقاليم البعيدة الى العاصمة لاستلام زمام الامر . كانت الحالة على ما نقول لما اقاموا صدراً اعظم محمد قوبرولو ، وكانت

الازمة في اشدها ، ولم يكن من امل ان يقيم الصدر الاعظم في وظيفته الى نهاية سنة واحدة ، فالعسكر في حالة الفوضى ، والاموال مرهونة لخمس سنوات . فكان الدواء لذلك الداء ان أقيم في الصدارة العظمى رجل قاسي الطبع ، وكان من اصل حقير ، مجهولاً ، فقيراً ، مديوناً ، مهملاً ، وهو في احدى الولايات . لكن الايام علمته فبدا ذا بأس وحزم ، فجمع حطام الدولة وجبره ، واظهر من الحنكة ما يستحق الذكر ، فانه تدارك الايام المقبلة واجتهد في ان يسلم الامر بعده رجالاً مقتدرين .

في حمى قوبرولو نشأ ، وعليه تعلم ، من جملة من تعلم الادارة ، محمد باشا صاحب الكتاب الذي وصفناه ، وقد تدرّب على استاذه ، فاتى كتابه ثمرة تلقنه العلم عليه . ومضت ايام قبل ان يتعلم رجال السياسة في تركية ، من تلك العائلة الالبانية ، كيف يتدبرون الامور . واتى قارا مصطفى وحارب المجر وارتدّ عن ڤينة وانكسر . وكانت هزيمته اعظم كارثة حلت في الدولة العثمانية .

وظلت الانظمة المؤسسة تسيطر على الحكم . ولم يكن ذلك لخير السلطان فاستخدموا الوسائل ما استطاعوا ، انتفاعاً ، وتحالفوا مع العلماء ومع غيرهم من الاحزاب . وكان الانقسام يدب بينهم ويمزقهم ، ولكنهم كانوا يقفون جبهة واحدة في وجه عدوهم . وفي الاجمال كانت الفئة المتورة من المسلمين ، ومن يونان الفنار ، تجد في النظام السائد منفعة اعظم من ان يبتغوا الاصلاح دونها ، وكانوا كلهم كتلة واحدة لاستغلال مرافق الدولة المالية في سبيل انانيتهم . وكان الشعب الاسلامي كله ، من اهل الارياف وسكان المدن ، يكتفي ببعض الامتيازات المالية والمدنية ، فيرضى عن الحالة الحاضرة . ولما اصبح الجيش الانكشاري لا مقدرة له على مقاومة العدو الخارجي ، صار فلاحو الاناضول يتوهمون انهم اذا ما خدموا ذوي المناصب ، في النظام ، فانما هم يتجندون في خدمة الاسلام والخلافة ، وهي في نظرهم إلهية ، او تكاد ان تكون .

فلا همّ للمستقبل ولا لما تخبئه الليالي ، والولايات تُسلب وتُحمل مسلوباتها الى استانبول ، فتذهب في بنايات القصور ، وفي العيش الرغيد ، ولا ينقص السلطان شيء من كماليات الهناء . والمؤسسات الاسلامية والسياسية في

يده كسيف ذي حدّين في يد سيد غشيم.

تلك هي الحالة الواقعة ، والساعون فيها وعليها لم يدركوا نتائجها في الغد ، وحسبهم اشباع نهمهم من طعام اليوم.

ومع ذلك ، وبالرغم من دوام ذلك النظام المتين ، ووجود ذلك البوليس الفاسد الضابط ذلك النظام ، كان يوجد رجال من امثال محمد باشا يسيرون في نور غير ذلك النور ، ومؤلفاتهم شاهدة على احوال زمانهم وعلى شرفهم ايضاً . لم يوفّقوا في منع الدولة عن السقوط ، ولكن خدماتهم أخرت ذلك السقوط الى زمان ابعد مما كان يرغبه ويتوقعه جيرانهم الطامحون بابصارهم الى خراب مملكة بني عثمان.

الاب فرديناند توتل اليسوعي

C^t LEFEBVRE DES NOËTTES. De la marine antique à la marine moderne. La révolution du gouvernail. In-8°. 145 pp., et 64 pl. hors texte. Paris, Masson et Cie, 1935.

من الملاحة القديمة الى الملاحة العصرية

من الصعب على الكاتب في عصرنا الحاضر ان يطرق موضوعاً لم يسبقه اليه احد . بيد ان هذا نصيب صاحب الكتاب في درسه تاريخ الملاحة منذ اقدم عصورها الى عصرنا الحاضر . وقد بيّن ان القدماء لم يحسنوا استخدام القوة الحيوانية لانهم جهلوا استغلال تلك القوى المتتابعة على خطّ واحد . وكذلك لم يعرفوا استخدام الدفّة الدائرة . انما كانت دفّة سفنهم منذ القدم الى القرن الثالث عشر للمسيح لا تختلف عن اللوحة العاديّة . حتى ظهرت الدفة الدائرة ، في القرن الثالث عشر ، ولا يُعرف مكتشفها النابغة ، فنهضت الملاحة نهضة لا تزال متصلة حتى اليوم ، وذلك في سعة المراكب ، وحمولها ، ومقدرتها على مجابهة الامواج . يذكر المؤلف كل ذلك ويؤيده بالرسوم العديدة دارساً طرق الملاحين الشرقيين من يونان ورومان وبيزنطيين ، منتقلاً الى ملاحي القرون الوسطى ، وملاحي الشرق الاقصى ، منتقداً الكثير من الاحكام الفاسدة والنظريات الجريئة . حتى اذا انتهى عمله ، واراد ذكر المصادر والمآخذ ، تحتّم خلوّ اللغات التي يعرفها من ايّ كتاب يبحث في تاريخ الدفّة. ج. ل.

L. O. Howard. La menace des insectes. Traduit par L. Berland. In-12. 283 pp. 1934. Prix : 12 fr.

خطر الحشرات

وهذا الكتاب ايضاً ذو موضوع جديد ، وهو خطر الحشرات المهدّدة الانسان . كان للمؤلّف ان يقضي عدة سنوات مديراً لدائرة درس الحشرات في وزارة الزراعة الاميركية ، فاستفاد اختباراً واسعاً ومعلومات جمة اودعها هذا الكتاب خدمةً للجمهور ، محذّراً اياه من الحشرات ، وهي خطر حقيقي يهدّد الانسانية . ولا عجب في ذلك ، والمؤلّف يعيش في بلاد مترامية الاطراف ، وقد تكون كثيرة الحشرات، حتى يبلغ ما تفسده كل سنة مليارين من الدولارات . ومما يزيد في خطرها وشدة اذاها انها سريعة التولّد ، سريعة النموّ حتى لا يعهد لها زمن طفولة ولا زمن شيخوخة . بيد ان طرق التخلّص منها عديدة كذلك ، وهي اذا نالتها بلغت ضحاياها الارقام الهائلة .

بدأ المؤلّف كتابه بدرس نشأة الحشرات وتاريخ وجودها على هذه الأرض، وهنا اكثر من النظريات الجريئة والاحكام المبتسرة . حتى انتقل الى درس انواعها درساً موضوعياً دقيقاً ، واشار الى عمل الانسان في اتلافها ، عن غير قصد ، في كثير من الاحيان . وهو فصل اذيذ مفيد . انتقل منه الى ذكر طرق الوقاية من الحشرات والعمل على ملاشاتها ، والمؤلّف يرى ذلك في انشاء الدوائر ذات الاختصاص ، ذاكراً ان في الولايات المتحدة وحدها ٥٠٠ رجل يشتغلون في دائرة درس الحشرات من وزارة الزراعة ، فوق ما هناك من الاختصاصيين المتفرّقين في انحاء الاتحاد . ولا شك في ان اهتمام العالم بهذه الدوائر يزداد يوماً فيوماً . وهكذا يضعف خطر الحشرات في آخر الكتاب عنه في اوله . ج. ل.

Ladislas Gorczinski. Climat solaire de Nice et de la Côte d'Azur. [*Association des Naturalistes de Nice et des Alpes Maritimes*. Mémoire IV, Supplément au *Riviera scientifique*. Années 1933 et 1934]. In-8°, 208 pp. Nice. Association typographique. 1934.

نيس ومناخها الشمسي

لا يخفى على احد جودة المناخ في الكوت دازور . انما الصعوبة في تحديد عناصر هذه الجودة. وهو ما قام به المؤلّف مسمياً عمله بكل تواضع : « محاولة ».

على ان هذه « المحاولة » تبدو للمطالع المدقق مثالًا بل اساساً لكل عمل من هذا النوع تُدرس فيه مناخات سواحل البحر المتوسط . وقد قسم الكتاب الى ستة فصول: يصف اولًا الآلات التي استعملها ، منذ السنة ١٩٢٨ ، في مركز دروسه في نيس - كاراس ، ثم يعدّد العناصر الفلكية في المناخ الشمسي : مدة الاشعاع الشمسي وقوّته ايام الصفاء ، واتصاله خلال الطبقات الجوّية ، خاتماً بذكر كمية الاشعة التي تستقبلها المساحة الافقية في نيس . ح . ل .

P. Goemare. Quand Israël rentre chez soi. In-12, 185 pp. Paris, Denoël et Steele, 1935. Prix : 12 fr.

اسرائيل عائدًا الى موطنه

يدرس مؤلف الكتاب ، وهو بلجيكي الاصل ، مشكلة اليهود ، ذاك الشعب الذي لم ينفكّ ، منذ جلائه عن وطنه ، تائهاً في انحاء العالم ، عرضةً للاحكام المتناقضة . وهو يلفت الانظار خاصة لما في كيان هذا الشعب من سرّ عميق : ١٥ مليوناً من البشر لا وطن لهم . ومع هذا فانهم يرمون الى بسط سيادتهم على الاوطان المختلفة . ذاك الشعب هو الوحيد ، بين معاصريه ، الذي لا يزال في قيد الحياة شاهداً دائماً بين الشعوب الجديدة . الى آخر ما هنالك من افكار وآراء كثيراً ما خطرت على بال الناس منذ الحرب الكبرى والحوادث الحاضرة ، فكان للمؤلف ان يعرضها باسلوب يتصف بالقوة والبلاغة المقنعة . وقد زار فلسطين ، فعرض للمشكل الصهيوني بشيء من العطف ، اذ تحقق في مَن عاشرهم من اليهود كثيراً من الثقة والتفاؤل . وهو يكاد يشاركهم في هذا التفاؤل ، اذ يختم قائلًا : « ان شعباً يرهن عن مثل هذه المظاهر من الارادة والنشاط لجديرٌ بان يرى الافق وجهاً لوجه . ولماذا لا يحقّ له الأمل باجراء معجزات جديدة في الغد القريب ، وقد قام بمثل هذه المعجزات حتى اليوم ! » . ج . ل .

I. de Manziarly. Pérégrinations asiatiques. In-12, 407 pp. Paris, Geuthner, 1935. Prix : 18 fr.

جولات اسيوية

هي جولات عديدة في بلاد مختلفة، وإقامات امتدّت على نحو خمس عشرة

سنة ، يعرض المؤلف ما شاهد فيها ، او مـا فكّر به لدى مشاهداته ، على طريقة خاصة ، فلا تاريخ ولا اشارة لزمن الرحلات الّا ما يستنتجه المطالع احياناً من نصّ الكتاب المتراكة فيه اسماء المدن والقرى والمناطق غريقةً في آراء المؤلف واحكامه . وفيها اسماء بيبلوس ، وانطاكية ، وحلب ، وبيروت ؛ على ان من يطّلع عليها لا يزداد معرفةً بشيء عن هـذه المدن . وهكذا تكون فائدة الكتاب للكاتب اكثر منها لمطالعيه . ج. ل.

FULVIO CORDIGNANO, S. J., **Dizionario albanese-italiano.** In-8°. XXXI + 330 pp. Milan, Ulrico Hôpli, 1934.

معجم الباني - ايطالي

لقد طالما انتظر الناس مثل هذا المعجم ، غيرَ خافٍ عليهم صعوبة تأليفه . وذلك اولاً ان اللغة الالبـانية تنقسم الى لهجاتٍ متعدّدة اشهرها لهجتان : الكَيك ، والتوسك . فكان ان خصّ المؤلف باللهجة الاولى ٢٥٠ صفحة من معجمه فيها نحو خمسة عشر الف كلمة ، وافرد للهجة الثانية ، وهي اقل اهمية ، ملحقاً في ٢٨ صفحة احتوى نحو الف وخمسمائة كلمة من اصل توسكي لا غبار عليه . ثم ان طريقة الامـلاء الالبانية لم يتفق عليها العلماء بعد ، في كثير من الاحيان ، على رغم ما قامت به المؤتمرات من جهود . واخيراً ان لغة الجرائد ، ولغة اكثر المجلات ، تتضمن ، فوق المفردات الالبانية القديمة ، خليطاً غريباً من مئات الالفاظ المأخوذة عن اللغات الاجنبية التي ساهمت في انهاض الثقافة الالبانية ، ولم يكن من السهل ان تحتلّ هذه المفردات مركزها من المعجم دون تمييز .

فرأى المؤلف ، والحالة هذه ، ان يستشير اشهر لغويي البلاد في سبيل اختيار افضل مـا يمكن من الالفاظ والتعابير . وقد اعمل نقـده الدقيق في معجم « بَشكيني » ، وهو اوسع قاموس وادقه للهجة الـكيكية ، فوجد فيـه كثيراً من الاغلاط ، وعدداً لا يستهان به من مفردات لا وجود لها في النصوص . وكان مؤلف « بَشكيني » ، قد استند الى معجم الاب جاك يونك اليسوعي ، وهو اصغر حجماً ولكنه اوفر دقةً وضبطاً . واستعان المؤلف ، طول عمله ، بمعجم قسطنطين كريستوفوريذي الفائق الدقة والغنى ؛ فلم يقبل الا عدداً قليلاً

من الكلمات الجديدة. وذلك ان هذه المستحدثات اكثر عدداً على اقلام الكتاب الالبانيين ممن لا يهمهم صفاء اللغة ونقاوتها ، منها على السنة الشعب.

هذا ، وان المؤلف يقرّ بكل تواضع ، انه يستحيل الآن — والى زمن طويل — تأليف معجم تام النقد يرضي كل الرضى. بيد انه يقدم لنا ثمرة تنقيبات دقيقة صبورة مدة السنوات الطويلة. ولا شك ان كتابه هذا يمثل خطوة واسعة في تقدم اللغة الالبانية فيمهد السبيل للمعجم النهائي.

اما الطبع فواضح ، ظاهر العناية ، يعمل على رفع قيمة المعجم ، وكذلك القول عن الصفحات الخمس عشرة الاولى الحافلة بالمعلومات الغرامطيقية. بيد ان هناك نقصاً عملياً ادركه المؤلف واعتذر ، في مقدمته ، عن اضطراره اليه ببعض الظروف العارضة ، وذلك ان قسمي المعجم في اللهجتين ظهرا متتابعين الواحد بعد الآخر ، بدل ان يكونا مجموعين في نسق واحد ، تُميّز فيه كلمات كل لهجة باشارة خاصة . ثم ان للكتاب ملحقاً بالزيادات يبلغ ٥٢ صفحة ، فيظهر كأنه معجم ثالث !

ف. خ.

HUGH WALPOLE, La Cathédrale. Traduit de l'anglais par CHARLOTTE et MARIE-LOUISE PRESSOIR. In-16. Paris. Librairie académique Perrin. Prix : 12 fr.

الكاتدرائية

هذا الكتاب من اروع روايات ولپول ، ومن ادقّ الدروس في الحياة الاكليريكية البروتستانية في انكلترة. صوّر فيه المؤلف احد اركان الكنيسة الانكليكانية ، وما اتّصف به من قوة ارادة ، ودأب متواصل ، وغرور بنفسه ، مع ذلك ، حتى اذا ادرك قمّة اهمّيته ، اخذ يشعر باضمحلال نفوذه ادبياً ومادياً ، وانهيار تلك القمة التي كان يفخر بالوصول اليها. هذا على الجملة موضوع الكتاب ، فوق ما فيه من ملاحظات قيّمة في جميع مناحي الفكر البشري ، ولاسيما في درس النفس ، وما يشغل الناس من مطامع ، ومطامح ، ودسائس ، وآلام ، يغرقون فيها جميعاً في ظلّ تلك « الكاتدرائية » الشامخة .

الفاروق عمر بن الخطاب

بقلم دياب عثمان العرابي

مصدّر بمقدمة للاستاذ مصطفى صادق الرافعي

ص ٢٦٦ ، قطع ١٢ ، المطبعة اليوسفية ، بطنطا ، ١٩٣٤

اجمع المؤرخون من عرب ومستشرقين (لامنس ، كايتاني ، ومن بعدهما لاقى دللا فيدا) على ان شخصية الخليفة الثاني عمر بن الخطاب ابرز ما ظهر من امثالها في صدر الاسلام ، وقد زادت الاساطير العامة على خطط سيرة عمر ما عظّمه وجعله بطلًا يضرب به المثل ويقتدى به ؛ فلا عجب ان تقوم جمعية « الامر بالمعروف والنهي عن المنكر » التي طبعت على نفقتها هذا الكتاب ، فتقدمه للقراء مجلّة بسيطة متهاودة السعر قريبة المنال، فتتناوله ايدي الكثيرين. وهو اشبه بما تنشره الجمعيات البروتستانية او غيرها من الجمعيات الخيرية المستعملة الطباعة آلة لدعاياتها .

يتصدّر الكتاب رسم امير الصعيد الفاروق (ملك مصر اليوم) ثم تأتي المقدمة، وفيها التنزل بمن « صار التاريخ سجلًا عظيماً لحسناته » (صفحة ط) الى ذكر عمر في الجاهلية فوصفه ونسبه ونشأته ، الى سبب اسلامه وصحبته رسول المسلمين ، الى ما كان من تأثره واثره في القرآن ونزول محمد على رأيه ، الى ما بعد ذلك من الوقائع الخطيرة التي اتخذ منها الاسلام وجوه سيره ، وهو ماشٍ الى الامام يفتح البلاد ويشقّ الاحقاب . فكان لعمر تدبير في فتح الشام خاصة ، وفي وضع المنشآت الادارية ، واضاف المؤلف الى ذلك الاخبار عن حياة عمر العائلية وعن موته .

وهناك لائحة بمصادر الكتاب، وهي من مؤرخي العرب ، وكل يعلم انهم نقلوا الاخبار بعضهم عن بعض ، وقلما اهتموا لنقدها والتمييز بين الحقائق والاساطير . الى ان ظهر النقاد المحدثون، واخصهم المستشرقون، فحاولوا تصوير الشخصية التي نحن في صددها وأتوا بما لم يكن بالحسبان . ان لكايتاني ستة مجلدات ضخمة استوعب فيها البحث في اخبار عمر فكان من اللازم الوقوف

على اقواله اما للموافقة عليها واما لتفنيدها ، من امثال ذلك قوله : [1]

« قد يسعى المحدّثون في اقناعنا ان ابا بكر عيّن عمر خليفة له . ولكن ذلك ضرب من المحال . فان ابا بكر وعمر وابا عبيدة الجراح كانوا كتلة واحدة ، وكان عمر كالنفس فيها من الجسد . فلما قبض محمد ، اشعر عمر بذكائه المفرط ان الساعة لم تأذن بعد لجلوسه على سدّة الخلافة ، فتنحى عنها لابي بكر الى ان خلفه بعد موته » وان هذا القول يناقض لما جاء في ص ٥٤ وما بعدها من الكتاب الذي نصفه . فاين الحقيقة ؟ هذه وامثالها من المشاكل التاريخية قد تفيض من صفحات المجموعات الاوربية ومن كتب المستشرقين ، وصار بعض الكتاب العرب المحدثون يهتمون بها ؛ على ان امرها بعيد هدفاً عن مرامي العامة ، ذلك ما يبرر تورع مؤلف الكتاب وحياده عنها لانه كتب للعامة وليس في الحالة التي وصل اليها متوسط القراء في زماننا ما يكفي مؤنة وجع الراس عند بحث امثال هذه المشاكل البحث العلمي الدقيق . ويبالغ المؤلف في الحرص على الروايات بحرفها ، فتشرها بلغتها القديمة الطيبة عسى ان يفهمها ويستطيبها قراء عصرنا .

ف . ت .

تيسير المنفعة بكتابَي مفتاح كنوز السنة والمعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي

الكتاب الاول : الفهرس التفصيلي لصحيح البخاري ، معدود الكتب والابواب ، ص ٩٦ ، قطع ٤ ، ثمنه ٥ غ . م .

الكتاب الثاني : الفهرس التفصيلي لصحيح مسلم ، معدود الكتب والابواب والاحاديث ، ص ١١٢ قطع ٤ ، ثمنه ١٠ غ . م .

الكتاب الرابع : الفهرس التفصيلي لجامع الترمذي ، معدود الكتب والابواب ، ص ٤٤ قطع ٤ ، ثمنه ٣ غ . م .

من وضع محمد فؤاد عبد الباقي ، مترجم كتاب مفتاح كنوز السنة

مطبعة المنار ، مصر ١٣٥٤—١٩٣٥

السنة عند المسلمين ما صدر عن نبيّهم ، غير القرآن ، او عن الصحابة ،

---

١) حوليات الاسلام : العام ١٣ الهجري ، ص ١٢٨ Caetani : *Annali dell'Islam*
واطلب ايضاً : Lammens : *Triumvirat*

من قول او فعل او تقرير . والحديث كل ما يؤثر عن محمد من خبر او اثر وان مجاميع السنة والحديث عديدة اخصّها واعظمها شهرة الكتب الستة وهي للبخاري († ٨٧٠) ومسلم († ٨٧٥) وابي داود († ٨٨٨) والترمذي († ٨٩٢) والنّسائي († ٩١٥) وابن ماجه († ٨٨٦) ؛ ويضاف الى هذه اللائحة موطّأ مالك ، ومسند احمد بن حنبل ، وسنن الدارمي .

ولقد كان للدكتور فنسنك ، استاذ العربية في جامعة ليدن ، وأحد مؤلفي دائرة المعارف الاسلامية ، الفضل في وضع كتابين جليلين ، احدهما ظهر سنة ١٩٢٧ وعنوانه : *A handbook of early Muhammedan Tradition,* alphabetically arranged والثاني اخذ بالظهور متسلسلاً منذ ١٩٣٣ ، وعنوانه : *Concordances et indices de la Tradition Musulmane.*[1]

وغرض الكتابين انما هو تيسير الاهتداء الى الحديث في كتب الصحاح والسنن والمسانيد والمغازي والطبقات . وكما ان فكرة تأليفها نشأت في ليدن ، فكذلك كان تحقيقها في ليدن . ولكن السيد محمد فؤاد عبد الباقي أبى الّا ان يفيد بفوائدها البلاد العربية ، وما احق هذه البلاد العزيزة بالعناية بمثل هذه المؤلفات ! فترجم الى العربية كتاب فنسنك الاول وسماه « مفتاح كنوز السنة » واذ ان الكتابين يتفقان في الدلالة على موضع كل حديث في الصحاح والسنن ببيان رقم الكتاب وبيان رقم الباب ، كان لا بد ، للاستفادة منها ، من وجود الصحاح والسنن بطبعات تامة مرتبة الكتب والابواب ترتيباً مفيداً مطلقاً يُرجع اليه .

ولكن في الواقع كل طبعة من هذه الاصول تختلف عن غيرها في عدد الكتب والابواب ، وليس لتقسيمها وترقيمها ترتيب كامل ، فالجأت الحاجة الى تلافي الصعوبات الناشئة من ذلك الى نشر فهارس الاصول المذكورة تكون ارقام كتبها واحاديثها مطابقة لارقام كتب وابواب احاديث النسخ الاصلية التي اعتمد عليها فنسنك والمستشرقون مساعدوه .

---

١) وكان لمحرر هذه الاسطر نصيبه بالعمل في هذا المشروع الواسع النطاق الكثير المواد ، وفيه اشتغل لفيف من المستشرقين .

ذلك كان العمل الذي قام به « تيسير المنفعة » وقد نال استحسان ائمة مفكري المسلمين في مصر وفلسطين،ولا يسعنا الا ان نهنئه على ما استحقه من ثناء ، ونشكر له مساعدته على تعميم الفوائد العلمية الناتجة من جهود من تكبدوا المتاعب الجمة وصرفوا الساعات الطوال في سبيل احياء العلوم العربية . على اننا نستأذن بالاعراب عن امنية وهي ان يضيف صاحب التفسير الى صفحة تعداد الكتب بالرقم المتسلسل صفحة ترتيبها وفقاً للترتيب الابجدي ، حتى اذا قصدها المطالع اهتدى اليها سريعاً من غير ان يضطر الى مراجعة الصفحتين بعواميدها الاربعة في الكتاب الاول ، وغيرها في غيره ... عسى ان تبلغه كلمتنا هذه في اوانها ، قبل ان ينهي طبع سائر الكتب !

ف . ت .

مؤلفات السيد عبد الرزاق الحسني

الكتاب الاول: تاريخ الوزارات العراقية
الجزء الاول: ص ٣٣٢ — الثاني: ص ٢٤٣ ، قطع ٨

الكتاب الثاني: العراق في دوري الاحتلال والانتداب
ص ٣٢٠ ، قطع ٨ ، السنة ١٩٣٥ . الثمن : ٢٥٠ فلساً او ٢٥ غرشاً مصرياً

الكتاب الاول مجلد ضخم مطبوع على الورق الصقيل اصدرته مطبعة « العرفان» في صيدا مزيناً بالرسوم والخرائط ، وهو كتاب تاريخ حقيق باسمه ، يتناول ذكر وقائع البلاد العراقية منذ وصول السر پرسي كوكس ، المعتمد السامي البريطاني، الى بغداد في ١١ تشرين الاول سنة ١٩٢٠ ومفاوضاته مع اعيان البلاد لوضع اركان النظام الجديد ، الى ٢٩ تموز ١٩٢٥، وفيه تعديل القانون الاساسي .

ان مواد الكتاب الوافرة ، واسلوبه اللذيذ الوضاح ، ونظراته البعيدة المرامي ، تبعث على الاعتقاد ان مؤلفه شاخ وهرم في التحبير والتسطير . ولكن ما ان تنظر الى صورته وتستقصي اخباره حتى تتحقق ان النضج قد سبق الايام في حياته ، فهنيئاً له بما اتاه من « سفر تاريخي خطير » .

كتب الحسني في تعريف الشيعة ، والصابئة ، واليزيدية ، والبابيين . ولم يستنكف عن جمع الاغاني الشعبية ، وفيها الروح القومية الفطرية ، ووضع تاريخ البلدان العراقية فاستعدّ بهذه المآثر الى المهمة التي صرف في تحقيقها السنين الطوال ، فاثمرت بهذا المؤلف وبالمؤلفات التي تخللها .

اقرأ اولاً كلمته الافتتاحية ، وفيها خلاصة كتابه فتتحقق ان القوس اعطيت باريها ، ولا بد من ان تاخذ شيئاً عنها فتلخص تاريخ العراق في عشر سنوات مضت ، وتعيّن في الزمان والمكان اهم المواد التي جمعها المؤلف . اقول جمعها ، او بالاحرى « نسقها » فانها ليست مدوّنة على النمط القديم الجاف المتبع الاخبار موجزةً سنةً فسنةً ويوماً فيوماً ، بل هي بناية فخمة فيها طبقاتها ودورها وفيها يمثل الممثلون ادوارهم لا بالخيال ولكن بالحقيقة على مسرح الحياة .

دخلت تركية الحرب العظمى ، فالجأت الانكليز الى مهاجمة العراق سنة ١٩١٤ واحتلال البصرة في ٢٢ تشرين الثاني ، وبغداد في ١١ اذار سنة ١٩١٧ ، حتى عقد معاهدة موندروس في ٢ تشرين الثاني ١٩١٨ ، وقد قضت بتسليم جميع المواقع العسكرية في سورية والعراق واليمن وعسير الى اقرب قائد من قواد دول الائتلاف .

وانتقل الحكم في العراق من الاتراك الى الانكليز . وكانوا قطعوا للعرب وعوداً انهم يخوّلونهم حقوق الحكم في البلاد العربية . ولكن السياسة حالت دون تحقيق الوعود في الحال فكانت ايام عنف وشدّة لا بد من وقوعها بين غروب دولة وطلوع دولة ، تلك كانت ايام الثورة العراقية . ونالت الثورة مراميها بتأليف الحكم الوطني ، متوفقاً الى التمتع برعاية ملك كان حقيقاً باسمه . وقد شاءت التقادير ان يبرح الامير فيصل عن سورية في الظروف التي نعرفها ليتبوأ عرش العراق . وكان قبل جلوس الملك وفيه وبعده ، تطوّر في الادارة والحكم ، تعاقبت فيه وزارات عديدة ، واختلف فيه على كراسي الحكم رجال كان لهم اثرهم في قيادة المملكة الفتية ، من دور الانتداب الى الدور الذي بلغت اليه بعد المعاهدة بينها وبين بريطانية العظمى ، ودخول العراق في جمعية الامم . فكان مؤتمر القاهرة والبيعة للامير فيصل ، وكانت

حملات الوهابيين على العراق ، وهياج العلماء ، وافتتاح المجلس التأسيسي . ومن ثم نصوص المعاهدات والاتفاقات التي ابرمتها الوزارات المختلفة ، وسجلت في الصكوك والوثائق مما تيسر للمؤلف جمعه .

الكتاب الثاني — يتناول الكتاب السابق الاخبار في داخلية البلاد ، وهي تتدرج من رقي الى رقي بين وزارة ووزارة . اما هذا المجلد فيرمي الانظار الى ما وراء الحدود ويعالج المشاكل التي نشأت بطبيعة الحال بين حكومة العراق وغيرها من حكومات اجنبية كبريطانية العظمى ، وتركية ، وايران . اما قضية الثورة العراقية فقد شغلت جزءاً وافراً من الكتاب حتى استحقت ان تطبع على حدة بمجلد ثالث اهدي الينا .

وخلاصة كلامنا في هذه الاجزاء هي الثناء على همة المؤلف والطابع والملتزم ، فيما يخدمون به الادب والعلم . واذ ان السيد الحسني تفضل وطلب ملاحظة منا فلن يلومنا ان لفتنا نظره ونظر قرائه الى مسئلة الاشوريين ، ومسئلة الاجانب .

في خطاب تتويج الملك فيصل كلمات عسجدية ، على امثالها تؤسس الممالك ، قال (تاريخ الوزارات : ص ٢٣) « نحن الآن احوج الامم الى التعاضد والعمل بجد ونشاط ضمن دائرة السلم . واني لا آلو جهداً بان استعين برجال الامة على اختلاف مواهبهم ، وتفاوت معتقداتهم . فالكل عندي سواء لا فرق بين حاضرهم وباديهم ، ولا ميزة عندي الا بالعلم والمقدرة . »

وان هناك مشاكل ، وثورات ، واضطرابات حدثت في خلال السنين التي ارّخها الحسني ، وعاهد نفسه على بسط الوقائع كما هي وسرد الحوادث كما جمعها دون ان يكون له بها رأي خاص (تاريخ الوزارات ص ٨) وفي غير موضع يقول : انه اضطر في الظروف الحالية الى السكوت عن بعض الوقائع وعن بعض الاسماء خشية محذور . وبالرغم من الاجتهاد في الوقوف على الحياد فلا يمكنك الا الاقرار بانه عالج المسئلة الاشورية لا من سائر وجوهها ولكن من بعضها فقط ، وليست لهجته فيهم كلهجته في غيرهم من سيرا الاضطرابات ! وهناك امر آخر معروف وهو ان الحكام الافرنج في البلاد العربية قد يسيئون السياسة .

ولكن المنصف لا يتمالك ان يقر بما لهم فيها من حسنات. وعلى المؤرخ ان ينظر الى الحوادث من اعالي المبادئ التي حركت الشعوب لا من دنايا حوادثها في اليوم! امّا نعت الانكليز «بالاجانب الغاصبين» بشحطة القلم من غير لفت النظر الى جهادهم في سبيل تحرير العراق من نير ثقل عليه اجيالاً فهو مناقض لما قاله الملك فيصل يوم التتويج:

«واجب آخر يدعوني لان ارتل آيات الشكر للامة البريطانية اذ اخذت بناصر العرب في اوقات الحرب الحرجة فجادت باموالها وضحّت بابنائها في سبيل تحريرهم واستقلالهم».

تلك اللهجة لهجة الملوك لجديرة بأن توحي للمؤرخ النزيه النظرات والتعابير الداعية الى الاعتدال والتوازن، لان حب البلاد الحقيقي لن يبخس كل ذي حق حقه، ولو اجنبياً. ف. ت.

سيدة لورد

تأليف هنري لاسر — نقله الى العربية ببعض التصرف ا. ت.، احد المتعبدين لمريم البتول

نُشرت تباعاً في جريدة البشير — بيروت المطبعة الكاثوليكية، ١٩٣٥ — قطع ٨؛ ص ٢٢٤

سنة ١٨٥٤ ظهرت العذراء مريم القديسة على صخور مسابيل الجوداء، في جوار مدينة لورد، لابنة صغيرة اسمها برنديت. ومضت الايام على ذلك الظهور واذا بالبرية تتحوّل الى محجّة مكتظّة بالزوّار يأتون لورد من جميع انحاء العالم ليصلّوا وينالوا من السيدة، عليها السلام، شفاء النفوس والاجساد. فاصبحت لورد، مع رومة واورشليم، مقام العبادة العظيم للمسيحيين الكاثوليكيين.

وكان هنري لاسر احد الذين نالوا من العذراء، مع شفاء العيون من مرض عضال، شفاء النفس من قلة ايمانها فاعرب عن شكره للبتول صنيعها أن كتب هذا الكتاب الشائق الممتع، وفيه وصف وصفاً تاريخياً ادبياً جميلاً حوادث لورد، وما كان من امر معارضة بعض رجال الحكومة اللادينيين لحركة سيرها رجعية، ولكنهم ما لبثوا ان تحققوا اصلها المنبعث من قوة تفوق قوى البشر،

وهي ارادة الله تعالى ، في عصرنا عصر الاختراعات الطبية التي تأتي بما يشبه الخوارق من اعمال مدهشة ، ان يعلن على رؤوس الملا ان بيده الحياة والموت وانه المبيد والمحيي فيشفي من غير طب ولا تطبب ، ليخضع كل عقل وعلم لاحكامه .

وكان كتاب لاسر كدستور لما عرف عن لورد وظهورات العذراء فيها ، وهو على بعد عهده في الظهور باللغة الافرنسية ، لم يكن معروفاً من القراء العرب ؛ فكان من فضل الكاتب الذي اخفى اسمه تحت حجاب ا . ت . ان نال ما ناله من الاجر عند الله ومن الشكر ، ليس من المتعبدين للبتول الطاهرة فقط ، بل من كل قارئ مشغف بالمطالعة الادبية اللذيذة، اذ نقل الى العربية كتاب لاسر باسلوب اتقن فيه كل الاتقان لهجة المؤلف الافرنسي الوضاحة اللطيفة ، واتحف الادب العربي المسيحي بكتاب جديد يُعدّ من خيرة ما ظهر من امثاله . ف . ت .

الثمر المبارك

من نفائس وروائع المواعظ الدينية والاجتماعية، والتصريحات والخطب السياسية والادبية

القاها بين عامي ١٩٢٦—١٩٣٦

صاحب السيادة المطران اغناطيوس مبارك ، رئيس اساقفة بيروت المارونى

جمعها ونسقها وطبعها على نفقته الخوراسقف بطرس حبيقه رئيس مدرسة مار بطرس بسكنتا — لبنان

مطبعة المرسلين اللبنانيين، جونيه ، لبنان، ١٩٣٦ ، قطع ٨ ، ص ٤٥٤

لعظات سيادة المطران مبارك وخطبه صدى يتجاوز حدود الكنائس والمجتمعات ، تردّده الصحافة السيارة فيبلغ آذان القاصي والداني . وكان من حظ جريدة البشير ان تنال من قلم سيادته، عند كل عظة يلقيها، رؤوس اقلام محررة كمذكرة لمعاني الوعظ ومواده . وان مجموعة البشير من السنة ١٩٢٩ الى السنة ١٩٣٤ تضمّ سلاسل مواعظ الصوم في كاتدرائية مار جرجس ، بخلاصتها ،

لكنها محفوظة في المكتبة الشرقية وفي مجموعات البشير البعيدة منالًا عن العامة ؛ فكان من فضل حضرة الجامع ان اخرجها وعمم فوائدها بنشرها كتاباً كاملًا سهل المطالعة قريب المنال.

لقد اصاب الناشر في قوله ان هـذا الكتاب انما هو بدرة من كنز لان اساليب البلاغة والفصاحة الفيّاضة لاوسع نطاقاً من ان تضمها صفحات قلائل ، ومواعظ المبارك حقيقة بان تدوّن وتطبع بحرفها فتزيد جهاز الوعظين بما يساعدهم على اتخاذ المطران قائداً ونبراساً لهم في الوعظ . ف . ت .

لباب الآداب

تأليف أسامة بن مُنقذ — بتحقيق احمد محمد شاكر

٢٢ + ٥٢٦ ص . متوسطة – مصر القاهرة ، مكتبة لويس سركيس ، ١٩٣٥

هو كتاب ادب ، بالمعنى الواسع القديم ، اي كتاب ثقافة ، فيه من التاريخ ، وفيه من الشعر ، وفيه من الحكم ، وفيه من النوادر على نحو ما تعرفه في تآليف ابن قتيبة وابن عبد ربه وغيرهما . وان يكن له من قيمة خاصة فبنسبته الى الامير أسامة بن منقذ ، ومجموعه القليل مما شاهده المؤلف واختبره في حياته الطويلة (١٠٩٥ – ١١٨٨) ، وقد وضع الكتاب في آخرها ، مقسماً اياه الى ابواب في الوصايا ، والسياسة ، والكرم ، والشجاعة ، والآداب ، والبلاغة ، والحكمة . فالى فصول ... ، بادئاً كلًا منها بالآيات القرآنية الموافقة ، ثم بالاحاديث ، من صحيحة ومنحولة ، وباقوال الحكماء والشعراء ، ونوادر الظرفاء والمتأدبين . يتخلل ذلك ذكريات خاصة المؤلف وددنا لو كانت كثيرة ، وقد عاش في عصر وافر الاحداث كثير الاضطراب ، اذًا لخرجت بالكتاب من صف المجاميع الجامدة الى نوع المذكرات الحية . ومهما يكن من امر ، فقد احسن الاستاذ احمد محمد شاكر صنعاً بتحقيقه النص ، وكتابة مقدمته الواسعة في حياة المؤلف ووصف اثره ، ويوضحه الفهارس المطولة لابواب الكتاب ، واعلامه ، وايام العرب ، والاماكن ، والقوافي الواردة فيه ؛ كما احسنت مكتبة لويس سركيس باخراجه اثرًا مفيدًا في تاريخ الثقافة العربية . ف . ا . ب .

اساطين العلم الحديث

بقلم فؤاد صرّوف

٢٨٥ ص . متوسطة – مصر ، مطبعة المقتطف ، ١٩٣٥

للاستاذ فؤاد صرّوف عناية لا تعرف الكلل في اطلاع ابناء العالم العربي على حركة العلم العالمي ، متابعاً تلك الخدمة الجزيلة التي ادّاها « المقتطف » ، مدّة ستين سنة ، منتهزاً كل سانحة لنقل نظرية حديثة ، او وصف اكتشاف جديد ، او عرض اختبار عصري . وها هو يجمع اليوم بين العلم والتاريخ ، فيهدي الى قرّاء العربية مجلداً جمع فيه حياة ثلاثين نابغة « من اساطين العلم الحديث » في مختلف مظاهره : من بناة العوالم ، الى روّاد الطبيعة ، الى غزاة الذرّة ، الى أساة وسحرة اي اطباء ، ومكتشفين في عوالم الكهرباء والاثير . كل ذلك في اسلوب سهل ، وطريقة موافقة في بسط هذه النظريات المستصعبة على الجمهور . وهذا ما سيعرفه للمؤلف تاريخ الثقافة العربية العصرية ، دون شك . ف.ا.ب.

ابن خلدون : منتخبات

لجميل صليبا وكامل عياد

١١٢ ص . متوسطة صغيرة — دمشق ، مكتب النشر العربي ، ١٩٣٣

الغزالي : المنقذ من الضلال

لجميل صليبا وكامل عياد

طبعة ثانية : ١٦٨ ص . متوسطة – دمشق : مكتب النشر العربي – الثمن : ٢٠ ق . س .

في شباب دمشق المثقف عناصر نهضة مباركة ترمي الى التخلّص من قيود التقليد دون ان تطفر الى غرابة التجديد المزعوم : فهي تقرن ، او تجتهد ان تقرن ، مادّة القديم الصافية باسلوب العصر العلمي . نتحقق ذلك اذا ما اطلعنا على ما يصدره « مكتب النشر العربي » من مجلدات لطيفة تسهّل على طلّابنا ومتأدّبينا الاتصال بتراثهم الثقافي القيّم .

هذا ابن خلدون قرّبه من منال« فلاسفة » المدارس التجهيزية الاستاذان جميل صليبا وكامل عياد ، بما اختاراه من آرائه في الفلسفة الكونية ، ونطاق العقل، وعلم الكلام ، وتصنيف العلوم ، والتعاليم . . . وبما قدّما على ذلك من بحث وافٍ في حياة الفيلسوف ونظرياته .

وهذا الغزالي يظهر « منقذه من الضلال » في حلة نقدية سابغة ، حافلة بلائحة آثار الفيلسوف ، مطبوعة ومخطوطة ، صحيحة ومنحولة ، وبجدول لاهم المصادر عن الغزالي من عربية واجنبية ؛ وبمقدمة واسعة للاستاذين المذكورين في حياة الامام ، وفلسفته عامّة ، وآرائه في « المنقذ من الضلال » خاصّة . يلي ذلك نصّ « المنقذ » بحرف اكبر من حرف المقدّمة ، وعليه حواش مفيدة ظاهرة العناية في كل صفحة . ف . ا . ب .

ادباء معاصرون

بقلم حبيب الزحلاوي

١٧٣ ص . متوسطة — مصر ، مطبعة الاخاء ، ١٩٣٥ ، — الثمن : ١٠ غ . صاغ

لا يخفى ان لبعض « ادباء الشباب » في مصر ميزة خاصّة من حبّ الظهور، والهيمنة على مظاهر الانتاج الادبي ، يستخدمون، في الوصول الى ذلك ، كل ما في شبابهم من حماسة ، وما في محيطهم من سذاجة وغرور ؛ منصرفين الى تأليه بعضهم البعض ، متقايضين كتابة « المقدّمات » الطنّانة . وقد غاظ مؤلّف الكتاب هذا الاندفاع في سبيل الشهرة بما فيه من شاغل عن الادب الحقّ والثقافة الصحيحة ، فاخذ ينبّههم في مقالات لم تجرؤ الصحافة المصرية على نشرها كاملةً ، فجمعها في هذا المجلّد الحافل بالنقد الدامغ لا يكاد يأخذ بتحفّظ ، وبالتهكم اللاذع لا يهاب مركزًا ولا شخصية ، وبالحياة الفيّاضة في التعابير والمقاطع تفرض نفسها على المطالع فيقرأ ، ويقرأ مأخوذًا ، حتى يكاد ينسى انه لا يوافق الكاتب في بعض احكامه . ومهما يكن من أمر فالكتاب مفيد، بل هو ضروري ، لكل من يرغب في درس ادباء مصر المعاصرين ، فيرى فيه للدكاترة طه حسين ، وابراهيم ناجي ، واحمد زكي ابو شادي ، وغيرهم من كتّاب

« المقدّمات » ، ومن يلتفّ حولهم من ادباء وشعراء كابراهيم المصري ، وحسن محمود ، وطاهر لاشين ، وصالح جودت ، واحمد الصاوي محمد ، وعلي محمود طه . . . ، غيرَ تلك الصور الخلّابة التي يقيمها لهم كتاب « صفحات الادب » في الجرائد اليومية ، او ارباب الاعلان في مكاتب النشر ودوائر الطبع .

ف . ا . ب .

تاريخ ولاية سليمان باشا العادل

تأليف المعلّم ابراهيم العورة — نشره الخوري قسطنطين الباشا المخلصي

٥٢٦ ص . متوسطة — مطبعة دير المخلص ، صيدا ، لبنان ، ١٩٣٥ — الثمن : ١٠٠ غ . س .

اذا عُدّت الاصول العربية لتاريخ بلادنا في اوائل القرن التاسع عشر ، كان تاريخ سليمان باشا مما يُذكر في اوائلها . فهو ، فوق ما يتصف به من التدقيق في مآتي والي صيدا وحياته الخاصة ، يتناول كثيراً من الحوادث المتعلّقة بتاريخ لبنان ، وفلسطين ، والشام ، وبلاد العلويين ؛ وانه لمن المفيد ان يقابل دارس التاريخ اليوم ، اذا عرض لبعض الحوادث اللبنانية ، بين روايات ابرهيم العوره ، رئيس كتّاب الوالي ، وفيها صدى الآراء الرسمية في ديوان الايالة ، وما يذكره الامير حيدر اللبناني المؤرّخ الرسمي للامير بشير الكبير ، او ما يورده المؤرّخ الدمشقي ميخائيل . ولهذا فاننا نرى للخوري قسطنطين الباشا فضلاً جزيلاً بنشره هذا المخطوط الذي ضاع اصله ولم يبقَ منه الّا نسخة « المكتبة الشرقية » في جامعة القديس يوسف ونسخة الناشر ، وبما علّق عليه من ايضاحات . ويزيد فضله أنه اجتهد في المحافظة على نصّ المخطوطة « بدون حذف شيء » . نقول : « اجتهد » ، لأنه لم يوفّق دائماً الى هذه المحافظة التامّة . وذلك لأسباب منها : انه ورد في المخطوطة احياناً عبارات تركية وعربية حافلة بالبذاءة وفحش الكلام فاضطرّ الى حذفها « مراعاةً وحرمة لآداب قرّاء الكتاب » ، ومنها ان غموض بعض التعابير الاصلية دفعه الى شيء من الشرح جعله بين هلالَين . ومنها ان « المعنى المقصود من المؤلف ظاهراً » حمله على تبديل حرف من حروف الجرّ بآخر . ومنها « ان الحال اقتضى في بعض المواضع ان يقدّم بعض اجزاء الجملة

الواحد على الآخر لاقتضاء المعنى لذلك اي ليكون المعنى المقصود من المؤلف سهلاً واضحاً وخالياً من التعقيد ... » وقد جرّ اقتضاء الحال هذا الى نقل بعض حوادث من مكان الى مكان .

قلنا : وقد وددنا لو ان الناشر لم يهتمّ هذا الاهتمام بتبرئة المؤلف من الغموض ، وبتوضيح جمله وتراكيبه ، فترك نصّه على ما هو ، متقيداً التقيد كلّه بالمبدأ العام الذي اعلنه اولاً في المحافظة على المخطوطة ، حتى اذا كان لا بدّ من شرح او توضيح ، جعل ذلك في الحواشي شأنه في كثير من التعاليق . على ان هذه الهنات لا تضعف كثيراً من قيمة الكتاب ، ولا من فضل الناشر .

ف . ا . ب .

كفيل العروض والقافية

تأليف ادوار مرقص

١٠٦ ص . متوسطة – اللاذقية ، المطبعة التجارية ، ١٩٣٥ – الثمن : ١٥ غرشاً سورياً

« مختصر في هذين العلمين يضمن للدارس ان يتبوأ منهما درجة حسنة في وقت قصير بعناء يسير ، لوضوح مقاصده ، وسهولة طريقته ، وكثرة تمارينه » ، ورخص ثمنه .

تعاليق ريشار سيمون على رحلة دنديني

عرّبها وعلّق عليها الخوراسقف يوسف العشيّ

١٨٤ ص . متوسطة — مطبعة المرسلين اللبنانيين ، جونية ، ١٩٣٦

كان حضرة المعرّب قد عرّب ونشر رحلة الاب ايزونيموس دنديني اليسوعي ، السفير البابوي الى لبنان سنة ١٥٩٦ ، فلاقت من الإقبال ما دفعه الى تعريب هذا الكتاب الذي يُتمّم تلك الرحلة ، وهو مجموعة تعاليق وملاحظات كتبها مترجم الرحلة الى الفرنسوية ، ريشار سيمون من علماء القرن السابع عشر . ولمّا كان معلّق الحواشي قد تعرّض لعدة امور تاريخية واجتماعية ودينية ضلّ فيها سواء السبيل ، رأى المترجم ان يعلّق عليه هو ايضاً ، بما يقيم زيغ « تعاليقه » ،

وينير بصيرة المطالع الشرقي . فكان له من كلّ ذلك مجلد لا نشكّ بان الراغبين في تاريخ الطائفة المارونية ، بل في تاريخ الشرق المسيحي ، يقبلون عليه اقبالهم على سابقه . ف . ا . ب .

التعليم المسيحي للكاثوليك الشرقيين : الكتاب الثاني

بقلم الخوري انطون كيورك الباسيلي المخلصي

١٨٦ ص . صغيرة — مطبعة دير المخلّص ، صيدا ، لبنان ، ١٩٣٥ — الثمن : ٣ فرنكات

وُضع هذا الكتاب بحسب « التعليم الكاثوليكي » الطيب الأثر الكردينال گسپاري ، وباسمه كفاية للدلالة على شهرته ، وسعة فائدته للناشئة المسيحية على اختلاف طوائفها .

مآثر عريضه : ٤

بقلم الخوراسقف بطرس حبيقة

١٤٨ + 108 ص . متوسطة — مطبعة المرسلين اللبنانيين ، جونية ، ١٩٣٦

جمع الخوراسقف بطرس حبيقه في هذا الجزء الرابع من ترجمة مار انطون بطرس عريضه ، البطريرك الماروني ، ما جرى في السنة الرابعة من بطريركية غبطته ، وهي حافلة بالاحداث السياسية والاجتماعية . ولخّص كل ذلك باللغة الفرنسوية تنويرًا لاذهان من لا يقرأون العربية .

الصداقة الفرنسية اللبنانية

بقلم الخوراسقف بطرس حبيقه

١٥ + 12 ص . متوسطة — المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ١٩٣٦

وهذا ايضاً من آثار المؤلف جمع فيه كثيرًا من الكلمات المأثورة في الروابط الولائية ، الفرنسوية - اللبنانية ، فاه بها او كتبها ، في مناسبات مختلفة ، بطاركة الموارنة ورجالات فرنسة ؛ نشرها الجامع باللغتين العربية والفرنسوية ، مشيرًا الى مصادرها ، وما دعا اليها .

الفتية الثلاثة

بقلم الخوراسقف بطرس حبيقه

٢٨ ص . قطع ١٢ — المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ١٩٣٦

وهذه الرواية من آثار المؤلف نفسه ، اخذ موضوعها من الكتاب المقدّس (الفصل الثالث من نبوّة دانيال) وجعلها تمثيلية ذات فصل واحد يتضمن خمسة عشر مشهدًا ، فاستحق شكر ارباب المدارس .

كتاب تعليم المبتدئين واجبات الناذرين

بقلم الاب يوسف نادر الانطوني

١٨٥ ص . قطع ١٢ — مطبعة المرسلين اللبنانيين ، جونية ، ١٩٣٥ — الثمن : ٢٥ غرشًا سوريًا

وُضع هـذا الكتاب ، على طريقة السؤال والجواب ، في سبيل الاخوة المبتدئين وارشادهم الى فهم النذور الرهبانية ؛ استنار فيه مؤلّفه بانوار القديس توما الاكويني وسائر الملافنة ، ومعلّمي السيرة النسكية القدماء والحديثين . وقد علّق شروحاً وجيزة على المبادئ الرهبانية ، واستشهد بمقتطفات من الحقّ القانوني الرهباني ، وذيّل الكتاب بسرد موادّ الفحص الخاصّ وفقاً للفضائل ، وبملخص تاريخي عن نشأة الرهبانيات والجمعيات القانونية شرقية وغربية ، قديمة وحديثة ؛ فاتى كتابه افضل ما يوضع من نوعه بين ايدي الناشئات الرهبانية .

البيت الالزاسي

تأليف رينه بازين — تعريب ادوار مرقص

٩١ ص . متوسطة صغيرة ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ١٩٣٦ — الثمن : ١٥ غ . ل . س .

هو تأليف وطني مشهور للكاتب الفرنسوي الكبير رينه بازين ، رأى الاستاذ ادوار مرقص ان يفيد به ابناء اللغة العربية ، فنقله بعبارة طليّة ،

واسلوب منسجم ، ونشره تباعاً في جريدة « البشير » ثم طبعه على حدة بهذا الحجم اللطيف .

* الجنرال ميشال حدّاد * لمحة تاريخية موجزة كتبها الشيخ ادمون بليبل ، ونشرتها مجلّة « العرائس » في بكفيا ، عن لبناني شبابي تولّى قيادة جيش غساوي († ١٩٢٤) — ٩ ص . متوسطة ، بكفيا ، ١٩٣٦ .

* « كتاب الهدى » * « ردّ على مقال حضرة الاب فيليب السمراني المرسل اللبناني » بقلم الاخ بطرس فهد الراهب الحلبي اللبناني — ١٢ ص . قطع ٨ ، المطبعة المارونية ، حلب ، ١٩٣٦ ، ظهر في مجلّة « الشهباء » .

* الحب والسلام * مجلّة كاثوليكية شهرية مصوّرة ، تبحث في الدين والعلم والتهذيب وامجاد الامّة السريانية ؛ مركزها في دار المطرانية السريانية بحمص ، سورية — ٤٨ ص . قطع ٨ ، كل جزء — اشتراكها السنوي : ١٠ فرنكات في سورية ولبنان ؛ ١٥ فرنكاً في الخارج .

* الصلاح * مجلة ادبية علمية روحية ، مركزها بالدار البطريركية للاقباط الكاثوليك بالقاهرة . — ٧٤ ص . قطع ٨ ، كل جزء — اشتراكها السنوي : ١٥ قرشاً صاغاً .

* تذكار اليوبيل الفضي لاخوية الحبل بالعذراء بلا دنس لطائفة الاقباط الكاثوليك * في يوم الاحد اول مارس ١٩٣٦ — ٦٢ ص . قطع ٨ ، باللغتين العربية والفرنسوية ، حافل بالصور .

* التأبين الذي القاه إبّان الصلاة على جثمان المرحوم الاب انطونيوس عارج ، احد مدبّري الرهبانية اللبنانية ، في كنيسة دير سيدة المعونات (جبيل) ، الاب انطونيوس شبلي اللبناني ، رئيس انطوش جبيل * ١٢ ص . قطع ٨ — مطبعة القديس بولس ، حريصا ، ١٩٣٦ .

* بيان صادر من الجمعية الخيرية البشرّاوية * يتضمّن ما ورد لصندوقها من الاموال وما صرف منه من تاريخ تأسيسها في ١٧ كانون الثاني ١٩٠٦ لغاية ٣١ كانون الاول ١٩٣٥ — ١٦٣ ص . قطع ٨ — مطبعة المرسلين اللبنانيين ، جونية ، ١٩٣٦

* خلاصة اعمال شركة القديس منصور دي بول في بيروت ، عن سنة ١٩٣٥ * ٦٩ ص . قطع ١٢ ، بيروت ١٩٣٦ .

* تقرير عن اعمال الجمعية الخيرية للقديس منصور دي بول في دمشق ، عن سنة ١٩٣٥ * ٦٩ ص . قطع ٨ ، مطبعة القديس بولس ، حريصا ، ١٩٣٦ .

* تقرير عن اعمال الجمعية الخيرية للقديس يوحنا الدمشقي في دمشق ، سنة ١٩٣٥ * ٢٠ ص . قطع ٨ ، مطبعة القديس بولس ، حريصا ، ١٩٣٦ .

المشرق

السنة الرابعة والثلاثون — تموز – ايلول ١٩٣٦

آراء وملاحظات

في عمل الحياة الرهبانية القديمة

على التقريب بين الكنائس والشعوب الشرقية

بقلم الاب بولس بيترس البولندي (لوفَن)

نهار الجمعة في ١٥ تشرين الثاني ١٩٣٥ ، بحضور نيافة القاصد الرسولي في سورية ولبنان ، بدأ حضرة الاب بولس بيترس البولندي محاضرات « معهد الآداب الشرقية » للسنة ١٩٣٥-١٩٣٦ ، بسلسلة من الابحاث كان الاقبال عليها ارضه دليل على قيمتها في نظر المستمعين ، وهم مختلفو النزعات والمشارب . وقد رأينا من حق قرائنا الكرام ان نبرّب لهم ، بايجاز قليل ، نص المحاضرة الاول ، مع الفصل الثالث الذي خصّ المحاضر العالم بهبات فلسطين وسورية وما اليهما . ف. ا. ب.

تأثير الرهبانية في مظاهر القوى المسيحية

كانت الرهبانية ، في ما مضى ، وحيثما وُجدت ، احدى القوى المنظّمة للجماعة المسيحية . فبدت ، منذ ظهورها الاول ، وقبل ان تتخذ حياةً مرتبةً قانونية ، مشتلاً خليقاً ، ان لم نقل ضرورياً ، للمؤسّسة الكنسية . ولا يخفى ان

تلك السرعة العجيبة في انتشارها ، وتلك الوحدة النسبية في تطوّرها ، تدلّان على انها من متطلّبات الديانة المسيحيّة ، ان لم نقل من ضروريّاتها .

امّا مصدر اهميّتها هذه فأمرٌ يتعلّق بجوهر المسيحية نفسها . وبهذا المعنى ، فاننا نتركه للّاهوتيين ، ولهم وحدهم الجدارة بدرس تكوين الكنيسة ؛ ثم للروحانيين فيحاولون ان يتقدّموا غيرهم في فهم اسرار الفداء الالهي . وامّا المؤرّخ ، اي ذاك المراقب الخارجي الذي يشاهد الحوادث من ناحيتها المنظورة ، فيستدلّ بآثارها الموضوعية الباقية ، فلا يسعه الّا ان يتحقّق الأمر التالي :

ان ازدهار الديانة المسيحيـة بدا ، في كل مكان وزمان ، على اتصال وثيق بحيويّة الطريقة الرهبانية ، ايّا كانت مظاهر هذه الطريقة على مختلف العصور . نقول هذا قاصدين حيويّة المبدأ الرهباني ، ولا تُقاس هذه الحيويّة بعدد الرهبان ، ولا باعمالهم الخارجية ، ولا بقوّتهم المادّية ، بل بالنظام الداخلي ، وبالمثال الاعلى السامية اليه النفوس ، وبالدقّة والكمال في تطبيق القواعد الرهبانية . واذًا ، فقد اصبح من الواضح ان مصير الرهبانية في طائفة مسيحية متعلّق بمصير الطائفة نفسها ؛ تزدهران معاً ، وتنشران معاً ، وتنحطّان معاً كذلك . فالاتفاق بينها وثيق في النهضة والانحطاط ، حتى انه يجعل بينهما علاقة العلّة بالمعلول .

ولكن كيف يمكن تصوّر هذه العلاقة ؟

لا يخفى ان الرهبانية لا رسالة رسمية لها في الجماعة المسيحية . فلا تمثّل الّا مجموعة من الرغبات الشخصية اتفقت ، وتساوقت ، وتنظّمت معاً ، فأتت بعمل مجيد نافع ؛ ولكنه يظلّ ، مهما يبلغ من جودته ونفعه ، من نوع النوافل والتبرّعات الإرادية . امّا الاعمال المختلفة في حفظ العقائد والآداب سالمةً بين ابناء الكنيسة ، وفي القيام بشعائر العبادة ، وممارسة الفضائل القويمة المسيحية ، فتظلّ من صلاحية السلطة الكنسية اي الحبر الاعظم ، والمجامع ، والاساقفة وسائر ارباب الرتب المتدرّجة . وليس للتاريخ ، في هـذا المجال ، ما يأخذه على الحقّ القانوني . الّا انه لا يتمالك ان يتحقق امرًا واقعاً ، وهو ان رسالة الكنيسة نفسها لا تأتي ثمارها على تمام النفع الّا باستنادها الى بعض القوى

التنفيذية ، ولا يخفى ان في طليعة هذه القوى تبدو الطريقة الرهبانية . هكذا كانت مهمّة الرهبانية في جميع العصور ، حتى عهدٍ لم يكن اربابها يقومون بعملٍ خارجي . كانت الديورة القديمة ، في الصحاري الشرقية والمجاهل الغربية ، على عزلتها وسكونها وانقطاعها عن العالم ، موائل للتقوى والصلاح تُحفظ فيها الروح الانجيلية فتتجدّد ، وتزدهر ، حتى يتمّ اشعاعها الى الخارج .

وقد ظهرت آثار هذا العمل في مناحي الحياة المسيحية جميعها .

تأثير الرهبانية في نشر الايمان ، ووحدة المسيحية

واني اودّ ان يقوم يوماً عالمٌ مختصّ بهذه الشؤون ، فيلقي نظرة شاملة على تاريخ الرهبنات ، ويطلعكم على نصيب رهبان الشرق في نشر الانجيل بين الاجيال المتأخرة ، ولاسيما في آسية الوسطى ، وعلى ما قاسوا من مشاقّ ، وما قاوموا من عقبات في سبيل حفظ الايمان في تلك المناطق المنتزعة من الامبراطورية الرومانية ومن الممالك المسيحية القديمة . يطلعكم على الخدمات العديدة المتنوّعة التي ادّوها للمدنية في تهذيب الشعوب ، وفي العمل على تقدّم الفنون والعلوم ، وفي تخفيف الويلات والعذابات البشرية ، وفي سائر الاعمال المجيدة التي ترمي اليها جهود الحضارة المسيحية .

وهو موضوع واسع يعوزنا الكثير من موادّه ، فلا نكاد نرى فيه الّا لمحات عامّة تمتّ احياناً الى الاسلوب الخطابي اكثر منها الى التدقيق العلمي والتحريات الرصينة . ولا يخفى اننا ، في هذه اللمحات القصيرة ، لا يمكننا الّا لمسَ الموضوع منصرفين الى نقطة خاصّة منه ، وهي « عمل الرهبانية القديمة على التقريب بين الكنائس والشعوب الشرقية » . ولا بأس بان نتوقّف لحظةً في تحديد هذه النقطة :

من مزايا الطريقة الرهبانية القديمة ، التي تلفت نظر المراقب المتنبّه ، تلك الوحدة الاساسية في روحها ونظامها ، أنّى وُجدت ، والى ايّ شعبٍ انتمت . لا شكّ في ان الملاحظة السطحية قد تقوده الى الحكم بتنوّع مظاهرها الخارجية . على انه لا يلبث ان يتحقّق ، وراء هذه المظاهر ، وحدة داخلية

في جوهرها ومبادئها . لنقابل مثلاً بين ما يبدو من مظاهر النظام والترتيب في الجماعات السلتية والتالية - الرومانية ، وما يظهر من طرق حياة النساك في طيبة وفلسطين . من الحق اننا نرى الفوارق العديدة . ولكن من الحق كذلك ان هؤلاء الرهبان والنساك كانوا يعيشون في عالمين مختلفين كل الاختلاف حتى لا تكاد تُذكر الى جنبه تلك الفوارق . وهو ما يدفعنا الى القول ان الديورة كانت اهم المؤسسات في تخفيف ما يفصل بين الشعوب من تخالف وتعاكس في الاخلاق والعواطف ، والتقاليد ، والاذواق ، والعادات ؛ حتى اذا انتقل احد مريدي القديس باسيليوس او القديس باخوميوس الى احد ديورة الغرب — وليس هذا بالفرضية الخيالية بل اننا نراه في حياة كثير من الاشخاص الحقيقيين — كان يجد نفسه اقلّ اغتراباً من ايّ لبنانيّ ينتقل الى جرمانية او ارلندة . ولنُعد اليوم هذه التجربة نجدها تأتينا بالنتيجة نفسها . وان يكن ، على هذه الارض ، اماكن لا يفسدها التغيير الآخذ من المظاهر البشرية جميعها ، فانما هي ملاجئ الرهبان القديمة . ومن منا ، اذا ساقه الحظ مساء الى احد ديورة شارتر الصامتة ، او سمع رهبان الموارنة او الارمن يتلون صلوات الليل في سكون كنائسهم ، لا ينتقل فجأة الى الماضي البعيد ، فيتمثله امامه حيًا ، وقد مات في مظاهر العالم الدنيوية جميعها ؟ . . .

بفضل هذه الوحدة الجوهرية الدائمة في روح الرهبنات وتقاليدها ، أثر الرهبان في الحياة الدينية تأثيرًا تجاوز الحدود الوطنية والشعبية الخاصة . وان نكن لا نهتمّ اليوم بقياس عمق هذا التأثير وسعته ، فذلك لانه كان عاماً شاملاً عميقاً حتى اننا تعوّدنا مظاهره فخلناها طبيعيةً ، فنسينا اصل كل ما ادخلته في حياتنا من معلومات وعادات وطرق عبادة .

من ذلك ان الصلوات القانونية المفروضة تلاوتها يومياً ، في عهدنا هذا ، على كل الحاصلين على الدرجات الكهنوتية الكبرى ، هي بقية من مفروضات الطرق النسكية القديمة تقدمت شيئاً فشيئاً حتى امتدت على الكنيسة كلها .

على ان الصلوات من الطقوس الخارجية . فلننتقل الى غيرها ، ولننحدر الى اعماق الحياة المسيحية ، فنرى ان من شاء من المؤمنين ان يوافق بين حياته العادية

وتعاليم الانجيل، لا مندوحة له عن اتخاذ اساليب عبادة نشأت في ظلال المناسك، وتابعت حتى عصرنا، في وحدة دائمة بفضل التقاليد الرهبانية. لقد قاست كثيراً من المتطرفين وطلاب الغرائب، كما علق بها كثير من الغموض بفضل ارباب النظريات. بيدَ ان التقوى المسيحية، على رغم المجانين وعلى رغم المتمثلين، لا تزال تستمدّ حياتها المثمرة من تلك الطريقة العملية في العبادة التي نشأت في اقدم الجماعات الرهبانية.

ولا يعني هذا ان الديورة والمناسك كانت محتكرةً لطرق العبادة المذكورة. لقد كان الكهنة يدعون اليها في الكنائس، والمعلّمون يتكلمون عنها في المدارس، واللاهوتيون يستخرجونها بالقياسات المنطقية... على انها في الديورة كانت تتصف بصفة نظام مقدس تفرضه السلطة الحاكمة، ليُطبَّق بدقة تامة لا يزول ولا يتحوّر، بل يُصبح الهمّ الوحيد في الحياة كلها. وبفضل هذا النظام النسكي كانت الرهبانية تنشر نفوذها، وتُشعّ تأثيرها الصالح فوق الحواجز والحدود فتصل، في كل مكان وزمان، — الا بعض اختلافات عرضية ثنوية — على اقرار مثال اعلى واحد للقداسة الكاملة.

امثلة من تأثير الرهبان في الغرب والشرق

على ان هذه الاعمال تتفاوت سعةً وعمقاً. وقد رأينا ان نورد بعضها، دلالةً على ما تقدّمناه من اثر الرهبان، بادئين ببلاد الغرب:

قبل ان يهتمّ علماء الحقّ القانوني بجمع التشريع الرهباني القديم في قالب واحد، كان النظام الموحّد في السلطة الكنسية يعزّز حركات التطوّر المتتابعة الرامية الى هذا الاصلاح. وذلك ان الرهبانيات القديمة من بندكتية واغوسطينية، وسيسترسية، ومن بعدها الرهبانيات الدومنيكية والفرنسيسية، كانت قد ملأت انحاء اوربة ديورة ومناسك تخضع كلها لسلطة واحدة، او على الاقل، تتصل بعضها ببعض بالسير على قاعدة واحدة. فكان لها بذلك السهم الاوفر في انشاء هذه الوحدة الحيّة التي عُرفت بها المسيحية. بل كان من نصيبها ان تفرض على المسيحية، في احيان خطيرة، قاعدةً واحدةً للسير. وهذا ما

اظهره السيد بواسونادة (P. Boissonade) عندما برهن على ان فكرة الصليبية الاولى برزت من رهبان كلوني (Cluny)، نحو خمسين سنة قبل مؤتمر كليرمون، اذ لفت هؤلاء الرهبان نظر امراء اوربة الى الخطر المحدق بهم من جهة مغاربة اسبانية . وكذلك كان لاحد علمائكم الشبان، الدكتور انور حاتم، ان يعرض الفكرة نفسها في أطروحة فازت باهتمام العلماء الاختصاصيين، ودلت على ان فكرة الصليبية الواسعة، وذاك التاريخ الحافل بالملاحم مدة ثلاثة قرون، من ثمار الرهبانية الكلونية [1].

من الحق ان رهبان كلوني يتنصلون كل التنصل من هذا الشرف، لو شئنا ان نحملهم تبعة ما جرته تلك الحروب . على انهم لا يسألون الا عن الفكرة السامية التي رموا الى تحقيقها، لا عما لحق بها من مطامع شخصية، ومطامع سياسية، حرفت غايتها . ولا يخفى ان القصد الاساسي من الفكرة الصليبية لم يتجاوز العمل على حماية المسيحية من حملات قد تماثل خطرًا حملات القرن الثامن . واذًا فقد كان من الواجب ايقاظ شعوب اوربة المسيحية الى الانتباه لهذا الخطر الداهم، وحملهم على الاستعداد لمقاومته بكل ما تتطلبه تلك المقاومة من جهود وتضحيات، ثم حمل امراء اوربة انفسهم على تناسي احقادهم الشخصية وتوحيد كلمتهم في سبيل الخير العام .

هذه المعجزة توصل الى تحقيقها رهبان كلوني !

ولو كان لذوي الآراء السمحة والنيات الصالحة، في عصرنا هذا، من اولئك الذين يسعون في خلق ضمير ادبي شامل للدول جميعها، لو كان لهم ان يتأملوا، بكل تجرد واخلاص، مثال الرهبان المذكورين لأدركوا نواقص اساليبهم، ولماذا لا يظفرون بالنجاح في كل ما يبذلونه من جهود خليقة بالثناء .

امّا في الشرق فكان مسرح التأثير الرهباني اضيق منه في بلاد الغرب . وذلك لاسباب هي اوضح من ان تحتاج الى تفصيلها . منها تلك الحالة الضيقة التي وُجدت فيها الكنائس الشرقية على اثر الفتح العربي، فدُفعت، في مقاومتها الاخطار الخارجية والعمل على حفظ كيانها، الى الالتفاف على نفسها، والحياة

١) راجع Anal. Bll. 51 [1933] p. 431 ؛ والمشرق ٣٢ [١٩٣٤] ١٧٩

ضمن حدودها القومية . وهكذا غدت الكنائس الشرقية ، وفي اعتقادها ان كلّ ما تمتاز به من اختصاص بالعقيدة ، والنظام ، واللغة ، والطقس ، ضروري في الدفاع عن استقلالها وحفظ كيانها . وكان لا بدّ من ان يقود هذا الاختصاص المستقلّ الى نتائج متطرفة . وان يكن لم يتوصل اليها دائماً ، فالفضل بذلك يعود لبعض حواجز كان من اشهرها وافعلها الطريقة الرهبانية . فان ما بقي من الوحدة الاساسية في الروح المسيحية لجأ ، في اكثره ، الى الديورة ، فحُفظ فيها . اما طريقة هذا الحفظ فقد يطول بنا المجال اذا ما دخلنا في تحليل عناصرها ، ووصف عواملها المختلفة ، لانها كانت تتنوّع بتنوّع البيئات والازمنة ، منتصرةً ، في غالب الاحيان ، على ما تلاقيه من عقبات متتابعة . وكفانا دلالة على مفعولها ان نذكر ما قامت به من المحافظة على الايمان والآداب حيثما وُجدت .

وهناك أمر مشترك بين جميع الطوائف المسيحية الشرقية ، اية كانت نزعاتها الاستقلالية ، ومظاهر انكماشها ضمن حدودها الخاصة ، وهو ان آدابها عاشت على موضوع اساسي واحد كانت تتناقله بعضها عن بعض ، وتنشره في تقاليدها ، ولا سيما ما يتعلق منها بحياة القديسين وعجائبهم . حتى امكننا القول انه كان بينها اشتراك واضح في هذا الموضوع . وهذه نقطة مهمّة قلما اهتم بشرحها تاريخ الآداب . وهو يكتفي عادةً بتحقق الشبه بين ادب طائفتين او امتين ، دون ان يتعمّق الى التفتيش عن اسباب هذا الشبه ، وكيفية حدوثه منتهياً الى زمانه ومكانه . ذلك اننا كثيراً ما نطبّق على الماضي ما نأخذ به اليوم من مظاهر التأليف العقلية ، فلا ننتبه الانتباه الكافي لما كانت تتطلبه في الزمن هذه المشاركة في الموضوع الواحد . من اسهل ما نتحققه اليوم في عالم الادب تلك المبادلات الفكرية بين البلاد المجاورة ، او المتباعدة ، بفضل ما تنشره المطابع من كتب ، وما تقوم به المكاتب من تسهيل الاطلاع على المخطوطات نفسها ، وبفضل ما اصبح للترجمات من مرافق متنوّعة بوضع كتب القواعد والقواميس ودوائر المعارف . اما في ذلك العصر فلم يكن شيء من هذه التسهيلات . كان المترجم يجهد ذهنه في نقل النصّ عن اللغة الاجنبية ، ولا

معين له الا ذاكرته وطول تفكيره . وقد لا يفهم المقصود تماماً ، وقد لا يحسن التعبير عما فهم في كثير من المشاكل التي نخلها اليوم بفتح القاموس ، او الغراماطيق ، او دائرة المعارف . واذا حسن حظه ، قاده الله الى — او قاد الله اليه — احد العلماء المتضلعين من اللغة التي يترجم عنها ، او المطلعين على التقليد الذي ينقله . ولنجتهد في تصور كيفية هذا العمل المشترك ، فلا نلبث ان نتحقق انه يصعب وجوده الا في البيئات الثقافية الحافلة بعلماء اللغات ، ولم تكن هذه الا في الاديرة الشرقية الكبرى . ولا يشك علماء اليوم في ان مكاتب الرهبانيات في الشرق — وفي الغرب مدة القرون الوسطى — هي التي حفظت حركة التبادل بالكتب وبالآراء فوق الحواجز التي اقامتها انقسامات الطوائف المسيحية . ومن ثمَّ فقد أدت خدمة عظيمة للثقافة عامةً ، ولحفظ جوهر التقليد المسيحي في الكنائس الشرقية .

وكم كنا نودّ ان نزيد ان الطريقة الرهبانية قامت ، عن سابق تصور وتصميم ، بهذا العمل الحفظي . ولكن الحقيقة لا تسمح لنا بهذا الحكم . بل ان التاريخ يضطرنا الى القول ان المشاحنات الدينية التي مزقت الشرق المسيحي وجدت في الديورة عدداً من اشدّ اربابها تعصباً . ولا ننسى عناد الرهبان الاقباط ، وقد اهاجهم ديوسقورس والشنوتي ، فحالوا دون نجاح كل ما بذله الاحبار الاعظمون والامبراطرة الصحيحو العقيدة من جهود متتابعة في سبيل تخفيف ذاك النزاع الذي ادّى الى الانشقاق المنوفيزيتي ... ولا يسعنا المجال لذكر دور الرهبان في سائر الانشقاقات والهرطقات من البلاجية ، الى الجانسينية ، الى الاوريجينية ، الى القول بالمشيئة الواحدة ...

وهذا كله صحيح ، واقعي ، مؤلم في صحته . بيدَ اننا نجتهد في ذكره بطريقة ابعد ما يمكن عن الاندفاع والتزيد من تبعة القائمين به ، وان كانوا مسؤولين عنه لا ينالهم عذر في ذلك . انما خطأهم ، في تعاميهم عن الحق ، لم يكن يرمي على الغالب الى الهدم والملاشاة . بل بالضدّ فانهم كانوا يتصورون في هوسهم انهم ، وحدهم ، يظلون امناء في المحافظة على ايمان الرسل ، والمجامع الاولى . وكانوا في عملهم على اقناع خصومهم ، يظهرون تعاليم الآباء القدماء

وملافنة الكنيسة . فكان من ذلك انهم لكثرة ما فتشوا في التقاليد عن اسلحة يحاربون بها ، عملوا عن غير قصد ، على حفظ آثار هذا التقليد ، وعلى نشرها بين الناس سواء أكانوا من مذاهبهم المنشقة ام لا . وهكذا دخل قسم كبير من هذا التقليد في آثار المسيحية الكاثوليكية . فرأينا في كتابات طائفة من مؤلفينا في الزهد والحياة النسكية ، كثيرا من الآراء ، والحكم ، والمواعظ مأخوذة من «جنسة» المنوفيزيتيين . ومن الراجح ان ذاك المؤلف النابغة ، بل ذاك العبقري السامي ، المهيمن على اللاهوت الروحاني بجمله ، ذاك الذي كرمته القرون الوسطى باسم ديونيسيوس الاريوباجي ، كان يعيش في احد ديورة سورية الشمالية ، المنتمية الى البدعة اليعقوبية .

. . .

ونقف عند هذا الحد ، ذاكرين من هذه اللمحات السريعة المقتضبة حتى الجفاف ، ان الطريقة الرهبانية ، بفضل نظامها التقليدي ، كانت قوة فعالة في حفظ الوحدة المسيحية . نتحقق ذلك ، بنوع اختباري ، اذا ما درسنا ، دون تحامل ولا تحيز ، حياة احد القديسين المنتمين الى الكنائس المنشقة . كحياة القديس نيل سرسكي الذي عاش في بلاد المسكوب على عهد إيفان الرابع ، في عصر اضطراب وارهاب اشبه بالعصر الذي تنوء تحت عبئه روسية في ايامنا . فأنشأ ديرًا على نهر سورا ، وسنّ فيه قاعدة مشبعة بروح التجرد الانجيلي ، قد تزيد في تقشفها وصعوبتها على اشد القواعد التي كان قد عرفها ومارسها في جبل أتوس . هذا واحد من امثلة يراها مطالع تراجم حياة هؤلاء النساك ، فيؤخذ بما فيها من نفحة اخلاقية سامية حتى ليخال نفسه في مقر المثال الاعلى الذي كان يتمثله مترجمو القديسين في الغرب . ثم يجذبه التضاد ، فينتقل الى تفهم الاسباب التي حطت بالكنيسة الانكليكانية فادت بها الى هذا الانحلال السريع ، فيرى منها انعدام الحياة الرهبانية . ذلك ان الانكليكانية اعتقدت ان بامكانها حفظ الإطار الكنسي بما فيه من تدرج الرتب ، والنظام التعليمي . . . ولكن لم تدرِ انها بالغاء الحياة الرهبانية هدمت ركنًا قويا من اركان الحصن الذي كان جديرًا بان يحميها . . .

فلسطين وسورية

لا يمكنني ، في هذا الحديث القصير ، ان اعرض ، ولو اجمالا ، لتاريخ الرهبانية في الشرق . اقول هذا في اول الكلام كي لا ازعج انتباهكم بمفاجأة مؤلمة . انما غايتي ان اظهر ناحية غامضة من عمل الرهبانية . ولا اخفي عليكم ان المشهد العام يضيق مجاله من هذه الناحية الخاصة ؛ ولهذا فلا تنسبوا لي المسؤولية كلها اذا ما رأيتموه مقتضباً غير كامل . فهو ناقص من حيث الاتساع، ناقص من حيث التفاصيل والدقائق ، وهذه لا تظهر في لمحة اجمالية مصغرة . وعليه فلن تروا اليوم — ولن يكون لي الحظ بارائتكم — تلك المناسك الساكنة المطمئنة التي سعدت بان ليس لها تاريخ ؛ ولا تلك التي حفظت النظام الرهباني بدقة تامة تحولت شيئاً فشيئاً الى عادة مستمرة كانت تخلو ، احياناً، من الحياة والاقدام.

امّا حيث ظلّت تلك الفضيلة الرهبانية منتعشة مزدهرة فقد آتت ، بعض الاحيان، ثمارًا يانعة خارجاً عن محيطها الضيق . وان من اجلّ الخدم التي ادّتها الرهبانيات الشرقية للوحدة المسيحية انها هذّبت ورتّبت تلك النخبة من الرجال السامين الذين خرجوا من صفوفها ، او من مدرستها ، فاعتلوا كرسي الاسقفية فكانوا فخرًا للكنيسة جمعاء . وكم اخرجت فلسطين وسورية من امثال القديس ايفانيوس ، والقديس يوحنا فم الذهب ، وتيودور المعروف بابي قرّة ، راهب مار سابا ثم اسقف حرّان، الذي ترك عدّة آثار في الدين والادب . وقد درس هذه الآثار واظهر شخصية كاتبها المتازة ، هنا في بيروت ، استاذنا المأسوف عليه كثيرًا الاب لويس شيخو ، والاب العالم الخوري قسطنطين الباشا . ولم يكن ابو قرّة آخر حلقة في هذه السلسلة المجيدة . بل هناك طائفة من هؤلاء الرهبان الاساقفة يتصلون باحقاب التاريخ القديم للكنائس الشرقية . بيد ان سرد هذه الاسماء ، واكثرها جافّ لا هيئة له ولا لون ، يضجركم ويضجرني كذلك . ثم اننا نتعرّض ، اذا ما سردناها ، لما يتعرّض له النقّاد اذ يعدّدون

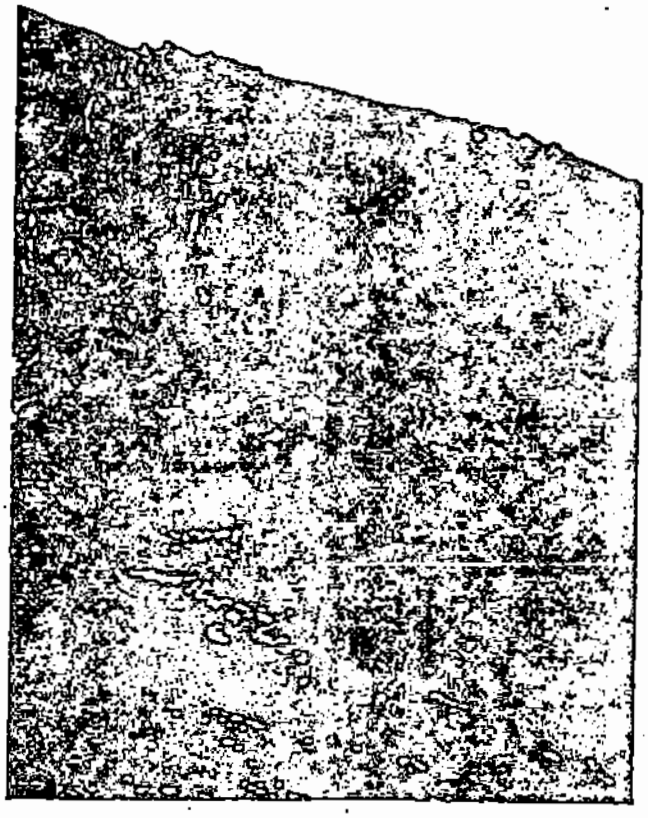

الرسم ١ – منسك الغزال ، قرب زحلة . بقايا دير قديم محفور في الصخر

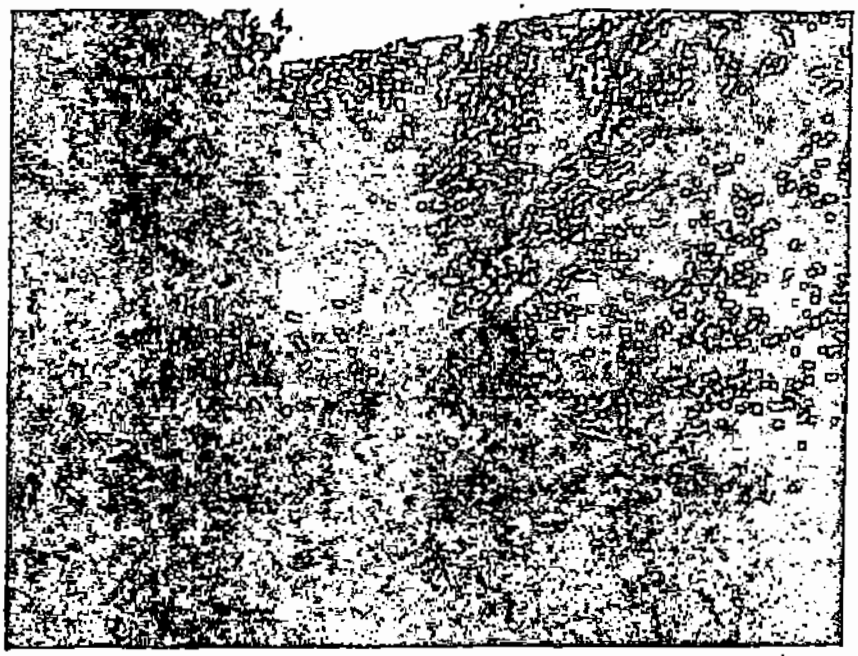

٢ – دير قنوبين – دير قديم في الوادي المقدس « قاديشا » ، وقد اصبح ، في ما بعد ، مقاماً لبطاركة الموارنة

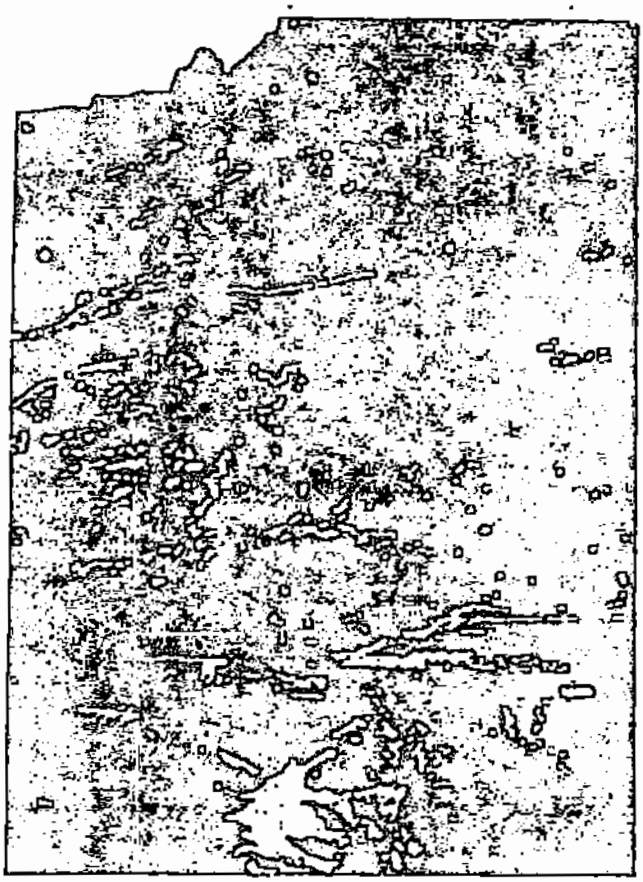

الرسم ٣ – دير آخر من ديورة الوادي المقدّس : دير قزحيا

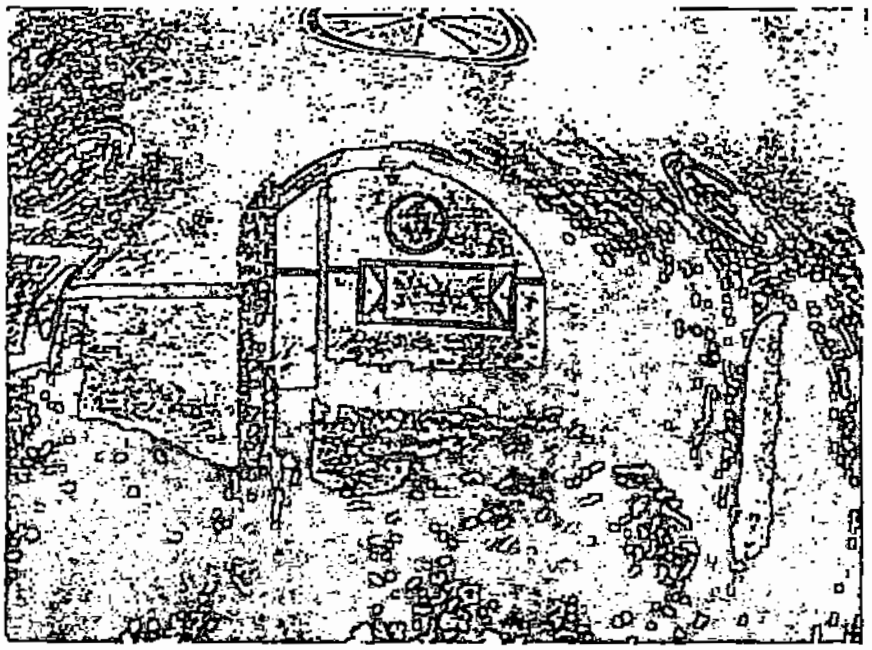

الرسم ٤ – معبد مدفني رهباني في حمص يرقى الى السنة ٤٥٠

الشخصيات الادبية ؛ فانهم ينسون بعضها دون شك ، وبالتالي يثيرون عليهم احتجاجات المنسيين او من يلوذ اليهم . وذلك ان علماء الفلك لم يتوصلوا ، حتى الآن ، الى ايجاد مرقب جبّار يمكنه التفتيش عن جميع هذه الكواكب .

ولكن ما لي اطيل في الكلام عمّا لن اتكلم عنه ! فلنقتصر ، ولنتجه وجهة القمم البارزة .

جبل سينا

من هذه القمم الشامخة التي تجذب نظر المسافر الى اتجه في الخلاء الافق البعيد ، قمة جبل سينا ، وهو الاول في تاريخ الرهبانيات . كان مقصدًا لزوّار الاراضي المقدسة قبل السنة ٣٨٣ . وفيها زارته السائحة ايتيريا ، فوصفته وصفًا شائقًا بلغة لاتينية لذيذة باغلاطها وتراكيبها المضطربة . جابت ايتيريا قفر فاران كله ، وصعدت مرتفع سينا الشامخ ، ثم زارت وادي الموسجة الملتهبة ، وعادت صاعدة حتى حوريب . . . وقد وصفت كل ذلك بدقة عجيبة واخلاص يأخذ من المطالع فلا يكاد يقلع عن قراءته الا بأسف . امّا ما يهمّنا الآن فهو ان السائحة الاسبانية تقول ان الرهبان منتشرون في الجبل المقدّس وضواحيه كلّها ، وان بعضهم ادركوا الشيخوخة القصوى من حياة قضوها كلها في ذاك القفر المبارك . واذًا فقد بدأوا حياتهم في عهد قريب من بدء الرهبانية المصرية .

وقد نزلت ايتيريا في ضيافة هؤلاء النسّاك . فقضت الليل في مسكن متصل بديرهم ، وجلست على مائدتهم ، وحضرت صلواتهم . . . وكلّها براهين على انهم لم يكونوا مقيّدين بشيء من انظمة سيتي التقليدية ، ولا من انظمة الطريقة الباخومية . كيف لا ، وهذه الانظمة لا تسمح حتى بدنوّ النساء من المناسك . تخيّلوا امرأة ، مهما بلغ من رصانتها وقداستها ، تزور دير تبين مثلًا . . . أوَ لا يتهارب الرهبان من الرجس ! ! !

بيد اننا نرى في سينا ، بعد مرور ايتيريا بزمن قصير ، منسكًا يقترب من ديورة الرهبان المبردة . واهم شخصياته القديس نيل ، المشهور بتآليفه النسكيّة العديدة ، وبتأثيره في النفوس التقية التي كان يديرها ويرشدها برسائله . وقد نُسب

اليه نحو الف رسالة لا تصح نسبة اكثرها ، كما انه لم تصح لدينا صلاته الكتابية وغيرها بالقديس يوحنا فم الذهب . على ان الناس لا يقرضون إلا الاغنياء . ولو لم يكن للقديس نيل رسائل صحيحة لا غبار على نسبتها لما أضيف اليه هذا العدد الضخم . وكفانا دلالةً على تأثير جبل سينا المُشعّ الى ما وراء حدوده حتى انحاء الشرق المسيحي جميعها ، تلك الشهرة الواسعة التي رافقت اسم القديس نيل ، واسم خليفته من بعده ، القديس يوحنا كليماك .

اما الدير الحالي فيظهر مبنيًا ، او مرمّماً ، على عهد يوستنيانوس ، بين السنتين ٥٤٨ و٥٦٢[1] . وقد بقي في هندسته الاساسية كما كان في ذاك العصر . لا شكّ في انه زيد عليه بعض الاقسام ، ورُمّم البعض الآخر . ولكنه ظلّ على مظهره الاولي اجمالًا ، فلم تؤثر فيه حوادث التخريب والنهب ، ولم تغيّر منظره القديم الاحداث الطبيعية نفسها . وهي معجزة الحفظ تعجب بها سائر انحاء العالم المسيحي متأسفة ألا يكون لها مثلها .

وقد حفظ دير سينا كنوز فنّ وأدب لها قيمة الذخائر المقدسة . ولا يخفى ان مكتبته اغتبطت طويلًا بحفظ اثمن مخطوطات العهد الجديد ، تلك المخطوطة المشهورة في العالم كله باسم « النسخة السينائية » (*Codex Sinaiticus*) . بيد ان هذه المخطوطة آلت نظر احد أمناء المكتبة فأراد ان يتخلص منها ، وكان على وشك احراقها مع غيرها من الوثائق القديمة ، عندما ادركها تيشندورف فانتشلها واحتملها الى بطرسبرج عاصمة بلاده . وبعد ان اقامت نحو نصف قرن في المكتبة الامبراطورية ، رأت حكومة السوفيت ان تتخلص منها بدورها ، وكانت بحاجة الى مال ، فباعتها ، دون أسف ، من المتحف البريطاني .

ظلّ دير سينا ، مدة القرون الوسطى ، يجذب اليه السيّاح والزوّار في سلسلة غير منفصمة من جميع انحاء الشرق والغرب . وكان الرهبان متيقظين لاستقبالهم واضافتهم . وقد شاهد انطونن البلزني ، نحو السنة ٥٨٠ م ، في المضافة القائمة في اسفل الجبل المقدس « ثلاثة رؤساء عارفين باللغات اللاتينية

---

١) راجع H. Grégoire, *Bull. Corr. hellén.* 31 [1907] p. 327-34

واليونانية والسريانية والمصرية والقوقية ، وكثيرا من التراجمة لكل لغة من اللغات»[1]. وانها لشهادة واضحة للاشتراك بالايمان والعواطف بين جميع الشعوب النصرانية ، اشتراكا كان في هذه الديورة اقوى منه في أي مكان آخر. وكان لكثير من تلك الشعوب رهبان من جنسهم دائمو الاقامة في جبل سينا.

هذا، ولنصرف النظر عن التدقيق الكثير في ما كان يهيب بهؤلاء المسافرين الى زيارة جبل سينا . وهل كانوا جميعهم ، في تقواهم الحارة الساذجة ، يجذبون خاصة بعظمة التذكارات الدينية والتقليد المسيحي ، ام كان البعض منهم ينسون القديس يوحنا كليماك ، والقديس نيل ، وموسى ، ولوحي الاشتراع ، والله نفسه ، ليسجدوا واثقين مؤمنين امام قبر القديسة كاترينة ! على أن ذاك التقليد ، الذي كان يتناه بعضهم ، كان يظل ساهرا على العالم المسيحي ، مرفرفا فوق هذه الامكنة المقدسة ، عاملا عمله النافذ الحي في جميع النفوس الجديرة بتفهمه .

ولا يخفى ان جبل سينا يتعلق جغرافياً بالقطر المصري. على ان التاريخ الكنسي يعتبره من ملحقات فلسطين. وهذا ما صانه من الالتحاق بالبدعة المنوفيزيتية.

فقر بهوذا

اما في الاراضي المقدسة نفسها فكانت الحياة الرهبانية على ازدهار كذلك. ويُنسب تأسيسها الى القديس هيلاريون الغزي المتوفى في السنة ٣٧١ ، بعد ان ادهش العالم كله بمعجزاته ، مدة نصف قرن ، ولاسيما بمعجزة حياته التقشفية . وقد اثبت كل هذا القديس ايرونيموس في ترجمة للقديس هيلاريون ، كتبها في بيت لحم، نحو السنة ٣٨٦، وشكا فيها سلفاً انها ستثير نباح خصومه الذين شبههم بكلاب بيلا ! ومن الحق ان النقاد، دون ان يلجأوا الى النباح ، يخطرون الى الاعتصام بالشك والتردد احياناً في قراءتهم هذه الترجمة. ولكني أقف هنا ، دون تفصيل، لئلا أنسب الى الرغبة في تحديث تلك الشخصية الجبارة ، شخصية القديس ايرونيموس. اما ما يمكن ترجيحه ، دون تعرض للوهم ، فهو ان القديس

[1] طبعة Gayer ، ص ١٨٤

هيلاريون ، وقد عرفه شخصياً القديس ابيفانيوس اسقف قبرس ، كان يعيش عيشة النساك في ضواحي غزّة ، مع بعض تلاميذه. ولكنّ مثله الصالح واعماله الباهرة لم تحدث ذاك الصدى البعيد الا بفضل تلك السيرة الرائعة التي كتبها القديس ايروتيموس . وذلك ان التاريخ يفيدنا ان غزّة وضواحيها كانت مأهولة بكثير من الوثنيين المتعصبين ، الى اواخر القرن الرابع. حتى ان اسقفها القديس بورفيروس لم يلاقِ فيها إلا جماعة مسيحية قليلة العدد ، ولم تكن فكّرت بعد باقامة ايّ كنيسة لذكر من كان فيها صاحب المعجزات المذكورة . هذا ما كان في ضواحي غزّة . اما في غيرها من الاماكن فقد انتشر القول ان الطريقة الرهبانية الفلسطينية بدأت في بادية الاردنّ .

وهو ثابت أنه ، قبل منتهى القرن الرابع، كان ذاك القفر الجبلي المنحدر شيئاً فشيئاً من أورشليم الى الاردن والى البحر الميت بأهله العدد الضخم من الرهبان والنساك[1] . وكانوا يجتمعون في مراكز تختلف اهمية ولكنها تنتسب كلها لاسماء شهيرة كالقديس يوحنا شوزيبة ، والقديس شاريتون ، والقديس افتيموس ، والقديس جيراسيموس ، والقديس سابا ، والقديس تيوضوسيوس، وغيرهم . . .

وقد كان من حظّ كثير من هذه الديورة ان يكتب تاريخها كيرلس السكيتوبوليسي . على ان الحوادث ، التي يرويها المؤرخ ببساطة وطيبة لا يشوبها التقليد الرهباني ، كانت موضوعات وامثلةً لكثير من الروايات المبالغ فيها ، او المخترعة ، زادها من اتى بعده من الكتّاب. حتى اصبح من الضروري ، اذا قرأناها اليوم أن نعمل على فرزها من تلك الحكايات التافهة والاساطير الضعيفة التي تضخّمت حولها. ولا يسعنا الان إلا الاشارة الى هذا التاريخ الفتيد الأخّاذ. ولا يخفى عليكم ذاك التطوّر الذي حصل في جماعات النساك — واشهر ناسك فيهم القديس افتيموس — فأحلّ محلها الطريقة الرهبانية المنظّمة، السائدة اولاً في دير القديس تيوضوسيوس . واني ألفت نظركم الى التأثير المهمّ الذي

---

1) اطلب Génier, *Vie de S. Euthyme*, chap. I

نالتـه بادية الاردن في القرن السادس ، ولا سيما في العمل على التقريب بين ابناء الشعوب المتباينة ، وتحقيق الاخوة المشتركة ، وهي من مبادئ الرسالة الرهبانية. فقد كان للاردن ان يفوق في هذا على سينا ، لانه اقرب الى الحضر واسهل منالاً من ذاك الجبل المبارك .

ولقد كانت المؤسسات النسكية ، في مصر ، برهنت عن مقدرتها في صهر العناصر والثقافات المختلفة في بوتقة واحدة . فكان ، في جماعة القديس باخوميوس الاولى ، من الحبش والارمن والرومانيين ، بل كان فيها — وهو امر عجيب — عدد من الاسكندريين المدنيين ، قبلوا بالخضوع لاكثرية من القبط بعيدة كل البعد عن ثقافتهم اليونانية . على ان هذا المثل لا يظهر معزّزاً بثان . بل اننا لا نعرف كم استقام « منزل اليونانيين » هذا في تابين . وهناك في النطرون ، قام دير حبشي مجاوراً لبقايا ديري عمون والقديس مكاريوس . وفي سيتي نفسها ، قام دير سوري ؛ ولكن الاخوة الرهبانية لم يكن لها الاثر المهم في انشاء هذا الدير .

اما في بادية يهوذا فقد كان لهذه الاخوة تأثير أعمق ، وعمل اقوى ، لأن الزوّار والسيّاح كانوا يأتون الديورة من جميع انحاء العالم المسيحي شرقاً وغرباً ، وكثير منهم يقصدون هذه الارض المقدسة لينالوا مزيد الصلاح والقداسة . ولنا في اصل مؤسسي بعض الديورة المشهورة على شاطئ الاردن ، شواهد عدّة على تنوّع جنسيّات الزائرين . فالقديس افتيموس ، والقديس سابا ، والقديس تيوذوسيوس كانوا من مهاجري ارمينية وقبادوقية . وغيرهم كثير كانوا يقصدون الديورة لزيارة وقتيّة ؛ واذا بهم ، وقد جذبتهم الحياة الانجيلية الصرفة في بلاد الانجيل ، يخفون ذواتهم بالله حتى نهاية حياتهم . ومن كان منهم على تعلّق شديد بجنسيّتهم كانوا يحتفظون بعواطفهم هذه في عزلتهم النسكية ، وذلك بانهم كانوا يجتمعون معاً في حلقات متمايزة ولكنها غير منفصلة . وهكذا رأينا في دير مار تيوذوسيوس عدداً كبيراً من الارمن ، والتراقيين ، ظلّوا متعلّقين بجنسيّاتهم الاصلية ؛ مما دفع المؤسس القديس الى ان بنى لهم معبدين خاصين . وفي دير مار سابا ايضاً ، كان الارمن يتلون فروضهم بلغتهم الخاصة . وكذلك القول عن الكرج

الذين كان لهم الحق نفسه... وفي أورشليم نرى الايبريين او الكرج يبنون، منذ العهد القديم، ديراً خاصاً بهم. وكان للأزيين، اقاربهم وجيرانهم جنساً ولغةً، دير في أورشليم ايضاً، رمّمه يوستنيانوس.

وهكذا كان لجميع البلاد المسيحية تقريباً، في الاراضي المقدسة، طائفة رهبانية تظل على اتصال دائم ببلدها الاصلي، فتسهل على وطنيها زيارة اورشليم، اذ يعلمون بانهم يقرلون بين ابناء وطنهم، اذا ما أمّوا الاراضي المقدسة.

مار سابا

واذا خرجنا من اورشليم ومن بادية يهوذا، فاننا نرى فلسطين حافلة بالديورة. وقد قام منذ نحو ثلاثين سنة، احد علماء الانتقاليين (Assomptionistes) الاب ڤايه (S. Vailhé)، فنظّم بها لائحة، غير مدّعٍ انها كاملة. اما تواريخ هذه الديورة فتتشابه كلّ التشابه احياناً. انما اوفرها اهمية، وابعدها ذكراً، واسطعها اثراً هو ذلك الدير الذي عاش بعدها جميعاً، دير مار سابا.

لم يكن حظّ مار سابا كحظّ سينا من حيث الحفظ والمناعة. الا انه ظلّ، في قسماته المهيبة، واقفاً وقفة الجبّار على صخره الرفيع، رامزاً الى دوره التاريخي، دور قلعة حصينة على ثغر طالما هدّدته الغزوات. بل شامخاً شموخ وكر النسر الصامد على مرّ الاجيال، تتناوب عليه الاخطار فتتحطم حوالقه بالفواجع المؤلمة يعلق من اثرها شيء رائع على هذه الجدران الدكناء.

ولقد كان للدير القائم في قدرون ان يقاسي اياماً اشد جهومةً من ايام الغزوات الهمجية. هي ايام النزاع الداخلي ومشاحنات المنوفيزيتية، والاوريجينية، والمجامع الثلاثة، وسائر تلك المخاصمات التي طالما اقلقت سكينة المعتزلين. ولم يكن دير مار سابا ليقوم فيها دائماً برسالة السلام والمحبة التي فرضها عليه مؤسسه. وان الحقيقة السامية — وفي سبيل الوصول اليها قامت هذه الخصومات — لتفرض علينا الا تغضي الابصار عن هذه المعارك المؤلمة بانحطاطها. بيد انه اذا اردنا ان نعتاض عن نتائجها المؤسفة، فما علينا الا السمو فوق تلك المنازعات البشرية والنظر اليها من علُ، فلا نتسرّع في الحكم، ولا نزيد في تبعة

الرسم ٥ – دير مار سابا

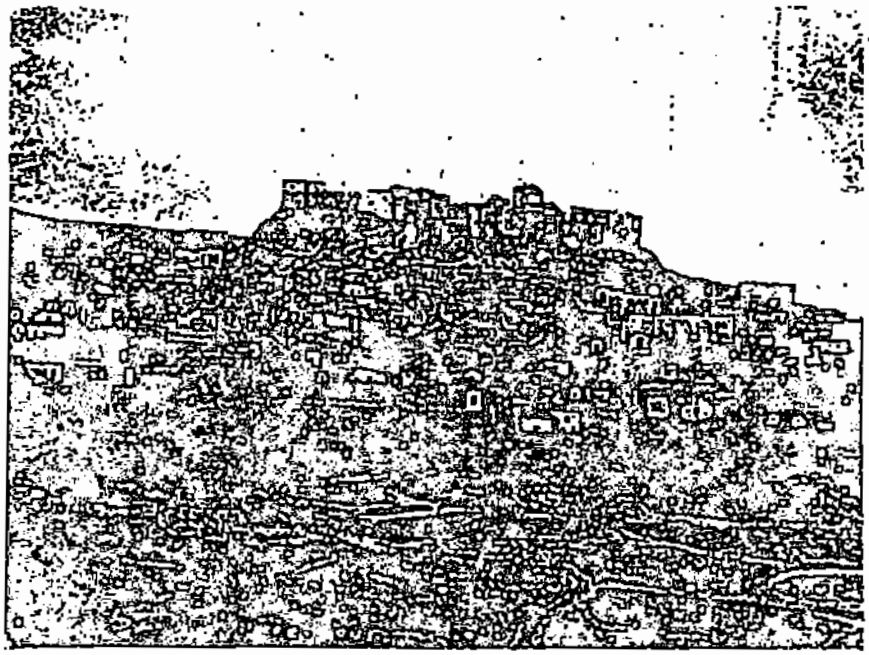

الرسم ٦ – دير سيدنايا

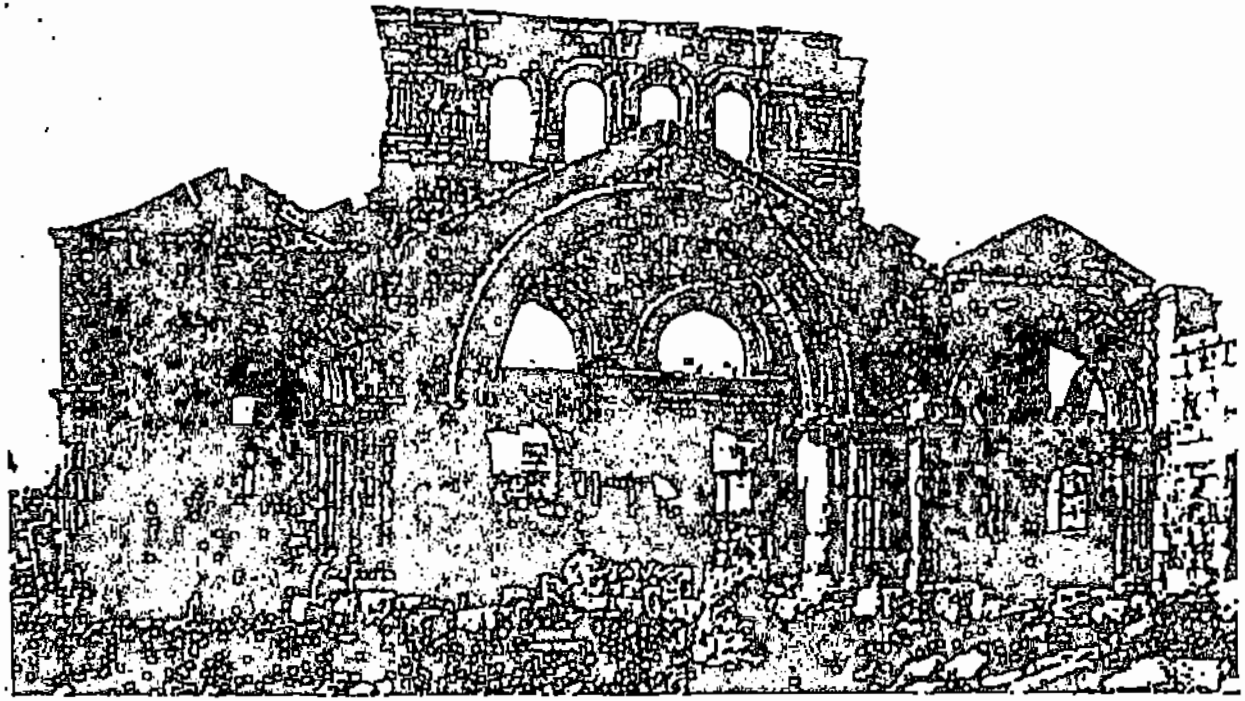

الرسم ٢ – كنيسة مار سمعان العمودي

المؤولين ، ولا نوسع شقة الخلاف . فتحقق اذ ذاك ان التقليد المسيحي لا تنقطع منافعه عن اولئك الذين يتصورون ، وان وهماً ، انهم يعملون على الدفاع عنه . . .

وهناك نقص آخر نراه واضحاً في سياسة مار سابا من حيث اخذها بالبيئة التي عاش فيها الرهبان ، ومن حيث العمل في سبيل الغاية الرهبانية السامية . نرى ذلك اذا ما عرفنا ان لا ذكر لمار سابا في الآداب السريانية ، حتى ان تراجم مؤلفيه واعوانه لم تُنقل الى اللغة التي عادت فأصبحت لغة البلاد . . . ولم يكن هذا عن سهو او نسيان ، بل عن قصد كان نتيجة معقولة لتعصب ارباب ذاك الدير للغة اليونانية . كانت هذه اللغة ، وما تجره من ادب وثقافة وعادات تفكيرية ، تسيطر سيطرة مطلقة على مار سابا ، حتى انها حالت ، او كادت ، بين رهبانه والاهتمام بتهذيب الشعب الفلسطيني . ودلالةً على هذا الأمر نكتفي بذكر حادثة تصوّر ادقّ تصوير ذاك التعصب الساذج لليونانية ، وما كان يولّده ، حتى في نفوس افاضل الرهبان ، من ازدراء للغة القوم السريانية :

اغار بعض شذّاذ العرب على الدير سنة ٧٩٧ فنهبوه ، وقتلوا عدداً من الرهبان ، عدّهم رفاتهم ، في ما بعد ، من جملة الشهداء . ثم قام راهب اسمه اسطفان — وهو غير اسطفان نسيب القديس يوحنا الدمشقي — وكتب ترجمة حياتهم . وفيها يذكر حادثةً عن راهب سوري من زملائه ، كان قد حاول طويلاً ان يُحسن لفظ اللغة اليونانية فلم يُفلح . ولم يكن الذنب ذنب ارادته ، انما لسانه الاعجمي لا يُحسن الا النطق بالمقاطع الضخمة ، والاصوات القاسية . . . وبينا الراهب المسكين يتذمر من لسانه ، ويتأسف لحالته المنحطة بين زملائه ارباب اللفظ اليوناني الحسن ، اذ ظهر له احد اولئك الشهداء ، واسمه انسطاس ، وقال مُشفقاً عليه : « مُدَّ لسانك ! » . ثم اخذ القديس خرقةً اتى بها من الجنة ، واقبل يمسح ذاك اللسان الاعجمي ، حتى انحلّت عقدته ، فأحسن النطق باليونانية[1] .

(١ *Anal. Bll.* 30 [1911] p. 408

لا شك في ان اهل البلاد لم يقرأوا تفصيل هذه الاعجوبة بكثير من الغبطة والحبور . بل اننا لا نستغرب اشمئزازهم من هذه الاساليب في ازدراء لغتهم وعنصرهم. امّا ان يعمل الرهبان على تعليمهم اللغة اليونانية فأمر حسن ، وامّا ان يعملوا على جذبهم اليها وتحبيبهم لها فأمر أحسن . ولكن ما الفائدة من فرض احترامها عليهم بهذه الغطرسة والوقاحة ؟ بمثل هذه الاساليب عمل بعض رهبان مار سابا ، وغيرهم من رهبان الديورة ، على وضع حواجز هائلة بينهم وبين الشعب.

ولكن يسرّنا القول انه ، على رغم الراهب اسطفان وزملائه المتعصبين لليونانية ، كان مار سابا من الاوساط المهمة للآداب العربية المسيحية . فقد نُقلت فيه اقدم مخطوطة عربية للانجيل ، وهي لا تزال محفوظة حتى اليوم في المكتبة الفاتيكانية. وفي الوقت نفسه تقريباً ، بين السنتين ٨٨٥ و٨٩٠ ، قام الراهب داود بن سينا البغدادي ، امين مكتبة الدير ، فنقل من اليونانية الى العربية ، حياة القديس ابراميوس[1].

وكذلك كان نصيب مار سابا وافراً في الادب البيزنطي ، ناشراً تأثيره على جميع انحاء الشرق المسيحي . فيه كان يرتّل الالحان الشجية تزماً المؤلف الموسيقي ، ورفيقه يوحنا الملحّن ، وقد كادا يدركان شهرة الشابتة رومانوس ، فخر بيروت ، وأشهر من ترنّم بالالحان الكنسية . وقد ذكرنا من مفاخر مار سابا ثاودوروس ابا قرّة. ومن مفاخره الجليلة القديس يوحنا الدمشقي، وتلميذه القديس اسطفان .

لو كان العالم متّصفاً بالعدل والانصاف ، لكان ظهور رجل كالقديس يوحنا الدمشقي كافياً وحده لرفع مدينة ، بل بلد بكامله، الى قمة المجد. بيد ان القداسة لا تهتم باحكام العالم . وها ان الكنيسة جعلت القديس المذكور في مصاف معلّمي الكنلكة الشاملة ، وخصّت به الفخر الجزيل بانه كان اول من جمع اقسام اللاهوت المبعثرة المشتّتة في وحدة منتظمة . فاستحق له هذا العمل المتّصف بالجرأة والحكمة معاً ان يُلقّب بأب الفلسفة الدينية . . . وان اختطاط الطريق

١) راجع المشرق ٨ [١٩٠٥] ٢٥٨

الجديدة ، وسبق السائرين في القافلة البشرية ، ولو بمرحلة قصيرة ، لمن صفات المباقرة ، بل من رسالة المدعوين . . .

القديس سمعان العمودي

لقد ترددتُ كثيراً على الطريق بين مصر وفلسطين ، فلم اصل الى سورية الا متأخراً . واني لاراكم تضجرون في انتظاري ، ضجراً يروعني لعجزي عن ملاشاته .

بدأت الرهبانية في سورية ، كما بدأت في فلسطين تقريباً قبل مائة سنة . وهي تكاد تظهر في الانحاء المختلفة بعصر واحد . فتقوم الديورة حول انطاكية وباروة (حلب) ، وفي بادية كلسيس ، حيث بدأ القديس ايرونيموس حياته الرهبانية ، وحيث وضع حادثة الراهب ملكوس ؛ كما تظهر في جوار إمس (حمص) ، وأفامية ، وابيفانية (حماه) ، وسائر مدن سورية وفنيقية . . . بيد ان المعلومات الصحيحة تعوزنا في تاريخ هذا النشوء والتطور . امّا تلك الصور البديعة والاوصاف الجميلة التي ضمّنها تيودوري تاريخه الجميل ، فاكثرها يتعلق بنسّاك وزهّاد ومعتزلين لم يتجاوز تأثيرهم مدخل منارتهم او باب خيمتهم ، هذا ان كان لهم خيمة او منارة . . . ولا شكّ في ان غيرهم كانوا يسكنون الديورة . ولكن اي ديورة ؟ كانوا جماعات قد توافق تقليد الطريقة الرهبانية وقد لا توافقه ، بل تكون احياناً غير ثابتة ، وهي اشبه باحياء العرب بل بتلك الجماعة المختلطة بين البدو والحضر التي قادها القديس اسكندر الاسيمتي على حدود فلسطين . فينبغي لنا ، والحالة هذه ، ان ننتظر ظهور القديس سمعان العمودي كي نتحقّق اثراً قوياً للطريقة الرهبانية في سورية ، ومن ثمّ في الكنيسة الجامعة كلها .

شخصية القديس سمعان العمودي اشبه بتلك القمم الشامخة التي تجذب اليها نظر المراقب الذي اتجه في الافق البعيد . ولاشكّ في انكم تعرفون تفاصيل حياته البسيطة ، وسيرته النسكية العجيبة ، فاعذروني ان ذكّرتكم بها بكلمة موجزة :

راعٍ صغير من ضواحي سيس او سيسان ، على الحدود بين قليقية وسورية ،

نشأ في اواخر القرن الرابع . وكان من اولئك الرعاة الشديدي التركيب ، القوي البنية ، الذين لا تزال نراهم يتخطون قمم جبالكم في الصباح والمساء . قناعة في الطعام والشراب ، جرأة وشجاعة ، قوة على احتمال المتاعب والمشقات، كلها من صفات هؤلاء الرجال الذين لا يكادون يألفون ، مرة في حياتهم ، مرافق الراحة في الحياة الحضرية . اصغى يوماً الى نداء الله ، فترك قطيعه . واقبل على ممارسة اشد التقشفات واصعبها ، عائشاً منفرداً في اول عهده ، ثم بين الرهبان . فادهشهم بزهده وصرامة حياته . ثم طرأ ما اوجدهم عليه فأبعدوه مدة ، ثم اعادوه ، ثم عاد الخلاف بينهم وبينه ، فتركهم نهائياً . ورجع الى حياته الفردية من تقشف الى تقشف ، حتى اختار مقاماً له تاج عمود قديم . في هذا المكان الضيق المكشوف ، عاش القديس واقفاً ، صيفاً شتاء ، مدة ٤٨ سنة . وقد قرن بهذا العذاب الرائع ، وبجهود الصلوات الطويلة المستديمة ، تقشفات وإماتات تكاد تظهر فوق المقدرة البشرية ، منها انه كان يقضي مدة الصوم الكبير كلها ، لا يشرب ، ولا يأكل ، ولا يتكئ .

هذا ، وان العقل البشري، تجاه هذه المعجزة الغريبة — وهي ادعى للعجب والاستغراب من كل ما نُسب الى القديس من معجزات مختلفة — يود ان يلتجئ الى الشك او الى الادعاء بالمبالغة ، على الاقل ، او الى الانكار المطلق . ولكن لا مجال لذلك . فان شهادة الشهود لا تُدفع ولا يمكن تجريحها . ويماثلها تأييداً للأمر ذاك الحدث التاريخي، بل تلك الحركة العالمية التي احدثتها هذه المعجزة المستديمة مدة نصف قرن ، والتي لا تزال آثار نتائجها ظاهرة في اطلال « قلعة سمعان » الفخمة .

حول القديس، كانت تتألب الجماهير من كل جنس وكل لغة في كل ساعة . هناك السوريون ، واليونان، والعرب ، والارمن ، والكرج ، والحميريون ، يتزاحمون للتشبع بمشاهدة هذا الحادث الغريب . وفي رومة كان ارباب البضائع يعلقون صورة القديس العمودي تعويذةً على حوانيتهم . وكانت شهرته قد تجاوزت رومة الى بلاد غالية، وبريطانية، واسبانية . فأرسلت اليه القديسة جنفيف، من باريس ، تزجو منه ان يباركها ويصلي من اجلها . وكان من ارغب الشعوب في

الازدحام حول العمود ، ومن اشدهم تعلقاً بالقديس، واوفرهم حماسةً في تقواهم، الشعب البدوي. حتى امكن بعض المؤرخين ان ينسبوا الى تأثير القديس ونفوذه تنصّر الغسانية . وقد اصاب المؤرخ الكبير كورث (G. Kurth) ، اذ قال معبّرًا عن شعوره بقوّة هذا التأثير: «لا عجب في من يتكلّم بمثل هذه السلطة، اذا ما ارتقى مثل ذاك المنبر !».

كان للقديس سمعان ان يبيّن بمثله مذهباً جديدًا في التقشّف والتنسّك . وذلك منذ السنة ٤٦٠ ، اي بعد وفاته ببضعة ايام ، فقام احد تلاميذه ، دانيال البوري ، وصعد ، في القسطنطينية نفسها ، على عمود اقام عليه مدة ثلاث وثلاثين سنة وثلاثة اشهر ، مثيرًا العجب والاستغراب في عاصمة الامبراطورية .

ثم تتابع العموديّون في الانحاء المختلفة ، من بلاد غالية — وقد شاهد فيها غريغوريوس التوري ، سنة ٥٨٥ ، عموديًّا في إيقرى (واسمها اليوم كلرينيون من مقاطعة الاردن) — الى روسية حيث قُتل القديس نقولا دي برجلاقل على عموده سنة ١١٨٦[1]. حتى مصر نفسها ، على ما اظهرته اولًا من الانصراف عن هذه « البدعة » المخالفة تقاليد سيّتي ، شاءت اخيرًا ان يكون لها عموديّها لئلّا تظهر متأخرةً عن سائر مناطق العالم المسيحي ، فكان لها ما ارادت ، انما ظلّ عموديّها على ورق البردي فقط !

امّا سورية فظلّت ارض العموديين المختارة. وكان اشهرهم في تقليد القديس سمعان الاول ، سمعان آخر عُرف بالاصغر ، وتوفي في السنة ٥٩٢ ، بعد ان ظلّ على عموده مدة ٤٥ سنة في قمّة جبل ، فوق مصبّ العاصي ، عُرف منذئذٍ « بالجبل العجيب » . في تلك الحقبة كان انشقاق المنوفيزيتيين السوريين قد تمّ ، وكان من نصيب المنشقّين ان وضعوا يدهم على كنيسة القديس سمعان الاكبر ، فأعرض عن زيارتها الملكيّون ، منصرفين الى مقام سمعان الأصغر . ولهذا نرى ان الكثيرين من مترجمي هذا القديس يبالغون احيانًا في وصف مظاهر الشبه التي وُجدت ، دون شك ، بينه وبين سابقه ؛ كما ان مهندسي كنيسة سمعان

(1 Marbynov, *Ann. graeco-slavic.*, p. 138

الأصغر على « الجبل العجيب » بذلوا جهدهم في تقليد تلك الرائعة الهندسية التي أقيمت على اسم العمودي الكبير . وان تكن كنيسة العمودي الأصغر اقل فخامة من سابقتها ، فقد ماثلتها في عمق تأثيرها على العالم المسيحي ، وفاقتها ، دون شك ، في دوام هذا التأثير ، ماثلة في نظر الكاثوليك ، مدة القرون الوسطى بكاملها ، المعبد الوحيد للقديس سمعان العمودي . ولمّا اغارت جيوش سعد الدولة على قلعة سمعان الاصلية فأخربتها سنة ٩٨٥ ، كان البيزنطيون قد صرفوا نظرهم عنها من مدة طويلة ، فنسوها تماماً .

الرهبانية في الكنائس المنفصلة

رسالات الرهبان في آسية الوسطى

لقد تجاوزنا مراراً ، في هذا البحث ، تلك الحدود التي قسمت الكنيسة الشرقية ، منذ القرن الخامس ، الى قسمين متباينين . وكان ان المنوفيزيتيين ، بعد ان ثاروا مشاغبين على مجمع خلقيدونية نحو قرن ، نظموا صفوفهم في طائفة مستقلة منذ السنة ٥٤٣ . وظلت الرهبانية مزدهرة في هذه الكنيسة مدة طويلة . على ان النزاع المستديم بينهم وبين اخوانهم بالأمس ، يمنعنا درس رهبانيتهم الدرس الدقيق . وذلك ان الوثائق والمستندات الضرورية في مثل هذا الدرس مكتوبة كلها بروح العداء والتحامل وما الى ذلك مما تثيره الحروب الدينية . حتى ان اخبار قديسيهم ورهبانهم الاولى التي كتبها يوحنا الاسيوي ونشرها في تاريخه الكنسي ، واخبار يوحنا الميومي وزكريا الخطيب ، نراها كلها غارقة في جوّ من البغض والحقد يزيد في شدّة ضغطه قسوةُ الشرطة الامبراطورية على المنوفيزيتيين . وقد يتوصّل الناقد الصبور الى تمييز الصحيح من الفاسد في هذه الاخبار . امّا ان يتخذها شاهداً على عمل الرهبانية في التقريب بين الكنائس والشعوب فهي الغرابة بعينها !

من الحقّ ان الرهبانية اليعقوبية ادركت ، في ما بعد ، عهداً كان اوفر سكينة واطمئناناً . الّا اننا لا نعرف تاريخاً مفصّلاً لمراكز الرهبان اذ ذاك سواء أنزلوا طورعبدين ، او جبل سنجار ، او الرها نفسها . انما نعرف عن طور

عبدين — وهو يمثل في الكنيسة اليعقوبية ما يمثله سينا وجبل أثوس — ان نصيبه كان وافراً من أثر النزولات المغولية والسلجوقية وغيرها . ولما ضبط الاسقف يوحنا الماردينى († ١١٧٥) شؤون كنيسته ، لم يكن باقياً راهب واحد في ذاك الجبل المقدس . حتى اذا عاد الأمن الموقت الى تلك البلاد ، وجب على الناس ان يهتموا باشياء اوفر ضرورة من اعادة جدران الديورة والمناسك[1] . على ان مترجمي الرهبان والقديسين لم يشاؤوا الا اعادة التقاليد النسكية فقاموا بمعجزات من الخيال والتصور . وهو يشبه ما حصل في بلاد الغرب ، في القرن العاشر ، على اثر غزوات النورمنديين ، عندما اخذ الرهبان يعملون على ترميم الكنائس والديورة ، وعلى ترميم اساطير مؤسسيهم بفن كان اضعف من فنهم البنائي . فنتج من ذلك مجموعات تافهة ستظل ، الى امد بعيد ، من عقبات النقد التاريخي لتراجم القديسين في العهد الكرولنجي . اما في طور عبدين فان انعدام كل تقليد ثابت يظهر ، دون شك ، من مسهلات البحث . فما كان من كتاب التراجم الا انهم اخذوا يستقون كل ما وافقهم من اسطورة مار اوجين النسطورية الى ذكريات تيودور ابو قرة الثابتة[2] ، ولعل اغرب هذه المخترعات ، وان لم تكن افقرها خيالاً ، اسطورة دير قرطمين العجيبة ! . . .

بقي ان نقول كلمة عن الرهبانية بين الناطرة ، وقد قاسوا اضطهادات الاكاحات الاسيوية عدة مرات ، فانقطعت صلتهم بالتقاليد المسيحية القديمة ، واخذت الرهبانية تضعف شيئاً فشيئاً حتى تلاشت من حيث كونها قوة على التقريب بين الشعوب المسيحية ، وان تكن ما انفكت ، في بعض مظاهرها ، تعمل على تقوية الاتحاد بين ابناء الطائفة نفسها ، وقد ظلت وحدها من بقايا كنيسة الفرس القديمة . وان لنا بآثار البطريرك تيموثاوس ، وتوما المراغي ، وعبديشوع النصيبي ، وايشوع دنح ، صفحات مؤثرة في تاريخ الرهبانية . على ان هذه التآليف تظهر كأنها كتبت لفائدة المكاتب ليس غير ، بل كأنها تلك الصور المرسومة في المقابر تشعر بكآبة شعب هاو ، مضطهد ، مظلوم ، يحس بهبوطه

١) راجع *Anal. Boll.* 27 [1908], p. 132 sqq.

٢) *Anal. Boll.* 48 [1930], p. 95

المتواصل ، فلا يرى أملاً في استعادة النور والحياة ، ولا يشغل مخيلته الّا بتصوّر الماضي المجيد.

بيدَ ان للرهبانية النسطورية ، زمن عزّها وازدهارها ، فخرًا يحقّ لها ان تعتزّ به ، ألا وهو ذاك العمل المجيد على نشر الديانة المسيحية في آسية الوسطى. ولكنني اختصر الكلام في هذا الشأن لجهلي بتفاصيل ذاك العمل . وليس من السهل الاطلاع عليها . لانه ينبغي لنا ، اذ ذاك ، ان نقف على الوثائق والاصول المكتشفة منذ ثلاثين سنة بفضل روّاد تركستان الصينية ، بين قفار تكلامكانه حتى جوار السور العظيم . وقد كان من فضل هؤلاء الروّاد ان اعادوا الى النور مكاتب كاملة نامت فيها ، منذ اثني عشر قرناً ، وثائق كثيرة باللغات الصينية ، والمغولية ، والاويغورية ، وغيرها مكتوبة بلهجات وحروف دخلت في طور النسيان من زمن طويل حتى وجب على العلماء ان يضعوا لها اسماء جديدة . وعلى من يجهل هذه اللغات ، وما قيّدته تلك الوثائق ، ان يلجأ الى سلامة الصمت في ما خصّ الكنائس المسيحية القديمة في آسية الوسطى . وما نحن في معلوماتنا الضئيلة عن هذا العالم الفسيح الّا اشبه بصبيان رفعوا اكمات وضيعة من رمل الشاطئ ، وصعدوا عليها يرمون بابصارهم افق الاوقيانوس السحيق : نعرف ان النصرانية تأصلت في مرو من بلاد خراسان ، ثم تتبعها في بعض المراحل ، ثم تكلّ عنها ابصارنا . على انها تابعت سيرها ، دون شكّ ، في مجاهل آسية المحفوفة بالاسرار والمخاطر ، فأنشأت في طريقها كنائس لم تكن عفت آثارها بعد في القرن الثالث عشر . وذلك بشهادة مرسلي الفرنسيسكان ، في ذاك العصر ، وقد وقفوا على اطلالها ، فكان لهم منها نقاط مهمّة لتسهيل رسالتهم الجديدة في التبشير . ولقد كانت المؤلفات الطقسية التي تركها نساطرة آسية الوسطى ذخيرةً ثمينة لاول رئيس اساقفة على باكين ، المكرّم يوحنا مونتي كرفينو ، مَن نتمنّى ان تُعلن طوباويّته في المستقبل القريب .

بعلبك

عن « الجبل الملهم » لشارل قزم*

نقلها سعيد عقل

ويا بَعلَبكُ ، جى أمانيِّ تلك العهودْ ،
حَناناً على الفُرس يعقدنه فيكِ ، منذ الوجودْ !

فكم خضرةٍ صوَّحت هشيماً على أرجُبلكْ !
وأنتِ ، اليتيمة ، تحوينَ دنيا على أنبُلكْ !

وَلدتِ الرجالَ الأُولى تهادَوا بزندٍ أغرّ ،
وبالنبل من قامةٍ يصدُّون وَجهَ القَدَرْ .

هنالكَ أرضٌ تموج بالعشب لا يُجتنى ،
هنا عُمُدٌ ثابتاتٌ ، على الدهر ، من أرضنا .

أراهنَّ في رقصةٍ ، سكارى بقلب الفضاء ،
يُفجّرنَ وجهَ الكواكب حِسّاً ، ووجهَ السماء !

فترقصُ آفاقُنا ، على لوعةٍ واشتياقْ ،
تغنّي غرامَ الصبيحة والغيمِ ، غِبَّ العناقْ !

∴

* النقل محظور .

نجومٌ تدور ، وتَرْقُصُ من حول تيجانك النافراتِ الجلالْ ؛
وليلٌ غفا في حنايا التلالْ ؛
وظلٌّ كميٌّ تمرّى ، وعلّقَ ، فوقَ نقوشِكِ ، ثوبَ القتالْ !

نجوماً عرائسَ ، يا عُمْدَ القِدَمِ ، أنتِ لنا أنبياءُ الأزلْ ؛
وأنتِ ملوكٌ مَضَوا ، ودُوَلْ .
وتدرينَ أني أجوبُ الخيالْ ، على قدر حبّكِ للمُلْهَمِ ،
فيا عُمُدًا ، آلهاتِ الدَّمِ ،
أريقي الصباحَ على مبسمي !

وأجملي شِعري الفتيّ ، إن يستبحْ منكِ البخورْ ،
مُتْرِلًا رَوْنَقَ موتٍ عُلَويّ ، ونشورْ ،
منكِ ، يا لحن العصورْ !

عُمُدَ الصوّانِ ، والجُرأةِ ، يا أُفقَ الاملْ ،
روحُنا تجتازُ ، في وثبكِ ، أبصارَ القُلَلْ ،
في انفلاتٍ وتَنَلْ !

***

هباءٌ من الشمس — مثل الفَراشاتِ يَرفلن بالطُّهر ، والأحمرِ ،
ومثل الأهازيج من مرقص النحل ، يملأنَ سمعَكِ نثرًا طَري ،
جليلًا بأسرارهِ البُكَرِ ؛
ومثل طيورٍ من الوهم زُرقٍ تُطوّفُ ملءَ نشيدِ القيانْ ،
وبين النهارِ ، وبين الجِنانْ !

هباءٌ من الشمس يمشقُ منكِ ، ويمسحُ من قِدَمكِ الأسمَرِ ،
ويسكرُ من خمرةٍ ، ويُعربدُ ، دون اخضرارِكِ ، في الاعصُرِ ،
ويرشفُ منكِ افتتانْ
وسرَّ زهودٍ حِسانْ

تساقطنَ عن أغلِ نيّراتٍ بَنَتْكِ زماناً حديثَ الزمانْ .

∴

ويا آيةَ العينِ تنهدُ ، سكرى ، على الوَرد من جسمكِ الخافقِ ،
فتخشع مقرورةً ، دون شيء عميقٍ بأسرارهِ دافقِ ،
تُخالُ على أغل الخالقِ ؛
وتنتج ملء بياض الصباح ، يُخضِّبها طيبهُ ، ونداهْ ؛
تُخال شفاهاً برَتْها الشفاهْ ؛
وتحت اللمى منكِ ، يا بعلبكُ ، تحولُ لمى مستطابَ الجنى ،
تَفتّقَ عن قُبلةٍ أشرقت بسرّ الحياة ، وأفقِ المنى ؛
هي العين منك على ضفةٍ ، فتفرُّ حنا فوق ثغرٍ حنا !
تُرى انها طائران استفاقا الى الزهر : أجنحةٌ وانفلاتْ ،
يبثّان ، في سكرةِ الزقزقاتْ ،
افاتينَ اشياء ، يا بعلبكُ ، تُريقُ الالوهة في الكائناتْ !

∴

هو الله يحرسُ شِعافَ السماءْ
بثمّ النورِ ، وجُهْمِ الغيومِ ، وحُكمِ القَدَرْ ،
ومملكةِ الخالدين البَشَرْ ،
وبالزُرقِ من نيّراتِ القضاءْ ،
وبالعُمُدِ الخُضرِ منكِ ، يُداعبنَ وجه الزمان ، ووجه النّداءْ !

∴

لا تَرجي عِبئاً يهيجُكِ أعراساً تراءى الصباحُ ، كيف تراءى ،
أسودَ النورِ ، أبيضَ الوهج ، سيّانِ اذا انتِ تلبسين صفاء ،
يفحُ الحُلمَ في المحاجر ماء !
عُمُدَ الجبروتِ تُطلعُ للفنّ مثالاً من الجلال الضاحي ،
أنتِ مرمى آمالنا ، يا خيالاً فيهِ كلُّ الحقيقةِ المداحِ !

لا تهادتْ أجلَّ منكِ رُؤى السحرِ ، وأسمى مهابةً في الفؤادِ ،
تسفحين التي عليك جمالاً فاجعاً بالرُّواء ، والانفرادِ .

واذا كان رَفرَفُ القوم ، والهالةُ في صخرةٍ من الفنِّ حيَّةْ ،
تشهدُ الأرضُ ، أيها الطَّللُ الرمَّةُ ، أنَّا اعزُّها مدنيَّةْ !

أيَّ أمنيَّةٍ تنحتْ ، ولا تنشقُّ في سُكرِها ، وفي البحرانِ !
واذا اختال، فوق حوريبَ، موسى في شهابين من قوى وامانِ ،
فلنا سَتَّةٌ بوجه الزمانِ !

ما عجيب طيَّ الضلوع على الاضداد ، والقلب في مراميه قلبُ ،
العجيب العجيب ، يا عُمُدًا صنَّاه ، ألا شيءٌ كحزنك ، عذبُ !

∴

عُمُدَ الشمس ، يا فجاجاً خلالَ الدهر ، غُرَّ الابعاد ، والقضبانِ ،
ايها السدُّ دون بحرةِ نورٍ ، منبر الصبح ، والعلى ، والزمانِ ؛
عُمُدَ الشمس ، قدَّةً من ثباتٍ ، وشراعاً من لازَوَرْدٍ ونُورِ ،
ايها الزورق المحتَّل أياماً يشقُّ العبابَ ، عَرضَ العصورِ ؛
ما تضير اعتزازَنا حيرةُ التاريخ يُغضي عن حبِّنا ببنائكْ ،
أنتِ ، يا بعلبكُ ، تدرينه حقًّا ، فخلِّي التاريخَ دون علائكْ !

نحن لا ندَّعي بك الزخرف المحدَث ، صنعَ الرومان واليونانِ ،
فخرُنا نحن ، يا أميرةُ ، في الفكرةِ تبنيك آيةَ الازمانِ !

∴

ما تبالين، أنتِ، بالناس يهوُنكِ، والحسنُ فيك حسنُ الرجولةْ ،
وأمانيكِ ما تني في هيامٍ ، منك ، بالناسِ ، منزلٍ إنجيلةْ !

في انفلاتٍ الى الألوهة تتهدَّين فيها بجنونةٍ بالضياء ،
واندفاعٍ مثل الاشعة من أعرافكِ الشُّمر في الزمان الثاني ،

في خطابٍ به من الله قولُ : « أنا نفسي اقدار نفسي الرواهنْ ،
أنا من مبتغايَ ، خالقُ ذاتي ؛ انا اهوى وابتغي ؛ انا كائنْ ! »

أنتِ ، يا بعلبك ، ثبتةُ أسٍ ، غيرُ تعبى من المدى والبقاء ،
فلذُ العبء فيكِ من هائلِ اللونِ ، وتيجانك العلى من سماء !

حكمة الله ، والزمانُ ، على صخركِ ، صبّانِ في دَدٍ وعناقٍ ،
طالعٌ منهما حوالي تضاعيفك مثلُ التنهدِ المشتاقِ !

يا بني النور ، اخوةَ الفجر ، ما يرمي بغضبي اجسامكم للفناء ؟
ايها الاذرع الثقالُ جراحاً ، أيّ وتبٍ لكم بقلبِ الفضاء !

∴

قلاعَ بلاديَ ، يا أنجما
ذواتِ قوائمْ
تسيرُ ، دون الحسى ،
بعدّى وعزائمْ !

خطاكنّ ، والوثباتُ الجوامدْ
بأفق القِدَمْ ،
يزمنَ الدهورَ الصوامدْ
بثبتِ القدمْ !

يلاقي بكنّ المشيقَ المشيقهْ :
أميريَ جلالْ ؛
والعرس تمشي الحقيقهْ
بقرب الخيالْ !

جبابرةَ الصمت ، والناس حربٌ ،
ويا حالماتْ ،

على شاطىء فيه تكبر
ذرى الكائنات ؟

أرى فيك ، يا بعلبكَ المُنُدْ ،
بكورَ الرجولهْ ؟
دعي الصولجانَ يجُدْ
بجوزِ البطولهْ !

فأنتِ ضياء الصباح الطهورْ ،
وبعد الزوالْ ،
تظلّين ، فوق العصورْ ،
جُذى من جمالْ !

وإن نستعزَّ بمجد الجدودْ ،
تظلّي العَتَدْ ؟
أيا بعلبكَ الخلودْ ،
وإرثَ الأبدْ !

وحولكِ من زرقةٍ وسنى ،
روءى والهْ ،
تظلّلُ اعراسنا ،
مع الآلهْ !

المتنبي والشعر الصافي

بقلم فؤاد افرام البستاني
استاذ الآداب العربية في جامعة القديس يوسف

اقام المجمع العلمي العربي في دمشق مهرجاناً رائعاً لمرور الف سنة على مقتل ابي الطيب المتنبي ، تجلى في سلسلة من الحفلات دامت اسبوعاً كاملاً من ٢٣ الى ٢٩ تموز ١٩٣٦ ، وتكلم فيها جمهور من الادباء والشعراء والخطباء أتوا العاصمة السورية من لبنان ، وفلسطين ، وشرقي الاردن ، ومصر ، والعراق ، فخاضوا موضوعات شتى في عصر المتنبي وسياساته ، وفي حياة الشاعر وشخصيته ونصيبها من البداوة ، والثقافة الحضرية ، والطموح ... ، وشاعريته وحظها من التجديد ، والتفكير الفلسفي ، والمقدرة اللغوية... ولقد رأينا ان ننشر في ما يلي الخطاب الذي القاه الاستاذ فؤاد افرام البستاني ، ممثل جامعة القديس يوسف في المهرجان المذكور ، وموضوعه : المتنبي والشعر الصافي

سيدي الرئيس[1] — ايها السيدات والسادة.

لبعض النفوس المصطفاة حالاتٌ خاصة ، تنتابها ، على غير اختيار ، فتهفو بها الى نداء بعيد ، وتجذبها نحو نور غريب ، حتى تحطَّ بها في منزلة مسحورة قد تكون ذاك البرزخَ القائم بين المادّة والروح. حينذاك تنهار حواجز البشرية، فتنفصم قيودُ الزمان والمكان ، وتتمثّل مقاييس المنطق . واذا بتلك النفوس خافقة الجوانح، مضطربة العواطف ، منجذبة الحواسّ ؛ ولكنها ثابتة الموقف، مستأنسة بوحشتها ، آهلة بوحدتها ، ناعمة بلذّة خاصة نراها غريبة عن محيطنا المادي ، فلا ننفكّ مُعرضين عنها ، ناقمين عليها. هي غرابة ابن الرومي في بيته الحاكمة عليه بالتطيّر والتشاؤم ، وهي غرابة « جبران في هذا العالم »[2] ، بل هي غرابة فرنسيس طومبسون الذي « رأى ما لا يُرى ، ولمس ما لا يُمسّ ، وعرف

١) فخامة محمد علي بك العابد ، رئيس الجمهورية السورية.

٢) « انا غريب في هذا العالم ! » في « الشاعر » ، لجبران خليل جبران : البدائع والطرائف ، ص ٣٥

مـا لا يُعرف ، واعتنق ما لا يقع تحت الحواسّ »[1] ؛ بل هي غرابة ذاك الشاعر العصري[2] الذي

سيسبق آماله في الطريق ، ويجني الاشعّة قبل الشروق .

هي غرابة غـلاة المتصوّفة ، وكبار الشعراء ، وعباقرة المجانين ، ومهرة الوسطاء والكهّان وسائر من يعتقدون ، عن إخلاص ، بانهم على صلة بالقوّات اللابشرية . وهي غرابة المتنبّئين . . . وفي طليعتهم مَن نكرّم ذكراه هذا الاسبوع . ولا بدع أن تجمع اليوم بين الشعر والتنبّؤ في ظلّ الالهام والتأثير اللابشري ، وقد رادف العرب قديماً بين الشاعر والكاهن والمجنون[3] ، واجمعوا على ان لكلّ شاعر شيطاناً يملي عليه اروع قصائده ، كما اجمع قدماء اليونان والرومان على افراد إلاهـة خاصة للشعر ، مُهمّتها ان تُلهم الشاعر ، وقد رفعته عن سائر الناس ، ما يخلب به عقول ابناء الناس .

هذه الحـالة الغريبة التحديد التي يُنزّل فيها الشاعر المصطفى ، مضطربَ النفس بـين القلق والسكون ، متخدّر الاعصاب بنشوة بين اللذة والأسى ، مصقول الحواسّ بما لم يعهده في الحياة العادية ، حتى ليخالف البشر اجمعين ، بل ليخالف ذاته البشرية في الحسّ والخيـال والشعور — ولا اقول الفهم ؛ لانه ، وهو في تلك المنزلة ، لا يفتّش عن فهم ولا إدراك[4] — هذه الحالة هي ما

---

١) في Henri Bremond, *Prière et Poésie*, Paris, 1926, p. 92

٢) هو نسيب عريضه ، في « على الطريق » : مجموعة الرابطة القلمية ، ص ٥١

٣) راجع في ذلك : فؤاد افرام البستاني : حول النثر الجاهلي ، آراء وملاحظات في « الانشاد » (المشرق ٣٠ [١٩٣٢] ٣٨٣) ؛ والروائع ٣٢ [كعب بن زهير] يد .

٤) قال برادلي ، استاذ « الشعر » في جامعة اكسفورد : « ليس من مهمّة الشعر — اذا ما عرضنا له من الناحية النفسية — ان يعبّر عن أفكار ، ولا ان يعرض نظرات عقلية في الحياة . انما هو ايحاء وخلق . » M. A. C. Bradley, *Oxford Lectures on Poetry*, London, 1923 اوردها مترجمة الى الفرنسوية H. Bremond, *op. cit.*, 68

ومن المفيد ان يُراجع ، في « الإلهام الشعري » :

Paul Claudel, *Lettre à l'abbé Bremond sur l'inspiration poétique*, dans *Positions et Propositions*, I, Paris, 1928, p. 93-101

ندعوه بالمعجزة الشعرية ، وما نعبّر عنه بالشعر الصافي[1].

على انها ما دامت في حيّز الموضوع ، اي ما دامت في نفسية الشاعر المنتقل اليها ، فلا سبيل لنا الى الشعور بها ، وبالتالي الى قدرها والحكم عليها. واذاً فلا مندوحة لنا عن تطلّب آثارها في شعر الشاعر ؛ كما ان لا مندوحة لهذا الشاعر المتكين عن الالتجاء الى الالفاظ المادّية في سبيل اخراج تلك الحالة الروحية . فهل كان لابي الطيب المتنبي نصيبٌ وافر من هذه النعمة السامية ، وهل توفّق الى التعبير عن بعض آثارها في نفسه الشاعرة ؟

لنترك حِكَم المتنبي السطحية يلهو بترددها عشّاق البديهيّات. ولنترك معاني المتنبي العميقة يَنعَم بها اساتذة المنطق ، فيفتّشون ، وبايديهم مشاعل الفلسفة ومباضع التشريح ، عن أصولها واشباهها في مذاهب القدماء والمعاصرين ؛ حتى اذا توفقوا — وهم متوفّقون ، دون شك — رأينا شاعرنا مجموعةً اشلاء مُبعثرة ، بعضُها في خزانة ارسطو ، وبعضُها على رفوف نيتشه ، والبعض الآخر في مختبر داروين.

ولنترك صُوَر ابي الطيب يتنازع درسَها مؤرّخو « الشعر والشعراء » ، فيميّزون بين المقلّد والمبتكر ، بين الصور البدوية القديمة بما فيها من سعة القفر واغبرار اللون، والصور الحديثة المبتكرة بما تحفل به من جدّة الوصف ودقّة التشبيه.

ولنترك تركيب المتنبي يحلّله ارباب اللغة وسادة النحو ، فيتشاحنون ، ويخطّئون ، ويخرّجون ؛ واذا بهم ، بعد الف سنة ، في المشاحنة ، والتخطئة ، والتخريج.

---

١) بحث بعض الغربيين من ارباب النظريات الشعرية في حالة الإلهام الشعري ، والشعر الصافي ، وما الى ذلك من درس موسيقيّة الإخراج ، وعلاقتها بالمقاطع الصوتية ، ونبرات الحروف ، والتأثير المطابي الشفهي او الانشادي ، فتبادلوا الآراء المتشعّبة حتى التضادّ مدة العشر السنوات الاخيرة . وقد حفلت المجلات والنشرات الادبية والفنيّة بمناظرات عديدة تتردّد بين الملاحظات والتحقيقات المعقولة والاحكام والمزاعم المتطرّفة . بيد ان اشهر من خاض هذا الموضوع عن سعة اختبار ، ودقة نظر ، وتوفّق تعبير، خمسة هم : هنري بريمون ، وبول ڤاليري، وبول كلوديل، ومارسل جوس، وجان روبير، ولا تزال آراؤهم وملاحظاتهم في طليعة هذه الدروس الجديدة.

ولنصرف النظر كذلك عن الصناعة العَروضية نفسها ، على ما فيها من مجالٍ فسيح يرتع فيه امراء الزحافات والعِلل ، ويعودون بالمجاني الشهيّة . بل اننا نصرف النظر عن الموسيقى النظمية ، وقد تكون مشتركة بين المتنبي وغيره ، فلا تصلح سبباً خاصاً للاحتفال بتكريمه. كما اننا نترك جانباً كلّ ما قد يُهيب بالعالم العربي الى هذا الاحتفال من صلاتٍ عنصرية ، ودوافع سياسية ، ونزعات وطنية ، قد لا يكترث لها النقد الادبي الصحيح...

بقي في ديوان المتنبي « الشعر الصافي ».

ليس الشعر بالمعاني ولا بالصور ، ولا بالتراكيب اللغوية ، ولا بالصناعة العَروضية ، ولا بالموسيقى النظمية . انما الشعر كلٌّ هذا متوحداً حتى لا انفصام لاجزائه ، راقياً بمجمله الى تلك الحالة الإلهامية السامية التي حاولنا ان نقترب منها ، مُوَفّقاً بين ما يغرّق فيه الشاعر من جوّ اهتزاز وارتجاف ، وما تُنْبِئُه شفتاه من كلمات ومقاطع تولّد مجرًى موصلاً ينقل الينا تيّار اهتزازه وارتجافه . واذا بنا نضطرب لما كان يضطرب له ابو الطيب ، قبل الف سنة ، فنفرح لنجاحه ، ونتألم لإخفاقه ، وتترنح نفسُنا ابداً ترنّحَ نفسه بين الرغبة والرهبة والأمل والقنوط . هو مفعول تلك الروعة الجبّارة تُسيطر على ديوان المتنبي ، فوق العوامل العقلية والمادّية ، فتخدّرنا بتيّار شاعريّته الغلّابة ، وتنقلنا الى جوّها الصافي . وكفى بها عاملاً على رفع ابي الطيب الى مستوى الشعر الحيّ الخالد.

هذه الروعة لا تُشرح ، ولا تُفهَّم ، ولا يمكن ان تُدرَّس. لا يصل اليها قلم البياني ، ولا يضبطها ميزان العَروضي . يقصر عن تحديدها قياس المناطقة ، وتهزأ بمحاولات النحويين واللغويين . هي الروح التي لا تقع تحت مبضع الجرّاح ومشراط استاذ التشريح. انما يشعر ببعض مفاعيلها اولئك الذين اصطفتهم الحياة للتشُّع بشيء من اسرارها الخالدة. يشعر بها هنري بريمون ، وبول فاليري وسائر ارباب النظريات الحديثة في الشعر الصافي ، كما شعر بها قدماء العرب الادباء ، من الذين كانوا يقرأون الشعر « إنشاداً » ، فيتذوّقونه « شعراً » ، لا معاني منظومة . فيشعرون بجميع حواسّهم ، ويرتجفون متخدّرين بلذّة فنيّة يحارون في

التعبير عنهـا فينسبونها طوراً الى الإلهام ، وتارةً الى « السحر » ، وحيناً الى لاشيء ، مكتفين بالقول قولَ الجاحظ « والشعر لا يُستطاع ان يُترجم ، ولا يجوز عليه النقل . »[1] وهذا من احدث ما وصل اليه ارباب النظريات في الشعر الصافي . وما ذاك الا لان الشعر وحدة قائمةٌ روعتُها في تماسك اجزائها، وتآلف اعضائها، اذا نُقضت سقط موضع التعجب منها » ، ولم تبقَ الا اشلاء متقطعة، ومزادٌ متفرّقة . واذا حُوّلت من لغة الى لغة تبدّد العمل الفني فيها ، وألبست حُلّة غير حُلّتها الاصلية ، قـد تكون اسخف وقد تكون اروع ، ولكنها ليست بحلّتها . وهو دليل على ان الشعر فوق المعاني والصور ؛ وإلا فالمعاني والصور مُستطاع نقلُها الى ايّ لغة . وليجرّب سادة الترجمة نقل هذين البيتين :

وقفتَ ، وما في الموت شكٌّ لواقفٍ ، كأنك في جفن الردى ، وهو نائمُ ،
تمرُّ بك الابطالُ كَلْمى ، هزيمةً ، ووجهك وضّاحٌ ، وثغرك باسمُ .

وايّ سامع لا تملك حواسّه روعتهما، قبل ان يُعمل عقله في تفهّم معناهما ، وفي تمثّل تلك الصورة الغريبة لجفن الموت النائم ؟

ولقد قال قدماء العرب من الذين شعروا بهذه الروعة، وحاروا في تحديدها : « ان الاديب الالمعي، اذا سمع بليغ الكلام، احسّ له بقشعريرة . » ها انهم قـد ادركوا مفعول تلك الروعة ، بل ادركوا ذاك الاشتراك الضروري بين الشاعر والسامع في تحقيق اللذة الفنيّة . ولا يخفى ان هذه القشعريرة التي تمرر السامع الالمعي ، قبل ان يفهم معـاني الشعر ، بل قبل ان يحاول فهم تلك المعـاني ، هي عمل ما ندعوه بالشعر الصافي . احسّها ارباب الذوق الشعري من قدماء العرب[2] ، ولم يفتّشوا عمّا وراءها من شرح وتحديد ، وحسناً فعلوا . . . حتى كان العلماء : علماء العَروض ، وعلماء الانشاء ، من الاصمعي والخليل الى

---

١) الجاحظ : كتاب الحيوان ، في « الروائع » ١٨ : ٢٣

٢) ولهم ، في ذلك ، لمحات بصيرة تدل على انهم رأوا في الشعر شيئاً فوق المعاني . من ذلك اعجاب ابن الاثير بهذين البيتين ، على « خساسة المعنى » فيهما :

ولما قضينا من منى كلَّ حاجةٍ ، ومَسَّحَ بالاركان مَن هو ماسحُ ،
أخذنا باطراف الاحاديث بيننا ، وسالت باعناق المطيّ الاباطحُ !

الجرجاني وابن الاثير ، فجرّبوا قياس الروح بالمادة ، وحاولوا حصر الشعر بالتفاعيل والتراكيب البديعية . واذا بالروعة تُصبح من المستحضرات الممكن توليدُها بالتمرين النظمي ، واذا بالشعر يُصبح صناعةً لها قواعدها وطرقها واساليبها . ويزيد ابنُ خلدون ، في عهد الانحطاط الشعري ، ان هذه الصناعة « انما تكون بالالفاظ لا بالمعاني »[1] .

من الحقّ ان للشعر شرائع ، كما لسائر الفنون ؛ ولكن هذه الشرائع السامية يدفع اليها الالهام ، وتطبّقها الغريزة المهذّبة ، فيختار الشاعر العبقري هذه اللفظة بدل تلك التي تماثلها وزناً ومعنىً ، ولا يدري لماذا ؟ كما انه يُدفع ، عن غير قصد ، الى التوفيق بين حروف لو اعاد النظر في تأليفه لما وفّق بينها ضرورةً . وها اننا نجابه هنا حقيقةً بديهية في نظر ارباب العَروض وعلماء الانشاء ، وهي أنه يجب على الشاعر ان يعيد النظر في آثاره فينقّح ويُصلح ، ويُقدّم ويؤخّر[2] ، والويل لمن لا يطيعهم ، بل الويل لمن يترك في شعره هنات يرونها هفوات فظيعة ، وقد تكون ضرورية لايصال ذاك التيّار الشعري الرائع ،

١) قد يمكن تخريج قول ابن خلدون هذا تخريجاً صحيحاً ، اذا ما رأينا في « الفاظه » كلّ ما تستخدمه الحالة الشعرية من توافق الاصوات ، وتجانس الصيغ ، وتساوق التراكيب في ايحاء ذاك الجوّ المخدّر ، وكلها امور تختلف حتى المماكسة عن المعاني . على اننا في هذا التخريج نجحف بحق « العالم » ، اذ ننسب له من الاحساس بالحالة الشعرية ما هو براءٌ منه !

٢) . وهو ما لا يألو الاساتذة جهداً في تكراره لتلاميذهم مندفعين على إثر « علماء » الادب من ارباب التهذيب والتنقيح سواءٌ أكانوا غربيين :

Vingt fois sur le métier, remettez votre ouvrage !

أم عرباً ؛ وهم في غبرهم المبرورة على التنقيح والتهذيب لا يميّزون بين النثر والشعر ، كما انهم لا يميّزون ، في التنقيح الشعري ، بين حالة الاضطراب الذهني والتردّد في اختيار اللفظة الموصلة للتوتّر الشعري — وهو عمل لا بدّ منه في كل أثر فني يرمي صاحبه الى اخراجه افضل اخراج — والرجوع على القصيدة بالتنقيح البارد في الزيادة والحذف ، وهو عمل الناظم العَروضي ليس غير ؛ حتى حملهم هذا التطرّف في الحماسة التنقيحية على صرف الشعراء عن « الطبع » الى « الصناعة » بل الى « العبودية » . وقد نقل صاحب « مقالات علم الادب » (١ : ٢١٦–٢١٨) بحثاً مستفيضاً في « تهذيب الكلام وتنقيحه » عن خزانة الادب للحموي ، وزهر الآداب للحصري ، ختمه احدهما — إما الحموي وإما الحصري — بهذه الوصية « للشعراء » :

« واورد العلّامة زكيّ الدين بن ابي الاصبع في كتابه المسمّى « بتحرير التحبير » وصيةً

وخلق ذاك الجوّ الفخم. وبعد هذا ، هل من عجب في ان يكون هؤلاء العلماء قاموا على المتنبي لصعوبة تركيبه ، وغرابة الفاظه ، وخروجه احياناً على قواعد اللغة والبيان والعروض ، كما قام غيرهم ينعون عليه غموضه وابهامه ؟؟؟

نحن لا نقول ان من شروط الشعر الصافي الخروج على القواعد — كما اننا لا نقول ان من شروطه الغموض والابهام . ولكن هذه القواعد صورة ضئيلة لشرائع الفنّ الطبيعية العامّة . والشرائع نفسها واسطة لبلوغ الفنّ ؛ وليس الفنّ واسطة لها. واذاً ، فلنحذر ان نعكس الحقائق الطبيعية ، فتنعكس علينا مفاعيلها ، وحينئذٍ بدل ان نصل الى روعة الفنّ نرتخذ بدقّة الصناعة ، وبدل ان نُعجب بالجمال نستملح الحُسن والظرافة ، وبدل ان نكرّم الشاعر نلهو بالنظّام اللبق. اما الغموض والابهام فنحن ابعد من ان نجعلهما من شروط الشعر. ولكن ليس من شروط الشعر كذلك ، وضوح الرياضيات ، او تسلسل القياسات المنطقية.

الشعر صورة الطبيعة السامية الى ما فوق الطبيعة المحسوسة. ومن يُنكر ان في هذه الطبيعة غموضاً وابهاماً، كما ان فيها صراحةً ووضوحاً. بل من ينكر ان غموضها وابهامها اوفر من صراحتها ووضوحها . وليست مهمة الشاعر ، في اعماق سرّه ، ان يشرح للناس معمّيات الحياة ، او ان يُفهمهم اسرار الكون. انما هو يكتفي بان ينقل اليهم هذه الاسرار والمعمّيات ، بل ان ينقلهم الى محيطها ، فيُثير في نفوسهم ، تجاه مظاهرها ، بعضَ ما ثار في نفسه ؛ ويجعلهم يشتركون ، وقد بعدت عنهم تلك المظاهر ، بما شعر به هو اذ كان يتنقل بينها . تغمرهم روعته فيرتجفون ، وتعروهم تلك القشعريرة قبل ان يدركوا ، بل قبل ان يحاولوا الادراك ، إن هم شعروا بحاجة اليه.

هذه حالة ابي الطيب في شعره الصافي . وليس من الشعر في شيء اكثر

لنفسه اوردها ايضاً على نوع التهذيب والتأديب، فاخترتُ منها ما هو اللائق بالحال، واوّلها: ينبغي لك ، ايها الراغب في العمل ، السائل عن اوضح السُبُل ، ان تُحصّل المعنى قبل الشروع في النظم، والقوافي قبل الابيات » (كذا !) وقد زاد مختار القول : « قلتُ : وهذا مذهبنا ! » — اما نحن فقلنا : رحم الله جميعاً عداد مثاقيم في سبيل الشعر !!!

القصائد المدحية والرثائيـة ، وسائر الظرفيات . انما هناك عددٌ من مدائحه في سيف الدولة ، تلك التي كان يقولها بعد المعارك المؤثرة فيه ؛ وعدد من الابيات الاخلاصية التي كان يدخلها في الكافوريات — كي يطيل المجال بينه وبين مدح العبد ، فينصرف الى تذوق اللذة الفنية الخالصة ؛ وشيء من تلك المنظومات الشخصية التي قالها في مصر ايضاً، فصوّر بها حاله من الغربة والمرض واليأس والشكوى ...

قلَّ من يقرأ هذا القسم قراءةً شعرية ، ولا يحس — ولا نقول يفهم — بما حاولنا تحديده من الروعة الشعرية.

قد تكون تلك الروعة في المطالع الفخمة ، ترفدهـا الموسيقى الجزلة ؛ ولشاعرنا الباع الطولى فيها :

على قدر اهل العزم تأتي العزائم، وتأتي على قدر الكرام المكارمُ !

بل ان لشاعرنا ميزةً خاصة في مطالع قصائده الصافيـة ، هي تلك النبرة الموسيقية العاطفية التي تؤثر اثرًا بعيدًا في نفس السامع ، فتماثل اللمسة الاولى يوقظ بها الموسيقي الماهر قيثارته الحسّاسة[1] :

لك ، يا منازل ، في القلوب منازلُ ! اقفرتِ انتِ ، وهنَّ منكِ أواهلُ !
واحرَّ قلباه ممن قلبه شبمُ !

وقد تكون تلك الروعة في البيت الكامل يثقل في سعة تصميمه ، ووفرة ايحائه ، ما يفيض عمّا يتّسع لـه الوزن وتحمله الكلمات ، فيخاله السامع اكثر من بيتٍ ، او بيتاً على وزنٍ اوسع واطول من الاوزان العاديّة :

بناها فاعلى ؛ والقنا يقرع القنا ، وموج المنايا حولها متلاطمُ !

فهو معركة تامّة تكتنفها الجلبة من كل جهة بفضل الحروف المتوافقة من قافات وميمات . وتوافق الحروف من مولّدات الإحساس بالشعر الصافي ، على شرط ان لا يتكلفها الشاعر ؛ والمتنبي بغنىً عن هذا التكلّف ، وهو الذي ينام « ملء جفونه عن شواردها ».

---

١) على ما يقرب من تعبير المسيو اورده في احدى محاضراته في بيروت ، وكتبه مؤخرًا الى بلاشير R. Blachère, *Abou ṭ-Ṭayyib al-Motanabbī*. Paris, 1935, p. 349

وما رأيكم في هذه الشينات :

وشُزَّبٌ أحمت الشِّعرى شكائمَها ووسَّمتها على آنافها الحَكَمُ ،
حتى وردنَ يسنين يُجيرُها ، تَنِشُّ بالماء في اشداقها اللُّجُمُ !

وليس بنا من حاجة ، في تذوق تلك اللذة الفنية ، الى تفهم الفاظ البيت . وقد تكون تلك الالفاظ من اسماء العلم ، او من الكلمات الوحشية التي لا يزيد العلم بها شيئاً في شاعرية البيت ، بل قد يضعفها بعض الاحيان . انما هو توافق المقاطع والحروف ، كما في قوله :

ودون سيساطَ المطاميرُ ، والملاَ ، واوديةٌ مجهولةٌ ، ومجولُ .

او هو تقطيع الموجات الموسيقية تتدافع في تفاعيل البيت ، وفي كل منها ما يزيد على سابقتها ايحاء للروعة الغالبة ، كما في ختام وصفه لانتصار سيف الدولة مكتسحاً بلاد الروم .

خلَّى له المرجُ – منصوباً بمارخةٍ له المنابرُ – مشهوداً بها الجُمَعُ –

ولا يندر ان تكون مثيرات الروعة صيغاً لفظية يوحي اجتماعها احساسات لا يمكن ان يوحيها معناها اللغوي . وهذا بيت في هجو كافور :

وانَّ ذا الاسود المثقوبَ مِشفرُه ، تطيعه ذي المضاريطُ الرعاديدُ ،

يثير في السامع عوامل احتقار واشمئزاز ، قبل ان يفهم معنى « المضاريط الرعاديد » ، بل ان تلك العوامل تخفّ وطأتها اذا ما فهم معنى اللفظتين . فيكون ان الصيغة خدمت الشاعر ، في البلوغ الى غايته ، اكثر مما خدمه المعنى اللغوي .

وهناك حالاتٌ يحلق فيها المتنبي في جوّ الشعر الصافي . واذا بروعته متعلقة بحركة التنفس ، تبدأ نبرتها الاولى ، ثم تمتدُّ موجتها طويلةً ، فلا يقع قرارها ، الا وقد انتهت حركة الشهيق . والشهيق والزفير محورا الموسيقى الشعرية ، ولاسيما في الاسلوب الخطابي الرامي الى الاقناع والتأثير[1] .

ألا ايها السيف الذي ليس مغمداً ، ولا فيه مرتابٌ ، ولا منه عاصمُ ،
هنيئاً لضرب الهام ، والمجد ، والعلى ، وراجيك ، والاسلام ، – أنك سالمُ !

---

١) ترى شيئاً من ذلك في : P. Claudel, *Reflexions et propositions sur le vers français* dans *Positions et Propositions*, I, 64-65

امـا اذا اتبعت تلك الحركة فامتدّت واستدارت حتى تولّد منها المقطع ، فهناك الروعـة الفخمة ، وهناك النفس الفسيح ، وهناك الاجزاء تتداعى ، وتتزاحم ملتفّة ، حتى اذا انتهت الاستدارة هبطت مستقرّة خاتمة تلك الرائعة الفنيّة ، كما في وصفه هرب الدمستق ، والتجائه الى احد الديورة لابساً ثياب الرهبان :

وما طلبتْ زُرقُ الاسنّة غيرَه ؛ ولكنّ قسطنطينَ كان له الفدى !
فاصبح يجتاب المسوح مخافةً ، وقد كان يجتاب الدلاصَ المسرّدا ،
ويمشي به المكّاز، في الدير ، تائباً، وما كان يرضى مشيَ اشقرَ اجردا !
وما تاب حتى غادر الكرُّ وجهَه جريحاً ، وخلّى جفنه النقعُ امردا !
فلو كان يُنجي من عليّ ترهّبٌ ، ترهّبت الاملاكُ مثنىً وموحدا ،
وكل امرئٍ في الشرق والغرب بعده، يعدّ له ثوباً من الشعر اسودا !

او في قوله واصفاً الخيل في سفره الى مصر. وهي من اروع صوَر المتنبي، وادلّها على صفاء شاعريته :

وجُردًا مددنا بين آذانها القنا ، فبنّ خفافاً يثبنَ العواليا ،
تمشي بأيدٍ، كلما رافت الصفا ، تمشّ به صدرَ البزاة ، حواليا ؛
وتنظر من سود صوادقَ، في الدجى، برين بعيدات الشخوص كما هيا ؛
وتصبُ للجرس الخفيّ سوامعاً يخلن مناجاةَ الضمير تاديا ؛
تجاذب فرسان الصباح أعنّةً ، كأنّ على الاعناق ، منها ، افاعيا ،
يزم يسير الجسم في السرج، راكباً، به، ويسير القلب في الجسم ماشيا ،
قواصدَ كافورٍ ، توارِكَ غيره ؛ ومن قصد البحر استقلّ السواقيا !
فجاءت بنا انسان عينِ زمانه ، وخلّت بياضاً ، خلفها ، ومآقيا !

. . .

هـذه لمحات في نصيب المتنبي منَ الشعر الصافي ، ان دلّت على شيء ، فانها تدلّ على قوّة تلك الشاعرية التي قاومت ما كان يعترض الشعر الحقيقي في زمنهـا من عقبات ؛ فانتصرت على انواع المدح والرثاء ، وبدل ان تذيب شخصيّتها في الممدوح، او في الشعر المدحي، كما نعهد في الكثير من شعراء ذاك العصر، عملت على ان تذيب الممدوح ، ونوع المدح ، في تلك الشخصية القويّة .

ثم انها تفتح لنـا نافذة على الشعر الحيّ الخالد ، فنغتبط اذ نطلّ منها ، بعد الف سنة ، فنجد شاعرنا في مقامه بين الشعراء الاحياء الخالدين !

الملكيون

بطاركتهم الانطاكية ، وكنائسهم الوطنية والطقسية

بقلم المتوري اسحق ارملة السرياني

القسم الاول

الحقبة الثالثة

من نسطر بطاركة قسطنطينية على بطاركة انطاكية حتى انفصالهم الى دمشق

(٩٧٠ — ١٣٥٩)

(تابع)

فراغ الكرسي الانطاكي الملكي ثالث مرة (١١٠٠ — ١١٥٦)

يظهر ان الكرسي الانطاكي الملكي ظلّ شاغرًا ، في هذه الحقبة ، ستًا وخمسين سنة . ولعلّ بطاركة قسطنطينية سمّوا بطريركًا او بطاركة لانطاكية حجروا عليهم الخروج عن تلك العاصمة .

٨٧ سوطريقس (١١٥٦)

كان شمّاس كنيسة القدّيسة صوفية ، وحضر مجمعَين عُقد اوّلهما في ٢٦ كانون الثاني ١١٥٦ ، وثانيهما في ١٢ ايار ١١٥٧ ، للنظر في قضيّة ذبيحة سرّ الاوخارستيا هل تُوجّه الى الآب والروح القدس ، ام الى الثالوث الاقدس . وقد حكم آباء هذا المجمع على سوطريقس البطريرك ، وعزلوه ، وسمّوا بدلًا منه اثناسيوس .

٨٨ اثناسيوس الاول (١١٥٧ ؟ — ١١٧١).

يرجح انه تولّى البطريركية نحو السنة ١١٥٧ ، واقبل الى انطاكية ، وجاهر بالحقيقة الكاثوليكية. فقبله الصليبيّون كبطريرك شرعيّ . وحضر في ٢٥ كانون الاول ١١٦١ الاحتفال بزفاف ماري الانطاكية الى مانويل. ولما أفلت بوهيمند الثالث من الأسر عام ١١٦٥ ، وانطلق الى قسطنطينية لزيارة الملك حميه ، وكان اثناسيوس البطريرك يومئذٍ هناك ، عاد به الى انطاكية . فارتاب البطريرك الصليبيّ ، وغادر المدينة ، واقام في قلعة القصير ، وكتب كتاب حرم الى الفرنج بانطاكية[1] ، ولم يرضَ ان يعود الى انطاكية الا بعد خروج اثناسيوس البطريرك منها ، عام ١١٧٠ ، ثم عاد اثناسيوس ثانيةً الى انطاكية عام ١١٧١. قال ميخائيل الكبير :

« حدثت في السنة ١١٧١ زلزلة عنيفة في انطاكية وكان بطريرك الفرنج مقيماً في القصير فذهبوا ليحضروه الى انطاكية فقال : لستُ ادخلها إلّم يخرج عنها بطريرك الملكيين . فعادوا الى انطاكية وشاهدوا البطريرك الملكيّ مصاباً بالزلزلة فحملوه على آخر رمق وأخرجوه عن المدينة وتوفّي في الطريق . فدخل البطريرك هنريكوس الى انطاكية . ورمّم الصليبيون أسوارها وجدّدوا كنيسة الروم الكبرى ومذبح كنيسة القسيان . اما كنائس السريان الثلاث في انطاكية فلم يُصبها ضرر البتة . » [2]

وقد توجّه ميخائيل الكبير الى انطاكية فبلغها في ٧ ايار ١١٦٨ ، وادخله الفرنج الى بيعة القسيان باحتفال رهج ، وأجلسوه على كرسيّ بطرس المحفوظ في تلك البيعة ضمن موفهها الجنوبيّ : ذلك لانّ البطريرك الصليبيّ كان مرتابةً في صحة امانة بطريرك الملكيين[3] . واقام ميخائيل المومأ اليه في انطاكية سنةً وشهرًا . ورقّى فيها بعض الرهبان الى المنصب الاسقفيّ . وبعدما احتفل بعيد الفصح ، ارتحل عنها في حزيران[4] . وفي السنة ١١٨٠ اقبل البطريرك ميخائيل عينه الى انطاكية ، ثاني مرّة ، وارسل البابا اسكندر الثالث (١١٥٩ — ١١٨١) يدعوه الى مجمع عقده في رومية. فاستعذر البطريرك ، ولم ينطلق[5] .

١) ابن العبري : التاريخ المدنيّ السريانيّ ٣٣١ ٢) ميخائيل ٦٩٦
٣) ابن العبري : التاريخ اليعبي السرياني ٦٥ من نسختنا . ٤) الرهاويّ ٦٧
٥) ميخائيل ٧٠٠ و٧٠١ و٧١٩ .

واشتهر. اذ ذاك بين الملكيين عدة كتبة . أخصهم جرجس الطبيب الانطاكي الفيلسوف[1] . والطبيب اسعد الدمشقي ابن المطران. ويعقوب بن صقلان او ستلاب الملكي المقدسي (١١٦٠ ــ ١٢٢٨) وابنه سديد الدين ابو منصور[2] . ونفيس الدولة ، او نفيس الدين الدمشقي الملكي ابن طليب ، وكان من جملة اطباء هولاكو . وولده صفي الدين الملكي[3] . وجرجس الراهب من سيق مار سمعان العمودي بجوار انطاكية ، صاحب المباحثة التي جرت له عام ١١٦٨ مع ثلاثة من علماء المسلمين[4] .

وفي هذا العهد أسس الصليبيون ، عام ١١٥٧، دير البلمند ، جنوبي شرقي طرابلس بين انفة وقلمون . انشأه رهبان مار برنردس . وكان في اوائل القرن الثامن عشر في حوزة الملكيين الكاثوليك ، ثم ألجئوا الى النزوح عنه[5] .

٨٩ تيودورس (١١٨٥ ؟ ــ ١١٩٥)

هو تيودورس بلسمون اليوناني النحلة ، تولى بطريركية انطاكية بين السنة ١١٨٥ و١١٩١ ، على اثر فراغ الكرسي زهاء اربع عشر سنة . واقام في قسطنطينية ، وافرغ كل الجهود في تبديل الطقس الملكي الانطاكي القديم بالطقس البوزنطي ، وأمر جميع الاكليروس الملكي ، الذي كان لذلك العهد يقدس بليترجية مار يعقوب السروجية الاصل ، ان يبدلها بليترجيتي باسيليوس وفم الذهب اليونانيتين ، محتجاً بان كنائس العالم بأجمعها يلزمها ان تتبع طقس كنيسة قسطنطينية[6] . وقد انشأ هذا البطريرك تصانيف شتى أهمها مجموعة يونانية

---

١) مختصر الدول ٢٤٧

٢) المشرق ٣٢ [١٩٣٤] ٢٧٣ – ٢٨١

٣) مختصر الدول ٤٨٠ و٥٠١

٤) المخطوطات العربية ٨٢

٥) المشرق ٢٧[١٩٢٩] ٢٤٨ . وفي مخطوطة اوكسفرد ، رقم ٨٧، المنسوخة سنة ٧٠٠٠ لآدم (١٤٩٢ م) ورد : « هذا الكتاب الذي هو البنديكستاري اي المسبحي برسم دير سيدتنا العذرى المتول له البلمند خارج مدينة طرابلس وهو عندي انا الحقير غريغوريوس باسم مطران دمشق ».

٦) النصارى السيد اقليمس يوسف داود ٤٩ و٥١

تحوي قوانين الرسل والمجامع الاقليمية والمسكونية وقوانين الآباء[1].

وفي عهد هذا البطريرك ارتحل موديانا ، مطران ماردين السرياني المنوفيزيتي الى قسطنطينية ، وصار خلقيدونياً ملكياً ، فولاه البطريرك ابرشية ميافرقين على الملكيين الذين يمارسون صلواتهم وطقوسهم البيعيّة باللغة السريانية[2].

٩٠ سمعان الثاني (١٢٠٦ ؟ ــ ١٢٣٥)

بعد فراغ الكرسي الانطاكي الملكي زهاء احدى عشرة سنة نُصب سمعان الثاني. واثبت لوقيان، استناداً الى كتابة عربية ذكرها العلّامة السمعاني ، منقولة عن مخطوطة نُسخت في القرن الثامن عشر ، أنه بعد بلسمون قام بطريركان انطاكيان ملكيّان وهما يوياقيم وايرثاوس . اما البطريرك الدبّاس فقد شكّ في تحديد ذلك وتأييده. على ان بوهيمند الرابع صاحب انطاكية (١٢٠٦-١٢٠٧) استعان بالملكيين ، حينما عاد سمعان البطريرك الى انطاكية . فاحتجّ عليه البطريرك الصليبي وحرمه. اما اينوشنسيوس الثالث (١١٩٨ - ١٢١٦) فقد حرم البطريرك سمعان الانطاكي ، بوساطة بطريرك اورشليم الصليبي .. فانطلق سمعان على اثر الحرم الى قيليقية ، وحلّ ضيفاً على لاون الثاني ، ملك الارمن. وقضى نحبه نحو السنة ١٢٣٥.

وفي هذا الزمان اشتهر بولس الراهب اسقف صيدا الانطاكي الذي صنّف في العربية الفصحى مقالات وشروحاً دينية وفلسفية أفرغها في قالب محكم من البراهين الدامغة. وقد نشر له « المشرق » عدة مقالات في سنته الاولى والرابعة والسابعة الخ.

٩١ داود (١٢٤٢ ؟ ــ ١٢٤٧)

ظلّ الكرسي الانطاكي شاغراً سبع سنوات حتى نُصب داود بطريركاً . وتظاهر بميله الى الكثلكة في نحو السنة ١٢٤٢، وحصّل من البابا اينوشنسيوس الرابع (١٢٤٣ ــ ١٢٥٤) ومن بوهيمند الخامس الرخصة في الاقامة بانطاكية

١) المخطوطات العربية ٦٤

٢) مقالتنا في المشرق (١٠ [١٩٠٧] ٩٩٦) بعنوان « سرياني ملكي ». والتوطئة

ودخلها برهج عظيم . فنصب البرتس البطريرك الصليبي وكيلاً له وارتحل عنها الى اوربة .

٩٢ افتيموس الاول (١٢٥٨ ؟ — ١٢٧٣)

مرّت تسع سنوات على وفاة داود البطريرك ، فنُصب افتيموس الاول نحو السنة ١٢٥٨ . وقد رشّحه البطريرك الصليبي بالحرم . ونفاه برهيند السادس . فاستغاث افتيموس أول بدء بالتتر يحاول العودة الى انطاكية ، ثم توجه عام ١٢٦٣ الى قسطنطينية بمشورة حاتم ، ملك الارمن ، واقام هناك حتى ايار ١٢٦٤ ، فعاد الى انطاكية واحضر معه ابنة ميخائيل فاليلوغ الملك لتُزَفّ الى اباقا ، ملك التتر . قال ابن العبري :

« بعدما توفي حاتم ملك الارمن وتولّى ابنه لاون عام ١٢٧١ انتفض عليه وجهاء اليونان في قيليقية عام ١٢٧٢ فقبض لاون على البارون كبير اليونان فانهزم اصحابه اليونان الى قلعة قريبة تحصّنوا بها وبعثوا الى الروم يطلبون نجدة . فبادر لاون في عسكره وحصر القلعة وقبض على المتحصّنين بها وقتلهم جميعاً . . .

« على ان اليونان لما انهزموا الى القلعة كما ذكرنا كلّف لاون بطريركَ الملكيين ان يتوجّه اليهم ويصلح لهم ليسلّموا وأقسم له انهم ان خضعوا لن يلحق بهم أذى البتة . فسار اليهم افتيموس البطريرك وجعل يقول لهم : « اياكم والنزول من القلعة فانكم ان تركتموها قُتلتم » . ثم رجع وقال للملك : « ان اليونان لم يصغوا الى نصيحتي وقد أبوا الّا التحصّن في القلعة » . فثار الملك بالدسيسة وحصرهم وقتلهم جميعاً كما سبق القول . ثم قبض على البطريرك افتيموس يريد ترحيله الى قسطنطينية وكتب الى الامبراطور يدّعي عليه ويسأله ان يقضي بينهما . فسار البطريرك في جنود ارمن الى العاصمة . ولما وصلوا الى أياس ضربوا له خيمة على ساحل البحر وتركوه ومضوا الى المدينة ليبتاعوا طعاماً . واستغرقوا في الاكل وشرب المسكر الى ساعة متأخرة من الليل . فانتهز البطريرك فرصة غيابهم واستدعى بعض ملّاحين يونانيين قريبين وجعل يبكي ويشكو قائلاً : ان هؤلاء الجنود الارمن اذا ما اركبوني البحر قتلوني . فأشفق اولئك الملّاحون عليه واركبوه سفينتهم ومضوا به الى بلاد الروم التي كانت يومئذٍ في حوزة الترك . »(١)

وفي عهد البطريرك افتيموس ، جيّش البندقدار ، حاكم مصر ، جيشاً كثيفاً واشخصه الى انطاكية عام ١٢٦٧ ، فاحتلوا المدينة بالسيف . . . وقتلوا جميع رجالها وقوّضوا كنائسها الشهيرة . . . وتركوها خراباً يباباً الى يومنا(٢) .

---

١) ابن العبري : التاريخ المدني السرياني ٥٢١ و٥٢٢ و٥٢٦ و٥٢٧

٢) فيه ٥٢٥، يعني ان انطاكية أمست خراباً في عهد ابن العبري المؤرّخ (+ ١٢٨٦) .

٩٣ ثاودوسيوس الرابع (١٢٧٥ ــ ١٢٨٣)

وفي ٤ حزيران ١٢٧٥ ، سُمّي ثاودوسيوس الرابع بطريركاً لانطاكية . وكان من عنصر شريف. وتوشح بالثوب الرهباني في دير مار ايليا[1] بجبل الاسود بجوار انطاكية. ومن اخباره انه اتحد مع الكنيسة الرومانية الواحدة . غير انه ما وصل الى كرسيه حتى استعفى نحو السنة ١٢٨٣ ، خيفةَ ان يُسقَط اسمه من الذبتيخة.

٩٤ ارسانيوس (١٢٨٣ ــ ١٢٨٥ او ١٢٩٠ ؟)

وعلى أثر استقالة البطريرك ثاودوسيوس انتخب الانطاكيون ارسانيوس ، مطران طرابلس ، وكان قبل ذلك راهباً في دير مار سمعان العمودي . وقد قبله بطريرك قسطنطينية في الشركة معه. ولما ذاع عنه انه مشترك مع الارمن ، أُسقط اسمه من الذبتيخة نحو السنة ١٢٨٥ او ١٢٩٠

٩٥ قرلس الثاني (١٢٨٥ او ١٢٩٠ ــ ١٣٠٨)

بعدما عُزل البطريرك ارسانيوس ، اختلف الاساقفة فانتخب فريق منهم ديونوسيوس اسقف المصيصة ، وفريقٌ قرلس مطران صور. فتغلّب فريق قرلس، وظلّ يسوس البطريركية الانطاكية الملكية حتى السنة ١٣٠٨

وكان الادب الملكي ينطوي في هذه الحقبة على المترجمين من اليوناني الى العربي. وأصبح الأدب السرياني يتضاءل حتى بقي محفوظاً في الليترجية ، ما عدا بعض مدنٍ وقرى ظلّت فيها السريانية اللغة الوطنية والطقسية الى ما بعد القرن الخامس عشر.

٩٦ ديونوسيوس الاول (١٣٠٩ ؟ ــ ١٣١٦ ؟)

وخلف قرلس الثاني مزاحمُه ديونوسيوس اسقف المصيصة المومأ اليه. وأُعلن انتخابه في قسطنطينية عام ١٣١٦، واستُدعي اليها. ولا يُعرف شيء من أخباره.

---

١) هو دير قديم للسريان الملكيين ورد ذكره في مخطوط لندن المنسوخ سنة ١٠٩٦ م ، تحت رقم ١٤٦٨٩

٩٧ قرلس الثالث

٩٨ ديونوسيوس الثاني

٩٩ صفرونيوس

كذا اثبت المؤرخ كرلفسكي اسماء هؤلاء البطاركة الثلاثة ، ولم يزد.

١٠٠ اغناطيوس الثاني (١٣٤٤ ؟ — ١٣٦٦)

جلس قبل تشرين الثاني ١٣٤٤ ، وشغل الكرسي حتى السنة ١٣٥٩ ، فنُفي الى قبرس بدعاء خلفه فاخوم الاول . وتوفي في قبرس عام ١٣٦٦ ، ولم يتمكّن من العودة الى كرسيه.

الحقبة الرابعة

منذ اتخاذ دمشق مركزاً للكرسي البطريركي الملكي حتى عهدنا (١٣٥٩ — ١٩٣٦)

١٠١ فاخوم الاول (١٣٥٩ — ١٣٦٨ † ١٣٨٦)

كان فاخوم مطراناً على دمشق . فناهض سالفهُ اغناطيوس الثاني ، وتغلّب عليه عام ١٣٥٩ ، ونُصب بطريركاً ، واستعرفته قسطنطينية . وتأيّد في منصبه على اثر وفاة سالفه ، عام ١٣٦٦ ، وما مرّت على بطريركيته الشرعية سنتان حتى اغتصب الكرسي البطريركي ميخائيل الاول ، عام ١٣٦٨ ، وشغله سبع سنوات ، وتوفي في ١٧ آب ١٣٧٥ . فعاد فاخوم الاول ، وقبض على عصا الرعاية من آب تلك السنة حتى السنة ١٣٧٧ ، فعُزل ثانيةً وسُجي بدلاً منه ، في قسطنطينية ، مرقس الاول عام ١٣٧٧ ، وترأس سنتين . فتغلّب فاخوم ثالثةً على الكرسي البطريركي ، من نيسان ١٣٧٨ حتى ١٩ كانون الاول ١٣٨٦ ، وتوفي . وهذا فاخوم هو الذي نقل الكرسي من انطاكية الى دمشق ، محتجاً بان انطاكية ، لنقص سكانها بداعي الزلازل والحروب ، لن تصلح بعدُ لاقامة بطريرك فيها[1]

١) المشرق ١٠ [١٩٠٧] ١١٢٦

١٠٢ ميخائيل الاول (١٣٦٨ — ١٣٧٥) ــ ويعقوب ابن ريحان

نُصب ميخائيل بطريركاً دخيلاً في حياة سالفه ، فاخوم الاول ، وشغل الكرسي سبع سنوات . وادركته المنون في ١٧ آب ١٣٧٥ كما ذكرنا . وقد ورد اسمه في مخطوط سرياني ملكي يخصّ دير قنوبين ، موسوم بالرقم ١١ ، منسوخ سنة ٦٨٧٧ لآدم (١٣٦٩م) هكذا : « بعد وفاة البطرك مخايل ارتسم البطرك يعقوب ابن ريحان وجا لدير مار سركيس » بملولا . فاستنتجنا منه انه في عهد البطريرك ميخائيل الاول نُصب بطريرك للملكيين باسم يعقوب . بيد ان فاخوم الاول تغلّب عليه ، فاضطرّ ان يتزوي في معلولا وطنه حتى وفاته[1] .

١٠٣ مرقس الاول (١٣٧٧ ــ ١٣٧٨)

انتُخب في قسطنطينية ، وترأس سنتين . فعاد فاخوم ، وتغلّب عليه كما ذكرنا . ومن ذلك يتّضح ان البطريركين ميخائيل ومرقس لم يكونا شرعيَّين . غير ان المؤرّخ كرلفسكي ادنجهما في السلسلة ، فنهجنا نحن نهجه .

١٠٤ نيكون (١٣٨٧ ــ ١٣٩٥)

اقام في دمشق ، وشغل الكرسي البطريركي ثماني سنوات ، حتى توفاه الله في كانون الثاني ١٣٩٥

واشتهر في هذا الزمان الشيخ سليمان بن حسن ، اسقف غزّة الملكي صاحب المقالات الدينية والقصائد العربية[2] .

١٠٥ ميخائيل الثاني (١٣٩٥ ــ ١٤١٢ ؟)

هو ابن ميخائيل ، اسقف بصرى ، ونسيب البطريرك ميخائيل الاول . تولّى البطريركية في ٦ شباط ١٣٩٥ ، وأوفد الى قسطنطينية صورة ايمانه

---

١) اطلب مقالة ممتعة في هذا المعنى لحضرة البحّاثة الخوري ابرهيم حرفوش في المنارة (٣ [١٩٣٢] ٣٧٣ و٤٠٩) .

٢) المخطوطات العربية ١٥٥

مؤرخة في ٧ شباط . وسعى في ترميم كنيسة دمشق وتزيينها . وفي السنة ١٤٠٠ انهزم الى قبرس ، وهناك كتب اخبار اسلافه في ٩ آب ١٤٠٤ ، ويرجح انه توفي عام ١٤١٢

١٠٦ فاخوم الثاني (١٤١٢ ؟ — ١٤١٢)

١٠٧ يوياقيم الاول (١٤٢٤ او ١٤٢٥)

١٠٨ مرقس الثاني (١٤٢٦ او ١٤٢٧)

قال المؤرخ المدقق كولفسكي : لا يُعرف شيء عن هؤلاء البطاركة سوى ان فاخوم الثاني خلف ميخائيل الثاني في اول حزيران ١٤١٢ . وفي هذه السنة عينها توفي . وظلّ الكرسي بعده فارغاً اثنتي عشرة سنة حتى نُصب يوياقيم الاول ، وشغل الكرسي سنة واحدة ، فقام بعده مرقس الثاني ، وساس الملكيين سنة واحدة فقط كسالفه .

١٠٩ دوروثاوس الاول (١٤٣٤ — ١٤٥١)

بعد فراغ الكرسي زهاء سبع سنوات ، نُصب دوروثاوس الاول بطريركاً وكان اسقفاً على صيدنايا . وفي السنة الثالثة لبطريركيته ، ارسل نائبه ، المطران ايسيدور ، الى المجمع الفلورنتيني عام ١٤٣٧ فوافق على قوانينه وأمضاها[1] . ومن اخبار البطريرك دوروثاوس انه جدّد العلاقات مع الكرج الغربية . وظلّت تلك العلاقات موثقة حتى القرن الثامن عشر . وتوفي البطريرك في ٨ ايلول ١٤٥١

١١٠ ميخائيل الثالث (١٤٥١ — ١٤٥٦ ؟)

هو سمرقس ، اسقف صيدنايا ، نُصب بطريركاً يوم الثلاثا ١٤ ايلول ١٤٥١

---

١) ذكر الاخ غريغور ، الراهب الفرنسيسي ، انه وصل الى اورشليم بين السنة ١٤٤٠ و١٤٥٠ ، وشاهد مجمعاً عقده بطاركة اورشليم وانطاكية والاسكندرية المشاقون وحرموا المجمع الفلورنتيني ، ونادوا بخلع متروفانس ، بطريرك قسطنطينية ، لانه وافق على الاتحاد مع الكنيسة الرومانية (المشرق ١ [١٨٩٨] ١٤ و١٥) .

مجلوًا باسم ميخائيل الثالث . وحضر احتفال تنصيبه قسمة اساقفة ، وكان بقيّتهم متغيّبين. ويرجّح انه توفي في السنة ١٤٥٦

١١١ مرقس الثالث (١٤٥٦ ؟ ـ ١٤٥٨)

هو شقيق ميخائيل الثالث سالفه . تولّى البطريركية على اثر وفاته . واليه انفذ موسى الارشدياكن من قبرس رسالة مشبّعة في شأن الاتحاد ، ضمّ اليها خطبة غريغوريوس ماماس ، بطريرك قسطنطينية (١٤٤٣ — ١٤٥٣) ، ثم وافى موسى المذكور في شباط ١٤٥٧ لزيارة البطريرك مرقس ، وتمّ اتفاقه مع الكرسي الروماني ، واذاع اسم خليفة شمعون كيفا في جميع ابرشيات البطريركية الانطاكية الملكية . وكتب في اول نيسان ١٤٥٧ الى البابا قلسطس الثالث (١٤٥٥ — ١٤٥٨) رسالة الشركة ، واوفدها اليه عام ١٤٥٧ صحبة موسى الارشدياكن المذكور .

١١٢ يويأقيم الثاني (١٤٥٨ ـ ١٤٥٩ ؟)

كان اسقفاً على حماة ، وبعدما ارتقى الى السدّة البطريركية ، توجّه الى بيت المقدس . وزار مرقس بطريرك الاسكندرية في الرامة ، وحادثه في مسئلة الاتحاد . فتغلّب البطريركان الاسكندري والانطاكي على بطريرك اورشليم واتّفقا دونه . وكتب يويأقيم الثاني كتاباً مؤرخاً في ١٠ حزيران ١٤٥٨ ، أوفده الى البابا بيوس الثاني (١٤٥٨—١٤٦٤) يخبره بانتخابه بطريركاً .

١١٣ ميخائيل الرابع (١٤٧٠ او ١٤٧٤ ـ ١٤٨٤ ؟)

يظهر ان الكرسي البطريركي ظلّ فارغاً اكثر من عشر سنوات حتى شغله ميخائيل الرابع الذي جدّد العلاقات مع الكرج ، وانطلق الى بلادهم بين السنة ١٤٧٠ و١٤٧٤ ، ولا يُعرف بالتدقيق زمن وفاته ، كما انه لا يُعرف كم من الزمان استمرّ الاتفاق الذي جدّده سالفه يويأقيم الثاني .

١١٤ دوروثاوس الثاني (١٤٨٤ — ١٥٠٠ ؟)

هو المعروف بابن الصابوني . اشترك عام ١٤٨٤ في مجمع قسطنطينية الذي

أثناء المجمع الفلورنتيني . وقد انتهز بطاركة قسطنطينية فرصة فتح الترك لقسطنطينية عام ١٤٥٣، فتسيطروا على بطريركي انطاكية وأورشليم، والجأوهما ان يعرفا على مجمعهم امر انتخابهما البطريركي . وزد عليه ان سلاطين الترك اعتادوا استعراف البطاركة الذين في مملكتهم بمنحهم فرماناً شهانياً ، فكان بطريركا انطاكية واورشليم لا يحصلان على ذلك الفرمان الا بوساطة بطريرك قسطنطينية.

١٥٠٠ — ١٥٢٣

أمسى الكرسي البطريركي الملكي شاغراً زهاء ثلاث وعشرين سنة حتى انتُخب ميخائيل الخامس . ذلك لتغلُّب بطاركة قسطنطينية ، على ما ذكر بولس الحلبي.

١١٥ ميخائيل الخامس (١٥٢٣ ؟)

لا يُعرف شيء عن ميخائيل الخامس . وقد شغل الكرسي فيما يُظن سنة واحدة.

١١٦ دوروثاوس الثالث (١٥٢٣ — ١٥٣٠)

ورد اسم دوروثاوس الثالث في كتاب انجيل سرياني ملكي ، حسب الترجمة البسيطة ، مكتوب على الرق . نسخه يوحنا اسقف يبرود ووقفه على بيت الصلاة بقرية دير عطية . وهو اليوم ملك البطريركية السريانية منسوخ في السنة ٧٠٣١ لآدم (١٥٢٣ م) قرأنا في اول صفحة منه: « المجد لله دائماً (ابد؟) هذه الوقفية الحقير البطريرك طوروثاوس الانطاكي . »

١١٧ يويافيم الثالث (١٥٢٧ — ١٥٣١ ÷ ١٥٣٤؟)

يُرجح انه انتُخب بطريركاً في قسطنطينية ، وأقام فيها حتى السنة ١٥٣٠، فرافق الى دمشق ، وزاحم دوروثاوس الثالث في البطريركية . وتوفي نحو السنة ١٥٣٤

١١٨ ميخائيل السادس (١٥٣٤ — ١٥٤٣)

هو المعروف بابن الصبّاغ . صُيّر بطريركاً قبل ١٠ تشرين الثاني ١٥٣٤ ، وشغل الكرسيّ البطريركيّ ، فيما قيل ، الى السنة ١٥٤٣ . وذهب السيد غريغوريوس عطا الى انه هو الذي جعل دمشق مركزاً للبطريركية ، وانه توفي عام ١٥٥٣[1] . وقد ورد اسم هذا البطريرك في مخطوط سرياني ملكي خاصة مكتبة لندن ، رقم ٤١٨ ، يشتمل على صلوات ايام الاسبوع نسخه يوسف بن عنتر عام ١٥٣٤ هكذا : « عرم هذا الكتاب . . . ميخائيل البطريرك الانطاكيّ في ١٠ تشرين الثاني » . وجاء في مخطوط عربي خاصة المكتبة الفاتيكانية ، رقم ٥٤ : « ان البطريرك ميخائيل (السادس) صبّاغ توفي عام ١٥٤٣ ».

١١٩ يوياقيم الرابع (١٥٤٠ — ١٥٤٣ † ١٥٧٥)

اغتصب البطريركية عام ١٥٤٠، مزاحماً ميخائيل السادس ، واقام بطريركاً دخيلاً ثلاث سنين حتى توفي سالفه، فتأيد في منصبه. وكان مطراناً على بيروت من السنة ١٥٢٧ حتى السنة ١٥٢٨

١٢٠ مقار الثاني (١٥٤٣ ؟ — ١٥٥٠)

صُيّر بطريركاً دخيلاً نحو السنة ١٥٤٣ ، وظلّ في قيد الحياة حتى السنة ١٥٥٠

١٥٥٠ — ١٥٧٦

أمسى الكرسيّ البطريركي الملكيّ في هذه الفترة شاغراً زهاء ست وعشرين سنة ، حتى انتخب ميخائيل السابع.

١٢١ ميخائيل السابع (١٥٧٦ — ١٥٩٣)

كان ميخائيل السابع مطراناً على طرابلس . ونُصب بطريركاً قبل ١٧ حزيران ١٥٧٦. وفي ٢٥ ايار ١٥٨١ ، اختلف عليه الدمشقيون ، فانتخبوا بدلاً

---

١) الجدول المختصر ٧

منه دوروثاوس جوّ ، مطران طرابلس ، وسمّوه يوياقيم الخامس . فامتعض البطريرك ميخائيل ، وتوجه الى حماة وطنه ، وحزم الدمشقيين . ثم استغاث بارميا الثاني ، بطريرك قسطنطينية ، وانطلق الى حلب ، واقام بها حتى توفي في ٢٥ كانون الاول ١٥٩٢ ، وقيل في ٤ كانون الثاني ١٥٩٣ . وكتب السيد غريغوريوس عطا ان الدمشقيين طردوا ميخائيل البطريرك لانه كان متقدماً في العمر ، وخرف ، واختلّ عقله ، وتوجه الى قسطنطينية[1] . . .

١٢٢ يوياقيم الخامس (١٥٨١ – ١٥٩٢)

نُصب بطريركاً دخيلاً . وحلّت وفاته في ١٧ تشرين الاول ١٥٩٢ . واشتهر برحلته الى بلاد الفلاخ والبغدان وروسية ، نحو السنة ١٥٨٩ ، وقد انشأ المطران عيسى الملكي قصيدة وصف فيها هذه الرحلة[2] .

١٢٣ يوياقيم السادس (١٥٩٣ – ١٦٠٤)

نُصب بطريركاً قبل شباط السنة ١٥٩٣ ، وأمسى في اواخر حياته ضريراً عاجزاً ، فاستعفى وقصد زيارة جبل سينا فادركته المنون في مصر . وقد ورد في الصفحة ٩٤ من مخطوط المكتبة الشرقية للآباء اليسوعيين ، الموسوم برقم ١٧ ، عنوانه « تاريخ طورسينا » ذكر مجمع عُقد في دير طورسينا حضره « ارامبا رئيس اساقفة رومية الجديدة البطريرك المسكوني وايواكيم بطريرك مدينة الله العظمى انطاكية وسائر المشرق وجرمانس بطريرك مدينة اورشليم . . . واثنان وعشرون مطراناً » الخ .

---

١) الجدول المختصر ٧

٢) المخطوطات العربية ١٥١ ، وقرأنا في مخطوط اوكسفرد السرياني الملكي ، رقم ٩٢ ، ص ٢٠٧ من الفهرس ، تاريخاً هذا نصه : « صاحب الكتاب . . . تلميذ المطران كير يواكيم مطران ثغر بيروت . . . وكان نياح الاب السيد المطران سنة ٧١٠٠ (١٥٩٢ م) ، في ١٧ ايار . ونياح الاب كير انطاسيوس اسقف طورسينا في عيد للصليب ونياح الاب السيد البطريرك كير ايواكيم في عيد القديسين سرجيوس وباخوس (٧ تشرين الاول – ١٧ تشرين الاول ١٥٩٢) ونياح البطرك المنزول (ميخائيل السابع) في عيد الميلاد . والاربعة تنيّحوا في سنة واحدة . . . » .

١٢٤ دوروثاوس الرابع (١٦٠٤ — ١٦١٢)

هو المعروف بابن الاحمر ، ترأس ثماني سنوات. وتوفي في وادي التيم ، قرب حاصبيا.

١٢٥ اثناسيوس الثاني (١٦١٢ — ١٦٢٠)

هو اثناسيوس دبّاس ، مطران بصرى ، تولّى البطريركية في آب ١٦١٢، وشغلها ثماني سنوات كسالفه . وقد قبض عليه والي دمشق وألقاه في السجن ، فاستغاث ابناء جماعته بطيمثاوس الثاني ، بطريرك قسطنطينية ، وسألوه ان ينصب بطريركاً بدلاً منه. غير ان اثناسيوس البطريرك تمكّن من النجاة، وانهزم الى طرابلس ، وفيها قضى نحبه عام ١٦٢٠

١٢٦ اغناطيوس الثالث (١٦٢٠ — ١٦٣٤)

لمّا كان البطريرك اثناسيوس الثاني مسجوناً كما ذكرنا انتدب الدمشقيون اغناطيوس عطية، مطران صيدا ، مدبراً للكرسي البطريركي. وفي احد السامري ٢٤ ايار ١٦٢٠ ، رُقّي الى المنصب البطريركي باسم اغناطيوس الثالث. وفي اليوم عينه انتخب بطريرك قسطنطينية قرلّس الرابع دبّاس ، مطران بصرى ، شقيق اثناسيوس الثاني ، ورقّاه الى الرتبة البطريركية. فاصبح البطريركان يتزاحمان في البطريركية سبع سنوات . وفي السنة ١٦٢٧ عقد فخر الدين ، امير لبنان ، مجمعاً في دير ميلاد العذراء براس بعلبك ، وعزل قرلس وأيّد اغناطيوس . وشغل اغناطيوس الكرسي البطريركي سبع سنوات أخرى وقُتل في نيسان ١٦٣٤ ، ودُفن في الشويفات بلبنان.

١٢٧ قرلس الرابع (١٦٢٠ — ١٦٢٧)

نُصب في قسطنطينية في ٢٤ ايار ١٦٢٠ ، وعُزل عام ١٦٢٧ ، كما ذكرنا.

١٢٨ افتيموس الثاني (١٦٣٤ — ١٦٣٥)

هو المعروف بابن كرمة. ترهّب في دير مار سابا باورشليم ، ورقي الى كرسي

حلب باسم ملاتيوس . وانصرف الى نقل الكتب الطقسية من السريانية الى العربية . واصبح الملكيون في بطريركيات انطاكية والاسكندرية واورشليم يستعملون ترجمته هذه في كنائسهم . وسعى ملاتيوس كرمة في طلب كتب يونانية ، وتراجمة خبيرين ، للبلوغ الى غايته . وساعده في مهمته الارشدياقن ميخائيل الذي جاهر بالايمان الكاثوليكي مثله وتعرّف بليونرد هابيل ، قاصد الكرسي الرسولي الروماني ، عام ١٦١٧

وفي سلخ السنة ١٦٣٤ ، ارتقى السيد ملاتيوس الى الدرجة البطريركية مجلوًا باسم افتيموس الثاني. وتوفي في ١٠ كانون الثاني ١٦٣٥. ولم يتيسّر له ان ينهي تعاطيه مع الكرسي الروماني. ومن آثاره الكتابية : تعريب القداس عن السريانية، والبنكسار، والافخولوجيون عام ١٦١٢، والاورولوجيون الذي نُشر في بخارست عام ١٧٠٢. ثم خدمة قدّاسي باسيليوس وفم الذهب ، منها نسختان في السريانية والعربية في المكتبة الشرقية للآباء اليسوعيين، احداها بالخط السرياني الملكي مؤرخة في السنة ٧١٦٠ لآدم و١٦٥٢م[1] . ومنها كذلك نسخة في المكتبة السريانية بدمشق سيأتي وصفها.

١٢٩ افتيموس الثالث (١٦٣٥ — ١٦٤٧)

ساس الرعية احدى عشرة سنة . وقد راسله الاب فاخوم في مسئلة الاتحاد مع الكنيسة الرومانية، فلم يتوفق في مهمته . وحانت وفاة البطريرك افتيموس في آخر كانون الاول ١٦٤٧ ، واشتهر في عهده ميخائيل حاتم الشاعر الملكيّ منشئ الزجليات العربية في وصف العذراء مريم ، ومزار صيدنايا[2].

١٣٠ مقار الثالث (١٦٤٧ — ١٦٧٢)

هو يوسف ابن الزعيم . كان متزوجاً قبل ارتقائه الى اسقفية حلب باسم ملاتيوس. ونُصب بطريركاً باسم مقار الثالث في ٢٢ كانون الاول ١٦٤٧ وارتحل مع ابنه الارشيدياقن بولس الى بلاد البغدان ، وألّف معه بعض الكتب ،

١) المخطوطات العربية ٣٤ و١٩٧

٢) ص ٨٧

اخصها تاريخ باسيل ملك البغدان وبطاركة انطاكية[1]. وقد ساعدهما في انشائه راهبان احدهما يوحنا ، وثانيهما كبوشي ، كانا في دمشق . وعرّبا القنداق وبعض الطقوس . وانشأا « التاريخ الرومي العجيب الجديد الذي هو من عهد آدم الى ايام قسطنطين السعيد »[2]. ساعدهما في تأليفه الخوري يوسف المصوّر ابن الحاج انطونيوس . وعرّب البطريرك مقار كتاب « الدرّ المنظوم في اخبار ملوك الروم » ، وكتاب « خلاص الخطأة »[3] الخ.

وقد ذهب بعضهم الى ان مقار هذا كان معتصماً بالايمان الكاثوليكي . بيد ان المؤرّخ المدقق حبيب زيات اثبت ، ببراهين دامغة ، تساهل مقار ومداجاته وتقلّبه ومصافاته لرجال الكنيستين الكاثوليكية وغير الكاثوليكية . وختم بقوله : « ان رومة كانت لا تجهل حقيقة دخلة مكاريوس ومداهنته وقلّة اخلاصه . ولذلك لم تستدرج بخديعته ولم تحفل بعقيدته . وعرفت انه امعة لا يستقرّ على مذهب من المذاهب بل تغلب مُسنّ من اروغ الثعالب. »[4]

١٣١ قرلس الخامس (١٦٧٢ ــ ١٦٧٢ و ١٦٨٢ ؟ ــ ١٧٢٠)

هو من آل الزعيم . صُيّر بطريركاً في ١٢ تموز ١٦٧٢ ، وساس الرعية حتى تشرين الثاني من السنة عينها ، فتغلّب عليه نارفيط حتى السنة ١٦٨٢ تقريباً ،

---

١) اصل هذا الكتاب محفوظ في مكتبة باريس ، ومنه نسخة في المكتبة الفاتيكانية تحت الرقم ٣٠٢ ، تاريخها ١٥ ايلول ١٦٧٢ ، تثبت انه رحل الى بلاد الكرج « نوفاء ديرن البطريركية القديم » . وقد ضمّ الشمّاس بولس الى نسخة باريس صفحات روى فيها اخبار بطاركة الملكيين منذ انتقالهم من انطاكية الى دمشق . وهذه الروايات والنقول التاريخية هي مصدر كل ما كتب عن الكنيسة الرومية الانطاكية الى اليوم . وعنها اخذ البطريرك اثناسيوس دبّاس والخوري ميخائيل بريك (المشرق ٣٠ [١٩٣٢] ٥٦٣ – ٥٦٧) . ومن ذلك يتضح للقارئ الاريب فضل مؤرخي السريان الذين واصلوا اخبارهم نقلاً عن شهود عيان ، وضبطوا تواريخ بطاركتهم واحداً فواحداً ضبطاً محكماً . كما اثبتنا في التوطئة .

٢) منه نسخة كرشونية تخصّ مكتبة دير الشرفة رقمها ١٦–٦

٣) المخطوطات العربية ؟

٤) المشرق (٣٠ [١٩٣٢] ٨٨١ – ٨٩٣) ، وقد قرّر هذا البطريرك ان الملكيين في عهده كانوا يستعملون اليوناني والسرياني في كنائسهم ومنازلهم (المشرق ٧ [١٩٠٤] ٨٠٣) .

فعاد قرلس الى منصبه حتى ١٦ كانون الثاني ١٧٢٠

١٣٢ نارفيط (١٦٧٢ – ١٦٨٢ ؟)

نُصب بطريركا دخيلا في تشرين الثاني ١٦٧٢ ، اذ كان سالفه في قيد الحياة. وساس الكرسي عشر سنوات.

١٣٣ اثناسيوس الثالث (١٦٨٥–١٧٢٤)

هو من آل دباس. تغلب على الكرسي البطريركي في ٥ تموز ١٦٨٥، وشغله حتى تشرين الاول ١٦٩٤ ، مزاحماً نارفيط الدخيل وقرلس الخامس الشرعي . وانحاز الى الشقاق القسطنطيني ، وناهض الكنيسة الكاثوليكية بتآليفه[1] . وتأيد في البطريركية في كانون الثاني ١٧٢٠، وجعل مركزه في حلب. وفي عهده كتب ارميا الثالث، بطريرك قسطنطينية ، رسالة عامة يأمر فيها جميع الملكيين ان يخضعوا للبطريرك الانطاكي . وعلى أثر وفاة هذا البطريرك ، في ٢٤ تموز ١٧٢٤، عُقد مجمع في قسطنطينية ، ونُصب سلفستر القبرسي بطريركاً لانطاكية في ٢٨ ايلول من السنة عينها.

بطاركة الملكيين الكاثوليك

١٣٤ قرلس الخامس (١٧٢٤–١٧٥٩)

ملَّ الملكيون الكاثوليك معاملة الروسا. ، ولاسيما البطاركة ، وتقلبهم مع كل ريح ، وأبوا الا ان يقيموا لهم بطريركاً مستقلاً عن سيطرة بطاركة قسطنطينية ، منتمياً جهرةً وسرًّا الى الكرسي الرسولي الروماني الواحد .

---

١) من جملتها مجموعة مواعظ ، وشرح القداس ، وتاريخ المجامع في نحو الفي صفحة، ورسالة ضد الايمان في القضايا السبع فقدها الشماس عبد الله زاخر الخ . (المخطوطات العربية ٣٥).

٢) توفي هذا الحبر الفاضل براعة القداسة في رومية بتاريخ ٢٦ شباط ١٧٣١ ، وقد نشر اعماله الاب انطون رباط اليسوعي ، نقلاً عن المنوري اغناطيوس نسخة (المخطوطات العربية ٣٠٥).

فاصطفوا القس سيرافيم طاناس الراهب المخلصي، ابن اخت افتيموس ، مطران صيدا ، ورقوه الى المقام البطريركي في كنيسة دمشق ، بحضور نافيطس نصري الحلبي ، مطران صيدنايا[1] ، وباسيل اسقف بانياس ، وافتيموس مطران الفرزل، صباح اول تشرين الاول ١٧٢٤ ، ودُعي قرلس الخامس . وما مرَّ على ترقيته اربعة اشهر حتى اضطرَّ ان يرتحل عن دمشق الى لبنان ، واقام الاب متوديوس الراهب المخلصي مطراناً لتلك المدينة ، وسماه مكاريوس[2].

والبطريرك قرلس الخامس هو اول بطريرك ملكي سأل، عام ١٧٣٠، البابا اقليمس الثاني عشر (١٧٣٠—١٧٤٠) ان يرسل اليه درع التثبيت. فأوفده اليه عام ١٧٤٤ بندكتس الرابع عشر (١٧٤٠ — ١٧٥٨) ، وتدرَّع به في ٣ شباط من السنة المذكورة.

ومن اعمال البطريرك قرلس عقدُه مجمعاً ملياً في دير المخلص في ٢٦ اذار ١٧٣٦ ، بشأن توحيد الرهبانيتين المخلصية والشويرية . وقد حضر هذا المجمع اساقفة حلب ، وبيروت ، وحمص ، وبانياس ، والفرزل ، وصيدنايا ، وقلاية دمشق ، وأسفرت النتيجة عن بقاء الرهبانيتين مستقلتين . وتفرَّع منهما رهبنة ثالثة هي الرهبنة الحلبية مركزها في دير مار جيورجيوس الغرب بلبنان.

وفي ايلول ١٧٥١ ، كتب هذا الحبر الانطاكي الى ملك فرنسة يستعطفه على ابناء طائفته الملكية[3]. وفي ١٩ تموز ١٧٥٩ ، شعر بدنوّ الاجل ، فاجتمع اليه مطارنته العشرة، وعيّن القس اغناطيوس جوهر ، ابن بنت اخته ، بطريركاً، وكان عمره يومئذٍ سبعاً وعشرين سنة. وتنيَّح البطريرك قرلس في دير المخلص ، في غرّة السنة ١٧٦٠، مناهزاً الخامسة والسبعين. ونصب عشرة اساقفة للابرشيات. على ان المؤرخين الملكيين لم يثبتوا المنتخَب الجديد في سلسلة بطاركتهم[4] . بيد ان العلامة كرلفسكي اثبته فسلكنا مسلكه.

ومن مشاهير الملة الملكية اذ ذاك : السيد افتيموس صيفيّ ، ابن اخت

---

١) راجع الصفحة السابقة ، الحاشية ٢ ٢) المشرق ١٢ [١٩٠٩] ٩١٨
٣) المشرق ١٢ [١٩٠٩] ٦-٧-٨-٧
٤) المشرق ٢ [١٨٩٩] ٢٨٩

البطريرك افتيموس كرمة السابق الذكر . وُلد في دمشق عام ١٦٤٨ ، ورقّاه البطريرك قرلس الخامس الى مطرانية صور وصيدا في ٢٧ تشرين الاول ١٧٢٣، ومن مآثره الطيبة انشاؤه الرهبنة المخلصية عام ١٧٠٨ ، وقد صنّف عدّة تآليف اشهرها كتاب « الدلالة اللامعة بين قطبي الكنيسة الجامعة » . ومن علماء الملكيين ايضاً الشماس عبد الله زاخر († ٢٠ آب ١٧٤٨) الذي انشأ سبعة كتب في العربية اغلب مواضيعها في العقائد الكاثوليكية[1] . وكان البطريرك قرلس الخامس يعوّل عليه في بعض الاعمال[2] . ومنهم الخوري نقولاوس صانع الحلبي الراهب الحنّاوي († ١٧٥٦) ، صاحب الديوان المشهور باسمه ، وتاريخ الرهبنة الحنّاوية ، ومنشئ عدّة مواعظ .

١٣٥ اثناسيوس الرابع (١٧٥٩–١٧٦٠)

هو من آل جوهر . ترهّب في دير المخلّص (١٧٥٤ – ١٧٥٩) ، ثم رقّاه سالفه الى الرتبة البطريركية في ١٩ تموز ١٧٥٩ ، وشغلها الى اول السنة ١٧٦٠ قال السيد غريغوريوس عطا : « ان القاصد لما شاهد تعصبه حرمه حرماً ظاهرا وحرم المطارنة المشاركين له »[3] . وكتب العلّامة شارون : « ان الكرسي الرسولي التمى انتخابه عام ١٧٦٠ . وبعد تبرّمه وامتناعه ، خضع للبطريرك الشرعي الذي خلفه ، وجعل اسقفاً على صيدا سنة ١٧٦٣ »

وبعد وفاة البطريرك ثاودوسيوس الخامس (١٧٦١ – ١٧٨٨) ، اجتمع الاساقفة في دير قرقفة ، ووقع اختيارهم على اثناسيوس الرابع ، فكتبوا الى البابا بيوس السادس (١٧٧٥ – ١٧٩٩) ، فأجاب الى طلبهم وأيّده في الكرسي الانطاكي في ٥ ايار ١٧٨٨ ، وساس الرعية ست سنوات حتى ادركته المنون ، في دير مار الياس رشميّا في ٢ كانون الاول ١٧٩٤[4] .

---

١) المخطوطات العربية ١٠٨

٢) السيد عطا ٢٣

٣) ص ٢٦

٤) المشرق ١٠[١٩٠٧] ٢٥٠

١٣٦ مكسيمس الثاني (١٧٦٠-١٧٦١)

هو من آل حكيم. انضمّ الى الرهبنة الشويرية ، ثم تولى رئاستها العامة . وفي السنة ١٧٣٣ ، نُصب مطراناً على حلب . وفي ١ آب ١٧٦٠ ، تقلد البطريركية الانطاكية طبقاً لبلة أصدرها البابا اقليمس الثالث عشر (١٧٥٨ — ١٧٦٩) . واقام السيد اثناسيوس دهّان وكيلاً له ، وجعل مركزه في دير مار يوحنا الشوير. وفيه توفي في ١٥ تشرين الثاني ١٧٦١ ، بالغاً الخامسة والسبعين .

وكان هذا البطريرك الجليل من افاضل العلماء ومشاهير الوعّاظ ، غيوراً على الايمان المقدس ، متضلعاً من اليونانية . صنّف كتباً شتى[1] ، منها خدمة عيد الجسد الالهي ، عاونه في تاليفه الخوري نيقولاوس صائغ السابق ذكره.

ومن كتبة الملكيين في هذا الزمان : ابراهيم حكيم (ت ١٧٧٠) ، نسيب البطريرك مكسيمس . له رحلة من حلب الى مصر افرغها في عبارة مسجعة مضبوطة[2] . والشماس نعمة ابن الخوري توما الشاعر[3] ، الذي تولى الكتابة في الديوان البطريركي في عهدَي البطريركين اثناسيوس السابع ومكسيمس الثاني. وله مجموعة وثائق البطريركية بعنوان « عجالة راكب الطريق لمن يرضى بتقليد التلفيق » ، و « ديوان شعر » ، وغير ذلك.

١٣٧ ثاودوسيوس الخامس (١٧٦١—١٧٨٨)

هو يوسف بن فاضل دهّان البيروتي ، وُلد عام ١٦٩٨ ، وانضمّ الى الرهبنة الشويرية عام ١٧٢١ ، ورُقّي الى اسقفية بيروت في ٢٦ كانون الاول ١٧٣٦ ، ونُصب بطريركاً في ٢٧ كانون الاول ١٧٦١ ، واتشح بدرع الثبيت في كنيسة عكّا عام ١٧٦٤ . وفي ١٣ تموز ١٧٧٢ ، فوّض اليه الكرسي الرسولي سياسة جميع الملكيين الكاثوليك في بطريركيتي الاسكندرية واورشليم . وقد زاحمه في البطريركية سالفه البطريرك اثناسيوس جوهر منذ ١٦ شباط ١٧٦٥

١) احصاها الاب لويس شيخو في كتابه المخطوطات العربية ٦٢
٢) المشرق ١٠[١٩٠٧] ٥٥٩
٣) المشرق ٢٥ [١٩٢٧] ٨٥٢

حتى السنة ١٧٦٨ ، ثم عُيّن مطراناً على صيدا حتى وفاة ثاودوسيوس الخامس ، فتأيد في البطريركية كما ذكرنا.

واشتهر في هذا الزمان السيد اغناطيوس جربوع مطران حلب (١٧٦٠ — ١٧٧٦)، الذي عقد السيد اغناطيوس ميخائيل الثالث جروة ، بطريرك السريان الانطاكي ، فأعلن بحضوره ، في ١٦ كانون الاول ١٧٧٤ ، الايمان الكاثوليكي ، يومَ كان مطراناً على حلب . وقد انشأ السيد جربوع مجموعة مواعظ في ثمانية مجلدات ، وألف كتاب « البحث الراهن في فحص الكاهن ».

ومن ادباء الملكيين في هذا العهد : الخوري انطون صبّاغ الراهب المخلصي ، ايكونومس كنيسة حلب ، الذي عرّب كتباً فلسفية ولاهوتية ودينية وصنّف كتباً شتى[1] . واشتهر من آل صبّاغ كتَبَة عديدون منهم خليل الشامي ، والقس سمعان الراهب المخلصي ، وعبود حفيد ابرهيم الصبّاغ ، وميخائيل بن نيقولا بن ابرهيم الصبّاغ . وكان ابرهيم طبيب ظاهر العمر . وُلد ميخائيل في عكا عام ١٧٧٥ ، ومات كهلاً في باريس عام ١٨١٦ ، ومن تصانيفه : « تاريخ قبائل اهل البادية » ، و« تاريخ الشام ومصر » ، وكتاب « حسام الزاجل » ، و « الرسالة التامة في كلام العامة » اثبت فيه (ص ٧١—٧٢) : « ان اهل الشام من قديم الزمان كانت لغتهم السريانية . وبقوا فيها الى دخول اليونان فكانت مخاطبة العامة بالسريانية . والاعيان . . . كانوا يتكلمون باللغتين . . . وبقي ذلك الى مجيء الاسلام فصارت تتناقص اللغة السريانية قليلاً قليلاً حتى صار الجميع يتكلمون بالعربية وعدمت اللغة السريانية من جميع الشام ». وانصرف ميخائيل الصبّاغ الى الشعر فنظم قصائد تستحق الاعتبار[2].

ومن علماء الملكيين في اواخر القرن الثامن عشر : الخوري يوسف بابيلا الراهب المخلصي ، ألّف كتباً عديدة تقوية ولاهوتية ؛ والخوري ميخائيل بَجَع ؛ والقس انطون دقور ؛ وانطون ابن القس دقور ؛ والقس لاونطيوس سالم الحلبي ؛

---

١) المخطوطات العربية ١٣١

٢) الاب شيخو ، المشرق ٨ [١٩٠٥] ٢٤

والخوري يواكيم مطران البطبكي ؛ وميخائيل البحري († ١٧٩٩) وعبود البحري († ١٨٤٣)[1]

وفي عهد البطريرك ثاودوسيوس الخامس ، توفي في ٢٤ اذار ١٧٦٦ ، سلفستر ، بطريرك الملكيين غير الكاثوليك . وخلفه البطريرك فيليمون في ٩ ايار ١٧٦٦ ، وتوفي في ١٦ تموز ١٧٦٧ . وتولى بعده البطريرك دانيال من ١٧ آب ١٧٦٧ حتى ٢٦ كانون الاول ١٧٩١ . وخلفه البطريرك انتيموس القبرسي من كانون الاول ١٧٩١ حتى ١ آب ١٨١٣

١٣٨ قرلس السابع (١٧٩٤ – ١٧٩٦)

هو فرنسيس سياج الدمشقي ، لبس اسكيم الرهبنة المخلصية عام ١٧٥٠ ، وارتقى الى مطرانية حوران عام ١٧٦٣ . وفي ١١ كانون الاول ١٧٩٤ ، عقد احبار الملة مجمعاً في دير مارالياس رشميا وسلموه عكاز البطريركية الانطاكية. ونصب ثلاثة اساقفة من الرهبنة المخلصية : اولهم السيد اغابيوس مطر لصيدا عام ١٧٩٥ ؛ ثانيهم السيد مقاريس لعكا ؛ ثالثهم السيد باسيليوس جبلة للفرزل ونحلة . وانتقل البطريرك الى جوار ربه في ٦ آب ١٧٩٦ ، في قرية عيتنيت بالبقاع . وكان مزداناً بالاتضاع والاستقامة وحسن الطوية.

وفي عهد بطريركيته ، توفي ، عام ١٧٩٥ ، السيد ارميا كرامة مطران القلاية البطريركية الذي عرّب مقالات مار اغوسطينس وألف كتاب « حلّ بعض مشاكل انجيلية » ، و« دفاع عن بتولية مار يوسف » .

١٣٩ اغابيوس الثاني (١٧٩٦–١٨١٢)

ينتمي الى أسرة مطر الدمشقية . ترهب في دير المخلص عام ١٧٦٠ ، وتسقف على صيدا عام ١٧٩٥ . وفي ١١ ايلول ١٧٩٦ ، نُصب بطريركاً انطاكياً ، وتوشح بدرع التثبيت عام ١٧٩٧ . وفي ١١ ايلول ١٧٩٧ عقد مجمعاً

---

(١) من شاء الوقوف على تآليف هؤلاء الجهابذة وتراجمهم فليطالع المخطوطات العربية للاب لويس شيخو اليسوعي.

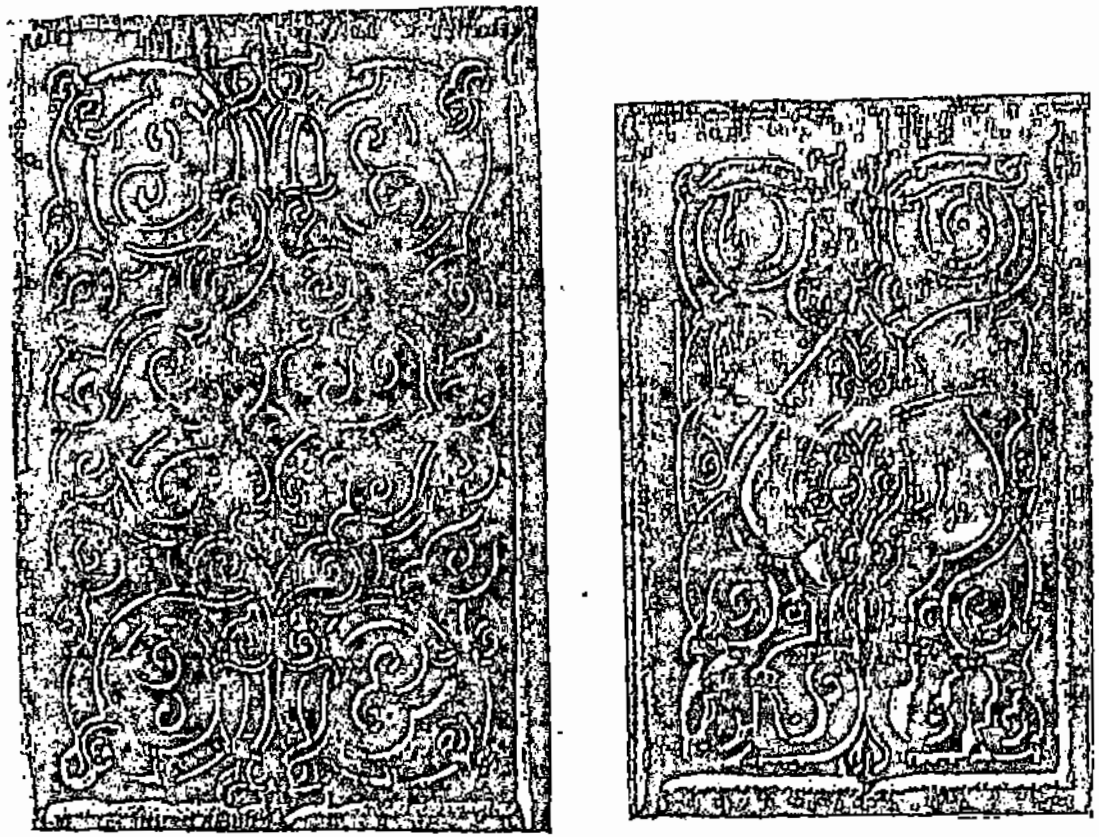

الرسم ١ – قطعتان خشبيتان راقيتان الى القرن الرابع الهجري (القرن العاشر الميلادي) ، وقد يكون اصلهما من بعض ابواب القصور الفاطمية . يظهر فيهما الميل الى الزخرف النباتي ميلا تجريديا يبدو فيه شيء من الجفاف والبرودة ، حتى في رأسي الفرسين المتقابلين (على اليمين) . (مجموعة المتحف العربي في مصر ١ – ٣٣٩٠)

في دير مار ميخائيل بزوق ميكائيل ، حضره سبعة اساقفة ، وألفوا الرهبنة السمانية التي كان انشأها في دير مار سمعان السيد اثناسيوس دهان، قبل ارتقائه الى الكرسي البطريركي.

وفي ٢٣ تموز ١٨٠٦ ، عُقد مجمع قرقفة بحضور البطريرك اغابيوس وتسعة اساقفة ورؤساء الديورة ، ومكثوا اثني عشر يوماً ، ونظموا عدة قوانين فحصها السيد يوسف بطرس تيان ، بطريرك السريان الموارنة ، والسيد غندلفي القاصد الرسولي . غير ان البابا غريغوريوس السادس عشر (١٨٣١ — ١٨٤٦) رفض اعمال المجمع المذكور بتاريخ ١٦ ايلول ١٨٣٥ بعد نشرها بالطبع عام ١٨١٠ . وكان للسيد جرمانوس آدم[1] ، مطران عكا فحلب ، اليد الطولى في هذا المجمع.

ومن مآثر السيد اغابيوس الثاني انشاؤه عام ١٨١١ مدرسة اكليريكية في عين تراز بدار الشيخ غندور الخوري . وفيها انتقل الى جوار ربه بتاريخ ٢ شباط ١٨١٢ ، وابنه تأبيناً موتراً السيد مكسيمس مظلوم ، معدداً مناقبه بافصح لهجة.

وعُرف في عهده قسطنطين الطرابلسي الراهب الباسيلي الحنّاوي منشئ « تاريخ دير رومية نافجلا » . والقس روفائيل انطون زخور الراهب المخلصي ، مدرّس العلوم الشرقية في باريس عام ١٨٠٧

١٤٠ اغناطيوس الرابع (١٨١٢—١٨١٢)

هو يوسف صروف الدمشقي. أبصر النور عام ١٧٤٢ ، وانضمّ عام ١٧٥٨ الى الرهبنة الشويرية . وارتقى في ٨ تموز ١٧٧٨ الى مطرانية بيروت . ونودي به بطريركاً انطاكياً في ٢١ شباط ١٨١٢ ، وجعل مركزه في دير مار سمعان. ولما كان مجتازاً من الدير المذكور الى دير النيلح ، هجم عليه عماد المملوف واولاده ، وفتكوا به في ٦ تشرين الثاني من السنة عينها . ونُقل جثمانه الى

---

١) درس العلوم الكهنوتية في مدرسة البروبندا . ونُصب مطراناً لعكا عام ١٧٧٤ ، ثم نُقل الى كرسي حلب عام ١٧٧٧ . وتوفي في ١٠ تشرين الثاني ١٨٠٩ . وقد عدّد الاب لويس شيخو سبعة كتب من تصانيفه.

دير مار سمان . فاغتاظ الامير بشير ، وقبض على المتدين بعدما فرّوا الى قبرس ، وشنقهم في بتدين .

١٤١ اثناسيوس الخامس (١٨١٣)

هو القس اغابيوس مطر ، شقيق البطريرك اغابيوس الثاني ، انضم الى الرهبنة المخلصية عام ١٧٦٠ ، وتقدّم على صيدا عام ١٧٩٥ ، وتولى السدة البطريركية منذ ١٤ آب ١٨١٣ باسم اثناسيوس الخامس حتى ٢٠ تشرين الثاني من السنة عينها . وتنيّح بالرب في دير مار الياس عبرا .

١٤٢ مقار الرابع (١٨١٣–١٨١٥)

هو من اسرة طويل الدمشقية ، توشّح عام ١٧٧٩ بالاسكيم الرهباني في دير المخلص . ونُصب عام ١٨١٢ مطراناً على الفرزل وزحلة . وتُوّج بطريركاً انطاكياً في ١٠ كانون الاول ١٨١٣ وحلّت وفاته في دير المخلص في ١٥ كانون الاول ١٨١٥

وعُرف في هذا الزمان بين الملكيين الخوري سابا بن نقولا († ١٨٢٧) الذي رأس الرهبنة المخلصية زهاء تسع سنوات ، وانشأ عدة مصنفات في اخص العقائد المسيحية ، والابحاث الفلسفية والمنطقية .

١٤٣ اغناطيوس الخامس (١٨١٦–١٨٣٣)

وعلى اثر وفاة البطريرك مقار الرابع ، عقد الاساقفة مجمعاً في دير مار انطونيوس قزقفة ، واصطفوا الخوري موسى قطّان ، كاهن زوق ميكائيل ، ونصبوه اسقفاً ، ثم سلّموه عصا البطريركية الانطاكية صباح ١٠ تموز ١٨١٦ . وقد هنّأه المعلّم نقولا الترك مشيراً الى اسمه موسى فقال مؤرخاً :

خُرِقتَ يا فخر البطاركة الهنا للشعب ثم حسبتَ كل تراعِ ...
لبّاه بالافصاح ارّخت الهدى موسى لشعب الله افضل راعِ (١)

١) المشرق ١٠ [١٩٠٧] ٦٦٢ – وكان المعلّم نقولا الترك من المقربين في ديوان الامير بشير الشهابي . وقد صنّف ديوان شعر في اربعمائة صفحة بنيّف ، وانشأ تاريخ نابليون في نحو ٤٥٠ صفحة ، وتاريخ احمد الجزار الخ . وتوفي عام ١٨٢٨ ، وقيل ١٨٢٦

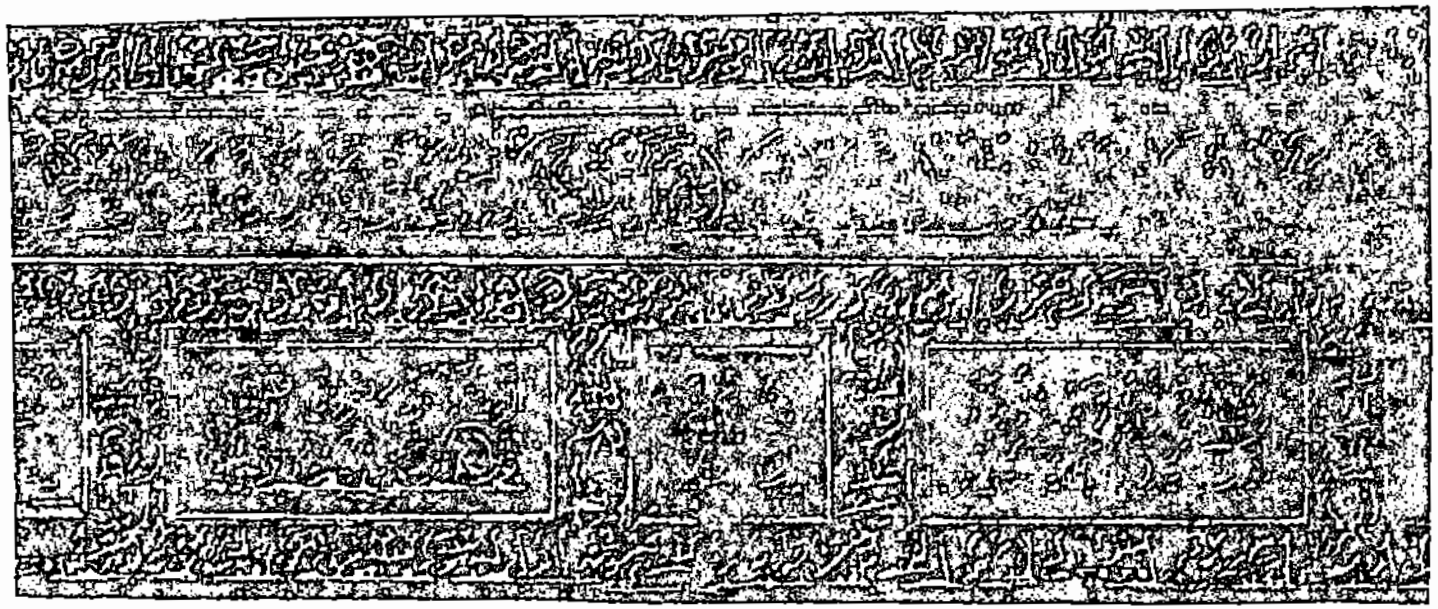

الرسم ٢ - قطعة خشبية من تابوت الامير حسن الدين ثاب (ت ١٢١٦) . يظهر فيها ميل الفنان الى الاكثار من [illegible]
ما متتابعة حتى لا يقف الا بانتهاء القطعة التي خرفها ، فيقطع الصورة فجأة ، قبل ان يصل الى آخرها . (مجموعة المتحف [illegible] ص ٣٧

وجعل السيد البطريرك اغناطيوس الخامس مركزه في دير مار ميخائيل حذاء الزوق بلبنان . وفي السنة ١٨١٨ ، وصل اليه درع التثبيت من البابا بيوس السابع (١٨٠٠–١٨٢٣) ، ووشحه به السيد غندولفي القاصد الرسولي باحتفال شائق .

ومنذ السنة ١٨٢١ ، أخذ بصر البطريرك يضعف رويداً رويداً حتى اصبح مدة احدى عشرة سنة ضريراً عاجزاً . ثم تشنجت اعضاؤه فلم يقوَ على الحركة . فكان اذا اراد الذهاب الى الكنيسة حمله الرهبان على سجادة . وقضى هكذا تسع سنوات يقرّب الذبيحة الالهية ويحتفل بالطقوس البيعية . وقد رقي الى الدرجة الاسقفية في تلك الغضون ثلاثة اساقفة وهم اثناسيوس لبعلبك ، واغابيوس لبيروت ، وغريغوريوس لحلب . وانتقل الى جوار ربه مصطبراً خاضعاً للاحكام الربانية في ٢٥ اذار ١٨٣٣

وفي عهد بطريركيته توفي سيرافيم ، بطريرك الملكيين غير الكاثوليك (آب ١٨١٣ — ٣ اذار ١٨٢٣) . وخلفه متوديوس (٢٢ ايار ١٨٢٣ — ٦ تموز ١٨٥٠) .

ومن اشتهر في الطائفة الملكية الكاثوليكية : الاب حنانيا المنيّر ، الراهب الشويري ، صاحب « الدرّ المرصوف في حوادث الشوف » من السنة ١٦٢٧ — ١٨٠٧ ، وتاريخ الرهبنة الحنّاوية ، ومؤلّف المقامات العربيّة ، ومجموعة امثال عددها اربعة آلاف مثل [1] . والخوري سابا كاتب المخلّصي (÷١٨٢٧) مؤلّف « الغصن الوريف في معنى القدّاس الشريف » ، و « الرسائل الجليّة في البراهين على اخصّ العقائد المسيحيّة » وغير ذلك . ونصرالله بن فتح‌الله بن بشارة الطرابلسيّ الحلبيّ (١٧٧٠ — ١٨٤٠) . وقد كابد والده فتح‌الله في سبيل الايمان الكاثوليكيّ شدائد جمّة . وكان نصرالله من الشعراء المجيدين . ومن محاسن نظمه قصيدته في شهداء الكثلكة بحلب عام ١٨١٨ التي افتتحها بقوله :

دَعِ العينَ مني تذرف الدمع عَنْدَما فحقّ لهذا الخطب ان تُسكبَ الدّما [2]

١) المخطوطات العربية ١٦٦ ، والمشرق ١٩٠٧ و١٩٠٩

٢) المشرق ١٠ [١٩٠٧] ٩٤٥

١٤٤. مكسيمس الثالث (١٨٣٣ــ ١٨٥٥)

هو ميخائيل مظلوم الحلبي. أبصر النور في كسرين الثاني ١٧٧٩ ، وأكب على الدروس في زوق ميكائيل منذ السنة ١٨٠٣ حتى ١٥ نيسان ١٨٠٦ ، فارتقى الى الدرجة الكهنوتية . وانطلق الى حلب عام ١٨٠٧ . وتقلد مطرانية حلب في ٦ آب ١٨١٠ . ونُصب رئيساً على اكليريكية عين تراز عام ١٨١١. وفي السنة ١٨١٣ توجه الى تريستا. وزار ليفورنو ورومية عام ١٨١٥ ، واستعفى من ابرشية حلب ، وبُني مطران ميراليكا. وفي السنة ١٨١٨ سافر الى فينة ، وقابل عاهلها . ثم توجه ، عام ١٨٢٠ ، الى مرسيلية ، وابتنى فيها كنيسة على اسم مار نيقولا . وعاد الى رومية عام ١٨٢٣ ، واقام بها زهاء ثماني سنوات . وعاد عام ١٨٣١ الى بلاد المشرق يصحبه ثلاثة من الرهبنة اليسوعية وهم الأبوان لويس ريكادونا ، وبندكتس بلانشه ، والاخ منصور . ونظم مدرسة سيدة البشارة في عين تراز ، وزينها بمكتبة قيمة.

وبعد وفاة السيد اغناطيوس الخامس عقد الاساقفة مجمعاً في دير مار جرجس الغرب ونادوا به بالصوت الحي بطريركاً انطاكياً في ٢٤ اذار ١٨٣٣ . وارسل اليه البابا غريغوريوس السادس عشر (١٨٣١ ــ ١٨٤٦) درع التثبيت ، وقد هنّأه المعلم بطرس كرامة[1] الملكي بقصيدة افتتحها بقوله :

قم للهناء فنسة السحر جاءت بريّاً عاطر الزهر...
مكسيمس الحبر المقدس مَن أضحى طهور القول والفكر.

وفي ٥ نيسان ١٨٣٤ يمّم دمشق ، فخرج الاهالي لاستقباله مبتهجين غاية الابتهاج برؤيته ، بعدما ظلّوا مائة وعشر سنوات (١٧٢٤ ــ ١٨٣٤) محرومين من مشاهدة بطاركتهم.

(١) مثّل المعلم بطرس كرامه في ترقي اللغة العربية دورًا مهمًا. وكان عمه السيد ارميا كرامة ، مطران القلاية الدمشقية (+ ١٧٩٥) من مشاهير الكتبة ومن أفاضل الاحبار. وُلد المعلم بطرس في حمص عام ١٧٢٤ ، ثم اتصل بالمعلم نيقولا الترك ، شاعر الامير بشير ، فقرّبه من الامير . وفي السنة ١٨٤٠ ، استصحبه الامير الى قسطنطينية . وهناك عُيّن ترجمانًا في المابين حتى توفاه الله عام ١٨٥١ ، وخلّف لعالم الأدب اشعارًا ومساجلات شتى (المشرق ١٠ [١٩٠٧] ٩٤٦ و١٠٣٩)

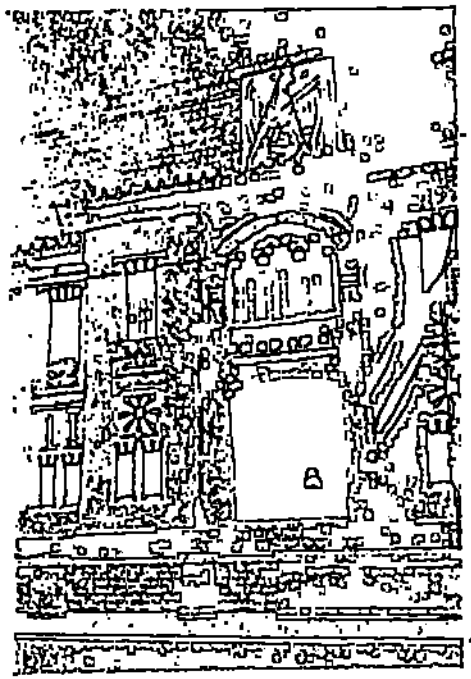

الرسم ١ – باب المدرسة التجهيزية

الرسم ٢ – واجهة المدرسة التجهيزية

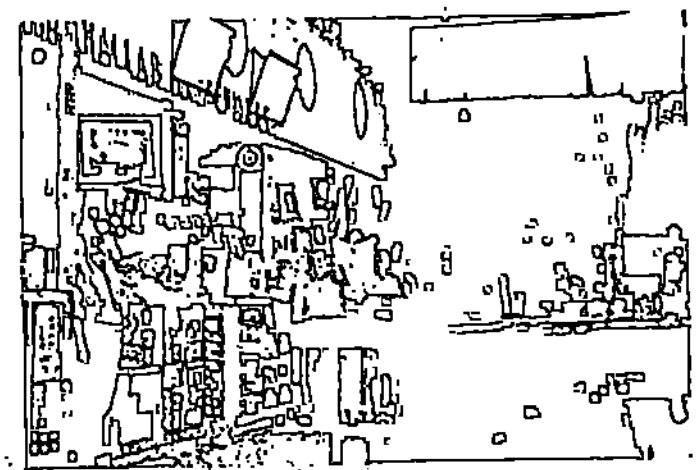

الرسم ٣ – غرفة الجمهورية اللبنانية

الرسم ٥ – غرفة الأقمشة والألبسة

الرسم ٤ – المطافئ ورجالها عند المدخل الشمالي

الرسم ٦ – غرفة الزراعة

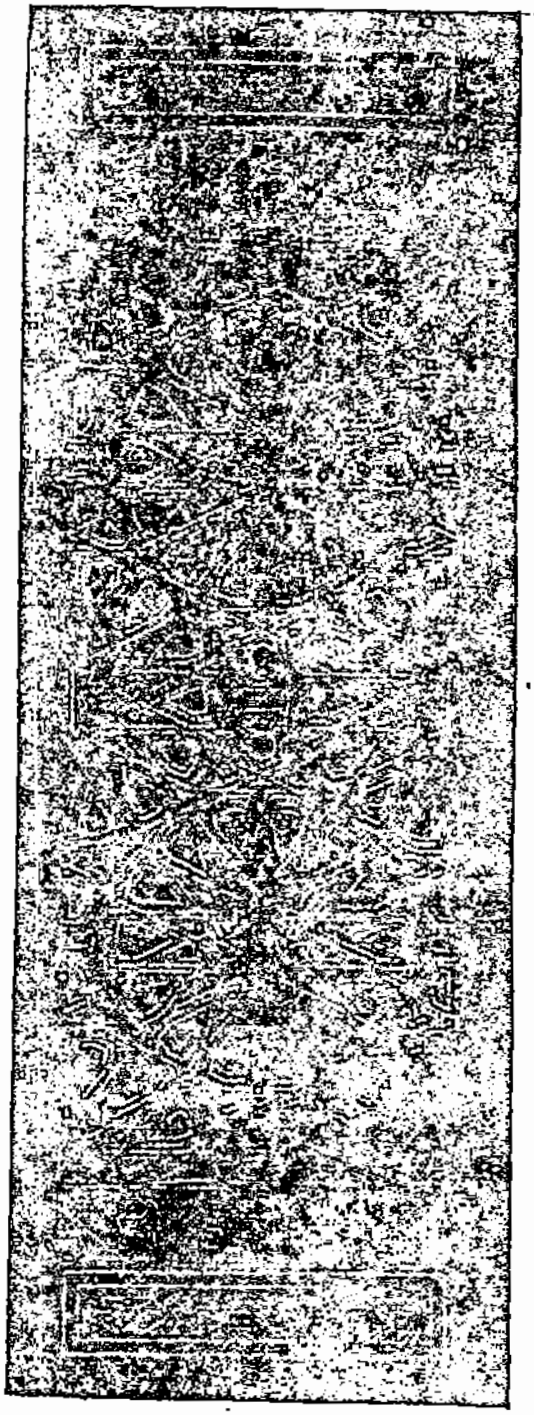

الرسم ٣ – مصراع باب يرقى الى القرن التاسع الهجري (القرن الخامس عشر) وهو اثر من النقش الجميل على شكل المضلعات الهندسية المنجمة ، وقد نزلت قطعها تنزيلا ، مزدانة بخيوط من العظم . (مجموعة المتحف العربي في مصر ٥٩٧٧)

ومنذ اول كانون الاول ١٨٣٥ الى الخامس منه عقد السيد مكسيمس مجمعاً في عين تراز ، بحضور جمهور الاساقفة ، وسنوا خمسة وعشرين قانوناً . واعلنوا في ٣ كانون الاول وجوب السير طبقاً للحساب الغريغوري. وأيد الكرسي الرسولي هذه القوانين ، ونشرها عام ١٨٤١ في رومية .

وفي السنة ١٨٣٧ حدثت ، بين السيد مكسيمس مظلوم وبطريرك الملكيين غير الكاثوليك ، مقاومة عنيفة لسبب القلنسوة اضطرته ان يقصد قسطنطينية . وأسفر سعيه عن تحصيل الاوامر بان يلبسها اكليرسه مقرّنة ، واكليرس الملكيين المنفصلين مدوّرة. وفي السنة ١٨٣٨، فاز بفرمان شاهانيّ قرّر ان يُسمّى بطريرك انطاكية والاسكندرية واورشليم . ووافق على ذلك الكرسيّ الرسوليّ [1].

وتعهّد هذا البطريرك النبيل ابرشيّات بطريركيته قاطبةً . واقام في القطر المصريّ اربع سنوات . وفي ٢٥ ايلول ١٨٤٠ ، توجّه الى مالطة ، ونابولي ، ورومية ، وحظي بالمثول لدى الاب الاقدس البابا غريغوريوس السادس عشر . ثم انطلق الى مرسيلية في غرّة السنة ١٨٤١ ، وقابل في باريس الملك لويس فيليب . وسار الى قسطنطينية ، واقام بها ستّ سنين ، ريثما أنهى مشاكل الطائفة. وعاد الى بيروت في ٢٣ اذار ١٨٤٨ ومنها شخص الى اورشليم فدمشق.

وفي ١٢ ايار ١٨٤٩ عقد مجمعاً في اورشليم ، بحضور اثني عشر اسقفاً ، استغرق ثلاثة وثلاثين يوماً ، وعشر جلسات ، نظموا في اثنائها ١٤٣ بنداً حُصرت في خمسة اقسام ١ً : في الاسرار ٢ً : في الاكليرس ٣ً : في الرهبان والراهبات ٤ً : في العوام ٥ً : في توحيد الطقس. وارفض المجمع في ٢٠ حزيران.

وفي السنة ١٨٥٠ زار البطريرك الانطاكيّ يافا ، وبيروت ، واسكندرونة ، وانطاكية ، وحلب. وتوجّه عام ١٨٥٣ الى الاسكندريّة ، واقام بها حتى توفي في ٢٣ آب ١٨٥٥ . وأبنه القس اندراوس طرّازي السريانيّ تأبيناً بليغاً مؤثراً.

---

١) ان «لقب» بطريرك الاسكندرية واورشليم انما اسند الى البطريرك الملكي الانطاكي استناداً شخصياً فقط (اطلب تقرير الاب شرل ابيلا اليسوعي في مجموعة مصادر الحق القانوني الشرقي الذي نشره المجمع الشرقي المقدّس سنة ١٩٣٣ ص ٢١٦)، وهذا لا يؤثر في «السلطة» المنوطة بالكرسي الانطاكي الملكي نفسه فهي تشمل بطريركيتي الاسكندرية واورشليم معاً .

وقد قرّر الكرسيّ الرسوليّ في عهده ، طبقاً لرقيم مؤرّخ في ١١ اذار ١٨٥١ ، ان يكون مطران صور نائباً رسولياً عند فراغ الكرسيّ البطريركيّ ، وفقاً لتقاليد البطريركية الانطاكية التي كانت صور اول ابرشياتها ، كما اثبتنا في التوطئة.

وقد نصب هذا البطريرك الهمام الجليل اثني عشر اسقفاً . وابتنى اربعاً وعشرين كنيسة. ومما نذكره له بالشكر الجسيم انه بارشاده انضمّ الى الكنيسة الكاثوليكية اسقفان سريانيان هما السيّد غريغوريوس متى نقّار ، مطران النبك ، عام ١٨٣٤ ، وغريغوريوس عبد المسيح ، مطران حمص ، عام ١٨٣٦.

على ان الطائفة الملكية الجليلة مدينة لهذا الحبر الانطاكي النبيل الذي عزّزها ، ونظّم احوالها ، ووسّع نطاقها ، وخلّف لها من الآثار النفيسة ما تغني شهرته عن وصفه . هذا فضلاً عن التآليف التي ترجمها او صنّفها ، وقد بلغت ستة واربعين كتاباً أحصاها السيّد غريغوريوس عطا في مختصره . من جملتها كتاب « القائد الامين » الذي ذكرناه في التوطئة . فتبارك الله تعالى الذي زيّن وليّه هذا المختار باشرف الخلال وجعل تذكاره الصالح منتشراً على كرور الاجيال.

١٤٥ اقليميس (١٨٥٦ — ١٨٦٤ † ١٨٨٢)

هو ميخائيل بحّوث . وُلد عام ١٧٩٧ في شفا عمرو . وانضوى عام ١٨١٨ الى الرهبنة المخلّصية . ورقّاه سالفه الى اسقفية عكّا في ٣٠ تموز ١٨٣٦ . وفي اوّل نيسان ١٨٥٦ توّج بطريركاً انطاكيّاً . واصدر ، في اوائل السنة ١٨٥٧ ، منشوراً قرّر فيه الجري طبقاً للحساب الغريغوري . فوافق على ذلك اساقفة حلب ، وحمص ، وصور ، وعكا ، وحوران ، وابرشياتهم جمعاء . وخالفهم اساقفة بيروت ، وصيدا ، وزحلة ، وبعلبك . وانقسم الملكيون في دمشق ، والقاهرة ، والاسكندريّة ، قسمين . فحصل من جرّاء ذلك بلبلة في الطائفة شديدة اضطرّت البطريرك اقليميس الى الاستقالة من منصبه. بيد ان الكرسيّ الرسوليّ أبى الّا بقاءه في البطريركية . حتى اذا كان ١٢ آب ١٨٥٩ عقد الاساقفة المخالفون مجمعاً في عين الدوق ، بجوار زحلة ، وسنّوا خمسة قوانين .

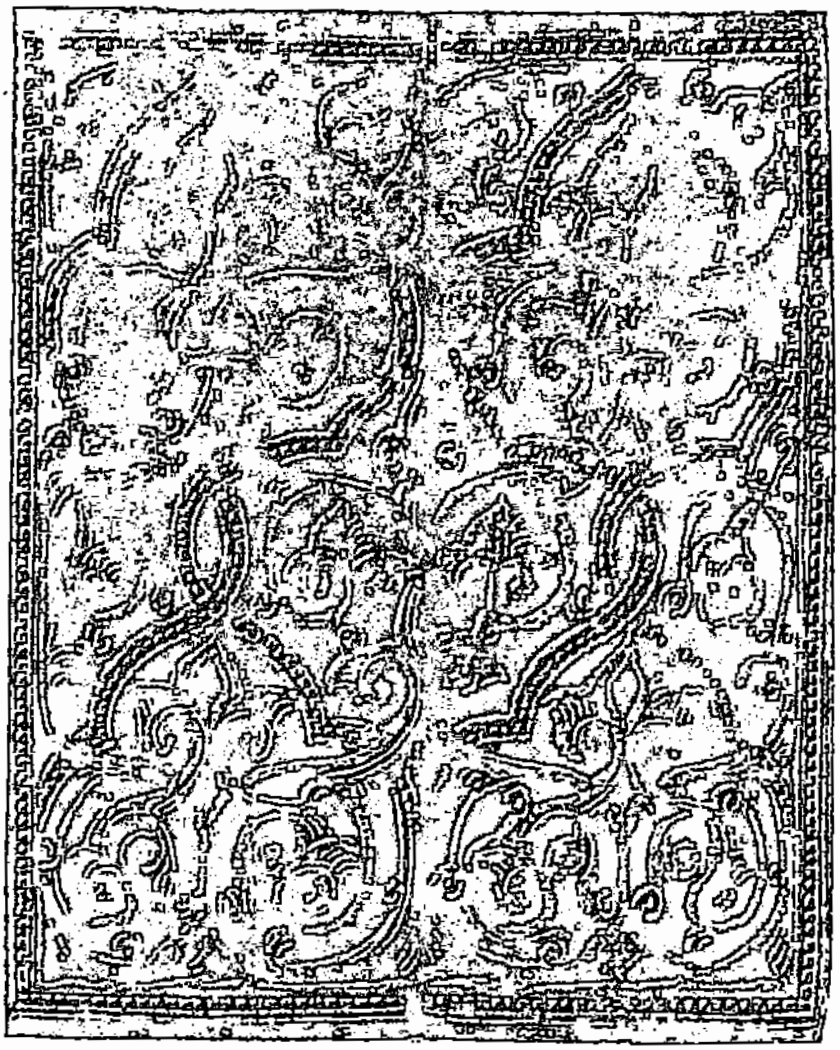

الرسم ٤ – قطعة خشبية من مدرج بالمسجد الشافعي أواخر القرن السادس الهجري – الثاني عشر. تظهر مثالا للزخرف النباتي من عروق وأوراق متشابكة. (مجموعة المتحف العربي في مصر ٢٠٩٩

وفي السنة ١٨٦٠ اضمحلّ الخلاف ، وساد الاتفاق على الجري طبقاً للحساب الغريغوريّ الجديد.

وفي ٢٤ ايلول ١٨٦٤ اجتمع البطريرك اقليميس بالاساقفة في كنيسة دير مار يوحنا شوير ، وتوشح بالحلّة الحبريّة ، وانتصب امام المذبح واعلن قائلاً : « اني ، ايها الاخوة ، عاجز عن النهوض بالمهام البطريركية. ولذلك فاني اتنزّل عن الكرسي البطريركي طوعاً . فاختاروا من يقوم مقامي ». قال هذا ، ونزع عنه الحلّة ، وخرج من الكنيسة . فكتب الاساقفة الى السيد يوسف قاليركا القاصد الرسولي ، والبطريرك الاورشليمي واستحضروه . وانتخبوا السيد غريغوريوس يوسف مطران عكا بدلاً منه.

وقضى البطريرك اقليميس ايامه الاخيرة في دير المخلّص حتى فاضت روحه بيد خالقها ١٨٨٢

ومن مشاهير الكتبة الملكيين في هذا الزمان : السيد امبروسيوس عبده († ١٨٧٥) مطران الفرزل وزحلة ، مؤلف كتاب « كنز الرياضة الروحية » ، و « حقيقة انبثاق الروح القدس من الآب والابن » . ومنهم ايضاً الخوري كرلس حدّاد († ١٨٨٥) ، صاحب « تاريخ الرهبنة المخلّصية » ، و « ترجمة السيد افتيموس صيفي » ، الطيّب الذكر.

١٤٦ غريغوريوس الثاني (١٨٦٤ — ١٨٩٧)

هو يوحنا يوسف . وُلد في رشيد بمصر ، عام ١٨٢٣. ولما بلغ اشدّه انخرط في خدمة الحكومة المصرية . وما لبث ان قصد دير المخلّص عام ١٨٤١ فمدرسة الآباء اليسوعيين في غزير ، وحصّل من العلوم والفضائل نصيباً وافراً. وفي السنة ١٨٤٧ يتمّ مدرسة مار اثناسيوس برومية ، واكمل العلوم اللاهوتية ، وارتقى عام ١٨٥٢ الى الدرجة الكهنوتية. وفي ١ تشرين الثاني ١٨٥٦ نُصب في كنيسة دمشق مطراناً لعكا . وعيّنه الكرسي الرسولي عام ١٨٦٠ ، زائراً رسولياً للرهبنة المخلّصية.

وعلى أثر استعفاء سالفه نادى به احبار الطائفة بطريركاً انطاكياً صباح

٢٩ ايلول ١٨٦٤ ، وتوشح بـدرع الرئاسة في ٢٧ إذار ١٨٦٥ . وفي تشرين الثاني من هذه السنة ، توجه الى قسطنطينية وحصل على الفرمان الشاهاني . ثم عاد الى الشرق ، وجدّد اكليريكية عين تراز . وفي السنة ١٨٦٧ ، ارتحل الى رومية في اربعة اساقفة لحضور الاحتفال بعيد مار بطرس ومار بولس القرنيّ . ومنها يمّم باريس ، وقابل نابليون الثالث . وسار الى بلجيكة ، وقابل ملكها . وتوجه الى مونيخ وڤينة وزار عاهلها .

وفي السنة ١٨٦٩ ، سار في ثانيـة اساقفة الى حضور المجمع الڤاتيكاني وألقى فيه خطبتين الاولى في ١٢ ايار ، والثانية في ١٤ حزيران ١٨٧٠ ، ردًا على السيد حنون ، بطريرك الارمن ، والسيد قرلس بهنام بني ، مطران الموصل[1] . ثم عاد الى الشرق ، عام ١٨٧٠ ، وزار الاستانة ثانيةً عام ١٨٨٨ ، وحضر المجمع القرباني عام ١٨٩٤ ، في اورشليم . ثم توجه ايضاً الى رومية ، وباريس ، والاستانة .

ومن مآثر هـذا الحبر الانطاكي الخالدة تأسيسهُ في بيروت عام ١٨٦٥ ، المدرسة البطريركية التي طار ذكرهـا في الاقطار بين انجبته من ارباب المحابر ولاسيما في اللغـة العربية ، وسعيُه المشكور في تعزيز اكليريكية القديسة حنّة التي أنشأها في اورشليم الكردينال لافيجري الحميد الأثر ، طبقاً لصكّ رسوليّ مؤرخ في ١٨ اذار ١٨٨٢ . هذا ما عدا ما شاده من المدارس في دمشق ، والقاهرة ، والاسكندرية ، ومـا ابتناه من الكنائس البالغة عشرين كنيسة اهمها كنيسة القديسة ڤيرونيكا باورشليم . وقد وضع يمينه المباركة على ستة عشر اسقفاً . ووشح صدره بعشرين نوطاً . وكان عهد بطريركيته سعيداً حافلاً بتزيد التوفيقات الصمديّة . وواصل مساعيه الطيّبة في رعاية ابناء ملّته الملكية حتى انطفأ سراج حياته الوهّاج في ١٣ تموز ١٨٩٧ في دمشق . تغمّد الله تعالى نفسه الزكية بغزير مراحمه .

---

(١) حصلنا على نسخة عربية من الخطبتين المومأ اليهما ، وقد رقنها الفيكنت فيليب دي طرّازي لمكتبة دير الشرفة في ١٠ ايار ١٩٣٦ ، وهي موسومة بالرقم ٧-٥٢

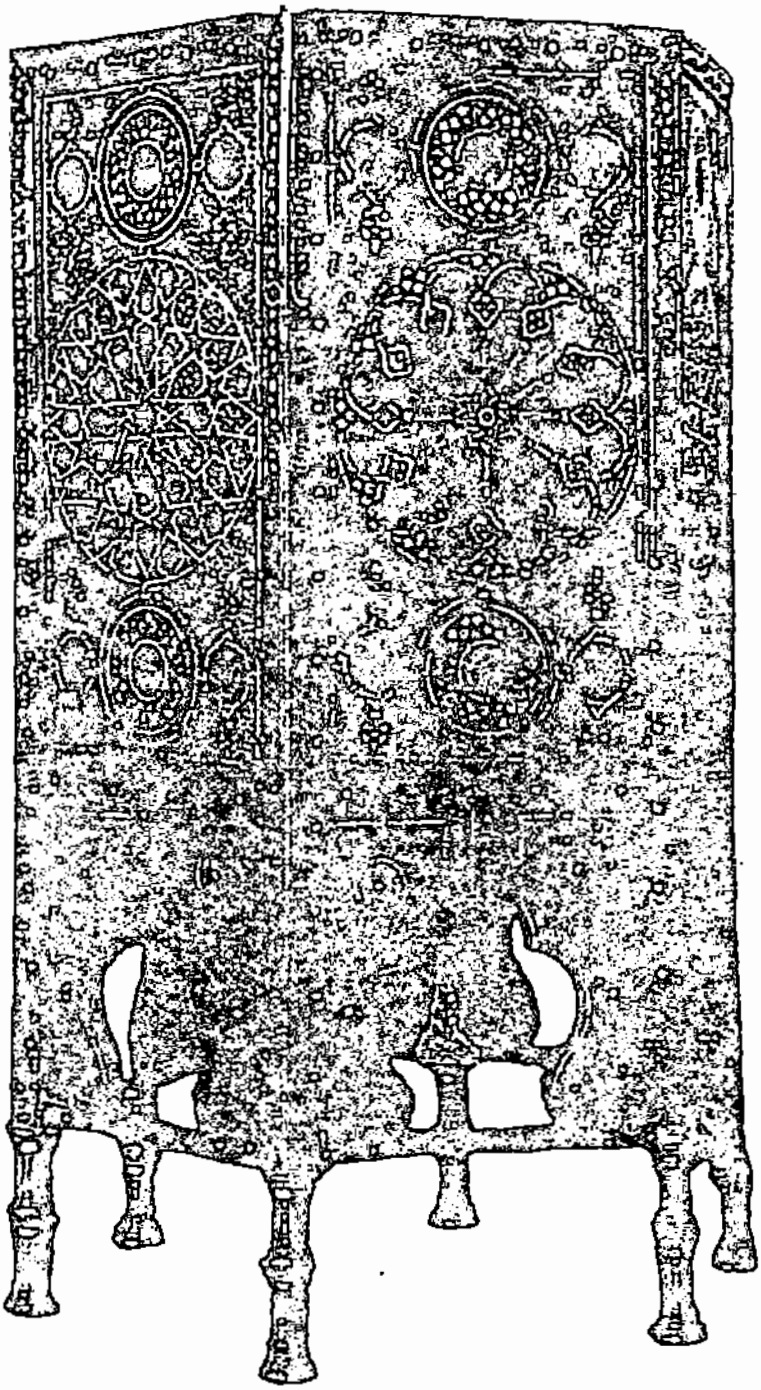

الرسم ٥ – طاولة مسدسة الجهات من نحاس مخرّم ومنقوش نقشاً هندسياً ، مترّل بالفضّة ، يظهر فنها باشتباكات الاشكال الهندسية المتعدّدة الاضلاع . وهي ترق الى القرن الثامن الهجري (الرابع عشر) . (مجموعة المتحف العربي في مصر ١٣٨)

ومن مشاهير الكتبة الملكيين في هذه الحقبة نذكر مشايخ آل يازجي من كفرشيما بلبنان وفي مقدمتهم الشيخ ناصيف (١٨٠٠ — ١٨٧١) والشيخ واجي († ١٨٥٦) والشيخ حبيب († ١٨٧٠) والشيخ خليل († ١٨٨٩) والشيخ ابرهيم († ١٩٠٦) ووردة بنت الشيخ ناصيف († ١٩٢٤) فقد خدموا اللغة العربية خدمةً جلّى بتآليفهم وصحفهم الشتى ومن الكتبة الملكيين: آل عوراء كابرهيم († ١٨٦٣) ويوحنا ويوسف . ومنهم آل مرّاش كبطرس الذي قُتل في سيل ايانه عام ١٨١٨ ، وفتح الله واولاده فرنسيس († ١٨٧٣) وعبدالله († ١٩٠٠) وماريتا . ومنهم الاستاذ نجيب الحدّاد (١٨٦٧ — ١٨٩٩) . وسليمان الصولة الدمشقيّ (١٨١٤ — ١٨٩٩) . ومن مصاف الاكليروس الملكي نذكر القس يوسف الراهب الباسيلي المجلوني († ١٨١٦) ، والسيد اغناطيوس عجّوري الحلبي ، مطران زحلة († ١٨٣٤). والسيد باسيليوس ، مطران صيدا ، والسيد غريغوريوس عطا ، مطران حمص وحماة.

وفي عهد البطريرك غريغوريوس ، توفي السيد ايرثاوس ، بطريرك الملكيين المنفصلين (١٨٥٠ — ٣٠ اذار ١٨٨٥) ، والبطريرك برابيس (١١ حزيران ١٨٨٥ — ١١ اذار ١٨٩١) ، والبطريرك سبيريدون (١٤ تشرين الاول ١٨٩١ حتى اذار ١٨٩٨).

١٤٧ بطرس الرابع (١٨٩٨ — ١٩٠٢)

أبصر النور عام ١٨٤١ في زحلة . وارتقى الى الدرجة الكهنوتية عام ١٨٦٢ ، وسافر الى جزيرة العرب صحبة الاب ميخائيل بلفراف اليسوعيّ . ثم درس الافرنسية في اكليريكية الآباء اليسوعيين بغزير . وتولى ، عام ١٨٦٦ ، ادارة المدرسة البطريركية ببيروت . وابتنى ، عام ١٨٦٧ ، مدرسة زحلة . ثم توجّه ، عام ١٨٧٤ ، الى فرنسة ، واقام في مدرسة بلوا مكبًّا على اقتباس المعارف ، ورقّاه سالفه ، في ٢١ شباط ١٨٨٦ ، الى اسقفيّة بانياس . وفي ٢٤ شباط ١٨٩٨ ، نودي بـه بطريركًا انطاكيًّا في كنيسة دير المخلص بصربا ، بحضور السيد دوثال القاصد الرسوليّ ، ولفيف الاساقفة . ويوم الخميس ٢٤ نيسان

١٩٠٢ انتقل الى جوار ربّه . وترأس الصلاة على نفسه ، في كنيسة مار الياس ببيروت ، السيد اغناطيوس افرام رحماني ، بطريرك السريان الانطاكيّ . وأبّنه هو والسيد قرلس جحا ، مطران حلب ، تأبيناً مؤثراً.

١٤٨ قرلس الثامن (١٩٠٢ — ١٩١٦)

ينتمي الى أسرة جحا الحلبيّة. وكان ميلاده في ٢٨ تشرين الاول ١٨٤٠ ، وارتقى الى الرتبة الكهنوتية عام ١٨٦٥ ، والى الكرامة الاسقفية على حلب في ٣ ايار ١٨٨٥ . وأنيطت به النيابة الرسولية دفعتين : الاولى بعد وفاة البطريرك غريغوريوس الثاني ، والثانية بعد وفاة سالفه بطرس الرابع . فاستدعى احبار الطائفة الى عين تراز ، واتفقوا بالصوت الحيّ على انتخابه في جلسة واحدة عقدوها صباح الجمعة ٢٧ حزيران ١٩٠٢ . وبعد يومين جرى الاحتفال بتسليمه العكّاز البطريركيّ بحضور اربعة عشر اسقفاً . وأعلن تثبيته في المجمع المقدّس في ٢٢ حزيران ١٩٠٣ وساس الرعيّة اربع عشرة سنة بالغيرة والحزم حتى ادركته المنون في كانون الثاني ١٩١٦ ومن مآثره الخالدة انشاؤه مدرسة معتبرة وجمعية خيريّة في حلب.

وكان في عهده ملاتيوس الثاني بطريركاً للملكيين المنفصلين (٢٧ نيسان ١٨٩٩ — ٢١ شباط ١٩٠٦) وخلفه البطريرك غريغوريوس الثاني (٢١ تموز ١٩٠٦ — ١٢ تشرين الثاني ١٩٢٨) وعلى أثر وفاته ظلّ الكرسيّ البطريركيّ فارغاً حتى ٧ شباط ١٩٣١ ، فانتخب مجلس اللاذقية المطران ارسانيوس حدّاد بطريركاً في دير مار جرجس الحميراء ، من بلاد العلويين وانتخب مجلس دمشق المطران الكسندر طحان في ٩ شباط . وجرى الاحتفال بترقية البطريركين معاً في يوم واحد اعني في ١١ شباط . ذلك في كنيسة اللاذقية ، وهذا في كنيسة دمشق. وفي ٧ كانون الثاني ١٩٣٣ توفي البطريرك ارسانيوس . واتفق الجميع مع البطريرك الكسندر الى هذا اليوم. وقرّروا حصر انتخاب البطريرك في مستقبل الزمان بالمطارنة دون سواهم.

واشتهر في هذه الحقبة بين احبار الملّة الملكيّة السيد جرمانس معقد (١٨٥٣ —

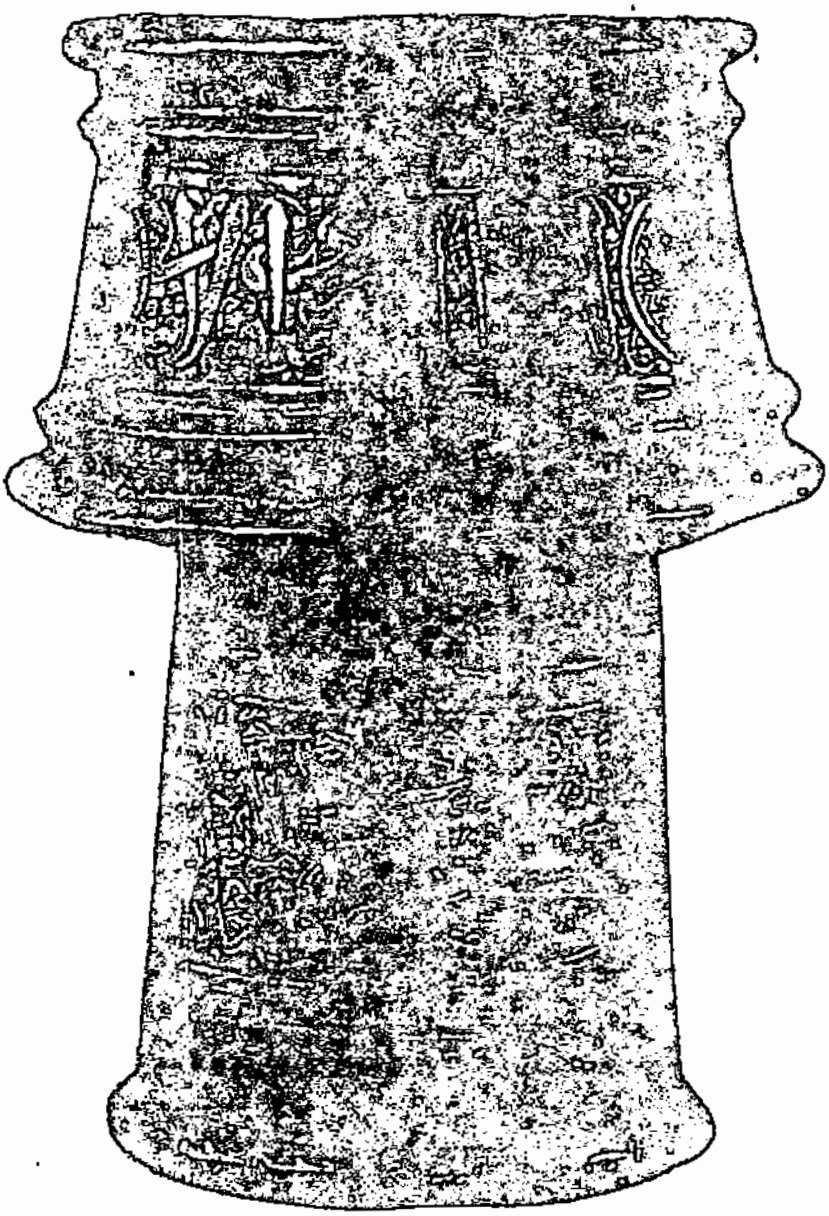

الرسم ٦ – شمعدان من نحاس مترك بالفضة. وميزته الخاصة ما يبدو في حروف الكتابة السفلية من تداخل في الحروف الخطي قاد الفنان الى توليد اشخاص حية من اقسام الحروف العلوية كرؤوس الانفات والهامات وما شاكل. اما الكتابة فهي باسم الامير كتمر الذي ارتقى عرش مصر سنة ١٣٩٤ (مجموعة المتحف العربي في مصر ١٤٦٦٣)

١٩١٢) الدمشقي ، مطران اللاذقية ، منشئ جمعية الآباء المرسلين البوليسيين عام ١٩٠٣ ، في حريصا . فقد كان رحمه الله تعالى ممتازاً بالتقوى والعلم . ونقح وصنّف في العربية كتباً شتى أفضلها مواعظه الشهيرة ، وكتابه « رحلة الفيلسوف الروماني ».

١٤٩ ديمتريوس (١٩١٩ — ١٩٢٥)

ظلّ الكرسيّ البطريركيّ الملكيّ شاغراً ثلاث سنوات لداعي الحرب الكونيّة (١٩١٤—١٩١٨) ، حتى اتفق احبار الطائفة على انتخاب السيد ديمتريوس قاضي الدمشقيّ ، مطران حلب ، للكرسيّ الانطاكيّ .

وكان ميلاده في ١٨ كانون الثاني ١٨٦١ وتلقّى العلوم الاكليريكية في مدرسة عين تراز ، وفي سان سولبيس . وارتقى الى الرتبة الكهنوتية عام ١٨٨٨ . وفي ٢٩ تشرين الثاني ١٩٠٣ ، نُصب مطراناً على حلب ، بوضع يد سالفه . وساس الرعيّة الحلبيّة ستّ عشرة سنة حتى سمّاه الكرسيّ الرسوليّ ، في اذار ١٩١٦ ، نائباً رسولياً عاماً ، فدبّر الرعية جماء ثلاث سنوات حتى انتُخب للعرش البطريركيّ في دير المخلّص بصربا في ٢٩ اذار ١٩١٩ ، وتقلّد درع الرئاسة في ٣ حزيران من السنة ذاتها . واستغرقت بطريركيته ستّ سنين وسبعة اشهر لم يكفّ في اثنائها عن بذل المساعي في تعزيز الملّة ورقيّها . وقد ادركه الوفاة في ٢٥ تشرين الاول ١٩٢٥ متأثراً مما حلّ بدمشق من الاهوال لسبب ثورة الدروز . وقد عاش ، رحمه الله تعالى ، عيشة الابرار والصدّيقين ، واتّصف بعطفه على المحتاجين والمنكوبين . وامتاز بوثيق تعلّقه بخليفة بطرس نائب السيد المسيح وابي المؤمنين العامّ . ومن مآثره الطيبة انشاؤه مدرسةً للبنات ، وفرعاً شرقياً لراهبات يزنسون ، وميتماً ، وكنيستين في دمشق ، وكنيسة ثالثة في السلط ، ودارًا بطريركية في الاسكندرية ، ومدرسة في القاهرة . ولما رأى الطائفة مفتقرة الى نظام عامّ شامل ألّف في اوائل السنة ١٩٢٤ لجنة فوّض اليها ان تهيئ المواد لهذا المشروع الخطير . لكن الاحوال حالت دون انجازه .

١٥٠ قرلس التاسع (١٩٢٥ ـــ)

وبعد انتقال البطريرك ديمتريوس الى الاخدار العلوية ، نصب الكرسي الرسولي السيد مكسيمس صائغ مطران صور نائباً رسولياً في ٣١ تشرين الاول ١٩٢٥ ، فكتب في ٣ كانون الاول الى احبار الطائفة ، فاجتمعوا في عين تراز ، ثم في دير صربا . واتفقوا في ٨ من الشهر المذكور على اصطفاء السيد قرلس مغبغب ، مطران زحلة ، للكرسي البطريركي . وسلّموه عصا الرعاية في اليوم التالي ، عيد الحبل الطاهر بسيدتنا مريم العذراء .

وُلد صاحب الغبطة في عين زحلتا ، عام ١٨٥٥ ، وزاول العلوم الكهنوتية في اكليريكية عين تراز وبروبندا وباريس ، وارتقى الى الكرامة الاسقفية في ٢٨ ايار ١٨٩٩ ثم أُنيطت بجدارته الرعاية البطريركية ووشحه الحبر الاعظم البابا بيوس الحادي عشر بدرع التثبيت بيمينه المقدسة ، في ٢٩ حزيران ١٩٢٦ . وما برح غبطته يصرف المساعي الطيبة في تعزيز الطائفة الملكية الكريمة بما زانه الله سبحانه من توقّد الغيرة وعلوّ الهمة وواسع المعرفة . اطال الله تعالى عهد رئاسته .

معرض دمشق

سنة ١٩٢٦

بقلم الاب فرديناند توتل اليسوعي

حزيران ، تموز ، آب ، ١٩٣٦ : الكتاب الاخضر ينتشر من بكركي ، فحديث وسكوت وخشية ؛ الوفد السوري يعالج امر المعاهدة في باريس ، وفي باريس ايضاً يجاهد المطران مبارك في المحافظة على حدود لبنان وعلى حقوق الاقليات المسيحية ، وفي وزارة الخارجية تحت نظر السيد ڤينر وبحضور الكونت دي مارتل ، يتداول وزراء الحربية والطيران والبحرية شؤون التقارير التي عليها تبنى شروط المعاهدة العتيدة ، فجاملات وتوترات وانقطاع واتصال ؛ بينا ان الدروز في جبلهم ينقسمون بعضهم يريد الوحدة السورية واندغام بلادهم بها ، وبعضهم يفضل البقاء على الاستقلال القديم ؛ وبطريرك الروم الارثوذكس يخابر رئيس اساقفة كانتوربري في القضية الفلسطينية ، وصور صيدا وبيروت تظاهر في سبيل العرب المجاهدين في مقاومة الصهيونية ؛ والبوليس في لبنان يتقفى اثار الحزب القومي السوري فيعتقل زعماءه . . .

فجو السياسة قاتم في البلاد ، الا في دمشق حيث الفرح والمرح وقد مضت ايام الاعتصاب واقبل موسم المعرض ، فهيا بنا نزوره في ظل السلم والطمأنينة .

يذكر قراء كتاب «الف ليلة وليلة» حكاية الشاب الظريف ، السجين في القصر المنيع ، القاضي ايام سجنه في زيارة القصر ، يفتح منه كل يوم غرفة يتسلى في التفتيش عن محتوياتها من كنوز وزخارف وسائر ما يبهج النظر ويشرح الفؤاد . وكأني بالقصة الخيالية التي ابتدعها واضع الف ليلة وليلة تتحقق

فينا وفي كل من زار معرض دمشق . وشتّان بين الحقيقة والخيال، والحقيقة تفوق الخيالَ عظمةً وجمالًا وفخامةً .

قد اختارت الادارة اجمل بقعة في دمشق، وهي البستان او المنشية المنبسطة شمالي جامع السلطان سليم ، على ضفتي نهر بردى وجانبي الطريق المؤدية الى بيروت ، ووضعت فيها المعرض في متّسع من الارض مساحته تزاهي السبعة الهكتارات .

واذ ان وصف معروضاته قد يقتضي سفرًا طويلًا ، فلا بدَّ من الاختصار بلفت النظر الى اروع ما وجدناه منه في المدرسة التجهيزية ومنه في دار الآثار ومنه بين المهدين . ففي الاولى خاصةً مصنوعات الشرق؛ وفي الثانية، مع آثار البلاد السورية، معروضات وزارة الصحة والزراعة والتعليم؛ وفي الثالثة مع الملاهي والمقاهي المبتطات من اشياء يحول ضيق المكان عنها في مدرسة التجهيز او في دار الآثار فافرزت لها سرادقات ومقصورات اختصَّ بها اصحاب العرض لاظهار موادهم . وانا سنصف سائر ما وقع عليه نظرنا ، أخذًا بالدخول من الباب الشمالي . وسوف نهمل الكثير ولا نذكر الا القليل ونتساعد على الكلام بما لدينا من اوراق ونشرات التقطناها لقطة العجلان من العارضين .

ولا نتّبع الترتيب المطلق[1] في الوصف . وربما كنا في المدرسة التجهيزية ثم خرجنا منها ورجعنا اليها شأن الزوّار اذا فاتهم شيء او اعجبهم شيء فعادوا عليه . انما نبتدئ بالمصنوعات ، ثم نأتي على العلميات ، ومن ثم ننتهي بالآثار .

المصنوعات واجهزتها — الادارة — الزوار

الساعة العاشرة، شمس تموز تشتعل في كبد السماء، وترمي اشعتها شرارات لاذعة تلتهب لها ضياء آلات الاطفاء ، وخوذات رجال المطافئ ، وهم عند الباب بالاستعداد الدائم لتلبية طلب المساعدة من دوائر المعرض ، وفي كل غرفة ورقة معلقة على الجدار تنبه الى ما يجب عمله اذا ما نشب حريق في المكان .

---

١) انظر في آخر المقال رأينا في ذلك الترتيب .

عشرات الاعلام تخفق لهب الارياح ، وتعلن على رؤوس الملا اسماء الدول والمقاطعات التي اشتركت بالمعرض وحنّت الدولة السورية بعاطفة الاخاء او الصداقة : لبنان ، وجبل الدروز ، واسكندرونة ، وشرقي الاردن ، ومصر ، والسودان ، وايران ، وتركية ، وافريقية الشمالية[1] .

قليلون هم الزوّار قبل الظهر ، والمجال واسع منفسح امامنا ، والهدوء يساعد على النظر وعلى استيضاح الغاية التي توختها الادارة من اقامة هذا الموسم في دمشق .

دمشق عاصمة الامويين ، شهدت على ايامهم اسواق ومتاجر ذكرها المؤرخون . قال الاب شيخو (المشرق ٢٠ ص ٨٦٦) :

« لما ابتنى معاوية قصره المعروف بالخضراء افرز فيه قسماً لناسجة الحرير ووشي الثياب الملوكية وهو ما يعرف بدار الطراز استدعى لاستحضارها صنعة السوريين النصارى فخرجت من معامله اثواب من الحرير والديباج والابريسم كان يفتخر الملوك والاعيان بلبسها ، ينسجون بخيوطها الذهبية الملوّنة نقوشاً مختلفة وكتابات شتى مزركشة . »

دمشق عاصمة الشام على حدود البادية ، ما احراها بان تحيي ، بعد مرور الاجيال ، مواسم العرب واسواقهم منذ عهد عكاظ وذي المجاز ومَجَنة[2] ! كانوا يغتنمون فرصة المهادنات لقطع المفازات ، وعقد المجتمعات ، ومباشرة الاعمال العمومية التي لم يكن وسيلة للقيام بها الا في تلك المواسم الى ان الغى محمد الاشهر الحرام فبادت الاسواق في بلاد الجنوب ، بينما كانت عامرةً ناجحةً في ما بين النهرين ، اذ كان جدودنا السريان يقيمونها في مناسبة الاعياد الدينية ، وعلى الاخص في عيد القديس توما في شهر اذار ، في مدينة الرها ، فيبيعون ويشترون سحابة ثلاثين يوماً ، ولم يكن عليهم اذ ذاك دفع ضرائب لاشتراكهم

١) لقد لاحظنا غياب فلسطين من المعرض ، كما لاحظ العارضون قلة عدد الفلسطينيين بين الزوّار ؛ ومن الحوادث السياسية الحالية حجّة بيّنة .

٢) راجع دائرة المعارف الاسلامية في مادة عكاظ للاستاذ فانسينك – ولامنس في « مهد الاسلام » ص ٢٦٣

في السوق[1].

اليك مركز الادارة وهو عند مدخل المدرسة التجهيزية . فالرئيس هو وزير الزراعة والتجارة ، والاعضاء هم مدير المعرض العام ، ورئيس بلدية دمشق ، ومدير الزراعة ، والمصالح الاقتصادية ، ورئيس مهندسي الاشغال العامة ، وممثل البعثة الافرنسية ، ومستشار المالية ، ومستشار الزراعة، ورئيس مهندسي البلدية، ومدير المعرض الفني ، ورؤساء غرف الصناعة والتجارة والزراعة بدمشق ، وممثلو الصناعات الكبرى من عيّنتهم اللجنة . ان الغاية المتوخاة من المعرض تتجلى عند مشاهدة البناية الفخمة الموضوعة مركزاً له اعني بها المدرسة التجهيزية المبنية بالفن العربي الخالص[2].

تلك الغاية انما هي توجيه الانظار الى ما بلغت اليه البلاد الشرقية عامةً وسورية خاصةً من التقدم في الصناعات الاهلية ، وفي مختلف انحاء الاقتصاد من زراعة واستثمار وتصدير وتوريد ، مع الاشارة الى عمران البلاد في ظل الانتداب وتنظيم الدوائر ، وتمهيد سبل العمل في سائر ما يعود على السكان بالخير في علم الصحة ومؤسسات التعليم في المدارس ، والتنقيب في جميعات العلوم الاثرية والتجارية وغيرها .

---

١) راجع ص ٩ — ١٠ من ابحاث بور كلو في مذكرات المجمع العلمي للكتابات والآداب الجميلة *Mémoires présentés à l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres* 2e Série. T. V. *Études sur les Foires* par Félix Bourquelot.

٢) المعرض من عرَض . هو موضع عرض الشيء واظهاره . وجاء في القاموس بكسر الراء ، لا بفتحها كما نطقت به العامة . فيه توضع المصنوعات والمخترعات قصد المناقشة والمباراة . وقد يكون المعرض جامعاً لمنتوجات بلاد كثيرة فتبرز فيه منتخباتها في صنف واحد او في صنوف كثيرة . ويرادف المعرض لفظة سوق، ومتجر، ومصرف . وقد يكون المعرض عاماً اذا فُتح لكل ظاهرة من ظاهرات الجهود البشرية . وقد يكون رسمياً اذا كان منشأ بامر الحكومة مباشرةً . وقد يكون تحت الحماية الرسمية اذا أنشئ جمعية جماعة غير رسميين ولكن تحت حماية الحكومة . وفي الاجمال ان غاية المعرض هي التعريف برقي البشر فتفتح المعارض لجميع الاشياء والمواد ولها منفعتها التعليمية . اما السوق فقد تكون لعرض الاشياء الاولية او المصنوعة وذلك لغاية تجارية ولعقد البيع والشراء . ومن وصفنا سوق ترى ان معرض دمشق كان سوقاً ايضاً .

العامة والخاصة تدفقت مجاريها عند الاصيل في اروقة المعرض . رأينا العلماء المعممين ، والنساء المحجبات والسافرات ، يقفون عند المعروضات ويرون ويتأملهم الصغار والكبار من اولاد بلباس المدن او بجلباب القرى ، وغيرهم عشرات من رجال المهن الحرة والكتابة كالموظفين بالسترة والبنطلون ، وغيرهم من اجانب كالمغاربة ، واهل ايران ، والعراق ، والارمن ، والجركس ، والافغان ، والافرنج . اقبلوا ، على مختلف الازياء ، يحومون حول المعروضات حوم النحل حول الازهار ، ونحن واياهم نمتع النظر بالوف الاشياء بهجةً للعيون ، ومجذبةً للزبائن .

هي نماذج محصولات ما جنته يد الانسان ، نقف عندها ونقابل بينها وبين غيرها من محصولات بلاد الجيران ونقابل بينها اليوم وبينها امس ، ونستقصي من المقابلة دليلاً على ما سيخبئه لنا الغد من عنوان الحاضر . نلقي نظراتنا على الجداول الموضوعة في غرف الاحصائيات ، فنستهدي بها الى معرفة عدد الانعام ، ومحصولات اهل الوبر في السنوات التي انقضت منذ بدء الانتداب الى يومنا في بلاد الفرات ، فنمرّ على الصحراء وننظر اليها نظرات الطائر المحلق فوقها من الاعالي فنرى تقدمها وازدياد مظاهر الحضارة فيها بين حقبة وحقبة ، ونلمس مصنوعات الصوف الابيض ووبر الابل من البسة واسرجة ورياش وفرش .

أينَ الوجيه الكريم من اهل بلادنا مَنْ توحي له اريحيته ان ينقل على نفقته الى معرض الشام بعض تلامذة القرى فينظروا مصغرات صور وتماثيل قلعة حلب ، وجسر دير الزور ، وقلاع تدمر وغيرها من الآثار التي لم نكن في صبانا نسمع بذكر اسمها لجهل الناس بها ، وقد صارت اليوم موضوع معارف تلامذة المدارس الابتدائية !

ولا يخفى على ذوي البصائر ان الشغل في المعرض لشاغل عن غيره من أمور السياسة المقيتة ، فاتى موسمه موافقاً جداً لتخفيف وطأة الكابوس السياسي الذي شلّ حركة العمل في دمشق ، ففسح المعرض مجالاً جديداً للحياة العمرانية وساعد على تقريب العقول والقلوب وتأليفها على ضفاف بردى بين عزف الموسيقى

ومهبات رياحين الزهور ، عند دواليب الملاهي ومقاصف المطاهي . هـا ان عمالة المطاعم يدعونكم الى تناول الطعام ، تفضلوا . . .

ولكن ليس الوقت للغداء . بين الناظرين اولاد صغار وقفوا عند انابيب النفط الفولاذية ، فوقفنا واياهم معجبين بما هناك من آلات رفع المياه وتوزيعها .

لم نسمع صوت الصيصان عند ماكنات التفريخ ، لكن صورة الصوص الابيض التي قدمت لنا الجديرة بان تجذب لوكلاء الماكنة زبائن كثيرين . كلها ذوق تلك المقصورة المعروضة فيها ماكنة سنجر المخترعة خاصة للبنات . ولا تظنوا ان البنات الصغيرات لا يستعملن هذه الماكنة الا للعب ، فانها بالحقيقة تخيط خياطة اعتادية بغرز متساوية .

ومن المصنوعات التي لفتت نظرنا نماذج الاعضاء البشرية كاليد والرجل الاصطناعية ، وقواسات الظهر المكسورة ، والرباطات لتجليس الرجلين ، ورباطات الفتق ، كلها صنعت طبقاً لمطالب الفن الصحي الحديث . واضف اليها ماكنات مزج الملط المحركة إما بالكهرباء وإما بالغاز ، وفيها الآلة الطاحنة ، والمازجة ، والرافعة ، وغير ذلك كآلة صنع البلاط والقيشاني وسائر ما يحتاج اليه البناء ، واصناف الورق والكرتون ومصنوعاتها من دفاتر تجارية ومدرسية ، وعلب للمجوهرات الفضية ، وآلة صحية لقتل الذباب والحشرات المضرة ، وآلات الكناسة والتنظيف والحرث والسقي والحصاد .

آلات الري ورفع الماء ! انها ، على كثرتها ، لا تزيد على احتياجاتنا :

من المعلوم ان المدن الكبرى كبيروت ، وحلب ، ودمشق وغيرها كانطاكية ، واسكندرونة ، واللاذقية ، وحمص ، وصيدا ، والسويدا ، وطرابلس ، والكثير من مواضع الاصطياف قد تجهزت بالآلات اللازمة لجر المياه ، ولكن لم تزل اعمال المجاري في سياق التنفيذ ومشاريع المسالخ والرش والنظافة والاطفاء والصحة تقتضي الكيلومترات من الانابيب ، والاقبال على تلك الآلات فسح مجالاً للدعوة اليها .

واذا فطنا الى كون مجموع القوى الكهربائية المولدة في البلاد المشمولة بالانتداب قد بلغت ، سنة ١٩٣٥ ، ٣١ ٠٠٠ ٠٠٠ كيلوات بالساعة لا نعجب

لوزيتنا في ساحة المعرض مختلف انواع القناديل والمحركات والآلات المولدة الكهرباء . ومن المعلوم ان في يومنا كل المراكز الآهلة من مدن او قرى او محايف هي مرتبطة بالاسلاك الكهربائية فتعول عليها ليس فقط بالاضاءة ولكن بتحريك شتى الآلات[1].

بين زوّار المعرض شبان حوران بزيهم الفلاحي يقفون امام المصاطب عند مقصورات شركات اعمال التلبيس بالنكل والنحاس على الكهرباء باحدث طراز وعند معروضات شركة مصوغات « الجمل » المصرية ، وقد اخرجت صنعة جميلة كانواع الطباقم الصالحة للضيافة من فناجين وكؤوس بالمعدن والبلور وغير ذلك من محاسن الصياغة الملبّسة بالذهب من سلاسل وادوات التمشيط والزينة .

وفيما يجتاز الزائر من غرفة الى غرفة تأخذه الريبة والحيرة في تفضيل صنف على صنف ، ومادة على مادة . ولكن الاقمشة على اختلاف انواعها من الحرير والكتان والمخمل والشاش الابيض البسيط والمزركش والنسيج الفاخر المقصّب والمفضّض والمذهب تنال ، في نظرنا ، الاسبقية بكثرة اصنافها وحسن اتقان صنعها وتشكيل تصاويرها وتلوين رسومها ، فالنظرة اليها فتنة ، ولا يسعك الا تقدير قيمة الجهود التي بذلها اصحاب تلك المصانع ، والتحقيق ان تلك الاقمشة ليست دون ما يرى من امثالها في متحف ليون الحريري وليست دون ما يرسله الينا اليابان من اجمل مصنوعاته ، فقد برزت في المعرض كالزهرة في بستانها والثمرة على غصنها فعادت واحيت ذكرى الايام التي اطنب فيها بمدح مصنوعات الشام الشريف الادريسي الرحّالة الغربي . فانه زار بلادنا في القرن الثاني عشر ، ولم تحل الحروب الصليبية دونه ودون البلوغ الى دمشق بالسلامة كما انها لم تقف في سبيل الحركة الفنية الصناعية في الشام ، قال :

« ومدينة دمشق جامعة لصنوف من المحاسن وضروب من الصناعات وانواع من ثياب الحرير كالخز والديباج النفيس الثمين العجيب الصنعة والعديم المثال الذي يُحمل منها الى كل بلد ويتجهز به منها الى كل الآفاق والامصار

---

١) راجع نشرة : ١٥ سنة في حكم الانتداب ، المطبعة الكاثوليكية ، ص ٤٨.

المصاقبة لها والمتباعدة عنها ومصانعها في كل ذلك عجيبة تضاهي ديباجتها بديع ديباجة الروم وتقارب ثياب دستر (وفي غير نسخة دستر) وتنافس اعمال اصفهان وتشف على اعمال طرز نيسابور من جليل ثياب الحرير المصفتة وبدائع ثياب تنيس وقد احتوت طرزها على افانين من اعمال الثياب النفيسة ومحاسن جمة فلا يعادلها جنس ولا يقاومها مثال »[1].

من لنا بالساعات الطوال نقضيها في فك احرف النشيد الوطني السوري او نشيد المرسليز وقد خطه قلم الفنان الماهر على حبة الرز !

او هل نلام على تمداد اطايب المأكولات التي عرضت شهوة للناظرين ! ان في معرض الشام من الحلوى ما يستهوي العين ويؤدي من اسمائه مادة وافرة لقاموس اللغة . واعلم ان من الحلوى المعروضة بعضها ، منها المكفولة لستة اشهر وهي : طاتلي الزهر ، التفاحية ، الجزرية ، الشرابات ، مربا البلح ، مربا المشمش.

ومنها المكفولة لثلاثة اشهر وهي : البقلاوى ، البرما ، الفيصلية بفستق، كل واشكر بفستق ، الغريبة بفستق ، المريسة باللوز والفستق ، المريسة بجوز الهند ، قراص بسيوه.

ومنها الحلويات بالقشطة وهي: الكنافة بنارين، ورد الشام ، زنود الست ، الفيصلية ، حلاوة الرز ، حلاوة الجبن ، استانبولية وبغاجة.

اما المطور والطيوب وانواع الصابونات فكلها تنبئ بتقدم حثيث في التحليل والتركيب واستحصال منافع النبات والزيوت.

ولكن هيا بنا وعجل ... نظرة على مبسوطات انواع الجلود من احذية واكياس وامتعة وغيرها مما قطعت صناعاته شوطاً بعيداً في التقدم ، فصارت اسعاره متهاودة للغاية ، وغلبت مصنوعات البلاد الاجنبية.

---

١) من كتاب الادريسي في وصف فلسطين وسورية ، المطبوع على يد الاستاذ يوحنا كيلدميستر ، في بون سنة ١٨٨٥ ، ص ١٥

لبنان — جبل الدروز — تركيا — مصر

على السرادق اللبناني يخفق العلم المثلث الالوان المزين بالارزة الخضراء . هناك الصور التاريخية ، ونماذج الصناعة اللبنانية من عطور ، وصابون ، ومأكولات . لقد اجمع الناس على ان نصيب لبنان في المعروضات كان زهيدًا على كون المجال فسيحا لتبيان حياة لبنان الاقطاعية المستقلة في ظل امرائه ، وذلك بعرض مشاهدهم التاريخية شأن المشهد المعروض في قاعة جبل الدروز . او لم يكن هناك موضع لجرس من اجراس بيت شباب وهي من مصنوعات لبنان الوطنية ! ولا نعرف لاصحابها انداد في الشرق !

لقد بُذلت عنايةٌ خاصة في ان يكون البهو المخصص لجبل الدروز معرضاً قائماً بذاته شاملًا اهمَّ ما يعرف عن حياة الدروز من لبس وعادات في الحياة العائلية والاجتماعية والمدنية .

في صدر القاعة نُصبت تماثيل لشيخ وشاب وابنة من الدروز وجوهها جميلة من الشمع الملوّن بالبياض البشري الطبيعيّ المتورّد الحي . وعليها ملامح الجنس الاشقر . فهل يا ترى اراد مرتب المعرض ان يشير بذلك الى الاسطورة القائلة : قد يكون الدروز من شعوب الشمال او من اصل افرنجي ! مهما يكن من حقيقة الامر فهناك في الجدار نسخة لأثر قديم شاهد على قدوم امرأة من بلاد فرنسة الى زيارة بلاد الدروز منذ القرن الثالث الميلادي ، وهناك عدد وافر من الخرائط واللوائح المفيدة لمعرفة حركة الترقيّ في الصناعة والزراعة والتعليم في جبل الدروز . وتماثيل صغيرة لبنات المدارس اللابسات الزيّ الدرزي : التنورة الطويلة ، والغطاء الابيض على الرأس ، والصدرية المتضايقة عند الخاصرة ، يشتري السياح تلك الدمى والألاعيب ذكرى لزيارتهم وعنوان ترقي المرأة في العصر الجديد .

وهناك مجموعة الاسماك التي تعيش في برك جبل الدروز وتأكل حشراته لكي تصلح مياهها للشرب .

في الخزانة البلورية اصطفت مصغرات تماثيل عساكر الدروز في قيادة الضباط

الافرنسيين . اجسامهم ولباسهم وخيولهم واوشحتهم صنعت من رصاص . وان ذلك الهندام والترتيب مع لوائح الاعمال الصحية والتعليم والادارة لداع الى المقابلة بين سنة ١٩٢٥ وسنة ١٩٣٦ . فكيف اثمرت ثورة الجيل تلك الثمار العمرانية ! لا نلبث ان نشاهد على اوجه الزوار من الدروز ملامح المفاخرة بحالة جبلهم . وان ترقي الحاضر ومحاسن النظام الحالي لتنسيهم ما اساءوا فهمه بالماضي .

اما المعرض التركي فاستقبلنا فيه شأن متبرين بالبرنيطة وقدموا لنا باحترام نماذج المعروضات . ولعمري ان هذه الظاهرة البسيطة الوضيعة من جانب من كانوا قبل العشرين سنة قابضين بالعجرفة على زمام الامر في بلادنا لتدعو الى التفكير بزوال الاشياء والزمان وتغير الاحوال ، وسبحان الباقي ! الاثمار والأنعام التركية والفحم الحجري التركي ، والجوز التركي ، والقطن التركي . لكل صنف أفرزت نشرة باللغات الافرنسية والالمانية والانكليزية . وفي السرادق التركي عرضت المحصولات من الصوف ومصنوعاته ومن اواني معدنية ومأكولات .

الغرف المخصصة بمصر قد تكون خير ما خصص من امثالها لبلد من البلاد الشرقية .

من جملة ما رأينا فيها نماذج تقلد تماثيل الفن المصري القديم ، وصور اهم الاثار من قديمة وحديثة كأهرام الجيزة ، ومعبد ابيس في جزيرة فيلا ، وجامع السلطان حسن ، وجامع الرفاعي ، واحد الابواب الكبيرة لمعبد كرنك بالاقصر ، ومعبد ادفو ، وجسر اسماعيل الواصل بين حي الجيزة والقاهرة ، وميدان ابراهيم باشا حيث دار التمثيل الرسمية وصورة الجامعة المصرية التي اسسها فؤاد الاول ، وصورة القلعة التي بناها صلاح الدين ، وجامع محمد علي مؤسس العائلة المالكة ، وصور جامع الازهر والقناطر الخيرية التي تعود على مصر بالخير العميم اذا حجزت المياه ووزعتها بحينها وحالت دون فيضان النيل وتخريبه الارياف وضياع مياهه في البحر .

القسم الزراعي — اعمال المساحة

احلى ما تمتع به نظري واطمأن له بالي المعروضات الزراعية: الحنطة والشعير والعدس والاصواف والزيوت والقطن والكتان والسمن على اختلاف الانواع والاجناس والمصادر، من دمشق وحمص وحماة وحلب ودير الزور وانطاكية الخ. هي ثروة البلاد وكنز المزارعين، فيا بارك الله! وان بلاداً فيها ما رأينا من نماذج الحبوب والمحصولات، فضلاً عن الطيور والاسماك والانعام، لجديرة بان تستهوي قلوب سكانها فلا يرغبون عنها في غيرها. حاولت ان اكتب لائحة انواع الحنطة فاذ هي تعد عشرات منها: الاموية والحورانية والحمراء والسلمونية والريسية والبياضية الخ.

اليك انواع بذر الكتان وبذر القنب وبذر السناق والفضة البقدونسية والماوخية وبذر الكزبره والشوندر العلفي العادي والسمسم الابيض والكرسنة النطانية والجلبانية والبلدية.

حيّ لذكرها عطر الحقول والارياف منبعثاً من صفوف معروضاتها وأمل خيراً من البلاد!

اليك الطيور المعبرة: البطّ الفراتي والخضري، وعشرات الانواع المصفوفة المرفوعة على الرفوف سفراً مفتوحاً لمطالعيه لكن اسماءها لم تُرسَمْ الا بالافرنسية. وكذلك عدد عديد من الاثمار والحبوب وليس لها اسم خاصّ باللغة العربية.

امّا اعمال المساحة فهي من المشاريع المهمّة الجديرة بلفت الانظار، والمنبّهة الى التحسينات الادارية والاقتصادية، وعليها يتوقف اساس الملك والتشجيع على استثماره.

لقد قامت الدوائر العقارية والمساحة بوضع الخرائط والمستندات العائدة للمساحة وللسجل العقاري اي لنظام نشر الحقوق العينيّة الجديد الذي حلّ محلّ النظام القديم (الدفترخانة) في سورية، والعائدة لاعمال ضمّ الاراضي المتجزئة والمنتشرة وتقسيم اراضي المشاع، وخرائط تفاضل الارتفاع منظمةً خصيصاً من قبل المساحة لاعداد الاراضي الزراعية للريّ ولتجفيف المستنقعات ولتسهيل

المواصلات وطرق الاستثمار وغيرها ، ولتجهيز واتساع المدن.

هذه الخرائط معروضة على جدران البهو الكبير المخصص للزراعة . وقفتُ تجاهها انظر تارةً الى الخرائط ، وتارةً الى الصور الفوتوغرافية لبعض مناظر سورية وللحياة الزراعية ، والى خرائط سورية القديمة ، والى صور اخذت بالطيارة من امثال ما اخذ منها لاحصاء وتحديد الاملاك.

وكانت بيدي اوراق المذكرة والقلم أدوّن رؤوس اقلام ما سيساعدني على تحرير مقالي ، واذا بامرأة مع بنيها وهي ملتحفة بالحبرة السوداء ، فاسفرت عن وجهها والقت نظرةً على دفتري وقالت : « لقد احسنت » . ومرَّ شاب قروي وقال : « يكتب لكي يوصل التعليمات الى فرنسة » . فابتسمت لتلك الخواطر البديهيّة ، واستحسنتها لاني رأيت فيها لسان حال الواقع وهو ان الشعب مرتاح فرح لما يراه في المعرض كأنه يلمس بيده الخيرات المكنوزة في هذه البلاد العزيزة فيتشجع لرؤيته شيئاً منها ويعتبرها جديرة بلفت انظار العالم ! وفي الحقيقة ان ادارة المعرض نالت ما توخته من جهودها ، اذ علّمت الشعب ان يعرف ما تحويه بلاده من مرافق الرزق والثروة فيسعى في استنباطها.

انتشار المعارف في سورية

شبيهة بغرفة الزراعة هي الغرفة المخصّصة لمعرض التعليم ، وقد ضربت على حيطانها لوائح وخارطات واحصائيات ، وهناك على المنصّات نماذج من تصاوير وفروض مدرسية عرضت تشجيعاً لاصحابها وفكاهةً للناظرين. ووزّعت الادارة كراريس عرضت فيها التعليمات الاجمالية المفيدة للوقوف على حركة الثقافة . اخذنا عنها ما رأيناه موافقاً هذا المقام :

تتألف المدارس في اراضي الجمهورية السورية من عامة ، ومرجعها الى وزارة المعارف ، وخاصة ، ومرجعها الجمعيات او الاشخاص ؛ ومن مدارس قرآنية ، وغيرها من مدارس اجنبية ، وفي عدادها المدارس الافرنسية.

تلك المدارس تقدّمت كثيراً في المدة الواقعة بعد الحرب الكبرى ، وفي برهة ١٢ عاماً اصبح عدد تلاميذها ثلاثة امثال ما كان عليه (الا في المدارس

القرآنية) - كان في السنة ١٩٢٤ : ١٢٦ ٢٨ فصار سنة ١٩٣٥ : ٨٣١ ٨٤ واذا أضيف الى ذلك مجموع عدد المدارس القرآنية كان عدد التلاميذ سنة ١٩٢٤ : ٠٠٠ ٣٩ ، وسنة ١٩٣٥ : ٠٠٠ ١١٧ فاربى ثلاثة اضعاف على ما كان عليه بعد ١٢ سنة.

وان ازدياد عدد التلاميذ الملحوظ منذ عشر سنوات لحق على السواء مدارس الذكور ومدارس الاناث ، وظهر عند جميع الطوائف ، فكان مجموعهم (سوى المدارس القرآنية):

في سنة ١٩٢٩ : ٩٠٠ ٣٦ مسلم ، و٢٠٠ ٢٣ مسيحي و٢٣٠٠ اسرائيلي ، وفي سنة ١٩٣٥ : ٩٠٠ ٤٩ مسلم ، و٢٠٠ ٣١ مسيحي ، و٢٨٠٠ اسرائيلي ، فكان الازدياد ٣٣ بالمئة للاسلام ، و٣٠ بالمئة للمسيحيين ، و٢١ بالمئة للاسرائيليين.

ومن الملحوظ ان المدارس الافرنسية فيما كانت تعدّ سنة ١٩٢٥ : ٨٢٣٩ تلميذاً ، عدّت سنة ١٩٣٥ : ٩٣٨ ١٢

وجدير بالذكر ان عدد التلاميذ المحصى سنة ١٩٣٥ بلغ نمواً ٣٥٤ بالمئة بالنسبة الى العدد المسجل سنة ١٩١٣ في حولية السلطنة العثمانية لمساحة البلاد نفسها.

وكان عدد المدارس الابتدائية ٢١٢ مدرسة سنة ١٩٢٢ ، فصار ٣١٢ سنة ١٩٣٦، وفي زهاء عشر سنوات ارتفع عدد المعلمين والمعلمات من ٦٠٠ الى ٩٣٥

فان كان مستوى التمدين يعرف من قلة عدد الأميين ، اتضح من اللوائح السابقة ان البلاد السورية ارتقت الى درجة في المعارف تحلها في مكانة لا يكاد يسبقها اليها قطر من الاقطار الناطقة باللغة العربية سوى لبنان.

ولفت نظرنا في السرادق المخصص لمعروضات وزارة المعارف ، دكة خشبية عُرضت فيها بعض المخطوطات العربية القديمة ، على اننا كنا نتوقع مشاهدة غيرها مما يليق بمعرض دمشق ، العاصمة السورية الحالية والأموية سابقاً ، وما كان اسهل على الادارة من الحصول على بعض النسخ القرآنية تعرضها لجمال كتابتها وتنسيقها.

ان في الكتب المعروضة مجموعة المطبعة الكاثوليكية ، وفيها المطبوعات العربيـة الشاهدة على الجهود التي بذلها المرسلون اليسوعيون في سبيل نشر القواميس والكتب الادبية واللغوية التي شاعت في العـالم العربي آلةً للدرس والتدريس .

اليك نماذج المؤلفات المدرسية ، وواجهات زجاجية ورفوف ولوحات عُرضت عليها الاشغال اليدوية والرسوم واشغال الخياطات لمختلف الصفوف ، فهي عنوان اجتهاد مدارس الاناث في دمشق وحلب ، وهناك ايضاً دكاكين خشبية لعرض المصنوعات الخشبية والحديدية في مدارس الصنائع في دمشق وحلب .

الاثريات

من الشمال السوري ، وتدمر ، والصالحيـة ، وحمص ، حُملت المعروضات ، ونُضِدت في القسم الاثري ، وهو المعرض الدائم الذي تفاخر به منذ الان مدينة دمشق متحفاً باقياً على مدى الايام حجةً للزوّار ومفخرةً للسكان .

العهد السومري او الميتـاني ، والحثي ، والاشوري ، ممثلٌ في تقليدات انصابه وعادياته الشهيرة . من زار اللوفر ، والمتحف البريطاني ، ومتحف مصر الاثري ، لا يتالك ان يرى البون الشاسع بين ما رآه هناك وبين ما يجده في دمشق . ولكن قـد نبخس العلم حقّـه ، والجهودَ قيمتها ، ان لم نقف معجبين امـام الآثار المخططة فيها أصول تاريخ سورية . فالشكر كل الشكر للذين حفروا ونقبوا واخرجوا للنور بقايا العزّ القديم ايامَ كانت بـلادنا همزة وصل بين مدنيّتي مصر وبابل . فان زرت المعرض لا تنسَ ان تحيّ ذكرها في انصاب الاشوري الحامل الاسـاور ، وفي التحف الفنية الدالة على حياة الاقدمين الدينية .

مبيب هو القبر التدمري المنحوت في اقبية المتحف الاثري ترى فيه تماثيل اسرة بكاملها . لم نقرأ عليها ذكر اصلها وفصلها ، ولكن ملامح العظمة والغنى بيّنة في منطقات الثياب ودقة صنع المصوغات . هل كانت تلك الاسرة تمتُّ الى زينب ملكة تدمر ؟ او هل هي اسرتها بالذات ؟ او هل هي عائلة اغنياء .

التدمريين الذين كانوا يقبضون على زمام حركة النقل والقافلات بين خليج فارس والبحر المتوسط والبحر الاحمر في القرن الثالث الميلادي ؟

لما زرنا انقاض دورا اوروبوس سنة ١٩٢٩ شاهدنا بقايا عديدة من تلك المدينة الآرامية اليونانية التي توارت تحت الرمال مدة الاجيال ، الى ان كشف عن اهميتها الجيش الانكليزي ايام الحرب العظمى ، وهو يحفر الخنادق ، فبرزت للنور وافادت العلماء بمعلومات ادت بهم الى تشبيهها بپمپي وهركولانوم لان مدينة برمتها انبعثت من رمالها وفيها الآثار الوثنية واليهودية والمسيحية وكتابات كشفت النقاب عن صفحات مجهولة من تاريخ احتلال الرومان بلادنا في القرون المسيحية الاولى [1].

وان من اروع الاثار المكتشف عليها في دورا الكنيس اليهودي الراقي عهده الى السنة ٥٥٦ من التاريخ السلوقي و٢٤٤ من التاريخ المسيحي ، ابرزته الى النور ، سنة ١٩٣٣، جامعة يال الاميركانية بالتضامن مع مجمع الكتابات والآداب الجميلة الافرنسي ، في الحملة العلمية السادسة التي قام بها رجال البعثة العلمية المعهود اليهم بالتنقيب والحفر في دورا اوروبوس.

لقد نُقل الكنيس بكماله من موضعه الاصلي الى معرض الشام . كيف وُفق رجال البعثة الى قشط واجهة الجدران والسقف ومساحتها تراهي ٢٥٠ متراً مربعاً ، وحملها الى معرض دمشق ، وردّها الى اصلها حتى يخيّل للناظرين انها شيّدت منذ عهد قريب منا ، والوانها تدهش بزهائها ! ان ذلك لامر يحدث عنه رجال البناء والتنقيب. اما الآن فحسبنا النظر الى الكنيس كما بلغ الينا ووصفه ، معوّلين على ما كتبه عنه الكونت دومنيل دو بزيسون احد رجال البعثة ، في المجلة الكتابية (Revue Biblique) (ص ١٠٥ سنة ١٩٣٤) وخاصة في مجلة الايللوستراسيون (٢٩ تموز ١٩٣٣) قال :

الكنيس

شمالي باب تدمر ، وبالقرب من السور ، كشف الحفر عن الكنيس في

١) راجع المشرق : من حلب الى الصالحية [١٩٣١] ٤٢٤ – ٤٣٤

الصالحية سنة ١٩٣٣.

كانوا اذا قدموا من الشارع ، اي من الشرق ، وجدوا اولاً فناء واسعاً عرضه اوسع من طوله ، يحيط به ، على اليمين ، بعض البنايات ، وبئر او صهريج مغطى بحجر ، وعلى اليسار ركن مربع شبيه بالمذابح الوثنية المعروفة في دورا . ولا شكّ ان هناك حوضاً للوضوء . وكانوا من ذلك الفناء الكبير يجتازون الى فناء ثانٍ مربع الزوايا يحف باجنابه الثلاثة عواميد تقلّد الفن الدوركي (dorique) وكان تحت المدخل الغربي بابا الهيكل الكبير والصغير .

والهيكل او الكنيس بهو عرضه ١٣٫٧٠ متراً ، وعمقه الى صدره ستة امتار ، وعلوه ٦٫٥٠ امتار .

وكان فيه مقعد او بنك مزدوج مقترب في اسفل الجدار حول المعبد ومتقطع عند البابين ، وفي صدر المكان المحراب المزدان بعمودين مغطى عند سقفه بصدف جميل جصي ، والغرض من المحراب على ما ظهر ، ان يكون موضعاً للكتب المقدسة .

اما التصاوير في اعالي المحراب فقد بقيت على رونقها الاصلي بالرغم من عمرها الطويل ؛ ترى فيها عند الشمال المنارة وسرجها السبعة ، والنخل ، والاترج ؛ وفي الوسط خزانة ملف اسفار الشريعة ؛ وعلى اليمين صورة ذبيحة ابراهيم اشخاصها داروا ظهورهم لئلا تبان وجوههم للناظرين ، فيحتجبون توراة لان اليهود كانوا يتحاشون رسم الوجوه البشرية مبالغين بحفظ الوصية « الا يتخذوا لهم معبودات منحوتة او مصورة ».

وكانت جدر الكنيس مغشاة بالتصاوير ، وهي على رونق وجمال يوهم انها من صنع الامس ، على اكثرها تواقيع باللغة الآرامية او اليونانية او البهلوية (الايرانية القديمة) من درسها وتحليل خطها اهتدى العلماء الى معرفة جنسية المصورين . فكان احدهم ارامياً لانه كتب بالارامية او باليونانية على نسق غير يوناني ، فصوّر صورة خروج بني اسرائيل الكبرى ، وصورة موسى والعليقة الملتهبة ؛ وحلم يعقوب ، والتقاء سليمان بملكة سبا ، واسترحى الكتاب المقدس بتأليف المشاهد ، ولوّن جسم المصوّرين بلون احمر

غامق . اما المصوّر الثاني فقد يكون يونانياً . لم يرسم الا كلبةً واحدة يونانية ، لكنه صوّر الاشخاص بظاهر تخالف كل المخالفة تصاوير الفنّان الآرامي فرسم الوجوه بسيماء التقوى والتخشع وذكرنا بالايقونات اليونانية وله من رونق اللون ودقة استعماله ما ليس لزميله الآرامي. ومصداق لكلامنا مشهد هارون وموسى عند تأسيسه عيد المظالّ وصورة هيكل اورشليم، والتابوت، وارميا. اما المصوّر الثالث فقد كتب بالبهلوية واشتغل في تصوير اخبار ايليا ، فخصّ ارملة صرفتا بصورتين ، وقيامة الموتى بصورة ، طبقاً لنبوة حزقيال ولم يكنه ضميره على استعارة مواضيع الصور من الفن المدرسي المستوحي الاشياء من المشاهد المنظورة في الواقع وفي حقيقة الامور ، فوهبها حياةً ذكرت بتصاوير السينما ، واتى بما لم يأته المصوّر في ذبيحة ابراهيم، المحافظ على مراسيم الناموس والتورّع عن ابراز الوجوه ، فلم يحسن الالتفات الى درس الحركات الطبيعية واتخاذها العلة المثلى لاعماله.

قد يكون هؤلاء المصوّرون قد تثقفوا بالثقافة اليونانيــة ولكن في وصاية وتعاليم التوراة سواء أكانوا يهود او غير يهود فقد يهتدون بارشادات الحاخام الى تأليف تصاويرهم طبقاً لمشارب بني اسرائيل وتقاليدهم.

اما سقف الكنيس فصنع من الخشاب عريضة تتخللها لوحات مصورة مصفوفة جمع منهــا ٢١٤ لوحة ودرست مواضيعها فكانت آثاراً وازهاراً وحيوانات طبيعية وخياليــة ورؤوس نساء. ومنها ثلاث لوحات عليها كتابات يونانية دلّت على اسماء المحسنين ، ولوحتــان عليهما كتابات آرامية جاء في احداها العبارات التالية :

اني بنيت هذا المقام سنة ٥٥٦ وهي الثانية لفيليوس قيصر على ايام صموئيل الكاهن ابن بداليو اذ كان حيرًا.

وان تالث السنة المؤرخة من العهد السلوقي تطابق ٢٤٤ ــ ٢٤٥ ميلادية.

بالقرب من الكنيس اكتشفوا قطعتين من ورق البردى فيهما صلاة باللغة العبرية بدؤها « مبارك انت ملك العالم ».

امــا فيليوس فهو القيصر العربي الشهير بمحاربته الفرس ودفاعه عن حدود

المملكة الرومانية ، وقد كانت أمه مسيحية.

***

طفنا معرض دمشق بساحاته وبناياته ومتزهاته،واستأنسنا لعدد زوّاره العديد الوافد اليه من قريب ومن بعيد ، وأعجبنا بمعروضاته من صناعيات، وزراعيات، واحصائيات، واثريات.وهذا المعرض اتى بالغاية المنشودة ليس ادبيةً فقط ولكن ماديةً ايضاً اذ قيل ان مداخيله اليومية بلغت ألوف الفرنكات ، ولا شك ان موسمه هذا يدعو الى عقد امثاله في المستقبل ، واننا لم نبخس المشروع مديحنا كما اننا لم نبخس القراء وصف ما رأيناه وان كنا عنه مقصّرين[1].

حرّرنا هذه الاسطر في منتصف آب،وفي غضونها ودعوا المعرض في دمشق وختموه.فهل من نظرة اجمالية نستوحي منها بعض الملاحظات المفيدة لمعرض المستقبل ؟

ان ما يجب ان يؤخذ اولا على ادارة المعرض شيء من الاهمال في القيام ببعض الواجبات ، واشياء من سوء المعاملة تركت الأثر الأليم في نفوس ارباب الصناعات من الذين قاموا ببعض الاشغال لحساب المعرض[2].

ثم اننا لا نلام في القول ان الترتيب في غرفة الآثار والزراعة والتعليم وفي المتحف كان احسن منه في المدرسة التجهيزية حيث اكتظت المواد في الغرف اكتظاظ السلع في الحوانيت وتتابعت الغرف تتابع الحوانيت في السوق ، من الاقمشة الى المفروشات الى الاحذية فالحرائر الخ.

ان يكن في بلادنا عجائب تستهوي قلوب الزوّار فانما هي اطوارها التاريخية وآثارها الملخّصة مع اخبار اهل العالم ، تاريخ الجنس البشري في اهم شعوبه . وانه قد كان في وسع منظمي المعرض ان يراعوا حقوق الأزمنة فيقف الزائر على فصول تاريخ سورية ، ليس في العهد الحثي والتدمري فقط ولكن في سائر

---

١) تركنا لغيرنا الكلام في شؤون الخيل واستعراضها وسباقها ،.وقيل ان سوقها كانت موردًا من اربح موارد المعرض.

٢) راجع ، في ذلك ، جريدة البشير ١٠ ايلول ١٩٣٦

عصوره ايضاً . لقد رأينا في المعروضات خوذة عليها آثار الفن المغولي ، فهي من عهد تيمورلنك ، واسلحة ارتقى عهدها الى زمن صلاح الدين والصليبيين . لم لم توضع في محلات خاصة مع الاشارة الى عهدها فتتابع في غرف متسلسلة تساعد على التنقل بين عصر وعصر على النسق الجاري في متاحف الافرنج ومعارضهم .

وهناك ناحية من نواحي حياتنا التاريخية والاجتماعية لا مثيل لها في امة من الامم وامرها فريد منوط بحالة بلادنا ، مهد الاديان التوحيدية وعش غيرها من الاديان التي نقب عنها العلماء وحددوا اوضاعها .

أنغلطُ في القول ان غرفاً متسلسلة او بيراً واحداً كبيراً تعرض فيه بالترتيب العلمي التاريخي اهمّ اثار بلادنا الدينية — وان تجاوزت حدود سورية التاريخية والسياسية — مصدّرة بجبولة بالجص مع ما يحتاج اليه الناظر للوقوف على هويتها منذ المعابد الفينيقية الى هيكل بعلبك ، الى هيكل اورشليم ، الى كنيسة القيامة ، الى قبة الصخرة ، وجامع بني امية ، الى كنيسة طرطوس الملوكية ، وجامع زكريا في حلب ، الى مستحدثات البنايات الدينية في القرون القريبة عهداً منا ، أنغلط في القول ان كل ذلك قد يكون صورةً فريدة يمكن تفصيلها بالشواهد اخذاً عن التعليمات التاريخية لتعريف الزوار بالطوائف والمذاهب والاديان التي امتازت بها بلادنا ؟

لقد عُرضتْ في دمشق صناعات دار الايتام الحلبية ولم لم تعرض من امثالها غيرها مما تصنعه ايدي الايتام وما اكثر عددهم في ديورة الرهبان والراهبات ليس فقط في حلب ولكن في سائر الانحاء السورية !

ان المعرض وضع بالانعزال عن عالم السياسة وفي جو اخاء وسلم ، ولكن لم يراع فيه الحياد المطلق في التوزيع والتنسيق من حيث لا تطغي فكرة على فكرة ومادة على مادة فيزورّ عقل السذج من النظر اليها .

أمِنَ الفطنة والسياسة الدعوة بالاوراق المعلقة على جدران المعرض الى مقاطعة الاقمشة الاجنبية فيهيب ذلك بالزوار الاجانب الى التشاؤم في مستقبل علاقاتهم معنا .

واذا صح ما سمعناه من انّ احد الزوار الافرنج اشترى كوفية من الحرائر المعروضة بين مصنوعات الشام ثم مضى بها وتحققها فرأى عليها علامة محل بون مارشه الباريسي !... أفيحل الى بلاده ذكر دمشق مزوّرًا !

لا انسى ان المعرض لـرق عامة فلا بد من عرض واستعراض ليس فقط ما انتجته البلاد بل وما استحضرته ايضا ، ولكن على شرط ان يعرف كل شيء باصله واذ ان نصف المعروضات كانت من اصل اجنبي او كادت فلا اقـل من الترحاب باصحابها كما رحبنا باعمالهم ومصنوعاتهم . فلا يبدو من العارضين مـا يزوّر له نظر الاجانب.

يا ليت تلك الروح الطيبة تنمو مع الايام فتخفق لها اعلام الشرق والغرب بين علمي سورية ولبنان في معرض الغد ان شاء الله !

المجمع الماروني

المنعقد سنة ١٥٨٠

عني بنشره عن نسخته الاصلية والتعليق عليه ، ومعارضة نسخه بعضها ببعض

الاب بولس مسعد الراهب الحلبي اللبناني

تمهيد

وضع هذا المجمع باللغة اللاتينية ، الابوان يوحنا الياتو ، ويوحنا برونو اليسوعيان ، اللذان زارا الطائفة المارونيـة حينذاك ، باسم الكرسي الرسولي الرفيع الشأن ؛ ثم عرّبه احدهما الاب الياتو الى العربية تعريباً ركيكاً . وعرضاه على البطريرك ، وسائر الاساقفة ، فدرسوه وذيّلوه بتواقيعهم . وقد تمّ ذلك في ١٦ آب سنة ١٥٨٠ ، خلال الجلسات القانونية الملتئمة في دير سيدة تنوبين.

١ً ــ النسخة اللاتينية

ان اول من نشر نسخة هذا المجمع اللاتينية كان العلّامة السمعاني الكبير ، في المجلّد الخامس من مكتبته الشرقية (ص ٥٢١ وما يليها) وقد علّق عليها الكلمة الآتي تعريبها:

« لديّ نسخة اصلية باللاتينية والعربية من المجمع الذي عقده ميخائيل الرزي ، بطريرك الموارنة ، بدير قنوبين في ١٦ آب سنة ١٥٨٠ ، بحضرة يوحنا باطيستا الياتو ، ويوحنا برونو اليسوعيين ، سفيري الكرسي الرسولي من قبل البابا غريغوريوس الثالث عشر الى الموارنة ؛ ومذيّل بتوقيع البطريرك والاساقفة الآتي ذكرهم ، وبشهادة يوحنا باطيستا المذكور بانه ترجم (١ الاعمال العربية الى اللاتينيـة في ٢٠ ايلول سنة ١٥٨٠ ، والنسخة العربية كتبها

---

١) نحن نعتقد ان المجمع وُضع اولاً باللاتينية ، ثم نُقل الى العربيـة ، بدليل التعابير اللاتينية التي لا تزال بادية باوضحها على النسخة العربية ، ونظن ان السمعاني يقصد بعبارة « ترجم الاعمال العربية » اي الحوادث التي سبقت المجمع ولحقته ، والله اعلم.

الخوري يوحنا الحصروني ، وقال انه نسخها بامر آباء المجمع والقاصدين الرسوليين . » (١

ثم نشر هذه النسخة ثانية المأسوف على علمه الاب انطون رباط اليسوعي في المجلد الاول من كتابه المنون : *Documents inédits pour servir à l'histoire du Christianisme en Orient*, 1905, pp. 152-169

والغريب في هذا الامر ان الاب رباط ، رحمه الله ، لم يذكر ان السمعاني قد طبع هذا المجمع قبله ، ولم يعلق عليه كلمة واحدة . ولكن اغرب مما ذكر هو ان الخوراسقف بطرس ديب ، احد اساتذة الحق القانوني في جامعة ستراسبورغ ، يقول في مجلة « المنارة » (السنة الثانية العدد السادس ، ص ٤٢٦) :

« ان الاب انطون رباط اليسوعي ، رحمه الله ، نشر لاول مرة بالطبع نسخة هذا المجمع اللاتينية المحفوظة في خزانة الرهبانية اليسوعية الجليلة »

بيد ان نسخة السمعاني ونسخة الرباط هما اصليتان : لان الاول نقل عن النسخة الاصلية التي اخذها من الكرسي البطريركي ، والثاني عن النسخة الاصلية الاخرى المحفوظة في ريائد (ارشيفات) الرهبانية اليسوعية في رومية ، ولذلك لا اختلاف بين النسختين .

ان النسخة اللاتينية تمتاز عن العربية بالترتيب والتنسيق وضبط اللغة ودقتها . فالمؤلفان قد قسما هذا المجمع الى فاتحة وعشرة فصول . ففي الفاتحة يدور الكلام على الغاية التي من اجلها عقد المجمع .

اما الفصل الاول فيتضمن الايمان الارثوذكسي في سبعة قوانين ،
والثاني الاسرار بالعموم في ثلاثة قوانين ،
والثالث في المعمودية في ثمانية قوانين ،
والرابع سر التثبيت في اربعة قوانين ،
والخامس سر الاوخارستيا في ثلاثة قوانين ،
والسادس سر التوبة في ثلاثة قوانين ،
والسابع المسحة الاخيرة في قانونين ،

١) نقلا عن ترجمة الدبس ، في الجامع المفصل ، ص ٣٠١

والثامن سر الدرجة في ثلاثة قوانين ،
والتاسع سر الزيجة في خمسة قوانين ،
والعاشر التجديد (*De Reformatione*) في اثني عشر قانوناً .
ويلي ذلك تواقيع الآباء .

واذا ضربنا صفحاً عن بعض التقديم والتأخير ، وعن عدم ذكر المطران يعقوب من قرية بحقل ، تكون النسخة اللاتينية والنسخة العربية واحدة . الا ان الترجمة العربية هي جد سقيمة . وهاك الآن عبارة في نصّيها اللاتيني والعربي تصديقاً لما قلناه ومثالاً من هذه الترجمة :

في العربي :

« حتى يثبت عند طايفتنا صحة الايمان القاتوليني بلا عيب والاداب السليم والصافي الى انها العالم على جاري عادة البيعة المقدسة الرومانية ربنا هولاي القوانين التي يأتي ذكرهم »

في اللاتيني :

«Eadem Sancta Synodus, cum non solum fidei puritatem, sed morum etiam integritatem Ecclesia maxime curet, ad restituendam collapsam ecclesiasticam disciplinam, depravatos quoque in clero et populo nostro mores emendandos, hos praesentes canones decrevit ».

٢ً ــ النسخة العربية

لقد ظلّ النصّ العربي لهذا المجمع ، وهو الذي دار عليه البحث ، مدفوناً في ظلال النسيان حتى تضاعيف سنة ١٩٣١ ، حيث نشط في تلك الغضون حضرة الخوراسقف بطرس ديب المشار اليه آنفاً ، ونشره على صفحات مجلة « المنارة » في سنتها الثانية (الاعداد : ٧ ، ٨ ، ٩) . وقد مهد لهذا الأثر بكلمة نقتطف منها ما يلي :

« . . . اتاح الله لنا ان عثرنا على نسخة منه (من المجمع) اذ كنا ندرس المخطوطات العربية والسريانية في خزانة الكتب الماديشية في مدينة فلورنسا ، وهي كما نظن الوحيدة التي لم تأخذها يد الضياع ، الا انما لسوء الحظ ليست الاصلية . فاجلنا النظر فيها فاذا هي في حالة سقيمة جداً ، ألصق على صفحاتها ورق شفاف لصيانتها من التلف كما ان زاج المداد اكل قسماً من اوراقها وجعل قراءتها عسيرة . فافرغنا الجهد في طلب الوقوف على ما فيها حتى ادركنا الغاية . فلم يتخفَّ او يتلبس علينا سوى بضع كلمات »

ثم يضيف الى ما تقدم قائلاً :

« اما (اي النسخة التي اراد نشرها) مخالفة في امور شتى للنسخة اللاتينية »

ولم يزد على ذلك حرفاً واحداً ، ونحن لا ننكر ان نسخته هي مخالفة للنسخة اللاتينية في بعض النقاط ، لكن يا حبذا لو دلنا على تلك المخالفات !

ويختم وصفه قائلاً :

« ان هذه النسخة مخطوطة بالحرف السرياني المعروف بالكرشوني وهي تقع في اثنين وعشرين ورقة طول كل منها ٢١ س. بعرض ١٤ . . .

« ان العلامة المطران اسطفانوس عواد السمعاني ذكرها تحت العدد الخامس والستين من كتابه المعروف بفهرست المخطوطات الشرقية في المكتبة المادبشية (١) . لكنها ضمت بعد ذلك الى مخطوطين آخرين . . . فصارت الثلاثة مخطوطات مصحفاً واحداً تحت العدد ٣٠١ » . اه !

اما انا فبينا كنت اضع فهرساً لمخطوطات ديرنا في رومية العظمى ، عثرت على مخطوط كرشوني ، طوله ٢٢ سنتمتراً ، وعرضه ١٦ ، فيه من كل واد عصا ومن كل فن خبر . وما كدت اصل في مطالعتي العناوين الى ص ١١٦ حتى تغيّر الخط والورق ، فانعمت النظر في هذا القسم فاذا هو نسخة من المجمع الذي نحن بصدد الكلام فيه ، فبالغت في التدقيق ، فالفيته النسخة الاصلية بدليل ما جاء في آخرها من الشهادات والتواقيع .

والذي زاد يقيني في ان نسختنا هذه هي الاصلية ، مقابلتي بين قول السمعاني المذكور سابقاً : « لدي نسخة اصلية باللاتينية والعربية . . . والعربية كتبها الخوري يوحنا الحصروني ، وقال انه نسخها بامر آباء المجمع والقاصدين الرسوليين » وبين حالة نسختنا ، فاذا كلام السمعاني يلائمها تمام الملاءمة :

١ً — يقول السمعاني « لدي » ، واذا عرفنا ان اغلب متروكات السمعاني العلمية العربية قد نقلت الى مكتبة ديرنا في رومية بعد انتقاله من هذه الفانية ، اتضح لنا معنى هذه اللفظة .

٢ً — ويقول ايضاً : « كتبها الخوري يوحنا الحصروني . . . » وهذا القول

(١) *Bibliothecae Medicaeae Laurentianae et Palatinae cod. mss. oriental. catalogus* طبع في فلورنسا ، سنة ١٧٤٣

يؤيد رأينا كذلك ، لانه قد جاء في آخر نسختنا :

« وانا الحقير في الموارنة المتوري يوحنا ابن المتوري ايوب من قرية حرون [حصرون] نسخت [نسخت] هذا السينادوس بامر الآبا المذكورين قصاد السيد القافا والسيد البطريرك المذكور ، وورخت ذلك بخط يدي » .

فينتج من هذين الاعتبارين ان نسختنا هذه هي التي كانت عند علامتنا السمعاني الكبير .

اما الاختلاف الواقع بين النسختين : العربية واللاتينية فهو اختلاف « ترجمة » لا اختلاف « قصدي » ، وهو مع ذلك لا يُعبأ به .

واما حالة النسخة التي بين يدينا فلا تقل رداءة عن حالة مخطوط المكتبة الماديشية ، لذلك قد عانيت كثيراً في قراءتها ، بيد انه والحمد لله لم يشكل عليَّ شيء من كلماتها وحروفها . واليك الآن النصّ بالحرف ، خوفاً من ان تقضي عليه غير الزمان وبوائق الحدثان :

نص المجمع

[١١٦] هذا السينادس اللبناني المقدس صار في كنيسة الست العذرى في دير قنوبين في جبل لبنان المبارك . وكانوا المقدمين فيه القس المكرم المعظم القس باطيستا الالياني ، والقس الفاضل المكرم القس يوحنا برونه قصاد السيد القافا غريغوريوس الثالث عشر باسمه ، وكانوا المجتمعين فيه السيد البطريرك ميخايل بطرك الموارنه مع مطارنته واساقفته وكثيرين من الاقليروس .[1]

١) اما العنوان في نسخة مكتبة فلورنسا فهو بعد البسملة هكذا :

« هاذا هو سينادوس مخايل البطراك الموارنه الذي صار في زمان بابا غريغوريوس الثالث عشر هذا الاسم في جبل للبنان المبارك . وكان في هذا السينادوس الحاضرين الفاضلين القس باتيستا الاياني والقس يوحنا برونه من جماعة يسوع القاصدين من الكورسية الرسولية . فقد كانوا مجتمعين في هذا السينادوس مع حاضرة مخايل البطراك الموارنه وجميع الاساقفة وكثيرين من الاقليروس امين . هكـــذا »

واما العنوان في النسخة اللاتينية فهو هكذا :

Synodus Libani sub Gregorio XIII Pontifice Maximo in qua Michael Maro-

[١١٨] بسم الاب والابن والروح القدس الاله الواحد

القانون الاول

هذا السنادوس المقدس المجتمع بحلول روح القدس † توضح وتعرف لقدسكم المجتمعين في هـذا المجمع المقدس بعض من القوانين التي هي من اجل اعتقاد امانتنا المقدسة الرسولية المثبته من الكنيسه المقدسه الرومانيه ومن اقوال الرسل، ومن الابا القدما ، ومن المجامع الاطهار ، حتى تكون الامانة عند طايفتنا بلا عيب الى اخر الزمان.

واول ضروري هو اننـا نقبل ونحتضن ونوقر جميع الكتب الاطهار من العتيقة والجديدة التي تقبلهم وتحتضنهم وتوقرهم الكنيسه المقدسه الرومانيه ، والمجامع الاطهار وبالخصوص المجمع الاخير الذي صار في مدينة ترنتو[1].

ونقبل ايضاً جميع المجـامع المقدسه ومعلمين البيعه الذي تقبلهم الكنيسه المقدسه القـاتوليقيه الرومانيه ، ونص الامانه الارتدوكسيه التي هي مرتبه في مجمع نيقيه من الثلاثمايه وثمانية عشر اباً المجتمعين فيه وهي بالاساس الثابت ، التي لا تقوى عليه ابواب الجحيم [١١٩] كما قال الرب . وهي مثبته من المجمع القوسطنطني المجتمعين فيه مايه وخمسين اب مع الكلمتين في امور انبثاق روح القدس اي انه منبثق من الاب والابن، وهذين اللفظتين ليس هم بزيادة الامانه بل لتبين وتوضح معنى الانبثاق المذكور وصار ذلك بالضروره كما رتبوا الابا في

nitarum Patriarcha et ejusdem nationis Episcopi convenerant praesidentibus in ea RR. PP: Joanne Baptista Eliano et Joanne Bruno, Presbyteris religiosis Societatis Jesu et Sedis Apostolicae Nunciis 15, 16, 17 Augusti 1580.

تنبيه : اننا لا نـدل في نشرتنا هذه الا على الفوارق الجوهرية الكائنة بين نسختنا ونسخة المونسنيور بطرس ديب ، ومن اراد الزيادة فليراجع مجلة « المنارة » في الاعداد التي اشرنا اليها .

١) وفي نسخة ذيب هكذا : « واول ضروري هو اننا نقبل ونحتضن ونوقر جميع الكتب الاطهار العتيقه والجديدة كما هو معدود من المجامع المقدسه بالخصوص من المجمع الاخير الذي صار في مدينة ترنتو مثل ما تقبلهم وتحتضنهم وتوقرهم الكنيسة المقدسة الرومانيه »

المجمع الثامن الفلورنسي وكان فيه مجتمعين الابا من الكنايس المشرقيه والمغربيه وهي على هذه الصوره :

نومن بالاه واحد اب ضابط الكل خالق السما والارض كل ما يُرا وما لا يرا وبرب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد المولود من الاب قبل كل الدهور الاه من الاه ، نور من نور ، الاه حق من الاه حق ، مولود ليس مصنوع ، مساوي للاب في الجوهر ، الذي به صار كل شيء ، الذي من اجلنا نحن البشر ولاجل خلاصنا نزل من السما وتجسد من روح القدس ومن مريم العذرى وصار انساناً وصلب عوضنا في ايام بيلاطوس البنطي ، وتألم ومات ، وقبر وقام [١٢٠] في ثالث يوم كما هو مكتوب وصعد الى السما وجلس عن يمين الاب ضابط الكل[1] وسوف يأتي بمجده ليدين الاحيا والامرات الذي ليس لملكه انقضا ، وروح القدس الحقيقي الذي هو محيي الكل الذي ينبثق من الاب والابن ، الذي هو مع الاب والابن مسجود وممجد الذي نطق في الانبيا[2] . وبكنيسه واحده مقدسه وسوليه ، وبعموديه واحده لمغفرة الخطايا، ونترجا قيامة الموتى والحياة الابديه امين.

ونرتب ان هذه الامانه بعينها تقرا في جميع كنايس طايفتنا في ايام الاحد عند تقرب القربان كما اعتادت بذلك من قديم الزمان الكنيسه القاتوليقيه الرومانيه.

القانون الثاني

فاعتقاد امانتنا وتفسيرها تكون واحده فقط في طايفتنا . فلاجل ذلك هذا السنادوس المقدس يوضح لكل من هو من طايفتنا ان يومنون ويعتقدون ثابتاً ، ويكرزون مشهوراً كمثل ما اعتقدوا واكرزوا الرسل الاطهار اي ان واحد هو الله غير متغير ازلي واحد في الذات ومثلث في [١٢١] الاقانيم : اب ، وابن ، وروح قدس (ثم اصلح الكاتب نفسه هذه العبارة على المنوال الاتي : الاب ، والابن ، والروح القدس) . وان هولاي الثلاث اقانيم هم الاه واحد حقيقي غير

١) « ضابط الكل » ساقطة من نسخة ذيب .

٢) في نسخة ذيب : بعد « الانبيا » ، مضاف : « الرسل »

محدود ، وغير مدروك ازلي. وان الاب هو غير مولود ، والابن هو مولود من الاب فقط ، والروح القدس هو منبثق من الاب والابن لا كن بدوين [بدءين] ولا من نفختين بل من مبدى واحد ونفخة واحده فقط . وان هولاي الثلاثة اقانيم هم مساويين بالازليه وبالسلطنة كما اوضح لنا تعليم المجامع الاطهار والابا الابرار.

القانون الثالث

ونعتقد ايضاً ان في ربنا يسوع المسيح طبيعتين متحدتين اي الطبيعة الالهية ، والطبيعة الناسوتية ، متحدتين بالاقنوم الالهي الذي هو المسيح، انه الاه من اجل ان قيل عنه في البدى كان الكلمة والكلمة كان عند الله والله هو الكلمة كما شهد بذلك يوحنا الانجيلي . واوضح لنا ايضاً ذلك الاب السماوي قايلًا هذا هو ابني الحبيب الذي به سُررت. وثبت ذلك ايضاً من افعال المسيح لما سكّت الرياح [١٢٢] وامواج البحر ، وبامره قامت الموتى ، وبقوله عن ذاته اني انا والاب واحد ، وغيرهم الذين يوضحون لنا انه الاه حق وانه انسان حق لانه قد اوعد في الشيقه بانه يولد من ذرية ابراهيم كما حُبل به وولد من ذرية ابراهيم ولاجل انه قد جاع وعطش وتعب وتالم وصلب ومات وما اشبه ذلك. فهذا كله يشير لنا بانه انسان[1] حق . وان هذا المسيح بعينه هو اقنوم واحد فقط وله الطبيعتين اي الطبيعة الالهية والطبيعة الناسوتية كما تدل لنا شهادات الكتب الاطهار، وبالخصوص يوحنا الانجيلي لما قال ان الكلمة صار جسداً وحل فينا ، وان هذا المسيح بعينه الذي هو جوهر واحد مع الاب ومع الروح القدس في انقضا الزمان تجسد من روح القدس في احشا العذرى الطاهره واخذ منها الطبع البشري الحقيقي اي الجسد والنفس البرهاني في توحيد الاقنوم الالهي وبقدرة هذا التوحيد [١٢٣] العجيب المسيح هو الاه وانسان : ابن الله وابن البشر ، وفيه الطبيعتين الكاملتين متحدتين اي الطبيعه اللاهوتيه والطبيعه الناسوتيه موجودتين في الاقنوم الواحد الالهي حافظتين كل واحدة منهما خاصيتها بلا امتزاج وبلا اختلاط وبغير استحالة وبسبب هذا الاتحاد العجيب خلص

١) في نسخة ديب مضاف: « اله ».

جنس البشر من قيد الخطيه ، ومن نير عبوديه الشيطان بالالام المقدسة التي تألم بها في الطبيعه الناسوتيه المتحده في الطبيعه الالهية ، واوفي بها للاب السماوي لاجل خطية بني البشر[1] . فلاجل ذلك هذا السنادوس المقدس تقبل وتحضن وتوقر المجمع الرابع الذي صار في خلقيدونيا لاجل سبب الطبيعتين المتحدتين بالاقنوم الالهي الذي في المسيح وثبت ذلك ايضاً في المجمع الخامس والسادس والثامن الذي صار في مدينة فلورنسه.

القانون الرابع

وكما نقر ونعترف بان في المسيح طبيعتين [١٢٤] كما ذكرنا سابقاً كذلك نقر ونعترف بان في المسيح مشيتين وفعلين اي المشيئة والفعل الالهي والمشيئة والفعل الناسوتي اللذين هما مخصوصتان لطبيعتها كانت لاهوتية ام ناسوتية . وكذلك نقول ان المسيح ابرا الاعمى بقوة فعله الالهي ، وكان تفله على الارض واخذه الطين واوضعه [ووضعه] على عين الاعمى بالفعل الناسوتي . وايضاً بالفعل الالهي قام العازر من بين الاموات بعد اربعة ايام وبكى عليه بالفعل الناسوتي. ويجب ان نقول ان لكل واحد من الفعلين مشية مختلفة من الاخرى ، ونقول انها مختلفة لا مضاده لان المشية الناسوتيه تخضع للمشيه الالهيه كما شهد بذلك المسيح بذاته قايلاً نزلت من السما. ليس لافعل مشيتي لكن مشية ابي الذي ارسلني وهذه المشيه الذي تخصص بها المسيح في هذا القول هي مشية ناسوتيه. فلاجل ذلك نقبل ونحتضن كل ما رتب ورسم في المجمع السادس والثامن في سبب هذا الامر المذكور .

[١٢٥] القانون الخامس

ومن القول السابق بيّن ان بعض قول التقديسات ما نستطيع نقول الذي صُلب من اجلنا. كمثل ما كنا نذكره في الزمان الماضي لان الاب والروح القدس ليس تجسد ولا صلب بل اقنوم ابن الله فقط . فكل من يكون يخالف ذلك فهو يضاد الحق والكتب الطاهرة والمجامع المقدسة لان المسيح الذي هو ابن الله تجسد وتألم ومات من اجلنا لا غيره ، ولذلك نقبل ونحتضن كل ما رتب

١) هذه العبارة وردت في نسخة ديب: «واوفى بها اللاب السماوي دية خطية ادم.»

ورسم بسبب امر التقديسات في المجمع السادس اي ان هـذا التقديس يكون على هذه الصورة : قدوس الله ، قدوس القوي ، قدوس الذي لا يموت ارحمنا.

القانون السادس

وايضاً [ان] التايبين بالصدق اذا ماتوا على محبة الله قبل ان يكملوا قصاص ما فعلوا وما عملوا بالاثمار اللايقة للتوبة تطهر انفسهم امـام العدالة الالهية بعد موتهم بعذاب الفورغاطوريوس [المطهر] اي مكان تطهير النفس . ولكي ينجوا من هـذا القصاص قد تنفعهم [١٢٦] شفاعة الاحيا من المؤمنين لاجل المومنين المتنيحين اي تقريب القرابين والصدقات والصلوات وغير ذلك من افعال الخيرات على جاري عادة الكنيسة المقدسه حسب مراسيمها وهذا كله يظهر من شهادات الكتاب المقدسه وبالخصوصه من كتاب المقابيين القايل انه نافع بالغاية للتنيحين الصلوات . ومن هـذا القول بيّن ان في الدهر المزمع يغفر بعض من العقوبه المستحقة الذنوب [1] . وهذا هو راي سايرِ القديسين ومعلمين البيعة والمجامع الاطهار وهو ثابت من العادة الدايمة في البيعة الكاثوليقيه الرومانيه . فاما هولئك الذين بعد الخطية تطهروا في هذا العالم او في العالم المزمع كما ذكرنا يصعدون بغتة الى السما ، ويشهدون مشافهةً ذات الله سبحانه وتعالى مثلثاً ومتوحداً كما هو ، ويشهد بذلك قول المسيح للص اليمين القايل اليوم تكون معي في الفردوس .

ومن هذا القول [2] يظهر ان انفس الصالحين قبل قيامة اجسادهم يشاهدون الرب كما هو ويتلذذون في النعيم . وشهدوا بذلك الاباء الاطهار والمجامع المقدسة . وهذه السعاده بعينها ينالوها هولئك ايضاً الذين ماتوا بعد المعموديه بلا خطيه . فلاكن الاجر الابدي في الملكوت هو مختلف على قدر اختلاف الفضايل اكثر واقل حسب العدل الالهي لان افعال الصالحين هي مختلفة ويكون

١) هنا عبارة زائدة في نسخة ديب لا معنى لها.

٢) قبل هذا الكلام توجد العبارة الاتية في النسخة العربية الثانية : « هذا ايضاً جهره علانية الرسول بهذا الكلام المكتوب منه على الفورنتيين . فان انا المحتقين للعالمين ان ما دمنا حالين في الجسد انا مفقودين من ربنا ، الان بلامانه [بالامانة] نحن سايرين فليس ننظر في [الوجه] لاجل هذا نحن منتظرين مشتاقين حتى نفقد من هذا الجسد من يصير للربنا من هذا نفقد هذا الجسد بان نصير الربنا » وهي كما ترى كثيرة الاضطراب حتى انها لا تفهم.

ايضاً اجرهم مختلف كما قال المسيح في بيت ابي منازل كثيره ، وثبت ذلك ايضاً من قول بولص الرسول وغيره.

فاما انفس هولئك الذين ماتوا وهم في خطية ميتة حينئذ سرعة يهبطون الى الجحيم يتجازون باصناف العقوبات المختلفة بلا انتها حسب افعالهم الردية ويشهد بذلك لوقا الانجيلي في امر الغني وغيره ، وهولاي لا يتخلدون من الجحيم ابداً بل يتعذبون مع الشياطين الى الابد بغير انقضا كقول المسيح في الانجيل اذ [١٢٨] يقول للطالحين اذهبوا عني يا ملاعين الى النار المؤبدة المعدة لابليس وجنوده. وثبت ذلك في المجمع الخامس العام ، وهذا هو راي البيعة المقدسة ومعلميها. وهوليك الذين ماتوا في الخطية الاصلية اي في خطية ابونا ادم يهلكون ايضاً الى الابد . فلاكن عذابهم مختلف عن عذاب الطالحين . وشهد بذلك الانجيل القايل: « من لم يولد من الما والروح لم يقدر ان يدخل ملكوت الله ».

القانون السابع

من هـذا القول السابق قد بيّن ان بعد موت كل احدًا من البشر يكون الحكم الجزي عند موتهم لكل احد حسب افعالهم خيرٌ كان ام شرٌ كما ظهر ذلك من سعادة لص اليمين ومن هلاك الغني كما ذكرنا . ولازم ان نقول ان هولايك وغيرهم حكموا عند موتهم بالعدالة الالهية حسب التدبير اللايق في هذا الامر. ومن غير ذلك نقول ان في عقيب الزمان وانتها [١٢٩] العالم ، وعند قيامة الموتى يكون الحكم الكلي لجميع بني البشر ، ولهذا الحكم يأتي الرب بمجده ظاهرًا ومشهورًا ليحكم عليهم لان ليس يحكم احدًا على امر من الامور الا من له الكمال بذاته ، وبحيث ان افعال الانسان صالحة كانت ام طالحة يدومون عند خلفايهم بعد موتهم الى انتها العالم موادجهم . فلاجل ذلك واجب هو ان هوليك يحكمون بالكمال بتلك الموادج الذي خلفوها لخلفايهم ، فالصالحين الذين بعد موتهم تركوا الناس موادج الافعال الجميلة كما فعلوا الرسل والقديسين . وايضاً الصالحين الذين دفعوا لخلفايهم موادج من افعالهم الردية كما فعلوا اريس ، ونسطور ، وديوسقروس ، واوطيخا . وغيرهم يحكمون من الرب عند موتهم على سيرتهم الجميلة ام الرديئة فقط . فلاكن في عقيب الزمان وفي

الحكم العام يحكمون موادجهم التي تركوا لخلفايهم [١٣٠] وفي هذا الحكم العام تعطى السعادة لاجساد الصالحين ، والعقوبة لاجساد الطالحين الى الابد[١] .

القول منجل [من اجل] اسرار البيعة المقدسة

ومن حيث ان العدل والبر ينموا ويبتدى ويكمل في الانسان بواسطة الاسرار المقدسة البيعية ، فلاجل ذلك نحن المجتمعين في هذا السنادوس المقدس رتبنا هولاي القوانين التابعة التي هي من اجل الاسرار البيعية المتقومه والماسه من الكتب الاطهار[٢] ومن تعليم الرسل وشهادات المجامع حتى يثبت عند طائفتنا[٣] صدق هولاي الاسرار وهم الذي يأتي ذكرهم :

القانون الاول – نقر ونعترف ان اسرار البيعه هي سبعه اي : المعموديه ، مشحة الميرون ، القربان ، الاعتراف ، مشحة المرضى ، الكهنوت ، والزواج ، التي هي مرتبه من ربنا يسوع المسيح ، وعند هولاي الاسرار موجودة النعمة الالهية التي يتناولها قابلها باستحقاق.

القانون الثاني – وان [١٣١] هولاي الاسرار يتكملون بثلاث امور اي بالمعنى التي هي كالمادة وبالكلمة التي هي كالصورة ، وبالفعل الذي يقدم هولاي الاسرار . ويجب ان يكون في ضميره ليفعل ما تفعل البيعة المقدسة.

القانون الثالث – في قبول هولاي الثلاثة اسرار اي المعموديه ومشحة الميرون ، والكهنوت تختم في انفس قابليهم علامه خاصه المسميه كاركتار[٤] اي علامة روحانية غير ممحيه في نفس الانسان . ولاجل ذلك لا يمكن ان هولاي الثلاثة اسرار تتنوا . فلاكن الاربع الباقية اي القربان ، الاعتراف ، مشحة المرضى ، والزواج لا يختمون هذا الكاركتار ويقبلون اسرار كثيرة.

١) في هذا القانون اختلاف بين بين النسختين العربيتين فراجعه !
٢) يقصد الكاتب بهذا التعبير : « الكتب الاطهار » الاسفار القانونية.
٣) لا ذكر «لطائفتنا» في النص اللاتيني بل يذكر موضعها لفظة « الآباء ».
٤) Character

القول من اجل المعموديه

القانون الاول – المعموديه تسما باب الحياة الروحانيه من اجل اننا بواسطتها نولد جديداً ، ونجعل اعضا المسيح ، ونخصوصين بجسد الكنيسه المقدسه . وهذا السر هو ضروري لخلاص الجميع ، لاننا قد نحبل في الخطية الاصلية ، ونولد بنون [١٣٢] اللعنة ، ومطرودين من وراثة النعيم لانه قال المسيح : « من لم يولد من الما والروح لم يقدر يدخل ملكوت الله ».

القانون الثاني – ان مادة هـذا السر هي ماء طبيعي حقيقي كانت سخنة ام باردة . وصورة سر المعموديه هي : « انا اعمدك بسم الاب والابن والروح القدس. » ولم ننكر ان صورة هذا السر هي بهذا الكلام ايضاً : «يتعمد فلان عبد المسيح بسم الاب والابن والروح القدس. »

القانون الثالث – الخادم الخاص في هذا السر هو الكاهن الذي لـه هذه الوظيفة. فلاكن في غيبته يمكن ان يعمد كل من كان : اي الشماس ، العلماني ، الامراه ، الكافر ، الهرطوقي وغيرهم . لابد لازم هو عليهم ان يقولوا هـذا الكلام المذكور ، وفي ضميرهم يكون انهم يفعلون كما تفعل الكنيسه المقدسه لان الاب برحمته الجزيلة الذي يريد ان يخلص جميع جنس البشر دفع هذا شئنا الخلاص لكل من كان . فن سائر الاسرار البيعيه المعموديـه هي ضروريه للخلاص اكثر واعم من جميعهم لان بواسطتها نولد جديداً روحانياً [1]. فالاطفال الذين لم يمكن ان يخلصون والكاملين [١٣٣] السن لا يتباوا غفران الخطايا والعقوبه بغير هذا السر او بالاشتها اليه . لاجل ذلك رتب من الرب كما ان المادة يكون من الما الذي هو سهل الوجود في كل مكان واوان كذلك امر ان خادم هـذا السر يكون اي نفراً كان من نوع بني البشر حتى لا يهلك احداً ، اذ لم يستطع الوصول الى هذا السر المقدس . وهذا ظاهراً من قول المجامع الذين نحن جميعنا نقبلهم.

القانون الرابع – وفايدة هذا السر هي غفران تم من الذنوب والخطيه اي من

١) ان هذه العبارة من : « فن » الى « روحانياً » هي ساقطة في نسخة دبب.

الخطيه الاصليه ومن جميع الخطايا المفعوله ومن عقوبتها كما ذكرنا آنفاً . فلاجل ذلك لا ينبغي ان يقص قانون ام توبة على المعتمدين لاجل خطاياهم الماضيه . وان معمودية يوحنا لم كانت تفيد لقابليها هذه الفايده لان تعميده كان بالما فقط ، فاما اعتماد المسيح كان بالما والروح كما شهد بذلك يوحنا المعمدان . فلاكن تلك المعموديه كانت تستعد قابليتها [١٣٤] ليستحقوا معموديه المسيح ويثمروا اثار مستحقة التوبة ويقبلوا غفران خطاياهم .

القانون الخامس – اذا كان المعتمد مريض في خطر الموت ، وليس يقدر ان يتعمد في ثلاثه غطسات في ذلك الوقت يقدر ان يكون بغطسة واحدة او برش الماء عليه فقط ، وفي هذه الصفة تكون المعموديه كامله لان الثلاث غطسات يدلو على الثلاث اقانيم الالهيه ، كذلك الغطسه الواحدة او رش بالماء فقط تدل على الجوهر الالهي الذي هو لهولاي الثلاث اقانيم . وعلى هولاي الصفتين اعتادت بها الكنيسة . واذا ليس يكون في الاطفال خطر الموت يجب على كل طايفة ان تعمد على جاري عادتها .

القانون السادس – يجب ان الاطفال بغير تعويق ، وفي كل الاوقات لما ليس يكونوا تحت خطر الموت يحملون الى الكنيسة ليتعمدون كما اعتادت بذلك الكنيسه الرومانيه [١٣٥] . لان الاطفال في هذا العمر هم تحت خطر الموت في امور كثيرة ، ولم يوجد شفا لخلاصهم بغير هذا السر المقدس ، فلاجل ذلك يجب ان يتعمدون بلا تعويق سرعة لكيلا يصيبهم عارضاً يمنعهم عن هذه الصبغة التي هي ضرورية لخلاص انفسهم .

القانون السابع – ان الطفل المعمد لما يلتمس من امه [ان ترضعه] قبل تطهيرها من نزف الدم لا يتنجس ولا يجب ان يمتنع من رضاعة امه ، ولا يلحقها بذلك خطيه ، لان لا شريعه ولا ناموس يمنع ذلك .

القانون الثامن – حاملين الاطفال للمعموديه اي الاشابين يصيرون كالاقربا والاهل الروحانيه معهم . فلاجل ذلك لا يقدرون يتزوجون من بعضهم بعض ، لا يتزوجون المعمود ولا والديه ومع المعمد ولا مع الاشابين[1] . وان المتعمدين

١) «ولا مع الاشابين» ساقطة من نسخة ديب .

ولو كانوا كثيرين في صبغة واحدة ليس يقتربون لبعضهم بعض ، بل يقدرون ان يتزوجون لبعضهم بعض ، لان لا مذهب ولا شريعة [١٣٦] ولا ناموس يمنع ذلك.

القول من اجل سر تثبيت[1] الايمان

القانون الاول – السر الثاني هو بالمسح بالميرون المسمى تثبيت الايمان . ومادة هذا السر الميرون المتكون من زيت الزيتون والبلسم فقط الذي يدل على السيرة المجيدة . ويكون هذا الميرون مقدس من رييس الكهنة. وصورته هي بهذا القول اعني: « انا ارشمك بعلامة الصليب وانبتك بميرون الخلاص بسم الاب والابن والروح القدس. »

وان هذا السر مختلف عن سر المعمودية لان في المعيشة الروحانية اذا وجد فيها عارض من العوارض الذي يعطلها من خلاصها ضروري هو ان يكون سر خاص ضد هذا التعطيل. فالان سر المعمودية يسهل لنا الاعتقاد بامانة المسيح . فاما بهذا السر الثاني نتقوا حتى نقرّ ونعترف بهذه الامانة المسيحية امام الملوك والسلاطين والمتمردين والمتضادين لنا ولو كان في خطر الموت كما جرى للشهدا. لانه لازم على كل مؤمن بالمسيح [١٣٧] ان يعتقد بالقلب ويعترف بالفم كما قال بولص الرسول ان القلب الذي يؤمن به يبرر والفم الذي يعترف به يحيا . ولاجل ذلك نقول ان هذا السر هو ضروري . وفايدة هذا السر المذكور هو حلول روح القدس على المشوح بالميرون كما حلّ على الرسل الاطهار في علية صهيون في يوم الفنطيقوسطي[2] حتى الانسان يقر ويعترف علانية بسم المسيح . وهذا الصدق هو من المجامع الاطهار، وهو مقبول من قديم الزمان في الكنيسة المقدسه الذي نحن ايضاً نقبل ونحتضن ونوقره.

القانون الثاني – وان خادم هذا السر المذكور هو رييس الكهنة فقط ،

---

١) لفظة « تثبيت » ساقطة من النسخة الثانية العربية.

٢) العنصرة

وشهد بذلك كتاب الابركسيس[1] ان المتعمدين من الكهنة ثبتوا في الايمان بوضع اليد على روسهم كما قال : فلما سمع الحواريون الذين في بيت المقدس ان الشعب في السامرة قبلوا كلمة الله ارسلوا اليهم شمعون الصفا ، وعند ذلك كانوا يضعوا اليد عليهم [١٣٨] وكان يقبلوا روح القدس . فالان في الكنيسة المقدسه عوض وضع اليد على المتعمدين كما فعلوا الرسل الاطهار صار مشحة الميرون. ولاجل ذلك يجب على الاساقفة الذين هم خلفا الرسل الاطهار ان يكونوا مختصين في تقدمة هذا السر كما هو ثابت من المجامع الاطهار.

القانون الثالث – ويجب ان يرتسم الانسان بصليب في جبهته بالميرون التي هي قاعدة الاستحقاق حتى يتقوا الانسان في اعترافه بامانه المسيح علانيه بلا استحا وبلا فزع كما يحمل في هذا الحرب الروحاني لاننا بهذا السر نتقوى على اعدانا المنظورين والغير منظورين.

القانون الرابع – ولو كان لايق ان المتعمدين يقبلوا هذا السر مرة واحدة في كل مدة عمرهم ، مع كل هذا نقول انه واجب قبول هذا السر عند السنه السابعه من عمرهم ، ولاجل ان هذا السر يُعطا للتقوي في الاعتراف بامانه المسيح. فلاجل ذلك يجب انه يُعطا نفرٌ ذو سن [١٣٩] حتى يعرف قدره ، وذلك يصير لمن يكتمل السنة السابعة.

القول من اجل القربان المقدس

القانون الاول – السر الثالث هو سر القربان . ومادته هي خبز فطير كانت ام خمير من دقيق قمح ، والخمر من الكرم ، ويمزج فيه قليل من الما قبل تقديسه ، الذي يدل على الدم والما الذي جرى من جانب المسيح وهو معلق على خشبة الصليب المجيد[2] .

القانون الثاني – وصورة هذا السر المقدس هي كلام المسيح بعينه الذي رتبه بها هذا السرّ ، وان كلام تقديس الجسد هو : « هذا جسدي ». وكلام تقديس

١) اعمال الرسل

٢) هذا القانون غير مفهوم تقريباً في نسخة ديب.

الـدم هو : « هذا دمي العهد الجديد والابدي الذي يهرق لاجلكم ولاجل كثيرين لمغفرة الخطايا » . وان الكاهن الذي هو في هذه الخدمة عوض المسيح يقدس هذا القربان بنطقه على هذا القول وبقوة هذه اللفظات يتبدل ويستحيل [١٤٠] جوهر الخبز لجوهر الجسد وجوهر الخمر لجوهر الـدم المسيح . فلاكن المسيح الكـامل هو في كل واحد منها اي هو كامل في اعراض الخبز ، وهو ايضاً كامل في اعراض الخمر ، وفي كل جزو وقسم منها كما هو ثابت من الكتب المقدسه ومن المجامع والابا الاطهار . وان هذا السرّ المقدس يفعل فينا روحانياً في انفسنا كل ما يفعل القوت والزاد في اجسادنا لان بهذا السر المقدس نستند ، وننمى ، ونتلذذ.

القانون الثالث – وان لم ينبغي للاطفال ان يتناولون جسد المسيح قبل كمال سنهم لانهم لم عدموا البر الذي قبلوا في المعموديه ، ومن اجل انهم ليس يقبلوه باوقار كما يجب لمن يتناول هذا السر . وخطر لئلا يتاقونه ويسقط من افواههم .

القول من اجل سر الاعتراف

القانون الاول – السر الرابع هو سر الاعتراف الذي مادته افعال المستعرف هم ثلاثة اي: انسحاق القلب ، واقرار بالفم [١٤١] الخطايا، والاوفا ما قصّص عليه معلم الاعتراف. فمن جهة انسحاق القلب هو ضروري ان الخاطي يندم ويستوجع من اجل خطاياه الماضيه ، ويثبت عنده لئلا يرجع يخطي للآتي ، والزمان المستقبل . والثاني هو الاقرار بالخطية وهو بان المستعرف يقر ويعترف بجميع خطاياه الميته الذين يأتون على باله ، ولو هي مكتومه ومخفيه كالوصيتين اي التاسعة والعاشرة التين هم على اشتها القلب . وقبل ما يستعرف يمتحن ذاته باجتهاد وباهتمام . والثالث اي الوفا ان يوفي مـا قصّص عليه معلم الاعتراف من الصوم والصلاة والصدقات وما اشبه ذلك.

القانون الثاني – صورة هذا السر هي كلام معلم الاعتراف الـذي بهم يحل المستعرف وهم: « انا احلك من جميع خطاياك بسم الاب والابن والروح القدس » ولهذا القول يسبق ويتبع [١٤٢] بعض من الصلوات كجاري عادة البيعة وليس

هم ضروريه لتكميل هذا السر .

القانون الثالث – خادم هذا السر هو الكاهن الذي له سلطان على الحل والربط من رييس الكهنه ، والذي له هذا السلطان بقوة وظيفته المخصوص بها ، اذ هو مختار ان يكون راعي الانفس في رعيته وكنيسته المخصوص بها . وفايدة هذا السر هو غفران الذنوب واصطلاح الخاطي مع ربه . فاما الصالحين الذين هم متعودين بهذا السر يقبلون من الرب السلامه والسرور والعز في نيتهم .

القول من اجل سر مشحة المرضى

القانون الاول – السر الخامس هو سر مشحة المرضى . ومادة هذا السر هي زيت زيتون مكرس من رييس الكهنه كما رتبوا المجامع الاطهار ، وهذه المشحه تدل على حلول نعمة روح القدس على نفس المرضى . ولا يعطا هذا السر الا للمرضى المشرفين على [١٤٣] الموت من اجل مرضهم ولاجل ذلك تسمي هذا السر مشحة الاخره . وموضع المشح يكون على العيون بسبب النظر ، وعلى الاذان بسبب السمع ، وعلى المناخير بسبب الشم ، وعلى الفم بسبب الذوق والكلام ، وعلى الايادي بسبب اللمس ، وعلى الارجل بسبب المشي ، وعلى الكلا بسبب التلذذ لانه قاعدة اللذة .

القانون الثاني – صورة هذا السر هو هولاي الكلمات . على العيون تقال = « بهذا المشح وبرحمة الله الجزيلة يغفر لك الرب ما اخطيت في النظر » . وفي مشحة الاذان تقال : « بهذا الكلمات وبرحمة الله الجزيلة يغفر لك الله كل ما اخطيت في السمع » . وكذلك تقال على الامكنة الاخرى من اعضا البدن . وخادم هذا السر هو الكاهن . وفايدته هي عافية النفس ، ويكون نافع ايضاً لخلاص وعافية البدن .

القول من اجل سر الكهنوت[1]

القانون[١٤٤] الاول – السر السادس هو درجة الكهنوت ومادته هي تسليم

---

١) كادت يد الايام تطمس هذا العنوان .

تلك الامور التي بتسليمها توهب تلك الدرجة كشبه في درجة القسوسيه . المادة هي الكاس مع الخمر والماء والصينيه مع البرشان . ومادة درجه الشماسيه هي تعطا بتسليم كتاب الانجيل . ومادة درجة الشماسيه الرسوليه ترزق بتسليم الكاس والصينيه فراغ والقنينتين بالخمر والما وكتاب الرسايل . ومادة درجة الشماس هي بالكتونية هي تسليم الشمدان بالشمعه مطفيه والقنينتين فراغ ، ومادة درجة الراشم والتقيم هي بتسليم كتاب الترسيم . ومادة درجة القارين تسليم كتاب الذي يقرا فيه ، ومادة درجة البواب بتسليم مفاتيح البيعة[1] .

القانون الثاني – وصورة درجة القسوسية هي بهولاي الكلمات : « اقبل السلطان لتقدم القربان في الكنيسة لكرامة الاحيا والاموات باسم الرب . »[2] وصورة درجة الشماسية هي : « اقبل سلطان قراية الانجيل في بيعة الله لكرامة الاحيا والاموات باسم الرب » . وصورة درجة الشماسية الرسولية هي : « اقبل سلطان قراية كتاب الرسايل في بيعة الله لكرامة الاحيا والاموات باسم الاب والابن والروح القدس » . وصورة درجة الشماس بالكتونيه هي : « اقبل الشمدان مع الشمعة واعرف انك خادم مخصوص في بيعة الله لتشعل مصابيحها بسم الرب » . وايضاً : « اقبل القنينات فراغ تقدم بها الخمر والماء لخدمة قربان دم المسيح باسم الرب » . وصورة درجة الراشم : « خذ واحفظ على الغايب واقبل سلطان لتضع يدك على كل من فيه روح الخبيث معمدين كانوا ام مقونين بسم الرب » . وصورة درجة القاري : « خذ هذا الكتاب وخبر به مام [امام] الله » . ويكون قسم مع هولايك الذين خدموا في كلام الله باستحقاق من قديم الزمان اذا كنت بامانة وبتقا وظيفتك . وصورة درجة البواب هي : « اصنع كالمحاسب في ما هو معلوق [١٤٦] بهذه المفاتيح » .

القانون الثالث – خادم هذا السر هو رئيس الكهنة ، وفايدته هي تقبيل النعمة او زيادتها حتى يكون قابل هذا السر مستحق في تكميل وظيفته ورتبته باستحقاق .

---

١) في اخر هذا القانون اضطراب في نسخة ديب .

٢) هنا ينتهي القول من اجل سر الكهنوت في نسخة ديب .

القول من اجل سر الزيجة

القانون الاول – السر السابع هو سر الزيجة التي تدل على مشاركة المسيح مع بيعته كما شهد بذلك الرسول اذ قال : « هذا السر هو عظيم ، وانما اقول انا هذا القول في المسيح وجماعته » . فالعلة الفاعلة هذا السر هي الارتضا التي هي الرجال مع الامراة . ويكون ذلك الارتضا باشارة علانية ظاهرة بالقول الحاضر .

القانون الثاني – وثلاثة هم فوايد المشاركة لهذه الزيجة .. الفايدة الاوله هي النسل والاولاد المتأدبين لخدمة الله تعالى . والفايدة الثانية هي الامانة التي هي لازم ان تكون للمتزوجين من جهة الفسق والزنا . والفايدة الثالثة [١٤٧] هي المداومة في الزيجة ، لان لم يمكن ان المتزوجين يفترقون من بعضها بعض ابدًا قط . ويشير بهذا اتحاد المسيح مع بيعته المقدسة الى الابد . ولو كان بسبب الفسق والزنا قد يحل الفرق بينها من جهة الاجتماع ، لاكن لا يجوز الطلاق بينها ابدًا ليعبروا لزيجة اخرى الى انتها حيات احدهما كما علمنا الرب في انجيل مرقوس قائلًا : « كل من طلق امراته وتزوج اخرى فقد زنا عليها . وهي ان خلت زوجها وتزوجت اخر فهي زانية » وعلى هذا المعنى ينفهمون جميع الاقوال الذين هم في الكتب المقدسة من جهة امر الطلاق ، لان الكتب الطاهرة لا تضادد لبعضها بعض . ومعنة قول انجيل متى القايل : « كل من طلق امراته من غير علة زنا فقد الجاها الى الزنا ومن تزوج مطلقة فقد زنا » هي [١٤٨] على هذه الصفة . فلاجل ذلك نحن المتوكلين على تعليم الابا الابرار وعلى مراسيم المجامع الاطهار نرتب ان لا يجوز الطلاق لاحدًا ابدًا . فاللفظتين اي من علة الزنا هما متعلقة مع الكلمات القايلين كل من ترك امراته والباقي . وهذا هو رأي ومعنى وتفهيم الابا الاطهار الذي يمنع الطلاق حتى لا يتزوج جديدًا ولو كان بسبب الزنا .

القانون الثالث – ان الاولاد لما يصالوا الى السنة الرابع عشر من عمرهم ان كان يتزوجون بغير اذن والديهم قد لا تتعوق ولا تبطل تلك الزيجة ، ولو والديهم لم يرتضوا بذلك كما رتب في المجمع العام الذي صار في مدينة ترنتو .

القانون الرابع – ان تجوز الزيجه الرابعه والخامسه. وما يتلوها اذ لم يوقع في تلك الزيجه تعطيل لمانع لها لاجل نواميس البيعه: لان قال بولص الرسول : « ان مات بعل الامراة قد تعتق من قيد الزيجة [١٤٩] ويجوز لها ان تتزوج بمن شاءت من المؤمنين بالرب » . ولا قال بعد موت البعل الاول او الثاني او الثالث . فرتبنا ذلك حتى لا نشك ونقول ان خطية ذلك الذي هو مباحاً او خلاف ذلك. ومع كل هذا نقول ان اصلح هو للارامل وللارملات ان يدومون بالعفة والطهارة بعد الزيجة الاولى لانه كما هو اجمل وافضل منزلة البتوليه من منزلة الارملة كذلك نقول ان منزلة الارملة بالعفة والطهارة احسن وخير من منزلة المتزوجة.

القانون الخامس – وان هو مشهوراً وثابتاً ان تتزوج اختين مع اخين ويتزوج الاب والابن مع الام والبنت وما اشبه ذلك . انه مباح في البيعة القاتوليقيه الرسوليه لان التقريب الذي يحصل بوساطة الزيجة ليس هو مع قرايب العروس والعريس بل العريس يصير قريب مع قرايب العروس والعروسه مع قرايب [١٥٠] العريس لا غيرهم.

القول من اجل تجديد بعض من تراتيب وعوايد بيعتنا

حتى يثبت عند طايفتنا صحة الايمان القاتوليقي بلا عيب والاداب السليم والصافي الى انتهاء العالم على جاري عادة البيعة المقدسه الرومانيه رتبنا هولاي القوانين التي ياتي ذكرهم.

القانون الاول – ان الموهبة الروحانية لا يجب لاحدٍ يحصلها بالثمن او بالموهبة او بالشرط لئلا يكون مثل سيمون الساحر الذي قيل له من بطرس الرسول مالك معك يذهب الى الهلاك من اجل انك ظننت ان موهبة الله بنايده الدنيا فيه تقتنى ، ليس لك حصة ولا قرعة في هذه الامانه. فلاجل ذلك نرتب كما رتب من قديم الزمان من المجامع ومعلمين البيعه ان من اليوم ورايح لا اسقف ولا قسيس ولا شماس ولا غيره لا يقبل درجة من درجات الكهنوت بالرشوه او بغيرها. وكل [١٥١] من يفعل ذلك يمنع من مخالطة المؤمنين ويكون

هو والذي كرزه محروماً.

القانون الثاني – كل من يطلب درجة من درجات الكهنوت بالمكر او بالرقة وبغير اذن وضد ارادة البطرك يكون محروماً ويسقط من درجته.

القانون الثالث – كل من يكرّس احد في درجة من درجات الكهنوت بغير اذن اسقفه ، يقطع من وظيفته الى مدة سنة . فاما قابل الدرجة لا يخدم فيها ابدًا حتى يأذن له البطرك.

القانون الرابع – لا يقبل احد الدرجة الاولى قبل ان يقبل سر تثبيت الايمان ، ويعرف القرايه والكتابه ، والذي لازم يعرفه المسيحي . وقابلين الدرجات الاخرى لا يكرزوا[1] في تلك الدرجة حتى يعرفون ما هو ضروري في وظيفة تلك الدرجة الذي قبلها . ويكون مفحوصاً ويقبل تلك الدرجة باذن رييس الكهنه.

القانون الخامس – درجة الشماسيه الرسوليه لا تعطى الا في عمر اثنين وعشرين سنة، والشماسية الانجيليه في ثالث وعشرين والقسوسيه في [١٥٢] خامس وعشرين من العمر. وقبل تكريزهم يقروا امام رييس الكهنة او امام نايبه اعتقاد الامانة الارثذوكسيه ويماهد ويحلف ان دايماً يكون طايعاً للكنيسة المقدسه الرومانيه.

القانون السادس – كل من هو في درجة الشماسيه يجب ان يكون مفروض عليه ان يصلي كل يوم سبع صلوات الليلية والنهاريه التي معتاده في الطايفه باذن ورأي البطرك حتى يكمل فيهم ما قال النبي اشعيا القايل : « كل من يدعا باسمي قد خلقته لكرامة مجدي ».

القانون السابع – يجب ان يكون لكل رعية راعي مخصوصاً بهم ويكون عالماً فهيماً في قوانين البيعه حتى يكون معلم الاعتراف لجميع رعيته كما رتبوا القوانين.

القانون الثامن – البطرك وكل احدًا من المطارنة والاساقفة يجب عليهم ان في كل سنتين على الاقل يزوروا مرة واحدة على رعيتهم . واذا كان لهم عذرًا

١) قد بدّل الناس في النسخة العربية الثانية لفظة « يكرزوا » بلفظة « يكرسوا » وهي احسن .

يمنعهم من ذلك فليعملوا [١٥٣] واحد من جانبهم . وفي تلك الزيارة يثبتوا الرعيه في صدق الامانه الارتدوكسيه وفي التاديب المسيحي وبالتبكيت بالمحبه الالهيه لمولايك الذين هم غير ماديين وغير طايعين.

القانون التاسع – ان في كل ثلاثه سنين بعد عيد الفصح او غيره برأيهم يجتمعون الكهنه وروساء الكهنه الى البطرك [ويعقدوا مجمعاً] وفي ذلك المجمع يفحصوا ما هو ضروري لخلاص الرعية جاسرها وفي ذلك الوقت يصلحون كل ما يحتاز اصلاح.

القانون العاشر – يجب على كل مطران واسقف انه يامر في رعيته في البلدان والقرى ان يكون دايماً احد الكهنه الذي في كل ايام الاحد يعلم في الكنيسة جميع اولاد تلك القرية الامور الضروريه اي الصلاة الربانيه وصلاة العذرى والامانه والعشر كلمات والاسرار البيعه ، وما اشبه ذلك. وانهم يكون طايعين للسيد المسيح والكهنه ولوالديهم [١٥٤] وبالجمله يثبتهم في جميع امور الامانه القاثوليقيه.

القانون الحادي عشر – حتى يثبت في طايفتنا صدق الامانه الارتدوكسيه ، امرنا ان من اليوم ورايح لا يكون لاحداً كتاب من جهة الامانه ان ليس هو مفحوص من عند البطرك او من واحداً من جانبه ، ولا يكون احد ينسخ كتاب او شرح خارج عن الامانة القاثوليقيه ولا يبيعوا ولا يشترى من احد كتاب الذي هو على هذه الصورة. وكل من يخالف هذه السنة يكون محروماً.

القانون الثاني عشر – بحيث ان البابا الروماني هو بالحقيقة نايب المسيح وخليفة مار بطرس الرسول وراس لجميع الكنايس المسيحيه واب ومعلم كافة المسيحيين وراس جميع البطاركه وله اعطا مفاتيح الحل والربط على يد مار بطرس الرسول والسلطان الكامل من ربنا ومخلصنا يسوع المسيح ليرعا ويدبر ويرشد البيعه العامه [١٥٥] وما شهدوا بذلك المجامع الاطهار . فلاجل ذلك يجب علينا نحن الذين اعضا لهذه البيعة المقدسة ان نرتب في هذا المجمع ان السيد البطريرك المتولي علينا في كل زمان يرسل قاصده الى المدينة المعظمه الرومانية في كل وقت الذي يتولي فيها بابا جديد ليرمي الطاعه له وللكرسي الرسولي عوض

بطركنا ومطارينا وجميع الاقليروس وشعب الموارنة ويكون ذلك ايضاً كل ما يتولا علينا بطرك جديد كما اعتادت بذلك من قديم الزمان والسمع لله دائماً ابداً.

الكتب المقبولين في البيعة المقدسه من العتيقه والجديده وبالخصوص من مجمع ترنتو واول ذلك كتب العهد العتيق: خمسة كتب موسى اي سفر الخليقة، الخروج، الواين، العدد، الناموس الثاني، يشوع ابن نون، القضا، راعوت، اربعة اسفار الملوك، دبريين كتابين، عزرا الاول، والثاني المسمى نحميا [١٥٦] طوبيت، يهوديت، استير، ايوب، مزامير داود ماية وخمسين، الامثال، القوهليت، مجد المجود، الحكمة، ادات يشوع بن سيراخ، اشعيا، ارميا مع باروك، حزقيال، دانيال، الاثني عشر النبي الصغار اي هوشاع، يوائيل، عاموص، عوبديا، يونان، ميخا، ناحوم، حبقوق، حفنيا، حاجي، زكريا، ملاخي، كتابان المقابيين الاول والثاني.

كتب العهد الجديد: متى، مرقوس، لوقا، يوحنا، قصص الرسل الاطهار مكتوب من لوقا البشير، اربع عشر رسايل بولص الرسول: الرومانيين، اثنين القورنتانيين، الغلاطيين، افاسيين، الفاليبوسيين، التولايين، اثنين تاسالوقيين، اثنين لطياتوس، لفيلمون، لطيطوس، للعبرانيين، لبطرس الرسول اثنين، ليوحنا الرسول ثلاثة، واحدة ليعقوب الرسول، واحدة لليهوذا الرسول، وابوكليبسوس [١٥٧] ليوحنا الرسول والحمد لله امين.

فلما كمل قرايه هولاي القرانين المقدسه، وقبلوهم جميعاً في رضاهم واختيارهم صرخوا مبتهجين مسرورين بصوت عالي من فم واحد قايلين: محبة في سيدنا يسوع المسيح كيرياليسون. محبة في سيدنا الفافا غريغوريوس الثالث عشر كيرياليسون ثلاث مرات، ومحبة في وكيلنا انطونيوس كردينال كرافا كيرياليسون مرتين[1].

وبعد ذلك قصاد الفافا المذكورين اعلاه امروا ان البطرك وجميع روسا

١) هذا المتام غير مفهوم في نسخة ديب.

الكهنة والكهنة يعلموا هولاي القوانين بخط اياديهم وفعلوا ذلك كما يأتي ذكره.

كل هذا السنادوس المقدس في كنيسة العذرى دير قنوبين في جبل لبنان المبارك سادس عشر يوم من شهر اب في تاريخ سنة الف وخمسماية وثمانين [١٥٨] للتجسد الالهي. الحمد لله وحده.

انا الحقير بطريرك ميخايل بطراك الموارنه اعتقد واثبت واحتضن كل ما هو مضمون في هولاي القوانين المذكورين اعلاه المنسوخين في الكرشوني وفي لسان الافرنج كما ترجمهم الاخ القس باطيشتا قاصد سيدنا اتفاقا لانه فهيم في لسان العربي والافرنجي ، لاجل ذلك اورختهم بخط يدي واختمت ذلك بختم الكرسي البطريركي.

Ego Joannes Baptista Elianus, Presbyter Religiosus Societatis Jesu, Sedis Apostolicae Nuncius, ita credo, sentio, et approbo et mea propria manu subscripsi die 16 1580.

Ego Joannes Brunus, Presbyter Religiosus Societatis Jesu, Sedis Apostolicae Nuncius, ita credo... (١

[١٥٩] انا الحقير في المطارنة مطران سركيس من قرية كفرحورا اثبت واتمسك واحتضن هولاي القوانين المذكورين اعلاه ولاجل ذلك اورختهم في خط يدي.

انا الحقير في المطارنة مطران يوحنا من قرية اهدن اثبت واتمسك واحتضن هولاي القوانين المذكورين اعلاه. ولاجل ذلك اورختهم بخط يدي.

انا الحقير في المطارنه مطران داود من قرية العاقورة اثبت واتمسك واحتضن هولاي القوانين المذكورين اعلاه. ولاجل ذلك اورختهم بخط يدي.

---

١) لا اثر لهذين التوقيعين باللاتينية في نسخة ديب بل هما في العربية هكذا :

« انا يوحنا المعدان الالياني من جماعة يسوع قاصد الكرسي الرسولي هكذي اعتقد . اتمسك واحتضن. ورخت ذلك بخط يدي. »

« انا يوحنا برونو من جماعة يسوع قاصد الكرسي الرسولي هكذي اعتقد . اتمسك واحتضن ورخت ذلك بخط يدي. » ١

انا الحقير في الاساقفة اسقف جرجس من قرية بسلوقيت اثبت واتمسك واحتضن هولاي القوانين المذكورين اعلاه. ولاجل ذلك اورختهم في خط يدي.

[١٦٠] انا الحقير في الاساقفه اسقف قليموس من قرية اهدن اثبت واتمسك واحتضن هولاي القوانين المذكورين اعلاه. ولاجل ذلك اورختهم في خط يدي.

انا الحقير في المطارنه مطران يعقوب من قرية بجقل [لعلها حاقل] اثبت واتمسك واحتضن القوانين المذكورين اعلاه ، ولاجل ذلك اورختهم في خط يدي [1].

[انا الحقير في] المطارنة مطران يونان [مطران] جبيل اثبت واتمسك واحتضن هولاي القوانين المذكورين اعلاه ولاجل ذلك اورختهم في خط يدي[2].

[انا الحقير في] الاساقفة يوسف اسقف ... جزيرة قبرس ، ولما وصلت الى قنوبين ... المقدس الذي صار في دير [قنوبين] من اجل تعطيل البحر . فلما وصلت [الى دير قنوبين اطلعت على القوانين] [١٦١] المذكورين اعلاه ، وقبلتهم وثبتهم واحتضنتهم واورختهم بخط يدي بثلاثين يوم من شهر اب سنة الف وخمماية وثمانين مسيحية بدير قنوبين المذكور اه.

وانا الحقير في الخوارنة الخوري يوحنا ابن الخوري ايوب من قرية حرون [حصرون] نسخت [نسخت] هذا السينادوس بامر الابا المذكورين قعاد السيد القافا والسيد البطريرك المذكور وورخت ذلك بخط يدي[3].

---

١) لا اثر لهذا التوقيع في نسخة ديب.

٢) ٣) لا اثر لهذا التوقيع ايضاً في نسخة ديب.

وتقرأ في النسخة اللاتينية التي نشرها رباط ، علاوة على ما ذكر ، الفقرة التالية :

Ego Joan. Bapt. Elianus, in latino et arabico idiomate versatus, canones latinos in arabica lingua fideliter transtuli, fidem facio haec omnia tam arabice quam latine exscripta in omnibus convenire suo exemplari, et in fine propria manu me subscripsi.

In Monte Libano. in monasterio Sanctae Mariae Cannubiu, die Septembris 1580.

Ego Jo. Bapt. Elianus quum supra manu propria...

الخاتمة

من تتبع مطالعة هذا المجمع بدقة وامعان ، رأى فيه بعض عبارات تدل على ان الطائفة المارونية كانت متمسكة في دياجير بعض قضايا اعتقادية قد رذلتها الكنيسة البطرسية ، وانا لا اريد الان ان اثبت او انفي شيئاً من ذلك بالحجة والبرهان ، ولكني ارغب في ان اورد للقارئ اللبيب ما قاله الاب ايرونيموس دنديني اليسوعي، الذي اتى لبنان سنة ١٥٩٦، لكي يبالغ في البحث والتنقيب عن هذه المسألة . قال رحمه الله في ص ٧٤ من رحلته في الترجمة العربية [1] : « اما انا فلم اجد من كل ما نسبوه من الاغلاط الى الامة المارونية بعد مبالغتي بالفحص والتنقيب وتكليف الاخرين لهذه الغاية الا امرين : الطلاق ومناولة الصغار .

«اما الاول فلا احسبه غلطاً حتى ننحي على الامة المارونية باللوم كأمر ثابت ومحقق ، لكن حادثاً او حادثين عرضا بتأثير ونفوذ الحكام الذين كانوا يناصرون البعض من مقودي السيرة ليطلقوا نساءهم، واذ لم يجسر احد من هولاء عرض ذلك على السيد البطريرك ، لجأ الى الحاكم الذي اذن له ان يطلق امرأته ويتزوج غيرها لقاء مبلغ من الدراهم . . .

اما مناولة الصغار وان كانت هذه العادة محلية فليست خطأ او ضلالاً وقد كانت الكنيسة في اول عهدها تناولهم ».

فضلاً عن ان البطريرك سركيس الرزي عندما اراد الاب دنديني ان يفتح المجمع في السنة الانفة لكي ينظر في ما نسب الى الطائفة من الامور الشاذة عن التهذيب الروماني ، انبرى البطريرك في ابتداء اول جلسة وقاطع النائب الرسولي وبدأ يحتج على هذا المجمع الذي نشرناه فيما سبق منكراً عقده او

---

١) قد عرّب هذه الرحلة الى العربية المؤرخ يوسف المشبقي ونشرتها المجلة البطريركية .

تثبيته منه او من سالفه ، قلق الخاطر ، واخذ عندئذٍ يرذل الاغلاط التي نسبها بعض الناس اليه والى طائفته ويرمي بالحرم كل من اعتقد بها وتحداها مثبتاً انه وطائفته ما زالوا ولن يزالوا من اخص ابناء الكنيسة الرومانيين خاضعين لها اتم الخضوع . وعند هذا الكلام انتصب رئيس الشمامسة وماء النيرة يقطر من وجهه وصرخ في القوم : « نعم اننا نريد ان نتبع كنيسة رومية ، ولا نريد الانفصال عنها البتة ، وحيثما سارت سرنا ولو انحدرت الى الجحيم ».[1]

والقارئ الذي لا يكتفي بقول هذا القاصد النزيه فاننا نحيله الى مطالعة الاحتجاج الذي وضعه العلامة الدويهي عن الملة المارونية بهذا الخصوص ، وقد نشره الاب رباط في مجموعته المشار اليها انفاً المجلد الاول ص ٦٣٠—٦٤٢ .

وفي كلام هذين الجهبذين عبرة وعظة لقوم يعقلون ، والسلام.

---

١) ترجمة الرحلة الى العربية ، ص ٧٧ وما يليها .

شذرات

في النهضة الادبية : ناصيف اليازجي وفارس الشدياق

يسرّنا ان يواصل بعض المستشرقين ابحاثهم في الادب العربي الحديث . وقد طالما اثنينا على ما نشره كراتشقوفسكي في روسية ، وبروكلمان وكامبفمير في المانية ، وكيب في انكلترة من دروس في تاريخ هذا الادب ومختلف مناحيه . وها اننا نطّلع اليوم على بحث مستفيض في مظاهر نهضتنا الاولى في القرن التاسع عشر ، نشره هنري بيريس في « حوليات معهد الدروس الشرقية » في جامعة الجزائر ، خاصاً فيه بالذكر اثنين من اشهر اركان تلك النهضة ، هما الشيخ ناصيف اليازجي ، واحمد فارس الشدياق [1] . فرأينا ان نطلع القرّاء على اهم ما في البحث ، آخذين على الكاتب بعض المبالغات في الاحكام جرّه اليها اسلوب الدرس ، وقد بناه على المقابلة والتضادّ بين اديبين اتخذهما مثالَين : الاول للتقليد الجامد ، والثاني للابتكار الحيّ ، فكان ولا بدّ ان تفوته دقائق ، وتفاصيل ، وتحفّظات ، تفوت كلّ من حاول ان يطبّق على الشخصيات البشرية النابضة بتنوّع الحياة وحرّية الاختيار ، تلك المبادئ والاساليب الجبرية التي لا يستقيم تطبيقها الّا في محيط المادّة المسيّرة .

يبدأ البحث بمعلومات عامّة في اسباب النهضة الشرقية من اثر حملة نابوليون الى مساعي محمد علي ، وفي سبق نصارى اللبنانيين اهلَ مصر الى الاخذ بمرافقها المتنوّعة ، وفي ميل بعض اركان النهضة الى تقليد القدماء من « علماء » العربية . وفي طليعة هؤلاء كان الشيخ ناصيف اليازجي . [2]

(١ Henri Pérès, *Les premières manifestations de la Renaissance littéraire arabe en Orient au XIXe siècle : Nāṣif al-Yāziǰī et Fāris aš-Šidyāq* ; dans *Annales de l'Institut d'Etudes Orientales d'Alger*, t. I, année 1934-1935, p.233-256.

٢) وقد خصّصنا به درساً واسعاً في « المشرق » (٣٦ [١٩٣٨] ٨٣٤–٨٤٣ ، ١٢٢ – ١٢٦) وفي « الروائع » ٢١ ؛ ونشر كراتشقوفسكي مؤخّراً بحثاً وافياً في الشيخ وابنائه : *Encyclop. de l'Islam*, art. *Yāziǰī*.

وهنا يلخّص الكاتب حياة الشيخ ناصيف مبالغاً في القول ان اباه لم يهتمّ به [1] ، مخطئاً بجعله اياه مارونياً [2] ، فهو من طائفة الروم الكاثوليك ، مصيباً بملاحظات عدة دقيقة في نزعة الشيخ التقليدية ، واخذه ، في الادب ، بالاسلوب الكتابي المحنّط لا بالاسلوب الحيّ الطبيعي ، حتى انه لم يتورّع في الكلام عن القاهرة ، ورشيد ، والاسكندرية ، ودمياط ، والصعيد ، واليمن ، ومكة ، والمدينة ، والكوفة ، والبصرة ، وبغداد ، والموصل ، وسروج ، والأنبار ، والحلّة ، وهو لم يعرف الّا كفرشيما ، ودير القمر ، وبيروت ، وبعض الانحاء الجبليّة ؛ بل انه لا يرى بأساً في ان يؤلّف مقامةً يضرب فيها في مجاهل اليامة من قلب بلاد العرب فيأتي بالوصف الناصل في القوالب الفارغة ، وهو على فرسه ، او بغلته ، يصعد مشارف لبنان الطافحة بالجمال المتنوّع الأنحاء [3] . وما ذاك إلا ليقلّد مقلّدي الهمذاني [4] .

من الحقّ ان الشيخ ناصيف فشل ، لانه حاول ان يحيي نوعاً ادبياً في غير عصره وبيئته ؛ ولكن من الحقّ كذلك ان هذا النوع لم يكن ليتدفّق حياةً في عهد الحريري نفسه . انه لنوعٌ زائف في اصله لم يولَد إلا على ايدي صاغة الالفاظ ، وحذقة المفتّشين عن شوارد الكلام واوابد التعابير . فلم يحيَ إلا مدة قصيرة بين يدي رجل نابغة كبديع الزمان ، طغت عبقريّته على الصناعة التركيبية فاستساغتها ، واعادتها فعلاً الى مقامها الثنوي . اما الحريري فلم يكن ليفوق اليازجي كثيراً في دقة الوصف وطبيعية الاسلوب . وان صحّ نقد اديب القرن التاسع عشر لانصرافه الى ذكر الاسفار الوهمية ، واستخدام اسماء المدن المتنوّعة قوافيَ سجعية ليس غير ، فلا يصحّ مدح الحريري على انه « شاهد » .

---

١) ص ٢٣٧ ٢) ص ٢٤١ ٣) ص ٢٣٨ – ٢٣٩

٤) اما ما يضيف بيريس الى هذا (ص ٢٣٨ : الحاشية ٢) من ان الشيخ يقصد ، في مقامته المذكورة ، انتقاد وطنيّيه اللبنانيين « الذين يلفظون المُؤلِم بدل المعلّم والكلب بدل القلب ، ويقولون : الغلامُ زيدٍ بدل غلامُ زيدٍ ، وكريمٌ رجلٌ بدل رجلٌ كريمٌ » فلا سند له إلا في وهم الكاتب ؛ ولا يخفى عليه ان هذه اللهجة هي لهجة الاروام من الاعاجم ، واليهم ينسب الشيخ غلامه في المقامة ، لا لهجة اللبنانيين . . .

المشاهد والمناظر التي يصفها لنا ، واضطلع بالاحداث التي ينقلها الينا ، حتى يمكننا ان نزين ترجمة حياته بمشاهد مأخوذة من « مقاماته »...»[1]. ولا يبعد عن المستشرق بيريس ان اسماء المدن في « مقامات » الحريري لا تمثل اكثر ما تمثله في مقامات اليازجي ... وهل عرف « شيخ مشان » صنعاء ، وحلوان ، وهمذان ، ودمياط (ولا سبب لذكرها الا تكملة سجعة الهياط والمياط) ، والمراغة ، والاسكندرية ، وسمرقند ، وتفليس ، وتنيس الخ... وهو لم يكد يخرج من مزرعته إلا الى البصرة ؛ واذا تقاذفت به الاسفار ، فالى بغداد ؟؟؟ وقد يكون قام بفريضة الحج ، على ضعف هذا الظن... اما ان يتكلم عن كل ما يغذي به سجعاته من اسماء البلدان ، وان « يشهد صلاة المغرب ، في بعض مساجد المغرب » — وأعجب بهذه الدقة في التحديد ! — فهي الجرأة بعينها لا يعادلها إلا جرأة اليازجي . فهما صنوان ! وليقرنها الشيخ بيريس في التقليد ، وفي الانصراف عن الحياة الطبيعية ، اذا شاء ! واما ان نقول : الحريري مبتكر ذو أسلوب حي ، واليازجي مقلد جاف ، فلا !

...

بقي الكلام على احمد فارس الشدياق ، وقد افاض فيه المستشرق بيريس[2] ، فدفعنا الى الاختصار ، مكتفين بالاشارة الى ما في بحثه من ملاحظات دقيقة في تنقلات الشدياق واحتكاكه بالثقافات الغربية ، واثر كل ذلك في كتبه ولاسيما « الساق على الساق في ما هو الفارياق » ، وهنا يتبسط الكاتب في درس المؤلف ونصيبه من الابتكار والطرافة . إلا انه لا يتمالك السير على أسلوبه الاساسي من المقابلة والتضاد حتى يُقاد الى مبالغات وددنا لو شابها بشيء من التحفظ .

ناصيف اليازجي لم يخرج من بلاده ، وهو امر واقع . واحمد فارس سافر الى فرنسة وانكلترة ، وهو امر واقع كذلك .

---

١) ص ٢٢٨ — ٢٢٩

٢) في الصفحات ٢٤٠ — ٢٥٦

ثم ناصيف اليازجي منشئ مقلد ، وهو أمر مُسلَّم به. وكذلك كون احمد فارس كاتباً مبتكراً.

واذاً فان ابتكار احمد فارس ، وطرافته ، وقريحته الفيّاضة ، واخذه باساليب الادب الحي ... كلها نتيجة رحلاته العديدة ، واحتكاكه بالشعوب المتباينة ، واطلاعه على الادب الغربي[1] ... فلم يبقَ ، والحالة هذه ، إلا التفتيش عن الكاتب ، او عن الكتّاب ، الذين أثروا في احمد فارس فجعلوا في شخصيته هذه الطرافة ! ... ويسير الشيخ بريس بين المؤلفين ، من انكليز وفرنسويين ممن قد يرى شيئاً من الشبه بين بعض آثارهم وبعض آثار احمد فارس ... حتى يقع على رابليه ... واذا «بالساق على الساق» مَدين لكارگانترا وبنتاگرويل[2].

يقرأ المطالع هذا البحث المتماسك الاجزاء ، المتسلسل النتائج ، فيُعجب باكثر نظرات المؤلف ، ويوافقه في البعض منها ، ولكنه لا يتمالك الا السؤال: أوَ لا يجحف الناقد كثيراً بحقّ «الشخصية» في درسه الكاتب ، وردّه كل ما اتصف به من طرافة وابتكار الى اطّلاعه على ادب الغرب عامة ، او على ادب رابليه خاصة ؟ أوَ ليس هناك من عنصر حيوي فوق العنصر التأثري المتكتّب بالاسفار والمطالعات ؟ أوَ ليس من فرق بين شخصيتي اليازجي والشدياق غير سعة اسفار الثاني وانكماش الاول في محيطه اللبناني ؟...

هذه وامثالها من التحفّظات كان خليقاً بالاستاذ بريس ان ينتبه لها ، فلا يندفع في نسبة كل ما يراه من جمال في «الساق على الساق» الى الامثلة الغربية ، حتى قول الفارياق لامرأته ، قبل سفره : «فلنعد الى الوداع !» لا يكاد يراه الباحث حتى يتذكّر قول Panurge المشهور : «*Retournons à nos moutons*»[3] . وبين المؤلفين والقولين فرق ! وكان خليقاً به ان يخفف بعض الشيء من حماسته في قدر «الساق على الساق» ؛ وهو على ما فيه من

---

١) ص ٢٥٠ ٢) ص ٢٥٢
٣) ص ٢٥٥

فيض عجيب ، وملاحظة دقيقة ، وأسلوب مبتكر ، لا يزال مفتقرًا الى كثير من شروط الفنّ ، كما لا يخفى على الناقد البصير.

بيد ان هذه النواقص لا تمنعنا ان نثني على المستشرق الفاضل ، متمنين على همته ان تمضي في دراستها العصرية ، وعلى أدبائنا ان يهتموا بدرس الشدياق درساً منظماً رصيناً يليق بعبقريته الفيّاضة ، وأسلوبه اللذيذ المستطاب !

ف. ا. ب.

بيان مهمّ

جاءنا من حضرة صاحب التوقيع ما يلي :

وقفت في كتاب « دلائل العناية الصمدانية في ترجمة مار الياس بطرس الحويك ، البطريرك الماروني الانطاكي » بقلم الاب الفاضل الخوري ابراهيم حرفوش المرسل اللبناني ، (مطبعة المرسلين اللبنانيين ، جونية سنة ١٩٣٦) على الفقرة التالية في الصفحة ٣٩٨ :

« وقُبَيل وفاة مترجمنا عُزل الاب بولي والخوري لويس خليل عن وظيفتها ، وسُلّمت ادارة المدرسة في اواخر سنة ١٩٣١ للآباء اليسوعيين ورئيسها الحالي الاب ماترن اليسوعي».

وقد استغربت مثل هذا الجزم الذي لا يرتكز على شيء من الحقيقة في ما يتعلق بي . فاني لم « أعزل » قط عن وظيفتي في المدرسة الحبرية المارونية برومية ، بل انا قدّمت استقالتي غير مرة الى المجمع الشرقي المقدس ورُفضت كلّ مرة ، الى ان رفع المثلث الرحمة البطريرك الحويك طلبه الى صاحب القداسة الحبر الاعظم كي تُسلّم ادارة المدرسة الى الآباء اليسوعيين . وحينئذٍ فقط رضي المجمع الشرقي المقدس بقبول استقالتي ، « بناء على الاسباب » التي ذكرتها في كتاب الاستقالة ، كما هو مصرَّح جليًّا في رقيمه الموجه اليّ بتاريخ ١٣ تموز من العام ١٩٣١ ، تحت الرقم ٥٨٠/٣٠ ، ومما جاء فيه :

« ان المجمع المقدس قد اثنى كثيرا على خطوتكم هذه ، وقد خطوتموها بملء اختياركم ، لاجل خير المدرسة الاعظم ، وهو يشكركم شكرًا حميًا على

ما ابديتم من العناية في القيام بواجبات وظيفتكم ».

« Le significa che ha molto apprezzato questo passo volontario fatto da V. S. per il miglior bene del Collegio stesso, e La ringrazia vivamente dell'impegno, con cui Ella ha adempiuto le mansioni del Suo ufficio ».

وفي رقم آخر موجه باللاتينية الى رؤساء الطائفة بتاريخ ٤ ت ٢ سنة ١٩٣١، تحت الرقم ١٨٤٨/٢٨، يؤكد المجمع المقدس من جديد انه انما قبل استقالتي بناء على الحاحي المتواتر، ويعيد آيات الثناء قائلاً :

« S. haec Congregatio... perlibenter declarat eum... durante munere Vicerectoris praedicti Collegii, bene se gessisse, atque officia sua fideliter explevisse ».

واني اسأل مجلة « المشرق » الغراء نشر هذه الحقيقة دفعاً للاوهام، ولان استقالتي رافقتها ظروف خطيرة حملت المجمع المقدس على التصريح بما تقدم، تأييداً للحق والانصاف، وقضاء على بعض المحاولات.

الخوراسقف لويس خليل
المرسل البطريركي

تنبيه

وقع شيء من التصحيف وشيء من الغموض في بعض الشروح المشيرة الى رسوم « دمشق الشام » للاستاذ موفاجيه فاقتضى اصلاح ذلك :

في الرسم	٨	ورد	تلة السماك	والصواب	تلة السماكة
»	٨	»	مدينة الشام	»	مادنة الشحم
»	١٦	»	قصر العدل	»	دار العدل
»	١٦	»	الجامع الكبير	»	الجوامع
»	١٧	»	من بقايا السور	»	برج من ابراج القلعة
»	١٨	»	مقابر الصوفيين	»	مقابر الصوفية
»	٣١	»	تكية السلطان سليم	»	مدرسة السلطان سليمان

مطبوعات شرقية جديدة

AUGUSTINUS BEA, S. J., **De Scripturae Sacrae inspiratione, quaestiones historicae et dogmaticae.** In-8°, VIII+170 pp. Rome, Institut Biblique. Prix : 14 L. ital.

إلهام الكتاب المقدّس

يخصّ الاب اغوسطينوس بيا هذا الكتاب باساتذة المدارس الاكليريكية وطلّابها ، فيخرجه مخرجاً تعليمياً محضاً ، دارساً كل الموضوعات المتعلّقة بالهام الكتاب المقدّس درساً موجزاً ولكنه كافٍ للوصول الى الغاية التي توخاها في كتابه . فهو ، في كل ذلك ، يرمي الى الوضوح والسهولة سواء اكان في اختيار الموادّ ام في تنسيقها ، وتوزيعها على صفحات الكتاب : يضيف اليها جداول واسعة بالمآخذ موزّعة توزيعاً موافقاً كذلك . وليس من شكّ في ان ابرز اقسام الكتاب تلك الصفحات التي خصّها بدرس « الإلهام » مستنداً الى رأي القديس توما ، وما يلي ذلك من مناقشات دقيقة في شكل الإلهام اللفظي.

ب . م .

Acta Pont. Academiae Romanae S. Thomae Aq. et Religionis Catholicae anno 1934. Nova Series. Vol. 1, 219 pp. Turin-Rome, Librairie Marietti, 1935. Prix : 10 L.

اعمال المحفل الحبري الروماني لفلسفة القديس توما الاكويني

اخذ المحفل الحبري الروماني على عاتقه ان ينشر، منذ نشأته ، آثار اعضائه البارزين كالاساتذة بيكي ، وساتولي ، ولورتزيلي ، ومازيلّا ، وليبيراتوره كورنولدي ، وغيرهم ، لا محاضراتهم العامّة وحدها ، بل دروسهم وابحاثهم الخاصّة ايضاً . وقد اضطرّ غير مرة الى تغيير عنوان مجموعته ، ولكنه لم يغيّر شيئاً من روحها ، ولا من قيمتها . فنشر ، في السنة ١٩٢٤ ، اعمال الاسبوع المخصّص بدرس القديس توما في رومة (١٩—٢٥ تشرين الثاني ١٩٢٣) ؛ وفي السنة ١٩٢٥ ، نشر اعمال المؤتمر الدولي الذي خُصّ بالموضوع نفسه (١٥—٢٠

نيسان ١٩٢٥) ؛ وفي السنة ١٩٣١ نشر اعمال الاسبوع الروماني الخاصّ بدرس فلسفة القديسين اغوسطينوس وتوما (٢٣—٣٠ نيسان ١٩٣٠) واخيرًا بدأ في السنة ١٩٣٤ سلسلةً جديدة بين يدينا المجلد الاول منها . وهو يشتمل اولًا على محاضرات عامة كمحاضرة الاستاذ ماسنوفو (Masnovo) التي بيّن فيها ان القديس توما كوّن محطّة مهمّة في تاريخ الفكر البشري ، ومحاضرة الاب گريد (Gredt) في نظرية الفعل والقوّة ؛ ومحاضرة الاستاذ گرابمن (Grabmann) في تاريخ التمييز بين الجوهر والكيان. ثم يشتمل المجلّد على ايضاحات ومناقشات عُرضت في الجلسات الخاصّة ، وهي من اقلام الآباء برجي (Berger) ولاگرانج (Lagrange) وغيرهما . . . واخيرًا على سلسلة من الوثائق تتعلّق بالمحفل نفسه وقوانينه ، واسماء اعضائه ، وتاريخ السنة ، والوفيات.

هذا ، واننا نحثّ قرّاءنا ممن يهمّهم الاطلاع على الدروس الفلسفيّة ان يردوا هذا المعين الغزير الصافي. ي . م .

L. DESNOYERS, Les Psaumes. Traduction rythmée d'après l'Hébreu. In-8°, 469 pp. Paris, Desclée, de Brouwer et Cie, 1936. Prix: 35 fr.

المزامير

كان هذا الكتاب معدًّا للطبع في اوائل صيف سنة ١٩٢٨ ، قبل وفاة المؤلّف ببضعة اشهر . ثم حصل ما اخّر ظهوره حتى اليوم ، فخرج كما شاءه صاحبه ، وقد خصّ به عشر سنوات من اخصب سني حياته.

يبدأ الكتاب بمقدّمة في ماهية النصّ ، وطرق التركيب ، وعناوين المزامير ومؤلّفيها ، وما اختصّوا به من آراء ، وعقائد ، وآمال ، ومظاهر تقويّة ، موجزًا في درس التفاصيل التركيبية الوضعية ، متعمّقًا في تحليل نفسية مرتّلي تلك المزامير . كلّ ذلك في اسلوب غاية في الصفاء والاناقة ، وهو الاسلوب الذي عرفه القرّاء في « تاريخ الشعب العبراني » ، والذي يجعل من هذا الدرس الدقيق اثرًا فنيًّا رائعًا يتذوّقه طلّاب الآداب الكتابية بكل لذة . ثم تأتي ترجمة المزامير ، وقد قُدّم على كلّ مزمور تحليل موجز ، وتبعته تعاليق دقيقة يزداد عددها كلّما ازداد المزمور غموضًا او اهمية.

BERNARDUS MARIANI, O. S. B, **Philosophiae Christianae Institutiones in usum adolescentium.** 3 vol. In-8°, Turin, Marietti.

Vol. I, Logica et metaphysica generalis, 1932. XXVIII+334 pp. Prix : L. ital. 15.

Vol. II, Philosophia naturalis. Psychologia et metaphysica specialis, 1933. XXXII+748 pp. Prix : L. ital. 30.

Vol. III, Ethica generalis et specialis. Historia philosophiae et indices, 1936. XXXII+710 pp. Prix : L. ital. 28.

اصول الفلسفة المسيحية

لقد تمّ هذا الكتاب المهمّ في مجلداته الثلاثة ، عارضاً على الطلّاب عقيدة سليمة في لغة سهلة ، ومظهر طبعي مقبول . ويجب ان نشير خاصّةً الى ما ألحق بالمجلد الثالث من تاريخ عامّ للفلسفة في ١٩ درساً ، ومن جدول مزدوج باسماء الفلاسفة المذكورين في الكتاب ، وبموضوعاته المتنوّعة.

AUGUSTIN COCHIN, **Abstractions révolutionnaires et réalisme catholique.** Collection «*Jalons*». In-12, Paris, Desclée, de Brouwer et Cie. Prix : 15 fr.

الاوهام الثورية والحقيقة الكاثوليكية

يجمع هذا العنوان روّوس اقلام وملاحظات متفرّقة وُجدت في اوراق اغوسطين كوشن ، فدلّت على فكرة المؤلّف في كثير من مظاهر الحياة العامّة. وهو معلوم أنّ الكاتب كان قد اختصّ بدرس الثورة الفرنسوية درساً قرن فيه التاريخ بالفلسفة الاجتماعية ، فظهر في ملاحظاته الحاضرة بهذا المظهر المفيد.

H. BAUMGARTEN, **La civilisation japhéto-sémitique,** Broch. in-12, 70 pp. Paris, Librairie Lipschutz, 1935.

المدنيّة اليافثية – السامية

يوجّه صاحب هذا الكرّاس فكرته الى اليهود ، فيعرض عليهم ان يأخذوا بنظام جديد متوحّد يكون مركزه في باريس ، فيزيل مظاهر انشقاقهم بعضهم على بعض ، ويوحّد صفوفهم ، اذ يدرسون المدنية الغربية ، اي المسيحية ، فيأخذون عنها ميلها الى النظام . وهذا النظام من عناصر المدنية اليافثية ، في نظر المؤلّف ، لانه يرقى الى الطوفان ، اذ استنزل نوح بركات الله على جبال يافث

في جميع مناحي الحياة . ثم يسرد الكاتب ، على طريقة موجزة سطحية ، تاريخ المدنية اليافثية—السامية مجحفاً بحق المدنية المسيحية ، ولا غرابة في ذلك !

ج . ل .

JACQUES MARITAIN, **La philosophie de la nature. Essai critique sur ses frontières et son objet.** Paris, Téqui. Prix : 15 fr.

فلسفة الطبيعة

لا يخفى ان من اجدر المشاكل العقلية بلفت نظر المفكرين من ابناء عصرنا تلك الموضوعات التي تمسّ حدود الفلسفة والعلم معاً . . وكفى برهاناً على ذلك القاء نظرة سريعة على مناهج التعليم العالي وما فيها من اتساع المواد المنتسبة الى ما يُدعى بالفلسفة العلمية . وهكذا نجد ان مادة « فلسفة الطبيعة » القديمة قد استعادت مركزها في عالمنا العلمي الحاضر ، واخذت تعمل على تكوين شرح علمي فلسفي للكون يقوم الى جنب الشرح الشعري . اما صفات هذه « الفيزياء » الفلسفية ، وعلاقاتها بالاختبار العلمي العادي من جهة ، وبما وراء الطبيعة من جهة اخرى ، فكلّها مشاكل يعرض لها صاحب المؤلف بما عُرف فيه من بعد نظر وسعة تصوّر ؛ فيطلعنا على تلك اللمحات الفسيحة الجامعة بين التاريخ والفلسفة والنقد في صفحات مشبعة بالدقة العلمية ، مختلجة بالعاطفة الفنية . والكتاب الحاضر ، كسائر منشورات المؤلف ، يفيد جمهور المثقفين كما يفيد جلّة العلماء ، مختصاً بفائدة الاساتذة والطلّاب ممّن تهمهم مواد الفلسفة العلمية في المناهج الرسمية .

E. PEILLAUBE, **Caractère et personnalité.** In-8°. 224 pp. Paris. Téqui, 1935. Prix : 20 fr.

الخُلق والشخصية

توفي المؤلف قبل ان ينهي كتابه . فتولّى طبعه احد اساتذة المعهد الكاثوليكي في باريس ، جامعاً فيه ما نشره الفقيد ، مدة نحو اربعين سنة ، على مختلف طلّابه ، ومريدي محاضراته ، مسهّلاً على كل من تهمهم مشاكل الخُلق والشخصية من والدين ، واساتذة ، ومربّين ، ومديري نفوس ، وقادة

شعوب ، ان يستفيدوا من معلومات عالم فيلسوف ادرك مبلغاً قصياً في درس النفس البشرية ، ومعرفة الشخصية الانسانية . ولا يخفى ان مفكري عصرنا يكثرون التفتيش عن « الرجال » ، ويشكون من قلة من يستحقون هذا الاسم في محيطهم . فهلا يقبلون على هذا الكتاب، فيجدون ما لعله يفيدهم في استطلاع الشخصيات البارزة وطرق تكوينها وترتيبها . هي مهمة تفرضها علينا الحياة ، قد تكون صعبة وقد تكون مملة ، ولكنها ضرورية.

ج . ل .

ÉTIENNE GILSON, Le réalisme méthodique. [*Cours et documents de Philosophie*]. In-8°, 102 pp. Paris, Téqui.

الاسلوب الواقعي في المنهج

هي سلسلة من المحاولات الفلسفية في موضوع النظرية الواقعية كانت قد ظهرت في مجلات مختلفة ، فجمعها المؤلف بعنوان اول محاولة منها ، مفيداً طلاب الفلسفة مظاهر عديدة لمشكل واحد ، خاتماً ببحث يعتبره دليلاً للمبتدئ في درس النظرية الواقعية ، يعرض فيه كثيراً من الاعتراضات ، ويرد عليها في ثلاثين بنداً.

MAHMOUD MOHTAR-KATIRJOGLOU, La Sagesse Coranique. In-8°, 261 pp. Paris, Geuthner, 1935.

الحكمة القرآنية

جمع القائد التركي محمود مختار باشا ، في هذا الكتاب ، ما رآه من آيات القرآن خليقة بان « تحفظ دائماً قيمتها الدينية والاخلاقية والفلسفية والاجتماعيه » (ص ٩) فنقلت نحو خمس كتاب المسلمين ، تاركاً كل ما تعلق منها بالظروف التاريخية والزمنية . ثم رأى ان يترجم الآيات المنتخبة ، لا ترجمة حرفية كما جرى حتى اليوم جلة المترجمين ، بل ترجمة معنوية استعان فيها احياناً بشروح المفسرين فوسع النص الاصلي ، واختصره احياناً اخرى بايجازه في نقل الصور والتشابيه العربية (ص ١٠ و ١١) واردف كل ذلك بعرض اجمالي لتعاليم القرآن رأينا فيه كثيراً من الابتكارات الطريفة قد لا يوافق عليها ارباب الدين الاسلامي . وعلى كل فان قيمة الكتاب شخصية محضة تنم في كل صفحة عن

نظر المؤلف الخاص ، نظر رجل مثقف ، غيور على دينه ، حتى يصل جهده في اظهاره على اتم ما يمكن من الجمال الفائق والسمو الفلسفي والاخلاقي والاجتماعي ، ولكنه لا يتقيد دائماً بالنصوص الوضعية . فهو مجموعة خواطر نفسية لا عرض موضوعي دقيق .

هذا ، وقد عاجلت المنية المؤلف قبل ان يغتبط برأى كتابه مطبوعاً ، فقدّمه الاستاذ لويس ماسينيون بسطر لطيفة تقدمة وصيّة الراحل ، لا لاخصائه وحدهم ، بل لجميع الشباب المجدّد في بلاده . ف . ا . ب .

G. Levi Della Vida, **Elenco dei manoscritti arabi islamici della Biblioteca Vaticana.** Vaticani, Barberiniani, Borgiani, Rossiani. [*Studi et Testi*, 67]. In-8°, XXIX+347+41. Città del Vaticano, Bibl. Apost. Vaticana, 1935.

جدول المخطوطات العربية الاسلامية في مكتبة الفاتيكان

جمع الاستاذ ليفي ديلّافيدا في هذا المجلّد جدولاً عاماً بجميع المخطوطات العربية الاسلامية الموجودة في مكتبة الفاتيكان ، مع وصف موجز لكل مخطوط منها ، ممهداً بمقدمة ضمّنها الشروح الضرورية للاستفادة من الكتاب ، خاتماً بفهارس مفيدة لاسماء المؤلفين ، واسماء الكتب والرسائل موزّعة على انواع المواد من القرآن وعلومه وتفاسيره ، الى الحديث ومجمل اقسام اللاهوت الاسلامي ، الى العلوم الاخلاقية ، والسياسية ، والفلسفية ، والرياضية وما يلحق بها من حِيَل ، وموسيقى ، وفلك وتنجيم ، الى الطب والطبيعة والسحر وما اليه ، الى الفروسية والشطرنج ، الى الجغرافية والتاريخ ، فالعلوم اللسانية والادبية كالقراماطيق والخطابة والشعر والانشاء والخط ، الى الفهارس والجداول ، والحكايات والقصص الخ . . . فاتى بعمل يشكره له العلماء كلّما احتاجوا الى مراجعة وصف مخطوطة في هذا الجدول المفيد .

وقد أهدت الينا المكتبة الفاتيكانية كرّاساً صغيراً جمع جدولاً بالمخطوطات والوثائق الشرقية التي عُرضت في مؤتمر المستشرقين التاسع عشر المنعقد في رومة في ٢٣–٢٩ ايلول ١٩٣٥ .

MICHEL FEGHALI, Contes, Légendes, Coutumes populaires du Liban et de Syrie. In-8°, XIX+196+AV. Paris, Adrien-Maisonneuve, 1935. Prix : 50 fr.

حكايات واساطير وعادات شعبية في لبنان وسورية

هو كتاب جديد للمونسنيور فغالي، من اساتذة كلية الآداب في بوردو، نشر فيه ثلاث عشرة قطعة لبنانية بلديّة، بلهجتها العاميّة، تدور حول الحياة الجبلية من الولادة، الى الاعراس، فالمآتم، مارّة بمظاهر المعيشة كالفلاحة، وعصر الزيتون، والخبز، وما يجري بين الحماة والكنّة، وغير ذلك من الاساطير والاقاصيص الشعبية. وقد مثّلها بالطبع بالحرفين العربي واللاتيني، وترجمها الى الفرنسوية، مع تعاليق وشروح أتت تحفةً بما تضمنته من المعلومات التاريخية والجغرافية، واللغوية، والعنصرية البشرية. ف. ا. ب.

RAJI RAHY, Le Chapelet d'un mystique. In-8°, 82 pp. Beyrouth, Imp. Angélil, 1936.

مسبحة صوفي

هي حبّات متفرّقة من مسبحة واهية السلك، تختلف كبرًا وضآلةً، وتراوح فنًّا وقيمة بين الملاحظة الدقيقة النافذة والتحقّق السطحي العادي. على ان في جميعها نفسًا متسلسلًا، لو ساعده الاخراج الفني، لكان له أثر يُذكر في منتجات الفكر المصري. ف. ا. ب.

J. G. ASSAF, La compétence des tribunaux du statut personnel au Liban et en Syrie. In-8°, 248 pp. Beyrouth, 1935.

صلاحية محاكم الاحوال الشخصية في لبنان وسورية

قدّم المؤلف هذه الاطروحة لدى جامعة ستراسبورج، فنال الدكتوراه الحكومية في العلوم الحقوقية. وقد قسمها الى قسمين: درس في الاول تاريخ الصلاحية الكنسية درسًا سريعًا، قافزًا من عصر الى عصر، حتى يصل الى الحالة الحاضرة في سورية ولبنان فتتوافر المعلومات وتزداد الابحاث دقةً ومتانة، فتأتي الفصول: الرابع والخامس والسادس والسابع، بنور جديد في الامتيازات، وصلاحية محاكم الاحوال الشخصية، واحكامها وقراراتها ... اما القسم الثاني فخصّه

بدرس محكمة الخلافات المؤسسة سنة ١٩٢٤ ، باحثاً في تأسيسها ، وصلاحيتها ، واصول المرافعة فيها ... هذا ، ولا يتمالك من يجاري المؤلف حتى خاتمة المجلد الا ان يشترك معه بالامل « أن يكون لنا تشريع جديد ينطبق على حاجات بلادنا وعاداتها فيسد الثلم البادية في « احوالنا الشخصية » ويمكننا من تحسين تنظيم حياتنا العائلية والاجتماعية . » ج. ل.

HAROLD TEMPERLEY, The Crimea. England and the Near East. I. In-8°, 548 pp., avec un frontispice et 3 cartes. London, Longmans, Green and C°. Prix : 25/-net.

بلاد القرم

يبدأ الاستاذ تمبرلي ، بهذا المجلد ، سلسلة منشورات فخمة عن علاقات انكلترة بالشرق الادنى ، وهو عمل جدير بكل ثناء لانه الاول من نوعه في ما خص وجهة النظر الانكليزية ، ولان المجلد الحاضر يدل الدلالة الواضحة على ما يكلف العمل من جهود ، وما يفرض من سعة اطلاع . وهو يتناول النصف الاول من القرن التاسع عشر ، بادئاً باعتلاء السلطان محمود الثاني عرش السلطنة العثمانية سنة ١٨٠٨ ، منتهياً بافتتاح حرب القرم سنة ١٨٥٩ . ولا يخفى ان هذه الحقبة وافرة الاهمية بالنظر الى تاريخ سورية ولبنان . ففيها دخل المصريون بلادنا ، فاحتلوها مدة عشر سنوات كانت بعيدة الاثر في تحوير الكثير من عاداتنا وانظمتنا . وقد مثلت انكلترة ، اذ ذاك ، دوراً وافر الاهمية خصه المؤلف ببحث مستفيض تناول الفصل الثاني بكامله ، وقسماً من الفصل الثالث ، مع خارطتين وملحق نشرت فيه مذكرة القنصل وُود (Wood) عن خدماته في سورية . فاتى عملاً جزيل الفائدة لا نغالي اذا قلنا ان مؤرخينا وسائر مريدي التاريخ الشرقي سيسرعون الى تصفحه ، فيطلعون على فصل من تاريخهم العصري لا يزال غامضاً ، ويتحققون فضل المؤلف في وقوفه على الوثائق الرسمية في باريس ، ولندن ، ولاهاي ، وفينة ، وعلى السجلات الملكية ، فضلاً عن الكثير من الاوراق الخاصة ؛ وفي ما اختص به من دقة ملاحظة ، وحسن عرض ، وجمال اسلوب ، فيشكرون له هذه العناية ، منتظرين ظهور المجلدات التالية . ج. ل.

CHRISTOPHER SYKES, **Wassmuss.** In-8°, 272 pp. London, Longmans, Green and C°, 1936. Prix : 10/6d.

واسموس

مؤلف هذا الكتاب ابن السر مارك سيكس ، صاحب تاريخ بلاد فارس المعروف ، اهتم بشخصية واسموس ، احد موظفي القنصلية الالمانية في إيران ، فدرس مظاهره الغريبة واعماله العجيبة ، مسمياً اياه « لورنس الالمان » . ولد واسموس في ساكس سنة ١٨٨٠ ، ودخل في خدمة الوزارة الخارجية الالمانية ، فأرسل اولاً الى مدغسكر ، ثم الى بلاد العجم ، حيث قضى مدة الحرب في المنطقة الجنوبية منها ، على اتصال دائم بحكومته ، وقد عهدت اليه في نشر الدعوة لإثارة الجهاد في تلك المنطقة ضد الحلفاء . فلم يتأخر ، ولم يفشل في مساعيه . وكان من جملة النتائج الباهرة التي نالها معركة كوت العمارة حيث استسلم الجيش الانكليزي بكامله . ولم تكن انكلترة لتنام عن ثأرها من هذا الرجل الفرد ، فاعادت الكرة على بلاد العجم . ودام العراك بين الدولة العظيمة والموظف العادي حتى انتهاء الحرب . فدخل واسموس في مجال النسيان . ولكنه لم يترك تلك البلاد التي اصبحت وطناً ثانياً له ، فظلّ فيها الى وفاته .

هذه الحياة المضطربة ، الحافلة بالمغامرات ومظاهر الجرأة العجيبة ، وصفها المؤلف بدقة واتقان ، مضيفاً اليها خارطتين ، وعدداً من الرسوم والصور ، والجداول المفيدة باسماء الاشخاص ، والقبائل المهمة ، والمدن

ج . ل .

MOH. JAHIA HASCHMI, **Die Quellen des Steinbuches des Beruni.** Inaugural Dissertation zur Erlangung der Doktorwürde. Bonn, 1935.

في الاصول التي استند اليها البيروني

يشتغل المؤلف ، منذ السنوات العديدة ، بدرس العلوم الطبيعية عند العرب ، ولا سيما ما اختص منها بالمعادن . وها انه يهدي الينا بحثاً دقيقاً واضحاً مرتباً في الاصول التي استقى منها البيروني (٩٧٣—١٠٤٨) في كتابه « الجماهر في معرفة الجواهر » . يذكر منها آثار الكندي ، والجاحظ ، وجابر ، والرازي ،

وغيرهم ، دون ان يهمل القرآن ، واقوال الشعراء ، وبعض المصادر الجغرافية واللغوية ، مشيرًا الى الاصول غير العربية من فارسية ، وهندية ، وسريانية ، واسكندرية ، ويونانية ، وعبرية . ويُردف كل ذلك بدرس ما يمكن تسميته : «نظرية البيروني الاقتصادية . » وبالجملة نرى الكتاب ، على صعوبة موضوعه ، واضحًا دقيقًا جديرًا بكل ثناء . ج. ل.

The Journal of Robert Stodard. With an Introduction and Notes by Sir E. Denison Ross. In-12, 128 pp. with map. London, Luzac and C°. Price : 5 s.

مذكرات روبرت ستودارد .

في السنة ١٦٢٧ ارسلت انكلترة وفد سفارة الى الشاه عبّاس ، شاه بلاد العجم ، برئاسة السر دُدمور كوتون . فعاجلته المنية قبل انهاء مهمّته ، وعُيّن مكانه السر روبرت شرلي سنة ١٦٢٨ . وكان ان تراكمت الحوادث المتنوّعة على رجال السفارة فتفرّقوا . وكان بينهم رجل اسمه روبرت ستودارد اعتاد ان يدوّن مذكّراته يومًا فيومًا . وقد ظلّت هذه المذكّرات في المكتبة البودليانية حتى قُيّض للناشر ان يظهرها لطلّاب التاريخ حافلة بمقدّمة نفيسة ، وبتعاليق وشروح مفيدة ، في مظهر طبعي انيق . ج. ل.

B. Bouthoul, Le Grand Maître des Assassins. In-16, 240 pp. Paris, Armand Colin. Prix : 18 fr.

شيخ الحشاشين الاكبر

لا يخفى ما يصبغ تاريخ الاسماعيليين من دماء ، وما يميّزه من حوادث غريبة ، نرى اثرها في تاريخ الصليبيين ، ومذكّرات رحلة ماركو بولو ، وغيرها من المؤلّفات الاستشراقية والشرقية عن ذلك العهد . حتى اصبحت هذه الحوادث تُقلق مخيّلات الغربيين حتى اليوم ، بعد ان اقلقت حياة امراء الشرق ، وبلبلت سياستهم مدة طويلة .

وقد رأت الكاتبة ان تخوض في تاريخ هذا الشعب الغريب ، وفي درس شخصية رئيسه حسن الصبّاح ، الذي لا يقلّ عنه غرابةً ، فجمعت وثائق جمّة من مصادر متنوّعة ، ورتّبتها في هذا المجلّد الحافل بالخوارق والعجائب ، المستندة

في غالب الاحيان ، الى الحقيقة الراهنة . واننا لا نفيض في ذكر تلك الشخصية الغريبة ، وما خُصَّت به من مقدرة فائقة على جذب الرجال ، وما استعانت به من مفاعيل « الحشيش » على دفع مريديها الى اقصى حدود الطاعة العمياء . فكلّها امور علقت ، على غموضها ، في اذهان الكثيرين من السامعين « بشيخ الجبل » ، او بفظائع « الحشاشين » ، وكلّها تظهر على تسلسلها الطبيعي في هذا الكتاب الجامع بين مستندات التاريخ وغرائب الروايات والاساطير .

Héliodore. Les Ethiopiques (Théagène et Chariclée), t. I. Texte établi par R.M. Rattenbury et Rev. T. W. Lumb, et traduit par J. Maillon. Paris, Société d'édition Les Belles Lettres, 1935.

رواية يونانية لهليودور

اهتمّ عالمان انكليزيان بضبط نصّ هذه الرواية اليونانية ، ثم ترجمها عالم فرنسوي ، ونُشرت في مجموعة الجامعات الفرنسوية حافلةً بتمهيد وتوطئةٍ ومقدّمة . وقد كانت الرواية معروفة في الادب الفرنسوي بترجمةٍ قديمة للاديب أميو (Amyot) كان يقرأها راسين في پور-رويال برغبة فائقة . ولا شك في ان هذه الترجمة الجديدة تعمل على نشرها بين جمهور المتأدّبين ، وان يكن تأثيرها اليوم لن يبلغ مبلغه في العصور الماضية .

Fr. Coberthrambe, Le règne du frère. In-12, 159 pp. Paris, F. Alcan, 1936.

سلطان الاخ

يذكر الاب كلين ، في رسالةٍ الى المؤلف مؤرّخة في السنة ١٩١٩ ومنشورة في هذا الكتاب ، ان الرئيس پوانكاره تأثر كثيرًا لدى قراءته مخطوطة المؤلف . اما الموضوع فيتناول تطوّر البشرية البطيء وما يظهر فيه من محطات يمكن ان تقسم الى ثلاثة عهود : يمتاز العهد الاول بسلطان الاب ، اي ان اب الاسرة يبسط حكمه على سائر الافراد ؛ وهو ما يُقابل ، في المحيط الديني ، عبادة الله الآب ، وتكريم الجدود . ثم يقوم الابن الاكبر ، على اثر وفاة والده ، فيستأثر بالسلطة ، وتدخل البشرية العهد الثاني ، عهد الملكيات الوراثية ؛ وعبادة الإله الابن . حتى يشبّ سائر الابناء فينازعون اخاهم السلطان ويطالبون بحقوقهم

في اختيار من يرونه الافضل للحكم . وهو عهد الديموقراطيّة الـذي يسميه المؤلف «سلطان الاخ» ويخصّ بدرسه القسم الاوفر من كتابه، دالاً على ان اوربة تتطوّر متجهة الى هذا العهد منذ اواخر القرون الوسطى . ولا يخفى ما في هذا الاسلوب الجديد من طرافة معجبة ، وما يحدثه من أثر في انفس المطالعين.

ج. ل.

Trois siècles de l'Académie française, 1635-1935, par les Quarante. In-8°, 530 pp. Paris, Firmin-Didot et Cie. Prix : 25 fr.

المحفل الادبي الفرنسوي في ثلاثة قرون

ليس هذا المجلّد الجميل تاريخاً مطرداً للمحفل الادبي الفرنسوي مدة القرون الثلاثة التي مرّت على انشائه . انما هو تقدمة اعجاب واحترام يرفعها اعضاء المحفل الحاليين لسابقيهم في الكراسي الخالدة . وقد كتب كلّ منهم فصلاً يوافق اختصاصه ، ويتلاءم مع ما يمثله في المحفل من نواحي الثقافة . فنتج من ذلك صورة متنوّعة الخطوط ، جذّابة المظاهر ، لكل ما يقوم به المحفل من اعمال ، وما يختصّ به من روح.

وقد كان من اللائق ان يبتدئ الكتاب بالقسم التاريخي ، فبدأه الدوق دي لافورس بدرس انشاء المحفل ، ثم نشر لويس برتران بحثاً عن لويس الرابع عشر ، وجاك باتيل درساً في الثورة الفرنسوية . ثم تتابعت الابحاث : منها ما يتعلّق ببعض مشاهير اعضاء المحفل من امثال فوجيلا ، ولامرتين ، والدوق دومال ، وشاتوبريان ، ولوتي ؛ ومنها ما يتناول بعض المهن كالمحاماة ، والصحافة ، والبحرية ، والعلوم ، وارباب الكنيسة ، والمارشالين ، والشعراء ، ورجال السياسة والادارة . . . ثم يطّلع القارئ على الاساليب التي يسير عليها المرشح للعضوية ، وما يقوم به من زيارات . . . يلي ذلك ذكر اعمال المحفل العادية من المعجم ، الى طرق الدفاع عن اللغة الفرنسوية ، وما للمحفل من ايام عزّ جُمعت تحت عنوان المحفل والحرب ، والمحفل والمحبة . . . ثم ان للمحفل سرّه الخاصّ ، وقد تولّى كشفه بول فاليري . وللكتاب مدخل جميل هو رسم المحفل سنة ١٩٣٥ ، وله خاتمة سُردت فيها اسماء الخالدين منذ انشاء المحفل.

ج. ل.

LOUIS CHARONE, Vies et œuvres d'écrivains. In-8°, 264 pp Paris, F. Lanore.

تراجم بعض الكتاب وآثارهم

هو الجزء الاول من كتاب توّجه المحفل الادبي الفرنسوي وادرك طبعته الثانية في مدة قريبة . اما موضوعه فدرس تراجم المشاهير من ادباء العصر الحاضر في فرنسة . وقد نجح المؤلف بجمع المعلومات الجمّة عن الكتّاب حتى احدثهم، ممهداً بذلك السبيل لجميع المشتغلين بالنقد الادبي من اساتذة ، ومحاضرين، وطلّاب ، ملخصاً لهم نظرات موجزة ودقيقة في مظاهر الادب الحاضر . امّا الذين يدرسهم في هذا الجزء فهم مدام دي نوايل ، پول ڤاليري ، پول كاردل ، اندره جيد ، مارسل پروست ، اندره موروا ، پيير بنوا ، فرنسوا مورياك .

VÉGA, Henri Heine peint par lui-même et par les autres. In-16. Paris, Librairie académique Perrin. Prix : 15 fr.

هنري هينه

لا يخفى ما يتمتّع به من الشهرة هذا المؤلف الالماني اليهودي المحبوب في فرنسة ، المكروه في المانية ، المتنازع فيه كثير من الادباء والمتأدبين. على ان هذه الشهرة لا تتفق وجهل المتعصبين له،او عليه،بدخيلة نفسه وحقيقة شخصيته. وذلك لما اتصف به من نزعات متباينة وآراء متضاربة حتى المماكسة. فهو يذوب في حب فرنسة ، ولا سيما باريس ، ولكنه لا يخفف شيئاً من حماسته لوطنه الالماني ، وهو يريد ان يوقد رقدته الاخيرة في ارض فرنسة ، على انه يوصي بان يُحفر على شاهد قبره انه شاعر الماني. وهو يعجب حتى العبادة بنابليون ، ولكنه يظلّ صديقاً حميماً لكارل ماركس. ولقد كان يردّد عن نفسه : « انا يهودي ، وانا مسيحي ، بل انا مأساة ، ومهزأة ، بل انا يوناني وعبراني ، اعبد الاستبداد المثّل بشخص نابوليون ، وأعجب بالشيوعية التي يمثلها پرودون . انا لاتيني وتتوني ، انا بهيمة وشيطان واله . انا كلّ شيء الّا رجلاً مضجراً. »

ولذا رأى المؤلف ان يعدّد هذه الوثائق والاحكام التي تصف هنري هينه احسن وصف بقلمه، وبقلم غيره من الادباء ، كتّاب وشعراء .

MADAME A. OLLIVAND, **Les origines intellectuelles du jardin d'enfants.** In-8°, 170 pp. Paris, Librairie Lipschutz, 1935.

الاصول العقلية لحدائق الاطفال

قليل من الناس ، حتى في عصرنا الحاضر ، مَن يتكلّمون في حدائق الاطفال عن معرفة واضحة صحيحة. انما يظنّ اكثرهم ان حديقة الاطفال مؤسسة راحة ولذة تسبق عهد الدراسة ، وتريح الامّ من متاعب الطفل ودواعي المسؤولية بالعناية به . حتى رأت مؤلفة الكتاب ، وهي مديرة احدى تلك الحدائق ، ان تُطلع القرّاء ، من آباء وامهات خاصة ، على ما يوضح فكرتهم عن تلك المؤسسات. فبدأت كتابها بقسم تاريخي عرضت فيه آراء من سبقوا الى التفكير بالمشروع ، ومَن عملوا فعلاً في تنفيذه ، واهم مَن يُذكر من هؤلاء بستالوزي ومدام منتسوري . وانتقلت ، بعد ذلك ، الى قسم عملي ذكرت فيه الطفولة الاولى ، والصحة في المدرسة ، وكبح الذات ، وتهذيب الحواسّ ، والشخصية ، والذكاء ، وتهذيب القلب ، والمذاكرة . . . ولم تنسَ الّا توجيه الطفل ، وان مرّة واحدة ، الى الله . . .

ج. ل.

CHORÉVÊQUE PIERRE HOBEIKA, **Vie religieuse en Syrie et au Liban.** In-8, 39 pp. Beyrouth, Imprimerie Catholique, 1936.

الحياة الدينية في سورية ولبنان

جمع المونسنيور بطرس حبيقة في هذا الكتيّب معلومات متفرّقة عن حالة الكاثوليك في سورية ولبنان وتأثير طوائفهم المختلفة من موارنة ، وروم ، وسريان ، وارمن . واضاف الى ذلك جدولاً باعمال المرسلين من رهبان وراهبات ، منتهياً الى السؤال : هل يمكن اتحاد الكنائس المنفصلة ؟ خاتماً بسلسلة التبريكات في الطقس السرياني - الماروني.

SOCIÉTÉ DES AMIS DES ARBRES, **Rapport du Dr A. GEMAYEL, secrétaire général, prononcé à l'assemblée générale tenue le 18 mai 1936.** In-8°, 14 pp. Harissa, Imprimerie de St Paul.

مختار رسائل جابر بن حيّان

عُني بتصحيحها ونشرها پ. كراوس

٥٦٦ ص. متوسطة كبيرة – مصر، مكتبة الخانجي ومطبعتها، ١٩٣٥

لجابر بن حيّان شهرة واسعة في الكيمياء العربية، وما اليها من العلوم، التي نُقلت الى العالم اللاتيني في القرون الوسطى، فنقلت معها شهرة صاحبها؛ حتى كان الكثيرون من كيماويي الاوربيين، اذ ذاك، يتذرّعون باسم جابر في ترويج مؤلفاتهم فينحلونه العشرات من الكتب في «الصناعة» صحيحها وزائفها. ولقد كان اول من اهتمّ بنشر شيء من آثاره المستشرق هوداس، سنة ١٨٩٣، فاستعان بالكيماوي برتلو، صاحب «تاريخ الكيمياء في القرون الوسطى»، ونشر في كتابه ست رسائل لجابر مع ترجمتها الى الفرنسوية. ثم توالت الابحاث في جابر، وآثاره الصحيحة والمنحولة، وآرائه ونظرياته العلمية. حتى رأى المستشرق كراوس ان يزيد على هذه المحاولات ما يضع حجرًا اساسيًا في «تاريخ الآراء العلمية في العالم الاسلامي». فكان لا بدّ من البدء بضبط النصوص الجابرية وطبعها طبعاً صحيحاً، وهو امر حاوله المؤلف في مجلّده هذا، بعد ان درس مختلف المخطوطات المنسوبة الى جابر في اوربة، والقاهرة، واستانبول، تاركاً للمجلّدين التاليين عرض النظرية الجابرية وشرحها. اما طريقته في اختيار النصوص فقد فرضتها عليه نظرية جابر نفسها، فدفعته الى تنويع المنتخبات من فلسفة عامّة، الى رياضيات، الى كيمياء وطب، الى علوم طبيعية، الى نظريات دينية تأثر فيها الكيماوي بعلاقاته مع ارباب الشيعة الإمامية، ولا يخفى انه كان تلميذًا لجعفر الصادق، سادس ائمة الشيعيين. فجمع الكتاب خمس رسائل كاملة هي: كتاب اخراج ما في القوّة الى الفعل، كتاب الحدود، كتاب الماجد، كتاب ميدان العقل، كتاب الراهب، ومنتخبات من اثنتي عشرة رسالة غيرها هي: كتاب الأحجار على رأي بلياس، كتاب الخواص الكبير، كتاب السر المكنون، كتاب التجميع، كتاب

التصريف ، كتاب الميزان الصغير ، كتاب السبعين ، كتاب الخمسين ، كتاب البحث ، كتاب الحاصل ، كتاب القديم ، كتاب الاشتمال.

ولا نفيض في ذكر ما قاساه الناشر في ضبط النصوص الغريبة في مفرداتها، وطرق تراكيبها ، ولاسيما في تلك التي لم يجد منها الا مخطوطاً واحداً . يقدر هذه الجهود من عانى مثلها ، او من يلقي نظرةً واحدةً على هذا الكتاب النفيس ، وان كانت لا تتمّ فائدته إلا بظهور المجلّدين التاليين اللذين وعدنا بهما الناشر ، ولا شكّ في انه عند وعده ! ف.ا.ب.

دائرة المعارف الاسلامية

المجلّد الثاني: الأعداد ٣ و٤ و٥ و٦ و٧

٢٥٢ ص . كبيرة – مصر ، شارع عماد الدين ١١٧

الاشتراك عن سنة اعداد : ٤٠ ق. م. في القطر المصري ، و٦٠ ق. م. خارجه

من دواعي الاغتباط ان تمضي لجنة نقل دائرة المعارف الاسلامية في عملها المثمر ، فتنهل على قرّاء العربية الاستفادة من هذا المعجم النفيس ، ناشرةً جزءاً منه كل شهرين. وها ان بين يدينا اجزاء تؤلف الاعداد ٣ و٤ و٥ و٦ و٧ من المجلّد الثاني ، محتويةً على ابحاث نفيسة ودروس مستفيضة في مختلف مناحي الثقافة الاسلامية بل الشرقية ، مبدوءة كلها بحرف الألف من « اسكوب » الى « الإكسير » ؛ واهمها بحث ارنولد في « الإسلام » ، وملحقه للشيخ مصطفى عبد الرازق في معنى « كلمة إسلام » ؛ وبحث فنسنك في « اسماعيل » ، وما وليه من التراجم لمن عُرفوا بهذا الاسم من الملوك والامراء والادباء وساتر المشهورين ، الى ان نصل الى كلام ضافٍ لهيوار في طائفة « الاسماعيلية » . ومما تجب الاشارة اليه عدّة ابحاث جغرافية منها « اشبيلية» لليفي-بروفنسال ، و « آشي » لجويدُل ، و « اصطخر » لستريك، و « اصفهان » و « اقريطش » لهيوار ، و « افغانستان » لدير ، مع ملحقها لأمين سعيد . ويجب ان نشير كذلك الى كلمة گولدسيهر في « اصحاب » النبي ؛ ثم الى ابحاث فنسنك في « اصحاب الاخدود » ، و « اصحاب الرسّ » ، و « اصحاب الكهف » ،

والى مقال شخت الواسع في « الاصول » ، ومقال سوبرنهيم في « الإقطاع » ؛ وبحث كارا دي ڤو في « افلاطون » ، وما اضاف اليه يوسف كرم من درس فلسفته في فصل واسع.

اما ما عُلّق على بعض الفصول من حواشٍ وردودٍ طالت احياناً حتى الإملال فاكثره ضئيل الخطر ، قليل الفائدة ؛ لا مبرّر له الا ان وجهة نظر المستشرقين العلمية تختلف عن وجهة نظر معلّقي الحواشي ، كما تختلف مقاييس الفريقين اختلافاً لا يُرجى معه اتفاقهما على نتيجة راهنة . وقد اشرنا سابقاً الى هذا التباين في طريقة التفكير ، فقلنا ما لا بأس باعادته (المشرق ٣٣ [١٩٣٥] ٤٦٥ — ٤٦٦) : « وانما تقوم فائدة هذه المناظرات ، ان كان لها من فائدة ، بان يسير الفريقان على اساس علمي مشترك يُقرّانه ويسلّمان بصحة مقدّماته ، فتتعادل اسلحتهما ، ويتوحد موضوعهما . اما ان يستند احد الفريقين الى الحوادث الوضعية والوقائع الثابتة ، ويلجأ الآخر الى المعتقدات والتقاليد والاحاديث ، فما لا تقرّه المناظرة العلمية الصحيحة ، ولا ينتج الا التباعد عن الحقيقة ، هذا ان لم يؤدِّ الى المهاترة وإثارة الحفائظ . » ف.ا.ب.

مؤلفات السيد عبد الرزاق الحسني

وصف المشرق (الجزء السابق ، ص ٣٠٨) ، كتابين من آثار السيد عبد الرزاق الحسني هما « تاريخ الوزارات العراقية » ، و« العراق في دوري الاحتلال والانتداب » . وقد اهدى الينا ، بعد ذلك ، خمسة ابحاث جمعنا الكلام عليها في ما يلي :

١ — تعريف الشيعة.

٨٠ ص. قطع ١٢ — مطبعة العرفان ، صيدا ، ١٩٣٣ — الثمن : ٤٠ فلساً او ٤ ق. مصرية.

هي رسالة موجزة جامعة « تبحث في تعريف الشيعة ، وقدمهم ، وقواعد الاصول الاعتقادية والعملية عندهم » ، بدأها المؤلف بمعنى لفظة الشيعة وتطوّرها في اللغة والعرف حتى « اصبحت علماً بالغلبة على الإمامية الاثناعشرية » ،

وعلى هذا. فقط يقتصر بحث المؤلف. فيفصّل قواعد الاصول الاعتقادية والعملية متوخياً « المحافظة على بيان المعتقد وعلى الأسس المعروفة عند اصحابها وارباب » بادئاً بوجود الخالق، فضرورة النبوة ، فوجوب «ان يكون للنبي خليفة يتصف بالعصمة التي اشترطت في النبي ، وهو الإمام » ، فوجوه اعتقاد الاماميين الاثنا عشريين « ببقاء الإمام الثاني عشر واستمرار حياته » . ثم يذكر ما امتازت به هذه الشيعة في استنباط المسائل ، من « ترك باب الاجتهاد مفتوحاً ، ومجال النقد والاستنتاج واسعاً » ، حتى يصل الى « اصول الدين عند الشيعة » وهي التوحيد ، والعدل اي «تنزيه ذات الخالق عن فعل القبيح والإخلال بالواجب» ، والنبوّة ، والإمامة — وهنا يسرد اسماء الائمة الاثني عشر من علي بن ابي طالب الى محمد بن الحسن العسكري الذي غاب سنة ٣٢٩ هـ. (٩٤٠ — ٩٤١ م.) ولا تزال الشيعة تنتظر عودته — والتكليف. ثم يتبسط في ذكر « فروع الدين » وفي الاحكام الاجتماعية كالعقود — ومنها الزواج ، وفيه ينفرد الشيعة بنوع يكون فيه الزواج الى مدة معيّنة ويسمى « نكاح المتعة » — والإيقاعات ، والاحكام . وكلها مادّة الفصول الخمسة الاولى . اما الفصل السادس فمادته التقية ، والمتعة ، والطهارة ، والمؤلف يدافع عن ارباب نحلته في ما خصّ الموضوعين الاوّلين. ويفرد فصلاً سابعاً للآداب والسنن ، تنتهي به الرسالة. واذا بها قد جمعت في حجم لطيف ، وصفحات قليلة ، اهم ما تجب معرفته عن طائفة طالما شوّهت معتقداتها اقلام الجهّال . فقام احد ابنائها وبيّن الحقيقة في ذلك ، مستنداً الى كثير من المصادر الفقهية الشيعية والسنية والى عدد من المراجع العصرية اورد اسماءها في اول الرسالة ، عارضاً ايمانه على ائمة الطائفة المذكورة ، فائزاً منهم بالموافقة على ما جاء فيها.

٢ — البابيّون في التاريخ.

٣٦ ص. قطع ٨ — مطبعة العرفان ، صيدا ، ١٩٣١ — الثمن : ٣٠ قلساً او ٣ ق . مصرية.

ويجدر بنا ان نحكم بما تقدّمت الاشارة اليه من إيجاز البحث، وموضوعية الاسلوب ، على هذه المقالة التاريخية التي لخّص فيها المؤلف كل ما يُعرف عن

الحركة البابية ، منذ نشأتها في إيران حتى استقرارها ، مستعرضاً ما عاناه مؤسسها « الباب » علي محمد من اضطهاد فقهاء المسلمين في ايران وعقدهم مجلسين في شيراز لمناقشته ومحاكمته ، وافتاء رئيس مشيخة تبريز باعدامه . وما ولي ذلك من تنفيذ حكم الاعدام بالباب وأحد مريديه شنقاً ورمياً بالرصاص في ٨ تموز ١٨٥٠ ، ومن إعمال الحكومة الايرانية سيفها في رقاب البابيين . ثم يلخص الكاتب عقائد البابية ، وكيف تطورت تلك الفكرة حتى تولدت منها البهائية ، وكيف عمل عبد البهاء عباس افندي (١٨٤٤ — ١٩٢٣) على تعديل المذهب القديم « مبشراً بوحدة الاديان ، ورفع الفوارق بين المذاهب والنحل ، داعياً الى السلام العام » . ثم يذكر شيئاً عن محافلهم المقدسة ، وعن عددهم الذي يقدره بثلاثين الف نسمة في جميع الاوساط العالمية .

٣ — موجز تاريخ البلدان العراقية .

٢٠٨ ص . قطع ١٢ — مطبعة العرفان ، صيدا ، ١٩٣٣ — الثمن : ١٠٠ فلس او ١٠ ق . مصرية

هي الطبعة الثانية من هذا الموجز الجامع المشتمل على تاريخ العراق اجمالاً وتفصيلاً حسب الالوية ، والنواحي ، والاقضية . وقد اقترن التاريخ بالوصف الجغرافي والاثري ، وذكر التنظيم الاداري والسياسي ، وبعض المعلومات الاقتصادية والاجتماعية والدينية . فكان افضل ما يستند اليه الطالب العجلان .

٤ — تاريخ الصحافة العراقية : الجزء الاول .

١١٢ ص . قطع ١٢ — ادارة مجلة الاعتدال ، النجف ، ١٩٣٥ — الثمن : ٥٠ فلساً .

تأليف جم الفائدة ، على إيجازه ، « تضمن ، على صغر حجمه ، عناوين جميع الصحف التي ابصرت النور في تلك المملكة الفتاة مع اسماء منشئيها ومكان طبعها وتواريخ صدورها تبعاً للحسابين الميلادي والهجري » ، هذا قول كاتب المقدمة ، الفيكونت فيليب دي طرازي ، ومن اجدر منه بان يحكم على تأليف في « الصحافة العربية » !

ولا بأس بان نذكر خلاصة الإحصاء العام للصحف العراقية . وهو ما صدر

به المؤلف كتابه :

بلغ عدد المجلات التي صدرت في العراق قبل الحرب العامة ٢٠ مجلة — اما بعد الحرب حتى اواخر السنة ١٩٣٣ فقد بلغت هذه المجلات ٦٨ مجلة .

بلغ مجموع الجرائد التي صدرت في العراق قبل الحرب وفي اثنائها ٦٩ جريدة بين ادبية وسياسية — اما بعد الحرب فقد بلغ عدد الجرائد السياسية ٦٠ جريدة...

٥ — الاغاني الشعبية.

١٢٧ ص. قطع ١٢ — مطبعة النجاح ، بغداد ، ١٩٢٩ — الثمن : ٥٠ فلساً او ٥ ق. مصرية

لا يخفى ان الاغاني الشعبية مظهر جليّ للعواطف التي تتنازع نفوس العامّة من سخط ورضى ، وحب وكره ، ورغبة ونفور ، وحماسة وفشل ، فوق انها سجلّ للحوادث المهمة وما تتركه من اثر في اجتماعيات القوم . ولهذا رأى المؤلف ان يجمع في هذا الديوان كل ما وصل اليه من الشعر العامي الذي ينظمه سكّان الارياف العراقية ، فرتّبه على ابوابه المعروفة : المؤال ، والابوذية ، والميمر ، والغناء او نظم البنات ، والهوسة ، والعتابة ، والمربع . فكانت له مجموعة مفيدة يرى فيها الدارس مرآة حياة الاعراب الاجتماعية والادبية والسياسية والاخلاقية . وقد قدّم عليها بحثين الاول في « الحالة الاجتماعية للعشائر العراقية » اتى فيه بالمعلومات الطريفة النافعة ، والثاني في « فلسفة الغناء » لم يتوفق فيه توفقه في البحث الاول ، ولاسيما في بعض المعلومات التاريخية (ص ٢٧) . ثم علّق على القطع المختارة شرحاً وجيزاً سهّل فهمها على القارئ غير العراقي . وكان من شأن منشورات كهذه ان تزيّن بالشكل الكامل وتضبط بعلامات اصطلاحية تُمكّن من لفظها كما يلفظها اربابها بلهجتهم العامية ، ولعلّ المؤلف مهتمّ بهذا في طبعة مقبلة ينقّح فيها ويُحسّن.

ف. ا. ب.

لبنان في عهد الامير فخر الدين المعني الثاني

وهو كتاب تاريخ الامير فخر الدين المعني للشيخ احمد بن محمد الخالدي الصفدي

عني بضبطه ونشره وتعليق حواشيه ووضع مقدمته وفهارسه
الدكتور اسد رستم وفؤاد افرام البستاني

٢٠٠ ص . قطع ٤ – المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ١٩٣٦ – الثمن: ليرة ل . س .

هذه الحلقة الثانية من منشورات مديرية المعارف العامة والفنون الجميلة في الاصول العربية لتاريخ لبنان. وقد ظهرت الحلقة الاولى في ثلاثة مجلّدات تناولت تاريخ لبنان على عهد الامراء الشهابيين، ووصفها المشرق في حينها (٣٣ [١٩٣٥] ٣١٣) . اما المجلّد الحاضر « فيتناول اخبار الامير فخر الدين المعني في لبنان وسائر الاقطار الشامية على مدة اثنتي عشرة سنة (١٦١٢ – ١٦٢٤) ، فيصف الخلاف الذي نشب بين الامير المعني واحمد باشا الحافظ ، والحرب التي نتجت منه ؛ ثم فرار الامير الى ايطالية . ويشير ، في عرض الكلام ، الى مغامرات الامير علي ابن الامير فخر الدين في حوران وشرق الاردن . ثم يذكر فصل حافظ باشا عن ايالة الشام ، وتعيين جركس باشا، صديق المعنيين ، بدلاً منه. وكيف نتج من هذا التعيين رجوع الامير فخر الدين الى هذه البلاد سنة ١٦١٨ واستلامه ازمّة الاحكام فيها. وبعد ان يصف انتصاراته على آل سيفا في جهات طرابلس ، وحملاته على آل حرفوش في البقاع وبعلبك ، يذكر مواقعه في فلسطين حتى يافا . »[1] وقد اضاف الناشران الى هذه الحوادث ملحقات ثلاثة ، اوردا في الاول منها (ص ٢٠٨ – ٢٤٢) كل ما جاء في النسختين م و ج ب من تفاصيل عن رحلة الامير فخر الدين الى اوربة (١٦١٤ – ١٦١٨) وهي معلومات طريفة لا يمكن ان تصدر إلا عن شاهد عيان لما فيها من دقة في الوصف وحياة في التمثيل، على سقم الاسلوب وركاكة اللغة ؛ ونشرا في الملحق الثاني (ص ٢٤٢ –

١) من مقدمة الناشرين، وقد ظهرت ايضاً في الجزء الاول من « مشرق » السنة الحاضرة (ص ١٠٤ – ١١٢) .

٢٤٩) ، تتمة اخبار الامير فخر الدين في السنوات (١٦٢٤–١٦٣٣) كما وردت في النسخة ج ب على كثير من الايجاز ؛ وخصاً الملحق الثالث (ص ٢٥٠–٢٥٣) بنسب آل معن كما ورد في ذيل النسخة م . والاحرف ج ب ، و م ، و ك ، تشير الى النسخ التي استند اليها الناشران أساساً لطبعتهما ، والاولى ملك الجامعة الاميركية في بيروت ، والثانية من مجموعة المكتبة العمومية في مونيخ بالمانية ، والثالثة ملك الشيخ كسروان الخازن.

اما الطبعة فظهرت على اتمّ ما يمكن من ضبط ، وحسن تمثيل ، ووضوح حواشٍ ، مزدانة بمقدّمتين عربية وفرنسوية ، وبثلاث فهارس ابجدية واسعة : الاول باسماء الاشخاص والقبائل والشعوب ، والثاني باسماء الاماكن والمحالّ والبلدان ، والثالث بالسنين الهجرية وما يقابلها من السنين المسيحية . فنُثني على جهود الاستاذين الناشرين ، ونشكر لمديرية المعارف اللبنانية اهتمامها بنشر هذه الوثائق المهمة ، ولا سبيل الى وضع تاريخ البلاد الصحيح ما لم تُعرف معرفةً صحيحة بالنشر العلمي الدقيق ، آملين املَ الناشرين « ان لا يحول حائل دون نشر سائر الاصول العربية المهمة لتاريخ لبنان في المدة الاخيرة ، كوثائق البطريركية المارونية في بكركي ، وتاريخ لبنان في عهد التنوخيين لاحمد ابن سباط العاليهي ، وكتاب الأزمنة للدويهي ».

الخزانة الشرقية

مجلة ادبية تاريخية متخصصة بالمشرقيات ، تصدر مرتين في السنة

لمنشئها حبيب زيات

نيس (فرنسة)، السنة الاولى ، الجزء الاول ١٢ تموز ١٩٣٦ – مطبعة القديس بولس، جريدا
الاشتراك في لبنان ١٥ فرنكاً ، وفي الخارج ٢٠

« جدداً وعتقاً » ، اخرج صاحب « الكنز » من التعليقات التي جمعها في طوافه مكاتب الغرب . طالع من المخطوطات ما لا يتسنى الوقوف على امثاله في الخزائن الشرقية ، ونقل منه ما استطاب فقيّده مبتوساً بالتنويه به فائدة في اللغة والادب والشعر والتاريخ الديني والمدني وتقويم البلدان وتراجم الاعيان ،

فحرّر دفاتر ينشر منها فصولاً في مجلة جديدة سماها الخزانة الشرقية ، وقد انفرد بها لتخصيصها بمواد شرقية « بحتة » واقتصارها عليها دون سواها . ستة فصول بعد المقدمة تحمل القارئ من درس الاسماء والالقاب والكنى النصرانية في الاسلام ، الى مطالعة المقال في تفاح لبنان، الى الكلام في ليلة رقص وسماع للفقراء بدمشق سنة ٦٥٩ للهجرة، الى اكتشاف ونشر رسالة ابن طولون الصالحي الدمشقي (٨٨٠ — ٩٥٣ هـ. ، ١٤٧٥ — ١٥٤٦ م.) ، وعنوانها ضرب الحوطة على جميع النوطة ، وفيها تنسيق قرى النوطة مرتبة على حروف المعجم ، الى ديوان الامير المعز لدين الله ، واخيراً الى ملاحظات لغوية طريفة .

وان هذه المواضيع ، على تباعد موادّها وتنوعها ، ما زالت موحدةً في شخصية المؤلف ونسقه العلمي في التحرير ، وذيول الصفحات وحواشيها تشهد له بدقة التحقيق وسعة المطالعة والصبر على استنباط الجديد من القديم . فله منا الشكر ، ومن الله التوفيق في مواصلة جهوده الحميدة . ف.ت.

الشوقيات : الجزء الثالث : المراثي

نظم احمد شوقي

٢٠٢ ص. قطع ٨ — مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٣٦ — الثمن : ٨٠ مليماً

جمع هذا المجلّد ٥٩ قصيدة من آثار المرحوم احمد شوقي ، كلها في الرثاء والتعزية ، واشهرها مراثيه في سعد زغلول ، وفوزي الغزي ، وثروت باشا ، وحافظ ابراهيم ، ولا يزال جمهور المثقفين يردّدون بعض ابياتها . اما قيمة هذا الشعر الفنية فضئيلة بالنسبة الى قيمة الجزءين السابقين من الشوقيات . ونحن ، اذا استثنينا بعض المقاطع في المراثي السابقة الذكر وبعض الابيات في غيرها ، نرى اكثر ما في الديوان شعراً ظرفياً يموت — بل مات ! — بمرور الحوادث التي دفعت اليه . هذا ، فوق ما يبدو على بعض القصائد من مظاهر التقليد الزائف ، كما في « المرثية الرائعة » التي خصّها بوالدته ، وقد انصرف فيها عن الشعور الطبيعي الى تقليد المتنبي في رثائه لجدّته وزناً ، وقافيةً ، واسلوباً ، وروحاً متشائمة بغيضة ، على أسلوب من الصناعة الزائفة يخجل منه اضعف النظّام

الناشئين ، فكيف بشاعر كبير يُفرض فيه ان يُحبّ أمه ويأسف لفراقها الفراق الاخير . . .

وقد وقف على طبع الديوان الاستاذ محمود ابو الوفا ، فرتّب القصائد على الحروف الابجدية ، وضبط الالفاظ بالشكل إلا حيث أمن اللبس ، وعلّق شيئاً من الشروح اللغوية على بعض الكلمات . « اما الشرح المعنوي فقد تركه ، لا لضيق الوقت ومراعاة الاختصار فقط ، بل لانه احبّ ان لا يتحكّم في ذوق القرّاء والادباء ، ويفرض عليهم فهمه هو ، فقد يجوز ان يُفهم البيت على اكثر من وجه . . . » .

ومهما يكن من أمر فللكتاب قيمة تاريخية في الدلالة على تطوّر شاعرية شوقي .

ف . ا . ب .

البلمنديّات

« لشاعر البلمند » الشيخ حنا اسعد زخريا

١٢٦ ص . قطع ٨ – مطبعة « ابو الهول » ، سان باولو ، البرازيل ، ١٩٣٥

الثمن : ٢٠٠ غرش برازيلي

وهذا ديوان جمع عدداً من القصائد منظومة ومنثورة على انها شعر . فيه عاطفة وطنية لبنانية ، وفيه صور عديدة لمشهوري اللبنانيين من البطريرك الحويك الى البطريرك عريضة ، الى يوسف بك كرم وتمثاله ، الى شارل دباس وحبيب باشا السعد ، الى بعض المهاجرين في البرازيل ، الى العلَم اللبناني وارز لبنان ، الى صاحب الديوان في بدلة مدرسة السينار بمدينة كيشينوف في روسية وفي بدلته العادية في البرازيل ، الى المنطاد الالماني زبلين يحلّق فوق تصور مدينة سان باولو . . . ويجب ان لا ننسى رسم دير سيدة البلمند واليها يُنسب الشاعر وديوانه ، ورسم البطريركين غريغوريوس حدّاد والكسندروس طحّان . كلها مجالٍ واضحة للعواطف الوطنية الشريفة والذكريات اللبنانية الحيّة التي تأهل قلوب مهاجرينا الكرام جميعهم . اما ما لم نفهمه فهو تشبّث المؤلف باخراج هذه العواطف نظماً ، وهو لو تركها في قلبه وخياله ، لظلّت اقرب الى الطبيعة والفنّ ، من غير شكّ !

ف . ا . ب .

الحزب السوري القومي مؤامرة على الدين والوطن

بقلم الخوراسقف لويس خليل

٢٢ ص. قطع ٨ – المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ١٩٣٦

لقد صحّ في هذا التأليف قول المثل « ان الكتاب يُقرأ من عنوانه » . فهو درس واضح استخرج فيه المؤلف نصوصاً صريحة من مبادئ الحزب المذكور، ومن اقوال زعيمه وارباب ، ومنشوراتهم الصحفية،وصيغة قسمهم دلت كلها على ما عبّر عنه بالجملة الموجزة التي ترجّ بها الكتاب وهي ان الحزب « مؤامرة على الدين والوطن » . ومن ثمّ فهل يجوز لمسيحي بل لعاقل « ان يتخذ مبادئ الحزب ايماناً له ، وان يُطيع ويُنفذ كل ما يؤمر به ، وان يحفظ السر في كل ذلك » ؟ — هذا ما يطرحه المؤلف من الاسئلة ، مستنتجاً ان « الحزب السوري القومي شيعة سرية تسعى للاشاة الكنيسة المقدسة وكل دين ولخراب لبنان » (ص ٢٠) ، ذاكراً ان الكنيسة اصدرت حرماً في ٢٠ نيسان ١٨٨٤ ، يقع تحت طائلته « المنتمون للشيعة الماسونية وما شابهها من الجمعيات التي تناهض إما الكنيسة وإما السلطات المدنية المشروعة » ،وبالتالي ان هذا الحرم يشمل اعضاء الحزب السوري القومي .

قصة حيّ بن يقظان لابن طفيل الاندلسي

المقدّمة للدكتورين جميل صليبا وكامل عياد

حققه وبوّبه وعلّق عليه مكتب النشر العربي ، دمشق ، ١٩٣٥

١٧٦ ص. قطع ٨ – الثمن: ٣٠ ق. س.

تقدّمت لنا كلمة (الجزء السابق من « المشرق » ، ص ٣١٤) في منشورات « مكتب النشر العربي » في دمشق ، تفاءلنا فيها خيراً بنهضة نشيطة في عاصمة الامويين غايتها احياء تراثنا القديم ، واخراجه في أسلوب يفيد ناشئتنا الآخذة ضرورةً بأساليب الثقافة العصرية . وقد وصفنا اذ ذاك كتابين لابن خلدون والغزالي، قدّم عليهما الدكتوران صليبا وعياد، واخرجاهما في قالب سائغ

لطلّاب شعبة « الفلسفة » من البكالوريا السورية. وها انهما يخرجان اليوم كتاباً ثالثاً من مقرّر الشعبة المذكورة ، هو قصة حي بن يقظان لابن طفيل الاندلسي، جاريين على الاسلوب السابق في المقدّمة والتحليل ، كما جرى مكتب النشر على اسلوبه في التعليق ، وضبط النصّ بالمقابلة بين الطبعات المختلفة ؛ مضافاً اليها نسخة خطية وُجدت في دمشق. قسم الباحثان مقدّمتهما اربعة اقسام خصّ الاول بشخصية ابن طُفيل : مولده ، نشأته ، حياته ؛ والثاني بآثاره من شعر وطب وفلك[1] ؛ واهتمّا في الثالث بدرس فلسفة ابن طفيل ، ملحقَين بذلك ، في القسم الرابع ، تحليل « حي بن يقظان » ، باحثَين في فلسفة الإشراق ، وما بين قصة ابن طُفيل وقصة ابن سينا من الاتصال والشبه، ومركز قصة ابن طفيل من التطوّر الطبيعي والنظام الاجتماعي ، متبعين كل ذلك بارائع فيها اشهر مخطوطات الكتاب ، وطبعاته ، وترجماته ، واهم مصادر البحث من عربية وغربية . فكان لهم خير مدخل يلج منه الطلّاب الى نصّ الرسالة الموضح بالحواشي والتعاليق. ف.ا.ب.

ابحاث مدرسية في الادب

أئمة الادب لخليل مردم بك

سلسلة الكشّاف الادبية لعمر فرّوخ

ومن آثار الادباء في سبيل الطلبة هاتان السلسلتان الراميتان الى تمهيد العقبات امام الدارسين بعرض الشخصيات المشهورة في تاريخنا الادبي على اسهل ما يمكن من اسلوب ، وافضل ما يختار لهم من شعر ونثر. وقد تناولنا الاجزاء

---

١) ورد في هذا القسم وفي القسم الاول (ص : ب ، و ز .) اسم واضع الجداول لمكتبة الاسكوريال على صورة « كازبري » ، كأنه احد المستشرقين ، والحال انه ميخائيل الغزيري (نسبةً الى غزير) اللبناني (١٧١٠ – ١٧٩١) ، وُلد في طرابلس ، وانخرط في سلك الرهبانية المارونية الحلبية اللبنانية ، ثم رحل الى اوربة واشتغل في وضع الجداول لمكتبة الاسكوريال بمعاونة بولس خضر الماروني اللبناني. – وقد ورد كذلك بعض الاخطاء المطبعية ولاسيما في الصفحات يز ويط ، سيصلحها الناشرون في الطبعة المقبلة ، دون شك.

الاولى من السلسلة الاولى في السنوات ١٩٣٠ – ١٩٣٢ ، ومن السلسلة الثانية في السنوات ١٩٣٢ – ١٩٣٥ ، واننا ننتظر الاجزاء التالية كي نخص بالسلسلتين جميعاً درساً وافياً ، متفائلين بهذه النهضة ، مغتبطين بان يكون لاساوب « الروائع » عمل في اثارتها . على ان الظروف حالت بين الموازنين ومواصلة العمل ، فرأينا ألا نطيل التريث في وصف ما ظهر من تلك الاجزاء ، محتفظين بتفاؤلنا ، وبأملنا ان لا يؤدي مرور الزمن الى اهمال المشروع :

أئمة الادب

١ – الجاحظ – ٩٦ ص . قطع ١٢ – مكتبة عرفة بدمشق ، ١٩٣٠ – الثمن : ١٥ ق . س .
٢ – ابن المقفع – ٩٦ ص . قطع ١٢ – مكتبة عرفة بدمشق ، ١٩٣٠ – الثمن : ١٥ ق . س .
٣ – ابن العميد – ١٤٤ ص . قطع ١٢ – مكتبة عرفة بدمشق ، ١٩٣١ – الثمن : ٢٥ ق . س .
٤ – الصاحب بن عباد – ٢٥٦ ص . قطع ١٢ – مطبعة الترقي ، دمشق ، ١٩٣٢

خصّ الكاتب الحلقتين الاوليين بإمامي الانشاء العربي ، اول عهد الكتابة ، الجاحظ وابن المقفّع ، فجال جولات كافية في حياتيهما ، واخلاقهما ، وبعض نواحي شخصيتيهما ، موردًا عنهما اخبارًا متفرقة وددنا لو جمعها إطارٌ محدَّد او « تصميم » واضح . وكذلك وددنا لو روعي في المنتخبات تقسيم مرتب ، بل لو أشير ، في ما خصّ منتخبات الجاحظ ، الى الكتب التي أخذت منها . فهو نقص في الانتخاب يماثله نقص آخر في المقدّمة يبدو باهمال ذكر المصادر ، او المآخذ ، التي يستند اليها الكاتب . ولا يقولنّ المطالع ان امثال هذه الرسائل انما توضع للطلّاب ، وليس بهم حاجة الى معرفة مآخذ الابحاث ، فنقول ان الطلّاب ، ولاسيما طلّاب الادب ، اشدّ الناس حاجة الى مثل ذلك ، ان لم يكن في سبيل حملهم على درس المآخذ ، فلا اقلّ من تمرينهم على طرق البحث العلمية وتعويدهم الامانة الادبية ، وبنا اليها اشدّ الحاجة . . .

وكأنّ المؤلف شعر بقلة ما انتخبه في الحلقتين الاوليين من كلام الجاحظ وابن المقفّع ، فزاد عدد الصفحات في الحلقة الثالثة الخاصة بابن العميد ، إمام الإنشاء الأنيق في العصر العباسي الثالث . بيد ان آثار ابن العميد قليلة ، متشابهة

الاسلوب ، ومتى دلّ عليها الانسان برسالة او بقصيدة فكأنه نقلها كلها على قلّتها. ولهذا اضطُرّ المؤلف الى ملء ما تبقى من الصفحات بترجمة ابي الفتح ، ابن ابن العميد، وسرد شيء من اخباره واقواله.

واما الحلقة الرابعة فقد خصّها خليل مردم بك بالصاحب ابن عبّاد . وكان قد مهّد لدرسه ببحث عن النهضة الفارسية والدولة البويهية نشره في صدر الحلقة الثالثة ، فأمكنه ان يبدأ الحلقة الرابعة بترجمة الصاحب ، خلف ابن العميد في وزارته وفي اسلوبه ، فأفرد لذلك نحو ٥٠ صفحة سرد فيها مآتي حياته. ثم تكلّم عن صفته واخلاقه ، واورد اخباره مع الشعراء ، وما اختصّ به من علم وادب وذوق فني ظهر في اسلوبه نظماً ونثراً . يلي ذلك نحو ستين صفحة لمنتخب كلامه وشعره.

سلسلة الكشاف الادبية :

١ – ابو نُواس: القسم الاول: دراسة ونقد – ٥٥ ص. قطع ١٢ – مكتبة الكشّاف، بيروت ، ١٩٣٢ – الثمن : ١٠ ق.ل.س.

٢ – ابو نُواس : القسم الثاني : مختارات من شعره – ١٦ ص. قطع ١٢ – مكتبة الكشّاف ، بيروت، ١٩٣٣ – الثمن : ١٠ ق.ل.س.

٣ – ابو تمّام – ١٠٠ ص. قطع ١٢ – مطبعة الكشّاف ، بيروت ، ١٩٣٥ – الثمن : ١٠ ق.ل.س.

الرسالتان الاوليان تُتمم احداهما الاخرى ، فهما جزءان من درس واحد ، خُصّ الاول بترجمة ابي نواس ، وشاعريته ، ودرس ديوانه ، والى الثاني بمنتخبات من هذا الديوان ، في موضوعاته المتنوّعة. بدأ الكاتب بسرد المصادر التي استقى منها في دراسته ، وقد عاد الى ذكر شيء منها في اسفل بعض الصفحات ، فخطا بهذا الامر خطوةً طالما انتظرناها من أدبائنا الباحثين. ثم عدّد المعلومات عن الشاعر واخلاقه ، وبيئته ، ومن اتصل بهم من أمراء ، وسادة ، وسوقة ؛ وعمّا اتصف به ديوانه من طرافة ، وابتكار ، وصناعة ، وتقليد ، جامعاً في الجزء الثاني طائفةً من المنتخبات لا بأس بها ، لولا ما تخلّلها من ابيات ومقاطع يترفّع عن ذكرها من كان نديّ الوجه حيّاً ، ولاسيما ان الكتاب مدرسي ،

ومطالعه من النش. المباهق. امّا هل توفّق الكاتب الى اظهار شاعره في صورة جليّة فهو امرٌ لا يدّعيه هو نفسه ، بل جلّ ما يطمح اليه ان يأتي « بمحاولة » (ص ٥٤) في هذا الامر. والحقّ انها لمحاولة جديرة بالثناء.

وكذا القول عن محاولته في درس ابي تمّام ، وهي ، وان سارت على الاسلوب الاول ، نراها اقرب الى تمام الضبط وحسن التأليف، وشمول البحث ، وصحة الاستنتاج ؛ وقد قسمها الى ثلاثة فصول: تتبع في اوّلها ابا تمّام في مراحل حياته من جاسم الى دمشق الى حمص ، الى مصر ، الى سورية ، الى العراق ، الى خراسان فالموصل. وفي الثاني درس بيئته وخصائصه منتهياً بصناعته الشعرية ، وانصرف في الثالث الى نقد الفنون في ديوانه. ولا يخفى ما يصادفه كل ناقد في ديوان ابي تمام من صعوبة التركيب ، وعمق التصوّر ، بما يحرّه من بُعد المجاز وغرابة الاستعارة. يعرف هذه العقبات من عانى ألفة الديوان ، فيخفّف من النقد ويميل الى التشجيع. ف. ا. ب.

أمراء الشعر العربي في العصر العباسي

٤٣٨ ص. قطع ٤ – المطبعة الادبية ، بيروت ، ١٩٣٢

تطوّر الاساليب النثرية في الادب العربي

الجزء الاول : أسلوب صدر الاسلام — الاسلوب المتوازن — الاسلوب المسجّع

٤٥٤ ص. قطع ٤ – المطبعة الادبية ، بيروت ، ١٩٣٥

بقلم انيس الخوري المقدسي

وما دمنا في ذكر الكتب المدرسية الادبية، فلنشر اشارة خاصة الى كتابين ضافيين لانيس الخوري المقدسي ، لا نبالغ اذا قلنا انهما افضل ما يوضع من مجموعات النصوص بين ايدي الطلّاب.

اما الاول فمجموعة دراسات تحليلية لادب سبعة من اشهر شعراء العرب هم: ابو نواس ، وابو العتاهية ، وابو تمّام ، والبحتري ، وابن الرومي ، والمتنبي ، والمعرّي . وكان لا بدّ قبل هذه الدراسات الخاصة من دراسة عامّة في البيئة التي نشأ فيها هؤلاء الشعراء. فتأثروا بمظاهرها وأثروا في تكييف مجاري التفكير

فيها، فكان من ذلك قسم اول في الكتاب جمع المعلومات الوافية عن العوامل السياسية في الخلافة العباسية ، والحركات الهدّامة داخلية وخارجية ، تلك التي ساهمت في تطوّر الحياة الاجتماعية والفكرية تطوّراً بدت آثاره وصوره في هذا الشعر العباسي المقصود درسه. ولعلّ المؤلف راعى عقلية الطلّاب خاصةً فلم يدمج ابحاثه في شكل وحدة تأليفية متماسكة الاجزاء ، بل تركها موادّ متفرّقة يسهل الاطلاع على جزئياتها ، وان عسر استيعابها في نظرة شاملة.

واما الكتاب الثاني فأبعد غايةً وافسح مجالاً « يتناول النثر العربي وخصائصه الفنية منذ بزوغ الاسلام الى النهضة الاخيرة ، ويتخلّله دراسات تحليلية لنُخبة من أمراء الاقلام ، وعرض كثير من نصوصهم الانشائية». وهي غاية صعبة المتناول ، في طريق وعرة حافلة بالعقبات ، وقد شعر المؤلف بذلك فقال في المقدّمة : « ... انما السبيل جديد ، والرائد معذور اذا لم يأمن العثرات » . على ان هذا الجزء الاول اقتصر على أساليب صدر الاسلام ، والاسلوب المتوازن ، والاسلوب المسجّع . فمثّل المؤلف أساليب صدر الاسلام بالقرآن ، والحديث ، والامثال القديمة ، وبشيء من رسائل المخضرمين ، والخطب السياسية ، والعظات الاخلاقية ، معلّقاً على كل ذلك شروحاً وحواشيَ مفيدة . ثم انتقل الى الاسلوب المتوازن فمهّد له بالنثر في اواخر العصر الاموي ، وعرض لعبد الحميد الكاتب ورسائله ، ولترسّل الجاحظ ، مع نماذج من اقوال الصولي والجرجاني والعسكري والتوحيدي والثعالبي . وكاد حظّ الاسلوب المسجّع يعادل حظّي الاسلوبين السابقين (٢٠٠ صفحة) ، فتبسّط المؤلف في صفاته وخصائصه البارزات في مظاهره المتنوّعة ، وقدّ ردّها الى ثلاثة : الرسائل الديوانية ، والرسائل والمصنفات الادبية ، والمقامات والخطب الروحية ، ولكل منها ممثلون معروفون جرّه البحث الى ترجمة حياتهم ، وعرض الكثير من آثارهم ؛ ومن اشهرهم ابن العميد ، والصابي ، والقاضي الفاضل ، وابن الخطيب ، وبديع الزمان ، والحريري ... يخلّل ذلك باحكام موجزة مصيبة على الغالب ، وان كان في بعضها ما يستغربه ارباب الذوق العصري كحكمه على المقامات اليازجية بانها « تحفة فنيّة » ، دون شك ، بعد ان حكم على مقامات الحريري بـ « إن

هي إلا مجموعة لغوية بلغ فيها اقصى ما يبلغه علماء الادب واللغة في كل زمان، وقد ظلّت زمناً طويلاً انموذج الانشاء عند المتأدّبين ، ثم سقطت من مكانها بسقوط دولة السجع ، وشيوع النثر المطلق في جميع الدوائر الادبية الحديثة ».

هذا وللكتاب ثلاثة فهارس : واحد للمراجع القديمة والحديثة، وثان لمحتويات الكتاب ، وثالث ابجدي لاعلام الكتاب والكتب. ف.ا.ب.

تذكرة الشعراء او شعراء بغداد وكتّابها

في ايام وزارة المرحوم داود باشا والي بغداد

تأليف عبد القادر الخطيبي الشهرباني — عني بنشره الاب انستاس ماري الكرملي

١٠٨ ص. قطع ٨ — دار الطباعة الحديثة ، بغداد ، ١٩٣٦ — الثمن : ١٥٠ فلساً

هو كتاب نفيس جداً ، في نظر الناشر ، « يرأب به صدع عظيم في تاريخ آداب (العراق) وآداب تاريخه... فيجدر بكل عراقي صادق الوطنية ان يعض عليه بنواجذه لما فيه من الفوائد الجزيلة. » (كذا ، ص ١٠١ — ١٠٢).

اما هذه الفوائد فمنها « سرد بعض امور تتعلق بالمجتمع العراقي وباعمال الولاة ، وهي امور لا تكاد تصدّق ، لولا ان لهجة الراوي تدل على صدق رواياته ، ولولا قرب وقوعها من عهدنا ، واطلاع الخلف عليها بما سمعه من السلف » (ص ١٠٢) ، ومنها تعريف ٥٣ شخصاً من رجال الدولة والادباء والشعراء في ايام وزارة داود باشا ، من السنة ١٧٨٠ الى السنة ١٨٣٠ . ولا يؤخذنّ القارئ بهذا العدد من « الادباء والشعراء » فيظنّ الكتاب من آثار التاريخ الادبي ! ان هو ، في الحقيقة ، الا مجموعة معلومات موجزة عن رجال أطلقت عليهم هذه الالقاب توسّعاً ، وقد لا تفوق ثقافتهم ثقافة مؤلف الكتاب او مترجمه ، وهي عادية تبدو في لغة شوهاء واسلوب ركيك حافل بالاغلاط المتنوّعة. اما هذا المؤلف ، او المترجم ، فبعد ان مال الناشر الى جعله عبد القادر الخطيبي البغدادي الشهرباني — وهكذا طُبع على غلاف الكتاب وفي الصفحة الاولى — عاد على اثر قراءة نقد يعقوب نعوم سركيس (الصفحات ٨—١١) فشكّ فيه ، ثم « رأى ان المؤلف مجهول والناقل ايضاً مجهول » (ص ١٠٤).

« وفي الكتاب خمسة فهارس ومعجم شرح الالفاظ المغلقة الواردة فيه، وبحث ضافٍ في عظم نغمه مع نقد ما جاء فيه » وكل ذلك ، مع نصّ الكتاب نفسه ، لا يتجاوز ١٠٨ صفحات. ف.ا.ب.

محسن الهزّان

تأليف رشيد بك نخله

نُشرت بنفقة المحامي توفيق خيرالله ، وهي تُطلب منه بالجملة ، في خان انطون بك ، وبالمفرق من المكاتب العربية فيها – ٤٠ ص . قطع ٨ – مطبعة الاتحاد ، بيروت ، ١٩٣٦

ان عُدَّ ارباب الزجل اللبناني ، او الشعر الحيّ المنظوم باللهجة اللبنانية ، كان رشيد بك نخله في طليعتهم. ألف هذا الفنّ شابًا فأخرج فيه الآثار الرائعة، وهو ابن عشرين. ثم تقلّبت به الايام فاضطلع بالفصحى، وجال في الشعر السَّويّ جولات معروفة ، ولكنه لا يزال على حنينه الى الشعر الشعبي بما فيه من طبيعة وحرارة لا تظهر بها تامّتين صافيتين الا لغة الأم.

وبعد، فهذه قصة بدوية تمخّضت بها صحاري العرب الملتهبة بزفرات الغرام، الصاخبة بضجّات الغزوات ، المستأنسة باشتباك الرماح ، وقرع السيوف، فرواها بدويّ من النمير في سكينة الباروك ، في مجلس عبّاس بك نخله ابن عم والد الشاعر. وكان للقصة ان يتغذّى بها شبّان الضيعة وشيوخها حتى ينقلها احدهم الى رشيد بك — وقد اجتاز الراوي والسامع الى العالم الآخر — وينقل معها تحيّة عبّاس بك بان تُنظم في القافية اللبنانية . فينظمها الشاعر الشاب ملحمةً صغيرة في ثمانية وعشرين نشيدًا . . . وتتوالى الايام بشاغلها المتنوّعة ، فتغرق الرواية في النسيان ، حتى يُقيّض لشوقي ان ينبّهها ، عن غير قصد ، وهو يحدّث رشيد بك عن الملحمة في الشعر العربي . . . وها هي تبدو اليوم اثرًا رائعًا بعاطفته البدوية وحلّته اللبنانية ، مبشّرةً بأخت لها تصدر قريبًا بعنوان « عنتر ».

ف.ا.ب.

* زابير * مأساة شعرية ذات خمسة فصول للشاعر الفرنسي فولتير ، معرّبة نظمًا بقلم فارس كلاب والبشاع كرم – ٧٧ ص. قطع ٨

* رسالة في الكتابة العربية المتّحدة * « رضها الاب انستاس ماري الكرملي توصّلًا الى القراءة العربية بلا ضبط الفاظها ، وتسهيلًا لها على الأميين » – ٣٥ ص. قطع ١٢

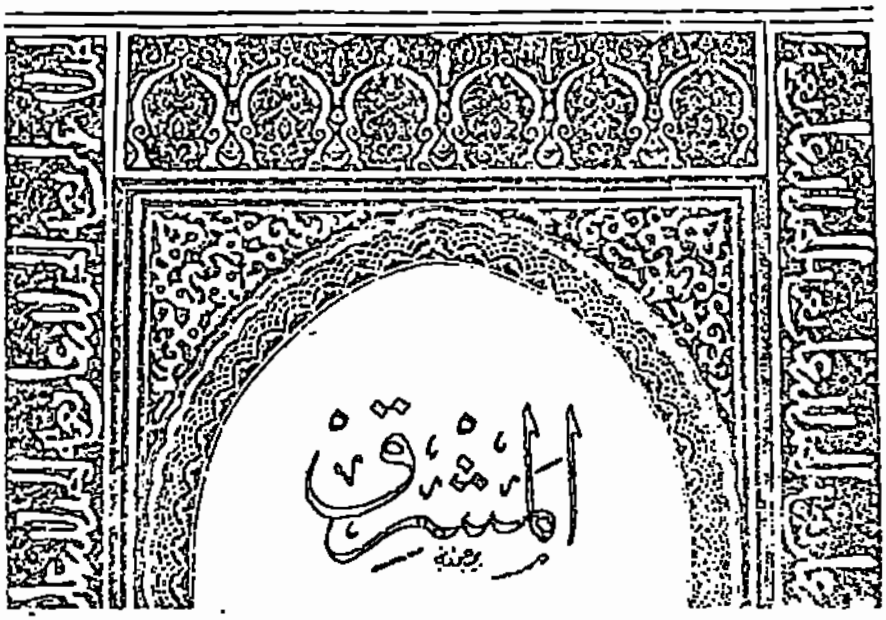

السنة الرابعة والثلاثون — تشرين ١ — كانون ١ ١٩٣٦

اصول الجمال

في الفنّ الاسلامي*

بقلم غاستون ڤييت

الاستاذ في مدرسة اللغات الشرقية الحيّة في باريس، ومدير المتحف العربي في القاهرة

تمهيد

لقد اخذت على نفسي القيام بمهمة شائقة ولكنها دقيقة، وهي ان نتدبّر معاً تلك الاسباب التي تدفعنا الى تذوّق الفنّ الاسلامي. لا مشاحة في أن الألفة والتمرين ضروريّان في تفهّم مظاهر الفنون جميعها. بيد انها، على ما يظهر من اقوال ارباب الشأن، اشدّ ضرورة

*) من محاضرات «معهد الآداب الشرقية» في فرع «التاريخ والآثار القديمة في سورية وفينيقية».

في تفهم آثار الفنانين المسلمين ، منها في تذوق اي فن آخر . ولهذا رأيت ان استدعي ذكرياتكم المبددة ، فاستميل انتباهكم لازدهار فني عجيب كان من حسن حظي ان اختص بدراسته حياتي كلها . ولنبدأ اذاً بتعيين اصول الجمال المشتركة في ما ظهر من الآثار الفنية في مختلف مناطق الاسلام ، عاملين ، قدر المستطاع ، على تحديد ميولها ومراميها .

نظرية التحريم

من الثابت ان القرآن لم يهتم بانشاء نظرية فنية . وكذلك القول عن النبي نفسه ، على ما نرجح . ولكن الفقهاء ، قادة الدين الاسلامي ، عملوا شيئاً فشيئاً على بناء تلك النظرية الضيقة عدوة الحياة والفن . ولا يخفى ان ارباب العقائد في جميع الديانات يبدون صرامة شديدة يقاومون بها مظاهر الحياة المترفة الكسولة . على اننا نعتقد ان نسبة الكفر الى من يجرب تمثيل الكائنات الحية لم يكن ليؤثر وحده في شمول نظرية التحريم . انما هناك سبب آخر . هو اعتقاد الشعوب الاولية بان الصور تحمل في نفسها مخاطر جمة ، حتى لا يحسن بالانسان ان يتعرض لها . هذا هو السبب الاصيل الخفي في تشييد تلك العقيدة التحريمية ؛ وهو ما دفع عدداً من كبار الفنانين الى احترام هذه الصرامة في شجب الصور الحية ، بل الى السير بموجبها . فنتج ان الفن الاسلامي ، في آساسه ، معاكس لتصوير الكائنات الحية . ومن ثم فقد اتخذ اصولاً للجمال خاصة به ، توافق هذه النظرية التي كانت تزداد صرامة وشدة تطبيق عصراً فعصراً ، على الرغم مما كان يظهره بعض الامراء المسلمين من ميول فنية لا تتفق مع مبادئ التحريم . ومهما يكن من وفرة الآثار الشاذة عن القاعدة العامة ، تلك الآثار التي يزداد عددها يوماً فيوماً ، فان الفن الاسلامي فتش ، منذ نشأته ، عن مظاهر عامة للاصول الجمالية خارجاً عن تمثيل الطبيعة الحية . وقد وجه هذه المظاهر متوفقاً فيها ، على بعده عن الحياة ، الى شيء من الحركة والاناقة نتج من صفات فنية حقاً تستند خاصة الى الرشاقة وتناسب الاقسام . حتى ليحار المتأمل في موضوع إعجابه الاتم ، أهو تلك الألفة المتناسبة في توزيع الزخارف ؟

أم تلك الوفرة في تنويعها وترتيبها راميــةً الى تمثيل مربعات هندسية او جنّة من الازهار النضرة ، او رسوم مستطابة في غرابتها وتفننها .

وان من يتعمق في درس مظاهر هــذا الفنّ ، يرى ان الدين الاسلامي لم يفرض على الفنّانين الّا قانوناً سلبياً . لقد منعهم تمثيل الصور . وان يكن هــذا التحريم نجح النجاح النسبي في اكثر البيئات والعصور ، فلأنه وافق نزعةً اصيلة في نفسية المسلمين من العنصر السامي . اما في ما سوى هذه النقطة ، فقد احتفظ الفنّانون بحرّيتهم في إخراج فنّهم على اي مظهر كان ، مما يدلّ على ان الدين لم يفرض طريقةً خاصة للزخرف ، وبالتالي فهو لم يسنّ قانوناً إيجابياً للفنّ .

بين التقليد والابتكار

الاهتمام بالتفاصيل – الانتصار على الصعوبات

وهناك نقطة أخرى يجب ان نشير اليها . وهي ان الفنّ الاسلامي ، على ما اتصف به من شخصية ، ظلّ مدةً حائراً في حوض البحر المتوسط ، قبل ان يتخلّص من تقليد الفنّ البيزنطي ، والفنّ الفارسي الساساني الذي أثر خاصةً في العهد الاسلامي من خلال الآثار البيزنطية نفسها . على ان هنا ملاحظة جديرة بالانتباه وهي : إن يكن الفنّانون ، منفّذو رغبات الامراء المسلمين ، قد جروا اولاً على طريقة البيزنطيين اضطراراً وتقليداً ، فقد تابعوا تقليدهم هذا ، فيما بعد ، عن تذوّق للفنّ البيزنطي ، وعن رغبة في استخدام اهمّ ما فيه من موضوعات وأساليب أيّد نضايا كرور الزمن . فقلّدوا ، ولكن عن حرّية واختيار واناقة .

واذاً يمكننا القول ان الاسلام عمل على الاسراع في تطوّر طريقة زخرفية فنّية كانت تبدو مظاهرها قبل الشروع بنشر الدين الجديد . وقد يصحّ القول ان المسلمين لم يأتوا بطرق مبتكرة في الزينــة والزخرف ، على طريقة واضحة ملموسة ؛ ولكنهم تنــاولوا الآثار الفنّية السابقة فادخلوا فيها روح الاسلام ونفسيّته الخاصة . وذلك بامتزاجات جديدة ادخلوها في القوالب الزخرفية القديمة ، وبما قاموا به من تنويعات مبتكرة في تلك القوالب نفسها ، بالغوا فيهــا حتى الاغراق احياناً ، ولكنهم لم يتجاوزوا حدّ الألفة والتناسب . كل هذا نشأ

فيهم عن ذاك الميل العميق وتلك النزعة الخفية في الإحساس الشرقي . وليس ادلّ على تذوق بعض الاشكال الفنيّة ، بل بعض ما وصلت اليه تشعّبات تلك الاشكال، من ذكر ما كانت تلاقيه من ارتياح وإعجاب تلك التوسيعات البيانية والزخارف اللفظية . فان بين النوعين صلة دقيقة تظهر في ذاك التطوّر المزدوج المتوازي بين مظاهر الفنّ ومظاهر الانشاء الادبي العالي. وهكذا لما اراد البناؤون المسلمون ان ينتقلوا من الشكل المستدير الى الشكل المربّع ، وجدوا تلك الزاوية البارزة في العقد ، فأعجبوا بها ، واخذوا يعدّدونها أفقياً وعمودياً حتى كوّنوا طبقات فوق طبقات من تلك الزوايا الجميلة.

ولا شكّ في ان كل هذه المظاهر تتصل بعضها ببعض دالّةً على رغبة اصيلة فطرية في تتبع الامور بالتحليل البالغ والتفصيل الدقيق ، حتى يصل الفنّان الى نشوة الحذق والمهارة، بانتصاره على الصعوبات وتسهيله العقبات من اي نوع كانت، صارفاً همّه الى كل دقيقة من دقائق المجموع يصقلها ويتقنها ويتفنّن فيها ، وكأنها عالَمٌ بأسره . لا يأخذه في ذاك ملل ، بل لا يكاد يأخذه خوف التضخّم الجزئي فالخروج عن تناسق المجموع . هو ميل طبيعي عرفناه ، منذ القدم، في مظاهر الادب الانشائي ، من شعر ونثر. فاستغربنا ، لاول وهلة ، تلك المشاهد المتعدّدة ، والتصاوير المتقابلة ، في القصيدة العربية ، لا يكاد يقف الشاعر عند واحدة منها ، انما يوحيها كلها في سيره ، وان تكن واهية الصلة بموضوعه الاساسي ، فيعدّد مفاعيلها بواسطة سلسلة من التشابيه تهبط على المطالع من حيث لا يتوقعها .. ولا شكّ ان في الشعر ، كما في الفنّ السابق الذكر ، جمالاً خاصاً قد لا تسيغه نظريّاتنا الفنيّة ولا مقاييسنا الجمالية. بيد انه مهما يكن لهذه النظريات والمقاييس من دقّة وصوابية ، فاننا لا نقوى على دفع الاثر العجيب الذي تحدثه فينا تلك الاحاديث اللطيفة العجيبة ، وان دارت حول الموضوع الاساسي ، وتلك الصور المتتابعة على غير ترتيب ، وتلك الخطوط الذاهبة على غير اتجاه بارز ولا غاية ظاهرة . هي الطراوة المنعشة يوليها الفنّ الاسلامي متأمّليه بما يعرضه عليهم من ظواهر المفاجآت.

الى هذه الميزة يجب ان نردّ تلك الغرابة التي نشعر بها امام بعض الآثار

الاسلامية ، اذا ما اردنا تحليلها وتفصيلها ، والتدقيق في درس مركباتها . اننا نحب، في بلادنا الغربية ، ان يخفي علينا الفنّان ما يبذله من جهد ، فيظهر غير مكترث لما انتصر عليه من صعوبات. اما في الشرق فالحالة على غير هذا . فلا نستغربنّ اذاً موقف الفنّان المسلم اذا لم يرم الى ايهامنا ارتجالَ فنه . فهو لا يرتجل، ولا يربي الى الارتجال. انما يطلعنا ، في جميع تفاصيل اثره، على اجتهاد متواصل ينفي الاكتفاء بالمظهر الاول . فهو سلسلة من الاوضاع الزخرفية يُتقن الفنّان كلًّا منها لنفسه ، وبصرف النظر عن مركزه من المجموع الكلّي ، حتى يشبه عمله بعض الاستطرادات والالتواءات الموسيقية المستديرة حول الموضوع الاساسي ، وكأنها تلك الزخارف الهندسية تطرّز النقطة الاصلية في الصورة . هكذا القول عن الزخرف الفنيّ الاسلامي. فهو ينحلّ ، بعد درسه وتفصيله ، كما تنحلّ العملية الهندسية الى عناصر بسيطة اتى عليها اللهو العابث ، فعقّدها. واظهرها بذاك المظهر المركّب . حتى اخذت عين المتأمل ، لاول وهلة ، بما فيها من مظاهر المهارة الفنّانة العابثة على غير قياس ولا غاية . اما اذا دقّق الفاحص في تحليلها فتبدو له نتيجة درس دقيق طبّق فيه الفنّان قواعد غير منكورة.

نتيجة التحريم

بقي ان نفتش عن الدافع الى هذا الخصب في الزخارف الهندسية وما يتفرّع عنها. واننا لنجد السبب في تحريم الصور. ذاك المبدأ الذي صرف الفنّانين ، على الغالب ، عن تمثيل الكائنات الحيّة ، خوفاً من تقليد الخالق في خلقه ، فدفعهم عن تأمل الطبيعة ، وعن استيحاء مظاهرها الحافلة بالحركة والحياة . فاضطرّوا الى ادخال مبدأ التجريد والرمز في مظاهر فنهم جميعها. فكان ان الفنّ الاسلامي، في آساسه ، حوّل وجهه عن طرق الزخرف القديمة المستمدّة من جمال الطبيعة ، اي من عالمي النبات والحيوان الحقيقيين . انصرف الفنّ الاسلامي عن هذين العالمين الخصبين فاستبدل بها زخرفاً بسيطاً في عناصره الاولى يستمدّه من الخطوط الهندسية ، او الحروف الابجدية ، او بعض المظاهر النباتية . ثم يعدّد هذه

الرسوم المتنوّعة على تراكيب وطرائق متعدّدة الأساليب حتى يحدث تأثيرات فنيّة حقًّا بما فيها من رشاقة ، وألفة ، وحسن وقع شامل. بيد اننا نشعر بوجوب التحفّظ في اطلاق الحكم على كون الفنّ الاسلامي لجأ الى الزخارف الهندسية والخيالية ليحلّها محلّ تمثيل الكائنات الحيّة . ان في هذا القول لمبالغة ، بل فيه فرض نظرية منطقية لا دخل لها في الموضوع. انما الصواب هو ان الفنّ الاسلامي، وقد ضُيّق عليه بعدم تمثيل الحيوانات والبشر ، وحيل بينه وبين تأمل الطبيعة واستيحائها ، رأى نفسه مضطرًا الى الاتجاه وجهةً أخرى . فاجاب الفنّان داعي غريزته لاجئاً الى الشباك الهندسية يُدخل فيها بعض العناصر النباتية المجرَّدة عن كل شيء الا خطوطها الاصلية ؛ والى اشكال الحروف الابجدية ، يتفنّن فيها وينوّع حتى يخرجها آيات زخرفية رائعة بجلالها ورشاقتها . وهكذا غدا الفنّ الاسلامي ، في مظاهره السائدة ، لا يهتمّ اصلًا بنقل الحياة. انما نزعته العامة ترمي الى تجريد المشاهد الحيّة في الطبيعة حتى لا يبقى منها الا خطوطها الهندسية فتوحي برسمها عاطفةً من الصرامة الباردة يحدّها ذاك الشعور الدقيق بجمال التناسب.

الفن والادب والموسيقى

ولنقل ان هذه التزاويق والزخارف ترافق ، في اصلها ، ملكة الادب العربي الخالص والموسيقى الشرقية . يشعر الفنّان الموسيقي بحاجة الى الدورات الطويلة ، والى التنغيم في النبرات لا حدّ لها تظهر غالباً متوازية في سطحين ، وكأنها لحن ثنوي يرافق « الصوت » الاساسي . اما هذا « الصوت » فيتمايل ويختال مدّةً بين النبرات المتنوّعة حتى يُقتطع فجأةً دون سبب معقول ، على نغمة قد تبعد عن النغمة القرارية الاصلية. وهكذا القول عن الزخرف فقد يُقطع فجأةً لا لكون الفنّان ادرك غايته في التزويق، بل لانه ادرك حدّ المصراع الذي يزخرفه. ولا يخفى ان هذا الزخرف يمكن ان يتتابع الى ما لا نهاية له في مخيّلة الناظر ، كما يمكن لمخيلة السامع ان تتابع نبرات « الصوت » السابق الذكر . وهو ما يرافق موافقة تامة تلك الروح الشرقية النازعة الى التأملات والاحلام .

بعض مبرات الفن الاسلامي

الهرب من الفراغ

ويجدر بنا الآن ان نشير الى ما ينتجه هذا المظهر من مبادئ اساسية وجهت أصول الجمال العامة في الزخرف الاسلامي ، فاصبحت قواعد لا يجسر الفنانون على تحويرها . من ذلك ان ما يؤثر بنا اولاً ، نحن اهل الغرب ، اذا ما تأملنا جدران البنايات المزخرفة ، كثرة التزاويق وتتابعها وازدحامها حتى لا تكاد تخلي مساحة عارية ؛ تؤثر فينا بوضوحها ، وبروزها ، وكثرتها ، وقوة الوانها واصباغها ؛ فنكاد نميل الى التحفظ في الاعجاب بها ، لما تنم عنه من رغبة الفنانين في استخدام كل ما لديهم من مساحة ، حتى كأنهم يهربون من الفضاء الفارغ . وان تكن جهودهم في ملء كل فراغ توليهم دقة عجيبة ، وكمالاً لا بأس به في اظهار التفاصيل ، والزخارف البسيطة ، والآثار الصغيرة الحجم . لا نرمي هنا الى النقد ، ولا الى القاء درس في الذوق الفني ؛ انما ندل على ان الآراء الاسلامية لا تتفق ، الا في ما ندر ، مع مبادئ الفن المدرسي العادي في مادة الزخرفة . ذلك ان وفرة التزاويق تظهر ، في نظر الفنان المسلم ، فرضاً لا مناص من اقامه ، بل تظهر من اخص خصائص ملكته الفنية . وهو لا يفتش ، في إظهار جمال هذه التزاويق ، عن ايجاد الفراغ بينها . بل انه يلجأ ، على الغالب ، الى زيادتها والتكثير منها ، فيعلق الزخارف بعضها ببعض حتى يغطي الواجهة بكاملها .

الزخرف المسطح

وميزة أخرى لهذا الفن تظهر بان الفنان المسلم ينصرف عادةً عن النقش والحفر الى التزويق السطحي الخالي من النتوء والبروز . فهو يميل الى تغطية المساحات ، في تأزير الحيطان ، بطائفة من الرسوم والالوان المتقابلة والمتتابعة الى ما لا نهاية له ، على حد ما نراه في تزاويق السجاد . ولم يلبث هذا الميل ان قوي ونشط مقاوماً بنجاح ما عُرف ، منذ القدم ، من طرق الزخرف النافر ، حتى تغلب عليه ، فغدا الزخرف المسطح بما فيه من الوان واصباغ من عناصر الفن

الاسلامي العامّة ، ايًّا كانت مادّة هذا الزخرف. وكان اهمّ هذه الموادّ الخزف القاشاني ، وقد اظهر فيه المسلمون مقدرة فائقة ؛ وذلك الملاط المُرَخَّم الذي بلغوا فيه مبلغاً عجيباً في استخدامه زخارف النقش والتنزيل.

وليس من شكّ في ان اجلى مظاهر الزخرف بلاد فارس ، وهي بلاد الآجرّ ، فاحتلّت الزخارف كل المساحات ، وارتقت رقيًّا بالغاً في غنى مادّتها وكمال مظهرها. وان من يدرس آثارها ، دون ان يتعمّق الى قواعدها الاساسية ، لا يلبث ان يتحقق وفرة الطرق المزجية والاساليب الفنية فيها ، ويمكن ان نردّها كلها الى ثلاثة اساليب عامة توافق تقريباً ثلاثة من عصور التاريخ.

يظهر الاسلوب الاول باستعمال الآجرّ المشوي، المستعمل نفسه مادّة للبناء، فيستخدمه المزخرف كما هو ، مؤلفاً من قطعه صورًا عادية ، هندسية الرسوم في اكثرها ، قليلة البروز ، يتخللها احياناً بعض قطع من الآجرّ المُنَزَّل . ثم يتّسع استعمال هذا الآجرّ المُنَزَّل فيولّد النقش بالخزف القاشاني . وطريقته ان يُقتطع في القاشاني المنزّل الموحّد اللون قطع يركّبها الفنّان على حدّ ما نرى في لوحات الزجاج الفوطية ، فيدخلها ضمن حدود رسمه في وزرة الجفصين او الملاط . ولا بدّ في هذا الزخرف من التضحية بكل بروز ونتوء . فلا يبقى الا تأثير الصورة بالوانها المتعدّدة. وبعد هذا نصل الى الاسلوب الثالث فيفقد النقش كل تفنّن ، وتُستبدل به قطع من الآجرّ مماثلة تجمع بينها وصلات متوازية ليس غير.

المصب في الزخرف

واذا جاز لنا ان نستنتج رأياً من هذه التفاصيل فهو ان طريقة العمل، او أسلوبه ، لم تؤثر أثرًا توجيهيًّا في اختيار الاشكال الزخرفية. بل بالعكس فان الزخرف السجّادي توسّع حتى استخدم موادّ لم يدفع لها في اول أمره. وهكذا يرى المطّلع احياناً على حجارة البناء المنحوتة رسوماً هندسية اوحتها الموافقة بين قطع الآجرّ، بل يرى آثارًا للزخارف النباتية قلّد بها الفنّان تزاويق الملاط المرخّم . فلا نتمالك العجب من هذا الخصب الزخرفي . وكأننا نطّلع على فكرة الفنّان المسلم الخفيّة فنرى انه يخجل اذا ما اهمل مكاناً صغيرًا دون تزويق . ولنأخذ

مثلاً القبب المصرية ، فان فيها القبب الملساء ، كما ان فيها القبب المضلعة اضلاع البطيخ ، وغيرها مغطاة بالزخارف المحددة الاطراف على نحو اسنان المنشار ، او بالتزاويق المتشابكة منقوشة نقشاً ناتئاً ، يعلوها احيانا صفائح كبيرة من القاشاني.

ولا شك في ان الاعجاب يأخذ مأخذه من متأمل احد جوامع القاهرة الراقية الى القرن الرابع عشر او الخامس عشر ، لما يبدو فيه من ترف في الزخارف والتزاويق.. هذا رتاجه الضخم بجنبته العميقة يتوجها عقد من خلايا النحل. وهذا صحنه وجدرانه مبلطة كلها بالرخام المتعدد الالوان ، تتقابل صفائحه في الحيطان احياناً مفصولاً بينها بالرسوم المتشابكة ، او بالكتابات المربعة الحروف منزلة كالفسيفساء. وهذه اقواس الاعمدة والابواب ترتكز على قواعد مزدوجة الالوان من عصائب حمراء وبيضاء ، او سوداء وبيضاء. على ان اقواس الابواب تلفت النظر خاصة . وهي تتألف من وصلات منكسرة او مكللة بالنقوش الزهرية ، كل ذلك من حجارة ملونة تتعاقب بالالوان المختلفة ، فيأتي اللون الفاقع في الغلق متغلغل الاطراف في اللون الباهت الظاهر به الغلق الثاني. ولكن هذا النقش سطحي أحدث بالصاق رقائق الحجارة. اما الاغلاق الحقيقية ، تحت ذلك النقش ، فمادية واقفة عمودياً بالنسبة الى حنية القوس . ونرى هذه الوصلات نفسها ، اوالاغلاق الزخرفية ، في اقواس الحنية الدالة على اتجاه القبلة ، وهي المدعوة بالمحراب. فيظهر فيها غنى الزخرف والنقش بالتلاعب في الشباك المنزلة بالفسيفساء المتعددة الالوان يفصلها احياناً ، في الاتجاه العمودي ، صف او صفان من الخلايا تحيط بها اعمدة صغيرة مفردة او مزدوجة . اما السقوف ، ووصلات الخشب الجامعة بين قواعد الاقواس ، وصفائح الخشب المغطية اعالي القبب ، فكلها مزدانة بالتصاوير الملونة بالاحمر والازرق والمذهب. واثاث الجامع الخشبي كالمنبر ، ومناضد القرآن ، والابواب ايضاً تتألف من صفائح صغيرة مرتبة على اشكال هندسية متعددة الاضلاع والرؤوس ، ظاهرة على شكل الكواكب. وقد يمزج العاج والعظم بالخشب في هذه المصنوعات . اما الابواب الكبيرة الفخمة فتكون على الغالب من قطعة واحدة ، الا انها تغلف بغطاء من البرونز

تظهر فيه الاشكال الهندسية نفسها.

مراجعة الموضوع نفسه

ولا يخفى ان هذا الخصب المدهش في الزخرف ظاهر بالجمع بين التراويق الصغيرة ، تراويق لا تتنوّع كثيراً اذا ما دققنا النظر فيها ، بل هي مجموعة من الصور النباتيـة تتشابك فيها الاغصان خاصةً وبعض الزهور ، وتتتابع هي نفسها ، على عصابة مبسوطة ؛ او مجموعة من الاشكال الهندسية تتصل وتتراجع على مساحة لا يحدّها حدّ مقرّر . هذا الاسلوب في الزخرف المستند خاصةً الى مراجعة الرسوم المتقابلة يجذب الانتباه كما يجذبه النغم الموسيقي الموحّد المردّد هو نفسه على طريقة « اللازمة » . وفوق ذلك نرى ان هذه التراكيب ترضي الطبيعة الشرقية المندفعة الى الاحلام ، بل الى اعمال الخيال في متابعة زخرف ظهر محدوداً بحدود المساحة المزخرَفة . ولما كان هذا الاسلوب مستدياً يبدو ، هو نفسه تقريباً ، في جميع آثار الفنّ الاسلامي ، وجب علينا ان نستخرج منه قانوناً عامـاً فنتحقق ان الشرقي ينعم بلذّة فائقة اذا ما سمع او رأى الموضوع نفسه يتردّد الى ما لا نهاية له. التهرّب من الفراغ ، ومراجعة الموضوع الواحد، هما المبدءان العامّان اللذان قادا فنّاني المسلمين طول القرون الوسطى . فعلينا ، اذا ما اردنا ان نتذوّق آثارهم الفنية ، ألا يسهو بالنا لمحة عن هذين المبدءين .

عناصر الزخرف الاسلامي

ثمّ ان درسنا لمظاهر الزخرف الاسلامي يضطرّنا الى ردّ هذه المظاهر جميعها الى ثلاثة عناصر مهمة : لوحات الزخرف النباتي ، والشباك الهندسية ، والتفنّن الخطّي .

الزخرف النباتي

اما المستوحيات النباتية في الفنّ الاسلامي ، فتطلعنا على ان الفنانين ابتعدوا كثيراً عن الطبيعة في استيحائهم . فظهرت زخارفهم النباتية، في اكثر الاحيان، مجرّدة كل التجريد حتى لم يبقَ من الجذع والورقة الا خطوط للرسم المتتابع ، وتكاد لا تفرق في شيء عن موادّ الزخرف الهندسي المستند الى الخطوط

المنحنية . واذا اضفنا الى هذا الامر ميل الفنّان المسلم الى التناظر والتقابل ، ادركنا كيف توصّل هـذا الفنّان الى تشويه الطبيعة ، لا في تحريف العناصر النباتية في تصويره فقط ، بل في ترتيب هذه العناصر في الصورة الاجمالية. واذاً فهو ينوّع هـذه الرسوم المنحرفة في الاصل عن الاوراق والازهار ، فيخضعها لاسلوبه في التزويق ، ويخرج منهـا تركيبات واشتباكات على قسطٍ وافر من الابتكار. ولا يندر ان تتحوّل الاغصان الى دوائر متلّسة تحيط بورقة او بعدّة من اوراق النبـات. ثم يدقق في حروفها ويحدّدها حتى يوجّهها الى الجهات التي يقصدها في تصميمه الهندسي . وهكذا يستوحي الفنّان المسلم من الطبيعة ، لا ليصوّر هذه الطبيعة بمظاهرهـا ، بل ليستخرج منها عناصر تفيده في اسلوبه الهندسي في الزخرف والتزويق . بيد ان هـذه الرسوم النباتية بجناياها النحيفة واشتباكاتها الدقيقة تبدو على نصيب من سعة التصوّر ورفعة الاخراج جـدير بالاعجاب. ولا بدّ لنا هنا من جولة قصيرة في مجال الادب العربي. فنرى ان آثار هذا الادب ، سواء أكانت من الشعر او من النوع القصصي ، تطلعنـا خاصةً على مثالات محـدّدة للاشخاص لا على شخصيات فردية لها حيويّتها الخاصة . نرى فيها مثال «الامير» ، او مثال «الطفيلي» ، او مثال «المحتال الشحّاذ» دون ان نجتلي شخصياتهم ، كما اننا نرى في الفنّ الزخرفي النباتي رسوماً رمزيّة تمثّل معاً مظاهر الجذع والورقة والزهرة. هي النزعة الاصيلة الى التجريد والرمز تشترك بين الكتّاب والفنّانين.

الزخرف الهندسي

ان تكن هـذه الموضوعات النباتية ، بما تحويه من حنايا متآلفة متتابعة ، تظهر راميـةً الى شيء من الحركة ، فان الزخرف الهندسي يردّنا حتماً الى السكون والاستقرار . وفي هذا المجال المستقرّ الساكن يعبّر الفنّان المسلم عن رغبته في التشعيب والتعقيد . لم يبتكر الاسلام الاسلوب الهندسي في الزخرفة ، ولكنه حسّن فيه ونوّع ، ونشره في جميع المناطق الاسلامية. وكان همه الدائم ان يفتّش عن قالب جديد يتولّد من اشتباكات قواطع الزوايا او من مزاوجة الاشكال الهندسية.

وكان من اقدم العناصر الزخرفية ، واوفرها إثارة للاعجاب ، الكوكب المخمس الاطراف المدعو عادةً بخاتم سليمان . على اننا نرى الى جنبه مختلف الاشكال من ازدواجات الجدائل والعقد، الى اللوالب، والدواليب، والعصائب، الى طنوف القناطر البارزة على شكل اسنان المنشار ، الى الخلايا المستطيلة الخطوط المتشعبة الاضلاع . واكثرها جاذبيةً لانتباه الفنّان وعلوقاً بقلبه تلك التراكيب الهندسية التي تكثر فيها الاشكال المضلعة ، ولاسيما تلك الظاهرة على شكل الكواكب نراها تتعدّد في جميع مظاهر الفنّ الاسلامي ، فتحتلّ ، في مصر مثلاً ، زخارف السقوف، والابواب ، والجدران ، والمحاريب، والمنابر، والدُمى ، وتزاويق مخطوطات القرآن.

الزخرف الخطّي

بقي ان نشير الى الدور الذي يمثّله الخطّ في الزخرف الاسلامي. من الواضح ان للكتابة المرقومة غايتها اذا ما دلّت على اسم مؤسس الاثر او صاحبه ، او اذا ذكرت تاريخ البناء او العمل ، او اذا نقلت بعض الآيات القرآنية . فنقول ان الزخرف الخطّي ، في هذه الحالة ، غائيّ يضيف الى مجد الامراء حمدَ الله تعالى . ويظهر راجحاً في نظرنا ان الرقم التاريخية التي نقرأها على الآثار البنائية تمتّ بصلة قوية الى اصل سحري ينمّ عن الاعتقاد بقوات لابشرية ؛ نستدلّ على هذا بكثرة التحميدات ، والادعية المغدقة على مؤسس الاثر ، وبكثرة النعوت الصالحة الرامية الى استدعاء البركات واستمطار النعم والرحمات . ويجب ان نذكر انه ، في بعض الآثار ، كالقلاع والحصون خاصة ، كان الامراء يأمرون بحفر اسمائهم دلالةً على احتلالهم القلعة او الحصن ليس غير . اما ما نتحققه من إنزال اسم مكان آخر احياناً فقد يدلّ لا على تبجح فارغ، بل على غاية دينية في التقرّب من الله واستنزال نعمه.

وان ابرز الصفات في هذا المظهر للزخرف الاسلامي ، مظهر الخط ، هي الرشاقة وتساوق الاجزاء الى ألفة المجموع ألفة معجبة . وقد ادرك الفنّانون ، منذ القرون الاولى ، ما تكنه الابجدية العربية من موافقة عجيبة لمظاهر الفنّ، وما يمكنهم استخراجه من مرونة وجلال بواسطة حنايا الحروف المنعقدة حلقات ،

وسوقها البارزة عمودية . ولنشر اشارة سريعة الى أن هذا النوع من الزخرف الخطي عُرف سابقاً في الامبراطورية البيزنطية ، وعند الايطاليين على اول عهدهم بالفنّ . ولا يخفى ان الخط العربي على نوعين اصليين : الكوفي ، منسوباً الى مدينة الكوفة ؛ والنسخي ، وهو الخط العادي . اما الكوفي فيمتاز بزواياه القائمة ، فهو خطّ مقصود فيه التفنّن . واما النسخي فخط عادي نشأ لا يتقيّد بمظهر محدّد . بدا الخط الكوفي اولاً على مظهر بسيط ، محفوراً ، إما حفراً عميقاً ضئيلاً ، وإما حفراً ناتئاً ضخم الحروف قصيرها . ثم اتصلت به الرشاقة ، فطالت سوق حروفه العمودية ، وازدانت حنايا غيرها ، ولاسيما في اواخر الكلمات ، بالزخارف النباتية المتفرّعة المتشابكة على اشكال تأخذ بجلالها واناقتها اعين المتأملين حتى ممن لا يفقهون من قراءتها شيئاً . وقد كان هذا الزخرف النباتي ، في اول امره ، امتداداً لاواخر الحروف يوافقها في المظهر الاجمالي ، وفي الطول والسماكة . حتى كان آخر القرن العاشر فبدأ النحّاتون بابتكار جديد : رأوا ان يخرجوا الجذوع النباتية من جسم الحرف وكأنها تخرج من اناء ، فتتشعّب الى مشاهد زهرية ادقّ والطف . ثم خطا الفنّانون خطوةً أخرى عندما رتّبوا مشهدهم على سطحين متتابعين ، فظهرت الحروف الضخمة القوية منقوشة نقشاً وافر البروز على ارضيّة نحيفة دقيقة من اوراق الزهر والاغصان المتشابكة . ولم يأتِ آخر القرن الثاني عشر حتى حلّ الخط النسخي محل الكوفي في شواهد القبور ، والرقم التاريخية . فكان ذلك اثراً من آثار الحركة الرجعية التي قام بها السنّيون لتعفية آثار عقائد الفاطميين الشيعية . وقد كانت حركةً قوية عملت عملاً بليغاً في قلب المؤسسات والعادات ، وتحوير الطرق البنائية نفسها ، ولم ينجُ منها شيء من الدقائق والتفاصيل مما قد يمكن ان يذكّر باضاليل الماضي . . . على ان الفنّانين لم يلبثوا ان ادركوا ان الخط الكوفي المزدان بالرسوم النباتية او « الكوفي المزهر » ادعى الى الزخرف الفنيّ واقرب الى ذوق الجمال من الخط المنحني ؛ فاحتفظوا به ، وقد طُرد رسمياً من مجال الرقم التاريخية ، في نقل الآيات الدينية والادعية وما اليها مما لم يكن له الا اثر زخرفي محض .

هـذه بالاختصار اهم ما رأيناه جـديرًا بالذكر من ميزات الفنّ الاسلامي العامّة .

***

بقي علينا ان نردّ على قول يتناقله الناس عادةً ،فينتقدون به عدم الابتكار في الفنّ الاسلامي .

للروائي المشهور جول رومَن (Jules Romains) كتاب في « ذوي النية الصالحة » (*Les hommes de bonne volonté*) يعرض فيه لتحليل ما يتصوّره كل منا ، في اعماق سرّه ، عن العالم الخارجي - فيرى ان هذه الفكرة الشخصية ، توافق ، من غير شك ، طبعَنا الخـاصّ ، على انها تتأثر بما قاسيناه من ضروب التهذيب والتعليم ، فهي مدينة ، الى حدّ ما ، لما سمعناه وحفظناه من الاحكام والقوالب الرسمية . يفضّل الروائي كلّ ما تقدّم ، ويختم بهذا التشبيه : « ان ذاك الاسلوب الخفي يشبه القصور العربية ، وفي صحنها اعمـدة اليرفير مأخوذة من الهياكل الرومانية ، كما ان الصحن نفسه مستوحى من تخطيط البيت القديم » .

ولقد توفق الكاتب ، في فكرته هـذه المطابقة تماماً حقيقة الحال ، الى وضع المشكل موضع الوضوح التام . وهكذا نرى جامع القيروان يبدو بمظهر « غابة حقيقيـة من الاعمدة ذات التيجان القديمة ، مأخوذة من كل صوب » . كما اننا نجد في قصر الزهراء ، قرب قرطبة « اعمدة مستعارة من بنايات آسية الصغرى ، وايطالية ، بل من احدى كنائس صفاقس ؛ واحواضاً من الرخـام محمولة من اورشليم . » وهذا جامع قرطبة يتحقق فيه المتأمل « استعمال المواد والطرق القديمة في التجهيز والتركيب ، ونقل الاعمدة والتيجان من البنـايات السابقة . » بيد ان كلّ هذه الاستعارات لا تنفي ان للفنّ الاسلامي غايـة خاصّة فالبنايات الثلاث التي ذكرناها تدلّ ، في مجمـل مظهرها ، على ميزات مشتركة . وان الاثرين الدينيّين ، مهما يكن مبلغ المآخذ الغريبة واهميتها فيهما ، لا يعدوان كونهما جامعَين أقيما في سبيل تأدية الصلاة الاسلامية . وهو امر ثابت واضح حتى ان جامع قرطبة ، على رغم ما زيد فيه من خورس ، ومن مذبح وسط سوقه الاهم ، محوّلًا الى معبـد مسيحي ، « لا يزال يُدعى حتى اليوم

« مسكويتا » من « مسجد ».

لقد ورث العالم الاسلامي عن بيزنطية ، وعن بلاد فارس الساسانية ، ذوق الجمال . فاستنار به تقليداً اصيلاً ، واخرجه ممتزجاً بالنزعات الاقليمية ، والفنون الخاصة ، محوّلاً كل ذلك الى ما يوافق نزعته وغايته . وقد حاولتُ ان اعرض هذه المبادئ العامة الرامية الى المثل الاعلى للجمال في الفنّ الاسلامي . ويجب ألا ننسى ، الى جنب هذا، ان للفنّ مهمةً رسمية ، في تاريخ التمدن الاسلامي . فهو مكلّف التعبير عن قوّة صاحب السلطان وجلاله . ولقد قام الفنّ بهذه المهمّة منذ اول مظاهره ، عهدَ لم يكن قد تخلّص بعد من القوالب البيزنطية . ومن اعظم الشواهد على هذا جامع دمشق ، وجامع اورشليم . وما آثار الفسيفساء التي نراها في جامع دمشق مثلاً ، وكلها من عمل الفنّانين البيزنطيين ، الا ادلّة واضحة على عظمة الاسلام وسيادة الدولة الاموية . وهكذا فقد نتج ميل خاص في المسلمين الى الفنون الترفية ، ولا سيما تلك التي تدهش الناظرين بفخامة موادّها وغلاء اسعارها . . .

واننا بفضل هذه الملاحظة ندرك ما قد يحار فيه المطّلع لاول وهلة ، وهو كون الفنّ الاسلامي يبدو غفلاً لانعرف فيه اسم فنّان ولا صفة صانع ذلك ان غايته الاساسية ، كما قدّمنا ، اظهار عظمة الامراء . سواء في ذلك البنايات الفخمة ، او آثار الرياش الثمينة ، وعلى اكثرها الكتابات الصارخة باسماء اصحابها من الامراء والسلاطين . اما الفنّانون فقد كان بعضهم من الموالي ، وكثير منهم من غير المسلمين . ولكنهم جميعاً — الا افراداً قلائل — فضّلوا كتم اسمائهم ، فتركوا آثارهم غفلاً لا تدلّ على شخصية ، ولا تشير إلا الى العصر الذي أُخرجت فيه .

وهناك صفة أُخرى لتلك الآثار هي تقيدها الظاهر بشيء من الضوابط والتحفظات تمنع عنها الحرية والانطلاق في جوّ السرور والانبساط . نحسّ فيها ارادةً قوية للزخرف وجهداً متواصلاً يجاوز الحدّ في الظهور ، وكأنه يشير الى الاوامر التي تلقّاها الفنّان كي يعمل عمله ، فقام بتنفيذها . نحسّ كلّ هذا لاننا تعوّدنا التدقيق في الدرس ، وتحليل تأثيراتنا وانطباعاتنا . ولكن لنترك هذه التحليلات الدقيقة ، ولنندفع وراء ما يثيره فينا الاثر الفني الاسلامي من احلام

لذيذة في كآبتها ؛ فتتحوّل تلك القواعد القاسية الصارمة في الزخرف الاسلامي، واذا بتلك الخطوط المضبوطة، وتلك الرسوم المكتوبة ضمن الاشكال الهندسية تنتعش شيئاً فشيئاً فتبدو الاوراق والزهرات وكأنها وليدة مخيّلة تهيم في مجال الفنّ على غير قيد ولا شرط.

ويحسن بنا اخيراً ان ننفي الشبه بين الفنّ الاسلامي والفن الابتدائي ، او ذاك الفنّ الذي يظهر لدى الشعوب الاولية القديمة، اول عهدها باللذة الفنية. من الحق ان الفنّ الاسلامي يشارك الفنّ الابتدائي في كره الفراغ والميل الى تعدّد الالوان الفاقعة . ولكنه يفترق عنه بكون الفنّ الاسلامي بعيداً عن المظاهر الغريزية . فالاصل في زخرفه التدقيق الترفي الارستقراطي .

ثم اننا لا نجد في الفنّ الاسلامي تلك الحياة القوية النشيطة التي تمثل ، في نظرنا، ميزات الفنون الغربية . انما هناك في الآثار الاسلامية مظاهر الصرامة والضبط والتجريد . تبدو احياناً على شيء من اللطف والنحافة ، ولكنها تتصف دائماً بالجلال الرشيق ، سواء في ذلك تصاوير الجدران وزخارف الملاط المرخّم ، والقاشاني ، ونقوش الخشب المحفور ، وتزاويق المخطوطات . ليس في الفنّ الاسلامي شيء من دواعي التأثر والانفعال . انما في ضبطه الخفي السرّي ومظاهر مهارته الحاذقة ما يدعو الى الاعجاب بالغنى وحسن التناسب . « ففي هذا الفنّ ، الغريب عن الفنّ المدرسي العادي ، كل مظهر يلتحف بالاحلام والاسرار . فتظهر فيه المخيّلة على اتمّ ما يمكن من السيطرة والاستبداد تحوّر وتبدلّ في العالم الحيّ، بل تكيّفه كما تشاء . حتى ان الكائنات الحيّة نفسها تنتهي متحولّة الى خطوط متشابكة . » من الحق ان الفنّان المسلم لم يتصل ، في غالب حالاته ، بالطبيعة الحيّة ؛ ولكن من الحقّ كذلك انه خالق ألفة نسبية ، وطريقة في التناظر والتقابل ، لا تجاريان .

الملكيون

بطاركتهم الانطاكية، ولغتهم الوطنية والطقسية

بقلم الخوري اسحق ارملة السرياني

القسم الثاني

لغتهم الوطنية والطقسية

اولاً: لغة الملكيين الوطنية

أجمع ثقات المؤرخين واللغويين، شرقيين وغربيين، على ان الآرامية السريانية التي تفرّد بها بنو آرام، خامس ابناء نوح[1]، كانت لغة اهالي ما بين النهرين[2] وسورية[3] عامةً. ثم اصبحت اللغة الرسمية في دولتي آثور وبابل، بعد اضمحلال لغتهما الاكادية الاصلية[4]، ولغة الدولة الفارسية منذ عهد ارطحشت[5]، ولغة اليهود الدارجة في فلسطين[6] بعد الجلاء البابلي، اعني منذ القرن السادس قبل التاريخ المسيحي. وقد عرفها المصريون ايضاً كما برهنت المدارج الآرامية المكتشفة في اسوان[7]. ولم يجهلها العرب انفسهم[8].

وقرّر اولئك الكتبة الأعلام ان دانيال النبي كتب سِفره بالآرامية حتى الاصحاح السابع. وبهذه اللغة الجليلة اثبت العبارة التي كتبتها يدٌ خفية على جدار قصر بلطشّر، وهي مدمل. مدمل. اصلا ومنهم: منا. منا. تقل

---

١) تكوين ١٠: ٢٢

٢) تك ١٥: ٢، و٣٤: ١٠، و٢٨: ٥، و٣١: ٢٠ – ٢٤ – ٤٧

٣) ٤ ملوك ١٦: ٦

٤) ٤ ملوك ١٨: ٢٦، ودانيال ٢: ٤، و٥: ٢٥

٥) عزرا ٤: ٧

٦) عزرا ٧: ١١ – ٢٦

٧) المشرق ١٠ [١٩٠٧] ٦٧٢، فقد صرّح بان الآرامية كانت لغة ديوان الدولة المصرية.

٨) الاب لامنس في المشرق ٣٠ [١٩٣٢] ١٨٤

وفرسين (دانيال ٥ : ٢٥) . ونهج نهجه عزرا الكاتب اليهودي فكتب بالآرامية سفره ، منذ الآية الثامنة من الاصحاح الرابع حتى الآية ٢٧ من الاصحاح السابع . وبهذه اللغة الشريفة تكلّم السيد المسيح ، عزّ شأنه ، هو ووالدته ، ورسله[1] . وظلّت الآرامية دارجة في اورشليم حتى القرن الرابع[2] للتاريخ المسيحي.

اما اليونانية فقالوا انها غدت اللغة الرسمية في الدولة اليونانية الشرقية، منذ عهد الاسكندر الكبير († ٣٢٣ ق.م.) ، الذي استحضر الى البلاد التي دوّخها جاليةً يونانية متفقّهة باصناف العلوم ، وفوّض اليها ان تدرّس تلك اللغة الجليلة ، وتذيعها ، خصوصاً في انطاكية وبيروت ودمشق والرها ، ما بين الطبقة الراقية. وهذا ما حمل الكتبة الاوّلين ، وفي مقدّمتهم آباءنا الرسل ، ان يكتبوا باليونانية اسفار الاناجيل والرسائل وسائر مصنفاتهم كبولس الرسول[3] ، ولوقا الانجيلي الطبيب الانطاكي النحلة[4] ، ثم يوسيفوس اليهودي الذي كتب في اليونانية والسريانية[5] ، وعدد عديد من الآباء ، مع ان لغتهم الوطنية كانت الآرامية. يدل على ذلك ابقاؤهم في نص نقولهم اليونانية[6] الفاظاً وتعابير

---

١) كتب اوسابيوس في مؤلفه (ܬܐܘܪܝܐ ܕܐܠܗܐ = الظهور الالهي)، الذي فُقد اصله اليوناني وحُفظ نقله السرياني : ان السيد المسيح اصطفى « رجالا جليليين لا يعرفون الا السريانية لانها ܠܫܢܐ ܕܐܝܬ ܠܗ ܟܠ ܚܕ ܡܢܗܘܢ ܕܢܗܘܐ ܠܗ ܫܘܠܛܢܐ ». مخطوط لندن ١٢١٥٠ المنسوخ في السنة ٤١١ م.

٢) اثبتت مؤلفة كتاب « حجّ الاراضي المقدسة » : « ان في فلسطين في القرن الرابع قوماً يحسنون اليونانية والسريانية ، وقوماً يحسنون اليونانية فقط ، وقوماً يحسنون السريانية فقط. » (الليترجيات لسيد البطريرك رحماني ١٦٠ ؛ والمشرق ٣[١٩٠١] ١٠٨٥)

٣) اعمال الرسل ٢٢ : ٢

٤) اوسابيوس ٣ : ٤ ، والمشرق ٣٠ [١٩٣٢] ١٢٧

٥) اوسابيوس ٣ : ٩

٦) مما يدل على نبوغ السريان واماتهم في النقل من اليونانية الى السريانية ابقاؤهم ، في نصوص العهد الجديد، الفاظاً يونانية متعلقة بدوائر الحكومة كانت دارجة في ذلك الزمان نحو ܣܛܪܛܝܘܢ فرقة ، ܣܛܪܛܝܘܛܐ جندي ، ܩܣܪܝܐ حاكم ، ܩܢܛܘܪܝܘܢ قائد مائة ، ܩܛܝܢܐ امير ، ܩܛܝܢܘܬܐ دار الولاية الخ.

سريانية. نذكر منها : برابا ، برطيا ، بريونا ، برنابا ، برسابا ، رابي ، رابوني ، كيفا ، مارتا ، شاول ، شفيرا ، شيلا ، طابيثا الخ . ومنها : حقل دما ، بيت صيدا ، بيت حسدا ، كفر ناحوم ، دلمانوثا . ومنها : اوشعنا ، افتح ، طليثا قومي ، إيلي إيلي لما شبقتاني ، ماران أتا الخ . على ان آباءنا الرسل والكتبة من بعدهم لم يكتبوا باليونانية ما كتبوا الا للقرّاء والعلماء . اما العامّة ، وهم الاغلبية الساحقة ، فكانوا يبلّغونهم الكرازة المنزّلة والتعاليم المسيحية باللغة الوطنية ، اعني الآرامية السريانية .

ومما لا اشكال في صحته ان الآرامية والسريانية لفظتان مترادفتان وان تعدّدت لهجاتها . وان لفظ سوري او سرياني اصبح غالباً ، بعد عهد الانجيل ، نائباً مناب الآرامي[1] . وقد عُرف لفظ سوري بمعنى سورية منذ عهد نبوكد نصّر (٦٠٥ — ٥٦١ ق. م.)[2] . ثم اثبته الكتاب المقدس[3] مراراً بالالف هكذا (ܣܘܪܝܐ سوريا) . ونقله العرب عن السريان لا عن اليونان فقالوا « سوريا » ، ولم يكتبوا سيريا او اثوريا او اشوريا او صوريا كأنه منسوب الى سيري او آثور او اشور او صور، كما ادّعى فريق من المستشرقين وفي مقدّمتهم رينان الفرنسي .

وقولنا ان الآرامي مرادف للفظ سوريّ او سريانيّ يؤيده ما ورد عن نعمان ، رئيس جيش ملك آرام[4] ، فقد ترجمه النقلة بلفظ سوري او سرياني او نباطي[5] او شامي . زد عليه ان ترجمة الكتاب المقدس السريانية ، المشهورة بعنوان (ܦܫܝܛܬܐ صورة الكتاب) التي يرتقي عهد كتابتها الى القرن الثاني ، ثم أطلق عليها بعد القرن الثامن لفظ (ܣܘܪܝܝܐ البسيطة) ، قد جعلت

١) اوسابيوس في كلامه عن برديصان الرهاوي (٤ : ٣٠) .
٢) ورد في سفر يهوديت ١ : ٣ ܣܘܪܝܐ وسُوريّ سكّان سوريّ اعني سوريا .
٣) متا ٣ : ١٣ ، و٧ : ٢٩ ، و١٠ : ٦٩ ، و٢ متا ٣ : ٨ ، و٤ : ٤ الخ
٤) ٤ ملو ٥ ؛ ولو ٤ : ٢٧
٥) النبط قوم كانوا يتزلون بين العراقين ، وكانت الآرامية السريانية لغتهم الوطنية . وقد اثبت مترجم انجيل الدياطسرون لفظ نباطي بدلا من الآرامي السرياني (طبع الاب مرمرجي ١٦٨) .

اسم «آرامي» عاماً شاملاً لجميع الامم غير اليهودية[1] ، كما ان الترجمتين اليونانية واللاتينية جعلتا بدلاً منه اسم «يوناني» . غير انه ، على حاول السرياني محل الارامي ، فقد ظلّ فريق صالح من كتبة السريان وغيرهم يستعملون لفظ الآرامي بدلاً من السرياني الى هذا العهد[2] .

يستخلص مما سبق ان الشعوب الآرامية قاطبة ، سواء اكانوا في بلاد ما بين النهرين ام في سورية ام آثور وبابل وغيرها ، أهملوا ، منذ تنصّرهم ، اسمهم الآرامي القديم ، واستأثروا باسم السوري او السرياني[3] . ذلك لانهم ، على ما قرّره المدققون ، انضموا الى الايمان المسيحي على يد آبائنا الرسل الذين واقوهم من فلسطين وسورية ، وبلّغوهم الكرازة المسيحية باللغة السورية السريانية . ويؤيد ذيوع السريانية وسيرورتها في سورية خصوصاً ثلاث حجج دامغات خالدات لا تقبل تأويلاً ، وهي :

الحجة الاولى الخالدة : اسماء القرى الباقية لهذا العهد في لبنان ، وضواحي دمشق ، وحلب ، وانطاكية عينها . ولما كان العلّامة المدقق السيد اقليميس يوسف داود قد اشبع الكلام في كتابيه « القصارى » ، و « النحو » ، عن قرى لبنان ودمشق ، فقد اكتفينا لتفنيد زعم من ادّعى بان الملكيين ليسوا متسلسلين من عنصر سرياني ، او ليسوا سريانًا لغةً وطقساً ، او ان اهالي انطاكية خصوصاً لم يكونوا يتكلّمون بالسريانية ، أن نُثبت اسماء بعض القرى الباقية آثارها الى هذا اليوم في ضواحي انطاكية نفسها[4] ، وهي اسماء

---

١) اعمال ١٩ : ١٠ ، و٢٠ : ٢ ؛ وروم ١ : ١٦ ، و٣ : ٩ ، و١٠ : ٢ ؛ و١ قور ١ : ٢٢ – ٢٤

٢) مبسر يعقوب السروجي في تقريظ مار افرام . وابن العبري في كتاب اللمع وغيرها .

٣) من الغريب ان نون النسبة المختصة باللغة السريانية ، والدخيلة في العربية ، لم يثبتها السريان في اسمهم هذا ، بل قالوا سموهما بالياء ، ولم يقولوا سموهما بالنون . ومن المعلوم ان النون في قول العرب : برّاني ، جوّاني ، روحاني ، نصراني ، رهباني الخ . شاذة عن قواعد الصرف العربية . فهي منقولة عن السريانية ، بلا ريب .

٤) نقلنا الاسماء التالية عن كتاب « نهر الذهب في تاريخ حلب » لكامل الغزي .

سريانية بحتة . منها : كفر رمّان ، كفر بيل[1] ، كفر عويد ، كفر طاب ، كفر ياسين الخ . باسكان الكاف طبقاً للوضع السرياني . ومنها : معر ماتر ، معر زيتا ، معر شمشا الخ . باسكان الميم . ومنها قرى في ضواحي جبل سمعان بجوار انطاكية نحو : جبرين ، ديرنتا ، تل نصيبين ، دير صليب ، تل جبين ، زمّار ، مريتين ، كفر حمرا ، كفر توثا الخ . ومنها قرى في قضاء حارم ، بين حلب وانطاكية ، نحو : كفر حانا ، كفر مو ، عيريثا ، باريثا ، سرمدا[2] ، طورلاها[3] ، قرقنيا ، تومانين ، تل عدا[4] ، تل عقبرين ، عينداباب[5] الخ . ومن ذلك ايضاً اسماء ١٢٤ ديراً في سورية الجنوبية اثبتها مخطوط لندن ١٤٦٠٢ السرياني ، وعدّد اسماء رؤسائها واحداً فواحداً . وذكر انهم اجتمعوا ، عام ٥٦٧ م ، في دير مار بسّ بانطاكية ، فأمضى ١٠٦ رؤساء اسماءهم بالسريانية ، و١٨ رئيساً فقط وقعوا اسماءهم باليونانية .

ومما يستحق الذكر ان اليونان ، على ما افرغوه من الهمّة في ترويج لغتهم ، ومعّا اطلقوه من الاسماء اليونانية على بعض المدن السورية كانطاكية وطرابلس واللاذقية وغيرها ، فقد بقي من هذا القبيل عدّة مدن ظلّت الى هذا اليوم معروفة باسمائها السريانية الاصلية وكادت تضيع او ضاعت اسماؤها اليونانية الدخيلة . حتى اننا لو شئنا الآن ان نحزر اسماءها اليونانية لزمنا ان نراجع لاجلها معاجم اعجمية غريبة .[6]

---

١) ورد في مخطوط لندن ١٧ السرياني اسم دير مار دانيال في كفريل بكورة انطاكية .

٢) سرمدا : قرية قريبة من تومانين فيها ستة اعمدة زمر تُعرف باعمدة سرمدا . وكان فيها للسريان دير على اسم اسطفانا (مخطوط لندن ٧٥٤) وكنيسة شادها ايليا بطريركهم (٧٠٩ — ٧٢٣) .

٣) طورلاها : قرب دير صلبا قيلتا ، بكورة انطاكية (مخطوط لندن ٦٣٦) .

٤) تل عدا : كان في تلّ عدا دير للسريان عُرف بالدير الكبير (مخطوط لندن ٧٥١) تخرّج فيه عدد صالح من الكتبة المشاهير .

٥) وطن يعقوب الرهاوي (ت ٧٠٨) المشهور .

٦) ان اليونان سمّوا بطلك هليوبوليس ، وبيروت دربي ، وجبيل بيبلوس ، وتدمر بلميرا ، وحلب بيروا ، وعكا بطولمايس ، ومنبج ايروفليس ، والرها ادسّا ، والرصافة

الحجة الثانية الخالدة هي : اللهجة العامية[1] المتغلّبة حتى اليوم ، والراسخة في ألسنة السوريين قاطبةً مسيحيين وغير مسيحيين . ذلك كله على رغم ما افرغه العرب من الجهد والضغط في تعميم لغتهم وتجويد التلفّظ بها . نذكر من ذلك :

١ً : اسكانهم آخر الفعل الماضي اعتباطاً في الغائب والمخاطب والمتكلم، طبقاً للوضع السرياني نحو : قامْ وقعدْ ، باعْ وربحْ . ثم :عملتْ كتير ، كتبتْ كما كتبْ لك ، ضربْني المعلّم ، درستْ درسي الخ.

٢ً : اسكان كاف المخاطب والمخاطبة في الوقف نحو : حبّكْ وحبّيكْ ، علّمكْ وعلّيكْ ، قابلكْ وقابليكْ الخ . وقس عليه : عليكْ ، منكْ ، فيكْ الخ.

٣ً : اسكان الهاء والكاف في الفعل المتعدّي كقولهم : اشتريتُكْلُهْ ، علّمناكْ امثولتكْ ، رأيناكْ بعينا الخ.

٤ً : اسكان اول الماضي والامر والنهي خصوصاً في وزني تفعّل وتفاعل مذكّرًا ومؤنثاً نحو : تْقدّم، تْقرّب ، تْساهل ، تْقدّمي ، تْقرّبي ، تْساهلي ، لا تْجادل ، لا تْجادلي الخ.

٥ً : اسكان اول المضارع خصوصاً في الفعل الاجوف نحو : يْصير ، يْقول ، ، ما يْدوم ، ما يْقوم ، حتى نْشوف الخ.

٦ً : اسكان اول اسم الفاعل والمفعول من وزن فعّل وفاعل مذكّرًا ومؤنثاً نحو : مْخلّص ، مْعلّم ، مْعظّم ، مْبارك، مْساعِد ، مْكرّمه ، مْباركه الخ.

٧ً : اسكان هاء الغائب في الوقف وغيره نحو : نعمتُهْ تكفيك ، صلاتُهْ معك ، سيادتُهْ تكلّم ، حضرتُهْ خطبْ الخ.

٨ً : لفظ التاء المربوطة مثل ة الفرنجية او الكسر السرياني نحو : رَحمةْ ، نعمةْ ، بطركيّةْ ، طوباويّةْ الخ ، فتُلفظ rahmé الخ.

٩ً : لفظ الضمّ العربي كالضم السرياني او مثل o الفرنجي نحو : هُم ،

سرجيوبوليس ، والرقّة قلنيقوس ولاطيوفوليس، وراس العين ثاودوسيوبوليس، وميافرقين مرتيروبوليس ، وتل موزل انطيفوليس الخ . ومع هذا فقلّ من استعمل اسماءها اليونانية .

(١) النصارى للسيد اقليميس يوسف داود (١٧–٢٥) .

منهُم ، لكُم ، عنكُم الخ. فتُلفظ hom بدلاً من houm الخ.

١٠ : لفظ الكسر ايضاً في قولهم : فيهم ، عليهم ، من اجلهم الخ . فيلفظونها fihêm بدلاً من fihim الخ.

١١ : الابتداء بالساكن في قولهم : تدوم بخير ، صغير ، كبير ، مليح ، كبار ، صغار . وقس عليه اسكان باء الجرّ نحو : بعينهْ ، بغرش ، بخمسين بارة ، براس مالهْ .

١٢ : اسكان ثاني المتحرّكين نحو : كِلِمهْ ، حطبهْ ، خشبهْ ، قضيهْ الخ فتُلفظ kilmé كالوضع السرياني الخ.

١٣ : قلب الميم نوناً في الغائبين والمخاطبين نحو : ابوهم ، كتابكم ، فيلفظونها : ابوهن ، كتابكن الخ.

١٤ : استعمال ضمير العاقل لغير العاقل خصوصاً في المكاتيب التجارية كقولهم : « قرَينا مكاتيبكم كلّهم ، والبضايع الذين طلبناهم وصلوا سالمين ، والصناديق وجدناهم مفتوحين » . وقس عليه اثبات الفعل مجموعاً جمعاً مذكرًا قبل فاعله المجموع سواء أكان الفاعل عاقلاً ام غير عاقل نحو : « قالوا الاباء القديسون . وقرّروا المجامع المسكونية » الخ.

١٥ : اللفظ ساكنين في قولهم : خالتك ، عمّتك ، عِلّتك ، حكايتك الخ.

١٦ : لفظ العدد المركّب كالسريان نحو : تلتعشر ، اربتعشر ، سبتعشر ، تسعشر ، باخفاء العين في اربعة وسبعة وتسعة الخ.

١٧ . لفظ العقود بالجرّ او النصب دائماً كالسريان نحو : عشرين ، ثلاثين ، تسعين الخ . لا : عشرون ، ثلاثون ، تسعون الخ.

١٨ : لفظ تنوين الرفع والجرّ كاللفظ السرياني نحو : اكلٌ ، شربٍ ، خيرٌ ، شرٌ . فيلفظونها aklon ، chirben بدلاً من akloun ، chirbin الخ.

١٩ : عدّة اسماء مصدرية موزونة وزناً سريانياً لا اثر له في العربية الفصحى نحو : معموديّة ، مسؤوليّة ، مشروطيّة ، محسوبيّة الخ.

٢٠ : الجمع بالتاء الطويلة خصوصاً في لبنان وحلب نحو : جنّات ، لَبنات ، لَحمات ، مَيّات ، بَصَلات ، زيتونات الخ.

٢١ : اضافة اسم مقرون باللام الى ضمير سابق مقرون باللام ايضاً نحو : قلت لهُ لصاحبك ، حبسناه للسجرم ، أكله لحتك الخ.

وما عدا ذلك كلّه، فان السوريين ما برحوا يستعملون ، في لغتهم العامية ، افعالاً واسماء جمة هي سريانية بحتة نحو : دقر الباب ، دلف السقف ، نقع من الضحك الخ. ونحو : بكير ، لقيس ، سبّة اي اسبوع ، شوب ، نيشان الخ. وهذا كثيرٌ وكثيرٌ جداً يصعب احصاؤه.

الحجة الثالثة الخالدة: نقلُ العرب عن السريان افعالاً واسماء سريانية محضة[1]، اغلبها دينية، وإدماجهم اياها في افصح كتبهم ، حتى انهم اصبحوا لا يستطيعون الى الاستغناء عنها سبيلاً. وهي كثيرة نذكر منها من الافعال: آمن ايماناً وامانة ، بارك بركةً ، بشر بشارةً ، بنى بنياناً ، أزلَّ اي اخرج ، تاب توبةً ، دان دينونةً ، سبّح تسبيحاً وتسبيحةً ، سجد سجدةً ، صلّى صلوةً ، صام صوماً وصياماً ، قدّس قداساً ، قرّب قرباناً ، كفّر تكفيراً ، تنبّأ نبوءةً ، نذر نذراً الخ . ومن الاسماء السريانية صفات الله جلّ جلاله نحو : الله ، اللهم ، باري ، توّاب ، ديّان ، سبّوح ، قدّوس ، قيّوم ، مهيمن ، مسيح ، روح القدس ، قديس الخ . ومن الالفاظ السريانية : آية ، بسيط اي اعتيادي ، رجز ، ديوان[2] ، سيّارة ، طور ، طوفان ، عتيقة ، حديثة ، عروبة ، عيد ، فرقان فاروق ، قرية ، مدينة ، مسكين ، مقاليد ، ملفان ملفنة ، نبراس ، يمّ ، والسلام بمعنى ختام. ومنها اسماء اشجار او ثمار نحو : رمان ، زيتون الخ. ومنها الفاظ مختومة بالتاء الطويلة نحو: جبروت ، رحموت ، رهبوت ، ملكوت، لاهوت ، ناسوت ، طاغوت الخ. ومنها النسبة بالنون كما قلنا نحو : جسداني ، جسماني ، حقّاني ، روحاني ، ربّاني الخ. وتأنيثها نحو جسدانية ، حقّانية الخ.

---

١) من شاء الاطلاع على الافعال والاسماء السريانية المدرّجة في المتن فليراجع كتاب المستشرق فرنكل الالمانيّ المطبوع في ليدن ، عام ١٨٨٦ ، ومحاضرات المستشرق الايطالي انطونيوس غويدي المطبوعة في مصر ، عام ١٩٠٩ ، والمشرق في اعداد السنة ١٩١٣

٢) الديوان في الاصل يراد به المجنون من وَهَنٍ في السريانية ، استعاره الفرس ، وعن الفرس نقله العرب (مقدمة ابن خلدون ، صفحة ٣٤٣ ، من طبع المطبعة الادبية) .

فهذه الافعال باسرها وهذه الاسماء برمتها سريانية محضة ، انتحلها العرب وعربوها واضافوها الى لغتهم . وقس عليها اسماء الاعلام ، فانهم ، اعني العرب ، ما نقلوها عن اليونانية بل عن السريانية فكتبوا : اسحق ، اشعيا ، اليشع ، حزقيال ، عاموس ، هوشع ، يوسف ، يعقوب ، يوحنا ، مريم ، حنة الخ . وعليه فقد صدق من قال ان اهالي سورية قاطبة كانوا يتكلمون بالسريانية قبل عهد الاسكندر . ولما فتح الساوقيون البلاد ظلّت السريانية اللغة الدارجة فيها[1] . ومعًا أضيفت الى لغتهم الاصلية لغة يونان وعروبة ، فقد ظلّت لهجتهم العامية في اغلب كلامهم لهجة سريانية بحتة .

زد عليه ان طلّاب العلم السريانيين وأدباءهم عكفوا على اقتباس اليونانية منذ القرن الرابع قبل الميلاد[2] عكوفهم على اقتباس لغتهم السريانية الوطنية . فكانوا يدرسونها ويدرّسونها في معاهدهم العامرة واديارهم الزاهرة بانطاكية ، وبيروت ، وطرابلس ، ودمشق ، والرها ، ونصيبين ، والمدائن ، وقنسرين ، ورأس العين ، وطور عبدين ، وغيرها . وكانت تلك المعاهد تضمّ بين جدرانها مئات بل ألوفًا[3] من الطلبة دينيين ومدنيين . وكان فريق منهم يقصد الاسكندرية حبًا لاتقان اليونانيـــة . بل ان كتبة السريان زاحموا كتبة اليونان الشرقيين وساجلوهم ونقلوا تصـانيفهم في اللاهوت ، والفلسفة ، والمنطق ، والطب ، والتاريخ ، والهندسة ، والفلك الخ . الى السريانية ، واضافوا اليها شيئاً من نفثات اقلامهم كتآليف فرفوريوس الصوري الفيلسوف[4] ، وديمقالية الرسل ، وقوانين المجامع ، وغيرها . ومن تلك التصانيف ما ضاع اصله اليوناني ، وحُفظ نقله السرياني بفضل أدباء السريان وجهودهم[5] .

١) دوفال : الآداب السريانية ٤ و٥

٢) غويدي : محاضرته في مصر ٣٢ : ٨٢

٣) بلغ عدد تلامذة مدرسة ابرهيم الربّان (٥٠٩ – ٥٦٩) الف تلميذ (تاريخ كلدو واثور ٢٧٧) . واسّس باباي (٥٥٣–٦٢٧) في اطراف مرغا وحدها ستين مدرسة (كتاب الرؤساء ١٤٦) .

٤) من ترجمة فرفوريوس السريانية نسخة في المكتبة الواتكانية رقم ١٥٨ منسوخة في السنة ٦٤٥ م .

٥) مقدمة النحو السرياني للسيد اقليميس يوسف داود ٢٢

. ويطول بنا المجال لو تحرّينا استقصاء اسماء الكتبة السريان المتخرّجين باليونانية واحصاء ما نقلوه عنها الى لغتهم السريانية[1] . ولاسيما ايبيا الرهاوي († ٤٥٧) ، وهرقليدس الدمشقي ، وزكريا الملطي ، وفولا الرقي ، وموسى الآجلي (٥٥٠) ، ويوحنا افتونيا († ٥٣٨) ، وسرجيس الراس عيني († ٥٣٦) السرياني الملكي ، اول من نقل الكتب الطبية ، والفلسفية ، والدينية ، عن اليونانية الى السريانية ، ويونس الفارسي ، وآبا الجاثليق (٥٣٦—٥٥٢) ، وبطرس الرقي البطريرك (٥٣٨ — ٥٥١) ، ويوحنا اسقف اسيا (٥٨٥) ، وتوما الجرقلي (٦١٦) ، وساويرا سابخت (٦٤٠) ، واثناسيوس البلدي البطريرك (٦٨٤—٦٨٨) ، وجورجي اسقف العرب (٦٨٨) ، ويعقوب الرهاوي († ٧٠٨) الانطاكي النحاة الذي تولى تدريس اليونانية احدى عشرة سنة في دير اوسيبونا ، قرب انطاكية[2] ، وتاوفيل الرهاوي († ٧٨٥) المارونى ناقل الياذة هوميروس اليوناني الى السريانية الخ . بل ان حملة الاقلام السريان بلغ بهم شغفهم بلغة اليونان الى نسخ نصوص الاناجيل اليونانية بحروف سطرنجيلية[3] .

ولما ملك العرب في القرن السابع استعانوا بنوابغ السريان في نقل التآليف السريانية واليونانية الى العربية ، واتخذوهم اساتذة لهم[4] . فمهدوا لهم سبل الثقافة ، ومرّنوهم على اصناف العلوم . واول كتاب يوناني فلسفي ، وهو كتاب اوقليدس ، قد نقله الى العربية الرهاوي فصحح حنين بن اسحق († ٧٧٣) المشهور[5] في ايام ابي جعفر المنصور (٧٥٤ — ٧٧٥) . وممن امتازوا بقوّتهم القلمية في التعريب والتصنيف آل بختيشوع السريان الناطرة ، وهم ثمانية فحول تعاقبوا

١) اطلب مقالتنا في مجلة المشرق سنة ١٩٣٠ و١٩٣١ بعنوان « آداب اللغة اليونانية وكتبة السريان » .

٢) ميخائيل الكبير ٤٤٦

٣) حصّل المستشرق باري الانكليزي نسخة يونانية من هذا الشكل في مذبات بطور عبدين ، يرتقي عهدها الى القرن التاسع . وقد طالعنا نحن في دير الزعفران مخطوطاً سطرنجيلياً على الرق يحوي قوانين المجامع ، اثبت فيه ناسخه اسماء الاساقفة بالسريانية واليونانية .

٤) مقدّمة النحو السرياني ٣٣ ، وروبنس دوفال ٢٤٦

٥) مقدمة ابن خلدون ٤٨٠ ، و٤٨٥ ، و٤٨٦

في خدمة خلفاء بغداد زهاء ثلاثمائة سنة . ومنهم عيسى بن علي تلميذ الربّان حنين ، ويشوع بن بهلول ، اللذان انشأ كل منهما معجماً سريانياً عربياً حشواه الفاظاً يونانية جمّة . وقس على هؤلاء علماء كثيرين من السريان الغربيين والشرقيين والملكيين والموارنة ملكوا ناصية اليونانية ، فكتبوا فيها ، ونقلوا عنها تصانيف شتى حتى اواخر القرن الثالث عشر .

هكذا ظلّت اليونانية الى ايام ظهور العرب لغة الولاة ، والمتصبين[1] ، والتجار فقط . ثم لغة الرؤساء اليعقوبيين ، وفريق من المؤلفين[2] ، والقرّاء . فكان مثلها مثل اللاتينية او الفرنسية في سورية وفلسطين لهذا العهد . فكما ان العلوم اللاهوتية والفلسفية والطبية والقانونية الخ التي تدرّس في هذه المدارس والتي يتكلّم بها الحكّام والمتصبون الشرقيون لا تدل على ان طلّابها والمتكلّمين بها لاتينيون او فرنسيون ، هكذا قل في طلّاب اليونانية في سالف الاحقاب .

اما اسماء الاعلام اللاتينية واليونانية والفرنسية كرتس ، ولوقا ، وفيلبس ، واسطفانس ، واقليميس ، واغناطيوس ، وثاوفيلس . ثم جان ، وجوزف ، وبول ، وبيير ، وادوار ، واليير ، وفكتور ، وهنري ، وماري ، واوجيني ، وهلم جرّاً ، فان الاولين ما استعملوا تلك الاسماء ، كما استعملها المعاصرون ، الا ازدلافاً الى الدولة المالكة او تحبّباً الى ولاة الحلّ والعقد . أضف اليه ما اصطُلح عليه منذ القديم في فلسطين وسورية ، اذ كان يُنتخب للابرشيات العامرة اساقفة من الجنس اليوناني ، او متخرّجون باليونانية . ذلك لان الخبيرين بها ، كما ان الخبيرين بالفرنسية لهدنا ، كانوا وما برحوا يُعدّون أليق وأجدر بمثل ذلك المنصب الرفيع[3] .

---

١) ابن العبري : التاريخ المدني السرياني ١١٥ ، وابن خلدون ٢٤٤

٢) كما ان المؤلفين اليعقوبيين الذين عاشوا في سورية كتبوا تصانيفهم باليونانية كفم الذهب ، وثاودريط ، ونسطور ، وسويرا ، ويوحنا الدمشقي الخ ، هكذا نبغ قبلهم وفي عهدهم وبعدهم جهابذة من السريان يفوقونهم عدّاً كتبوا تآليفهم في السريانية كطنيان (ت ١٨٠) وبرديصان (ت ٢٠٢) واسوان ووافله وافرهاط (٣٤٥) والامام افرام (ت ٣٧٣) ومارروثا (٤٢٠) وربّولا ، واسحق الانطاكي ، وفيلكسين المنبجي ، ويعقوب السروجي ، وز دريا البليغ الملطي الذي درس في كلّية الحقوق ببيروت الخ .

٣) القصارى ١٦

دع تسيطر ملوك بزنطية النصارى ، وضغط اساقفتها على الرؤساء البيعيين ، واضطرارهم اياهم ان ينصبوا لابرشيات المشرق بطاركة واساقفة يونانيين جنساً او لغةً . وقد استرسلوا في هذه العادة الشاذة الغريبة حتى القرن التاسع عشر ، خصوصاً في الطائفة الملكية غير الكاثوليكية .

وجماع القول ان الملكيين السوريين ، او السريانيين المتحدرين من العنصر الآرامي السرياني ، امسوا ، كما ايد البحاثة كرلفسكي ، يتألفون مع تراخي العصور من ثلاثة عناصر : اولها العنصر السرياني البحت وهو السواد الاعظم . ثانيها العنصر اليوناني المؤلف من تجار اجانب وعساكر وموظفين بزنطيين، وهذا اضمحل بعد الفتح العربي ودخل في خبر كان . ثالثها العنصر السرياني الوطني الذي شغل المدن الكبرى وحافظ زماناً على السريانية واليونانية معاً . اما المسلمون في سورية فليسوا في الاصل الا من السريان المنوفيزيتيين الاقدمين . وعلى رواج اسواق العربية بين اهالي سورية عموماً ، ظلت السريانية الى يومنا هذا عالقة باذهانهم ، لاصقة بألسنتهم ، خالدة في اسماء اغلب قراهم ، ومتغلغلة في افصح كتبهم .

ثانياً : لغة الملكيين الطقسية

قرر الكتبة الكنسيون عامة ان اول بيعة أنشئت في علية صهيون باورشليم ، وان اول طقس أقيم فيها باللغة السريانية . والى هذا الطقس السرياني الابوي الرسولي ترجع سائر الطقوس البيعية[1] . وهو تقرير راهن ثابت لا يجسر ان ينكره الا من انكر حقيقة الانجيل نفسه[2] . ثم قرروا ايضاً ان آباء الكنيسة ، في مفتتح عهدها ، تعودوا ان يتخذوا للطقس اللغات الدارجة في الاصقاع التي اذاعوا فيها الكرازة المنورة كالسريانية في بلاد المشرق، واللاتينية في رومية وملحقاتها ، واليونانية في بلاد اليونان[3] . وكانت هذه اللغات الثلاث

١) معجم اللاهوت الكاثوليكي للاب ڤانييه ١٤٠٢

٢) القصارى ٥٦

٣) القصارى ٨١

من اشهر لغات البشر المعروفة في عصور الكنيسة الاولى.

فالسريان الملكيون كانوا ، حتى القرن الخامس ، هم ، والسريان الشرقيون (الكلدان) ، والسريان الغربيون (اليعاقبة) ، والسريان الموارنة ، طائفة واحدة خاضعة لبطريرك واحد هو بطريرك انطاكية . وكانت السريانية وحدها لغتهم الطقسية ، كما كانت لغتهم الوطنية ايضا . وظلّت السريانية معروفة لديهم ، مستعملة في كنائسهم الكبرى والصغرى باجمعها حتى القرن السابع عشر . يؤيد ذلك نقولٌ عديدة نكتفي منها بذكر ما اثبته ثاودريط اسقف قورش (†٤٥٧) الخبير باليونانية والسريانية وهو : ان لغة السوريين والامم المجاورة للفرات والفلسطينيين والفونيقيين هي السريانية[1] . وجاء في اخبار فم الذهب عن سويرنس اسقف جبلة : « ان نغمته اليونانية لم تكن فصيحة بل كان اذا تكلم بها ظهرت نغمته سريانية . »[2] وكتب مسجّل اعمال المجمع المسكوني الثامن ، عام ٨٦٩ ، ان « توما مطران صور كلّف القس ايليا ممثل ثودوسيوس بطريرك اورشليم ان يتلو تقريره في المجمع لانه لم يكن يستطيع ان يعبّر عن افكاره باليونانية . فكانت لغته بلا ريب السريانية . »[3] وفي السنة ١٠٥٤ طلب بطرس الثالث بطريرك انطاكية الملكي (١٠٥٢ — ١٠٥٧) ، رجلاً كفوءاً ينقل رسالة البابا لاون التاسع (١٠٤٩ — ١٠٥٤) الى اليونانية فلم يجد . اما ثاودرس بلسمون بطريرك انطاكية الملكي († ١١٩٥) المشهور فقد رخّص للملكيين الجاهلين اليونانية ان يحافظوا في طقسهم على لغتهم الاصلية[4] ، اعني السريانية . ذلك لانه الى عهده لم يكن يخطر ببال السريان الملكيين ان يبدّلوا كتبهم السريانية الطقسية ، او ينقلوها الى اليونانية او العربية . ولما انتُخب فاخوم الاول (١٣٥٩ — ١٣٨٦) بطريركاً انطاكياً لم يوقع الاساقفة انتخابه الا بالسريانية فقط . اما ميخائيل البطريرك الذي خلفه فانه على تضلعه من السريانية والعربية لم يكن

١) مين ٨٠ : ٢٢٧ ؛ والمشرق ٤ [١٩٠١] ١٤٨٥

٢) المتعلقات السريانية للسيد البطريرك رحماني ٣ : ٨

٣) كرلفسكي فصل ٦

٤) مين ١٣٧ : ٩٥٨

خبيراً باليونانية[1]. وقد كتب لاونس ماخيراس في القرن الخامس عشر : « ان اهالي قبرس قبل دخول اللاتين اليها كانوا يتعلّمون اليونانية لمكاتبة الامبراطور ، والسريانية لمكاتبة بطريرك انطاكية »[2].

هكذا مرّت الحقب تلو الحقب والسريان الملكيون يحافظون محافظةً امينة على لغتهم السريانية في طقوسهم حتى عهد السيد افتيموس الثاني (١٦٣٤ — ١٦٣٥) ، المشهور بابن كرمة ، فأخرج ، حين اسقفيته في مدينة حلب ، جميع كتب الطقوس الرومية الى العربية... لان بلاد سورية بدّلت في عهده السريانية بالعربية[3]. ومع هذا كله فقد صرّح خلفه مقار الثالث (١٦٤٧—١٦٧٢) بقوله : « اننا نستعمل اللسان اليوناني والسرياني في كنائسنا ومنازلنا . »[4]

على ان السريان الملكيين سبقوا فادرجوا في طقسهم صلوات من تصانيف ابينا مار افرام[5] ، ومن تآليف مار زبولا ، اسقف الرها ، كما سترى ؛ ومن معانيث (اغاني) سويرا ، بطريرك انطاكية (٥١٢ — ٥٣٨)[6] : وهو برهان على انهم اخذوا تلك الصلوات قبل عهد الانفصال . ولما اصبحوا أمة مستقلة عن سائر الملل السريانية ، نقلوا شيئاً كثيراً منذ القرن الثامن عن التصانيف اليونانية الى السريانية ، واضافوه الى طقسهم القديم[7]. واشهر ذلك تآليف القديس يوحنا

---

١) المشرق ٣ [١٩٠٠] ٧٢

٢) المشرق ٩ [١٩٠٦] ٦٢٨

٣) المنتخبات السريانية ٣ : ١٢ ، وقد عدّد الاب لويس شيخو في كتابه « المخطوطات العربية لكتبة النصرانية » ٢٤ و٢٥ اخمس الكتب الطقسية التي نقلها السيد افتيموس كرمة منها الاورلوجيون والافخولوجيون والقنداس والتيبكون والفنداق والسنكسار والاستشراري ، كما ذكرنا ذلك في ترجمته .

٤) المشرق ٧ [١٩٠٤] ٨٠٢

٥) منها صلاة « ايها الرب سيد حياتي » يتلوها الملكيون الى هذا اليوم في الساعات القانونية ، ويتلونها ثلاثة اقسام (الاب هايل كوتيريه ٢ : ٣٥) .

٦) منها صلاة « اهلنا يا رب لهذا المساء وبغير خطيئة احفظنا » يتلوها الملكيون ثلاث مرار (الاب كرتيريه ٢ : ٧٨ ؛ وكتاب السواعية طبع الشوير ١٠٦ و٣٠١ و٣٢٨) وهذه الصلاة يرتلها السريان في صوم الاربعين وبدونها : اهلا لح حتسعب هذا حلا .

٧) نقل السريان ايضاً عن اليونانية قوانين شتى من تآليف مار يوحنا الدمشقي وقزما

الدمشقي (✝٧٤٩) ، وسرجيوس (✝٦٤١) ، ورومانس (✝١٩٦) ، ويوسف ، وقزما ، واندراوس ، اسقف اقريطش ، وثاودور الستودي (✝ ٨٢٦) ، وانسطاس رئيس دير طورسينا ، وثاوفيلس ، ولاون الفيلسوف ، وباسيليوس ملكي بوزنطية ، ويوحنا الدلمي ، وجرجس ، واغناطيوس ، واسطفانس ، وسمعان المفتبر ، واندراوس الاعمى ، ومرقس الاسقف ، وكاسيا وكاسيانا الراهبتين ، وايرينا الملكة الخ .

وكان السريان الملكيون يحرصون على كتب اجدادهم الصالحين حرصهم على اثمن تراث . ولولا ما انتاب مصاحفهم القديمة من الآفات الهائلة ، والعوائل القتّالة كالزلازل والحريق والنهب والتلف والسرقة والحروب ، خصوصاً في انطاكية ودمشق عاصمتي الشرق ، لبقيت من تلك الكنوز الكتابية الثمينة بقيّة صالحة كشفت القناع عن احوال الطقس السرياني الملكي وتطوّراته . وحسْبنا ما احرقته يد الجهل في عهدنا من المخطوطات السريانية الملكية الوافرة المكتوبة على رقّ الغزال ، اذ خبز عليها الراهبات في دير صيدنايا خبزتين كبيرتين استغرقت كل خبزة ثلاثة ايام كاملة ليلاً ونهاراً . هذا ما عدا ما أتلفته تحت القناطر[1] . وناهيك انه اذا كانت مخطوطات دير واحد للسريان الملكيين في قرية من قرى دمشق بالغة هذا الحدّ من الكثرة ، فما قولك عن مخطوطات اديارهم القديمة العامرة وكنائسهم المشهورة الوافرة ومدارسهم العديدة الزاهرة ، لا في سورية وفي عاصمتيها دمشق وانطاكية فحسب ، بل في جميع البلدان التي كانت خاضعة للكرسي الانطاكي !

ومع هذا كله فقد صانت مكاتب اوربة الشهيرة ، وبعض مكاتب بلاد المشرق الخصوصية ، تركةً صالحةً من تلك الجواهر اليتيمة هي اكبر حجة على

وغيرها واثبتوها في صلوات المواسم الكبيرة وآحاد القيامة (ايثيفون ابن العبري ٦٥ و٦٦) وحوت اشحيمة السريان الموارنة ايضاً اياتاً شتى من هذه القوانين (اطلب الاشحيمة المطبوعة عام ١٨٨٥ صفحة ٣ و٥٩ و١١٣ و١٨٠ و١٨٨ و٢٤٩ و٢٥٨ و٢٣٠ ا ع) .

١) خزائن الكتب في دمشق وضواحيها ، تأليف الادب الفاضل حبيب زيّات الدمشقي الرومي الملكي ١١٧ و١١٨

ان السريانية ، وليس اليونانية ، كانت لغة الملكيين الطقسية. وقد احصينا نحن من تلك الاسفار القيمة التي تردان بها مكاتب الفاتيكان، ولندن ، وباريس ، واكسفرد ، وبرلين ، وكمبردج ، ودير الشرفة ، وبكركي ، والبطريركية السريانية ، والمكتبة الطرازية الخصوصية ، ومكاتب المطرانيات السريانية بدمشق وحلب وماردين وديار بكر والموصل الخ ، فبلغت نيفاً وخمسمائة مخطوط اشتملت على صلوات طقوس السريان الملكيين . وتُعَدّ هذه التركة الثمينة اول مرجع يُستَنَد اليه للوقوف على احوال تلك الطقوس وتقلباتها. وقد اعتمدنا عليها في درسنا هذا الذي حصرناه في ستة ابحاث: ١ً الكتاب المقدس. ٢ً الليترجية ، اعني طقس القداس. ٣ً الطقوس والرتب. ٤ً الصلوات القانونية. ٥ً الاشحيم. ٦ً الكلندار.

١ً الكتاب المقدس

يستحق السريان الملكيون كل ثناء وشكر لانهم ، على تقربهم من اليونان وكلفهم باللسان اليوناني ، حرصوا كل الحرص في طقوسهم ، خلافاً للسريان المنوفيزيتيين ، على نصّ الكتاب المقدس السرياني المعروف بعنوان « ܦܫܝܛܬܐ صورة الكتاب » ، والمنقول في القرن الثاني عن النص العبراني وقد أطلق عليه منذ القرن التاسع او العاشر عنوان « ܦܫܝܛܬܐ البسيطة ». ومنه في مكتبة لندن خمس نسخ[1] ، مكتوبة منذ السنة ٤٥٠ م ، ونسخة في المكتبة الفاتيكانية مكتوبة في السنة ٥٤٨ م ، ونسخة في فلورنسا مكتوبة في السنة ٥٨٦ . وقد احصى الاب پولان مرتان خمساً وخمسين نسخة سريانية سطرنجيلية من هذا الكتاب الثمين مكتوبة في القرن الخامس والسادس والسابع يقابلها ٢٢ نسخة لاتينية و١٠ نسخ فقط يونانية[2] . ودع الدياطسرون السرياني[3] الذي انشأه ططيان الآثوري في الرها في اواسط القرن الثاني . وقد شرحه مار افرام واستعملته كنائس المشرق حتى القرن الخامس ، فأحرقه ربولا ،

١) موسومة بالارقام ١٤٤٥٦ و١٧١١٧ و١٤٤٥٣ و١٤٤٧٦ و١٤٤٨٠
٢) معجم الكتاب المقدس، تأليف فيگورو ١٣٢ و١٣٣
٣) اوسابيوس ٤ : ٢٥

اسقف الرها ، وأتلف منه ثاودريط ، اسقف قورش ، نيفاً ومائتي نسخة . وهكذا ضاع اصله السرياني وبقيت ترجمته في اليونانية والارمنية والعربية .

على ان مكاتب عواصم اوربة قد صانت من النسخة ܩܕܡܝܐ البسيطة ، نسخاً جمة منظّمة طبقاً للطقس الملكي ، اقدمها مخطوط لندن ١٤٤٨٨ ، وقد نسخه عام ٨٢٣ م ، القس يوحنا في بيعة مار ايليا النبي بمدينة الله انطاكية[1] . ثم مخطوطة لندن ايضاً ١٤٤٨٩ ، وقد نسخها عام ١٠٤٦ م ، يوحنا الدوقسي في دير مار ايليا بجبل الاسود[2] . ثم مخطوط الفاتيكان ٢١ ، المنسوخ عام ١٠٤٢م ، بيد القس جبرائيل الحبيس في برج مار ديط بجانب هيكل الجمعة في مدينة الله انطاكية[3] . وهذا المصحف النفيس يحوي ، طبقاً للطقس السرياني الملكي ، فصولاً من اعمال الرسل ورسائل مار بولس للسنة كلها بدءاً من احد الفصح . وقد ضمّ اليه الناسخ طقوساً شتى وملاحظات ذات شأن عظيم تبرهن على ان السريان الملكيين كانوا يستعملونها في صميم انطاكية نفسها . منها قوله ما شرحه عن السريانية : « في الساعة السادسة من يوم الجمعة العظيمة ينطلقون الى بيعة والدة الله »[4] . ومنها قوله في احتفالات السبت العظيم : « وفي جميع الكنائس يقال هذا المزمور بدلاً من الهلال ما عدا بسلموس طو داويد . اما في الكنيسة

---

١) [illegible] ... [illegible] ٨٢٣ – ١١٣٤ م

٢) [illegible] ١٠٤٦ – ١٣٥٧ م [illegible] ... [illegible] ... [illegible] .

٣) [illegible] ... [illegible] ... [illegible] .

٤) [illegible] .

الكبرى القاتوليقي فيقال بسلموس طو داويد. ويكتلون القداس »[1].

فهذه التعريفة الصريحة تبرهن ، بالقلم العريض ، عن الحقيقة التاريخية الراهنة ، وهي انه في جميع كنائس انطاكية ، حتى في كنيستها الكبرى القاتوليقية التي كان يؤمّها سريان وطنيون ويونان وروم وغرباء ، كانت الليترجية تُستعمَل بالسريانية ، لا باليونانية . غير ان الشماس كان ينادي بعبارات يونانية يردفها شماس ثانٍ بعبارات سريانية كي يفهمها جميع الحاضرين ويقوموا بوجبها. اما سائر كنائس انطاكية[2] ، فلم تكن في حاجة الى شماس ينادي ببعض عبارات يونانية ، لان الطقوس باجمعها كانت تمارَس فيها بالسريانية فقط.

على ان كنيسة قاتوليقية ككنيسة انطاكية هذه كان لها امثال في غيرها من المدن الكبرى كدمشق ، والرها ، والرقة. يؤيد ذلك ما كتبه لعازر برسبتا ، اسقف بغداد في القرن التاسع في « تنقيح القداس السرياني » اذ قال : « يُتلى المزمور ١١٨ في بعض الكنائس القاتوليقية المقدسة ببلاد المغرب[3] » ، اعني في سورية ، وبعض بلاد ما بين النهرين. وكتب سعيد بن بطريق (٢ : ٨٣) « ان المسلمين ثاروا في دمشق فهدموا كنيسة مرقريم الكاثوليكية ، وكانت عظيمة كبيرة حسنة أنفق فيها مائتي الف دينار » . وكتب ابن العبري ، في تاريخه البيعي ، ان ديونوسيوس التلمحري نُصب بطريركاً (٨١٨—٨٤٥) في الكنيسة القاتوليقية بمدينة الرقة. وذكر مخطوط لندن ١٤٥١٩ في ١٢ ايلول « عيد تجديد

---

١) ܡܬܩܪܝܢ ܒܬܫܡܫܬܐ ܕܫܪܝܢ ܡܪܝܡܐ ܐܝܟ ܡܠܟܐ ܕܠܐ ܡܢ ܩܠܝܢܐ ܠܐ ܡܫܬܡܥ . ܡܬܩܪܝܢ ܒܫܡܫܬܐ ܕܫܪܝܢ ܡܪܝܡܐ ܐܝܟ ܡܠܟܐ ܕܠܐ ܡܢ ܩܠܝܢܐ ܠܐ ܡܫܬܡܥ .

٢) كان للسريان المنوفيزيين في قلب انطاكية عينها اربع كنائس. وكنيسة في جبلة ، وكنيسة في اللاذقية ، وكنيسة في طرابلس (ابن العبري التاريخ المدني السرياني ١٨٤ و٢٣٤) ، وميخائيل الكبير ٦٩٦

٣) ܕܡܙܡܘܪ ܡܢ ܫܬܬܐ ܡܫܬܡܥ ܒܡܫܬܡܫܬܐ ... ܒܐܪܥܐ ܕܡܓܪܒܐ ... ܕܡܪܝܡ . مخطوطة دير الشرفة ٤ — ١ ، صفحة ٥٩٤

او تدشين البيعة المقدسة القاتوليقية ».

هذا ، وما عدا ما ذكرناه من مصاحف العهد الجديد السريانية المختصة بالملكيين ، فقد حوت نسخاً منه مكاتب لندن ، والفاتيكان ، وباريس ، وبعض مكاتب الشرق. ومما يبرهن على شديد تمسك السريان الملكيين بالنسخة البسيطة انهم اثبتوا في كلنذارهم ، وفقاً لها ، ذكراً للسبعين رسولاً (لو ١٠ : ١) في ٤ كانون الثاني ، ولم يثبتوهم اثنين وسبعين طبقاً للنسخة اليونانية. وعلاوة على ذلك كله ، فقد اعتبروا تلك النسخة السريانية اعتباراً عظيماً ، حتى انهم حرّجوا على الشماس خادم القداس ان يقول في آخر الصلاة الربية العبارة التي خُصت بها الترجمة السريانية خلافاً لسائر الترجمات وهي : « لان لك الملك والقوّة والمجد الى ابد الآبدين » (متى ٦ : ١٣) فقرّروا ان لا يرتلها الا الاسقف او الكاهن المقدّس.

٢ً الليترجية اي طقس القداس

اول الليترجيات واقدمها عهداً ، على ما قرّر اغلب الكتبة البيعيين ، هي ليترجية مار يعقوب الرسول التي استعملتها ، اول بدء ، الكنيسة الاورشليمية ، فالكنيسة الانطاكية ، بلغتها السريانية الاصلية . ولا تقلّ عنها قدماً واعتباراً ليترجية مار بطرس (حمذو) التي خصّت بها الكنيسة السريانية المارونية . ثم ليترجية الرسل التي امتاز بها السريان الشرقيون . فهذه الليترجيات السريانيات الثلاث ذاعت وشاعت في كنائس السريان قاطبةً ولم تكن تشتمل في اول وضعها على لفظة او عبارة واحدة يونانية اصلاً. بيد انه ، مع تمادي الزمان ، وانضمام اقطاب الشعب الى حظيرة الايمان ، استحسن الآباء ان يدخلوا في ليترجيتَي مار يعقوب ومار بطرس ، لا في ليترجية الرسل ، بعض عبارات او الفاظ يونانية حتموا ان لا ينادي بها الا الشماس مشفوعةً بشرحها بالسريانية . ذلك تنبيهاً للمؤمنين الحاضرين كي يصغوا او يقفوا او يجلسوا او يخرجوا. ولهذا السبب بقيت تلك العبارات اليونانية الدخيلة مكتوبة بحروف سريانية مع اصلها السرياني في الليترجيتين المشار اليهما. فحفظ السريان منها عبارتَي « فلنقف

حسناً يا رب ارحم »[1] ، و « لنصغ بحكمة الله »[2]. وحفظ الموارنة منها لفظتي « قوريالیسون » و « بروديقي » ، وهي ، اعني بروديقي ، مناداة يقولها الشماس الماروني وقت تجزئة القربانة المقدسة.

على هذا المنوال واصلت الكنائس الشرقية ، الكبرى والصغرى القاثوليقية والخصوصية ، استعمال الليترجية السريانية حتى عهد الانفصال . غير ان الصحف القديمة لم تصن من هذا القبيل الا النزر اليسير. ذلك لان الرسل ، على ما كتب ديونسيوس الاريوفاغي الكبير ، لم يستصوبوا في اوائل الكنيسة ان يكتبوا على قرطاس كتاباً خصوصياً في رتب القداس او السيامات او الميرون. بل كانوا يلقنون القديسين ذلك شفاهاً[3] . وافادنا مار باسيليوس[4] ان الليترجية لم تكن تكتب على الرق ، بل كان الكهنة يقرأونها على ظهر قلبهم . ولهذا السبب لا يُعرَف شيء عن الليترجية القديمة التي استعملها السريان الملكيون[5] ، قبل اتخاذهم ليترجيتي فم الذهب ، وباسيليوس ، ونقلهم اياهما الى السريانية في عهد البطريرك ثاودوس بلسمون (†١١٩٥) الذي امر كنائس البطريركية الانطاكية ان تستعملها في السريانية ، بدلاً من الليترجية القديمة ، محتجاً في ذلك بان جميع كنائس العالم يلزمها ان تتبع في طقسها كنيسة بوزنطية ، وتحذو حذوها في كل شيء[6].

---

١) ܡܪܝܡ ܪܚܡܢ ܡܪܚܡ ܠܢܝܢ . ومن الغريب ان السريان الملكيين ، لما نقلوا هذا اللفظ الى العربية ، نقلوه مترجماً فقالوا « يا رب ارحم » ولم يقولوا « قوريالیسون » . (الاب كوتيريه ٢ : ٢٨ و ٤١ الخ) .

٢) ܡܬܚܟܡܝܢ ܒܚܟܡܬܐ ܕܐܠܗܐ وهذه عبارة « پرومخومن » يستعملها الشماس الارمني ايضاً في القداس .

٣) ܠܐ ܡܫܬܡܥ ܕܢܟܬܘܒ ... ܠܐ ... ܡܢ ܩܕܡܝܐ ܕܠܐ ܡܫܬܡܥ ܠܡܟܬܒ (مخطوط الشرفة ٦ – ١ ، صفحة ٤٢٧) .

٤) النصارى ٥٥

٥) قيل ان الملكيين كانوا يستعملون ليترجية مار افرام . *Patrologia Orientalis*, t. 1907, p. 295

٦) النصارى ٥١ و ٤٩

غير انه ، على هذا الضغط الشديد وعلى ما اتاب المصاحف السريانية من الغوائل كما قلنا ، فقد صان مخطوط الواتكان رقم ٤١ ليترجيتي فم الذهب ، وباسيليوس، باللغة السريانية طبقاً لاستعمال السريان الملكيين. ففي الصفحة ١٨ من هذا الاثر النفيس يُقرأ ما يلزم الشماس اليوناني ، فالشماس السرياني ، ان ينادي به اثناء القداس كي يفهم الحاضرون قاطبةً ما يقال وما يجب ان يصنعوا. من ذلك قوله : ينادي الشماس اليوناني : ܟܠܗ ܕܢܗܘܐ ܡܠܟܘܬܗ [1]. وينادي الشماس السرياني بنسخ ليتورجية ܕܢܗܘܐ ܡܠܟܘܬܗ ، اي فليحب بعضنا بعضاً بقبلة مقدسة . ومن ذلك قوله ايضاً : ينادي الشماس اليوناني : ܗܠܝܢ ܡܠܬܐ ܗܠܝܢ ܕܚܠܝܢ ܕܢܗܘܢ ܚܕܝܢ . ܗܠܝ ܟܠܗ ܕܡܬܩܢܐ ܕܢܬܝܗܒ ܚܕܝܗ ܕܢܬܩܢ . وينادي الشماس السرياني : ܢܩܘܡ ܚܕܝܢ . ܢܩܘܡ ܚܕܝܢ . ܢܩܘܡ ܕܢܬܩܢ ܕܢܬܝܗܒ ܚܕܝ ܕܢܬܩܢ . اعني : فلنقف حسناً . فلنقف بورع . ونحدّق عقولنا في التقدمة المقدسة . بالامن لله تقرّب . الخ

فهذا كله يصرح جلياً بان القدّاس في انطاكية عينها ما كان يُحتفَل به الا بالسريانية فقط. اما بعض الالفاظ اليونانية فكانت مختصة بالشماس دون سواه . بيد ان العادات تطوّرت رويداً رويداً حتى غدت السريانية في طقس الملكيين كحمامة ترفّ في كنائسهم واديارهم ومدارسهم بين رفع وخفض ، وتتنقل من حال الى حال يناهضها ملوك اليونان ، فالغرب ، ويرشقها اساقفة بوزنطية في احشائها، يجاريهم في ذلك بطاركة انطاكية حتى القرن السابع عشر، فألجئوا ان ينقلوا ليترجيتيهم الموماً اليهما عن السريانية الى العربية. ومما يبرهن على امانتهم في النقل ابقاؤهم فيهما الفاظاً سريانية ، واثباتهم فيهما الكلمات الجوهرية باصلها السرياني. ثم ينقلها العربي . وقد شاهدنا مثل ذلك في مخطوط البطريركية السريانية المنسوخ عام ١٦٤٣ م [2] ، وفي مخطوط المطرانية السريانية

١) لاحظ ان الناسخ الملكي لم يكتب هذه الكلمات وما بعدها بحروف يونانية بل بحروف سريانية.

٢) مجلة الآثار الشرقية ٢ : ٢٦٠

بدمشق المنسوخ عام ١٦٣٧ م ، على هذا الشكل : (انظر الرسم)

« شكر وبارك وقدّس وكسر واعطا تلاميذه القديسين قائلًا :

« خذوا كلوا هذا هو جسدي المكسور من اجلكم لمغفرة الخطايا .

...

« اشربوا منه كلكم هذا هو دمي العهد الجديد المهراق عنكم وعن كثيرين لمغفرة الخطايا .

...

« من الذي لك نقدّم لك على كل شيء ومن اجل كل شيء » (٢ .

« ܗܘܐ ܕܢܬܠ ¹ ܡܢ ܕܠܟ ܠܟ ܡܢ ܟܠܗ ܕܢܬܠ ܡܢ ܟܠ ܕܢܬܠ ...

« ܗܢܐ ܕܡܝ ܕܝܬܝ ܕܩܝܡܐ ܕܚܕܬܐ ܕܡܬܫܦܟ ܥܠܟܘܢ ܘܥܠ ܣܓܝܐܐ ܠܡܚܘܠܬܐ ܕܚܛܝܐ ...

« ܡܢ ܕܝܠܗ ܠܟ ܡܩܪܒ ܠܟ ܡܢ ܟܠ ܡܕܡ ܘܡܢ ܟܠ ܡܕܡ » .

٣ً الطقوس والرتب

مرادنا بالطقوس ١ً جميع ما يمارسه كاهن الرعية من الاحتفالات حين توزيعه الاسرار على المؤمنين . ٢ً ما يُحتفل به من الرتب الكهنوتية اعني السيامات . ٣ً طقوس المراسم الشهيرة . فقد ضمت مكاتب اوربة وبعض مكاتب الشرق من هذا الصنف مصاحف شتى كلها بالسريانية . اهمها مخطوطا

١) المعروف اليوم ان يقال ܗܘܐ ܕܢܬܠ . ولعل السريان الملكيين كانوا يستعملون الامر بالضم مثل ܗܘܘ .

٢) اشكل على المترجمين الملكيين تعريب هذه العبارة السريانية . فقد ترجمها بعضهم كما اثبتناها في المتن . وعرّبها بعضهم هكذا : « التي لك مما لك نقدّمها لك على كل شيء ومن جهة كل شيء » . وقرأناها في الليترجية التي نشرها عام ١٩١٣ الاب الكسيوس شتوي هكذا : «فالتي لك من التي لك نقدّم لك عن كل شيء ومن اجل كل شيء» . وهي ترجمة مضطربة فيما نرى . والصواب ان تعرّب طبقاً لنصها السرياني هكذا : «مما لك نقرّب لك عوضاً عن الكل ولاجل الكلّ » . ويقابلها في ليترجيتي مار يعقوب والرسل السريانيتين : « ܡܕܡܐ ܕܠܟ ܠܟ ܡܕܡ ܠܟ » . ويكون المراد منها على ما شرحه موسى بركيفا († ٩٠٣) وغيره : اننا نشكرك على كل نعمك ومن اجل كل شعبك . او « مما لك نقرب لك عوضاً عن كل نعمك ولاجل كل شعبك » .

خذوا كلوا [illegible]
هذا هو [illegible]
المكسور [illegible]
اجلكم المغفرة
الخطايا

اشربوا منه كلكم ، اعلموا هذه خلاصي
هذا هو دمي العهد ، خلصا اعلموا [illegible]
الجديد المهرق عنكم ، [illegible]
وعن كثيرين ، [illegible]
لمغفرة الخطايا ، [illegible]

من الذي لك تقدم ، [illegible]
لك على كل شي ، [illegible]
ومن جهة كل شي ، [illegible]

باريس ١٠٠ و١٠١ اللذان حويا طقوس المعموذية ، والميرون (التثبيت) ، والخطبة ، وتكليل العروسين ، والقنديل ، والسجدة . وحوى مخطوط برلين ٣١٧ طقس الجنائز ، وصلوات الزيجة الثانية والثالثة ، والصلاة على من يخطأ ، ويقدّم التوبة الخ. وانطوى مخطوط الفاتيكان ٤٠ ، ما عدا ما ذكرنا على طقوس السيامات باجمها.

وقد اطّلعنا في الخزانة الطرازية الخصوصية على مخطوط سرياني ملكي نفيس تضمّن صلوات ورتباً طبقاً لاستعمال الملكيين مذ ليلة احد الشعن[1] حتى احد القيامة أثبت ناسخه ، في الصفحة ٢٩ ، رتبة الغسل وفصل الانجيل (يو١٣: ٤ — ٥) حسب النسخة البسيطة ، وكتب في خلال اسطرها هذه العبارات : « والرئيس يكون منتصب. ينزع ثيابه ويتزر بمنشفة. في وسطه . وصب الماء في المغسل . يبدأ يغسل ارجل تلاميذه . وينشفها بالمئزر الذي اتزر به » . (انظر الرسم ١).

ولا بأس ان نشير ههنا الى طقس الاحتفال بدخول الاسقف الى المدينة . فقد أثبت فيه الكاتب عدّة عبارات يتلوها الشماس باليونانية ويردفها شماس ثانٍ بالسريانية ليفهم الحاضرون ما ينبغي ان يصنعوه[2].

٤ً الصلوات القانونية

كان للاكليروس السرياني الملكي عدّة كتب تشتمل على الصلوات القانونية اخصها « التريوذي » و « الميناون » و « الكلوغوديون ». فمن التريوذي ثلاث نسخ في المكتبة الفاتيكانية تحت الارقام ٧٤ — ٧٦ ، واربع نسخ في مكتبة اوكسفرد تحت الارقام ٨٤—٨٧ ، ونسختان في برلين رقم ٣٠٩ و٣١٠ ، وتحوي منه مكتبتا لندن وباريس عدة نسخ ايضاً.

اما كتاب الميناون فمنه اكثر من عشرين نسخة في مكتبة اوكسفرد ،

---

١) لنا ندري متى دخل لفظ « اوصنّا » اليوناني في الكنائس الشرقية . وها هوذا السريان الملكيون انفسهم يثبتونه بالشين والعين طبقاً لوضعه العبراني والسرياني ويقولون « اوشعنا » لا « اوصنّا » و « الشعن » لا « الصنّ ».

٢) المقتطفات السريانية ٣: ١

وعشر نسخ في مكتبة باريس ، وخمس نسخ في مكتبة كمبردج ، ونسخة في المكتبة الفاتيكانية مكتوبة عام ١٢٠٦ م ، ونسخة في برلين الخ. وقد طالعنا من هذا الكتاب نسخة ثمينة قديمة في المكتبة الطرازية الخصوصية تحوي الصلوات الفرضية لآحاد القيامة والايام التي تتخللها . فألفينا فيها قوانين شتّى مدرّجة في صلواتنا القانونية ، وابياتاً جمّة من تآليف القديس رابولا اسقف الرها († ٤٥٣) استنتجنا منها ان السريان الملكيين ادمجوا في كتبهم ابتهالات (ܐܬܚܢܢܘܬܐ) هذا الملفان الجليل قبل عهد الانفصال . وقد رأينا تأييداً لذلك ان نورد شيئاً منها نقلاً عن هذا المخطوط النفيس المشتمل على ٦٩٢ صفحة كبيرة.

من ذلك ما قرأناه في الصفحة ٢٠ وهو : « ܐܢܬ ܗܘܝܬ ܠܡܫܝܚ ܡܫܬܚܪܪ . . . ان كان البارّ بالجهد يخلص » (١ بطرس ٤ : ١٨) وفي الصفحة ٢٨ : « ܫܠܡܐ ܠܟ ܡܢ ܟܠܗ ܕܒܪܝܬܐ . . . السلام لكِ من الجميع ايتها القديسة » . وفي الصفحة ٦١ و٢٤٥ : « ܕܠܐ ܡܬܩܝܡ ܐܠܐ ܒܫܘܩܐ ܕܫܘܩܐ . . . في الحقيقة ان كل ما في العالم باطل » وفي الصفحة ١٨٩ : « ܟܕ ܢܬܓܠܝ ܡܬܩܝܡ ܒܫܘܩܐ . . . متى انكشفت اعمالكِ في الآخرة » (انظر الرسم ٢) . وفي الصفحة ٢٨١ : « ܐܝܟ ܕܐܝܬ ܐܡܐ ܕܢܩܝܐ . . . ايتها الام النقية كما اعتدتِ »[1] . (انظر الرسم ٣) وفي الصفحة ٤٧ وغيرها : « ܥܡ ܟܠܗܘܢ ܩܕܝܫܝܟ . . . مع جميع قديسيك نيّح ايها المسيح ارواح عبيدك »[2] الخ.

اما كتاب الكاوغوديون فمنه نسخة في لندن مكتوبة في السنة ١٢٨٤ م ، رقمها ٤٠٨ ، ويضاف الى ذلك كتاب البركليمي ، ومنه نسخة في المكتبة الواتيكانية رقمها ٧٦ ؛ وفي المكتبة عينها كتاب الساعات « السواعية » . فجميع هذه المخطوطات مكتوبة في السريانية . يتخللها ملاحظات في السريانية احياناً ، واحياناً في العربية . وليس فيها حرف يوناني بتّة.

---

١) هذا الابتهال يستعمله السريان الموارنة ايضاً في القداس وهو : « صلاتكِ معنا يا اطهر العباد » الخ.

٢) اطلب سواعية الشوير ، ٢٥١ و٥٧٦ الخ.

ثم يبدا الكاهن بقراءة انجيل
الغسل وهو من يوحنا

والريش يكون منتصب بنزع
ثيابه ويتزر منشف في
وشطح ويصب الماء في الغسل
ويبدا يغسل ارجل تلاميذه
ويشفها بالميزر الذي اتزر به

ويكونوا اثنا عشر غير ويبدوا
من البواب الى الاقلوم الى
الالميشيا رشي فان هكذا
يجب من الاصاغر الى الاكابر:
ويكون الريش منتصب يعمل
كالمحرية هذا الفصل حرف حرف
وكلمة كلمة بدم الى الحي

الرسم الاول

الرسم الثالث

الرسم الثاني

الرسم الرابع

الرسم الخامس

وكتبه العبد الخاطئ المذنب
الحقير الذي ما يستاهل ينظر الى علو السما ولا يمشي على الارض
من كثرة خطاياه لا يلم ولا يفعل يوسف بابا بن كمال ابن القس يوحنا
ابن القس ضوميط من قرية الكفور من جبل البنان من اقليم الالبس
والشام غرب الرب له ولوالديه خطاياهم بشفاعة الست الشيخة
ام النور وجميع القديسين امين يا رب العالمين

وبتاريخ سنة سنة الاف وتسعماية وتسعة وثمانين لابونا
ادم عليه السلام

٥ً الاشحيم

الاشحيم ܐܫܚܝܡ او ܐܫܚܝܡܐ ، اعني الاعتيادي ، عنوانٌ لكتاب الفرض اليومي عند الملل السريانية الثلاث اي المارونية ، والكلدانية ، والسريانية . وقد عرفه السريان الملكيون ايضاً بهذا العنوان نفسه ، قبل ان يطلقوا عليه في العصور الاخيرة كتاب« السواعية ».ومن الاشحيم الملكي نسخٌ في خزائن عواصم اوربة.منها نسخة في لندن رقمها ٤١٨ وتاريخها في السنة ١٥٢٤ — ١٢١٣ م. وقد طالعنا نحن من هذا الصنف نسخة جليلة ثمينة كاملة تخصّ الفيكنت فيليب دي طرّازي الفاضل . وهي من فاتحتها الى خاتمتها لا تحوي لفظةً واحدةً يونانية او عربية قطعاً . وهذا عنوانها معرَّباً: « بقوّة ربّنا يسوع المسيح نبتدئ نسخ كتاب القوانين التي تقال في الايام الاشحيمية في السنة كلها حسب طقس الروم »[1].

فهذا الاشحيم السرياني الملكي الضخم تضمّن الصلوات اليومية لثانية اسابيع منظَّمة وفقاً للثماني النغمات . خُصص يوم الاثنين بالتوبة والملائكة ، والثلاثا. بيوحنا المعمدان ، والاربعا. بوالدة الله ، والخميس بالرسل ، والجمعة بالصليب والشهدا. ، والسبت بالشهدا. والموتى الخ . وأثبت ناقلها عن اليونانية الى السريانية اسمه في آخر الكتاب هكذا معرَّباً:« انتهت القوانين الابتهالية بثماني نغمات . تقال في الايام الاشحيمية في السنة كلها . نقلها من اليوناني الى السرياني يوحنا بن عيسى من رومنة »[2].

---

١) ܗܠܝܢ ܣܝܡܬܐ ܕܩܢܘܢܐ ܕܡܬܐܡܪܝܢ ܒܫܚܝܡܐ ܕܟܠܗ ܫܢܬܐ ܡܢ ܝܘܢܢܝܐ ܠܣܘܪܝܝܐ ܝܘܚܢܢ ܒܪ ܥܝܣܝ ܡܢ ܪܘܡܢܬܐ (انظر الرسم ٤)

٢) ܫܠܡܘ ܩܢܘܢܐ ܕܡܬܩܪܝܢ ܒܫܚܝܡܐ ܕܫܢܬܐ : ܡܢ ܝܘܢܢܝܐ ܠܣܘܪܝܝܐ : ܝܘܚܢܢ ܒܪ ܥܝܣܝ ܡܢ ܪܘܡܢܬܐ (انظر الرسم ٥) . وقد اثبت ايضاً مخطوط الواتيكان ٧٤ اسم الناسخ يوحنا بن عيسى من مدينة رومنة .وقس عليه مخطوط برلين ٢١٠ ، لكننا لا ندري متى عاش هذا الناقل الجليل . اما رومنة فقد ورد ذكرها في

واخيراً ورد في هذا الاشحيم عينه بالعربية ما نصه :-

« وكاتبه العبد الخاطئ المسكين الحقير الذي ما يستاهل ينظر الى علو السماء ولا يمشي على الارض من كثرة خطاياه لا باسم ولا بفعل يوسف باسم شماس ابن القس يوحنا ابن القس ضويط من قرية الكفور من جبل لبنان من اقليم اطرابلس والشام . غفر الرب له ولوالديه خطاياهم بشفاعة الست السيدة ام النور وجميع القديسين امين يا رب العالمين . بتاريخ سنة ستة الاف وثمانية تسعة وثمانين لابونا آدم عليه السلام » (١٤٨١ م) (انظر الرسم ٦) .

٦ً الكلندار

انشأت البطريركية الانطاكية كلندارًا للاعياد والتذكارات والاصوام الزمت التقيُّد بها في جميع ابرشياتها . واول كلندار سرياني عرفناه يرتقي عهد نسخه الى السنة (٧٢٣—١١٢م)[1] ، وقد تمشى السريان قاطبةً بموجبه حتى القرن الحادي عشر . وهو يبدأ ، طبقاً للوضع القديم ، منذ اول تشرين الاول افتتاح السنة السريانية، لا منذ ايلول كما جرى عليه السريان الملكيون مجاراةً لليونان. قال البحاثة كرلفسكي (صفحة ٦٩١) : « كان بدء السنة عند السريان الملكيين في تشرين الاول». ونشر المشرق في سنته الخامسة(١٩٠٢) : « كلندار الكنيسة الانطاكية في القرن الحادي عشر » ، تأليف ابي ريحان محمد بن احمد البيروني († ١٠٤٩) ، افتتحه باول تشرين الاول وختمه في ايلول بقوله : « في اول ايلول عيد اكليل السنة وفيه يصلّون ويدعون بختم السنة وافتتاح الاخرى الجديدة لان اختتام السنة يكون بهذا الشهر ».

واشتمل الكلندار السرياني الملكي على تذكارات شهداء وملافنة وابرار اشتهروا في الكنيسة السريانية خصوصاً. منها في ٧ تشرين الاول ذكر سرجيس وباخس المستشهدَين في الرصافة. وفي ٢٩ منه ابرهيم القيدوني الناسك († ٣٦٦). وفي ١٥ تشرين الثاني شمونا وغوريا وحبيب[2] († ٢٩٧) شهداء الرها. وفي ٢٧

مخطوط لندن ٤٠٨ المنسوخ عام ١٢٨٤ م ، صفحة ٣٢٠ هكذا: « كتبه جراسمه ابن سمعان من قرية الرمانة من عمل الزبداني من اقليم دمشق » . وننبه القارئ ان السريان المونوفيزيتيين كان لهم في رومة اسقف ودير (ميخائيل الكبير ٧٦٨ عدد ٤٤و٥٠)

١) مخطوط لندن ١٢١٥٠

٢) قرأنا في كلندار الكنيسة الملكية الحديث وفي الكلندار الملحق بكتاب الانجيل، طبع الآباء اليسوعيين، اسم « افينيوس » بدلاً من « حبيب» وهو تحريف ينبغي اصلاحه .

منه يعقوب المقطّع († ٤٢١) الفارسي . وفي ٤ كانون الثاني ذكر جامع للتسعين رسولاً[1] . وفي ٢٨ كانون الثاني ، او في ١ شباط ، افريم المعلم ومار يعقوب . وفي ٤ اذار و٢٩ ايار عيد مار اسحق[2] ، وفي ٧ او ٩ آب ربولا الاسقف . وفي ٢٦ منه سابا الراهب الشيخ المرم[3] الخ .

وانطوى كلندار السريان الملكيين على تذكارات مختصة بهم فقط . منها تذكارات الانبياء واحداً فواحداً ومجملاً . ومنها في ٩ تموز تدشين كنيسة الفتيان الثلاثة حنانيا وعزريا وميشائل ، وتذكار والدة الله وردت فيه هذه التعريفة :

« في هذا اليوم ظهرت والدة الله عند ينبوع الماء في دفنا (بانطاكية) . ظهرت هناك للرسل بطرس وبولس لما حُملوا في سحابة من صهيون ام الكنائس وطُرحوا هناك عند ينبوع الماء بكورة انطاكية سوريا مدينة الله »[4] .

ومنها في ١٦ آب تذكار نقل صورة ربنا والهنا يسوع المسيح الغير المصنوعة بيد، من مدينة الرها[5] . ومنها تذكار الذخائر المقدسة في الاحد الثاني من الصوم، بدلاً من غريغور بالاماس . وتذكار زيارة العذراء يوم الجمعة التابع للفصح ، بدلاً من الفرض المزوّر المعروف بفرض « العين الحيّة »[6] .

تتمة

بقي ان نقول كلمة عما تفرّد به السريان الملكيون، دون سائر السريان، من التعابير والاصطلاحات اللغوية والصرفية . من ذلك قولهم : « على الارز

١) لاحظ ان الملكيين يقرّرون ان تلاميذ الرب هم سبعون وفقاً للنسخة البسيطة ، كما اشرنا .
٢) مخطوط الواتيكان ٢١
٣) هو يوليان سابا صاحب دير القريتين (اطلب مقالتنا في المشرق ١٠ [١٩٠٧] ١١٥)
٤) مجلة الآثار الشرقية ٣ : ٢٥٨
٥) راجع ما كتبناه عن ثيودوسيوس الثاني بطريرك انطاكية (٩٣٦ – ٩٦٣) .
٦) كرلفسكي ٦٩٢

والشربين والصنوبر ارتفع المسيح رب الكلّ . »[1] وقولهم : « فلنقرّب نحن المؤمنين ايماننا كالارز ومحبتنا كالشربين ورجاءنا كالصنوبر البهي . »[2] ومنها اعتقادهم الصحيح « بان عمنوئيل الواحد هو ذو أقنوم واحد وذو طبيعتين وارادتين وفعلين حقًّا وان والدته هي والدة الله . »[3] ومنها هجوهم نسطور بقولهم : « فلتَعمَ عينا نسطور وليُلطم وجهه لانه ابى ان يفهم ويعتقد بكونكِ والدة الله »[4] الخ.

وامتاز الملكيون في الاصول الصرفية بصيغة افعال واثبات اسماء ونقاط لا اثر لها في سائر الكتابات السريانية . نذكر منها : ܗܘܝܢ . ܗܘܝܬ . ܚܕ . ܚܕܬ . ܡܠܟܬ . بدلًا من ܗܘܐ . ܗܘܬ . ܐܚܕ . ܡܠܟ . ومنها زيادة يوذ في المتكلم الماضي والمضارع الغائب وفي بعض الفاظ نحو ܐܢܬܝܢ آمنت . و ܩܝܡ يقوم الخ وܢܫܝܢ نساء . و ܠܫܢܝܢ ألسنة الخ . ومنها اضافة نقطتي الجمع الى الافعال والضمائر نحو ܡܠܬܗ . ܡܠܬܠܝ . ܡܠܬܠܝ . ܩܡܝ الخ . ومنها وضع الف في بعض الكلمات طبقًا للنصوص القديمة نحو ܐܡܬܝܢ . ܐܠܗܐ . ܐܝܟܢܐ الخ . ومنها تبديل حرف بحرف نحو ܐܦܝܣܩܘܦܐ ܕܐܦܝܣܩܘܦܐ بدلًا من ܐܦܝܣܩܘܦܐ ܕܐܦܝܣܩܘܦܐ . و ܐܦܝܣܩܘܦ او ܐܦܝܣܩܘܦ .

---

١) ܐܠܗ ܐܝܟ ܐܪܙܐ ܡܬܪܒܐ ܒܫܘܪܝܐ ܐܦܠܓ ܡܠܟܐ ܡܫܝܚܐ ܡܪܝܐ ܕܟܠܗ (النسخة الطرّازية ١٠٣)

٢) ܢܩܪܒ ܗܫܐ ܠܡܗܝܡܢܘܬܢ ܐܝܟ ܐܪܙܐ . ܘܠܚܘܒܬܢ ܐܝܟ ܫܘܪܝܐ . ܘܠܫܘܪܝܬܢ ܐܝܟ ܨܢܘܒܪܐ ܕܫܦܝܪ (النسخة الطرّازية ٢٦١)

٣) ܐܝܟ ܕܐܝܬ ܚܕ ܒܪܝܐ ܕܥܡܢܘܐܝܠ ܗܘ ܒܥܠ ܩܢܘܡܐ ܚܕ ، ܘܒܥܠ ܬܪܝܢ ܨܒܝܢܐ ܘܨܒܝܢܐ ܬܪܝܢ ، ܘܒܥܠ ܬܪܝܢ ܨܒܝܢܐ ܘܨܒܝܢܐ ܬܪܝܢ . ܘܒܥܠ ܬܪܝܢ ܨܒܝܢܐ ܘܨܒܝܢܐ ܬܪܝܢ ، ܕܠܗܝܢ ܐܝܟ ܐܠܗ ܐܡܬܝ (فيا ١٧٦)

٤) ܢܬܥܡܝ ܥܝܢܝܗ ܕܢܣܛܘܪ ܘܢܬܛܠܡ ܦܢܝܗ ܕܠܡܐ ܕܠܐ ܨܒܐ ܕܢܗܘܐ ܡܠܬܐ ܕܐܠܗܐ (فيا ٢٢١) .

و ܟܬܒܐ بدلا من ܟܬܒܐ ܕܡܠܟܐ . ܡܠܟܐ ܕܡܠܟܐ ܕܡܠܟܐ بدلا من ܡܠܟܐ ܕܡܠܟܐ ܕܡܠܟܐ الخ .

على ان السريان الملكيين ، لما اخذوا ، منذ القرن السابع عشر ، ينقلون الى العربية كتبهم الطقسية أبقوا فيها الفاظا سريانية بحتة ، تخليدا للتقاليد الابوية . فكتبوا : باعوث ، باكرية ، برشان ، رشم ، زيح ، زياح ، رومار ، سبّة اي اسبوع ، ستار اي صلاة الغروب ، شماس ، اصحاح ، صابوت ، طوباني ، طوبانية ، طوباهم الذين بلا عيب ، طوباهم الذين يفحصون ، طوباكم ، عربون او رعبون ، عنّد ، معمذان ، معموذية ، فتغام اي آية من الكتاب ، قدّس ، قداس ، قدّاسات ، قسّيس ، كاهن ، كهنوت ، كرز ، كرازة ، كارز ، كاروز ، مار ، ماري ، مرتمريم ، ميمر ، نيّح ، تنيّح ، نياحة ، نياح ، متنيّح ، هلال[1] . هذا كله ، ما عدا ما سبقنا فسردناه من الافعال والالفاظ السريانية التي نقلها العرب عن اساتذتهم السريان ، واصطلحوا عليها في كتاباتهم .

***

فهذه هي اللغة السريانية الجليلة التي استعملها السريان الملكيون قرونا عديدة في منازلهم ومجتمعاتهم وكنائسهم . واصطلحت عليها من قبلهم دول ذات صولة وعزّة وبسطة . وقدّسها السيد المسيح بتكلّمه بها ، هو وأمه المغبوطة . وشرّفها الرسل بكرازتهم وباول طقس اقاموه في الكنيسة المسيحية في اورشليم اولا ، ثم في انطاكية وسائر بلاد المشرق . وزيّنها فحول الكتبة بجرائد تآليفهم ، وصيّروها مطلع اشعة الحضارة ومبعث الآداب الصحيحة . أفيسوغ اذا ان يُزدرى بلغة هكذا شريفة جميلة ، ويشوّه في اعين جبينها الوضّاح ، او يُقبّح حديثها في الاسماع حتى يُدعى بكونها لغة قروية او همجية او بربرية كما زعم بعض المتطرفين ؟

اننا على يقين من أن الأمة الرومية الملكية النبيلة تقدر لنا هذه الخدمة التي أدّيناها لها بكل اخلاص وامانة . بل نعتقد ان بحثنا هذا التاريخي والطقسي

١) نقلنا اغلب هذه الالفاظ عن كتاب « السواعيّة » المطبوع في الشوير .

يلاقي لدى اساطينها ومفكريها وعلمائها الافاضل ما يستحقه من الرضا والاستحسان لاننا لم نتحرَّ في كل ما سردناه الّا اثبات حقيقة تاريخية لا يستطيع من لـه إلمام باخبار الشرق والشرقيين الى انكارها سبيلًا . فضلًا عن اننا نقلنا ما نقلناه عن اصدق الصحف ، واوثق المصادر ، وحوَّطناه بحجج صادعة لا تحتمل تخريجاً ولا تقبل تأويلًا.

بعد هذا كله لا يسعنا الّا الثناء على ما افرغه البحّاثة المدقق الاب شارون كولتسكي من الهمم والجهود في الدرس والتنقيب عن اصل السريان الملكيين، وعن لغتهم وطقسهم ، وعن بطاركتهم واساقفتهم وابرشياتهم ، مما نشره على صفحات «المشرق» ، او سجله في المعاجم الشهيرة. كما اننا نُسدي جميل الشكر لحضرة العلّامة الجليل السيد حبيب زيّات الذي كتب الشيء الكثير عن طائفته السريانية الملكية الكريمة ، وعن مكاتبها ، وأدبائها ، وعلومها . وقد كان حضرته ، اعزّه الله ، اول دافع لنا للخوض في هذا الدرس الثمين . والسلام .

الاحابيش
والنظام العسكري في مكة
زمن الهجرة

بقلم الاب لامنس اليسوعي

٢

لقد حاولنا ، في القسم الاول من هـذا البحث[1] ، ان نزيل شيئاً من الغموض العالق « بالاحابيش » لفظاً وحقيقةً . فتحققنا وجود اولئك العساكر السود في الجيش القُرشي ، واشرنا الى ان التاريخ الرسمي أبعد من ان يُقرّ به . انما هو يجعل من « الاحابيش » عرباً تحالفوا مع قريش . ويأتي اللغويون لنجدة المؤرخين فيحوّلون اسم « الاحابيش » ، عن بلاد الحبش ، الى جبل في جزيرة العرب ينسبون اليه اولئك الاحلاف فيقول عنهم ابن دريد : « حلفاء قريش تحالفوا تحت جبل يقال له حبشي فسمّوا الاحابيش »[2] . وانتهينا الى اضطراب اللغويين في وضع جبلهم المزعوم من بلاد العرب . وذلك انهم في تحقيقاتهم الحاذقة اللبقة لا ينتبهون للجغرافية . بل قد يخطئون في تعيين ، لا موضع ذاك المحلّ فقط ، بل طبيعته ايضاً حتى ليجوز لنا ان نسأل أهو جبلٌ ام وادٍ ؟[3] انما يكتفي جمهورهم بوضعه في منطقة مكّة ، او في بلاد تهامة . ولا يخفى ما في هذا التعيين المتقلقل من مثيرات الشكّ . وهو مـا لاحظناه غير مرّة في مؤلفي « المعاجم » من انصرافهم عن الاخـذ بطريقة الاختبار والتحقّق الشخصي في الشؤون الجغرافية ، هذا على ما في معاجمهم من غزارة مادّة ، وسعة معلومات .

---

١) في « مشرق » السنة الحالية ، ص ١–٢٣

٢) ابن دريد : الاشتقاق ١١٤ ؛ ابن هشام : السيرة ٢ : ٨٠

٣) يذكر ابن هشام (السيرة ٢٤٦) وادي الاحباش . فهل يمهّد السبيل في ذلك الى التقريب بينه وبين الاحابيش ؟

وليس من شكّ في ان هذا الضعف النقدي ، بل هذا النوع من مظاهر الكسل العقلي ، يحطّ كثيرًا من قيمة تلك المجاميع . وهذا ياقوت يقترح ، في سرعته المعهودة ، بان يجعل الموضع المقصود في وادي نعمان الاخضر[1] ، نعمان الاراك[2] ، المشرف على المناسك في عرَفة ومِنى . وما دامت المسألة مسألة اقتراح وفرضيات فلِمَ لا يكون لنا جبال بدل جبل واحد ؟ أوَ لم يمِل الازرقي الى التمييز بين حُبْشي ، جبل التحالف ، وحَبْشي وهو جبل آخر لا شأن له ، مؤكدًا ان الاسم المذكور « لم يُنسب الى رجل حبشي »[3] .

وهو معلوم ان الكهّان والعرّافين كانوا ، زمن الجاهلية ، يجنحون الى المرتفعات[4] فينصرفون فيها الى القيام بشعائر مهنتهم الخاصة . فكان لهم حول مكة كثير من تلك القمم تعلوها اماكن العبادة[5] . فلا عجب اذًا بان يكون المفسّرون من الاختصاصيين بشرح « الغريب »[6] قد لجأوا اليها مفتّشين عن اسم يمكنهم ان يقرّبوا بينه وبين « الاحابيش » . ومن يفتّش يجد في تلك الكثرة من اسماء الاعلام الوافرة في مناطق الصحراء . واذًا فقد اكتشف العلماء هذا الاسم محرّفًا بعض الشيء في الأليّات ، او الأعيان القديمة ، التي كان يكثر منها العرب في جميع عصورهم ؛ وكأنهم لا يقنعون بالتعبير البسيط عن افكارهم ، فينفرون عن الاكتفاء بالقول : « نعم ، نعم ، ولا ، لا »[7] ، مسيّرين بطبيعتهم المندفعة واهوائهم المضطربة حركةً وحياةً الى

---

١) اطلب كتابنا *Le Berceau de l'Islam*, I, 69

٢) ياقوت (الطبعة المصرية) ٣ : ٢١١

٣) الازرقي (Wüstenfeld) ٧١ ، ٤٩١

٤) اسد الغابة ٥ : ٧ ؛ السيرة الحلبية ١ : ٢١٢

٥) راجع لائحة تلك المرتفعات الكثيرة في الاربعين الصفحة الاخيرة من مؤلف الازرقي (Wüstenfeld)

٦) وهو تلك الالفاظ القديمة ، والتعابير الغريبة الاستعمال ، الحافلة بها الاحاديث المنسوبة الى النبي . ولا يخفى ان اكثرها مدسوس ، ادخله الواضعون ليوهموا الناس قدم تلك الاحاديث وصحة نسبتها . ولا يزال يغترّ بهذه المظاهر عدد كبير من علماء الاسلاميات ممن ينقصهم التضلّع او يعيب بهم التسرّع والعجلة .

٧) متى ٥ : ٣٧

تأييد كلامهم باليمين ، بل بسلسلة من الأيمان يُرسلونها فطرةً في احاديثهم البسيطة ، وفي اقوالهم الرفيعة ، في قصائد شعرائهم وفي اسجاع كهّانهم خاصة. بل ان بعض السور القرآنية لا تعرف من انواع الخطابة الا القسم[1]. ولقد كان من الطبيعي ان تكثر في هذه الأيمان اسماء المرتفعات التي يأوي اليها الكهّان وحجارتهم المؤلهة ، فيستشهد بها البدوي على صحة قوله[2] فيحلف انه مُقيم على العهد « ما أقام حُبْشي »[3] مثلاً ، او « ما رسا حُبْشي »[4] ، او حَبْشي . اما في الأيمان القرشية فكثيراً ما استبدل بحبشي جبل ثور ، او ثبير ، او حراء[5] ، او ابو قُبيس ؛ وكلها مرتفعات اقرب الى المجتمع المكّي[6] ، وابعد شهرة بفضل مناسك الحج السنوي.

ولم يكن اللغويون ليطلبوا اكثر من هذه الاكتشافات ، فعلقوا بها ووضعوا قرب حُبْشي مكان ذاك التحالف العسكري . بيد انهم ، لسوء الحظ ، لم يتفقوا على لفظ الاسم ، هل هو حَبْشي ، أم حُبْشي ، ام احباش ، ام حَبيش ؟ كل هذا ينم عن استقائهم المعلومات من الكتب ، مُعرضين عن طريقة التحقق الشخصي. وقد مال البكري الى تفضيل لفظ « حَبيش » ، وهو اقلها ورودًا ، ذاكرًا أن « اهل الحديث » يعاون الى حُبْشي . وهذا قوله : « وحبيش جبلٌ بمكة ؛ وبه سُميت الاحابيش حلفاء قُريش ، لانهم تحالفوا تحته ألّا ينقضون ما أقام حبيش . واهل الحديث يقولون حُبْشي ، بضم اوله منسوب على مثال فُعلي ، موضع على عشرة اميال من مكة ، به مات عبد الرحمن بن ابي بكر

١) قابل بها في القرآن ١٩ : ٦٩

٢) الجاحظ : الحيوان ٤ : ١٥٠ ؛ اسد الغابة ٥ : ٧ ؛ ابن هشام ١٣٣ ؛ ابن الاثير : النهاية ٢ : ٣٧٣ ، ٣ : ٤٥ ، ٤ : ٥٩ ؛ الهمداني : جزيرة العرب ١٢٦ ؛ البكري : المعجم ٦٠٣

٣) البكري : المعجم ٣٦٣–٣٦٤ ؛ ابن قتيبة : المعارف ٣٠٢

٤) ياقوت : المعجم (الطبعة المصرية) ٣ : ٣١١ ، وهو يكتب ايضاً : حَبيش.

٥) الاغاني ١٣ : ٣٩ ، ٨٥ . ويقول هذا الجبل في كتب « الصحيح » منزلة جبل الطور او طابور في الانجيل . اسد الغابة ٣ : ٢٧٨ ، ٤ : ٦٣

٦) لقد صورنا تأثير هذه المرتفعات في كتابنا : *Les sanctuaires préislamites dans l'Arabie occidentale*, p. 21

فجأةً[1]. وصحته ، والله أعلم ، حَبيش »[2].

أوَ لا يجوز لنا ، وقد رأينا هذا الاضطراب والغموض والجمجمة ، ان نقول ان اللغويين والمفسّرين جهلوا ، او تجاهلوا ، الاصل اللغوي الحقيقي للفظة « الاحابيش » ؟ فعلقوا بهذه الشروح الضعيفة ، مكتفين بما يبعد عن « أحابيشهم » كل علاقة بالسودان الآتين من بلاد الحبش ، باولئك الذين كانوا يسمّونهم « عبدان اهل مكة » او « سودان مكة »[3] . ولقد كان من همّ العاطفة الوطنية المحلية ان تصل الى هذه النتيجة ، بل الى هذا الغموض والخلط.

ثم ان المذهب المكي ، في عمله الدائب على سدّ الثُلم الواهية في مصادر تاريخه الوطني ، لا يأنف ان يلتجئ احياناً الى شعر حسّان بن ثابت ، على الرغم من نزعة حسّان المدنية ، وهجائه اللاذع المقذع في القرشيين[4]. ولم يتنبه ارباب هذا المذهب ، مؤرخين كانوا او مفسّرين ، لما يجرّه عليهم الاستشهاد بشعر حسّان ، او انهم لم يفقهوا كلّ الفقه هذا الشعر القديم ، لكثرة ما تكاثف عليه من الغموض ، ولم يمرّ على نظمه قرنٌ كامل. وهكذا ، على الرغم مما اتصف به مؤلفو « السيرة » من حسّ لغويّ دقيق ، تراهم لا يميزون بسهولة بين المقطع الهجائي والقصيدة التاريخية . هي هفوة وقع فيها ابن هشام ، مَن عرفناه عالماً بالشعر القديم ، مدقّقاً في قبول صحة نسبته[5].

ولا يخفى ان ديوان حسّان سجلّ شامل ، بل شاهد حيّ ، لمظاهر تحقد الانصار على المهاجرين ، اولئك القرشيين الذين احتلّوا مدينتهم ، فضيّقوا عليهم.

---

١) وفي الاغاني اشارة الى هذه الحادثة ١٤ : ٧٠ ؛ ١٦ : ٩٦ ؛ ويقال ان قبر عبد الرحمن المذكور كان معروفاً هناك . اما الازرقي ، ٤٣٣ ، فيقول : « مات بالحبشي فلم يُحمل الى مكة ». وقوله حجة في تاريخ المنطقة المكيّة. ولم يزد من اتى بعده على ان تقلوه. قابل بما في اسد الغابة ٣ : ٣٠٦

٢) البكري : المعجم ٢٦٣-٢٦٤

٣) اسد الغابة ٥ : ٨٣ في الكلام عن وَحْشي.

٤) ابن هشام : السيرة ٥٧٢ ، ولتقابل بما في الصفحة ٥٢٣

٥) من ذلك اهتمامه بالتدقيق في صحة الشواهد في الصفحات ٢٢٧، ٤١٦، ٤١٨، ٤١٩ ، ٤٣١، ٤٦٣، ٤٦٣ . . .

وفي هذا الديوان مقطع ، هو الحادي والستون من طبعة هيرشفلد[1] ، يلمح الى بعض الحوادث الحربية في حياة النبي ، واذاً فهو يهمنا في الموضوع الحاضر . بيد ان ابا زيد الانصاري[2] ينفي ان تكون القصيدة لحسان ، فينسبها الى كعب بن مالك ، وهو من شعراء المدينة ايضاً . ولا يستغرب المطالع هذا التردد في نسبة الشعر ، فهو طبيعي يستند الى المبررات العديدة من اضطراب التقليد الشعري وضعف الثقة ببعض الرواة ، ولاسيما في ما خص شعر حسان ، وقد كثر فيه المنحول . ومهما يكن من أمر ، فان المقطع قديم ، مدني الاصل . وهو « نقيضة » يرد بها الشاعر على احد شعراء مكة ، هُبيرة بن ابي وهب ، « فينقض » قوله « ولنحذر أن نغتر كثيراً بآثار شعراء قريش قبل الفتح[3] » . انما نحن نقبلها بكل تحفظ ، مشيرين الى ما يهمنا من هذه القصيدة المنسوبة الى هُبيرة بن ابي وهب ، والمؤلفة من تعابير متنوعة المصادر[4] . وهو هذا البيت :

سُقنا كتائبَ من أطراف ذي يمنٍ عُرض البلاد على من كان يُزجيها (٥

ولا يخفى ان النبرة الفخرية كافية وحدها لتعيين زمن انشاء القصيدة . فهي تنقلنا الى عهد تسلط الخلافة القرشية واستبدادها . اما قبل ذلك ، زمن صدر الاسلام ، وهو الزمن المزعوم لانشاء القصيدة ، فلم يكن بين معاصري ابي سفيان مَن يغتر هذا الغرور بسيادة المكيين على جيرانهم من أُباة البدو . بيد ان صفات العلو هذه هي التي دفعت جُمّاع حوادث السيرة الى الاخذ بالقصيدة وادخالها في مجموعتهم . وهاك الآن جواب حسان ، او كعب ، في النقيضة[6] ، ويهمنا

---

١) في مجموعة « *Gibb Memorial Fund* » ، وهذه الطبعة ضعيفة النقد تظهر بحاجة الى مزيد تدقيق .

٢) ابن هشام : السيرة ٦١٢ . كان جدّ ابي زيد ، صاحب الغريب او صاحب النحو ، من الصحابة (اسد الغابة ٥ : ٣٠٢) : فكان لا بدّ ان يعرف ابو زيد هذا تاريخ الانصار الادبي .

٣) قابل ، في ما خص مراثي قتلى بدر ، بملاحظة ابن هشام النقدية في السيرة ٥٢٤ ، ثم ٤١٦ ، ٤١٨ ، ٥٢٤ ، ٥٢٨ ، ٥٣٠

٤) قابل بابن الاثير : النهاية ٣ : ٥٣ ، ٤ : ٩٣

٥) ابن هشام : السيرة ٦١٢ ؛ وكانوا يتخذون العسكر من الازد احياناً ، وهم يمنيون ؛ راجع اسد الغابة ٣ : ٢٢٨

٦) ديوان حسان ٦١ : ١–٢

منه بيته الاخير خاصة :

سُقتم كنانة ، جهلاً ، من عداوتكم ، الى الرسول ، فجند الله مُخزيها !
اوردتموها حياضَ الموت ، ضاحيةً ! فالنار موعدها ، والقتل لاقيها .
انتم احابيش جُبِّتم بلا نسبٍ ، أغثة الكفر غرّتكم طواغيها !

وان لفظ « الاحابيش » الوارد في البيت الثالث يظهر غريباً نادراً في الشعر الجاهلي وفي شعر صدر الاسلام نفسه[1] . ولهذا لفت نظر ارباب الحديث منذ اقدم عصورهم .

ومما تجب الاشارة اليه ان كثيراً من العلماء[2] لا يزالون يتصوّرون الحديث الاسلامي ينشأ موازياً تطوّر المذهب القرآني ؛ فيرتكز على سلسلة من الاخبار والحوادث راقية مباشرةً الى النبي ، مستندة ، في حلقات صحيحة متتابعة معدّلة ، الى طائفة من الصحابة حفظت لنا المجاميع الاختصاصية، كأسد الغابة واصابة ابن حجر ، تراجم حياتهم المتضخمة بالروايات والاساطير ، المتكيّفة بآراء الجامعين بل برغبات وميول القبائل المختلفة ، وكلها حريصة على ان يكون لها من يمثلها بين اعيان الاسلام الاول. على ان هذا التصوّر لا يقوى على النقد . وقد كان لنا ان نعرض له في شيء من التبسُّط[3] ، فنبيّن ما في بناء الاحاديث من وهن وتضعضع وتكلُّف ، وما كان يرمي اليه من غاية هي تفسيرية عقائدية قبل كل شيء ، لا تاريخية ولا جغرافية . وها اننا نرى برهاناً جديداً لرأينا السابق في هذا البحث. ومما لا شكّ فيه ان غيرة التابعين على تأليف حياة للنبي جعلتهم ينصرفون باهتمام وحماسة الى درس الآداب الجاهلية . فأقبلوا يجمعون تلك الاشلاء المتفرّقة من الآثار القديمة فيؤلفون بينها ويوافقون ، واذا بها تخرج دواوين سويّة للشعراء القدماء . واذا بهم يستغلّونها موادّ صالحة

١) فلا يظهر الا في قصيدة لكعب بن مالك (ابن هشام : السيرة ٦١٤) ، وفي قصيدة لشاعر من غفار (السيرة ٨٠٤) ، ان كانت صحيحة النسبة .

٢) وقد يسلّم بعضهم باسقاط العهد المكّي ، راجع رأي ولهوسن في *Berceau*, I, Introduction, VII

٣) في ; مقالنا *Coran et Tradition : comment fut composée la vie de Mahomet* extrait de *Recherches de science religieuse*, I, 1910

لتأليف سيرة الرسول . وهم ، في استغلالهم هذا ، ما كانوا ليغفلوا تلك المقاطع الشعرية الهجائية المتداولة بين مسلمي الجيل الاول منسوبة الى غير واحد من اولئك الذين كانوا « يناضلون عن رسول الله »[1] ، واشهرهم المثلث المدني : حسان ، وكعب ، وابن رواحة .

على انهم توقفوا هنيهة في شروحهم واستنتاجاتهم امام لفظة « الاحابيش » الغريبة ، فأخذوا يقابلون ويوافقون ويخرجون . ونحن نعرف لهم اليوم هذه الجهود باطلاعنا على مجموعات « غريب الحديث » ، فنتحقق كيف توصلوا فرأوا في اللفظة تعبيراً فنياً عسكرياً كانت تستعمله قريش للدلالة على جنودها من كنانة . ولا يخفى ما في هذا الشرح من التزلف الى المكيين بالاشارة الى اقرار سيطرتهم القديمة . اما غاية الهجاء المدني — وسواء أكان حسان أم كعباً ام ابن رواحة — فتظهر بعيدة عن هذا الشرح والتخريج . لقد اولى اللفظة ، هو وحده ، معناها الحقيقي المتداول في ذلك العصر . فاليه وحده يجب ان نستند في فهم هذا المعنى . يقول في بيته المذكور ، ان ذاك الجيش الذي ألفته قريش ، في محاربة النبي ، يمثل حشداً من السود ، يسيرون بضجتهم وجلبتهم متجمعين ، دون ترتيب ، فهم اقرب الى « الاحابيش » عبيد افريقية منهم الى الرجال الاحرار ، الى العرب الخلص الذين يجتمعون لنداء الدم ، بفضل النسب ، فيحتشدون حول الراية مدافعين عن قبيلتهم[2] . ولا يخفى ما هناك من توافق بين هذا القول واللهجة الشاملة في القطعة الهجائية ، وما فيه من تلميح دقيق ينال ، ضمناً ، من تعصب سادة مكة اعداء النبي واعداء الانصار . والمعروف عن حسان أنه كان ينبغ في هذا النوع من الهجاء « فيقبل على الانساب »[3] والأعراض ، ولهذا مال اكثر النقاد الى جعله هو صاحب القصيدة المذكورة ، لا كعباً ولا ابن رواحة .

---

١) راجع اسد الغابة ٣ : ١٥٧ ؛ ٤ : ٢٤٨

٢) هذا معنى : « جمعتم بلا نسب » . ويرجح التقليد ان « النسب » خاصة العرب وحدهم ، اما الانباط والاعاجم فيعرفون بالنسبة الى قريتهم .

٣) اسد الغابة ٤ : ٢٤٨

وها ان ابن هشام يفيدنا شيئاً في تأليفه الظاهر الاهتمام بالدقة التاريخية[1] ، فيمهد لنا السبيل لحلّ مقبول . يميّز هذا المؤلف ، بل يدوّن ، على الارجح ، ما رآه في الكتب التي نقل عنها من تمييز بين « احابيش » قريش ، وحلفائها العسكريين ... فيقول « اجتمعت قريش باحابيشها ومَن اطاعها مِن قبائل كنانة واهل تهامة ... »[2]. ولنحفظ هذا التمييز المهم ، منتقلين الى نصوص تبدو اوضح واوفر دلالة على ما قدّمنا . هي نصوص دونها الواحدي ، والطبري ، والواقدي[3] ، وفي بعضها ذكر جيش « استأجر (صاحبه) الفين من الاحابيش ... سوى مَن اجاب له من العرب »[4] ، وهناك غيرها من النصوص يُميّز فيها بين الاحابيش ومأجورة بني بكر من الغفاريين . ولا يهمنا ، في هذا ، ان يكون كلّ الجناع والمؤرّخين دقّقوا في الفرق بين الجيشين ، او انهم بالعكس لم ينتبهوا للتمييز ، فخلطوا بين الاحابيش ومأجورة العرب . انما المهم ان يكونوا تقاوا هذا التمييز عن الروايات القديمة ، شأنهم في كل ما يؤلفونه على ذاك الاسلوب التقليدي الاسنادي في تدوين التاريخ القديم . ولقد كان من فضل هذا الاسلوب — على ضعفه ونقصه ودلالته على الابتدائيات في فنّ الكتابة — انه سهّل علينا الوصول الى النصوص الاصلية[5] .

ينتج من كل ذلك ، على ما نرى ، ان مجموعة الوثائق في الموضوع ، المنظّمة في القرن الاول للهجرة ، كانت تشير الى وجود عناصر غير بدوية في

---

١) من مظاهر الاهتمام بالدقة التاريخية في سيرة ابن هشام جهد المؤلف في تمحيص الشواهد الشعرية ، والاشارة ، وان بطريقة خفية ، الى شكّه في صحة بعضها .

٢) ابن هشام : السيرة ٥٥٦ ؛ قابل بما في ٦٧٥ ؛ الواقدي ١٩٩ ؛ الطبري ١ : ١٢٨٤ ، ١٢٨٥ ؛ الاغاني ١٤ : ١٢ ؛ ابن سعد : الطبقات ٢ : ٤٧ : « احابيشهم ومن تبعهم من العرب » ؛ السمهودي : الوفاء ١ : ٢١٤

٣) راجع الحاشية السابقة وانظر ابن الاثير : الكامل (الطبعة المصرية) ١ : ٢٤٧ : كنانة جميعها والاحابيش .

٤) الواحدي : الانساب ١٧٧ ، قابل بما في الطبري ١ : ١٦٣٥

٥) وذلك على خلاف طريقة ابن خلدون التي يرمي فيها الى الجمع بين « الروايات » المختلفة والتوفيق بينها ، ليجعل منها كلها رواية واحدة متتابعة الاقسام .

قوّات مكة العسكرية. وهكذا كانت وحدات « الاحابيش » تتألف ، دون شك ، من جنود سود . على ان هؤلاء الاحباش كانوا يختلطون بالبدو ، بعدد من المقاتلة عربيي الاصل ، اقل سواداً من ابناء خام . ولقد ذكرنا من هؤلاء ، في بدء مقالنا الاول ، مَن كان العرب يدعونهم بالخلعاء ، والصعاليك ، والفتّاك ، واللصوص ، والشياطين[1] . واكثرهم من بني كنانة لجأوا الى ارض الحرم ، حول مكة ، ولم يكن لهم من عمل الا انتظار اول طالب فيؤجرونه سيوفهم ونبالهم . وليس ببعيد ان يكون من هؤلاء الشذّاذ اولئك المغامرون الملحقون بكتائب قريش ، والذين يشير اليهم قدماء المؤرخين عندما يذكرون رجال القبيلة « ولفها »[2] . يأتي بعد ذلك رجال القبائل المجاورة لمكة ، وقد دعاهم وقتياً الى حلفها وحدة الاصل والرغبة في السلب . ولقد كان سادة قريش يأخذون من هؤلاء البدو ، احلاف ومجاورين ، رجال القيادة والترتيب او رجال الملاك العسكري ، كما نقول اليوم ، فيعهدون اليهم في تنظيم شؤون ذاك الجيش الاسود . فاتّسع ، اذ ذاك ، مدلول لفظة « الاحابيش » حتى أُطلقت على افراد الجيش انفسهم ، وعلى مَن كان يدبّره ويقوده من الموظفين او الضباط العرب[3] . وهذا على نحو ما نرى في ايامنا من ان لفظة الكتائب السنغالية ، او « العسكرية » (*askari*) تُطلق ، لا على افراد تلك الكتائب الافريقية وحدها ، بل على مَن يديرها ، ويدبّرها ، ويقودها من ضباط الاوربيين . ويجب ألا ننسى ما يدل عليه لفظ « الاحابيش » من كثرة الحاميّين المستعبَدين في مكة اذ ذاك . وهو امر توضحه النصوص المشيرة بصراحة الى ان امثال وَحشي[4] ، وصُوّاب ، وابي رُوَيحة ، كانوا « من سودان مكة » او « من عبدان اهل مكة » .

---

١) راجع « مشرق السنة الحالية ، ص ١–٣

٢) الواقدي ٢٠١ ، ٢١١ ، ٢١٣ ؛ الاغاني ١٩ : ٧٦ ، ٧٩ ؛ العقد ٢ : ٤٧ ؛ وقابل بما في الاغاني ٩ : ١٧ ؛ ويجب ان نضيف « الضاريط » ، كما في اسد الغابة ٤ : ٢٨٣ ؛ الاغاني ١٩ : ٧٥ ؛ ابو زيد : النوادر ٥٤ ؛ الجاحظ : كتاب الحيوان ١ : ٢٢ ، ١٧٧

٣) ولهذا رأينا عدداً من البدو المخلّص ، يُدعون « بالاحابيش » .

٤) وهو اسم كثير الانتشار بين « سودان مكة » .

وقد كان لهؤلاء الاحابيش ، في نظامهم المحدَّد ، سيّد خاص يُدعى « بسيّد الاحابيش » ، يقوم بالقيادة العليا ، ويكون عربيًّا من تهامة ، منتسباً ، على الغالب ، الى بني كِنانة[1] . الا اذا كان رجال العسكر البيض كلهم من خزاعة ، فيجب اذ ذاك ان يكون « السيّد » خزاعياً[2] . وهو تقليد كان معروفاً قبل ان تحالف الخزاعيّون مع محمد[3] . ولا يخفى ان المنافسة بين القبيلتين المشهورتين بتغذية جيش « الاحابيش » برجالهما ، وهما غِفار واسلم ، كانت تبلغ اشدّها احياناً ، فتضطرّ السلطة الى تعيين « سيّدَين » للاحابيش من كل قبيلة سيّد[4] .

ولم يكن مركز السيد المذكور بالهيّن ؛ ولم يكن السيد نفسه بالمتساهل او المتغافل عما يوليه منصبه من سلطة ، وشموخ ، وصراحة في الكلام تتجاوز احياناً الى القحة ، لا يهاب احداً من امثاله البدو ، ولا من القرشيين انفسهم ، وان يكن ابا سفيان . بل تراه لا يتنازل عن زهوه ، ولا يخفي تلك المنجهية العابثة ، النازعة الى الاستقلال بالرأي والانفراد بالعمل ، الماثلة من اشهر خصائص البدو[5] . نفهم ذلك اذا ما عرفنا ان ارباب « البطحاء » من سراة قُريش ، وقد كان لهم وحدهم حقّ عقد المجالس والاندية في « فِناء » الكعبة[6] ، دُفعوا الى مشاركة بني غفار هذا الحق ، لما قام به هؤلاء من خدم جليلة اثناء الحروب المتتابعة[7] . هذا ، ويظهر من تاريخ السنوات الستّ الحافلة بالوقائع المطّردة بين

١) ابن هشام : السيرة ٣٤٥ ؛ العقد ٣ : ٤٧

٢) الاغاني ١٩ : ٧٦ ؛ اسد الغابة ٢ : ١٦

٣) وبعد المحالفة ايضاً ، لان الحلف لم يشمل جميع بطون خزاعة (اسد الغابة ٢ : ١٦) ، بل ان منهم ، كبني المصطلق ، مَن حاربوا النبي فكسرهم شرّ كسرة .

٤) ابن الاثير : الكامل (الطبعة المصرية) ١ : ٢٤٨ . ويذكر الاغاني (١٩ : ٧٩) سيداً للاحابيش قُتل في الحرب .

٥) ابن هشام : السيرة ٥٨٢ ، وقابل بما في ٣٤٥–٣٤٦ .

٦) وهو معنى التعبير الجاري : « وقريش في انديتهم » اسد الغابة ٢ : ٢٥٧ ؛ ابن هشام : السيرة ٢٠٢ ؛ ثم اسد الغابة ٤ : ٥٥، ٥٦، ٥٨ ، وقابل بما في كتابنا *La Mecque à la veille de l'Hégire*, p. 87... ; 136

٧) اسد الغابة ٣ : ١٥٠ – ولم يكن لبني خزاعة ، على ما لهم من مثلين في مكة ، شيء من هذا الحقّ في فناء الكعبة . والسبب ان القرشيين ، لو سمحوا لخزاعة بشيء من ذلك ،

النبي واقاربه المكيين ان « سيادة » الاحابيش كانت تنتقل من واحد الى واحد؛ فلا تطول مدة «السيد » في منصبه. والسبب ان المكيين، على حاجتهم الى معونة اولئك البدو ، لم يكونوا ليغفلوا عما يتصف به سادة القفر من نزوع الى الاستبداد بالسلطة ، وميل الى العبث بالاوامر ، فكانوا لا يدعون السيد منهم مدة طويلة على رأس الجيش خوفاً من سيطرة عسكرية . وهكذا عملوا على اضعاف نفوذ السيد، إلا في ما خصّ قيادة الجيش اثناء الحرب، قيادةً زمنية وقتية. وهو ما تشير اليه النصوص القديمة بقولها: « وكان يومئذٍ سيّد الاحابيش»[1].

ولا يخفى ان هذا التقلقل في المنصب، وهذه المراقبة الغيرى من قبل القرشيين لمن اوضح الادلة على التقاليد الديموقراطية ، وعلى تنبّه المكيين وحذرهم المتيقّظ[2].

ثم ان هؤلاء التجار الحاذقين كانوا ابعد من ان يغفلوا عما قد يجرّه من خطر ذاك الجيش الاسود المسلّح ، اذا ما تُرك دون رقابة ولا ضبط . وهم لم ينسوا بعد ما اتّصف به جدود احابيشهم، ابناء مملكة أكسوم القوية، من بطش وتنكيل ، عندما اكتسحوا الحجاز ، عام « الفيل » ، فاحتلّوا مكة نفسها . تلك الذكريات ، على غموضها ، كانت جديرةً بان تُثير في اذهان السودان المتقلقلة نزعات قد تكون شديدة الخطر على اهل مكة . ولا يخفى ان مملكة الحبش ، اذ ذاك ، كانت دولة حربية شديدة الوطأة ، لا تزال تتحيّن الفرص للعودة الى التدخل بشؤون جزيرة العرب[3]. هذه الدولة التاريخية القوية، الطموحة غير تلك الدولة الحبشية الوهمية، المتولّدة من تصوّرات جمّاع كتب «الصحيح»،

لتعرّضوا لخطر تقدر مبلغه اذا ما عرفنا ان خزاعة كانت صاحبة السدانة في الكعبة وسائد مكة ، قبل ان ينتصب قُصيّ منها هذا الحقّ . واذاً فهي لا تزال تأسف لفيئته وتحنّ الى ماضيها القريب.

١) ابو سعد : الطبقات ٢ : ٧٠ : الاغاني ١٤ : ٢٠ ، ١٩ : ٧٩ ؛ ابن هشام ٢٤٥ ، ٧٤٢ ؛ العقد ٣ : ٤٧ ؛ وكان من اشهر اولئك السادة « سيّد القارة » ؛ البخاري : الصحيح (طبعة Krehl) ٣ : ٥٩ ؛ والقارة بطن من كنانة مشهور برماته ، Wüstenfeld, *Register*, 119 ؛ الطبري ١ : ١٥٢٨ ؛ اسد الغابة ٣ : ٢٠٧ ، ويظهر فيها ان القارة من أسد خزيمة ، قابل بما في ابن هشام ٢٤٥

٢) مسلم : الصحيح ١ : ٤٨٦ ٣) راجع كتابنا *La Mecque...*, p 290

يحكمها نجاشي ميّال للاسلام[1] ، اه اخ يأتي المدينة متطوّعاً لخدمة النبي[2] . يفيدنا التاريخ ان رجال الدولة الحبشية كانوا ينازعون المكيين انفسهم ، وفي مدينتهم مكة ، تجارةَ الهند ، وكان اسطولهم يسيطر على البحر الاحمر . لهذه الاسباب وما يماثلها كان القرشيون شديدي الحذر من رجالهم السود ، فعملوا على ضبطهم بانشاء ذاك النظام العسكري الذي اشرنا اليه . فاحاطوا الاحابيش بعدد من الضباط والقوّاد العرب مسؤولين عن اخلاص رجالهم وطاعتهم . وهو ما قام به اولئك « السادة » من بدو تهامة . ولقد كان من غاية القرشيين ، فوق ضبط الاحابيش ومراقبتهم، ان هذا النظام يعزّز العاطفة الوطنية في اولئك البدو ، فيدفعهم الى الالتفاف حول قريش ، متناسين احقادهم وثاراتهم .

ولم يختصّ « الاحابيش » بسيدهم المستقلّ فقط . بل كان لهم ، فوق ذلك، رايتهم الخاصة ، يحاربون وراءها الى جانب القرشيين[3] . وكان لهم ايضاً ميزات متعدّدة مدوّنة كتابةً في معاهدة تنصّ بالتفصيل على كيفية معاونتهم للجيش القرشي ، وعلى مدة خدمتهم العسكرية ، وما يتمتعون به من حصانات وامتيازات ، وما يتناولون من مرتّبات مقرّرة . حتى اذا اراد القرشيون ان يتملّصوا من تنفيذ شيء من هذه الشروط ، هاج الاحابيش فذهب سيدهم ، وانذر رؤساء قريش باحترام شروط الحلف والمعاقدة[4] ، مطالباً لرجاله بحقهم من الحماية والمنعة في ارض مكة[5] . وكان العرب من « الاحابيش » اعلق ببدويتهم من ان يتصاغروا للحضريين من اهل مكة . هم يعاونونهم في الحرب ، ولكنهم لا يرضون بان يعاملهم المكيّون معاملة المأجورين . فوجب على اهل مكة ان

١) ابن هشام ٧١٧

٢) اسد الغابة ٢ : ١٤٤ ، ٥ : ٣٧٣

٣) الواقدي ١٩٩ ، ٢٠١

٤) قائلاً : « حالفناكم وعاقدناكم . . . » الطبري ١ : ١٥٢٩ – يذكر ابن جبير في رحلته (*Travels*², 97,131) ان حرس امراء مكة الخاصّ كان ، في عصره ، مؤلّفاً من السودان . ولم تكد الحالة تتغيّر من ذاك العهد الى يومنا . راجع Burckhardt, *Voyages* I, 152, 328, 329 ؛ ثم L. Roches, *Dix ans à travers l'Islam*, 1834-1844, p. 110

٥) اسد الغابة ٢ : ١١٦

يترضوهم دائماً ، ولاسيما « سادتهم » ، لئلا يثوروا ويُثيروا الجيش معهم ، او لئلا « ينفروا بالاحابيش » ، كما كان يُقال[1] .

٣

كل ما تقدّم من التفاصيل يقودنا بالفكر الى قرطاجة ، الى البندقية ، الى تلك الجمهوريات التجارية التي تشترك مع مكة الجاهلية في الكثير من مظاهرها . ولا يجد الباحث صعوبة في ان يستخرج من النصوص المتعلقة « بالاحابيش » موادّ صالحة لتأليف رواية قرشية لا تبعد في شيء عن سالَمبو « *Salammbô* » فابن جُدعان ، وابو سفيان[2] ، وغير واحد من زملائها « الاشراف » ، سراة « البطحاء »[3] ، يحلّون بسهولة محل ابطال فاوبير من امثال أميلكار ، وهانون ، وغيرهما . وفي تلك البيئة الجاهلية الخليعة ، التي كثيراً ما شكا القرآن من عبثها وفساد اخلاقها ، لا يندر ان يرى الباحث واحدةً من « ذوات النطاقين »[4] العديدات ، تقوم مقام بطلة الرواية المذكورة[5] . فالمحيطان يتشابهان ببسيطرة الماليين من ارباب التجارة ، واصحاب رؤوس الاموال ، وبحاجتهم جميعاً الى حماية الجنود المأجورين .

١) وهو معنى : « لأنفرنّ بالاحابيش » ، ابن سعد : الطبقات ١ : ٧٠

٢) قابل بما في الاغاني ١٩ : ٧٥

٣) لا تختصّ لفظة « البطحاء » بالدلالة على « مجرى السيل » ، انما تفيد ايضاً « الحصى » او « الحصباء » . قابل بما في اسد الغابة ٤ : ٤٣ : « فبحث بيده في البطحاء » . نذكر هذا لنبرّر شرح هوبير في رحلته : Ch. Huber, *Voyage dans l'Arabie centrale*, p. 54 (extrait du *Bull. Soc. Géogr.* de Paris, 1884-1885) فنردّ على نقد وجه اليه قلم التحرير في المجلّة المذكورة . ولا شكّ في ان هوبير ، المتضلّع من اللهجة البدوية ، دوّن الشرح الذي سمعه في ذاك المكان ، فلم يخطىء القصد مستعملاً « الشامل بدل المشمول » كما نرى في تعليق المجلّة . وليقابَل ذلك ايضاً بهذا التعبير في اسد الغابة ٤ : ٧٣ : « اناخ بالأبطح ثم كوّم كوماً من البطحاء » ، وبما في السهودي : الوفاء ١ : ٩٤ ، ٣ : ١٦٤ : ابن الاثير : النهاية ١ : ٨٢ ، ٤ : ٢٣٨ ؛ شيخو : شعراء النصرانية ٧٧١

٤) راجع كتابنا في *Fāṭima*... p. 5

٥) ولنشر ، بهذه المناسبة ، الى اولئك الفتيات البدويّات اللواتي كان يُعهد اليهنّ ، في ميدان الحرب ، بحفظ القبّة المقدّسة او بيت الحجر المؤلّه . اطلب بحثنا في *Le culte des bétyles*... dans *L'Arabie occidentale avant l'hégire*, p. 112... 124

ولنترك هذه الذكريات القديمة الغارقة في غموض التاريخ الجاهلي ، منتقلين الى مظهر حديث في الجيوش المصرية لا يخلو من شبه بنظام الاحابيش . هو نظام الفرق الايطالية المعروفة « بالعساكر » « *askaris* » او نظام جيوش المستعمرات . وفيها تتألف الجنود من السودان، وضبّاط الجيش من البيضان، كما كان في جيش الأحابيش ، ان جاز لنا ان نطلق لفظة البيضان على بدو الحجاز السُمر الالوان . وقد اشرنا الى ان جميع الضبّاط والقوّاد والموظفين في ذاك الجيش الافريقي ، من المدعوّين بالسادة ، والرؤساء ، والعرفاء ، كانوا كلهم من العرب ولهم وحدهم الحق « بالأنفال » او اسلاب العدو[1] . وقد كان من الطبيعي ان تفتكر قريش لتعيين هؤلاء الضبّاط بمن كان يلجأ الى حرمها من الخلعاء والمتشرّدين كالبرّاد ، وابي الطمحان ، وحاجز ، والحرث بن ظالم ، فتسلّحهم[2] وتعيّنهم على رأس أحابيشها . ولما كانت « الحرب خدعة »[3] ، ولما كانوا اشهر ما يشتهرون به من الصفات الخداع والجرأة ، كان لا بدّ ان يتكل عليهم رجال الملأ ، او مجلس القبيلة الاعلى ، فيتنادون من انحاء الجزيرة ، ويؤجرون الملأ سيوفهم ، متضجّرين من اقامتهم بالسكينة والراحة في ارض الحَرَم[4] . ولم تكن مكّة لتجهل قيمة مساعديها هؤلاء ، فلا تبخسهم حقّهم ، بل تعاملهم معاملة الضيف الكريم والجار العزيز ، وان اساء الجوار[5] ، فتغضّ النظر عن المساوئ وتنعم عليهم بلقب « حلفاء قريش » ، وهو لقب يجرّ منافع ماديّة ، وواجبات حربية[6] . وكان من فضل هذا التدبير أن يشغل هؤلاء الشذّاذ فيصرف الى طريقة نافعة

١) وقد يعد السادة عبيدهم بالإعتاق ، اذا ما انتصروا ، كما جرى لوحشي في أُحد . وهو ما كان يُجرى عليه في جيوش النبي ايضاً . اما المقاتلة من الأحرار فكان لهم الحقّ بسهمهم في الاسلاب .

٢) الاغاني ١٠ : ٢٨

٣) راجع *Berceau*, I, 248 ، وكثير من هؤلاء الحلفاء كانوا يسبقون الجواد في ركضه، اسد الغابة ٥ : ١٧٨ ؛ *Berceau*, I, 248 وتراجم اللصوص تتوسّع معجبة بهذه الحيل

٤) كابي الطمحان ، راجع *Berceau*, I, 172

٥) قابل بما في الاغاني ١٩ : ٧٥ عن موقف البرّاد في مكة ، وكيف جرّ القبيلة ، بافعاله وتحدياته ، الى حرب الفجار .

٦) راجع ابن سعد : الطبقات ٣ . وكان حلفاء الانصار المديدون من البدو يشتركون في «مشاهد» النبي ، ولنكتفِ بالاشارة الى حلفاء بَلِي، اسد الغابة ٣ : ٢٢٧ ، ٢٤٧ ، ٢٦٩ ، ٢٩٨ ،

ميلهم الفطري للغزو[1] .

ثم ان مكة كانت تستلحق غفارًا ، وخزاعة ، وغيرهما من القبائل البدوية البطّاشة بما تدفعه لسادتها من مال ، فتستخدمهم جميعًا في المحافظة على مصالحها الخاصة . قد لا يكون في هذه التدابير مظاهر جليّة للشجاعة القرشية ، ولا دلائل على جرأة اولئك الراسماليين ، ولكنها تُشير الى ما اتصفت به قريش من دهاء وحذق ومرونة في السياسة والادارة ، حتى اصبح من نوع الامثال الكلام عن « أحلام قريش » و « حلماء قريش »[2] .

أوَ هل نستغرب ، بعد كلّ ما تقدم ، الّا يكون مدوّنو « السيرة » انتبهوا لجميع هذه الامور المتشعبة المتشابكة ، وهم الذين أثّرت فيهم العواطف القومية المتأخرة ، فقادتهم الى ضيق المجال في البحث والتصوّر ، والى الايمان الدائم بسيطرة قريش[3] حتى في العصر الجاهلي ! أوَهل نستغرب ان يكون المستشرقون انفسهم أخذوا بهذا العمل ، فظلّوا مدّة طويلة لا يشعرون بضرورة النقد الدقيق في درس أصول ذاك التاريخ ![4]

ولقد عرضنا لهذا الموضوع في كتابنا « فاطمة وبنات محمّد » (ص ٢٩) فاوردنا تحفّظات قليلة في ما خصّ تلك الاعمال الفائقة قدرة البشر العاديّين ، ينسبها المؤرّخون ، دون احتياط ، الى ابطال الهاشميين ، ولاسيما علي بن ابي طالب[5] . ويمتاز الواقدي[6] الشيعي ، بين جميع مدوّني « المغازي » ، بازدرائه كل

٥ : ١٠٦ ، ١٤٤ ، ١٤٦ . وهناك حليف ثقفي يحارب مع قريش في حُنين ، اسد الغابة ٤ : ٧

١) راجع *Berceau*, I, 177

٢) اسد الغابة ١ : ٢٧١ ، ٥ : ٣١ ؛ حلم ابي سفيان ، في الاغاني ٥ : ١١

٣) ولنا الامثلة العديدة على الايمان بهذه السيطرة القرشية ، كقول ابن هشام : « كانوا إمام الناس وهاديهم » (السيرة ٩٣٢) ؛ قابل بما في ابن سعد : الطبقات ١ : ٣ ؛ ابن الديبع : تيسير الوصول ٣ : ١٠٨ . وقد درسنا الموضوع في كتابنا عن « يزيد »

٤) قابل بما في C. de Perceval, *Essai*, I, 253 ; Sprenger, *Moḥammed*, index s. v. *Aḥābīš* ; Grimme *Mohammed*, I, 106 ; Cl. Huart *Hist. des Arabes*, I, 144

٥) راجع *Fāṭima*, 45 ، اما ترجمة علي الواردة في اسد الغابة ٤ : ١٦ فاكثرها مستندة الى النصوص الشيعية .

٦) الواقدي ١٧٩ — وفيه التعبير : « شموني . . . من الاحمر والاسود » وقد يدلّ

قياس في مروياته[1]. اما الآن ، وقد دققنا بعض الشيء في فهم المؤسسات العسكرية المكية ، فنتساءل ألا ينبغي لنا ان نزيد من تلك التحفظات ! ونستفيد من هذه الابحاث التمهيدية في نظام مكة الجاهلية ، موادّ لنقد « السيرة » نقداً داخلياً. وقد قُيّض لنا ان نبحث في « السيرة » ، في مقالٍ نشرناه منذ ربع قرن بعنوان « عُمر محمد وطريقة التاريخ في السيرة »[2] ، وقلنا فيه عن هذه المجموعة: « لا نرمي الى طرح كل شيء. وبدل ان نقلب هذا البناء الضخم الذي عمل الحديث على رفعه ، لنكتفِ بتفكيكه حجراً حجراً ، فنفحص قيمة ما استُعمل فيه من موادّ . هو عمل مملّ ، ولكنه ضروري ! » ولنا الأمل بان هذا البحث في « الاحابيش » يأتي ببرهان جديد يبرّر قولنا السابق. وعلى مَن تقع التبعة ان عمِل هذا البرهان على اضعاف الثقة بتلك الموادّ الاسلامية القديمة ؟

ثم اذا استندنا الى الاقوال الرسمية المتداولة ، نرى علياً ينشأ في كنف محمد ، مَن عرفناه بميله طبعاً الى السلم والطمأنينة[3]. واذاً فلم يكن لهذا المحيط الهادئ ، محيط خديجة وبناتها[4] ، ان يعزّز تلك النزعات الحربية التي نراها ، بعد ذاك ، في زوج فاطمة. ولا يخفى انه كان مِن آخر مَن هاجر ملتحقاً بالنبي في المدينة. وهو لا يظهر ، قبل وقعة بدر ، في ايّ معركة من تلك المعارك البسيطة ، المعروفة بالغزوات ، التي كانت تحدث من وقت الى وقت فتبدّد شيئاً من ملل العهد الاول ، عهد الاستقرار في المدينة. اذا استندنا الى هذه المعلومات ، وكلّها مستقاة من « السيرة » ، ومن اجدر كتب « الصحيح » بالثقة ، فلا نرى ما يبرّر ذاك الانقلاب السريع في اطوار الهاشمي الشاب ، ولا كيف انتقل من

« الاسود » على الكتائب السودانية . راجع Caetani, *Annali*, II, index s. v. *Aḥābīš*

١) لا يظهر الامويون في كتابه الاّ بمظهر يثير الضحك فالازدراء ، مثلاً في ص ٢٦٨ – ٢٦٩ اما الهاشميون فكلّهم ، حتى النساء ، على غاية الكمال ، ص ٢٨١–٢٨٢ ، ٢٦٧

٢) *L'âge de Mahomet et la chronologie de la Sīra*, *Jour. asiat.*, 1911¹, 209-250

٣) راجع *Fāṭima*, p. 23 . وقد استغلّت الشيعة هذا القول لتحلّ ، بين علي وابي بكر ، مشكلة « اول من أسلم » . راجع كذلك ترجمة علي في اسد الغابة ٤: ٦٦ – ٦٨

٤) *Fāṭima*, p. 2... وفي القرآن (٣٣: ٥٩) : « قل . . . لبناتك » وهو يفرض اثنتين على الأقل .

حياة هادئة خفية مدة السنين الاولى الى حياة حربية يُظهر فيها ، منذ اول معركة ، ودون ان يمرّ بطور انتقال طبيعي ، صفات فروسية عجيبة ، ومهارة في العراك تفرض اختبارًا وتمرّنًا طويلين[1] .

شاء بعضهم ان يرى في تجارة القوافل دافعاً الى النزعة الحربية في باعة مكة وسماسرتها ، ومن ثمّ داعياً الى تمرينهم على استعمال الاسلحة المتنوّعة . واننا لنودّ ان نشارك هذا البعض بقبول فرضية قد تظهر طبيعية ، لو لم يكن القرشيّون قد تخلّصوا قديماً من الهمّ العسكري ، في تنظيم القوافل ، فعهدوا الى غيرهم في حفظها والسهر عليها ، كما رأينا . ولم تكن حادثة الحرث بن هشام المخزومي ، المستقيل عن الحرب حبًّا لعائلته[2] ، بفردية في ذلك المحيط . من الحقّ ان البدو كانوا ينتقمون لأنفسهم من الاهانات المتعدّدة اللاحقة بهم في مصارف مكة ومتاجرها ، فيهزأون بجبن القرشيين ، ويبالغون . ولكن من الحقّ ان تهكّمهم وحده لا يكفي لتبرير هذه الشهرة الواسعة اللاحقة بجبن اهالي مكة . والّا فكيف امكن اعداء محمد من القرشيين ان يتكلوا على اولئك البدو — وهم من عرفوهم بضعف الاخلاص والميل الى النهب والسلب — في الدفاع عن مدينتهم وعن اموالهم ؟ وكيف امكنهم ان يظلّوا مدة طويلة على هذه السياسة الشديدة الخطر ؟

ولنا الشواهد العديدة على ضعف الاخلاص في البدو . نكتفي بالاشارة ، في ذلك ، الى ما قام به بعض الخزاعيين والغفاريين من مصانعة النبي ومحالفته ، بل من التجسس له على القرشيين[3] بينما كان ذوو قرباهم من ابناء غفار وخزاعة يحاربون ، مأجورين ، في الجيش القرشي . ولنلاحظ ان مجموعات التراجم تتردّد على الغالب في نسبة الصحابة البدو ، تتردّد بين غفار ، وأسلم ، وخزاعة[4] .

١) ولقد أُنكر عليّ عليّ هذا الاختبار ، فيما بعد ، راجع *Fāṭima* p. 29 ، وكيف جرّب ان يدافع عن نفسه ، الاغاني ١٥ : ٤٥

٢) راجع الابيات المنسوبة الى الحرث بن هشام في السيرة ٥٢٢

٣) ولا سيما بنو خزاعة ! اسد الغابة ٦ : ٢٩٠ . وهناك غفاريٌّ يُطلع محمدًا على بعث قريش ، الواقدي ٢٠٣ ، قابل بما في Caetani, *Annali*, II, 1071, 1072

٤) اسد الغابة ٣ : ٢٤٤

وهناك رجل من مشاهير غفار ، التحق اولاً بالامويين ونال لقب حليف ، ثم نراه يُقتل ، في سبيل الإسلام ، لدى ابراج خيبر[1] . وليست هذه الحادثة بوحيدة من نوعها . بل ان البدو ، وكأنهم تعوّدوا هذا التنقل السياسي ، ينتقلون بسهولة من جيش الى جيش وفقاً لميلهم المتردّد او لمبلغ ارباحهم المالية . وكثيراً ما كانوا ينتالون بركات النبي في مساعداتهم له ، كما نالوها كثيرةً ، مدوّنة في كتب الحديث القانونية ، لانخراطهم في الجيش المدني[2] . واذا بقي من شكّ في تفهّم خُلق القرشيين الحربي ، ونفورهم فطرةً من المعارك والمخاطر ، نراه يتبدّد اذا ما القينا لمحةً دقيقة على ما اتخذه المكيون من تحفظات واستدراكات عديدة خوفاً من مفاجآت تغلب عليهم عسكرهم المأجور . ولم يكن رئيس ذاك العسكر يتردّد في تهديد القرشيين[3] ، اذا ما ابدى هؤلاء اقل معاكسة .

. . .

ويجب الّا نتوهّم وجود نظام عسكري مستقرّ بثكناته او معسكراته ، وكتائبه الدائمة . انما الخدمة المأجورة[4] ، او الاتفاق ، كان لمدّة الحرب فقط ، بل لمدّة غزوة واحدة احياناً . هذا اذا لم يترك البدو القتال قبل نهاية الاتفاق ، فيفرّون جماعات ، او ينتقلون الى جيش العدوّ . تتحقق فيهم هذه النزعات الفوضوية بتاريخ حصار المدينة ، وحوادث وقعة الخندق . اما زمن السلم ، فكان الخلطاء ومَن على شاكلتهم يعيشون في جوار مواليهم من ارباب المصارف القرشية[5] . وينتقلون معهم ، في رحلاتهم من مكة ، ليدافعوا عنهم ، او ليدافعوا عن اموالهم وتجاراتهم ، وفي هذه الحالات كانوا يسافرون مع القوافل كما كان يفعل البرّاد . وهكذا كانت مهمة بني غفار وانسبائهم من بدو تهامة ان يحفظوا

١) اسد الغابة ٣ : ٢٧٠ وكان الغفاريّون عديدين في هذا الحصار .

٢) وقد استفادت اسطورة ابي ذرّ من هذه الحالة ، اسد الغابة ٥ : ١٨٧ — ١٨٨

٣) يهدّدهم بالانتقال الى جيش النبي ، الطبري ١ : ١٥٣٩

٤) اما في ما خصّ عدد الجيوش فلا يتفق المؤرخون . هذا الواحدي يذكر «الفين» وابن سعد يشير الى « اربعة الاف » من الاحابيش والبدو (الطبقات ٢ : ٤٧)

٥) كان الغرباء ، في مكة ، يتمتّعون بخدمة الأشراف ؛ اطلب اسد الغابة ٣ : ٢٨٨ ؛ وعلى الغريب ان يلتجئ الى احد إمّا عن طريق « الحلف » ، او عن طريق « الجوار » .

التجار ، ويسهرون على القوافل القرشية ، يؤجرون ارباباً ابلهم وسيوفهم بثمن باهظ بعض الأحيان !

اما شأن الاحباش ، او سودان افريقية ، فكان يختلف عن شأن البدو . كان السودان مفروضاً عليهم خراج ، او ضريبة يومية ، يؤدونها الى ساداتهم ، وقد لا يصلون الى تأديتها الا بشق النفس والعمل المجهد في حوانيت المدينة . وهم ، فوق ذلك ، مطحونون مستعدون لتلبية حوائجهم لدى اي طلب . وكان اكثر هؤلاء الموالي من سراة المخزوميين ، ارباب الاموال الذين كانوا يستغلون تجارة الرقيق استغلالهم سائر مرافق الحياة الاقتصادية اذ ذاك . فاذا دنت ساعة الخطر ، وسمع « الصريخ » وهو صوت الانذار[1] ، كان يهتم القرشيون بتنظيم العساكر . وكثيراً ما تطلب هذا التنظيم الاسابيع الطويلة ، بل الأشهر بكاملها . وهو ما حدث في بعثة أحد ، فقد اضاع المستعدون سنة كاملة . وكان يقوم بالتجييش ، او التعبئة ، بعض الأشراف او كبار الصيارفة من اهل مكة ، اولئك الواسعو العلاقات ، الكثيرو المعارف والاصدقاء والاقارب[2] في القبائل البدوية . فيذهبون من حي الى حي في مجاهل تهامة ومناطق الغور ، يستأجرون الرجال[3] . وقد يرتقون جبال السراة في جنوبي شرقي الطائف ، ليستنزلوا الأزد ، وهم من اشجع سكان الحجاز[4] . فيمدون الجميع بالمال الكثير والأسلاب العديدة ، ويرجعون وورآءهم مجموعة من الابطال والصعاليك واللصوص ، « حرشة الضباب » و« أكلة اليرابيع » ، « قطاع الطرق[5] » و« سراق الحجيج » . بينما كان الياقون في مكة من

١) اوجد « منذر الجيش » ، مسلم : الصحيح ١ : ٢١٩ ، قابل بما في ابن الأثير : النهاية ٣ : ١٠ ، ٤ : ١٥٦

٢) ولقد كان من شيوخ البدو وسادتهم من يشاركون القرشيين بتجاراتهم ، ومنهم من يصاهرونهم ، راجع ابن هشام ٢٧٣ ، ثم *Berceau*, I, 289

٣) ابن هشام ٥٥٦

٤) هم حلفاء الهاشميين وغيرهم من اشراف مكة (اسد الغابة ٣ : ٢٥٠ ، ٥ : ١١١) وحلفاء امية (اسد الغابة ٣ : ٤٠٢) . وقد شهد الحديث بشجاعتهم فورد : « نعم الحي الأزد والاشرون لا يفرون في القتال ولا يفلون » (اسد الغابة ٥ : ٢٢٩)

٥) كانت القوافل القرشية غير بنازل بني غفار (اسد الغابة ٥ : ١٨٧)

السادة يهتمون بتسليح « الاحابيش »[1] وتنظيمهم . وهم ، في تلك الاحوال ، يترضونهم بالأكل الطيّب الذي لا يذوقونه في حياتهم العادية ، فيطعمونهم الخزيرة ، وهي حساء فيه من العجين ومن اللحم المقطّع[2] . ولا تكاد تنتهي الحرب حتى تتفرّق هذه الكتائب جميعها ، والّا فان القرشيين يعجّلون في تفريقها، كما جرى لهم بعد وقعة الخندق . ذلك انهم كانوا يخافون من حرب داخلية تتلو المعركة ، فلا تقل شدّة عليهم من العدوّ الخارجي ، لما تعرّض اموالهم ومتاجرهم ومصارفهم وبيوتهم لطمع اولئك الشذّاذ المسلّحين. واذاً فمن الضروري ان يعود البدو الى منازلهم من سهول تهامة ، والعبيد الى معاملهم في المدينة . وكذلك تعود المطايا ، واكثرها الابل — لأنّ الخيل من خصوصيات السادة وحدهم[3] — الى المراعي ، او الى اصحابها من البدو الذين استؤجرت منهم ؛ وتعود الأسلحة الى مخازنها الخاصّة في مكة .

ولم تكن هذه الأسلحة وافرة ، بل لم تكن كافية لجميع الاحابيش ، كما قد يُستخرج من قول كعب بن مالك في وقعة أُحد — ولا نرى ما يجرح صحّة قوله — مشيراً الى

أحابيش منهم حاسرٌ ومقنّعُ ! [4]

وقد يكون الحاسرون من اولئك المكلّفين حفظ الأمتعة . الّا ان يقصد الشاعر رماة الحبش المشهورين باستعمال الحراب[5] ، وهي آلات لا يقرّ العرب بانها

١) ابن الاثير : الكامل ١ : ٣٤٧ ؛ الاغاني ١٩ : ٧٧

٢) ابو يوسف : كتاب الخراج ١٢٨ ؛ وخاصّة الجاحظ : البخلاء ٢٥٨ ؛ وقابل بما في ابن هشام ٢٧٤ ؛ من ان الخزيرة أكلة مكية . يطبخها الانصار لمحمّد في المدينة، اسد الغابة ٣ : ٢٥٩ ؛ ٥ : ٤٨٠ ، ٤٨١ ؛ ابن الاثير ؛ النهاية ١ : ٢٩١ — ٢٩٢ ، تطبخها فاطمة للنبي السمهودي ١ : ٣٣٣ ، ٣٦٦ ؛ البخاري ١ : ١١٠

٣) اطلب ... *Fāṭima* , p. 82 ; *Berceau*, I, 137 ولم يتفق للعرب مرةً بان نحوا بفرس للقيام « بالمدينة » (اسد الغابة ٣ : ٢٤٣) . وهذا على خلاف ما يزعمه المحدّثون ، فيدلّون على جهلهم بالحياة في القفر وبما يمثّله الفرس في نظر سكان البادية .

٤) ابن هشام : السيرة ٢١٤

٥) اطلب القسم الاول من هذا البحث ، ص ١٠

من اسلحة الحرب.

هذا ولا يخفى ان وجود الجيش المسلّح ، وان وقتياً ، يفرض وجود مخازن للاسلحة في يد السلطة الحاكمة ؛ نقول هذا مع شعورنا بصعوبة الاستدلال على وجود الادارات العامة ، والنظم البلدية ، في مكة قبل الاسلام[1]. فليس ، في كل ما بين ايدينا من النصوص ، اشارة واحدة الى عمل الاسلحة والمعدات الحربية ، ولا الى حفظها ، في تلك العاصمة التجارية ، التي طالما اغدق المؤرخون على سكانها مجاناً صفات الشجاعة والبطش والفروسية . كانت تأتيها جميع الاسلحة من الخارج : من الهند ، واليمن ، والشام . فكان سكانها ، من السراة خاصة ، ومن ورائهم اهل البدو يتفاخرون « بشرفيات » بُصرى[2] وبلاد أدوم او « مشارف الشام » ، وخاصة بالدروع النفيسة الثمينة التي كان يبلغ من افتخارهم بها ، وحرصهم عليها ، أنهم كانوا يتوارثونها أباً عن جد[3] . وقد بلغوا بثمن واحدة منها ، مع الحسام ، مبلغ مائة دينار[4]. وكان اكثر السلب قيمةً ، بعد وقعة بدر ، بضع دروع[5] اصاب علياً واحدة منها حفظها حتى جعل منها صداق امرأته فاطمة بنت النبي . ويذكر الرواة انه كان لصفوان بن امية الجمحي ثلاثون درعاً ، فكان يُعد من اغنى ارباب المصارف في مكة[6].

لم يكن في مكة خزائن عامة للسلاح ، انما كان فيها خزائن خاصة . كل

١) اطلب كتابنا ... *La Mecque à la veille de l'hégire*, p.62

٢) ابن السكيت : تهذيب الالفاظ (طبعة شيخو) ١٦٥ ؛ الاغاني ١١ : ٩١ ، ١٢ : ١٢٥ ، ١٢٦ .

٣) قابل بما في القرآن ٢١ : ٨٠ ، وفيه دورة تعبيرية للدلالة على الدرع : « وعلّمناه صَنْعة لَبوس لكم لتُحصنكم من بأسكم فهل انتم شاكرون ! » . وهؤلاء هم الشعراء يفخرون بقولهم أنهم « اكثر دروعاً صافيات » (ابو حجن (Abel) ١١ : ٢٠١) ؛ وراجع *La Mecque*, p. 191, 204

٤) اسد الغابة ٥ : ٩٢

٥) الاغاني ٤ : ٢٩ . وكان لمحمد درعان ، او درع مضاعفة تغطي الظهر والبطن (اسد الغابة ٥ : ١٨٤) والدرع سلاح وافر الثمن في بلاد العرب ، اسد الغابة ٥ : ٣٥٩ ؛ الاغاني ١٠ : ١٤

٦) ابو داود : السنن (طبعة الهند) ٣ : ٦٩ ؛ ابن سعد : الطبقات ٢ : ١٠٨

بطن ، كل أسرة ، كبني جمح وبني جدعان وغيرهم كان لهم مخازن ومستودعات يجمعون فيها الأسلحة[1] . فيستعملونها ، إبان السلم ادوات واعراضاً للمقايضة ، او يسلحون بها حرس قوافلهم . وهكذا رأينا ابن جُدعان وحده يُسلّح الف بدويّ من كنانة[2] . وتشير النصوص الى مبالغ عظيمة من الحراب والسيوف والدروع يحتفظ بها ارباب المصارف المكية . ومنهم صفوان بن امية المذكور آنفاً[3] ؛ ونوفل بن الحرث الهاشمي ، ولم يكن مخزنه ليقلّ كثيراً عن مخزن صفوان . ونحن نعرف انه افتدى نفسه من النبي ، في معركة بدر ، بالفٍ من الحراب[4] . ولم يكن النبي ليغفل عن هذه المستودعات الخاصة في مسقط رأسه ، فاستغلّها كما استغلّ المصارف القرشية في تنظيم جيشه واستعداده لغزوة هوازن ؛ فاخذ من نوفل وحده ثلاثة آلاف حربة[5] .

. . .

ولنعد الى سياسة الحذر والتيقّظ التي كان يقوم بها المكيّون بالنظر الى احابيشهم وحلفائهم من البدو ، فانها تذكرنا بسياسة البيزنطيين تجاه معاونيهم من الغساسنة المكلّفين مراقبة الحدود السورية . وقد كان البيزنطيون ، قبيل المعركة او الغزوة ، يفتحون للغساسنة مخازن دمشق[6] وبُصرى ، فيسلّحونهم ،

---

١) الطبري ١ : ١٦٥٩ ، ١٦٣٠ ؛ الواقدي ٢٥ ، ٢٦ ؛ ابن الاثير : الموضع المذكور . وكذلك كانت الحالة في الطائف ؛ ابو محجن : الموضع المذكور .

٢) الاغاني ١٩ : ٧٦ ، ٧٨ ؛ الواقدي ٢٠٣

٣) ابن حنبل : المسند ٣ : ٤٠١ ، ٦ : ٤٦٥ ؛ اسد الغابة ٣ : ٢٢ . وهذا خالد بن الوليد « جعل دوابّه في سبيل الله . » ابو عبيد : الغريب (المخطوطة المذكورة) ص ١٠٠ ؛ ابن الاثير : النهاية ١ : ١٩٥ ، ٢ : ٢٠

٤) اسد الغابة ٥ : ٤٦ . وقد كان مستودع اسلحته في جدّة . وكان المسلمون ، في اول عهدهم ، تموزم الاسلحة ولم يكن يصنعها الا اليهود في يثرب . قابل بما في اسد الغابة ٣ : ٤١٦ . وهناك ذكر لعصاً يعطيها النبي احد المتحاربين فتتحوّل الى سيف (اسد الغابة ٤ : ٢) وثلاثمائة درع وُجدت في دومة الجندل (ابن سعد : الطبقات ٢ : ١٢٠)

٥) اسد الغابة ٥ : ٤٥ . ويذكر المصدر نفسه دروع خالد بن الوليد (اسد الغابة ٥ : ٢٢٥ ؛ ابن الاثير : النهاية ٣ : ٥٩ — ٦٠)

٦) لم يرد ذكر لمدينة دمشق في النصوص العربية القديمة . انما كان الذكر لبُصرى ، وهي

ويضاعفون ذخيرتهم العادية من الحنطة . حتى اذا انتهت الحرب نُزعت الاسلحة من البدو ، وأعيدت الى مستودعاتها البيزنطية . تلك سياسة حكيمة دفع اليها اختبار البيزنطيين اخلاق البدو المضطربة المتقلقلة ، فحذروا منهم ، واحتاطوا . وكانوا يبالغون في تلك الحيطة حتى انهم كانوا ، اذا ما شكوا في اخلاص القبائل ، قطعوا عنهم ذخيرة الحنطة نفسها[1] ، واقفلوا في وجوههم حدود الامبراطورية .

على نحو من هذه السياسة كانت سياسة القرشيين بالنظر الى احابيشهم وحلفائهم . الّا ان هناك استثناء في ما خصّ « سيّد الاحابيش » وبعض « الحلفاء » و « الطرداء » من الذين أُنعم عليهم بلقب « حلفاء قريش » . فان هذا اللقب كان يولّيهم ، من الحقوق المتنوّعة ، حق الاقامة في مكة[2] ، ذاك الحقّ الذي نالوه بتضحياتهم المديدة ، بل بدمهم يسفكونه في سبيل الدفاع عن تلك الجمهورية التجارية . وهؤلاء قتلى بدر فيهم العدد العديد من « حلفاء قريش »[3] . فكان اذاً لبيادة الاحابيش ، ممثلي اولئك الغفاريين الفوضويين ، مركز منظور اليه في مكة بل مقام شبه رسمي . وكان لهم ناديهم الخاص[4] ، في النقطة المتوسطة من المدينة ، في فناء الكعبة المقدسة ، لا في ضواحي البلدة من « الشعاب » و « الظواهر »[5] . كان لهم حق الاشتراك بالاجتماعات القُرشية ، يتكلمون فيها بجرأة ، وقد يفرضون ارادتهم ، كما جرى لابن الدُجُنّة[6] اذ دافع عن ابي بكر فاتخذه تحت حمايته ، عندما وجد عليه قومُه بسبب ما اظهره

آخر محطّات القوافل القرشية عما يلي الشام .

١) راجع Noeldeke, *Die Ghassân. Fürsten*, p. 29

٢) ولم يكن ليتمتع منهم هذا الحق الا تنازل رسمي يقومون به أمام الكعبة ، راجع اسد الغابة ٣ : ٢٨٦ ، ٤ : ٥٤

٣) ابن هشام ٥٠٧

٤) كان للأسر الاستقراطية انديتها الخاصة قرب الكعبة ، ابن هشام ٨٢٢ ، ٩٩٣ ؛ ابن سعد : الطبقات ١ : ١٢٧

٥) وفيها كانوا يحشرون السوقة ورعاع القوم ؛ الاغاني ١ : ١٥٩

٦) او الدُجَيْنة ، اطلب ابن هشام : السيرة ٢٤٦ ، والاسم مضطرب الضبط .

من الميل للدعوة الاسلامية ، قبل الهجرة[1] . وإبان مفاوضات الحُدَيبية ، نرى القرشيين يختارون سيّد الاحابيش فيوفدونه الى محمد مندوباً مفوَّضاً . وذلك وقت كانت مكة تحاول، بهذه المداورات السياسة ، ستر عجزها الحربي في كفاح النبي . واذ رأت نفسها مضطرّةً الى عقد الصلح ، ولمّا لم تشأ ان تُرسل لمفاوضة محمد احد أشرافها القرشيين، فتدلّ بذلك على اضطرابها وحاجتها الى السِلم ، عهدت الى رئيس معاونيها وحلفائها من البدو، وهو « سيّد الاحابيش »، واسمه حُلَيس ابن علقمة . وقد وصفه لنا التاريخ الرسمي رجلاً تقيًّا « يتألّه »[2]، وهي صفة نادرة جدًّا في بدو تهامة الأجلاف . وبينا كانت المفاوضات تجري بصعوبة ، كاد احد موفدي النبي في مكة يلاقي حتفه لولا تدخل بعض بني قومه من خزاعي الاحابيش[3] .

وكان سكّان مكة ، اذا ما ارتحل عنهم جيش الاحابيش وسائر المأجورين من العسكر ، بدل ان يتنفّسوا الصعداء لتخلّصهم من هؤلاء الشذّاذ الفوضويين، يوجسون خوفاً ، ويعتريهم القلق اذ يرون المدينة ، ولاحامية فيها ، عرضة لأول غازٍ[4] . هكذا كانت عاطفة السكّان من القلق ، بعد ان ارتحلت عنهم تلك الكتيبة المأجورة المنظّمة ، على غاية ما يمكن من السرعة، المُرسلة لنصرة قافلة بدر . حتى اضطُرّ احد سادة البدو الى تهدئة الخواطر في مكة[5] . ومع هذا ، فلم يكن قد ذهب من « الاحابيش » الاّ عدد قليل لم يقوَ القرشيون على جمع اكثر منه ، فالحقوه بسادتهم المسرعين الى مكان الحادثة . اما الباقون فلم يكن موقفهم على شيء من الوضوح بالنظر الى تلك الحرب الجديدة . أيبقون على

١) ابن هشام ٢٤٥ – ٢٤٦ ؛ البخاري : الصحيح ٢ : ٥٩ ؛ وهذا حُليس يلوم ابا سفيان بنبرة قوية في أُحد ؛ الاغاني ١٤ : ٢١ – ٢٢ ، قابل بما في ابن سعد : الطبقات ٢ : ٧٠

٢) ابن هشام : السيرة ٧٤٢–٧٤٥ ؛ الطبري ١ : ١٥٣٨–١٥٣٩ ؛ الاغاني ٤ : ١٩ ؛ ابن سعد : الطبقات ٢ : ٧٠ وفيها ان حُليس « كان يتألّه » وابو يوسف في كتاب الخراج (طبعة مصر) ٢٤٨ يدعوه ابن الحُلس .

٣) الواقدي ٢٥٣ ؛ ابن هشام ٧٤٥–٧٤٦ الطبري ١ : ١٥٤١ ؛ اسد الغابة ٢ : ١٦

٤) ولم يكن فيها شرطة بلديّة . راجع . . . *La Mecque*, p. 64

٥) ابن هشام ٤٢٢ ؛ الطبري ١ : ١٣٩٦ ؛ الواقدي ٢١–٢٢

عهدهم لمكة ؟ أم تغويهم التجارب فينضمون لبدو الحوار ويهجمون منتقمين من هذه المدينة التي طالما أهانتهم واغاظتهم بمطامع اهليها ، ومظاهر ترفهم وازدرائهم؟ [1] فكان للمكيين ، والحالة هذه ، ملء الحق بان يخافوا ، ويحاذروا ، قلقين مضطربين كلما فكروا بتلك الاحقاد المتراحمة المتداعية في المعامل ، والمصانع ، ومحلات الاشغال الشاقة المنتشرة في ضواحي المدينة يملأها العبيد من سودان وغيرهم ، وبين جولهم من « الأباقين »[2] المتغلغلين في مجاهل تهامة ومطاوي الغور . حتى اذا قام فيهم رجل ابرز شخصية من عامتهم ، كأبي بشير[3] مثلاً ، التفوا حوله ، ولجأ اليهم فضخم عددهم كثيرٌ من المظلومين ، من ضحايا النظام الاجتماعي في مكة ، من « المستضعفين » ، على قول « السيرة » ، ومن اولئك الذين لا يرضيهم نظام فيقضون الحياة مفتشين عن غيره ، متفائلين بأيّ انقلاب كان . ثم ينتقل هؤلاء جميعهم الى المدينة ، فيستقبلهم النبي ، ويُرسلهم في « حرب العصابات » كما نقول اليوم ، فيقطعون الطرقات ويسلبون المسافرين ، ويقتلون سادتهم بالأمس[4] ، « لا يظفرون برجل من قريش — على حدّ قول ابن هشام — الا قتلوه ، ولا يمرّ بهم عير الا اقتطعوها »[5] ، وفقاً لما عُرف من التقاليد المتقادمة في بني غفار !

وممّا كان ينشر الذعر بين المكيين في تلك الاحوال الاضطرابية ، اعتقاد قديم متداول بين القرشيين ، ومحفوظ صداه في عدد من الاحاديث ، مفاده ان الكعبة يهدمها الاحباش [6] . وقد ظلّ هذا الاعتقاد راسخاً حتى في الاسلام ،

---

١) الاغاني ٨ : ١٩٠ ، ١١ : ٨٩ ، ٩٥ ؛ ١٢ : ٣٥

٢) كان الكثير من العبيد يلجأون الى الهرب ، « فيأبقون » تاركين لسادتهم حسرةً وهمّاً ؛ اسد الغابة ٥ : ٥٣٠

٣) وقد تحوّل « صحابياً » فاستثنته « السيرة » لتضخيم الحادثة

٤) النسائي : السنن ٢ : ١١٣

٥) ابن هشام : السيرة ٧٥٢ ؛ اسد الغابة ٣ : ٣٦٠ ، ٥ : ١٥٠ . وهناك ذكر لكثير من السودان والعبيد الأباقين اللاحقين بمحمّد في اسد الغابة ٤ : ٣٦

٦) الأزرقي ١٩٢ ؛ *Chroniken*, III, 81 ؛ ابو داود ٢ : ١٢٣ ؛ ابن الديبع : تيسير الوصول ٣ : ١٢٠ ابن الأثير : النهاية ٢ : ١٩٣ ، ٢٦٤ ، ٤ : ١٨٨

فحاول ابن الزُبير ، بعد الهجرة بسبعين سنة ، ان يستأصل هذا الوهم من عقول المكيين ، فلجأ الى خطة ساذجة مضحكة عندما اعاد بناء الكعبة[1] . اما ما يهمنا من الأمر فهو ما يدلّ عليه من صدى بليغ في اذهان العرب لانتصار الاحباش عليهم؛ ومن ذعر تلك في عقول المكيين لدى رؤية هؤلاء السودان بالسلاح الكامل . كانوا يحذرون ، في ما لو نزل رجال النجاشي على ساحل تهامة ، ان يلتحق بهم ابناء قومه من الاحابيش . وهو فرض لم يكن من الغرابة في شيء[2] .

أوَ لم يهجم ، بعد ذلك ، عدد من الاحباش على ساحل مكة في حياة النبي ؟[3]

أوَ لم تتعدّد هذه الغزوات بعد وفاة النبي ، فيضطرّ عمر بن الخطاب الى ارسال حملة خاصّة على بلاد الحبش ، فتهلك كلّيا ؟[4]

أوَلم يقل النبي من حديث : « لا تبعثوا الرابضين الترك والحبشة . اي المقيمين الساكنين ، يريد : لا تهيّجوهم عليكم ما داموا لا يقصدونكم . »[5] ولا يخفى ما في ذكر الترك الى جنب الحبش ، من إشارة الى دور الاتراك المقبل في جيوش الخلافة العبّاسية ، وهو اشبه بدور « الاحابيش » في الجيش القرشي .

يظهر من كل ما تقدّم مركز مكة الحرج بالنظر الى اولئك العساكر المأجورين الذين كانت تتكل عليهم في الدفاع عنها ، وتحذر سيطرتهم عليها ، اذا مكّنتهم الظروف . يظهر كذلك تجرّد المكيين عمّا يُنسب اليهم عادةً من صفات الشجاعة والرجولية . وهو ما يؤيّد حكم اسطرابون منذ العصور القديمة ،

---

١) السيرة الحلبية ١ : ١٨٣ ؛ *Chronicon*, III, 81

٢) راجع الازرقي ١٩٣–١٩٤

٣) ابن سعد : الطبقات ٢ : ١١٨

٤) اسد الغابة ٤ : ١٤

٥) ابن الأثير : النهاية ٢ : ٥٩ ؛ ابو داود ٢ : ١٣٣ ؛ ابن الديبع ٣ : ١١٠ ؛ قابل بما في السيوطي : الموضوعات ١ : ٢٢١–٢٢٢

وقد قال : « العرب تجّار وسماسرة ، ولكنهم من اضعف الجنود . »[1] وقد كان لنا ان نشير الى هذه النتيجة في بحث سابق[2] ، وها اننا نساق اليها اليوم في درسنا النظام العسكري في مكة .

ويبدو لنا ان النبي ادرك هذا الأمر وقد وقف بنفسه على نظام الاحابيش الفاسد . ولم يرَ خيرًا في التهوّر بحروب عقيمة ، فنصح قومه بان لا يلجأوا الى السلاح الّا وهم على ثقة من احراز النصر ، وإلّا فعليهم بالسعي في الصلح . امّا اذا كانوا على نصر فلا صلح ولا سلم . وهو معنى الآية : « فلا تهنوا وتدعوا الى السلم وانتم الأعلَون . »[3] وقد رأى النبي انه ادرك هذا التفوّق الحربي ، بعد معاهدة الحديبيّة ، وكان قد عمل على استمالة القبائل التي كانت قريش تتخذ منها ضبّاط الاحابيش[4] . فاستمال اولًا بني خزاعة ، مَن عرفنا حقدَهم على قريش ، ثم بني غِفار[5] واقرباءهم من كنانة . وكان انه جرّب شجاعة هؤلاء ، في حصار خيبر ، غاضًّا النظر عن وجود النساء الغفاريّات بين العسكر بصفة بائعات وممرّضات[6] . حتى اذا استفاد من هذه التجربات ، وايقن ضعف المتموّلين القرشيين ، ويأسهم من الحرب بعد ان تركوا وشجاعتهم الخاصة ، عزم على ان يضرب مسقط رأسه الضربة القاضية ، فينال « فتحًا مبينًا »[7] ، بل « فتح الفتوح » كما يقول الحديث .

---

١) جغرافية اسطرابون ١٦ : الفصل ٤ ، الرقم ٢٢

٢) *Berccau*, I.191 ، وقابل بما في ارميا ٣ : ٢

٣) القرآن ٤٧ : ٣٥ ؛ وقابل بما في ٣ : ١٣٩

٤) وقد احتلّ ابو رهم الغفاري منصب عامل المدينة على مرّتين (اسد الغابة ٥ : ١٦٧ ؛ ابن هشام ٨١٠ ، ٩٠٥)

٥) السمهودي ١ : ٥٤٧ . وفيها ان النبي اعطاهم ارضًا في المدينة . وهناك ذكر لمسجد وارض غفارية في المدينة (السمهودي ٣ : ٥٤٧ – ٥٤٨) ومرافق غفارية في خيبر (اسد الغابة ٥ : ٥٧٦)

٦) ابن هشام ٧٦٧ – ٧٦٩ ؛ اسد الغابة ٥ : ٤٠٥ ، وهو الشرح الرسمي في الحديث الاسلامي . راجع كتابنا في ... *Bilyles*, p. 123

٧) القرآن ٤٨ : ١

وكان من نتائج هذا الفتح انه جعل مكّة ولاية متعلّقة بحكومة المدينة ، فاضمحلّ جيش الاحابيش[1] وما اليه من نظام عسكري قديم ، بل اضمحلّ اسم « الاحابيش » بعدئذٍ في تاريخ المدينة القرشية .

١) ولكن لم تتلاشَ الكتائب السوداء من الجيوش الاسلامية . وهناك عدد كثير من السودان في بلاد العرب (جغرافية المقدسي ، ٩٥) وأكثر العبيد في الحجاز من الحبش (ابن الاثير : النهاية ١ : ١٥٩) ، وحرّاس مسجد المدينة من الاحابيش (السمهودي ١ : ٤٦١) وفي بعض كتب الحديث مدح صارخ للحبش ، كما في السيوطي : الموضوعات ١ : ٢٣٠ ؛ وكنز العمّال ٦ : ٦١٤ العدد ٢٧٣٨ ، وفيه : « قسم الشجاعة عشرة اجزاء فتسعة في السودان وجزء في سائر الناس . . . » (كذا) وظلّ الحجازيون يستخدمون العبيد في الحرس الرسمي حتى عصرنا هذا ، فكان حرس الشريف الأكبر من السودان . قال عنهم ديدْيه : « وكان من الضروري ظهور وجوه الآبنوس هذه كي لا يظهر العرب سود الوجوه تماماً » Didier, *Séjour chez le Grand Chérif*, p. 244

لبنان الكبير في التاريخ

بقلم نجيب سليم الدحداح

تمهيد

في شهر اذار الماضي ، اجتمع بعض الاشخاص في احد منازل بيروت ، واطلقوا على اجتماعهم اسم « مؤتمر الساحل والاقضية الاربعة » . ولم يشاؤوا ان تبقى ابحاثهم سراً دفيناً يمرّ دونه التاريخ ، فدوّنوا اقوالهم في كرّاس صغير . ثم عقبَ هذا الاجتماعَ مؤتمرٌ آخر دُعي « المؤتمر الاسلامي » ولم تكد تختلف شخصيات المجتمعين اولاً عن شخصيات المجتمعين ثانياً .

اما غاية المؤتمرَين فواحدة ، تبرز لنا من مطالعة كلام احد الحاضرين في افتتاح الاجتماع الاول : « تعلمون ايها السادة اننا في ظروف خطيرة ... ولما كنتم من مفكري هذه الامة ، ومن مجاهديها المخلصين ، فقد دعوناكم لعقد مؤتمر نقرّر فيه موقفنا نحن ابناء الاقضية والمدن المنسلخة عن أمنا سورية ... »[1] .

وليس قائل هذا الكلام إلا ابناً في الرأي لبعض سياسيي دمشق . وهؤلاء لا ينفكون عن المطالبة بضمّ بيروت ، ووادي التيم ، وبعلبك والبقاع ، ومنطقة صيدا ، ومنطقة طرابلس ، الى سورية مردّدين انها « اقضية ومدن منسلخة عن أمها » ألحقت بلبنان ، ظلماً وعدواناً .

---

1) « مؤتمر الساحل والاقضية الاربعة الذي عقد في دار السيد سليم علي سلام في بيروت » في ١٠ اذار سنة ١٩٣٦ ، ص٣-٤

فهل يكون لبنان بحدوده الحالية بدعةً اتتا بها مؤتمر الصلح بعد الحرب الكونية ؟

أوَ لا يكون هناك معرفة سابقة لهذه المناطق بلبنان ؟

هـذا ما سوف نراه متصفّحين تاريخ بلادنا ، منذ القرن السادس عشر ، لعلّنا نجد شيئاً يصف علاقات المناطق المذكورة بلبنان.

واذا لم نذهب الى ابعد من ذلك ، فلم نذكر فنيقية الممتدة على هـذه السواحل من اللاذقية الى حيفا ، ولا « فنيقية اللبنانية » في عهد الرومان وقد ضمّت عاصمة بني أمية ، ولا بيروت يحكمها في القرنين الرابع عشر والخامس عشر ، أمراء العرب من اعمال جبل لبنان ؛ اذا لم نفعل ذلك فلكي لا نُتّهم بالبحث عما قدم وزال . ونرجو ايضاً من القرّاء ألّا يروا في ما يلي تاريخاً منظماً للحوادث الواقعة في البلدان التي سنتكلم عنها . فاننا لا نورد هنا الا بعض الحوادث التي رأينا لها صلة بموضوعنا في علاقات هذه البلدان بلبنان.

لمحة عامة

لما استولى العثمانيون على سورية ولبنان ، سنة ١٥١٥ ، قسموا سورية الى ثلاث ايالات : حلب ، ودمشق ، وطرابلس ؛ واصبح على رأس كلٍّ منها « بكلربكي » تركي. وتركوا للبنان استقلاله تحت ادارة امرائه ، ولم يلزموه إلا بدفع الاموال الاميرية .

وقد كان يحكم لبنان الامراء آل عساف، وسيفا ، والحرفوش ، والمشايخ آل حماده ، والامراء آل تنوخ ، وعلم الدين ، ومعن ، وشهاب . ثم تمكّن المعنيُّون، حكّام «جبل الدروز »، اي الشوف والمتن، وخلفاؤهم الشهابيون، من جمع شتات لبنان تحت حكمهم. فتوحّد مدّةً على يد فخر الدين . ثم عاد فانقسم الى المعاملتين : الشمالية ، والجنوبية . وسنة ١٧٧١ جمع ثانياً الامير يوسف الشهابي بين هاتين المعاملتين.

وكان يراقب امراء لبنان ويوجّه اليهم خلع الولاية ، من قبل السلطان العثماني ، ولاةُ طرابلس في بلاد جُبيل وتوابعها ، وولاةُ صيدا في بلاد الشوف

وتوابعها ، وولاةُ دمشق في البقاع ووادي التيم.

والآن نرى ما كان من بيروت و« الاقضية الاربعة » في تلك الحقبة.

بيروت

في ١٦٠٨ ، قدم الى حلب ، الوزير العثماني مراد باشا ، فأرسل اليه الامير فخر الدين المعني الثاني ولدَه الامير علياً. فاستقبله الوزير باكرام ، وقبض منه مبلغاً من المال ، وجدَّد له خلَع الولاية على بيروت . وكان عمر عليّ اذ ذاك تسع سنوات[1].

وفي ١٦١٣ ، اثناء الخلاف الناشب بين رسول الترك ، احمد حافظ باشا ، وبين فخر الدين ، ارسل هذا الاخير رسالةً الى الوالي العثماني . وكان يحمل الرسالة وفد مؤلف من عدة علماء بينهم اربعة مشايخ من بيروت[2]. وفي غياب فخر الدين عن لبنان ، اذ كان ينتقل في قصور ايطالية ، كان يحكم مكانه ابنه علي . وقد جاءه سنة ١٦١٨ رجلٌ اسمه احمد اغا ، فسلّمه من قبل الصدر الاعظم ، خلَع الولاية على سنجق بيروت « كما كان »[3]. وفي ذاك العهد كانت بيروت عاصمة لبنان. فكثيراً ما كان يجمع الامير رجاله في هذه المدينة ويطلب اعوانه اليها . ودونك هذه العبارة الصريحة ، وهي مثال لكثير مثلها في تاريخ الصفدي ، قال المؤرخ : ان فخر الدين « جمع اهل الشوف جميعاً واهل الغرب والجرد والمتن وكسروان الى عنده بمدينة بيروت»[4]، سنة ١٦١٩. وكانت لبيروت اهمية كبرى في نظر أمراء لبنان ، وقد صرف الامير علي المعني لاجل اصلاحها « خمسة الاف غرش » وكان يرغب فيها لقربها ولتوسطها بين مقاطعاته[5].

---

١) الصفدي : تاريخ الامير فخر الدين المعني (طبعة اسد رستم وفؤاد البستاني) بيروت، ١٩٣٦ ، ص ٦

٢) الصفدي : الكتاب المذكور ص ١٢

٣) الصفدي : ك. م. ص ٦٥

٤) الصفدي : ك. م. ص ٧٤

٥) الصفدي : ك. م. ص ٦٧

وقد اقتنى الشهابيون لهم « قيساريات » فيها . وكان اولهم، على ما نظن، الامير منصور سنة ١٧٤٤[1].

وسنة ١٦٥٦ ، استولى الاتراك على المدينة ، وجعلوا لها والياً مستقلاً عن امير لبنان . ولكن الامير ملحم حيدر الشهابي ، حاكم لبنان الجنوبي ، لم يرقه وجود والٍ غريب في بيروت . فأمر الشيخ شاهين تلحوق ، صاحب الغرب الاعلى ، بان « يخرق » في اطراف المدينة ، ففعل . فعجز الوالي التركي ، ياسين بك، عن الحكم، وكتب الى عثمان باشا ، بنكلربكي صيدا ، يخبره بالواقع . فعرض عثمان باشا ولاية بيروت على الامير اللبناني فقبلها من صميم قلبه سنة ١٧٤٩[2]. وظلّت في يده ويد خلفائه حتى سنة ١٧٧٦ حيث انتُزعت المدينة من لبنان على اثر مساع هذه خلاصتها : قدم الى دير القمر احمد الجزّار هارباً من مصر سنة ١٧٧٢ . فأشفق عليه الامير يوسف ، حاكم لبنان ، وجعله والياً من قبله على بيروت . فما لبث الجزّار ان انكر جميل اللبنانيين ، محاولاً فصل بيروت عنهم والاستقلال بها . فحاصروه في المدينة ، وساعدهم على ذلك ظاهر العمر ، والمراكب الروسية . واضطرّوه الى الفرار والالتجاء الى ظاهر المذكور . ولكنه حظي سريعاً بالتفات الباب العالي ، وعُيّن والياً على صيدا . فحاول مرةً ثانية الاستيلاء على بيروت . غير ان حسن باشا قائد الاسطول العثماني ، اقامه منها بعد ان « زجره بالمقال»[3]. ثم جاء الاميرَ يوسفَ مصطفى قرامنلا ، كاخية الجزّار ، سنة ١٧٧٦ يطالب بالاموال الاميرية . فرفض الامراء اللمعيون مساعدة الحاكم على دفع ما ترتّب عليه . عند ذلك طلب الامير يوسف من مصطفى قرامنلا ان يأتي بعساكر الى بيروت لإحراق ارزاق اللمعيين . فاغتنم رسول الجزّار الفرصة ، واخذ من الامير اللبناني صكّاً بتسليم بيروت . فخرجت من يد اللبنانيين[4].

---

١) الامير حيدر احمد الشهابي : الغُرر الحسان في اخبار ابناء الزمان (طبعة اسد رستم وفؤاد البستاني) ، بيروت ١٩٣٣ – ١٩٣٤ ، ص ٢٤

٢) الامير حيدر : الكتاب المذكور ، ص ٤٠ و ٤١

٣) الامير حيدر : ك.م. ٩٩–١١٧ ٤) الامير حيدر : ك.م. ١٢٠

اما بيروت هذه المسارخة عن لبنان فانها لم تكن على ما هي عليه اليوم من الاتساع . ورد في تاريخ الامير حيدر ان الجزّار اقترح على الامير يوسف الاجتماع به « قرب البلدة »،فنزل الامير عند رغبته ، وقدم مع قليل من رجاله الى « المصيطبة المقاربة المدينة »[1].

هذا ، ومن جهة ثانية لما جاء الشاعر الفرنسي لامرتين بلادنا سنة ١٨٣٢ ، نزل في دار وجيه من عائلة الجبيلي . والمنزل لا يزال معروفاً ، وهو واقع في حي مار مارون ، شارع سعيد عقل . ويقول عنه لامرتين : « بيت منفرد على نحو عشر او خمس عشرة دقيقةً عن المدينة »[2].

وفوق ذلك،وجدنا في معروض قدّمه فرنسيس مسك الى قنصل انكلترة ، طالباً حماية ارزاقه الواقعة في « ضواحي بيروت » ، ان المعترض ، في تعداد ارزاقه هذه ، يذكر داراً له « بجانب بوابة يعقوب بزقاق البلاط » . وكان ذلك في ٣ تموز ١٨٤٠[3].

فكانت اذاً بيروت محصورة ضمن اسوارها المعروفة الى مدة قريبة بين « بوّابات » السراي ، ورجال الاربعين ، والدركة ، ويعقوب ، وادريس ، والصنطية ، والدبّاغة[4] . اما سائر الاحياء المهمة المأهولة اليوم ، ومنها البسطة نفسها ، فقد كانت لبنانية من جبل لبنان . . .

وفي سنة ١٨٢١ ، لما اضطرّ الامير بشير الكبير الى هجر الجبل ، عيّنه صديقه عبدالله باشا ، والي صيدا ، حاكماً على بيروت[5] . ثم سافر الامير بشير الى مصر . وبعد عودته الى الحكم في الجبل ، حدث ان مراكب غريبة جاءت الى بيروت تريد ان تنهبها . فخاف السكّان ، واستغاثوا بالامير اللبناني ، فأرسل اليهم ابنه الامير خليلاً ، فاستقبله ، في غابة الصنوبر ، متسلّم المدينة واعيانها محتفلين به شاكرين حمايته .

---

١) الامير حيدر : ك.م. ٦٦

٢) Lamartine, *Voyage en Orient*, p. 168

٣) اسد رستم : الاصول العربية لتاريخ سورية في عهد محمد علي باشا ٥ : ١٢٦

٤) المشرق : ٢١ [١٩٢٣] ٥٨٢

٥) الامير حيدر : ك.م. ٧٢٤

وظلَّ الامير بشير متخذًا مهمة الحامية على بيروت ، وان لم تكن تابعةً له رسمياً . ففي السنة نفسها ، بعد ان زال خطر المراكب الاجنبية، حوَّل مسلمو بيروت غضبهم على المسيحيين ، ونهبوا محلاتهم . فاضطُرَّ هؤلاء للإلتجاء الى الى الجبل . فتدخل الامير حاملًا عبد الله باشا على إنزال العقاب بالمعتدين . وكتب الوالي المذكور الى المسيحيين يطمئنهم ويطلب منهم ان يعودوا الى المدينة ، فلم يُذعنوا . فكتب اليهم الامير بشير بدوره ووعدهم بان تُعاد اليهم « ارزاقهم ومحلاتهم وحوانيتهم ومخازنهم » ، فلبّوا نداءه[1].

ولما استولى محمد علي باشا ، عزيز مصر ، على سورية ، سلَّم حليفه الامير بشيرًا مدينة بيروت بموجب « المرسوم المطاع الواجب القبول والاتباع » الموجّه من ابراهيم باشا الى مفتي بيروت ونقيب اشرافها وسائر علمائها . والمرسوم المذكور مؤرخ في ١ جمادى الاول ١٢٤٨ هـ. (٢٦ ايلول ١٨٣٢ م)[2].

ودارت بعد ذلك الدائرة على المصريين ، وعلى حلفائهم اللبنانيين ، وسقط الامير بشير من الحكم سنة ١٨٤٠ . واستولت الدولة العثمانية على بيروت ، وعيَّنت فيها واليًا اصبح، في سنة ١٨٤٢ ، مرجعاً للقائمقاميتين اللبنانيتين الدرزية والمارونية . ثم أُلحقت بيروت بولاية الشام سنة ١٨٦٤ ، على انها جُعلت سنة ١٨٨٦ مركز ولاية منفردة[3] ، بعد توسيع المدينة على نحو ما هي الآن.

فتكون بيروت منذ الفتح العثماني (١٥١٥)، الى اندحار المصريين (١٨٤٠)، ظلّت لبنانية مدة ماية وست وسبعين سنة . وكانت ، في باقي الاوقات ، تابعةً لولاية صيدا الملحقة بحكومة الباب العالي رأساً . ومتى قيل « بيروت » في ذلك العهد عُنيت المدينة القديمة المحصورة ضمن بوّابات السور . ولم تتبع بيروت والي الشام إلا مرةً واحدة من ١٨٦٤ الى ١٨٨٦ ، اي مدة إثنتين وعشرين سنة لا غير.

لهذا ظلَّ البيروتيون ، بعد فصل مدينتهم عن لبنان ، يحنون الى وطنهم ،

١) الامير حيدر : ك.م. ٧٨٠ و٧٨١

٢) اسد رستم : الاصول العربية لتاريخ سورية في عهد محمد علي باشا ٣ : ٤٦

٣) صالح بن يحيى : تاريخ بيروت (طبعة شيخو) : ص ٢٧٠-٢٧٦

الاصلي، ويلجأون اليه وقت الملمات. وقبل اعلان الحرب الكونية بسنة ونيّف، في ١٢ اذار ١٩١٣، تقدّم نوّاب بيروت في اللجنة الاصلاحية، السادة نخله التويني، ويوسف الهاني، وبترو طراد، وايوب ثابت، ورزق الله ارقش، وخليل زينيه، بمذكرة الى مسيو كوجه، قنصل فرنسة العام، يطلبون فيها إلحاق بيروت بلبنان[1]. وقد أعدمت الدولة العثمانية، في اثناء الحرب، احد موقعي هذه المذكرة يوسف الهاني.

وادي التيم

هذا ما كان من امر بيروت. اما وادي التيم، ومنه حاصبيا وراشيا ومرج عيون، فقد كان يحكمه، منذ القرن الثالث عشر، الامراء الشهابيون[2]. وكان لهؤلاء الامراء علاقة وثيقة بالمعنيّين، حكّام لبنان، وقد خلفوهم في الحكم سنة ١٦٩٧.

كانت هذه المقاطعات تابعةً لفخر الدين الكبير، امير لبنان. ففي سنة ١٦١٨، قبل عودة فخر الدين من ايطالية، عيّن ابنه عليٌّ الاميرَ عليًّا الشهابي مدبّرًا لمرج عيون[3].

ولما جهّز فخر الدين عسكرًا لمحاربة يوسف باشا سيفا، جمع رجال الشوف وكسروان، وكتب الى ابنه بان « يرسل الى الامير علي ابن الشهاب ليأتي برجاله اليه ثم يمشي بهم على اثر والده »[4].

وبعد مدة وجيزة، اختلف الاميران الاخوان: علي واحمد الشهابيان، فأرسل فخر الدين اليهما مشايخ من الشوف وفقوا بينهما واعطوا حاصبيا لعليّ وراشيا لاحمد[5].

---

١) « ايضاحات عن المسائل السياسية التي جرى تدقيقها بديوان الحرب العرفي المتشكّل بعاليه » (نُشرت من قبل جمال باشا)، ١٣٣٤، ص ٤١ من النسخة العربية.

٢) الشدياق والمنطوريني وغيرهما.

٣) الصفدي: ك.م. ٦٣

٤) الصفدي: ك.م. ٧٤

٥) الصفدي: ك.م. ٨٤

وفي معركة عنجر(١٦٢٣) التي انتصر فيها خمسة آلاف لبناني على اثني عشر الف عثماني بقيادة والي الشام مصطفى باشا ، كان بجانب الامير فخر الدين ، الامير علي شهاب بجميع رجاله[1].

وكان من الطبيعي ، بعد تولي بني شهاب على لبنان ، ان تكبر سلطة حاكم لبنان على وادي التيم. فاصبح الامير اللبناني مرجع انسبائه جميعهم ، سواء أكانوا في الشوف او في وادي التيم.

ففي سنة ١٧٧٤ مثلاً ، جاء الامير محمد الشهابي من راشيا الى الامير يوسف يطلب منه إنصافه وتوليته مع اخيه الامير منصور على راشيا. فلبّى الامير اللبناني طلبه وقسم بلاد راشيا بين الشقيقين[2]. وبعد ذلك بست سنوات(١٧٨٠) اراد الامير سيد احمد ان يزاحم اخاه يوسف على الولاية ، فاستحصل من الوزير محمد باشا ، والي الشام ، خلع الولاية على « بلاد وادي التيم الفوقانية والتحتانية »[3]. وغضب مرةً الجزّار من الامير اسمعيل ، امير حاصبيا ، فكتب الى الامير يوسف بان يتولى مباشرةً مقاطعة مرج عيون، ففعل[4].(١٧٨٣)

وقد تصرّف الامير بشير الكبير بوادي التيم تصرّف الحاكم بامره ، فولّى الامير اسعد ابن الامير سليمان على حاصبيا ، مكان الامير يوسف ابن الامير فارس، سنة ١٧٩٠[5]. وبقي كذلك، طول ايام حكمه ، يقيم في تلك المقاطعة من يشاء ، ولا يجرأ احد على مقاومته فيها. ففي سنة ١٨٢٦ قتل الامير فندي الشهابي عمه الامير منصوراً ، والي راشيا ، واستولى على املاكه . فغضب عليه بشير الكبير. فخشي الامير فندي بطشه ، وجاء اليه في دير القمر طالباً العفو ، فبلغ ما اراد ، وسلّمه الامير اللبناني الاحكام في راشيا[6].

ثم فُصلت مقاطعة وادي التيم عنا ، بعد سقوط الامارة اللبنانية ، وأُلحقت

١) الصفدي : ك.م. ١٤٦
٢) الامير حيدر : ك.م. ١٠٥
٣) الامير حيدر : ك.م. ١٢١
٤) الامير حيدر : ك.م. ١٢٥
٥) الامير حيدر : ك.م. ١٥٠
٦) الامير حيدر : ك.م. ٧٨٥

بولاية دمشق. وقد فكّر اعضاء اللجنة الدولية المجتمعة في بيروت سنة ١٨٦١، باعادة هذه المناطق الى لبنان. ومندوب انكلترة نفسه، رغم مقاومة دولته للبنان آنذاك، اقترح ضم حاصبيا وراشيا ومرج عيون الى «القائمقامية المسيحية». ولكن الاقتراح سقط، مع سائر اقتراحات المندوب الانكليزي في تجزئة لبنان الى ثلاث قائمقاميات: مارونية، ودرزية، وارثوذكسية[1]. فتكون منطقة وادي التيم، والحالة هذه، ظلّت حتى ١٨٤٠، مدة قرون، في حكم الامراء الشهابيين الخاضعين، في اكثر الاحيان، لانسبائهم ولاة لبنان من معنيين وشهابيين.

بعلبك والبقاع

اما بعلبك فقد كان يحكمها الامراء الحرافشة، ويراقبهم وزراء الدولة العثمانية في دمشق[2]. وكانت البقاع من المقاطعات «الملكانية»، اي التابعة للولاة الترك. ولكن امراء لبنان تولوا فعلاً عليها اذ كانوا يضمنونها. وها ان فخر الدين عيّن حاكماً عليها كاخيته الحاج كيوان سنة ١٦١٣[3].

ولما اراد الوزير العثماني مصطفى باشا، والي الشام، ان يدافع عن الامير يونس الحرفوش، صاحب بعلبك، ضد فخر الدين، جهّز هذا الاخير عسكراً وسار الى نبع عنجر، في البقاع، حيث تلاقى الجيشان: العثماني واللبناني. فظفر اللبنانيون، وولى خصومهم مدبرين. وأسر الوزير مصطفى باشا يوم الاربعاء ٨ محرّم ١٠٣٣ هـ. (١ تشرين الثاني ١٦٢٣)، وتابع الامير اللبناني مسيره المظفّر حتى وصل مدينة الشمس فحاصرها حصاراً شديداً. وفي ١٠ ربيع الثاني ١٠٣٣ جاء رسول السلطان مراد حاملاً الى فخر الدين خلع الولاية باسم ابنه علي[4].

---

١) Jouplain, *La Question du Liban*, p. 461

٢) المنطوريني والشدياق وغيرهما

٣) الصفدي: ك.م. ١٣٨

٤) الصفدي: ك.م. ١٦٦ وما قبلها.

وسنة ١٧٤٨ ، تسلم الامير ملحم ، حاكم لبنان ، مقاطعة البقاع ، وولّى عليها اخويه منصورًا واحمد. ثم رام والي الشام ، اسعد باشا ، استرجاع البقاع. ولكن اللبنانيين احتفظوا بها. فوقع الخلاف بين الدولة العثمانية والامير ملحم ، وجرت معركة بين الفريقين في برّ الياس انتصر فيها اجدادنا . والمؤرخ الامير حيدر يقول ان ملحماً « رجع بعد ذلك الى دياره. وعليه من النصر علامات . وبين يديه من السعادات رايات . فعلت همته. وعظمت هيبته. ودخل اسعد باشا الى دمشق مكسور العزيمة. موشحاً من الذل ثوب الهمة الذميمة ».

وبعد الاستيلاء على البقاع ، اتخذ الامير ملحم الساحة ليثبت سلطته ايضاً على بعلبك ، فسيّر اليهـا جيشاً طرد منها الامير حيدر الحرفوش ، لانه كان موالياً للترك ، وولّى اللبنانيون مكانه اخاه الامير حسناً[1].

والامير يوسف ، ابن الامير ملحم ، كتب بدوره الى عثمان باشا المصري ، والي الشام ، ليفوّض الى اخيه الامير سيد احمد ولاية البقاع ، فرضي الوزير . واستوطن الامير سيد احمد قبّ الياس ، وعمّر تلك القرية ، وحصّنها ، وجهّزها بالمدافع والآلات الحربية . وظنّ عثمان باشا ان في امكانه استرجاع البقاع ، فوجّه عسكرًا الى برّ الياس . غير ان حظه لم يكن بافضل من حظ سلفائه. فان الامير يوسف انتصر عليه ، واستبقى البقاع لاخيه . ولكن الامير سيد احمد اراد الخروج على اخيه حاكم لبنان ، فتغلّب عليه اللبنانيون ، وتولّى البقاع الامير يوسف بنفسه سنة ١٧٧٤[2]

وكان الامراء الحرافشة يعترفون بسلطة أمراء لبنان عليهم. ففي سنة ١٧٧٤ توفي الامير حيدر الحرفوش فورثه في الحكم اخوه مصطفى . ولما اراد الامير درويش ، ابن حيدر ، ان يزاحم عمه جاء الى الامير يوسف يتوسّل اليه طالباً لنفسه الولاية. فرفض الامير اللبناني طلبه اولاً ، ثم عاد فقسم ، بناء على رجاء الشيخ ظاهر العمر صاحب عكا ، بلاد بعلبك بين النسيبَين المتزاحمَين[3] .

١) الامير حيدر : ك.م. ٣٨
٢) الامير حيدر : ك.م. ١٠٤ و١٠٥
٣) الامير حيدر : ك.م. ١٠٦

وسنة ١٧٨٢ ، ارسل الامير يوسف عسكراً الى بعلبك ، بقيادة المؤرخ الامير حيدر والامير بشير قاسم الذي اشتهر فيما بعد بالولاية . فعزل اللبنانيون الامير مصطفى الحرفوش عن حكم بعلبك ، وولّوا مكانه إخاه الامير محمداً[1] .

وسار الامير بشير الشهابي الكبير على منهج سلفه في السيطرة على بلاد بعلبك. فانه ما كاد يستلم الاحكام في لبنان حتى عزل الامير جهجاه الحرفوش، ووضع مكانه الامير قاسم ابن الامير حيدر الحرفوش سنة ١٧٨٩[2].

وان في تاريخ الامير حيدر الشهابي عبارةً بليغة في صلة البعلبكيين بلبنان. اسمع كلام المؤرخ في اخبار السنة ١٢٣٧ هـ. الموافقة للسنة ١٨٢١ م : « ثم رجع عسكر الامير بشير من بلاد بعلبك الى قرية المرمل لاجل طرد الامير سلطان واخوه الامير امين الحرفوش والشيخ حمود حماده الذين كانوا تظاهروا في الخيانة مع بيت حماده حين كان الامير في بلاد حوران .»[3] وظاهرٌ ان المؤرخ ، في قوله هذا ، لا يجعل اقل فرق بين بيت حماده ، اصحاب المنيطرة ، وهي من مقاطعات بلاد جُبيل ، وبين الامراء الحرافشة، اصحاب بعلبك ؛ بل يصف مقاومة الفريقين لامير لبنان بالخيانة.

وكذلك البقاع بقيت في يد الامير بشير يتصرّف بها تصرّفه في الشوف وكسروان ، فيمنع حيناً اهالي المتن من الاقامة او المرور بارض البقاع وزحله (١٨٠٥)[4] .

والشيخ ناصيف اليازجي يُعدّ، في رسالته التاريخية، البقاع من جملة مقاطعات جبل لبنان كالمتن وبلاد جُبيل[5] (١٨٣٣)

وهناك حادثتان رائعتان تأيدت بها سيادة الامير بشير على البقاع وبعلبك باجلى مظهر. اما الاولى فجرت سنة ١٨٠٩، اذ اراد يوسف باشا ، والي الشام ،

---

١) الامير حيدر : ك.م. ١٢٤
٢) الامير حيدر : ك.م. ١٥٠
٣) الامير حيدر : ك.م. ٦٩٢
٤) الامير حيدر : ك.م. ٤٢٧
٥) الهلال : ١٣ [١٩٠٤ – ١٩٠٥] ٥١٥

ان يستولي على البقاع . فرفض اللبنانيون قبول طلبه ، واستعدوا لمنازلته . وساعدهم سليمان باشا ، والي صيدا ، ورفع الامر الى الاستانة ، فعزلت يوسف باشا ، وعيّنت مكانه سليمان باشا . فسار هذا برفقة الامير وعسكر لبنان الى دمشق ففتحوها عنوة ، وطردوا يوسف باشا . وبعد ان أيّد الامير بشير مركز الوالي الجديد في دمشق ، و « تمّم جميع ما يلزم من النظام » ، ترك المدينة ، « ورجع الى بلاده بالعزّ والنصر . » وفي هذه الواقعة يقول المعلم نقولا الترك ، شاعر الامير ، قصيدة طويلة مطلعها :

عرا الكونَ خطبٌ هوله لا يقدّر اثارته اوغادٌ من البدو فُجّرُ

ومنها ، بعد ذكر انتصار الامير بشير :

بهذا يجازى من يخاصم اميرنا ومن يسعى طرق البغي لا بدّ يعثرُ

. . .

وذاع الثنا لاميرنا الفاتح الذي له غرةٌ عن وصفها اللسن تقصرُ(١)

واما الثانيـة فجرت في صفر ١٢٣٧ (١٨٢١) اذ جاء حسن اغا العبد ، حاكم البقاع من قبل الوالي العثماني الى عتيق فطرده اهلها . فسرق الطرش (ثمنه ٨٧٠ كيساً) الخاص باهالي الجبل وساقه الى دمشق . فأمر الامير بشير الجبليين الموجودين في تلك الناحية ان يرحلوا الى زحلة ، واستعدّ لارسال عسكر الى ولاية دمشق . فقبض درويش باشا على اللبنانيين الموجودين في ولايته وعيّن محمد اغا برزو حاكماً على البقاع ، وارسل معه ٢٠٠ خيال « فاعرض الامير الى عبدالله باشا عن تجرّي باشة الشام على قرايا البقاع وارسل عسكره » ، فوعده بالمساعدة . وارسل الامير ابنه الامير خليلاً بعسكر الشوف الى البقاع . ولدى وصولهم فرّ محمد برزو من وجههم ، عائداً الى مولاه في دمشق .

فعرض درويش باشا على الامير أن يضع الشروط التي يراها للصلح . فاجاب طالباً :

١ً رفع الضبط عن بعض قرى البقاع الخاصة ببيت جنبلاط .

٢ً ان يكون حاكم البقاع تابعاً للامير اللبناني « كما كان قديماً » و « يرفع

١) الامير حيدر : ك . م . ٥٥٠ ، ٥٥٩ — ٥٦٢

زود المطاليب المستجدة على رعايا البقاع » .

٣ً ان يختار الامير اللبناني حاكم وادي التيم من بيت شهاب فيكون تابعاً له .

٤ً ان يعين الامير بشير الامير الحرفوشي لحكم بعلبك « لاجل رفع المظالم عن رعايا تلك البلاد »[1] .

ولم يستغن اللبنانيون ، في ساعة من الساعات ، عن بعلبك والبقاع بعد استيلاء الاتراك عليهما سنة ١٨٦١ . فان داود باشا ، اول متصرف على لبنان ، ضمن البقاع من الباب العالي وسمّى عليها قائمقاماً من قبله خورشيد بك ، والد اسعد بك خورشيد المقتول في بيروت في ٧ نيسان ١٩٢٢ . على ان الدولة العثمانية استعادت البقاع في عهد رستم باشا (١٨٧٣—١٨٨٣) .

اما اهالي تلك المناطق فاسمع ما يقول قنصل فرنسة في دمشق عن مساعيهم . نقتطف الفقرة التالية من رسالة مؤرخة في ١٥ كانون الثاني ١٩١٣ موجهة من « القنصل العام المكلّف بالقنصلية الى فخامة السيد بومبار :

« لي الشرف بان احيط فخامتكم علماً اني استقبلت مرتين ، في بحر الاسبوع الماضي ، وجيهاً ذا نفوذ واسع في بعلبك ، هو نخله باشا مطران ، وقد كان منذ سنتين اميناً للسر في السفارة العثمانية ويعرف الكثيرين من رجال سياستنا . وهو ينتمي الى طائفة الروم الكاثوليك . . . قال لي : ان الحالة الحاضرة لا تطاق . اننا عازمون على الحصول على ضم بعلبك وسهل البقاع الى لبنان ، واليه يرجعان جغرافياً . نحن في حاجة ، في ذلك ، الى مساعدة وحماية الحكومة الافرنسية . اننا جميعاً ، من مسلمين ومسيحيين ، متفقون لان نتوصل الى هذا الامر . ونعرف كيف نتغلب على المعارضة العثمانية اذا حصلت . فان قسماً من اهالي بعلبك مؤلف من عصاباتنا ، وللمدينة موقع فريد : فهي مفتاح سورية الداخلية وطرقها . ان الزعيم الشيعي ، اسعد بك حيدر ، وهو الرجل الاكثر نفوذاً في المنطقة ، وعبد الغني الرفاعي ، زعيم المسلمين ، عازمان معي على إلحاق بلادنا بلبنان سواء أرضيت تركية ام لا . وقد اتفقنا على الذهاب الى بيروت لمحادثة

---

١) الامير حيدر : ك . م . ٦٦٨

السيد كوجه بمشروعنا ، لان حضرته يهتم خصوصاً بما له صلة بلبنان . ولكن رأيتُ من واجبي ان احادثكم ايضاً بها باسمي، وبالنيابة عن اسعد بك وعبد الغني ، لان بعلبك داخلة في دائرة اعمالكم »[1].

ان هذه القطعة ، واستشهاد نخله باشا في كانون الثاني ١٩١٥ على افظع صورة عرفها تاريخ الهمجية ، يكفيان في نظرنا لإثبات حقوق لبنان على البقاع وبعلبك ، وللتعبير عن عواطف اهالي تلك الاراضي الطيبة نحو وطنهم العزيز .

منطقة صيدا

كانت امارة فخر الدين ممتدّة جداً من الناحية الجنوبية . فالمؤرخ الصفدي يلقّب دائماً امير لبنان « بامير لواء صفد »[2] ، وكثيراً ما كان ممثلو الباب العالي يجدّدون للامير خلع الولاية على صيدا . نذكر من هذا القبيل تسليم الصدر الاعظم مراد باشا « سنجقية صيدا وبيروت واغزير » للامير علي ابن الامير فخر الدين سنة ١٦٠٨[3].

وكان فخر الدين ، او ابنه علي اثناء غياب الاول ، يولّي اناساً من قبله على صيدا وسائر مقاطعات الجنوب. ولما اراد احمد حافظ باشا اغتصاب صفد من لبنان ، وعيّن والياً عليها حسين اليازجي ، اضطرّ العسكر اللبنانيّ الواليَ المذكور الى الفرار. واستعاد الامير علي صفد ، فولّى عليها « مصطفى كتخدا » ، وسلّم صيدا لطويل حسين « وصرّفه في جميع بلادها وصرّف عمه الامير يونس في بلاد بني بشاره »[4] ، والبلاد الاخيرة من مقاطعات جبل عامل.

وعندما عاد فخر الدين من اوربة، سنة ١٦١٨، اقبل اليه في عكا جميع مشايخ جبل صفد وجبل عامل وصيدا « حضروا الى عكا وقبّلوا اياديه » ،

١) كتاب جمال باشا المذكور . انما عوّلنا في تعريب الرسالة على النسخة الافرنسية ص ٤١ – ٤٢ ، لارتباك الترجمة في النسخة العربية ص ٢٢

٢) الصفدي : ك.م. ٥

٣) الصفدي : ك.م. ٦

٤) الصفدي : ك.م. ٦٣

ويتابع المؤرخ : « وكان يوم دخوله الى صيدا يوماً مشهوداً »[1].

واستغلّت الدولة العثمانية تضعضع لبنان على اثر سقوط فخر الدين ، فاستولت على مقاطعاته الجنوبية ، ومنها صيدا حيث جعلت ، سنة ١٦٦٠ ، مركزاً لولاية واسعة . ولكن في سنة ١٦٩٨ ، عجز الوالي التركي عن حكم جبل عامل ، فولّى عليه الأمير بشيراً الاول . فقدم الامير اللبناني الى المقاطعة العائدة ، وتغلّب على الثائرين و « رجع الى دير القمر مايداً منصوراً »[2] . ثم عاد الاتراك بعد مدة قليلة فاغتصبوا جبل عامل ثانية .

وفي السنة ذاتها (١٧٠٥) ، طلب الامير حيدر الشهابي من الوالي المذكور ولاية بلاد بشارة لتأديب اصحابها بني علي الصغير . فتأثر الباشا بهدايا الامير ، ورضي بولاية حاكم لبنان على تلك المقاطعة . فسار الامير حيدر بعسكره الى النبطية ، وظفر فيها ببني علي الصغير ، وولّى من قبله على بلاد بشارة الشيخ محمود ابو هرموش ، من الشوف ، « ورجع بعد ذلك الى دير القمر منصوراً مظفراً يصحبه العز والتأييد »[3].

توفي الامير حيدر سنه ١٧٣٠ ، فرفع بنو علي الصغير رأسهم وشمتوا به ، فاغتاظ منهم الامير ملحم ، ابن الامير حيدر ، ووريثه ، واستحصل على خلع الولاية على ديار بشاره ، وسار على بني علي الصغير . وفيما هو سائر عليهم قدم اليه سلمان الصمبي ، صاحب مقاطعة الشقيف ، طالباً منه الامان . ولما تغلّب الامير ملحم على اعدائه ، ولّى على بلادهم من قبله سلمان الصمبي المذكور ، ثم اعاد الولاة السابقين حكّاماً بالنيابة عنه (١٧٣١)[4].

واصبح لبنان بعد ذلك ملجأ لاهالي جبل عامل . ففي سنة ١٧٩٩ مثلاً ، لما سافر بونابرت بالجيوش الافرنسية الى مصر بعد حصار عكا ، خاف العامليون من انتقام الجزّار لمساعدتهم الافرنسيين ، فجاءت وفودهم الى الامير بشير الكبير في دير القمر تطلب حمايته[5].

---

١) الصفدي : ك.م. ٧٠
٢) الامير حيدر : ك.م. ٥ و٦
٣) الامير حيدر : ك.م. ٨ و٩
٤) الامير حيدر : ك.م. ٢٩
٥) الامير حيدر : ك.م. ١٩٣

وفي المدة ذاتها قدم من الاستانة الصدر الاعظم يوسف ضيا باشا لمحاربة الافرنسيين . فأرسل الامير بشير ، للسلام عليه ، في قره مرط ، الشيخ حنا الدحداح والشيخ حسّون الورد ابن شيخ عقل الدروز . فاستقبلهما باكرام ، ووعد الامير بالخير . وفعلاً ، بعد ما قبض مبلغاً من المال ، ارسل الى الامير بشير خلع الاحكام على « جبل الدروز (اي الشوف والمتن وكسروان) ووادي التيم وبعلبك وبلاد المتاولة والبقاع وبلاد جبيل . يكونوا مالكانات له لا يرجعوا لتحت يد الدولة . ولا يكون الى الباشاوات عليه تسلط . بل اموال الميريه تنورد منه الى الخزينة العامرة كما كانت في زمان ابن معن »[1] .

وكان من الطبيعي ان ينتزع الجزّار جبل عامل من اللبنانيين . ولكن محمد علي ، وابنه ابراهيم باشا ، اعادا الى الامير بشير صيدا وصور وكل ايالة صيدا ، جاعلين « جميع المتسلمين واصحاب المقاطعات تصرّفهم من يد الامير امراً ونهياً »[2] .

وهذا ما يقوله الشيخ ناصيف اليازجي ، في رسالته المكتوبة سنة ١٨٣٣ ، لدى كلامه عن البلاد اللبنانية : « وهذه البلاد اعظم بلاد العشاير قدراً واشدها بأساً واكثرها اشرافاً واوسعها بقعة وحاكمهم اكبر حكام العشائر وكلهم ينتمون اليه ويعظمونه ولاسيما اصحاب جبل عامل ووادي التيم وبعلبك فانهم يعتبرونه كحاكم عليهم ولا يصدرون في العظائم الّا عن امره »[3] .

ثم استولى الاتراك ، بعد عودتهم ، على الجنوب ، كما استولوا على جميع المناطق المتممة للبنان (١٨٤٠) . وقد حاول اللبنانيون ، مع داود باشا ، ان يوسّعوا حدود حكومتهم الممتازة في الجنوب ايضاً . وقدّم اهالي صيدا بالاجماع معاريض طالبين إلحاقهم بالجبل اللبناني . وشدّد داود باشا في الامر حتى قدم كتاباً الى الباب العالي يطلب فيه إما تحقيق رغائب اللبنانيين وإما قبول استقالته . فاختارت الدولة المخرج الاخير[4] .

---

١) الامير حيدر : ك . م . ١٩٥ ، وتاريخ روفايل كرامه (طبعة المطران قطّان) ١٥٧ .

٢) الامير حيدر : ك . م . ٨٢٢ .

٣) الهلال ١٣ [١٩٠٤ – ١٩٠٥] ٥٢٠ .

٤) George Samné, *La Syrie*, 1920, p. 213

وبقيت هذه المنطقة تابعة ولاية بيروت الى نهاية الحرب الكونية. ولم تتبع ولاة الترك في دمشق الا مرةً واحدة ، مثل بيروت ، من ١٨٦٤ الى ١٨٨٦ ، اي اثنتين وعشرين سنة لا غير ، بينما ظلّت اربعة قرون كاملة في اخذ ورد بين امراء لبنان ووزراء الدولة العثمانية في صيدا.

منطقة طرابلس

بقي علينا الكلام في منطقة طرابلس ، ومنها عكّار، والضنّية.

كانت عكار مقاطعة خاصة آل سيفا « حكام غزير ». وتولّى بعدهم عليها آل حمادة ، اصحاب بلاد جُبيل في القرن السابع عشر ؛ اخيرًا استقرّ الحكم فيها للمراعبة . والأسر الثلاث ورد ذكرها في تاريخ العينطوريني (١٨١٦) في باب هذا عنوانه : « اصل الامراء والمشايخ في لبنان »[1].

وفي الحروب التي وقعت بين فخر الدين الكبير ويوسف سيفا ، والي طرابلس ، دخل العسكر اللبناني مرارًا ارض عكار . وقد منع فخر الدين خصمه من ان يبني في هذه المقاطعة حصونًا . ولما خالف ارادته ، ذهب الامير الى عكار ، وارسل مع الامير سليمان سيفا ، ابن اخي يوسف باشا ، رجالًا ليحاصروا سكمانية الوالي في « حارات عكار » . فطلب السكمانية الامان واستسلموا . فهدم فخر الدين جميع « الحارات » التي جدّدها عدوّه ، وابقى في عكار الامير سليمان سيفا مع « خمسة باركباشية من باركباشيته »[2] (١٦٢٠).

وفي ١٦٢٣ عُيّن عمر باشا واليًا على طرابلس ، فرأى ، لدى وصوله اليها ، ان يساير فخر الدين ، فوجّه اليه خلع الولاية على عكّار والضنّية ، طالبًا منه عشرة آلاف غرش. فأرسل له الامير خمسة عشر الف غرش. ثم ذهب بنفسه الى طرابلس فاستقبله ، في سرج البحصاص ، عمر باشا ، وقاضي طرابلس ، وجميع اعيانها ؛ ودخلوا به مدينتهم عزيزًا مكرّمًا[3].

وظلّ اصحاب عكار والضنّية يتصرّفون، في مناسبات شتى، تصرّف المتمرّدين

١) العينطوريني : في « المشرق » ٣ [١٩٠١] : ٧٧ وما يليها.
٢) الصفدي : ك. م. ٤٧ ٣) الصفدي : ك. م. ١٢٢-١٢٣

بسلطة امراء لبنان عليهم . نورد مثالاً على ذلك ما جاء في تاريخ سنة ١٧٧٩ للمينطوريني ، لدى كلامه عن حصار الجزّار لمدينة جُبيل : « والعسكر الذي كان داخل جبيل كان عقيدة الامير حيدر اخو الامير يوسف . ومعه داخل الحصار الشيخ عثمان شديد بعسكر عكار ومشايخ بيت رعد بعسكر الضنية ومشايخ بيت ضاهر ومشايخ بيت الدحداح برجال بلد جُبيل والفتوح ومشايخ الجبّة ومشايخ الكوره بيت العازر وكامل رجال مقاطعات المذكورين. »[1]

نرى من هنا ان المؤرخ العائش في المحيط اللبناني ، في عهد الامير بشير الكبير ، لا يميّز بين بيت رعد وعثمان شديد ، وبين البيوتات المعروفة بلبنانيتها ، ولا بين عكار والضنية ، وبين مقاطعات لا جدال في لبنانيتها ايضاً . وكان بيت رعد والمراعبة يشتركون في بعض الحزبيات اللبنانية . ففي ١٧٩٦ تظاهر فاضل الرعد، حاكم الضنية ، بتأييد اولاد الامير يوسف، وساعدهم على الامير بشير[2].

وكانوا يلجأون في الملمّات الى امراء لبنان. في سنة ١٨٣٢ خاف محمود بك وابراهيم بك الاسعد من ابراهيم الباشا المصري فما احتميا إلا بالامير خليل ابن الامير بشير الكبير ، فطمأنهما[3].

من هؤلاء اللبنانيين ، بني سيفا والرعد والمرعب (شديد والاسعد) ، كان كثيرون من ولاة طرابلس. واشهرهم: يوسف باشا سيفا (١٥٩٠—١٦٢٤) وعلي باشا الاسعد (١٨٢٥) وعثمان باشا شديد، ومتسلّم طرابلس فاضل الرعد(١٧٩٥)[4].

وقد جرت بين الاول ، يوسف باشا سيفا ، وبين فخر الدين الكبير ، حروب كثيرة . وكان امير لبنان يفوز دائماً ، فاصبح الطرابلسيون يخافون منه خوفاً شديداً . ففي ١٦١٩ ، توجّه فخر الدين الى البترون لمناظرة احوالها ، وما كاد يعرف ابناء الفيحاء بتوجّه الامير شمالاً حتى هبطت افندتهم ، وركضوا الى القلع والابراج يتحصّنون فيها. . . ولم يستعيدوا صوابهم الا عندما

١) المينطوريني : مخطوطة المكتبة الشرقية N° 47 ، ٤٥

٢) الامير حيدر : ك.م. ١٨٠ ٣) الامير حيدر : ك.م. ٩٠ و٩١

٤) الامير حيدر : ك.م. ٧٦٢ و١٢٥ و١٨٠

تحققوا ان الامير لم يقصد مدينتهم[1].

واشتدّت العداوة بين الامير والباشا . فارسل الاول كاخيته الى الاستانة ليطلب ولاية طرابلس ، إمـا له ، وإما لاحد انصاره ، حسين باشا الجلالي . فنجح الكاخية في مسعاه ، واستحصل على خلع الولاية لحسين باشا . ولكن يوسف باشا استدرك الامر ، فتصالح والامير ، واتفقا على ان يتزوّج الامير علي ابن فخر الدين ابنـة يوسف باشا ، والامير بلك ابن يوسف سيفا ابنة فخر الدين[2]. فبقي يوسف باشا في مركزه (١٦٢٠).

ثم اختلف الرجلان من جديد. واستحصل فخر الدين من الباب العالي اوامر بمطالبة يوسف باشا بالاموال الاميرية . ولما ابطأ الوالي عن الدفع ، سار الامير اللبناني بعسكره الى طرابلس ، واستولى عليها. ويقول المؤرخ : « وبعد ذلك عاد الى طرابلس منصوراً وما عاد احـد خرج من الجماعة التي في الابراج لانكسارهم وذلتهم التي حصلت لهم . » (١٦٢١)[3]

ورأينا اعلاه كيف ان عمر باشا ما كاد يُعيّن والياً على طرابلس حتى شعر بضرورة الحصول على صداقة امير لبنان فأعطاه عكار والضنية.

وظلّ لامراء لبنـان شأن في حوادث طرابلس وتأثير على ولاتها ، سواء أكانوا غرباء ام لبنانيين . ففي ١٧٩٢ قبض خليل باشا ، والي طرابلس ، على محمد بك الاسعد من عكّار ووضعه في السجن. فاستنجد اخوه شديد بك بالامير قعدان الشهابي المتولّي في تلك السنة شؤون لبنان . فجمع الامير رجالاً وتوجّه الى البترون من حيث كاتب خليل باشا بشأن الاسعد، فأطلقه لقاء كفالة مالية[4].

وقـد تمشّى الامير بشير الكبير على سياسة سلفائه في التدخّل بشؤون طرابلس . ولمـا هاج بعض اصحاب المقاطعات في ولاية طرابلس على الوالي مصطفى اغا برير ، كتب هذا الاخير الى امير لبنان يطلب مساعدته « مظهراً له خلوص طويّته » ، فأجابه بشير الى طلبه واصلح له الحالة[5].

---

١) الصفدي : ك. م. ٨٣ ٢) الصفدي : ك. م. ص ٩٠ و ٩١

٣) الصفدي : ك. م. ص ١٠١ ٤) الامير حيدر : ك. م. ص ١٦٩

٥) الامير حيدر : ك. م. ص ٥٢٩

كانت اذاً منطقة طرابلس متصلة بلبنان اتصالاً وثيقاً. فان عكار والضنية خضعتا مراراً لامراء لبنان ، وطرابلس نفسها كانت دائماً تحت تأثيرهم . فكان من اللازم لواليها ان يساير حاكم لبنان ويماشيه حتى يبقى في مركزه . ولم تتبع طرابلس ولاة دمشق قبل ١٨٤٠ إلا احياناً قليلة. وبعد ١٨٨٦ اصبحت متصرفية ضمن ولاية بيروت. وقد طالب بها داود باشا سنة ١٨٦٨ مع صيدا والبقاع.

***

هذه خلاصة ما وجدنا في تصفّحنا للتاريخ . ولا بدّ من الاشارة الى اننا لم نعثر على اية كلمة تشير الى وجود شيء يُسمّى سورية كان في امكانه ان يزاحم لبنان على حدوده الجغرافية . وانما كان هناك وزراء عثمانيون في دمشق وفي صيدا ، وامراء لبنانيون يحكمون بلادهم فيوسّعونها محاولين بجميع الطرق توحيدها ، ويضطرّون احياناً للتخلي ، مرغمين ، عن بعض المناطق. او بالاحرى كان فريقان لا ثالث لهما : لبنان بضعفه وايمان اهليه الوطني ، والدولة العثمانية بقوّاتها من رجال ومال.

وما الاراضي المنضمّة الى لبنان ، بعد الحرب ، الا مناطق نعرفها وتعرفنا ، كنّا ، في كل حين ، اذا فصلوها عنا ، نبحث عنها وتعود الينا حرّة كريمة لبنانية . اما الحكم اللبناني فنترك الكلام في وصف آثاره لعالم جليل من علماء الاسلام، هو الشيخ احمد بن محمد بن يوسف الخالدي الصفدي، كاتب فخرالدين. فبعد ان وصف شقاء الديار الصفدية، قبل حاول فخر الدين فيها ، قال ما يلي عن الامير اللبناني : « امنت به الطرقات . ونجت به النفوس من الهلكات. وانقطعت بها اثار اللصوص. الذين كانوا ينصبون لاذى المسلمين فيها الشصوص. وعمرت البلاد . ورجع من كان نزح منها من العباد . وساد العدل في الرعية . ورضيت بأقواله وافعاله البرية . . . وازهت لذلك وربت. ومن كل زوج بهيج انبتت. واكتست رونق الحسن والجمال. . وهجم على اهاليها السرور والفرح. . . فعاشوا في ظله بعيش رغيد. ونسأل الله تعالى ان يديمه علينا الى يوم الوعد والوعيد. وما ذلك على الله ببعيد . »[1]

---

١) الصفدي : ك.م. ٢ و٣

نقد نقاد المتنبي

ابراهيم اليازجي – الحسين المرصفي – جرجي زيدان – احمد الاسكندري – احمد حسن الزيات – حافظ ابراهيم – احمد شوقي – احمد ضيف – كامل كيلاني – زكي مبارك – فؤاد افرام البستاني – الدريني – محمد كمال حلمي – عباس محمود العقاد – ابراهيم عبد القادر المازني – شفيق جبري – محمد الاسمر

بقلم رجيس بلاشير
الاستاذ في معهد اللغات الشرقية الحيّة في باريس

تكاثرت ، في الآونة الاخيرة ، المنشورات في درس ابي الطيب المتنبي ، فكان بعضها مقدمات للاحتفال بذكراه الالفية ، وكان بعضها لتالية لذلك الاحتفال ؛ وجلها يمت بالسبب القوي الى المناسبات الظرفية والنزعات الحالية . حتى اصبحنا نتوق الى درس يترفع عن تأثير البيئة والعصر ، فيصل الى النظرة الشاملة دون ان يعرض عن التفصيل الدقيق . فكان لنا – من ابحاث قليلة في هذا النوع – بحث رائع مستفيض للمستشرق رجيس بلاشير (١) ضمّ في صفحاته الشاهدة بالعلم والجلد خير ما تُرجى معرفته عن المتنبي واثره . ولا يتسع لنا المجال اليوم لقدر الكتاب حقّ قدره ، فنعود اليه في جزء مقبل ، ان شاء الله . انما نكتفي الآن بنشر فصل من فصوله (٢) ، خصه المؤلف بنقد نقاد المتنبي من ادباء الشرق المعاصرين ، بعد ان قدّم كلمة في انتشار طبعات الديوان ، فكان له ان ينظر من ابعد ما ينظر اليه ادباؤنا ، فيحكم عليهم بما قد لا يستطيعون الحكم به . قال:

لقد كان من نتائج إدخال المطبعة الى العالم الاسلامي ، في مطلع القرن التاسع عشر ، العمل على نشر شعر المتنبي .

ففي الهند ، في كلكوتا سنة ١٢٣٠ (١٨٢٤) ، ولأوّل مرّة ، مثّلت المطبعة دورًا في مصير ديوان ابي الطيب(٣) . وابتداء من هذا الحين اخذت

1) Régis Blachère, Un poète arabe du IVe siècle de l'Hégire (Xe siècle de J.-C.) : Abou ṭ-Ṭayyib al-motanabbi. (Essai d'histoire littéraire) In-8°, XIX+366 pp. Paris, Adrien-Maisonneuve, 1935.

٢) هو الفصل الرابع من القسم الثاني من الكتاب ، وعنوانه في الاصل : ديوان المتنبي والعالم « العربي » المصري .

٣) طبعه احمد شرواني في مجلد واحد ، صفحاته ١٠٢ وهو مفقود اليوم . انظر بروكلمان ١ : ٨٨ ؛ سركيس ١٦١٦ وهو يذكر خطأً السنة ١٢٣٠ ؛ راجكوتي : زيادات ، في المقدمة . سلفستر دي ساسي : منتخبات عربية (الطبعة الثانية) ٣ : ٤٤ ، ٤٥ ، ٦٠ اعتمد مرّات عديدة على هذه الطبعة الاولى للديوان

الطبعات تتعدد : في هُوغلي سنة ١٢٥٦ (١٨٤٠)[1] ، وفي ديوبند[2] ، وكلكوتا سنة ١٢٥٧ (١٨٤١) ، و١٢٦١ (١٨٤٥) (مع شروح بالفارسية)[3] وفي سنة ١٢٦١ (١٨٤٥) طبع ثانيةً (مع شرح العكبري)[4] . وسنة ١٢٨٣ (١٨٦٦) و١٣٠٢ (١٨٨٤) (مع شرحي العكبري والواحدي ممزوجين)[5]، وفي بومباي سنة ١٢٧١ (١٨٥٤) (مع ترجمة الشاعر مأخوذة من كتاب ابن خلّكان ، وشرح الواحدي)[6] ثم سنة ١٢٨٩ (١٨٧٢)[7] و١٣١٠ (١٨٩٢)[8]

وكان على مصر ان تنتظر نصف قرن قبل ان تحذو حذو الهند. ففي سنة ١٢٨٣ (١٨٦٦) ، ظهر في القاهرة نصّ الديوان ، وعلى هامشه شروح مأخوذة من الواحدي والعكبري[9] . ومنذئذٍ اخذت الطبعات تتتابع دون انقطاع : في بولاق سنة ١٢٨٧ (١٨٧٠) (مع شرح العكبري كاملاً)[10] وفي القاهرة سنة ١٣٠٢ (١٨٨٤) (مع شرحي العكبري والواحدي على الهامش)[11] وفي سنة ١٣٠٨ (١٨٩٠) (مع شرح العكبري ، وعلى الهامش صبح البديعي) ؛ وسنة ١٣١٠ (١٨٩٢) (النص وحده)[12] واخيرًا سنة ١٣١٥ (١٨٩٧)[13]..

١) طبعة عبد الله خان ، ٢+٢١٠ صفحة. انظر سركيس ، ١٦١٦

٢) منه نسخة في القاهرة (فهرس دار الكتب) ٣:١٤٦ (ب) بدون تاريخ .

٣) شروح المحبي صفحاتُهُ ٦٦٤. انظر سركيس والراجكوتي : في الاماكن المذكورة .

٤) طبعه بدرناوي ، ٨٥٦ ص. انظر سركيس ١٦١٦ ، ١٦١٦

٥) ذكرها فؤاد افرام البستاني – المشرق ١٩٢٧ : ص ١٠٤

٦) طبعه عبد الحسين حسام الدين طبعة حجرية ، ٢٥٨ صفحة. انظر سركيس ١٦١٦ .

٧) طبعه مول جلال الدين طبعة حجرية ، ٢٩٦ ص. انظر سركيس: المكان المذكور

٨) جدّد طبعه مختصرًا عن الطبعة السابقة ، ٢٥٤ ص. انظر سركيس: المكان المذكور، وبروكلمان ١ : ٨٨ .

٩) هو نصّ اثبته محمود مقارَى الفرضي . واختار الشروح من مؤلّفي الواحدي والعكبري عمر الرافعي ؛ طبعة حجرية في ٢٩٢ ص . منها نسخ في القاهرة(فهرس دار الكتب) ٣:١٤٦ ، (ا) ، وفي رباط .

١٠) في مجلدين ؛ وهو نادر جدًا. انظر سركيس٢٩٦ ، ١٦١٦ .

١١) مطبعة ابو زيد ، طبعة حجرية ، ٢٥٦ ص. سركيس ١٦١٧ .

١٢) مطبعة أمين هنديه. منه نسخة في القاهرة (فهرس . . .) ٣:١٤٦ (ب)

١٣) سركيس ١٦١٧

كانت نتيجة عمل التعميم الذي قامت به المطبعة ان ادخلت ديوان ابي الطيب في جميع نواحي العالم الاسلامي . ففي افريقية الشمالية يستشهد به أدباء الطراز القديم ، ولاسيما المراكشيون منهم ، في ظروف عديدة . اما الجيل الناشئ المؤثرة به المؤثرات الشرقية ، فيبدو ، هو ايضاً ، معجباً بالمتنبي اعجاباً لا يخلو من التأثر بالاحكام السابقة ، انما يظهر بروح غير الروح المعروفة في آبائه[1] . وكذلك نرى ديوان المتنبي معروفاً ، منذ اربعين سنة ، في منطقة من العالم العربي ، بعيدة عن هذه المنطقة ؛ في عُمان ، كان الادباء المثقفون يعرفون آثار شاعرنا[2] . ثم ان الهند ، التي كانت اول طابعة للديوان ، كما رأينا ، لا تزال تهتم به الى اليوم - يشهد بذلك درس حديث للراجكوتي ، الاستاذ في جامعة عليكره ، جمع فيه مقاطع للمتنبي غير موجودة في طبعات الديوان الاخيرة[3] .

وسواء أنظرنا الى افريقية ام الى الهند ام الى اية ناحية أخرى من العالم

---

١) سألني طلبة مراكشيون، لبضعة اعوام خلت ، ان اشرح لهم قصيدتين او ثلاث قصائد لشاعر الكوفة. فكان لبعضهم ما اضحكهم لدى قراءة ابيات بارزة التكلف. وقد لاحظت عند آخرين شيئاً من خيبة الأمل لتلاوة قصائد شاعر لا يفهمونه الا بمعونة الشروحات الكثيرة. واذاً فقد كان اعجابهم الأول مؤسساً على الاحكام السابقة.

٢) Reinhardt, *Ein arab. Dialekt... in Oman*, XIII

٣) طبعت هذه المقاطع في القاهرة ، سنة ١٣٤٦ (١٩٢٧) ، بعنوان « زيادات ديوان شعر المتنبي » . وهي مأخوذة :

ا من طبعات الديوان الظاهرة في كلكوتا سنة ١٢٥٧ و ١٢٦١

ب من مجموعات ادبية مختلفة

ج من مخطوطتين للديوان محفوظتين في بومباي ، ترقى احداهما الى القرن السادس للهجرة ، (الثاني عشر) .

د من مخطوطة للديوان محفوظة في حيدراباد ، مؤرخة في السنة ١١٥٣ (١٧٤٠)

ه من مخطوطة أخرى محفوظة في حيدراباد ، مؤرخة في السنة ٦١٥ (١٢١٨) مستندة الى النسختين الاصليتين :

اً نسخة رجأ بن الحَسَن، المنسوخة عن نسخة ضبطها المتنبي وابن جني .

آً مخطوطة علي بن عبد الرحمن السُلمي (+ ٥٧٦ = ١١٨٠) استاذ العكبري (اطلب ارشاد الاريب ٥ : ٢٤٧ ، وبُغية الوعاة ٢٤١) المنسوخة عن نسخة ضبطها علي القُمّي وأخرى ضبطها علي البصري ، ترقى انتاهما الى نسخة المتنبي الاصلية .

الاسلامي ، فاننا نتحقق ان معرفة قصائد ابي الطيب لا تزال من خصائص عدد محصور من المتأدبين . وليس في هذا ما يدعو الى الاستغراب. كذلك القول عن القرون الوسطى اذ كان الاشخاص القادرون على التصرف بالعربية المدرسية بسهولة يمكنهم وحدهم ان يطمعوا بمعرفة هذه القصائد. بيد انه في مصر وسورية، حيث تستند الثقافة الى تضلّع بليغ من العربية، كان لفهم القصائد جمهور اوسع واوفر خبرة من جميع من عداه . واذاً ففي هذين القطرين وجب ان تتوصل الدروس الحديثة في المتنبي الى اوسع انتشارها.

***

وقد ظهر ، بادئ بدء ، ميل الى تجديد الشروح. لان شروح الواحدي والعكبري اصبحت قديمة مهملة . فرغب الناس في غيرها ، رغبوا في شروح واضحة ، موجزة ، اضبط من الاولى.

في السنة ١٨٦٠، اصدر العالم الماروني بطرس البستاني[1] ، المدينة له الآداب العربية بالشيء الكثير، في بيروت شرحاً جافاً ادرك النجاح حالاً ، وجددت طبعته عدات مرات[2] .

وفي الوقت نفسه تقريباً ، قام السوري ناصيف اليازجي[3] — الذي سيمثل في نهضة بلاده الفكرية دوراً يعادل، على الاقل، دور البستاني — فدرس بحميّة قصائد مادح سيف الدولة. فتأثر به تأثراً عميقاً في شعره الخاص . وقضى حياته منصرفاً الى تأليف شرح له لم يسمح له الموت باتمامه . فجمع ابنه ، ابراهيم اليازجي[4] هذه المواد وطبعها في بيروت سنة ١٨٨٢ تحت عنوان « العَرف

١) ولد في لبنان سنة ١٨١٩ ، وتوفي في بيروت سنة ١٨٨٣ . اطلب دائرة المعارف الاسلامية ١ : ٨٢٥

٢) بيروت المطبعة السورية سنة ١٨٦٠ ، ٢٨٢ ص. جددت طبعته سنة ١٨٦٧ و١٨٨٢ و١٨٨٧

٣) ولد في لبنان سنة ١٨٠٠ ، وتوفي في بيروت سنة ١٨٧١ . اطلب دائرة المعارف الاسلامية ٤ : ١٢٢٤ — ١٢٢٥

٤) ولد في بيروت سنة ١٨٦٧ وتوفي في هذه المدينة سنة ١٩٠٦ . دائرة المعارف الاسلامية ٤ : ١٢٢٥ (ب) — [المشرق : قلنا : والصواب ان الشيخ ابراهيم اليازجي توفي في القاهرة سنة ١٩٠٦ ، لا في بيروت .]

الطيب في شرح ديوان ابي الطيب »[1] . اما قصائد المتنبي ومقاطيعه فرتبة في هذه الطبعة الجديدة حسب نظام تاريخي يكاد يكون اكثر ضبطاً منه عند الواحدي . وقد حُذف شيء من بعض القصائد[2]، واثبتت روايات لبعض الابيات لم تكن دائماً موفقة[3] . ويظهر ان شرح الواحدي كان مستند ناصيف اليازجي . وشروحه على كونها اوسع من شروح البستاني ، تقتصر على الزبدة ، بل انها تنحصر احياناً في حلّ بسيط للنص الشعري . بيد ان هذا الاثر ، بصورته الموجزة ومظهره السهل التداول، يبدو متمماً موفقاً لشرحي العكبري والواحدي، فيظهر شيئاً فشيئاً جديراً بان يُعتبر اثراً مدرسياً . وبعده لا يُنوّه الا على سبيل الذكرى بالطبعة المهذّبة المشروحة التي نشرها الماروني سليم صادر[4] .

ولم تحذُ مصر حذوَ لبنان الا متأخرةً جداً . ففي السنة ١٣٤٨ (١٩٣٠) فقط، أخرج الناقد البرقوقي[5] « شرح ديوان المتنبي »[6] . لكنه ، بانصرافه الى ترتيب القصائد حسب نظام قوافيها الابجدي ، وبما يظهره من ازدراء بدرس البيئة التاريخية وبالمعلومات عن حياة الشاعر[7]، يخرج اثره بعيداً كل البعد عن التوفق، ولا يبدّد شيئاً من الغموض العالق بالشروح الاخرى . انما مظهره الطبعي وحده

---

١) ص ٢ مقدمة عن المتنبي ؛ ص ٢ – ٦٢٤ شرح ؛ ص ٦٢٥ – ٦٢٦ مُلحق . ص ٦٢٧ الى الآخر درس لابراهيم اليازجي في المتنبي

٢) في القصيدة ٢٤ حُذفت الابيات ٥ – ٨ . وفي القصيدة ١٦٨ نُشر ١٩ بيتاً بدل ٢٩

٣) يازجي ٨٤ السطر ٤

٤) «ديوان ابي الطيب المتنبي» بيروت سنة ١٩٠٠ ، ٥٠٠ صفحة . ترجمة قصيرة للشاعر مأخوذة عن «الصبح» ثم قصائد مرتبة حسب النظام التاريخي، فهرس للقوافي . ولها طبعة جديدة سنة ١٩٢٥

٥) عبد الرحمن البرقوقي ، منشئ مجلة «البيان» المصرية . انظر شيخو : « المشرق » كانون الاول سنة ١٩٢٢ ص ٩٤٦ . وتاريخ الآداب العربية في القرن العشرين ، ص ١٨٦ : سركيس ٥٥١ .

٦) طبع في القاهرة ١٣٤٨ (١٩٣٠) في مجلدين . الأول ١٦ + ٥٠٤ ص . ، والثاني ٥٥٥ + ١٨ ص . مقدمة ، نص وشروح في الحواشي ، ملحق ، فهرس .

٧) ويرى البرقوقي ان الاطلاع على ترجمة حياة المتنبي لا يضيف شيئاً الى فهم النص . انظر المقدمة ١ : ١ .

قد يُمهّد له مجال الاستعمال .

***

كل هـذه الشروح التي ذكرنا تظهر نهائياً أشبه بتجديد لشروح القرون الوسطى منها باعمالٍ مبتكرة . ذلك لان الموضوع لم يكن في الحقيقة ليتّسع لشيء آخر . وبضدّ ذلك ، نرى دروس البحّاثة السوريين والمصريين ، التي سيخصّصونها بحياة المتنبي وشعره تدلّ يوماً فيوماً على مقاطعة القرون الوسطى . على ان هذه المقاطعة لن تكون جازمةً البتة . ذلك اننا نرى عند الكثيرين تقهقراً ، وتردّداً ، وكثيراً من بقايا الماضي . ففي درس ظهر في بيروت سنة ١٨٨٧[1] ، يأخذ ابراهيم اليازجي على نفسه (ص ٦٥٢) ان يدرس شعر المتنبي « من حيث هو كلام تُراد منه المطابقة بين المسموع والمفهوم » ، ولكنه ينسى تماماً هذه الغاية ويهتمّ خاصة بتبيان نواقص دروس القرون الوسطى ، واصلاح الاخطـاء التفسيرية ، التي تشوّه أثر فنّان طائر الصيت قد يكون ، في عبث الصبي ، توصّل الى ابيات فارغة المعنى حتى لا تتصوّر نسبتها الى اضعف الشعراء . غير ان حسناته في عهد نضجه لا تحصى .

وفي الوقت نفسه تقريباً ، قام الشاعر المصري البارودي[2] ، مَن دانت له الآداب العربية بيقظتها الجديدة ، فاستشهد في مجموعته « المختارات » بنحو ثلاثمائة بيت للمتنبي كامثلة للمدح ، والرثاء ، والتوسيمات الحكميّة[3] .

وبعده ببضع سنوات ، قد يكون شاعر مصري آخر ، هو توفيق البكري[4] ، الّف مقالاً عنوانه « مناقب المتنبي ومعايبه »[5] ، خصّه ، على الارجح ، بشخصية

---

١) مطبوع في آخر العَرف الطيب ، ص ٦٥٢ وما يليها

٢) محمود سامي باشا البارودي وُلد في القاهرة سنة ١٢٥٦ (١٨٤٠) وتوفي فيها سنة ١٣٣٢ (١٩٠٤) . سركيس ٥١٤ . زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية ٤ : ٣٤٩ ؛ وتراجم مشاهير الشرق ١ : ٢٤٨

٣) المختارات ١ : ٢٥ وما يليها . و٣ : ١ وما يليها ، ٢٣٦ وما يليها ؛ ٤ : ١٠٤ وما يليها ، ٢٥٣ وما يليها ، و٤٢٧ وما يليها ، و٤٧٤ وما يليها .

٤) شاعر ، وكاتب ، وناقد ، ولد في القاهرة سنة ١٢٨٧ (١٨٧٠) وتوفي في بيروت . انظر زكي مبارك : النثر العربي ٧١-٧٣ ؛ واحمد عبيد ١٦٨-١٧١ ؛ وسركيس ٥٨١

٥) وقد يكون ظهر هذا المقال في مجلة «المقتطف» ١٨٩٣ م ١٧ ص ٢٦١ . وهو موضع

الشاعر الخُلُقيّة.

وهكذا نرى انه لا البارودي ولا البكري تحررا من آراء القرون الوسطى الأدبية. فهما يكتفيان بترداد الأحكام التي أُطلقت على المتنبي لعدة قرون خلت.

وبقايا الاعصر القديمة هذه نفسها نتحققها ايضاً في اقوال الحسين المرصفي[1] الذي يظهر للسامع كانه احد شيوخ ابن خلدون عند ما يُصرّح لتلاميذه: «مسلم بن الوليد، وحبيب بن أوس (ابو تمام) وابو الطيب المتنبي، وابو العلاء المعرّي، قومٌ تكلّفوا البديع، واخضعوا المعنى للفظ، وتعمّقوا في درس مذاهب الفلاسفة. ولم يخلُ كلامهم من يونانية تباعد بينهم وبين مذاهب العرب البادين. فدرسهم خطل، والعناية بهم حمق، والإعراض عنهم الى الشعراء المطبوعين اصابة وتوفيق.»[2]

على انّ هذا الموقف العدائي منفرد كل الانفراد. فتلاميذ المرصفي انفسهم كانوا اوّل الثائرين عليه بسبب معاكسته الميول المُحدَثة المرتسخة في الشرق يوماً بعد يوم، هذا الشرق البالغ الى معرفة النقد التاريخي والاسلوب الادبي معرفة تزداد جلاء كل يوم. حتى ان الانفصال عن بقايا القرون الوسطى يكاد يتمّ فلا يبقى الّا بزوغ القرن العشرين لاثباته وتأييده.

***

هذه المؤثرات تظهر، قبل كل شيء، بمحاولة اسلوب جمعي تأليفي (synthèse) ميّز خاصة تلك الكتب التعليمية في التاريخ الأدبي، المطبوعة

اشار اليه فؤاد افرام البستاني في «الروائع» ١١: ٣٨. غير ان هذه الاشارة غير صائبة، ومع كل ابحاثي لم اوفق الى العثور على المقالة.

[المشرق: استغربنا من المستشرق الفاضل ان لا يجد المقالة المذكورة. وقد رجعنا الى المجلد ١٧ من المقتطف (سنة ١٨٩٣) فاذا المقالة هناك في عشر صفحات من ٢٦١ الى ٢٧١]

١) الحسين بن احمد المرصفي مدرس في الازهر – القاهرة – توفي سنة ١٣٠٨ (١٨٩٠) سركيس ١٧٢٥. زيدان: آداب ٤: ٢٦٥. شيخو: الآداب العربية في القرن التاسع عشر ٢: ٤.

٢) اوردها طه حسين في ذكرى ابي العلاء: المقدمة: ب.

حوالى ذلك العصر . هكذا تبدو تراجم حياة المتنبي لمحمد المرصفي[1]، وجرجي زيدان[2] ، والاسكندري[3] ، والزيات[4] .

ثم نرى ان النقد يجتهد شيئاً فشيئاً في اكتشاف مفكر ، مبتكر ، عميق ، في المتنبي . فيما كس المعاصرون موقف « شرق » القرون الوسطى القليل الاكتراث للابتكار المعنوي ، والمعجب خاصة بفنّ الشعراء[5]، معتبرين ان لا شعر حقيقي بدون عمق شعور وابتكار فكرة يرفعها جمال المبنى الذي انما هو محمل الفكرة ليس غير[6] .

على أنّ شهرة المتنبي في الاوساط الاوربية ، في دمشق ، والقاهرة ، وتونس ، في وقتنا هذا ، صادرة عن ينبوع آخر . هي تلك المؤثرات القومية والعربية

١) ادب اللغة العربيّة . هُديت الى هذا الدرس ، ولكني لم استطع أن اختبر محتوياته .

٢) آداب . ٢٠ : ٢٤٥-٢٤٩ : ترجمة، بحث ادبي، تعداد اشهر الدروس النقدية والطبعات لديوان المتنبي .

٣) تاريخ أدب . . العصر العبّاسي ص٢٧٥-٢٨٨ : حياة الرجل واخلاقه، قيمة الشاعر، ميزة قريحته ، شعره الحكمي .

الوسيط (بالاشتراك مع مصطفى عناني) ٢٧٣-٢٧٦ . ترجمة حياته ، موازنة بين المتنبي وابي تمام والبحتري .

٤) تاريخ الادب . . . ص٢٢٥-٢٢٧ . ترجمة مأخوذة من «اليتيمة» ، حُكم مأخوذ قسم منه من الكتاب نفسه ، مع آراء للمؤلف .

٥) ولنا بهذا المعنى تصريحات جازمة عديدة في القرون الوسطى . من ذلك قول قدامة : «اذ كان الشعر انما هو قول . واذا اجاد فيه القائل لم يطالب بالاعتقاد . » (نقد الشعر ٤٥) وقول الجاحظ : «والمعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي والبدوي والقروي . وانما الشأن في اقامة الوزن ، وتخيّر اللفظ وسهولته ، وسهولة المخرج . » (الحيوان ٣ : ٤١) واقوال العسكري الكثيرة في هذا الباب : «وليس الشأن في ايراد المعاني . . . وانما هو في جودة اللفظ وصفائه . . . مع صحة السبك والتركيب، والخلو من أود النظم والتأليف . . . والكلام اذا كان لفظه حلواً عذباً، وسلساً سهلاً، ومعناه وسطاً ، دخل في جملة الجيد وجوى مع الرائع النادر . » ثم يذكر ابياتاً «ليس تحت الفاظها كبير معنى وهي رائقة معجبة» (الصناعتين ٤٣) ولنختم بقولنا ان الثعالبي في «يتيمته» ١ : ١٢٤ يعدّ من « معايب شعر المتنبي ومتاعبه» خروجه «عن طريق الشعر الى طريق الفلسفة » . كذلك عند ما يعنى الحاقي المتنبي بخلقه شعراً فلسفياً ، لا يُعجب بابتكار الفكرة بل بمهارة الفنّان الذي نقل الى العربية فكرة مأخوذة من ارسطو .

٦) كما يُستخلص من رأي لشوقي استشهد به عبد الفتّاح : أدباء ١ : ٢٦

الشاملة ، التي تحمل المسلمين على أن ينقبوا ، في « شرق » القرون الوسطى ، عن رجالٍ يقابلون بهم رجال الغرب ، تجعل من مادح امراء سوريّة ومصر وفارس مثلاً للعبقرية العربية ، منتصباً تجاه العبقرية الاعجمية او غير العربية . وهكذا يظهر المتنبي بمظهر ڤيني (Vigny) او گوته (Goethe) ، بل بمظهر نيتشه (Nietzsche) شرقيّ يبرهن بقدرة باهرة عن المساواة الثقافية في بلاد هي اليوم تحت وصاية اوربّة الفكريّة والسياسيّة

وليس علينا ان نقف لدى الملاحظات الموجزة ، على وضوحها ، في فلسفة المتنبي ، وعروبة شعره الخالصة ، كالتي نصادفها في كتب زيدان والاسكندري[1] . فما هناك في الحقيقة سوى افكار عامة تحاول ، في غير توفيق ، ان تستر فقر الفكرة النقدية . وقد يكون اوفر فائدةً أن ننتبه لتصريحات الزيات[2] الذي يرى في ابي الطيّب لا فنّاناً « وفّق بين الشعر والفلسفة ، وجعل كل عنايته بالمعنى » فقط ، بل مجدّداً « اطلق الشعر من القيود التي قيّده بها ابو تمام وشيعته ، وخرج به عن أساليب العرب المخصوصة . فهو زعيم الطريقة الابتداعية (romantique) (كذا!) في الشعر العربي » . واذا بمدّاح امراء القرن العاشر ، المعروف بوافر احترامه للتقليد الأدبي ، لا يظهر كمفكّر بل كثائر من نوع هوغو (Hugo) يأتي باسم الالهام الحرّ ، فيقلب تلك العقائد المبالَغ في توقيرها في المذهب المدرسي . ولو قابلنا بما تقدّم تصريحات الشاعرين حافظ ابراهيم[3] ، وشوقي[4] ، المتأثر كلاهما

---

١) انظر الاسكندري : تاريخ ادب . . . العصر العبّاسي ٢٧٥ ، ٢٧٦ ، ٢٨٠ زيدان : آداب ٤ : ٢٤٧

٢) تاريخ الادب العربي ٢٢٧

٣) محمد حافظ ابراهيم المولود في القاهرة سنة ١٢٨٨ (١٨٧١) كان ضابطاً في اول امره ، ثم عيّن اميناً في دار الكتب في القاهرة سنة ١٣٢٩ (١٩١١) . انظر سركيس ٧٣٦ . السندوبي ٢٤٩ وما يليها . وهو القائل في مقدمة ديوانه : « واكثرت التأمل في شعر ابي الطيّب فاذا شعره حيّ يتفزّز . ولم ارَ في الشعراء نفساً أعلى من نفسه ، ولا طريقاً الى المعالي اخصر من طريقه . وخير شعره ما كان في الحكم والامثال . ولو سلمت اقواله من ذلك التفاوت ولم يكن أسلوبه عاقاً لاساليب اللغة العربية ، لكان أشعر شاعر في الاسلام . » كتب هذا سنة ١٣١٩ (١٩٠١)

٤) احمد شوقي بك وُلد في القاهرة سنة ١٨٦٨ ، درس دروسه العالية في مونپليه . وزار

تأثرًا عميقًا بالفن « المتنبي » ، وحُكمَ الناقد احمد ضيف[1] المصيب بقوله انه لا يرى في المتنبي الّا سابقاً لابي العلاء المعري — لما تجاوزت هذه التصريحات مجال التلميح الخفي المتردّد.

وحتى هذا الزمن، وعلى الرغم من الشهرة المتزايدة يوماً عن يوم التي يتمتع بها ديوان المتنبي في الاوساط المثقفة في مصر وسوريّة ، لم يظهر درس واحد اجماليّ رصين . انما كان يُكتفى بنظرات عامّة ، سطحيّة ، وبترجمات الكتب التعليمية في تاريخ الأدب ، وببعض المقالات الفارغة . حتى كانت السنة ١٩٢٠ فبدأت عصرًا جديدًا للدروس « المتنبئية ».

اخذ النقد الشرقي يعرض احياناً بتعمق لبعض نواحٍ من حياة شاعر الحمدانيين ، ولبعض مظاهر نتاجه الأدبي . ومن هذا النوع مثلًا ، نذكر مرّةً واحدة مقالات كامل كيلاني المختصة بعلاقات ابي الطيب بابن خالويه، وبابي فراس في حلب[2] . ومن هذا النوع ايضاً تطويلات زكي مبارك في أطروحته « النثر العربي في القرن الرابع »[3] او البحث الذي ظهر غفلًا في « القبس » في مزاج الشاعر العربي[4] .

واحياناً اخرى ، يأخذ النقد على نفسه ان يُؤدّي للجمهور دروساً اجمالية

الجزائر وانكلترة . انظر عبد الفتّاح ١ : ٢ ؛ وعيد ١ : ٦٢ وسركيس ١١٥٨ ؛ والسندوبي ٦ وما يليها . وهيكل : مقدمة الشوقيات . قال الشاعر في مقدّمته للطبعة الاولى (الشوقيات ١ : ٥–٦) : «معجز المتنبي لا يزال يرفع الشعر ويعليه ؛ ويغري الناس به فيجدده ويحييه . وحسبك ان المشتغلين بالقريض عموماً ، والمطبوعين منهم خصوصاً ، لا يتطلعون الّا الى غباره ، ولا يبدون البدى الّا على مناره » (كتب ذلك نحو السنة ١٣٠٨ (١٨٩٨)

١) مولود في القاهرة ، وهو حاليًا استاذ في الجامعة المصرية . وهاك ما يصرّح به في «محاولته » ص ١٧١ «شعر المتنبي خاصةً بالفكرة الفلسفية التي كانت تلهمه في شعره ، وهي هذه الصبغة الفلسفية التي ترفع المتنبي الى مستوى ابي العلاء المعرّي ، وان يكن المفكّر الكبير الاعمى يظلّ فوقه . . . ولا يخفى ان هذا النوع من الشعر الانساني يكاد يكون مجهولًا بين العرب » (ظهر هذا الكتاب سنة ١٩١٧)

٢) مقالات نشرت في مجلة « المقتطف » تشرين الثاني ١٩٢٩ ، كانون الاول ١٩٢٩ ، كانون الثاني ١٩٣٠ ٣) ص ١٤٣ – ١٤٥ ، ١٥٨ – ١٥٩ ، ١٦٨ – ٢٠٠

٤) ظهر في شباط ١٩٣١ ، في دمشق.

اكثر فتوّة ، واقل اقتضاباً ، من الدروس التي في كتب التاريخ الأدبي.

هذه هي حال درس فؤاد افرام البستاني الظاهر في بيروت سنة ١٩٢٧ تحت عنوان : « ابو الطيب المتنبي : الرجل والشاعر »[1]. ففي قسم اوّل ، يصف فؤاد افرام البستاني ، مستنداً الى مصادر قديمة وحديثة[2] ، حياة شاعر الكوفة (ص ٨٣١–٨٤١) . وفي قسم ثان يرسم صورة الشاعر الخلقية (ص ٩٠٠ وما يليها) . وفي قسم ثالث يعدّد اهمّ المؤلفات التي خُصّت به (ص ٩٠٣ وما يليها) . وأخيراً يذكر أثر ابي الطيب الأدبي ويستنتج بقوله : « ان المتنبي ، ككل شاعر عظيم ، عظيم الحسنات وعظيم السيئات ايضاً . . . وبينا نشاهد حوله الجماعات من شعراء الغزل اللطيف ، والوصف الدقيق ، والمجون المستملَح ، نراه ، هو وحده ، شاعر العظمة » (ص ٩٠٦ وما يليها) .

فاذا كان فؤاد افرام البستاني — كما يظهر لنا من كلّ ما في مؤلّفه — قصد ، قبل كل شيء ، أن ينشر بين الشبيبة المثقّفة ما تجب معرفته عن حياة ابي الطيب وشعره ، فقد نجح كلّ النجاح . بل نحن نقول إنّ مقالته ، بما يكمّلها من جزءَي المنتخبات المنشورين في « الروائع »[3] ، تؤلّف انموذجاً من احسن النماذج الظاهرة في الشرق حتى اليوم في تعميم التاريخ الادبي .

وكنا نود لو نستطيع القول نفسه عن سلسلة مقالات للدّريني ظهرت في القاهرة ، سنة ١٩٢٨[4] . وفيها ان ابا الطيب « اشعر شعراء العرب » دون شك ! ولكنه ، الى ذلك ، فنّان احتفظ بالاثر العميق الذي تركته في نفسه

---

١) ظهر في «المشرق» : تشرين الثاني ، وكانون الاول ١٩٢٧ ، ص ٨٣٠ – ٨٤١ ، ٩٠٠ – ٩٠٩ . وقد طبع هذا الدرس مقدّمة لمنتخبات المتنبي في مجموعة «الروائع» (بيروت ١٩٢٧) الجزء ١١ : ١ – ٣٨ . وانا احيل على «المشرق» .

٢) مسرودة في الروائع الجزء ١١ : ص : كز وما يليها . وهذه هي : ابن خلكان ، نزهة الالباء ، ابن نباتة ، العكبري ، الواحدي ، الوساطة ، اليتيمة ، الحاتمي ، الصبح ، من القرون الوسطى . وتوفيق البكري ، العقّاد ، غبريالي من العصر الحديث .

٣) بيروت ١٩٢٧ الجزء ١١ : المدائح والاهاجي ؛ الجزء ١٢ : المراثي والمفاخر والحكم ، مع شروح وتعاليق ادبية موجزة ، ولكنها وافية الوضوح .

٤) ظهرت في « الاخبار » في ١ و ٦ و ١٣ و ١٨ ربيع الاخر ١٣٤٧ اي ١٤ و ٢٠ و ٢٦ و ٣ تشرين الاول ١٩٢٨

مصر المضيافة . . . وها اننا نجتاز خطوة جديدة . فبعد الشاعر – الفيلسوف «العربي» المنصرب تجاه الشعراء – الفلاسفة الاوربيين، نرى النقد يعمد الى تشريح المتنبي نفسه كي يقابل « العراقيّ » فيه « بالمصري » . وبعد هذه المقدمة ، لا نعجب للسذاجات التي تتضمنها هذه المقالات . فالدريني ، مثلاً ، يكتب ببرودة ان سيف الدولة ذهب خصوصاً الى حلب ليستقبل ابا الطيب ، وان هذا الاخير لم يدّعِ النبوة في الحلوة ، لانه ينكر ذلك ، هو نفسه ، في احدى قصائده ! ثم ان هذا الدرس ، فوق ذلك ، ينمّ عن عجزٍ غريب في الحكم على مؤلّف في عصره . فالناقد لا يشعر بما في المطالع الغزلية من اسلوب تقليدي مصطلح عليه . وهو يوافق ، دون تردّد ، على الحكم الذي اصدره اعداء الشاعر في القرون الوسطى على جملة القصائد المنظومة قبل وصول المتنبي الى بلاط الحمدانيين معجباً بعدّة مقاطع يستشهد بها من القصائد الموجّهة الى سيف الدولة . ولكن فقر القصائد الموجهة الى كافور لا يمنعه القول ان اجمل ابيات المتنبي هي التي نظمها في مصر[1] . والنتيجة ان دراسة الدريني العارية اجمالاً من اية قيمة علمية لا تفيدنا الا اثبات بعض اتجاهات النقد العصري في مصر .

هذا ، وقد لا يكتفي النقد احياناً بالعمل التعميمي ، بل يُصدِر ابحاثاً خاصة في حياة المتنبي ، وفلسفته ، واخلاقياته ، وصفات شعره البارزة .

من هذه الابحاث نذكر ، بالترتيب التاريخي ، بحث محمد كمال حلمي الظاهر بعنوان : « ابو الطيب المتنبي ، حياته وخلقه وشعره واسلوبه »[2] . وغاية المؤلف فيه تتضح من المقدمة ، اذ يذكر ان النقد القديم لم يكن يرى في الشعراء الا المدّاحين والهجّائين . اما اليوم فيريد التعرّف الى اوجه الشعراء ، وتفهّم انفسهم ، والوصول الى افكارهم الصميمة . . . وهو يأسف اذ يرى القوم ينسبون لرجال كدانتي ، وشكسبير ، وهوغو ، وغوته ، عرض المقاييس الفنيّة ، والمذاهب الاجتماعية ، والتجريدات الفلسفية ، والاكتشافات النفسية ، بينما لا يجد في زملائهم

١) وليس هذا الحكم منفرداً ، فقد ردّده ايضاً القدسي اثناء الاحتفال بذكرى المتنبي الالفية . انظر « الف باء » بتاريخ ٤ حزيران ١٩٣٥

٢) القاهرة ١٣٣٩ (١٩٢١) ١٢ + ٢٩٠ ص

من ابناء اللغة العربية الا المدّاحين والهجّائين . ثم يقول الكاتب ما ملخصه : ان الكثيرين من ادباء العصر الحاضر يتهكّمون على الشعر المدحي ، وان بعضهم يتجاوزون ذلك الى القول انه شعر الشحّاذين ... ولكننا لا نرى رأيهم ، بل نقول لهم : ليفربلوا ابيات المدّاح ، وليتزعوا منها ما وضعه الشاعر استدراراً للمال ، وليظهروا ، بعد ذلك ، حقيقة نفس الشاعر ، ومظاهر طموحه ... ليحلّلوا مجالي رغباته وافكاره الخاصة . ولا شكّ ان هذه النتائج الضئيلة تقودهم الى نتائج اوسع مجالاً تعمل على تكبير شعرائنا في عيوننا وفي عيون الاجانب . (ص ٥ من المقدمة)[1] . واذاً فنحن امام نظرية يضعها الناقد قبل ان يباشر درسه . يريد حلمي ان يبرهن على ان الشعر العربي لا ينحط في شيء عن غيره . فهل المتنبي ذلك الرجل الموافق لمثل هذا المشروع ؟ بلا شك ، يجيبنا الناقد . (ص ٧ من المقدمة) ، ففي شعر ابي الطيب ، فوق ما يختص بعصره ، قسط وافر من الصفة « الانسانية » . فقد شارك هذا الشاعر البشر في آمالهم وآلامهم ، وصوّر نقائصهم ، ومفاسد قلوبهم ، ووصف الدواء لادوائهم ... (ص ٨ من المقدمة) ، وظاهر ان شعره تغلّب على الموت لان المدائح والاهاجي ليست فيه الا جزءاً ضئيلاً بالنسبة الى المجموع .

قلنا : يُخشى ان مثل هذا الدوران في القياس ، المبرَّر جزئياً ، يؤدّي بحلمي الى تأويل غير مقبولة ، لما تتعرّض له من مبالغة . وعلى كلٍّ ، دونكم ما يتضمنه هذا البحث : يدرس المؤلف ، في فصل اول (ص ١ — ٧٨) حياة الشاعر بالتفصيل ، مكتفياً ، على الغالب ، بمراجعة اقوال اصحاب التراجم المعروفين . على انه بعض الاحيان — كما هي الحال في الدعوة الثورية في الدعوة — يُحلّل الوسط التاريخي ، ويحاول ان يجد فيه شرحاً لافعال شوّهها التقليد . وفي فصل ثانٍ (ص ٧٩—١٢١) يرسم حلمي صورةً للمتنبي لا جديد فيها . وكذلك الفصل الثالث (ص ١٢٧ — ١٧٧) في شعر ابي الطيب وفي احكام النقد « العربي » المختلفة ، فانه لا يبدو اكثر ابتكاراً . اما الفصل الرابع (١٧٧ وما يليها) فانه

١) لخّصنا آراء الناقد عن الترجمة الفرنسية لاننا لم نقف على اصل الكتاب . وهكذا القول عمّا يأتي من الشواهد المأخوذة من الكتاب نفسه . (المشرق)

بالضد يدلّ على جهد حقيقي في التجديد . يرفض حلمي تقسيم الفنون الشعرية المتبع في النقد الشرقي ، ويتبنى تقسيماً جديداً . فيدرس في الديوان : الشعر العاطفي(ص ١٧٨ وما يليها) الظاهر في الهجاء والنسيب والرثاء؛ فالشعر الوصفي (ص ٢١٠ وما يليها) كمشاهد الطبيعة والحيوانات والمعارك والاشخاص البشرية ؛ فالشعر الفلسفي (ص ٢٢٤ وما يليها) كبعض النظريات التشاؤمية والارتيابية ، واللاأدرية والزهدية المعبّر عنها في بعض الابيات.وعلى كل نوع من هذه الانواع يسرد المؤلف شواهد مبينة ، ويوضح المظهر الذي يظهر به هذا النوع في الديوان . وفي الفصل الخامس (ص ٢٥٤ وما يليها) يدرس الناقد فنّ المتنبي فيلاحظ اولاً(ص ٢٥٥) ان هذا الشاعر، على سيره في الطريق التقليدية، أدخل في الادب العربي المنظوم عنصراً جديداً يتخذه ابو العلاء من بعده :وهو القيمة المعنوية.ثم يشير (ص ٢٥٨ وما يليها) الى طريقة الشاعر في تجديد قالب تعبيري قديم يُوجزه او يتوسّع فيه ؛ والى كيفية ميل اساوبه عامةً نحو الايجاز والتعبير الحكمي (ص ٢٦١ وما يليها) ثم يبين (ص ٢٦٤ وما يليها) النفحة الخطابية التي تتخذها بعض التواسيع.وينتقل الكاتب ، بعد هذا ، الى القيمة الموسيقية في ابيات المتنبي (ص ٢٧٠ وما يليها) فيستشهد بتفاعيل وزنية صوتية ناتجة إما من المقابلات اللفظية ، او من تقطيع الشطرين تقطيعاً متساوياً ، او من مراجعة اللفظة نفسها . ويشير اخيراً الى ميزات الاسلوب (ص ٢٧٦ وما يليها) كاستعمال الفاظ غريبة قديمة ، او نادرة ، او مبتذلة ، ويهتمّ خاصة (ص ٢٨٣ وما يليها) بظهر التضاد في الابيات العديدة، وبتمارين اشبه بتمارين كبار البيانيّين (ص ٢٨٥ وما يليها) كالنكات ، والتلاعبات اللفظية . وهكذا ينهي بحثه مفتقراً الى نتيجة او خاتمة ، كما يبدو للمطالع . وذلك انه بعد ان اطلعنا على ذلك المبدأ الدائر في القياس الذي يقرّه حلمي في مقدمته، كان من المنتظر ، وفقاً للمنطق السليم ، ان نجد في آخر الكتاب ، نظرةً شاملة تُرينا « الانسانية » الخالدة في شعر المتنبي . والحال ان خلاصةً كهذه لم تكن ، بل يمكننا القول ان هذا الدرس ما كان الا ليوضح ، بطريقة نهائية : كل ما استفاده ابو الطيب من زمنه وسوابقه الادبية.وهكذا فان الموضوع استعبد حلمي حتى انه كاد يمس

تأويل تقرب من سوء الفهم الادبي . وليس من شأننا ان نتذمر من هذه الموضوعية (objectivité) غير المختارة. فانها افادتنا درساً لا يزال ناقعاً من غير شك ، ولكنه ارقى من كل ما تقدمه في الشرق « العربي ».

وقد ظهر منذئذ عدد غير قليل من الدروس تكتمل في نظر مؤلفيها ، ما اكتفى حلمي بمثله فقط.

من هذا النوع سلسلة مقالات للعقاد[1] ظهرت سنة ١٩٢٣ ، وهي تستحق انتباهاً خاصاً[2] . في احداها يعرض الناقد لموضوع ثورة ابي الطيب في السماوة (ص ١١٨—١٢٣). فيلقي بنظرية تقرب من نظرية كراتشكوفسكي، وتستند، من جهة، الى حوادث مستمدة من البيئة التاريخية الدينية ، والى فكرة الشاعر الفلسفية من جهة أخرى . وتقود الى الاستنتاج ان المتنبي لم يدع النبوة بمعنى اللفظة الحرفي ، بل استعان بدعوة دينية على تحقيق مطامعه السياسية . وهذه الدعوة استحقت له هذا اللقب. وفي المقالة الثانية (ص ١٢٤—١٣٠) يدرس العقاد ميل الشاعر الى احتقار العالم المحيط به ، والى التبجح بسموه الشخصي. فيجد ، في هذه الاستعدادات الطبيعية ، مبرراً لبعض مظاهر الفن « المتنبي » كالغار في الفخر ، واستعمال التصغير الاحتقاري. واختص بحث ثالث (ص ١٣١ — ١٣٨) بشهرة المتنبي : والناقد يرى في هذه الشهرة مصدر الحسد والبغض والشحناء التي جرت وراء الشاعر، طول حياته، والتي طالما تذمر منها في شعره. ويلاحظ الناقد ايضاً ان هذه الشهرة قد استفادت — بحكم رد الفعل — من المشاحنات التي دارت حول الشاعر ، ومن المنافسات بين الامراء الراغبين في استمالة المادح كل الى بلاطه. ويضيف ، في مقالة رابعة (ص١٣٩—١٤٣) ، انه ، على الرغم من كل هذا ، يبقى المتنبي مديناً بشهرته لعبقريته قبل كل شيء. والعقاد يرى فيه « شاعراً من شعراء العرب العظام. وجد الشاعر العظيم (عنده) هو ان تتجلى

١) عباس محمود العقاد ناشر، وناقد ، وشاعر ، وُلد في اسوان سنة ١٣٠٦ (١٨٨٩). انظر المشرق ١٩٢٧ ، ص ٩٤٤ ؛ وزكي الدين ١٠٨ وما يليها ، وسركيس ١٢٤٧

٢) هذه المقالات ظهرت في « البلاغ » ، القاهرة ، في ٦ و١٠ و١٩ و٢٥ و٣١ كانون الاول ١٩٢٣ ، وفي ٧ و٢٨ كانون الثاني ، و٦ شباط سنة ١٩٢٤ . ثم جمعها العقاد في « مطالعاته » ص ١١٨ — ١٧٩ ، وعليها أحيل.

في شعره صورة كاملة للطبيعة بجمالها ، وجلالها ، وعلانيتها ، واسرارها ؛ او ان يستخلص من مجموعة كلامه فلسفة للحياة، ومذهب في حقائقها وفروضها ».
ولا شك في ان المتنبي « لم يكن ممن شغفوا بتحاسن الطبيعة واسرارها، ولكنه كان ممن يُقبلون بجملتهم على جهاد الحياة في وسط المعمعة ... فافاده ذلك خبرةً وعلماً ، اذ فتح امامه سفر الحياة . » فاستخرج منه فلسفة عبّر عنها بتعابير تزداد قوّتها بازدياد تعمّق الشاعر في اختبار حقيقتها . وفي مقالة خامسة (ص ١٤٤ — ١٥٥) يخطّ العقاد الخطوط العامة لفلسفة المتنبي . ذلك ان لهذا الشاعر العربي فلسفته الخاصة ، كما لكل من شكسبير ، وغوته ، وشلّير ، وهينه، وبَيرون، فلسفته. والمتنبي اجدر من اي شاعر كان — ما عدا المعرّي — بلقب فيلسوف ، لانه يُحسن، في شعره ، ان يردّ المطول الى علّته، على طريقة المفكرين . فما هو مذهبه اذاً ؟ هو ينحّي ، قبل كل شيء ، مسألة اصل الانسان ، او مصدر الحياة ، التي لا يتّفق عليها الناس ، ليصرف كلّ همه الى الحياة الحاضرة في « سننها وصروفها ». فالحياة في نظره « حرب ضروس علاقة الانسان فيها بالانسان علاقة المقاتل بالمقاتل ... وما المودّة فيها الا حيلة من حيل الحرب او هدنة في حومة القتال . فاحذر الناس ، واستر الحذر . » وعليك ان تكون اقواهم في تنازع البقاء هذا . كما عليك ان تعتبر الملذّات التي يعرضها هذا العالم أُلهيّات لقتل الوقت ، فيجدر بك ألا تستسلم لها. اما هدف الانسان فالعظمة. والعظمة لا تُنال باللين بل بالقوة. ومن البديهي ان فلسفة كهذه لا تمرّ دون ان تذكّر بفلسفة نيتشه . واذاً فكان للعقاد ان يؤلف في مقالة سادسة (ص ١٥٦ - ١٦٤) موازنة بين شاعر امراء القرن العاشر ، ومؤلف « هكذا قال زرادشت ! » ولنا ان نسأل هل كان التقارب بين المذهبين عرضياً محضاً ؟ اما الناقد فيرى التقارب العرضي ، على كونه لا يرى مستحيلاً ان يكون « نيتشه » عرف ديوان ابي الطيب في احدى الترجمات . ومهما يكن من أمر ، فانه يجمع ابياتاً كثيرة للمتنبي لا تخلو ، في الواقع ، من بعض الشبه بمقاطع « هكذا قال زرادشت » ، و« وراء الخير والشر » و « الشفق »[1]. ولكن

١) وهكذا يرى العقّاد ان هذه الفقرة في « ارادة القوة » : « ما السعادة ؟ — هي

الناقد لا يكتفي بهذا، بل يرمي ، في مقالة سابعة (ص ١٦٥ — ١٧٣) ، الى ان يبين ان فلسفة المتنبي تؤلف حلقة الاتصال بين « غريزة البقاء » لداروين و « ارادة القوّة » لنيتشه ؛ وان الشاعر بإخضاعه الشجاعة لحماية الفرد يتوصل الى التوفيق بين مبدئين يستحيل في الظاهر ردّ احدهما الى الاخر. ولا اقطع في البرهان عن ذلك من البيتين التاليين (القصيدة ١٠٨) :

٣٢ ارى كلّنا يبغي الحياة لنفسه حريصاً عليها ، مستهاماً بها ، صبّاً
٣٣ فحبّ الجبان النفس اورثه التقى وحب الشجاع النفس اورده الحربا

وهكذا تتكيّف « غريزة البقاء » نسبةً للعاملين من « اسياد » و« عبيد »، فتبدو في الاعمال المختلفة من شريفة ومحتقرة . واخيراً، يبحث الناقد المصري اسلوب المتنبي في مقال ختامي (ص ١٧٤—١٧٩) فيقول : « اما ان كان الفنّ هو صقل العبارة ، وتوشية الكلام ، ولطافة المدخل ، وحسن الاحتيال ، ودقة الذوق ، ورقة الملمس ، ومهارة اليد ، فليس المتنبي من رجال الفنّ في مرتبة تُذكر . . . واما ان كان الفنّ يتسع لما تتّسع له الحياة من اختلاف العبارات والإشارات ، وتنوعّ الصيغ واللهجات . . . فليدخل المتنبي عالم الفنّ في مقدمة الداخلين . . . يدخل ولكن من باب المتانة والصلابة لا من باب الجمال والزينة». ويستشهد النقاد بعدد غير قليل من الابيات المضحكة بتلوّها ، المنظومة تحت سيطرة الهام غير الهام طبيعة الشاعر الحقيقية. فابو الطيب اذاً لا يعرف الخضوع لاصطلاحات«الزيّ » الادبي ، وعندما يخضع لها يكون ذلك بدعوة من اوليا. نعمته. ذلك ان طبيعته الرصينة لا توليه الإجادة إلا في موضوع رصين. أوَ ليس هذا في الحقيقة خير شهادة نؤديها لعبقريته ؟

اما قيمة مقالات النقّاد فكثيرة التفاوت ، كما يظهر للمطالع . ولا شك في ان بعضها اتت الشرقيين بمعونة مهمة في اقبالهم على الدروس « المتنبئية » ، اذ القت نوراً جديداً على نقاطٍ من حياة ابي الطيب واثره ، لم يكن اكتشفها

الشعور بان القوة نامية ، وان الغبات مذلّة . فلا قناعة ، بل مزيد من القوة ؛ ولا سلم ، بل حرب ؛ ولا فضيلة ، بل شجاعة » ، يجب ان تُقابل بيت المتنبي :

ومن طلب الفتح الجليل ، فانما مفاتيحه البيض الدقاق الصوارمُ

النقد « العربي » بعد . كما انها ، من ناحية اخرى ، تمثل في نظرنا شاهداً ثميناً على ما يراه المصريون حاليا في شاعر الكوفة.

وقد تكون من هذا القبيل فائدة ابحاث المازني[1] الخمسة المختصة بديوان ابي الطيب واخلاقه[2]. لان المؤلف لا ينظر الى ابحاثه إلا متممة لمؤلف حديث لا يسميه ، وهو بلا شك إما مؤلف حلمي او مؤلف العقاد[3] . في بحث اول (ص ١٨٤) ينقب الكاتب عن الاسباب التي جعلت المتنبي شاعرَه المصطفى ، بل الشاعر الذي يبقى اثره في ذاكرتـه اوفر حياة من اثر غيره . يبرّر هـذا الامر تلك « القوّة » التي يصطبغ بها ديوان الشاعر باجمعه ، قوّة لا تنتج من قريحة سهلة ، بل من مقدرة المتكلّم وسموّ فكرته وقوّة مبناه: «وهي صفات قلما يخلو منها شاعر كبير ، ولكنها لا تؤدي الى مثل ما تحتمه من القوّة في شعر المتنبي إلا اذا اجتمعت.» فللادب العربي اذن في ابي الطيب شخصية ذات قيمة نادرة (ص ١٩٣ ومـا يليها) ، وهذه الشخصية نفسها هي التي استحقت لهذا المدّاح ، في القرون الوسطى ، كل هذا الاعجاب وهذا العداء . اما اليوم فقد شمل الهدوء والطمأنينة ، فاصبحنا لا نحكم على مادح سيف الدولة إلا بشعره. وهناك نجد الشاهد على قيمته ، وشجاعته ، واحتقاره للنام من البشر . هناك خاصة (ص٢٠٦ وما يليها) نجد عرضاً لمطامعه ومظاهر عنجهيته. ولقد كان من حظّه الغريب ان هذه العنجهية لا تستدعي السخرية ، وان عرّضت الشاعر لصغائر شبيهة بالتي تؤخذ على نابوليون . ولنضف الى ما تقدّم نواحي عديدة في المتنبي تذكّرنا بالامبرطور كدنائة الاصل ، وكره البشر ، والطمع. اما ما يسيطر على فلسفة المتنبي (ص ٢١٦ وما يليها) ففكرة الموت التي تجعل حركاتنا باطلة ، وشجاعتنا عديمة النفع ، ومظاهر حذونا وتعلّقنا من النوافل. وكل ما يقال في مجاله يستحق تدقيقاً اعمق (ص ٢٢٢ وما يليها) . من الحق ان ابا الطيب كان يحب

١) ابراهيم عبد القادر المازني شاعر وناقد مصري. انظر سركيس ، ١٦٠٨ ؛ وشيخو : الآداب العربية في القرن العشرين ، ص ١٨٤ و١٨٨.

٢) محاولات نُشرت في مجموعة عنوانها « حصاد الهشيم » ص ١٨٤ – ٢٢٩

٣) « حصاد الهشيم » ص١٨٤ الحاشية.

المال. ولكن المال لم يكن عنده «مطلوباً لذاته... بل لانه عون على الغايات. ولم يكن يخفى عليه ان المال «عقل» المساعي والمطالب الضخمة».

وردنا درس المازني، في كثير من نواحيه، الى درس العقّاد. على انه اقرب الى الاصطباغ بالنزعة الشخصية (subjectivité) من الدرس الاول. ولكن سواء أقصدنا العقّاد ام المازني، فهذان المؤلفان — حتى في نظرياتها الاكثر تعرضاً للنقاش — يبرهنان عن ذكاء يجذب الانتباه. ونود لو نستطيع القول نفسه في طائفة من المحاضرات خصّها الدمشقي شفيق جبري[1] بابي الطيب[2].

ليس، والحقّ يُقال، من فائدة خاصّة في المحاضرات الست الأولى، وكلّها توسيعات لفظية، صبيانية احياناً، في المحيط الذي ولد فيه المتنبي (ص ٦١)، وفي اصله العربي (ص ٢٠ وما يليها)، وعواطفه القوميّة (ص ٧٩)، ووطنيته التي تدفعه الى خدمة المسلمين اذا لم يترفّع الى الاكتفاء بمدح العرب الخُلّص (ص ٨ وما يليها) وفي دروسه، وقرابته الفكرية، (وجبري لا يمكنه ان يصادف لفظة: سيف، او رمح، او فرس، في بيت شعر الّا اكتشف فيها أثراً بدوياً!) وفي ثورته في السماوة (ص ١٠٦ وما يليها)، ومقامه في حلب، والفسطاط، وبغداد، وشيراز (ص ١١٥) حيث يقع الناقد في هفوات تاريخية باهظة. وعلينا ان نصل الى محاضراته في خُلق المتنبي (ص ١٣٨ وما يليها)، وشعوره (ص ١٤٩ وما يليها)، وتشاؤمه، وحبّه الحياة، وأنفته (ص ١٥٨ وما يليها) وفكرته الدينية والفلسفية (ص ١٦٧ وما يليها) حتى نجد اخيراً توسيعات مفيدة، وان كانت مجرّدة عن الابتكار. كذلك في مقاله عن عبقريّة المتنبي (ص ١٧٥ وما يليها) نجد عدة احكام مصيبة في قيمة ابيات الشاعر الغزلية. فجبري يقدر تماماً شعورَ وجل يتوصل الى التأثير إذ يتخلّص من سيطرة شعوره، ثم انه يحكم

١) شاعر وناقد وُلد في دمشق سنة ١٣١٣ (١٨٩٥). انظر شيخو في «المشرق» ١٩٢٧، ص ٦٤٢ وما يشير اليه، والآداب العربية في القرن العشرين، ص ١٢٨

٢) تحت عنوان «المتنبي» جمع شفيق جبري في مجلد واحد (دمشق ١٣٤٩ = ١٩٣٠): ١ً ثماني محاضرات في الطريقة الادبية، ٢ً ثلاث عشرة محاضرة في المتنبي وشعره، ومقالتين عن فن المتنبي. وسلسلتا المحاضرات ظهرتا في مجلة المجمع العلمي العربي الدمشقي خلال السنتين ١٩٢٩ — ١٩٣٠

مصيباً في مراثي المتنبي التي تتهادى بين السخف والروعة ، وفقاً لاستسلام الشاعر لحزنه ،او الاهتمامه بالاعتبارات الفلسفية في الحياة. اما ابيات ابي الطيب الهجائية والمدحية فبعيدة من ان تستحق كلها الاعجاب في نظر جبري : فخشونة بعضها، وغلو البعض الآخر كثيراً ما يجعلها بغيضة ، بل ان افضلها تنقص ابتكاراً على الغالب . واذاً ففي الشعر الوصفي خاصة يظهر المتنبي بلا نظير . وسواء أعرض لمعركة، ام لشيء عادي، ام لمشهد من مشاهد الطبيعة، ام لحيوان، فانه يبرز ذلك بخطوط سامية خالدة . اما التوسيعات الفلسفية الداخلة تقريباً في كل قصيدة من قصائد الديوان فستبقى ابياتها غذاء روحياً لنخبة المتأدبين يعودون اليها كلما شعروا بالحاجة الى التشكي من القدر ، ومن العالم ، ومن الناس ، وما دامت اللغة العربية لغة قسم كبير من البشرية ... والناقد لا يعير مسألة السرقات كثيراً من الاهتمام (ص ١٩٨) فهو يحلها على اساوب التأثر الذاتي فلا يهمه اصل البيت اذا بدا حسناً. ثم ان البحث في اسلوب المتنبي (ص ١٩٩ وما يليها) يظهر سطحياً ، يستوحيه الناقد من الثعالبي مكتفياً بالاستنتاج — وقد يكون ذلك لفطنة فيه! — أن سحر الفن « المتنبي » يُشعَر به اكثر من أنْ يُعبَّر عنه. فالشاعر امير قدير يسيطر علينا حتى يلاشي ارادتنا . هذا ، وليس من فائدة في تفصيل ما في بحث جبري من النواقص ومظاهر التفاوت. فهو لا يمثل تقدماً في الدروس « المتنبئية» لا من حيث البحث التاريخي ولا من حيث النقد الأدبي. انما فائدته الوحيدة ان له قيمة الشهادة اذ يبدو ، وراء مظهر موضوعي علمي ، عرضاً كاملاً للأسباب الواضحة والغامضة — ممحصةً او مقبولة دون نقد — التي اكتشفها جيل الشرقيين ، المولود في أواخر القرن التاسع عشر ، ليبرّر اعجابه بابي الطيب.

بيد ان هناك طريقة اخرى لدرس ديوان المتنبي ، سار عليها محمد الأسمر في ست مقالات متوالية[1] وكان من الممكن ان تكون موفقة . بعد ان وضع الأسمر ، في بحث اول ، مبدأ انقسام الشعر ، بالنظر الى الالهام ، الى اربعة

١) ظهرت في « السياسة الاسبوعية » ، القاهرة ، في ١ و١٥ اذار ، و٥ و١٩ نيسان ، و٣ و١٧ ايار سنة ١٩٣٠

فنون : الغنائي ، والعقلي ، والوصفي ، والملحمي ، اخذ يجتهد في ان يوضح الصفات التي اتخذها كل من هذه الفنون في شعر المتنبي . ثم حلّل في مقالة ثانية شعور ابي الطيب في قسم « النسيب » من قصائده ، مشيراً الى ما فيه من مظهر اصطناعي ينسبه الى عدم اخلاص الشاعر . لا يستثني من ذلك الّا قصائد الصبى وقصيدة او اثنتين من قصائد الكهولة . ولقد شعر المادح نفسه بعجزه في هذه التوسيعات عجزاً كان يجتهد في اخفائه بصناعة المبنى . ويعرض الاسمر ، في المقالات الثلاث التابعة ، لشعور المتنبي في المدح ، والرثاء ، والهجاء ، فيثبت ، قبل كل شيء ، الصلة المتينة بين هذه الفنون « وهي اغصان ثلاثة لشجرة واحدة » . ثم يظهر رغبته عن درس كل بيت بمفرده ، ولا خير في ذلك ولا فائدة ، آخذاً على نفسه ان يبيّن في اي شيء يمتاز ابو الطيب عن زملائه . فالمتنبي ، بخلاف سائر المدّاحين ، يُعجب بممدوحيه ، ولا يحلم بالدراهم فحسب ، عندما يشيد بمكارمهم ، انما يعزم عليهم بان يضعوا حدّاً لنوالهم (كذا) . وكذلك يمتاز المتنبي في الرثاء عن الشعراء القدماء بالصعوبة التي تعترضه في اظهار حزنه (وقصيدته في موت جدته ذات اهمية كبيرة من هذه الجهة) . هو يبحث عن العزاء ، لا في السلوى الوقتية التي تجلبها الدموع ، بل في نوع من الجبروت الرواقي (stoïcisme) وفي العمل . فلا يخرج عواطفه الّا اذا كانت تدلّ على حقيقة . وهو هو في الهجاء ، يجتهد ان يكون صادقاً ابداً . لهذا نراه في هجائياته يستسلم للغضب فيهيجه ويدفعه الى التلفظ بكثير من الشتائم والبذاءات . ثم يدرس الكاتب ، في مقال أخير ، الشعر العقلي ، والوصفي ، والملحمي ، عند المتنبي . اما النوع الأوّل فيظهر مفقوداً عند هذا الشاعر الذي يبدع ، في الشعر الوصفي ، عندما يصف المعارك فقط . كذلك الملحمة لا تُرى في ديوانه الّا في ذكر معارك سيف الدولة . واخيراً يقول الأسمر كلمة في اسلوب المتنبي الذي ينبّه فنّه في مخيّلتنا مشاهد العالم المختلفة .

ومهما يكن من عطف المطالع على تجربة مبتكرة ، فانه لا يصل الى خاتمة هذا البحث الا ويتحقق خيبة شديدة . اولاً بسبب التوافه الصبيانية التي نجدها فيه : فان الاسمر يظهر وافر السذاجة حقاً بتصديقه اقوال المادح الاعجابية في

اولياء نعمته. ثم بسبب ضعف التمييز الظاهر في بعض التوسيعات. وكيف يمكننا مثلاً الادعاء بان النوع الفلسفي لا اثر له في شعر المتنبي، بينا نراه فعلاً في كل بيت من المقاطع الحكمية، وحتى في النسيب الحبي، وفي الرثاء حيث تكاد العاطفة تفسح المجال دائماً لاعتبارات عامة في حياة الانسان وسرعة زوال حبه؟ كيف يمكننا ألّا نلوم الاسمر على اهماله، دون رشاقة، درس النوعين الاخيرين المثلين في الديوان؟ بل ان الاكتفاء ببضعة اسطر لا غير لدرس الملحمة والوصف، كما نجدهما عند ابي الطيب، لا يمثل نقصاً فحسب، انما قد يدلّ ايضاً على عدم فهم للاثر المحلّل.

بقي ان نشير الى فصل خصّه محمد صدر الدين بالمتنبي في كتاب حديث، عنوانه: «سيف الدولة وزمانه»[1]. وفيه نعود الى سلسلة النظرات الاجمالية المستندة الى دروس قديمة، وخاصة الى «يتيمة» الثعالبي. اما الطرافة في هذا الدرس فمائدة الى أنه مؤلف بالانكليزية بقلم هنديّ سحره تاريخ سلالة عربية صغيرة[2].

***

يبرز من التحليل السابق عدد من الصفات المشتركة بين الابحاث التي اوحاها شاعر الكوفة منذ ستين سنة. واول هذه الصفات ان الابحاث المذكورة، — مع انتباهنا لما كان منها ابتدائياً عن قصد وتعمّد — تبدو كلّها، حتى اكثرها تعمقاً، سطحيّة، ثرثارة. وذلك ان القصّة تحلّ، في القسم الترجمي منها، محلّ الحدث التاريخي؛ كما يغلب التأكيد والتعميم، في القسم النقدي، على التحليل الدقيق.

ثم، على رغم الجهد في التخلص من سيطرة القرون الوسطى، تبقى هذه السيطرة مستبدةً فعلاً، ظاهرةً في الشواهد الطويلة بل في تحويرات بسيطة، بعض الاحيان.

---

١) *Saifuddaulah and his Times*، لاهور، ١٩٣٠، خصوصاً الفصل الـ ١٥

٢) كان هذا الفصل تحت الطبع عندما جرت بالجامعة الاميركية في بيروت في ٢ حزيران ١٩٣٥، حفلات ذكرى المتنبي الالفية التي نظّمتها «العروة الوثقى».

وهناك لوم آخر نوجهه الى هذه الابحاث ، وهو انها لا تُعنى ، على الغالب ، بتطور المتنبي الأدبي. من الحقّ انها تُقرّ ، نظرياً ، باختلاف بين شعر الصبي وسائر الديوان، ولكنها في الواقع ، تستشهد ، دون تمييز ، بأبيات من كل عهد لتدعم احكامها في اسلوب ابي الطيب ، وفلسفته الخلقية.

واخيراً ، اذا صرفنا الانتباه عن ان هذه الابحاث جميعها ، ما عدا درس حلمي ، ترتكز على نقد شخصي (subjectif) يظلّ عرضةً للجدال ، لا يسعنا الّا الملاحظة ان عدداً كبيراً منها ، ومن اوفرها تعمقاً بنوع خاص ، هو في الحقيقة نظريات او أطروحات . فعقائد القومية ، والوحدة العربية الشاملة ، التي تدفع بالنقّاد الى التنقيب عن نواحٍ في المتنبي تقربه من النوابغ الأوربيين ، تجرّهم الى مقارنات سريعة وتأويلات مفتعلة. ولا شك في ان من نصيب الرجال العظام ، ولاسيما في الأدب ، ان يكونوا مدينين بشهرتهم في غالب الاحيان ، لتزييف مريديهم والمعجبين بهم، اذا ما اغتبطوا باكتشاف انفسهم في آثار ظهرت في عصر قبل عصرهم وفي بيئة غير بيئتهم. على انه من النادر ان نجد تشويهات للحقيقة بالغة في التنظيم حداً بلغته في ما يختص بالمتنبي. لقد رأينا الى اين تؤدّي هذه التأويلات في ابحاث الدريني ، والمازني ، وشفيق جبري . وقلنا بأية صدقة نجا حلمي من هذا الغرق . على اننا لا نشعر بمخاطر هذا الميل في اي بحث كما نشعر بها في بحث العقّاد ، وقد أشرنا ، مع هذا ، الى ما في بعض مقالاته من قيمة معجبة. يبدو هذا الناقد — وقد سحره تحديدٌ للشاعر عزيز على فكتور هوغو — يرى في المتكتب بمدح سيف الدولة وكافور وابن العميد :

« تغنّ بالف صوت جعلها الهي المبرد
صدىً رنّانًا في قلب كل شيء »

فيحلّل فلسفته تحليلاً نافذاً ، ثم يتبع ذلك بموازنة بين فكرة ابي الطيب ومذهبَي داروِن ونيتشه تظهر كلّ لفظة منها بمثابة سوء فهم[1].

---

(١) ولنا مثل على ذلك بيتين من القصيدة ١٠٨ ذكرناها اعلاه . وقد رأى فيهما النقد القديم نظماً لاحدى حكم ارسطو ، او لبعض القوالب الحكمية المعروفة (انظر العكبري ١ : ٤٤ ، سطر ٢٠ وما يليه) ومهما يكن من امر فاننا اذا اعدناهما الى النص الاصلي ، تصبح لها

وانطلع مما تقدم ان هذه التأويلات لا تكتفي بتشويه شخصية المتنبي باعطاء فكرة فاسدة عن شعره عموماً ، بل انها تحـط من مجد الشاعر الذي تدّعي خدمته . وكيف لا يشعر العقاد بأن الحكم في اثر ابي الطيب بالنسبة الى عصره، ومقارنته بما يشبهه من الآثار، يؤدي الى اظهار عظمته؟ بينا ان مقابلته بمذاهب منطقية كمذهبي داروين ونيتشه تظهر ما فيه من نقص وعدم اتساق ؟

ولنختم اذاً قائلين انه ليس للشرق « العربي » حتى الآن اثر نقدي جديرٌ حقاً بهذا الاسم ، في حياة المتنبي وشعره . اما من الوجهة التاريخية فغرانا ، حتى مع اعترافنا بقيمة كتاب حلمي وبعض مقالات العقاد ، مكرَهين على التحقق انه لا يزال مجال واسع للعمل . وذلك أننا لا نزال نبحث في هذه الكثرة من الدروس العصرية ، المؤلفة بالعربية ، عن درس يستخدم جميع المواد الموجودة على طريقة دقيقة ، مُحرَّرة من كل تأثير غريب عن النقد التاريخي .

ومن جهة أخرى فاننا نرى في هذه الاعمال نقصاً فاحشاً في نظرنا : وهو انها تجعلنا نحسّ بالاسباب « العاطفية » التي تحبّب اثر شاعر الكوفة الى الشرق في الوقت الحاضر . واذا اردنا التخصيص قلنا ان العقّاد، والمازني ، وجبري، والاسمر، يطلعوننا بدقة على الاهواء الوطنية والقومية التي يغتبطون بايجادها في اقوال مادح سيف الدولة . وهم ، بخلاف ذلك، عاجزون عن بسط الاسباب « الأدبية »

قيمة تختلف كل الاختلاف عن القيمة التي ينسبها اليها العقّاد . ودونكم سياق الافكار المتتابعة :

٢٩ مضى[الدمستق]، بعد ما التفّ الزماحان ساعةً، كما يلتقي الهُدبُ في الرقدة الهُدبا .
٣٠ ولكنه ولّى ، وللطعن سورةٌ اذا ذكرته نفسُه ، لمس الجَنبا ،
٣١ وخلّى العذارى ، والبطاريق ، والقُرى ، وشُعثَ النصارى، والقرابين، والصُلبا .
٣٢ ارى كلّنا يبني الحياة لنفسه حريصاً عليها ، مستهاماً بها ، صبا ،
٣٣ فحبّ الجبان [كالدمستق] النفس اورثه التقى ،
وحبّ الشجاع [كسيف الدولة] النفسَ اورده الحربا

وواضح ان هذا البيت، بالتنسيق الذي يتضمنه ، ليس سوى مدح ماهر للحمداني، وان الفكرة فكرة مادحٍ اكثر منها فكرة فيلسوف . ومن السهل ان نذكر غير هذا من تأويل العقّاد المتعلة .

الخاصة بهم والتي تجعلهم يتحسسون لبعض ابيات المتنبي . لا نقول هذا لانهم اهملوا ذلك في مؤلفاتهم ، بل لانهم ، عندما يبحثون اسلوب ابي الطيب ، يكتفون غالباً بنقل احكام النقد القديم. حتى ان حلمي، — وهو الذي عرض، من بينهم ، لهذا المشكل على الطريقة الاوفر دقة — يكتفي بنقل تحليل الثعالبي في « اليتيمة»[1]، مهملاً درس قيمة البيت الموسيقية الناتجة لا من الوزن والقوالب، بل من رنّة الالفاظ المختارة.

فبالنسبة الينا ، لا يزال ، كما هو ، سرّ بعض الابيات التي يؤخذ بها الشرقيون، لا من حيث الفكرة التي تعبّر عنها ،ولا من حيث الفن الذي تتجلى فيه ، ولا من حيث الايقاع الذي تتصف به ، بل من حيث تمازجات مؤتلفة بين الأحرف الصوتية والساكنة لا تستطيع اذننا تذوّق سحرها.

وبالنسبة الينا أخيرًا ، لا تزال،كما هي، تلك المعضلة المقلقة ، معضلة المركز الذي يجب ان نمنحه في الشعر العالمي لشاعرٍ من القرون الوسطى لا يبرح ، حتى اليوم ، موضع الاعجاب من مراكش الى الهند . وهنا ، اكثر من اي مكان آخر ، نشعر بأن الفكر الشرقي لا يمكن ان يولينا اية فائدة . اذ ليس بمقدور أناس يعجبون بابي الطيب لدواعٍ قومية اكثر من اعجابهم به لاسباب ادبية ، ان ينيلونا الجواب المقنع. فهل يستطيع المستشرقون انفسهم اعطاءنا هذا الجواب ؟ هذا ما يجدر بنا ان نراه[2].

---

١) حلمي ، ص ٢٧٠ — ٢٧٦

٢) ويردف المؤلف هذا الفصل بفصل جديد عنوانه « المتنبي والمستشرقون ».

شذرات

الذكرى المئوية الثانية

للمجمع اللبناني ١٧٣٦—١٩٣٦

كان « المشرق »[1] في طليعة الداعين الى الاحتفال بهذه الذكرى الثانية ، ذكرى انعقاد المجمع اللبناني في دير سيدة اللويزة في ٣٠ ايلول و١ و٢ ت ١ ١٧٣٦ . وما ان وافى شهر ايلول من سنتنا الحاضرة ، مقرباً تلك الذكرى ، حتى اصدر غبطة البطريرك الماروني رسالةً رعائية يدعو فيها ابناءه اجمعين للاحتفال بيوبيل المجمع الذي « كان له اعظم تأثير في الطائفة المارونية في ما يختصّ بسلامة الايمان ، وطهارة الآداب ، والتهذيب البيعي ، والارتقاء في معارج الفضائل المسيحية . » ، معيناً للاحتفال يوماً رسمياً هو الاحد الواقع فيه ٢٢ تشرين الثاني ١٩٣٦ .

وفي صباح اليوم المذكور اجتمع ، في بكركي ، حول صاحب الغبطة وعشرة من احباره ، ممثلُ الحبر الاعظم ، وممثلو بطاركة الروم الكاثوليك ، والسريان الكاثوليك ، والارمن الكاثوليك ، مع ممثلي السلطة الفرنسوية برية وبحرية ، وعدد كبير من اعيان البلاد اكليريكيين وعلمانيين . فبدئت الحفلات بالرتبة الدينية ترأسها غبطته . ثم دعي الحاضرون لسماع محاضرة قيمة باللغة العربية ألقاها حضرة الخوري ميخائيل الرجي ، رئيس الكهنة في كاتدرائية القديس جرجس في الثغر ، وقد جال فيها «حول المجمع اللبناني » مستعدًّا لموضوعه بالدرس الطويل ، جامعاً الوثائق الجمّة ، منفردًا بتأويل بعضها ؛ فذكر ما كان في الطائفة من حاجة الى الاصلاح ، وما رافق فكرة عقد المجمع من موافقات ومعاكسات ، تبعاً للاهواء المتباينة والنزعات المتبادلة بين افراد الاكليروس ،

---

١) راجع الجزء الاول من مشرق هذه السنة (كانون الثاني — اذار) ص ١١٩—١٢٠

وبين افراد الرعية ايضاً ولاسيما المشايخ . عرض كل ذلك بجرأة نادرة ، ونقد صريح ، وتفصيل كاد يستغربه السامعون ، خاتماً بنظريات لم يقرّه عليها الا نفرٌ من الحاضرين .

وبعد وليمة الغداء ، دُعي المحتفلون لسماع محاضرة اخرى باللغة الفرنسوية القاها سيادة المطران عبدالله خوري ، النائب البطريركي العامّ . فلخّص فيها تاريخ الموارنة ، مدنياً ودينياً ، قبل زمن المجمع اللبناني ؛ ثم بسط حسنات المجمع المذكور ، وما اشتمل من الاصلاحات ، وما اتصف به من المميّزات ، اذ جمع بين القديم من القوانين والتقاليد الانطاكية المارونية ، والحديث من مختلف الشرائع الرومانية وانظمة المجامع المسكونية ومراسيم الاحبار الاعظمين . وقد طُبعت المحاضرة على حدة[1] فجاءت خير ملخّص للمجمع ، وخير ذكرى لذاك الاحتفال الشائق .

ميخائيل الغزيري

كثيراً ما قرأت في آثار معاصرينا من ارباب البحث العربي اسم العلّامة ميخائيل «الغزيري» على شكل «كازيري» كأنه اسم مستشرق غريب الدار . ولم ارَ من نبّه الى هذا الخطأ الّا الاستاذ فؤاد افرام البستاني في حاشية علّقها على وصف بعض كتب (ص ٤٧٤ من مشرق هذه السنة) ولكنها اتت موجزةً قد يتطلب قارئها مزيداً من المعلومات ، فرأيت ان اجمع ، في هذه الشذرة ، ما اطلعت عليه من ايضاحات في ترجمة هذا العالم الماروني استقيتها من مخطوطات عدة منها كتابات اللبردي الى رومة ، وتقرير السمعاني الى الكرسي الرسولي ، بعد عقد المجمع اللبناني :

لم يكن ميخائيل الغزيري منضوياً تحت قانون الرهبانية الحلبية المارونية

1) Mgr A. Khouri, Conférence sur le Synode du Mont-Liban, à l'occasion du deuxième centenaire 1736-1936. In-8°, 23 pp. Imp. des Miss. Libanais, Jounieh.

اللبنانية ، انما كان كاهناً مارونياً عالمياً ، وُلد في طرابلس (لبنان) سنة ١٧١٠ ، وذهب الى رومية حيث اتمّ دروسه الفلسفية واللاهوتية في مدرسة الطائفة المارونية هناك ، التي كان يديرها في ذاك الحين آباء الرهبانية اليسوعية الجليلة. نال الدرجات المقدسة في ٢٩ ايلول سنة ١٧٣٤ ، ومكث في دير الرهبان الحلبيين هناك يدرّس تلاميذ الرهبانية بكدّ ونشاط ، وظلّ قائماً باعباء مهمته هذه خيرَ قيام حتى دعاه مجمع نشر الايمان المقدس الى ان يرافق السمعاني الكبير الى لبنان ، ويساعده بوظيفة لاهوتي في التئام المجمع اللبناني الذي تمّ عقده في الثلاثين من ايلول والاول والثاني من تشرين الاول في دير سيدة اللويزة سنة ١٧٣٦ .

في سنة ١٧٣٨ عاد الى رومية حاملاً الى مجمع نشر الايمان آراء الطائفة المارونية حول قعادة السمعاني ، وقطن دير مار بطرس ومرشّلين للرهبان الحلبيين ، يساعد الرئيس الاب يواصاف الدبني البكنتاوي في تدريس الناشئة الرهبانية .

وفي سنة ١٧٤٨ ذهب الى اسبانية بدعوة من الاب (Borago) معرّف فرديناند السادس ، لان الاب المشار اليه كان استاذ عالمنا هذا في الفلسفة ، وهناك التصق بالمكتبة الملكية في مدريد ، فنقل بمعرفة ولي نعمته كتاباً عربياً يدعى شمس الحكمة الى اللغة اللاتينية . وقد اغتالت يد الضياع اصل الكتاب مع الترجمة .

وفي سنة ١٧٤٩ عُيّن عضواً في ندوة تاريخ مدريد الملكية ، فاخذ من ثمّ يتردد ، بامر الملك ، الى مكتبة الاسكوريال جاداً في اعداد المواد التي تسعفه بوضع مكتبته العربية - الاسبانية (*Bibliotheca arabico-hispana*)

وفي سنة ١٧٥٦ ، بعد موت الخوري اندراوس للقديس يوحنا ، اقام الملك عالمنا مترجماً له في اللغات الشرقية . وبما ان صاحب الجلالة كان يود الغزيري ويعتبره اعتباراً كبيراً ، افرغ عليه في نفس السنة لقب نائب محافظ مكتبة الاسكوريال ، وجعل له راتباً شهرياً يتقاضاه وقدره ٢٠٠ غرش ذهباً ، وما انتقل محافظ المكتبة في ١٧٦٣ الى رحمته تعالى حتى اسندت اليه وظيفة

المحافظ الاول لمكتبة الاسكوريال . وفي السنة نفسها جاء اسبانية من رومية بولس خضر العالم الماروني ، فشرع يساعده في وضع فهرست المكتبة . بيد انه لما كان الغزيري صارماً في معاملة معاونه ، وكان يريد ان يبقى المستشرق الوحيد في البلاد الاسبانية ، وكان بولس خضر من جهة ثانية متعجرفاً لا يحني ظهره لاحد ، ولا يتزلف الا الى رحمته تعالى ، حدثت مشادة بين هذين العالمين ، اسفرت نتيجتها عن اقصاء خضر الى البورتغال ، حيث توفي بعد ان نال هناك مركزاً يحسد عليه.

وقبل ان ينجز الغزيري تأليف مكتبته العربية الاسبانية ، نقل من العربية الى اللاتينية مجموعة قوانين الكنيسة الاسبانية ، وكان الاصل مع الترجمة لا يزال محفوظاً في المكتبة الاسبانية قبل نشوب الثورة الاخيرة.

وحسب رأي عالمنا ان هذه المجموعة هي جد قديمة ، تنسب الى اسقف يدعى يوحنا دانيال . بيد ان هذا الرأي لم يثبت تحت مبضع النقد الحديث ، لانه وُجد في حاشية علقها النساخ على نسخة اخرى قديمة ان هذه المجموعة لا ترجع الى ما قبل القرن الثاني عشر . وقد كلفته الندوة الملكية ترجمة بعض كتابات عربية اسلامية ، الا انه لم يقم بهذا العبء خير قيام ، كما يستنتج من حكم الندوة عليها بالاهمال.

اما اعظم تآليف هذا العالم فائدةً للعلم فهو مكتبته العربية — الاسبانية ، وعنوانها في اللاتينية هكذا:

« *Bibliotheca arabico-hispana Escurialensis sive libr. omn. manuscript. quos arabice ab auctoribus magnam partem arabo-hispanis compositos bibliotheca coenobii Escurialensis complectitur, recensio et explanatio, opera et studio* Mich. Casiri etc.»

وقد طبع هذا المصنف بمجلدين ضخمين في مدينة مدريد ما بين سنة ١٧٦٠ و١٧٧٠ ، وصدره بمقدمة طويلة ثم اخذ في وصف وسرد مخطوطات مكتبة الاسكوريال التي تُعدّ من اغنى المكاتب الغربية بالمؤلفات العربية ، وخصوصاً الاسلامية . فالمجلد الاول يشتمل على النحويين ، والشعراء ، واللغويين ، وكتّاب

التراجم والسير ، والفلاسفة ، وعلماء الاجتماع والسياسة ، والاطباء ، والرياضيين والفلكيين . والمجلد الثاني مكرس للجغرافية والتاريخ ؛ وقد ضمن مصنفه هذا عدة شهادات تاريخية عربية تساعد الباحث على التنقيب عن تاريخ اسبانية العربية .

اما خطته في هذا الكتاب الفريد فهي انه يُعطي اولاً عنوان المخطوط بحرف كبير ثم يصفه باللاتينية ، وكثيراً ما يورد ترجمة المؤلف بايجاز ، مع ذكر كتاباته ، معززاً ذلك بشهادات عديدة من مضامين الكتاب ، وبالجملة فانه يكفيك ان تطالع وصف الكتاب في هذا الفهرست حتى تقف على محتوياته بوضوح وجلاء . ولا اظن ان دارساً متبحراً يستطيع التعمق بالآداب الشرقية ، دون ان يلجأ الى مؤلف عالمنا هذا .

وظل التزيري مثابراً على خدمة العلم والادب حتى غادر هذه الفانية في مدينة مدريد . وذلك في ١٢ اذار ١٧٩٤ ، الا انه في آخر ايامه فقد ذاكرته وسمعه .

الاب بولس مسعد

مطبوعات شرقية جديدة

TH. VILLANOVA GERSTER A ZEIL, O. M. C., **Infernus tractatus dogmaticus juxta sensum S. Bonaventurae.** In-8°. IV+176 pp. Torino, Casa editrice Marietti, 1936. Prix : liv. ital. 7.

في عقيدة جهنّم

هذا تأليف تامّ ، حسن التبويب ، واضح الاسلوب في العقيدة المذكورة ، مظهر العدل الالهي . يبحث المؤلّف في وجود جهنّم ، ومركزها ، وسكّانها ، وانواع عذابها ، وابديّتها ، في مجلّد مفيد لجميع الكهنة ولاسيّما من يتخصّصون منهم بالمواعظ والارشادات.

P. CHRYSOGONE, carme, **Asceticae et Mysticae summa.** In-8°, VIII+470 pp. Torino. Casa editrice Marietti, 1936. Prix : liv. ital. 10.

في الزهد والتصوّف

كتب هذا المؤلّف اولًا باللغة الاسبانية ، ثم ترجمه الى اللاتينية احد ابناء الرهبنة نفسها. وهو جامع ملخّص لكل ما تهمّ معرفته بشأن الزهد والتصوّف ، يستند في اساسه الى عقيدة القديس يوحنا الصليب ، والقديسة تريزية الكبرى ، ويقسم اقساماً اربعة : مبادئ الحياة السامية فوق الطبيعة ، الزهد ، التصوّف ، تاريخ هذين المظهرين من مظاهر الحياة الروحية ثم تطرّفات الصوفية . ويختم بجدولين عامّين لمآخذ الكتاب ، وتحليل موادّه.

FL. ALCANIZ, S. J., **De autographo tractatus inediti Card. Joannis de Lugo «De Anima».** Estudios ecclesiasticos, 1936.

رسالة النفس للكردينال دي لوگو

لا يخفى ما اتصف به الكردينال دي لوگو من القدرة في اللاهوت الادبي. على اننا لم نكد نعرف شيئاً عنه فيلسوفاً ، لأنه لم يُنشر شيء من رسائله الفلسفية التي لا تزال مخطوطة ، كابحاثه في الفلسفة عامّة ، والمنطق ، وما وراء الطبيعة ، والنفس ، وكلّها يذكرها الاب سومرڤوجيل ، ويضيف اليها الاب الكانيس ذكر اربع مخطوطات في الطبيعيات ، والتولّد ، والمحاورات في ما وراء

الطبيعة . وقد شاء ناشر « رسالة النفس » هذه ان يطلعنا على مقدرة لوكر في الفلسفة ، فرأى ان لا يطبع الرسالة كلها بنصها ، بل ان يلخص فكرة المؤلف ادق تلخيص مستعيناً بتعابيره احياناً . وقد أحسن الناشر في نظرنا لأنه لم يكن للوكر الفيلسوف مذهب خاص تبعه فيه المريدون ، ولا كان لفكرته الفلسفية تلك القوة الطريفة التي اظهرها في «لاهوته الادبي» حيث لا يزال من اشهر الاساتذة المتبعين . ي . ك .

ALBERT CONDAMIN, S. J., **Le livre de Jérémie**, traduction et commentaire, 3° édition, revue et corrigée. [Collection *Etudes Bibliques*] In-8°, XLVI+380 pp. Paris, Lecoffre-Gabalda, 1936. Prix : 60 fr.

كتاب إرميا

ظهر هذا الكتاب النفيس لأول مرة سنة ١٩٢٠ ، فنال رواجاً سريعاً بين من تهمهم الدروس الكتابية ، ونفدت نسخه من مدة طويلة . فرأى المؤلف ان تُعاد طبعته على ورق أجود ، وبمظهر اجمل منه في الطبعة الاولى . ولا نخطئ اذا قلنا ان طلاب الشروح الكتابية ، والاختصاصيين بدرس العهد العتيق سيستقبلونه بكل ارتياح ، فيجدون فيه ما اعجب به العلماء من ترجمة دقيقة وشرح واضح لسفر إرميا ب . م .

Acta pontificalium operum a Propagatione fidei et a sancto Petro apostolo pro clero indigena. Commentarium officiale. Vol. II, n° 2, 31 déc. 1935.

من اعمال جمعية نشر الايمان

يحتوي هذا الجزء على تقارير الدخل والخرج، مدة السنة ١٩٣٤—١٩٣٥، من اعمال جمعية نشر الايمان ، وجمعية القديس بطرس . وهي بليغة بما فيها من ارقام ولوائح تشير الى اعمال الرسالات الكاثوليكية ، كما انها تشير الى هبات ذوي الخير والصلاح تلك الهبات التي لم تنقص منها مظاهر الازمة الخانقة من سياسية واقتصادية واخلاقية التي نعيش فيها اليوم ، بل انها زادت فيها عدة مئات من الوف الليرات الايطالية عن مجموع السنة السابقة . اما ما ارسلته بلادنا من هبات لهذا العمل الكاثوليكي العظيم فقد بلغ ١٨,٦٠٠ ليرة ايطالية .

Abbé Chauve-Bertrand, La question de Pâques et du calendrier. In-12, 256 pp. Paris, Œuvres Françaises, 1936. Prix : 16 fr. 50.

مشكلة الفصح والروزنامة

كثيراً ما تكلم ارباب الشأن ، منذ اوائل هـذا القرن العشرين ، عن ضرورة اصلاح التقويم ، واثبات تاريخ عيد الفصح . ولقد كان من الواجب ، في العصور القديمة ، على من يفكّر باصلاح كهذا أن يكون سيّد العالم كيوليوس قيصر او البابا غريغوريوس الثالث عشر . امّا اليوم فهي حركة عالمية تطلب هذا الاصلاح . تفكّر ، وتعدّ الموادّ ، وتقترح . تقترح اجتماعاً عاماً في جنيف يتناقش فيه مندوبو الدول جماء حول طاولة خضراء فيقرّون استعمال مقياس واحد للزمن، اضبط من مقاييسنا الحالية ؛ وتقترح اتّفاقاً شاملاً بين الكنائس المسيحية على تعيين يوم خاصّ لعيد الفصح لا يتغيّر من سنة الى اخرى ؛ وتقترح العمل على جعل يوم الاحد يوم عطلة وراحة عند جميع الشعوب . ولكن كم من الناس يتبسّمون عند ما يسمعون بهذه المقترحات ! فينسبونها الى التخيّلات والاوهام . على ان الحقيقة غير ذلك . فالحركة معقولة ، والمطالبة بالاصلاح مشروعة . هذا ما ينتج من قراءة الكتاب، اذ يستند صاحبه الى الارقام والحوادث التاريخية وحدها، غير متجاوز مجال العقيدة الدينية الصحيحة .

في الصفحة الاولى جدول دقيق ، واضح ، صريح ، بالتقويم الجديد الذي يقترح الاصلاحيون استعماله . يلي ذلك مقدّمة شائقة خطّها قلم عالم شهير بالشؤون الطقسية هو الاب كابرول . ثم يعرض المؤلّف ، في فصل اول ، لاصول التقاويم وتاريخها منذ اقدم العصور المعروفة ، من السنة ٤٢٤١ قبل المسيح ، وفيها نظم الكهنة الفلكيّون في ممفيس وطيبة اول مظهر للروزنامة ذات الاثني عشر شهراً في مصر القديمة، الى عصور الروزنامات الكلدانية، والبابلية ، والعبرانية ، والعربية، والهندية ، والصينية ، واليونانية ، والرومانية ، الى اصلاح يوليوس قيصر ، واصلاح غريغوريوس الثالث عشر ، الى اتخاذ دول الشرق الادنى التقويم الغريغوري في السنوات ١٩١٦—١٩٢٦ .

بيد ان التقويم الذي نستعمله اليوم لا يزال عالقاً به عدة شوائب . من

ذلك عدم التناسق بين ايام الاسبوع وايام الشهر ، والتقلقل الواسع في تاريخ الفصح ، تقلقل قد يتجاوز الشهر من ٢٢ اذار الى ٢٥ نيسان . وهو ما دعا الناس منذ اواخر القرن التاسع عشر الى المطالبة بالاصلاح . وقد خصّ المؤلف الفصل الثاني بتفصيل هذه الحركة الاصلاحية وتطوّرها ، منذ اقتراح الاب منتروفيني سنة ١٨٣٤ ، الى اقتراح اوغست كونت سنة ١٨٤٩ ، الى مشاريع المؤتمرات المختلفة من خاصة ودولية ، ومقترحات غرف التجارة والمجامع العلمية، الى ابحاث جامعة الامم سنة ١٩٢٣ ، بعد ان اطّلعت على آراء الحكومات ، والسلطات الدينية ، والشركات العالمية المهمّة ، الى آراء لاون الثالث عشر ، وبيوس الحادي عشر .

ثم يصل المطالع الى الفصل الثالث، وفيه درس دقيق للمقترحات والمشاريع المختلفة . فيرى فيه ان الاجماع يكاد يكون تامًّا على تعيين يوم خاصّ لعيد الفصح. امّا في ما خصّ اتباع تقويم ثابت فهناك مشروعان مهمّان: مشروع يعيّن ١٢ شهرًا تُقسم اربعة ارباع في كل منها ثلاثة اشهر فيها ٣١ و٣٠ و٣٠ يوماً ؛ ومشروع يعيّن السنة ١٣ شهرًا كل منها فيه ٢٨ يوماً . وفي كل من المشروعين يوم زائد يُضاف خارجاً عن ايام الاسبوع . بيد ان المشروع الاخير ذا الثلاثة عشر شهرًا يفقد شيئاً فشيئاً اهمّيته فلا يبقى الا مشروع الاثني عشر شهرًا ، وهو ما يميل اليه المؤلف ، ويميل اليه الفاتيكان ، على ما يظهر.

اما زمن بدء هذا الاصلاح فيظهر انه قريب . وهناك جهود عديدة يبذلها الناس للبدء بالتقويم الجديد مع السنة ١٩٣٩ . وفيها يقع ١ كانون الثاني نهار الاحد ، (وهو المفروض اول كل سنة جديدة في التقويم المقبل) فلا يكاد الناس يغيّرون شيئاً بانتقالهم من تقويم الى تقويم.

CHARLOTTE JULLIEN, Les cercles d'études féminins. [*Problèmes d'éducation*] 260 pp. Paris, Desclée de Brouwer et Cie, 1936. Prix : 10 fr.

حلقات الدروس النسوية

طالما تاق الكهنة والمربّون وسائر من يهمّهم تهذيب الفتيات الى كتاب من

هذا النوع يرون فيه المبادئ والتحقيقات في مجال حلقات الدروس المعروفة في الاندية التهذيبية ، وكيف تطبق في اجتماعات الفتيات . ولقد كان من فضل المؤلف أنه طبق كتابه في حياته قبل ان كتبه ، ملخصاً فيه اختبار خمس عشرة سنة ، غير عارض امراً الا ما كان قد سبق فتحققه بالفعل ، رامياً الى غاية مثلى ترفع ثقافة الفتاة ، دون ان ينسى متطلبات الحياة الواقعية . واذاً فان الطريقة التي يعرضها لم تكن وليدة الخيال ، بل نشأت في محيط الحياة ، فتعرفت الى الشبيبة النسوية المعاصرة وعرفت حاجاتها ، وحسناتها ، وسيئاتها ، ونواقصها ، فارضة كل ما يعرضه المؤلف من علاجات وطرق تثقيف ، مستنداً ، في كل ذلك ، الى العقيدة الكاثوليكية . ولم تظهر هذه الطريقة حتى تجاوزت حدود مطرانيته . فأخذ ارباب الثقافة النسوية يطلبون منه المناهج ، كل سنة ، لا في فرنسة وحدها ، بل في البلاد الاجنبية حتى افريقية ، واميركة ، بل في الصين نفسها . ولا غاية له الا توسيع ثقافة الفتيات ، وتعديد اندية الدرس ومجالات الحياة الروحية الفائقة ، ولا بد منها لنشأة الحياة العائلية السامية في كيان الوطن .

ANDRÉ PARROT, Mari, Une ville perdue et retrouvée par l'archéologie française. In-8°, 250 pp. Paris, Editions «Je sers», 1936.

مدينة ماري القديمة

هذا كتاب يتدفق حياة وانافة ، فيقرأه المطالع كما يقرأ رواية رائعة ، مأخوذاً بما فيه من مادة مهمة وبما تعرض به تلك المادة من اسلوب جذاب . وقد دون فيه المؤلف تاريخ الاكتشافات التي وفق اليها في المدينة على ضفة الفرات ، قرب ابو كمال . واهداه الى ذكرى اثنين من معاونيه ذهبا ضحيتين لحادثة سيارة ، على اثر انتهاء الحفريات الاخيرة ، وقد اخبر المؤلف بهذه الحادثة مجمع الرقم الفرنساوي في جلسة ٣ تموز ١٩٣٦ .

من الصعب ان يتوفق كاتب الى تأليف مجلد لغير الاختصاصيين بالاثريات ، على طريقة افضل من طريقة المؤلف ، واوفق لعرض ما يريد عرضه . فهو يذكر كل ما اتصفت به الحفريات ، ولاسيما الاخيرة منها ، من تطورات وعقبات — كانت مجلة « الالوستراسيون » الفرنسوية ، و « الالوستراتد لندن نيوز »

الانكليزية ، قد اطلعتا العالم العلمي على شيء من ذلك — ويفصّل كيف دُفع الى معرفة الموقع . وذلك ان الليوتنان كابان، من ضباط مصلحة الاستخبارات، كان قد لاحظ حاجة بدو المنطقة الى الحجارة للدلالة على قبورهم . فاشار عليهم بالتفتيش في المناطق المجاورة . وشدّ ما كانت دهشته ، عند ما اتاه احدهم ، بعد ذلك بايام ، وسأله : « ماذا يجب ان نصنع بالرجل الذي وجدناه » ولم يكن ذاك « الرجل » الّا تمثالاً مقطوع الراس ، يحمل رقيماً على كتفه . فنقله الليوتنان الى ابو كمال . ومن هناك حمله السيد بلوا دي روترو الى متحف حلب . وكان التمثال قد وُجد في تل جريري، وهذا موقع مدينة ماري بعينه ، كما دلّت عليه الحفريات التالية ، مستعينة بالاصول المسمارية لتلخيص تاريخ هذه المدينة القديمة .

وفي الكتاب بضع خرائط و٤٤ صورة ناجحة بجملها ، وآخرها تمثل البعثة كاملة قبل وفاة بول فرنسوا ، واندري بيانكي .

ولم يكتفِ المؤلّف بالكلام عن مكتشفاته وحدها . بل اجتهد في وضع جداول تاريخية توقيتية يرقى اولها الى العصر السابق الألف الثاني ق . م . ، ويختص جدول آخر بملوك ماري وفقاً لاصول مسمارية ترقى ، على ما يُقال ، الى بعد الطوفان . ثم نشر ترجمةً لكثير من النصوص وُجدت في تلك الحفريات . وقد بلغت الصحائف المكتشفة منذ السنة ١٩٣٥ ، نحو ٢٥٠٠ صحيفة . وفي السنة ١٩٣٦ ، بلغ عدد صحائف ماري ١٥,٠٠٠ صحيفة .

اما موضوع هذه النصوص فيختصّ على الغالب بالشؤون الاقتصادية . وبعضها تدوّن المراسلات بين ملك المدينة وحمّورابي . ويظهر منها ان حمّورابي لم يشأ ان يقبل بمطالب ملك ماري ، واسمه زِمري - إيليم ؛ وكان قد رغب الى حمّورابي في ان ابناء رعيته لا يشتركون في بعض ظنّه وخيم العاقبة عليهم . فرفض حمّورابي اجابة الطلب . وتوتّرت العلاقات بين الملكين حتى ان حمّورابي زحف على ماري ودكّها للاساس . ولم تبقَ المدينة منذئذٍ الّا محطة اشورية بسيطة . على ان الحفريات لم تطلعنا على اثرٍ يفيد هذا العصر .

ولا بدّ من الاشارة الى خاصّة من خصائص الكتاب، وهي انه يهتمّ بكل الحفريات القائمة في المناطق المجاورة من قبادوقية ، الى العراق ، الى بُصرى ،

مارًا بحفريات الاب مصيريان في الجبل العجيب . . . ونختم بالقول ان المؤلف من متخرجي الآباء الدومنيكيين في القدس . س . ر .

HANS HENNING VON DER OSTEN, **Ancient oriental seals in the collection of Mrs Agnes Baldwin Brett.** [*The University of Chicago, Oriental Institute Publications*, XXXVII]. In-4°, 76 pp., 12 planches, Chicago, 1936.

الاختام الشرقية القديمة

كان المعهد الشرقي في جامعة شيكاغو قد اعلمنا مؤخرًا باضطراره الى ايقاف هداياه الادبية ، بسبب الازمة الحاضرة . وها اننا نتناول من الجامعة المذكورة كتابًا لم نكن ننتظره ، وهو كتاب الاستاذ هنس هينغ فون در أوستن ، من كبار قادة الحفريات في بلاد الحثيين ، وخاصة في أليشار ، واحد الاساتذة في انكرة اليوم ، وهو امرٌ نهنئ عليه عاصمة تركية . وقد سبق لنا ان وصفنا كتابًا آخر للمؤلف خصصه بدرس الاسطوانات الشرقية في مجموعة نيقل . ولعلّ ذاك الوصف ما حدا بالجامعة الى ان تهدي الينا هذا الكتاب الجديد . بيد اننا نكتفي الآن بالاشارة اليه ، آملين ان نتبسط في وصفه في غير مكان .

اما طريقة المؤلف فيه فطريقته في الكتاب الموصوف سابقًا : يبدأ بوصف القطعة ، ثم ينشر عدة رسوم لها . والرسوم حسنة لا يظهر ان فيها كثيرًا من القطع المنحولة ، بيد ان المؤلف لم ينحرِ عن درسه بعض الاثار التي تسرّع بعضهم فعدّوها غير تاريخية . واذًا فلا يصيب هذا الكتابَ ذاك النقد الذي وجّهه مورتكات (Moortgat) للمؤلف في وصف كتابه الأول في :

Orientalistische Literaturzeitung, Août-Sept. 1936.

وليس من شكّ في ان الكتاب الحاضر يكون موضع حفاوة جميع مَن يهتمّ فن النقش الشرقي ، ولاسيّما في اقدم مظاهره . س . ر .

E. CAVAIGNAC, **Le Problème hittite**, [*Etudes d'archéologie et d'histoire*, collection dirigée par A. Piganiol]. XIX + 208 pp., 8 planches. Paris, Leroux, 1936.

المشكلة الحثية

ليس هذا الكتاب ، الذي اهدته الينا مكتبة ليرو ، فبادرنا الى وصفه ،

كتاب قراءة ؛ بل هو ملخّص كل المسائل المتعلّقة ، عن قرب او عن بعد ، بشأن الحثيين .

يفرض المؤلّف قارئه مطّلعاً على اهمّ هذه المسائل ، فيبادر الى اقرارها وفقاً لآرائه الشخصية . وقد دفعته هذه الغاية الى القيام برحلة في آسية الصغرى بصحبة عالم آخر من علماء الحثيات هو الاستاذ ديلاپورت . ثم عاد فجمع في هذا الكتاب كل محطّات التاريخ الحثّي حتى غدت قراءته صعبة تكلّف جهداً مستديماً لا يستريح منه المطالع الّا اذا سرّح نظره على الجداول التوقيتية ؛ ولولاها ، لما تمكّن غير الاختصاصي من استيعاب ذاك الاسلوب الموجز الذي يفرض على ذهنه اليقظة الدائمة .

وذلك ان المؤلّف لم يترك مشكلة يتناقش فيها علماء العصر في تاريخ الحثيين من لغتهم ، الى اصلهم ، وهجرتهم ، الى مدنيّتهم ، ودينهم ، الّا عرض لها في هذا الكتاب . بل انه تجاوز ذلك الى المشاكل المتعلّقة بالشعوب المجاورة للحثيين ، حتى ظهور تلك القبائل الآرامية الاولى على ضفاف الفرات ، ولاسيّما تأثير الشعوب الشمالية كالميتانيين والسوباريين وغيرهم . . . فدرسها متعمّقاً فيها على قدر ما يمكن التعمّق في مجلّد من مائتي صفحة .

ومما يسهّل مطالعة الكتاب بعض اللوحات التصويرية الناجحة اجمالاً ، وبعض التراجم للنصوص القديمة عرضها المؤلّف نماذج لامثالها .

ومما يجدر بنا ذكره ان المؤلّف لم يبدأ حياته العلمية بالدروس الشرقية . بل انما دُفع اليها بسبب دروسه العامّة ، فاقبل عليها برغبة وحماسة حتى لا يمكن ان نفرق بينه وبين من تقدّمه من المستشرقين . وهو يذكرهم بالفضل ، وان خالفهم في آرائهم على الغالب . ونحن نهنئ الكاتب لما توفّق اليه من حصر تلك المواد العديدة في هذه الصفحات القليلة .

س . ر .

J. DE MONICAULT, Le port de Beyrouth et l'économie des pays du Levant sous le mandat français. In-8°, 231 pp. Paris, Librairie technique et économique, 1936.

مرفأ بيروت واقتصاديات بلاد الشرق الادنى في عهد الانتداب الفرنسوي

في السنة ١٨٨٧ ، ظهر الفرمان السلطاني بانشاء مرفأ في بيروت ، آذناً

بالاعمال لشركة دُعيت « الشركة العثمانية لمرفأ وارصفة وحواصل بيروت ». باشرت هذه الشركة اعمالها في السنة ١٨٩٠ ، وانتهت منها في السنة ١٨٩٥ . على انها بدأت استثمارها منذ السنة ١٨٩٣ ، في ظروف على غاية ما يمكن من الموافقة: بلاد فسيحة تتجه نحو هذا الثغر في طلباتها ، ومركز ممتاز ، على رغم سلسلتي الجبال اللتين تفصلانه عن الداخلية . وذلك انه لم يكن من طريق بين الساحل وداخل البلاد الّا طريق بيروت — دمشق . فوق ما كان في بيروت نفسها من وسطٍ تجاري وثقافي راقٍ .

هو موضوع الكتاب الحاضر خاضه المؤلّف على قسمين : خصّ الاول منهما بمرفأ بيروت حتى السنة ١٩١٨ ، والثاني بالحقبة المعاصرة. فاتى بالمعلومات الطريفة والدرس الجديد المبتكر ، باحثاً في سائر المرافئ اللبنانية والسورية ، مقابلاً بينها بالنسبة الى مرفأ بيروت ، عارضاً لطرق المواصلات مع الداخلية ، وللمجاري التجارية المهمّة ، منتقلاً الى درس مظاهر المنافسة والمزاحمة الاجنبية ، مدقّقاً في موارد الزراعة ، والصناعة ، والبترول ، والسمك ، والسياحة ، وتنقّلات السكّان من مختلف العناصر . حتى يجعل بحثه بخاتمة ميّالة الى التفاؤل، على شرط الّا يكون في البلاد غير مرفأ كبير . ذلك ان بلادنا تتعامل مع الخارج بكميّة من البضائع تبلغ من ستمائة الى سبعمائة الف طنّ في السنة ، ثم ان ادارة المرفأ، تحتاج، في سبيل الاستهلاك ونفقات الدوائر ، الى حركة من البضائع لا تقلّ عن اربعمائة الى خمسمائة الف طنّ . واذاً فيجب ان تتعاون مرافئ بلادنا كلّها على طريقة معقولة ، والّا فلا مناص من التأثّر بالمزاحمة الاجنبيّة[1]. ج. ل.

---

١) يلخّص المؤلّف ، في مقدّمته ، تاريخ البلاد على طريقة سطحيّة جرّت بعض الهفوات والاخطاء. نذكر منها ١ً في الصفحة ٧: ذكر المؤلّف « ان الاتراك قبضوا على الامبراطور ديوجين سنة ١٧١١ »، والصواب: ١٠٧١ — في الصفحة ٩ : اورد السنة ١٤٤٤ تاريخاً لاحتلال الرها ، والصواب سنة ١١٤٤ — ثم انه يقول في الصفحة ١١ عن المعاهدة المعروفة بالامتيازات الاجنبية « انما كانت تولي فرنسوا الاول حقّ الحماية على جميع مسيحيي المملكة العثمانية » وهو قول مغلوط فيه . وكذلك حكمه على استقلال متصرّفية لبنان يظهر متناقضاً . فمن جهة يقول (الصفحة ١٣) : ان نصف الاستقلال الذي كان للبنان « ظلّ وهميّاً »؛ ومن جهة أخرى يصرّح (الصفحة ١٤) : « بان المتصرّف المسيحي كان يتمتّع باستقلال واسع ماليّاً وعسكريّاً ».

MAURICE BARRÈS, **Mes Cahiers**, t. X, 1913-1914. Paris, Plon, 1936.

مذكرات موريس باريس ١٩١٣-١٩١٤

لهذا المجلد العاشر من دفاتر باريس فائدة خاصة لبلادنا . وذلك أنه يحتوي قسماً كبيراً من رحلة المؤلف الى الشرق (من الصفحة ٣٢٧ الى الصفحة ٤٠٤). وقد استند باريس الى هذه الملاحظات في تأليف كتابه المعروف « *Une enquête aux pays du Levant* » ومن الممتع ان يطّلع الانسان كيف استغلّ باريس تلك المعلومات المتفرّقة ، والاشارات المقتضبة ، فولّد منها لمحات رائعة في الوصف تتناسق والفكرة القومية السائدة في الكتاب كلّه.

بيد انّ لهذه الملاحظات المقتضبة فائدة خاصة بها تدلّ على تطوّر عقلية المؤلّف من الفكرة الغامضة الخياليّة الى حقيقة الحوادث الوضعيّة ، كما يقول في الاشارة الى بعض المشاكل الثقافية والوطنية التي كان يُعنى بها المفكّرون سنة ١٩١٤ . ولا يخفى ان هذه المشاكل هي هي في هذه السنة ١٩٣٦ . فهل ترى رجال الثقافة اليوم يعنون بها على طريقتهم قبل الحرب ! ج. ل.

P. BARNABÉ MEISTERMANN, O. F. M., **Guide de Terre Sainte.** 26 cartes et 14 plans de villes, gravés et en couleurs et 110 plans de monuments dans le texte. 3e édition revue et augmentée. Paris, Éditions franciscaines et Librairie Letouzey et Ané.

دليل الارض المقدّسة

هذا دليل للاراضي المقدّسة في فلسطين ، يبدو افضل ما يوضع بين ايدي السيّاح والزائرين . وقد نال رواجاً مذكوراً حتى بلغ طبعته الثالثة ، منقّحة ، لا كل التنقيح ، لأن المؤلف لم يتتبع تنقيحه في كل مقاطع الكتاب ، كما يبدو في تقاسيم سورية السياسية ، ووصف بيروت من سطح البحر ، ومراكز الحكومة اللبنانية . . .

والكتاب مطبوع على ورق حسن طبعاً متقناً نهنّئ عليه الناشرين .

ج. ل.

والصواب ان استقلال لبنان كان دائماً استقلالاً حقيقياً تضمنه الدول الاوربية ، ولم يكن للسلاطين حقّ تعيين المتصرّفين الّا بموافقة ومراقبة تلك الدول .

PETER THOMSEN, **Die Palästina Literatur. Eine internationale Bibliographie in systematischer Ordnung mit Autoren und Sachregister.**

FÜNFTER BAND, **Die Literatur der Jahre 1925-1934.** Lieferung I (1-11, 1-224). Leipzig, J. C. Hinrichs' sche Buchhandlung, 1936. Prix : 15 M.

في الشؤون الفلسطينية

هو الجزء الاول من المجلد الخامس من نشرة جزيلة الفائدة لكل المشتغلين بالمسائل الفلسطينية ، اذ يطلعهم المؤلف على جهود جديرة بكل تقدير قادته الى نجاح لم يسبق له مثيل في جمع فهارس كلّ ما نُشر عن فلسطين من السنة ١٩٢٥ الى السنة ١٩٣٤ . وبها يتمّ المجلد الخامس ، ظاهراً في السنة ١٩٣٨ ، جامعاً نحو ١٥,٠٠٠ عدد في ٩٦٠ صفحة . ج . ل .

A. MEZ, **El renacimiento del Islam, traduccion del aleman por SALVADOR VILA.** [*Publicaciones de las Escuelas de estudios arabes de Madrid y Granada.* Serie A, num. 4]. In-8°, 643 pp. Madrid, Imprenta de Estanislas Maestre, 1936. Prix : 30 pesetas.

يقظة الاسلام

هذه ترجمة اسبانية للكتاب النفيس في « يقظة الاسلام » الذي تركه المؤلف إرثاً غالياً للمستشرقين وعلماء الاسلاميات ، فظهر على اثر وفاته سنة ١٩١٧ . ولا يختصّ المجلد الحاضر بترجمة الأصل فقط ، بل انه يزيد ما حال الموت بين المؤلف والقيام به من ترتيب المآخذ ، ووضع الفهارس والجداول الواسعة ، مع شروح وحواشٍ ضافية تجعل الترجمة اسهل استعمالاً واجزل فائدة من الاصل الالماني . ج . ل .

JOHN CHARPENTIER, **Le maître du secret.** (Un complot maçonnique sous Louis XVI). In-8° carré, 250 pp. Paris, Librairie H.-G. Peyre. Prix : 15 fr.

صاحب السرّ

قد يعتقد المطّلع على هذا العنوان ان امامه كتاب تاريخ . اما الحقيقة فهو تاريخ روائي ، او رواية تاريخية ، لها لذّتها ، وفائدتها ، وجاذبيّتها للقراء بتشعب تلك الحوادث في الهيئة الاجتماعية بين باريس وفرسايل ، قبيل السنة ١٧٨٩ .

حيث يرى الجماعة الماسونية تستعين باخوة الملك، ولاسيما الدوق دي شارتر، فتتخذ افظع الاساليب لنشر الدعوة بين الشعب ضدّ الملكة ماري - انطوانيت.

Dr ANDRÉ SOUBIRAN, **Avicenne prince des médecins. Sa vie et sa doctrine.** In-8°, 176 pp. Paris, Librairie Lipschutz, 1935. Prix : 20 fr.

ابن سينا امير الاطباء

Dr ASHER BLOOM, **L'Ostéologie d'Abul Qasim et d'Avicenne.** In-12, 72 pp. Paris, Librairie Lipschutz, 1935. Prix : 10 fr.

علم العظام في آثار ابي القاسم وابن سينا

MAÏMONIDE, **Traité des Poisons.** Traduction française par le Dr I.-M. RABBINOWICZ. In-8°, 70 pp. Paris, Librairie Lipschutz, 1935. Prix : 20 fr.

رسالة في السموم لابن ميمون

ثلاثة كتب فرنسوية اللغة عرضت شيئاً مما يؤثر عن بعض اطباء العرب، بل عن امراء هذا الطبّ، همزة الوصل بين الطب القديم (واهمّه اليوناني) والطبّ الحديث.

خُصّ الكتاب الاول بدرس حياة ابن سينا «امير الاطباء»، كما دعاه المؤلّف، الدكتور سوبيران، متوسّعاً في ذكر قيمته، وتأثيره في القرون الوسطى في اوربة حتى ان الاستاذ رولفينغ كان لا يزال يدرّس كتبه ويشرحها في بينا سنة ١٦٢٠، فلا غرو ان يُدعى ارسطو آسية بين الفلاسفة الذين اهتمّوا قبل كل شيء بآثاره الفلسفية. بيد ان المؤلّف عرض خاصة لحياته اولاً، ولآثاره الطبيّة، ولاسيّما كتابه المشهور «بالقانون»، مهتمّاً الاهتمام كلّه بمسألة اصله، وهل كان يهودياً ام لا، والمؤلّف ميّال الى القول بالايجاب. ثم يورد نصوصاً مختارة من آثار ابن سينا الطبيّة مستنداً فيها الى طبعة گروز (Gruner) الانكليزية، والطبعة العربية سنة ١٦٠٨، والترجمة العبرية التي نشرها ناتان ها - مياتي.

اما الكتاب الثاني فيختصّ بفرع مهمّ من فروع العلوم الطبيّة، يرمي فيه المؤلّف، الدكتور بلوم، الى اظهار ما قام به اليهود من دور كبير في عالم

العلم ، وما اختصُّوا به من مزايا رفعتهم فوق معاصريهم . وقد كان المعروف ان اليهود يبرعون في عالم المناظرات العقلية منحصرين غالباً في الالهيات والاخلاقيات . واذا بهم يظهرون ، من خلال ما يعرضه المؤلِّف ، ارباب مقدرة علمية ولاسيما في الطبّ . اذ يضيف الى آراء ابي القاسم وابن سينا ، فصلاً في نظرية التشريح وفقاً لتعليم التلمود .

واما الكتاب الثالث فهو طبعة جديدة للترجمة التي كان قد نشرها الدكتور رابتوفيتش في اواخر القرن التاسع عشر ، عن رسالة في السموم للطبيب اليهودي الاسباني موسى بن ميمون . وفي الطبعة الجديدة تاريخ لأشهر حوادث التسمُّم ، وجدول باسماء العقاقير بالعربية والعبرية والفرنسية .

لم نتصفَّح هذه التآليف حتى شعرنا بفضل من تقدم ذكرهم من الباحثين ونشاطهم ، وقلنا في نفسنا : ما أحرى الاخوان بالقاهرة ، ودمشق ، وبيروت ، وبغداد ، بالقيام بمثل هذه الاعمال : فهم ابناء البلاد ، وابناء اللغة التي لم يستصعب الأجانب تذليل عقباتها ، فهل يقفون امامها خائفين ؟

بيد انه في ظروف عديدة واماكن كثيرة تسنّى لبعض الوطنيين ان يُظهروا ان مثل هذه المساعي تبعث ثمين المدافن من المكامن فضلاً عمّا بهذه الدروس من لذّة ومفخرة . وهاك على ذلك مثلاً :

تجد العرب ، قبل المعاصرين بأجيال ، ميّزوا البرداء اكبر آفات البشرية ، وعرفوا أنواعها . وفي كتاب « علم الصحة » نصوصٌ عديدة تثبت ذلك . وقد كان لنا موضوع مباهاة بالأجداد في مقالٍ أُدرج في مجلّة *La Presse Médicale* تحت العنوان الآتي : *La malaria dans notre pays et notre littérature.* .

وكم من الحقائق! كم من الحِكَم! كم من المعارف الثمينة! لم تزل دفينة في غبار المخطوطات . واي عذرٍ لنا ومكاتبنا غنيّة بالمخطوطات ، والكتب ، يغترف منها مَن شاء بقدر ما يشاء ؟

ما أفيد ان تهبَّ مدارسُنا الطبيّة الى إنشاء فرع لتعليم تأريخ الطبّ ، للتنقيب والتدقيق ، فإذاعة ثروتنا الخطيرة في هذا القسم عينه من المعارف . واستاذ تأريخ الطبّ بباريز حضرة صديقنا الحكيم Laignel-Lovastine

مستعدٌ للاشتراك بهذا العمل ، وبتأليف قد باشره بهذا الموضوع.

ويسرّنا جدًّا ان نرى وطنينا الاستاذ الحكيم سامي الحدّاد سائرًا في هذه الخطة المجيدة ؛ قوّى الله خطواته ووفّقه الى السير بعيدًا في ميدانه !

واذا كان لنا ما نتمنّى توجّب على علمائنا ان يدرسوا اليونانية جيدًا ، ثم اللاتينيّة ، وان يُعنوا بدرس المخطوطات ، ومقابلتها درساً دقيقاً ، لا سطحيًّا يجرّ الى الخطاء والضلال . . . !

وبالطبع انه لا ينصرف الى مثل هذا البحث الّا من كان في فؤاده احترام الاقدمين ، ولا يتناسى أن قوى العقل الفطرية الاساسية في الانسان ليست قطّ بعهدنا أقوى ممّا كانت في عهد افلاطون وسقراط وثيرجيل وابن سينا والمتنبي والرازي او السمعاني . بل ان للأقدمين مميّزة عظيمة انما هي التأني والقناعة في المعيشة ، وخفّة الجهاد في تنازع البقاء ، وعادة التغلّب على المصاعب.

ومن الكتب الثلاثة الواردة على المشرق نقتطف كمثال يؤيد ما سبق،ما كتبه موسى بن ميمون عن تدارك شرّ السموم اذ يرسم تحت عنوان : معالجة الملدوغين : الاسراع بوضع رباطٍ فوقَ الجرح وان يجيء الرباط شديدًا وان يُوسّع الجرح لامتصاصه بقوّة،على ان يُتفّ ما أتى به المصّ وان يُمضمض الماصّ قبلَ هذا العمل بالزيت مع الحذر بان يكون في فمه خدش او ان يسحب السمّ بالمصاصات ، وان يلجأ الى الكي بالنار لاتلاف السمّ ، وهلمّ جرًّا.

وبذلك الصواب عينه ، اليوم كما بالأمس . غير انا نجد كما وجدنا في هذه النصائح ضدّ السمّ ذاتها ، من الخطأ والأوهام ما نجده في غيرها لغيره ممّا هو نتيجة جهلٍ يذهب مع الزمان وتقدّم العلوم.ومَن يجهل ما كان من خرافات كالإصابة بالعين والتعويذات والرقيات،ومن التقاليد الضالّة والمُضلّة منها الاعتماد على « الحرزة الزرقاء » الحجر المضاد للسم (?) والافراط في الفصد والمساهل اي الشربات ، في كل مرض ، ولكل حالٍ،او العقيدة « ان البرد سبب كل علّة » ؟ وقريباً سيضحك اولادنا بدورهم من الكثير من عقائدنا كقولك الفال وعدد من الأدوية والمعالجات .

الحكيم امين الجميّل

A. CHATELLE. **La paix manquée** (Les pourparlers de 1917). In-12, 160 pp. et 18 illustr. Paris, Firmin-Didot et Cie, 1936. Prix : 15 fr.

السلم الفاشل

في السنة ١٩١٧ ، اثناء الحرب الطاحنة ، تناولت فرنسة اقتراحين متتابعين يرميان الى عقد الصلح ، قام بالاول منها النمسة ، وبالثاني المانية . فكان من نصيب الاقتراحين الفشل ، لأن احد وزراء فرنسة رفض ان يجيب بل ان يقبل اية مفاوضة كانت ، حتى صاح به احد النوّاب : واذاً فكيف يمكننا ان نصل الى الصلح ؟ ».

هذا الصلح ، الذي اخطأه ارباب السلطات ، هو موضوع الكتاب الحاضر، يعرضه المؤلّف على طريقة قد تكون نهائية ، لما احتاط به من ضمانات ، مستنداً الى مذكّرات من كان لهم ان يمثلوا الدور الأول في تلك المفاوضات ، والى دواوين الوثائق الدولية الرسمية. ج. ل.

LOUIS MADELIN. **Le Crépuscule de la Monarchie.** In-12, 327 pp. Paris, Plon. Prix : 18 fr.

شفق الملكية

طالما نال النقّاد من طريقة المحاضرين في تقطيع التاريخ وتقديمه للسامعين اقساماً منفصلة ، متعرّضين بذلك لكثير من الاختصار ، والاقتضاب ، وبتر الحقائق والحوادث لادخالها في جداولهم وتقاسيمهم ولمحاتهم الشاملة ؛ حتى تتضاءل الابعاد والنسب، فتُفسد حقائق الاحداث ، وتخزج الشخصيّات التاريخية وهي اقرب الى الاشباح ، ان لم تصبح مساخر « كاريكاتورية » ؛ ويتحقق قول القائلين ان التاريخ « مؤامرة دائمة على الحقيقة ! ».

بيد ان هذا النقد الأليم ، المصيب في كثير من الحالات ، لا يمكن ان يوجّه الى المحاضرات العشر التي يتحفنا بها السيد مادلِن . بل ان من الصعب ان نجد تأليفاً اجمع واضبط : في كل فقرة عرض موافق لفكرة او حادثة تاريخية، بل في كل سطر اشارة تكفي المطّلع المتيقّظ لاستعادة الحدث المقصود. ولا يخفى ما ينتج هذا الدرس العميق من دقائق بالغة في الاحكام تبعدنا عن

مجازفات بعض المؤرخين من الذين لا يرون في العهد القديم الا همجية، وبلادة، وظلماً، ورشوة، او من معاكسيهم الذين يمثل ذاك العهد، في نظرهم، صورة تامة للفردوس الأرضي. لا هؤلاء ولا اولئك. يظهر لويس السادس عشر، من خلال احكام المؤلف، كما كان حقيقة، لا ذاك الخيال الاحمق الذي طالما مثله أمامنا ارباب التاريخ الرسمي، ولا ملكاً كبيراً. وكذلك امرأته ماري-انطوانيت لا هي قاتل ميالين ولا بلانش دي كاستيل. ثم ان المؤلف يزحزح مركز الوزير نيكر، بل يقلبه عن ذاك المرتقى المزوّر الذي رفعته اليه مدام دي ستال واصدقاؤها الفلاسفة، دون ان يحطّه الى الدرك الاسفل الذي يهوي به اليه الاستاذ لا ڤاكيري.

بيدَ اننا، وقد وقفنا على درس شخصيات بعض العاملين في هدم عهد كان، على رغم شوائبه العديدة، مزدهراً بالمجد في كثير من نواحيه، نتساءل لماذا لم يُفسح المؤلف مجالاً لاولئك النبلاء المنحرفين الى تمثيل ادوار ديموقراطية، واولئك الرجال الكنسيين العديمي الايمان والدين، واولئك الحديثي النعمة الذين اطفتهم الكبرياء، وهاجتهم احقادهم الجنسية والكاليكانية فانصرفوا ضالّين مضلّين جمهور اللجنة التأسيسية. ولو فعل المؤلف ذلك لأرانا التضعضع في الافكار والتقلقل العامّ في ذاك المجتمع الذي كان لا بدّ له من الانهيار النهائي في الخطب الجَلَل. ليس من شكّ ان لويس السادس عشر كان ضعيف الارادة، قليل الحزم، ولكن لو وجد ريشيليو نفسه في ذاك المحيط لما امكنه التخلّص من الخطر. ذاك ان البطانة القديمة، والجديدة المفروضة بقوة الظروف، لم يكن فيها عضو واحد خالٍ من الفساد، ولا ارادة مخلصة ترمي الى الإصلاح الحقيقي المجرّد، وهو وحده كان بامكانه ان يحول دون ذاك الانهيار. هذه الحالة تبرّر، اكثر من ضعف لويس السادس عشر، اضطرابات هذا الملك، وتقلقله، وتردّده، فخموله.

ولا بدّ ان نشير الى ان هذه المحاضرات، على ما احتوت من معلومات وافرة الدقة، تبدو مزدانة بالوضوح، والحياة، فيقرأها الانسان بسهولة فائقة يحتاج معها الى التوقف كي ينتبه لما ضمّنته من تدقيق، وما كلّفته من جهد.

واننا ننصح لكل من اراد ان ينال ، في بضع ساعات ، فكرة صائبة في اسباب سقوط الملكية وتطوره ، ان يقرأ هذا الكتاب الذي لا نرى خيراً منه في موضوعه .

ي. م.

JACQUES ANCEL, **Affaires étrangères.** Aide-mémoire de la politique française, 1789-1936. In-12, 128 pp Paris, Delagrave, 1936. Prix : 10 fr.

في الشؤون الخارجية

يتناول هذا الكتاب الصغير حقبة مهمّة تمتد على ١٤٧ سنة ، فيكاد يظهر معجزةً في الايجاز . ومع هذا فقد كان بامكان المؤلّف ان يضمّنه فوق ما تضمّن لو احلّ الحوادث محلّ الجمل الخطابية والتوسيعات اللفظية من مثل قوله : « ان الثورة الفرنسوية هي التي ولّدت فكرة الوطن . . . » (كذا ص ٩) بيد انه يرمي ، في هذا العرض العام الذي اهمل كثيراً من الحوادث المهمّة ، الى بسط شؤون اربعة : علاقات فرنسة بالمانية ، وبايطالية ، وباوربة الجديدة ، وباوربة القديمة . اما النتائج فتظهر اقرب الى تأثير الحوادث المعاصرة منها الى احداث العصر السابق . ذاك ضرر السياسة المسيطرة على الكاتب ، وما كانت السياسة يوماً من مصلحة التاريخ ولا المؤرّخين !

ج. ل.

ROGER CHAUVIRÉ **L'Irlande, 1936.** In-12, 234 pp., 120 photos. Paris, Henri Didier, 1936.

ارلندة في السنة ١٩٣٦

المؤلّف من اساتذة جامعة دوبلين ، اختصاصي في درس الجغرافية البشرية ، فلا عجب ان يدفعنا الى حبّ ارلندة وسكّانها ، بادئاً ، في عشرين صفحة تمهيدية ، بتلخيص تاريخ البلاد منذ اقدم عصورها حتى اليوم ؛ منتقلاً الى درس الكونتيّات الاربع : لينستر ، ومونستر ، وكونوت ، وألستر ، مفصّلاً خارطة كلّ منها . ثم يخصّ فصلاً أخيراً بوادي بوين وفيه يُلخّص ماضي ارلندة من عصورها السابقة للتاريخ الى كتلكتها بفضل القديس باتريك ، الى كرومويل ، ويوم بوين . يلي ذلك جداول سبعة باحصائيات تدلّ على الحالة الاقتصادية في البلاد ، وتنوّع عناصر سكّانها ، وصناعتها ، وماليّتها .

ج. ل.

C. DE WAARD, L'expérience barométrique, ses antécédents et ses explications. In-8°. Thouars (Deux-Sèvres), Imprimerie nouvelle, 1936.

الاختبار البارومتري

هذا درس دقيق حافل بالمعلومات ، دالّ على اطلاع المؤلّف الواسع اطّلاعاً جعله يعرض لكل ما اخذ به العلماء من نظريّات في الملء والفراغ ، منذ القرن الخامس قبل المسيح .

بيد ان الفصول الستة او السبعة الاولى (من ١٣ فصلاً) اقرب الى تاريخ الفلسفة منها الى تاريخ الفيزياء . ولكنها مفيدة بمناقشاتها النظرية للدلالة على تطوّر الافكار قبل الوصول الى الاختبارات التي سبقت ومهّدت لاختبارات طوريشيلي . حتى اذا وصلنا الى الفصل الثامن ، الى رومة سنة ١٦٤٠ ، وقفنا على اختبار برني ، واطلعنا على العرض التفصيلي للطور الاختباري من مشكل الفراغ ، وما انتج من نظريّات . وليس اطّلاع المؤلّف في هذا المجال اقلّ منه في السابق ، وان تكن قراءة الفصل اسهل بفضل سهولة المادّة ، ووضوح النظرية .

ولا ينهي المطالع هذا الكتاب النفيس الّا ويشاطر المؤلّف رأيه بانه « ليس لطوريشيلي الّا قالب موجز وُفّق اليه فكيف ذاك الاختبار الذي قام به قبله كثير من العلماء ، كما هو الشأن في كثير من الآراء كمبدأ قوّة الاستمرار ، وحفظ المقدرة ، والجاذبية العامّة ، وفرضية تكوّن نظامنا الارضي . وهكذا فان الاكتشافات العظيمة كانت دائماً ثمرة تطوّر عدة قرون . » ش . كوميه

NORBERT CASTERET, Au fond des gouffres. Paris, Librairie académique Perrin, 1936. Prix : 15 fr.

في قلب الاعماق

عرفنا كتاباً سابقاً للمؤلّف دعاه « عشر سنوات تحت الارض » ، وروى فيه اعجابه وذهوله في تلك الساعات النادرة التي قضاها وسط عالم غريب غير معروف . فوصف ما كان فيه ، قبل عشرين الف سنة ، مستنداً الى التصاوير الجدارية ، وتماثيل الخزف المكتشفة في مغاور جبال البيرينيه . وها هو يطلعنا اليوم على رحلة جديدة تقوده الى الاعماق ، فيصوّر لنا تلك الجنان من البلّور ، ويشعرنا

بظلمات القمر الباردة . «وليس على الأرض عزلة تشبه تلك العزلة الخافقة بها احشاء الأرض. وليس على الأرض ليل بهيم يصوّر تلك الظلمات السائدة في قعر الارض». فهو عالم غريب يخلب ويسحر . اقرأوا واشعروا بفرح الاكتشاف ، بل اعجبوا بشجاعة المؤلف ، وجرأته ، وجلده ، ورباطة جأشه في مقابلة ما يقاوم من اخطار، وفي عرض ما يرفعنا به من حوادث معجبة خارقة. ي. ك.

Victor Forbin, Ce qu'il faut connaitre du pétrole. In-16, Paris, Boivin et Cie, 1936. Prix : 8 fr.

ما تجب معرفته عن البترول

طالما انتظر جمهرة القرّاء كتاباً في البترول لا يختصّ بارباب الفنّ والاختصاصيين في الموضوع، حتى كان لهم هذا الدرس، يعرض ، في لغة سهلة ، قليلة المفردات الوضعية ، والعمليّات العويصة ، اهم ما تجب معرفته عن وَقود اصبح من مرافق الحياة الضرورية . وقد رافق المؤلف مادّته من تاريخ اكتشاف البترول ، الى اخراجه وتصفيته ؛ فنجح نجاحاً تامّاً بفضل مقدرته العلمية ، وهو يعاون في تحرير عدة مجلّات ، وبفضل رحلاته العديدة وقد درس في بعضها مناجم البترول فتكلّم عنها كلام شاهد عيان .

النظرية العامة للالتزامات في الشريعة الاسلامية

الجزء الاول : طرفا الالتزام

تأليف شفيق شحاته

[الجامعة المصرية : كلية الحقوق] — ٤١١ ص . متوسطة — مطبعة الاعتماد ، مصر ، ١٩٣٦

ان اشد الصعوبات في مطالعة كتب الشرع الاسلامي صادرة عن فقدان الترتيب والتنسيق في عرض المسائل الفقهية . فانك ترى الفقهاء يعالجون مواضيع يختلف بعضها عن بعض اختلافاً كلياً ، كانما بينها علاقة وثيقة . فالمواضيع الدينية مختلطة بالمواضيع الدنيوية والقانونية . وفي الموضوع نفسه تختلط المسائل اختلاطاً غريباً . وكل ذلك ناشئ عن ان الفقهاء لا يدرسون المسائل الفرعية على اساس المبادئ العامة حتى انه لا يوجد ذكر لهذه المبادئ في الشرع الاسلامي.

فكتاب السيد شفيق شحاته هو محاولة قيّمة لبحث المسائل الفقهية على

اساس المبادئ العامة والنظريات الشاملة ، وفقاً لاحدث الاصول العلمية . ولا ريب في ان الصعوبات التي اعترضت المؤلف في انفاذ هذا المشروع كانت جمة نظراً لحالة النصوص الشرعية ، كما تقدّم بيانه. فكان على المؤلف ان يستنبط ، هو نفسه ، من مجموعة المسائل الفقهية المتفرّقة المبادئ العامة التي تربطها بعضها ببعض ، ويسرد هذه المبادئ مع بيان اتصالها بمبادئ اخرى اعم . فالكتاب منسّق كما تنسّق المؤلفات الحقوقية الاوربية الحديثة ، بصورة انه اصبح سهلاً لمن درس الحقوق ، حسب الاصول العلمية الغربية ، ان يطالع القسم من الشرع الاسلامي الذي عالجه المؤلف ، بكل سهولة.

ومن مطالعة مراجع الكتاب يتبين ان المؤلف، خلافاً لكثير من الكتّاب المتطفّلين ، لم يكتفِ بمراجعة بعض الكتب الحديثة ، بل حلّل النصوص الشرعية الاصلية ، وكثيراً من مؤلفات الفقهاء الضخمة ؛ وبالاستناد الى كل ذلك ، خاض موضوع بحثه ، وقسمه الى اقسام اساسية وفرعية ، كما تقسم المؤلفات العلمية الحديثة التي تبحث عن الالتزامات المدنية.

انما تراءى لنا ان وقع بعض هفوات في الكتاب: منها واحدة متعلقة بمسألة مرور الزمان ، او التقادم (ص ١١٤) ، فالمؤلف يقول « ان الحكم بعدم سماع الدعوى لسبب التقادم لا يتحتّم على القاضي الذي لا يستطيع دائماً النظر في الدعوى اذا لم يتراءَ له انها، في الحالة المعروضة، تنطوي على شيء من الغش ». وليس عهدنا ان للقاضي حقاً كهذا ، كما يتبين ذلك من نصوص المجلة ، وكما هو ثابت عليه ، بحسب علمنا ، اجتهاد المحاكم.

اما بخصوص الحوالة فيقول المؤلف ان شرط انعقادها الوحيد « هو رضا كل من الدائن والمدين الجديد » بينما انه يتبين من نص المادة ٦٨٣ من المجلة ان الحوالة تنعقد ايضاً بشكل آخر ، وهو اتفاق المدين الاصلي والمدين الجديد، على ان قبول الدائن الجديد يُشترط لنفاذ الاتفاق فقط ، وليس كشرط لساسي لانعقاده . ويتبين ايضاً من نص المادتين ٦٨٠ و ٦٨٢ ان الحوالة تعقد ايضاً ، وبالاولى ، باتفاق يشترك فيه الدائن والمدين الاول والمدين الجديد معاً.

اميل تيان

حقوق الطوائف الدينية في مسائل الاحوال الشخصية

وهي كناية عن مرسوم الاعتراف بقانون الاحوال الشخصية للطوائف الدينية في المملكة المصرية

مشروع عملي وضعه الاب منصور عوّاد البحرصاني

٥٤ صفحة قطع ٤ – ١٩٣٦

من اشد المصاعب التي تعانيها حكومات البلاد الشرقية ، وبالاخص هذه البلاد اللبنانية ، هي مسئلة تعيين صلاحية السلطات الروحية وامتيازاتها التشريعية والقضائية . ومنشأ هذه الصعوبات هو تعدّد الطوائف ، ومن جهة اخرى عدم وجود نصوص قانونية عامة ، معترف بها يمكن لكل ذي مصلحة الرجوع اليها . وكثيرًا ما ترفع امام المحاكم الدينية دعاوي يحتاج فصلها الى الاطلاع على قوانين الطوائف ، فيقف القضاة محتارين بامرهم ويرغمون احيانًا على فصل القضية بالاستناد الى المنطق والانصاف دون النصوص القانونية المفقودة . ولكنه لا يجب ان يستغرب انه لتاريخ اليوم لم يسنّ قوانين بهذا الخصوص ، فمهمة الشارع قد تكون صعبة للغاية ، نظرًا لما يجب ان يطلع عليه للوصول الى نتيجة مرضية من التقاليد القديمة جدًا التي تمشت عليها كل طائفة والفروق التي تميزها عن الاخرى ، ونظرًا ايضًا الى ان الظروف التاريخية والاجتماعية قد تغيرت كثيرًا عما كانت عليه في الزمن الغابر . على انه يقال ان السلطات المختصة عندنا قد باشرت ، منذ مدة غير يسيرة ، درس هذه المسئلة ووضع مشروع قانون عام لتعيين صلاحية وامتيازات الطوائف

فيكون الكتاب الذي وضعه حضرة الاب منصور عواد ، وهو صاحب الاطلاع علميًا وعمليًا في هذه المواضيع ، قد اتى بوقته وهو يتضمن مشروعًا يمكن للهيئات ذات الصلاحية ان تدرسه وان تتخذه مثالاً للقوانين التي ترغب في نشرها . فمشروع الاب منصور موضوع على نمط القوانين الحديثة ، وفيه الجواب الفصل عن جميع المسائل التي تختص بصلاحية المحاكم المذهبية ، وامتيازات السلطات الروحية ، وعلاقاتها مع السلطات الحديثة ومع الافراد ، كل بحسب طائفته .

وهذا الكتاب ، ولئن كان مختصاً بقانون الاحوال الشخصية للطوائف الدينية في المملكة المصرية كما هو عنوانه ، الاّ انه يشمل بالحقيقة المسائل المختصة بالاحوال الشخصية في سائر بلاد الشرق الادنى

لذلك تتمنى لهذا المؤلّف رواجاً لا بين العامة فقط ، بل ايضاً وبالاخص لدى الدوائر الحكومية كي تحثها مطالعته على الاسراع في نشر النصوص المنشودة ، بعد ان تستقي منه كل الفوائد التي فيه ، وهي كثيرة.

اميل تيان

تاريخ الآداب السريانية

لواضعه المونسنيور بولس السعاني

الجزء الاول : ٦٠ ص قطع ٨ — المطبعة البطريركية اللاتينية ، رافات (القدس) ، ١٩٣٣
الاجزاء ٢ و٣ و٤ : ٤٤٢ ص قطع ٨ — مطبعة المرسلين اللبنانيين ، جونية ، ١٩٣٦

نهض المونسنيور بولس السعاني ، المعتمد البطريركي الماروني في عاصمة الكثلكة ، نهضةً مباركة لانعاش آداب اللغة الآرامية السريانية ، وتحبيب دراستها الى روّام العلوم الشرقية عموماً ، وطلبة المدارس الرهبانية والاكليريكية خصوصاً . فاتحفهم بكتاب في اربعة اجزاء ضمّنه اخبار أدباء السريان أدمجها بنتف من نصوصهم شرحها شرحاً جلياً وافياً ، ناهجاً في ما سرده نهجَ نسيبه الخالد الاثر العلّامة المونسنيور يوسف شمعون السمعاني (١٦٨٧ – ١٧٦٨) في مكتبته الشرقية الشهيرة . مضيفاً الى ذلك كله لمعةً عما نشره أئمة المستشرقين الفرنسيين ، والالمان ، والانكليز ، والايطاليين ، من التصانيف السريانية ، وما علّقوا عليها من الفوائد التاريخية والعلمية . فجاء مؤلفه هذا النفيس جديراً بان يُقبل على مطالعته والاستفادة من مضامينه محبُّو الآثار الشرقية وطلّاب اللغة الآرامية السريانية.

خصّص المؤلّف الهمام الجزء الاول بنبذة تاريخية عمومية عن قدم اللغة السريانية ، وشرفها ، وازدهار مدارسها ونبوغ اساتذتها في اصناف العلوم والآداب. وضمّن الجزء الثاني اخبار كتبتها الاولين مذ شمعون برصبّاعي ، جاثليق

المشرق (٢١٣ — ٢٣٠) حتى مار يوحنا مارون ، اول بطاركة السريان الموارنة . وافرز الجزء الثالث لكتبة السريان الشرقيين النساطرة مذ نرساي (٣٩٩—٥٠٢) حتى عمرو بن متى ، وماري بن سليمان ؛ وافتتحه بمقدمة سريانية صدّرها بعاطفة بنوية جميلة رفعها الى صاحب القبطة مار انطون بطرس عريضة ، بطريرك انطاكية وسائر المشرق ، الجزيل الطوبى ، وافرغها في قالب جزل برهن على ثقافته وتضلّعه من تلك اللغة الشريفة . اما الجزء الرابع فقد انطوى على اخبار كتبة السريان المنوفيزيتيين او اليعاقبة بدءا من فيلكسين اسقف منبج († ٥٢٣) حتى المفريان غريغوريوس ابن العبري († ١٢٨٦).

بيد ان المؤلف الفاضل ، على اثباته (٢ : ٨٨) طائفةً صالحةً من كتبة السريان الموارنة والكلدان حتى القرن السابع عشر ، قد اضرب عن ذكر اخبار الكثيرين من ائمة السريان ممن اكتشف المستشرقون آثارهم القلمية ونشروها بعد عهد السمعاني الكبير. من ذلك هرقليدس الدمشقي ، مترجم كتاب نسطور في القرن السادس ، وسهدونا او مرطوريس في عهد هرقل (٦١٠—٦٤١) ، وقد نشر كتابيهما الاب بولس بيجان اللعازري . وقس عليهما اخبار سويرا سابخت رئيس دير قنسرين في القرن السابع ؛ وابي الحسن ثابت بن قرّة الحرّاني الصابئ الذي صنّف في القرن التاسع في السريانية الفصحى نحو ستة عشر كتاباً[1] ؛ ويوحنا بن اندراوس اسقف منبج فطور عبدين († ١١٥٦) ؛ وساويرا يعقوب البرطلي († ١٢٤١) ؛ والقس يشوع بن داود بركيلو في القرن الثالث عشر ، وقد نشرنا رسائله عام ١٩٢٨ ؛ والمفريان برصوما († ١٣٠٨) شقيق ابن العبري؛ وابن وهيب († ١٣٣٣) ؛ وبهنام الحدليّ († ١٤٥٥) ؛ ونوح البقوفاري († ١٥٠٩) بطاركة السريان اليعاقبة الخ . والمفريان باسيليوس اسحق جبير († ١٧٢١) السرياني الكاثوليكي الذي قرّظه العلّامة السمعاني تقريظاً جميلاً الخ

ومع الثناء على ما بذله المؤلف من الهمّة ، وما عاناه من التعب والمشقة في تأليفه هذه ، رأينا ان نبدي النظر في ما لحظناه فيه من بعض النواقص

---

١) ابن العبري : التاريخ المدني السرياني ١٦٦

والهفوات لعله يستدركها في جزء خامس. من ذلك اهماله اخبار ططيان الآثوري الآرامي (١١٠—١٨٠ م) صاحب الاناجيل المجتمعة المعروفة بعنوان «دياطسرون» او «ܕܝܐܛܣܪܘܢ» ؛ وزعمه (٤ : ١٠٠) انه كان اسكندرياً. وإضرابه عن ذكر فالوط ، اسقف الرها ، ناقل الكتاب المقدس الى السريانية في القرن الثاني ؛ وعن وصف سرجيس الراس عيني († ٥٣٦) الملكي السرياني (٤ : ١١١) اول من نقل كتب الفلاسفة والاطباء عن اليونانية الى السريانية الخ.

ثم انه سمّى القديس ماروثا اسقف ميافرقين († ٤٢٠) اسقف تكريت اوميافرقين (٢ : ٥٤) فجعل المدينتين مدينة واحدة (٢ : ١٦٦) مع انهما مختلفتان . وزعم ان قانيقية هي في اذرهان (٤ : ١٤) مع انها هي الرقة[٢] . وقس على ذلك تحريفه اسماء بلاد وأعلام شتى نقلها عن اللاتينية ، لا عن اصلها السرياني ، نحو « مبوجي » (٢ : ١٢٠) بدلاً من « منبجي » ، و « ارسام » (٢ : ١١٩) بدلاً من « ارشم » ، واكاكيوس (٢ : ٦٤) بدلاً من اقاق الخ .

زد على ذلك انه اورد اخبار بعض الكتبة ايراداً مشوّشاً مخالفاً للتاريخ الصحيح كبرديصان الرهاوي (١٥٤ — ٢٢٢ م) ؛ وافرهاط الحكيم الفارسي نحو السنة ٣٤٥ م . وكان حقه ان يثبت في الجزء الرابع اخبار الكتبة اليعاقبة مثل دانيال الصلحي ، ويعقوب الرهاوي ، وجورجي اسقف العرب في الكوفة. ويضم الى الجزء الثالث اخبار كتبة السريان النساطرة مثل اسحق اسقف نينوى ويوحنا صاحب الدوالي ܒܝܬܐ وابرهيم النفتري ܐܒܪܗܡ .

بعد هذا كله ، لسنا نرى الا المجاهرة بآيات الثناء على جهود المونسنيور السمعاني الجليل، مقتنعين ان نقدنا هذا لا ينقص من فضله ولا من قيمة كتابه. فانه ، كما قلنا ، خليقٌ بان يُجعل دستوراً لجميع الراغبين في درس آثار الاجداد القيّمة ، واقتباس ما انطوى عليه من الفوائد الجمة.

ا . ا .

٢) المشرق ٣٦ [١٩٣٦] ٢٦٠

كتاب الفلك الدوّار في سماء الائمّة الاطهار

تأليف وارث الخوابي الشيخ عبد الله بن المرتضى الاسماعيلي المذهب

٢٧٥ ص. قطع ٨ — المطبعة المارونية ، حلب ، ١٣٥٢ هـ ١٩٣٣ م

بسيط الكتاب بظاهره ، وهو مغلّف بالورق الخفيف ، ومطبوع طبعةً توخّى بها صاحبها التوزيعَ في سبيل مصلحة المذهب الاسماعيلي ، لا المنفعةَ التجارية . وهذا الكتاب « يُعطى للعلماء ورؤساء الاديان والطرق وارباب الصحف والادباء ومعلمي المدارس وتلاميذها ولدور الكتب ورؤساء الادارة الحكومية بلا بدل ، وللاسماعيليين بثمن ليرة سورية » .

ولما كان موضوعه خطيرًا ، وهو سفر من تاريخ الاديان ، لم يكن بد من امعان النظر فيه . وقد ينال قيمةً خاصة من مزايا مؤلفه ، ومن الفوائد الوافرة التي احتوى عليها، لأن الوثائق الاصلية المعروفة عن مذهب الاسماعيلية لم تكن الى عهد قريب منا الّا مبتورةً وجيزةً . فهذا الكتاب يزيدها ويكملها.

انتسب عبدالله بن المرتضى الى الحاج خضر (ص ٢٧١) المرسل في القرن الحادي عشر الهجري من قبل الامام المعصوم مرشدًا الى اسماعيلي سورية . ولد عبدالله في قرية خربة الفرس سنة ١٨٩٥ ، واختص برتبة وارث بلدة الخوابي فصار « داعياً » من قبل الامام الاعظم السلطان محمد شاه علي الحسني اقا خان « قطب دائرة الوجود » (ص ٢٥٣) . وافهم بالداعي في مذهب الاسماعيليين الرجلَ المعهود اليه بارشاد الناس الى اعتناق المذهب الاسماعيلي من قبل الامام . الى ذلك الامام اهدى المؤلفُ كتابه ، وعلى نفقته شاد المدرسة المحمدية في قرية الخوابي . ومعلوم ان زعيم الاسماعيليين حالًا هو اقا خان ، سليل حسن الصباح امام آلموت ، والمعدود ٤٧ بعد علي بن ابي طالب . اما اقا خان « فهو الثامن والاربعون من جدّيه محمد وعلي » .

في الكتاب قسمان : الاول فيه عرض المبادئ الدينية ، وقد تتخللها الآيات القرآنية مؤوّلةً طبقاً للمذهب الاسماعيلي ، والكلام على الاختلافات المادّية والمعنوية التي تقع في العالم وعلى الشرور الناتجة عنها ، وعلى ضرورة العلاجات

الناجمة بواسطة حكيم حاذق ؛ وهو ، طبعاً ، في نظر المؤلف ، امام الشيعة الاسماعيليه . ومن الكلام عن النظام الالهي ، او الناموس ، وفضائله في العالم ، يتطرّق المؤلف الى الكلام عن الشريعة الادبية وكيفية انجابها في القلوب المظلمة ، ومن ثم عن انجلائها في الكتب المنزلة وبمعرفة الامام المعصوم . وان للمسلمين في ذلك مذاهب فمنهم من يرى ان الامامة يجوز وضعها في مطلق شخص يمتّ الى الدوحة المحمدية . وقد يصطلح بعضهم على ان من يملو اريكة الخلافة الزمنية يدعى اماماً . فالاولون ، ومنهم الاسماعيليون ، يقولون بامامة عليّ ، ثم الائمة المتعاقبين من ذريته . ويميزون بين السلطة الزمنية والسلطة الروحية الباطنية وفيها الامامة المطلقة . اما المبادئ الفلسفية المدعمة عليها الديانة الاسماعيلية فتمتّ الى تعاليم اخوان الصفاء . (ص ١٧) .

اما قسم الكتاب الثاني فيبحث تاريخ الاسماعيليين وتكوين قوميتهم منذ عهد اسماعيل بن ابراهيم ، الى « انتقال الامام علي » ، فيأتي على اخبار العهد القديم ، وعلى اخبار ظهور الدين المحمدي بين الصلاة والحروب والآيات المنزلة والسيوف اللامعة الى ان حدثت الثورات حول سدة الخلافة ، « فيغيب » الامام علي ، « والاسماعيليون لا تسوّغ لهم عقيدتهم بان علياً دفن في الثرى ويقولون ان خمسة رجال ظهروا في العالم لم يدفنوا في الثرى وهم اخنوخ ، وايليا ، والخضر ، وعليّ ، والحاكم بامره » .

ومن عهد الامام علي سنة ٤٠ الى عهد عبيد الله رضى الدين سنة ٢٩٦ هـ مؤسس الدولة الفاطمية ، كان دور التقية ، والسرّ ، والصيانة بين الاسماعيليين الى ان ظهرت دعوة ابي مسلم الخراساني الاسماعيلي ، على قول المؤلف ، ثم قُتل فلم يبقَ للاسماعيليين زعيم سياسي . فقام بينهم الامام جعفر الملقب الصادق ، فولد له ستة اولاد ذكور وعليهم اختلفت الشيعة في الامامة ، ومن ذلك الاختلاف نشأ المتاولة والنصيرية . اما الاسماعيليون فيقولون بصحة امامة اسماعيل اكبر اولاد جعفر فيتحملون الاضطهاد ، ثم يتكتمون ، فتظهر فيهم طائفة من العلماء عرفوا باخوان الصفاء ، فوضعوا الرسائل الفلسفية ، وعليها درس ابن سينا والفارابي والسهروردي ، وبثوا دعوتهم في الاقطار العربية ، فما لبث ان استقلّ

حاستهم الدينية الامراء الفاطميون في مصر واتخذوا من الاعتقاد بالامام المهدي حجة ليعلنوا تشيّعهم ، فالتفّ حولهم الاسماعيليون ودعموا سلطتهم ، فتلقّب الخلفاء الفاطميون بالائمة وجمعوا بين السلطتين الزمنية والروحية . ومن اشهرهم الحاكم بامر الله (ص ١٦١). وقد حاول مؤلف الكتاب نفي ما نسب الى الحاكم من الاعمال المستغربة (ص ١٦٧) ، وذكر عنه وعن غيره من الائمة الاخبار الملائمة لتعليم اهل الشيعة بعصمة الامام من الخطأ والضلال ، وبيّن انفصال الطائفة الدرزية عن الكتلة الاسماعيليّة.

وانقسم الاسماعيليون، على عهد خلافة الامام المستنصر، فمنهم من والوا ابنه نزار ودُعوا نزاريّين باسمه ، وقالوا ان الخلافة الزمنية اتباعُها غير وجوبي ان انفصلت عن الامامة الكبرى، وهم الاسماعيليون المعروفون الآن « بالاقاخانيين » . ومنهم من والوا المستعلي وقالوا ان الامامة تكون حيث الخلافة الزمنية ، او بالاحرى على رأي الجمهور ، وذلك على طريقة قدماء المسلمين ، وهؤلاء هم « البهرة ».

وأدّت الانقسامات بين مصر والعراق الى حروب دامية دارت رحاها بين امراء الاسلام . وزاد بالطين بلّة دخول الافرنج البلاد السورية ، ونشوب الحروب الصليبية ، فتجند الاسماعيليون في خدمة الامراء على اعدائهم . وربما خدموا الافرنج ، نقمةً منهم على اخصامهم المسلمين حتى كاد صلاح الدين الايوبي يذهب ضحية بطش الاسماعيليين.

وممن اشتهر في ذلك العهد احمد بن عبد الملك بن عطاش ، فملك قلعة آلموت ، وغيرها في بلاد ايران ، ونشر الدعوة الاسماعيلية ، وهو شيخ الجبل الاول وخلفه حسن الصباح.

ونفى المؤلف ما نسب الى الاسماعيليين في ذلك العهد من استعمال المخدّرات وشرب الحشيش المغري بهم الى ارتكاب الخيانات . لكنه سلّم بالفدائية الاسماعيليّة ، وهو التضامن الذي ساد فيهم فبث في قلوبهم روح التضحية في سبيل الامام ، وقال: « تلك الفاعلية التي كان يجذبهم فيها شيخ الجبل ولا تزال للان على الكتمان هذه هي : شيخ الجبل او وزير الدعوة هو كفرد نحو العالم الاسماعيلي نحو الواجب ممتاز عن سواه بالامر الذي القي اليه من الامام المعصوم

والصفة الدينية التي تجلب بها فلا يجرم امرأ ولا يسعى قيد انملة الا بارادة امامه التي يمليها عليها وبدوره ينفذها الى حيز العمل . فالفدائي يندفع عن ايمانه بالآية القرآنية « الذين يقتلون في سبيل الله هم احياء عند ربهم يرزقون ».

وتعددت الحوادث ، وطرأ على الشرق انقلابات سياسية عند دخول المغول وظهور المماليك الى ان تملك بنو عثمان البلاد الى آخر الحرب العالمية فما بعد . وكان للاسماعيليين دورهم في الاعمال ، طوراً ينصرون السلطان وطوراً يتآمرون عليه طبقاً لمصالحهم . فنالهم الاضطهاد على عهد الاتراك خاصة ، ونشبت فتن بينهم وبين النصيرية عند الاحتلال اذ سعت حكومة الامير فيصل الى اخضاعهم . لكنهم والوا الافرنسيين ومنهم استمدوا المساعدة على حفظ كيانهم .

اما مواطنهم فتمتد على قضاء انطاكية ، وجسر الشغور ، والحصن ، وعكار . وقسم منهم يقيم في مدينة دمشق ، ويبلغ عددهم في سورية الآن زهاء اربعين الفاً .

وقع في الكتاب اغلاط مطبعية قد يصححها القارئ من قرائن المتن . اما التعقيد في التعبير ، والاقتضاب في سرد الحوادث ، والاصطلاح في استعمال الالفاظ بالعرف الاسماعيلي مع ذكر اعلام اكثرها دفين في طيات المؤلف الخاصة ، فكلها عقبات ، ولكنها لا تحول دون استنتاج فوائد جمة من ذلك الكتاب الفريد.

ف . ت .

الجيش المصري في الحرب الروسية المعروفة بحرب القرم ١٨٥٣ــ١٨٥٥

للامير عمر طوسون

مطبعة المستقبل ، الاسكندرية ومصر ١٣٥٥-١٩٣٦ ، ص ٢٥٤ قطع ٨

ان هذا الكتاب اشبه بمجموعة وثائق ومنها يستمد قيمته . تلك الوثائق بعضها معروف كاقوال ابن بطوطة ، والتعليمات الواردة في الموسوعات عن شبه جزيرة القرم ؛ وبعضها مجهول من القراء العرب اخذها المؤلف من الصحافة

المعاصرة لحرب القرم واخذها لوندن الوستراتد نيوز . اما فضل المؤلف الخاص ، وفيه نزعة الابتكار ، فهو تنقيبه عن اللوائح والاحصائيات للرجال والاسلحة والاشياء التي قدمتها مصر للباب العالي برًا وبحرًا في تلك الحرب التي خرجت منها ظافرة على المسكوب بمساعدة حليفتيها فرنسة وانكلترة ، فنشرها بمتنها الاصلي جليةً واضحةً .

قد اهتم صديقنا الاستاذ اسد رستم بنشر اصول التاريخ المصري . فهذا الكتاب اتى حلقةً جديدةً في سلسلة الاصول . نعم انها تشمل عهدًا تابعاً لعهد ابراهيم باشا ومحمد علي . ولكن البعض من الرجال الذين حاربوا في القرم كانوا قد خدموا عهد ابراهيم ، وتاريخهم يعود بالفائدة على عهدهم وعلى العهد السابق .

وفي الكتاب صور عظام رجالات ذلك العهد ، ورسوم وخارطات مفيدة ، حقيقة بان يرجع اليها اساتذة التاريخ ليطالعوها ويستندوا اليها في تدريسهم .

ف . ت .

تاريخ العراق بين احتلالين

حكومة المغول

يبحث في اوائل المغول وحكومتهم في العراق ايام هلاكو واخلافه الى آخر عهدهم .
وفيه فهارس عديدة ، وتصاوير كثيرة ، وخارطتان

بقلم المحامي عباس العزاوي

يطلب من مكتبات بغداد — مطبعة بغداد ١٣٥٣ (١٩٣٥) ، ق ٨ ، ص ٦٤٤

في صفحة ٣٠٨ من مشرق هذا العام عرّفنا القرّاء الى مؤلفات حديثة في العراق ووزاراته وثوراته وشؤونه في دوري الاحتلال والانتداب . اما اليوم فالكلام عن العراق في العهد المغولي ، والفضل في موضوعه يعود على المؤلف بالثناء ، وعلى ابناء وطنه بالمسرّة ، ولهم في ما نُشر عن بلادهم في هذه الآونة القريبة منا ما يستحثهم على مطالعة تاريخها .

جديرة بالذكر لائحة المراجع التي عوّل عليها الاستاذ العزاوي ، ولم نرَ لها في دائرة المعارف الاسلامية مثيلًا ، فهي تشمل ، فضلًا عن تسع صفحات في آخر

الكتاب ، ما ينيف على ثلاثين غيرها في اوله وفيها مختصر تراجم ابن الاثير ، وابي الفداء ، وابن الوردي ، والمنكبرتي ، والجويني ، وابن فضل الله صاحب تاريخ وصاف ، ورشيد الدين ، وابن العبري ، وابن القوطي ، والبيضاوي ، والسبكي ، وكاتب چلبي ، وبهادر خان ، وابن خلدون ، ومرتضى آل نظمي ، والعسقلاني ، وغيرهم . وقد كتبوا بالعربية ، والتركية ، والفارسية ، فاخذ عنهم المؤلف وروى اقوالهم بقالبها الاعجمي او كاد مما يُعسر قراءة الكتاب ، ويلجئ المطالع الى اعادة تصفح المتن احياناً لفهمه . وليست تصحيحات الاغلاط المدوَّنة في صفحتي الكتاب الاخيرتين لتزيل المصاعب التي تحول دون الوضوح في اساليب الطبع والانشاء .

على ان الاجتهاد بيّن في الحرص على الروايات ، وفي نسبتها الى اصحابها ، وسوف تؤدي مجموعتها مادة معدّة لمن يأتون بعد العزاوي لمعالجة تاريخ العراق العلاج العلمي ، فيختارون من صفحاته النواة الصالحة لتدوين الحقائق التي لا شبهة في صحتها ويستغنون عن ذكر النوافل ، ولو طريفة ، ويزيدون عليها ما قد الف علماء الغرب الاهتمام به كثيراً من درس حدود البلاد الجغرافية واحوالها الطبيعية ، وشؤونها في سكانها على اختلاف أصولهم ومشاربهم حتى اذا اعدوا المسرح للتمثيل اظهروا عليه الممثلين واهمهم هولاكو الجبّار ، على دهائه وغشه في الحرب وبطشه في الفتح ومعاملته المستعصم بالله آخر الخلفاء العباسيين .

طريفة هي قصة نبي الترك (ص ٥٩ من تاريخ العزاوي) ، وقصة الانقوروا (ص ٧٠) لكنهما لم تسردا بالاسلوب المراعي حق التاريخ لئلا يضلّ القارئ بين الحقائق والاساطير . وقال المؤلف في اوغوز خان نبي الترك (ص ٦٣) ، ولعل وجوده يصادف زمان « السبريين والميلاميين » ؟ فحيرنا !

وبعد أن وصف فتوحات هولاكو بالسيف والنار ، وما عقبها من الويلات في نكبة بغداد قال في تلك الوقعة « لم تضارعها وقعة اصابت البلاد الا حادثة ضياع بغداد على يد الانكليز » (ص ٢٢١) ، فدهشنا لهذه العبارة عن اديب له من معاطاة المحاماة الانصاف في التقدير والصواب في الحكم . ولا نخال تلك العبارة الا فلتة قلم مجاراةً لعواطف العامة في مغالاتها اذا غالت . ف . ت .

تاريخ اليزيدية واصل عقيدتهم

يبحث عن عقائد اليزيدية ، وتطوّر عقلها في مختلف العصور ، ووقائعها التاريخية ، وعشائرها ، وقراها ، ونص كتبها الدينية كمصحف رش ، وكتاب الجلوة . وفي الكتاب فهارس متعدّدة وخارطة .

بقلم المحامي عباس العزاوي [1] .

بغداد ١٣٥٣ — ١٩٣٥ (ص ٢٢١)

ان عنوان الكتاب الفيّاض وما قلناه سابقاً عن المؤلف يكفينا مؤونة الاسهاب في التعريف ، وحسبنا امعان النظر في غرض الكتاب . قد صار اليزيدية منذ نشر عنهم الاب انستاس الكرملي في « المشرق » مقالاته (سنة ١٨٩٩) ، موضوعاً لدروس ومقالات وكتب اسهبت دائرة المعارف الاسلامية في وضع لائحتها . وخلاصة الكلام فيها ان اصل اليزيدية لا يزال مشبوهاً به ، فالبعض يعمدون بهم الى فئة من الايرانيين القائلين بمذهب المزد المعترف بوجود مبدأين اوّلين : هما مبدأ الخير ، ومبدأ الشر . وتلك عقيدة مانو ، وبعضهم يصلون بينهم وبين يزيد بن معاوية الاموي ، ومن هؤلاء واضع هذا الكتاب .

قال (ص ٩٤) ، بعد ان روى اقوال السمعاني ، وابن قتيبة ، وابن تيمية ، وغيرهم من ائمة المسلمين : « ان اليزيدية دخلوا الاسلامية كسائر من دخل من باقي الامم في ايام الامويين » . ومن اصدق الشواهد على ذلك ، على قولهم ، صلاتهم في مسجد المسلمين ، وانتسابهم الى الامويين ، واتباعهم الشيخ عدي ، وكان مسلماً . على انهم غالوا في مذهبهم الى ان ابتعدوا عن دين الاسلام بمراحل ، والنصوص المنقولة عنهم تبين معتقداتهم ، الى ان اختلق عليهم أناس كتاب الجلوة ، ومصحف رش ، وكان سبب ذلك بعدهم عن الحضارة والعالم الاسلامي . وينهي المؤلف كلامه على « الامل ان يفهم اليزيدية تاريخهم ويعودوا الى معتقداتهم الاولى » ، ولعل في هذه العبارة الاخيرة حل اللغز المعقد به الكتاب كله ، وهو ان يبرهن المؤلف ان لا اقلية يزيدية ، كما ان الحكومة العراقية تأبى القول بوجود اقليات في بلادها .

ف . ت .

---

١) ترجم الكتاب احد ادباء الانكليز وطبعه في لندن

الذكرى في حياة المطران جرمانوس فرحات

بقلم الاب بولس مسعد

٢٠٠ ص. متوسطة – مطبعة المرسلين اللبنانيين ، جونية، ١٩٣٦ – الثمن: ليرة ل. س.

يذكر القرّاء ذاك الاحتفال الفخم الذي جرى في الشهباء بمرور مائتي سنة على وفاة المطران جرمانوس فرحات ، احد باعثي النهضة العربية ، وممهدي السبيل الى الثقافة العصرية. وقد شاء حضرة الاب بولس مسعد الراهب الحلبي اللبناني ان يكون له نصيب في هذا الاحتفال ، وهو المنتسب الى رهبانية المطران ، فاقام مدّة ينقّب في وثائق الديورة ، ولا سيما دير رومة ، ويفتّش في مجاميع الرسائل الرهبانية ، مضيفاً الى ذلك ما يعرف من اقوال المعاصرين والمؤرخين ، حتى اخرج هذا الكتاب القيّم في حياة المطران ، مفصّلاً فيه نشأته وحداثته ، وترهّبه ، وانتقالاته من دير الى دير ، وما تخلّل ذلك من اختلافات ومنافسات ومناقشات ، وما يُعرف عن انتخاب فرحات رئيساً عامّاً ، وعن سيامته اسقفاً على حلب . وبعد ان يصف اخلاقه ومزاياه ، يعرض لدرس فرحات لغوياً ، وناثراً ، وشاعراً ، وعالماً. فيأتي بحجر صالح لتشييد شخصية فرحات يُضاف الى ما تقدّم فنشره ارباب اليوبيل من اقوال الخطباء والنقدة في المطران العظيم.

ف. ا. ب.

الذكرى القرنية الثانية للمجمع الاقليمي اللبناني

بقلم الاب بولس مسعد

٩٦ ص. متوسطة – مطبعة المرسلين اللبنانيين ، جونية ، ١٩٣٦ – الثمن: ٢٥ غرشاً ل. س.

وهذه ذكرى ثانية خصّها المؤلف نفسه بالمجمع اللبناني جمع فيها « مباحث تاريخية تدور حول ما سبق ، وصحب ، وعقب هذا المجمع من الامور الهامّة مما لم يزل مودعاً في خزائن المخطوطات»، مرتّباً هذه المعلومات على ثلاثة ابواب : في تاريخ المجمع وما اليه ، وفي القضايا التي جرى الاختلاف عليها ، وفي نسختي المجمع اللاتينية والعربية. وقد دُوّن كل من هذه الابواب وثائق طريفة ، ومعلومات يعسر الحصول عليها الاّ على يدي منقّب خبير كالمؤلف عرف سجلّات

الديورة ، ومخطوطات الرهبان. ولا شك في ان التاريخ الماروني اللبناني يشكر له هذه الهمّة ، ويرغب اليه ان يواصل الاجتهاد في هذا الحقل الخصب.

ف. ا. ب.

فاروق الاول

بقلم طاهر احمد الطناحي

١٩٤ ص. متوسّطة مصوّرة — دار الهلال ، مصر ، ١٩٣٦

كتاب جميل المظهر ، انيق الطبع ، فائق الصور ، لائق بموضوعه العالي ، وبطابع دار الهلال المتقنة. جمع فيه المؤلّف كلّ ما يتوق المصريون الى معرفته عن مليكهم الشابّ ، وكل ما يسرّ غير المصريين كذلك ان يطّلعوا عليه من حياة خليفة فؤاد الأول ، باعث الآمال في النهضة العربية ، ومعزّز الثقافة الشرقية على مختلف مناحيها. وقد عرض الاستاذ الطناحي معلوماته الثمينة على فصول متناسقة سار فيها سيرًا تاريخيًا ، مقدّماً المقدّمات العامة في ملوك مصر الشبّان ، وطبيعة الديموقراطية في محمد علي وخلفائه ، وصفات فؤاد الأول ، متتبعاً جلالة الملك الحالي منذ ولادته ، الى عهد دراسته ، واخذه بالثقافة الرياضية ، الى عهد نزوله لندن ، الى ارتقائه عرش آبائه ؛ مزيناً كل ذلك بالصور الجميلة ؛ حتى اتى الكتاب اثرًا نفيساً يلذّ للعين ، ويمتع الذهن.

ف. ا. ب.

الملك هنري الخامس

تأليف شكسبير — ترجمة سامي الجريديني

٧٦ ص. متوسطة — دار الهلال ، مصر ، ١٩٣٦

عُرف المعرّب بآثار عديدة من أشهرها «خمسة في سيّارة» و«الرسائل الضائعة» وقد كان له ميل الى نقل شكسبير فترجم « هاملت » ، و« الملك لير » من مآسي الشاعر الانكليزي الكبير ، « ويوليوس قيصر » من رواياته التاريخية . وها انه اليوم يأتينا برواية جديدة لها شهرتها بين ارباب الأدب ، وان لم تبلغ روائع شكسبير السابقة الذكر. على ان فيها ما اتصف به الشاعر العالمي من

تغلغل في حنايا القلب البشري ، واطّلاع على مطاوي النفس الانسانية الماثلة مصدرًا حيًا للأدب الخالد فوق المكان والزمان. هو بعض ما يعرفه النقد في شكسبير ، وبعض ما يدفع الى شكر المعرّب الاديب. ف.ا.ب.

عاطفة في عاصفة

بقلم الخور اسقف بطرس حبيقه

٢٢ ص. متوسطة – المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ١٩٣٧

هي الهدية السنوية يرفعها الخوراسقف بطرس حبيقة الى صاحب الغبطة البطريرك انطون عريضه ، بمناسبة الحفاوة بعيد ارتقائه الكرسي البطريركي. وقد جمع في كرّاس هذه السنة ، باللغتين العربية والفرنسية ، معلومات عن جهود غبطته الدينية والوطنية ، ومساعيه في سبيل الاستقلال الوطني ، وتعلّقه برومة ، وتضحيات البطريركية المارونية في التاريخ الخ...

خواطر الاخت ماري ليسوع المصلوب

تأليف الاب دنيس بوزي – تعريب الاب انستاس ماري الكرملي الحافي

١٨٠ ص. متوسطة صغيرة – دار الطباعة الحديثة ، بغداد ، ١٩٣٦ – الثمن: ١٠٠ فلس

الاخت ماري ليسوع المصلوب راهبة شرقية كرملية تُوفيت برائحة القداسة في دير كرمليات بيت لحم ، سنة ١٨٧٨ تاركة عددًا من الشذرات والخواطر في مختلف مظاهر الكمال الروحي ، فجمعها احد الكهنة الفرنسيين من جمعية قلب يسوع. ولمّا وقف حضرة المعرب « على ما فيها من التألّق والتلألؤ ، احب ان يعرضها على ابناء اللغة العربية ، ليعرفوا ما في بلادنا الشرقية من الخرائد التي تزري بكل عقد ثمين ، وما فيها من دقائق الكنوز التي لا يعرفها الاّ الله. »

الكَلِم الاخيرة

نقلها الى العربية الاب أنستاس ماري الكرملي

١٩٢ ص. صغيرة مصوّرة – المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ١٩٣٦

وهذا ايضًا من آثار حضرة المعرّب ، نقل فيه المحادثات الاخيرة التي نطقت

بها القديسة تريزة للطفل يسوع ، من ايار الى ايلول ١٨٩٧ ، باذن خاص من رئيسة الراهبات الكرمليات في لزيو ، وغايته ان « يستفيد من هذه الآيات البيّنات (قراؤه) الاعزّة لما يتجلّى فيها من طهر النفس ، ولحمل الواقفين عليها ، على التمسك بعرى الفضيلة ، التي هي التسلية الوحيدة لمن يتحرّى السعادة في هذه الدنيا الفانية . » وفّقه الله !

اي انسان هذا ؟

تأليف رتشاردس — ترجمة حبيب سعيد

٧٤ ص . متوسطة صغيرة — مطبعة النيل المسيحية ، بولاق — الثمن : ٣ غ . م .

هو الرقم الاول من « سلسلة المباحث الخطيرة » التي تصدرها جمعية نشر المعارف المسيحية (البروتستانية) ببولاق مصر ، وكتدرائية سانت جورج بالقدس ، وقد خصته بالسيد المسيح فدرست شخصيته على ضوء المذاهب البروتستانية .

روزنامة سيدة التلّة الكنائسية للسنة ١٩٣٧

اصدرها الاباتي افرام حنين الديراني

تُطلب من محلّ حنين اخوان (سوق الجميل ، بيروت) ، ومن مطبعة المرسلين اللبنانيين (جونية) ومن مكاتب بيروت ، وجونية ، وجبيل ، والبترون ، وطرابلس — الثمن : ١٠ غ ل . س .

هي السنة الخامسة والعشرون ، سنة اليوبيل الفضي ، لهذه الروزنامة ، الشهيرة بما فيها من فوائد دينية ومدنية ، بذكر جميع الاعياد رسميّة وطائفية وايرادِ كثير من الملاحظات والحكم والاخبار ، فوق ما فيها من موافقات التاريخ الهجري ، وسائر ضروريات التقويم الكامل .

تقويم البشير للسنة ١٩٣٧

٢١٤ ص . متوسطة — المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ١٩٣٦ —
الثمن : ٢٥ غرشاً لبنانياً سورياً

يحتلّ تقويم هذه السنة الى جنب سابقيه ، ذاك المركز العالي الذي عرفه

له طلّاب المعلومات الموجزة السريعة عن بلادنا وتقاسيمها وميزاتها ، سياسةً ، وادارةً ، واقتصادًا ، وتجارةً ، وسياحةً واصطيافًا . وقد اضاف الى ما هو معهود في سابقيه نصوص المعاهدات اللبنانية والسورية والعراقية والمصرية بكاملها ، مع كثير من الصور الفنّية الرائعة ، والرسوم والخرائط ، حتى غدا من موادّ العمل الضرورية لاصحاب الاشغال والمصالح .

* لائحة بانواع الاشجار الحرجية الملائمة للتحريج ، بحسب المناطق وارتفاعها وتربتها * ٢٢ ص . كبيرة مصوّرة – من آثار مديرية الزراعة والدوائر الاقتصادية في الجمهورية اللبنانية هذه اللائحة النافعة ، وضعتها بالاشتراك مع لجنة فنّية من جمعية اصدقاء الاشجار ، فذكرت كل ما يمكن المزارع اللبناني ان يغرسه من الاشجار الملائمة ، في مختلف المناطق من شاطىء البحر الى اعالي القمم ، من الارض الشحّارية الى الرملية العادية ، الى الطينية او المستنقعة ، الى الكلسية . . . مرتّبة الاشجار على انواعها من حيث الاستثمار ، مردفةً بملاحظات مفيدة في طريقة مراقبتها والاعتناء بها .

* عظة في شأن المجمع المارونى اللبناني * القاها في عيد اليوبيل المئوي الثاني ، في الكاتدرائية المارونية ، في حلب ، الاب رفائيل نخله اليسوعي . – ٢٨ صفحة . متوسطة صغيرة ، المطبعة المارونية ، بحلب ، ١٩٣٦

* مقالة في الصور والتماثيل في الكنيسة * بقلم القس بطرس سابا المعلّم في مدرسة الشرقة الاقليريّة ، طبعت ثانيةً وأضيف اليها فوائد شتّى في عددي تشرين الثاني وكانون الاول من مجلّة « المنارة » – ٢٢ ص . متوسطة ، مطبعة المرسلين اللبنانيين ، جونية ، ١٩٣٦ .

* دمشق الشام : لمحة تاريخية منذ العصور القديمة حتى العصر الحاضر * بقلم جان موفاجيه نقلها الى العربية فؤاد افرام البستاني – ٥٢ ص . متوسطة مصوّرة ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ١٩٣٦ – هي المقالة التي ظهرت في « مشرق » السنة الحاضرة ، نشرت على حدة تمشيًا لفائدتها .

* رصافة هشام ورقّة الرشيد * رحلة حديثة الى صحراء سورية الشمالية ، بقلم فؤاد افرام البستاني – ٣٤ ص . متوسطة مصوّرة ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ١٩٣٦ – وهذه ايضًا من منشورات « المشرق » في السنة الحالية .

* مفردات الكتب النادرة الموجودة في مكتبة العرب * لصاحبها الشيخ يوسف توما البستاني ، ٤٧ شارع الفجالة ، مصر ، ١٢٦ ص . متوسطة – مطبعة العرب للبستاني ، مصر ، ١٩٣٦

فهارس المشرق

للسنة الرابعة والثلاثين

١٩٣٦

فهرس اوّل

لموادّ السنة الرابعة والثلاثين من مجلة المشرق

الجزء ١ (كانون الثاني – آذار) : الاحابيش ، والنظام العسكري ، في مكة ، زمن الهجرة : ١ ، بقلم الاب لامنس اليسوعي (١–٢٢) = الأرز ، قصيدة (مصوّرة) ، عن « الجبل الملهم » لشارل قرم ، نقلها سعيد عقل (٢٣ – ٢٧) = الملكيون : بطريركيتهم الانطاكية ، ولغتهم الوطنية والطقسية ؛ ١ ، بقلم المتوري اسحق ارملة السريانى (٢٧–٦٧) = شخصية احمد شوقي ، بقلم فؤاد افرام البستاني (٦٧ – ٧٦) = حفريات افامية (مصوّرة) بقلم فرنان ميأنس (٧٦ – ٨٤) = نسب عمر بن ابي ربيعة ، بقلم جبرائيل جبور (٨٤ – ٩٤) = صوت لبنان في مؤتمر البحر المتوسّط ، بقلم شارل قُرم (٩٤ – ١٠٤) = تاريخ فخر الدين الثاني لكاتبه احمد الخالدي الصفدي ، بقلم اسد رستم وفؤاد افرام البستاني (١٠٤ – ١١٣) = شذرات : دروس الآداب الشرقية في السنة ١٩٣٥ – ١٩٣٦ (١١٣) – معلومات جديدة عن مستشرق قديم : الاخ حنا صوصه البرتغالي الاصل ، الدمشقي المولد (ف . ا . ب .) (١١٤) – المجمع اللبناني : الذكرى المئويّة الثانية لعقده (ل . خليل) (١١٦) – جريدة توزيع مال خراج لبنان الاميري : جواب وايضاح (المتوري قسطنطين الباشا) (١٢١) – حول « الشواذ الحلبية » في الطقس الماروني (المتوري مخايل الرجي) (١٢٥) = مطبوعات شرقية جديدة : وصف ٢٦ كتاباً باللغات الاوربية ، و١٧ كتاباً باللغة العربية (١٢٨ – ١٦٠)

الجزء ٢ (نيسان – حزيران) : دمشق الشام : لمحة تاريخية منذ العصور القديمة حتى العصر الحاضر (مصوّرة) ، بقلم جان سوفاجيه (١٦١ – ٢٠٩) = نداء ! قصيدة ليوسف

خصوب (٣٠٩) الطيور الغريبة ، قصيدة لسعيد عقل (٣١٠) = الملكيون : بطريركيتهم الانطاكية ، ولغتهم الوطنية والطقسية : ٢ً ، بقلم الخوري اسحق ارملة السرياني (٣١١-٣٢٥) = رسالة هشام ورقة الرشيد : رحلة حديثة الى صحراء سورية الشمالية (مصوّرة) ، بقلم فؤاد افرام البستاني (٣٢٥ - ٣٦٩) = الدياطسرون في طبعته الجديدة : نظرة نقدية بقلم الخوري لويس خليل (٣٦٩ - ٣٧٧) = شذرات : بيان حقيقة (الاب يوسف علوان اللمازري) (٣٧٧) - جريدة توزيع مال خراج لبنان الاميري : عود على بدء (نجيب سليم الدحداح) (٣٧٨) = مطبوعات شرقية جديدة : وصف ٣٤ كتاباً باللغات الاوربية ، و ٣١ كتاباً باللغة العربية (٣٨٥-٣٣٠)

الجزء ٣ (تموز — ايلول) : آراء وملاحظات في عمل الحياة الرهبانية القديمة على التقريب بين الكنائس والشعوب الشرقية (مصوّرة) بقلم الاب بولس بيترس البولندي اليسوعي (٣٣١ - ٣٤٥) = بطيك ، قصيدة عن « الجبل المُلهم » لشارل قُرم ، نقلها سعيد عقل (٣٤٥ - ٣٥١) = المتنبي والشعر الصافي ، بقلم فؤاد افرام البستاني (٣٥١ - ٣٦١) = الملكيون : بطريركيتهم الانطاكية ، ولغتهم الوطنية والطقسية : ٣ً بقلم الخوري اسحق ارملة السرياني (٣٦١ - ٣٩٥) = معرض دمشق سنة ١٩٣٦ (مصوّرة) ، بقلم الاب فرديناند توتل اليسوعي (٣٩٥ - ٤١٥) = المجمع الماروني المنعقد سنة ١٥٨٠ ، مخطوطة نشرها الاب بولس سعد الراهب الحلبي اللبناني (٤١٥ - ٤٤٣) = شذرات : في النهضة الادبية : ناصيف اليازجي ، وفارس الشدياق (ف. ا. ب.) (٤٤٣) - بيان حقيقة (الخوراسقف لويس خليل) (٤٤٧) - تنبيه (٤٤٨) = مطبوعات شرقية جديدة ، وصف ٢٧ كتاباً باللغات الاوربية ، و٢٥ كتاباً باللغة العربية (٤٤٩ - ٤٨٠)

الجزء ٤ (تشرين الاول - كانون الاول) : اصول الجمال في الفن الاسلامي (مصوّرة)، بقلم غاستون ڤييت (٤٨١-٤٩٧) = الملكيّون : بطريركيتهم الانطاكية ، ولغتهم الوطنية والطقسية : ٤ً (تتمة) بقلم الخوري اسحق ارملة السرياني (٤٩٧ - ٥٢٧) = الاحابيش ، والنظام العسكري ، في مكة ، زمن الهجرة : ٢ً (تتمة) ، بقلم الاب لامنس اليسوعي (٥٢٧ - ٥٥٥) = لبنان الكبير في التاريخ ، بقلم نجيب سليم الدحداح (٥٥٥ - ٥٧٥) = نقد نقّاد المتنبي ، بقلم رجيس بلاشير (٥٧٥ - ٦٠٠) = شذرات : الذكرى المئوية الثانية للمجمع اللبناني (٦٠٠) - ميخائيل النزيري (الاب بولس سعد) (٦٠١) - مطبوعات شرقية جديدة : وصف ٢٦ كتاباً باللغات الاوربية ، و٢٣ كتاباً باللغة العربية (٦٠٥ - ٦٤٠) = فهارس المشرق (٦٤١) .

فهرس ثانٍ

يحتوي اسماء كتبة المشرق ومقالاتهم

ارمة (الخوري اسحق السرياني) : الملكيون بطريركيتهم الانطاكية ، ولغتهم الوطنية والطقسية ٤٧-٦٧ ؛ ٢١١-٢٢٥ ؛ ٢٦١-٢٩٥ ؛ ٤٩٧-٧٥٢ – وله وصف مطبوعة ٦٢٦

الباشا (الخوري قسطنطين) : جريدة توزيع مال خراج لبنان الاميري (جواب وايضاح) ١٢١-١٢٥

البستاني (فؤاد افرام) : شخصية احمد شوقي ٦٧-٧٦—تاريخ فخر الدين الثاني لمكاتبه احمد الشدياق المفدي (بالاشتراك مع الدكتور اسد رستم) ١٠٤-١١٢—معلومات جديدة عن مستشرق قديم : الاخ حنا صوصه البرتغالي الاصل الدمشقي المولد ١١٤-١١٩—رصافة هشام ورقة الرشيد : رحلة حديثة الى صحراء سورية الشمالية ٢٢٥-٢٦٩—المتنبي والشعر الصافي ٢٥١-٢٦١ – في النهضة الادبية : ناصيف اليازجي وفارس الشدياق ٤٤٣-٤٤٧ — وله وصف مطبوعات ١٢٣ ؛ ١٢٤ ؛ ١٤٧ ؛ ١٥٣-١٥٤ ؛ ٢٩٣ ؛ ٢٩٤ ؛ ٣١٢-٣١٨ ؛ ٤٥٣-٤٥٥ ؛ ٤٦٢-٤٦٩ ؛ ٤٧١-٤٨٠ ؛ ٦٢٦-٦٢٨ – وله تعريبات وشذرات متفرقة

بلاشير (رجيس) : نقد بقاد المتنبي ٥٧٥-٦٠٠

بيترس (الاب بولس البولندي اليسوعي) : آراء وملاحظات في عمل الحياة الرهبانية القديمة على التقرب بين الكنائس والشعوب الشرقية ٢٢١-٢٤٥

توتل (الاب فردينان اليسوعي) : معرض دمشق سنة ١٩٣٦ ٢٩٥ – ٤١٥ — وله وصف مطبوعات ١٥٠ ؛ ١٥٤ – ١٥٦ ؛ ٢٩٥ – ٣٠٠ ؛ ٣٠٥-٣١٢ ؛ ٤٧٠ ؛ ٦٢٩-٦٣٦

تيان (اميل) : له وصف مطبوعات ٦٢٢-٦٢٦

جبّور (جبرائيل) : نسب عمر بن ابي ربيعة ٨٤-٩٤

الجميّل (الحكيم امين) : له وصف مطبوعات ٦١٦-٦١٩

خليل (الخوري لويس) : المجمع اللبناني : الذكرى المئوية الثانية لعقده ١١٩ — الدباطرون في طبعته الجديدة ٢٦٩ – ٢٧٧ – بيان حقيقة ٤٤٧

الدحداح (نجيب سليم) : جريدة توزيع مال خراج لبنان الاميري : عود على بدء ٢٧٨-٢٨٠— لبنان الكبير في التاريخ ٥٥٥-٥٧٥

الرجّي (الخوري ميخائيل) : حول «الشواذ الحلية» في الطقس الماروني ١٢٥ – ١٢٧

رستم (الدكتور اسد) : تاريخ فخر الدين

الثاني لكاتبه أحمد الخالدي المقدسي (بالاشتراك مع فؤاد افرام البستاني) ١٠٤-١١٢
روتزفال (الاب سبستيان اليسوعي) : له وصف مطبوعات ١٢٠؛١٢٦-١٤٠؛٢٨٧-٢٨٩؛٢٩٢؛٦٠٢-٦١٢
سوفاجيه (جان) : دمشق الشام : لمحة تاريخية منذ العصور القديمة حتى العصر الحاضر ١٦١-٢٠٩
طرابلسي (أميل) : له وصف مطبوعة ١٥٩
عقل (سعيد) : الأرز : قصيدة عن «الجبل الملهم» ٢٢-٢٧ — بعلبك : قصيدة عن « الجبل الملهم » ٢٤٥ - ٢٥١ - الطيور الغريبة (قصيدة) ٢١٠
علوان (الاب يوسف اللازري) : بيان حقيقة ٢٧٧
غصوب (يوسف) : نداء (قصيدة) ٢٠٩
ف . خ : له وصف مطبوعة ٣٠٢
فارس (حليم) : له وصف مطبوعات ١٤٢-١٤٧
فيت (غاستون) : اصول الجمال في الفن الاسلامي ٤٨١-٤٩٧
قرم (شارل) : الأرز (قصيدة) ٢٢-٢٧ — بعلبك (قصيدة) ٢٤٥-٢٥١ - صوت لبنان في مؤتمر البحر المتوسط ٩٤-١٠٤
كابيلو (الاب يوحنا اليسوعي) : له وصف مطبوعات ٦٠٥؛٦٢٢
كوميه (الاب شارل اليسوعي) : له وصف مطبوعة ٦٢٢
لامنس (الاب هنري اليسوعي) : الاحابيش والنظام العسكري في مكة زمن الهجرة ١-٢٢ ؛ ٥٢٧ - ٥٥٥ — وله وصف مطبوعات ١٤١؛١٤٩؛٢٩٢
لوثنك (الاب جبرائيل اليسوعي) : له وصف مطبوعات ١٢٩؛ ١٣١؛ ١٤١؛ ١٤٩؛٢٨٦؛ ٢٩٠؛٢٩٢؛٣٠٠-٣٠٢؛٤٥١-٤٥٢؛٤٥٥-٤٦٢؛٦١٢-٦١٥؛٦١٩؛٦٢١
مسعد (الاب بولس الحلبي اللبناني) : المجمع الماروني المنعقد سنة ١٥٨٠ ٤١٥-٤٤٢ — ميخائيل التزيري ٦٠١-٦٠٤
مونرد (الاب بولس اليسوعي) : له وصف مطبوعات ٢٨٩؛٤٤٩؛٦٠٦
مونجان (الاب يوسف اليسوعي) : له وصف مطبوعات ١٢٨؛٢٨٥؛٤٤٩
ميري (الاب يوسف اليسوعي) : له وصف مطبوعة ٦١٩
ميانس (فرنان) : حفريات أفامية ٧٦-٨٤

فهرس ثالث

للمطبوعات التي ورد وصفها في السنة الرابعة والثلاثين للمشرق

على ترتيب اسماء مؤلفيها

١ — المطبوعات العربية والسريانية الخ.

ا

ا. ت : اطلب : لاسر (هنري)

ابن خلدون : منتخبات لجميل صليبا وكامل عياد ٢١٤

ابن طفيل : قصة حيّ بن يقظان ، بتحقيق جميل صليبا وكامل عياد ٤٧٢

ابو خاطر (ابراهيم) : الخواطر ١٥٥

اسامة بن منقذ : لباب الآداب ، بتحقيق احمد محمد شاكر ٣١٣

ب

بازين (رينه) : البيت الازرامي ، تعريب ادوار مرقص ٢١٩

الباشا (الخوري قسطنطين) : اطلب : العورة (ابراهيم)

البستاني (فؤاد افرام) : رصافة هشام ورقة الرشيد ٦٤٠ — : اطلب : الصفدي ، وسوقاجيه (جان)

بليبل (ادمون) : الجنرال ميشال حداد ٢٢٠

بوزي (الاب دنيس) : خواطر الأخت ماري ليسوع المصلوب ، نقلها الاب انستاس ماري الكرملي ٦٢٨

بيوس الحادي عشر : الكهنوت الكاثوليكي ١٦٠

ت

تذكار اليوبيل الفضي لاخوية الحبل بالعذراء بلا دنس لطائفة الاقباط الكاثوليك ٢٢٠

تقويم البشير للسنة ١٩٣٦ ١٦٠

تقويم البشير للسنة ١٩٣٧ ٦٢٩

تقويم الهلال للسنة ١٩٣٦ ١٦٠

ج

جابر بن حيّان : مختار رسائله ، بتحقيق پ . كراوس ٤٦٣

جبور (جبرائيل) : عمر بن ابي ربيعة : الجزء الاول ١٥٢

الجريديني (سامي) : اطلب : شكسبير

الجمعية الخيرية البشراوية : بيانها للسنوات ١٩٠٦–١٩٣٥ ٢٢٠

الجمعية الخيرية للقديس يوحنا الدمشقي : بيانها للسنة ١٩٣٥ ٢٢٠

جمعية القديس منصور دي پول في بيروت : بيانها للسنة ١٩٣٥ ٢٢٠

جمعية القديس منصور دي پول في دمشق : بيانها للسنة ١٩٣٥ ٢٢٠

ح

الحب والسلام : مجلة ٢٢٠

حبيقه (الخوراسقف بطرس) : استشهاد بولس الرسول ١٦٠ — مآثر عريضة : ج ٢١٨ — الصداقة الفرنسية اللبنانية ٢١٨ — الفتية الثلاثة ٢١٩ — عاطفة في عاصفة ٦٢٨

حسن (حسن ابراهيم) : اطلب : غروهمان (ادولف)

حسن (زكي محمد) : الفنّ الاسلامي في مصر :

الجزء الاول ١٥٠
الحسني (عبد الرزاق) : تاريخ الوزارات العراقية — العراق في دوركي الاحتلال والانتداب ٢٠٨ — تعريف الشيعة ٤٦٥ — البابيّون في التاريخ ٤٦٦ — موجز تاريخ البلدان العراقية — تاريخ الصحافة العراقية : ١ً ٤٦٧ — الاغاني الشعبية ٤٦٨
حنين (الاباتي افرام) : روزنامة سيدة التلة الكنائسية للسنة ١٩٣٧ ٦٣٩

خ

خليل (المونسنيور لويس) : الحزب القومي السوري مؤامرة على الدين والوطن ٤٧٣

د

دائرة المعارف الاسلامية (الترجمة العربية) : المجلّد الثاني : ٣ و٤ و٥ و٦ و٧ ٤٦٤
دموع الاسى والألم : تأبين المرحومة رمزا لطني ١٦٠

ر

رتشاردس: اي انسان هذا؟ ترجمة حبيب سعيد
رستم (اسد) : اطلب : الصفدي

ز

الزحلاوي (حبيب) : ادباء معاصرون ٣١٥
زخريا (الشيخ حنا اسعد) : البلشنديات ٤٧٢
الزراعة (مديرية) في الجمهورية اللبنانية : لائحة بانواع الاشجار الملائمة للتحريج ٦٤٠
زبّات (حبيب) الخزانة الشرقية : ١ً ٤٧٠

س

سابا (القس بطرس) : مقالة في الصور والتماثيل في الكنيسة ٦٤٠
سعد (حبيب) : راجع : رتشاردس
السمعاني (المونسنيور بولس) : تاريخ الآداب السريانية ٦٣٦
سوفاجيه (جان) : دمشق الشام ، نقل فؤاد افرام البستاني ٦٤٠

ش

شاكر (احمد محمد) : راجع : اسامة بن منقذ
شبلي (الاب انطونيوس) : تأبين الاب انطونيوس عارج ٢٢٠
شحاته (شفيق) : النظرية العامّة للالتزامات في الشريعة الاسلامية ١ً : طرقا الالتزام ٦٣٣
شكسبير : الملك هنري الخامس ، ترجمة سامي الجريديني ٦٣٧
الشهابي (الامير مصطفى) : الزراعة العلمية الحديثة ١٥٤
الشهرباني (عبد القادر الخطيبي ؟) : تذكرة الشعراء ، بتحقيق الاب انستاس ماري الكرملي ٤٧٩
شوقي (احمد) : الشوقيّات : ٣ً : المراثي ٤٧١

ص

صائغ (متري) : زراعة الاشجار المثمرة ١٥٧
صرّوف (فؤاد) : اساطين العلم الحديث ٣١٤
الصفدي (احمد الخالدي) : لبنان في عهد الامير فخر الدين المعني الثاني ، بتحقيق اسد رستم وفؤاد افرام البستاني ٤٦٩
الصلاح : مجلّة ٢٢٠
صليبا (جميل) : راجع : ابن خلدون ، وابن طفيل — واطلب : الغزالي

ط

الطناحي (طاهر احمد) : فاروق الاول ٦٣٧
طوسون (الامير عمر) : الجيش المصري في الحرب الروسية المعروفة بحرب القرم ٦٣٣

ع

عبد الباقي (فؤاد) : تيسير المنفعة بكتابي مفتاح كنوز السنة ، والمعجم المفهرس

لالفاظ الحديث النبوي ٢٠٦
العراقي (دياب عثمان) : الفاروق عمر بن الخطّاب ٢٠٥
عريضه (البطريرك انطون) : في محبة القريب ١٦٠
العزاوي (عباس) : تاريخ العراق بين احتلالين ٦٢٢ — تاريخ اليزيدية واصل عقيدتهم ٦٢٥
العشّي (الخوراسقف يوسف) : تعاليق ريشار سيمون على رحلة دندني ٢١٧
العمره (ابراهيم) : تاريخ ولاية سليمان باشا العادل ، بتحقيق الخوري قسطنطين الباشا ٢١٦
عوّاد (الخوري منصور) : حقوق الطوائف الدينية في مسائل الاحوال الشخصية ٦٢٥
عياد (كامل) : راجع : ابن خلدون ، وابن طفيل — واطلب : الغزالي

غ

غرومان (ادولف) : اوراق البردي العربية بدار الكتب المصرية ، نقل حسن ابراهيم حسن ١٥٨
غريبه (يوزف وحيد) : الف حزوره وحزوره ١٦٠
الغزالي (ابو حامد) : المنقذ من الضلال ، بتحقيق جميل صليبا وكامل عياد ٢١٤

ف

فرّوخ (عمر) : ابو نواس : ١ و ٢ — ابو تمام ٤٧٦
فهد (الاخ بطرس) : كتاب الهدى ٢٢٠
فولتير : زاييرا ، معرّبة نظماً بقلم فارس كلاب والبشاع كرم ٤٨٠

ك

كراوس (پ) : راجع : جابر بن حيّان
كرم (البشاع) : راجع : فولتير
الكرملي (الاب انستاس ماري) : راجع : الشهرباني — رسالة في الكتابة العربية المتقحة ٤٨٠ — الكلم الاخيرة ٦٢٨ — راجع : برزي (الاب دنيس)
كلاب (فارس) : راجع : فولتير
كيورك (الخوري انطون) : التعليم المسيحي للكاثوليك الشرقيين : الكتاب الثاني ٢١٨

ل

لاسير (هنري) : سيدة لورد ، نقل ا . ت . ٢١١

م

مبارك (المطران اغناطيوس) : الشر المبارك ٢١٢
المرتضى (الشيخ عبدالله بن) : كتاب الفلك الدوّار في اسماء الائمة الاطهار ٦٢٩
مردم بك (خليل) : الجاحظ — ابن المقفّع — ابن العميد — الصاحب بن عبّاد ٤٧٥
مرقص (ادوار) : كفيل العروض والقافية ٢١٧ — راجع : بازين (زيته)
مسعد (الاب بولس) : الذكرى في حياة المطران جرمانوس فرحات — الذكرى القرنية الثانية للمجمع الاقليمي اللبناني ٦٢٦
المعلوف (عيسى اسكندر) : الاسر العربية المشتهرة بالطب العربي ، واشهر المخطوطات الطبيّة العربية ١٥٢
المقدسي (انيس الخوري) : امراء الشعر العربي في العصر العبّاسي — تطوّر الاساليب النثرية في الادب العربي ٤٧٧
مكتبة حامد عجان الحديد بحلب : فهرسها للسنة ١٩٣٥ ١٦٠
مكتبة العرب : مفردات الكتب النادرة الموجودة فيها ٦٤٠

ن

نادر (الاب يوسف) : كتاب تعليم المبتدئين واجبات الناذرين ٢١٩

نخله (رشيد) : محسن المزّان ٤٨٠

نخله (الاب رفائيل اليسوعي) : عظة في شأن المجمع الماروني اللبناني ٦٤٠

نادي (ني) : (فارس الشاب ١٥٩

النويري (شهاب الدين) : نهاية الارب في فنون الادب ١٥٦

٢ — المطبوعات الاوروبية

Académie française (Trois siècles de l') 1635-1935. (460)

Acta pont. Academiae Romanae S. Thomae Aq. et Religionis Catholicae. (449)

Acta pontificalium operum a Propagatione fidei et a sancto Petro apostolo pro clero indigena : II. (606)

Alcaniz (Fl.), s. j., De autographo tractatus inediti Card. Joannis de Lugo « De Anima ». (605)

Almanach Catholique Français pour 1936. (135)

Ancel (Jacques). Affaires étrangères. (621)

Assaf (J. G.), La compétence des tribunaux du statut personnel au Liban et en Syrie. (455)

Averroès, La Bidâya : Du mariage et de sa dissolution — Des donations, des testaments, des successions, des jugements. Trad. par Ahmed Laïmèche. (142)

al-Baghdâdî, al-Fark bain al-Firak. Trad. par Abraham S. Halkin. (293)

Barrès (Maurice), Mes Cahiers : X. (614)

Barrois (A.-G.), o. p., Précis d'archéologie biblique. (288)

Baumgarten (H.), La civilisation japhéto-sémitique. (451)

Bazantay (Pierre), La pénétration de l'enseignement dans le sandjak autonome d'Alexandrette. (147)

Ben (Augustinus), s. j., De Scripturae Sacrae inspiratione. (449)

Ben Daoud (B.), cf. Le Coran

Berutti (P. Dr Christophorus), o. p., Institutiones Juris Canonici : I. (285)

Bloom (Dr Asher), L'Ostéologie d'Abul Qasim et d'Avicenne. (616)

Blosius (Le Vénérable Louis). Speculum monachorum. (291)

Bouthoul (B.), Le Grand Maître des Assassins. (458)

Cappello (F.), s. j., Tractatus canonico-moralis de sacramentis. (129)

Carbone (C.), Circulus philosophicus seu objectionum cumulata collectio : II. (131)

Casteret (Norbert). Au fond des gouffres. (622)

Cavaignac (E.), Le Problème hittite. (611)

Chambry (Pierre), cf. Xénophon.

Charpentier (John), Le maître du secret. (615)

Chatelle (A.), La paix manquée. (619)

Chauve-Bertrand (Abbé), La question de Pâques et du calendrier. (607)

Chaigne (Louis), Vies et œuvres d'écrivains. (461)

Chauvirè (Roger), L'Irlande, 1936. (621)

Chrysogone (P.), carmo, Asceticae et Mysticae summa. (605)

Collomb, cf. Lousseau

Constantin VII Porphyrogénète. Le livre des Cérémonies : I. Trad. par Albert Vogt. (149)

Conte a Coronata (P. Matthaeus), o. m. c., Institutiones Juris Canonici ad usum utriusque cleri et scolarum. (285)

Le Coran, trad. par Ahmed Laïmèche et B. Ben Daoud. (292)

Coberthrambe (Fr.), Le règne du frère. (459)

Cochin (Augustin). Abstractions révolutionnaires et réalisme catholique. (451)

Condamin (Albert), s. j., Le livre de Jérémie. (606)

Cordignano (Fulvio), s. j., Dizionario albanese-italiano. 308

Desgrippes (Georges), Etudes sur Pascal. (135)

Desnoyers (L.), Les Psaumes. (450)

Erman (Adolf). Die Religion der

Aegypter. (136)

Féghali (Michel), Contes, Légendes, Coutumes populaires du Liban et de Syrie. (455)
Forbin (Victor), Ce qu'il faut connaître du pétrole. (623)
Furlani (Giuseppe), Il primo libro dei Primi Analitici di Aristotele nella versione syriaca di Giorgio delle Nazioni. (290)

Galling (Kurth), Biblisches Realloxikon. (130)
Gemayel (Dr A.), Rapport à la société des Amis des Arbres. (462)
Gilson (Etienne), Le réalisme méthodique. (453)
Goemare (P.), Quand Israël rentre chez soi. (302)
Gorczinski (Ladislas), Climat solaire de Nice et de la Côte d'Azur. (301)

Halkin (Abraham), cf. Al-Baghdâdî.
Haschmi (Moh. Jahia), Die Quellen des Steinbuches des Beruni. (457)
Héliodore. Les Ethiopiques : I. texte établi par R. M. Rattenbury et Rev. T. W. Lumb et traduit par J. Maillon. (459)
Heil (Joseph), Die Diwan der Hudailiten-Dichter. (294)
Hobeika (Chorévêque Pierre), Vie religieuse en Syrie et au Liban. (462)
Howard (L. O.), La menace des insectes. (301)

Jullien (Charlotte), Les cercles d'études féminins. (608)

Kalt (Edmund), Biblische Archaeologie. (130).
Kortleitner (F.-X.), o. p., Commentationes biblicae : X. (131)
— Religio a patriarchis Israelitorum exercitata (287)

Laimèche (Ahmed), cf. Averroès et le Coran
Lefebvre des Noëttes (Cte), De la marine antique à la marine moderne. La révolution du gouvernail. (300)
Lemonnyer, o. p., Sainte Catherine de Sienne. (133)
Levi Della Vida (G.), Elenco dei manoscritti arabi islamici della Biblioteca Vaticana. (154)
Loiano (P. Seraphin A.), o. m., Institutiones Theologiae moralis ad normam Juris Canonici : I. II. (128)
Lortal (R.), p. s. s., Morale sociale générale. Eléments de théologie morale sociale : I. (296)
Lousseau et Collomb, Manuel d'études bibliques : I. (289)
Lumb (T. W.), cf. Héliodore.

Madelin (Louis), Le Crépuscule de la Monarchie. (619)
Maillon (J.), cf. Héliodore.
Maïmonide. Traité des poisons. Trad. par Dr L.-M. Rabbinowicz. (616)
Manziarly (I. de) : Pérégrinations asiatiques. (302)
Mariani (Bernardus), o. s. b., Philosophiae Christianae institutiones in usum adolescentium : I. II. III. (451)
Maritain (Jacques), La philosophie de la nature. (452)
Marmardji, (A.-S.), o. p., Diatessaron de Tatien. (269-277)
Meistermann (Barnabé), o.f.m., Guide de Terre Sainte. (614)
Mesnil du Buisson (Comte du), Le site archéologique de Mishrifé-Qatna. (138)
Mez (A.), El renacimiento del Islam. Trad. par Salvador Vila. (615)
Mohtar-Katirjoglou (Mahmoud), La Sagesse Coranique. (453)
Monicault (J. de), Le port de Beyrouth et l'économie des pays du Levant sous le mandat français. (612)
Moreno (M.M.), La dottrina dell'Islam. (141)

Olivaud (Mme A.), Les origines intellectuelles du jardin d'enfants. (462)
Osten (Hans Henning von der), Ancient oriental seals in the collection of Mrs Agnes Baldwin Brett. (611)

Paret (Rudi), Zur Frauenfrage in der arabisch-islamischen Welt. (141)
Parrot (André), Mari, Une ville perdue et retrouvée par l'archéologie française. (609).
Pelliaube (E.), Caractère et personnalité. (452).
Pohl (Alfred), s. j., Neubabylonische Rechtsurkunden aus den Berliner Staatlichen Museen. (137)

Prado (J.), Propaedeutica biblica sive introductio in universam Scripturam. (290)
Pressoir (Charlotte) et Marie-Louise), cf. Walpole (Hugh).

Rabbinowicz (Dr I.-M.). cf. Maïmonide.
Rahy (Noll). Le chapelet d'un mystique. (455).
Raphaël (P. Pierre).Le rôle des Maronites dans le retour des Eglises Orientales. (132)
Rattenbury (R. M.) cf. Héliodore.
Reallexikon der Assyriologie : II, 3. (137)
Ritus pro ordinibus conferendis ex pontificali romano recognito. (291)
Ross (Denison), The Journal of Robert Stodard. (458).
Rousseau (Maurice), cf. Sargent

Sargent (Daniel), Thomas More. trad. de Maurice Rousseau. (133)
Sari Mehmed Pacha, The Book of Counsel for Viziers and Governors. Transl. by Walter Livingston Wright. (295)
Schacht (Joseph), G. Bergstraesser's Grundzüge des Islamischen Rechts. (293)
Sfeir (Rev. Peter F.), The Syrian Maronite Mass in English. (133)
Soubiran (Dr André). Avicenne, prince des médecins. (616)
Sykes (Christopher), Wassmuss. (457)

Temperley (Harold), The Crimea.(456)
Thomson (Peter), Die Palästina Literatur. (615)

Vége, Henri Heine point par lui-même et par les autres. (461)
Verghotti (Blasius), Joannis Ludovici Vivos colloquia. (291).
Vila Salvador, cf. Moz (A.)
Vilcelk (J.), Zur Genesis der arabischen Zweisprachigkeit. (149)
Vogt (Albert), cf. Constantin VII Porphyrogénète.

Waard (C. de), L'expérience barométrique. (622)
Walpole (Hugh), La Cathédrale.Trad. par Charlotte et Marie-Louise Pressoir. (304)
Watzinger (Carl), Denkmaeler Palaestinas : II. (292)
Wright (Walter Livingston), cf. Sari Mehmed Pacha

Xénophon, Helléniques — Apologie — Mémorables. Trad. nouvelle de Pierre Chambry. (140)

Zell (Th. Villanova Gerster A), o.m.c., Iafornus. tractatus dogmaticus juxta sensum S. Bonaventurae. (605)

فهرس رابع

لجميع موادّ السنة الرابعة والثلاثين من المشرق

ا

الآداب الشرقية : منهاج دروسها في سنة ١٩٣٥-١٩٣٦ ١١٣-١١٤

آراء وملاحظات في عمل الحياة الرهبانية القديمة على التقريب بين الكنائس والشعوب الشرقية ٢٣١-٢٤٥ : تأثير الرهبانية في مظاهر التقوى المسيحية ٢٣١- في نشر الايمان ٢٣٢ ووحدة المسيحية ٢٣٣- في فلسطين وسورية ٢٣٠ - في الكنائس المنفصلة ٢٤٣

آسية الوسطى : رسالات الرهبان فيها في العصور القديمة ٢٤٣

الاتابك والايوبيون : دمشق على عهدهم ١٨٩

الاحابيش والنظام العسكري في مكة زمن الهجرة ١-٢٣؛٥٢٧-٥٥٥

الارز (قصيدة) ٣٣-٣٧

الاسلامي (الفنّ) : اصول الجمال فيه ٤٨١ - ٤٩٧

اصول الجمال في الفنّ الاسلامي ٤٨١-٤٩٧ : نظرية التحريم ٤٨٣ — بين التقليد والابتكار ٤٨٣ — نتيجة التحريم ٤٨٥ — بعض ميزات الفنّ الاسلامي ٤٨٧ — عناصر الزخرف الاسلامي ٤٩٠

ب

بالس ٢٢٧

بطريركية الملكيين الانطاكية ٣٧-٦٧ ؛ ٢١١-٢٢٥، ٢٦١-٢٦٥؛ ٤٩٧-٥٢٧

بعلبك (قصيدة) ٢٤٥-٢٥١

بعلبك والبقاع ٥٦٣

بيان حقيقة ٢٧٧

بيان حقيقة ٤٤٧

بيروت ٥٥٧

ت

تاريخ دمشق منذ العصور القديمة حتى العصر الحاضر ١٦١-٢٠٩

تاريخ فخر الدين الثاني لكاتبه احمد المالدي الصفدي ١٠٤-١١٣

تنيه ٤٤٨

ج

جريدة توزيع مال خراج لبنان الاميري ١٢١-١٢٥؛ ٢٧٨-٢٨٥

ح

الحبش : راجع : الاحابيش

حفريات افامية ٧٦-٨٤

حول « الشواذّ الطبية » في الطقس المارونى ١٢٥-١٢٧

د

دروس الآداب الشرقية في السنة ١٩٣٥-١٩٣٦ ١١٣-١١٤

دمشق الشام : لمحة تاريخية منذ العصور القديمة حتى العصر الحاضر ١٦١-٢٠٩ موقعها ١٦٤ — المدينة الاولية ١٦٦ — المدينة اليونانية - الرومانية ١٧٣ — على عهد الامويين ١٧٨ — في العصور الوسطى ١٨٣ — المدينة العصرية ٢٠٣ — معرضها سنة ١٩٣٦ ٢٩٥-٤١٥

الدياطرون في طبعته الجديدة ٢٦٩-٢٧٧
ذ
الذكرى المئوية الثانية للمجمع اللبناني ١١٩-١٢١ ؛ ٦٠٠
ر
رصافة هشام ورقّة الرشيد ٢٣٥-٢٦٩ : تاريخ الرصافة ٢٤٥ — اطلالها ٢٤٨ — تاريخ الرقّة ٢٥٩ — اطلالها ٢٦٤
الرهبانية القديمة : عملها على التقريب بين الكنائس والشعوب الشرقية ٢٣١-٢٤٥
س
سابا (مار) ٢٣٦
سمعان العمودي ٢٣٩
سورية وفلسطين : تأثير الرهبانية القديمة فيها ٢٣٠
سينا (جبل) ٢٣١
ش
شخصية احمد شوقي ٦٧-٧٦
الشدياق (فارس) ٤٤٢
الشعر الصافي والمنثي ٢٥١-٢٦١
شوقي (احمد) : شخصيته ٦٧-٧٦
ص
الصفدي : تاريخ فخر الدين الثاني ١٠٤-١١٣
صفّين ٢٤٠
صوت لبنان في مؤتمر البحر المتوسّط ٩٤-١٠٤
صوصه (الاخ حنا) : معلومات جديدة عنه ١١٤
صيدا (منطقتها) ٥٦٨
ط
طرابلس (منطقتها) ٥٧١
الطفس الماروني : حول « الشواذ الحلبية » فيه ١٢٥-١٢٧
الطيور الغريبة (قصيدة) ٢١٠
ع
العثمانيون : دمشق على عهدهم ١٩٨
العسكر والاحابيش في مكة زمن الهجرة ١-٢٢ ؛ ٥٢٧-٥٥٥
عمر بن ابي ربيعة : نسبه ٨٤-١٤
غ
الغزيري (ميخائيل) ٦٠١-٦٠٥
ف
فخر الدين الثاني : تاريخه للصفدي ١٠٤-١١٣
الفرات ٢٢٩ ؛ ٢٥٦
فلسطين وسورية : تأثير الرهبانية القديمة فيها ٢٣٠
الفنّ الاسلامي : اصول الجمال فيه ٤٨١-٤٩٧
ك
الكنائس المنفصلة : اثر الرهبانية فيها ٢٤٢
الكنائس والشعوب الشرقية : عمل الحياة الرهبانية القديمة على التقريب بينها ٢٣١-٢٤٥
ل
لبنان : صوته في مؤتمر البحر المتوسّط ٩٤-١٠٤ — جريدة توزيع مال خراجه الاميري ١٢١-١٢٥ ؛ ٢٧٨-٢٨٥
لبنان الكبير في التاريخ ٥٥٥-٥٧٥ : بيروت ٥٥٧ — وادي التيم ٥٦١ — بعلبك والبقاع ٥٦٢ — منطقة صيدا ٥٦٨ — منطقة طرابلس ٥٧١
لغة الملكيين الوطنية والطقسية ٣٧-٦٧ ؛ ٢١١-٢٢٥ ؛ ٢٦١-٢٩٥ ؛ ٤٩٧-٥٢٧
م
مار سابا ٢٣٦
الماروني (الطفس) : حول « الشواذ الحلبية » فيه ١٢٥-١٢٧
الماروني (المجمع) المنعقد سنة ١٥٨٠ ٤١٥-٤٤٣

المتنبي والشعر الصافي ٢٥١-٢٦١ — نقد نقاده ٥٧٥-٦٠٠
المجمع اللبناني : الذكرى المئوية الثانية لمقده ١٧٣٦-١٩٣٦ ١١٩-١٢١؛ ٦٠٠
المجمع الماروني المنعقد سنة ١٥٨٠ ٤١٥-٤٤٣
معرض دمشق سنة ١٩٣٦ ٣٦٥-٤١٥ : الادارة والزوّار ٣٦٦ — معروضات البلاد المجاورة ٤٠٣ — القسم الزراعي ٤٠٥-- المعارف ٤٠٦ — الاثريات ٤٠٨
معلومات جديدة عن مستشرق قديم ١١٤-١١٦
مكة : الاحابيش والنظام العسكري فيها زمن الهجرة ١-٢٢ ؛ ٥٢٧-٥٥٥
الملكيون : بطريركيتهم الانطاكية ، ولغتهم الوطنية والطقسية ٢٧-٦٧ ؛ ٢١١-٢٢٥ ؛ ٢٦١-٢٦٥ ؛ ٤٩٧-٥٢٧
المماليك : دمشق على عهدهم ١٩٤
موقع البحر المتوسط : صوت لبنان فيه ٩٤-١٠٤

ن

نداء (قصيدة) ٣٠٩
نسب عمر بن ابي ربيعة ٨٤-٩٤
نقد نقاد المتنبي ٥٧٥-٦٠٠
النهضة الادبية : ناصيف اليازجي وفارس الشدياق ٤٤٣-٤٤٧

و

وادي التيم ٥٦١

ي

اليازجي (ناصيف) ٤٤٣
يوذا (قفر) ٣٢٣
اليونان والرومان : دمشق على عهدهم ١٨٢

AL - MACHRIQ

Revue Catholique Orientale Mensuelle

SCIENCES—LETTRES—ARTS

Sous la direction des Pères de la Cie de Jésus

UNIVERSITÉ St JOSEPH

Trente quatrième année

1936

BEYROUTH
Imprimerie Catholique
1936

TABLE DES SOMMAIRES

XXXIVe ANNÉE, 1936

JANVIER-MARS

Les « Aḥābīš » et l'organisation militaire de la Mecque au siècle de l'hégire : I (p. 1). *P. H. Lammens, S. J.*

Les Cèdres, d'après *La Montagne Inspirée*, (*illustré*) (p. 33). *Mr Saïd Akl.*

Les Melchites : Leur Patriarcat d'Antioche ; leur langue nationale et liturgique : I (p. 37). *Abbé I. Armalé.*

La personnalité d'Aḥmad Chauqi (p. 67). *Mr F.-E. Boustany.*

Les fouilles d'Apamée, (*illustré*) (p. 76). *Mr F. Mayence.*

Généalogie de 'Omar ibn Abī-Rabī'a (p. 84). *Mr J. Jabbur.*

La voix du Liban au Congrès de culture méditerranéenne (p. 94). *Mr Ch. Corm.*

Une histoire de Faḫr-ed-Dīn II (p. 104). *Dr A. Rustum et Mr F.-E. Boustany.*

Varia : Leçons de Lettres Orientales 1935-1936 (p. 112).
Nouveaux documents concernant Juan de Souza. (F.-E. B.) (p. 114).
Le Concile libanais, son 2e centenaire. (L. Kh.) (p. 119).
A propos de la « Répartition des impôts au Liban sous Bâchir II ». (C. B.) (p. 121).
« De la liturgie maronite », mise au point. (M. R.) (p. 125).

Bibliographie (p. 128).

AVRIL-JUIN

Esquisse d'une histoire de la ville de Damas, (*illustré*) (p. 161). *Mr J. Sauvaget.*

Appel, *poème* (p. 209). *Mr J. Ghassoub.*

Oiseaux exotiques, *poème* (p. 210). *Mr Saïd Akl.*

Les Melchites : Leur Patriarcat d'Antioche : leur langue nationale et liturgique : II (*illustré*), (p. 211). *Abbé I. Armalé.*

Rusâfa et Raqqa : une récente excursion dans le désert du Nord Syrien, (*illustré*) (p. 235). *Mr F.-E. Boustany.*

Le Diatessaron dans sa récente édition, *notes critiques* (p. 269). *Abbé L. Khalil.*

Varia : Mise au point (J. Alouan) (p. 277).
A propos de la « Répartition des impôts au Liban sous Bechir II ». (N. Dahdah) (p. 278).

Bibliographie (p. 285).

JUILLET-SEPTEMBRE

Le monachisme antique, comme force de liaiosn entre les Églises et Nationalités Orientales, (*illustré*) (p. 321). *P. P. Peeters, S.J.*

Ba'albek, d'après *La Montagne Inspirée*, (p. 345). *Mr Saïd Akl.*

Al-Mutanabbi et la poésie pure, (p. 351). *Mr F.-E. Boustany.*

Les Melchites : Leur Patriarcat d'Antioche : leur langue nationale et liturgique : III, (p. 361). *Abbé I. Armalé.*

La Foire-Exposition de Damas, 1936, (*illustré*) (p. 395). *P. F. Taoutel, S. J.*

Le Concile Maronite de 1580, (p. 415). *P. P. Massaad.*

Varia : Nâṣif al-Yâzigî et Fâris aš-Šidyâq (F.-E. B.) (p. 443).
Mise au point (L. Khalil) (p. 447).
Errata (p. 448).

Bibliographie (p. 449).

OCTOBRE-DÉCEMBRE

L'Esthétique de l'art musulman, (*illustré*) (p. 481). *Mr G. Wiet.*

Les Melkites : Leur Patriarcat d'Antioche : leur langue nationale et liturgique : IV (*fin*), (p. 497). *Abbé J. Armalé.*

Les « Aḥabiś » et l'organisation militaire de la Mecque au siècle de l'hégire : II (*fin*), (p. 527). *P. H. Lammens, S. J.*

Le Grand-Liban dans l'histoire, (p. 555). *Mr N. S. Dahdah.*

Critique des critiques d'al-Mutanabbi, (p.575). *Mr R. Blachère.*

Varia : Le 2e centenaire du Concile libanais (p. 600).
Michel Caniri. (P. M.) (p. 601).

Bibliographie (p. 605).

المشرق

السنة الخامسة والثلاثون — كانون ٢ – اذار ١٩٣٧

الاب سباستيان رونزفال

١٨٦٥ – ١٩٣٧

في العشرين من كانون الثاني ١٩٣٧، انطفأ، في بيروت، الاب سبستيان رونزفال اليسوعي، الاستاذ في جامعة القديس يوسف، بعد ان قضى شهراً في عذابات مؤلمة لاذعة، وكانت الأمراض المتناوبة، مع صممه المبكر، وحالة عينيه السيئة، تضع العقبات، منذ عدة سنوات، بينه وبين العمل المنتج الذي ظلّ مثابراً عليه بهمّة وعزم لا يباريان.

ولد الاب رونزفال في ٢١ تشرين الاول ١٨٦٥، في مدينة فيليبوبولي حيث كان ابوه، فردينان رونزفال، ترجماناً لقنصل فرنسة. وقد كان شاهد عماد الطفل، اي عرّابه، وكيل القنصل، وهو شارل-فرنسوا-نوبيل شامبوازو (Champoiseau)، ذاك الرجل المعروف بحسن ذوقه، وسموّ خلقه، من لا يزال متحف اللوفر مديناً له «بانتصار ساموتراس». ومن عجيب الاتفاق ان

الاب رونزفال خلف عرّابه ، سنة ١٩٠٩ ، في مجمع الرقّ والآداب ، بصفة مراسل .

ولم يلبث فردينان رونزفال أن نُقل الى ادرنة ، فالى بيروت . فدخل اولاده الخمسة كلية القديس يوسف ، سنة ١٨٨٥ ، ليتابعوا دروسهم .

وفي السنة ١٨٩٠ ، كان الشاب سباستيان رونزفال ينهي خدمته العسكرية في اكس - أن - بروفانس . وبعدها دخل دير الابتداء للرهبان اليسوعيين في انكلترة . وفي السنة ١٨٩٣ عاد الى بيروت . وفيها قضى حياته كلها ، ما عدا سني الحرب ، وسنة درس في باريس .

وكان الاب رونزفال يعرف ، منذ صغره ، عدا الفرنسوية ، التركية ، واليونانية . فاهتمّ ، فور وصوله الى لبنان ، بدرس العربية وما اليها من اللغات الساميّة . وكان من نتائج صمته الباكر ان تعزّز فيه الميل الى حياة الدرس الهادئ في حقل الادب والتاريخ . فنشر في السنة الاولى من « المشرق » ، سنة ١٨٩٨ ، مقالات مختلفة اهمّها بحثه في « زنوبيا ملكة تدمر » وهو اوّل بحث علمي دقيق يكشف عن تاريخ بادية سورية على عهد الرومان ، واول اثر من تلك المساعدة الادبية القيّمة التي لم ينفكّ الاب رونزفال يوليها مجلّة « المشرق » حتى وفاته ، وقد نشر ، وهو يعاني آلام مرضه الاخير ، ثلاثة اوصاف لكتب جديدة ظهرت في الجزء الفائت .

تنقّلت ابحاث الفقيد مدةً بين التاريخ والادب ، حتى كانت السنة ١٩٠٠ ، فبدأ ناحية جديدة ، هي ناحية علم الآثار او العاديّات . فأرصد له مجمع الرقّ والآداب في باريس اعتمادًا للحفريّات في دير القلعة ، قرب بيروت ، حيث كان دي برتو (de Bertou) قد تحقّق موقع خمسة هياكل . فقام الاب رونزفال ، سنة ١٩٠١ و١٩٠٢ ، بحفريّات تمهيدية في اراضي الدير ادّت الى اكتشافات مهمة منها : تمثال لجوبيتير البعلبكي ، وتقدمات غريبة لبعل مَرقُد وسيا . ومنذ ذاك الحين ، تعيّنت موضوعات العلم الخاصّ بالفقيد ، الذي لم يُهمله يوماً من حياته ، حتى انه في اواخر ايامه كان يُصلح مسوّدات بحث جديد دعاه « جوبيتير البعلبكي : حديث وقديم » وضمّنه زبدة آرائه في العبادات السورية ، مستندةً الى ما جمعه

من وثائق واسانيد بشأن اله بعلبك ، طول ثلاثين سنة .

وفي السنة ١٩٠٢ ، فتحت جامعة القديس يوسف ابواب « معهدها الشرقي » ، رامية الى تمهيد سبيل الشرق أمام المستشرقين خاصة ، فيسهل عليهم فهم بلادنا في مختلف مظاهرها . وكان الاب رونزفال قد درس في باريس ، مدة سنة ، اصول تدريس الرقم السامية والآثار الشرقية ، فكُلف تدريس المادتين في المعهد المذكور ، من السنة ١٩٠٤ الى السنة ١٩١٣ . وكان يدرّس ، فوق ذلك ، بعض الاحيان ، اللغة السريانية ، وجغرافية الشرق الادنى التاريخية . وهكذا كان التقيد مع الآباء لويس شيخو ، ولامنس ، وجلابرت ، اركان المعهد الجديد . ولا تنسى المكتبة الشرقية جزيل اهتمامه بتنظيمها وزيادة مجلداتها .

ثم كانت الحرب الكبرى . فنُفي الاب رونزفال من بيروت ، مع مَن نُفي ، على اثر دخول تركية الحرب ، في تشرين الثاني ١٩١٤ . فاتجه الى رومة حيث استقبله « المعهد الكتابي البابوي » ، وبعض اساتذته من قدماء تلاميذ الاب في بيروت . وانتقل بعد ذلك الى القاهرة ، فالى الاسكندرية . وفيها باشر عملاً مهماً بمساعدة الابوين بوفيه - لاپيير (Bovier-Lapierre) وسترازّولّي (Strazzulli) ، وهو القيام بالحفريات في اطلال اليفنتين او اصوان ، حيث كانت تقيم جالية عسكرية يهودية على العهد الفارسي . وكان امله ان يجد ، بعد ساخاو وكليرمون - گانو ، وثائق عن عقائد اليهود وعاداتهم ، زمن العهد القديم - على ان هذه الحفريات لم تُتابع لسوء الحظ ، فتبدّد الأمل قبل تحققه .

وكان للاب رونزفال ان يعود الى لبنان فيتابع دروسه بجدّ لم يثنه الّا مرض عينيه ، فيمتنع قليلاً ، ثمّ يعود . وفي هذه المدة باشر حفريات جديدة في سوجن ، قرب سفيرة ، على ٣٠ كيلومترًا شرقي حلب ، وغايته ان يكتشف الهيكل او القبر ، الذي كانت تُحفظ فيه ، في القرن الثامن ق . م . ، معاهدة الصلح المدوّنة بالآرامية بين الملوك عباي ، وبَرْگايا ، ومتيعيل . وكان هذا الاخير ملكاً على أرَبد ، وهي اليوم أرْفد شمالي غربي حلب . وقد عهد صاحبا هذا الاثر ، السيدان عسّال ودُمبقلي ، من تجّار الأثريات في حلب ، الى الاب رونزفال بان ينشره ويعلّق عليه . فقضى الاشهر الطوال في قراءته وتفهمه وشرحه وتبيان

اهميته العظيمة في تاريخ الجزيرة العليا[1] . بيد ان تل سوجين لم يُبدِ شيئاً من اسراره .

. . .

لم يعرض الاب رونزفال في تآليفه للموضوعات العامّة والابحاث الشاملة . فلم ينشر مثلاً « تاريخ فينيقية » الذي طُلب منه ، عند عودته بعد الحرب . ذلك انه كان اعمق من ان يكتفي بالتقريبات والفرضيّات والاستنتاجات التي لا يتخلّص منها من قام بعمل بنائيّ فسيح التصميم كهذا العمل ، ولم يكن له من الاسانيد الّا القليل والمتفرّق والموجز . ثم ان معارفه الواسعة التي كانت تضطرّه الى تغذية ثقافته بمطالعات جمّة في مختلف العلوم ؛ وصحته الضعيفة التي كانت تفرض عليه الراحة دفعات في السنة ، كل ذلك كان يحول بينه وبين التأليف الطويل المتتابع . اما آثاره المتفرّقة فماثلة خاصّة في « مجموعة المعهد الشرقي » (*Mélanges de la Faculté Orientale*) من السنة ١٩٠٦ الى السنة ١٩١٤—١٩٢١ ، المدعوّة بعد الحرب « مجموعة جامعة القديس يوسف » (*Mélanges de l'Université St Joseph*) من السنة ١٩٢٢ الى السنة ١٩٣٧ . ففيها نشر ، منذ السنة ١٩٠٩ ، « ملاحظاته ودروسه في الاثريات الشرقية » وقد خُتمت سلسلتها الثالثة بالبحث المذكور آنفاً عن « جوبيتير البعلبكي » . ولم يخفَ على العلماء ما اظهر فيها الفقيد من سعة المعارف ، ودقّة النظر ، وصواب الملاحظة ، وقوّة الاستنتاجات المهمّة . اما تفاصيل هذه الابحاث ، والدروس النقدية التي كان يخفيها الاب رونزفال بالكتب الجديدة ، فستظهر في مقدّمة المجلّد الثاني والعشرين من « مجموعة جامعة القديس يوسف » عن السنة ١٩٣٨ ، وفي الفهارس العامّة للمجلة المذكورة (المجلّد العشرون الظاهر قريباً) . من هذه الابحاث يبدو ان درس الرّقم العبرانية والفينيقية والآرامية والتدمريّة والسريانية ، مع تاريخ الشرق وجغرافيته القديمين ، وتاريخ العبادات السامية ، والاثريات المقارنة في الشرق الادنى ، كلّها كانت تتنازع اهتمامه الدائب ، ولاسيما الاثر ، الحجر او المعدن المنحوت او الرقيم على

(١) راجع *Mélanges de l'Université St Joseph*, XV, 1930-1931, p. 237-260, 13 pl. ou facsimilés.

اختلاف مظهره ، ذاك الأثر الذي كان يحمله اليه بائع « الانتيكات » الغافل ، او السمسار المغري ، فيعرضه على الاب ليعرف صحة نسبته ومبلغ ثمنه ، وكان الاب يُسرع بالتقاط صورته او رسمه ليدرسه في ما بعد . وكم من الآثار المهمّة اخرجها من الغموض التجاري ، بل من الضياع في ما لو نجح السماسرة فهرّبوها خارج الحدود. وكان الاب يلفت نظر امناء المتاحف لأشهر هذه الآثار ، سواء في ذلك المتاحف الوطنية والاجنبية ولاسيما متحف اللوفر . وفي طليعة المعجبين به ، وشاكري اهتمامه ، نذكر السيدين ادمون پوتيه (Pottier) وارنست بابلون (Babelon).

ولا يسعنا الّا الاشارة الى عمل جدير بكل تقدير، باشره الاب رونزفال منذ السنة ١٩٢٧ . وهو اعداد كل مجموعاته غير المنشورة ، مع نتائج ما قام به من الابحاث العلمية ، وترتيبها على طريقة يستفيد منها خلفاؤه. ولنا الامل بنشر بعض هذه الآثار في مجموعة ندعوها « وثائق الاب رونزفال » فيقدر العلماء ، هذه المرة ايضاً ، ما قام به هذا العامل الرادع المندفع ملاحظةً بصيرة دائمة ، من خدمات جليلة في سبيل الاثريّات اللبنانية والسورية ، قبل ان يكون في لبنان وسورية متاحف وطنية ودوائر اثرية.

ولقد كان من مشاغل الاب رونزفال ان يُطلع ارباب العلم والتاريخ من ذوي اللسان العربي على نتائج ابحاث الاوربيين في تاريخ الشرق القديم وآثاره المتنوّعة . وفي هذا المجال ايضاً كان من السابقين ذوي البصيرة النافذة ، كما تشهد له سلسلة ابحاثه في « المشرق » ، ولا سيما اوصافه للمطبوعات الجديدة التي لم يفتأ يخصّ بها المجلة منذ السنين الطويلة . وقد رأينا ان نثبت ، في ختام هذه الكلمة ، عناوين اهم مقالاته ، تاركين نقوده للكتب لمن يشاء ان ينقّش عنها في فهارسنا العامّة . كل هذا يدلّنا على ان الاب الفقيد لم يكن فقط من « ارفع العاملين في علم الأثريات الشرقية » كما كتب عنه بعض رجالات العلم ؛ بل كان ، فوق ذلك ، صديقاً مخلصاً للبنان وسورية . وقد اقرّت له بذلك الانعامات الرسمية . فعُيّن مراسلاً لمعهد فرنسة منذ السنة ١٩٠٦ ، ومُنح المدالية الفضية من وسام الاستحقاق اللبناني في ٣١ كانون الاول ١٩٢٩.

لم يشتغل الاب رونزفال يوماً واحداً في سبيل شخصه ، ولا في سبيل غاية بشرية محصورة ، انما كان عمله المتواصل ودأبه الدائم في سبيل الغايات الفسيحة والمرامي السامية . لقد خصّ بها حياته مذ كان يافعاً ، وفي سبيلها قيّد جميع اعماله ، فعاش هادئاً ، وادعاً ، مستقيماً ، ومات كذلك شجاعاً في الآلام ، بسيطاً مطمئناً في الايمان.

قلم التحرير

اهم ابحاث الاب رونزفال
في « المشرق »

النيازك ونجم المجوس ١ [١٨٩٨] ٤٩—٥٦

زينب (الزبّاء) ملكة تدمر ١ [١٨٩٨] ٤٣٣—٤٤٠ ؛ ٤٩٣—٥٠٠ ؛ ٥٣٧-٥٤٣ ؛ ٥٨٨—٥٩٣ ؛ ٦٣٧ — ٦٤٣ ؛ ٦٨٦—٦٩٤ ؛ ٨٢٣—٨٢٨ ؛ ٩١٨—٩٢٥ ؛ ٩٨٧—٩٩٥ ؛ ١٠٣١— ١٠٣٩ ؛ ١٠٥٧—١٠٦٦

أبنية قديمة وحديثة ١ [١٨٩٨] ٥٧١—٥٧٤

أصل كلمة « زنديق » ١ [١٨٩٨] ٦٨١—٦٨٤

أخبار علمية ١ [١٨٩٨] ٧٨٧—٧٩٠

لاقيس ولا ثاوفيل ٢ [١٨٩٩] ٤٥١-٤٦٠

في اهمية مطالعة تآليف الآباء القديسين ٢ [١٨٩٩] ٧٨١—٧٩١

قراءة بعض الكتابات الشرقية وتفسيرها ٣ [١٩٠٠] ٣٢—٣٩ ؛ ١٥٧ — ١٦٦ ؛ ٢٥٨-٢٦٧ ؛ ٣٢٣—٣٢٥ ؛ ٤١٩ — ٤٢٣ ؛ ٥١٤—٥٢٣ ؛ ٧٣٧-٧٤٣ ؛ ٨٢٨—٨٣٢

البحث الصحيح في ذخائر آلام المسيح ٣ [١٩٠٠] ٣٣٧—٣٤٨

كتابة معتبرة وُجدت في مصر	٤ [١٩٠١]	١١٣٤—١١٣٥
اشتقاق الحروف العبرانية	٨ [١٩٠٥]	١٢٦—١٣٠
اقدم وصف لآثار دير القلمة	٨ [١٩٠٥]	١٥٨—١٦٢ ؛ ٢٢٠-٢٢٨
اول كتابة فينيقية مكتشفة في مالطة	٨ [١٩٠٥]	٣٣٥—٣٣٦
احرف اللغة العيلامية	٨ [١٩٠٥]	٧٧١
اكتشاف مدارج بردية ارامية في مصر	١٠ [١٩٠٧]	٦٧٣—٦٨٣
كتابات شرقية جديدة مكتوبة على البردي ومكتشفة في مصر	١١ [١٩٠٨]	٥١-٦٠ ؛ ١١٨—١٢٦
اكتشاف اثر فينيقي	١١ [١٩٠٨]	١٦٤—١٧١
كتابة ارامية لزَكَر صاحب حماه ولَعَش	١١ [١٩٠٨]	٣٠٢-٣١٠
كتابات قبرس الفينيقية	١٢ [١٩٠٩]	٢٨٦-٢٩١ ؛ ٦٨٣—٦٨٥
تمثال جوبيتير البعلبكي في السُخنة	١٤ [١٩١١]	٣٠٧-٣٠٩
تاريخ قصر الحَضر	١٥ [١٩١٢]	٥٠٩-٥٢٣
تمثال جديد معدني لجوبيتير البعلبكي	١٦ [١٩١٣]	٥٢٢—٥٢٦
اثر مدفن سوري قديم	١٦ [١٩١٣]	٨٣٣—٨٣٥
وصف بعض العاديات السورية	٢١ [١٩٢٣]	٣٨—٤٦

قصة اسكندر ذي القرنين والقرآن

بقلم حبيب الله المقدسي

اخذت العامَ الماضي في وضع مقالة تاريخيّة انتقاديّة في « سدّ ياجوج وماجوج » ونقد ما ورد عنه في مؤلّفات العرب من الخلط والخزعبلات ، فقادني ذلك الى البحث عن الطريق التي سار فيها اسكندر من آسية الصغرى الى آسية الوسطى وبلاد الهند ، وعن الاماكن التي مرّ بها ، وما شاهده واجراه فيها . فاستكتبت لذلك كتاب الاستاذ Bridje تحت عنوان : *The Life and Exploits of Alexander* ، وطالعت عدة مقالات في المجلّات الجرمانية ، وغيرها ، وقرأت بامعان « قصة اسكندر » في الاصل اليوناني القديم[1] المنسوبة غلطاً الى المؤرخ اليوناني كاللستين(Callisthenes)معاصر اسكندر(ولد سنة ٣٦٠ ق.م)ورفيقه في المدرسة. وبينما انا اطالع هذه القصة لفتت نظري بعض صفحات أذكرتني بما ورد في سورة الكهف(الآيات ٥٩ – ٩٨) عن اسكندر ذي القرنين ، وعن « موسى » وفتاه ، فقابلتهما على بعضهما ، فاذا بينهما قرابة ظاهرة ، بل اتفاق غريب يكاد يكون في بعض السطور حرفيًا ، مع اختلاف بيّن في تفاصيل القصة مصدره على ما ارى ان صاحب القرآن لم يأخذ روايته عن اسكندر عن الاصل اليوناني توًا او عن اقدم تراجم هذه القصة ، وهي ، ولا شك ، الترجمة السريانية التي شاعت ، كما يؤخذ من كلام يعقوب السروجي (ص ٣٧٨) ، قبل سنة ٥٢٢ م ، بل اخذه إما عن احد الرواة الذين تعرّف عليهم صاحب الشريعة الاسلامية في احد الاديرة ، او في تلك المدن التي كان ينزل عندها او يمرّ بها في «رحلتي الشتاء والصيف» (قريش ٢)، او في مكة نفسها وهو الارجح، لانه قد عرف عن محمد بن عبد الله انه كان يتردد

١) طبعت سنة ١٩٢٦ ، في برلين.

« بكرةً واصيلاً »[1] على شخص او اشخاص يسمع منهم اساطير الاولين ، وقصص ابطال فارس واليونان ، وان هؤلاء الاشخاص ، او ذلك الشخص ، كانوا من الاعاجم بشهادة محمد نفسه[2]. ولا يبعد ان يكون احدهم من السريان الذين كانوا يتردّدون على مكة للمتاجرة ، او لنشر دعوتهم الدينية ، نستدل على ذلك بان صيغة « ياجوج وماجوج » لم ترد الا في الترجمة السريانية ، واما في سائر التراجم فانها « جوج »(Gog) ؛ وان الرجل او الوسط الذي اخذ عنه محمد هذه القصة لم يكن يعرف الا الرواية السريانية. وهناك تعليل آخر ، بل تعاليل اخرى ، لما نراه من الاختلاف بين رواية القرآن والاصل اليوناني ، منها ان تحريفاً ظاهراً وزيادات كثيرة دخلت على الاصل اليوناني قبل ان يتخذ صورة ثابتة معلومة ، ومنها ان اصحاب التراجم زادوا على الاصل تفاصيل وحكايات من عندهم ، او من قصص اخرى محلّية وغير محلّية ، وحرّفوا الاصل — ان لقصة اسكندر اصل قديم وُضع قبل ظهور النصرانية — تبعاً لاهوائهم ونزعاتهم القومية والدينية. ولعل ذلك حدث في اديرة الشرق ، والحلقات الدينية التي ادخلت على القصص القديمة عناصر دينية ادبية مسيحية ، وانتزعت منها كل ما لا يتفق مع الادب والدين المسيحي ، او وضعت قصصاً جديدة من عندها لارشاد الشعب ، وصدّه عن قراءة قصص الجاهلية المخالفة للدين والادب الجديدين. ولا يبعد ان تكون قد اتخذت للفرض نفسه من ابطال القصص القديمة امثلة للادب السامي ، بل لعلها رفعتهم احياناً الى درجة الانبياء والاولياء ، كما نرى ذلك في سيرة اسكندر ذي القرنين وفتاه ادريس اللذين يعدّهما القرآن ، وبعض المصادر التي اخذ عنها روايته ، من المؤمنين بل من الانبياء الصالحين[3] ، وذلك بخلاف ما عُرف عن اسكندر من انه كان وثنياً يعبد عطارد والزهرة ،

١) ... « وقالوا اساطير الاولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرةً واصيلاً »(الفرقان ٥ – ٦)

٢) « ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون اليه اعجمي وهذا لسان عربي مبين »(سورة النحل ١٠٥)

٣) « قال(اسكندر) هذا رحمة من ربي »(الكهف ٩٧) « وقال ما مكّني فيه ربي خير » (٩٤) « واذكر في الكتاب ادريس انه كان صدّيقاً نبياً » (مريم ٥٧) الا انا نرى القرآن ، فيما بعد ، يخرج ادريس من صفّ الانبياء ... (الانبياء ٨٥)

وانه كان فاسقاً يرتكب المحرّمات علانيةً امام جيوشه...

كنت اودّ لو تسمح لي ادارة « المشرق » ان انشر بضع صفحات من الاصل اليوناني مع الترجمة العربية ، واقابلها على بعض آيات القرآن. ولكن بما ان ذلك يشغل محلًا كبيرًا من المجلة ، وبما ان اكثر قراء « المشرق » يجهلون اللغة اليونانية ، رأيت ان احيل المستزيدين الى المصادر التي ذكرتها في هذه العجالة ليطالعوها ان احبّوا التوسع والتيقّن في هذا الموضوع اللذيذ، وان اقتصر هنا على ما قلّ ودلّ آملًا ان اعود الى هذا الموضوع في فرصة اخرى ان شاءت الاقدار...

١ « ثم اتبع سبباً حتى اذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سِترًا » (الكهف ٨٨—٨٩)

Οὕτως ὁ Ἀλέξανδρος ἀναγκαίως εἰρηνικῶς πρὸς αὐτοὺς πορεύεται καὶ ὁρᾷ πάντας γυμνοπεριβόλους. (ص ١٠٤)

وهكذا بعد ان قرأ إسكندر (رسالتهم اي رسالة البراهمة) سار اليهم سالمًا فرآهم جميعهم عُراة

٢ « فاتبع سبباً حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حَمِئة ووجد عندها قوماً » (الكهف ٨٣—٨٤)

Παραγενά(ο)μενοι δὲ ἐν ἐκείνῳ τῷ τόπῳ ὥρᾳ τρίτῃ τῆς ἡμέρας καὶ προσελθόντες τῷ ποταμῷ ηὕρομεν τὸ ὕδωρ πικρότερον ἁλεβόρου. (ص ١٠٨)

فلما بلغنا ذلك المكان في الساعة الثالثة نهارًا ودنونا من النهر وجدنا الماء (العين) امرّ من العلقم

٣ « ثم اتبع سبباً حتى اذا بلغ بين السدّين وجد من دونها قوماً لا يكادون يفقهون قولًا » (الكهف ٩١)

Ὁρμήσαντός μου τὸν ὀλίγοις ἐπὶ τὸ προειρημένον (καὶ) καταλαβόντες εὕρομεν νεμομένους ἐκεῖ θηλυμόρφους ἰχθυοφάγους ἀνθρώπους. Ἑνὸς δὲ προσκαλεσαμένου τινὰς εὕρον βαρβάρους τῇ διαλέκτῳ (ص ١٠٦)

ولما هجمت مع بعض (اصحابي) الى المحل المذكور اتينا (رأس البحر) وبعد ان استطلعنا عمن يقيم هناك وجدنا اناسًا ذوي وجوه نسائية يقتاتون بالسمك ولما دعوت (خاطبت) بعضهم وجدتهم برابرة اللغة (١)

١) اي وجدت لغتهم لغة البرابرة التي لا يفقهها احد

٤ . . . « آتوني زُبَرَ الحديد . . .
اتوني افرغ عليه قِطرًا » (الكهف ٩٥)

Ὁ δὲ ἄρων ἀνάβασιν οὐκ ἔχει. πιδήρῳ (δέ) ἠρμοσμένα τὰ τοιαῦτα... 1) (ص ١٠١-١٠٢)

إلّا ان المسكر (المحل الذي نزلا فيه) لم يكن له خندق فزوّدناه (استمضا عنه) بالحديد . . .

٥ « واذ قال موسى[2] لفتاه لا ابرح حتى ابلغ مجمع البحرين او امضي حُقُباً فلما بلغا مجمعَ بينهما نسيا حوتهما فاتخذ سبيله في البحر سَرَباً » (الكهف ٥٩—٦٠)

Καὶ ἐκβάντων αὐτῶν ἐπὶ τὴν νομιζομένην νῆσον ὥρας διελθούσης ἄρων ἔδυνε τὸ θηρίον εἰς τὸν βυθόν. (ص ١٠٢)

ولم تمض ساعة على نزولهم (اسكندر ورفقائه) الى الجزيرة المذكورة الا غطس الحوت في اليمّ

بقي ان نعرف من هو ذاك الفتى الذي صحب «موسى» (اي اسكندر) في سفره الى « مجمع البحرين »

لقد اجمع اصحاب التفاسير او كادوا يجمعون على ان الفتى المذكور في الآية السابقة هو الخضر. ولكنهم اختلفوا في من هو الخضر، فاكثرهم يزعم انه النبي الياس الذي عاش قبل اسكندر المقدوني بمئات من السنين. وبعضهم قال انه القديس جريس. وآخرون قالوا انه « النبي » ادريس، وارادوا بادريس هذا « النبي » ادريس المذكور مرّتين في القرآن (مريم ٥٧ — ٥٨ والانبياء ٨٥—٨٦) وهو على زعمهم اخنوخ التوراة و« جدّ ابي نوح » كما عرّفه احد المفسرين[3]، الذي رفعه الله « مكاناً عليًا » وهو الذي قال فيه جلال الدين السيوطي بانه «حيّ . . . في الجنة أدخلها بعد ان اذيق الموت واحيي ولم يخرج منها » وقال فيه الفراء انه « سمي ادريس لكثرة درسه الكتب » الى غير ذلك من الخلط والخرافات الصبيانية. اما ادريس التاريخي فهو ولا شك، كما حقق ذلك شيخ

١) هراء في الاصل
٢) وهذا غلط ظاهر، لان الكلام هنا عن اسكندر، ولعل الغلط وقع من جامعي القرآن.
٣) طالع كتاب Abraham Geiger تحت عنوان: *Was hat Mohammed aus dem Judenthume aufgenommen.* Leipzig. 1902. (ماذا اخذ محمد عن اليهودية)

المستشرقين Th. Nöldecke والعلماء A. Sprenger, Ad. Ansfeld, Grimme Hartmann وغيرهم ، اسم احد رجال اسكندر الذين صحبوه في فتوحاته البعيدة ، ولعله كان احد ياورانه المقربين. اما اسمه فتحرّف ولا ريب في ذلك عن Andreas), Andreas — Addreas - Addris — Iddris) وهي كلمة تتضمن معنى الرجولية والشجاعة[1] ، والسين فيها علامة الرفع كما في الياس وجريس او جرجس، وابليس(من dia)bolos) وغيرها. ونحن نرجح بان التحريف وقع في الترجمة السريانية القديمة ، او في ترجمة اخرى اخذ عنها العرب هذه الكلمة المحرفة.

وقد يعترض على هذا الاستنتاج بان اسم Andréas - ادريس لم يرد، على ما نعلم،بين اسماء قواد اسكندر المبرّزين. والجواب على هذا الاعتراض اننا لا نعرف جميع قواد اسكندر الذين رافقوه الى بلاد السند والهند، وتوغلوا فيها. ثم ليس من الضروري ان يكون ادريس قائدًا من قوّاد اسكندر المشهورين كبطليموس ، وسلوقيوس ، وانتيوخوس ، وغيرهم ، بل يكفي ان يكون غلاماً — فتى — او ياورًا من ياورانه او شخصاً ملازماً له يقوم على خدمته الخاصة. الا اننا لا نبتّ في هذه المسألة،كما وفي بعض مسائل اخرى طفيفة ، قبل ان نطّلع على اقدم تراجم « قصة اسكندر » كالقبطية ، والروسية ، والسريانية[2] وعلى الاخص السريانية ، وبعض الروايات اليونانية المتأخرة. فرجاؤنا الى اخواننا في سورية ومصر ، الراسخين في تاريخ الآداب السريانية والقبطية ، ان يبحثوا عن هذه التراجم القديمة ، وينشروها ، او قطعاً منها ، على صفحات « المشرق » تنويرًا للاذهان ، وتبديدًا للخرافات والجهل.

---

١) [illegible] في اليونانية الرجل ، والرجل الشجاع .

٢) ما عدا الحبشية فانها حديثة العهد ، ومتأثرة برواية القرآن

من الخزانة الشرقية

بقلم حبيب زيات

أَثَر أُنف[1]

«نسخة قصة وردت الى الابواب الشريفة السلطانية الملكية اينال من المسلمين القاطنين لشبونة»

بتاريخ اوائل ربيع الثاني سنة ٨٥٨ (نيسان ١٤٥٤ م)
في التماس السماح للنصارى باعادة ما تهدّم من بناء كنيسة القيامة وسائر الكنائس

لكنائس بيت المقدس وديراته في الاسلام، ولاسيما كنيسة القيامة العظمى تاريخ لم يكتب بعد، او لم تُستوفَ فيه كل اخبارها بالاستناد الى الاصول الاسلامية والنصرانية معاً. ولا مراء ان اولى الناس بالعناية بهذا التاريخ والتوفر على تدوينه واستقصاء انبائه هم الرهبان الفرنسيسكان الذين تقلدوا حراسة الاماكن المقدسة منذ القرن الثالث عشر. وعاينوا كل الوقائع التي تتابعت عليها في ايامهم. وقيدوا في سجلاتهم معظم الحوادث التي مرت بهم اثناء دولة المماليك الى مجيء الاتراك العثمانيين في القرن السادس عشر. فكانت خزائنهم في القدس حافلة بالشهادات والمستندات المعاصرة لتلك الازمنة، مشتملة على الآثار والكتابات التي تمثل صورها ورواياتها اصدق التمثيل. ولكنهم كانوا دائماً

---

١) يقال روضة أُنُف كمُنُق لم تُرعَ بعد. وكلأ أُنُف اذا كان بحالهِ لم يرعهُ احد. ومنهل أُنُف لم يُشرب قبل. وخمر أُنُف لم يُستخرج من دنّها شيء قبلها. (اللسان ١٠: ٢٥٦، والتاج ٦: ٤٧–٤٨). وقد اخترنا هذا اللفظ في تعريب كلمة inédit اي ما لم يُطبع او ينشر قبلاً لما بين المعنيين من الجامع والصلة. وكان الأولى ان نقول «اثر غميس». والغميس في اللغة «الذي لم يظهر للناس ولم يعرف بعد ومنه قولهم «قصيدة غميس» (التاج ٤: ٢٠٣). وانما آثرنا الاستعارة الأولى لخفة اللفظة ورشاقتها وصلاحيتها ان تكون ردفاً للمعنى نفسه. وفي ذلك ما لا يخفى من التوسع والمرونة في اللغة.

يضنون باستخراجها و إذاعتها لمحذورات يحذرونها واسباب يكتمونها. ولذلك لما وقفنا على متن القصة[1] المشار اليها في العنوان . كان اقصى رغبتنا ان نعارضها بما اجتمع لديهم من نسخ الرسائل التي انفذوها في ذلك العهد الى رؤسائهم في اسبانية والبرتغال في الشكوى من عسف المماليك ونكباتهم المتوالية على المعاهد النصرانية . حتى اثاروا بشدة تظلمهم فيها حنق ملكَي قسطيلية والبرتغال على الاسلام. فتوعّدا كل رعاياهما من المسلمين باقفال الجوامع والمساجد او هدمها، اذا لم يكفّ سلاطين مصر عن جورهم واضطهادهم للمسيحيين. ولكنا حين قُدِّر لنا زيارة القدس في العام الغابر علمنا باشد التحسر والاسف ان قسماً غير قليل من هذه السجلات والآثار الرهبانية قد تبدد وضاع ، او التهمته افواه النيران في الفتن والمحن التي كانت تهدد كل يوم وساعة بادبار النصرانية وبيَعها في الدول المصرية . ومما فُقد خصوصاً كل الاوراق والدفاتر المتعلقة باخبار القرن الخامس عشر . وغاية ما وقفنا عليه هنالك من الاشارات وبعض التعليقات على موضوع القصة البرتغالية بضع روايات مطبوعة لبعض كتبة الرهبان وجدناها لا تتفق على نصّ ولا تاريخ واحد . فلم يكن لنا بد من الاجتزاء بها والاقتصار على معارضتها ونقدها في تذييلنا على الاثر الاسلامي

وقد وُفّقنا للعثور على هذا الاثر في خزانة باريس في مجلد مخطوط رقم ٤٤٤٠ استوعب فيه جامعه طائفة صالحة من المكاتبات والقصص التي وردت على الديوان الشريف بمصر او صدرت عنه الى ملوك الاقطار. اختارها من اقلام اشهر الكتاب كالقاضي شهاب الدين ابي الثناء محمود ، وابن عبد الظاهر ، والصلاح الصفدي ، وابن فضل الله العمري ، وابن نباتة ، وتاج الدين ابن الاثير ، وكمال الدين بن العطار، ومحيي الدين بن قرناص، وكثيرين غيرهم. ونقل في اثنائها مراسلات وتقاريظ شتى من كتاب «قهوة الانشاء» لابن حجة الحموي . ومعظم هذه الكتابات السلطانية طريف لم يُنشر بعد . وبعضها لا يخلو من الفائدة للمؤرخ. وآخر تاريخ جاء فيها جواب السلطان قايتباي في ٧ جمادى الاول سنة ٨٧٣(١٤٦٨ م) على كتاب احد ملوك الهند المقام الجمالي محمود شاه ، في غرة

١) القصة في الدول المصرية مرادفة لاسم عرض الحال او العريضة في الدولة العثمانية

رجب سنة ٨٧١ (شباط ١٤٦٧) . ووردت قصة اهل لبونة في الورقتين ٥٨ — ٥٩ من هذا المجموع. وهو غُفل من اسم جامعه وعنوانه وتاريخ كتابته. واوله خطبة في سطرين اولها « الحمد لله مُنزل اللغات والكتاب» وتليها شهادة من انشاء القاضي شهاب الدين ابي الثناء محمود بتوقيعه وتوقيع عدة من الامراء والكتاب وذوي المناصب السلطانية قيل فيها:

« ان الامير شهاب الدين احمد السيفي البريدي سار على البريد في قوة الهواجر المشتطة وشدتها . وقِصَر الليالي المعينة على السَوْق وتقارب مدتها . الى الديار المصرية في يومين ونصف. وذلك انه ركب من دمشق المحروسة في ليلة الخميس رابع عشر جمادي الاولى سنة احدى وعشرين وسبعماية (١١ حزيران ١٣٢١) فوصل الى مصر المحروسة في ظهر يوم السبت سادس عشر الشهر المذكور . وكان له بذلك مزية على اقرانه. ودرجة لا يرتقي اليها الّا من جاراه في ميدانه. وسأل من علم ذلك ان يكتب له خطه بما علِمَه. وان يشهد له بما تحققه من هذه الحركة التي رفعت بين الاكفاء علَمه.» (١—٢)

ولا يخفى ما في مثل هذا الجلد الخارق من فضل السبق في حلبات البريد[1]. ولذلك اثرنا التنبيه على هذه النادرة ، ولو في غير موضعها هنا.

---

١) يؤخذ من رواية جمال الدين بن تغري بردي، صاحب النجوم الزاهرة، انه جاء بعد الامير شهاب الدين السيفي البريدي المشار اليه من برّز عليه في قطع المسافة بين مصر ودمشق في مدة يومين فقط. وكان قد ورد الخبر الى القاهرة في اوائل ذي الحجة سنة ٨٠١ (١٣٩٩م) ان ابن عثمان عزم على المسير الى البلاد الشامية. فانتُدب الامير سيف الدين سودون بن عبدالله الظاهري المعروف بالعنبّار لكشف الاخبار . فخرج من القاهرة في ١٨ ذي الحجة ووصل دمشق في العشرين منه . قال ابن تغري بردي: وهذا شيء وراء العقل كونه يصل من مصر الى الشام في يومين (النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، طبعة ليدن ، الجزء السادس ، الفصل الاول ، ص ١١)

ولما أرّخ وفاته في ٢٨ شوال سنة ٨١٠ (١٤٠٨م) قال: لُقب بالعنبار لانه خرج من ديار مصر في ليلة موكب ووصل الى دمشق ثم عاد الى مصر في ليلة موكب آخر على خيل البريد. ومعه دواداره الامير اسنبغا العنباري . وهذا السير لم يُسمع بمثله فيما مضى من الاعصار من انه يقطع ثمانين بريدًا في نحو اربعة ايام . وهذا الخبر مستفاض بين الناس يعرفه كل احد (الجزء المذكور ، ص ٢٨٥)

وقبل ان ننقل متن قصة مسلمي لسبونة لا بد لنا من البحث عن الاسباب والحوادث التي حملت الرهبان على الاستصراخ بملوكهم. وكان من عواقب هذا الاستصراخ التضييق على مسلمي الاندلس والبرتغال واكراههم على الاستغاثة في دورهم بسلطان مصر. وقد قلّبنا ما وسعنا تقليبه من كتب التاريخ الاسلامية فلم نجد من اشار بشيء الى وقائع سنة ٨٥٦(١٤٥٢م) باوسع مما ذكره مجيرالدين الحنبلي في كتابه الانس الجليل . قال في كلامه على السلطان الملك الظاهر جقمق :

« في ايامه جهز خاصكياً اسمه اينال باي . وكان الساعي في امره الشيخ شهاب الدين بن ارسلان فحضر الى القدس الشريف بمرسوم الملك الظاهر بالكشف على الديارات وهدم ما استجد بدير سهيون وغيره وانتزاع قبر داود عليه السلام من النصارى . ونبشت عظام الرهبان المدفونين بالقبر الذي به قبر داود . وكان ذلك في يوم الاثنين ثاني عشر جمادى الآخرة سنة ست وخمسين وثمانمائة (١٠ تموز ١٤٥٢) وكان يوماً مشهوداً . وفي تلك السنة وقع البطش في النصارى فأخذ المسجد من دير السريان وسُلّم للشيخ محمد المشمّر وصار زاوية . وهُدم البناء المستجد ببيت لحم وبالقيامة . وقُلع الدرابزين الخشب المستجد بالقيامة وأُخذ الى المسجد الاقصى بالتكبير والتهليل وكشفت جميع الديارات وهُدم ما استجد بها . وكان ذلك في اواخر عمر السلطان مجزاه الله اعماله بالصالحات وازالة الديارات المنكرات . » (ص ٤٤٣-٤٤٤) .

ولا شك ان البطش بالنصارى وهدم دياراتهم وانتزاع قبر داود من ايديهم ونبش عظام موتاهم كان العمل الاكبر الذي اثار تلك الشكاوى التي رنّ صداها في اندية الغرب وكان من رجع صداها تظلّم مسلمي الاندلس والبرتغال الى الملك الاشرف اينال . وهذا نص خطابهم له بعد تسديد ما تصحف فيه باقلام النساخ :

« بسم الله الرحمن الرحيم »

« الحضرة العلية التي جعلها الله مثابة للناس وأمنا . ووسم وجود مطالعها الشريفة ومراقيها السامية المنيفة بركة ويمنا . وعمّها بخصوصية سعادته الابدية والطافه الخفية السرمدية فكانت لها العاقبة الحسنى . وخصّها من مجاورة ارضها

المقدسة والقيام بحقوق بيته ذي الحرمات المعظمة بما احرز له بين ملوك الانام وخلفاء الاسلام المنصب الاشرف والمقام الاسنى. وجعل بدولتها جمال الايام. واعزّ بصولتها جوانب المسلمين والاسلام. ورضيها لكفالة الخلق. وايالة الحق. وآثرها من قوة القوائم. وشدة الصوارم. والفضل في إفاضة النعم. والعدل في سياسة الامم. ما ظهرت به لها مزية السبق. وسلّم القربُ الفضيلة للشرق. حضرة مولانا السلطان الجليل. الطاهر الظاهر النبيل. فخر الاسلام. حسنة الليالي والايام. ناصر الدين والملة. خاذل الطوائف المُضلّة. الحائز في كرم الشِيَم. وشيم الكرم. ما شاع به فضله. وانتشر له في الاقطار والامصار ما هو اهله. من اختاره الله لاغاثة الحجيج الى بيته الحرام. والى زيارة قبر نبيّه عليه الصلاة والسلام. محيي العدل في العالمين. فخر الملوك والسلاطين. خليفة الله في ارضه. القائم من الجهاد بسنّته وفرضه. صاحب الديار المصرية. والحجازية والشامية. مولانا السلطان اينال جعل الله دولته غرة في وجوه الدول. واحيا بمآثرها الكريمة آثار الملوك العظماء الأُول. وصرّف لها الليالي والايام (٨٦٥ ؟ ٥) تصريف من لديها من العبيد والخَوَل. وخلّد عمرها. وأعزّ نصرها. واعلى قدرها. وشيّد جمالها وفخرها. وادام على العباد امتداد ظلّها. ومهّد خلافتها المشتملة على ضروب المآثر والمفاخر كلها. سلام كريم تتأرّج تأرُّجَ الروض الانيق بغبّ مائه نفحاتُه. وتتألق تألُّق البدر المنير وسط سمائه صفحاتُه. وتنعطف انعطاف انعام الله عليكم رحماته وبركاته.

وبعد حمد الله الكبير الذي هو المولى ونعم النصير. حمدًا كما يجب لجلاله. والصلاة والسلام الاكملان على سيدنا محمد وعلى آله. والرضى عن صحابته وعترته والدعاء لحضرة مولانا السلطان بدوام النصر والتمكين. والفتح المبين. فقد كتبه للمقام العليّ كتب الله له تجديد السعود. وتأييد البنود. وانجاز النصر الموعود. عبيدُكم الغرباء المساكين القائمون بدين سيدنا ومولانا محمد عليه الصلاة والسلام. بين الكفرة وعبّاد الاصنام. يقتلون بساطكم الكريم ويعرّفون المقام العلي زاده الله علوًا وشرفًا ان العبيدَ اهلُ ارض لشبونة وما يليها من البلدان. وكان النصارى خذلهم الله تعالى حين اخذوا تلك البلاد من ايدي المسلمين في الزمن الاول. كما شاء الله ربنا وقدّره. وسبق في سابق علمه. منعوا من استولوا عليه

من المسلمين من اسلافنا من الخروج. وابقوهم على دينهم يقيمونه على ما ينبغي. يؤذّنون ويصلّون. ويفعلون من سُبُل الخيرات ما به الى ربهم عزّ وجلّ يتقربون. فرضوا بما قدّره الله وحكم به عليهم. وساقه قضاؤه الحتم اليهم. وخلفناهم نحن من بعدهم كذلك. وجعل سبحانه وتعالى بقاءنا هنالك. رحمة لاسرى المسلمين. واعانة للضعفاء الملهوفين. نغذوهم ونستر على هاربهم ونبلّغه مأمنه. مع اننا اعزكم الله في الاقامة بتلك البلاد مكرهون مقهورون. ويودّ الرجل ان يترك جميع ما له ويخرج لارض المسلمين. فلا يجد لذلك سبيلاً. وقد وقعت بنا في هذه المدة مصيبة عظمى وداهية دهما. وذلك ان قسيسي القمامة ورهبانها الساكنين بارض بيت المقدس. بعثوا لهذا الرومي صاحب بلاد البرتقال الذي نحن في ارضهم. انهم في غاية الضيق وان القمامة التي هي شرفهم وشرف سلفهم ومقصد (٥٩٫٥ °) حجهم تهدمت وان المسلمين منعوهم من بنائها وبناء ما هُدم لهم من كنائسهم. بل انهم بدلوا بعض كنائسهم مساجد. واستصرخوا به واستنهضوه ان يفعل هو بنا كما فُعل بهم هنالك. وامروه ان يهدم مساجدنا. ويمنعنا من اقامة ديننا. ويوقع الضرر بنا. فبعث لنا السلطان المشار اليه بما ذُكر. وامرنا ان نبعث اليكم بهذا الخبر ونرغب اليكم في كشف هذا الذي نزل. والا فهو يوقع بنا ما وقع بهم. فاجتمع من هنا من المسلمين وتضرّعوا الى رب العالمين. واتفقوا ان يرفعوا هذا الامر اليكم. ويوقفوا تفريج كربتهم هذه عليكم. اذ ديننا واحد. وهو كجسم ان اشتكى منه عضو واحد تشاكى جميعه. واجتمع من في عمالته من المسلمين. ولجأوا الى الله متضرعين. وبسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم متوسلين ومتشفعين. ان يكشف سبحانه على يدكم كربتهم. ويرحم غربتهم. فاخترنا من بيننا رجلين من القرآن العظيم. ومن ذوي الحسب الصميم. وهما الفقيه ابو العباس احمد بن محمد الرعيني. والفقيه ابو عبدالله محمد بن احمد الونداجي. ووجهناهما الى حضرتكم الشريفة برسالتنا وفي تبليغ قصتنا.

وليس القصد ادام الله ايامكم ونصر الويتكم المظفرة واعلامكم. ان النصارى الذين تحت ايالتكم. وفي قطر عمالتكم. تمكنونهم مما لم يُمكّنوا منه قبل مما لم تجرِ به عادة. او يُزادوا في طريقتهم التي (ليس) عليها زيادة. ولا ان

تسمحوا لهم ببناء ما هُدم . وتعمير ما بهم عُرف وعلم . وانما بغيتنا منكم ان تأمروهم ان يكتبوا لسلطانهم الذي كتبوا له اولاً ان لا يتعرضنا في مساجدنا . وان لا يمنعنا من اقامة ديننا حيثما وقع الصلح بين اسلافهم واسلافنا . وانه اذا اوقع بنا شيئاً يقع بهم اضعافه . حتى نحسن عشرته معنا . ونأمن في سربنا . ونقيم ديننا على عادتنا من اظهار الاذان في الصوامع . ومواظبة الجماعة في المساجد والجوامع . وهم يزعمون ان القمامة هذه بها ولد عيسى المسيح . وان القيام بشأنها عندهم هو الدين الصحيح . وان الصلح وقع على ابقائها كذلك مع عمر بن الخطاب ووافق (على) ذلك من جاء بعده من الاصحاب . رضي الله عن جميعهم . وجعلكم (٥٩٣٥ ١٥) وايانا في بركة شفيعنا وشفيعهم . فنخشى ايدكم الله ان استمروا على هذا المنع من هذا الذي طلبوا من بناء هذه القمامة . ان يضيقوا علينا في المسالك . ونهلك مع من هو هالك . وتُهدَم لنا المساجد . وينقطع منا الراكع والساجد . ويصل الضرر الى جميع هذه الطائفة الاسلامية . الساكنين كما شاء الله في البلاد النصرانية .

وما يخفى ما فيها من المنفعة للمسلمين . والرحمة والاعانة للمأسورين . فكم فككنا من اسير . وسهّلنا عليه من عسير . مع اننا لو وجدنا للخروج من البلاد سبيلاً . رضينا المقام بها بذلك بديلاً . لكن الرضى بما قدّره ربنا وقضاه . وانفذه فينا وامضاه . ولله الحمد على كل حال . والشكر على ما اراد بنا من ضرّ او افضال . فالعبيد لجأوا الى فضلكم . وتشفعوا اليكم بنبيهم ونبيكم . في تفريج ما نزل بنا من هذه الطامة . والمصيبة التي هي للمسلمين بهذه البلاد عامة . والله سبحانه يديم مقامكم الكريم نصر اللواء . وقهر الاعداء . ويعرّفه في كل مقام يرومه يُمن الاعادة والابداء . والسلام الاتم الكريم يخص مقامكم العلي ورحمة الله وبركاته .

تاريخ اوائل شهر ربيع الثاني الذي من عام ثمانية وخمسين وثمانمائة . عرفنا الله خيره بمنه ».

وبين هذا النص الصريح ورواية الرهبان الفرنسيسكان تناقض واختلاف في حكاية الواقع وتعيين التاريخ . فقد زعم احد رواتهم ان الحادثة كانت سنة

١٤٥٩[1]، وجعلها غيره سنة ١٤٦٠[2]، وذكر آخر انها سنة ١٤٦٨[3] بدلاً من ١٤٥٤ اي ٨٥٨ للهجرة وهي السنة التي وردت مضبوطة بالحرف لا بالرقم في قصة لسبونة . ومعلوم ان الملك الاشرف سيف الدين ابا نصر اينال العلائي تولى السلطنة في ٧ ربيع الاول سنة ٨٥٧ (١٨ اذار ١٤٥٣) فتكون القصة رُفعت اليه بعد سنة وشهر من سلطنته . وقد سكت المؤرخون المصريون عنها وعن جوابه عليها. فلا ندري ما رسم به بشأنها . وانفرد الرهبان الفرنسيسكان بالقول ان ملك قسطيلية هنري الرابع كان امر بتدمير الجوامع والمساجد في كل مملكته اقتصاصاً لما تم على كنيسة دير صهيون وسائر الكنائس والاديار في القدس . وتهدد بطرد المسلمين في بلاده . وهم يبلغون ثمانمائة الف . فخشي سلطان مصر تفاقم الخطب ، وامر باعادة دير صهيون الى اربابه الفرنسيسكان . وهذ تعريف تاريخ الرهبانية ، وقد لخص فيه مؤلفه اهم حوادث دير صهيون قال:

« كان اليهود سنة ١٤٢٩ قد طمعوا في علّية صهيون بدعوى انهم احق بها لوجود قبر النبي داود فيها. واعانهم المسلمون لانهم كانوا يعدّون داود من اعظم الانبياء. وطردوا من الدير الفرنسيسكان. فاضطرّ حارس جبل صهيون فرا جان دي بلور (Fra Jean de Bélor) ان يتوجه الى مصر ويتظلّم الى السلطان الاشرف سيف الدين برسباي ويطلعه على تواقيع سلفائه باثبات الدير للرهبان الاصاغر. واهدى اليه كيساً مفعماً من الذهب هدية من البابا وملكة نابولي جانّ الثانية . فانصفه السلطان.

ومضى على الرهبان ثلاثون سنة وهم متمتعون بحيازة الدير المستعاد. حين فاجأهم اعداؤهم بالسلاح سنة ١٤٥٩ في ايام الملك الاشرف اينال واخرجوهم من الدير ثانية. ولم يستطع وقتئذٍ حارس الدير فرا برتلمي دي كول (Fra Barthél-

1) *Histoire Universelle des Missions Franciscaines* d'après le T. R. P. Marcellin de Civezza, tome III, Paris, 1898, pp. 227-229.

2) Fr. Yvan de Calahorra, *Chronica de la Provincia de Syria y Terra Santa*. Madrid, 1684, pp. 284-285.

3) Fr. Samuel Eijan, *España en Tierra Santa*. Barcelone, 1910, p. 35.

my de Colle) ان ينطلق الى مصر ويطالب بحقوق الرهبان القديمة . فلم ير الرهبان بدًا من الانتقال الى منزل مجاور كانوا فيه عرضة لتعديات القوم . وارشكت هذه الحال ان تطول بهم لولا حادث طرأ كانت عاقبته خيرًا للنصارى . وانتهى به كل مشكل . وذلك ان هنري الرابع ملك قسطيلية وقف على ما كان . وامر للحال بهدم جانب من المساجد التي كانت في بلاده وتهدّد المسلمين ان يخرب باقيها ان لم يتوسّطوا لدى سلطان مصر وينالوا منه كشف ظلامة الرهبان الاصاغر في الارض المقدسة . فاستاء مسلمو الاندلس للاهانة التي لحقت بهم بتخريب بيوت الصلاة . ورفعوا قصة الى ملك مصر سألوه فيها ان يُحسن الى الرهبان ويُرجع لهم حقوقهم . فتلقى السلطان عريضتهم بالقبول . ورسم لنائبه في القدس ان يطرد اليهود من علية صهيون ويعيد اليها الفرنسيسكان . »[1]

وبين هذه الرواية واقوال غير واحد من كتبة الفرنسيسكان مباينات ومناقضات شتى ذكرنا بعضها في تأريخ القصة ، وان السنة الصحيحة كانت ١٤٥٤ وليس ١٤٥٩ او ١٤٦٠ او ١٤٦٨ . واكبر دليل على ذلك ان العريضة المرفوعة لسلطان مصر اينال كانت في شهر ربيع الثاني من عام ٨٥٨ وهي توافق ١٤٥٤ للمسيح . فلا ندري اين وجد الرهبان كل هذه السنين الموهومة . واقدم من روى الحادثة منهم فرا سوريانو وقد ادرك زمانها لانه ولد سنة ١٤٥٠ . ولم يعين في روايته اية سنة كانت ولا اسم ملك قسطيلية الذي شهد وقوعها . وزعم ان الملك لما علم الظلم الواقع على الرهبان « امر بتخريب مساجد المسلمين التي كانت في بلاده . ولم يستثنِ منها سوى جامع طليطلة وآخر معه . وبعث يقول للسلطان بواسطة المسلمين الذين كانوا في جملة رعاياه انه اذا اصرّ على ظلم رهبان جبل صهيون فيما بعد يأمر هو بقتل نيف عن ثمانمائة الف من المسلمين الذين في حكمه . »[2] ولا يخفى ما في مثل هذه الدعوى من المبالغة والتهويل .

1) P. Marcellin de Civezza, *op. cit.*, t. III, pp. 227-229.

2) Fra Suriano, *Trattato di Terra Santa e dell'Oriente*. Edition P. G. Golubovich. Milan, 1900, p. 111.

وقد تقدم من لفظ مسلمي لسبونة ان التوعد بإخراب المساجد اقتصاصاً لما كان من إخراب الكنائس في القدس لم يتجاوز حدّ التهديد ولم يتم في الواقع. ومن الغريب ان تكون مثل هذه الكائنة في اسبانية والبرتغال ويتناول الهدم كل المساجد والجوامع فيها على كثرتها وانتشارها ، ولا يدري بها او يشير اليها احد من مؤرخي القطرين ولا يبقى لها اقل اثر في كتابات ذلك العصر . ومما يريب ايضاً في صحة هذه الحكاية كما حدّث بها الرهبان انهم اغفلوا كل اشارة الى توسط ملك البرتغال في ذلك العهد وهو الفنس الخامس (١٤٣٨–١٤٨١) ولم يذكروا بحرف عريضة رعاياه مسلمي لسبونة ، رغبةً منهم دون شك في نسبة الفضل الى ملك قسطيلية وحده. وكان معظمهم من بلاده . ولذلك لم يتحرّجوا من المبالغة والتعظيم . ومن اكبر فوائد القصة التي وُفقنا لوجودها ونشرها ان تُعين على دفع هذه الاوهام واثبات الحقيقة . وحبّذا لو توفر احد الرهبان الافاضل في القدس على البحث في سجلاتهم وآثار اسلافهم . لتعريف اخبارهم الصحيحة وما تعاقب عليهم وعلى اديارهم من المغارم والمظالم في دولة المماليك . انتقادها ومعارضتها بما قد يكون ورد عنها في الاصول الاسلامية .

دير رمّانين في ضواحي حلب

قال الخالدي في كتاب الديارات ، فيما رواه عنه شهاب الدين العمري : «هو دير بالشام . ولا ادري في اي ناحية هو منها . ولكن قيل انه دير كبير حسن عامر .» وحكى على الاثر أسطورة دخول عمر بن الخطاب انطاكية ، وخروجه منها ، بعد قتل احد بطارقتها . والتجائه في طريقه الى دير أضافه فيه الراهب . ولما عرف اسمه اخرج كتاباً عنده وتصفحه . وهو يتصوّب النظر ويصعّده في عمر . ثم وثب اليه ، وقبّل رأسه . وسأله عن ظهور محمد . وتنبأ لعمر انه يملك الارض ويُخرج هرقل من الشام . والتمس منه ان يكتب له في قطعة من أدم كتاباً أملاه عليه في ترك خراج الدير والوصاة به .[1]

(١) مسالك الابصار للعمري ٢٤٢ – ٢٤٤

ويُستدلّ من هذه الحكاية ان الخالدي كان يعتقد ان هذا الدير كان دير رمّانين ، ولو لم يصرّح بذلك. ولا شك عندنا ان كل هذه القصة موضوعة لتصحيح الكتاب الزور ، رغبةً من الرهبان في اعفاء الدير من الرسوم والتكاليف. وفي الديارات نظائر لهذه الوصاة والمسامحة اذا تدبّرها اليوم المنتقد تتجلى له في اكثرها امارات الشبهة والاختلاق.

وقد اغفل ياقوت الرومي ايضاً تعيين موقع الدير. واقتصر على القول انه كان يُطلّ على بقعة سرمد. ولكنه نسي ان يعرّف ، في كلامه على سرمد ، اين كانت بقعتها بالضبط . و لم يزد على انها موضع من اعمال حلب ، كعادته كثيرًا في عدم النصّ وايثار الابهام. ويؤخذ من عبارة لابن الشحنة في تاريخ حلب ان سرمد كانت بالقرب من البلاط[1]. وفي ياقوت ان البلاط هي مدينة كورة الحوّار، كانت قديماً بين مرعش وانطاكية[2]. وفي كل ذلك من الخفاء والغموض ما لا يخفى. ومن الغريب ان ياقوت لم يخطر له ان يبحث عن رمانين التي انتسب الدير اليها. فلم يذكرها البتة في بابها. وعنده ان الدير كان يُسمّى ايضاً دير السابان[3]. والصحيح ما حكاه ابن العديم في كتابه المخطوط «بغية الطلب في تاريخ حلب» ان دير رمانين في جبل سمعان من اعمال حلب. قال : والقرية تُعرف اليوم في زمننا (١١٩٢ — ١٢٦٧م) بترمانين[4]. واشار قبلًا الى دير سابان الى جانب دير عمان من جبل سمعان غربيّ حلب[5] ، ولم يقل انه هو دير رمانين

ومع ان دير رمانين كان بعيدًا عن حلب ، بمعزل في الجبل عن كل مجتمع ، لم يسلم ابدًا من آفات تطرّح ارباب اللهو والبطالة فيه. لوقوعه في احسن موضع وانزهه. فلم يبرح مقصدًا للمتطرّبين ، ومألفاً لعشاق الخمور النصرانية. فكان في آن واحد مزارًا للنصارى ودارًا للسكارى ، حظّ اكثر الديارات في الاسلام.

١) الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب ٣١٧

٢) معجم البلدان (طبعة اوربة) ١ : ٧٠٩ و ٣ : ٢٥٤

٣) معجم البلدان (طبعة اوربة) ٣ : ٦٦٣ و ٦٦٦

٤) خزانة بريتيش موزيوم Add. 23354, f° 162 — 163 . وفي الاصل المخطوط : « تعرف . . . برمانين »

٥) خزانة بريتيش موزيوم Add 23354, f° 97

ومما انتهى الينا من الخمريات التي قيلت فيه ابيات للواله الشاعر من اهل الشام. نقلها لنا ابن العديم من كتاب الديرة المفقود لابي الحسن السميساطي ، وهي:

ألِف المقام بدير رمّانينا للروض إلفًا ، والمدام خدينا
والكأس والابريق يُعمل دهره ويداه تجني الورد والنسرينا
يغدو ، اذا الناقوس ايقظه ، على عذراء أوطنت الدخان سنينا
بكر ، اذا ما الهمّ عاين كأسها يومًا ، رأى في ما يرى السكينا
ومن العجائب مسكة ترضى بأن تختار قارًا في اللباس ، وطينا
ويطارح الطنبور ، طول حياته ، حتى كأنّ عليه فيه يمينا
هانت على طرماته عذّاله ، لما اشترى الدنيا ، وباع الدينا
عُمر(١ هو البلد الحرام،فكم ترى فيه الندى ، والتين ، والزيتونا(٢

وكان الدير في ايام ياقوت الرومي (١١٧٨ - ١٢٢٨م) خرابًا ، وآثاره باقية.

دير صليبا بدمشق

زيارة الخليفة المتوكل له . وقصتهُ مع ابنة قسّ الدير

دير صليبا ، ويقال له دير السائحة ، ودير خالد — لان خالد بن الوليد نزل به حين حاصر دمشق — كان مقابل باب الفراديس من ابواب دمشق قديمًا. وفي رواية البلاذري ان اهل هذا الدير اتوا خالدًا بسلّمين وعليهما رقي بعض جنده الى اعلى سور الباب الشرقي ونزلوا اليه، وليس عليه الا رجل او رجلان وتعاونوا عليه وفتحوه[٣]. « قال هشام: سمعت الوليد بن مسلم يذكر ان خالدًا بن الوليد شرط لاهل الدير الذي يعرف بدير خالد شرطًا في خراجهم بالتخفيف عنهم حين اعطوه سلّمًا صعد عليه . فانفذه لهم ابو عبيدة . »[٤] وفي قول الكلبي ان هذا الدير كان على ميل من الباب الشرقي[٥].

١) العمر هنا يعني الدير
٢) بغية الطلب في تاريخ حلب لابن العديم . جزء في خزانة لوندرة المذكور آنفًا .
٣) فتوح البلدان للبلاذري (طبعة اوربة) ١٢١
٤) فتوح البلدان للبلاذري (طبعة اوربة) ١٢٩
٥) معجم البلدان لياقوت (طبعة اوربة) ٣ : ٦٥٧

ولا يُعلم من بنى هذا الدير قبل الاسلام. وكان بناؤه حسناً عجيباً في بقعة نزهة كثيرة البساتين والاشجار والمياه، وارضه مفروشة بالبلاط الملوّن. والى جانبه دير ثانٍ للنساء الرواهب[1]. ويظهر ان جريرًا اراد هذين الديرين بقوله:

اذا تذكرت بالديرين أرّقني صوت الدجاج وقرع بالنواقيس

وروى البكري عن ابي الفرج الاصبهاني ان الديرين كانا ديري بطرس وبولس بنواحي بني حنيفة في ناحية الغوطة[2]. واستشهد الخالدي على ان دير صليبا كان يلي باب الفراديس بقول جرير في هذا الشعر:

فقلت للركب: اذ جدّ النجاء بهم، يا بعد يبرين من باب الفراديس (٣

قال الشابشتي: وأنشدت فيه:

يا دير باب الفراديس المهيّج لي بلابلًا بقلاليه واشجاره
رمقتاً لي من مالي ومن نشبي بما أباكره من خمر خمّاره
لو عشت تسعين عامًا فيك مصطبحًا، لما قضى منك قلبي بعض اوطاره (٤

« وحُكي ان الوليد بن يزيد كان كثير المقام في هذا الدير يخرج اليه ومعهُ حُرمه استحسانًا له. وانه كان يجلس في ايام مقامه فيه في صحنه كل يوم ساعة من النهار ثم يأكل ويشرب في مواضع منه طيبة حسنة. »[5]

ونظرًا لحسن موقع هذا الدير وجمال مُطلّه على جنان الغوطة، كثر غشيان المتطربين له وإقبال ارباب الشراب والقصف عليه شأنَ امثاله من الديارات في الاسلام. وفيه يقول ابو الفتح محمد بن علي المعروف بابي اللقاء

حبذا أنت يا دير صليبا مُبدعًا حسنه جمالًا وطيبا
حبذا الشام يومًا، قطّلنا فيه شهرًا! وكان امرًا عجيبا
شجر مُعشق به، ومياه جاريات، والروض يبدو ضروبا
من بديع الالوان يضحي به الثا كل مما يرى لديه طروبا
كم رأينا بدرًا به فوق غصن مائس قد علا بشكل كثيبا

١) الاعلاق الخطيرة لابن شداد. خزانة بريتش موزيوم. لوندرة Add. 23335, f° 108
٢) معجم ما استعجم للبكري ٢٦٨-٢٦٩
٣) مسالك الابصار للعمري ٢٤٩
٤) الاعلاق الخطيرة لابن شداد. بريتش موزيوم
٥) مسالك الابصار ٢٥٦

وشربنا به الحياة مداماً تُطلع الشمس في الكؤوس غروبا
فكأنّ الظلام فيها نهار لسناها تسرّ منا القلوبا
لست انسى ما مرّ فيه، ولا اجـ ـمل مدحي الا لدير حليا (١

وفي هذا الوصف شاهد كافٍ بما كانت عليه بقعة الدير من الطيب والجمال بين رياض مونقة ومياه متدفقة في محلة دلّ عليها اسمها «الفراديس» اي الجنان.

ولما قدم دمشق المتوكل على الله الخليفة العباسي زار هذا الدير في جملة الكنائس والديارات الشامية. واغفل الراوي اسمه. وقد عثرنا على وصف هذه الزيارة في مطاوي مخطوط مجموع في خزانة بريتيش موزيوم في لوندرة، ولا نظنه الا أُنفاً لم يستخرج بعد من سفطه وفيه من الطرافة والظرف ما حدانا الى نسخه ونقله هنا لغرابة روايته حدّث بها بعض بني حمدون عن بعض شيوخه، قال:

« كنت مع المتوكل لما شخص الى الشام. فعنّ له ان يطوف كنائس الزهاد والموضع المعروف بالفراديس. ثم قال انني كنت اسمع بطيب هذه المواضع. فقلت الرأي ما رآه امير المؤمنين فنزلنا منزلاً بين كنائس عظيمة وآثار قديمة ترتاح النفوس اليها ويشتهي من ينزلها ان لا يرتحل عنها فلما استراح من تعب الركوب استدعاني وقال: هل لك في الركوب. قلت كما يأمر امير المؤمنين. فاخذ بيدي ولم يزل يستقري تلك الكنائس والديارات ويشاهد ما فيها من عجائب الصور ويرى من (P'126 b) احداث الرهبان وبنات القسيسين وجوهاً كأنها اقمار على غصون. تتثنى في تلك الاروقة وتصحون. وكلما مرّ بناشئ منهم يقول لي: ويحك ترى ما نحن فيه ؟ ما شاهدت مثل هذا قط. ثم خلونا براهب من قوام الكنيسة. فلم يزل المتوكل يسأله عن حال كل جارية وغلام يمرّ به واسمه ونسبه اذ لمح كتابة على حائط الكنيسة فقراها واذا هي « حضر الغريب المشتّت الحزين. وهو يقول شتّت شملي بعد الألفة وشتّتي جسمي بعد الترفه. ومشيت من العراق الى هذا الرواق. وارتحلت عنه في ذي الحجة سنة احدى ومائتين. وانا اقول

آل امري الى احسن الامور، وتبدلت كريهة سروري

---

١) معجم البلدان ٣ : ٦٧٤

واغترني من الزمان خطوب تتبارى في هتكة المستور
نفس، صبرًا لحادثات الليالي كل شيء يذلّ للمقدور »

فقال لي ويحك ترى ما اظرف حال هذا المسكين . وما احرق هذا الانين .

ومرّت به جارية ما رأت عيني لها شبيهاً وعليها جُونا (كذا) وبيدها مبخرة تبخر بها : فقال لها المتوكل تعالي يا جارية . فاقبلت بحسن ادب وكمال . فسأل المتوكل الراهب عنها فقال : ابنتي . قال : وما اسمها . قال : شمانين . فقال لها المتوكل : يا شمانين اسقيني ماء . فقالت : يا سيدي ماؤنا ههنا ماء الراهبات القذرات . ولست استنظف ماءهم ولا آنيتهم ولو كانت حياتي ترويك (a 127 ٣) لجدت لك بها . ثم اسرعت فجاءت بكوز من فضة فيه ماء . فاومأ الي ان اشربه فشربت . واشتد عجبه بها وشهوته لها . فقال لها : يا شمانين ان هويتك تساعديني ؟ فتنفست ثم قالت : اما الآن فانا عبدتك . فاما اذا عرفت صحة حبك وتمكنت من قلبك فما اخوفني من حدوث الطغيان عند تمكن الشيطان . اوَما سمعت قول الشاعر :

كنت لي ، في اوائل الامر ، عبدا ثم لما ملكت صرت عدوّا
اين ذاك السرور عند التلاقي صار مني تجنباً وتنوّا

فطرب المتوكل وكاد يشق قميصه . ثم قال لها هبي لي نفسك اليوم حتى نشرب انا وانتِ فانا ضيفك . فقالت : على الرحب والسعة . ثم اصعدت بنا على علّية مشرفة على تلك الكنائس فرأينا منظرًا هالنا حسناً ثم مضت فجاءت باشياء من المأكول مستظرفات . وكأن المتوكل عاف ذلك لعزة الخلافة . فاستأذنها في احضار طعام فاذنت له . فاتونا بخروف مخشوّ وسنبوذج واشياء قريبة المأخذ من طعام مثله . فاستظرفت ما جيء به واستهولت الآلة . وفطنت لامير المؤمنين فقامت قائمة بين يديه تخدمه وتكفّر له . فمنعها ثم جاء ابوها بشراب من بيت القربان ذكر المتوكل انه لم يرَ مثله قط . فشرب وشربت معه . فاستغنيت من حمى كانت لحقتني تلك الليلة فاعفاني . وسرّ بها ونظرها سرورًا عظيماً تامًّا . فلما اخذ الشراب منها قالت له : ياسيدي اغنيك من غنائنا على ضعف الصنعة ؟ فكاد يهيم وقال :

ان فعلتِ كمل الله ظرفك. (f° 127 b) فقامت فجاءت بشيء يسمونه هناك القيقارة (القيثارة ؟) وصرخت واندفعت تغني:

يا خاطباً مني المودة، مرحبا سمعاً لامرك لا عدمتك خاطبا
انا عبدة لهواك، فاشرب واسقني، واعدل بكأسك عن خليلك، ان أبى
قد، والذي رفع السماك، ملكتني وتركت قلبي في هواك معذبا

فنعر المتوكل وقال: ويلكَ أميت انت. فانتبهت وعلمت انني اخطأت في ترك مساعدته. فاخذت رطلاً ولم ازل اشربه حتى لحقته ومضى لنا يوم كان في الايام فرداً. ثم ارغبها المتوكل فاسلمت وتزوجها. ولم تزل عنده حتى قُتل رحمه الله »

وفي حاشية على الهامش ما يأتي:

« ورأيت في بعض النسخ ان شحروراً وقمرياً كانا يصيحان على اعالي اشجار بالدير فاصغى اليهما المتوكل. فلما تحققت اصغاءه اليهما انشدته هذه الابيات الاربعة:

وكأنما الشحرور راهب يمة ألهاهُ طيب الوقت عن ترميره
جعلت له تلك الغصون مواسماً يتغنى في اغيله وزبوره
وكأنما القمري يندب شجوه بانينهُ وحنينه وزفيره
صبٌّ شجته بلابل لما دنت منه ديار انيسه وسجيره

فاعجبه ذلك منها وزاد بها سروراً ولها محبةً. ثم انه ارغبها الى ان اسلمت وتزوجها رحمه الله. »[1]

ولا يُعلم متى استولى الخراب على هذا الدير، وكيف خرج من ايدي اصحابه في اثناء الحروب والفتن والاطماع التي تنازعت دمشق وذهبت بمصانعها واديارها وآثارها وعزّتها من معظم محاسنها ومفاخرها. قال العمري: « وهذا الدير اليوم لا عين له ولا اثر. وانما صار دوراً وابنية ومساجد ومدافن وهي بناحية محلة حمام النحاس والله اعلم. »[2]

---

١) الدرّ المنتظم من كل بحر وسفط، لجامع شتاتو محمد بن علي بن محمود الكاتب الدمشقي British Museum Add. 14908

٢) مسالك الابصار ٢٥٦

تفّاح دمشق

اجمع ارباب اللغة على ان تاء التفاح اصلية ، وخالفهم ابو علي الفارسي ، وكان فيما يظهر مغرماً بهذا الثمر الذي كان سبب معصية آدم ، فاحبّ ان يجمع له بين طيب الاسم وطيب الجسم ، ولو بالقلب والابدال والشعوذة في اللغة . فقال :

« اخطأ من جعل التاء اصلية . وبابه ان يكون في (ف و ح) فيكون اصله من الفُوح بضم الفاء وهي الرائحة الطيبة فقلبت فاؤه عيناً وعينه فاء فصار عُفَّالا وفُفَّاحاً . فابدلوا من الواو تاء فقالوا تفاح كما ابدلوها في تُكاء وتُجاه ».[1]

كذا املى ابو علي من علمه . فمن شاء فليؤمن ومن شاء كفر .

ومن التفاح اصناف عدّ منها البدري في كتابه « نزهة الانام في محاسن الشام » ما يأتي : سكري . مسكي . فتحي صيفي[2] . فتحي شتوي . بلدي . قاسمي . فاطمي . قحابي . فضي . حديثي . جناني . جرستاني . حلواني . دهشاوي . اخلاطي . قصري[3] . بربري . نبطي[4] . ماوردي . بطيخي (ص ٢٠١)

وقد بقي من هذه الاصناف بقية بدمشق وقراها منها السكري . والبلدي . والفاطمي ، وهو قليل . والفضي . والجناني . والدهشاوي ، ويقال له اليوم الدرشاوي . والاخلاطي او الخلاطي . والبطيخي . ومنها ما تغير اسمه او استُحدثت زراعته . وهي السكارجي . والهاماني ، نسبة الى قرية الهامة . والشامطي . والناعم ، وهو الذي

---

١) كتاب سمر السُمّار في ليالي الاقمار في اوصاف ثمار سائر الاشجار ، خزانة اكسفرد M. S. Sale 7° f° 12-13

٢) في الاصل المطبوع فتحي صيفي بالنون ، وهو غلط ورد ايضاً في مخطوط باريس رقم ٢٢٥٣ ، والرواية الصحيحة في جزء من التذكرة للصفدي في خزانة بريتش موزيوم Add 7415 f° 22B

٣) لم يذكر هذا الصنف في النسخة المطبوعة . وانما اضفناه نقلاً عن نسخة باريس المخطوطة .

٤) قال ابن طولون الصالحي في « ضرب الخوطة على جميع الغوطة » في كلامه على جرستا الزيتون : « واليها ينسب التفاح النبطي » .

يُنـادى عليه بدمشق « مال الزينبية يا ناعم » . وغالب هذه الاصناف يجيء في قرية الزبداني بين حلو ومرّ وحامض . ومنها ما هو معروف فيها بريّاه وانتشار عرفه ، ولذلك قيل : « من عاشر الزبداني فاحت عليه روائح التفاح » .

واشهر التفاح الدمشقي بطيب الطعم والرائحة ورواء المنظر النوع المسمى بالفتحي . ولذلك كان يُحمل كثيراً الى مصر على ظهور الجمال . وكان الاقباط يهادون رؤساءهم في ليلة الغطاس بالحلويات والفواكه وبينها التفاح الفتحي[1] . ومن الابيـات التي تغنّى بها المغنون في القرن السادس للهجرة قول ابي فراس السلمي الدمشقي المعروف بالبديع :

يا نسيماً هبَّ مسكاً عبقا هـذه انفـاس ريّاً جلقا
كُفَّ عني ، والهوى ما زادني برد انفـاسك الا حرقـا

في ثلاثة ابيات اخرى . قال بعضهم : مررت يوماً ببعض شوارع القاهرة وقد حضرت جمال كثيرة حولها تفاح فتحي من الشام . فعبقت روائح تلك الحمول . فأكثرتُ التلفت اليها . وكانت امرأة سائرة امامي ، ففطنت لمـا داخلني من الإعجاب بتلك الرائحة ، فأومأت اليَّ وقالت : « هذه انفاس ريّاً جلقا » .[2]

ويغلب في التقدير ان هـذا التفاح الفتحي هو الذي كان يُحمل الى بغداد والعراق . قال النويري : « من خصائص الشام التفاح الذي يُضرب به المثـل في الحسن والطيب . وكان يحمل منه الى الخلفا . كل سنة ثلاثون الف تفاحة . »[3] وورد مثل ذلك في لطائف المعارف للثعالبي (ص ٩٥) وعنه نقل النويري . وزاد الثعالبي في كتاب آخر له ان الثلاثين الف تفاحة كانت تؤخذ من اصـل خراج اجناد الشام[4] ، والى ذلك اشار الصنوبري بقوله :

ارى الشام جـاد تفّاحه لنا ، والعراق بأترُجه

ولابن رشيق القيرواني في وصف تفّاحة :

---

١) بدائع الزهور في وقائع الدهور لابن اياس ١ : ٥٤

٢) الوافي بالوفيات للصفدي في خزانة أكسفرد ، الجزء الرابع عشر Seld. Arch. a. 24 . f° 97

٣) نهاية الارب ١ : ٢٤٤

٤) ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ، مطبعة الظاهر مصر ١٩٠٨ ، ٤٢١ - ٤٢٢

تفاحة شابّة من كف ظبي غزل
ما خُلقت ، مذ خُلقت ، لغير تلك القُبَل
كأنما حمرتها حمرة خدّ خجل

وكان التفاح الشامي ، حيثما وجد في العراق ، في اول ما تُزيّن به الموائد والولائم . ويُقدّم بين ايدي الزوّار والمدعوّين . حكى المسعودي ، بإسناده الى عبد الرحمن العتبي ، قال : « دخلت على محمد ابن جعفر (والد علي بن محمد بن بسام) . . . فما جلست واستقر بي المجلس حتى اتوه بمائدة جزع لم أرَ احسن منها . . . وقمنا من فورنا الى موضع الستارة ، فقُدّم بين ايدينا إجّانة صيني بيضاء قد عُبّي فيها التفاح الشامي . قدّرنا مقدار ما حضر منها الف حبّة ».[1]

وفي جملة الاعياد الخليفية الباهرة التي اتصل بنا وصفها ، وتمثلت فيها أُبّهة الخلافة وعزّتها ، إعذار المعتز ابن المتوكل على الله . جلس له الخليفة في الايوان بعد ان فُرش ببساط ابريسم مُذهب قُوّم في اوسط القيّم بعشرة آلاف دينار ونثر الذهب والجَلَع على المدعوّين . وكان في صحن الدار بين يديَ الايوان « الف نبيجة (نبيّة اي سفرة خوص) فيها انواع الفواكه من الأُترج والنارنج على قلّته كان في ذلك الوقت والتفاح الشامي والليموه »[2].

والاطباء في خواص التفاح الشامي آراء واعتقادات يطول شرحها . ومنهم حنين بن اسحق العبادي « كان ، اذا انتبه من نومه ، يشرب اربعة ارطال شراباً عتيقاً ، فاذا اشتهى الفاكهة الرطبة أكل التفاح الشامي والسفرجل وكان ذلك دأبه الى ان مات »[3].

ولا نظنّ ان احداً من عشّاق التفاح الشامي بلغ مبلغ احمد بن ابرهيم ابن ايوب المسوحي في التهوّس به . قيل انه « كان يحجّ بقميص ورداء ونعل فقط ولا يحمل معه شيئاً لا ركوة ولا كوزاً . الا كوز بلور فيه تفاح شامي يشمّه

١) مروج الذهب ، هامش فتح الطيب ٣ : ٤٠٤ ؛ وهامش الكامل لابن الاثير ١٠ : ١٢٨
٢) كتاب الديارات للشابشتي ، نسخة برلين ، ٦٤-٦٦
٣) وفيات الاعيان لابن خلكان ١ : ٢١٠

من جوف بغداد الى مكة »[1].

وفي ضدّ ذلك كان هشام بن عبد الملك بن مروان يكره ان يرى التفاح او يتمتع بطيبه على كثرته بين يديه . زعموا انه « رأى في منامه ان طبقاً فيه تفاح قُدِّم اليه فأكل منه تسع عشرة تفاحة وبعض أخرى . فسأل عن ذلك . فقيل له تملك تسع عشرة سنة وكسراً . فكان لا يُقدَّم اليه التفاح في خلافته ولا يراه »[2].

ومن الغريب انه لم يشتهر قسط في الشام شيء من خمر التفاح على توفّره ورخص اثمانه ، وهي الخمر المعروفة في اوربة باسم السِدر (cidre) ويظهر انها كانت تُتخذ احياناً في العراق . ومن الشاهد عليها قول الشاعر :

ايُّ نور تديره الاقداحُ ! نور دنّ غذاؤه التفاح[3]

وهي اشارة صريحة الى اختمار عصير التفاح في الدنّ .

وقد سبق الشرقيون اهلَ الغرب الى الكتابة او التصوير على التفاح ، وهو في اغصانه . واكثر ما كان يُكتب على التفاح الاحمر بالابيض ، ولهم في ذلك طريقتان : الاولى ان يُعمد الى التفاح ، وهو اخضر قبل نضجه ، فيُكتب عليه بالمداد ويُترك الى ان يحمرّ على الشجرة . ثم يُمسح المداد فتخرج الكتابة ظاهرة ليس بها اقل حمرة لاستتار ما تحتها عن حرارة الشمس[4] . والثانية ان يُنقش في الورق ما يُراد رسمه او كتابته ، وتُلصق الورقة على التفاحة إلصاقاً محكماً ، وتُترك الى ان تبلغ الثمرة ويحين قطافها ، فتُنزع عنها الورقة ، ويظهر ما تحتها اصفر بلون مخالف للون الثمرة نفسه تعرّضه لنور الشمس[5] .

---

١) الاول من تاريخ بغداد لابي الزهير بن الفتح البنداري ، خزانة باريس رقم ١١٥٢ ص ٤

٢) جزء من المنتظم لابن الجوزي ، خزانة اكسفرد Poc. Or. 233 f° 54b

٣) السادس من كتاب بغداد لاحمد بن ابي طاهر ص ٢٠٣

٤) خريدة العجائب لابن الوردي ، مصر سنة ١٣١٦ للهجرة ، ص ١٢٨

٥) سر السُّمّار في ليالي الاقمار . المذكور آنفاً في خزانة اكسفرد ، ٢١

حارات دمشق القديمة

لشمس الدين بن طولون الدمشقي الصالحي

(٨٨٠–٩٥٣ هـ = ١٤٧٥/٦–١٥٤٦ م)

في جملة مصنفات ابن طولون العديدة كتاب « التمتع بالاقران بين تراجم الشيوخ والاخوان » ألحق به قبل وفاته ذيلاً دعاه « ذخائر القصر في تراجم نبلاء العصر » ، ومات ولم يبيّض مسودته . وقفنا منه على نسخة رقم ١٤٢٢ في الخزانة التيمورية ، منقولة عن مسودة المؤلف بتاريخ ختام شهر جمادى الآخرة سنة ١١٣٨ (١٧٢٦ م) ولا تخلو من بعض مواضع التبست قراءتها في الاصل ، وتصحفت على الناقل فأساء كتابتها وتصويرها .

واهم تراجم الكتاب ترجمة ابرهيم بن اسمعيل بن يوسف العكاري الصالحي المولود في مدينة نابلس سنة ٨٧٠ للهجرة (١٤٦٥/٦ م) روى ابن طولون حديثاً جرى معه ذاكره فيه بحارات دمشق القديمة . فآثرنا ، خدمةً لتاريخ دمشق ، ان نسردها عنه كما حكاها ، بعد رقمها . وهذه اول مرة تُنشر على هذا النسق مجموعة . قال بلفظه :

« تذاكرت انا واياه حارات دمشق القديمة فقلت له :

داخل باب الجابية

١ حارة الفقار . ٢ حارة الجزورية وتعرف قديماً بسوق القمح . ٣ حارة ماذنة الشحم وتعرف قديماً بعقبة الصوف . وقبليها ٤ حارة الحاطب . وشرقيه ٥ حارة درب البقل . ورايح منه ٦ حارة مسجد البيع . ولم يكن في الجانب الشمالي مسجد غيره من باب الجابية الى باب شرقي يوجه الى القبلة . قيل ان الصحابة بايعوا فيه . وهو الآن مدرسة بناها الخواجا محمد بن يوسف القاري سنة ٨٨٧ (١٤٨٢ م) وبنى الى جانبها داراً عظيمة . وقبليها قاطع الطريق العظمى الآخذة الى باب شرقي قيسارية وداراً اخرى عظيمة . وكذلك بنى ابن عمه علي ابن عيسى القساري عدة دور على تلّ ماذنة الشحم حارة جامعة بسجد . وعدة

حواصل . وخان حرير . وما مات حتى افتقر واستعطى . وكذا بنى ابن اخيه عبد القادر دارًا عظيمة بالغ في اتقانها . وبنى ابوه حماماً كان بتلك المحلة . وحارته قديماً تُعرف بدرب الريحان .

ثم في شرقي ما ذكر ٧ حارة الكشك وكان فيها آثار جامع باعمدة وماذنة . نقلوا الجميع الى عمارة الجامع الاموي بعد حريقه سنة ٧٧٤ (١٣٧٢/٣ م) .

ثم شرقي ما ذكر الى جهة القبلة شمالي باب كيسان ٨ حارة القط . ثم شمالي عماير القاريين ٩ حارة الكنيسة . ثم شرقيها ١٠ حارة الشيطون .

داخل باب توما

١١ حارة المنجنيق (الجينيق) . ثم قبليها بغرب ١٢ حارة القيمرية . ثم غربيها بشمال ١٣ حارة الشلّاحة . ثم قبليها بغرب ١٤ حارة البدرانية . ثم قبليها ١٥ حارة الخضرا وبها القليجية لم يبقَ منها الا الواجهة . واراد سيباي نائب دمشق ان يخربها ويضمها في المدرسة التي بناها خارج باب الجابية فمنعه اهل الخير . وخلفها قبة فوق قبر الواقف . وكانت هذه القليجية مجتمع الفضلاء والعقلاء للاستشارة اذا دهم اهل دمشق امر مهم . وصارت حارتها اليوم تعرف ١٦ بحارة الهنود الشلبية . وهناك دور خلفاء بني امية . قيل انه ما تعرض احد لبنائها وافلح . ولقد رأينا بعض ذلك .

داخل باب السعادة

١٧ حارة الاندر

داخل باب الفرج

١٨ حارة الظاهرية

داخل باب الفراديس

١٩ حارة مسجد الراس

خارج دمشق

٢٠ حارة الغراوية خارج باب كيسان . وشرقيها ٢١ حارة الحمالين . وقرب تربة سيدي أبي رضي الله عنه ٢٢ حارة المخاضة . وشرقيها ٢٣ حارة القيشاني

٢٤ حارة الملاح . ثم شماليها ٢٥ حارة الشيخ رسلان . ثم بقي في الزنجاري ٢٦ حارة عين الحنة . وقربها ٢٧ حارة السبعة . وشرقيها ٢٨ الفرايين . وشرقيها ٢٩ الشرش . ثم ٣٠ حارة العنابة . ثم ٣١ حارة بيت الاهة . ثم ٣٢ حارة حكر الاسية . ثم ٣٣ حارة شطرا (سطرا ؟) الغرب . ثم ٣٤ حارة بير الروبض . ثم ٣٥ حارة الجهنية . ثم ٣٦ حارة دار الطعم . ثم ٣٧ حارة عين اللولوة . ثم ٣٨ حارة بير الاكراد . ثم ٣٩ حارة السليماني . ثم ٤٠ حارة مرج الدحداح . ثم ٤١ حارة الجرن الاسود . ثم ٤٢ حارة الجاموسية . ثم ٤٣ حارة السميرية . ثم ٤٤ حارة حكر الجلال . ثم ٤٥ حارة باب الخوخه . ثم ٤٦ حارة ابن صبح . ثم ٤٧ حارة حضيرية شنتمر . ثم ٤٨ حارة سوق ساروجا . ثم ٤٩ حارة حمام العدد . ثم ٥٠ حارة الديلم . ثم ٥١ حارة السودان . ثم ٥٢ حارة خان الكججانية . ثم ٥٣ حارة حدرة ملكاس . ثم ٥٤ حارة البغيل . ثم ٥٥ حارة زقاق القصاصين . ثم ٥٦ حارة خان الظاهر . ثم ٥٧ حارة عين دار البطيخ . ثم ٥٨ حارة زقاق الشعيرية . ثم ٥٩ حارة الشرف القبلي . ثم ٦٠ حارة حمام الناصري . ثم ٦١ حارة المنيع . ثم ٦٢ حارة القصر . ثم ٦٣ حارة السلاوية (السلارية ؟) غربي جامع تنكز . ثم ٦٤ حارة جامع العداس . ثم ٦٥ حارة الحكر . ثم ٦٦ حارة جانبك الجفون . ثم ٦٧ حارة الهنكامة (البنكامة ؟) . ثم ٦٨ حارة القنوات . ثم ٦٩ حارة الخلخال . ثم ٧٠ حارة المزار . ثم ٧١ حارة الشويكة .

ثم رأيت على جزء ابي عبدالله الغضائري طبقة كتبت في ٧٢ حارة البلاطة بدمشق في مسجد بدر الدين .

ثم رأيت على جزء ابن حرب « كتبت في درب الدعوة داخل باب الصغير بدمشق . » وكذا أخرى في درب العجم بها . وأخرى في سوق الخشابين بها . »

الاعتراف او المكاشفة بالقبائح والذنوب

عند الصوفية

من تحرّى البحث في كتب الصوفية ، ونظر في مقالاتهم وفتاويهم ، وقايس بين مذاهبهم وطرائقهم ومصطلحاتهم ، وبعض ما تقدّم لرهبان النصارى من الاقوال والسنن والشرائع ، وجد احياناً من المحاكاة والمشابهة بين الطائفتين ما لا يخاو ان يكون مرتجلاً تواردت فيه الخواطر ، او مقتبساً قلّد فيه الاولُ الآخر. ومن وقف على قصيدة الششتري التي مطلعها :

تأدّبْ بباب الدير ، واخلع به النعلا ، وسلّم على الرهبان ، واحطُطْ بهم رحلا

حكم لا محالة بالسبق للاوضاع النصرانية

وقد عثرنا في دار الكتب البلدية بالاسكندرية على مخطوط رقم ٢٠٥٥ — د بعنوان « درر الغوّاص على فتاوي سيدي علي الخوّاص » لعبد الوهاب الشعراوي، كتبه في ٧ رجب سنة ٩٥٥ ، وقال في مقدمته : « وبعد فهذه نبذة صالحة من فتاوي شيخنا وقدوتنا الى الله تعالى الكامل الراسخ الأمي المحمدي سيدي علي الخواص الذي سألته عنها مدة صحبتي له مترجماً عن معنى بعضها لكونه رضي الله عنه كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب فلسانه يشبه لسان السرياني تارة والعبري تارة . . . »

وتاريخ بعض هذه الاسئلة والفتاوي سنة ٩٤١ (١٥٣٤ م) فيكون المخطوط غير متأخر عنها الّا ببعض سنوات يسيرة .

وفي جملة هذه الدرر التي يُغاص فيه عليها فتوى جليلة الشان ناصعة البيان لا نتمالك من لذة ايرادها ، منقولة بالحرف الواحد لدلالتها على ما تقدم ، قال :

« سألته رضي الله عنه عن الخواطر القبيحة والشهوات الغالبة التي يُستحى في العرف من الإفصاح بها هل يصرّح بها المريد لشيخه او يكتمها عنه باللسان ويذكرها له بقلبه . فقال : الافصاح عنها اولى لانه لا عورة بين المريد وشيخه اذ هو طبيبه ولا يكلّف الشيخ بالمكاشفة عن حال المريد . هكذا درج الاشياخ من السلف حتى اضم سوا الكشف عن قبائح المريد كشفاً شيطانياً يتوبون منه ويستغفرون . وما كتم مريد عن شيخه شيئاً الا خان الله ورسوله

وخان نفسه وشيخه وربما مات بدائه مع تلبسه بصورة النفاق حال حياته . فانه كان يظهر للناس خلاف ما هو عليه بالباطن.»

وهل مثل هذا التصريح بالخواطر القبيحة ، والشهوات الغالبة ، وإفضاء المريد الى شيخه باسرار النفس الّا ضرب من الاقرار بالذنوب عند النصارى المشهور بالاعتراف بالخطايا بين يدي الكاهن للاستغفار عنها !

وإن لم يَكُنْها ، او تَكُنْهُ ، فإنه اخوها غذتها أُمُّه بلُباناها

الفِرَق والبِدَع ومجالس اهل الكلام

في بغداد في القرن الرابع للهجرة

لا نعلم ان احدًا من مؤلفي الاسلام تعرض لتدوين اخبار الشِيَع والبِدَع ، في عهد الخلفاء العباسيين. واشار الى شيء من احوالهم وعلائقهم ، او وصف احدى مناظراتهم لاهل السنة والذمة في العقائد واصول الدين. وجلّ ما انتهى الينا من الكلام عليهم امثال كتب « الملل والنِحل » للشهرستاني ، وابن حزم؛ « والفرق بين الفِرَق » لعبد القادر بن ابي منصور البغدادي . وهي في الغالب مقتصرة على شرح اصول المذاهب ، ونسبتها ، ونشأتها ، بغاية الايجاز . وليس فيها اقل إلماع الى مجالس اهل الكلام من زعماء الاديان ، وطرائق مجادلاتهم في الاحتجاج والاقناع.

وقد نبه المؤرخون على ما كان لمذاهب الخوارج والمبتدعة من انتشار الدعوة والشيوع في كل الاقطار والمدن الاسلامية. ولا سيما في العراق ، ومصر ، والشام. وشرحوا ما كان للمعتزلة منهم من الإغراب والغلوّ في الآراء. وهو ما لا بد لتعليله من الوقوف على منشأ اصحاب هذه الفرق ، واستثبات انساب الموالي منهم وابناء الإماء ، لمعرفة مقدار تأثير اديان الأمهات الاجنبيات في ثقافة الاولاد. فضلًا عن عقائد الآباء والاجداد من الاعاجم ، قبل انتحالهم المذهب الاسلامي. ومما يصلح ان يُتخذ شاهدًا على هذا التأثير ما ذهب اليه احمد بن حائط ، زعيم الفرقة الحائطية ، من ان للخلق الهين احدهما خالق وهو الاله القديم ؛

والآخر مخلوق وهو عيسى بن مريم. وان المسيح ابن الله. وانه هو الذي يحاسب الخلق في الآخرة. وانه هو المعني بقول القرآن: «هل ينظرون الا ان يأتيهم الله في ظلل الغمام». وان معنى قول محمد: «انكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر» اراد به عيسى. واغرب ما هنالك طعنه على محمد من اجل تعدد زواجه، وقوله ان ابا ذرّ الغفاري أنسك وازهد منه[1]. ولا يخفى ما في هذه الاقوال كلها من مسحة النصرانية. فلا يبعد ان تكون ام احمد بن حائط من سبايا الروم. وقد كانت وقتئذ الرغبة في الجواري الروميات شديدة منذ عهد الامويين. ولذلك قال الخليفة عبد الملك بن مروان: «من اراد الخدمة فعليه بالروميات»[2]. فلم تكن تخلو منهنّ طبقة من طبقات الامة حتى دور الخلافة في بغداد والقاهرة. وقد شهد الجاحظ ان اهل الشام في زمانه كان اشهى النساء اليهم الروميات وبنات الروميات[3]. واذا صحّ ان بعضاً منهنّ اخترن الاسلام طوعاً ام قسراً، فان اكثرهنّ بقين على نصرانيتهنّ حتى في قصور الخلافة. وقد اوردنا الشواهد على ذلك في كتابنا «الصليب في الاسلام» (ص ٧٤) فليراجع. ومن هنا يُستدلّ على مقدار ما احدثه هذا الاختلاط والاغتراب في الزواج من التأثير في عقائد البدع الاسلامية.

ومع تكفير اهل السنة لامثال هذه الفرق المعتزلية، كان اصحابها آمنين في بغداد، يناظرون، ويؤلفون، ويتصدّرون في الحلقات والمجالس، دون تكتم او تقية شديدة من السلطان. ولهم انصار ومريدون يظاهرونهم على بث دعوتهم في كل الامصار. ولذلك تعددت شيعهم في مصر والشام. وقامت لهم غير دولة في حلب خصوصاً. ولما قدم ابن جُبير الاندلسي وطاف الحجاز ومصر والشام في اواخر القرن السادس للهجرة، اشتدّ إنكاره لكثرة ما لقيهُ فيها من الملل والنحل، وقال متعصباً لوطنه:

«ليتحقق المتحقق ويعتقد الصحيح الاعتقاد انه لا إسلام الا ببلاد المغرب

---

١) الخطط للمقريزي، مطبعة النيل، ج ٢: ١٦٧

٢) تحفة العروس ومتعة النفوس للتيجاني، ص ٤٢

٣) فخر السودان على البيضان للجاحظ، ليدن ١٩٠٣، ص ٢٩

لانها على جادة واضحة لا بُنيّات لها. وما سوى ذلك مما بهذه الجهات المشرقية فاهواء وبِدَع. وفرق ضالّة وشِيَع. الا من عصم الله عزّ وجلّ من اهلها.»[1]

واعظم من ذلك قوله عن دمشق:

« وللشيعة في هذه البلاد امور عجيبة. وهم اكثر من الشيعين. وقد عمّوا البلاد بمذاهبهم. وهم فرق شتى. منهم الرافضة وهم السبأيون. ومنهم الامامية والزيدية. وهم يقولون بالتفضيل خاصة. ومنهم الاسماعيلية والنصيرية. وهم كفرة فانهم يزعمون الالهية لعلي... ومنهم الغرابية وهم يقولون ان علياً كان اشبه بالنبي من الغراب بالغراب... الى فرق كثيرة يضيق عنهم الاحصاء. وقد اضلّهم الله واضلّ بهم كثيراً من خلقه.»[2]

واذا تذكرنا ان هذه الاسطر خُطّت بعد وفاة السلطان نورالدين، وفي ايام السلطان صلاح الدين، وهما اكبر حُماة السنة في الشام، ادركنا ما في شهادة ابن جبير من الخطر والشأن لاثبات تغلّب الشيع في زمانهما حتى في حاضرة المملكة نفسها.

وقد نبّه المؤرخون على انتشار البدع قبلها. وخصوا بالذكر سنة ٣٧٢(٩٨٢) وللذهبي في تاريخها فصل ممتع في كتابه « تاريخ الاسلام » نقل فيه حديثاً لبعض الاندلسيين ممن زار بغداد ووصف مجالس الكلام فيها وصفاً لاشكاله الا انه لم يُشر اليه أحد بعد. وهو حريّ ان توضع عليه اليد لمكانته في وصف ما كان بين رؤساء المذاهب في بغداد من المجاملة والاعتبار. وما كان عليه جميعهم من الادب الباهر، وسوء الفكر، والتسامح، وقلة التعصب، في حاضرة الخلافة نفسها. قال الذهبي في حوادث سنة ٣٧٢:

« في هذا الزمان كانت الاهواء والبدع فاشية بمثل بغداد ومصر من الرفض والاعتزال. فانا لله وانا اليه راجعون.

« ذكر الحميري في ترجمة ابي عمر احمد بن محمد بن سعدي الاندلسي انه فيه طامة كبرى. قال (باسناده):

---

١) رحلة ابن جُبير، ليدن، ص ٧٨

٢) « « « ص ٢٨٠

«سمعت ابا محمد عبدالله بن ابي زيد الفقيه يسأل ابا عمر احمد بن سعدي المالكي عند وصوله الى القيروان من بلاد المشرق. فقال: هل حضرت مجالس اهل الكلام. قال: نعم مرتين ولم أُعد اليها. قال: ولِمَ. فقال: اما اول مجلس حضرته فرأيت مجلساً قد جمع الفرق من السنة والبدعة والكفار واليهود والنصارى والدهرية والمجوس. ولكل فرقة رئيس يتكلم ويجادل عن مذهبه. فاذا جاء رئيس قاموا كلهم له على اقدامهم حتى يجلس. فاذا تكاملوا قال قائل من الكفار: قد اجتمعتم للمناظرة فلا يحتجّ احد بكتابه ولا بنبيّه. فاننا لا نصدق بذلك ولا نعتد به. وانما نتناظر بالعقل والقياس. فيقولون: نعم. ولما سمعت ذلك لم أُعد. ثم قيل لي هذا مجلس آخر للكلام. فذهبت اليه فوجدتهم على مثل سيرة اصحابهم. فقطعت مجالس اهل الكلام.»[1]

وهذا الفصل جدير باسترعاء نظر كل الشرقيين، وهو شاهد بقصور معرفتنا بحقيقة آداب العصور السالفة. وإخلال المؤرخين والكتاب في ما مثاره لنا من تاريخ المذاهب والاديان ووصف الحضارة الشرقية.

(١) جزء من تاريخ الاسلام. خزانة بريتش موزيوم Add. 48, f° 13 a

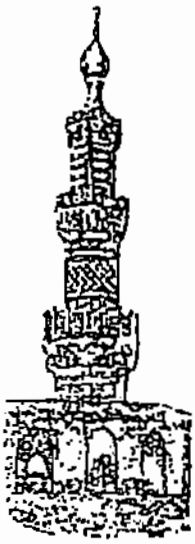

الاتجاهات الحديثة في الادب العربي

المرسح

بقلم سعيد عقل

يصل ناقد الاتجاهات الحديثة في الادب العربي ، إذا يضع للبنان المقاييس نفسها التي يضعها للاقطار العربية . فلبنان ، لبنان نفسه الذي بعث نهضة الادب العربي في القرن التاسع عشر ، لم يدخل إجماعاً ميدان الأدب العربي قبل مئتي سنة ، واللغة العربية لم تدخل لبنان قبل ثلاثمئة سنة .

للبنان في الأدب ميزات خاصة ، سوف تظهر متى أقلع مؤرخو الآداب عن مزجه مزجاً كلياً في الفكر العربي ، وأخذوا يدرسونه على ضوء الآثار الأدبية التي تركها هذا البلد الحيّ في مختلف اللغات التي تتابع استعمالها في لبنان . من ملاحم راس شمرا ، وتاريخ سنكونياثون إلى ملاعب الفينة وأفقا ، إلى بحوث لونجين الفنية ، إلى عنتر غانم .

إنّ رسالة لبنان الفكرية ، من قدموس إلى جبران ، مثّلت دورها في حوض البحر المتوسط ، ومثّلته دوراً مشرقاً ؛ وانّ في تناسي هذه الرسالة التاريخية ، التي تمتد في نحو أربعة آلاف سنة ، تساهم فيها — إن لم نقل اكثر — بلاتينية العالم المتمدن ، والاكتفاء بمرحلة منّ مراحل لبنان لا يزيد عمرها عن مئتي سنة تنكمش فيها رسالته لتعمل في أدب مصر وسورية والعراق ، لجناية على هذا البلد ، وجناية على التاريخ .

لم يكن للغة العربية أثرٌ في لبنان قبل ثلاثمئة سنة . بل لم يكن لبنان ، في عهد عن عهوده تقريباً ، فرديّ اللغة . فميزات الأدب العربي إذن ليست ميزات

الأدب اللبناني ؛ والاقطار التي تسنّى لها أن تتعرّب، منذ الفتح الاسلامي ، أي منذ ١٢٠٠ سنة ، تختلف عن بيئة كان لها ، منذ فجر التاريخ إلى مئتي سنة خلت ، سنةٌ فكرية خاصة ومستقلة.

* * *

هذا المَرْسَح ، ونظرة سريعة على نشوئه في الشرق الادنى تكفي للتدليل على أن لبنان التاريخي ، بميزاته الخاصة وأمياله اللدنة ، لا يزال يعمل عمله منذ العصور القديمة ؛ وأن الادب العربي الذي يتبناه لبنان اليوم ، ويدرسه في معاهده درساً لا تعرفه مصر وسورية وسائر بلاد اللغة العربية [1] ، لا يمكن في حال من الاحوال أن يطفو على أدب دفين في رأس شمرا ، واليونانية القديمة ، واللاتينية المهجورة .

والّا ، لماذا نلاحظ أن كل مفاجأة في انواع الادب تحملها اللغات الغربية إلى الشرق تكون مفاجأةً إلّا على لبنان ؟ لماذا نحتها منّا ، بوجه — رغم البعد ، وتغيير السفر — لبناني ؟

فأنا مثلاً ، يوم اتفق لي أن أعمل للمرسح ، لم انظر في ما حاولته المراسح في الشرق ؛ لم انقده متحتساً جودةً فأجاريها ، أو عيباً فأجتنبه ؛ لم أقل ، بل لم يمرّ ببالي قط ان العرب لم يعرفوا المرسح فلا يجوز مُفاجأتهم رأساً بالمأساة . لا انما كنت من المراسح : اليوناني ، والشكسبيري ، والمدرسي الفرنسي ، في بيتي ، بحيث أحسستها لبنانيةً فتناولت القلم ، وبكل بساطة كتبت . فكتبتُ في المرسح .

ذلك أني لبناني . اني ، من دون اقطار الشرق ، أحسّ في دمي اني عملت منذ فجر التاريخ لهذه اللاتينية ، ساهمت منذ فجر التاريخ بخلقها . فلا يمكنها أن تنكر عليّ ، لا يمكنها ، وقد أطلت عليّ بعد سباتي العميق ، إلّا أن تشدّ يدي وأشدّ يدها كصديقين قديمين . وانا القائل لها مع القرم :

ايها المرسلون في بعثات العلم تأتون بالهدى ، والصليب ،

---

١) مقابلة سريعة بين البكالوريات اللبنانية والسورية والمصرية كافية لاظهار هذه الحقيقة .

صفحةً من رسالة النور كنا الحامليها إلى جميع الشعوب .

* * *

وصلتنا آثار العرب ، ولا مرسح فيها ، ولا فكرة مرسح . وذلك « لأن العرب لم يبنوا »[1] . والعبقرية البنّاءة عند الشعوب ، هي التي تخلق الانواع الادبية الطويلة النفس ، كالملحمة والقصة والمرسح .

لم يبنِ العرب لأنه اعوزهم الخيال الواسع والاحساس العميق ، والخيال الواسع والاحساس العميق ينشآن في الشعب مع الميثولوجيا .

وكيف تنشأ الميثولوجيا ؟ وبالتالي الاحساس والخيال القويان ؟

إذا اتفق لشعب ان وُجد في بلاد ذات طبيعة جميلة ومختلفة ، بلاد تغص بالجبال المختلفة اللون : هنا الأخضر ، وهناك البنفسجي ، فالأدكن ، فالأحمر ، فالابيض ؛ بلاد تهدر فيها الانهار وتموت على اقدامها الامواج ، تستحم في بحارها الرؤوس وتأوي الى صخورها الخلجان ، يحوم شفقها كالخدود وتزرورق سماؤها كالعيون ، يصخب شتاؤها بالغضب ، ويموج ربيعها كحلي العروس ، اخذ هذا الشعب يمرّغ انظاره واحساسه على الجبلات فيحبها ، ويحبها زيادةً لاختلافها ؛ يعجب بها ، يحبها ، يكرّمها ، يقدّسها ، واخيرًا يؤلّهها . فاذا البحر إله ، والنهر حورية ، والغابة جنية ، والسماء ألهة ، والصدى خيلانة ، والاسماك ... بحر . وبكلمة اذا الميثولوجيا عند هذا الشعب .

وفيها الميثولوجيا تنشأ يرتقي الاحساس من الاعجاب الى التكريم الى التقديس فيتجلّى ويقوى . وما ان تكتمل الميثولوجيا إلا يصبح للشعب احساس عميق .

والميثولوجيا بدورها تطلب لابطالها — وهم فوق البشر — اعمالًا ومرسح فوق التي للبشر ، فيجاريها الخيال في جيئتها ورواحها ؛ فاذا به يتجلّى ايضًا ويتسع .

الميثولوجيا في الشعوب بنت الطبيعة الجميلة المختلفة . وكذلك الخيال والشعور

---

١) من ملاحظة توسّع فيها الاستاذ فؤاد افرام البستاني في احدى محاضراته « بعنوان الآداب الشرقية » عن الادب العباسي .

اما العرب ولا طبيعة مختلفة عندهم — العرب ابدًا في بقعة من الرمل والقيظ — فلا ميثولوجيا لهم ، ولا خيال واسع ، ولا شعور عميق.

لاخيال واسع، ولا شعور عميق ، فلا بناء:

اجل، لم يبنِ العربي في الشعر، لم يبنِ في الموسيقى ، في القصة ، في العمارة في الرسم ، لم يبنِ في المرسح.

الشعر العربي ابيات لا قصيدة. وكما يتألف الحيّ من بيوت شعر مستقلّ الواحد منها عن الآخر ، تتألف القصيدة من بيوت شعر لا صلة بينها. بحيث اذا بدّلت في ترتيبها او « شكّلتها » — وكثيرًا ما قرأنا عن اخطل ينظم القصيدة تسعين بيتاً ولا يبقي منها الا ثلاثين — لم تفقد شيئاً من وحدتها. ذلك لانها ليست وحدةً ، ليست بناء.

لم يبنِ العربي في الموسيقى: وموسيقاه الى اليوم — كما يدلّ عليها الاسم — تقاسيم.

لم يبنِ العربي في العمارة نفسها. والقصر والحمراء في الاندلس ، ارقى المنسوبات الى الفن العربي ، لا يمتّان ، من حيث البناء ، الى العرب ؛ بشهادة مؤرخيهم انفسهم. فقد كان الاندلسيون يأخذون الاعمدة والحنايا جاهزة من كنائس القوط ، وكثيرًا ما يفقدونها تآلفها البنائي، كما يبدو الى اليوم. وكل ما خلعوه عليها من عبقريّتهم، من عروبتهم، انما يقوم على الوشي الذي تفوّقوا فيه — وهو لا يستدعي قويّ خيالٍ وعميق شعور — الى حدّ جعلهم فيه اساتذة وفنّانين.

لم يبنِ العرب في شيء ، فكان من الطبيعي ان لا يبني العرب في المرسح. والقطعة المرسحية ، سواء المأساة والفاجعة ، المغناة والمهزلة ، سواء الشكل وخُلق البطل، المشهد ورسم اصغر الاشخاص، وَحدةٌ بنائية ، قبل كل شيء.

ثم لم يبنِ العرب في المرسح ، بعد خروجهم من قفارهم ، واستقرارهم في مدن الحضر ، لأن المرسح يقوم أيضاً على المرأة. والمرأة العربية المحجبة — ولو معنوياً — لم تظهر جدّياً في المجتمع. فكيف بها على خشبة تدعى « ملعباً » ، وامام جمهور يدعون « متفرّجين »؟

* * *

نشأ المرسح في بلاد اليونان من اغانٍ فظّة ينشدها على شرف باخوس — إله الخمر — قوم معربدون يتنقلون على العجلات من مكان الى مكان ، خاصة في ايام القطاف . وكان تسبيس اول من ادخل شخصاً متكلماً بين المغنين . حتى جاء فرنكوس وزاد دور المرأة . ويعود الى اشيل فضل اكمال الفن المرسحي . فهو مكتشف اقسامه ، العامل بها كلها تاركاً لاتباعه امر تحسينها . ادخل الحوار وجعله عماد التمثيل الاولي ، ورفع مستوى الانشاء المبتذل الفظ . أما دور المغنين ، وإن لم يقضِ عليه نهائياً ، فقد ألغى سيطرته . واذا يقام اول مرسح في اثينا ويمحي الكثير من التخوت المنحطة ، يكمل اشيل عمله فيدخل على المرسح التصوير والتنميق وينمل الممثلين الاحذية ، ويلبس وجوههم اقنعةً محتشمة . واذا بالموسيقى والرقص العادي والرقص الموزون عوامل تتفاهم والمجموع مما كان غريباً على الممثلين انفسهم الذين لم يكن بوسعهم — وهم يشاهدون بعضهم بعضاً — إلّا ان يمثلوا بتأثر تلك الروايات المختمرة في العميق المحزن من نبوغ القدم . ويجيء سوفكل ينازع اشيل صولجانه ، فيدخل على الحوار شخصاً ثالثاً ، وبكلمة يحسّن ما وضع اشيل مسودته . يعطي المأساة التلاؤم العام ، والاجزاء التناسب الصحيح ، ويستعير انشاء هوميروس في بساطته الفخمة فيحكي كبر ابطاله عظمةَ ابطال الالياذة . وكما يرد اشيل ينبوع الخوف المؤثر ، يرد سوفوكل ينبوع الاعجاب الساطي . ولا يظلّ ينقص المرسح الّا العطف فيجيء اوريبيد ويُسيل العيون .

خلق المرسح اليوناني ثلاثة : روحٌ بنّاءة ، وامرأة تظهر في المجتمع ، وعبقرية طلّابة للترقي . اما عند العرب فلا روح بناء ، ولا امرأة تظهر ، ولا انفلات من التقليد . ذلك كله اجتمع لينفي المرسح عند العرب بالامس ، وليثبط من عزيمة المحاول اليوم .

ولكن اللبناني ، في نهضة المرسح الحديثة ، شأنه في النهضة الأدبية عامةً ، لم يتأثر بهذه الظاهرة في العرب . ولم يكن بحاجة إلى مُجابهتها لثلاثة :

الأول : إنه لم يكن يوماً فرديّ اللغة ، فتوثر فيه — بعد أن أخذ لغة العرب — مميزات الأدب العربي .

الثاني : إن شخصيته الأدبية قوية، بحيث لا تطفو عليها اي موجة جديدة دخيلة .

الثالث : إن الاسباب التي بعثت المرسح في اليونان كاملة متوافرة في لبنان. فهو في طبيعته بناء ، وفي عاداته غير متحجب ، وفي محافظته نفسها فضولي، طلّاب الترقي :

للبنان طبيعة جميلة ، وميثولوجيا. وله ، بالتالي، خيال فسيح كوثوبه قدماً إلى آخر الارض يستعمرها ، ويزرع بحارها سفناً وفكرًا ؛ أو كارتفاعه إلى مكامن الروح يخترع أحرف الهجاء . وللبنان احساس عميق ، كمحبته لهذه البقعة الصغيرة من الارض؛ والحياة فيها،منذ القدم ، رسالة موت وجهاد وثقافة . وللبنان روح بنّاءة بنت المعابد ، وبنت المدن ، وبنت المدنيات.

فإذا يطلّ المؤلفون المرسحيون من أوربة ، تضجّ في الدم اللبناني ملاعب أفقا والمشنقة والغينة، حيث كانت تقام، في كل موسم، رتبٌ لعشتروت وأدونيس، منها ما دُعي « الأدونيات الكبيرات » عرفت الرقص، والغناء ، وتناشد الشعر واشتهرت خاصةً : تسميه أوربة «الاجواق » ؛ وبكلمة : عرفت المرسح وهو بعد في اليونان تتلمذ وعربدات سكارى.

وهنا لا بد من الاشارة الى أن اشيل ، هذا المفكر الكبير الذي رأيناه يشب وحده بالمرسح اليوناني في ارقى درجاته ، هو في أجراقه تلميذ «الأدونيات الكبيرات»، وفي التفات حوادثه إلى الآلهة أي في سيطرة القدر على مرسحه ، هو تلميذ العقائد اللبنانية . ومن البراهين الصارخة على عمل المأثورات الفينيقية في خلق المرسح اليوناني أن . بين مرسحيات سوفوكل السبع ، ثلاثاً بمواضيع فينيقية : « أنتيغون » و « أوديب ملكاً »و « أوديب في كولون » ؛ وبين مرسحيات أوريبيد التسع اثنتين : « الفينيقيات » و « المتضرعات » ؛ وبين مرسحيات أشيل السبع ثلاثاً : « ليوس » و « اوديب » و « السبعة ضد تيبه ».

واجماعاً ، ان أحد الاتجاهات الحديثة : المرسح، حنت اليه في الشرق إشارة من احدى اللغات الاوربية ، ووجد عبقرية اللبناني مهيأةً له : فكان.

ومهما يكن من أمر ، فقد ولد المرسح في الشرق. ولد، فلننظر في مبلغ نموّه ، وفي اتجاهه.

* * *

إذا اخذنا المرسح كتمثيل — لا كتأليف — امكننا القول ان نموّه عندنا بطيء ، وقل : مفقود.

ولا يمكن هذه الظاهرة أن تثبط من عزيمة المرسح كتأليف . وبين اروع مراسح العالم ما لم يكن معدًا للتمثيل : تشهد « فوست » رائعة گوته . وبطء المراسح من حيث التمثيل ليس ظاهرة محلية ، والمرسح في العالم كله ، بعد السينما ، اصيب بالشلل . فاذا كانت بيروت — والمرسح فيها فتي — لم تتمكن بعد من ايجاد جوقة تمثيلية ؛ واذا كانت القاهرة — وقد حاول المرسح فيها الى سنوات خلت ان يطلّ من البيضة — قد خفتت صيحاتها السطحية اليوم، فلا نرد ذلك الى ضعفنا فقط ؛ وما بيروت والقاهرة بارق من باريس.

ان السينما في كل انحاء العالم قد اغرت بالشهرة والمال المشتغلين والمشتغلات بالمرسح كتمثيل . لكنها عجزت وتعجز ان تؤثر على النفوس المخلصة للفن المرسحي كتأليف.

* * *

بدأ المرسح عندنا بالترجمات . وكانت الاشارة الاولى — كعادتها — من لبنان . ثم ظهرت في الشرق ترجمات المدرسيين الفرنسيين ، فالتآليف الشخصية الركيكة ، فترجمات شكسبير ، الى ان جاء انطون يزبك ، واحمد شوقي . الاول عبقري ضلّل ، والثاني كسلان أجرم.

كنت اودّ ان اضرب صفحاً عن هذا المرسح من اساسه ، اي من مازون نقاش ، صاحب اول مرسحية في العربية ، الى مضالّي يزبك وضحايا شوقي ، وانا اعتقد ان كل هذا بامكانه ان يفوت خبره — بل خير ان يفوت — نهضة المرسح الحقة التي يجب ان تبنى رأساً على اسس امست بفضل الغرب ثابتة ، وعلى مواضيع محلية يتعبدها المرهوبون منا . ولكن، على سبيل المعلومات، وتسديداً للحساب ، امرّ على هذه الفترة الهزيلة التي وسموها بنهضة مرسحية :

كل المنتوجات المرسحية التي سبقت انطون يزبك بين تأليف وترجمة كان مكتوباً لها الموت مقدماً: المؤلفات، لانها لم تكن يوماً من قلم مرسحي ملهم، والمترجمات، لان مترجميها — وبينهم موهوبون — فاتهم منها معالجة عقدة هامة هي عقدة اللغة، يتبعها ما دعوه لسطحيتهم، كما سنرى، عقدة الشعر في المرسح.

انطون يزبك مرسحي موهوب، فكانت اللغة في يده نتيجة لا واسطة.

عرف هذا اللبناني انه يكتب لمصر، وللتمثيل لا للقراءة، فبدأ بالفاجعة الشعبية (mélodrame) والفاجعة الشعبية تقتضي اللغة المحكيّة، فضرب بجدالات المنقسمين بين عامية وفصحى عرض الحائط. هو يكتب للشعب، ويكتب في مصر. فكانت لغة رواياته، دون ان يدري، لغة الشعب المصري. وانحلّت معه العقدة طبيعياً، بينا صغيرو العقول في جدل حول اللغة، كانما اللغة يمكن ان يتصرف بها كتاب أو معجم، فرد او مجمع علمي! واللغة، شئنا ام ابينا، عبدة رقّ لهذا الذي نسميه الكلام.

وظلّ صاحب «عاصفة في بيت» و«الذبائح» يطرب الشعب المصري ويرقصه سنين على مرسحياته، حتى اذا مات وقام بعده من يعتقدون انهم مدرسة له، يقتفون آثاره، كالتأليف بلغة مصرية، ودرس البيئة الشعبية المصرية، فاتهم شيء واحد: النبوغ. ففاتهم كل شيء. فكانت كتابة يزبك باللغة المصرية سبباً لتضليل الكثيرين الذين اعتقدوا ان استعمال اللغة المصرية يجعلهم مؤلفين مرسحيين.

ومات ابن بكفيا في مصر، تاركاً عشرات الضالّين، وتاركاً الفاجعة الشعبية مختطةً الى ان يجيء كرنفون جديد، وقد يكون — كعادته — من لبنان.

اما شوقي، هوغو الشرق مع مراعاة النسبة، ذاك الذي ضمّ النبوغ الى الجهل، فجمع بين التفوّق والإسفاف، فقد ابى طموحه الا لعب حجر خطر على شطرنج الادب الحديث: فكتب في المرسح. لكن تلميذ موليير، ومرتاد باريس في ارقى مراسحها، لم يعلق عليه — لكسله على ما يظهر — شيء من اصول المرسح ومقتضيات كل نوع منه وملائمة الانواع للعصور، فاخفق مرسحه

كادب للتمثيل ، واخفق كادب للقراءة. ولولا بعض قصائد في خلال مرسحه من مثل « انا انطونيو » و « ايها القصر » توصلت الى ارقى درجات الشعر الغنائي ، لتمنيت لو لم يشتغل هذا الموهوب الفذّ بالمرسح . اذن لكفانا مؤونة بعض المؤلفين المرسحيين بالشعر ، الذين غرّهم منتوج المعلّم الكسول ، فاخذوا ينظمون قصائد يعنونونها باسماء عَلَم ، على انها حوار ، ويصدرون كل ذلك بقولهم — على طريقة شوقي — : زمن الرواية ، مكان الرواية ، اشخاص الرواية . واذا مرسحياتهم طعنة في صميم الادب ، واذا المعلم المسكين ، على هدوئه في قبره ، مجرم بريء [1].

* * *

ان التأليف للتأليف، اي للقراءة — بعد انفتاح قاوبنا بواسطة اللغات الدولية على المرسح العالمي — لا يقتضي ان نراعي بيئتنا . فالموهبة في هذا المضمار تكفي . وقد تحققنا ذلك في « اهل الكهف » ، تحفة توفيق الحكيم.

اما التأليف المرسحي للتمثيل ، ولاعطاء الشعب شيئاً من الايمان بالتمثيل ، فيقتضي مراعاة اشياء كثيرة :

نحن اليوم في عصر قليل الايمان . انفتحنا فجأة على المدنية الاوربية فلم نعد نؤمن حتى بنفوسنا . لم نعد نؤمن بالعجيب من الروائع.

ونحن في طور من اللغة دقيق . اللغة التي نحكيها غير التي نكتبها

ونحن اخيراً في بدء نهضة تجعل للموهوبين منا رسالة تسيير البلاد جهة المثل العليا.

قلة الايمان ، مشكلة اللغة ، العمل للنهضة ، نقط ثلاث هامة تخطّط اتجاه المرسح الحديث ، واصول المرسح الحديث.

للمرسح انواع ، وانواع واسعة الاختلاف بعضها عن بعض :

نقلع عن سطحيتنا ، ونترك لفظة رواية ، تلك اللفظة الضبابية ، المبهمة ،

---

(١) راجع، في ما تقدّم عن مرسحيات شوقي، كتاب ادوار حنين : شوقي على المسرح ، بيروت ، ١٩٣٥

الى اسماء ادق فنقول: مأساة ، فاجعة ، مهزلة ، فاجعة شعبية ، منظر ، قطعة ، مغناة.

تحديد كل نوع من هذه الانواع امسى معروفاً ، بعد روائع الغرب . يبقى ان نشدّد على الفرق بين هذه الانواع للتدليل على ان نوعاً واحداً دون سواه يمكنه ان يتعهّد اتجاهنا المرسحي.

المأساة قطعة مأخوذة من الحياة ، لا صورة عن الحياة فوتوغرافية ، هي من الحياة كالوردة من التراب . ما مَن ينكر ان الوردة تولد من التراب وتتغذّى بالتراب ولا يمكنها ان تعيش الّا في التراب ، ومع هذا فلا يذهب احد الى ان الوردة هي التراب . والمأساة عالم ثانٍ فوق عالمنا وغير عالمنا ، يُرقينا الشاعر بأن ينقلنا اليه . فتوجيب الشعر فيها امر طبيعي . والشعر مهمته ان « ينقلنا من عالمنا الى عالمٍ آخر» . بينما القطعة صورة للحياة تكاد تكون منقولةً نقلاً ، صورة طبيعية للحياة بما في هذه من رفعة وانحطاط ، غرابةٍ وعادية . فتوجيب النثر فيها امر طبيعي. والنثر، في رفعته وانحطاطه، لغة الحياة، لغة ملهمها وجاهلها على السواء .

موضوع المأساة يقوم على اشخاص غير عاديين، وعلى حالة من حالاتهم بلغت اقصى درجاتها. فترينا المأساة مع كورنيل ما يجب ان يكون الانسان الامثل ، ومع راسين ما هو الانسان في حالةٍ من حالاته المثلى .

اما القطعة فهي الحياة ، الحياة كما هي صارخة الخطوط حيناً ، نافرتها او خافتتها احياناً . الحياة المعتادة نلاحظ عليها ونعتبر.

المأساة والقطعة طرفان ، او يكادان . وبقية الانواع تكاد تشتقّ منهما.

فالفاجعة (drame) هي المأساة، تفرق عنها بانها تتناول، بدل النفس الواحدة، بشريةً او جيلاً[1] . ولهذا كانت الفاجعة شعراً او نثراً منظوماً .

والمهزلة تتناول دقائق لا يدركها العاديون تهزأ بها لتجعلنا نتجنبها . ولهذا تبقى المهزلة من خصائص العصور الناعمة ، السليمة الذوق ، فإن سبقت اوانها

١) في الفرق بين المأساة والفاجعة راجع للمؤلف مقدمة « بنت يفتاح » ، بيروت، ١٩٣٥

كانت سمجة فظة ، لا يُضحك واضعها الناس بل يكون ضحكتهم .

والفاجعة الشعبية — ويحدّدها اسمها — تصف الطبقة الدنيا من البشر ، وتصفها في اصطدامها الازلي مع القدر . فهي سلسلة من المفاجآت الفاجعة تشدّ على قلب المشاهد فلا تفلته الّا معصورًا باكياً . هي تصف الطبقة الدنيا فبديهي ان تكون بلغتهم ، بنثرهم نفسه .

والمنظر، وهو اشبه برؤيا او شمّة قصيرة الاجل، تفتح بالجمال باباً على حقيقة عميقة ، فيجب ان تكون شعرًا ، لغة الجمال والسموّ . ونقول مثل هذا عن المغناة التي تقوم بمهمتها الجمالية بين الرقص والغناء والشعر .

هو ، بنظرة عجلى ، الفرق بين هذه الانواع : صورة عن الحياة ، أو عالم غير الحياة ، أو ما هو اميل إلى أحد الاثنين .

ومن هنا تأتي طبيعياً لغة كل نوع ، فما هو صورة عن الحياة جاء بالنثر ، بالكلام الذي تستعمله الحياة دوماً ، وما هو فوق الحياة وغير الحياة جاء بتعبير ينقل إلى عالم آخر، جاء طبيعياً بالشعر . ومن هنا نرى كيف أن التعمق في انواع المرسح يبرأ من اقوال السطحيين الذين يقولون بوجوب امتناع عن الشعر في المرسح بحجة ان لا احد في الحياة يتكلم شعرًا . وقد رأينا ان بعض الانواع ليس صورة عن الحياة وانه لا يجوز فيه الشعر فحسب بل يجب وجوباً .

ان الشرق سيتاح له ، ان شاء الله ، ان تتعرف عصوره وبيئته وحاجاته الى كل واحد من هذه الانواع . فلا نستبق الامور .

اما الآن فلا نوع من كل هذه الانواع يقوم بحاجة النهضة ، ويجابه مشكلة اللغة ، ويقضي على قلّة الايمان ، الّا المأساة .

نحن نحكي لغة ونكتب لغة . فكل بعد بالقطعة او الفاجعة الشعبية — وهما لا تكونان الّا باللغة المحكية — سيقابل شيء من الهزء لان اللغة المحكية لا تتمشى عندنا بعد بكبير مكانة .

والقطعة والفاجعة الشعبية — ومواضيعها الحياة العادية والحياة الدنيا — سيقابلان ، عند قلّة ايماننا المعروفة ، بقلبة شفة وهزّ كتف ، لان أمثال هذه المواضيع لا يستدعي مجد ذاته الاعجاب .

واخيراً القطعة والفاجعة الشعبية تصفان حياتنا كما هي اليوم بما فيها من تضعضع وعدم استقرار ، ونحن على عتبة نهضتنا الوطنية اشدّ ما نكون حاجة الى المثل العليا.

والمهزلة تقتضي شعباً سليم الذوق، ناعماً ، ولغة معروفة الدقائق ، فكل محاولة فيها اليوم افلاس ، وافلاس يجرف معه المرسح . اما المغناة والمنظر فهما لعصور تفوقت في كل الفنون من شعر وغناء وموسيقى وبناء وتصوير. فلنخفف من غاوائنا اليهما اليوم ، ولنصعد اليهما درجةً درجة .

بقي لنا المأساة والفاجعة ، نلجأ اليهما.

فالمأساة خصوصاً ، وهي لا تستدعي الفصحى فقط بل تستدعي الشعر ايضاً، تجابه بذلك مشكلة اللغة فتطلّ على قليلي الايمان من عل بشعرها وبتواضيعها النبيلة ، وبقواعدها الثابتة من وحدة وبساطة ووضوح ، فلا يسع قلة ايماننا الّا مقابلتها بكثير احترام . واخيراً هي تساهم — بل تكون طليعة — في النهضة الوطنية اذ ترفعنا مع أبطالها الى المثل العليا حيث يحطّ لبنان ، ومن ورائه الشرق ، ابحاراً مشتاقة وظمأى.

الاتجاهات الحديثة في الادب العربي

الشعر

بقلم يوسف غصوب

بدءاً باقرار نقطة جوهرية . وهي أن الشاعر ، إبّان الهامه او تقبله الوحي ، لا يكون في حالة عادية طبيعية يُحسّ فيها ويَعقل ، كما يُحسّ ويعقل سائر الناس ، بل في حالة مبهمة مُظلمة لا يستطيع ان يحدّها ، ولا ان يميز شيئاً من عناصرها . وإنْ أدرك ، فلا يُدركُ منها الا أنها كانت هدوءاً ، وسكينةً ، وغبطةً عُلويّة ، اتحدت فيها نفسه بكُنه الاشياء ، واتصلت بالروح، ناسية قواها الواعية من عقل وإرادة وعاطفة وخيال.

وما هذه الحالة الاستثنائية مما اختصّ به الشاعر دون سواه ، فهي مشاعٌ بين جميع الناس ينعمون بها على درجات متفاوتة . وما من احدٍ ، مهما بخلت عليه الطبيعة ، الا وذاقها في حياته . فلو سأل كلّ منا نفسه لعاد منها بجواب يؤيّد ما قدمنا.

كم من مرّة نقف امام تمثال ، او صورة ، او بناء ، فنعجبُ به ، ونُؤخذ بجماله ، فتشرُد افكارنا ، ونظلّ امامه مشدوهين ، يَغيب عنا من دونه كل شيء. سَلُوا المحبين أما اتّفق لهم أن خَفِيَ عنهم احباؤهم ، وهم جُلوسٌ لديهم ، وهم موضوعُ حُبهم ، لانفلاتهم ، تحت تأثر عاطفتهم ، الى عالم الحب الاسمى ؟ ذلك لان في صدر كل امرئٍ حنيناً الى حياة أخرى ، الى فردوس مفقود ، كلما سنحت له فرصةٌ هاج ، وملأ القلب صلاةً.

هذه الحالة الشعرية تعرض عَرَضاً للناس في مواقفَ وظروفٍ نادرة . اما الشاعر فيكاد يَقسِمُ حياتَه بينها وبين الحالة الطبيعية : كلّ حادث مؤثر ،

كلّ منظر غريب ، كلّ جمال بارع ، يوقظ فيه نفسه الباطنة ، فيتلاشى امامها كلّ شيء .

ففي الانسان ، اذن ، حالتان مختلفتان : حالة تسود فيها القوى الواعية من عقل ، وإرادة ، وعاطفة ، وخيال ، فيسوس فيها المرء اعماله ، ويتعاطى وامثاله فيتفاهمون ويتناقشون ويقيسون على مقاييسَ وقواعدَ مسنونة ، ويُحكمون المنطق والعلوم والفلسفة . وحالةٌ أخرى لا عَمَل البتة فيها لهذه القوى ، بل ترتع فيها النفس الباطنةُ مغمورة بالسكون والغبطة .

أرى أنّ الانسان ، في اول عهده ، كان أقربَ الى هذه الحالة الاخيرة — الحالة الشعرية — منه اليها الآن . فالديانات ، على اختلافها ، تُخبرنا عن اتصال الآلهة بالبشر ، وعما كان يجري بينهم من حوار . وقد تكون هذه الاخبار رمزيةً غير أنها تَدُلُّ دلالة واضحة على سَذاجة تلك العصور ، وعلى تَغلُّب النفس فيها على كبرياء العقل وجُموح العاطفة . ثم اخذت هذه الحال تتغيرُ قليلًا فقليلًا بعد ان نفثت الحية في قلب الانسان سُمَّ المعرفة وأغرته بها . فبدأ العقلُ — منذ ذلك الحين — يَبعد عن مَصدره ، عن نفسه الباطنة . وراحت تتراكم ما بينه وبينها الحواجز حتى أصبح من الصعب اجتماعُهما وائتلافهما . على أن الشاعر هو الشذوذ في هذه القاعدة ، هو الرجل الشريد الغريب في هذا العالم ، عالم العقل والمادة ، ولذا تراه قريباً من نفسه يأوي اليها ويسمع اناشيدها ، ويأتينا منها بنفحات ما لنا عهد بها ، فننفر ، ونانعُ ، ونستغرب ، ثم ننقاد طائعين .

والشاعرُ ! ! ما كان الشاعرُ أنانياً فيحتفظَ لنفسه بالمحبة التي تلقاها من الله ، فتراه — رغمَ تعرضه في بعض الاحايين للهُزء والشفقة — يَطلع على الناس باناشيده الغامضة ، ويكلمهم بالفاظه المبهمة الغريبة ، ويُؤدي رسالته أميناً . ومنهم من يَضحك ، ومنهم من يسخر ، ومنهم من يقول : دعوه ، إنه لمجنون ! دعوه ، إنّ فيه لشيطاناً ! ومنهم من يتهيب روعته ويُحسّ فيه قوة غريبةً فيقول :

إن الالهة تتكلم بلسانه .

وهو ، على كل حال ، غريب على الارض ، يتعثر باذيال عبقريته:
Ses ailes de géant l'empêchent de marcher. (١)

* * *

لما ألف افلاطون جمهوريته ، لم يجد للشاعر فيها محلاً . فالشاعر ، في رأي افلاطون ، لا يصلح لشيء ، وليس فيه من نفع للهيئة البشرية . كلامه يخالف الاحكام المنطقية ، والفاظه لا تدلّ على معانيها ! فما يَصنع منه ! ! أيَصنع منه وزيراً ، ام معلماً . لا . لا . بل ينفيه ، لانه عِبء على المدينة . فنفاه . وراح الشاعر ينفض ثيابه تاركاً منفاه الى موطنه !

اما العربُ فما اتبعوا ، لسوء الحظ ، خطة افلاطون في شأنه . بل عدلوا الى طريقة كانت وبالاً عليه : جاؤوه ، وهو بين الكهّان والسحرة ، يتلو عليهم من آياته ، ويُطربهم باغانيه ، ويقصّ احاديثه مع الآلهة والجن ، ويُخبر بسحر الصحراء في الليالي القمراء ، وبأنغام الرياح بين تلال الرمال ، وبنجوى النجوم في زرقة السماء . والكهنة والسحرة مُصغون اليه ، يرشفون كلامه ويسكرون بخمرته ، جاؤوه وقالوا له : دَعْ عنك هذا . انْ أنت الا في ضلال مبين . أتترك « القبيلة » لتعيش منفرداً شريداً . قُمْ الينا . إنا لنرى لك لساناً ذلقاً ، وفماً أشدقَ ، ونسمعُ صوتاً جهيراً ، وكلاماً بليغاً . قُمْ فقد اعددنا لك في القبيلة منصباً خطيراً ، تكون فيها للامير وزيراً . تُدافع بلسانك عنها ، وعن اعراضها ، وعن حقوقها ، وتهجو اعداءها ، وتُثير النشاط في رجالها . . . الخ

فنشب صراع عنيف بين نفس الشاعر وعقله كانت الغلبةُ فيه لهذا العقل الدعيّ . فودّع الشاعرُ مَلاكه ، وشيطانه ، والكهنةَ ، والسحرة ، وأعتلى جواداً ، وتقلّد سيفاً ، ونقل رُمحاً ، وأصبح خطيباً بعد ان كان شاعراً . . .

فنظم مُعلقة الحارث بن حِلزة ، ومعلقة عَمرو بن كُلثوم . ودعّم براعته الخطابية بالامثال والحِكَم ، فقال: مَنْ ومَنْ ومَنْ[٢] . وغالى في الفخر والهجاء .

١) بودلير ٢) اشارة الى معلقة زهير بن ابي سلمى

أما الشعر فخانهُ بين الشياطين والجن ، بين السحرة والكهنة .

ورأت عصور الجاهلية . وقامت دولة بني أمية . وتكاثرت الاحزاب والنزعات . وانقسمت المملكة ، الى حين ، بعضها على بعض . واضطُر زُعماؤها الى الالتجاء الى من يُصلتُ لسانه للدفاع عن سياستهم — ولم يكن اذ ذاك من جرائد — فوقع اختيارهم على الشاعر فقالوا له : دافع عنا بلسانك . سيّر قصائدك بالإشادة بحقنا في الملك ، واحمل الحملاتِ الثقال على خصومنا فيكونَ لك عندنا المقام الارفع . فقال لهم ، ولم يتردد : انا لها . واصبح الشاعر صُحفياً خبيرًا باساليب السياسة ومداخلها ومخارجها ، يرفع هذا ، ويحط ذاك ، ويفتش عن نقائص زَيْدٍ فيُذيعها ، وعن صَنائع عمرٍو فينشرُها ، ويتهاجى والشعراء فينظم « نقائض جَرير والفرزدَق » ، ويلاقي اكراماً وحظوة ، ويُصفّق له السامعون ويهللون . فيدخل في رَوْعه أنه اشعرُ الشعراء . هذا ونَفسُه تَئِنّ وحيدةً في منفاها ، تُحاول ان تغنّي ولا تستطيعُ الا نادرًا .

واستتب امرُ الدولة . وتبدّد مُناوئوها ، وخلص لها الحُكم . فقطّعت الاعاناتِ عن « الصُحُف » . فبات الشعراء ولا عمل ، ولا مورد لهم . وكانوا قد تعوّدوا بعض الزُلفى ، ابان اتصالهم بالخلفاء والامراء والحكام ، فقالوا في نفوسهم : إننا نُحسن هذا المنهجَ من مناهج العيش ، فلو سرنا فيه لدرَّ علينا الخير الكثير . واجمعوا رأيهم على المدح ، وراحوا يُقصدون القصائد ، يحملونها من باب الى باب ، يَمدّون ايديهم ولا نأنف ان نقول : يستجدون ، ولا إباء ، ولا عِزّة نفس . وأيّ شأنٍ للشعر في هذه السوق التي لا ينفق فيها الّا المبالغة ، والكذب ، والاغراب ، والرياء . لا يفوز فيها الا مَن أجاد الحِيلة في وضع الخِطَط الخادعة لإنداء الاكف اليابسة . اما الصدق ، اما الوحي ، فلا تسل عنهما . فهما بعيدان جِدّ بَعيدين عن هذه المباءة الخبيثة .

لم يكن رائدُ هذا الشعر — اذا جاز ان نسمّيه شِعرًا — الا الحاجةَ والطمعَ ، فتفنن فيه الناظم مَا شاء لبلوغ غايته . فيزّ اريحيّة العظماء بحشده في مدائحهم افضلَ ما يكون من الصفات ، وبنسبته اليهم أغربَ الاعمال وابعدها عن الحقيقة . فقال احدهم في هذا الشعر : أحسن الشعر اكذبه . ولما نضب معين

الناظم ونَفَدت موزونته من قديم وحديث ، عَمَد الى شيء بدعة في الشعر ، الا وهو البَديع . وما ادراك ما البديع ! مُداعبات صبيانية بَهلوانية يتلهى بها من لا مـادّة عندَه ولا حياة ، فيجعل الاجادةَ كلَّ الاجادة في المجانسة والمطابقة والتصدير والتوشيع الخ.

لم يقف تدهورُ الشعر عند هذا الحد. بل تابع انحدارَه صبياً ، فسُخّر لشؤون ليس له فيها (ناقة ولا جمل) : كلّفوهُ نظم العلوم من صرف ، ونحو ، وطب ؛ وذلّلوه على المنطق والفلسفة ، وهو ابعد شيء عن المنطق والفلسفة. فكان يلبي طلب كل طالب ، وينزل عند رغبة كل راغب ؛ حتى انهم حَمّلوه طائعاً على التشطير والتخميس والتسميط ، ولا عجب ، فلم يكن في هذا الشعر قُوة تُدافع عن كيانه وتصدُّ عنه هجمات الطفيليات الخانقة.

وقد يتصوّر البعض أنّ هذا آخرُ ما تدنّى اليه الشعر العربي . لا . فهناك نظمُ التواريخ ، وهنـاك القصائد الرَّقطاء ، والقصائد العاطلـة ، والقصائد الحيفا. . . وهناك الابياتُ التي تُقرأ طرداً وعكساً وتبقى على لفظها . وهناك الالغاز والاحاجي . وهناك سخافات لا تعدّ ولا تحصى.

وهذا ما حمل بعضَهم على القول : إن الشعر قارئُ صبيانية إذا جـاز ان يتلهى بهـا الاولاد الصغار لحفظ بعض الالفاظ فلا يجوزُ لهم — اذا بلغوا — ان يظلّوا على ممارسته ، بل عليهم الاخذُ بالاعمال الرزينة.

واذا اضفنا الى مظاهر هذا التطوّر بعض قصائدَ في الغزل والنسيب — لا في الحب — وبعض الخمريات ، والطرديات ، فنكونُ قد المسنا بُبحث هذا الفن.

* * *

معاذَ الله أن نقول : إن الآثار العربية خلوٌ جميعُها من الشعر كما نفهمه او كما يجب ان يُفهم . فهنالك طائفة كبيرة منه متوزعة على جميع العصور ، فيها النفحةُ الشعرية الخالصة كمـا سنرى. غير أنّ ذلك لا يمنع أن تكونَ الصبغةُ الشائعـة في الشعر العربي صبغةً خطابية منطقية علمية مما لا يتفق مع الشعر الحقيقي . فهل أنتبهَ أئمة النقد عند العرب الى هذه النقطة الهامة ؟ وهـل

حاولوا ان يردّوا الشعر الى الصراط القويم ؟ !

جاء اصحاب القواعد والقوانين في مختلف العصور ، حاملين مقاييسهم وبركاراتهم ، وتنطّعوا وقالوا : ايها الشعراء . هذي هي القاعدة قد وضعناها لكم فلا تتعدّوها . فمن حاد عنها ، او اخلّ بحرف من حروفها ، نفيناه من زمرة الشعراء . وما هي هذه القاعدة يا ترى ؟

سمع العرب أن ارسطو وضع اصولاً للشعر فنقلوها — واي نقل ! — الى العربية . وقام ابن رشد فلخّصها . وقد حاولتُ ان أفهم من تلخيصه شيئاً فما استطعت . ولكن ، على كل حال ، ما ضير العرب كبير امر في عدم الاخذ بها والتقيد باحكامها . فهي من وضع المنطق المتكبّر . والمنطقُ والشعر على طرفي نقيض .

قال العروضيون في تحديد الشعر : هو الكلام الموزون المقفى . وقال ابنُ خلدون : انما صناعة الشعر بالالفاظ لا بالمعاني . وإن هذا التحديدَ الاخر لَنثر يوهمنا أنّ ابن خلدون قد ادرك شيئاً من كُنه الشعر . ولكنه — لسوء الحظ — لم يَقصد الا الى أنّ المعاني هي في متناول جميع الناس وما الشعر الا بتنظيمها وسبكها في لفظ بليغ او فخم او سهل وفقاً لمقتضى الحال . كما سبقه الى ذلك الجاحظ حيث قال : « المعاني مَطروحة في الطريق يَعرفها العَجمي والعَربي والبَدوي والقَروي . وإنما الشأن في اقامة الوزن وتخيّر اللفظ وسهولة المخرج » .

وقال الجاحظ — ايضاً — قولاً يَدُلّ على إدعاء العرب بانهم اشعر الناس ، وأنّ لا شعر الا في العربية ، ولذلك لم يأبهوا لما عندَ غيرهم من الامم ولم يُهب بهم الحرصُ الى الاطلاع على رأي الشعوب في هذا الذي نسميه شعراً . قال الجاحظ : « وفَضيلة الشعر مقصورةٌ على العرب ، وعلى من تكلم بلسان العرب » .

ومع هذا ، فقد تنبه الجاحظ الى امر ذي بال ، أمر عظيم جداً . وعندي أنّ الجاحظ كان يَشعرُ في اعماق نفسه بهذا الذي ندعوه الآن بالشيء الذي لا يُحدّ (Ineffable) ، ولكنه لم يتوفق الى الاعراب عنه . قال : « والشعر لا لا يُستطاع أنْ يُترجمَ ولا يجوز عليه النقل . ومتى حُوّل . . . ذهب حُسنه وسقط

موضع التعجب منه ، وصار كالكلام المنثور ».

وموضع التعجب في الشعر هو الشعرُ نفسُه ، هو ذلك الشيء الذي لا يمكن وصفه ولا حده.

اما امكان ترجمة الشعر فقد جعلها احد المعاصرين — ولا اذكر اسمه — شرطاً اساسياً من شروط الشعر الجيد فقال : ان ميزان الشعر هو امكان نقله الى لغة اجنبية مع بقائه على معانيه ، ولذلك فالمتنبي ليس بالشاعر اذ من الصعب نقل شعره الى الفرنسية مثلاً مع محافظته على قيمته وروعته.

وهذا هو السخف بعينه.

وجعلوا الشعر علماً فقالوا : « الشعر علم من علوم العرب يشترك فيه الطبع والروية والذكاء» (الجرجاني) وقالوا ايضاً : « الشعر ما اشتمل على المثل السائر والاستعارة الرائعة والتشبيه الواقع وما سوى ذلك فانما لقائله فضل الوزن ».

وقس على ذلك تحاديد كثيرة للشعر التفتَ فيها اصحابُها الى القشور ، ولم يلتفتوا الى اللُباب . وأرى أن العرب لم يُحسنوا في هذا الصدد الا بتسمية الشعر «شعراً». فهذه اللفظة ادلّ عليه من جميع ما اوردوه من تحاديد سطحية لا تُفيد ماهيةَ الشعر ولا جوهره.

ولما انتهى النقدة من التحاديد ، خَفُّوا الى سن القوانين ، فقالوا: اصنعوا كذا ، ولا تصنعوا كذا . واختلفوا في الامر فمنهم من أوجب اتباعَ القديم في خطّته وطُرُقه في مطالع القصائد من ذكر الاطلال ، ووصف الجمال ، والتشبيب والنسيب ؛ ومنهم من اجاز الابتداء بالحِكَم ، ومنهم من تساهل حتى قال : لا بأس من الابتداء بالموضوع توّاً. ثم قالوا يجب في المدح كذا ، وفي الرثاء كذا ، وفي الهجاء كذا ، وقال ابن رشيق من قصيدة في اصول الشعر :

فاذا ما مدحتَ . . .
واذا ما قرنته بهجاء . . .
واذا ما بكيت . . .
ثم ان كنت عاتباً . . .

فحصر الشعر في هذه الابواب . ثم قال كيفَ يجب الجريُ فيها . وتفاقم الامر بين مَن حلّل ومَن حرّم ، فتمالت الضجة بين اصحاب القديم واصحاب الحديث ، فادلى كل واحد منهم بحجة تدعم رأيه ، وظل الجدل قائمًا حتى ايامنا هذه ولا اراه ينتهي.

على أن الشعر الشعر فتيٌ ابدًا ، لا هو بالقديم ، ولا هو بالحديث لا يُؤثر فيه زمن ولا مكان ، ولا يبوخ بمرور الايام ، فتراه كلما أُنشد كان له وَقعُه وكان له سحره. انما الذي يبوخ ويبهت هو النظم الذي يروق في زمن — لِزيّ في الادب — ثم يذهب بذهاب ذلك الزي.

واقبل الشرّاح على الدواوين ، فاخذوا يُفسّرون غامضها ، ويجلُون مشاكلها اللغوية والبيانية ، ويظهرون ما فيها من المعاني الغريبة والتشابيه العجيبة ، ويُشيدون بما فيها من فَصاحة وبَلاغة ، وما في قوافيها من قوة ورسوخ . ثم فتشوا عما سُبق اليه من المعاني ، وعما كان مبتكرًا ، وعما سُرق ، وعما حُسّن فيه بعد سرقته ، وعن الصياغة والديباجة ، وعن سموّ الخيال ورقة العاطفة . فتشوا عن كل شيء في الدواوين . اما الشعرُ فلم يفتشوا عنه.

فتشوا عن اشياء كثيرة يشترك فيها النثر والشعر ، وربما استغنى الشعر عنها ، اذ هو مستقلٌ كل الاستقلال عن صاحبه . فاذا دخله من عناصر النثر شيء إنما يكون ذلك تطفلًا من هذا الدخيل الوقح.

* * *

هذا هو الشعرُ عند العرب . القينا عليه نظرة سريعة إجمالية . فبقي علينا ان نقول كلمة في الشعر ، كما نفهمه الآن.

ليس ما أُحدّث عنه بالبدعة الجديدة . إن هو الا صَدى آراء شائعة في علم الشعر ، لا يختلف اهل النقد والعلم فيها الا على بعض تفاصيلها ، لا على اساسها . ومع هذا نرى في لبنان ، في هذا البلد الشعري ، من يصعب عليه هضم هذه المبادئ الاولية ويُغمض عينيه عن جلائها ، فيظل سائرًا ، في أدبه ، على ضوء التقاليد لا يحيد عنها ، ولا يلتفت يمنة ولا يسرة.

النظريات في الشعر متعددة . وكلها حديثة لا يرجعُ القديمُ منها الى ابعد من مئة سنة . وكلها اجمعت على أن في الشعر شيئاً لا يمكن تحديده يجعل الشعر شعرًا . فمنهم من ينسب هذا الشيء الى الموسيقى ، والى اتقان الصياغة والمعرفة بمخارج الاصوات وتلاؤمها او تنافرها واختلافها ، وبتجريد الالفاظ من المعاني والصور حتى تبقى عارية لا تُوحي الى القلب عاطفة ، ولا الى العقل فكرًا ؛ بل تجعل الاثنين في دَهشة وغموض وابهام وحالة موسيقية تُسمع فيها أنغام آتية من بعيد،من اعماق اللانهاية لم تألفها الآذان ولا القلوب.

ومنهم من يردّ الشعر بجملته الى النفس الباطنة ويقول : إنه صلاة النفس في وَحشتها .إنه نغمة من نغمات الفلك الدائر ، نفحة من نفحات الحب الشامل.

وعلى كِلا الحالين ، لا بدّ للشعر من الوحي والإلهام ومن حالة لاواعية (على حدّ قول صديقنا سعيد عقل) تفقد فيها القوى العاقلةُ الواعية كل سيطرتها ، ويرتع فيها الوجدان ، او النفس الباطنة ، في غبطة لا نحدّها ولا نُدركها انما نُحسّها حِسّاً عميقاً .

يهبط الوحي على قلب الشاعر فيشعُر بارتياح عظيم ، وهدوء غريب ، وتطمئن نفسه إذ يرى،في لمحةٍ،العمل الذي ينويه تاماً ناجزًا ، لا يتبيّنه بتفاصيله وحدوده انما هو ماثل امامه متشح بظلام نيّر — اذا صحّ التعبير — فيثق بكيانه وبتحقيقه.

لا يصنع الشاعر في حالة الوحي شيئاً ، ولا يُملي عليه الوحي شيئاً ؛ ولا يزيده معارف على معارفه ؛ ولا يرافقه أبدَ الدهر ، ليُنجز ما شرع به . بل يكون هذا الوحي الشرارة الاولى التي تنير الطريق ، النغمة الاولى ، الشطرة الاولى من القصيدة.

قال ڤاليري: « تُعطينا الالهة مجاناً البيت الاول من القصيدة.»وقد يكون في هذا البيت الجرثومة التي تتولد القصيدة منها ، كما تكون السُنْبلةُ باجمعها في القمحة التي تلقى في الارض.

وزيادةً في الايضاح ، اقول : إن النحت ، وهو كالشعر ، يتطلب الوحي. فان لم يكن النحات ملهماً ، كانت تماثيله كالحجارة لا قيمة لها.ومن التماثيل ما

يحار العقل به ، وتخشع النفس له ، يغمره السحر وتطفو عليه الروعة والجلالة. فهل يُعقل ان النحات ظلّ في الحالة الشعريّة طوال المدة التي قضاها في صنع التمثال.

قال هنري بريمون في بعض ابحاثه : « ليس الرجلُ الدقيقةَ التي هو فيها ، بل هو الدقيقةُ التي قبلها ، او التي تليها . » فهو ذكرى او امل . ولذلك ليس من المستغرب ان لا يشعر المرء بالحالة الشعرية اثناء وجوده فيها.

الوحي ذخيرة او نور داخلي ، يستقرّ في النفس الباطنة ، ويشيع في الاثر الذي تأتيه ، وان نكن نصنع ذلك ونحن في حالتنا الطبيعية.

يعود الشاعر من غيبوبته ، وهو قريب عهد بالحب والجمال المطلقين ، مشعٌ منها ، فيرى الاشياء على غير ما تبدو ويريدها افضل مما هي عليه ، واقربَ الى المُثُلِ العليا التي يُحسها في وجدانه . ويحاول ان يؤدّي رسالته . وما من وسيلة لديه الا هذه الالفاظ البائخة ، وهذه الجمل البالية ، فيُشرق عليها من نور الهامه ، من القبس الذي قبسه من النور الالهي ، فيخلقها خلقاً جديداً . فتدبّ فيها الحياة ، وتُدوّي في القلب دوياً غريباً . فشأنه معها شأن الشمس تلثم الخِرقة البالية فتجعل منها علماً ، كما قال الشاعر روستان . على ان هذه الالفاظ — على تزاوج معانيها في القصيدة : المعنى الاصلي والمعنى الذي يعطيها اياه الشاعر — وعلى جزالتها او فخامتها ، او سهولتها ، او موسيقاها ، لا تكفي وحدها لارضاء نفس الشاعر ، فتراه يتخذ منها جملاً يصوغها صياغة غريبة ، يتلاعب فيها بين تقديم وتأخير ، وحذف واضافة ، وتشابك وتباعد ، وفصل ووصل ، وجعلِ هذه الكلمةِ صَدًى لكلمة أخرى ، ومزاوجةٍ بين حرف وحرف ، وتجاوبٍ في الانغام بين الصدور والاعجاز مما حمل بعضهم على القول : « ان الشعر في التعبير » . ولكن مهما جاد التعبير والصياغة فان لم يكن في البيت روحٌ فلا يكون البيت شعراً.

خذ مثلاً هذا المطلع من قصيدة مشهورة للمتنبي :

على قدر اهل العزم تأتي العزائم ، وتأتي على قدر الكرام المكارمُ !

فانه ، وان يكن جزل اللفظ ، سَهل النطق ، متوازي الشطرين ، متهادي

النفس ، فليس هو من الشعر في شيء . ان هو الا مقدمة لعظة او لخطبة .

اما اذا كان الشعر ملهماً ، فالانسجام والجزالة وروعة اللفظ تزيده جمالاً على جمال ، وتكون فيه اشعاعاً يتصل نوره بقلب السامع ، فيبعث فيه تلك « التشعريرة » العذبة التي احسها العرب ولم يعرفوا مصدرها .

لا تنتهي مهمة الشاعر بانتقاء الفاظه ، وترتيب جمله . فهناك مهمة اشق الا وهي البناء . فالقصيدة وحدة قائمة بنفسها منفصلة عما سواها ، تامة الخلق ، لا زيادة فيها ولا نقصان . هي صورة في إطار ، امرأة حسناء متناسبة الاعضاء ، اقل شيء ليس منها يذهب من حسنها ويغيرها . هي هيكل في صعيد من الارض ، او على ربوة ، تراه جملة فيروعك جلاله واتساقه ، ولا تنتبه ، لاول وهلة ، لما فيه من دقيق الصنع ولما استعمل فيه من مواد بين ثمين وخسيس ، بين مرمر وطين ، بين ذهب وحديد . فهو امامك ماثل عينيك ، مستول على لبك ، لا تدرك — الا بعد الروية — كم قضى المهندس في بنائه من ليالٍ ساهرة ، وكم سائل الآلهة ، وكم تضرع لها ، وكم جلس امام ورقته البيضاء يبكي ويصلي .

انت لا تدري كم هناك من مواد مختلفة جمعها من اقطار العالم من بطون الارض ، من اعماق البحار ، واختار لكل منها مكانه ونشر فيها روحه ؛ فاذا هي تغرد في الوان الهيكل واشكاله وخطوطه واجوائه .

قلت : إن الالهام لا يزيد في غنى الشاعر . بل يزيد في قيمة بناء ؛ اي في ما لديه من مادة . وهذه المادة تتجمع في صدر الشاعر من مصادر مختلفة ؛ تتراكم وتتوافر يوماً فيوماً من حيث يدري ولا يدري : تأتيه من قراآته ؛ من حياته ، مما يحف به من مناظر ومشاهد ؛ من ظلمات الغيب ؛ من ظلمات الدهور السالفة ، من آبائه الاولين فتصبغ بصبغة خاصة هي صبغة الشاعر الشخصية ؛ صبغة وراثته ، صبغة بلاده . الميسم الذي يتميز به عن سائر الشعراء ، على امتزاج شعره بالشعر الانساني ، بالشعر العالمي . هذا الميسم هو له كالاريج في الزهرة . كل الازهار العاطرة لها اريج . اما الوردة أريج ، والزنبقة اريج ، والبنفسجة اريج .

ولا بدّ ان تلجأ النفس الباطنة — اذا ارادت البناء — الى قواها العاقلة فتُسخر الفكر والعاطفة والخيال . لا تترك لهذه القوى الحبل على الغارب فتصنعَ ما تشاء بل ان هذه القوى تبني — اذا امكن القول — تحت رقابتها ، ولا ترضى النفس عن البناء الّا اذا جاء كما تُحبّه في اعماقها ، وكما رأته ابان الهامها . اما اذا تُرك العقل وشأنه ، فيأتي بالعجب العُجاب ، ويَرجع الى عُنجُهيته ، ومَنطقه ، ومقاييسه ، واحكامه ، فيتضاءل الشعر وتظهر البلاغة والخَطابة . حتى اذا تلا العقلُ نظيمه في جماعة من العقول صفّقت له ، لانها عرفت في قوله وافكاره قولها وافكارها ، فتصفيقها انما هو رجع صَداها . اما النفس فتبقى صامتة منكمشة على ذاتها حزينة في منفاها .

هذا ولا بدّ للقصيدة من الغناء . لا بدّ لها من موسيقى تكون الموجة الكهربائية التي توصل المجرى الشعري الى قلب السامع او القارئ . وهذه الموسيقى على نوعين : الموسيقى الخارجية ، والموسيقى الداخلية . فالخارجية منها قِوامها اللفظ والوزن ومدى النفس وانحباسه ، وتجاوبُ الاصداء ، وحروف المدّ ، واللين ، وغير ذلك كثيرٌ من اسرار لا تقع تحت حصر ولا قاعدة . فالشاعر الشاعر تأتيه عفوًا دون تعمد .

وهذه الموسيقى اسهل ما تكون في الاوزان العربية . لان التفاعيل هي بحدّ نفسها ، موسيقية . فاذا استقام الوزن كان ولا بدّ فيه شيء من الموسيقى . على انها مع ذلك تختلف عند مختلف الشعراء ، بل في ابيات القصيدة الواحدة . فمن موسيقى بسيطة قائمة باستقامة الوزن الى موسيقى مطربة فيها من الفن شيء كثير . خذ مثلًا قول الحارث ابن حلزة

اجمعوا امرهم عشاء ، فلما اصبحوا ، اصبحت لهم ضوضاء :
من مناد ، ومن مجيب ، ومن تَصهال خيل ، خلالَ ذاك رُغاء .

او قول المتنبي :

بناها فاعلى ، والقنا يَقرع القنا ، وموجُ المنايا حولها متلاطمُ ،
وكان بها مثل الجنون ، فاصبحت ، ومن جثث القتلى عليها تمائم .

او قول البُحتري :

والمنايا موائل ، وانو شِروان يُزجي الصفوف ، تحت الدرفس

او هذا البيت :

اخذنا باطراف الاحاديث بيننا ، وسالت باعناق المطيّ الاباطحُ .

وغير هذا كثيرٌ . فان الشعر العربي غنيّ جدًا بهذا النوع . على ان هذه الموسيقى ، على ما فيها من جمال ، لا تكفي لان تجعل الشعر شعرًا حقيقيًا . فهناك الموسيقى الداخلية ، موسيقى النفس التي تشيع في القصيدة فتنشر فيها السحر ، وتغمرها باجواء عُلوية تنفتح لها الصدور ، فيؤدّي بها الشاعر رسالته ، ويرفع القلوب ، وينتقل بها من عالمها المادي الى عالم اصفى واسمى .

وقائلٌ يقول : هل في الشعر العربي مثلُ هذه الموسيقى . اجل ، في الشعر العربي قطع متفرّقة . ولكنها ، لسوء الحظ ، قليلة بالنسبة لكثرة الدواوين وطول الزمن .

ومن هذا الشعر ابيات للمتنبي :

عيدٌ ، بأية حال عُدت ، يا عيدُ ؟ لما مضى ، ام لأمرٍ فيك تجديد ؟
اما الاحبة فالبيداء دونهمو ، فليت دونك بيدًا دونها بيد !
يا ساقيَ ، أخمرٌ في كؤوسكما ؟ ام في كؤوسكما همٌّ وتسهيدُ ؟
أصخرة انا ؟ ما لي لا تحرّكني هذي المُدام، ولا هذي الاغاريد ؟
اذا اردت كميت اللون صافيةً ، وجدتها ، وحبيب النفس مفقود !

انك تسمع النغم الداخلي يتردد في هذه الابيات . فتارة يعلو ، وتارةً يخفُت حتى يكاد يتلاشى ، ثم ينبعث كنبيًا موحشًا . وما بك من حاجة الى فهم الفاظه لتتأثر به ، فاللحن منتشر فوق الالفاظ ، يوشك ان يُخفيها . فانت لا تسمع الا حنينًا وشوقًا .

وهناك ابيات لرجل هو ابعد الشعراء عن الشعر ، الا وهو ابو العلاء المعريّ ، فاسمعه يقول :

غيرُ مجدٍ ، في ملتي واعتقادي ، نوحُ باكٍ ، ولا ترنُّمُ شادِ
وشبيهٌ صوتُ النعيّ ، اذا قيس ، بصوت البشير في كل نادِ
أبكت تلكم الحمامة ، ام غنّت ، على فرع غصنها المياد ؟
صاحِ ، هذي قبورُنا تملأ الرحبَ ! فاين القبور من عهد عاد ؟

خفقِ الوطء ، ما أظنُّ أديمَ الارض الا من هـذه الاجساد
سرْ ان اسطعتَ في الهواء رويدًا لا اختيالًا على رفات العباد
ربَّ لحدٍ قد صارَ لحدًا مرارًا ، ضاحكٍ من تزاحم الاضداد !

هـذه الابيات هي مناجاة بـين الشاعر ونفسه ؛ انما رَفعَ بها الصوت ، فسمعناها . وهو لا يريد توجيه الكلام لأحد من البشر ، بل يحاور نفسه ويخاطبها ولا يتعمد (على غير عادته) فلسفةً ، ولا حكمة ، فهو فيما نسميه « الحلُمَ في اليقظة ».

فلو اخذنا بعض المطالع من قصائد الرثاء وقابلناها بهذه الابيات لبان الفرق بين شعرٍ وشعرٍ

هذا مَطلعٌ مشهور :

كذا! فليجلَّ الخطبُ او يفدحِ الامرُ ! وليس لعينٍ لم يفض ماؤها عذر .

او :

علوٌّ في الحياة وفي الممات ! لعمري تلك إحدى المُعجزات

او :

يا أختَ خير أخٍ ، يا بنتَ خير أب ، كنايةً بهما عن اشرف النسب

فما ابعدَ هذا عن الشعر الحقيقي ، انه ليُشتم فيه رائحة الخُطَب ، وتلفيق الكلام ، والصياغة الفارغة

ومن الشعر الذي يسمع له جرس داخلي ابياتٌ عديدة من قصيدة لشوقي يقول في مطلعها :

إختلاف النهارِ والليل يُنسي ! أذكرا لي الصبا ، وايامَ انسي

ومن ذلك قصيدة ابن الرومي « دار البطيخ » ، اغلظ اسم لخير مسمى ، ومطلعُها :

اجنت لك الوجدَ اغصان وكثبانُ .

ومن ذلك ايضاً ابيات كثيرة لخليل مطران منها :

دَعُوني احسو الخمر ، غير مفكرٍ عن الورد منها نفرةَ الطائر الخامي :
فربَّ كاسٍ عن تفاهي رَدَدْتُها ، وقد قتل الدمعَ السُلافةَ في الكاسِ :

وفي الشعر العربي شطرات او ابيات من الشعر الخالص الصرف الـذي لا

يُعرف سرّ جماله . منها :

قفا نبكِ من ذكرى حبيب ومنزل !. . .

استجاد شرّاح العرب هذه الشطرة لما فيها من كثير المعاني ، فقالوا : إن امير الشعراء قد وقف ، واستوقف ، وبكى ، واستبكى ، وذكر الحبيب والمنزل في هذا القليل من الكلام . على ان في هذه الشطرة ، عدا المعاني التي ذكرها ، سحرًا سرياً غامضاً لا نحاول شرحه . ومن هذا القبيل :

الا عِم صباحاً ، ايها الطلل البالي . . .

اما البيت الذي لا يُدانى في الصفاء فهوَ :

تمتع من شميم عَرار نجد ! فما بعد العشية من عَرار !. . .

وهناك ، في اواخر العصر الجاهلي ، نثر هو الشعر بعينه . نثر يفاجئك بإسراره ، ويُدخلك في غموضه ، منذ اول حرف من حروفه ، وفي اول جملة من جمله ؛ فيخلُق من حولك جوًّا غريباً تتناسى فيه الالفاظ ومعانيها ، وتستسلم لموسيقاه ، فاذا انت في حالة شعرية شاملة تسمع بها الايقاع السحري المتواصل يرنّ في صدرك ، وينحدر هادئاً في اعماق نفسك وليس ثمّت ما يعكر هذا الصفاء من جمل « نثرية » ، وتخلصات بليدة ، وانتقالات تُثقل الشعر وتبهظه .

***

ولا يسبق الى الوهم أن هذه الدقائق المختلفة في القصيدة من الفاظ ، وجُمل ، ووحدة ، وموسيقى ، يفكر الشاعر في كل واحدة منها على حدة فيقول : هذي تكون كذا ، وهذي كذا . لا . انه يُدركها جُملة ويتدبرها جملة . وقد يُخل العقل والخيال ببعضها فتنتبه النفس الباطنة الى هذا الخلل فتجتهد في اصلاحه حتى يأتي النشيد خالصاً كاملاً كما بدا لها في رؤياها . وقد لا يُطيعها العقل فتظلّ بعضُ الرواسب والنقائص في صُلب الابيات ، كما قد يبقى التُراب في صُلب الذهب .

هذا ما أردنا ان نقول . نجمله فيما يلي :

الشعر والنثر شيئان مختلفان مستقلّان الواحد عن الآخر . الشعر مصدره النفس

الباطنة . والنثر مصدره قوى النفس الواعية ، من فكر ، وارادة ، وعاطفة ، وخيال.

فالخطابة ليست بشعر.

والسياسة ليست بشعر.

والفلسفة ، والحكمة ، والمثل السائر ، ليست بشعر .

والمقالات المنظومة في الجرائد ليست بشعر.

والاستجداء بالمدح والرثاء ، والغزل الاصطناعي ، والنسيب والتشبيب ، والمحاولات الصبيانية البهلوانية في نظم التواريخ والالغاز ، وغير ذلك ، ليست بشعر.

تنزّه الشعر عن كل غاية مادية تعليمية.

الشعر حالة تكون بها النفس فوق حالتها العادية ، تشعر بسموها الى الملأ الاعلى فتحاول « تجسيد » هذا الشعور بابيات او قصيدة يبدو من خلالها العالمُ الاسمى فتهتزّ لها النفوس – لا العقول – وتذهل بها وترتفع من عالم المادة الى عالم الروح.

قد حان ان ينعتق الشعر العربي من قيوده ، قد آن ان يُنفى الى موطنه ، فيُغنّي ، في صلاته الالهية ، الحُبَّ والجمال.

النصارى في مكة

قبيل الهجرة

معلومات وملاحظات

بقلم الاب لامنس اليسوعي

«يزعم ولهوسن ان الدين الذي احدث اثرًا فعالًا في الإسلام الاول انما هو الدين المسيحي لا اليهودي[1] . « وان النسّاك النصارى وضعوا الجرثومة الروحانية في الإسلام. «وان الحميرة لا تأتي من اسرائيل . انما قام اسرائيل ، على الاكثر ، بتقديم الطحين الذي زيد فيما بعد.»[2]

وقد قُيّض لنا ان نردّ على هذا الزعم في بحث طويل[3] . فلا نعرض اليوم الّا لسرد البراهين التي ادلى بها ولهوسن دعمًا لنظريّته ، على ذاك الاسلوب الآخذ من المطالعين ، حتى اليوم، بما يبدو عليه من طمأنينة وهدوء. ولنقل ، منذ الآن ، ما قال ليسنسكي من ان تلك البراهين « لا تقوى على نقد علمي.»[4]

من الحقّ اننا نرى محمدًا ، في مكة ، يميل الى الروم في حروبهم مع الفرس[5] . ولكن ايّ غرابة في ذلك ؟ أوَلم يكن الفرس من المشركين في نظر المبشّر بوحدانية الله ؟ بيد ان ولهوسن يرى غريبًا ان يُستنتج، من هذه الحادثة

١) Wellhausen, *Reste arabischen Heidentums*², 234

٢) *Ibid.*, 242

٣) راجع مقالنا *Une adaptation arabe du mythe de Critique*, dans *Recherches de science religieuse*, VII, 161-184

٤) Leszynsky, *Die Juden in Arabien zur Zeit Mohammeds*. ولو اهتمّ المؤلف بدرس الحديث درسًا مرتّبًا لأفاد كثيرًا.

٥) السورة ٣٠ [الروم] ١ و ٢ . . . : « غُلبت الروم في ادنى الارض ، وهم من بعد غلبهم سيغلبون . . . »

٦) وكذلك ونسنك Wensinck (*Der Islam*, II, 286... فانه يرى الرأي نفسه تقريبًا .

وحدها ، تميزٌ واضح صريح في ميول النبي الموحدة ، ومن ثمَّ ان يُحكَم بان هذه الميول تصرفه الى اسرائيل عن ارباب النصرانية .

اما الحقيقة فان هـذه الميول تشمل اهل « الكتاب » جميعاً ، اي اليهود والنصارى ، وقد كان النبي قبل الهجرة ، يرى انه يعمل معهم في اقرار وحدانية الاله ، كلٌّ في محيطه الخاص . واذاً فليس من عجب ان يظهر ميله الى الروم، « خلافاً لموقف اليهود الواضح »[1] . ولم يكن له ما كان لليهود من احقاد على الامبراطورية الرومية، تراكمت مدة السنين المتطاولة ، فولدت ذاك البغض المتأصل . بل انه كان يرى ، مخلصاً ، ان على « الكتابيين » ان يتفقوا في الشؤون والمسائل المهمّة ، كما كان يرى انه متفق معهم في ذلك . فكلّ ما في « سورة الروم» انما هو ميلٌ الى جماعة من ارباب التوحيد ليس غير[2] . هذا قبل الهجرة . اما بعدها فان موقف يهود المدينة يدفع النبي الى كثير من الايضاح والتمييز .

ويقول ولهوسن : « لا يمكن ، بأيّ حال ، ان نتحقق النفحة اليهودية في تلك الآيات التي يضع فيها القرآن يسوع فوق انبياء العهد القديم . »[3]

ليس من شكّ في ان القرآن يجعل من المسيح شخصيةً لطيفة جذّابة ، بل انه يجعلها الطف الشخصيات في تلك المجموعة العجيبة من الانبياء[4] . ولكنّ الثابت ايضاً ان النبي الذي احدث الاثر العميق في عقلية محمد فجذبه الى السير على طريقه ، لم يكن عيسى بن مريم . انما هو ابراهيم ، انما هو موسى . هذان الاسمان العظيمان في تاريخ اسرائيل ، يعجب بهما نبي العرب ، ويفهمهما حقّ الفهم، ويتوق الى التشبه بهما[5] . يحدّق اليهما ، ويتأملهما ، فلا يحتاج الى تحفظ في اعجابه

١) الكلام لولهوسن . وقد كان النبي جديراً بان يستغرب هذا الموقف ، لو عرفه .

٢) ولقد كان هذا الميل حقيقاً بان يوجّه الى اليهود ، لو كانوا في حرب مع المشركين .

٣) Wellhausen, *Reste*, 236

٤) وهناك شخصية أخرى من شخصيات العهد الجديد يظهر ان الاسلام الاول يحار فيها ، هي شخصية يحيى ، اي يوحنا المعمدان ، الذي ظلّ « محصوراً » . راجع كتابنا : *Fāṭima et les filles de mahomet*, 32

٥) راجع *Adaptation*, 170 . واطلب في الثاني ٢ : ٧٧ اسطورة المعراج . وفيها يظهر

بها ، ولا الى احتجاج على شيء مما يخصها.[١]

ونحن ، اذا استثنينا ذكر العجائب التي قام بها المسيح — والعجائب من دلائل الوحي في نظر النبي — لا نرى وجهاً للشبه بين يسوع القرآن ويسوع الاناجيل . في القرآن لا يظهر عيسى الّا واحدًا من انبياء اليهود ، لا همّ له الّا التضييق من سمة رسالته ، والتخفيف من مجد ولادته الباهر ، وبهاء عجائبه الساطعة . ولا يمكن ان تكون هذه الشخصية المزيلة الناحلة ، المضطربة حتى في تحديد نفسها ، مستوحاةً من المصادر المسيحية[٢] . ولا يُعترض علينا بما ورد في القرآن من نعوت نصرانية يُنعت بها المسيح ، « كروح الله » و« الكلمة » . فانه لا وجه للشبه بين مدلول هذه الالفاظ في القرآن ، ومدلولها في نصّ يوحنا الذي استُعيرت منه . ولهذا فاننا لا نتراجع عن القول إنه « وان استعمل التعبير النصراني ، فلا يفتأ يفكر تفكيرًا يهوديًا . »[٣]

اما ذاك العطف الصريح على المسيح وعلى المسيحيين ، البادي اكثره[٤] في السور المدنية ، فقد يكون اداةً من ادوات الجدل دُفع النبي اليها في عراكه ، بعد الهجرة ، مع يهود الحجاز[٥] ، فشاء ان يميّز نفسه عن اسرائيل ، بعد ان اكثر من الميل اليه ، في ما سبق .

ولا يبالغ ليسنكي[٦] في شيء عند ما يقول ان اسم يسوع — بصورته

ابرهيم وموسى فوق يسوع بدرجات . ويدعو ابرهيم محمدًا « نابيه » . اما سائر الانبياء فيعدّونه « اخاهم » .

١) كما قد نشعر بموقفه تجاه المسيح ، مما جعل هنري دي بورنيه يقول عن لسانه :
Je mourrai mieux que toi ! Ta mort fut trop sublime,
O Jésus !... H. de Bornier, *Mahomet*, II, sc. 6.

٢) راجع *Adaptation*, 178

٣) *Adaptation*, 176-177 . وكذلك البطريرك اليعقوبي ميخائيل يقول في تاريخه ٢ : ٤٠٢ ، ان محمدًا تأثر اولًا باليهودية .

٤) بل كلّه اذا صحّ ان الآية في السورة ٢٢ [الحج] ١٧ مدنية . اطلب « نصارى » في فهارس القرآن .

٥) درسنا هذا الوقف في مقال خاصّ عنوانه *Les Juifs à la Mecque à la veille de l'hégire.*

٦) *Op. cit.*, 40

الغريبة « عيسى »[1] - لا يظهر مرةً واحدة في السور المكيّة القديمة ، وقد احتلّتها كلّها تقريباً ذكريات ابرهيم وموسى وقصصها . بل اننا لا نرى ذكرًا لاحد اشخاص العهد الجديد الّا في السورة التاسعة عشرة . ففيها تبدو ، لأول مرة ، اسماء مريم ، وزكرياء ، ويحيى ، وعيسى . اما تاريخ هذه السورة فيردّه ارباب التفسير الاسلامي الى الهجرة الحبشيّة . وقد يكون النبي عرف هذه الاخبار باختلافه الى مستوطني مكة من اولئك اليهود - النصارى الحبشي الأصل ، وطني « الاحابيش » المشهورين[2] ، عبيدًا كانوا او عمّالًا ، سماسرةً او تجارًا ؛ ولقد كانوا من الكثرة بحيث انتشروا في احياء مكة جميعها انتشارهم في سوقها . وكذلك القول عن « الانجيل » فاننا لا نرى ذكرًا له الّا في السور المدنية[3] ، بينا نرى الذكر السابق للتوراة والزبور[4] . وان لهذه الملاحظات اهميّتها ، اذا ما اردنا قدر مظاهر العطف والميل الى النصرانية البارزة في القرآن ، وبالتالي قدر المبالغة بل التخيّل في مزاعم ولهوسن . ولهذا فاننا لا نرى في هذه المظاهر رغبةً من النبي في الارتفاع الى مثلٍ اعلى يفوق مثل انبياء العهد العتيق . بل ان هذا المظهر المسيحي في القرآن ، الظاهر متأخرًا عن زمن الهجرة ، لا نراه يرمي الّا الى الردّ على اليهود الذين خيّبوا آمال النبي . أولم يستحقّوا ذلك « بكفرهم وقولهم على مريم بهتانًا عظيماً »[5] .

ويستند ولهوسن[6] ، فوق هذا ، الى اسم « الصابئ » الذي تستعمله « السيرة »

---

١) ومن الصعب ان ندلّ على أصل الاسم في النصوص المسيحية . راجع .H. Hommel, *Koranische Untersuchungen*, 1926, p. 128-129.

٢) راجع بحثنا في « الاحابيش » في المجلد السابق من « المشرق » . ولقد كان في حيوش النبي نفسه عدد من المأجورة السودان (ابن سعد : الطبقات ٢ : ٩٠) وقابل بما ورد في الجاحظ : الحيوان ٣ : ١٢ ، وانتبه للنقطة : « سودانك ! »

٣) ولا شك في ان السورتين ٤٨ [الفتح] و٥٧ [الحديد] متأخرتان عن الهجرة .

٤) لتراجع هذه الالفاظ : الانجيل ، التوراة ، الزبور ، في فهارس القرآن .

٥) القرآن ٤ [النساء] ١٥٥ : ومن الصعب ان لا نرى في هذه الآية اشارة جدلية ضدّ اليهود .

٦) *Reste*, 236

وكتب « الصحيح » للدلالة على المسلمين الأوّلين[1] . وهو يرى فيه اشارةً الى المندائيين وغيرهم من ارباب النِحل المعمدانية في آسية الغربية. اما نحن فنرى في استعمال الصابئ ، والصابئة ، والصابئين ، اسلوباً طالما استعمله « صوّاغ الحديث »[2] سعياً وراء « النوادر » و « الغريب » ، وغايتهم اظهار مصنوعاتهم بمظهر القِدَم ، وهو كافٍ بزعمهم لتصحيحها وتأييد نسبتها التاريخية. وان هذا الاسلوب في صنع الاحاديث أصبح من الشهرة اليوم بما يغنينا من الإطالة فيه[3]. ولا يخفى ان جماع كتب « المسند » و « السُنَن » ، بعد ان اطالوا ما شاؤوا في استغلال لفظة « حنيف » و « حنفاء » ، رأوا ان يستغلّوا كذلك لفظة قرآنية اخرى ، فعلقوا « بالصابئين » يفترونها ، ويملّون تفاسيرهم التماليل المتشعّبة . ونحن انما يهمّنا من كل ذلك الاشارة الى ان عملهم اقرب الى التفسير منه الى التاريخ ، وغايتهم ان يشرحوا بالحوادث ، والاخبار ، والاوصاف الواضحة ، كل ما يرونه من تلميحات غامضة ، ورموز ضمنية في بعض الآيات الموجزة ، فيبدّدون الإبهام ويوضحون امام القرّاء شيئاً من غموض بعض السور[4]. وهذه لفظة « الركوسية »[5] ،

١) ابن الاثير : النهاية ٢ : ٢٤٨ . اما ذاك البيت الوارد في ترجمة لبيد (الاغاني ١٥ : ١٢٨) وفيه :

وجئت بدين الصابئين تشوبه بالواح نجد ، بعد عهدك من عهدِ !

فالغرض منه ، ومن الحادثة كلها ، التدليل على قِدم ارتداد لبيد الى الاسلام .

٢) ابن الاثير : النهاية ٣ : ٥ . وقد يكون اللفظ منقولاً عن ابي هُريرة ، وهو من ارباب الحديث المكثرين المتّهمين (راجع كتابنا عن فاطمة ، ص ٥٥)

٣) راجع *Fāṭima*. 27 . وتجد في صحيح مُسلم ٣ : ٥٤٠ – ٥٤٢ مثلاً يكثر فيه « الغريب » . وغيره في *Califat de Yazīd Ier*, 345 . ويذكر ابن الاثير (النهاية ٣ : ١٤٥) نوعاً من الاحاديث « مما يؤمن به وبامثاله ولا يُدخل في كيفيته . »

٤) راجع ما قلناه في مقدمة « فاطمة » . وقابل بما في الذهبي : ميزان الاعتدال ٢ : ٢٢٦ ، ٢٢٢ . من ذكر تأليف اخبار وحوادث لتوضيح بعض الآيات الغامضة ، وراجع كذلك في كتب « الصحيح » كل المقاطع المبدوءة : « باب في قوله تعالى . . . »

٥) راجع عدة مقالات عن الركوسية للآباء انستاس الكرملي ، وشيخو ، ولامنس ظهرت في المشرق ٦ [١٩٠٣] ٥٧٤ ، ٧٧٧ ، ٩٢٨ ؛ ٨ [١٩٠٥] ٥٠٤ ؛ ١٠ [١٩٠٧] ١١٣٠ ؛ ١١ [١٩٠٨] ٤٨٠ ؛ واطلب : اسد الغابة ٣ : ٢٩٢ ، وقد ورد على الهامش : « الركوسية دين بين النصارى والصابئين ، كذا في النهاية . »

اسم نحلة نصرانية شرقية ، لا تظهر الّا في حديث عديّ بن حاتم. فلو وردت في القرآن ، لما تأخر ارباب الحديث من تأليف إضبارة خاصّة تجمع كثيرًا من الاقوال والاخبار[1] تصطبغ بطلاء تاريخي شفّاف وترمي الى توضيح اللفظة والتبسّط في شرح ما تدلّ عليه . واذًا ، فلم يكن بدّ من ان يلفت لفظ « الصابئين » نظرهم . وهكذا كان . على انهم بدل ان يفكّروا بالمندائيين في بابل — ولا يظهر ان القرآن عرفهم قبل الهجرة[2] ، لانه لا يذكر الصابئين الّا في السور المدنية — اخذوا يقابلون بين الآيات الثلاث التي تذكر الصابئين في القرآن[3]. وهي تميّز بينهم وبين اليهود والنصارى . على انها تورد ذكرهم كأنهم من الموحّدين يؤمنون بالله وباليوم الآخر ، موافقين معتقدات الاسلام الأوّل . فلم يكن اذًا ما يمنع المفسّرين ان يحوّلوا لفظة « الصابئين » الى نعت يُجرون استعماله في عهد النبي ، للدلالة على اول الدائنين بالاسلام.

ولم ينتبه ولهوسن لهذا الأمر ، على رغم ما عُرف من خطأ سپرنگر ووهمه في شرح لفظة « حنيف »[4]. ولقد كان جديرًا بهذا الخطأ المشهور ان ينبّه ولهوسن الى تجنّب الوقوع في مثله . كما كان جديرًا بولهوسن الّا ينسى ان عادة الوضوء لا ترقى الى ما قبل العهد المدني ، وانما مأخوذة عن يهود يثرب[5] ، وهو المقرّ « بانه لا يمكن الدلالة على وجود الوضوء عن المندائيين »[6]. واذًا فماذا يبقى من تلك القرابة المزعومة بين المندائيين ، و« صابئي » القرآن ، والمسلمين الأوّلين ؟

واننا لا نقف طويلًا لدى لفظة « حنيف » ، وهي آخر ما يعلق به ولهوسن

---

١) كما فعلوا بشأن الجملة الخاصة بالعسل وان « فيه شفاء للناس » (القرآن ١٦ [النحل] ٧١) . راجع كتابنا *Ṭāif*, p. 40

٢) بل قد لا يكون عرفهم بعدها ، لانه ليس ما يثبت ان المقصود بالصابئين المندائيين لا غيرهم من ارباب اي نحلة شرقية .

٣) القرآن ٢ [البقرة] ٥٦ ؛ ٥ [المائدة] ٧٣ ؛ وهي مراجعة للآية السابقة : ٢٢ [الحج] ١٧ ، والآية مدنية . راجع : Nöldeke - Schwally , *Geschichte des Qorans*, 214

٤) *Reste*, 238

٥) اسد الغابة ٦ : ٢٢٣ ، ٢٢٤

٦) *Reste*, 238

من الاسانيد ، ظانًا انه يأتي بشيء جديد في استغلال قيمتها ، بقوله انها تعني « النساك والزهّاد من النصارى ». وليس في هذا الزعم ما يثبت على النقد ، وان يكن المؤلّف يسنده الى ترجمات جريئة لبعض النصوص القديمة . ولقد كان لنا ، في ما مضى[1] ، ان اوضحنا رأينا في وجود « الحنيفية » التاريخي ، وبيّنا ان هذه الفئة من اجرأ مخترعات ارباب الحديث وجامعي حوادث السيرة ، محاولين سدّ الثلم الواهية في التاريخ الديني قبل الإسلام ، وايجاد انظمة ورعيّة لدين ابرهيم القديم ، ومن ثمّ ايجاد سابقين مؤمنين للدين الاسلامي . وقد كان لهذه اللفظة ان صادفت حظًّا عجيباً بفضل المفسّرين الغُرّ . اما في القرآن فلا نراها الّا نعتاً بسيطاً تفيد معنى المؤمن الصادق ، بل معنى الموحّد على الغالب . ولهذا نراها تردف كثيرًا لفظة « مسلم » . ولا نرى انها دلّت ، مرّة واحدة ، على نحلة او فئة خاصة من البشر . قد يوافقنا المطالع على هذا الرأي ، وقد يخالف . الّا انه لا يسعه الّا القول معنا انّ كل الامثلة التي يوردها ولهوسن[2] قد يحلّ فيها معنى « المشرك » محلّ المعنى الذي يفرضه هو ، دون ان يتأثّر النصّ الاجمالي ، بل قد يكون معنى « الشرك » اوفق لهذه النصوص . ولا يبعد ان تكون لفظة « حنيف » ، في القرآن ، انحرفت عن معناها الاصلي[3] ، مع الاحتفاظ بشيء من ذاك المعنى قد يبدو لمن يألف نصوص القرآن ألفةً نقديّة . ولهذا ، لا اراني مغالياً اذا قلت ان معنى الآية التي كثيرًا ما نراها مرددةً على هذا الشكل او ما يقرب منه : « كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين »[4] لا يعدو ان يترجم بما يلي : كان موحّدًا مسلماً ، ولم يكن له

---

١) راجع ابحاثنا : *Mahomet fut-il sincère ?* p. 14 ; *La Chronologie de la Sîra*, p. 229 ; *Califat de Yazîd 1er* ; *Adaptation*.

٢) *Reste*, 236-240 . ويثبت المؤلّف ان لفظتي « راهب » و« حنيف » مترادفتان ، ولا يستند له الّا نصّ واحد يُسمّى فيه « راهبًا » ابو عامر المدني . على ان الحديث يطلق اللفظة ، دون تمييز ، على افراد من اليهود ، بل قد يطلقها على بعض المشركين ، كما سنرى . راجع ، بشأن الترهّب عند الحنيفية ، ابن الاثير : النهاية ٣ : ١٨-١٩

٣) Nöldeke, *Neue Beitr. zur semit. Sprachwissenschaft*, 23 etc...

٤) اطلب القرآن ٣ [البقرة] ١٣٦ ؛ ٣ [آل عمران] ٦٠ ، ٨٩ ؛ ٤ [النساء] ١٢٤ ؛

علاقة بالمشركين . والّا لما بقي من معنى للتعبير « وما كان . . . » سوى ان يكون مراجعة نافلة ، وليس كذلك .

وهناك مستند اخير يظهر اضعف مما تقدم ذكره . وهو الدليل المستنتج من ذكر اليوم الآخر [1] . ولا نعرف لماذا يودّون ان يأخذ القرآن هذه الفكرة عن النصارى ، لا عن اليهود !

ثم اننا لا نرى دليلًا يجعل للاسلام الناشئ وجهةً زهديّةً او نسكيّة ؛ كما ادعى ولهوسن [2] ، وكما وافق ، او كاد ، گولدسيهر [3] . وقد تكون تلك العبادات الليلية الطويلة ، التي تشيد بذكرها السور المكيّة ، صدىً لعبادات النسّاك الشرقيين . وهي ، كيف ما كانت الحال ، لا تعدو التوسيعات الخطابية في مثال اعلى للحياة الدينية تصوّره النبي ، ولكنه لم يعمل [4] ، ولا صحابته ، على تحقيقه في القريب العاجل [5] . بل ان الصلاة ، وطرق القيام بها ، لم تقرَّر نهائيًا الّا في المدينة . اما قبل هذا العهد فقد كانت عملًا موصىً به ، ولكنه كان متروكًا لحرّية الفرد يقوم به حيث شاء ، ومتى شاء . ونعم القول قول كايتاني « انه في اثناء العهد المكي لم يكن على المسلم ، اذا ما

٦ [الانعام] ٧٩ ، ١٦٢ ؛ ١٠ [يونس] ١٠٥ ؛ ١٦ [النحل] ١٢١ ، ١٢٤ ؛ ٣٠ [الروم] ٣٩ . ويجدر بالذكر ان لفظة «حنيف» تظهر خاصة في الآيات المدنية .

١) وقد اتخذ هذا المستند ونسنك ايضًا في كتابه المذكور آنفًا .

٢) *Reste*, 241

٣) *Vorlesungen über den Islam*[1], 139 . على ان المؤلّف يتراجع احيانًا امام النتائج المتضمّنة في « دروسه المحمّدية » .

٤) وقد كان النبي ميّالًا الى النوم بشهادة ارباب الحديث : الدارمي : المسند (الطبعة الحجرية) ٥ ؛ ابن حنبل : المسند ١ : ٢٤٥ ، ٢٤٣ ؛ ابن الاثير : النهاية ٣ : ١٨٧ ؛ النسائي : السُنن ١ : ١١١ ، ١٦٨ ، ٢٨٠-٢٨١ ؛ الذهبي : ميزان الاعتدال ٣ : ٢١٥ ؛ البخاري : الصحيح (طبعة الاستانة) ١ : ٣٧ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ١٧١ ؛ ٧ : ١٤٨

٥) قابل ، بشأن احد الاحاديث في الموضوع ، قول الذهبي في ميزان الاعتدال ١ : ١٦٠ : « حديث حسن غريب ولا يصحّ . » واذا ما راجع الدارس كتاب الصلاة في صحيح البخاري ٣ : ٤١ ، تصوّر الجماعة الاسلامية الاولى لا تختلف في شيء عن جماعات الرهبان ، تقضي لياليها في الصلوات والتراتيل . . . على ان ابا داود في السنن ١ : ١٣٠ يقرّ بان هذه الفرائض قد نُسخت . وهي لا تعدو وصف المثال الاعلى كما في تفسير الطبري ٢٩ : ٦٨ ، ١٢١

استندنا الى نصّ القرآن وحده ، ألّا ان يؤمن بالله ، ويكفر بعبادة الاوثان . وما عدا هذا الايمان الفسيح ، لا نراه مقيّدًا بشيء من الفرائض الدقيقة [1] ، بل لـه ملء الحرية في اعماله . » [2] واذًا فان من يتصوّر الجماعة الاسلامية الأولى ساهرةً ليـاليها الطوال بالصلوات والتهجد حول النبي ، يخطىء خطأً تاريخيًا بانسحابه على إثر ارباب الحديث [3] ، ناسيًا ان مؤلفي السيرة وكتب الطبقات كانوا يرمون ، في تلك الاوصاف الجميلة للمؤمنين الأوّلين ، الى تجسيم المواعظ التقوية الواردة في السور المكيّة ، وتحقيقها بالنوادر والحوادث الواقعية . أوَ لم يُقرّ ولهوسن نفسه « بان القسم المكّي من السيرة قد غزته الاسطورة من جميع نواحيه » ؟ [4]

١

هذا . ولا نرى بدًّا ، في سبيل التمهيد لايضاح شيء من هذه المشاكل المعقّدة ، من ان ندرس حالة النصارى وعددهم في عاصمة القرشيين ، قُبيل الهجرة . وان لنا في تطوّرات فكرة النبي بشأن المبادئ والعقائد النصرانية ، وفي اطّلاعه المتأخر على معرفة المهمّ منها ، لدليلًا عـلى ان النصارى لم يكونوا في مكة جماعات مؤلّفة ، عندما رأى النبي ان يدعو قومه الى عبادة الإله الواحد .

بيدَ ان في تاريخ اليعقوبي نصًّا قد يوهم بخلاف ما نذهب اليه . وهو قوله : « امّا مَن تنصّر من احياء العرب فقومٌ من قريش . » [5] ولكن اليعقوبي لا يذكر من هؤلاء « القوم » الّا رجلين اثنين دانا بدين الانجيل ، واحدهما وَرَقة ابن عم خديجة ، مَن اكثر ارباب السيرة والتاريخ من ذكره على اضطرابهم في تحديد شخصيته [6] . وليس الاثنان بعدد خطير . ولا عجب فـان القرشيين

١) لا بالصوم ، ولا بالصلوات الخامسة Studi, III, 67 [illegible]

٣) راجع اسد الغابة ١٤٨:٣ ، ١٦٢ ، [illegible]

٤) [illegible] Anzeiger, 1913, p. 31 . وهو نصّ مأخوذ من نقد المؤلف لكتابنا في « فاطمة »

٥) اليعقوبي : تاريخه (طبعة Houtsma) ٢٩٨:٢ . وهذا تاريخ مجموعة مفيدة لدرس ادّعاءات العلويين ونظرياتهم ، وان يكن خلوًا من النقد التاريخي .

٦) ابن هشام : السيرة ١٤٤ ، وهو يلقّبه « بالقسّ » : راجع ابن البلاذري : انساب

الخُلَّص ، تجّار مكة الوافري الحذر، القليلي الايمان، كانوا ابعد من ان يؤخذوا بالدين النصراني . فكانوا يكتفون ، بما « وجدوا عليه اباءهم » — على قول القرآن [1] — من دين بلدي تقليدي قليل المؤنة والتكاليف . ولهذا ظلّ عدد النصارى ضئيلاً بينهم . من الحقّ ان جمّاع اخبار الصحابة يذكرون رجلاً باسم « شمعون »[2]، وهو اسم نصراني ان لم يكن يهودياً — وليس من عادة العرب ، قبل الهجرة ، ان يتسموا باسماء العهد العتيق [3] — ولكن قرشيته ليست بثابتة [4] . ولعلّه من افراد تلك الجوالي الاجنبية الطارئة على مكة في سبيل العمل والكسب . وقد رأينا بينها كثيراً من النصارى ، ولا سيما في جالية الاحابيش العظيمة الخطر .

ولا يخفى ان المدينة القُرشية تبعت ، على مدة ما ، ولاية اليمن الحبشية . هذا ارصن ما يُمكن ان يستنتج من حادثة « الفيل » التي شهرها القرآن . على اننا نجهل كم دام ذاك الاحتلال الحبشي في ارض تهامة ، وان نكن على شبه ثقة من انه أثّر في مصلحة النصرانيـــة ، دين المحتلّين . وهو أمر ادركه مؤلّفو السيرة ، بل بالغوا في ادراكه، فجعلوا رجال ابرهة كلّهم من المندفعين في نشر الدين المسيحي حتى انهم حاولوا هدم الكعبة . ولم يضمحلّ اثر النصرانية

قُريش (مخطوطة باريس) ص ٦٤ . وفي جامع الفوائد (مخطوطة برلين رقم ١٢٢٠) ٢ : ١٤٤ قفا ، ذكر لمناقب ورقة . وسنعود الى درس هذه الشخصية الغريبة .

١) القرآن ٥ [المائدة] ١٠٣ ؛ ٧ [الاعراف] ٢٧ ؛ ٢١ [الانبياء] ٥٤ ؛ ٣١ [لقمان] ٢٠ ؛ ٤٣ [الزخرف] ٢١ و٢٢ . . .

٢) اسد الغابة ٣ : ٢٦٠ ، وفيه يقال إنه ازدي

٣) راجع *Fātima* ؛ ابو تمام : الحماسة (طبعة مصر) ١ : ١٨٩

٤) اطلب اسد الغابة ٣ : ٤ . ولا يخفى ان جميع المتسمّين بيوسف او يونس من صحابة ، (اسد الغابة ٥ : ١٢٢ . . .) عرضة لكثير من الشك في وجودهم . وكذلك القول عن المتسمّين بابراهيم (اسد الغابة ١ : ٤٠٠ . . .) فهم اذاً من موالي المدينة ، ومن المشكوك في وجودهم ، ان لم نقل من المخترَعين المزيَّفين . وهناك ، قبل الهجرة ، ذكر رجل من المدينة اسمه ابو سليمان كانوا يهودياً او نصرانياً دون شك ؛ الاغاني ٢٤ : ٤ . ونعد الى اسد الغابة فنرى فيه (٢ : ٣٥٠) عدداً من الصحابة باسم سليمان ، وكلهم مخترعون او مجوّزة اسماؤهم ، وكذلك القول عن المسمّين باسماعيل (اسد الغابة ١ : ٧٩-٨٠) ويحيى . . . الخ

بجلاء الحبش عن مكة . فظلّ فيها عدد من العبيد ، والعتال ، والتجار [1] ، فضلاً عن « الاحابيش ».

وقد استفادت السيرة من هذا الامر الواقع ما وفّر لها حادثة طريفة تزيّن بها طفولة محمد ، على فقرها بالحوادث . وان النقد لا يكاد يتصوّر ما قام به هؤلاء المؤلفون من جهود ، وما كشفوا عنه من قوة خيال ، في محاولاتهم لفت انظار اقارب محمد اليه طفلاً وصبياً . ولا يخفى ان النبي قضى ايام صباه لا ينتبه لـه احد من اهله بني هاشم ، وهم انفسهم لم يكونوا ، قبل الهجرة ، بالمحل ذي الخطر في المجتمع المكي . ولنا في بعض الاحاديث فلتات تدلّ على همّ الرواة بسدّ هذه الثغر الواهية في حياة محمد الاولى ، كما تدلّ على موضعه من النسيان وعدم المبالاة قبل اظهار نبوّته . سأل يوماً عمر بن الخطّاب زائريه ، وقد ملأوا المجلس : « هل فيكم احد وقع اليه خبر من امر رسول الله (صلعم) في الجاهلية ، قبل ظهوره ؟ » [2] فلم يسمع جواباً الّا من أعرابي عمره ١٦٠ سنة [3] . ولعلّ هذا من الاسباب التي دفعت التقليد الاسلامي الى الاخذ بنوادر « المعمّرين » واخبارهم المستغربة [4] ، متّكلين على ذاكراتهم المتجاوزة حدود الشيخوخة المعقولة في سدّ الفراغ التاريخي الممتدّ من زمن « الفيل » الى « جيل التابعين » ، او خلفاء الصحابة . وفي هـذا العهد ، اي بعد وفاة النبي

١) راجع اسد الغابة ٥ : ٤٧٥ ، ٤٨٨ ، وفيه ذكر للجواري السود في مكة . وواحدة منهنّ كانت ماشطة خديجة ٥ : ٥٨٤ ، وقابل بما في ج : ٣٢٠ من الكتاب نفسه

٢) اسد الغابة ٣ : ٥٢

٣) كذا في اسد الغابة ٣ : ٥٢ . ونشير هنا الى ان رقم ١٦٠ كثير الورود في ذكر اعمار المحدثين . راجع الذهبي : ميزان الاعتدال ١ : ٨٠ ، ٣ : ١٠٧ ، ٢٥٤ . . . واحياناً يبلغ الرقم ١٨٠ سنة ، في الكتاب نفسه ١ : ١٠٦ ، ٣ : ٢٣٠

٤) *Chronologie de la Sira*, 214 . ومن المفيد ان نشير الى موقف الذهبي من هؤلاء المعمّرين ، وهو موقف شكّ وارتياب . راجع كتابه ميزان الاعتدال ١ : ٢٤٨ ، ٤٢٤ ؛ ٣ : ١٢٥ . . . وانتبه خاصّة لحكمه على من زعم ، وهو في آخر القرن الثاني للهجرة ، أنه «رأى عائشة ، رضي الله عنها ، بالبصرة على جمل اورق في هودج اخضر . . . » ذكر الذهبي هذا واردف : « قلت : انظر الى هذا الحيوان المتّهم كيف يقول ، في حدود سنة مائتين ، انه رأى عائشة . فمن الذي يصدّقه ؟ » (ميزان الاعتدال ٣ : ٢١٣)

بنحو خمسين سنة ، شعر المسلمون بضرورة كتابة سيرته . فجعلوا يذكرون معاصري أبرهة [1] ، وما يروون ، او ما يُروى عنهم .

وعلى هذا النحو ذكروا عن ابن اسحق « عن بعض اهل العلم » انه بينما كانت مرضعة محمد السعدية عائدةً به، بعد فطامه، من البادية الى مكة ، رآه معها « نفر من الحبشة نصارى . فنظروا اليه ، وسألوها عنه ، وقلّبوه . ثم قالوا لها : لتأخذنَّ هذا الغلام فلنذهبنَّ به الى ملكنا وبلدنا . فان هذا غلامٌ كائنٌ له شأن نحن نعرف امره . » ثم زاد ابن اسحق : « فزعم الذي حدّثني انها لم تكد تنفلت به منهم . » [2]

وليست هذه الحادثة بالصدفة الوحيدة التي نرى فيها الحبشان في مكة . فهناك جماعة من الوفود يبلغون العشرين من نصارى الحبش ، يأتون مكة في سبيل السلام على النبي واظهار عواطف احترامهم [3] . أوَ لم يكن محمد « رسول السودان والحُمران » [4] اي رسول الانسانية جمعاء ؟ وليس ما يمنع القول ان قافلةً من التجار الاكسوميّين رأت ، اثناء مرورها بالمدينة القرشيّة ، ان تشاهد هذا الداعي الى الاصلاح الديني ، في وقت كان يُظهر فيه ميلًا جذّاباً الى الانجيل واهل الكتاب . وهكذا القول ، في ما بعد ، عن نصارى نجران ، ونصارى الحيرة ، ان جاز لنا ان نصدّق الاحاديث التقليدية .

كانت مكة قد اصبحت ، اذ ذاك ، اكبر سوق للرقيق في بلاد العرب الغربية . ولا يخفى ما في هذه التجارة من الارباح الطائلة . واذاً فلا عجب ان يكون كبار الرأسماليين من قريش ، ولا سيما آل مخزوم ، اخذوا بتنظيم القوافل والرحلات الى شواطئ افريقية ليستوردوا من الاريتره وجوارها ، ما

---

١) من الذين ذكروا أبرهة قيس بن المخلم ، وجعله يمانياً في قوله :

فان تلحقْ بأبرهةَ اليماني ، ونعمانٍ يوجّهنا ، وعمرو

٢) ابن هشام : السيرة ١٠٧ . وفي طبقات ابن سعد ١ : ٧١ يتحوّل هؤلاء النصارى الحبش الى يهود

٣) ابن هشام : السيرة ٣٥٩

٤) راجع الاحاديث في هذا الشأن ، وكتابنا في معاوية *Mo'âwia Ier*, 427, n. 1

يقوم بالطلبات المتوالية عليهم. وهكذا كثر عدد السودان في مكة حتى اختارت منهم السلطة افضل فرق جيشها المعروفة « بالاحابيش » . وقد بيّنا ، في بحث سابق [1] ، قيمة اسمهم [2] في الدلالة على جنسيتهم . واستغربنا كيف ان المستشرقين لم يشعروا بهذا الامر قبل اليوم [3] . وقد كان في خدم الأسر المكية الكبيرة كثير من السودان [4] يستعبدون خدمةً ومهنةً تُفرض عليهم « الضريبة » اليومية .

وقد ادخلت مجاميع الاحاديث بعضهم في خدمة النبي منهم شقران وابو لقيط وغيرهما من ذكور واناث [5] . وان كان ما يُلام عليه ارباب هذه المجاميع فبالغاتهم الغريبة ؛ ومَن يصدّق بسهولة ان شقيق النجاشي نفسه كان من خَدَمة النبي ؟ [6] ولا يخفى ان هذا الادّعاء كان له صداه — او انه كان صدىً لادّعاء آخر من نوعه — فسمعنا الشاعر الحيقطان ، في القرن الاول للهجرة ، يشير الى اسلام النجاشي نفسه [7] ، فيصلّي عليه النبي [8] . ورأينا الطوبين يجعلون ابن النجاشي يُضحّي بالملك ، وما يجرّه من مجد وعظمة ، ليدخل

---

١) اطلب بحثنا في « الاحابيش والنظام العسكري في مكة زمن الهجرة » في « مشرق » السنة الثالثة ١–٢٢ : ٢٧–٥٥٥

٢) اطلب ايضاً ابن بطوطة : رحلته ١ : ٢٧٨ وفيها ان حراسة جامع المدينة يقوم بها « فتيان من الاحابيش » : وكذا في رحلة ابن جبير ١٩٤

٣) وهذا وضوح Rossi, 86 يرى في الاحابيش حلفاء قريش السياسيين !

٤) ابن هشام : السيرة ٢٦٧ ، وفيها ذكر لأمة حبشية في خدمة امّ هاني . وهناك أمة نوبية في خدمة فاطمة : اسد الغابة ٥ : ٥٣٠ ، ٥٥٤

٥) اسد الغابة ٣ : ٣–٢ . ومن الاماء السود مربية النبي ، وأمة كانت تستقي بشرب بولها . راجع اسد الغابة ٥ : ٤٠٨ ، ٤٢٧ ، ٥٦٧ . اما ابو لقيط فكان إمّا حبشياً وإمّا نوبياً ؛ اسد الغابة ٥ : ٢٨٦

٦) اسد الغابة ٢ : ١٢٤

٧) الجاحظ : ثلاث رسائل ٦٠–٦١

٨) اسد الغابة ٥ : ٣١٣ – راجع ، في اسلام النجاشي ، البخاري : الصحيح (استانبول) ٢ : ٧١ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ٩١ ؛ ابن الاثير : النهاية ٤ : ١٦١ ؛ النسائي : السنن ١ : ٢٦٥ ، ٢٧٥ ، ٢٨٠ ، ٢٨٧

في خدمة علي [١] . . . ورأينا جميع المحدّثين يعملون على ان يجمعوا ، حول النبي ، اشهر سادات العرب واشدّهم أنفةً كالمغيرة بن شُعبة [٢] ، وابي موسى الاشعري ، ومعاوية بن ابي سفيان [٣] ، وكلّهم يتزاحمون ويتنافسون في خدمة النبي ، والقيام باحطّ حاجاته واحقرها ، حتى اذا تقدّمت بهم السنّ ، كان عليهم ان يتذكّروا كل ذلك فيحدّثوا الجيل الناشىء بمظاهر حياة النبي الداخلية ، وقد اصبح « اسوةً حسنة » للمؤمنين.

ومهما يكن من امر فان هذا الجمهور من الحبشان المقيمين في مكة [٤] كانوا على تعلّق بدينهم النصراني ، بخلاف ما يظهر من بلال ، مؤذّن النبي ، واخيه مَن يكني عنه مؤرخو الإسلام بكنية « أبي رُوَيحة » ، ولا يخفى ما في هذه الكنية من دلالة بالنسبة الى رجلٍ اسود [٥] .

وليس من شكّ في ان هؤلاء الحبشان اثّروا في لغة قُريش ، فزادوا في معجمها من مفرداتهم [٦] . حتى ان النبي وبعض صحابته كأبي هُرَيرة ، حفظوا عددًا من التعابير الحبشية الجارية [٧] ، ظهر شيء منها في تلك الصلوة التي قام بها محمّد على اثر وفاة النجاشي [٨] . هذا ما يظهر من اقوال جمّاع الاحاديث . وهم في ثرثرتهم المعتادة ، ورغبتهم الشديدة في الإكثار من المعلومات ، لا يتراجعون امام اظهار النبي مظهر العارف بمختلف اللغات ، يتكلّم بعضها ويحضّ على درس البعض الآخر . يخاطب ابا هريرة ، المذكور آنفًا ، وهو عربي من

١) السهروردي : وفاء الوفاء ٢ : ٢٤٩

٢) النسائي : السنن ١ : ٢٦٥ ، ٢٧٥ ، ٢٨٠ ، ٢٨٧ ؛ واطلب كتابنا في *Ziād ibn Abīhi*, p. 3

٣) ابن حنبل : المسند ٤ : ١٠١ ؛ الاغاني ١٦ : ٢٤ ؛ اسد الغابة ٥ : ٨ ؛ الترمذي : الصحيح (طبعة دهلي) ٢ : ٢١٢

٤) راجع الازرقي (طبعة Wüstenfeld) ٦٧

٥) اطلب مقالتنا في « الاحابيش » (المشرق ٣٦ [١٩٣٦] ١١)

٦) Nöldeke, *Neue Beitr. zur semit. Sprachwiss.*, 51-66

٧) مسلم : الصحيح ٢ : ١٨٩ ؛ اسد الغابة ٥ : ٥٧٩

٨) البخاري : الصحيح (طبعة مصر) ٤ : ٢٥٤

دوس ، باللغة الفارسية [١] . ويأمر زيد بن ثابت بدرس السريانية في المدينة [٢] . ولا بدّ من الإشارة ، في هذا الموضوع ، الى عمل الشعوبية [٣] في وضع ما يوافقها من احاديث ، والى ما كانت ترمي اليه ، في جملة غاياتها ، من اقرار المساواة بين لغاتها الوطنية القومية واللغة العربية المتفوّقة شيئاً فشيئاً بفضل الاسلام [٤] . وقد كان من همّ شعوبية افريقية خاصّة ان يدلّوا على ان ذوي الالوان لم يكونوا متأخرين عن غيرهم في معرفة رسالة النبي العالمية ، وفي الدين بالإسلام.

ولهذا رأينا التقليد لا ينى في ذكر العلاقات التجارية المتعدّدة بين قريش وبلاد الحبشة . فيقول صفوان بن امية متذمّرًا في مكة : «... ونحن في دارنا هذه ما لنا بها بقاء . وانما نزلناها على التجارة الى الشام في الصيف ، وفي الشتاء الى ارض الحبشة...» [٥] على ان السيرة الآخذة خصوصاً بذكر مفاخر القرشيين ، تُهمل كثيرًا أن تشير الى الحركة الاقتصادية التي كان الاحباش يقومون بها في البلاد العربية . ونحن نعرف ان هؤلاء الافريقيين كانوا على اتصال تجاري بموانئ الهند ، فكيف امكنهم ان يصرفوا النظر عن اسواق الحجاز ، ولا يفصلهم عنها الّا ساعد من البحر ضيّق . ثم ان البضاعة التجارية تتبع عادةً ألوية الدولة الظافرة . وقد رأينا ، في حوليات مكة ، ان الملاحة

---

١) الطبري: تفسير ١ : ١٩٩

٢) ابن حنبل: المُسند ٥ : ١٨٣

٣) ومن الدلائل على هذه الاعمال ما رواه السيوطي في « موضوعاته » ١ : ٦ من ان الله اذا غضب ، أعلن شرائعه الصارمة باللغة العربية ؛ والّا فانه يستعمل الفارسية . وهناك حديث معاكس في الكتاب نفسه ٢ : ١٥١

٤) ومن هذا القبيل قول بعض الاحاديث ان العربية لغة اهل الجنّة . ولكن « الذين يحملون العرش يتكلّمون بالفارسية » (الذهبي: ميزان الاعتدال ١ : ١٨٨) واطلب في الذهبي ٣ : ٢٢٠ دليلًا واضحًا على هذه النزعة الشعوبية ضدّ العرب . « قال موسى بن يسار : ان اصحاب رسول الله (صلعم) كانوا اعرابًا جفاةً ، فجئنا نحن ابناء فارس فلقّحنا هذا الدين »

٥) الواقدي (Kremer) ١٩٦

في البحر الاحمر بين شاطئ افريقيـة وموانئ الحجاز [1] كانت تحت سيطرة الحبشة [2]. فان هذه الاخبار لا تشير [3] ، في ذكر علاقاتها مع مملكة اكسوم ، الى مركب واحد عربي او تابع للعرب. انما هناك ذكر للمراكب الحبشية التي كانت تأتي فتفرغ مشحونها على شاطئ شُعَيبة ، قرب مكة . لان مرفأ جدّة لم يكن أنشئ بعد ، وهو متأخر عن زمن الهجرة [4].

بيد ان المرفأ الجديد ظلّ مدة طويلة ، بعد وفاة النبي ، ضئيل الحركة ، متوقف النموّ ، خوفاً من نزول الملّاحة الاحباش . حتى اخذ الراغبون في تقدّمه وازدهاره يضعون الاحاديث ينسبونها الى النبي في فضله ، وحسن موقعه ، قائلين : جدّة افضل ابواب الجنّة المعروفة كالاسكندرية وعسقلان [5] . . . « وفضل جدّة على هؤلاء كفضل بيت الله على سائر البيوت . » [6] محاولين ، في ذلك التضادّ المعجب بين جدّة والجنّة ، دفع الناس الى السكنى في ذاك الشاطئ الفاسد المناخ ، اللاهب الحرارة .

* * *

واذا انصرفنا عن الشاطئ الحبشي ، نرى ان مكة كانت لها العلاقات

---

١) قابل بما في *Mariccia*, 48, 52-53, 270, 279

٢) ابن سعد : الطبقات ١ : ١٣٩ ؛ وفي الصفحة ٩٢ ذكر لقائد مركب « رومي »

٣) الا مرّة واحدة ، ان صحّ ما يُستنتج من نصّ في اسد الغابة ٣ : ٢٤٥ . وقد ورد ، في عهد أيلة ، ذكر لملاحة « اهل الشام واهل اليمن واهل البحر » (ابن هشام : السيرة ٩٠٢) يعني باهل البحر ابناء الحبشة . راجع في اهمية الملاحة الحبشية : Lammens, *La Mecque à la veil e de l'hégire*, 287

٤) ابن سعد : الطبقات ١ : ٩٣ ، ١٣٦ ؛ ابن هشام : السيرة ٢٢٣ . وكان من المراكب ما يسافر رأساً من اليمن الى الحبشة ، اسد الغابة ٥ : ١٤٦ . راجع كتابنا : *La Mecque*.... 284, 288

٥) وهما مرفأان لاحدات الاساطيل البيزنطية . وتمثلان مثلاً ذكرهما الذهبي في ميزان الاعتدال ٣ : ١٧٠ ، وقابل بما في ١ : ٢٨٥ ، ٣ : ٢٦٠ . وراجع في مجلة *Etudes*, *Au pays des Philistins*, p. 546 : مقالنا ، 5 mars 1918

٦) الذهبي : ميزان الاعتدال ٣ : ١٥٤ . وقد هاجم الاحباش الشاطئ العربي ، قرب مكة ، في حياة محمد ، ابن سعد : الطبقات ٢ : ١١٨

التجارية الزاهرة مع نجران وسائر الاوساط النصرانية في اليمن [١]. وهو ما يبرّر ذاك المحلّ الكبير الذي يحلّه النجرانيون في « السيرة » وفي تفسير القرآن [٢]. فعندما شاء المفسّرون ان يعيّنوا « اهل الكتاب » الظاهرين في حفلة « المباهلة » [٣] المعروفة ، فكّروا حالًا بالنجرانيين . ولم يكن وجودهم في مكة ، على ما يظهر ، من الحوادث النادرة . وقد يعود لهم نقل تلك الاقمشة المنسوجة في مدينتهم الصناعية [٤] ، ونشرها بين القرشيين حتى اخذوا يستخدمونها في ستر الكعبة ، وتغطية حجارتهم المؤلّهة [٥] . ثم اننا نرى القرشيين المشركين يتركون مكة ، بعد الفتح ، ويلجأون الى نجران [٦] . واذًا فانهم كانوا على معرفة بطريقها ، وعلى امل بوجود الملجأ والعطف بين سكّانها .

وكما كان يذهب القرشيون الى نجران ، كان يأتي « نصارى من اهل نجران » الى مكة ، كأولئك الذين جاؤوا ليناقشوا النبي ، كما تقول « السيرة » [٧] ، مستوحيةً خبَرها ، على الراجح ، من « اسباب النزول » . واسباب النزول مجموعة تفاسير وشروح حافلة بالاخبار والحوادث والنوادر ، يرمي فيها المفسّرون الى شرح الآيات ووضعها في محيط تاريخي وجغرافي يسهّل فهمها ، وادراك اسباب « الوحي » بها . وقد لا نخطئ المقصد اذا قلنا ان هؤلاء الزوّار ، او الوفود ، كانوا من ممثّلي التجارة في تلك الجمهورية النصرانية العاملة [٨] ، وان وجودهم في مكة كان يوافق انعقاد الاسواق السنوية المهمّة في عكاظ ، وذي المجاز . وقد ذكر من

---

١) راجع كتابنا *Yazīd*, 329

٢) راجع *Fāṭima*, 70, 76, 97

٣) القرآن ٣ [آل عمران] ٥٤ ، راجع *Yazīd*, 314

٤) *Fāṭima*, loc. cit.

٥) وهو ما يشير اليه قيس بن الخطيم في ديوانه ٥ : ١٤ :

واللهِ ذي المسجد الحرام ، وما جُلِّلَ من بُدْنٍ لها خُنُفُ

٦) اسد الغابة ٣ : ١٥٩-١٦٠ . ويذكر الجاحظ (كتاب الحيوان ٣ : ٢٧) ثلاثة ابيات لاسقف نجران ، ولا يسمّيه .

٧) ابن هشام : السيرة ٣٥٩

٨) اسد الغابة ٤ : ٣٥٦ ، وفيه ان اسقف نجران زار محمدًا في مكة .

هؤلاء النجرانيين النصارى رجلٌ تحدّث الى النبي اسمه عبدة بن مُسهر . فأسرع جمّاع الاخبار الخاصّة بالصحابة الى تدوين هذا الأسم ، وهم لا يغفلون طرفة عين عن كلّ ما يوسّع معلوماتهم ويضخّم ترجمات من يُعنَون بهم من الصحابة سواء أثبت وجودهم أم لا[1] .

ولما سُئل عبدة عن موطنه قال انه «كعبة نجران»[2] ، وهو اسم الكنيسة المهمة في مدينتـه ، تلك الكنيسة المشهورة في بلاد العرب كلّها . ولا يخفى ان تلك الاسواق كانت تُقام ، على الغالب ، مدة الشهرين السابقين لموسم الحجّ . فكان يقصدها كثير من البدو ، وعدد من التجّار يأتونها من انحاء الجزيرة جميعها . ولم يكن من النادر ان يكون بينهم عدد من تجّار الحيرة النصارى ، والحيرة من اهم الاسواق في وادي الفرات الاسفل ، يقدمون الى عكاظ مع القافلة الرسمية التي كان يرسلها ، كل سنة ، ملك فارس ، وسيّد امرائهم اللخميّين. وآخر تلك الاسواق التهاميّة في التاريخ كانت سوق ذي المجاز التي كان يمتدّ زمن انعقادها حتى قبيل موسم الحج . وموقعها قريب من مِنى ، ومِنى من أرضِ الحرم ، كما لا يخفى. فكان كثير من التجار والحجّاج ، وسائر حاضري السوق ، لا يعودون قبل ان يمرّوا في مكة فيزوروا مصارفها ، ومخازنها ، وحوانيتها . ويحدّثنا الحديث ان وفداً من نصارى الحيرة ارسله اسقفه

---

١) وهم في ذلك لا يعملون شيئاً ، بل لا يتراجعون امام بعض الاساليب البعيدة عن النقد التاريخي كتضعيف عدد بعض الصحابة وتثليث احياناً . راجع ما قلناه عن ذلك في بحثنا : «الاحابيش» في مشرق السنة الثالثة ص١١ ، الحاشية ١ . وليقبه خاصّة الى الصحابة المزدوجة اسماؤهم حتى وُلد من كل واحد رجلان في اسد الغابة ٤ : ٥١، ١٠٥ ، ١٠٩ ، ١١٥ ، ١٢٩، ١٤٢، ١٤٥ ، ١٥٢ ، ٢٠٠ ، ٢٠٥ ، ٢١٨ ، ٢٢٦ ، ٢٢٩ ، ٢٢٥ ، ٢٤٧ ، ٢٦٧ . . . وهناك صحابة اصبح كل منهم ثلاثة رجال ، في اسد الغابة ٤ : ٨٥ ، ١٨١ ، ١٩٣ ؛ ٥ : ٢١٩ ، ٢٩٤–٢٩٥ ، ٤٣٠ ، ٥٥٣ ، ٥٧٧ ، ٥٧٨ ؛ بل اربعة رجال ، في اسد الغابة ٤ : ١٧٠–١٧١

٢) اسد الغابة ٣ : ٣٢٧ . وهناك ذكر «لكعبة الطائف» ، راجع Goldziher, *Zâhiriten*, 132, n. 2 وقد دُعي ذو الخَلَصَة «كعبة اليمن» ، راجع *Yaqût*, 340 ، والبخاري : الصحيح (طبعة استانبول) ٧ : ١٥٣ . أما قيمة هذه التسمية «بالكعبة» وما معناها ، ان لم تكن قالباً متداولاً لا قيمة مهمّة له .

ليسأل عن عقيدة محمد وبعثه[1]. ومهما يكن من أمر ، فان لنا الحقّ ، بعد ان عرضنا كل ما تقدّم من المعلومات ، ان نفرض للنصارى في مكة مروراً متواصلاً ان لم نقل اقامةً موقّتة.

***

ولم يكن الاحباش وحدهم يمثلون العبيد المقيمين في مكة ، وان كانوا يؤلّفون اكثريتهم الساحقة . ويظهر ان النبي كان على اتصالٍ ببعضهم بدليل ما زعم مخاصموه ومناقشوه من أنّه كان يختلف « بكرةً واصيلاً » الى رجال اجانب لسانهم « اعجمي » ، فيعلّمونه « اساطير الأولين » يدوّنها في قرآنه . وهذا قول القرآن في هذا الشأن نورده بنصّه :

قال في سورة النحل ١٠٥ : « ولقد نعلم انهم يقولون : « انما يُعلّمه بشرٌ لسانُ الذي يُلحدون اليه أعجميّ ، وهذا لسانٌ عربيٌّ مبين ».

وجاء في سورة الفرقان ٥و٦ : « وقال الذين كفروا : إنْ هـذا الّا افكٌ افتراه واعانه عليه قومٌ آخرون ، فقد جاؤوا ظلماً وزوراً . وقالوا : اساطير الأوّلين اكتتبها فهي تُملى عليه بكرةً واصيلاً. »

ونقل ابن هشام في السيرة شارحاً « سبب نزول » الآية : « وكان رسول الله (صلعم) ، فيما بلغني ، كثيراً ما يجلس عند المروة الى مَبِيعَة غلام نصراني يقال له جَبر ، عبد لبني الحضرمي . وكانوا يقولون : والله ما يعلّم محمداً كثيراً مما يأتي به الّا جَبرٌ النصراني ، غلام بني الحضرمي . فانزل الله عزّ وجلّ في ذلك من قولهم : ولقد نعلم . . . »[2]

من هؤلاء الاجانب ، ذوي اللسان الاعجمي ، تذكر « اسباب النزول »

---

١) هـذا ما يقوله الحديث زاعماً ان الاسقف المذكور كان متزوّجاً ! اسد الغابة ٤ : ٢٤٤ . بيد اننا نرى ان عدّاسَ الخبر في مكة ، كان يجهل بعثة محمد وحركته ، فما القول من نصارى الخبرة ؟

٢) راجع ابن هشام : السيرة ٢٦٠ . ويرى كايتاني (*Annali*, I, 235) في ذلك ، تأثير زيد بن حارثة ، وهو مولى من كلب ، واذاً من المتنصّرين ، تبنّاه محمد . وهذا التأثير يدلّ عليه نصيب الوافر من اخبار السيرة ، راجع *Fātima*, 24, 40

موالي او عبيدًا من عين التمر ، في ما بين النهرين[1] . ومنهم واحد كان من موالي مخزوم ، كما يقول بعض جُمّاع الاحاديث[2] . وليس في الوصول الى هذا التدقيق كبير عنا.. بل كان يكفي اولئك المحدّثين ان يتذكروا كم كان لآل مخزوم من عبيد وموالٍ يستخدمونهم في مرافقهم الاقتصادية المتعدّدة.

وان لنا في اخبار حياة النبي الخاصّة ذكرًا لعددٍ من العبيد المصريّين : ذكور واناث ، كانوا يعيشون في مدن الحجاز. رافق عدد منهم ماريّة الجميلة ، جارية النبي[3] . وهي قبطيـة الأصل امتلكها اولًا عبّاس ، ثم اعطاها نسيبه محمدًا[4] . ويذكر صاحب اسد الغابة ، في حرم عبّاس ، جارية اخرى ، يونانية الاصل[5]. وهناك مولاة اسمها ماريّة — واذًا فهي يهودية او نصرانية[6] — تذكر انها رأت زيد بن عمرو « الحنيف » المشهور[7]. ومن موالي صفوان بن امية السيّد القرشي المعروف، رجل اسمه نسطاس ، او انستاس ، ولا شك في نصرانيته بدليل اسمه[8] . وكذلك نـذكر من النصارى المدعو مينـا او ميناس ، وهو رجل « غير منسوب » — اي لا يلتحق باحدى القبائل العربية — صادف محمدًا

١) الواحدي : اسباب النزول ٢١٢

٢) اسد الغابة ٣ : ١٢١ . وفيه ذكر جارية يونانية من موالي بني مخزوم ٥ : ٤٦٢، ثم ذكر جارية يونانية اخرى ٥ : ١٩٤ .

٣) اسد الغابة ٦ : ٢٦٨ . ونجد ذكرًا لبيرها من الجواري والعبيد القبط في المدينة ، اسد الغابة ٥ : ١٢٨ ؛ ٦ : ٢٤٢ . ويذكر الذهبي (٣ : ١٢٤) مولًى اسمه نادوس (فهو قبطي اذًا) من موالي حزام بن حكيم المكّي.

٤) اسد الغابة ١ : ١٧

٥) اسد الغابة ١ : ٢١٢ ، ٦ : ٢٣٢

٦) وقـد تقدّم لنا القول ان العرب الجاهليين لم يألفوا استعمال الاسماء المعروفة في الكتاب المقدّس . ولهذا وجب ان يكون ابو حنا المدني المذكور في ابن سعد : الطبقات ٣ : ٤٥ – ٤٦ ، يهوديّ الاصل . وفي الكتاب نفسه ٣ : ٥٤، ٢١ ذكر لامرأة مدنية اسمها ساره . وفي ١ : ٤٢ أن احدى بنات عبد مناف اسمها حنّة . ومن المفيد ان يراجع بشأن اسم « حنّا » J. Horovitz, *Koran. Untersuch.*, 158

٧) اسد الغابة ١ : ٣٨٧

٨) الاغاني ٦ : ٤٢ ؛ ابن هشام : السيرة ٦٤٠ : اسد الغابة ٣ : ٢٣٠ ؛ الواقدي ٣٥٢

قرب الحِجْر . ونذكر يوحنّا ، عبد صُهَيب[1] . وصهيب نفسه لم يكن عربياً بل كان سوريّ الأصل . ومن النصارى الاجانب نسطور الرومي ، وابنه جعفر الذي كان يفتخر بانه تناول سوط الرسول ، وقد وقع على الأرض في احدى الرحلات . فكافأه النبي بان سأل الله ان يطيل حياته . ويزيد جعفر : فعشت ثلثمائة وعشرين سنة بعد الرسول . كذا ، ويضيف الذهبي المعروف باعتداله : « هو أسقط من ان يُشتغل بكذبه ! »[2] . ثم ينعته بانه « طير غريب متهم بالكذب »[3] ؛ بل انه ينفي وجوده ، في مكان آخر[4] ، وهذا اقرب الى المعقول .

ويجب ان نذكر من النصارى المقيمين في مكة ، في هذه الحقبة ، فُرات ابن حَيَّان[5] ، اشهر مَن يُذكر من الادلّاء ، وقادة القوافل في المجاهل الصحراوية . كان فرات من بني عجل البكريين الذين ظلّوا نصارى مدةً طويلة بعد الهجرة[6] . وكان حليفاً لآل سهم من القرشيين . ومن نصارى مكة صُهيب بن سنان المشار اليه آنفاً والمعروف « بالرومي » لأنه كان اصله من المقاطعات السورية -العراقية التابعة امبراطورية الروم او بيزنطية[7] . كان من اصدقاء محمد المخلصين ، ولعله كان من عملائه ، عهدَ كان النبي يشتغل بالتجارة ونقل البضائع . والمعروف عن

١) اسد الغابة ٣ : ٢٢ ؛ ٤ : ٤٢٧ السمهودي : وفاء الوفاء ١ : ٢٨٠ ؛ الذهبي : ميزان الاعتدال ٣ : ٢٢٥ – ولنضف الى ما تقدم ذكر امرأة فارسية مقيمة في مكة (اسد الغابة ٥ : ٤٠٢) . ومولى يوناني تزوّج سُمَيّة ، ام الصحابي عمّار (اسد الغابة ٥ : ٤٨١) . وفي السمهودي ١ : ٨٢ ، نبوة لمحمد تشير الى تكاثر العبيد من يونان وفرس .

٢) الذهبي : ميزان الاعتدال ١ : ١٩٤

٣) الذهبي : الكتاب المذكور ١ : ٢٠١

٤) الذهبي : الكتاب المذكور ٣ : ٢٢٠ – وقد تقدّم لنا ما يدلّ على دقة النظر في احكام هذا الناقد البصير .

٥) ابن سعد : الطبقات ٢ : ٧ . ويزعم ابو داود ، في السُنَن ١ : ٢٦٢ ، انه كان حليفاً للانصار (كذا !) في الطبقات ٢ : ٧ – ٨ انه جُرح في بدر .

٦) راجع *Mo'āwia*, 436

٧) اسد الغابة ٣ : ٣٠ – ٣١ . وفي البلاذري (الانساب ١١٠ قفا) انه دعي « الرومي » لأنه كان احمر شديد الاحمرار .

صُهيب انه بدأ شريكاً لابن جُدعان المثري الكبير ، ثم انفرد عنه ، واصبح من ذوي الثروات المعتبرة في مكة ، بل المحسودة . يدلّ على ذلك ما هدّده به القرشيون حين اراد الالتحاق بالنبي الى المدينة ، بعد الهجرة ، فقالوا : « أتيتنا صعلوكاً حقيرًا ، فكثر مالك عندنا وبلغت الذي بلغت . ثم تريد ان تخرج بمالك ونفسك . والله لا يكون ذلك . »[1]

ولايخفى ان النبي كان ، في اول عهده ، يدبّر اموال امرأته خديجة ، فكان عليه ان يتردّد الى الاسواق والمعارض . فلما اظهر بعثته ، ظلّ على تلك العادة[2] ، لعلّه يجد في المجتمعات من يؤمن بدعوته . هكذا كان شأن قس النصارى ورهبانهم في زياراتهم مجتمعات البدو ؛ وهكذا كان شأن قس بن ساعدة « اسقف نجران » الذي كان يأتي سوق عكاظ ، على ما تقول الاسطورة ، فيعظ القوم[3] . حتى ان النبي يذكر انه سمع احدى مواعظه . كما انه يذكر راهباً « يعالج الاعين » عالج عينيه ، في صغره ، وشفاه[4] . اما اسم الراهب فسيع . واما طريقة معالجته فكانت بان وضع على عيني الصغير قليلًا من تراب جبل سينا[5] . ولا شك في وجود المداوين والدجّالين[6] في عكاظ وغيرها من الاسواق العربية .

اما هذه الاحاديث النبوية فغايتها ان تبرّر الالتجاء الى طبيب من غير

---

١) ابن هشام : السيرة ٢٢١

٢) وقد اشار خصومه الى هذا فقالوا : « ما لهذا الرسول يأكل الطعام ، ويمشي في الاسواق . . . » (القرآن ٢٥ [الفرقان] ٨) ؛ وراجع الذهبي : ميزان الاعتدال ٢ : ١٠٥ ؛ *Fāṭima*, 95

٣) الاغاني ١٤ : ٤١ – ٤٣ ؛ الاب لويس شيخو : شعراء النصرانية ٢١١ – ٢١٨ ؛ السيوطي : الاحاديث الموضوعة ٩٥ – ١٠٠

٤) ابن الجوزي : وفاء (مخطوطة ليدن) ص ٢١ قفا . وهناك ذكر لكاهن آخر يعالج الأعين ، الاغاني ١١ : ٤٢ ؛ السيرة الحلبية ١ : ١٢١

٥) مجموعة (مخطوطة برلين رقم ٩٦٣٢)

٦) الجاحظ : كتاب الحيوان ٤ : ١١٩ . ويذكر ابن حنبل (المسند ٤ : ٤٠) طبيباً متنقلًا يعرض على محمد ان يُعالج عائشة ويشفيها .

المسلمين[1] ؛ مستندةً الى ما عرف عن النبي من ميل واضح الى الرهبان[2] . ونحن نرى انها موضوعة ، في اكثرها ، ان لم نقل في كلّها ، عصر كان كبار الاطباء جميعهم من النصارى واليهود. من ذلك ان مجاميع «الصحيح» تفيدنا ان النبي عهد في معالجة سعد بن ابي وقّاص ، من جماعة « البُشَرة » الى رجلٍ غير مؤمن هو الحرث بن كَلَدَة الثقفي ، « طبيب العرب » على الاطلاق .

واعجب من كل ذلك ، اذا صحّ ، وجود ناسك عموديّ في مكة في هذه الحقبة[3] . وقد وددنا لو ثبت له شيء من الخطب[4] — فضلًا عن ثبوت وجوده — فنرى هل من شبه بين خطابته وخطابة شفيع العموديين جميعاً ، سمعان الكبير ، الذي كان يلتهب غيرة وحماسة ، ويندفع من فوق عموده ، في مقاطعة انطاكية ، واعظاً موثّباً جموع البدو المحتشدين حول مقامه الرفيع.

ومهما يكن من أمر فان الديورة والمناسك النصرانية لم تكن قليلة في بلاد العرب الغربية ، ولا سيما شمالي الحجاز ، على طول الطريق التجارية الآخذة نحو سورية[5] ، المحاذية لخطّ الحدود الرومانية ؛ وفي واحات وادي القرى، ومَدْيَن[6] وتَبوك. وهذه الواحة الاخيرة كانت مركزًا لحامية من رجال الغسانة ظلّت في خدمة البيزنطيين ، حتى بعد معركة مُوتة[7] . وفي السيرة الحلبية[8] ذكر لراهب

---

١) راجع الاغاني ١٤ : ١٧٣

٢) راجع القرآن ٣ [آل عمران] ١٠٦ ، ٥ [المائدة] ٨٥ — والاطباء كلهم من النصارى او اليهود ؛ اطلب *Mo'ūnia*, 9 ; Caetani, *Annali*, année 11, p. 27, n. 1 ؛ احرجع : البخلاء ١٠٩ . وهناك رهبان يعالجون الكلب ، المقدسي ١٤٦

٣) المفضّل : الفاخر (طبعة Storey) ٢٣٥ — ٢٣٦ . ولا يخفى اعجاب البدو هذا النوع من النسك النصراني .

٤) وفي الفاخر امثلة من هذه الخطب ، ولكنها تظهر مصنوعة على مثال السجع القرآني .

٥) اطلب في ذلك بحثنا : *L'ancienne frontière entre la Syrie et le Hiǧāz*, dans *Bulet. de l'Inst. fr. d'archéol. orientale*, XIV, 95

٦) راجع *Berceau*, I, 189 — 190 ؛ تفسير الطبري ٧ : ٤

٧) اطلب *Ancienne frontière*, 86 ؛ اسد الغابة ٥ : ١٦٦

٨) السيرة الحلبية ١ : ٧٥

كان في مرّ الظهران ، اي في منطقة مكة. ونحن نعرف ان رجال الاكليروس بين نصارى العرب كانوا كلّهم من الرهبان[1]. وذلك ان الرهبان ، وقد تعوّدوا شظف الحياة التقشفية ، كانوا وحدهم يقوون على ذاك الجهاد المتواصل بادا. واجباتهم في مناطق الصحراء.

***

ولا ننسَ تجّار الشام ورحلتهم الى الحجاز ، ناقلين الحبوب ، والزيوت ، والخمور الى المجتمع القرشي[2] المقيم في « وادٍ غير ذي زرع »[3]. وهؤلاء اهل يثرب انفسهم ، على خصب واحتهم وصلاحها لزرع الشعير[4] ، كانوا يستوردون قمحهم من الشمال: من البلقاء ومن حوران[5]. بيد ان التجارة المحلية في المدينة كان يحتكرها اليهود ، وهم أبعد همّة ، واقوى جلدًا ، واكثر مالًا من وطنيّيهم الانصار المخلدين الى الراحة وعدم المبالاة. اما نقل القمح الى مكة ، وهي سوق اوسع مجالًا وابعد شهرة من سوق المدينة ، فكان يستقلّ به « الانباط »، اي سكان سورية الاصليون. وكانوا في اكثريتهم من النصارى. وقد كان لهم مستودعات ومخازن تصلح حوانيت للبيع احيانًا ؛ وقد تصلح، ابان الاحتفالات الدينية ، كنائس ومعابد. وقد ذكرت لنا كتب الحديث وصول شأس الى مكة ، شأس اجنبي ، دون شك ، لأن جماله الغريب ترك اثرًا بعيدًا في

---

١) راجع Wustd. 340 ؛ الاغاني ١٦ : ٤٩ ؛ اسد الغابة ٣ : ٦٣. وفي الدساني : السنن ١ : ١١٤ ، ذكر لراهب عربيّ من طيّ يقوم بهيئة الحواري. ويذكر اصدائي : صفة جزيرة العرب ٥٣ ، بعض الرهبان في جزيرة سوقطرة.

٢) من هؤلاء التجار تميم الداري ، الشامي الأصل ، الذي كان يبيع الزيت والمصابيح ؛ راجع اسد الغابة ٥ : ١٤٥ ، والازرقي ٢٧٥. ومنهم كيسان الصحابي بائع المشور ، الدمشقي الأصل ؛ اطلب اسد الغابة ٤ : ٢٥٦.

٣) القرآن ١٤ : ٤٠

٤) اسد الغابة ٢ : ١٨٦

٥) ابن هشام : السيرة ٩١١. ويظهر مما ينقل الذهبي : ميزان الاعتدال ٣ : ٢٤٤ ان خبز القمح كان نادرًا في المدينة على عهد الرسول.

سكان العاصمة القرشية[1] حتى ان اصحاب المجاميع دوّنوه معجبين[2] . اما اسم «شمّاس» فكثيرًا ما دلّ في الاحاديث القديمة ، على الكاهن المسيحي[3] . وتميّز هذه الاحاديث ، على ما دخلها من الغريب ، بين هؤلاء الشمامسة ، والرهبان « اصحاب الصوامع»[4] . على ان بعض دارسي الاحاديث، حتى من علماء عصرنا، لم ينتبهوا الانتباه الكافي لهذا التمييز ، فرأينا سپرنگر يحوّل عدّاس — ذاك العبد النصراني ، مولى عُتبة بن ربيعة الأموي ، الذي استقبل النبي في الطائف — الى « راهب من نينوى»[5]، مأخوذًا ، بما ورد في « السيرة الحلبية »[6] ، وقد صوّره صاحبها راهبًا شيخًا تلجأ اليه خديجة فتستفتيه في بعض الشؤون . اما الراجح في كل هذا فهو ان عدّاسًا كان من بين النهرين . ولا نعلم ما جرى له حتى بيع عبدًا في بلاد العرب. بيد ان كتب الحديث تغدق عليه « الترضية » ، وتدوّن اسمه بين اسماء الصحابة[7] ؛ زاعمةً انه « حوّط بحجارة » كل مسجد وكلّ مصلًّى صلّى فيه النبي في جبل سراة[8] ، معوّضًا بذلك عن اعراض اهل الطائف عن القيام بهذا الواجب التقوي.

ثم هناك طبقة اخرى في المجتمع العربي يظهر الحديث بها اهتمامًا جديًا، هي

---

١) ابن هشام: السيرة ٤٨٩ ، وقابل بما في الصفحة ٣٤٩ ؛ اسد الغابة ٣ : ٣٧٥

٢) اسد الغابة ٤ : ١٤٨ ؛ وراجع Yazīd, 58

٣) قابل بما ورد عن ابي بكر في وصيته ليزيد: سترى رجالًا « قد فحصوا رؤوسهم فهم الشمامسة قد حلقوا رؤوسهم .» ؛ ابو عُبَيد: غريب الحديث (مخطوطة كوپرولو) ٢١٢ وجه . وهناك ذكر لاسقف يخلع ثوبه الاسود ويلبس ثيابًا بيضًا لإقامة الرتبة ؛ اسد الغابة ٣ : ٤١

٤) « اصحاب الصوامع فانه يعني الرهبان »(ابو عبيد: الكتاب المذكور) . وراجع في حلق الرأس عند الرهبان ، ابن الأثير: النهاية ١ : ٣٧١

٥) Sprenger, *Life of Mohammed*, Allahabad, 1851, p. 99 . وراجع: السهودي وفاء ٢ : ١٨٦ ، وهو يسمّيه « عديس »(؟)

٦) السيرة الحلبية ١ : ٢٦٠

٧) واذًا فلا بدّ من ان يكون ادرك الفتح . اما الواقدي (ص ٢٨، ٢٩) فيزعم انه قُتل في بدر . ولا يعدّه مطهّر المقدسي (طبعة Huart ٥ : ١٢٢) بين المسلمين . راجع المُجيبي: اخبار الطائف (مخطوطة المكتبة الملكية بالقاهرة) ص ١١ وجه

٨) اسد الغابة ٣ : ٣٨٩ — ٣٩٠

طبقة « الكهّان ». وما ذاك الّا لأنّهم يمثلون دورًا مهمًّا في « دلائل النبوّة » اي في مجموعة المظاهر والآيات التي تدلّ، في نظرهم، على ظهور محمد. وعلى هذا السبيل يذكر الحديث الكاهن النصراني مأمون بن معاوية، وهو من اشهر الاختصاصيين بفنّه وباستخراج دلائل الزجر والعرافة. كان له طائر[1] خاص يزوره في اوقات متناسبة فيوليه من الوحي ما يمكّنه من معرفة الغيب وفهم حوادث المستقبل. وفي احدى هذه الزيارات، وكانت يوم جمعة، اعلن الطائر للكاهن ان نجيء محمد صار قريباً. بيد أنّ من نقص التدقيق في هذه الاسطورة[2]، المنسوبة الى صحابي مخترَع من اولئك المعمّرين البالغين ١٦٠ سنة، ان الراوي يُهمل ذكر مقام العرّاف النصراني هل كان في مكة ام في غيرها من قرى تهامة[3].

ومهما يكن من آراء النقد في هذه الاساطير الموضوعة، والتي نرى فيها كثيرًا من رجال الدين المسيحي، فليس لنا ما يجيز الزعم بانه كان في مكة نظام مرتب للاكليروس النصراني[4].

ولا يجرح هذا القول ما نراه عرضاً من ذكر لبعض الاساقفة يميل الى الاساطير اكثر منه الى الحقيقة التاريخية. كما جاء في اخبار الفيومي من ان عبد المطّلب، جدّ محمد، تحدّث الى اسقف، في فناء الكعبة. ويزيد المؤلّف شارحاً لفظة اسقف: اي رئيس النصارى. وكان من نتائج هذا الحديث ان الاسقف اخذ

---

١) هو « التابع » او الروح الخاصّ بالكاهن يلهمه بما يقول. ولا يندر ان يتخذ هيئة الطيور. راجع ابن سعد: الطبقات ١: ١١٠، ١٢٦

٢) قابل بما يروى عن الكاهن النصراني سطيح في ابن هشام: السيرة ٩، ٢٨، ٤٥، ٤٧

٣) اسد الغابة ٣: ٥٢

٤) ارجع الى شيخو: النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية ١: ١١٧، ويجب ان يُقرأ نصّ الاغاني (١٣: ١٠٩) « لا سقفَ عليه » بدل: « لا سُقُف عليه. » وكذلك ان ابا قيس صُرمة المذكور هناك (ص ١٣٠) كان انصاريًّا لا قرشيًّا (راجع *Chronologie de la Sira*, 228–231) من الحقّ ان « التقويم » النسطوري يعيّن مركز اسقفية في المدينة وفي عكاظ، ولكنه لا يقول شيئًا بشأن مكة. على ان هذا « التقويم » نفسه مزور، يرقى الى عصر قريب مثا كل القرب. راجع *Tāif*, p. 86

يفصل لجدّ النبي حياة حفيده المقبلة مرحلةً مرحلةً[١] . ولا تزعجنّ بالنا بالسؤال عن ايّ اسقف هذا ، ولا الى ايّ كنيسة من بلاد العرب كان ينتمي . والّا فاننا نولي مخيّلات ارباب « السيرة » اهمية وانتباهاً هي جد بعيدة عن ان تستحقّهما . وليس من غاية في دسّ هذا الاسقف الجديد في حوادث طفولية محمد الّا ما عرفناه، في ادخال زملائه اساقفة نجران والحيرة، من العمل على اظهار انحاء الجزيرة باجمعها متأثرةً بظهور نبيّها العربي الوطني. واقلّ من هذا الاهتمام ما يجب ان نوليه لقب « القسّ » الذي أُلصق باسم ورقة بن نوفل[٢] ، فلا نحفل كثيرًا بمعنى هذه الكلمة ، ولا نعمل على استنتاج المهمّ منها . وكذلك نقول عن لفظة « راهب »[٣] في لقب ابي عامر المدني ، والد حنظلة ، شهيد أُحد ، و« غسيل الملائكة » .

وكان التجّار المقيمون في مكة ، ان لم يكونوا « حلفاء »[٤] لبعض الأُسر القرشية ، يُفرض عليهم ان يدفعوا ضريبةً تقابل ما يولّون من حقّ بالاقامة وبالتجارة . يدلّ على ذلك نصّ في كتاب « الخراج » ليحيى بن آدم يظهر منه ان النبي فرض ضريبة سنوية على احد هؤلاء. وهذا هو النصّ : « ضرب رسول الله (صلعم) على نصراني بمكة دينارًا كل سنة »[٥]، ولا عجب فان محمدًا، عندما فتح مكة ، واستتبّت له السلطة فيها ، لم يتراجع امام اتخاذ ما كان فيها من اساليب تجارية ومالية اقرّها العرف والاستعمال . وفوق ذلك ، فان هذا الخبر

---

١) النيومي : الاخبار (مخطوطة عاشر افندي ، استانبول) ص٥ وجه ؛ للسيرة الحلبية ١ : ١١٨

٢) راجع البلاذري : الانساب ٦٤

٣) ترهّب ، تألّه ، تحنّف ، تحنّث ، افعال تدلّ على مختلف مظاهر الزهد عند قدماء العرب . راجع اسد الغابة ٥ : ٣٠٠ وفيه تُطلق لفظة راهب على احد اشخاص العهد العتيق . بل انما تُطلق على احد المشركين المقيمين في مكة ، فيُدعى « ابا صيفي الراهب »(اسد الغابة ٥ : ٤٧٥)

٤) كان من واجب الحلفاء ان يشاطروا القبيلة في نفقاتها العامة ، كدفع دية القتل ، وفدية الأسرى

٥) كتاب الخراج ٥٣ ؛ راجع ايضاً ابن سعد : الطبقات ١ : ٣١

كان من شأنه ان يبرّر موقف الخلفاء المالي من الذمّيين[1] . ولهذا اهتمّوا به ودوّنوه في نصوصهم الاقتصادية . على ان هذه الضريبة كانت تختلف روحاً ومبدأً عما قام بعد ذلك في الشرع الاسلامي. وذلك ان الضريبة القرشية القديمة كانت تُفرض على التاجر الاجنبي، لا لأنه يهودي او نصراني ، بل لانه اجنبي عن بلاد العرب. فان الصفة النصرانية لم تكن تمنع العرب ان يحبوا النصارى ، على ما قال ابو الطمحان الأسدي :

واني ، وان كانوا نصارى ، أُحبّهم ويرتاح قلبي نحوهم ، ويتوق ! [2]

١) نشير هنا الى الخراج او الجزية ، ومبدأها يختلف عما تقدّم.
٢) الجاحظ : كتاب الحيوان ٥ : ٥٢

(للبحث صلة)

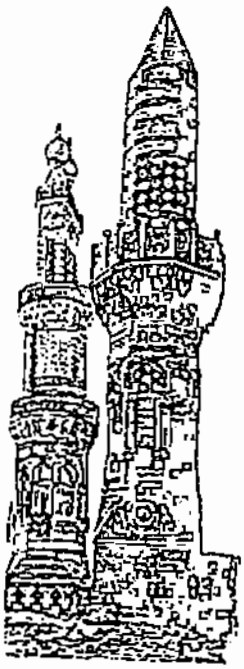

حول كتاب جديد

الفنّ المسيحي في سورية

وفنّ الامويين

بقلم الاب ربنه موترد اليسوعي

لقد اتحفتنا احدى مطابع باريس بمجلّد نفيس [1] حوى ، في ٢٧٠ صفحة كبيرة زانتها ٢٤ لوحة تصويرية و١١٧ رسماً ، معلومات شائقة عن فنّ سورية المسيحية ، وبالتالي عن فنّ القسم الاول من العهد الاموي ؛ ملخصاً فكرة استاذ ضليع من فنه ، جريء في عرض آرائه ، متغلغل في تحليله ، وافر الابتكار ، جلود في ثباته ، يتابع ، منذ اربعين سنة ، درس موضوع عام شامل ، الا وهو المبادلات الفنية بين الشرق والغرب ، تلك المبادلات المتعددة التي ولّدت المدنية البيزنطية ، والفنّ الاسلامي ، والفنّ القوطي . ولا يخفى ان الكتاب الاول الذي نشره المؤلف ، جوزف ستريزيغوسكي ، في هذا الموضوع ، سنة ١٩٠١ بعنوان « Orient oder Rom » ، كوّن حدثاً مهماً في دروس التاريخ الفني ، فكان مرحلةً او محطّة في هذه الابحاث ، كما كان كتاب ملكيور دي ڤوگيه في « سورية المتوسطة » سنة ١٨٦٥

اما الكتاب الجديد ، الذي ينشره العالم النمسوي على علماء الفنّ ، فانه يدور حول أثرين فنيين لفتا انتباهه خاصّة فرأى ما بينهما من التشابه ، وقد سبق درس احدهما عن درس الآخر بمدة عشرين سنة . اما الاثر الاول فهو

(١) *L'Ancien art chrétien de Syrie*, par JOSEPH STRZYGOWSKI. Etude préliminaire de GABRIEL MILLET. In-4°. LII + 215 pp., 24 pl., 117 fig. Paris, E. Boccard 1936.

قصر « المشتى ». اكتُشف سابقاً في بطائح موآب ، من منطقة شرقي الاردن ؛ ولم تلبث واجهته الرائعة بزخارفها الحجرية المفرغة المزركشة ان نُقلت الى برلين ، فغدت من مفاخر متحف القيصر فريدريك *Kaiser-Friedrich Museum*. وكان العامل على نقلها الامبراطور غليوم الثاني ، وقد نال من السلطان عبد الحميد هذه الهديّة النفيسة ، فأهلت بها عاصمته. ونشر الاستاذ سترزيگوسكي نفسه ، درساً عميقاً في القصر وهندسته ، طُبع في السنة ١٩٠٤ [1].

واما الاثر الثاني فهو كأس انطاكية . في السنة ١٩٢٤ ، نشر الدكتور ايسن في « كأس انطاكية » كتاباً [2] أثار بين علماء الموضوع مناقشات حادّة لم تؤدِّ الى نتيجة حاسمة حتى اليوم ، بل انها لم تخفّف شيئاً من حدّتها بعد . وكان للاستاذ سترزيگوسكي ان يخوض هذا النقاش ، فكان من دعاة الراقين بالكأس المذكورة الى عصر قديم جدًّا.

وقد شاء ان يعيد النظر في آرائه بشأن المشتى وكأس انطاكية ، فيحوّر بعضها ويتمّ البعض الآخر ، فكتب هذا المؤلّف الجديد سنة ١٩٢٨ . وان يكن قد تأخر ثماني سنوات ، حتى ظهر بترجمته الفرنسوية سنة ١٩٣٦ ، فلأن اسلوب الاستاذ البليغ الايجاز ، ومفرداته القوية الخاصّة به ، لم يكن من السهل نقلها الى الفرنسوية ، ولان الاستاذ ميليه ، العالم الفرنسوي الاختصاصي بالشؤون البيزنطية ، قد شاء ، قبل نشر الكتاب ، ان يمهّد له بعرض آراء المؤلف في سبيل قرّائه الفرنسويين بان يطلعهم على تطوّرات فكرة سترزيگوسكي ، وطريقته الخاصّة التي توصّل اليها اخيراً في ترتيب نظرياته في الفنّ القديم.

* * *

ولم يكن بدّ من ذلك . فان المجلّد الظاهر سنة ١٩٢٨ يتضمّن خلاصة اربعين سنة قضاها المؤلّف في البحث والتفتيش والتمحيص ، فكوّن له « فلسفة

(١ *Jahrbuch d. preuss. Kunstsammlungen*, XXV, 1904 : *Mschatta*.

(٢ D' Eisen, *The Great Chalice of Antioch*, Kouchakji frères, New-York 1923

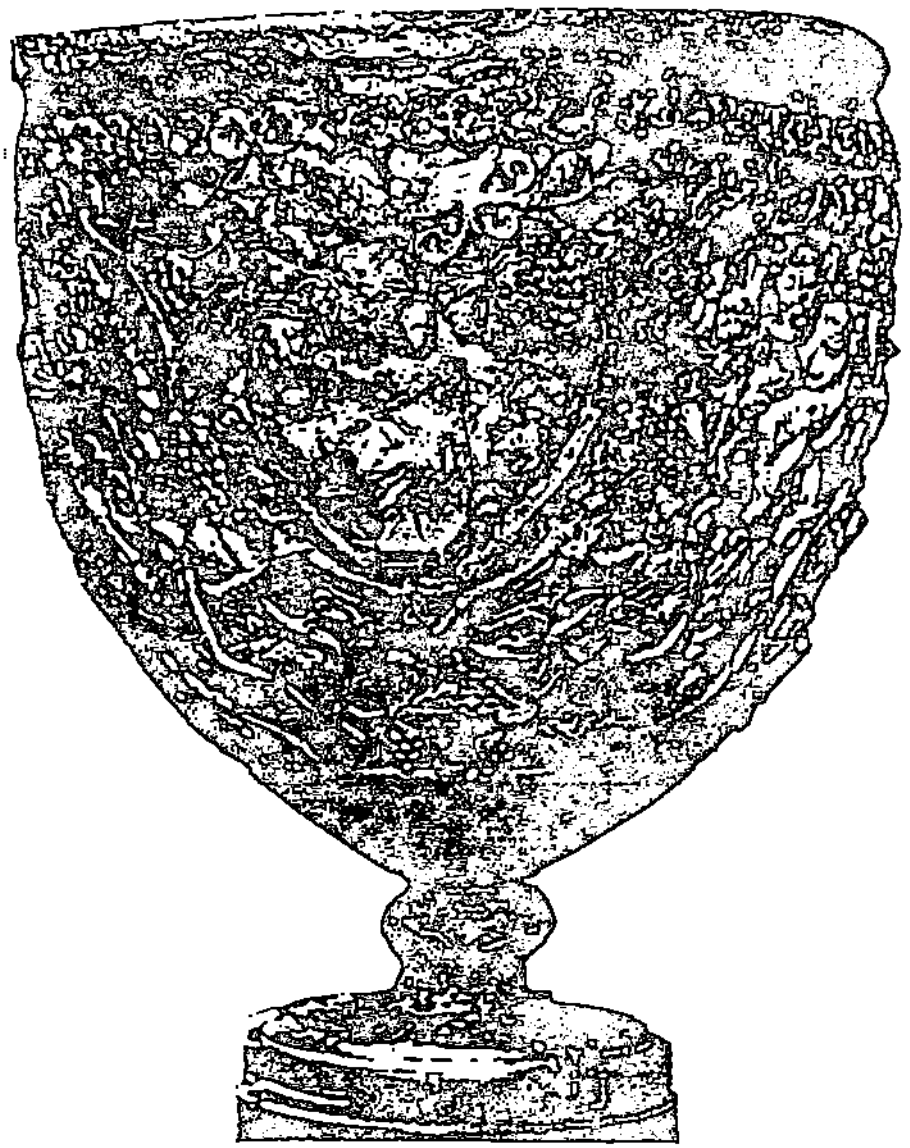

الرسم ١ : [illegible]

[illegible]

[illegible]

الفن » اوضح كثيراً من مظاهرها في مقالات متفرقة . فوجب اذاً ان يطلع قرّاء هذا الكتاب على فكرة المؤلف العميقة وتطوّراتها المتتابعة حتى استقرّت على شكل يمكن شرحه بالقول : ان مشكلة الفنّ المسيحي القديم في سورية تُردّ الى السؤال ما هي الظاهرة الفنية التي نراها في كنائسنا القديمة ، في زخارفها ، وفي آنيتها وادواتها المقدّسة ، هل هي من ظواهر الفنّ الجنوبي ام من ظواهر الفنّ الشمالي ؟ وقد طالما جال الاستاذ ستزيگوسكي في مظاهر فنّ إيران ، وفنّ آسية ، وفنّ شعوب الشمال ، فدرس ووازن وقابل فلم يرَ بيئة خالقة للفنّ بالمعنى الحقّ الّا بيئة الشماليين ، فقال : « ان الشمال والجنوب يكوّنان [من حيث الفنّ] تضاداً عجيباً : فبينا يؤلّف الواحد الزخارف نافياً الهيئة البشرية ، يأخذ الثاني بتقليد الطبيعة في تمثيل الحيوان والانسان . وان هناك لمنطقة متوسطة تمزج بين الاسلوبين . » (ص ٣٧) واذا هي « فنّ القوة » (Machtkunst) في خدمة السلطان ، او خدمة الكنيسة ، او خدمة عدد من المثقفين : وهذا فنّ مصطنَع، غير طبيعي ، ساد في شواطئ المتوسّط، وفي بلاد اليونان ، وروما ، وفي بلاد الساسانيين والبيزنطيين . على ان النفحات الهابّة من الشمال تولّيه احياناً شيئاً من حيويّتها القوية ، كما يظهر في العصور السامية في الفنّ القديم : فان بلاد اليونان عهدَ حرّيتها ، وروما عهدَ جمهوريتها . والقرون الوسطى القوطية عرفت هذه النفحة الروحية ، وشهدت لها في آثارها . اما العلامة الفارقة في هذه النفحة الفنية السامية في نظر ستزيگوسكي فهي انها تنفي تمثيل الكائن البشري (الذي قد يقود الى الاخذ بالمادّية) منصرفةً الى الاخذ بالرمز اي بالشكل الهندسي . واذا سألنا عن الأسّ الروحي الذي ينهض ، بناء على هذه النظرية ، بالاثر الفني الرائع ، اجابنا المؤلف : هو الدين المزدكي القديم ، على شرط ان نفهم به استعداداً في النفس لتمثّل الايمان ، وعاطفةً دينية يولّدها التأمل في القفر وفي الصحراء الغربية (ص ٤١) . أو ليس لن الديانات الانسانية الشاملة نفسها مدينة بقسم كبير من عمق اخلاقياتها لبلاد الشمال وللبدو ؟ واني ، بالاستناد الى ما بقي من الآثار الفنية ، لموقن ان آسية مدينة للشمال وللبدو ، بفضل وصولها الى فكرة الاله الاساسية : ومركزه من

العالم ، والى فكرة التضادّ بين الخير والشرّ ؛ وان المزدكية القديمة كانت نواةً اصلية نشرت جذورها قوية عميقة على حدود الشمال اولًا ، ثم في بلاد إيران ؛ فأثرت في كل الديانات التي اتت بعدها اثرًا اخلاقيًا خصباً . . . » (ص ٤١)

ولا يخفى انه اذا اخذنا بهذه النظرة الخاصة للعالم ، اصبح زخرف قصر المشتى ، وزخرف كأس انطاكية من الآثار المهمّة غاية الاهمية . وهو قول المؤلّف في آخر مقدّمته (ص ٣) : « واذا مـا اضفنا الى زخرف المشتى كأس انطاكية ، كان لنا مشكل فني ذو اهمية أخـاذة . وذلك انه لم يبقَ امامنا تأثير موجة فنية بسيطة مندفعة من بلاد بين النهرين وفارس نحو سورية . انما هو تأثير نصرانية قديمة ، بل تأثير مزدكية نصرانية ، تولّت بروحها ، فضلًا عن اشكالها الخارجية ، على آسية الغربية بجملها ، وظلّت سائدة حتى تقدّمت الكنيسة منتصرة ، من رومة ومن بيزنطية ، الى البلدان الواقعة على شواطئ المتوسّط . »

واذا نحن عرضنا لهذا الموضوع الدقيق فلأن كأس انطاكية ، خاصّة ، تولينا فرصةً مناسبة . فهي تحفة من الفنّ اليوناني - الإيراني جديرة بان تثير — كما اثار قصر المشتى — عددًا من المناقشات والمشاحنات قد تولّد الآراء المتضاربة حتى المعاكسة ، بدل من توليدها اللمحات الصافية في النقد الموضوعي البريء . « وقد كتب المؤلّف كتابه ، كما يقول ، دفعًا لهذا الخطر المقبل . » (ص ٣)

* * *

وماذا يستنتج الاستاذ من هذين الاثرين للفنّ اليوناني - الإيراني ؟

هما يدلّانه على مجريين من حركة المبادلات بين الشرق والغرب المتفاعلة في بلاد سورية . واول هذين المجريَين كان يتّخذ طريق انطـاكية - سنغانغو (الصين) نافذًا من خلال بلاد الفرثيين وبطائح بامير . اما الثاني فكان يصل بين مصر والهند عن طريق بترا النبطيين فبلاد مرآب ، حيث لا تزال خرائب قصر المشتّى ، فخليج العجم . ويرى المؤلف ان مناطق سورية المتوسّطة كبعلبك وتدمر نفسها ، ظلّت منحرفة عن هـذا التموّج الفني الآخذ من الشرق الى الغرب ومن الغرب الى الشرق ، عـلى طريق الحرير ، والطيوب ، والافاويه ،

الرسم ٢ : من سقف هيكل ديونيسوس في بعلبك

(تصوير الاب مصيريان اليسوعي)

تمثل هذه القطعة من سقف هيكل ديونيسوس في بعلبك الاكمة المتوجة جزءاً المدينة . تحيط بها اغصان الكرمة في شبه إطار تتخلل زخارفه ورود بعض الطيور الجميلة

(ص ١٧٠) . ويمكن الدارس ان يستنتج من فحص كأس انطاكية ونحوت المشتى ما جاء به الفنّ الاسيوي والايراني الى بلاد سورية من عناصر حيّة مُحيية أثرت ، من خلال الفنّ السوري ، في فن القرون الوسطى . اما البيئة الحقيقة بتوليد هذا التأثير، اما البوتقة التي صُهرت فيها العناصر الفنية الآتية من الشرق مع العناصر اليونانية،فهي، في نظر المؤلف، مدينة سلوقية القائمة على دجلة عاصمةً لمملكة الفرثيين ، لا مدينة انطاكية (ص ٥٠) .

وان مظاهر الإلهام الفني في كأس انطاكية ، واثار الصناعة نفسها فيه ، تتجاوز الاصول المتفق عليها في فنّ شواطئ البحر المتوسط ، ذاك الفن الذي استعبده السلوقيون فامبراطرة الرومان.

اما الكأس الشهيرة فهي كرب ثقيل من الفضة تغطّيه صفيحة منقوشة نقشاً بارزاً . يبلغ علوه ١٩ سنتيمتراً في عرض لا يقلّ كثيراً عن ذلك.(ص ٢٩ ، ٥١) . ولما كانت الكأس مصطنعة لترفع باليد ، او لتوضع على قاعدة ، كانت قائمتها نحيفة ضئيلة مرتفعةً على دائرة بسيطة. اما الجوف فضخم وافر الزخرف. تخرج زخارفه من حلقة ، فتنتشر على شكل اوراق دقيقة من اوراق الكرمة متصلة بعروق صاعدة بازدواج منفرجة في الوسط حتى تكوّن إطارات حُفر فيها اشخاص حسون بلغ عددهم اثني عشر . وفي استدارات عروق الكرمة ، عدد من الحيوانات والحقائب . وتنتهي هذه العروق في اعلى الكأس بصفّ من الورود الصغيرة تحت حافة بارزة.

وعلى جهتي الجوف مشهدان بارزان بالنقش، ينشابهان ، وفي كل منهما شخص جالس في الوسط يقبل تحيّات خمسة اشخاص يحيطون به ، ويرفعون نحوه كلّ يده اليمنى. وقد اجمع العلماء في شرح هذا المظهر ، على ان الفنّان صوّر المشهد نفسه مرّتين ، مدفوعاً باسلوب التقابل والتناظر . وشاء ان يمثل فيه المسيح يكرّمه الرسل . اما الاستاذ ستريزيگوسكي فيرى (ص ٧٥-٧٦) « ان هذه الصور تستند الى الفكرة القائلة ان يوحنا المعمدان ، والمسيح ، والانجيليين الاربعة ، هم آخر الانبياء » . وعليه ، فان الشخص الممثل جالساً ، في الصورة الاولى ، ممسكاً بيده ملفاً مفتوحاً ، ومحوطاً بالاشخاص الخمسة يرفعون ايديهم

تحيةً وسلاماً ، يكون السيد المسيح . اذا رسمه الفنّان على المثال الايراني ، قصير الشعر ، رافعاً يده للدعاء والتهليل . واما في الصورة الثانية المقابلة فيكون الشخص المهمّ يرحنا المعمدان ، يدلّ عليه ، في نظر ستزيكوسكي ، الحمل القائم من غن عينه .

واهمّ من هذا في تاريخ الفنّ تلك الطريقة الزخرفية القائمة بتلبيس الكأس صفيحةً منقوشة اظهرت ما تحدثه الظلال الاساسية (Tiefendunkel) من اثر عجيب . ويرى المؤلف (ص ١٠٦) ان هذا الاسلوب لدليل واضح « على عادة الشرقيين في التفكير تفكيراً سطحياً يعاكس التفكير العميق الذي عُرف به الغربي » . وهو يرى كذلك في هذا الزخرف الضاحي البارز فوق الأس القائم ، طريقة البدو في زخرفة مضاربهم بالالوان (ص ١٤٦) . وكذلك التواءات عروق الكرمة غير المتناهية تدلّ الدلالة المميّزة على الفنّ الشرقي ، وبالتالي على ما كان قبله من فنّ شماليّ وبدويّ . وان يكن الفنّ الايراني السائد في مظهر هذه الكأس قد استلحق بعضاً من العناصر الاجنبية عنه كتصوير الهيئة البشرية ، فان هذا اثر دخيل من آثار الفنّ اليوناني المنتسب الى الفنّ الشمالي (ص ١١٥) .

* * *

في بادية موآب ، غربي طريق الحجّ ، على نسبة مصبّ الاردنّ في البحر الميت ، يرفع قصر المشتى اطلاله الفخمة ، في ساحة مستطيلة تبلغ ١٤٧ متراً طولاً . وفي الجهة الشمالية من داخل هذه الساحة ، تقوم البنايات بالحجر والآجر . واهمها ردهة متوسّطة مفرطة الطول تنتهي نحو الشمال بجنيّة مثلثة المحاريب . تتتابع عن يمينها ، وعن شمالها ، ثم في الزاويتين المتقابلتين ، بنايات او منازل مستطيلة المظهر .

ويجدر بالذكر ان الواجهات الثلاث المقبلة على الساحة كلّها مزخرفة بالنحت البارز في الصخر نفسه . ويبلغ طول الواجهة الجنوبية ٥٥ متراً ، وطول الواجهة الغربية ٤٧ متراً . وقد نقلت هاتان الواجهتان الى متحف القيصر فريدريك في برلين ، كما قدّمنا .

اما نوع الزخرف فهو هندسي محض على الواجهة الشرقية ، ونباتي على الواجهة

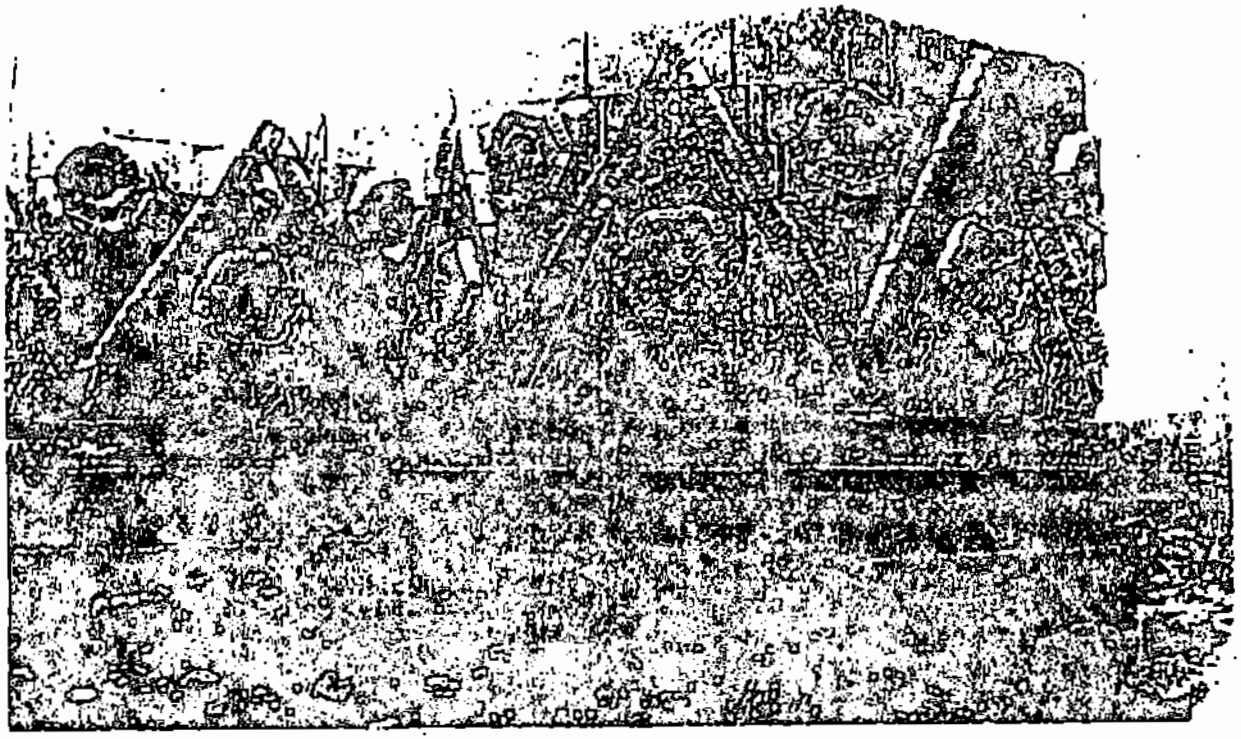

عن Brünnov et Domaszowski

الرسم ٣ : قصر المشتى : احد الابراج

قاعدة احد الابراج الى جانب رتاج القصر ، من الجهة الغربية . وليُبتنه لاسلوب الزخرف الملتوي على شكل انصاف المعينات ، وقد كان هذا الزخرف يمتد على الواجهة بطولها .

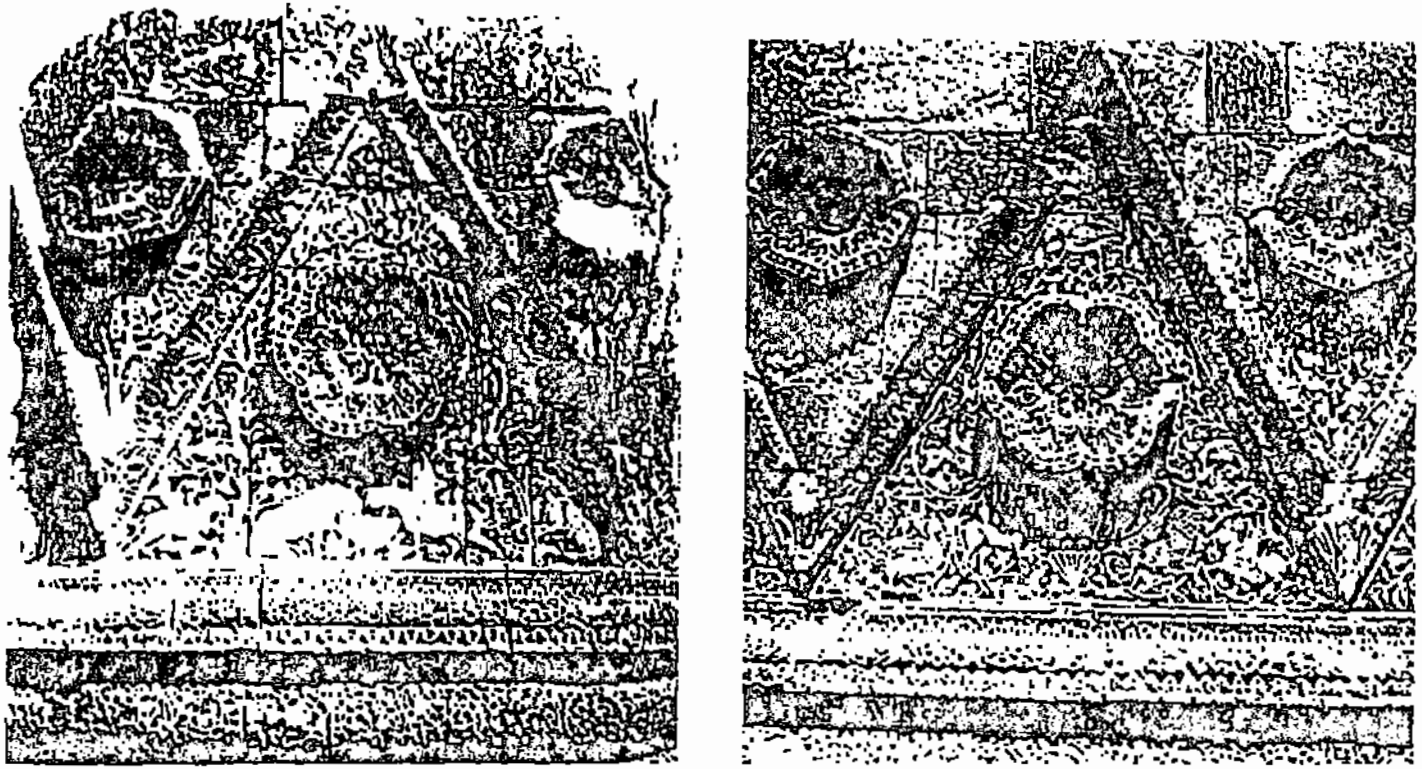

الرسم : ٤ قصر المشتى : بعض تفاصيل الزخرف

من الواجهة الغربية
الأول حوراء تزينان بجناحان ، وطيور بعضها برأس يد والآخر برأس ضبع

من الواجهة الغربية أيضاً
كوب يشرب منه تنين واحد متقابلان

الجنوبية ؛ وفي الواجهة الغربية نرى اشكالاً حيوانية بل بشرية وسط العروق النباتية المتشابكة.

هذا وصف مجمل لقصر المشتى. ويرى الاستاذ المؤلف في زخرفته الاسلوب الفني نفسه الذي رآه في زخرف كأس انطاكية. ففي الاثرين الطرق الإطارية نفسها؛ وفي الاثرين الاهتمام نفسه باظهار « الظلال الاساسية ». اما شبكة المثلثات المحتوية كلّ منها وردةً مسدّسة الاوراق، تلك الشبكة التي تقسم واجهة القصر كلها الى رسوم على شكل المعيّنات الهندسية، فانها نوع من الزخرف الواجهي، مأخوذ من البلاد التي يُبنى فيها بالآجرّ خاصة؛ وقد نُقل الى الحجر. وهو نوع معروف زيّن قصور الاخيمنيين، ولا نزال نراه حتى ايامنا في زخارف حيطان الآجر واللبن المحيطة بشوارع مدن ما وراء النهر كسمرقند مثلاً (في الرسم ٧٩ من الكتاب).

اما اصول هذا المجرى الزخرفي في الفنّ العامي الذي شعرنا بتأثيره عاملاً على النفوذ في فنّ البلاد الاسلامية، فيجب ان نفتّش عنها في قلب آسية المتوسطة (ص ١٣١)... « وقد حاولت في كتابي « *Altai-Iran* » ان ابرهن ان منطقة سكّان المضارب في آسية العليا ولّدت الزخرف بواسطة العروق الهندسية... وهناك قوّة مولّدة اخرى عملت عملاً حاسماً في سورية وما بين النهرين؛ خارجة من بلاد الآجرّ الخزفي في آسية الإيرانية. وقد ادّت هذه القوّة الى توليد الزخرف بالخطوط المستقيمة في تغطية الحيطان والسقوف، كما ولّدت الزخرف بالقسيات في تغطية الحنايا والعقود، وكلّها ذات اصل هندسي... واني ارجع اليوم عمّا توهمته سنة ١٩٠٤، فقلت بضرورة التماس هذه الاصول الزخرفية في ما بين النهرين. اما الآن فاني اتجاوز تلك المنطقة الى منطقة تخلق وتولّد من ذاتها، الى منطقة الشمال » (ص ١٣٣).

* * *

وهل يمكن، بعد كل ما تقدّم، ان نعيّن زمناً لدخول هذا الزخرف الايراني - الاسيوي بلاد سورية؟ وايّ زمن نعيّنه لصنع كأس انطاكية، وبناء قصر المشتى؟

اما الاستاذ المؤلف فلا يولي كثير اهتمام تلك المعلومات التاريخية التي اجتهد ارباب الشأن في استخراجها ودرسها. انما هو يكتفي بطريقته ، طريقة المقابلة ، وهي وحدها تغنيه عن نتائج المؤرخين واللغويين. وكذلك لا يرضى عن الطريقة التصويرية التي يتبعها بومستَرْك (A. Baumstark) والاب دي جِرفانيون (de Jerphanion). وعلى هذا الاسلوب لا نراه يتردّد امام القول بقدمية كأس انطاكية (ص ١٨٨) بل بالمغالاة في قدميته حتى يرقى به الى ما قبل قسطنطين ، ميالًا الى نسبته الى القرن الاول للمسيح ، كما يقول الدكتور إيسن.

اما قصر المشتى فمن الخطأ « ان نأخذ في تعيين بنائه بآراء علماء برلين فننسبه الى الإسلام » (ص ١١٥) . « وقد وُجد في خرائب المشتى قطع من تماثيل عارية ذكور وإناث . وهو ما يمنعنا نسبته الى الأمويين . بل انه يُشير الى عبادة لم يعرفها اليهود ولا العرب البدو ، انما عرفتها حضارة المدن السامية .»[1] وهكذا بعد ان نسب المؤلف بناء المشتى الى القرن السابع في كتابه الاول الظاهر سنة ١٩٠٤ ، عاد « فمال الى جعل واجهة هذا القصر من بناء القرن الرابع او الخامس ، ثم اخذ يتناوله الشعور القوي بان القصر يرقى الى ما قبل هذا العهد ، بل انه من بناء عصر سابق لعصر قسطنطين » (ص ١٧١) وقد كتب الدكتور ايسن الى المؤلف يقول انه لا يتردّد في نسبة قصر المشتى الى القرن الثاني (ص ١١).

* * *

وها اننا في نهاية هذا العرض الجاف لآراء المؤلف ، وقد اضطررنا فيه الى الايجاز، ففاتنا بالطبع كثير من دورات الاستاذ وقياساته المركّبة المتشعبة ، كما فاتنا كثير من لذعات نقده وظرفه.

بقي علينا ان نحاول ابداء الرأي في حكمه على الفنّ المسيحي في سورية ، وبالتالي على اصول الفنّ الإسلامي فيها.

اما النظرية العامة التي يأخذ بها ستزيگوسكي ، وتُلخَّص بالقول ان الفنّ

١) راجع الصفحة ١٨٨ من الكتاب ، وفيها يذكر المؤلف عبادة اله وإلهة في المشتى ، مشيرا الى *Baukunst der Armenier*, p. 639

الرسم ٥ : قصر المشتى : الواجهة الشرقية

من الجدير بالملاحظة في هذه الواجهة الشرقية ان الزخرف في الدوائر متأثر بالاسلوب الإيراني .

الشرقي — بل الفنّ الايراني الاسيوي — احدث اثرًا فعّالًا في الفنّ السوري، ومن ثمّ في فنون بيزنطية ، والاسلام ، والقرون الوسطى في اوربة ، فنظريّة جديرة بالانتباه. وقد زاد عدد المائلين اليها اليوم. فالتحق بالعلماء الفرنسيين كالاساتذة بريهيه (L. Bréhier) ، وديل (Ch. Diehl) ، وميليه (G. Millet) القائلين بها مبدئياً، عددٌ من علماء الروس والاميركان كالاستاذ روستوتزيف[1]. ويمكننا ان نضيف الى ما تقدّم ملاحظة تتعلق بزي الثياب، مشيرين الى ما يظهر في الثوب التدمري من تأثّر بزي الثوب الايراني، والثوب البدوي في آسية الداخلية. ولا يخفى ان الاستاذ ستريزيگوسكي قام بثورة نافعة مفيدة ، كما يقول ، عندما دفع العلماء الى ان يصرفوا نظرهم عن الاهتمام اهتماماً منفردًا باليونان ورومة ، فيحوّلوه بعض الشيء نحو بلاد الشرق في التفتيش عن اصول الفنّ المسيحي . قام بهذه الثورة فاستحقّ الفضل.

ولكن ليس ما يضطرنا الى متابعته حتى آخر استنتاجاته الجريئة . بل اننا نأخذ بالمبدأ المتقدّم ، ونقف من نظريته التي تجعل من الشمال مركز الفنّ المولّد والتي لا ترى في تمثيل الاشخاص البشرية الّا فنًّا منحطًّا ، نقف منها موقف التحفّظ والاحتياط ، وهو موقف الاستاذ ميليه نفسه في مقدّمته (ص ١٦)

وهذا لا يمنعنا من الاشارة الى توفّق المؤلّف في كثير من مقابلاته كالملاحظة التي اشرنا اليه في طريقة الزخرف البارزة في واجهة قصر المشتى على اشكال المعيّنات الهندسية. وكذلك نراه موفّقاً في دفاعه عن تاريخية الآنية الفضيّة السوريّة الاصل ، رادًّا على آراء ولبرت (Wilpert). اما في ازدرائه للمؤرخين القدماء والمحدثين واحتقاره للطرق المادّية المتبعة في تاريخ الفنّ ، فيقلّ توفقاً عنه في ما تقدّم ، ولا سيما في تلك الاحكام الجازمة. وهو يجهل ، او يحتقر ، المقابلات بالفنّ المدرسي. ولو اخذ بها ، لأدرك ان فنّ الزخرف البنائي المفرغ الشافّ عمّا وراءه من أساس قائم ، والذي يعجب به كثيرًا في آثار المشتى ، كان معروفاً جارياً في بعلبك ، منذ القرن الثاني . عند نحت سقف الهيكل المنسوب الى

(١ Rostovtzeff, *Dura and the Problem of Parthian Art*, dans *Yale Classical Studies*, V, 1935

ديونيسوس. وهو ما مثلناه في الرسم ٢

بقيت مسألة تأريخ الآثار ولا يخفى ان العصور التي يوردها المؤلف في تاريخ المشتى وكأس انطاكية لعلى قسط وافر من الجرأة . وان لنا في الحقائق الوضعية المستنتجة من آثار اكتُشفت مؤخرًا ما يحول بين الصحة ونظرية الاستاذ سترزيگوسكي . من هذه الآثار ما يشير اليه الاستاذ ميليه ، في مقدمته ، كمكتشفات دُورا ، وفسيفساء انطاكية . وهي تؤيد ان اثر الشرق في الفنّ السوري لا يظهر عميقاً فعّالًا الا منذ القرن الثالث او الرابع للمسيح . واذًا فان هذه النتيجة لا توافق ما يفرضه المؤلف من قدم عريق لكأس انطاكية .

ويجب ان نشير اخيرًا الى الحفريات التي قام بها سنة ١٩٣٦ ، في قصر الحير الغربي ، غربي تدمر ، الاستاذ دانيال شلومبرجر ، وفصّل نتائجها مؤخرًا في محاضراته بمعهد الآداب الشرقية من جامعة القديس يوسف (بيروت) . فان هذه الحفريات تضطرنا الى ان نعيد قصر المشتى الى الفنّ الاموي . وذلك ان التماثيل العارية التي ذكرها الاستاذ سترزيگوسكي في قصر بادية موآب ليست اقرب الى تماثيل الالهة ، ومظاهر العبادة التي استنتجها ، من تماثيل الراقصات والمغنيات الخفيفات الثياب احيانًا ، التي كشف عنها الاستاذ شلومبرجر في قصر هشام ببادية تدمر .

وسيخصّ الاستاذ المكتشف مجلة « المشرق » بحث يظهر في احد اجزائها المقبلة ، ويلخّص فيه وصف مكتشفاته . وقد بلغت اقسامها ٢٤٠٠٠ قطعة من الملاط الزخرفي رتّبها ، وسهر على نقلها ، وتنظيف في متحف دمشق . وكلّ من يدرسها يتحقق فيها ذلك الفنّ الذي عرف فيه سترزيگوسكي أثر الفن اليوناني - الايراني ، ولكنه نقل من عن ضفة دجلة ، لا على عهد المملكة الفرثية كما يقول ، بل على عهد خلفاء معاوية الكبير .

محاولات

في فهم الادب

بقلم فؤاد افرام البستاني

ملخص محاضرة ألقيت في منتدى
الجامعة الاميركية

قليلة هي الكلمات العربية التي تضطرب متقلقلةً بين المعاني المتباينة ، مترجرجةً بين التصورات والمدلولات المتجاورة ، اضطراب لفظة « الادب ».

فالأدب هو مجمل الاخلاق الفطرية الحسنة ، والادب هو مجمل الصفات المكتسَبَة الصالحة ، والادب هو مجمل الشمائل اللطيفة التي يتصف بها الرجل المهذّب. والادب هو معرفة الاصول والقواعد دون حصر ولا تخصيص ؛ والادب هو كلّ فنّ من المنظوم والمنثور.

وهكذا تبدو لفظة الادب عُرضةً للمعاني المختلفة تتنازعها من كل جهة ، وهدفاً للكتّاب يحدّها كلٌّ منهم بما شاء . بعضهم يجعلها من الفنون ويقابل موضوعاتها بموضوعات العلوم الدينية ، وبعضهم (الضبيّ) يجعلها من العلوم ويقسمها نوعين ، وستة فروع ، او ثمانية فروع (الانباري) او عشرة فروع (الحسن بن سهل) او اثني عشر فرعاً (الجرجاني). وهناك التوسّع بموضوعات الادب او حصرها باختلاف العصور ، حتى تجنّب البعض ان يجعلوا لـه موضوعاً خاصاً ، فقال ابن خلدون: « هذا العلم لا موضوع له يُنظر في اثبات عوارضه او نفيها . وانما المقصود منه ، عند اهل اللسان ، ثمرته، هي الاجادة في فنّي المنظوم والمنثور على اساليب العرب ومناحيهم. »[1]

---

(١) راجع ، في كل ذلك ، مقدّمة بحثنا في « مقابلة الآداب » الظاهرة في « المشرق » ٢٧ [١٩٢٩] ٢١ ، وما لها من حواشٍ ومآخذ.

اما اصل اللفظة اللغوي فلا يتسع بنا المجال – ولا الصبر – للغوص عليه في القواميس ومجموعات النصوص القديمة. انما نشير الى انه لا ضرورة للاستنجاد باليونانية في اشتقاقه وتخريجه من الاصل الذي ولد في اللغات الاوربية لفظة éduquer ولدينا من النصوص القديمة الراقية الى اوائل العصر الاسلامي ما يتضمن مشتقات من ادب ، كالحديث « ادّبني ربّي فاحسن تأديبي » ،واطلاق كلمة « المؤدِّب » على المعلّم في العصر الاموي. بل انّ لنا في العصر الاقدم فعلًا يجاور ادّب في المخرج وقد يكون اصلًا له . هو فعل هذّب. والابدال بين الهاء والهمزة معروف ولا سيما في اول اللفظة كهرّاق وأراق،وهجّ وأجّ، وهبش وأبش، وهبط وأبط الخ..، وتخفيف الذال بالدال من ظواهر التطوّر اللغوي . واذًا فتكون ادّب مولّدة من هذّب لغةً ، وهي مرادفة لها معنًى . فلنحفظ هذا لحينه.

* * *

ولننتقل الى نشأة فكرة الادب في الرجل المتعلّم،محاولين الوقوف على تطوّر العناصر التي تؤدّي الى استجلائها.

لنتصوّر شابًا على شيء من الذوق الفطري، وعلى قسط من المعارف يعرض له ما يجعله بعيدًا عن المدن وما فيها من مظاهر الثقافة. فيقيم في قرية، امّا ليقضي الصيف ، واما لأيّ سبب آخر.

يضجر هذا الشاب في مدة قصيرة ، فينتقل من مكان الى مكان ، من مجمع انس الى محل لهو. حتى يجد مكتبةً عامرةً يغتبط بمحتوياتها وينعم بما ستنيله من اساليب التسلية. يتناول بعض مجلداتها عن غير اختيار ، ولا غاية له الّا قتل الوقت .

يقرأ صفحةً من هنا ، وصفحة من هناك. وقد يضجر سريعًا فيلقي بالمجلّد ويتناول غيره. وهكذا الى ان يجذب انتباهه قطعة من الشعر او النثر . فيقرأها بامعان ويعيد قراءتها ، فيشعر بعاطفة الاحتفاظ بها ؛ فيضع علامة في الصفحة للرجوع اليها...

وهكذا يصل الى اولى المحطّات في نشوء فكرة الادب ، بعد المطالعة ، وهي الاختيار والانتخاب.

يتابع هذا الشاب قراءته ، فيقع على قطعة ثانية تُشبه الاولى . فيتأمل هذا الشبه هنيهةً . وقد يعود الى قراءة الاولى ثم الثانية . فيبلغ ، عن غير علمٍ منه ، المحطة الثانية في نشأة فكرة الادب ، وهي المقابلة : وقد تكون هذه المقابلة بين القطعة الحاضرة ، وقطعة قديمة الأثر في حافظة المطالع .

وسرعان ما تقود المقابلة الى الموازنة ، فالمفاضلة . والمفاضلة تمهيد ضروري للنقد الادبي . هي أسهل من النقد ، لا يختلف في ذلك اثنان . انه لأسهل علينا ان نقول : هذه القطعة افضل من تلك ، وهذا الشاعر اشعر من ذاك ، من ان نبيّن فضل القطعة الاولى على الثانية ، او سموّ الشاعر الأول على زميله .

فاذا وازن الناشئ ، وقابل ، وفاضل ، قاده الفضول العلمي الى الرغبة في معرفة شيء عن صاحب الأثر الأفضل : عن حياته ، وعصره ، وبيئته ، وآثاره المتنوّعة . فاقبل يفتش في المجلّدات عن الحلّ لكل هذه المشاكل . فوصل الى التاريخ الادبي . فكوّن لنفسه صورة عن شخصيّة صاحب تلك القطعة التي أُعجب بها . وهنا يتطوّر اعجابه حتى تُصبح القطعة في نظره ثمرةً لتلك الشخصية التي عرفها . فيُصبح تفضيله اياها بحاجة الى اسانيد فوق الاسانيد العاطفية الاولى . يصبح بحاجة الى اقرار اعجابه السابق على شيء من القياسات الجمالية الفنيّة ، فيرتقي من التطبيق الى النظرية ، ويصل الى قمّة النقد .

وهكذا من المطالعة الى الانتخاب ، الى المقابلة والمفاضلة ، الى التاريخ ، الى الاخذ بمقاييس الجمال الفنّي ، الى النقد ، ترتقي فكرة الادب في ذهن الناشئ المثقّف .

***

ولا تلبث ان تتفرّع الى فرعين :

الادب بالمعنى الموضوعي البارز اثرًا خارجيًا مولّدًا يُدلّ عليه عادة « بالاثر الادبي » والادب بالمعنى الذاتي البارز رجلًا مثقّفًا مولّدًا ، اذا أفلح ، ويُعرف عادةً « بالاديب » .

ولا بدّ لنا ، في محاولة فهم الادب ، من الانتباه لهذين المظهرين :

اما الادب بالمعنى الخارجي فلا يمكن ان نحصره بموضوع خاص. واذا فنحن نقف منه موقف ابن خلدون الا اننا لا نجاري ابن خلدون في قوله كلّه اذ يخصّ الادب « بثمرته وهي الاجادة في فنّي المنظوم والمنثور. » ولا يخفى ان العالم الاجتماعي يقصد بهذا الأدب مجموعة القواعد: نحوية، وبيانية، وتمرينية، التي تسهّل على المتأدّب، اذا أحسن تطبيقها الإجادة في فنّي المنظوم والمنثور. وهو ما نعرفه في عصرنا « بعلم الادب »، وما نحدّده « بمعرفة ما يُحترز به عن جميع انواع الخطأ، في كلام العرب، لفظاً وكتابةً. » وكتب البيان كفيلة بشرحه وتدريبه

وواضحٌ اننا لا نقصد هذا العلم. انما قصدنا نتيجته. قصدنا تلك الثمرة من الاجادة. « ادبنا » هو نتيجة او ثمرة ذاك « الأدب » الذي اشار اليه ابن خلدون. هذا مع التذكير بان الادب الحقيقي لا يمكن ان يُتوصّل اليه بتطبيق القواعد العلمية وحدها.

واذاً فالأدب الذي نقصد اليوم يمكننا تحديده بانه: مجمل مولّدات الفكر البشري المعبّر عنها بالاسلوب الفنّي، على اختلاف موضوعاتها.

مجمل مولّدات الفكر البشري... واننا نؤيد هذا الإطلاق — فلا نحصر الادب بموضوع من موضوعات الفكر، ولا بناحية من نواحي الحياة. كل ما يمكن ان يولّده الفكر يصحّ ان يكون مادّةً للأدب: الخيالات والاحلام، الدروس النفسيّة، المنطق والفلسفة، العلوم على اختلاف انواعها... الادب صورة الحياة العامّة الشاملة لا تُحصر بناحية، ولا تُحدّد بمنطقة. بل كلّها مادة للادب، على شرط ان يرافقها الإخراج الفنّي. وهو شرط اساسي لا يقلّ في شيء عن شرط المادّة موضوع الادب. وهكذا تصبح حكميّات ابن المقفّع، وفلسفة ابن طفيل، وكلام الغزالي، وعمران ابن خلدون، وتاريخ المسعودي، وحيوان الجاحظ من اجلّ كتب الادب. وما ذاك الّا لما رافق مادّتها من الإخراج الفنّي الرائع.

ولا يسبق الى اذهاننا اننا نقصد، في تمييزنا بين الفكرة والإخراج، ما يرمي اليه الاساتذة عادةً من التفريق بين المعنى والمبنى.

لا. انهم يضطرون الى هذه العملية التحليلية ليدلّوا الطلّاب على جمال

التركيب ، وحسن التآلف بين الاقسام في القطعة الفنية ، اضطرار اساتذة التشريح الى تفصيل اعضاء الجسد الميت ، وتعيين مفاصله وعروقه وشرايينه ، ليدلوا طلابهم على كيفية التركيب الجسمي . التفريق بين المعنى والمبنى عملية تشريح وتحليل تحوم حول فهم الأثر الجاهز، ولا دخل لها في نشأته.

اما في تلك النشأة ، امّا إبّان تكوّن الأثر في دماغ الفنّان المولّد ، فلا فرق بين معنىً ومبنى ، ولا تمييز بين مادّة وصورة . انما هي لمحة شاملة نافذة تشعّ في روع الفنّان، واذا به يرى اثره المقبل ، بل العتيد المهيّأ ، وحدة تامة وبناية قائمة . فيندفع بالسليقة الفنّانة الى تحقيقها كليًّا وجزئيًّا ، على غير اهتمام بالتمييز بين العناصر المتنوّعة وردّها الى المادة او الى الصورة . الّا ان يكون هذا المولّد من نوع الصناعيين النظّامين الذين يبدأون بتهيئة القوافي ، ورصف التفاعيل ، قبل ان يهبط عليهم الإلهام — وايّ إلهام ! — وقديماً قال معرّب الالياذة: « والشاعر المجيد اذا تصوّر امرًا فانما يتصوّر له ذلك الامر على كماله، فتهيّ له السليقة جمال الشكل كما هيّأت جمال المعنى ، فيجتمع له إحكام التناسب بين اللفظ ، والمعنى ، والوزن ، والقافية ».

* * *

وما المقصود بجمال الشكل ؟ وجمال المعنى ؟ بل ما هو الجمال ؟ وكيف يتجلّى فنًّا في قولنا « الاسلوب الفنّي » ؟ وهل من قياس ثابت للجمال ؟ ام هو شيء نسبي يختلف باختلاف الاذواق والبيئات والعصور ؟

من نعم الباري علينا أن في الجمال نسبيّة ، وانّ في تذوّق الجمال اختلافاً . الغربيّ ينعم بما قد يراه الشرقيّ تافهاً، وابن القرن العشرين لا يعجب بما كان يثير حماسة ابن القرن التاسع عشر . هي نعمة سامية . والّا لتهالك الناس جميعاً على المظهر ذاته من مظاهر الجمال ، فانحصرت عناصر الذوق، وتجمّدت في عنصر واحد ، ففسد الفنّ ، بل فسد الكون ذاته.

بيد ان هذا التنوّع الظاهري ، هذا الغنى في تعدّد المجالي الخارجية ، لأبعد من ان ينفي الوحدة الاساسية في الشعور الانساني بالجمال . انما هو يؤيّد هذه الوحدة بالتنوّع نفسه الذي يتشعّب اليه . الوحدة في التنوّع ! أوليس الفنّ المعبّر عن

الجمال صورةً لهذه الحقيقة الطبيعية ! أوَليس فيه ، على تعدّد عناصره الظاهرة ، عنصر عام شامل يظلّ الضمانة الثابتة للأثر الفني الرائع، والمستند الدقيق لسلامة الذوق بين البشر !

واذاً ، فان الجمال اوسع من ان يُحصر في ناحية من نواحي الحياة ، او ان يُحدّ بمظهر من مظاهر الطبيعة . الجمال منتشر في كل شيء . بل هو شيء حيّ متحرك لا يقف فيُلحق ويُضبط ، ولا يجمد فيُدرك ويُقيّد . هو تلك الحركة التي تقرّب الشيء من مثله الاعلى ، او هو ذاك الشيء في اقترابه من مثله الاعلى ، من تحقيق غايته في هذه الحياة — تلك الغاية التي لا تُحقَّق ، لحسن الحظ ! كل شيء في هذا العالم يتحرك بحركته الخاصة ، او بحركة العالم العامة ، فهو ابداً سائر إمّا الى الإمام وإمّا الى الوراء . واذا ما اتجه نحو غايته ، نحو مثله الأعلى ، فاقترب منه شيئاً فشيئاً ، ادرك ما نسمّيه الجمال .

قد يكون هذا الشيء حسناً جذّاباً ، وقد يكون قبيحاً بغيضاً . ولكن الجمال الحقيقي لا يأبه للحسن ولا للقبح . بل انه جمال : جمال الحسن ، وجمال القُبح .

جميلةٌ صورة البطل الجبار المتناسب التقاطيع ، المتوثب العضلات ، الطافح العروق بالحياة والحركة . وجميلة كذلك صورة الحمار الميت ، تُلقى جيفته المضطربة التقاسيم في مجمع الاقذار ، فتفسخ جلدها أشعة الشمس ، وينشر الفساد ديدانه من خلال تلك الشقوق ، حتى ليشمّ الناظر اليها روائح النتن ، فيشمئزّ ، ويسدّ أنفه .

جميلٌ رسم هذا الوجه الرائق ، الوضّاح الجبين ، الناعم القسمات ، الطاهر النظرات ، المترقرق صفاء وغبطةً حتى لا يكاد المتأمل فيه يتصوّر الّا السكون والطمأنينة في العالم . وجميلٌ كذلك رسم هذا الخنزير الافطس ، المتمرّغ في بؤرة الاوساخ يلغ ويعبّ ، قلقاً ، مستعجلاً ، مذعوراً حتى يكاد الناظر يسمع تقطّع انفاسه ، وتتابع نفخات نهمه وشراهته .

ودرسُ هذه النفس الشريفة العالية التي لم تعرف الّا الإباء سنّة ، والعفاف رائداً ، أثرونه اجمل من تحليل تلك النفس الخائنة الشريرة التي لم تألف غير

الدسّ على الأبرياء وتنغيص عيش البشر أيّاً كانوا ؟

نحن لا نقول ان جيفة الحمار الميت جميلة ، او ان الخنزير المتمرّغ في اقذاره جميل، او ان نفس الخائن المراوغ جميلة. انما الجميل هو تصوير هذه المظاهر ودرسها وعرضها مقتربةً من مثلها الأعلى . صور جميلة لمصوّرات شنيعة ، وصف جميل لموصوفات سمجة . هو ما اردناه باشارتنا الى جمال القُبح.

وما الذي يُغدق الجمال على هذه المظاهر ، سواء أكانت حسنةً ام سيئة ؟ ما الذي يقرّبها الى مثلها الأعلى ، اذ ينتخبها من معدنها الطبيعي ، فيوازن بين اقسامها ، مشذّباً نتوءا بارزاً هنا ، مضيفاً هنةً ناقصةً هناك ، عاملاً على اخراجها في المجلى اللائق المتناسب ؟ انه الفنّ مظهر الجمال .

اما تحديد الفنّ فقد اصبح سهلاً علينا استخراجه مما قدّمناه من الامثلة والشروح . نلجأ فيه الى شيء عامّ بسيط على وضوحه وغموضه معاً ، فنقول : الفنّ تصوير الطبيعة والسموّ بها الى ما فوق الطبيعة .

ولنحذر ان نغترّ بتعبير « فوق الطبيعة » فنتصوّر فيه ضرورة « الفوق » في الصعود والسموّ . لا . بل ان هذا « الفوق » قد يكون « تحتاً » يسمو فيه الفنّان الى اسفل . كما في تصوير الحمار الميت ، والخنزير الوسخ ، والخائن الغادر . فكلّما اجتهد المصوّر في اظهار نتن الجيفة وفسادها ، وكلّما دقّق الرسّام في تبيان « خنزيرية » الخنزير ، وكلما أتقن الروائي تحليل شخصية الخائن من الغدر والدسّ ، اقترب كلّ منهم من المثل الاعلى لموصوفه فكان في قلب الفنّ الرائع . ولا مجال للقول، بعد، ان تصوير الجسم الحيّ التام الخلق ، او الوجه الصبيح ، او النفس الشريفة ، اقرب الى الجمال ، ومن ثمّ الى الفنّ ، من تصوير متناقضاتها .

* * *

اما طرق الفنّ فعجيبة في اساليبها ، غريبة في تنوّعاتها . واما مظاهر الفنّ فلا تكاد تُحصر . وليس من واجبنا الآن ان نتوسّع فيها ، بل ليس لنا ان نتعرّض لها . انما ندلّ على طريقة يتخذها الفنّ في الأدب احياناً — وقد يكون ذلك على غير قصد من الفنّانين — وكأنّها من ادقّ خصائصه . تبدو بارتقائه — او بمحاولته الارتقاء — درجةً او درجات في سلّم الكائنات الطبيعية .

فاذا صوّر جمادًا ، حاول ان يدبّ فيه شيئاً من الحركة.

واذا صوّر نباتاً ، جعله يترنّح ترنّح الحيوان.

واذا صوّر حيواناً ، ارتقى ، في اقصى درجات كماله ، الى عرضه معرض الانسان .

واذا صوّر انساناً فائقاً ، سما به نحو الجمال الملائكي .

وعلى هذا السبيل اعتاد الفنّانون ، اذا رغبوا في رسم الملائكة ، ان يصوّروهم على هيئة البشر ، ويزيدوا عليهم تلك الاجنحة المرفرفة تسمو بهم الى العلاء ، فيصعدون درجة فوق المحيط البشري.

وكذلك في تصاويرهم للكاملين من البشر : قدّيسين ، واوليا.. يضعون في وجوههم وانظارهم ، بل في اجسامهم المادّية نفسها ، نفحات علوية شفّافة ترفعهم فوق المادّة .

وما القول عن اشراك الحيوانات بالعاطفة البشرية . أوَ لا نُشفق حتى اليوم على جواد عنترة اشفاقنا على كائن بشري ، وقد تناوبته الرماح ؟

فازورّ من وقع القنا بلبانه ، وشكا اليّ بعَبرة وتحمحمِ
لو كان يدري ما المحاورةُ اشتكى ، ولكان ، لو علم الكلام ، مُكلّمي

فاين هذا الجواد الذي نحنو عليه كأنهُ « منّا وفينا » من ذاك الجواد التامّ الخَلق ، الدقيق التقاطيع ، الرائق المظهر ، الذي يبدو لنا في وصف امرئ القيس ، ولكنه يظلّ جوادًا من الحيوان ، فلا يرتقي الى ما فوق...

واغصان الشجر في شعر ابن الرومي التي تشارك الطيور في نشوتها ، وليست نشوة الطيور نفسها الّا مشاركة للانسان في بعض اختصاصياته. وهكذا يرقى ابن الرومي درجتين في سُلّم الكائنات ، فيقول :

هَبّت سُحَيرًا ، فناجى الغصنُ صاحبَهُ ، هُوسيًا ، وتداعى الطيرُ إعلانًا .
وُرْقٌ تُغنّي على خُضرٍ مهدّلةٍ تسموجا ، وتَمَسُّ الأرضَ احيانا ؛
تخالُ طائرَها نشوانَ من طربٍ ، والغصنَ ، من هزّه يطفيه ، نشوانا .

وذاك إيوان كسرى ينفحه البحتري بعاطفة التجلّد البشرية تحت وطأة الدهر :

فهو يبدي تجلّدًا ، وعليه كلكل من كلاكل الدهر مُرسي

وهناك الاطلال البالية يحييها الشعراء منذ القِدَم ، ويخاطبونها مخاطبة البشر للبشر :

الا عم صباحاً ، ايها الطَلَل البالي !

فيشركونها بعاطفتهم . ومن هنا اشراك مظاهر الطبيعة بالعاطفة الشخصية . فاذا كان حزن وألم ، بكى الحجر ، ورثى الخشب ، واذا ابو البقاء الرندي يبكي الاندلس ، فتبكي معه الطبيعة الصامتة ،

حتى المحاريب تبكي ، وهي جامدةٌ ، حتى المنابر ترثي ، وهي عيدانُ !

واذا ليلى بنت طريف تستغرب كيف لم يبكِ شجر الخابور على اخيها الوليد:

ايا شجر الخابور ، مالَكَ مُورقاً ! كأنك لم تحزنْ على ابن طريفِ !

ولنلاحظ ما يحدثه فينا هذا البيت بحنينه ، وسذاجته ، وفيض عاطفته الشاملة. بما لا يدركه ابو تمام في بيته المشهور البارد ، الجافّ في فخامته :

كأنَّ بني نبهان ، يوم وفاته ، نجومُ سماء خرَّ من بينها البدرُ

على ان ابا تمام له لمحات شاملة يشرك فيها الطبيعة ، بل السماء والارض ، في عواطفه ، ولاسيما الفرح والابتهاج ، فيذكر ، يوم فتح عمورية :

فتحٌ تفتَّحُ ابواب السماء له وتبرز الارض في اثوابها القُشُبِ

وقد يبلغ الاندفاع الحماسي في احياء الجماد مبلغاً قصياً. فيعمد جرير الى قبره — وهل ابرد ، واجفّ ، وادلّ على السكينة والجمود من القبر ! — فيحييه ، ويحثه ، ويُرسله بطلاً يحمل بسيفه على الفرزدق :

ولو بيننا ، لشدَّ عليك قبري بعزمٍ مضاربُه ، حُسامِ !

في كلّ هذه المظاهر ، يرتقي الشاعر درجة او درجتين او درجات في سُلَّم الكائنات ، فيسمو بفنه فوق طبيعة الموصوف ، مدركاً قمة الروعة في حس الادب .

فأين هؤلاء ، وصورهم تجوز الزمان والمكان لعلوقها باصول الفنّ الراقي ، من اولئك الذين أخذوا بيئة ضيقة مرئيَّة او مسموعٍ بها ، فانحطُّوا بدل ان يسموا ، واخذوا ينزلون درجة اذ يشبهون المرأة بالبقرة الوحشية ، والجؤذر ، والغزال ؛ ودرجتين بتشبيه قامتها بالغصن المتثني في كثيب الرمل ؛ وثلاث درجات بتشبيه عنقها بالعاج ، وفمها ببرج الفضّة . . .

قد يعجب الناس بهذه التشبيهات ، وقد يهشّون لها. ولكن ذلك لا يدوم، ولا يتجاوز حدّ الاعجاب بآثار الصناعة الى التأثر بروعة الفنّ .

***

ولعلّ هذا النقص من آثار السهولة في النزول والانحدار ، والصعوبة في الصعود والارتقاء. وما الفنّ في آساس إخراجه الّا مستندًا الى مظهر من مظاهر الصعوبة والانتصار على العقبات . تماثيل الرخام ، ومسلّات الغرانيت اروع وقعًا واعمق اثرًا من قصور اللبن ، وبنايات الجبس ، لا بتماسك اجزائها ، وتناسق اقسامها فقط ، بل بما تُظهره من قوة في مادّتها ، ومن انتصار على العقبات المعترضة فيها سبيل الفنّان المُبدع ؛ بل بما تُظهره من انتصار الروح على المادّة ، ولا يكون الانتصار بليغًا الّا اذا كانت المقاومة شديدة.

تمثال من الرخام ، واجهة من الغرانيت ، لوحة من تساوق الالوان المتناهية في الدقائق ، قطعة من دقيق الأنغام المتشابكة ، قصيدة توحي نواعم الاجواء المركّبة ، صفحة من التعبير عن مشاكل الأفكار والاختلاجات ، كلّها قطع فنيّة تنال روعتها من انتصار اصحابها على ما اعترض سبيلهم من صعوبات، ومن انتصار متذوّقيها كذلك على ما يعترضهم من عقبات في تفهمها والاعجاب بها . وما دامت هذه الآثار موجودة تظلّ الصعوبات كما هي ، كلّما تجدّد جيل من المتذوّقين تجدّدت ، فتظلّ الآثار على روعتها ، بل تزداد غبارًا قِدَم وجلالَ تاريخ .

من هنا ينفسح الافق لهذه الآثار الباقية على الدهر ، فتظلّ فوق الأزمنة والأمكنة لأنها تعلق بالطبيعة البشرية المتوحّدة في جوهرها ، المتباينة في اعراضها. يستند الأثر الفنّي المدرسي الى الجوهر البشري العامّ المجرّد في آساسه ، والى كثير من مظاهر الثقافة الخاصّة في أعراضه ، فيكون محليًا زمنيًا. ويكون عالميًا فوق الزمان والمكان ؛ بل يكون عالميًا شاملًا بقدر ما يكون محليًا خاصًا. ولهذا لم يعرف الادب الفرنسي شاعرًا اوفر فرنسيةً من راسين ، وفرنسيةً خاصة بالقرن السابع عشر ، بل بالنصف الثاني من القرن السابع ، ولا شاعرًا اوسع شمولًا عالميًا منه . وكذا القول عن كبار اركان الادب العالمي كدانتي ، وسرفنتس ،

وشكسبير ، وغوته ، وطاغور . كذا القول عن بعض نفحات عربية عالمية في الشعر الجاهلي ، وفي شعر المتنبي ، وابن الرومي خاصّةً .

* * *

آن لنا ان ننتقل الى المظهر الثاني من الادب ، الى الادب بالمعنى الذاتي او الداخلي البارز في شخصية الاديب . وقد مهّد لنا سبيل تفهمه ما اطلنا فيه من المحاولات في حصر معاني الأدب الخارجي .

لم يقلّ اختلاف المفكرين في تحديد الادب الداخلي عنه في تحديد الادب الخارجي . ولعلّ اقربهم الى المقصود ، لأنه ابعدهم عن الحصر ، كان ابو زيد ، اذ قال :

« الادب كلّ رياضة محمودة يتخرّج بها الانسان في فضيلة من الفضائل . »

وواضحٌ أن مراد ابي زيد ، في هذا التحديد الواسع ، الادب الكسبي في شخصية الانسان . اما الادب الطبيعي ، وهو ما فُطر عليه المرء من الاخلاق الحسنة والصفات الحميدة ، مما لا قدرة له الّا على تحسينه او تشويهه ، فلا يدخل في بحثنا .

ولا يدخل في بحثنا ، كذلك ، الادب الكسبي في واسع معناه . فمن من الرياضة ما يكون بحفظ القواعد النحوية والبيانية ، فالتمرّن على الكتابة باتباع الاساليب المختلفة محاكاةً لمشاهير المؤلفين . وهو ما دللنا عليه سابقاً . وسميناه « علم الادب » .

اما ما نقصد بالادب فهو تلك الرياضة العامة على تهذيب الشخصية الانسانية ، والسير بها الى اقصى درجات الكمال الممكن .

الشخصية الانسانية كلٌّ تامّ ، متناسق الاجزاء ، متوازن العناصر ، باستنادها الى الجسم ، والعقل ، والروح .

فاذا ما اراد المرء ان يرقى درجات الكمال الممكن ، وجب عليه ان يهتم بهذا المركّب الانساني المثلث المظهر ، فيبدو الكمال مثلثاً في الجسم ، والعقل ، والروح .

ومن ثمَّ كان لنا رياضة مثلّثة : رياضة جسمية ، ورياضة عقلية ، ورياضة روحية .

وهنا نلمس الترادف اللازم بين أدّب ، وهذّب ، وثقّف . فنستنتج ان ما كان يهتمّ به القدماء في تهذيب الشخصية الانسانية ويدعونه « ادباً » ، وصاحبه « اديباً » ، يقابل ما ندعوه اليوم « ثقافة » ، وصاحبه « مثقفاً » .

ولنلقِ نظرةً سريعة على كلٍّ من هذه الرياضات :

الرياضة الجسدية لا يمكن اهمالها . والّا اهملنا التوازن في هذا الكائن المركّب . وكل مركّب أُهمل فيه التوازن مال الى الفساد . وليس اعتباطاً ما أُضيف الى تحديد الاديب الكامل في نظر العرب ، في الجاهلية وصدر الاسلام ، فقيل : « هو الذي يكتب بالعربية ويُحسن الفَروسيّة والرَّمي . » ويذكر ابن عساكر ان الفنون السبعة ، حتى الرقص ، كانت من منهاج التربية على عهد الوليد .

ولكن لا حاجة بنا الى اطالة الكلام في الرياضة البدنية ، فاننا لا نشكو نقصها في هذا العصر . وان كان ما نشكوه فهو المبالغة فيها احياناً .

اما رياضة العقل — وهنا نقطة الدائرة ، وموضوع المناقشة بين ارباب التهذيب — فلا يجوز الاديب ان يأخذ بشيء منها دون شيء .

الادب ليس بالاختصاص ، كما ان الادب ليس بالاطلاع السطحي على مختلف المعارف .

ليس الشعر بالطب ، ولا بالحقوق ، ولا بالكيمياء ؛ وليس النثر الفنّي بالهندسة ، ولا بالجبر ، ولا بمجموعة الاخبار العالمية الصحفية .

ولكن ، أوَ يضير الادب — وركناه شعر ونثر — ان يتّسع افق صاحبه الى ما وراء الموضوعات المحصورة بهذين الفنّين منذ القِدَم ؟

ليس على الاديب ان يدرس العلوم الرياضية ليبسطها في شعره او نثره . ولكن درسها نافع ، بل لازم ، لإنالته روح الترتيب وحسن التأليف . فاذا ما ثقفها ظهر اثرها حتماً في بناء قصيدته ، وتنظيم مقالته .

الادب هضم وتمثّل لكل الاغذية من محفوظ ومسموع في مختلف العلوم والمعارف . هضم يحوّل هذه الاغذية المتضاربة ، المتنازعة ، الى شخصية الاديب

التي تظلّ مسيطرة عليها. ولنحذر الانعكاس في هذا العمل الغذائي ؛ فانه شرّ ما يعرض لادعياء الثقافة العصرية. يندفعون وراء المعلومات الجديدة ، والإلمامات السطحية ، واذا بهم ، بدل ان يتمثلوها غذاء صالحاً ، يتحوّلون شبه اغذية لها ؛ وبدل ان يعكسوا شخصياتهم في مجالي الكون العصري ، ينقلبون مرائي ساذجة لكل ما يرون .

لنتصوّر ابا نواس ، والجاحظ ، وابن الرومي ، يتّصلون بكل ما في عصرهم من علوم ومعارف ، فيطّلعون على الجديد والقديم ، ويتمثّلونها ، حتى يبدو في آثارهم ، عن غير قصد منهم ، اصباغ مختلفة تدلّ على سعة افقهم في هذه المعلومات ، وتلميحات متنوّعة الى اشياء من تلك المظاهر الثقافية الجديدة.

ولننتقل الى شاعر من الزمن الاخير يودّ ان يكون مجدّداً عصرياً ، فيعمد الى المعلومات الجديدة ، يأخذ مفرداتها فيوزّعها في ابياته ، قائلاً :

الحب كالكهربا ، لكنّ قوّته تسري بقلب الفتى من غير أسلاك

وغيره كثير من مفردات كهربائية ، وكيماوية ، وميكانيكية ، يخصب بها بعض الشعر العصري ، موهماً الناس انه على اتصال بالثقافة الحديثة ، والادب العالمي ؛ وما هو من ذلك الّا على السطح .

لا اختصاص ، ولا اطّلاع سطحي. انما الادب تغذية ، فاستساغة ، فهضم ، فتمثّل لمظاهر المعارف البشرية في عصر من العصور. وهو ما قصده قدماء العرب بقولهم : « الادب هو الأخذ من كل شيء بطرف » . وهو ما نراه في المجاميع الادبية كالعقد مثلاً ، عقد ابن عبد ربه ، من الجمع بين الشعر ، والترسّل ، والتاريخ ، والامثال ، والخطب ، والنوادر ، والفكاهات ، والالحان ، والنصائح الطبية الصحية . . .

ولهذا كان في الأدب شيء من النسبية يتأثر بالعصر والبيئة ، فيزول منه بعض الاعراض بزوالها ؛ ويبدو فيه غير ذلك . انما الجوهر يبقى واحداً . وعلى هذا امكننا ان نقول : الادب الجاهلي ، والادب الاموي ، والادب العباسي ، والادب العصري : فروع متتابعة ، وقد تكون متباينة ، لادب واحد هو الادب العربي .

اما الرياضة الثالثة ، وهي رياضة الروح ، فاساسية في الادب ، تهذيب المركّب الانساني . ولا يهذّب المركّب اذا ظلّ الفساد في احد عناصره ، بل في عنصره الأكبر وهو الروح . ومن العبث ان نبني ادباً خالدًا في نفسية اديب ، اذا كانت نفسه لا تزال عالقةً بالحسد ، والغيرة ، والنميمة ، والكذب ، والعُجب ، وما الى ذلك من مفاسد الادب والادباء . . .

***

اذا سار الانسان على هذه الاساليب المثلّثة — ولا نقول : اذا وصل الى الغاية ، فالوصول الى الكمال ليس من هذا العالم — اذا سار عليها الانسان ، اتّسع افقه ، ورحب صدره ، وانبسطت عقليّته الى تفهم الجمال في كلّ آثاره . فارتفع عن حدود التعصّب البلدي ، والتضييق الزمني ، دون ان يتفلّت من محيطه . فكان نغمةً ذات شخصية فردية خاصّة ، وذات مقدرة على الاندماج في تساوق الموسيقى العالمية الشاملة . فهم الفكرة وضدّها ، وشعر بالعاطفة وعكسها ، فلم يتعصّب لشيء حتى العناد ، ولم يهمل شيئاً حتى الإعراض . رأى نواحي الجمال في كل شيء ، ولمح آثار القُبح في كل شيء . كذلك ، اذ ليس من شيء فيه القبح المطلق ، ولا الجمال المطلق . فقابل ، ووازن ، وفاضل — فعلَ الجاحظ ، وهو مثال الاديب — متتبعاً حنايا الموضوع حتى خفاياها ، مطاردًا الفكر حتى ادقّ ملاويه ، مقيدًا احكامه بكثير من الاحتياط والتحفّظ ، راميًا الى تلك الثمرة السامية من ثمار الادب ، الا وهي التوازن العقلي .

هكذا فهم الادب ابن العميد عندما قال عن آثار الجاحظ : «كتب الجاحظ تعلّم العقل اولًا والادب ثانياً» .

وهكذا فهم الادب ابن قتيبة عندما قال : «من اراد ان يكون عالماً فليتقن فنًّا واحدًا ، ومَن اراد ان يكون اديباً فليتفنّن في العُلوم» .

وهكذا شاء خرّيجو هذه المدرسة ان أفهم الادب !

شذرات

دروس الآداب الشرقية

في السنة ١٩٣٦-١٩٣٧

جرت في هذا المعهد الجديد، اثناء السنة ١٩٣٥-١٩٣٦، الامتحانات لنيل شهادة اولى بالدروس الشرقية، موضوعها تاريخ سورية وفنيقية وآثارهما في العصور اليونانية - الرومانية والبيزنطية. وقد نال الشهادة سبعة من الطلّاب. والمعهد يعدّ، في السنة الحالية ١٩٣٦-١٩٣٧، عددًا من الطلّاب لنيل شهادة جديدة في الدروس الأرمنية.

اما المحاضرات العادية فقد بدأها، نهار الخميس في ٥ تشرين الثاني ١٩٣٦، فرنان شابوتيه، الاستاذ في كلية الآداب في بوردو، دارساً قصر مالية المينوي.

وهذا مجمل اقسام المنهاج العام:

١ً اللغة العربية وآدابها

عواصم الادب العربي: السلسلة الرابعة:

القاهرة عاصمة الادب الفاطمي

١٥ امثولة يلقيها فؤاد افرام البستاني، استاذ الآداب العربية في جامعة القديس يوسف. من ٧ كانون الثاني الى ١٣ ايار ١٩٣٧.

٢ً التاريخ والآثار القديمة في سورية وفنيقية

١: قصر مالية المينوي. ما هي الطريقة في تأريخ قصر مينوي.

امثولتان يلقيهما فرنان شابوتيه، الاستاذ في كلية الآداب في بوردو. ٥ و٧ تشرين الثاني ١٩٣٦.

ويتبع الامثولتين محاضرة في تمثيل الفضاء والقدر في الفنّ اليوناني.

ب : فنّ النحت اليوناني.

٥ امثولات يلقيها شارل دوغا ، عضو مراسل في المجمع الفرنسوي ، والاستاذ في كلية الآداب في ليون . من ٥ الى ٢٢ اذار ١٩٣٧

ج : سورية الرومانية :

الادارة ، السياسية ، الحياة اليومية.

٧ امثولات يلقيها الاب رينه موترد اليسوعي ، والامير موريس شهاب ، أمين المتحف الوطني اللبناني . من ١٦ كانون الاول ١٩٣٦ الى ٣ اذار ١٩٣٧

د : بادية سورية في القرون الاولى للمسيح ،

على ضوء الحفريّات الحديثة .

٣ امثولات يلقيها دانيال شلومبرجر ، من دائرة الأثريّات في سورية . من ١٣ الى ٢٧ كانون الثاني ١٩٣٧

ه : البدو والإسلام في القرن الاول للهجرة .

٤ امثولات يلقيها الاب [illegible] اليسوعي ، حامل شهادة مدرسة العلوم العالية ، وشهادة مدرسة اللغات الشرقية [illegible] ، عضو مراسل للمعهد الفرنسوي في دمشق . من ١٨ تشرين الثاني الى ٩ كانون [illegible] ١٩٣٦

٣ علم الشؤون الارمنية

ا : الفنّ الارمني وعلاقاته بفنون البلاد المجاورة .

٥ امثولات يلقيها [illegible] اليسوعي ، من اساتذة اللاهوت في جامعة القديس يوسف . من ١٠ كانون [illegible] ١٩٣٦ الى ١٤ كانون الثاني ١٩٣٧ .

ب : تمرين [illegible] لنيل الشهادة الاولى في علم الشؤون الارمنية .

١ تاريخ [illegible] ومؤسساتها في العصور القديمة والوسطى)

يلقيها الاب [illegible] من ١٨ كانون الثاني الى ١٥ ايار ٩٣٧ .

العناية الالهية في نظر المعلم الثالث[1]

انّ اقوال ابن سينا في العناية الالهيّة جدّ متناقضة. فبينا نشعر بانه يشرح هذه القضية شرحاً يلائم نظريته الصدورية ، وينافي القرآن وسائر الكتب الدينية؛ نراه من جهة اخرى يتملّص من تبعة آرائه المضلّلة مؤمناً بان الله تعالى يدبر كلّ شيء ويعتني بكل شيء مما في السماوات والارض بعناية مطلقة. ولنستفض الآن في تبيان ما اوجزناه ، فنقول ، وبالله الاستعانة :

١

ان كل مثقف يقرأ بامعان مصنفات ابن سينا الفلسفية يتوضح له ان حكمته — اساسياً — هي مزيج من التعاليم الافلاطونية والارسطوية مع بعض زيادات وتعديلات تتفاوت قيمةً ووزناً بتفاوت الموضوعات التي قررها. ومن نظريّاته التي تأثرت كثيراً بالتعاليم الافلاطونية نظريّته في العناية الالهية.

ان افلاطون الالهي — كما يسميه علماء العرب — كان يقول بعنايات ثلاث : فالعناية الاولى تختصّ بالاله الاعظم الذي يعتني اولاً وأصالةً بالروحانيات ، وتبعاً بالعالم كله من حيث الاجناس والانواع والعلل الكلية. والثانية تتعلق بالجزئيّات التي يعرضها الكون والفساد ، وقد نسبها الى الآلهة المحيطين بالسماوات اي الجواهر المفرقة التي تحرّك الاجرام السموية بحركة مستديرة . والثالثة هي العناية بالامور الانسانية ، وقد عزاها الى الشياطين الذين كان يجعلهم الافلاطونيون وسطاء بيننا وبين الله ، على ما رواه القديس اغوسطينوس في كتابه الموسوم «بمدينة الله» (*Civitas Dei*)[2]

ونحن نرتئي ان الشيخ الرئيس ، استناداً الى هذا التعليم ، قال بانّ الله ، او المدبر الاول ، يدبّر ويعتني بالعقل الاول وبكل ما يصدر عنه ، والعقل

---

١) هذا من انتاب ابن سينا التي يفرغها عليه الاقدمون . اما المعلّمان الاولان فهما ارسطو المعلّم الاول ، والفارابي المعلم الثاني .

٢) ك ٩ : ١ و ٢ ، ك ٨ : ٤ و ١١ . طالع ايضاً كتاب العناية لغريغوريوس النصّياوي ك ٨ : ب ٣ ، والخلاصة اللاهوتية للقديس توما الاكويني م ١ ب ٢٢ ، ف ٢ .

الاول يدبّر ويعتني بالعقل الثاني وبما يشتقّ منه ، والعقل الثاني يعتني ويدبّر العقل الثالث ولواحقه ؛ وهكذا حتى تنتهي بهذه السلسلة المنظمة « الى العقل الفعّال الذي يدبّر انفسنا »[1] لان العلل العالية او الصدورات الاولى عن واجب الوجود « لا يجوز ان تعمل ما تعمل من العناية لاجلنا»[2] بل كل علة تعمل لاجل تاليتها ، وتسوقها الى غايتها القصوى حتى يصل هذا العمل الى الفلك الاقصى ، الذي اجسامه تؤثر في اجسام هذا العالم بالكيفيّات التي تخصّها وتسري منها الى هذا العالم ، وانفسه تؤثر في انفس هذا العالم. « وبهذه المعاني تعلم ان الطبيعة التي هي مدبّرة لهذه الاجسام كالكمال والصور حادثة عن النفس الفاشية في الفلك او بمعونتها »[3]

فينتج من ذلك : كما ان الله ، في نظر فيلسوفنا ، يعرف الجزئيات بالعلل الكليّة ، هكذا يعتني بالجزئيات ويدبّرها بالعلل الكلّية . اذ ليس شيء في شيء من الجزئيات الا وهو صادر عن علة كلية . وبعبارة اوضح : ان ابن سينا يعترف بانه لا بدّ في التدبير من اعتبار امرين : مبدإ التدبير الذي هو العناية ، وانفاذه . فالله باعتبار كونه مبدأ التدبير يدبّر جميع العلل العالية مباشرة ، واما باعتبار انفاذ التدبير ، فانه ينفّذ هذا التدبير في العلل العالية بنفسه مباشرة ، وفي المخلوقات السفلى بواسطة العليا .

وهذا الرأي المغلوط يتساوق ، كما لا يخفى ، مع نظرية ابن سينا في تكوين العالم ، الا انه من جهة اخرى يناقض كتب الوحي التي تصرّح بان عناية الله لا تنحصر في العلل العالية ، ولا في السماء والارض ، ولا في الانسان والملك ، بل تتناول احشاء اصغر الحيوانات واخسّها ، وادق ريش الطير ، وزهر العشب ، وورقة الشجرة ، بحيث لا يُغفل التوفيق بين اجزائها ، وبوجيز العبارة : ان تدبير الله يعم جميع الاشياء كبيرة كانت ام صغيرة ، حقيرة ام سامية .

٢

بيد ان الشيخ الرئيس ، ايماماً للمذّج ، اضاف الى ما تقدم قولاً معتدّاً

١) النجاة ، ص ٤٥٥ ٢) الكتاب نفسه ص ٤٦٦

٣) الهيات النجاة ، ص ٤٦٣

هاكه بالحرف:

« ليس لك سبيل الى ان تنكر الآثار العجيبة في تكون العالم ، واجزاء السماويات واجزاء النبات والحيوان مما لا يصدر ذلك اتفاقاً بل يقتضي تدبيراً ما ، فيجب ان تعلم ان العناية هي كون الاول عالماً لذاته بما عليه الوجود من نظام الخير وعلة لذاته للخير والكمال بحسب الامكان ، وراضياً به على النحو المذكور فيعقل نظام الخير على الوجه الابلغ الذي يعقله فيضاناً على اتم تأدية الى النظام بحسب الامكان فهذا هو معنى العناية »[1]

حقاً ان هذا الكلام فيه من المغالطة ما ليس بقليل. هب ان الاول يعلم من نفسه نظام الخير ، وانه هو نفسه علة هذا الخير والكمال «بحسب الامكان» فهل يكفي ذلك لتقرير العناية الالهية التي تعتني بدقائق الجزئيات ؟ هذا ما لا نظنه. وكما ان الطبيب الافضل ليس من يلاحظ الكليات فقط، بل من يقدر ان يلاحظ دقائق الجزئيات ايضاً ، هكذا المعتني الافضل ليس من يعرف نظام الموجودات وحده بل من يحيط علماً باصغر الموجودات وادقها.

هذا من جهة ، ومن جهة اخرى اذا كان الباري تعالى لا يدرك الامور الجزئية الا من حيث هي كلية[2] ، فكيف يمكنه ان يعتني بالجزئيات من حيث هي جزئيات ، واذا صنع ذلك يشبه طبيباً لم يعرف داء مريضه الا يسيراً ومع ذلك يجهد نفسه في تدبيره وتطبيبه !

الخلاصة

خلاصة ما تقدم ان الشيخ الرئيس بعيد عن الحقيقة في القولين بعداً شاسعاً. اما في القول الاول فقد اوضحنا ذلك بايجاز. واما في القول الثاني فنبينه هنا تعميماً للفائدة:

كما كان كل فاعل يفعل لغاية معلومة ، كان عموم سوق المعلولات الى غاية على قدر عموم عليّة الفاعل الاول. وبما ان عليّة الله الذي هو الفاعل الاول تعمّ جميع الموجودات ، ليس من حيث المبادئ النوعية فقط بل من حيث المبادئ

١) الهيات النجاة ، ص ٤٦٦.

٢) الهيات النجاة ، المقالة الثانية ، الفصل الخامس عشر.

الشخصية ايضاً، لا في الاشياء الغير الدائرة فقط بل في الاشياء الدائرة ايضاً، كان لا بد ان تكون جميع الاشياء الموجودة بحالٍ من الاحوال مسوقة من الله الى غاية فاذا لما لم تكن عناية الله الا سبب سوق الاشياء الى غايتها فلا بد ان تكون جميع الاشياء خاضعة لها من حيث هي مشتركة في الوجود. وبوجيز العبارة اذا كان الله هو علّة جميع الاشياء المباشرة، وكان يعرف جميع الاشياء كلّيها وجزئيها مباشرة، كان عليه ولا ريب وهو الحكيم السامي، ان يعتني بجميع الاشياء مباشرة. وهذا واضح حتى ان ابن سينا نفسه قد اقرّه في غير فلسفته، او انه اقرّه في حكمته ولكن بطرق مبهمة شأنه في سائر نظرياته.

واخيراً كم يلذ لنا ان نختم هذه العجالة بكلمة رائعة فاه بها مؤسس مجلة المقتطف المأسوف عليه الدكتور يعقوب صروف اللبناني. قال اجزل الله ثوابه:

« من الناس من يقول: « ان الله معتنٍ بالامور الكبيرة، ولكنه لا يلتفت الى الصغيرة ». فلو صحّ زعمهم وترك صغار الاشياء لترك الجراثيم نفسها لانها من اصغر ما يوجد. ولو تركها سنة واحدة لخرب نظام العالم، وصار الانسان يزرع ارضه قمحاً فتنبت له عقارب، وينصب كرمه عنباً فيخرج له حيّات، ويتزوج بامرأة فتلد له جنادب، ويركب على فرس فيستحيل تحته ضفدعاً... لو بطلت العناية لحظة من الزمان تعذر علينا ان نعرف مصير هذه الجراثيم. » فتأمل وتدبر.

الاب بولس سعد الحلبي

الاب يوسف مونجانه اليسوعي ١٨٧٤ — ١٩٣٧

يذكر قراء « المشرق » ما كان للمرحوم الاب يوسف مونجان اليسوعي من جولات في مواضيع اللاهوت الادبي والطقوس الشرقية، ومن دروس للكتب اللاهوتية الجديدة، ومن ايضاحات واجوبة وفتاوى على بعض مشاكل الضمير، كان يلجأ اليه فيها عدد من قرائنا الاكليريكيين وعلمانيين. واننا لنذكر خدمة ذاك الهدوء الذي رافق الفقيد في كل اعماله، طول حياته المثمرة، فلم يرفض طلباً، ولم يتلكأ في اداء خدمة، ولم يسمع منه احد كلمة تذمر وشكوى.

وُلد الفقيد في ١٩ ايلول ١٨٧٤ في فرانش-كونته. ودخل دير الابتداء في

هاستينغس (انكلترة) في العشرين من عمره . ثم قدم فرنسة للقيام بخدمته العسكرية ، وعاد الى الابتداء في إكس. وفي السنة ١٨٩٩ ، قدم الى غزير ، بعد ان نال الليسانس في الادب ، ليباشر درس الفلسفة ، ودرس اللغة العربية .

في السنة ١٩٠٤ عاد الى انكلترة ، فدرس اللاهوت مدة اربع سنوات في كنتربري. حتى اذا انتهى ، ورُسم كاهناً ، رجع الى بيروت فعُيّن استاذاً في كلية الآداب الشرقية سنة ١٩٠٨ . ولم يترك بيروت منذئذٍ الّا سنةً واحدة ١٩١١–١٩١٢ قضاها في بلجكة ، ومدة سني الحرب ١٩١٤-١٩١٩ ، وكان اثناءها ملحقاً بخدمات الجيش في لانغر (Langres) ثم في باريس.

وبعد الحرب عيّنه الرئيس الاقليمي استاذاً للاهوت الادبي وللحقّ القانوني، في كلية بيروت. فلم يتردّد في قبول مهمّة لم يتصوّر ، من قبل ، انه يُعهد اليه فيها . وانكبّ على الدرس بما عُهد فيه من جلد ، ووضوح ، وحسن ترتيب ، حتى غدا درسه من اوضح الدروس واثبتها أسّاً ، واجمعها تفرّعات. وان تلامذته جميعاً ليذكرونه بالشكر والفضل ، لما كان يُمدهم به من حلول وشروح ، حتى بعد رسامتهم كهنةً وتفرّقهم في انحاء الشرق الادنى كلّه . واوضح دليل على ذلك ما كان يتلقى الاب من سؤالات في الحقّ القانوني او اللاهوت الادبي.

وكان ، الى ذلك ، يدير المكتبة الكبرى في جامعة القديس يوسف ، وهي غير المكتبة الشرقية. ويكفي بهذا العمل وحده تعرّضاً لطلب الفوائد والخدمات، واهتماماً دائماً بكل ما يصدر من مؤلفات جديدة .

هذه بعض نواحي شخصية الفقيد العامل ، المنتقل الى رحمته تعالى صباح ١٤ كانون الثاني ١٩٣٧ ، في السنة الثالثة والستين من عمره، والثالثة والاربعين من حياته الرهبانية . ينعيه « المشرق » الى قرّائه الكرام ، ذاكراً معونته المتتابعة مدة سبع عشرة سنة[1] . كافأه المولى مكافأة العبد الصالح الأمين !

(١) من اهم آثار الفقيد في « المشرق » ابحاثه في السيريانية او مساهمة ارزوني في السنة ١٩ [١٩٢١] ٢٧٨ ، ٢٥٣ . . . وفي الطقوس والطوائف في الكنائس الشرقية ٣٠ [١٩٣٢] ٧٢١ ، ٦٠٤ . . . ومقال في مآثر البابا بندكتوس الخامس عشر في السنة ١٨ [١٩٢٠] ٦٠ . وله في كل السنوات اوصاف مستفيضة للكتب اللاهوتية والقانونية الجديدة .

مطبوعات شرقية جديدة

KURTH GALLING, **Biblisches Reallexikon** [*Handb. z. A. T. 1re Reiche*, Lief. 7] Tübingen, Mohr (P Siebeck). 1937. Prix : Mk 5,10.

معجم الاشياء الوارد ذكرها في الكتاب المقدّس : الجزء السابع

هو الجزء الأخير من معجم الكتاب المقدّس الذي وصف بعض اجزائه المرحوم الاب رونزفال في مشرق السنة الفائتة (ص١٣٠—١٣١) . وفيه المفردات المبدوءة بالحروف K الى Z ، مع جدول ، ومقدّمة. وقد بسط المؤلّف في مقدمته كيف باشر بنفسه الاطّلاع على اسانيده ومصادره ؛ وما تلك الاسانيد الّا ما اخرجته الحفريّات ؛ وكيف استعان بفريق من كبار العلماء في عمله الشامل.

وواضح ان اهم مقالات المعجم هي تلك التي خُصّت بالمدن المذكورة في العهد العتيق ، وقد وُضع لأكثرها خرائط حسنة . وكذلك القول عن الابحاث المهمّة في مظاهر العبادة ، والاواني المستخدمة في الطقسيّات ، وحفلات الدفن (كتوابيت العظام والتواويس) ؛ وفي آثار البناء من قصور ، واعمدة ، وهياكل ، ومعابد ، ومرابات ، وفي الادوات الحربية وما اليها كالسيوف والخيل . يزين كل ذلك رسومٌ مأخوذة عمّا اظهرته الحفريّات الحديثة من مكتشفات . ولهذه المواد كشف بالمصادر المهمّة .

ومما لفت نظرنا مقال بعنوان *Massebe* يصف فيه المؤلّف معبدًا في جبيل - بيبلوس نُقشت صورته في قطعة من نقود تلك المدينة ، وعنها نُقل غير مرّة (العمودين ٣٦٩—٣٧٠ ، الرسم ٤) . ويرى فيه الكاتب هيكلًا ذا قرنين يعلوه شكلٌ مخروطي ، انشئ لعبادة ادونيس . بيدَ اننا نرى في هذا الأثر قبرًا لأدونيس لا هيكلًا لعبادته ، قبرًا يشابه القبر المعروف في « المشنقة » الذي اكتشفه رينان في رحلته (راجع ما كتبه الاب رونزفال في مجموعة جامعة القديس يوسف . *MUSJ*, XV, 1930-1931, pp. 177.) . ولا يضير هذا ما يشعر به مطالع المقال من فطنة الاستاذ گالينگ في درس آثار طالما تسرّع المتكلّمون عنها في نسبتها الى المظاهر الدينية.

ر . م .

LUSSEAU ET COLLOMB, **Manuel d'études bibliques. T. III ; 1re partie : Les Livres didactiques.** In-8°, 630 pp. Paris, Téqui, 1936. Prix : 25 fr.

درس اسفار الحكمة من الكتاب المقدّس

لقد باشر المؤلّفان درس الاسفار الحكمية في الكتاب المقدّس على الطريقة نفسها التي درسا فيها سائر الاسفار. وهي تظهر بشرح السفر شرحاً تحليلياً كافياً.

ومما يجدر بالذكر انهما خصّا كلًّا من المزامير بكلمة تمهيدية قد لا تتجاوز السطر او السطرين ، ولكنها جامعة . اما رأيهما في « نشيد الاناشيد » فقد لا يميل الى اتخاذ النظرية القائلة بان هذا الأثر من نوع الرواية الفاجعة (الدرامة) ، على رغم ما تتمتّع به هـذه النظرية من شهرة تجدّدت مؤخرًا بابحاث گيتون (Guitton) وپوجيه (Pouget) . على انهما يميلان الى الاخذ بطريقة المقاطع او الموشّحات المعروفة بطريقة زنير-كوندامن (Zenner - Condamin) .

ب . م .

L'imitation de Jésus-Christ. Traduction nouvelle de l'ABBÉ FERNAND MARTIN. Paris, Garnier Frères. Prix : 18 fr.

ترجمة جديدة لكتاب الاقتداء بالمسيح

يسرّنا ان نعلم قرّاءنا ان كتاب الاقتداء بالمسيح قـد ظهر في مجموعة النصوص المدرسية لـگارنيه ، في نصّه اللاتيني مع الترجمة الفرنسوية المقابلة . وفوق ما تقدّم فقد امتازت هـذه الطبعة بمقدّمة موافقة ، وبحواشٍ في آخر الكتاب. اما الترجمة فقد انتبه فيها المترجم الى رنّة الجملة اللاتينية ، ومثّل ذلك بترتيب طبعي متّبع في ترجمات النصوص الشعرية في الكتاب المقدّس.

GERMANOS, **Passionis Dni Nostri J.-C. praelectiones historicae.** 3 vol. in-8°, Torino, Casa editrice Marietti, 1933, -34, -36. Prix : Lib. ital. 12, 12, 15.

في شرح آلام المسيح شرحاً تاريخياً

في المجمع العام للآباء الآلاميين المنعقد سنة ١٩٣٠ ، تُلي اقتراح بانشاء منهاج متناسق لدرس آلام المسيح في ديورة الجمعية بكاملها . ثم عُهد الى المؤلّف في تدريس هذه المادّة. فقام بذلك . وها انه يجمع اليوم محاضراته في

هـذه المجلدات الثلاثة ، مقدّماً الى الرهبان الناشئين ، والاكليريكيين ، والكهنة ، معلومات تاريخية دقيقة تغنيهم عن مطالعة كتب كثيرة.

ANGELO M. PIROTTA, O.P., Summa philosophiae Aristotelico-thomisticae. vol. II : Philosophia naturalis Generalis et Specialis. In-8°, XXX+820 pp. Torino, Marietti, 1936. Prix : Lib. ital. 35.

الخلاصة الفلسفية على مذهب ارسطو والقديس توما : الجزء الثاني

في السنة ١٩٣١ نشر الاب بيروتا المجلّد الاول من « خلاصته الفلسفية على مذهب ارسطو والقديس توما » ، خاصاً اياه « بالفلسفة العقلية » . وها هو اليوم ينشر المجلّد الثاني « في الفلسفة الطبيعية : عامة وخاصة » وسيلحقه بمجلّدين في « ما وراء الطبيعة » ، وفي « الاخلاقيات ».

وطريقة الاب المؤلّف واضحة سهلة ، تجمع بين درس الاصول القديمة في موضوعات المجلّد ، وهي الطبيعيات والنفسانيات ، والاطلاع على الآراء الحديثة ، مع النظر الدائم الى فكرة القديس توما ، وهي محور هذه الابحاث . فتؤدّي الى حلّ المشاكل بوضوح ورصانة . بيد ان المطالع يودّ لو ايجز المؤلّف في سرد بعض البراهين خاصة (كما في الصفحات ٧٢١—٧٢٥ مثلاً) فان ما في هـذا الاسلوب المسهب من مراجعات وترديدات قد يؤثّر في وضوح الضروري. نقول هـذا ، ونحن على ثقة بان النقص الطفيف لا يفقد مجمل الكتاب البارز من افضل المؤلّفات الدراسية في نوعه.

ي. ك.

JOSE MARIA, S. J., El Conmonitorio de San Vicente de Lerins. Traduccion castellana con comentario y precedida de una introduccion. In-8°, 150 pp. Madrid, Ediciones A.B.E., 1935. Prix : 6 pesetas.

كتاب التنبيه للقديس فنسان دي ليرن

نُشرت هذه الترجمة في سبيل ابناء اللغة الاسبانية ليطلعوا على كتاب يزداد ارباب العلم اهتماماً به يوماً بعد يوم . وكان المترجم قد اهتمّ منذ مدة ، بدرس القديس فنسان دي ليرن ، فنشر ، سنة ١٩٣٣ ، في مجلّة *Analecta Gregoriana*, v. VI بحثاً في « فكرة التقليد » في آثار القديس المذكور . وها هو

اليوم يقدّم لهذه الترجمة بتمهيد جامع يردفه بطائفة صالحة من المصادر والمآخذ تفيد جميع المشتغلين بهذا النوع من الدروس ، فضلًا عن ابناء اللغة الاسبانية.

Acta Pont. academiae romanae S. Thomae Aq. et religionis catholicae. Anno 1935. Nova series. vol. II. In-8° 235 pp., Torino, Marietti, 1936. Prix : Lib. ital. 10.

اعمال أكادمية القديس توما الرومانية

في هذا الجزء الثاني من اعمال « اكادمية القديس توما الرومانية » موضوعات قيّمة على اختلاف انواعها ، من الفلسفة الكلامية الى الفلسفة العصرية ؛ وكلّها مذيّلة بتواقيع شهيرة تنيلها الثقة التامّة. ي.ك.

Reallexikon der Assyriologie. 2ter Bd, 4te Lief. *Dunšarri-Ekeški.* Berlin-Leipzig. Walter de Gruyter u. C°, 1936.

معجم الاشوريّات : القسم الرابع من المجلّد الثاني

يمتاز هذا الجزء بما امتازت به الاجزاء السابقة (راجع المشرق ٣٤ [١٩٣٦] ١٣٧) من سعة المعلومات ، ودقّة البحث ، بفضل ما جمع من اقلام الاختصاصيين. وهكذا فاننا رأينا أُنكر (E. Unger) يبحث في الاعلام الجغرافية في الصفحات الاولى ، يليها انجاث إبلينك ، وغيره من العلماء ، في الموضوع نفسه منذ الحرف D.

ومما يستحقّ ذكرًا خاصًا في هذا الجزء ثلاثة مباحث حقوقية في «الزواج» ، و« الزنا والطلاق » ، و« اليمين » لخصت كل ما يُعرف عن هذه المواد ، لا في بابل وأشور فقط ، بل في البلاد الحثية وسورية العليا ايضاً . وهي من قلم الاستاذين المشهورين في هذه الدروس سان نيكولو (San Nicolo) وكوروشيك (V. Korošec).

وهناك انجاث الاستاذ بوزون (Boson) في احياء « الحجارة الكريمة » ودرسها . ويُدل « بالحجارة الكريمة » على كل ما لا يستخدم من الحجارة في البناء. وكان من نصيب الاستاذ ويسباخ (Weissbach) ان يدرس «الحديد» فيبيّن الاسباب التي جعلت المصريين لا يستعملون هذا المعدن الّا متأخرين ، اي قُبيل القرن الثامن ق.م ، بينا نرى الحثيين يصطنعون اسلحتهم من الحديد منذ

القرن الثالث عشر بل الرابع عشر . وذلك ان الحديد لا يوجد في حالته الطبيعية الّا في بلاد الاناضول الشرقية ، وفي بلاد القوقاس . فكان ملوك الحثيين ، على عهد الامبراطورية الاولى ، يحرّمون إخراج هذا المعدن وبيعه في الخارج ، محتكرين لجيوشهم استعمال سيوف اقطع واشدّ من سيوف البرونز المستعملة في جيوش اعدائهم . ولنُشر الى ان اسم الحديد باللغة الاشورية « برزيللو » انتقل منها الى اللغة الفينيقية فالى اللغة العبرية ، بل الى اللغة العربية فبدا في لفظة الفِرْزِل ، وفي القاموس : الفِرْزِل : المِقراض يقطع به الحدّاد الحديد. ر.م.

JUSTIN, Abrégé des histoires philippiques de Trogue Pompée et prologues de Trogue Pompée. Traduction nouvelle de E. CHAMBRY et Mme E. THÉLY-CHAMBRY. 2 vol. Paris, Garnier Frères, Prix : 15 fr. le vol.

تاريخ تروگوس - پومپيوس

لا نعرف عن هذين المؤرخين اللاتينيين: تروگوس - پومپيوس ، ويوستينوس الّا معلومات متفرّقة رواها يوستينوس نفسه ، وهو الذي لخّص آثار سابقه التاريخية . وكانت غايته في التلخيص ان يوفّر على النسّاخ عملاً شاقاً بنقلهم الاربعة والاربعين مجلّداً المحتوي عليها تاريخ تروگوس - پومپيوس في اصله.

تمتاز هذه الطبعة الجديدة بكثير من الايضاحات في المقدّمة والحواشي ، مسهّلةً استخدام هذا التاريخ المفيد ، ولا يخفى انه المصدر الوحيد تقريباً في ما نعرفه عن القرطجنيين ، قبل الحروب الفينيقية. ج.ل.

ANTON SPITALER, Die Verszaehlung des Koran, nach islamischer Ueberlieferung — Sitzungsberichte der Bayerischen Akademie der Wissenschaften, Philosophisch - historische Abteilung, Jahrgang 1935, Heft II.

في آيات القرآن

لا يخفى ان المسلمين عدّوا آيات القرآن . ولكنهم لم يتفقوا على عدد مقرّر ، فاختلفت تقديراتهم باختلاف المذاهب ، في نحو عشرين آية يزيدها البعض او ينقصها ، على الرقم المقرّر في نظر البعض الآخر . اما سبب هذا

الاختلاف فلم يكن طول الآيات او قصرها ، انما يتعلق خاصة بكون بعض القرّاء يحدّدون الآيات فيقطعون النصّ ، على طريقة تخالف ما يجري عليه غيرهم.

فكان من همّ مؤلف البحث الحاضر ان درس هذه الطرق ، شارحاً اهمّها ، عارضاً اشهر الخلافات ، جامعاً في جدول عامّ اهم السور المختلف في تحديد آياتها وعددها . فدلّ على جهد بليغ مقرون بروح نقدية تستحق كل ثناء . ه.ل.

RENÉ GROUSSET, **Histoire des Croisades et du royaume franc de Jérusalem.** t III, La monarchie musulmane et l'anarchie franque. In-8° carré, Paris, Plon. Prix : 80 fr.

تاريخ الصليبيين ومملكة اورشليم الفرنجية : الجزء الثالث

ينتهي ، بهذا الجزء الثالث ، اثر وافر الاهمية في تاريخ الصليبيين ، لا نغالي اذا قلنا انه كان حدثاً في المنشورات العصرية التاريخية . ينتهي هذا الاثر المجيد بنظرة قاتمة نرى من خلالها العالم اللاتيني مغلوباً على امره ، مطروحاً الى البحر ، على اثر سقوط عكا . ولكن ليس في التاريخ أمر حاسم ، لا في الانتصار ولا في الانكسار . فبقاء الصليبيين تلك المدة الطويلة في هذه الارض البعيدة عن بلادهم ، منصرفين عن كل احتياط تفرضه الفطنة البسيطة ، لكافٍ وحده دليلاً ساطعاً على همّتهم وجدارتهم بالفضل والمحبة . وان يكن اولئك الفرسان الاشدّاء المندفعين حماسة غير منظّمة ، ادّت بهم الفوضى والتخاذل الى الانكسار والرجوع ، فقد تركوا تذكارات وآثاراً في كل منها رمز الى عظمتهم ، كما تركوا لنصارى الشرق أملاً وثيقاً ونظراً نافذاً يتجهون بهما نحو الغرب كلما شعروا بضرورة هذا الاتجاه.

وقد كان من فضل المؤلف ان يشرح ، فوق ما تقدّم ذكره ، عدداً من المبادئ الاساسية في نشأة الامم واضمحلالها ، مطبّقاً اياها على ما شهدته بلادنا هذه من ولادة شعوب وامم على اثر انقراض غيرها . ومن اهمّ الامثلة على هذه النواميس العمرانية ، في المجلد الاخير ، إمارات الفرنجة في الشرق ، وقد

اضمحلت اورشليم القوية ؛ وامست الفوضى في ما نشأ بعدها من ولايات حتى ان ملوك اوربة انفسهم ، القادمين في سبيل جهاد جديد ، لم يكونوا على اتفاق في ما بينهم . لا يُستثنى منهم الّا واحد ، لمع باخلاصه وعمله في سبيل الواجب متجرّدًا عن الغايات الزمنية والمنافع الشخصية ، وهو لويس التاسع ، ملك فرنسة . تدلّ على ذلك الاجتماعات الثلاثة التي عقدها في سبيل درس موقفه : هل يبقى هنا ام يرجع الى بلاده ومملكه ؟ وقد بقي اربع سنوات حاكمًا هذه البلاد بفطنة وعدل ، منتبهاً لكل ما يجري حوله ، غير مضيّع فرصةً ، وان بسيطة ، للاستفادة في بسط سلطته ونفوذه .

وفي آخر المجلّد زيادات واصلاحات . وجدول عام بمواد المجلّدات الثلاثة ، مع عدد الخرائط . ج . ل .

Bulletin de l'Association des amis des églises et de l'art coptes. Première année 1935. — t. II, 1936.

نشرة جمعية اصدقاء الكنائس القبطية والفنّ القبطي

يسرّنا ان نشير الى هذه النشرة الجديدة المختصة بكل ما له علاقة بالكنائس القبطية والفنّ القبطي . وقد نهضت مصر مؤخرًا لدرس آثارها المسيحية ، فكان من الواجب ان يخصّ بهذه الدروس مجلّة جديدة . نقول هذا وبين يدينا مجلّدان عن السنتين ١٩٣٥ و١٩٣٦ يدلّان بتنوّع ابحاثهما على ان المجلّة تلاقي رواجاً وانتشارًا هي جديرة بهما .

André Sevin, Le défenseur du Roi, Raymond de Sèze 1748-1828. In-8°, 413 pp. Paris, Librairie Gabriel Enault, 1936. Prix : 50 fr.

Raymond Sèze, Défense de Louis. Publié avec une introduction et des notes par André Sevin. In-8°, 21 pp. Paris, Lib. Gabriel Enault, 1936. Prix : 20 fr.

محامي الملك لويس السادس عشر ، ودفاعه

لم يكن ، في كتب التاريخ حتى اليوم ، ترجمة خاصة لمحامي لويس السادس عشر لدى الجمعية التورية ، حتى كان هذا الكتاب ، وقد نجح فيه المؤلّف بفضل ما اختصّ به من دقّة درس ، وبفضل ما توفّق اليه من وثائق خاصة

استغلّها احسن استغلال .

نشأ ريمون دي سيز ، محامي الملك ، في طبقة متوسطة من مجتمع بوردو . وكان محامياً عند ما نشبت الثورة ، فاشتهر في عدة دعاوى رافع فيها مرافعات مجيدة منها دعوى البارون دي بزنفال (de Bezenval). ولم يكن الملك يعرفه الّا بالاسم . فلما عرض عليه احد مستشاريه ان يتخذ دي سيز محامياً ثالثاً له ، لم يتردّد في الأمر ، وكذلك المحامي فانه لم يتردّد . وكان لهذه الحادثة ان تجعل من المحامي المذكور شخصيّة تاريخية لها مركزها ودورها في احدى الفواجع المهمّة من تاريخ فرنسة الحديث . وكانت خطبته الدفاعية مجلى شجاعة وجرأة في عصر كان الخوف يخفض فيه الجباه ويحني الظهور . وقد يستغرب دارس ذلك العصر كيف لم ينتقم ارباب الثورة من المحامي الجريء فيسيّروه الى المقصلة . والواقع ان روبسبير أمر بحبسه ، فلم يخلص الّا في التاسع من شهر ترميدور . وعندما عادت الملكية اصبح من اهمّ شخصيات الدولة وعُيّن بين نبلاء فرنسة . ولكنه لم يدرك ثورة تموز .

وقد أُلحق بهذا المجلّد النفيس طبعة نقديّة متقنة لخطاب دي سيز في الدفاع عن الملك ، أُخذت عن الأصل المحفوظ في المكتبة الوطنية . ولم يسبق ان طُبع هذا الأثر طبعة نقدية مع التعاليق والحواشي . فاقتضى شكر الطابع لاهتمامه وعنايته .

ج . ل .

André Duboscq, **Unité de l'Asie.** In-8°, 96 pp. Paris, Editions Unitas, 1936. Prix : 7 fr.

وحدة آسية

عُرف مؤلف الكتاب باهتمامه ، منذ زمن طويل ، بالمشاكل الآسيوية ، ولاسيما ما اختصّ منها بالشرق الأقصى . وقد افرد هذا الكتاب لمحاولات في الفلسفة السياسية يلخّص فيها اختباراته وآراءه .

اما آسية التي يدور الكلام عليها في هذا المجلّد فليست آسية الضخمة المتنوّعة المظاهر الجغرافية . انما هي الشرق الاقصى وحده : اليابان ، والصين ، وشيء من آسية الوسطى حتى الهند . وقد اتفق لأحد اليابانيين ان قال : « ان آسية

واحدة » ثم زاد شارحاً هذه الوحدة : « لأنها ليست شيئاً الّا الوحدة الروحية . »
وافق المؤلّف على هذا القول واخذ يعمل في اثباته وشرحه . وهو يرى ان هذه الروحانية لا تفرض الحاجة الى عالم سامي الجوهر ، ولا الى عبادة الكائنات فوق البشرية او الألهية ، ولا الى وحدة صوفية في العالم تظهر عند الاسيويين على شكل حركة بديهية تجمع بين الروح الداخلي والعالم الخارجي ، بدل ان تعاكس بين الأمرين ، كما يتحقق المؤلّف في بلاد الغرب (ص٢٣) .

وقد لا يوافق كثير من القرّاء صاحبَ الكتاب على ان هذه الناحية الاخيرة هي التي تفصل الاسيوي عن «شياطين الغرب» ، ولاسيما في قوله ان هذا الفصل يظهر بمظهر التضادّ الاساسي الجوهري . اما الحقيقة فهي انه اذا كان الشرقي يشتز من المدنية الغربية ، فلأن هذه المدنية تظهر له بمظهر المادّية المجرّدة عن حياتها الروحية ، اي عن دينها المسيحي ، واذاً فهي اقرب الى الضرر منها الى النفع . وليس من تضادّ جوهري بين عقلية الشرقي ودين الغرب ، وهؤلاء اهل الصين ، على رغم ما يُنسب اليهم من مظاهر الاخذ بالفلسفة الوضعية والنفور من الدين ، نرى انه خرج منهم جماعة من افاضل الكاثوليكيين .

ثم أيجوز ان نحمل ما قد نراه من مظاهر التضادّ السياسي على محمل التضاد العنصري الأساسي ، فينسبه الى جوهر الاسيويين ؟ قد نشك في ذلك ولاسيما اذا ذكرنا انه ليس في آسية الّا دولة واحدة ، هي اليابان ، تمكنت من اتخاذ سياسة اسيوية خاصة ، وان كتّابها هم الذين تسرّعوا في التيمّم بهذه اللمحة الاجمالية فاخذوا يتكلمون عن الوحدة الاسيوية .

ج . ش .

Tunisie. Atlas historique, géographique, économique et touristique. 1re éd. 25 × 31. 110 pp., nombreux hors-texte, cartes, graphiques, photographies et dessins. Paris. Horizons de France. Prix : 4 fr.

تونس

هو اسلوب جديد معجب ينال ، دون شك ، رواجاً واسعاً ، بما نجح فيه من الجمع بين الرسوم والخرائط العديدة ، والنصوص الموجزة الواضحة ألّفها علماء اختصاصيون بلغ عددهم الخمسة عشر تظافروا على اظهار بلاد تونس بمظهرها

الحقيقي الطريف. فأتوا بمجموعة من افيد ما يتمناه الدارس لما فيها من معلومات جغرافية ، وتاريخية ، وأثرية ، وفنية ، واقتصادية على مختلف مظاهرها ؛ حتى السياحة وما في البلاد من عادات ، واخلاق ، وفنون بلدية خاصة.

J. Didier, Résumé économique du monde 1937. Paris, Lanore, 1937. Prix : 5 fr.

ملخص الحالة الاقتصادية في العالم

هو ملحق سنوي لكتاب المؤلف المعروف بعنوان « اهم الدول الاقتصادية في العالم » ، والموضوع خصوصاً لطلاب صفوف الفلسفة والرياضيات من التعليم الثنوي. على انه مفيد جداً لجميع المشتغلين في حقول الصناعة والاقتصاد ، يرون فيه المعلومات مرتبة على طريقة جديدة تبدأ بتعداد اهم محصولات الدولة. يلي ذلك ذكر سكانها ، وما فيها من مواش ، ومعادن ، ومظاهر صناعية على مختلف انواعها ، ثم وصف حركتها التجارية ، وملاحتها . تُقابل في كل ذلك مع دولة فرنسة خاصة ، وغيرها من الدول. واخيراً تورد اسماء المدن التي يزيد عدد سكانها على مائتي الف نسمة في جميع انحاء العالم.

ولا شك في ان من يدرس بدقة هذا الملحق عن السنة الحالية ١٩٣٧ ، يرى بلمحة سريعة حالة العالم الاقتصادية الحاضرة ، مستغنياً عن كثير من المنشورات الاختصاصية الوافرة العقبات والعسرة الهضم احياناً . ثم ان الملحق لا يفقد قيمته بمرور الزمن ، فان الملحقات الظاهرة في السنوات ١٩٣٣ و١٩٣٤ و١٩٣٥ لا تزال نافعة بل ضرورية لمن يريد متابعة الحركة الاقتصادية العالمية.

Almanach catholique français pour 1937. Paris, Bloud et Gay. Prix : 7 fr.

التقويم الكاثوليكي الفرنسوي للسنة ١٩٣٧

تزدد ما قلناه في السنوات السابقة عن منفعة هذا التقويم ، وقد بلغ الثامنة عشرة من عمره ، منفعة تجعله ، طول السنة ، قريباً من تناول ارباب الدرس . وفيه لوائح بالاعمال الكاثوليكية جميعها في فرنسة ، وباسماء الشخصيات الكاثوليكية البارزة ، والمطرانيات ، والجرائد . . . وفيه ، فوق ذلك ، رسوم جلية ، وابحاث دقيقة في المشاكل العمرانية الصناعية ، وروايات ظريفة .

Mme FRANCISQUE GAY, L. COUSIN, Dr E. BESSON, **Comment j'élève mon enfant.** In-8°, 720 pp. illustré. Prix : 36 fr.

ELISABETH CHOUQUET, **Comment vivre au foyer.** In-8°, 400 pp. illustre. Prix : 33 fr.

تربية الولد
المعيشة في المنزل

اهدت الينا مكتبة بلو وكاي هذين المجلدين فاذا هما مجموعتان نفيستان ، بل دائرتا معارف في موضوعيهما :

اما الأول فيختصّ بتربية الولد . ظهر لأول مرة سنة ١٩٢٧ ، فلاقى من الرواج ما دفع المكتبة الى اعادة طبعه مرّات حتى بلغ اليوم الألف الاربعين . يبدأ برسالة للكردينال غاسباري ، ثم بمقدّمة من قلم الكردينال دوبوى . ثم تتوالى الابحاث حول الولد ، منذ ولادته ، فإرضاعه ، فالاهتمام بشؤونه الصحيّة ، والرياضية ، والغذائية . فالنظر لما يعرض له من امراض ، وما يتطلّب من امور تسلية ولعب . . . حتى يُصبح في السنّ القابلة للتهذيب والتربية . وهو موضوع القسم الثاني . يتوسّع فيه المؤلفون خير توسّع مدقّقين في نفسية الصغار وميولهم ، وتطوّر الشخصية فيهم ، ودورهم في الأسرة . يردفون ذلك بوجز في المبادئ الدينية التي يُفرض على الصغير معرفتها قبل تقدّمه الى المناولة الاولى . وفي القسم الثالث يعرض المؤلفون لتعليم الولد ، وتهذيب عقله .

واما المجلد الثاني فيؤلّف صلة تكميلية للأول مختصاً بدرس الحياة المنزلية ، عارضاً امام ربّة البيت طرقاً تفيدهـا في ايلاء حياتها المنزلية بساطةً ، ولذةً ، وسروراً ، في معيشتها الدينية ، والعملية ، والعقلية ، والفنية ، والعائلية جملةً . غير منصرفٍ عن الاهتمام بترتيب المنزل والمطبخ ، الى غير ذلك مما لا تستغني عنه المرأة المهتمّة بالقيام بواجباتها امّا وربّة منزل . ي . ك .

LUCIEN CORPECHOT, **Souvenirs d'un journaliste.** 2 vol. in-12. Paris, Plon, 1936. Prix : 12+13, 50 fr.

ذكريات صحافي

بين يدينا المجلّدان الأولان من هذه الذكريات التي تبلغ ، كاملةً ، ثلاثة مجلّدات . يجمع فيها المؤلّف ما لا يزال عالقاً بذهنه من ذكريات الحوادث والاخبار

التي سمع بها او تدخل فيها مدة حياته الصحفية الطويلة . وقد بدأها زمن حادثة دريفوس الشهيرة . كان اولاً يحرّر في جريدة عاقظة « *Le moniteur universel* » ثم انتقل الى الشمس « *Soleil* » فالى « *Gaulois* » ورئيس تحريره ، اذ ذاك ، ارثور ميّر (A. Meyer) . هذا اهمّ ما في المجلّد الاول.

اما الثاني فتكاد تملأه الاحاديث والاخبار عن باريس (Barrès) وبورجيه (Bourget) في عصر اقرب الينا ، ومن ثمّ ادعى الى انتباهنا من العصر الأول.

وفي كل ذلك نغمة حياة ونشاط تسرّ المطالع فتدفع الى شيء من العطف في احكامه على عهد لم يخلُ حقًّا من مساوئ ومخازٍ ولكنه لم يكن بالغريب عن عصرنا هذا ج.ل.

MARC BENOIT, L'aviation française. vol. 21×19, illustré. Paris, Lanore. Prix : 16 fr.

الطيران الفرنسوي

لا يزال علم الطيران مفتقرًا الى كثير من الدرس والبسط . وان يكن الناس جميعاً يشاهدون الطيّارات تخترق الفضاء ، فانهم لم يصلوا بعد الى معلومات صريحة واضحة في نشأة الطيران ، وتاريخه ، ومبادئه ، وطريقة تطبيق هذه المبادئ .

فكان لهذا الكتاب اللذيذ الاسلوب ، الجميل الرسوم ، أن يسدّ الثلم المتقدّم ذكرها ، في ستة اقسام : تاريخ الطيران ، الطيّارة ومحرّكها ، قيادة الطيّارة والضمانة الجويّة ، الطيران العسكري ، الطيران البحري ، الطيران التجاري.

« Les meilleurs textes » de G. Flaubert. Introduction par RENÉ DUMESNIL. [*Choisir*]. In-12, LXXX+586 pp. Paris, Desclée, de Brower et Cie. Prix : 15 fr.

افضل ما كتب فلوبير

عرف صاحب الكتاب بثقافة واسعة ، ودروس دقيقة في الموسيقى ، كما عُرف باختصاصه بدرس فلوبير . وقد تقدّم له نشر كتاب عن فلوبير في مجموعة « *Temps et Visages* » حلّل فيه الرجل والكاتب تحليلاً اجمع النقد الفرنسوي على مدحه . فلا عجب ، والحالة هذه ، ان يكون مجلّده الحاضر على قسط وافر من النجاح . قدّم عليه ، في ثمانين صفحة ، بحثاً دقيقاً عن فلوبير يعدّ على افضل ما

يمكن لفهم اسلوب الكاتب ، واقراره في مركزه من الأدب الفرنسوي ، وتذوّق ما يلي ذلك من منتخبات شائقة في ٥٧٠ صفحة ، ألحق بها جدول بالمصادر الضرورية للمتعمّقين في الموضوع.

J. MICHELET. Pages littéraires. Pages historiques, choisies, annotées et précédées d'une introduction par MAURICE ALLEN. 2 vol. [*Classiques Garnier*]. Paris, Garnier Frères. Prix : 12 fr. l'un.

صفحات ادبية وصفحات تاريخية منتخبة من آثار ميشليه

وهذا من كتب «المنتخبات» يظهر في مجموعة «*Garnier*» مثلاً المؤرّخ ميشليه في مجلّدين خُصّ الاول « بالصفحات التاريخية » والثاني بصفحات متفرّقة دُعيت « ادبية » لضرورة اطلاق نعت عليها . وقد احسنت مكتبة كارنيه صنعاً بهذا الانتخاب لأنه ليس مَن يقرأ اليوم آثار ميشليه بكاملها . بل ان هذه المنتخبات فوق ما يُقرأ منها ، لاضطراب المؤلّف العصبي ، وسيره ، في اكثر الاحيان ، وراء اهوائه القلقة وخيلته الجامحة .

G. DEDEBANT ET A. VIAUT. Manuel de météorologie du pilote. 1 vol. 24 × 16, 192 pp. Paris, Editions Blondel La Rougery. Prix : 30 fr.

كتاب في علم الظواهر الفلكية

« عندما قرأت هذا الكتاب ، اندفعت اعجاباً بطريقة المؤلّفين السهلة الواضحة في بسطها علم الظواهر الجويّة وتقريب نظرياته من الحسّ والواقع ».

وكيف لا توافق الكابتين روسي ، احد روّاد الجوّ المشاهير ، على رأيه في تلك المقدّمة الموجزة القويّة التي مهّد بها للكتاب المذكور ؟ وان كان لنا ما نزيده على هذا الحكم الصائب ، قلنا ان المطالع لا يلبث ان يتحقّق ، وقد قرأ الكتاب مرةً ومرّتين ، ان المؤلّفين لا يرميان الى التبجّح بعلمهما ، بل لا يعرضان العلم في سبيل العرض . انما يكتفيان بالمعارفات الدقيقة ، الواضحة ، الضرورية ، يسهّلان فهمها بالتشابيه الموافقة ، ووزّعاها على اربعة اقسام : ١ً في الجوّ على الجملة . ٢ً في الغيوم . ٣ً في الهواء . ٤ً في توقّع الحوادث

الجويّة ، ووقاية الطيران. وقد اعرضا ، في الشروح ، عن كلّ ما يمسّ النظريات الخالصة او الفرضيات العلمية وان كانا لم يهملا شيئاً في سبيل التطبيق والفائدة العملية .

ذلك ان غايتهما لم تكن تثقيف العلماء وتنشئة النظريين ، بل افادة الطيّارين ، غزاة الجوّ . وقد قالا (ص ١٧٤) انهما يرميان الى « مساعدة الطيّار كي يستفيد من المعلومات التي ترسلها المراصد الجويّة ، فيفهم مخاطر الجوّ ، ويجتنبها ، ويتمكن من اتخاذ القرارات الصالحة في سبيل ضمانة الملاحة الجويّة وتنظيم سيرها . »

ولا بدّ من القول ان المؤلفين نجحا تماماً فقدّما للطيارين اداةً صالحةً للعمل . بقي على هؤلاء، سواء أكانوا من هواة الطيران ام من قادة الطيارات ، عسكريين ام تجاريين ، ان يُحسنوا استعمالها . وسوف لا يندمون !

ش. كومبيه
مدير مرصد كسارة

اصول المحاكمات الحقوقية

للاستاذ فارس الخوري

مكتب الفكر العربي . دمشق ، ١٩٣٦ – ٦٥٨ ص . متوسطة

ان التعليم الحقوقي العربي مفتقر ، منذ مدة مديدة ، الى كتب من نوع الكتاب الذي وضعه حضرة فارس بك الخوري ، احد اعضاء المجمع العلمي ، واستاذ الاصول الحقوقية وعلم المالية في معهد الحقوق بدمشق. وقد اشار بحق ، في مقدمة كتابه ، الى انه قد انقضى العهد الذي كانت به الدروس تعطى على اساس المواد القانونية وبشرحها مادةً مادةً ، كما كانت العادة جارية ايضاً في البلاد الغربية قبل تجديد طرق التعليم بها في القسم الثاني من القرن التاسع عشر. ومهما يكن من فضل هذه الطريقة القديمة المسماة بالافرنسية Ecole exégétique على تقدّم العلوم الشرعية ، فقد كان عيبها كبيراً ، لانه كان من نتيجتها ان المبادئ العامة التي هي اساس القواعد الحقوقية الجزئية ، والتي وحدها تتضمن العناصر التي تمكن من فهم روح المواد القانونية المتفرقة ، والحكمة من وضعها ،

وسعة مرماها ، كانت تبقى غامضة ومستورة بحجاب كثيف من الشروحات الطويلة المعلقة على كل القوانين مادة مادة.

وقد وضع المؤلف كتابه وفقاً للطريقة المتبعة في الكتب الحقوقية المدنية ، فقسمه اقساماً اساسية عرض في الاول منها المبادىء الكلية لعلم الاصول الحقوقية ، وفي الثاني قواعد التشكيلات القضائية ، وفي الثالث قواعد الاختصاص وصلاحية المحاكم.

واما في القسم الرابع المخصص لتنفيذ الاحكام فقد اقتصر المؤلف على درج نصّ قانون الاجراء فقط ، محتفظاً لنفسه بوضع كتاب منفرد عن اصول التنفيذ. ومن الحق ان هذا الموضوع يستوجب كتاباً على حدة ، كما هي العادة المتبعة عند العلماء الغربيين ، اذ يحسب برنامج التعليم في معاهد الحقوق الغربية ان اصول تنفيذ الاحكام يشكل تعليماً منفصلاً عن اصول المحاكمات نظراً لاهمية موضوعه وسعته.

واننا نعتقد ان مؤلفاً كمؤلف الاستاذ فارس بك الخوري يفيد ليس طلبة معاهد الحقوق وحدهم ، بل ايضاً سائر المشتغلين بعلم الحقوق من اساتذة وقضاة ومحامين ، فيسهل لهم مراجعة القواعد الاساسية التي يحتاجون الى تطبيقها في كل حين من حياتهم العملية.

اميل تيان

رسالة تاريخية

في احوال لبنان في عهده الاقطاعي

تأليف الشيخ ناصيف اليازجي — طبعها الخوري قسطنطين الباشا المخلصي

٣٨ ص. متوسطة — مطبعة القديس بولس ، حريصا ، ١٩٣٦

ظهرت هذه الرسالة مطبوعةً في اوربة بالالمانية واللاتينية ، وفي مصر بالعربية[1] ، ولم يذكر فيها اسم صاحبها الشيخ ناصيف اليازجي. وقد عزا حضرة الاب الباشا هذا النقص الى المستشرقين قائلاً:

١) الهلال : ١٣ (١٩٠٤ — ١٩٠٥) ٥١٥

« ان اسم المؤلف حُذف حذفاً في المطبوع منها في اوربا عن قصد او عن اهمال من المستشرق الدغركي « مهرن » Mehren الذي عني بنشرها لأول مرة على النسخة الاصلية التي وقف عليها عند استاذه البارون سلفستروس دي ساسي ».

لم نطّلع نحن على طبعة مهرن. ولكننا نعرف ان مهرن لم يكن ، كما توهم الناشر ، تلميذاً لدي ساسي، وانما لفليشر Fleischer ، وهذا الاخير كان تلميذ دي ساسي[1]. وهو الذي نشر رسالة اليازجي بالالمانية في « المجلة الاسيوية الالمانية » منذ سنة ١٨٥٢[2] ، وأشار صريحاً الى ما جعله يكتم اسم المؤلف، وهو طلب المؤلف نفسه ، قال: « فان اردتم اشهارها فلا يكن فيها ذكر نسبتها الينا اصلاً. »

اطّلع المرحوم الاب شيخو على هذه الطبعة ، وطبعة « الهلال » العربية ، فرآهما توافقان النسخة الاصلية التي وجدها في مكتبة برلين[3].

ويمكن الاب باشا ان يقابل بين الطبعتين المذكورتين، وان يلاحظ معنا صدق الاب شيخو.

ثم اننا لا نرى مبرّراً لاستناد حضرته في نشرته الاخيرة الى « النص المطبوع في القدس مع ترجمته اليونانية سنة ١٨٨٥ ».

هذا ، والرسالة ثمينة لأنها تصف النظام الاقطاعي في الشوف وفي المتن بالتفصيل وتشير اجمالاً الى سائر المقاطعات وحكّامها ، وتتوسع في الكلام عن مراتب اللبنانيين. ويقول صاحبها:

« في هذه البلاد حفظ شديد لمراتب الناس باعتبار الاصول... فلا يستعمل الرجل ما لا يليق بمثله من الطرفين ».

انه لكلام من ذهب. ولو سار على هذه العادات الجليلة بعض المؤرخين ،

---

١) الآداب العربية في القرن التاسع عشر للأب شيخو ٢ : ١٧٢ و١٧٦

٢) *ZDMG.* VI, 98, 388

٣) شيخو : ك. م. ٢٤

لكانوا صانوا تاريخ الوطن من « اكتشافات » كادت تشوّه الحقيقة.

فنهنىء حضرة الاب الباشا لأنه ادرك ما لهذه الرسالة من قيمة ، فأحب ان يُطلع عليها قراءه اللبنانيين .

ن . د .

طرائف الامس غرائب اليوم

او صور حياة النبك وجبل القلمون في اواسط القرن التاسع عشر

بقلم يوسف موسى خنشت

١٧٨ ص قطع ٨ – مطبعة القديس بولس في حريصا ١٩٣٦

اللاحظة النبيهة ، والذاكرة المدهشة ، صفتان نُعِتَ بهما المؤلفُ في الصفحتين الافرنسيتين المُذيلُ بهما الكتابُ ، وهو حلقة من سلسلة هدايا مجلة المسرة الى قرائها .

يتصدره ثلاث مقدمات : الاولى لرشيد نخله ، صاحب النشيد الوطني اللبناني ، والثانية لعيسى اسكندر المعلوف المتضلّع من معرفة الآثار الشرقية الحديثة ، والثالثة للمؤلف ، وقد قال متواضعاً : « انه اقتصر على تصوير العادات التي وصفها متقيدًا تقيدًا تامًّا بشكلها كما كان من خمسين سنة بدون زيادة ولا نقصان » . لكي تكون تراثاً يستعين به الخلف على معرفة حياة السلف ، فلم يستنكف عن اظهارها بكل ما فيها من « سذاجة وبساطة تتسم بهما حياة اهل هذه المنطقة المنعزلة . » وكان السبيل اليها مراقبة طويلة واختبار شخصي مكّنته من معرفتها معرفةً دقيقة فلم يفته شيء منها كبير ولا صغير : من النظرات العامة في النبك ، عاصمة جبل القلمون ، واحوالها الجغرافية ، الى الحياة في القلمون واشغال الاهالي ومآكلهم واعمالهم اليومية رجالًا ونساء ، الى ايامهم في المدرسة ، وفي سن التجند ، وفي محطات الحياة الخطيرة كالزواج والولادة والعماد او التطهير عند المسلمين ، وما يتخلل ذلك من افراح او اتراح في الاعراس والولايم والمآتم والاعياد .

هي عادات البلاد ، والكثير منها ، بل اكثرها لم يزل شائعاً ، ليس فقط في

القلمون ولكن في سائر الاصقاع اللبنانية السورية الفلسطينية ايضاً. على ان بعضها مخصوص بالقلمون ، فينبه الى اتفاق المسيحيين والمسلمين فيها في التقاليد، مما ينمّ عن اصلهم الواحد ويدل على اثار الحياة العشائرية القديمة المتكوّنة منها حياة القبيلة في جسم الامة الارامية الراسخة القدم في البلاد من قبل الفتوحات ، ومن زمان ابراهيم الخليل. وما اكثر ما يحوي الكتاب من تعليلات مؤدية لرواد الكتاب المقدس ودارسيه فوائد جمّة ، اذا ما قابلوا بين حياة بلادنا في هذا العصر ، كما وصفها المؤلف، وبينها في عهد التوراة في الزراعة والصناعة والاشغال وسائر الاطوار الاجتماعية .

كل ذلك موصوف بلغة سائغة بعيدة عن التكلف لائقة بالموضوع ، خلالها اشعارٌ واهازيج واغانٍ ترغّب المطالعين في اقتناء الكتاب واستعماله في الايام المشهودة على ان تكون كلها فرحاً ومسرات ! ولم يتحاشَ المؤلف عن الاسهاب في روايتها وفي تعداد الظروف التي انشدت بها ، لعلمه ان الزمان لم يكن ذهباً عند قوم صرفوا الايام والاسابيع عن سخاء في حفلات دامت وطالت ، اذا ما تحوطوا للزواج بعبارات المجاملة ومقدمات الخطبة وبالتمشية والخطبة واعداد الجهاز وارساله قبل المشورة الصغيرة والكبيرة الخ.

وفي الكتاب صور عديدة لا بأس بها وفيها زينة وبهجة. ف.ت.

الانتداب الفلسطيني باطل ومحال

بقلم وديع البستاني

٢١٦ ص. متوسطة كبيرة – المطبعة الاميركانية ، بيروت ، ١٩٣٦

هي مجموعة حجج وحقائق ووثائق في سبيل حلّ للمشكلة الفلسطينية، رفعها الاستاذ وديع البستاني المحامي الى فخامة المندوب السامي لفلسطين في حزيران، ورفعها فخامته الى وزير المستعمرات في تموز . ثم أُضيف اليها مبحث اخير وثمانية ملاحق ، وقُدّمت الصيغة العربية الى اللجنة العليا في آب ١٩٣٦ .

ومتى عرفنا ان صاحب الكتاب كان ممثلاً للعرب في اتفاق الاراضي المدورة

مع حكومة فلسطين ، وعضواً في الوفد العربي الفلسطيني الثالث ، وانه يشتغل الشغل الدائب في القضية الفلسطينية منذ نشأتها ، اي منذ مباشرة تنفيذ وعد بلفور ، ادركنا ما لهذه الوثائق من قيمة ، وما للكتاب من تأثير ؛ يظهر ، وقد مضى على الاضراب السياسي في فلسطين ستة اشهر ، مستنداً ، من جهة ، الى الوقائع والاحداث التي ملأت الاسماع ، ومن جهة اخرى، الى الاصول القانونية ، والتقارير ، والبلاغات الرسمية ، ذاكراً حجج الطرفين المتخاصمين مقابلاً بينها . ولعلّ نظرة سريعة نلقيها على بعض محتويات الكتاب تفيدنا في قدر قيمته . فمن المباحث المهمة قوله ان « الانتداب الفلسطيني الحالي باطل يصحّ الغاؤه ، او العدول عنه ، او تعديله تعديلاً اساسياً » ؛ ثم « المقابلة بين الانتداب الفلسطيني الاردني ، والانتدابين الآخرين : العراقي والسوري اللبناني » وشرح ما يفهم « بالوطن القومي اليهودي ، وتفسيره الرسمي ، وفكرة الحكومة اليهودية فيه . » ، وكون « سياسة الوطن القومي اليهودي الخطرة هي علة الانتداب الفلسطيني والسياسة البريطانية » . ومن المستندات المهمة التي يعوّل عليها صاحب الكتاب رأي « لجنة الانتدابات الدائمة التي ترى الانتداب الفلسطيني انتداباً منطوياً على تعقيد وتناقض في المصالح والحقوق . » واذاً فلا عجب بان يكون الخبير السر جون سمبسون « يؤيد ، في تقريره ، تقرير اللجنة البرلمانية ويُظهر عالية الانتداب الفلسطيني المبني على التعقيد والتناقض . »

هذا اهم ما في المجلد القيّم ، مردفاً بثمانية ملاحق تفصّل وتؤيد ما سبق . وانا لنرجو ان يكون في هذه الجهود المخلصة ما يسهّل حلّ تلك المشكلة الوخيمة العاقبة لا على فلسطين وحدها ، بل على اكثر مناطق الشرق الادنى .

ف . ا . ب .

مآثر العرب في الرياضيات والفلك

بقلم منصور حنا جرداق

٢٤ ص . متوسطة – المطبعة الاميركانية ، بيروت ١٩٣٧

هو بسط خطاب القاه الاستاذ منصور حنا جرداق ، مدرّس الرياضيات العالية في

الجامعة الاميركانية ، في بيروت ، نزولاً عند رغبة جمعية العروة الوثقى ، اظهر فيه فضل العرب في العلوم على التمدن .

ان المدنية العربية حلقة تصل بين المدنية اليونانية القديمة والنهضة الغربية الحديثة ؛ ولم يعرف الغربيون علماء اليونان وفلاسفتهم الّا عن طريق العرب . وكفى بهذه المأثرة دليلًا على فضل هؤلاء . الا ان الاستاذ جرداق جاءنا بابحاث طريفة تستند الى ادلة دامغة في ان العرب لم يكونوا نقلة علم فحسب ، كما يزعم البعض ، بل انهم زادوا على معلومات اليونان وهذّبوها ، ووضعوا قوانين الجبر وعلم المثلثات كما نعرفها اليوم . واظهر ما لهم في الفلك من مآثر جليلة تشهد لهم بطول الباع والعبقرية ، كقياس درجة من خط المناجزة ، وتصحيح بعض نظريات الاقدمين ، الى غير ذلك مما لا يسعنا ذكره . لكنه ، لاسباب نجهلها ، لم يتكلم عن علم الحيل عند العرب .

ولما كان الخوض في بحث دقيق كهذا ، واستشفاف ما يستبطنه من الحقائق لا تقوم بـه محاضرة ، فعسى المؤلف ، وهو الخبير المتضلع من العلوم الرياضية وتاريخها ، ان يعالج هذا الموضوع في كتاب مستقل .

ولا بدّ في مثل هذه الابحاث ، التي ننعتها بلقب « العربي » و « العربية » ، من القول ان هذا النعت لا يولي ارباب تلك العلوم من العروبة الّا اللغة . وقد لاحظ المحاضر هذا الأمر فقال في حاشية علّقها على عنوان البحث : « والأفضل ان يُقال مآثر التمدن العربي او مآثر الثقافة العربية . » ع . ا .

الفارابي

تأليف الخوري الياس فرح

١١٨ ص . متوسطة — مطبعة المرسلين اللبنانيين ، جونية ، ١٩٣٧

لعلّ هذا الكتاب من اسهل ما يوضع بين ايدي طلّاب الفلسفة في آراء المعلّم الثاني ابي نصر الفارابي . قدّم عليه المؤلّف بحثاً لخّص فيه ما يُعرف عن تطوّر الفكر بين العرب ، من القرآن الى عصر الترجمة . ثم القى نظرة على حياة الفارابي ؛ خاصاً القسم الاكبر من الكتاب بآراء الفيلسوف . محاولاً جهده

توضيحها ، وتلخيصها في سبيل الطلبة ، منتقلاً من فلسفة الانتقاء والوفاق ، الى منطق الفارابي ، الى فكرة واجب الوجود ، الى الفيض ونظام الكون ، الى النفس البشرية ؛ خاتماً بمقابلة مستفيضة بين افلاطون والفارابي ، او بين الجمهورية والمدينة الفاضلة . ولا شك في ان اساتذة الفلسفة العربية وطلّابها يقبلون على هذا الكتاب المفيد . ف.ا.ب.

اليد المارونية في ارتداد الكنائس الشرقية

تأليف الخوري بطرس روفائيل — تعريب القس اغناطيوس طنوس الخوري

٢٢٢ ص . متوسطة ، المطبعة المارونية بحلب ، ١٩٣٦

تقدّم لنا في مشرق السنة الفائتة (ص ١٣٢) وصف هذا الكتاب ، فور ظهوره باللغة الفرنسوية ، فأنبأنا ما احتوى عليه من معلومات وثيقة ، واسانيد جديرة بالدرس اظهاراً لدور الموارنة في ارتداد اخوانهم نصارى الشرق . وقد رأى القس اغناطيوس طنوس الخوري ان يعمّم فائدة الكتاب فينتفع به مَن لا يقرأون الفرنسوية من ابناء بلادنا ، فاقدم على تعريبه ، باذن المؤلف ، مقدّماً عليه كلمةً في عمل الموارنة الدائب في خدمة الكثلكة ، معلّقاً بعض الحواشي والشروح . فاستحقّ حمد المساهم في خدمة جليلة ادّاها المؤلف للتاريخ الكنسي الشرقي . ف.ا.ب.

دائرة المعارف الاسلامية

الترجمة العربية يقوم بها : ابراهيم زكي خورشيد ، احمد الشنتناوي ، عباس محمود ، عبد الحميد يونس

المجلد الثاني : الاجزاء ٨ و ٩ و ١٠

٢٠٤ ص . كبيرة — لجنة الترجمة ، ١١٢ شارع عماد الدين بمصر — الثمن : ١٠ ج . م . كل جزء

هي الاجزاء الثلاثة الاخيرة من المجلد الثاني تناولت الابحاث من « إكله » حتى آخر « بني أمية » . واهم ما جاء فيه مقال واسع في « ألف ليلة وليلة » لأوستربك الحق بدرس في الموضوع نفسه لمكدونالد . وقد أبت اللجنة الّا ان

تُلحق هذين البحثين العلميّين بمقال شعري لاحمد حسن الزيّات استند الى كثير من الخيال الشخصي ، والى شيء من سوء فهم الادب الغربي ، مع لمحات خاطرة في اسلوب الف ليلة وليلة وفلسفته . . . وهناك مما يجدر بالذكر من الابحاث بحث مكدونالد بعنوان « الله » محتوياً على عقيدة الجاهليين في الله ، وعقيدة محمد فيه ، وتطوّر مذاهب المسلمين في ذاته وصفاته . وكان لا بدّ لهذا البحث من ان يخالف عقائد المسلمين في كثير من الامور، لأن المستشرق « جرى على أن القرآن من عمل محمد صلى الله عليه وسلم ، وعلى هذا الأساس تقوم بحوثه » ، كما جاء في تعليق الاستاذ جاد المولى (ص ٥٥٨) . وهو أمر طبيعي في نظر العلم الموضوعي . واذاً فلا غرابة ان يتطوّع عدد من رجال الدين الاسلامي، ومن غير رجال الدين ، للردّ على المستشرق الذي « لم يستوعب معاني الآيات ولم يدرك دلالاتها » (ص ٥٥٨) حتى « يعجب من صنيعه » معلّقو الحواشي ، لانه « بينما يعتمد على نصوص القرآن ويطمئن اليها في بحوثه اذا به يخلط ويعد بعض الآيات تفسيراً من عند النبي ولا يستند في دعواه الى دليل » (ص ٥٦٠) وقد تجرأ الكاتب على القول : « ان من حسن التوفيق ان لوازم السجع حملت محمداً على وصف الله بعدة صفات يتردّد ذكرها كثيراً في القرآن » فأثار هذا الكلام « الملقى جزافاً » حمية الاستاذ جاد المولى واستنكف ان « يطبق ما جاء من الفواصل في القرآن على قواعد السجع وانواعها » ، فردّ على المستشرق وافحمه بقوله : « وتكفي شهادة قريش في سجع القرآن وفواصله ، وانه في اعلى طبقات البلاغة . » (كذا ! في ص ٥٦١) . وكانه لم يكتف ما علّقه الاساتذة محمد حامد الفقي ، ومحمد احمد جاد المولى ، ومحمد عرفه من حواشٍ تضطرب بين النقد البريء والظرف التاريخي ، فاردفت اللجنة البحث المذكور بتعليقين الاول لمحمد عاشور الصدفي لا يزال يستند فيه الى التقاليد عن حوادث عبد المطلب ، وزيد بن عمرو ، وأمية بن ابي الصلت . والثاني لاحمد محمد شاكر اقل ما فيه حملة شعواء على المستشرقين ، « واستهوانهم عقول الناس » (ص ٥٩١)

ويقاس على ما تقدّم اكثر ما عُلّق من حواشٍ وتعاليق على « إلياس » ، و « امّة » ، و « ام الولد » ، و « امية بن ابي الصلت » ، و « أمي » ، وفي هذه

المادة ينقض احمد محمد شاكر آراء المستشرق بارية في معاني لفظة «امي» بقوله: « وهذا الذي زعمه ينهار كله بنقض اساسه ، فان كلمة « الامي» وصف الله بها نبيه صلى الله عليه وسلم في آيتين في سورة الأعراف ، وهي مكية ، اي انها نزلت عليه عند ما كان بمكة قبل الهجرة » (١٤٥).

ولعلّ امتع ابحاث الجزء الثالث درس ليفي دللافيدا عن « الامويين » في الشرق ، ودرس ليفي بروفنسال عن « الامويين في الاندلس » . ف.ا.ب.

الصبي الاعرج وقصص اخرى

بقلم توفيق ي. عوّاد

منشورات المكشوف، بيروت، ١٩٣٦-٢٠٦ ص. متوسطة صغيرة – الثمن: ٢٥ غ.ل.س.

لقد نهضت القصة العربية ، في ايامنا هذه ، نهضةً مباركة تبشر بخير مستقبل لا لهذا الفنّ الادبي وحده ، بل لسائر الفنون . وما كانت القصّة الآثمرة فنون متعدّدة يساهم فيها الوصف ، والتمثيل، والشعر الخالص ، والتحليل النفسي البليغ. وان نذكر الدوافع الى هذه النهضة في لبنان ، فاننا نذكر في طليعتها جريدة « المكشوف » التي ما برحت ، منذ نشأتها ادبيةً ، تشجع المحاولات القصصية وتتجه بها شيئاً فشيئاً وجهة الفنّ العالي. وقد كانت اولى منشورات « المكشوف » في القصص ، فاهدت الينا مجموعتين شائقتين : « الصبي الاعرج وقصص اخرى » و « عشر قصص من صميم الحياة ».

اما الصبي الاعرج فقد جمع عشر قصص ظهرت فيها موهبة الكاتب على مظاهر متنوعة: فمن تصاوير مآسي الحرب الفاجعة في لبنان « كالجرذون الشتوي » و « حنون » ، الى تجسيم الأسى الذي يصبغ بعض المشاكل العائلية كما في « الهاوية » و « جدي وحكايته » ، الى درس الانفعالات النفسية في « احد الشمانين » ، و « الرسائل المحروقة » ، و « الارملة » . وقد تبلغ تلك الانفعالات الى شيء من الشذوذ الخلقي كما يتلمسها مطالع القصص المتقدمة وقصة « الصبي الأعرج » . وقد تصطبغ بعاطفة الجمهور فتصوّر عقلية بيئة كاملة « كالمقبرة المدنسة ». يلي ذلك ثلاث صور مقتضبة من مظاهر الشارع تمثل « عمر افندي » ،

و« سقّاء القهوة » ، و« الحمّال الصغير » ؛ وذكريان : شاعرة خيالية جامحة ، وعنيفة على شيء من البرودة والتلذذ بالإيلام . كلّ ذلك في اسلوب سهل رشيق تحمله نبرة عصبية احياناً ، وترفده احياناً اخرى لمحات تصويرية متقطعة تشعّ بالحياة ولا تكاد تُضبط خاضعةً للانتخاب الفنّي . ف.ا ب.

عشر قصص من صميم الحياة

بقلم خليل تقي الدين

منشورات المكشوف، بيروت، ١٩٣٧–١٦٣ ص. متوسطة صغيرة – الثمن: ٢٥ غ.ل.س.

واماً « عشر قصص من صميم الحياة » فقطع حية خافقة بحرارة الجسد ، نابضة باضطرابات النفس ، مكتنفة بما يكتنف الحياة من وضوح وإبهام ، وغمغمة وصراحة ، فيها من العواطف الثائرة والنزوات الهوجاء ، وفيها من اللمحات الخاطرة والاحلام الوادعة الهنيئة ، فيها من الغايات المقرّرة والمقاصد المحدّدة ، وفيها من اجنّة الفكر لم تتكوّن بعد ، ومن اشباه الرؤى لم تتمرّ من ظلمات الوهم . ولعلّ هذا المظهر الدقيق الغامض اروع ما في تصاوير « القصص العشر » وتصاويرها كثيرة . . . يعمد المؤلّف الى خيال الخاطرة في ضمير بطله فيخرجه الى النور ولمّا يتمثّل . لا هو بالفكرة السويّة ، ولا هو بالعاطفة الواضحة ، لا هو بالأمل الهادئ ولا هو بالشهوة الصارخة . انما هو خيال وهم ، وجنين حلم ، بل ظلّ جناح اطيف يتهادى في اعماق اللاوعي ، لا يكاد يطلّ الى عالم الفكر حتى يخنقه الحياء ، او تبكته آداب المجتمع ، او تمحوه عوامل الوراثة ، فينكمش سريعاً ويتلاشى خفياً حتى على صاحبه . واذا في جوانب النفس اطياف شبح غير منظور لا يجرؤ صاحبها على استيقافها والتأمل فيها حتى في اعماق سرّه . بيد انها لا تختفي على القصصي المصوّر ؛ فهو يطاردها في خفايا القلب ، ويستوقفها في مطاوي النفس ، محلّلاً ، مداوراً ، موازناً ، حتى يستوفي وصفها ، وقد اخرجها الى النور على وضوح قد يكون فيه بعض المبالغة ؛ والفضل في هذا النوع من اللمحات ان يظلّ على شيء من الأسرار والغوامض . من ذلك لمحات « فؤاد » التائهة في « مبّ الغرام » ، وخواطر « ساره العانس » الجامحة بها حتى الجنون ،

وذكريات « الهوى الاولى » الشاعرة ، وصرخات « الارض » تنادي ربيبها الى الإعراض عن مظاهر الحياة الاجتماعية ، الى غير ذلك من تصوير نفسي بليغ يرتقي درجة عالية في « صاحبي الذي مات » اذ يعرض الكاتب لتمثيل الازدواج في النفس الواحدة . . .

والكتاب ، فوق هذا ، معرض للحياة اللبنانية بما فيها من جمال المشاهد والمناظر ، ومن تباين العادات والاخلاق الجامعة بين تقاليد الشوفيين ، والدروز منهم خاصة ، وتعلق البيروتيين بزبد العادات « المدنية » الجديدة . يصوّر ذلك باسلوب لا يخلو من مبالغات يصل اليها الكاتب بداهةً لما فُطر عليه من كثرة التدقيق في درس العواطف وتحليل الاختلاجات ، فيندفع به البحث الى منعرجات متتابعة ، ومتاهات متباعدة ، يتغلغل في ثناياها حتى يتلف الفكرة بكل دوراتها والتواءاتها، غير عابئ، أطالت الجملة ام تقطعت، اتجاوز الحدّ في التصوير ، ام بقي ضمن حدود الاعتدال ، ما دامت غايته نقل الطبيعة كما يراها من خلال نظرته النافذة المحلّلة . هذا مذهب ! وان يكن فيه من نقص في نظر ارباب الفنّ وسادة الصناعة ، فانه نقص الحياة الطبيعية نفسها ، وما كانت هذه القصص الّا من صميمها الخالد . ف . ا . ب .

نشوء القصة وتطوّرها

الشيخ عفا الله وقصص اخرى

بقلم محمود تيمور

المطبعة السلفية ومكتبتها ١٣٥٥-١٩٣٦ - ٥٠ ص . قطع ١٢ - و١٧٦ ص . قطع ١٢

وكما في لبنان كذلك في مصر ، نهضة قصصية مثمرة . وها امامنا ثمرتان من نتائجها ، اولاهما دراسة نظرية القاها القصصي المعروف محمود تيمور محاضرةً في قاعة يورث بالجامعة الاميركية في مصر ؛ عرض فيها « لنشوء القصة وتطوّرها » وتأثير العقل والخبرة والخيال ، وظهورها بشتّى المظاهر عند الشعوب طبقاً للبيئة التي عاشت فيها . فكان الرحّل والشعراء اول مَن وضعوا القصص . ومنهم ،

عند اليونان ، صاحب الالياذة والاودية ؛ وعند الرومان صاحب الانياذة ؛ وعند الهنود والفرس صاحبا المهاباراته والشاهنامه الخ . ولكل شعب قصصه واساطيره . اما العرب ، في الجاهلية ، فاهملوا القصص كما اهملوا غيرها من الفنون الادبية ، حتى العهد الاموي والعباسي ، اذ الفوا حكايات واخباراً اشهرها الف ليلة وليلة. وعوّل القصاصون في القرون الحديثة على تعريب قصص الافرنج ، فكانت من ثمّ نهضة تطوّرت بفضل الكتبة العصريين الى الاستقلال عن الاصل الافرنجي فابتكروا ووضعوا القصص باسلوب ممتع جديد آخذين تفاصيلها وحوادثها من حياة الشعب.

اما الثمرة الثانية فهي مجموعة قصصية باسم الشيخ عفا الله. فيها ١٣ قصة ، كل قصة منها مثال للاسلوب القصصي الذي سبق المؤلف وتكلم عنه في المحاضرة السابقة . فالشيخ عفا الله المتصوّف انما هو الفلاح المصري في سذاجة فطرته خابت آماله في اتباعه هواه فذهب يعكف على العبادة، لا حباً للخالق ولكن اسفاً على الخليقة معشوقته . وهناك قصة « اليتيمة » ومن بعدها قصة « الغرام » وكلاهما تنتهيان بدمعة بكاء او تكادان ... وان قلم المؤلف لرشيق وقد يستغوي القارئ في استعمال الالفاظ الغير العربية لصدق وقوعها في العبارة كالصالون، والسبور ، والغندول ، والجرسون ، والبيان (piano). ولا لوم عليه في ذلك فان سلاسة العبارة تلهي عن استعجام الالفاظ ، شئنا ام ابينا ؛ وقد قرّبت الينا فهم الاشياء دون الالفاظ التي نتوقع تدوينها من المجمع العلمي لنتفق على تسمية السبور والغندول الخ...

وددنا لو قرظنا الكتاب من غير ما تحفظ ولا تردد ، لولا المسحة الحزينة التي تسوّد الدنيا في عين قرّائه، ولولا العقدة الغرامية التي تكاد تعقد كل قصصه مما يحول دونها ودون وضعها في ايدي الناشئة.

وكنا منذ ايام قلائل في دير الراهبات المدرسات اللغة العربية فسألننا لمَ لا تجد تلميذاتهنّ في اللغة العربية امثال ما يجدنه في غيرها من اللغات من قصص ادبية لذيذة !!! وها اننا نطلب الجواب من قضاعينا الناهضين.

ف . ت .

تاريخ شرقي الاردنّ وقبائلها

تأليف اللفتنت كولونيل فردريك ج پيك — تعريب بهاء الدين طوقان

٤٦٢ ص. متوسطة كبيرة — مطبعة دار الايتام الاسلامية الصناعية بالقدس

لا نغالي اذا قلنا ان هذا الكتاب اجمع تاريخ لشرقي الاردنّ ، واوسعه ، واضبطه، ولاسيّما في ما اختصّ بقبائل تلك المنطقة. بذل المؤلّف في اظهاره جهوداً جبّارةً ، فدلّ على اطّلاع واسع بشؤون البلاد الحاضرة خاصّةً ، كما دلّ على مقدرة في اختصار ما يُعرف عن تاريخها السابق . قسم الكتاب قسمين خصّ الاول منهما بتاريخ شرقي الاردنّ ، والثاني باسماء القبائل النازلة فيه .

اما القسم الاول فيتناول ، في عشرة فصول ، شرقي الاردنّ منذ عصور ما قبل التاريخ حتى غزو الاشوريين ، فتاريخ اشور وبابل وفارس ، فاليونان ، فالرومان وما تركوه من مآثر وآثار ، فشرقي الاردن في اواخر العصر الروماني ، فالفتح الاسلامي، فالصليبيين ، فالمماليك ، فالعثمانيين ، فالحرب العظمى وما وليها. كل ذلك بأسلوب واضح موجز يستند الى اكثر المصادر المهمّة من قديمة وحديثة ، فيكوّن فكرة شاملة عن تاريخ تلك البلاد ، وان كان ينقصها احياناً شيء من النقد الاختصاصي ، ولاسيما في ما خصّ عهدَي الامويين والصليبيين.

واما القسم الثاني ، وهو الافضل ابتكاراً ، ودقةً ، وفائدةً ، فقد خُصّ بذكر قبائل شرقي الاردن في اصولها ، وانسابها ، ومذاهبها الدينية ، ومنازلها في مناطق البادية ، او البلقاء ، او عجلون ، او الكرك ، او معان ؛ منتهيةً بفصل في الشركس والشيشان ، والتركمان ، والبهائيين .

ويذيّل الكتاب ملحقان ، الأول في شجرة النسب الهاشمي، والثاني فهرس هجائي للمواد كلّها. ويتبعه، على حدة، خارطتان واضحتان لمنطقة شرقي الاردنّ من اقدم العصور الى العصر الهيرودسي ، وللمنطقة نفسها من العصر الروماني الى العصر الحاضر . فوق ما يزيّن المجلّد من صور جليّة تمثل اهمّ الآثار ، واشهر الشخصيات الاردنية .

هذا وصف سطحي لمحتويات الكتاب النفيس ، ولكنه يشير الى اهمية

المجلد الظاهر ، كما قال المعرّب « اول تاريخ شامل عن هذه البقعة من الارض المعروفة اليوم بشرقي الاردنّ ... تاريخ حقيق بالجمع والتدوين لأهميته ولذاته معاً .» ف.ا.ب.

الفنون الادبية

كما يفهمها خليل تقي الدين ، سعيد عقل ، فؤاد افرام البستاني ، قسطنطين زريق ، جبرائيل جبور

١١٢ ص. متوسطة صغيرة – نشر جمعية خريجي القسم الثانوي في الجامعة الاميركية، مطبعة الاتحاد ، بيروت ، ١٩٣٧ – الثمن : ٢٠ غ.ل.س.

كانت جمعية خريجي القسم الثانوي في الجامعة الاميركية قد رغبت الى الادباء الخمسة المذكورين في القاء خمس محاضرات يحدّدون فيها ما اختصوا به من فنّ ادبي. فكان لهم هذه المجموعة في القصة، والشعر، والادب، والتاريخ، والنقد. اتت باشياء معروفة ، وباشياء جديدة ، قد لا يقرّها الكثيرون ممن شبّوا وشابوا على المقاييس القديمة في الادب والتاريخ والفنّ. وقد احسنت الجمعية صنعاً بنشرها تعميماً لفائدتها ، وتسهيلاً للمناقشة في بعض مبادئها ومقاييسها. وقد لا تخلو هذه المناقشة من عمل على توسيع الآفاق الادبية في هذا البلد. وهو جلّ ما يتمناه المحاضرون.

كمال أتاتورك

بقلم محمد محمد توفيق

١٩٠ ص. متوسطة – دار الهلال ، مصر ، ١٩٣٦

كتاب جامع ، سهل الاسلوب ، واضح العرض ، من افضل ما ظهر بلغتنا عن باعث تركية الجديدة. استعدّ له المؤلف بدراسات طويلة في الموضوع ، كما يقول «راغباً في قراءة كلّ ما كتب او روي عن كمال اتتورك قبل ان يطبع صورته التي رسمها له في اذهان القراء». وقد الحق بالكتاب جدولاً واسعاً بتراجمه ومصادره من المؤلفات الانكليزية والفرنسوية والتركية والعربية الدائرة حول مصطفى كمال وتركية الجديدة ، ان يكن طالعيا كلّيا ، فقد اتى جهداً كبيراً

قد يفوق جهد «الصحافي» العادي. بيد انه هضم كل ذلك، فعرضه باسلوب لطيف لا نبلغ ، مهما مدحناه ، ما قاله فيه المؤلف نفسه ، اذ كتب في المقدمة (مقدمته هو ، لأن للكتاب مقدمة اخرى بقلم الاستاذ فكري اباظه المحامي):

«وانا في هذا الكتاب شخصيتان متناحرتان: شخصية «الرجل الجامعي» الذي يعتمد على اوثق المراجع والمصادر ، ويحاول ان يصبها في كتابه صباً ، وشخصية «الصحافي» او «الاديب» او «الفنان» — سمّه ما شئت — الذي يروّض نفسه على مقاومة النزعة الجامعية بشدة ، ولو انه يبني على دراستها كل سطر يخطه في كتابه — حتى يقدم للناس دراسة وافية دقيقة باسلوب عصري سلس

«وليس من شأني في هذا الكتاب ان اسجل اعمال الجمهورية التركية باسهاب فهذا موضوع كتاب آخر سوف اصدره عما قريب. ولكني هنا «رسام»... نعم «رسام» يرسم لوحة فنية لرجل من عظماء التاريخ.»

قلنا: وقد يشعر المطالع بان شخصية «الصحافي» طغت في كثير من الاحيان على شخصية «الرجل الجامعي.» ف. ا. ب.

منشورات الاب بولس سباط

رسائل دينية وفلسفية واخلاقية — ١٢٨ ص. متوسطة ، مطبعة الشرق ، مصر ، ١٩٣٦
الى الدوتشي بنيتو موسوليني — ٦٤ ص. متوسطة ، مطبعة الشرق ، مصر ، ١٩٣٦
١٥٠٠ مخطوطة بالعربية والسريانية أكتشفها الاب بولس سباط — ٢٢ ص. متوسطة.
كتاب فلاحة الارض لانطونيوس البيروتي — ٨ ص. متوسطة.
بلوغ الارب في علم الادب — ٥ ص. متوسطة ، و٣ صور.
الاقرباذين في علم طب الخيل — ٣ ص. متوسطة ، و٣ صور
كتاب المسائل في العين — ١٠ ص. متوسطة.

للاب بولس سباط جلد لا يعرف الملل في التفتيش عن المخطوطات الشرقية القديمة ، ودرسها ، واطلاع العلماء على محتوياتها . وقد تقدم لنا في «المشرق» اشارات الى عدد من منشوراته المفيدة ، ككلامنا عن كتاب الازمنة ليوحنا بن ماسويه (٣٢ [١٩٣٤] ١٤٤) ، والنوادر الطبية للمؤلف نفسه (٣٣[١٩٣٥]١٤٥) والروضة الطبية لعبيدالله بن بختيشوع ، ومختصر علم النفس الانسانية لابن

العبري (٣٣ [١٩٣٥] ٦٣٩) واشارتنا الى الجزء الثالث من مخطوطات مكتبته العامرة (٣٢ [١٩٣٤] ٦٢٠) وهـا هو اليوم يهدي الينا سلسلة من منشوراته قديمة وحديثة اهمها ثلاث رسائل من كلام مار اسحق النينوي (القرن السابع) في الزهد والرهبنة مما استخرجه ونقله حنون بن يوحنا بن الصلت (القرن التاسع) نشرها بالعربية والفرنسوية مع مقدّمة ، وفهرس ، وحواش.

ثم مجموعة من « الحكم النافعة للنفس والبدن جمعها ايليا مطران نصيبين (٩٧٠ - ١٠٥٦) من اقوال الحكماء والاطباء » نشرها الاب سباط مع ترجمتين فرنسوية وايطالية ، وقدّم الجميع الى الدوتشي بنيتو موسوليني.

وهناك خمسة مقتطفات من نشرة المعهد المصري للسنوات ١٩٢٥–١٩٢٦، ١٩٣٠–١٩٣١ ، ١٩٣١–١٩٣٢ ، ١٩٣٤–١٩٣٥ ؛ درس في الاول منها ٣١ كتاباً من مخطوطاته العلمية والادبية. وفي الثاني كتاباً في فلاحة الأرض منسوباً لانطوليوس البيروتي (القرن الرابع) . وفي الثالث مخطوطاً للمطران جرمانوس فرحات عنوانه « بلوغ الأرب في علم الأدب » . وفي الرابع مخطوطاً قديماً في الاقرباذين في علم طبّ الخيل. وخصّ الخامس بدرس « كتاب المسائل في العين » لحنين بن اسحق (٨٠٩ - ٨٧٧).

مشكلة العمال

بقلم رزوق شماس

٢٢٢ ص. صغيرة – مطبعة المعهد ، بغداد ، ١٩٣٦

في انحاء الشرق الادنى حركة مباركة في سبيل الطبقة العاملة ، يسيّرها كل بلد حسب احتياجاته ومرافقه ، محاولاً جهده حلّ المشاكل الاجتماعية الخاصة به. ولا يخفى ان هذه المشاكل تختلف في مجتمعنا عنها في المجتمعات الغربية ، بل انها تختلف في البلد من بلاد الشرق عنها في بلد آخر. بيد اننا نشعر جميعاً بضرورة سنّ تشريع عادل يحفظ الطبقة العاملة، اساس المجتمع ، من جشع الرأسماليين ، ومن مخاطر ارباب الشيوعية الهدّامة. وقد فكرت الحكومة العراقية ، في السنة الفائتة، بسنّ مثل هذا التشريع. فرغبت جريدة «الطريق» البغدادية الى الكاتب–

وهو من طلّاب الحقوق الناشئين في محيط الدروس التشريعية ، الميّالين الى درس الشؤون الاجتماعية - ان يبسط للجمهور ما تجب معرفته عن مشكلة العمال. فنشر عدة مقالات جمعها بعدئذٍ في هذه الرسالة «محاولاً ان يشرح المبادئ والنظرية بصورة محايدة » ، عارضاً «لشأن العمل في الانتاج » ، و« الثورة الصناعية منشأ مشكلة العمال » و« النقابات » ، وما كان من « كفاح الطبقة العاملة » وما تفرّع عن ذلك من حركات سياسية واجتماعية. منتقلاً الى درس المشاكل المذكورة في المانية وبريطانية العظمى ، وروسية وسائر دول اوربة ، وما قامت به جمعيه الأمم بشأن كل ذلك ؛ خاصاً الفصل الاخير ، وهو السادس عشر ، « بحالة العمال في العراق » ؛ خاتماً بذكر بعض المصادر عربية وفرنسوية وانكليزية ؛ مقدّماً للمشتغلين بالاجتماعيات من ذوي اللغة العربية كتاباً مفيداً يكون خير مدخل للتعمق في هذه الدروس. ف.ا.ب.

الحياة الادبية في جزيرة العرب

للدكتور طه حسين

٥٣ ص. صغيرة – مكتب النشر العربي ، دمشق ، ١٩٣٥ – الثمن: ٥ غ.ل.س.

هو تعريب مقال للدكتور طه حسين نُشر في مجلة امركية ، فنقله الشيخ خليل الروّاف ، اذ رأى فيه «خير صورة تُقدّم لقرّاء لغة الضاد عن الحياة الادبية في جزيرة العرب» في يومنا الحاضر، ولا سيما في مناطق الحجاز واليمن ونجد ، مع الانتباه لأثر الحركة الوهّابية في حياة العرب العقلية والادبية.

مقام ابراهيم

لمحمد اسعاف النشاشيبي

٣١ ص. متوسطة – مطبعة بيت المقدس.

خطبة القاها المؤلّف « في حفلة التأبين الكبرى التي اقامها رجال الكتلة الوطنية في الشام لفقيد العرب البطل المجاهد ابراهيم هنانو.» فاتت مثالاً على التشدّق البليغ والثرثرة الجوفاء.

هكذا قضت الاحوال

بقلم عيسى ميخائيل سابا

٤٠ ص. قطع ٨ – مطبعة الوفاء، بيروت، ١٩٣٦

رواية تمثيلية ذات اربعة فصول ومنظر، شاء الكاتب ان يمثل فيها ناحية من نواحي حياة شبان العصر، فصوّر مشاهد متنوّعة من الحياة العادية نجح في بعضها، والى بعضها الآخر سريع التطوّر، منشعب التفاصيل، لم يظفر بالتشذيب الفني. وعندنا لو ان المؤلف مثل روايته مرّة او مرّتين، قبل الطبع، لأصلح فيها كثيرًا، ولا سيما في الإخراج التعبيري، وهو في بعض المواقف، على نشزات تبعده عن الاسلوب الطبيعي. وما قوله بذاك الشاب الكسول، الضعيف الملكة باللغة العربية، حتى يشكو ابوه هذا الضعف، يخاطب حبيبته، في باريس بهذا القول: «ألستِ انتِ من الحور العين؟ ألستِ المنبثقة من زبد البحر غضّة بضّة، كأنك العين المنقوش؟» (ص ٣٤)

ف. ا. ب.

كتاب جغرافية انارة العالم

تأليف يوحنا جرجس ابي زيد

١٢٨ ص. متوسطة – مطبعة جريدة «العروس»، بوسطن ماس، ١٩٣٥ – الثمن: دولار واحد

ليس هذا كتاباً في الكهرباء وتوزيع نورها على العالم، كما قد يدلّ عليه عنوانه. انما النور هنا نور مجازي، بل هو نور العلم يفيضه الفلكي يوحنا جرجس ابي زيد على علماء العالم، مبرهناً لهم ان الارض مسطّحة لا مستديرة، وان الأرض ثابتة لا متحرّكة، وان الشمس هي المتحركة فوق الارض. عاملاً على اخراجهم من ظلام الوهم والخطأ الذي افاضته عليهم «ظنون الجهلاء والاغبياء الذين ضلّوا عن سبل مبادي الحقائق مثل غاليلو وكالبنوس وغيره كذا وكبانيكوس» (كذا ص ٤١) وكل ذلك «بشأن توضيح جوهر الحقائق تعيين وجه الأرض وثباتها ايضاً، وتحقيق كيفية جوهر سير الشمس والقمر والنجوم وخلافه. ولأجل ايضاح الجوهر اعلاه تجدوا في صفحات هذه الجغرافية جملة

براهين عقلية وتاريخية وطبيعية كذلك تروا رسالات من اشخاص اوجه كرام يحبذون بكل رغبة وقبول تحقيق الجوهر واظهاره لكافة الامم والشعوب . »
(كذا بنصه على الغلاف) الى غير ذلك من الطرائف والمبتكرات اللذيذة .

على افواه الحيوانات

١٤ ص. متوسطة – جمعية نشر المعارف المسيحية ، بولاق (مصر) ؛ وكاتدرائية سنت جورج بالقدس – مطبعة النيل المسيحية ، مصر

مجموعة قصص لطيفة مختارة من بلدان شتى شرقية كمصر ، وفلسطين ، والهند ؛ وغربية كسويسرة ، وانكلترة ، وايطالية . وكلها موضوعة في سبيل الاطفال ، بين السابعة والعاشرة من العمر . نشرتها جمعية نشر المعارف المسيحية ، وغايتها تثقيف عقل الطفل بما تعرض عليه من القصص التاريخية والوصفية والفكاهية ، وتلقينه دروساً في الرفق بالحيوان . والكتاب انكليزي الأصل عرّبته السيدتان مدام حبيب سعيد ، ومدام ثابت اثناسيوس .

منشورات جمعية تشجيع السياحة

بين يدينا ثلاث كراريس من منشورات جمعية تشجيع السياحة في لبنان ، اصدرتها باللغة الفرنسوية ، واضحة المعلومات ، موجزة التعابير ، وافرة الصور . خصّت الاولى منها بالمتحف الوطني اللبناني في بيروت ، والثانية ببيت الدين ودير القمر ، والثالثة ببيبلوس ، فاحسنت صنعاً :

Le Musée national libanais à Beyrouth. In-8°, 12 pp. illustré.
Beit-ed-Dine. Deir-el-Qamar. In-8°, 16 pp. illustré.
Byblos. In-8°, 16 pp. illustré.
Imprimerie Catholique, Beyrouth, 1936

* للحقيقة والعبرة * حكم اصدره سيادة المطران انطون عبد ، رئيس اساقفة طرابلس المارونى ، في اثناء زيارته الرعوية لقرية سبل ، نهار السبت الواقع في ١٧ نيسان ١٩٣٧ — ٣٨ ص صغيرة .

* حول احتفال بكركي في ٢٢ تشرين الثاني ١٩٣٦ ، او ردّ على محاضرة العالم الاب ميخائيل الرجي * بقلم الاب بولس مسعد الحلبي اللبناني — ٨٢ ص متوسطة ، المطبعة المارونية ، حلب ، ١٩٣٧ .

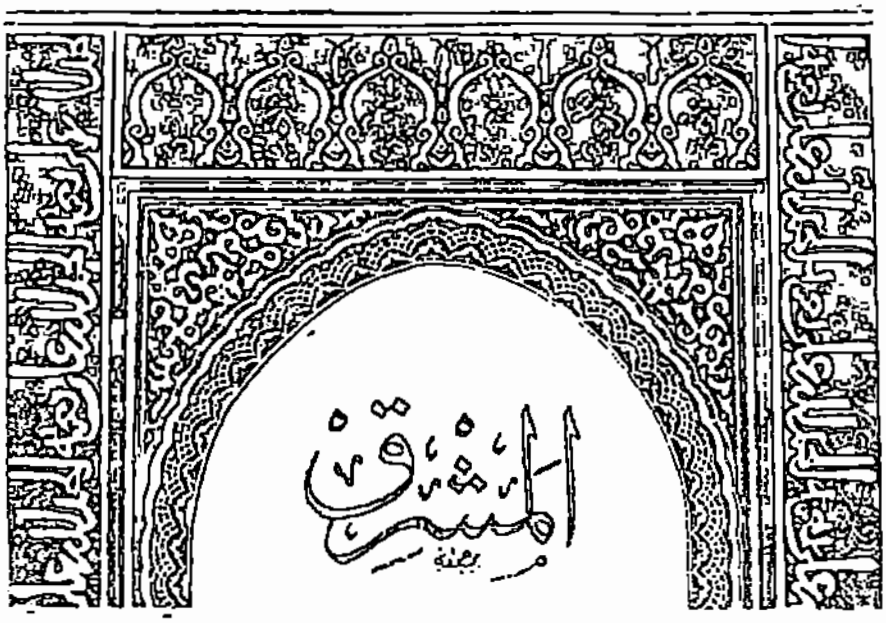

السنة الخامسة والثلاثون — نيسان — حزيران ١٩٣٧

الاب هنري لامنس

١٨٦٢-١٩٣٧

بقلم الاب فردينان توتل اليسوعي

الى رحمة الله تعالى، انتقل الاب لامنس في الساعة التاسعة من مساء الجمعة ٢٣ نيسان. فنعته الجامعة اليسوعية الى اهله واخوته . ورددت الصحف نعيه الى الشرق والى الغرب . فحركت في النفوس لوعة الأسف على فقده راهباً فاضلاً ، وكاهناً عالماً ، واسع المعارف ، متخصصاً في الدروس الشرقية العربية من جغرافية وتاريخية ، مسيحية واسلامية .

***

كتب الاب لامنس عن رجال الحملات الصليبية ، فذكر الفلمند اجداده ، مَن شدّوا الرحال الى الاراضي المقدسة جنوداً وامراء ، وخرجوا من سهول الشمال البلجيكي ، فهجروا الآل ، وتركوا المال ، وتغرّبوا ، ووجّهم الجهاد في سبيل الله واليوم الاخير .

وان تلك العاطفة النبيلة التي دفعت بالسواد الاعظم من رجال الغرب الى قبر المسيح انما هي التي دبّت في قلب الفتى ، واوحت اليه التضحية بحياته وبما فيها من مواهب منّ بها الرحمان عليه ، ليسيرَ جندياً ، لا بالسيف والرمح ، شأنَ الصليبيين ، ولكن بالقلم ، فيفتح فتوحات العلم . في الخامسة عشرة من عمره ترك مدينة غاند (Gand) ونورها المتضائل ما وراء الضباب ، وقد ابصره في حضن عائلة مسيحية كاثوليكية في ١ تموز سنة ١٨٦٢ واتى لبنان وطناً ثانياً له واحبه حب الولد لبيته ؛ أحب سكانه ولغته وتقاليده وكل ما اتصل به في الزمان الحاضر والغابر . ونال ايضاً محبته .

***

دخل هنري لامنس الكلية اليسوعية في بيروت تلميذاً . وفي ختام السنة ١٨٧٨ المدرسية ، في ٢٢ تموز ، في حفلة توزيع الجوائز ، سمع قراءة اسمه في ذكر كل مادة من مواد الصف الثالث : التعليم المسيحي ، والامتياز ، والاجتهاد ، والترجمة اللاتينية ، واليونانية ، والتاريخ ، والجغرافية ، والحساب .

وفي ثاني ذلك اليوم ، في ٢٣ تموز ، كان في دير الابتداء في غزير سالكا في الشرق الطريق التي سلكها شقيقه اليسوعي في الغرب ، فنشأا اخوين من اسرة واحدة على حبّ الزهد والتضحية ، ونبتا غصنين نضيرين على أرومة واحدة . فانتج كل منهما ثماره في حينه ، وفي البلاد التي اختارتها له العناية .

قضى الاب لامنس سنتين في الابتداء . ومن بعدها خمس سنوات في درس البيان والخطابة واللغات . وهناك كان الاب فرنشر ، استاذ اليونانية ، غيوراً على تقدم تلامذته . فشروحات وشروحات من مؤلفات هوميروس وسوفوكل وديموستين . . . وغيرهم من ائمة الكتبة ممن ينقل درسهم على الطلاب ! اما الفتى لامنس فينكب عليهم ، ويتعمق باليونانية فيقبض على ناصيتها ، وسوف يقرأ كتاباتها الاثرية على صخور لبنان وفي كهوف الشمال السوري ويفسرها ويناقش العلماء الاثريين في مواضيعها .

في السنة ١٨٨٦ ، عاد الاب لامنس الى الكلية في سلك المعلّمين . فقضى سنة في تعليم الصف الثالث ، واربعاً في تدريس البيان . وكان منذ دخوله لبنان قد صرف

جهوده الى تحصيل اللغة العربية فتعلّمها ، لا على النسق الجاف العقيم ، ولكن بطريقة علميّة اختطّها لذاته بوفرة ذكائه وقوة عزيمته ، فسارت به من معرفة المفردات وتراكيبها الى ضبط اصول فقهها ، الى تفسيرها في متونها عن أئمة المؤلفين . فمكنته ، وهو الافرنجي ، من القيام بمهمة تلقينها التلامذة اللبنانيين في الكلية . وقد حفظوا للاب لامنس من ذلك العهد ذكرى الاديب المتوقد ذكاء ، المتضلّع من المواد الموضوعة للدرس .

ولم يبلغ الثلاثين من عمره الا وقد نشر مؤلفات كانت نتيجة من نتائج اجتهاده ، اولها كتاب الفرائد في الفروق (سنة ١٨٨٩) وفيه مواد شهدت له بسعة المطالعة ودقة الملاحظة ، جمع شتاتها عن اللغويين ورتبها الترتيب العلمي وضبط احكامها اخذًا عن كليات ابي البقاء ، وتعريفات الجرجاني ، وعن مؤلفات نور الدين الجزائري ، والحريري ، والطوسي ، وابن قتيبة ، والسيوطي ، والفضل ، والليث ، والثعالبي ، وابن الاجدابي ، والتهاوني ، وابي بكر الخوارزمي ، والشريشي ، والهمذاني ، والاصمعي ، وابي زيد وغيرهم . فألف من اقوالهم ١٦٣٩ بندًا كل بند حوى المترادفات وفروقها وعلّمنا من كتابه كيف نغربل الالفاظ فنحفظ منها ما يصلح لدقة المعنى وتنبذ الحشو نبذ النواة .

وكان ذلك الكتاب آلةً لوضع مؤلَّف غيره اتى به الاب لامنس على درس الالفاظ الفرنسية المشتقّة من العربية ، مقدّماً عليه بقواعد عامة في الاشتقاق ، معالجًا امر الالفاظ التي سبقه المستشرقون الى معالجتها فنقد اقوالهم وكملها ، واستنبط من سعيه فرائد مكّنته من خوض المناقشة اللغوية مع ائمة علم اللغة المعاصرين . وقد يرجعون الى مؤلفاته حجة .

وطبع من ثم كتاب الترجمة بجزءيه . وهو خير ما يوضع بين ايدي تلامذة الصف الرابع والثالث ، توطئةً للبيان وهو يفيدنا عن اسماء المؤلفين الذين اتخذهم لامنس نبراساً في طريقه الى علم الاستشراق . فكانت الجغرافية ، والتاريخ ، والعلوم الطبيعية ، المادة التي انتخبها وعوّل عليها في تخريج العقول وتحصيل الالفاظ .

من السنة ١٨٩١ الى السنة ١٨٩٧ تنقّل الاب لامنس بين الشرق والغرب .

فدرس اللاهوت في انكلترة ، وفي بيروت. وتولى ادارة البشير مرتين (١٨٩٤ و ١٩٠٠ — ١٩٠٣) فكبّر حجمه . وعكف على الدروس وحده في لوفان (١٨٩٥) وقضى الابتداء الثاني في ڤينة ١٨٩٦ ، عاصمة النمسة ، حيث اتقن اللغة الالمانية. وعاد الى بيروت سنة ١٨٩٧ ، فعُهد اليه بادارة الدروس والنظام في الكلية . لكن ضعف قواه البدنية حال دون بقائه في الوظيفة مدة طويلة. على ان تأثيره الطيب في التلاميذ دعا الرؤساء بعد الحرب الى اقامته مديراً لجمعية التلامذة القدماء. ولا وصف افصح للوداد الذي حفظوه للاب لامنس من كلمات التأبين التي القاها، في مأتمه ، السيد الفرد نقاش في ٢٥ نيسان ، قال:

« لا كلام في ساعة الوداع الاخير الا كلام الفؤاد .

لقد حل الاب لامنس في محبتنا واحترامنا محلا رفيعاً. نذكر له مبرّاته ونبكي . كم من شبان ساعدهم في الاحتضار ، كم من امهات ثكالى، وآباء مكلومين، عزّاهم وقراهم في مرارة الاحزان والشدائد . . . لم يجاهر الاب لامنس بعواطفه . وحالت بصيرته وحسّه النقاد دون تكلفه التظاهر، فكانت ارشاداته ومحاضراته محدودة ضمن حدود الرزانة والمنطق. يسمعه السامعون ويودّون لو انه اطال فيها واسهب .

هو العالم المتضلع من تاريخنا ، الدارس احوالنا وتقاليدنا ، وقف الى جانب اللبنانيين في ساعات حياتهم السياسية المتعثرة المظلمة ، فتلمس فيها الطريق ، وهداهم اليها . وكانت نصائحه درر حكمة ضمت في سلك المنطق. »

وسنة ١٩٠٣ اقيم الاب لامنس معلماً للتاريخ والجغرافية. وسنة ١٩٠٧ دخل كاستاذ معهد الدروس الشرقية المؤسس حديثاً في الكلية. فتوفرت بين يديه وسائل الاختصاص في دور الكتب وفي مرافق التعليم والبحث والتأليف. فاحسن استعمالها ضمن دائرة محدّدة تطوّرت فيها جهوده واعماله ، فرقته من مطالعة الى مطالعة ، ومن علم الى علم ، حتى تعمق في البحث والتنقيب والاستنتاج وصار حجة زمانه في اختصاصه .

* * *

بين يدينا مؤلفاته. لقد قرأنا منها الكثير واعدنا قراءته. واعملنا القلم في شيء منها ، فوضعنا لها الفوارس، وعنها اقتبسنا. فما هي الغاية التي توخاها فيها صاحبها ؟ وباي وسائل حاول البلوغ اليها ؟ واية هي النتيجة التي استنبطها منها ؟ وما كان تاثيرها في الدروس الشرقية عامة والاسلامية خاصة ؟ عسى ان نوفق في الجواب

عن هذه الاسئلة فنقوم بواجب المعروف ذكرى للعالم وفضله ، ونؤدي صفحة لتاريخ الاستشراق.

غاية الاب لامنس : درس شخصية محمد

تنحصر اعمال الاب لامنس العلمية الاختصاصية في دائرة خاصة قد يحق لنا ان نسميها « المعضلة الاسلامية » . تقتضي جهوداً بذلها طيلة حياته ، وتشمل مؤلفات منها ضخمة ، ومنها رسائل وجيزة جال بها حول حلّ اللغز التاريخيّ الدينيّ الكبير ، وهو شخصية محمد وقضية انتشار الدين الاسلامي. اقبل على ذلك المشروع الخطير بهمة شماء نالت اقصاها من المواهب العلميّة السامية ، ومن المبدأ الذي اتخذه مهازاً لحياته الكهنوتية اليسوعية بالّا يكتفي بالنزر القليل حيث المجال واسع للعمل، والامل بالاستفادة عظيم ؛ واي مجال اوسع من درس الدين الاسلامي في علله ! واي امل اعظم من امل الساعي في سبيل النور ! وان ذلك الدين مجسم في الوف المواطنين من سكان لبنان وسورية ومصر . نظر اليهم الاب لامنس لا نظرة الازورار، ولكن العين بالعين والودّ في القلب. وما كان اصفى نظره وما اودّ قلبه لمن ساروا طالبين الهدى من التاريخ !

مضى الاب لامنس في ابحاثه يلتمس حقيقة الدين الاسلامي فيميز بها النور من الظلام. لن يوفق الى ابراز شخصية محمد في صفحة التاريخ الوضاح ، لكنه تشع غيوماً تلبدت مع الايام ، فوارت صورة من قلب جزءاً من العالم ظهراً لبطن.

ورب معارض يقول: وهل من حاجة الى اكتشاف الشمس في الهجيرة ؟ الا يذكر المسلمون من حياة نبيهم ما يروي الغليل ويشفي العليل ! اليست السيرة مستندة الى اقوال الصحابة والشهود ؟ واي حقيقة تاريخية اقوى حجة من حجة الرواة اذا اجمعوا على قول واحد وهم كثيرون ؟

فيجيب الاب لامنس : ان آراءهم واقوالهم مرجعها واحد وهو القرآن. وما دام القرآن يأتي مصداقاً لكلامهم فهناك اساس للتاريخ متين. اما الحديث فادته وضعت اصلاً ، لا للتاريخ، ولكن للتشريع والتعليم والفقه. وقد تبين لنا هذه النظرية باجلى تبيان، بعد الكلام عن الوسائل التي تذرع بها الاب لامنس، وعن

الاسلوب الذي اتبعه في الوصول اليها.

وسائل الاب لامنس واسلوبه

ان العلامة نولدكه ،بعد ان تحقق العقبات القائمة المعتورة الطريق الى معرفة شخصية النبي ، اجفل عن مواصلة البحث وقال انه قد عدل نهائياً عن محاولة كشف القناع عن سرّ محمد .

اما الاب لامنس ، وهو في قلب الشرق ، في لبنان ، بالقرب من المكتبة الشرقية في الجامعة اليسوعية في بيروت،وغيرَ بعيدٍ عن القسطنطينية ومصر. فقد اقبل اولاً على درس الكتب الاسلامية في اصولها العربية ، وفي مؤلفات المستشرقين ، على اختلاف النزعات واللغات. وقد ذكرهم في مصادره واتخذ بعضهم مرجعاً خاصاً في المكتبة التي حفظها في غرفته الى آخر يوم حياته . واننا نذكر اسماءهم كما تتوارد الى الخاطر : ولهوسن ، شنوك هرگرونيه ، كايتاني ، نولدكه ، گويدي ، هوار ، مرگليوث ، سپرنگر ، وستنفلد. فاستوعب اقوالهم، واستقصى مباديهم ، ونقدها . واقتبس منها ما رآه صالحاً لدروسه ، موافقاً للحقيقة التي ينشدها . وقرأ الشعراء العرب الاقدمين ، واعمل الروية في دواوين الاخطل ، وعلقمة ، وفي حماستي البحتري وابي تمام ، وفي اشعار الخنساء ، وامية ابن ابي الصلت ، والقطامي ، وزهير ، ولبيد ، وابن قيس الرقيات. اما كتاب الاغاني فقرأه ، وقرأه ، وقرأه ، الى الثاني عشرة مرة. واكتشف في قراءته الشعراء ما لم يكتشفه ابناء العرب انفسهم من تلميحات تاريخية وفوائد دبجها في تأليفاته شهادات بينات على صدق حجته. فاثار اعجاب احد علماء الازهر ، وقد وقف على تفسيره بعض الاشعار القديمة ، فقال: لقد سبقنا هذا الاعجمي الى فهمها .

واعلم ان الاب لامنس بذل جهوده في استغلال الشعر العربي القديم في سبيل معرفة اصول السيرة النبوية، لا لكون الشعراء كتبوا التاريخ ولكن لان اقوالهم صارت مادة طارت منها سوانح . فكان يصطادها الاب لامنس ، وبها يهتدي الى معرفة الاخبار،يكتشفها تأويلاً او استنتاجاً من عبارة او من بيت يشف عن تزييف في الاصل ، او عن شعر هجاء ، او حماسة او فخر ، رجع بها الاب

لامنس الى اسبابها وفكّ لغزها، بموجب المبادئ التي توصل اليها. منها ان الشعراء كانوا ممقوتين من النبي ، فان حفظ لهم المحدّثون ذكرًا او قولًا فلم يحفظوه حبًا للشعر ، ولكن لغاية سياسية. وتوصل الاب لامنس في تحصيله الى تحليل الظروف والعلل التي قيل فيها الشعر ، فحفظه مادة تاريخية اكيدة صالحة لتوضع حجرًا في البناء التاريخي الذي اعده.

واذ حاول الكتابة في حياة محمد ، كان لا بدّ من درس البيئة التي عاش فيها ، والتعرّف الى الرجال معاصريه الكبار الذين اثروا وتأثروا بالدعوة، وبانتشار الاسلام. فعمد الى المؤرخين والجغرافيين العرب والافرنج وقرأ المقدسي ، وابن حوقل ، وياقوت ، وابن جبير ، وابن بطوطة ، والطبري ، والبلاذري، واليعقوبي ، والمسعودي الخ . فاستقصى الاخبار ، وقابل بينها وبين ما كتبه الرواد المحدّثون كموسيل ، ووالتر . واستعان بتدريسه الجغرافية في المعهد الشرقي في الجامعة اليسوعية ، فدوّن دروسه في الحجاز ، وفي احوال الجزيرة الطبيعية من مناخ ومياه وآبار وغدران ومواسم ومراعٍ واشجار ونبات ، ومحصولات ، مع اختلاف المقاطعات بين جبال واودية ورمال وواحات ؛ ودرس اخلاق البدو وعيشهم قبائل تحت سيادة الاسياد ؛ وحالة المرأة بينهم اخذًا عما تعلّمه في قراءاته .

ولم تكن المطالعات التي ذكرناها الا سعدًا من نهر وخليجًا من بحر خاضه الاب لامنس في درس الحديث . وربّ قائل يقول : وما شان الحديث بينكم وقد وضع للفقه لا للتاريخ ؟ فالجواب ان الصحيح ، والمسند ، او السنن ، وسائر ما وضع من امثال ذلك انما لفقه الفقهاء ، كان الغرض منه تدعيم فتاويهم بركن غير متزعزع ، في نظر المسلمين ، اذا تحققوا نسبته الى نبيهم . فكانت من ثم جهود المحدّثين ان يثبتوا سلسلة الشهادات وحلقاتها متصلة منهم عن اساتذتهم عن فلان عن فلان عن فلان ممن سمع او رأى محمدًا . فكان الحديث من قول او فعل ، اذا صحت نسبته الى نبيهم ، موجبًا على المسلم ذمةً ان يرضى بفتوى المفتي او بفقه الفقيه . فكتب المحدّثون ودأبهم الفقه لا التاريخ . نعم ولكن عدم اكتراثهم لسرد الحوادث وتعليلها

شأنَ المؤرخين هو الذي جعلهم في نظر الاب لامنس حقلاً واسعاً مفتوحاً يستفيد منه، لا باستغلاله غلات وافرة، ولكن بالتقاط ما يعثر عليه فيه من سقطات الكلام، ومن تعليمات صدرت عفواً من قلم المحدّثين وفي سياق التحرير عن غير قصد منهم. ذلك ما يسميه الافرنج سانحات الكلام (obiter dicta) ويحفظونه اثراً مؤكداً ومادةً حقيقة بالتاريخ.

وعليه ذهب الاب لامنس يطالع كتب الحديث ليلتقط فيها سوانح الفكر والخواطر. وما اوسع ما جرّده في تلك الناحية! بالامس دخلنا الغرفة التي لفظ فيها نفسه الاخير، فاعترتنا هيبة المقام، اذ رأينا على راس سريره مكتبته الاختصاصية وفيها من جملة ما فيها سنن ابي داود، وجامع الترمذي، واللآلي المصنوعة، وسنن النسائي، واتقان السيوطي، وميزان الذهبي، وتيسير الشيباني، وصحيح مسلم، ومصابيح السنة، ونهاية ابن الاثير الخ.

قرأ الاب لامنس وقرأ وقد طالما روّض النفس على القراءة[1]. فنهبت ساعاته وايامه. قرأ الحديث، وقرأ ما كان لا بد من مطالعته للكشف على غوامض اللغة العربية القديمة وهي الكتب اللغوية. وكانت دروسه السابقة قد مهّدت له السبيل اليها، فساعدته على فهم ما يعتاص فهمه على كبار الادباء من المتون. فجرد من المؤلفات المذكورة ما رآه مفيداً لدروسه، واستعان بالمجموعات الادبية الكبرى كمؤلفات النويري، والقلقشندي، وابن عبد ربه، والجاحظ، على المقابلة والتمحيص. وبعد ان جمع تلك الغلّة الوافرة رتبها الترتيب العلمي في قاموس الّفه لنفسه. وهذا القاموس موجود بين يدينا، وهو الشاهد المصداق على كلامنا. فلم تنالِ فيا وصفناه من سعة مطالعاته. وما ان تراجع صفحةً واحدة من الوف الصفحات التي كتبها في كتبه العلمية حتى ترى كثرة المراجع التي يرجع بالقارئ اليها، ويسند اليها اقواله، فيدهش. وان يكن من العلماء مَن يرى غير آراء الاب لامنس في التاريخ، فكلهم لسان واحد في الثناء على ثروة معارفه ووفرة قراءاته.

---

١) كان ولعه فيها شديداً منذ حداثته. قيل انه قرأ مؤلفات جول فرن الافرنسية، وهو ولد صغير في الصف السادس، وفيها اكتشف دعوته « الجغرافية ».

وزد على ذلك ان الاب لامنس كان اديباً لا تفوته رواية عربية او افرنجية ظهرت في مجلة او في نشرة حديثة. وان اخلاقه الراقية وشهرته واسفاره وصلت بينه وبين كبار المستشرقين في المكاتب والمعاهد العلمية والمؤتمرات ، فتذرّع بكل هذه الوسائل في الوصول الى غايته: كتابة التاريخ على اساس جديد.

النتيجة

اولاً : تجديد الدروس الاسلامية

كان الاب لامنس قد علّل نفسه أن يشيّد لشخصيّة محمد بناية تاريخية على ذلك الاساس. ولكن حراجة المقام، ومراقبة الطباعة على ايام الاتراك، حالت دون معالجته الموضوع مباشرةً. فأجل العمل الى ان يكون الجو قد صفا للعلم والعلماء. ولم يأسف في التأجيل لادراكه سائر ما يتطلبه ذلك التأليف من الاستعداد من جانبه ومن جانب القراء.

فلم ينشغل عنه ساعةً واحدة. واهم مؤلفاته كانت بنايات كاملة بمفردها ، وتمهدات للبناية الفخمة الكبرى التي ضحّى في سبيلها جهوده ، على امل ان يكتلها بحياة محمد. لكن المتاعب التي احتملها ، والامراض التي اعترته متوجية العملية الجراحية ثلاث مرات ، استعجلت شيخوخته وحلّت قواه ، واوهت ذراعه عن القلم ، فيموت والسيرة النبوية مفصّلة مطوية في دفاتره.

على ان المشروع ، وان لم يبلغ الى الغاية التي توخاها له صاحبه ، فقد يسير بمراحل في التقريب اليها ، وذلك في الكتب التالية:

١ً « الحكام الثلاثة : ابو بكر وعمر وابو عبيدة » . وهم الذين خلفوا محمد مباشرةً ، وكانوا اركان الاسلام في اول فتوحاته.

٢ً « البادية والحيرة » . وكان الاب لامنس قد قرأ مقالاً عنها في مؤتمر المستشرقين في كوبنهاغ سنة ١٩٠٨ .

٣ً «اخلاص محمد في اعلانه الدعوة».

٤ً «عمر محمد».

٥ً « فاطمة وبنات محمد».

٦ً « مهد الاسلام ».

٧ً « الطائف المدينة العربية قبيل الهجرة ».

٨ً « مكة قبيل الهجرة ».

٩ً « المعابد في غربي الجزيرة قبل الهجرة ».

هذه المؤلفات قدم عليها الاب لامنس بمقال نشره في مجلة الابحاث العلمية الدينية. فوضع اركان المبادئ التي استنتجها من دروسه، وهي كحجر الزاوية في مشروعه. وقد صارت هدفاً لاقوال ومناقضات العلماء الاسلاميين. ومهما يكن من صوابها او عدمه، فقد فتحت باباً للبحث جديداً وساعدت على ترقي الدروس الاسلامية.

ان اساس السيرة، في نظر الاب لامنس، انما هو القرآن وحده، كما قلنا سابقاً. اما مادة الحديث فليست مكملة لتعليمات القرآن كما اعتبروها الى عهد قريب منا، بل هي تعليقات عُلقت عليه وشروحات وحواشٍ زيدت على متنه لغايات، منها سياسية، ومنها دينية. فالسياسية متصلة بالانقلاب الاسلامي العظيم الذي حوّل مركز الخلافة من دمشق الى بغداد، وشاد اركان الدولة العباسية على انقاض الدولة الاموية. وللاب لامنس ابحاثه الخطيرة في هذا الفصل الداخل في تاريخ سورية. اما الغايات الدينية فقد عبّر عنها المستشرق الالماني بكر في كلامه على آراء الاب لامنس، ولم يخطئ في تعبيره، واليك معناه:

لما فتح المسلمون بلاد الشرق المسيحي واتصلوا بالمسيحيين، وتعرفوا منهم الى شخصية المسيح الالهية العجيبة، والى مصادر حياته التاريخية، وقابلوا بين تلك المصادر وتلك الحياة وبين ما كان لديهم من وثائق ثابتة عن حياة وشخصية نبيّهم محمد، ساءهم ما رأوه من فرق بين اصول واصول. فذهبوا ينقّبون عن آثار نادرة مفقودة الّا في بعض الاحاديث الفقهية التي لم توضع تاريخاً لترجمة النبي، ولكن خططاً للاشتراع. فاتخذوها على علّاتها مادة للسيرة، مرتّبينها الترتيب الزمني الموافق لحياة النبي قبل الميلاد، وفيه، وبعده، مقتبسين من القرآن التنويهات التي بها استضاءوا لينيروا طريقهم في تلك المجاهل. فخرجت السيرة من ذلك الاجتهاد مؤلفاً لا اساس فيه ثابت لدى الحقيقة التاريخية الّا ما كان في القرآن.

وقد يساعدنا على فهم نظرية الاب لامنس في هذا الصدد التشبيه بين هؤلاء المحدّثين وبين مؤلفي الاناجيل الاسطورية كانجيل برنابا . فان هؤلاء لم يكتفوا بالتعليمات التاريخية الثابتة عن حياة المسيح ، كما هي في الاناجيل القانونية ، بل اضافوا اليها من عندياتهم ، ظنّاً منهم انهم يخدمون الدين ، ولكنهم اساءوا اليه بتشويههم وجه الحقيقة .

وكذلك رواة السيرة فانهم نسجوا الاساطير على منوال المتن الاصلي ، مخترعين اسماء الرواة ، مطوّلين ما كان قصيراً في الاصل .

اما قيمة اقوالهم في تمحيص الحقيقة التاريخية فتقدر على قدر اتصالها بالقرآن . ولا بد من التفتيش عن الاقوال والاعمال التي اتخذها المحدّثون مادة لبنايتهم ، وفكها ، ودرسها حجراً فحجراً ، لا لهدم البناية ، ولكن لاختبار متانتها والتفريق فيها بين ما كان ناتجاً عن تطويل القرآن وبين ما كان مستقلاً عنه . وان هذه المادة ذاتها قد تصطبغ بصبغة النزعة التي قسمت المسلمين منذ البدء الى السنة والى الشيعة . فلا بد من عرض اقوال الفئتين على محك البصيرة ، والمقابلة بينها وبين ما يعرف من اوضاع التاريخ الثابتة لتحصيل الخطوط التي منها تتصور صورة محمد بملامحها الاصلية التي لا سبيل الى الشك فيها[1] .

كانت تلك النظرية الجديدة ، ولم تزل ، موضوعاً لمناقشة العلماء المستشرقين ، فتناولوها بالبحث في مجلات الاستشراق . وحسبنا ان نرسل اليها القارئ . على ان نتيجتها الاخيرة المخصبة كانت شحذ القرائح في الاجتهاد والدرس وترقية العلوم الاسلامية . هذا ما شهد به زعماء النهضة الفكرية في الجامعة المصرية خاصة .

وربما اجفل القارئ عن التعمق في هذا البحث لما يُخشى ان يؤدّي اليه من الشك المذموم . ولكن هيهات ان يفك العالم الحقيقي البناية لهدمها ويشيد صرحاً للشك . فانه اعاد النظر في موادّها ، واقبل على وضع مؤلف يُعدّ من خيرة ما وضعه العلماء الاسلاميون في هذا الصنف اعني به كتابه في «الاسلام ومعتقداته ومؤسساته» . وصفه الاستاذ هرتن في مجلة الآداب الشرقية الالمانية فقال :

---

١) راجع Becker : *Principielles zu Lammens' Strasstudien*, dans *Der Islam*, IV, 263.

«لم يكن بين يدينا على الديانة الاسلامية كتاب شامل متين. نعم ان مؤلفات گولدسيهر وشنوك هرگرونيه جديرة بالاعتبار لانها بينت التبيان الكافي مزايا تطوّر التاريخ الاسلامي ، لكنها لم تحاول تصوير صورة الاسلام بجميع خواصها الجوهرية. فاتى لامنس وملأ ذلك الفراغ.»[1]

وضع الاب لامنس ذلك الكتاب اولاً لشبان الرهبانية، وهم في بكفيا (لبنان) يستعدّون بدرس اللغة العربية ومُنشآت الدين الاسلامي لخدمة هذه البلاد العزيزة. فالكتاب قريب المنال لغير الاختصاصيين. وهو ايضاً، كما لفت النظر الى ذلك الاستاذ هرتمن، على جانب قوي من الشواهد والحجج. مما يجعله علمياً بحصر المعنى. فهل يُنقل الى العربية كما نقل الى الانكليزية والى الايطالية ؟ ان ادباء المسلمين قد يقرأونه ويجدون فيه من الفوائد ما يحمدون الاب لامنس عليه.

قال انيس النصولي في جريدة «بيروت» (العدد ١٨١ في ١ ايار ١٩٣٧) :

«وارحمتاه لك يا لامنس عدد حسناتك في كتابك الاسلام فقد اثرت لنا فصولاً عن الجزيرة العربية، ومحمد صلى الله عليه وسلم، والقرآن الكريم، والمذاهب والتصوف والاصلاح والتجديد، مما يجعلنا مديونين لعلمك. واننا رغم مخالفتنا لك في كثير من آرائك لا يسعنا الا ان نكبر جهادك في هذه المواضيع».

النجمة

ثانياً : تاريخ الدولة الاموية ، واحياء آثار سورية ولبنان

لقد منّ الله على هذه البلاد بمحاسن طبيعية وافرة، وتراث تاريخي جليل من بقايا آثار الامم التي مرّت بها. وهي مهد الاديان التوحيدية ومهبط اديان غيرها، جعلتها محجة للشعوب، ومجذبة للعلماء خاصةً فيجدون فيها، ضمن اماكن محدودة قريبة المنال، مادةً للبحث لا نهاية لها.

واي درس احب الى الاب لامنس من درس هذه المنطقة التي عاش فيها منذ صباه. وفيه الاستعدادات التي ذكرناها ، وتضلعه من اللغات الشرقية ، فضلاً عن اللاتينية واليونانية القديمة ، وسائر اللغات الاوربية الحية ، ولديه من

(١) *OLZ.* 1927, 584

الوسائل التي تجود بها الرهبانية بسخاء على بنيها في سبيل بلوغهم النجاح في الخطة التي يسوقهم اليها ميلهم وفطرتهم.

عمل الاب لامنس بترتيب ورزانة واتقن اعماله ، كما لو كان كل عمل غاية لذاته ، واتقنها متسلسلة لغاية قصوى ، مكتلة دروسه في الاسلام ، ومستمدة من دروسه الاسلامية قوة على التخصص في تاريخ سورية ولبنان.

طاف ، ايام العطلات المدرسية، مشارق بلادنا ومغاربها . من بلاد انطاكية والجبل العجيب الى بلاد حمص ، حيث عيّن موقع قادش على العاصي ، الى الحدود السورية الفلسطينية، حيث تقفى آثار الصليبيين . فكتب عن تلك البقاع واخبرنا عن سكانها القدماء وعن الحاليين من نصيريين ويزيدية ومتاولة. ووقف واستوقف القارئ لا للبكاء على الانقاض والرثاء العقيم، ولكن لاحياء ذكر السلف ، والاشادة بامجاد الاولين استحثاثاً على الشغل.

وكان يعود من جولاته كالفلاح من حصاده، متأبطاً حزمة التعليمات، فيدرس سنابلها ويغربلها ويضيفها الى اهرائه ، ومنها اخرج مؤلفاته في الدولة الاموية.

واعلم انه سلك، في السبيل اليها، الطريق الواصل بين الجزيرة والشام، اي ان دروسه الاسلامية استفادت من معارفه السورية وافادته في التنقيب على حقيقة تاريخ بني امية.

قال في كتابه «سورية» (١ : ١٠٥)

« لما انكسر الامويون في موقعة الزاب ، في ٢٥ كانون الثاني ٧٥٠، اقبل اعداؤهم بنو العباس يفتكون فيهم فتكاً، فطاردوهم في مصر ، وفي العراق ، وفي الشام . ومدّوا لهم الحبائل وعللوا بقاياهم بالعفو ، فاخرجوهم من مخابئهم ، وابادوهم عن بكرة ابيهم ، وطرحوا اشلاءهم للكلاب . وشهروا الحرب على موتاهم ، فنبشوا جثثهم من القبور واحرقوها. ودمروا قصورهم، وخربوا دورهم. وصار اسم بني امية لعنة ونقمة عليهم.»

وان هذا الوصف الوجيز خلاصة تدل على ما حدث لذكر بني امية في كتب من كتبوا ، على العهد العباسي ، متأثرين بنفوذه السياسي. ولما كانت نزعة تلك الكتب كلها، او تقريباً كلها، مشيئة للدولة المالكة، ففيها وجه الدولة العباسية

مبيض، وذكر بني امية مسود، ووجه الحقيقة التاريخية مشوه، حتى صارت افادتها عن تاريخ القرون الهجرية الاولى مكذوبة، واوجبت على العلماء اعادة النظر فيها ودرسها الدرس العلمي، تميزاً بينها وبين الاخبار الصادقة. وقد استعد الاب لامنس لذلك الدرس بالعدة التي ذكرناها عند كلامنا على بحثه تاريخ الدين الاسلامي، فاقبل على معالجة تاريخ الدولة الاموية عن فهم وحسن تقدير. فوضع مؤلفاته في هذا الصدد واليك اهمها: خلافة معاوية الاول. وخلافة ابنه يزيد الاول. وترجمة معاوية الثاني آخر السفيانيين ومروان الاول. اضف اليها دروساً في زياد ابن ابيه، والمحادثات الجغرافية في الاقطار السورية، وغيرها مما نشره في المجلات وفي دائرة المعارف الاسلامية. ووضع سنة ١٩٢١ سفره الجليل: سورية وخلاصة تاريخها. فبيّن بالاستناد الى اوثق المصادر محاسن السوريين، وان لمعاوية الاموي الفضل في تأسيس الدولة العربية، وفي تنظيم البلاد التي فتحها المسلمون. حتى استتب لهم الامر وبسطوا سلطتهم على الخافقين. وكان العنصر السوري فيهم كالخميرة من العجين. فمنه جيّش معاوية جيوش الفتوحات، وعليه اعتمد لثقافته وذكائه وطاعته. وبه اوصى ابنه يزيد قبل الوفاة. وعامل اهل الذمة بالحكم والرفق، واحسن السياسة.

ومسّ الاب لامنس في دروسه مواضع فتحت باب الجدل بينه وبين الادباء. فعالج اصلية الروم الملكيين في بلادنا، وبيّن انهم آراميون اصلاً، وكذلك قضية المردة او الجراجمة فاثبت انهم غير الموارنة، وان الطوائف المسيحية كلها من اصل آرامي، وسار الى ابعد من ذلك داعياً السوريين اجمعين الى القول باصلهم الآرامي الجامع بين عناصرهم. وكان من اكبر الدعاة الى الاتفاق والتآخي.

في ادارة المشرق

سنة ١٩٢٧، توفي الاب لويس شيخو، مدير مجلة «المشرق»، فعهد الرؤساء بادارتها الى الاب لامنس. كما كانوا عهدوا اليه منذ ثلاثين سنة بادارة «البشير». وهذا المستشرق الكبير كان بوسعه ان يضع كتبه باللغة العربية. لكنه الفها لتكون آلة لثقافة واسعة فحررها بالفرنسوية وعوّل على قلم غيره في

ترجمتها. تولى شؤون المجلة باهتمام فلم تمض سنة من سنيها العشر الاخيرة الا وله فيها المقالات اللذيذة يذكرها القراء بالاعجاب والشكر. واكثرها تاريخية موضوعها مقتبس من ماجريات اليوم. منها ما يؤلفه جديداً، ومنها ما يجدّد اصله عن احدى المقالات العديدة التي نشرها في المجلّات الفرنسية وظلّت مجهولة من قراء العربية، يعيد فيها النظر ويعمل فيها القلم، ويقدمها طعاماً مستطاباً.

الى ذلك العهد تعود المقالات في «موتمر بال الصهيوني»، و«مسالة الابجدية في اللغات التركية»، وفي «بلاد الافغان وملكها الشاب» و «ابن سعود والوهابيين» وفي «واجب درس تاريخ بلادنا» وفي نقده «كتاب النكبات» وهو الاجنبي اصلاً احتج على ابن البلاد باسم العلم والكرامة على تحقير سمعتنا وتسويد صفحتنا. وكتب ايضاً في «بلاد العرب السعيدة»، وفي «السوريين في فرنسة في القرنين السادس والسابع للمسيح»، وفي «اسرة القديس يوحنا الدمشقي وفي «انطاكية والسياحة»، وفي «دمشق العاصمة»، وفي «سورية زمن الفتح العربي» وفي «العناصر الفارسية في لبنان» وغيرها ... قدمها للطبع وكان كالعامل الجبار الذي بلغ غايته، وعجن المادة فلانت بين يديه فجبلها من غير عناء ولا تعب. الى ان شلّت يده برجفة مرض الفالج، فكفّ عن التحرير ولكنه ظلّ مراقباً حركة النشر في المجلة.

***

وآخر كلمة سطّرها في حياته كانت يوم الخميس ٢٥ اذار ١٩٣٧، في عيد البشارة. حمله على الكرسي الى موضع الحفلة التي اقيمت في الجامعة عند عتبة دار الكتب الكبرى التي اخذوا في بنايتها، فوضع السفير دي مارتيل صك التدشين في حجر الاساس موقّعاً باسمه واسماء الاعيان الحاضرين من رجال الدنيا والدين. وتقدّم الاخ دلال اليسوعي، رفيق ومرّض الأب لامنس والمتفاني في خدمته، وسند يده الضعيفة. لقد وقع الاب لامنس اسمه في ماضي حياته على عشرات المجلدات والرسائل. وها انه يوقّع اسمه للمرّة الاخيرة على صكّ تدشين المكتبة، فيصل بين ماضي الجامعة التي نالت منه شهرةً وعزّاً، وبين عصرها الجديد المقبل برجاله واعماله على بركة الله!

ما اشد ما كان حرص العامل الجبار على ساعات ايامه ، لما كان متمتعاً بقواه البدنية . اما الآن ، وقد حبسه مرض الفالج عن العمل ، فيقضي الساعات الطوال ساكتاً صبوراً لا يتذمر ولا يتضجر . وان له من حسن الذاكرة وتوقد الفؤاد ما يجذب اليه الاخوة والاصدقاء ، فيستشيرونه ، ونصائحه نور ، وكلماته درر . اما سكوته ففيه هيبة العلم وجلال القداسة . الى ان وافاه الاجل .

لامنس في ادارة المشرق يذكرنا بشيخو . كلاهما يستريحان الآن في مقبرة الجامعة ، تحت الكنيسة ، في مصاف الرهبان مؤسسي الجامعة وعمالها المنتقلين الى دار البقاء .

شيخو ولامنس كلاهما دخلا الرهبانية في عنفوان الصبا وضحيا في خدمة الدين والعلوم الشرقية بزهرة الشباب ، وقوى الكهولة ونضج الشيخوخة الوقور . شيخو اتى من الشرق ، ولامنس من الغرب . وكلاهما تفانيا في خدمة النفوس بالوعظ والتعليم ، واضاءا كالنبراس في ظلمات التاريخ الشرقي . شيخو كتب عن الاسلام متوسعاً في الدروس النصرانية باللغة العربية . ولامنس كتب عن النصارى متخصصاً في الدروس الاسلامية باللغة الافرنسية . شيخو جوّاب المكاتب ، غزا الغزوات في بلاد الفرنجة ، والشام ، وما بين النهرين ، والهند ، وعاد بالمخطوطات ونشرها . لامنس اقبل على تلك الوثائق فانعم فيها النظر ودقق وغربل وجمع والّف .

وكما ان الحكومة اللبنانية منحت الاب شيخو مدالية الاستحقاق اللبناني ذات السنف تقديراً لفضله وخدماته ، كذلك علقت على صدر الاب لامنس مدالية الاستحقاق اللبناني الذهبية . وكان الاب لامنس قد نال من حكومة بلاده البلجكية مدالية ليوبولد ، ومن الجمهورية الافرنسية وسام جوقة الشرف .

عند ضريح الفقيد الوقور ، اخينا العزيز ، نركع طالبين له الرضوان ، ولنا السير في تقفي آثاره لمجد الله الاعظم !

من الخزانة الشرقية

بقلم حبيب زيات

هل كان
القس ابو البركات ابن كبر شاعراً ايضاً ؟

للامير ركن الدولة بيبرس الدوادار المنصوري تاريخٌ جمع فيه اخبار العصور المتقدمة ، وانتهى فيه الى سنة اربع وعشرين وسبعمائة للهجرة ، ودعاه « زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة » في احد عشر مجلداً . ولا يزال مخطوطاً . ومنه اجزاء في الخزائن الغربية . وقد ذكره غير واحد من المؤرخين وكتبة التراجم كالمقريزي ، وجمال الدين بن تغري بردي ، واشاروا الى ما اورده فيه احياناً من الكلام المسجّع وقالوا : «اعانه عليه كاتبه ابن كبر النصراني» . ولا تزال منزلة ابن كبر في الكتابة والانشاء تحتاج الى زيادة في التعريف والتحقيق . ولكن لم يتقدم لاحد وصفٌ له بقرض الشعر ايضاً . وقد وقفنا في شهر اذار (مارس) من السنة الفائتة على مجلد في خزانة ميلانو المعروفة بالامبروسيانية رقم (N° 230 (int.) C 45 كُتب فيه بقلم غير قلم الكتاب « هذا مختصر تاريخ المقر الركني بيبرس الدوادار تغمده الله برحمته . ويسمى مختار الاخبار عُني بجمعه القس الشمس بن كبر نيح الله نفسه » . ولكن يستدل من لهجة الكتاب وكثرة الخطإ فيه واللحن ، وشيء من الركاكة ، ان المختصر غيره من الاقباط ، لخّصه وقدّم عليه تاريخ الانبياء واليونان والروم في ١٠٨ ورقات . وباثنائه وبآخره خرم . وفي بعض صفحاته محو وكشط . لان احد من دخل في حوزته ، وهو علي بن محمد الملاتي ، كان كلما مرّ به ذكر محمد دون الصلاة عليه والسلام ، او اسم بعض الخلفاء بغير عبارة يرتضيها له ، كان يحكّ بعض الالفاظ ، ويضع في مكانها كلمات اسلامية اليق بالمقام . وقد لعن المؤلف اذ لم يعظّم النبي . ولما وقعت عينه مرة على اسم الصليب ألحقه بقوله « المسخّم لعن الله عَبَدته امين » . واقتدى به قاسم

كمال الدين، احد مقتني الكتاب او قارئيه، فكتب في هامش الورقة ٢٣ عند ذكر صلب المسيح ابياتاً اولها:

ان صلب المسيح اعجب شيء زعمته اهل الضلال الاسارى

ولا ننقل بقيتها لكثرة اختلالها ولحنها وانحطاطها

وفي المجلد، كما قلنا، نقص ظاهر، وخلل فاشٍ، حتى في الرسم احياناً. ولكن فيه صفحات منقولة دون شك من الاصل «زبدة الفكرة» فهو لذلك جدير بالحفظ والاعتبار. ومن هذه الصفحات ما كان كتبه بيبرس عن وقعة التتار سنة ٧٠١ للهجرة، على طرف مرج الصُفَّر مما يلي جبل غباغب في بر دمشق. وذكر قبلها ان اهل دمشق لما رأوا تأخر العساكر المصرية وقدوم التتار، «ايقنوا ان لا قوة لهم ولا ناصر. فعجت اصوات الاكابر منهم والاصاغر. واعلن سوادهم بالشتم الظاهر.» قال «وبينا انا مفكر في هذا الامر مرَّ بي بريد راكض فسألته عن السلطان فأخبر باقترابه. ووصوله في اطلابه. فقصدت تحقيق روايته والوقوف على كتبه فاخذتها منه غصباً. واوجعته ضرباً. لما كنت فيه من التحرق على الاسلام. والقلق الذي منع الاجفان لذيذ المنام. فلما وقفت على الكتب. وتيقنت وصول السلطان عن كثب. قرأتها على الامراء. واخذت في رد العساكر التي قصدت التأخير. وعجلت الى الرجوع المسير. ليعودوا الى مرج الصُفَّر فتراجعوا اليه اولاً فاولاً. وسكن بعض من كان مُجفلاً.» (f. 104 a.)

قال المصنف (بيبرس الدوادار):

«ووافى الينا من الديار المصرية جواب عن كتاب صدر منا بالبشرى الى نوابنا تضمن ابياتاً ارسلها مسطر تاريخنا هذا لانه كان من ألزامنا. (حاشية: وهو القس الشمس بن كبر نيح الله نفسه امين) وهي

خُلقتَ مظفَّراً برّاً وبحرا وعزمك ماضياً شاماً ومصرا
وفكرك ثاقب في كل امر ورأيك اسعد الآراء طرّا
وما سرت ركابك في جيوش فتتهم يد العدوان قسرا
ولا كنت المقدم في خميس فعاد بخيبة او خاف كسرا
ولا وليت عن حرب هزيماً ولو كان اللقاء بجيش كسرى

ولا صاحبت ركباً في مسير فنال مشقة او ذاق عسرا
وجدّك سعده ابدًا جديد وسعدك جالب للترك نصرا...
نهدت الى الحجاز فكنت غيثاً فكم اطفأت حين أطفت جمرا
وسرت الى الشآم فكنت غوثاً رفعت مذلّة ووضعت إصرا
فعام فيه حجّ حاز اجرًا وعام فيه غزو كان اجرى
كذا كان الرشيد وانت حقًّا رشيد الامر في دنيا واخرى
واعتقت الخلائق من عدوٍّ شديد رام اخذ الملك قهرا
عدوٌّ غرّه امل كذوب فكان على الحقيقة فيه غِرًّا f° 107a
وغرّته السلامة عام تسع وتسعين فظن الربح زمرا
توغّل في البلاد وليس يدري بان امامه اسدًا هزبرا...
اتت بشراك مولانا الينا فكانت للخلائق خير بشرى
لأن الخلق كانوا في هموم كأن بهم من الأوجال سكرا
فاول قادم وافى بخير كتابكم الذي اسرى وسرّا
ومنه كان نشر النصر بدياً بمصر كلها بطناً وظهرا f° 107b
اتى ظُهرًا من الاحد المُهنّى فاظهر فرحة اذ جاء ظهرا
ومذ وافى نهارًا فهو شمس ولو وافى بليل كان فجرا
واخبر عن عدوّ الدين امرًا حقيقاً لا نزيد عليه خُبرا
بترج الصُفّر اجتمعوا فراحوا لحينهم من الارواح صفرا
وامرهم به اضحى مريعاً وورْدهم المكدّر كان مرّا
وجاؤوا في جموع ليس تحصى الوف طبقت سهلًا ووعرا
فصاروا كلهم للوحش قوتاً واشبع لحمهم في الجوّ نسرا
وشتت شملهم ضرباً وطعناً مليك ينشر الاعلام صُفرا
اذا ما اورد الرايات صُفرًا صَدَرْن من الدماء الحمر حمرا
وقرّت اعين وهدت قلوب واكباد من الاشجان حرّى
فبادرنا السجود واي شكر يوازي هذه الالطاف قدرا
وجاءتنا البشائر مسرعات فاذهب بشرها كمدًا وفكرا

فندعو الله في قرب التلاقي لكي توفي لرب العرس نذرا
كلاك الله بالأمـلاك حفظاً وصانك دائماً سفرًا وحضرا f° 108a

والقصيدة في الاصل تبلغ ٤٨ بيتاً اخترنا منها ما تقدم. وهي، على جزالتها، تبعد جدًّا ان تكون من نظم ابن كبر. وهيهات ان يكون لقس قبطي مثل هذه القدرة على النظم. فلعله استعار لهـا لسان غيره من الشعراء. ولا يمكن البتّ في هذا الحكم قبل الوقوف على شواهد اخرى.

رفائق الخزائن

المقفّى لتقي الدين المقريزي

والتاريخ القصصي او الفكاهي

في خزانة جامعة ليدن في هولاندة ثلاثة مجلدات من هـذا المعجم النادر النفيس الذي جمع فيه الامام المقريزي تراجم من تقدمه وعـاصره من اعيان الاسلام. ومنه ايضاً مجلد رابع في دار الكتب الاهلية في باريس. وهـذه المجلدات الاربعة هي كل ما يُعرف من مسودات الكتاب التي انتهت اليـنا بخطّ المؤلف. ولعله لم يتوفّر قط على تبييضها، او لم يمهله الاجل لانجازها. وفي عدة صفحات منها نقص ظاهر وبياض كثير. وتقديم وتـأخير. وبعض التشويش في التعليقات في الجزازات الملحقة بالاصول. وقلّ عـادةً ان تخلو مسودات كتاب من امثال هـذه الشوائب، او تتبرأ من شيء من اللحن او السهو في الرسم ككتابة المقريزي ألف بـلامين « اللف » . و« الأئمة » بلام واحدة بدلاً من اللائمة. و« لئن لا » في موضع لئلا. و« هناة » بالتاء المربوطة عوضاً عن هنات بالتاء المبسوطة. وعلم جرًّا من نظائر هذه الصفوة. ولا حاجة الى التنبيه على قيمة هذه المجلدات ورفعة شأنها وخطرها. وفيها من الفوائد والفرائد ما لم يجتمع في كتاب آخر. وقد استوقف نظرنا فيها خاصة بعض تراجم في اجزاء ليدن وردت فيها قطعة من اسماء الاحـدين، وطائفة كبيرة من المحدثين فقط. تجدر ان تُروى مثالاً على فضائل التاريخ القصصي

او الفكاهي لما امتازت به من الجدّة والنكتة والامتاع ، وهي التي ننوي نشرها هنا

ولا يخفى على احد من المتأدّبين ما في الكتب المصنفة في السِيَر والوفيات من الضيق والفاقة والاملال ، لاطرادها كلها على وتيرة واحدة في القصّ والنصّ . والبعد عن كل استقصاء واغراب . وخلوّها من كل طرفة وملحة . واقتصارها ، في ما عدا شواهد النظم والنثر ، على ذكر الميلاد والحياة والوفاة ضمن دائرة حرجة من التقليد لا تكاد تتناول غير الاطوار المعروفة الظاهرة في كل بلد لكل احد . فليس هنالك شيء من الاشارة الى دخلة المترجم وباطن سريرته وسجاياه . وما اتفق له او اشترك فيه من الحوادث والوقائع والنوادر الشائقة عن اخلاق عصره واحوال مجتمعه وعادات قومه ومصطلحات زمانه . فلا يجد الناظر فيها سوى ذكر الدروس والشيوخ والتقلّب في الرتب والمناصب بين ولاية وعزل وحلّ وترحال ، مما لا غناء كبير فيه للمؤرخ والمتأدب . ولعلّ اصحّ ما يُقال في الاعتذار عن نقص هذا الاسلوب وجفائه وتقليد الاواخر فيه ان الرواة والمصنفين كانوا يتورّعون من حكاية بعض الاوصاف والاخبار لتخيُّلهم ان في ايرادها حطًّا من قدر الميت ومشاركة في تعييره والكشف عن نقائصه . واعتقادهم ان الراحل لا يجب ان يُشيّع بغير الرحمة والثناء . ولا يُخلّد ذكره الا باطراء المحامد والفضائل ، والاغضاء عن المساوئ والرذائل . وهي الخطة التي لا تزال متبعة مأثورة في الشرق في تأبين الاعيان ولاسيما من رجال الدين . بحيث يتساوى عندهم الفاضل بالمفضول ويضيع على الخلف فرق ما بين المقصر والمجتهد من السلف . ومما يؤيّد هذا الرأي ما حكاه المقريزي نفسه في مخطوطه المشار اليه في ترجمة محمد بن يزيد المشهور بالمبرّد مؤلف كتاب «الكامل» قال : « قال ابو بكر التاريخي ولولا اني اكره ان اكون عيّاباً للعلماء خاصة لاخبرتك عنها (عن ثعلب والمبرّد) من الاخبار التي تزيد على اخبار محمد بن الجهم البرمكي . والكندي . وخالد بن صفوان . والاصمعي في الامتاع . »

فهذا التحرّج اذن من « عيب العلماء » هو السبب الاكبر الذي كمّ افواه

النقلة والرواة ، وفاتنا من اجله معرفة سرّ اخلاق المتقدمين والوقوف على كل طريف وممتع من انبائهم وخصائص طباعهم . وحُرمنا بجريرتـه من فكاهة تاريخ العصور السالفة ، ونوادر حضارتها واحاديث انديتها واسمارها ، وشجون هزلها وجدّها . بحيث تجرد علم التراجم بدونها من لُباب الاخبـار والآثار ، واصبح علماً تافهاً لا طعم له ولا طلاوة الا في ما شذّ وندر . ومن هذا الشاذ والنادر ما اتفق للمقريزي نقله في التراجم الآتية التي يلذّ لنا جدًّا ايرادها هنا لما اجتمع فيها من غُرر الفرائد والمُلح . واطيبهـا دون مراء ترجمة « مزبلة العلم » . ولا نذكر اننا وقفنا في كل مطالعاتنا على احلى منها مذاقاً واخف على الروح . وهي حافلة بالغرائب والمضحكات . ونظيرها ترجمة القاضي ابي زرعة ، ولا تكاد تقلّ عنها في الاعجاب والاطراب . ومن مطالعة هذه التراجم التي اثبتنا عيونها يتضح لكل متأدّب ما يمكن اقتباسه من التـاريخ الفكاهي من التعليقات والاستدراكات على تاريخ الادب والحضارة واخبار الدول والمتغلّبين في الاسلام :

احمد بن محمد ابو الفرج بن كشاجم

(قراءته نقش فصوص الخواتم باللمس قبل اختراع قراءة العميان)

احمد بن محمود بن الحسين بن السنـدي بن شاهك بن زادان بن شهريار ابو الفرج ابن ابي الفتح كشاجم . . . كان يقرأ نقش فص الخاتم باللمس خاصة دون الرؤية . وكان عند كافور رجل يعرف بالقـاضي الخرساوي وهو القاضي ابو عبد الله محمد بن عبدالله بن محمد بن الخصيب قاضي مصر بعد ابيه . اذا دُفع عرف من يصفعهُ بوقع يده على رقبته من غير ان يبصره . فيقول هذه يد فلان . فعمل ابن كشاجم

اني الى القاضي امتُّ بجرمة هي بيننا نسب كفرض لازم
حسّ لطيف في قفاه وفي يدي هو آية بهرت عقول العالم
فقفاه يفتقـد الاكف بحسّه ويداي تقرأ نقش فصّ الخاتم

(خزانة جامعة ليدن Arabe 1366 A)

محمد بن ابي بكر بن عباس بن ابي بكر الجزري فخر الدين ابو عبدالله المعروف بابن ممدود

(تسخير جماله)

كان محتسب الجزيرة ثم ولي حسبة ماردين وخرج تاجرًا الى الشام وسار منها الى مصر . فوجد الامير علم‌الدين قيصر المعروف بتماسيف شاد الدواوين بناحية العبّاسية يسخّر الجمال . فاخذ جماله للسخرة . فاتاه وسأله اطلاقها فلم يلتفت اليه . فقال تُطلق جمالي وهو جيد لك . فقال له تماسيف ايش تُعاني . فقال الادب . فقال اعمل شيئاً في تسخير جمالك . فقال بديهاً :

أسكّان مصر لا استقرت نفوسكم بأمن. وطالت في الزمان الاراجيف
ولا برحت عمّالكم ترجف الورى بشدّ تولّاه المشدّ تماسيف

وشرع يتمّ فقام اليه المعلم تماسيف وقال له بسّ . واعتذر اليه واطلق جماله وجمال اهل القفل وكتب له بالوصية في بلبيس والقاهرة. فلم يزن الدرهم الفرد . واقام بمصر مدة وعاد الى دمشق فسكنها حتى مات بها في سنة تسع وستين وستمائة . وقد جاوز السبعين سنة . وكان من الادباء الفضلاء . وله مشاركة في علوم

(خزانة جامعة ليدن Arabe 1366 A)

محمد بن بركات ابو عبدالله السعيدي النحوي اللغوي مزيلة العلم وخُمس الاسلام

(غرابة خَلقه وخُلقه وزيّه، ودنس ثيابه . علمه وحبه للتعمير والتشدّق وتعنته كل متكلم . نادرته مع بائع الرطب . ابتياعه نفائس كتب خزانة القصر بمصر بثمن بعض الارغفة . غيبوبة المشتول بين يدي السلطان، وتطيّبه، لضعف بصره، بقنينة الخمر بدلًا من قنينة ماء الورد . معنى شعره)

محمد بن بركات بن هلال بن عبد الواحد . وقيل محمد بن بركات بن علي ابن هلال بن عبد الواحد ابو عبدالله السعيدي النحوي اللغوي الصوفي من ولد سعد بن شرحبيل بن الغوث بن سعد بن عوف بن عدي بن مالك بن زيد . تلميذ ابن بابشاد النحوي وشيخ مصر في النحو واللغة . ولد في المحرم سنة

عشرين واربعمائة . وادرك ابا يوسف يعقوب بن خرزاد النجيرمي ورآه وهو حي . ولم يهتدِ للاخذ عنه ... وادرك الشدة العظمى التي كانت بمصر في سني ستين واربعمائة وما بعدها . وكان اذ ذاك له اربعون سنة . وهو يقرأ على ابن بابشاد النحو .

وكان يحضر مائدة متولي الشرطة بمصر وكان يعلم اولاده ثم يأخذ رسمه رغيفين فيدفع احدهما لشيخه ابن بابشاد . وكان منقطعاً في سطح جامع عمرو ابن العاص للعبادة . ويبيع الرغيف الآخر في سوق زقاق القناديل باربعة عشر درهماً ويأخذ الدراهم ويطلع الى القاهرة يدفعها للفراشين الموكلين بالايوان بخزانة الكتب بالقصر . فيأخذ بكل درهم كتاباً . فيتخيَّر الكتب المنسوبة وخطوط العلماء وكل مستحسن . ويأتي بعد ذلك الى سقف بيت قد اغلق بابه ونقب السقف فيرمي تلك الكتب منه . كذا كل يوم . فلم تمض الشدة الا وذلك البيت ملآن كتباً من كل فن . فكانت سبب غنائه عن الناس الى ان مات .

وكان عجيب الخلقة مهيّج الوجه طُوالاً يتعمّم على طرطور فيه طول . ويتحنّك شيء من عمامته . وثيابه دنسة ابداً . وكان يكثر التقعير والتشدق في كلامه . لا يتكلم الا باعراب وخطابة وتفخيم . وكان اذا حضر في موضع يردع منه كل متكلم لانه يعتمد لتخطئة كل من تكلم وجهاً يخطّئه ويلحنه فيه فلا يكاد واحد يسلم منه . واتفق انه وقف ذات يوم على بيّاع رطب يشتري منه . فقال البيّاع يا شيخ معك ما تأخذ فيه هذا الرطب او ادفع لك دَوْخَلَة[1] . فقال له ابن بركات الخطأت لا يجوز دَوْخَلَة وانما هي دوخَلَة بالتشديد . فَوْعَلَة على وزن قوصرَّة . فرفع البياع وجهه اليه فرأى شيخاً عجيب الخلقة وحشيّ الثياب بطرطور وقد تعمم فوقه . فظن انهُ من الريف . فقال والله يا مولاي الشيخ انك دوخلة . فقال ابن بركات دوخلّة العلم لا دوخلّة الرطب . فقال البياع لا والله الا دوخلة التمر . فضحك

(١) في اللسان ومعاجم اللغة الدوخلّة مشددة اللام سفينة من خوص يوضع فيها التمر والرطب وهي الدوخلة بالتخفيف ايضاً

الناس وبلغ الخبر الى الافضل شاهنشاه بن امير الجيوش سلطان مصر بشكوى ابن بركات ما جرى عليه الى الوالي الذي يعلم اولاده . فاستدعى الافضل البياع ووهبه دنانير وضحك من القضية . وانفذ الى الشيخ مع الوالي دنانير ايضاً.

وكان في آخر عمره قد ضعف بصره فعمل قصيدة وسأل ولد ابن ابي أسامة كاتب الدست ان يحضره قدام الافضل ويتوسط له في المجلس ويحسن السفارة في حقه ليثيبه عليها . فقرر له يوماً وبعث اليه اولاده وكانوا يقرؤون عليه . فقالوا له يا مولاي الشيخ لا يجب ان تحضر قدام السلطان بهذه الثياب القطن الدنسة . نحن نأخذ لك ثوباً نُصافياً[1] وعمامة جيدة وعَرضياً من الشَرْب[2] . وتتبخر وتتطيب بماء الورد فتعود الى سيما الناس. ربما يدنيك السلطان ويحادثك فلا يرى منك الا ما يعجبه . فان الملوك لا صبر لهم على ما لا يعجبهم . فقال يا قوم والله انكم تطلبون مني تعديل ما أمالـه القدر . كذا خلقني الله عزّ وجلّ . وكذلك قُدّر لي فتتعبون فيّ ولا يكون الا ما قُدّر لي . فقالوا لا بد . فقال اعملوا ما شئتم . ففصّلوا له ثوباً من النصافي السابوري . وغلالة من الغزل المعروف بالطلي. ومعها عمامة من الصقلي وعرضي من الشرب الرفيع . وجاؤوا بعود ند وماء ورد في قنينة كبيرة ثم واعدوه الغد وقالوا له تلبس الثياب وتبخر وتطيب واجلس حتى تحضر لك بغلة وتمضي . فقال افعل.

فلما كان السحر قام الشيخ ولبس ثيابه التي احضروها له وتطيب . ثم اخذ قنينة ماء الورد ليرشّها على وجهه ولحيته. فغلط واخذ قنينة الحبر ورشّ منها على وجهه ولحيته وعمامته وثيابه فصار سخاماً من قرنه الى قدمه . فلما جاء

١) النُصافي كذا بالضم جمع نُصفيّة وهي ثوب من الحرير والكتان . وقد تكون من القطن وحده ومنها النصافي الخزّيّة نسبة الى خزّة بُليدة قرب اربل من ارض الموصل وهي ثياب قطن ردية (ياقوت : معجم البلدان. طبعة اوربة ٣ : ٢٦٢) ولبعضهم في النصافي

يا من نُصافيه ونسأل وده اذ كان فينا دائم الانصاف
اقبل هدية اهل ودّك انهم قالوا كما اهدوا اليك نُصافي

(كتاب بيان المشي لمحمد بن الحكم الشافعي. خزانة اكسفرد Marsh. 490 ٢٩)

٢) العَرضي بالفتح وياء النسبة جنس من الثياب. كذا في التاج دون نعت ولا تعيين. والشرب نسيج في غاية الرقة والنعومة من الكتان تعمل منه الثياب والعمائم والاقمصة الفاخرة.

القوم ورأوه بهتوا لانهم رأوا شيخاً اسود مسخَّم الوجه كأنما مرّغته في زفت . فقالوا اي شيء هذا يا مولاي الشيخ . قال عنادكم للمقادير . اني اقول لكم ان الله سبحانه لم يخلقني الا على ضد ما تطلبون وانتم تعاندون . اردت ان آخذ قنينة ماء الورد فاخذت قنينة للحبر وانا في الظلام وبصري كما علمتم . وبختي لم يبق البارحة عندي — وكان له بواب يسمى بختي وكان من الصالحين — ثم قال والله الذي لا اله الا هو . ان صبغت ثيابي وكل ما عليَّ الا ازرق. فقالوا لا تفعل فقال قد كان ذلك وصبغ ثيابه وكل ما عليه عند الصباغ . وبلغ الخبر الافضل فاحضره وسمع قصيدته ومنها :

يا رحمة الله التي واسعها لم يَضِق
لم يبقَ الا رمقي فاستبقِ مني رمقي
تسعون عاماً قُيِّدت وتسعة في نسق
وعن قليل لا أرى كأنني لم أخلق

فوهبه وانعم عليه وقرّر له شيئاً في كل وقت يكفيه

وذكر بعضهم انه وقف للافضل وهو راكب في الطريق وانشده هذه الابيات . فسأل عنه الافضل فقيل له هذا بحر العلم ابن بركات . فقال له الافضل انت شيخ معروف وفضلك موصوف وقد حملنا عنك الوقوف . وامر له بشيء . والاول اثبت فقد حكاه الشريف محمد بن اسعد الجواني ومن خطه نقلت في كتابه الذي سمّاه الجوهر المكنون في ذكر القبائل والبطون

وقال السلفي « ابو عبد الله محمد بن بركات ثقة فاضل » . وكان ابن القطاع يقول فيه « مزبلة علم » . وقال ابن ميسّر عنه « وله كتاب في خطط مصر اجاد فيه ولم اقف عليه » . قال كاتبه « وقفت عليه بخط محمد بن اسعد الجواني »

وقال صاحب الجنان[1] « كان عالي المحل في النحو واللغة وسائر فنون الادب . منحطاً في الشعر الى ادنى الرتب . الا ان علو قدره لم يُجز اهمال ذكره » . واورد من شعره :

(١) كتاب الجنان ورياض الاذهان للقاضي الرشيد ابي الحسن احمد بن الزبير

يا عُنُق الابريق من فضة ويا قوام الغصن الرطب[1]
هَبْكَ تجافيتَ فاقصيتني تقدر ان تخرج من قلبي
وهبك صممت على هجرتي رضيتُ ان اتلف في الحب
والله لو عذّبتني جاهداً ما قلت من حبي اذاً حسبي

ويقال انه قال هذه الابيات في مسافر العطار

ومن مصنفاته كتاب الناسخ والمنسوخ في القرآن سماه الايجاز في معرفة ما في القرآن من ناسخ ومنسوخ . الّفه للافضل ابن امير الجيوش . وتوفي في شهر ربيع الاخر سنة عشرين وخمسمائة بعد استتمام مائة سنة . وكان يقول انا خُمس الاسلام

(خزانة جامعة ليدن Arabe 1;66 A)

محمد بن عبيد الله الكاتب

(بيتان له في الملوخية)

محمد بن عبيد الله بن جبريل بن عبيد الله ابو عبد الله بن ابي محمد العارف جبريل الاخميمي الاصل المعروف بابن عبيد الله الكاتب في الانشاء . ولد بمصر سنة اربع وعشرين وستمائة . . . وله في ناصر الدين محمد بن كمال الدين ابن الاعز بن شكر

لناصر الدين ملوخية ابصرتها في عمري مرة
اقول للناس وهم حولها تنزهوا في الماء والخضرة

(خزانة جامعة ليدن Arabe 1;66 [illegible])

القاضي محمد بن عثمان ابو زرعة الثقفي

(قاض بثغر سراويل بعلي الحشيشة متمكنين اوجاع الضرس . بشّر برًا يمين حار له سكران . وصف [illegible] وضرس ابن له)

محمد بن عثمان بن ابرهيم بن زرعة بن ابي زرعة ابرهيم ابو زرعة الثقفي مولاهم قاضي مصر ودمشق . كان جدّ جدّه ابرهيم يهوديا فاسلم . . . قال

(١) ويروى هذا البيت ايضاً
يا عنق الابريق من عسجد ويا قضيب البانة الرطب

ابن يونس ولي قضاء مصر . وكان محمود الاثر وكتب عنه وكان ثقة . وابو زرعة هذا هو اول شافعي ولي قضاء مصر . . . وكان الغالب عليه السلامة . وكان له مال كثير وضياع كبار بالشام . وكان قد قام مع احمد بن طولون في خلع ابي طلحة الموفق بالله بن المتوكل ووقف عند المنبر بجامع دمشق يوم الجمعة وقال : ايها الناس أشهدكم اني قد خلعت ابا احمد كما خلعت الخاتم من الاصبع فالعنوه . فلما قدم الموفق الى دمشق وواقع ابا الجيش خمارويه احمد بن طولون خارج الرملة وعاد الى دمشق اخذ يزيد بن عبد الصمد . وابا زرعة الدمشقي المحدث . وابا زرعة هذا وغيرهم . (ورحل) بهم الى بغداد . فلما كان في اثناء الطريق احضرهم وقال ايكم القائل « قد نزعت ابا احمد » . فخرس يزيد . وأبلس ابو زرعة الدمشقي . وكان احدثهم ابو زرعة محمد بن عثمان هذا فقال : اصلح الله الامير . فقال له احمد بن محمد الواسطي كاتب ابن طولون وقد صار مع الموفق : قف يا هذا حتى يتكلم اكبر منك . فقال ابو زرعة الدمشقي : اصلحك الله . هو يتكلم عنا . فقال : تكلم . قال : والله ما فينا هاشمي صريح ولا قرشي صحيح ولا عربي فصيح . ولكنا قوم مُلكنا وقُهرنا . ثم روى احاديث في السمع والطاعة . واحاديث في العفو والاحسان . وقال : اشهدك ايها الامير ان نساني طوالق وعبيدي احرار ان كان احد في هؤلاء القوم قال هذه الكلمة . ووراءنا حُرم وعيال وقد تسامع الناس بهلاكنا . وقد قدرتَ وانما العفو بعد المقدرة . فقال للواسطي : أطلقهم لا كثر الله امثالهم . فسار ابو زرعة الى حمص ثم قدم الى مصر وولي القضاء بدمشق من قبل الامير ابي الجيش خمارويه بن احمد بن طولون لانه كان في عهده ان القضاء اليه . . .

قال ابن زولاق : حدثني عبدالله بن عبد الكريم قال كان ابو زرعة خبيثاً مكرًا . ولما قدم الى مصر لزم احمد بن طولون وجعل يتردد اليه ويبكي ويصل خبره في كل ذلك الى ابي الجيش خمارويه بن احمد بن طولون فاعجبه ذلك . ثم دخل الى ابي الجيش ومعه رغيف حوّارى ومنديل فقال له ايها الامير هذا رغيف ختمت عليه عشر ختمات وقرأت عليه عشرة آلاف « قل هو الله احد » . فاخذه منه

ابو الجيش وحَسُنَ موقعهُ منهُ. وكان سبباً لولايته القضاء بالشام.

ثم ولّى الامير ابو موسى هرون بن خمارويه ابا زرعة محمد بن عثمان قضاء مصر وفلسطين والاردن ودمشق وغيرها. فاقام بمصر. وكانت ولايته في سنة اربع وثمانين (ومائتين) فلم يزل والياً حتى (مات) هرون ودخل محمد بن سليم الكاتب الى مصر آخر صفر سنة اثنتين وتسعين. ولما خرج منها حمل ابا زرعة في من حمل معه الى بغداد ليلة الاحد ثالث رجب منها. وكانت ولاية ابي زرعة القضاء بمصر ثمان سنين وشهرين. وتوفي بدمشق في شوال سنة احدى وثلثمائة. وقيل مات في سنة اثنتين وثلثمائة...

وقال الحسن بن القاسم بن دحيم الدمشقي. وُلد للقاضي ابي زرعة ولد سماه الحسن وكناه ابا عبد الله. ثم ولد له آخر فسماه الحسين وكناه بابي محمد... وكان مهد ولده الحسين الى جانب قِنطرة والشهود حوله. فاذا تحرك صاح بالداية «إلحقي حسيناً». فتأتي ترضعه وهو ينظر اليه

وكان ابو زرعة يرقي من وجع الضرس ويقرأ عليه ويدفع الى صاحبه حشيشة توضع عليه فيسكن. ويستغني طالب الحشيشة بدخول داره عن الحشيشة ويهدأ ضرسه بدخول الدار ويكون اخذه الحشيشة فضلاً. وكان له ستور يمسحه وهو ينظر الى الخصوم...

وزوّج ابو زرعة ابنه الحسين من ابنة ابي زنبور (الحسين بن احمد المادرائي) وكان إملاكاً عظيماً وذلك ان ابا زنبور شاور كيف يصنع بالإملاك فاختلفوا عليه. فقال دعوني الليلة. ثم اصبح فقال ارسلوا الى هذه المائة — وكتبهم في درج — يكونوا عندنا قبل صلاة الصبح. فاذا حضروا فأغلقوا الباب. فجاء المائة. وخرج اليهم مائة غلام بمائة مدخنة ومائة نضّاح ماء ورد. ومائة قدح غالية. ومائة مرآة. ومائة مشط. فتبخروا. ثم قُرئ الكتاب وعقد النكاح. وخرج مائة غلام. ومائة ابريق. ومائة طشت. ومائة منديل. فغسلوا ايديهم. وخرجت عشر موائد فجلس كل عشرة على مائدة فاكلوا. ثم خرج مائة غلام بمائة طشت. ومائة ابريق. ومائة منديل. ومائة بجمع فغسلوا غسل رجل واحد. ثم خرج مائة

غلام بمائة مدخنة ومائة درج[1]. ومائة نضّاح ماء ورد. ومائة منديل. ومائة مرآة لا ادري أهي الاولى ام غيرها فتبخروا. وخرجت مائة صينية فيها الدنانير والدراهم والتماثيل[2]. فألقيت في اكمام الناس. واخذ واحد العروس وابوه (كذا) ابو زرعة. فأدخلا حجرة وخُلع عليهما وبُخرا وحُملا على دابتين وشاكريين. ورزق منها بنتاً زوّجها باحمد بن حسين العقيقي

وكان ابو زرعة كثير الشفقة رقيق القلب كثير السلم بحيث انه كان يغرم عن الضعفاء واهل الستر في النفقات والديون. وربما اراد قوم نزهة. فيأخذ الواحد بيد الآخر فيطالبه بالشيء. فيقر له ويبكي. فيرحمه ويزن عنه بعد ان يسأل خصمه فلا يجيبه. وكان له جار سفيه بجوار داره بمصر. وكان مدمناً لشرب المسكر. فجاء ليلة وهو سكران فجعل يقيء ويصيح. فقالت له زوجته: اياك يسمعك القاضي فقال لها انت طالق ثلاثاً ان لم يغنيني (كذا) القاضي في هذه الليلة. فبكت المرأة واولادها حتى سمع جماعة القاضي رجّتهم فاستخبروهم فحدثوهم بما وقع. فمضت الجواري الى القاضي وحدّثنه بذلك على طريق التعجب. فقال لهم افتحوا الباب وجيئوني به. فلما دخل عليه قال له ما حملك على ما قلت وحلفت عليه. فقال الجهل اعزّ الله القاضي. فقال له القاضي قد كان يقال (وغنّاه)

ليس للنرجس عهد انما العهد للآس
نقض النرجس عهداً ويبقى العهد للآس (كذا)

قد خرجت من بيتك. والله لولا الجوار لارسلت بك الى السلطان حتى يؤدبك. ولكن عدت لتؤمنك...

وقال ابو زرعة كنت ببغداد في مجلس عبيد الله بن سليمان الوزير. فقال لي يا ابا زرعة بلغني ان القضاة والشهود بالشام يركبون الدواب بالخفاف بلا سراويلات. فأنكرت ذلك وقلت هذا كذب أيد الله الوزير. وكنت بغير سراويل. فعاهدت الله ان سنحت وقت من مجلسه الا افعله ابداً. وان أعتق كذا وكذا مملوكاً. فسهل الله ان نهضت ولم يتحنني بالتفتيش

(١) الدرج هنا هو ما يوضع البخور فيه (المقفى ص ٢٠٧ ا)
(٢) التماثيل هي شخوص وحيوانات كانت تصنع من الند والعنبر وتهدى في الاعياد والمواسم

وكان ابو زرعة آكولًا يأكل سل مشمش وسل تين وسل خوخ وما اشبه ذلك. وكان قد اختص بابي الحسن علان بن سليم احد الشهود بمصر وقدمه واودعه. وكان يقال انما ولي ابو زرعة القاضي القضاء لعلان وحده

(خزانة جامعة ليدن Arabe 1566 b f° 85-87)

قاضي القضاة شمس الدين بن الحريري

(كان له تقية في داره تتلقاه من الباب وتمشي امامه بين صفين من نسائه وهي تنادي بثروته والقابه بتفخيم وتفعيم)

محمد بن عثمان بن ابي الحسن بن عبد الوهاب قاضي القضاة شمس الدين ابو عبدالله ابن صفي الدين ابي عمرو بن زكي الدين المعروف بابن الحريري — نسبة الى الحرير فان اباه كان يعاني بيعه — الانصاري الدمشقي الحنفي. ولد بدمشق في عاشر صفر سنة ثلث وخمسين وستمائة... وصار إماماً في الفقه مشاركاً في علوم كثيرة. ودرّس في عدة مدارس بدمشق كالظاهرية والصادرية والخاتونية ثم ولي قضاء القضاة الحنفية في سادس جمادى الاخرة سنة احدى وسبع مائة... واستدعي الى القاهرة فخرج من دمشق يوم الاثنين العشرين من ربيع الاول سنة عشر وسبعمائة وقدم القاهرة في اول ربيع الاخر فخلع عليه وباشر الحكم. ودرّس... وسار سيرة جميلة... وتشدد في ولايته على ارباب الجاه الا انه كان يبالغ في تعظيم نفسه حتى انه كان له امرأة جعلها تقية في دار حرمه فاذا دخل عليهنّ تلقته التقية من الباب ومشت بين يديه وهي تقول: بسم الله. سيدنا ومولانا قاضي القضاة. ونعوت كثيرة فيها تفخيم وتفعيم حتى ينتهي الى مرتبة عالية في صدر بيته فيجلس عليها وتقف نساء داره باجمعهنّ بين يديه بادب زائد وسكون: فيلتفت الى زوجته ويقول لها أكرمي التقية فانها تعظّم بعالك...

واتفق له عزله عن قضاء مصر. وسببه ان الامير بكتمر الساقي لما انشأ له السلطان الملك الناصر محمد بن قلاون دارًا في ارض الميدان المُطل على بركة الفيل وادخل فيه دار الامير سلار واخوته قصد توسعة اصطبل هذه الدار بادخال قطعة من البركة فيه. والبركة من اوقاف الملك الظاهر بيبرس البندقداري على ذريته. فتقدم الى القاضي ابن الحريري باستبدال ما يحتاج اليه من ارض البركة

بخير منه كما هو مذهب الحنفية في استبدال الاوقاف. فامتنع من ذلك وفاوض السلطان بسببه مفاوضة أدّت الى تنافس... وقام من مجلس السلطان وكل منهما قد امتلأ غضباً. وكان مع ذلك قد تقدم له غير مرة إهانة النصارى من الكتاب وغيرهم وإلزامهم الصغار. واذا وجد احداً منهم راكباً انزله وضربه ونكل به. واذا وجده ماشياً وعليه ثياب سرية اهانه. فضاق ذرع الاقباط به ولم يجدوا سبيلاً الى الطعن عليه. وكان كبير الدولة وعظيمها يومئذ كريم الدين اكرم بن هبة الله ناظر الخاص. فلما قام ابن الحريري من مجلس السلطان وهو مغضب وجد القبط السبيل الى كيده...

ثم أعيد الى قضاء مصر بعد ان أفرزت عنه ولم يبقَ معه غير قضاء القاهرة. ومات في يوم السبت خامس جمادى الآخرة سنة ثمان وعشرين وسبعمائة.

(خزانة جامعة ليدن Arabe 1366 h f° 88–89)

عماد الدين الكاتب الاصفهاني

(حرصه على الدنيا ودناءة نفسه ووصف اخلاقه. حرّده على السلطان صلاح الدين وتصب القاضي الفاضل له)

محمد بن محمد بن حامد... بن أله ابو حامد عماد الدين المعروف بابن اخي العزيز الاصفهاني الشافعي الكاتب. مولده باصفهان في يوم الاثنين ثاني جمادى الآخرة. وقيل في شعبان سنة تسع عشرة وخمس مائة. وتوفي بدمشق ليلة الاثنين في مستهل شهر رمضان سنة سبع وتسعين وخمس مائة. ودفن بمقابر الصوفية... وكان محل الثقة من القاضي الفاضل آمناً من توثبه عليه. ولهذا كان يطمئن اليه اذا غاب مع السلطان. وكان رحمه الله شديد الحرص على تحصيل الدنيا. وكان الفاضل يلومه ويعتبه ويعذله ويوثبه على ذلك فلا يرعوي... وله في هذا حكايات. منها ان رجلاً من اهل حمص جاءه بطبق كيزان وتفصيلة كتان. قيمة ذلك كله نحو خمسين درهماً وسأل حاجة. فاخذ قصته وقرأها على السلطان وكان قد بلغه الخبر. فلم يُجبه. فاعاد العماد عرض القصة وقراءتها مرات في مجالس عدة والسلطان لا يأمر فيها ولا ينهى. ففطن العماد وعلم ان الخبر قد اتصل بالسلطان. فاعاد عرض القصة فلما لم يُجبه عنها. قال يا مولانا الطبق الذي احضره صاحب هذه

القصة باقر الى الآن لم اتصرف فيه. فان كان ما ينقضي شغله اعدت عليه طبقه. فضحك السلطان وعجب من دناءة نفسه وامر بقضاء شغل الرجل.

وكان شديد التهافت على اخذ الختوم الذهب التي تجي على كتب الفرنج. فوصل منهم كتاب بغير حضوره. ففتحه السلطان بيده واخذ بعض الحاشية الختم. فلما جاء العماد قيل له اكتب جواب هذا الكتاب فقال يكتب جوابه من اخذ الختم. فعزّ قوله على السلطان وقال له: قم اخرج. الوقت ما هو محتاج اليك. فاتى الى الفاضل وعرّفه ما كان. فقال له رُح الى الخانكاه واقعد بها مع الفقراء والبس زيّهم فاذا طلبك السلطان قل انا قد دخلت في امر لا اخرج منه. ثم لا تخرج حتى يأتيك السلطان بنفسه مترضياً. ثم لم يلبث الفاضل حتى اتته رسل السلطان في طلبه. فلما اتاه شكا اليه العماد. وقال له اكتب جواب هذا الكتاب فقال والله ما اعرف ما اكتب فيه لان العماد كان يصدّد هذه الكتب ولا يعرفها سواه. ولم يزل يتلطف بالسلطان حتى قال: اطلبه. فبعث في طلبه فلم يحضر واعتذر فعظّم الفاضل الامر وكرّر الرسل في طلبه وهو لا يحضر. فقال الفاضل انا اروح خلفه واتلطف به. فوالله هذا باب ما يسدّه سواه. ثم ذهب واطال المكث وعاد الى السلطان وقال قد حرصت به ورأيته مقبلاً على ما دخل فيه اقبالاً ما اظنه بقي يخرج عنه. وما ضرّ السلطان لو زار الفقراء وترضّى عبده. ولم يزل به حتى اتاه وترضّاه. ومن شعره...

هي كتبي فليس تصلح من بعـ ـدي لغير العطار والاسكافي
هي اما مزاود للعقاقيـ ـر واما بطائن للخفاف

وكان ذا قدرة على النظم والنثر وشعره الطف من نثره لانه اكثر فيه من الجناس وبالغ حتى صار كلامه كأنه ضرب من الرقى والعزائم... وقال القاضي الفاضل لجلسائه بمَ تشبهون العماد. وكان عنده فترة عظيمة وجمود في النظر والكلام. فاذا اخذ القلم اتى بالنظم والنثر. فكلهم شبّهه بشيء. فقال ما اصبتم. هو كالزناد ظاهره بارد وباطنه فيه نار. ولما فرغ من كتاب الخريدة جهزها الى القاضي الفاضل في ثانية اجزاء. فقال: اين الآخران. لانه قال: خري دَه يعني «خري عشرة». فان دَه بالفارسية عشرة. ومن هنا اخذ ابن سناء الملك قوله فيها:

خريدهُ أفيهِ من نتنها كأنها من بعض انفاسهِ
فنصفها الاول في ذقنه ونصفها الآخر في راسهِ

ولما قدم دمشق سنة اثنتين وستين وخمسمائة تعرف بمدبّر الدولة القاضي كمال الدين الشهرزوري. وكان قد اتصل في طريقه بنجم الدين ايوب لمعرفة كانت بينه وبين عمه العزيز بتكريت. فاستخدمه كمال الدين عند السلطان نور الدين في الانشاء. فجبُنَ اولاً. ثم ترقت منزلته عند السلطان وبعثه في الرسالة الى الامام المستنجد بالله. وفوض اليه تدريس المدرسة المعروفة بالعمادية بدمشق. ورتبه في إشراف الديوان. فلما مات نور الدين وقام من بعده ابنه تنكّرت احواله فعاد الى العراق. فلما بلغه وصول السلطان صلاح الدين يوسف الى دمشق واخذها عاد الى الشام والسلطان على حلب. فمدحه ولقي القاضي الفاضل على حمص ومدحه بقصيدة. فدخل على السلطان وقال له غداً يأتيك تراجم الاعاجم وما يحلّيها مثل العماد. فقال له مالي عنك مندوحة. انت كاتبي ووزيري ورأيت على وجهك البركة فاذا استكتبتُ غيرك تحدث الناس. فقال: العماد يحلّ التراجم وربما اغيب انا فاذا غبت قام مقامي. وقد عرفت فضله وخدمته لنور الدين. فاستخدمه عند ذلك واطلعه على سره...

وكان يضاهي الوزراء. فاذا انقطع الفاضل بمصر لمصالح السلطان قام العماد مقامه. فلم يزل على ذلك حتى مات السلطان فاختلّت احواله ولم يجد في وجهه باباً مفتوحاً فلزم بيته. واقبل على التصنيف بقية عمره وتأخرت وفاته بعد الفاضل سنة

(خزانة جامعة ليدن Arabe 1366e م 99-101 h)

كمال الدين الدميري

(افراط نَهَمه في شبيبته واكله الفار بنواها)

محمد بن موسى بن عيسى الشيخ المفنّن الناسك كمال الدين ابو البقا الدميري الشافعي. برع في الفقه والوعظ ودرس في عدة اماكن وافتى عدة سنين ووعظ الناس زماناً. وكان على وعظه قبول. واقبل في آخر عمره على النسك ورتب ليله ونهاره لوظائف العبادة حتى مات في ليلة الثلاثا ثالث جمادى الاولى سنة ثمان

وثماني مائة عن ست وستين سنة. وله عدة مصنفات منها . . . كتاب حياة الحيوان. وكان حسن المعاشرة جميل المحاضرة كثير التواضع متوددًا الى الناس محبّبًا عندهم غزير الدمعة مُعتقدًا فيه الخير. وكان في شبيبته اكولًا الى الغاية مفرط النهمة. له في ذلك اخبار عجيبة. منها ما اخبرني به الفقيه العالم صلاح الدين محمد بن الاعمى الحنبلي رحمه الله قال كنت والكمال الدميري متجاورين بمدرسة الجمالي من القاهرة. فجلسنا يومًا لنأكل برقوقًا فقلت له لا ترمِ نواه من ههنا لئن لا يقف علينا الذباب ولكن ألقهِ هناك. فقال لي ما رميت قط نوى برقوق ولا خوخ ولا مشمش ولكن آكل ذلك كله بنواه. فتعجبت من ذلك. ومرّ لي زمن فحدثت بذلك صاحبنا ابا الطيب بن الفرّي المدني رحمه الله فقال لي أحدثك عنه باعجب من هذا. وهو انه جاور بالمدينة النبوية فاكل بحضوري صاع تمر بنواه. ثم انه رحمه الله في آخر عمره لم يكن عنده من ذلك شيء. وكان يأكل اكلًا معتدلًا. ثم اقام سنين يصوم الدهر. وكان له نظم جيد ومحفوظات كثيرة سيما في الحديث واخبار الرواة. وبالجملة فلم يخلف بعده مثله في معناه

(خزانة جامعة ليدن Arabe 1366' f' 113)

الشيخ نجم الدين ابو البركات الخبوشاني الصوفي

(سبّه الدولة الفاطمية قبل انقراضها وقطعه المقطعة باسمها. جرأته على السلطان صلاح الدين ووكزه اياه بعصا اسقطت قلنسوته ودعاؤه عليه بالفشل وعدم النصر. إنكاره بيع المزر وشتمه من احله تقي الدين عمر ابن اخي السلطان وضربه رسوله. صياحه في وجه القاضي الفاضل)

محمد بن موفق بن علي بن سعيد بن الحسن بن عبدالله الشيخ الزاهد نجم الدين ابو البركات بن ابي المطهر الخبوشاني الصوفي الشافعي. مولده بأشتوا خبوشان في الثالث والعشرين من شهر رجب سنة عشر وخمسمائة. وتفقه بنيسابور على محمد ابن يحيى. وكان يقول اصعد الى مصر وأرى بني عُبيد. فقدم الى مصر سنة خمس وستين وخمسمائة ونزل في بعض مساجدها. فاتفق ان الخليفة العاضد لدين الله ابا محمد عبدالله بن يوسف رأى في منامه انه بمدينة مصر وقد خرج اليه عقرب

من مسجد معروف بها فلدغهُ. فانتبه مذعورًا واستدعى عابر الرؤيا وقص عليه ما رأى. فقال ينال امير المؤمنين مكروه من شخص مقيم بهذا المسجد. فالزم الوالي باحضار من في المسجد. فمضى اليه واحضر منه رجلًا صوفيًا. فسأله العاضد من اين هو ومتى قدم مصر وفي اي شيء جاء. فاجابه عن ذلك ولم يظهر منه للعاضد ما يريبه بل تبين منه ضعف الحال مع الصدق. فدفع اليه مالًا وقال له يا شيخ ادعُ لنا وخلّاه لسبيله. فعاد الى مسجده ولم يزل به حتى قدم شيركوه من دمشق وقام في وزارة العاضد السلطان صلاح الدين يوسف بن ايوب وشرع في إزالة الدولة واستفتى فقهاء مصر فكان اشدّهم مبالغة في الفتيا وعدد مساوئ القوم وسلب عنهم الايمان واطال القول في الحط عليهم. وعندما عزم صلاح الدين على قطع اسم العاضد من الخطبة لم يتجاسر احد ان يأمر الخطيب بذلك الا الخبوشاني فانه قام يوم جمعة وفي يده جريدة وامر الخطيب بقطع اسم العاضد فانقطع اسمه من يومئذ وصدقت رؤيا العاضد. فلما استبد السلطان صلاح الدين بمملكة مصر قرّبه واكرمه وبالغ في اعتقاد دينه وعلمه. فاشار على السلطان بعمارة المدرسة بجوار قبر الامام الشافعي. فامتثل ذلك وتبتل الخبوشاني بعمارتها حتى كملت ودرّس بها وسكن فيها الى ان مات هناك في يوم الاربعا الثاني والعشرين من ذي القعدة سنة ٥٨٧ . . .

وخبوشان بليدة بناحية نيسابور. وكان من ورعه اذا ركب الحمار يجعل تحته اكسية لئلا يصل اليه عرقه. واتاه السلطان الملك العزيز عثمان ليزوره وصافحه. فاستدعى بماء وغسل يديه وقال يا ولدي انت تملك المنان. ولا يتوقى الغلمان النجاسة. اغسل وجهك فانك بعد المصافحة لمست وجهك. فقال نعم وغسل وجهه. ولما خرج السلطان صلاح الدين الى الفرنج نوبة الرملة جاء الى الخبوشاني ليودعه. والتمس منه امورًا من المكوس ليسقطها عن الناس فلم يفعل. فقال له لا نصرك الله. وركزه برمحه فوقعت قلنسوة السلطان عن رأسه. فوجم السلطان ثم توجه الى الحرب فانكسر وعاد الى الشيخ وقبل يده فظن ان ذلك بدعوته واذعن لكلامه.

وكان لتقي الدين عمر ابن اخي السلطان مواضع يباع فيها المزر. فكتب

الشيخ ورقة الى السلطان فيها: ان هذا عمر لا جبره الله يبيع المزر . فسيّرها الى عمر وقال لا طاقة لنا بهذا الشيخ فأرضِه. فركب اليه. فقال له حاجبه قف بباب المدرسة حتى اسبقك اليه واوطّي لك . ثم دخل وقال تقي الدين يسلّم عليك فقال بل شقي الدين لا سلّم الله عليه. قال انه يعتذر ويقول ليس لي موضع يباع فيه المزر. فقال يكذب. فقال ان كان هناك موضع مزر فأرناهُ . فقال ادنُ. وامسك ذؤابتيه وجعل يلطم وجهه وخديه ويقول لستُ مزّارًا فاعرف مواضع المزر. ثم تركه وخرج الى تقي الدين فقال فديتك بنفسي

واتاه القاضي الفاضل يوماً وهو يلقي الدرس على كرسي ضيق . فجلس على طرفه وجنبه الى قبر الشافعي. فصاح فيه قم. ظهرك الى الامام . فقال ان كنت مستدبره بقالبي فانا مستقبله بقلبي. فصاح فيه ما تعبدنا بهذا. فخرج وهو لا يعقل

وقال انه كان يصرّح بسبّ الدولة المصرية قبل انقراضها. فبعثوا اليه باربعة آلاف دينار. فنهض الى الذي احضرها وهو بذاك الزي الهائل وقال له وقد اشتد غضبه ويلك ما هذه البدعة. فالقى اليه ما معه بين يديه. فضربه على رأسه حتى تحلقت عمامته في حلقه. وانزله ورمى بالدنانير على رأسه وسب اهل القصر

(خزانة جامعة ليدن Arabe 1366 f° 118-119)

القاضي محمد بن مسروق الكندي الاعور قاضي مصر

(تشدّده في الحكم وإنصافه من العمّال. شدة تجبره وانقطاعه عن حضور مجالس الامراء. شتمه اهل مصر وضربه وكيل زبيدة امرأة هرون الرشيد. كان اول من ادخل النصارى المسجد وقضى عليهم فيه. واول من اتخذ القسطر للكتب)

. محمد بن مسروق بن معدان بن المرزبان. . . بن معوية بن كندة. القاضي ابو عبد الرحمن الكندي الكوفي الحنفي الاعور قاضي مصر . . . وليَ قضاء مصر من قبل امير المؤمنين هرون الرشيد بعد المفضّل بن فضالة. فسار من بغداد الى مصر وقدمها في خامس صفر سنة سبع وسبعين ومائة. والامير يومئذ عبدالله بن المسيب الضبي وباشر القضاء. فتشدد في الحكم وأعدى على العمال وانصف منهم. واظهر تجبرًا عظيماً وباعد الخصوم. وكانت عادة امراء مصر يحضرون القضاة الى

مجالسهم. فبعث اليه عبدالله بن المسيّب يامره بحضور مجلسه. فقال لو كنت تقدمت اليك في هذا لفعلت وفعلت يا كذا يا كذا. فانقطع حضور القضاة مجلس الامراء من يومئذ. واتخذ ايضاً قوماً من اهل مصر للشهادة رسمهم بها واوقف سائر الناس فوثبوا به ووثب بهم فشتموه وشتمهم. وكانت منه هِناة (كذا) الى اشرافهم. وخوصم هاشم بن حديج اليه فقال له انما انت من السكون ولست من الاملاك. فقال له هاشم ليس لهذا حضرنا. والله لا حضرت لك مجلساً ابداً ومن تظلم اليك مني فأعده علي واقض له في مالي بما يرغبه. وكانت اموال اليتامى والاوقاف والغيب ترد الى بيت المال منذ زمن ابي جعفر المنصور الى ايام الرشيد. فلما ولي محمد بن مسروق وتحامل على الناس اساؤوا عليه الثناء والذكر واشاعوا عليه انه عزم على حمل ما في بيت المال من هذه الاموال الى هرون الرشيد ببغداد. فقام ابو اسحق الحوفي فنادى في المسجد الجامع ودعا على محمد بن مسروق فاحضره ابن مسروق وناله بمكروه. فزاد اهل مصر في مقته. فعندما اكثر اهل المسجد في ذمّه. وقف على باب المقصورة ونادى بصوته اين اصحاب الاكسية العسلية. اين بني (كذا) البغايا. لمَ لا يتكلم منهم متكلم بما شاء حتى يرى ويسمع. فما تكلم احد بكلمة.

وكان القضاة بمصر لا يقضون على النصارى بالمسجد وانما يحاربون لهم يوماً في منازلهم. واول من ادخلهم المسجد محمد بن مسروق...

ولم يكن قبله لقضاة مصر قِسطر. انما كان كاتب القاضي يحضر ومعه الكتب في منديل. فاول من جعل له القسطر بمصر محمد بن مسروق. وكان يختم القسطر ويودعه فاذا جلس احضره. وكان يروح من الموقف الى المسجد ماشياً. وخوصم اليه عبد الرحمن وكيل السيدة زبيدة بنت جعفر بن ابي جعفر المنصور امرأة هرون الرشيد فامر باحضاره فجلس مع خصمه متربعاً. فامر به فبُطح وضُرب عشراً. فنماه الى مولاته زبيدة. وتشدد ايضاً على عبد الوهاب بن موسى بن عبد العزيز ابن عمر بن عبد الرحمن بن عوف فشخص من مصر الى الرقة ونماه ورفعه القرشيون هناك وكلّم فيه ابا البختري حتى عزله. فلما بلغه العزل خرج من مصر قبل ان يقدم الذي استقضاه ابو البختري واستخلف على مصر اسحق بن الفرات

غضباً عليهم وذلك سنة اربع وثمانين وقيل سنة خمس وثمانين ومائة . ويقال انه مات فيها . . .

(خزانة جامعة ليدن Arabe 1366c f° 121-122)

محمد بن يزيد ابو العباس المبرّد

(افراطه في البخل واحتجاجه له . استتاره في بيته لتناول الطعام . قدومه بغداد واحتياله في المسجد لجذب الناس اليه . إرسال ثعلب له من تلاميذه من يفاتشه وانقطاع الزجّاج منهم اليه . اختلاف القول في تلقيبه بالمبرد)

محمد بن يزيد . . . ابو العباس الازدي ثم الثمالي المعروف بالمبرّد . . . كان من ابخل الناس بكل شيء . وبلغه ان ابا عبيدة بن المثنى قال لا يكون نحوي شجاعاً . قيل له وكيف . قال ترونه يفرق بين الساكن والمتحرك ولا يفرق بين الموت والحياة . فقال وانا اقول لا يكون نحوي جواداً فقيل له وكيف ذلك . قال ترونه يفرق بين الهمزتين ولا يفرق بين سبب الغنى والفقر . يريد ان الإمساك سبب من اسباب الغنى والعطا سبب من اسباب الفقر . وقال ما وضعت بجذاء الدرهم شيئاً قط الا رجح الدرهم في نفسي عليه . هذا مع سعة كان فيها ووجد . وكان ثعلب على مثل ما كان عليه المبرد في الامساك وفوقه في السعة . غير ان المبرد كان يسأل سؤالاً صراحاً . وكان ثعلب يعرّض ولا يصرّح

قال ابو بكر التاريخي ولولا اني اكره ان اكون عيّاباً للعلما خاصة لاخبرتك عنهما (عن ثعلب والمبرد) من الاخبار التي تزيد على اخبار محمد بن الجهم البرمكي والكندي وخالد بن صفوان والاصمعي في الإمتاع . وهو من لم يأكل عند احد في عصرنا شيئاً قط ولا رآه احد يأكل ولا يشرب ولقد كان عفا الله عنه وعنا معه في المنزل من اقاربه سكان . فسألناهم عن خبره في ماكله ومشربه فذكروا انه كان اذا اراد الاكل دخل البيت ورد الباب في وجهه او طرح الستر فلا يعلم احد منهم بشيء من امره

قال لما قُتل المتوكل بسرّ من رأى رحل المبرد الى بغداد فقدم بلداً لا عهد له باهله . فاختلّ وادركته الحاجة . فترصّى شهود صلاة الجمعة . فلما قُضيت الصلاة

اقبل على بعض من حضر وساله ان يفاتحه السؤال ليتسبب له القول. فلم يكن عند من حضر علم. فلما رأى ذلك رفع صوته وطفق يفتر. يوهم بذلك انه قد سُئل فصارت حوله حلقة عظيمة وهو يصل في ذلك كلامه. فتشوّف ثعلب الى الحلقة. وكان كثيرًا ما يرد الجامع قوم خراسانيون من ذوي النظر فيتكلمون ويجتمع الناس حولهم. فاذا بصر بهم ثعلب ارسل من تلاميذه من يفاتشهم فاذا انقطعوا عن الجواب انفض الناس عنهم. فلما نظر ثعلب الى من حول المبرد امر ابراهيم بن السري الزجاج وابن الحائك بالنهوض. وقال لهما قُضّا الحلقة. ونهض معهما من حضر من اصحابه. فلما صاروا بين يديه. قال له ابرهيم السري اتأذن لي اعزك الله في المفاتشة. قال المبرد سل عما احببت. فساله عن مسألة فاجاب فيها بجواب اقنعه. فنظر الزجاج في وجوه اصحابه متعجباً من تجويد المبرد للجواب. فلما انقضى ذلك قال له ابو العباس اقنعت بالجواب فقال نعم. قال فان قال لك قائل في جوابنا هذا كذا ما انت راجع اليه. وجعل ابو العباس المبرد يوهن جواب المسألة ويفسده ويعتلّ فيه. فبقي الزجاج سادرًا لا يحير جواباً. ثم قال ان رأى الشيخ اعزه الله ان يقول في ذلك. فقال فان القول على نحو كذا. فصحح الجواب الاول واوهن ما كان افسده به. فبقي الزجاج مبهوتاً. ثم قال في نفسه قد يجوز ان يتقدم له حفظ هذه المسألة واتقان القول فيها. ثم سأله عن مسألة ثانية ففعل المبرد فيها بنحو فعله في المسألة الاولى حتى والى بين اربع عشرة مسألة يجيب على كل واحدة منها بما يقنع ثم يفسد الجواب ثم يعود الى تصحيح الجواب الاول. فلما رأى ذلك الزجاج قال لاصحابه عودوا الى الشيخ فلست مفارقاً هذا الرجل ولا بد لي من ملازمته والاخذ عنه. فعاتبه اصحابه وقالوا تأخذ عن رجل مجهول لا يُعرف اسمه وتدع من قد شهر علمه وانتشر في الآفاق ذكره. فقال لهم لست اقول بالذكر والخمول ولكني اقول بالعلم والنظر. قال فلزم المبرد وسأله عن حاله فاعلمه برغبته في النظر وانه قد حبس نفسه على ذلك الا ما يشغله عن صناعة الزجاج في كل خمسة ايام من الشهر فيتقوّت بذلك الشهر كله. ثم اجرى عليه في الشهر ثلاثين درهماً. وامره المبرّد باطراح كتب الكوفيين. فلم يزل ملازماً له وآخذًا عنه حتى برع بين اصحابه. فكان المبرد لا يقرئ احدًا كتاب سيبويه

حتى يقرأه على الزجاج ويصحح به كتابه. فكان ذلك اول رئاسة الزجاج . . .

وقد اختُلف في تلقيبه بالمبرد فقيل سببه ان صاحب الشرطة طلبه للمنادمة والمذاكرة فكره ذلك فدخل الى ابي حاتم السجستاني فجاء رسول الوالي بطلبه. فقال له ابو حاتم ادخل في هذا يعني غلاف مزمّلة فارغاً. فدخل فيه وغطى رأسه. ثم خرج الى الرسول فقال ليس هو عندي. فقال أُخبرت انه دخل اليك . فقال ادخل الدار وفتّشها. فدخل وطاف في كل موضع في الدار ولم يفطن لغلاف المزملة. ثم خرج فجعل ابو حاتم يضحك وينادي على المزملة: «المبرَّد. المبرَّد» وتسامع الناس بذلك فلهجوا به. وقيل ان الذي لقبه بهذا شيخه ابو عثمان المازني

(خزانة جامعة ليدن Arabe 1366)

لغة الحضارة

نعني بلغة الحضارة مجموع الالفاظ والعبارات والمصطلحات التي طرأت على لغة البداوة بعد الاسلام. بين معرّب، ودخيل، ومولّد، ومستحدث، ومستعار. كالتي عُني العالم الهولاندي دوزي بجمعها في كتابه الذي دعاه « تكملة المعاجم العربية ». وقد دلّنا طول البحث والتنقيب في كتب الادب والتاريخ على ان لها هنالك اشباهاً جمة ونظائر فاته استدراكها. يجدها اليوم كل من شاء ان يتتبعها في مصنّفات السلف، ولا سيما ما لا يزال مخطوطاً منها حتى سقوط دولة المماليك. ومع اننا لسنا من المتخصصين لمثل هذه الدروس، رأينا من باب المشاركة في الخدمة ان نتقرّب الى القرّاء — وما اكثر عشاق اللغة بين الكتاب عندنا! — ونذكر لهم مرّة بعد أخرى ما يمرّ بنا عفواً اثناء مطالعاتنا من امثال هذه الالفاظ الطارئة. نوردها على هيئتنا رجاء الإصابة في ما نختاره منها؛ مع الاقتصار على ما نرى فائدة واضحة في الاشارة اليها. لصلاحية قسم منها للاستعمال بالمعنى الذي دلّت عليه قبلاً؛ او الإمكان سدّ عوز عما من حاجات الاقلام في هذا العصر؛ او لاعانتها على وصف اطوار الحضارة العربية السابقة. وسنعزّز كل رواية منها بشهادة الكتّاب والشعراء والمؤرّخين. وغنيٌّ عن البيان ما في مثل هذه التنبيهات والاستدراكات من المادّة والمؤونة لتذييل داوين اللغة؛ وتأريخ الدخيل والمولّد من اوضاعها؛ تمهيداً لجمع معجم شامل لكل الكلمات والعبارات المستحدثة في حضارة الاسلام.

التحايا

(فصل مقتطع من كتابنا المخطوط « الديارات النصرانية في الاسلام »)

التحايا جمع تحيّة بمعنى التحفة والطرفة. وهي غير واردة على هذا الوجه في معاجم اللغة. وفي الشابشتي في كلامه على دير رومالس (رومانس) « حضر من احداث الموضع من كان يقضي لنا الحاجة ويجيئنا بالطرفة والتحية »[1]. واكثر ما تطلق على الطاقة من الازهار والرياحين والفواكه التي يُحيّا بها الندماء، وتُزيّن بها مجالس الشراب؛ ومنها بيت الثرواني:

وان انتما حيّتاني تحيّةً فلا تعدُوا ريحان قلّابة النسّ[2]

١) كتاب الديارات للشابشتي، ص ٧٦، نسخة برلين

٢) معجم البلدان لياقوت، طبعة ليبسيك، ٤: ١٥٦

ونظيره قول ابي الفرج الببّغاء في النرجس:

ونرجس لم يمدُّ ميضُه الـ كأس، ولا اصفره الراحا
كأنما تُهدي التحايا به لطفاً الى الارواح ارواحا (١

وفي هذا المعنى لابي اسحق الصابئ يصف مجلس انس شبّه بالمعركة:

كأن رجوم تحاياهم سهامٌ على الجيش منها نثار (٢

وفي الاغاني لابي الفرج الاصبهاني « قالت رتيق: كنت يوماً بين يدي الرشيد وعنده اخوه منصور وهما يشربان. فدخلت اليه خلوب جارية لعليّة (اخت الرشيد) ومعها كأسان مملوءتان وتحيّتان. ومع خادم يتبعها عود نغنتها قائمة، والكأسان في ايديها، والتحيتان بين ايديها »(٣.

ولمحمد بن بشير يهجو يوسف بن جعفر بن سليمان:

ريحانهُ بدم الشباب ملطَّخ، وتحيّة الندمان لطم العين (٤

ولما خرج المأمون ونزل الدير الاعلى بالموصل، وجاء عيد الشعانين، « زُيّن الدير في ذلك اليوم باحسن زيّ وخرج رهبانه وقسّأنه الى المذبح وحولهم فتيانهم بايديهم المجامر قد تقلدوا الصلبان وتوشحوا بالمناديل المنقوشة. فرأى المأمون ذلك فاستحسنه. ثم انصرف القوم الى قلاليهم وقربانهم. وعطف الى المأمون من كان معهم من الجواري والغلمان بيد كل منهم تحية من رياحين وقتهم وبايدي جماعة منهم كؤوس فيها انواع الشراب. فادناهم وجعل يأخذ من هذا ومن هذه تحيّة. وقد شُغف بما رآه منهم »(٥.

ومن شواهد اطلاق التحايا على هدايا الفواكه والتفاح قول ابي خالد الكاتب، وقد اجتاز بدير حلّى، ومعه ابو زرعة الدمشقي الشاعر: « ثم اتانا الرهبان بتحايا الورود والياسمين والتفّاح واخرجوا الينا شراباً عتيقاً في نهاية الصفاء والرقة »(٦. ومثله ما رواه ابن عبد ربّه عن الفضل بن يحيى ان طفيلياً من

١) اليتيمة للثعالبي، طبعة مصر، ١: ٢٢٨
٢) اليتيمة للثعالبي، طبعة مصر، ٢: ٢٢٧
٣) الاغاني، طبعة بولاق، ٩: ٨٧–٨٨
٤) الاغاني، طبعة بولاق، ١٣: ١٣٤
٥) الديارات للشابشتي، ص ٧٦
٦) مسالك الابصار للعمري، ص ٢٣١

اهل المدينة دخل عليه وبيد الفضل بن يحيى تفاحة « فالقاها اليه وقال : حيّاك الله يا مدنيّ . فلزمها واكلها . فقال له : شؤم عليك يا مدني ! أتأكل التحيات ! »[1] .

وكان في الحيرة غلمان يرتزقون من حمل الفاكهة وبيع التحيّات . منهم حنين ابن بلّوع المغنّي المشهور « قيل كان لطيفاً في عمل التحيّات فكان اذا حمل الرياحين الى بيوت الفتيان ومياسير اهل الكوفة واصحاب القيان والمتطرّبين الى الحيرة ورأوا رشاقته وحسن قدّه وحلاوته وخفة روحه استحلوه واقام عندهم وخفّ لهم »[2] .

وقد يراد بالتحيّة مجرد الهديّة من الطرائف والنفائس : « حدّث سعيد بن يوسف قال : كنت اتقلد خزائن الكسوة . وكان اذا امر المعتز ليونس (بن بغا) بشيء . اخذت له اجلّ ما في الخزائن واحسنه . . . فقلت له يوماً : يا سيدي انا عبدك وموفر لمالك وانت تشرّف مسرورًا المعتصمي بالتحيّة الحسنة مما يكون بين يدي امير المؤمنين . وانا فلا تشرفني بمثل ذلك ؟ فقال الليلة نوبتك »[3]

وكان يقال قديماً لمثل هذه التحيّات التي يُزيّن بها مجالس الشراب العبارة والعهار . وفسّروا بها في احد الوجهين قول الاعشى :

فلما اتانا ، بُعيد الكرى ، سجدنا له ورفعنا العمارا (٤)

قال ابن منظور : « العهار هنا الريحان يُزيّن به مجلس الشراب وتسميه الفرس مبوران . فاذا دخل عليهم داخل رفعوا شيئاً منه بايديهم وحيّوه به »[5] . ومن هنا يعلم ان عادة اتخاذ الورود والرياحين للشرب عليها والتحيّة بها كانت في الجاهلية وسبقت الاسلام . ومنها قول النابغة الذبياني في مدح آل جفنة النصارى :

رقاق النعال ، طيّبٌ حُجُزاتُهم ، يُحيّون بالريحان ، يوم السباسب

اي يوم الشعانين . ولاعشى قيس في قصيدته « ودّع هريرة ان الركب مرتحلُ » ابيات ذكر فيها غدوّه الى الحانوت اي بيت الخمّار ،

في فتية كسيوف الهند قد علموا ان ليس يدفع عن ذي الحيلة الحيل

١) العقد الفريد ، المطبعة الازهرية ، مصر ، سنة ١٣٢١ ، ٣ : ٢٧٢

٢) الاغاني ، طبع الدار ، ٣ : ٢٤٥

٣) الديارات للشابشتي ، ص ٧٢

٤) نكت الهميان للصفدي ، ص ٧

٥) لسان العرب ٦ : ٢٨٢

وقال :

نازعتهم قُضُب الريحان ، متكئاً ، وقهوة مزّة راووقها خضل (١

وله ايضاً يصف مجلس الشراب :

وشاهدنا الورد ، والياسمين ، والمسمعات بقسأبها (٢

وفي حديث حسّان بن ثابت انّ جبلة بن الايهم كان « اذا جلس للشراب فرش تحته الآس والورد والياسمين واصناف الرياحين »[٣].

ولابن سيحان من شعراء الاغاني :

أسقي أعاطيه كأساً لذّ شربها ، كالمسك خُفّت بسرين وريحان (٤

ولم يكن مثل هذا التجمّل بالرياحين والازهار ، وطرحها على بساط المدام ، نصيب الاغنياء والمترفين فقط ، بل اصبح في الاسلام رسماً للفتوّة لا يخلّ به اشقى الفقراء والمعدمين . روى ابو الفرج الاصبهاني قال : « دعا الاخطلَ شاب من شباب اهل الكوفة الى منزله فقال له : يا ابن اخي ، انت لا تحتمل المؤونة وليس عندك معتمد . فلم يزل به حتى انتجعه . فقال : يا شقراء . فخرجت اليه امرأة . فقال لامه : هذا ابو مالك قد اتاني . فباعت غزلاً لها واشترت له لحماً ونبيذاً وريحاناً . فدخل خُصاً لها . فأكل معه وشرب وقال في ذلك شعراً »[٥].

وفي حديث علي بن امية قال : « دخلت يوماً على عمر الميداني وكان له بقّال على باب داره ينادمه ولا يفارقه ويقارضه اذا اعسر ... فقال لنا عمر : معي اربعة دراهم تعطوني منها لعليق حماري درهماً . والثلاثة لكم فكلوا بها ما احببتم . وعندي نبيذ وانا اغنيكم والبقال يحضرنا من الانقال اليابسة ما في حانوته . فوجهنا بالبقال فاشترى لنا بدرهم فاكهة وريحاناً وجاءنا من حانوته بجوانيج السكباج ونقل »[٦].

١) الاغاني ٨ : ٦٩
٢) التذكرة الحمدونية ، باريس رقم ٣٣٢٦ ، ص ١٠٥
٣) التذكرة الحمدونية ، باريس رقم ٣٣٢٦ ، ص ١٠٧
٤) الاغاني ، طبعة الدار ، ٢ : ٣٦٠
٥) الاغاني ، طبعة بولاق ، ٧ : ١٨٥
٦) الاغاني ٢٠ : ٦٦

وقد بلغت عادة التحيّات في الاسلام الغاية من البذخ والترف. فكان الخلفاء والوزراء ووجوه الدولة يتفننون في تزيين مجالس شرابهم باطايب الفواكه ونوادر الرياحين والورود ، ويغالون في الانفاق والتبذير ، كما حكاه ابن حمدون ، وهو شاهد عياني ، قال : « كنا نشرب مع الراضي بالله يوماً في مجلس مغنّى بالفاكهة الحسنة الفاخرة . فعَرِض بالجلوس فقال : افرشوا لنا المجلس الفلاني واطرحوا فيه ريحاناً ونيلوفرًا فقط طرحاً فوق الحصر بلا اطباق ولا تعبية في مشامّ كما تفعل العامّة . وعجّلوا ذلك الساعة لننتقل اليه. قال فلم تكن الّا لحظة حتى قالوا له: قد فرغنا من ذلك . فقال لنا : قوموا. فقمنا معه. فلما رأى المجلس قال للشرابيّة غيّروا لون هذا الريحان بشيء من الكافور يُسحق ويُطرح فوقه فليس هو مليح هكذا . قال : فاقبلوا يجيئون بصواني الذهب فيها الكافور الرباحي المسحوق ارطالًا ويطرح فوق الريحان وهو يستزيدهم الى ان صار الريحان كالمغطى ببياض الكافور وكأنه ثوب اخضر قد نُدف عليه قطن رقيق . او روضة سقط عليها ضرائب الثلج. فقال حينئذٍ : حسبكم. قال : فقدرت ما استعمل من الكافور كان اكثر من الف مثقال بشيء كثير. فشربنا عليه. فلما قام امر بنهبه . فاخذ غلماني منه مثاقيل كثيرة لانهم كانوا في جملة الخدم والفراشين والغلمان الذين نهبوا ذلك »[1].

وروى القاضي ابو علي التنوخي قال : « شاهدنا ابو محمد المهلّبي في وزارته وقد اشترى في ثلاثة ايام متتابعة وردًا بالف دينار فطرحت في بركة عظيمة كانت له في دار كبيرة تعرف بدار البركة . وشرب عليه ونُهب . وكان في البركة فوّارة حسنة فطرح الورد فيها وفرشه في مجالسه . وكان لذلك شرح طويل .

وشرب ابو القاسم بن ابي عبدالله البريدي بالبصرة على ورد بعشرين الف درهم في يوم واحد على رخصه هناك واسترخاص السلطان لما يشتهيه »[2].

ومن اغرب ما كان يُتخذ من التحايا في مجالس الشراب والحانات قُضُب

١) نشوار المحاضرة للتنوخي ، ص ١٤٤–١٤٥

٢) نشوار المحاضرة ، ص ١٤٧

كانت تجعل خلف آذان السقاة والشاربين او تُعقد منها اكاليل توضع فوق رؤوسهم . ولذلك قال ابو دلف العجلي يفتخر :

يوماً تراني على طِمرٍ ترهبني الأجبُلُ الرواسي
ويوم لهو احثّ كأساً ، وخلف اذني قضيب آس (١

ومثله قول ابن المعتز في وصف ساقٍ :

وطاف بها ساقٍ اديبٌ بمقلٍ كخنجر عيّار صناعته الفتك
وحمّل آذريونةً فوق اذنه ككأس عقيق في قرارتها مسك (٢

وله ايضاً في الساقي المكلّل بالآس المرصّع بصنوف الريحان :

عليه اكليل آس ، فوق مفرقه ، قد رصّعوه بانواع الرياحين (٣

وقد جمع ابو نواس بين « تحيّات الندامى » و « أكاليل الرياحين » فقال :

الذّ واشهى من قراع الكتائب مصافحة الطاسات من كل جانب
واخذ تحيّات الندامى ، وردّها بترحيب انس من حبيب وصاحب
ولبس اكاليل الرياحين منهم وإصاخة آذان الى شدو ضارب (٤

وله ايضاً في الاكليل او التاج :

كأن إكليله تاج ابن ماربة ، [illegible] متصبّاً بالورد والآس (٥

ومثله قوله في وصف ساقٍ :

بدور بها ظبيٌ غريرٌ متوّجٌ [illegible] من الريحان منك الفراطق (٦

وله في ريحانة الاذن :

أحسنُ عندي من انكبالك با[illegible] ، منحنياً [illegible] على وتد
وقرفُ ريحانة على أذنٍ ، [illegible] كأس الى فم يد (٧

ونظيره قوله في ورد الآذريون :

---

١) مروج الذهب ، هامش نفح الطيب ج ٣ ص ٢٠٤
٢) ديوان ابن المعتز ، باريس رقم ٣٠٨٧ ، ص ١١٢
٣) ديوان ابن المعتز ، باريس رقم ٣٠٨٧ ، ص ١١٧
٤) ديوان ابي نواس ، باريس رقم ٣٠٨٣ ، ص ١٠٥
٥) ديوان ابي نواس ، طبعة مصر ١٨٩٨ ، ص ٣٠٧
٦) ديوان ابي نواس ، طبعة مصر ١٨٩٨ ، ص ٣٠٧
٧) ديوان ابي نواس ، خزانة الاسكوريال رقم ٦٥٦ ، ص ١٠٥

بيدَيْ ساقٍ عليه حلةٌ من ياسمين
وعلى الاذنين منه وردتا آذَريون (١

ومن اصدق تشبيهات التحيَّات في « اكاليل الرياحين » قول ابي عثمان الخالدي في وصف مجلس أنس حضره :

والخمرُ تُجلى على خطَّاجا ، فترى عرائس الكرم قد زُفَّت لازواج
وكلّنا من اكاليل البهار على رؤوسنا ، كانوشروان في التاج (٢

وفي لسان العرب ان مثل هذه الاكاليل التي اتخذها العرب عن العجم كانت تسمى العلا[٣] .

وقد اشتهر الواثق بالله بحبّ المواخير ، وعقده حانتين احداهما في دار الحُرَم والاخرى على الشطّ . فلما فرغ منهما امر باحضار المغنّين والجلساء والدنان « وان يُوضع على رأس الحضور اكاليل الآس وما اشبه من الرياحين »[٤] .

ومما تقدّم تتبيّن حاجة الرهبان الى الإكثار من زراعة الورد والريحان والفواكه لبيعها في التحايا واصناف النقول في الحانات اللاحقة بالديارات .

١) ديوان ابي نواس ، طبعة مصر ، ص ٢٣٩
٢) يتيمة الدهر ، طبعة مصر ، ٢ : ١٨٦
٣) لسان العرب ٣ : ٤٢٠
٤) مسالك الابصار للعمري ، ص ٢٦٤

للزيادة في الدفاع عنه، وهو من اصل مخلصي ، واغتنم فرصة نشر هذه الفتوى ، وهي من قلم رئيس الرهبان المخلصيين وقتئذ، ودسّ فيها، بين الاساقفة الملكيين الموقعين عليها ، اسمَي « اغناطيوس الحلبي مطران حمص . وجراسيموس مطران حلب » — وكلاهما لا وجود لهما في نسخة الاصل — ليدرك بذلك وطره من اثبات إجماع الاساقفة الكاثوليكيين سنة ١٧٢٤ على الاعتراف بالبطريرك المخلصي وتصحيح تنصيبه .

وقد رأينا ان ننشر ههنا رسم الفتوى المذكورة ، كما صورناها في خزانة مجمع نشر الايمان . ليقابلها من اراد على رواية حضرة الاب قسطنطين . ويتحقق بام عينه فرق ما بينهما . ويحكم بنفسه على طريقة بعضهم في افساد التاريخ وتضليل الناس .

ومن اغرب ما هنالك ان الطابع في كلامه على هذا الاثر وآخر قبله قال بلفظه : « كان بعزمنا ان ننقل الاثنين بصورتهما الاصلية بالحفر على الزنك لولا انه لطول الزمان حال لون الكتابة فيها حتى لا تظهر جليًّا بالحفر » (ص ١١٤) وقد صورناها نحن بغاية السهولة والجلاء ، كما يراها القارئ .

وهذا مثال من خطة حضرة الاب في الوفاء « بذمة النقل » كما يقول . ورعاية الآثار القديمة وطبع المخطوطات . فليؤمن بها من يشاء !

تاريخ ابن الفرات

المجلد التاسع : الجزء الاول

عُني بتحرير نصه ونشره الدكتور قسطنطين زريق
في المطبعة الاميركانية . بيروت ، سنة ١٩٣٦

للدكتور قسطنطين زريق ، احد اساتذة التاريخ الشرقي في جامعة بيروت الاميركية ، فضل يجدر بالذكر والشكر . لإقدامه على طبع تاريخ ابن الفرات دون ان تهوله كثرة الاغلاط والتحريفات في مسودته ، ووفرة الثلم والبياض ، وغلبة اللهجة العامية على انشائه ، وتعدّد مجلداته وكونها فريدة لا نسخة ثانية لها تُعارَض بها . ومعلومٌ ما في ايسر ذلك من الخطب الذي يثبّط العزائم ويقضّ

جناح الرغبة. وقد آثر ان يبدأ بالمجلد الاخير لان المصنف عاصر الحوادث فيه ونقلها نقل شاهد عيان ؛ او راوٍ لها عن بعض من شهدها من الثقات. وقد وعد ان يعقد جزءاً خاصاً يبسط فيه خلاصة ابحاثه وآرائه في المؤلَّف والمؤلِّف. فنمسك عن الكلام عنهما اجمالاً. ونحصر درسنا في هذا المجلد وحده الى ان يتسنّى للاستاذ القيام بما رهن قلمه فيه ، ويتحفنا بمكنون علمه ونتائج رويّته واستقرآئه.

ويؤخذ من التوطئة أنه اعتمد في تحقيق بعض اخبار الكتاب وتراجمه ، وتسديد اسمآء اعلامه ، على بضعة مطبوعات ذكرها ، ومخطوطين اثنين : إنباء الغمر لابن حجر العسقلاني، والضوء اللامع لشمس الدين السخاوي. وهما كل ما نالته يده ، وهو في بيروت ، من الاصول الخطّية التي كانت مظنّةً لمعارضة اخبار ابن الفرات وتصحيح تراجمه. واذا نظرنا الى حسن بلائه في هذه الخدمة ، يحقّ لنا ان نهنئه لبلوغه الكفاية ووقوفه فيها موقفاً محموداً. ولكنّا نأسف لانه لم يتيسّر له مراجعة نسخة المنهل الصافي لابن تغري بردي التي عرفها في القدس. ليستعين بها على تقويم ما انآد في خط ابن الفرات ورسمه. او أشكل عليه من كتابة الاسمآء التركية المغولية التي كانت غالبة على القاب المماليك . وكان ابن تغري بردي عارفاً بها اليفاً لها ، يمتّ الى اقوامها بصلة ونسب. وكتابه موضوع في ست مجلدات لاستيفآء تراجم رجال دولة المماليك. ومع كل ما بذله الاستاذ من العناية والجهد في تصحيح هذه الأعلام الاعجمية . لا يزال في المجلد منها مواضع للنظر والاستدراك. ولا نشكّ ان ابن الفرات هو الذي شوّش جانباً منها واسمآء قرآءتها فاسمآء تأديتها بقلة درايته لها. وهو احياناً يروي الاسم الواحد منها على صور شتى احدها اشد خطأً من الآخر ككتابته : عقبة ايلا (ص ٣ س ٩) وعقبة ايليا (ص ٤٩ س ١٠) بدلاً من ايلة. وانبوبة (ص ٤٢ س ١٢) عوضاً عن انبابة، مولد الشيخ اسمعيل الانبابي. وتسميته الامير ناصر الدين محمد بن «ليلي» (ص ١٩٢ س ٢٣) في مكان محمد بن العادلي كما في ص ١٩٢ س ٧. ولما ذكر ابن عم السلطان الظاهر برقوق رسم اسمه مرة شمس الدين قجماس بالجيم (ص ١٨٦ و٨٣) ومرة قشماس بالشين (ص ٨٤ و٢٠٨) . ومثله تلقيبه دائماً المماليك السلطانية بالخاسكية بالسين بدلاً من الخاصكية بالصاد . وهي نسبة فارسية

رسولاً مصلحاً للغة، يقوّم ما انآد منها بجهل رجال الدين. ولاسيما ان ليس في متن « تاريخ الشام » اقلّ غموض يحول دون فهم المراد منه ، ويدعو الى تبديل فيه او تنقيح . ونرى من العبث المحض ، بل من الفضول ، ما تكلفه حضرة الاب من تحريره وتحريره. بعد ان نادى في المقدمة انه تركه وشأنه. ورهن قلمه بنقله كما ألفاه بغاية الامانة . وهذه هي المرة الثانية التي يَعِد فيها حضرة الاب ولا يفي . وما كان اغناه عن هذه التبعة لو اقرّ في توطئته انه نشر الكتاب بتصرّف قليل .

وقد عددنا في مقدمة المؤلف ، التي دعانا الطابع الى مقابلتها ، خمسة عشر موضعاً ونيفاً تصرف فيها بين تنقيح وتحويل ، وزيادة ونقصان. وهي ، على كونها كلها يسيرة غير ذات شأن ، لا تخرج عن انها عبث بالاصل واستباحة لحرمته ؛ ولاسيما ان المعنى قبلها كان جلياً بيناً . ومع ما تولّانا من العناء والملل ، وما اضعناه من الوقت الثمين ، لم نألُ جهداً في معارضة سائر الكتاب صفحة صفحة وحرفاً حرفاً. ولا نخشى ان نقول انه لا توجد فيه ورقة واحدة سلمت من آفات قلم الطابع ، لغير داعٍ موجب ، ولا حاجة ماسة الى تغيير . لوضوح المعنى في الاصل دون اقلّ اشكال .

ولو اردنا ان نسرد كل هذه المواضع بالتفصيل لضاقت بنا الصفحات ، وغلب السأم على القراء . لان الخوري قسطنطين كلّف قلمه تهذيب عبارة المؤلف على عاميتها . فاكثر فيها من ردّ المهموز ، وفتح المنصوب ، وحذف الضمير من الفعل اذا اجتمع فيه مع الفاعل الظاهر ، على لغة « اسرّوا النجوى » ؛ وتتبع جانباً من اللحن والسقطات . فاطرح ما شاء ، وقوّم ما عنّ له تقويمه بغير استيفاء . بحيث تغيّرت طريقة المؤلف وظهرت في حلّة اجدّ من ثوبها الاول . وسنذكر امثلة على كل ذلك ليظهر مقدار عبث الطابع بالاصل المصوّر لديه .

واول ما نحبّ ان نبدأ به وننبه عليه تصرّفه الغريب بالعبارات والأدعية التي تتبع عادة اسماء الجلالة ، مثل قوله « تعالى . وجلّ جلاله » وقد عدّدنا عشرة مواضع أسقطها او ابدل جملة « الباري تعالى » بكلمة « الله » وحدها ، او اطرح اسم الله بالمرة. وقريب من ذلك لفظة « آمين » حذفها اربع

مرار. ولا نفهم لِمَ ضاق صدره بهذه المصطلحات الدينية، وهو لا يكاد يُصدِّق من كاهن نظيره.

ومن الكلم العامية التي ابقى عليها كلمتان حَظِيَتا لديه وهما «هَلَقدر» و «لِسَّاهم». بخلاف «هيك» و «ايش» (ص ١٨ و١٠٣) فانه غضب عليهما ووضع في مكانهما «هكذا» و «ماذا». وكان قبلًا في كتاب «النخبة» قد غيّر لفظة «ايش» لظنه انها عامية مبتذلة. ولا بأس ان نعرّف حضرته انها قد وردت مرارًا في الشعر والنثر. قال الحسن بن هانئ:

كيف اصبحتَ، لاعدمت صباحًا صالحًا، يا محمد بن قريش؟
أنسَ نفسي، كيف استجزت اطّراحي ذمّ، سيدي، وذاك لايش؟ (١)

ولابن الحل يهجو واعظًا:

ويقول: ايشَ اقول من حَصَرٍ به لا لازدحام عبارةٍ وكلامِ (٢)

ومن الابيات المنسوبة لمجنون بني عامر:

قالت: جُننتَ على ايش؟ فقلت لها: الحب اعظم مما بالمحانين (٣)

وليزيد بن الطثرية في احدى الروايات:

وكنتُ، اذا ما جئت، جئت امنّة، واقبلت عذلتي فأيش اقول؟ (٤)

واما في النثر فقد كثر مجيئها في كتب الادب والتاريخ. قال في الاغاني «كان العتابي جالسًا ذات يوم، فمرّ به بعض جيرانه. فقال: ايشَ ينفع العلم والادب من لا مال له» (٥). وذكر سعيد بن زياد ان المأمون لما دخل دمشق أُتي بالكتاب الذي كتبه رسول الله (ص) فقال: «اشتهي ان ادري ايشَ هذا النشاء على هذا الخاتم» (٦). وروى المقريزي ان الملك الجواد قلق من ملك دمشق وقال: «ايش اعمل بملك؟ بار وكلب احبّ الي من هذا» (٧) وهلمّ جرّا.

١) ديوان ابي نواس، جوانة الفانيكان رقم ٦٥٦، ص ١٤٦
٢) وفيات الاعيان لابن خلكان ١: ٥٠١
٣) الاغاني ١:
٤) عيون الاخبار لابن قتيبة ٤: ١٣٩
٥) الاغاني ١٢: ٧
٦) الكامل لابن الاثير ٦: ١٤٦
٧) السلوك للمقريزي، باريس ١٧٢٦، ص ٨٧

ومما اساء في اصلاحه ، وهو في الاصل صحيح ، بعض الاعلام ؛ وطائفة غير قليلة من العبارات والكلم المفردة . نذكر منها المطبوع مع رقم الصفحة ونتبعه بالاصل المصوّر عن نسخة برلين :

فمن الاعلام :

ص٥	ابن جوبان ارغلي .	في الاصل اوغلي بالواو . اي ابن بالتركية
٧	عبدالله الايضلي	« الايضلي اي الايدينلي ، من مدينة ايدين
٩	واحد نصراني كورجي	« كور كجي . وبيت الكور كجي كان معروفاً بدمشق ، واليوم بالقاهرة . والكلمة تركية بمعنى الفرّاء
١٠	ابن القلانسي	« القلاقسي . وممن عُرف بهذا الاسم بدمشق احمد بن محمود القلاقسي الشاعر المتوفى سنة ١١٧٣ (١٧٥٩م) والقلاقسي نسبة لقلاقس قرية من نواحي بلدة حمص(١
١٨	محكمة الدهناتية	« الدهناتية . وهذه المحكمة كانت بدمشق في السوق المعروفة قديماً بسوق الدهناتيين بين سوق السلاح والبزوريين . كانت تعمل فيها اصناف الادهان من دهن اللوز وغيره . (٢
٢٤	قصل الانكليز ريشاري	« ريشاردس
٦٤	ظهر النسر	« ظاهر ، وهو المشهور الشائع على الالسنة
١٠٠	حسا ابن موسى الله وردة	« الله وبردي . وهي جملة تركية ، معناها : الله اعطى . وهذا الاسم معروف بدمشق .

ومن العبارات والكلم المفردة ، وهي كثيرة ، نجتزئ منها بما يأتي على طريق التمثيل :

ص٦	لا تمعى	في الاصل لا تمد
٨	سابر البلاد	« باقي
١٢	بسلوا	« يفلوا
١٥	اعطاه شمة وتل وقرش	« وقرص
١٦	يعود	« يرجع
١٩	رحان يعلين تنا (بالياء المفردة)	« تبنا (بالياء المثناة)
٢٠	يعتمد عليه	« يركن اليه

١) سلك الدرر للمرادي ١ : ١٦٧

٢) نزهة الرفاق في شرح حال الاسواق ليوسف بن عبد الهادي المعروف بابن المبرد . من مخطوطات خزانتي

ص٢٢	اخدّت	في الاصل	اخدمت
٢٩	ما فطه الشعب	«	الجمهور
٤١	البحث الثاني	«	المطلوب
٥٤	لذانك الشيخين	«	لاجل ذينك
٥٤	مهاب	«	مرهوب
٦٤	غلا شديد	«	عظيم
٦٧	هذه السنة كانت غزيرة المطر	«	عزيزة، بزايين، اي قليلة. بدليل قوله فيما بعد:
		«	« صار في الصيف احتراق من قلة المياه »
٦٦	الفانارات	«	الفنارات، جمع فنار، وهو مصباح من قرطاس او نسيج كالانبوبة يُستضاء به
٨٤	وقع من شرّاقة داره	«	مشراقة (بدلاً من مَشرَقة) والمشراقة، في اصطلاح اهل دمشق، موضع السطح الذي تشرق عليه الشمس
٨٧	اربعة جباة وكُلّا (بالضم والتشديد)	«	جباة وُكَلا، جمع وكيل
١٠٠	نطق بشهادة الاسلام	«	اسلم. ولا ندري ماذا انكر حضرة الاب من هذا الفعل، وهو اوجز، واعرف، واشبه بقلم الخوري بريك.
١٠٢	قُنَع	«	قِلاع
١٠٨	الاسرى	«	الاسارى

وهلمّ جرّا. وقد اعفينا القارئ من نظائر واشباه لها كثير.

ولا يخفى على احد ان كل هذه التغييرات هي اعتباطية لغير علة داعية. وبعضها خطأ صريح. فما كان ضرّ حضرة الاب لو عدل عنها وابقى الاصل على حاله، وكفى نفسه مؤونة التبعة والملامة. ومن هذا القبيل عدم فهمه قول بريك: « شاهدته خوزق اثنين من العرب » فوضع مكان شاهدته « والشاهد لذلك » (ص٧) وانما اراد بريك المشاهدة لا الشهادة. ومثله قول الاصل: « باب الكنيسة كان كُهنا وواطي » فكتب بدله « كهفا ». وما ندري كيف يكون الباب كهفا. والكُهنا، في اصلاح اهل دمشق، هو القديم الشنيع القبيح المنظر. واللفظة من اصل فارسي.

وامامنا صفحتان كاملتان استوفينا فيهما المواضع التي زاد فيها ونقص، دون اقل تحرّج. نكتفي منها بالتنبيه على موضع واحد لا يخلو من الفائدة التاريخية.

وهو قول بريك ، حين ذكر وصول منشور البابا بابطال بطريركية اغناطيوس جوهر : « فبلغ الخبر الى البطرك فطاع رغماً » . فلم يتوقف الخوري قسطنطين، وضرب على الكلمة الاخيرة ، وطبع « طاع » فقط (ص ٨١). لرغبته في تبرئة البطريرك جوهر من كل وصمة وتهمة ، غيرةً على نسبته المخلصية . وقد اشتهر حضرة الاب ، مذ امسك القلم بيده ، بشدة محبته لرهبانيته الجليلة ، وحرصه الدائم على الدفاع عن كل مَن نشأ منها ، والمبالغة في تعظيمه بالحق والباطل. ومن الحب ما يعمي ويصمّ . فربما قاده الهوى الى التصرّف احياناً بنصّ الآثار القديمة ليستعين بها على تمجيد اسلافه وابائه . كما سنذكر شاهده قريباً.

ومن الفوائد اللغوية التي اضاعها ، بولعه الدائم بتغيير النصوص الاصلية ، عدة الفاظ وعبارات عامية من لهجة دمشق . لم ترق له فاستبدل بها لقلة اكتراثه لشهادتها. نذكر منها بعضاً على وجه التمثيل. مع البدل المطبوع في مكانها :

ص٨	وفى دينه	في الاصل	سدّ دينه
١١	يا حيفه ينعزل	«	يا حيثه
١٥	رجل مهاب	«	مهيوب
١٥	يتروج	«	يتجوز
١٨	آبار	«	ابيار
٢١	حوائج وهدايا	«	حوايج وتجملات
٢٤	نصرها	«	نَصرتها
٢٥	اسرى	«	يُسَرا
٥٠	ابتدوا بالنهب	«	النهبة
٥٢	الباتنية	«	الباتنة
٥٥	ليس غريب	«	فزيع
٦٢	قدر بيضة الدجاجة	«	قدّ
٧٠	رجل شجاع	«	شجيع . (وهو صحيح في اللغة)
١٠٢	خب الفضول والدزّيبة	«	والدزّيبة (اي عابري الدروب)

وقد يتفق لهُ ان يتعرض احياناً لتغيير بعض مصطلحات اللغة فيخطئ . كتعليقه على قول بريك مشيراً الى احد قرصان البحر ، وقد نزل على صور ونهبها واسر بعض اهلها . قال : « وراح على حمّة » (ص ٣٥) فكتب الخوري

قسطنطين في الحاشية ما نصه: « الحِمى والحَمي بمعنى واحد ، وهو المكان الذي يحتمي فيه الانسان وغيره » . وانما هذا تفسير للحمى ، لا للحمية . ولا شك ان بريك نسخ هذا التعبير من كتب الاخبار الاسلامية . وهو يرد فيها بمعنى النجاة والسلامة . والمراد في الشاهد ان لصّ البحر نهب واسر وافلت سالماً دون ان يُدرَك .

ويؤخذ على الطابع إخلاله بوضع ترجمة للمؤلف . وقد اعتذر عنها بعذر هو اشبه بالاقرار بالعجز . وكان في ختام نسخة برلين نحو ست ورقات رُوي فيها خبر حريق كنيسة القيامة سنة ١٨٠٨ ، ولعله من قلم احد نساخ الكتاب . وقد حُذف من الطبعة دون اقلّ اشارة اليه في التوطئة . واستعيض عنه بملحقات شتى في معنى التاريخ الملكي منذ الانفصال . جرى فيها الخوري قسطنطين على شنشنته بالتصرّف بالمتن مرة بعد اخرى . عددنا منها في مشروح اضطهادات الروم الكاثوليك في حلب المرسل الى رومة (ص ١٢٨-١٤٢) زهاء اربعة اسطر اسقطها بتمامها في ثلاثة مواضع . وقد استهلّ هذا الملحق بتغيير يوم وفاة البطريرك اثناسيوس الدباس ، وهو في الاصل ٢٤ تموز سنة ١٧٢٤ ، فجعله ٢٥ تموز ، خلافاً لكل الروايات . ومثل هذا الافساد في التاريخ ، وقد سبق له نظائر عديدة في طبع « النخبة » ، غريب جدًا ممن جعل همه البحث والتنقيب في صحة الارقام والسنين لنسبة الاخبار الى ازمنتها الحقيقية

واهمّ كل الملحقات المذكورة « فتوى في صحة بطريركية كيرلس طاناس » (ص ١٢٢-١٢٣) . وهي في الاصل المحفوظ في خزانة مجمع نشر الايمان لا تكاد تبلغ ستة اسطر ، في ما عدا التواقيع والاختام المثبتة في ذيلها . ومع ذلك فقد وجد الخوري قسطنطين في مثل هذا الضيق مجالاً للزيادة والنقصان في عشرة مواضع ، على غير طائل . وكان قد سبق له سنة ١٩٠٧ ان ردّ على مقالة لاحد الرهبان الحلبيين في مجلة « اصداء الشرق » الفرنسية[1] اشار فيها الى ضعف انتخاب البطريرك المذكور لانفراد اهل دمشق بانتدابه ، واقتصار ثلاثة من الاساقفة الكاثوليكيين على تنصيبه . فرأى حضرة الاب السبيل الآن متسعة امامه

١) *Echos d'Orient* LX (1907) pp. 200-206

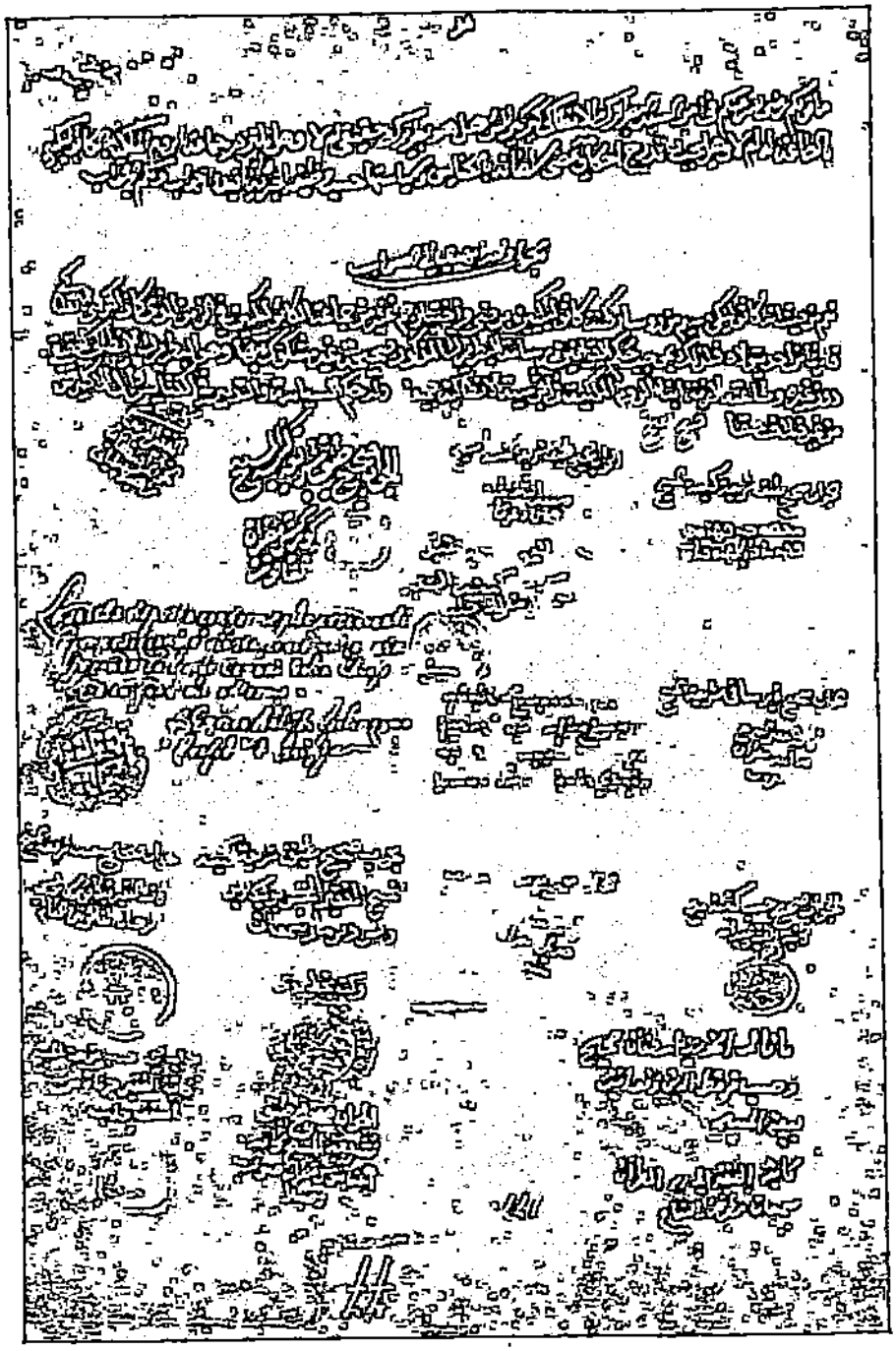

صورة الفتوى في صحة بطريركية كيرلس طاناس

[illegible]

باب التنبيه والاشراف

للامام المسعودي بهذا العنوان كتاب معروف نبّه فيه على ما فاته الكلام عليه في سابق كتبه من المباحث والاشارات . واشرف فيه على بعض الحوادث والاخبار التي شاء ان يلحقها بالاصول المتقدّمة له في التاريخ . وقد رأينا ان نستعير هذه التسمية لهذا الباب من الخزانة ، حيثُ يتفق لنا درس بعض الكتب والمطبوعات التي نقف عليها في تاريخ الشرق وآدابه . وسنختار منها ما تتحقق الفائدة في التنبيه عليه من المحاسن والمساوئ عملاً باحكام النقد العصري . ونلزم في كل منها قول الحق بغاية الانصاف والنزاهة ، دون تهيّب ولا مجاملة .

تاريخ الشام للخوري ميخائيل بريك

نشره وعلّق عليه الخوري قسطنطين الباشا المخلصي .

مطبعة القديس بولس في حريصا (لبنان) سنة ١٩٣٠

لا نعلم أنه قام الى اليوم في الكنيسة الملكية بين رهبانها وقسّانها ومرسليها وسائر رجال كهنوتها من انقطع للبحث والتنقيب ، ووقف حياته على الدرس والتصنيف في التاريخ الوطني بين ديني ومدني ، وتفرّغ لطبع كل ما تصل اليه يده من آثاره واخباره ، تفرّغَ الاب الفاضل قسطنطين الباشا الراهب المخلصي . فلا تكاد تمرّ له سنة دون ان يتحف القرآء فيها ببعض المقالات المفيدة ، او نشر بعض المؤلّفات الخطية المكتومة . ولكن هذه الخدم الجلّى والمزايا السنية التي احلّته محلاً رفيعاً بين اقرانه ، وخوّلته الحق الذي لا ينازع بان يعدّ نفسه « مؤرخ الطائفة وفخرها ورافع شأنها » ، لا تخلو من بعض هنات وشوائب يأسف من اجلها اشد الاسف كل طلّاب التاريخ . ولكل علم آفة . وآفة علم حضرة الاب قسطنطين قلّة مبالاته بتأدية الاصول التي يرويها بغاية الضبط والامانة ، وتصرّفه بمتونها بين تغيير وتحوير وزيادة ونقصان . اما لسهو عرض عليه في النقل والنسخ ، واما لغرض له او ولع في التصحيح والتنقيح . بحيث لا يتجرأ المطالع ان يركن غاية الركون الى ما يقرأه له من النصوص والتعليقات . وهو ، فوق ذلك ، كثير التأثر والنفور من كل مناظرة له ، او انتقاد بلسان العلم والحق . ومن الغريب انه يرى نفسه دائماً شديد المحافظة على الأصل

تامّ الوفاء بذمة النقل . وهو ما اقدم على التصريح به في مقدّمة التاريخ المشار اليه في العنوان فقال بكل جدّ :

« قد اخذنا على نفسنا ان نبقي هذا الكتاب على اصله ولا نبدل فيه شيئاً رعاية للذمة في النقل . وحرصاً على قيمته التاريخية بتمامها . كما يتحقق القارئ النجيب ذلك بمقابلته الصفحة الاولى من طبعتنا على الاصل الذي نقلنا منه الصفحة الاولى في صدر كتابنا ».

وهذا بعينه تكرار ما سبق له في طبع « النخبة ». بعد ان اجال فيها قلمه وفهمه[1] . وغنيٌّ عن القول ان « القارئ النجيب » لا يجوز عليه مثل هذا التمويه . ولا يعتقد ان الصفحة الواحدة ، على فرض سلامتها وضبطها ، تكفل سلامة سائر الكتاب . ومع ذلك فقد اردنا للمرة الثانية ان نمتحن ذمّة الطابع في النقل لنرى هل حالت بعد نيف واربع وعشرين سنة عما عهدناها في نقد « النخبة » . ومعلوم ان هذه الامانة تتناول لفظ الكتاب ومعناه ، اي تركيب عباراته ونصّ اخباره بالحرف . لان للغة ايضاً فائدة تاريخية لاختلاف اللهجات وطرق الانشاء في كل عصر . وانفراد كل كاتب باسلوب في التعبير تتمثل فيه لغة زمانه وما داخلها من التصحف واللحن . والالفاظ العامية التي تتباين بحسب الامصار والمدن . فلا بد لمعرفة اصلها ومنشإها من نسبة كل لفظ واصطلاح منها الى مكانه وزمانه . وهو لا يتهيأ الا بالمحافظة على عبارة كلّ كاتب ومؤلّف من ايّة طبقة كان ، حسبما صدرت من فمه وقلمه ، دون ادنى تغيير او تسديد لها . وقد غلبت على الخوري بريك اللهجة العامية كما كانت بين نصارى زمانه في القرن الثامن عشر بدمشق . وكثرت فيها ركاكة التعبير ، ومخالفة القياس ، وترك الاعراب . فاقلّ ما كان يجب على طابع تاريخهم حكاية اسلوب المؤلّف في النسخة المصوّرة ، دون ان يمسّ شيئاً من اغلاطه ، ليعلم مؤرخو اللغة كيف كان يُكتب في ايامه . ونحن ، مع كل ما نجده من اللذة في تلاوة نفثات قلم الخوري قسطنطين ، يحقّ لنا ان نطالبه بابقاء كتابة سلفه الخوري بريك على علاتها . كما طالبناه قبلاً بالمحافظة على انشاء الشماس بولس الزعيم . ولا نظنّ ان الله ارسله

١) راجع المشرق ٣٠[١٩٣٢] ٥٦١-٥٧٤

بالكاف الى الخاص. ومن هذا القبيل ايضاً تسميته بعض هؤلاء المماليك «المستخبرة» (ص ٨٨ س ٣) وهو اسم لم نقرأه لاحد في تواريخ المماليك ، مع انه دعاهم غير مرة «المستخدمة والمستخدمين» (ص ٨٩، ١٠٦، ١٠٧) لتمييزهم عن «المشتروات». ومما اخطأ فيه ايضاً نسبة القاضي بدر الدين بن جماعة بن « حازم » (ص٣٩ س٤) عوضاً عن « حارثة » . وضبطه اسم قطلوبُغا (ص ٤٥س٩) بفتح الباء . والاصح ضمّها في جميع مركبات بُغا. وهلم جرًّا من نظائر هذه التحريفات والاوهام الشائعة في كتب كثير من المؤرخين والمترجمين.

ومن المصنفات المطبوعة ، التي عوّل عليها الاستاذ ، تاريخ النجوم الزاهرة لابن تغري بردي ، طبعة پوپر في ليدن. وقد كان فيه غناء لو كانت طبعته نُقدت النقد الكافي. ولكنها لا تزال في حاجة الى التصحيح. وقد اتفق احياناً لابن الفرات ان يكون اصح منها ضبطاً. ولنا الامل ان تعنى مطبعة الدار في مصر — وهي في صدد طبع هذا التاريخ — بمراجعة كل هذه الاعلام الاعجمية في مختلف الاصول. واقرار الصورة الصحيحة التي لا شبهة في ضبطها والتلفظ بها. وافضل المخطوطات عندنا ، التي كان يجدر بالاستاذ ان يستنير بها بين هذه الظلمات الدراتية ، كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك للمقريزي. وهو موضوع في الحوادث والتراجم يتناول كل الحقبة التي ارخها ناصر الدين. وقد طبع منه مجلد في مصر ومن باقيه المخطوط مجلدات في باريس ، ولندرة ، والفاتيكان. والحق مؤلف للتراجمة ايضاً تاريخ ابن دقماق. وقد اكثر ابن الفرات من الاشارة اليه والنقل عنه . وفي الخزائن الغربية والتيمورية في مصر نسخ من كتاب الجوهر الثمين في سيرة الخلفاء والسلاطين له.

ولا بأس ان ندل هنا على اسماء بعض مخطوطات اخرى تصلح لمعارضة ابن الفرات في المجلد التاسع اي منذ سنة ٧٨٩ الى ٧٩٩

١ ذيل شمس الدين السخاوي على دول الاسلام للذهبي. النصف الاول فيه من سنة ٧٤٥ الى ٨٦٠. في خزانة اكسفرد.

٢ نيل الامل في ذيل الدول (دول الذهبي) للقاضي عبد الباسط بن خليل الحنفي . فيه من سنة ٧٤٤ الى ٨٤٠ . في خزانة اكسفرد.

٣ الدرة المضية في الدولة الظاهرية لمحمد بن حضري . وهو يشبه ابن الفرات بلهجته العامية.

٤ تاريخ البدر في اوصاف اهل العصر لبدر الدين محمود العيني . فيه من سنة ٧١٧ الى ٧٩٨ . في خزانة بريتيش موزيوم ، وباريس ، ومصر.

٥ ذيل ابن قاضي شهبة الاسدي على تاريخ شهاب الدين بن حجي . فيه من سنة ٧٤١ الى ٨٠٦ . في خزانة باريس.

وفي خزانتنا صورة من ذيل ابن شهبة. وهو اكثر ما يشتمل على حوادث دمشق. ولكنه جمع كثيراً من اخبار مصر وتراجم المتوفين فيها . وربما وافق احياناً ابن الفرات في النقل عن مصدر واحد بالحرف الواحد . وقد القينا نظرة هنا وهناك على بعض المواضع التي ورد فيها بياض او شكّ في المجلد التاسع. وبحثنا عما يقابلها في ذيل ابن شهبة فوقفنا على ما يأتي. وفي التنبيه عليه سداد من عوز . نذكره على سبيل التمثيل فقط . لضيق اوقاتنا عن التوسع والاستقراء :

	من ابن الفرات	في ابن قاضي شهبة
ص٧ س١٥-١٧	ثبت محضر شرعي على عبدالله المعروف بخايل الظاهري ...	ثبت ... بزندقته
ص٨ س ٢	ابرهيم بن 'يصمر'	هر
ص٢٨ س١٢	اخلع السلطان على الامير سيف الدين بن اخي الامير...	الامير صادر
ص٤٠ ح٢	توفي الشيخ ابرهيم الاسيوطي المذكور في . . .	في رجب
ص١٧٣س٢١	بدر الدين الحبار	الحباز
ص١٧٤س٢	زامل بن مهنا	زامل بن عيسى بن عمر بن مهنا
ص١٧٥س١٧	عثمان بن سليمان . . . بن خليل بن نوح	بن خليل بن فرح
ص٢٠٥س٢٥	جمال الدين 'السكري'	السلولي

ولا نشك ان لهذه التصحيحات والاستدراكات اشباهاً ونظائر اذا امكن الوقوف على بقية المخطوطات المشار اليها آنفاً، ومعارضتها بالمواضع المشكوك فيها ، او المحرفة في ابن الفرات.

واما طريقة النشر وتمثيل الاصل بالطبع فغاية في الدقة والضبط. وقد بالغ الناشر في ذلك حتى نبّه على لون الحبر الاحمر ، ومواضع الحواشي والتعليقات في

الهوامش. وافرط كل الافراط فصوّر المتون في مواضعها من المسودة. وابى ان يتبع اشارة المؤلف في احلالها محلها المرتب لها كما كان فعل المؤلف نفسه، لوضوح له في الاجل وتمكن من تبييضها. ومن الامثلة على ذلك ان ابن الفرات، لما سرد تراجم المتوفين سنة ٧٩١، نسقها كعادته غالباً على حروف المعجم. ولكن سبقه القلم وخط ترجمة الامير سيف الدين جركس الخليلي (بالجيم) بعد (الالف والتاء) ونسي حرف (الباء) فاورد ترجمة الامير «بزلار» الناصري بعد «جركس». ثم استدرك هذا السهو وكتب على الهامش الايسر بالخط نفسه «يكتب بعد اربغا» (اي بعد الالف). وهو دليل صريح على ان المؤلف، لو قُدّر له تبييض مسودته، لكان كتب «بزلار» بعد «اربغا». أفما كان، والحالة هذه، يحسن بالاستاذ ان يفعل ما كان في نية ابن الفرات ان يفعله بنفسه. ويكون قد وضع الترجمة في موضعها المرتب لها وسهّل على الباحث وجودها في مظنتها. وهل الطبع الّا نوع من التبييض. وقريب من ذلك ورود الحاشية الرابعة (ص١٧٥) في التعليق على ترجمة عثمان الكرادي. وقد خُطّ بجانبها في الهامش الايسر بقلم الكاتب «يلقب شرف الدين. ويشهر بالاشقر». وقد وردت هذه العبارة بلفظها مدمجة في متن ترجمة ذيل ابن شهبة. فما كان ضرّ الطابع لو اتبع ارادة المؤلف في تنزيلها فنزلها، بدلاً من نقلها في الحاشية. وهو قد استجاز التصرف ببعض الكلمات المشكوك فيها. واورد في المتن ما حدس فيه وخمنه في مكانها مفروزا بُضمتين. وكنا نودّ لو اتبع ايضاً مثل هذه الطريقة في ملء الفراغ الكثير في تراجم المتوفين. واثبات الاسماء والالقاب التي غفل عنها المؤلف او تردد في امرها، بعد استمدادها من كتب اخرى، كالتي نبه عليها ورواها عن النجوم الزاهرة وشذرات الذهب وانباء الغمر. ولو اوردها في المتن محصورة بين ضمتين، كعادته الحميدة، لكفى القرّاء والمتأدبين مؤونة البحث عنها، وتصميد البصر وتصويبه في الحواشي والتعليقات. وكانت تكون ظاهرة للعيان، مدلولاً عليها انها ليست من اصل المتن. كفعله في الحروف والقراءات المشتبه فيها.

ومما لا نوافقه عليه ابداله احياناً رسم بعض الحروف والكلم من الاصل كاثبات الهمزة حيث أسقطت. وكنا نفضّل لو ابقى كتابة المؤلف على علاتها،

دون ان يمسها باصلاح اسوة بسائر ملاحن الكتاب . ولا يخفى ما في المحافظة على الاصل ، كما خطّه قلم المؤلّف ، من القيمة والدلالة على تاريخ اللغة العامية وزمانها . واي ضرر ترى في كتابة الثلاثا . والامرا . والانشا . وروس . وعبا واشباهها دون همز في كتاب معروف بعاميته ؟ وهل يتعذّر فهمها على احد ؟ ولِمَ قصر الاستاذ الهمز الفصيح عليها وعلى نظائرها ، واعفى منه امثال نايب (ص٢ س٣) والضايع (ص١٢ س١٣) واختفايه (ص١٢٧ س١٦) والصايبة (ص١٤٥ س٥) وربيس (ص١٦٢ س٢) ويكافيه (ص٢١٣ س٢) وبمَ استحقت طائفة من الكلم ، ما حُرمته الاخرى في نظره ؟ واذا كان لا بد من الهمز ، فلمَ لم يضعه على اروس (اروس) وابدل منها حيث وجدها روؤس . (ص١٣١ و١٦٥ و١٦٨) ومثله لا يجهل ان الاولى افصح لانها جمع قلة . وهي لم تستعمل الّا في الدلالة على ثلاثة واربعة وخمسة من الخيل فقط . وفي اصلاح لفظة استيسروا ووضع استأسروا في مكانها (ص٣٣ س١٦) — وهي لا تشبه قلم ابن الفرات — ضياع فائدة لمؤرخ اللغة العامية . لان الاولى تدل على ان قول عامتنا اليوم يسر ويسرا ، في مكان اسر واسرى ، هو قديم وليد العصور السابقة .

ولعلّنا أطلنا في التنبيه على هذه الهنات اليسيرة وهي لا تزري شيئاً بفضل الاستاذ واحسانه في تمثيل الكتاب . ولكننا نريد استرعاء نظره الى المجلدات الباقية . وليسمح لنا ان نضرب له مثلاً على افضلية ابقاء القديم على حاله . وتصوير الالفاظ العامية كما رسمت في نصوصها ، الا حيثما يُتحقق تشويها بقلم الناسخ . فانه مرّ به في ثلاثة مواضع من الصفحات (١١٠ س ١٨ و١٨٤ س٢١ و١٩٤ س١) لفظة « الاهنة » بغير الف ، فاصلح كتابتها دون توقف ، وانزل مكانها « الاهانة » . ونبّه عليها في الحواشي كدأبه في كل تغيير وتسديد . وكنا نظنه انما سهو قلم ، او من قبيل كتابة بعض المتقدمين السلم اي السلام باسقاط الالف خطّاً . ثم تكرّر تلاوتنا لها في عدة مخطوطات لكتاب مختلفين . فتولانا الشك وقلنا لا بد ان يكون لهذا الاصطلاح وجه وقياس . وجمعنا من الشواهد عليه العبارات الآتية نذكرها هنا لما لها من الشأن والخطر في تاريخ اللغة المولّدة :

كتب ابن عبد الحق السعدي المصري الشهير بابن البارنباري في ديوان الانشاء بدمشق ، في صدد مرسوم سلطاني ورد في حق النصارى واليهود :

« ان بيع الضلال تملأ ظلاما كما ملئت ظلما . وان يهانوا بإهنة الله التي لم تجعل لهم تصرفا ولا حكما »[1] .

وفي تاريخ ابن ميسر : « وبالغ ناصر الدولة في اهنه المستنصر مبالغة عظيمة »[2] .

وفي ذيل ابن شهبة الاسدي : « سنة ٧٧١ حصل للعجم اهنة وقامت عليهم الشناعة »[3] .

وفي تالي كتاب الاعيان للموفق الصقاعي : « وعوقب الصاحب شمس الدين ابن السلعوس الى ان مات بعد اهنة »[4] .

وفي السلوك للمقريزي : « نُقل طِنال الى غزة اهنة له » . وسجن طشتمر حمص الخضر بقلعة الكرك بعد ما اهين من العامة اهنة بالغة »[5] وهلم جرّا .

وبقيت ، مع ذلك ، في النفس بقيّة من صحة هذا اللفظ . حتى عثرنا في خزانة ميلانو الامبروسيانية على شاهد قاطع من فواصل السجع ، لا يدع سبيلا الى الريب ، وهو قول كتاب مختار الاخبار : « صاحب سيس قد قطع الهدايا المقرّرة عليه . وخالف شروط الهُدَن . فعادت المواعدة منازعة . والهدنة اهنة »[6] .

وهذا الشاهد وحده كاف لاقناع كل متردّد في صلاحية ابقاء النصوص العامية على روايتها ورسمها . الّا اذا تحقق تحريفها بقلم النساخ .

وقد طالعنا هذا المجلد التاسع برمّته بين اخبار وتراجم . واغلقناه بيد السأم واليأس . لعدم وقوفنا فيه على جديد يجدر بالتنويه والتقييد خلوّه من كل فائدة للمتأدب والمشتغل بتاريخ الحضارة ولغتها وخصائصها . وهو لا يتعدّى حكاية

١) درة الاسلاك لابن حبيب الدمشقي الحلبي ، باريس ١٧٠٩ ، ٢٨٦
٢) طبعة مصر ، ص ١٩
٣) خزانة باريس ١٦٠٠ ، ٢٤٦
٤) « « ٢٠٦١ ، ٧١
٥) خزانة الفاتيكان ٧٥٩ ، ١٠٢ و ١٦٩
٦) خزانة ميلانو C. 45 N° 230 du Cat. f° 56b

الملاحم والفتن ، وتنازع السلطنة والممالك . وتعداد الولايات والعزل ، والتسمم والقتل ، والخلع والانعامات ، والنكبات والمصادرات . وتردد النواب والامراء بين ذهاب واياب ، وطاعة وعصيان . الى آخر ما هنالك من احوال النيل ، وتقلب الاوبئة ، وتقلب النقود . وتنحصر تراجمه كلها في ذكر المواليد والوفيات . وتقلد المناصب والدروس . وسرد اسماء الشيوخ والمحدثين . دون اقل استطراد او تنبيه على نكتة او نادرة . فهو اشبه بجرائد اليوم منه بكتاب تاريخ حقيق بهذا الاسم . وهذه آفة معظم المؤلفات المعروفة في معناه . ولا تكاد تخرج كلها عن نمط واحد يقلد فيه الواحد الآخر في اسلوب الحكاية ، وانتحال النصوص والروايات ، والاتفاق على كتمان الاصول . وعندنا ان مزية هذا المجلد التاسع التي بزّ بها امثاله هي احاطته باكثر اخبار الملك الظاهر برقوق ، والتوسع في حكاية وقائعه وسيرته ، في اثناء سلطنتيه الاولى والثانية . وقل ان يفوقه مؤلف آخر بمثل هذا التفصيل والاستقراء . وقد عني ابن الفرات بنقل الحوادث عن اصدق رواتها . ولم يكتم اسماء بعض الشهود منهم . وربما نقل عن رسائلهم وخطوطهم . وقال مرة بلفظه ولحنه : بلغني ان كتاب من جهة الامير سيف الدين طوغان وصل الى بعض اصحابه فسألته عنه فاحضره الي ونقلت منه ما صيغته (ص ١٩٧) وحكى على الاثر وقعة شقحب سنة ٧٩٢ (١٣٩٠م) . وهو يشبه في هذا الاستقصاء والاستثبات شمس الدين محمد الجزري الدمشقي في المجلد الذي وصفناه من كتابه حوادث الزمان وانبائه ووفيات الاعيان من ابنائه[1] . ولو لم يكن لابن الفرات الا هذه الحسنة وحدها لكفى بها داعياً لطبع مسودته ، فكيف وله في بقية اجزائها حسنات اخرى سنقف عليها فيما بعد . والاشياء مرهونة باوقاتها .

وقد عثرنا في اثناء مطالعتنا على بعض مآخذ وهنات في الطبع والتفسير . نستميح الاستاذ عذراً بالتنبيه عليها . ونتبع في سردها نسق الصفحات :

ص ١١ ح ١ : قال في تفسير كلمة مضافيهم انما جمع مضاف : « وهو في الحرب من أحيط به . نقلاً عن التاج » . وانما يُراد بهذه اللفظة ، في اصطلاح المولدين في مصر والشام ، من يُضاف الى الرؤساء والامراء . ويلحق بهم من الاتباع والحاشية والاصحاب . ويطلقون عليهم احياناً لفظة «الأزلام» .

١) مجلة الآثار الرحلية في الاجزاء ٥ و٦ و٧ من سنتها الخامسة .

وقد استعمل كتاب دواوين الانشاء الشريف هذا المعنى كلمة «مضافات» لكل ما يلحق بالقواعد وامهات المدن من الاعمال الصغار . قال شهاب الدين العمري في الكلام على بعلبك : « ومن مضافاتها ولايتان جليلتان . وهما عملا البقاعين المعروفين بالبعلبكي وبالعزيزي »(١ . ويقال اليوم في معناها الملحقات

ص ١٨ س ٤ : « شاب صغير كما بلغ مبالغ الرجال» . وعلق على لفظة كما ، في الحاشية : « كذا في الاصل » . وهذا التعبير يرد احياناً بمعنى على حين . اي شاب صغير وقد ناهز البلوغ

ص ٢٠ س ١ : « واسفرت الرقعة عن كسر عسكر واهل سيواس » والصواب : كسر تتار واهل سيواس . وقد ذكر في الصفحة التالية س ٩-١١ حضور التتار الى سيواس وكسرهم واسر الف منهم

ص ٢٢ س ١٤ : « صحبتهم اخت الملك الظاهر برقوق . وابنة ابن عمه » . وانما هي ابنة عمه ، لانما كانت اخت الامير قجماس كما صرح بذلك في ص ٥٠ س ١

ص ٢٨ س ٢٠ : « شهاب الدين الوادي أشي الحلبي » وصوابها بالمدّ نسبة الى مدينة وادي آش في اسبانية Guadix

ص ٤٠ س ٩ : « المطرات والمراتب » . وس ١١ « بجميل انسانيته » . وفي ذيل ابن قاضي شهبة : المطرمات والمراتب . وبجميل السياسة .

ص ٤٧ س ١٩ : « جهة الصعيد وبحري » . وعلق عليها في الحاشية ٣ : « وقد تكون وبحري » . والرواية الصحيحة هي التي اثبتها في المتن . ومعلوم ان مصر تقسم عادة ، فيما عدا الصعيد ، الى وجه قبلي ، ووجه بحري . قال شهاب الدين العمري « الحد الشامي (اي الشمالي) بسببه اهل مصر البحري »(٢

ص ١٢١ س ٧-٨ : « طلب الزعر وكتب اسمائهم ... وحمل لهم عرفاً » يريد عُرَفا بضم المدود ، اي رؤساء . جمع عريف

ص ١٢٢ س ١٨ : « زنة كل طوبة من هذا الطوب الفضة الحجر ثلاثة آلاف درهم ' بصبح ' الفضة » . وانما هو بصنج الفضة . بباء اولى ونون ثالثة وجيم رابعة وصنجة الميزان عياره

ص ١٢٤ س ٢ : «فعصب رجليه وطلع الى الاصطبل » . والصواب : فعصب بالدين اي شدّ . وقد قال بعد ذلك : ورجلي ما استطيع المشي بها

ص ١٥٣ س ٧ : « وثبوت جانبه » . والصحيح : جنانه بنونين اي قلبه .

ص ١٥٤ س ١٨ : « سأل قاضي قضاة الشافعية ان يقرض السلطان مبلغا من اموال الايتام »

---

١) المصطلح الشريف ، ص ١٧٩

٢) المصطلح الشريف ، ص ١٦٢

بتكرار الفاء ايضاً في ص١٦٦ س ٦ وهي دون ريب غلط طبع بدلاً من يقرض بالقاف.

ص١٦٢ س ٩ : « الصاحب كريم الدين لبس بالفنيري » . قال في الحاشية : « كذا في الاصل . ولم اتمكن من استخراج المعنى المقصود من هذه الكلمة » . قلنا : وهذا التعبير مستفيض في كتب الاخبار والتراجم المصرية والشامية . قال ابن تغري بردي : « ثم بدا لمحمد بن علي بن اينال ان يترك زي الجند ويلبس بالفنيري . ففعل ذلك وتفقر »(١) وقال ابن قاضي شهبة في حوادث سنة ٨٠٥ : « وصل السلطان احمد بن اويس الى حلب لابساً بالفنيري . »(٢) وقال ابن حجر العسقلاني : « في سنة ٧٨٢ استعفى التاج الملكي من الوزارة ولبس بالفنيري »(٣) . يريدون انه لبس الزيّ الفنيري اي لبس الفقراء . وربما اطلقوه ايضاً على غير اللباس . وفي النجوم الزاهرة ان في سنة ٨٦٦ « انشا جوهر المنجكي نائب مقدم المماليك جامعاً بالرميلة تجاه مصلاة المؤمني . وعمارته بالفنيري بحسب الحال »(٤) اي كعمارة الفقراء . وقد بحثنا كثيراً كيف كان هذا اللباس المختصّ بالفقراء . وبعد لأي وتنقيب طويل ، وقفنا على قول ابن قاضي شهبة في وفيات سنة ٧٩٨ (١٣٩٦ م) « محمد بن المرجاني ذكره الحسني في معجمه . . . لبس زي الفقراء قطناً مصبوغاً . وعمامة على قحف الراس بغير قبع »(٥) ويشبه هذا الاصطلاح قول اهل دمشق اليوم « فعل ذلك بالكبيري » اي فعل الكبراء .

ص١٧٣ س ٤ : « كان اربنا زوج بنت خال الولد عبد الرحيم » . وانما هو الوالد عبد الرحيم . اي والد المؤرخ ناصر الدين بن الفرات .

ص١٧٣ س ٢١ : « وقرعه الاجل المحتوم كاس حمامه » . وصوابه جرعه بالجيم اي سقاه اياه جرعة بعد جرعة .

ص١٩٧ س ١١ : « نزل به الى بيته في باشة وزنجيل » وانما هو زنجير بالراء . ولابن تغري بردي في حوادث ٨٧٠ : « نزل به وفي عنقه باشة وحنجر »(٦) والباشة حلقة يقيّد بها .

---

١) حوادث الدهور في مدى الايام والشهور (منتخبات ، طبعة ليدن) ٢ : ٦٦٢
٢) ذيل ابن قاضي شهبة ، باريس ١٥٩٩ ، ٢١٣
٣) الاول من انباء الغمر للعسقلاني ، باريس ١٦٠١ ، ٣٥
٤) النجوم الزاهرة . (طبعة ليدن) ٧ : ١١٨
٥) ذيل ابن قاضي شهبة ، باريس ١٥٩٨ ، ١٤٦
٦) حوادث الدهور ٣ : ٥١٠

ص٢٠٢ س٩-١٢ : « ارسل السلطان يحتاط على موجوده . . . خارج عن دولابه » وعلق على كلمة دولاب في الحاشية ٢ : « لعل المقصود زكاة الدولبة » . وانما يحتاط السلطان على ما ليس له . وزكاة الدولبة هي مكس عائد اليه . يؤخذ عادة من كل من كان له دولاب . والمراد بالدولاب — وهو كل آلة تدور على محور — ما نسميه اليوم بالمعمل . وكانت الدواليب كثيرة في الزراعة والصناعة . كدواليب معاصر السكر ، ودواليب الحرير والقماش . وكان للسلاطين المماليك دواليب خاصة بهم . وعليها شادّ من قيامهم . قال ابن تغري بردي في ترجمة الوزير ناصر الدين محمد بن كنبك التركماني : « ولاه الملك الظاهر برقوق اولاً شدّ الدواوين ثم عُزل وعُوّض عن شدّ الدواوين بشد الدواليب الخاص » (١ . وكانوا يسمون ادارة هذه المعامل « الدولبة » . قال شمس الدين السخاوي في ترجمة ابي بكر بن احمد الاركاني ويعرف بابن وُهيب : « دخل طرابلس وبيروت ودولب القماش في بلده » (٢ . ولابن تغري بردي في ترجمة بدر الدين الدماميني : « مولده بالاسكندرية سنة ٧٦٣ وله النظم الرائق . وعانى بآخره دولبة الحرير بالاسكندرية » (٣

ص ٢٠٢ س ١٧ « خلع السلطان الظاهر على قرا دمرداش نايب طرابلس وماموز القلمطاوي نايب حماه . كل منهما قبا مفترح نخ » . وعلق في الحاشية ٣ على لفظة مفترح : « في الاصل مفترح . ولعلها مفترج بمعنى مفتوح » . ولم يرد في لغة العامة فعل افترج بمعنى انفتح . وانما هو « مفترح » بالقاف والحاء . مأخوذ من قولهم اقترح فلان شيئاً اذا استنبطه او احدثه . واقترح امراً اذا ابتدعه على غير مثال . وهو في الالبسة والازياء غير غريب . وممن عُرف بكثرة اقتراحه في الازياء والثياب الامير سلار المنصوري . قال ابن اياس : « كان لطيف الذات في ملبسه . واليه ينسب السلاري الى الآن . والمناديل السلارية . وقد اقترح في الملبوس وقماش الخيل وآلة الحرب . وهي منسوبة اليه الى اليوم . » (٤ وقد استعملت هذه اللفظة حتى في التعذيب والضرب بالعصي . وورد منها لابن الفرات قوله : « فامر السلطان باحضاره . فلما أحضر . ضرب بين يدي السلطان مفترح . » (ص ٢١٦ س ٢٠) وشك الطابع في هذه القراءة فاوردها بين ضمتين .

---

١) النجوم الزاهرة ٥ : ٦٢١

٢) السابع من الضوء اللامع . الخزانة التيمورية ، ص ٤٠

٣) الرابع من المنهل الصافي . الخزانة التيمورية ، ص ٥٦٢

٤) تاريخ ابن اياس ١ : ١٥٥

وهي صحيحة لا غبار عليها . ومن امثلتها ايضاً قول ابن قاضي شهبة : « سنة ٧٨٥ احضر السلطان سعد الدين البقري . وضربه بالعصي مفترحاً على ظهره نحو ثلثمائة عصاً » (١ وله ايضاً في موضع آخر : « عاقبوه وضربوه مفترحاً على ظهره » (٢ . ولنا شاهد على هذا التفسير ينفي كل تردد واشتباه قول المقريزي : « سنة ٧٤٠ مات بدمشق الامير اقسنقر . . . اقترح في ولايته عقوبات مهولة . منها انه نعل الرجل في رجليه بالحديد كما تنعل الخيل » . (٣

ص ٢١٦ س ٨ « وحرر الناس قاشهم » والصواب : حول باللام .

ص ٢٧٢ س ٢١ « الصاحب علم الدين سن برة » وصحة هذا الاسم : سنّ إبرة .

ومن هذه الاستدراكات والتصحيحات التي مرّت بنا تتضح كثرة ما ركبه ابن الفرات من الغرور والوهم والجهل في ما نقله واستنسخه في كتابه . وامام الدكتور زريق ، في المجلدات الآتية ، عقبات شتى لا نشك انه سيذللها بصبره وفطنته واجتهاده ، « وقد يصلح العطار ما افسد الدهر ! » .

١) ذيل ابن قاضي شهبة ١٥٩٨ ، ص ٢٨٢ ، خزانة باريس

٢) ذيل ابن قاضي شهبة ١٥٩٩ ، ص ١٢٢ ، خزانة باريس

٣) السلوك ، خزانة الثاتيكان ٧٠٩ ، ص ١٤٣

دور الموارنة

في ارتداد الكنائس الشرقية

Le rôle des Maronites dans le retour des Eglises Orientales

ردّ للخوري بطرس روفائيل

بمناسبة تعريب حضرة الاب الفاضل القس اغناطيوس طنوس الخوري ، الراهب اللبناني ، لمؤلفنا الافرنسيّ المسمّى : (Le rôle des Maronites dans le retour des Eglises Orientales) ، الذي ظهر في بدء سنة ١٩٣٥ ، نشر حضرة الاب الجليل الفاضل فيلبس نعمه البولسي ، في مجلّة المسرّة الغرّاء ، في العدد الرابع من السنة الجارية (١٩٣٧) ، بحثاً انتقادياً استغرق ١١ صفحة ، وجّه الينا فيه بعض الانتقادات « خدمةً للتاريخ الصحيح » ، ووجد في بعض ما كتبناه « مغالاة ومغالطات وبراهين سخيفة » . فاننا نثني على همة حضرة صاحب المقال وغيرته على خدمة التاريخ والحقيقة ، ونستبيح لنفسنا ان نردّ عليه ببعض ملاحظات نبديها ، متتبعين صفحات بحثه صفحةً صفحةً ، ومعتمدين النصّ الافرنسي من كتابنا ، فنقول :

اولًا : ان التاريخ يقوم اولًا بسرد الوقائع وعرض الوثائق ، لا بالنظريات والحكم على النيّات . ولمّا وضعنا الكتاب لم نسطّر شيئاً من عندياتنا ، ولم نقُل قولًا واحدًا الّا وله على الاقلّ مستند تاريخي قيّم ، ولم نتوخَّ المباهاة والمفاخرة بافضال الموارنة على الكنائس الشرقية الكاثوليكية ، بل كان قصدنا كشف بعض ما ادّى الموارنة من الخِدَم للكنائس الشرقيّة الكاثوليكيّة في العهد الاول من نشأتها . وليس في ذلك فضلٌ لان مَن يخدم اخاه لا فضل له ، فهو يعمل الواجب . والملكيون والموارنة هم اخوة ، أبناء كنيسة واحدة ووطن واحد ، غايتهم واحدة وهَدَفهم واحد . ونحن خصوصاً لنا من بين ابناء الطائفة الملكيّة النبيلة أصدقاء احبّاء اعزّاء نفتخر بهم ، ونبذل الغالي والنفيس في سبيل راحتهم وهنائهم ونجاحهم ، ولا نحسب لنفسنا في ذلك فضلًا ما . وزد على ذلك أننا سبقنا وأشرنا في ديباجة كتابنا الى ان الفضل في تجديد الكنائس الشرقية الكاثوليكيّة

يعود في المكانة الاولى الى الكرسي الرسولي ، ثم الى فرنسة . انما كان الموارنة يقومون حول ذلك بقسطهم الكافي ، ولهذا صدَّرنا الكتاب بهذا العنوان : (Le rôle des Maronites dans le retour des Eglises Orientales).
وقد طالعهُ بامعانٍ كثيرٌ من المتنوّرين والمُثقّفين ، فأعلنوا ان الاسم يطابق المسمّى.

ثانياً : قال حضرة الناقد (صفحة ٢٤٨ و٢٤٩) ما حرفيّته . « ففي الكنيسة الملكية مثلاً يعود الفضل في تعزيز حركة الاتحاد الى اساقفتها الكاثوليكيين تاوفيطس نصري اسقف صيدنايا وبرثانيوس اسقف بعلبك وسلفستروس دهان متروبوليت بيروت وبرثانيوس اسقف ديار بكر وباسيليوس فينان اسقف بانياس وافتيميوس فاضل الذين وحّدوا كلمتهم بذاتهم ونظّموا صفوفهم واقاموا عليهم سنة ١٧٢٤ بطريركاً كاثوليكياً باسم كيرلّس السادس طاناس . يعود الى الجهود الجبّارة التي بذلها الطيّب الذكر المطران افتيميوس صيفي متروبوليت صور وصيدا ورهبانهُ الغُيُر الذين ضمّوا الى حضن الكنيسة ١٣ الفاً من اخوتنا المنفصلين عنّا . يعود الى رهبان دير القديس يوحنا الصابغ بالشوير الذين برسالاتهم ومواعظهم رمّموا ابرشيات بعلبك وبيروت وزحلة والبقاع واعادوا اليها الحياة الكاثوليكية . يعود الى المرسلين الاعلى الاباء اليسوعيين والكرمليين والفرنسيسكان الذين بعلمهم وغيرتهم بعثوا حياة كاثوليكية جديدة في دمشق وحلب ولبنان ».

نجيب انا لم نكتب ما يخالف هذا الرأي . قلنا (صفحة ٨٧ من الطبعة الافرنسية) : « وبعد وفاته (اي اثناسيوس الرابع) عقد بعض الاساقفة مجمعاً في دمشق فانتخبوا الاب سلوفيم طاناس بطريركاً ، وهو ابن اخت المطران افتيميوس صيفي ، وكانت رسامته في ٢٠ ايلول عام ١٧٢٤ على يد نيوفيطس اسقف صيدنايا وباسيليوس اسقف بانياس وافتيميوس اسقف الفرزل . وكان هو الذي أعدّته العناية الالهيّة ليوطّد الكثلكة رسمياً في البطريركية الانطاكيّة ».

وقلنا عن المطران افتيميوس صيفي انهُ « المؤسس الحقيقي للكنيسة الملكيّة الجديدة » (صفحة ٨٥).

وقلنا عن الاب نقولا صائغ وعبد الله زاخر انهما « كانا للطائفة الملكية مفخرةً ومجداً : الاول بكتاباته واعماله على توطيد الرهبانية الشويرية ، والثاني

مباحثه الشهيرة » (صفحة ٩١).

ولم نبخس حقّ المرسلين الابطال الآباء اليسوعيين والكرمليين والفرنسيسكان وغيرهم ، فكثيراً ما نوّهنا بفضلهم وغيرتهم في صفحات الكتاب وخاصّةً في البحث التمهيدي منهُ.

ثالثاً : وزاد حضرة الناقد في صفحة ٢١٩ قائلاً : « فهل يحقّ لنا مَثَلاً ان نشيد بفضل الطائفة الملكية على الطائفة المارونية لان المطران جرمانوس آدم الملكيّ عُيّن نائباً عن الكرسي الرسولي في مجمع بكركي المنعقد برئاسة البطريرك يوسف استفان سنة ١٧٩٠ » ؟ نجيب اننا لم نغفل هذا الأمر لتمجيد الطائفة الملكية الكريمة ، فكتبنا في صفحة ١٢٧ ما ترجمتهُ : « جرمانوس آدم كان علّامةً كبيراً ذا حافظة غريبة عجيبة شغلَ منصب الحكم والقضاء في لبنان . وعيّنهُ الكرسي الرسولي مندوبَهُ في مجمع بكركي الماروني المنعقد في شهر ك١ عام ١٧٩٠ في عهد البطريرك يوسف اسطفان ».

رابعاً : قد حمّل حضرة الناقد نفسهُ جهوداً وتنقيبات كان يغنى عنها ، وذلك ليبيّن في اربع صفحات تقريباً (من صفحة ٢٥٠ الى ٢٥٤) انه في ممرّ الاجيال ، كان للكنيسة الانطاكية التي يسمّيها الملكيّة بعض بطاركة متّحدين مع رومية او كاثوليكيين بالقلب. وما استشهد بهِ غير مرّة من اقوال المؤرّخين المسلمين كالقلقشندي والقاضي شهاب الدين العمري ، فاننا ، وان كان لنا كلامٌ عن هذه الشهادات واصحابها ، نقول ، حبّاً بالايجاز ، انه لا حاجة الى ذكره ، اذ جاء في كتابنا ما يطابق رأيهُ فقد قلنا في صفحة ٨٣ : « أبناء هذا الطقس (الملكي) في سورية كانوا يعتنقون مذهب فوتيوس وكيرولّاريوس . غير انهُ كان يوجد بعض جماعات من الروم متحدة مع رومة لكنها متفرّقة في انحاء البلاد ولا شمل لها . وقد وُجد اساقفة بعض الاحايين حتى وبعض البطاركة ايضاً مَن كانوا على شعور كاثوليكي . . . » . لكن المقصود من كلامنا هو انهُ لم يكن في تلك الاحقاب لطائفة شرقية ، ما عدا للموارنة ، قوامٌ كنسي متّحد مع رومية ، مستقلّ عن الارثوذكس ببطاركتهِ واساقفتهِ ورعاياه ، حاصل على سياق غير متقطّع كامل من الدرجات والمراتب الكنسية . وقد اجمع على ذلك المؤرّخون المدقّقون ، ولا

يجدر ان يُنكره حضرة الناقد الفاضل. وهذا الكيان القومي المستقلّ لم يرَ النور عند الملكيين الّا سنة ١٧٢٤ .

خامساً : قد جاء في صفحة ٢ من كتابنا ما ترجمتهُ : « اولئك البطاركة (الموارنة) المنفردون في الشرق الأدنى بالاتحاد مع رومة كان عليهم ان يوجّهوا العناية والنظر الى جميع الكاثوليك المقيمين ضمن حدود بطريركيتهم . وكانوا يُجرون ذلك بمعرفة الكرسي الرسولي واقراره . يؤيّد ذلك براءة البابا بيوس الرابع الحاملة تاريخ اول ايلول سنة ١٥٦١ وفيها يفوّضهم بان يحلّوا من التأديبات الكنسية ويقبلوا في حضن الكثلكة المنشقّين والاراتقة الجاحدين من اي طائفة كانوا » .

ولحضرة الناقد رأي بهذا الصدد صرّح بهِ في صفحة ٢٥٢ قال: « ان في هذا الكلام جزافاً ومغالطة فان الانعام البابوي الذي يشير اليهِ المؤلّف يخوّل البطريرك الماروني سلطةً ليحلّ ابناءهُ الموارنة الذين يسقطون في هرطقة وغيرهم من المنشقّين والاراتقة الجاحدين من ايّ طائفة كانوا ويقبلهم في الكنيسة الكاثوليكية عندما يعودون تائبين. لكنّه لا يفوّض اليه سلطةً البتة على الكاثوليك المقيمين ضمن حدود بطريركيتهِ ».

نجيب : لما كان البطاركة الموارنة منفردين في الشرق الادنى في تلك الايام بالاتحاد مع رومة ، وبكيانهم الكنسي الكامل الراهن المستقلّ ، كان من المعقول ان يوجهوا عنايتهم الى جميع الكاثوليك المقيمين ضمن حدود بطريركيتهم ، لانه لم يكن لهؤلاء كيان كنسي كامل راهن مستقلّ عن الارثوذكس ببطاركة واساقفة ورعايا. ومن المعقول ايضاً ان يفوّضهم الاحبار الاعظمون ، كما فعل البابا بيوس الرابع ، بان يحلّوا ويقبلوا في حضن الكثلكة المنشقّين والاراتقة والجاحدين من اي طائفة كانوا .

ثمّ اراد حضرة الناقد الفاضل دَعمَ ما تقدّم فأتى ببرهان قال (صفحة ٢٥٢) : « انّهُ لما كان بعض الاساقفة الموارنة قد اتخذوا من هذا النصّ مندوحة لينتحلوا لانفسهم سلطةً ليست لهم لحماع اعترافات ابناء الكنيسة الملكية من غير تفويض وحلّهم من التأديبات التي كان يفرضها عليهم اساقفتهم وللتفسيح لهم

من موانع الزواج ومن النذور الرهبانية رفع البطريرك كيرلس السادس طاناس احتجاجاً الى الكرسي الرسولي فأصدر حينئذٍ البابا بندكتوس الرابع عشر براءتهُ (Demandatam) في ٢٤ كانون الاول سنة ١٧٤٣ وحظّر على متقلّدي الرئاسة في الكنيسة المارونية التدخّل في شؤون الكنيسة الملكية ».

قلنا ان هذا البرهان ينقلب على حضرة الناقد الجليل. وهو حجّة لنا لا علينا. لان تدخّل اساقفة الموارنة في امور الكاثوليك من غير طائفتهم كان بناء على الانعام البابوي المشار ذكره. لكن لمّا استقرّ عند الملكيين الكيان القومي الكنسي الكاثوليكي الثابت بالبطريرك والاساقفة والرعايا سنة ١٧٢٤ لم يَعُد من حقّ رؤساء الموارنة بالتدخل في امور الطائفة الملكية الكاثوليكية. ولهذا، بكل صواب، حظّر عليهم الحبر الاعظم كلّ تدخّل سنة ١٧٤٣ اي بعد توطيد الطائفة الملكية رسمياً بتسع عشرة سنة (طالع ذلك في صفحة ١٢٣ من كتابنا).

ونحن نترجم من براءة البابا بيوس الرابع المذكورة ما شاء حضرة الناقد ذكرهُ في الهامش في نصه الاصلي اللاتيني حتى تظهر جلياً نية الحبر الاعظم الذي تكرّم بالانعام المعروف، ومنه يتّضح ان هذا الانعام أُعطي للبطريرك الماروني خاصةً بشأن المنشقّين والاراتقة والجاحدين من ايّ طائفة كانوا، وعَرَضاً بشأن اولاده الموارنة. قال البابا للبطريرك: « اذا حصل لا سمح الله ان كان بين مرؤوسيك مَن أفسدهم المنشقّون او تسرّبوا روح الهرطقة فبصدد هؤلاء وكل من سواهم التائبين الراغبين في جحد اضاليلهم والعود الى حضن الكنيسة والايمان المسيحي نفوّض اليكم بموجب سلطاننا الرسولي ان تقبلوهم وتصالحوهم مع الكنيسة الكاثوليكية... »[1].

1) « *Si quis autem forte, quod absit*, subditorum tuorum ab haereticis jam corrupti et haeresi jam imbuti fuerint, ipsos et quoscumque aliquos resipiscentes et ad Ecclesiæ gremium et fidem christianam redire volentes, recipiendi et absolvendi atque catholicæ Ecclesiæ reconciliandi, injuncta pro modo culpæ pænitentia salutari, post abjurationem palam secretove, prout Tibi expedire visum fuerit, (facultatem) apostolica auctoritate concedimus ». Cf. Collectio Lacensis, t. II, col. 421

ويعلم حضرة الناقد من جهة اخرى ان البطريرك الماروني — وقد يماثله غيره من البطاركة في هذا الامر — اذا ما ثبّتهُ الكرسي الرسولي ، لهُ السلطان ، بموجب رتبتهِ ووظيفتهِ ، ان يقبل في حضن الكنيسة مَن ضلّ من ابناء رعيتهِ او جحد ايمانهُ او اعتنق هرطقةً ، بدون ما حاجة الى تفويض بابوي خصوصي .

ترى اذن ان هذه البراءة أُعطيت للبطريرك الماروني خصوصاً للنظر فيما يتعلّق بالجاحدين والمنشقّين والارانقة من غير طائفته .

وبالتالي ليس في كلامنا هذا « جُزاف ومغالطة » كما يزعم حضرة الناقد .

سادساً : وفي صفحة ٢٥٣ خطّأنا حضرة الناقد لمّا دَعونا البطريرك اثناسيوس دبّاس الرابع ، وهو الثالث على زعمه ، قال : « على ان البطريرك اثناسيوس الثالث — وليس الرابع كما يقول المؤلّف خطأً — لم يكن مخلصاً في دينه ، صادقاً في اتحاده ، بل كان ذا وجهين ، يميل تارةً مع رومة وتارةً مع القسطنطينية على حسبما تستهويه الاغراض الشخصية » . لكننا نحن لم نستقلّ بتسميته الرابع بل وجدنا ذلك مراراً عديدة في كتب المؤرخين ، راجع مثلاً مجلة الشرق المسيحي (*Revue de l'Orient Chrétien*, IIIe année, p. 7 ss.) ومجلّة أصداء الشرق (*Echos d'Orient*, t. IV, p. 274, 325, 327, 330 etc.) . ان اثناسيوس الثالث الذي يريده حضرة الناقد كان في الربع الاول من القرن السابع عشر وخلفهُ على الكرسي البطريركي اغناطيوس الثالث ثم كيرلّس الرابع اما اثناسيوس الرابع دبّاس فخلفَ كيرلّس الخامس للمرّة الثانية سنة ١٧٢٠ ومات سنة ١٧٢٤ وخلفهُ كيرلّس السادس طاناس الذي فرّق نهائياً الكاثوليك عن الارثوذكس .

سابعاً : وجاء ، من البحث الانتقادي في صفحة ٢٥٤ ، ما يلي : « وعلى كلٍّ ان الكنيسة الملكية الكاثوليكية بكيانها الخاصّ المستوفي كامل الدرجات والمراتب الاكليريكية لم تظهر منفردة عن الكنيسة الملكية الارثوذكسية في اواخر القرن السابع عشر كما زعم المؤلّف ، اي على عهد كيرلّس الخامس ولا على عهد خلفه اثناسيوس الثالث دبّاس ، بل سنة ١٧٢٤ لمّا تبوأ العرش الانطاكي كيرلّس طاناس بطريركاً على الفرع الكاثوليكي وقام منازعاً لهُ البطريرك سلفستروس القبرصي . . . » .

نجيب اننا كتبنا في صفحة ٨٣ ما ترجمتهُ : « اما ان تكون وجدت للروم الكاثوليك كنيسة كاملة الوضع متحدة مع رومة فذلك لم يكن قبل اواخر القرن السابع عشر حيث بدا من البطريرك كيرلس الخامس ، اذا ما استثنينا اثناسيوس الرابع خلفهُ ، ان يوجد كيان كنسي كامل الوضع ومتتابع من البطاركة الملكيين المتحدين مع رومة تقابلهم كنيسة مستوفاة الدرجات والمراتب الاكليريكية ومتواصلة دون انقطاع من البطاركة الارثوذكس.

«وكيرلس هذا الخامس قد انتُخب بطريركاً، وهو ارثوذكسي بعدُ، لكنَّ حياتهُ انتهت في خضوعهِ للبابا الخضوع التامّ . امَّا خلفهُ اثناسيوس الرابع فقد كانت بداءتهُ كاثوليكية،وعند وفاتهِ عام ١٧٢٤ كان قد رفض ان يعترف بالعقيدة الكاثوليكية . الّا ان ملكيي دمشق ظلُّوا ابناء رومة وانتخبوا سارافيم طاناس تلميذ البروباغندة خلفاً لاثناسيوس ، فاعتنق اسم كيرلس السادس « وكان هو الذي انتدبتهُ العناية الربانية ليوطد الكثلكة في قطيعه على وضع نهائي راهن ».

واتَّخذَ اولئك المتحدون الجدد اسم « الروم الملكيين » تمييزاً لهم من الروم الارثوذكس » . هذا ما كتبناه في صفحة ٨٣ ثمَّ كتبنا ، في صفحة ٨٧ من كتابنا ، ما ترجمتهُ : « وبعد وفاتهِ (اي اثناسيوس الرابع) عقد بعض الاساقفة مجمعاً في دمشق فانتخبوا الاب سارافيم طاناس بطريركاً ، وهوَ ابن اخت المطران افتيميوس صيفي ، وكانت رسامتهُ في ٢٠ ايلول عام ١٧٢٤ . . . وكان هو الذي اعدَّتهُ العناية الالهية ليوطد الكثلكة رسمياً في البطريركية الملكية الانطاكية » .

فمما تقدَّم يظهر جليًّا اننا اعترفنا، مع حضرة الناقد، ان كيرلس السادس هو الذي انتدبته العناية الالهية ليوطد الكثلكة في قطيعهِ على وضع نهائي راهن ، وتبوأ العرش الانطاكي سنة ١٧٢٤ ووطد الكثلكة رسمياً في البطريركية الملكية الانطاكية ، ووجدت الكنيسة الملكية الكاثوليكية كيانها الكامل المستقلّ عن الكنيسة الارثوذكسية . وفي عهده اتخذ اولئك المتحدون الجدد اسم « الروم الملكيين » تمييزاً لهم من الروم الارثوذكس . ولمَّا قلنا ، في صفحة ٨٥

من كتابنا ، « ان اول بطريرك ابتدأت به سلسلة البطاركة الملكيين انما هو كيرلس الخامس في اواخر القرن السابع عشر » لم نعن بذلك ان كيرلس الخامس هو الذي وطّد الكثلكة رسمياً في البطريركية الملكية الانطاكية على وضع نهائي راهن ، فقد سبقنا واوضحنا ان هـذا الفضل يرجع الى كيرلس السادس طاناس سنة ١٧٢٤ . ولم نعن ايضاً بذلك ان اول بطريرك ابتدأت به سلسلة البطاركة الملكيين غير المتقطعة هو كيرلس الخامس ، لاننا سبقنا وصرّحنا بان هذه السلسلة عراها الانقطاع في شذوذ اثناسيوس الرابع ، خلف كيرلس الخامس (راجع صفحة ٨٣) . لكن عنينا بذلك ان حركة الارتدادات الى الكثلكة أخذت تنمو ، والنواة التي منها خرجت الكنيسة الملكية الكاثوليكية اخذت تتجسم في عهد كيرلس الخامس الذي ارسل الى الكرسي الرسولي كتاب شركته واعترفت به رومة سنة ١٧١٨ ومات كاثوليكياً . والآن صار كلامنا أصدق وأصح اذا ما سلّمنا بافادة مجلّة أصداء الشرق عن موت اثناسيوس الرابع دبّاس في حضن الكنيسة الكاثوليكية (*Echos d'Orient*, t. VI, p. 248) فيكون اثناسيوس هذا مات كاثوليكياً، وكيرلس الخامس سلفهُ مات كاثوليكياً، وأتى بعدهما كيرلس السادس مجدّد الكنيسة الملكية الانطاكية الكاثوليكية . فكلامنا هذا مفهوم وليس فيه ابهام وبأقوى حجّة ليس هو « كلاماً غريباً كثرت فيه وجوه الغلط » كما ادّعى حضرة الناقد (صفحة ٢٥٣) .

ثامناً : وفي صفحة ٢٥٥ آخذنا حضرة الناقد ثلاثاً فادّعى اولاً : « ان دير الملاك ميخائيل في زوق مكايل ليس هبةً من الشيخ خالد الخازن بل مشترى والذي اشتراه هو الخوري مكسيموس حكيم الرئيس العام على الرهبان الباسيليين الحنّاويين بثمن قدره ١٫١٨٠ قرشاً كما جاء في حجّة البيع . وكذلك القول عن دير سيدة البشارة للراهبات الملكيات الذي اتفق على ابتياع ارضه الخوري نقولا صائغ والشمّاس عبدالله زاخر ما بين ٥٠٠٠ و٦٠٠٠ غرش » .

قلنا : ان ما كتبناه بهذا الصدد (صفحة ١٢٦) أخذناه عن مقال للشيخ شاهين الخازن . والشيخ شاهين الخازن كاتب معروف في عالم الادب والصحافة ، له المقالات القيّمة في التاريخ وخصوصاً فيما يتعلّق بعائلته وقد جمع عنها الوثائق

الكثيرة . قد كتب في مجلة المشرق (المجلد الرابع سنة ١٩٠١ صفحة ٩٧٥ وما يليها) ما نصهُ : « وسنة ١٧١٩ جاءت ثمان عذارى من طائفة الروم الملكيين طالبات الترهب فباشر الاباء اليسوعيون الاجلاء بناء دير لهنَّ على اسم سيدة البشارة في المحلّ المعطى من الشيخ موسى الخازن في زوق ميكائيل ... وسنة ١٧٤٧ بنى الرهبان الباسيليون من طائفة الروم الملكيين ديرهم مار ميخائيل جنوبي زوق ميكائيل في المحلّ الذي وهَبَهُ لهم الشيخ موسى بن طربيه الخازن ... » واختتم حضرة الشيخ مقالهُ بهذه العبارة : « هذه هي الاديار التي اعطاها بنو الخازن لغير اللبنانيين ولم اذكر الاملاك الواسعة التي وقفوها لانها تقتضي مئات من الصفحات يُجمع منها مجلّد ضخم امَّا حججها وصكوكها فلم تزل محفوظة لدى ورثة الواقفين ولم اتوّه بها في محالّها ذهاباً الى الاختصار » .

ثمَّ في الصفحة ٢٥٥ نفسها زعم حضرة الناقد ان القوانين التي أُلزمت الراهبات الملكيات باتباعها لم تكن رسوم القديس انطونيوس بل قانون القديس باسيليوس الذي جرى عليهِ الرهبان الشويريون وأَقرَّهُ لهم الكرسي الرسولي . فاجيبُ حضرتهُ ان الراهبات الملكيات أتينَ لبنان سنة ١٧١٩ وكان الرهبان الشويريّون في ذلك العهد يتبعون قوانين الرهبان الموارنة اي رسوم القديس انطونيوس وكانوا لا يزالون تابعينَهُ حتَّى سنة ١٧٣٧ كما أعلن ذلك رئيسهم العام ذو التقى والفضل نقولا صائغ في تقريره المرفوع الى مجمع نشر الايمان في ١ حزيران سنة ١٧٣٧ (راجع أصداء الشرق المجلد العاشر صفحة ١٧٢) وكما صرّح بهِ السيّد السمعاني في مقدّمتهِ على قوانين القديس باسيليوس التي صادق عليها الكرسي الرسولي سنة ١٧٥٧ . فقد استعمل اذن الملكيون قوانين الرهبان الموارنة لرهبانهم مدَّةً وهذه المدَّة ليست بوجيزة كما يريد حضرة الناقد (صفحة ٢٥٥) .

واخيراً : امَّا ما ذكرناه عن جمعية المرسلين البولسيين الزاهرة المشهورة باعمال الغيرة والفضيلة من انها تمثلت في وضع قوانينها بجمعيَّة المرسلين اللبنانيين الموارنة فليس وهماً كما يظنّ حضرته ولا اختلاقاً . انَّما نقلناه عن مصدر ثقة وهو حضرة الاب كيرلس شارون . والاب شارون عالم مشهور ، وهو المؤرّخ المدقّق العظيم للطائفة الملكية ، الخبير بامورها ، والمطّلع على حوادثها ، عاش مدَّةً غير وجيزة

في بيروت ولبنان ، وقد عرفناه وكنا نتبع معاً دروس المعهد الشرقي. كتب سنة ١٩٠٥ عن جمعية المرسلين البولسيين مقالاً تاريخياً طويلاً ، وذلك بعد تأسيسها بسنتين ، وفي حياة مؤسسها المثلث الرحمات المطران جرمانوس معقّد نوردُ منهُ ما يتعلّق بالموضوع قال : « وقبل ان يضعَ المطران جرمانوس (معقّد) موضع التنفيذ الفكرة التي نتكلّم عنها بمدّةٍ طويلة ، كان مطران جليل ماروني ، هو الحبر يوحنا حبيب ، رئيس اساقفة الناصرة شرقاً ، أسسَ في الكُرَيم (لبنان) جمعيّةً صغيرة من المرسلين مخصّصين للوعظ والتبشير في قرى طائفته. فالمطران جرمانوس كان لهُ فكرة في تأسيس جمعية مماثلة (الجمعية الكُرعيين). وكان يريد ان يعيش عدد من الكهنة المرسلين عيشة اشتراكية فيذهبون من وقت الى اخر الى القرى المهملة فيقيمون فيها الرسالات والرياضات ويعلّمون الشعب التعليم المسيحي حيثما تدعو الحاجة ... ومن مدة التجأ الى حريصا وفيها شيّد على نفقته مسكناً صغيراً » اه (راجع *Echos d'Orient*, (1905), t. VIII, p. 238).

ولا تنسَ ان قرية حريصا هي قريبة جداً جداً من دير الكريم حيث تقيم جمعية المرسلين الموارنة ، وكثيراً ما كان المثلث الرحمات المطران معقّد والمرسلون الكرعيون يتصادقون ويتزاورون ويتجاذبون اطراف الحديث عن الاعمال المفيدة للنفوس والموافقة للبلاد . وليس لاعضاء الجمعيتين ثوب يميّزهم عن الكهنة والعلمانيين فهم يلبسون مثلهم . انما لهم علامة حمراء فارقة ، فللآباء البولسيين برد احمر فوق « قلوستهم » وللاباء الكرعيين صليب احمر فوق « طربوشهم » .

***

وبعد ان عرَضَ حضرة الاب الفاضل في بحثهِ مواضع النقد عليه التي لاحظناها آنفاً واحداً واحداً ، طلب في الختام ان نعمد الى « تعديل ما يقتضيه تاريخ الراهن » .

وعليه ، لما تقدّم ، لا نرى داعياً الى مثل هذا التعديل المطلوب والمرغوب فيه .

وفي كلّ حال ، نكرّر شكرنا لحضرته وثناءنا على همّته وغيرته ، اذ هيّأ لنا فرصةً للتوسّع في بعض نقاط الموضوع ، تنويراً للاذهان ودفعاً للاوهام .

نسخة خطّية من شعر الاخطل

وُجدت مؤخّرًا في طهران

بقلم الاب انطون صالحاني

في شهر تموز من السنة ١٩٣٢ ، اتاني تحرير من صديقي المستشرق اغناطيوس كراتشكوفسكي به يخبرني بوجود نسخة خطيّة من شعر الاخطل ، غير معروفة الى الآن ، يرتقي عهد كتابتها الى السنة ٤٩٩ هجرية (١١٠٥ مسيحية) ملك السيد عبد الرحيم خلخالي بطهران (ايران).

فبادرتُ الى مخابرة السيد ، صاحب النسخة ، لأعرف حالتها واهميتها. فاجابني حضرته بتاريخ ١٠ آب . ومما قاله : «... اني كنتُ في ما مضى مشتغلًا بمطالعة كتب القدماء من دواوين وتواريخ وغيرها . فجمعتُ عدّة من الكتب والنسخ الخطّية ما تيسّر لي. ومنها ديوان الشاعر اخطل التغلبي. وتاريخ كتابتها سنة ٤٩٩هـ وتاريخها مكتوب بالحرف تسع وتسعين واربعماية. وهي اقدم نسخة اطلعتُ عليها. ومن مزايا هذه النسخة كما يظهر من بعض الحواشي ومن خطوط ظهر الصفحة الاولى ان الاديب المعروف بالخطيب التبريزي شارح الحماسة صحّحها وقابلها بالنسخة الاصلية من البداية الى النهاية. وبعض المعاصرين من اهل العلم يظنّون ان النسخة بخطه الشريف . ومن مزاياها ايضاً ان الالفاظ المعضلة والاشعار المشكلة شرحت بتمامها وأوضحت . واظن ان الشارح هو الخطيب المذكور . والاوراق والصفحات كلّها سالمة...»

وبعد مخابرات دامت اربع سنوات ، تمّ الاتفاق بيننا في شهر حزيران ١٩٣٦. فأُرسلت اليّ النسخة في ٤ ايار من هذه السنة ١٩٣٧ . وحالًا ابتدأتُ بمطالعتها ومقابلتها بالاربع النسخ المطبوعة من شعر الاخطل . فتحققتُ انها اكملها ، ليس فقط بمحتوياتها ، لكن ايضاً بصحّة رواياتها وبضبط حركاتها . فلا تكاد تجد فيها من الغلط الا ما ندر . فضلًا عن انها تحتوي على قصائد وقطع شعر لا وجود لها في الاربع النسخ التي نشرتها المطبعة الكاثوليكية ، كما سنبين ذلك.

الّا ان النسخة لا تخلو من بعض الاغلاط ، وان كان التبريزي قابلها . فانّ لكلّ جواد كبوة . فاللغة العربية لكثرة ما في كتابتها من الحروف المميّزة بالنقط ، ولكثرة ما يتبعها من الحركات ، يصعب ان لا تقع فيها اغلاط مهما جدّ وتأنّى الكاتب . مثلاً في البيت :

نعابةٌ بعدَ الأَيْنِ يُفزِعها صوتٌ لآخرَ تالٍ بعدها يقعُ

فكتب في شرح اللفظة نعابة « النعتُ سرعة . . . » عوض « النعبُ سرعة . . . » فاخطأ سهواً

ويغلط ايضاً الذي يعارض النسخة بالاصل اذا كان من العلماء لانه يلتفت الى المعاني اكثر منه للاغلاط المادّية

امّا قول البعض انّ كاتب النسخة هو الخطيب التبريزي ، شارح الحماسة ، فأرى انه غير صحيح . لان الخطيب التبريزي توفّي في السنة ٥٠٢ وله من العمر ٨١ سنة . فمن يا ترى يقبل بالقول انّ شيخاً طاعناً في السنّ محباً للآداب ، مشغوفاً بشرح الاشعار العويصة المعاني ، يخصّص وقته الثمين ، وذلك ثلاث سنوات قبل وفاته ، لكتابة ٥٠٣ صفحات بجدّ وتأنٍّ ، وهو غير محتاج لكسب معاشه .

انّ ما جعل البعض يقولون انه كاتب النسخة هو ما ورد في الصفحة الاخيرة منها : « عورض من اوله الى آخره والحمد لله . . . وصلّى الله على محمد و . . . » وتحت هذه العبارة كُتبت العبارة التالية ايضاً : « هذا خط الخطيب التبريزي اللغوي شارح الحماسة » . فعندي ان العبارة الثانية هي خاصّة بالعبارة الاولى «عورض . . . » لا بكتابة القصائد . اي ان الخطيب عارض النسخة بالاصل المنسوخة عنه . ودليل آخر على ان الخطيب انّما عارض النسخة فقط هو ما ورد في بدء النسخة : « شعر الاخطل ابي مالك غياث بن غوث . . . التغلبي . . . الشكري روايته عن ابي جعفر محمد بن . . . » . وتحت هذا العنوان كُتب : « نحى س على الى ا التبريز . عارضته بالاصل المنسوخ منه من اوله الى ا . . . والحمد لله رب العالمين وصلى . . . وبا محمد » . اما اسم الخطيب التبريزي فهو كما ورد في كتاب نزهة الالبّاء في طبقات الادباء (ص٤٤٣) : « ابو زكريا يحيى بن عليّ بن محمد بن الحسن بن بسطام الشيباني الخطيب التبريزي » .

وقد لاحظتُ ان اللفظة « عُورض » التي في الصفحة الاخيرة تشبه كتابتها كتابة اللفظة « عورض » الواردة كثيراً في هامش بعض الصفحات . فكل ذلك دليل على ان الخطيب قد عارض النسخة لا انه كتبها .

تحتوي النسخة على ٥٠٣ صفحات . طول الصفحة ٢٢ سنتيمتراً ، بعرض ١٧ . وطول المكتوب منها ١٦ ، بعرض ١٤ س . ويوجد عادةً ١١ سطراً في الصفحة . وفي بعضها ينتهي بيت الشعر بكلمة او بكلمتين في الهامش . والحبر شديد السواد على ورق غليظ متين يضرب قليلاً الى الاصفرار ، غير ممزق لا في وسط الصفحة ولا في دائرها .

وتُرسم الكسرة غالباً مائلة من الشمال الى اليمين كما في نسخة بطرسبرج . والشين بثلاث نقط افقية عادةً فوق السين هكذا ... وتؤكد الحروف الخالية من النقط بعلامات التحقيق فتُرسم حاء صُغيرة تحت الحاء ، وصاد صغيرة تحت الصاد ، وطاء صغيرة تحت الطاء ، وعين صغيرة ع تحت العين . وتحقق الراء والسين من فوقها بهذه العلامة ، اي لا نقطة عليها . وقد يُحقق حرف السين بثلاث نقط افقية تحته ، والألف المقصورة كثيراً ما يضع الكاتب نقطتين تحتها كأنها ياء ، وتُلفظ الفاء وحرف الكاف يرسم عادةً كأنه لام لكن مائلاً قليلاً الى الشمال ، وبعض الاحيان توضع كاف صغيرة فوقه ، وقد يُرسم كما نرسمه اليوم . وتنوين الرفع يُرسم بضمة تعلوها فتحة . والالف المنفردة تنتهي في اسفلها بعكفة الى الشمال .

واذا كان الحرف خالياً من الحركات فيُرسم عليه صفر هو دائرة صُغيرة غير كاملة كأنها دال صغيرة ، وبعض الاحيان دائرة كاملة . ويعبّر عن ألف المدّ بألف ثانية تليها ، مثلاً آل تُكتب « اال » . ويحقق حرف الدال بنقطة تحته . وهاء الضمير بوضع ه فوقها . ويُكتب عنوان القصيدة بالحبر الاسود ، لكن بأحرف اكبر واغلظ . واذا سها الكاتب عن كتابة لفظة في بيت شعر او في الشرح فيضع في موضعها شحطة مقوّسة مائلة الى اليمين او الى الشمال ويكتب الكلمة اما في هامش اليمين واما في هامش الشمال . وعند انتهاء العبارة توضع عوض النقطة ه مُنتهية بشحطة الى الاسفل . ويضع نادراً في اسفل الصفحة اللفظة التي تبتدئ السطر في الصفحة التالية .

اني ارجح ان الكاتب كان من الشيعة . لانه اكثر من مرة ، بعد ذكر يزيد بن معاوية في عنوان القصيدة، اتبع اسم يزيد بهذه العبارة في الهامش « لعنة الله على يزيد ».

وقصارى الكلام اني قلما رأيت نسخة خطية سُطرت من ثمانمائة واثنتين وثلاثين سنة حُفظت بهذه الحالة من السلامة ، وحُسن الورق والحبر ، والعناية في كتابتها .

هذا في ما يخص ظواهر النسخة . اما في ما يتعلق بموضوعها فانها تحتوي على كل ابيات شعر الاخطل الواردة في نسخة بطرسبرج ، وبغداد ، والنقائض ، ونسخة اليمن ، الّا ثلاث قصائد وردت في نسخة اليمن وحدها ، في الصفحات ١٢ و١٥ و١٨ ، وثلاثة ابيات وردت في الصفحة ٦٨ . الّا ان القصيدة التي في الصفحة ١٥ من نسخة اليمن ومطلعها :

هل عرفتَ الديارَ يا ابنَ اويسِ دارساً نؤيُها كخطِّ الزبورِ

نُسبت في كتاب الحيوان للجاحظ (كتاب ٦ : ١٠٨) الى زيد بن بِشر التغلبي . فان صحت هذه النسبة لم يبقَ الّا قصيدتانِ من شعر الاخطل هما في نسخة اليمن وليستا في نسخة طهران . ومعلوم ان نسخة اليمن ينقصها كثير من شعر الاخطل .

وتحتوي نسخة طهران على قصائد وقطع شعر للاخطل لا توجد الّا فيها . وهذا ما يجعلها من اكمل النسخ لشعر الاخطل وانفسها .

لمّا طبعتُ في السنة ١٨٩١ نسخة بطرسبرج ، أضفتُ اليها الابيات التي لم تكن فيها ، وكنتُ وجدتها في امهات اللغة وفي كُتب الادب منسوبة للاخطل مثل البيت الذي نسبهُ البكري (٣٥٤) للاخطل (نسخة بطرسبرج ص٣٧٨) وهو :

خَوْلةَ بالدُّمّى رسمٌ كأنّهُ عن الحول صُحفٌ عادَ فيهنَّ كاتبُ

فكان سروري عظيماً عندما وجدتُ في نسخة طهران هذا البيت ، وهو مطلع قصيدة ذات ٣١ بيتاً لا توجد الّا في نسخة طهران . ومن هذه القصيدة البيت الذي نسبه البكري (٦٨٤) للاخطل وهو :

وعارضَ اسراب القطا فوق عاهنٍ فمتبعٌ منه وآخرُ شاجبُ

وقال الشارح : « عاهنٌ جبل معروف وشاجبٌ هالكٌ . »

ونسب البكري (٣٥٦) للاخطل (نسخة بطرسبرج ٣٨٠) البيت :

حَلَّت سُلَيمى بدوغانَ وشَطَّ بها غربُ النَّوَى وتَرَى في خلقها اودا

فهذا البيت مطلع قصيدة لا توجد في نسخة بطرسبرج وتوجد في نسخة طهران ونسخة بغداد. وفي نسخة طهران يروى : بروغانِ مع علامة التحقيق على حرف الراء . وفوق الكلمة « اودا » كُتب « العَوَج ».

ثم ان البيت المنسوب للاخطل في نسخة مسالك الابصار مع اغلاط بيّنة (نسخة بطرسبرج ٣٩٠[١١]) :

وسُرَّق للدهناء مُلْث كانها جلاجل بُزٍّ ذو جلاجلَ مُثقلُ

وكنتُ قدّرتُ ان موضعه بعد السطر السابع من الصفحة التاسعة من الديوان فقد وجدتُه في نسخة طهران في القصيدة ذاتها في الموضع الذي قدّرته له مصحّحاً هكذا :

وسُرَّقَ للدهنا مُلِثٌ كانَّهُ . مُحَلَّلُ بَزٍّ ذو جَلاجلَ مُثقلُ

وابيات غيرها منسوبة للأخطل ليست في النسخ وجدتها في نسخة طهران. وروايات مغلوطة رُويت مصحّحة فيها.

وفي ديوان الاخطل طبعة نسخة بطرسبرج (ص ٣٠٧) ثلاث ابيات حائية يرُدّ بها الاخطل على جرير كنتُ كتبتُ هناك غلطاً (ذيل الاخطل ص ٥٥٦ عدد ٣٠٧) انها من قصيدة حائية للاخطل مُثبَتة في نسخة اليمن (ص ١٢ - ١٥). وقد وجدتها في نسخة طهران في قصيدة حائية مختلفة عن نسخة اليمن تحتوي على ١٤ بيتاً. ومطلعها :

ألا جعل اللهُ الاخلّاء كلّهم فداء لغوثٍ حيثُ أمسَوا وأصبحوا

ثم ان كاتب نسخة طهران أتى على ذكر اخبار بعض ايام العرب. مثل يوم الدثر ويوم الثرثار ويوم الكلاب الاول (وهذا باسهاب) ويوم الكُحَيل ويوم الشرعَبية ويوم إراب . ويجب القول ان الشارح لم يترك اسم علم الّا شرحه شرحاً كافياً.

الى غير ذلك من الملاحظات التي سنثبتها في الحواشي التي نعلقها على الديوان

وقد تتبعتُ الابيات التي لا وجود لها الا في نسخة طهران فكان عددها ١٤٨ بيتاً . فصحّ اذاً انها اكمل نسخة لشعر الاخطل .

هل كان المسيح نجّارًا ؟ *

بقلم سرجيوس جبيليوف
عضو الاكاديمية الطبية

لما رجع المسيح الى الناصرة مسقط رأسه بعد ان اتم خدمته في الجليل ، واخذ يعلّم في المجمع ، كثيرون من اليهود الذين كانوا حاضرين تساءلوا مبهوتين : من اين له هذه الحكمة ، وكيف يستطيع ان يأتي بهذه المعجزات ؟ « اليس هذا هو النجار — τέκτων — ابن مريم واخا يعقوب ويوسى ويهوذا وسمعان ؟ او ليست اخواته ههنا عندنا ؟ وكانوا يشكون فيه » (مرقس ٦ : ٣) ولكن في رواية متّى ، المقابلة للرواية المذكورة ، لم يذكر ان المسيح كان نجّارًا . وانما قيل هناك ان اباه يوسف كان نجارًا[1] — τέκτων — « اليس هذا هو ابن النجار اليست امّه تسمى مريم ، واخوته يعقوب ويوسى وسمعان ويهوذا . أو ليست اخواته كلهنّ عندنا ؟ فمن اين له هذا كله ؟ وكانوا يشكون فيه » (١٣ : ٥٤—٥٧) .

اما في انجيل لوقا (٤ : ٢٢) فان اليهود اقتصروا على السؤال : « اليس هذا هو ابن يوسف » ؟ ولم يذكر هناك ان المسيح او اباه كانا يحترفان حرفة النجارة[2] .

واما في انجيل يوحنا (١ : ٤٥) فان الشك في ان يسوع هو المسيح الموعود

* عرّبها عن الروسية ب . ج .

١) يقرأ في بعض المخطوطات السطر الاول من آية مرقس هكذا : « اليس هذا ابن النجار والنجار » الا ان هذه الرواية التي صححها (Westcott-Hort) الى غيرها واطلق عليها اسم « الغربية » (Western) قد أُهملت حين حدّدوا نهائيًّا متن الانجيل الثاني .

٢) مصدر لوقا هو ، ولا شك عبارة المسيح المذكورة بعد ذلك : « انه ليس نبيٌّ مقبولًا في وطنه » (٤ : ٢٤) . يرى بعض المفسرين في سؤال اليهود « اليس هو ابن يوسف » اشارة ازدراء الى طبقة يسوع الاجتماعية المنحطة . وهم يستندون الى سفر الملوك ١٠ : ١١ « ماذا جرى لابن قيس أشاؤول ايضًا من الانبياء » و ٢٠ : ٣٠ « ألم أعلم انا (شاول) أنك انت (يوناتان) قد تعصّبت لابن يسّى لخزيك وخزي سوءة امّك » ولكن ما هذا التفسير ؟ وما ادراهم ان سؤال اليهود يطوي ، ولا شك ، على شيء من الازدراء ؟

به يُعزى الى نتنائيل من بيت صيدا ، فان اخاه فيليب يقول له : « ان الذي كتب عنه موسى في الناموس والانبياء قد وجدناه ، وهو يسوع بن يوسف من الناصرة . » فالنقطة الهامة في نظر يوحنا هي ان يسوع نشأ في الناصرة ، ولهذا اجاب نتنائيل فيليب : « أيكون من الناصرة شيء صالح ؟ »

اذا كان لا بد من تعليل سكوت الانجيل الرابع عن حالة (طبقة) يسوع الاجتماعية . ففي صفات هذا الانجيل الخاصة به والمميزة له عن غيره ما يكفي لذلك . ولكن كيف نعلل سكوت الانجيل الثالث — المعروف بميله الى الشروحات والاخبار الطويلة — عن حرفة يسوع وابيه التي كانا يحترفانها ؟ سنجيب على هذا السؤال بعيد ذلك . اما الآن فدعنا نشتغل بعمل لغوي محل ، ولكن ضروري لنرى في اي معنى يستعمل مرقس ، ومتى ، كلمة τέκτων وهل من الضروري ان نترجمها بكلمة « نجّار » كما ترجمتها ، ولا تزال تترجمها ، اللغات الاوروبية الحية ؟ [1].

ان τέκτων كلمة يونانية[2] قديمة ومعناها الاصلي يقابل معنى كلمة « صانع » مع قطع النظر عن المواد التي يشتغل بها . ولكن ليس كل صانع τέκτων وانما الصانع الماهر (أوسطه) فقط . هكذا فهم هذه الكلمة اصحاب المعاجم (طالع Hesych. : πᾶς τεχνίτης τέκτων = (τέκτων — كل صانع) و Suid : κοινὸς τεχνίτης = الصانع على التعميم) وهي تستعمل للدلالة على النجار ، وصانع المراكب ، والبنّاء ، والحفّار ، والحدّاد الخ . وقد تطلق مجازاً على الشعراء (ἰητρῶν τέκτονες, τέκτονες σοφοὶ ἐπέων) بل ان نفس اسكلابي يسمى في شعر بندار τέκτων ἀοιδᾶν ἀμφορός وفي بيت من ابيات الاوديسية لهوميروس استعملت τέκτων δούρων (384) الى جانب μάντις (عرّاف) ἰητήρ (طبيب) θέσπις ἀοιδός (شاعر او منشد مُلهَم ، موحى اليه) وكل هذه العبارات تدخل في صف الاصطلاحات المعروفة باسم δημιουργοί (خلّاق .

١) تؤدّي الترجمة اللاتينية كلمة τέκτων ب faber اما الروسية فاحيا لم تترجم هنا .

٢) Prellwitz (طالع المعجم اليوناني طبع Goettingen ١٩٠٥ ص ٤٥٤) يشتق كلمة τέκτων من tekso (احدث . انشأ . صنع . تفنن في عمله . ولد . نجر . تعاطى حرفة النجار)

مبتدع . منشئ.) أفإذا كانت τέκτων تُطلق على كل نوع من انواع الصناع ، فهل من الصواب ان نترجمها في جميع الآيات الانجيلية بكلمة نجّار ؟

لم ترد كلمة τέκτων في كتب العهد الجديد الا مرتين . وذلك في المواضع التي ذكرناها فوق هذا. اما في اسفار العهد القديم فانها وردت مرات عديدة إما مستقلة او باضافة كلمة اخرى اليها. وها نحن نذكر هذه المواضع الاخيرة :

١ً ــ سفر الملوك الاول ١٣ : ١٩ « ولم يكن يوجد في كل اسرائيل صانع حدادة اي حداد τέκτων σιδήρου »

٢ً ــ سفر الملوك الثاني ٥ : ١١ « ووجه حيرام ملك صور رسلاً الى داود واخشاب ارز وصناع حدادة وصناع نحاتة » (نجارين وحدادين τέκτονας ξύλων καὶ τ. λίθων)

٣ً ــ سفر الملوك الثالث ٧ : ١٢(١٤) . . . « وابوه من صور صانع نحاس » τέκτων χαλκοῦ ...

٤ً ــ سفر الملوك الرابع ١٢ : ١١ (١٢) « فيزدونها الى صناع النجارة » τοῖς τέκτοσιν τῶν ξύλων

٥ً ــ سفر اخبار الايام الاول ١٤ : ١ « ووجه حيرام ملك صور رسلاً الى داود . . . وبنائين وصناع خشب » (اي نجّارين τέκτονας ξύλων)

٦ً ــ سفر اخبار الايام الاول ٢٢ : ١٥ « وعندك صناع كثيرون للعمل نحاتون ونقاشو حجارة وخشب »[1] τέκτονες ξύλων

والآن ننتقل الى المواضع التي استعملت فيها كلمة τέκτων بدون مضاف.

١ً ــ سفر الملوك الرابع ٢٢ : ٦ رئيس الكهنة حلقيا يسلّم بامر الملك يوشيا الفضة المهداة الى بيت الرب الى متولي العمل في بيت الربّ « الى النجارين ــ τέκτοσιν ــ والبنائين ورافعي الجدران » هكذا جاء في الترجمة الروسية (والعربية م.) على اننا نشكّ في صحة هذه الترجمة . وذلك اولاً لان كلمة οἰκοδόμοι

١) قابل سفر الخروج ٣١ : ٥ « ولنجارة الخشب – τὰ ἔργα τεκτονικὰ τῶν ξύλων وجازًا في سفر الامثال ١٦ : ٢٢ « لا يعرفون رحمة وصدقًا فاعلو الشر – τέκτονες κακῶν – والرحمة والصدق عند الفئة الصالحين » ἀγαθοῖς τέκτοσιν (وفي ترجمة الآباء اليسوعيين : « الذين ينشئون الشرّ هم في الضلال والرحمة والصدق للذين ينشئون الخير ») (م)

(البنّاؤون) تعني هنا ، على ما ارى ، المشيّدين على الاطلاق . فاذ صحّ هذا الظنّ نتج عنه ان لا ضرورة الى ترجمة τέκτονες بكلمة « نجّارين » بل الافضل ان تترجم بكلمة صناع ماهرين (اوسطا) او « بفعلة » بدون تخصيص . والظاهر ان الترجمة الشائعة قد تأثرت بالشطر الثاني من الآية نفسها : « . . . لشراء خشب وحجارة منحوتة لمرمّة البيت » ولو قرأنا الاية كلها بامعان لاتّضح لنا بأن حلقيا سلّم الدراهم اولاً الى صانعي العمل اي الى الصنّاع (الفَعَلَة) والمشيّدين (مراقبي العمل او القيّمين) في بيت الرب ورامعي الجدران . وثانياً لشراء خشب وحجارة .

٢ً ــ سفر الملوك الرابع ٢٤ : ١٤ « وجلا (نبوكدنصر) اورشليم وجميع الرؤساء والمقتدرين . . . وجميع الصناع والمحصّن » ومثلها في سفر الملوك الرابع (٢٤ : ١٦) حيث ترجمت τέκτονες الى الروسية بكلمة Khoudógenik (متفنّن . رسّام . artiste) (وفي العربية بكلمة أقيان) وكلها غير صحيح .

٣ً ــ سفر اخبار الايام الاول ٤ : ١٤ « وسرايا وَلَدَ يواب ابا وادي الصنّاع لانهم كانوا صنّاعاً » ــ τέκτονες ــ اذا اردنا ان نوضح معنى τέκτονες في هذه الآية وجب ان نرجع الى الاصل العبراني חרשים (faber)

٤ً ــ سفر اخبار الايام الثاني ٢٤ : ١٢ « استأجر القائمون بالعمل نجّارين ونجّارين ــ τέκτονες ــ ليرمّموا بيت الرب وصنّاع الحديد والنحاس لتعزيز بيت الرب » . اذا اعتمدنا فقط على متن الآية جاز ان نترجم كلمة τέκτονες هنا بكلمة نجّارين . الّا ان هذا ليس بضروري ، لانه لا يجوز ان ندلّ هنا على الصنّاع ايضا بدون تحديد الحرفة . وبالاخص اذا اتبعنا في تحديد الآية رواية *Codex Alexandrinus* حيث سقطت العبارة « وصناع الحديد والنحاس لتعزيز بيت الرب » .

٥ً ــ سفر اخبار الايام الثاني ٣٤ : ١١ « اعطوا النجارين والبنائين ليشتروا حجارة منحوتة وخشباً للوصل ولتصفيح البيوت » . ما المراد هنا من كلمة τέκτονες هل « النجّارين » على وجه التخصيص ام الصناع على الاطلاق ؟ [1]

١) في الاصل العبراني نجد الاصطلاح ذاته : חרשים (faber) اي صانع ماهر (اوسط) او صانع على الاطلاق .

٦ً ــ سفر عزرا الاول ٥ : ٥٣ (٥٤) . الكلام في هذه الآية عن الاشغال التمهيدية لاعادة بناء الهيكل حين « اعطوا فضة للنحاتين والنجارين ــ τέκτοσι ــ وطعاماً وشراباً وزيتاً للصيدونيين والصوريين ليأتوا بخشب الأرز من لبنان الى مينا يافا » وهنا ايضاً لا اخاطر في تحديد معنى τέκτονες على اني ارجح استناداً الى سياق الكلام ان المراد هنا من هذه الكلمة « النجارون » (قابلها على سفر عزرا الثاني ٣ : ٧).

٧ً ــ هوشع ٨ : ٦ « وهذا (الصنم) قد صنعه صانع ــ τέκτων ــ فليس هو باله » (عارضها على ١٣ : ٣) ف τέκτων هنا تعني ولا شك الحفّار او الصانع المتفنّن (artiste).

٨ً ــ زخريا ١ : ٢٠ « واراني الرب اربعة صنّاع τέκτονας » الارجح ان الكلمة استعملت هنا مجازاً . وعلى كل حال هي لا تفيد معنى النجّارين.

٩ً ــ اشعيا ٤٠ : ١٩—٢٠ « ان التمثال يسبكه الصانع ويمدّ عليه الصائغ صفائح من الذهب » ــ μὴ εἰκόνα ἐποίησεν τέκτων...χρυσὸν γὰρ ἔστησεν ἐκλέγεται τέκτων ويختار الصانع عوداً لا ينخر » هنا ، ولا ريب في ذلك ، تدلّ τέκτων على الصانع الحاذق (artiste).

١٠ً ــ اشعيا ٤١ : ٥—٧ « . . . فشدّد النجّار ἀνὴρ τέκτων – الصائغ والصاقل بالمطرقة من يضرب على السندان » اقرب الى الصحّة ان نفهم هنا كلمة τέκτων بمعنى الصانع على الاطلاق.

١١ ــ اشعيا ٤٤ : ١٢—١٣ « الحدّاد ــ τέκτων ــ يصنع قدوماً . . . والنجّار ــ τέκτων ــ يمدّ الخيط ويُعلم الخشب بالمغرة ويسوّيه بالنحت ويرسمه بالبركار ويصنعه على شكل انسان وجمال بشر ليبقى في المنزل » ففي الشطر الاول τέκτων تعني حقيقة الحداد . اما في الشطر الثاني فيجوز ان تدلّ على النجار او الصانع الماهر على الاطلاق حتى على الصانع المتفنّن (artiste)

١٢ ــ ارميا ١٠ : ٣ « لان سنن الامم باطلة فان واحداً يقطع شجرة من الغابة فتنحتها يدا النجار بالقدوم » هنا تدل τέκτων ، ولا شكّ ، على النجّار.

١٣ ــ رسالة ارميا ٧ : « ولسانهم منجور (منحوت) (بيد) τέκτονος »

= الصانع الحاذق المتفنّن . وله ايضاً ٥:١٥ وهي (اصنام الكلدانيين) مصنوعة (بايدي) γραφέων, τεκτόνων » فالمراد بالاولى على الارجح (النقاشون) النحاتون الذين ينحتون الحجارة وبالثانية الكتّابون[1] .

نستدل من معارضة آيات العهد القديم بعضها على بعض :

١ً انه اذا كانوا يعنون ب τέκτων النجار ، كانوا يضيفون اليها كلمة ξύλων (الخشب) .

٢ً واما اذا كانوا يستعملونها بدون مضاف في الترجمة السبعينية فانهم كانوا يعنون بها على الاغلب الصانع في اوسع معنى هذه الكلمة في اللغة اليونانية . ولهذا لا يجوز لنا ان نترجمها دائماً في جميع الآيات الانجيلية المذكورة آنفاً بكلمة نجّار .

ومع ذلك فان التقاليد القديمة كانت وما زالت تصوّر المسيح نفسه (وعلى كل حال اباه يوسف) نجاراً . اما كيف نشأت هذه التقاليد فسنتكلم عن ذلك بعيد هذا . والآن نقتصر على الملاحظة بان اول شهادة كتابية ذُكر فيها على ما نعلم ان المسيح كان نجاراً ترجع الى اواسط القرن الثاني[2] .

قال يوستين الشهيد في «محادثته مع تريفون اليهودي»[3] ان روح القدس هبط على المسيح «حين جاء الى الاردن . ذاك الذي كان يُعدّ ابن يوسف النجّار اظهر نفسه كما اخبرت عنه الكتب[4] ، لا صورة له ولا بهاء ، وكان يُظن انه نجّار لانه كان يشتغل حين كان بين الناس بالنجارة ، ويعمل المحاريث والانيار مظهراً بذلك مثال العدل والحياة الفعالة . »

---

١) حكمة سليمان ١٣ : ١١-١٥ ξύλοιο τέκτων تدل على الصانع المتفنن في عمل الخشب . اما في آية حكمة سيراخ ٣٨ : ٢٧ (٢٨) في τῶν τέκτων تعني النقاش ، لا النجار .

٢) ان اقدم مصدر لمعلوماتنا عن المسيح لا يذكر شيئاً البتة عن حالته الاجتماعية وهذا المصدر هو رسائل الرسول بولس ، مع ان بولس نفسه كان بحسب رواية التقليد صانعاً (σκηνοποιός صانع خيم) (اعمال الرسل ١٨ : ٣) .

٣) انظر Migne, P. G. VI, 685

٤) اية كتب يعني هنا يوستين ؟ لا شك كتب العهد القديم . قابل مثلاً اشعيا ٥٣ : ٢ وعارضها بالرسالة الى الفيليبيين ٢ : ٧

يؤخذ من هذه الاسطر ان يوستين عنى ، ولا شك ، بكلمة τέκτων النجار . وبناء على انه اطلق هذه الكلمة على يوسف ، وعلى المسيح ، كان يجوز ان نستنتج من ذلك انه كان في يده متن الانجيلين الاول والثاني. على انه اذا امعنا النظر في عبارة يوستين تبين لنا انه لم يستند ، حين سمى يوسف ويسوع نجارين ، الى متن الاناجيل بل الى التقليد الشائع وقتئذٍ. لانه حقيقة لم يستعمل العبارة « كما قالت الكتب » الا حين ذكر ان المسيح ظهر بلا صورة ولا جمال. ولكنه لما ذكر ان المسيح كان يعد ابن يوسف النجار وانه هو نفسه كان نجارًا استعمل فعل νομίζεσθαι (يقال ، يظن) كانه اراد بذلك ان يقول ان هذا كان التقليد الشائع او الاعتقاد السائد وقتئذٍ.

ولعل بعض الناس يتهمنا بالافراط في التدقيق والتحذلق في تفسير الآية. الا انه لا يمكن فهم هذه العبارة من الوجه اللغوي على خلاف ما فهمناها . على كل حال، يهمنا ان نحقق أنه، في اواسط القرن الثاني، نشأ تقليد عن احتراف يسوع وابيه يوسف حرفة النجارة . اما اذا كان هذا التقليد شائعاً على الالسنة فقط او مُثبتاً في كتاب ما فهذا ما لا يزال تحت البحث[1]. ولكن الارجح هو الافتراض الاول. لانه قد وصلت الينا من اواسط القرن الثالث شهادة هامة جداً لاوريجينيس ، اعظم كاتب مسيحي في العصور الاولى للمسيح. صرّح الكاتب المذكور في تأليفه « ضد كلس » — الذي وضعه بين سنة ٢٤٦ وسنة ٢٤٨ ليردّ فيه اعتراضات كلس على الديانة المسيحية — ان المسيح نفسه لا يدعى τέκτων بمعنى النجار — كما يُفهم من سياق كلامه — ولا في آية من آيات الاناجيل المستعملة في الكنائس[2].

معلوم ان اوريجينيس كان اعلم رجال عصره باحوال شتى الكنائس ، وان

١) آسف انه لم يكن في يدي ، بين وضعت هذه المقالة ، تأليف G. Archambaut, Justin, *Dialogue avec Tryphon*. Texte grec, traduction franc. introduction, notes et index, 2 v. Paris, 1909) حيث لعلي كنت احد بحثاً عن هذه المسألة

٢) Origen c. Cels. VI. 36 (II, p. 105 Koetschau)... ὃς οὐδαμοῦ τῶν ἐν ταῖς ἐκκλησίαις φερομένων εὐαγγελίων τέκτων αὐτὸς ὁ Ἰησοῦς ἀναγεγράπται.

علمه كان يستند الى معرفته الشخصية لها. ونحن نعلم من سيرة حياته انه اقام ، في ما عدا الاسكندرية مركز اعماله، في رومية ، وفلسطين ، وبلاد اليونان ، واسية الصغرى ، وسورية ، حتى وفي بلاد العرب [1] . وانه كان كاتباً ثقة وصادق النية . لا ننكر ان التأليف الذي اوردنا منه الشهادة المذكورة هو تأليف جدلي . الا انه ليس لدينا دليل يحملنا على الشك في ان في تصريحه القاطع شيئاً من المبالغة . ولهذا نرانا مضطرين ان نصدقه بانه لم تكن حقيقة في تلك الاناجيل التي كانت الكنيسة المسيحية في عصره تعدها صحيحة (قانونية) وتستعملها اشارة ما الى ان المسيح كان τέκτων نجّارًا.

اذا صحّ ذلك جاز ان نعرض السؤال الآتي : هل الآية ٦ : ٣ من انجيل مرقص كانت تقرأ في ايام اوريجينيس كما تقرأ اليوم ؟ [2] والجواب على ذلك انه اذا كانت مجموعة كتب العهد الجديد (القانون) لم تتخذ صورة نهائية في النصف الشرقي من الامبراطورية (الرومانية) الا في العصرين الرابع والخامس فالارجح ان اناجيلنا القانونية، وبالاخص المعروفة بال συνοπτικοί = المتوافقة منها، لم تتخذ صورتها الحاضرة دفعة واحدة . على ان هذه المسألة هامّة ومعقدة. وفوق ذلك ، انا اشعر باني لست مستعدًا لحلّها او الخوض فيها.

ومع ذلك فلا ريب في ان التقليد القائل بان يسوع كان في حياته الشخصية نجّارًا كابيه كان شائعاً في الدوائر المسيحية منذ القديم، كما يستفاد من شهادات يوستين الشاهد واوريجينيس التي يرتقي عهدها الى العصر الثاني [3] . ثم لدينا

١) لعله اراد المقاطعة المعروفة باسم Arabia والواقعة في جنوب سورية وشمال فلسطين (حوران) (م).

٢) اما فيما يتعلق بمتى (١٣ : ٥٥–٥٧) حيث تذكر حرفة يوسف فان Usener قد برهن في المقالة المذكورة سابقاً على ان حديثه عن ولادة وطفولية المسيح – وبهذا الحديث يرتبط كل ما له علاقة بشخصية المسيح – حكاية نشأت بعد ان اتخذ تعليم وتاريخ آلام المسيح صورة ثابتة مكتوبة بزمن طويل (طالع تأليفي : الاناجيل الصحيحة والموضوعة ص ١١٠ ، بطرسبرج ١٩١٩)

٣) معلوم ان تأليف كلس الذي يدحضه اوريجينيس ظهر حوالي سنة ٢٠ من القرن الثاني.

— وبالاخص في ما يتعلق بابي يسوع — شهادات اخرى صريحة ، وهي شهادات الاناجيل الموضوعة ، وبالاخص تلك الطائفة منها التي تشتمل على « طفولية المسيح »[1] وهذا امر معروف فلا حاجة الى الخوض فيه[2] . ولكن هناك مسألة اخرى لا اظنها تخلو من الفائدة واللذة ، وهي تدور حول محاولة حلّ سؤال آخر وهو : من أين وكيف تسرّبت الى اناجيلنا الاشارة الى ان يسوع كان ναζωραῖος ، بغض النظر الآن عن معنى هذه الكلمة ؟

من الحقائق المسلّم بها اليوم ، لأنها بنيت على اساس علمي متين ، انّ اناجيلنا (ولا سيما المتوافقة = συνοπτικοί منها) تحتوي على معارضة بين « اقوال » المسيح و« افعاله ».

ان الرسل الاولين ، وسائر دعاة المسيحية ، كانوا يبلغون مَن كان يستمع اليهم الاحاديث عن « اقوال » و« افعال » المسيح . ولا شك في انه كانت ، على ما ارجح ، « الاقوال » التي كانوا يعزونها الى المسيح داعياً واحياناً لحمة لتطبيق « افعاله » على « اقواله ». ولنا في المسألة الجزئية التي وقفنا عليها هذه العجالة دليل قاطع على صحة هذه الفكرة . واليك بيان ذلك :

لما اتوا بالمسيح الى رئيس الكهنة ليصدر حكمه عليه ، اخذوا يفتشون عن شهود كان يجب ان تؤدّي شهاداتهم الى الحكم عليه بالموت : « فوقف قوم يشهدون بالزور ويقولون اننا سمعناه يقول اني انقض هذا الهيكل المصنوع بالايدي وفي ثلاثة ايام ابني آخر غير مصنوع بالايدي » (مرقس ١٤ : ٥٧—٥٨ وقابله على ١٥ : ٢٩ » : وكان المجتازون يجدّفون عليه وهم يهزّون رؤوسهم ويقولون : يا ناقض الهيكل وبانيه في ثلاثة ايام » وجاء في انجيل متى (٢٦ : ٦٠—٦١) : « اخيراً تقدم شاهدا زور وقالا ان هذا قد قال : اني اقدر ان

١) طالع مثلاً *Evang. Thomae* و *Pr. Matt*, 10, 27 و *Protoev. Jacobi*. I 13, 1 Ist. 11. و « تاريخ يوسف النجار » في اللغة العربية الخ .

٢) ان التقليد القائل بان يسوع كان كابيه يوسف نجاراً ردّدته ولا تزال تردّده سير المسيح الحديثة كما لا ريب فيه . طالع مثلاً تأليف A. Réville, *Jésus de Nazareth*, Paris, 1897. I, 418

انقض هيكل الله وابنيه في ثلاثة ايام » (قابله على ٢٧ : ٣٩-٤٠) : « وكان المجتازون يجدّفون عليه وهم يهزّون رؤوسهم ويقولون : يا ناقض الهيكل وبانيه في ثلاثة ايام ».

لا ريب في ان شهود الزور ، والشعب الذي كان يجدف على المسيح ، قد استعملوا كلمة « بنى » في معناها الحقيقي ، لا المجازي . وكذلك صاحبا الانجيلين الاول والثاني . اما انجيل لوقا فانه ، في حديثه عن محاكمة المسيح في المجمع، لم يذكر شهود الزور الذين ذكرهم صاحبا الانجيلين الاولين ولا عزا الى المسيح تهمة تمدّحه بنقض الهيكل واعادة بنائه . وانما اقتصر على القول بان شيوخ الشعب ورؤساء الكهنة والكتبة افتتحوا استنطاقه بالعبارة : « ان كنت انت المسيح فقل لنا» فاجابهم يسوع « ان قلت لكم لا تؤمنون وان سألتكم لا تجيبوني (ولا تطلقوني) ولكن من الآن يكون ابن البشر جالساً عن يمين قدرة الله » (٢٢ : ٦٧-٦٨).

وكذلك الانجيل الرابع فانه لم يذكر ، حين وصف صورة محاكمة يسوع عند رئيس الكهنة ، لا شهداء الزور ، ولا التهمة التي افتروها على المسيح بخصوص الهيكل (١٨ : ١٩-٢٤) . نعم ان عبارة المسيح : « انقضوا هذا الهيكل وانا اقيمه في ثلاثة ايام » قد وردت في الانجيل الرابع ، ولكن في موقف آخر . وذلك انه لما دخل يسوع ، قبل الفصح ، هيكل اورشليم ، وطرد منه الباعة والصرّافين، سأله اليهود أيّة آية ترينا حتى تفعل هذا. فاجابهم يسوع : « انقضوا هذا الهيكل وانا اقيمه في ثلاثة ايام» (٢ : ١٩) . وهنا لا بد من التنبيه على ان صاحب الانجيل الرابع قد استعمل في الآية المذكورة فعل ἐγείρειν (اقام) لا فعل οἰκοδομεῖν (بنى) فنتج عن ذلك ان العبارة باجمعها اصبحت مجازية . والى ذلك اشار صاحب الانجيل نفسه بقوله : « اما هو فكان يعني هيكل جسده » (٢ : ٢١) اي قيامته من بين الاموات.[1] الا ان اليهود قد فهموا عبارة المسيح

١) استعمل فعل ἐγείρειν في الانجيل الرابع بمعنى « نهض ، قام » (٥ : ٨ ، ١١ : ٢٩ ، ٦ : ١٤، ٢١) « أقام او بعث الموتى » (٥ : ٢١ ، ١٠ : ٤، ١٧، ٢١ : ٢٤) وبمرة بمعنى « ظهر، نشأ » (٧ : ٥٢).

حرفياً كما يستدل على ذلك من قولهم : « انه في ست واربعين سنة بُني هذا الهيكل افتقيمه انت في ثلاثة ايام » (٢ : ٢٠) ؟

إذن تشهد الاناجيل الاول والثاني والثالث ان اليهود نسبوا الى المسيح « قوله » : « انقضوا الهيكل وانا ابنيه في ثلاثة ايام »[1]. وان صاحب الانجيل الرابع — وهذا ما كان يُنتظر منه — فهم هذه العبارة مجازياً واوّلها بالنظر الى مستقبل المسيح ، اي الى قيامته. اما صاحبا الانجيلين الاول والثاني فانهما فهما « كلمة » المسيح — وهذا ايضاً كان يُنتظر منهما — حرفياً واستنتجا من ذلك الاستنتاج المناسب لماضي المسيح اي المتعلق بحياته الشخصية فكأنهما قالا : « اذا كان المسيح يقدر ان يبني الهيكل اذن هو τέκτων » . هكذا يرتئي مرقص . اما متى فانه اقتصر على القول بان يوسف ابا المسيح كان نجاراً ؛ ولكنه لم يقل ان المسيح ايضاً كان τέκτων . ولعلنا نستطيع ان ندرك هذا السكوت التقي اذا انتبهنا الى الغرض المعيّن الذي أوحى الى صاحب الانجيل الاول وضع كتابه الا وهو رغبته في ان يبرهن على ان يسوع هو المسيح الموعود به (المحقق ان الانجيل الثاني خالٍ من هذا الميل) ولكن اغرب من كل ذلك بشارة الانجيل الثالث التي لم تذكر — كما بينا آنفاً — « كلام » المسيح عن نقض الهيكل واعادة بنائه . ولهذا نفسه لم تذكر ايضا ان يسوع ، او على الاقل اباه يوسف ، كانا τέκτονες .

هكذا انا اعبّر عن نشوء الحكاية القائلة بان المسيح كان نجاراً : عن « القول » الذي يُعزى الى يسوع ، نشأ « العمل » الذي له علاقة بحياته

---

١) وردت عبارة المسيح نفسها في الاناجيل متى ومرقص ويوحنا في صور مختلفة . فمن العبث ان نبحث عن صورتها الاصلية . ولهذا لا اظن ان المفسرين (طالع ، Holtzmann Handcommentar على آية مرقص ١٤ : ٥٨) مصيبين في آرائهم حين يزعمون ان الصورة الاصلية هي التي حُفظت في انجيل متى (٢٦ : ٦١) بل احرى ان تكون هي التي حفظها مرقص (١٤ : ٥٨) ولا سيما اذا اسقطنا كلمتي ἀχειροποίητον (المصنوع بالايدي) و χειροποίητον (واخر غير مصنوع بالايدي) اللتين عليهما اقحمت هنا تحت تأثير الانجيل الرابع (٢ : ٢١، ٢٢)

وفاعليته .

وفي الختام اسمح لنفسي ان اعود الى ما كنت ابتدأت به، اي الى فهم كلمة τέκτων في الآيات الانجيلية :

وعد المسيح ان يبني الهيكل في ثلاثة ايام. ولكن لكي يبنيه لا تكفي معرفة حرفة النجارة لان بناء الهيكل عمل شاق جداً يحتاج الى معلومات صناعية وخبرة عملية . فمن الغرابة اذن ان نفرض ان اليهود الذين اغاظهم تمدّح المسيح فكروا ثم قالوا : « هو مستعدّ ان يبني الهيكل في ثلاثة ايام. لله درّه من نجّار » ! ولا اظنهم حين سمعوا عبارة المسيح فكروا وقالوا : « انظروا ما هذا المهندس العجيب !» لان اليهود كانوا يعلمون ان المهندس يصنع فقط التصميم ، ويراقب الاشغال. ولكنه لا يبني شيئاً بيديه . على اني ، وان كنت احسب من قبيل اضاعة الوقت في غير طائل التكهّن عما فكر فيه اليهود ، وقالوه ، حين سمعوا المسيح يقول : « انقضوا هذا الهيكل وانا ابنيه في ثلاثة ايام » اريد على الرغم مني ان اضع في افواههم وعقولهم هذه العبارة التهكمية : « تعالوا انظروا، يا ناس، ها هو الصانع الماهر » (الاوسطا) ! وعلى هذا التفسير ينطبق تماماً الاصطلاح — τέκτων — الوارد في الآيات الانجيلية. ولكن هل كان يسوع حقيقة τέκτων (صانعاً) في حياته الخصوصية وفعاليته ؟ هذا ما لا نعلمه ، وهيهات ان نعلمه يوماً ما .

حول كتاب جديد

فخر الدين الثاني
وعلاقاته بدول الغرب

نظرة نقدية للخوري لويس الخازن

ليس من يجهل ان كثيراً من الغموض يكتنف تاريخ بلادنا ، لا سيما المدة الواقعة بين اواسط القرن السادس عشر واوائل التاسع عشر . وهذه الحقبة من الزمن تعدّ بحق كمقدمة لتاريخ عصرنا الحالي ، ولتكوين نهضة بلادنا ، ولاتجاه الفكرة التي نحن عليها الآن . فكل تأليف بهذا الموضوع يصادف ارتياحاً لدى الرأي العام ، ويسرّ الناس الاطلاع على مكنوناته ، وعلى قيمته العلمية . ولهذا ابسط للقرّاء كلمة مفصّلة عن تأليف الاب العالم بولس قرألي[1] .

اولاً : من حيث الطبع والشكل . يقع الكتاب في اربعمائة وتسع وثمانين صفحة بقطع الثمن كبير ، مطبوع على ورق صقيل بحرف نظيف ، مصدر بصورة الامير مأخوذة عن كتاب ماريتي (Giov. Maritti) المطبوع في ليفورنو ١٧٨٧ ، ومسطر تحتها باللغة الايطالية ما ترجمته : « فخر الدين امير الدروز الكبير » .

ثانياً : من حيث المضمون . ينطوي الكتاب على ما يلي : من وجه ٩ — ١٨

---

١) فخر الدين المعني الثاني حاكم لبنان ودولة تسكانا . نظام الخوري بولس قرألي . الجزء الاول باللغة الايطالية . طُبع في رومية على نفقة مجمع العلوم والفنون الملكي الايطالي ، ١٩٥٦
Fakhr Ad Din II. Principe del Libano e la Corte di Toscana. Reale Accademia d'Italia, 1956

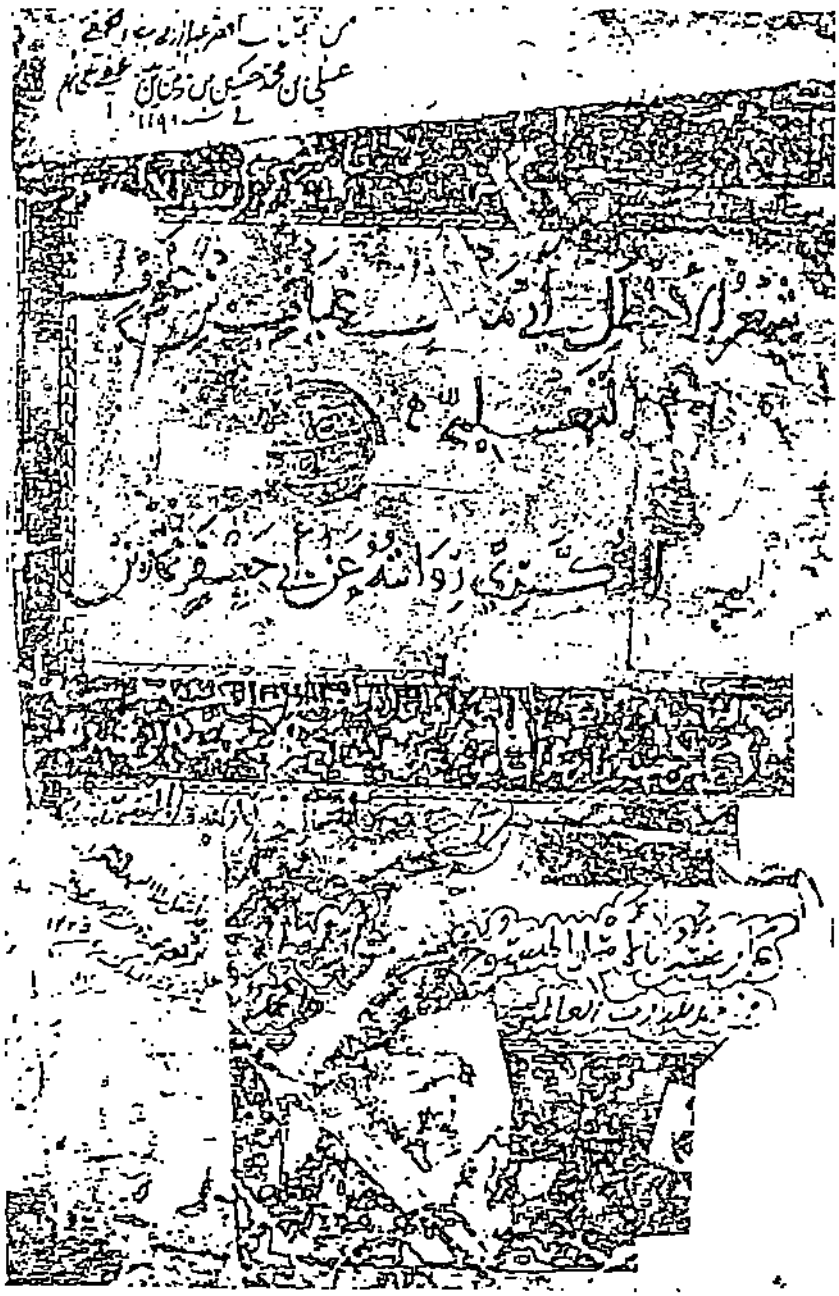

الصفحة الاولى من مخطوطة ديوان الاخطل النصرانية

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين على العزيز الرحيم

نسب الأخطل

واسمه غياث بن غوث بن الصلت بن طارقة بن عمرو بن سنجان
بن الفدو بن كنس بن مالك بن حنتم بن بكر بن حبيب بن عمرو بن
غنم بن تغلب بن وائل والأخطل لقب له وسمي به حين عن نفسه
وعن الأخطل والفرزدق وهما أنا مدينة الشعر وفي يد الفرزدق بعد
ووالله ما أخرج ابن النصراني شيئا في صدره من الشعر حتى مات
وسيأتي حماد بن إسحاق عن الشعر له فقال أشعر العرب شيخان
الأعشى في الجاهلية وهو صناج العرب والأخطل في الإسلام
يمدح خالد بن عبد الله بن أسيد بن أبي العيص بن أمية
كان أحد أجواد العرب في الإسلام وكان جواد أهل الشام

الصفحة الاولى من النص الشعري

نظرة في المصادر والمؤلفات التي اخذ عنها او استند اليها المؤلف . ومن وجه ١٩ – ٢١ لمحة موجزة عن حياة الامير.

ثم من وجه ٢٣–١٣٠ مقدمة تاريخية سار فيها على النسط الآتي: من وجه ٢٣ – ٢٤ مقدمة. ومن وجه ٢٥ – ٢٩ بحث عن اخلاق الامير، وعن تضارب اقوال المؤرخين والكتاب فيه. فمنهم من صوّره ووصفه بانه كان وحشيّ الطباع والاخلاق. ومنهم من دافع عنه وصوّره مثال الشجاعة والعدل والاقدام. وحضرة الاب قرألي يميل الى الفريق الاخير.

بعد ذلك يحدثنا المؤلف من وجه ٢٩–٣١ عن ثبات الامير وشجاعته، ويأتي بنتف من اقوال المؤرخين والكتاب لينفي ما قيل من السوء عن فخر الدين، ويظهره بمظهر الشجاع المقدام الكلي الثبات في خططه واعماله، وينسب كل ما طرأ عليه من الشقاء والبؤس الى غلطتين: الاولى من مشيره الحاج كيوان، ارتكبها سنة ١٦١٣ وتجشّم من جرائها عناء البعاد والنفي خمس سنوات. وهي انه تنع من الحاج كيوان وارسل ابنه علياً، وله من العمر خمس عشرة سنة، على رأس جيش لمناصرة الشيخ عمر ابن احمد بن قانصوه بحملة على حوران وعجلون ودمشق. فعلم بذلك الباب العالي فجرّد حملة ضدّه. وكان من امره ما كان. فاضطر ان يسافر الى اوربة.

والغلطة الثانية ارتكبها سنة ١٦٣٣ بواسطة مجلس مشيريه الاعلى فأدّت به الى حتفه. وهي تسليمه الى قائد الحملة التي سيرها لمحاربته السلطان مراد الرابع. ويتابع المؤلف من وجه ٣١ – ٣٣ المدافعة عن فخر الدين ليبين انه لم يكن قاسياً ولا ظالماً. ومن وجه ٣٣ - ٣٤ يتبسط في ذكر عدله معتمداً على البرهان من الجهة السلبية، ملتجأ الى ما كانت عليه الاحوال من سوء الادارة، وعدم العدل والمساواة بين افراد الرعية قبل عهد فخر الدين، وكيف صارت في ايامه، مستشهداً بالقول المأثور « وبضدها تتبين الاشياء ». ثم يشرح لنا كيف ان الامير حفظ لنفسه الحكم في القضايا الجزائية والعسكرية وترك الحكم في القضايا المدنية والحقوقية لرؤساء المذاهب.

ويتكلم بعد ذلك عن الامن العام من وجه ٣٤–٣٦ وكيف ان فخر الدين

شيّد القلع وبنى الابراج على الاكام المشرفة على طرق القوافل وجهزها بالذخر والمؤن والجنود لتأمين حياة المسافرين والسيّاح وراحتهم.

ومن وجه ٣٦ — ٤٧ يصف لنا عدم تحيّزه ، ومساواته بين جميع افراد الملل والطوائف التي كانت تحت حكمه . ويستهلّ المؤلف كلامه هنا عن الاسلام بما ترجمته حرفياً: «استولى الاسلام على الشرق وانكر اتباعه على المسيحيين المساواة معهم في الحقوق المدنية وضيّقوا كثيراً على حريتهم الدينية. ثم بعد ستة قرون ، اي في عهد الحملات الصليبية ، اعتبرهم كاعدائهم الطبيعيين ، وعاملوهم بعد ذهاب الصليبيين معاملة العبيد. فامسى مال المسيحيين وشرفهم ودمهم مباحاً تحت رحمة اي مسلم كان مهما سفلت اخلاقه ومثل ذلك كان حظ اليهود بل ربما عوملوا باقلّ صرامة».

ويزعم المؤلف انه لم تحصل المساواة الا من عهد فخر الدين وصاعداً. ويتابع كلامه قائلاً ان فخر الدين ، رغم انه كان درزياً ، فقد شيّد للمسلمين بضعة جوامع. وكان يدخل الجامع رسمياً ايام الاحتفالات. وكان عنده بين خاصته وفي بلاطه شيخ ومؤذّن رافقاه الى ايطالية. وكان يسمح لذويه ولعائلته الخاصة بان يصوموا شهر رمضان ويحافظوا على الاعياد الاسلامية.

اما اليهود فكانوا مقربين اليه كثيراً. وقد سلمهم ، على الراي الراجح ، زمام ماليته حتى ان سانتي (Santi)، احد الذين ارسلهم قزما الثاني الى لبنان ١٦١٤ قال فيما كتبه « ان اليهود هم اكثر احتراماً وغنى من المسيحيين ».

ويسهب المؤلف في حسن معاملة فخر الدين للمسيحيين اجمالاً ، سواء كانوا منفصلين عن رومية او تابعين لها. وكيف انه طلب من البابا بولس الخامس براءة ليحثّ المسيحيين على حمل السلاح تحت لوائه ، ويهددهم بانزال الحرم الكنسي بهم اذا امتنعوا. ووعده بان يعتنق الدين المسيحي.

ويسهب ايضاً في حسن معاملة فخر الدين للغربيين اجمالاً ، وكيف انه مدّ يد المساعدة ادبياً ومالياً نحو المرسلين والرهبان من فرنسيسكان وكبوشيين ، حتى ان بعضهم ، الاب الجيديو (Egidio) توصل الى ان يكتب ١٦٢٧ الى مجمع البروباغنده المقدس بانه اصبح من المقربين الى الامير ومن ذوي الدالة عليه وعلى ذويه ،

وانه توصل الى ان يقرأ عليهم الانجيل المقدس ويعدّهم لاقتبال الدين المسيحي.

وبعد هذا انتقل المؤلف لوصف حالة الزراعة والصناعة في عهد الامير (وجه ٤٧—٥٥) فقال ان الزراعة اجمالاً وتربية الحيوانات اعتنى بها الامير اعتناء كبيراً باصلح الاساليب والوسائط الحديثة آنئذٍ. وقد انصرفت جهوده بنوع خاص الى زراعة التوت ، والزيتون ، والارز ، والكتّان ، وقصب السكر . وعُني عناية خاصة ايضاً بصناعة الصابون ، وتصريف الحرير اللبناني . وحسّن حالة الاحراش وغرس الاشجار المثمرة ، وزيّن باحات قصوره ، ولا سيما قصر بيروت ، بجنائن غناء. ولم تنحصر عناية الامير بالنبات فقط ، بل اجتهد في تحسين نسل الحيوانات الداجنة مثل الخيل ، والبقر ، والغنم ، والماعز ، حتى ان الكلاب نالت قسماً من عنايته . وقد اهدى الى ارشيدوكة تسكانا اربعة كلاب ، واهدته هي بدورها كلبة سرّ بها كثيراً ورغب في ان يحصل على كلب من نوعها.

وانتقل الى التجارة (وجه ٥٥ — ٦٢) فوصف عناية الامير بها حتى اعاد ، بفضل اجتهاده ، المدن الفينيقية القديمة الى سالف عزّها وازدهار تجارتها في البحر والبر. وذلك انه بذل قصارى جهوده في تأمين راحة التجار برّاً ، وبنى الابراج الشاهقة ، مثل برج الكشاف الذي كان يعلو ستين قدماً ، لمقاومة قرصان البحر وردعهم عن التعدي على السفن الراسية في الموانئ اللبنانية لتفريغ مشحوناتها . وبفضل هذه التدابير ، ثم بفضل الخوازنة الذين تولّوا فيما بعد قنصلية فرنسة في بيروت ، اصبحت هذه المدينة اهمّ ميناء في الشرق على البحر المتوسط.

اما الكلام عن مالية فخر الدين فاستغرق ست صفحات (٦٢ — ٦٨) عرض فيها المؤلف لحسن تدبير الامير. فازدياد ريع الافراد. فتكاثر مداخيل الخزينة. ولا يخفى ان الحكّام كانوا آنئذٍ اشبه بقاولين او ضامنين من السلطان . فكان عليهم ان يدفعوا سنوياً للباب العالي مبلغاً مقطوعاً وكان الامير فخر الدين يدفع ما هو مرتّب عليه بكل دقّة ، لا بل كان يدفع مسبقاً احياناً ليكون على مأمن من سياسة الباب العالي التي كانت على ريب من اخلاصه نحوها . وقد توصل الامير بدهائه الى عقد اتفاق مع دول الغرب. فمن كان منها على ولاء مع الباب العالي ، مثل فرنسة ، وانكلترة ، وهولندة ، والبندقية كان يحالفها جهراً. واما

الدول التي كانت على خلاف مع الاتراك مثل تسكانة ، واسبانية ، ومالطة فكان يعقد معها اتفاقاً سرياً تجارياً ومالياً . وكان يستورد من بلادها الاعتدة الحربية .

وقد خصّ المؤلف ست عشرة صفحة (٦٨ — ٨٤) بنظام الجيش ، بادئاً بالقول ان المسيحيين منذ الفتح الاسلامي اصبحوا غرباء في ديارهم لانهم كانوا يمنعون من حمل السلاح للمدافعة عن اسم وطنهم . ولكن الامير فخر الدين وحّد الكلمة وألّف جيشه من المسيحيين ، ومن الدروز ، ومن المسلمين وبث روح الوطنية والإخاء بين جميع رعاياه . وبفضل هذه التدابير اصبح عنده جيش عرمرم كسر به شوكة اعدائه ، ووطّد اركان ولايته .

وكان يعاون هذا الجيش سياسة الامير ، وحنكته ، ودهاؤه (وجه ٨٤ — ١٠٨) حتى انه توصل من امارة الشوف وحده الى ان يضم تحت لوائه ولايات شاسعة الاطراف تمتد من جهة الجنوب حتى صحراء مصر ، ومن جهة الشمال الى حدود اطنه وقيليقية . واكبر فضل يسطره له التاريخ هو ضم قلوب اللبنانيين ولمّ شعثهم وتوحيد كلمتهم سياسياً واقتصادياً . فكان المسلم والمسيحي والدرزي يحاربون جنباً الى جنب ، موحدين القارب يرمون الى هدف واحد اي المدافعة عن حريتهم واستقلالهم تحت راية الامير الكبير .

اخيراً من (وجه ١٠٨ — ١٣٠) ينتقل المؤلف الى الكلام عن سياسة الامير الخارجية فيشرح لنا كيف ان فخر الدين ، بعد استيلائه على ميناء صيدا سنة ١٥٩٣ ، أخذ يفكر في تأسيس دولة مسيحية قوية على جانبه يركن اليها ضد الاتراك ، وكيف حاول ان يستفيد من مواقف الدول الغربية سواء كانوا اصدقاء مع الاتراك مثل فرنسة وانكلترة والبندقية او على خصام مثل تسكانا والكرسي الرسولي ، واسبانيا ، ومالطة والمجر . فكان يعطي لكل مقام مقالاً ويخاطب كلاً من هذه الدول حسب رغبته وميله بما يوافق رغبتها وميلها فذكر لنا صلاته مع فرنسة من (١٠٩ — ١١١) ثم مع اسبانيا (١١١ — ١١٦) ثم مع الكرسي الرسولي (١١٦ — ١٢١) ثم مع تسكانا (١٢١ — ١٣٠) .

* * *

من بعد هذه المقدمة التاريخية يبدأ المؤلف بنشر الوثائق والاسانيد ، وقد قسمها كما يلي: من عدد واحد الى عدد ٨٥ عن علائق فخر الدين وفردينان الاول وقزما الثاني (وجه ١٣٣ — ٢٨٨) واورد في القسم الثاني الوثائق التي تتعلق بالامير وفردينان الثاني اي من عدد ٨٦ الى عدد ١٧٢ (وجه ٢٨٩ — ٤٢٧) وضمن القسم الثالث ملحقاً عن الوثائق التي تتعلق بدولة تسكانا وخلفاء الامير. اي من عدد ١٧٣—١٩٤ (وجه ٤٢٩ — ٤٦٠)

* * *

هذا هو كتاب حضرة الاب قرألي من حيث المضمون . وهاكه من جهتي العلم والنقد :

اذا حق لحضرة المؤلف فضل الجامع المجتهد الباحث بعض الوثائق التاريخية من مدافنها ، وناشرها للملاء ليحيط القوم علماً بها ، فقد يشوب فضل المؤرخ العالم المدقق بعض هنات ، لان في الكتاب نواقص تفقده شيئاً من هذه الميزة. واليك بعض ذلك:

اولاً: من جهة العنوان والاسم . عنوان كتابه هكذا : « فخر الدين المعني الثاني حاكم لبنان ودولة تسكانا » والظاهر من هذا الكلام ان المؤلف حصر بحثه في علائق الامير مع دولة تسكانا فقط. بيد انه يتضح جلياً من مضمون الكتاب ، ومن كلام المؤلف نفسه (وجه ٦٢ ووجه ١١٦ — ١٢١) ومن نص الوثائق (وجه ١٩٢ — ١٩٦ ووجه ٣١١) ان البحث يدور حول علائق الامير مع دول الغرب اجمع. وعليه كان الاحرى ان يسميه فخر الدين ودول الغرب.

ثانياً: من حيث المصادر. قال لنا حضرته (وجه ١٢و١٣) كلمة في تقدير قيمة بعض المؤلفين مثل الخالدي ، والدويهي ، وماريتي (Mariti) وروجه (Roger) ولم يتكرم علينا بكلمة عن وستنفلد الالماني (F. Wüstenfeld) الذي الف عن الامير وعن رجال عصره. ولا عن بوجه دو سان بيار (Puget de S Pierre). وقد اتى على ذكرهما في قائمة المؤلفين. فرغم انهما كتبا خصوصاً عن الامير فخر الدين وعن عصره ، لم يشأ المؤلف ان يقدمهما الينا بكلمة تعريف اسوة باولئك.

ثالثاً: قال لنا حضرة المؤلف في المقدمة (وجه ١٨) انه تعب كثيراً في تأليف المقدمة التاريخية التي صدر بها كتابه (وجه ١٩ — ١٣٠) وانه اضطر في اثبات اقواله الى ذكر المصدر الذي اخذ عنه والى مراجعة المطوّلات ، وانه بجده هذا الف حياة الامير كاملة مرتكزة على اقوال المؤرخين المعاصرين.

بيد انه كان الاحرى به ان يطلق على مقدمته التي ينعتها بالتاريخية اسم مدافعة عن الامير فخر الدين (apologie) لانه من شروط العلم والتاريخ تصوير الشخص التاريخي كما كان ، لا كما يريد اونهوى ان يكون.

وحضرة المؤلف تراه مشغوفاً ببطله ، فيسميه تارة نابوليون الشرق (وجه ٣٠) وحيناً يشبهه بفكتور عمنوئيل الثاني الملقب بابي ايطالية (وجه ٨٤). ولا يخفى ان فخر الدين توصل من الوجهة الحربية ، الى توسيع نطاق حكمه بالدهاء والرشوة اكثر مما فعل بحد السيف. وهذا واضح من قول المؤلف نفسه وجه ٩٨ و٩٩ و١٠٣. ومن الوجهة الاستقلالية وتوحيد الدولة كان له فضل الرامي الى انشاء دولة كبيرة مستقلة. الّا ان الظروف لم تحقق حلمه.

ثم ان المؤلف نفسه يخبرنا (وجه ١٠٣) ان فخر الدين كان يفتخر بان يدعو نفسه امير صيدا او الجليل ، وكان يفضله على لقب سلطان البرّ الذي حازه من لدن السلطان ١٦٢٥ (وجه ١٠١) وفي المدة الاخيرة فقط اضاف الى اسمه امير جبل لبنان.

ثم بينا نرى المؤلف يحذرنا (وجه ١٣) بان الاب روجه Roger يميل في رواياته الى الخيال ، نراه يستند اليه في الكثير من رواياته.

رابعاً: نرى حضرة الاب قرألي ينسى احياناً ما قاله. فيظهر لنا مثلاً فخر الدين مثال العدالة (وجه ٣٧) ثم يقول لنا (وجه ١٨) انه كان يقطع انفاس كل من يتذمر منه او يطالبه بعدل.

اخيراً: ان المؤلف لا يقول لنا كلمة تجلو بعض الغوامض مما تهمّ القارئ معرفته فقد تكلم مثلاً (وجه ٥٠) عن رماد عشبة تصلح لعمل الزجاج وروى ما قاله الاب دنديني (Dandini) ، الذي ساح في بلادنا سنة ١٥٩٦ ، وذكر انه شاهد في طرابلس خمسين او ستين جملاً محملة رماد عشبة كان يُرسل الى البندقية

لعمل الزجاج . ولم يقل لنا ، ولو في حاشية صغيرة ، هل كان مدار الكلام حقيقةً على رماد عشبة ، وما هي هذه العشبة .

ومثل ذلك قل عن الاشخاص الذين مثلوا دوراً كبيراً على مسرح حياة الامير : فمن هو الحاج كيوان ؟ ومن هو المطران جرجس مارون الذي كان سفير الامير لدى البابا ولدى دولة تسكانا ؟ ومثله قل عن الاشخاص الذين اتى على ذكرهم .

الخلاصة انك لا تحصل بعد قراءة كتاب المؤلف على صورة واضحة طبق الاصل للامير فخر الدين ، ولا لعصره ، ولا لرجال حاشيته ، ولا لعلاقته مع دول الغرب . انما قيمة الكتاب كبيرة بما نشره من الوثائق التاريخية .

* * *

هذا ما عنّ لنا تبيانه ، وهو قليل من كثير . وقد اتينا على ذكره علّ المؤلف يتدارك ما سها عنه في جزئه الثاني . وغير خاف على احد ان كل هذه الهفوات لا تغير نضار الكتاب لانه من الاهمية بمكان عالٍ . ولحضرة واضعه مزيد الشكر لما بذله من الجهود الجبارة في سبيل جمعه وترتيبه ونشره .

النصارى في مكة

قبل الهجرة

معلومات وملاحظات

من آثار المرحوم الاب لامنس اليسوعي

٢

آخر مَن ذكرنا من النصارى في مكة وجوارها بعضُ التجّار الذين كانوا يأتون المجتمع القرشي بالحبوب ، والزيوت ، والخمور .

وكان هناك غيرهم من ارباب الصنائع المختلفة كالقصّابين ، والحدّادين ، والحجّامين . وكلّهم كان العرب يدعونهم « بالملوج » .[1] على انهم يتمدحون مهارتهم في الصناعات ، كما نعرف من حادثة ابي لؤلؤة على عهد عمر بن الخطّاب . ولنا في متفرّق كتب الاحاديث ذكر لبعضهم ، عبيدًا او موالي ، اشتهروا بالتجارة[2] ، وصنع الاسلحة[3] ، واصلاح الاحذية[4] ، بل ان هناك ذكرًا لعبد من السودان كان يصنع التماثيل في المدينة[5] . وهناك تجّار من الاقباط ، او من الروم ، قام بتسقيف الكعبة ، قبل دعوة النبي بعدة سنوات . وكانت الكعبة لا تزال « لا سقف عليها » .[6] ثم ان اسرة بني مخزوم ، مَن عرفناها بالغنى والسهر على مصالحها

---

١) اسد الغابة ٤ : ٧٥

٢) اسد الغابة ٤ : ٢٦ ، ٢٢٦ ؛ ٥ : ٥٠٧ . ولم يكن في المدينة ، على عهد النبي ، سوى تجّار واحد (السمهودي : الوفاء ١ : ٢٨٠)

٣) اسد الغابة ٤ : ٢٤٨

٤) اسد الغابة ٥ : ١٢٤

٥) اسد الغابة ٥ : ٥٦١

٦) ابن هشام : السيرة ١٢٢ ؛ اسد الغابة ١ : ١٦٢ ؛ *Chroniken*, W., III, 50 ؛ السيرة الحلبية ١ : ١٥٥ ؛ ابن الاثير : النهاية ١ : ٢٨٢ ؛ السمهودي : الوفاء ١ : ٢٨٠ . بيد ان اسر مخزوم (باخوميوس) المُطلق على هذا التجّار يميل بنا الى ترجيح اصله النبطي .

التجارية والاقتصادية ، كانت تستخدم الكثير من العبيد الاحباش في صناعاتها المختلفة محوّلة الموادّ الأولية التي كانت تستقدمها من اليمن ، حتى اذا دنت ساعة الخطر واضطرب الأمن ، أسرع المخزوميّون فسلّحوا هؤلاء الصنّاع ، على نحو ما ذكرناه في مقال « الاحابيش ».[1] وقد عرضوا على محمد معونة هؤلاء « الجنود » بضعة ايام قبل معركة حُنين ، فرفض النبي الاستعانة بالسودان[2] . ولعلّه شكّ في اخلاصهم ، وقد خبرهم يوم أُحد.

وكان من عادة محمد ، قبل الهجرة ، ان يزور الحوانيت والأكواخ التي كان يشتغل فيها الصنّاع النصارى. فيحادثهم بشؤون الدين. حتى اتّهمه اعداؤه بانه يستوحي منهم تلك الأخبار التي كان يردّدها على مؤمنيه وسامعيه. فاضطُر النبي الى تبرير نفسه بجملة ، ذاكرًا ان ما يقوله مجلوٌ « بلسان عربي مبين » بينا لسان اولئك الاجانب « اعجمي » غير فصيح. هذا ما يُستنتج من بضع آيات حفظت صدى هذه المشاحنة في القرآن ، فجاء فيها : « قُل نزّله روحُ القُدُس من ربك بالحقّ ليثبت الذين آمنوا وهُدى وبشرى للمسلمين. ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلّمه بشرٌ لسانُ الذي يُلحدون اليه أعجميّ وهذا لسانٌ عربيّ مبين ».[3] وفي سورة غيرها : « وقال الذين كفروا إنْ هذا إلّا إفكٌ افتراه واعانه عليه قومٌ آخرون فقد جاؤوا ظُلماً وزورًا. »[4]

على ان القرشيين لم يكتفوا بهذا الردّ اللغوي. وهم انما كانوا يتحقّقون امرًا واقعاً باختلاف النبي الى معامل النصارى واكواخهم ، ثم ينتقدون على اخباره واحاديثه أنها قديمة معروفة لا ابتكار فيها ولا طرافة فهي من « اساطير الأوّلين. » ولنا في القرآن الشواهد الكثيرة على هذا الموقف : « وقالوا اساطير الأوّلين اكتتبها فهي تُملى عليه بكرةً واصيلًا ».[5] « ومنهم من يستمع اليك وجعلنا على

١) راجع هذا البحث في « المشرق » ٣٦ [١٩٣٦] ١-٢٣ ، ٥٢٧-٥٥٥
٢) الاغاني ١ : ٢٢
٣) القرآن ١٦ [النحل] ١٠٤ ، ١٠٥
٤) القرآن ٢٥ [الفرقان] ٥
٥) القرآن ٢٥ [الفرقان] ٦

قلوبهم أكِنّة ان يفقهوه ، وفي آذانهم وقرًا وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها حتى اذا جاؤوك يجادلونك يقول الذين كفروا إنْ هذا إلّا اساطير الاولين»[1] . «واذا تُتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا إنْ هذا إلّا اساطير الأولين »[2] . الى غير ذلك من الآيات المماثلة[3] . اما النبي فقد اكتفى بالرد اللفظي المتقدم حتى اذا كثر اتباعه ، وشعر بقوته اخذ يتحدّى « الانس والجنّ » ان يأتوا بمثل آية من آياته .

ولا يخفى ما في هذه المناظرة من فائدة لموضوعنا . اذ هي تفيدنا وجود عدد من الاجانب في مكة كان يختلف اليهم محمد . ونستفيد ، فوق ذلك ، ان هؤلاء الاجانب كانوا من الموحّدين[4] . ولم ينكر النبي صفتهم التوحيدية ، ولا اختلافه اليهم . انما انكر ان يكون استقى منهم معلوماته بحجة ان لسانه عربيّ فصيح ولسانهم اعجميّ . اما الفرق بين ما أتى به من المعلومات التاريخية والعقائدية في القرآن ، وبين ما كان ممكنًا ان يتناوله من اولئك الأجانب ، في زعم اعدائه ، فلا يهمّنا الآن ؛ وان يكن النبي رأى في اقواله خاصّة تلك الميزة اللغوية والبيانية الفائقة التي جعلت من القرآن آيةً بل « معجزة » لا يمكن المقلّدين ان يتخطّوها . على اننا نشكر له ما افادنا ، بطريق العرض ، من معلومات عن اصل اصحابه الموحّدين ، وكلّهم اجانب عن البلاد العربية المعروفة : الحجاز ونجد . ولم يكن النبي ليطلب العربية الفصحى من نصارى الحيرة ونجران ، فكيف « بأنباط » الشام ، المتأثرين بالآرامية ، او ببدو الحدود البيزنطية بين الشام واعالي العراق كعشائر بني كلب[5] ، ولغتهم خليط غريب من العربية واللهجات الآرامية حتى

(١) القرآن ٦ [الانعام] ٢٥

(٢) القرآن ٨ [الانفال] ٣١

(٣) القرآن ١٦ [النحل] ٢٦ ؛ ٢٣ [المؤمنين] ٨٥ ؛ ٢٧ [النمل] ٧٠ ؛ ٤٦ [الاحقاف] ١٦ ؛ ٦٨ [القلم] ١٥ ؛ ٨٣ [المطففين] ١٣

(٤) ولا يمكن ان نعلّلهم من اليهود ، لقلّة العدد اليهود في الحجاز ، اذ ذاك . راجع هنا *Les Juifs à la Mecque à la veille de l'hégire*

(٥) واليهم كان ينتسب زيد بن حارثة الذي تبنّاه النبي . ومن الراجح ان زيدًا كان اكثر شأنًا من ابيه ، لانه تزوّج حاضنته السوداء أم أيمن (اطلب *Mo'ascia*, 413)

انه لم ينبغ شاعر واحد منهم باللسان العربي قبل الهجرة . اما زُهير بن جَناب فاقرب الى الاسطورة المتولّدة في العصر الأموي منه الى التاريخ الصحيح[١] .

وكان هؤلاء الاجانب العائشون في مكة ، فوق مهارتهم بالصناعات اليهودية ، قد احتكروا انواع الفنون على ضآلتها في ذاك المجتمع ، ومظاهر المهن الحرّة ، وكل ما كان يفرض معارف وضعية خاصّة ، او ثقافة علمية ، نادرة بين العرب ، اذ ذاك .

هذا وقد حفظ جمّاع الأخبار والاحاديث كابن رسته[٢] ، وابن قتيبة[٣] ، لائحة بالمهن والصناعات التي كان يمتهنها « اشراف » قريش من الامويين والمخزوميين ومن اليهم . واذا بينهم الحدّادون ، والخيّاطون ، والقصّابون . . . قلنا : من الصعب ان لا نرى في هذا التعداد تأثير الشعوبية الرامية الى اقرار المساواة السياسية بين جميع عناصر الدولة المسلمة ، ومن ثمّ الى الحطّ من ادّعآت القرشيين بالحطّ من اشرافهم قبل الاسلام . وذلك اننا نادرًا ما نرى في الهجاء القديم نعتاً محتقرًا « كالقَين » اي الحدّاد[٤] . وقد سها ابن رسته عن هذا الأمر ، على ما يظهر ، عندما نظّم او نقل لائحة صنّاعه القرشيين . بيد ان هذا السهو يظهر اعجب منه في كتاب ابن قتيبة المتعصّب للعرب المنادي ، في « كتاب العرب » المشهور ، بفضلهم على سائر الناس .

ومما لا شكّ فيه ان الاطباء ، والجرّاحين ، واطبّاء الاسنان كانوا كلهم من النصارى في مكة . وكان لمهارتهم فضل يُذكر في مجتمع بدوي ، سريع الهيجان ، عرضة للغزو على مدى ايامه . وقد نسب المؤرّخون لهؤلاء الجرّاحين عمليات لا بأس بدقّتها . من ذلك انهم كانوا يبدلون بالانوف المقطوعة[٥] انوفاً من الذهب او

١) راجع *Berceau*, I, 320 ولا شك في ان شعره منحول . وهناك كلبي آخر اسمه دحية بن خليفة كان يتمثّل بالملك جبريل ، ولكنه لم يظهر الّا في المدينة . ومن المفيد ان يراجع ، بشأن لغة كلب ، الاغاني ٢٠ : ٣١

٢) في جغرافيته (طبعة de Goeje) ٢١٥

٣) كتاب المعارف (الطبعة المصرية) ١٩٢–١٩٤

٤) اطلب *Chantre des Omiades*, 172 ؛ الاغاني ٥ : ١٥٦ ؛ ٧ : ١٨٤ ؛ ديوان الاخطل ٢٢٢ ؛ الجاحظ : الحيوان ١ : ١٥٢

٥) نرى ، في تاريخ ذاك العصر ، كثيرًا من المدعوّين « بالمطعّم » ، اي صاحب الانف

الفضة[1]؛ وكانوا يذهّبون الاضراس ويثبتون المتقلقل منها بالخيوط الذهبية.[2]

ولما كانت مكة مدينة تجارية ووسطاً اقتصادياً مهماً، كان لا بدّ من من الكتّاب والحسبة. وهو امر لم ينتبه لـه التفسير القرآني عندما فسّر لفظة «أمي» بجاهل القراءة والكتابة. ومن المعروف ان أسرى بدر من القرشيين تحوّلوا الى معلّمين يدرّسون ابناء الأنصار، مزارعي يثرب، المنتصرين عليهم[3]. فكان جميعهم، حتى الفقراء منهم، يتمكّنون من القيام بهذه المهنة الجديدة. كل هـذا يدلّ على ان الكتابة كانت رائجة، ان لم نقل واسعة الانتشار في مكة. بيد ان مؤرخي العصر لا يذكرون اسم معلّم واحد من القرشيين. ذلك ان القراءة والكتابة كان يعلّمها الاجانب وحدهم. وكان من رغبة القرشيين في التعلّم ان بعضهم كان يقصد المعلّمين حتى مدينة الحيرة النصرانية[4].

ولنشر اخيراً الى وجود جبّانة خاصّة بالنصارى في مكة[5]، وهذا دليل جديد على وجود مجتمع نصراني في عاصمة القرشيين.

* * *

ولننتقل الى عنصر ثانٍ من عناصر السكّان. فنرى ان عـدد النساء كان وافراً في البيوتات القرشية. ذلك ان السياسة العامّة، والحاجة الى مخالفة اسياد القبائل البدوية، كانت تدفع رجالات قريش الى الاكثار من الزواج[6]. وهناك

المضروب، كقيس بن الخطيم الشاعر اليثربي؛ الاغاني ١٣: ١٠٢؛ اسد الغابة ٣: ١٠٢، ١٠٧؛ ومنهم من دُعي «بالاسلت» ، اي ذي الانف المقطوع؛ ابن دريد: الاشتقاق ٢٦٦؛ ابو زيد: النوادر (طبعة بيروت) ١١٤؛ Lammens, *La Mecque*, 210, 217, 305

١) نرى مناقشة لطيفة هذا المتن في ابن الاثير: النهاية ٣: ١٩٩؛ ٤: ٢٠٥-٢٠٦؛ الترمذي: الصحيح (طبعة الهند) ٢: ٢٠٩؛ البَغَوي: المصابيح ٢: ٨٥؛ اسد الغابة ٣: ٥١، ١٩٢، ٤٠٠؛ ابن حنبل: المُسند ٤: ٢٤٢، ٥: ٢٢

٢) كان النساء احياناً، في عراكهنّ، يكسر بعضهنّ اسنان البعض الآخر: اسد الغابة ٥: ٤٥٢

٣) ابن سعد: الطبقات ٢: ١٤. وقد يكون في ذلك حملةً انصارية موجّهة الى القرشيين، ولا يخفى ما كان يحيط بهيئة معلّم الاولاد من الازدراء في القرن الاول للهجرة (راجع *Mo'āwia*, 359-361)

٤) ابن قتيبة: المعارف (الطبعة المصرية) ١٨٧

٥) الازرقي ص ٥٠١ في *Chroniken der Stadt Mekka* de Wustenfeld

٦) كان لصفوان بن امية ست نساء عندما اسلم (اسد الغابة ٥: ٥٠١)

عادة اخرى كانت تدفع المجير او المحالف الى التزوّج بارملة « الحليف » المتوفّى[1]، فيؤمّن لها حياتها.

ذكرنا، في احدى حواشي البحث السابق، رواية تمثيلية لهنري دي برونيه. وقد جاء فيها، في خصام بين حفصة بنت عمر وضرّتها عائشة بنت ابي بكر[2]، هذا القول تحمل به حفصة على عائشة:

Et puis un peu chrétienne au fond, comme sa mère,
Lisant dans l'Evangile une journée entière ! (٣

فتكون والدة عائشة، امّ رومان، والحالة هذه، من نساء النصارى. قد يكون المؤلّف استند، في هذا الاكتشاف، الى اسم «رومان»، الذي خاله مصحّفاً، على ما يظهر، عن اسم « رومانوس » المسيحي[4]. وفي الواقع ان بني رومان كانوا جزءاً من قبيلة طي النصرانية. ولا سند للاشتقاق اللغوي الخيالي الذي يذكره ابن دريد[5]. بيد انه ليس لنا في ترجمة امرأة ابي بكر ما يشير، وان اشارة ضئيلة، الى اصل نصراني[6]. ولكن مهما يكن من أمر فان «الاحلاف» النصارى لم يكونوا بالعدد الذي في بيوتات القرشيين في مكة.

ولم يكن الخلفاء عثمان ومعاوية ويزيد ليندموا على زواجهم بنصرانيات من بني كلب[7]. ولعلّهم ذكروا، في ذلك، مثل شيخهم ابي سفيان في تزوّجه بنصرانية[8]، وفي تزويجه ابنته ام حبيبة من احد النصارى[9]. وكان النبي نفسه،

---

١) ابن سعد : الطبقات ٥ : ١٨٦ ؛ ابن قتيبة : المعارف ٥٧

٢) هذا في الرواية اما في الواقع فقد كانت حفصة على وفاق تام مع عائشة ضدّ سائر نساء النبي (راجع *Triumvirat*, p. 121) H. de Bornier, *Mahomet*, II, 4 (٣

٤) يذكر الهمداني (صفة جزيرة العرب، ١٨٠) رجلاً باسم ابن رومانوس من قبيلة كلب، واكثريتها نصرانية. راجع Jos. Horovitz, *op. cit.*, 128

٥) ابن دريد : الاشتقاق ٢٢٨

٦) اسد الغابة ٥ : ٥٨٣ ؛ وفي موضع آخر (اسد الغابة ٥ : ١٠٧) ذكر لعدد من نساء النصارى في اليمن، تزوّجن رجالاً مسلمين في مصر، بعد الفتح بقليل

٧) راجع كتابنا في *Yazīd*، و *Moʿāwia*, 309-312

٨) شيخو : النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية ١٣٠

٩) ابن سعد : الطبقات ٨ : ٦٨ ؛ ابن هشام : السيرة ١٤٢—١٤٤ ؛ ابن قتيبة : المعارف

قبل ان يختار عثمان صهراً له[1] ، قد زفّ احدى بناته الى عُتبة ابن ابي لهب . ولكن هذا الزواج لم ينتج سوى مرارة مؤلمة أثرت بالنبي طويلاً . ولعلّ من آثارها تلك الآيات الشديدة التي خلّدت بالخزي ذكرى ابي لهب . وقد ظلّ الخصام غامض الاسباب، صعب الشرح ، على رغم ما حاوله المفسّرون من شروح وتآويل[2] . اما ما يظهر جليّاً فهو ان عُتبة طلّق ابنة محمد عندما اعتنق النصرانية . وادلى اليه بهذا التصريح الجريء: « يا محمد أشهد أني نصراني قد كفرت بربّك ، وطلّقت ابنتك »[3] . هذا ما نقله صاحب الاغاني . وقد يكون في الحكاية تحامل على أسرة ابي لهب[4] . ولا اعرف سنداً آخر لنصرانية عُتبة . ثم ان زواج بنات محمد ، بل عددهنّ ، عرضة لكثير من الغموض والصعوبات ، وقد حاولنا مناقشة شيء من ذلك في بحثنا عن فاطمة وبنات محمد[5] ، فليعد اليه من يشاء .

على ان هناك رجلاً قرشيّاً لم يشكّ احد بنصرانيته ، هو عثمان بن الحُوَيرث الأسدي . انما يتفق المؤرّخون المكيون على جعله يدين بالنصرانية في أرض الامبراطورية البيزنطية[6] . ولا عجب ، وقد عرفنا نزعتهم الى اقصاء كل من دان بالنصرانية من كبار قريش ، حتى ليجعلون قيصر بيزنطية نفسه يتمّ بيزلاً المتنصرين[7] . وهكذا خرّجوا نصرانية زوجي سودة وام حبيبة اللتين تزوّجها

(الطبعة المصرية ١٤٣) . يقال عن هذا الزوج انه « غرق في الخمر ويقال بل غرق في البحر » (البلاذري : الانساب (مخطوطة باريس) ٣٨٤ وجه) وهل يكون لهذا « الغرق في البحر » من أثر في تكوين اسطورة الهجرة الى الحبشة ؟ — وراجع ، في نصرانيته ، السيرة الحلبية ١ : ٣٥٩ . اما « الغرق في الخمر » فقد قيل عن الاسود وحتى انه مات غرقاً في الخمر (ابن الاثير : النهاية ٣ : ١٥٩)

١) وقد بلغ من حبّ النبي لعثمان انه قال : « لو كان لي اربعون بنتاً زوّجت عثمان واحدة بعد واحدة حتى لا يبقى منهنّ واحدة » (الذهبي : ميزان الاعتدال ٣ : ٣٣٧)

٢) راجع اسد الغابة ٥ : ٤٥٦ ٣) الاغاني ١٥ : ٢ ؛ راجع Fatima, 3

٤) وكثيراً ما تحيّز صاحب الاغاني الى العلويّين ، على خلاف ما يزعم نولدكه ؛ راجع الذهبي : ميزان الاعتدال ٢ : ٢٢٣ ، مستغرباً هذه النزعة في رجل اموي الاصل.

٥) Fatima, 3-12 ٦) اليعقوبي : تاريخه ١ : ٢٦٨

٧) راجع الاغاني ١٣ : ١١٢ . وقابل بحادثة مضحكة في اسد الغابة ٤ : ١٤٣ ، وهي مستوحاة من اسطورة امرئ القيس

النبي بعد ذلك ، فقالوا ان زوجيها الأولين تنصرا في ارض الحبشة[1] . اما عثمان ابن الحُوَيرث فالحق أنه دان بالنصرانية قبل رحيله الى بلاد بيزنطية ، ولا شك ان صفته النصرانية دفعته الى تلك الرحلة ، لاجئاً ، في تحقيق اهدافه ، الى القيصر ، ملاذ نصارى الشرق والمحامي عنهم[2] .

ولنا ما يؤيد أنّ تجار الشام النصارى كانوا يدعون علناً ، في يثرب ، الى ايمانهم ؛ ولا من يمنعهم او يقلقهم في دعوتهم[3] . وليس ما يدلّ على ان وطني ابن جدعان وابي أُحيحة كانوا اقلّ تساهلاً من انصار المدينة . فقد رأينا النبي يختلف الى اماكن النصارى علناً ، ويباحثهم دون ان يعترضه معترض . هذا اذا استثنينا اولئك الذين اشرنا اليهم ، مستندين الى القرآن ، والذين كانوا ينتقدون على صاحب الدين الجديد تقليده ، وايراده «الاساطير» القديمة المعروفة ، ونقله عن الاجانب آيات قرآنه[4] . وقد كان من هؤلاء من يلفت نظر الموحّدين فيصرفهم عن الانخداع باقوال « الغلام » او « الفتى » الداعية الجديد[5] ، مؤيّدين سمو العقائد الانجيلية على ما كان يأتي به من اقوال ، صائحين بعدّاس : « ويحك يا عدّاس ، لا يصرفنك عن دينك . فان دينك خيرٌ من دينه »[6] . كل هذا يجري على غير اهتمام من السراة القرشيين ، ابناء تلك الاريستوقراطية المالية الممثلة «بالملاء» او « دار الندوة » التي لم تتأثر بهذه المشاحنات ، كما انها لم ترَ بأساً بدعوات القس ومواعظهم ، زمن الاسواق المنعقدة حول مدينتهم .

وهناك أسدي قُرشي آخر لا يتردّد المؤرخون لحظة في اقرار نصرانيته ، ولا

---

١) البلاذري : الانساب ١٣٣ وجه ، ١٣٧ قفا ؛ ابن هشام : السيرة ١٤٣-١٤٤ ؛ اسد الغابة ٣ : ١٢١ ، ٥ : ٤٥٧ ، ٥٧٣ ؛ Caetani, *Studi*, III, 14-15 ؛ ابن الاثير : النهاية ٢ : ٢٤٨

٢) في كتابنا عن « مكة قبيل الهجرة » درسنا بتفصيل هذا الامر ، وأبنّا ما كان في جزيرة العرب من تضارب بين السلطات الاجنبية في سبيل التأثير وبسط النفوذ .

٣) اسد الغابة ٥ : ١٧٣ ؛ الواحدي : اسباب النزول ٥٨

٤) القرآن ١٦ [النحل] ١٠٥ ؛ ٢٥ [الفرقان] ٥ . . . وغيرها من الآيات المذكورة في اول هذا المقال ؛ البلاذري : الانساب ٦٤ وجه .

٥) راجع بحثنا *Chronologie de la Sīra*

٦) ابن هشام : السيرة ٢٨٠ ؛ اسد الغابة ٣ : ٢٩٠

يحاولون — كما حاولوا بشأن الأسدي عثمان بن الحويرث — ان يجعلوه متنصراً خارج الجزيرة العربية. هو ورقة بن نوفل الشهير[1]، نسيب خديجة، اولى نساء النبي. ذلك انهم كانوا بحاجة الى هذه الصراحة في اقرار نصرانيته، موافقةً للدور المهمّ الذي اختاروه لتمثيله. فهو يمثل، لدى الاسلام الناشئ، العالم النصراني باجمعه؛ فيقرّ بصحة رسالة محمد[2]، باسم اولئك «الذين أوتوا نصيباً من العلم» على لغة القرآن[3]. ولم يكن من اللائق ان يُعهد بهذا الدور المهم في «دلائل النبوة» الى احد المبتدئين بالنصرانية، او الى من تكون نصرانيتهم عرضةً للشك والتردّد. وهكذا اصبح ورقة يمثل، في عراقة نصرانيته، جمهور اهل الكتاب. اما لماذا فضّله مؤرّخو السيرة على رفيقه المعروف «الحنيف» زيد ابن عمرو، وقد طالما ترددوا بين الرجلين في نسبة الاشعار الحنفية المزعومة[4]، فهو ما لا يتسع بنا المجال لمناقشته[5]. ولا يخفى ان التعابير «نصيب من العلم»، و«نصيب من الكتاب» من خصائص السور المدنية، واذًا فهي ترقى الى ما بعد الهجرة. وحينئذٍ اخذ النبي، في احتكاكه باليهود، يعلن الفرق بين العهد القديم والعهد الجديد، و«نلاهما» «نصيب من الكتاب» الذي يكمّله القرآن، في نظره.

وفي ما سبق، كانت خديجة — التي جعلها الله «وزير صدق» الى جنب محمد في الحالات الصعبة — قد سألت عن الأمر نفسه العبد النصراني عدّاساً[6]. على ان مؤرّخي السيرة خانتهم الذاكرة — او خانت عدّاساً نفسه — فزعموا، عن لسانه، انه لم يعرف النبي الّا في الطائف، بعد ان مرّ على الحادث الاول نحو عشر سنوات. ولا يخفى ان عدّاساً كان من عبيد الأمويين، وكان مقيماً في

١) الطالب ما نُسب اليه من شعر مالى مضطرب Noeldeke, *Beiträge*, 81-83

٢) اسد الغابة ٣: ٢٠٧

٣) او «أوتوا العلم»، او «أوتوا نصيباً من الكتاب» (القرآن ٣ [آل عمران] ٢٢ : ٤ [النساء] ٤٧، ٥٤ ؛ ٢٢ [الحج] ٥٢ ...)

٤) السهودي : الوفاء ٣ : ٢٨٢ ؛ والطالب *Yazid*, 290-291

٥) وقد يكون من اسباب هذا التفضيل القرابة بين خديجة وورقة

٦) البلاذري : الانساب ٦٦ قفا، ٦٧ وجه.

مكة منذ السنين الطوال. فكيف لم يرَ محمدًا ، وقد لهجت به وبتعاليمه مكة بكاملها ، على قول مؤرّخي السيرة انفسهم ؟ وعندما سمع عدّاس محمدًا ، في الطائف ، يذكر اسم يونس ، صاح به بداهةً : « وما يدريك ما يونس ؟ »[1] وهذا دليل على ندور الاسماء الكتابية بين العرب الجاهليين ، حتى اسم اسماعيل جدّهم[2] ، وقد عرف محمد قصّته متأخرًا ، في اثناء حديثه مع الموحّدين[3] . ومهما يكن من صحّة تدخل عدّاس — وهو عبد لا يمثّل الّا فئة منحطة من البشر — فانها لم تكفِ المؤرّخين الرسميين ، فاتجهوا جهة ورقة يضخّمون شخصيته ، ويطوّلون في اسطورته[4] . واذا بجامع الاحاديث القانونية تطلق عليه لقب «القسّ» وتظهره بمظهر العالم المتبحّر المطّلع على دقائق اللاهوت والآداب المتعلّقة بالنصرانية والعلوم الكتابية فتقول : « استحكم في النصرانية ، واتّبع الكتب من اهلها حتى علم علماً من اهل الكتاب »[5] بل انه كان باستطاعته ان يقرأ الكتب بلغتها الاصلية ، اذ كان متضلّعاً من العبرية نفسها[6] . وهكذا نراه يستكمل معدّات النقد الكتابي من لاهوت ، وتفسير ، ومعرفة باللغات والآداب الكتابية ؛ فهو على اتم ما يمكن اضطلاعاً باصول الوحي ، ومن ثمّ ضمانةً لصحّة ما يرى في بعثة محمد . ولم يكن من المعقول ان نرى هذه الثقافة الدينية في عامّة

١) اسد الغابة ٣ : ٢٤٠ . وفيه ان النبي ذكر اسم يحيى مؤكّدًا انه لم يُسمَّ به احد قبل ذاك (في البلاد العربية) ؛ اسد الغابة ٥ : ١٠٠

٢) راجع اسد الغابة ٤ : ٣١١ . اما في المدينة ، ذاك الوسط اليهودي ، فيُذكر عدد من المسمّين بحيى ، اسد الغابة ٥ : ٩٩—١٠١

٣) اطلب Snoucke Hurgronje, *Het Mekkaansche Feest*.

٤) ويقرّ ابن الاثير (النهاية ١ : ٢٦٦) ان هذه الاسطورة مضطربة . راجع نسبه المتقاتل في اسد الغابة ٥ : ٨٨ ، وفيه ذكر لعدة رجال باسم ورقة بن نوفل ، وكلهم من غير المشهورين . بل ان من الرواة من يزعم ان ورقة كان اعمى زمن التنزيل الاول (البخاري (طبعة استانبول) ١ : ٣) ولعلّهم ارادوا بذلك ان يبرّروا تردّده في الالتحاق بالنبي . اطلب Caetani, *Annali*, I, 235, 238, 260

٥) البخاري : الصحيح (طبعة استانبول) ١ : ٢ ؛ ابن هشام : السيرة ٢٤٣ ؛ البلاذري : الانساب ٦ وجه

٦) اسد الغابة ٥ : ٤٢٦ ، وقابل بما في الصحيح في الصفحات المذكورة اعلاه

القرشيين ، حتى في الحنفاء منهم كزيد بن عمرو ، بعد ان جعلتهم السيرة كلهم « أميين » . فوجب اذاً ان يكون ورقة من النصارى ، بل من العريقين بالنصرانية . ولم يكن بالامكان ان يحلّ محلّه احد اولئك المثقفين بالديانة اليهودية لفرط ما اظهروا من الحقد على النبي والنفور من تعاليمه الجديدة ، بشهادة القرآن نفسه .

ولم يكن ورقة من عامة النصارى ، اولئك التجار والمهنة الذين رايناهم[1] يعيشون احراراً في المجتمع المكي ، ولكنهم يظلّون اجانب عن السلطة والسيادة ، لا يستون الّا « بالعلوج » ، ولا يتمكن الكثير منهم من التعبير بالعربية الفصحى[2] . بل كان من قريش « صليبة » ، من رجال الارستوقراطية الذين لهم مركزهم في المجتمع الاعلى ، في « الملاء » ، بفضل كرم محتدهم وشرف حسبهم[3] . كان منهم عثمان بن الحويرث ، وكان منهم ورقة هذا وكلاهما من نسل قُصَيّ ، جدّ الاسر الارستوقراطية في مكة . يظهر ذلك ايضاً من اخبار « السيرة » ، وفيها يكثر ورود اسم ورقة ، يذكره جامع الاخبار كلما امكنهم ذلك ، معظّمين شأنه في اوائل زمن « الوحي » او بعثة محمد . اما عثمان فقد نفعته نصرانيته في الالتجاء الى قيصر ، حتى انه كاد يتسلّط مطلقاً على مقدّرات مدينته ، لولا ما اتّصف به وطنيّوه المكيّون من نزعة اساسية الى الديموقراطية البالغة حدّ الفوضى احياناً . هذه النزعة وحدها ، لا نصرانية ابن الحويرث ، هي التي عملت على اخفاق الرجل في مقاصده[4] .

ومن المفيد ان نذكر ان ابا سفيان ، وهو المعروف بسموّ نظره ورفعة مركزه بين قومه حتى كان « لا يسقط له رأي في الجاهلية » ، لم يتراجع عن اختيار اصهرة واحماء من النصارى . ولقد تبعه محمد نفسه في هذا السبيل ، كما

١) ولنضف اليهم تاجراً كان من موالي الخاضبين ذكره صاحب اسد الغابة ٣ : ٣٩٠–٣٩١ : وزوجتي سودة وام حبيبة اللتين تزوّجها النبي بعد ذلك

٢) راجع ١٠ في القرآن ١٦ [النحل] ٥ ١

٣) ولم ينل الخنيف زيد بن عمرو مثل هذا الشرف لانه كان من فرع بني عدي . وانظر كيف يتخلّص المحدّثون من زيد ورفيقه ورقة عندما تنتهي حاجتهم اليهما Nöldl, 290-291

٤) راجع كتابنا ... *La Mecque*, 270 : ثم *Bercean*, I, 317

قدّمنا . اما ما يلاحظه ولهوسن من انّ « حنفاء » الحجاز يظهرون عطفاً على النصرانية وميلاً اليها اكثر مما يبدون بشأن اليهود [1] ، فلا ارى مندوحة عن القول بعدم قيمته العلمية . لأن كلّ ما عندنا من اسانيد تقليدية عن « الحنفاء » و« الحنيفية » متفرّع رأساً من القرآن[2] . والحال ان النصارى ، في هذا الكتاب ، يظهرون بمظهر افضل بكثير من مظهر اليهود ، اولئك « المغضوب عليهم » .[3] ولم يكن بوسع كتب « الصحيح » الّا ان تؤيد هذا التفضيل الذي يوليه « الحنفاء » الدين النصراني . ولا شكّ في اننا نجتنب كثيراً من الأخطاء والأوهام ، لو انتبهنا دائماً لاصل « السيرة » الجوهري ، الا وهو القرآن .

٣

كان بنو اسد اقرب الأسر القرشية الى النصرانية والدائنين بها . فاليهم كان ينتسب مَن رأينا من النصارى في هيئة المجلس الأعلى ، او « الملاء » الساهر على مقدّرات مكة . وكان غير واحد من مواليهم يشاطرهم في هذه المعتقدات . و « مولى القوم منهم » بل « من أنفسهم » كما يقول المثل القديم[4] . وكثيراً ما طُبّق هذا المثل حتى بشأن العقائد الدينية . وفوق ذلك ، نرى الأسديين — وقد ظهروا اقرب من سائر وطنيهم الى التأثر بالمؤثرات الدينية — يمنحون لقب « الأحلاف »[5] لعدد من نصارى غسّان[6] . واذا ذكرنا ان الاجانب عن مكة كانوا ينزلون غالباً في الضواحي والاحياء البعيدة ، في « ظواهر » المدينة ، كما

---

١) Rizk, 331 — وهناك امر « حنفاء » أطلق على اخت لمالك ، وابنة له ايضاً (اليعقوبي : التاريخ ١ : ٢٧٩ ، ٢٩٣) ، وأيضاً لرجل في مكة رحل من الموحدين (الكتاب نفسه ٢ : ٦ ، ١٤)

٢) راجع بحثنا Caetani, *Annali*, I, 182... ; *Coran et Traditions*

٣) كما في السورة الاولى « الفاتحة » من القرآن . ولم يظهر النصارى نحو المسلمين شيئاً من بغض اليهود وحقدهم . وقد جاء في السورة ٥ [المائدة] ٨٥ : « لتجدنّ اشدّ الناس عداوةً للذين آمنوا اليهود ، والذين اشركوا . ولتجدنّ اقربهم مودّةً للذين آمنوا الذين قالوا إنّا نصارى ذلك بان منهم قسّيسين ورهباناً وانهم لا يستكبرون »

٤) اسد الغابة ٥ : ٤٣٥ ٥) الازرقي (Wüstenfeld) ٤٦٦

٦) ورد في اسد الغابة ٥ : ١٥ ذكر صحابي غساني يكنى بابي مريم ، واذاً فهو نصراني . ولكن المصدر لا يذكر هل صحب النبي في مكة ام بعد الهجرة

كان يُقال ؛ او في « الشعاب » او الاودية المنفرجة المستديرة بالبلدة . فينصبون فيها خيامهم[1] ، من اغصان او من قماش ، حول الكهوف والمغاور ، و«السقائف» التي كان يتقلّب فيها ، بعضهم فوق بعض ، رجال السودان ، والعبيد ، وباعة الخمر ، وبنات اللهو[2] ، والكثير من بدو تهامة ، وابناء الأزد الجبليين[3] ، من اولئك الذين كانوا ينتظرون فرصةً سانحة ليزجروا سراة مكة قوة سواعدهم ، ونصال سيوفهم . واذا عرفنا ان الغساسنة النصارى ، « احلاف » الاسديين ، كانوا ينزلون في « البطحاء » او « الاباطح » اي في قلب المدينة ، منزل الأسر الكريمة ، وانهم كانوا يقيمون في جوار الكعبة ، في اقدس بقعة من مكة[4] ؛ ادركنا ايّ تأثير كان لهم ، وباية عناية كا يحيطهم ابناء مكة . ولا شك في ان نفوذ الدولة الغسّانية كان يؤثر في ارباب المتاجر المكيّة ، فيدركون ما يستفيدونه من محاسنة رعايا آل جفنة[5] . وان يكن الشعراء يبالغون عندما يلقّبون هؤلاء الامراء « ملوك الشام » ، فليس من شكّ في انهم كانوا ذوي تأثير بليغ بسهرهم على الحدود البيزنطية ، وحفظهم للدروب النافذة الى بلاد الروم ، فراقبتهم جميع القوافل في الذهاب والاياب . وهو أمر لم يكن ليخفى على دهاء القرشيين ، ارباب الأمر والنهي في تلك الجمهورية التجارية .

ولم يكن في ذاك العهد أثر لفكرة النجس الناتج من وجود رجل غريب الدين في منطقة موقوفة على دين آخر . انما كان العرب على كثير من التساهل ، بل على كثير من عدم الاهتمام بكل ما من شأنه احتكار الفكرة الوطنية

---

١) وكثيراً ما ذُكرت «خيام التجار» ، اسد الغابة ١ : ٢٨١ ؛ ابن هشام : السيرة ٧٧١

٢) اسد الغابة ٥ : ٢٨٩ . وقابل بهذا النصّ في ما خصّ المدينة : « سقيفة طويلة فيها بغايا » (السمهودي : الوفاء ١ : ١١٣)

٣) وكان يسكنها ايضاً بعض القرشيين من الطبقة الدنيا في المجتمع ، وهم الذين يدعون « قريش الظواهر » او « قريش الضواحي » . راجع ابن الاثير : النهاية ٣ : ٤٤ ، ٥٤

٤) مسجد الحرام ، الازرقي ٤٥٨ ، ٤٦٠ . وكان المجال ضيّقاً حتى ان البيوت كانت تزدحم بعضها فوق بعض وتقترب شيئاً فشيئاً ، فتضيّق « فناء » الكعبة .

٥) كانوا في الحجاز يجابون هذه الدولة ؛ ابن الاثير : النهاية ٤ : ١٥٨ ؛ البخاري : الصحيح (طبعة استانبول) ٢ : ٢٧ ؛ ابن هشام : السيرة ٩١١

القومية او العاطفة الدينية[1]. ولا يمكن ان يُدلّ دلالة واضحة على التعصب الجنسي والديني بين العرب ، الّا بعد انتشار مذاهب التفسير القرآني[2] ، وعمل ائمة التحليل والتحريم المثقفين على طريقة ارباب التلمود. اما في ذاك العهد القديم فلم يكن من النادر ان نرى من « احلاف » ابناء قُصي مَن يدخلون دار النَدوة[3] ، على كونهم غرباء عن قريش[4] ، فيتمتعون بحقوق القُرَشيين ويجلسون الى جنب شيوخ مكة. وفي كل ذلك من رحابة الصدر ، وسعة العقل ، والتساهل الديني في وطني محمد المشركين ما ظهر شيء من اثره في بعض السور المكية القديمة.

وكان من اعمال القرشيين انهم أسرعوا الى استقبال الموحدين الهاربين من المدينة. ففتحوا مداخل جيشهم ، في وقعة أُحد ، امام ابي عامر الراهب ورفاقه من نصارى يثرب[5]. ولا يخفى ما في هذه المعلومات من دلالة على الميل الى النصارى سواء أكانوا اجانب ام قُرشيين. ذاك ان الانجيل لا يفرض على اتباعه شيئاً من التميّز عن وطنييهم او الانفصال عنهم في طرق معيشتهم ، كما نرى عند اليهود المقيّدين باحكام التلمود الصارمة في ما يخصّ الطهارة والنجاسة ، والمزهوّين بسموّهم على « الأُميين » ، ابناء القبائل غير اليهودية التي كانوا يعدّونها اجنبية عنهم. فلا يرون حقاً عليهم لاحد افرادها ، على نحو ما جاء عنهم في القرآن : « ذلك بأنهم قالوا : ليس علينا في الأُميين سبيل »[6]. وقد يُكرهون على تأدية هذا الحق للأُمي فيؤدّونه ما دام صاحبه قوياً على المطالبة به. وهذا قول القرآن : « ومن اهل الكتاب . . . من إن تأمنه بدينار لا يؤدّه اليك الّا ما دُمتَ عليه قائماً »[7]. وكم كان الفرق جلياً بين هؤلاء المقيّدين باحكام التلمود الصارمة ،

١) وكذلك القول عن بغض الاجنبي ، بالمعنى السياسي ، فهو لا يرقى الى ما قبل زمن الخلافة. راجع Yazīd, 304 ٢) القرآن ٩ [التوبة] ٢٨ ؛ وراجع Mo'āwia, 401

٣) الازرقي ٤٦٥ . وهناك ذكر لبعض احلاف قريش الاجانب يصبح لهم حقوق القرشيين انفسهم ؛ الجاحظ ، الرسائل ٦ . وقد درسنا هذا الامر في كتابنا Ṭāif, 121...

٤) ومنهم غاسلة من « احلاف » الامويين (الازرقي ٤٥٨ ، ٤٦٠)

٥) ابن هشام : السيرة ٥٦١—٥٦٢

٦) القرآن ٣ [آل عمران] ٦٩ . ٧) القرآن ٣ [آل عمران] ٦٨

المنفصلين عن جمهور العرب ، المترفعين عليهم بتشريعهم الديني والمدني الخاصّ ، الفائزين ، مقابل ذلك ، بازدراء البدو هواة التساهل والتفلّت من القيود ، وبين اولئك النصارى الذين لم يكن دينهم يفرق معيشتهم عن عيشة سائر العرب ، فلا يصرفهم عن حياة القبيلة العامّة ، ولا يفرض عليهم تشريعاً خاصاً مختلفاً عن تشريع الجدّ تُصي ، وبالتالي لا يدفعهم الى جحود شيء من القومية العربية ، كما كان الحال مع اليهود[1].

* * *

بيد ان هناك مشكلة دقيقة قد تتعارض ظاهرًا وما بسطناه من تساهل العرب وميلهم عن التعصّب في ما خصّ الشؤون الدينية. الا وهي تلك المقاومة العنيفة التي قاوم بها القرشيون ابن وطنهم محمدًا. فكيف التوفيق بين الامرين؟ ذلك ان الداعية الجديد لم يختصّ بدعوة دينية محضة ، بل كان يرمي ، كما يقول مناوئوه ، الى اهداف اجتماعية كان من شأنها تلقلة النظام السائد اذ ذاك و«تفريق الجماعة» على قولهم[2]. ولم تكن تهمة كهذه ألصقت باحد من النصارى، ولا من دعاة النصرانية ، قبل ذلك العهد . بل ان كثيرًا من النصارى كانوا ، في تساهلهم العجيب ، يوفّقون بين عقائدهم التوحيدية ، وإكرام الكعبة وغيرها من اماكن العبادة الوثنية[3]. وهؤلاء شعراؤهم يحلفون بالله ، وباللات ، وبالأنصاب ، وبالبيت الحرام ، دون تردّد[4]. وهذه جماهيرهم تحجّ الى مكة ومنى وسائر المواسم والمناسك. وهنا لا بدّ من درس هاتين اللفظتين واقرار ما بينهما من صلة. فان «الموسم» كان يشمل اعمال السوق التجارية خاصّة ، بينما كان «المنسك» يختصّ بشؤون العبادة. وكان الأمران يتوافقان ويجريان معاً كما في

١) راجع بحثنا *Les Juifs à la Mecque*

٢) ابن هشام : السيرة ٢٢٥ ؛ راجع *Mahomet fut-il sincère ?*, 128

٣) اطلب Snouck Hurgronje, ؛ Welhausen, *Reste*, 78 ؛ *Mo'āwia*, 403-404 *Fleischer*, 28, n. 2 . وكان نصارى العرب يحلون صلبانًا من الذهب ؛ ابن الاثير : النهاية ٤ : ١٩٤ ، وراجع *Chantre des Omiades*, 14-15

٤) كالمتلمّس ، وطرفة في شعراء النصرانية ٢١٦ . واطلب في *Mo'āwia*, 456 ملاحظتنا بشأن دين الشعراء الجاهليين

عكاظ[1] ، وذي المجاز ، ومنى . ولم يكن حضور الموسم يفرض ضرورة الاشتراك في العبادة. ولا شك في ان المصالح التجارية جرّت نصارى مكة، مقيمين ومارّين، الى عَرَفَة ومنى. ولكن ليس لنا ما يدلّ على انهم كانوا يشتركون في الذبائح الدينية، او في الطواف حول الحجر المؤلّه، في «مشاعر» تهامة «ومساجدها»، وفي « العُمرة » المكية. ومهما يكن من أمر فان تحريم الاشتراك في القُدسيّات لم يكن أقرّ بعد بالدقة والصرامة اللتين نعرفهما اليوم. بل ان النصارى من البدو لا يظهرون على شيء من الاهتمام بهذا التحريم. ولا يخفى انهم كانوا ينتسبون الى كثير من الفِرق والبِدَع المنفصلة المتفرّعة عن المذاهب النصرانية الشرقية[2] حتى لا نعرف بينهم جماعة كاثوليكية صحيحة المعتقد . وكانوا يضيفون الى تفرّقهم المذهبي تبدّدهم في اطراف الجزيرة ، في اماكن بعيدة كلّها عن المركز الكنسي الثابت ، وعن النظام الاكليريكي المقرّر ، ومن ثمّ فقد كان من الصعب على رجال الدين ان يراقبوا سلامة العقائد الايمانية ، ويسهروا على تطبيق القوانين البيعية. وهو ما يشرح نوعاً ما عدم مقاومة النصارى للدين الجديد.

يظهر ان الكعبة ظلّت ، حتى عهد النبي ، لا تنتمي الى اله معروف ، فلا تحمل اسماً خاصاً. اما ما ذكره ولهوسن من انها كانت تنتمي الى هُبَل — وهو اله شمالي الأصل لا يُذكر الا في انساب الكلبيين[3] — فلا سند له يقوى على النقد المعقول. ونحن لا نرى اثراً لهُبل في اسم واحد من اعلام الاشخاص المضافة الى اسماء الآلهة ، خلافاً لما تتحقّقه بشأن المثلّث القرشي: اللات ، والعزّى ، ومناة. ولهذا قد يكون في قول البلاذري ما يُرجّح نسبة الهيكل الى مناة « اعظم اصنامهم عندهم»[4]. على اننا لا نجزم بشيء. ولم تكن التحرّيات القديمة والابحاث

١) كان فيها منسك ايضاً كما في سائر الاسواق الجاهلية . وكان من مرتادي عكاظ الغساسنة (ابن سعد : الطبقات ١ : ١٤٥)

٢) يذكر الاغاني (١٦ : ٧٣) ان احباش اليمن يدعون المسيح « نبيّهم » . وتشير السيرة الحلبية (١ : ١٤٤) الى بدعة نصرانية اسمها « الاسرائيلية » كانت تؤلّه مريم العذراء.

٣) اسد الغابة ٤ : ٢٠٧

٤) البلاذري : الانساب ٢٢ وجه . خلافاً لما يزعم ابن سعد : الطبقات ٢ : ١٠٥ ، اذ ينسب الكعبة الى عُزّى ناسياً انه سبق فنسبها (ص ٩٩ من المجلّد نفسه) الى هُبَل

المستطيلة لتكشف عن العلَم الخاصّ بالكعبة ، عن شخصية ذاك الإله الذي طالما دعاه العرب « بربّ البيت » و « ربّ مكة » فحلفوا به في شعرهم ، حتى النصارى منهم ، جامعين بينه وبين الله والصليب[1] . ومن الضروري ان ننتبه لما قد يكون في هذه الأيام من اعمال التحريف والتصحيف والوضع يقوم بها طلّاب الغريب والنوادر ، او « علماء » الشعر في العصر العباسي[2] . ولا يبالغ الناقد مهما ينسب الى هؤلاء من اعمال النحل والوضع والكذب في ذاك العصر الوافر الخصب بالآثار الادبية ، والقليل الامانة والتحرّج . فلنحذر السير واثقين بين هذه المتاهات والمزالق ، ولننتبه دائماً لغاية اقرار السيطرة القرشية التي اصبحت شيئاً فشيئاً عقيدةً قوميّةً سامية فرضت ارادتها على مظاهر الحياة العقليّة ، مبرّرةً جميع الوسائط في سبيل الوصول الى الهدف وتأسيس الخلافة العربية على أُسس اصيلة دينيًّا وتاريخيًّا[3] . هذه العقيدة دفعت جمّاع الاحاديث ، ورواة الحوادث التاريخية ، الى ان جعلوا من الكعبة هيكلاً وطنيًّا يجمع حوله وفود العرب من انحاء الجزيرة كلها . فرأينا القبائل ، حتى ابعدها منازل عن الحجاز ، تأتي مكة في المواسم فتقرّ ضمنيًّا او صراحة بسيادة اربابها من القرشيين . بل لم يتراجع المؤرّخون عن ان يجعلوا بين تلك الوفود ابناء تغلب النصارى يأتون من اقاصي ما بين النهرين[4] . ويستفيد الواضعون من هذا الزعم فيتخيّلون فروضاً وتحريمات تُسنّ على التغلبيين ، وهي في الحقيقة من آثار تسلّط العباسيين وتعصّبهم[5] .

ومهما يكن من تساهل العرب وعدم تقيّدهم بالدين الواحد ، فانه يصعب

---

١) الاغاني ٢ : ٢٤ ؛ وقابل بها في Mo'awia, 403-404 ؛ Weihausen, Reste, 87 ؛ المشرق ١٦ [١٩١٣] ٦٧٨ ، ٦٧٩ ؛ Snouck Hurgronje, Feest, 28, n. 2 . وهناك حتى الصحابة يحلفون بآلهة القرشيين ؛ ابو داود : السنن ٢ : ٤٥ ؛ النسائي ٢ : ١٤٠ .

٢) كما في شعراء النصرانية ٢٧١ .

٣) اطلب Yazid. 38...

٤) في جغرافية ابن الفقيه ، ١٩ ، ذكر لاحد ملوك الحيرة النصارى بنصب الكعبة . وهناك ملك لحمي آخر يُرسل ابناء بكر وتغلب يجدّدون اتفاقهم في الكعبة (الاغاني ٩ : ١٧٨) . وفي كل ذاك اثر الترعة نفسها . قابل بها في Mo'awia, 397-399 ; Bercaw, I, 320, n. 2

٥) اطلب اقرار الذهبي : ميزان الاعتدال ٢ : ١١٣

علينا ان نقدر مـا دفع شاعرًا نصرانيًا كعديّ بن زيد ، الحيري الأصل ، والملحق بديوان كسرى في المدائن ، الى القسم « بربّ مكة » الى جنب الصليب[1]؛ لولا ما نعرف من هذه النزعة القومية العبّاسية ، الرامية كما قدّمنا ، الى اقرار سيادة الهيكل الوطني وشموله انحاء الجزيرة العربية بكاملها.

في سبيل هذه الغاية ، كان المحدّثون والمؤرّخون لا يتراجعون امام شيء مهما يكن من عظم وضعه وفظاعة تزويره. وهذا ابن اسحق ، مؤلّف سيرة الرسول لم يكن يرى اثمًا في «اعطائه الشعراء الاحاديث يقولون عليها الشعر»[2]. كما يذكر الذهبي الذي لم يتمالك ان حكم عليه حكمًا صارمًا ، فقال: « وهو صالح الحديث ما له عندي ذنب الّا ما قد حشا في السيرة من الاشياء المنكرة المتقطعة والاشعار المكذوبة. »[3] وكفى بذلك ذنبًا شنيعًا ! وقد انتبه ابن هشام ، وهو اقرب الى الامانة من سالفه ، الى هذه المدسوسات ، فاشار الى بعضها بلطف ، وانكر البعض الآخر بصراحة. وكان من المفترين مَن « ذكر انه يحفظ خمسين الف بيت من الشعر شواهد للقرآن » (كذا) . فهل نؤخذ بهذا القول ، فنظهر اقلّ حذرًا ونقدًا للحقائق من الذهبي الذي ، بعد ان ذكر الأمر ، زاد بلهجة الشاك: « فالله أعلم ! »[4]

اما وقد وقفنا على هذه الآراء في « الامانة الادبية » ، وعلى هذه الاساليب في تأدية الرسالة العلمية حتى في ما خصّ تاريخ النبي نفسه ، فاصبح من السهل علينا ان نتصوّر ما كان يمكن ان يأتيه النحويّون ، واللغويون وطلّاب الغريب والنوادر — وكلّهم يتراشقون تهمة النحل والوضع والكذب ! [5] — من تصحيف

---

١) في قوله (الاغاني ٢ : ٢٤) :

سمى الاعداء لا يألون شرًّا عليك ، وربّ مكّة ، والصليب !

والطلب ايضًا *Yazīd* في المحلّ المذكور ؛ وحماسة البحتري (طبعة شيخو) عدد ٢٢٧ . ويمكن الّا يكون المذكور فيها اله مكة .

٢) الذهبي : ميزان الاعتدال ٣ : ٢٢

٣) الذهبي : ميزان الاعتدال ٣ : ٢١

٤) الذهبي : ميزان الاعتدال ٣ : ١٨

٥) راجع ابا زيد : النوادر (طبعة بيروت) ٥٨

وتحريف وتزوير في الآثار الشعرية القديمة ، ومنها منظومات شعراء النصرانية .

فان كان، والحالة هذه ، من قيمة تاريخية لهذه الآثار، لشعر عديّ بن زيد وشعر زملائه النصارى في العصر الجاهلي ، فانها تدلّنا بعض الدلالة على ان ربّ البيت ، او رب مكة ، او اله الكعبة غير المسمّى، يجب ان يكون هو«الله» ، ذاك الاله « الأكبر » الذي يحلف به كل شعراء الجاهلية على السواء . واذاً فيكون النصارى منهم في حِلّ من الإشراك ، اذ كانوا يكتفون بالترفّع عن القيام بالطقوس الوثنية[1] . هذا موقف مؤرّخي السيرة في اهتمامهم بشأن «الحنفيين» وتخليصهم من الشرك ، على تعلّقهم بديانة الكعبة . ولماذا لا يكون موقف النصارى مشابهاً له بالنظر الى هيكل مكة نفسه ؟

هذا ولم يكن من إحراج في شأن الدين . فان النظام القُرشي، والساهرين على تنفيذه من اعضاء « الملأ » ، كان من ابغض الامور لديهم التدخّل في معتقدات الناس او الضغط على آراء الغير . ذلك ان العربي ، اذا ما تُرك لطبيعته ، كان اقرب ما يكون الى التساهل ، متخذاً شعاره ، قبل زمن القرآن ، أنْ « لا إكراه في الدين»[2]، متوصلاً الى قمة هذا التساهل بفضل نزعته الخاصّة ، وما فُطر عليه من عدم مبالاة وقلة تقوى . فهو لم يبذل جهداً في هذا السبيل فلم يستحقّ فضلاً كذلك !

وكان فهمه «للدين» يخالف شيئاً ما نعرفه به اليوم . لم يميّز تمييزاً واضحاً بين الاخلاق والعادات وبين ما يدعوه « ديناً » ، مكتفياً من هذا بصفته القومية او القبيلية الخاصّة، معتبراً انه إرث او «وصيّة»[3] عن جدّ القبيلة . ومن ثمّ فان القيام بالعبادة في القبيلة الواحدة يمكن ان يشمل جميع ابنائها على السواء . ولا يخفى ان هذه « الوصية » الدينية المتداوَلة عن الجدّ الأول كانت تحتوي خاصّة على النصائح و « الوصايا » الخلقية او الادبية ، غير مهتمّة بالاعتبارات اللاهوتية .

---

١) اما في شعر الاخطل وامثاله ، فالأيمان لا تعدو القوالب التعبيرية ، راجع *Mo'awia*, 404 والاغاني ٧ : ١٧٣

٢) القرآن ٢ [البقرة] ٢٥٧

٣) وقد درسنا هذه الوصية ومضامينها بشيء من التفصيل في بحثنا : « الثأر عند العرب وصفته الدينية » في المشرق ٣٣ [١٩٣٥] ١–٢١ ، ٤٢٨–٤٤٥ ، ٥٥٧–٥٧٤

وكان كل شيخ ، اذا شعر بدنوّ اجله، استدعى ابناءه وحفدته — كما فعل يعقوب في العهد القديم — وذكّرهم بوصية الاجداد ، « عازماً » عليهم او « مناشدًا » اياهم ، بالّا يهملوا الوصيّة.

وهذا ما يفيدنا لماذا لم يكن للعربي هياكل سويّة. انما كان يكتفي عادةً بالخيمة او المضرب ، مجتمع الأسرة ، وقد دعاه فيما بعد « مجلس القوم » او « مسجد القوم »[1] تجتمع فيه شيوخ القبيلة ووجهاؤها. وفيه تُقام شعائر ذاك الدين البسيطة . الّا في احوال قليلة كان يوضع فيها الحجر المؤلّه في حلقة معروفة « بالمشمر الحرام » فيطوف حوله المؤمنون. وكان على من رغب في دخول ذاك « المسجد » او « المجلس » ان يكون منتسباً الى القبيلة إما بالدم او بالولاء. وهكذا فان العربي الجاهلي لم يتصوّر ديناً انسانيًّا شاملًا ، بل انه لم يتصوّر ديناً اقليميًّا يتجاوز حدود القبيلة المتفرّعة عن جدّ واحد.

ولقد كان محمد ، على الراجح ، اول من فكّر بين ابناء الجزيرة — في « عهده » بالمدينة ، ثم في السور المستطيلة المتأخرة عن الهجرة — بان يرمي الى اقرار اخوّة دينية او وحدة ايمانية لا تستند الى القرابة الدموية. فكّر بهذا المبدأ دون ان يستنتج كل ما فيه من نتائج خصبة. وذلك ان فكرة « الإسلام دين عالمي »[2] لم ترقَ الى ما قبل عهد الخلافة ، محتكّة بما في الديانات التوحيدية من مبادىء هائلة ، مستفيدة من تقدّم النظريات القومية المتسلّطة التي كانت ترمي الى اظهار العرب مظهر الشعب الخاصّ الذي اختاره الله وريثاً روحيًّا لأمم الأرض جمعاء.[3] وكأن ارباب هذه النظرية المكتسحة كانوا يرمون الى تحقيق ما ورد في

---

١) راجع ، بشأن الترادف بين « مجلس » و« مسجد » بحثنا في *Ziād ibn Abīhi*, 89

٢) اطلب Snouck Hurgronje, *Mohammedanism*, 45-46 ؛ ثم *Ṭāif*, 8, 161

٣) وهو ما اشار اليه ڤولتير في روايته « محمد »، قال :

Chaque peuple à son tour a brillé sur la terre,
Par les lois, par les arts et surtout par la guerre.
Le temps de l'Arabie est à la fin venu.
Ce peuple généreux, trop longtemps inconnu,
Laissait dans ses déserts ensevelir sa gloire. (Voltaire, *Mahomet*, II, 5)

القرآن من وعد صريح للعرب في القول عن الله: « وهو الذي جعلكم خلائفَ في الأرض»[1].

ولم يكن معاصرو النبي، المتصفون، كسائر العرب، بضيق الافق، والتقيّد بالحدود القريبة، لتنبسط تصوّراتهم الى دين لا يكون قومياً بادياً خاصاً ضمن التقاليد المتوارثة عن جدّهم قُصَيّ، وكثيراً ما عبّروا عن هذه التقاليد بقولهم: « دين قُصَيّ ». ولا يخفى ان هذه المبادىء تحول دون نشر الدعوة خارج البيئة القُرَشية. واذاً فلم يكن لهم كبير فضل في التساهل، اذا ما قالوا لأحلافهم او ضيوفهم من النصارى — وقد ذُكرت الديانات — ما كان يقوله محمد نفسه، في بدء بعثته، لمخالفيه ومناقشيه: « لكم دينكم ولي ديني »[2]

* * *

وها اننا وصلنا الى ختام هذا البحث الطويل المملّ. وكأننا لم نتقدّم خطوةً واحدة. فبعد ان استوضحنا النصوص المتفرّقة في روايات « السيرة »، وكتب « الصحيح »، ومجاميع « المُسند » و« السنن » واختلافاتها، وبعد ان قلّبنا الوثائق المتعدّدة، والاسانيد المختلفة القيم، في التاريخ الإسلامي القديم، نرانا مضطرّين الى القول، خلافاً لزعم ولهوسن، ان الديانة النصرانية لم يكن بامكانها ان تؤثّر اثراً عقائدياً مهماً في الإسلام الناشىء، مدة العشر السنوات السابقة للهجرة. وهي المدة الوحيدة التي تهمّنا. اما في الحقبة التالية للهجرة فليس من شكّ في اثر الدين اليهودي.

لقد جهلنا كلّ شيء عن طفولية محمد ونشأته الاولى، الّا اشارات خفيفة وتلميحات في سورة « الضحى »، يستنتج منها انه كان يتيماً فقيراً[3]. وكذلك نجهل هل قام هذا الناشىء اليتيم باسفار ورحلات قادته الى ما وراء الحدود

١) القرآن ٦ [الانعام] ١٦٥؛ ١٠ [يونس] ١٥، ٧٤؛ ٣٥ [الملائكة] ٣٩؛ وقابل بما في القرآن ٢ [البقرة] ١٤٣: « وكذلك جعلناكم أمّةً وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً ».

٢) القرآن ١٠٩ [الكافرين] ٦

٣) القرآن ٩٣ [الضحى] ٦–٨: « ألم يجدك يتيماً فآوى. ووجدك ضالاً فهدى. ووجدك عائلاً فاغنى ».

العربية ، وهـل تيسر له ، في اثناء هذه الرحلات ـــ التي لا ننفي امكانها الكثير الاحتمال [1] ـــ ان يتصل اتصالاً وثيقاً ببعض النصارى الشرقيين ؟ بيد اننا استفدنا مما رأيناه عرضاً في تلك الشروح المتضخمة حول « السيرة » من انه لم يكن من يُمثل النصرانية في مكة ، قبل الهجرة ، تمثيلاً لائقاً لا من حيث العـدد ، ولا من حيث المركز الاجتماعي والثقافة العقلية . فلم نتمكّن ، من خلال تلك المعلومات المتفرّقة ، المضطربة حتى التناقض ، المشوّهة بنزعات الرواة والمؤرّخين ، من ان نقف على اثر واحد لنظام كنسي مقرّر ، بـل لجماعة نصرانية منظّمة بين اولئك الباعة والتجّار ، روّاد متاجر مكة واسواق تهامة . اما الاساقفة والرهبان والقسيسون والشمامسة وسائر رجال الاكليروس المذكورون في تلك الاحاديث فهم اقرب الى اشخاص القصص والنوادر المخترعة في سبيل ايلاء الحـادثة حياةً زائفة وقتية ، منهم الى الحقيقة التاريخية . ولا غاية من ذكرهم ، في اعلاء مرتبتهم الرسمية واقرارهم في مراتب النظام الاكليريكي ، الّا تعديل شهاداتهم المزعومة بصحة الدين الجديد ، وحقيقة بعثة محمد . فلنحذر استخدام هذه المواد الموضوعة في سبيل غاية متأخرة .

واذاً فلم يكن من جماعة نصرانية وطنية في مكة . الّا ما تحققناه من وجود بضعة نصارى لا يشكّ في شخصيتهم . وقد لا يتجاوزون العشرة من القرشيين الصميمين . يُضاف اليهم بعض «الاحلاف» الملتحقين بالاسر المكية . عـلى ان هناك كثيراً من العبيد ، والمغامرين ، والصعاليك ، وباعة الخمر ، والتجار ، كانوا يمرّون بمكة وجوارها فيقيمون مدّة عقد الاسواق ، او يدخلون مأجورين في الجيش المكي ، او يقومون ببعض المهن البسيطة ، وهم على الغالب من الاحباش ينتمون الى دين خليط من النصرانية واليهودية الحبشية ، يدينون به منفردين ، لا تجمعهم سلطة دينية ، ولا تشرف على حياتهم وسلوكهم ادارة قانونية ، منفصلين بعضهم عن بعض بفروق اللهجات ، وتدابر المصالح والمنافع ، وتنابـذ الانساب ، وتباغض البدع والانشقاقات العقائدية التي كانت تقسم

١) والتي تبسّط في ذكرها واضعو اخبار الرسول كابن اسحق ، وابن هشام ، وابن سعد .

الكنيسة الشرقية، حين كان الامبراطور هرقل يحامي عن بدعة المشيئة الواحدة. وانه لمن الصعب ان نتصور نصارى السوريين-البيزنطيين يختلطون برفاق بلال، ووحشي، وابي رُوَيحة وسائر الاجلاف من الحبش الذين كانوا يأهلون اكواخ « الظواهر » وكهوفها وسقائفها.

وليس في هذه البينات المختلطة، الجاهلة، ما كان يفيد محمداً معلومات واضحة دقيقة عن النصرانية. يؤيد هذا ما نراه من الغموض والتردّد في المعلومات المسيحية البادية في السور المكية. اما في يثرب فقد اصطدم بمقاومة ابناء اسرائيل. وسرعان ما شعر بعدم اتفاقه مع النصارى واليهود. فاخذ يرمي الى إقرار دين ابراهيم، والد اسماعيل جدّ العرب، ومؤسس الكعبة، الذي « لم يكن يهودياً، ولا نصرانياً، بل حنيفاً مسلماً، وما كان من المشركين. »[1] وهكذا، بعد ان اخطأ اليهود والنصارى، ابناء الشريعة القديمة والوحي السابق، يتّجه الله نحو العرب «فيجعلهم امّةً وسطاً ليكونوا شهداء على الناس.»[2] وهكذا، كما ابنّا في بحث سابق[3]، يتحوّل الدين الموسوي — لا النصراني — الى شريعة جديدة في سبيل حاجة العرب.[4]

١) القرآن ٢ [البقرة] ١٣٦، ١٣٤ — وفي ابن هشام: السيرة ٢٨٤، ان نصارى نجران كانوا يقولون بنصرانية ابراهيم. وهو أمر ضروري لشرح الآيات المذكورة.

٢) القرآن ٢ [البقرة] ١٣٧

٣) راجع *Adaptation*, 186

٤) او كما يقول رينان: « الى نشرة عن اليهودية مالجة وفقاً لذوق العرب » Renan, *Marc-Aurèle*, 693

مطبوعات شرقية جديدة

L. FANFANI, O. P., **De jure parochorum ad normam Codicis Juris Canonici.** 2e édition révisée et augmentée. In-8°, XXIV+562 pp., Turin, Marietti, 1936. Prix : Liv. ital. 20

في حقوق خوري الرعية وواجباته

يرى الخوري في هذا الكتاب مجموعة حقوقه وواجباته على اسلوب واضح قريب المتناول . فلا عجب ان يكون نال رواجاً دفع صاحبه الى اعادة طبعه منقحاً ومزيداً عليه . وقد اعاد النظر خصوصاً في ما يتعلق بتنقلات الخوارنة ، واستعفائهم ، وفصلهم . وكذلك زاد الكتاب تدقيقاً بشأن الإكليل والجنّاز وغير ذلك من شؤون الرعيّة ، وما يحقّ للخوري لقاء قيامه بهذه المراسيم.

وفي الكتاب جدول ابجدي عامّ ومجموعة لجميع الصلوات المرعيّة في الخورنيّات . كل ذلك بطبع متقن وحرف واضح. ج.ل.

JOSEPHUS GREDT, O.S.B., **Elementa Philosophiae Aristotelico-thomisticae.** vol. I. Logica, Philosophia naturalis. Ed. 7a recognita. Freiburg im Brisgau, Herder, 1937. Prix : 6,40 M.

مبادئ الفلسفة بالاستناد الى ارسطو والقديس توما : الجزء الاول

هي الطبعة السابعة للجزء الاول من هذا الكتاب المهمّ . ولم يُدفع المؤلّف الى تحوير شيء مهمّ فيها الّا تنقيح بعض الدقائق الثنوية في سبيل زيادة الإيضاح ، وسهولة الانشاء. وقد تبع ، في ما خصّ ترتيب المراد ، اسلوب ارسطاطاليس والقديس توما ، بادئاً بالفلسفة الطبيعية ، ممهّداً بها للبحث في ما وراء الطبيعة . ولا يخفى ان درس الكائن الحيّ المتحرّك يقودنا الى مدلولات الفعل والقوّة ، فالى مدلول العلّة التي تنال سعة جلائها في درس ما وراء الطبيعة . وعليه فكان لنا ، في هذا المجلّد الاول ، بعد درس المنطق ، بحثٌ تامّ شامل في الكائن المتحرّك (علم الكون وعلم النفس) . ولم يفت المؤلّف ان يستفيد

من الابحاث العصرية والمكتشفات الحديثة ولا سيما في ما خصّ الاحساس ومظاهر علم النفس ، فاتى كتابه من أجلّ ادوات الدرس ي.ك.

M. T.-C. Penido, La conscience religieuse. [*Cours et Documents de Philosophie*] In-8°, 252 pp. Paris, Pierre Téqui.

الضمير الديني

اصل هـذا الكتاب سلسلة دروس في النفسيّة الدينية القاها المؤلّف في جامعة فريبورغ (سويسرة). ثم رأى ان يوضح «طبيعة النفسية الدينية ومتناولها». مجتهدًا في كشف ما يعلق بهذه المعلومات من غموض واضطراب . فاعاد النظر في محاضراته ، وعزّز نتائجه بعدة امثلة تناولها مما تظهره الحياة الدينية من ميزاتها الفارقة ، سواء اكان ذلك في منشأها كالاهتداءات مثلاً ، أم في تقدّمها كمظاهر الزهد والتقشّف ، أم في قمّتها السامية كالحالات الروحانية او الصوفية . فاتى الكتاب جامعاً مفيدًا. ي.ك.

C. Sprengers, Conferentiae ad usum sacerdotum pro recollectione menstrua. In-16, VIII+468 pp. Turin. Marietti. Prix : Liv. ital. 8.

مواعظ شهرية في سبيل الكهنة

ان من محاسن التقدّم الروحي في عصرنا بين الكهنة ، قانونيين وعلمانيين ، تلك التمارين الرياضية الروحية التي يقومون بها مرّةً في الشهر ، والتي كاد يعمّ استعمالها جميع مناطق النصرانية . فيجتمع الكهنة يوماً بالشهر يصلّون معاً ، ويتأملون ، فيتخذون المقاصد الصالحة.

وكان لا بدّ من ان يتم ذوو الاختصاص بتعزيز هذه الظاهرة التقوية ، فاخذ بعضهم بوضع الكتب تسهيلاً للتمارين الروحية. وكان منها هذا الكتاب تبع فيه مؤلّفه الاعياد الكنسية : من زمن المجيء ، الى الآلام ، الى مواهب الروح القدس ، الى ذبيحة القدّاس ، الى القلب الاقدس . مردفاً ذلك بقسم ثانٍ جمع فيه ، في سبيل التأمل ، منتخبات جمّة من حياة القديسين . ولا سيما ما وافق منها حياة كهنة الرعايا.

BOURDALOUE, **Sermons choisis**, avec un avant-propos et des notes par LOUIS DIMIER. [*Classiques Garnier*]. In-12, 457 pp. Paris, Garnier Frères. Prix : 12 fr.

مواعظ منتخبة من آثار بوردالو

جمعت هذه الطبعة المتقنة افضل ما يُعرف من مواعظ بوردالو ، فثلث تسع عشرة عظة درسها الناشر ، وضبط نصوصها مستفيدًا من المخطوطات الاصلية فكوّن عمله طبعةً مدرسية مستندةً الى مبادئ العلم في الطبعات النقدية.

ويزيد الكتاب قيمة مقدّمة وافية وترجمة حياة للخطيب المشهور ، مع تعليقات وحواشٍ في آخر الكتاب توضح ما قد يظهره النصّ من مشاكل لغوية وبيانية.

MATTEO CONTE DA CORONATA, O.M.C., **Le tiers-ordre franciscain, législation canonique.** Traduction française par le P. A. DE MOLIÈRES, O.M.C. In-8°, 484 pp. Turin, Marietti. Prix : 20 fr.

شركة مار فرنسيس الثالثة

لم نكن نعرف ، حتى اليوم ، عرضاً علميًا للتشريع المختصّ برهبنة مار فرنسيس الثالثة ، على كثرة المنتمين اليها . فقام بهذا العمل مؤلف الكتاب الحاضر ، وهو مَن عرفنا بالمقدرة القانونية واللاهوتية . واذًا فكتابه ثقة يستفيد منه على السواء جميع المنتمين الى الرهبنة المذكورة فيتحقّقون دقة واجباتهم ، ومديروهم ومرشدوهم فيهتدون بهذا الدليل الامين.

MGR A. BROS, **L'ethnologie religieuse.** Introduction à l'étude comparée des religions. 2e édition. In-8°, 312 pp. Paris, Bloud et Gay.

في علم السُلالات الدينية

ظهر هذا الكتاب ، لاول مرة ، سنة ١٩٢٣ ، جامعًا محاضرات المؤلف في المعهد الكاثوليكي . وكانت قد نفدت نسخه من مدة . فعاد المؤلف نظره فيه واخرجه في طبعة متقنة منقّحة . وهو ، وان لم يغيّر شيئاً في ترتيبه ، ولا في موادّه الاساسية ، نراه قد انتبه لكثير من التعاليق والايضاحات الثنوية ، واضاف ما استفاده من اهم الابحاث العصرية في درس السُلالات البشرية.

والمجلد يبدأ بتحديد هذا الدرس في ما خصّ المظهر الديني ، فيعرض تاريخه ، وهدفه ، فالاشارة الى العلوم المساعدة عليه. ثم يتبسط في اهمية الملاحظة والمراقبة مشيرًا الى صعوبتها ، ذاكرًا بعض من اشتهروا بهذه الدروس الدقيقة.

بيد ان العالم لا يكتفي بعرض المظاهر وسرد الاحداث . بل يجب عليه ، فوق ذلك ، ان يدرسها ، ويناقشها ، ويأخذ منها ما تنتجه دون ضغط ولا تكلف. وهكذا دُفع الكاتب الى درس نظريّات المذاهب المهمّة في الموضوع ، كمذهب تيلور (Tylor) في إيلاء كلّ كائن حيّ نفسًا مستقلّة ، ومذهب دوركهيم (Durkheim) في ما دعاه بعلم العمران . فاتى الكتاب مفيدًا لكل مَن تهمّهم هذه الابحاث ، ولا سيما من كان منهم كالمرسلين على قرب من مراقبة الاحداث الدينية.

ج. ل.

A. Rœgoul. Pænitentia salutaris. Que dire à nos pénitents ? In-8°. 368 pp. Mulhouse, Editions Salvator. Prix : 18 fr.

في سبيل التائبين

شاء المؤلّف ان يقدّم لمعلّمي الاعتراف مجموعة من الافكار والاعتبارات ، والتأملات ، صالحة لبثّ روح التقوى والتوبة في قلوب من يتقدّمون الى منابرهم كلّ اسبوع . وهو يتناول هذه الافكار من اناجيل الآحاد والاعياد المهمّة ، ويجمعها في ثلاث او اربع نقاط اساسية. وهكذا كان لكتابه فضل الدليل الى المواعظ ، وفضل الهادي الى التأملات الروحية الخاصّة . فنال بذلك ما رمى اليه ، كما نال شكر جميع المستفيدين من عمله.

Au service de Jésus prêtre. T. III, Les œuvres de Dieu. In-8°, XX + 420 pp. Turin, Marietti. Prix : 12 fr.

في خدمة المسيح الكاهن

يجمع هذا المجلّد الرسائل المتبادلة بين الامّ كلاريه دي لاتوش (L.-M. Claret de la Touche) ومرشدها الروحي. يتأمل فيها المطالع فيستخرج منها عقيدة حيّة لمحبّة الله الرحيم ، عقيدة تتجلّى في شخصية الكاهن وهو اداتها الرسمية العادية واقرب المستفيدين منها.

Missionnaires de Saint-Paul. In-8°, 78 pp. illustrées. Harissa (Liban), Imprimerie de S. Paul.

المرسلون البولسيّون

كرّاس لطيف شائق يرمي الى تعريف المرسلين البولسيين الملكيين ، المقيمين في حريصا (لبنان) منذ السنوات الاولى من القرن العشرين ؛ والمنتشرين ، في سبيل اعمال الرسالة ، في اطراف لبنان وسورية . يفصّل الكرّاس تاريخ نشأتهم ، ويعدّد اعمالهم وآثارهم في الارشاد ، والتهذيب ، ونشر الكتب ، وكلّها صالحة جديرة بالتقدير والثناء .

R. Schneider et G. Cohen, La formation du génie moderne dans l'art de l'Occident. [Bibliothèque de synthèse historique. L'évolution de l'humanité. H. Berr]. In-8°, 492 pp., 20 pl. Paris, Albin Michel, 1936. Prix : 40 fr.

نشأة الملكة العصرية في فن الغرب

تقدّمَ ظهورَ هذا الكتاب مجلّدٌ من المجموعة نفسها درس مظاهر الفن السامي في القرون الوسطى . ولا يخفى انه في ذاك العهد ، عهد الايمان والنظام الإقطاعي ، كانت الثقافة تنتشر في مظاهر متنوّعة ، حول الكاتدرائية الكبرى . وكان فنّ فرنسة الراقي يفرض طرقه واساليبه على سائر المناطق . حتى كان القرن الثالث عشر والقرن الرابع عشر ، وهما موضوع الكتاب الحاضر ، فاخذت عناصر الانتقال تظهر شيئاً فشيئاً بين حضارة القرون الوسطى وحضارة عهد الانبعاث او النهضة . فرأينا ، الى جنب آثار الفنّ « القوطي المشعّ » ، آخر ازدهارات الحضارة المتوسطة ، يوادر فنّ جديد اقرب الى الواقع منه الى التجريد ، يتعلّق بالطبيعة وبالانسان خاصّة ، ويكاد ينصرف الى الفرد عن المجموع .

ولقد كانت فرنسة الباعثة الاولى لهذا النوع الجديد في الادب وفي الفنّ . على ان الحركة امتدّت سريعاً الى ايطالية ، والمانية ، والفلاندر ، واسبانية ، وانكلترة ، فاشتركت جميعها بهذه الروح التي كانت منذئذٍ روح الملكة العصرية . وهكذا كوّن القرنان المذكوران عهدَ الانتقال الى زمن النهضة التي لم تظهر — كما يخالُ بعض السطحيين — دفعةً واحدة ، باعثةً فجأة ذاك التجديد في الفنون لدى الامثلة القديمة الخارجة من ارض ايطالية وحدها .

ويجب الّا ننسى ما اتصف به هذا الكتاب من تحليل دقيق تساعده رسوم غاية في الجمال والايحاء . ر.م.

HANS HUMMEL UND WULF SIEWERT, Der Mittelmeerraum zur Geopolitik eines maritimen Grossraumes. [*Schriften zur Geopolitik*, Band II] In-8°, 196 pp. avec 36 cartes. Heidelberg-Berlin, Kurt Vowinckel Verlag, 1936.

في اتساع اثر البحر المتوسط

حدّدت قارات العالم القديم الثلاث هذا البحر المتوسّط ، فجعلته مسرحاً قريباً للمطامع البشرية . قد يفوت الاوقيانوس بعظمته ما يرمي اليه البشر من اهداف ورغبات فياوي بها خائبة، ويعبث بهم مخفقين. اما البحر المتوسّط فبشوش الضيافة ، حسن الاستقبال ، بما فيه من جزر عديدة وسواحل متقاربة. فلا عجب ان يكوّن ، منذ القدم ، موضوعاً لهذا العلم الجديد الذي يدعوه الالمان « Geopolitik ».

من الحقّ ان البحر المتوسّط ظلّ مدة طويلة في قبضة دولة واحدة ، فكان بحرًا لاتينيًا حتى حقّ لرومة ان تدعوه « بحرها الخاصّ ». اما اليوم فلدينا اثنتان وعشرون دولة تعيش بكاملها ، او بقسم من اراضيها ، على سواحله. وزاد هذا الامر مشاكل فتح ترعة السويس ، فتعدّدت المطامع المتنازعة اذ اصبح المتوسّط ، فوق ما كان عليه ، ممرًا مهمًّا الى الشرق الاقصى.

هذه المادّة الغنية كوّنت موضوع الكتاب الحاضر فدرسها المؤلّفان على مختلف مظاهرها، بادئين بدرس طبيعة البلاد الواقعة على شواطئ المتوسّط، مشيرين الى وحدة الزراعة والحاصلات النباتية ، منتقلين الى القسم المهم ، وهو القسم السياسي . وفيه يبحثان في شؤون الدول ذات المصالح الكبرى كفرنسة ، وايطالية ، وانكلترة ، ثم يعرضان لبحر ايجه ومشكلة المضايق ، فابواب المتوسّط الشرقية كقناة السويس ، وفلسطين ، وسورية ، واصلين الى جبل طارق في الغرب. يوضح كل ذلك خرائط حسنة متقنة تساعد في تتبع دروس المؤلفين. ويلتحق بكل فصل جدول بالمصادر والمآخذ . ثم ينتهي الكتاب بآراء في البحر المتوسّط منسوبة الى زعماء الدول ذات المطامع فيه. ج.ل.

BLANCHE DAOUD AMMOUN, **Histoire du Liban.** In-12, 190 pp. illustrées. Beyrouth, Editions Le Jour. 1937. Prix: 15 fr.

تاريخ لبنان

يسرّنا ان نقدّم الى قرّاء « المشرق » باكورة مؤلّفة تُطلعنا من آثارها القيّمة بالشيء الكثير. نشأت الآنسة بلانش داود عمون على حبّ لبنان والاشادة بامجاده وتقاليده ، كما نشأت على احترام العلم الصحيح وتذوّق الفنّ الراقي . واذا بها تجمع هذه المواهب والمكتسبات في هذا الكتاب اللطيف المشعّ حياةً وحركةً . فيهتدي به السائر ، بل الرحّالة المسرع في تلك المتاهات التاريخية تحفل بها الاحقاب المتراكمة على بلادنا ، منذ فجر البشرية حتى المعاهدة الاخيرة ولا خوف عليه ان يضلّ ، وأمامه المؤلّفة ترفده بمعلوماتها الوثيقة ، واسلوبها الظريف الوثّاب ، وريشتها البليغة ، والوانها الرشيقة الزاهية . واذا بمواكب الاجيال من سكّان الكهوف الى الانيوليين الى الفنيقيين ، الى زحفات المكتسحين : بابليين ، واشوريين وحثّيين ، ومصريين ، وفرس ، ويونان ، ورومان ، وعرب ، ومغول ، واكراد وترك ، وفرنجة ، يستقبلهم لبنان بسهوله الباسمة وصخوره الواجمة المتأملة ، فيستوقفهم مدّة ، ويشغل ثقافتهم المتنوّعة مغذيًا بها شخصيته المستزيدة ابدًا معارف واختبارات ، المطلّة دائمًا الى الآفاق البعيدة في الشرق والغرب ، الحاملة رسالتها الثقافية العالية فوق تطاحن الجيوش ، وتضارب المصالح ، وتقيّدات المتعصّبين بالعنصر الفرد والبلد الضيّق .

هذا بعض ما يستفيده اللبناني من تاريخ لبنان ، وهذا ما يجب ان يهيب بنا جميعًا الى شكر المؤلّفة ، ونشر كتابها اوسع نشر بين الناشئة المثقّفة .

ف . ا . ب .

EDMOND RABBATH, **Unité syrienne et devenir arabe.** In-12, 412 pp. Paris, Marcel Rivière et Cie, 1937.

الوحدة السورية والمصير العربي

في هذا الكتاب الجديد يخصّ المؤلّف ، وهو نائب مسيحي في البرلمان السوري ، مقدمة « بالنظام السياسي » في سورية ولبنان في عهد الانتداب ، وفصلًا بكلٍّ من « سورية العربية » ، و« الاستقلال اللبناني » ، وانظمة بلاد

العلويين والـدروز والاسكندرونة ، « والولايات العربية المتحدة » ، ومرقف « الدول من الشرق » . ويختم مناشداً فرنسة بوجوب العمل على تحقيق الوحدة العربية .

ولحسن الحظ ، قد وفّر الكاتب على المنتقدين ، تعب البحث عن مصادر يستندون اليها لتفنيد آرائه . فهو ، للبرهان على وجود امة عربيّة واحدة يتألف منها سكّان جزيرة العرب وجميع اقطار الضاد ، يقول حرفياً : « ان الاسلام قد سنّ ، في البلاد المتكلّمة العربية ، طرقاً متعادلة في التفكير ، والاحساس ، والحياة . . . لان الاسلام ، اكثر من ايّ دين آخر ، يتعدّى تدبير حياة الافراد الروحيـة والاخلاقية ، الى علائق هؤلاء بعضهم ببعض ، واجتهادهم العقلي والاجتماعي . » (ص ٥٩) ويزيد ان ابن سعود ، محطّ الآمال « العربية » ، واتباعه « اخوان » نجد : « . . . يحبسون ، بصعوبة ، تديّنهم الجنوني leurs) furieurs puritaines) المزوج قلبياً بفكر السطوة العربية التقليدي . » (ص ٣٧) .

ثم يقول الاستاذ رباط عن لبنان : انه « يرتكز على تناقض وعلى ظلم . امّا التناقض فلانه يحاول ان يحقّق فكرتين متعاكستين : لبنان علماني ، ووطن مسيحي . وامّا الظلم فلانه يضمّ جماعات متمرّدة ، لها عدد وقوة ادبية ، تقدر بها ان توازي ، بسهولة ، الفريق الآخر الذي أُلّفت لاجله « الدولة » . (ص ١٦٨) .

قلنا : امّا التناقض فغير موجود : ان للبنان اسباباً تاريخية وثقافية وعنصرية عديدة ، يقرّ بها المؤلّف ، جعلت لهذه البلاد « شخصية تكوّنت ونمّت ، احيتها الحروب واليقظة الدائمة ، وحفظتها الطبيعة الصلبة » (١٤٧) .

وقد شاءت الظروف ، وساعد نموّ هذه الشخصية ، ان اكثرية لبنان مسيحية . وهي اكثرية أبعد ما تكون عن الظلم كما يقرّ ثانيةً الاستاذ المستعرب فيقول : « تجاه سورية ، حيث كانت ، عملياً وبالرغم من تعاليم الاسلام ، حرية الضمير مفقودةً ، يظهر لبنان ، منذ بداية تاريخه ، مظهر بلدٍ تُمارَس فيه ، علناً ودون قيد ولا خطر ، جميع الاديان — انها لشاذّة نادرة نسبةً الى اوروبة نفسها » (ص ١٤٨) .

واذا جاز لنا ان نبدي رأياً في التناقض قلنا : ان التناقض بادٍ عند ذاك المسيحي يشيد « بقومية » عربية رابطتها الاولى والاخيرة الدين الاسلامي ، وعند اولئك الراغبين في تكوين وحدة سياسية وطنية مبنيّة على الدين ، في عصر يدّعون التشي على مدنيّته ، وهي مدنية تفرّق تفريقاً تاماً بين الدين والسياسة .

امّا الظلم فيستدلّ الاستاذ رباط على وجوده بما اطّلع عليه من الاحصاء الاخير : « ٣٦٩،٠٠٠ مسلم تجاه ٤٠٢،٠٠٠ مسيحي من مختلف الطوائف (؟) »

يجدر بنا ان نقف بالكاتب عند هذه الارقام لنفرّق ما فرّقه التاريخ وحاول ان يجمعه هو ، فنجد بين من يسمّيهم « مسلمين » : ١٧٨،٠٠٠ مسلم سني فقط (بناء على احصاء الشيخ محمد المشهور) ، و١٩١،٠٠٠ شيعي ودرزي. ونترك الكلام ، في وصف علاقة الآخرين بلبنان ، الى المؤلف نفسه ؛ قال واصفاً تكوين لبنان الحديث : « . . . ان الدرزية لم تقدر على البقاء الّا بفرارها من مصر السنيّة . . . وان الشيعيّين ، بعد مطاردتهم من السهول (السهول السورية السنيّة طبعاً) ، التجأوا الى منعطفات لبنان حتى لا يهلكوا » (ص ١٤٩) . وقد برهن الدروز والشيعيون ، في مناسبات عديدة ، على تعلّقهم بهذه البلاد وباستقلالها ، وقد كان لهم قسط وافر في بنائها .

وكان في امكان الاستاذ النائب ان يجد شيئاً من « الظلم » في الكيان السوري ، حيث يعيش دروز ، ونصيريون ، ومسيحيون يربو عددهم على السبعمائة الف . وكلهم اقليّات لم تذق الحلو في الماضي من الاكثرية ، ولم تسكت عن الحالة الحاضرة الّا املاً بوعود فرنسة ؛ وهي اشدّ ما تكون اليوم قلقاً على مصيرها . لاسيما وهي تشاهد ما شيد به المؤلف ، تلك الاكثرية تتجه اتجاهاً دينياً في السياسة ، وتريد ان تؤلف دولة « عربية » ، اي اسلامية ، لا يعلم غير الله ماذا ينتظر « الغير المؤمن » فيها .

ويزيد الاستاذ رباط ، على هذا التناقض الدائم في تأليفه ، تلاعباً بالالفاظ وبالتاريخ .

فهو يتّخذ مثلاً نظرية جدّ موافقة له فيقول ان جميع الساميّين قد اتوا

من جزيرة العرب . واذا اخفق في البرهان عن « عروبة » لبنان يقول متعزّياً : «سواء أكان اراميًا، او فنيقيًا ، او فلسطينيًا، او عبريًا، فان اصل الذرية القديم سامي اي عربي »... (ص ٧٣). ولكن المؤلف لا يقول ان جميع الشعوب ، التي خرجت من جزيرة العرب ، من جنس واحد — اذا افترضنا ان نظريته صحيحة . وعلى هذا النمط يتكلّم عن الحدود التاريخية بين سورية ولبنان محاولًا ان يقلّل من قيمة براهين اللبنانيين التاريخية بالاستناد الى مؤلّفين حديثين مثل ندرا مطران.

لذلك نجد كتابه متفاوت القيمة ما بين اقسامه . فإلى جانب بعض الفصول الصادقة ، يجمع الاستاذ رباط فصولًا لم يرتفع فيها عن مستوى بيانات « المجلس الاسلامي الاعلى في بيروت » ، ومقامها من العلم والمنطق معروف.

ن. د.

Ansâb Al-Ashrâf of Al-Baládhuri, published for the first time by the School of Oriental Studies, Hebrew University, Jerusalem. Vol. V edited by S. D. F. Goitein. In-8°, 507+94 pp. At the University Press, Jerusalem, 1936.

انساب الاشراف للبلاذري : الجزء الخامس

عند ضريح لفي بليغ (Levi Billig) ، مدرّس العربية في جامعة اورشليم العبرية ، المقتول في حوادث الثورة الفلسطينية ، في ٢٥ آب ١٩٣٦ ، وضع السيد غويتين (S. D. F. Goitein) كتاب انساب الاشراف للبلاذري، ذكرى للفقيد ، فابرزه كالراية البيضاء في جوّ العلم الصافي ، بعيدًا عن مشاحنات السياسة ، فخدم العرب وتاريخهم.

درس الناشر نسخة الكتاب الوحيدة على ما فيها من خطأ وتصحيف ، وذهب يقوّم معوّجها بالمقابلة بينها وبين المصادر الادبية والتاريخية التي استند اليها البلاذري. وكلما وجد في المصادر القديمة ما يوافق نصّ كتاب انساب الاشراف ، ذكر ذلك الموضع في تعاليقه فكان جهده مخصصاً في تقدير اتصال المتن بالسند، وتعريف قيمة التعليمات التاريخية ؛ فاذا رواها شاهد عيان اثبتها بحجة اولى مما لو كان السند بعيدًا بمراحل عن زمان وقوع الحادث ومكانه . وقسم الكتاب

قسمين : نشر في الاول منها مقدّمة باللغتين العبرية والعربية (٢٧ ص) . ثم اخذ بنشر المتن العربي (١٣٩ ص) واضاً في ذيله فهارس الجدية للاعلام والأماكن والأمم . واخيراً وضع مقدّمة باللغة الانكليزية (٣٨ ص) . اما القسم الثاني ففيه لائحة المراجع والاصطلاحات ، والتصليحات ، والتعاليق (٨٨ ص) .

ان المؤرخين البيزنطيين يربطون الحوادث بتتابع السنين، والمؤرخين الساسانيين يربطونها بتعاقب الحكام . اما البلاذري فقد اخذ من العصبية العربية مادة الصلة في سرد الاخبار . وذلك لان مركز الجدّ في الاسرة العربية كالارومة من الشجرة منها تتفرّع الجذوع والاغصان . ومهمة المؤرخ العربي هي ان يلفت النظر الى تسرّب السلطة من الجد الى احفاده . وفي الامر الواقع كان شأن الخلافة المتسلسل من عثمان الى ابن عمه مروان بن الحكم داعياً بالبلاذري الى تدوين اخبار مروان بعد عثمان كما جاء في هذا الجزء الخامس .

لقد قرأناه واعدنا قراءته في مواضع كثيرة . ولم نتمالك الاعجاب بصبر الناشر على العقبات التي اعترت طريقه في ضبط القراءات وقد وفق فيها ، الا في النادر .

واشتهر البلاذري في اختصاره وهذا الاختصار يصلح في التاريخ على ان لا ينتج الغموض والابهام . واليك اهم عناوين الجزء الخامس :

عثمان بن عفان : سيرته ، بيعته وما أنكر عليه ، وسبب قتله — ولد عثمان — مروان بن الحكم وخبر مرج راهط ويوم الربذة — عبد الملك بن مروان — امر عبدالله بن الزبير في ايام مروان وعبد الملك — امر المختار بن ابي عبيد الثقفي وقصصه — اخبار مصعب بن الزبير . اما الجزء الرابع فهو قيد الطبع .

ف . ت .

ABOU-BEKR ABDESSELAM, Dictionnaire arabe-français des termes juridiques et dogmatiques. In-12, 273 pp. Beyrouth, Impr. Catholique, 1935-1937.

معجم عربي – فرنسوي بالالفاظ الشرعية والقانونية

مؤلف الكتاب من اساتذة الشريعة في مدرسة تلسان . عانى ما يعانيه كلّ مشتغل بهذه الأبحاث من صعوبة نقلها من العربية الى الفرنسوية وبالعكس ، على

الحاجة الى هذه النقول يوماً فيوماً ، وقد اخذت الثقافتان العربية والفرنسوية تتفاعلان وتتساندان ، ولا سيما في بلاد المغرب. فقاده الشعور بالحاجة الى التفتيش والدرس. واذا به ينشر هذا المعجم القيّم جامعاً فيه كلّ ما يطلبه دارس الشرع الإسلامي،بل دارس التاريخ العربي ايضاً،لأننا نرى، الى جنب المفردات الشرعية على تنوّع مظاهرها، مفردات تاريخية واجتماعية تتعلق باحوال العرب قبل الإسلام وبعده، وتنبسط على الكثير من مناحي تفكيرهم ومظاهر عاداتهم وتقاليدهم. فأتى بالفائدة الجمّة ، واستحقّ الشكر الجزيل . ف.ا.ب.

ZALOZIECKY, Die Sophienkirche in Konstantinopel...[*Studi di Antichità cristiana, Pontif. Ist. di arch. crist.*, XII]. In-8°, 271 pp. ; album de 24 pl. Rome et Freiburg i. B., Pont. Ist. et Herder, 1936.

كنيسة القديسة صوفيا في القسطنطينية

هذا بحثٌ قيّم في كنيسة القديسة صوفيا الكبرى التي بناها الامبراطور يوستنيانوس في القسطنطينية ، يظهر في حينه ، وقد باشر المعهد البيزنطي الاميركي جلاء فسيفساء الهيكل ، بعد ان حُوّل من جامع اسلامي الى متحف للاثريّات.

يهتمّ المؤلف بدرس هندسة الأثر خاصّة ، فيصف خارجه اولاً ، ثم يعدّد مزايا الداخل الفارقة . ويقوم بعد ذلك بمقابلة شاملة بين عناصر البناء المهمّة في الكنيسة المذكورة وما يقابلها في البنايات الرومانية الراقية الى اواخر عهد الامبراطورية ، والتي اكتشفت آثارها في الولايات الشرقية والغربية . وفي هذا القسم ينشر المؤلف ويدرس كثيراً من تصميمات الكنائس السورية. اما النتيجة فهي ان هندسة القديسة صوفيا لم تستوحِ الطريقة الشرقية ، كما كان يؤكّد ستروزيغوفسكي سنة ١٩١٠ ، زاعماً ان كل بناء مقبّب يرقى الى فكرة مأخوذة عن هندسة ما بين النهرين . يستنتج المؤلف رأيه المذكور مشيراً الى ان القباب الشامخة في كنيسة القديسة صوفيا ليست الّا توسّعاً في فن هندسي برزت مظاهره الاولى في حمّامات پومپي الرومانية.وفي غيرها من الآثار التي لا شك في رومانيتها. وهنا يجب ان نشير الى انه بينما كان كتاب الاستاذ زالوزيتسكي لا يزال تحت الطبع ، قام عالمٌ آخر هو الاستاذ سيلدمَير (H. Seldmayr) فنسب الى هندسة الحنايا والاروقة الرومانية ، والى تصميم المظالّ الغربية كذلك ، ما امتازت به

الكنيسة المذكورة من مزايا فارقة في هذا المظهر.

ويظهر المؤلف على حق عندما يرى في قصر الأندرين آثاراً بيزنطية خالصة في الهندسة والاستيحاء. وكذلك قد يمكننا القول عن نتائج الحفريات المجربة اخيراً في كاتدرائية بُصرى، والتي لا يبعد ان تدلّ على امثلة غربية قديمة.

ر. م.

A. CHRISTENSEN, L'Iran sous les Sassanides. Gr. in-8°, 559 pp., 1 carte, 59 fig. Copenhague, Levin et Munksgaard, 1936. Prix : 26 Kr.

إيران في عهد الساسانيين

ليس هذا الكتاب طبعة جديدة للمؤلف النفيس الذي نشره قديماً الاستاذ كريستنسن، مدرّس علم اللغة الايرانية في جامعة كوبنهاغ. انما هو كتاب حديث رتّب فيه المؤلف كل ما يُعرف عن اهمّ ملوك الساسانيين، بفضل المكتشفات والابحاث المتتابعة منذ ثلاثين سنة الى اليوم. واهم الاسانيد رقم بيكولي، والآثار المانوية المكتشفة في آسية الوسطى او المترجمة عن القبطية، وأبحاث الاختصاصيين في الأفستا، وزرادشت (الذي عاش في رأي كريستنسن في القرن السابع ق. م.) وفي الحركة المزدكية (التي كثيراً ما خلط مؤلفو العرب بين منشئها مزدك، وزرادشت) وفي الانظمة الدينية، والعسكرية، والادارية على عهد اوائل الساسانيين، ولاسيما كسرى الكبير. كل هذا يتناوله المؤلف، ويناقشه، ويستقصه في بحثه النفيس. كما يستغلّ عدداً من الصور، يأخذها على الغالب من مجموعات سارر (Sarre) او هرزفلد (Herzfeld) فيشرحها جالياً لنا بواسطتها رسوم الملوك المحفورة على قطع النقود، وحفلات التتويج، وكثيراً من مشاهد الانتصار والصيد.

ويجب ان نشير الى ما يهم المشتغلين بالادب العربي خاصة. وذلك باطلاعهم على اسلوب المؤلف في الاستفادة من الاصول العربية كتاريخ الطبري، وبوقوفهم على ما يبذل من عناية في درس اصول «كليلة ودمنة» الذي نقله الى البهلوية الطبيب برزويه عن مجموعة من الامثال الهندية القديمة تُدعى، باللغة السنسكريتية، بانتشاتنترا (ص ١٢٤).

ر. م.

Mohamed Madi, Jahja b. al-Husain b. al-Mu'ajjad al-Jamani's « Anba' az-Zaman fi Ahbar al-Jaman ». [*Studien zur Geschichte und Kultur des islamischen Orients*, Heft IX]. In-8°, 32+80 pp Berlin-Leipzig, de Gruyter et C°, 1936.

انباء الزمن في اخبار اليمن

هو القسم الأول من هذا التاريخ الجليل تناول اخبار مدة ٤٢ سنة (٢٨٠-٣٢٢ هـ = ٧٩٣-٩٣٤ م) حافلة بالاحداث الدينية والسياسية في العالم الإسلامي، من دعوة الامام الهادي وحروبه في اليمن، الى ثورات القرامطة وغزوهم مكة واحتمالهم الحجر الأسود الى هجر، الى ظهور دعوة عبيدالله المهدي في اليمن وفي المغرب، الى مظاهر الضعف في الخلافة العباسية وظهور دولة بني بويه. كل ذلك على شيء قليل من التفصيل يزيده قيمة ما علق عليه الناشر، الاستاذ محمد عبدالله ماضي، من الحواشي وما اردفه به من الفهارس، وما قدم عليه من مقدمة في المصادر التاريخية، وفي احوال الخلافة العباسية، والدولة الزيدية في اليمن، ثم في النص المطبوع وشروحه. ف. ا. ب.

Actes de la Conférence de Montreux concernant le régime des Détroits (22 juin - 20 juillet 1936). Compte-rendu des séances plénières et procès-verbal des débats du Comité Technique. Genève, Société des Nations, octobre 1936. In-folio. Prix : 65 frs. fr.

اعمال مؤتمر مونترو الخاص بشأن المضايق

مونترو مدينة صغيرة على شاطئ بحيرة ليمان شهيرة بطيب مناخها، وبمن يقصدها، زمن الصيف، من طلاب الراحة والهدوء. ولقد كان من هؤلاء بعض السياسيين عقدوا فيها، في الصيف الماضي، اجتماعات مهمة دامت شهرا كاملا من ٢٢ حزيران الى ٢٠ تموز ١٩٣٦. وكان الداعي الى هذا المؤتمر حكومة الجمهورية التركية، فسهلت على ارباب السياسة المجتمعين البحث والمناقشة في كثير من المشاكل، خرجوا منها، بعد كثير من الاجتماعات العامة والمحاورات الخاصة، الى اتخاذ عدد من القرارات عُرفت « باعمال مونترو » فوقعوا عليها مساء ٢٠ تموز ١٩٣٦.

وقد دُوِّنت تفاصيل تلك الاجتماعات في تقارير الجلسات العامة ومحاضر

اللجنة الفنية الخاصة. وها هي تظهر الآن بالطبع بعناية جمعية الأمم، فيسهل على من يهمهم الامر، الوقوف عليها كاملة. ج. ل.

GONZAGUE DE REYNOLD, Portugal. In-12, 348 pp. Paris, Spes. Prix : 18 fr.

البرتغال

صاحب المؤلف من كبار كتّاب سويسرة دعاه اصدقاؤه في البرتغال لزيارة بلادهم، فاغتنمها فرصة يدرس فيها الشعب والبيئة، ويطّلع على مظاهر التقدّم منذ السنة ١٩٢٦، وفيها تخلّصت البرتغال من قبضة الضغط الماسوني. فاتى بكتاب يرتفع كثيراً عن ذاك النوع من الرحلات يكتبها الصحفيون سطحية ظريفة، الى محيط الدرس العلمي والنظر الشامل. استعدّ لسفره بدرس تاريخ البلاد وجغرافيتها. ثم قام برحلته على طريق بعيدة كل البعد عن الخطّ المستقيم، ولكنها منظّمة. فامكنه ان يرى، ويدرس، ويقابل، ويحكم؛ واضعاً هدفه الاساسي بلاد البرتغال، متجاوزها احياناً الى مقاطعة بروفنسة الفرنساوية، والى بلاد اسبانية.

كانت البرتغال، منذ السنة ١٩١٠، تئنّ تحت نير جمهورية ماسونية، فتسلسل محاولة التخلّص. حتى كانت السنة ١٩٢٦، فتخلّصت بقيادة ثلاثة من كبار رجالها اشهرهم سلازار المولود سنة ١٨٨٩. كان سلازار استاذاً في جامعة كايمبرة عندما عُهد اليه بادارة الشؤون المالية المتداعية الى الانهيار والافلاس. فطلب من حكومته السلطة المطلقة في تلك الدائرة، وعندما نالها اقبل على العمل. ولم تمضِ بضعة اشهر حتى اعاد للحالة المالية نظامها وسيرها الطبيعي. وفي السنة ١٩٣٣ اصبح رئيساً للوزارة فشمل باهتمامه دوائر الدولة بكاملها. وها هي تتقدّم اليوم الى الاستقرار والرقي في جميع مناحي الحياة. ج. ل.

J. CATRY, Le fascisme de la libre pensée. In-12, 69 pp. Paris, Spes. Prix : 3 fr.50.

فاشستية الفكرة الحرّة

يرى المطالع في هذا الكتاب موجزاً واضحاً دقيقاً لكل ما يتعلق بحرّية التفكير او بالفكرة الحرّة من حيث كونها حركة سائرة. يدرس المؤلف تاريخها،

ومظاهرها المتنوّعة وتأثيرها في الشعوب ، حتى لقد ينسب اليها كل الحركات الثورية في عالمنا الحاضر، مهما يكن من متنوّع غاياتها واختلاف البلدان الناشبة فيها . والغريب ان جميع الثوريين يتكلّمون الكلام نفسه، مستخدمين التعابير ذاتها ، معتقدين انهم جاؤوا في الدقيقة الحرجة والزمن الموافق . على ان الزمن الموافق يهرب سريعاً تاركاً الثورة تفترس ابناءها . . . ج.ل.

M. RAT, **Anthologie des poètes latins.** [*Classiques Garnier*]. 2 vol. in-16, 748 et 680 pp. Paris, Garnier Frères, 1937. Prix : 25 fr. le vol.

منتخبات من آثار الشعراء اللاتين

لم يكن في متناول القرّاء الفرنسويين ما يقوم لديهم مقام مجموعة « لوب » (Loeb) الانكليزية التي تسهّل على ابناء انكلترة ان يقرأوا ، في لغتهم ، اشهر آثار المؤلفين القدماء . حتى قامت مكتبة گارنيه فسدّت الخلل بهذا المجلّد الجميل الحاوي منتخبات قيّمة من آثار ٦٨ شاعراً لاتينياً منذ اقدم العصور حتى القرن السادس بعد المسيح . ومنهم من لم يكن قد تُرجم قطّ الى الفرنسوية . وقد تولّى صاحب المجموعة ، الاستاذ موريس را ، اظهارها على افضل ما يمكن ، موزّعاً الصفحات بحسب اهمية الشعراء ، منتخباً النصوص القديمة وفقاً لأدق الطبعات ، ملحقاً بها ترجمته الخاصة . وهي أثر غاية في الدقة والضبط . ر.م.

MARIO MEUNIER, **Apollonius de Tyane.** In-8°, 250 pp. Paris Bernard Grasset. Prix : 30 fr.

أبولونيوس

عُرف المؤلف بعدة ترجمات جديدة لآثار الكتبة اليونان اخرجها حافلة بالمقدّمات والشروح . وها هو يتحفنا اليوم بكتاب عن ابولونيوس ، مستنداً الى ترجمة حياته الشعرية التي خصّه بها فيلوستراتوس . وغايته ان يقرّب من الاحتمال تلك الاسطورة في حياة أحد مثلي الحكمة القديمة المتأخرين ، فيلقي نوراً جديداً على عدد العالم الوثني في القرن الثالث للمسيح ، وعلى آرائه ، وعاداته ، وطرق معيشته . وقد قدّم على الترجمة مقدّمة في ٢٣ صفحة تعرض لكل ما يثيره اسم ابولونيوس من مشاكل ومناقشات . ج.ل.

ALBERT CONDAMIN, S. J., Voltaire, le « Grand Homme » de M. Albert Bayet. In-12, 107 pp. Paris, Spes, 1936. Prix : 5 fr.

ڤولتير

لا تمرّ بنا حقبة من الزمن الّا ويقوم بعض الادباء والنقّاد فيعلقون باحد مفكّري الماضين، ويعرضونه على الجمهور بمظهر جديد. هذا ما يصيب ڤولتير من وقت الى آخر. وقد رأى المؤلّف ان يقدره حقّ قدره فيردّه الى مركزه، منزلًا اياه عن تلك المرتبة المتصبة التي رفعه اليها بعض المتهوّسين المتعصّبين او السطحيين من ارباب البحث الادبي، ومنهم البر بايه، فقال ان ڤولتير: « من عظام الرجال لأنــه عمل، وجاهد، وتعذّب في سبيل صلاح الانسانية، وفي سبيل السهولة والانصاف في الحياة ».

هــذا ما اثار حبّ المؤلّف للانصاف، فأقبل يدرس حياة ڤولتير واخلاقه واعماله بدقّة ما وراءها دقة، وتتبّع يفرض جلدًا عظيماً، مظهرًا في عشرة فصول ايّ فرق يجب ان نقرّ دائمًا بين كاتب كبير ورجل عظيم، واية عظمة في من عاش حياةً مزدوجةً مكتنفة بالكذب والرياء وما يتفرّع عنها من مساوىء حاطّة مخجلة. كل ذلك باسلوب منطقي صارم ولهجة قويّة تفرض الكتاب فرضاً على المطالعين دون شكّ.

ج. ل.

RENÉ BAZIN, Etapes de ma vie Extraits de ses Notes Intimes. Paris, Calmann-Lévy. Prix : 12 fr.

من مراحل حياتي

كتاب نفيس جامع بين المذكّرات واليوميات الخاصّة. فيه من المذكّرات تلك الاحاديث العديدة الشائقة التي جرت بين الكاتب والكثيرين من مشاهير عصره في السياسة والأدب والفنّ. وفيه من اليوميّات الخاصّة تلك الميول والنزعات الروحية الظاهرة في تأملات الكاثوليكي العميقة. وآرائه السامية في العالم وخالقه، وفي نفسه هو وسلوكه الخاصّ.

تبدأ الصفحات الاولى من هذه المراحل بالسنة ١٨٨٦. وكان بازن قد نشر قصّته الاولى، واتجه زائرًا هنري لافدان، مدير مجلّة «المراسل»، اذ ذاك. فحوّله لافدان الى زيارة هاليفي... وهنا بدأت رحلة اولى في اوساط باريس الادبية،

عاد منها المؤلف بكثير من الرسوم الدقيقة يميز بها محدثيه وما يحيط بهم ، وكأنه يحفظ ذاك الجو الخاص بالمحادثة المقصودة، فلا يطالعه القارىء، بعد مرور السنوات ، الا ويؤلف لنفسه ، في صورة رائعة حية ، خطوط المشهد القديم الذي نقله الكاتب. وهكذا ترك لنا بازن صفحات دائمة حافلة بأحكام دقيقة على بيير لوتي ، وانا طول فرانس ، وجول لوميتر ، وخوسي-ماريا دي هيريديا ، وجول كامبون ، والمرشال فوش... وغيرهم ممن اختلط بهم وناقشهم في المنتديات الادبية كالأكادمية ، والمجتمعات السياسية ، و « الصالونات » الخاصة.

وكان مما يؤلم بازن الكاثوليكي الحي الايمان تلك الحملات التي قام بها رجال السلطة العلمانية على الرهبان والراهبات ، زمن فصل الكنيسة عن الدولة. فكان المؤلف يشهد مظاهر الظلم هذه فيتألم في وداعته الفطرية ، ولكنه لا يدع فرصة الا ويظهر فيها جرأته واندفاعه في سبيل الذود عن اعز الأمور لديه. وكثيرا ما جرى النقاش بينه وبين خصومه كلاون بورجوا ، وادوار هريو ، وغيرهما من رجال الثورة والشيوعية.

والخلاصة ان هذه المراحل تأتينا بمواد جليلة في تاريخ الحقبة الاخيرة من زمننا هذا ، مرافقة الاوساط الادبية والسياسية العالية في فرنسة مدة نصف قرن ، صابغة كل ذلك بلون فائق من سر الاخلاق ، وصحة الايمان ، والاخلاص في سبيل المبدأ السامي. ذاك الاخلاص الذي رافق المؤلف طول حياته ، حتى اذا شعر بقرب الرحيل ، صاح ملء قوته: « بين يديك ، يا الهي ، استودع روحي ! »

CHATEAUBRIAND, Les Martyrs. Avec introduction, variantes du manuscrit autographe et des premières éditions, notes critiques par VICTOR GIRAUD. [*Classiques Garnier*]. In-12, 594 pp. Paris, Garnier Frères. Prix : 9 fr.

الشهداء

طبعة متقنة كل الاتقان قام بها نقاد معروف ، فاتى بشاهد جديد على اهتمام مكتبة گارنيه بهذه الآثار المدرسية الفرنسوية. ولا شك في ان رواج الكتاب يأتي على قدر اتقانه، فيقبل عليه لا الطلاب وحدهم، بل كل من شاء ان يدرس

شاتوبريان في آثاره على اسلم طريق واهون سبيل. فيرى في المقدمة كلّ ما تهم معرفته عن الكاتب، كما يرى في التعاليق، واختلافات النصوص وضبطها، ما يسهّل عليه درس الكتاب.

F. BRUNOT ET CH. BRUNEAU, **Précis de grammaire historique de la langue française.** Nouvelle édition revue et corrigée. Paris, Masson et Cie. Prix : 60 fr.

غراماطيق تاريخي للغة الفرنسوية

ترقى الطبعة الاولى من هذا الكتاب الى قبل خمسين سنة. فوجب من ثمّ ان تُعاد منقّحة ومزيدًا عليها. فأُعيدت على غاية الاتقان حتى ظهرت كأنها كتاب جديد. ولا تخفى فائدته للطلّاب الفرنسويين وغيرهم من دارسي اللغة الفرنسوية، اذ يطّلعون فيه على تطوّر المفردات والتعابير عصرًا فعصرًا. وهي من افضل الطرق للدرس اللغوي.

G. K. CHESTERTON, **La Sphère et la Croix.** Roman traduit de l'anglais par CHARLES GROLLEAU. In-16, 400 pp. [Collection « *Intermède* »]. Paris, Desclée de Brouwer, 1937. Prix : 12 fr.

الكرة والصليب

رواية عجيبة غريبة للقصصي الانكليزي الأشهر ج. ك. شسترتون، تناول فيها النزاع الدائم بين العلم السطحي والإيمان العميق. وقد رمز الى الأول بالكرة مثال « الاستقرار الهندسي »، والى الثاني بالصليب. واخذ يعدّد المشاهد والمشاكل والعقبات دائرةً كأيا حول رجلين: تورنبول الكافر المتغذّي باساليب « العلم » العصري، صاحب جريدة « الملحد » في لندن؛ ومكيان الكاثوليكي المؤمن المتمسك بعقائد آبائه واجداده في اسكتلندة. يقف مكيان أمام ادارة الجريدة الملحدة فيلفت نظره ما على الواجهة الزجاجية من كتابة كفرية. فلا يتردّد لحظة في انزال القصاص بالكافر، واذا بزجاج الواجهة يتطاير تحت نبوته، واذا به يطلب الملحد الى البراز، فيقبل برباطة جأش. على ان البراز ممنوع في انكلترة. وهنا تبتدئ رحلات الخصمين في اطراف بلادهم برًّا وبحرًا، هاربين من وجه النظام المرعيّ، مفتّشين عن مقرّ أمين يمكنهما فيه ان يتبارزا في سبيل

الله » والعلم » . وهما لا يحملان الّا سيفين ، وما يكفيهما الجوع والعطش . ومن السهل ان يتصوّر المطالع ما تولّده مخيّلة شترتون العجيبة من عقبات ومشاكل يضعها في سبيل الرجلين ، وما يثيره من احاديث علمية ، ولاهوتية ، وفلسفية ، واجتماعية، بين الخصم وخصمه، وبينهما وبين من يلتقيان به من رجال ونساء من مختلف طبقات المجتمع . حتى يؤدي بهما المسير المضنك بعد الايام ، والاسابيع ، والاشهر ، الى حديقة ساكنة يحيط بها سور عالٍ ، فيحتالان في تسوّره مطمئنّين الى انهما سوف يتمكّنان من حسم ذاك الخصام الدائم . واذا بهما في مستشفى للمجانين يجدان فيه كل مَن عرفاه وصادفاه في رحلاتهما المتواصلة . واذا بتلك المؤسسة من آثار ابليس ورجاله يجمعون فيها كلّ من يتحدّث بالخلاف بين الله والعلم، او بين الصليب والكرة ، على انهم مجانين . وسبب ذلك انه لا وجود لله ولا تاريخ للصليب في نظر ابليس ورجاله ، مديري تلك المؤسسة .

وكانت مصاحبة الخصمين القسريّة ، واشتراكهما في الهرب من وجه النظام البوليسي ، وتعاونهما على الحياة ، ومناقشاتهما الدائمة ، قد عملت شيئاً فشيئاً على التقريب بين عقليّتيهما المتباينتين . واذا بكل منهما يشعر بالميل الى الآخر شعوره بوجوب مبارزته في سبيل العقيدة السامية . وكان في الظواهر الحيوية المتتابعة في هذا الكون ما يعجز « العلم » عن شرحه ؛ فيقف تورنبول واجماً في تأمله ، بينا يظهر مكيان مطمئناً ، في كل ذلك ، الى العناية الالهية وتدبيرها شؤون الكون على افضل ما تراه موافقةً لخير الانسانية . وهكذا أخذت مُدّعيات « العلم » تتضاءل شيئاً فشيئاً ؛ حتى اذا احترق مستشفى المجانين بكل ما فيه من ادوات وآلات مرتّبة وموقّعة على احدث الاساليب الميكانيكية ، لم يبق في رماده المتكاثف الّا سيفا تورنبول ومكيان ، وقد تعارضا صدفةً على شكل « الصليب » .

كل هذا يشعّ حياةً وثّابة، وحركة دائمة حافلة بظرف شترتون المتهكّم ، ونقداته اللاذعة ؛ مما يجعل الكتاب من اروع والذّ ما يُقرأ ، على طوله، وعلى ما تضمّنه من الافكار والنظريّات الدقيقة الصعبة .

ف. ا. ب.

كتاب الاغاني

تأليف ابي الفرج الاصبهاني

الجزء الثامن : ٤٦٤ ص. — الجزء التاسع : ٤٤٠ ص. بقطع الربع
القاهرة ، مطبعة دار الكتب المصرية ، ١٩٣٥ و١٩٣٦

وصف « المشرق » الاجزاء السابقة من هذا الكتاب النفيس ، حال ظهورها ، واجتهد في الدلالة على ما في هـذه الطبعة الجديدة من محاسن ظاهرة تنمّ عن عناية بالغة واهتمام جدير بالثناء . وها ان اللجنة ماضية في عملها حتى النهاية ، ان شاء الله . وقد اتحفتنا مؤخرًا بالجزءين الثامن والتاسع من مجموعة قد تبلغ الثلاثة والعشرين او الاربعة والعشرين جزءًا ، اذا اعتبرنا نسبة الاجزاء الظاهرة حتى الآن الى الاجزاء المطبوعة قديمًا في بولاق ، وهذا الجزء التاسع الحاضر ينتهي بآخر الثامن القديم . بيدَ ان الطابعين تلافوا الضرر الذي قـد ينشأ من الاختلاف في تقسيم الاجزاء بين الطبعتَين ، فوضعوا ، بناء على ملاحظة الاب صالحاني ، اشارة على هوامش الطبعة الجديدة تشير الى صفحات الطبعة السابقة .

اما الجزءان الحاضران فيحويان موادّ مهمّة في تاريخ الادب العربي . من ذلك ، في الجزء الثامن ، اخبار جرير ، وجميل بن مَعْمَر ، ويزيد بن الطَّثْرية ، وعنترة ، والاخطل[1] ، والعبّاس بن الاحنف . واخبار عدد من المغنين والمغنيّات كسائب خاثر ، والبُرْدان ، وجميلة ، وسلاّمة القسّ ، وجرادتَي عبد الله بن جدعان وغيرهم . ويحتوي الجزء التاسع على اخبار كثير عَزّة ، وعبيدالله بن عبدالله ابن طاهر ، ومسافر بن ابي عمرو ، وامرئ القيس ، والأعشى الأكبر ، والشمّاخ ابن ضرار ، وقيس بن ذَريح ، وعديّ بن الرقاع ، والأشهب بن رميلة ، وبعض اخبار الفرزدق ، من الشعراء . وعلى شيء من اخبار معبد وابن سريج وغيرهما من

---

١) نشير ، بشأن الاخطل ، الى ان ناشري الطبعة ضبطوا اسم احد جدود الشاعر «غُنْم» ، بضمّ اوله (٨ : ٣٨٠) . والصواب « غَنْم » بالفتح ، كما في نسخة بطرسبرج الاصلية ، والنسخة الاخيرة المكتشفة في طهران . وكان الاب صالحاني قد طبع «غُنْم» كذلك في اول صفحة من ديوان الأخطل ، لكنه عاد فاصلحها في الملحق : وجاء في لسان العرب (١٥ : ٣٤٢) : « بنو غَنْم قبيلة من تغلب » .

المغنين . وعلى فصل تتم في اغاني الخلفاء ، واولادهم ، واولاد اولادهم ، من الوليد بن يزيد الى الواثق .

وينتهي كل من المجلدين بالفهارس المعتادة الواسعة للتراجم ، والشعراء ، والمغنين ، ورجال السند ، ورواة الألحان ، والأعلام ، والأمم والقبائل والأرهاط والعشائر ، والأماكن ، والكتب ، والقوافي ، وانصاف الابيات ، والأمثال ، والموضوعات .

هذا ولا بدّ ، اذا ما انتهى طبع الكتاب كلّه ، من اعادة النظر في هذه الفهارس وجمعها كلّها في مجلّد واحد ، وان ضخماً ، تسهيلاً على طلّاب المعلومات وضنّاً بوقتهم . ولا شك في ان اللجنة راغبة في هذا التسهيل ، ان شاء الله .

ف . ا . ب .

فلسطين العربية بين الانتداب والصهيونية

تأليف عيسى السفري

٢٨٠ + ٢٠٠ ص . متوسطة – يافا ، مكتبة فلسطين الجديدة ، ١٩٣٧ – الثمن : ٣٠٠ مل

لقد دخلت فلسطين مسرح الحياة العالمية دخولاً دامياً في اوائل الصيف الماضي ، فلفتت اليها انظار اقطاب السياسة في الشرق والغرب ، لما اثارته اضطراباتها من مشاكل بين العرب واليهود ، وبينهما وبين الإنكليز . فكانت فرصة للوطنيين من العرب ليعيدوا الكرة بمطاليبهم ، ويبرزوا وثائقهم ومستنداتهم ، وكانت فرصة للحكومة الانكليزية لتعيد النظر في مقرراتها وتدابيرها . ومن ثمّ كثرت المقالات والتآليف مختلفة باختلاف النزعات . وقد اشرنا في الجزء الماضي الى ما جمعه الاستاذ وديع البستاني من حجج وحقائق ووثائق في سبيل حلّ المشكلة الفلسطينية بعنوان « الانتداب الفلسطيني باطل ومحال » . وها انا نشير اليوم الى هذا السفر الجديد يشمل تاريخ القضية الفلسطينية منذ الاحتلال البريطاني (كانون الاول ١٩١٧) حتى مجيء اللجنة الملكية (تشرين الثاني ١٩٣٦) موزّعة مواده في كتابين جمع الأول منهما ملخّص التطورات السياسية والاجتماعية والاقتصادية الطارئة على فلسطين منذ اعلان الثورة العربية الشهيرة بقيادة الامير فيصل ، الى نشوب ثورة فلسطين الخاصة في ١٩ نيسان ١٩٣٦ ،

مفصلاً ماكان بين ذلك من حركات عربية وصهيونية ، ومشاريع ، وتشكيلات ومؤتمرات ، واحتجاجات ، ولجان درس ، وتقارير ضافية كوّنت إضبارةً ضخمة في تاريخ القضية الفلسطينية. اما الكتاب الثاني فيحتوي على وصف الاضطرابات منذ ١٩ نيسان ١٩٣٦ حتى وصول اللجنة الملكية ، مفصلاً « دقائق الثورة وتطوراتها خلال ستة اشهر الإضراب ، مع ذكر المعارك الهامة ، وحوادث المظاهرات ، وهدم الجسور ، وتخريب الخطوط الحديدية ، وقلب القطارات ، وقطع أسلاك البرق والتلفون ، والاغتيالات ونسف البيوت ، وفرض الغرامات الخ... بطريقة جذّابة ، ووصف حقيقي رائع ».

والخلاصة ان الكتاب « يكاد يكون سجلاً جامعاً للقضية الفلسطينية في عشرين عاماً » ، على قول الحاج امين الحسيني ، كاتب المقدّمة. ولا شكّ في ان المشروع الجديد بتقسيم فلسطين سيُتيح للمؤلّف اصدار ملحق شائق لهذا الكتاب الجامع. ف. ا. ب.

ادباء العرب

تأليف بطرس البستاني

الجزء الثاني : في الأعصر العباسية — ٤٨٠ ص . متوسطة

الجزء الثالث : في الاندلس وعصر الانبعاث — ٣٥٠ ص . متوسطة

بيروت ، مكتبة صادر ، ١٩٣٦ و١٩٣٧

تقدّم لنا كلام (المشرق ٢٩ [١٩٣١]١٥٨) في الجزء الأول من هذا السفر القيّم يخصّه المؤلف بطلّاب البكالوريا اللبنانية ، ملخصاً فيه ، على طريقة واضحة واسلوب لطيف ، نتائج ابحاث جمّة في ماضي ادبنا وحاضره ، ومؤلفات طويلة لكبار كتّابنا وشعرائنا . يعرض لتاريخ الأديب اولاً فيختصر حياته ، مدققاً في ذكر صفاته البارزة ، مستفيضاً في تحليل آثاره من شعر ونثر ، مستشهداً بما يدلّ منها على شخصيته ، وما يسهّل على الطلّاب تصوّر هذه الشخصية تصوّراً حقاً .

وقد خصّ الجزء الثاني بالاعصر العباسية دارساً فيه بشار بن برد ، وابا نواس ، وابا تمام ، والبحتري ، وابن الرومي ، والمتنبي ، وابا فراس ، من الشعراء ؛ وابن المقفّع ، والجاحظ ، وبديع الزمان ، وابا الفرج الاصبهاني ، والحريري ، وابن

الأثير من الكتّاب ، ملمّاً ببعض الشعراء الشعوبيين كدعبل ومَن اتى بعد عصره من المولّدين ، وبعددٍ من علماء اللغة كالخليل والاصمعي وابي عبيدة ومن اليهم .

واما الجزء الثالث فيتناول عصرين مهمّين من عصورنا الادبية ، لا بقيمتها الفنيّة ، بل بطرافتها ، وبقلّة الباحثين فيها ، هما عصر الادب الاندلسي وعصر الانبعاث . وكان لا بدّ من اطالة المقدّمات التاريخية والادبية ، ولاسيما في ما خصّ الأندلس ، فاطالها المؤلف وحسناً فعل ، مجتهداً في تلخيص الاحداث السياسية في تلك الدويلات المتشاحنة المتعاقبة ، وفي رسم الخصائص والميزات الفارقة لانواع الشعر الاندلسي ، ولاسيما الموشّحات ، ولطرق النثر في المغرب واسبانية . حتى اذا ادرك عصر الانبعاث تبسّط في ذكر اسبابه السياسية والاجتماعية وتعيين مواطن الادب فيه ، ومراكز لبنان منها . ثم انتقل الى درس فنون الشعر وانواع النثر ، خاصاً بالبحث العميق شاعراً واحداً هو احمد شوقي ، واربعة كتّاب هم الشيخ ابراهيم اليازجي ، ومصطفى لطفي المنفلوطي ، وولي الدين يكن ، وسليمان البستاني ، متقيّداً في هذا الاختيار ايضاً بنهاج البكالوريا اللبنانية . فاتى مؤلفه من افضل ما يوضع بين ايدي الطلّاب من كتب الأدب ، ومن افضل ما يرجع اليه جمهور المثقفين كذلك .

ف . ا . ب .

الشيوعية الالحادية

رسالة عامة للبابا بيوس الحادي عشر

مترجمة الاب شارل ايلا اليسوعي

ده ص . متوسطة – بيروت ، المطبعة الكاثوليكية ، ١٩٣٧ .

وسط هذه الاضطرابات الاجتماعية الجارفة ، الناشئة ، من جهة ، عن استبداد المتكالبين من ارباب رؤوس الاموال ، ومن جهة اخرى ، عن تطرّفات الشيوعية الإلحادية ، كان العالم التائق الى الهدوء والطمأنينة بحاجة الى من يسمعه صوت الحقّ والعدالة . واذا بهذا الصوت يرتفع صارخاً من قمة الفاتيكان مُعطياً كل ذي حقّ حقّه ، سائلاً للضائع الحيّة صراطاً مستقيماً ، فيصغي اليه العالم ويسير بتوجيه المؤمنون .

يقسم الاب الاقدس رسالته الى خمسة اقسام يوضح في الاول منها موقف

الكنيسة ازاء الشيوعية منتقلاً الى درس التعليم الشيوعي واثماره في الشخص والأسرة والمجتمع ، مطلاً انتشار الشيوعية ، دالاً على نتائجها الوخيمة في روسية ، والمكسيك ، واسبانية ، موجهاً عاطفة ابوية الى الشعوب المرهقة في روسية. بعد هذا يُقرّ تعليم الكنيسة النيّر ، في القسم الثالث، منحدراً من الحقيقة السامية: الله ، الى ذكر ماهية الانسان ، والأسرة ، والمجتمع ، محدّداً الحقوق والواجبات في النظام الاقتصادي والاجتماعي ، مشيراً الى محاسن تعليم الكنيسة في هذه الموضوعات جميعها. وفي القسم الرابع يصف معالجة الداء ووسائلها من تجدّد في الحياة المسيحية ، ودرس المبادىء الاجتماعية ونشرها في سبيل العدل ، واتقاء خدائع الشيوعيين ، والعكوف على الصلاة واعمال التوبة . ويأتي القسم الخامس في خدم الكنيسة واعوانها في مساعيها الاجتماعية كالكهنة ، وارباب العمل الكاثوليكي ، والمنظمات المهنية. وينهي بنداء الى العملة الكاثوليك ، فالى كل المؤمنين بالله ، فالى الابناء الضالين جميعاً.

رياضات القديس اغناطيوس دي لويولا مؤسس الرهبنة اليسوعية

عربها عن اللاتينية الاب خليل اده اليسوعي والخوري يوحنا طنوس الماروني
٢٣٦ ص. قطع ١٦ – بيروت، المطبعة الكاثوليكية ، ١٩٣٧

هذا كتاب صغير وجيز المواد ، غزير المعاني ، كثير الفوائد يحوي خلاصة نسكيات القديس اغناطيوس ، ولبّ دستور الرهبانية اليسوعية . فإن يكن لها فضل في التعليم والتهذيب وفي نشر الايمان والقيام بخدمة المؤمنين والدفاع عن حقوق الكنيسة ، فذلك الفضل كله يعود الى كتاب الرياضات . وقد قدره الاحبار الاعظمون حق قدره ، وقالوا فيه انه ، على صغر حجمه ، من اهم المؤلفات الروحية الملخصة الكتاب المقدس وتعاليم الآباء والقديسين . ليس المقام للاسهاب في تعريف الكتاب . وحسبنا لفت النظر الى ظهوره لاول مرة مترجماً باللغة العربية ، فيقبل على اقتنائه الكهنة والمؤمنون ، وكل انسان تحدّثه نفسه في الطموح الى بلوغ المستوى الادبي والعقلي والروحاني الذي يرتفع اليه كتاب الرياضات بالذين يمارسونها عن اخلاص وصدق سريرة . فيو

مصوّب البصيرة ، ومقوّي الارادة ، وممهّد الطريق الى بلوغ الغاية القصوى باقرب الوسائل وانجعها. وهو آية في تعليم الانسان ان يتدبر شؤونه بنفسه، وخليقٌ ان يدرسه ليس المسيحي فقط ولكن كل عاقل من الناس ايضاً.

لم يكن النجاح في تعريب الكتاب من الامور القريبة المنال لان في المتن الاسباني الاصلي المنقول الى اللاتينية، منذ عهد القديس اغناطيوس وبعده، عقبات كؤوداً تحول دون تأدية معانيه بالعربية وليس فيها من المصطلحات الخاصة ما يقوم بحق المتن الاصلي معنىً ومبنىً . ولذلك لم يكن بالكثير على الكتيّب ان يعكف على درسه ونقله رجلان لهما سابق العهد في التآليف العربية، صرفاً ونحواً وادباً وبياناً. فتخافرا وجمعا جهودهما فاخرجا هذه الترجمة النفيسة. ولعلها من خير ما نقلته المطبعة الكاثوليكية الى اللغة العربية، بعد ترجمة الكتاب المقدس المعروفة باليسوعية . ف. ت.

رياضة روحية للكهنة حسب طريقة القديس اغناطيوس

للاب لويس معلوف اليسوعي

٢٦٥ ص. قطع ٨ – المطبعة الكاثوليكية ، ١٩٣٧

ان عشرات السنين التي قضاها في التأليف مدير البشير سابقاً، وواضع قاموس المنجد، لم تحل دون اهتمامه بشؤون النفوس مباشرةً في القاء المواعظ على الشعب، وفي ارشاد الكهنة في الرياضات. فتيسر له، مع الاستعدادات المألوفة في الرهبانية اليسوعية ، استعدادات خاصة استمدت من مواهبه الغريزية والمكتسبة ، ومن الظروف التي ساعدت على انمائها ، صفات صلحت للانتاج العقلي ليس في اللغة والادب فحسب ولكن في الدينيات ايضاً. وما هذا الكتاب الا ثمرة من اثمارها ترجع عناصره الى موارد ثلاثة: الاول والاصيل انما هو رياضة القديس اغناطيوس التي وصفناها سابقاً، والثاني هي المؤلفات الروحية واخصها كتاب الاب جيرو اليسوعي، وقد اقتبس عنها الاب معلوف ما رآه مفيداً لموضوعه . والثالث هو تحصيله الروحي واسلوبه الشخصي في تلقين النفوس طرق الكمال على اختلاف النزعات والمشارب.

مضت الاعوام على مؤلفات الاب فروماج فهرمت وختم عليها الاهمال لبعد اسلوبها اللغوي من اساربنا العصري. اما رياضة الاب جنو اليسوعي المعرّبة فقد

عزّت نسخها ولم يبق لنا فيها طعمة المستحدث المشوق الى مطالعتها. ولا مانع من ان يردفها في صنفها كتاب جديد يزيد في ثروة الروحيات المسيحية العربية. ولذلك اتت رياضة الاب لويس معلوف في الوقت الموافق فسدّت الحاجة اليها وادّت للكهنة وللمرشدين موادّ غزيرةً وفوائد سهلة المنال ، باسلوب وضاح ولغة انيقة ، ووسائل تسير بهم الى بلوغ الغاية القصوى في الكمال المسيحي. ف.ت.

الطرفة في مخطوطات دير الشرفة

تاليف الخورفسقفوس اسحق ارملة السرياني

٥٥٤ ص. قطع ٨ – جونيه، مطبعة الاباء المرسلين اللبنانيين، ١٩٣٦ – الثمن: ١٠٠ قرشاً

في السنة ١٧٨٦، أسس البطريرك مخائيل جروه دير سيدة النجاة في شرفة كسروان، واستودعه مجموعة ثمينة من الكتب الخطية كان قد حصلها في رحلاته في حلب، وماردين، وبغداد ، ودمشق ، فصارت نواة المكتبة البطريركية التي نمت وازدادت مع الايام بما دخل فيها من كتب الشبانية وغيرها. ثم عاثت بها يد الدهر فافقدتها شيئاً من مخطوطاتها لكن الرؤساء الحاليين بذلوا العناية في تعزيزها. وللاب اسحق ارملة الفضل في وضع فهارسها هذه وتقريب منالها من العلماء.

ان التأليف في المواضع البعيدة عن المراجع العلمية الاصيلة تكون في الغالب محروماً من التعليقات المكتسبة من حركة الدروس الواسعة. وليس بالامر اليسير ان يصف المؤلف المخطوطات مقابلاً بينها وبين ما تحفظه من امثالها المكاتب الكبرى. فيعرف هل طبعت او لم تطبع ، وهل لها نسخ نادرة او عديدة في العلم . فيأتي كتابه مرجعاً ممهداً لتاريخ الآداب. ومع ذلك فان معارف الاب اسحق الشخصية وتضلعه من العلوم السريانية والعربية ، وطول باعه في التأليف مكنه من وصف مخطوطات الشرفة الوصف المسهب الوافي . ولا شك في ان المستشرقين سوف يقدرون عمله حق القدر. واننا نأتم بالمؤلف ذاته في الاشارة الى اهم المخطوطات المحفوظة في الشرفة وبعضها صورت منها صفحات وطبعت في صدر الكتاب . من ذلك مجموعة قديمة لرسائل الحاكم بامر الله الخليفة الفاطمي (٩٩٦–١٠٢٠) وإمام الدروز ، ترقى كتابتها الى عهد الحاكم او تكاد (٤٢٢هـ=١٠٣٠)

وتحوي الاخبار عن معتقدات الدروز وهي من اقدم اثارها ــ ولذلك القرن يرتقي المخطوط المعروف « بالشيخ » وفيه الصلوات القديمة الشاهدة لوحدة الطقوس في اصلها بين السريان والموارنة والملكيين ــ وفي مكتبة الشرفة شرح ابن العبري للكتاب المقدس باجمعه لغةً ومعنىً وهو منقول في القرن السادس عشر عن نسخة المؤلف ــ وفيها نسخ عديدة للعهد الجديد ومنها واحدة تحوي بعض فصول من الدياطسرون ــ ومن مخطوطات الشرفة كتاب المرشد ليحيى ابن جرير ومنارة الاقداس لابن العبري والايتيقون. وهذه الثلاثة استنسخها المرحوم الاب شيخو للمكتبة الشرقية لعظم اهميتها . ومنها المؤلفات في اللاهوت ، والفلسفة ، واللغة ، والتاريخ ، والطبّ ، والفلك ، والهيئة ، والحساب ، في اللغتين العربية والسريانية . وهي كنز ثمين لا بد من الكشف على دفائنه لمعرفة تطور اللغة العربية ، ودرس العنصر السرياني فيها . ويصف الكتاب ١١٥٠ مخطوطاً ولكن ليس فيه الا فهرس عمومي واحد مقتضب ، مع كونه يحتاج الى فهارس باسماء الكتب ، واعلام المؤلفين والناسخ والامكنة وغير ذلك مما يزيد بقيمة وصف المخطوطات ، عسى ان يردف المجلد بذيل يطبع بعده ويفي بالمطلوب .

ف . ت .

اعلام الفكر الفرنسي

١٨٢ ص . صغيرة — دار « الشرق والغرب » ، بولاق (مصر) — الثمن : ٥ غ . م .

واضع هذا الكتاب مستشرقتان هما السيدة « كاترين هنري » ، والسيدة « بنت الحارث » ، وكاتب فرنسي هو « اكويه » تقاسموا المواضيع واستقلّ كل واحد منهم في انشاء موضوعاته فكان للاولى ديكارت (ص ١) ، ڤولتير (ص ٥٥) ، روسّو (ص ٧١) ، كونت (ص ٨٩) ، وكان للثانية بسكال (ص ٢٠) ، باجي او بيگي (Ch.Péguy) (ص ١٥٥) . وكان للثالث رينان (ص ١١٣) ، وبرگسون (ص ١٢٩) . وينتهي الكتاب عن ثانية من اعلام الفكر الفرنسي كلٌّ منهم كان صاحب مدرسة وزعامة في عصره . فمن ديكارت صاحب المدرسة الفلسفيّة العقليّة التي جرت مجراها الخصب في الفلسفة

العالميّة والتي سعى فيها صاحبها الى الحقيقة واليقين عن سبيل العقل الشاكّ ، الى ڤولتير زعيم الجرأة الساخرة حتى الوقاحة في الدين والاجتماع والادب ، الى روسّو شيخ « الرومنتسم » ، الى « كونت » العامل الاكبر في نهضة الفلسفة الحديثة ، الى بسكال المفكّر المتأمل ، الى الرجل الغريب ، القصصي الفيلسوف الشاعر شارل بيكي ، الى رينان المتشيّ الهدّام ، الى برگسون ، حامل لواء الفلسفة الروحيّة اليوم .

وكلّها ابحاث عليها مسحات من الجمال الفني ، وفيها الكثير من سموّ النقد المعاصر ورشاقته ، التي خرجت بالنقد عن التقسيمات المملّة المضجرة التي لا نعتفرها للكاتب الّا في الكتب المدرسية حيث يكون للتبويب المنطقي السهل شأنٌ كبير .

نقل الكتاب الى العربية الاستاذ حبيب سعيد . فقدّمه الى الشباب الحرّ المثقف راجياً لهم منه الاستفادة ، شارحاً بعض المسائل الهامة عن تسمية الكتاب ، وقيمة ابحاثه ، تدلّ على فهم الرجل رسالته ممّا يجرّنا الى الفأل به وبكتابه .

وقد تدّم الكتاب الاديب احمد زكي ابو شادي بمقدّمة صغيرة لم يخرج بها عن اسلوب المقدّمات العادية البسيطة .

اما الترجمة فموفّقة بالاجمال لولا بعض التعقيد والغموض احياناً . ورغبتنا لو ان الناقل اشار الى مصادر بعض المقاطع التي كان ينقلها على سبيل الاستشهاد من مؤلفات المنقودين، اذاً لأمكن الرجوع اليها ، ولتمّت فائدة لا تتمّ بدونها .

ونلفت انظار الناقل الى اخطاء قد لا تكون جميعها مطبعيّة وردت هنا وهناك في الكتاب فيتقيها في الطبعة الثانية ؛ ومن اثقلها على آذان العارفين هذه : « Discours de Méthode » التي وردت ، غير مرّة ، على هذا الشكل المهشّم .

وبعد ، ليس لنا سوى ان نستزيد الاستاذ حبيب سعيد من هذه الاثار التي يكون لها شأنها في بلاده ، والتي تقف بالمرصاد لسرّاق الادب الغربي .

ا . ح .

محاضرات في التربية والتعليم

تأليف واصف بارودي

الجزء الثاني : ١٧٥ ص. متوسطة — بيروت ، مطبعة الكشاف ، ١٩٣٧

لقد اصبحت محاضرات الاستاذ واصف بارودي موارد سائغة لرجال التربية والتعليم يرتادونها كلّ سنة ، اذا اشتدّ عليهم الحرّ واقفلت المدارس ابوابها ، فانتقلوا الى الجبال وهم أبعد ما يكون عن المشاغل المسلكية والمهمّات التربوية ، الّا اذا دعاهم المحاضر فلبّوا دعوته ، مجتمعين في زحله او تعلبايا او غيرهما من مناطق الاصطياف ، يتناقشون والمحاضر في الصلة بين التربية والأدب ، والقراءة الصارخة والصامتة ، ودور المعلّم في القرية ، والزراعة في مدارس القرى ، والثقة في التربية ، والتربية والحياة ، ومستقبل النشء الحاضر ، وغير ذلك من الموضوعات التي تجمع بين التربية ، والأدب ، والاجتماع ، وتمهّد امام المعلّمين سبيل القيام بواجباتهم ، فيشعرون الشعور الحقّ برسالتهم السامية ويعملون ، لا على اعداد تلاميذهم لنيل الشهادات الرسمية فقط ، بل على تهيئتهم لخوض الحياة رجالًا مثقّفين . وقد احسن المؤلف صنعاً بجمع هذه المحاضرات تعميماً لها ، وافادةً لمن لم يعلمهم صوته ، بعد ان اضاف اليها ابحاثاً القاها على طالبات دار المعلّمات في مهنة التعليم واهميتها ، والمثال الاعلى والقضية النسائية ، واللغة ، فألفت الجزء الثاني من محاضراته . اما الجزء الاول فقد اشرنا اليه (المشرق ٣١ [١٩٣٣] ٣١٨) وكذلك أشرنا الى تأليف آخر دعاه « مقالات في التربية والتعليم » (المشرق ٣٢ [١٩٣٤] ٤٧٧) ذاكرين ما امتازا به — وهو ما يمتاز به هذا الجزء — من عمل على نشر المبادئ الحديثة في فنّ التربية والتعليم . ف . ا . ب .

قميص الصوف

مجموعة قصص لتوفيق يوسف عواد

١٢٢ ص. متوسطة - بيروت ، منشورات « المكشوف » ١٩٣٧ - الثمن : ٢٥ غ.ل.س.

في مؤلف هذه المجموعة ميل غريزي الى التوقّف لدى المظاهر المرضية في البشر ، سواء اكانت هذه المظاهر عاهةً جسدية (الصبي الاعرج)[1] ام نقصاً

١) اطلب ، في وصف « الصبي الاعرج » ، المشرق ٣٦ [١٩٣٦] ١٥٠

اجتماعياً (الوسام ، الرفيق كامل) ام شذوذاً خلقياً (ميثاق الموت) . بل قد يكون هذا الشذوذ تطرّفاً او تضخماً في عاطفة عاديّة او خلق طبيعي . فيعلق به الكاتب ، ويتأمل فيه ، دائراً في حناياه ، ناعماً بمظاهره النافرة ، متذوّقاً ، على ما يظهر ، انحرافاته البارزة في غبطة غريبة أحسن بالايضاح عنها عندما سمّاها « شهوة الدم » . واذا امامنا « احد الشمانين » ، و« توما » ، و« قيص الصوف ».

لا يهمّنا ان يكون للكاتب غاية وراء القصّة او لا يكون — وهو الارجح ! — انما يهمّنا ذاك الجوّ الخاصّ الذي يرمي فيه باشخاصه — وبقرّائه — فيسير بهم بين ادواء البشرية ، وكأنهم في مستشفى متعدّد الاختصاصيات . فيستغربون لاول وهلة . ثم يؤخذون بتلك الغرابة حتى المؤالفة ، وهم لا يتمالكون الشعور ، في بعض القصص ، بما يشعرون به في روايات موريك ، مصوّر العوارض المرضية في الانسان ، وباسط ما يتناوب النفس من عواطف ونزوات تخرج في اكثرها عن الطبيعي المحتمل عادة . ولكنها لا تخرج عن الانسانية . وانسانية المؤلّف حيّة شاملة ، على اخذه ببيئته اللبنانية ، وبعصره من القرن العشرين ، بل من هذا الثلث الاول من القرن العشرين .

وكم رددنا لو لم يُدفع الى المبالغة في اوصاف وعبارات يأنف منها المتأدبون اللبنانيون ، ولا سيما الناشئون منهم . ولا شك في ان الخفر اللبناني سيعود مسيطراً ، فيخفّف من ذلك في المجموعات المقبلة ف . ا . ب .

تدمر

او مدينة الاعمدة وملكتها زينب

ابحاث تاريخية اثرية صدرت اولاً في مجلة « المنارة » ثم في هذه المجموعة

بقلم الاب يوحنا ابي سمرا المرسل اللبناني

١٤٠ متوسطة — مطبعة المرسلين اللبنانيين ، حريصا ، ١٩٣٦

يبدأ الاب الباحث كتابه بمقدمة وجيزة تضمّنت حكماً في التاريخ والآثار ، وتأكيداً بأن هذه الدروس مجلوّة « بحلة عربية قشيبة » ، وبأنها « في عيني ادبا كريمة غالية » . ويزيد حضرة الاب ، متواضعاً ، انه لا يدّعي بأنه « اتى بها الفتح

المبين ». على انه لا يرى مندوحةً من التصريح انها « خطوة اولى في هذا المضمار الوعر » . اما الخطوة الثانية فلعلّها بحث الاب رونزفال الظاهر في المشرق سنة ١٨٩٨ . وكثيرًا ما استند اليه المؤلف في الكلام عن زينب واسمها واصلها وحروبها ، واتساع مملكتها ، الى غير ذلك من الموضوعات المشتركة بين البحثين.

الّا ان الاب ابي سمرا يورد فوق ذلك ، اتماماً للفائدة العلمية، قصيدة للشاعر شبلي ملاط ، ومقالين لجريدتي « البيرق» و« الهدى » اليوميتين ، وصورة الاستاذ ملحم فرحات الحدثي.

فالكتاب اذًا ، من اوله الى آخره ، ثمين للغاية . وحسناً فعل حضرة الاب الفاضل اذ قال في الختام : « انتهى ولله الحمد اولًا وآخرًا ». ن.د.

الحكيم وليلى

تأليف توفيق حسن نادر الشرتوني

١٦٠ ص . متوسطة كبيرة — ، بيروت ، مطبعة صادر ، ١٩٣٧

« قصّة تحليلية تبحث في المعضلات الزوجية والمشاكل الاجتماعية . »

يدرك المطالع ، من مجرّد قراءة عنوان الكتاب ، بُعد صاحبه عن القصّة العصرية كما يفهمها اصحابها في بلادهم ، وكما بدأ ان يفهمها بعض اصحابنا في بلادنا .

« قصّة . . . تبحث » ونرغب اليوم في ألّا تكون القصة بحثاً ، مكتفين بان تكون صورة تمثل لنا — بالتصوير ، او الايحاء ، او العرض — بيئة من البيئات البشرية والجغرافية المتنوعة ، او رجلًا من الرجال الذين نرغب في معرفتهم ، إمّا لأنهم يحملون رسالة عالية حلوة ، وإمّا لأنهم يتألمون من تصرّفات دهرهم معهم ، وإمّا لغير ذلك من الأسباب الكثيرة . وبقدر ما يجيد الروائي القصّاص العرض ، والتصوير ، والايحاء ، فيقف بالقارئ تجاه مشاهد نابضة حياةً ، وصور خفّاقة مرتعشة ، وايحاءات مستثيرة رائعة ، جاعلًا بينها جميعاً تلازماً ووحدة ، بقدر ما يكون روائياً قصّاصاً مبدعاً . وبالضدّ ، فهو روائي فاشل بغيض ان هو بحث ومدّ للفلسفة — التي رغبناها صالحة في هذا الكتاب ! — اصبعاً حيث لا تريد لها الّا كل اصبع مبتور.

وتتقدّم في القراءة فلا نرى ما يفرق « الحكيم وليلى » عن « الحكيم وسلمى »[1] — اختها البكر — من حيث الاسلوب والتفكير ، اللهمّ بعض الجرأة في القول رغبناها لو لم تكن ، اذاً لنجا صاحبها من التهوّر ، والاسفاف ، واضطراب الآراء حتى الفساد في الدين والاجتماع . ا . ح .

شهران في اوربا

رحلة الصحافي المجوز في صيف سنة ١٩٣٥

٢٢٠ ص . متوسطة — مطبوعات جمعية نشر الثقافة بالاسكندرية — الثمن : ١٠٠ مليم

قام الكاتب المصري الاستاذ توفيق حبيب ، المعروف « بالصحافي المجوز » ، برحلة في صيف السنة ١٩٣٥ ، قادته الى ايطالية ، فسويسرة ، ففرنسة ، فبلجيكة . عاد منها ، وقد ملأ عينيه بمناظر الغرب وعجائبه وغرائبه ، فدوّن مشاهداته وآراءه في هذه الرحلة الشائقة ، يرافقه فيها المطالع فيُعجب بالبساطة والرشاقة تقترنان بالملاحظة العميقة والنظر الشامل .

فهرس الكتب العربية الموجودة بدار الكتب المصرية

لغاية سنة ١٩٣٢

الجزء السادس : ٢١٦ ص . كبيرة — القاهرة ، مطبعة دار الكتب المصرية ، ١٩٣٣

يشمل هذا الجزء فهارس فنون الآثار ، والجغرافية ، والأطالس والخرط ، والزراعة والري ، والتجارة ، والصناعات ، والمعارف العامّة بما فيها من اصطلاحات العلوم ومباديها ، والكلام على البسملة والحمدلة واما بعد ، وتعبير الرؤيا ودوائر العلوم والمعارف والموسوعات ، والردود والانتقادات ، والشطرنج ، والمسائل المتنوّعة .

اللؤلؤ المنثور

تأليف الاب يوسف عاوان اللعازري

٢٦٢ ص . متوسطة — طرابلس ، مطابع خياطة ، ١٩٣٧ — الثمن : ٢٥ غ . ل . س .

عُرف المؤلف الفاضل ، فوق اعماله الرسالية والادبية ، باهتمامه الجزيل بمفاخر الجمعية الدينية التي ينتمي اليها ، وقد طالما قرأنا له ترجمات الكثير من ابنائها

١) راجع رأينا في « الحكيم وسلمى » في المشرق ٣٣ [١٩٣٥] ٤٧٨

وبناتها . وها هو يخص بحثه الاخير بقديسهم الأكبر ومؤسس جمعيتهم وجمعيات راهبات المحبة ، القديس منصور دي پول ، « مفصلاً اعماله واعمال بنيه المرسلين اللعازريين ، وبناته راهبات المحبة منذ الابتداء الى اليوم ، مع مختصر تاريخ اديرتهم في الشرق الادنى ، ونبذة في الشركات المنتمية اليه.»

قصص فكاهية للاطفال

بقلم كامل كيلاني

القصة الاولى : عمارة — ١٦ ص. متوسطة
القصة الثانية : الارنب الذكي — ١٦ ص. متوسطة
القصة الثالثة : عفاريت اللصوص — ١٦ ص. متوسطة
القصة الرابعة : نُعمان — ١٦ ص. متوسطة
القصة الخامسة : المَرَنْدَس — ١٦ ص. متوسطة
القصة السادسة : ابو الحسن — ١٦ ص. متوسطة
مصر — مطبعة المعارف ، شارع الفجالة ، ١٩٣٤ و١٩٣٦

مجموعة قصصية لذيذة للاطفال بما فيها من سهولة النصوص وتدرّج الوقائع ، وجمال الصُوَر ، وحسن الطبع . ولا شكّ ان الاستاذ كامل كيلاني اصبح من كبار الاختصاصيين بهذا الفنّ .

* تساعية سيدة التلة شفيعة دير الفسر * ٢٦ ص. صغيرة ، بيروت ، المطبعة الكاثوليكية ، ١٩٣٧ — وضعها الاب افرام حنين الديراني ، رئيس انطوش سيدة التلة الحلبي اللبناني في دير الفسر ، بمناسبة تعيين العيد الرسمي السنوي الواقع الاحد الاول من شهر آب .

* زنبقة الشرق ووردة الغرب ، وتحفة البرّ ودرّة البحر * ٨ ص. متوسطة ، بيروت ، مطبعة السلام ، ١٩٣٧ — من نظم الخوري لويس فرح الغنالي ، مرفوعة لصاحب الغبطة مار انطون بطرس عريضه ، بمناسبة سفره الى اوربا .

* الخطاب الذي القاه الموارنة يوحنا المنداري النائب العام لابرشية طرابلس المارونية ، ترحيباً بعودة صاحب السيادة المطران انطون عبد ، بمناسبة عودته من رومية وباريس * ١٠ ص. متوسطة — طرابلس ، مطبعة « صدى الشمال » ، ١٩٣٧ .

* تذكار اليوبيل الذهبي لاخوية المحبة الصالحة لطائفة الاقباط الكاثوليك * ٢٤ ص. متوسطة مصوّرة — مصر ، كاتدرائية الاقباط الكاثوليك بدرب الجنينة .

* خلاصة اعمال الجمعية الخيرية الكلدانية للفقراء في بغداد سنة ١٩٣٦ * ٨ ص. كبيرة — بغداد ، مطبعة الامّة ، ١٩٣٧ .

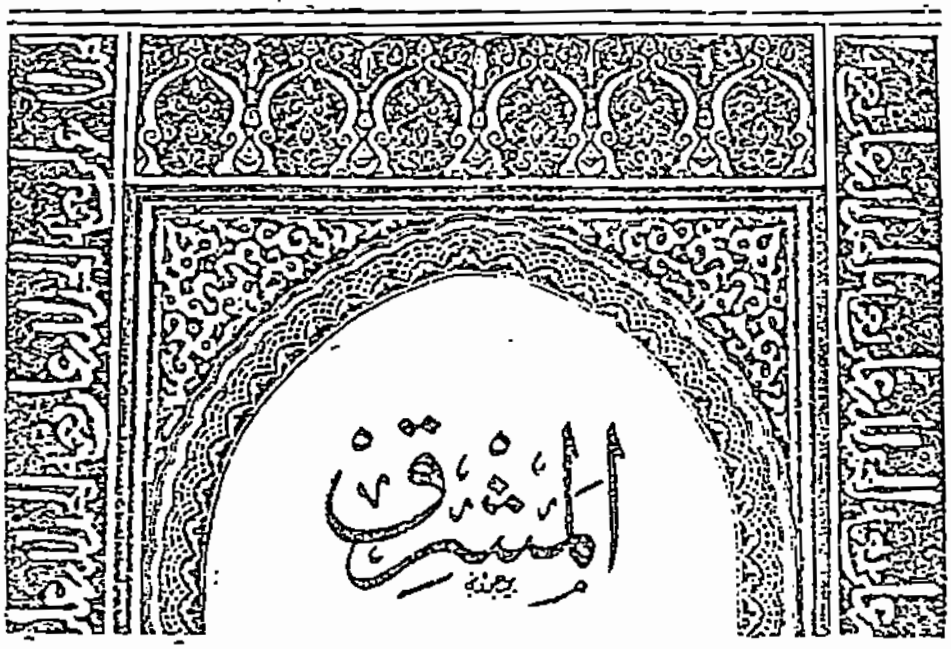

السنة الخامسة والثلاثون — تموز – ايلول ١٩٣٧

عادات وتقاليد رومانية

الحمامات — المآدب — المسارح والملاعب*

بقلم الامير موريس شهاب
امين دار الآثار اللبنانية

طرق الاستحمام

صبح مظاهر الحياة الاجتماعية المبنية في رومة وسائر المدن الرومانية، وما يلحق بها من المستعمرات ومناطق النفوذ الروماني، عادة الاستحمام وما كانت تفرضه من اساليب يسير عليها المستحمون قبل الحمام، وفي اثنائه، وبعده؛ حتى اصبح الاستحمام من ميزات الرومانيين الخاصة، واصبحت الحمّامات من المباني الرومانية الفخمة.

*) مادة محاضرة من محاضرات « معهد الآداب الشرقية » في فرع «التاريخ والاثريات في سورية وفنيقية ».

وقد تسربت اليهم هذه العادة من اليونان ، وان يكن هؤلاء لم يعهدوا الحمام الساخن الّا نادرًا في عهد هوميروس . ذلك ان الاستحمام بالماء الساخن كان دليل الضعف والتخنث في نظرهم ؛ الّا ان يكون المستحم مريضاً او مدفوعاً بسبب كالمرض . اما الحمام البارد فكان مرغوباً فيه حتى في الشتاء ، وهو دليل القوّة والنشاط . ولهذا كان سكّان اسبارطة ، على نفورهم من الماء الساخن الّا في النادر ، يغطسون كلّ يوم في مياه نهر اوروتاس الباردة . على ان اهل اثينة لم يجاروا الاسبارطيين في هذه العادة المنشطة ، لان ما فُطروا عليه من التجمّل وتكرّه المشاقّ كان يدفعهم شيئاً فشيئاً الى الاخذ بالحمام الساخن.

وهو ما اورثوه اهالي رومة . فعمّ استعماله حتى اصبح من العادات اليومية ، يقوم به الرومانيون في الساعة الثامنة من النهار ، اي قبل مغيب الشمس باربع ساعات.

ولم تلبث الحمامات العمومية ان اصبحت محلّات للاجتماع والرياضة البدنية ، يقضي فيها ذوو البطالة ايامهم كاملةً . ولما اصبحت هذه الحمامات مجانية ، كان كثير من الفقراء يألفونها في سبيل الدفء والراحة.

❁

واذا ارتقينا في تاريخ هذه الحمّامات الى القرن الثاني ق.م. ، نجد انها كانت نادرة في البيوت الرومانية لا ينعم بها الّا سراة القوم . وان لنا في آثار سينيك وصفاً لحمّام سيبيون ، غالب هنيبعل ، لا بأس بإيراده . قال انه كان « خالياً ، ضيقاً ، مظلماً ، لا تنيره النوافذ بل فتحات اشبه بالمرامي . ولم يكن ماؤه مصفّى ، فكان يظهر على شيء من الوحل ، بعد الامطار القويّة ». هذه حالة احد الحمّامات الخاصّة في اوائل القرن الثاني ق.م.

على ان الرغبة في الترف المتسرّبة عن اليونان بدّلت شيئاً فشيئاً من عادات الرومان الشظفة ، فنعمت طرق معيشتهم ، واصلحت من مرافق حمّاماتهم فأُضيف الى محلّ الاستحمام قاعات جديدة للاستعداد والراحة . ولم تُلغَ الفروق بين السُراة والعامّة حتى اخذ الرومان جميعهم يختلفون الى الحمّامات العمومية انما كانوا ، في اولّ الامر ، على قسطٍ وافر من الحياء . فكان يمتنع الصهر عن الاستحمام مع حميه خفرًا وتأدباً . ولكن انتشار الالعاب الرياضية ، وما تفرضه

من ضرورة الاغتسال ، عمل على تخفيف الحياء فلاشاته . واذا باهل رومة يستحمّون مختلطين.

وقد زادت هذه العادة انتشاراً على عهد الامبراطورية ، يعاونها فساد الاخلاق وقلة الاكتراث ، حتى اصبحت الحمامات مشتركة بين الرجال والنساء يختلطون فيها انّى شاؤوا ؛ على رغم ما حاوله بعض الامبراطرة من منعها فلم يُفلحوا،ولم يقوَ عليها الّا النصرانية في القرن الرابع ، فانتصرت على هذه العادة انتصارها على الكثير من العادات الوثنية.

⊡

كان الرومانيون في اول الامر يدفعون رسماً للدخول الى الحمام . حتى اذا عمّت العادة ، واصبح الحمام من مرافق الحياة اليومية ، اخذ بعض كبار القوم والاغنياء يُنشئون الحمامات المجانية ، في سبيل ارضاء الشعب واستعطافه. فزاد عدد الحمامات زيادة عجيبة في جميع مناطق العالم الروماني . ففي القرن الاول اضاف أغريبا الى حمامات رومة ١٧٠ حمّاماً جديداً . وفي اوائل القرن الرابع ، كان في رومة وحدها ، على عهد قسطنطين، ٨٥٦ حمّاماً.

⊡

اما بناء الحمّامات فكان بسيطاً حتى اواخر الجمهورية . كان يُكتفى بغرفة او غرفتين الى جانب المطبخ فيصل الماء اليها ساخناً . حتى كان اوائل القرن الاول ق.م. فانشأ سرجيوس أورانا حماماً مبلّطاً مرفوعاً على اركان منفرجة (hypocaustes) يتخلّلها الهواء الساخن واصلاً من الموقد . وبعد ذلك أُضيف الى هذا البناء حيطان من الآجرّ المفرّغ متصلة بالاركان المذكورة . وكان من عمل ميسينوس الشهير في رومة انه كان اول من انشأ بركة فسيحة يسبح فيها في الماء الساخن . وفي الوقت نفسه بينا كان ميسينوس ينعم بهذا الترف ، كان اغوسطوس يكتفي بان يعرّق جسده امام النار . ثم يكبّ عليه الماء المسخّن بحرارة الشمس.

وعندما نُظّمت طريقة الاستحمام ، اصبح للحمّام ثلاث غرف تمثّل ثلاث محطات يتنقّل بينها المستحمّ.

فيبدأ بغرفة قريبة من المدخل تدعى apodyterium ينزع فيها ثيابه ، بمعاونة اوليائه وعبيده ، ان كان من ذوي اليسار ؛ فيضعها في اماكن خاصة منقورة في الجدار على مسافة عالية مخافةَ ان تصل اليها ايدي السلّابين . وكان الكثير منهم يمتهنون هذه المهنة ظافرين بثياب مَن لا عبيد لهم من المستحمين. وكان هؤلاء يستأجرون ، على الغالب ، من يحفظ ثيابهم إبّان الاستحمام.

من هذه الغرفة الاولى ، كان المستحمّ ينتقل الى غرفة ثانية اسمها tepidarium ، فتعدّه شيئاً فشيئاً الى الانتقال من الهواء البارد في الخارج الى الحرارة الشديدة في الغرفة الثالثة المدعوّة caldarium . والغرفة الثانية مبنيّة كالثالثة على الاركان المتفرجة المذكورة ، ومكتنفة غالباً بجدران الآجرّ المفرغة. على ان حرارتها كانت معتدلة لبعدها عن الموقد. في هذه الغرفة كان يقيم المستحمّ وقتاً كافياً لتعريقه ، فإعداد جسده لقبول الحرارة الداخلية. ولما كان الزبائن ينعمون بالاقامة مدة في هذه الغرفة المتوسّطة ، ولما كان جوّها اقلّ رطوبة من جوّ الغرفة الثالثة ، امكن اصحاب الحمّام ان يزخرفوا حيطانها وسقفها. وقد اظهرت الحفريّات في ساحة پومپي غرفةً من هذا النوع مزدانة السقف بكثير من النقوش البارزة وحافلة الجدران بعددٍ من تماثيل الرياضيين تفصل بين طاقات الثياب.

اما الغرفة الثالثة فكانت بجوار الموقد ، وكان فراغ جدرانها وارضها يزيد في قبولها للحرارة ، فتبلغ فيها درجةً لا تكاد تُحتمل. وهي مستطيلة الشكل مزيّنة بالرخام والملاط المرخّم ، مستديرة احد الطرفين على شكل حَنيّة فيها جرن مستدير. وفي الطرف الآخر بركة واسعة تحوي الماء الساخن كذلك.

يبدأ المستحمّ بتلقّي حمّام من العرق . حتى اذا اكتفى ، تحوّل إمّا الى الجرن يرشّ جسده بمائه ، وإمّا الى البركة يغطس فيها سابحاً.

وكان من الممكن تعديل الحرارة في هذه الغرفة بواسطة ترس معلّق تجاه فوهة الموقد بسلسلة يستطيع المستحمّ ان يشدّها او يرسلها ، فيزيل او يعيد الترس امام الفوهة.

بعد هذا الحمّام الساخن ، كان المستحمّ يرجع الى الغرفة الثانية حيث ينتظره الدلّاكون ، فيدلكون اعضاءه. ثم يأتي صاحب المِشَط (strigile) فيسرّ بمشطه

ـــوهو نصل طويل من البرونز معقوف مجوّف (الرسم ١)ـــعلى جسد المستحم . وبعد ذلك يمكنه ان يغطس في الماء البارد، فينيل جسمه فائدة ردّ الفعل .

الطيوب

بيد ان ترف العادات الرومانية المستمدّ من الشرق لم يكن ليكتفي بهذا الحمّام وحده. لقد غزت رومة الشرق ، على عهد الامبراطورية ، بقوة سلاحها ، وكثرة جيوشها ؛ فغزاها الشرق بآرائه وترفه. وكان الشرق ، منذ القدم ، يولي الطيوب والعطور المقام الاول في حياة النعيم والغبطة. حتى ان الملك داود لم يكن ليستقبل الزوّار وارباب الحاجات الّا بعد ان يكثر من التجمّل والتطيّب . وهو ما نرى ذكره الذكرَ الواسع في المزامير والامثال وغيرها من اسفار العهد العتيق . فهناك الزيت المطيّب ، والمرّ ، والندّ ، والجَنْبَر ، والدارصيني ، وغيرها تعطّر الملوك والامراء وسائر السراة بل الكثير من افراد السوقة .

ولا يخفى انـه متى تداخلت مدنيتان تأخذ الواحدة عن الاخرى اسهل ما تراه مؤثّرًا في الشعب. ولا يتحقق ذوو البصر في الامّة نظريّات الامة الثانية واسباب قوّتها ومنعتها الّا بعد هذا التأثير الأول بمدة قد تكون طويلة. وهكذا فان الشرق أثّر في العالم الروماني بعاداته الترفية ، وسهولة معيشته ، وما جرّته من نظريّات واخلاقيات ، منذ اوائل عهد الامبراطورية . فبدأ الرومانيون بنقل مظاهر الحياة الناعمة . ومنها استعمال الطيوب الشرقية استعمالًا غريباً في تضميخ الأجساد ، والثياب ، والمنازل ، والحمّامات ، والخيول .

وكان لا بدّ من استيراد المبالغ الكثيرة من هذه الطيوب . فاخذ العالم الروماني ، على نفور شيوخه وقدمائه من المتمسكين بالعادات الزائلة ، يشتري من طيوب بلاد العرب ، والفرس ، والصين ، بقيمة مائة مليون من الدراهم الرومانية (sesterce). وهذا الكاتب بلينوس يحنق ساخطاً لانفاق هذا المبلغ الكبير في سبيل بلاد العطور . وكانت فنيقية في طليعة البلاد المصدّرة العطور . تستخرجها من الزنبق ، والسرو ، والحناء خاصةً . وكانت صيدون من أشهر الاسواق العطرية .

اما تركيب العطور فكانوا قلما يستعملون فيه التقطير. انما كانوا يمزجون المواد العطرية بزيوت او ادهان يبيعونها في الصيدليات . ولهذا كان الطفيليون وذوو البطالة ينعمون بالاختلاف الى الصيدليات حيث يلذّون مجاناً برائحة العطور الفائقة عند نقلها وبيعها. وكانت هذه العطور تُباع بالثمن الغالي ، ذكر منها پلينوس ما كان يباع الثلاثمائة غرام منه بمبلغ خمسين ليرة. فكان لا بدّ من ان ترى الحكومات في هذه التجارة مورد ضرائب ورسوم مهمّة. وكانت بعض الملكات الشرقية من امثال أرسينوي وبيرينيس ، رغبةً منهنّ في زيادة موارد الدولة من هذه الرسوم ، ينشرن عادة التضمّخ بالطيوب على طريقة غريبة فيقتدي بهنّ كبار القوم ، فافراد الرعية جميعاً.

وقد تجاوزت عادة التطيّب الأحياء الى الموتى. فكان اهل الفقيد يزوّدونه بتلك القوارير الزجاجية المشنّة التي كثيراً ما دعاها عامّة المنقّبين خطأً بالبكّاءات واهمين انها كانت تُستعمل لجمع دموع الحزانى والمتأسفين ؛ والحقيقة انها كانت من آنية الطيب. (الرسم ٢)

وكان الروماني ، اذا ما انتهى عملية الاستحمام اليومي ، ينتقل الى غرفة خاصة ، فيُقبل العبيد على دلك جسمه وتضميخه بالطيوب المعطّرة ، حتى يخرج لمّاعاً من الطيب. وقد أُلحقت هذه الغرفة في ما بعد باقسام الحمّام الروماني المهمّة.

الحمامات — المجمّعات

وكان من الطبيعي ان تتطوّر الحمّامات ، فلا تنحصر بمنشآت صحّية . وسرعان ما تحوّلت الى اماكن للاجتماع ، والمباحثات ، والتمارين الرياضية.

وكان من الرومانيين من يقضون نهارهم بكامله في الحمّامات . بعضهم يدرسون في المكاتب التي أُلحقت بغرف الاستحمام. وبعضهم من طلّاب الرياضة البدنية يتمرّنون ، قبل الحمّام ، في الساحات وتحت الاروقة على انواع اللعب. حتى اذا نُهكت اجسامهم وغطّاهم الغبار ، دخلوا غرف الاستحمام. وكان ذوو الخَفَر ، او مَن يأنفون الاشتراك مع الجمهور ، يستحمّون في غرف خاصّة.

وقد ترك لنا سينيك وصفاً حيّاً لاحد هذه الحمّامات من المفيد ان نورد

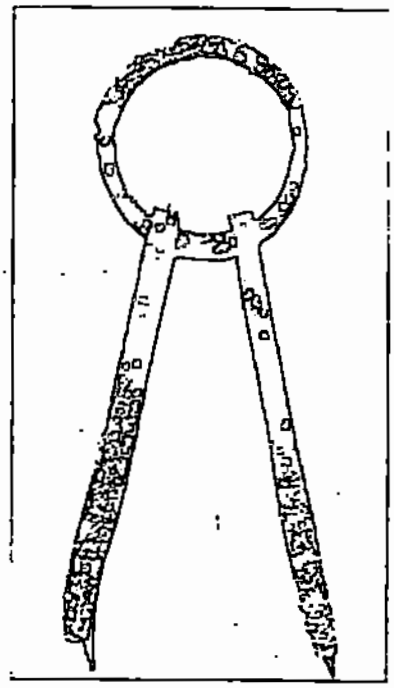

الرسم ١ : مقبض من البرونز ، من العهد الروماني

الرسم ٢ : آنية لطيب من الزجاج ، تعرف عند العامة بالكحالات

الرسم ٤
قانوس ومصباح من اوائل العصر البيزنطي

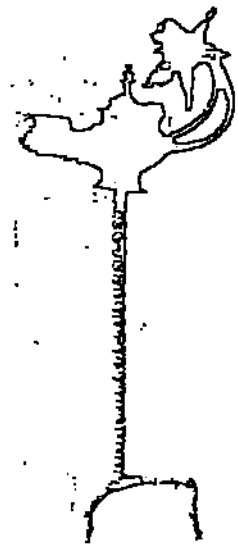

الرسم ٣
مدرجة من البرونز ترقى الى العهد الروماني

بعضه قال : « تقوم عليّ من كل جهة انواع مختلفة من الاصوات لاني اسكن فوق حمّام . تصوّر كل شكل من اشكال الضجيج والصخب الثقيلة الوقع على الأذن : هناك الابطال ذوو المقدرة الجسدية يتمرّنون على الصراع ، او يوازنون الاثقال الرصاصية على سواعدهم حتى اذا تعبوا ، او تظاهروا بالتعب ، سمعت انّاتهم المتواصلة . وكلما ضبطوا انفاسهم مدّة ، ثم اطلقوها ، فهناك الصفير والتنهدات المزعجة . واذا وقعتُ على دلّاك قليل الحذق لا يعرف الّا التدليك البسيط ، فانه يتناول كتفيّ بدلك يحدث اصواتاً مختلفة بين استخدام راحة كفّه او قفاها . حتى اذا جاء لاعبو الكرة واخذوا باحصاء علاماتهم ، قل عليك السلام ! هذا فوق ما هناك من المخاصمات ، وسرّاق الثياب ، واولئك الذين يستعذبون اصواتهم في الحمّامات ، والذين يقفزون في البرك بقوّة يثيرون معها المياه الرشّاشة . أضفْ الى كل ما تقدّم نتّاف الشعر الذي يريد ان يلفت اليه انتباه القوم فيتغنّى بصوته الرفيع المزعج ولا يسكت الّا اذا بدأ نتف إبط المستحمّ المسكين فجعله يصرخ مكانه من الألم . ولا ننسَ باعة الحلويات ، والمرّبيات ، والخمارين المنادين كلٌّ على بضاعته بصوتٍ خاصّ ونغمة مميّزة . »

وكانت الحمّامات تقفل ابوابها بعد غروب الشمس ، فيغادرها المستحمّون واللاعبون ، الّا فريقاً منهم لم يكونوا يعبأون باحكام القانون فكانوا يبقون الى ساعة متأخرة من الليل ، على ضوء قناديل وُجد الكثير منها في الحفريّات التي أُجريت في امكنة الحمّامات الرومانية . (الرسمان ٣ و ٤)

المآدب

وكان من الطبيعي ان المستحمّين ، وقد قضوا الساعات في اللعب ، والتمرين ، والاستحمام ، يشعرون بالجوع . فكانوا ينتقلون من الحمام الى الأكل .

وساعة الأكل العادية كانت التاسعة من النهار ، اي قبل غروب الشمس بثلاث ساعات . على ان هذه الساعة لم يعمّ التقيُّد بها ، فان الكثيرين كانوا يبدأون الأكل منذ الظهر ، وغيرهم لا يجلسون الى الموائد الّا في ساعة متأخرة . وكان معدّل المدّة المعيّنة للأكل ثلاث ساعات على التقريب . وكثيراً ما

كان نيرون يظلّ على المائدة الى منتصف الليل . واحياناً كان السحر يفاجئ الآكلين.

اما غرفة الطعام او المائدة فكانت ، في اول الامر ، في الطبقة السفلى من المنزل ، عند المدخل او وراءه . ثم انتقلت الى الطبقة العليا . ولمّا أُلحق بالمنزل ناحية جديدة ، جُعلت المائدة عادةً الى جنب الغرفة المعروفة بـ (tablinum) ، وفُتح بابها على الرواق . ولكنّ الطاعمين لم يكونوا ليتقيّدوا دائماً بوجود غرفة خاصّة للمائدة . فان مناخ البحر المتوسّط كثيراً ما كان يدفعهم الى الأكل في الرواق المتلاعب فيه الهواء الطلق.

ومن السهل علينا ان نعرف غرفة المائدة في الآثار الرومانية ، بوقوفنا على المقاعد او الاسرّة الحجريّة الثلاثة المحيطة بالخوان . ولهذا كثيراً ما دُعيت الغرفة المذكورة triclinium .

على ان هذه الأسرّة رُفعت احياناً ، واستبدل بها اسرّة من الخشب المزخرف او من الموادّ الثمينة كالعاج والفضة والذهب . وقد رأينا امثلةً منها في الآثار المدفنية او في المآدب الطقسية.

وكانوا يضعون على هذه الاسرّة طنافس ومساند ووسائد محشوّة بالقطن يستجلبون بعضه من دمشق. (الرسم ٥)

وكان اهل المنزل كربّ البيت وامرأته وابنه ، او احد مواليه ، يتوسّدون سرير اليسار ، تاركين للمدعوّين سرير اليمين ، ولرئيس المأدبة سرير الوسط .

ومنذ الأحقاب العريقة في القدم ، نرى ان الرومانيين كانوا يستعملون فُوَط السفرة يرفعها ربّ البيت على المدعوّين . على ان بعض المدعوّين كانوا يأتون بفوطة اخرى معهم يضعون فيها ، عند الانصراف ، شيئاً من المأكولات يحملونها الى بيوتهم هديّةً من صاحب الدعوة . اما الخوان فكان من الخشب على الغالب . وكان يُمسح على اثر كل اكلة . (الرسم ٦)

وفي آخر القرن الاول للمسيح بدأ استعمال الشرشف . ولكن كثيراً ما استُبدل به « صدر » من الفضة يضعون عليه صحاف الطعام . وقد تفننوا في نقش هذه « الصدور » وزخرفتها الى الغاية . فكان منها ما يمثّل الابراج

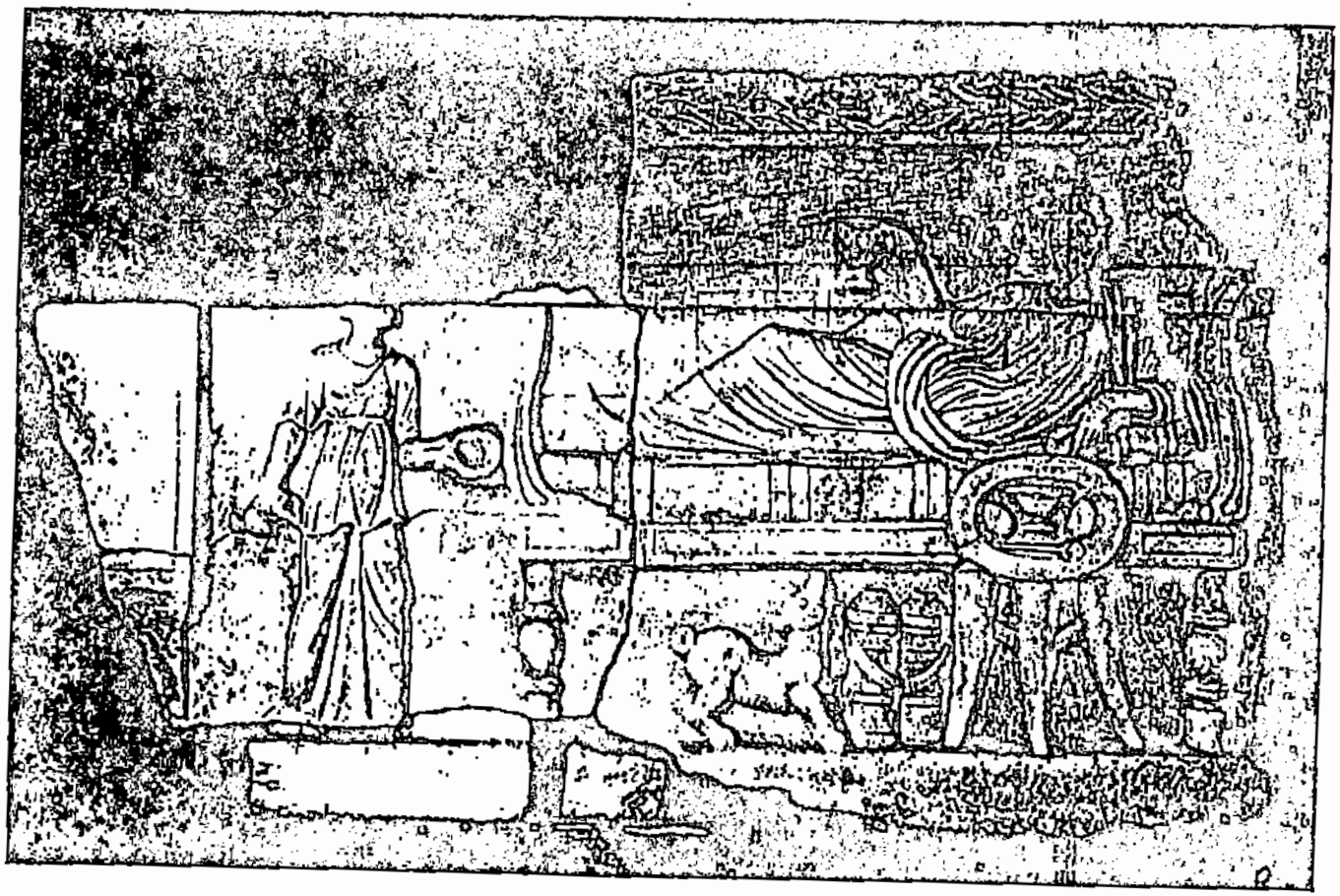

الرسم ٥ : امرأة تأكل متكئة على سريرها

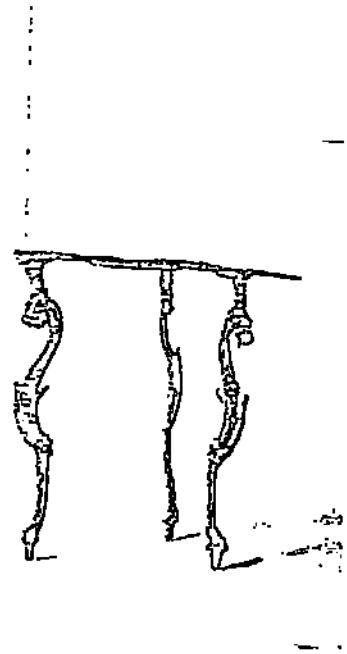

الرسم ٦ : خوان روماني

الرسم ٧ : ملعقة رومانية

السماوية ، يضعون على كل برج صحفة فيها نوع من الطعام يوافق البرج او يشير الى بعض خصائصه . وكان للصدر غطاء يُرفع بعد جلوس المدعوّين ، فيظهر في وسط الصدر أرنب بري رُكّب له جناحان على هيئة الحصان الطيّار فيغاسوس . وكان في زوايا الصدر اربعة تماثيل من حملة القِرَب ، يفرغون من قِرَبهم السوائل والتوابل المُقَلْقِلة .

وكان صاحب الدعوة يتفقّد مدعوّيه بالمآكل الطيّبة ، وافضلها ان يقدّم للاضياف انواعاً من الطعام اللذيذ لا يعرفونه ولا يدركون مركباته . وكثيراً ما كان يفاجئهم بالأمور الغريبة كأن يقدّم لكلّ منهم بيضة اذا كسرها وجد فيها عصفوراً صغيراً .

ولم يكن الرومانيون يستعملون الا اصابعهم في تناول الطعام ، بينا كان رئيس الخدم يقطّع اللحوم ويوزّعها . اما في السوائل فكانوا يستعملون الملاعق وهي مستطيلة اذا ارادوا استعمالها لتناول انواع الحساء وغيرها من المآكل المائعة ، ومستديرة محدّدة المقبض ، اذا استعملوها في اكل البيض . (الرسم ٧)

وكان الخدم يطوفون دائماً حول المدعوّين ، يوزّعون عليهم الخبز ، ويسكبون الخمرة فيشربها المدعوّون في اكواب على شكل رؤوس الحيوانات . على انهم لم يكونوا يكثرون من الشراب الّا بعد الأكل لئلّا تفقدهم النشوة تذوّق الاطعمة اللذيذة . وكان من عاداتهم ان يشربوا الكوب دفعةً واحدةً ، هاتفين بحياة الداعي او غيره من الاصدقاء .

وكثيراً ما صوّر المؤرّخون هذه المآدب بصورة مظاهر فظيعة للنهم والشراهة . وهو صحيح ، اذا ما قسناها بالمآدب اليونانية الممتازة ، على الغالب ، بما كانت تتخلّله من اساليب المناظرات العقلية . فاين هذه المجالس الادبية والفلسفية من جلسات النهم الرومانية التي كثيراً ما دفعت الأطباء الى فرض المقيّئات على زبائنهم قبل الأكل وفي اثنائه . بيد ان المباحثات العلمية لم تفقد تماماً من المآدب الرومانية . فان بعض ذوي الثقافة كانوا يرقبون فرصة الأكل ، بعد شغل الصباح المُجهد ، وبعد الحمّام المُنعش ، ليخوضوا في ميدان المذاكرات العقلية . فيتناظرون لا في شؤون السباق والألعاب فقط ، بل في

الآداب ، والفلسفة والروايات التمثيلية ، وينشدون الاشعار ؛ او يستمعون لما يلقيه عليهم بعض الممثلين من مقاطع شهيرة في روايات العصر.

الموسيقى

ولم تكن مأدبة حافلة لتخلو من الموسيقى ؛ حتى ان دخول قصاع الطعام كان يُعلن عنه بانغام يوقعها الزمار ، وهو في الغالب لبناني الأصل او سوريّه ، على مزماره الطويل المعروف باسم (tibia) .

وكان هذا المزمار مؤلفاً من قصبة مستطيلة جُعلت فيها الخروق ، على شكل الشبابة . وكان من المزامير ما يُستعمل مزدوجاً في الحفلات العامة ، وفي مظاهر الابتهاج ، اما في الطقوس الدينية فكان المزمار مفرداً على الغالب . وهو آلة موسيقية قديمة الاستعمال ، نعرفها في مصر ، منذ القرن الرابع عشر ق.م. وقد يكون قد انتقل من مصر الى فنيقية ، ومنها الى جزر الارخبيل ثم الى بلاد اليونان ، ومنها الى رومة . وقد يكون ظهر في بلاد مختلفة دون ان يكون بينها من صلة.

ولا شك في انه صُنع اولاً من القصب البسيط ، ثم تُفنّن فيه فاتخذ من العاج او من الخشب الرقيق يغطيه المعدن . وبولغ في التفنّن فيه على العهد الهليني ، وعند الرومان ، فبلغ طوله من ٤٠ الى ستين سنتيمترًا او اكثر من ذلك . وضُخم قسم الأسفل فانتهى على شكل القمع . (الرسم ٨)

ولما كان المزمار من اسهل الآلات الموسيقية استعمالا ، كان انتشاره عامًا ، بادئاً في عهده الأول بين الرعيان ، وهو لا يفرض في مستعمله الا مقدرةً على النفخ ومهارةً في تحريك الاصابع . ولهذا نرى كثيرًا من الرسوم تظهر النافخين بالمزمار ضخام الجثة ، منتفخي الخدود ، على قليل من الرشاقة . وقد شاء النافخون منذ القدم ان يتخلصوا من تأثير المزمار في خدودهم واوداجهم ، فكانوا يلفون رؤوسهم بلفائف تمنع ، في زعمهم ، ذاك التضخم .

وتذكر الاساطير ان اثينة هي التي اخترعت المزمار . على ان النفخ فيه كان يضخم خديها ويعجي وجهها فيعرضها لمزء رفيقاتها . حتى غضبت منهن

الرسم ٨ : إناء من البرونز عليه مزمار بان

الرسم ٩ : شخص جثم يحمل قيثارة

الرسم ١٠
تمثال شخص يضرب على المزمار

الرسم ١١ : شخص بابوسيتين (نصف إله)
من العاج تحيط به جنيان احداهما تقدم له
كوباً ، والثانية تنفر الدف

فرمت المزمار ولعنت كلّ من يتجاسر فيتناوله . وكان ان مرّ مرسياس راقصاً مترنّحاً ، فاعجبه المزمار المطروح . فتناوله . واذا بـه يعجب بنغمته ، ويخال نفسه من اقدر الموسيقيين حتى انه لم يتراجع عن مباراة افولّون . ولكنه غُلب في هذه المباراة ، فرُبط الى شجرة ، وسُلخ جلده .

وكان للمزمار ان ينال حظاً وافراً في بلاد اليونان ، الّا في العهد الهليني ، فانه ضعف انتشاره وانصرف عنه الناس ، ما عدا اهل الاسكندرية .

وكان لهذه الآلة ان تتطوّر ، وترتقي انغامها . فيتحوّل النافخ فيها من ذاك الرجل الضخم الجثة المنتفخ الخدين الى فنّان على نصيب من المهارة . بل كثيراً ما رأينا ، بعد ذاك العهد ، النساء ينفخن بالمزمار بحذق وفنّ فائقين ، وكثيراً ما كنّ من اللبنانيات والسوريّات لاضطلاعهنّ ، في بلادهنّ ، بهذا النوع من الموسيقى . حتى اصبح المزمار ملك الجوقات الموسيقية ، كما ان الكمنجة ملكها في عصرنا . وكان نافخ المزمار يدير الجوقة بنفسه موقّعاً برجله الانغام ، متجاوزاً احياناً الى الارتقاص ، بل الى الوقوع في الإغراق وفساد الذوق .

والى جنب المزمار ، كان يرغب الرومانيون في آلة وترية هي القيثارة (الرسم ٩) او المزهر (الرسم ١٠) ، ومبدأهما واحد وهو تساوي اوتارهما جميعاً في الطول . اما الفرق في النغم فينتج من ضخامة الاوتار وتوترها .

وقد اختلف عدد الاوتار باختلاف العصور . فكان اولاً ثلاثة ، ثم وصل الى الاربعة ، والسبعة ، والتسعة ، والاثني عشر ، بل الى الثمانية عشر وتراً احياناً .

وكان يستخرج النغم بغمز الوتر حيناً ، وأحياناً بالضرب عليه بواسطة « ريشة » من المعدن ، او العاج ، او عظم القرن ، او الخشب الصلب .

وكانت الألحان تضرب منفردة او مرافقة للغناء . وكثيراً ما كان الضارب من مؤلفي الألحان ، وقد يرتجلها ارتجالاً .

وعرف الرومان القدماء ، غير ما تقدم ذكره من آلات الموسيقى ، آلة تشبه الارغن ؛ وآلة تُشبه المندولين دُعيت بندور . والراجح أنها مصرية الأصل ، وهي تمتاز بانها ذات وترين او ثلاثة فقط . وقد كشفت حفريات صيدا الأخيرة عن معمل للخزف فيه كثير من رسوم هذه الآلة .

وكثيرًا ما كانت تُقرن الآلات الوترية والمصوّتة بطبلٍ صغير يشبه الدفّ اخذ الرومان استعماله عن اليونان وهؤلاء عن الشرقيين. والمشهور عندنا ان باخوس كان يلذّه قرع هذا الطبل . وان صوته كان ينفّر الارواح الخبيثة، كما ان قرع التنك ينفّر ، في خرافات عامّتنا ، الحوت او التنّين الزاحف لابتلاع القمر . وقد رأينا في قبور صيدا عددًا من الضاربات على هذا الطبل الصغير . (الرسم ١١)

ولم يكن في وسع الجميع ان يتمتعوا بالانغام الموسيقية ، فان الاغنياء وحدهم كانوا يتمكّنون من استئجار الجوقات. اما الجمهور فكان يكتفي بما يشاهده ويسمعه في المسارح العامّة .

المسارح

يرقى اصل التمثيل الى الاحتفالات الطقسية . ففي بعض الاعياد كان القوم ينصبون منابر خشبية على مقربة من الأكمات . فيظهر عليها الممثلون ويقومون بادوارهم ، بينما كان الشعب يغتبط ، واقفًا ، بهذه المشاهد . وظلّ الوقوف من الشروط المحتمة مدةً طويلة ، لئلّا يتخذ الشعب عادة البقاء في المسارح مضيعةً لاشغاله ، على قول تليت. ولم يكن هناك مواقف خاصّة بالاعيان او الفرسان ، او غيرهم من افراد الرعية. بل ان الجميع كانوا يختلطون ، لا فرق بين غنيّهم وفقيرهم ، حتى كانت السنة ١٩٤ ق. م. فافرد ، في المسرح ، محلّات معيّنة لوقوف « الشيوخ ». فاحتجّ الشعب على خلق هذه الامتيازات.

وقد برّ الامتياز امتيازًا آخر. فسُمح للشيوخ بان يوضعلهم ، في مراكزهم المعيّنة ، مقاعد يستريحون عليها في اثناء التمثيل . ولم ينتصف القرن الثاني ق.م. حتى بُدئ بتشييد مسرح كما في بلاد اليونان . ولكن المراقبين امروا بهدمه. وصدر مرسوم قنصلي يحرّم حمل المقاعد الى المسرح في رومة وضواحيها على مسافة ميل .

على ان تطبيق المرسوم كان من الصعوبة بمقدار . لأن الروايات التمثيلية كانت تتجاوز الساعات بل تكاد تستغرق يوم العيد بكامله احيانًا .

وكان التمثيل على تقدّم ، والتأثير اليوناني على اتساع . فبُني ، في منتصف

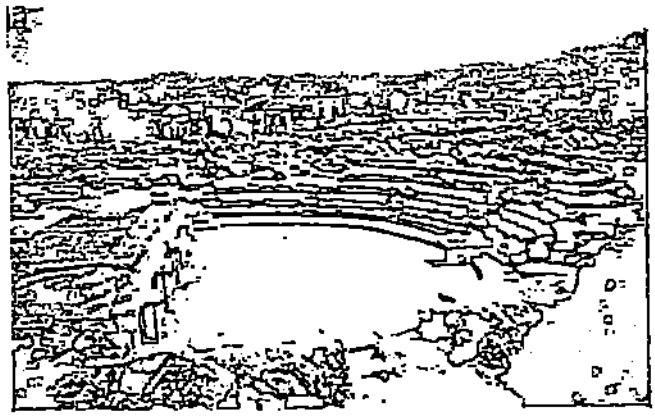

الرسم ١٢ : المسرح الروماني المكتشف في جبيل

القرن الثاني ق.م.، درج من خشب ، كان الشيوخ يجلسون بينه وبين الممثّل. وفي سنة ٦٧ ق.م. خُصّ « بالفرسان » الصفوف الاولى حتى الرابع عشر منها . وكان هذا المسرح الخشبي يُهدم كله بعد انقضاء مواسم الاعياد.

حتى كانت السنة ٦٧ ، فانشأ بومبي اول مسرح حجري في رومة. وسرعان ما تعدّدت المسارح الحجرية في مناطق الامبراطورية حتى لم يبقَ مدينة الّا ولها مسرحها. وان لنا في لبنان وسورية كثيرًا من المسارح الرومانية في « المستعمرات» اي المدن المهنة الحائزة على امتيازات خاصة . وافضل ما بقي من هذه المسارح في جبل الدروز ، واكبر المعروف منها ، في مناطق الانتداب الفرنسوي ، مسرح بُصرى.

اما في لبنان فقد اظهرت الحفريات عدة مسارح ، وبعضها كانت اطلاله ظاهرة للعيان . منها مسرح بعلبك ، وكان ظاهرًا منه جدار واحد من الحجارة الضخمة الى جنب اوتيل بلميرا ، فسبرت البعثة الالمانية موقعه ، واذا بها تتحقق وجود مسرح المدينة . وهو مسرح كبير حتى ان مساحته تتناول موقع بلميرا في اكثريته ، وموقع البناية القائمة الى جانبه ، وموقع دير الراهبات المبني وراءه ومن الراجح ان اقساماً مهمة من هذا المسرح لا تزال محفوظة تحت الارض.

ونعرف ، على الساحل اللبناني، مسرح البترون او بوتريس ، ومسرح جبيل الظاهر بفضل الحفريّات الاخيرة،والراقي الى نحو القرن الثاني ب.م.(الرسم ١٢)

ولمّا كانت هندسة هذه المسارح منقولة بدقّة عن هندسة مسارح رومة ، كان من المعقول ان نستنتج المماثلة في نظام الحفلات المسرحيّة . ولهذا نرانا مضطرّين ، في درس هذه الحفلات في بلادنا ، الى الاخذ بالمعلومات التي نعرفها عن رومة ، مع الانتباه الى الفروق بين حياة العاصمة وحياة الملحقات .

لم يكن جميع القضاة ، وهم الذين يقيمون حفلات التمثيل في رومة ، متضلّعين من هذا الفنّ ، فيمكنهم الحكم بانفسهم على الروايات المسرحية . ولهذا كانوا يلتجئون عادةً الى رئيس الفرقة التمثيلية ليختار لهم من الروايات ما يراه جديرًا باقبال الجمهور. ويكون هذا الرئيس ، على الغالب ، من كبار الممثّلين الحائزين على مساعدة الحكومة ، يجمع بين ادارة الفرقة وادارة المسرح. فيعرض

عليه الشاعر او المؤلف روايته . واذا اعجبته اشار على القاضي،فيشتريها ويأمر باقامة الحفلة . حتى اذا لم تنجح الرواية ، ولم يقبل عليها الجمهور ، اضطرّ المدير ان يعيد ثمنها الى القاضي المشتري .

وبعد الحفلة الاولى ، كان المدير يقوم مع جوقته بدورة في الولايات ، فيمثل الرواية التي تُصبح ، على ما يظهر ، من ممتلكاته الخاصة .

اما طريقة الإعلان عن الرواية فاننا لا نزال نرى لها مثيلًا في عصرنا . وهي تقوم بان يجول احد المنادين في اسواق المدينة واحيائها هاتفاً باسم الرواية . واحياناً كانت الاعلانات المكتوبة تقوم مقام المنادين .

اما دخول المسرح فكان مباحاً مجّاناً لجميع الرومانيين . وقد كانوا يقبلون احياناً العبيد انفسهم .

وواضحٌ انه كان يصعب على القائمين بادارة المسرح ان يحفظوا الصمت والسكون في حفل كهذا متباين الطبقات الاجتماعية ، مختلف الثقافات والنزعات .

في اثناء التمثيل

كان المؤلفون او الممثلون يوطّئون لرواياتهم بمقدّمات يقرأها احد الممثلين ، قبل الشروع بعرض الرواية ، فيشرح للحاضرين موضوع الرواية وتقسيمها ، ويدافع عن المؤلف رادًّا على المتهجّمين ، طالباً من الحاضرين السكون والاصغاء التامّين .

وان لنا في مقدّمة بعض الروايات ، كآثار بلانت مثلًا ، لدلائل واضحة على كون الجمهور ميّالًا الى الشغب : ففيه اناس يتنازعون حتى المضاربة ؛ وفيه عبيد يحتلّون اماكن الاحرار فيضطرّ رجال النظام الى طردهم ؛ وفيه الغانيات اللواتي يقصدن المسارح ليعرضن جمالهنّ فيصرفن انظار الناس عن مشاهدة الرواية ؛ وفيه كبيرات العقائل يتحادثن بالصوت العالي ويقهقهنّ مزعجات الجيران ؛ وفيه المراضع مع اطفالهنّ الذين « يصرخن كالعجول » ؛ وفيه وكيل النظام الذي يزعج الجمهور بكامله كي يقود الداخلين الى محلّاتهم الخاصة .

هذه حالة المسرح العادية من الصخب والضجيج . فكيف بها اذا ما قصد

حسّاد المؤلف ان يتآمروا عليه مشاغبين . وكثيراً ما كانوا يقصدون ذلك لفرط ما كان يوغر صدور المؤلفين والممثلين بعضهم على بعض من الغيرة والحسد .

وكان من عادة المؤلفين او ارباب المسرح ان يوزّعوا اناساً مأجورين في زوايا المسرح ، كي يصفّقوا لبعض مشاهد الرواية فيثيروا التصفيق والإعجاب بين الحاضرين . بيد ان هذه الحيلة كان يفسدها المنافسون بخطّة معاكسة . فيقوم رجالهم ، المأجورون كذلك ، ويصفّقون او يضجّون او يهيجون الشعب على الرواية والممثلين بكلمات مقتضبة ينتقدون بها الإدارة ، او باوراق صغيرة يدسّونها من صفّ الى صفّ داعين بها النـاس الى المقاطعة . ومما كان يزيد هذه المعارك المسرحية شدةً أنّ الرومانيين كانوا شديدي التعصب لممثليهم . على رغم مـا كان يولّم هؤلاء من احتقار الناس لمهنتهم المنحطّة في نظر الجمهور ، بل في نظر الشريعة نفسها ، حتى العصور المتأخرة .

بيد ان الممثلين اخذوا يتقرّبون شيئاً فشيئاً من كبار القوم ، على الطريقـة اليونانية . حتى فازوا باعجاب الناس ومحبتهم ، وتعصّبهم المندفع ، على عهد الامبراطورية ، وقد قال تاسيت ان التعصّب للممثلين من النقائص التي تظهر في الروماني منذ ولادته .

وكان من نتائج هذه العصبية ان مريدي بعض الممثلين ومناوئيهم كانوا يتشاحنون احياناً حتى المضاربة اثناء تمثيل الرواية . ويُذكر ان نيرون جرح مرّةً بيده ، في معركة من هذا النوع ، قاضياً كبيراً من قضاة الجمهورية . وذُكر كذلك حادثة قتل اثناء تمثيل احدى الروايات ، على عهد طيباريوس . وان نعجب لأمر فعجبنا لتمكن الحاضرين من متابعة حوادث الرواية في هذه الضوضاء الغالبة .

ادوات التحسين والزينة

لم يكن لدى الرومانيين آلات تضخّم الصوت او تمدّ به . ولهذا نراهم قد دُفعوا ، منذ عهدهم الأول بالمسارح ، الى الاهتمام باصول السماعيات اهتماماً بالغاً . فدقّقوا في بناء مسارحهم متجهين هذه الجهة ، ضابطين القياسات كلّيا ، ولاسيّما عمق المسرح وعلوّه بالنسبة الى صفوف الحاضرين . حتى انهم كانوا يضعون احياناً ،

في الحنايا الدائرة بالقاعة ، آنية من البرونز مختلفة القياسات مضبوطة النبرات ، تتناول اصوات الممثلين وتردّها مضخمة مصفّاة . وكان هذا الاهتمام بالسماعيات يفيد ، لا اصوات الممثلين فقط ، بل انغام النايات والمزامير الشرقية التي كان يوقّعها الموسيقيون في الفترات بين الفصول فيضبطون انتباه الحاضرين ويمنعونهم من الانصراف . على ان كل هذه الاحتياطات كانت اضعف من ان تمكّن الحاضرين من متابعة الرواية ، وسط الضجيج الموصوف سابقاً ، لولا ما كان في ملابس الممثلين من علامات متفق عليها تُشير الى صفاتهم واخلاقهم .

من ذلك ان ارباب المآسي كانوا يلبسون جبّةً من الشعر وفيرة ، وقناعاً مستطيلاً يعبّر عن الألم . وكانت احذيتهم متعدّدة النعال كي يرتفعوا بواسطتها فتزداد قاماتهم طولاً .

اما ارباب المهازل فكانوا يضعون على وجوههم أقنعة مستديرة ذات افواه متسعة معبّأة دلالةً على القهقهة والسخرية . وكثيراً ما رأينا أقنعة المآسي والمهازل تستخدم صورها في زخارف المسارح واندية الملاهي . وكان لهم كذلك ألبسة مختلفة باختلاف الادوار التي يقومون بتمثيلها حتى يُصبح كل لون ، وكل زيّ ، مختصاً بدور مثالي كدور العبد ، والطفيلي ، وغيرهما . فكان يسهل ، والحالة هذه ، على السامع الذي انتبه لقراءة المقدّمة ان يتابع فصول الرواية بمشاهدة الممثلين وما ترمز اليه ألبستهم .

سباق المركبات

وللرومان ، غير ما تقدم من الملاهي ، ألعاب المدرّجات والميادين حيث يجري سباق المركبات .

كان صاحب الحفلة ، اي الموظّف الذي يقوم بتنظيم الألعاب ، يتقدّم الجميع في طواف احتفالي يجمع الاولياء ، والحيّانة ، والكهنة . فيدخل الميدان ، ويدور حوله ، بين هتاف الشعب . ثم يحتلّ الموظّف مركزه في شرفة فوق المدخل .

ويشير الموظّفون ، فتنفتح الأبواب . واذا بالمركبات تخرج متسارعة ، فتدور عادةً سبع مرّات متسابقة . وتفوز بالسبق المركبة التي تجتاز ، قبل غيرها ، في

الدورة السابعة ، خطاً ابيض مسطوراً على ارض الميدان .

وكانت المركبة تحمل لون الفئة التي تنتمي اليها . وهما لونان فقط اول الأمر : الابيض والاحمر . ثم أضيف الأزرق ، والأخضر ، والارجواني ، والمذهب .

ومن الطبيعي ان يتحمس افراد الشعب كل لحزب او فئة . وان يعهد كبار القوم للفئات المتسابقة بخيولهم يركضونها في مجال السباق .

وقد ذُكر من الامبراطرة من كان يميل الى هذا النوع من اللعب حتى الحماسة والعصبية ، بل ان منهم من كان يقود المركبة بنفسه . وكان مركز الحوذي من المراكز المغبوطة لفوزه باعجاب الشعب ، ورضى الامبراطور ، وبالكثير من الاموال حتى ان الشاعر جوفينال قدّر ثروة احد الحوذيين بثروات مائة محام مجموعة .

وكثيراً ما سُمعت اهازيج الجماهير وهتافاتهم ، اثناء السباق ، في انحاء المدينة بكاملها ، بل كثيراً ما تجاوزت اصداؤها الى خارج المدينة . ولم يقلّ الامبراطرة عن الشعب هوساً واندفاعاً حتى ان كاليغولا اتهم بانه دسّ السُمّ لاشهر حوذيي منافسيه . وأمر كراكلا فرقةً مسلحةً من الجند فاكتسحت الميدان عقاباً للشعب الذي دفعت به الجرأة فتهكم على حوذي الفئة المنتمي اليها الامبراطور . ثم أمر هذا بقتل حوذي الفئة المنافسة لانتصاره انتصاراً باهراً على فئته .

هذا في رومة . وكذلك في بيزنطية فقد كانت المنافسة بين فئات المتسابقين تولّد المشاحنات الدامية .

وكانت هذه المشاحنات الداخلية تتجاوز نطاق الميادين الى الخارج . يعززها صخب الجماهير المحتشدة تحت الاروقة وامام الابواب ، حول الباعة ينادون كلّ على بضائعه ، او حول الراقصات الشرقيات ، والعرافين والسحرة يستطلعون المستقبل ليجاوبوا السائلين عن المركبة السابقة والحوذي الفائز .

ولا يخفى أن هذا الميل للسباق كان يمتدّ من العاصمة الى المدن الكبرى فالى سائر مدن الامبراطورية ، ولكل منها ميدان فسيح كشفت عن كثير منها ، الحفريات العصرية .

وقد نشر حضرة الاب موترد ، في مجموعة كلية القديس يوسف سنة ١٩٣١ ، رسم صفيحة سحرية من الرصاص اكتشفت في بيروت ، واذا فيها معلومات عن

ميدان هذه المدينة. ومن الراجح ان الميدان كان ينبسط في حي اليهود الحاضر، بين شارع المونسنيور شبلي، قرب القنصلية الفرنسوية، وكنيسة الآباء الكبوشيين. وهناك منبسط لا يزال يدعى حتى اليوم «بالوادي». والمرتفع فوقه، عند مقابلة شارع الجيش بشارع بيتان، يظهر على شكل قوس فيعزز قول من يضع الميدان في تلك النقطة. وقد شاهدت بنفسي، في الحفريات التي أُجريت مؤخراً لتشييد بعض البنايات الجديدة في «وادي ابو جميل»، عدداً من الاعمدة منطرحة في الأرض كأنها قُصفت على اثر هزة ارضية. ويغلب ان تكون الصفيحة الرصاصية التي درسها حضرة الاب موترد قد اكتُشفت في موقع القنصلية اليونانية الحاضرة. وقد تحقق الاب موترد في الصفيحة المذكورة اسماء افراس وشياطين. اما الكتابة فغايتها القاء السحر على الافراس والحوذيين المنتمين الى الفئة الزرقاء، وهي مجموعة من اقوال وتعابير وادعية مرفوعة للسلطات الجهنمية. واما تاريخها فيرقى الى القرن الثالث بعد المسيح. واذاً فان بيروت كان فيها ميدان منذ ذاك العهد.

وهناك نصوص غيرها تتكلم عن هذا الميدان. منها اوصاف توسيوس اوريبيس الذي يذكر الألعاب المقامة في ميدان بيروت نحو السنة ٣٥٠ للمسيح.

وكذلك نعرف من حياة ساويروس ان مشاهد الألعاب في ميدان بيروت كانت، في نحو السنة ٤٨٧ او ٤٨٨، تجذب اليها طلاب معهد الحقوق، وهو اذ ذاك اعظم معهد في الامبراطورية كلها. وكثيراً ما كان هؤلاء الطلاب يلجأون الى التعابير السحرية، والى العلوم الخفية في سبيل غاياتهم حتى اشتهر عدد منهم بالسحر، على قول زكريا، بل قيل انهم كانوا يستعدون للتضحية، في ميدان بيروت، باحد العبيد الأحباش.

فكان ان ضُبطت كتب الطلاب السحرية وأُحرقت باحتفال، امام كنيسة العذراء على المرفأ، بحضور محامي المدينة ورجال الأمن، وطلاب العلوم الدينية. وكان ذلك سبب اضطراب عام بين سكان بيروت.

هذا مجمل ما نعرفه عن بعض التقاليد والعادات الرومانية في العاصمة وكبيرات المدن. ذكرناه بكل اختصار واجمال مستندين الى بعض ما يحفظه متحفنا من وثائق.

من الخزانة الشرقية

بقلم حبيب زيات

الفسيفساء

وصناعها قديماً من الروم الملكيين

الفسيفساء ، كما يدلّ عليه لفظها ، صناعة رومية . وهي فصوص صغيرة تكون إمّا من الزجاج الملوّن ، وبعضه شافّ كالجامات[1] . واما من الحجر المعجون تُغشّى بالذهب ويطبق عليها زجاج رقيق . ثم يُعجن الشيد ، اي الجصّ ونحوه ، بالصمغ العربي ؛ ويبسط على الحائط ؛ وترصّع فيه هذه الفصوص[2] على اشكال شتى ونقوش محكمة . تتألف منها صور ورسوم وكتابات تتلألأ بالذهب والاصباغ الزاهية . فتبهر الابصار برونقها وبهجتها ولطافة صنعتها . ويؤخذ من وصف شهاب الدين العمري لها ان ما كان معمولاً منها بالزجاج ، ممرّهاً بالذهب ، كان يقال له المحور (اي المطلي) وهو القديم . وكانت قطعه متناسقة على مقدار واحد[3] . ويقال له ايضاً الرومي او القسطنطيني ، نسبة الى اصل وضعه بالقسطنطينية ، لا انه من عملها دائماً . ومنه ما هو بجامع دمشق ، وفي قبة الصخرة ، وما كان في مسجدَي المدينة ومكة[4] .

ويُعرف الجديد من القديم بان قطعه مختلفة غير متساوية . واكثر ما يكون من المعجون الملوّن . قال العمري : وقد عُمل منه في هذا الزمان شيء كثير برسم الجامع الاموي . وحصل منه عدة صناديق وفقدت في الحريق الواقع سنة اربعين وسبعمائة (١٣٣٩ م) وعُمل منه قِبَل للجامع التنكزي . ما على جهة

---

١) مروج الذهب للمسعودي ، بهامش الجزء الثاني من الكامل لابن الاثير ، ص ٢٤

٢) احسن التقاسيم للبشاري المقدسي ، ص ١٥٨ ، حاشية c

٣) مسالك الابصار ١ : ١٩٣

٤) التعريف بالمصطلح الشريف للعمري ، ص ١٨٥

المحراب . غير انه لا يجيء تماماً مثل المعمول القديم في صفاء اللون وبهجة المنظر[١] .

وأقدمُ مَن ذكر صنّاع الفسيفساء بالشام ، فيما وقفنا عليه ، البلاذري صاحب « فتوح البلدان » ، المتوفى سنة ٢٧٩ للهجرة (٨٩٢ م) قال ، بعد ان روى امر الوليد بن عبد الملك الى عمر بن عبد العزيز عامله على المدنية بهدم المسجد وبنائه : « وبعث اليه بمال وفسيفساء ورخام وثمانين صانعاً من الروم والقبط من اهل الشام ومصر »[٢] . وفي قراطيس البردي المحفوظة في خزائن بريتيش موزيوم ان القبط ، الذين كان الاموريون يستعينون بهم في ابنيتهم ، كانوا فعلة وبنّائين ونجارين فقط . ولم يكن بينهم صانع فسيفساء[٣] . وفعل مثل ذلك الخليفة العباسي المهدي ، حين اراد اعادة بناء المسجد الحرام بمكة . فألبس اروقته من الظاهر بالفسيفساء . وشاهدها البشاري المقدسي فقال : « حمل اليها صناع الشام ومصر . ألا ترى اسماءهم عليه . »[٤] ولا شك ان هذه الاسماء كانت منقوشة بالعربية حتى استطاع تمييزها . وليتهُ ذكر لنا بعضاً منها .

وقد اشتبه اسم « الروم » على اليعقوبي[٥] ، والطبري[٦] ، وابن الاثير[٧] ، وسائر من نقل عنهم من الكتبة والمؤرخين ، وظنوا ان صناع الفسيفساء كانوا من القسطنطينية . ولم يروا بدّاً من تقدير قدومهم منها بطلب من الوليد بن عبد الملك . زعموا انه كتب الى القيصر يسأله ان يعينه على عمارة مسجد النبي . فبعث اليه بالرجال والعمال واحمال الفسيفساء والذهب[٨] . واختلفوا في العدّة . فابلغوا

١) مسالك الابصار ١ : ١٩٣

٢) فتوح البلدان (طبعة اوربة) ، ص ٧

٣) E. de Lorey et M. van Berchem, *Les mosaïques de la mosquée des Omayyades à Damas*, II, p. 7

٤) احسن التقاسيم ، ص ٧٢

٥) تاريخ اليعقوبي (طبعة ليدن) ١ : ٢٤٠

٦) تاريخ الرسل والملوك (طبعة ليدن) ٣ : ١١٦٤

٧) الكامل (طبعة مصر) ٤ : ٢٠٣

٨) تاريخ اليعقوبي ١ : ٢٤٠

الصناع الى مئتين. وزاد ابن خلدون ان الوليد استكثر معهم من فعلة الشام[1]. وجروا على هذا النمط من المجازفة والتخريف في كلامهم على بناء مسجد دمشق، واضافوا ان الوليد وجّه الى الطاغية، كما يقولون، «يأمره» بانفاذ الرجال والاموال والفصوص. وانه ملأ خطابه زجرة وتهديدًا. وتوعد فيه بغزو بلاد الروم. وإزالة كل آثارهم في الاسلام «وتخريب كل كنيسة في بلاده حتى كنيسة القدس وكنيسة الرها.»[2] ان لم يبادر صاغرًا ذليلًا الى امتثال امره. ومن الغريب ان خطاب الوليد لملك الروم من اجل مسجد المدينة. وخطابه ايضاً في بناء جامع دمشق — على افتراض صحتها — كانا في آن واحد. لان بناء المسجدين ابتدأ حقاً في سنة سبع وثمانين للهجرة (٧٠٦ م) فكيف اختلفت اللهجتان هذا الاختلاف الشديد القبيح. وماذا حدث من الأحداث العظيمة في فترة ما بين الخطابين حتى تحوّل الوليد لفوره من موقف السائل المستمين الى مقام المتوعّد المستطيل. وابن عزّة الخلافة في موقفه الاول. وهل كان الوليد مفتقرًا الى صدقات كلب الروم، كما يسميه البشاري. وهم يزعمون انه انفق في المسجد خراج الشام سبع سنين فضلًا عن ثماني عشرة سفينة ذهب وفضة اقلعت من قبرص.[3]

وقد تباينت اقوالهم ايضاً في عدّة صنّاع الروم القادمين، في دعواهم، من القسطنطينية لزخرفة الجامع الاموي حتى جعلها ابن جبير وابن بطوطة في رحلتيهما[4]، وشمس الدين البصراوي في فضائل الشام[5]، اثني عشر الفًا. واربى عليها محمد بن ابي بكر السمرقندي في التهويل والإغراق. فلم يتوقف عن ايصالها في كتابه تاريخ البلدان[6] الى اربعين الفًا، دون ان يفطن احدهم الى

١) العبَر ٣ : ٦٠

٢) الثالث من الاعلاق الخطيرة لابن شداد، بريتش موزيوم Add. 23333, f°23

٣) احسن التقاسيم، ص ١٥٨

٤) رحلة ابن جبير (طبعة ليدن) ص ٣٦١؛ ورحلة ابن بطوطة تحفة النظار (طبعة باريس) ١ : ١٩٨

٥) تحفة الانام في فضائل الشام، خزانة باريس ٢٢٥٣، ص٥

٦) من مخطوطات الخزانة المملوكية.

استحالة إنزال مثل هذا الجيش العرمرم من الروم الاعداء في حاضرة الخلافة ، ولاسيما في وقت كانت الحروب فيه قائمة على قدم وساق بين المملكتين ، كما سيجيء .

وما ندري كيف فات كل هؤلاء المؤرخين ان فسيفساء دمشق او المدينة لم تكن اول زخرفة في المساجد . وان عبد الملك بن مروان سبق ابنه الوليد باتخاذها في قبة الصخرة ببيت المقدس . وفرغ منها ، كما هو مكتوب فيها ، سنة اثنتين وتسعين (٦٩١ م) ، اي قبل الشروع ببناء مسجدي المدينة ودمشق بخمس عشرة سنة . فاين وجد عبد الملك صنّاع الفسيفساء وقتئذٍ سوى في الشام وفلسطين ؟ وقد شهد سبط ابن الجوزي ، في مرآة الزمان ، انه لما عزم على بناء قبة الصخرة والجامع الاقصى « سار من دمشق ومعه الاموال والعمال . »[1] ولذلك لم يشر احد من الرواة والمؤرخين الى استعانة عبد الملك بملك الروم لاستقدام صنّاع الفسيفساء من القسطنطينية . وقد كان اكثر دالّة عند البيزنطيين واحقّ لديهم بالمداراة والاهداء ، في حين كان يدفع لهم الجزية لاشتغاله عنهم بحرب ابن الزبير . خلافاً لابنه الوليد . فانه ، منذ تبوّأ عرش الخلافة ، لم يفتأ يوالي الغزوات الصائفة والشاتية على الروم ، ويسبيح ديارهم قتلا وتخريباً ، بحيث لم يُبقِ موضعاً للصلح والمجاملة . ولكي يتضح جليّاً امتناع الموادعة والمساعدة بين خصمين كان الوليد بينهما هو البادئ بالمسالمة والعداء ، لا بأس ان ننقل هنا عن ابن الاثير تفصيل هذه الغزوات التي قام بها الوليد منذ سنة ست وثمانين الى ست وتسعين للهجرة (٧٠٥–٧١٥ م) ، اي منذ خلافته الى موته :

« سنة ست وثمانين فيها غزا مسلمة بن عبد الملك ارض الروم . (الجزء الرابع ، ص ٢٠١) .

« سنة سبع وثمانين قيل وفيها غزا مسلمة بن عبد الملك الروم فقتل منهم عدداً كثيراً بسوسنة من ناحية المصيصة وفتح حصوناً .

وقيل ان الذي غزا في هذه السنة هشام بن عبد الملك .

---

[1] خزانة بريتش موزيوم ، Add. 23277, f. 1-2

فتح حصن بولق . وحصن الاخرم . وحصن بولس . وقتم . وقتل من المستعربة نحواً من الف مقاتل . وسبى ذريتهم ونساءهم . (ص ٢٠٢)

« سنة ثمان وثمانين — في هذه السنة غزا مسلمة بن عبد الملك والعباس بن الوليد ابن عبد الملك بلد الروم . . . فاقتتلوا هم والروم . فانهزم الروم . ثم رجعوا . فانهزم المسلمون . فبقي العباس في نفر . . . فنادى يا اهل القرآن فاقبلوا جميعاً . فهزم الله الروم حتى دخلوا طوانة . وحصرهم المسلمون وفتحوها في جمادى الاولى . (ص ٢٠٣)

« سنة تسع وثمانين — قيل في هذه السنة غزا مسلمة بن عبدالملك والعباس بن الوليد بن عبدالملك الروم . فافتتح مسلمة حصن عمورية . وفتح العباس ادرولية . ولقي من الروم جمعاً فهزمهم . وقيل ان مسلمة قصد عموريـة فلقي بها جمعاً من الروم كثيراً فهزمهم وافتتح هرقلة وقودية . وغزا العباس الصائفة من ناحية البندنون . (ص ٢٠٤)

« سنة تسعين — في هذه السنة غزا مسلمة بن عبد الملك ارض الروم . ففتح الحصون الخمس التي بسورية . وغزا العباس بن الوليد حتى بلغ ارزن . وبلغ سورية . (ص ٢٠٩)

« سنة احدى وتسعين — في هذه السنة غزا عبد العزيز بن الوليد الصائفة . وكان على ذلك الجيش مسلمة بن عبد الملك . (ص ٢١١)

« سنة اثنتين وتسعين — في هذه السنة غزا مسلمة بن عبد الملك ارض الروم . ففتح حصوناً ثلاثة . وجلا اهل سوسنة الى بلاد الروم . (ص ٢١٢)

« سنة ثلاث وتسعين — في هذه السنة غزا العباس بن الوليد الروم . ففتح سبسطية . والمرزبانين . وطرسوس . وفيها غزا مروان بن الوليد فبلغ خنجرة . وفيها غزا مسلمة الروم ايضاً ففتح ماسية . وحصن

الحديد. وغزالة من ناحية ماطية. (ص ٢٢٠)

« سنة اربع وتسعين في هذه السنة غزا العباس بن الوليد ارض الروم ففتح انطاكية. وفيها غزا عبد العزيز بن الوليد فبلغ غزالة. وبلغ الوليد بن هشام المعيطي برج الحمام. ويزيد بن ابي كبشة ارض سورية. (ص ٢٢١)

« سنة خمس وتسعين في هذه السنة غزا العباس بن الوليد الروم ففتح هرقلة وغيرها . . . وفي هذه السنة افتتح العباس بن الوليد قنسرين. وفيها قُتل الوضاحي بارض الروم ونحو الف رجل معه. (ص ٢٢٤)

« سنة ست وتسعين فيها غزا بشر بن الوليد الشاتية. ورجع وقد مات الوليد. (الجزء الخامس، ص ٣) »

ففي كل هذه السنوات اذاً لم تكن الحال تتسع للمهادنة والمهاداة لاتصال الحروب فيها بين الوليد والروم. فكيف يعقل ان يتبرّع ملك الروم فيها لعدوّه بمال كان هو احوج الى إمساكه. وكيف يقبل طوعاً إعانة الوليد على هدم كنيسة الروم المنتسبين اليه بدمشق. وتحويلها الى مسجد على يد صنّاعه الاخصاء. بعد ان كان هو اول منكر لهذا التحويل فيما حكاه اكثر المؤرّخين في الاسلام.

وقد جهل المؤرخون البيزنطيّون كل هذه العلائق المزعومة بين الملكين. ولم يشيروا بحرف الى كل هذه الهبات والاعانات بالرجال والاموال واحمال الفسيفسآء، في كلامهم على اغتصاب كنيسة دمشق وتحويلها الى جامع اموي.

ومن البليّة ان يذهل كل من ذكر الفسيفسآء، بعد البلاذري، انها كانت معروفة في الشام، ومصر، والعراق، واليمن، قبل ان يولد الوليد، وقبل ظهور الاسلام. وان صناعتها لم تكن غريبة بدمشق. بل كانت بلديّة منتشرة في انهات المدائن التي كانت في ملك البيزنطيين. وخصوصاً في انطاكية واورشليم ومادبا. بحيث كانت اعظم الكنائس واهم الاديار مزدانة في جدرانها، وسقوفها، وهياكلها، بهذه الفصوص المذهبة على ضروب شتى من التمثيل والتصوير. وقد تنافس فيها كل المسيحيين من الملكيين، واليعاقبة، والناطرة، حتى العرب

انفسهم من اللخميين ، والغسانيين ، والنجرانيين . ومن اهم الشواهد على ذلك قول البكري :

« كان اهل بيوتات يتبارون في البيع وزينتها . آل المنذر بالحيرة . وغسان بالشام . وبنو الحارث بن كعب بنجران . ويعتمدون بنائهم المواضع الكثيرة الشجر والرياض والمياه . وكانوا يجعلون في حيطانها وسقوفها الفسافس والذهب . وكان على ذلك بنو الحارث الى ان اتى الله بالاسلام . »[1]

ولما قدم ابرهة الحبشي الى صنعاء في اليمن ، وبنى فيها كنيسته المشهورة ، جعل فيها الفسيفساء . وهي التي حُمل منها الى مكة ، لما شرع ابن الزبير في بناء الكعبة ، فيما رواه المسعودي[2] . واقتدى بابن الزبير الوليد من الامويين . والمهدي من العباسيين . حين جددا مسجدَي المدينة ومكة . فبناهما بانقاض الكنائس والاديار ، شأنَ كثير من المساجد في الاسلام . ومن هنا يُعلم غلط الرواة المؤرّخين الذين زعموا ان الوليد كتب الى ملك الروم يسأله ان يعينه على بناء مسجد المدينة . فبعث اليه ، فيما قالوا ، باربعين حملاً من الفسيفساء مع الرجال والاموال . وانما كانت هذه الاحمال مما قُلع من البيع والديارات والخرائب في الشام . ولنا على ذلك شهادة الطبري حين ذكر بناء مسجد المدينة قال : فأمر الوليد ان تتبع الفسيفساء في المدائن التي خربت فيُبعث بها الى عامله عمر بن عبد العزيز[3] . وعلى مثل هذه الخطة جرى ايضاً في بناء جامع دمشق . وتقدم الى غزاة الروم ان يحملوا اليه كل ما يجدونه من قطع الرخام والفسيفساء . فكانت تحمل اليه احياناً على البريد[4] واحياناً كثيرة على الظهور . وهو ما حكاه الامير خالد التمري قال :

« كنا معشر اهل الشام واخواننا من اهل مصر والعراق نغزو . فيُفرض على

---

١) معجم ما استعجم في الكلام على دير غران . وفي النص المطبوع : « وزينها » ، وفي ياقوت (طبعة اوربة) : « ورنها » . وكلاهما تصحيف .

٢) مروج الذهب . جانتر كامل في التاريخ ٦ : ١٦٨

٣) تاريخ الرسل والملوك (طبعة اوربة) ٢ : ١١٩٤

٤) التعريف بالمصطلح الشريف للتمري ، ص ١٨٥

الرجل منا ان يحمل من ارض الروم قفيزاً من فسيفساء . وذراعاً في ذراع من رخام . فيحمله اهل العراق واهل حلب الى حلب . ويُستأجر على ما حملوه الى دمشق . ويحمل اهل حمص الى حمص . فيستأجر على ما حملوه الى دمشق . ويحمل اهل الشام ومن وراءهم حصتهم الى دمشق . »[1]

ومن ثمّ فليس الّا الله وحده يعلم ما دخل في جامع دمشق من السلب والنصب والعواري .

وانما امتثل الامويّون والعباسيون بما فعله قديماً انوشروان ملك الفرس . والتقليد من اقدم خصال الشرق . روى المسعودي انه لما عاث في مدن الشام وافتتح ارض الروم، «نقل من الشام المرمر والرخام وانواع الفسيفساء والاحجار . . . وحمل ذلك الى العراق فبنى مدينة نحو المدائن وسماها برومية . وجعل بنيانها وما داخل سورها مما ذكرنا من انواع الاحجار . يحكي بذلك انطاكية وغيرها من مدن الشام . »[2] وهو دليل آخر على كثرة ما كان من الفسيفساء في الشام وانتشارها في كلّ الانحاء والابنية حتى استطاع انوشروان نقل ما يكفي لتزيين مدينة برمتها تحاكي انطاكية . ولا غرابة في ذلك . فان انطاكية لا تزال الى اليوم معدن الفسيفساء في الشام لكثرة ما يكتشفه علماء الآثار في حفائرهم فيها من الرسوم والبقايا . وتكفي الاشارة في فلسطين الى مادبا في البلقاء ، ومصوّرها المشهور ، ووفرة اشغال الفسيفساء فيها ، ونقوشها في ابنيتها القديمة ؛ مما يشاهد اليوم متفرقاً في منازلها ودورها ، ليُعلم انتشار هذا الفن في كل الديار الشامية ، وانه كان فيها قبل خلافة الامويين فناً بلدياً راسخ القدم ، له صناعه واساتذته من اهلها ، يتوارثه الخلف عن السلف دون اقل حاجة الى الاستعانة عليه برجال القسطنطينية .

ولا شكّ ان الوليد لم يتخذ في جامع دمشق هذه الفصوص المذهبة الرائعة الا لأنه كان عاينها وأعجب بها في كنائس دمشق . وقد نقل لنا البشاري المقدسي رأياً سمعه من عمه ، يدلّنا على السبب الذي اغرى الوليد ببناء جامعه بمثل هذه

١) مسالك الابصار للعمري ، ص ١١١

٢) مروج الذهب ٢ : ١٣٤

الزخارف والفنون ، قال :

« قالت لعمي : يا عم . لم يحسن الوليد حيث انفق اموال المسلمين على جامع دمشق . ولو اصرف ذلك في عمارة الطرق والمصانع ورمّ الحصون لكان اصوب وافضل . قال : لا تعقل يا بني . ان الوليد رُفق وكُشف له عن امر جليل . وذلك انه رأى الشام بلد النصارى . ورأى لهم فيه بيعاً حسنة . قد افتن زخارفها وانتشر ذكرها كالقيامة . ولدّ . والرها . فاتخذ للمسلمين مسجداً شغلهم به عنهنّ . وجعله احدى عجائب الدنيا . الا ترى ان عبد الملك لما رأى عظم قبة القيامة وهيئتها خشي ان تعظم في قلوب المسلمين . فنصب على الصخرة قبة على ما ترى » .[1]

وغنيٌّ عن البيان ان صناعة كالفسيفساء كان هذا قِدَمها وانتشارها في الشام ، فضلاً عن سائر الاقطار ؛ وكان لا بدّ منها لفن البناء والزخرفة في تزيين البيع والاديار ، وتزويق القصور والدور ، وتخليد الرسوم والآثار ، يبعد جداً ان لا يكون استقرّ لها قواعد ورسوم ، وانقطع لمزاولتها صنّاع واساتذة في كل بلد . وتناقلها الابناء عن الآباء . وقد عُرفت دمشق خصوصاً في كل زمن ببراعة صنّاعها ومعلّميها ، وافتنانهم في كل حرفة . كما تشهد بذلك كل المصطلحات التي اتخذت من اسمها وعُبّر بها عن بعض ضروب الانسجة والاسلحة : damas, damasser, damasquiner ,damasquinage ولا تزال الى اليوم شائعة محفوظة في كثير من اللغات الاوربية ، للدلالة على نسبة الفن الواردة فيه الى اصل دمشقي ، من قبل ان يغني تيمورلنك اهل الفيحاء بالقتل والتشريد ، وينقل بقية حذاق عمالها الى سمرقند . وما برح هذا الاتقان والابداع مسلّماً به لهم في كل عصر ومصر . ولذلك قال شهاب الدين العمري في كلامه على دمشق : « وبها الصناع المَهَرة في كل فن ... وتعمل بها لطائف الاعمال في كل نوع . وصناعها تفخر على بقية صناع المملكة - الا فيما قلّ . »[2] وقد نعتها الحاج تيمار

---

١) احسن التقاسيم ، ص ١٥٩

٢) مسالك الابصار . خزانة باريس ٢٣٢٥ ج ٣ : ٢١٠

في القرن الثالث عشر بقوله : [1] Civitas nobilibus et mirabilibus et diversis artificibus plena « اي مدينة حافلة باشهر الصناع المهرة المتفننين ». وزارها كثيرون من السيّاح الاوربيين وتجارهم واجمعوا على اطرائها بالاجادة في كل عمل. واثنوا غاية الثناء على تقدم صناعتها في كل باب وحرفة . وحسبنا ان ننقل هنا شهادة احدهم وهو سيمون سيگولي الايطالي الذي مرّ بها ، سنة ١٣٨٤ ، وعاين فيها من التحف والطُرف البلدية ما أعجب به غاية الاعجاب. وكتب عنها باظرف اسلوب واغربه قائلًا : لو كنت خبأت دراهمك في عظم ساقك لما توقفت عن كسره لتشتريها.[2] ولا غرو في ذلك لان دمشق ، منذ استيلاء الاسكندر على سورية سنة ٣٣٣ قبل المسيح ، الى دخول العرب وسقوطها في ايديهم سنة ٦٣٥ ، بقيت نحوًا من عشرة اجيال تحت رعاية اليونان والرومان والبيزنطيين. وتأدّب اهلها بآدابهم . وتدرّبوا في الصناعات والفنون على طرائقهم ومناهجهم . وحفظوا عنهم اساليب الاتقان ومرافق الحضارة . وقد اقرّ لهم بذلك الفرس والعرب. ولما قال الحجاج لزادان فروخ في بعض اسئلته : أخبرني عن اهل الشام. قال: نزلوا بحضرة الروم فاخذوا من ترفّهم وصناعتهم وشجاعتهم[3] . ولا حاجة الى القول ان من كانت هذه ثقافته ودربته ، ورُزق مثل هذه البراعة والمهارة ، لم يكن يعجز عن تعلّم حرفة الفصّ المذهب واستيضاح اسرارها والتمكن منها ، على قرب مأخذها ، كما تقدم من وصفها ، وشيوعها في كل المدن والاصقاع الشرقية .

وعلى كلٍّ فاذا قدّرنا انه كان هنالك دواعٍ تقتضي حقًّا حضور استاذ من اساتذة القسطنطينية لمشارفة العمل ، او لتقليد بعض اساليب الصناعة ، فلم تكن قط حاجة الى مثل هذا العدد الجمّ من البيزنطيين الذي جعله ابن عساكر مائتين وابلغه غيره من الغلاة والمخرّفين الى جيش ضخم لا يقل عن اثني عشر الفًا . وكان يغني عنه معلّم واحد من معلّمي الفسيفساء البيزنطية تروّض صناعها

1) W. Heyd, *Histoire du commerce du Levant*, t. I, p. 171

2) Simon Sigoli, *viaggio del monte Sinai*. Rome 1819, P. 58

٣) مختصر كتاب البلدان لابن الفقيه ، ص ١١٤

الدماشقة. ألا ترى ان الخليفة الحكم الاموي لما اراد سنة ٣٥٤ للهجرة (١٦٥م) تزويق مسجد قرطبة ولم يجد عنده في الاندلس من يحسن صناعة الفصوص ، اوفد الى ملك الروم في القسطنطينية — وكانت الصلات بينهما على احسن وجه لاجتماعهما على معاداة العباسيين — وسأله ان يمدّه باحد المهرة في الفن ، فيما رواه ابن عذاري المراكشي في كتابه « البيان المغرب » . وهذا نصّ ما كتبه ، وهو من المتأخرين الذين خُدعوا باسطورة ابن عساكر وحضور الروم من القسطنطينية لزخرفة جامع دمشق ، قال :

« في سنة ٣٥٤ شُرع في تنزيل الفسيفساء بالمسجد الجامع . وكان ملك الروم بعث بها الى الخليفة الحكم . وكان الحكم قد كتب له في ذلك وامر بتوجيه صانعها اليه اقتداء بما فعله الوليد بن عبد الملك في بنيان مسجد دمشق . فرجع وفد الحكم بالصانع ومعه من الفسيفساء ثلاث مئة وعشرون قنطاراً بعث بها ملك الروم هدية . فأمر الحكم بإنزال الصانع والتوسيع عليه . ورتب معه جملة من مماليكه لتعلّم الصناعة . فوضعوا ايديهم معه في الفسيفساء المجلوب . وصاروا يعملون معه فابدعوا واربوا عليه . واستمروا بعد ذلك منفردين دون الصانع القادم اذ صدر راجعاً عند الاستغناء عنه . بعد ان اجزل له المستنصر الصلة والكسوة . وتداعى الى هذه البنية كل صانع حاذق من اقطار الارض . »[1]

فاذا كان اهل قرطبة ، على جهلهم قبلاً صناعة الفسيفساء وبعدهم عن مواطنها ، لم يلبثوا ان تعلموها وحذقوا بها ، حتى استغنوا عن الاستاذ الفرد الوارد من القسطنطينية ، واربوا عليه واستقلوا دونه باشغالها ، فهل كان مهرة دمشق ، وهم من سبقت لهم دربة عليها وإحسان لها ، يحتاجون الى المئات والالوف من عمال القسطنطينية للقيام بامورها . وقد تقدم من لفظ البلاذري ان صناع الروم الذين وجههم الوليد للمدينة كانوا من اهل الشام . وهم الذين قرأ صاحب احسن التقاسيم اسماءهم في الفسيفساء . وفي هاتين الشهادتين وحدهما ، فيما عدا الادلة والحجج التي ادلينا بها ، نقض صريح وإبطال لدعوى الواقدي

١) الجزء الثاني من البيان المغرب في اخبار المغرب لابن عذاري المراكشي (ليدن) ص ٢٥٢

واليعقوبي وابن عساكر وجهود مقلديهم حين زعموا انهم من روم القسطنطينية . وانما خُدعوا جميعهم باسم « الروم » . فظنوا انهم منهم . وفاتهم ان اكثر النصارى بدمشق وكبار المدن السورية في عهد الامويين كانوا من فرقة الروم البلديين المعروفة بالملكية الى اليوم الحاضر . ومن هؤلاء الروم الشآميين كانت الكتبة واكثر عمال الخراج في الدواوين . واشتهر منهم خاصةً آل سرجون بن منصور ، جدّ ووالد القديس يوحنا الدمشقي ، كتّاب معاوية ، ويزيد بن معاوية ، ومعاوية ابن يزيد ، ومروان بن الحكم ، وعبد الملك بن مروان خلفاء بني امية . وقد ذكر غير واحد من المؤرخين سرجون وصحفوا كثيراً اسمه سرجون بالحاء . ومع كونه دمشقياً ، نشأ على ضفاف نهر بردى او قرفر ، نعتوه بقولهم « الرومي » كالبلاذري في انساب الاشراف (ص ١٩٢) ، والمسعودي في كتاب التنبيه والاشراف (ص ٣٠٢) والجهشياري في كتاب الوزراء والكتّاب (ص ٢٦) والطبري في تاريخ الرسل والملوك (٢ : ٨٣٧ طبعة اوربة) والصولي في ادب الكتّاب (ص ١٢) وابن عساكر في تاريخ دمشق (التهذيب ٦ : ٧١) وابن عبد ربه في العقد الفريد (١ : ١٧٠ و ٢ : ٢٦٢) . وكانت دواوين الخراج يومئذٍ وكل ما يتعلق بها من الاعمال والكتابات والحسابات انما تُدوَّن بالرومية كفي ايام البيزنطيين . وكذلك كانت النقود رومية . وهو ما كان يقتضي لا محالة اختيار جمهور العمال من هؤلاء الروم البلديين الذين يحسنون الكتابة والحساب بالرومية . وبالطبع ان هؤلاء الكتاب كانوا لا يؤثرون احداً للقيام بالاشغال السلطانية على الصناع الذين يشاركونهم في المذهب لمعرفتهم اياهم بالحذق والاجادة في اكثر الفنون والصناعات منذ ايام البيزنطيين . ومنهم كان اكثر صنّاع الفسيفساء لا شك في قبة الصخرة ومسجد المدينة . واكثر المرخمين ايضاً بمسجد دمشق ، وهم الذين روى ابن عساكر انهم كانوا اثني عشر الفاً .[1] وبقيت منهم بقية الى القرن الاخير حين احترق الجامع سنة ١٨٨٥ ، وأسند الى شيخ منهم من بيت وردة تجديد بعض اشغال الرخام فيه .

١) تزهة الانام في محاسن الشام للبدري ، ص ٢٦

وقد ذهب البعض الى ان لقب « الرومي » كان يُراد به كل نصراني في ديار الاسلام ، دون تخصص بفرقة الملكيين . ولكننا لم نجد ما يثبت هذا الرأي في ما طالعناه من كتب التواريخ الاسلامية . ولم نقف على قول واحد يؤيّد هذا التعميم . وانما شمل هـذا اللقب النصارى عموماً ، والفرنج خصوصاً ، في افريقية وديار المغرب فقط ؛ اذ لم يكن فيها ، كما كان في مصر والشام والعراق والجزيرة وفارس ، مثل تشعب المذاهب وافتراقها في الشرق الى ملكية ونسطورية ويعقوبية وهي اهم الفرق . واكثر ما كانت تجيء النصارى الى افريقية من القسطنطينية ، وصقلية ، وكلابرية ، وايطالية الجنوبية حين كانت هذه البلاد جميعها في ملك قياصرة الروم . فالنصراني عندهم « رومي » على الاطلاق لوحدة المذهب والمعتقد . كما كان الفرنجي يُعدّ في الشرق « ملكياً » لدخوله في جملة من يدينون بطاعة الباب بطريرك الملكيين[1] . ولا يزال لقب « الرومي » في تونس والجزائر ومراكش وسائر المغرب يتناول اليوم كل نصراني بالاجمال من كل الشعوب .

وكان العرب ، في بدء الخلافة الاموية ، لا يكادون يعرفون احداً من الاعاجم معرفتهم للروم ، لمجاورتهم لهم في الشام والعراق ، وعلاقتهم بهم اكثر مما كانت بالفرس منذ ايام الجاهلية ، لاجتماعهم معهم في الدين المسيحي . فلم يكونوا يختلفون في نسبتهم . وكان كتاب الانشاء السلطاني يعلمون خصوصاً انتماء كل ملك وقوم من النصارى عامة كما يتحقق ذلك من نظر في كتب المصطلح الشريف كالتعريف ، وتثقيف التعريف ، وصبح الاعشى . فالاشتباه بين الروم وسائر الطوائف المسيحية لم يقع قطّ في كتب الاخبار والتواريخ الشرقية . وانما كان يتناول احياناً الروم البيزنطيين والروم الملكيين لوحدة الاسم والمذهب بينهم . وهو الاشتباه الذي وقع فيه الواقدي واليعقوبي وابن عساكر ونظائرهم ومقلدوهم في كلامهم على فسيفساء الجامع الاموي . ونشأت عنه اسطورة حضور جيوش الروم من القسطنطينية .

وقد تفرّعت الآنسة مرغريت فان بوشم ، وهي من المتخصصات بعلم فن

---

(١) صبح الاعشى للقلقشندي ١١ : ٣٧٧ ، و ٥ : ٣٠٨ و ٤٠٨

الفسيفساء ، ولها فيها تأليف حسن ، لدرس هذه المسئلة من وجهيها التاريخي والفني . ومع تسليمها ببعض مشاركة للقسطنطينية باشغال دمشق ، فقد رأت ،بعد إنعام النظر في فصوص دمشق ومقابلتها بما عاينته من آثار الفسيفساء الباقية في احيا صوفيا في القسطنطينية وبعض ابنية سالونيك ، ان طرائق الفن هي واحدة في كل هذه الاشغال . ولكن لدمشق اسلوب خاص في تأويلها وزيادة في تمثيلها وتلوينها بمقدار لا يشاهد في فصوص القسطنطينية ، اقتبسته دمشق من بيئتها الشرقية[1] .

واذا كانت هنالك حقاً مشاركة من القسطنطينية في جامع دمشق ، فهي عندنا لم تتجاوز « الآلات والفسافساء ».[2] كما يستدل من شهادة الامير خالد القسري . وحسبما جاء من لفظ البشاري من كلام له حكى فيه من جملة ما كان « يقال » في زمانه ، اي قريباً من قرنين قبل ابن عساكر : « ان الوليد جمع لبناء جامع دمشق حذاق فارس والهند والمغرب والروم »[3] . وكان الجامع عندهم يعد كما سبق من لفظه ايضاً « احدى عجائب الدنيا » . فلا غرو اذا تسابقت السُّار والقُصّاص الى تعظيم شأنه ، وتبارت القرائح والمدائح في نسبة تشييده وزخرفته الى اشهر مهرة بلاد الصناعات في الدنيا ، وفي مقدمتها وقتئذ بلاد الروم المعروفة بالتأنق والابداع في الفنون . ومن الغريب ان تكون المخيلة الشرقية ذكرت الهند وذهلت عن الصين .

ولعل في ما قدمناه من هذه الشروح والاستدراكات غناء لنقض خرافة « روم القسطنطينية » واثبات صناعة الفسيفساء لروم دمشق . بحيث يحق غداً لمؤرخ المدينة عدّ الفسيفساء قديماً بين مفاخر الصناع الملكيين في الفيحاء .

1) *Les mosaïques de la mosquée des Omayyades à Damas*, II, p.16

٢) احسن التقاسيم ، ص ١٥٨

٣) احسن التقاسيم ، ص ١٥٨

امّهات اشراف المسلمين النصرانيّات

ووالدة الامير خالد القسري الرومية

اشتهر الاشراف في الجاهلية والاسلام بحب التسرّي والتزوّج بالاماء والفتيات الاجنبيّات. وقد علّل ذلك عمر بن الخطاب بقوله « ليس قوم اكيس من اولاد السراري . لانهم يجمعون عزّ العرب ودهاء العجم . »[1] ولكن العرب كانوا يعدّون مثل هذا الزواج حطّة في النسب . ويسمّون من كان ابوه شريفاً وامه أَمة « هجيناً » . قال المبرّد : وانما قيل هجين من اجل البياض . فكأنهم قصدوا قصد الروم والصقالبة ومن اشبههم[1] . يريد بياض الاماء من هذين الجيلين .

وكان يقال للأَمة ايضاً فتاة ، وامّ ولد[2] . وليس ادلّ على كثرة الهجناء والفتيات في الاسلام من حكاية النكتة التي اوردها المبرّد قال :

« يروى عن رجل من قريش لم يُسمَّ لنا قال : كنت اجالس سعيد بن المسيب . فقال لي يوماً : مَن اخوالك ؟ فقلت : امي فتاة . فكأنني بقصت في عينه . فامهلت حتى دخل عليه سالم بن عبدالله بن عمر بن الخطاب ، رحمه الله . فلما خرج من عنده ، قلت : يا عمّ مَن هذا ؟ فقال : يا سبحان الله أتجهل مثل هذا من قومك . هذا سالم بن عبدالله بن عمر . قلت : فمن امه ؟ قال : فتاة . قال ثم اتاه القاسم بن محمد بن ابي بكر الصديق ، رحمه الله . فجلس عنده ثم نهض . فقلت : يا عم مَن هذا ؟ . فقال : أتجهل من اهلك مثله ! ما اعجب هذا ! هذا القاسم بن محمد بن ابي بكر الصديق . قلت : فمن امه ؟ . قال :

---

١) الكامل للمبرّد (مطبعة التقدم) ١ : ٣٥٤-٣٥٥

٢) روى الحسن بن محبوب علي بن رئاب عن زرارة عن ابي جعفر ، عليه السلام ، قال : سألته عن ام الولد . قال : أَمة تباع وتورث وتوهب . وحدّها حدّ الامة . (كتاب من لا يحضره الفقيه لابي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي . رقم ١٧٠٣ ، ص ٣٤٣ ، من الخزانة المطوفية) .

فتاة . فامهلت شيئاً حتى جاء علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب ، رضي الله عنه . فسلّم عليه . ثم نهض . فقلت : يا عم من هذا؟ قال: هذا الذي لا يسع مسلماً ان يجهله . هذا علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب . فقلت : فمن امه ؟ قال : فتاة . قلت : يا عم ، رأيتني نقصت في عينك لما علمتَ اني لأمّ ولد. افما لي في هؤلاء اسوة ! قال فجللت في عينه جدًّا.[1]

وكان معظم الخلفاء العباسيين ابناء امّاء وامهات اولاد. وهذا وحده كافٍ للدلالة على شدّة تفشّي التسرّي في الاسلام . ولذلك انشد الرياشي :

ان اولاد السراري كثروا ، يا ربّ ، فينا
ربِّ ، أدخلني بلادًا لا ارى فيها هجينا[1]

وكانت الفتيات الروميات من احبّ النساء الى المسلمين لما اتّسمنَ به في الغالب من الصباحة ، والحذق في الخدمة ، وعمل اليدين. وكان بعضهنّ يتمسكن بنصرانيتهنّ اشد التمسك حتى في قصور الخلافة . ويأبين متابعة ازواجهن في اعتقاد الاسلام. ومن اولاد الخلفاء والامراء والاشراف ، الذين اشتهروا بامهاتهنّ المسيحيّات ، مسلمة بن عبد الملك ، فيما حكاه ابن عساكر في ترجمته. والعباس بن الوليد بن عبد الملك[2] . وعبد الله بن الوليد بن عبد الملك . ويزيد بن اسيد . وعبدة بن عبد الرحمن السلمي. وابو الاعور السلمي . وحنظلة بن صفوان الكلبي احد قوّاد الخليفة هشام الاموي . وكانت امه لا تكتم دينها ولا جمالها . قيل خرجت مرة من الكنيسة ومعها جواريها . ومرت بابنها حنظلة ، ومعه اعراب له من كلب . فقال اعرابي منهم : ان عجلتكم هذه لصبيحة . اما لهذه من فتيانكم احد ؟ فقال له حنظلة : أجمل يرحمك الله. فانها ام بعض جلسائك[3].

وفي ضدّ ذلك كانت ام الحارث بن عبدالله بن ابي ربيعة تُسرّ نصرانيتها من ابنها . وكانت سوداء حبشية في الارجح . وهو ما يؤخذ من قول الخليفة عبد الملك بن مروان ، وقد ذُكر الحارث يوماً بين يديه ، بعد ان ولّاه عبد الله

١) الكامل للمبرد ١ : ٢٥٢
٢) مرآة الزمان لسبط ابن الجوزي. بريتش ميوزيوم Add. 23277, f° 105b
٣) الاعلاق النفيسة لابن رسته ، ص ٢١٣.

ابن الزبير . وكان الحارث شريفاً كريماً ديناً سيداً من سادات قريش يقال له القُباع . وهو اخو الشاعر المشهور عمر بن ابي ربيعة . « فقال عبد الملك : ارسل عوفاً وقعد . لاحرّ بوادي عوف . فقال له يحيى بن الحكم : ومن الحارث ابن السوداء ؟ فقال له عبد الملك : ما ولدت ، والله ، أَمَة خيراً ما ولدت امه . »

« ولما ماتت حضر الاشراف جنازتها . وذلك في عهد عمر بن الخطاب . فسمع الحارث من النساء لغطاً . فسأل عن الخبر . فعُرّف انها ماتت نصرانية . وانه وُجد الصليب في عنقها . وكانت تكتمه ذلك . فخرج الى الناس فقال : انصرفوا رحمكم الله . فان لها اهل دين هم اولى بها منا ومنكم . فاستُحسن ذلك منه . وعجب الناس من فعله . »[1]

ولا يخفى ما في مثل هذا القول والفعل من الدلالة على سماحة خلق الحارث وشرفه وبرّه بوالدته . وهو شاهد ايضاً على قلّة العداء للنصرانية في زمانه ، خلافاً لما تمثله لنا بعض التواريخ الاسلامية من عصر الخلفاء الراشدين .

واشهر من عُرف بأمه النصرانية ، وشتم بولادته منها ، الامير خالد بن عبدالله القسري ، عامل العراق للامويين . ولما وليّه صارفاً عنه ابن هبيرة وحبسه في سجن واسط ، قال الفرزدق معرّضاً بخالد . وكان حاقداً عليه لحرمانه اياه :

لقد حبس النصريُّ في سجن واسط فتى شيظمياً ما ينهنهه الزجرُ
فتى لم تربّه النصارى ، ولم يكن غذاءً له لحمُ الخنازير والخمرُ[2]

ومن المضحك الغريب ان يعيّر مثل الفرزدق احداً بشرب الخمر ، وهو ، كما سيجيء من قوله ام خالد فيه : « خميص من التقوى بطين من الخمر » .

وقد انكر بعض الرواة والمؤرخين على الامير خالد انه لم يأمر والدته بالاسلام . وكان مَن اراد تقريعه من الخلفاء والاعداء يقول له : « يا ابن النصرانية ، ويا ابن الكافرة » . ولما همّ عمر بن عبد العزيز بقلع الفسيفساء والرخام من الجامع الاموي وجعل الطين والحصى مكانها خرج اليه اهل دمشق . وهو بدير

١) الاغاني (طبعة الدار) ١ : ٦٦-٦٧
٢) الكامل للمبرد ٣ : ٨٨-٨٩

سمان . وقالوا له : يا امير المؤمنين بلغنا انك تريد ان تصنع كذا وكذا . فقال : نعم . فقال له خالد القسري وكان معهم : ليس لك ذلك ، يا امير المؤمنين . قال : ولِمَ ؟ يا ابن الكافرة . فقال : يا امير المؤمنين ان كانت نصرانية فقد ولدت رجلاً مؤمناً . فاستحيا عمر وقال : صدقت[1] . وفي رسالة لهشام بن عبد الملك الى خالد ينكر عليه استعانته بالمجوس والنصارى في ولايته للعراق : « نزع بك الى ذلك عرق سوء فيهم من التي قامت عنك »[2] . واقبح من عيّره بها مسلمة ابن عبد الملك . وهو ، فيما قيل ، ابن نصرانية ايضاً . وكان ما بينه وبين خالد متباعداً جداً لاسباب لم تذكر . ولما مات اسد شقيق خالد عن امارة خراسان واعمالها ، نيابةً عن اخيه ، كتب مسلمة الى خالد شامتاً به ابياتاً شتم فيها والده اقبح شتم ، وتناول فيها والدته بقوله :

وامّه منها وبنيها هم الاماء الدواعر السُرُد
كافرة بالنبي ، مؤمنة بنفسها ، والصليب ، والعَمَد[3]

يريد بالعمد المعمودية . وهذا الخطاب غريب من امير تأدّب بآداب الخلافة . وكان خالد يقول : يا عباد الله ، من رأى مثل هذه التعزية ؟

وقد تضافرت الروايات الاسلامية والنسطورية على ان ام خالد كانت رومية الجنس . ولكن اختُلف في مصيرها الى ابيه . فقيل انه رآها في يوم عيد للروم . ولا شك أُعجب بجمالها ، فاستلبها ، واولدها خالداً وشقيقه اسداً[4] . وهو الارجح . وقيل ان الخليفة عبد الملك وهبها لابيه[5] . وكانت حسنة الصورة زرقاء العينين . تغزل بها احد الشعراء فقال مدافعاً عن نصرانيتها وزرقة عينيها :

يقولون : نصرانيةٌ امُّ خالد ، فقلت : دعوها ، كل نفس ودينها .
فان تك نصرانيةً ام خالد ، فقد صُوّرت في صورة لا تشبهها ،
احبكِ ان قالوا بعينك زرقة كذاك عتاق الطير زرق عيونها .[6]

---

١) عيون التواريخ لابن شاكر الكتبي ، باريس رقم ١٥٨٧
٢) الكامل للمبرد ٢ : ٢٦٨
٣) عيون التواريخ للكتبي . باريس رقم ١٥٨٧ ، ص ١٦٦
٤) الكامل للمبرد ٢ : ٢٦٨
٥) الاغاني ١٩ : ٦٠
٦) عيون الاخبار لابن قتيبة ٤ : ٥٨

ومع ذلك فقد زعم سبط ابن الجوزي انها كانت سوداء قبيحة المنظر .[1] وبمثل هذا الزور والاختلاق والبعد عن كل انصاف وانتقاد كان يُدوَّن التاريخ في الشرق .

ويظهر انها ما لبثت ان تأدّبت بآداب العرب . ولقنت لغتهم وفصاحتهم حتى طاع لها نظم الشعر ايضاً . وهو ما يُستنتج من رواية لابن عبد ربه قال فيها : «لما اخذ داود بن طلحة خالداً ، فضربه ، بامر سليمان بن عبد الملك ، مئة سوط . قال الفرزدق وقد أُولع بهجائه مشيراً الى شفاعة يزيد بن المهلب فيه :

لعمري ! لقد صُبَّت على متن خالد شآبيب لم يُصبَبْنَ من صيّب القطر !
فلولا يزيد بن المهلّب ، حلّقت بكفيك فتخاء الجناح الى الوكر .

فردّت عليه ام خالد تقول :

لعمري ! لقد باع الفرزدق عِرضه بخسف ، وملى وجهه حامي الحجر .
فكيف يساوي خالداً ، ويشينه خميرٌ من التقوى ، بطينٌ من المسر !»[1]

واذا صحّت هذه الرواية — ولا شيء ينفيها — تكون ام خالد قد جمعت الى حلية الجسم حلى العقل والعلم . وقد وضع خالد مع لبانها كرم الاعراق ، وسهولة الخلق ، والبعد عن كل تعصّب ديني . ولذلك كان محسناً الى اهل الذمّة يعرف لهم اقدارهم ، ويقلّد من يصلح منهم الاعمال الديوانية . وهو ما انكره عليه هشام بن عبد الملك ، حسبما تقدم من لفظه في رسالته المشار اليها آنفاً . وقد شهد مازي بن سليمان ، احد كتاب الناطرة ، ان خالداً «كان يقصد الجاثليق كثيراً ويكرمه . وكان فثيون (جاثليق الناطرة) اذا دخل اليه الكوفة يجلسه على كرسي ويخلع عليه . ويطلب الحنان ويسأله الدعاء . وواقفه على شيء يسير يؤدّيه عن الخراج بالمداين . وكتب له كتاباً وتقدم الى طارق خليفته بصيانته .»[2] وكان هذا الاحسان احد ذنوب خالد التي احتجّ بها اعداؤه حتى غيّروا رأي هشام بن عبد الملك فيه . ومن اجله ايضاً اتهمه ابو الفرج الاصبهاني بانه كان زنديقاً يولي النصارى والمجوس على المسلمين ، ويأمرهم بامتهانهم وضربهم .

---

١) العقد الفريد ٢ : ٢٧٦

٢) كتاب المجدل . اخبار فطار بن كرسي المشرق (طبعة رومية) ، ص٦٦

ويطلق لهم اقتناء الجواري المسلمات[1] . وجمع في مثالبه والازراء عليه اقبح الاقاويل ، وادّعى انه كان في صباه مخنثاً قوّاداً . وان جدّته كانت أمة بغيّاً . ونفاه عن قبيلة قسر ، وزعم ان جده كان عبداً آبقاً من هجر . او كان اصله من يهود تيما.[2] . ومما اهاجه عليه احتقار خالد لعلي بن طالب وبغضه له ، كشأن كل الشآميين من رجال بني امية . وحكى عن سبط ابن الجوزي — وهو كثير المجازفة قليل التثبت فيما يرويه — ان خالداً بنى بجامع الكوفة قوّارة للماء . ثم دعا بقس من قسوس النصارى وقال له : ادعُ لها بالبركة . فان دعاءك ارجى من دعاء ابي تراب[3] يعني علي بن ابي طالب . وكان صاحب الاغاني، خلافاً لاهل بيته الامويين ، مغالياً في حب الشيعة . ولذلك لم يتمالك بعد ان نقل بعض قوارص خالد في حق علي ان يقول : « اللهم العن خالداً وأخزه . وجدّد على روحه العذاب »[4] .

ومع كل ما سُبّ به خالد بانتقاص امه — ولا تعدم الحسناء ذاماً — لم يفتر عن برّها والمبالغة في اكرامها . ويظهر انه لم يكن في زمانها كنيسة للروم الملكيين في الكوفة . وكان يشقّ عليها ان تشهد صلوات الناطرة والبياقبة . فسألت ابنها ان يبني لها بيعة خاصة بمذهبها البيزنطي . فلبّى دعوتها واقام لها البيعة المنسوبة اليه، وبنى حولها حوانيت بالآجر والجصّ . وهُدمت ، بعد قتله ، وصار في مكانها سكة البريد[5] . قال ابن الاثير : ولما بلغه ان الناس يذمونه لبنائه البيعة لامه . قام يعتذر اليهم ، فقال : لعن الله دينهم ان كان شرّاً من دينكم .[6]

وزاد ابو الفرج مبالغة في الذمّ والتشنيع ان خالداً بنى الكنيسة « في ظهر

١) الاغاني ١٩ : ٥٦

٢) الاغاني ١٩ : ٥٦–٥٨و٦٢–٦٤

٣) مرآة الزمان . بريتش . وزيوم Add. 23277, f° 213b

٤) الاغاني ١٩ : ٦٠

٥) معجم البلدان لياقوت ١ : ٧١٦ ؛ وفتوح البلدان للبلاذري ، ص ٢٨٦ ؛ وكتاب البلدان لابن الفقيه ، ص ١٨٢

٦) الكامل ٥ : ١١٢

قبلة المسجد الجامع بالكوفة. فكان اذا اراد المؤذّن في المسجد ان يؤذن ضرب لها بالناقوس. واذا قام الخطيب على المنبر رفع النصارى اصواتهم بقراءتهم»[1]. ولا حاجة الى تزييف هذه التهم. لان النصارى، وهم ذمة تحت رحمة المسلمين، كانوا اعقل من ان يتعدوا طورهم ويتعرضوا للتلف والهلاك. واعجز من ان يتحرّشوا بالمصلّين والخطباء. وقد نسبوا الى الفرزدق ابياتاً في هذا المعنى قالها في هجاء خالد وهي :

ألا قطع الرحمن ظهر مطيّة اتتنا غادى من دمشق بخالد !
وكيف يؤمّ المسلمين، وأمّه تدين بان الله ليس بواحد ؟
بنى بيعة فيها النصارى لأمّه، ويهدم من كفر منار المساجد

وقال ايضاً يخاطب الخليفة :

عليك، امير المؤمنين، بخالد واصحابه، لا طهّر الله خالدا !
بنى بيعة فيها الصليب لأمّه، ويهدم من بغض الصلاة المساجدا (٢

ولا شكّ ان البيت الثالث من الابيات الاولى موضوع محرّف عن البيت الثاني من بيتي الخليفة، كما يظهر بادنى تأمل. وذكروا في تفسيره ان رجلاً من موالي الانصار قال :

ليتني في المؤذّنين، حياتي ! أنهم يبصرون مَن في السطوح
فيشيرون، او تشير اليهم، بالهوى، ذات دلّ مليح

قالوا: فلما سمع خالد هذا الشعر امر بهدم منارة المسجد، وحطّها عن دور الناس. وقد اغفل صاحب الاغاني البيت الذي ورد فيه ذكر المنار. ونسب بيتَي المؤذّن الى السري بن عبد الرحمن الانصاري، وانه قالها في المدينة. وكان عاملها يومئذ صالح بن العباس بن محمد قال: فامر بسدّ المنار فلم يقدر احد ان يطلع رأسه حتى عُزل صالح.[3] وهذه الرواية اوثق واصحّ لصدورها عن عامل المدينة نفسه كما جاء في الاغاني. فليس لخالد اذن يد في هدم المنار. وقصتها دليل على تحامل بعض الرواة والمؤرخين على الامير القسري، فيجب ان تُنتقد

١) الاغاني ١٩ : ٥٤
٢) الكامل للمبرد ٢ : ٨٨–٨٦
٣) الاغاني ١٨ : ٦٧

كل اخباره بغاية النزاهة والتمحيص .

ومن الفكاهات انّ تطلّع المؤذنين من اعلى المنائر الى مَن في المنازل والسطوح قد وقع ايضاً في الغرب . وقد نبّه اليه احد مؤلفي كتب الحِسبة . وزعم ان محتسباً في الكوفة لم يترك مؤذّناً يؤذن في منار الا معصوب العينين. ولا شكّ ان هذا الخبر مبني على البيتين السابقين من رواية المبرّد. قال ابو عبدالله محمد السقطي المالقي الاندلسي :

« ولقد كنت اقول منذ رأيت هذه الحكاية ليت شعري لِمَ فعل هذا - حتى حكى لي جماعة من الثقاة انهم شاهدوا بمراكش قضيّة عجيبة . وذلك ان احد الرؤساء امر ليلة من الليالي حشمه وخدمه ان يتظاهروا لديه بصحن داره في السلاح التام. ليرى ما يعجبه منهم . وبين يديه شمع زاهر وانوآء كثيرة. وجعلوا يحمل بعضهم على بعض يظهرون لسيدهم ما احكموه مما طلبهم له. فبصر بهم مؤذّن من منار مسجد كان يطلع على الدار. فصاح باللسان العربي «غُدرتم يا مسلمين. ودُخلت دار فلان.» فتسابق الناس الى الدار ووقعت من ذلك في البلد رجّة عظيمة. وفشى الصياح في الناس. وكانت هيئة كبيرة كان سببها اطلاع المؤذن . . . كما اتفق للرجل الدهان الذي رأيته بغرناطة. وحُدثت عنه انه كان مؤذّناً ايام فتآنه باحدى البنيّات. وكان يشرف من موضع اذانه على دار فيها جارية حسناء اعجبه جمالها . ولما علمت بشأنه لم تزل تلوّح له وتشير اليه وتناديه حتى شغف بها. فعرضت له يوماً وهو في اثناء الاذان وشغلته حتى زاد ونقص . وسمعه الناس وحملوا اليه وشاع امره فاضطرته الحال الى ان فرّ عن ذلك الموضع واستوطن غيره. وتوفي [illegible] صنعته. »(١)

ولا ندري متى توفيت [illegible] بعد قتله سنة ١٢٦ (٧٤٣/٤ م) . ولعلها سبقته الى اللحد منذ سُجن ، حزناً عليه .

---

١) آداب الحسبة : طبعة باريس سنة ١٩٣١ ، ص ٧-٨.

دير قزمان

في شمالي حلب بالقرب من عزاز

اغفل ذكره كلٌّ من ياقوت ، والبكري ، وشهاب الدين العمري. وهو ما يبعث على الظنّ ان كتب الديارات التي نقلوا عنها كانت خالية من كل اشارة اليه. ولا يُدرى من اين جاء هذا الاسم. ولِمَ نُسب الدير اليه. وقد حاول ياقوت ان يردّه الى اصل عربي كدعواه في كثير من الالفاظ الاعجمية. وعنده ان قُزمان بالضم جمع قَزَم، اي الدنيء الصغير الجثة من كل شيء. قال: وهو اسم موضع. كذا دون تعيين. ومثل هذا الابهام في تعريف الاعلام كثير في كتب البلدانيين. بل لا تخلو منه معاجم اللغة في تفسير اسماء الاعيان. وهو آفة من آفات العلم الشرقي، وعقبة من اشد العقبات التي تعترض الباحث المنقّب في آثار الازمان الغابرة. وزاد ياقوت في التردّد فنقل عن العمراني انه بفتح القاف اسم موضع آخر[1]. فلا ندري اي الضبطين اصحّ ، ولا اين موقع الموضعين ؟ ويشبه ان يكون الدير كان منسوباً الى مار قُزما (بالضم) فجعلوه قزمان. كما بدّلو مار سرجس بآسرجان. قال ابو نواس :

بعجبك قاصداً باسرجان ، فدير النوبهار ، فدير فيق (٢

واوحد من نبّه على هذا الدير ودلّ على مكانه الصاحب كمال الدين بن العديم، نقلاً عن ابي الحسن السياطي في كتاب الأديرة. وقد انفرد هذا الكتاب، فيما يظهر ، باشياء لم ترد في بقية كتب الديارات ، وهو ما يزيد في التحسّر على فقده. ومنه عرفنا ان دير قزمان كان واقعاً شمالي حلب، ما بين جبرين وتلّ خالد، بالقرب من عزاز[2]. وجبرين هذه لا شكّ جبرين قُورَسطايا البائدة ، من قرى

١) معجم البلدان (طبعة اوربة) ٤ : ٨٧ .

٢) معجم البلدان (طبعة اوربة) ٢ : ٦٨٤

٣) جزء من بغية الطلب في تاريخ حلب لابن العديم ، خزانة بريتش موزيوم Add. 23354, f° 103b

حلب ، من ناحية عزاز[1] . وتل خالد قلعة كانت من نواحي حلب[2] .

وروى السياطي عن ابن جناح، من صحابة عبدالله بن محمد الامين، ابياتاً قالها في دير قزمان قال: حدثني ابن جناح قال: مضيت الى دير قزمان ومعي من آنس به من اخواني. فرأيته ديراً حسناً طيباً نزهاً. فاقمت فيه اياماً ورأيت فيه شماساً امرد كالبدر. يقد يقدّ القلوب. فانفذت اليه ليحضر عندنا فامتنع. فآنسته وجعلت لا أفارقه. وتناولت معه القربان. ودخلت معه كل مدخل الى ان أنس بي وعاشرني وقلبي معه. وقلت:

يا دير قزمان ، كم لي فيك من وطر قضيته فسقاك الله غيثانا !
اقمت فيه أسقّى من مشمشة تنفي بسورتها همّاً واحزانا
تجلو الدجى بسناها ، وهي نيّرة ، تخالها في كؤوس الشرب نيرانا
حيّاك روض اريضٌ زهرهُ عَطِرٌ ، بديع نور ، يؤدّي الحسن الوانا
له روائع اشجار تجاوب في افنانها الطير مثنى ثم وحدانا
منادماً قسّ دهراً ، وربما نادمت قساً وشماساً ورهبانا
وفيهم قمر في ليل مدرعة على قضيب حوى حسناً واحسانا
فلم ازل انا (اسس) في تسلّطه وقد اخذت . نعرني منه ، قربانا
حتى استكان الى وصلي ، ونادمني ، وكان [illegible]
يا دير قزمان، لا عُرّيتَ من سكن ومن سكون حبّ ، يا دير قزمانا ! (٣

١) معجم البلدان ٢ : ١٩–٢٠
٢) معجم البلدان ١ : ٨٦٧
٣) بغية الطلب في تاريخ حلب [illegible]

دير حَنَيْنا

من اعمال دمشق

في التقاليد المسيحية أن حنانيا الرسول هو اول اساقفة دمشق. فلا غرو اذا انتسب اليه احد الاديار في ضواحيها . وقد تصرفوا في لفظ اسمه فقالوا حَنَيْنا بفتح الحاء والنون واسكان الياء. وورد كذلك في الشعر . ولا تزال الى اليوم تُعرف به احدى حارات الباب الشرقي من ابواب المدينة حيث كان منزله. وربما الحقوا في الشعر المدّ بآخره فجعلوه حنينا. وعليه قول الكميت يرثي معاوية بن هشام بن عبد الملك وقد مات عنده :

فايّ فتى دنيا ودين تلمّست بدير حَنيناء المنايا فدُلّت
تملّكت الدنيا به ، بعد موته ، وكانت لنا حيناً به قد تملّت[1]

وروى البكري ، فيما قيل ، ان الذي رُثي بهذا الشعر هو البطال احد فرسان العرب المشهور بغزوات الروم في ايام الامويين. مات بدير حنينا قافلاً مع معاوية بن هشام من غزوة. فامر معاوية الشعراء برثائه. والصحيح ما اثبتناه. ومما يدلّ عليه ان قبر معاوية بن هشام كان ملجأً معروفاً في الدولة المروانية يستجير به الخائف فيؤمَّن. لمحله من بيت الخلافة. ولما نظم الكميت قصائده الهاشميات وهجا بني امية ، امر الخليفة هشام بن عبد الملك ان يُقطع لسانه ويده. فأخذ وحبس. ثم افلت من السجن متنكراً بثياب امرأته. وقدم دمشق. واستجار بعنبسة ابن سعيد بن العاص. فامره ان يعوذ بقبر معاوية بن هشام بدير حنينا. وشفع فيه بعض رجالات امية فنجا من القتل[2].

وقد اهمل ياقوت والبكري والعمري ذكر هذا الدير في جملة الديارات وأشار ياقوت اليه في حرف الحاء. واقتصر على القول انه من اعمال دمشق[3]. ومن

١) معجم ما استعجم للبكري ، ص٢٧٢-٢٧٤
٢) الاغاني ١٥ : ١١٥
٣) معجم البلدان (طبعة اوربة) ٢ : ٢٥٠

شك ان الناحية كلها كانت معروفة باسمه . ولذلك قيل ان معاوية بن هشام قُبر فيه. وولده عبد الرحمن بن معاوية هو الامير المعروف بالداخل منشئ الدولة الاموية في الاندلس ، ولد في ناحية الدير سنة ١١٣ للهجرة (٧٣١ م)[1].

ولا سبيل اليوم الى الاهتداء لمكان هذا الدير وموقع ناحيته. وكان لا يزال معروفاً مقصوداً بالزيارة في اوائل القرن السابع ، في ايام الملك الناصر صلاح الدين داود ابن الملك المعظم الايوبي . وقد وُفّقنا للعثور على قصيدة من شعر عون الدين بن العجمي الحلبي الكاتب (٦٠٦-٦٥٦ هـ = ١٢٠٩-١٢٥٨ م) في مدح الملك الناصر ذكر فيها ثلاثة من اديار الشام ومنها دير حنينا . ننقل منها ما يأتي ، وغالبه في وصف خمرة الدير :

يا سائقاً يقطع البيداء معتسفاً بضامر لم يكن في سيره واني ،
ان جزت بالشام شم تلك البروق، ولا تعدل- بلغت المنى !- عن دير مرّان . . .
واعبر بدير حنينا ، واتهز فرص اللـذات ما بين قسيس ومطران .
واستجلِ راحاتها تجي النفوس اذا دارت براح شماميس ورهبان ،
حمراء صفراء بعد المزج، كم قذفت، بشهبها ، من همومي كلَّ شيطان !
كم رحتُ في الليل أسقيها، واشربها ، حتى انقضى ، وندبي غير ندمان !
سألت توماس عمن كان عاصرها اجاب رمزاً ، ولم يصح بتبيان ،
وقال اخبرني شمعون بنقله عن ابن مريم عن موسى بن عمران ،
بانها سقرت بالطور مشرقة انوارها فكنوا عنها بنيران .
وهي المدام التي كانت معتّقة من عهد هرمس ، من قبل ابن كنعان .
وهي التي عبدها فارس ، فكنى عنها بشمس الضحى ، في قومه ، مانى .
سكرت منها فلا صحو، وجُدتُ بها على الندامى ؛ وليس الشحّ من شاني .
يوف امنحها املا ، وانشده ما قيل فيها بترجيع والحان !
حتى تقبل لما اعتاقه طرباً وينتشي الكون من اوصاف نشوان .
خير الملوك صلاح الدين ليس له في الجود ثانٍ ، ولا عن جوده ثاني (٢)

ولعل توماس هـذا الذي ذكره كان وقتئذٍ رأس دير حنينا ، ام بالحري متولي بيع الخمر فيه . وقد اطلنا البحث عن شاهد آخر يشير الى هذا الدير وذهبت اتعابنا ادراج الرياح .

١) المقفّى للمقريزي ، خزانة باريس ٢١٣١ ، ص ٥٢
٢) فوات الوفيات للكتبي ١ : ٢٢٥-٢٢٦

مشمش دمشق

هو اهمّ فواكه الغوطة واغزرها . ومنها يحمل الى كثير من البلاد . ومنه انواع عدّ منها البدري، في القرن التاسع للهجرة ، احدًا وعشرين صنفاً في كتابه محاسن الشام (ص ١٨٧–١٨٨) لم تذكر منها الطبعة البغدادية الا عشرين فقط بعد ان حرفت اسماء بعضها . وهذه الطبعة لا تخلو بالاجمال من عدة اغلاط قبيحة . وقد اتممنا سياقة الاصناف واصلحنا روايتها وهي :

حموي . أويسي . سندياني . عربيلي . كافوري . خراساني . بعلبكي . لقيس . لوزي . وزيري . دغشي . كلابي . سلطاني . حازمي . ايدمري . منيني[1] . بردي . بلدي[2] . ملوح . ضراط البخاتي[3] . جلاجل القلوع .

وفي الجزء العشرين من التذكرة للصفدي ، في فصول منه منقولة في مجلد من ثمرات الاوراق لابن حجة الحموي ، في خزانة بريتيش موزيوم « اسماء الفاكهة بدمشق المحروسة » قابلناها على ما تقدم فوجدنا فيها نقصاً غير قليل . ولعل اصناف المشمش في ايام الصفدي ، اي في القرن الثامن للهجرة ، كانت دمشق اوفر منها في القرن التاسع، لانه لم يذكر منها الا خمسة عشر صنفاً فقط . واذا صحت روايتها كان فيها صنفان زالا من دمشق وهما « سفياني . وعلى حبته » .

ولم يبقَ اليوم من اصناف المشمش بدمشق الا تسعة فقط . اثنان منها بنواة مرة وهما الكلابي والعربيني (العربيلي) . وسبعة بنواة حارة وهي الحموي بين نكير وتقيس . والبلدي . والسندياني . واللوزي . والوزري . والعجمي . والتدمري .

وسيّد هذه الاصناف واجودها بالاجماع ، « واقلها ضررًا » الحموي . لرقة حشيته وحسن طعمه . وعطر رائحة نواره .[4] ومنه في غير حماة اغراس في الناصرة .

١) في الاصل المطبوع : منيني بالسين ، وهو غلط .

٢) هذا الصنف ساقط من المطبوع . وهو مذكور في نسخة من محاسن الشام في خزانة باريس رقم ٢٢٥٣ ، ص ٨٠

٣) في الاصل المطبوع فراط النحاتي . وهو تصحيف .

٤) محاسن الشام ، ص ١٨٩

واخرى في بيروت ولبنان . ويسمى فيها البسوسي نسبة الى قرية بسوس من قضاء عاليه .

وفي كتاب « جامع الغرض في حفظ الصحة ودفع المرض » لامين الدولة ابي الفرج يعقوب بن القف ، احد اطباء الروم الملكيين في القرن السابع للهجرة ، المتوفى سنة ١٢٨٦ « ان المشمش اجوده الكبير الحب. النضيج الكثير المائية . الحلو الحب. وهو المسمى بدمشق الخراساني. »[1] واذا كان هو العجمي اليوم فلا شكّ ان الصنف تبدل او انه انقرض بالتمام من الغوطة.

ويصعب جدًّا تعليل بعض هذه الاسماء . ولا مرآء ان الوزري اليوم هو الوزيري بالامس. وكلاهما نسبة الى الوزير والوزارة . وكان يقال للوزارة في دولة المماليك الوَزَر. وقد استعملها كذلك غير واحد من المؤرخين والكتاب . وترد كثيرًا في النجوم الزاهرة لابن تغري بردي.

ومما يُرتاب في صحته اسم الكلابي وهل هو منسوب الى الكلاب جمع كلب. ام كان له في الاصل صلة بابن كلّاب الذي أُضيف اليه بعض لوز دمشق وقال فيه سيف الدين المشدّ المتوفى سنة ٦٥٥ للهجرة (١٢٥٧ م) :

فؤادي الى بانات جلّق مائل ، ودمعي على اغصارها يتحدّرُ
يرغّبني لوز ابن كلّاب نزهةً وتغرني اغصانه وهو شرُ.[2]

واذا كان نُسب الى الكلاب فلا يمتنع ان يكون لغزرته المرة ، وكثرته وابتذاله ، وهو اوفر الاشجار ثمرًا.

ويغلب على اللوزي ان تكون نواته منفلقة او سهلة المكسر. ولذلك قال فيه محيي الدين بن عبد الظاهر ، كاتب الانشاء بالديار المصرية :

ان لوزيّ جلّق عجمه ابن النوى
لم يكلفك كسره فالق الحب والنوى[3]

والايدمري نسبة الى ايدُمر من اسماء المماليك . سمي لا شك باسم جالبه وزارعه. ولعله هو المعروف الآن بالتدمري بتحريف من العامة.

١) خزانة بريتش موزيوم Or. 3690 الفصل الثالث والاربعون في الفواكه .
٢) العشرون من عيون التواريخ للكتبي. الخزانة التيمورية ، ص ٩٥
٣) تاريخ حوادث الزمان وانبائه لشمس الدين الجزري ، باريس ٦٧٣٩ ، ص ١٠٤

وافضل الاصناف في التجارة البلدي. وهو الذي يُربّى، ويجفّف، ويحمل الى البلاد باسم النقوع. لانه اذا نُقع في الماء كان من انفع الفواكه اليابسة واعذبها طعماً، واصلحها للمعدة. وللاطباء في هذا النقيع اعتقاد جميل. قال الرازي في الحاوي: اتاني رجل الجر فحدست ان المشمش يذهب بجره. فاطعمته من رطبه فذهب البخر. ثم كان يستعمل نقيعه دائماً. فلا احسب انه يوجد شيء اشد للتبريد منه.[1] ويؤكل ايضاً قبل ان يتم جفافه. ويقال له حينئذٍ «المسطاح» باسم المكان الذي يُسطح فيه اي يبسط.

ومن الاصناف المجلوبة الحموي، والبعلبكي، والخراساني. واما العربيلي، والمنيني، والبردي، فمنسوبة الى عربيل، ومنين، ووادي بردى، من قرى دمشق.

ومن عصير الكلابي خصوصاً يُتخذ القمرالدين المشهور في الآفاق. ذكره البدري في جملة القافلات التي كانت ترتفع من دمشق الى الديار المصرية[2]، في القرن التاسع للهجرة. وهو يبسط في الشمس على الواح طويلة من خشب. فاذا خمر، وذهب ماؤه، يُقلع وتجيء منه صفائح رقيقة كصحائف الورق تطوى وتلفّ. ولذلك يقال للواحدة منها من وزن ماوه «لفة». في اصطلاح التجار. وقد انفرد اهل دمشق بهذه الصنعة. ولا نعلم ان قمراً آخر يعصر ويبسّ ويدّخر على هذه الصورة.

وقد اعيانا البحث لندري لِمَ دعي هذا العصير «قمر الدين». وانما كان هذا اللقب يطلق قبلاً على جنس من المشمش المجفف في اصبهان وانطالية وقونية. قال ابن بطوطة: «اصفهان ... بها الفواكه الكثيرة ومنها المشمش الذي لا نظير له. يسمونه قمر الدين. وهم يبسونه ويدخرونه. ونواه ينكسر عن لوز حلو»[3]. وحكي عن انطالية ان «فيها البساتين الكثيرة والفواكه الطيبة والمشمش العجيب المسمى عندهم بقمر الدين. وفي نواته لوز حلو. وهو يبس

١) محاسن الشام، ص ١٨١ – ١٨٢

٢) محاسن الشام، ص ٣٦٤

٣) رحلة ابن بطوطة (مطبعة التيل) ١: ١١٩

ويحمل الى ديار مصر . وهو بها مستطرف»[1] . ولما دخل تونية قال عنها : «مدينة . . . كثيرة المياه والانهار والبساتين والفواكه . وبها المشمش المسمى بقمر الدين وقد تقدم ذكره . ويحمل منه ايضاً الى ديار مصر والشام . »[2] والارجح انه سمي كذلك باسم غارسه ومُحدثه . وكان لقب قمر الدين من الالقاب المعروفة كشمس الدين ، ونجم الدين ، وشهاب الدين . ولعله لم يبطل في الشام الا لضِعَته وامتهانه بنسبة هذا العصير اليه . ومن الغريب ان يكون مشمش تونية جُلب يوماً الى دمشق على كثرة النقيع فيها . والاتجار به اليها كاستبضاع التمر الى هجر . ولا يقال ان المحمول الى دمشق كان من العصير الجاف ، لقول ابن بطوطة : «هم يبيعونه ونواه ينكسر عن لوز حلو» وهو نص صريح على ان المبيَّس كان المشمش بنواه . ومع ذلك لا يستحيل ان يكون ابن بطوطة سها عن ذكر العصير منه . فلما ورد اول مرة الى دمشق قلده اهل الغوطة وزاحموه بكثرة ما لديهم من الكلابي وبقي اسمه محفوظاً عندهم . وهو اقرب ما يبدو لنا في توجيه هذه التسمية .

وقد اشتهر الدماشقة بفرط اعجابهم بالمشمش وشهوتهم له . وكان القضاة وشيوخ العلم عندهم قديماً اكثرهم شرهاً عليه وتلذذاً به . حتى كانوا ينقطعون من اجله عن حضور المجالس والمدارس . واول من احدث بينهم بطالة الدروس في زمن المشمش القاضي نجم الدين بن سني الدولة ، بعد ان ولّاه الملك الظاهر بيبرس قضاء دمشق . وفي البداية والنهاية لابن كثير ، رواية الطبراني ، «انه كان له بستان بارض السهم . وكان يشق عليه مفارقة المشمش والنزول الى المدارس . فبطّل الناس هذه الايام واتبعوه في ذلك . والنفوس انما تؤثر الراحة والبطالة . ولاسيما اصحاب البساتين في ايام الفواكه وكثرت الشهوات في تلك الايام . ولاسيما القضاة .»[3] واستقرت هذه العادة بدمشق . وفي سنة ٧٨٦ (١٣٨٤ م) كان قاضي القضاة بدمشق برهان الدين بن جماعة ، فشى على سنن من قبله في اللهو

١) رحلة ابن بطوطة (مطبعة النيل) ١ : ١٧٢

٢) رحلة ابن بطوطة (مطبعة النيل) ١ : ١٧٧

٣) خزانة باريس ١٥١٦ ، ص ٨١

بالمشمش والتعطيل في زمانه. قال ابن قاضي شهبة : وفي سادس جمادى الاولى شرع في حضور الدروس بعد البطالة للمشمش نحوًا من خمسين يوماً.[1]

وكان الفرنج الذين يتجرون بدمشق او يجتازون بها اكثر شغفاً بهذه الفاكهة من اهلها. وفي رحلة لاحدهم نكتة لا بأس من التفكه بها قال :

« وبدمشق نوع من الثمر يشبه المشمش ويسمونه michemits اي قاتل الفرنسيين لانهم يتلفون ارواحهم بكثرة اكلهم منه .»[2]

ويظهر انه في ايام الخلافة العباسية كان يتخذ من المشمش نوع من الخمر كالتي تُتخذ من التفاح . وممن عرف بشربها اسحق بن ابرهيم الموصلي المغني المشهور . وفي رواية لابي الفرج الاصبهاني : مرّ صوت ابرهيم بن المهدي في شعره وهو :

جدّد الحب بلابا امرها ليس يسيرا

قال فطرب اسحق طرباً ما رأيته طرب مثله قط . . . حتى شرب قاطرميزه وفيه من المشمش الذي كان يشربه ثلاثة عشر رطلاً.[3]

---

١) الذيل ، خزانة باريس ١٥٩٩ ، ص ٣

٢) P. Bernardin Surius. *Le Pieux Pèlerin ou voyage de Jerusalem.* Bruxelles, 1666, *p.* 335

٣) الاغاني ٩ : ٦١

كتاب الطباخة

وهو مرتّب على الحروف

لجمال الدين يوسف بن حسن بن عبد الهادي الصالحي الدمشقي

وهو المعروف بابن المبرّد ، من علماء دمشق ، توفي فيها سنة ٩٠٩ للهجرة (١٥٠٣ م) وهو احد شيوخ شمس الدين بن طولون ، صاحب « ضرب الحوطة على جميع الغوطة » . وفي الخزانة الظاهرية عدّة اجزاء ومؤلّفات له بخطه . ومنها مجموع بقلمه سقطت بعض كراريسه ، وساق منها الحظ الينا سبع عشر ورقة في جُزاز (دشت) ابتعناه قديماً في دمشق . وفيها بضع مقالات متنوّعة دعاها «كتباً» كعادة الفقهاء . وكلها مختصرة ، موجزة الشروح . وبينها كتاب الطباخة المشار اليه لا يتجاوز متنه خمس صفحات ونصف صفحة في كل منها تارة ثمانية عشر سطراً ، وتارة تسعة عشر . نسّق فيها على حروف المعجم مآكل طبقة خاصة من الناس لم تعتد غير البقول والحبوب باللحوم المساوقة . وبعض الحلاوى الشائعة في ايامه وبين نظرائه ، في منازل دمشق واسواقها . وهي لذلك لا تخلو من فائدة في تاريخ الاغذية في الاسلام، وعلى الخصوص في مدن الشام . وقد فاته كثير مما كان بدمشق من التأنق والتصنع في موائد الكبراء والاغنياء والمترفين ، ولاسيما ما انفرد به النصارى من التنعم او التقشف في إصلاح الاطعمة والتفنّن في تنويعها . ومعلوم ما كانوا عليه قبلاً من المبالغة في الاصوام . والتجلّد عليها والتشدّد فيها . واضطرارهم من اجلها الى اقتراح اغذية منزّهة عن الادهان ، والالبان ، والاجبان ، والبيض ، واللحوم . كانت تُهيّأ فيها البقول والاعشاب والحبوب والقطاني بالزيت وحده . ولذلك كانت تعرف بالمآكل الزيتية او الصيامية . وربما دُعيت طائفة منها احياناً « مزوّرة » . وهي عند الاطباء كل غذاء دُبّر للمريض بدون اللحم . او وُلّد فيه جانب من الاغذية الطبيعية بما يقاربها ببعض الحِيَل . وقد وقفنا منها على صفحات غريبة في مخطوط نادر في خزانة اكسفرد لابي محمد المظفر ابن سيّار الورّاق . جمع فيه فاوعى كل ما اتصل به من صفات الاطعمة والاشربة في عهد

الخلفاء العباسيين . ولكن شانه بكثرة تكلفه الاسجاع في سياقة الابواب والتزامها في عنوانه الطويل وهو « كتاب الطبيخ واصلاح الاغذية المأكولات . وطيب الاطعمة المصنوعات . مما استخرج من كتب الطب . والفاظ الطُهاة واهل اللب ». ونسخته قديمة قيّمة . سقطت بعض اوراقها وغاب عنا معها تاريخ انجازها . وفي الباب السادس والاربعين منها : « ما يأكل النصارى من الطعام . المزوّر في الصيام » . وقد ظرف ابن طباطبا بتسمية مثل هذه المآكل القشفة « مسيحية » في بيتين له نظمهما في ذم دعوة دعاه اليها رجل يسمى الكراريسي . وقرّب اليه مائدة عليها خيار . وفي وسطها جامات عليها قطر . ولم يصحبها بوارد viandes froides hors d'œuvre فسماها مسيحية لانها اشبهت موائد النصارى ، فقال :

يا دعوة منبرّة قانعه ، كأنما من سفر قادمه
قد قدموا فيها مسيحيّة اضحت على اسلافها نادمه(١)

وهذا نصّ ما جاء في كتاب الطباخة بلفظه ورسمه وعاميّته احياناً . ولا يخلو من فوائد للغوي :

اطريّة يعمل من العجين . ويرمى على غرف . وطبيخه مثل طبيخ الرشتي . يوضع على المرق ويغلى عليه .

بورانية طعام من الباذنجان . وهو ان يقطع الباذنجان . ويسلق اللحم في ماء يسير . ثم يوضع عليه الباذنجان حتى ينضج . ويوضع عليه الجوز والبقدونس المدقوق .

تفاحية(٢) يوضع اللحم ويقشر التفاح ويقطع ويلقى عليه . ثم يوضع عليه الحلو .

ثريد يسلق اللحم ويسقى برقه الخبز . ويوضع عليه اللبن والثوم والنعنع . ويوضع اللحم عليه . وكذلك ثريد غير اللحم .

---

١) ديوان المعاني لابي هلال الحسن بن عبد الله العسكري . خزانة بريتش . وزيوم Add. 23443, f° 86-87

٢) ذكرت في الهامش بخطّ غير خطّ المؤلف . وقد ذكرها المؤلف في ضمن كلامه على السفرجلية ، لان طريقة الطبخ واحدة . .

جوذابه يوخذ الرز يوضع عليه الحليب وقليل الماء والزعفران ويوضع في تنور الشوا

جزرية يسلق اللحم بقليل من الماء ويوضع عليه الجزر وفصوص الثوم والبصل المقشر . ثم يوضع عليه الثوم المدقوق . ومنهم من يضع عليه ايضاً الاسفاناخ . ومنهم من لا يضع الاسفاناخ . ويضع الجوز والبقدونس .

حصرمية تطبخ على عدة طرق . احدها ان تطبخ بماء الحصرم فقط . فيسلق اللحم ويوضع عليه السلق والقرع . ويوضع ماء الحصرم . وتخضر بالجوز والبقدونس . الثاني ان يطبخ باللبن وهي كذلك الا انها تزاد اللبن . الثالث ان يسلق اللحم . ثم تقلى الحوائج الموضوعة فيها . ثم يكسر اللبن بالمرق وتصبه عليها . ثم تضع عليها ماء الحصرم . ثم تخضرها بالجوز والبقدونس .

حلوا انواعها كثيرة جداً . منها الحلاوات المتخذة من الناطف . وهو ان تضع الدبس او العسل او السكر او الرب . ثم تضعه على نار هادية . وتحركه الى ان ياخذ القوام . ثم تخفق بياض البيض وتضعه عليها . ثم تحركه حتى يقوى فيصير ناطفاً . فاذا اردت بعد ذلك الحلاوة الفاوية وضعت اللوز المحمص وعلقته (اي عقدته) . والجوزية الجوز . والفستقية الفستق . والبندقية البندق . والقطامية القطامة . والسمسمية السمسم المحمص . والطحينية الطحين . وتخفقها في الناطف حتى تختلط . والدهنية تضع الطحين المحمص بالدهن . واما الحلاوة العجمية فيحمص الطحين بالشيرج حتى يرخي ويتلى الدبس او غيره ويوضع عليه . واما الخبيص فيوخذ الدبس يوضع على النار حتى يظهر دعوته وتنزع . ويكسر النشا بالماء ويوضع عليه .

خوخية يسلق اللحم والخوخ . وتقلى الحوائج من السلق والباذنجان والجزر والقرع ونحو ذلك من حوائجها . ويرس الخوخ بمرق اللحم ويصفى ويوضع على الحوائج . ثم تحلى ثم تخضر بالجوز والبقدونس .

رمانية يسلق اللحم بيسير ماء وتوضع الحوائج . ثم يعتصر الرمان او يدق حب الرمان ويستخرج ماؤه ويوضع على ذلك ثم يحلى ثم يخضر .

رشتا يسلق اللحم ثم يوضع عليه الرشتا وبعضهم يضع فيها البصل . وبعضهم يضع الحمص . وبعضهم يضع الكسفرة الخضرا المخروطة على وجهها[1] .

رز مفلفل يسلق اللحم ثم يوضع الرز بقدر ما تقف فيه الملعقة . ثم يغلى عليه حتى تشمط الرزة . ثم ينزل ويصفى الماء ويوضع عليه الدهن ويكسر . وبعضهم يضع فيه الحمص . وبعضهم يضع التمر .

رز حلو يوضع الرز بعد غليان الماء حتى يشمط ويقارب الاستواء . ثم يوضع عليه الحلو حتى يعقد ويذرّ عليه الزنجبيل وينزل .

رز برشتا تقلى في الفرن وتوضع مع الرز .

ريباسية يسلق اللحم والرياس ويصفى بعد نهسه . ويوضع على الحوائج ويكسر اللبن بمرق اللحم ويوضع عليه .

زيرباج يعمل بالحب رمان والدبس والاجاص والعناب والمشمش واللوز .

سماقية يسلق اللحم وتوضع فيه الحوائج من الكرفس والجزر واللفت والحمص والسلق . وينقع السماق ويمرس ويصفى ويوضع على ذلك . ومنهم من يطبخها بكروش البقر ومنهم من يطبخها بكروش الغنم المحشية .

سفرجلية طبخها طبخ التفاحية وهو ان تأخذ التفاح او السفرجل تقشره وتسلق اللحم في ماء يسير وتضعه عليه حتى يقارب النضج . ثم تضع عليه الحلو واللوز والخشخاش والدهن .

سخاتير هو ان تأخذ كروش الغنم فتسطيها وتنضفها وتخيطها اكياساً . وتصرّل الرز وتضع معه اللحم السمين والحمص والكسفرة والزعفران والفلفل وتضعه فيها وتخيط عليه وتطبخه . فاذا استوى تسقي له

١) قال ابن بطوطة في رحلته : «الرشتا هو شبه الاطرية يطبخ ويشرب باللبن» (١ : ١٦٨ طبعة التيل بمصر) .

الثريد باللبن والنعنع والثوم وتضعه عليه.

شعيرية وشوربا تعمل منها مفلفل وشوربا. اما المفلفل فهو كالرز. والشوربا تسلق اللحم وتضع عليه. شوربا هو ان يُسلق اللحم ويوضع عليه الرز. وبعضهم يضع الحمص. وبعضهم يضع الكسفرة الخضراء.

شبرك هو ان يؤخذ اللحم المخروط فيحشى في عجين ممدود كالطماج[1] مقطع ويطبخ في الماء حتى يستوي. ثم ينزل ويوضع عليه اللبن والثوم والنعنع.

شوى يؤخذ اللحم فيدهن بالزعفران ويوضع في التنور ويسد عليه.

صلما يؤخذ العجين فيفتل ويقطع قطعاً صغاراً ويرصع بالاصبع كالدرهم ويطبخ بالماء حتى يستوي. ثم يوضع عليه اللبن ويقلى له اللحم بالبصل ويوضع عليه النعنع والثوم.

طماج يمد العجين ويقطع ويطبخ في الماء حتى يستوي ويوضع عليه اللبن والنعنع والثوم والسمن واللحم المقلو.

عصيدة يؤخذ الماء فيغلى ويوضع فيه الرز حتى يشمط ثم يُذر فيه الطحين ويُعصد[2] حتى يستوي. ثم ينزل ويوضع عليه الدهن والدبس. وان ذُرّت عليه القلوبات كان اجود.

عصفورية يسلق اللحم ثم يوضع الرز والقرع عليه ويصبغ بالزعفران.

عجورية يسلق اللحم في يسير من الماء ويوضع عليه العجور حتى ينضج. ثم يخضر بالجوز والبقدونس والثوم.

عدس احسن طبخه ان يُجرش ثم يطبخ ويوضع فيه السلق والقلقاس. ثم يوضع عليه عند الاستوا السماق والبصل المقلو والبقدونس والخل والزيت.

---

١) رسمها هنا بالتاء والطاء بدلاً من طائين كما اثبتها في مكانها. وهذه اللفظة غير واردة في معاجم اللغة. وضبطها الخفاجي في شفاء الغليل بضم الطاء الاول واسكان الثانية، ولم يفسرها، وقال: نوع من الطعام معروف.

٢) اي يُغلب.

غريبة يسلق اللحم . وثم ترفع اكثر مرقه وتضع على الباقي الحوائج من البصل والقرع والباذنجان وتكسر اللبن فيما رفعته وتضعه عليه . ثم تخضر بالجوز والبقدونس .

فولية يسلق اللحم ويقلى الفول بالدهن . ثمتضع عليه اللحم والمرق . ثم تضع عليه الصعتر المدقوق والكسفرة والثوم المدقوقين . ثم تفتس عليه البيض وتذر عليه الفلفل والكسفرة اليابسة ويغطى حتى يجمد وينزل .

قرعية يسلق اللحم ثم يقلى القرع والبصل بالكسفرة المدقوقة . ثم تضع عليه المرق .

قنبريسية تكسر القلبريس[1] بالماء وتضعه ثم يغلي . ويوضع فيه اللحم والرز . وبعضهم يسلق اللحم . ثم تكسر القلبريس وتضعه عليه . ثم تضع الرز .

قلقاسية تطبخ على وجهين . الاول ان يسلق اللحم ويقلى القلقاس . ثم تضع المرق عليه ويصبغ بالزعفران . والثاني ان يسلق اللحم ويقلى القلقاس ويوضع عليه . ويوضع عليه بعد النضج الاسفاناخ .

قمحية يوخذ القمح فيغلى في قليل ماء حتى ينشي . ثم يزاد ماء ثم يلقى فيه اللحم .

كماة يسلق اللحم ثم يقلى وتضع عليه المرق وتفتس عليه البيض .

كشك تسلق اللحم وتضع الحوائج من السلق والكرنب واللفت والحمص . ثم يذر عليه الكشك ويوضع القنبيط والباذنجان . فاذا استوى تضع عليه القرط[2] والبقدونس والسذاب المخروط والنعنع والثوم المدقوقين .

كشكك[3] يسلق اللحم ثم يوضع عليه القمح ويكسر . والفرق بينها وبين القمحية

١) القنبريس بالنون كما كتبه اولاً : الحليب الحامض الغليظ . وفي الرسالة التامة في كلام العامة لميخائيل صباغ : القنبريسية اسم لطبيخ اللحم والبصل في اللبن الرائب (ص ٦٤)

٢) القرط نوع من الكراث يعرف بكراث المائدة

٣) كذا بخط المؤلف ولعله اراد « كشكية » فسبقه القلم .

كثرة القمح في هذه .

لبنية[1] . يسلق اللحم ثم يوضع الكراث ويكسر اللبن ويوضع عليه الرز . وبعضهم يضع اللبن اولاً ثم يضع اللحم ثم الرز .

ليمونية يسلق اللحم ويوضع السلق ثم يوضع عليه الرز واللبن وعند الاستوا يوضع عليه ماء الليمون . وبعضهم يضع فيها الحمص . ويوضع عليها بعد الاستوا القرط والبقدونس المخروطين .

ملوخية يسلق اللحم وتخرط الملوخية وتوضع عليه . وتضع فيها الكسفرة المدقوقة مع الثوم والبصل المشوي . وبعضهم يحمضها بالحصرم والليمون .

نارنجية يسلق اللحم ويلقى فيه البصل والقلقاس . ثم يكسر اللبن ويوضع عليه . ويوضع عليه ماء النارنج .

نرجسية يسلق اللحم ويوضع عليه الرز والجزر والاسفاناخ .

هليونية يسلق اللحم والهليون ثم يوضع كلاهما على الآخر ويفقس عليه البيض ويذر عليه الفلفل والكسفرة اليابسة ويوضع على النار حتى يستوي .

هريسة يسلق اللحم ثم يوضع عليه القمح حتى ينشي . ثم ينسل اللحم من العظام ويهرس وبعضهم يزيدها الحليب .

---

١) من محاسن صلاح الدين الصفدي ، وقد وقع ثلج كثير في الجامع الاموي :

لا تحسبوا الثلج برمي في جامع ابن اميه
لكنّ كانون يملا في صحنه لبنيه

(كتاب الكشف والتنبيه على الوصف والتشبيه . خزانة باريس ٣٣٤٥ ، ص ٤١)

خبز الارز

كان الخبز اكثر ما يُصنع قديماً من الحنطة ، او الارز ، او الشعير . وقد عدّ ابن جزلة من انواعه ما يأتي من لفظه:

« خبز الحنطة . خبز خشكار خبز مغسول خبز سميذ . خبز الحواري . خبز فطير . خبز الطابون (على الحصى) . خبز الطابق . خبز القطائف . خبز الابازير . خبز الارز . خبز الشعير . »[1] ويظهر ان خبز الذرة اول ما أُكل في مصر سنة ٨٩٢ (١٤٨٧م) حين اشتدّ الغلاء فيها . واقترح العوام رقصة كانوا يرقصونها وهم يغنون:

زُوبعي دي المسخره يطعمني خبز الدره[2]

وللشيعة اعتقاد حسن في خبز الارز لقول الصادق فيه ، وهو لقب ابي جعفر محمد بن علي بن الحسين: « ما دخل جوف المساول مثله . انه يسلّ الداء سلّاً . » ومن صحيفة الرضا عن ابي نافع يرفعونه انه قال : « ما من شيء انفع منه . وما من شيء يبقى في الجوف من غدوة الى الليل الا خبز الارز . »[3]

ويروى ان خالد بن صفوان دخل على يزيد بن ابي المهلّب وهو يتغدى . فقال: ادنُ فكُلْ ، يا ابا صفوان . فقال: اصلح الله الامير لقد اكلت اكلة لست ناسيها . قال: وما اكلت ؟ قال: اتيت ضيعتي لإبّان الغراس واوان الحمرة فجئت فيها جولة حتى اذا خمدت الشمس وازمعت بالركود . دخلت الى غرفة في هفافة في حديقة قد فتحت ابوابها ونضح الماء جوانبها . وفرشت ارضها بلون الرياحين . ثم أُتيت بخبز ارز كأنه قطع العقيق وسلك بنانيّ بيض القطون رقق العيون . . . »[4]

ويؤخذ من بيتين لابن خلّاد في وصف خبز الارز انه كان يُبقط احياناً بالحبة السوداء والسمسم . وهما قوله :

عليه من الشونيز آثار كاتب وحلباب ورّاق تنقط بالحبر

---

١) منهاج البيان في ما يستعمله الانسان . خزانة اكسفورد ٥٠٤ : [illegible]

٢) تاريخ مصر لابن اياس ٢ : ٢٤٣

٣) نوادر الاشراق في مكارم الاخلاق ، من مخطوطات الخزانة المطوفية ، رقم ١٦٩٣

٤) الكامل للمبرّد ٢ : ٢٩٢

ومن سمسم قد زعفروه، كأنه قرافة تبر في لجينة عز (١)

وكان على كل حال قوت الفقراء والبخلاء لرخص اسعاره. ولما مر ابن بطوطة بمدينة واسط نزل في رباط فيها، حتى اذا انقضت صلاة العصر « ضربت الطبول والدفوف واخذ الفقراء في الرقص . ثم صلوا المغرب وقدموا السماط وهو خبز الارز والسمك واللبن والتمر ».(٢) ومن المدن التي اعتادت اكله كثيراً البصرة. قيل ان فتى من اهل المدينة دخل البصرة ثم انصرف. « فقال له اصحابه: كيف رأيت البصرة؟ قال: خير بلاد الله للجائع والعزب والمفلس. اما الجائع فيأكل خبز الارز والصحناء (ادام من السمك الصغير المملوح) لا ينفق في الشهر درهمين».(٣) وحكى الجاحظ عن رجل من البخلاء يسمى ابن العتدي قال: «ربما استزار اصحابه الى البستان . . . فسألت ذات يوم بعض زواره فقلت: احكِ لي امركم . . . قال: يشتري لنا ارزاً بقشره ويحمله معه . ليس معه شيء مما خلق الله الا ذلك الارز . فاذا صرنا الى ارضه كلف اكاره ان يجثه في مجثة له ثم غربله . . . ثم كلف الاكار ان يطحنه على ثوره وفي رحاه . فاذا طحنه كلفه ان يغلي له الماء . وان يختطب له . ثم يكلفه العجن لان الماء الحار اكثر نزلاً . ثم كلف الاكار ان يخبزه. »(٤)

ولم تخلُ بغداد من حوانيت كان يدقّ الارزّ فيها . وفي ترجمة عبد القادر السهروردي الواعظ المتوفى سنة ٥٦٣ هـ (١١٦٧/٨ م) انه قال: «خرجت يوماً الى بعض الاسواق . فوجدت رجلاً وبين يديه طبرزين. وعنده جماعة يدقون الارز . فقلت هل لك ان تستأجرني. فقال أرني يديك . فأريته . فقال هذه يد لا تصلح الا للقلم . ثم ناولني قرطاساً فيه ذهب . فقلت ما آخذ الا اجرة عملي. فان كان عندك نسخ تستأجرني في النسخ . والا انصرفت. وكان رجلاً يقظاً. فقال اصعد.

١) ديوان المعاني لابي هلال العسكري. خزانة بريتش موزيوم. لندرة Add. 23443, f. 56

٢) رحلة ابن بطوطة (مطبعة النيل) ١ : ١٠٩

٣) عيون الاخبار لابن قتيبة ١ : ٢٢١

٤) كتاب البخلاء للجاحظ (طبعة ليدن)، ص ١٣٩–١٤٠

وقال لغلامه ناوله تلك المدقة. فناولني. فدققت معهم وليس لي عادة. وصاحب الدكان يلحظني. فلما عملت ساعة قال تعال. فجئت اليه فناولني الذهب وقال هذا اجرتك. فاخذته وانصرفت.»[1]

ومن الاقاليم التي غلب فيها قديماً خبز الارز طبرستان. واكثر طعامهم منه ومن السمك[2]. وخوزستان. قال ابن حوقل: واكثر حبوبهم بعد القمح والشعير الارز حتى انهم ليخبزونه ويأكلونه وهو لهم قوت. وفيهم من تعود اكل خبز الارز طول السنة. حتى اذا اكل خبز الحنطة اخذه المغص ووجع البطن.[3]

وفي اوائل القرن الرابع للهجرة كان في البصرة الشاعر المشهور ابو القاسم نصر المعروف بالخبزارزيّ. وهو من الشعراء المحترفين. كان يخبز خبز الارز ويبيعه في دكان له في المربد وهو ينشد ما يقوله من الشعر والناس ملتفون عليه لاستماع شعره وملحه. لانه كان اميًّا لا يتهجى ولا يكتب.[4] ذكر الخطيب في تاريخ مدينة السلام ان ابا محمد عبد الله بن محمد الاكفاني قال: خرجت مع عمي ابي عبدالله الاكفاني الشاعر وابي الحسين بن لنكك وابي الحسن السماك في بطالة العيد، وانا يومئذ صبي اصحبهم. فانتهوا الى نصر الخبزارزي وهو يخبز على طابقه. فجلسوا يهنئونه بالعيد وهو يوقد السعف تحت الطابق. فزاد في الوقود فدخنهم. فنهضوا حين تزايد الدخان. فقال نصر لابن لنكك: متى اراك يا ابا الحسين؟ فقال له: اذا اتسخت ثيابي. ثم مضينا... فجلس ابن لنكك وقال ان نصرًا لا يخلي المجلس الذي مضى لنا معه من شيء يقوله فيه. ويجب ان نبدأه قبل ان يبدأنا. فاستدعى بدواة وكتب اليه:

لنصر في فؤادي فرط حب ... أنيف به على كل الصحاب
اتيناه، فبخّرنا بخورًا ... من السعف المدخّن بالتهاب
تنبت مبادرًا، وحسبت نصرًا ... اراد بذاك طردي او ذهابي
فقال: متى اراك، ابا حسين؟ ... فقلت له: اذا اتسخت ثيابي

١) مجلد من تاريخ الاسلام للذهبي. خزانة برتيش. وزيوم Or. 51, f° 3a
٢) مسالك الممالك للاصطخري، ص ٢١٢
٣) المسالك والممالك لابن حوقل، ص ١٧٢
٤) وفيات الاعيان لابن خلكان ٣: ٢٠١-٢٠٢

فلما وصلت الرقعة الى نصر املى على من كتب له بظهرها الجواب . فلما وصل الينا قرأناه فاذا هو فيه :

منحت ابا الحسين صميم ودّي ... فداعبني بالفاظ عذاب
اتى ، وثيابه كالشيب بيض ، ... فمُدن له كريمان الشباب
وبغضي للشيب اعدّ عندي ... سوادًا لونه لون الخضاب
ظننت جلوسه عندي لمرس ... فجدت لهُ بشبك الثياب
وقلت : متى اراك ، ابا حسين ؟ ... فجاوبني : متى انسخت ثيابي
ولو كان التنزّز فيه خير ... لما كُنّي الوصيّ ابا تراب (١)

يريد بالوصي علي بن ابي طالب . ومثل هذا الشعر من امّي عجب من العجب .

خبز الابازير

من جملة الاطعمة والاشربة التي اخذها الصينيّون عن الشرقيّين خبز الابازير . وقد ترجموا اسمه بالحرف الواحد pain d'épices وهو عجين يُتخذ من الدقيق والعسل وبعض الابازير العطرة . تحشى فيه قسم من الفواكه المربّاة . ويُصنع على اشكال متنوعة غاية في الحسن والطيب . ومنها رقاق تشبه الالسنة مغشّاة بطبقة صقيلة من السكر الابيض . ولذلك يدعى في السنة السنانير langues de chats . وقد اشتهرت مدينة ديجون في فرنسة بهذه الصناعة وتفننت بها كل التفنن . وهي اليوم قاعدة تجارتها . وهو احدى خصائصها وطرائفها .

وفي بعض المخطوطات ان صنعة خبز الابازير هي كصنعة خبز ارنين بالسواء (٢) . وصفتها ان يؤخذ مائة وخمسون درهمًا من دقيق السميذ وتعجن بخمسين درهمًا من دهن الحلّ . وهذا الدهن هو السيرج يُغلى على النار ويُطرح

(١) ارشاد الاديب لياقوت ٧ : ٢٠٦-٢٠٧
(٢) روضة العطر لمحمد بن محمود بن حاجي الشرواني . خزانة الفاتيكان رقم ٨٧٧ ، ص ٢٢٢

فيه قلب الجوز وقلب اللوز مرضوضاً ليزيل رائحته وطعمه[1]. ويضاف الى العجين ثمانية وثلاثون درهماً سمساً مقشوراً مقلواً. ويترك مستوراً حتى يستوي ثم تعمل منه اقراص.[2] واذا خُبزت وأحكم نضجها تجيء حمراً كالدنانير . ولذلك قال عبدالله بن الحجاج :

يا سيدي ، هذي النواقي التي وجوهها مثل الدنانير
خفيفة من نضجها هشّة كأنما خبز الابازير (٣

وللمأموني الشاعر يصف خبز الابازير وما رُصع فيه من الحبوب والقطع :

خبز الابازير تُنى كل مَن يترّهات الاكل يشتهر
وعندنا منه اتراس من الفضة قد رصّعها الجوهر
كأصحُن الكافور قد حشدت، وذُرّ في اوجهها العنبر (٤

ومن الابازير والاشكال التي كان الخبز ينقّط بها : الملح . والشهدانج وهو بزر شجر القنب . والشونيز اي الحبة السوداء . والعناب . والانجدان وهو السرخس . والسمسم . وقد جمعها كلها المأموني الشاعر في ابيات له في الخبز نفسه ، فقال :

الملح ما اكثر ابزاره ، لا ملح اهل الزهد والنسك
كأن شهدانجه بينه حبّات رومي من السفلك
كأنما الشونيز من فوقه ما نَقّت الفضة في السبك
كأنما العناب في وجهه تنقيط قرآن على الصك
بأنجدان فُضّ من مهرق ، وسمسم قد فضّ من سلك
يشبه من ثني ابازيره ، اذا تأملناه ، او يحكي
سحيق كافور مَشوب به قراضة العنبر والمسك (٥

١) غاية الرتبة في طلب الحسبة (المشرق ١١ [١٩٠٨] ٥٨٧)
٢) روضة العطر لمحمد بن محمود بن حاجي الشرواني. خزانة الفاتيكان رقم ٨٧٧ ، ص ٢٢٢
٣) مختارات من ديوانه لبديع الزمان الاصطرلابي . باريس رقم ٥٩١٣ ، ص ٤٦
٤) يتيمة الدهر للثعالبي (طبعة دمشق) ٦ : ١٠٣
٥) يتيمة الدهر للثعالبي (طبعة دمشق) ٦ : ١٠٢

دهن النارجيل

كان اسم الدهن يُطلق ايضاً على كل الزيوت المستخرجة من النباتات والحبوب وبعض الثمار ؛ كدهن الشلجم ، ودهن السمسم ، ودهن الخلّ وغيرها . ويراد بدهن النارجيل ما يعرف اليوم باسم cocose et végétaline ، وهو عصارة النارجيل المشهور بالجوز الهندي. وقد اعتاده الناس منذ سنين، وبعضهم يؤثره على السمن لغنائه عنه ، مع رخصه ، وخفته على المعدة. وللشرقيين مزية السبق في استعماله لاصلاح الاطعمة ، والاستضاءة به ، واصلاح الشعور. وقد وصف ابن بطوطة في كلامه على النارجيل في الهند طريقة استخراج دهنه . فقال:

« اما كيفية صنع الزيت فانهم يأخذون الجوز بعد نضجه وسقوطه عن شجره فيزيلون قشره ويقطعونه قطعاً ويجعل في الشمس . فاذا ذبل طبخوه في القدور واستخرجوا زيته وبه يستصبحون . ويأتدمون به . وتجعله النساء في شعورهنّ . وهو عظيم النفع . »[1]

وقد راجعنا بعض المخطوطات الموضوعة في الطبخ واصلاح الأكل . والابواب المعقودة في كتب الطب على منافع الاغذية وانواع تهيئتها . فلم نجد اشارة خاصة اليه . ولكن لا نشك انه كان شائعاً عند كل الاقوام . ولم يكن مطبخ من مطابخ الوزراء والاغنياء فضلاً عن الفقراء ، يخلو منه لاعتياد الناس تناوله خصوصاً في طبخ الارز . ولنا على ذلك نادرة رواها اسحاق بن اسماعيل عن الوزير يحيى بن خالد البرمكي ، قال :

« حدثني ابي انه كان يتغدى مع يحيى بن خالد البرمكي يوماً اذ طلب ارزة اشتهاها . فامر الطباخ باتخاذها بدهن النارجيل فغلط الطباخ وحمل مكان الدهن نفطاً واتاه بها فلما وضع يده فيها قال ارفع . ولم يقل شيئاً سوى ذلك . »[2]

ويترتب على هذا الغلط ان لون دهن النارجيل كان وقتئذ قريباً من لون

---

١) رحلته (طبعة النيل بمصر) ١ : ١٦٠

٢) المحاسن والمساوئ للبيهقي ٢ : ١٦٦ - ١٦٧

النفط حتى اشتبه على الطباخ ، بخلافه اليوم ، فانه ناصع البياض ولذلك كان في اول وروده لبيروت ، فيما نذكر ، يُغشّ به السمن احياناً . ولم يُنتبه له الا بعد ان استغنى به بعض جاليه .

وقد اذكرنا حلم يحيى البرمكي وعفوه عن طبّاخه نادرة اخرى قرأناها للشابشتي بروايته عن الشاه بن ميكال ، قال :

« كنا يوماً عند اسحق بن ابرهيم بن مصعب فقدمت المائدة . وكان قد تقدم بعمل هريسة . فقدمت اليه الهريسة فنظر اليها فرأى شعرة فاومأ الى بعض غلمانه بشيء لم نفهمه . فما لبث ان جاء بطيفورية عليها مكبة . فوضعها ورفع المكبة فاذا يد الطباخ بدمها في الطيفورية . فرفعنا ايدينا وتنغص اكلنا مما ورد علينا . وقمنا وليس منا احد ينتفع بنفسه . ثم اجتمعنا بعد ذلك بدهر على مائدة محمد بن عبد الله بن طاهر . وكان قد تقدم باصلاح لون اشتهاه . فعمل له وجاء به الطباخ بنفسه حرصاً على التقرب من قلبه . فلما قرب منه عثر بعجلته فافلت الطيفورية على محمد فصارت ثيابه وما تحته من فرش آية . فقام للوقت فغير ثيابه واغتسل وعاد الينا بوجه طلق لم يؤثر فيه ما جرى وجلس على المائدة ثم قال على بغلان الطباخ . فجيء به وهو لا يشك في حلول النقمة . فقال له احسنت قد رعناك . انت حرّ لوجه الله عزّ وجل . وفلانة الجارية لك وقد زوجتكها وامر له بصلة وكسوة . فاقبلنا بالدعاء له . وتعجبنا من فعله وذكرنا فعل اسحق . »[1]

---

(١) كتاب الديارات . نسخة برلين ، الورقة ٥٢

كتاب الحسبة

لجمال الدين يوسف بن عبد الهادي المعروف بابن المبرّد الدمشقي
في تعداد صنّاع دمشق وباعتها في القرن العاشر للهجرة

تقدّم ذكر مجموعه الخطي الذي نقلنا عنه كتاب الطباخة (ص٣٧٠). ومن مضامينه ايضاً « كتاب الحسبة » في سبع ورقات. سرد فيه جزافاً دون تنسيق حِرَف دمشق وكل ما يُتعيَّش به من الاسباب والسِلَع في ايامه. واقتصر على اصول الصناعات منها والتجارات، بغير تفصيل لما يدخل تحتها وتنطوي عليه من الفروع. وليس فيه اقلّ اشارة او تفسير لما كان يجري فيها من ضروب الحِيَل والغشّ والتدليس. وهي التي كان من جملة فروض التحتسب البحث عنها وإزالتها وقد سبق الى وهم المؤلف أن في ذكر كل صنعة وكيفية غشها اذى في التطويل، كما يجيء من لفظه. ولذلك امسك عن الزيادة، واكتفى بتكرار الوصية دائماً بالتقوى، وعدم الغش، وحسن العمل، في الحسبة على كل المعايش بالاجمال. شأن الفقيه لا المؤرخ. ولهذا السبب خلا كتابه من كل فائدة، فيما عدا فائدة تعداد طوائف الصناع والتجار في حاضرة الامويين، منذ اربعة قرون ونصف قرن. وقد فاتنا خصوصاً معرفة انواع الاسلحة، والانسجة، وطرائف الثياب، التي اشتهرت بها دمشق. ولا تزال بعض طرائق صناعتها منسوبة اليها في اللغات الغربية. وجملة ما كان باقياً من اصناف الحياكة في اواخر دولة المماليك نيّف ومئة صنف لم يشأ المؤلف ان يعدّ منها بالتفصيل الا عشرة من القطن فقط. ومع اعتقادنا انه عرف اشياء وفاتته اخرى من صناعات بلده، لم نتمالك، بعد مطالعة كتابه، من التحسّر لما صارت اليه الفيحاء من الاتضاع والانحطاط. بعد ان استباحها تيمورلنك نهباً وتدميراً. ونقل معه الى سمرقند مَهَرة صنّاعها واسرار حذقهم في كل فن. وقبل ان ننقل متن كتاب الحسبة. رأينا ان نقدم عليه كالتوطئة مقالةً في معناه في المجموع نفسه دعاها « كتاب الصنائع » ذكر فيه آراء الفقهاء في افضل الصنائع في الاسلام. لا تخلو تلاوته من بعض الفائدة

والاغراب. قال بلفظه وعامّيته احياناً ، كما خطّ بقلمه :

« اعلم ان الصنائع كثيرة. وقد اختلف العلماء في افضلها. فقيل افضلها الحراثة والزراعة. لان الانسان يتوكل على الله ضرورة في ذلك. وبها قوام الناس والمعايش. وحاجة الناس اليها داعية الصغير والكبير حتى الدواب والبهائم والطير والذر وغير ذلك. وآلتها الارض والبقر وآلة الحرث. وقيل افضلها المطر. فان عمر رضي الله عنه قال : «لو اتجرت لم اتجر الا في المطر. ان فاتني ربحه لم يفتني ربحه.» وقيل الافضل التجارة مطلقاً. والتجارة تارة تكون في البلد وآلتها المال فقط. وتارة تكون في غير البلد وتحتاج الى المال والدواب. وقيل افضل التجارة في اللبن . ورد في حديث « لو اتجر اهل الجنة – ولا يتجرون – ما اتجروا الا في اللبن » . وذلك لان الذي يتجر في اللبن لا يزال يحب الخصب للمسلمين.

ومما تكره التجارة فيه الاقوات من القمح والشعير وغير ذلك. وورد في حديث « من احتكر لم يمت حتى يضربه الله بالجذام». ولان المتجر في ذلك يحب الغلا. والتجارة في الحرير والذهب والفضة وما فيه ضرر على المسلمين. وتحرم التجارة في محرّم كالخمر والخنزير والسلاح للاعداء.

واما الطباخة فهي صنعة تحتوي على حسن وقبيح. واما الحياكة فكذلك تحتوي على حسن وهو عموم النفع. واما القبيح فلما فيها من الدناءة والوضع . وقد قيل انها من فروض الكفايات . واما التجارة فهي صنعة حسنة حتى قيل ان زكريا كان نجاراً وقد صنعها نوح. واما الخياطة فهي صنعة حسنة وقد دعت لها حرج . واما السمانة والقانية (١ فهي حرفة تحتوي على حسن وقبيح . وكذلك بيع الفاكهة والفطريات وغير ذلك.

واخس الصنائع الحراسون . والكيالون . وهدم الجالون . والحالون . والصيارفة . والبزادرة . والحجامون . والمغشون . والدباغون . والرملية (٢ . والمشعوذون . وكره احمد رحمه الله كسب [illegible] . وكسب الناشطة . ويحرم اجر النائحة والمغنية.

ومن الصنائع [illegible] وهو الخياطة . والعطارة . والفراية . والتجارة . والزراعة . والخياطة . ومنها [illegible] . وصاحبه خوس في الغالب . كالحريرية . والقباقية . والذهبية . والباروديه . والحجابين . والخطابين . والسقايين . فتأمل ذلك لما فيها من المعاصي والمفاسد الخفية . والله اعلم .

كتاب الحسبة

يحتاج المحتسب الى معرفة الاحكام من الصلاة . والصوم . والزكاة . والبيع . والشراء . والنكاح . والطلاق . والحلال من الاطعمة والمحرم . والمباح من الاشربة والمحرم . وما يكفر به الانسان [illegible] . والذبائح وشروطها . والشهادات والاقرار . وجميع هذه

١) القاني بائع القوم وهو الحنطة والحمص والخبز وسائر الحبوب التي تخبز .

٢) البزادرة جمع بازدار حامل الباز وبائعه من طيور الصيد . والمغشون في اصطلاح العامة من يغش الجلود اي يقشرها . والرملية هم الذين يدّعون علم الغيب بالخط على الرمل .

الاحكام ليأخذ الناس بها . ويحتاج الى معرفة الصنائع وجيدها من رديها وغشها . وخالصها من منشوشها

ثم اعلم ان ارباب الصنائع انواع كثيرة :

الاول الحاكة . وهم مائة صنف

الاول حاكة القطن . وهم عشرة اصناف :

الاول حاكة البطاين . وغشهم بقلة الصناقة . وشد ذلك بالمجين

الثاني حاكة القطن الرفيع

الثالث حاكة العمائم

الرابع حاكة الأزر

الخامس حاكة الفوط والشدود (١

السادس حاكة المناشف

السابع حاكة اللحف

الثامن حاكة التفاصيل الدمرباتية (٢

التاسع حاكة الثياب الكركية

العاشر حاكة المختم من القطن . وهؤلاء الحسبة عليهم في الجودة .

الثاني حاكة الكتان وهم اكثر من عشرين صنف :

الثالث حاكة الحرير وهم اكثر من اربعين صنف . وهؤلاء الحسبة عليهم في الجودة وعدم الغش وعدم الخلوة بالصبيان وغلق الابواب عليهم معهم

الرابع حاكة الصوف وهم اكثر من عشرين صنف . والحسبة عليهم في الجودة

الخامس حاكة البسط وهم اكثر من عشرة اصناف .

السادس حاكة الخيش والمدول وهم اكثر من خمسة اصناف .

الثاني التجار . وهم عدة اصناف . من بيع الثياب التي لم تستعمل من كل ما تقدم . والحسبة عليهم في التقوى في المعاملة . والتقوى في البيع والشرى . ومن بيع الخلقان المخيطة والمستعملة . والحسبة عليهم كذلك

الثالث الجوهرية . وهو اصناف . والحسبة عليهم في التقوى وعدم الغش . وادخال شيء في شيء

---

١) الفوطة ثوب يلبسه بعض اهل المشرق ويأتزرون به في مكان السراويل ، كالإحرام والمئزر لاهل المغرب . والشدود جمع شد وهو نسيج من حرير يتخذ لعمائم والمناطق .

٢) التفصيل قطعة من النسيج تُقدَّر لثوب واحد ، بمعنى الصابة في اصطلاح الحاكة اليوم . قال ابو الفتح بن عبد السلام المالكي :

اهدى لنحوي من مخيط ثيابه ... نُجُلًا فاغناني عن التفصيل

والدمرباتية نسبة الى دمربا من قرى دمشق

الرابع	العطارون . وهم من يبيع العطر والابازير . والحسبة عليهم في التقوى وعدم الغش . وادخال شيء في شيء
الخامس	الطباخون . والحسبة عليهم في النظافة . وغسل الاواني وتغطيتها . وعدم الغش بالردي . والرفق في البيع
السادس	القامية . والحسبة عليهم في النظافة . وتغطية الاواني . والتقوى في البيع والشرى
السابع	الفاكهانية . والحسبة عليهم في التقوى في البيع والشرى . وعدم ادخال الردي في الجيد
الثامن	التقلية . والحسبة عليهم في تغطية الاوعية . وعدم خلط الردي بالجيد . والتقوى في البيع والشرى
التاسع	الدقاقون . وهم الطحانون والحسبة عليهم في الجودة وعدم الغش
العاشر	الخبازون . والحسبة عليهم في التقوى وعدم الغش
الحادي عشر	الحبوبية . وهم من يبيع الحبوب كلها . والحسبة عليهم في التقوى . وعدم الغش بالردي
الثاني عشر	التراسون . والحسبة عليهم في ترك الشبطنة في الليل . والرفق بالدواب . وترك الكلام الفاحش
الثالث عشر	الجمالون . والحسبة عليهم في الرفق بالدواب . والتقوى في انفسهم
الرابع عشر	الحمالون . والحسبة عليهم في التقوى وعدم الخيانة
الخامس عشر	النجارون . والحسبة عليهم في التقوى . والنصح في الصناعة
السادس عشر	المعمارية . والحسبة عليهم في التقوى والنصح
السابع عشر	الحدادون . وهم اصناف كثيرة . والحسبة عليهم في التقوى والنصح
الثامن عشر	الابارون . والحسبة عليهم في التقوى وعدم الغش
التاسع عشر	الفواخرة . والحسبة عليهم في التقوى وعدم الغش
العشرون	الوراقون . والحسبة عليهم في التقوى وعدم الغش
الحادي والعشرون	البياطرة . والحسبة عليهم في التقوى وحسن الصنعة
الثاني والعشرون	السقطية . والحسبة عليهم في التقوى وحسن المعاملة
الثالث والعشرون	القُنّاعية . والحسبة عليهم في التقوى . وتغطية الاواني . والنظافة . وعدم الغش . وكثرة الماء
الرابع والعشرون	الشرابانية . والحسبة عليهم في النظافة . وتغطية الاواني . وعدم الغش والتنقيص
الخامس والعشرون	الاطباء . والحسبة عليهم في التقوى . والنصح . والمعرفة . والتواضع والتأني
السادس والعشرون	الجراحية . والحسبة عليهم في التقوى . والمعرفة . والنصح . وجودة الادوية
السابع والعشرون	الشابة . والحسبة عليهم في المعرفة . وعدم خلط شيء بشيء . والغش

الثامن والعشرون	الشماعون . والحسبة عليهم في التقوى . وعدم الغش
التاسع والعشرون	بياعة الخرز والخيطان . والحسبة عليهم في المعاملة وعدم الغش بالردي
الثلاثون	الحلوانية . والحسبة عليهم في النظافة . وجودة الطبخ . وتغطية الاواني . وعدم الغش
الحادي والثلاثون	بياعة الصابون وعماله . والحسبة عليهم في التقوى وعدم الغش وخلط الجيد بالردي
الثاني والثلاثون	السماسرة . والحسبة عليهم في الصدق . والامانة . وعدم الشيطنة
الثالث والثلاثون	الخضرية . والحسبة عليهم في النظافة . وحسن المعاملة
الرابع والثلاثون	اللحامون . والحسبة عليهم في النظافة . وحسن المعاملة
الخامس والثلاثون	الشرايحية . والحسبة عليهم في النظافة . والاصلاح . وعدم السرقة
السادس والثلاثون	القزازون . والحسبة عليهم في الجودة . وعدم الغش
السابع والثلاثون	القباقية . والحسبة عليهم في الجودة . والاصلاح . وعدم الغش
الثامن والثلاثون	الدهانون واصحاب المدعون كله . والحسبة عليهم في الجودة . وعدم الغش . والاصلاح
التاسع والثلاثون	بياعة اللبن والجبن ونحو ذلك وعماله . والحسبة عليهم في الجودة . وعدم الغش . والنظافة . والتغطية
الاربعون	ضرّابة اللبن . والحسبة عليهم في الجودة . وحسن العمل
الحادي والاربعون	بياعة الطيور . والحسبة عليهم في التقوى . والصدق
الثاني والاربعون	الشهود . والحسبة عليهم في الرفق . وقلة الطمع . والديانة
الثالث والاربعون	المؤذنون . والحسبة عليهم في معرفة الاوقات . والامانة . والمباشرة
الرابع والاربعون	النحاسون . والحسبة عليهم في التقوى . وحسن الصنعة وعدم الغش
الخامس والاربعون	المناخلية . والحسبة عليهم في الجودة . وعدم وضع الخشن
السادس والاربعون	المرايلية . والحسبة عليهم في الجودة
السابع والاربعون	اصحاب الخانات . والحسبة عليهم في الامانة . واجتناب المناكر والمحرمات
الثامن والاربعون	حمّامية . والحسبة عليهم في الامانة . والنظافة . والسخونة . والرفق بالناس
التاسع والاربعون	الزبالون . والحسبة عليهم في عدم مضايقة الناس . والتنذير عليهم
الخمسون	السكرية . والحسبة عليهم في المعاملة . وعدم الغش
الحادي والخمسون	بياعة السلاح وعماله . والحسبة عليهم في الجودة . والاتقان . وعدم الغش
الثاني والخمسون	الذهبية . والحسبة عليهم في التقوى . وعدم الغش . وعدم الخلوة بالصبيان
الثالث والخمسون	الخياطون . والحسبة عليهم في الاتقان . وحسن العمل
الرابع والخمسون	الطراقية . والحسبة عليهم في الجودة . وحسن العمل
الخامس والخمسون	الزرابيلية . والحسبة عليهم في الاتقان . وحسن العمل

السادس والخمسون السراميجية (١ . والحسبة عليهم في الاتقان . وحسن العمل
السابع والخمسون الأخنافية . والحسبة عليهم في الجودة . وحسن العمل
الثامن والخمسون الحياكون . والحسبة عليهم في الجودة . وحسن العمل
التاسع والخمسون الدقاقون (٢ . والحسبة عليهم في المعرفة . والجودة . وعدم التقطيع
الستون الكتبة . والحسبة عليهم في الجودة . وعدم التغبيش
الحادي والستون بياعة النزل . والحسبة عليهم في التقوى . وعدم الغش
الثاني والستون الأقباعية . والحسبة عليهم في التقوى . وعدم الغش
الثالث والستون الدباغون . والحسبة عليهم في الجودة والاتقان
الرابع والستون الحراس . والحسبة عليهم في الحفظ والامانة
الخامس والستون العنبرية . والحسبة عليهم في النصح وحسن العمل وعدم الغش
السادس والستون السيورية . والحسبة عليهم في حسن العمل وعدم الغش
السابع والستون المصالحية . والحسبة عليهم في النظافة وحسن العمل
الثامن والستون اصحاب الكوامخ والمخللات . والحسبة عليهم في حسن العمل والنظافة
التاسع والستون القُرَبِيَّة . والحسبة عليهم في الاتقان وحسن العمل وعدم الغش
السبعون المردفونية (٣ . والحسبة عليهم في الاتقان وحسن العمل
الحادي والسبعون السروجية . والحسبة عليهم في الاتقان وحسن العمل
الثاني والسبعون الامشاطية . والحسبة عليهم في الاتقان وحسن العمل
الثالث والسبعون الجوخية . والحسبة عليهم في التقوى في البيع والشرى . وعدم التخبير بما اشتُري الى اجل وترك الجنف
الرابع والسبعون العلبية . والحسبة عليهم في عدم الغش
الخامس والسبعون الرحولية . والحسبة عليهم في الاتقان وعدم الغش
السادس والسبعون بياعة الحبال وعمالها . والحسبة عليهم في الجودة وعدم الغش
السابع والسبعون الحصائية . والحسبة عليهم في جودة العمل والنظافة
الثامن والسبعون عمال التبوسك ونحوه . والحسبة عليهم في العمل والنظافة وعدم الغش
التاسع والسبعون الرملية . والحسبة عليهم ان يتنعوا بالكلية . او يكونوا على حال متصلحة للناس
الثمانون المشموذة . والحسبة عليهم ان يتنعوا او يكونوا على حال متصلحة
الحادي والثمانون مجلدة الكتب . والحسبة عليهم في الجودة والاتقان وعدم السفتجة (٤

١) السراميجية صناع السرموجة ، وهي المعروفة عند العامة اليوم بالصرماية

٢) الدقاقون هنا هم الذين يدقون الانسجة والاثواب بالمطارق لصنلها . وكانت بعض هذه الصنعة تسمى قديماً بالقصارة واصحابها بالقصّارين . ولكنهم كانوا يدقون الثياب ويحوّرونها اي يغسلونها ويبيضونها

٣) لم نستطع ان نجد تفسير هذه اللفظة واية صناعة كانت

٤) يريد ، لا شك ، بالسفتجة حشو التجليد بالسفاتج والاوراق

الثاني والثمانون الصفالون . والحسبة عليهم في حسن الصنعة والاتقان
الثالث والثمانون النخاسون وباعة الرقيق . والحسبة عليهم في الصدق والامانة وعدم التدليس والوطء قبل الاستبرآء
الرابع والثمانون المؤدّبون . والحسبة عليهم في حسن التعليم وان يكونوا من الرجال المزوّجين
الخامس والثمانون المبيّضون . والحسبة عليهم في الاتقان
السادس والثمانون الحكاكون والبخاشون . والحسبة عليهم في الاتقان وحسن العمل
السابع والثمانون البارودية . والحسبة عليهم في حسن العمل
الثامن والثمانون الكاكينية . والحسبة عليهم في الاتقان وحسن الصنعة
التاسع والثمانون السنّانون . والحسبة عليهم في الاتقان وحسن الصنعة
التسعون الصيّاغ . والحسبة عليهم في الامانة والاتقان وحسن الصنعة
الحادي والتسعون الحصرية وعمال القفاف والمكانس . والحسبة عليهم في الاتقان والجودة
الثاني والتسعون الصيادون . وهم اصناف كثيرة . والحسبة عليهم في التقوى وتحاشي اسباب الحل من الذبح ونحو ذلك
الثالث والتسعون الصيارفة . والحسبة عليهم في المعرفة والامانة وتحاشي اسباب الحل
الرابع والتسعون الدهيناتية . والحسبة عليهم في حسن العمل وعدم الغش
الخامس والتسعون المراشط . والحسبة عليهن في العمل وعدم تحاشي المحرم
السادس والتسعون الكحالون . والحسبة عليهم في المعرفة والصدق وجودة الادوية
السابع والتسعون القطانون . والحسبة عليهم في الجودة والصنعة
الثامن والتسعون باعة الكتان . والحسبة عليهم في الصنعة والجودة
التاسع والتسعون الكوافيّون . والحسبة عليهم في الصنعة والجودة
المائة القطانيون . والحسبة عليهم في الجودة وحسن الصناعة
الحادي والمائة الخجارون والترابون . والحسبة عليهم في الجودة والامانة وعدم تحميل الدواب ما لا تطيق
الثاني والمائة الخطابون . والحسبة عليهم في الرفق بالدواب

وعلى الجميع الحسبة في الديانة والتقوى وتحرير الميزان والصنج

ولولا اذى التطويل زدنا على هذا وذكرنا كل صنعة وكيفية غشها

شعر يوسف غصوب

« القفص المهجور » ، و« العوسجة الملتهبة » ، و « جمال » على ضوء « الشعر الخالص »

بقلم سعيد عقل

لو كنت ممن يجترّون السنوات ١٩٢٠—١٩٢٧ ، لأعجبني من شعر يوسف غصوب في « القفص المهجور والعوسجة الملتهبة » أبيات تحسب في الأدب العربي بناء وروحاً :

. . . مَدُّوا الدمقس لها ، طول الطريق ، على أواسنٍ من خبيث الماء والسدود
. . . والخمر تسربُ من كوب ، من شفةٍ ، إلى التراقي كمفدٍ غير منضودِ

ولكنتُ أدلّل ، بمثل هذين البيتين ، على أن بين يدي شعراً عربياً لا غبار عليه ، وأروح وفي خلدي أني امتدحت الرجل ؛ ولكان نبا عن « ذوقي » كلُّ ما في الديوانين من « عجمة » ، تقتلها الضاد . . . فأيُّ هذيان هو هذا البيت :

قربت ساعة اللقاء ، وباتت في دجى الليل كبرياء النهار ؟

أنا أفهمُ أن « تقرب ساعة اللقاء » ؛ لأن العرب قالوا على هذا القرار ، أو — عفوكم — لأن هذا القول على غرار العرب . أما أن يكون « للنهار كبرياء » و« كبرياء تغيب » . . . فهذا روحٌ غير عربي :

« وإذا القلب لم يكن عربياً ، أوشك الشعر أن يشيع فساده ! »[1]
« وفضيلة الشعر مقصورة على العرب »[2] .

ولو كنت من المجترّين سنوات ١٩٢٧—١٩٣٠ ، يومَ مدرسةُ جبران والي ماضي تلهب « تجديدها » حماسة المتخلفين ، لنظرتُ في ديوان يوسف غصوب آسفاً أقول ، وقد أمسكت في حيلاء ناحية الحقيقة : « نحن في القرن العشرين ،

١) شفيق جبري في القرن العشرين .
٢) الجاحظ .

عصر العمل وخدمة الانسانية ، فأيّ حكمة في طبع ديوان ليس فيه حكمة واحدة ؟ » ورحتُ أقول متمنياً : « أين غصوب من هذه الروائع :

والعدلُ في الناس يبكي الجنّ لو سمعوا به ، ويستضحك الاموات لو نظروا(١)

واستدركُ ، وقد استشهدتُ ، من « الرابطة القلمية » بنثرها ، لأعود إلى « العميق العميق » من الحكمة :

أجاذا الشاكي وما بك داء ، كن جميلاً ترَ الوجودَ جميلا ! (٢)

ذلك أن الشعر ، عهدَ انفتاح العيون على أدب جاليتنا الأميركية — المتأثرة أبدًا بشري التوراة — كان حكمةً او نصيحة أو وعظة . كيف لا ، والمتخلفون لم يكونوا يطربون إلّا للحكم او يسامرون إلّا الحكماء . ونحن ، تلامذة المدارس يومئذ ، المطوّفين ، على يد الفرنسية والانكليزية ، في الأدب اليوناني ، او الفاتحين ، أقلّه ، العيون الظمأى على الأدب الاوربي الحديث ، كنا — واساتذتنا في العربية مَنْ هُم ! — نُرغم على استظهار وعظةِ ابنِ الوردي « الرائعة » :

اعتزل ذكر الاغاني والغزل . . .

كنا نعرف ، على يد الفرنسية ، أن الشعوب في بدء امرها مزيجٌ من فروسية ووثنية ، من عواطف خشنة على أنها كبيرة ، وقصص حرب مبالغة على أنها واقعة ، واساطير آلهة على أنها جميلة ، تنعكس كلها في قلوب الموهوبين فتكون : الملحمة .

وتدخل الشعوبُ ، وقد خفتت جلجلةُ الخيل والاسنة ، مُدنَها الساكنة وبيوتَها الآمنة ، مطمئنةً على ذاتها تذكر وتحب وتحنّ ، فترقّ العواطفُ ، ويدق ما بينها فيكون : الشعر الغنائي .

وتغرق الشعوب في المدنية ، ويُباعد ما بينها وبين فروسية الجاهلية ، فتتضاءل العواطف الكبيرة ، ولا يعود يوقظ النفوس إلّا « رؤية » الأبطال الذين غابوا في ضباب الماضي فيكون : المرسح

---

١) جبران : المواكب

٢) ايليا ابو ماضي

وتهرم الشعوب ، سنّة البقاء ، فلا الملحمة تجدي ولا الغناء ينفع ، ولا المرسح نفسه يحثّ . الشعب يحتضر ، والشعب كالفرد كلاهما يلذّه ، وقد دقت ساعة الموت ، أن يسمع حكمة الدهر ويتوب ، فتكون : الحِكَم .

أجل كنا ندرس كل ذلك . لكن الزمام في أيدي الصحف السطحية واساتذتنا المتكمشين ، كالجيل الهَرِم ، على الحكمة .

كان الأمر طبيعاً ، كان كل شيء في محله : الحياة في قلب الناشئة ، والاحتضار في الجيل المولي . وكان من الطبيعي أن يصفق الجيل المولي للحكمة وأن يتجه طلبةُ الأمس — قرّاء اليوم — إلى أدب الحياة ، أدب يأبى المواعظ ويأبى الحكم .

وما إن تنفلت من المدارس حتى يختنق أدبُ أميركة بعد ازدهار ، اللهم إلّا في العراق حيث لا جيلًا جديدًا يذكر إلى جنب هذه الوفرة من النفوس المولية .

❁

ولو كنتُ من المجترّين السنوات ١٩٣٠—١٩٣٥ ، عهد التخمة من الحفلات التكريمية والتأبينية ، يوم التذهب « بالنقمة على المبخرة » يُحسب تجديدًا وابتكارًا ، لكان لي وراء ديوان غصوب شاعر ولا كالشعراء ، ولقلت في الكتاب : « هو أول ديوان يظهر في العرب منذ الجاهليين إلى شوقي ويخلو من من المديح والرثاء . » هذا كأنّ غصوب أتى — من هذه الناحية — عملًا فذًّا .

ذلك أن العرب أعوزهم من المؤهلات للشعر قوة الخيال ورقةُ الشعور : الميزتان اللتان ترافقان الميتولوجيا[1] عند الشعوب فجاء شعرهم « صحافة »[2] .

الصحافي في عصرنا يمتدح زعيم الحزب ، والشاعر العربي يمتدح الأمير . الاول يقوم على أثر مأتم سياسي كبير ، بتعداد مناقبه نثرًا ، والثاني يسرد سجايا فقيده نظمًا . ذاك يعمد في صحيفته إلى الدعاية لحزبه أو لنفسه ، وهذا يعمد في « قصيدته » إلى الفخر بقبيلته أو بنفسه . ذاك يصف من الحفلات المدنية

١) راجع للمؤلف : المرسح — المشرق المجلد ٣٦ الجزء الاول
٢) لامنس

ملاحة هذه وتلك من السيدات الارستقراطيات ، وهذا يشنب بهذه وتلك من نساء الحي . الاول ينهش في مقالاته كرامة خصومه السياسيين الذين لا يفتحون له صناديقهم ، والثاني يهجو بقصائده أميرًا قطع عنه دنانيره . و إذا اتفق أن يجيء مقال « صحافي الأمس » نظماً ، فلأن النظم سهل الحفظ يمكنه أن يجوز البلاد إلى البلاد فيؤدّي ما قصد بالصحافة من شهرة وتشهير . ولو كان للعرب مطابع وورق لما تكلفوا نظم هذه « المقالات » التي دُعيت « الشعر العربي » ، يوم كان الشعر منهم ما هي المطبعة منا .

و إذا يكون يوسف غصوب شاعرًا لا صحافيًا فلا نعدها له حسنة ، ونحن نأبى أن نجعل من الطعن على « الشعر الصحافي » مذهباً أدبياً تنضوي تحت لوائه ، وكأننا أتينا العجب العجاب .

نحن في مثل هذا الموقف نكتفي بالقول : « إن يوسف غصوب كان شاعرًا عهدَ ظلّ اكثر « شعراء » العربية صحافيين » .

❁

واجماعاً أنا لا امتدح من غصوب أنه في بعض نظمه عربي الديباجة ، عربي الفكر ، كانا البقاء على الاسلوب الواحد حسنة ؛ وانه هجر الحِكَم ، كانا وجودهُ حياً في جيلٍ حي يحسب فوق المعتاد ، وأنه لم ينظم في المناسبات ، كانا الميل إلى الشعر دون الصحافة يعدّ اكثر من دعوة في قرارة النفس .

إن يوسف غصوب هو — لا اكثر ولا أقل — أول من نشر في العربية ديواناً يمكنُ نقده على ضوء الشعر .

❁

وبعد ، ما قيمة غصوب ؟

أصدر الشاعر اللبناني ثلاث مأثورات شعرية : « القفص المهجور » ، و « القفص المهجور والموسجة الملتهبة » ، و « جمال » .

قد نذهب ، إذا تصفحنا الأثرين الاولين ، إلى ان « القفص المهجور » هو الديوان نفسه ينشر مرتين . على أن نظرة أدق ترينا ان بين الجزء الاول من الكتاب الثاني « والقفص المهجور » الأصلي فرقاً تهنا معرفتهُ ، لأنه — على

صغره — صورة لظمأ الشاعر الى الرقي الفني .

شعر غصوب ؟ لا تنطبق نظرية التساوي في الجوهر[1] بين القصيدة ونفس صاحبها ، انطباقها على شعر غصوب ونفسه .

غصوب عالَمٌ صغير قلِق ، عالم تحليلي (analytique) لا تأليفي (synthétique) ؛ لا يعرف — سنّة الحيّ من النفوس والفنون — ان يرى قرارًا ، فهو أبدًا حنينٌ إلى علُ ، واندفاعٌ إلى علُ ، وبلوغ شيء من عَلُ .

وكذلك قصيدته فهي قطعة خافقة ، تحليلية — لا تأليفية — في إتيانها على أجزاء الحالة الشعرية جزءًا جزءًا ، وهي أبدًا دأبٌ فنّي وعمل ظاهر الترقي ، وأخيرًا بلوغ شيء .

نرسل ضوءًا على هذا القول :

إن مبدأ التساوي في الجوهر بين القصيدة ونفس صاحبها — وإن يكن المبدأ الذي لوحظ في كلّ الفنانين الكبار ، من صرامة رومانية ڤرجيل ، شاعر « الشعب الملك » ، التي رافقتها صرامة الطريقة في « الإنيد » ؛ إلى « دندية »[2] بودلير التي رافقتها « برناسية » الشكل في « أزهار الشر » — لا يُعدُّ مذهبًا خيرًا على الأدب ، الّا بقدر ما تكون عليه نفس صاحبه من غنىً .

أمّا غصوب ، موضوعنا اليوم ، فهو من الفنى ، في بيتٍ ، على الرغم من تواضع إثرائه ، اكيدِ الوجود ، ثبتِ الكيان ، مطلوقِ النوافذ على الآفاق .

غصوب ليس من تلك النفوس النادرة ، التي أُعطيت رسالة إنهاض عصر من العصور ، تشقّ أمامهُ آفاقاً بكرًا ، وتركزه — عفوَ العلم — في فلسفة راهنة ، حيث غبطة الركون الى وجودٍ ثبت ، او على الأقل إلى إيمان ثبت . لا وغصوب هو احدى النفوس التي تشاهَد كل يوم ، على انها طليعة ، لا تنهض بجيل ولكنها تخلق في جموده شكاً ؛ لا تركزه في نعيم راهن ، ولكنها ترسل أمامه شعّةً على اللذة الأبدية . وبكلمة ليس غصوب ينبوعاً مستقلاً يكفي ، بجدّ

---

١) راجع للمؤلف مقدمة « المجدلية »

٢) مذهب يقوم على تأنّق الروح والتصرّف

ذاته ، يطاش الجيل ، لكنه مرحلة واحدة من الطريق القائمة على ضفة الساقية تنساب من الينبوع ، مرحلة من مراحل تمثل شعراء الحياة وتعوّض ، بمجموعها ، عن الينبوع الأكبر.

ولا يستخفّ أحد قيمة هـذا النوع من الشعراء ، الذين دعوتهم شعراء الحياة — مقابل شعراء الإيمان — فهم وحدهم يمكنهم ، بسهولتهم ولذة قراءتهم ، أن يزحزحوا الجيل عن ضلاله ، ويعوّدوا أعينَهُ الوميضَ الناعم استعدادًا للفجر الرحب وللإيمان الثبت.

قلت : غموض عالَمٌ قلق يخلع على القارئ قلقهُ فيوقظ ، ويحثّ ، ويكتفي. أعني أنه يحرّك ، لا يوجد . ولا يهمّه الأفق الذي تحطّ عليه أنت ، ما دام لا يؤمن بأفق بعد ، ويكتفي بأن رماكَ في الفضاء ، ورماكَ متحركًا قلقًا :

على غارب الاحلام . . . . ذهبنا . . . . فجزنا بحار النور . . . . .

إن هذه الفلَذ من القصيدة الاولى صور أمينة لهذا الصعود ، الصعود ليس الّا . وإذا يقول في آخر القصيدة :

وتعبون أفرادًا لكم من نفوسكم عوالم . . .
على صلة بالروح . . .
فتجلى لكم ، قبل الممات ، عوامضُ [illegible] فوق ما يرى
فلا تظنّنها منه استقرارًا ، ونسبتُهُ منها « تجلى [illegible] يضلّ [illegible] من لا يرى فوق ما يرى ».

وغموض عالَم تحليلي ، فكأنّ نفسه قطع يمكن النظر اليها كلًّا على حدة ، فترى الحياة عنده حالةً حالةً : فحنين ، وظمأ ، ووحشة ، وجنازة ، وخيبة ، وخطر زوال . فكأن الحياة التي يدخلك أيامًا غموض حجرةٌ لا يعبق بوجهك منذ تفتح بابها ذلك الجوُّ الذي يريد الشاعر انزاله عليك ، شأنَ ما يحدث لك عند شعراء الإيمان ، بل يظلّ منها شيء هدئ عين ترتاح إليه نفسك ، حتى إذا أخذ الشاعر يطرّف بك على كل زاوية منها ، وحائط ، وطنفسة ، وبساط ، اكتمل لك جوّ القلق وكنت من الحجرة — وقل من الحياة — مضمورًا مثله بالجوّ الذي يريد . آخذ مثلًا قصيدته « جنة الأحلام » ، والعنوان بحدّ ذاته يغري النفوس

التأليفية . لكن غصوب ، غصوب التحليلي ، يقدّمه لي تحليلياً ، قطعاً قطعاً . فإذا أنا قد « طفتُ في جنة من الأحلام » ، وإذا معي « شقاء قلبي » ، وإذا أنا « في فسيح من الأرض » ، وإذا السماء « عُقدت بأوراق وزهر » ، وإذا « النور فائض » ، واذا اشياء واشياء تمرّ أمامي حتى يكتمل لي الجو التحليلي . . .

وشأن يوسف غصوب في القصيدة هو شأنه في البيت فبيته نفسه تحليلي ، ولهذا قلّما يخلو من النثرية إلى جنب الفلذ العجيبة :

على غارب الاحلام . . .

ألا ترى نفسك في هذه الفلذة من البيت الأول من القصيدة الاولى مغموراً بجوّ شعري خالص ؟ فتزاوج اللفظتين العجيب، ولا عهد لنا به ، والألفات الثلاث الممدودات كالاحلام الطوال ، والحروف الحلقية كالغين والحاء ، والانفية كالميم ، والهادرة كالراء ، كل ذلك يؤلف جوّاً موسيقياً عجيباً يجعل لهذه الفلذة ميزة تكاد لا تجدها في العربية ، وتعدّ بين أرقى الفلذ الخالصة في غير العربية .

أما تمام البيت :

. . . في مسانح الضحى (دهنا) مع الآمال (نسمى) إلى المنى

فهو نثريّة ، وتكفي هذه (الدهنا) وهذه (النسمى) لتعكير ما انزلته الفلذة العجيبة . وإن في هذا البيت ، بريح من الخلوص والنثرية ، صورةً مصغرة لشعر يوسف غصوب .

وغصوب حنينٌ إلى عَلْ ، واندفاعٌ إلى عَلْ ، وبلوغ شيء من علُ . وتلك نتيجة القلق الذي رأيناه عنده ، ومن من أحد يقلق لحالة ويريد بقاءها ، او يرضى استبدالها من مثلها .

وهكذا نرى في « جمال » ، آخر منتوج غصوب ، كثيراً من « الاستقرار » النفسي . « فجوع » نفسه الملحّ ، الذي تجلّى لنا في الاثرين الأولين ، ينتهي هنا الى مثل الايمان بشيء : سمّه « الجمال » أو سمّه « كمال الخليقة » بل « التوهّم بكمالها » إذ لا تجد في هذه القصيدة — التي عليها أن تمثل جمال الحياة بما في الحياة من حسن وقبح — اشارةً الى عيوب في المرأة ، بل تجد الجمال اللامتناهي ، الجمال المطلق .

والقصيدة نفسها ــ كقطعة فنيّة ــ تنتهي ــ شأنَ نفس الشاعر المستقرة شيئاً ــ إلى مثل استقرار في الفنّ .

ذهبت إلى أن فنّ غصوب في هذه القصيدة تقدّم ولم يتبدّل ، لقد ملك زمامه وتركز واستقرّ ، وقلّ نثريّةً ــ وليس في الآداب شعرٌ خالص تمام الخلوص ــ وبكلمة ان فن غصوب توّج حنينه إلى عَلُ ببلوغ كثير من عَلُ .

نسهب قليلًا في درس جمالية[1] غصوب وتطوّرها :

تطالعنا منذ القصيدة الأولى « الشعراء »، فلذٌ كثيرة من الشعر الخالص كان بوسعها أن تسند جماع القصيدة لولا الطريقة التحليلية وما يتبعها من سهولة ــ وسبحان يوم صارت فيه «السهولة» هفوةً ، « والصعوبة » مزيّة ؛ على أن لا يحمل السطحيون قولي محملًا لا أقصده . فإذا قال الجماليون المحدثون بأن الصعوبة من شروط الفن ، فلا يعنون بالصعوبة تلك التي تنتج عن الألفاظ العويصة ، أو عن التركيب اللغوي المعقّد . الصعوبة التي اعني هي صعوبة الجوّ التي ترافق دوماً من يحاول أن يحدّ اللامحدود .

ومن الأدلة على هذه السهولة عند غصوب ، وقل هذه التحليلية أيضاً ، أنك تجد عنده من حروف العطف ــ تلك الحروف التي تؤذن بجمل مستقلة ــ الشيء الكثير . قال :

فجزنا . . فكان . . . وتلثنا . . . وحلّت . . . وطهّرنا . . . وأودعنا . . . ولطّف . . . وقال . . .

كل ذلك في أبيات قلائل من قصيدة واحدة .

ومن الادلة على التحليلية هذا الاسترسال في الوصف الذي يرافق طريقة غصوب حتى إلى « جمال » فيجعل أبدًا من الشطر الثاني من بيته نعتاً طويلًا . فهو يقول :

وحلّت بنا روح الإله ، فنابنا كهبط وحي (فاض بالنور والهدى)
وتبنون للاوطان مجدًا مخلّدًا ، بشعر (توافيه من القلب والنهى)

---

1) Esthétique

وتقرب حتى تستحيل شرارة (تضيء مع الانوار في منبع السنى)

...

عرفتْ من قبل فيه صادحاً (في اناشيد الهوى يترسل)
أو فراشات (إذا ما كلفت تنسل اسرار الهوى ، تمتثل)
مستدبرات ، حيارى ، (كلما حرّك الغصنَ الهوا ، تنتقلُ)
وترى في النفس المثالي ، لها منظراً (فاضت لديه المقل)

ومثل هذه الشواهد كثيرة في ديوان غصوب . أمّا في « جمال » فنادرة.

أفاقت على فجر عجيب ونفحة سماوية (من راحتيك تضوعُ)
فنحن ضراعات اليك ، واعينٌ شواخص (في احداقهن وميضُ)

على أن هذه الواصفات الفضلة هنا تزيد المسند غنىً ، كما ترى في « سماوية من راحتيك تضوع» .

ومن الأدلة على التحليلية أيضاً هذا التشبيه ، والتشبيه المسبوق بأداته . ففي الأربعة الأبيات الأولى من قصيدة في جوّ « الوحشة » ثلاثة تشابيه بثلاث كافات :

« كسراج . . . كالشموع . . . أو كعين . . . »

أمّا في « جمال » فلا تقع ، رغم رحابة القصيدة ، إلّا على تشبيه واحد :

. . . . . كانه شراعٌ بآفاق الخيال يسير

الانتهاء بنمت طويل ، استعمال أدوات التشبيه ، السهولة ، وبكلمة كلّ هذه النثريّة في شعر غصوب هي ظواهر تمثلُ ما اعطته إياه طريقة العرب التحليلية . فإذا نلاحظ أن هذه التحليلية ، هذه النثرية ، كادت أن تتنحى تماماً في « جمال » ، ندرك أيّ وثبة قام بها فنّ غصوب .

على أن بوسعنا أن نرى في بعض قطع من شعره الأول تنبؤاً بهذه الوثبة . ففي « جنة الأحلام » أبيات تبلغ من الخلوص أرقى ما تصل إليه « جمال » ، وكدت أقول أرقى ما يصل إليه شعر أوربة الخالص :

هذه غابة الأمانيّ / هلّا رقدةٌ في ظلالها / بسلام /
تتلاشى انفاسنا / في هدوء / دونما حسرة / ولا آلام /
(مثلما) تغفو الزهور شذاها / حائنات / في جنة الأحلام /

إن « الهاء » من « هذه » فحروف اللين التي تبلغ الخمسة في الشطر الأول

وحده ، فالياثين العسليتين في « غاية وأماني » والقطع قبل آخر الشطر الأول بكلمة ، وقبل آخر الشطر الثاني من البيت الأول بكلمة ايضاً ، إلخ. إلخ. وهذه المحاكاة المتشوّقة بين هاءات « هذه وهلّا وظلالها » والمتلاشية بين الشين والسين في « تلاشى وأنفاسنا » والمغنية كالنغم في دالي « هدو. ودوغا » المسنودتين بحرفي لين ، ثم هذا البيت الأخير المتصاعد نفساً في شطره الأول بين حرفي حلق خافتين (الهائين) ، المتهدّم شوقاً في شطره الثاني بين حرفي حلق أقوى (الحائين) ، كل ذلك ينزل عليك جوّ حالة من الغبطة تشتاقها الروح إلى حدّ التلاشي ، وينزله جوًّا يبلغ من الخلوص حدًّا قصيًّا .

وبعد فيوسف غصوب قد رفعه حنينُه إلى عَلٍ ، من حالة « القلق » إلى شيء من « الاستقرار ». ودفع بفنه من عروض الشعر العربي المزيج من الشعر والنثرية وقل : المزيج من عنجهيّة الصحراء وصوفيتها ، الى حدود جمالية الشعر الخالص ، اندفاعَ لبنان ، بعد الحرب ، من سُباته ، إلى الإيمان برسالته التي ، وإن لم تتخلَّ عن الجزيرة اللاهية ، تكتمل عملها في حوض البحر المتوسّط الرحب الماضي ، والرحب الرسالة .

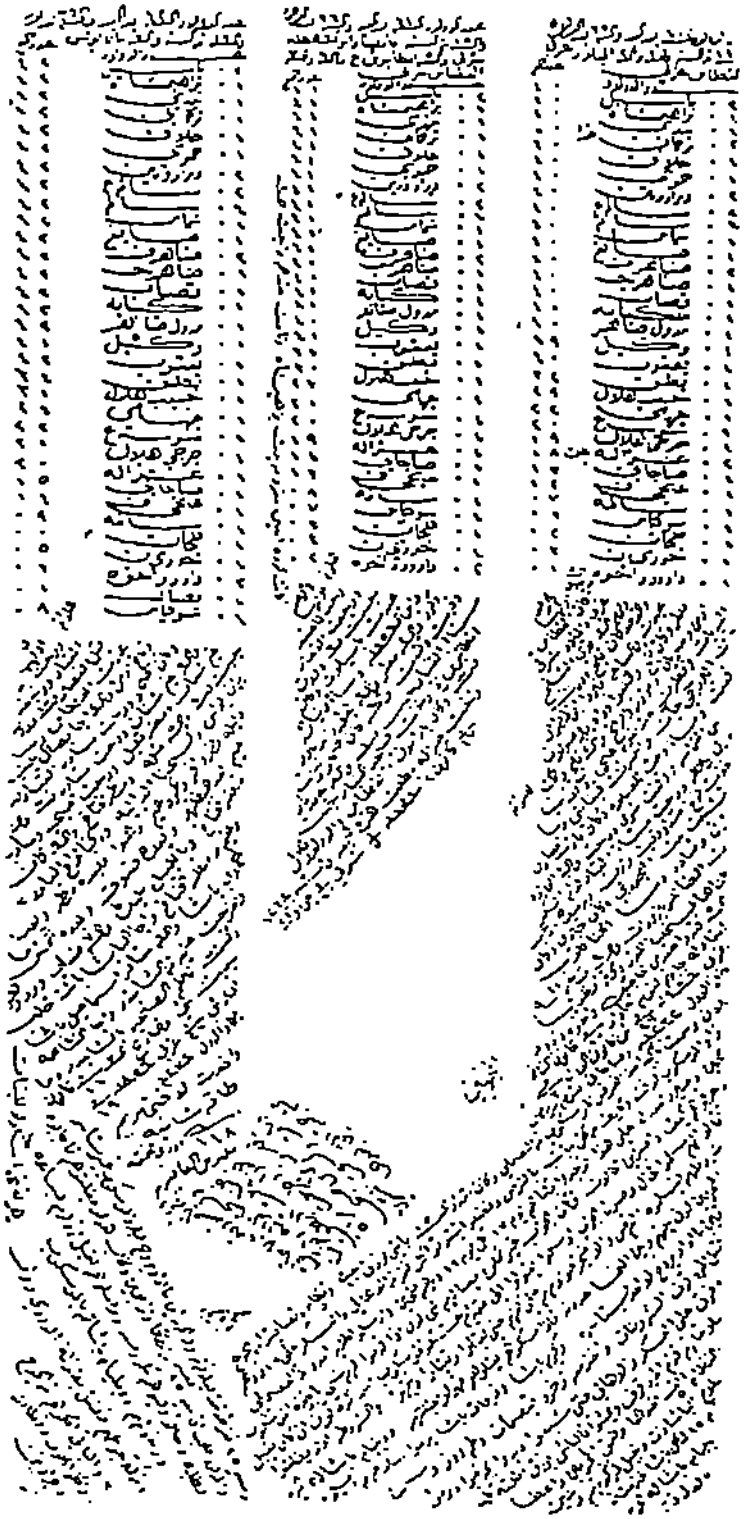

الرسم ١ : صفحة من المخطوطة

اخبار حلب وحوادثها

من السنة ١٨٥٥ الى السنة ١٨٦٥

اخذاً عن يومية المعلّم نعّوم البخّاش

المخطوطة الوحيدة ، نشرها وعلق عليها

الاب فردينان توتل اليسوعي

المقدمة

عنوان المخطوط ووصفه

هذا الكتاب ناقص في اوله وفي آخره . فليس عليه عنوان ولا اسم المؤلف . لكن فحواه وخطّه يهدينا الى معرفة اصله ، فهو الدفتر الذي جمع فيه المعلّم نعّوم البخّاش الحلبيّ حوادث ايامه ، اذ كان ، في منتصف القرن الماضي ، يعلّم الاحداث في الشهباء : ومن اجل ذلك سمّيناه يوميّة .

طول الكتاب ٢٠ سنتيمترًا ، وعرضه زهاء ١٠ . وهو مقروض من اطرافه . وعدد صفحاته ١٥٨ ، كلّ صفحة مقسومة الى اعمدة ثلاثة .

وفي كل عمود جزءان : الاعلى ، وهو متوّج بالتواريخ ، وفيه العدد الدال على الاسبوع في مرتبته السنوية الكنائسية اخذًا من عيد الفصح فما بعد ، ويتجه العدد المشير الى مرتبة الأحد اخذًا من عيد العنصرة فما بعد ، ومن ثمّ ذكر الاعياد المهمة الواقعة في الاسبوع . ويتبع ذلك لائحة التلاميذ مسلسلة على عمود في يمينه رُقِم عدد الاولاد من اسرة واحدة ، وفي يساره عدد الاسابيع التي واظب فيها التلميذ المذكور ، في اسابيع كذا اخذًا من عيد الفصح فما بعد . وايام تموز وآب وايلول فيها الاحصائيات كما في سائر ايام السنة مما افاد انهم لم يصرفوا فيها الاولاد للعطلة المدرسية ، شأننا اليوم .

اما جزء العمود الاسفل ففيه ذكر وقائع حلب محررةً باختصار يوماً فيوماً ، واسبوعاً فاسبوعاً ، وشهرًا فشهرًا ، وسنةً فسنةً . اوّلها مؤرخ يوم السبت ٢٢ كانون الاول سنة ١٨٥٥ ، وآخرها السبت ٢٢ ايار سنة ١٨٦٥ . فتحوي اجمالًا ذكر حوادث عشر سنوات تقريباً . قلت تقريباً لان الكتاب مبتور ليس بأوله وآخره فقط ، ولكن بالصفحات الممزّقة منه ايضاً ، وبالايام التي لم يتمكن المعلم البخاش من كتابة وقائعها اذا عاقه عائق .

ولا ترتيب في المواد سوى مراتب وقوعها بالزمان . فيسردها البخاش مبتدئاً الاسبوع بالاحد اوّله ، ويذهب بها الى غاية السبت ، اذ يؤرّخ اليوم والشهر من السنة الميلادية الغربية والشرقية ومن السنة الهجرية . وقد يعود عند وداعه الاسبوع فيتذكر ما فاته ذكره في يومه فيدوّنه . وربما اكتظت المواد فضاق بها العمود ، ففاضت على الهوامش وتعسّرت قراءتها لدقة خطّها . لكنها على الاجمال واضحة للبلّور المكبّر .

اما الورق المستعمل في الكتابة فعادي . وقد يأخذك العجب لحسن حفظه بالرغم من عشر سنوات تداولته فيها يدا المعلّم البخّاش ، ثم ايدي الناس الى ان بلغ الينا . فيشهد لصاحبه بالصبر والعناية البليغة .

وربما كان جزؤه الناقص خفيًّا الى اليوم في بعض الخزائن او الدكاكين في حلب ، كما ظلّ هذا المخطوط خفياً الى ان اقتنته المكتبة الشرقية من الشيخ الترمذي بائع العاديات في حلب . على ان نشرنا هذا يستفزّ همة من يكون بين يديهم باقي اليومية فيحفظونها او يودعونها من يحفظها من الضياع الى ان يتسنى نشرها لناشرٍ فتأتي تكملةً لما نطبعه منها .

المؤلف واسرته — المعلم وتلامذته

اسرة البخّاش حلبيّة سريانيّة كاثوليكيّة . اشهر ممثليها في عصرنا المطران جبرائيل ، اسقف خلسيس والوكيل البطريركي في القطر المصري ؛ ومقامه الاسكندرية ؛ ثم الاب ميخائيل المقيم في مدرسة الشرفة ؛ والخوري اسطفان الوكيل البطريركي في زحلة . والمرحوم نصري بخّاش الموظف سابقاً على عهد

الاتراك ووزير المالية في الدولة السورية ، والمتوفى في بيروت منذ سنوات[1].

سألنا مطالعة سجلات الطائفة في حلب لنعرف تاريخ ميلاد نعوم البخاش ، مؤلف اليومية ، فلم نوفق الى ذلك لعدم وجود السجلات ، وراجعنا من الشيوخ معاصرينا من تعرّف الى المؤلف كالسيد مخائيل تابت الحلبي لنقف على تاريخ وفاته ، فذهب الى القول انها قد حدثت نحو السنة ١٨٧٣ .

على ان اليومية تذكر تاريخ ابتداء السنة الثلاثين من فتح المدرسة (٩ تشرين الاول ١٨٥٦) فاذا افترضنا ان نعوم اخذ يعلّم من نحو السنة العشرين من عمره ، فيكون عمره في سنة ١٨٦٥ التي تنتهي اليها اليومية التي بين يدينا ستين عاماً . واذاً فقد كان من معاصري الادباء الحلبيين انطون صفال (١٨٢٤) ورزق الله

١) قصدنا الى زحلة وزرنا الاستاذ عيسى اسكندر المعلوف المتخصّص في درس اصل الاسر الشرقية ، وسألناه التعليمات عن اسرة البخاش وغيرها ممن يأتي ذكرهم في هذا الكتاب فقال ما حرفيّته : « بيت البخاش اصل جدهم من الهند من قبيلة عربية مسيحية كانوا مشهورين ببخش اللؤلؤ اي ثقبه لان تجارة اللؤلؤ كانت مشهورة في مغاوص الهند فلقبوا بالبخاش . وجدهم كان يسمى بقطر البخاش وتفرعت الاسرة وهي من السريان الكاثوليك وتفرقت في حلب وحرعش ودمشق ومصر وزحلة

والخوري روفائيل بخاش في حلب وضع شجرة العائلة »

وذكر الاستاذ المعلوف علاوة على من ذكرناهم من اسرة البخاش « نصري بك ابن فتح الله كان كاتب السلطان عبد الحميد الخاص . ثم نفي الى ادنه مدة ١٢ سنة ، واقيم من بعدها معاوناً لوالي ازمير ، ومتصرفاً في مرسين ، ومتصرفاً في القدس وتوفي في مرسين نحو ١٩١٣ وله من العمر ٦٢ عاماً ، وترشح ٣ مرات لمتصرفية لبنان » .

وجاء ذكر جرجس البخاش في ص ٢٥ من المجلة البطريركية ١٥ تموز سنة ١٩٣٣ وهو احد الاحد عشر المقتولين في الاضطهاد الذي حدث في حلب سنة ١٨١٨ ، وجاء في المسرة سنة ١٩٢٥ للاب جبرائيل بخاش تفسير انشودة العرس في الشهباء :

« ولك الله يساوي دص دص بروك منيح ها بيا ها » .

وضبطها باللفظ السرياني والاحرف العربية :

« رخ الله نشاوي دوص دوص دبورخ منيح حيبا ها » .

وترجمتها : فليوفقك الهي افرح وابتهج فانه قران نعم القران يا احباء هللوا .

وهذه الانشودة هي باقي ما بقي من الشواهد على استعمال اللغة الارامية في البلاد في الزمان الماضي الى ان سادت فيها العربية . ويسوغ لفت النظر اليها في مقدمتنا على « اليومية » فتضاف الى عشرات النكت والحوادث والاخبار الموجودة فيها .

حسون (١٨٢٥) وجبرائيل دلال (١٨٢٦) وفرنسيس المراش (١٨٣٥) وعبد الله المراش (١٨٣٩).

. . .

كان للآباء الفرنسيسكان مدرسة قد انشئت منذ عهد بعيد.

وكان في جوار الكنائس لسائر الطوائف الشرقية دور موقوفة لتعليم الاولاد. ولعل البخاش تعلّم في احدى تلك المدارس. لكنه لم يتعلم اكثر من القراءة والكتابة، ولم يتقن العلوم الصرفية والنحوية والبيانية. ومع ذلك فقد قضى حياته في التعليم، واستحق شكر ناشئة زمانه، وزاد على افضاله فضلاً لم يجاره به اديب من ادباء الاساتذة في عصره وهو تأليف اليومية.

وعُرف المعلّمُ البخاش بخطّه البديع. والكتاب الذي ننشره عنه شاهد على تناسب الاجزاء في الكتابة واتقان حروفها وتنسيق اشكالها ولك في الصورة التي طبعناها عنه الدليل الواضح. ومن آيات ما كتبه البخاش فاتحة القرآن على حبة الرز، والاشعار التي زيّن بها جدران الدور، وعناوين الصور في الكنائس. وطالما سخّروه بكتابة المكاتيب ورسم الاحرف على الاقمشة الغالية الثمن لتُطرّز وتُزركش بالحرير الملوّن والمقصّب. ان ذلك الخط البديع يفسر كيف بلغ البخاش الى المنزلة التي احلّته من الحلبيين محلاً رفيعاً. ومراجعة اسماء التلامذة المدوّنة في اليومية تبيّن ان أهمّ الاسر الحلبية عهدت الى ذلك الرجل البسيط بتعليم اولادها. وربما جلس بينهم الزوج المتزوّج والمرأة ام البنين ليتلقنا القراءة والخط مع اولادهما. اليك اسماء التلامذة الوارد ذكرهم في اليومية مرتبة الترتيب الابجدي، وقد قابلنا مؤخرًا في حلب بينها وبين لوائح اسماء اعضاء الاخويات في دير الآباء اليسوعيين المزدهرة اليوم فالكثير منها موجود في تلك اللوائح فاشرنا اليها بنجمة. وبعض الاسماء ليست في سجل الاخويات. لكن لها ممثلون في يومنا ايضاً، وبعضها اندثر اثرها من الشباب:

آدم*، ابرص*، ابو خليل، ادلبي*، ارمني، ارميا، اسود*، اسير، الطنجي*، امون، باسيل*، بخاش*، بتراكي، بتهم (؟)، براهشاه*، بردخجي*، برغود، بعال، بطق، بليط، بغدادي، بندو، بندقي*، بندلي،

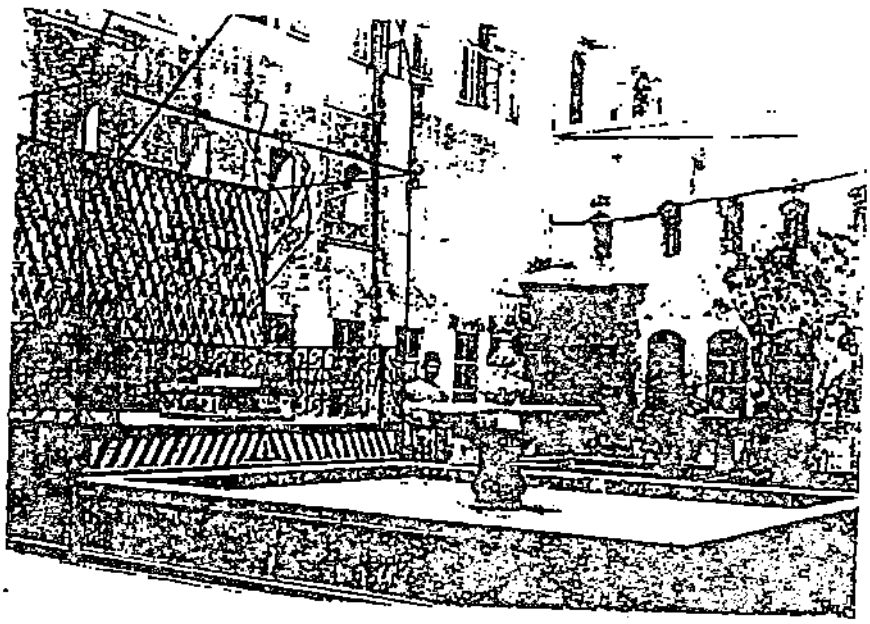

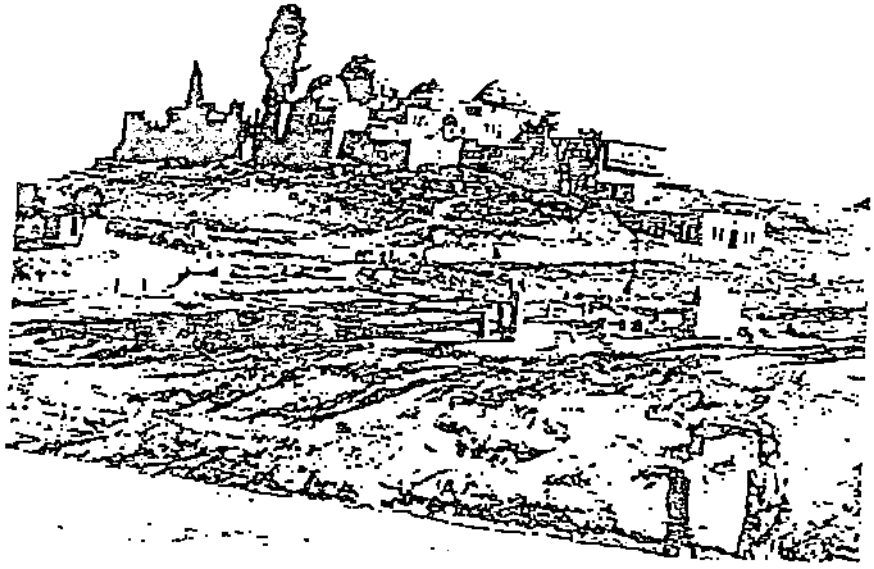

تاجر ، تاجر اوغلي ، تركماني* ، توتل ، تيناوي* ، ثابت ، جانجي* ، جد ، جره* ، جليا ، جمل* ، جنبرت* ، جنبير ، جن ، جهامي* ، حاتم ، حجار* ، حجه ، حداد* ، حفار ، حكيم* ، حلاق* ، حمصاني ، حمصي* ، حموي* ، خانجي ، خاطي ، خشفه ، خوري* ، خياط* ، داود اجيك ، دب ، دباغ ، دقاق* ، ديرارزتين ، دير بطرس* ، دير ميكلويل ، رباط* ، ريان ، رحال ، رعد ، زريق ، زلعوم* ، زنكيه ، سالم* ، سالمه ، سرور ، سليمان ، سقال* ، سمان ، سوكياس* ، سيوفي* ، شاشاتي* ، شامي* ، شاهين ، شدياق* ، شعراوي ، شقال* ، شمعون ، شماس* ، شماسيه ، شماع ، شوكتلي ، صاجاتي ، صائغ* ، صعب ، صندوق* ، صوفي ، طحان* ، طرابيشي ، ضاهر ، ظلط* ، عازار* ، عبجي ، عبد المسيح ، عجم* ، عرقتنجي ، عزيزه* ، عزور* ، عكاوي ، عكوش ، عصيني ، غضبان ، غزال ، غزاله ، فتال* ، فجله ، فرا* ، قسيس* ، قصاب ، قندلفت ، كبابه* ، كتابه ، كرباج ، كلداني ، كازي* ، كنيدر ، كوسا ، كوركوريح ، ليان* ، ماروص ، مشاطي* ، مشحور* ، معري ، ملتلت ، موصلي* ، ميشيل ، ميلبا ، نجار ، هارون ، هزاز ، هلال ، هنديه ، وانيس ، وكيل* ، يعقوب ، يرغاكي .

نعوم البخاش بين الكنائس والبيوت والبساتين

الاخبار الطائفية والحوادث المحلية في عشر سنوات

كان البخاش يصرف سويعات كل يوم بالتعليم فيشير اليها قائلاً : « قرّيت » وينصرف عنها الى القيام بواجباته الدينية . فيسمع القداس تارة في كنيسة السريان ، وطوراً عند الموارنة اذا ما اراد التبكير ، فيتفرّغ لتلبية دعوة عرس او وليمة او تنزّه . ولم يفته الا في النادر حضور الزّياح ، وسماع الوعظ مساء الاحد . ولم يكتفِ بذلك بل كان يقيم في بيته مراسيم الشهر المريمي ، وتسابيح القديس فرنسيس كسافاريوس ، ويصوم الصيامات بنشاط . فانتخب رئيساً لاخوية العذبان الشهيرة في حلب .

ولم ينسَ ذكر حادث من الحوادث الكنائسية الخطيرة كاتفاق الروم مع سائر الطوائف الكاثوليكية في اتباع الحساب الغريغوري . واتهم بالروم الملكيين

الكاثوليكيين كما يسمونهم في حلب.

وكان المطارين في حلب بين السنة ١٨٥٦ والسنة ١٨٦٥ على الروم الكاثوليك : ديمتريوس انطاكي (١٨٤٣–١٨٦٣). وبعده بولس حاتم (١٨٦٣–١٨٨٥). وعلى السريان يوسف حاتك وبعده جرجس شلحت (١٨٦٢–١٨٧٤). وعلى الموارنة يوسف مطر (١٨٥١–١٨٨٢) . واما الارمن فلم يكن عليهم مطران الى ان سيم اسقفاً سنة ١٨٦١ غريغوريوس بليط. فذكرهم تقوم البخّاش في كل فرصة سانحة ، وخاصة عند وقوع حادث خطير متصل بحياة الطائفة او في سياسة البلدة.

ولم يتغافل عن المكانة التي ارتقت اليها السلطة القنصلية في ايامه لمّا كان القنصل يُرسل اليستجي ، او الترجمان ، الى السجن فيأمر باخلاء سبيل السجين من غير مراجعة الحاكم التركي ؛ ولمّا كانت الوفود من مسلمين ومسيحيين يتظلمون الى القنصل من جور الباشا في احتكار القمح وبيعه ١٠٠ غرش الشنبل ، ورفعه قيمة الضرائب والمكوس. فجاء كلام البخّاش مصداقاً لما كتبه القنصل الافرنسي كيس في مؤلفه المعنون حالة سورية السياسية (ص ١٠٢ فما بعدها) قال عن القنصل في البلاد السورية « ان الظروف قد تلجئه الى القضاء والحكم والامر والتأخير ، مع كونه اجنبياً فليس له سلاح سوى ذكائه ونفوذ الدولة المنتمي اليها. »

وعلى عهد يومية البخّاش كان القناصل الافرنسيون في حلب : يوحنا المعمدان جوفروا (١٨٥١ - ١٨٥٤) ، وادوار گراسه (١٨٥٤–١٨٥٦) ، والكونت دي بنتيفوليو (١٨٥٦–١٨٥٩) ، وشاتري دي لافوس (١٨٥٩ –١٨٦٣) ، وڤيكتور برتران (١٨٦٤–١٨٧٨).

وبين سنة ١٨٥٥ و١٨٦٦ تتابع في حلب الولاة : اشقودره لي مصطفى ، والحاج محمد كامل ، ورشيد ، واسماعيل ، وعصمت ، وثريا. وهذا الاخير كان اطولهم مدة في الاقامة في وظيفته . وقد احدث في المدينة اصلاحات نال بها الشكر ، منها تبليط بعض الطرقات ، وادخال العربات (الكروسات) ، ومدّ سلك التلغراف ، وحماية الصناعة ، والعدل في الناس . فوفى البخّاش كلًّا منهم

حقه من الذكر .

هي الاخبار والحوادث تناولتها الالسنة ايام لم تكن صحافة سيّارة فعرّفت الينا قومة البلدة وقعدتها ؛ وافادتنا عن احوال السكان اذا سافر البريد او بارحت قافلة ، او شُلّحت على الطريق ، او تحرك وفد المسيحيين زوّار دير مار جرجس ، او زوّار الاراضي المقدسة ذهاباً واياباً . ولفت نظرنا الى صغائر ماجريات اليوم كدخول الاحداث من ذكور واناث المدرسة وتلقنهم مبادي القراءة والخط ، الى غير ذلك من الافراح والاتراح ، ايامَ كانت الناس ترتشف كؤوس المسرّات ممزوجة في الاعياد العائلية في خطبة او اكليل او عماد يحتفاون بها طبقاً لتقاليد قديمة ، ولهم من طول الزمان وضيقة نطاق الاشغال الوقت للمشورة قبل الخطبة ، والنقش بعد الاكليل ، والعَبرة بعد العرس ، سحابة ايام عديدة مديدة ، يدعون اليها الجيران والاقارب والمعارف ، وفي مقدمتهم المعلم مربّي الاولاد ! وكانت الجماعة المسيحية الحلبية ، على وفرة عددها ، محصورة ضمن عائلات معدودات في احياء محدودة ، موقعها بين الكنائس . فكان للمعلم في ذلك المحيط الضيّق المكانة الرفيعة ، فيدخل البيوت معتماً بعمامته الزرقاء يجرّ البابوش حتى المصطبة ، فينزعه عند عتبة المجلس ، ويصعد فيتصدّر الديوان . فيسمع ، ويستمع ؛ ويقرأ ويقرّي ؛ ويكتُب ، ويكتِب .

وفي غضونها كانت الدريهمات تنساب الى جيبه فيجمعها ويصرّها ، ويتاجر بها ، وباب المعاملات مفتوح بفضل قلمه وخطّه البديع ، فيكتب المكاتيب الى بغداد ، ومرسيلية ، وبرّ الاناضول ، ودمشق ، وبيروت ، له ولغيره . فينمو المال بين يديه ، والاصغر الرنان يمكنه من كراء دار على سنوات ثلاث . ولم يخل اهتمامه بتهذيب الناشئة دون معرفته حركة السوق وارتفاع قيمة النقود وسقوطها فالليرة المجيدية تبلغ ١٢٠ غرشاً ، والانكليزية تصعد من ٩٦ غرشاً الى ١٢٧ ويتبعها غيرها من العملة كالمجيدي والقمري والالطي . وبالنسبة اليها تتسعر الحاجيات والكماليات : الحنطة ، والسمن ، والفحم ، والحطب ، والسكر ، والقهوة ، والتبغ ، والاقمشة ، والالبسة .

وقد كتب عنها مدوّناً يوماً بيوم كلّ حدَث جديد ، مما جعل جريدته مرجعاً

في هذه الناحية من الحياة الحلبية على عشر سنوات . وقد اكتفينا الآن بالاشارة الى ذلك ويجده القارئ في موضعه ويومه عند مطالعته المؤلَّف .

اما منتزهات المعلم نعوم فهي بساتين حلب ورياضها المنبسطة على ضفتي القويق نهرها ، وعلى مجرى القناية ، وفي واحة عين التل . لا يكاد يمضي يوم من ايام الاسبوع الّا والمعلم يتحوّل الى صياد السمك والطيور . والعناية التي بذلها في ألاّ يفوته ذكر ضربة ضربها ، او حادث حدث ، خلال صيده دليل على ولعه الغريب بهذا اللهو الذي امتلكه واستعبده .

فغالى وزاد ، واملّنا في تعداده العجين ، والذبابة ، والدودة ، والعلق ، وسائر ما استعمله طعمةً في الصيد ، وعلّمنا اسماء الزقراق ، والبراق ، والمزورق ، والانكليزي ، والشبوط ، وغيرها من الاسماك ، في باب الجنين ، وبستان الحصرم ، والغطانه ، وبستان الباشا ، والخلاص ، وعبدي افندي ، والشيخ فارس ، وباكر باشا ، والحجازي ، وكزبلا ، وابي الوفى ، والمصلّى ، وابراهيم آغا ، والزقازيق ، وبايازيد ، والقوّاس ، والشيخ طاها ، والشيخ يبرق ، والعويجي ، والقبار ، والريحاوي ، والدباغة ، والوضيحي ، وما وراء باب الله من امكنة بعضها تحوّل في يومنا الى احياء آهلة بالسكان ويكاد اسمها يضيع مع اثرها . فسوف نذكرها مع البخّاش ونعلّق على ذكرها التعليقات التي بلغت الينا عنها .

واهتمّ البخاش اهتماماً متواصلاً باحوال الجوّ . فارّخ وقوع المطر ، والصحو ، والبرد ، والحرّ ، وربما اشار الى درجة ميزان الحرّ برقمها ، فوضع مادة لا يستهان بها للمقابلة بين انواء زمانه وغيرها .

قد نسمع الشيوخ بيننا يقولون ان المطر كان في ايام شبابهم اغزر منه اليوم في بلادنا ، وها هي اليومية تمكننا من التحقيق في القضية .

لغة البخاش — قيمة الكتاب الادبية

قلنا ان المعلم نعوم البخاش لم يتعلّم اصول اللغة العربية فاهمل قواعد الاملاء وان لغته انما هي اللغة الحلبية الدارجة . وهل من عيب في روايتها على علّاتها ، كما وردت في الجريدة ؟ كلا . وذلك لان النشر العلمي الصحيح يلزم الناشر

رواية الاصل كما خرج من قلم محرره ما لم يكن مانع معقول دونه ، وان اصحاب النهضة الثقافية الحاضرة صاروا يهتمون بدرس اللغات المكانية ، لان من ميزاتها في اللفظ والتركيب ومن المقابلة بينها تتكوّن ميزات اللغة العربية الفصحى في تطورها . فصارت هذه الناحية من نواحي العلوم العربية جزءاً من فقه اللغة وتاريخها ، مما دعا بالمستشرقين الى العناية بها وتدوينها لكل بلدة او اقليم من الاقاليم الناطقة بالضاد .

فان راجعت مقال كيفماير في الموسوعة الاسلامية في مادة « العربية » Arabie وجدت صفحات طويلة مكتظة بالتعليقات على اللغات المحلية . واللغة الحلبيّة فيها مختصة بتنبيهات ومراجع عديدة . فقد يكون من نتيجة قصر النظر والجهل احتقار لغة نعوم البخاش وفيها آثار اشبه بتلك النقود التي يكتشفونها في الحفريات وعليها صور الملوك واسماء الآلهة التي شاع ذكرهم في بلادنا ايام استعمال تلك النقود ، فهي لسان حال الزمان الماضي ، وترجمان احواله ، وسند تاريخه .

وان في لغة نعوم البخاش الحلبية الفاظاً تسرّبت في استعمال الناس كالنقود وبعضها من اصل ايطالي كالسكولا ، والغازتا ، وبعضها من اصل افرنسي كالكلاسه ، والبراسولات ، وبعضها من اصل تركي او مشتق اشتقاقاً تركياً كاليستجي ، والقاطرجي ، او من حدث تاريخي او اجتماعي كالفافة والبراحنة الخ ، فسوف ننبه اليها ونفسرها في حينها . وذكرها يذكرنا الدول او الحوادث التي تتابعت في الشهباء منذ القرون الماضية الى يومنا . فالمحى او سوف ينمحي اثرها الّا في الكلمات التي بقيت في اللغة العاميّة ارثاً من الاقدمين فلمَ نهمل شأنها وهي مدوّنة التدوين القيّم بقلم رجل ثقة !

فينبغي اذاً لغة البخاش كما هي . وربما صارت هي وحدها الداعي لابقاء المتن الاصلي ، ونشره من غير نقصان ، اذا لم يكن داعٍ لنشره سوى لفت النظر الى الكلمة او الى التركيب في اللغة العامية الحلبيّة .

لقد نوهنا بعيوب اليومية . فانها مجموعة اخبار وحوادث وجيزة بعضها لا اهمية له ولا رابطة بينها سوى الزمان الذي وقعت فيه وربما أوخذنا في نشرها وكنا قد فكرنا ان نقتطف منها الاهم ونكتفي بالنزر اليسير . ولكن بعد

نسخ المخطوط رأينا مادّته جديرة بالطبع.

اولاً : لانّ المصادر التاريخية الباقية لدينا من ذلك العهد قليلة نادرة . وهذه العشر السنوات التي تشمل حوادثها دفتا المخطوط لا تستغرق الا صحيفات من تاريخ « الطبّاخ » فإن لم يكن لهذه اليومية قيمة الا قيمة السالنامة المفصلة فلا بد من ان نحفظها من الضياع بنشرها . وقد نرى المستشرقين يحرصون على امثالها اشدّ الحرص.

ثانياً : ان في سرد الاعلام تفكهة للحلبيين خاصة ، فيتعرفون الى اجدادهم. وفي تدوين الوقائع البسيطة التي اشرنا اليها تسلية لهم في حلب وفي المهجر ، فلن يسأموا ذكر نوبة اچقباش وأكل « الكلاسه » بمستحلب البزورات. وسوف يأتي ذلك عند وقوعه مع التعليقات ، اخذاً عما اختبرناه شخصياً من حياة مدينة حلب ، مسقط رأسنا.

ثالثاً : ان اجتهاد البخّاش في تدوين كل مادة في يومها والمقابلة الاسبوعية بين التاريخ الميلادي والتاريخ الهجري ترفع يوميته الى مكانة تاريخ محكم الحلقات تسهل مراجعته والاستناد اليه اذا ما حسن نشره ووضعت له الفهارس ، فضلاً عن ان مصدر وقائعه هو الشاهد العيان . من اذا شك في صحة خبر نبّه الى الشك فيه وقال هكذا سمعنا او قال سمعنا منذ يكون من الامر : فبيّن مواضع الشك واليقين.

ففي نشره افادة لتاريخ البلاد عامة ، وتاريخ المسيحيين خاصة ، فيحلّ محلاً متواضعاً ولكن جديراً ان يبقى في المكتبات في جوار سلسلة ما نشره المرحوم الاب انطون رباط في مجموعة آثاره الافرنسية المعروفة (*Documents Inédits*) وفي ما نشر بعد الحرب الكبرى كالنبذة في حوادث لبنان والشام ١٨٤٠ — ١٨٦٢ (المشرق سنة ٢٧ للشيخو) وكمذكرة المطران يوسف اروتين (المجلة البطريركية سنة ١٩٣٣ لقرألي) وكمكتب شهداء حلب وتاريخ الشام لميخائيل بريك (نشرات المسرة) وتاريخ حوادث الشام لميخائيل الدمشقي الذي نشره الاب لويس معلوف اليسوعي سنة ١٩١٢ على انا سوف نهمل ما لا نرى افادة من نشره او ما كان فيه ذكر حادث مفجع ماسّ بكرامة بيت من البيوتات

الحلبية المعروفة الحيّة برجالها في يومنا ، ونرسل القارئ الى المخطوط المحفوظ في المكتبة الشرقية ، اذا ما اراد الاطلاع على اليومية بكمالها . وسوف نبيّن في مواضعها التغيّرات المهمة التي نحدثها في الاصل ، ولن نصلح من غلطات الاملاء الا الكبرى وسنحذف التاريخ الشرقي لقلة الفائدة من تكراره اسبوعاً فاسبوعاً . اما التاريخ الهجري فربما خالف بيوم واحد التاريخ الموقّع في سائر البلاد الاسلامية ؛ فلم نصلحه ، ومعلوم ان ذلك الخلاف سببه عدم ضبط الحساب في الأهلّة .

وسوف نترك ايضاً من كل صفحة جزءها الاعلى (راجع صورة المخطوط) وننشر من جزءها الاسفل كل عمود من الاعمدة الثلاثة مع رقم صفحته التي وضعناها له بالمخطوط والعدد ١ يدل على العمود الاول و٢ على العمود الثاني ، و٣ على العمود الثالث فاذا رأيت ٩٢ فافهم من ذلك العمود الثالث من الوجه التاسع من المخطوط .

وربما اتينا على تعليق في المتن ذاته ؛ فوضعناه بين علامة [ ] او وضعناه في ذيل الوجه طبقاً لما زاد اتساع المقام . وهذا التعليق يكون من تأليفنا ما لم ننسبه الى غيرنا . ولله الشكر .

المراجع

Dictionnaire d'Histoire et de Géographie Ecclésiastique : Karalevski, *Article Alep.* et Tournebize, *Article Alep, Diocèse Arménien d'Alep.*

Encyclopédie de l'Islam : Sobernheim, *Article Halab.*

Ritter, *Erdkunde*, T 17.

Guys : *Etat Politique de la Syrie.*

منظومة الشيخ وفا : في اولياء حلب ، مخطوط في المكتبة الشرقية .

شيخو : حلب ونهضة الآداب فيها . المشرق سنة ١٩٠٦ ص ٦٢٩ و٦٩١

قسطاكي الحمصي : ادباء حلب ذوو الاثر في القرن التاسع عشر ، المطبعة المارونية ، بحلب .

راغب الطباخ : اعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء ، ٧ مجلدات

كامل الغزي : نهر الذهب في تاريخ حلب ، ٣ مجلدات .

منتخبات من يومية نعوم البخاش الحلبي

من ١٦ كانون الاول ١٨٥٥ الى ٢٧ ايار ١٨٦٥

[١] ــ الاحد ، رحت عيدت عيد البربارة[1] . ومرقع الميلاد غربي . ومساء [حضرت] زياح [في كنيسة] ارمن . ويومها راحوا على سبوع[2] بيت الحلاق . وانعزمت للعشاء بيت شكري قصاب وكان عندهم عبرة عروس[3] ونوبه وتتينا لبكره س ١٢ عصمليه[4] . ــ الاثنين ، قرّيت [الاولاد في المدرسة] . ــ الثلاثاء ، نيقلاوص درت عيّدت . ورحت بعد الظهر [بستان] الريحاوي . واجا كبابه فتح الله ورجعنا مساء . جبت كرسين[5] . واهلي انعزموا وراحوا سبوع بيت غزالة الى بيت عبدالله ثابت . وتشرا[6] الى الساعة ٢ من الليل [اي بعد غروب الشمس] وراحوا سهروا بيت البطق . ــ الاربعاء والخميس ، اروح مساويه للصيد . ــ والخميس ليلة الجمعة انعزمت لعبرة عروس بيت الوكيل وتتينا الى الساعة ١٢ بالليل فكان آجق باش[7] . ــ الجمعة ، حبل حنة والاولاد قلال ورحت الساعة ١ وفتح الله كبابه [الى بستان] الشابندر وبعده [الى بستان] كور مصري وبعده [الى بستان] الحجازي ورجعنا مساء وجبت سمكة واحدة .

---

١) في هذا العيد تسير حفلات عائلية للاولاد يفرحون بها كما يفرح الاولاد الافرنج في عيد مار نقولا .

٢) كانت الاعياد تدوم اسبوعاً عند وقوع حدث خطير في العائلة كقدوم عزيز من السفر او اكليل او ولادة ، فالبيت مفتوح والسفرة ممدودة للزوار .

٣) العروس بعد الاكليل تبقى عند زوجها فاذا خرجت بعد انقضاء الزمان المعين حفّ بها الاهلون وزارت الاقارب .

٤) عصمليه اي عثمانية او نحو الساعة ٦ صباحاً افرنجية .

٥) كرسين ؟ هل تكون اللفظة افرنسية الاصل cresson وهو نبات يخرج في السواقي فيؤكل ام هو اسم سمك ؟ .

٦) تشرّا اي بقوا .

٧) آجق باش اي مكشوف الرأس وهو زعيم التوبانية وكان جوقه مشهوراً .

وبدينا الرياضة بيت[1] ضاهر الساعة الثانية [بعد الغروب]. ــ السبت ، رحت صبحية [الى بستان] القبار والماء موحل شويّ . والساعة ٥ اجا باسيل وفرنسيس وشوكتلي وما قعد ، راح.

– السبت ، في ٢٢ كانون الاول سنة ١٨٥٥ في ١٢ ربيع الثاني سنة ١٢٧٢

ــ والاربعاء ، رجع طحّان وتمّ عندي . والسبت شفت بالريحاوي حاجة قرنبيط[2] مصوّبه وعائشه رجبتها للبيت عايشه وبعده ذبحناها[3].

[١٢] ــ الاحد ، رحت للصيد ورجعت الظهر . وبكره[4] اخذت تتون رطل ٥ سعر ٢٤ ورطل ٥ سعر ١٧ ورطل ٣ سعر ٧ ورطل ٢ سعر ٨ مشروب الهنا. وتغديت. ورحنا [الى بستان] العويجي [مع] كبابه وبليط. ــ الاثنين ، ما قريت. ومساء الريحاوي... وبالسهرة انفشلت اصبعت ايدي. ــ الثلاثاء ، تغدّيت بيت كوبا. ــ الاربعاء ، بيت البطق. ــ والثلاثاء ، قعدت لوسيا بنت غزاله مع اخوها تقرأ ودرت عيدت لوسيا والميلاد. ــ الخميس ، رجعت متدت ايدي عند المسك وحط هبرة على اصبعتي. ــ والسبت ، احسن[5]. وولدت غرة بنت كوبا مراة رزق الله حمصي جابت[6] بنت.

---

١) يدعون في حلب احد الكهنة الوعاظ الى البيوت فيجتمع فيها الناس المجاورون لسماع الوعظ ولا يتكبدون مشقّة الابتعاد عن حيّهم .

٢) اسم طائر .

٣) لم نحذف الا القليل من وقائع هذا الاسبوع الطفيفة وهو الاول من اليومية وسوف تحاشى تغيير الاصل في الصفحات الاولى ، ما امكننا الامر ليكون القارىء على بيّنة من اسلوب المؤلف ونختصر فيما بعد كل ما نراه فضلةً لا فائدة منها . اما التعليقات المطوّلة فسوف نجمعها في ذيل الكتاب لئلّا تزيد الحواشي في المتن اكثر مما يقتضيه المقام، ولان تلك التعليقات سوف يحتاج اليها القارىء في الكتاب كله خاصةً في تعريف الاعلام وانما فالاصلح ان تُطالع في الذيل.

٤) بكره اي صباحًا باكرًا .

٥) احسن اي تحسنت حالة اصبعي .

٦) اي ولدت .

– السبت ، في ٢٩ كانون الاول ١٨٥٥ في ١٩ ربيع ٢ ١٢٧٢

[١٢] ــ الاثنين ، عقب[1] السنة وفطرت بيت الضاهر ... وعيدت باسيلات[2]. وولدت مراة فرنسيس شوكتلي وجابت بنت. ومسحت ساعة[3] بيت الضاهر. ــ الثلاثا ، عندوا بيت سالم [ابنهم] وسموه قسطاكي. ــ الاربعاء ، ولدت مراة يوسف كرونلي وجابت بنت. وبنت الهندي مراة فتح الله جنبير جابت بنت. وطحان بدي يكتب ويروح قعد عند بن المرديني. ــ والثلاثا ، بعد الظهر رحت مع بيت الضاهر وتفرجنا على الفرجه قدام دكان توما زيني عزيه. وبعده رحت بيت الناقوز وابن عمي فتح الله فتح مخزن بخان ببيت الناقوز بشراكة ثلاثة معه وبعده رحت [الى حي] الكتّاب عيدت. ــ والاربعاء قريت ورحت الريحاوي جبت فرخ. ــ الجمعة ، برد وبوز ووصل درجه اربع البرد. ــ الثلاثا ، ابتداء سنة ١٨٥٦ سنة مباركة ان اراد الله فايدة[4] الخيرات ومدرت السرور والبركات.

– السبت ، في ٥ كانون الثاني ١٨٥٦ ، ٢٦ ربيع ٢ ١٢٧٢

وقالوا لي ان اقعد بمدرسة سريان بعلاقة[5] ٢٥٠ والسكنه ونصف علاقة الاولاد الذين بأجره ما خليت بكون معلوم. وكان عندنا ليلة راس السنة خالتي وابنها وانا كنت معزوم بيت الضاهر ورجعت وحدي. ــ والاثنين ، توفي جرجس بليط الله يرحمه. ــ والسبت ، [توفي] جرجس مطر ابو المطران يوسف مطر.

[٢] ــ الاحد ، القطس غربي. الميلاد شرقي. يوم السبت بدي الثليج[6] والاحد كان ثلج. ودرت عيدت والساعة ٧ قبروا ابو المطران مطر وكان ثلج

---

١) عقب اي اخر يوم السنة.
٢) باسيلات اي كل من كان اسمه باسيل من الاقارب.
٣) فكان ادق البخاش ساعة ايّاً اينّ !
٤) فائدة.
٥) العلاقة ما كان يتقاضاه المعلم لمعيشته اليومية.
٦) الثليج اي الجليد.

وطلعوا وراه بيرصولات[1] ، ارمن وسريان وموارنة وافرنج[2] . — الاثنين ، ثلج وكتلنا الميديات . وفطرت عنـد نعوم عجي وتغديت بيت البردخجي جات[3] . وانكسرت قبقابتي[4] وما وقعت . ومساء رحت للصلاة وكان مار اسطفانس رئيس الشمامسة ووقفت شوي ورحت . — الثلاثا ، الاولاد قلال ورحت مساء القبار قدام السكر[5] اخذت فرخ مقدار اوقية واحد ورجعت تعشيت بيت العجوري وكان خيري ودلال وصادر . ومساء اكلنا كلاسه[6] بيت الضاهر بيزورات . — الاربعا ، اكلناها بسحلب اللوز وكتر[7] نظمتها . — الخميس ، قعدوا عندي خاجيك واخوه داود المجربين البغادله جايهم نعوم عازار .

— الخميس ، في ١٠ كانون الثاني غربي ١٨٥٦ في ٣ جمادى الاول ١٢٧٢

وصاجاتي نعوم مريض الان وسمعت تاكيد اخذ القرص[8] الموسكوب من العصلي . وكان [العسكر العثماني] مقدار الف ١٥ : باشي بوزق عده ١٠ ونظام

---

١) برصولات اي شمسيات ، واللفظة دخيلة من Parasol .

٢) لا يزالون في حلب ينسون في المأتم كهنة جميع الطوائف فيزيدون الحفلة فخامة .

٣) جات نوع من الطعام المطبوخ بالفرن وهو في وعاء كبير . ولعل الكلمة أخذت عن الافرنسية jatte وهو نوع من الصحون .

٤) القبقاب مداس من الخشب مركب على دفتين يعلو سطح الارض نحو ١٠ سنتيمترات ويغي الرجل من الوحل والماء في الشتاء .

٥) السكر اي موضع حصر مجرى الماء .

٦) الكلاسه glacé وهي ايضاً لفظة دخيلة وكانوا يصنعون الكلاسه او الدندرمه عند سقوط الثلج . ٧) كتر او كاترين هي اخت المعلم نعوم البخاش .

٨) جاء في تاريخ لافيس ورامبو الافرنسي في المجلد ١١ ص ٢١٩ في حرب القرم :
اطلقت المدافع للمرة الاخيرة في اسية الصغرى عند قرص . كان الروس قد حاصروها منذ شهر آب ولم يقوَ عمر باشا على فك حصارها . فألجأته المجاعة الى التسليم في ٢٥ تشرين ٢ . فاستعاض المسكوب بذلك النصر شيئاً من كرامته التي فقدها بانكساره . وقبل القيصر ان يدخل بالمحادثة مع خصومه وفتح باب المفاوضات في سبيل الصلح .
وقرص مدينة عدد سكانها يناهز في ايامنا ٣١٠٠٠ وهي قاعدة ولاية قرص الواقعة بين بلاد تفليس شرقاً وارزروم غرباً وبلاد الكرج والبحر الاسود شمالاً واريفان جنوباً . كانت ملك الاتراك فاحتلها الروس ثم ردّوها للاتراك سنة ١٩٢١ . ومنها الخط الحديدي يمتد الى تفليس . وهي في موقع على ملتقى الطرق وفي مركز عسكري خطير

٥ . وتضايق [العثمانيون] الجوع جدًا والموسكوب لافت ومحيط من كل جانب [بلدة] القرص . وفضاوا تيترتوا[1] كل نفر من الاهالي والعسكر ١٦ درهم طحين . وصيّروا معدّل على هذا فوجدوا يكفاهم يوم ١٧ ، كل يوم ١٦ درهم طحين . وارسلوا طلبوا مدد العصملي فقالوا لهم : سلّموا . فحال وصول الجواب ارسلوا يقولوا الى مقدام عسكر الموسكوب اسمه قره قوف ان كان يقبل شروطهم فيسلموه القرص والا فيخرجوا دمهم على كفّهم حتى يقتلوا ويقتلوا وينهبوا . والشروط اولًا يطلقوا المجريّين ، لان بينهم [اي بين المسكوب] وبين النمسا عدونه ، فاذا مسكوهم يقتلوهم . فهؤلاء يطلقهم [المسكوب] ووليم باشا له الحرية ما اراد يروح لا احد يستاسره . وكريم باشا وفرحات باشا يرموا سلاحهم ويسلموه . ففضل القره قوف الشروطات . واخذ معه زخره : بقصمات ولحم ورز وسمن . [ودخل القرص] وفرق على العسكر والاهالي حتى شبعوا وبدوا يخرجوا ويرموا سلاحهم قدام القره قوف ويمشوا . فالباش يرزق اطلقه كلّه ؛ والنظام الف ٥ اخذها واطلق المجريّين واعطى سلاح الباشاوات وخيل لمركوبتهم وعيّن زلم ١٥ لكل باشا لخدمته بعلافتهم وله الحرية اين ما اراد يروح لبلاد الموسكوب ، غير مستاسر . والمذكور طلب ان معه ٢٥ نفر من حكما وتراجمين وكتاب وهؤلاء يطلقوهم . فاجابوه لطلبه وحالًا ركبوهم بكروصه ووصلوهم لقبل ارزروم ورخوا لهم . ووليم باشا تم بالموسكوب . [وكان] من كثرة جوعهم فضل بطوالة الوردي دواب ٣ والباقي اكلوهم من الجوع واكلوا كلاب وقطاط وجرادين[2] .

[٢] ــ الاثنين ، مطر . ــ الثلاثا ، هواء زائد بارد وقويت وكثبت . ــ الاربعاء ، كان صحو ورحت مساء القبار جبت [قطعة] . ــ الخميس ، عيد

---

١) فضلوا تيترتوا اي لم يبقَ لهم لسد رمقهم .

٢) من المعلوم ان الحليين دخلوا في الجيش العثماني الذي حارب في القرم . ومن المعقول ان يكون البخاش قد استقى هذه التعليمات عن بعضهم عند رجوعهم الى ديارهم .

قال الطباخ في تاريخه ، الجزء الثالث ، ص ٤٤١ : وخرج لحرب القرم من حلب الف وخمسمائة جندي وكان قائد العسكر الحاج علي بك بن يوسف بك شريف وكان خروجه في ١٥ جمادي الاولى من سنة ١٢٧٠ .

مار انطانيوس غربي رحت صبحية القبّار . . . وكان بارامون القطاس والاولاد تلال واخت غزاله بطّلت[1] هذه الجمعة.

– الخميس ، في ١٧ كانون الثاني ١٨٥٦، في ١٠ جمادى ١ ١٢٧٢

[٢] ــ الاثنين، اجا بصّال يكتب وكان صحو ورحت مساويه القبار . ــ الثلاثا ، غيم شفاف. ــ الاربعا ، غيم شفاف ومطر قليل. ــ الخميس ، مطر نخناخ. ــ الجمعة كان بيان بولس[2]. وكسحنا الداليه وركبنا لوح بلور ٣ وليله مطر وافر وبكره غيم وهواء وبعده مطر وبعده غيم بعد الظهر وبعده ضوّت وبعده شمس مطر نخناخ وبالليل ملبّده. ــ السبت ، ضباب وبرد وهواء وغيم ومطر نخناخ. واجا الباشا باشة حلب[3] حمدي باشا. ــ والجمعة سافر اسماعيل[4] باشا . وتفرجت عليه من الشابندر[5] واجى الساعة ٤ وكنت نائم الصبحية بالشابندر وما جبت شي.

– السبت في ٢٦ ك٢ ١٨٥٦ ، في ١٩ جمادى ١ ١٢٧٢

واخذت لاختي مريم طاقة شامية سعر ١١٨ وردي ملبوس العافية ونجّرنا صندوقة ٢ بن خالتي وكسحنا الدالية وانعزمنا بيت البطق للغدا وكسحت النسرين يوم الاثنين الجمعة التي بعدها.

[٣] ــ الاحد ، مطر ودرت بالصايج[6] وتغديت وكرزه[7] بيت البطق ،

١) بطّلت اي تركت المدرسة. ٢) عيد اهتداء القديس بولس.

٣) في قوله باشة حلب اراد « الوالي » تميزًا بينه وبين غيره من الباشاوات.

٤) ترجم « العشباء » (٣ : ٤٤٢) لاسماعيل رحمي باشا وثيقةً رفعها اسماعيل للاستانة بين فيها انحطاط المعارف في حلب وضرورة انشاء مدرسة رشدية فيها ، وكلامه يؤيّد ما قلناه في المقدمة.

٥) كان « باشة » حلب يدخل ويخرج باجة وعظمة فيمر بالجميلية ثم على جسر الناعورة وهناك بستان الشابندر يقف فيه الناس للفرجة. فتمر العساكر وعليها تخفق الاعلام وتتقدمها موسيقى الجيش العثماني.

٦) الصايج في عرف الحلبيين الحي واللفظة مشتقة من صاح ، ولعلها في اصل استعمالها تفيد الازقة التي فيها يصيحون وينادون ليجذبوا الزبائن. وهي الواقعة بين السويقة وزقاق الاربعين والجديدة. ٧) كرزه اخت المؤلف.

عزمة وماء زيارة [كنيسة] ارمن. وماء سهرنا بيت الضاهر ولعبنا عمي عميش[1] وكان عمّهم نعوم ضاهر. ــ الاثنين ، كان مطر ونزلنا التفاح بالصناديق وربطوا الداليه اولاد حاج طاها [البستاني] . ــ الثلاثا ، مار انطانيوس شرقي درت عيدت. ــ الاربعا ، مطر وقرّيت وركبوا فوق عواميد الهيكل الركايز [في كنيسة السريان بعد احراقها سنة ١٨٥٠]. ــ الخميس ، السكاره[2] فتحت وسكرت مثل العادة. انعزمنا كلنا بيت كوبا للمرفع الاحد وليل الخميس سهرنا بيت الضاهر للساعة ٨ ونصف ولعبنا بالورق دق[3] ٢٦ ودقونا[4] كلهم وتوفي بن عمي جرجي بخاش مخائيل موت الغفلة الله ينجينا ويرحمه. ــ الجمعة ، مات بن فيروز اسطفان الله يرحمه هذا وابوه صاروا كاثوليكيه من مدة والان مات كاثوليكي .

– الجمعة ، في ١ شباط ١٨٥٦، في ٢٦ جمادى الاول ١٢٧٢

ــ والسبت ، ماتت مرات التيناوي. ــ والجمعة ، رحت صبحية وماء النهر زايد وموحل وطالعت سلّال ٢ وقبوضي من القبار من الظهر للعصر . ــ الاربعا ، تعشيت بيت الضاهر واجا لهم صحارة[5] برتقال من انطاكية واضافوني [برتقالة] ٢ . ــ السبت ، سمعان الشيخ كان مطر ما رحت مكان.

[٣٢] ــ الاحد ، انعزمنا بيت كوبا للمرفع من بكره كلنا ورحنا الساعة خمسة وفطرنا وتغدينا وقتها ورحنا دورة مشو الشيخ طاها وصفّينا بالقبار[6] عند اول عراف وكان لويس وجبرا اجيرهم. ــ الاثنين ، صلاة الشوبقونو[7] وصمت وان اراد الله بكمل وقعد عندي بن فرنسيس شوكتلي . ــ الثلاثا ، اجا يكتب

١) عمي عميش اللعب المعروف عند الافرنج Colin Maillard

٢) يخرج فيه الناس فيترهون في البساتين. وربما شرب بعضهم المدام فكروا فنسب اسم ذلك اليوم اليهم وهو واقع قبل الاسبوع الاول من الصوم.

٣) دق اي دور. ٤) غلبونا.

٥) صندوقة.

٦) صفينا اي انتهى بنا السير الى بستان القبار.

٧) شوبقونو اللفظة سريانية ومعناها النفران.

بن حجه وراحوا يقلّبوا[1] عروس لابن عمي فتح الله امه ومرة الناقوز فريده وكرزه اختي. — الخميس ، تغيّر الجو وصار غيم ، وماء النهر موحل وما في سمك ، ورحت ، غير قبوضيات ما في. وكل ليلة اروح.

— السبت في ٩ شباط ١٨٥٦، في ٣ جمادى ٢ ١٢٧٢

وكان [عيد] مار افرام سريان وموارنة مار مارون.

[٣] — الاحد ، كرز سريان. — الاثنين ، كتبت [الاولاد في المدرسة] — الثلاثاء ، رحت صبحية الشابندر جبت ١ تريس (؟) بالعجين وما قريت . — الاربعاء ، سمعت ان تجمعوا اهل الصايح كبارهم ورتبوا بان لا احد يطلع يسهر بلا ضو او فنر[2] والذي يخرج بلا فنر يؤدّبوه. وختموا كلّهم. لان قبل ليله شافوا واحد دخل بيت ما هم قرابه له فربطوا الباب بحبله من خارج وتركوه وموجود حتى اجو الرجال من السهره شافوه وخجل كثير الله ينجينا . . . وكنيسة السريان عمال يصيروا قبة الهيكل الوسطاني وما خلصت. وختمت بان يصير بوجب الورقة والدفتر وطلعت الترابيه[3]. وخبروا عن صلح [في حرب القرم] ورفع السلاح شهر ٣ هكذا من الطرفين ورواح ومجي. عند بعضهم.

[٤] — الاحد ، رحت [بستان] القطانه مع الناس حوالي . . حوالي [الصنارة] ورجعنا باب الجنين وبعده العويجي وجينا زوبعة ت ه ورجعت للصلاة عند السريان وبدير تبليط الخورس رخام يكون معه — الاثنين ، اجا زهورات للباشا ان يكتب عسكر باللاشي بوق بعروش هكذا سمعنا . وطلبوا الترابيه . وتقاتل سالمه ونقولاكي جامي وقعت[4] سالمه [من المدرسة]. — الاربعا ، اجا ريقا زلمت عجوري. . . كتبت ورقة وصول ٣٠٠ لوسان مخزوم اخت الخانم مراة خوري جرجس صباغ ولما قبضت الله الان. — الجمعة ، درب الصليب عندنا اي السريان .

١) يقلّبوا اي ينظروا هل هي موافقة فيطلبونها للزواج.
٢) لم تكن البلدية قد تنظمت بعد لتهتم بشؤون تنوير البيد في الليل.
٣) الترابية اي الضريبة على الاملاك . ٤) قلت اي طردت.

– السبت ، في ٢٣ شباط ١٨٥٦، في ١٧ جمادى الثاني ١٢٧٢

وسمعت ان سلطان النمسا وسلطان الموسكوب رايحين الى عند نابليون سلطان فرنسا بباريز لاجل عقد الصلح هكذا سمعت من الكازيتا.

[٤٢] ــ الاحد ، جبت فرخ ١ براق من [بستان] الزقازيق. ــ الاثنين ، بدير يلطوا الخورس بالنصف رخام وقبة الهيكل ما خلصت، [في كنيسة السريان] ــ الثلاثا ، صارت جمعية عند يوسف بك[1] يوسف باشا . [فاجتمع] الروسا. وكذبوا مطران الموارنة[2] وطلع نزقه من الباشا وما هو شي. مناسب ، الله يسترنا. ــ الاربعا والخميس والجمعة والسبت ، برد وافر زايد كثير وثلج ولاجل البرد ما قدرت اروح [الى الصيد] غير الاثنين والسبت وجبت درهم ٢٠ اليومين ــ والاثنين والثلاثا ، مطر وافر مبحبح. ــ والجمعة ، وديت الحساب لجرجي ضاهر ووصلني ٤٠ غرش من يعقوب خلعة ما رضيت رجعتهم لعنته.

– السبت ١ اذار غربي ١٨٥٦، في ٢٤ جمادى الثاني ١٢٧٢

وولدت سوسه دلال مراة يوسف حمصي وجابت بنت.

[٤٣] الثلاثا ، بديت مراة فرنسيس شوكتلي تقرا وتكتب [في المدرسة] وسمعنا مات مخائيل دياربكرلي بدياربكر الله يرحمه . ــ الخميس السكاره ، روم ، وصار حبة ثلج بعد الشمس ونهارها جايه القنصل الفرنساوي ، ويومها معزومين الروسا. والتجار لقراءة فرمان جايه من عبد المجيد عن التساوي [بين] النصاره واليهود والاسلام سوا ما في فرق بينهم غير الديانة وحاوى ١٣ او ١٧ بند لقد تعرف ان ساكوا بوجبه. والخراج بطّال وشهادة اليهودي والنصراني تسلك على المسلم. وقونصل الفرنساوي الذي اجا اسمه بنتيفوليو والذي قبله

١) كذا . ولعل يوسف بك قائد الجنود الحلبيين الـ١٥٠٠ الذين اشتركوا في حرب القرم في مصاف الجيش العثماني. راجع الطباخ: اعلام النبلاء في تاريخ حلب الشهباء الجزء ٣ ص ٤٤١ .

٢) المطران يوسف مظر المولود سنة ١٨١٤ ، المرسوم كاهناً سنة ١٨٣٨ واسقفاً على موارنة حلب في سنة ١٨٥١

وانعزل موسى كراسه. بديت رياضة مار فرنسيس[1] عندنا وعند بيت الياس ضاهر الله يتقبل.

[٥'] الاحد ، مرفع الروم تغديت بيت الدلال جات جاج وشوربه وماء صار مطر وكرز سريان.

– والاثنين ابتداء صوم الكبير روم في ١٧ اذار ١٨٥٦، في ٣ رجب ١٢٧٢

وسافر فتح الله عبجي الى عينتوره وقعد عندي تيناوي وغزال وحمصاني ووصلني خلعة نصر الله دلال ٤٥ جوخ وتفصيلة يزمك لكرزه اختي ومنديله لفافه وخلعة فرنسيس ضاهر جوخ دراع ٤ ٤ . . . ومن يعقوب خلعه ليره انكليزيه ٩٩ غرش من والدته. ــ السبت ، خلصوا المستقرضات[2] وبطق مرض الاربعاء هزة الحيط الله يشفيه. ــ الجمعة ، ولدت مراة فرنسيس عجوري جابت بنت. ــ الاربعا ، انتهت رياضة مار فرنسيس كسفاريوس عندنا وايضاً بيت الضاهر انتهت وعمال يغلّقوا[3] قبة الهيكل الوسطاني بكنيسة السريان وخلص الخوروس وبديو بتبليط الساط بركه قدام هيكل الوسطاني.

[٥'] ــ الاحد ، تغدينا ورحنا بعد الظهر [مع] كبابه وبليط وجماعي الى [بستان] بيازيد[4] وكانوا عمال يقطعوا اشجار من العويجي من طرف النهر، دردار. وقالوا مطلوب الف ٦ سمر[5] للدواب لاجل الانكليز. . . ــ الاثنين ، تفرجنا على خال مركوبولي مات وقبروه الله يرحمه. ــ الخميس ، بعد الظهر رحت الغسول واخذت الولاد . ــ الجمعة ، رحت الجناز . ــ السبت ، البشائر [او سبت

١) هي تسمية مار فرنسيس كسفاريوس حفظها الخليون عن الاباء اليسوعيين قبل الغاء الرهبانية اليسوعية في اواخر القرن الثامن عشر، ومارسوها في غياب المرسلين اليسوعيين لان هؤلاء لم يرجعوا الى حلب الا سنة ١٨٧٣ (راجع تاريخ ارسالية الآباء اليسوعيين في سورية للاب جوليان ٢ : ١٧٣) .

٢) المستقرضات هي الايام التي يستقرضها شباط من اذار .

٣) يغلّقوا اي يسدوا

٤) عند الناعورة ، قبلي قبة الشيخ سراج الدين في زاوية الأطاني
« دفن فيها الشيخ بايزيد من الكرام الاولياء معدود »

٥) سمر هو شجر له شوك .

النور] والاولاد تـلال ورحت القبار والريحاوي[1] وما جبت شي. ورجعت [حضرت] قداس العصر. وخلصت قبة الهيكل الوسطاني هذه الجمعة وبـلا صليب براسها حطوا واحد عياره لحين ما يركبوه ويصيروه. وجابت صبي مراة نعوم عبجي وسموه رزق الله.

– الاحد ، عيد الكبير غربي في ٢٣ اذار ١٨٥٦، في ١٧ رجب ١٢٧٢

ودرت عيدت وشلحت الفروه وكان هوا بارد. ــ الاثنين، رجعت لبستها... سافر مطران يوسف مطر مطران الموارنة ومعه قس لويس حكيم الى الجبل لان بده يصير مجمع عند البطرك. وتوفت مدول اجيرتنا. بنت بنت عمتي جابت صبي وماتت هي واياه الله يرحمها... ــ والسبت ، سمعنا ان بمصر كتبوا نظام ٤٠ الف ومنهم الاي نصاره الف ٤ بيرالاي ويوزباشيه واون باشيه وكلهم نصارى هكذا سمعنا. ــ الجمعة ، ولدت مراة دير اروتين وجابت بنت.

[٦'] ــ الثلاثاء ، ولدت مراة نصري خوري وجابت بنت. وسمعنا ان الصلح تم وارسل عبد المجيد ظهورات مطلب الباشي بوزق ١٥٠٠ الذين طلبهم سابقاً. ــ الجمعة ، وصلني خلعة عبدالله وكيل طاقة برصلي[2] بلفافه منديله.

– السبت ، في ٥ نيسان ١٨٥٦ ، في ٣٠ رجب ١٢٧٢

واولها الاحد انخطبت بنت صندوق بنت هيلانه الى ابن الحجار والاثنين انفكت هم فكوها.

[٦"] ــ الاحد ، ذبحنا طيور قوال ٣ وبعد الظهر [لعبنا] طاولة بيت سالم. ــ الخميس ، رحت جسر العوينجي وبيت باركر [الانكليزي] واضافوني خسات ٣ وولدت مرات الخياط جارتنا وجابت صبي ونهارها صيروا قداس وزياح بالشيباني [في كنيسة الفرنسيسكان] وراحوا كل الفرنساويه. وبعد القداس صار دعا لنابوليون سلطان الفرنساويه لان المذكور اجاله ولد ذكر وضربوا له طواب

١) جاء ذكره في منظومة الشيخ وقاء في اولياء حلب قال :
والفاضل المحترم الريحاوي بستانه المترهات حاوي

٢) شغل مدينة برصه.

عدة ١٠١ وبعده صار بالو عند الفرنساويه. وكان باشة حلب والفريق وعلي باشا ومرزيقه واچق باش. وصار فنطزيه عظيمه. وبديو يزينوا الشيخ يبرق لان بده الباشا يصير بالو بالشيخ يبرق[1] ويزقفه قماش والذين عمال يزينوه الكمركجي ورزق الله عجوري والذين يجيبوا اللوازم فيليب كوسا والياس انطون وبرتيه[2] وعمال ينظموا الشيخ يبرق. — الجمعة، ودعت سركياس لان المذكور رايح للقدس ومعه العيله وسخروني بمكتوب الى مخائيل انطاكي. — الخميس راح جرجي ضاهر من طرف القونصل [يحمل] خبر الى الباشا رسمياً انه صار صلح وذكر اسمه في التذكره قونصل المسكوب واخذ جرجي ضاهر من الباشا علبة ذهب.

— والتاريخ السبت في ١٢ نيسان غربي ١٨٥٦

وانختمت الشروط بين الدول في ٢٧ اذار غربي هكذا سمعنا. وبعد نعرف عما يجد ويومها ضرب الباشا طراب لاجل خبرية الصلح. واروني بيت اليان حصي كتاب كتابة طرابلوس بعقد وهو كتاب قانون كنائسي يخصهم.

١) الشيخ يبرق مقام في حي الشيخ ابي بكر. كان مزارًا. وقد ذكره ابو الوفاء في منظومته فقال (ص ١٢ من المخطوط)

والشيخ يبرق الرفيع القدر وهو براق عند من لا يدري
رباطه فيه مقار المرضى يعرض حالهم سقاماً عرضاً
يبيت فيه الزمن العليلُ باتيه ليلا هاتفٌ دليل
يقول يا هذا دواك في كذا فافعل لما قلت يزل عنك الاذى
بالقرب من رباطه قد دفنا مَنْ امهُ فخر النسا وارضنا
ذكره ابن الخنبلي في سفره في العلما منوهاً بقدره

ولما كان مقام الشيخ يبرق شرحاً صالحاً للنزهة صار الناس يقصدون اليه لا للصلاة ولكن لترويح النفس فيأكلون ويشربون وينشدوا الاغاني على اسمه فقالوا:

جاني بالشيخ يبرق جاني وحوله كبه بصواني
حابب معه كبه بكشك بتقلي زي النيران
نحكيلك عن المطابق اكلن بالبصل بليق
والباعن يبلي بتعليق رايح يقطع مصراني».

٢) برتيه. استعمل المعلم البخاش العلامة السريانية للكسر القصير دليلًا على اللفظة الافرنسية ه.

[٦'] ــ الاحد ، رحت الى [بستان] الدباغة وكان فتح الله كبابه وما طالعت شيء. وفتحوا بجنينة القطانه قهوة وقطعوا الجنينة بحيط... ورحنا [بستان] الناعوره [وبستان] المصلي... وكان زينه بالبلد يوم وليله ــ الاثنين والثلاثا والاربعا ، داروا اوراق عزعه للبالو بالشيخ يبرق للتجار والافرنج. ويختم قومسيون فرد ختم جمعية وانا تفرجت من بيت الضاهر من السطوح على الحراقة والفتاش وانصرفوا الناس الساعة ٥ والنصف عصلية وانجمعوا الساعة ١١ من النهار وشكرالله قرالي وقع وداسته البغلة وفصدوه. وسمعنا ان اناس تجاوزوا الحدود اي راحوا لغير مكان المعيّن الذي لهم بالشيخ يبرق . قلعوهم . واناس دركاوهم واناس ضربوهم كفوف. ــ الخميس، اجا خبر من اهل مرعش حرقوا الانكليزي الذي عندهم موجود لاجل مهمات الانكليز واولاده وبناته وامراته لماذا لا نعلم بعد نعرف . وهيكل الوسطاني اليوم خلص [في كنيسة السريان] وسطانيه بركة سماط نواعم.

– والتاريخ السبت في ١٩ نيسان ١٨٥٦ ، في ١٤ شعبان ١٢٧٢

[٧'] ــ الثلاثا ، سمعنا ان نابلوس قاموا على الافرنج ومرادهم قتل القناصل فركضوا ولحقوا المراكب وكسروا اهل البلد بنديرتهم وقالوا ان ازمير ايضاً قتلوا واحد جنتار وبعض فرنساويه والله ينجينا من شر هذه السنة. ــ الخميس ، الاولاد قلال رحت صبحية الريحاوي وتلاقيت مع مراة كوبا وبناتها ولوسيا واولادها ولويس وفطرت معهم قديد ورز بعسل وحليب ورجعت. وسمعت طلب اليأكوسا بنت الياس اسيون اخت مراة الياس ضاهر.

– الخميس التاريخ في ٢٤ نيسان غ ١٨٥٦، في ١٩ شعبان ١٢٧٢ .

واسلام بلدتنا مزربنين[1] الله اكبر منهم.

– الاحد ، عيد الكبير غربي في ٢٧ نيسان ١٨٥٦، في ٢٢ شعبان ١٢٧٢

[٧'] وردت عيدت وتغديت جات بيت غزاله وصار وقتها بخة مطر وبعده عيدت. ــ الاربعا ، اجا انطون فرقوعه من مصر وحده فطرنا شعيبيات

١) مزربنين اي يعبسون بوجهنا كانهم يضرون لنا شراً.

بالبيت عندنا. — الخميس ، الصعود غربي ودرت بالصانح وتغدوا عندنا بنات اختي لرسيا. وبناتها ومراة ابن عمي يوسف وابنها ويومها كان الناطور ناظم [نزهة] بستان للتجار [بستان] ابراهيم اغا وكان نوبة اچق باش. — الاربعا ، بديت رياضة شهر المريمي عندنا بالبيت. — اولها سافروا الزوار لدير مار جرجس وراحت مراة انطون حموي وبنتها وانطانيوس عازار ايضاً وراح مقدار صناعيه ٥٠٠ للدير. . . قعد عندي حصاني وابن دير ميكائيل كتابه وبطلت سوسه [من المدرسة] لان قريب نقشها. — الجمعة ، ارسلت مكتوب لانطانيوس لادنه.

[٧] — الاثنين ، جاوريوس روم والاولاد قلال ودرت عيدت. — الثلاثا ، قرّيت وكتبت. — الجمعة ، ولدت بنت عجوري غرة مراة رعد وجابت صبي. — الخميس ، بالليل اخذوا جحش بن صندوق ونهبوا دكان الصياغه قالوا مقدار ٢ الف غرش والاتان ٧٠٠ وما نعرف من هو الذي نهب

– والتاريخ السبت في ١٠ ايار ١٨٥٦ ، في ٦ رمضان ١٢٧٢

[٨] الاحد رحنا بستان القواس. . . وضربنا ترغل ١ وسمك انكليزيات ٣ — الاربعا ، اجوا الزوار واجوا اولاد البردخجي نعوم وعبدالله وشكر الله من برصه وسلمت عليهم وتمشيت عندهم. — الخميس ، سلّمت على عازار ومراة انطون حموي واجا بن نجم خال الاولاد البردخجي وصار له زمان مسافر. — السبت ، صبحت عيي عمال توجعني ووصف الحكيم ماء بارد وقال حماوه. واكلت درهم ١٠ معجون الورد الله يعطي الشفى ان كان يتمجد اسمه الكريم.

– السبت في ١٧ ايار ١٨٥٦ ، في ١٣ رمضان ١٢٧٢

— والاثنين ، اجا ابو تركماني من ادنه. — الخميس ، تصالحوا بيت الظاهر مع بيت مخائيل صايغ يكون معلوم. — والسبت ، دفعت للحكيم أجلد الصغير ١١ [غرشاً].

[٨] — الاربعا ، اجا يوسف حجه من ازمير — والخميس سقيت تنينة[1]

١) كان بعض الطبيبين يقصدون لدواء اخترعوه او حفظوا سر تركيبه فيستعونه للرعية او غير ذلك.

الى نيقولاكي من بيت قرالي.

– السبت ، في ٢٦ ايار غربي ١٨٥٦ ، في ٢٠ رمضان ١٢٧٢

وانعزمنا ليلة الاحد بيت البطق بالو ما رحنا وكان قونصل الفرنساوي ونوبة اچق باش.

[٨٢] ــ الاحد ، رحنا بستان القواس واولاد الضاهر وعجوري وثابت واخذت انكليزيات وبياضه وهم اصطادوا ترغل وسمرمر ومساء قلينا وشوينا. ــ الثلاثا ، اجا سوكياس من القدس واجوا بيت اسكندر البغادله واجا قسيس موصلاوي من مدرسة رومية ابن البتي اخو يوسف بني... ــ الخميس ، اخر زياحات عيد الجسد وكان مطر كل النهار مطر وافر وبرق ورعد. ــ والجمعة ، عيد قلب يسوع وانتها شهر المريمي.

والسبت في ٣١ ايار غ ١٨٥٦ ، في ٢٧ رمضان ١٢٧٢

واجانا جبنه من عند صلابا رطل ٦ سعر ٨ ونصف وبعثت الحساب الى جارنا نعوم سالم. وكان عرس انطون كردي.

[٩١] الخميس اجا عسكر خياله مقدار ٨٠٠ من ارزلوم وانعزمت لمشورة مدول ضاهر من انطوناكي وقلت ان اراد الله اروح. ــ السبت ، انعزمت لبيت الوكيل عجرت عروس بن يوسف رباط وقلت ان اراد الله اروح.

– وكان التاريخ في ٣٠ آب غربي ١٨٥٦ ، في ٢٩ ذو الحجة ١٢٧٢

[٩٢] ــ الاحد ، كنت سهران بالليل بيت الوكيل لبكره وكان عجرة امراة بن يوسف رباط وصليت الاولى عند الموارنة ورحت صبحية [عند] باب الجنين [للعيد] ورحت الساعة ٣ وقت الظهر وبعد الظهر رحت مشورة مدول ضاهر وسمعت ان نصرالله دلال كان عمال يلعب بالطاولة ام بالقمامة فنزل عليه نزل وانفشل فمه وارتعبوا اهل بيتهم وما راحو لمشورة ابن بطرس جمعي وانا رحت قبل المغرب شرفت[1] عليه. شي. مبين الله ينجينا. ــ الثلاثا ، رحت

1) شرفت عليه : اي عدته.

وحدي للصيد الى بستان الشيخ طاها وضربت بالتفنكه التي لبكري شيخ البستانيه وما جبت شي.ـــ الاربعا ، اخذت تتن بستاني رطل ٥ سعر ١٢

– السبت في ٦ ايلول غربي ١٨٥٦ ، في ٧ محرم ١٢٧٣

ـــ الجمعة ، اجا عسكر مقدار الف واحد هكذا سمعت والخميس جابت صبي مراة حنا دير اروتين.

[٩٢] الخميس كنت معزوم بيت نعوم ضاهر لعبرة مدول بنت اخوه ورحت س ٨ وتمينا للثلاثة عصليه.وجاب جبرا فستق رطل ٣ سعر ٦ والنصف.

– السبت التاريخ في ١٣ ايلول غربي ١٨٥٦ في ١٤ محرم ١٢٧٣

ـــ والاربعا ، جابت صبي مرات نقولا هلال بنت زمريا.ـــ والاثنين ، مراة فتح الله بطق صبي . ـــ والسبت ، توفت مراة حنا صايغ ام مخائيل وجبرائيل الله يرحمها.واجا نصرالله خوري من بيروت.ـــ الثلاثا والاربعا ، اخذ الحساب الياس جبامي لابوه.

[١٠١] راحوا اهلي بيت نعوم سالم كان نوبة اجق باش وانعزمنا الى نقشة مدول بنت الياس ضاهر.

– السبت في ٢٠ ايلول ١٨٥٦،في ٢١ محرم ١٢٧٣

ان شاء الله سنة مباركة.

[١٠٢] ـــ الاحد ، ماتت بنت يغمور مراة بن بهنا عروسة سنة.
ـــ الخميس ، سمعنا مات بطرس بيازاوغلي الله يرحمه بديار بكر او بالموصل.
ـــ الجمعة ، جبنا عنب صندوقه ٢ غرش ١٠٧ وكبسناه عرق ان اراد الله تعالى مشروب الهنا والسرور.

– السبت في ٢٧ ايلول ١٨٥٦، في ٢٨ محرم ١٢٧٣

وكتبت مكتوبين لادنه ومرسيليا وطلع يوسف قاق من عند اهله وافترق منهم.ورفعوا حيط بين كور مصري والشابندر لان اشتراه مشوكه (؟) بن الياهو بجوت.

[١٠] ــ الاحد ، انعزمنا كلنا لعماد ابن البطق وراحوا اخواتي وانا رحت لسبوع بنت الحمصي وانبسطنا وكان الاجق باش. ــ الاثنين ، سبوع النسوان وراحوا اخواتي معهم للسبوع ورجعوا س ٥ من الليل.

– السبت في ٩ ت الاول ١٨٥٦، في ١ صفر ١٢٧٣

وسافر الاحد اولها فتح الله كبابه الى سعرت مع الشماس عبوش الله يكون معه. وفتح الله بن نعوم غزاله مريض الله يشفيه. ــ الخميس ، كتبت عرضحال الى حنا نعمان الى ادوار باركر [الانكليزي]. ــ الاربعا ، توفي الشماس انطون شماع الله يرحمه في ١٩ ايلول. والسبت صار حريق بيت المطران الموارنة بيت مطر واحترق مربع وناموسيه ولبش المربع وكانت مراة اخو المطران بالناموسيه وجابية بنت قبل يومين ثلاث وارتعبت وهي بنت ضوناتو انطون.

[١١] ــ الاثنين ، مطره وافره رعد وبرق وصعقات. ــ الخميس توفت مراة دير اروتين الأم. ــ الجمعة مساء عيدت خاريطون.

– في ٩ ت الاول ١٨٥٦، في ١٠ صفر ١٢٧٣

انتهى ٣٩ وبتدا ٣٠ سنة لافتتاحي المكتب ان اراد الله ينجينا لامثالها بجاه اسمه العظيم. ــ بن ــ فر شكر الله بردخجي الى بحر الاسود يوم المطر. وانا انعزمت [illegible] ١٠٠ غليط يوم الاحد ومعي خواتي بعد الظهر واوعدت ان عشت اروح.

[١٢] الاحد ، ويومها سافروا يوسف شوكتلي الى اسكندرونه مصر ومتى شكر الله تقوم في البلاد ومراته معه للدوره والتنزه والقس موسى معلم مدرسة التي للموارنة[1]. ــ الخميس ، توفت مراة انطون خاطي اخت الياس ضاهر. ــ الجمعة ، توفت سوسه بنت رزق الله حمصي امها بنت كوبا عمرها ١٤ مرضت يوم واحد وماتت صبية الله يرحمها. وماتت بنت الياس بخاش صبية الله يرحمها.

١) مدرسة الموارنة نظمها المطران يوسف مطر وكان من معلميها جرجس زوين والخوري موسى كرم والقس انطون معوض والقس اوغسطين عازار وغيرهم. راجع ترجمة المطران يوسف مطر في كتاب برنامج اخوية القديس مارون ليوسف خنتار غانم، ص ٢١١

– السبت ، في ١٨ ت ١ ١٨٥٦ ، في ١٩ صفر ١٢٧٣

[١١'] ــ الاحد ، عرس بن عيواظ لابن بنة جبرا زرزور. ــ الاثنين ، سافر فتح الله بليط ومعه واحد اخر حتى يلحقوا بولاكي الرومي انكسر وغط المذكور عليه دين للبليط ماية الف ولعبدالله باسيل ٣٤ الف ولبيت غيرهم الف ٣٠ ولعبدالله ثابت الف ٣١ الله ينجينا من التلفيص[1].

– السبت في ٢٥ ت الاول ١٨٥٦، في ٢٦ صفر ١٢٧٣

ــ والسبت ، كتبت مكتوب وارسلت لاجل مسواق القطن بولسه ليره مجيديه ١٠٠ من كركور سيوفي وبديوا بالديوان[2] وكيل مخائيل وخشنه وبراهمشاه من الثلاثا.

[١٢'] ــ الخميس ، كتبت مكتوب لادنه بارسال القطن الى سلامبول لانطانيوس بن اختي.

– والسبت في ١ ت ت ١٨٥٦، في ٣ ربيع الاول ١٢٧٣

– والسبت ، رحنا جسر الحجاج وكان الحجاج جاين وضرب تفنك.
ــ والجمعة ، واحد غاوي واجه الباشا وراح شيخ يبرق ضربوا له طواب عده ١٢ واجت من اللاذقية برباره ليان وتكلل الياكوسا . ــ السبت جميع القديسين غ [حساب غربي] على بنت الياس اسيون مدول.

[١٢'] ــ الاثنين ، بديت تقرا مدول حصي وتكتب وروظه مرات نصري شوكتلي بديت تقرا.

– والجمعة التاريخ في ٧ ت ت غربي ١٨٥٦، في ٩ ربيع الاول ١٢٧٣

واجت برباره اليان من اللاذقية وشوي مريضه . ــ والسبت ، حرقت الفتر بيت سميان.

[١٢'] الاثنين ، ماتت ام نعوم صاجاتي اخت البطق انطون. ــ الاربعاء

---

١) التلفيص اي عدم الترتيب في الشغل.
٢) ديوان الخوري نقولاكي الصايغ او جرمانوس فرحات.

اجت مراة مخائيل انطاكي من اسكندرونه وبنتها التي اخذها ملحم . والاحد مساء سلمت على بربارة ليان وارسلنا مكتوب لادنه لاجل توقيف المنكسه والقطن وكربا احسن من اول وطاب الحمد لله . — والخميس ، زارت كزه عند لوسيا بنت اختي ومراة سالم مريضه والان طابت .

— والتاريخ السبت في ١٥ ت ت ١٨٥٦ ، في ١٦ ربيع الاول ١٢٧٣

— والجمعة ، اجت البوسطه وذكروا ان النمسا ما فضوا [بلاد] الفلق والبغدان لان ما جرت الشروط . واثنين فرنساويه اجوا لاسلامبول لاجل التلغراف سمموهم وماتوا . وصدر اعظم عزل ذاته وشيخ الاسلام طلب العزلة ايضاً . والانكليز ما انعطى لهم امر لاجل درب الحديد . والدنيا ملغبصه وباسلامبول مزربنين الاسلام وعمّال سب نابوليون والصليب والنصارى والله ينجينا من شرهم . وكان مزمع يصير حرب مهول بين الدول ونابوليون ما بيريدوه اهل فرنسا . هكذا سمنا كأن الصلح ما ختم على خير ، الله يكملها بالخير . ومراة عبد الله ثابت جابت صبي ومراة دير اروتين ولدت وانتقل انطون دير اروتين ابو الاولاد الى الحوش العالية فوق باب كنيسة الموارنة .

[١٣'] — الاحد ، باركت لكوسا بالعروس ويومها اجا نعوم بخاش من الشام ومساء سلمت عليه . — الاربعا ، عطست وتغير كيفي . — الخميس ، شربت جاي البرتقال . — الجمعة ، سويت معجون الورد درهم ١٠ ودست بالاكل على حجر تزعزع درسي[1] كذلك باذناب الفجل وكذلك بالرز . — السبت ، رجعت جاي البرتقال لان الختفة ما راحت . — والجمعة ، نوب كثير كثير . وقس بولس طاب . ومراة الوكيل وغزاله وكربا للان مرضنا وغره سالم علقت علق الاثنين يكون معلوم .

[١٣'] — الثلاثا ، مات بن فيلكروز بروسبر الله يرحمه .

— السبت في ٢٩ ت ت ١٨٥٦ ، ١ ربيع الثاني ١٢٧٣

وطلبوا مني ٨٥ لاجل البدلية انقضت بتسكرة ٢ و٦٠ غرش . واجا كتاب

١) اكلت طعاماً فيه حجر او حصاة .

من انطانيوس بنلاقة مسراق القطن.

[١٣٢] ــ الاحد ، دفعت البدليه لقندلفت[1] السريان يوسف دنبكلي ٦٠ ــ والسبت ، نيقلاوص غ شلفوه الى الاحد في ٦ كانون الاول ١٨٥٦ في ٩ ر ت ١٢٧٣. ــ الاربعا ، دفعت الى كسبار قاطرجي كلز ليره انكليزيه عدد١٢ سعر ١٢٤ بناء شراكة بيني وبينه. ــ والسبت ، كتبت الى تخواجه كورونلي اوراق[2] ٢ كورونلي وكنيدر وشركاهم بجلب خط مشق ورفيع.

[١٤١] ــ الاربعا ، شربت زيت خروع درهم ٢٠. وما اشتغل الا قليل وبالليل دواء من عند انطون جد الصغير. ــ والخميس زيت ايضاً مثل الاول ودهن القبار وورق النارنج على معدتي قضى شغله وركن الجمعة الحمد لله. وتوفي يومها رزق الله فتح الله عبجي وكان له عليل مقدار سنة والنصف والله يرحمه.

– السبت لوسا غربي في ١٣ كانون الاول ١٨٥٦ ، في ١٦ ر ت ١٢٧٣

ــ والاربعا اجاني ترتون ٢٠ وزعرور ٦ من كلز من كسبار القاطرجي.

[١٤٢] ــ الثلاثا ، بدو صوم الميلاد وانا ما صمت فقط الاربعا[3]. ــ والجمعة قعد عندي بن الياس عرتنجي نعوم وكان البربارة. ــ الخميس ، الاولاد قلال ودبت عيدت نيقولاوص ومساء رحت الدباغة مع نعوم الخوري الاطرش.

– السبت التاريخ في ٢٠ كانون الاول ١٨٥٦ ، غربي ٢٣ ر ت ١٢٧٣

ــ الخميس ، سمعنا انه بده يصير ميري على التتون الاقة ٨ غروش والعرق ايضاً والان ميري التتون من ٢ الى ٤ الى ٦ وكسبار جاب ملفوفات ٦ ارمقان سعر ١٠.

[١٤٢] ــ الاحد ، ضربت عصفور ٤ بالحوش فرد دكه[4].

– السبت في ٢٧ كانون الاول ١٨٥٦، في ٣٠ ربيع ثاني ١٢٧٣

ــ والجمعة ، فطرت بيت الياس ظاهر قراص وقدير وتغديت بيت البطق

١) والقندلفت كان يسلمها لوكيل الطائفة لكي تُدفع لخزينة الحكومة.
٢) قد تكون على هذه الاوراق عناوين كتبها البخاش عوض الطبع.
٣) فقط اي : الّا ٤) دفعة واحدة.

مع الشيخ الرويتني وذكروا عن تعليم عطش ناري[1] من اول الجمعة الى الان ما صار.

[١٥١] ــ الخميس ، راس السنة ١٨٥٧ سنة مباركة فايضة الخيرات ومدرة السرور والبركات.

– السبت في ٣ كانون الثاني ١٨٥٧، في ٧ جمادى الاول ١٢٧٣

[١٥٢] ــ السبت ، بالليل كان عرس فيكوره الى بنت موسى موليناري في ١٠ كانون الثاني ١٢٥٧ وولدت مرات نعمة الله غزال وجابت بنت وركبوا عواميد ٤ لهيكل مار جرجس.

[١٥٣] ــ هذه الجمعة ركبوا للهيكل الركايز فوق العواميد لاجل القبة.

– والسبت في ١٧ ك ٢ ١٨٥٧، في ٢١ جمادى اول ١٢٧٣

واجا امر[2] لبطرس حصي ان يأخذ بنت عمه بطرس روزين.

[١٦١] ــ السبت ، ارسلنا ورقة البوله شحن القطن ومعيا التعريفه لانطانيوس

– في ٢٤ ك ٢ غربي ١٨٥٧، في ٢٨ جمادى الاول ١٢٧٣

وسوسه مراة الياس كوبا جابت بنت.

[١٦٢] ــ الاحد الروم قراو منشور باتباع الحساب الغربي من بطركهم وسمعنا ان الموسكوب اتبع ايضاً من راس ٥٧١١ وبخشش علايف العسكر يوم ١٢ وايضاً الكمارك هكذا سمعت. ــ والاثنين، مساء انعزمنا بيت عمي فتح الله بخاش بنوبه الى بكره وعشا وكان بيت الناقوز وستوها خطبة رزق الله ابنه بعنتاب لان المذكور خطب بنت اكوب تاجر اوغلي. ــ السبت ، سعد الذابح واول ٥٠ . ــ والجمعة ، اجا رزق الله ثابت من السفر وجابت صبي بنت بنت عمي مريم بنت جبرا بخاش مراة الكردي صبي (لها صلة)

١) اي اطلاق العساكر الرصاص على سبيل التمرين فيطحون عن الناس لئلا يتعرض هؤلاء لمواضع التمرين فيصابوا برصاصة طائشة. ٢) تفسيح.

شذرات

معهد الآداب الشرقية

منهاج الدروس للسنة ١٩٣٧—١٩٣٨

نال المعهد ، اعتبارًا من هذه السنة الدراسية ، رعاية جامعة ليون. فاصبح من حقّه ان يولي طلّابه شهادات بالشؤون الشرقية معادلة لشهادات الليسانس الرسمية . اما شروط الانتماء اليه وموعد القاء المحاضرات والدروس فلا تزال كما كانت ، على ما لخّصناه في مشرق السنة ١٩٣٤ (ص ١٣١—١٣٣).

واما منهاج الدروس في السنة الحالية ١٩٣٧—١٩٣٨ فهذا تفصيله :

١ً اللغة العربية وآدابها

ا — عواصم الأدب العربي : السلسلة الخامسة :

قرطبة ، غرناطة ، اشبيلية ، عواصم الأدب الاندلسي.

١٥ اشولة يلقيها فؤاد افرام البستاني ، استاذ الآداب العربية في جامعة القديس يوسف ، من ١٣ كانون الثاني الى ١٢ ايار ١٩٣٨ ، على الترتيب التالي :

١ — فتح اسبانية

٢ — قُرْطُبة :

ا — بلاط الأمويين الاندلسيين : عبد الرحمن الثالث ، الحَكَم الثاني . . .

ب — الحركة الادبية : ابن عبد ربّه.

ج — الحركة الفلسفية والعلمية : ابن حَزْم ، ابن رُشد ، ابن ميمون.

٣ — إشْبيلية :

ا — بَلاط آل عبّاد : المعتمد بن عبّاد.

ب — الفنّ والموسيقى والشعر : ابن حَمديس ، ابن هاني ، ابن قُزمان.

ج — الحديث والتصوّف : إبنا العربي.

٤ — غَرناطة :

ا — بلاط النصريين بني الأحمر.

ب – الفلسفة والعمران : ابن طفيل ، ابن خلدون .
ج – الشعر : ابن الخطيب – قبة الموشحات الشعرية .
د – نظرة عامة في المدنية الاندلسية

ب ــ تمهيد لدرس الفراماطيق المقارَن في اللغات السامية

٣ اشولات يلقيها الاب ه. فليش اليسوعي ، خرّيج مدرسة الدروس العالية ، والحائز على شهادة مدرسة اللغات الشرقية الحيّة ، ومعهد التصريف اللغوي . من ١٩ الى ٣١ ايار ١٩٣٨

٢ً التاريخ والآثار القديمة في سورية وفنيقية

ا ــ المدنية اليونانية - الرومانية في سورية

٨ اشولات تمهيدية « لشهادة التاريخ والآثار القديمة في سورية وفنيقية ، في العهد اليوناني–الروماني » ، يلقيها الاب رينه موترد اليسوعي ، مدير معهد الآداب الشرقية ، من ١٥ كانون الاول ١٩٣٧ الى ٩ شباط ١٩٣٨ ، على الترتيب التالي :

محاضرة تمهيدية (٢٦ تشرين الثاني ١٩٣٧) : جوبيتر البعلبكي، استناداً الى ابحاث الاب سبستيان رونزفال .

١ – اشهر التواريخ وأبرز النزعات في الامبراطورية السلوقية .
٢ – اصطناع العادات الفنيقية والسورية بالصبغة اليونانية ، في صور (ملقارت ، اشمون ، أستارتي) ، وبيبلوس (ادونيس ، فينوس) ، وبيريت (بعل مرقد) ، ودمشق (زفس ، أثرْ كاتيس) .
٣ – الحياة المدنية ، الألعاب ، المسارح .
٤ – عمل السوريين من الفكرة والفنّ في العصر اليوناني–الروماني .
وهناك قارين عامة تتمّم هذه الدروس .

ويلحق بها محاضرة للاب ميريان اليسوعي ، الاستاذ في كلية اللاهوت (٢٣ شباط ١٩٣٨) بعنوان : هيكل القديس سمعان العمودي الصغير : التصميم والفسيفساء . (نتيجة حفريات السنتين ١٩٣٦ و١٩٣٧) .

ب ــ العِرافة في العصر اليوناني القديم

٥ اشولات يلقيها الاستاذ فلاسلّيير ، المحاضر في كلية الآداب في ليون ، من ٢ الى ٢٤ اذار ١٩٣٨ ، على الترتيب التالي :

١ – اساليب العرافة الاستقرائية ، وانواعها . صفة العرّافين .
٢ – العرافة بالمشاهدة السرّية . في بلاد اليونان وفي سورية .
٣ – دلف : تاريخ العرافة فيها : ازدهارها وانحطاطها .

٤ – دلف : اسارب عرافتها.

٥ – العرافة والفلاسفة : افلاطون ، ارسطو ، اتباع زينون وابيقور ، فارتارك ؛ النصرانية – نتائج البحث.

وهناك تمارين عملية اسبوعية تتمم هذا الدرس.

ج ــ الصليبية في التاريخ والشرع في القرون الوسطى

٤ اشولات يلقيها الاستاذ ميشال فيلي، حامل شهادة الليسانس بالادب والحقوق ، وشهادة الدروس العليا ، من ٢٤ كانون الثاني الى ١٤ شباط ١٩٣٨ ، على الترتيب التالي :

١ – اصول الصليبية وانشودة رولان.

٢ – الحملة الصليبية الاولى ، وتأسيس الامارات الفرنجية في سورية.

٣ – حق الصليبية ، وصليبيات الغرب.

٤ – آخرة الدول الفرنجية في سورية . – النتيجة.

يتبع هذا الدرس محاضرة للاب غوستاف نيرون اليسوعي ، الاستاذ في كلية اللاهوت (١٧ كانون الثاني ١٩٣٨) عنوانها : شارلمان والبابوات والشرق.

د ــ بلاد العرب السعيدة
في بلاد اللؤلؤ والبترول

اشولتان للاب هنري شارل اليسوعي ، حامل شهادة الدروس العليا ، واللغات الشرقية العليا ، في ١ و٧ كانون الاول ١٩٣٧.

٣ً اللغات الشرقية القديمة

يحق لطلاب هذا المعهد ان يتابعوا دروس الكلية الاكليريكية في جامعة القديس يوسف في ما تعلق باللغات الشرقية القديمة :

اللغة العبرية : يلقي دروسها الاب بول موترد اليسوعي ، الاستاذ في كلية اللاهوت (الثلاثاء والسبت).

اللغة السريانية : يلقي دروسها المونسنيور ميخائيل الرجي ، رئيس كهنة الكاتدرائية المارونية (الخميس).

اللغة الارمنية القديمة : يلقي دروسها الاب مصيريان اليسوعي ، الاستاذ في كلية اللاهوت (الخميس ، من كانون الاول الى نيسان).

٤ً علم الشؤون الارمنية

تاريخ ارمينية ومؤسساتها من القرن الخامس عشر الى الثامن عشر

١٠ امثولات يلقيها الاب مصيريان اليسوعي، من ١١ ك٢ الى ٢٢ اذار على الترتيب الآتي: مصير الشعب الارمني بعد فقده استقلاله:

١ – الإطار السياسي لتاريخ ارمينية العصري: ارمينية في الحروب التركية - الفارسية، والروسية - الفارسية. – الشاه عبّاس الاول والارمن. – ملوك كَرَباغ. – ملحمة اسرائيل اوري وداود بك. – محاولات التخلّص على عهد كاترين الثانية.

٢ – حياة الشعب الأرمني: المجتمع العام. – القوافل التجارية. – الارساليات الغربية في ارمينية. – انبعاث الديورة الوطنية ومنافساتها.

٣ – الآداب الارمنية: اللغة، وادب الاتفال. – المنشدون الأرمن. – محاولات الطباعة. – الاب غيتار وأثره. وهناك تمارين عملية تتمم هذا الدرس.

هرمان هردر ١٨٦٤–١٩٣٧

نُعي الينا عن فريبورغ (بريسغاو) الدكتور هرمان هردِر مدير مكتب النشر المعروف في العالم العلمي قاطبة باسم هِرْدِر. توفّاه الله في ١٩ تشرين الاول من السنة الحالية عن ٧٣ سنة خدم فيها العلوم والآداب الكتابية الكنسية خدمةً جليلة بمنشوراته المتعدّدة، وما اتصف به من سعة نظر، وصدق عزيمة، وثبات متواصل. كلّها صفات اخذ بها في ادارة مكتب النشر الشهير الذي كان جدّه قد انشأه في فريبورغ سنة ١٨٠١، ثم ترك ادارته الى ابنه والد الفقيد، منذ السنة ١٨٣٩ الى السنة ١٨٨٨. وفيها ورث الفقيد ادارة العمل. فاتمّ المنشآت، واقام البناية الفخمة الماثلة اليوم، واسس الفروع المتعدّدة في مدن المانية وغيرها كرومة، وبرشلونه، ولندرة، وطوكيو... ورافق هذا النشاط المادي نشاط آخر في التأليف والنشر، فظهرت عن مطابع هردر المعاجم العامّة في اللاهوت الكنسي، والتآليف الواسعة في الفلسفة واللاهوت بالالمانية واللاتينية. وكان منها ما تُرجم الى عدة لغات كتاريخ البابوات لپاستور، والتاريخ المقدس المنقول الى ستين لغة، وحياة المسيح لويلّام المترجمة الى عشر لغات.

«فالمشرق» يشاطر اسرة هردر حزنها واسفها متمنّياً ان يكون في صهر الفقيد، الدكتور تيوفيل هردر - دورنيخ خير خلف لخير سلف.

مطبوعات شرقية جديدة

CHRISTOPHORUS BERUTTI, O.P., Institutiones juris canonici. Vol. III, De religiosis. In-8°, XVI+384 pp. Torino, Marietti, 1936. Prix : L. 25.

مبادئ الحقّ القانوني : الجزء الثالث

يتضمّن هذا المجلّد عرض نصوص المواد ٤٨٧–٦٨١ من الحقّ القانوني، وما تتطلّب من شروح وتأويل قامت بها اللجنة الخاصّة . ثم يهتمّ المؤلّف بدرس حالات المعرّفين ، والراهبات ، والرهبان من الذين تُفرض عليهم الخدمة العسكرية . وما قد يعرض للناذرين من رغبة في الخروج من نذورهم، او من إخراج.

يظهر الكتاب تامًّا جزيل الفائدة لطلّاب اللاهوت في آخر سنواتهم الدراسيّة ، ولرؤساء الرهبنات عامّة ، كما يفيد قضاة الدواوين الاسقفية في درسهم الدعاوي المختصّة بالرهبنات. ج.ل.

M. COSTA A CORONATA, O.M.C., Institutiones juris canonici ad usum utriusque cleri et scholarum. Vol. V, Index rerum totius operis et [illegible]. In-8°, VIII+388 pp. Torino, Marietti, 1936. Prix : L. 20

مبادئ الحقّ القانوني : الجزء الخامس

هذا فهرس عامّ يسهّل استعمال الكتاب المذكور ، يحتوي فوق ذلك ، على جدول باسماء المؤلّفين في الحقّ القانوني تسميةً وحديثاً ؛ وعلى ملحق في بعض الوثائق البابوية المختصّة بالموضوع نفسه.

GERSTER A ZEIL, O.M.C., Sacramentum Extremae unctionis. In-8°, IV+80 pp. Torino, Marietti, 1936. Prix : L. 4.

سرّ مسحة المرضى

هو كتيّب صغير ، ولكنه جزيل الفائدة ، اذ يجمع في سبع فقرات كل ما يتعلّق بسرّ مسحة المرضى استنادًا الى تعليم جمهرة اللاهوتيين ، ولا سيما تعليم القديس برناونتورا.

AL. MORETTI, Caeremoniae juxta ritum romanum seu de sacris functionibus. Vol. I. De quibusdam notionibus sacram liturgiam respicientibus. In-8°. VIII+260 pp. Torino, Marietti, 1936. Prix : L. 12.

في الطقس الروماني : الجزء الاول

عُقد مؤخرًا في جنوى مؤتمر طقسي كان من مقرّراتــه الرغبة في ان تجمع بقانون خاصّ كل الانظمة الطقسية المتعلّقة بالليتورجية الرومانية . ولا يخفى ما في تحقيق هذه الرغبة من صعوبات. على ان المؤلّف الحاضر يرمي الى تسهيل هذا المشروع ، عارضاً في الجزء الأول ما يتعلّق بالمدلولات الطقسيّة.

Dr JOSEPH HOLZNER, Paulus. In-8°, X+458 pp. Fribourg en Brisgau, Herder, 1937. Prix : M. 5,60.

حياة القديس بولس

هذه ترجمة جديدة للقديس بولس وضعها المؤلّف في سبيل جمهرة القرّاء من ابناء اللغة الالمانية ، منصرفاً ، في مرماه ، عن الاختصاصيين في الموضوع . على انهم قد يستفيدون من ملاحظات عدّة ، فوق ما يستفيده جمهور القرّاء من امثال وعِبَر . ولا نعرف ، في هذا النوع ، ما يماثل الكتاب الحالي في تنسيق موادّه ، وترتيبها الى احياء الرسول الكبير في شخصيّته ، وفي البيئات المتنوّعة التي كان له ان يتنقّل بينها ، ويبشّرها . وقد دقّق المؤلّف في اظهار ما اتّصفت به تلك الشخصية القويّة من صرامــة وقوة ارادة ، وثبات عزم . ويزيّن الكتاب ٤٧ رسماً في ١٦ لوحة متقنة الطبع. ب.م.

Essai d'une somme catholique contre les Sans-Dieu, sous la direction et avec introduction D'IVAN KOLOGRIVOF. In-8°, 565 pp. Paris, Spes, 1937. Prix : 15 fr.

محاولة في جمع البراهين ضدّ الملحدين

غاية هذا الكتاب الردّ على مجلّد يحمل على فكرة الدين ، نشرته ، سنة ١٩٣٣ ، الادارة المركزية لاتحاد منكري الالوهية في روسية السوفياتية . وقد جمع هــذا الردّ ملاحظات وافكارًا نيّرة رتّبها الناشر وفقاً لرسم الكتاب الكفري ، معيناً كلّ من شاء محاربة تلك الفكرة الهدّامة ، مقدّماً له معلومات

وبراهين غاية في الدقة . وفي آخر كل فصل جدول بأسماء المآخذ والمصادر . ومما يجدر بالذكر اهمية الفصل الأخير ، وهو الثاني عشر ، المختصّ بتاريخ الحركة الكفرية التي انشأتها جماعة منكري الألوهة .

ج . ل .

FR. GAGUÈRE, Le saint pauvre de Jésus-Christ, Benoit-Joseph Labre. In-8°, 527 pp. Avignon. Aubanel Frère, 1936.

القديس بنوا جوزف لابر

لم يقدر القرن الثامن عشر حقّ قدره هذا القديس الذي نشأ فيه في ظلّ الفقر والتواضع . ومات كذلك . حتى أُعلن تطويبه سنة ١٨٦٠ ، ثم قداسته سنة ١٨٨١ . على ان القرن التاسع عشر نفسه لم يهتمّ به اهتماماً شعبياً . حتى كان القرن العشرين ، فرأى المؤلّف الزمن موافقاً لنشر ترجمة تامة لهذا السائح الفقير ، فاقبل يطالع مجاميع الوثائق والمستندات ويستعين بما نُشر عن قديسه سابقاً ، حتى اظهر هذا المجلّد النفيس الجامع بين العبرة الاخلاقية والفائدة التاريخية .

ج . ل .

BOÈCE, La consolation de la Philosophie. Texte, traduction, notices et notes par ARISTIDE BOCOGNANO. In-8°, « *Classiques Garnier* ». Paris, Librairie Garnier Frères. Prix : 15 fr.

التعزية الفلسفية

كان بويس من اشراف الرومانيين في اواخر القرن الخامس واوائل السادس للمسيح وقد عاصر حملة القوط الغربيين، واتصل بزعيمهم تيودوريك فاتفقا مدة. حتى تغيّر عليه الزعيم فشكّ في إخلاصه ، واتّهمه بالتآمر عليه ، ثم أمر بقتله . فلجأ بويس ، في الحقبة التي قضاها في السجن، الى التأليف فكتب هذه «التعزية الفلسفية ». وكان من نصيبها ان صادفت رواجاً متتابعاً منذ ظهورها ، فكانت اكثر التآليف نقلاً في القرون الوسطى . وقد اهتمّ المترجم بتمثيل الكتاب بالمظهر الأنيق ، فصادف محله اللائق في مجموعة كارنيه المدرسية .

ج . ل .

THALÈS, Recueil annuel des travaux et bibliographie 1935. [Institut d'histoire des sciences et des techniques de l'Université de Paris et centre d'études de philosophie et d'histoire de la Philosophie dans leurs rapports avec les sciences]. Paris, Alcan. Prix: 40 fr.

مجموعة سنوية لمعهد تاريخ العلوم والفنون في جامعة باريس : الجزء الثاني

تقدّم في مشرق السنة ١٩٣٥ (ص ٤٦٢) وصف المجلّد الاول من هذه المجموعة النفيسة . وها اننا نقدّم الى قرّائنا اليوم المجلّد الثاني ، محتوياً على ستة اقسام : ابحاث خاصّة ، مؤلفات في الموضوعات العصرية ، محاضرات المعهد ، ابحاث مدرسة التاريخ وفلسفة العلوم ، تحاليل واوصاف كتب ، جدول المصادر . واننا نذكر من القسم الأول محاولة في جمع المكتشفات الطبيعية الحديثة للبرنس دي برُويل ، وهي مثال لما يمكن تأليفه في هذا النوع من الابحاث .

Publications de la Société des Nations. II. Questions économiques et financières (*série verte*). Genève.

II, A 7, Annuaire statistique 1936-1937.
II, A 8[1], Aperçu de la situation monétaire.
II, A 8[2], Les banques commerciales.
II, A 9, Aperçu général du commerce mondial 1936.
II, A 10, Alimentation.
II, A 13, Revue de la situation économique mondiale 1936-1937.
II, A 14, La production mondiale.

منشورات جمعية الامم : في الشؤون الاقتصادية والتجارية

في هذه اللائحة وحدها بلاغة كافية . فهي تشهد بما تبذله جامعة الأمم ومؤسساتها من جهود في جمع المعلومات وترتيبها ، وبما تعرضه على الاختصاصيين من سهولة في وضع الجداول والاحصائيات ، وبما تنيله من فوائد للجغرافيين ، ورجال السياسة ، وارباب المحاضرات . ولم يكن لنا شيء من هذا قبل الحرب العالمية .

يرى المطالع في المجلّد الاول صورة عن العالم واضحة : في مساحته ، وعدد سكّانه ، والعاملين فيه ، وانواع العمل ، ومعدّل الاجور . وطرق الانتاج

والاستهلاك ، والتقليات ، والتجارة ، وموازنات الدخل والخرج ، والاحصائيات النقدية ، والأسعار ، والماليات العامة .

اما المجلد الثاني ففيه نظرة شاملة على الحالة النقدية في العالم ، تتفرع الى خمسة ابحاث : المبادلات عامة ، المبادلات التوقيتية ، اساس التثبيت ، العرض ومجموعات الذهب ، معدل الفوائد ونتائج الأسهم . وكلها ابحاث تدور على الحقبة من السنة ١٩٢٩ الى اذار ١٩٣٧ .

وفي المجلد الثالث بحث في العملة والمصارف في السنة ١٩٣٦—١٩٣٧ عنوانه المصارف التجارية في مختلف البلدان .

ثم يأتي المجلد الرابع فيدرس المبادلات التجارية مدة السنة ١٩٣٦ ، ويعرض مقابلة بين الارقام في السنة ١٩٣٦ والارقام في السنوات السابقة .

وهناك تقرير نهائي للجنة التي الفتها جامعة الأمم لدرس الأغذية وعلاقاتها بالصحة العامة ، والزراعة ، والسياسة الاقتصادية .

بعد ذلك يأتي عرض عام للحالة الاقتصادية ، يظهر للمرة السادسة ، فيحتل مركزاً مهماً في مجموعة الابحاث الاقتصادية . ويخص فصله الاول بدرس الاتفاق المثلث المعقود سنة ١٩٣٦ ، منتقلاً الى درس ارتفاع الاسعار وتحسن شروط العمل ، وازدهار التجارة العالمية . اما الفصلان الاخيران فيتناولان البحث في مراقبة الاعتمادات ، وعرض الحالة الاقتصادية في تموز ١٩٣٧ .

وتختم هذه السلسلة بذكر المنتجات العالمية واسعارها في السنة ١٩٣٦—١٩٣٧ .

ج . ل .

JACQUES BARDOU. Ni communiste, ni hitlérienne, La France de demain. Un plan. In-12, 107 pp. 2e édition, Paris, Librairie Sirey.

فرنسة الغد لا شيوعية ولا هتلرية

من ظواهر عصرنا الحاضر ما نراه من اضطرار رجال العلم العالمي ، واساتذة المعاهد الكبرى في فرنسة ، الى النزول في ميدان العمل السياسي للدفاع عن بلادهم ، ومناجزة المتهجمين عليها لحساب الاجانب . وليس هذا الكتاب الصغير سوى أثر من آثار هذه الظواهر يبدأه المؤلف بتمهيد في ضرورة الإصلاح

فرنسة ، والّا فالحرب بالمرصاد . ثم ينتقل الى موضوعه الخاصّ عارضاً تصميماً مفصّلاً لما يجب ان تكون عليه فرنسة الغد ، استناداً الى مقرّرات اللجنة الفنيّة التي يرئسها المؤلّف منذ نشأتها اي منذ السنة ١٩٣٥ .

LOUIS-FERDINAND CELINE, Mea Culpa, suivi de la vie et l'œuvre de Semmel-Weis. In-12, 124 pp. Paris, Denoël et Steele, 1937.

خطيئتي عظيمة

سيلين اسمٌ مستعار لمؤلّف هذا الكتاب. وهو فرنسوي يساري الصبغة كان منتسباً الى « الجبهة الشعبية » . ثم سافر الى موسكو ، ورأى بعينه ما فيها ، فعاد تائباً. على انه دوّن « خطيئته العظيمة » باسلوب مضطرب عسر الاستساغة. ولا نراه يأتي بفائدة . وكلّ ما يقوله لا يتجاوز ٢٧ صفحة. اما باقي الكتيّب فيحتوي على أطروحة المؤلّف لنيل دكتوراه الطب (سنة ١٩٢٤) وموضوعها احد اطباء المجر في القرن التاسع عشر.

P. LUCIUS, Un siècle et demi de révolution 1789-1936. In-12, 209 pp. Paris, Librairie de l'Arc. Prix : 15 fr.

قرن ونصف في الثورة

لا يخفى ان من ضروريات فهم الأزمة الحكومية الحاضرة في فرنسة أن نعيد النظر في درس التاريخ الحديث . وهو ما يقوم به المؤلّف راقياً الى قرن ونصف قرن ، الى ثورة السنة ١٧٨٩ ، مبيّناً انه ، منذ تلك الثورة ، اخذت فرنسة بتناقضات اذ خاضت فيها الحركة الثوروية شعبَين متباينين لم يفتأا يتعاكسان ويتطاحنان حتى اليوم . فكانت في اضطراب دائم وتقلقل مستمرّ . واي دليل اوضح على هذا الاضطراب من تتابع الأحداث الحكومية منذ تلك السنة المشؤومة . فهناك تسعة انظمة سياسية للحكم ، واحد عشر دستوراً مختلفة ، وخمس زحفات على الاراضي الفرنسوية ، واربع ثورات دامية . وليس من سبيل الى انكار هذه الأحداث . على ان المؤلّف يهتمّ خاصّة بدرس تطوّرها درساً دقيقاً جذّاباً يزيد كثيراً على ما يُعرف من تاريخ فرنسة العامّ . ويختم الكتاب بنتيجة عملية تقرب من الجزم بعدم فائدة المؤسسات البرلمانية . . . ج.ل.

AMIRAL CASTEX, De Gengis-Khan à Staline, ou les vicissitudes d'une manœuvre stratégique (1205-1935). In-12, 189 pp. Paris, Société d'éditions géographiques, maritimes et coloniales.

من جنكيز خان الى ستالين

يفيدنا التاريخ انه كلّما نشأت في آسية سلطة قويّة ، رمت حالًا الى الاتساع العسكري وبسط نفوذها القاسي على البلاد المجاورة . ويفيدنا ايضاً ان الخطط التي سارت عليها هذه السلطات القديمة في تحقيق مراميها لم تتغيّر مدة القرون المتتابعة من جنكيز خان الى ستالين.

هذا ما لاحظه المؤلّف مستفيدًا من اختباره الدقيق بشؤون الشرق الاقصى ، دارساً ، في كتابه الصغير ، نوعيّة هذه الخطط ، منذ القرن الثالث عشر ، اي منذ عصر المغول ، حتى السنوات الاخيرة ، عهد ظهور روسية السوفياتية . وقد دقّق في خطط روسية السوفياتية تدقيقاً عجيباً سهّل على المطالع الاهتداء في تلك المتاهات المتشعّبة ، والظواهر الغامضة التي امتاز بها النظام السوفياتي . فاتى بكتاب قيّم جزيل الفائدة لارتفاعه من الحوادث الخاصّة الى النظرات الشاملة الدالّة على ان العناية تسيّر الناس مهما تنوّعت مراميهم ومقاصدهم.

ج . ل .

JACQUES EDDÉ, Géographie de la Syrie et du Liban. In-8°, 108 pp. Imprimerie Catholique, Beyrouth, 1937-1938. Prix : 20 fr.

جغرافية سورية ولبنان

انه لكتاب ثمين يصدره اليوم جاك اده . وما هذه الكلمة الّا ملاحظة يبديها فورًا من يقلّب ، قليلًا او كثيرًا ، الطبعة الرابعة « لجغرافية سورية ولبنان ».

بين الرسوم الشمسية المتقنة ، والخارطات الملوّنة الموضوعة على احدث اسارب ، يقع الناظر على جداول دقيقة لجيولوجيّة البلدين ؛ ولتقسيماتها الإدارية الحالية والسابقة ؛ ولاماكن الاصطياف في لبنان مع ارتفاع كلّ منها عن سطح البحر ، وبعدها عن بيروت ، وحالتها الجوية ؛ ولمختلف اجناس الحيوانات في لبنان وفي سورية ؛ وللارباح الجمركية ؛ وللتجارة مع البلدان الاخرى.

وقد اهتمّ المؤلف ، خاصةً ، بالناحية الاقتصادية من موضوعه . وهو ما صرّح به في المقدّمة ، مبيناً اهمية السياحة ، والتجارة ، والزراعة ، والصناعة ، في مستقبل لبنان. لذلك كانت الفوائد التي يجنيها القارئ من كتاب جاك اده جمة من حيث الاقتصاد. وقلّما وقع نظر المطالع ، في هذه الآونة ، على تآليف اهتمّ اصحابها بمالية لبنان ، واتوا بالمعلومات الصادقة عنها.

ولم يهمل المؤلف ، في سبيل هذه الناحية ، طبيعة البلدين وحالتيهما السياسية والإدارية.

وقد اتبع كل فصل بقطعة قراءة اورد فيها كلاماً لمشاهير الكتاب الفرنسيين كلامرتين ، وباريس ، وبوردو ، وغيرهم في جمال الطبيعة اللبنانية ، وفي هيبة دمشق الشام.

فاتت جغرافية سورية ولبنان مؤلفاً علمياً عن الشرق الادنى لم يسبقه اليه احد في ناحيته. وقد عرف ان يسلي به القارئ ، فأتى حديثاً جميلاً يفيد الطلاب وجميع المتأدّبين ، بل يهمّ زوّار لبنان من الاجانب. ن.د.

JOSEPH A. DAGHER, L'Orient dans la littérature française d'après guerre 1919-1933. In-8 , XVII + 304 pp , Beyrouth, E. Angélil, éditeur, 1937. Prix : 50 fr.

الشرق في الآداب الفرنسية بعد الحرب ١٩١٩-١٩٣٣

كتاب نفيس دلّ المؤلف في اعداده على جهود جمّة وجلد متواصل، وروح ترتيب وتنظيم جدير بالتقدير. حتى اظهره بهذا المظهر الرائق محتوياً على كلّ ما كُتب من بحث طويل ، او رسالة موجزة ، او مقالة مقتضبة عن الشرق ، باللغة الفرنسوية ، من السنة ١٩١٩ الى السنة ١٩٣٣ ، سواء أظهر ذلك منفرداً في كتاب على حدة ، او في مجموعة دورية ، ام في مجلة ام جريدة سيّارة. وقد كان من فضل المؤلف انه رتّب كل ذلك على اساليب تسهل الاستفادة منها لكل باحث . فبدأ بعرض الابحاث وفقاً لاسماء مؤلفيها على الطريقة الابجدية . ثم انتقل الى جدول ترتيبي وفقاً للموادّ المدروسة ، مقدّماً ذكر المعلومات العامّة من مصادر الابحاث ، والمكاتب ، والمخطوطات ؛ ومن علوم مساعدة للتاريخ

كالآثار ، والنقود ، والوثائق ، والرقم ؛ ومن ديانات ، وفنون ، وتواريخ عامة لأحقاب الشرق ؛ منتقلاً الى قسم خاص رتب فيه الابحاث عن لبنان وسورية ، فأرمينية ، ففلسطين وشرق الاردن ، فالعراق ، فتركية ، فمصر ، فبلاد العرب والبحر الأحمر والحبشة ، فايران وافغانستان ؛ جامعاً في كل ذلك ٥٢٣٦ بحثاً ، مقدماً لنا كتاباً لا يستغني عنه باحث في شؤون الشرق ، مستحقاً شكر المؤرخين والأثريين والادباء جميعاً . ف.ا.ب.

R. W. Seton-Watson, **Histoire des Roumains, de l'époque romaine à l'achèvement de l'unité.** In-8°, 665 pp , 1 carte hors-texte. Paris, Les Presses Universitaires de France, 1937.

تاريخ رومانية

نشر المؤلف كتابه اولاً باللغة الانكليزية . ثم شاء ان يكتب بنفسه النص الفرنسوي ، فاستحق شكرنا ، اذ اتحفنا بتاريخ عام شامل لبلاد الرومانيين كلها منذ البدء الى تمام الوحدة في رومانية ، في اسلوب شائق ، وطريقة موضوعية بحتة .

ولا يخفى ان تاريخ رومانية ، في اكثره ، تاريخ معاصر ، يبتدئ في القرن الثالث عشر ، قُبيل وصول الاتراك الى اوربة . اما قبل هذه الحقبة فهناك الغموض والإشكال على مدة الف سنة ليس فيها شيء من الوثائق المكتوبة ، فلا مخرج للكاتب عنها الّا التخمين والفرضيّات . وهو ما اضطرّ المؤلف الى اللجوء اليه مقصّراً ما أمكن مجال هذه الابحاث حتى حصرها في فصل واحد خصّه باصول الرومانيين فلم يتجاوز به الثاني عشرة صفحة . وإذا بالفصل الثاني يتناول عهد الإمارات . وقد طال هذا العهد حتى السنة ١٨٦٦ فحلّت « رومانية » محلّه . وظلّت البلاد ، بفضل نظام الإمارات ، تتمتع بكثير من الاستقلال الداخلي ، تحت سيطرة الترك ، بخلاف ما حصل في بلاد اليونان وسائر البلاد البلقانية التي اشتدّت فيها وطأة الاستبداد التركي .

اما رومانية العصرية فانها تبدأ بظهور شارل دي هوهنزولرن ، العامل المهمّ على اقرار استقلال رومانية النهائي .

وليس من شكّ في ان القرّاء الفرنسويين يستفيدون كثيرًا بمطالعة هذا الكتاب ، ولا سيّما في ما خصّ العصر الأخير . واننا لنتمنّى ان يقوم المؤرّخون من ابناء سائر الدول الاوربية الشرقية ، ودول الشرق الادنى ، فيخصّوا بلادهم بمثل هذا التاريخ النفيس. ج.ل.

BOUCHTA ET ZORA EL BAGHDADI, CHRISTIAN RICHARD, **Vie du Pacha Si Mohammed el Baghdadi.** In-12, 166 pp., 9 pl. et 1 carte hors-texte. Paris, Larose, 1936. Prix : 12 fr.

حياة الباشا سي محمد البغدادي

انها لحياة ملأى بالعجائب حياة هذا الفلّاح المراكشي ، المنتقل الى ساحة الحرب مدة اربعين سنة ، المستقرّ اخيرًا باشا في فاس ، على مدة عشرين سنة تخللها من المغامرات والمخاطر ما لا يخطر الّا لمؤلّفي الحكايات والاساطير. وقد تكون شخصية الباشا سي محمد البغدادي أغرب من شخصيات ابطال تلك الحكايات . بيد انها مكتوبة بدقة تاريخية موضوعية لا تترك زيادةً لمستزيد . فان المؤلفين قضوا الأيام والليالي يدرسون الوثائق ، ويستمعون الاحاديث ، ويجمعون الشهادات في سبيل عملهم الجدّي المخلص . حتى اتوا بهذا الكتاب الصغير فاهموا، في تعريف هذه النفس الكبيرة ، التي «شرّفت، لا وطنها ودينها فقط ، كما في قول الجنرال بريون كاتب المقدّمة ، بل الانسانية جمعاء . » واذًا فليس افضل من الاشارة بقراءة هذا الكتاب على من يهمّهم الاطّلاع على صفحة بل صفحات من التطوّر العام الحاصل في مراكش منذ السنة ١٨٨٣ الى السنة ١٩٣٢ ، وقد كان الباشا من عناصره القويّة.

Les Meilleurs Textes de P. MÉRIMÉE Introduction de FERNAND AUBOIN. Collection « *Choisir* ». In-12, LIX+365 pp. Paris, Desclée de Brouwer et Cie, 1937. Prix : 15 fr.

منتخبات من آثار ميريميه

لقد اشتهرت هذه المجموعة الحديثة العهد بحسن انتخابها افضل ما يمثّل كبار الكتاب الفرنسويين والاجانب من آثار متنوّعة المواضيع مختلفة المناحي باختلاف عقليّات اربابها وتنوّع اعمالهم الادبية . فعرضت لنا منتخبات من آثار دوبانار ،

وجوزف دي مستر ، وستاندال ، وهويسمانس ، وسانت بوف ، وفلوبير . وها انها تتناول مؤلفاً روائياً قصصياً من اشهر ارباب هـذا الفنّ في القرن التاسع عشر . يخصّه الاستاذ فرنان أوبرَن بمقدمة واسعة دارساً حياته ، محلّلاً شخصيته وأثره بتفصيل موجز يمهّد للمطالع السبيل الى تفهم الآثار المنتخبة ، وقد زادت على ٥٦٠ صفحة ، فيقرأها ويخرج منها وقد كوّن لنفسه صورة صادقة لبروسبير ميريميه . فنتج ان هذه المجموعة الجديدة جديرة بالتشجيع ، حريّة بان يقبل عليها روّاد الأدب الفرنسوي طلّاباً كانوا او متأدّبين. ف.ا.ب.

فخر الدين المعني الثاني امير لبنان (١٥٩٠—١٦٣٥)

ادارته وسياسته

بقلم الخوري بولس قرألي

١٥٦ ص. متوسطة – نُشر برعاية مجمع العلوم والفنون الملكي الايطالي – حريصا ، مطبعة القديس بولس ، ١٩٣٧ – الثمن: ٥٠ غ.ل.س.

هوذا تأليف جديد للخوري بولس قرألي يتحف به مكاتب محبّي التاريخ، ويخطو خطوةً واسعة في درس ماضينا على ضوء فكرة سامية هي الفكرة الوطنية . وليست هي المرة الاولى التي يخدم بها المؤلّف تاريخ الوطن اللبناني . فان له المنشورات العديدة في مجلته البطريركية، وعلى حدة . وكان آخر ما قام به، قبل هذا الكتاب ، سفرًا نفيساً جمع فيه الوثائق الغربية عن علاقات فخر الدين بدولة توسكانة وبغيرها من دول ايطالية . وقد استفاد من هذه الوثائق ومن غيرها مما نُشر في الوطن عن الامير الكبير، فألف هذا الكتاب رامياً الى درس ادارة الامير وسياسته درساً دقيقاً يقوده الى اظهار تلك الشخصية الكبيرة مظهر العامل الغيور على وحدة البلاد واستقلالها التامّ ، مقرّرًا في اذهان المطالعين مجالي الفكرة الوطنية النيّرة.

بيد ان هذه الصفة ، الحميدة في اساسها ، قد تجرّه احياناً الى سهو لا يُغتفر ، ولا بدّ من الاشارة الى بعضه كقوله: « وظلّت صيدا تحت ولاية ورثائه (اي ورثاء فخر الدين) حتى السنة ١٨٦٠ » (ص ٩٣) ولا يندّ عن علم حضرة

الاب المؤلف ان احمد باشا الجزّار ، وعبدالله باشا ، وسليمان باشا ، وسائر الولاة العثمانيين لم يكونوا ضيوفاً في المرفأ اللبناني الجميل .

اني آسف اشدّ الأسف لانتقاد هذا الإفراط في الدفاع عن قضية تعزّ عليّ فوق كل شيء . ولكن تاريخنا لا يحتاج الى تحوير ، بل ان مبالغات كهذه قد تجرّ شيئاً من الاستخفاف بتاريخنا وبقضيتنا الوطنية نحن في غنى عنه .

واستشهد المؤلف بالخالدي فاورد عنه العبارة التالية بين مزدوجين : « لو لم يلتهِ اللبنانيون بالغنائم والخيم ، وكانت زهاء الفين ، لقتلوا من الدمشقيين مقتلة عظيمة » (١١٤) وفاته ان يذكر الصفحة والطبعة اللتين وجد فيهما هذه الجملة ، وقد استحال عليّ وعلى بعض الرفاق ان نجدها بحرفها في كتاب الخالدي .

ان الامانة في نقل النصوص ضرورية ، كما يعلم حضرة الاب قرألي ، لا سيما وانه يحتاج ، في تأليفه الجديد ، الى كثير من الثقة لأنه يستند مراراً الى رسائل وآثار اطلع عليها في زوايا المكاتب الايطالية ، ويصعب على القارئ ان يقف عليها بنفسه .

لا شك ان المؤلف معجب بفخر الدين كل الاعجاب ، ولكن اعجابه يقوده حيناً ، في سبيل البيان عن صفات الامير الممتازة ، الى التضحية بخير برهين في تأييد حقوق لبنان التاريخية . فقد نقل عن الخالدي قوله ان فخر الدين « وقف » الامير يونس حرفوش على بعلبك والبقاع (١٠١) . وفي الخبر دليل على سيطرة امير لبنان على البقاع وبعلبك . غير ان الاب قرألي يرى فيه « عفة نفس » فخر الدين اذ سلّم الى « حلفائه » البقاع . . .

ان هذه الشوائب التي يقع عليها المطالع تخفف شيئاً من موجة السرور التي غمرت الكثيرين لدى سماعهم بالكتاب الجديد . ولكنها لا تقلل من جهود المؤلف وفوائده التي اتاح بها بتقريبه بين السجلات المديشية والفاتيكانية . مما لا يساء كل مشتغل بالتاريخ اللبناني .

ن . د .

تاريخ لبنان

الموجز : لطلّاب الشهادة الابتدائية

بقلم اسد رستم وفؤاد افرام البستاني

١٣٠ ص. متوسطة، ٥٠ رسماً ، ٣ خارطات منها خارطتان ملوّنتان – المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ١٩٣٧ – الثمن: ٥٠ غ ل. س

هو احد الاجزاء التي اتفق المؤلفان والحكومة اللبنانية على اصدارها لتوضع بين ايدي الطلّاب ، فتعدّهم لمختلف الشهادات. وقد جاء تلبيةً لرغبة الكثيرين من الغُيُر على التربية الوطنية ، وسدّاً لحاجة ماسّة شعر بها جميع اللبنانيين على السواء ، اذ لم يكن من المعقول ان يثقّف الطلّاب غير ثقافة ، وان يتعرّفوا الى تواريخ الامم الاجنبية ، دون ان يعرفوا شيئاً صحيحاً عن تاريخ بلادهم . ومما يضمن صدق « تاريخ لبنان » الجديد ان المؤلّفين ، ممثلي الجامعتين البيروتيتين ، اشتهرا بسعة العلم ، ودقة الابحاث ، والتجرّد العميق. وهي شروط لا بدّ منها لمن يجرأ على السير في هذا الميدان الدقيق.

امّا « تاريخ لبنان » ، الموجز لطلبة الشهادة الابتدائية ، فيحوي ثمانية وعشرين فصلاً اولها في « تكوّن لبنان » الجيولوجي . وآخرها في « الانتداب والاستقلال » ؛ وكلها فصول متتابعة ، متماسكة على احسن ما يرام ، مكتوبة بلغة قريبة المنال من صغار القراء ، فتريهم كيف مرّ لبنان ، منذ البدء ، بحوادث واحوال كان بعضها نتيجة البعض الآخر ، حتى وصل الى حالته الحاضرة. ولا شك ان التلميذ سيكون ، بعد هذه الدروس ، فخوراً بأمّته . وقد عرف المؤلفان ان يخدما الحقيقة والوطن في آن واحد ، فيلفتا النظر ، بتواضع ، الى صفحاتنا الجميلة ، ويذكّرا ، بلباقة السموح ، الحوادث المؤلمة كتلك التي جرت في عهد الفوضى في القرن الماضي . وقد تمسكا ، في كل ذلك ، عن التوسّع في الاخبار تاركين الشرح المفيد ، وذكر المصادر والمآخذ ، وجداول رجال الدول المتعاقبة على لبنان ، والفهارس الابجدية الواسعة ، للجزء المختصّ بالشهادة التكميلية ، وللجزء الاكبر الموافق لمنهاج البكالوريا.

فكان هذا الجزء تجربةً موفقة ، وكتاباً مدرسياً ممتازاً ، لا يفيد التلاميذ فحسب ، بل كثيرين غيرهم ، لأنه اول تاريخ جامع صحيح للبناننا العزيز.

ن.د.

موسى بن ميمون: حياته ومصنّفاته

تأليف الدكتور اسرائيل ولفنسون

١٧٧ ص. كبيرة. — مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، مصر ١٩٣٦

موسى بن ميمون (١١٣٥—١٢٠٥) — ويسميه العرب ابا عمران عبيد الله — حبر ، وطبيب ، وفيلسوف يهودي عربي ، ولد في قرطبة (الاندلس) ، ثم اضطرته الاضطهادات ، التي لاقاها اليهود من لدن فاتح قرطبة المسلم عبد المؤمن بن علي الكومي الزناتي ، الى النزوح الى المغرب ، فعكّا ، فمصر الفسطاط حيث استقرّ الى آخر ايامه ، ثم دفن في طبرية بفلسطين الى جانب عظماء بني اسرائيل. وموسى بن ميمون هذا من اشهر الفلاسفة اليهود ، الذين عملوا على نقل الفلسفة العربية الى اللغات الاوربية في القرون الوسطى ؛ درس الفلسفة الاسلامية في نصوص ابن طفيل وابن رشد ، ورجع الى نصوص ارسطو نفسه ، وتأثر كثيراً بالثقافة العربية ؛ وقيل انه اسلم مكرهاً في الاندلس ثم عاد الى دينه في مصر. ولقد احتفلت الهيئات اليهودية في نواحي العالم كله ، سنة ١٩٣٥ بذكرى مرور ثمانمئة سنة على ميلاده (١١٣٥ - ١٩٣٥). وكتاب الدكتور ولفنسون الذي نحن بصدده من جملة الابحاث التي ظهرت حوالى السنة ١٩٣٥ لاحياء ذكرى الحبر اليهودي العظيم. ولموسى بن ميمون مؤلفات ، ورسائل ، ومقالات عديدة في الشريعة التلمودية والطب والفلسفة ، اغلبها عربيّ اللغة ، مكتوب بحرف عبري ؛ نذكر منها كتاب « السراج » في تفسير « المشنا » ، وكتاب « تثنية التوراة » في الفقه الاسرائيلي ؛ وكتاب « دلالة الحائرين » في الفلسفة الاسلامية التقليدية ، وهو المؤلف الذي يخرج صاحبه عن نطاق الدين المحض ويجعل منه فيلسوفاً كبيراً.

اما الدكتور اسرائيل ولفنسون ، استاذ اللغات السامية بدار العلوم المصرية ،

فمستشرق يهودي ايضاً ، يحسن العربية ويجيد كتابتها ، ويكني نفسه او يكنونه بابي ذؤيب.

يقسم بحثه الحاضر الى اربعة ابواب : الاول (٤٠ ص) في حياة موسى ابن ميمون؛ — الثاني(١٦ص) في مؤلفاته ومكانته الدينية ؛ — الثالث(٨٥ص) في فلسفته وكتابه « دلالة الحائرين » ، — ويشتمل هذا الباب على منتخبات عديدة من آثار موسى بن ميمون ؛ — الرابع (١٨ ص) في مصنفاته الطبية . ولا يهمنا من هذه الابواب الاربعة الا الاول والثالث. اما الاول فبحث مستفيض مكتمل المعلومات ، كثيرها ، عن حياة ابن ميمون واطواره العقلية ، اطال فيه المؤلف الشرح والتدقيق بغية منه لرسم صورة كاملة صادقة للفيلسوف قبل ان يلج باب فلسفته. غير ان هذه الصورة غامضة في بعض نواحيها ، يصحبها ابحاث خارجة عن الموضوع ، سواء في متن الكتاب ام في حواشيه ، ولا تزيد المطالع فائدة. واما الباب الثالث من الكتاب ، وهو الاهم ، فيكتفي فيه المؤلف بايجاز بعض مقاطع من « دلالة الحائرين » وايراد بعضها بالنص الكامل ، دون ان يلقي نظرة شاملة على محتويات الكتاب ، او يعرض لبحث وتحليل مبادئ فلسفة ابن ميمون العامة ، وآرائه في المشاكل التقليدية . ثم يستطرد لذكر تأثير «دلالة الحائرين» في الاندية الفلسفية واليهودية على ممر العصور ، ويتكلم عن اهتمام العلماء في كل عصر بترجمته وشرحه.

فيظهر لك مما تقدم ان الاستاذ ولفنسون اقرب الى المؤرخ المدقق منه الى الفيلسوف الباحث في افكار مترجمه ، المتحري آراءه الفلسفية الطريفة . لذلك يلقي القارىء كتابه ، وليس له عن ابن ميمون الا معلومات تاريخية عمومية لا تساعد كثيراً على فهم فلسفته وادراك ميزتها الشخصية.

وعلى كل ، فالكتاب جدير بالانتباه ، وهو نظراً لقلة الابحاث العربية العلمية عن ابن ميمون ، يُعدّ خطوةً لا بأس بها في تعريف الفيلسوف الاسرائيلي العربي للمشتغلين بالفلسفة العربية .

انطوان موصلي

تاريخ العراق بين احتلالين

الجزء الثاني: حكومة الجلايرية (١٣٣٨—١٤١١م)

بقلم المحامي عباس العزاوي

٤٧٦ ص. متوسطة – مطبعة بغداد الحديثة، بغداد، ١٩٣٦ – الثمن: ٢٥٠ فلساً

تقدّم في «المشرق» (٣٤ [١٩٣٦] ٦٣٣) وصف الجزء الاول من هـذا الكتاب القيّم خاصاً بحكومة المغول وما جرّته من احداث على البلاد العراقية. ولقد تابع المؤلّف جهوده، فاظهر الجزء الثاني متناولاً فيه حقبةً مهمّة وان قصيرة. وهو يمتاز بما امتاز به سابقه من الإحاطة بالاخبار والروايات، وجمع المصادر متجاوزاً بها الاحداث المادّية الى تأريخ المظاهر الاجتماعية والادبية، جارياً فيها على الطريقة التوقيتية القديمة اي ذكر الحوادث سنةً فسنةً. على ان الفهارس الواسعة التي اردف بها الكتاب تزيد في قيمته وتسهّل الاستفادة منـه لطلّاب التاريخ. وقد زيّنه بعددٍ من الصور الموفّقة لو حظيت بجودة الطبع. ونحن نعدّ الكتاب من مآثر المؤلّف الجليلة، ونتمنّى له التوفيق في متابعة عمله.

كتاب الفقه على المذاهب الاربعة

الجزء الاول: قسم العبادات – الطبعة الثالثة: ٦٦٤ ص. كبيرة – القاهرة، مطبعة دار الكتب المصرية، ١٩٣٦.

الجزء الثاني: قسم المعاملات – الطبعة الثانية: ٤٦٨ ص. كبيرة – القاهرة، مطبعة الحضارة الشرقية، ١٩٣٣.

الجزء الثالث: قسم المعاملات – الطبعة الاولى: ٤٩٦ ص. كبيرة – القاهرة، مطبعة الارشاد، ١٩٣٥.

انه لمشروع جليل هـذا الذي عُنيت بتنفيذه وزارة الاوقاف المصرية. فألّفت، سنة ١٩٢٢، لجنة من علماء المذاهب الاربعة في الجامع الازهر وعهدت اليهم في تأليف كتاب جامع في الفقه الاسلامي يكون من أسس التعليم الديني في مصر. اما اعضاء اللجنة فهم: الشيخ محمد المالوطي والشيخ محمد عبدالفتاح العناني من علماء المالكية؛ والشيخ عبد الرحمن الجزيري والشيخ محمود البيلاوي

من علماء الحنفية ؛ والشيخ محمد سبيع والشيخ ابو طالب حسني من علماء الحنابلة ؛ والشيخ محمد الباهي من علماء الشافعية . وقد كان للشيخ عبد الرحمن الجزيري اليد الطولى في تنظيم الكتاب ، وباسمه ظهر الجزءان الثاني والثالث

اما محتويات الكتاب فقد جمع الجزء الاول منه « قسم العبادات » مبتدئاً بكتاب الطهارة ، فكتاب الصلاة ،فكتاب الصيام ، فكتاب الزكاة ، فكتاب الحج . وقد أُلحق به بحث في الأضحية ، والذكاة الشرعية ، وما يجوز وما لا يجوز، واختتم بجدول في تفسير بعض الالفاظ الاصطلاحية في المذاهب الاربعة .

وتناول الجزء الثاني قسماً من « المعاملات » وفيه كتاب « الحظر والإباحة » في الأكل ، والشرب ، واللبس ، والصيد ، والذبائح ، والولائم ، والتصوير ، والغناء ، وازالة الشعر وقصّ الاظافر ، وسباق الخيل ، ورمي السهام ، وإنشاء السلام ، وتشميت العاطس ... ثم كتاب « اليمين » واقسامها وشروطها ، والصيغ التي تنعقد بها ، وكفّارتها ؛ والنذور وتعريفها واقسامها ... الى ان يبلغ كتاب « البيع » فيفصل اركانه وشروطه وعيوبه ، وما يتفرّع عن هذه الأحكام من الحوادث الخاصة والتطبيقات الفردية من عادية ونادرة كبيع النجس وبيع الطير في الهواء الخ ... يلحق بذلك مباحث في الربا واحكامه ، وبيع الدين ، ومباحث في الرهن واركانه واحكامه . ثم في القرض وتعريفه . وينتهي من الجزء الثاني بمباحث الحجر على الصغير ، والمجنون ، والسفيه ، وما يفرض كل منها من مباحث واحكام.

اما الجزء الثالث فيختص بقسم آخر من « المعاملات » فيه مباحث المزارعة ، والمساقاة ، والمضاربة ، وسائر انواع الشركات الزراعية والصناعية والتجارية . ومباحث الإجارة وشروطها في مختلف انواع المأجورات من جماد ونبات وحيوان وانسان . ثم مباحث الوكالة وشروطها ، والحوالة ، والضمان ، والوديعة ، والعارية ، والهبة . وينتهي بمباحث واسعة في الوصية وشروطها واحكامها .

ويلي هذه المجلدات الثلاثة أجزاء تتناول سائر الاحكام الشرعية . ولا شك في انها تؤلف ، اذا ما انتهت ، اتمّ مجموعة عصرية لدرس الفقه الإسلامي.

وصايا الله العشر
وكمالها في شريعة يسوع الملك

للارشمندريت تيوفانس شار

٢٢٠ ص. متوسطة – مطبعة القديس بولس، حريصا، ١٩٣٧ –

هي مجموعة محاضرات القاها، في كاتدرائية الروم الكاثوليك بمصر القاهرة، حضرة الارشمندريت تيوفانس شار من الاكليروس البطريركي فحلل فيها وصايا الله العشر على اسلوب يتناول من القديم سلامته ومن الحديث طرافته، ويعرض لكثير من المشاكل التي تثيرها المدنية العصرية. فكان لنا جزء مفيد للمطالعة والتأمل.

البرهان الجلي على علم الاب الكرملي

٨٠ ص متوسطة – دمشق الشام، مطبعة ابن زيدون، ١٩٣٦

المحجة البيضاء في صحة نعت الجموع بفعلاء
والجزء الثاني من البرهان الجلي على علم الاب الكرملي

٢٢٢ ص متوسطة – دمشق الشام، مطبعة الترقي، ١٩٣٧

للشيخ امين ظاهر خير الله الشويري اللبناني

لا يزال للمشاحنات اللغوية، في عصرنا، مريدون قليلو العدد ولكنهم شديدو الشكائم، صليبو الاعواد، لا يسمعون بكلمة نادة، او بجمع شارد، الا استفزتهم حمية اللغة الصراح، فقاموا يذبون عن حياضها بألسنتهم وأقلامهم، لا يأخذون بهوادة، ولا يبالون بنقد. وقد تدفع بهم الحماسة في مقاومة ابطل الى مقارعة بعضهم البعض الآخر، «فتأكلهم غيرة بيت اللغة»، واذا بهم على الحق مختلفون، ينقض ثانيهم ما يبنيه الاول، ويرمم ثالثهم ما ينقضه الثاني. اما اللغة فتستفيد على كل حال، واما القراء فيعجبون مستغربين مثل هذا الاندفاع في مثل هذه الابحاث. ومنها الكتابان اللذان نقرأهما اليوم فنستفيد منهما معلومات جمة لا تخلص لباحث الا بعد المطالعات المجهدة في

دواوين اللغة ، والمران الطويل على اساليب العرب، هذا مع مقدرة الاستنتاج ، وسلامة الملكة ، وحسن الذوق . نستفيد من محتويات الكتاب الاول:

« ١ ــ الجلاء عن مجيء مزيدات للافعال بمقتضى القياس أغفلتها المعاجم ، وهي واردة في كلام الفصحاء الذين تؤخذ عنهم شواهد اللغة .

٢ ــ مثالًا لاستخدام علم المناظرة في بحث القضايا اللغوية على وفق ما اوجبته علماء ادب البحث .

٣ ــ الكلام عن القياس وسريانه في صيغ الجموع ، وقصور المعاجم عن استيعاب تلك الصيغ للدلالة على ضرورة الجلاء عن القياس ووجوب اعتماده في موادّ اللغة .

٤ ــ مباحث في علم التخريج تُثبت صحة قواعده . والجلاء عن ان ما جاء في المعاجم انه على غير قياس هو في الحقيقة على مقتضى القياس. ولكن القياس الحقيقي لم تدركه المعاجم لاغفالها العمل بقواعد علم التخريج.

٥ ــ لا غنى عن استخدام علمي المباني والتخريج في وضع المعجم المحرَّر في متن اللغة العربية . فان وَلِيَ وضع المعجم المحرَّر مَن لا اطلاع له على هذين العلمين فلن يأتي المعجم كما تستلزمه النية على فائدة المتعلمين واداء العمل حقه من العناية . »

وفي الكتاب الثاني نطّلع على « تأييد ... لغوية ، مصداقها في العهدين العتيق والجديد ، وفي الحديث الشريف . وقد رواها الامامان الثقتان الزجاج والزمخشري . وشواهدها في اقوال امرئ القيس وزهير وطرفة وسواهم . واستعملها العلماء الاعلام : الشيخ ناصيف اليازجي ، وابنه الشيخ ابراهيم ، والشيخ احمد فارس الشدياق ، والشيخ يوسف الاسير ، والشيخ طاهر خير الله ، والمطران اقليميس يوسف داود ، والمطران حرمنوس معتّد ، رحمهم الله جميعاً . » اما هذه القاعدة اللغوية فمفادها ان نعت الجموع بفعلاء صحيح . فيُقال: كرَيات بيضاء ، وادلّة غرّاء ، وهضاب ملساء ... كما يُقال : كريات بيض ، وادلة غُرّ ، وهضاب مُلْس . خلافاً لما زعمه حضرة الاب انستاس الكرملي ، وهو مَن يدلّ صاحب الكتاب على مبلغ « علمه » « بالبرهان الجلي » ، كما يدلّ على

اسلوبه « المهذب » بنشر رسالة بعث بها الاب من بغداد الى المؤلف في دمشق، غمز فيها من قناته على طريقة لا يعرفها العلماء مدرجة الى الحقيقة. ويرى المطالع هذه الرسالة وجوابها في آخر الكتاب الاول ، فيستفيد ويعتبر!

ف.ا.ب.

آثار نينوى او تاريخ تلكيف

تأليف يوسف هرمز جمو

١٢٧ ص. متوسطة – مطبعة الامة ، بغداد ، ١٩٣٧

مدينة تلكيف من اقدم المدن العراقية ، بل هي البقعة الوحيدة من آثار نينوى العظيمة. ولا يزال اهلها محافظين على لغتهم الآرامية القديمة ، يتخاطبون بها ، اينما وُجدوا ، على معرفتهم اللغات المختلفة ولا سيما العربية ، ويفتخرون بتقاليدهم وعاداتهم الخاصة ، ويتوقون الى الاطلاع على تاريخهم منذ القدم الى اليوم ، فكان لهم هذا الكتاب الصغير. جمع فيه المؤلف كل ما امكنه جمعه عن نينوى - تلكيف ، على قلة المصادر في هذا الموضوع ؛ قاسماً بحثه على عدة فصول بدأها بذكر تاريخ المدينة ، وموقعها ، واصل اسمها ، ثم انتقل الى درس اراضيها وما فيها من الاطلال والآثار ، مشيراً الى توسع المدينة الحالية ، وميزات سكانها ، واشغالهم ، ومساكنهم ، وعاداتهم في الغذاء واللباس ، واخبار المشاهير منهم في الدين والدنيا من كهنة وامراء وادباء وشعراء وشواعر. ومن شهيرات النبلاء والأدب ، الاميرة ماريا تريزيا الأسمر التي اقامت مدة في بلاط الامير بشير، لائذةً بعدله من الاضطهاد الذي أثير على اهلها في العراق (ص ٦٥). ويعود المؤلف الى ذكر عادات التلكيفيين في الأعراس ، والمآتم ، والملاهي ، والألعاب ، والمواسم ، والاحتفالات الدينية. ويخصّ قسماً ثانياً باهالي تلكيف المهاجرين وبالبلاد التي نزلوها ، واعمالهم فيها ، منتهياً بتلكيف في عهدها الحالي. كل ذلك يزدان بالصور العديدة التي وددنا لو كانت اوضح ، اذا لازدادت فائدة الكتاب اضعافاً.

ف.ا.ب.

صانعو الجريدة وواجبنا الصحفي

محاضرتان لانطون الجميل

٤٢ ص. متوسطة – دار النشر الحديث ، القاهرة ، ١٩٣٧

محاضرتان ألقيت الاولى منها سنة ١٩٣٦ في قاعة الجمعية الجغرافية الملكية في القاهرة ، باشراف وزارة الداخلية والجامعة المصرية. والثانية في قاعة يورت بالجامعة الاميركية ، باشراف كلية الحقوق المصرية . تناول المحاضر في الاولى « صانعي الجريدة » من الكتاب الى المترجمين ، الى المصوّرين ، الى المراسلين ، الى الهواة المتطوّعين ، الى المحرّرين الفنيين ، الى الجمّاعين المصححين ، الى « الموضّبين » ، منتهياً برئيس التحرير فادارة الجريدة . اما المحاضرة الثانية فتختصّ « بالواجب الصحفي » تجاه البلاد ، وبواجب الحكومة والامّة تجاه الصحافة كل ذلك باسلوب لطيف تخلّله كثير من النكات الصحفية والشواهد الشعرية فجمع بين اللذة والفائدة. وقد اردفت المحاضرتان بسؤال برلماني وجّهه المحاضر، وهو عضو مجلس الشيوخ المصري ، الى وزير الداخلية عن « تنظيم جمعية الصحافة » .

رسالتي

مجموعة في الادب والفنّ والاجتماع والشعر المنثور

تأليف عيسى السفري

١٢٧ ص. صغيرة – مطبعة مكتبة فلسطين الجديدة يافا ، ١٩٣٧ – الثمن: ١٠٠ مل

يحتوي هذا الكتاب على عدة مقالات مختلفة المواضيع والاخراج، مضطربة الذوق الادبي لجدّة اساليبها الانشائي . عرض فيها المؤلف اولاً لقضية فلسطين بصورة «شعرية» حماسية ، ثم بحث في شؤون ومشاكل عديدة كالقديم والجديد، ودور الملك فيصل في نهضة العرب القومية ، ومركز الدين من الهيئة الاجتماعية منذ القدم الى اليوم ، واردف ذلك ببضعة ابحاث عن رجال الوطن والادب كجبران خليل جبران . ويتخلّل جميع هذه الفصول آراء طريفة للمؤلف في

وجوب نبذ التقاليد البالية والتعصب الديني ، وتقديس الوطن والنهوض الى الاعمال المثمرة والمفيدة لخير الجميع ، الى غير ذلك من الافكار التي تنيل المجموعة وحدةً تأليفية.

الا ان القارئ يحار في الحكم على اسلوب الكتاب الادبي ، فليس هو بالبحث العلمي الدقيق ولا بالانشاء الخطابي ولا بالشعر ، ان هو الا نوع جديد تدخله جميع هذه العناصر المذكورة بصورة موفقة بعض الاحيان . ولكن للكاتب ، فيما خصّ بعض المشاكل الدينية والفلسفية ، آراء تبدو على كثير من الاضطراب والغموض ، او على الاقل تظهر بحاجة شديدة الى التوضيح والتعليل. ولعلّ اجمل ما جاء في هذه المجموعة كلمة المؤلف في المقدمة : « اننا اذا آمنا بالحياة احببناها ، ومتى احببنا الحياة وجدنا كل شيء فيها جميلاً حتى الموت. فالحياة هي ميراث الانسانية ، ونحن ، كأناس ، علينا ألّا نحتقر هذا الميراث. »

ا. م.

كتابي

آراء وابحاث في الادب والفلسفة

تأليف احمد عبد الغفور عطّار

٢٢٥ ص. صغيرة – مطبعة ام القرى ، مكة

هذا الكتاب مجموعة مقالات واحاديث و« شعر منثور وحرّ » ، في ماهية الادب والشعر ، وواجب الادباء ، وتعريف بعض الفلاسفة ، ألّفها طالب في المعهد العلمي السعودي ونشر بعضها في الجرائد الحجازية . ولقد ضمّنها « آراء وابحاثاً شتى في الادب والفلسفة وما يتعلّق بهما » ، وقال في التصدير (صفحة ج) انه « يُسرّ ممن يمدح كتابه » ، وفي المقدمة (صفحة ٤) « ان في بعض المقالات ركاكة لم يُرد ان يقوّمها » ، زاعماً فيما بعد ان مؤلّفه هذا نموذج من الادب الحجازي الحديث.

اما سرور المؤلف فنأسف لعدم امكاننا القيام به ، وجُلّ ما يُقال في الكتاب انه مجموعة تمارين انشائية وادبية كالتي يكتبها تلاميذ المدارس ، لم

تمرّ عليها يد استاذ متوقد البصيرة فتُصلح ما وقع فيها من غموض في التعبير ، وركاكة في تركيب الجمل، واختيار الالفاظ ، وتسعى لايجاد صلة بين الافكار المتتابعة ؛ زد على ذلك رداءة الطبع والتشكيل. واما ان هذا الكتاب نموذج من الادب الحجازي الحديث ، فنتمنى ألا يكون كذلك لانه يحطّ كثيرًا من قيمة الحجازيين الادبية . بقي الامر الثالث وهو ان المؤلف « لم يرد تقويم ركاكة مقالاته » ، ونحن لا نجد مبررًا لسلوكه هذا ، ونرجو منه ان لا يتراجع في المستقبل عن هذا العمل المفيد، فيخدم نفسه اولًا، ثم يخدم القراء ، فلا يضيّع عليهم فائدة تفكيره وكتاباته ، لا سيما وان له بعض الآراء الموفقة .

ا. م.

رحلة موسوليني الى ليبيا

٣٢ ص. متوسطة مزدانة بالصور – رومة ، ١٩٣٧

صور شائقة في مظهر طبعي جميل ، على ورق نفيس ، تمثل « ليبيا في عهد الفاشيزم » مفصّلة رحلة الزعيم موسوليني الى تلك البلاد في ربيع السنة ١٩٣٧ . يبدأ الكاتب بمقدمة في الطريق الساحلي في ليبيا . ثم يأتي تفصيل الرحلة من طبرق الى درنة ، الى بنغازي ، الى طرابلس الغرب. وما تخلل ذلك من خطب وتقادم دلّت على ابتهاج الشعب الليبي بقدوم « الدوتشي » كما دلّت على اهتمام « الدوتشي »، بل اهتمام ايطالية، بترقية ذلك الشعب.

السياسة الخارجية الايطالية

٤٧ ص. متوسطة – رومة ، ١٩٣٧

وهذا الكرّاس ايضاً من منشورات رومة « عُنيت بطبعه محطّة باري وروما اللاسلكية » وضمنته نصّ الخطاب الشهير الذي القاه الكونت شيانو، وزير الخارجية ، في مجلس النواب الايطالي ، في ١٣ ايار ١٩٣٧، متناولًا فيه موضوعات مهمّة عن حقيقة الامبراطورية ، وايطالية وعصبة الامم ، والثورة الاسبانية ، والتعاون الايطالي الالماني ، واتفاقات رومة ، وايطالية وانكلترة ، والعلائق الايطالية الافرنسية ، والمفاوضات لعقد « لوكارنو » جديدة ، وايطالية ودول

البلقان ، والسياسة التجارية ، وايطالية والعالم العربي ، والعلائق مع آسية ، والعلائق مع الدول الاميركية ، والايطاليين في الخارج ، وغير ذلك مما لا يزال له وقعه الحالي.

دولة التعاون باندماج الجمعيات

تأليف برونو بياجي — تعريب سعيد الشرتوني

١٨ ص. صغيرة – مطبعة مجلة «العرائس» ، بكفيا ، ١٩٣٧

يجدر بجميع المشتغلين بالشؤون الاجتماعية ، الآخذين بدرس الحركات الثقافية ، ان يطّلعوا على هذا الكتاب الصغير، فتنبسط معرفتهم الى« مبدأ جديد لا يزال في سنّ الحداثة حتى في مهده الايطالي »،اذ يقفون على نظرية الفاشستية وكيف تكوّنت نقاباتها ، وتطوّر تاريخها ، حتى كانت فكرة التدامج بين الجمعيات وفكرة الجمعية التأسيسية واهدافها،ودور الجمعية في النظام التشريعي، وفي النظام الاقتصادي. وهو ما رمى اليه المعرّب الشاب ، اذ لم يشأ ان « يدع لغة الضاد متأخرة عن غيرها من لغات الغرب في الاطّلاع على هذه العقيدة الجديدة... والله من وراء النيّات ! ».

كنوز الفاطميين

للدكتور زكي محمد حسن

٢٠٣ ص. كبيرة ، ٦٤ لوحة – منشورات دار الآثار العربية في القاهرة – مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٣٧

عرفنا مؤلف الكتاب بعدة ابحاث وفصول في مظاهر الفنّ الاسلامي. ولكنّ واحدًا منها لم يكوّن بحثًا شاملًا ، حتى كان هذا الكتاب النفيس . استعدّ له صاحبه بزالنة الاستاذ غاستون ڤييت مدّة عشر سنوات. وبدرس الآثار الفاطمية عن كثب في المتحف العربي ، وبابحاث خاصّة في التاريخ الفنّي المصري. فكان خير من يدرس كنوز الفاطميين من ابناء النيل.

قسم كتابه قسمين: خصّ الاول منهما بدرس تاريخي استعراضي ، تناول فيه اقوال المؤرخين عن «التحف الفنية في قصور الفاطميين ». فاكثر من النقول

واقلّ من النقود والاستنتاجات. وكأنه لم يشأ الّا التوطئة بملخص عادي للقسم الثاني ، وهو محور الكتاب ، بل محور الكثير من الابحاث المقبلة عن الفنّ الفاطمي بما تضمّنه من دقة وصف ، وسعة اطّلاع ، وتذوّق فنّ ، وعاطفة قومية وددنا لو انها كانت اقلّ حماسة واندفاعاً، ولا سيما في تعليق بعض الحواشي، اذًا لكان الكتاب اقرب الى الموضوعية العلمية ، ولما خسر الفاطميون ، ولا المصريون ، ولا المسلمون شيئاً من المجد الذي يحقّ للمؤلف ان يفخر به. ومهما يكن من أمر فان هذا القسم من الكتاب جدير بالدرس والتأمل : درس الاوصاف ، والشروح، والتأمل بالامثلة المعروضة في لوحات غاية في الاتقان ، تساهم ، مع تنسيق الكتاب ، في انالة مطبعة دار الكتب المصرية حقّها من العمل على نهضة فنّ الطباعة في مصر. يبدأ الدارس هذا القسم الثاني بلمحة عامة في القاعة الفاطمية من المتحف العربي. ثم ينتقل الى آثار الفاطميين في الفنون الفرعية من نحت وتصوير ، وتجليد ، ومنسوجات ، وخزف ، وصناعة زجاج ، وفسيفساء ونقش في الخشب ، وعاج ، ومعادن ، الى ان ينتهي ببحث اجمالي قيّم ، في « العنصر الزخرفي في الفنّ الفاطمي». والمؤلف ، في كل ذلك ، لا يحصر بحثه بالآثار الباقية في دار الآثار العربية ، بل يتجاوز متحفه الى غيره من متاحف القاهرة كالمتحف القبطي وبعض الاديرة والكنائس المصرية ؛ بل يتجاوز مصر الى متاحف اوربة العامّة ؛ بل الى المجموعات الخاصّة التي يعتزّ بها كبار الهواة وتجار العاديات ، والى بعض الكنائس والاديرة الاوربية ايضاً . ويؤيد ابحاثه بتلك اللوحات الشائقة الجامعة اكثر من مائة صورة لأشهر الآثار الفاطمية ، ولا سيّما القماشية والخشبية ، والخزفية ، والزجاجية منها.

ومما يجدر بالذكر لائحة واسعة بمراجع الكتاب تجاوزت مائتين وخمسين بحثاً في اللغات العربية والفرنسوية والانكليزية والالمانية « درسها المؤلف كلّها » على ذمّة الاستاذ ثيت ، فأهلت كتابه لأن يكون ، فوق قيمته الذاتية ، مجموعة مهمّة لمراجعة البحث المذكور.

ف. ا. ب.

تقويم الهلال ١٩٣٨

١٤٤ ص. كبيرة مزدانة بالصور – دار الهلال ، مصر ، ١٩٣٧

يظهر هذا التقويم في سنته العاشرة ممتازاً بما امتاز به في السنين السابقة من حسن طبع ، وجمال صور ، واعمال لحوادث السنة المهمة ولا سيما في مصر . فينتقل المطالع من سياسة ، الى دين ، الى اجتماع ، الى ادب ، الى سينما ، الى خرافات وفكاهات متنوعة ، متأملاً رؤوس اعاظم القوم من احياء أثروا بعض الأثر في مجاري الكون العامة ، ومن اموات احدثوا فراغات متباينة في بلادهم وفي غيرها، مدة السنة المنصرمة . كل ذلك باسلوب يرمي الى اللذة اكثر منه الى الفائدة . وتظهر فيه، فوق كل شيء، النزعة المصرية ؛ ولا بأس في ذلك لو كان التقويم موضوعاً لمصر وحدها . اما وارباب الطباعة في مصر يطمحون الى الاسواق الادبية في جميع مناطق لغة الضاد ، فلا اقل من ان يطلعوا على ما يحدث في تلك المناطق . نقول هذا وقد وقفنا على الفصل المعنون « بالحركة الفكرية في عام » (ص ٦٣–٦٧) ، واذا بنا نتحقق ان الكاتب لم يرتفع عن مستوى بعض زملائه من المتأدبين المصريين ، فلم يدرك ان الحركة الفكرية العربية تتتابع في ما وراء العريش !

ف. ا. ب.

ابن بطوطة : تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار

الروائع : الاجزاء ٤ و٥ و٦–١٢ ص. صغيرة – الطبعة الثانية – المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ١٩٣٧ – الثمن : ٩ غ. ل. س. كل جزء .

ابو الطيب المتنبي : المدائح والاهاجي — المراثي والمفاخر والحكم

الروائع : الجزءان ١١ و١٢ – ١٢٨ ص. صغيرة – الطبعة الثانية – المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ١٩٣٧ – الثمن : ٩ غ. ل. س. كل جزء

بقلم فؤاد افرام البستاني

لك في ابي الطيب المتنبي — في هذه الطبعة الجديدة — فوق ما كان يعطيك من ادب ونقد في طبعته السابقة ، مجموعة ما اثارته « ذكراه الألفية » من تآليف عربية واعجمية ، ولك من كلها فكرة واضحة جلية ، وان سريعة

مقتضبة ، لئلا تخرج الاطالة صاحبها عن نطاق « روائعه » المعروف . ولما كان المؤلفون هؤلاء لمسوا من شاعرية المتنبي نواحي جديدة اهمها ما جاء في مقال للاستاذ البستاني نفسه : « المتنبي والشعر الصافي » (المشرق ٣٤ [١٩٣٦] ٣٥١) وجب ان يضخم البستاني منتخباته . وهذا ما فعله معطياً لكل رأي من آرائه ما يشهد عليه من شعر الشاعر .

وهذا ابن بطوطة في الفه العاشر ايضاً يكتسح الاسواق الادبية بروثة من تقدمه في « الروائع » ، من علي بن ابي طالب الى امرىء القيس . تدلّ اجزاؤه الثلاثة على ما دلّ عليه جزءا المتنبي من عمل واجتهاد ودرس متتابع متواصل يؤتيه الاستاذ البستاني ، يقيناً منه ان للكتب حياةً كما للأولاد ، فان منعتها عنايتك ماتت . لهذا تراه من زيادة الى انقاص في المنتخبات ، ومن تحوير الى تبديل في المقدّمات ، ومن ايضاح الى ايضاح في الحواشي ، الى اشارات سديدة للمنتوجات الادبية الجديدة التي لقراءتها فائدة في الموضوع «الروائعي» المدروس . ناهيك عن اتقان في الطبع والمظهر الخارجي هو من صفات المطبعة الكاثوليكية

ا . ح .

تاريخ الحبّ

للكاتبة مارسل تينير — ترجمه بتصرّف ابراهيم المصري

ملحق مجلة الهلال — ٦٨ ص . متوسطة — دار الهلال ، مصر ، ١٩٣٧

من مساوئ انتشار الطباعة المصرية الحديثة هذا الانحراف في اختيار الموضوعات الذي يُدفع اليه بعض الكتّاب ، مجاراةً لاذواق الفريق الاعظم من سوقة قرّائهم ، فينصرفون عن الابحاث الجدّية الى ترّهات وقشور لا نصيب لها من النضج ، فلا يد في انماء الثقافة المصرية . واذا بالقائد مُقود ، وبالسائس مسوس . واذا بالادب ، وقد فرضت عليه السوقة ذوقها السطحي ، مجموعة واهية من الفصول الصحفية . فالقصة اعاجيب خرافية ، والتاريخ نوادر وفكاهات ، والعلم نُقول ومزاعم ، والفنّ عوارٍ وغوامض . ذاك ما يتطلبه الجمهور الناقص الثقافة ابداً فيولّده الكاتب سريعاً رخيصاً . ومنه الكثير من منشورات مصر

الحالية «كتاريخ الحب» هذا كأن للحب تاريخاً ! — الذي يتحف به الاستاذ ابراهيم المصري العالم العربي. بيدَ اننا نشكر للاستاذ مخالفته العادة «الادبية» الجارية اليوم في مصر، فذكرَه ان الكتاب من تأليف الكاتبة الفرنسية مارسل تينير، وانه ترجمه عنها بتصرّف . وهو حسبنا ! ف.ا.ب

الماضي الحيّ او بيير وجان

قصة لگي دي موپاسان — ترجمة دار الهلال

٩٦ ص. متوسطة — دار الهلال، مصر، ١٩٣٧

وهذا ايضاً من ملاحق «الهلال» يعرض فيه لقرّاء العربية قصة عادية من قصص گي دي موپاسان . على انها افضل من الكتاب السابق الذكر، وان تكن خالية مما فيه من تصاوير جميلة ! ف.ا.ب

المدرسة

مجلة ثقافية قصصية خاصة بالتلامذة

نصف شهرية في ٢٢ ص. متوسطة — دار «المكشوف»، بيروت، ١٩٣٧ — الاشتراك السنوي : ١٠٠ غ.ل.س.

أُنشئت هذه المجلة تلبيةً لرغبة الكثيرين من مديري المدارس وذوي الاختصاص بشؤون التربية والتعليم، وغايتها مشاطرة الاساتذة اتعابهم ومشاكلهم وتنمية الثقافة العامّة في جمهور الطلّاب، راميةً الى توحيد النزعات والميول بتوحيد روح التعليم، ووضع حدّ للفوضى التعليمية في بلادنا، والعمل على العناية باللغة العربية وآدابها، ونشر تاريخنا وجغرافيتنا. يحرّرها نخبة من اساتذة المدارس، ويشرف على القسم الثقافي منها الاستاذ فؤاد افرام البستاني.

* جمعية اصدقاء الأشجار * المقرّرة من المنافع العامّة — تقرير امين اسرارها العام الحكيم أمين الجميّل في اجتماعها السنوي العام ٣ حزيران ١٩٣٧ — ٣٤ ص. متوسطة، مطبعة المرسلين اللبنانيين، جونية (لبنان)، ١٩٣٧

* خلاصة اعمال شركة الفديس منصور دي پول في بيروت * عن سنة ١٩٣٦ — ١٧ ص. صغيرة، مطبعة رباط، بيروت، ١٩٣٧

* فهرس مكتبة حامد عجّان الحديد * ، حلب: شارع حمام البيلوني — ٦٨ ص. متوسطة — بمطبعة سبع اخوان، حلب، ١٩٣٧

الرسم ٢ : صفيحة برونزية تمثل ديونيزوس.
ويظهر على ردائه رأس ثور يدلّ على انه ابن الاله هدد
(المتحف الوطني اللبناني ، عن صورة للاب روزنال)

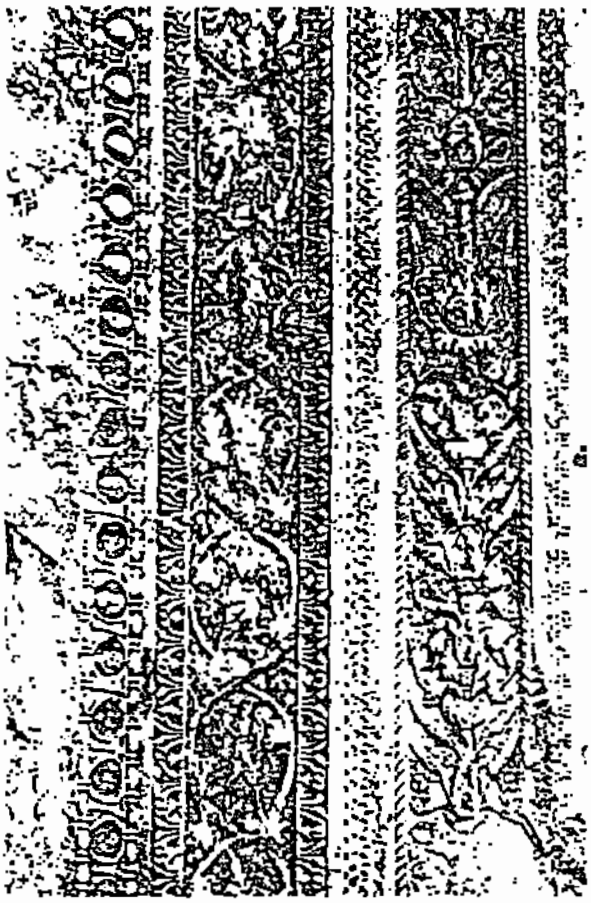

الرسم ٣ : من نقوش الباب في هيكل ديونيزوس في بعلبك
(عن صورة للاب بوردو)

المشرق

السنة الخامسة والثلاثون — ت ١ – ك ١ ١٩٣٧

جوبيتير البعلبكي

استاذاً الى اخوان الرب سبنالد روزفال اليسوعي

بقلم الاب زينه موترد

هي اولى المحاضرات في معهد الآداب الشرقية للسنة ١٩٣٧–١٩٣٨ ، القاها الاب زينه موترد اليسوعي ، مدير المعهد ، في الجلسة الافتتاحية في ٢٦ تشرين الثاني ١٩٣٧ ، برئاسة الاستاذ روجيه رئيس الجمعية الليونية ضابط التعليم الفرنسوي العالي في الخارج.

يا حضرة الرئيس

ان تكن المساعدة التي توليها جامعة ليون جامعة القديس يوسف منذ خمس وعشرين سنة معروفة مشهورة في الخاصة هذه ، فان القليلين في بلادنا ، خارجاً عن كتبي الحقوق والفلسفة ، من يعرفون نصيبكم الوافر من هذه المساعدة . وليس هذا النصيب ، نصيبكم ، سوى النصيحة الحكيمة ، والتوجيه السديد ، والسهر الدائم ، والاخلاص المستور ، الدائب عمله لا يعاكسه ظرف ، ولا يضعضعه ملل . ولهذا كان وجودكم بيننا ،

يا حضرة الرئيس ، قوّة فائقة في هذه الساعة التي نعلن فيها ان جامعة ليون تولي رعايتها هذا التعليم العالي الادبيّ الذي بعثناه منذ خمس سنوات ، والذي يتخذ رسمياً منذ اليوم اسم « معهد الآداب الشرقية »

وماذا ننتظر من ليون ؟ ننتظر اساتذة يُعدون اساتذتنا ، وتبادلاً في الآراء يثبت اساليبنا ومناهجنا ، ونظرةً على امتحاناتنا تقدر قيمتها . وهكذا يعيننا ذاك المعهد العلمي العالي ، الذي تمثلونه بيننا ، على متابعة العمل ، والسير نحو التقدّم .

واني لأخال كبار اساتذتنا الراحلين ، مؤسسي معهدنا الشرقي السابق ، الآباء شيخو ولامنس وروتزفال ، مَن نعمل على احياء مآثرهم ، يطلّون علينا هذا المساء مغتبطين بما نلناه من الضمانات في متابعة هذا التعليم الادبي لخير انحاء الشرق الادنى جميعها .

❁

لم يكن الاب روتزفال اول من تكلّم عن هليوبوليس - بعلبك . ولا بدّ من الاشارة الى المنشورات النفيسة الظاهرة على اثر الحفريّات البعلبكية التي اجراها المعهد الاثري الالماني من السنة ١٩٠٠ الى السنة ١٩٠٤ ، فأطلعتنا على كل ما تمكن معرفته من هندسة الهياكل وزخارفها المتنوّعة . على ان اصحاب هذه الآثار القيّمة لم يتعرّضوا لدرس شخصية الاله المعبود في هيكل بعلبك ، شأنهم في ذلك شأن الذين تقدّموهم في الكتابة عن هذه الاطلال . ولقد كان من نصيب الاب روتزفال ان يلتقي بهذا الاله المجهول على طريقه ، منذ اكثر من ثلث قرن ، فيحاول درس شخصيته والإلمام بصفاته .

كان ذلك في السنة ١٩٠٠ . وكان الاب روتزفال يقوم بحفريّات تمهيدية في دير القلعة ، قرب بيت مري . وما هو ان اخذ يسير شرقي الهيكل حتى وقع على رقيم دعائي . ولم يكن هذا الدعاء موجّهاً الى إله المكان ، واسمه « بَعل مَرقُد » اي ربّ الرقص ، المعروف بفضل النصوص المختلفة ، بل الى إله غريب عن هيكل بيت مري ، الى جوبيتير البعلبكي . وتحت الرقيم يظهر الإله لابساً على رأسه سلّة مستطيلة ترمز الى آلهة الخصب الزراعي ، وحاملاً بيده

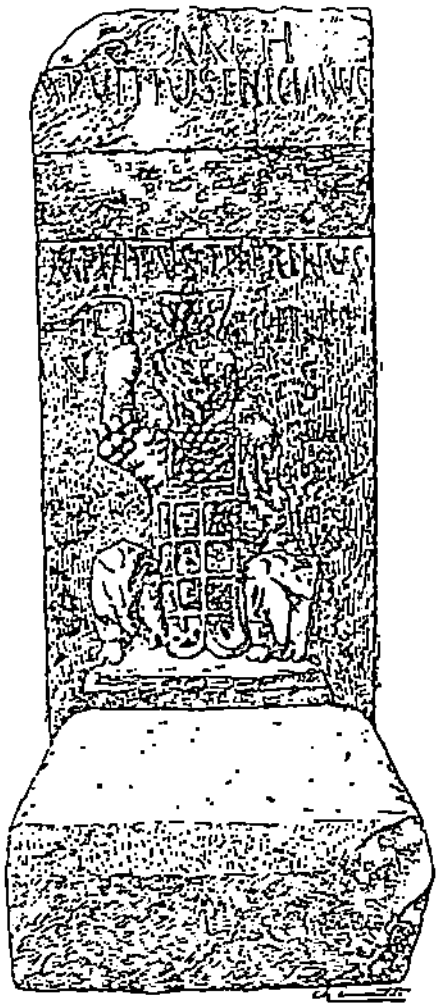

الرسم ١ : جوبيتير البعلبكي
المكتشف في دير القلعة

اليمنى سوطاً مرفوعاً هو رمز الشمس المسافرة كل يوم من الشرق الى الغرب ، ومرتدياً درعاً زيّنتها الرموز الفلكية مشيرةً الى ان صاحبها إله الجيوش السماوية . وعن جانبي الإله يظهر ثوران معروفان لهَدَد ، الإله السوري القديم ، إله الصواعق والامطار .

هذه الميزات الفارقة تظهر بنفسها في نحو الستين من تماثيل الإله المذكور المكتشفة في انحاء العالم الروماني . وان من اجملها التمثال البرونزي المكتشف في الحدث ، قرب بيروت ، والمنسوب الى شارل سرسق ، وهو من آثار متحف اللوفر منذ بضع سنوات . يبدو فيه الإله وعلى رأسه السلّة مزدانة بسنابل القمح ، ويده اليمنى مطوية اشارةً الى حملها السوط في ما مضى ، وقد لبس الدرع المزخرفة بمناطق مُثلت فيها دُمى الآلهة الفلكية المنتسبة الى السيارات مناسبةً ايام الاسبوع السبعة . اما يدهُ اليُسرى فتحمل ، دون شك ، الصاعقة ورزمة السنابل . وعلى ردائه صورة للعقاب ، وصورة لدائرة الشمس المجنحة ، توحّد بينه وبين زفس وبين الشمس نفسها . ومن حواليه ذانك الثوران اللذان يدلّان على انه الإله هَدَد . ولا تختلف التماثيل الباقية ، المتجاوزة الخمسين ، عن هذا التمثال بشيء مهمّ . واذاً فان الميزات الفارقة لجوبيتير البعلبكي

معروفة مقرّرة مهما ظهر من تنوّعها وتباينها الخارجي .

ولكن اين الصلة بين هـذه العناصر المتباينة ؟ وايّة ميزة هي القُدمى المسيطرة على غيرها ؟ وهل كان إله هليوبوليس الأكبر الهاً شمسياً كما قد يدلّ عليه اسم مدينته ؟ ام هو الإله هَدَد ؟ وكيف يظهر الهَ الخصب ؟

ليس لـدينا من نصّ قديم يجيب عن هذه الأسئلة . اللهمّ بضعة أسطر لمكروب ، في كلامه عن اعياد زُحل ، لا تُغني غناء كبيراً . فلا سبيل اذاً الّا بدرس صور التمثال نفسها .

وهنا يتعقّد المشكل بكون الاله المذكور لا يظهر منفرداً . انما هو رئيس لمثلّث لا نعرفـه الّا ببعض الرُّقَم ، وبعض الآثار التصويرية الراقية الى العهد الامبراطوري . امـا في الرُّقَم اللاتينية فاسماء آلهة المثلّث جوبيتير وڤينوس ، ومرقور . وقد وردت على هذه الصور في كتابة قدّم بها احد مراقبي الفرقة القرتيّة الاولى تاجي عود مصفّحين بالبرونز المذهب ، بين اعمدة بعلبك . وذلك على عهد الامبراطور كراكلّا ، فحفر ما يلي باللغة اللاتينية[1] :

J(ovi) o(ptimo) m(aximo), V(eneri), M(ercurio), diis Heliupolitanis .

ولا يصعب علينا ان نرى ممثّلاً باسم جوبيتر الاله المحلّي الأكبر عند الشعوب السامية . اما ڤينوس فتمثّل الالهة أفروديت - أتركاتيس . ولكن مَن هو هذا «المركور» المُلحق بالإلهين ؟ في أثر من مكتشفات رومة ، يظهر ، الى يمين الاله الأكبر حامل السوط ، صدر اله صغير ، أمرد ، اجذم الساعدين ، على شكل آلهة الحدود المدعوّة عند اليونان هرمس وعند اللاتين مركور . وقد ألبس هذا الاله الأمرد الـلّة المعروفة ، وجعل في عنقه عقد ؛ ونُقشت عليه صورة المركبة الشمسيّة تجرّها التنانين . ولا شكّ في ان هذا الاله - الحدّ يمثّل مركور الذي عرفناه في النصّ اللاتيني السابق . ولكن كيف اغتصب مركبة الشمس ، وهي خاصّة ، كما يظهر ، بالاله الشمسي الأكبر في هليوبوليس - بعلبك ؟ وتلك

---

1) Dessau, 4283 et p. CLXXXII

الدمى الرصاصية التي وُجدت في ينبوع عين جوج ، وعليها صورة الاله الشمسي، هل تمثل جوبيتير البعلبكي ام مركور الظاهر في المثلث الموصوف آنفاً ؟.

وهل نستفيد شيئاً في ايضاح هذه المشاكل بدرسنا هياكل بعلبك ؟

قد يجيب الباحث بالنفي لأول وهلة . لأن الهيكل الأكبر ، ورواق الاعمدة الفخم ، والساحة المدسّة ، وفناء الذبائح ، والسُلّم الفسيح ، كلّها اصبحت من الخراب بحيث لا يمكنها ان تفيدنا بشيء صريح في ما خصّ المشكل الدقيق الذي يهمّنا ايضاحه.

اما الهيكل الثاني ، التامّ الحفظ ، المدعوّ عادة « هيكل ديونيزوس » او « هيكل باخوس » ، فهو يثير عدة معضلات لا يسهل حلّها . واول ما يظهر فيه ان اعلى رواقه تحمله الحيوانات نفسها التي تحمل اعلى رواق الهيكل الأعظم ، اي الثيران والاسود ، فيمكن الاستنتاج ان الالهة المعبودة هنا لا تختلف عن الآلهة المعبودة هناك . واذًا فلا يسعنا ان نرى فيه مع الاستاذ هرمَن تيرش[1] هيكلًا للالاهة أتَرْگاتيس. بيد ان الرتاج يفيد درسه . وفيه نرى تحت العتبة نقشاً يمثل نسرًا يحمل قضيباً عليه حيّتان . فنستنتج ان هذه الصورة ، كصور الاسود والثيران السابقة ، ترمز الى السلطة السماوية ، او الى سلطة الشمس ، كما يقول البعض[2] ، متحدة بعمل الاله - المُرسل ، هرمس اليوناني ، او مركور اللاتيني. اما باقي الزخارف فينتمي الى شعائر ديونيزيوس. فهناك اغصان الكرمة تتدير وتلتفّ على اشخاص متعدّدة من مخلوقات الميتولوجيا كالرجال ذوي الارجل التَيسية، وكاهنات باخوس يرضعن الظباء ، او يستسلمن للهوس والهذيان. وامام الغرفة المتوسّطة ، مشهدان يدلّان على ظفر ديونيزوس . وكذلك في مقطّعات السقف كثير من المشاهد الرامزة الى الطقوس الديونيزية.

بيد ان اله الخمر هذا يظهر متحوّلًا الى اله الحبوب ، او الى اله الموت .

(١ *Zu den Tempeln u. zur Basilika von Ba'albek*, dans *Nachr. der Gesell. d. Wiss. zu Goettingen*, Phil.-Hist. Kl.,1925, Heft I. Cf. Ronzevalle, *MUSJ*, X, 1925, p. 215

(٢ H. Seyrig, *La triade héliopolitaine*, 1929, p. 334

فترى على عضادة الباب نفسها ، الى جنب اغصان الكرمة وما تلتفّ عليه من اشخاص ، سنبلة قمح وزهرة خشخاش . ولا يخفى ان هذين الرمزين يشيران الى الآلهة السفلى . ومن ثم أفلا يكون لدينا ميزات اله يموت كل سنة ثم يُبعث ، جرياً على تطوّر النباتات في هذه الاراضي الفنيقية المتنقّلة ابدًا بين الحرارة المحرقة والبرد القارس ؟ او لا يكون ذاك الاله الذي كانت تندبه كل سنة نساء بيبلوس باسم ادونيس ؟

ولكن أليس ادونيس وديونيزوس وهرمس ثلثة آلهة متمايزة ؟ أوَلا يمكن ان نتصوّرهم موحّدين مثلهم باله السماء الأكبر، كما قد يظهر من هذا الزخرف ؟

بلى . انهم يكوّنون الهًا واحدًا في بعلبك ، اذ نحن في ارض فنيقية لا عبرة فيها لتميّزات العبادات اليونانية والرومانية . انما المقصود العبادات والشعائر الخاصّة بالمثلّثات السامية . هذا ما اثبته الاب روتزفال منذ السنة ١٩٢٥ قائلًا: «اني ارى ان هيكل بعلبك الثاني كان مخصصاً لعبادة الاله الابن . . . ومَن كان هذا الاله الابن الذي لا تكاد الرُّقُم والآثار المكتشفة حتى اليوم تُظهر عنه شيئاً واضحاً ؟ . . . هو ذاك الاله الهرمسي الشكل الظاهر إمّا منفردًا ، وإمّا ملتصقاً بثوب جوبيتير البعلبكي . ولدينا سلسلة طويلة من الآثار السورية . . . تدلّ جميعها على ان الالهة البعلبكيين يؤلّفون مثلّثاً متميّزًا اركانه : إله - اب ، وإلاهة - امّ ، واله - ابن وقد خُلط بين هذا الاخير ومركور في العهد الروماني. على انه في جوهره لا يتميّز عن ادونيس اللبناني.»[1]

هذه النظرية التي أدلى بها الاب روتزفال سنة ١٩٢٥ ، عاد اليها فاثبتها بسلسلة من الابحاث والبراهين جمعها مؤخّرًا في كتاب عنونه «جوبيتير البعلبكي»[2] وانهى اصلاحه قبيل وفاته، فكان آخر ما خطّه ذاك القلم الجلود.

وهو يسير في براهينه على تدرّج ، بادئاً باقرار العبادة لاله - راعٍ في بعلبك

---

١) *MUSJ*, X, 1925, pp. 215-216

٢) ظهر الكتاب مؤخرًا في المطبعة الكاثوليكية بعنوان

S. Ronzevalle, s. j., *Jupiter Héliopolitain, nova et vetera*. In-8°, 180 pp., 53 pl., Prix : 100 fr.

والبقاع . وما هذا الاله - الراعي سوى ادونيس اليونان الذي وُحد بينه وبين اله الكرمة ديونيزوس من جهة ، وبينه وبين هرمس - مركور ، موفد الاله الأعظم ، من جهة اخرى. ثم تخطّى الى البرهان عن ان هذا الاله «المركّب»، اذا صحّ التعبير ، كان معتبرًا كالشخص الثالث من المثلّث البعلبكي اي كالإله-الابن .

يظهر الاله الشاب ، حامي المواشي والمحصولات الزراعية ، على صخرة منقوشة في احد المقالع القديمة في الفرزل ، شمالي زحلة. ويمثّل هذا النقش الهًا فارسًا متقدّمًا الى اليمين، حاملًا كرةً او حجرًا من الحجارة المؤلّهة ، ووراءه شجرة نخل . ويبدو امامه فتى عاري الجسم ، كأنه يقود الفرس الشمسي ، يحمل بيده اليمنى عنقود عنب ضخم ، وباليسرى طاقة من الزهور والثمار ، ساندًا الى صدره عنزة صغيرة .

وليس هذا الفتى ، صاحب العنزة ، بغريب عنّا . وقد رأيناه على قطعة نقود بعلبكية ترقى الى العهد الروماني. هي قطعة برونزية ضُربت في بعلبك على زمن الامبراطور سبتيموس سافيروس ، ومثّلت فتيَين عاريَين يمسك كلٌّ منهما بيسراه طاقة زهور تشبه قرن الخصب . اما اليد اليمنى فيمسك بها احدهما شبلَ أسد ، والثاني جديًا من الماعز[1] . اما الاله الحقلي ، حامي الماشية والاشجار فهو ادونيس. وما عنقود العنب ، وجلد الفهد المتدلي على كتفه اليسرى ، في نقش الفرزل ، الّا من الشواهد التي توحّد بينه وبين ديونيزوس[2] .

الرسم ٥ : قطعة النقود البعلبكية

وهناك اثر آخر يدلّ على الوحدة بين هذا الاله وهرمس - مركور. هو تمثال صغير اكتُشف في اليمونة (البقاع) ، ودخل متحف اللوفر . وقد مثّل صدر اله

(١ Winnefeld, *Rhein. Mus.*, N. F., LXIX, 1913, p. 147 et pl. n. 5.

(٢ Ronzevalle, *Jupiter Héliopolitain*, p. 36.

شاب ذي شعر وافر ، يعلو حذاً من الحدود المعروفة بهرمس . ويمسك بيده اليُسرى جدياً صغيراً يسنده الى جنبه ، والى جهة اليمين وقف حيوان آخر . وفي اليمونة ظهر تمثال ثانٍ لا يزال محفوظاً في متحف بعلبك ، وهو يمثل الاله نفسه ، اي الاله - الراعي المعبود في البقاع ، حاملاً الجدي وطاقة الزهور والثمار . وكيف لا نعرف بهذا الاله - الراعي الاله أگرويتس او أگرويروس الذي يتكلم عنه فيلون الجبيلي فيسمّيه « محمولاً على الثيران » ، كجوبيتير البعلبكي ! وهناك قطعة برونزية اكتُشفت في بلاد عكار ، شمالي طرابلس ، تبرهن على ان هذا الاله كان لا يتميّز عن ديونيزوس في عدة مناطق من هذه البلاد . ويظهر في تلك القطعة واقفاً على قاعدة مزخرفة بتصاوير على شكل رؤوس الأبقار . وهو يحمل اكليلاً من اغصان الكرمة ، وإناء ديونيزوس الخاص . على ان الحيوان الذي يتناول الحبّات من عنقود العنب ليس بالفهد التقليدي ، ولكنه كبش طويل الشدق ، بارز القرنين ، مستديرهما . ولا شكّ في ان اله الخمر يظهر هنا اله المواشي ، او الاله - الراعي . ثم ان رؤوس الثيران ، رمز الاله هَدَد ، تذكّرنا باصله ، وبانتسابه الى ذاك الاله الاعظم ، اله الصاعقة ، ربّ البقاع . واذاً فان ادونيس - ديونيزوس هذا هو الاله الابن ، او هرمس - مركور الظاهر في المثلّث البعلبكي .

ولنا برهان آخر على هذا الأمر . والبرهان ، في طريقة الدروس الاثرية الصورية ، انما هو صورة او نقش جديد . وهذا النقش صفيحة من البرونز وُجدت في البقاع ، ودخلت المتحف الوطني اللبناني . وهي تمثّل ديونيزوس فتىً ، عاقداً اكليل أغصان الكرمة على رأسه ، ومتشحاً بالرداء المعروف . ولم يكن فيه ما يلفت النظر الى أمر غريب ، لو لم يظهر على صدره رأس ثور صغير ، رمز الاله هَدَد كما تقدّم ، وهو اجنبي عن تماثيل ديونيزوس العادية . انما قُصد به هنا الدلالة على نسبة هذا الاله الشابّ الى اله السهل البقاعي الأعظم .

من الحقّ ان هناك بعض النقوش تولي الاله - الابن ، في المثلّث البعلبكي ، مظهراً يختلف عن هذا المظهر . فلا يمكننا ان نتحقق هيئة ادونيس ولا ديونيزوس في الاله الصغير الذي اكتُشف في هيكل حَرْبَتا . وهي قرية صغيرة ، قرب

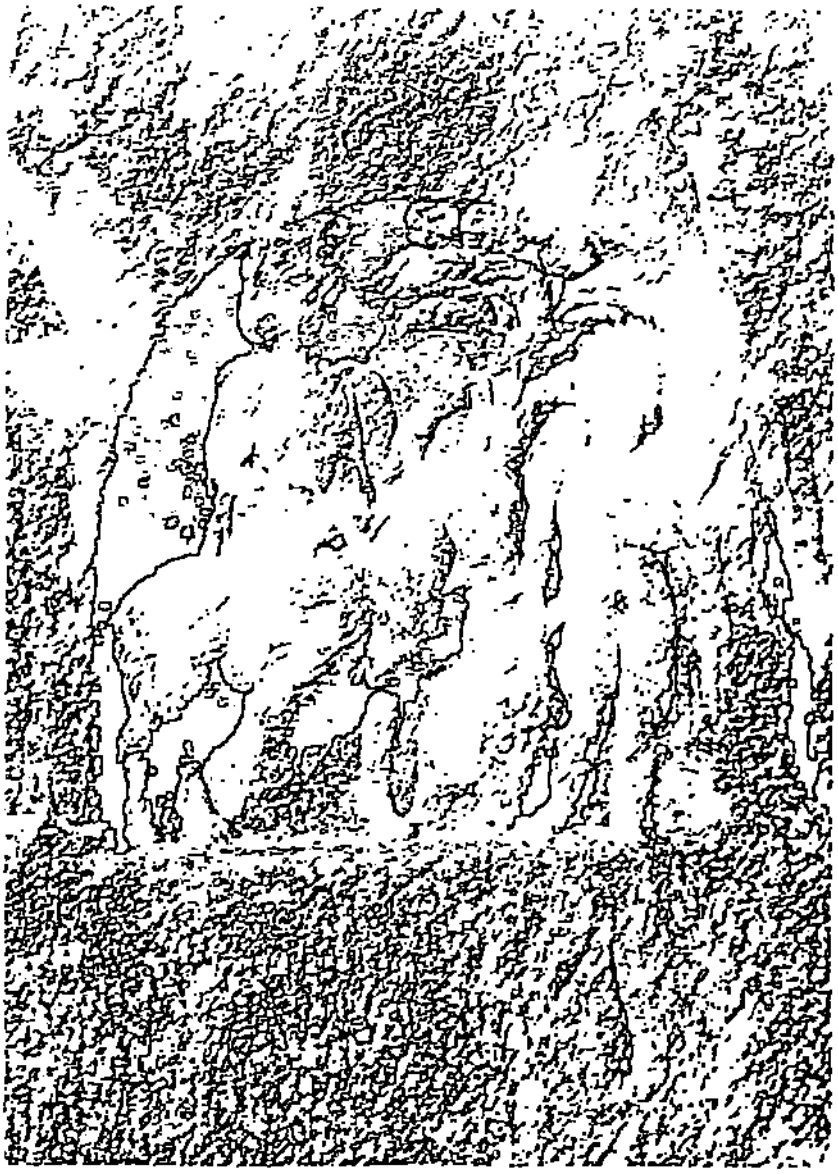

الرسم ٦ : [illegible]

(من صورة للاب [illegible])

الرسم ٦ : ←
أدونيس أو الإله - الراعي في لبنان ممثلاً على شكل الإله الحدّ أو هرمس
(مكتشف في البيبلوس ومحفوظ في متحف اللوفر)
(عن صورة لمتحف اللوفر)

الرسم ٧ : →
الإله - الطفل المكتشف في حربتا
(مجموعة الأب نقولا كرم)

اللبوة ، شمالي بعلبك ، اكتُشف في خرائبها كثير من تماثيل العبادة دخل قسم منها في مجموعة الاب منقولا كرم. وقسم اكتشفه الامير موريس شهاب في حفريّات اجراها باسم المتحف الوطني اللبناني. وكان من هذه التماثيل واحد يهمّنا خاصّة ، لأنه يمثّل طفلًا ضخم الوجنتين ، تتدلّى على اذنه اليمنى ضفيرة تختصّ عادة بالاله هربوقراط ، اله العلم عند اليونان الذي يظهر واضعاً اصبعه على شفتيه. وفي يده اليسرى حمامة . اما اليمنى فتمتدّ مبسوطة الراحة كأنها تستزل البركة . وليس من شك في ان بعض العناصر الزخرفية ، ولا سيّما ضفيرة الطفل ، تلتحق بفنّ التصوير المصري . ونذكر هنا ان لوسيان السميساطي ذكر ان ادونيس وفينوس اللبنانيّين كانا يتّحدان في نظر بعض كهنة بيبلوس بأوزيريس وإيزيس.[1] بيد ان هذا الشكل المتمصّر ، يدخل في فنيقية ، في مظاهر عبادة جوبيتير البعلبكي ، كما تشهد بذلك قطع النقود المنتسبة الى عرقة ، وهي مدينة عريقة في القدم والقداسة ، واقعة في عكار ، شمالي طرابلس . وفيها يظهر الاله - الطفل ، بضفيرته الراقية الى هوروس - هربوقراط ، ماضًّا اصبعه ، في حنيّة عند مدخل الهيكل . وفي الحنية المقابلة يبدو جوبيتير البعلبكي متسلّحاً بسوطه. وفي الوسط تنمو أشجّته ، شفيعة المدينة ، يكلّلها الانتصار.

ولدينا صور عديدة تمثّل الاله - الابن من المثلّث البعلبكي. منها ما يبدو وافر الغرابة لأنه يولي الابن ميزات جوبيتير البعلبكي، اي الاله - الاب نفسها فيمثّله مع الثورين، والسلّة ، والدرع المزركش بالرموز الفلكية . وهذا ما رأيناه في تمثال رصاصي ، من التماثيل المكتشفة في عين جوج ، وهو تمثال عدي لجوبيتير البعلبكي ، انما حُفر على قاعدته الاسم اليوناني EPMHC دالاً على انه الاله - الابن.[2] وهذا ما رأيناه ايضاً في تمثال رصاصي آخر يمثّل الاله - الطفل ، معروفاً بالضخامة ، وبضفيرة الضفيرة على رأسه ، وقد اشار بيده اليمنى اشارة البركة . اما اليسرى فيحمل بها ، على رأي الاب دونزفال ، بقية طاقة فخمة من الزهور والثمار .

---

1) *De Dea Syria*, 7

2) *Baalbek, Ergebnisse der Ausgrabungen*, II, 1923, p. 124, bas.

وفي غير ما تقدّم ذكره من الآثار ، يظهر الاله - الطفل كأنه ملفوف بالاقطة ، عندما لا يبدو على شكل الاله - الحدّ هرمس. وهو شكل الاله الذي اكتُشف في نيحا ، بين زحلة وبعلبك ، داخلَ يدٍ مبسوطة للبركة . وقد تظهر بدقّة السلّة المعروفة ، وشكل الشعر المصري التأثر ، والدرع المزركشة بالأشكال المستديرة ، والقاعدة بين ثورين. وعلى السلّة يظهر شكل مستدير بين السنابل.[1] ولا يميّز هذا الاله عن جوبيتير الّا خلوّ التمثال من الذراعين ، فتحملنا هذه الميزة على نسبته الى الاله - الابن.

وذلك انه من الراجح — على قول الاب رونزفال مستنتجاً — ان جماهير البعلبكيين لم يكونوا يميّزون ، في العصر الروماني ، بين هذين الالهين . وان نستند الى الرُّقم والى النقود ، نتحقّق انهم كانوا يكرّمون المثلّث العائلي : جوبيتير ، وڤينوس ، ومركور ، تكريمهم موزّع الخيرات ، وحافظ المواشي والمزروعات . ولقد كان للاله الذكر التقدّم على الانثى . فبدا جوبيتير اولاً ، وهو لا يفرق في اصله ، عن الاله المحلّي الأكبر القديم ، اله الصواعق والمطر ، هَدَد الذي اتحد في الاحقاب المتتابعة باله السماوات ، بعل شميم ، وبالاله - الشمس. ثم ظهر مركور ، الاله - الابن ، صورة ابيه الاله الاعظم ، وشريكه في طبيعته السماوية والشمسيّة . وبما انه كان رسول الاله الاعظم ، وحامل الاعاجيب والبركات المادّية ، كان الحجّاج يلجأون اليه خاصّة ، حتى اخذت عبادة الابن تقوى شيئاً فشيئاً ، فكادت تتقدّم عبادة الاب . وهكذا اخذت الجماهير توليه صفات الاب من قوّة وسطوة ، الى ان جعلت له الحقّ بتأليف مثلّث جديد في عائلة جديدة يكون هو رأسها بالطبع.

ولا يخفى ان هذه الجماهير الشعبية ، وقد تأصّلت فيها عادة البيئة واخلاق الوطن السامي ، كانت تعتبر الهيكل وشعائر العبادة ، فوق اعتبارها شخصيّات الآلهة ، فتحوّل عواطفها التقوية جميعها الى عبادة كوكب النهار الساطع ، موزّع الخيرات ومولّد الخصب الزراعي.[2]

(١ R. Dussaud, *Notes de mythologie syrienne*, p. 119

(٢ S. Ronzevalle, *Jupiter Héliopolitain*, p. 139

صفحة جديدة

من تاريخ الثورة الدرزية

١٨٣٤–١٨٣٨

كما تظهر في محفوظات سراي عابدين الملكية

للدكتور اسد رستم

ان لجلالة المغفور له ، الملك فؤاد الاول ، فضلًا على علم التاريخ وذويه يعترف به كلّ من رافق النهضة العلمية في مصر في طورها الاخير. فانه ما كاد يرتقي العرش حتى وجّه عنايته الى تنشيط اعمال الجمعية الملكية الجغرافية ، فاعانها بماله ، وعضدها بسطوته وصولته ، حتى تمكنت من جمع تقارير قناصل الدول في مصر ، وفي بعض البلدان المجاورة لها ، في النصف الاول من القرن التاسع عشر . ثم عهدت بنشر هذه التقارير الى بعض رجال الاختصاص ، فظهر منها اكثر من خمسة وعشرين مجلدًا. واصبحت هذه الحقبة من تاريخ القطر الشقيق غنيّة في مصادرها الأوّلية ، تفوق من هذه الناحية جميع الحقبات في تاريخ مصر وفي تاريخ غيرها من الاقطار العربية .

وقد كانت مكتبة السراي الملكية في عابدين مهجورة في عهد بعض اسلافه في الحكم ، فاهتمّ باصلاحها ، وعهد في ذلك الى صديقي المرحوم الدكتور غريفيني ، المستشرق الايطالي ، وطلب اليه ان يجعلها مكتبة تاريخية يؤمّها الباحثون في تاريخ مصر. فاصبحت ، بفضل رعاية المليك الراحل وتنشيطه وتشجيعه ، اكمل مجموعة في العالم لتاريخ مصر في عهد محمد علي باشا وبعض احفاده. وقد وجدت فيها من الكتب الاوربية ما لم اجده في اكبر دور الكتب في اوربة واميركة .

وقل الامر نفسه عن اوراق الحكومة المصرية في عهد والده اسماعيل ،

وجده ابراهيم ، وجده الاكبر محمد علي باشا . فاني اذكر بوضوح تام اني لما زرت مصر ، عام ١٩٢٥ ، لتمثيل جامعة بيروت الاميركية في المؤتمر الدولي الجغرافي ، صعدت الى القلعة لتفقد احوال الدفترخانة المصرية . فوجدت اوراقها وسجلاتها مكدسة بعضها فوق بعض في اكياس من «الجنفيص» لا يؤمها سوى الجراذين والثعابين . وقد اكّد لي احد ضباط القلعة من الانكليز ، الذي قادني الى هذه الغرفة المهجورة ، أنه لما دخلها قبل زيارتي بيومين او ثلاثة مع احد المستشرقين ، لاحظ حركة مريبة في احد اكياس الاوراق . فامر بفتحه وما ان فتح هذا الكيس حتى انسلّ منه ثعبان طويل كان قد سئم المطالعة والتفتيش ، لما عاناه من المشقة للوصول الى ضالّته ، ولما اعترضه من الغبار المتراكم زهاء نصف قرن من الزمن .

وكان قد قيّض الله لمصر ان ولي الاحكام فيها فؤاد الاول فامر بجمع هذه الاوراق وتنظيفها وتنسيقها ، ثم نقلها الى سراي عابدين وانشأ لها دائرة تختص بها . وهكذا فاني لما عدت بعد عشر سنوات الى هذه الاوراق نفسها لدرس اخبار الحملة المصرية على الاقطار الشامية ، في عهد محمد علي باشا ، وجدتها مرتبة احسن ترتيب ، سهلة المنال . وقد قام من ابناء مصر ، برعاية المليك الراحل وتشجيعه ، عدد من الموظفين «الساكتين» لدرس محتويات هذه الاوراق وتنظيمها ، وتسهيل الوصول اليها ، اخص بالذكر منهم يوسف جلاد بك ، وجورج جندي افندي ، وجورج سمان افندي ، ومحمد علي عوني افندي ، وغيرهم ممن يشتغل بيديه ، ولا يحدث ضجيجاً لما يقوم به من الاعمال ، دأبه التنسيق والترتيب ودرس المحتويات وتسهيل اعمال الباحثين من طلاب التاريخ . هذا واني اعلم العلم اليقين انه لو اطلعت احد هؤلاء العاملين الامناء على ما ادوّنه عنهم الآن لاعترضوا عليه والحوا في عدم الاشارة اليه ، لما طبعوا عليه من التواضع وحسن الاخلاق والانصراف الى العمل الجدي . كثر الله من امثالهم بين موظفي حكومات الشرق العربي جمعاء !

❁

وجدت في سراي عابدين اكثر من خمسة عشر الف وثيقة ترجع الى عهد

الحكومة المصرية في الاقطار الشامية . وقد نشرت تقريراً ضافياً رفعته الى جلالة المليك الراحل عن اسباب الحملة المصرية على برّ الشام كما تظهر في هذه الاوراق . وانجزت منذ اسبوع تقريراً آخر سارفعه الى اعتاب حضرة صاحب الجلالة المليك المعظم فاروق الاول عنوانه «محفوظات عابدين الملكية والثورة بفلسطين عام ١٨٣٤» . وفي اثناء اقامتي في مصر ، في العام الفائت ، وجدت عدداً لا يستهان به من الاوراق السرّية التي تتعلق باخبار الثورة الدرزية على ابراهيم باشا وحكومته في هذه البلاد . فاحببت ان انشر بعضها على صفحات مجلة «المشرق» ، واعلق عليها تعميماً لفائدتها ، واظهاراً لبعض محتوياتها المجهولة ، ولا سيما ما يتعلق منها ببعض اسباب الثورة المشار اليها .

ويجدر بنا ، قبل ان ننشر نص هذه الاوراق السرية ان نأتي على ذكر اسباب الثورة الدرزية كما عرفها المؤرخون حتى هذه الساعة . قال صديقي المرحوم سليمان بك ابو عز الدين ، وهو آخر من عُني بالثورة الدرزية ما خلاصته :

«كثيرون من السوريين أملوا الخير من وراء تغلب حملة ابراهيم باشا على بلادهم لان من مزايا حكومة محمد علي العمل على اقرار الامن في البلاد وانقاذها من الفوضى التي جعلت ارواح العباد واموالهم تحت رحمة الاقوياء والاشقياء كما ان ابراهيم باشا كان قد وعد السوريين بانه سيعفيهم من التجنيد ويخفض الضرائب ولا يكلفهم سوى دفع الاموال الاميرية . والاموال الاميرية لم تكن عبئاً ثقيلاً عليهم في عهد الحكومة العثمانية الا لما كان يرافقها من سوء المعاملة في التحصيل وابتزاز المبالغ الاضافية بحجج مختلفة . وكان ابراهيم باشا قد حقق بعض الآمال على اثر احتلال سوريا والشروع في ادارة احكامها فخفف عنهم الاثقال المالية واخذ ينشط الزراعة والتجارة . فبدأ القوم يشعرون بالطمأنينة والرخاء وبالاخلاص للحكومة الجديدة غير ان زمن الهناء والرخاء لم يطل . فقد ذكرنا في فصل سابق ان من اهم الاسباب التي حملت محمد علي باشا على الطموح الى الاستيلاء على سوريا هو رغبته بالانتفاع بما فيها من مال ورجال ولذلك لم ينقض زمن طويل على امضاء معاهدة كوتاهية وعلى الخطة الحكيمة التي كان ابراهيم باشا قد انتهجها في ادارة البلاد السورية حتى وردت عليه اوامر والده قاضية على آمال السوريين موجبة عليهم الخضوع للسياسة العسكرية والاقتصادية التي جرى عليها في القطر المصري . فالاوامر التي اصدرها محمد علي الى ولده ابراهيم باشا في اوائل سنة ١٨٣٤ اوجبت اجراء ما يلي :

١ً – احتكار الحرير في البلاد السورية.

٢ – تحصيل « العردة » اي فريضة الرؤوس من جميع الرجال على اختلاف مذاهبهم
٣ – التجنيد في البلاد الساحلية
٤ – نزع السلاح من ايدي اهل البلاد

اما الذي حمل حكومة محمد علي على التشدد في امر التجنيد في سوريا فهو ان الدولة العثمانية كانت تحشد جنودها على مقربة من حدود سوريا الشمالية بحجة مقاتلة ثوار الاكراد فاستعدادًا للطوارئ بادر محمد علي الى تقوية جيوشه في سوريا واصدر اوامره بتعميم التجنيد فيها وبمقتضى ذلك النظام طلبت حكومة دمشق من دروز حوران ماية وسبعين جندًا مع انها لم تكلفهم التجند في سنة ١٨٣٦ لشعورها بحاجتهم الى الرجال لدفع اعتداء العربان المحيطين بهم من كل جانب لان الدروز انفسهم كانوا يقومون في بلادهم بما هو من واجب جنود الحكومة ورجال شرطتها فيتولون حفظ الامن في الداخل والدفاع عن حوزتهم عند وقوع اعتداء من الخارج . وحالتهم في سنة ١٨٣٧ لم تتغير عما كانت عليه في سنة ١٨٣٦ فتجنيدهم وتكليفهم الخدمة في اماكن بعيدة عن جبلهم يعنا جيرانهم من عربان البادية يسرحون ويمرحون لا مبرر له من جانب الحكومة لان عدم تجنيد ماية وسبعين رجلًا ليس له تأثير محسوس في قوة الجيش . فالذي يتبادر الى ذهن الباحث هو ان حكومة محمد علي اتخذت مسألة التجنيد ذريعة للتحرش بدروز حوران توصلًا الى اغراض اكثر اهمية من الحصول على ماية وسبعين جندًا . فجبل حوران واللجاة كانا في ذلك الزمان ملجأ لكل خائف من جور الحكام او ثائر على الحكومة ومعقلًا يعتصم به الفارون من التجنيد والمتاصرون من حمل الضرائب الثقيل حتى ان قرى عديدة في جبل الكرمل خربت في ذلك الوقت وانتقل اهلها الى جبل حوران لينجوا من الضرائب الثقيلة وشدة وطأة التجنيد وفي ذلك خسارة جسيمة على الحكومة في المال والرجال . فلذلك رأت الحكومة ان تدويخ دروز حوران يثبت قدمها في جبلهم وفي اللجاة ويمكنها من ايقاف تيار اللاجئين اليها ومن فرض التكاليف العسكرية والمالية عليهم وتمهيد السبيل لبسط سلطتها على ما وراءهم من العربان . »

واليك الآن ما وجدناه في عابدين مما يتعلق بالثورة الدرزية :

اولًا : محفظة ٢٥١ عابدين رقم ١٧ بتاريخ ٥ محرم سنة ١٢٥١

الامير بشير الى ابراهيم باشا

ولي النعم افندم سلطانم المعظم ادام الله تعالى دولته

عب لثم الاذيال يعرض عبد بابكم انه قبل هذا اعرضنا لدولتكم اننا جميعنا عبيدكم اكابر الجبل الدروز من امرا ومشايخ ووجوه واقفناهم على اوامر دولتكم بطلب انفار للعسكرية ووزعنا اورطه ثمانماية نفر على جميع المحلات التي فيها دروز قرية قرية كما شرحنا ذلك بعرضحالنا المتقدم وانهم توجهوا من

عندنا على انهم يبادروا لاتمام هذه المامورية والذي نعرضه الان انه من بعد توجهم بيومين ظهر بين طوايف الدروز مراسلات من مقاطعة الى مقاطعة ومن قرية الى قرية وكلام داير بينهم انهم يسترحمون بتقديم الرجا برفع هذا المطلوب عنهم بدفع مالو بدلًا عن ذلك او انهم يتعهدون ويوثقون على انفسهم بانهم يكونوا مستعدين لخدمة دولتكم بتقديم عساكر تتوجه الي اي محل امرتم من دون تقصير ولا تاخير وانه اذا ما حصلت لهم الرحمة بذلك يتشتتون في جميع الاقطار ويهربون الى غير ديار وحاصل منهم مشاورات واجتماعات سريه وكلامهم بالظاهر كما اعرضنا فهذا واقع الحال والذي نتج انهم بالرضى لا يعطوا الانفار المطلوبة ونحن الى حد الان ما علمنا كيفية امر دولتكم فهل انهم اذا قدموا الرجا والاسترحام بدفع مال بدلًا عن الانفار ام اذا تعهدوا بتقديم عسكر متى طلب منهم يقبل ذلك منهم ام لا واذا كان ذلك لا يقبل منهم وابدوا المحاوله والمماطله هل نظهر لهم الشدة ام لا وحيث اني عبد رق لهذه الدولة السعيدة وليس لي مقصد ولا مارب الا دوامي تحت ذيل الرضى واكون ساعياً ومجتهدًا بكلما فيه نفوذ امر عنايتكم تجاسرت بتقديم هذا العرضحال لكي تامروني بما يستحسن لدى دولتكم لاسعى به وحتى اذا سولت منهم اجاوبهم بما يوافق امر سعادتكم وايد الله تعالى اركان دولتكم افندم في ٥ م ٢٥١

بنده
بشير شهاب

وقد وجدنا في المحفظة نفسها ، بتاريخ ٨ محرم من السنة نفسها ، تعليقاً لابراهيم باشا على كلام الامير اهمّ ما ورد فيه ان الدروز رجال بأس ونشاط لا يتهربون من الحرب والقتال. لكنه يخشى انه ، اذا بقيت اسلحتهم في ايديهم، تكون خطرًا على الامن في البلاد .

وفي رسالة اخرى من ابراهيم باشا الى والده بتاريخ ٢١ محرم من السنة نفسها، ترى ان الباشا ارفد حنا بحري بك الى الامير بشير ليقنعه بوجوب التجنيد. واليك نص التقرير الذي رفعه بحري بك الى دولة ولي النعم السر عسكر المعظم ابراهيم باشا :

ثانياً : محفظة ٢٥١ عابدين ترجمة الوثيقة $\frac{١٠٠}{٢١}$ ٣ بتاريخ ٤ صفر سنة ٢٥١

من : يوحنا بحري
الى : ولي النعم

يعرض عبدكم ما يلي :

انه على نحو ما جاء بعريضة عبدكم السابقة المفصلة ، عندما شاهدت هذه الحالة من الدروز سألت عبدكم الأمير بشيرًا عما يرتئيه فيما اذا علم الدروز أن الجنود تتحرك من البقاع وبعلبك وما اليها ، ولم يعمدوا الى التسليم فكان جوابه : لا شبهة لدي في أن موقف التذبذب الذي يقفه الآن الدروز ليس معناه أنهم ينتوون العصيان وانما ذلك لمجرد تمسكهم بديانتهم ، والذي يؤيد هذا الرأي هو ما يشاهد فيهم من الخوف ، واني لأذهب في الظن الى درجة اليقين أنهم اذا ما سمعوا أن الجنود زاحفون وأنهم وصلوا الى بعض الجهات ، سيعمدون الى التوسل ويعرضون تقديم كل ما يطلب منهم وعلى فرض انهم اصروا على رأيهم ، وصدر الأمر بضربهم ، فاني أسير بنفسي في طليعة الجند حيث نؤدبهم ونأخذ الرجال الذين نريد أخذهم منهم. واذا كان هؤلاء الدروز قد عجزوا عن مقاومة عساكر الوزراء السالفين الذين جمعوا من هنا وهناك كيفما اتفق فكيف يقدمون الآن على المقاومة بينما النصارى ليسوا معهم. فأجبته : هل أنتم على يقين من أنه لا يوجد معهم أحد من النصارى ، واذا ما انضم النصارى اليهم عند الضيق أتستطيعون ابعادهم عنهم ، فرد علي يقول : عندما علمت أن الدروز يعملون للاتفاق مع النصارى كتبت الى النصارى أقول لهم : لا علاقة لكم في هذا الموضوع فاحذروا التدخل فيه ، واكدت عليهم في ذلك وهم الآن في حالهم . وحتى — من قبيل فرض المحال — لو اندمج في الدروز بعض النصارى الذين لا يعرفون قدر أنفسهم فاني استطيع ، اقصاءهم

هذا وبالنظر لما تحققه عبدكم ممن يعتمد عليهم من النصارى الذين حادثتهم في خلال مدة الأيام الثلاثة أو الأربعة التي مكثت فيها ، فهمت يقيناً أن

جميع النصارى عاملون بموجب تنبيه الأمير بشير وسوف لا يتدخلون في أمور الدروز ، ولا يخالفون أمر الأمير المومأ اليه ، ولذا ، تقدمت الى عرض الموضوع .

عبدكم
(المتم) يوحنا بحري

ان الأمرين الخديويين الصادرين في هذا الموضوع قد أعيدا من طيّه بدون أن يطلع عليها أحد وفقاً للارادة السنية .

ثالثاً : محفظة ٢٥١ عابدين ترجمة الوثيقة رقم $\frac{١٠٠}{٢١}$ ٣ بتاريخ ٤ صفر سنة ٢٥١

من : يوحنا بحري
الى : ابراهيم باشا

يعرض عبدكم ما يلي :

في مساء يوم السبت الموافق السابع والعشرين من شهر محرم سنة ٢٥١ تلقيت ارادة ولي النعم المؤرخة ٢٢ محرم سنة ٢٥١ المقضية بوجوب قيامي لمقابلة عطوفة الأمير بشير لتبليغه ارادتكم السر عسكرية بشأن العساكر المطلوبة من الجبل ، وتفهيمه كيفية الثقة التي منحها وتلقينه ما تقتضيه ، مع اقناعه في ذلك ، وفقاً لما جاء بالأوامر السنية الصادرة من قبل الخديوي الأعظم ، ولما اطلع عبدكم على ما احتوته ارادتكم السامية ، نمت في اليوم التالي الأحد ما كان بين يدي من الأعمال وقمت في صباح يوم الاثنين من الشام ، وفي ضحى يوم الأربعاء وصلت الى بيت الدين حيث يوجد الأمير المومأ اليه وعندما بلغته ارادتكم السرعسكرية بتمامها قام بأداء الشكر على نعمة الثقة وعبوديته ودعا الى الله بدوام أيام عمر دولتكم والتمس أن يوفق حتى آخر العمر في خدمة ولي النعم ثم قال : « من البديهي أنا ، أنا وأولادي واحفادي ، قد وقفنا انفسنا على تنفيذ واجراء منطوق أوامر مولانا ، وسنبذل الجهد في سبيل القيام بهذه الخدمة الموجبة للفخر ، واني لأرجو من لطف الباري أن يوفقني الى أداء هذه

المهمة بانعطاف قلب ولي النعم المبارك وحسن توجهاته ، ولقد اقنعت شيوخ الدروز تارة بالشدة ، وطوراً بالترغيب بوجوب تقديم أورطة مكونة من ثمانمائة رجل في الوقت الحاضر ، من الألف وخمسمائة رجل الذين طلبوا منهم بالحسنى في المرة الأولى ، وذلك وفقاً لما استأذنه ولدي الأمير أمين من أعتاب ولي النعم ، ولئن أظهر جهال الدروز أي رعاعهم في مبدأ الامر تردداً ان يتملصوا بعد تعهد الشيوخ ، الا اني ارى من الواجب عليّ ان اعود فاجمع شيوخ العقل لدى الدروز واقنعهم واتوسل بجميع الطرق المؤدية الى تسهيل امر هذه المهمة عملاً بالارادة السنية ، على ان هذه المصاعب انما تعاني من جراء تعلق الدروز بديانتهم ، لان المجزوم به ان شيوخهم وان كانوا يظهرون بمظهر المقتنع ويتظاهرون بالامتثال الا انهم في الباطن لا يسمحون لانفسهم — من الناحية الدينية — بجمع الانفار وتقديمهم نظراً لاعتقادهم بان هؤلاء الانفار سيتخلون عن ديانتهم باندماجهم بين العساكر . ولما كان من المعلوم انه لا يمكن ان يعهد الى النصراني بالقبض على الدرزي وحيث ان هنالك بين الدروز ، عدا العوامل الدينية ، ذاك التباعد والنفور المتأصلين في نفوس الاهالي عامة من النظام . فانهم سيسلكون طريق المحاولة ما لم يروا الشدة والصلابة التي تخيفهم ويعمدون الى التجمع والفرار وما الى ذلك من الحالات التي من شأنها ان تشل حركة هذه المصلحة ، وقد سبق لي ان استأذنت من أعتاب ولي النعم ، في عريضتي التي اقدمت على رفعها ، عما تقتضيه الارادة فيما لو ظهرت منهم مثل هذه الحالة بسبب عدم قبول ملتمسهم ووجب الامر معاملتهم بالشدة والخشونة ان الرغبة في اقناع شيوخ الدروز بوجوب تقديمهم الانفار المطلوبة من تلقاء انفسهم والسعي للحيلولة دون تدمير اهالي جبل الدروز بقوة مولانا القاهرة الباسلة وصدور ارادته السرعسكرية القاطعة بالالتجاء الى اخذ هؤلاء الانفار بالقوة والشدة، بحكم الاضطرار ، فيما لو تقاعد الشيوخ عن تقديمهم بالحسنى ، انما منشأه مرحمته وشفقته الاكيدة على رعيته ، وهبه الله عمراً لا يفنى . على انه ما دام هذا المحذور الديني قائماً فلن يقبلوا ذلك على ما كان ما لم يكن هناك الخوف من الموت ، اما اذا اخيفوا وارهبوا فقد يمكن ان يقبلوا . » وبعد ذلك ارجئ الموضوع الى تداول

الرأي فيه ، وقد تم تداول الرأي في ذلك ثلاث مرات ونوقش الموضوع من جميع نواحيه واخيراً تقرر ان يستقدم الامير بشير كبار شيوخ العقل لدى الدروز وان يقول لهم : ان امر هذا النظام قد اتبع في جميع العالم وقد اخذ [اي اخذ الضرائب وتجنيد العساكر وما الى ذلك] من جميع الممالك الداخلة في الحكومة المصرية ، وبما ان ترددكم في تقديم ذلك سيؤدي الى تكدر ولي النعم وحيث ان مولانا قد تفضل وامر امراً قاطعاً بوجوب اخذ الانفار المطلوبة منكم ومنحكم امتيازاً لم يمنحه سواكم حيث امهل به الدروز مدة خمسة عشر عاماً لاستخدامهم في الجندية فانكم اذا امتثلتم للامر وقدمتم من تلقاء انفسكم الانفار المطلوبة منكم تكونوا قد فزتم برضاء مولانا عنكم ووفقتم الى الاقامة في اوطانكم آمنين مطمئنين بالرفاهية ، اما اذا عمدتم الى التردد وابديتم التمنع فان قوة مولانا القاهرة معلومة لديكم اذ تؤخذ العساكر اذ ذاك من جبل الدروز كما اخذت من جبل القدس ، ونابلس ، والنصيريين . الا انه نظراً لخدمات الدروز السابقة قد اوفد مولانا ، حنا ، خصيصاً ، لتدبر امر اخذ العساكر المطاربة بواسطة النصح والارشاد ومن غير ان يقع في جبل الدروز مثل ما حدث في تلك الجبال من التأديب وخرق الحرمات . واني نظراً لمحبتي العظيمة لكم منذ القدم ، ورغبة في وقاية الجبل من ان يكون عرضة لنيران غضب ولي النعم — معاذ الله ثم معاذ الله — قد تعهدت بناء على تعهدكم بتقديم الانفار المطلوبة ، وقد التمست في العريضة التي اقدمها الآن عفو دولة مولانا ولي النعم عن التردد والامتناع الذي بدا منكم قبلاً مع ما قمتم به من تعهد . هذا ما استصوب ان يقوله الامير المومأ اليه للشيوخ المذكورين على ان يطلب منهم في الوقت الحاضر انفار أورطة واحدة مكونة من ثمانمائة رجل ، على نحو ما تم توزيعهم على الشيوخ قبلاً وان يكتب الامير الى شيوخ المقاطعات نص ما سيقال لشيوخ العقل ، وقد كتبت في يوم الخميس الى شيوخ العقل بوجوب حضورهم . فقدموا في يوم الجمعة والقى عليهم الامير المومأ اليه ، بحضور عبدكم ، البيان السالف الذكر فابدوا ما هنالك من اعذار دينية وقالوا : ان الدروز يؤثرون ان يفنوا جميعهم في اوطانهم على ان يتخلوا عن دينهم ، فلا يرضون الدخول في النظام . اما

اذا شاء مولانا ان يستخدم الدروز [كنفر عام] (اي كعساكر غير نظامية) فان العدد الذي يطلبه منهم بالغاً ما بلغ من اية جهة كانت ، يفنون انفسهم في سبيل خدمته. فاجيبوا: لو طلب من الدروز نحو خمسة او ستة الاف رجل [كنفر عام] وارسلوا في مهمة ما الى احدى الجهات فان الذاهبين يتركون اعمالهم بينما الباقون يتكلفون مبالغ وافرة لمدهم بالزاد ، على حين ان تقديم العساكر المطلوبة الآن يزيل هذين الضررين الجسيمين ، وعدا ذلك فان الحكومة ستقدم الى الانفار المطلوبة الرواتب والتعيينات والكساوي ، وهذا من شأنه عمار الجبل واطمئنان الاهالي ورفاهيتهم ، ولذا فانكم لو قدمتم هؤلاء الانفار لخدمتم مصالحكم . اما الاعذار الدينية فان المرء عندما يرى خطر الموت والخراب يجوز له ان لا ينظر في العذر ، فاذا ما قلتم في انفسكم: نجاوب الآن على هذا الوجه ، ومن ثم ، عندما نرى ذاك الخطر نسلم فان الوقت الحالي هو وقت الخطر تماماً فاذا اردتم دفع البلاء ، فافعلوا من الآن لان الندم في آخر الامر لا يجدي نفعاً . اما اذ قلتم — كما يصور لكم الوهم — اذا زحفت العساكر على الجبل ، ضربنا صفحاً عن محاذير الدين اذ ذاك وقدمنا الانفار المطلوبة ، فما من احد يرضى في ذاك الحين بالاكتفاء بمثل هذا العدد من الانفار ، ففكروا ملياً في وخامة العاقبة. وهنا وعدوا الامير بأن يجمعوا في هذا المساء جميع شيوخ العقل في جبل الشوف القريب منهم ويتشاوروا معهم في الامر ثم يعودوا في الصباح بالجواب الشافي ، ثم استأذنوا الامير في الانصراف وانصرفوا . وفي يوم السبت عادوا الى الامير وقالوا : ان جميع شيوخ العقل ووجوه الدروز ممتثلون للامر طائعون الا انه نظراً لعدم وجود رجال لدينا يصلحون لهذه المهمة [يقصد مهمة القبض على الانفار المطلوبة] فانهم [اي الانفار] يؤثرون الموت على تسليم انفسهم، فاجيبوا: لا يطلب منكم القبض على هؤلاء الانفار واحضارهم ، اذ ان الحكومة هي التي ستتولى امر القبض عليهم لان الرجال الذين يراد تجنيدهم في اية جهة من الجهات لا يتقدمون الى الخدمة من تلقاء انفسهم وانما جرت العادة بان يقبض عليهم من قبل الحكومة بمساعي الشيوخ ودلالتهم. ولدى سؤالهم عما اذا كانوا سيسعون مثل شيوخ الجهات الاخرى عندما يشرع في اخذ الانفار المطلوبة من

الجبل ، على هذا الوجه ، فقالوا في شدة نحن نسعى ونبذل النصح ولكننا لا نستطيع ان نتكفل غير ذلك . والى هنا كان الامر قد اتضح ، الا ان الامير الموما اليه اجابهم قائلاً : بما انني لو احطت الان مولانا علماً بردكم لكانت النتيجة سيئة عليكم ، وحيث انكم قد تعهدتم على انفسكم ان تسلكوا سبل الصدق والاستقامة ، فانصرفوا وانصحوا الجميع ، لاني ساشرع في طلب الانفار المراد جمعها واخذها وساعرض على مولانا اني ساجمعها ، ذلك لاني ارى انه ليس ثمة من سلامة للجبل الا في اعطاء هؤلاء الانفار ، وبعد ذلك سمح لهم بالانصراف . هذا وقد اوفد بعض الرجال لاحضار شيوخ بيت تلحوق وبيت عبد الملك الذين هم شيوخ المقاطعات لتداول الرأي معهم في هذا الموضوع والتنبيه عليهم بوجوب الشروع في طلب الانفار المراد جمعهم ، وفي يوم الاحد حضر هؤلاء الشيوخ ، ولما اخذ الامير الموما اليه يناقشهم في الموضوع ، بحضور عبدكم ابانوا صعوبة الامر — كشيوخ العقل — من جراء تشتت الدروز في الجبال ، وعدم بيوتتهم في منازلهم منذ ان علموا بموضوع هذا [النظام] الا انهم قالوا : نحن عبيد مولانا ونتعهد بان نخدمه بارواحنا واجسامنا ، الا ان القبض على هؤلاء الانفار امر لا طاقة لنا به ، ذلك لان النفور من هذا المشروع قد شمل الجميع اذ انه ليس من المعلوم من هم الانفار الذين سيجندون ومن هم الذين سيبقون ، حتى ان اتباعنا انفسهم قد انضموا الى النافرين فمن والحالة هذه نستطيع ان نقبض على الرجال الذين تقلدوا سلاحهم ونفروا الى الجبال . ولما ابدوا هذه الاعتذارات ، اجيبوا ان هذه الاعذار لا تقبل منكم ، لانه في استطاعة كل رجل منكم ان يقدم بضعة انفار ممن ربيتموهم ، كما يمكنكم تقديمهم بارضائهم بالمال واذا ما عمد بقية الشيوخ الى مثل هذه الطريقة تكون السبل قد مهدت لجميع الانفار المطلوبة وهان الامر ، وما دمتم تقولون ان جميع الدروز قد نفروا من هذا الامر وكل منهم يقول سيجندونني ، وذلك نظراً لعدم معرفة الانفار المطلوبة ، فعلى كل منكم ان ينظم كشفاً باسماء الانفار المطلوبة من مقاطعته وان يعلن اهالي المقاطعة بما يحويه هذا الكشف من الاسماء ، حتى يزول الالتباس . ومن البداهة انكم اذا فعلتم ذلك اطمأن غير المطلوبين وانفرطت جموع النافرين

بطيمة الحال حيث يتسنى لكم اذ ذاك القبض على الاشخاص الذين دونتم اساميهم واحضارهم بسهولة. ولما اقتنعوا بهذا القول اجابوا: سنستعمل هذه الطرق الثلاث ونبذل الجهد في سبيل هذه المهمة فاذا لم نوفق فيها ، قدمنا انفسنا واولادنا الى اعتاب ولي النعم ، واذا ما طلبنا للنظام قبلنا حتى لا نلام. وفي نهاية مناقشتهم في هذا الموضوع تقرر الشروع في العمل على هذا المنوال، وعلى الرغم من انه يكاد ان لا يكون ثمة فائدة من هذه الخطط ، نظرًا لما شوهد من مواقف الدروز ، فقد استصوب ربط الموضوع بخيط من قطن ، في الوقت الحاضر — على امل انهم قد يقومون بعمل — وامرار الوقت على هذا النحو ، ريثما يرد امر ولي النعم؛ والمفهوم بالنظر لاقوال عبدكم الامير الموما اليه ولما ابداه الدروز من المحاذير الدينية وما شوهد من اوضاعهم انهم لا يقدمون عساكر بالاتفاق الودي ، ولكنهم عندما يرون شح البطش والدمار ماثلًا امامهم يجوز لهم في ديانتهم ان لا يراعوا المحاذير الدينية فيجوز والحالة هذه ان يقدموا الانفار المطلوبة ، بمجرد ان يروا حركات الجنود من بعيد ، اي في بعلبك والبقاع لان الخوف المشاهد فيهم منذ الان جد شديد ، ولاحاطة علم دولتكم قد اقدمت على عرض الموضوع بالتفصيل ، والامر والارادة لحضرة من له الامر

العبد
(الختم) يوحنا بحري

رابعًا : عنقة ٢٥١ عابدين ترجمة اوربية $\frac{١٠٠}{٢١}$ ٢ بتاريخ ١٠ صفر سنة ٢٥١

من : ابراهيم
الى : صاحب المرحمة ولي نعمتي الخ

سيدي صاحب المرحمة ولي نعمتي الذي لا يمن

كنت قد عرضت على اعتابكم العلية انني ، وفقًا لارادتكم قد كتبت الى عبدكم حنا بك بعدد قيامه الى حيث يوجد الامير بشير ، وقد توجه حنا بك اليه حيث ارسل الى عبدكم خطابين في موضوع الحديث الذي افضى به الى

الامير كما بعث الى الامير بشير خطاباً في هذا المعنى ، وقد قدمت هذه الخطابات الى اعتابكم من طي عريضتي،ومتى اطلع ولي النعم عليها وقف على كنه الامر، اني على صغر شأني اود ان استوضح مولاي بعض الامور : اكانت فكرة عدم جمع السلاح من جبل الدروز قائمة على ان الدروز لا يعمدون الى الخيانة اذا دعت الحاجة وانهم يخدمون مصالحنا ، ام هي لان جبل الدروز له شهرته منذ القدم فاردتم ان يظل على شهرته ، وان يحتفظ بسلاحه . فاذا كانت هذه الفكرة مبنية على ان الدروز يخدمون مصالحنا فانه لمن البداهة ان اهالي الجبل، الدروز منهم والنصارى، اكثر الناس خبثاً وسيظهر خبثهم هذا بمجرد ان نطلب منهم المدد ، فاذا ما قيل انهم قد يعمدون الان الى العصيان فانهم لا يستطيعون ان يفعلوا اي شيء. واذا فعلوا لا تتعدى افعالهم ما جاء بخطاب حنا بك. اما اذا كانت الفكرة منصرفة الى ان يحتفظ الجبل بشهرته ، فلا ينبغي ان يعتمد على مثل هذه الشهرة الكاذبة ، وان يفرط في القبض على ناصية الحالة فانه لمن الامور المعلومة لدى ولي النعم انه يجب معالجة الامر حسبما تقتضيه الظروف المشاهدة ، وعلى كل حال ، فان عبدكم جد قلق من جراء عدم وقوفي على حكمة عدم جمع السلاح من الجبل المذكور فتفضلوا ونجوني من هذا القلق ، والامر والارادة لمولاي

من انطاكية (الختم) سلام على
ابراهيم

وهنالك رسالة من الامير بشير الى بحري بك ، بتاريخ ١٢ صفر من السنة نفسها ، ترينا نموذجاً من اساليب الامير في ميدان السياسة المحلية ، واليك نصها :

خاصاً : محفظة ٢٥١ عابدين رقم ١٠٤ بتاريخ ١٢ صفر سنة ١٢٥١

غب الامنية والاشواق انه لا نقدر نشرح كمية ما اصابنا من الوحشة بعد فراق كوكب انسكم نسأل كرمه تعالى ان يمن بالتقا على احسن حال . ثم انه بعد توجه الجناب بالسلامة والامان بجهة اربعة ايام حررنا للمشايخ بيت تلحوق وبيت عبد الملك سوالاً او استهاماً عما امروا به وكيف جرى الحال ونحتهم

وتحرضهم على فتوح الباب بهذه المأمورية فورد من المذكورين الجوابات وهي واصلة ضمن نميقة الوداد لكي بمطالعتها يصير معلوم الجناب فحواها واما عامة الدروز فحالهم كما فارقتموه لا زاد ولا نقص وكلامهم لم يزل مثل الاول ولاجل افادة الجناب بذلك اقتضى ترقيم الوكة الوداد راجين الافادة بما يحسن لدى رايكم ودام بقاكم ١٢ ص سنة ٢٥١

محبكم
بشير شهاب

اما فحوى الاجوبة التي وردت على الامير من بني تلحوق وبني عبد الملك فانها ما يلي، واللفظ للشيخ حسين تلحوق والشيخ حمد تلحوق : « كما لا يغرب شريف علم سعادتكم شراسة الاطباع وظعف البصيرة الذي تم معهم الان ان جميعهم طايعين الى امر سعادتكم العالي مقدمين ذواتهم لكلما يصدر به امركم غير ان مترجين مراحمكم ان لا يكونوا بداية لسبب امر الديانة فقط »[1]

ومما لا بد من الاشارة اليه بهذه المناسبة ما ورد من ابراهيم باشا الى سامي بك، احد كبار الموظفين في مصر، بتاريخ ٨ جمادى الاولى سنة ١٢٥١ اذ يقول: «مع انه محتمل ان تكون القوى التركية التي ارسلت الى الحدود السورية بقيادة محمد رشيد باشا قد اوفدت لتحريض الدروز فاني اعتقد ان القصد الرئيسي من ارسالها هو تعزيز السلطة في تلك الجهات لاجل اخماد الثورة الكردية.»

ثم يتبع هذا التقرير كلام لمحمد شريف باشا، حكمدار الايالات السورية جماء، مؤرخ في ٩ جمادى الاولى من السنة التالية، ننشره بكامله لعلاقته بالثورة الدرزية. ولعله ارسل الى سامي بك الوارد ذكره آنفاً. وننشر بعده رسالة للامير في الموضوع نفسه

سادساً : محفظة ٢٥٣ عابدين رقم ١٦٦ بتاريخ ٩ جمادى سنة ١٢٥٢

حضرة عزيزي الاخ السامي الهمم العالي الشيم صاحب العناية والعاطفة والمروءة

بلغ مسامع جناب الخديوي ان بعضاً من طائفة الدروز ارتدوا عن دينهم

١) عابدين محفظة ٢٥١ رقم ١٠٦

« تنصروا » ولكن لم يعلم صحة هـذا الخبر او عدم صحته على انه ان كان صحيحاً فان ضرره على الدين والملك امر مسلم فيلزم قبل كل شيء النظر في الحيلولة دون وقوعه وعليه فقـد ورد لي امر شريف خديوي بتاريخ ٣ ربيع الثاني سنة ١٢٥٢ بان اكتب من طرفي لحضرة الامير بشير ليحقق هذه المسألة خفية ويعرض نتيجة تحقيقـه فبالحال كتبت الى حضرة المير المومى اليه استعلم منه عن مدى صحة ذلك فجاء منه الجواب عربياً مفصلاً وها هو مرسل لطرفكم العـالي ضمن كتابنا هذا ويوصوله ان شاء الله تعالى تعرضونه على اعتاب جناب الخديوي وهذا ما هو منحنى من حسن همتكم ولطف مروءتكم

من اللاذقية (المتمم) محمد شريف

سابعاً : محفظة ٢٥٣ عابدين رقم ١٦٦ بتاريخ ٢٥ ربيع الثاني ١٢٥٢

علي الهمم افندم سلطانم المفخم ادام الله تعالى دولته

غب لثم الراحات الكريمة نعرض انه بايعـز طالع تشرفنا بورود المرسوم الكريم المشير فحواه الوسيم ان دولتكم تشرفتم بورود امر عالي خديوي يشير فحواه العالي الخطير انه بلغ تلك المسامع الشريفة ان بعض طائفة الدروز الذين في الجبـل صاروا مرتدين اي صاروا عيسويين وصدر امر دولته السامي ان تستعلموا من عبدكم هذا خفيةً عن ذلك لاجل اعراض ما تحققه لهاتيك السدة العالية فقد صار ذلك قرين الاذعان فاما حقيقة هذه القضية هو انه كان بعض الاشخاص وقليل جداً جداً اراد التـداخل بالطريقة العيسوية فاظهرنا التنبيه والتشديد الكلي وابدينا كمال التهديد بالسطوه الخديويه العليه فانقطع هـذا المبدى وخمدت نار هذه الشهوه لكن كما لا يغرب عن النيره الشفافه انه موجود في الجبل طايفة امرا يقال لهم بيت ابي اللمع فهذه الطايفه في الزمن القديم كانوا دروز وتداخلوا في الطريقه العيسويه رويداً رويداً الى ان صاروا جميعهم عيسويين وذلك من مدة اربعين خمسين سنة ولم يبق منهم على طريقة الدروز احد الى عصرنا هذا سوى الامير احمد قايد بيه المقيم في قرية برمانا واولاد الامير نصر مراد المقيمين في المتين وهم الامير سلمان والامير موسى والامير يوسف فالامير

احد لم يزل باقياً على طريقة الدروز واما اولاد الامير نصر الثلاث المذكورون كانوا بهذا الوقت ارادوا الدخول بالطريقه العيسويه لكنهم لما سمعوا بالتهديد والتشديد الذي حصل من عبدكم تركوا ما كانوا عزموا عليه والان حينما صدر امر دولتكم بالفحص عن هذه القضيه فحصنا ودققنا وحققنا فوجدنا ان الامرا الثلاثه اولاد الامير نصر المذكورين قد دخلوا في الطريقه العيسويه سرًّا ولم يزالوا مصرين عليها وغيرهم من طايفة الدروز لم يدخل منهم احد في العيسويه لا سرًّا ولا جهرًا لا من الاكابر ولا من الاصاغر فهذا ما تحققناه واكدناه من حال هذه القضية اعرضناه جليًّا والامر لولي الامر وادام الله تعالى دولتكم في ٢٥ ر سنة ٢٥٢

بنده

بشير شهاب

يتضح اذًا مما تقدم ان الدروز لم يمتنعوا عن الخدمة العسكرية الاجبارية لخوفهم من الحرب او لقلة شجاعتهم. وان الحكومة المصرية في ذلك الوقت، وان شكّت في نيات الاستانة، فانها لم تلمس حقيقة راهنة تستنتج منها ان السبب في قيام الدروز هو تحريض الباب العالي. ثم يظهر من كلام الامير، وتقارير بحري بك ومحمد شريف باشا واشارة الشيخ حسين تلحوق والشيخ حمد تلحوق، ان امر الديانة كان من الاسباب الرئيسية لتمنّت الدروز في امر الخدمة العسكرية. ذلك ان عقلاءهم وشيوخهم رأوا في التجنيد الاجباري واختلاط «جهّالهم» مع غيرهم من الشبان من سائر الفرق والاديان، رأوا في ذلك، بحق او بغير حق، خطرًا على دينهم السرّي قد يؤدّي مع مرور الزمن الى ضعف في العقيدة وفتور في الدين

❁

وفي الختام لا بدّ لنا من رفع آيات الشكر الى حضرة صاحب الجلالة الملك فاروق الاول لمتابعته سياسة والده العظيم في تنشيط العلم وتشجيع الابحاث التاريخية.

من الخزانة الشرقية

بقلم حبيب زيات

الصيارفة في الاسلام

وافلاسهم من إلحاح الناس في اخذ اموالهم

كانت النقود تختلف سكة ووزناً . وتُقرض او تُزيَّف احياناً، فتخسّ قيمة او يبطل التعامل بها ولذلك كان لا بدّ من خازن عارف بتمييز الجيّد من الردي. منها ، وهو فعل الجهبذ . واللفظة فارسيّة اختلف مدلولها باختلاف الازمنة والامكنة . وبعد ان كان في عهد الخلافة العباسية بمعنى الناقد والصيرفي ، الذي تُحال اليه اموال الجهات والاعمال ، وتُستلف منه عند الحاجة جواري الكتاب وارزاق الرجّالة[1] . اصبح في دولة المماليك بمصر « الكاتب برسم الاستخراج والقبض وكتب الوصولات وعمل المخازيم والحمّات وتواليها »[2] .

وكان يُقال للدرهم الباطل الردي. « البَهْرَج » وللدينار الناقص « المثلوم » . ولما يُقتطع منه « القراضة » . قال ابن خلكان : « المثلوم عبارة عن دينار تقطع منه قطعة صغيرة . وقد جرت عادتهم في العراق وتلك البلاد ان يفعلوا مثل ذلك لانهم يتعاملون بالقطع الصغار ويسمونها القراضة . ويتعاملون ايضاً بالمثلوم وهو كثير الوجود في ايديهم »[3] .

ولهذه الاسباب كانت الدنانير توزن وزناً ، ولا تُقبض الا بعد ان تُصحّح . حتى اصبح لفظ « الوزن » و « التصحيح » مرادفاً لمعنى الدفع . واقتضت الحال في الدواوين السلطانية والخاصّة وجود خازن في كلّ منها عارف باحوال الذهب والفضة وشروط النقود، بصير بكل خلل او حيف يطرأ عليها . وهو العلم الذي برّز فيه اليهود في كل عصر ومصر . ومن الغريب انه لم يكن لهم في ايام

١) تحفة الامراء في تاريخ الوزراء لثابت ، ص ٨٠–٨١

٢) قوانين الدواوين لابن مماتي . بريتيش موزيوم . Or. 3120 f° 9

٣) الاول من وفيات الاعيان ، ص ٥٦١

الجاحظ (١٦٣ – ٢٥٥ هـ = ٧٨٠ – ٨٦٩ م) حظّ في الجهبذة . وان الصيارفة كانوا في الاعمّ الاغلب من النصارى حسبما صرّح به في احدى رسائله ، حيث قال : « مما عظّم النصارى في قلوب العوام وحبّبهم الى الطغام ان منهم كتّاب السلاطين وفرّاشي الملوك واطباء الاشراف والعطارين والصيارفة . ولا تجد اليهودي الا صبّاغاً او دبّاغاً او حجّاماً او قصّاباً او شمّاباً»[1] . وهو ما لا يكاد يُصدَّق لما هو مشهور من ضراء اليهود باحتجان حِرَف النقود . ولعلّ الجاحظ ، بعد ان كتب رسالته المذكورة ، لم يلبث ان شهد ازدحامهم على الصيرفة وبلاءهم فيها حتى اعترف لهم السلطان بالتخصص بها . ولذلك لما تولّى الخلافة المقتدر بالله (٢٩٥–٣٢٠ هـ = ٩٠٨ – ٩٣٢ م) كان اول ما امر به في السنة الثانية « ان لا يستخدم احد من اليهود والنصارى الا في الطبّ والجهبذة فقط »[2] . وهو ما يقتضي حتماً وجودهم قبل ايامه في مناصب الخزانة والصيرفة . زاحموا عليها النصارى بالمناكب حتى اوشكوا ان يزيحوهم عنها . ولذلك اقرّ لهم المقتدر بحقّ الخدمة فيها . وربما استقلّوا بها غالباً في بعض الاقاليم كالشام ، فان الرحالة المشهور البشاري المقدسي المتوفى في الربع الاخير من القرن الرابع للهجرة ، لما طاف فيه ، قال : «واكثر الجهابذة والصياغين والصيارفة والدباغين بهذا الاقليم يهود . واكثر الاطباء والكتبة نصارى »[3] . وهذه القسمة بين النصارى واليهود هي التي أُشير اليها في البيتين المشهورين :

لُعن النصارى واليهود ، فانهم بلغوا بمكرهم بنا الآمالا
خرجوا اطباء وحُسّاباً ، لكي يتقسّموا الارواح والاموالا

يريد بالحسّاب الخُرّان والنُقّاد ، لا الكتّاب . وهو ما صرّح به القاضي ابو منصور عبد الحميد بن محمد بن الخطيب المتوفى سنة ٥٩٨ (١٢٠٢ م) بقوله :

العلم يرفع من قد كان متّضعاً من قبله ، فتراه زائد العال
ان النصارى عُنوا بالطبّ ، فامتُثلت طوعاً اوامرهم من غير إمهال
واهتمّ قوم بعلم النقد ، فارتفعوا ، وهم جهود ، وعزّوا بعد اذلال

١) رسالة الردّ على النصارى ، ص ١٧
٢) مرآة الزمان لسبط ابن الجوزي . بريتيش موزيوم Or. 4519 f° 41 b
٣) احسن التقاسيم ، ص ١٨٢

فهؤلاء ، وان كانوا ذوي ضمة ، فالعلم حكمهم في النفس والمال (١

فخصّ اليهود بعلم النقد اي الجهبذة . ويظهر انهم لم ينفردوا به تماماً ، وان المجوس كانوا يشاركونهم فيه احياناً كما يؤخذ مما رواه ماري بن سليمان، قال:

« ان جماعة من المسلمين كتبوا سعاية في عبدالله سليمان (بن وهب وهو في الوزارة) الى المعتضد واغروا به وحكوا ميله الى النصارى. واتصل الخبر بعبدالله فجزع ودخل على المعتضد. فدفع اليه الرقعة . فتغيّر واعتذر ، وقال : ما وليت نصرانياً سوى عمر بن يوسف للانبار. والجهابذة يهود ومجوس . واعتمدت عليهم لا ميلاً اليهم لكن لثقتي بهم . فقال المعتضد: اذا وجدت نصرانياً يصلح لك فاستخدمه. فهو آمن من اليهود لان اليهود يتوقعون عود الملك اليهم. وآمن من المسلم لانه بموافقته لك بالدين يروم الاحتيال على منزلتك وموضعك. وآمن من المجوس لان المملكة كانت فيهم. ووصّاه بالاحسان اليهم وخرج مسروراً. »[٢]

ولا يخفى قدر هذه الشهادة في حقّ النصارى من مثل خليفة الوقت المعتضد بالله.

ومن جهابذة الحضرة في زمان المقتدر بالله ابرهيم بن يوحنا[٣] ، وزكريا بن يوحنا[٤] ، وابرهيم بن ايوب[٥] من النصارى . وهرون بن عمران[٦] ، ويوسف بن فنحاس[٧] من اليهود . وممن لم يُصرّح بنسبتهم اسرائيل بن صالح ، وسهل بن نظير[٨] . وقد نقل الصابئ طرفاً من سرقاتهم اموال الدولة بواطأة وزراء الوقت كابني الفرات وحامد بن العباس . واشتهر منهم ايضاً في خلافة القائم بامر الله

١) الثاني من ذيل الدبيثي على تاريخ بغداد للخطيب . خزانة باريس ٥٩٢٢ ، ص ١٦٨
٢) كتاب المجدل (اخبار قطار كة كرسي المشرق) روما ١٨٩٩ ، ص ٨٤
٣) الصابئ : تاريخ الوزراء ، ص ٢٢٦ ؛ وتجارب الامم لابن مسكويه (طبعة مصر) ص ٩٥ و ٩٩
٤) الصابئ : تاريخ الوزراء ، ص ١٥٨
٥) صلة تاريخ الطبري لعريب ، ص ١٣٥
٦) الصابئ ، ص ٢٢، ٧٩-٨٠ ، ١٥٨ ، ٢٠٦
٧) الصابئ ، ص ٧٩-٨٠، ١٥٨ ؛ وفي الاصل المطبوع « فيجاس » وهو تصحيف .
٨) تجارب الامم لابن مسكويه ، ص ٢٤٩

علي بن هرون الجهبذ قتله الامير بجكم سنة ٣٢٩ (٩٤١ م) بعد ان اخذ منه احمد بن علي الكوفي مائة الف وعشرة آلاف دينار[١].

ومن صيارفة الشام قبل ايام المقتدر بالله يعقوب بن الفرج الجهبذ النصراني بحلب ، وهو الذي هجاه البحتري اقبح هجاء واقذعه بابياته:

فان كنت ادهنتَ ، او خُنتَ ، او لمجتَ بظلميّ في من لمج . . . [٢]

وهناك جهبذ ورد ذكره في تاريخ الصابئ باسم ابرهيم بن احمد بن ادريس . صُولح في احدى المصادرات السلطانية على ستة آلاف دينار[٣] . ويُستدلّ من اسمه على انه كان من المسلمين . وقد شارك المسلمون اليهودَ والمجوس في تعاطي الجهبذة في العهد الاول من الخلافة العباسية . ومما يؤيّد ذلك ما رواه المبرّد في الكامل ، وهو ما وطّأنا له هذه المقالة ، قال :

« روى الاسدي انه افتقر رجل من الصيارفة بإلحاح الناس في اخذ اموالهم التي كانت لديه وتعذر امواله التي كانت له عند الناس . فسأل جماعة من الجيران ان يسيروا معه الى رجل من قريش من اولاد أجوادهم ليسدّ من خلّته . فساروا فجلسوا في الصحن . فخرج اليهم يخطر بقضيب في يديه حتى ثنى وسادة فجلس عليها . فذكروا حاجتهم وخلّة صاحبهم مع قديم نعمته وقرب جواره . فخطر بالقضيب ثم قال متمثلاً : — والشعر لنصيب ، وقيل لكثيّر . والاول اثبت —

اذا المال لم يوجب عليك عطاءه ضنينة تقوى او صديق توامقه
بخلتَ ، وبعض البخل حزم وقوة فلم ينتلك المال الا حقائقه

ثم اقبل على القوم فقال : انّا والله ما نجمد عن الحق ولا نتدفق في الباطل . وان لنا حقوقاً تثقل فضول اموالنا . وما كل من افلس من الصيارفة احتملنا لجبره . قوموا يرحمكم الله . قال فابتدر القوم الابواب . [٤] »

وهذا مثال قديم لما يجري اليوم في اكبر المصارف ، اذا ازدحم الناس على اخذ ودائعهم منها ولا تخفى قيمة نظائر هـذا الشاهد في تاريخ الصيرفة في

١) الاوراق للصولي ، ص ١٤٧–١٤٨
٢) ديوانه . خزانة باريس ٣٠٨٦ ، ص ٧٦
٣) تحفة الامراء في تاريخ الوزراء ، ص ٢٢٤
٤) الكامل للمبرد (طبعة التقدم بمصر) ١ : ١٦٩ – ١٧٠

الاسلام. ولا يبعد ان يكون الصيرفي الذي ذكره الاسدي من بقية صيارفة مكة قبل الهجرة.

وقلّ جدًا ان يشير الكتبة والمؤرّخون الى الصيارفة المسلمين. ولعل ذلك لكراهتهم الاقرار بتعاطي الربا في الخلافة العباسية. ويظهر انهم كانوا اوفر عددًا في مصر في الخلافة الفاطمية، والامارتين الطولونية والاخشيدية، حتى كانوا لا يبالون احيانًا باحكام الشرع فيضطر المحتسب الى تأديبهم. وفي سنة ٣٦١ (٢/٩٧١ م)، في ربيع الاول، عزّر المحتسب جماعة منهم. قال المقريزي فشغبوا وصاحوا: معاوية خال علي بن ابي طالب[1]. وهذا النداء كان ينادي بـه اهل السنة في وجوه اهل الشيعة في اوقات الفتنة والاضطراب.

ومن الدلائل على وجود بعض الجهابذة المسلمين في دولة المماليك ما نُقل من الاوامر السلطانية التي كانت تحظّر على اهل الذمة ان يكونوا صيارفة. فلا بد في مثل هذه الحال ان يكون قد حصل الاستغناء عنهم بقيام المسلمين مقامهم. قال ابن قاضي شهبة الاسدي في جملة اخبار دمشق بتاريخ سنة ٧٥٧ (١٣٥٦ م):

« في جمادى الاولى نودي في البلد لا يُستخدم احد من اهل الذمة في شيء من الجهات. ولا يُمكّنوا ان يكونوا صيارفة ايضا »[2].

وقد عُني الفقهاء والرواة والمؤرّخون في القرن الخامس للهجرة خصوصًا بوضع الاحاديث والاخبار المنسوبة للخلفاء في كراهة تنصيب اهل الذمّة في الدواوين وتسليم بيوت المال اليهم. ولجأوا احيانًا الى اسخف الوسائل، وتجاوزوا كل حدّ في التلفيق والتضليل لاثارة الاحقاد عليهم. ومن ادلّ هذه الامثال ما جاء في تاريخ المماليك تنقله لغرابته وفكاهته. قال بلفظه:

« حكي عن الكسائي انه كان يقرىء الخليفة المستنجد ويأخذ عليه القراءة. وكان الخليفة يقعد من وراء حجاب والكسائي يأخذ عليه. وكان قد بلغ الكسائي ان الخليفة قد سلّم امر بيت المال لانسان ذمّي. فقرأ الخليفة هذه الآية: « يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء بعضهم اولياء بعض. ومن يتولّهم منكم فانه منهم ». فدقّ الكسائي يده على

١) ايقاظ الحنفاء باخبار الخلفاء، ص ٨٧

٢) ذيل ابن قاضي شهبة. خزانة باريس ١٦٠٠، ص١٥٢

الارض. وكانت عادته ان لا يدق الا اذا غلط. فاعاد الخليفة الآية صحيحة. فاعاد الدق ثلاث مرار. ففهم الخليفة معناه. وقام على حاله احضر رأس الذمي في طبق واخرجها (١ للكسائي من تحت الستر. فعند ذلك قرأ الآية. فاعاد الكسائي يدق. »(١

ويظهر ان هذه الحكاية الصبيانية قصّها وزير المغرب بكل جدّ على الاميرين سيف الدين سلار، وركن الدين بيبرس الجاشنيكر، حين مرّ بالقاهرة سنة ٧٠٠ للهجرة (١٣٠١ م) قاصداً الحجّ. وانكر ما رآه من ملابس النصارى بمصر وركوبهم الخيل والبغال. وتقلدهم اجلّ المناصب الديوانية. فأثرت حكايته في الامير بيبرس خصوصاً. وكانت سبب إذلال النصارى ونكبتهم في السنة المذكورة.

ولا حاجة الى التنبيه على ما في هذه الخرافة المضحكة من التخليط والجهل الفظيع. وقد غبي على الوزير والامير والمؤرّخ ان بين الكسائي والمستنجد بالله قريباً من اربعة قرون. لان مؤدّب الامين توفي سنه ١٨٩ للهجرة (٨٠٥ م) ومات المستنجد بالله سنة ٥٦٦ (١١٧٠ م) فكيف استطاع ان يستنجد بالكسائي لتعلم القرآن كالصبيان.

---

١) يظهر ان تأنيث الرأس كان من اغلاط العامة والكتّاب قديماً. قال عبد اللطيف البغدادي: «ما تؤنثه العامة وهو مذكر البطن والرأس» (ذيل الفصيح ص ١١٤) ومن شواهد اقلام الكتاب قول ياقوت الحموي نقلاً عن ابي عثمان المازني: «كنا عند ابي زيد (الانصاري) فجاء الاصمعي واكبّ على رأسه يقبلها» (معجم الادباء ٤: ٢٣٩) وللادفوي في مقدمة كتابه الطالع السعيد في كلامه على صعيد قوص وارضها «اقمتُ بها الى ان طار من رأسي غراباه» (ص ٤–٥) وقد أنّثها المقريزي مرارًا في كتابيه الخطط والسلوك. قال في قتل الملك احمد ابن الملك الناصر في الكرك: «فتوجه اليه الملك الصالح وقطع رأسه واحضرها الى مصر» (الخطط ٤: ١٢٤) وفي اخبار سنة ٧٣٧: «نجا الفارس وفي ظنه ان رأس النشو سقطت عن بدنه (السلوك خزانة الفاتيكان ص ١٢٠) وفي تاريخ ابن ميسر: «لما حُملت رأس العادل الى القصر اشرف الظافر من باب الذهب ورفعت الرأس ليراها الناس» (ص ٩٣) وممن اكثر من تأنيثها القلقشندي في صبح الاعشى (٣: ٢٥١) وابن تغري بردي (النجوم ٧: ٦٨)

٢) *Beitraege zur Geschichte der Mamlûkensultane.* Herausgegeben von K. v. Zetterstéen. Leiden, 1919 (ص ٨٦ – ٨٧)

دراهم الكاغد

هو الاسم الذي دعا به ابن بطوطة اوراق النقود التي وجدهم يتعاملون بها في الصين، كمثل الصكوك المعروفة اليوم بالبنكنوت او الليرة الورق. ولم نجد من أشار الى شيء من هذه الاوراق في عهد الخلافتين العباسية والفاطمية ، او في دولة المماليك. ولعلها لم تنشأ الا في دولة المغول، بعد سقوط بغداد. واول من ذكر ظهورها في ايامهم ، على ما وقفنا عليه ، عبد الرزاق الفوطي في اخباره عن القرن السابع للهجرة. ودعاها الجاوَ ، ورسمها كذا بواو مفتوحة بآخره. وحكى ان صدر الدين احمد بن عبد الرزاق الخالدي ، صاحب ديوان الممالك في تبريز ، وضع هذا الجاو سنة ٦٩٣ (١٢٩٤ م) عوض السكة من الدنانير والدراهم. وامر ان يتعاملوا به ، وعليه تمغة السلطان . قال : « وكان من عشرة دنانير الى دون ذلك حتى ينتهي الى درهم. ونصف. وربع. فتعامل به اهل تبريز اضطراراً لا اختياراً بالقسر والقهر. فاضطربت احوالهم اضطراباً اضرَّ بهم وبغيرهم حتى تعذرت الاقوات وسائر الاشياء. وانقطعت الموادّ من كل نوع. فكان الرجل يضع الدرهم في يده تحت الجاو ويعطي الخبّاز والقصّاب وغيرهما ويأخذ حاجته خوفاً من اعوان السلطان. ثم حُمل منه عدة احمال الى بغداد صحبة الامير لكزي ابن ارغون اقا. فلما بلغ ذلك اهليها استعدوا بالاقوات وغيرها حيث عرفوا ما جرى في تبريز. فلما أنهي ذلك الى السلطان كيخاتو امر بابطاله فأبطل قبل وصول لكزي الى بغداد وكفى الله العالم شره. »[1]

وفي سنة ٦٩٧ (١٢٩٧ م) امر السلطان غازان بقتل صدر الدين المذكور ، لما ظهر من سوء سيرته ، واظهاره الجاو. وقسره الناس على التعامل به . فاضرَّ بهم وبطلت معايشهم وتعطلت امورهم[2].

١) الحوادث الجامعة في المائة السابعة ، لكمال الدين عبد الرزاق الفوطي ، الخزانة التيمورية ص ٢١٣ ، رقم ١٣٨٣

٢) الكتاب المذكور ، ص ٢٣٦

وفي ضدّ ذلك كان اهل الصين يفضلون التعامل بقطع الكاغد على الدراهم والدنانير. وكان من عادتهم ، في زمان ابن بطوطة ، ان يسبك التاجر ما يكون لديه من الفضة والذهب ويجعلها قطعاً زنة قنطار وما فوقه وما دونه. ويثبتها على باب داره فيما قيل. ومن اجتمعت له خمس قطع جعل في اصبعه خاتماً. ومن كانت له عشر جعل خاتمين. ومن كان له خمس عشرة سمّوه السّتي وهو بمعنى الكارمي بمصر[1]. ويظهر انهم كانوا يعتبرون مجموع هذه السبائك رهناً لنقد الكاغد ، كما هي الحال اليوم. ولذلك قام الكاغد عندهم مقام الذهب والفضة. قال ابن بطوطة:

« فكانوا لا يتبايعون بدينار ولا درهم. وانما بيعهم وشراؤهم بقطع كاغد. كل قطعة منها بقدر الكفّ مطبوعة بطابع السلطان. وتسمى الخمس والعشرون قطعة منها بالِشت وهو بمعنى الدينار. واذا تمزّقت تلك الكواغد في يد انسان حملها الى دار كدار السكة عندنا فاخذ عوضها جدداً ووضع تلك. ولا يعطي على ذلك اجرة ولا سواها. لان الذين يتولون عملها لهم الارزاق الجارية من قبل السلطان. وقد وُكل بتلك الدار امير من كبار الامراء. واذا مضى انسان الى السوق بدرهم فضة ودينار يريد شراء شيء لم يؤخذ منه ولا يلتفت اليه حتى يصرفه بالبالشت ويشتري به ما اراد. »[2]

١) رحلة ابن بطوطة (طبعة التيل بمصر) ، ٢ : ١٥٤

٢) رحلة ابن بطوطة (طبعة التيل بمصر) ، ٢ : ١٥٥

مطالعة الدفاتر والكتب، واللهو بالالعاب

في المجتمعات قديماً

كانت المدن الاسلامية في الصدر الاول من الخلافة لا تخلو من بيوت خاصة او عامة يجتمع الناس فيها للحديث ، والانشاد ، والمطالعة ، واللهو ، كاجتماعهم بعد ذلك في بيوت القهوات لشرب البنّ ، والتدخين ، ومعاينة خيال الظلّ ، والاصغاء الى القاصّ وهو يقرأ بعض الحكايات كسيرة عنترة واشباهها . وليس لدينا اقلّ اشارة الى شيء من الدفاتر كانت تقيّد فيها الاخبار الجارية ويتداولها الجلّاس كالجرائد اليوم . ولا شك ان ما ذُكر منها في بعض الروايات لم تكن الا دفاتر علم وادب وفكاهة . وكانت الالعاب اكثر ما تكون من الشطرنج ، والنرد ، والقِرْق وهو لعب السُدَّر المعروف عند المتأخرين بالدريس . واقدم ذكر للدفاتر في القرن الاول للهجرة ورد في كتاب الاغاني لابي الفرج الاصبهاني، قال :

« كان عبد الحكم بن عمرو بن عبدالله بن صفوان الجمحي قد اتخذ بيتاً فيه شطرنجات ونردات وقِرقات ودفاتر فيه من كل علم . وجعل في الجدار اوتاداً . فمن جاء علّق ثيابه على وتد منها . ثم جر دفتراً فقرأه . او بعض ما يُلعب به فلعب به مع بعضهم . فان عبد الحكم يوماً في مسجد الحرام اذا فتى داخل من باب الحناطين باب بني جُمح . عليه ثوبان مصفران مدلوكان . وعلى اذنه ضغث ريحان . وعليه ردع خلوق[1] . فاقبل يشق الناس حتى جلس الى عبد الحكم بن عمرو بن عبدالله . فجعل من رآه يقول ماذا صنع عبد من هذا . ألم يجد احداً يجلس اليه غيره . ويقول بعضهم فاي شيء يقول له عبد الحكم . هو اكرم من ان يجبّه من يقعد اليه . فتحدث اليه ساعة ثم اهوى فشبك يده في يد عبد الحكم وقام يشق المسجد حتى خرج من باب الحناطين .

« قال عبد الحكم فقلت في نفسي : ماذا سلّط الله علي منك . رآني معك

(١) في الاصل المطبوع « درع الخلوق » بتقديم الدال على الراء . وهو غلط . والردع هو اثر الطيب في الجسد . والخلوق نوع من الطيب اعظم اجزائه الزعفران .

نصف الناس في المسجد . وبعضهم في الحناطين » . حتى دخل مع عبد الحكم بيته . فعلق رداءه على وتد وحلّل ازراره . واجترّ الشطرنج وقال : من يلعب . فبينا هو كذلك اذ دخل الايجر المغني . فقال له : اي زنديق . ما جاء بك الى ههنا ؟ وجعل يشتمه ويمازحه . فقال له عبد الحكم : اتشتم رجلاً في منزلي . فقال (الايجر) اتعرفه . هذا الاحوص . فاعتنقه عبد الحكم وحيّاه . فقال : اما اذا كنت الاحوص فقد هان عليّ ما فعلت . »[1]

وما اشبه هذا الوصف ببيوت القهوات في العصر الحاضر . ولا ندري ما يفرق عنها بيت عبد الحكم . اللهم سوى في تناول الاشربة . ولا يبعد جداً ان يكون قد رُخص به بعد ذلك كما رُخص في الحانات . وكان بعض الملوك والنوّاب في الاسلام لا يستنكرون رائحة الدنانير من حيث جاءت . ولا يأنفون من الإنفاق على موائدهم وملابسهم من رسوم دور القمار ، والمسكرات ، والبغاء . ومن الغريب ان هذه الدفاتر والالعاب كانت تُعرض ايضاً في بعض المواخير وقصور القيادة . وقد اطرفنا التنوخي بوصف ضيافة بدمشق في دار منها لا نخال انه يوجد اليوم دار في الغرب تقاربها في الاحتفال بلذّة الاضياف والتوفر على خدمة شهواتهم . ولما دخل القوم الدار قال لهم صاحبها : « انا احب اليكم الركوب الى بعض البساتين للتفرج الى ان يدرك الطعام . ام اللعب بالشطرنج والنظر في الكتب . فقلنا اما الركوب فلا نؤثره . ولكن الشطرنج والنرد والدفاتر فاحضرنا ذلك . »[2]

ومن البيوت في بغداد التي اجتمع فيها للاضياف الكتب والالعاب بيت لمبارك شاه بن الحسين المروذي الملقب فخر الدين . قال ابن الساعي « كان له دار مضيف فيها كتب وشطرنج . فالعلماء يطالعون في الكتب . ومن لم يعرف العلم يلعب بالشطرنج . »[3] وكانت وفاة مبارك شاه سنة ٦٠٢ (٦/١٢٠٥ م)

---

١) الاغاني ٦ : ٥٣

٢) نشوار المحاضرة ١ : ١٦٥

٣) الجزء التاسع من الجامع المختصر في عنوان التواريخ وعيون السير (طبعة بغداد سنة ١٩٣٦) ، ص ١٨٧–١٨٨

دفائن الخزائن

كتاب ادب الوزراء لاحمد بن جعفر بن شاذان

في خزانة جامعة ليدن ، في هولاندة ، بضعة مخطوطات نادرة منها ما هو فذّ فريد في بابه لا يُعرف له نسخة ثانية في دور الكتب الاوربية ولا الشرقية. ومن جملتها ، فيما تبيّن لنا ، ادب الوزراء لاحمد بن جعفر بن شاذان. ذكره صاحب كشف الظنون ، ولم يسمِّ مؤلفه . وهو في ١٢٧ ورقة كل صفحة منها ١٩ سطرًا. تمّ الفراغ منه في ٢٠ ربيع الاول سنة ٧٠٨ (٧ ايلول ١٣٠٨ م) وقف فيه المؤلف عند خلافة الامام الناصر لدين الله (٥٧٥—٦٢٢ للهجرة = ١١٨٠—١٢٢٥ م) ولا تخلو كتابته من الخطإ والتحريف في الضبط والنقل.

وهذا فصل من المقدمة كافٍ لتعريف ماهية الكتاب :

« الحمد لله خالق السماء ومدبر الاشياء وباعث الانبياء احمده على ترادف نعمه واعوذ به من موبقات نِقَمه. اما بعد فاني جمعت في كتابي هذا ابواباً تشتمل على ما يحتاج اليه المؤهَّل لسياسة الامور وتدبير المملكة. ألّفت ذلك ونظمته. وجعلته ابواباً مفهومة . وفصولًا منظومة . يسلك الناظر فيه سَنَن من تقدم من الرؤساء والسادة العظماء. وكان قصدي في ذلك طلب جميل ذكر يبقى على غابر الدهر عند من يفهمه ويتدبره . . . ووسمته بكتاب ادب الوزراء ابتغاء وسيلة عند الحيلة . وجعلته للراغب اليه والناظر فيه تحفة تزينه . وحلية تجمله. فينال بها الدرجة العليا ويسلك فيها الطبقة المثلى وبالله نستعين وعليه نتوكل. وهو حسبنا ونعم الوكيل. »

وعدة ابواب الكتاب ٦٥ باباً ، وهي في الحقيقة ٧٠ لتكرار بعض اعداد الابواب. وبينها فصول قصار لا يتجاوز احدها الصفحة الواحدة او نصف الصفحة. وبعضها لا يخلو من فوائد أثيرة : وقد رأينا ان نسردها كلها باباً باباً ، تنويهاً

بضمونها ليُرجع اليه عند الحاجة. وسنقف عند اثنين منها خاصة اخترناهما لشروحها الممتعة وللدلالة على منهج المؤلف في الرواية والاملاء. ننقل الاول برمّته وهو « باب البنيان وتقدير مواضعه » لما له من القيمة والطرافة. وهذه فيما نعلم اول مرة تعرّض فيها احد الكتاب والمؤلفين لوصف هندسة الابنية العربية وتوزيعها. ونقتضب من الثاني ما جاء فيه من ذكر اعياد النصارى واسواق الشام وفلسطين خصوصاً (foires) وهو قلّ ما يُشار اليها عادة.

ابواب الكتاب

الاول: فضل الوزراء f° 3 الثاني: ادب الوزراء f° 5 الثالث: فضل الكتابة والكاتب f° 8 الرابع: بدء الكتابة ونقلها من العبراني واليوناني وغيرهما الى العربي f° 8 الخامس: معرفة كتاب رسول الله عليه السلام ومعرفة من كتب من قريش f° 9 السادس: معرفة آداب الكتابة وبدء بسم الرحمن الرحيم f° 10 r° السابع: مكاتبة غير اهل الملّة f° 11 r° الثامن: ما جاء في بري القلم والمداد والختم والحزم f° 12 التاسع: تحويل الدواوين من الفارسية والرومية الى العربية واول من نقلها f° 15 r° العاشر: معرفة رسوم الخراج واحكامه في الاسلام f° 17 الحادي عشر: ارض العشر f° 17 r° الثاني عشر: معرفة صدقات الابل f° 20 الثالث عشر: صدقات الغنم f° 20 r° الرابع عشر: صدقات البقر f° 20 r° الخامس عشر: معرفة الجزية f° 21 السادس عشر: معرفة فتوح الارض واحكامها f° 21 السابع عشر: ما فُتح بعد رسول الله صلعم f° 22 r° الثامن عشر: معرفة الديات f° 26 r° التاسع عشر: معرفة الشِجاج والجراح f° 27 العشرون: معرفة الغنائم وقسمتها f° 27 r° الحادي والعشرون: معرفة المساحة وحسابها وتفسير القُفزان والجُربان والاشول والاذرع والابواب f° 27 r° الثاني والعشرون: مخارج الحساب وما تدور عليه الاصول f° 34 r° الثالث والعشرون: معرفة المكاييل والموازين والجريب والقفيز f° 35 r° الرابع والعشرون: معرفة استنباط المياه f° 38 r° الخامس والعشرون: معرفة الارض الزكية والردية والوسط f° 38 r° السادس والعشرون: البنيان وتقدير مواضعه f° 39 السابع والعشرون: بنيان البساتين f° 40

الثامن والعشرون: معرفة الفرس واوانه وموضعه f° 40 ro الثامن والعشرون bis: معرفة استواء الليل والنهار وشرح ايام العجم واسمائها وما قالوا في سعودها ونحوسها f° 41 التاسع والعشرون: علم جملة ايام السنة f° 41 الثلاثون: علم شهور الروم ومدخل الشتاء والصيف ومطالع نجومها في اول الشتاء والصيف والربيع والخريف ومنازل القمر f° 44 الحادي والثلاثون: مدخل السنة من الايام f° 41 ro الثاني والثلاثون: علم كسوف الشمس اذا اتفق في كل شهر من شهور العرب f° 53 الثالث والثلاثون: خسوف القمر اذا اتفق في كل شهر من شهور العرب f° 52 الرابع والثلاثون: آيات الاهلّة f° 54 الخامس والثلاثون: علم الآيات التي يدلّ عليها الرعد والبرق والرجف والخسف والرياح الغالبة وقوس الغمام في شهور الفرس f° 55 ro السادس والثلاثون: معرفة خسوف القمر واحوال لونه f° 58 ro السابع والثلاثون: معرفة السنين f° 59 الثامن والثلاثون: معرفة الايّام المذكورة في السنة واسمائها بالعربية والفارسية f° 60 التاسع والثلاثون: اسماء الليالي والأهلّة f° 60 ro الاربعون: معرفة الافلاك والبروج ومنازل القمر f° 61 الحادي والاربعون: ذكر الانواء f° 62 ro الثاني والاربعون: ذكر الرياح f° 62 ro الثاني والاربعون bis: معرفة حساب الجمّل f° 63 ro الثالث والاربعون معرفة ايام السنة التي تحلّ الشمس فيها رؤوس البروج f° 64 الرابع والاربعون معرفة الاقاليم وهي سبعة f° 65 الخامس والاربعون: معرفة نواحي الارض f° 68 ro السادس والاربعون: معرفة ارتفاع الخراج من المدن المذكورة f° 71 ro السابع والاربعون: صدقات ارض العرب f° 72 ro السابع والاربعون bis: شهور العرب واسواقها f° 73 الثامن والاربعون: معرفة مجاري الرياح وافعالها f° 74 التاسع والاربعون: معرفة السانح والبارح f° 75 ro الخمسون: من امثال عيان (يقال هو اشعث من وتد...) f° 76 الحادي والخمسون: البلاغة والايجاز f° 77 الثاني والخمسون: التهاني f° 77 ro الثالث والخمسون: التعازي f° 79 الرابع والخمسون: الدعاء f° 80 الخامس والخمسون: الرسائل والفصول f° 81 ro السادس والخمسون: معرفة الحِلْيَة (اللون والشعر والجباه...) f° 86 ro السبع والخمسون: الهجاء f° 88 ro الثامن والخمسون: ما اذا اتصلت f° 89 ro الثامن والخمسون bis: من

اذا اتصلت f° 90 r° التاسع والخمسون: لا اذا اتصلت f° 90 r° التاسع والخمسون bis: الحروف التي تأتي للمعاني f° 91 الستون: التاريخ f° 91 r° الحادي والستون الحكم على حروف المعجم f° 92 r° الثاني والستون: معرفة الفِرَق (في الاسلام) f° 98 الثالث والستون: فنون الادعية f° 103 r° الرابع والستون: معرفة المَنِير f° 108 الخامس والستون: في التاريخ (مغازي الرسول وذكر الخلفاء من ابي بكر الى الناصر لدين الله، بالاختصار. يذكر لكل خليفة سنة مبايعته، ووفاته، واولاده، ووزراءه وقضاته، واحيانا نقش خاتمه.)

الباب السادس والعشرون

البنيان وتقدير مواضعه

واصوب مواضع البنيان وانفعها واضواها واحدها للبصر ما بُني منه على ما ارتفع من الارض. فان المسكن اذا بُني على تلّ كان مُطِلًا على المنازل. يُشرف صاحبه على ما احبّ ان ينظر اليه. واجود ما جُعلت اليه ابواب المنازل المشرق واستقبال ريح الصبا فان ذلك اصحّ للابدان لسرعة طلوع الشمس وضوئها عليه (f° 39) وينبغي للبيوت ان تُوسَّع ويُرفع سمكها. واجود ما قُطع للبناء من الشجر في مهرماه (الشهر الثاني من الشتاء) لان هذا الوقت يوافق الشجر جافًا قد اذهبت عنه الشمس ما يعيبه من ندى الليل وندى اول النهار. فاذا قُطع في هذا الوقت كان ابقى له واصلب.

وتقدير الايوان الاعظم اربعون ذراعاً في عشرين ذراعاً. والدار التي بين يدي الايوان ثمانون ذراعاً في ثمانين ذراعاً. والبَهو طوله ثُلثا عرضه. والبيت الشتوي طوله اضعاف عرضه. والمخرج طوله مثلا عرضه. والبيت المربَّع او المدوَّر فافضلها اطولها سمكاً.

وابواب البيوت ينبغي لها ان تكون بقدر موضعها مما يحتاج اليه من زينته ووثاقته. ليس بقدر البيت الذي هو فيه. وينبغي ان يكون طوله مثل عرضه. والقباب اربعة اجناس مدوَّرة ومربَّعة وذات ثمان زوايا وذات اثنتي عشرة زاوية. والاصطبل ينبغي ان يكون عريضاً قدر ما يُربط خلف الدابة دابة اخرى.

وينبغي لبيت الشراب ان يكون له بابان واسعان وكُوّتان . فاما الباب الواسع والكوّة الواسعة فمن يسار القبلة من قِبَل ريح الجنوب . واما البابان (f° 39b) الضيقان فمن قبل المشرق او عن يمين القبلة من قبل ريح الشمال . ويُنَزَّه بيت الشراب عن كل ريح كريهة وكل قذر . وليكن بين كل وعائين من اوعية الشراب ذراع . ولتكن مواضع الاوعية جافة . فان كان مواضع الاوعية ندية فلتُفرش آجرًا وحجارة .

وتقدير المعصرة ان يكون طولها اضعاف عرضها . (f° 40a)

الباب الثلاثون

علم شهور الروم ومدخل الشتاء والصيف ومطالع نجومها في اول الشتاء والصيف والربيع والخريف ومنازل القمر

ايلول . . .

في ثلاث منه مرد ازماه . تُوقد النيران بالشام وفارس . وذلك اليوم عيد لهم يعرف بعيد دين الناس (دير الياس)[1]

وفي اربعة عشر منه عيد الصليب . . . وفيه يبدأ اهل الشام بالزرع .

وفي اربعة وعشرين منه . . . يكون عيد كنيسة القمامة التي بايليا

تشرين الاول . . .

لثمانية ايام منه يقوم سوق اذرعات ثلثين يوماً . وعيد كنيسة الرصافة . وهو آخر قطاف الاعناب وفي احد عشر يوماً منه يقوم سوق حلب .

وفي اربعة وعشرين منه . . . يكون عيد كنيسة حمص .

تشرين الآخر . . .

لثلث ليال منه يقوم سوق فلسطين . ويقال لها سوق لُدّ . سبعة ايام .

وفي يومين منه . . . يكون عيد كنيسة الرها .

وفي اثنين وعشرين يوماً منه او ثلثة وعشرين يوماً منه عيد النصارى .

---

١) في الآثار الباقية للبيروني، (ص ٣١)، انه دير الناس بالنون . وذكر انه في السادس من آب .

يلتقط فيه الزيتون ويعصر الزيت الانفاق[1]

كانون الاول

في اول يوم منه يكون سوق بدمشق عظيمة.

وفي اربعة وعشرين منه ليلة الميلاد. وهي اطول ليلة في السنة ويومها اقصر يوم في السنة.

كانون الآخر

اول يوم منه عيد النصارى يقال له القَلَنْدَس[2] ولستة ايام منه الميلاد الآخر. وبين الميلادين اثنا عشر يوماً. يومئذ يكون سوق عظيمة بالاردنّ.

وفي اليوم الرابع والخامس والسادس حميم النصارى[3] ويزعمون ان البركة توضع في الماء. وهو الذي يقال له الدِنْح وهو الميلاد الاصغر. ويزعمون ان في تلك الليلة ساعة يعذُب فيها ماء البحر حتى يُشرَب سائغاً باذن الله...

وفي خمسة عشر منه يكون عيد المصنوعة (المصبوغة) وهي الكنيسة التي على جسر الاردن. وفي ذلك اليوم يصنع (يصبغ) النصارى اولادهم في المياه.

شباط

اول يوم عيد النصارى. يعرف بعيد ابي (ابا وأنبا) شمعون كبير الحواريين. وقد يصوم النصارى في تسعة وعشرين يوماً.

اذار...

نيسان

في خمسة عشر منه هو عيد جرجيس الذي ببلد (بلدّ)[4]... وفي الخامس منه

---

١) يراد بالزيت الانفاق ما اعتُصر من الزيتون قبل تام نضجه.

٢) رأس السنة Calendes ومن اسمائهم قديماً في فلسطين: اذا جاء القَلَنْدَس فندفّ واحتَبِسْ (احسن التقاسيم للبشاري، ص ١٨٣). قال الامام البيروني: «وتفسير قالندس «خيراً كان». وفيه تجتمع صبيان النصارى ويطوفون في بيوتهم ويخرجون من دار الى اخرى ويقولون: «قالندس قالندس» بصوت عال ولحن. فيُضَمّون في كل دار ويُسقَون اقداحاً من الشراب» (الآثار الباقية، ص ٢٩٣).

٣) الحميم في اللغة الماء البارد والحارّ ويراد به ماء المعمودية. ويطلق على عيد الغطاس.

٤) ذكر فيما بعد ان عيد مار جرجس يكون في اربعة وعشرين نيسان. وفي البيروني انه في الثالث والعشرين (الآثار الباقية، ص ٢٩٦).

تزيد المياه. وفي هذا الوقت يفطر النصارى

وفي اربعة وعشرين يوماً منه يكون عيد جرجيس ببلد (بلدّ) وتقوم سوقها ويكون سوق فلسطين سبعة ايام.

ايار

في خمسة ايام منه عيد النصارى واليهود. وعند ذلك ينقضي الربيع ويقبل الصيف.

حزيران

في خمسة عشر منه... عيد يحيى بن زكريا. وفيه يتقرب النصارى بالعنب في الكنائس ويُشتار العسل.

وفي تسعة وعشرين منه عيد ابي (ابا) بطرس وبولس الذي يقال له سباسبه (الصفا)... ويقال ان لسبعة ايام منه عيد بمصر يسمى عيد ابي (ابا) لكع (كذا) وليلة اربع عشرة منه اقصر ليلة في السنة ويومها اطول يوم في السنة. وفي هذا اليوم ولد زكريا. وفيها افتُتن داود.

تموز...

في اربعة وعشرين منه... تقوم سوق بصرى... ويقال ان في اليوم الثالث من تموز يكون عيد بدمشق يقال له عيد يوما (توما) ويومئذ تقوم سوق بصرى شهرا. وسوق سامه (سام من اقليم خولان ؟) جمعتين.

آب

في اول يوم منه تقوم سوق عمان...

ولخمسة ايام منه عيد النصارى بفلسطين. ويومئذ يقوم سوقها. وتقوم سوق بصر يقال لها سوق ملكايل (ميكائيل)

ولستة ايام منه عيد النصارى بالاردنّ يحجّون في ذلك اليوم الى جبل الطور

وفي اليوم السابع منه توفيت مريم بنت عمران.

وفي عشرة ايام منه تقوم سوق بعمّان وعيد النصارى يجتمعون فيه بمدينة البلقاء.

ولخمسة عشر يوماً منه عيد بفلسطين.

وفي ثمانيه وعشرين منه قُتل يحيى بن زكريا. عليهما السلام.

لغة الحضارة

التطعيم والتكفيت

هما مترادفان بمعنى واحد . غير ان التطعيم يُطلق على كل تنزيل كتطعيم الخشب بالعاج والعظم والآبنوس ، وتطعيم النحاس بالفضة والذهب . بخلاف التكفيت فانه لم يرد الّا في المعادن . قال جمال الدين محمد بن علي بن نباتة : ومما كتب على طست مطعّم :

تشبهتُ بالغدران ، والروض حولها ، فاصبحت ملهى الناظر المتوسّم
وأنتُ بالتطعيم أشجار فضّة ، ومن احسن الاشجار كل مطعّم (١)

وقد وهم دوزي بظنّه ان التكفيت هو تغشية المعدن بصفيحة من معدن آخر اوفر قيمة plaqué (٢) . اي ان تُكسى مصنوعات الفضّة مثلًا بصفائح من الذهب . وهو المعروف اليوم بالتلبيس . والذي تحققناه ان التكفيت انما هو مدّ خيوط من معدن في آخر دونه في الثمن : incrustation ويقال لصانعه كفتيّ . قال ابن العفيف :

قُ كفتيّ اضاع صبابتي فيه الفؤاد ، وخالف اللوّاما
مدّ الشريط في الحديد ، فخلتُه قمرًا يطرّز بالبروق غماما (٣)

ومثله قول الشهاب الحجازي :

بيّ كفتيّ سباني حسنه لا ارى من حبه لي مخرجا
مدّ تبرًا في حديد ، فحكى قمرًا طرّز بالبرق الدجى (٤)

---

١) كتاب الغصن النباتي . خزانة باريس ٢٢٣٤ ، ص ١٦٦

٢) *Supplément aux Dictionnaires Arabe* , p. 470

٣) غرة الصباح في وصف الوجوه الصباح لتقي الدين البدري f° 101 , Add. 23443 ، بريتش-وزيوم .

٤) كتاب جنة الولدان في الحسان من الغلمان ، ص ٢٢

وقبلها لمنصور بن القاضي الازدي الهروي:

والورد اصفره يلوح ، كأنه اقداح تبر كُفِّتت بزبرجد [1]

وكان يُقال لمثل هذه الاشغال « الكفت » قال ابن فضل الله في المسالك: « وبمصر من محاسن الاشياء ولطائف الصنائع ما تكفي شهرته . ومن الاسلحة والقماش والزركش والمصوغ والكفت وغير ذلك ما لا يكاد يعدّ تفردها به»[2] ويقال للموضع الذي تباع فيه « سوق الكفت او الكفتيين »[3] . ولما وقع الحريق بدمشق سنة ٧٤٠ (١٣٣٩ م) انشأ ابن الوردي مقالة في معناه قال فيها: « فوا لسوقِ الكفت ما كفَّت النار عنه لساناً . »[4]

وكان بمصر في دولة المماليك سوق من اعظم اسواق الكفت . وصفها المقريزي اتمّ وصف ، وعدّد بعض مصنوعاتها ، وقال:

«سوق الكفتيين يشتمل على عدة حوانيت لعمل الكفت وهو ما تطعّم به اواني النحاس من الذهب والفضة . وكان لهذا الصنف من الاعمال بديار مصر رواج عظيم . وللناس في النحاس المكفّت رغبة عظيمة . ادر كنا من ذلك شيئاً لا يبلغ وصفه واصف لكثرته . فلا تكاد دار تخلو بالقاهرة ومصر من عدة قطع نحاس مكفّت . ولا بد ان يكون في شورة العروس دكة نحاس مكفت والدكة عبارة عن شيء شبه السرير يعمل من خشب مطعم بالعاج والآبنوس . او من خشب مدهون . وفوق الدكة دست طاسات من نحاس اصفر مكفت بالفضة . وعدة الدست سبع قطع بعضها اصغر من بعض تبلغ كبراها ما يسع نحو الاردب من القمح . وطول الاكفات التي تنشت بظاهرها من الفضة نحو الثلث ذراع في عرض اصبعين . ومثل ذلك دست اطباق عدتها سبعة بعضها في جوف بعض . وفتح اكبرها نحو الذراعين واكثر . وغير ذلك من المناير والسرج وأحقاق الأشنان والطشت والابريق والمبخرة . فتبلغ قيمة الدكة من النحاس المكفت زيادة على مائتي دينار ذهباً . وكانت العروس من بنات الامراء والوزراء او اعيان الكتاب او اماثل التجار تجهز في شورتها عند بناء الزوج عليها سبع دكك . دكة من فضة . ودكة من كفت . ودكة من نحاس ابيض . ودكة من خشب مدهون . ودكة من صيني . ودكة من بلور . ودكة من كداهي وهو آلات من ورق مدهون تحمل من الصين ادر كنا منها في الدور شيئاً كثيراً . وقد عدم هذا الصنف من مصر الّا شيئاً يسيراً . . وقد قل استعمال الناس في زمننا هذا (١٣٦٥ – ١٦٤١) للنحاس المكفت وعزّ وجوده . فان قوماً لهم عدة

---

١) ارشاد الاريب لياقوت ٧ : ١٩٠

٢) حسن المحاضرة للسيوطي (طبعة مطبعة الموسوعات بمصر سنة ١٣٢١ ه) ٢ : ١٩٨

٣) تاريخ البدر في اوصاف اهل العصر للعيني . بريتيش موزيوم Add. 22360,f° 39 °

٤) تذكرة النبيه لشرف الدين بن حبيب الحلبي . بريتيش موزيوم Add. 7335,f° 154

سنين قد قصدوا لشراء ما يباع منه وتنحية الكفت عنه طلباً للفائدة. وبقي بهذا السوق الى يومنا هذا بقية من صناع الكفت قليلة. »[1]

وكان بعض الوزراء والاغنياء يغالون ويتباهون في جمع مصنوعات الكفت. ولما نُكب الصاحب علاء الدين بن زنبور ، وُجد له من النحاس الاصفر المكفّت والنحاس الابيض نحو من اربعين الف قطعة[2]. وكان الكفت يتناول كل ما يعمل من نحاس او حديد كالسيوف والاسلحة والمناطق والحياصات حتى المهاميز. ولما ذكر المقريزي جيوش الدولة التركية وزيّها وعوائدها ، قال: « كان معظم العسكر لا يكفت مهازه بالذهب. »[3]

وقد عرفت صناعة التكفيت في سورية من قبل دخول العرب اليها. والسوريون هم الذين نقلوها الى الغرب. وكان منهم في القرن الثالث للميلاد صائغ من مرعش يسمى قسطنطين Constantin de Germanicia يشتغل في مدينة ليون بتنزيل الذهب والفضة في المعادن[4]. وقد اشتهرت دمشق في كل وقت بالتخصص والتفنن بهذه الصناعة . وعنها أُخذت وشاعت في اروبة . ولذلك سميت فيها باسمها damasquinage وكانت سوقها بدمشق ، قبل الحرب ، على اشدّ الرواج ، وتحمل منها الطرائف والتحف الى جميع الاقطار. ولا تزال حاضرة الامويين الى اليوم معدن هذا الفنّ ، وصنّاعه فيها كلهم من النصارى واليهود.

١) الخطط للمقريزي (مطبعة النيل) ٣ : ١٧٠-١٧١

٢) تاريخ مصر لابن اياس ، ص ١٦٨

٣) الخطط للمقريزي ٣ : ٢٥٢

٤) L. Bréhier, *Les origines des rapports entre la France et la Syrie* (in *Congrès Français de la Syrie*) Fasc. II. p. 17

التقديم والاشراف

كتاب جامع التواريخ

المسمى نشوار المحاضرة واخبار المذاكرة

للقاضي ابي علي المحسن التنوخي

الجزء الثامن. طبع المجمع العلمي العربي بدمشق. مطبعة المفيد، سنة ١٣٤٨ هـ = ١٩٣٠ م

للاستاذ العلّامة مرجليوث فضل قديم على الآداب العربية، تشهد له به جملة ما نشره الى اليوم من مخطوطاتها النادرة ومؤلفاتها النفيسة. ولا شكّ ان من اجلّها شأناً واوفرها غناء في تعريف الحضارة العباسية، ووصف جانب من اخلاق القوم وعاداتهم واساليب معيشتهم ومعاشراتهم ورسوم مجتمعهم؛ والتنبيه على بعض خصائص لغتهم ومصطلحات ألسنتهم؛ هو الكتاب المعروف بنشوار المحاضرة للقاضي التنوخي، افضل ما خُطّ في زمانه في اخبار المذاكرة واحاديث الاندية، ومُلح المتقدمين من القُصّاص والندمآء؛ وطُرف الوزرآء والكتاب والظرفآء؛ الى اواخر القرن الرابع للهجرة. وكان الاستاذ قد طبع الجزء الاول منه، عن نسخة في خزانة باريس. ثم وُفّق للعثور على جزء ثامن له في دار التحف البريطانية لا يتبرّأ من نقص وتحريف وتشويه، فاقام بعض أوَده، وسدّد جانباً من اغلاط النسخ والرواية فيه، على قدر ما اتسع له وقته. ووكل اصلاح ما بقي من مشكلاته الى علم المجمع العلمي العربي بدمشق؛ واطلق لهم نشر المتن بعد التصحيحين تباعاً في مجلتهم الغرآء. وبعد ان انهوه تعليقاً وتمثيلاً طبعوه على حدة في مجلد بلغ ١٨٦ صفحة، مذيّل بفهرس واسع، وجدول لمقابلة الترجمة الانكليزية. وقد تكرّم الاستاذ مرجليوث وأهدى لنا نسخة منه اقبلنا على مطالعتها بغاية الشوق والاستمتاع. ولاح لنا اثناء قرآءتها بعض مواضع تحتاج الى التدبّر والمراجعة، وتستدعي التثقيف والتعديل. فاستاذنا

حضرته في درسها والمشاركة في نقدها وتصويبها بقدر ما يتراءى للنظر القاصر. وهي ما نحن ذاكروه فيما يأتي، خدمةً للادب، رجاءً ان يتفق لنا مع الخواطئ سهم صائب.

وفي ختام الكتاب تصحيحات لبعض اغلاط الطبع. وقفنا منها ايضاً على امثال لا نشكّ الا انها أهملت سهواً ولا بأس من الاشارة اليها:

ص ٣٩ س ١	قد حرد الوزير (اسماعيل بن بلبل) على بن الفرات.
« « « ١٦	العامل (على مصر) بن البختري.
	والصواب اثبات الف ابن في الموضعين.
« « « ١٥	سليمان ابن وهب.
« ٤٣ « ١٨	حامد ابن العباس.
« ٥٩ « ١١	صاعد ابن مخلد.
	والقياس اسقاط الف ابن من الاسماء الثلاثة. نقول هذا وبودّنا لو اتفق جمهور الكتاب على رسم لفظة ابن حيثما وقعت باثبات الالف دائماً كما خلقت فيها. وهو اسهل من كدّ اذهان الطلاب بحفظ مواضع اثباتها. ومن السخف اليوم تكليف الكتّاب استشهار علم الانساب لمعرفة الآباء والامهات من اجل حرف واحد.
« ٢ « ٨	لا تملكني جذعاً بالذال، وهي بالزاي كما لا يخفى.
« ٢٧ « ١٢	فاقبل عليّ صاحب الديوان. بدلاً من على وهو مصحف.
ص ٤٠ س ١٦/١٧	سلوكا المذهب الثاني. والصواب المذهب باسقاط الالف كما هو ظاهر.
٥٦ — ٧	ما زالت الاموال تنقص بالاضافة. بالفاء. وقد رسمت كذلك بالإضافة بالفاء.
٥٧ — ١٦	ما قوي طمع الموفق. بالياء. بدلاً من قوّى بالالف المقصورة.
٦٢ — ١٤	هاب الحسن ابن محمد على الامر. والصحة عن الامر
٦٥ — ١٦	احوجه الى الزوال عن عادته. اي الزوال منزله.
٩٠ — ١٣	ثم تحدث بهذا الحديث. وسياق العبارة يقتضي ثم يحدث بالياء.
٩٨ — ١٧	واستخرج الدرهم. والصواب استخرجه بالهاء تعني الاموال عامة.
١١٢ — ٦	سلوقرن مرفوع. والقياس سلوا باثبات الالف كما لا يخفى.
١١٥ — ٥	وسمي. عوضاً عن وسعي. بالعين.
١٢٥ — ١٨	اليباسرة جبل من الناس بالباء الموحدة (حاشية ٣) بدلاً من جبل بالياء المثناة.
١٢٨ — ١٤	عما تتوهمه واستشعره. بزيادة تاء غلطاً في توهمه.

١٢٤ – ١	كن على خطا من الباب. والصواب خطى بالف مقصورة جمع خطوة.
١٢٤ – ٨	قال لما مات القتل باسقاط الياء من هاتي.
١٤٦ – ١٢	شكت اليه الجارية شيئاً وجدته فاشار عليه بالقصد. والصواب عليها.
١٤٨ – ١٤	فتعود الشية الى الشرب. والصحة فتعود بتاء الخطاب لقوله بعد: « ومعك من تأنس به من اصحابك ».
١٥٨ – ٥	فشربت ليلتي معها. بدلاً من شربت بيآء موحدة.

وهذه الهنات كلها من اغلاط النسخ، ولا نرى وجهاً لعدم اصلاحها على كل حال. واهمّ منها ما يجيء لما يترتب عليه احياناً من غموض المعنى او تبدله وفساده.

٩ – ٢	« تلقطت هذا الفن واثبته وخلطت به ما حدث وتحدث من مليح شعر» قال المجمع: لعل صوابه ويحدث (حاشية ١) ولا ندري كيف يستقيم الجمع بين الماضي والمستقبل في هذه العبارة. واذا لم تكن كلمة « وتحدث » تحريف « تجدّد » وهي بمعنى حدث، فالاظهر ان الاصل « وتُحدّث به من مليح شعر » اي ما شاع وجرت بذكره الالسنة في المجالس والمجتمعات.
١٠ – ١١	« يتملد له طساسيج طريق خراسان » وفي حاشية للمجمع رقم ٤ « الطساسيج لاهل الاهواز كالمخاليف لليمن. والكور لاهل العراق. والطسوج ايضاً ربع الدانق ». وليُنظر أيّة ملاءمة لذكر الطسوج في طريق خراسان بمعنى ربع الدانق. وهو كفعل بعض منشدي المتون الذين يظنّون انهم جلوا الغامض واحسنوا الشرح اذا اكتفوا بنقل ما يجدون في المعاجم من معاني الكلمة، دون ان ينصّوا على ما يليق بالمقام منها. ومثل هذا التفسير هو في الحقيقة إقرار بعدم ادراك المراد. او تردّد في اختيار الاظهر منه. ومَن من القراء اليوم لا تطول يده احد المعاجم. فأيّة حاجة من ثمّ ان يُتكلّف له نسخ ما يستطيع قراءته بنفسه. وانما يفتقر احياناً الى استاذ يدلّه على ما يتعيّن ترجيحه من معاني الحرف الوارد في المتن. والصحيح هنا ان الطُسّوج بمعنى الناحية. وهو يستعمل في غير الاهواز. بل اكثر ما يجيء في الكلام على سواد العراق، خلافاً لما ذكره المجمع. وفي تاريخ الوزراء لهلال الصابي، في خطاب المعتضد بالله: «طساسيج السواد بالامير المؤمنين اربعة وعشرون طسوجاً» (ص ٢٥٨) وكانت قبلاً ستين. وفي كتاب المسالك والممالك لابن خرداذبه: «طساسيج السواد ستون طسوجاً». وترجمة الطسوج ناحية (ص ٥-٦)، وفي احسن التقاسيم للبشاري المقدسي: « العراق يُفصّل

بالطاسيج وهي ستون» (ص ١٢٣) وبعد ان ذكر ياقوت ان اللفظة فارسية قال: «وأكثر ما تستعمل هذه اللفظة في سواد العراق وقد قسموا سواد العراق على ستين طسوجاً» (معجم البلدان ١: ٤١، طبعة اروبة)

١٣ — ١٤ «اسحاق بن ابرهيم الظاهري ببغداد». وانما هو الطاهري بالطاء غير المنقوطة. من ذرية طاهر بن الحسين، قائد المأمون.

١٧ — ١ «قال ابو الحسن فاقام النيكي يتولى باوروبا... الى ان طلقت انا واخي». وعند المجمع ان معنى طلقت هنا تركت. قال: وله شواهد في كتب اللغة (حاشية ٣) والصواب: «أطلقت انا واخي من الاعتقال»، كما في تاريخ الوزراء لهلال الصابئ، ص ٧٦

١٨ — ٦/٥ «رفعه ناقصاً عما كان قدم به كتابه كله في غلة عند قسمتها» ولا معنى لهذه الجملة، وفيها تشويش من الناسخ. ولا نشك ان الاصل: قدم به كتابه في كيل غلة عند قسمتها.

٢١ — ١٣ بعد ان ذكر حبس احمد بن طولون للحسن بن مخلد، قال: «ودس اليه في شربة فقتله بها. وجد الموفق وانفذ اليه المعتضد في الجيش» فعلق المجمع على جملة «جد الموفق» كذا في الاصل (حاشية ٢) وما ندري ما أشكل عليه منها. ألفظة جدّ وهو يعلم انها بمعنى اجتهد وسعى. ام اسم الموفق وهو لقب الامير ابي احمد اخي الخليفة المعتمد ووالد المعتضد. وقد تقدم اسمه في الصفحة نفسها في السطر السابع. وورد ذكره غير مرة في الصفحات ٥٦-٦١. فمثل هذا التعليق والسهو غريب من المجمع

٢٢ — ٥ «قد صككت على البارحة للعاملين بالف وستمائة دينار». قال المجمع صك الرجل للمشتري صكاً كتبه. وهو الذي يكتب في المعاملات والاقارير (حاشية ٢). والافضل تفسير الصك هنا بمعنى الإحالة. وهو معرب چك بالفارسية. في معنى اللفظة الفرنسية chèque لما يدفع فوراً. او traite لما يكون لأجل مسمى

٢٢ — ٩/٨ «يا اخي ابو بكر والله وقيع» ولا يتبين معنى اللفظة وقيع بالواو. والافضل ان تكتب الجملة هكذا: يا اخي — ابو بكر (وهي كنية احمد بن صالح بن شيرزاد صاحب ديوان الخراج) رقيع. بالرآء من الرقاعة بمعنى الحمق والسخافة.

٢٣ — ١٦ «يوسف بن فنحاس» وهو لقب جهبذ يهودي. ويقال له ايضاً بنحاس بالباء باوله. وكلا الرسمين صحيح. فلم تكن حاجة المجمع بالتنبيه على ان اسمه ورد في تاريخ الوزراء فيجاس. وهو غلط فيه وتحريف من الناسخ.

٢٥ — ٦/٥ «لم يجد في الحساب الا احالات على حمد الى الخليفة» ولا معنى لكلمة

حمد هنا. والصحة «حُمل». اي انه لم يجد في الحساب الا شروحاً بان الاموال حُملت الى الخليفة دون تفسير آخر.

٢٥ – ١٥ « فاستحضرتها الى حضرته » والصواب استحضرهما اي الوزير علي بن عيسى.

٢٦ – ١٠/٩ « كان علي بن عيسى اذا حل المال وليس له وجه استلفه من التجار على سفاتج قد وردت من الاطراف فلم تحل عشرة آلاف دينار بربح دانق ونصف فضة في كل دينار» فعلق المجمع على جملة « لم تحل » كذا في الاصل. ومثله في تاريخ الوزراء (حاشية ٣) وكأنه لم ينتبه الى ان معنى لم تحلّ لم يستحقّ دفعها. والمراد ان الوزير ، اذا حان وقت وزن رواتب الرجالة وكانت السفاتج – وهي التي نسميها اليوم في التجارة البوالس – الواردة له من الجهات والاعمال لم يجيء بعد يوم قبضها ، لجأ الى الصيارفة اليهود واستلفهم على سفاتجه عشرة آلاف دينار بربح لم وافر. وهو نفس ما نسميه اليوم «الخصم». ومن ثم فالضمير في استلفه زائد فيجب ان يطّرح لان المفعول وارد في آخر العبارة وهو عشرة آلاف دينار كما يتبين باقل نظر.

٢٨ – ١٢ «كانت فتنة محمد المخلوع قد صرفتُ ما كنت جمعته » . والصواب: « وكنت في فتنة محمد المخلوع قد صرفت ».

٢٩ – ١٥/١٣ «قال ابو الحسين: ما رأى في الدولة العباسية من الكتاب من اتصل تصرفه منذ نشأ الى ان مات وترددت ولا بعد الوزارة لديوان الخراج وديوان الضياع – احد من غير ان يتعطل غير الفضل بن مروان » وفي هذه الاسطر الثلاثة من المتن تحريف وتشويش وتقديم وتأخير لا يستقيم لها معه معنى صريح. ونحن على يقين ان الاصل كان كما يأتي:

« ما رُئي احد في الدولة العباسية من الكتاب من اتصل تصرفه منذ نشأ الى ان مات. وترددت ولايته الوزارة بعد ديوان الخراج وديوان الضياع. من غير ان يتعطل غير الفضل بن مروان ».

وفي الكتاب نفسه اشارة الى ولاية الفضل بن مروان ديوان الخراج (ص ٣١) وديوان الضياع (ص ١١٧)

٣٣ – ١١ « الضياع المعروفة بغريب المال» قال المجمع : لم نعثر على ضياع بهذا الاسم (حاشية ٣) . قلنا ليس المراد ان اسم هذه الضياع كان غريب المال . ولكن انما كانت ملكاً لغريب. وغريب هو خال الخليفة المقتدر بالله. كان يقال له غريب المال.

٣٥ – ٤ صدر بيت روي هكذا: « على انه قد ضم في حبس العلى » ووزنه لا يستقيم الا اذا قيل: في حبسه العلى. باضافته الى الضمير.

٣٩ — ١ «ما يكسر المال على حامد غيرك». والصواب: ما كسر المال.

٣٩ — ٥و٣ «اكتب رقعة الى رجل من معاليك... واسأله ان يجيبك على ظهر رقعة». والمعنى يقتضي «ظهر رقعتك» بكاف المخاطبة.

٤٨ — ٩ «لقيه في الطريق اهل سمطيا يتظلمون من عاملهم». قال المجمع: «الذي في ياقوت سبطية... ولم نجد بالميم الا سمطا قرية بصعيد مصر». قلنا «يا بعد يبرينَ من باب الفراديس». والظاهر كان في طريق العراق فيجب ان يبحث فيه عن قرية بهذا الرسم. وبعد طويل التنقيب والمراجعة تذكرنا وجود ضيعة عرفت قديمًا بالسَّبَطيّة اغفلت التنبيه عليها كل المعاجم وكتب البلدان المشهورة كعادتها غالبًا في الإغفال بنقل كثير من اسماء القرى والمدن البائدة. ولذلك كان علم التخطيط والتأريخ عندنا ضئيلًا ناقصًا. والسَّبَطية من اعمال البصرة. وهي الضيعة التي اشار بها الوزير سليمان بن مخلد المشهور بالمورياني على الخليفة ابي جعفر المنصور لتُبتاع لصالح ابن المنصور. وكان الخليفة تقدّم الى بعض المهندسين بتصويرها له. فصوّرها وعرض الصورة عليه فاستحسنها(١)

٤٨ — ١٣ «زدتنا نذقة يا سيدي في ذلك الحديث» والصواب: زدتنا ثقة، فحرّفها النساخ هذا التحريف القبيح.

٤٩ — ٨ «انك قد اخللت منذ اربعين يومًا» والمعنى يقتضي اخللت بنا. اي قصرت في حمل المال الينا.

٥٠ — ٩ «اي لوم» ولا محل للوم هنا. وانما هو «اي يوم» على طريق الانكار والاستغراب.

٥٠ — ١٥/١٦ «كلّمه قوم في خراج النخل الشهريز واكثروا انهم يبيعون الرطل منه... بدرهمين» وقد سقطت واو العطف بعد اكثروا فيجب ان يقال وانهم يبيعون الرطل...

٥١ — ٨ «يتناظران في امر المال فيحتفيه علي بن عيسى بالحجة» ولم يعترض المجمع على لفظ يحتفيه ولم يفسّره. وانما هو تحريف قبيح وصحته يُحتفه اي يغضبه بالحجة.

٥٢ — ٤ «يتمضني الناس بتعطيلي مشايخ الكتاب» فرجح المجمع «يمضني» (حاشية ١) والاظهر ان الاصل يتنقصني الناس اي يعيبونني ويلومونني. ولا ندري اين وجد المجمع مضع، ولا نراه يريد الا مضغ بالغين — بمعنى عاب ولام.

٥٢ — ١٢ «تفرغ شعري» قال المجمع: ولعله فتزع شعري اي حلق وبقيت فيه

---

١) كتاب الوزراء والكتاب للجهشياري، ص ١٢٧

شعرات (حاشية ٢). ولم يرد قزع الشعر بمعنى حلق وانما يقال قزّع رأسه اي حلقه. وفي القصة انما سقط الشعر بسبب طلي الرأس بالقير ثم بقزع القير بالزيت. فيتحتم في مثل هذه الحال ان يكون الاصل: فقزع شعري. والاقزع في اللغة من اغمر الشعر من جانبي جبهته.

٥٢ — ١٦ « كان على ظهر الدفتر مقطوعتان فانشدنيها فقطويه لنفسه ». وسياق العبارة يقتضي سقوط الفاء اي انشدنيها لتكون الجملة نعتاً للمقطوعتين

٥٥ — ١٠/٩ « رآني بصورة من يملك طاعة الرجال في قتال خليفته وتمكنه من المال من عنده ومن حيلته ما يرضي به الجيش » فلم يدرك المجمع مغزى هذه العبارة وعلق على لفظة « وتمكنه » كذا في الاصل (حاشية ٣) وكان يكفيه ان يقرأ « ويُمكنهُ من المال ما يُرضي بـه الجيش » ليتضح له المراد.

٥٦ — ١١ « كان عبيدالله بن سليمان وابوه وهما متهمان بحضرة الموفق بتصداني ويريثان المال علي » فرجح المجمع بدلاً من يريثان « يرتبان » (حاشية ٢) وفاته ان اللفظ صحيح ومعناه يؤخران المال. يقال أراثه إراثة جعله يبطئ.

٥٧ — ٥ « تركت عنه وعلى اصحابه الاموال حتى تنظر ». وانما هي « تُنظر » بالمجهول، اي تؤجل وتؤخر.

٥٧ — ١٠/٩ « و... عبيد الله (بن وهب) من غد للخدمة على الرسم فشوغلا في الدار ... » ذكر المجمع لفظة شوغلا وعلّق عليها: كذا في الاصل. ومنه شعر (حاشية ٣) وقد فاته ان فعل شاغل او تشاغل يجيء كثيراً في كتب متقدمين بمعنى ألهى وتلهّى. ومنه لابن شدّاد في كلامه على صلاح الدين: « فلما تمت النية اجمع انا والطبيب غرّته وتشاغله »(١). وقد وردت لفظة تشاغل للمطاوعة مرتين في كتاب التشوار نفسه. قال متشاغل الناس بتقليب ثياب السواد (ص ٩١) وقال ايضاً: ادخل انا وهو متشاغلة معك (ص ١٣٤) والمجمع يعلم حق العلم ان ليس كل ما ... يجب ان يستدرك ويطرح

٥٨ — ١٠/٩ « ان صاعداً ... ضمن في القيام بالامور وقد بلّح ... وهو عندي ... » فعجز المجمع في تسديد هذه العبارة وتأويلها. واختار ان يكون « ضمن في القيام بالاموال ». وفسر بلّح بمعنى اعيا وانقطع ... ولا ترى اقلّ داع لوضع « الاموال » في موضع الامور. ومن الامور في الدولة كانت تشمل الاموال والاعمال السلطانية

١) سيرة صلاح الدين للقاضي ابن شداد، طبعة مصر، ص ١٩

بالاجمال. وأوجه ما يقال في تفسير بلح انه بمعنى قصّر وعجز. وبدلاً من « عدو له » يجب ان يقال « عدو لك » في خطاب سليمان بن وهب كما يدلّ عليه قوله: عدو ابنك. ومراد الموفق ان يقنع سليمان بان صاعدًا عدوّ له ولابنه.

٦١ – ٣ « نصبت له سبنية » قال المجمع في تفسير السبنية « ضرب من الثياب منسوبة الى سبن موضع بناحية المغرب » (حاشية ١) ولم يذكر من اين استمد هذا التفسير. والمختار ان السبنية أزر سود للنساء نسبة الى سَبَن قرية من نواحي بغداد (١ . وكانت مثل هذه الازر احيانًا تضرب ستائر يحتجب وراءها الامراء والخلفاء في بعض المجالس ليسمعوا ما يقال في حضرتهم ، دون ان يُرَوا.

٦١ – ٨/٧ «ان ملكًا من ملوك بني اسرائيل ذبح سخلة بحضرة امها فخبط من ساعته» قال المجمع في تفسير خبط. يقال خبطه الشيطان وتخبطه مسّه باذى وافسده وخبله. وخبط الفرق اضطرب (حاشية ٢) وهو نسخة بعض ما في معاجم اللغة. وانما خُبط هنا اصابه المُباط وهو داء كالجنون ، اي صُرع.

٦١ – ١٣/١١ « محل ابي زكريا السوسي. . من السلطان والاشتهار بالدين. . وصحة الرأي (والمحل) مشهور » والصواب صحة الرأي والعقل.

٦٢ – ١ « يخطب الوزارة ويتضمن بجامد » ولا يقال تضمن به. والصواب كما في هلال الصابئ : يضمن جامدًا.

٦٢ – ١٥/١٦ « رآه بعين رجل بعيد الهمة. وعرف تقلب (الامور) راى المقتدر » (كذا) وفي الجملة الاخيرة ما لا يخفى من الاعجام والتشويش. والصواب اسقاط لفظة (الامور) الزائدة. وتسديد كلمة راى. فيكون الاصل « وعرف تقلُّب رأي المقتدر ». ومعناه بيّن ظاهر .

٦٤ – ٥ « ورد معه من الزواريق شيء كثير » قال المجمع : « لم نجد الزواريق ولعلها الزوارق جمع زورق وهو القارب » (حاشية ٢) ولو راجع المجمع مصنّفات الصور العباسية لوجد استعمال الزواريق جمعًا للزورق كثيرًا شاملاً فيها. قال الطبري : «ان الخبيث قد اتخذ عددًا كثيرًا من السميريات والزواريق » (٣ . وقال ابن حوقل : « ذكر بعض الاخبار ان الاخبار عُدّت ايام بلال بن ابي بردة فزادت على مائة الف

١) في معجم البلدان لياقوت ان السبنية ضرب من الثياب يُتخذ من الكتان اغلظ ما يكون (٣ : ٣٠) ويظهر ان سبن كانت قد خربت في ايامه فلم يذكرها بين قرى بغداد.

٢) تاريخ الرسل والملوك ، طبعة اروبة ، ص ١٩١٩ ، Tertia Serie

نهر وعشرين الف مر تجري فيها الزواريق » (١ . وقال الصولي: « صدرت زواريق كثيرة للتجار فصلح السمر » (٢ وقد استعمل الصولي هذا الجمع كثيرًا في كتابه ولم يتفق له مرة واحدة استعمال جمع سواه.

٦٥ – ٨/٧ « والزم سبعين الف دينار يؤديها فكان يصحّحها ». وقد اسقط الناسخ الضمير من فعل الزم فيجب ان يقرأ « والزمه » بالهاء. ومن الغريب انه غبي على المجمع حقيقة معنى « يصحّحها » فكتب: كذا في الاصل. وفي التاج: صحّح الحساب اصلحه (حاشية ١) وقد وردت هذه اللفظة غير مرة في الكتاب، ولم يتعرض لها المجمع. وهي تجيء في كتابات العهد العباسي بمعنى التأدية والدفع. يقال صحح المال اي وزنه صحيحاً وافيًا، لان النقود، ولا سيما الذهبية، كانت تُتحيّف وتُقرض(٣ . ولذلك كانت المعاملات لا تجري دائمًا الا بموازين الجهابذة والصيارف، بعد نقد الدنانير والدراهم واختبار الجياد منها، بحيث عمّ استعمال فعلَي «وزن وصحّح» في حالتي القبض او الدفع. وفي الكتاب نفسه شرح لطيف للتصحيح كان في قصر الخلافة على يد المتقفد لا بأس ان نعيد ذكراه زيادة في الايضاح. وكان القاضي عبد الحميد حضر الى القصر يطالب الخليفة بجباية بعض وقوف المحسن بن سهل. قال: فسكت المتقفد. ثم قال اصاب عبد الحميد. يا صافي (وهو اسم الخادم) هات الصندوق. قال فاحضر صندوقًا لطيفًا. فقال كم يجب لك. فقلت الذي جبيتُ عام اول من ارتفاع هذه العقارات اربعمائة دينار. فقال كيف حذقك بالنقد والوزن. فقلت اعرفهما. قال هاتوا ميزانًا. فجاؤا بميزان حرّاني حسن عليه حلية ذهب. فاخرج من الصندوق دنانير عينًا فوزن منها اربعمائة دينار وقبضتها وانصرفت (ص ١٦)

٦٧ – ٣ « احتجت ان اضطرب » قال المجمع: اي اكتسب (حاشية ٣) وانما الاضطراب هنا بمعنى التقلب والحركة والسعي، قال ابو رياش احمد بن ابي هاشم القيسي:

على التقلب والاضطراب جهدي، وليس على النجاح (٤

٦٨ – ١٢ « لما غلب السجزية على فارس اجلى قوم من اهل الخراج عنها لسوء

---

١) كتاب المسالك والممالك، طبعة ليدن، ص ١٥٩

٢) كتاب الاوراق، ص ٧٦

٣) راجع ما شرحناه في هذا العدد في مقالتنا السابقة « الصيارفة في الاسلام » ص ٤٩١

٤) نشوار المحاضرة ١ : ١٨٦

المامة » والصواب جلاً.

٦١ – ١٥/١٤ « وجد قطعة من الغمان على عبد الرحمن قد قدر ان يكسرها ». فعلق المجمع على لفظة يكسرها: كذا في الاصل. ولعله من اكثر بمعنى اقتطع (حاشية ٤) وقد تقدمت هذه اللفظة (ص ٢٩ س ١) فلم يتصدَّ المجمع لتفسيرها هنالك. وفي اصطلاح العامة اليوم صدًى لهذا التعبير. يقال كسر المال اي بدّده وبذرقه « وأكله ». ومنه قولهم فلان انكسر على مبلغ كذا اي افلس.

٧١ – ٦/٥ « كان المهدي شرط شرطاً لمصلحة في المال او عناء اعتناه اهل البلاد في جدب او غيره » وقد تردد المجمع في تفسير قوله: عناء اعتناه. والارجح عندنا ان الاصل «او غناء اغناه اهل البلاده اي خدمة قاموا بها او تبرّع تبرّعوا به في وقت الشدة.

٧٤ – ٤/٣ « تقرر امر الشجر على ان يؤخذ منه الخراج ويقارب اهله فيه على طسوق توضع لهم مخففة » فعلق المجمع على كلمة طسوق: في القاموس الطسق بالفتح مكيال. او ما يوضع من الخراج على الجريان. او شبه ضريبة معلومة (حاشية ٢) وليُنظر اي محل لذكر المكيال هنا. واذا كان الشرح او التعليق هو الاقتصار على نقل ما في القاموس من معاني الكلمة المختلفة فكل قارئ يقدر ان يكون شارحاً. وقد نصّ الكتاب نفسه في الصفحة التالية (٧٥ س ٦) على انه يعني بالطسوق الوضائع والضرائب من خراج الشجر. فما كان اجدر المجمع بالاجتراء بتعيين هذا المعنى، حرصاً على عدم تشتيت ذهن القارئ عبثاً.

٧٥ – ٧/٦ « فتطالب بخراج الشجر... فاستخرجه واستوفي جميعه واستنظفه ». ولا يخفى ان القياس: « طالِب بخراج الشجر واستوفِ جميعه »

٧٦ – ١٠/٩ «سألني ان اوقع اسمي على ضيعته... واكاتب العمال ووكلائي بذلك وان نفذ يده منها » ولا معنى لهذه الجملة الاخيرة وسياق القصة يقتضي ان تكون: «وان أُنفِذ يده فيها » اي ان أُطلق له التصرف بها.

٧٧ – ١٦/١٥ « ما معي شيء ولو قتلتني وصلبتني. فقال علي اذا فعل بك ذلك ». وفي العبارة الاخيرة تقديم وتأخير وغموض في المعنى. والقياس ان تكون: « عليّ اذاً فِعلُ ذلك بك » اي قتالك وصلبك. يدلّ عليه قوله بعد ذلك: فقتله وصلبه.

٨٦ – ١٤ « حُدّثت عن الخليل بن احمد اجترت في بعض اسفاري » وقد سقطت لفظة قال بعد الخليل بن احمد فيجب ان تضاف.

٨٩ – ٢ « قال الناصر... جميع ما في خزانتي ثلاثون الف دينار عيناً وهذا لا يقع في» قال في الحاشية: « يريد لا اعتد به » والاصح ان معنى لا يقع

مني : « لا يغني عندي ولا يُجزئني »

٩١ – ٦ « حتى يعركه هناك » ورجح المجمع يركب . والارجح يركب به اي بالسواد .

٩٦ – ١٦/١٧ « عرّفه ما شكا منه اسماعيل بن ثابت . وان جرأه عليه الابعاد الى طنجة » . ولا معنى لجرأه هنا . وطنجة هي في المغرب فلم تكن في حكم العراق ليمكن الإبعاد اليها . وعندنا ان الاصل كان : « ان جزآءه عليه الابعاد الى البطيحة » بين واسط والبصرة .

٩٩ – ٨ « حين رآني الوزير قام الي قياماً تاماً . فقبلت رجليه . وقلت قبلني الوزير » قال المجمع : كذا في الاصل . ولم نجد في معاني قبل ما يلائم هذا المقام . ولعلها محرفة عن قيد من قولهم قيده باحسانه (حاشية ٢) ومثل هذا التقدير بعيد في القياس والذوق . واقرب منه جدًا « يُقبلني الوزير » من أقال اي يعفيني الوزير من القيام ويعفو عني .

١٠٢ – ١١/١٢ « نظروا فاذا سيوف الخيل تبين من خلال الظلمة فتاذروها . وتوجهوا نحو البطيحة » . وفي رأي المجمع ان الاصل تتاذروها . والمقام يدل على انه سقط من رسم الجملة شقّ بقلم الناسخ . والصحة « فبادروا هاربين » يدل عليه قوله : وتوجهوا نحو البطيحة .

١٠٤ – ٢ « يجد الناس من يجتازون بذلك الموضع او يقصده – دراهم وجواهر » ولا حاجة الى التنبيه الى ان الاصل « ممن يجتاز بذلك الموضع او يقصده » او يجتازون به ويقصدونه .

١٠٥ – ١٤ عجز بيت روي هكذا « كذي رعة مثر ومكد به الكد » علق عليه المجمع قوله : الرعة حسن الهيئة . والاولى ان تكون دعة بالدال . او هي الرعية بكسر الرآء الماشية الراعية (حاشية ٥) قلنا لا محل للشك والتردد . وتتحتم لفظة دعة بالدال وهي السعة في العيش والراحة لتكون مقابلة لقوله : ومُكد به الكدّ .

١٠٦ – ٢/٣ بيتان رُويا هكذا مشوّهين :

والا لم يغيب فيغربني بعدله ضائر من غير ضيم
ولم عيني اذا فقدته كانت كعين الشمس اذ غطيت بغيم

وما ندري كيف وجد المجمع معنى لها على هذا الوجه . وعندنا ان تصحيحهما – والكلام على غزال بني سليم :

والا لم يغيب فتغربني مذلّة ضيمه من غير ضيم
ولي عين اذا فقدته كانت كعين الشمس اذ غطيت بغيم

١٠٨ – ٣/٤ « فامره المقتدر بعرض الجيش لئلا يكون قد اخلى ممن جرد الى الحرب احد » والصواب أُخلي بالمجهول اي تُرك وأُطلق .

١١٢ – ١٤ ثلاثة ابيات يجب ان تصحح فيها الكلمات الآتية : « مساير » بدلاً من مساهر . و« ضنًا » بحسن حديثه في موضع حبّ . « وولى » عوضاً عن ولي .

١١٥ – ١٠ « وبدا فكتب اليه بخطه كتاباً » وفي حاشية المجمع : لعل الاصل بدا له » والذي يبدو للذهن ان الاصل وبدأ بالهمز .

١١٦ – ١٤ يتان قيل فيها : عسى وعسى . . . فتفضي لبانات وتشفي حسائك » بالياء في الفعلين بصيغة المعلوم . والصواب « فتُفضى لبانات وتُشفى حسائك » بالمجهول والالف المنصورة .

١١٨ – ٩/٨ « كان المتنبي اذا استوعب في مجلس سيف الدولة » فعلق المجمع على لفظة استوعب : كذا في الاصل (حاشية ٢) ولا نتوقف عن قراءتها : استوى اي استقرّ .

١٢٠ – ٦ « انحدرت الى البصرة وسألته عن منزله » وسياق الكلام يتطلب وسألت بغير الضمير .

١٢٢ – ١٤ « فاذا رأى الفيل الناس بمر » وفي حاشية للمجمع (رقم ٥) « كذا بالاصل . والجملة محرفة » ولو كان كاتب الحاشية راجع اول السطر لقرأ فيه ان الفيل حين يرى اجتماع الناس « يستوحش وينفر » ولأدرك فوراً ان لفظة بمر محرفة عن نفر بالفاء .

١٢٣ – ١١ « لا يمكن الفيل قلع الاوتاد ولا ان يطرح ثقله على شيء لبساوي اجرامه » قال المجمع والظاهر اجرامه جمع جرم بمعنى الجسم (حاشية ٣) والجسم واحد فكيف يجمع هنا . والاظهر جرانه بالجيم والنون اي مقدم عنقه .

١٢٣ – ١٦ « يركبون الفيل ويضعون الحديد في رأسه اياماً ويرونها عليه حتى يألفها » والضمير المؤنث يدل على ان الاصل « ويضعون الحديدة » .

١٢٤ – ١٥ « ادركت الفيل صخرة فقبض على صبي فشاله » ولا نفهم كيف تدرك الفيل صخرة ويستطيع مع ذلك ان يشيل بخرطومه صبياً ولا نرتاب ان الاصل « ادركت الفيل ضجرة » اي سوء خلق وملالة .

١٢٣ – ١١ « من هنا وقع الشر ذهبت فنسبت الى الصانع » والصواب : « وقع الشر ودُعيت » اي أُصبت بداهية .

١٢٣ – ١٧ « فتح دراجين او ثلاث وحملها ليدفنها » والاصح « فتح دراجين او ثلاثاً وحملها ليرفنها » بالرآء وبنصب ثلاثاً على المفعولية وقد اغفل المجمع تفسير الدرابات . وهي بمعنى اغلاق الدكان .

١٢٦ – ٥/٦ يتان كثر فيها التحريف الشنيع . وفي الاول منهما كلمة « اذرزا جا » (كذا) لا نتوقف عن تسديدها وقراءتها « آذربونها » وهو زهر

معروف يقابله في عجز البيت ذكر النسرين. وقد اشتدّ في البيت الثاني عبث النساخ فرووه هكذا :

اربد في الناس ذر الشمس اذ رقصت
والمآء يعرف في نار كما ثبتا

ولم ينكر المجمع لفظاً منه مع إشكال معناه. والوجه عندنا ان يكون اصله :

أدير في الكأس ذرّ الشمس اذ رقصت
والمآء يُغرف في نار كما ثبتا

كنى عن الخمر بذرّ الشمس لتوهّجها وصفائها

ص ١٢٨ — ٧ عجز بيت جآء فيه « يزايداني همي فيلمني صبري » وهو خطأ ظاهر وتصحيحه : « تزايد بي همي ».

١٢٩ — ١٧ « وانا اتقلد حصن مهدي والفرض . » والصواب الفُرَض بالفآء جمع فُرضة وهي مياه خوزستان تجتمع في حصن مهدي وتنفصل منه الى البحر(١) .

١٤٤ — ٤ « كان يحاسبني ولا يأخذ مني شيئاً . انما يكتب لي روزات من مال العمل » فعلق المجمع على كلمة « روزات » حاشية ذكر فيها انه يقال «رازه روزاً اذا اختبره» وكأنه يومئ الى ان اصل الكلمة قد يكون عربياً كدعوى كثيرين من علمآء اللغة في رد معظم الالفاظ الدخيلة الى مادة عربية تمحلاً وتعصباً . ولكنه عاد الى الرشد فقال : « والظاهر انه مأخوذ من كلمة روزي . ومعناها بالفارسية يومي او يومية . ثم نقلها الفرس انفسهم الى معنى الرزق والمعاش. والمعنى على هذا انه كان يكتب لي عطآء من مال عملي » (حاشية ١) وهذا التفسير لا يخلو من التناقض لان معناه انه كان يحاسبني ولا يأخذ مني شيئاً بل كان يعطيني. وهو غير مراد الكتاب . ولا ندري اذا كان الفرس حقيقة نقلوا معنى الروز الى الرزق والمعاش . بل نعلم حق العلم ان هذا المعنى لم يرد في الحضارة العباسية ، ويحقّ لنا ان نطالب المجمع بالشاهد عليه. ومن الغريب انه لم يتذكر في هذا المقام ما كان كتبه في مجلة المجمع المرحوم المأسوف عليه احمد باشا تيمور في مقالته الممتعة في تفسير الالفاظ العباسية ، التي علقها على الجزء الاول من كتاب النشوار نفسه . واملى فيها ان معنى الروز في الفارسية « اليوم » وانه وجده في بعض التواريخ معبّراً به عن صك يكتبه الجهبذ بقبض المال (مجلة المجمع السنة الثانية ص ٢٣٧) وهذا التفسير هو الصحيح . فمعنى الروز في اصطلاحهم قديماً معنى

١) معجم البلدان لياقوت . طبعة اروبة ، ٢ : ٩٤٧

« الوصل » عموماً في اصطلاح اليوم . سواء كان من الجهبذ ام من غيره من العمال . ومن شواهده قول الفوطي في جملة حوادث سنة ٦٢٧ (١٢٢٩-١٢٣٠ م) :

« جلس محي الدين ابو عبدالله محمد بن فضلان في ديوان الجواليق واستوفى الجزية من اهل الذمة . فكان احدهم يقف بين يديه الى ان توزن جزيته . ويكتب له روز (وفي الاصل المطبوع رور غلطاً) وهو صاغر (١ . وللصولي من قصيدة :

فأجزني بقدر علمك بالاشعار ، يا خير منعم ومجيز
بدنانير لا أحال على الجهبذ فيها ولا على كتب رُوز (٢

فيكون من ثم معنى الجملة المذكورة انه كان يحاسبني ويوافق على حساباتي ويكتب لي وصولاً بالتبرئة من مال العمل .

١٤٧ — ٢ « قال هاتم تلك الدواة » . وفي حاشية عليها للمجمع : لم نجد هاتم والمعروف هاتوا (رقم ٢) وليست هذه اول مرة استعمل فيها القاضي التنوخي لفظة هاتم . وقد سبقت له في الجزء الاول من النشوار في سبعة مواضع وقد اجروا هاتم فيما يظهر مجرى هاكم .

١٤٧ — ٨ « حتى جاء بختيشوع » وللمجمع تعليقاً عليه : كذا بالاصل . والمراد جبرئيل (حاشية ٣) وهو سهو ظاهر من المجمع لان صاحب القصة الذي احضر الجامة للمتوكل هو بختيشوع نفسه وليس ابوه جبرئيل .

١٤٩ — ١٤ « في النازة نحو ثلاثين مطاولة مسكة ذهب كلها » وفي حاشية عليها رقم ٩ « لعله طاولة » . ولا محل للشك والتقدير لان الاصل صحيح . لا خطأ فيه . والمُطاوَلة في الاوجح طبق او مائدة غلب عليها الطول فقيل لها مطاولة في الاصطلاح العام كما قيل لبعض الموائد مُدوَّرة باعتبار هيئتها . وفي صبح الاعشى في صفة سماط العيدين في القاهرة « تنصب على الكرسي مائدة من فضة تعرف بالمدورة » (ج ٣ ص ٥٢٨) وقد وردت لفظة المطاولة في الجزء الاول من النشوار نفسه ونبه عليها احمد باشا تيمور في مقالته الآنفة الذكر (مجلة المجمع السنة الثالثة ص ٢٢١) وساق نص النشوار : دخل يوحنا الى داري وبحضرتي مطاولات كثيرة وفيها نارنج . فحين رآها قال يوحنا منذ كم هذه الاطباق عندك (ص ٢٨٤)

١٥٢ — ١٠/١١ « اذا هو ياقوت احمر على كبر الكف وقدما في الطول والعرض »

---

١) الحوادث الجامعة . بغداد ١٩٣٢ ، ص ١٢

٢) كتاب الاوراق في اخبار الراضي بالله والمتقي بالله ، ص ٢٧

وقدّر المجمع ان الاصل : وقدره في الطول (حاشية ١) والارجح « قدّها في الطول والعرض » كما تقول اليوم . لان الكف مؤنثة فاشتبهت على الناسخ الهاء بالميم في الرسم .

١٥٢ — ٣ « اخذ ابو مكتوم صاحباً له الى عمان يتوجع له (لاحتراق المركب) ويعرف خبره » والاصح يتعرف خبره .

١٥٧ — ١٦/١٧ « كان يوصل الي اموالاً جليلة . وكانت كلها تخرج عن يدي في النيان والشراب واتلفته » والقياس وأتلفها كما هو ظاهر .

١٥٩ — ١٣/١٤ « هذا الامر لا آمن فيه الغلط فيه لا يتلافى » قال المجمع : كذا في الاصل ولعل اصله لا آمن فيه الغلط . والغلط فيه لا يُتلافى (حاشية ٣) والاشبه ان الاصل : لا آمن فيه الغلط منه لإتلافي » وهو ما يقتضيه سياق الخبر .

وفي الكتاب مواضع اخرى عديدة بين عبارات قلقة والفاظ نافرة او غامضة غلب عليها التصحيف والتشويه فلا يتبين لها وجه صحيح ولا يلتئم لها معنى ظاهر . ولذلك لم يتعرّض المجمع لتسديدها وتفسيرها . وقد كان الاجدر بعلمه ان يقيّد في فهرس خاص يلحقه بالمتن جريدة الكلمات الدخيلة ، والاصطلاحات المولّدة التي مرت به اثناء التعليق والطبع . وتحقّق عنده انها غير واردة في معاجم اللغة في معناها المستحدث اسوةً بما يفعله الغرباء من علماء المشرقيات بتذييل كل كتاب يطبعونه اليوم بمثل هذه الفهارس اللغوية . لتكملة المعاجم العربية . وهي الخدمة التي خدم بها الجزء الاول من النشوار الطيب الذكر المأسوف على فضله وعلمه احمد باشا تيمور في مقالته تفسير الالفاظ العباسية . فهل حُرمنا بعد فقده من يغني غناءه ويحنو حنوّه على الآداب والآثار الشرقية .

فخر الدين المعني الثاني

ودولة تسكانا

ردّ وايضاح

للخوري بولس قرألي

كنا اعلناً ، منذ ظهور مجلتنا في القطر المصري ، اننا نتقبل بارتياح كل نقد نزيه مفيد يوجّه الينا ؛ لاننا لا ندّعي العصمة ومعرفة كل شيء. بل نعدّ انفسنا وقراءنا مدينين لمن يدلنا على خطأ ، أو يزيد موضوعنا ايضاحاً ، « فمن علّمني حرفاً صرتُ له عبداً ».

وقد تكرّم حضرة الاب لويس الخازن علينا وعلى قراء مجلة المشرق الغراء ، « بكلمة مفصّلة » ظهرت في جزء نيسان. حزيران الاخير (ص ٢٥١—٢٦٣) » لخص فيها مقدمة الجزء الاول من كتابنا المذكور اعلاه ، الموضوع بالايطالية ، وذكر تقسيم الوثائق فيه ، وانتقد منه ما رآه حرّيّاً بالنقد .

ولا تخفى على حضرته اننا لم نجنِ فائدة من نقده ، ولا استفدنا ملاحظة سديدة نسترشد بها . ونحن نحكّم القرّاء بيننا . فنقول :

١ — اول ما نلاحظ عليه في تلخيصه المقدمة تعمده تعريب كلامنا في معاملة المسلمين للمسيحيين ، دون غيره من الكلام ، ونقله العبارة الاخيرة منه على غير صحتها . فقد قلنا : « بعد ان عاد الصليبيون عن الشرق أمسى مال المسيحي وعرضه ودمه تحت رحمة أحقر المسلمين » . فعرّبها حضرته : « أمسى مباحاً تحت رحمة اي مسلم كان ، مهما سفلت اخلاقه » . والفرق غير يسير بين سافل الاخلاق والحقير الشأن .

٢ — وقد دهشنا كيف اجاز لنفسه تغيير عنوان كتابنا . وزادت دهشتنا لما رأيناه يعلّل جسارته بقوله « والظاهر من هذا الكلام (اي عنواننا) أن المؤلف حصر بحثه في علائق الامير مع دولة تسكانا فقط . بيد انه يتضح جلياً من كلام المؤلف نفسه (وهنا ذكر الصفحات) ، ومن نصّ الوثائق (وجه ١٩٢—١٩٦

ووجه ٣١١) ان البحث يدور حول علائق الامير مع دول الغرب أجمع . وعليه كان الاحرى به ان يسميه « فخر الدين الثاني وعلاقاته مع دول الغرب ».

فنلاحظ على حضرته اولاً اهماله في العنوان اسم « المعني » ، الذي يميز اميرنا عن غيره من حملة هذا الاسم ، وهم كثر.

ونلفت نظره ثانياً الى ان كتابنا عبارة عن مجموعة وثائق خاصة بعلاقات الامير بدولة تسكانا . وما ذكرناه عن علاقاته بغيرها من الدول جاء في المقدمة اتماماً للفائدة ولتفرع هذه العلائق عن علائقه بدولة تسكانا ، وارتباطها بها ارتباطاً وثيقاً يجعلها من صميم موضوعنا . وقد نبهنا الى ذلك في فاتحة كلامنا عن علائق الكرسي الرسولي (ص ١١٧) وهي اهمها.

وقد اتينا على ذكر هذه العلاقات في المقدمة . والمقدمة ليست من صلب الكتاب. ولم يشغل كلامنا فيها اكثر من عشر صفحات ، من مئة وعشرة ضمناها وصف اخلاق الامير وعدله بين رعاياه وسهره على الامن العام ، وعنايته بالزراعة والتجارة والمالية والجندية والتحصين . وما قام به من الحروب في سبيل الوحدة اللبنانية ، وتوسيع حدود مملكته ، وسياسته مع الدولة العثمانية . وفي آخر المقدمة قلنا كلمة في علاقاته بدول فرنسة واسبانية ومالطه وبالكرسي الرسولي فقط ، لا بدول الغرب « اجمع » ، كما زعم حضرته ، واتخذ من زعمه ذريعة ليفضل لكتابنا عنواناً فضفاضاً سعته مساحة الغرب كله.

هذا ما جاء في مقدمتنا . اما الصفحات ١٩٢–١٩٦ من باب الوثائق فلم نجد فيها شيئاً خارجاً عن الموضوع . ولعله يعني الصفحات ٢٩١–٢٩٦ ، حيث نشرنا رسالتين وجيزتين وجههما اوربانس الثامن الى ملك اسبانية يوصيه فيها بالمطران جرجس بن مارون ، سفير فخر الدين لديه ولدى عاهل تسكانا ، لشد أزر الامير في تخليص الاراضي المقدسة ونصارى الشرق ، وخاصة الموارنة ، من نير الاتراك . وهو ما لا يخرج عن موضوعنا . والوثيقتان مما لا تشغلان اكثر من صفحة من الكتاب ، وهما اثنتان من زهاء خمسمائة وثيقة نشرناها ولخصناها فيه . فهل نجبر لاجلها على اتخاذ العنوان الطويل العريض الذي فرضه حضرته علينا .

والدول الاربع المذكورة كانت تؤلف «الحلف الصغير» La piccola lega ، الرامية الى حماية النصرانية من تعديات تركية . فكانت طبعاً معادية لها. ولما استنجد فخرالدين، في السنة ١٦١٣، عاهل تسكانا، على الدولة العثمانية، اسرع هذا فكتب الى هذه الدول حليفاته ليساعدنه على غرضه . فعلاقة الامير بها متفرعة عن علاقاته بدولة تسكانا . والفرع ليس الاصل.

وهل يخلو كتاب من ذكر اشخاص او دول او هيئات او اشياء غير الواردة في العنوان. والّا لاستحال الكلام على الكاتب، وخاصة على المؤرخ، وكانت اسماء الاعلام الملحقة بجداولها الطويلة في آخر كل مصنف، خروجاً عن الموضوع.

ولو تمشينا على قاعدة حضرته لما كفانا الغرب كله حدًا لعنواننا، بل تعداه الى الشرق. لان علاقة الامير بدول الشرق كانت واسعة، لا سيما بدولة تركية، التي خصصنا لها في مقدمتنا الصفحات ٩٨—١٠٨، ونشرنا لها عدة وثائق . فضلًا عن علاقاته بالاقطار والامارات الشرقية الخاضعة للسيادة العثمانية. كالقطر المصري، وتونس والجزائر ومراكش والهند، وولايات وسنجقيات سورية وفلسطين والاناضول . فتحتم علينا بعد هذا ان نسمي كتابنا « علاقات فخر الدين الثاني (المعني) مع دول الغرب والشرق أجمع ».

ولو تبعنا منطق حضرته لاضفنا في العنوان الى اسم فخر الدين مئات من الاسماء من معاصري الشرقيين والغربيين، كان لهم الشأن الاكبر في اعماله وسياسته، والعلاقات بدول الغرب والشرق . وقد نشرنا لهم عدة وثائق . تجد اسماءهم في جدول الاعلام وفي قائمة الوثائق . وقد يبلغون الالف عدًا . فهل نحشرهم كلهم في العنوان.

٣ — ولامنا حضرته على اننا قدمنا للقراء بعض مؤرخي الامير، كالخالدي والدويهي وماريتي والاب روجيه، واهملنا وستنفلد الالماني وبرجيه دسان بيير الفرنسي. فنرجوه ان يراجع عنوان الفصل الذي ذكرناهم فيه، وهو « المصادر». ولما كان الاول قد نقل عن ماريتي، والثاني عن الاب روجيه، فاكتفينا بذكرهما في جدول المؤلفين وفي حاشية الصفحة ٢٣ .

٤ ــ ولامنا على انشغافنا بالامير فخر الدين بطلنا. « فلم نصوره كما كان، بل كما نهوى ان يكون . فكان الاولى بمقدمتنا ، التي نعتناها بالتاريخية ، أن نسميها مدافعة ».

فنجيب اننا وجدنا بين الوثائق التي نشرناها تقارير ورسائل تحامل فيها اصحابها على اميرنا ، وتعمدوا الحطّ من قدره وتسويد صحيفته ، لاغراض في نفوسهم . فاصبح من اقدس واجباتنا الرد عليهم والدفاع عن مترجمنا ، اذا كان هناك سبيل للدفاع عنه . فعندنا اقوالهم وبينا انهم يناقضون انفسهم بأنفسهم. ولم نأتِ في هذا الدفاع بشيء من عندنا ، بل اسندنا كل كلمة قلناها في مصلحة الامير الى مصدر أصيل ذكرنا مرجعه ليتثبت القارئ من صحته . فهل خرجنا بذلك عن شروط المؤرخ النزيه. وقد اقتصرنا، في دفاعنا ، على اخلاق الامير ، فشغل ثماني صفحات من المقدمة لا غير. فهل هذا القدر الصغير يجيز لحضرة الناقد انكار صفتها التاريخية وتسميتها « بالمدافعة » . مع ان بقيتها ، اي المئة الصفحة والصفحتين ، خصصناها للكلام عن حالة لبنان في عهد الامير من الوجهات الزراعية والتجارية والمالية والحربية والسياسية . كما فصّل حضرته ذلك في كلمته.

نعم لا نخفي عليه انا من المعجبين بالامير، بل من المنشغفين به والعارفين فضله على طائفتنا وعلى لبنان وعلى الكثلكة في الشرق . وقد تولدت فينا هذه العاطفة لما اظهرت لنا الوثائق عن شخصيته وما تحلّت به من الميزات الفريدة ، من عدل وحلم وبأس ومروءة ووطنية صادقة وعزيمة لا يفلها الحديد ، ورغبة في التنظيم والعمران وتحصين بلاده وتأليف عناصرها وتعزيز قواها ، ونظريات حادة ومشاريع واسعة في سبيل رخائها وضمان مستقبلها ، سعى وراءها جهده حياته كلها وحقق منها قسماً كبيراً بالرغم من الصعوبات الهائلة التي اعترضته . حتى اصبحت شخصيته موضع الاعجاب والاكرام عند الاوربيين انفسهم وكتبوا عنه المجلدات شأنهم باعاظم الرجال. وحاك عامتهم ورواتهم حولها القصص والخرافات كما بينا ذلك في صدر مقدمتنا (ص ٢٣ - ٢٤) . فهل يثقل على طبع حضرته ان نفتخر نحن ايضاً باميرنا ونفاخر بـه اعظم رجال الغرب . فان كنا نعتناه

بيونابرت الشرق ، فلانه خرج مثله ظافرًا ، كما قلنا ، من المعارك العديدة التي خاضها ، ودوّخ كل البلدان المجاورة لبنان ، وضمها اليه من حدود مصر حتى قلب الاناضول . ولم ينخذل سوى في حملته سنة ١٦٢٣ على عرب فلسطين ، الذين كانوا يهربون من امامه ، ويستدرجون جيشه في رمال الصحراء القاحلة لينهكوه عطشاً وجوعاً . ثم ينقضّون عليه بغتة في مكامن ينصبونها له ، كما فعل الروس بعد قرنين بجيش بونابرت . فانت ترى ان وجوه الشبه بين الرجلين كثيرة . وشبهناه ايضاً ، ونحن نكتب للايطاليين ، بفيكتور عمنوئيل الثاني ، لان الامير وحّد لبنان ، الذي كان مجزءا الى خمس عشرة مقاطعة ، كما وحّد ذاك دويلات ايطاليا . فهل في ذلك مبالغة واشتطاف .

ونرى حضرة الناقد يحط من قدر الامير بقوله انه « توصل من الوجهة الحربية الى توسيع حكمه بالدهاء والرشوة اكثر مما فعل بالسيف » . وقد قلنا انه وحّد بالسيف امارات لبنان ، لانها كانت وراثية ، وضم بالعطاء والدهاء سنجقيات فلسطين وولايات سورية والاناضول ، لانها كانت تعطى لمن يزيد في اموالها ويقوم بعهوده نحو الدولة العثمانية . وان الامير كان يفضل بذل ماله على بذل ارواح رعيته ، شأن الحاكم العادل . وهو من هذا القبيل يفضّل على بونابرت . بيد ان هذا لا يبخسه حقه في مزاياه الحربية الممتازة التي بيناها . فضلًا عن ان العطاء لم يكن يكفي لضم السنجقيات والولايات الخارجة عن لبنان ، بل كان يضطرّ دائماً الى استعمال السيف لتسلمها والاحتفاظ بها ، مما جعل حياته كلها سلسلة حروب ومعامع فاز في جميعها لشجاعته وحنكته ويقظته ونظام جيشه ، كما بيناه (ص ٢٩—٣٣ و٥٩—٧٠) . وقد شهد له بهذه الميزات الحربية اعداؤه انفسهم ، كالمهندس سانتي الذي قال (ص ٧٣): ان الدمر كان يعود الى بأسه لا الى جيشه .

وكنا نملّل النفس ان يصبح حضرته اكثر انشغافاً منا بالامير بعد ان يطالع كتابنا ، لانه لبناني وخازني ، ونحن لا هذا ولا ذاك . انسي ان فخر الدين اصل نعمة بيته . فقد متّع آل الخازن ، جدوده ، بشرات فتوحاته ، فنصبهم على بيروت وكسروان والفتوح وطرابلس والجبه ، واولاهم أعلى الوظائف

والمراتب ونفخهم باسمى الالقاب ، كما شرحنا ذلك (ص ٤٠). انني انه صاحب الفضل الاكبر على نهضة لبنان الحديثة ، واستقلاله بحدوده الطبيعية الحالية . فان انكر الجميل وحاول تحقير الامير فنحن لا يسعنا الّا ان نقرّ له بفضله على طائفتنا . فقد ساواها بالمسلمين في الحقوق المدنية ، وحمى بطريركها وافرادها ، وحالفها وساعدها على التبسط في لبنان والجليل . وهو ايضاً صاحب الفضل على نهضة الكثلكة في لبنان وفلسطين وسورية ، كما بيناه (ص ٣٨–٤٨) . فلقبه الاحبار الاعاظم «حامي النصرانية في الشرق» ، ودعوا مملكته «الميناء الامين ، الذي يلجأ اليه المسيحيون من زوابع الاتراك الهوجاء» . وقد تحمس له اغلب من كتب عنه من الاوربيين . افلا يحق لنا ان نتمثل بهم على الاقل ، وهو اميرنا وصاحب الافضال على وطننا وابناء مذهبنا . وهل كان يوماً الشغف بعظيم او بنابغة محرّماً على الكاتب . او كتب للمؤرخ ان يكون خالي الاحساس ، خائناً ، ما دامت العاطفة لا تتغلب فيه على النزاهة .

٥ — وقال حضرة الناقد : « بينما نرى المؤلف يحذّرنا ان الاب روجيه يميل في رواياته الى الخيال ، نراه يستند اليه في كثير من رواياته » .

قلنا ان الاب المذكور كان طبيب الامير وصديقه الخاص يعرف عنه ما لم يعرفه غيره . فضلًا عن كونه قضى في لبنان شطرًا كبيرًا من حياته . لذلك اخذنا من اقواله ما ليس فيه مجال للخيال . ونبذنا البقية . فلم نلتهم من كتابه اللحم والعظام ، كما فعل حضرته لما اخذ عنه مقاله في فخر الدين ، الذي نشره في « مجلة المنارة » . حتى انه نقل اسم الامير طرابيه ، صاحب غزه ، «طيرابيت» . ولما التقينا بحضرته ولفتنا نظره الى خطاه ليصلحه في بقية المقال ، اجابنا « اسماء الاعلام يجب ان تنقل كما هي » . فقلنا : ولكن هذا الاسم شرقي . فاجابنا : « القاعدة مطّردة » . فقلنا : اذا التقينا مثلًا في كتاب افرنسي باسماء موسى ويسوع ومحمد ، تحتم علينا اذن ، تبعاً لهذه « القاعدة المطّردة » ، ان ننقلها الى قراء العربية : « موزيز ، وجاسوس ، وماهوميت » !...

٦ — وقال ايضاً : « نرى حضرة الاب قرألي يذهب احياناً ما قاله . فيظهر لنا مثلًا ان فخر الدين مثال العدالة (وجه ٣٧) . ثم يقول لنا (وجه ٩٨)

انه كان يقطع انفاس كل من يتذمر منه ، او يطالبه بعدل ».

فنجيب: لو تروّى حضرته في النصّ ، قبل ان يبدي هذه الملاحظة ، لعرف ان كلامنا لا يعني رعايا الامير بل الامراء جيرانه، كيوسف باشا سيقا ، والامير طرابيه . فقد كان دأبها الشكوى عليه الى الباب العالي . اما عبارة « يقطع انفاس من يطالبه بعدل » فلم ترد في كتابنا بل دسّها حضرته علينا . وهو ما لا يجوز شرعاً وذمة.

٧ ــ وتابع حضرته ملاحظاته بهذه : « ان المؤلف لا يقول لنا كلمة تجلو بعض الغوامض ، مما تهم القارئ معرفته. فقد تكلم مثلاً (وجه ٥٠) عن رماد عشبة تصلح لعمل الزجاج . وروى ما قاله الاب دنديني ، الذي ساح في بلادنا سنة ١٥٩٦ ، وذكر انه شاهد في طرابلس خمسين او ستين جملاً محملة رماد عشبة ، كان يرسل الى البندقية لعمل الزجاج . ولم يقل لنا ، ولو في حاشية صغيرة ، هل كان مدار الكلام حقيقة على رماد عشبة ، وما هي هذه العشبة ».

فنقول . اننا وجدنا الرماد مذكوراً في قائمة الصادرات اللبنانية ، فاهتممنا لامره الاهتمام كله . وجمعنا من شتى الوثائق التي لدينا كل ما قيل بصدد تجارته وصناعته . وزدنا القارئ ايضاحاً بكلام الاب دنديني ، الذي افادنا انه رماد عشبة تحرق في حفر خاصة وتصدر الى البندقية والى سائر اوربة لعمل البلّور النقي . ولم يقل لنا اكثر من ذلك . فهل يطلب منا ان نقول ما لا نعرفه . ونراه لامنا اولاً على كلمة قلناها في علاقات فخر الدين بغير دولة تسكانا ، واجبرنا على توسيع عنواننا سعة الكرة الارضية . وها هو الآن يطالبنا بالدخول في ابحاث كيموية وان نحلّل له هذا الرماد لنقول له من اي عشبة يؤخذ . فهل هذا من واجبات المؤرخ.

ويطالبنا ايضاً بان نقول له من هو الحاج كيوان ، ومن هو المطران جرجس ابن مارون ، وغيرهما من الاشخاص المذكورين في الوثائق.

فعجبنا من ابدائه الملاحظات دون تروٍّ وتمحيص . فقد وفّينا الكلام في الحاج كيوان في عدة مواضع من الكتاب ، خاصة في حاشية طويلة الحقناها بالصفحة ٢١٤ ، حيث لخصنا كل ما يهم القارئ معرفته عنه . واحلنا الراغب

في الاستزادة الى المحبي ، الذي خصص له ترجمة مفصّلة . ولا يخفى ان الغربيين لا يهمهم ان يعرفوا عن المذكور اكثر من ذلك. بيد اننا في الجزء الثاني العربي من كتابنا افرزنا له اكثر من صفحتين (١٢١–١٢٣).

وهكذا قل عن المطران جرجس بن مارون سفير الامير . فقد نقلنا الى القرّاء كل ما عثرنا عليه بصدده في المخطوطات والمطبوعات العديدة التي قلبناها. وذكرنا كل ما عرفناه عن اسفاره وسفاراته واعماله حتى وفاته. ونشرنا له كثيرًا من الرسائل تزيد القرّاء معرفة بشخصه ومهمته . فهل يتوجب على المؤرخ ان يأتي باكثر مما أتينا ، دون ان يخرج عن موضوع الكتاب.

ولم نترك بقية الاشخاص ، الوارد ذكرهم في الوثائق وفي المقدمة ، دون تعريف ، بقدر ما سمح المقام . حتى خفنا من لوم الغربيين على اهتمامنا بكل هؤلاء . ولو تكلف حضرته مراجعة جدول الاعلام ، الملحق في آخر الكتاب ، لوجد لكيوان ثمانية وثلاثين مرجعاً. وللمطران جرجس بن مارون الاهدني خمسة وثلاثين . والجدول مؤلف من اربعة وثلاثين عمودًا بالخط الناعم ، حوى كل منها لا اقل من اربعين اسماً مع مراجعه . وقد اشرنا بالارقام السوداء الى الصفحات التي افرزنا فيها لكل من هؤلاء كلاماً خاصاً. فهل بعد ذلك من مستزيد.

٩ — وختم حضرته كلمته « المفصّلة » بقوله: « ان قيمة الكتاب بما نشره المؤلف من الوثائق التاريخية » . وكان قد استهلها بقوله « للمؤلف فضل الجامع المجتهد ، الباعث بعض الوثائق من مدافنها ». فكأني به يعدّ درس هذه الوثائق والتعليق عليها لا قيمة لها. اي ان المقدمة ، التي عدّها العارفون فتحاً جديدًا في تاريخنا ، لا قيمة لها. مع انها زبدة آلاف من الصفحات المخطوطة او المطبوعة. جمعنا منها شتات المعلومات عن كل مادّة عالجناها في حالة لبنان المدنية والزراعية والتجارية والسياسية والحربية في عهد الامير ، وحللناها ونسقناها حتى جاء الكلام في كل باب وافياً بالغرض بقدر ما وجدناه . وبلغت المقدمة مئة وعشر صفحات . فضلًا عن التعليقات على الحوادث والاعلام الواردة في الوثائق . وهو ما يقتضي من عناء التفتيش ودقة النظر وصحة المنطق ما لا يعرف قيمته الّا من مارسه . وهذا العذر الوحيد الذي ننتحله لحضرته ، شاكرين له على

كل حال عنايته بتقديم كتابنا الى قرّاء المشرق، وإن مشوّهاً . ويصعب على طبعنا مديح عملنا . بيد ان من دلائل قيمة المقدمة ما اقدمت عليه مجلة « المدنية الكاثوليكية » *la Civilta Catholica* ذات المقام الرفيع في عالم الادب بتلخيصها هذه المقدمة في عشر صفحات . مع انها تبخل على اكبر الكتاب باكثر من نصف صفحة . وتكتفي بالاشارة في نصف سطر الى بقية الهدايا الادبية التي تقدم لها . ونحيل حضرته ايضاً على كتاب صاحب النيافة الكردينال تيسران ، الذي نشرنا ترجمته في « البشير » . وهو كما يعلم من اشهر المؤرخين والنقدة ومن اشدهم وطأة على المؤلفين. وقد كتبه الينا ، كما صرح في صدره ، «بعد ان طالع كتابنا برمته ».ولما ذهبنا لنشكره على هذا التلطف والعطف ، اجابنا : «انا لا املّق احداً وقد امليتُ بنفسي نصّ رسالتي اليك.» وليعلم حضرة الناقد ان المجمع العلمي الايطالي قد عيّن كمادته لجنة خاصة لفحص الكتاب قبل نشره . ولجنة اخرى قبل توزيعه على الجمهور . وانفق عليه عن سخاء زهاء خمسين الف فرنك ايطالي. فهل يقبل كل هذا دليلاً ان قيمة الكتاب لا تنحصر في « جمع بعض الوثائق » بل في درسها. والّا كان للعامل صفّيف احرف المطبعة فعتل الناشر .

زغرتا ، في ٢٧ كانون الاول ١٩٣٧

اخبار حلب وحوادثها

من السنة ١٨٥٥ الى السنة ١٨٦٥

اخذًا عن يومية المعلّم نعوم البخّاش

المخطوطة الوحيدة ، نشرها وعلق عليها

الاب فردينان توتل اليسوعي

٢

- السبت في ٣١ ك ٢ ١٨٥٧ ، في ٥ ج ت ١٢٧٣

والهيكل مار جرجس صار نصف القبة الى الان. وعزلوا حمدي باشا[1] باشة حلب واستقام سنة ١ الا يوم ٢ وسنوا مصطفى چكودري باشا . واولها كليل انطون طاره الى بنت العصباني. — والخميس ، بديت بالمزامير كتر صاجاتي.

[١٦] — الاحد ، انعزمت بيت عبدالله سالم ورحت تغديت عندهم . — الجمعة ، ولدت نجه بنت كوبا وجابت بنت.

- السبت في ٧ شباط سنة ١٨٥٧ ، في ١٢ ج ت ١٢٧٣

وحوّسان كثير [منتشر في البلد] . والفحم قنطار ٧٥ والحطب قنطار ٤٥ واخذنا رطل ٧٥ قرم

[١٧] — الاحد ، خطب فتح الله صدق (؟) الى زيزف بنت الياس بليط . وكان عرس بن نويس حكيم الى بنت انطون اسود وعرس الغريب الانكورلي على بنت وانس اغا عديل فرنسيس نجاش وفيكتورين مريضة من يوم الاحد وجابوا لها توماتين[2] والان احسن. وصاير وجع رحتوف وسعلات وخوانيق كثير الله ينجيها على خير.

- السبت في ١٤ شباط ١٨٥٧ ، في ١٩ ج ت ١٢٧٣

— والخميس ، سعد بلع.

---

١) على ايام حمدي باشا ترك الناس شرب التبغ في النرجيلة واستعملوا اللفائف (عن الطباخ ٣ ، ٢٤٤)

٢) الطبيب المشهور في ذلك العهد.

[١٧٢] ــ الثلاثا ، اجــا واحد من مشورة العدلية باسلامبول وسموه تفتشجي[1] ومحاسبجي امين افندي ومحقق على الباشا والدفتردار وضربوا له طواب ولاقوا له الباشارات ونوبه الموزيقة وانا ما تفرجت.

– السبت في ٢١ شباط غ ١٨٥٧ في ١٦ ج ت ١٢٧٣

ــ والاربعا ، فطرت بيت نعوم شوكتلي ونهبوا مطران الارمن من القلاية واخذوا كل دراهمه من ذهب معاملة والماس وفضّوا القلاية من العملة وما انعرف من صير هذا الصنيع وبعد نعرف عنه. وداروا مساخر[2] هذه الجمعة مرة ٢ او ثلاثة وصار معالجة وقرقعه واناس ارادوا يعرفوا المسخرين فصار سب وكفر وهو ابن جنادري فتح الله.

[١٧٣] ــ الاثنين ، بدينا الصوم الطوائف كلها والروم ايضاً تبعوا الحساب من اول الصوم وباقي قليل ما تبعوا الحساب بعد نعرف عنهم. واول الصوم

– في ٢٣ شباط في ١٨٥٧ في ٢٨ جمادي ت ١٢٧٣

وانا صمت وان اراد الله بكتله. ــ الخميس ، هوا بارد وثلج حالول. ويومها اجا باشا چكودرلي مصطفى باشا باشة حلب وانعزل حمدي باشا من سابق ودخل قبل الظهر بساعة ولاقاله فتح الله بخاش[3] بن عمي الى الاسكله[4] ونزل

١) في ٢٦ ايار ١٨٥٧، ارسل السيد مركوبولي قنصل اسبانية بالنيابة الى السيد دي سوزا عميد عمالكة اسبانية السامي لدى الباب العالي تحريراً ذكر فيه حالة حلب فقال : « ان امين مخلص افندي المندوب الشاهاني يواصل التفتيش في ادارة حمدي الباشا المعزول وقد وجد نقائص كثيرة في الخزينة وتقصيراً من جانب الموظفين في القيام بواجبهم فاعتقل حمدي باشا. » وجاء في رسالة مؤرخة في ١٤ آب : « ان حمدي باشا رفض تحكيم امين واحتج عليه انه لا يصلح للتفتيش في امور الولاية لان بينه وبين حمدي باشا خزازات وحقداً . فرفع امره الى الباب العالي . فأرسل من استنبول حكمٌ بينهما وهو احمد باشا. » وفي ٥ كانون الاول ١٨٥٧ كتب مركوبولي ايضاً : « ان دعوى حمدي وامين لم تنتهِ بعد ولم تستطع الحكومة ان تفك المشكل بينهما فاستدعتهما كليهما الى استنبول. »

٢) مساخر : كان بعضهم يتلبسون ويتقنعون ويخرجون ليلاً فيتعارضون المارّين في الازقة او يدخلون بيوت الاقارب والاصدقاء ولثامهم وقناعهم يصير سبباً للمزح والضحك وتمثيل ادوار خيالية ربما ادت الى سوء تفاهم وزعل. وكان ذلك يحدث في اول ليالي الشتاء الطويلة في المرافع. ٣) راجع ما قلناه في المقدمة عن تصري فتح الله بخاش (ص٤٠٢)

٤) الاسكله Scala ومنها Les Echelles du Levant وهنا يراد بها مرفأ الاسكندرونة

معه لانه صاحبه ومعارف معه. واولها نظموا قداس كبير وزياح مطران يوسف حانك على نية واحد غريب سرياني صير قنديل فضة بستة صفار مداره واسمه تريا. وصار مسافر من الروم الفسافسة ريقا وزمريا وغيرهم.

[١٨١] ــ الثلاثا ، ولدة مراة يوسف وكيل وجابت صبي ــ الاربعا ، التقت نبيبة مطران الارمن عند جماعة مواصله غرب والكبيه ٥٧ الف. وصليب فضة ملطوخ وخاتم بالف غرش ــ الخميس ، سلّمت على مقدسي[1] يوسف بردخجي اجا من السفر من البحر الاسود.

– السبت ، في ٧ اذار غ وشرقي سرا ١٨٥٧ ، في رجب ١٢٧٣

ورحت بستان الحجازي [واصطدت سمك] شبوط فرخ كتير كبير وركبوا صليب الهيكل الوسطاني ودرجات هيكل الوسطاني بلاط اصفر.

[١٨٢] الاثنين سافروا المقادسة [او زوار الاراضي المقدسة].

– السبت مطر وافر واخر المستعرضات شرقي في ١٤ اذار ١٨٥٧، في ١٨ رجب ١٢٧٣

[١٨٣] ــ الخميس انعزمت للمشا بيت البردخجي وما تميت لان بالنهار صار لي مثل انحصار البول وقضيت عذاب صارم الله يشفيني منه بالما ركن. ــ الجمعة ، ما ركن والسبت ما ركن . ونظمت مستحلب بزورات وشربت على اسم يسوع ــ والجمعة شينا النيروز . وقعد عندي ابن خالة تركماني بن صايغ ياكل ويشرب.

– السبت ، ٢١ اذار سرا في ٩ شرقي ١٨٥٧ ، في ٢٥ رجب ١٢٧٣

ووصلني خلمة قصاب طاقة شغل وبينا[2] ــ والاثنين ، ارسلت قطعة بولجه[3] الى يوسف شوكتلي بفرنك ٢٠٠٠ لاجل مسواق اموال فاتورة وطلبوا الترابيه وامين افندي عمال التحقيق وحبسوا المكانسي . وذكروا عن نجم ظهر وقالوا بده في ١٣ حزيران غ يحرق الدنيا او يلاشيها الله ينجينا من شره. بلاد الافرنج خبر الكازيتا رومية وغربيه خبروا عنه. وسمعان جبه سافر للاسلكه

١) المقدسي من زار الاراضي المقدسة وبيت المقدس فلقب بالمقدسي او الحجّي.
٢) ثيتا عامة النمسا (؟) ٣) كذا

وارسل خلفي نعمة الله صباغ ان اكتب له هيكل الوسطاني انه عمارته وسهرت عنده والطائفة ما رضيت.

[١٩١] ــ الاربعا ، الحجازي. قشينا بنفسج وكان شوب كثير ــ الجمعة ، ماتت بنت يوسف حمصي امها بنت الدلال ــ الاثنين ، سافر الى القدس دلال واخته مدول ونصرالله بليط الى اسلامبول وشكرالله قصاب الى القدس.

– السبت في ٢٨ اذار غربي سوا الطوائف ١٨٥٧ ، في ٢ شعبان ١٢٧٣

استرحت احسن من اول. ودعوة النجم خايفين منهـا كل الناس والبلاد وحاسبين لها حساب كثير وصار رعد[1] بعيد الجمعة والسبت.

[١٩٢] ــ الاحد ، سافر عبدالله جهامي الى ازمير ورجعت مسا كز سرياني والخميس صبحية ومساويه بالشابندر لان ابواب العويجي وكور مصري سدوهم وتركوا باب الحجازي لاجل البوابه من الناس. وبدي يكتب تلميذ الريان.

– في ٤ نيسان ١٨٥٧ ، في ١٠ شعبان ١٢٧٣

واجا عبد المسيح من انطاكية ونزل بيت الياس ضاهر نوم وقوم[2].

[١٩٣] تعشيت بيت الضاهر جات صوم ــ الاثنين ، مات نعوم اليان الله يرحمه وما صار مطر وبرد ورعد وزعقات ورمي ورق الاشجار وعندنا نقص بعض من التفاحات واوراق الدوالي والبلسان . وكانت ليلة مهوله ــ والجمعة ، صار عطش تعليم بيارود عند جبل النهر ، والزوده لحد برطاش باب طاحون الجميلات . وفرجت غزاله على الزود والتعليم . وكان انطوناكي وتزيلهم عبد المسيح ــ والخميس ، رحت قداس الكبير الفصح[3] وبعد الظهر رحت الغسول

١) ذكر الرعد البعيد يبيّن قلق الناس واضطراجم وخوفهم اذا كانوا يترصدون الحوادث الجوية متوقعين كارثة تلاشي العالم مستظلين طلاتها . . .

٢) نوم وقوم اي يبيت ويأكل ويشرب عندهم.

٣) بمناسبة وقوع العيد يضرب المعلم البخاش لانغمة مصاريفه واليكها . كما وضعها في اسفل الصفحة ١٩ :

٤٤ سمك

١٣ حيات ٢ (؟)

١٠ قنه

وتغسل باسيل ش وباسيل ض. — السبت ، البشاير ورحت قداس العصر.

– في ١١ نيسان غ ١٨٥٧ ، في ١٧ شعبان [١٢٧٣]

[٢٠١] الاحد عيد الكبير سوا روم وارمن وسريان.

– في ١٢ نيسان ١٨٥٧ ، في ٣١ اذار ش ، في ١٨ شعبان ١٢٧٣

صحو ودرت عيدت ونبهوا على الحلويات[1]. [في الكنائس داعين المسيحيين الى بذل المال في سبيل الفقراء عوض عن اسرافه في الشراهة] — الثلاثا انعزمت لنقشة عرس رزق الله بخاش اي المشورة لبنت عزوز وان اراد الله اوعدت[2].

[٢٠٢] — الاحد ، عيدت عيد الكبير روم فسافسه وارمن براصنه. وبعد الظهر رحنا مشورة رزق الله بخاش بن نعوم بخاش — والاثنين ، بطلوا اولاد سالم وراحوا للمدرسة [غير مدرستي] — والخميس ، سمعت ان واحد من الصليبة وهو رائح للبرانه راى وحدة مراة عمال تبكي وقالت ضاربها زوجها ومهزومة وما لها احد ياويها . فكلفها المذكور لبيته لعند مرته وقفل الباب وراح فقامت المراة الازار طلعت رجال وقالت لمراة الرجل ابن زوجك يضع الدراهم احكت له. قصر الباش [؟] ودراهم واستعد للرواح والا انفتح البـاب ودخل صاحب

٢٥ حلاق
٧٥ زيت
١٣٠ دجاج
٣١ طربوش
٣١٢ مصروف
٦ قنس [قانوس]
٢٢ حارس
٢١١٤

١) قد طالما الف الحلبيون التأنق في المأكولات ولهم انواع من الحلوى يصنعونها في كل موسم او عيد من الاعياد . في الميلاد ورأس السنة ، وفي الفصح ، وفي البربارة . وكانوا يقدمونها للزوار والضيوف مما كان يأول امره ضاغياً بالثقلة على اصحاب البيت وعلى الضيوف خاصة اذا الجأت العادة الضيف الى زيارة بيوت عديدة في يوم واحد . . . فيرجع الى بيته متخوماً . . .

٢) ان اراد الله اوعدت . عبارة لطيفة تدل على انه لم يعد الوعد البات، ويمكنه الرجوع عن وعده ، كما يُفهم ذلك في اصطلاح الحلبيين .

البيت شاف صار ركض بالسطح وقلب على البرية ومن هو ما انعرف.

– السبت في ٢ رمضان ١٢٧٣ ، في ٢٥ نيسان غ ، في ١٣ ش ١٨٥٧ .

وصاموا الاسلام والاربعا اجا شكرالله بردخجي وقصده يزور دير مار جرجس[1] .

[٢٠] الجمعة ولدت مراة يوسف كرونلي وجابت صبي وايضاً بنت يوسف هندى وجابت صبي. ورحت لبستان الريحاوي بعزيمة بيت نعوم سالم وتعشيت عندهم.

– السبت في ٢ ايار ١٨٥٧ ، في ٩ رمضان ١٢٧٣

الاحد سافروا الزوار لدير مار جرجس وراح يوسف كبابه وابنه وايضاً اولاد البردخجي واولاد الوكيل.

[٢١] — الاثنين ، قعد عبدالله بن نعوم ضاهر وسالم قعد بالسكولا عند الروم . — الخميس ، اجا نعُوم كوريخ من انطاكية ومعه مرته واولاده ونزل عند عديله الياس فرنجيه بالعقبه.

– السبت في ٩ ايار ١٨٥٧ ، في ١٦ رمضان ١٢٧٣

وهذه الجمعة غيم ومطر ورعد وهوا بارد وبعد الظهر صار برَد بقدر جوزه. ولكن مفرفد ومطر وافر وبعد [illegible] هوا ورعد متواصل وبرق ومطر وبعده زخ برد وبيناته برَد بقدر البيضة وكسر كل نباتات الدوالي ورمى التفاح. الله ينجينا وطاف حمام ترهم وحمام القواس الله ينجينا من شر هذه السنة وباعوا رطل المشمش الذي نفضه البرد ٢٠ بارة.

[٢١] — الاحد . كانوا جايين [illegible] والذين راحوا يلاقوا اكلوا مطر وافر وانعزمت نعوس رزق الله نجاش وقلت ان عشت اروح. ومساء زياح ارمن وبعد الزياح بيت الضاهر وكان المجروش وعبد المسيح انطاكي . — الاثنين ، اجوا الزوار واجا الياس كبابه . — الثلاثا ، اجوا الاولاد وكيل وبردخجي من الدير وسلّمت عليهم — والخميس ، صحو شوب بارض[2] النهار

١) دير مار جرجس الواقع في بلاد العلويين بالقرب من حصن الاكراد.
٢) بارض النهار : اي في منتصف النهار

وشمس حدّه . — والخميس ، انعزمنا مع بيت الكبابه [الى] جنينة تاقي الدين وخواتي وكان وزد كثير. ونزلنا مساء واولها زاد النهر وماؤه احمر كثير الحدّ. السبت نزلت الزوده وراق الماء وما في سمك بل قالوا سافر الى الشمال . — والثلاثا ، اجوا مقدار ٧٠ واحد مسلم من المسركلين الى كريد . وكريم باشا جاب كسب من العرب عتر وغنم وجمال وزلام حسبه وافره[1]. وقال ان عرب عتره طاعوا رعايا من الضيع.

– والسبت ، ١٦ ايار ١٨٥٧ ، في ٢٣ رمضان ١٢٧٣

[٢١[2]] — الاحد ، بعد العشا رحت عرس رزق الله بخّاش وجبنا العروس ورجعت س ١٠ عصملية. — والاثنين ، سكرت [المدرسة] ورحت العرس . — والثلاثا ، اجا قصاب ودلال من القدس وحنا بن اختي وسلّمت [عليهم] العصر وبعده رحت العرس رجعت الساعة ٧٤ عصمليه وانبسطنا كثير.

– السبت في ٢٣ ايار سنة ١٨٥٧ [بين الطوائف] ، في ٣٠ رمضان ١٢٧٣

وكان الوقفه[2] عند الاسلام.

[٢٢[1]] — الاحد ، رحت سبوع رزق الله نحاس وكان نوبة آجق باش الاثنين رحنا جنينة القطان . — والاربعا ، اجا بطرك السريان بطرك انطون سمحيري ومعه قواس وابن القندلفت وقسيس واجا قونصل الانكليز ونزلوا بلا ملاقية[3] لان كان القصد والقول ان يجي الجمعة.

---

١) ما كانت حقيقة ذلك الكسب الوافر ؟ جاء في رسائل مركوبولي الى العميد الاسباني في تاريخ ١٤ آب سنة ١٨٥٧ :

« ان امين افندي وعزمي باشا الحاكم العسكري في حلب خرجا بحملة على العربان العتره وكان عدد الجند الثماني من الاربعمئة الى الخمسمئة . فالتقى الفريقان على بعد اثني عشر ساعة من حلب وكان الفوز للعسكر الشاهاني. وامر امين افندي بتدبير مطبعة قال فيها ان خسارة العرب كانت ٤٠٠ رجل وخسارة الاتراك ٧٦ وانه ربح على العرب غنماً وافراً . لكن الشائع بين الناس ان نصر العثمانيين لم يكن باهراً كما وصفته المطبعة . »

٢) الوقفه اي الاستعداد لابتداء العيد وانتهاء الصوم

٣) عند وصول الخبر بقدوم احد الاقارب او احد الرجالات المهمّين كان الحلبيون يخرجون من البلد ويسافرون فيقطعون مسافات بعيدة ملاقاةً للقادمين . وبطلت هذه العادة مع انشاء الخط الحديدي.

– السبت في ٢٠ ايار [١٨٥٧] ، في ٧ شوال ١٢٧٣

انتهى شهر المريمي عندنا بالبيت — والاثنين تعشيت بيت سالم جات واولها راحوا اخواتي لتلبيسة حنا بن اختي اجا من القدس . واولها انعزمنا كلنا لعرس عبدالله شوكتلي وان اراد ربنا نروح.

[٢٢'] — الجمعة ، ارسل خلفي مطران الموارنة ونعمة الله جنو لان كان عندهم بالقلاية امين افندي وتفرج على المطبعة التي جابها المطران معه . وطلب الرزاية التي عليها الفاتحة وتفرج عليها . — الاربعاء ، ارسلوا لنا بيت الشاهر ينكي دنيا جنق فاكهة من السويدية.

– السبت ، في ٦ حزيران ١٨٥٧ ، في ١٤ شوال ١٢٧٣

[٢٢'] — الاحد ، رحت العصر لنتشة بنت عبدالله باسيل وصار العشا عندهم واخذوا العروس . — والاثنين ، رحت بيت شوكتلي للعرس — الخميس ، عيد الجسد وعطا البطرك بركه باباويه وبعده رحت للعزيمة بيت الشوكتلي ورجعنا الساعة ٣ . — والجمعة ، سخنت وتغير كيفي ووصف الجدّ [الطبيب] تمر هندي والسبت انشا الله احسن[1] وعمّال اشرب تمر هندي.

– والسبت ، في ١٣ حزيران ١٨٥٧ ، في ١ حزيران ، في ٢١ شوال

وسمعنا ان ببغداد في ١٧ رمضان يوم الاربعا س ١١ صار هوا ونثر شي. رمل اصفر مثل مرسنك دهبي وبعده صار احمرار بالسما حتى خيل ان كل بغداد صارت حمرا واستقام عتمه س ٢٨ وارتعبوا كثير لان خبر النجمة معبي الدنيا وارسلوا يعرفوا في حلب لان الذي عرف عن النجمة قال [سوف تحدث الكارثة] في ١٣ حزيران يوم السبت ذاته الله يعفيه بالخير واولاد الملتلت رجعوا للمدرسة[2] لان ما كان يفارقوهم قس يوسف حاتم وغيره من الروح والمجيء وطلبهم.

[٢٣'] — الاحد ، كنا معزومين بيت البطق ورحنا الظهر وتغير كيفي وبردت وسخنت ورجعت للبيت من غير غدا وأرسلت خلف [الحكيم] جدّ الصغير

١) ان شاء الله احسن: عبارة تفاؤل تقال عن المريض ان لم تتحسن حالته.

٢) يظهر من الكلام ان الاهالي خافوا على اولادهم من الكارثة التي كانوا يتوقعونها مع ظهور النجمة المشؤومة فصاروا يتفقدون اولادهم ، كل ساعة في المدرسة.

وقال تهرا واشلح السروال والحمد لله فك الضور ــ والاثنين ، ١٢ درهم ملح الطرطير. ومساء الثلاثا ١٠ مثله. والاربعا ٤ مثله بكره. وطرقني الضور من بكره للمساء ــ والاربعا ، سكرت المدرسة وأجا مخائيل اليان ويوركي من السفر وانا ما سلمت لاني كنت مريض ــ والخميس ، قطع الضور ــ والجمعة فتحت [المدرسة] والاولاد قلال.

– السبت ، في ٣٠ حزيران ١٨٥٧ ، في ٢٨ شوال ١٢٧٣

ويوم الضور اجا بطرك انطون بطرك السريان عندنا للنوريه وانا نظمت له بيت ٢ سرياني بسخونتي [illegible] [illegible] [illegible]

– السبت في ٤ تموز ١٨٥٧ ، في ١٢ ذو القعدة ١٢٧٣

وطلعوا للغـداء بيت عبدالله سالم وبيت نمُرم شوكتلي الى [بستان] عبدي افندي وارسلت مكتوب الى جبرائيل صفرا في بغداد وحمل جيت.

[٢٤[١]] ــ الاربعا ، زعلوا اولاد سالم لان كزه[1] قالت للاجير خبر معلوم ــ والخميس، اجوا وسمعنا بان احترق بانطاكيه خان ٣ ودكان ٢٦٠ وقالوا انها خربت . ومساء وجعني ضرسي شي فوق العقل.

– والسبت ، في ١١ تموز ١٨٥٧ ، في ١٩ ذو القعدة ١٢٧٣

وارسلنا مكتوب لاسلامبول وقلعت ضرسي بيد الحلاق لانه مخلوع يكون معلوم.

[٢٤[٢]] ــ والاحد ، كان ما لي كيف ووصف الحكيم شرب اجاص ــ والاثنين ، كذلك ونصف درهم راوند والاربعاء والخميس ثلاثة ارباع الدرهم والجمعة صح والحمد لله . واجا الباشا من العرب وامين افندي وكسبوا كسب وافر من العرب.

– والسبت ، في ١٨ تموز ١٨٥٧

والجمعة ، دفعت للخواجه فتح الله كوبا غرش ٩٩٩ وثلاثة ارباع لاجل كرا الحوش وسمعت ان من ١١٠٠ الى ١٧٠٠ وصلت. واولها كان عرس بن التركماني الى بنت الصايغ بحلق والعريس اخو امه جرجي ثابت ومات سمعان الموصلي الله يرحمه.

[٢٤[٣]] ــ الاثنين ، مار الياس درت عيدت وتغديت بيت فرنسيس عجوري جات بعيد ابنه الياس. ــ الجمعة ، اجا تركماني من ادنه . ــ السبت ، طالعت علق وان اراد الله نروح الى الشقيف مع نصرالله مراش.

في ٢٥ تموز ١٨٥٧ ، في ٤ ذي الحجة ١٢٧٣

واستكريت مساء حمار بغرش ٥ والنصف

[٢٥[١]] ــ الاحد ، صليت عند السريان ورحت ركب وابو حنا غزال

١) لعلها اخت المعلم نعوم. والنكتة ظريفة فتدل على اخلاقهم السيانية في ذلك العهد – يجرد الاولاد لكاسة لاذعة يسمعونها ويعودون بعدها يوم.

ونصري مراش وصلنا عين التل وبعده البريكات ونحن عطفنا الى حيلان وابو حنا وكانوا افرنج مبستنين بحيلان بيت فيلكروس وكوسا ونسوانهم وغيرهم فرنج وكان عجوري واصطدنا مقدار رطل واحد انكليزي وحدي ما عدا الزقزوق والبياض ورجعنا وحدنا الساعة ٩ ونصف ونزلنا الى عين البيضا وتمينا للمغرب ونزلنا ــ الاثنين ، رحت قريت واجت عندنا بنت خالتي لوسيا من كلز مراة الجوغلاظ [؟] ومساء ناموا عندنا وكنا معزومين بيت سالم بنوبه بليل الثلاثا رحت وحدي فقط ورجعت الساعة ٦٨ مو قوي انبسطت[1] . وظهر قتيل عند باب بستان بن حميد . ــ والاربعا ، رحنا عين التل والقتيل باقي وكان الوقفه عند الاسلام ــ والخميس ، والجمعة عيد الله اكبر . والجمعة رحنا لاقينا لنعوم عازار عند جنينة ابن ميرو [؟] مع بليط وطباخ وما اجا . وكان عيد مار الياس شرقي في ٢٠ تموز شرقي في ١ آب غربي ١٨٥٧ و١١ ذو الحجة . ــ الاثنين ، ارسل خلفي كوبا لاجل حوش بن معوض واجكيت مع خوري جرجس . ــ والخميس ، اجا خبر[2] فتح الله مراش من الاسكلة اسكندرونه وابن موسى شدياق يوسف المصوّر الله يرحمهم . ولوسه بنت اختي جابت بنت واجوا من كلز بيت خوري الياس راجي من عرس ابن اخته مخائيل والاحد احترقت بنت بنت خالتي الله يشفيها .

– السبت ، في ٨ آب ١٨٥٧ ، في ١٧ ذي الحجة ١٢٧٣

[٢٥'] ــ والخميس ، كتبت اسمي بصك لاجل تعمير حوش بجبل النهر عند بن عبده الدقاق وانا ١٧ والصك بحوش ٢٠ وسمعت ان ابن قونصل الياهو اخذ زقاق الطويل وزقاق البراني لاجل يعمر حواش الخربانه في حصار خرشيد باشا[3]

١) عبارة حلبية دارجة : اي لم انبسط كثيرًا .

٢) اجا خبر : اي خبر وفاة . ٣) هي قومة حلب الكبرى ، لا على المسيحيين ، ولكن على الدولة العثمانية . كان اعيان المسلمين ينقسمون قسمين : الاشراف من سلالة محمد ، والاغاوات من العساكر الانكشارية . وكانت السلطة ظاهرًا في ايدي الباشا ممثل السلطان ولكن في الحقيقة بايدي الاعيان ، وهم اصحاب الحلّ والربط ومن دونهم الباشا لا يحرك بنانًا . وفي السنة ١٨١٥ اقيم حاكمًا على حلب جبان اوغلو ، فاستدعى اليه ٣٠ من الاعيان من الحزبين : من الاشراف ومن الآغاوات وابادهم على بكرة ابيهم . فسكت انصارهم الى ان جمعوا كلمتهم وتنافروا فقاموا على الحكومة العثمانية سنة ١٨١٩ وقتلوا الضباط الاتراك لحجة واهية ، وذلك

ومن الجملة حوشنا.

[٢٥٢] ــ الثلاثا ، ولدت مراة نعُوم حمصي بنت غزاله وجابت صبي ــ الاربعا والخميس والجمعة الصيد بباب الجنين [وسمك] براق قليل كل مرة.

– السبت في ١٥ آب ١٨٥٧ ، في ٢٥ ذي الحجة ١٢٧٣

وعمّال ينجروا رفراف كنيسة السيدة السريان هذه الجمعة . ــ والثلاثا والاربعا ، زارت[1] لوسيا عندنا . واجانا شال توب ٨ من يوسف شوكتلي وابن اعور على التسليم وارسلنا مكتوب لاصفر لاجل الجاود ، معلوم.

[٢٦١] ــ الثلاثا ، التجلّي. ودفعت الى توما ١٥٥ غرش من كرا الحوش وسمعنا ان فرنسا والمسكوب نزلوا البنديرات من اسلامبول وقصدهم السفر لان طلبوا الفلاق والبغدان يتحرروا ويصير لهم ملك والنمسا والانكليز ما ارادوا وعبد المجيد معهم والموسكوب قاصد الحرب الله ينجينا من شرهم ــ الاربعا ، اخذت من الحجازي [سكات] انكليزيات اربع وكان قونصل الانكليز ومدامته.

– السبت ، التاريخ في ٢٢ آب ١٨٥٧ ، في ٢ محرم ١٢٧٤

وفرمت التنون آخره.

[٢٦٢] ــ اشتكى انطون صائغ على بطرك السريان للباشا وجاب له ظبطيه ٣ وقصده ياخذه للسرايا فالبطرك عيّط عليه . وعلى الظبطية وارسل عند

لان الحاكم طلب الضرائب على البيوت. فقاتلهم الاتراك وحاصروا البلدة مدة اربعة اشهر وضربوها (سجلات القنصلية البريطانية ، رسالة القنصل سكيني الى السفير بلور في استنبول في ٣١ مارس ١٨٥٩) فخربت انذاك بيوت كثيرة وتغيرت من ثمّ تخطيطات البلد فرمموا ما رمموه من بعد الفتنة وعمّروا حيًّا جديدًا ومن اجل ذلك سموه « الجديدة ». اما الياهو فقد يكون بيشوتو قونصل النمسا والداغارك على ما يظهر من سجلات مركوبولي المذكورة سابقًا .

ومن ذلك الحين صار المسيحيون يهجرون تلك المناطق من البلدة ويتحولون الى جهتها الغربية ، الى ان زحفت معهم وامتدت حتى صار تحتها ما وراء تلك الاحياء القديمة ، وقد ساعد على تلك الحركة حدوث الزلازل.

١) زارت : في اصطلاح الحلبيين ، الزيارة تفيد ايضًا الاقامة الطويلة لمدة ايام.

جفروا ترجمان الفرنساويه فارسل يسقيه ٢ شدوه من شعره وسحبوه لعنده وحبسه عنده. والمادة كانت من اجل تقضاي حوش بوقف السريان . والمذكور ما كان يقضيها وعلقت. وطلبه الباشا ما ارسله جفروا[1].

– والسبت في ٢٩ آب ١٨٥٧ ، في ٩ محرم ١٢٧٤

ونبه البطرك على العيد تذكار مقطوع الراس ، وطلبوا البدليه[2].

[٢٦] — الاثنين ، قبروا مخائيل يافين لانه قبل يوم توفي الله يرحمه ودفنوه بكنيسة السريان قدام الهيكل الوسطاني قدام بيت النسوان وعزموا الروسا. جنزوه بكنيستنا الله يرحمه.

– السبت في ٥ ايلول ١٨٥٧ ، في ١٦ محرم ١٢٧٤

وورد كتاب من بيت الاصفر من بغداد ومن ادنه من انطانيوس بن الشقيقة وجمعوا الطائفة من النسوس ، لاجل انتخاب مطران ومن العوام ١١ وماذا صار لا اعلم بل ما طلع غره للان. — والخميس سافروا اولاد دلال الي اسلامبول. والسبت ماتت مراة جرجي قنبر بنت الشاشاتي وابن جرجي رباط ايضاً شب مات .

[٢٧] — الاثنين ، بعت مقامات الحريري خطي ٣٩٠ غرش للطرابيشي وبدي يقرا ويكتب — الخميس ، صار خبر مع البوسطة ان الياس ضاهر بمصر شقل اخته بنت المرحوم الياس فرقوعه او موصلي وفات للجنينة يدور فزلق ووقع ساقية النيل وبعد ثلاث ساعات رأوه بالساقية ومخنوق والبنت ايضاً الله يرحمهم وينجينا من كذا موته.

– السبت في ١٢ ايلول ١٨٥٧ ، في ٢٣ محرم ١٢٧٤

— والخميس ، ولدت مراة شكرالله حمصي مدول ضاهر وجابت صبي .
— والاثنين ، مات بن بربري قتل بالبستان خمنوه حرامي ضربوه بالنبود بامر ابوه

---

١) والحادث دليل على قوة نفوذ القنصل الافرنسي في ذلك العهد.

٢) البدلية او ضريبة اخراج من الخدمة العسكرية ؛ وان طلبها من المسيحيين قد حدث في الاسبوع الذي اظهر فيه القنصل الافرنسي حزمه بالدفاع عن البطريرك . كأن الباشا اراد ان ينتقم من البطريرك التجاءه الى القنصل، فامر بطلب البدلية.

فوقع مات وثاني يوم قبروه والمذكور كان مع الـذين يغسلوا الصوف [بيتان] الريحاوي يكون معلوم.

[٢٧ʳ] ـــ والاثنين ، بدي يقرا ويكتب بن زنكيه بالمزامير وبدي يهجي الياس بن فرنسيس عجوري.

– والسبت في ١٩ ايلول ١٨٥٧ ، في ٣٠ محرم ١٢٧٤

والجمعة فكست الشمس من بكره. ـ والسبت ، صار مطر بالليل مطرة الصليب وتوفيت مراة نعوم حسون بنت حجه بيروت الله يرحمها . ـ والجمعة ، اجوا من السفر سمعان ومراة انطون عجوري وابنها بسكوال وشكري ناقوز ومرته من البلاد.

[٢٧ʳ] ـــ الاحد ، باركت لبيت حجه بالسكنه بجوش بيت ريان واولها وقع بنراف الرياحوي وبعد ساعة ٢ مات شب عمره ١٦ سنه. واولها الاحد كان بالو للعسكر بمرجة الميدان ـــ الاثنين والثلاثا نوبة الكبيرة وغير نوبات مثل آجق باش وبراهيم ربيع وغيره وانا ما رحت بل كثيرين راحوا ويرجعوا س ١ ، ٢ ، ٣ من الفرجة . ـــ والخميس ، انعزموا اخواتي لبيت التركماني على فرحت عريس السلام وشيخات . ـــ واولها عند شكرالله حمصي ابنه ومات بن نعوم حمصي امه زيزف اخت مراة الشوكتلي وسافر قس الياس وشماس قرياقوس للشرقة.

– السبت في ٢٦ ايلول في ١٨٥٧ ، في ٧ صفر ١٢٧٤

واولها نقشت بنت التيناوي لابن الحلاق يكون معلوم. والفحم ١١٥ القنطار.

[٢٨ʳ] ـــ الثلاثا اجوا الفعالة ليسوا[1] عندنا. ـــ والاربعا توفوا بنت فتح الله عبجي عمرها ٥ سنة وابن مخايل ناقوز عمره ٣ سنة وقبروهم وطالعوهم سوا مع بعضهم مرحومين . وزرزروا ٥ ينكي دنيا عندنا بالبيت.

[٢٨ʳ] ـــ الخميس توفت مراة دالاتي الله يرحمها واجا وكالات قونصليه

١) ليس : اي دهن الخلط بالطين والكلس.

الانكليز لميشيل صولا وصار ترجمانه يوسف وكيل لان قبلًا كان عند سنيور موسه مشوكه ايزيدور ترجمان . ومات بن جلادري الله يرحمه.

– السبت في ١٠ ت ١ ١٨٥٧ ، في ٢٨ ايلول شرقي خاريطون، في ٢٢ صفر ١٢٧٤

والجمعة انتها. ٣٠ سنة وابتداء ٣١ سنة لافتتاحي المكتب سنه مباركه ــ والسبت جايه باشت حلب والناس متفرجين عليه واسمه عمر باشا والذي قبله شكورلي رايح . ــ والجمعة بديت بالسهرة مع اولاد الضاهر وعمهم وثابت وعجوري كل ليلة.

[٢٨٢] ــ الجمعة ضربوا بز مدول ضاهر بالشبر وشقوا لعينين سوسه بنت نعوم سالم.

– والسبت في ١٧ ت ١ ١٨٥٧ ، في ٢٨ صفر ١٢٧٤

وورد كتاب من جبر اصفر بعدم قبول البوجه.

[٢٩١] ــ الخميس انعزمنا لخطبة رزق الله بن بن عمي فتح الله بخاش عديل يوسف ناقوز [الى] بنت الموصلي الغريب.

– والسبت في ٢٤ تشرين الاول ١٨٥٧ ، في ٦ ربيع الاول ١٢٧٤

واولها شاور فتح الله شامي لبنت انطون خاطي ــ والخميس كتبت صورة دمتريوس للروم الارثوكسيين وانطانيوس عازار خطب بنت ميشا ــ وانسبت اجوا الحجاج المسلمين .

[٢٩٢] ــ الاحد رحنا بيت فتح الله بخاش بن عمي تغدينا وكنا معزومين لخطبة رزق الله ابنه لبنت حنا موصلي ومساء تمينا عندهم ــ الاثنين دمتريوس والبطرك بطله ورحت مع ضاهر وثابت وعجوري واسيون الى الثاني ركبت حماره ثابت ورجعنا مساء واجوا عندنا برغود وحمصي ونزلنا مساء ويومها ولدت مراة رزق الله بردخجي جابت صبي . ــ والثلاثا ولدت مراة عبدالله سالم جابت توم والصبي مات والبنت عمال تموت . والسبت سافر بطرك انطون سحيري.

– والسبت التاريخ ٣١ ت ١ ١٨٥٧ ، في ١٣ ربيع الاول ١٢٧٤

وارسلنا مكتوب لاجل بيع القطن باسلامبول واشتروا البغلة بليط وابن عمه فتح الله بالف غرش ١٠٠٠ .

[٢٩٢] ــ واولها سافر بطرك السريان سمحيري ووكل مطران يوسف حايك بالطايفة وسافر رزق‌الله بن فتح الله بخّاش لعينتاب.

– والسبت التاريخ في ٧ ت ٢ ١٨٥٧ ، في ٢٦ ت ١ شرقي ، في ٢٠ ربيع الاول ١٢٧٤

واوقفت كتاب نبوات وحسايات لكنيسة السريان بحلب وركبوا بوّابة الياسين لان صار لها زمان مفتوحة . والاربعا مات خوري جرجس حداد روم . والسبت اجا قونصل الفرنساوي بتيفوليو وكان مطر وتفرقوا كلّهم والملاقية ايضاً .

[٣٠١] ــ الاحد اولها كان المسا كليل بن نصري حمصي بالكنيسة لبنت فتح الله باسيل وايضا عرس اخو مراة ميخائيل تركمان ــ والاربعا مات نعُوم انطاكي الله يرحمه بحصاره البول.

– السبت في ١٤ ت ت ١٨٥٧ ، في ٢٧ ر ١ ١٢٧٤

والسهره بيت الياس ضاهر ومخربطة شوي وعلق علق باب الخاتم ومدول ابنته احسن من اول وما ختم بزها وهذه الجمعة هواء شمالي بارد وسمنا طلع عسكر طابورين من اسكندرونه وجايه عمر باشا لحلب يكون معلوم ــ والسبت اجا عسكر مقدار ١٠٠٠ نظام ونصبوا خيم بارض المشنقة وطلعنا تفرجنا والاولاد عليهم وراحوا شيخ يبرق ما نزلوا بالخيم.

[٣٠٢] ــ الاربعا ، قدموا عرضحالات للباشا وللقنصل لاجل الكمرجي لان بده ياخذ تعريفه جديده ما اعطوه وللان باقية مثلا من شقفة الخام المسبوغ نيل له باره ٤ اخذ ٧٠ من بعض اناس وماسك اموال ما عمال يطالع مقدار يوم ١٠ الا بده ياخذ عُشر فما انتهت.

– والخميس في ٢٠ ت ت ١٨٥٧ ، في ٣ ر ت ١٢٧٤

واخذت موس حلاقة ١٢ ونصف انكليز.

[٣٠٣] ــ الجمعة اجا عمر باشا[1] سر عسكر وقالوا رايح لبغداد منصبه

١) هو عمر باشا البشناقي . كان مسيحياً فاسلم وكان من اصل حقير فبلغ المراتب العالية في الحكومة العثمانية بدهائه وجرأته وحيله . شارك الحلفاء في مقاومتهم محمد علي عزيز مصر وأقيم حاكماً في بتدين في لبنان سنة ١٨٤٣، واليه ينسبون الدسائس التي صارت سبباً

والحرسان كثران وهلال قعد بمدرسة روم النافسة.

– والسبت في ٢٨ ت ت ١٨٥٧ ، في ١١ ر ت ١٢٧٤

واجوا من ازمير بيت زمريا ومعهم العروس لان تجوّز بازمير وجاب العروس واجا ميخائيل اليان اجا من انطاكية وخطب بنت اديب.

لاضرام الفتن في الجبل بعد قسمه الى قائمقامية الشمال وقائمقامية الجنوب،فحدثت فيه المناوشات والمشاغب بين الدروز والمسيحيين.

دخل عمر باشا البشناقي حلب وهو في طريقه الى بغداد . ذكرت عنه مجلة الكورسبوندان الافرنسية احدوثة لطيفة لا بأس من روايتها تفكهاً ووفاء الحقيقة حقها بعد تقدها . (راجع *Le Correspondant*, t. 180, 1895, p. 29 sqq.)

قال ما خلاصته : مرّ عمر باشا بحلب وزار القناصل ولما قصد الى بيت مركوبولي استقبله صاحب البيت اولاً بصفته ممثل اسبانية وثانياً بصفته ممثل نابولي . وذلك ان الباشا بعد الاستقبال الاول ودّع وخرج من الدرج الجنوبي وفي غضونها كان مركوبولي قد غيّر في قبعته شارة اسبانية بشارة نابولي وانتقل من داخل البناية الى الواجهة الشمالية حيث كان هناك درج آخر فصعده عمر باشا واستقبله مركوبولي ذاته مرة ثانية ولكن باسم الدولة الثانية التي كان يمثلها . وراجعنا سجلات مركوبولي فاذا الحادث غير ما رواه الكورسبوندان وهو الحقيق بان يصدّق، واليك اياه عن رسالة مؤرخة في ٥ كانون الاول سنة ١٨٥٧ كتبها السيد نيقولا مركوبولي الى دي سوزا السفير الاسباني في استنبول :

« دخل عمر باشا بلدتنا في ٣٠ الماضي وسيقيم فيها اياماً ريثما يجهز رحلته الى بغداد عن طريق البادية وقد يحتاج الى الفي جمل لنقل عيته وامتعته وذخيرة الالايين اللذين يرافقانه . وان قيامه في حلب سبب احدوثة في اصول التشريفات لم نسمع بمثلها قط .

في اليوم الثاني بعد وصوله زرته مع زملائي قناصل فرنسة وانكلترة وسردينية . اما سائر القناصل،وهم جود من بيت بيشوتو،فقد زاروا الباشا كل واحد من طرفه . وبعد ايام اخذ الباشا يرد الزيارات مبتدئاً بالدول الكبرى فرنسة فانكلترة الى ان وصل الى درج قنصلية النمسة فتقدم احد التراجمة واخترع حيلة ودعا بالسردار الى دخول بيت قنصل توسكانا موسى دي بيشوتو فدخله واذ هو فيه اتاه رسول من قنصل النمسا اليا بيشوتو وهو ابو موسى بيشوتو يقول ان ممثل النمسا لن يستقبل في دار القنصلية عمر باشا لان هذا لم يقصد اليه قبل زيارة قونصلية توسكانا . ولا ادري ما كان جواب السردار ولكن من المحقق ان سوء التفاهم زال لساعته وذلك ان الباشا انتقل من داخلية بيت بيشوتو الابن الى بيت بيشوتو الاب من دهليز سري بينها وخرج من ثمّ منحدراً من الدرج الشمالي وهو درج موسى قنصل النمسا . وان اليهود في حلب فرحوا فرحاً عظيماً لذلك الالتفات الذي خص به السردار عمر باشا عائلة بيشوتو وهم يكرمونها اكراماً عظيماً .

[٣١[١]] ــ الجمعة ، الاولاد قــلال وعيد بربارة ومحرسن ام بطق وابنها رزق الله وانعزمنا لخطبة بن خالتي رزق الله لبنت الدوش الاحد الاتي ومات بن كركور عــال بالحرسان ماله غيره وابوه تعلم عندي . وبدلنا ليرات فرنسا لاجل ارسالهم الى مرسيليا .

– والسبت في ٥ ك ١ ١٨٥٧ ، في ١٨ ر ت ١٢٧٤

وارسلنا مكتوب لبغداد لاجل الباطيسته . وولدت مراة فرنسيس كوسا جابت بنت وانخطبت بنت يوسف براهمشاه كتر لابن يوسف بردخجي يكون معلوم .

[٣٢[٢]] ــ اولهــا عرس بن حنا الاعما الحكيم والحرسان كثير وصفينا المكتب على اولاد ٦ الله يشفيهم . وكتبنا مكتوب لاسلامبول فخر والى مرسيليا البر فين وشركاهم بمرسيليا صره ليره فرنسا ٦٣ لاجل قرمز وقهوة وسكر وهذه الجمعة صحو وبرد .

– والسبت في ١٢ ك ١ ١٨٥٧ ، في ٢٥ ر ت ١٢٧٤

والسبت ولدت مراة اليا كوسا جابت بنت ٢ الواحدة مايته والاخره سالمه .

[٣١[٣]] ــ الاحد اجوا اولاد الدلال ونعوم عبجي وبنات التاجر واخوالهم من اسلامبول وانا ما لاقيت وبالليل وجعتني عيني . الاثنين مرفع الميلاد وبدو الرياضة عند السريان . الاربعا اجانا من كلز من كسبار زيت حلو رطل ١٨ سعر ١٢ غرش ماكول الهنا . والخميس بيرمون الميلاد ولاجــل عيني اثبت[١] الجمعتين سويه .

– السبت في ٢٦ ك ١ ١٨٥٧ ، في ١٠ جمادى ١ ١٢٧٤

ومحرسن غزاله وصاجاتي والحرسان ما خلص لان داير وبرد هذه الجمعتين شي زايد وصبوا الما بالحوش تجمد وصحوه الله يقدم الخير ويبعد الشر واولها خطب شكري ثابت بنت الدقاق سريانية ام القصير لقبها . والسبت صار ثلج اكلنا كلاسه بيت شكرالله ثابت بحليب وانطون كنيدر جابت مرته صبي .

١) جمع البخاش اخبار الاسبوعين بواحد واشار الى السبب وهو وجع عينيه .

[٣٢١] ــ الاثنين ، سمعنا انكسر على بيت قباليره ١٢ الف كيس غروش ونصري خوري واخوه نعوم ببيروت وسهر موليناري فيكوره . ــ والثلاثا والاربعا والخميس كل حكمي البلد عنهم ومن جهتهم لان وكيل له وكبابه وخوري ولويس شدياق وكثير اناس.

– والجمعة راس ١٨٥٨ غربي ، في ١٦ جمادى الاول ١٢٧٤

ان شاء الله سنة مباركة وفايده الخيرات ان شاء الله ومدرة السرور والبركات. والسبت سافر عمر باشا باشة بغداد الحمد لله لان من السخرة صار الحطب قنطار ٣٠٠ والفحم كذلك وما في من السخر . والجمعة توفي قلاوص بليط الله يرحمه وواحد صانع اكل طعم الفار ومات...والحرسان ما خلص والياس بن رفول شامي فكوه من مرته واعطوها لغيره.

[٣٢٢] ــ الخميس ، ابن فتح الله بليط عمره ٤ سنة مات بالحرسان.

– والسبت في ٩ ك ت ١٨٥٨ ، في ٢٤ جمادى الاول ١٢٧٤

والكسره المذكور لقباليره صارة ٥٠ الف كيس وبعده كانها بزود كان[1] والحرسان كتران وظننا خلص المحسون[2] بدي من جديد وفكوا ابن الحكيم من بنت السيوفي قالوا يراه الحكيم فما اراد العريس وسمعنا سكر بيت الحمصي في البلاد كأن انكسروا ايضاً وتوفي حنا رعد.

[٣٢٣] ــ الثلاثا بطلت روظه شوكتلي ذكر نعوم شوكتلي ان اقري الـ ٢ غرش ٣٠٠ فما رضيت بطلوا والسهرة بيت الياس ضاهر اول ليلة بخشان البرتقال الاثنين جبس الخميس سويق وصار ثلج بالليل[3]. والجمعة اجانا صافي الجيت من بغداد من بيت الاصفر والسبت لاجل الباطنته والاثنين نبهوا على المامله ومدورين جواسيس [في الاسواق يشكون للحكومة اسماء الذين لا يقبلون الاسعار الجديدة]:

١) كان اي ايضاً.

٢) المحسون لقب الحرسان على سبيل التهكم.

٣) كانوا يتفقون على السهرات في كل يوم من ايام الاسبوع تكون السهرة في بيت يجتمع فيه المتفقون على سك السهرة وكانوا يتنافسون في تقدمة الحلوى وغيرها في السهرة.

ليره مجيديه	١٢٠	
انكليزيه	١٢٧	
منص	٢٠٧	[لعلها عملة مسكوبية]
مجيدي	٢٤	
جنكره	٢٦	[لعلها عملة ايطالية]
قري	٤٧	
الطي	٦٧	

— السبت في ١٦ ك ٢ ١٨٥٨ ، في ١ جمادى ٢ ١٢٧٤

وان مسكوا اناس اذوهم ومربوطة من القناص والباشا والتجار وان سلكت بعد نعرف — والخميس مات خال تركماني موت الغفلة عندهم الله يرحمه وكزه نامت بيت فتح الله بخاش ابن عمي بالمدينة وتاني يوم اجت والسبت دفعت حق الفروة ٢٧٠٧+١١٧=٢٨٥ واخذتها من الدلالة. والاثنين قبروا بنت غزاله عمرها سنة وجمعه — الثلاثا اخذت بخاطرهم — الاربعا ترشحت رشح ماكن — الخميس شربت جاي وتبخيره عند النوم.

[٣٣'] — الاثنين ركبوا سقالة بكنيسة السريان لاجل تلبيس زقاق هيكل السدراني بيت الرجال.

— والسبت في ٢٣ ك ٢ ١٨٥٨ ، في ٨ جمادى ٢ ١٢٧٤

وهذه الجمعة كلها مطر وانشل انطون حصرم من اوضته قالوا الف ٧٠ ووكلوا بتحصيلها ابن المكاني[1] وان تحوشت نذكر بعد. — والجمعة مطران

١) بيت المكاني من اعيان مسمر حسب معلومهم في حي باب التيرب ولهم احفاد يرزقون الى يومنا. في سنة ١٨٥٦ كانت تركيا قد دخلت الى كانت تدخل الحرب مع حلفائها الافرنسيين والانكليز ضد روسيا فجمعت الجنود من سائر البلاد العثمانية فسافر العسكر الشاهاني من حلب وكان ولا سيما من الشام قوة عسكرية حفظاً للامن في المدينة فامر الباشا بتجنيد ٤٠٠ من الاهالي واقامة قواد عليها. فجبروا اربعة من الاعيان ومنهم احمد اغا المكاني ولقب الاغا يذكر بعهد الانكشارية وقد باد ولكن سلالتهم لم تنقرض وظل البعض منهم في حلب اقوياء. واليهم ينسبون بعض المسؤولية في حوادث المسيحيين. وترى في اليرمية انهم عهدوا الى المكاني بالتفتيش عن اللصوص لما له من السوابق في معرفة تدبير البلد.

نيقوغوص[1] اجا امر بنفيه من حلب واجوا للقلايه ظبطيه وهو انهزم اين لا نعلم وبعد نعرف وصار غوغه كبيره بالصليبه . وسمت وصلت الصرة لالبر فين لمرسيليا . وانباع القطن باسلامبول . وارسلنا كتاب عن غزاله لبيت فخر لارسال الفرنكات لالبير فين لمرسيليا . واجا حكيم من بيروت لشكر الله حمصي زوج مدول لان المذكور بالنهار ينظر ومتى صار المسا يعشى مثل الدجاج الله يشفيه .

[٣٣] ــ الاثنين بيان بولس ــ الاربعا انعزمت لخطبة نعوم بن حنا صايغ واوعدت ان عشت اروح ــ الخميس سكارى روم وكان ثلج مقدار ربع دراع والاولاد ما اجوا غير ثلاثة . ومات يومها حنا بن شكر الله كنيدر عمره ١٦ سنة الله يرحمه ومات اخو قس جبرائيل صريدار[2] بوّاب كنيسة السريان الله يرحمه . وفكوا زقاق هيكل السدراني بكنيسة السريان وبطق حردانين من اجل غزاله ضرب رزق الله على انفه طلع دم وصار له هزة الحيط واولها مات اخو يوسف اسبر الله يرحمه . السبت ثلج والاولاد قلال ومساء السهرة بيت الثابت وانا رايح لسهره ضرب انطوناكي طابت ثلج على عيني ختنت غاب صوابي ورجعت لبيتهم ودهنت عرق مقدار س ٢ ورحت لبيتنا ليلة الله لا يرويها لانسان الحمد لله على احسانه . وجابت صبي سوسه دلال مراة يوسف حمصي وبعد يوم ٣ حطوا له تراب سخن حرقوه وبعبعت فخاذه وقشروا الجلد من فوقهم الله يشفيه وينور لهم عقولهم . ــ الاحد كان غيم ومساء مطر ــ

١) جاء في سجل الاباء الفرنسيسكان المحفوظ في ديرهم في حلب عن المطران نيقوغوص اخبار غريبة . كان اسقفاً على الارمن الغريغوريين في حلب واتهم باختلاس اشياء ثمينة من منام البطريركية الارمنية في سيس فنفي الى القسطنطينية وخاف ان يقع في ايدي اعدائه فصار كاثوليكياً وعاد الى حلب واقام ٥٦ يوماً عند الاباء الفرنسيسكان في الشبابي وفي سفلة مشهودة نبذ المرتقة واعلن ايمانه في الكنيسة الكاثوليكية . ولكن لم يثبت فيه وعاد الى ما كان عليه منقاداً الى اقوال الغريغوريين . وقد بذلوا جهدهم في استرجاعه . وصار بعد بطريركاً عليهم .

٢) جاء في سجل قنصلية اسبانية المحفوظ في دار مركوبولي عن المرحوم والدهم قنصل اسبانية في النيابة في تاريخ ١٦ ايلول ١٨٥٦ ما بين اسماء الاشخاص المتمتعين بحماية اسبانية شكري كيدر كاتب القنصلية والياس انطون سردار وفتح الله ارسان والحاج طاما القواص .

الاثنين ، غيم ومطر ــ الثلاثا ، صحو وهوا بارد كثير ــ الاربعا ، بكره صحو وبعده غيم ــ الخميس ، ثلج مبعصح وقطع بعد الظهر ــ الجمعة ، صحو وغيم وبرد ــ السبت ، ثلج وافر مقدار ضاع دربنا وبالليل ضباب.

[لم يؤرخ الاسبوع]

[٣٣'] ــ الاحد ، كانت عيني عمّال توجعني ورحت عند الجد وبشخنجي [الطبيبين] وصفوا عرق وخلّ ورحت لخطبة نعوم صايغ الى بيت عجوري ــ والجمعة ، ثلج حالول والاولاد قلال والسهره عند الياس ضاهر وبيت سالم وما رحت عند نعوم ضاهر للبرتيته.[1]

– السبت في ٦ شباط ١٨٥٨ ، في ٢٢ ج ٢ سنة ١٢٧٤

واخذ التفنكه عبدالله شوكتلي واخذنا قديد بسطرما رطل ٣٦ غرش وبطق اجوا من الحردة التي حردوها والفحم قنطار ٣٥٠ وما في [منه للبيع في السوق] وبديوا بيعوا من البيوت مثل بيت شوكتلي وشاهيات . ــ والاثنين ، جينا تفنكة ضاهر وغسلناها ــ والثلاثا ، اخذوها بيت حماه بيت عزوز وهذه الجمعة عمّال يليسوا[2] بكنيسة السريان سوق الوسطاني بيت الرجال وناصبين السقاله . وساعتي وداها للساعاتي فتح الله بطق وصار لها يوم ٨ عنده . والجمعة ، نظمت شسيتي مليح بالبيت وصار كاثوليكي مطران نيقوغوس الارمني.

[٣٤'] ــ بليط حردان ما اجا لعندنا من يوم الخميس جمعة التي قبلها لاجل اني ما كتبت لاخوه سطر.

– السبت في ١٣ شباط غربي ١٨٥٨ ، في ٢٩ ج ت ١٢٧٤

[٣٤'] ــ الاحد ، المرفع الكبير الطوائف سوا في ١٥ شباط غ في ٣ ش في ١ رجب ١٢٧٤ جعله الله مبارك لفايدة النفس . وانا صمت وان راد الله تكمل ــ والاثنين ، صلاة الشوبقونو ــ والاربعا ، توفي وارتيد عمانويل بن جبرا زريق عند الارمن الله يرحمه . ورحت للصيد. ــ والخميس ، سركلوا

١) البرتيته من الايطالية اي دور اللعب
٢) يفرشوا الكلس على الحيطان

ابن الجمل الى عينتاب لاجل انه قبض المجيدي ٢٥ ، والليره ١٢٥ المجيديه والتنيه [على سعرها] ١٢٠ و٢٤ ــ والاثنين ، عند القنصل الفرنساوي صار ساخر كل من الافرنج نساء ورجال راحوا مغير كسوتهم كل واحد شكل وما بالليل اجوا للصليبه اناس مغيرين بدلاتهم مثل اولاد زلوم والشبطيني وغيرهم وارتمبوا خواتي لان كان نبابيد ٢ وسيف وترس ٣ والمسخره مقدار ٢٥ نفر وسمعنا ان باسلامبول سما السلطان لاثنين باشاوات يعقوب باشا والاخر لا نعرف اسمه . وبكنيسة السريان بديوا بتلبيس رواق لاول جنب الباب . وحفر قبور القسوس وعمارهم مقدار قبور . ــ والسبت ، وذكروا ان ثالث مرة نصبوا مكيده الى نابوليون ملك فرنسا ونجا منها ضمن الكروصه بالدرب زهقوا قنبرات ثلاثة وما ضروه الله نجاه . ودرب الصليب ارمن .

[٣٤٢] ــ الثلاثا ، بديت تقرا لوسيا غزاله بالسراعي . الساعة ٢ ولدت مراة الياس ضاهر جابت صبي ناقص عن ميعاده شيء يقولوا ٧ شهر . وبديوا يكتبوا بطق وغزاله . ــ الثلاثا ، والسقالة بكنيسة السريان فكوها ونصبوها بيت النسوان قدام الهيكل لتلبيس رواق الاول والقبور ما خلصوا . واجا من عند البير فين القهوة والسكر والباع وارسلنا مكتوبين لبغداد ولاسلامبول .

– والسبت ، في ٢٦ شباط ١٨٥٨

وبليط خلصت جردته واجا عندنا والمذكور شيرك بالثلث .[1]

[٣٥١] ــ الاحد ، ماء كز سريان . واول كز القس يوسف سكر وماء فكس القمر . ــ والاثنين ، بديوا تبليط الكنيسة قدام مار جرجس . وبدي يكتب ابن جرجي كتابه . وبديوا بالكتابة بطق وضاهر وغزاله وصاجاتي واخته . وبديت رياضة مار فرنسيس عندنا العصر قبل الصلاة للاولاد . ــ الخميس ، جفروا نزل عليه نزل فالج من الثلاثا ــ والاربعا ، باركت لفتح الله شامي بالعروس بنت انطون خاطي ــ والسبت ، ارسلنا مكتوب لألبر فين الى مرسيليا بطلب سكر برميل عده ٦ .

١) اي انه تعارف في ما ترتب عليه من الدراهم فلم يدفع ثلثها . . . لعدم حضوره (؟)

– في ٦ اذار ١٨٥٨ ، في ٢٣ رجب ١٢٧٤

والجمعة اخذت خلعة عبد الله جهامي طاقة شغل وينا [ثينه].

[٣٥٢] ــ الاربعا ، كسحنا الداليه [على يد] اولاد حاج طاها. وللان مزهره الانكي دنيا عندنا.[1]

– السبت ، في ١٣ اذار ١٨٥٨ ، في ٢٩ رجب ١٢٧٤

[٣٥٣] ــ والجمعة ، انتها رياضة مار فرنسيس عندنا بالبيت.

– السبت ، في ٢٠ اذار غ ، في ٨ ش ١٨٥٨ ، في ٦ شعبان ١٢٧٤

هذه الجمعة كثير رعبونا ان بدها البلد تقوم وخلت بالنا[2] لحد الجمعة . والمبلطين بالكنيسة عمالين ووصلوا قدام بيت النسران. ومن الخميس بديت اسعل سعله قويه الله ينهيها على خير.

[٣٦١] ــ الاثنين ، كنت مرشح وشربت درهم ٢٠ من افرنجي بحليب وصفة انطون الجد وخشخاش وحنطة مساء مغلي.

– السبت ، الازار ، غ في ٢٧ اذار ١٨٥٨ ، في ١٣ شعبان ١٢٧٤

وارسلنا مكتوب الى البير فين والى فخر وارسلنا لالبير فين فرنك ١٠٠٠ لاجل سكر ــ والاربعا ، طبخنا العرق مشروب الهنا واخراجه مليح وكبسنا الفلاقة . واولها اخذ جبرا فخذ من زهرة العسل من الصندوق فسره.[3] وكل الليمون والبرتقال الذي في البيوت من البرد والثلج يبس وتلف . وهذه الجمعة برد وهوا بارد كثير يابس الله يحمينا بجاه.

١) هذه التفاصيل البسيطة دليل على حب العليمة وعلى عناية بدقائق المخلوقات .

٢) لما دخلت فرنسة وانكلترة حرب القرم لم تحالفا الاتراك على المكوب الا بشرط ان يغير الاتراك اساس الحكم في الدولة فيعلنوا التساوي بين الاهالي على اختلاف المذاهب ويتمتع الجميع بجميع الحقوق المدنية في التشريع وفي تادية الضرائب وفي الحصول على الوظائف (معاهدات لوندن واستنبول وفينة. راجع لافيس وراسبو ١١: ٢٠٦)

وفي هذا الصدد قرىء في حلب فرمان عبد المجيد (راجع سابقاً [٢٤]) ولكن لم يكن لتلك الاصلاحات النتيجة المرغوب بها ولادق حدث في البلد يقلق المسيحيون ويخافون على حياتهم واموالهم.

٣) لعله لكي لا يتلف من البرد

[٣٦ب] ــ الاحد ، مساء كز سريان. وعلقوا ثربات عده ٧ والوسطانيه من اولاد الصباغ اخوه ٢ والجنابيات مقابيلهم من الدقاقين . ومن رزق الله بخاش واحدة . وصير مطران يوسف حايك سعرانات[1] للذين اوقفوهم. ــ والخميس ، رحت قداس الكبير ومساء الغسول عندنا.

– السبت ، في ٣ نيسان غربي ١٨٥٨ ، في ١٩ شعبان ١٢٧٤

[٣٦ب] ــ اولها ، عيد الكبير. سوا كل الطوائف. في ٤ نيسان ١٨٥٨، في ٢٠ شعبان ١٢٧٤

ــ الاثنين ، بليله توفى فتح الله بليط بن عم جبرا موت الغفلة ورزق الله خوري موت ربه . الله يرحم الاثنين وقبروهم . بالليل صار مطر ورعد وبرق وبرد صغار ــ والثلاثاء ، صار مطر بالنهار ايضاً ــ الاربعا ، قعد عندي باسيليوس بن عبد الله ثابت وطلع من المدرسة التي للروم وبدي يكتب اجير زعوم زلعوم.

– والسبت ، في ١٠ نيسان ١٨٥٨ .

وولدت مرأة فرنسيس عجوري جابت بنت ونبهوا على الحلويات [ألّا تقدم للضيوف في الزيارات].

[٣٧أ] ــ الاثنين ، توفت بنت رزق الله حمصي عمرها سنة . وانتقلوا بيت سالم لحوش الجديدة. ــ والاربعا ، باركت لهم بالحوش وعازار تصالحوا مع بنتهم ونعمان ما سافر الذي نازل عندهم. ــ والاثنين ، قعد جرجي بن فتوح الطحان اخو انطانيوس. ــ والاربعا ، اول رمضان.

– والسبت ، في ١٧ نيسان ١٨٥٨ ، ٤ رمضان ١٢٧٤

وثابت بن بنت هندوم رجع للمدرسة بن عبد الله ثابت.

[٣٧ب] ــ الاربعا ، ودعت بيت اليان حمصي رايحين الى انطاكية يجيبوا عروس الى ابنهم مخائيل ــ والاثنين ، ماتت مراة انطون حموي وقعد عندي

---

١) السعرانة : صلاة ابتهال للعذراء تُقال في وقت الضيق او الحاجة او لاي داعٍ آخر. وهي في الطقس السرياني كالباركليسي عند الملكيين.

اخر بولس خوري اجا من مدرسة الروم.

– والسبت في ٢٤ نيسان ١٨٥٨ ، في ١٢ ش ، ١١ رمضان ١٢٧٤

وطالعنا بعمل ياسين بجري وزرعنا الذي جبناه من [بستان] خلاص وقالوا وقع شمال مطر زايد وبرد كبار. وتزلات وحدفات ووجع حلوق وسملات كثير ومطران نيغوغوص رجع برصن[1] واستقام كاثوليكي جمعه ١٢ .

[٣٧ᵃ] ــ الثلاثا ، رحت كتبت [على] كياس توتون وخرجيه ٢ الى بيت براهيمشاه لاجل تزركش . ــ والجمعة ، بدي شهر المريمي عندنا بالبيت بقسم الوردية . وزنكيته وبويو جوستيني سافر الى عينتاب وابن عمي سافر مرعش واشتريت شالــه ٣٥٠ غرش وايضاً فحم قنطار ١١٠ وايضاً حطب ٣٠ وايضاً جبنه ٤٥ سعر ٧٤.

– السبت ، في ١ ايار ١٨٥٨

وسافر انطون تركماني لادنه . ورفعوا بيت ٢ لحد البراطيش يكون معلوم. واولها عرس بن الياس قسيس لبنت حنا قاق.

– السبت ، في ٨ ايار ١٨٥٨ ، في ٢٥ رمضان ١٢٧٤

[٣٨ᵃ] ــ والمبره بالقلاية الكبيره عماله وسافر قس بولس قصار الى عند البطرك واجا قس يوسف اسلامبولية بغير ارادة البطرك وما قدس يكون معلوم.

[٣٨ᵃ] ــ رحت دفيت الى خنادق الى مراة ليان حصي وابنها وبنتها ومعهم العروس بنت حنا اديب انطاكي من انطاكيه بتختروان[2] ــ والجمعة ، عيد المسلمين.

– والسبت ، في ١٥ ايار ١٨٥٨ ، في ٢ شوال ١٢٧٤

والاربعا ، اجا يوسف بن شوكتلي من ازمير وتعشيت عندهم . ــ واولها ، عرس بن سيوفي لبنت البطال انطون وانعزمت لعرس بنت اليان الاحد ، اولها كنت بالعيد فيجوا عزموني يوركي وابن عمه. (لها صلة)

١) صار ارمن بسن البرنس لان المطران عند الغريغوريين يتعلى رأسه بما يشبه غطاء البرنس

٢) التختروان عبارة عن تخت او سرير يرفع ويركب على خشبتين فيحمل على دابتين

من تاريخ لبنان المعاصر

سمعان اللبكي وابنه غطّاس

بقلم ميلاد رزق الله ، قائمقام قضاء المتن

اوّل الكثير غير المدوَّن من التاريخ اللبناني ، حافلٌ بالروائع والعبَر ، وهذا العصر بحاجةٍ الى الاطلاع عليها للاقتباس والذكرى. ومن هذا الكثير صفحة من تاريخ لبنان يوم ارسل فيه المثل البليغ المأثور « هنيئاً لمن له مرقد عنزة في جبل لبنان ! » سأحاول الإلمام بها دارساً بنوع خاصّ شخصيتين بارزتين اذ ذاك هما سمعان اللبكي ، وابنه غطّاس

سمعان اللبكي

حكم الامير حيدر ابي اللمع

يتم سمعان من ابيه ولدًا وحيدًا ، قاصرًا . وكانت مخايل النجابة والذكاء لامعة فيه . وكان من المفروض ، بعد يتمه بهذه السن ، ان يبتدئ يكافح من صباه في سبيل الحياة.

غير ان امه ، وكانت مثالًا من العصامية والشمم ، ابى عليها انوثتها ان تهون للدهر ، واوحت اليها فراستها ان في نفس ولدها تربة خصيبة جديرة بالعناية ، ومن الحيف ان تهمل . ففرضت على نفسها واجب الامومة فوق واجب الامومة ، وجعلت تكافح حتى استطاعت ان تعلم ولدها وتثقفه.

وكان من فضل الاكليروس الماروني على العلم ان مطارنة الارشيات كانوا يفتحون مدارس ابتدائية في القرى ، كانت تعرف « بمدرسة تحت السنديانة » وكانت المعاهد الوحيدة في البلاد . وكان من حظ سمعان ، وحظّ امه وامته ، ان ينتدب مطران بيروت لمدرسة بعبدات معلماً متخرجاً في مدرسة عين ورقة . فاخذ سمعان عن الشدياق يوحنا ابي زيد ، من ساحل علما ، مبادئ الاصول

العربية والسريانية والآداب الدينية ، واجاد الخط ، والحساب ، والانشاء العصري.

وكان لسمعان ، فوق مواهبه العقلية والنفسية ، موهبة صوتية ممتازة . فعني الكهنة بتلقينه الانغام الطقسية يستعينون بصوته في الحفلات الدينية.

وكان الحاكم الاقطاعي في ذلك الزمن على المتن والقاطع الامير حيدر اسماعيل ابي اللمع، سيد قصري صلبا وبكفيا، وهو من اجمع المؤرخون والرواة انه من افضل من ولي الحكم بعدله وحكمته وحلمه ودينه . وهو اول امير اعتمد في حكومته على نوع من الشورى .

بلغ الامير خبر سمعان . فاستقدمه الى قصره واقامه خادماً لمبد القصر . وفتن الامير صوت سمعان فضن به ان يشذ عن اصول الايقاع ، فاقام له الملحن المشهور الخوري جرجس فرح معلماً. وكان سمعان لا يزال في مبتدا العقد الثاني ، فاقتبس من خدمة الامير ، ومن تعليم الكاهن ، دعائم لذكائه ، ومبادئه ، وجودة عنصره ، جعلته رجل عصره في ادوار الحياة.

وارتاح الامير الى معارف سمعان ومبادئه واخلاقه ، فاتخذه كاخية ، واعتمده طول حياته في عهدي حكمه الاقطاعي والنظامي. و«كاخية» الامير امين سره، ورئيس كتابه.

عندما دالت دولة الامراء الشهابيين نفضت السياسة التي كانت مقررة لاضعاف لبنان ان يقسم الى قائمقاميتين : واحدة للنصارى ، وواحدة للدروز ، وجعلت طريق الشام حداً بينهما . وعين الامير حيدر قائمقام النصارى . فتناولت ولايته مقاطعات المتن ، وكسروان ، وزحله ، والبترون ، والكوره ، وما يليها حتى النهر البارد في عكار.

وكانت للامير شخصية بارزة ، ورأي سديد ، ونظر بعيد . فلم يستقل بادارة الاحكام . بل استعمل الشورى والف ديواناً يسترشد بآرائه فازدهر حكمه واشتهر عدلاً وحزماً وحلماً.

واختار لهذا الديوان ثلاثة اركان من رجال الحصافة والحكمة ، والاصالة ، والوطنية واعتمد عليهم ، ووكل اليهم ان يسنوا للاعمال دستوراً يحدد حقوقه وحقوق معاونيه ، وواجبات الوظيفة والامة عليه وعليهم جميعاً.

فوضعوا نظاماً بسيطاً ، جامعاً ، موجزاً ، ذا شقين : الاول يحدّد حقوق الحاكم على معاونيه ، ويقيّده بمشورتهم ، وتنفيذ ما يقررون . والثاني يحدّد حقوق معاونيه عليه . وكلا الشقين يوجبان على الحاكم ومعاونيه السهر على مصالح العباد والعمل بنشاط ، حتى في الليل ، عند مقتضى الحال . ويفرضان عليهم طهارة الوجدان ، وحياة الضمير ، والعفة ، والنزاهة ، والتجرد عن الميول لا سيما العاطفية ، والسرعة في قضاء المصالح ، ومراعاة اصحاب الاماكن البعيدة في تقديم اعمالهم وسرعة انهائها ، ولا سيما الفقراء .

ولا بأس بايراد نصّ هذا الدستور ، فان فيه ، على ايجازه وبساطة مبناه ، معاني طريفة ومبادئ سامية لا غنى عنها في عصرنا على شدّة التباين بين العصرين ، من حيث العلم ، والتمدن ، والفن ، والرقي . وهذا هو النص :

يجري العمل بما هو مذكور بالدقة والتحري
في ١٣ ايار سنة ٥٣ الختام
حيدر اسماعيل

بيان القرار الذي صار في انتظام القائمقامية ما بين سعادة القائمقام وما بين ارباب الاعمال المختصة في ديوانه

بند اول

هوامش بخط الامير نفسه

١ — يطلب من سعادة القائمقام بان يجتمع يوميا مع الكتاب ويتخابر معهم اقله ساعة باول النهار ام في اواخره ويصير الالتفات الى المداولة وقبول الراي الصوابي منه

هذه غير ممكنة الا بعض ايام

٢ — يلتمس من القائمقام بان لا يأمر بامر كلي كان ام جزوي الى الكتاب بلسان احد اجنبي عنه الا اما بالكتابة اما بطلب احد لديه ويأمر بما يكون ويصير الاجراء كما يقر القرار اذا لزم مراجعة

يجرا ذلك على الكليات فقط وان امكن بالجزئيات

٣ — جميع الاعراضات والتحريرات التي ترد باسم سعادته فمن الضروري ان يطالعها قبل الجميع ولذلك

المختصة فقط والمفتوحة يكن سلوم طلب صاحبها تقرا وتعرض

يطلب من عدالته بان يعطى وقتا ملايما لقبول ذلك كي لا يحصل ثقلة على دمته من الاهمال في تعويق اصحاب الاشغال فالتي يقتضى احالتها الى المجلس تحال والتي يمكن انهاوها في ديوانه تتحول اليه ثم جميع التحريرات التي تصدر من ديوانه لاي جهة كانت ولو جزئية لا بد له قبل ان يمهرها اما انه يطالعها بذاته اما ان يقراها عليه اخر منهم على انفراد دون حضور احد اجنبي ولا يحصل ضجر من سعادته عند ثقل الاشغال وازدحامها كما يطلب من دمته لجانب العدل الالهى

بحسب اللزوم والامكان

٤ ــ كون الامر يحتاج من سعادته الى الثقة الكاملة بجميع ارباب عمله فكذلك يطلب منه ان يصهر على اعمالهم واذا لحظ على احد شيء مغاير فيلتمس من سعادته استعمال الدقة بالفحص السري عن ذلك ولدى الثبوت يصير مطالبت المشكى عليه سرا والمبادرة لاصلاحه اذا كان ذلك من الاشياء الممكن اصلاحها واذا كان ذلك من الاشياء الجسيمة فيصير الحاقها واجراء مقتاضها بوجه العدالة

بند ثانى

١ ــ يطلب من الكتاب اصحاب العمل المذكورين الامانة والاخلاص وحفظ السر واعطاء الراي الصايب البعيد عن كل غاية بشرية حاضرين كل الحذر عن التصحب والميل لا سيما نحو محبة اللحم والدم

٢ ــ يطلب من المذكورين بان لا يبتوا امرا ولا يحلو مشكلا ولا ينهو مشغلة من قبل ان يكن صار

اجراء ذلك واشهاده من سعادته ثم لا يحق لهم ان يفتحوا او يطالعوا التحريرات المختومة الواردة باسم سعادته ويلزمهم ايضا ان يعرضوا لسعادته جميع الكتابات الواردة باسم كل منهم واذا وجد مضمونها متعلق باشغال القائمقامية ويعتمدوا امره بها

٣ — يطلب من اصحاب الاعمال المذكورين ان يعرفوا الزامهم بمعاطات وظائفهم بالنشاط والصهر والتيقظ وان لا يدعو احدا يتضرر من قبل اهمالهم عالمين بان الله يطالبهم عن مثل هذا الاهمال لكون المعاش المرتب لهم لا يستحقونه الا بمقابلة اتعابهم ومثل ذلك يطلب منهم عدم تعويق واعطاء اجوبة التحريرات لاي من كان باوقاتها ولا سيما ماموريات اوليا الامور وافادات امنا الدول الاجنبية ثم باقي التحريرات حسب مقتضاها ويتلاحظ ثقل المشاغل وبعد امكنت اصحابها وفقر حالهم والاضرار التي يتكبدوها من قبل الاهمال لان الله هو المراقب على اعمالهم والمجازى عليها

٤ — انه لمقتضى قانون العدل والذمة والرسم الملوكاني بان جميع المامورين والمتوظفين يلزمهم ان يبتعدوا عن الرشوة وعن قبول جميع الهدايا كلية كانت ام جزوية ولو باي حجة كانت فلذلك يلتمس عن عدالة سعادة القائمقام ويطلب من المتوظفين وساير المتعاطين اعمال القائمقامية بان يبتعدوا كل البعد عن كل رشوة وعن قبول كل هدية حسبما ذكر ولا يقدر احدهم ان يطمن ضميره او يفتي لنفسه في قبول شيء من ما ذكر لا بنفسه ولا بواسطة اهل بيته ام اولاده ام خدمه ولا عن يد اجنبية لا داخلا ولا خارجا لا

سرا ولا جهرا تحت ثقل الخطا الثقيل والذي يثبت عليه شيء من ما ذكر يجرا عليه بمقتضى القانون والذي لا تشهر ذلته الله هو المراقب عليه والمنتقم منه

ويقدروا ان يكون حضورهم للديوان بايام الصيف قبل الشمس وبالشتا شروقها ويلزم يبقى منهم انسان الى قبل الغروب وذلك بالمداورة بينهم كي لا يتعطل شروط الترتيب او يحدث ثقله

٥ — يطلب من اصحاب الاعمال المذكورة ان يحضروا الى الديوان ويتعاطوا الاشغال يوميا من الساعة واحدة ونصف بعد الشمس الى قبل الغروب بساعتين ما عدا يوم الاحد والعيد والجمعه التي لا يكون فيها عيد بطالى فيتعطل نهار الاربعا للراحة فهذا هو الرسم الاعتيادي واما عند حدوث اشغال مهمة او غير اعتيادية فينبغي الاهتمام بنهايتها وان لزم الامر فيكون العمل بالليل ايضا

٦ — فمن كون سعادة القائمقام قد اعتمد ويعتمد دايما على ارباب اعماله المذكورين في كافة اشغال القائمقامية وهو واثق بخلاصهم كما قد تعهدوا على انفسهم بذلك وبالمراجعة لسعادته بكل امر يقتضي فلذلك بمقتضى هذا الترتيب يلتزم المذكورين ان ياخذوا على انفسهم درك كل ما يتعطل في الاعمال المذكورة وان يحذروا كل الحذر من حدوس المنقضات بالاوامر التي تصدر ومن اجراء المظالم والتغييرات المخالفة للرضى الرباني ولوليا الامور لانه يطلب من اصحاب مثل هذه الوظائف ليس فقط العدل بل والحزم ايضا

في ١٣ ايار سنة ٨٥٣

قابل بما فيه	قابل بما فيه	قابل بما فيه
سمان لبكي	عبد حاتم	مخايل نصار

هذا هو النظام الذي جعل حكومة الامير حيدر حكومة صالحة ، رشيدة ، سجل التاريخ مآثرها في امجد صفحاته . وسيجيء الكلام عن غطاس فنرى انه

كان ، في خدمة المتصرّفين ، اميناً على المبادئ التي اشترك ابوه بسنها في دستور الامير ، وكانت كل فضائل هذا النظام موفورة في نفس غطاس في عهد لم يكن كل زملائه كزملاء ابيه.

مات الامير حيدر بعد اثنتي عشرة سنة من ولايته القائمقامية مرحوماً مأسوفاً على شخصيته وفضائله ، فخلفه الامير بشير احمد ابي اللمع ، سيّد قصر برمانا . واتخذ الامير بشير ايضاً سمعان كاخية له . ولكن هـذا الامير لم يوفق في حكومته ، رغم مقدرة الرجال الذين ألف منهم ديوانه . فعُزل بعد اربع سنوات ، وولي بعده الامير حسن فلم يطل حكمه ، بل عزل في السنة الستين ، وأُسندت القائمقامية الى يوسف بك كرم. فتولاها ثمانية اشهر. ثم وضع بروتوكول متصرفية جبل لبنان ، وعُيّن داود باشا متصرفاً على الجبل ، وانشئ بجانبه مجلس الادارة الكبير فانتُخب سمعان فيه عن موارنة المتن وتوالى تجديد انتخابه فيه مدة داود ، وفرنكو ، وبعض مدة رستم.

حكومة المتصرّفين

ان حكومة داود باشا جاءت عقيب اضطرابات داخلية ومعارك طائفية تركت في البلاد بحيرات من الدماء ، ومزّقت وحدتها شر ممزق ، وفرقتها طوائف دينية ، والقت في الخواطر قلقاً ، وفي النفوس غلياناً ، وبين الطوائف بغضاً وحذراً.

وكان مفروضاً على اول حكومة بعد البروتوكول ان تضع للبلاد نظاماً ينطبق على روحها وعاداتها وطبائعها وتقاليدها ، ويوافق بنوع اخص تلك الحال الروحية التي كانت سائـدة من حيث الانقسام الطائفي عقيب تلك الفواجع والجلائل.

وبالرغم من خراجة الظروف ، فقد توفقت حكومة داود باشا التأسيسية الى تنظيم لبنان باقضيته ونواحيه ، ومحاكمه ، ومخافره ، وموظفيه ، تنظيماً يراعي الطوائف والمناطق ، ويوازن بين حاجات الشكل الحكومي ومقدرة المكلّف ، ويحفظ العدل ويوصل المتداعين الى حقوقهم بطرق سهلة المنال قليلة النفقات ،

فضلاً عن هيبة الحكومة التي كانت وازعاً بين الناس وحاجباً للدماء . وبلغت الحال من السلم العام انه ان حدثت حادثة قتل ولو عادية تردّد صداها في البلاد ، واهتمت لها الحكومة اهتمام الحكومات الاخرى بالفتن.

وقد نعم اللبنانيون بهذا النظام وظلوا يرغدون بحسناته ، منذ ما وضع حتى دهمته الحرب الكبرى ، وشرعت السياسة والتجارب تهدم في اركانه.

اجل ، ان تنظيم لبنان الصغير ظلّ محتفظاً بانطباقه على حاجات البلاد والعباد، رغم تقلّب الاحوال بتقلّب الرجال ، ورغم تطوّر الاحكام باختلاف الحكام. وظل اللبنانيون يرغدون به ويحمدون حتى حسدهم جيرانهم ، واتخذوا من لبنان موئلاً عند الملمات . وكان اللاجئ الى لبنان امنع من عقاب الجوّ . وعلى ذلك اطلق المثل المشهور القائل : « هنيئاً لمن له مرقد عنزة في جبل لبنان ! »

كان مونتسكيو يقول : « ان الذي يضع القوانين هو اقليم البلاد وتاريخها وعادات اهلها وطبائعهم ».

ولقد كان تنظيم لبنان كما وصفنا لان الذين وضعوه هم شيوخ لبنانيون حنكتهم الخبرة والتجربة ، وتضلعوا من السياسة اعواماً وكان في مقدمتهم سمعان اللبكي الذي تمرس بالسياسة والادارة منذ ما ترعرع على يد ذلك الحاكم الفذّ الامير حيدر . وظل يرافق السياسة اللبنانية في جميع ادوارها حتى جاء دور داود ، وانتُخب نائباً في المجلس الكبير ، وكان من أرجه المعوّل عليهم في هذا التنظيم.

وعاش سمعان نائباً لامعاً له في المجلس شأنه المشهور. وظل انتخابه يتجدد، حتى جاء دور رستم باشا.

كان رستم باشا كثير الفضائل والحسنات. ولكنه تورط في محاربة الاكليروس الماروني ، وبلغ به التهوّر الى نفي الرجل الكبير المطران بطرس البستاني.

وراع سمعان هذا التهوّر فلم يتورّع ان يصارح رستم بما في هذه السياسة من خرق وخيم العاقبة ، وان ينهاه عنها بالنصيحة. فوقع ، بهذا السبب ، وبسبب آخر ، سوء التفاهم بين الرجلين.

كان رستم سريع الانفعال، شديد الانتقام. ولم تكن حسناته الجمة ومداركه

الواسعة لتهذب من نفسه هذه السوة فاضمر لسمان الخصومة. وعندما حان موعد الانتخاب النيابي في المتن ارعز الى الامير يوسف علي ، قائمقام المتن ، ان يناوئ سمان ففعل . ورسب سمان . وفاز بالنيابة يوسف افندي حبيب الزغزغي . وظهر الزغزغي رجل عمل وعصامية ووطنية شأن معظم المتنيين الذين توالوا على كراسي النيابة أو تولوا اوائك الاحكام.

ثم ان رستم لم يتناسَ ما كان لسمان من آثار جلى وآيات مثلى في خدمة البلاد طيلة الحياة فتدارك ما فعل ، وعينه مديراً لصندوق المال في قضاء المتن، ثم نقله مديراً لناحية عبيه ، ثم مديراً لناحية جبيل.

وعندما انقضت ولاية رستم ، وسادت حكومة راضا باشا ، آثر سمان الاعتزال فاستقال ، وانصرف الى اعمال البر والتقى استعدادا للحياة الخالدة . وفي مبتدأ العقد التاسع مات ميتة صالحة مبرورة ، متمماً واجباته المسيحية . وخلف اربعة رجال : فارساً ، وكروان ، وغطاساً ، وميلاداً.

اما فارس فكان موهوباً بالقوى العقلية والبدنية ، ولكنه كان حيراً . فاستخدم مديراً لسجن المتن. ومن الطرائف التي تدل على مقدار القوى البدنية فيه هذه الحكاية شهدها ورواها المرحوم جدي ابو حاتم سعد رزق الله قال:

كنت في زيارة فارس بدائرة السجن ، وجاء الضابطة ببدوي موقوف . وكان المركز في جديدة المتن ، وامام السجن بستان رملي مشجر بالتوت. وعند باب السجن تمرّد البدوي لا يدخل واعتصم بكلتا يديه بشجرة توت في عنفوانها. ووقع نضال بينه وبين الضابطة فاعجزهم ولم يزحزحوه . وتحمس مدير السجن لما شهد ، فانتخى وامسك بالبدوي ، ونتره نترة واحدة اقتلعت البدوي والتوتة واصولها من تحت التراب ، واصبحوا جميعاً داخل السجن.

والراوي كان على جانب من الرزانة والبطولة والرجولة ، وكان يروي هذا الحادث بالدهشة والاعجاب.

اما كروان فكان حسن الخط فاتخذه الامير يوسف علي ، قائمقام المتن ، كاتباً للقائمقامية . وميلاد كان من رجال الاقتصاد فانصرف للتجارة في مصر والري.

غطّاس اللبكي

واما غطاس ، بيت القصيد ، فهو مجموعة من الاخلاق والآداب والفضائل قلما يجود الزمان بمثلها.

وُلد غطاس في ٢ اذار سنة ١٨٤٨ ونشأ في بيت ابيه على المبادئ التي عرفناها في الوالد، والعصامية التي عرفناها في الجدة . وفي مدرسة القرية ، تحت السنديانة ، تلقى مبادئ القراءة والخط. وكما كانت مدرسة بعبدات موفقة على عهد ابيه الى معلم ماهر كانت على عهده موفقة الى معلم امهر ، هو الشدياق حبيب الزيناتي من بحرصاف ، احد ابناء جمعية القديس كفاريوس اليسوعية.

وكما كان للاكليروس الماروني الفضل الاعم في نشر المعارف في قرى لبنان حتى المزارع ، كان للحكومة الافرنسية فضل تاريخي في نشر العلوم العالية في المدارس الراقية. فقد كان للقنصلية الافرنسية منح مدرسية في المدارس الكبرى تخصّها بالنابهين من ابناء البيوتات الكبيرة.

وكان غطاس واحداً ممن نالتهم منحة القنصلية ، فدخل مدرسة عينطوره سنة ١٨٥٧ ، وعمره يومئذٍ تسع سنوات وجعلت مرتبته بالصف الابتدائي. وفي السنة الثانية وثب الى الصف الثالث ، وفي السنة الثالثة وثب ايضاً الى الصف الاول، وفي السنة الرابعة احرز الشهادة النهائية ممتازة وهو ابن ثلاث عشرة سنة. ولم يكتفِ بهذا القدر من العلم بل رغب ان يتعمق في الادب الافرنسي. وكانت حداثة سنه تسمح له بالبقاء في المدرسة فراجع دروس الصف النهائي سنة خامسة، وخرج ابن اربع عشرة سنة متقناً الادب العربي والادب الافرنسي والعلوم.

ولم تشبع نفسه مدرسة عينطوره ، وهي ارقى مدارس عصره ، فعكف على المطالعة في بيته حتى اصبح واسع الاطلاع في التاريخ والفلسفة والاجتماع والاقتصاد والسياسة والهندسة والفنون الجميلة.

وظل يدرس على نفسه كل ايام حياته ، فيأتي من عمله الى مخدعه وينكب على الدرس والمطالعة . وحدث على عهد فرنقو باشا ، وكان هو كاتباً في القلم العربي ، ان جاء من عمله فوجد في البيت اجتماعاً معقوداً من ابيه ومن المرحومين

الشيخ بشاره الخوري ، والشيخ عبد حاتم ، وحسن بك شقير ، فقام بواجب المجاملة ثم انصرف الى مخدعه للمطالعة فاستدعاه المجتمعون واخذوا عليه انزواءه عنهم،وهم في مجلس ابيه لشؤون وطنية، فاعتذر قائلاً: « انتم تهتمون بما للحاضر وانا اهتم بما للغد ».

كان غطاس موهوباً في الخطابة والانشاء. فاذا خطب او كتب اوجز واحاط باطراف المعاني بغير تكلف او تردد . وكانت له حافظة امينة في الترجمة قلما وجدت في غيره . يقف المتصرف فيخطب بعض الساعة ثم يقف غطاس فيترجم بطلاقة لسان ورباطة جنان ، فيؤدي معاني المتصرف بالضبط والدقة لا يغفل شاردة ولا يبهم معنى.

ودرس اللغة التركية ، اذ كان موظفاً ، فاجادها في ثمانية اشهر وكتب بها. وقد عثرنا في مخطوطاته على اقتراح منه باستعمال الحروف اللاتينية للغة التركية. فيكون الذي نفذه كمال اتاتورك في عصرنا هو ما اشار به غطاس منذ نصف قرن.

وعثرنا ايضا في مخطوطاته على قطعة طريفة في اصول الموسيقى والايقاع قابل فيها الفروق بين الموسيقى الشرقية والموسيقى الغربية ، ووصف تأثير الواحدة من الموسيقيين على الامة الاخرى ، وبحث في الضوابط التي اخترعها الافرنج لموسيقاهم وتحداهم في اختراع ضوابط للموسيقى الشرقية مقيدة بحروف وارقام ونقط ، وكان يحسن من الموسيقى الشرقية عزف الكمان.

وسنة ١٨٨٥ كان رجل العلم والعمل المطران يوسف الدبس معتنياً عنايته الكبرى بمدرسة الحكمة. ولحظ هو وغطاس ان كتب التدريس الموضوعة لقواعد اللغة الافرنسية انما هي موضوعة لابناء فرنسة ، وان المدارس الشرقية بحاجة الى كتاب يوضع خصوصاً للشرقيين فكلف المطران غطاساً فوضع الكتاب ونشره ، واستعملته مدرسة الحكمة وسائر المدارس اللبنانية والسورية ، وهو اول مؤلف لقواعد الافرنسية مشروح بالعربية باسلوب من السهل الممتنع.

وله قصائد عديدة باللغة الافرنسية . اما مؤلفاته النفيسة التي يؤسف على ضياعها فهي تاريخ لبنان وجغرافيته ، ومعجم رجال لبنان العاملين ، وقاموس عربي-افرنسي يقال انه كان افضل ما وضع من هذا النوع . هذه المؤلفات لم

تنشر بل بقيت مخطوطات ثم لعبت بها يد الجهالة بعد موته فسرقت وبيعت للدكاكين خلال الحرب الكبرى ورقاً للصرّ ، ولم يسلم منها الّا القليل. ولكن هذا القليل نفيس بلغته ومعانيه ، وهو حريّ بالنشر .

ولنعد الى الحديث عن الناحية العملية :

انقلبت سياسة لبنان السنة الواحدة والستين الى نظام المتصرفية ، وكانت البلاد بحاجة الى المعارف. وكان داود باشا اول المتصرفين ، وكانت له حسنات منها العناية بنشر المعارف،فانشأ في عبيه المدرسة الداودية الشهيرة، وعني بها عناية خاصة ، وفتش لها عن رجال اكفاء يديرون شؤونها وصفوفها.

سأل ادارات المدارس العليا عن اسماء النابغين في مدارسهم . وكانت ادارة عينطوره معجبة بوثبات غطاس في تلقي العلوم ورسوخ قدمه فيها ، وبعبقريته وسرعة خاطره ، وبعراقة نفسه في الجودة والنبل والمبادئ ، فجعلت اسمه في رأس لائحتها . فاستدعى المتصرف غطاساً وولاه في المدرسة الداودية بعض الشؤون.

وهنا فضيلة من فضائل السياسة اللبنانية القديمة تلفت اليوم النظر وتدعو للعبرة . وذلك ان سمعان اللبكي كان مقرباً من المتصرف ، وهو نائب المتن في المجلس، ومع هذا لم يقدم له ابنه ولا التمس له عملا في دوائر الحكومة . ولولا ادارة عينطوره ، لما عرف داود باشا ان لنائب المتن ولداً نابغة تحتاج اليه الدواوين.

بدأ غطاس حياته العملية فبرزت عبقريته تتهادى بين الدعة والبساطة وانكار الذات. ولكن سوء البخت جعل زنابق نفسه الناضرة في جوار شائك حاد . فما شرع يلمع في مهنته بالمدرسة حتى دبت روح الحسد في واحد من زملائه فجعل يكيد له.

وغطاس كان نبيلاً مترفعاً ، راسخاً في المبادئ المسيحية،فقابل الحسد والمكائد بالتساهل والاغضاء . ولكن الحسود لم يعتبر بهذا الكبر الشريف بل زادته نبالة غطاس اشتعالاً يلتهم صبره ويضيع رشده حتى دس السم لغطاس في شرابه تخلصاً من حياته . وفعل السم بجسم غطاس. ولكن الطب تداركه فوراً لمعرفة

نوع السم اذ كان لا يزال منه في الابريق وفضحت الجرعة. وهنا ظهرت اخلاق غطاس باجلى معانيها ، وتألقت روحه المسيحية بازهى فضائلها ، فهو فتى في الخامسة عشرة او السادسة عشرة من عمره لم يتغلب عليه نزق الشباب ولا خامره حب الانتقام ، ولا لجأ الى المحاكم للاقتصاص بل صفح عن حاسده وتخلى له عن منصبه واستقال.

ولئلا يتبادر الى ذهن ان للعجز تأثيراً في هذه الشهامة اذكر المطالع ان غطاساً ادى للشهامة هذا القسط العظيم وهو في ريعان عزه وقوته ، اذ كان ابوه نائباً عن المتن في مجلس الادارة الكبير فضلاً عن حظوته هو في عين المتصرف.

استقال غطاس من وظيفته في المدرسة الداودية ، فلم يشأ المتصرف ان يستغني عن علومه ومواهبه فعيّنه كاتباً في القلم العربي . وظل في هذه الوظيفة مدة داود ومدة فرنكو ايضا حتى ايام رستم باشا .

وفي السنة ١٨٧٣ ، قدم رستم باشا متصرفاً ، بعد ما عركته السياسة وعركها في مراكز عالية . اذ كان سكرتيراً لنجيب باشا يوم ارسل لاخضاع علي قرمانلي باشا ، والي طرابلس الغرب سنة ١٨٣٦ . ثم رقي معاوناً لفؤاد باشا في بخارست سنة ١٨٤٨ . ثم جعل سكرتيراً عاما لنظارة الخارجية ، ثم وكيلاً سياسياً في تورين . ثم رقي الى رتبة سفير ووجه الى رومية بمهمة خاصة وقت التئام المجمع الفاتيكاني سنة ١٨٧٠ . ثم عُيّن سفيراً في بطرسبرج. ومنها نقل الى لبنان شيخاً وقوراً مهيباً ، بعد اختبار سبع وثلاثين سنة في سياسة الدولة العثمانية باعظم مراكزها.

وكان ، فضلاً عن هذه الحنكة ، عالماً واسع الاطلاع طلق اللسان قوي الحجة ، يسطو على اذهان جلسائه بسمو مداركه ، ويحرص على هيبته في مجلسه كل الحرص.

وكان في حكومته عادلاً منصفاً لا يراعي في الحق . بل كان يزداد شدة اذ تكون الدعوى بين ظالم قوي ومظلوم ضعيف حتى تكاد شدته تتجاوز حدود الانصاف.

وكان حديد المزاج ، قوي المراس ، ماضي الاجراء ، شديد الرقابة يشرف

بنفسه على اعمال المتصرفية جميعاً حتى احكام القضاة . ولم يكن يصدر من محكمة الاستئناف حكم جزائي الّا بعد اطلاعه عليه وعلى ملفّ الدعوى واستحسانه له. فسارت الاعمال في عهده سيراً حميداً ، وسادت هيبة الحكومة. ولم يكن للرشوة اثر مدة ولايته لانه كان قاسياً مستبداً سريع العزل. فكانت حكومته تعطي الحق لصاحبه عن اخصر الطرق فلا تهدر من اوقاته ولا تضيع من امواله.

قلت ان رستم قدم سنة ١٨٧٣ ، وفكّر فور وصوله ان يختار له مستشاراً صالحاً يعتمد على علمه وخبرته واخلاصه ، فكتب الى ارباب المعاهد العالية يسألهم عن نوابغ معاهدهم فوردته الاجوبة وكان جواب عينطوره مصدراً باسم غطاس . وكان غطاس لا يزال في كتابة القلم العربي ، فاستدعاه المتصرف اليه وجعل يختبره ولم يلبث ان رقاه الى رئاسة القلم العربي ، وجعله مستشاراً ، وترجماناً خاصاً ، وناظراً للمعارف . فقام غطاس بشؤون هذه الوظائف جميعاً ، يتناول عنها مرتباً واحداً هو مرتب رئاسة القلم العربي . وهذه حسنة من حسنات ذلك الزمان.

كان غطاس في الخامسة والعشرين من عمره يوم اتخذه رستم باشا مستشاراً له. ومن يعلم ان رستم باشا كان شيخاً من دهاة الاتراك المعدودين في السياسة ، كما تقدم عنه الكلام ، يعلم قيمة غطاس اذ يكون بهذا السن مستشاراً لذلك الشيخ . واعتمد رستم على غطاس ، واخلص غطاس لرستم . والمطلعون على مجرى ذلك الزمن يعرفون ان لغطاس فضلاً في كثير من الشؤون التي خلدت لرستم ذكراً حميداً في تاريخ حكومة لبنان.

وانتشر ذكر غطاس ، واشتهرت حظوته في عين المتصرف الحديدي ، فهرع الناس اليه قصد لمصالحهم . فكان يخدم القاصي والداني بمروءة وشرف ودعة وتكران ذات ، وظلّ في عزه كما كان في عزلته ، بنفسجة متخمة تختبئ ازهارها بورقها فلا يعرف بها الناس لولا اريجها .

وتزوج غطاس فكان في بيته مثالاً أعلى لارباب العائلات. وزوجته من اعلم بنات عصرها وارقاهنّ ثقافة ، سليلة بيت عريق في الوجاهة والعلم والاخلاق ،

هي ميّ الشدياق كريمة العلامة الشيخ طنوس يوسف الشدياق ، صاحب كتاب « تاريخ الاعيان في جبل لبنان ».

ولكنه لم يرزق بنين فتبنى ابن اخيه المرحوم نعوم لبكي الذي عرفناه رئيساً لمجلس النواب اللبناني ، ومنشئاً وصحفياً من الطبقة العليا.

ومن فضائل غطاس السياسية ان اباه خسر كرسي النيابة بسبب مناوأة القائمقام له في انتخابه ، وكان هذا الامر في عهد رستم باشا ، وكان في طاقة غطاس ان يتدارك هذا الحدث لو كان من خلقه ان يزدلف الى المتصرف، وهو عنده في المقام الذي عرفنا.

واستمرّت ولاية رستم باشا عشر سنوات وثلاثة اشهر : ثم اجتاح البلاد دور واصا باشا بقضه وقضيضه. وادرك غطاس بفراسته ، فور تعرفه الى كريليان ، انه لن يسلم في حكومة واصا باشا مَن كان على مبادئ غطاس ، فبادر الى الانسحاب من حكومته في اسابيعها الاولى . واستقال ايضا في اليوم نفسه عدد من اكفاء المأمورين واحكمهم كحنا بك ابي صعب ، وبطرس بك كرم.

عندما انسحب غطاس من خدمة الحكومة ، بادر اليه السيد جبور الطبيب يدعوه لادارة مصرفه الشهير في بيروت ، فقبل غطاس المهمة وكان في ادارة البنك شريفاً اميناً ومخلصاً نزيهاً كما كان في خدمة الحكومة.

وكان في ذلك العهد يوسف افندي الياس مهندس المتصرفية يشتغل في اختراع الحركة الدائمة على مفعول المدّ والجزر. وكان يوسف افندي صديقاً لغطاس حميماً فاستنجده بمعلوماته العلمية . فكان غطاس يعاونه في اوقات فراغه ، وجعلا يجاهدان معا حتى توفقا الى نجاح الاختراع.

حينئذٍ سأل يوسف افندي صديقه ان يعاونه بالمال ايضاً لانشاء المشروع . فباع غطاس املاكه التي نالها من ميراث ابيه ، وضمّ اليها ما ادّخره من نتاج اعماله ، فبلغت القيمة الفاً ومائتي ليرة عثمانية قدمها كلها من اجل المشروع.

واقام المهندس مشروعه على شاطئ البحر ، واصطنع له المحرّكات تدور بقوة المدّ والجزر ، ودشّنه بحفلة حافلة فخمة . ولكن سوء البخت قضى على العملية اذ ان الآلة لم تقوَ على احتمال القوة التي كانت تجتذبها فتهدمت على نفسها

وتحطمت في اليوم الثالث من عمرها . وكان هذا الاخفاق تعاسة لغطاس . ولكن غطاساً العريق في الفضائل النفسية ، ظل صديقاً حميماً للمهندس بعد نكبته كما كان قبلها .

ثم ان يوسف افندي الياس ، نال بعد نكبته ، امتيازاً بمدّ سكة حديدية بين حيفا ودمشق ، واخذ مستر بيلنغ على نفسه ان يعقد شركة تشتري الامتياز وتنشئ السكة . وطلب بيلنغ الى سفارة الدولة العثمانية في لندن ان تهديه الى رجل يعتمده في سورية ، وكان السفير رستم باشا ، فهداه الى غطاس . فاستدعى بيلنغ غطاساً الى حيفا ، وولاه ادارة اعمال الشركة . ولكن الشركة لم توفق وتوقف عملها وانفرطت ادارتها .

وكان في عكا اميران عجميان من الاسرة المالكة فاستقدما غطاساً ودرسا عليه آداب الافرنسية والعربية ، وكانت له عندهما منزلة محترمة .

ثم ان غطاساً عاد الى بيته في حدث بيروت . وكان مقر نعوم باشا في دار الشيخ عبدالله الشدياق مجاوراً لبيت غطاس مقابلاً له . فخشي المقربون حساد غطاس ان يكون هذا الجوار سبباً للصلة بين الرجلين ، فجعلوا يذكرون بين حين وآخر على مسمع المتصرف ان في الحدث رجلاً محتالاً انفق ماله في طرق تدلّ على اختلاله ، وانه هو الذي اوقع رستم باشا في ورطته .

وهذا التعرّض منهم لرجل محتالٍ لفت نظر نعوم باشا ، ودفعه الى البحث عن حقيقة الرجل ، فسأل عنه الامير مصطفى ارسلان ، قائمقام الشوف . فشهد الامير بغطاس شهادة شريفة . وذكر عن مداركه وعلومه ورصانته ومزاياه ، واطنب في خبرته بالشؤون اللبنانية .

حينئذٍ استدعى المتصرف غطاساً يختبره بنفسه ، وكلفه ان ينشئ له بالافرنسية بياناً حدّد له مواضيعه . فكتبه غطاس بليغاً وافياً ، ولم يكن فيه ايّ دليل على الاختلال ، بل كان دليلاً واضحاً على سموّ المدارك .

ورغب المتصرف ان يختبر سرّ الاختلاف بينَ غطاس واولئك الذين ينمون عليه ويتهمونه ويطعنون على فضائله ، ففاتحه بحديث الموظفين فكانت اجوبة غطاس مقتصرة على البحث في علل اختلال الجبل ، وافتقاره ، وتشير الى

وسائل اصلاحه وانعاشه ، ولم يكن ليعرض لاحد بسوء.

فعظمت قيمته في عين نعوم باشا وقربه ، وعرض عليه قائمقامية جزين فاباها. ورغب ان يأخذ مركزاً مستقلاً عن اعمال السياسة ومغالبة الناس ، فعُيّن ناظراً لحصر التنباك في لبنان ، وهي الوظيفة التي احتفظ بها حتى الممات.

ولما حانت مدة نعوم ، وكان يطمح الى التجديد ، شعر بحراجة الموقف ، ولمس ما جناه عليه محيطه ، فحاول ان يتدارك الامر فاكثر من تقريب غطاس اليه وجعل يصطحبه في جولاته وزوراته حتى يكتسب بمعنوياته الرأي العام . ولكن هذا الامر لم يفد ، لانه وقع بعد اوانه . وذهب نعوم وجاء بعده مظفر باشا.

جاء مظفر اواخر سنة ١٩٠٢ ، وتعرف فوراً الى غطاس ، فاحترمه ، وجعل يصطحبه في جولاته ويكلفه بكتاباته الهامة.

وبعد ما جال في البلاد اذاع على الامة اللبنانية منشوراً يظهر فيه استعداده لاسعاد لبنان ويشير الى العلل التي وجدها في سياسة البلاد والى الحاجات التي لمسها ، والى الوسائل التي ينوي اتخاذها للاصلاح والانعاش.

وكان لهذا المنشور وقعه الحسن ورأى فيه اهل المعرفة بلاغة واصالة وخبرة عميقة فجعلوا يبحثون عن منشئه . ولو لم تتعرف ادارة مطابع النصير الى خط غطاس في المسودّة وتنشر الخبر على السائلين ، لما عرف احد ان غطاساً هو مَن انشأ بلاغ مظفر باشا الشهير ، لانه لم يكن من دعاة الظهور والشهرة بل كان عنوان الرصانة والكتمان والتواضع.

وقرر مظفر تعيين غطاس رئيساً للقلم العربي ، عازماً ان يقلد رستم في اعتماده عليه. ولكن المنية حالت بين غطاس واستلامه الوظيفة . كان في نهار ٢٦ اذار في جولة رسمية بمعية المتصرف ، وجاء مساء الى بيته وبينا هو في مخدعه يصلي فروضه الدينية ، وكان حريصاً عليها ، فاجأته المنية بغتة ، وله من العمر اربع وخمسون سنة واربعة وعشرون يوماً.

لقد كانت حياته قصيرة ، ولكن اعماله فيها كانت كثيرة وجليلة.

وكان لنعي غطاس دويّ في البلاد استقبله الرجال بوجوم واسف . واقيم

له مأتم عظيم حافل .

وبعد دفنه ، اجتمع فريق من اركان البلاد وبحثوا في تخليد ذكره فقرروا ان يُنصب له تمثال في ساحة لبنانية عامة ، وفوراً تألفت لجنة من كبراء اللبنانيين وافتتحت اكتتاباً لاجل التمثال ، وكان من اركانها سليم بك الموشي ، ومسعود افندي العازوري ، والشيخ يوسف الجميل ، وعبود بك ابي راشد ، وبطرس افندي شكرالله .

وتقرر ان ينحت التمثال في ايطالية ، وكان هناك الاباتي لويس عبيد البعبداتي نائباً عاماً للرهبانية الانطونية لدى الكرسي الرسولي ، فاهتم بالأمر ، ونُحت التمثال من رخام ناصع عند اشهر نحّاتي رومة . ولكنه لم ينصب حتى اليوم ، فهو معتزل في زاوية بدير مار انطونيوس بعبدا ، يتطلّع الى الايام لعلّ فيها من رعاة الفضل والحمية ، ودعاة العلم والوطنية ، مَن يدعو الى اخراجه من عزلته الرهبانية ، ورفعه على قاعدة في احدى الساحات التاريخية ذات العلاقة بتاريخ عصره .

رحم الله غطاساً ! ونفخ في ناشئتنا من روحه الطاهرة ، ومن مواهبه الباهرة ، ومن فضائله الزاهرة !

مطبوعات شرقية جديدة

JOANNIS A SANCTO THOMA, O. P., Cursus philosophicus thomisticus. Nova editio a P. BEATO REISER, O. S. B. exarata. 3 v. in-8°. T. I. Ars Logica. XXVII+840 pp., 1930 — T. II, Naturalis philosophiae I°-III° pars. XVIII+888 pp., 1933 — T. III, Naturalis philosophiae IV° pars. XVI+622 pp. Turin, Marietti.

في فلسفة القديس توما

لا شك في ان المشتغلين بالفلسفة واللاهوت يُقبلون بسرور على هذه الطبعة الجديدة لكتاب استاذ من مشهوري اساتذة المذهب التوماوي في الفلسفة المدرسية . وكان الكتاب قد اصبح وجوده نادرًا بالنظر الى كثرة طلّابه . فأحسن صنعاً الاب ريزر ، الاستاذ في كلية القديس انسلم البندكتية في رومة ، بان اعاد طبعه كما تركه الكاتب في طبعاته الاخيرة في القرن السابع عشر . فألف ثلاثة مجلّدات جميلة المظهر ، يتقدّمها مقدّمة قصيرة ، ويتلوها جداول واسعة تسهّل التفتيش عن المواد فالاستفادة من محتويات الكتاب . يخدم كل ذلك وضوح الطبع وحسن التنسيق .

ب . م .

JOH. PRADO, C.SS.R., Praelectiones biblicae ad usum scholarum. Vetus Testamentum, liber alter. De libris didacticis. In-8°, XX+546 pp. Turin, Marietti, 1937. Prix : 30 L.

شروح الكتاب المقدّس للطلّاب

هذا المجلّد تابع لكتاب سابق باشر تأليفه الاب ادريان سيمون من الرهبنة نفسها . وهو موضوع في سبيل طلّاب اللاهوت يفيدهم ، بعد المقدّمة ، تفاسير قصيرة لكتب الحكمة ، والمزامير خاصّة ، جامعاً في هذه الفائدة بين الكهنة وطلّاب الكهنوت .

ب . م .

HARTMANN BATZILL, O.S.B., Decisiones Sanctae Sedis de usu et abusu matrimonii. In-8°, 40 pp. Turin, Marietti, 1937. Prix : 4 L.

قرارات الكرسي الرسولي بشأن الزواج

تضع هذه المجموعة بين يدي الكاهن قرارات الكرسي المقدّس بشأن النقاط المهمّة الدقيقة المتعلّقة ، في ما خصّ الزواج ، بالعقائد المسيحية . ولا

ينحصر الكتاب بفائدة الكهنة ، بل يفيد الاطباء كذلك ، وكثيراً ما طُلبت آراؤهم في هذه الشؤون. ب. م.

URBANUS HOLZMEISTER, S. J. Commentarius in epistulas SS. Petri et Judae. I, Epistula prima S. Petri. [*Cursus Scripturae Sacrae*, sectio III, volumen 13]. In-8°. XIV+422 pp. Paris, Lethielleux, 1937. Prix : 60 fr.

تفسير رسائل القديسين بطرس ويهوذا : ١

يسرّنا ان يُتابع نشر هذه الدروس الكتابية ، بعد ان انقطع بوفاة ثلاثة من الذين باشروا طبعها. فنرحّب بهذا المجلّد المختصّ باولى رسائل القديس بطرس، والذي يبشر بظهور تاليه دارساً الرسالة الثانية، وثالثه دارساً رسالة القديس يهوذا. ولا يخفى ان هذه الرسائل هي اقلّ اقسام العهد الجديد حظّاً بالشرح والتفسير. ومما يجب ذكره ان مظهر هذا الكتاب يفوق جمالَ طبع وحسن تنسيق مظهر الكتب السابقة. فيسهّل على طلّاب الشرح الفوائد الجمّة. ولنشر اخيراً الى ان القسم الاول من المجلّد ، اي « حياة القديس بطرس» البالغة ٨٠ صفحةً طُبعت على حدة في مجلّد خاصّ ، وهي تباع على حدة كذلك . ب. م.

P. LAVERGNE, O.P., Guide pratique de chronologie biblique. Un vol. formant album 18×24 cm., 80 pp. Nombreuses cartes dans le corps de l'ouvrage. Paris, Bloud et Gay, 1937. Prix : 24 fr.

دليل الى توقيتات الكتاب المقدّس

كثرت الابحاث في التوقيتات الكتابية . وفي كل منها شيء جديد . ولم يكن الكتاب الحاضر ليخلو من التجدّد ، فان صاحبه وقف على احدث النتائج للحفريات المصرية فاستفاد منها كما استفاد من تطوّر الكتب التعليمية في التنسيق والمظهر الخارجي. فجعل تأليفه اقرب من سابقيه الى طلّاب اللاهوت واسهل متناولاً ؛ فاستطاع ، وهو الاستاذ الخبير ، ان يحيي تلك العصور العريقة في القدم ، عارضاً عنها تلك الخرائط المتعدّدة التي وضعها لاول مرة منذ اكثر من عشرين سنة ، وما فتئ يصحّحها وينقّحها وفقاً للاكتشافات المتتابعة سنةً فسنة . وهكذا فهو يهدي الى الاساتذة ، والطلّاب ، وجمهرة المثقّفين الراغبين في مثل هذه الابحاث ، اداةً صالحة للعمل الجدّي. ب. م.

CHARLES CADIER, **Les trésors de l'Ancien Testament.** Extraits du texte biblique. In-16, 536 pp. Paris, Éditions « Je sers », 1937. Prix : 15 fr.

كنوز العهد القديم

مجلّد لطيف الحجم وُضع لنشر الدعوة البروتستانتية في سبيل قراءة الكتاب المقدّس . وضع مقدّمته الاستاذ اسكندر وستفال مغتبطاً بما يسمّيه « انتصار الكتاب المقدّس »، عانياً بذلك ان الكاثوليك في فرنسة والمانية اصبحوا يقبلون على مطالعة الكتاب ، وينعمون بطبعات سهلة بلغاتهم الوطنية ، بعد ان كانوا يحرمون من هذه النعمة . يقول هذا بلهجة مرّة ونبرة لا تخلو من نقد للكثلكة المسؤولة في نظره عن تحريم قراءة الكتاب المقدّس . يتضمّن المجلّد ، في سبيل القرّاء البروتستان ، منتخبات من الكتاب المقدّس تبلغ نحو عشره . فهو ارخص من الكتاب الكامل ، ولكن هل يسدّ مسدّه ؟ ثم ان هذه المنتخبات لا يرافقها الّا القليل النادر من الشروح والتفسير ، وقد يكون ذلك جرياً على مبادئ النقد الحرّ التي لا تقرّها الكنيسة الكاثوليكية . ولكن ايّ شرح او تفسير لا يعرض ، في البروتستانية نفسها ، للخلافات بين المقلّدين والمجدّدين ؟

ب . م .

R. DE LA ROUGEFOSSE, **Les dessous de l'affaire Mardochée.** In-16, 320 pp. Paris, Éditions Adyar, 1937. Prix : 20 fr.

مخفيات دعوى مَرْدَكاي

أيُلام الشاعر جان راسين على انه اظهر لنا شخصية استير على افضل ما كانت عليه حقيقةً ؟ هو ما يراه مؤلف هذا الكتاب على ما يظهر ، فيجدّ ويجتهد في ان يُطلعنا « على استير الحقيقية ، استير الكتاب المقدّس التي كاد ينساها الناس ، استير القويّة القاسية . » ولكن على الرغم من هذا الإعلان التمهيدي ، نشكّ في كون صورة استير التي يحاولها المؤلف تظهر اكثر موافقة لتاريخية المُصوَّرة ، من بطلة راسين . وهي على كلّ تنحطّ عن صورة الشاعر دقّة وسموّ فنّ . ثم انّ المطالع يرى في هذا المجلّد المتضخّم بالنسبة للموضوع ، شيئاً من الظرف ممزوجاً بشيء من التدقيق التاريخي متوسط القيمة العلمية ، متحدّاً بمظهر من الذوق الفني لا يسلم من اضطراب وتردّد . ب . م .

ABBÉ RAOUL MORÇAY, Nouvelle Histoire de l'Église. 345 pp. Paris, Lanore. Prix : 20 fr.

تاريخ الكنيسة

في هذا المجلّد اللطيف ما يفيد الطلّاب المبتدئين ، وما يفيد المستعجلين كذلك ، معلومات صحيحة مختصرة في تاريخ الكنيسة . وهو يظهر بصفتين مهمتين من صفات كتب التاريخ : ايراد الحوادث الثابتة ، والاسلوب الواضح. رامياً ، في ذلك ، الى اظهار امجاد الكنيسة ، فالعمل على تأسيس محبتها في القلوب ، دون ان يحوّر في التاريخ او يتجنّب ذكر الحوادث المكدّرة ، والظواهر السيئة في العصور المظلمة . على انه يختصر في سردها متوسّعاً في الاحقاب الزاهرة ، وحقّ له الامر ، متكلّماً عنها بحماسة واندفاع . وليس افعل في نفس المطالع من كلامه عن القرون الرابع ، والثالث عشر ، والسابع عشر ، محتجاً على ما يراه من اهمال لكثير من الحوادث الجليلة في تاريخ الكنيسة ، متلافياً ذلك باسهابه في وصف التجدّد الديني في فرنسة في النصف الثاني من القرن السابع عشر . وهو ما لا يُلام عليه المؤلف . وان جاز لنا ان نبدي ملاحظة ، فنسأله : ألا يرى مكان فرنسة واسعاً في تاريخ كهذا موضوع لتلخيص حوادث الكنيسة الكاثوليكية ، اي الجامعة ، كلّها.

وقد أهدي الكتاب الى نيافة الكردينال بودريّار «استاذ التاريخ والفكر». ومن الحقّ اننا نرى في الكتاب ، ولا سيما في الاقسام المعاصرة منه ، تأثير الفكرة النيّرة الصالحة التي عُرف بها الرئيس الكاثوليكي في باريس .

غ. نيرون

ABBÉ BOYER, Manuel d'instruction religieuse des adolescents. 1e fasc., la Révélation. In-12 carré, 126 pp. Paris, Bouasse jeune.

التعليم الديني للناشئين : ١

أهدى المؤلّف كتابه الى الشبّان الناشئين ، فكان عليه ان يجنبهم ما في الابحاث اللاهوتية الصرفة من جفاف وجمود. وقد عاونهم على المطالعة بما وضع فيه من رسوم وصور عديدة اخذها عن اشهر روائع الفنّانين . فاصبح الكتاب

وافر اللذة، جزيل الفائدة ، ولا سيما في فصله الاخير المختصّ بالسيد المسيح ، وقد ابدع المؤلّف في اظهار « سرّ الفداء ».

ب . م.

FR. L. THOMAS REGATTIERI, O.P., L'Évangile Eucharistique. Exhortations pour les heures d'adoration. 2e tirage. In-8°, XII+216 pp. Turin, Marietti, 1936. Prix : 5 fr.

الانجيل القرباني

هي ترجمة فرنسوية لمجموعة ايطاليـة شهيرة في بلادها ، بما جمعت من عظات حارّة وارشادات بالغة للمؤمنين المجتمعين لعبادة القربان المقدّس . وغاية المؤلّف فيه ان يشرح العقيدة اللاهوتية في سرّ القربان ، بعبارات سهلة يفهمها الجميع .

ب . م.

DOMINIQUE DAHANE, Liturgie de la Sainte Messe selon le rite chaldéen. In-12, 92 pp. Paris, Enault, s.d. Prix : 6 fr.

ليتورجية القداس حسب الطقس الكلداني

لقد احسن المؤلّف صنعاً بترجمة ليتورجية القداس الكلداني الى الفرنسوية، وبما قدّمه على الترجمة من معلومات متنوّعة عن الطقس الكلداني . ولا شك في ان المؤمنين الاوربيين يسرّون بهذه المحاولة التي تطلعهم على خلاصة القداس الكلداني وعلى ما في ذاك الطقس من جمال وروعة .

ب . م.

ALBERT BESSIÈRES, S. J., La Bienheureuse Anna-Maria Taigi, mère de famille. In-12, 280 pp. Paris, Desclée.

الطوباوية حنة . ماريّا تايجي

لا شكّ في ان هذه الترجمة الجديدة لحياة الطوباوية حنة . ماريّا تايجي تفوق سابقاتها لما كان في بعضها من نقص ، وفي البعض الآخر من سذاجة حوّرت الحقائق التاريخية . ولا شكّ في ان الكثير من الناس يقرأون هذه الترجمة ، فيطّلعون على حياة امرأة من كبيرات المتصوّفات او الروحانيّات ، عاشت الى آخر ايامها ، لا راهبةً في دير، بل امرأةً لاحد الحنالين، وامّاً لاسرة كبيرة ، وحماة لكنّة صعبة المراس . فيستفيدون من مثلها الصالح ، وبما كانت توليه الكثير من معارفها ، حتى من كبار القوم ، وحتى البابوات انفسهم ، من مصادر التعزية والتشجيع في صعوبات الحياة.

ب . م.

PAUL BORROWSKY, Collection of Antiquities purchased in Syria and Egypt. In-4°, 12 pl. dont 3 en couleurs, XVI+20 pp. Paris, Geuthner, 1937. Prix : 30 fr.

مجموعة من الآثار القديمة من سورية ومصر

في مجموعة السيد بوروسكي اثنتان وعشرون قطعة أثرية من الجعلان اشتراها في سورية، وتسع عشرة قطعة اشتراها في مصر. واولى هاتين المجموعتين تفوق الثانية بما لا يُقاس، لانها تمثل شواهد مهمة لدرس التأثيرات المصرية في بلاد الشام. ومنها قطعة انطاكية الاصل، تظهر نادرة، بل وحيدة من نوعها، بما تدلّ عليه من الجمع والانتخاب في الفنّ. وهي تمثال مزيج يمثل الاله هوروس والالاهة توريس يحملان ناووساً تدخل فيه مومياء اوزيريس. اما ما بقي من القطع فانها، وان تكن اقلّ قيمةً مما تقدّم، فلا تنحطّ عنها دلالةً على اصلها من هذه الثقافة المزجية. ب. م.

MAURICE BESNIER, L'empire romain de l'avènement des Sévères au concile de Nicée. Histoire romaine, t. IV, 1re partie. [*Histoire ancienne*, 3e partie. *Histoire générale sous la direction de* Gustave Glotz.] Paris, Les Presses universitaires de France. Prix : 50 fr.

الامبراطورية الرومانية منذ دولة ابناء ساويروس الى مجمع نيقية

يبدأ هذا الكتاب المجلد الرابعَ من التاريخ الروماني، متناولاً حوادث القرن الثالث والربع الاول من القرن الرابع. وهي حقبة انحطاط لمجمل الامبراطورية، ولكنها حقبة تطوّر بفضل فريق من كبار الرجال النابغين في الدولة على مختلف مظاهرها كالامبراطرة سبتيموس ساويروس، واورليانوس، وديوقليانوس، وقسطنطين. فالمادّة جديرة بالذكر، والمؤلف عرف ان يزيد على صلاحها حسن التنسيق، فغدت قريبة منا في جمالّ المظهر، قريبها في العهد التاريخي. وفيها تظهر النصرانية شيئاً فشيئاً من ظلمات الدياميس، فتصبح حادثاً اجتماعياً، وتأخذ باحتلال الدولة رويداً رويداً بفضل قسطنطين.

ولا يخفى اهمية هذه الحقبة في نظر ابناء الشرق، او المختصين بالتاريخ الشرقي. فان السياسة الرومانية دائمة الحركة في بلادنا، اذ ذاك، بفضل ما كان

من أثر عميق لعدد من نوابغ النساء السوريّات حتى في الدوائر السياسية العليا . وفي هذا العهد بلغت دولة تدمر اقصى ازدهارها على عهد زينب ، ازدهاراً كان سريع الإشعاع وسريع الخفوت بما كان من قضاء الامبراطور اوريليانوس على حلم زينب . والمؤلّف يخصّ بهذا الحادث فقرة كاملة (ص ٢١٢—٢٢٤) ثم يعود الى تفصيل حملتي الامبراطور اوريليانوس (ص ٢٣٦—٢٣٩)

ويجب ان نشير الى ما اتصف به الكتاب من سعة في ذكر المصادر، ومن نقد لبعضها . وقد اضاف الاستاذ پيگانيول (Piganiol) عدداً من المصادر في آخر المجلّد . وفي الكتاب اربع خرائط تمثّل دياميس رومة ، وطرق المملكة التدمرية ، وتخطيط رومة على عهد اوريليانوس ، والامبراطورية الرومانية مقسومة ابرشيات وولايات وفقاً لنصوص ڤيرون .

ج . ل .

CHARLES DIEHL, Théodora, impératrice de Byzance. In-16, 316 pp. Paris, de Boccard, 1937.

تيودورا امبراطورة بيزنطية

قد يحتوي التاريخ الصحيح المستند الى دقائق الاساليب النقدية من الغرائب والعجائب ما لا نراه في ارحب الروايات خيالاً واقربها الى المغامرات . والشاهد في ذلك حياة الامبراطورة تيودورا . كانت ابنة حارس للدّاب في احد ملاعب القسطنطينية ، فسهلت لها حياة اللهو والسفور ، على انها توصلت ، وهي في الخامسة والعشرين من سنيها ، الى ان تروق الامير يوستنيانوس ، ولي عهد الامبراطورية الشرقية ، فيتزوّج بها زواجاً شرعياً . وهكذا اصبحت اميرةً فامبراطورةً ، مدة ٢١ سنة ، تولي زوجها الحبّ الخالص ، والنصائح المسموعة .

وكان لا بدّ من ان هذه المغامرة الغريبة تثير حقد الحسّاد والناقدين ، كما اثارت زلفى المعجبين والمدّاحين . وقد وددنا لو ساعدنا الاستاذ المؤلّف على اخراج الحقيقة من هذه الشهادات المتناقضة . وهو اجدر من يقوم بهذا العمل بين علماء البيزنطيّات في عصرنا . ولكنه يكتفي ، لسوء الحظّ ، بان يحذّرنا من تحامل پروكوپ على الامبراطورة ، ولا يتراجع عن ان يستقي منه النصوص الكثيرة ، دون ان يخفي ميله البالغ الى المراطقة . وهكذا ننهي قراءة الكتاب — ونحن

نقرأه دفعةً واحدة دون تردّد ولا توقّف ، لما فيه من لذة اسلوب وروعة بيان — ولا نصل الى تحقيق صورة واضحة عن الامبراطورة الشهيرة. انا نرى لها صورتين او ثلاث صور تتراكم احداها على الاخرى وتتناقض بعض اجزائها مع البعض الآخر، حتى تأتي بتأثير عجيب في الفنّ السينمائي ، ولكنه موسف اليم في العلم التاريخي.

ي.م.

MAX LAMBERTY, Le rôle social des idées. Esquisse d'une philosophie de l'histoire contemporaine. In-12, 280 pp. Bruxelles, éditions de la Cité chrétienne, 1936.

دور الافكار الاجتماعي

كتاب تفكير وتأمل يضع في وسط التاريخ المركزي ، لا الحوادث الاقتصادية العمياء ، بل الافكار المهمّة البالغ تأثيرها في عالمنا الحاضر . وهو يتتبع هذه الافكار والآراء منذ نشأتها على عهد « النهضة » « والاصلاح » حتى تطوّرها من لوك ، وروسو ، الى ماركس، وتروتسكي. وهي، في اكثرها ، آراء كفريّة الحاديّة جعلت الانسان خاضعاً مستعبداً لآلهة جديدة لا تزال نرى تأثير عباداتها الجديدة في مشاكل عصرنا التاعسة : الفرد ، الدولة ، العنصر ، الطبقة الاجتماعية . ويرى المؤلف ان افضل دواء لهذه الحالة المضطربة بما تؤدّي اليه من ازمات خانقة في جميع مناحي الحياة ، انما هو ثورة جديدة يقوم بها ارباب الفكر السليم فيعيدون العالم الى التفتيش عن « فردوسه » وراء هذه الأرض ، مقرّاً بسموّ الفكر والمبادئ العامّة ، على المحسوس والمنافع الخاصّة.

ب.م.

JEAN PICHON, Les origines orientales de la guerre mondiale. In-16, 240 pp. Paris, Charles-Lavauzelle, 1937. Prix : 15 fr.

الاصول الشرقية للحرب العالمية

عنوان الكتاب دليل واضح على النظرية التي يقرّها المؤلف ، كما يقرّها كاتب المقدّمة ، الجنرال بريون ، رئيس البعثة العسكرية في الحجاز ، والحاكم العام لمنطقة قيليقية سابقاً . يرى المؤلف ان اسباب الحرب الكبرى تستند اصولها الى تركية ، وسورية ، وبلاد العرب ، وإيران ، كما تستند — ان لم نقل اكثر

مما تستند — الى ضفتي الرين ، وسيراجيفو . وهنا في الشرق تصادم الجهد الالماني ، المتسع نفوذه بفضل الاتفاق الجرماني-التركي المعقود على عهد انور باشا ، بمصالح الدول الباسطة نفوذها قبل ذلك على مناطق الشرق ، كانكلترة ، وفرنسة ، وروسية . وقد ازداد هذا التصادم شدّة ووقعاً بعد ان اخذ بترول الموصل يجذب اليه المصالح الاقتصادية المتناحرة في ذاك الوقت.

ومهما يكن رأي علماء الحرب الكبرى في نظرية المؤلف ، فان الكتاب يظلّ في نظر سكّان هذه البلاد الشرقية ، وفي نظر الفرنسويين انفسهم ، من افضل المصادر في درس النزعات الدولية المتضاربة ، والمصالح الاوربية المتشابكة في مناطق الشرق الادنى. ب.م.

JÉRÔME ET JEAN THARAUD, Alerte en Syrie ! In-16, 248 pp. Paris, Plon, 1937. Prix : 16 fr.,50.

خطر في سورية

لم ينتظر الاخوان تارو نهاية رحلتهما التحقيقية في بلادنا حتى يعلنا رأيهما في المعاهدة الفرنسوية-السورية . فاخذا ينشر المقالات المختلفة . ولم يرجعا الى فرنسة حتى اسرعا بجمع ما نشراه في سبيل تنوير الرأي العام الفرنسوي في ما خصّ الحوادث الجارية في سورية منذ الصيف الماضي . وكلها حوادث مهمة تثير مشاكل دقيقة قد لا يراها سكّان البلاد غريبةً عنهم ، ولكنّ الفرنسويين يستفيدون منها عبرًا جمّة . ونتيجة كل هذا ، الظاهرة ضمناً او صراحةً في كل صفحات المجلّد تقريباً ، هي ان المعاهدة الفرنسوية-السورية لا يجوز ان يوافق عليها . واذا سلّمنا بجواز هذه الموافقة فيجب ان تقيّد المعاهدة بكثير من التحفظات والقيود المهمة . فالمعاهدة كما هي، « غير موافقة لفرنسة ولا لسكّان سورية من اي عنصر كانوا.» وهي نظرة من المفيد ان يطّلع عليها ارباب الشأن ، ايًّا كان رأيهم وأيّةً كانت غايتهم من توقيع تلك المعاهدة... ب.م.

AZIZ EL MARAGHI, La législation du travail en Égypte. In-8°, 276 pp. Paris, Librairie technique et économique, 1937.

تشريع العمل في مصر

ان تطوّر التشريع الاجتماعي في مصر ، على ضآلته وعدم اتساعه ، لجدير

بان يتبعه الدرس عن كثب ، ولا سيما في البلاد المجاورة التي ترى فيها اشباه هذا التطوّر . ولقد كان مبدأ التساهل الاقتصادي يسيطر وحده قبل الحرب الكبرى، على اثر اضمحلال جمعيات المهن القديمة، فتتكوّن بسببه المجحفات الجمّة بحقّ العمّال. فتنقص اجورهم، وتتقلقل مراكزهم، وتضيق آمالهم، الى غير ذلك من نتائج هذا المبدأ المضرّة بالعامل. حتى سُنّت شريعة تُحدّد عمل الاولاد في محالج القطن . وكانت التجربة الوحيدة من نوعها قبل الحرب . وفي السنة ١٩١٩ ، بُدئ باقرار سلسلة من القوانين والقرارات لسدّ ما تقدّم ذكره من الخلل الواهي في التشريع الاجتماعي . وللمؤلّف ملء الأمل بان هذه القوانين تعمل ، بعد سنوات ، على اقرار العامل المصري في مركز لائق . على انه لا يخفى ما لا يزال عالقاً من نقص بهذا التشريع ، وما ينتج هذا النقص من فقر في وادي النيل الغني ، ومن تعاسة في حالة المزارع والفلّاح . وتزداد هذه التعاسة بشدّة وطأة الوبا الفاحش . كل ذلك يدلّ على خطورة المرض ، وصعوبة علاجه العلاج الشافي السريع .

ب.م.

Al-Hajj Qazzim Ali Jairazbhoy, Muhammad « a mercy to all the nations ». In-8°, 389 pp. Londres, Luzac, 1937.

محمد رحمة للامم كلها

يدلّ عنوان الكتاب واسم مؤلّفه على مضمونه، وهو ترجمة حياة محمد ، كتبها رجل مسلم تهتّه الاشادة بامجاد نبيّه . فكان عمله اقرب الى القصيدة المدحيّة . وقد يتخذ موقف الدفاع احياناً فيبرّر مؤسّس الدين الاسلامي من التهمة التي وُجّهت اليه مراراً بانه عمل على نشر دينه بالسيف . ولا شكّ ان الكتاب يدلّ على جهود بالغة في اظهار شخصية النبي التقليدية بلغة اوربية ، وعلى اسلوب مرتّب . بيد ان مصادر البحث ، وتطبيق القواعد النقدية ، لا تظهر على تقدّم يُذكر . ولعلّ اغرب ما في الكتاب تلك المحاولات (في الفصل الثالث والثلاثين) التي يرمي المؤلّف بواسطتها الى التفتيش ، في بعض مقاطع الكتاب المقدّس وفي بعض النصوص المأخوذة من كتب الدين الهندية ، عن نبوّات تبشّر بمجيء محمد !

ب.م.

JOH. VON KUNOWSKI, Der Suez Kanal. In-8°, 140 pp., 63 photogravures. Berlin, Schoenfeld.

قناة السويس

يحقق هذا الكتاب كلام المؤلف في التمهيد . فهو معرض تامّ ، على اختصاره ، لتاريخ قناة السويس ، منذ محاولات الفراعنة حتى الحرب الايطالية الحبشية . ويحتلّ وسط الكتاب فردينان دي لسبس: شخصيته واعماله . يتبع ذلك فصول خاصة بالاحصائيات المتنوّعة ، وبمحاولات الاتراك في هجومهم على القناة ، وبدور هذه القناة في الحرب الاخيرة بين ايطالية والحبشة ، ولا سيّما في المشاكل السياسية الحاضرة وعلاقتها بالنصّ المتفق عليه في اتفاق القسطنطينية ، الضامن حرّية السير في هذه الطريق المائيّة . والخلاصة ان الكتاب مفيد كافٍ بمعلوماته لجمهرة القرّاء الذين يسرّون ، فوق ما تقدّم ، بما فيه من صور مختارة عديدة.

ب.م.

Dr Z. ELLNER, The Palestine royal commission report challenged on behalf of reason and justice. In-8°, 23 pp. Jerusalem, Cosmos Library, 1937. Prix : 25 mils.

قرار اللجنة الملكية بشأن فلسطين

يُطلعنا هذا الكرّاس على ان قسماً من اليهود الصهيونيين لم يكن راضياً عن تقسيم فلسطين بين العرب واليهود . فقام يعدّد الشكاوى والاحتجاجات ، معلناً ان الانتداب الانكليزي أقرّ على فلسطين في سبيل تعزيز الوطن القومي اليهودي خاصّةً ، واذاً فانه لمن الخيانة باليهود ان تعمل انكلترة على اقرار حالة لا ترمي الى انشاء هذا الوطن على السعة التي وُعد بها اليهود سابقاً . ولا يرى الدكتور إلنر ، مؤلّف الكرّاس ، مقاومة العنصر العربي سبباً كافياً للتراجع عن تحقيق هذا الوعد ، وهو ينتقد اللجنة التي اعتبرت هذه المقاومة من الاسباب المبرّرة تقسيم البلاد ، قائلاً ان قوّات الامبراطورية البريطانية جديرة باقرار الأمن في فلسطين ، وبتحقيق الوعد تامّاً غير منقوص . واذاً فما عليها الّا العمل !

ولا شكّ في ان المطالع المجرّد يخرج من الكرّاس ، وقد ازداد يقيناً بتعقّد المعضلة الفلسطينيّة الحاضرة.

ب.م.

L'Encyclopédie coloniale et maritime. Fasc. 8, La Tunisie économique. Arboriculture fruitière — Forêts — Élevage. In-4°, 24 pp. Paris, rue de l'Isly, 9, 1937. Prix : 6 fr.

تونس الاقتصادية

يشير هذا الجزء الى ما ستكون عليه دائرة المعارف هذه ، اذا ما صدرت في مجلداتها الثمانية ، واجزائها الـ١٣٢ على الاقل . وسيكون في مجلدها الاول قسم خاص بدول الشرق في ٦ اجزاء . وليس من شك في انها تجمع كثيرًا من المعلومات الشاملة والوثائق المهمة في مختلف المناحي . امّا ثمنها فجعل ٦٠٠ فرنك اكتتاباً .

TEKIN ALP, Le Kémalisme. In-8°, VIII+300 pp. Paris, Alcan, 1937.

المذهب الكمالي

مؤلف الكتاب من وطني كمال اتاتورك المتحمسين لشخصيته ولاعماله . واذًا فلا ننتظر منه تحفظات او تقيدات في مدائحه المطلقة وتمجيداته المتتابعة . فهو مُشتغف ببطله شغفه بالنظام الجديد المسنون في تركية . ولم نرَ اثرًا للتحفظات كذلك في المقدمة العاطفية التي كتبها السيد ادوار هريو . فالكتاب اذًا ، بما فيه المقدمة ، اشبه بمنشور دعوة . على انه يستند الى وثائق مهمة لها قيمتها التاريخية . ب . م .

HASSAN SOTOUDEH, L'évolution économique de l'Iran et ses problèmes. In-8°, 256 pp. Paris, Librairie technique et économique, 1937.

التطوّر الاقتصادي في ايران وما يثيره من مشاكل

درس مؤلف هذا الكتاب في باريس فنال دكتوراه الحقوق ، وشهادة العلوم السياسية من جامعتها ، واقبل يبحث في اقتصاديات بلاده على ضوء مبادئ العلم الحديث ، فامكنه ان يعرض الموضوع بوضوح وجلاء ، جامعاً بين مظاهر الحالة الاقتصادية كلّها ، ذاكرًا ما حُقق من المشاريع في سبيل ازدهار البلاد الايرانية ، وما يُنتظر تحقيقه . هذا وقد يرى المطالع من خلال الاحصائيات الجافة ، ان ايران تظهر كسائر البلاد الفتيّة او المجدّدة فتوتها ، فقيرةً بالموارد الحالية ، ممعنة في سبيل التقدّم بما تشعر به من عدم في الاساليب الفنية ، ونقص

في طرق المواصلات ، وقلة في الصادرات ، وضعف في عدد السكان بالنسبة الى المناطق الصالحة للسكن . بيد انها تتجه الى مستقبل زاهر يستند في اكثر آماله ، الى غنى البلاد بثروتها المعدنية. ب.م.

I. ..., La persécution religieuse en Espagne. traduction de FRANCIS DE MIOMANDRE. In-16, 190 pp. Paris, Plon, 1937.

II. La persécution de l'Église en Espagne. 60 pp. polycopiées. Secrétariat des Congrégations mariales, Rome.

الاضطهاد الديني في اسبانية

لم يقف عاقل على مظاهر الاضطهاد الديني في اسبانية ، ولا سيما في شهور الحرب الاهلية الاولى ، الا استفظع عمل الحكومة الجائر وتحاملها على الكنيسة الكاثوليكية وابنائها . ولقد كان من واجب الصحافة ان تذيع هذه الفظائع على العالم المتمدن اجمع ، ولكنها لم تقم ببعض هذا الواجب.

وها ان مكتبة پلون تنشر كتاباً الفه احد الاسبانيين ، وحرص على ان لا يذكر فيه الا الحوادث التي تثبت وقوعها حتى اوائل السنة ١٩٣٧ ، وقد قدم الكتاب الى القراء الفرنسويين الكاتب الاشهر پول كلودل.

اما المجلد الثاني فهو اجمع من الاول ، لأنه اتى بعده ، فاوضح ان تلك الفظائع المرتكبة كانت عن سابق قصد وتصميم سدّدها الى الكنيسة الكاثوليكية، اقطاب الشيوعية يعاونهم رجال الماسونية . وفي الكتاب ، بعد هذه المشاهد المؤلمة ، فصل في تجدّد العاطفة الدينية الحيّة في اسبانية الوطنية. ب.م.

La lutte économique contre les Juifs dans le 3e Reich. In-8°, 76 pp. — Travaux du département économique du Congrès juif mondial. Paris, Genève, New York, 1937.

الكفاح الاقتصادي ضدّ اليهود في الريخ الثالث

وقف القراء ، دون شكّ ، على تطوّر الاضطهاد الجائر الذي اثارته النزعة الوطنية العنصرية الالمانية على العنصر اليهودي . وقد كان من اجلى مظاهر الاضطهاد الناحية الاقتصادية، وهي الناحية التي يهتمّ بها مؤلفو الكتاب خاصةً ، فيفيضون في تفصيل تطوّراتها ، وما كان من تلك الشبكة التشريعية المتقنة في الضغط على اليهود ، ارباب المتاجر والمصارف ، واخراجهم شيئاً فشيئاً من مهنهم

المتفرّقة ، فمن البلاد الجرمانية . حتى اصبح الآريون يسيطرون وحدهم على جميع المهن والصناعات من اشرفها الى اقذرها. فغدا «الرجل الآري يستغني عن اليهودي حتى في بيع ثوبه البالي الذي لا يستحقّ اليهودي ان يستفيد من خرقه الممزّقة » كما في قول احد دعاة النازيّة . اما نتائج هذا الاضطهاد فللمستقبل وحده الحكم فيها. ب.م.

Jean Baptiste Charcot, 1867-1936. Un vol. édition de luxe, In-8°, 162 photo., dessins originaux, autographes, plans et cartes. Paris, Yacht club de France, 1937. Prix : 80 fr.

جان باتيست شار كو (١٨٦٧-١٩٣٦)

كانت مأساة الرائد المشهور جان باتيست شاركو حزناً عاماً لفرنسة جمعاء . وبنوع خاص لاعضاء نادي الملاحة اليختيّة الفرنسوي ، الذي كان اسرةً ثانية للبطل الراحل ، رئيسه منذ السنة ١٩١٣ . فجمع اعضاء النادي كل ما حفظوه من ذكريات عن رئيسهم ، ومن آثار كتابية او تصويرية منذ اول مغامراته في ارتياد المجاهل العالمية سنة ١٩٠٣ — ١٩٠٥ و١٩٠٨ — ١٩١٠ ، الى الرحلة الاخيرة مختومة بالمأساة الفاجعة ، وما وليها من مأتم حافل في ريكجاويك وفي باريس. فكان من كل ذلك كتاب جميل يطالعه القارئ بتأثر واحترام ، اذ يشعر باقترابه من تلك النفس العالية ، نفس العالم الجليل والمسيحي المؤمن. ب.م.

V. Hornay, s. j., Humanisme et livres de choix. [Collection « *Problèmes d'Éducation* »]. In-12, 420 pp. Paris, Desclée de Brouwer, 1937. Prix : 20 fr.

في الثقافة الانسانية واختيار الكتب

من اصعب المشاكل الثقافية مشكلة اختيار كتب المطالعة ، وذلك لكثرة ما تصدر المطابع كلّ شهر ، بل كلّ اسبوع ، من منشورات يغرق فيها المثقفون ، فضلاً عن جمهرة القرّاء . ولهذا اخذ ارباب التهذيب والتعليم يعملون على ترتيب القراءات مستعينين باختبارهم واختبار رجال تثقهم في وضع الجداول والمعالم يهتدي بها المعلّمون والطلّاب . ولكن كان منها ما وُضع في سبيل خاصّ ، او في مادّة محصورة ، فتذاقت منفعته عن الجمهور . ومنها ما لم يرمِ فيه الى مصلحة القرّاء الصحيحة ، فانحرفت غايته عن الثقافة . وان لنا بالكتاب الحاضر ما يسدّ

كثيرًا من تلك التلم . فهو موضوع في سبيل النخبة الرامية الى اتمام ثقافتها الانسانية الكاملة بتكميل مظاهر الرجل ، والمسيحي ، والهادي الى الصواب في الشخصية الانسانية . وهكذا فاننا نجد في الكتاب دليلًا عقليًا يقود في طريق واضحة مرنة الى تمام الثقافة المنظمة بما يختاره من روائع الفكر البشري . وقد سار المؤلف في هذا الاختيار على المبادئ الاساسية العميقة في الثقافة البشرية التي اثارته في وصف الكتب المدروسة ، وفي الحكم عليها ، وقد دلّ الاختيار على قيمة الكتاب العالية وفضله الجزيل في تثقيف الناشئة . فهو مفيد لا للرجل الطامح الى الكمال الانساني الشخصي فقط ، بل لجميع المشتغلين بالثقافة العامة ، فائدته لارباب المكاتب والمربين وسائر من يُسألون عن كتب القراءة .

بولس ميش

Carte de Chine, Japon, Manchukuo. Dépliant 105/55 cm. Paris, Girard et Barrère, 1937.

خارطة الصين واليابان ومانشوكو

طُبعت هذه الخارطة باونين ، وعُرضت للبيع بثمن بخس ، فكانت جزيلة الفائدة لمن يهتم بمتابعة الاحداث الحربية في الشرق الاقصى . وذلك لما تأتي به من معلومات تزيد عمّا نراه عادةً في الخرائط والكتب الجغرافية بشأن تلك الانحاء البعيدة .

ب . م .

Mission sociale et intellectuelle des bibliothèques populaires. [*Dossiers de la Coopération intellectuelle*]. In-8°. 446 pp. Paris. Institut international de coopération intellectuelle, 1937. Prix : 60 fr.

الرسالة الاجتماعية والعقلية للمكاتب الشعبية

في هذا الكتاب قسمٌ نظريٌ يهتمّ بكل ما من شأنه ان يجعل المكاتب الشعبية لذيذة سارّة يؤمّها الناس بكثرة فيستفيدون من محتوياتها . وفيه بعض قسمٌ عملي يصف لنا ما تحقق من هذه النظريات في كثير من مكاتب العالم ، ولا سيما في الدانمارك . ولا يسعنا الّا ان نمدح هذا العمل الجيد ، على شرط ان يقصد في تلك المكاتب تهذيب الطبقات الشعبية تهذيباً مخلصاً صحيحاً ، لا

التأثر عليها وتوجيهها جهة النزعة الرسمية في كل شيء ، واتخاذ المكاتب اماكن لنشر الدعوات المغرضة التي لا يزال العالم يئنّ من تأثيراتها السيئة.

ب.م.

Léo Crozet, Manuel pratique du Bibliothécaire. Nouvelle édition. In-12 carré, 340 pp. Paris, Thiébaud, 1937. Prix : 30 fr.

دليل عملي للمشتغل بالمكاتب

في السنة ١٩٢٩ تألفت لجنة فرنسوية غايتها درس شؤون المكاتب ، ألفتها جمعية المكتبيين الفرنسويين ، فعهدت الى المؤلف بوضع هذا الكتاب. وما ظهر سنة ١٩٣٢ حتى صادف نجاحاً عاماً واقبالاً عجيباً فدفع المؤلف الى اعادة طبعه. وذلك لما اشتمل عليه من معلومات وترتيبات ، ونصائح يستفيد منها لا مديرو المكاتب العامة والخاصة وحدهم ، بل انها لا تخلو من فائدة لكل محبّ للكتب او مرتاد للمكاتب الكبرى . وقد زاد المؤلف في طبعته الجديدة بعض النصائح ، ولا سيما تلك الإشارات الآلية لما يجب عمله في المكاتب اثناء الغارات الجوية ، والقاء قنابل الغازات الخانقة . كما اضاف اوصافاً دقيقة لانواع الفهارس المختلفة.

ب.م.

Dr G. Froin, Faisceau énergitique et Biologie. Paris, Librairie Girardot, 1937. Prix : 30 fr.

في علم الحيويات

لم يسعدنا الحظّ بالاطلاع على كتابي المؤلف الاساسيَّين ، اللذين يردّ اليهما مطالع هذا الكتاب في سرد نظرياته المتتابعة . فلم نتمكن من الوقوف على ما هناك من صلات بين التموّجات والذرّات الفيزية العصرية وبين ما يسميه الدكتور المؤلف «بالنكترون» ، و«الفوتون» ، و«المانيتون» . ولهذا ظهر لنا ان هذه الصلات متباعدة ، وان المؤلف كوّن لنفسه كوناً جماعياً شحن فيه كل الاحداث المعروفة في عالم الحيويات وفي عالم الطب خاصة . ولا يخلو كل هذا من جهد عظيم فرضه المؤلف على مخيلته وعلى قوته المنطقية . وليس بالهيّن ان يُفاجأ المطالع بتقريبات غريبة تكشف له عن آفاق واسعة ! دوبريلاتور

L. PARDÉ, Les Conifères, In-8°, 310 pp. Paris, Librairie de la maison rustique, 1937. Prix : 32 fr.

الصنوبريات

لا حاجة بنا ، ونحن في بلاد الأرز ، الى الاشارة بدرس هذا الكتاب الجدير باهتمام كل من يسعى الى التحريج في لبنان . وذلك ان مؤلفه ، العالم الاختصاصي بهذه الشؤون، لم يترك نوعاً ولا فصيلة من الصنوبريات، سواء أكانت برّية في غابات اوربة او اهلية في الحدائق والاحراج ، الّا وصفها ودرس النابت منها في بلاد الغرب وفي بلادنا الشرقية . مع ما يمتاز به كل صنف من قبول التبليد ، ومن الصفات الصناعية او الزخرفية ، ومن المقدرة على احتمال الجفاف وتقلب الاحوال الجوية . ولا شكّ في ان هذا الكتاب يكون ، في لبنان وفي فرنسة ، دليلاً اميناً لكل مشتغل بالنباتات الصنوبرية. ب.م.

المُعْجَمِيَّة العربية على ضوء الثُنائية والأَلْسُنِيَّة السامِيَّة

بقلم الاب أ. س. مرمرجي الدومنكي

٢٢٧ ص. متوسطة – مطبعة الآباء الفرنسيسيين في القدس ، ١٩٣٧ – الثمن: ٢٥٠ ملّ

ليس الاب مرمرجي غريباً عن قرّاء « المشرق » ، وقد طالما أعجبوا بابحاثه الألْسُنِيَّة التي سدّد بها خُطى مريدي المُعْجَمِيَّة السامِيَّة ، وقوم بها من التواءات مَن تقدّمت بهم السنّ على ادّعاء المعرفة اللغوية من ايّ نوع كانت . وها انه اليوم يجمع ، في مجلّد لطيف الحجم ، تلك الابحاث الظاهرة في « المشرق » ، مع ما نشر من نوعها في « مجلّة المجمع العلمي العربي » الدمشقي ، مضيفاً اليها كثيراً من الملاحظات اللغوية في مختلف الألسن السامية من عربية ، وسريانية ، وعبرية ، وحبشية . وغايته القاء نور على ما تفيده ، في سبيل تأليف المُعجم الأمثل للغة العربية ، طريقة « الأَلْسُنِيَّة السامية » ، اي مقابلة معاني اللفظة الواحدة في اللغات السامية كلّها او جلّها ؛ ونظريّة « الثنائية » ، وهي « القائلة بان الاصول العربية — وكذلك اخواتها السامية — ليست الالفاظ ذات الحروف الثلاثة ، بل ذوات الحرفين.» (ص ٦ من مقدمة المؤلف)

ليس من شكّ في ان هذه النظرية لم تتمدّ طور المناقشة بعد ، بل قد لا

تكون دخلت تماماً في هذا الطور. وليس من شكّ في ان غير واحد من لغويينا لا يقرّ المؤلف على كثير من نتائجه وتخريجاته ، ومحاولاته اكتشاف الثُنائي في بعض الافعال العربية التي يعرض لها . ولكنا لا نرى احدًا يشكّ في فائدة كتابه للغويين ، يستعينون بتحقيقاته في ضبط معاني بعض الالفاظ ، وفي تسلسل هذه المعاني خاصة. ومن الالفاظ التي حقّق اصلها : البارّية ، الحواريّون ، الحجّ ، الداوريّة ، الفِصح ، التوراة ، إيل ، هيكل ، بيت لحم واللحم واللقم ، نيرب ، بَتْرا ، قمايا ، صلّى ، صلاة ؛ « صورت » السريانية و« سورة » القرآنية ؛ ومن الامثلة على فائدة نظرية الثُنائية درسه للالفاظ : علَم ، علم ، العالم ؛ حمر ، خمر ؛ سرج ، شرج ؛ حلق ، خلق . . . قد ومشتقّاتها : قدّ ، قدح ، قدر ، قدس ، قدع ، قدف ، قدم . ومن فوائد هذه الثُنائية ، في نظر المؤلف ، انها تبطل الضِدّية ، ويفهم بالضدّية خاصّيّة الاضداد ، اي كون اللفظة ذات معنيين متضادّين كضعف : زاد ونقص ، وقسط : عدل وجار . كلّ هذا يدفعنا الى ان نلفت نظر جميع المشتغلين بالدروس اللغوية السامية الى هذا الكتاب ، ليستفيدوا من تحقيقاته ، ان لم ترقهم نظريّته.

ف. ا. ب.

على المنبر

للدكتور نقولا فياض

الجزء الاول : ٢٩٢ ص. متوسطة – منشورات « دار المكشوف » بيروت ، ١٩٣٨ – الثمن : ١٠٠ غ.ل.س.

للدكتور فياض شهرة ذائعة في الاوساط الخطابية في عصرنا ، ما اعتلى منبرًا الّا استفزّ الحاضرين اعجابًا او تأثّرًا ، ولا سيّما اذا كان الموضوع ادبيًا شعريًا او عاطفيًا شخصيًا . وكان ادباؤنا لا يزالون يذكرون وقفاته يحاضر في « المرأة والشعر » ، وفي « التجديد في الشعر العربي » ، او يؤبّن اخاه الشاعر الياس فيّاض ، ويتمنّون لو جُمعت هذه الآثار في مجلّد خاصّ يُرجع اليها مِن آن الى آخر وتكون صورًا امينة لتطوّر الفنّ الخطابي في هذا العصر . حتى كان لهم المجلّد الحاضر يجمع ، في جزء أول ، ٢٥ خطابًا منها ما كان ادبيًا صرفًا مستندًا

احياناً الى مبادئ العلم العصري ، « كالقلب البشري » ، و« المرأة والشعر » ، و« بين العجز والمقدرة » ، و« التجديد في الشعر العربي » ؛ ومنها ما تناول بعض الاحداث التاريخية فولّد منها التهانئ والتآبين . وقد كان يتنازع الدكتور ، في اول عهده، عاملان قويّان هما الطب والادب ، فلا يكاد الطبيب يأخذ العهد على نفسه بهجر المنابر (ص ٤٩) ، حتى تهيب به دعوة الادباء فيعود الى الخطابة وقد استبدل بمرضاه السامعين المعجبين . فوفّر لهم ، كما وفّر لقرّاء هذا الكتاب ، متعاً فنية شتّى .

ف . ا . ب .

المختار

تأليف عبد العزيز البشري

الجزء الاول : ٢٥٤ ص . متوسطة – مصر ، مطبعة المعارف ومكتبتها ، ١٩٣٥ – الثمن : ١٥ غ . م .

الجزء الثاني : ٢٨٣ ص . متوسطة – مصر ، مطبعة المعارف ومكتبتها ، ١٩٣٧ – الثمن : ١٨ غ . م .

لعلّ الاستاذ عبد العزيز البشري من افراد قليلين في مصر حاولوا ان يوفّقوا بين الثقافة العربية الخالصة ، كما استقرّت في القرنين التاسع والعاشر ، وما يهبّ عليهم من الثقافات الاوربية الحديثة . بل لعلّه في طليعة هؤلاء الافراد نجاحاً بهذه المحاولة من غير كلفة ولا ثقل . يبحث في اصول البلاغة وتطوّر الادب ، كما يناقش في الفنّ والمتفننين قديماً وحديثاً . يترجم لكبار المصريين من رجال الوطنية والثقافة ، كما يستفويه الكلام عن الطفيليين والندّابات واصحاب النكات والأفاكيه . يعرض للموضوعات القديمة بشيء من التقليد ، كما يلفت نظره الراديو والطيّارة فيصفها على غاية ما يمكن من الدقة والاعجاب . واذا بالكتاب متحف عجيب ، على حدّ تعبير خليل مطران ، مقدّم الجزء الأول . واذا بالكاتب شخصية مثلثة العناصر ، كما في قول طه حسين ، مقدّم الجزء الثاني . فهو مصريّ قاهري بالوراثة ، وهو بغدادي عربيّ بالاكتساب ، وهو غربيّ بما ناله من يسير الحضارة المصرية . ولهذا ، فهو مدرسة مفردة « في هذا الجيل ؛ لا تستطيع ان تُلحقه بهذه البيئة او تلك من بيئاتنا الادبية ، ولا تستطيع ان

تصله بهذه المدرسة او تلك من مدارسنا المنتجة في الشعر والنثر.» وهو ، فوق ذلك ، « مدرسة لا تلاميذ لها . » وأحر بمن كان على هذه الشخصية أن يُقبل متذوّقو الادب على التنعّم بروائعه ، وهي كثيرة. ف. ا. ب.

تاريخ ابن خلدون

المسمّى بكتاب العبر ، وديوان المبتدأ والخبر ، في ايام العرب والعجم والبربر ، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر.

مصحّح الاصول ومضبوط الاعلام بعناية علال الفاسي وعبد العزيز بن ادريس،

معلّقاً عليه بقلم الامير شكيب ارسلان

المكتبة التجارية الكبرى لصاحبها الحاج محمد المهدي الجبّابي بفاس وتطوان بالمغرب

الجزء الاول : ٤٦٠ ص. متوسطة — ١٩٣٦

ملحق للجزء الأول يشتمل على تعليقات الامير شكيب ارسلان : ٤٢٦ ص. متوسطة — ١٩٣٦ الجزء الثاني : ٥٦٠ ص. متوسطة — ١٩٣٦

لم يكن تاريخ ابن خلدون ، على شهرة صاحبه في الشرق والغرب ، طبعة عربية صالحة . ولم يهتمّ به المستشرقون اهتمامهم بالمقدّمة التي اشبعوها درساً وطبعاً وترجمة وتعليق ، ذهباً منهم الى ان التاريخ لا يقاربها في شيء من الدقة والضبط وعمق التعليل ، وبعد النظر . وهم على حقّ في ذلك ، فان شهرة ابن خلدون لتظلّ مدينة لمقدّمته الطريفة ، لا لتاريخه الذي لا يكاد يزيد على ما تقدّمه من المجموعات التاريخية العربية الّا فصوله المفيدة في البربر ودولهم . بيد ان هذا التاريخ ، على قيمته المتفاوتة ، يستحقّ افضل من تلك الطبعة المصرية الأولى والوحيدة ، المليئة بالتصحيف والتحريف ، والبياض والبتر ، حتى تجنّبها الباحثون ، فقلّ من استند الى تاريخ ابن خلدون ، مع اهتمامهم البليغ بمقدّمته الذائعة الصيت .

فكان من فضل الحاج محمد المهدي الجبّابي ، صاحب المكتبة التجارية الكبرى بفاس وتطوان بالمغرب ، أن اعاد الى المغرب شيئاً من مجده التليد بإعداده هذه الطبعة النفيسة ، يستعين على اخراجها باربعة من ادباء العصر :

الاستاذين علال الفاسي ، وعبد العزيز بن ادريس لتصحيح الاصول وضبط الأعلام ؛ والامير شكيب ارسلان لكتابة التعاليق المستفيضة ؛ والاستاذ محمد عبد الجواد الاصمعي لوضع الفهارس الابجدية وترتيبها . وقد ظهر الجزءان الاولان فكانا خير دليل على نفاسة الطبعة ، وسهولة الاستفادة منها.

اما ملحق الجزء الاول ، وهو مجلد ضخم ، فيشتمل على ما دفق به قلم الامير شكيب ارسلان في التعليق على آراء ابن خلدون ، جائلًا بسهولته المعهودة وبلاغته المعروفة بين العلوم المتنوعة من الانتروبولوجية والحيويات ، الى التاريخ والجغرافية ، الى السياسة والادب ، الى الأثريات والعلوم الكتابية ، الى الفلسفة واللاهوت . وبديهيّ ان هذه الاختصاصات المتباينة لأوسع من ان يُلمّ بها ، بلهَ اتقانها ، رجلٌ واحد ، وان يكن الامير شكيب ارسلان ، فكان ولا بدّ من شطحات يركب فيها القلم هواه يقوده الغرض، او الخيال ، او الرغبة في ان يكون الشيء كما يريد الكاتب لا كما كان.

ف. ا. ب.

غاية المأمول في الفعل الواصل وأسرار الموصول

تأليف حسن عبد اللطيف عزّام

قسم القواعد: ١٥٦ ص. متوسطة – الاسكندرية ، مطبعة رمسيس ، ١٩٣٥

قسم التدريب: ١٦٤ ص. متوسطة – الاسكندرية ، مطبعة رمسيس ، ١٩٣٥

ثمن الجزءين: ١٠ ق.م.

لا شك في ان النحو من تلك العلوم التي تختلف صعوبةً وسهولة ، وتتردّد لذةً وجفافاً ، باختلاف الاساليب المستعملة في عرضها وتدريسها . وقد طالما شعر المدرّسون بضرورة اختصار تلك المطوّلات التي ازعجت قدماء الطلّاب في الحفظ والتطبيق ، فمالوا الى تسهيل القواعد ، وعرضها على طرق اقرب الى التدريب العملي منها الى النظريّات العامة . وكان من هؤلاء الاستاذ حسن عبد اللطيف عزّام، المدرّس بمدرسة المعلّمين بالاسكندرية ، فجمع في هذين الجزءين كل ما يجدر بالناشئ ان يعرفه من دقائق النحو ، واسرار الحروف المعدية على اسلوب جمع بين ايجاز القاعدة النظرية ، واسهاب الامثلة التطبيقية مستندةً الى الشواهد

العديدة فاتى بالفائدة الجمّة. ف. ا. ب.

قاموس التلميذ

تأليف حسن عبد اللطيف عزّام

كراريس صغيرة ظهر منها ٧ في ١١٤ ص. متوسطة من ا-ح – الاسكندرية: مطبعة التعاون، ثم مطبعة صلاح الدين، ١٩٣٧-١٩٣٨

ومن خدمات المؤلّف نفسه للغة العربية، ومن مساعيه في سبيل نشرها صحيحةً بين الناشئة هذا القاموس اللطيف الموضوع خاصّةً لافادة التلميذ، يعرض فيه واضعه لاهمّ ما يصادفه التلميذ في مطالعاته من كلمات يحتاج الى تفهّم معناها، فيلخّصه له بجملة سهلة، جامعاً بين اللغة والصرف والنحو، ذاهباً الى الشواهد الشعرية بعض الاحيان. ف. ا. ب.

الاصول العربية: الجزء الاول

تأليف حبيب وفيليب عبد الساتر

٩٦ ص. متوسطة – نشر مدرسة الحكمة، بيروت، ١٩٣٧

وهذا ايضاً من المحاولات في تسهيل الاصول العربية على الطالب المبتدئ، تبع فيه مؤلّفاه، وهما من اساتذة مدرسة الحكمة المارونية في بيروت، الطريقة الحديثة في تقسيم الاصول وفقاً لاركان الكلام من اسم، وفعل، وحرف صارفَين النظر عن الاخذ بالقسمين القديمين من صرف ونحو. فجاءا باسلوب سهل ينيل الطالب اهم القواعد العربية في اقل من سنة. ف. ا. ب.

الاصول العربية: الجزء الاول: ادب

تأليف لفيف من اساتذة مدرسة الحكمة

٥١٤ ص. متوسطة – نشر مدرسة الحكمة، بيروت، ١٩٣٧

وكان لا بدّ للطالب من امثلة يستند اليها في درسه القواعد النظرية، ومن نصوص ادبية يسرّح بها بصره، وقد جهده تصريف الافعال، وتقلب

احوال الضمائر . فاجتمع فريق من اساتذة مدرسة الحكمة نفسها ، على وضع هذا المجلّد انتخبوا اجزاءه من نصوص عصرية في اكثرها ، والحقوا بها تمارين اسبوعية تناولت شرح المفردات وتطبيق الاصول ، ودرس المعاني . وكأنّ السُرعة التي الّفوا بها الكتاب ، راغبين في اظهاره قبيل السنة المدرسية ، حالت بينهم وبين ما كان يُنتظر من ضبط وتدقيق . واذا في بعض التعاديد اضطراب ، وفي بعض التعاليق نقص بارز ، او اهمال واضح ، كالاهمال بوضع فهرس للكتاب . كلّها نواقص يتداركها المؤلّفون ، دون شك ، في طبعة مقبلة .

ف . ا . ب .

دروس الطريقة الجديدة

تأليف سليم خوري ومحمود باشو

الجزء الاول : للسنة الاولى من القسم الإعدادي – ١٧٦ ص . متوسطة – صيدا ، المكتبة العصرية ، ١٩٣٧

وهذا من الكتب المدرسية الجديدة . يجمع بين القراءة والمحادثة ، والاستظهار ، والاملاء ، مع تمارين في اللغة والقواعد والانشاء ، مستفيدًا من التطور العصري في اساليب التعليم ، تارتًا النصوص بصور واضحة تنبّه مخيّلة التلميذ وإحساسه ، متدرّجاً به من اسهل الى سهل ، بين نثر وشعر مع الانتباه لايقاظ العاطفة الوطنية في افئدة الصغار . ولهذا قرّرت وزارة التربية الوطنية تدريسه في مدارسها الرسمية ونعمّا فعلت .

ف . ا . ب .

البراعم

ديوان عمر يحيي

الجزء الاول : ٢٤٧ ص . متوسطة – المطبعة العلمية ، حلب ، ١٩٣٦

لا يزال وادي العاصي ينفحنا ، بين الفينة والفينة ، بشيء من شذاه العطر يتخلل فيه شيء من الشعر . على ان هذه النفحات تهبّ على غير نسبة ، فتتأوّد تأوّد الانغام على نواعير حماه ، تارةً مطربة معجبة ، وطوراً شجيّة مؤلمة ، حيناً تثير الروعة الاخّاذة ، واحياناً تثير الدهشة الجامدة . هكذا تتوالى الانغام في

الوادي ، وهكذا تتوالى الصفحات على مطالع الديوان ، فيها من « الفنون » القديمة التقليدية حتى الهجاء ، وفيها من التجدد الحيّ المتكلّف احياناً ، على لمحات شاعرة اكثر مما يتصوّره متصفح الديوان لأول وهلة.

ف. ا. ب.

تاريخ الفنّ المصري القديم

تأليف محرم كمال

٢٣٢ ص. متوسطة – نشر دار الهلال ، مصر ١٩٣٧

مؤلّف الكتاب امين مساعد بالمتحف المصري. درس آثار بلاده القديمة عن كثب ، وطالع عنها الابحاث الكثيرة ، فاستفاد نظرة خبير ، وبحث عالم ، واسلوب مؤلّف باسط لجمهرة القرّاء . فكان من كل ذلك هذا الكتاب القيّم الذي يجدر بكل مثقّف ان يطّلع عليه فيرافق المؤلّف في ابحاثه الجامعة،الكافية على ايجازها من درس «طبيعة الفنّ المصري» الى تفصيل مظاهر «فنّ العمارة» المدنية، والحربية ، والدينية ، الى فنّ المقابر او «العمارات الجنائزية» كما يسميها المؤلّف. الى «النحت والحفر» ، الى «الرسم والنقش والتصوير» . وهنا يتبسّط في درس النقوش المتنوّعة على القصور والمعابد والمقابر في الدولة القديمة ، ففي الدولة الوسطى ، ففي الدولة الحديثة . وفي هذه الدولة يخصّ فصلاً واسعاً بدرس الرسوم على مختلف مظاهرها من زراعية تبدو في تمثيل زراعة الحدائق ، ثم في تصوير القطعان ، وصيد الحيوان ، والطير ، والسمك خاصة ، ثم بتمثيل الفنون المتعلّقة بالمطابخ . وهناك رسوم صناعية تمثل قطع الاشجار ، وبناء السفن ، والملاحة ؛ وينتهي الفصل ، والكتاب ، بوصف رسوم الملاهي والألعاب. وهكذا يستفيد المطالع لمحة اجمالية في الفنّ المصري القديم لا غنى عنها للمثقّف العصري . ومما يزيد في قيمة الكتاب ان المؤلّف اقلع عن طريقة السطحيين من متأدّبي مصر ، فذكر كثيراً من مصادر كتابه ومستنداته في هوامش الصفحات ، او في مقدّمة بعض الفصول.

ف. ا. ب.

نوابغ الشباب

بقلم احمد قاسم جودة

١٥٢ ص. متوسطة – نشر دار الهلال ، مصر ، ١٩٣٨

ان تكن دار الهلال نشرت أثرًا قيّماً مفيدًا ، اذ عمدت لإخراج الكتاب المذكور سابقاً ، فلا نراها الّا لاهيةً مسلّية في اخراجها هذا المجلّد الجديد، وجلّ ما يُقال فيه انه عمل شابّ اراد ان يجمع طائفة من اخبار نوابغ الشباب ، وهم ، في نظره ، الاسكندر المقدوني ، طرفة بن العبد ، موزار ، توماس تشاترتون ، وليم بِت ، مصطفى كامل ، جون كيتس ، جان دارك ، اندريه شنييه ، كينمير ؛ فبسطها على اسلوب ينمّ عن الشباب باندفاع آرائه واجمال احكامه احياناً . ولا نعلم ما هي مقاييسه في تحديد النبوغ ، ولا في تحديد الشباب.

ف. ا. ب.

هل من تناقض بين الدين والعلم

للاستاذ طمسون ، بشرق الاردنّ — نقلها الى العربية حبيب سعيد

١٤٠ ص. متوسطة صغيرة – جمعية نشر المعارف المسيحية ، بولاق (مصر) وكتدرائية سنت جورج بالقدس ، ١٩٣٧ – الثمن : ٤ غ.م.

هو الجزء الثالث من « سلسلة المباحث الخطيرة » التي تقوم بنشرها « جمعية نشر المعارف المسيحية » البروتستنتية ، ايضاحاً لبعض المشكلات العالقة بين الدين والعلم . وقد قُسم الكتاب الحاضر ثلاثة اقسام : الدين والعلم ، يتوّجه قول باكون : « انّ قلّة من المعرفة قد تسوق الى الكفر والإلحاد ، ولكن كثرة من الفلسفة الطبيعية والخوض في اعماقها تهدي العقول والافهام الى الدين . » — ثم المعجزات والعلم ، يعرض فيه المؤلّف لتحديد المعجزات ، واوضاعها المختلفة ، وينتقل الى ذكر معجزات المسيح خاصة . اما القسم الثالث فعنوانه « التجسّد تاج الخليقة ».

مآثر عريضة

الجزء السادس من ترجمة غبطة البطريرك انطون بطرس عريضة

بقلم الخوراسقف بطرس حبيقة

١٩٦ ص. متوسطة باللغتين العربية والفرنسوية – جونية ، مطبعة المرسلين اللبنانيين ، ١٩٣٨

يلخص مؤلف هذا الكتاب ، وهو المترجم الأمين لمآثر غبطة البطريرك الماروني ، كل ما جرى من الاحداث في رحلة غبطته التاريخية الى مصر ، فرومة ، فباريس ، موردًا نتفًا ومقاطع من اقوال الخطباء من كبار رجال الدين والدنيا ، ومن مقالات الجرائد المتنوعة ، ومن خطب البطريرك نفسه في الشؤون اللبنانية المهمة . وقد نقل المؤلف زبدة هذه المواد جميعها الى اللغة الفرنسوية فألحقها بالكتاب لفائدة من لا يعرفون العربية .

الدر المكنون في ترجمة الخوراسقف يوحنا عون

تأليف الاب برجس ابي سمرا

٥١٦ ص. متوسطة – جونية ، مطبعة المرسلين اللبنانيين ، ١٩٣٧

للمرحوم الخوراسقف يوحنا عون صفحة مجيدة في العمل الرسولي خطّها في رحلاته العديدة المترامية من لبنان الى سورية ، الى فلسطين ، الى بلاد العلويين ، الى اميركة الجنوبية . فكان من الحقّ ، وقد استأثر به الله ، ان تدوّن اعماله اقرارًا بالفضل ، وعبرةً للسائرين على اثره المجيد . فانبرى لهذا العمل الاب برجس ابي سمرا المرسل اللبناني جامعًا هذا المجلّد الكبير ، مستندًا الى مذكرات الفقيد وكتاباته ، والى روايات اخويه الفاضلين البادري ارميا والبادري يوسف عون اللعازاريّين .

نور الساقطات

تأليف المستشرقة «بنت الحارث» — تعريب حبيب سعيد

١٥٣ ص. متوسطة – دار « الشرق والغرب » ، مصر ، ١٩٣٧ – الثمن : ٥ غ.م.

هذه سيدة مشهورة وقفت حياتها في سبيل الانتصار لقضية المرأة البائسة ،

هي جوزفين بتلر التي يذكر اسمها باعجاب كل من يهمهم انهاض المرأة الساقطة ، ومحاربة البغاء رسمياً كان او غير رسمي . والى هؤلاء اهدى الناشرون هذا الكتاب القيّم فكان نعم الهديّة . يرى فيه المطالعون لذّة القصة الجميلة ، ويستفيدون منه عبرة الموعظة الناجعة والمثل الصالح .

كتاب الاجيال

تأليف عبد الله غانم

الجزء الاول : ١٠٨ ص . متوسطة – بكفيا ، مطبعة العرائس ، ١٩٣٢

وضع المؤلّف تحت كلمة الجزء الاول هذه العناوين : «الكلدان والاشوريون ، الفرس ، الهند ، الصين ، اليابان ، اوقيانيا ، مصر ، بلاد الزنج ، العرب والفنيقيون» ، فتوهم المطالع ان فيه بحثاً علمياً رصيناً . والواقع ان الكتاب ليس من البحث العلمي في شيء ، ولا هو من انواع العرض الشعري لتطوّر النفسية الدينية عند الانسان في خلال العصور ، وليس فيه ما يتوقّع المطالع من التحليل الفلسفي لنشوء العاطفة الدينية ونموّها . ولعلّ افضل ما ينعت به الكتاب انه من نوع تلك المقالات المتفرقة التي يرسلها صاحبها في الجرائد اليومية في باب « من كل فنّ خبر » ، والتي يستند فيها الى ما بقي في ذاكرته من مطالعات مختلفة متناوبة على غير ترتيب ، ومن أحكام مطلقة على غير تحفّظ ولا احتياط .

ا . م .

منشورات معهد الحياة الريفية

المطبعة الاميركانية ، بيروت

لمعهد الحياة الريفية في الجامعة الاميريكية فضل جزيل على الزراعة اللبنانية ، لما يقوم به اعضاؤه من معايشة الفلّاح وتدريبه في القيام باعماله المختلفة . وقد شاء المعهد ان يقرن الفائدة العملية بالنصائح ، فاخذ باصدار سلسلة من الابحاث في كراريس متوسطة الحجم بين ١٦ و٤٠ صفحة ، واضحة الاسلوب ، موجزة التعبير ، وافرة الرسوم ، يقوم بانشائها المهندس حليم نجار . وقد وصلنا منها : تقليم الاشجار الفتيّة ، تطعيم اشجار الفاكهة ، مكافحة هريان ودود العنب ،

الرمد مرض الكرمة والخضر ، دودة البطيخ الأصفر ، غرس نصوب الفاكهة ، مكافحة تجعّد الورق في الدرّاق ، تربية النحل ، مشاتل الفاكهة الخصوصية ، تقليم الاشجار المثمرة

الكوخ الأخضر

نظم عبد الله شحاده

١٠٠ ص . مربّعة صغيرة – طرابلس ، ١٩٣٧

ننصح للناظم الشاب بان يطالع كثيرًا من الشعر القديم الشديد الأسر ، الظاهر الضبط ، المتين الاساليب . وكلّها صفات يحتاج اليها صاحب هذا الديوان اشدّ الحاجة ولا تضير ما يطمح اليه من افانين الشعر العصري .

عودة اندره جيد

من بلدان الاتحاد الاشتراكي السوفياتي

بقلم الياس يوسف صقر

٢١ ص . صغيرة – مكتبة عرفة بدمشق ، ١٩٣٧ – الثمن : ٥ غ . ل . س .

ملخص موجز للكتاب المشهور الذي نشره اندره جيد على اثر عودته من الفردوس الروسي ، وقد اعلن فيه خيبة آماله بتحقيق المبادىء الشيوعية .

المرآة والسوار

ترجمتها عن الانكليزية مدام ثابت ثناسيوس

٥٢ ص . متوسطة – جمعية نشر المعارف المسيحية ، بولاق (مصر) وكتدرائية سنت جورج بالقدس – الثمن : ١ ق . م .

هي قصة ذات الغاز تكوّن حلقة من « سلسلة قصص البسالة والمخاطر » .

* بلوغ الأرب في مكتبة العرب * ٢٦٤ ص . متوسطة ، مطبعة العرب للبستاني ، مصر ، ١٩٣٨ – فهرس مكتبة العرب لصاحبها الشيخ يوسف توما البستاني ، السنة الخامسة والاربعون – تُرسل مجانًا لكل طالب .

* المجمع العلمي اللبناني وحاجة لبنان اليه * بقلم بولس مسعد – ١٢ ص . متوسطة ، مطبعة كولومبيا ، مصر ، ١٩٣٨ .

فهارس المشرق

للسنة الخامسة والثلاثين

١٩٣٧

فهرس اوّل

لموادّ السنة الخامسة والثلاثين من مجلة المشرق

الجزء ١ (كانون الثاني – آذار) : الاب سباستيان روتزفال ١٨٦٥–١٩٣٧ ، قلم التحرير (١–٨) = قصة اسكندر ذي القرنين والقرآن ، بقلم حبيب الله المقدسي (٨–١٣) = من الخزانة الشرقية بقلم حبيب زيّات (١٣–٤٠) : أثر أنف (مخطوطة من القرن الخامس عشر) (١٣) – دير رمّانين في ضواحي حلب (٢٢) – دير صليبا بدمشق (٢٤) – تفاح دمشق (٢٦) – حارات دمشق القديمة (٢٢) – الاعتراف او المكاشفة بالفبائح والذنوب عند الصوفية (٣٦) – الفرّق واتسّع وبجالس اهل الكلام في بغداد في القرن الرابع للهجرة (٣٧) = الاتجاهات الحديثة في الادب العربي : الرسم ، بقلم سعيد عقل (٤١–٥٢) = الاتجاهات الحديثة في الادب العربي : الشعر ، بقلم يوسف غصوب (٥٣–٦٨) = النصارى في مكة قبل الهجرة : ١ ، بقلم الاب لامنس اليسوعي (٦٩–٩٧) = الفنّ المسيحي في سورية وفنّ الامويين (مصوّرة)، بقلم الاب ربه مونرد اليسوعي (٩٧–١٠٧) = محاولات في فهم الادب ، بقلم فؤاد افرام البستاني (١٠٧–١٢١) = شذرات : دروس الآداب الشرقية في السنة ١٩٣٦ – ١٩٣٧ – الغاية الالهية في نظر العلم الثالث (ب.ـ.ـد) – الاب يوسف موغبان اليسوعي (١٨٧٦–١٩٣٧) – (١٢١–١٢٨) = مطبوعات شرقية جديدة : وصف ٢٥ كتاباً باللغات الاوربية ، و٣٥ كتاباً باللغة العربية (١٢٨–١٦٠)

الجزء ٢ (نيسان – حزيران) : الاب هنري لامنس (١٨٦٢–١٩٣٧) ، بقلم الاب توتل اليسوعي (١٦١–١٧٦) = من الخزانة الشرقية بقلم حبيب زيّات (١٧٧–٢٢٦) : هل كان النفس ابو البركات ابن كُنَيْر شاعرًا ايضًا ؟ (١٧٧) – دفائن الخزائن : المقفّى لتقي الدين المقريزي (١٨٠) – ابو الفرج بن كشاجم (١٨٢) – ابن محدود – ابو عبدالله السلامي (١٨٣) – محمد بن عبد الله الكاتب – ابو زرعة الثقفي (١٨٧) – شمس الدين بن الحريري (١٩١) – عماد الدين الاصفهاني (١٩٣) – كمال الدين الدميري (١٩٤) – نجم الدين المبوشاني (١٩٥) – محمد بن مسروق الكندي (١٩٧) – ابو العبّاس المبرّد (١٩٩) – لغة الحضارة :

النحايا (٢٠٣) - باب التنبيه والإشراف : تاريخ الشام للخوري ميخائيل بريك (مصوَّرة) (٢٠٩) - تاريخ ابن الفرات (٢١٧) = دور الموارنة في ارتداد الكنائس الشرقية (ردّ) ، بقلم الخوري بطرس روفائيل (٢٢٩-٢٣٩) = نسخة خطيّة من شعر الاخطل وُجدت مؤخرًا في طهران (مصوَّرة) ، بقلم الاب انطون صالحاني اليسوعي (٢٣٩ - ٢٤٤) = هل كان المسيح نجّارًا ؟ ، بقلم مرجيوس جيليوف (٢٤٤ - ٢٥٦) = فخر الدين الثاني ، وعلاقاته بدول الغرب ، بقلم الخوري لويس الخازن (٢٥٦ - ٢٦٤) = النصارى في مكة قبيل الهجرة : ٣ (تتمة) ، بقلم الاب لامنس اليسوعي (٢٦٤ - ٢٨٦) = مطبوعات شرقية جديدة : وصف ٢٩ كتابًا باللغات الاوربية ، و٢٢ كتابًا باللغة العربية (٢٨٧ - ٣٢٠)

الجزء ٣ (تموز — ايلول) : عادات وتقاليد رومانية : الحمامات - المآدب - المسارح والملاعب (مصوَّرة)، بقلم الامير موريس شهاب (٣٢١-٣٣٩) = من الخزانة الشرقية بقلم حبيب زيّات (٣٣٩-٣٦١) : الفسيفساء وصنّاعها قديمًا من الروم الملكيين (٣٣٩)- امّهات اشراف المسلمين النصرانيّات ، ووالدة الامير خالد القسري الرومية (٣٥٣) - دير قزمان في شمالي حلب (٣٦١) - دير حنّينا من اعمال دمشق (٣٦٣) - مشمش دمشق (٣٦٥) - كتاب الشباخة (٣٧٠) - خبز الارزّ (٣٧٧) - خبز الأبازير (٣٨٠) - دهن الناردجيل (٣٨٣) - كتاب الحسبة (٣٨٤) = شعر يوسف غصوب ، بقلم سعيد عقل (٣٩١ - ٤٠١) = اخبار حلب وحوادثها من السنة ١٨٥٥ الى السنة ١٨٦٥ : مخطوطة للمعلّم نقوم البخاش (مصوَّرة)، بقلم الاب نوئل اليسوعي : ١ً (٤٠١ - ٤٢٣)= شذرات : معهد الآداب الشرقية : منهاج الدروس للسنة ١٩٣٧-١٩٣٨ - هرمان هردر (٤٢٣-٤٢٧) = مطبوعات شرقية جديدة : وصف ٢٥ كتابًا باللغات الاوربية ، و٢٦ كتابًا باللغة العربية (٤٣٧-٤٦٤)

الجزء ٤ (تشرين الاول — كانون الاول) : جوبيتير البعلبكي ، استنادًا الى ابحاث الاب سباستيان روتزفال اليسوعي (مصوَّرة) ، بقلم الاب ربنه موترد اليسوعي (٤٦٥-٤٧٥) = صفحة جديدة من تاريخ الثورة الدرزية (١٨٣٤-١٨٣٨) ، كما تظهر في مخطوطات سراي عابدين الملكية ، للدكتور اسد رستم (٤٧٥-٤٩٠) = من الخزانة الشرقية بقلم حبيب زيّات (٤٩٠-٥٢٦) : الصيارفة في الإسلام ، وافلاسهم من إلحاح الناس في اخذ اموالهم (٤٩٠) - دراهم الكاغد (٤٩٧) - مطالعة الدفاتر والكتب واللهو ، بالالعاب في المجتمعات قديمًا (٤٩٩) - دفائن الخزائن : كتاب ادب الوزراء لأحمد بن جعفر بن شاذان (٥٠١) - لغة الحضارة : التعليم والتكنيت (٥٠٨) - التنبيه والإشراف : كتاب جامع التواريخ للتنوخي (٥١١) = فخر الدين المعني الثاني ودولة تسكانا ، للخوري بولس قرألي (٥٢٦-٥٣٥) = اخبار حلب وحوادثها من السنة ١٨٥٥ الى السنة ١٨٦٥ ، نشر الاب نوئل اليسوعي : ٢ً (٥٣٥-٥٦١) = من تاريخ لبنان المعاصر : سمان اللبكي وابنه غطّاس ، بقلم ميلاد رزق الله (٥٦١-٥٧٩) = مطبوعات شرقية جديدة : وصف ٣٥ كتابًا باللغات الاوربية ، و٢٣ كتابًا باللغة العربية (٥٧٩-٦٠٧) = فهارس المشرق (٦٠٧)

فهرس ثانٍ

يحتوي اسماء كتبة المشرق ومقالاتهم

امبوبا (عادل) : له وصف مطبوعة ١٤٦

البخّاش (نوم) : الطلب : توتل (الاب فردينان اليسوعي)

البستاني (فؤاد افرام) : محاولات في فهم الادب ١٠٧-١٢١

– وله وصف مطبوعات ١٤٥، ١٤٧-١٥٢، ١٥٤، ١٥٥ – ١٦٠، ٢٩٣، ٢٩٧، ٣٠٠، ٣٠٥-٣١٠، ٣١٦، ٤٤٤، ٤٤٦، ٤٥٣-٤٥٧، ٤٦٠-٤٦٣، ٤٦٤، ٥٩٥-٦٠٣

توتل (الاب فردينان اليسوعي) : الاب هنري لامنس (١٨٦٣-١٩٣٧) ١٦١-١٧٧ – اخبار حلب وحوادثها من ١٨٥٥ الى ١٨٦٥، عن يومية الملّم نوم البخّاش ٤٠١ – ٤٢٣ ٥٢٥ – ٥٦١ – وله وصف مطبوعات ١٤٤، ١٥٢، ٢٩٦، ٢١١-٢١٤

تيان (اميل) : له وصف مطبوعات ١٤١

جيليوف (سرجيوس) : هل كان المسيح نجّارًا ٢٤٤-٢٥٦

حنين (ادوار) : له وصف مطبوعات ٢١٤، ٢١٨، ٤٦٢ ،

الخازن (الخوري لويس) : فخر الدين الثاني وعلاقاته بدول الغرب ٢٥٦-٢٦٤

الدحداح (نجيب) : له وصف مطبوعات ١٤٢، ٢٩٣، ٣١٧، ٤٤٣، ٤٤٧-٤٥٠

ديبريلاتور (الاب اليسوعي) : له وصف مطبوعة ٥٩٤

رزق الله (ميلاد) : من تاريخ لبنان المعاصر : سمان اللبكي وابنه غطّاس ٥٦١-٥٧٩

رستم (الدكتور اسد) : صفحة جديدة من تاريخ الثورة الدرزية (١٨٣٦-١٨٣٨) ٤٧٥-٤٩١

روفائيل (الخوري بطرس) : دور الموارنة في ارتداد الكنائس الشرقية ٢٢١-٢٣٩

زيات (حبيب) : من الخزانة الشرقية : أثر أُنُف : نسخة قصة وردت الى الابواب الشريفة السلطانية الملكية اينال من المسلمين القاطنين لشبونة ١٣-٢٢- دير رمّانين في ضواحي حلب ٢٢-٢٤- دير صليبا بدمشق ٢٤-٢٩- تفّاح دمشق ٢٩ ٣٣- حارات دمشق القديمة لشمس الدين ابن طولون ٣٣ – ٣٦ – الاعتراف او المكاشفة بالفضائح والذنوب عند الصوفية ٣٦-٣٧- الفِرَق والبِدَع ومجالس اهل الكلام في بغداد في القرن الرابع للهجرة ٣٧-٤١- هل كان القس ابو البركات ابن كبّر شاعرًا ايضًا ؟ ١٧٧-١٨٠ النساء وصنّاعها قديمًا من الروم الملكيين ٢٣٩-

٢٥٢ – اتهمات اشراف المسلمين النصرانيات ٢٥٢–٢٦١ – دير قُزمان في شمالي حلب ٢٦١–٢٦٢ – دير حَنَّينَا من اعمال دمشق ٢٦٢–٢٦٥ – مشمش دمشق ٢٦٥–٢٧٠ – كتاب الطباخة ٢٧٠–٢٧٧ – خبز الارزّ ٢٧٧ – ٢٨٠ – خبز الأبازير ٢٨٠–٢٨٢ – دهن النارجيل ٢٨٢–٢٨٤ – كتاب الحسبة ٢٨٤–٢٩١ – الصيارفة في الاسلام ٤٩١ – ٤٩٧ – دراهم الكاغد ٤٩٧–٤٩٩ – المطالعة واللهو في المجتمعات قديماً ٤٩٩–٥٠١

– دفائن الخزائن : المُقفّى لتقيّ الدين المقريزي ١٨٠ – ٢٠٢ – ادب الوزراء لاحمد بن جعفر بن شاذان ٥٠١–٥٠٨

– لغة الحضارة : التحايا ٢٠٢ – ٢٠٦ – التطعيم والتكفيت ٥٠٨–٥١١

– التنبيه والإشراف : تاريخ الشام للخوري ميخائيل بريك ٢٠٩ – ٢١٧ – تاريخ ابن الفرات ٢١٧ – ٢٢٩ – جامع التواريخ للتنوخي ٥١١–٥٢٦

شاذان (احمد بن جعفر بن) : راجع : زيات (حبيب)

شهاب (الامير موريس) : عادات وتقاليد رومانية : الحمامات – المآدب – المسارح والملاعب ٢٢١–٢٢٩

صالحاني (الاب انطون اليسوعي) : نسخة خطية من شعر الاخطل وُجدت مؤخراً في طهران ٢٣٩–٢٤٤

طولون (شمس الدين بن) : راجع : زيات (حبيب)

عقل (سعيد) : الاتجاهات الحديثة في الادب العربي : المرسح ٤١ – ٥٣ – شعر يوسف غصوب ٢٩١–٤٠١

غصوب (يوسف) : الاتجاهات الحديثة في الادب العربي : الشعر ٥٣–٦٩

قرألي (الخوري بولس) : فخر الدين المعني الثاني ودولة تُسكانا ٥٢٦–٥٢٥

قلم التحرير : الاب مبستيان روترثال (١٨٦٥–١٩٣٧) ١–٨

كابيلو (الاب يوحنا اليسوعي) : له وصف مطبوعات ١٣٠–١٣١، ١٣٨، ٢٨٧، ٢٨٨

كوميه (الاب شارل اليسوعي) : له وصف مطبوعة ١٤٠

لامنس (✝ الاب هنري اليسوعي) : النصارى في مكة قبيل الهجرة : معلومات وملاحظات ٦٩–٩٧؛ ٢٦٤–٢٨٧

– وله وصف مطبوعات ١٢٣

لوفنك (الاب جبرائيل اليسوعي) : له وصف مطبوعات ١٢٢ ، ١٢٣–١٢٧، ١٢٨، ٢٨٧، ٢٨٩، ٢٩٢، ٢٠٠–٢٠٢، ٢٠٣، ٤٢٧، ٤٢٨–٤٤٣، ٤٤٥، ٥٨٤

مسعد (الاب بولس الحلبي) : العناية الالهية في نظر المعلّم الثالث ١٢٣–١٢٦

المقدسي (حبيب الله) : قصة اسكندر ذي القرنين والقرآن ٨–١٢

المقريزي (تقي الدين) : راجع : زيات (حبيب)

موترد (الاب بولس اليسوعي) : له وصف مطبوعات ١٢٦، ٤٢٨، ٥٧٩–٥٨٣، ٥٨٣ –

-٥٨٤، ٥٨٦-٥٩٤، ٥٩٥
موترد (الاب رينه اليسوعي) : الفنّ المسيحي في سورية وفنّ الامويين ٩٧ - ١٠٧ - جوبيتير البلبكي استناداً الى ابحاث الاب سبستيان روتزفال اليسوعي ٤٦٥-٤٧٥
- وله وصف مطبوعات ١٢٨، ١٣١، ٢٩١، ٦٩٨، ٢٩٩، ٣٠٣
موصلي (انطوان) : له وصف مطبوعات ٤٥٠، ٤٥٧-٤٥٩، ٦٠٥
ميري (الاب يوسف اليسوعي) : له وصف مطبوعة ٥٨٥
نيرون (الاب غرستاف اليسوعي) : له وصف مطبوعة ٥٨٣

فهرس ثالث

للمطبوعات التي ورد وصفها في السنة الخامسة والثلاثين للمشرق

على ترتيب اسماء مؤلفيها

١ — المطبوعات العربية والسريانية الخ.

ا

ابن خلدون : تاريخه : ٥٠٣، ٥٠٨
ابن بطوطة : اطلب البستاني (فؤاد افرام) : الرواتع
ابي زيد (يوحنا جرجس) : كتاب جغرافية انارة العالم ١٥٩
ابي سرا (الاب جرجس) : تدمر ٢١٧ — الدرّ المكنون في ترجمة المثورامسقف يوحنا عون ٦٠٤
ايلا (الاب شارل اليسوعي) : اطلب : يوسف الحادي عشر
اثناسيوس (مدام ثابت) : على افواه الحيوانات (مع مدام حبيب سعيد) ١٦٠- المرأة والسوار ٦٠٦
ادريس (عبد العزيز بن) : راجع : ابن خلدون
اده (الاب خليل اليسوعي) : رياضات التقديس اغناطيوس دي لويولا (مع المثوري يوحنا طنوس) ٢١١
ارسلان (الامير شكيب) : راجع : ابن خلدون
ارملة (المثورفسقفوس اسحق) : الطرفة في مخطوطات دير الشرفة ٢١٣
الاصبهاني (ابو الفرج) : كتاب الاغاني : ٥٠٨، ٣٠٧
الاصمعي (محمد عبد الجواد) : راجع : ابن خلدون
اكويه : اعلام الفكر الفرنسي (مع كاترين هنري وبنت الحارث)، تعريب حبيب سعيد ٢١٤

ب

بارودي (واصف) : محاضرات في التربية والتعليم ٢١٦
الباشا (المثوري قسطنطين) : اطلب : بريك (المثوري ميخائيل)، والبازجي (ناصيف)

باشو (محمود) : دروس الطريقة الجديدة : ١ً (مع سليم خوري) ٦٠١
بريك (الخوري ميخائيل) : تاريخ الشام ، نشر وتعليق الخوري قسطنطين الباشا ٢٠٩-٢١٧
البستاني (بطرس) : ادباء العرب : ٢و٣ ٣٠١
البستاني (فؤاد افرام) : الروائع ٥و٦و١١ و١٢ ٤٦٢ — تاريخ لبنان الموجز (مع اسد رستم) ٤٤٩ — الفنون الادبية (مع خليل تقي الدين ، سعيد عقل ، قسطنطين زريق ، جبرائيل جبور) ١٥٥
البستاني (وديع) : الاتداب الفلسطيني باطل وعال ١٤٥
البشري (عبد العزيز) : المختار ١ و٢ً ٥٩٧
بنت الحارث : اعلام الفكر الفرنسي (مع اكويه وكاترين هنري) ، تعريب حبيب سعيد ٢١٤ — نور الساقطات ، تعريب حبيب سعيد ٦٠٤
بياجي (برونو) : دولة التعاون باندماج الجمعيات ، تعريب سعيد الشرتوني ٤٦٠
بيوس الحادي عشر : الشيوعية الالحادية ، تعريب الاب شارل ايلا اليسوعي ٢١٠
بيك (اللفتنت كولونيل فريدريك ج) : تاريخ شرقي الاردن وقبائلها ، تعريب بهاء الدين طوقان ١٥٤

ت

تقويم الهلال للسنة ١٩٣٨ ٤٦٢
تقي الدين (خليل) : عشر قصص من صميم الحياة ١٥١ — الفنون الادبية (مع سعيد عقل ، فؤاد افرام البستاني ، قسطنطين زريق ، جبرائيل جبور) ١٥٥
التنوخي (ابو علي) : نشوار المحاضرة واخبار المذاكرة : ٨ ٥١١-٥٢٦
توفيق (محمد عبد) : كمال اتاتورك ١٥٥
تيمور (محمود) : نشوء القصة وتطورها — الشيخ عنا الله وقصص اخرى ١٥٢
تينبر (مارسل) : تاريخ الحب ، ترجمة ابرهيم المصري ٤٦٢

ج

جبور (جبرائيل) : الفنون الادبية (مع خليل تقي الدين ، سعيد عقل ، فؤاد افرام البستاني ، قسطنطين زريق) ١٥٥
جرداق (منصور حنا) : مآثر العرب في الرياضيات والفلك ١٤٦
جمعية اصدقاء الاشجار : تقريرها للسنة ١٩٣٧ ٤٦٤
الجمعية الخيرية الكلدانية في بغداد : خلاصة اعمالها للسنة ١٩٣٦ ٢٣٠
جمعية مار منصور دي بول في بيروت : خلاصة اعمالها للسنة ١٩٣٦ ٤٦٤
جمو (يوسف مرمز) : آثار نينوى او تاريخ تلكيف ٤٥٦
الجميل (انطون) : مانمو الجريدة وواجبنا الصحفي ٤٥٧
جودة (احمد قاسم) : نوابغ الشباب ٦٠٢

ح

حبيب (توفيق) : شهران في اوربة ٢١٩
حبيقه (الخوراسقف بطرس) : مآثر عريضه : ٦٠٤٦
حسن (زكي محمد) : كنوز الفاطميين ٤٦٠
حسين (طه) : الحياة الادبية في جزيرة العرب ١٥٨
حنين (الاب افرام) : تساعية سيدة التلة شفيعة دير القمر ٢٣٠

خ

خنشت (يوسف موسى) : طرائف الأمس غرائب اليوم ١٤٤
الخوري (القس اغناطيوس طنوس) : اطلب :

روفائيل (الخوري بطرس)
خوري (سليم) : دروس الطريقة الجديدة : ١ً (مع محمود باشو) ٦٠١
الخوري (فارس) : اصول المحاكمات الحقوقية ١٤١
خيرالله (امين ظاهر) : المحجة البيضاء في صحة نمت الجموع بفلاء — البرهان الجلي على علم الاب الكرملي ٤٥٤

د

دار الكتب المصرية : فهرس مكتبتها العربية ٢١٩
دائرة المعارف الاسلامية (الترجمة العربية) : المجلد الثاني : ٨و٩و١٠ ١٤٨

ر

رحلة موسوليني الى ليبية ٤٥٩
رستم (اسد) : تاريخ لبنان الموجز (مع فؤاد افرام البستاني) ٤٤٩
رزق (الخوري بطرس) : اليد المارونية في ارتداد الكنائس الشرقية ، تعريب القس مطوس طنوس الخوري ١٤٨

ز

زريق (قسطنطين) : الفنون الادبية (مع خليل تقي الدين ، سعيد عقل ، فؤاد افرام البستاني ، جبرائيل جبور) ١٥٥ — حسب : الفرات (ابن)

س

سابا (عيسى سيخائيل) : هكذا قضت الاحوال ١٥٢
سائح (الاب بولس) : رسائل دينية وفلسفية واخلاقية — الى الدوتشي بنيتو موسوليني — ١٥٠ مخطوطة بالعربية والسريانية — كتاب فلاحة الارض — بحوث الارب في علم الادب — الاقرباذين في علم طب الخيل — كتاب المسائل في العين ١٥٦
سعيد (حبيب) : راجع : اكويه ، وبنت الحارث ، واطلب : مغري (كاترين) ، وطسون
سعيد (مدام حبيب) : على افواه الحيوانات (مع مدام ثابت اثناسيوس) ١٦٠
السفري (عيسى) : فلسطين العربية بين الانتداب والصهيونية ٢٠٨ — رسالتي ٤٥٧
السياسة الخارجية الايطالية ٤٠٩

ش

شار (الارشمندريت تيوفانس) : وصايا الله العشر ٤٠٤
شحاده (عبدالله) : الكوخ الاخضر ٦٠٦
الشرتوني (توفيق حسن نادر) : الحكيم وليلى ٢١٨
الشرتوني (سعيد) : راجع : بياجي (برونو)
شماس (رزوق) : مشكلة العمال ١٥٧

ص

صقر (الياس يوسف) : عودة اندره جيد من بلدان الاتحاد الاشتراكي السوفياتي ٦٠٦

ط

طسون : هل من تناقض بين الدين والعلم ، تعريب حبيب سعيد ٦٠٣
طنوس (الخوري يوحنا) : رياضات القديس اغناطيوس دي لويولا (مع الاب خليل اده اليسوعي) ٢١١

ظ

ظوقان (جاء الدين) : راجع بيك (اللفتنت كولونيل فريدريك ج)

ع

عبد (انطوان انطون) : للحقيقة والعبرة ١٦٠
عبد الساتر (حبيب وفيليب) : الاصول العربية : ١ً ٦٠٠
عزام (حسن عبد اللطيف) : غاية المأمول في نقل الواصل وأسرار الموصول : ١ً و٢ً ٥٩٩ — قاموس التلميذ ٦٠٠

العزاوي (عباس) : العراق بين احتلالين : ٢ً ٤٥٢
عطّار (احمد عبد الغفور) : كتابي ٤٥٨
عقل (سعيد) : الفنون الادبية (مع خليل تقي الدين ، فؤاد افرام البستاني ، قسطنطين زريق ، جبرائيل جبور) ١٥٥
علوان (الاب يوسف اللازري) : اللؤلؤ المنثور ٢١٩
العنداري (المطران اسقف يوحنا) : خطاب ٢٢٠
عواد (توفيق يوسف) : العمي الأعرج وقصص اخرى ١٥٠ — قميص الصوف ٢١٦

غ

غانم (عبدالله) : كتاب الاجيال : ١ً ٦٠٥
غصوب (يوسف) : القفص المهجور والموسيقة المتهمة ٣٩١-٤٠١

ف

الفاسي (علال) : راجع : ابن خلدون
الفرات (ابن) : تاريخه : المجلد التاسع : الجزء الاول ، نشر الدكتور قسطنطين زريق ٢١٧-٢٢٦
فرح (الخوري الياس) : الفارابي ١٠٠
الفغالي (الخوري لويس فرح) : زنبقة الشرق ووردة الغرب ٢٢٠
الفقه على المذاهب الاربعة : ١ً و٢ً و٣ً : تصدره لجنة من علماء مصر ٤٥٢

ق

قرألي (الخوري بولس) : فخر الدين المعني الثاني امير لبنان (١٥٩٠-١٦٣٥) ٤٤٧

ك

كمال (عزم) : تاريخ الفن المصري القديم ٦٠٢
كيلاني (كامل) : قصص فكاهية للاطفال ٢٢٠

ل

لفيف من اساتذة مدرسة الحكمة : الاصول العربية : ١ً : ادب ٦٠٠

م

المثنى : راجع : البستاني (فؤاد افرام) : الروائع المدرسية : مجلة ثقافية ٤٦٤
مرجي (الاب ا. س. الدومنيكي) : المُعجَمِيَّة العربية على ضوء الثنائية والألسُنِيَّة السامية ٥٩٥
مسعد (بولس) : المجمع العلمي اللبناني وحاجة لبنان اليه ٦٠٦
مسعد (الاب بولس) : حول احتفال بكركي في ٢٢ تشرين الثاني سنة ١٩٣٦ ١٦٠
المصري (ابراهيم) : راجع : تينير (مارسل)
معلوف (الاب لويس اليسوعي) : رياضة روحية للكهنة حسب طريقة القديس اغناطيوس ٢١٣
مكتبة حامد عجّان الحديد : فهرسها للسنة ١٩٣٧ ٤٦٤
مكتبة العرب : فهرسها للسنة ١٩٣٨ ٦٠٦
منشورات جمعية تشجيع السياحة ١٦٠
منشورات معهد الحياة الريفية ٦٠٥
موباسان (گي دي) : الماضي الحيّ او بيار وجان ٤٦٤

ن

نجار (حليم) : راجع : منشورات معهد الحياة الريفية
النشاشيبي (محمد اسعاف) : مقام ابراهيم ١٥٨

هـ

هتري (كاترين) : اعلام الفكر الفرنسي (مع اكويه وبنت الحارث) ، تعريب حبيب سعيد ٢١٤

و

ولفنسون (اسرائيل) : موسى بن ميمون ٤٥٠

ي
اليازجي (ناصيف) : رسالة تاريخية في احوال لبنان في عهده الاقطاعي ، طبع الخوري قسطنطين الباشا المخلصي ١٤٣

يحيى (عمر) : البراعم ٦٠١
اليوبيل الذهبي لاخوية الميتة الصالحة لطائفة الاقباط الكاثوليك ٢٢٠

٢ — المطبوعات الاوروبية

Abdesselam (Abou-Bekr), Dictionnaire arabe-français des termes juridiques et dogmatiques. (297)
Acta Pont. academiae romanae S. Thomae Aq. et religionis catholicae. (131)
Actes de la Conférence de Montreux concernant le régime des Détroits. (300)
Almanach catholique français pour 1937. (137)
Alp (Tekin), Le Kémalisme. (590)
Ammoun (Blanche Daoud), Histoire du Liban. (293)
Auboin (Fernand), cf. Mérimée (P.)
Au service de Jésus prêtre. (290)

el Baghdadi (Bouchta et Zora) et Christian Richard, Vie du Pacha Si Mohammed el-Baghdadi. (446)
Bardou (Jacques), Ni communiste, ni hitlérienne, La France de demain. (441)
Batzill (Hartmann), o.s.b., Decisiones Sancta Sedis de usu et abusu matrimonii. (579)
Bazin (René), Etapes de ma vie. (303)
Benoit (Marc), L'aviation française. (139)
Berutti (Christophorus), o.p., Institutiones juris canonici, III. (437)
Besnier (Maurice), L'empire romain de l'avènement des Sévères au concile de Nicée. (584)
Bessières (Albert), s. j., La Bienheureuse Anna-Maria Taïgi. (583)
Besson (Dr E.), cf. Gay (Mme Francisque).
Bocognano (Aristide), cf. Boèce.
Boèce, La consolation de la Philosophie. Trad. de Aristide Bocognano. (439)
Borrowsky (Paul), Collection of Antiquities purchased in Syria and Egypt. (534)
Bourdaloue, Sermons choisis. Introd. de Louis Dimier. (289)
Boyer (Abbé), Manuel d'instruction religieuse des adolescents, I. (582)
Bros (Mgr A.), L'ethnologie religieuse. (289)
Bruneau (Ch.), cf. Brunot (F.)
Brunot (F.) et Bruneau (Ch.), Précis de grammaire historique de la langue française. (305)
Bulletin de l'Association des amis des églises et de l'art coptes. (134)

Cadier (Charles), Les trésors de l'Ancien Testament. (581)
Carali (P.), Fakhr ad-Din II, Principe del Libano e la Corte di Toscana. (256-264 ; 526-535)
Carte de Chine, Japon, Manchukuo. (593)
Castex (Amiral), De Gengis-Khan à Staline. (443)
Catry (J.), Le fascisme de la libre pensée (301)
Céline (Louis-Ferdinand), Mea Culpa. (442)
Chambry (E.), cf. Justin.
Charcot (Jean-Baptiste) (1867-1936). (592)
Chateaubriand, Les Martyrs. Introd. de Victor Giraud. (304)
Chesterton (G. K.), La Sphère et la Croix. Trad. de Charles Grolleau (305)
Chouquet (Elisabeth), Comment vivre au foyer. (138)
Christensen, L'Iran sous les Sassanides. (299)
Cohen (G.), cf. Schneider (R.)
Collomb, cf. Lusseau.
Condamin (Albert), s. j., Voltaire, le « Grand Homme » de M. Albert Bayet. (303)
Coronata (Matteo Conte da), o.m.c., Le tiers-ordre franciscain, législa-

tion canonique. Trad. de A. de Mollères, o.m.c. (289)
— Institutiones juris canonici, V. (437)
Corpechot (Lucien), Souvenirs d'un journaliste. (138)
Cousin (L.), cf. Gay (Mme Francisque).
Crozet (Léo), Manuel pratique du Bibliothécaire. (594)

Daghor (Joseph A.), L'Orient dans la littérature française d'après guerre 1919-1933. (444)
Dahano (Dominique). Liturgie de la Sainte Messe selon le rite chaldéen. (583)
Dedebant (G.), et Viaut (A.), Manuel de météorologie du pilote. (140)
Didier (J.), Résumé économique du monde 1937. (137)
Diehl (Charles), Théodora, impératrice de Byzance. (585)
Dimier (Louis), cf. Bourdaloue.
Duboscq (André), Unité de l'Asie. (135)
Dumesnil (René). cf. Flaubert (G.)

Eddé (Jacques), Géographie de la Syrie et du Liban. (443)
Eilner (Dr Z.), The Palestine royal commission report challenged on behalf of reason and justice. (589)

Fanfani (L.) o.p., De jure parochorum ad normam Codicis Juris Canonici. (287)
Flaubert (G.), Les meilleurs textes de. Introduction par René Dumesnil. (139)
Frein (Dr G.), Faisceau énergitique et Biologie. (594)

Gaguère (Fr.), Le saint pauvre de Jésus-Christ, Benoit-Joseph Labre. (439)
Galling (Kurth), Biblisches Reallexikon. (128)
Gay (Mme Francisque), L. Cousin, Dr E. Besson, Comment j'élève mon enfant. (138)
Germanos, Passionis Dni Nostri J.-C. praelectiones historicae. (129)
Giraud (Victor), cf. Chateaubriand.
Goitein (S.D.F.), Ansāb al-Ashrāf of al-Balādhurī. (296)
Gredt (Josephus), o.s.b., Elementa Philosophiae Aristotelico-thomisticae. (287)
Grolleau (Charles). cf. Chesterton.
Grousset (René), Histoire des Croisades et du royaume franc de Jérusalem, III. (133)

Holzmeister (Urbanus), s. j., Commentarius in epistulas SS. Petri et Judae, I. (580)
Holzner (Dr Joseph), Paulus. (438)
Honnay (V.). s. j., Humanisme et livres de choix. (592)
Hummel (Hans) und Siewert (Wulf), Der Mittelmeerraum zur Geopolitik eines maritimen Grossraumes. (292)

L'Imitation de Jésus-Christ. Trad. nouvelle de l'abbé Fernand Martin. (129)

Jairazbhoy (al-Hajj Qazim Ali), Muhammad « a mercy to all the nations ». (583)
Justin, Abrégé des histoires philippiques de Trogue Pompée et prologues de Trogue Pompée. Trad. de E. Chambry et Mme E. Thély-Chambry. (132)

Kologrivof (Ivan), Essai d'une somme catholique contre les Sans-Dieu. (438)
Kunowski (Joh. von), Der Suez Kanal. (589)

Lamberty (Max), Le rôle social des idées. (536)
Lavergne (P.), o. p., Guide pratique de chronologie biblique. (580)
Lucien (P.) Un siècle et demie de révolution 1789-1936. (442)
Lusseau et Collomb, Manuel d'études bibliques. T. III, 1re partie. (129)
Lutte économique contre les Juifs dans le 3e Reich. (591)

Madi (Mohamed), Jahja b. al-Ḥusain b. al-Mu'ajjad al-Jamanī's « Anbā' az-Zaman fī Aḫbār al Jaman. » (300)
Madoz (Jose) s. j., El Conmonitorio de San Vicente de Lerins. (130)
El Maraghi (Aziz), La législation du travail en Egypte. (587)
Martin (Abbé Fernand). cf. L'Imitation de Jésus-Christ.

Mérimée (P.) Les meilleurs textes de. Introd. de Fernand Auboin. (446)
Meunier (Mario), Apollonius de Tyane. (302)
Michelet (J.), Pages littéraires. Pages historiques. Introd. par Maurice Allen. (140)
Millet (Gabriel), cf. Strzygowski (Joseph)
Miomandre (Francis de), La persécution religieuse en Espagne (traduction). (591)
Mission sociale et intellectuelle des bibliothèques populaires. (593)
Missionnaires de Saint-Paul. (291)
Molières (A. de), o.m.c., cf. Coronata.
Morçay (Abbé Raoul), Nouvelle histoire de l'Eglise. (582)
Moretti (Al.), Caeremoniae juxta ritum romanum seu de sacris functionibus, I (438)

Pardé (L.). Les Conifères. (595)
Penido (M. T.-C.), La conscience religieuse. (288)
Persécution de l'Eglise en Espagne. (591)
Pichon (Jean), Les origines orientales de la guerre mondiale. (586)
Pirotta (Angelo M.), o. p., Summa philosophiae Aristotelico-thomisticae, II. (130)
Prado (Joh.) c.ss.r., Praelectiones biblicae ad usum scholarum. (579)

Rabbath (Edmond), Unité syrienne et devenir arabe. (293)
Rat (M.), Anthologie des poètes latins. (302)
Reallexikon der Assyriologie, II, 4 (131)
Regattieri (Fr. L. Thomas) o. p., L'Evangile eucharistique. (583)
Reiser (Beato) o.s.b., cf. Thoma.
Reynold (Gonzague de), Portugal. (301)
Richard (Christian), cf. el-Baghdadi.
Roggl (A.), Pœnitentia salutaris. (290)
Rouzevalle (S.) s. j., Jupiter Héliopolitain, nova et vetera. (465-475)
Rougefosse (R. de la), Les dessous de l'affaire Mardochée. (581)

Schneider (R) et Cohen (G.), La formation du génie moderne dans l'art de l'Occident. (291)
Seton-Watson (R. W.), Histoire des Roumains, de l'époque romaine à l'achèvement de l'unité. (445)
Sevin (André), Le défenseur du Roi, Raymond de Sèze 1748-1828. (134)
Sèze (Raymond de), Défense de Louis. (134)
Slewert (Wulf), cf. Hummel (Hans)
Société des Nations, Publications, II, Questions économiques et financières. (440)
Sotoudeh (Hassan), L'évolution économique de l'Iran et ses problèmes. (590)
Spitaler (Anton), Die Verszachlung des Koran. (132)
Sprengers (C.), Conferentia ad usum sacerdotum pro recollectione mensirua. (288)
Strzygowski (Joseph), L'ancien art chrétien de Syrie. Etude préliminaire de Gabriel Millet. (97-107)

Thalès. Recueil annuel des travaux et bibliographie 1935. (440)
Tharaud (Jérôme et Jean), Alerte en Syrie ! (587)
Thoma (Joannis a Sancto), o.p., Cursus philosophicus thomisticus. Nova editio a P. Beato Reiser, o. s. b., (579)
Tunisie. Atlas hist., geogr., écon. et touristique. (136)
Tunisie économique. (590)

Viaut (A.), cf. Dedebant (G.)

Zaloziecky, Die Sophienkirche in Konstantinopel. (298)
Zell (Gerster A.), o.m.c., Sacramentum Extremae unctionis. (437)

فهرس رابع

لجميع موادّ السنة الخامسة والثلاثين من المشرق

ا

الآداب الشرقية : منهاج دروسها للسنة ١٩٣٦ – ١٩٣٧ ١٢١ – ١٢٢ — للسنة ١٩٣٧–١٩٣٨ ٤٢٣–٤٢٦

الأبازير : خبزها ٢٨٠

ابن ميثا : نظريته في العناية الالهية ١٢٢–١٢٦

ابن عبدالله الكاتب ١٨٧

ابن الفرات : تاريخه ١٢٧

ابن كبر (القس ابو البركات) : هل كان شاعرًا ١٧٧

ابن كشاجم (ابو الفرج) ١٨٢

ابن مسروق الكندي ١٩٧

ابن محدود ١٨٢

ابو زرعة الثقفي ١٨٧

ابو عبدالله السعيدي ١٨٢

أثر أثف : نسخة قصة وردت الى الابواب الشريفة السلطانية الملكية ايصال من المسلمين القاطنين لشبونة ١٢–٢٢

اخبار حلب وحوادثها من ١٨٥٥ الى ١٨٦٥ ٤٠١–٤٢٣؛٥٢٥–٥٦١

الاخطل : نسخة خطية من شعره وُجدت مؤخرًا في طهران ٢٢٩–٢٤٤

الادب : محاولات في فهمه ١٠٧–١٢١

الادب العربي : الاتجاهات الحديثة فيه : المرسح ٤١–٥٢ — الشعر ٥٢–٦٩

ادب الوزراء (كتاب) ٥٠١

الارزّ : خبزه ٢٧٧

اسكندر ذو القرنين والقرآن ٨–١٢

الاعتراف او المكاشفة بالقبائح والذنوب عند الصوفية ٢٦

افلاس الصيارفة في الاسلام ٤٦١

آلهات اشراف المسلمين النصرانيات ٢٥٢

الامويون : فنّهم في سورية والفنّ المسيحي ٩٧–١٠٧

ب

البخاش (المعلّم نوم) : مخطوطته في اخبار حلب ٤٠١–٤٢٣ ، ٥٢٥–٥٦١

بغداد : الفرق والبدع ومجالس اهل الكلام فيها في القرن الرابع للهجرة ٢٧

ت

التحايا ٢٠٢

تُكتا وفخر الدين الثاني ٥٢٦–٥٢٥

التعليم والتكفيت ٥٠٨

تفاح دمشق ٢٠

التنبيه والاشراف ٢٠٩–٢٢٩؛٥١١–٥٢٦

ث

الثورة الدرزية ١٨٣٦–١٨٣٨ : صفحة جديدة من تاريخها ٤٧٥–٤٩١

ج

جامع التواريخ (كتاب) ٥١١

جريبتر البنكي ٤٦٥–٤٧٥

ح

حارات دمشق القديمة ٢٢

الحبة (كتاب) ٢٨٤

حلب : اخبارها وحوادثها من ١٨٥٥ الى ١٨٦٥ ٤٠١–٤٢٣،٥٢٥–٥٦١ — دير رمانين

في ضواحيها ٢٢–دير قُزمان في شماليها ٢٦١
حمّامات رومانية ٢٢١–٢٢٩
حَنَيْنا (دير) ٢٦٣

خ

خالد القسري: والدته الرومية ٢٥٣
خبز الابازير ٢٨٠
خبز الارزّ ٢٧٧
الخبوشاني (نجم الدين) ١٩٥
الخزانة الشرقية ١٢ – ٤١؛ ١٧٧ – ٢٢٩؛ ٢٢٩–٢٩١؛ ٤٩١–٥٢٦

د

دراهم الكاغد ٤٩٧
الدروز: صفحة جديدة من تاريخ ثورتهم (١٨٣٦–١٨٣٨) ٤٧٥–٤٩١
دفائن الخزائن ١٨٠–٢٠٢؛ ٥٠١–٥٠٨
دمشق: دير صليبا بها ٢٤ — تفاحها ٢٦ — حاراتها القديمة ٢٢ – دير حنينا من اعمالها ٢٦٣ — مشمشها ٢٦٥
الدميري (كمال الدين) ١٩٤
دهن التارجيل ٢٨٢
دور الموارنة في ارتداد الكنائس الشرقية ٢٢٩–٢٣٦
دير حَنَيْنا ٢٦٣
دير رمّانين في ضواحي حلب ٢٢
دير صَليبا بدمشق ٢٤
دير قُزمان في شمالي حلب ٢٦١

ر

رمّانين (دير) في ضواحي حلب ٢٢
الرومان: من عاداتهم وتقاليدهم ٢٢١–٢٢٩
روترفال (الاب سبستيان اليسوعي): حياته وآثاره ١–٨

س

سورية: الفنّ المسيحي فيها وفنّ الامويين ٩٧–١٠٧

ش

الشام: تاريخه للخوري ميخائيل بريك ٢٠٩
الشعر في الادب العربي الحديث ٥٢–٦٩
شعر يوسف غصوب ٣٩١–٤٠١
شمس الدين بن الحريري ١٩١

ص

صفحة جديدة من تاريخ الثورة الدرزية ١٨٣٦–١٨٣٨ ٤٧٥–٤٩١
صليبا (دير) بدمشق ٢٤
الصوفية: الاعتراف عندهم ٢٦
الصيارفة في الاسلام وافلاسهم ٤٩١

ط

الطباخة (كتاب) ٢٧٠

ع

عادات وتقاليد رومانية: الحمامات، المآدب، المسارح، الملاعب ٢٢١–٢٢٩
عماد الدين الاصفهاني ١٩٢
العناية الالهية في نظر المعلّم الثالث ١٢٢–١٢٦

غ

غصوب (يوسف): شعره ٣٩١–٤٠١

ف

فخر الدين الشهابي وعلاقاته بدول الغرب ٢٥٦–٢٦٤؛ ٥٢٦–٥٣٥
الفرق والبدع ومجالس اهل الكلام في بغداد في القرن الرابع للهجرة ٣٨
الفيفاء ومنشأها قديماً من الروم الملكيين ٢٢٩
الفنّ المسيحي في سورية وفنّ الامويين ٩٧–١٠٧

ق

القرآن وقصة اسكندر ذي القرنين ٨–١٢
قُزمان (دير) في شمالي حلب ٢٦١
قصة اسكندر ذي القرنين والقرآن ٨–١٢

ك

الكافد : دراهم ٤٩٧
كتاب ادب الوزراء ٥٠١
كتاب جامع التواريخ ٥١١
كتاب الحسبة ٢٨٤
كتاب الطباخة ٢٧٠
الكلام : مجالس اهله في بغداد في القرن الرابع للهجرة ٣٧
الكنائس الشرقية : دور الموارنة في ارتدادها ٢٢٩-٢٣٩

ل

لامنس (الاب هنري اليسوعي) ١٦١-١٧٧
اللبكي (سمعان وابنه غطاس) ٥٦١-٥٧٩
لبنان : من تاريخه المعاصر ٥٦١-٥٧٩
لشبونة : راجع : أثر انف
لغة الحضارة ٣٠٢-٣٠٩، ٥٠٨-٥١١
اللهو والمطالعة في المجتمعات قديماً ٤٩٩

م

مآدب ومسارح وملاعب رومانية ٣١١-٣٣٩
المبرّد (ابو العباس) ١٩٩
المتوكّل في دير صليبا بدمشق ٢٤
محاولات في فهم الادب ١٠٧-١٢١
المرسح في الادب العربي الحديث ٤١-٥٣
المسيح : هل كان نجّاراً ؟ ٢٤٤-٢٥٦
المسيحي (الفنّ) في سورية وفن الامويين ١٠٧-١٩٧
مشمش دمشق ٢٦٥
المطالعة واللهو في المجتمعات قديماً ٤٩٩
المقريزي (تقي الدين) : كتاب المقفّى ١٨٠
المقفّى لتقي الدين المقريزي ١٨٠
مكة : النصارى فيها قبل الهجرة ٦٩-٩٧ ؛ ٢٦٤-٢٨٧
الملكيون وصنهم الفيفاء ٢٢٩
من تاريخ لبنان المعاصر ٥٦١-٥٧٩
الموارنة : دورهم في ارتداد الكنائس الشرقية ٢٢٩-٢٣٩

ن

النارجيل : دهنه ٢٨٢
نسخة خطية من شعر الاخطل وجدت مؤخرًا في طهران ٢٣٩-٢٤٤
نشوار المحاضرة (كتاب) ٥١١
النصارى في مكة قبيل الهجرة ٦٩-٩٧ ؛ ٢٦٤ - ٢٨٧ - آمهات اشراف المسلمين النصرانيات ٢٥٣

ه

هردر (هرمان) ٤٢٦
هل كان انس ابو البركات ابن كبر شاعرًا ؟ ١٧٧
هل كان المسيح نجّارًا ؟ ٢٤٤-٢٥٦

AL - MACHRIQ

Revue Catholique Orientale Mensuelle

SCIENCES—LETTRES—ARTS

Sous la direction des Pères de la Cie de Jésus

UNIVERSITÉ St JOSEPH

Trente cinquième année

1937

BEYROUTH
Imprimerie Catholique
1937

TABLE DES SOMMAIRES

XXXVe ANNÉE, 1937

JANVIER-MARS

Le Père Sébastien Ronzevalle 1865-1937. (p. 1) *La Rédaction.*

La légende d'Alexandre le Grand et le Qoran. (p. 8) *Mr H. Maqdisi.*

Notices et Extraits des manuscrits orientaux. (p. 13). *Mr H. Zayat* : Un document inédit du XVe s. (p. 13). Le couvent de Roummanin aux environs d'Alep. (p. 22). Le couvent de Ṣalîbā à Damas. (p. 24). Les pommes de Damas. (p. 29). Les vieux quartiers de Damas. (p. 33). La confession chez les Ṣoufis. (p. 36). Hérésies et écoles philosophiques à Bagdad au Xe s. (p. 37).

Les tendances modernes de la littérature arabe : le théâtre. (p. 41) *Mr Saïd Akl.*

Les tendances modernes de la littérature arabe : la poésie. (p. 53) *Mr J. Ghassoub.*

Les Chrétiens à la Mecque, à la veille de l'hégire : I. (p. 69) *P. H. Lammens S. J.*

L'art chrétien de Syrie et l'art des Omayyades. (*illustré*). (p. 97) *P. R. Mouterde S. J.*

Essais sur la littérature. (p. 107) *Mr F.-E. Boustany.*

Varia : Leçons de Lettres Orientales 1936-1937. (p. 121). La Providence chez Avicenne. (P. Massad). (p. 123). Le P. Joseph Mongin 1874-1937. (p. 126).

Bibliographie (p. 128).

AVRIL-JUIN

Le P. H. Lammens 1862-1937. (p. 161) *P. F. Taoutel S. J.*

Notices et Extraits des manuscrits orientaux. (p. 177). *Mr H. Zayat* : Ibn Kabar fut-il poète ? (p. 177). *Al-Moqaffā* d'al-Maqrīzī. (p. 180). Ibn Kuṣagim (p. 182). Ibn Mamdoud—As-Sa'īdī. (p. 183). Ibn 'Obaïdillah—Abou Zor'a. (p. 187). Ibn al-Ḥarīrī. (191). Al-Aṣfahanī. (p. 192). Ad-Damīrī. (p. 194). Al-Ḥabouchanī. (p. 196). Al-Kindī. (p. 197). Al-Mobarrad. (p. 199), Notes linguistiques. (p. 202) Notes bibliographiques : Mikhaël Barīk (*illustré*). (p. 209). Ibn al-Forat. (p. 217).

Le rôle des Maronites dans le retour des Églises Orientales. (p. 229) *Abbé P. Raphael.*

Un manuscrit du dîwan d'Al-Ahtal découvert récemment à Téhéran, (*illustré*). (p. 239) *P. A. Salhani S. J.*

Le Christ fut-il charpentier ? (p. 244) *Mr S. Jébeljof.*

Fahr ad-Dîn II et ses relations avec les puissances européennes. (p. 256) *Abbé L. Khazen.*

Les Chrétiens à la Mecque, à la veille de l'hégire : II (*fin*). (p. 264) *P. H. Lammnes S. J.*

Bibliographie (p. 287).

JUILLET-SEPTEMBRE

Mœurs et traditions romaines : Bains — Banquets — Théâtres et Cirques, (*illustré*). (p. 321) *Émir M. Chéhab.*

Notices et Extraits des manuscrits orientaux. (p. 339). *Mr H. Zayat* : Les mosaïstes grecs melkites. (339). La mère de Ḫalid al Qasrī et les autres mères chrétiennes. (p. 353). Daïr Quzman au nord d'Alep. (p. 361). Daïr Ḥanaïna aux environs de Damas (p. 363). Les abricots de Damas. (p. 365). Un livre sur l'art culinaire. (p. 370). Le pain de riz. (p. 377). Le pain d'épices. (p. 380). L'huile de noix de coco. (p. 382). Un livre sur les anciens métiers. (p. 384).

La poésie de Joseph Ghassoub. (p. 391). *Mr Saïd Akl.*

Le diaire de Na'oum Baḫḫaš, instituteur alépin (1855-1865) : I (*illustré*). (p. 401) *P. F. Taoutel S. J.*

Varia : Institut de Lettres Orientales, année scolaire 1937-1938 (p. 432) H. Herder (436).

Bibliographie (p. 437).

OCTOBRE-DÉCEMBRE

Jupiter Héliopolitain, d'après les travaux du P. Sébastien Ronzevalle, (*illustré*) (p. 465). *P. H. Moutcrde S. J.*

Une page inédite de l'histoire de la revolte druze (1834-1838) p. 475). *Dr Asad Rustum.*

Notices et Extraits des manuscrits orientaux. (p. 491). *Mr H. Zayat* : Les banquiers dans l'Islam. (p. 491). Le papier-monnaie. (p. 497). *Adab al-Wuzarā'*, manuscrit inédit. (p. 501). Incrustation et damasquinage (p. 508). L'histoire de Tanouḫī. (p. 511).

Fahr-ed-din II et l'état de Toscane. (p. 526). *Abbé P. Carali.*

Le diaire de Na'oum Baḫḫaš, instituteur alépin (1855-1865) : II (p. 535) *P. F. Taoutel S. J.*

Une page de l'histoire contemporaine du Liban (p. 561). *Mr M. Rizqallah.*

Bibliographie (p. 579).

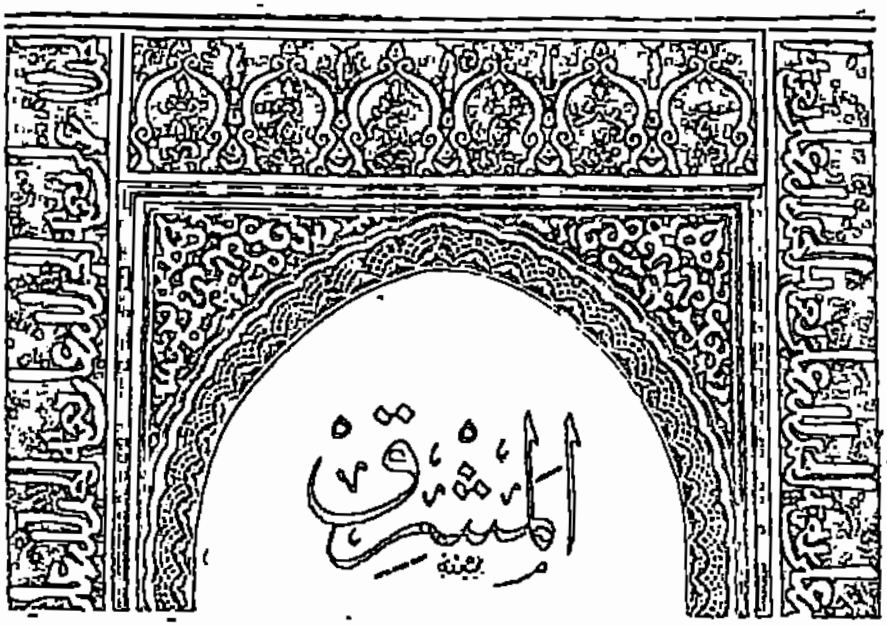

السنة السادسة والثلاثون

ك ٢ – اذار ١٩٣٨

الحجارة المؤلَّهة

وعبادتها عند العرب الجاهليين

من آثار المرحوم الاب هنري لامنس

اذا درسنا مظاهر العبادات ، قبيل الاسلام ، في بلاد العرب ، ولا سيما في منطقة الحجاز وما يجاورها من انحاء نجد ، في تلك المنطقة التي اصبحت « مهد الاسلام » فنالت من اهتمامنا القسط الأوفر ؛ اذا درسنا مظاهر العبادات نجدها تكنّ ، وراء تنوّعاتها المحلّية ، صفةً شاملة هي النزوع الى تكريم الحجارة المؤلّهة ، تكريماً لا يختصّ بقبيلة ، ولا ينفرد به بلد. وهذا القرآن والشعر القديم شاهدان على انتشار الأنصاب في انحاء الجزيرة . وهل يمكن ان نردّ تأييدَ هذا الانتشار الى شهرة المعبدَين القُرَشيَّين ، الصفا ومَروَة — وكلاهما من اسماء الحجارة ![1] — فنزعم انّهما عملا على إيهام الرواة

١) اطلب ابن دريد : الاشتقاق ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٨٠ ؛ ابن الاثير : أسد الغابة ٣ : ٣٥ (قابل باسم العلم : عبد الحجر) ؛ الطبري : التفسير ٢ : ٣٥

وجماع الاحاديث الاسلامية بان عبادة الحجارة كانت عامة في بلاد العرب ؟ ومهما يكن من أمر فان أثريي العرب القدماء ، والعانين بشؤون الديانات من مؤرخيهم ، أولوا مثل هذين الاسمين ، وفهموا مثل هذه المعلومات على طريقة ظاهرية بحتة[1] ، جارين في ذلك على مزاعمهم التقليدية في شمول عبادة الكعبة ، وتفوق قريش حتى في ايام الجاهلية[2] . فاخذوا يزعمون ان كل الحجارة التي تكرمها القبائل مأخوذة في اصلها من الحرم المكي ؛ على حدّ ما روى ابن هشام عن ابن اسحق ، فقال : « ويزعمون ان اول ما كانت عبادة الحجارة في بني اسماعيل انه لا يظعن من مكة ظاعن منهم ، حيثما ضاقت عليهم والتمسوا الفسح في البلاد ، الّا حمل معه حجرًا من حجارة الحرم ، تعظيماً للحرم . فحيثما نزلوا وضعوه ، فطافوا به كطوافهم بالكعبة . حتى سلخ ذلك بهم الى ان كانوا يعبدون ما استحسنوا من الحجارة واعجبهم .»[3]

وقد رأينا ان ندرس ، في الصفحات التالية ، بعض مظاهر العبادة ، والمؤسسات الدينية عند العرب الجاهليين مهتمين خاصة بما أهمل درسه حتى اليوم من تأثير الطواف الطقسي في عبادة الحجارة المؤلهة .

١

« تنتقل القبائل البدوية ، ولكن لا ينتقل موضوع عبادتها . فان الحجارة لا تحمل مع الظعن ، كما كانت الحال في مظلة يَهوه[4] .»

هذا حكم ولهوسن بعبارته الموجزة الجازمة ، وبما يميّز اسلوبه من رغبة دائمة في التفتيش عن الأشباه في الكتاب المقدس[5] . ونحن لا ننكر ان كتابه افضل

---

١) ابن هشام : السيرة ، ٥١ ؛ الازرقي ٧٣ ؛ الدارمي : السُنَن (مخطوطة ليدن) ص ٢ (وجه) ؛ ابن دريد : الكتاب المذكور ٧٦ وفيها : « اذا وجد حجرًا احسن من حجر اخذه وعبده » ؛ و٢٢٦ وفيها ذكر سيّد اسمه «ذو الرَوْة» قد يكون كاهنًا (؟) ؛ السيرة الحلبية ١ : ١١٧ ؛ اسد الغابة ٣ : ٢٢٥ ؛ السمهودي : وفاء الوفاء ٢ : ٢٧٣ .

٢) اطلب كتابنا ... *Yazīd*, p. 38 ٣) ابن هشام : السيرة ، ٥١

٤) يَهوه : اي « الذي هو » ، اسم الله أوحى به تعالى الى موسى في سفر الخروج

٥) Wellhausen, *Reste arabischen Heidentums*², p. 102

ما لدينا من بحث في الشرك الجاهلي . على ان احكامه المطلقة الحاسمة قد تكون بحاجة الى شيء من التحفّظ والاحتياط . وسنعرض لمناقشة واحدٍ منها ، كما سبق لنا فناقشنا بعض قراراته في « الاحابيش »[1] وفي « نصارى مكة »[2].

قد يمكن الدفاع عن حكم ولهوسن في الحجارة المؤلّهة ، اذا ما حصرنا درسنا في العهد الاخير من الشرك الجاهلي ، وقد وصل الى اقرب حالاته الينا ، اي الى ما قبل الهجرة بقليل . بيد اننا نرى ، في هذا العصر نفسه ، شواهد على نقل هذه الحجارة المكرّمة . من ذلك شهادة ابن سعد بشأن الحجر الأسود الذي « انزلته قريش من ابي قُبَيْس قبيل الإسلام باربع سنين . »[3] وليس لنا ان نناقش قيمة هذا القول ، ولا ان نقابل بينه وبين ما تورده «سِيَر» الرسول جماء من ان محمّدًا اعاد الحجر الأسود نفسه الى ركن الكعبة ، وقد تمّ ترميمها . على ان ما يهمّنا من الحادث هو ان المؤرّخين ، اذا ما عرضوا لهذا الموضوع في العصر الجاهلي المتأخر، ولا سيما في العصور التي تقدّمته، يمرّون بسهولة ، في القول عن الحجارة المؤلّهة او تلك الاصنام التي تمثل المعبودات الجاهلية : الحجارةَ المحمولة او المنقولة ، والحجارة الثابتة . وهذه الحجارة الاخيرة وحدها كانت مركوزة لا تتزحزح من محالّها . وقد تكون منها المعابد الخاصة بالحجاز ، ولا سيّما معبد مكة . هذا ما قد يظهر من درس تلك الوثائق المتراكمة المضطربة التي جمعها منظّمو « السيرة » الرسمية[4].

اما الحجارة من النوع الأول ، فيجب على الباحث ان يقرأ بسرعة غريبة ، وسهو عجيب « ايّامَ العرب » القدماء ، واخبارَ « المغازي » النبوية ، ليُنكر انها كانت تنتقل مع القبائل من منزل الى منزل ، ولا سيّما في تنقّلاتها الحربية

١) راجع : الاحابيش والنظام العسكري في مكة زمن الهجرة ، في « المشرق » (٣٦ [١٩٣٦] ١–٢٢ ، ٥٢٧–٥٥٥)

٢) راجع : النصارى في مكة قبيل الهجرة ، في « المشرق » (٣٥ [١٩٣٧] ٦٦–٩٧ ، ٢٦٤–٢٨٧)

٣) ابن سعد : الطبقات ١ : ١٢

٤) وقد يبدو في بعض اقسامها تجاهل بأمر هذه الحجارة المؤلّهة ، الّا في ما خصّ «الحجر الأسود» ومعبد الصفا ومَرْوَة

وحركاتها العسكرية . وهذا خبر وقعة أُحد ، وقد أنزلته «السيرة» على الرحب والسعة ، يظهر لنا ابا سفيان «يحمل اللّات والعُزّى».[1] ولا يخفى ان ابا سفيان يبدو ، في هذه المجموعة ، سيّد مكة المطاع « وقائد الناس »[2] ، بل « ربّ تهامة ».[3] وهكذا يوليه المحدّث او الراوي اعمال السيّد المدنية والدينية ، تلك الأعمال التي اختصّ بها في القبائل العربية الكبرى مَن جمعوا بين صفة الربّ ، او السيّد ، وصفة الكاهن. وقد اخذ راوي الموقعة بهذه الصفة المزدوجة في شخصية ابي سفيان حتى انه في آخر ذاك اليوم المشؤوم على المسلمين ، يعود فيلمّح الى وجود تلك الرموز الدينية — اي الحجرين المقدّسين — في حوزة ابي سفيان ، اذ يجعله يَصيح مخاطباً اصحاب النبي :

ألا ! لنا العُزّى ، ولا عُزّى لكم ! [4]

ولعلّ من المفيد ان ندرس الاسبقية بين روايتَي هذا الحادث ، وعلاقتهما الواحدة بالاخرى. ولكننا نخشى ان نوليها اكثر مما يستحق الحادث من اهمية[5]. فنكتفي بالقول ان الحديث حفظ ذكر وجود الحجارة المنقولة حتى في ما بعد الهجرة بقليل.

وليس المثل الذي ذكرناه بالوحيد من نوعه . فان اخبار الطائف الجاهلية تطلعنا على وجود « اللات » في احدى المعارك المهمّة من حرب الفِجار . وهناك خِباء او « بيت » نُصب قبل المعركة ليكون محلّاً ، على ما يظهر ، لإلاهة

١) الطبري : ١ : ١٣١٥ ؛ الاغاني ١٤ : ١٥ ، ٢١ . والحادث ، مأخوذ عن « سيرة » ابن اسحق ، واذاً فهو يرقى الى اقدم المصادر

٢) ابن هشام : السيرة ٥٥٧ ، في شأن أُحُد : وقابل بما في ص ٦٧٠

٣) قابل بما ورد عن « كاهن سيّد اهل تهامة » ابن دريد : الاشتقاق ٢٧٦ . وسنعود الى ذكر الجمع بين رُتبتَي السيّد والكاهن

٤) الطبري ١ : ١٤١٨ ؛ ابن دريد : الاشتقاق ٢١٦ — معنى « العُزّى » القويّة ، القادرة ، كما لا يخفى. وقد يكون هذا السبب في ذكرها هنا منفردةً . وهي تجمع عادةً مع اللات ، بل تتقدّمها اللات في الأعيان.

٥) أو ترى ولهوسن سها عن هذا الحادث . ام انه يوليه ثقةً اقلّ مما يولي اسطورة ذبح عبد المطّلب ، وقد اكتشف فيها تفوّق هُبَل على سائر المعبودات القُرشيّة ؟ وسنعود الى هذا البحث

الطائف ، او « ربّة الطائف» . وكان « مدار » الخباء يمثّل حدّ حَرَم منيع لا يمكن خرقه ، فيظلّ ملاذًا امينًا للاجئين[1] . وهذا ما اشار اليه احد الشعراء المعاصرين ، ضِرار بن الخطّاب الفهري ، ذاكرًا انكسار الثقفيين ، وفرارهم مضطربين لائذين بحمى حجرهم المؤلّه ، فقال :

وفرّت ثقيفٌ الى لاتها بمنقلب الخائب الخاسر[2]

ولقد كان من الممكن ان نستنتج من البيت السابق ان المقصود معبدٌ للّات مبنيّ في المدينة ، لو لم نكن مطّلعين على تفاصيل «اليوم» او المعركة[3] ، عارفين بان اهل ثقيف لجأوا الى ما حول الخباء المقدّس ، وقد ضُرب في ساحة المعركة .

وعلى مقربة من الطائف ، مقاطعة جُرَش ، كان اهلها يعبدون الصنم يَغُوث . وهو من الآلهة اليمنية الأصل التي كثيرًا ما نُقلت من حيّ الى حيّ . وقد لخّص ولهوسن نفسه تنقلات هذا الإله استنادًا الى مرويّات ابن الكلبي[4] .

وهناك بيت شعر على شيء من الغموض ، لسوء الحظ ، من قصيدة لعبيد بن الأبرص قد يشير الى ان بني جديلة تركوا معبودهم الخاصّ في ساحة القتال . وهو :

وتبدّلوا اليعبوبَ بعد إلاههم صنمًا ، فبِرّوا ، يا جديلَ ، وأعذِبوا[5]

وليس من شكّ عندي في اننا ، لو درسنا آثار الشعراء الجاهليين بامعانٍ وترتيب ، لوقفنا على تلميحات عديدة من هذا النوع . وكذلك قد نصل الى

---

١) الاغاني ١٩ : ٧٩–٨٠ – وكان هذا الخباء يُدعى «بيتًا» لا مضربًا عاديًا (راجع الاغاني ١٩ : ٧٩ في اسفل الصفحة) ويجب ان نفهم « بالبيت » هنا لا *Haus* كما ترجم ولهوسن (*Reste*, 194) بل « قُبّة » طنبيّة تُظلّ الحجر المؤلّه ، بل « الحجر المؤلّه » نفسه احيانًا ؛ وهو بيت إيل اي بيت الله .

٢) الاغاني ١٩ : ٨٠

٣) الاغاني ١٩ : ٧٩–٨٠

٤) راجع *Reste*, 21 ؛ وقابل بما في : L. Delporte, *L'anathème de Jabvé et le herem préexilien en Israël*, 302, dans *Recherches de science religieuse*, t. V, 297.

٥) ديوان عبيد بن الأبرص : القصيدة ٣ ، البيت ٦ – وجاء في شرحه : « اليعبوب : صنم لعبدهم . قال ابن سكّيت : اعذبوا : كفّروا . » – راجع ايضًا ترجمة الطابع Lyall وما وضعه من تعاليق

النتيجة نفسها في درسنا الرُّتَم الجاهلية في بلاد العرب . وهذا ولهوسن نفسه ينتهي الى الإقرار بوجود « بعض الاشياء المقدّسة التي تُنقل زمن الحرب »[1] . على انه إقرار غير كافٍ اذا ما انتبهنا للامثلة المذكورة اعلاه . وهو ، فوق ذلك ، لا يتفق مع ما نعرف عن اثر الكهّان وتنوّع اعمالهم وصلاحياتهم ، كما سنُبين فيما بعد .

وكأنّ ولهوسن ورجال مذهبه أغمضوا عيونهم حين مرّوا بهذه الآثار من « بقايا الشرك العربي » القديم . والله أعلم بما كانت تحتله في هذه « البقايا » مظاهرُ « الدوار » ، و« الطواف » ، و« المسعى »[2] و« الإفاضة » . ولقد كان في غنى هذه المترادفات[3] منبّهٌ لهم لو شاؤوا ان ينتبهوا . ومن الحقّ اننا لا نعرف ديانةً مثّلت فيها الطوافات الطقسيّة دورًا يشابه اهميةً واختصاصاً هذا الدور الذي مثّلته في الديانة الجاهلية . ولم يكن الحجّ الّا طوافاً طويلًا في موكب عام تقطّعه سلسلة من المحطّات . وقد هجي القرشيّون بانهم لا يحسنون الّا السير في هذه المواكب ، فقيل :

فانّما النتال ، لا قتال لديكم ؛ ولكنّ سيرًا في عراض المواكب[4]

* * *

ولنذكر ما كانوا يستعملونه من افعال للدلالة على هذه الحركات . كانوا يقولون « أطاف بِ ، ودار بِ » . ومعنى هذا ، في نظرنا ، لا الطواف العادي او الدوران حول الحجر المؤلّه ، بل « الزيّاح » او الدورة التي كان يُحمل فيها الحجر نفسه « فيُطاف به » او « يُدار به »[5] .

ولا يخفى ان العرب الجاهليين كانوا لا يقومون بنزوة مهمّة الّا اذا اصطحبوا

---

١) *Reste*, 102, n. 2

٢) لاحظ خاصّة التعابير : « طاف بين » ، « سعى بين » . . . (صحيح مُسلم ١ : ٤٨٥ ، ٤٨٦)

٣) ولنضف إليها « العُمْرة » وهي طواف مكّي في شهر رجب . وقد جرّدها الإسلام من معناها الاصلي القديم ، كما سنرى .

٤) الاغاني ١ : ٢٠

٥) راجع ابن هشام : السيرة ١٤٢

معهم كاهناً يصل بينهم وبين ارادة الاله ، وسادناً يخدم هيكل هذا الإله ، وبعض العائفين والقائفين[1] من المَهَرَة في معرفة الغيب وتأويل الإشارات ، واطلاع القبيلة على حركات اعدائها . وكان هؤلاء الموهوبون يفيدون المحاربين بمعلوماتهم الغيبيّة، ومقدرتهم السرّية قبل الرحيل ، وطول الطريق ، ولا سيّما في اثناء المعركة. ولم يكن احد ليشكّ في هذه القدرة الفائقة الطبيعة.[2] حتى ان عبيد بن الأبرص ذكر ما يتعرّض له من النتائج السيّئة في الحرب مَن يحتقر استشارة هؤلاء العرّافين. ومن هذه النتائج تولّد الإيجاس وعدم الثقة في نفوس المحاربين.[3] ولم يكن من الغريب في شيء ، ولا من النادر ، ان يجمع الشخص نفسه ، في ايّام الجاهلية البعيدة ، بين رتبتي الكاهن والسيّد . وكان من الطبيعي اذاً ان يرئس هذا الكاهن الجيش المحارب فيقود الغزوة حيث شاء . من هؤلاء القوّاد - السادة - الكهّان كان زهير بن جَناب الكلبي ، وزهير بن جذيمة العبدي . ولقد كان مسعود ، زوج سُبَيْعة ، قائد الثقفيين في حرب الفِجار ، من سَدَنة معبد اللات.[4] ولهذا رأيناه ، قبل ابتداء المعركة ،ينصب الخِباء - الملجأ، ذاك الخِباء الذي نعتقد انه كان يحتوي على « الرَّبة » او إلاهة مدينة الطائف.[5]

وقد ورث خلفاء الاسلام وولاتهم عن الكهنة - السادة القدماء حقّهم في الصلاة بالناس ، وترؤس الحفلات الدينية. ولهذا كان ما يقومون به من «عَزيمة»

١) يذكر ابن دريد قبيلةً فيها اشهر العائفين والقائفين : الاشتقاق ٢٨٨

٢) راجع الاغاني ١٠ : ٢٨ ، وفيها صفة نادرة هي «حازِره» ، «حَزّارة» في الكلام عن بني أسد. والاغاني ١٥ : ٧٣ ، وفيها ذكر كاهن يستشيره الناس قبل الغزوة . اطلب ايضاً عبيد بن الأبرص : ديوانه ، القصيدة ٢ : ٢ . . . البحتري : الحماسة ، الرقم ٨٦٢ ، وفيها اشعر اقوال العرّافين. وفي اسد الغابة ٥ : ٧ ذكر لكاهن يستشير الصنم.

٣) الاغاني ١٣ : ٤١ ، وديوان عبيد في الموضع المذكور.

٤) يُخطي ولهوسن (*Reste*, 130) اذ ينفي وجود هذه المراتب الاكليريكية . وليس في النصوص القديمة ، ولا الحديثة ، ما يجيز له هذا النفي. بل اننا نرى الأمر على ضدّ ما ذهب اليه . وقد نقل ابن هشام (السيرة ٥٥) ما كان مروياً من ان بني معتّب كانوا كلهم من سَدَنة اللات وحجّابها في الطائف . وبفضل هذه الميزة أرسل النبي المغيرة بن شعبة ليضبط ما في بيت الالاهة المذكورة . راجع بحثنا في *Ziad*, p. 3

٥) الاغاني ١٩ : ٧٩-٨٠

او « مناشدة »[1] ثابت المفعول مضمون التأثير ، كما كان الشأن بعزائم الكهّان ومناشداتهم . ولهذا كان لهم الحقّ بصلاة «الاستسقاء» ايام الجدب . كل هذه الميزات من تُراث العهد الجاهلي . وقد ظلّ الخلفاء حريصين عليها طول ما كانوا قريبين من العهد البدوي ، متعلّقين بالتقاليد العربية . ولمّا بعدت الشقة بينهم وبين العروبة ، اخذوا يهملون هـذه الميزات شيئاً فشيئاً ، حتى تخلّص منها العبّاسيّون ، فكلّفوا القيام بها بعض رجال دولتهم . ومن ذاك الحين اصبح من الصعب الاطّلاع على المؤسّسات العربية القديمة من خلال المظهر الجديد الذي اتّخذه الإسلام.

ليس في بلاد العرب — بل في المناطق التي ندرسها من بلاد العرب[2] — طبقة اكليريكية خاصّة. انما يقوم مقام هذا النظام المعروف في الديانات الكتابية ، طائفةٌ من المتصلين بالآلهة على طريقة بسيطة كالعرّافين ، والزاجرين ، والقائفين ، والسَدَنة . نقول: على طريقة بسيطة ، لأنه ليس لهذه الطائفة ما يميّزها او يرفعها عن سائر الناس. فلا مسحة خاصّة ، ولا رتبة ، ولا رسامة ، ولا إعداد للوصول الى هذه الدرجة . فلا فرق في اساليب المعيشة بينهم وبين ابناء قبيلتهم . لهم ما لها وعليهم ما عليها . لا يتراجعون عن غزوة ، ولا يتأثّمون من اهراق دم . بل كان منهم مَن يقود الجيوش فيُنعت « بكثير الغارات »[3] ومنهم من يجمع الى لقب « صاحب بيت » القوم ، او « السادن » ، لقب « صاحب فتاحتهم »[4] دلالةً على بلائه في الغزوات والغارات المهمّة . ومثل هذا كثيرون تارةً يدنون قرب المعبد او « بيت الله » ، وطوراً يدافعون على ظهر الفرس المطهّم، جامعين بين الكهانة والفروسية.[5] وقد يتسمّى الرواة اسم الاله او الحجر المؤلّه الذي

١) الاغاني ١٤ : ٩٦ ؛ ١٥ : ١٥

٢) تاركين « بلاد العرب السعيدة » في الجنوب ، او اليمن ، لأنها تتّصف بتطوّر ديني خاصّ.

٣) راجع كتابنا : *Le Berceau de l'Islam*, I, 257 ؛ والاغاني ٨ : ٦٦ ، وفيه ذكر لكهنة قُتلوا في الحرب ؛ الاغاني ١٥ : ٧٥ ، ٧٦

٤) البكري: المعجم ٣٤

٥) في ابن دريد : الاشتقاق ٢٢٦ ، ذكر كاهن-فارس . و« الفارس » من مرادفات « السيّد » في اللغة القديمة.

يخدمه هؤلاء الفرسان - الكهنة ، ولكنهم لا ينسون اسم الفرس ، رفيق البطل في غزواته المشهورة. وهكذا عرفنا ان الكاهن المشهور عمرو بن الجُعَيْد الملقّب بالأَفْكَل[1] ، كان له جواد ذائع الصيت ، نادر الصفات ، اسمه هَبُود فكان يُنسب اليه فيُقال: « فارس هَبُود. »[2] وقد قُتل هذا الكاهن - الفارس في احدى الغزوات[3]. وكانت هذه الميتة جديرة به بعد ان اشتهر بالبطش مدة سيادته بني ربيعة كما اشتهر بالبغي كذلك[4].

وقد يدعى الكاهن احياناً « بالحَكَم » . وهي رتبة تفرض عادةً رتبة السيادة[5] ، وتدعو الناس الى استشارة صاحبها ضرورةً قبل القيام باية غزوة او غارة.[6] ولا يخفى ان تأثير هؤلاء « الحكام » واختبارهم الشخصي ، اذا

---

١) نقائض جرير والفرزدق (طبعة Bevan) ١٥٤ ، ١٥٥ ؛ ابن دريد: الاشتقاق ١٩٧ . و« أفكل » اسم لا صفة كما ظنّ الاب جوسّن في *Revue biblique*, 1911, 591 ؛ اطلب زهير (في طبعة Ahlwardt) ٩١ ؛ ابن السكّيت : تهذيب الالفاظ (طبعة شيخو) ١٨٣ ؛ حسّان بن ثابت : الديوان ٦ : ١٠ ؛ ابن سعد: الطبقات ١[1] : ٤ ، ٣[1] : ٢١١ ؛ ياقوت: معجم البلدان (الطبعة المصرية) ١ : ٣٥٣ ؛ الاغاني ١٥ : ٧٥ ، ٢١ : ١٨٦ ؛ الجاحظ: البخلاء ٢٤٧ ؛ اسد الغابة ٣ : ٢٦٢ ؛ ابن الأثير : النهاية ٤ : ٢١١ ؛ وراجع ايضاً المعاجم كلسان العرب والتاج . . .

٢) كثيراً ما كان يشتهر الفارس بجواده في العصر الجاهلي . راجع ابن دريد: الكتاب المذكور ٨٥ ، ٨٦ ، ١١٦ ، ١٢١ ، ٢١٤ ، ٢٢٢ ، ٢٢١ ، ٢٦٢ ، ٢٨٦ . وذلك ان الجواد حيوان ثمين عزيز لا يتمكن من اقتنائه الّا الاغنياء المُترفون : الاغاني ١٣ : ٥٣ ، ١٤ : ٦٦ ، ١٦ : ٢٠ ، ٢١ ، ٣٠ : ١٦٥ ، وقابل بما في الاغاني ١٠ : ١٢ ، ٦٧ ، ١١ : ٤٤ ؛ و *Berceau, I*, 140 ؛ نقائض جرير والفرزدق ٢٤٧ ؛ ابن قتيبة: المعارف ١٤٠ ؛ العِقد ٢ : ٦٣ ، ٦٤ . ولم يكن العربي يملك عادة الّا جواداً واحداً ، واذا زاد فجوادين : الاغاني ١٦ : ٤٧

٣) الاغاني ١٥ : ٧٥ ، ٧٧

٤) قال عنه ابن دريد : « كان سيّد ربيعة وكان ذا بغي » (الاشتقاق ١٩٧)

٥) البكري: المعجم ٤٢ . راجع *Berceau, I*, 257-258, 370

٦) في ابن قتيبة : المعارف (الطبعة المصرية) ٢١ ، ١٠١ : « حكيم العرب » . وقد ترد اللفظة على صورة « حَكَم » او « حاكم » او « حكيم » وكلّها تدلّ على اضطراب القراءات الاولى بسبب اهمال حروف المدّ (الاغاني ١٥ : ٧٣) . راجع ابن دريد: الاشتقاق ٤٧ ، في شأن الترادف بين « حاكم » و« حَكَم »

تُرن بما كان يُنسب اليهم من انوار علوية ، افادتا مبلغ النفوذ الذي كان لهم ، والأثر البعيد الذي كان لاقوالهم واشاراتهم. واذاً فليس بغريب ان يستشيرهم القوم ، في طريق الغزو ، وان يطلبوا اليهم الدلالة على الغيب . هـذا اذا لم يلجأوا الى ساحرة او كاهنة ، او « ساحرة عجوز » ، يرجون منها معاونتهم على الأعداء . فتُرسل «الأسجاع» النافذة . والأسجاع فقرات غامضة المعنى ، غريبة المبنى ، مسجعة المقاطع ، ناجعة التأثير حتى انها تقيّد حركات العدوّ عن بعد ، فتشوّش خططه ، وتفسد سلاحه[1]. وقد ظلّ اثر هذه العادات الدينية منتشراً الى ما بعد الإسلام . فرأينا في وقعة «الجمل» امرأة تُنشد رَجزاً تدعو به على جمل علي[2] ، آخذةً في عملها هذا ، دون قصد ولا تعمّد ، بذاك التقليد القديم الذي عرفناه لكاهنات الجاهلية . وليس من فرق كبير بين «الرجز» و«سجع» الكاهنات الساحرات.

وكان الجاهليون يلجأون احياناً في اطلاعهم على الغيب ، الى إجالة السهام او « الأزلام »[3]. وكان لا بدّ لهذه الاستشارة في مكة من ان تكون قرب الكعبة ، اي انها تفرض قربها من المعبود الخاصّ بالقبيلة[4]. ولهذا كان القوم ، اذا سافروا ، اهتموا بنقل « البيت » اي « بيت الله » = بيت إيل او الحجر المؤلّه[5] . ولقد كان له المركز المهمّ في التشوّف الى معرفة الغيب بواسطة الأزلام او السهام المقدّسة[6].

* * *

١) الاغاني ١٢ : ٧١ ، ٧٥ ، ١٨ : ٢١٧ ، ٢٠ : ٤٢ وفيها ذكر « كاهنة تسجع لهم ».

٢) مطهّر المقدسي (طبعة Huart) ٥ : ٢١٢ ؛ قابل بما في الاغاني ٣ : ١٨٦

٣) قابل اليعقوبي : تاريخه ١ : ٢٠٠ . وهناك ذكر لكاهنة كانت حكماً : اليعقوبي ١ : ٢٨٧؛ابن سعد :الطبقات ١[1] : ٤١ ، ٢٦ – وقد تُستعمل الحصى في معرفة الغيب . ابن دريد : الكتاب المذكور : ٢٧٧ : « الكاهنة تطرق الحصى » (الاغاني ١٤ : ٦٦)

٤) ابن هشام :السيرة ١٧٠–٦٨

٥) وهناك « الذُبّة » التي تنصب للحَكَم : الاغاني ١٣ : ٥٤–٥٥

٦) راجع ولهوسن Resle, 132 ؛ الطبري ١ : ١٠٧٥ . ذكر أسرة مشهورة بالمرافة : « بيت عيافة وقيافة » ؛ الاغاني ٣ : ٦٤

لسنا اول من نبّه الى عادة العرب القدماء بوضع جمل وقُبّة في صفوف المتحاربين . اما الغاية من ذلك فهي هياج حميّة القوم في الدفاع عن القُبّة حتى آخر نفس ، بل الموت في سبيل القُبّة . وهو معنى تلك اليمين التي كانوا يقسمونها بان لا يتراجعوا الّا اذا تحرّكت القُبّة . وكثيراً ما كان السيّد يحلف عنهم فيُقسم « ان لا يفرّ حتى تفرّ القُبّة . »[1] ولِمَ هذه الحماسة في الدفاع عن القُبّة ؟ لِمَ القيام بكل هذه التضحيات على طريقة احتفالية ؟ ولِمَ نرى البكريين ، يومَ ذي قار ، يستميدون حميّتهم وشجاعتهم ، امام الجيوش الفارسية المنظّمة ، لمجرّد ظهور القُبّة ! ذلك اننا نشهد حفلة دينيّة تظهر رمزاً مقدّساً . فان نصب القُبّة في ساحة الحرب دليل على اهمّية المعركة ، وخطورة الحالة التي تتعلّق بها سلامة القبيلة بل كيانها نفسه . ولم تكن القُبة لتُنصب الّا في مثل هذه الخطوب ، لا في غزوة بسيطة ، او غارة عاديّة ، او ثار فردي وان تعلّق بشخص السيّد نفسه . والحال ان هذا الاحتفال المؤثّر لا ندرك كل معناه الّا اذا انتبهنا للصفة المقدّسة التي كان العرب يولونها القُبّة والجمل الذي ترفع عليه . يولونها هذه الصفة المقدّسة لأنها يحملان الحجر المؤلّه ، او الشيء الرامز الى الاله المعبود . وقد لا أُخطئ القصد اذا رأيت اشارةً الى شيء من هذه العادة في في بيت للكميت يقول :

وقد آلت قبائل لا تولّي مناةَ ظهورَها متحرّفينا[3]

ومعناه ان هذه القبائل أجمعت امرها في الحرب وأقسمت بانها لا تولّي ظهورها للصنم مناة الموجود في المعركة ، اي انها « لا تفرّ حتى تفرّ القُبّة . » ولا يخفى ان الكميت كان « خبيراً بايّام العرب »[2] ، وقد طالما انعم النظر ، هو وزملاؤه من شعراء الأمويين ، في منظومات الشعر الجاهلي . ومما يؤسف

١) الاغاني ٣٠ : ١٣٦ ؛ الطبري ١ : ١٠٢٨ ؛ *Berceau*, I, 193, notes ؛ اسد الغابة ٤ : ٢٠٦ ؛ مسلم : الصحيح ٢ : ١٢٣ . وفيه مثل هذا القسم منسوباً الى النبي تحت شجرة الحُدَيبيّة . — وقد يستبدل حَجَرٌ بالقبة . اطلب نصر بن مزاحم : كتاب صِفّين (طبعة الند الحجرية) ١١٧

٢) ابن هشام : السيرة ٥٥

٣) الاغاني ١٥ : ١١٢

له ان ابن هشام لم يورد الّا هذا البيت المفرد من قصيدة للكميت[١]. وهو لو اكثر من مثله لاستفدنا من آثار هذا الشاعر شيئاً غير «هاشمياته» المملة المتتابعة على وتيرة واحدة.

وبعد ظهور الاسلام، في معركة الجمل، زى الجمل المقدّس نفسه وعليه القبّة. ولكن الحجر المؤلّه غير موجود طبعاً، وقد حلّت محلّه عائشة نفسها، «امّ المؤمنين»، تهيج المقاتلين من هودجها او من «قُبّتها».[٢] وما عدا هذا الابدال فان المشهد لا يختلف عمّا عهدناه في يوم ذي قار. ولا شكّ في ان بعث هذه العادة الطقسية القديمة لدليلٌ على ان مقتل الخليفة عثمان أثّر في كيان «الجماعة» الاسلامية نفسها. وليست هذه الجماعة الّا وحدة اجتماعية نظريّة عمل القرآن على احلالها محلّ الوحدة القبيليّة. وقد عمل كذلك على اقصاء المرأة عن القيام بالشعائر الدينية مع الجمهور. «فأشير عليها اشارة لا تختلف كثيرًا عن الأمر بأن تبقى في بيتها.»[٣] ولهذا رأينا جمل عائشة، في الوقعة المشهورة، يقوم بالمحافظة عليه حَرَس من الرجال.[٤]

ولم يكن الجاهليون ليقرّوا بطيبة خاطر هذا الفصل الجازم في الاسرة البشرية. ذلك انهم، في المظاهرات النادرة في حياتهم الدينية، كانوا يخصّون المرأة بالمركز الأفضل. وقد يفوق عدد الساحرات العرّافات عدد العرّافين في ذاك العصر.[٥] وفي مكة نفسها كان مفتاح الكعبة بيد امرأة، هي بنت حُلَيل الخُزاعي، استودعته مدةً طويلة حتى تنازلت عن ملكيّته لقُصَيّ.[٦] وفي زمن الفتح، كان المفتاح نفسه في حوزة ام عثمان بن طلحة. ولقد مانعت

١) ابن هشام: السيرة ٥٥: «هذا البيت في قصيدة له»

٢) المسعودي: مروج الذهب ٤: ٢٢٦-٢٢٩؛ الطبري ١: ٣٢١٦

٣) Perron, *Femmes arabes*, 319، وقابل بما في القرآن ٣٣ [الاحزاب] ٣٣

٤) مطهّر المقدسي (طبعة Huart) ٥: ٢١٣

٥) راجع Perron, *op. cit.*, 166. وهو ما يشير به مطالع «السيرة»، ولا سيما سيرة ابن هشام ١٣٢، ٧١٧؛ الاغاني ٣: ١٨٩، ١٣: ١١٠، ٢١: ٢٧٥؛ ابن سعد: الطبقات ١[١]: ٤٦، ١١٠، ١٢٦

٦) ابن دريد: الكتاب المذكور ٣٧٢؛ الازرقي ٦٢

كثيرًا في اعارته للنبي.[1] وهناك حوادث عديدة نرى فيها النساء لا يتأخرن عن مرافقة الرجال حتى الى الحرب . هذا الفِنْد الزِّمّاني ، البطل المشهور ، يدخل حرب بكر وتغلب ، والى جانبيه ابنتاه، « شيطانتان من شياطين الانس . . . حتى اذا احتدمت المعركة ، وتردّد النصر ، تقدّمت احداهما ، فخلعت ثيابها ورمتها وسط المعمعة . . . »[2] فتقتدي بها اختها وتتقدم متجرّدةً بين الصفوف ، صائحة بهذه المقاطع التي استعادتها هند ام معاوية في ظرف آخر:[3]

ان تُقبلوا نعانق ونفرش النمارق
او تدبروا نفارق فراق غير وامق[4]

وفي هذه الحرب نفسها ، حرب بكر وتغلب ، قام احد البكريين ، عوف ابن مالك ، فرفع ابنته على جمل له وسيّره وسط مضيق ، هوثنيّة قَضّة . حتى اذا توسّطها ضرب عرقوبي الجمل . ثم نادى بعد ان اقسم « بجلوفه » : « لا يمرّ بي رجل من بكر بن وائل — اي رجل فارّ — الّا ضربته بسيفي هذا »[5].

وان مشهد الاستعداد ، قبل معركة ذي قار ، لأوفر تأثيرًا . كان العرب متجمّعين ينتظرون ان يكمل عدد سادتهم ، وهم يتباحثون بشأن مقاومة الفرس . حتى وصل سيّدهم حنظلة بن ثعلبة . وقد قرّر مجابهة الاعداء . فأمر « بالقبة » فضُربت . وكان يتبعها عدد وافر من النساء . ثم قام حنظلة نفسه الى جمل امرأته فقطع وَضينه — والوضين بطان الناقة ، في شرح صاحب الاغاني ، اي حزامها . ثم تتبع الظعن بقطع وضنهن[1] . وذلك كي لا يدع سبيلًا لهرب النساء ، فيجتمعن كلهنّ حول القبة .

وبعد هذه التفاصيل الدقيقة عن حرب بكر وتغلب ، وعن حرب ذي قار ،

---

١) مسلم : الصحيح ٢ : ٥٠٩

٢) Perron, *op. cit.*, 50

٣) وفي هذا دليل على ان هند كانت تعيد فعلةً نفسية او معروفة على هذه الصفة بفضل التقليد ، وانظر التفاصيل في الاغاني ١١ : ١٢٦

٤) الاغاني ٢٠ : ١٤٤

٥) الاغاني ٢٠ : ١٢٦ و١٢٧

يُصبح من السهل ان نحزر دور النساء في المعارك . وقد عرض لشرحه بيرون فقال[1] : « وكيف نحكم اليوم ، بتأثير آرائنا واخلاقنا الاوربية ، على ابنتي الفارس البطل الزمّاني ؟ لقد رأينا ضبّاطاً يرمون بقبعاتهم امام العدوّ[2] . . . ولكن كم رأينا من فتيات يبتدهن القوم بقطع حماسي ، ويرمين بمظاهر جمالهنّ وفتنتهنّ ، ليهجنّ المحاربين ! » .

حماسةٌ وطنيّة ، او هَوَس ديني ! ليكن ما يشاء بيرون على شرط ان يصرف وهمه عن الرغبة في اثارة الشهوات المنحطّة . فان حركة الكاهنات البدويّات تتّجه لا الى حواسّ رجال قومهنّ بل الى عاطفتهم الدينية القبيلية . وليس لآراء الاوربيين وتقاليدهم من دخل بهذا الشأن . ولا يخفى ان مؤلّف « النساء العربيّات » يتوقّف في ابحاثه خاصّة لدى النواحي التصويريّة من حياة البدو . ولهذا كانت اكثر مقابلاته وتشبيهاته لا تستند الى برهان وثيق . بيد ان وهمه الحاضر ناتج مما في رواية صاحب الاغاني من انتقال فجائي ، وتفصيل دقيق يحول بينه وبين النظرة الشاملة في التأليف الموحّد . وهذا من ميزات الاصبهاني في اكثر رواياته التي انما يسرد فيها كل ما بلغه من دقائق تفصيلية حريصاً على امانة النقل اكثر من حرصه على حسن التأليف الفنّي . وهو لو شاء ان يؤلّف وحدةً متناسقة الاقسام لأخبرنا — كما رأينا في احدى روايات معركة ذي قار[3] — أن « القبة » المشتملة على « البيت » نُصبت الى جنب الجمل المقدّس الذي كان يحملها ؛ ولتغيّر عند ذلك دور « الشيطانتين » الزمّانيتين ، والنساء البكريّات ، وابنة عوف بن مالك ،

---

1) Perron, *op. cit.*, 50

٢) قابل بما في ابن دريد : الكتاب المذكور ٢٦٣ ، عن احد المقاتلين انه : « ركز الرمح في قدمه وقال : تُرون أفِرّ . . . » وفي طبقات ابن سعد ٣ : ١١٧ ؛ واسد الغابة ٤ : ٢٠٦ ان احد الانصاريين رمى حجرًا بين الجيشين وصاح : « لا افرّ حتى يفرّ هذا الحجر » . — ولنُشر الى ان المرأة التي تُنذر بالشرّ تتجرّد احيانًا من ثيابها ، الاغاني ١٥ : ٩٩ ؛ قابل بما في الاغاني ١٤ : ١٢٨ ، وهو معنى القول : « النذير العريان » ؛ راجع ابن هشام : السيرة ٤٣٠ ؛ الطبري ٢ : ٧١٨ ؛ ابن الأثير : النهاية ٣ : ٩٠

٣) وفيها ذكر للقبة ، الاغاني ٢٠ : ١٣٦ ؛ قابل بما في الطبري ١ : ١٠٣٨ ، والشاعر المذكور في الاغاني ٢٠ : ١٤٠ ؛ واني اقترح ان يُقرأ في البيت الرابع « عارم » بدل « عارب »

ملتحقاً بادوار الكاهنات ، او المبصرات ، او حارسات « البيوت » . ومنهنّ « زرقاء اليمامة » التي كانت تُبصر على المسافات البعيدة . ومنهنّ تلك المرأة في مكة التي تنبأت بمستقبل محمد المجيد[1] . ومنهنّ سجاح المتنبئة ، كانت ساحرةً وزوجة كاهن[2] . وبعد الهجرة بالسنين الطويلة ، ظلّ بعض الصحابة يذكرون من جدّاتهم من كنّ « ربّات بيت في الجاهلية »[3] . وقد تكون البدويّات من زمان ومن بكر من هؤلاء الربّات ، فلا عجب ان يتحمّسن في حراسة القُبة حتى الموس ؛ ولا عجب ان يقودهنّ قومهم الى ساحة الحرب ، وقد اعتادوا نقل الحجر المؤلّه الى هذه الساحة كما قدّمنا ، كما اعتادوا ان يحملوا ايضاً الكاهنات « النفّاثات في العقد »[4] ، ولهنّ الباع الطولى في ارسال « الأسجاع » اي تلك الفقرات الموسيقية الغامضة المعنى ، الحاملة مقدرة عجيبة على سحر الاعداء فوقف حركاتهم وافساد اسلحتهم[5] . ومن العبث ان يفتّش الباحث عن معنى صحيح لهذه التعابير ، فانه يضيع في متاهات نبراتها الموسيقية ، وايقاعها السريع المقطّع ، وقوافيها الجناسية المتوافقة في سبيل النَّفَس الصوتي ليس غير . بيد ان هذه « الاسجاع » لم توضع ليدرك معناها الانس ، وكفى بالجنّ لها مدركين اذ يعرفون لغتهم ،

---

١) ابن هشام : السيرة ٩٨–٩٩ ؛ الاغاني ١١ : ١٦١ ؛ مسلم : الصحيح[٢] ٢ : ٩٢ ، وفيه ذكر امرأة رأت شيطان النبي .

٢) مطهّر المقدسي : الكتاب المذكور ٥ : ١٦٤

٣) ابو داود : السُّنَن ١ : ١٩٥ ؛ اسد الغابة ٥ : ١٧

٤) القرآن ١١٣ [الفلق] ٤

٥) ولهذا ترى البدو يتأثرون دائماً ، حتى اليوم ، من السجع . وقد لجأ مختار الى هذه الطريقة بعد « عهد السجع » بكثير . – اطلب في ذكر الكاهنات المسجّعات ، والساحرات الاغاني ٢٠ : ٢٤ ؛ ١٠ : ٧١ ، ٧٥ ؛ ١٢ : ٥١ ؛ ابن حنبل : المسند ٣ : ٥١ وفيه التعبير : « سجع اساجيع » اي لفظ الاقوال السرّية الغامضة وهي لغة الكهّان ، ولغة الجنّ ، ولغة الحيوانات المتكلمة باعجوبة . . . الاغاني ١٩ : ٩٩ ؛ ابن هشام : السيرة ١٠–١١ ، ١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ؛ اسد الغابة ٢ : ١٢٦ ؛ ابن حنبل : الكتاب المذكور ٣ : ٤٢٠ . ويُستعمل السجع في الرقى والعزائم : مسلم : الصحيح[١] ٢ : ١٠٨ ، ١٨٢ . وقد جُمعت عدة امثلة للسجع في *Zeitschr. für Assyriol.*, XXVI, 273... وقد يرد السجع في الاحلام الغريبة : ابن هشام : السيرة ٩١ ، ٩٢ ؛ وفي دعاء الشهيد حُبيب : الكتاب المذكور ٦٤١

فيسرعون مسرورين في تلبية تلك الدعوات المُلحّة المتتابعة.

وهذا النبي نفسه يعظ الناس ممتطياً ظهر جمل[1]. وكان الكاهنات البدويات قد تقدّمنه في استعمال هذا المنبر. وقد اجمعت كتب «الصحيح» على ذكر ما كان يقوم به نساء دَوْس من اختلاجات، وانعراجات، في طوافهنّ الاحتفالي حول الصنم ذي الخَلَصَة[2]. ولم يكنّ في هذه المظاهر ليرمين في شيء الى هياج الحواسّ الشهوانية في ابناء قومهنّ. كما ان عمل الزمّانيّتين ليس فيه ما يرمي الى مثل هذا الهياج. انما هو من نوع كشف البدوية الحُرّة شعرها لتدفع الرجال الى حمايتها والدفاع عنها. بل هو عمل فاطمة بنت النبي، اذ القت بقناعها عندما اراد عمر انتهاك حرمة منزلها[3]. وكذلك فعلت نائلة، امرأة عثمان، اذ «كشفت عن قناعها ورفعت عن ذيلها ليكون ذلك ردعاً لهم»[4]. ولا يخفى ان اظهار شعر المرأة لمن الحوادث الخطيرة. حتى ان الصلاة تفسد اذا ما حلّت المرأة شعرها[5]. وكان الملك جبريل يختفي اذا ما القت خديجة حجابها[6]. وذلك «ان لهذا الشعر حرمة مقدّسة خاصة. وغاية الحجاب ان يغطي شعر المرأة قبل ان يغطي الوجه. ويعتبر النساء ان نزع الحجاب، واظهار ضفائر الشعر، لا يكاد يبدو اقلّ غرابة من ظهورهنّ عاريات»[7]. واذاً فليس من شكّ في ان عمل الزمانيتين، على جرأته، كان دافعاً الى هياج الحماسة في قلوب المحاربين، فالى حشدهم حول «البيت» يحاربون وقد دبّت فيهم شجاعة اليأس او الاستقتال[8].

---

١) مسلم: الصحيح، ٢: ٢٨، ٢٩

٢) مسلم: الكتاب المذكور ٢: ٥٠٤

٣) اطلب كتابنا في *Fāṭima*, 110؛ نقائض جرير والفرزدق ٨٩؛ الاغاني ١٥: ١٢٩

٤) الجاحظ: رسالة في النابتة ١١٦ (Congrès oriental ١١)؛ الاغاني ١١: ١١١؛ البحتري: الحماسة رقم ٧٢٨

٥) مالك: الاحاديث المدوّنة ١: ٩٤

٦) ابن هشام: السيرة ١٥٤؛ اسد الغابة ٥: ٤٢٧

٧) Wellhausen, *Reste*, 199 – راجع، في «حرمة» شعر المرأة، الاغاني ١٥: ٧١. اما الجارية فهي حرّة في اظهار شعرها: ابن دريد: الكتاب المذكور ١٢٦

٨) وقد تكون النابة من ذلك دفع الاعداء، كما فعلت فاطمة. وذكر عن نساء قريش

وقبل الهجرة ببضع سنوات ، في اثناء حرب بين بني دوس وبني الحرث ، قدم احد السادة بناته الأربع الى ساحة القتال، « فانزلهنّ وبنين بيتاً »[1] . وهو القُبّة المعروفة التي تُظلّ « البيت » بمعنى الحجر المؤلّه. وكان البنات من حارساته ، او سادناته شأن الفتيات في رومة القديمة في القيام على حراسة النار المقدّسة . ودورهنّ في الحرب ما عرفناه في مواقع البكريين والتغلبيين ومعارك ذي قار ، وغيرها.

وقد تجاوزت هذه العادة زمن الهجرة ، وقرون الاسلام المتتابعة ، فظلّت في بلاد العرب حتى اليوم . ولا يزال البدو يقودون الى ساحة الحرب جملاً مكرّماً يرفعون عليه فتاةً هي انبل فتاة في القبيلة. ويكون منتهى العار عندهم ان تقع هذه الفتاة في ايدي الأعداء[2].

هذا كلّ ما حفظه الاسلام من تلك الذكرى الدينية الجاهلية !

يوم الفتح ، أفمن خرجن من مكة مكشوفات الرؤوس ، فلاقين الخيل : البلاذري : الانساب (مخطوطة باريس) ٣٢٦ وجه ؛ ابن هشام : السيرة ٨٣٠

١) الاغاني ١٢ : ٥٥

٢) راجع Jaussen, *Arabes de Moab* ؛ وامين الريحاني : تاريخ نجد الحديث ، ١٩٨ — ويظهر ان ابن سعود أبطل العادة .

من الخزانة الشرقية بقلم حبيب زيات

الخرافات الموضوعة على مجاذيب حمص

قديماً

في كتب البلدانيين والمؤرخين آراء واعتقادات غريبة في تأثير بعض التربة في الطبائع والافهام. ومن ثمَّ كان لبعض المدن عندهم خصائص في تبليد العقول، حتى يغلب على من نشأ فيها التخلُّف والتغفُّل، كبلدة همذان مثلاً. ومع انها منبت قريحة بديع الزمان، والعشّ الذي درج منه رهط من افراد رجال العلم والفضل، كانت تُتَّهم بتوليد الحمق وضعف الافهام. حتى قال بديع الزمان نفسه فيها، لا شك على سبيل الهزل والعبث:

همذان لي بلدٌ أقول بفضله، لكنه من اقبح البلدان،
صبيانه في القبح مثل شيوخه وشيوخه في العقل كالصبيان.(١)

ولما اجاب احمد بن فارس على كتاب ارسله اليه يذمّ فيه الزمان، قال له فيه على مثل هذه الوتيرة: «اثنتان قلما تجتمعان: الخراسانية والانسانية. وانا وان لم اكن خراساني الطينة، فاني خراساني المدينة. والمرء من حيث يوجد لا من حيث يولد. والانسان من حيث يثبت. لا من حيث ينبت. فان انضاف الى خراسان ولادة همذان. ارتفع القلم وسقط التكليف. فالجرح جُبار. والجاني حمار. ولا جنة ولا نار. فليحتملني الشيخ على هناتي. أليس صاحبنا يقول:

لا تلمني على ركاكة عقلي، ان تيقنت انني همذاني»(٢)

ومن المدائن الشامية التي نُسب اليها سوء تأثير التربة في عقول مواليدها، حمص، بلدة القياصرة، ومدفن الصحابة والقواد، وموطن العلماء والزهاد.

---

١) معجم البلدان لياقوت، طبعة اوروبة، ٦: ٦٦١. والبيتان ليسا في الديوان المطبوع بمصر سنة ١٩٠٣

٢) رسائل بديع الزمان، مطبعة الجوائب، ص ١٨١

اشتهرت منذ دخول العرب اليها بكثرة المجاذيب[1] والحمقى من اخلاط العامة. بعد ان سار ذكرها في عهد الرومان والروم بن نبغ فيها من فرائد النساء اللواتي تبوأن عرش الامبراطورية الرومانية نظير: Julia Domna, Julia Mesa, Julia Soémias et Julia Mamea وولدن بعض قياصرة رومة مثل: Héliogabal et Alexandre Sévère

والى حمص ينتمي ايضاً البابا القديس انيقيطس Anicet (١٥٧—١٦٨) والعالم لونجان ، وزير زينب ملكة تدمر (٢١٣—٢٧٣) فكيف انقلب التبر صُفرا[2]. واصبح الفخر عَرّا ؟

واذا نظرت الى البلاد ، رأيتها تُثري ، كما تثري الرجال ، وتُعدم (٣

قلنا: ولا تعدم الحسناء ذاما. فلا يضرّ حمص هذه القالة الشنعاء. وقد خرج منها من ذوي الحجى والعقل. وارباب الذكاء والفضل من تضيق بنا هذه الصفحات لو اردنا تعداد اسمائهم في الاسلام. وحسب حمص فخرًا في القرنين الاخيرين أن منها قام اول من ايقظ الادب العربي بعد رقدته ، وانهض جواد الشعر والعلم

١) المجذوب في عرف الصوفية والفقراء من اهل الطرق: «من لا شيخ له . يريدون بذلك انه جُذب الى طريق الخير والصلاح.» (وفيات الاعيان لابن خلكان ٢ : ٥٥٦) ثم كثر من هؤلاء المجاذيب ظواهر التنفل والتخليط في الكلام . والغياب عن الوجود . فعُدّوا كالمجانين . وصارت لفظة الجذب او الجذبة مرادفة للجنون . قال ابن تغري بردي في ترجمة الشيخ المتقد المجذوب عمر البياني المتوفى سنة ٨٦٨ (١٤٦٣/٤ م) : «قدم القاهرة ونزل ضيفاً بخانقاه سعيد السعدا . ودام على ذلك دهرًا الى ان ظهر منه نوع من الجنون يسمونه جذبة» (السابع من النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، طبعة ليدن ، ص ٧٨٥-٧٨٦) ثم تنوسي مدلول اللفظ الاصلي ، وغلب عليه معنى الابله والاحمق على الاطلاق . ومنه قول شيخ الاسلام المولى اسعد للشيخ احمد الغاري المتوفى سنة ١٠٤١ (١٦٣١ م) لما انكر عليه حلق اللحى: «استاذكم كان مجذوبا وانتم عقلاء» (خلاصة الاثر للمحبي ١ : ٢٦٠)

٢) لا بأس ان نذكر ان الصفر هو النحاس الاصفر . واليه انتسب يعقوب بن الليث الصفّار ، احد المتوارج على الخلافة العباسية ، المشهور في القرن الثالث للهجرة . وهذه العبارة اخترناها وتصرفنا فيها بما يليق بالمقام ، في تعريب معنى البيت المشهور :

Comment en un plomb vil, l'or pur s'est-il changé ?

٣) البيت لابي تمام . وقبله :

ارض مصرّدة ، وارض تشجم ، منها التي رُزقت ، واخرى تُحرَم .

بعد كبوته . نظير آل البحري ، وكرامة ، واليازجي ، والحمصي ، من مشاهير المسيحيين ، فضلاً عن بعض ادباء المسلمين . ومن حمص كذلك أسرة المعلم ابرهيم الحوراني . والسيد بولس مسعد البطريرك الماروني[1] . ولو لم يكن لها من المزيّة والمأثرة الا انها انبتت ارومة بيت العلم ، ودوحة الذكاء والفهم ، من نوابغ اليازجيين ، لكفاها فضلاً تتيه به على كل بلد في الشام .

ومما برّز فيه ايضاً اهل حمص صناعات النسيج نظير اخوانهم من دمشق وحلب وحماة . ومن متفنني المتأخرين محمد الحمصي النسّاج المعروف بالفقير المتوفى في رجب سنة ٧٩٧ (١٣٩٥ م) قال ابن قاضي شهبة : كان استاذاً في نسج القماش على اختلاف انواعه . وله فهم وذكاء . نسج الصوف الابيض مع الحرير فجاء في غاية الحسن ونسج ايضاً كذلك ملوّناً[2] .

ولا سبيل اليوم الى معرفة هل كان لهذه الخرافة صدى سابق في دولة الرومان والروم . ولم يبلغنا عنها اقلّ ذكر في الآثار الارامية . ويؤخذ من قول ابي

---

١) لدينا رسالة من الصديق صاحب العزة ، الشاعر الالمعي ، قسطاكي بك الحمصي بحلب بتاريخ ٧ شباط (فبراير) سنة ١٩٠٠ كتب لنا فيها : « اما سؤالكم عن تاريخ هجرة جدنا الاعلى » من حمص فلا اعلمه على التحقيق . ولكن حدثني عمي عن جدي عن ابيه ان الجد الاعلى الذي هجر حمص ميخايل مسعد قد هجرها منذ ثلاث مئة سنة وسكن حلب فسمي ميخايل مسعد الحمصي . ثم تنوسي اسم مسعد وبقي اسم ابنه ابرهيم الحمصي . وغلب ذلك على عقبه يوسف ثم على اولاده ميخايل ، وجرجي ، ونعمة الله ، وبطرس . ثم على ابنائهم ومنهم يوسف بن بطرس رحمهما الله وهو والد هذا العاجز . وقد روى السيد بولس مسعد ، بطريرك الموارنة ، انا وآله من اصل واحد . ذهب اخ الى لبنان وظل حافظاً كنيته . وقصد الاخ الثاني حلب . وهذه الرواية من اصدق الروايات لان البطريرك ، رحمه الله ، كان من اعلم الناس باصول بيوتات هذه البلاد . فأحرِ به ان يكون قد نقب عن اصل اجداده . وما ذكرتموه من رواية علامة العصر الشيخ ابرهيم عن علمه ان احد اجداده الكرام هجر حمص فهو قد صرّح بذلك في بيت من قصيدة كان تفضل بها على هذا العاجز يقول منها في مدح حلب :

بلدة مجدها تواصل في الأعصار مثل الإعصار في مجراها

الى ان يقول :

ورعى الله ارض حمص وحيّت نسمات الصبا خصيب ثراها
هي فردوسي القديم ، ومنها ثمرات الحياة كان جناها »

٢) الذيل . باريس ١٥٩٩ ، ص ١١٣

الفرج الاصبهاني ان اهل حمص كانوا كلهم من اليمن. ولم يكن فيهم من مُضَر الا ثلاثة ابيات[1]. فهل كان من هؤلاء اليمنيين قوم عرفوا بالبله وقلة الفطنة ؟ وعلى كل ففي ايام عمر بن الخطاب كانت هذه التهمة قد انتشرت بين الناس. ولذلك لما تمّ فتح البلاد كتب عمر، فيما رووا، الى حكيم من حكماء العصر وقال له: صِف لي المدن واهويتها ومساكنها. فكتب اليه: «اما الشام. فسُحب واكام. وريح وغمام. وغَدَق رُكام. ترطب الاجسام. وتبلّد الاحلام. وتصفّي الالوان. لا سيما ارض حمص فانها تحسّن الجسم. وتصفّي اللون. وتبلّد الفهم. وتنزح غوره. وتجفي الطبع. وتذهب بآء القريحة. وتنضب العقول.»[2] وهذا الوصف من انكى ما قيل في حمص ولا يخفى ما فيه من التخريف والميل الى الإغراب والمغالاة بمحاكاة اسجاع الكهّان. ولا شك انه من مسموعات المسعودي عن اهل العراق الموضوعة لانتقاص اهل الشام. ومما يدلّ على ضعفه ان الرواة اختلفوا في الحكم على ارض اهل حمص. فذهب بعض المتقدمين الى انها اصح بلدان الإسلام تربة وهواء. وادعى آخرون بالعكس فساد تربتها وهوائها. وسنتقل فيما يأتي نص شهاداتهم. ولعل كلا القولين صدى ما كان شائعاً وقتئذٍ من جمال اهل حمص وحماتهم. اذا صح انه كان فيهم جمال، ولم تكن هذه اللفظة محرّفة عن «خبال» كما هو الارجح. والا فليس في تربة حمص وهوآئها ما يميّزها هذا التمييز عن سائر الشام.

وقد دفعنا حب الملحة والطرفة، والولع بالتنقيب عن كل أُنف غريب، الى مراجعة اكثر كتب علمآء البلدان. وتفلية كل ما طالته يدنا من المصنفات الادبية لجمع كل ما جآء فيها من الاشارات والحكايات عن اهل حمص، وسردها بحروفها حرصاً على ما فيها من الجدّة والنكتة. ولا شك ان كثيراً منها ردّد فيه الآخر صدى ما قال الاول. وزاد فيها البُسّار والقُصّاص ما شآءت قرائحهم من الذيول والفضول. رغبة في الإغراب والإطراب.

ومن اهزل ما وقفنا عليه ان حمص لم تُبتَلَ بهذه الريبة والمصيبة الّا لوجود

١) الاغاني، طبعة بولاق، ١٢: ١٤٢

٢) مروج الذهب، بهامش نفح الطيب، للمسعودي ١: ٦٥٥-٦٥٦

حرف الصاد في اسمها . وهو قول البشاري المقدسي بكل جدّ ووقار — وهو اعقل البلدانيين واكثرهم درساً واطّلاعاً — «كلّ بلد فيه صاد فاهله حمق ، الا البصرة . فاذا اجتمعت صادان مثل المصّيصة وصرصر فنعوذ بالله .»[1] ولا ندري لمَ اقتصر على استثناء البصرة ، ولم يخرج مصر وصور وصيدا وصفد واشباهها فهل كان فيها ، في اعتقاده ، قوم حمقى ؟ وهل ترى انتقل اسم حمص الى مدينة اشبيلية في الاندلس بنزوح قوم من اهل حمص الشام اليها ، أفسد هواء اشبيلية ايضاً لمكان حرف الصاد في اسمها الجديد . وهل كان في عامتها من المجاذيب والمتقلين مثل ما كان في الوطن القديم . ولا نعلم هل ورّى احد من ادباء الاندلس الى شيء من ذلك . وهذا ابن جبير الرحالة المشهور ، وهو من غرناطة ، غير بعيد عن اشبيلية ، لم يخطر له الالماع الى هذا القبيل مع انه لم ينسَ ان يستعلم اشياخ حمص بالشام حين مروره بها هل كان فيها بيمارستان كما سننقل من لفظه .

وهذه اقوال اهم البلدانيين في جارة العاصي :

« حمص من اصح بلدان الاسلام تربة . وكان في اهلها خبال مفرط . »
(المسالك والممالك لابن حوقل ، طبعة ليدن ، ص ١١٧)

« لا أبله من اهل البحرين . ولا احمق من اهل حمص . »
(احسن التقاسيم للبشاري المقدسي ، طبعة ليدن ، ص ٢٦)

« حمص . البلد شديد الاختلال . متداعٍ الى الخراب . والقوم حمقى . »
(احسن التقاسيم للبشاري المقدسي ، طبعة ليدن ، ص ١٥٦)

« حمص اهلها موصوفون بالجمال المفرط ، والبلاهة . »
(آثار البلاد واخبار العباد للقزويني ، طبعة ليدن ، ص ١٢٤)

« حمص مدينة من اصحّ بلاد الله هواء . واهلها موصوفون بالتغفّل ، والناس يضعون عليهم حكايات هي سواء والخرافات . »
(مناهج الفكر ومباهج العبر لمحمد بن ابراهيم الوراق ، لوندرة Add. 7483, f° 180)

«من عجيب ما تأملته من امر حمص فساد هوائها وتربتها اللذين يفسدان العقل حتى يضرب بحماقتهم المثل . ان اشد الناس على علي (رضه) بصفّين مع معاوية كان اهل حمص . واكثرهم تحريضاً عليه وجداً في حربه . فلما انقضت تلك

١) احسن التقاسيم للبشاري ، ص ٢٥-٢٦

الحروب ومضى ذلك الزمان صاروا من غلاة الشيعة حتى ان في اهلها كثيراً ممن رأى مذهب النصيرية واصلهم الإمامية الذين يسبون السلف. فقد التزموا الضلال اولاً واخيراً. فليس لهم زمان كانوا فيه على الصواب.»

(معجم البلدان لياقوت، طبعة اوروبة، ٢ : ٣٢٨)

« اهل مدينة حمص يوصف عامتهم بقلة العقل. ويحكى عن سوقتهم حكايات شبيهة الخرافات. » (نخبة الدهر لشمس الدين الدمشقي، ص ٢٠٢)

« سألنا احد الاشياخ بهذه البلدة هل فيها مارستان على رسم مدن هذه الجهات. فقال وقد انكر ذلك «حمص كلها مارستان» وكفاك تبييناً شهادة اهلها فيها ». (رحلة ابن جبير، ص ٢٥٨)

« حمص اهلها موصوفون بالرقاعة وخفة العقل. »

(تحفة العجائب وطرفة الغرائب لابن الاثير الجزري، باريس رقم ٥٨٦٣)

« حمص اهلها موصوفون بالرقاعة وخفة العقل. »

(خريدة العجائب لابن الوردي. مصر ١٣١٦، ص ٣٢)

« حمص اهلها. موصوفون بالرقاعة وخفة العقل. »

(اخبار البلاد لبرهان الدين البقاعي. باريس ٥٨٦٢)

« حمص اهلها موصوفون بالبلاهة. » (اخبار الدول للترماني، ص ٤٤٦)

« حمص اهلها موصوفون بالرقاعة، وخفة العقل. »

(نشق الازهار لابن اياس، باريس، ص ١٢٧، رقم ٢٢٠٧)

« حمص اهلها موصوفون بالجهال والبلاهة. »

(تلخيص الاثار لعبد الرشيد الباكوي، باريس رقم ٢٢٤٦، ص ٢١)

وهلمّ جرّاً.

ومن هذه الشهادات تتضح كثرة تقليد المؤلفين في الاسلام واقتصار المتأخر على نسخ قول المتقدم باللفظ الواحد، دون تحقيق ولا استدراك.

وفي كتب الادب نظائر هذه الاقوال. وهي ولا شك حكاية ما كان شائعاً مستفيضاً في وقتها. وقد سمى الحريري في مقامته الحلبية، وهي السادسة والاربعون، مدينة حمص « بقعة التركي » وقال فيها : « اغراني البال الخلو. والمرح الحلو. بان اقصد حمص لاصطاف ببقعتها. واسير رقاعة اهل رقعتها ». وقال

الفنجديهي في شرح هذا القول : « باهل حمص يضرب المثل في الحماقة . وكثرة الرقاعة . وتنسب اليهم حكايات مضحكة . »[1] وقصّ على الاثر نادرة عنهم سننقلها فيما بعد .

وروى ابن العبري في احاديثه انه قيل لبعضهم : « اعدد لنا المجانين الذين في حمص . فاجاب هذا يصعب لكثرتهم . فان اردتم اني اعدّ لكم العقلاء الذين فيها وهم قليلون . »[2] ومثل هذا الجواب يراد به النكتة لا حكاية الواقع في الحقيقة . فلا يجب ان يؤخذ على ظاهره . وهو ما صرّح به اليونيني لما اشار الى اختلاف الملك الصالح اسمعيل بن شيركوه ، صاحب حمص ، والامير عماد الدين بن المجير ؛ وتنازعهما في مجلس السلطان الملك الناصر في قتال التتار . قال : « فقال له الملك الصالح انت ، كما قيل ، طويل ، ولحيتك طويلة . فقال له عماد الدين الا اني ما ربيت في حمص » . قال اليونيني : اشار الصالح الى ان الطويل القامة واللحية يكون غالباً قليل العقل . واشار عماد الدين ، رحمه الله ، الى ان من ربي في حمص يكون اجدر بقلة العقل . وهذا انما تقوله العوام لا على وجه الحقيقة . »[3]

وحكى المحبي في ترجمة عبد النافع بن عمر الحموي ، من ادباء القرن الثاني عشر للهجرة انه « ضاق عليه حمى حماة . فاقلع الى طرابلس الشام وسكنها وكان حاكمها اذ ذاك الامير يوسف بن سيفا . فمدحه وتقرب اليه . وكان بطرابلس رجل متصوّف من اهالي حمص يدعى بعبد النافع ايضاً . وكان الامير يوسف يودّه فاتفق ان الامير ارسل لعبد النافع الحموي مالاً من مرتّبه على صدقات السلطنة بطرابلس . فاخذها رسوله الى عبد النافع الحمصي لاشتراك الاسم . فلما وصل الخبر الى الحموي قصد الامير وقال له ان اشتراك الاسم قد يضرّ . وهذه دراهمي ذهبت الى عبد النافع الحمصي . فلا بد من تمييز يكون سبب رفع الاشتباه . فقال له انظر وصفاً مميزاً . فقال له انا اكون عبد النافع الشاعر . يشير الى ان يكون عبد النافع المشهور لانه حمصي . والمشهور ان اهل حمص مشهورون في

١) الثاني من شرح المقامات للشريشي ، ص ٢٤٤–٢٤٥

٢) الاحاديث المطربة لابن العبري (المشرق ٢٠ [١٩٢٢] ٧٧٨)

٣) كتاب الذيل على مرآة الزمان لليونيني . خزانة اكسفرد Poc. Or. 132 f°, 47b

العقل لنقصانه فيهم . فضحك الامير . وارسل اليه المال الذي ذهب الى الحصي »[1]

وقد وردت اشباه هذه الاشارات في الشعر . ومنها ما نقله ياقوت الرومي في حديث اسنده الى ابي الحسن المبدع . قال فيه :

« كان الآمـديّ (علي بن الحسن الحموي) يتولى ارزاق الشعرآء والمتطلّين والكتّاب . قال ومنع الحسن بن بشر الكاتب المصري ارزاقه . فعمل فيه قطعة اولها :

إن طغى الآمديّ طغيان مُثْرٍ راشه الدهر ، فالمريش يُحَصّ
ايها الآمدي ، عقلك قـد دلّ على ان آمد اليوم حمص »[2]

ونسب العماد الاصفهاني هذين البيتين لمحمود بن عبـد الجبار الاندلسي الطرسوسي وروى لها بيتاً ثالثاً :

بسواد الرماد تخضب شيباً فلهذا سواده لا يبيضّ »[3]

واقبح ما هجي به اهل حمص قول احد الشعراء :

لاتم اهل حمص لا عقول لهم ، جاثم غير ممدودين في الناس

والذي دعاه الى هذا الفحش انه كان في حمص في دير مياس عظام شهيد من الشهدآء كانوا يستشفون بها من الامراض . فاتفق ان البُطين الشاعر مرض . قال ياقوت : فجاؤا به اليه يستشفي فيه . فقيل ان اهله غفلوا عنه . فبال قدام قبر الشاهد . واتفق ان مات عقيب ذلك . نشاع بين اهل حمص ان الشاهد قتله . وقصدوا الدير ليهدموه . وقالوا : « نصراني يقتل مسلماً ؟ لا نرضى او تسلموا لنا عظام الشاهد حتى نحرقها » . فرشا النصارى امـير حمص حتى دفع عنهم العامة . فقال شاعر يذكر ذلك :

يا رحمتا لبُطين الشعر ، اذ لبست به شياطينه في دير مياس
واتاه ، وهو عليل يرتجي فرجاً ، فرده ذاك في ظلمات ارماس
وقيل شاهد[4] هذا الدير اتلفه حقاً ، مقالة وسواس وخنّاس

---

١) الثالث من خلاصة الاثر ، ص ١٠-١١

٢) ارشاد الاريب ٥ : ١٨١-١٨٢

٣) خريدة القصر . باريس ٣٣٣٠ ، ص ١٢٢

٤) يستدلّ من هذا البيت ، ومن كلام ياقوت الذي تقدمه ، ان «الشاهد» كان يستعمل غلطاً في موضع « الشهيد » . وقد ورد هذا الاستعمال غير مرة في كتاب الديارات للشابشتي .

أتطمع باليات ذات مقدرة على مضرّة ذي بطش وذي باس ؟
لكنهم اهل حمص لا عقول لهم ، جانم ، غير معدودين في الناس (١

واشتقّ بعضهم من اسم حمص فعلًا للدلالة على التخلّق بالاخلاق المنسوبة الى اهلها. وكما قالوا تبغدد وتدمشق ، قال ابن القطان الشاعر البغدادي يهجو من ابيات له :

كلما قلت قد تبغـدد قومي ، تحمصوا (٢

ولنأت الآن على سياقة الحكايات الموضوعة على مجاذيب عامة حمص ، نسردها بحروفها على سبيل البلاغ والفكاهة . ولا يخفى ما فيها من الاختلاق والتخريف حبًّا بالتسلية والهزل .

١ عرض هشام بن عبد الملك الجند . فاتاه رجل حمصي بفرس . كلما قدمه نفر . فقال هشام : ما هذا لعنه الله؟ فقال : يا سيدي، ما هو الا فاره. ولكنه شبهك ببيطار كان ينعله فنفر[٣].

٢ قال الجاحظ : مرت بحمص عنز يتبعها جمل . فقال رجل لآخر : هذا الجمل من هذه العنز ؟ فقال الآخر : كلا . انه يتيم في حجرها . قال القزويني،

منها في كلامه على دير برقوما (مرتوما) قال : « هذا هو الشاهد الذي تزعم النصارى ان له سبع مئة سنة وانه ممن شهد المسيح » (ص ١٢٣) ويحتمل هنا ان يكون الشاهد بمعنى من ادرك المسيح ومن قُتل في سبيله . ولكن هناك امثلة اخرى يتحتّم فيها معنى الشهادة لا الشهود . منها قوله في دير باطا : « وشاهده يعرف بربكس (مار بَكُس) » (ص ١٢٣) . ومنها قوله في دير يحنّس بدمنهور في مصر : « اذا كان يوم عيده أخرج شاهده من الدير » (ص ١٢٤) ولبعض الدمشقيين (سنة ٣٨٥هـ/٩٩٥م) قصيدة تنزل فيها باحد غلمان النصارى . وقال من جملة اقسامه فيها :

بالطور ، بالزبور ، بساكن القبور
من شاهد مشهور ، اعطف على المهجور

(تهذيب ابن عساكر ٤ : ٣٥٩-٣٦٠)

والشهاب الدين العمري يذكر ممر آتراعيل « والشاهد فيه مار ميخايل » ومثله في دير مياس « يزعم رهبانه ان به شاهداً من الحواريين » (مسالك الابصار ، ص ٢٨٧ و ٣٣٠)

١) معجم البلدان ، طبعة اروبة ٢ : ٧٠٢-٧٠٣
٢) فوات الوفيات للكتبي ٢ : ٢٩٥
٣) التذكرة لابن حمدون . خزانة بريتش موزيوم Or. 3179 f, 208vo

بعد ان روى هذه النكتة : «واما حكومة قاضي حمص فمشهورة . ذُكر انه تحاكم اليه رجل وامرأة . فقالت الامرأة : هذا رجل اجنبي مني وقد قبّلني . فقال القاضي : قومي اليه وقبّليه كما قبّلك . فقالت : عفوت عنه . فقال لها مُري راشدة . »[1]

٣ كان سعيد بن سنان ابو مهدي مؤذن المسجد الجامع بحمص . وكان شيخاً صالحاً . وكان يسحّر في رمضان ويقول في تسحيره : «يا أهل حمص اسخنوا قُديراتكم وعجلوا . عجلوا في اكلكم قبل ان أؤذّن فيسخّم الله وجوهكم»[2]

٤ حكي عن بعضهم قال : دخلت حمص وفي فمي درهم لاشتري به بعض ما اشتهيه . فاذا برجل بباب الجامع جالس على كرسي . وعلى رأسه عمامة محنّك بها على قلنسوة . وقد لبس فروة مقلوبة بلا سراويل . وقد تقلد بسيف . وفي حجره مصحف يقرأ فيه . وعنده كلب رابض يمسكه بقوده . فسلمت عليه فرد السلام . وقلت له : أتُرى القوم صلّوا . فقال لي : أوَ انت اعمى . اما تراني قاعدًا ؟ قلت : من انت ؟ قال : انا ابو خالد امام الجامع . وقلت : ما هذه الحلية ؟ قال : ورد رجل زنديق يقرأ السبع الطوال ويشتم ابا بكر الصنادبقي . وعمر القواريري . وعثمان بن ابي سفيان . ومعاوية بن ابي غسّان الذي هو من حَمَلة العرش . وزوّجه النبي ابنتهُ عائشة في زمن الحجاج بن يوسف فاستولدها الحسن والحسين . فقلت : ما اعرفك بالمقالة والانساب ! قال : وما خفي عليك اكثر . قلت أتحفظ القرآن . قال نعم . قلت : فاقرأ شيئاً . فقال : «بسم الله الرحمن الرحيم . واذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك . واكيد كيدا . فمهّل الكافرين . أمهلهم رويدا» فصفعته صفعة اسقطت عمامته وبقي التحنك في عنقه . فصاح بالناس قلنسوتي . وقال احملوه الى المحتسب . فاوصلوني الى رجل حاسر حافٍ قد لبس دراعة بلا سراويل . فقال : ما صنع ؟ قالوا : صفع إمام الجامع . قال : يا مسكين ، اهلكت نفسك . قلت : هذا حكم الله فصبرا عليه . قال : انا احب اليك . سل عينيك

١) اثار البلاد للقزويني ، طبعة اروبة ، ٢ : ١٢٤

٢) كتاب الحمقى والمغفلين لابن الجوزي . باريس ٣٥٤٣ ، ص ١٢٥

وقطع يديك او تدفع نصف درهم. قال: فرفعت يدي وصفعت المحتسب صفعة، ثم اخرجت الدرهم من فمي، وقلت: يا سيدي، خذ نصف درهم لك ونصف درهم لإمامك.»[1]

٥ قال حُنين (بن بلرع المغني الحيري): خرجت الى حمص التمس الكسب بها. وارتاد من استفيد منه شيئاً. فسألت عن الفتيان واين يجتمعون. فقيل لي عليك بالحمامات فانهم يجتمعون بها اذا اصبحوا. فجئت الى احدها فدخلته. فاذا فيه جماعة منهم. فأنست بهم وانبسطت واخبرتهم اني غريب. ثم خرجوا وخرجت معهم. فذهبوا بي الى منزل احدهم. فلما قعدنا أتينا بالطعام فاكلنا. واتينا بالشراب فشربنا. فقلت لهم: هل لكم مغنٍ يغنيكم؟ قالوا: ومن لنا بذلك؟ قلت: انا لكم به. هاتوا عوداً. فأتيت به. فابتدأت في هُنَيّات ابي عباد معبد. فكأنما غنيت للحيطان. لا فكروا لغنائي ولا سُرّوا به. فقلت: ثقل عليهم غناء معبد لكثرة عمله وشدته وصعوبة مذهبه. فاخذت في غناء الغريض فاذا هو عندهم كلا شيء. وغنيت خفائف ابن سريج واهزاج حكم. والاغاني التي لي. واجتهدت في ان يفهموا فلم يتحرك من القوم احد. وجعلوا يقولون: ليت ابا منبه قد جاءنا. فقلت في نفسي ارى اني سأفتضح اليوم بابي منبه فضيحة لم يفتضح احد قط مثلها. فبينا نحن كذلك اذ جاء ابو منبه. واذا هو شيخ عليه خفّان احمران كأنه جمّال. فوثبوا جميعاً اليه وسلموا عليه وقالوا: يا ابا منبه، ابطأت علينا. وقدموا له الطعام وسقوه اقداحاً. وخنست انا حتى صرت كلا شيء خوفاً منه. فاخذ العود ثم اندفع يغني:

طرب البحر فاعبري يا سفينة لا تشقي على رجال المدينة

فاقبل القوم يصفقون ويطربون ويشربون. ثم اخذ في نحو هذا من الغناء. فقلت في نفسي انتم هنا. لئن اصبحت سالماً لا امسيت في هذه البلدة. فلما اصبحت شددت رحلي على ناقتي. واحتقبت ركوة من شراب ورحلت متوجهاً الى الحيرة، وقلت:

ليت شعري ا متى تغبّ بي النا قة بين الدير والمتنين
محتقباً ركوة، وخبز رُقاق، وبقولاً، وقطعة من نون

---

١) الثاني من شرح المقامات الحريرية للشريشي، ص ٢٤٤–٢٤٥

لست ابني زادًا سواها من الشا م ، وحسبي ملالة تكفيني
فاذا أبت سالمًا قلت : سحقًا وبعادًا لمشر . فارقوني (١

٦ خرج بعض حذاق المكدّين من بغداد الى حمص ومعه امرأته . فلما حصل بها ، قال لها : ان هذا بلد حماقة ومال . اني اريد ان اعمل مُغيباً — وهذه كلمة لهم اذا ارادوا ان يعملوا حيلة كبيرة — فساعدتيني عليها بالصبر . قالت : شأنك . فقال : كوني برضمك ولا تجتازي بي البتة . واذا كان كل يوم خذي لي ثلثي رطل زبيباً . وثلثي رطل لوزًا نيًا . فاعجنيه واجعليه وقت الهاجرة على آجرّة نظيفة لاعرفها في الميضأة الفلانية — وكانت قريبة من الجامع — ولا تزيديني على هذا شيئاً . ولا تمرّي بناحيتي . قالت افعل . قال : وجاء هو واخرج جبّة صوف كانت معه فلبسها . وسراويل صوف ، ومئزرًا جعله على رأسه . واعتمد اسطوانة في الجامع بحيث يجتاز عليها اكثر الناس يصلي نهاره اجمع ولا يستريح الا في الاوقات المحظورة فيها الصلاة . واذا جلس للراحة سبّح ولم ينطق بلفظة . ولم يُشعَر به اياماً . ثم تُنُبِّه على مكانه . وروعي وعُرف خبره ووضعت العيون عليه فاذا هو لا يقطع الصلاة ولا يذوق الطعام . فتحيّر اهل البلد من امره . وكان لا يخرج من الجامع الا في الهاجرة في كل يوم دفعة حتى يمضي الى تلك الميضأة فيبول ويعمد الى تلك الآجرّة وقد عرفها وعليها ذلك المعجون وقد صار مستحيلًا وصورته صورة الغائط الناشف المستحيل . فمن يدخل ويخرج لا يشكّ انه غائط . فيأكله ريثما اوده ويرجع . فاذا تمّت لصلاة العتمة وفي الليل . يشرب كفايته من الماء[٢] . واهل حمص يظنّون انه

١) الاغاني ، طبعة بولاق ، ٢ : ١٢٢

٢) هذه الحيلة هي حيلة الحلّاج المشهور حين اراد ان يطيل الصيام شهرًا ، دون ان يأكل شيئًا . وكان له غلام يقال له النصري كان يصبر عن الاكل خمسة عشر يومًا ، وقد وصف طريقته لصهره حين حُبس في جملة الحلاجية فقال له : «خذ رطلًا من الزبيب الخراساني . ورطلًا من اللوز ودُقهما واجعلهما مثل الكُسْب واصلحهما صفيحة رقيقة . فاذا جئتني غدًا فاجعلها بين ورقتين من دفتر . وخذ الدفتر في يدك مكشوفًا مطويًا في يدك طيًا مدوّرًا من غير كسر ليخفى ما فيه . فاذا خلوت بي ولم ترَ من يلاحظني . فاجعل ذلك تحت ذيلي وانصرف فاني آكله سرًا واشرب الماء اذا تمضمضت للطهر . فيكفيني خمسة عشر يومًا اخرى . »
(نشوار المحاضرة للتنوخي ١ : ٨٠-٨١)

لا يذوق الماء ولا الطعام وانه طاوٍ تلك المدة . فعظم شأنـه ومحله عندهم . وقصدوه وكلموه فلم يجب . واحاطوا به فلم يلتفت . واجتهدوا في خطابه فلزم الصمت والعمل . فزاد محله عندهم حتى انهم كانوا اذا خرج للطهور جاؤوا الى موضعه فيتمسحون به . ويأخذون التراب من موضع مشيه . ويحملون اليه المرضى فيمسح يده عليهم .

فلما رأى ان منزلته قد بلغت الى ذلك وكان قد مضى على هذا الفعل سنة . اجتمع في الميضأة مع امرأته وقال اذا كان يوم الجمعة كما تعلمي الناس فتعالي فاعلقي بي والطمي وجهي وقولي لي : يا عدو الله . يا فاسق . قتلت ابني ببغداد وهربت الى هنا . وجئت تتعبد وعبادتك مضروب بها وجهك ؟ ولا تفارقيني واظهري انك تريدين قتلي بابنك . فان الناس يجتمعون عليك . وامنعهم انا من اذيتك واعترف باني قتلته وتبت وجئت الى هنا للعبادة والتوبة والندم على ما كان مني . فاطلبي تؤدي باقراري وحملي الى السلطان . فسيعرضون عليك الدية ولا تقبليها او يبذلوا عشر ديات . او ما استوى لك بحسب ما ترين من زيادتهم وحرصهم . فاذا تناهت عطيتهم في انتدائي الى حدّ يقع لك انهم لا يزيدون بعده شيئاً . فاقبلي الفداء منهم واجمعي المال وخذيه واخرجي من يومك من البلد الى طريق بغداد فاني سأهرب واتبعك .

فلما كان من الغد جاءت المرأة فلما رأته فعلت به ما قال لها ولطمته وقالت المقالة التي علّمها . فقام اهل البلد ليقتلوها . وقالوا : ياعدوة الله هذا من الابدال . هذا من قوام العالم . هذا قطب الوقت . هذا صاحب الزمان . هذا هذا . فاومأ اليهم ان اصبروا ولا تنالوها بسوء . فصبروا وأوجز صلاتـه ثم تمرّغ في الارض طويلاً ثم قـال للناس : هل سمعتم لي كلمة منذ أقمت فيكم ؟ فاستبشروا لسماع كلامه . وارتفعت صيحة عظيمة وقالوا لا . قال : فاني انما اقمت عندكم تائباً مما ذكرته وقد كنت رجلاً في زيغ وخسارة فقتلت ابن هذه المرأة وتبت وجئت الى ههنا للعبادة . وكنت محدّثاً نفسي بالرجوع اليها وطلبها لتقيدني خوفاً من ان لا تكون توبتي قد صحت . وما زلت ادعو الله تعالى ان يقبل توبتي ويمكّنها مني . الى ان أجيبت دعوتي . وقبل الله توبتي لما جمعني واياها ومكنها

من تَوَدي . فدعوها تقتلني . واستودعكم الله تعالى . قال: فارتفعت الصيحة والبكاء . وقال له هذا: يا عبد الله ادعُ لي . وقال هذا : ادعُ لي . واقبلت المرأة بين يديه وهو مارّ الى والي البلد . وهو يمشي على تأنٍ ورفق ليخرج من الجامع الى دار الامير فيقتله بابنها . فقال الشيوخ: يا قوم لِمَ ضللتم عن مداواة هذه المحنة وحراسة بلدكم بهذا العبد الصالح ؟ فارفقوا بالمرأة وسلوها قبول الدية . ونجعلها من اموالنا . فاطافوا بها وسألوها فقالت: لا افعل . فقالوا: خذي ديتين . فقالت : شمرة من ابني بالف دية . فما زالوا حتى بلغوا عشر ديات . فقالت : اجمعوا المال فاذا رأيتـه . ان طاب قلبي بقبوله والعفو عن الدم فعلت . والّا قتلت القاتل . فقالوا نعم . فقال الرجل: قومي عافاك الله ورديني الى موضعي من الجامع . قالت: لا افعل . قال: فذاك اليك . فما زالوا يجمعون الى ان جمعوا مائة الف درهم . وقالوا : خذيها . قالت: لا اريد الا قتل قاتل ابني . آثر في نفسي . فاقبل الناس يرمون ثيابهم وارديتهم وخواتمهم . والنساء يحليهن . والرجال كل يرمي بشيء من متاعه . ومن لم يتحمل من ذلك الفداء كان في امر عظيم وكأنه قد خرج من الدنيا . فاخذته وابرأته من الدم وانصرفت . فاقام الرجل في الجامع اياماً يسيرة حتى علم انها قد بعدت . ثم هرب في بعض الليالي . وطُلب من غد فلم يوجد ولا عُرف له خبر حتى انكشف لهم انها حيلة عملها بعد مدة طويلة .»[1]

وهنالك حكايات اخرى عديدة اشد حماقة مما تقدم لا يزال الى اليوم بعض الشيوخ والعجائز يتناقلونها اباً عن جد على سبيل التسلية والفكاهة في نسبة البله والتغفل لعامة حمص . وقد سمعنا عنها بدمشق في زمن الصبوة نوادر في غاية السخف والغرابة كانت تستعين بها الامهات على تنويم الاطفال في ليالي الشتاء الطوال .

---

١) نشوار المحاضرة ١ : ٢٧٧ – ٢٨

خطايا الروم الملكيين بحلب

في القرن السابع عشر

من شروط الاعتراف عند النصارى ما يسمونه « فحص الضمير » لتذكر الآثام والذنوب. ومن خشي الغفلة والنسيان استعان بمراجعة بعض كتب الصلاة ، وفيها صفحات عُدّدت فيها الوصايا الدينية وما ينجم عن مخالفتها من ضروب المعاصي. وهي ما تلقّنه الشرقيّون عن الافرنج ، بعد دخول المرسَلين اللاتين حلب في الثلث الاول من القرن السابع عشر. ولم نقف على شيء منها في كل ما مرّ بايدينا من الاوراق والمخطوطات في الاديار والبيع والخزائن العامة ، سوى في مجموع واحد في خزانة باريس رقم ٣٠٤١ ، تتقدمه فصول مقتبسة من كتاب في الطب جاء في آخر الورقة السابعة والثلاثين منه هذه الخاتمة :

« تم هذا الكتاب المبارك يوم الاربعا سادس شهر تشرين الثاني سنة سبعة آلاف ومايتين وثمانية لكون العالم (١٦٩٧ م) وهو برسم الشماس جرجس بن سفرشاه الدريبي. الله يجعله عليه مبارك امين امين امين »

وفي المخطوط خرم باوله. وتبلغ اوراقه ١١٨ ورقة. كُتب في الاولى منها :

« قد دخل في ملك الراجي عفو رب العباد الفقير انطون ابن جبرايل لباد سنة ١٧٥٤ »

وهو من اهل حلب.

وتلي الورقة السابعة والثلاثين بعض قصص وحكايات ، ومدائح وصلوات نصرانية ، وتعليقات شتى . لا تخلو من بعض الفائدة في تاريخ الروم الملكيين. لاشتمالها على اسماء من نشأ في حلب او مرّ بها من الرعاة والرعية . وردت في تضاعيف الادعية التي اعتاد الروم الاجهار بها في مختلف الصلوات لكل ملوكهم ورؤسائهم والمحسنين اليهم و« سائر خدام كنيسة المسيح ». وبعد ان نقل الكاتب الصورة المصطلح عليها عندهم الحقها بتعداد من تعاقب على كنيسة حلب منذ القرن السادس عشر وقال :

« اذكر يا رب رؤساء الكهنة والكهنة والشمامسة الذين ارتسموا على هذه الكنيسة

المقدسة وخدموها الى آخر حياتهم . وهم هولاء : الاسقف غريغوريوس . الاسقف ماكاريوس . الاسقف سيلوون . البطريرك افتيموس . البطريرك ماكاريوس . المطران مطروفانس» (ص٩٠١)

ويلي هذه التذكارات اسماء كهنة ورهبان وعلمانيين من رجال ونساء استغرقت نحو ست صفحات . بينها اسماء المطارنة ملاشيا ، وغبريل ، وارميا ، واثناسيوس ، وسلفستروس ، وجراسيموس ، وملاتيوس . والبطريركين نافوفيطس وكيرلس . وهما اللذان تنازعا الرئاسة بعد وفاة مكاريوس الزعيم جد كيرلس . والكتاب مخطوط في زمن هذا الاخير . ومن دواعي الاسف ان اسماء الرهبان والكهنة والشمامسة وغالب الاعيان مسرودة دون القاب ، فلا تستمد منها فائدة تاريخية ولولا ذلك لكان لكنيسة حلب منها مصدر من اوثق المصادر .

والاسقف غريغوريوس الذي بُدئ به في الذكر هو اول من يُعرف من اساقفة حلب بعد القرن العاشر . وهو ابن فُضيل . واصل اسرته من كفربهم في جوار حماة ، تولى الكرسي سنة ١٥٤٠ ، وتوفي في حماة سنة ١٥٨٢ ، فهو اطول الاساقفة ولاية . وقام من بعده مكاريوس بن خلف الصاجاتي ، ومات سنة ١٥٩٩ واختلف الحلبيون من بعده ، فانتدب البطريرك يواكيم زيادة للنيابة سيلوون اسقف مرعشا . وبعد سبع سنوات تنحى للمطران ملاتيوس كرمة الحموي المنتخب سنة ١٦١٢ وهو نفس البطريرك افتيموس . وخلفه ملاتيوس الزعيم سنة ١٦٣٤ على كرسي حلب . وسنة ١٦٤٧ على الكرسي الانطاكي . وهو المشهور باسم البطريرك مكاريوس الحلبي . وقلد المطرانية بعده مطروفانس ابن القسيس بشارة الحلبي المتوفى سنة ١٦٥٩

وفي كل هذه الشروح التي اوردناها شاهد قاطع بان المخطوط حلبي القلم والصبغة . وان ما جاء فيه من ذكر الخطايا والمحرمات في الاوراق ٧٢ الى ٧٨ هي صدى ما كان يرتكب منها بحلب في القرن السابع عشر . ولا يخفى ما في سياقتها من وصف اخلاق القوم ، وعاداتهم ، واميالهم ، وشهواتهم ، واساليبهم في المعيشة والتربية . وما تسلل اليهم بطريق العدوى والتقليد من بدع الخوارج عن الدين .

ولا شك ان الكاتب هو احد كهنة حلب . سمى هذه الخطايا التي عددها

« حرامات » وبدأ منها بالسكر وشرب العرق وهو الوباء الذي فتك دائماً بالشاميين وخالط منهم اللحم والدم وقد شهد البطريرك اثناسيوس الدباس ، وكان مقيماً بحلب وتوفي فيها سنة ١٧٢٤ ، انهم كانوا لا يفارقون آنية العرق والخمر حتى في الكنيسة ولذلك اوصى في منشور له « ان لا يدخل الكنيسة رجل او امرأة حاملين في عبهم الخمر والعرق لئلا يجعلوا بيت الله حانوتاً لاسباب الشرور ». (١

وكان قوم لا يكفّون عن الشرب ولو في جوار القبر المقدس نفسه . ولذلك قال الكاتب « الذي يحجّ للقدس الشريف ويشرب هناك عرق ونبيذ حرام » وقد حرّم بيعها مطلقاً . ولكنه لم ينهَ عن شربها الا في يومي الاربعا والجمعة فقط . وسكت عن سائر ايام الاسبوع . وهو غريب . وكان لهذين اليومين عندهم ، وهما من ايام الصيام حرمة شديدة . ولذلك منع فيهما ايضاً تناول الطعام قبل صلاة التاسعة . واكل السمك وشرب النبيذ على مدار السنة . والدنوّ من الازواج وضرب الطبول .

وبعد العرق حرّم « اكل الافيون والكلس » وهذه اول مرة طرق سمعنا ذكر الكلس بين المخدرات . ويظهر ان اول من احدث اكل الافيون في الشام هو ابو السعود الدمشقي المعروف بابن الكاتب . قال المحبي : « ادّاه ولعه وغرامه الى قتل نفسه . قيل انه اكل سبعة دراهم من الافيون وعولج فلم يفد علاجه . ومات من ليلته . وهو الذي احدث هذه النطة بدمشق وكان الناس عنها غافلين . وبعد ذلك تبعه في فعلها اناس . . . وبالجملة فقد فتح بدعها باباً شنيعاً . وارتكب امراً فظيعاً . وكانت وفاته في رمضان سنة ست وخمسين والف (١٦٤٦ م) (٢ . واما الكلس فبعد لأي وتنقيب طويل عثرنا على ما دلّنا ان هذه الشناعة كانت وتنفذ معروفة عند بعض مسلمي حلب . وعنهم اخذها ، دون ريب ، بعض جهّال النصارى في جملة ما تلدوهم فيه من الشهوات والقبائح وقد ورد ذكرها في ترجمة الشيخ احمد القاري المتوفى سنة ١٠٤١ للهجرة (١٦٣١ م) وهو ممن ادرك الشيخ المجذوب ابا بكر الحلبي واقام عند ضريحه . قال المحبي :

« وقد كان الزوار لمرقده الشريف لا يحصى عددهم . والصدقات تتوارد عليهم وهم لا يعلمون مقدارها . ولا يستطيعون ان يشتروا ماعوناً يطبخون فيه لعلة الجذب عليهم . وكلهم

١) مجموع صغير في مكتبة دير الشير (مار جاورجيوس) المرعيان الخارجين

٢) خلاصة الاثر ١ : ١١٨

عفّوا اللحى . يلبسون المرقّعات ويفترشون جلود الغنم . ويأكلون الحشيش والكلس . وبعض المجاذيب منهم يشرب الخمر والعرق . »[1]

ومن هذا المثال يتضح انقياد فريق من النصارى الحلبيين للتشبه بجيرانهم من المسلمين فيما انفردوا به من الخصائص والعادات والاهواء . وربما سرت هذه العدوى الى افراد من رجال الكنيسة ، فكانوا يتبعون احياناً امثلتهم وطرائقهم دون اقل استرابة او تحرز . وقد وقفنا في خزائن الثاثيكان على « كنّاش » عجيب بقلم غريغوريوس بن فضيل السابق الذكر « خادم كرسي حلب والقصير والسويدية » جمع فيه بين الجد والهزل . وضمّنه كل غريبة ونادرة . وخلط بين سِيَر القديسين والخرافات والصلوات . وكتابة الحروز والطلسمات . واستقراء الادوية والصفات كأنه احد شيوخ الطُرُق . وكان ، لسلامة صدره وغلبة الغفلة عليه ، لا يتحرج من الحلف باسم الله ، وتلاوة الادعية لاستخراج التابع والتابعة من الجنّ بعد ان « يكتبها بمسك وزعفران . ويكون البخور عاقداً » . فما الظن بعد ذلك بمن كان في طاعته من الرجال والنساء !

وقد عُرف اهل حلب بالميل الى الطرب وسماع الغناء والرقص والزفن . ولذلك كثر في الكتاب تحريم المغاني والطبول والزمور والضرب « بالطنبور والفيق . والماصول . والشبابة . والرباب والدفوف وجميع آلات المغاني » . ولا شك ان سبب هذا التحريم كان ما يبعث عليه اللهو والغناء من السرور والخفة وطيب النفس ، والاختلاط ، والافراط في الشرب ، والخروج عن الوقار ، وكثرة الانفاق على الافراح والاعراس . وهو ما صرحت به غير مرة مناشير البطاركة في ذلك العهد وتابعهم عليه الكاتب بقوله « الكلفة على الاعراس والخطبات حرام . الكلفة على الولايم والمزايم حرام . العبور للعرس الذي فيه طبول وزمور ومغاني حرام » وقد ضيقوا على العرائس كل التضييق . وبعد ان حددوا قيَم الهدايا لهنّ ، قال البطريرك يواكيم جمعة « لا نقش . ولا حنة . ولا ماشطة ولا مغنية مسلمة »[2] . وزاد البطريرك افتيموس كرمة « لا يعملوا غسل للعروس ولا اكل ولا شرب ولا سكر ولا لعب . ولا ينقشوا العروس

---

١) خلاصة الاثر ١ : ٢٦٠

٢) منشوره في كتاب الفنداق رقم ١٠٩ ، في مكتبة دير الشهر المقدس

ولا يحنوها. ولا يزخرفوا وجهها بالماشطة ولا يزينوها» (maquillage) ومثله قول الكتاب: «اكليل العروس وهي منقشة بحناية حرام. اكليل العروس وهي مزينة بالماشطة. وتدهب شعرها حرام» وفي هذه العبارة الاخيرة شاهد صريح بانهم كانوا يصفرون الشعر بماء الذهب. وهو غريب. وقد حرموا كلهم الصلاة على العروس خارجاً عن الكنيسة خلافاً لتسامحهم اليوم.

وعلى ذكر الاعراس والزواج كانوا يرون وقتئذٍ ان «الذي يتزوج امرأة ثانية اذا تقرب قبل السنتين حرام. الذي يتزوج امرأة ثالثة اذا تقرب قبل الخمسة سنين حرام» ولا ندري من اي شرع او لاهوت استمدوا هذا القضاء الغريب. ونظيره دعواهم ان الدنو من النساء: «اذا جاءت صبي قبل الاربعين يوم حرام. واذا جاءت بنت قبل الثمانين حرام» وهذا لا محالة من احكام قراقوش.

ومما تشددوا فيه ايضاً الالعاب. فعدّوا من الخطايا «اللعب بالرند (النرد). والصطرنج. والمنقلة. والورق. والقمار. والكلة. والطاب. ودكة» ولا ريب انهم حرموها لكثرة المقامرة بها.

ومن المآكل التي نهوا عنها «اكل لحم الضحية. والخنيق الذي افترسه وحش. ولحم الخنزير المقتول خنيق. واكل السمك يوم سبت العازر. واكل السمك يوم عيد البشارة اذا اتفق في جمعة الآلام. واكل الزلاطين وباقي الزهومات في صيام الكبير». ويدخل فيها ايضاً «الفطور قبل القداس يوم الاحد والاعياد السيدية. وشرب الماء والصلاة قاية». وكانت ايام الآحاد والاعياد عندهم في غاية من التبجيل والتقديس، ولذلك حرموا فيها ايضا دخول الحمام.

وكذلك كانوا يعظمون النذور ويرون «ان تأخيرها حرام. وان الذي ينذر ان يعمد ولده في كنيسة غير كنيسة بلده حرام. والذي ينذر ان يحلق راس ابنه في دير او مزار حرام. والذي ينذر ان يصوم لمار ميخايل او لبعض الملائكة حرام». وبالاجمال «ان النذر بغير كنيسة الارثوذكسيين حرام»

ويظهر ان تزييف النقود وقرضها كان وقتئذٍ جارياً بجانب. ولذلك حرموا «طبخ الذهب والفضة. وحفر سكة الزغل. وقص الدراهم. ومشترى القصاصة. ومشترى الدرهم الزغل وتقييضه. وتنفيد درهم الزغل»

ومن انواع السرقة التي نهوا عنها خصوصاً « سرقة علف البهائم . ونبش القبور . وتشليح الموتى اكفانهم » ومنعوا «الصدقة من السرقة » . وهو كقول ابي عبد الله الضرير الابيوردي:

كسارقة الزمان من كرم جارها ، تود به المرضى ، وتطمع في الفضل

ومع ان الكنيسة كانت كثيراً ما تضطر للاستدانة برهن آنيتها لدفع المغارم والمصادرات والمظالم قالوا «اذا تدين نصراني من نصراني حرام» ولعل ذلك لفحش الربا وتنذر وهم قد نهوا عنه مطلقاً .

ومن المحارم عندهم «السحر والتنجيم . وفتح الفال . وضرب الرمل . وتصديق المنامات وتفسير الاحلام . والوقوف على المزعبرين . والوقوف على خيال الابزار» . وهذا الخيال هو ما يعرف عند العامة باسم « قراقوز » . وكان يقال له قديماً خيال الظل . ولم نرَ لاحد كلاماً عليه . فلا بأس ان نتوسع هنا في تعريفه قليلاً . وهو نوعان : خيال جعفر الراقص باسم من اخترعه ، وخيال الازار . وفي شفاء الغليل للخفاجي خيال الازاد بالدال (ص ٥٠) وهو غلط فليُحرَّر . واول ذكر ورد له ، فيما وقفنا عليه ، في القرن الثاني من العصر العباسي . وكانوا يمثلون فيه صور الرجال والنساء على سبيل العبث واللهو او الهجو . ولما تهدد دعبل الشاعر المشهور عبادة المخنث بالهجاء قال له عبادة : « والله لئن فعلتَ لاخرجنّ امك في الخيال »[1] . واكثر ما كان يتخذ في المراسم والاعياد وايام المهرجان . «وكان الملك المعظم مظفر الدين صاحب اربل المتوفى سنة ٦٣٠ (١٢٣٢/٣م) يبالغ في الاحتفال بمولد النبي ويتقدم بنصب قباب من الخشب . كل قبة اربع او خمس طبقات . . . وفي كل قبة جوق من المغاني . وجوق من ارباب الخيال ومن ارباب الملاهي . . . فكان مظفر الدين ينزل كل يوم بعد صلاة العصر ويقف على كل قبة قبة الى آخرها ويسمع غناءهم . ويتفرج على خيالاتهم . وما يفعلون في القباب »[2] .

ومعلوم ما يتطرق عادة الى ملاهي العامة من قلة التصون ، والتدرج في اطراح الحشمة والحياء والاسترسال في فنون المجون . فما ابطأ الخيال ان اصبح

١) كتاب الديارات للشابشتي ، نسخة برلين ، ص ٨١

٢) الاول من وفيات الاعيان لابن خلكان ، ص ٥٥٢–٥٥٣

مسرحاً للخلاعة والخبال. ولذلك سبق المسلمون النصارى في تحريمه احياناً . وفي سنة ٨٥٥ (١٤٥١ م) في ذي القعدة طلب الملك الظاهر جقمق اصحاب خيال الظلّ « وحرق جميع ما معهم من الاشخاص المصنوعة للخيال. وكتب عليهم قسائم بعدم عودهم الى فعله .»[1]

وكان يقال لمن يتعاطى الخيال «خياليّ» ومن بديع التورية فيه قول الشاب الظريف التلمساني يتغزل في مليح خياليّ :

خياليٌّ اخاف الهجر منه ولست اراه يرغب في وصالي
وكنتُ عهدتني قدماً شجاعاً فالي صرت افزع من خيالي.[2]

ومن المحرّمات التي تنبه عليها « كتبة الحروز » وقد سبق ان مطران حلب غريغوريوس بن فضيل كان لا يتأثم منها . ويظهر ان عادتها لم تزُل من بعده ، وبقيت الى ايام البطريرك اغناتيوس عطيّة فاشية بين الكهنة والعوام. وقد اشار اليها المجمع الملتئم في دير السيدة في الراس بجوار بعلبك بتاريخ اول حزيران (يونيو) سنة ١٦٢٨ حساباً شرقياً. وهذا نص كلامه عليها بلفظه :

« كان لهم عادة ردية ان الكهنة يكتبوا الحروز . والعوام يعلقوا الحروز والتعاويذ على روس اولادهم. ويقرروا صلاة السيدة ويعلقوها على اولادهم وكثير من المسيحيين . ويصدقوا اقوال المنجمين والرقايين. وربما انهم رقوا رقوات مثل الامم. ويفتحوا الفال . ويضرا الى عند السحرة. فمن الآن لا يجوز فعل ذلك لان الكتاب الالهي يقول لا يكون فيكم من يفتح الفال ولا من يقول بالرقى. ولا من يكتب الحروز . ومن فعل ذلك ان كان كاهن يقطع من كهنوته. وان كان علماني يفرز من بيعة الله فمن فعل بخلاف ناموس الله جماعة السينودس تحرمه»

ومنعوا ايضاً « الحزن على الميت. وتكفين الميت بالحرير والولولة خلف الميت. ولبس الازرق والاسود على الميت ». وجاء مثل ذلك في منشور البطريرك اثناسيوس الدباس المقيم بحلب الآنف الذكر قال: « لا تلبس النساء السواد على امواتهن. ولا يتغطين بملايا سود وملوّنات. ولا يولولوا كالوثنيات الذين ليس لهم رجاء خلاص »

ومن الغريب انهم لم يشيروا الى عادة النساء في زخرفة الوجه وتطريته بانواع الطلاء. واقتصروا على تحريم ذلك على العرائس كما تقدم. ولكنهم خصوا

١) حوادث الدهر لابن تغري بردي ، طبعة ليدن ، ١:١١٧ ؛ والتبر المسبوك للسخاوي ، ص ٢٥٣

٢) الخامس من المنهل الصافي لابن تغري بردي ؛ باريس ٣٠٧٣ ، ص ١٢٢

بالذكر «تقطيع حواجب المرأة بالملقط» وقالوا انه حرام. وهو الوباء الذي هبت اليوم ريحه من جديد في الغرب ، واخذ بالانتشار في الشرق عائداً اليه ، بعد ان بدأ منه. لان نساء الجاهلية كنّ يعرفنه بدليل ورود ما يعبر عنه في اللغة. يقال نتص الشعر تنتيصاً وتناصاً اذا نتفه. ونتصته الماشطة بالمناص. قال الراجز:

يا ليتها قد لبست ومواصا ونتصت حاجبها تناصا

وفي الحديث: «لعنت النامصة والمتنمصة»[1]. ويشبه ذلك «الدقاق بالابرة في جسم الانسان» وهو الوشم. وفي الحديث عن علقمة عن عبدالله «لعن الله الواشمات والمستوشمات»[2].

ومن اعجب ما عدّوه من الذنوب «قص اللحية» وهو ما يدل على ان النصارى كانوا في القرن السابع عشر يرخون لحاهم عملاً بالحديث «أحفوا الشوارب واعفوا اللحى». وللحى في الاسلام تاريخ ممتع. لعلنا نتفرغ يوماً لكتابته.

وآخر ما ختم به هذه المحرمات «شرب الدخان» ولا شك انه امتُثل فيه امر السلطان مراد فاتح بغداد (١٦٢٢-١٦٣٩ م) قال المحبي:

«ومن الحوادث في ايام سلطنته تبطيله الفهوات في جميع ممالكه. والمنع عن شرب التبغ. بالتأكيدات البليغة. وله في ذلك التحريض الذي ما وقع في عهد ملك ابداً» (٣)

ويظهر ان هذا المنع ظلّ نافذاً الى ما بعد وفاته. وكان من اراد التدخين يحتاج الى الاستتار. قال المحبي:

«وحكى لي والدي قال اخبرني المولى العلامة الشهاب الخفاجي وانا بمصر في سنة ستين والف (١٦٥٠ م) انه كان في يوم من الايام في مجلس العلامة الحسيدي نقيب الاشراف الرفيع المقام مع جماعة من الفضلاء. وزمرة من الاماجد النبلاء. فاحتجب الشهاب عن المجلس لاجل الدخان. وكان المنع عنه قد حصل من حضرة السلطان. ولما عاد الى المجلس انشد هذين البيتين. وهما نظم وقتهما من غير مين:

اذا شُرب الدخان فلا تَلُمنا وجُد بالعفو يا روض الاماني
تريد مهذباً من غير ذنب وهل عود يفوح بلا دخان

---

١) اساس البلاغة للزمخشري ، طبعة الدار ، ٢ : ٤٧٨

٢) صحيح البخاري ٧ : ٥٨

٣) خلاصة الاثر ٤ : ٣٢٩

قال فاجاب النقيب في الحال على سبيل الارتجال :

اذا شرب الدخان فلا تلمني على لومي لابنآء الزمان
اريد مهذبًا من غير ذنب كريح المسك فاح بلا دخان . »(١

وبقيت هنالك محرّمات اخرى لم نشر اليها ولا طائل فيها وهي مما احلّه الله . ولذلك كتب احدهم ما يأتي على سبيل الانكار والهزء والطنز :

« الذي بيفطر ويتغدا ويتعشا حرام . الذي يشرب ما اذا عطش حرام . شرب القهوة حرام . واذا نس الانسان ونام حرام . اذا نام بلا بابوجه حرام . واذا ساله جواب ورده حرام »

ومما تقدم تتضح فائدة درس مثل هذه المخطوطات وما فيها من الذيول والتعليقات ، وهي شاهدة بكثرة ما اخذه النصارى عن الاسلام بطريق المعاشرة والجوار . وحبّذا لو تفرغ احد الادباء لتتبع نظائر هذه الآثار في الاخلاق والآداب منذ سقوط دولة العلميين الى قدوم المرسلين اللاتين في القرن السابع عشر .

---

١) خلاصة الاثر ٦ : ١٧٩

ايام السبوت بدمشق

في عهد العباسيين

كانت ايام الاسبوع قديماً مقسمة عند اقوام على اقسام من اللذة والاستمتاع بطيب العيش والتصرّف في اطوار الحياة. فكان يوم السبت منها مخصصاً للصيد والشراب والخروج الى البساتين والمتنزهات. ولذلك قال احد من نظم خصائص ايام الاسبوع :

لنعم اليوم يوم السبت حقاً لصيد، ان اردت، بلا افترآء (١

ويظهر ان اختيار هذا اليوم للقصف والمنادمة على الشراب، والبروز الى الحدائق والرياض، كان شاملاً في غير دمشق اكثر مدائن الشرق. ولعل عادة الاصطباح فيه مأخوذة عن الفرس. فقد حكى المسعودي انه كان لهم يوم بهران او يوم رام ينقطعون فيه لمعاقرة المدام. وفيه يقول الشاعر :

باكر بنا لذّة المدام في يوم سبت، ويوم رام
شريعتي فيه ان تراني، وقت الضحى، فاتر الكلام(٢

ولذلك كان اهل الطرب والترف وعشاق الصبآء في بغداد يعدّون يوم السبت وقفاً باجمعه على الشرب والسكر لا يجوز في شرع الفتوّة ان تُهمل سنّته. وروي عن عبدالله بن العباس، حفيد الربيع، وزير الرشيد والامين، أنه دخل على علي بن عيسى بن جعفر الهاشمي في يوم النصف من شعبان، وهو يوم سبت، وقد عزم على الصوم. فاخذ بعضادتي باب مجلسه ثم قال له متعجباً: يا أميري :

تصبح في السبت غير نشوان وقد مضى عنك نصف شعبان ؟

وهو القائل في احد ابياته :

يوم سبت، فصرّفا لي المدامـا واسقياني لعلني ان انامـا (٣

وقد سبقه ابو نواس الى ذكر يوم السبت في خمرياته فقال في احداها :

جاءتك من بيت خمّار بطيّتها مفراً مثل شعاع الشمس ترتعد . . .

---

١) ياقوت : ارشاد الاريب ٣ : ٨٤

٢) مروج الذهب، بهامش نفح الطيب، ٢ : ٦٦

٣) الاغاني : طبعة بولاق، ١٧ : ١٣١ و١٣٤

فلم تزل في صباح السبت تأخذها والليل اجمه ، حتى بدا الاحد (١

وللبحتري ابيات كتبها الى المبرّد ، وقال له فيها :

يوم سبت وعندنا ما كفى السحرَ طعام ، والورد منا قريب
ولنا مجلس على النهر فيأ ح ترتاح فيه القلوب
ودوام المدام يدنيك ممن كنت تهوى وان جناك المشيب (٢

ويظهر ان هذه العادة عمت في زمن القاضي التنوخي سائر طبقات الناس حتى كان يقال : من اصبح في يوم سبت وعنده طباهجة عنبرية . وبالقرب منه باقلّاني (لشرآء النقل) ولم يصطبح ، لا صبّحه الله بخير ولا عافية[٣] .

ولما مرّ ابن بطوطة بمدينة زبيد في اليمن حكى ان لاهل هذه المدينة سبوت النخل المشهورة . وذلك انهم يخرجون في ايام البسر والرطب في كل سبت الى حدائق النخل ، ولا يبقى بالمدينة احد من اهلها ولا من الغرباء . ويخرج اهل الطرب واهل الاسواق لبيع الفواكه والحلاوات . وتخرج النساء ممتطيات الجمال في المحامل .[٤]

ويظهر ان عادة تكريم يوم السبت كانت فاشية ايضاً في بعض انحاء المغرب والاندلس نقلًا ، لا شكّ ، عن اهل الشرق . ومن الابيات التي رواها المقّري في معناها قول ابن الزقّاق البلنسي وقد ظرف واجاد :

وحبّب يوم السبت عندي أنني ينادمني فيه الذي انا احببت
ومن اعجب الاشيآء انني مسلم حنيف ، ولكن خير ايامي السبت (٥

ومنها لابي عبدالله بن السراج :

يا من اذا ما سقتني الراح راحته اهدت اليّ بها روحاً وريحانا
من لم يكن في صباح السبت يأخذها فليس عندي بحكم الظرف انسانا (٦

---

١) اخبار ابي نواس لابن منظور ، ص ١٠٥

٢) مجلد من قطب السرور في وصف الانبذة والخمور للرقيق القيرواني . خزانة برينش Or. 3628, f° 121b

٣) نشوار المحاضرة للقاضي التنوخي ١ : ٢٠٩

٤) رحلة ابن بطوطة ؛ مطبعة النيل ، ١ : ١٤١

٥) نفح الطيب ، المطبعة الازهرية ، ٣ : ٤٩٧

٦) نفح الطيب ، المطبعة الازهرية ، ٣ : ٢٤٤

ومما تقدم يتضح ان يوم السبت كان في الاعم الاغلب « يوم خمر لا يوم امر» فكانوا يستثقلون فيه جدًا مطالبة الجباة ومستخرجي الاموال والرسوم السلطانية ، ولذلك قال ابو بكر الخوارزمي في رسالة له « يا وجه المستخرج في يوم السبت. يا إفطار الصائم على الخبز البحت »[1] وضربه مثلًا للثقيل الكريه .

ولكن مهما بلغ شأن يوم السبت في جميع البلدان فلم يكن ، دون شك، الا دون مبلغه في دمشق واحتفال اهلها به احتفالًا ساوى فيه الغني الصعلوك . والسيد المملوك. فلم يكن يتخلف احد عن تعطيله والإضراب عن كل شغل فيه والانتشار في الميادين والبساتين كما شهد بذلك ابو شامة في ذيل الروضتين.[2] ونبّه عليه ابن بطوطة في كلامه على اهل دمشق فقال : لا يعملون يوم السبت عملًا. انما يخرجون الى المنتزهات وشطوط الانهار ودوحات الاشجار بين البساتين النضيرة والمياه الجارية فيكونون بها يومهم الى الليل.[3]

وقد توسع القزويني في وصف سبوت دمشق وشرح اوفى شرح تعظيم الناس لها ومغالاتهم فيها فقال:

« في هذا اليوم لا يبقى للسيد على المملوك حَجْر. ولا للوالد على الولد. ولا للزوج على الزوجة . ولا للاستاذ على التلميذ . فاذا كان اول النهار يطلب كل واحد من هؤلاء نفقة يومه. فيجتمع المملوك باخوانه من المماليك. والصبي باترابه من الصبيان . والزوجة باخواتها من النساء . والرجل ايضاً باصدقائه . فاما اهل التميز فيمشون الى البساتين ولهم فيها قصور ومواضع طيبة . واما سائر الناس فالى الميدان الاخضر وهو محوَّط. فرشه اخضر صيفاً وشتاء. وفيه الماء الجاري . والمتعيّشون يوم السبت ينقلون اليه دكاكينهم . وفيها حلق المشعبذين والمساخرة

---

١) لم تدرك مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق مغزى هذه العبارة فقالت : لعل الحكومة كانت تعطل والاهالي يتعطلون ويتنزهون يوم الجمعة فيفجأهم المستخرج اي المحصل بطلب المال يوم السبت فيستثقلونه كما يستثقل صيان المكاتب يوم السبت ايضاً (السنة الرابعة ١٩٢٤ ، ص ٢٤)

٢) خزانة باريس ٥٨٥٣ ، ص ٥١

٣) رحلة ابن بطوطة ١ : ٥٠

والمغنين والمصارعين والقصاصين[1]. والناس مشغولون باللعب واللهو الى آخر النهار. ثم يفيضون منها الى الجوامع ويصلون فيها المغرب ويعودون الى اماكنهم. »[2]

وكان اهل دمشق، حسبما ذكر القزويني ايضاً، اميل الناس الى اللهو واللعب. فلم تكن تكفيهم البطالة والتعيد يوم السبت وحده حتى اضافوا اليه يوم الثلاثا احياناً. ومن اشهر الاماكن التي كانوا يقصدونها بالزيارة هذين اليومين الربوة المشهورة في ايام الصيف. وكانت تجري فيها بعض المنكرات[3] لكثرة اختلاط الناس فيها واجتماع باعة اللهو من ارباب الحلق والملاعيب والشعوذة وخيال الظلّ واشباههم. ووفرة من يتخطر فيها من الغلمان والجواري والنسآء في املح زيّ وافتنه. ولذلك لما ولي الامير سيف الدين الحنبلي اقتمر الصاحبي نيابة دمشق سنة ٧٧٨ (١٣٧٦ م). « باشرها شهرين وعشرين يوماً فازال الفساد وانكر المنكر. وامر الناس بفتح الاسواق يوم السبت والثلاثا. »[4]

وفيما عدا الربوة كان ارباب البطالة والمتنزّهون يزدحمون في الميدان الاخضر، في موضع المرجة اليوم، وفي الشرف الاعلى في جواره. وتاج الدين محمود الصرخدي يصف الشرف الاعلى يوم سبت:

أشرف على الشرف الاعلى، اذا سنحت لك الظبآء بسرحات الميادين
في يوم سبت، ترى الوفرات جائلة على المناكب امثال الشابين[5]

يريد بالوفرات ذوائب الغلمان والجواري التي كانت تنوس على ظهورهم مضفورة، ولذلك شبهها بالافاعي. وكان إطلاق الذوائب يومئذٍ شاملاً، فيما خلا النسآء والغلمان، كثيرين من الرجال حتى بعض الشيوخ منهم. وقد افاض ابن خروف الاندلسي في وصفها في يوم سبت شهده بدمشق فقال:

اذا رحلت عروبة عن حماها، تأوّه كل ازّاه حليم

---

١) في الاصل المطبوع الفصالين. وهو لا شك تحريف من النساخ.
٢) آثار البلاد واخبار العباد، طبعة اوربة، ٢: ١٢٦
٣) وصف ربوة دمشق لابن طولون (مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق. السنة الثانية ١٩٢٢، ص ١٤٨)
٤) ذيل ابن قاضي شهبة، خزانة باريس ١٥٩٨، ص ٢٤٨
٥) الثالث من عيون التواريخ للكتبي. خزانة باريس ١٥٨٧، ص ٧٧

الى سبت حكى فرعون موسى بجمع كل سحار عليم
فتبصر كل أساود قوم يبس بكل ثعبان عظيم
اذا انابت اراقها عليهم ، تذكرنا بها ليل البليم
وشاهدنا بها ، في كل حين ، حبالاً ألقيت نحو الكليم (١

وبالاجمال كانت ايام السبوت في الفيحاء من اكبر الاعياد والمواسم تغلق فيها الاسواق ، وتعطل الدواوين والمكاتب وتهجر من اجلها حلقات التدريس في المساجد ، وتزدحم في الساحات والميادين اصناف الخلق باغرب الازياء من الثياب المشهرة والمنسوجات البلدية الموشّاة الفائقة الصنعة . فكان يرى الناظر من بهجة الوانها واختلاف خطوطها ونقوشها ما يزيد تلك الوجوه والقدود رونقاً ونضارة . وقد اشتهر الدمشقيون في كل وقت بالجمال وحسن التكوين . ولذلك قال شهاب الدين الشاغوري من قصيدة يصف فيها دمشق :

كم يوم سبت بديع في دمشق اتى بالحسن من يوسف الصديق يحكيه (٢

وقد افتتن الغرباء بمثل هذا الحسن والمنظر الانيق ، فقال نور الدين الغرناطي الاندلسي يمدح دمشق :

اما دمشق فجنّة ينسى بها الوطن الغريب
فيها ايام السبوت بها ومنظرها العجيب !
انظر بعينك ، هل ترى الا محباً او حبيب
في موطن غنّى الحما م به على وقص القضيب
وغدت ازاهر روضه تختال في فرح وطيب (٣

وقال ابن خروف ايضاً ، بعد ما تقدم من نظمه :

تمتّع من دمشق ، ومن هواها فان هواءها للنفس قوتُ
لها من كل فاكهة ضروبٌ تنفسها على الناس البخوتُ
وميدان له جمع بديع به تُرمى على الجُمَع السبوتُ (٤

وكان القضاة والشيوخ والادباء يجتمعون ايام السبوت في الرياض والبساتين .

---

١) الثاني من نفح الطيب للمقري ، المطبعة الازهرية ، ص ٢٨١
٢) الثالث من عيون التواريخ ، ص ٦٠
٣) رحلة ابن بطوطة ١ : ٥٠
٤) الثالث من عيون التواريخ ، ص ٧٩

ويتذاكرون على تغريد الاطيار وخرير الانهار . ومن الجوامع التي عرفت بمثل هذه الاجتماعات السبتية قصر القاضي قطب الدين ابن شيخ السلامية ، ناظر الجيوش الاسلامية بالشام ، المتوفى سنة ٧٣٢ (١٣٣٢ م) « وكان فاضلاً يحب الفضلاء . والادباء يترددون اليه . ويجتمعون على طعامه وفي بستانه أيام السبوت ويحسن اليهم ويبرّهم » .[1] واشتهر من الأطباء رضي الدين الرحبي المتوفى سنة ٦٣١ (١٢٣٣ م) بعادة لزمها في كل ايامه لا يخلّ بها وهي « انه كان يحمل يوم السبت ابدًا لخروجه الى بستانه وراحته فيه . ويتركه يوم بطالة عن الاشغال » .[2]

وقد مرّ بنا من شهادة القزويني ان المتنزهين ايام السبوت كانوا لا يدعون ترك اللهو في المساء والمصير الى الجوامع للصلاة . وكانوا اذا اتفق حضور بعض مشاهير الخطباء والمحدّثين ، وحان وقت مجلسهم والقاء دروسهم ومواعظهم ، يبيتون من اجلها في الجامع ثم يعودون الى اماكنهم في الحدائق والرياض . ولما قدم دمشق الشيخ شمس الدين ابو المظفر سبط ابن الجوزي « كان له مجلس كل يوم سبت بكرة النهار عند السارية التي عند مشهد علي زين العابدين . وكان الناس يبيتون ليلة السبت بالجامع الاموي . ويتركون البساتين والفرج في الصيف حتى يسمعوا ميعاده . ثم يرجعون الى بساتينهم يتذاكرون ما قاله من الفوائد والكلام الحسن . »[3] فيجمعون في آن واحد بين الجدّ والهزل .

---

١) الوافي بالوفيات للصفدي ؛ خزانة أكسفرد Land. Or. 4, f° 36 ٣

٢) عيون الانباء لابن ابي أصيبعة ٢ : ١٦٤-١٦٥

٣) البداية والنهاية لابن كثير رواية الطبراني ، خزانة باريس ١٥١٦ ، ص ٢٠

دير يُوّنى (يوحنا)

بظاهر دمشق

وهم في ضبطه كلٌ من ابن شداد في الاعلاق الخطيرة ، وشهاب الدين العمري في مسالك الابصار ، وياقوت في معجم البلدان . ورووه في حرف الباء الموحدة المفتوحة بدلاً من الياء المثناة المضمومة . واورده ياقوت بعد دير بولس وقبل دير التجلي . ولعله جاء بالموحدة ايضاً في نسخ كتب الديارات للاصبهاني والخالدي . وقد سقط من نسخة الشابشتي في برلين فلا يدرى كيف كان مثبتاً فيها . واغفل ذكره البكري في معجم ما استعجم في جملة الديارات الكثيرة التي ضرب عنها صفحاً . واللفظة رومية كما هو معلوم . والدير من اديار الملكيين . ولا شك انه كان مبنياً على اسم يوحنا المعمدان لقول ياقوت والعمري ان الدير كان من اقدم ابنية النصارى « بني بعد المسيح عليه السلام بقليل » فلا تمكن من ثم نسبته الى يوحنا فم الذهب او يوحنا الدمشقي .

وفي ياقوت والعمري ان الدير كان بجانب غوطة دمشق في انزه مكان بين رياض مشرقة ، وانهار متدفقة . ولا يخفى ما في هذا التحديد من الغموض والابهام ، وهو قد يصدق على غير موضع واحد في ظاهر دمشق . ولعل الاغلب انه كان في ناحية باب الفراديس حيث تعددت الديارات والبيع . وقد شيد بعض شيوخ بني حمدون ، حين صحب المتوكل الى دمشق سنة ٢٤٣ للهجرة (٨٥٧ م) انهم بانوا الموضع المعروف بالفراديس ، ونزلوا منزلاً بين كنائس عظيمة وآثار قديمة[1] . فلا يبعد ان دير يوّنى كان في جملتها . وفي زمان العمري كان موضعه قد تنوسي واضمحلت معالمه . ولذلك قال فيه : « هذا الدير اليوم لا وجود له . وقد اقفرت الارض منه من رسم وطلل . ومضى وحادث كل

---

١) الدر الملتقط من كل سمر وسقط . خزانة برلين . برزيوم 1268 f. 19408. .Ahl.

دير بعده جلل »[1] وكان خرابه ، دون ريب ، بعد القرن السابع للهجرة او في اواخره . لان معجم البلدان شهد انه كان صغيراً ورهبانه قليلون . وحكى ان الوليد بن يزيد الخليفة الاموي اجتاز به فرأى حسنه . فاقام به يوماً في لهو ومجون وشرب . وقال فيه :

حبذا ليلي بدير يونى ، حيث نُسقى شرابنا ، ونُغنى
كيف ما دارت الزجاجة درنا ، يحسب الجاهلون انا جُننا
ورمونا بنسوة عطرات ، وغناء ، وقهوة ، فقتلنا
وجعلنا خليفة الله فطرو س مجوناً ، والمستشار بُجنا
فاخذنا بقرباضم ، ثم كفّر نا لصلبان دبرهم فكفرنا
واستهنا بالناس ، فيا يو لون ، اذا خُبّروا بما قد فعلنا[2]

ومن البيت الرابع يستدل على ان رأس الدير، في عهد الوليد بن يزيد، كان اسمه بطرس . ولعل اسم المستشار بجنا لم يرد معه الّا لاتمام القافية او انه اشارة الى شفيع الدير .

وفي هذا الدير يقول ايضاً عبد الملك بن سعيد الدمشقي :

غلبت طيب العيش في دير يونا بندمان صدق اكملوا الظرف والحسنا
حطبت الى قسّه بنت كرمة مشفة ، قد صيّروا خدرها دنّا
دفعنا اليه مهرها ، حين زفّها ، عروساً ضادى في قراطفها زفا
رقنا الى روض اريض ، وشادن غضيض تحاو الحور في شكله حسا
له جيد جيداء ، وعين غزالة ، يريك اذا عاينته البدر والغصنا
يغنّي فيغنينا بحسن غنائه عن الغانيات المحسنات ، اذا غنّى
وتثني لنا الاطراب رنّات عوده ، اذا عوده في حجره مرحاً رنّا
ويثني الى عيّ التصابي قلوبنا ، اذا استنطق الاوتار او حرّك المثنى
ويبدي لنا اللحن المطرب ، اذا شدا ، وقد امن الاسماع ان تسمع اللحنا
حلمنا عذار اللهو عنا ، ولم نزل ، اذا اسرف المُذّال في العذل ، اسرفنا
وهان علينا القول في طاعة الهوى فان اكثر اللوّام في اللوم ، هوّنا

---

١) مسالك الابصار ، ص ٢٥١

٢) من الغريب ان ياقوت بعد ان روى هذه الابيات في دير يونى ونسبها للوليد بن يزيد، نفى كلامه عليها ، وعاد ونقلها في تعريف « تل بَوْنَا » من قرى الكوفة كما حكى . وعزاها لمالك بن اسماء الفزاري (١ : ٨٦٥) وهو سهو منه ظاهر تتابع له امثاله ونظائر

فسقياً لذاك العيش لو كان عائداً عليه وكنّا فيه مثل الذي كنا ! (١

وقد رويت لفظة يوّنى في كل ما سبق بالباء الموحدة فاصلحناها.(٢ وهذه الابيات هي كل ما وقفنا عليه من الخمريّات التي قيلت في الدير . ولا بد لها من نظائر لم تتصل بنا لكثرة تهافت الشعراء والمجّان على غشيان هذا الدير لطيب موقعه ونزاهته ، وجودة شرابه ، كسائر امثاله من الديارات المشهورة بتردّد المسلمين اليها حباً باللهو والقصف والسكر.

دير مَرْحنّا

بمصر

هو دير مسار يوحنا المعمدان من اديار الملكيين بمصر . قال المقريزي : « وهذا الدير يعرف اليوم بدير الطين (بالنون) على شاطئ بركة الحبش وهو قريب من النيل . والى جانبه بساتين انشأ بعضها الامير تميم بن المعزّ . »(٣ وهو كسائر الاديار والكنائس الملكية لا يدرى له اصل انشاء ، ولا تاريخ بناء . ولعله كان حيناً في حوزة الاقباط . استولوا عليه في جملة ما اغتصبوه من الملكيين ، في دولة الامويين واوائل خلافة العباسيين . وهو ما يشير اليه قول التاريخ المنحول لابي صالح الارمني :

« هو الآن (٥٦٤ للهجرة = ١١٦٨ للميلاد) بيد الملكيين . واهتم بتجديد عمارته قديماً ابو الفضل ابن البغدادي وابو نصر ابن عبدون يعرف بابن الدّاس متولي ديوان الشام في

---

١) برق الشام (كذا وهو بعض كتاب الاعلاق الخطيرة لابن شداد) في خزانة ليدن Arabe 1466, f° 62

٢) وممن تابع ياقوت في غلط روايته وضبطه ريته دوسّو العالم الاثري في كتابه : *Topographie historique de la Syrie*, p. 297

٣) الخطط ، طبعة النيل ، ٢ : ٤١١ . وانما ضبط المقريزي لفظة الطين بالنون لانه كان بمصر دير يسمى دير الطير بالراء قبالة سملوط

الخلافة الحاكمية . » (١

ولما تتبع الحاكم بامر الله معابد النصارى بالتقويض والتدمير ، لم ينجُ هذا الدير من النهب والخراب . واخذ الحاكم نفسه جانباً منه ومن البيعة وبناه مسجداً بأذنة . وكان فيه ، فيما عدا الرهبان ، جماعة من الراهبات ايضاً كان يهتمّ بهنّ ابو الفضائل بن ابي الليث الكاتب الملكي ، شقيق ابي البركات يوحنا ، متولي ديوان التحقيق ، المقتول سنة ٥١٨ للهجرة (١١٢٤م) . وكان في جوار الدير بستان له ، جامع لصنوف الاشجار المثمرة النادرة . قال صاحب التاريخ المشار اليه :

« واتفق وفاة ابي الفضائل هذا . وكان له ابن اخت يسمّى ابي المكارم محبوب بن ابي الفرج العابودي . وكانت اخت ابي البركات ابن ابي الليث زوجة ابي الفرج هذا . فانتقل من الملة النصرانية واختتن وعمره يناهز اربعين سنة . ووضع يده على البستان المذكور . وملكه على حكم الموروث وتسلط على الرهبانات واخرجهنّ منه . وهدم المنظرة وجعلها مسجداً واضاف الدير ، وعمل فيه همة(٢ للامام الحافظ . فحضر عنده وازداد الدير ضمناً . وامتنع الملكيين من زيارته . ثم تواترت الفتن . وهدم معظم الدير والكنيسة . وصار امره للتلف . وكان للملكية اسقفاً بمصر يسمى يوسف . فجدد ورمّ فيه ما وصلت قدرته اليه . وهو باقٍ الى الآن (١١٦٨ م) لم تكمل عمارته كما كان لضعف الطائفة وقلة عددهم واهمال رئيسهم وتغفله عن النظر فيه وفي غيره . وعادة اسقف مصر على هذه الطائفة بالحضور الى هذا الدير في يوم الاثنين دائماً اول الجمعة الثانية من الصوم الكبير . وجماعة كبيرة من طائفته ومن القبط لسماع وصية الصوم وما يجب ان يعمل فيه . وهذا الدير ايضاً يعيد فيه في ثاني يوم عيد الفطاس . »(٢

ويعدّ هذا الدير في جملة الديارات التي اتخذها الخلعاء وعشاق الصهباء في الاسلام متنزّهات للهو والطرب ، وحانات للسكر والغناء ، لاجتماع طيب الشراب فيه الى طيب الهواء وحسن المنظر ، وإشرافه على بركة الحبش ، احدى بقاع مصر المشهورة قديماً بالقصف والبطالة . وقد ذكرته الشعراء وتغزّلوا فيه فقال امية بن عبد الصلت المعري :

يا دير مرحنا ، لنا ليلة لو شُربت بالنفس لم تُبخس
بتنا بـه في فتية أعربت آدابهم عن شرف الانفس

١) طبعة أكسفرد، سنة ١٨٩٢، ص٥١-٥٢ *The Churches and monasteries of Egypt*
٢) همة هنا بمعنى الدعوة . وكان يقال في دولة المماليك : صنع له مُهِمّاً، اي دعوة او مأدبة

والنيل في شملة ظلمآنه ، كأنه الراهب في البرنس
نشربها صهباء مشمولة تغني عن المصباح في الحندس
وهي ، اذا تنزّ عن دنّها ، اذكى من الريحان في المجلس . . . (١

وللامير تميم بن المعزّ لدين الله :

أيا دير مرحنّا ، سقتك رعودُ من الغيم ، يحمي عزّها ، ويجودُ
فكم واصلتنا في رباك اوانس يطفن علينا بالمدامة ، غيد
وكم ناب عن نور الضحى فيك مبسم ، ونابت عن الورد الجنيّ خدود
وماست على الكثبان قضبان فضة فاثقلها من حملهنّ ضرود
ليالي اغدو بين ثوّبي صبابة ولهو ، وايام الزمان مجود
واذ لمّتي لم يوقظ الشيب ليلها واذ اثري في الغانيات حميد (٢

ولابن ابي عاصم فيه :

اقرأ على دير مرحنا السلام ، فقد ابدى تذكّره مني صباباتي
وبركة الحبش اللاتي بهجتها ادركت ما شئت من لهوي ولذّاتي
كأن اجبالها من حولها سُحُب تقشّعت ، بعد قطر عن سماوات
كأن اذناب ما قد كان صيد لنا من أبرميس وراي بالشبكات (٣
اسنّة خُضبت اطرافها بدم ، او دمّج تزعوه من جراحات
منازل كنت اغشاها واطرقها ، وكنّ قدماً مواخيري وحاناتي (٤

وقال فيه ايضاً :

يا طيب ايام سفحتُ مع الصبا ، طوع الهوى فيها بسفح المنظر
فالبركة الذنّاء ، فالدير الذي قد هاج فرط صبابتي وتنكري
فاحسُنْ كؤوسك ، يا غلام ، وأعفني ، فلقد سكرت وخمر طرفك مُسكري
وأرى الثريا في السماء كأنها تاج تفصّل جانباه بجوهر
فاشرب على حسن الرياض ، وغنّني ، وانظر الى الساقي الاغنّ الاحور
فلعلّ ايام الحياة قليلة ، ولعلني قدّرت ما لم يُقدّر (٥

---

١) معجم البلدان لياقوت طبعة اروبة ٢ : ٦٩٩
٢) ديوانه ، خزانة جامعة ليدن Arab. 20;S=Amin 314
٣) الابرميس والراي صنفان من اسماك النيل ذكرهما ياقوت في جملة الاسماك التي كانت تُصاد في تنّيس (معجم البلدان ١ : ٨٦٦)
٤) معجم البلدان ٢ : ٦٩٨-٦٩٩
٥) مسالك الابصار للعمري ، ص ٢٦١-٢٦٢

وكانت بركة الحبش تعرف ايضاً ببركة المافر[1] باسم حيّ من همدان . ولذلك كان يقال احياناً لدير مار يوحنا دير المافر. ومنه قول صالح بن موسى مولى بني تميم يذكر الدير والبركة:

اني لمثلك ناصح فاجنَحْ اليّ ، ولا تُغَرْ
بكِّر الى دير المعا فرِ ، ان اوقات البُكَرْ
أوَ ما ترى حسن الربا ضِ وما كُسين من الزَهَرْ
وجه الربيع ، وحبّذا وجه الربيع اذا ظهرْ
الوشي يُنشَر ، والملا حف، والمطارف، والحبَرْ (٢

وقد خفيت آثار هذا الدير ، ومحا الدهر رسومه ومعالمه ، فلا يُدرى له مكان ، ولا كيف عبث به الزمان.

١) الخطط للمقريزي ، طبعة النيل ، ٣ : ٢٤٧
٢) كتاب الديارات للشابشتي ، نسخة برلين ، ص ١٣٦

احتيال الملوك الايوبيين

في رشوة النسآء الفرنجيات لتجسّس الصليبيين

كان الملك العادل سيف الدين ابو بكر ، شقيق السلطان صلاح الدين ، ذا مكر ودهآء ، ورأي ثاقب ، وقدرة على افساد القلوب واصلاحها . وله في الحرب والسلم مكايد وحِيَل كان يبتدعها بفطنته الغريبة ويبلغ بها ما يروم من الاعدآء والخصوم بالطف الوسائل . ولذلك كان السلطان صلاح الدين يرجع الى رأيه ويستعين به في كل ما جلّ من خطب او حرب . ولما قدم له احد المصنفين كتاباً مصوراً في مكايد الحروب ومنازلة المدن ، وهو حينئذٍ على عكا محاصراً للفرنج ، قال: ما نحتاج الى هذا الكتاب ومعنا اخونا ابو بكر. ولا شكّ ان الفضل يعود اليه في بعض انتصارات الاسلام على اهل الصليب . وكانت له ارصاد وعيون يطالعونه بكل ما يقفون عليه من احوال الاعدآء والاولياء . فكان يعلم ما قرب او بعد منه . ولا يجهل ما يدور في صدور بطانته ورجاله انفسهم . وله في ذلك حكايات غريبة نقل بعضها ابن سعيد المغربي ، بعد ان ذكر ما قدمناه من ركون صلاح الدين اليه وتعويله عليه. قال: «وكان يصرف الحلي لنساء الفرنج ويوجهه في الخفية اليهنّ حتى يسكن ازواجهنّ عن الحركة ».[1] ولا يخفى على احد ما في هذه الشهادة من الدلالة والشأن في تعليل تغلّب صلاح الدين على الصليبيين واندحار امرائهم في بعض الوقائع . وكانت النسآء الصليبيات وتتئذٍ كثيرات الاعجاب بمصنوعات دمشق من الحلي والجواهر وثياب الوشي والديباج ، والمقانع الحريرية ، واصناف الطيب . وهي الطرائف التي قال فيها احد سفّار الطليان حين مرّ بدمشق : « لو كنتَ خبأت دراهمك في عظم ساقك لكسرته رغبة في اقتنائها»[2] فلا عجب اذا كان بعضهنّ لا يملكن انفسهنّ من التشوّق الى إحراز شيء منها . وقد عرف العادل من اين

١) نفح الطيب للمقري . المطبعة الازهرية المصرية ١ : ٤٦٤

٢) Simon Sigoli, *viaggio del Monte Sinai*. Rome 1819, p. 58

توكل الكتف معهن .

وممن ورث عنه حب التجسس ، ومصانعة الافرنج ، وإفساد قلوب نسائهن بالرُشى والهدايا للافضاء اليه باسرار القواد والجنود ، ولده الملك المعظم عيسى (٥٧٦–٦٢٤ هـ = ١١٨٠–١٢٢٧ م) وقد نقل سبط ابن الجوزي بعض اخباره في هذا الصدد ، واجتمع به في نابلس ، وسمع منه ما رواه في تاريخه . ولا تخفى قيمة شهادته ومكانتها في تاريخ الحروب الصليبية . قال :

« كان في ايام الفتح مع الافرنج يرتب النيران على الجبال من باب نابلس الى عكا . وعلى عكا جبل قريب منها يقال له الكرمل كان عليه المنوّرون وبينهم وبين الجواسيس علامات . وكان له في عكا اصحاب اخبار . واكثرهم نساء الجيالة . فكانت طاقاتهم في قبالة الكرمل . فاذا عزم الفرنج على الغارة فتحت المرأة الطاقة . فان كان يخرج مائة فارس اوقدت المرأة شمعة واحدة . وان كانوا مائتين شمعتين . وان كانوا يريدون قصد حوران او ناحية دمشق اشارت الى تلك الناحية . وهكذا الى نابلس . وكان قد ضيق على الافرنج الطرق . فكان الفرنج لا يقصدون جهة الّا يجدون عسكر المعظم قد سبقهم اليها . وكان يعطي النساء والجواسيس في كل فتح جملة كثيرة . فقلت له في بعض الايام . هذا إسراف في بيوت الاموال . فقال انا استفتيك . لما عزم الانبرور[1] على الخروج الى الشام اراد ان يترك عكا بغتة ويسير الى باب دمشق .

---

١) يعني بالانبرور (L'Empereur Frédéric II Hohenstaufen) . وهذا التعريب اكثر ما يقرأ في كتب المؤرخين الاسلاميين . وممن آثره منهم على لفظة انبرطور – وهم اغلب ما يرسمونها بالنون . ونادرًا بالميم اي امبرطور – ابن الاثير . وابن كثير . وابو شامة . وسبط ابن الجوزي . واليافعي . وابو الفداء . وشمس الدين الدمشقي صاحب نخبة الدهر . وكتاب تشريف الايام والعصور بسيرة الملك المنصور . وكتاب سِيَر البطارك الاقباط . وابن خلكان روى به بيتي صلاح الدين الاربلي :

زعم الزعيم الانبرور بأنه سلم يدوم لنا على اقواله
شرب اليمين فان تعرض ناكثًا فليأكلنّ لذاك لحم شاله

(وفيات الاعيان ١ : ٧٤)

وذكر ابو الفداء في جملة مصنفات القاضي جمال الدين بن واصل « الانبروريّة » في

فبعث فارساً عظيماً وقال اخفِ امرنا وجيئنا الى البلاد لِتُغير بغتة. وكان بعكا امرأة مستحسنة فكتبت الي تخبرني . فبعثت لهـا ثياباً ملونة وعنبرًا ومقانع حرير . فلبستها واجتمعت بالفارس . فدهش وقال من اين هذا . فقالت من عند صديق لنا من المسلمين . فقال من هو . فقالت الكريدي.[1] فصلّب على وجهه وقام فخرج من عندها . قال فما زالت تلك المرأة تتلطف بالفارس وتهاديه حتى نسجت المودة بيني وبينه. فصرت أهاديه حتى كان يبعث الي كتب الانبرور التي يبعثها اليه مختومة . وأرسل اليه فيكتب ما اقول. فانا أداري عن المسلمين بهذا القدر اليسير وافدي به الخطير . فان الانبرور لو جاء بغتة اسر من اهل الشام وساق من مواشيهم واموالهم ما لا تحصى قيمته.»

قال ابو المظفر : وحكى لي سعد الدين مسعود والي الجولان قال: «كنت والياً بالشوبك . وكان بها راهب منفرد في بعض الجبال. فجآءني كتاب المعظم بنفيه فنفيته . فغاب سنة وجآءني كتاب المعظم يقول أعِدْهُ الى مكانه وتوصَّ به. فبحثت عن قصته. واذا به قد بعث به الى البحر كشف له اخبار الانبرور على وجهها . وانما نفاه حتى لا يُتَّهم واطلق لـه ارضاً يعيش منها واعطاه مائة دينار.»[2]

ولم يكن المعظم يتنع بتجسس الرجال والرهبان والنسآء له . بـل كان يتنكر احياناً ويخرج بنفسه متفحصاً وَيلج خفية ما جاوره من بلاد الصليبيين رائدًا بعض الاخبار قال الصفدي: «اشتهر عنه انه دخل عكا لكشف احوالها في زيّ زيات واقام بها اياماً ورهن خاتمه عند دكّانيّ. فلما عاد الى دمشق كتب الى صاحبها واعلمه بما جرى له وسأله ان يفكّ خاتمه وينفذه . فقامت قيامته .

المنطق. قال صنفها للانبرور ملك الفرنج صاحب صقلية.

وممن تردد في كتابتها مرة انبرور ، ومرة انبرطور ، وقليلًا امبراطور ؛ التوبري في غاية الارب ؛ والمقريزي في السلوك ؛ وفي الخطط . ولا مشاحة في ان لفظة انبرور اخفّ واقصر واقرب للاوزان العربية واسهل إدماجاً في النظم ، فهي لذلك ارجح في الاستعمال . .

١) يظهر ان الملك المعظم كان معروفاً عند الصليبيين بلقب الكُرَيْدي. ومعلوم ان بني ايوب كانوا من اصل كردي.

٢) مرآة الزمان لسبط ابن الجوزي. خزانة جامعة ليدن Arab. 2 l. p. 278

وكاد يموت غيظاً.»[1]

وهذه اول مرة فيما نعلم يشار فيها الى مصانعة الايوبيين الفرسان والرهبان ورشوتهم النسآء بالحلي والحلل « ليمسكن ازواجهن عن الحركة » . وهو ما خفي عن مؤرخي الصليبيين حتى احدثهم عهداً ريتيه گروسّه . وهذه المكايد كافية لتعليل ضعف الافرنج في الدفاع عن مملكتهم السورية. وفشلهم مثلاً في الاستيلآء على دمشق حين تجمعوا لحصارها واخذوا بخناقها واوشكوا ان يدخلوها. ثم اصبحوا وهم يتسللون عنها بعد مراسلات وردت اتّهم فيها احد مؤرخيهم افرنج الشام بالمخامرة والارتشآء. ولا غرو فقد شارك احياناً الخاصة منهم العامة في اعانة الايوبيين بالخيانة والغدر باخوانهم اهل الصليب. وقد عثرنا في هذا الصدد على شهادة اسلامية لا تزال أنُفاً نقلها النويري في اخبار سنة ٥٨٢ للهجرة (١١٨٦م) في كلامه على اشهر رؤسآء الافرنج في ايام صلاح الدين وهو المعروف بلقب « قومص طرابلس » le Comte de Tripoli قال :

«في هذه السنة هادن قومص طرابلس السلطان وصالحه وصافاه حتى كان يقاتل ملوك الافرنج اشد القتال. ويسبي منهم العيال . وكاد ان يُسلم ولكنه صدّه شيطانه ورماه بالربائث والحبال. وكانت مصالحة القومص من اقوى نصرة السلطان على الفرنج. ومن اشدّ ما دخل عليهم في دينهم ودنياهم. ولله الحمد والمنة.»[2]

ومن هذه الشهادات المتقدمة يتبين أن الافرنج كثيراً ما اعانوا الاعدآء على انفسهم . وأن بعض انتصارات الايوبيين عليهم لم تكن ثمرة الشجاعة والفروسية ولكن وليدة المخادعة والافساد والتجسس . وفي المخطوطات العربية التي لا تزال مطويّة في بطون الخزائن نظائر لهذه النصوص في انبآء كلامها على الوقائع الصليبية . وهي حرّية بالتأمل والاعتبار لما فيها من الايضاح والاستدراك على اخبار رجال الفريقين مما لم ينتبه بعد لمكانها علمآء المشرقيات ، ولا غنى لمؤرخ القرون الوسطى من الوقوف عليها اذا لم يشأ الزلل في احكامه. فهل من ينشط لاستقرآئها وتدوينها وترجمتها حباً بخدمة الحقيقة التاريخية.

١) الجزء الحادي والعشرين من الوافي بالوفيات. خزانة اكسفرد Seld. Arch. a. 28

٢) مجلد من غاية الارب للنويري . خزانة جامعة ليدن Arab. 19 a Gol. دون ارقام

لقب القاضي

في دولة المماليك

اختلف مدلول الالقاب السلطانية في الدول الاسلامية. كالوزير ، والصاحب ، والحاجب مثلاً. فكان بعضها يتضع او يتسع حسب اختلاف الدول ، وربما عنى احياناً في الواحدة منها ما لا يعنيه في الاخرى. وهو ما يجب التنبه له في مراجعة الاخبار والتراجم . ومن هذه الالقاب التي خرجت عن موضوعها الاول لفظة القاضي . وبعد ان كانت مختصة بالحاكم الشرعي. ابتُذلت في عهد المماليك حتى صارت تتناول كل ارباب الاقلام الديوانية ، سوآء كانوا من الفقهآء والمتعممين المتخصصين بالشرع ام من طبقة المنشئين والحُسّاب . قال القلقشندي : « ان كتّاب الزمان يطلقون لقب القاضي والالقاب المتفرعة منه كالقضآئي والقاضَوَيّ على ارباب الاقلام في الجملة. سوآء كان صاحب اللقب متصدياً لهذه الوظيفة او غيرها . كسائر العلمآء والكتاب ومن في معناهم . وعلى ذلك عرف العامة ايضاً . »[1]

وقد يطلق هذا اللقب على بعض اجلاف العامة والسوقة من الأُميين العُراة من كل ادب وعلم ، اذا اتفق لهم ادراك بعض المناصب السلطانية. « وفي سنة ٨٦٥(١٤٦٠/١ م) استقر المعلم محمد الّياوي ناظر الدولة وتَرَيّا بزيّ الكتبة . . . وصار يدعى القاضي بعدما كان يدعى بالمعلم وهو لا يحسن من الكتابة شيئاً حتى انه لا يفرق بين الالف والياء. »[2] والّياوي نسبة الى بَيا الكبرى من الوجه القبلي . كان فيها خفيراً او راعياً.[3]

ومن العجب ان الكتاب من النصارى واليهود ايضاً كانوا اذا أُكرهوا على

---

١) الخامس من صبح الاعشى ، ص ٤٥١

٢) تحفة الظرفآء . خزانة الثاتيكان ٧٢٧ ، ص ٢٦٦

٣) السادس من الضوء اللامع للسخاوي . الخزانة التيمورية ، ص ١٤٦

الاسلام . او اختاروه لمآرب لهم . حق لهم للحال ان يتلقبوا بالقضاة . وفي سنة ٦٨٢ (١٢٨٣ م) امر السلطان الملك الاشرف خليل امرآءه باجمعهم ان يعرضوا على من عندهم من الكتاب النصارى الاسلام . فمن امتنع من الاسلام ضربت عنقه . ومن اسلم استخدموه عندهم . وكان في جملة من اختار الاسلام المكين ابن السقاعي احد المستوفين الاقباط « فالبسهم السلطان تشاريف وخرجوا الى مجلس الوزير الصاحب شمس الدين محمد بن السلعوس . فبدأ بعض الحاضرين بالمكين بن السقاعي . وناوله ورقة ليكتب عليها وقال يا مولانا القاضي اكتب على هذه الورقة . فقال يا بني ما كان لنا هذا القضآء في خلد . »[1]

وقد غاظ هذا القضآء المرتجل ابن تغري بردي اشد الغيظ فقال في كلامه على اسلام الشيخ الخطير القبطي سنة ٨٢٨ (١٤٢٤/٥ م) :

« وبعد ان كان يخاطب بالشيخ صار ينعت بالقاضي . وهذا من اكبر الفضائح ان رجلاً يكون نصرانياً ويكره على الاسلام . او يظهر الاسلام لمعنى من المعاني . وعن قريب يسمى بالقاضي . فيشترك هو وقضاة الشرع في هذا الاسم . وقد تداول هذا البلآء بالمملكة قديماً وحديثاً . وانا لا الوم الملوك في تقديم هولآء لانهم محتاجون اليهم لمعرفتهم لانواع المباشرة . غير اني اقول كان يمكن الملك اذا رقى واحداً من هؤلآء الى رتبة من الرتب . لا ينعته بالقاضي وينعته بالرئيس او بالكاتب او مثل ولي الدولة او سعد الدولة وما اشبه ذلك . ويدع لفظة قاض لقضاة الشرع الشريف ولكاتب السر وناظر الجيش ولفضلاء المسلمين . ليعطي كل ذي حق حقه في شهرته والتعريف به . وقد عيب هذا على مصر قديماً وحديثاً فقال بعضهم «قاضيها مسلماني . وشيخها نصراني . وحجها عراني» . قلت وان كانت الفاظ هذه الحكاية خالية من البلاغة فهي قريبة مما نحن فيه »[2]

ويعني بالمسلماني الذمي الذي انتحل الاسلام . ومنه ولا شك أُخذت لفظة musulman وهم يجمعونه على مُسالمة . وكان هذا الاصطلاح شائعاً بين المشارقة والمغاربة . قال ابن عبد ربه الاندلسي : « العرب تسمي العجمي اذا

١) خطط المقريزي ٢ : ٤٦٨

٢) السادس من النجوم الزاهرة ، طبعة ليدن ، ص ٥٨٦–٥٨٧

اسلم المسلماني. . .والعجميُّ النصراني ونحوه وان كان فصيحاً.»[1] وليُحتفظ بهذا القول الاخير . وهو حريٌّ بتأمل من يميل من النصارى السوريين الى التسليم بدعوى من يزعم اليوم، لمآرب سياسية ، ان الناطقين بلغة القرآن في الشام فرعا دوحة واحدة . وكان العرب قبلًا لا يقنعون بالتبرؤ من هذه الوحدة. بل كانوا ينكرون ايضاً على النصارى حتى تعلم اللغة العربية. قال ابو الفرج بن الجوزي:

«في سنة اربعين ومائتين (٨٥٤ م) أُخذ اهل الذمة بتعليم اولادهم العبرانية والسريانية . ومنعوا من العربية . ونادى المنادي بذلك فاسلم منهم خلق كثير.»[2]

وممن استعمل لفظة المسلماني من اهل المغرب ابن سعيد في كتابه المُغرب . وروى فيه لابي الحسين الجزار «قوله في مسلماني لا يبرح في يده كتاب :

يمشي وفي يده كتاب قلّما علم امرؤ في جهله ما قصدهُ
فاعجبتهم : لا تعجبوا من فعله فابوه من اهل الكتاب وجدّهُ»[3]

---

١) العقد الفريد ٣:٣٤٣

٢) عجائب البدائع ، خزانة باريس ١٥٦٧ ، ص ١٥٥

٣) المُغرب في حُلى المغرب ، ليدن ، ص ١٢٧

القراصية الدمشقية

وشهوة الخلفاء الفاطميين لها

القراصيا او القراسية ويقال لها الكراز — وكلها تعريب Cerasus باللاتينية — من اقدم فواكه دمشق. زعم الطبيب ابن القف انها كانت تعرف بدمشق بخوخ الدب[1]. وانما هو صنف آخر من الخوخ معروف اليوم. وكان يقال لها في الاندلس حب الملوك. وقد انقطعت اشجارها من الغيحاء تقريباً كانقطاع غيرها من صنوف الفواكه التي كانت تجتز اصولها في الفتن والثورات، اثناء استبداد الحكام الاتراك بسياسة المدينة، وعسف اعوانهم من الجنود وجُباة الاموال الاميرية. ومن قابل اليوم بين انواع فواكه الغوطة وما ورد منها في تذكرة الصفدي ومحاسن الشام للبدري يتحقق كثرة ما ضاع او زال منها او من بعض اصنافها. وكثيراً ما كانت تُبتلى دمشق بمثل هذه النكبات في عهد المماليك ايضاً. ففي سنة ٧٠٠ للهجرة مثلاً (١٣٠٠/١م) في اثناء غزاة التتار المشهورة «جبي من اهل دمشق أجر املاكهم لاربعة اشهر. والثلث من ريع ضياعهم وبساتينهم ومزارعهم. وحصل للناس من ذلك ضرر عظيم واختفى بعضهم. والذين وقعوا بهم الزموهم حتى قطعوا اشجارهم بشرها وباعوها حطباً بحيث بلغ القنطار الحطب بالدمشقي ثلاثة دراهم. وكان ذلك اشد من التتار.»[2]

وفي اوربة اليوم انواع عديدة من القراصية بين حلو وحامض ومزّ وعفص. على اختلاف في الوانها من احمر واسود واشقر واصفر مشوب بحمرة. وكان اكثرها معروفاً في الغوطة في القرن السادس عشر. ويظهر انها كانت وقتئذ اوفر منها في زمان صلاح الدين الصفدي لانه لم يسمّ منها في تذكرته الا خمسة فقط

١) جامع الغرض في حفظ الصحة ودفع المرض. خزانة بريتيش موزيوم. Or 3690، الفصل الثالث والاربعون.

٢) النهج السديد للسنضل بن ابي الفضائل. خزانة باريس ٦٥٢٥، ص ١٢٤

وهي : سبقية ، فرنجية ، رشيدية ، بعلبكية ، ومجهولة[1] . وعدّ منها البدري سبعة : رشيدية ، بعلبكية ، افرنجية ، رومية ، طعامية ، فيجيّة نسبة لقرية الفيجة بظاهر دمشق ، وبزرة . كذا دون نسبة . واذا لم تكن هذه التسمية تصحيف برزيّة نسبة الى قرية برزة فلعل الاصل مزّيّة اي من غراس قرية المزّة لقول البدري نفسه ان احسن اصناف القراصية كانت البلدية المنسوبة الى وادي مكرم . قال وهو بين الربوة الى تحت صحن المزة[2] . وكان اجلها واكثرها في ايام ابن طولون الصالحي في القرن العاشر للهجرة الفيجية[3] .

وقلّ من تكلف وصف القراصية من الشعراء خلافاً لسائر فواكه دمشق . ولذلك اقتصر البدري على ثلاث مقطعات فقط له في القراصية الحمراء أولاها :

كأنما القراصيا ، لما بدت للنظر
حبة مرجان تُرى في رأس خيط احمر

وهو وصف صادق التشبيه . وقد استوعب اكثر كلامه عليها اقوال الاطبّاء في منافعها ومضارّها كعادته في شحن اوصافه بآراء الاطبّاء . وهي اكبر شوائب كتابه . وليته أُلهم في مكانها الإفاضة في الاوصاف الزراعية والتجارية لقلة ما اتصل بنا منها .

والقراصية من جملة « القافات » التي كانت تحمل من دمشق للديار المصرية . واكثر ما يقصد بها السلطان . ويظهر ان هذه العادة قديمة سبقت قدوم الخلفاء الفاطميين الى مصر . وكان اكثر ما يذهب منها في القرن العاشر للهجرة احمال من القراصية الفيجية في علب على بغال بطريق العريش[4] . وهو الطريق الذي كان ينقل فيه الثلج احياناً على ظهور الجمال لشراب السلطان . وربما كانت ترسل الفواكه والثلوج من بيروت وصيدا في مراكب البحر الى دمياط ومنها الى القاهرة في النيل . وقد استبطأ مرة الخليفة العزيز بالله (٩٧٥–٩٩٦) وصول

١) فصول من الجزء العشرين من تذكرة المغدي في مجلد ثمرات الاوراق لابن حجة الحموي في خزانة بريتيش موزيوم Add. 7415, f°228

٢) محاسن الشام ، ص ١٩٣

٣) وصف ربوة دمشق لابن طولون ، في مجلة المجمع العلمي العربي سنة ١٩٢٢ ، ص١٥٢

٤) وصف ربوة دمشق لابن طولون .

القراصية ، وكاد يهم بالسفر لدمشق لشدة شهوته لها ، كما حكاه المقريزي في اثناء كلامه على الوزير يعقوب بن كلس من اسالة اليهود. وهذا نصّ ما اطرفنا به قال:

« اراد العزيز بالله ان يسافر الى الشام في زمن ابتداء الفاكهة. فامر الوزير ان يأخذ الأهبة لذلك. فقال يا مولاي لكل سفر أهبة على مقداره. فما الغرض من السفر. قال اني اريد التفرج بدمشق لاكل القراصيا. فقال السمع والطاعة. وخرج فاستدعى جميع ارباب الحمام (١ . وسألهم عما بدمشق من طيور مصر واسمآء من هي عنده. وكانت مائة ونيفاً وعشرين طائراً. ثم التمس من طيور دمشق التي هي في مصر عدة. فاحضرها وكتب الى نائبه بدمشق يقول ان بدمشق كذا وكذا طائراً. وعرفه اسمآء من هي عنده. وامره باحضارها اليه جميعها. وان يصب من القراصيا في كل كاغدة ويشدها على كل طائر منها ويسرّحها في يوم واحد. فلم يمض الا ثلاثة او اربعة ايام حتى دخلت الحمائم كلها ولم يتأخر منها الا نحو عشر . وعلى جناحها القراصيا . فاستخرجها من الكواغد وعملها في طبق ذهب وغطّاها وبعث بها الى العزيز بالله مع خادم. وركب اليه وقدم ذلك وقال يا امير المؤمنين قد حضرنا قبالك القراصيا هنا . فان اغناك هذا القدر والا استدعينا شيئاً آخر . فعجب العزيز بالوزير . وقال مثلك يخدم الملوك يا وزير. » (٢

وهذه الملحة تنبئ عما اتصف به يعقوب بن كلس من الفطنة والذكآء المفرط . ولا شك انه لما توفي وشيّعه العزيز الى القبر ، ووقف يبكي عليه ، كان بين الدموع التي تساقطت من عينيه الشريفتين درر تناثرت على ذكرى القراصية التي استدعاها له من حاضرة الامويين بوسيلة مبتكرة لم يسبقه احد اليها. وفي ما اشار اليه المقريزي من اخبار الطير بمصر ودمشق ومعرفة اصحابها ، وتقييد اسمائهم في الديوان ، وترتيب شروط اطلاقها ، دليل بيّن على شدة عناية القوم بها وحسن استخدامهم لها . وشاهد من شواهد الحضارة الفائقة التي تمتع بها الشرقيون في العصور الوسطى. ولعلّ ما خفي علينا من رسومها وآياتها اجلّ واعجب مما نعلمه من اوصافها ومزاياها.

---

١) يريد بالحمام حمام الزاجل او الحمام الهادي الذي يرسل بالكتب على يده.

٢) المقطم. مطبعة النيل ٣ : ١٠

الفواكه المكتوبة او المصوّرة

في الشرق

اشتهر اليوم التصوير في الغرب على التفاح والكمثرى ، وبُلغ فيه مبلغاً ليس بعده غاية في الحسن والاتقان. وكان الشرقيون يؤثرون الكتابة على التفاح لطيب رائحته وبهجة لونه ولطف موقعه في الاهداء . ولم نقف قط على اشارة واحدة الى انهم كتبوا مرة على الكمثرى. ولهم في الكتابة او النقش والتصوير طرائق مختلفة نصف منها ما عثرنا عليه بلفظه:

الاولى «ان يعمد الى الشمع فيُداف وتُصنع منه تماثيل وحروف او نقوش. وتلصق على التفاحة وهي خضراء قبل احمرارها. او تُميع الشمع كثيراً وتكتب به عليها قبل احمرارها فانها اذا انتهت بقي ما تحت الشمع اصفر. واحمرّ منها ما سوى ذلك. »[1] -

الثانية « اذا اردت ان تنقش التفاح الاحمر فاكتب عليه وهو اخضر ما احببت بالمداد واتركه. فاذا احمرّ فامحُ عنه المداد تجد مواضع الكتب ابيض حسناً . »[2]

الثالثة « ان يُقصّ من ورق الكاغد شكل كتابة . اي كتابة شئت . وتلصق تلك الكتابة على التفاحة اذا بلغت نصف عِظَمها او اقل. في سواء الصاقاً محكماً. وتترك حتى تبلغ الشمرة. فينزع عنها الورق . فانه يوجد ما تحته اصفر لم تصل اليه حرارة الشمس فتصبغه صبغ بقية الشمرة فتبقى كتابته طبيعية ظاهرة مخالفة للون سائر الشمرة. »[3]

---

١) كتاب الفلاحة اليونانية لقسطوس بن لوقا. المطبعة الوهبية بمصر ، سنة ١٢٩٣ للهجرة (وهو تعريب قسطا بن لوقا الرومي الملكي البعلبكي) .

٢) كتاب الفلاحة لابي عبدالله محمد بن الحسين. خزانة باريس ٦٧٦٦ ، ص ١٣ . ومثله في كتاب الفلاحة لمؤلف مجهول ، في خزانة باريس ٢٨٠٩ ، ص ٩

٣) فصل من كتاب سمَر السُمّار في ليالي الاثار في وصف ثمار سائر الاشجار. خزانة اكسفرد M. S. Sale 70 f°21

وهذه الطريقة الاخيرة هي التي كانت شائعة بحمر. وكانوا ببغداد يكتبون بحمرة في بياض. او ببياض في حمرة. والتفاح بعد في اغصانه. وذلك بان يعرّضوا موضع الكتابة للشمس اذا كان التفاح ابيض. او يستروه بالمداد اذا كان احمر. وربما تراسل المحبون بالتفاح الاحمر بعد قطفه. وهو في الاسواق. بالكتابة عليه بماء الذهب اشارة الى الصفرة والنحول من الوجد. والجواب عليه بالمداد الاسود. ايذاناً بالغور والصدّ. وممن ذُكر بالكتابة عليه وهو في اشجاره وحمله قصائد غزله وغرامه. الشاعر الملقب بشعر الزنج. وكان وقّاداً في اتون حمام ببغداد. يجيد النظم إجادة اكثر نظرائه من الشعراء المحترفين مثل ابي القاسم نصر الخبزارزي. وابي الحسين الجزّار. وابي الفرج الوأوآء الدمشقي المنادي على الفواكه في دار البطيخ وغيرهم. ثم ابتُلي بالهوى فاستوضع حرفته وصار ناطوراً يحفظ البساتين. وقصد بستان التفاح الذي لا يوجد في بغداد اكثر منه تفاحاً. وصار يختار احسنه ويكتب عليه شعره وهو اخضر. ويتلطف بايصاله الى من يهواه ويبيعه عليه بما اراد دون مماكسة. ومن التفاح الاصفر الذي كتب عليه بالاحمر:

تفاحة تخبر عن مهجة اذابها الهجر واضناها
يا بؤسها، ماذا بها؟ ربها أسدها الحب فاقصاها

وكتب ببياض في حمرة:

نبتُّ في الاغصان خلوقةً من قلب ذي شوق واحزان
صفّرني سقم الذي لونه يخبر عن حالي واشجاني

وعلى اخرى باحمر:

تفاحة صينت كذا بدعة صفراء في لون المحبينا
زيّنها ذو كمد مدنف بدمعه اذ ظلّ محزونا
فاهنأ فقد حنت له شاكياً رُقبت من بلواه آمينا (١)

ومثل هذا الشعر من وقّاد اشهى الى الارواح من طيب رائحة التفاح.

وكان بعض الظرفاء والظراف ينقشون على التفاح ما طاب لهم من النقوش قبل اهدائها. قال ابو الفرج الاصبهاني:

---

١) فوات الوفيات لابن شاكر الكتبي ١: ١٢٦-١٢٠

« اهدت جارية يقال لها خِداع الى محمد بن امية وكان يهواها تفاحة مفلّجة منقوشة مطيّبة حسنة. فكتب اليها محمد:

خداع ، أهديت لنا خدعة تفاحة طيبة النشر
ما زلت ارجوك، واخشى الهوى، معتصماً بالله والصبر
حتى اتتني منك في ساعة زحزحت الاحزان عن صدري
حشوتها مسكاً وتقشتها ونقش كفيك من السحر
سقياً لها تفاحة أهديت لو لم تكن من خُدَع الدهر[1]

ومع كل ما قيل عن تحريم التصوير في الاسلام لا نرتاب ان بعض التفاح كان يُصوَّر. واي شيء ازهى من التفاح لتزيين صور الملاح. وكان اهل فارس خصوصاً من ارغب الناس واحذقهم بالتصوير في الاسلام كما يستدلّ من بعض المخطوطات المزوّقة باقلام كتابهم المصونة الى اليوم في خزائن الغرب والشرق. وممن برز بالاجادة فيه الاستاذ الرئيس ابن العميد قال ابن مسكويه: « كان يختص بغرائب من العلوم الغامضة التي لا يدّعيها احد كعلوم الحِيَل (mécanique) . ولطف كف لم يسمع بمثله . ومعرفة بدقائق علم التصاوير وتعاطٍ بديع . ولقد رأيته يتناول من مجلسه الذي يخلو فيه بثقاته واهل أُنسه التفاحة وما يجري مجراها . فيعبث بها ساعة ثم يدحرجها وعليها صورة وجه قد خطها بظفره . لو تعمد لها غيره بالآلات المعدة وفي الايام الكثيرة ما استوفى دقائقها ولا تأتّى له مثلها . »[2]

١) الاغاني ، طبعة بولاق ، ١١ : ٢٥
٢) الثاني من الجزء الاخير من تجارب الامم لابن مسكويه ، ص ٢٧٨-٢٧٩

خانات دمشق القديمة

الخان لفظة فارسية الاصل بمعنى البيت والمنزل. ولذلك أطلقت في الاستعمال على الحانوت وهو منزل التاجر، وعلى الفندق وهو منزل المسافر. ولا تزال الخانات بدمشق تتناول كلا المنزلين. ففيها الخانات العامة كالفنادق والاسطبلات لبعض الغرباء والمكارين وللدواب. والخانات الخاصة للتجار او الصيارف كخان اسعد باشا المشهور باتقان بنائه وجماله واتساعه. واغلب ما كانت تُعرف مثل هذه الخانات التجارية باسم الوكالة او القيسارية. وفي سنة ١٠٠٥ (١٥٩٦م) بنى مراد باشا، والي الشام، القيسارية المعروفة بالمرادية. قال المحبّي: «اخذ البيوت التي وراء باب البريد وعمرها وكالة حسنة. وامر ان تسكن فيها تجار سوق السباهية... وقال الشيخ ابو الطيب الغزي في تاريخ الوكالة:

...وليَ الشام مراد فبنى خير وكاله

والوكالة اسم للخان كما هو المعروف في عرف المصريين. والدمشقيون يسمونه قيسارية.»[1]

والصحيح ان القيسارية بدمشق كانت تُطلق خصوصاً على ما اتّسع من الدور الجامعة. تكون في وسطها غالباً بركة للماء ودكاكين او حُجَر للتجار كالاسواق يضمها سور واحد. قال ابن كثير في اخبار سنة ٧٤٧ (١٣٤٦م): «فتحت في اول هذه السنة القيسارية التي انشأها النائب الامير يلبغا ظاهر باب الفرج... وداخلها قيسارية تجار. وفي وسطها بركة ومسجد وظاهرها دكاكين. واعاليها بيوت للسكنى»[2]

وكانت القياسر بدمشق اوفر من الخانات لاصطلاح التجار فيها وارباب الصناعات على اختصاص دور واسواق لهم. تنفرد بها اصحاب الطبقة الواحدة.

---

١) خلاصة الاثر ٤: ٣٥٦-٣٥٧

٢) ذيل ابن قاضي شهبة. خزانة باريس ١٥٩٨، ص ٧٨

كقيسارية القطن انشاء الملك المعظم[1]. وقيسارية القراسين والكفتيين. وقيسارية الرماح[2]. وقيسارية الصوف. وقيسارية الاقباعيين . وقيسارية العبي. وقيسارية ابن البابي ، وكانت لمساكن تجار الفرنج ، ولما التهمتها النار في حريق سنة ٧٩٤ او ٧٩٨ (١٣٩٢ او ١٣٩٥م) تلف للافرنج فيها شيء كثير[3] الى غير ذلك من القياسر العديدة التي كانت دمشق غاصة بها . وقد زالت باسرها ولم يبقَ منها بقية وغلب اسم الخان في العهد الاخير على القيسارية ولذلك اشتهرت به قيسارية اسعد باشا واشباهها.

وكذلك كانت الخانات تسمى كثيرًا باسماء البضائع التي تباع فيها نظير خان الحرير . وخان الجوخ او الجوخية[4]. وخان الجوار وهو الخان الذي كانت تجلب اليه الجواري من الرقيق قديماً . وخان الزيت . وخان البقسماط[5]. وخان الخرفان[6]. وخان البيض[7]. وخان الشقق ويدعى ايضاً خان مخشي[8]

وربما نُسبت الخانات الى بُناتها او المقيمين فيها او النازلين بها . كخان

---

١) تاريخ حوادث الزمان وانبائه للجزري . باريس ٦٧٣٩ ، ص ٦٨

٢) تاريخ البدر للعيني . خزانة بريتش موزيوم *Add.* 22360, f° 39

٣) الدرة المضية في الدولة الظاهرية لمحمد بن صَصَري . خزانة اكسفرد *Laud.* *or.* 112, f° 172 . وفي ذيل ابن شهبة ان هذا الحريق كان في سنة ٧٩٨

٤) قال المرادي في ترجمة الاديب مكي الجوخي: «قدم جده يس من حلب الى دمشق في حدود سنة ستين والف (١٦٥٠م) ونزل في خان الجوخية بدمشق في تجارة» (سلك الدرر ٤: ١٢١)

٥) الثاني من ذيل السخاوي على دول الاسلام للذهبي. خزانة اكسفرد Marsh. 611, f° 144

٦) كان هذا الخان في سوق الشبرانيين الى جانب الجامع الاموي . اشترى ارضه عبد اللطيف المحبّي وعمر فيها داره وتوفي سنة ١٠٢٣ (١٦١٤ م) (خلاصة الاثر ٣: ١٦)

٧) قال ابن قاضي شهبة في اخبار سنة ٧٧٠ (١٣٦٨ م) في اوائلها فتح الخان المقابل لخان البيض الذي انشأه النائب منجك ، وذكر ابن كثير انه أوجر بسبعة عشر الفًا (الذيل. باريس ١٥٩٨ ، ص ١٩٥)

٨) الدرة المضية لابن صصري ، ص ١٧٢–١٧٣

الخازندار عند مسجد القصب[1] وخان الزنجاري بالعقيبة[2] وخان الحبالين[3] وخان سليمان باشا ، ويقال له خان الحماصنة لان تجار حمص كانوا ينزلونه . وخان الزعفرنجية[4] . الى غير ذلك من الخانات البائدة او العامرة.

وكان في الصالحية بعض خانات عُدّدت في الباب السابع من كتاب المروج السندسية في تلخيص تاريخ الصالحية لجامعه محمد بن كنان . وهو محفوظ في خزانة برلين Wetzst. II n° 1117 لخّصه من تاريخ الصالحية لجمال الدين يوسف ابن عبد الهادي الصالحي الدمشقي.

وقد تحوّلت بعض خانات دمشق قديماً الى حانات للسكر ومواخير للفسق والفجور . وفي سنة ٧٩٨ (١٣٩٥م) « أُخبر قاضي القضاة ان خاناً بالقرب من قبة الشحم فيه خمور كثيرة . يباع فيه الخمر جهاراً . فتوجه نحوه في طائفة يسيرة . فوجد الامر كما قيل. وهرب من في الخان. . .فاقتلعوا الخوابي وكانت مدفونة في الارض مملوءة خمراً . فحملت الى دار السعادة . وضرب النائب اصحاب الخان ضرباً مبرحاً . وطيف بهم »[5] . واشتهر من هذه الخانات خان الزنجاري بظاهر العقيبة « كان فيه خواطي كثيرة وخمور ومنكرات عديدة. . . فهدمه الملك الاشرف موسى ابن العادل سنة ٦٣٥ (١٢٣٧م) وامر بعمارته مسجداً جامعاً سماه جامع التوبة »[6] .ونظيره الخان الذي اخربه مراد المرادي المتوفى سنة ١١٣٢ (١٧٢٠م) وبنى على انقاضه مدرسته المعروفة به[7] .

وفي كتاب الروضة الغناء فصل وجيز لخانات دمشق في القرن التاسع عشر ابلغها الى ١٣٩ خاناً ، ولكنه لم يسمّ منها الا ١٢ فقط . وفي سنة ١٩٠١ وجدنا بين جُزازات الخزانة الظاهرية نبذة وضعها مؤلف تاريخ الصالحية السابق

١) ذيل ابن قاضي شهبة . باريس ، ١٥٩٩ ، ص ٢١٤
٢) تحفة ذوي الالباب للسندي . باريس ٥٨٢٧ ، ص ١٥٢
٣) الدرة المضية ، ص ١٧٢
٤) الروضة الغناء لنعمان القساطلي ، ص ١١٠
٥) ذيل ابن قاضي شهبة ١٥٩٩ ، ص ١١٢-١١٣
٦) البداية والنهاية لابن كثير رواية الطبراني . باريس ١٥١٦ ، ص ٣٩
٧) سلك الدرر ٤: ١٣٠

الذكر ، وهو المعروف بابن المبرّد ، في ذكر خانات دمشق في زمانه ، اي في القرن التاسع للهجرة. ويظهر انه لم يتمّها لانه لم يتجاوز في تعدادها ٦٤ خاناً فقط . ويبعد جداً ان يكون هذا القدر وحده مجموع ما كان منها وقتئذٍ . ولم يُشر بكلمة الى ما كان في المدينة وارباضها من القياسر . واقتصر على تسمية جانب قليل من الخانات التي سردها ، وذكر ما كان يباع فيها ، واغفل بقيتها دون ان يعيّن مواقعها بالضبط . ولا يخفى ما في هذا التقصير والابهام من فوات الفائدة للمؤرخ والاثري . وهذا نصّ الصفحات الثلاث التي استنسخناها .

كتاب الاعانات على معرفة الخانات

جمع كاتبه يوسف بن حسن بن عبد الهادي

اجزت لاولادي روايته . وكتبه يوسف بن عبد الهادي

بسم الله الرحمن الرحيم وهو حسبي

الحمد لله رب العالمين . وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وسيد المرسلين . وعلى آله وصحبه اجمعين. وبعد فهذه نبذة اذكر فيها خانات دمشق . واعلم ان فيها عدة خانات اذكرها على الترتيب

الصالحية فيها في الجهركسية خانان . وعند البيمارستان خانان احدهما خان العنب . والثاني صار حاصلاً للخشب . وبسوق الفاكهة ستة خانات الاول دار الطعم . والثاني خان المدرسة تحته . والثالث في وسط السوق . والرابع للمدرسة براس السوق . والخامس خان ابن هواش . والسادس خان السبيل بالسكة . وكان تحت المدرسة خان هدّه الحاجب ابن مبارك وبناه حماماً

سوق صاروجا به خان يباع به

دار البطيخ بها ثلاثة خانات . الاول الشامي . والثاني عند باب المسجد قبلة . والثالث فوقه وبابه شامي

العنبية بها خانان من جهة الغرب . احدهما غربي الجامع . والثاني غربي السوق من تحت صار حاصلاً للخشب

تحت القلعة خانان . الاول تحت جامع ينبغا . والثاني في التقليين تباع فيه البضائع

بباب الفرج خان في المضربين

بسوق العمارة ثلاثة خانات . الاول عند الحمام تباع فيه البضائع . والثاني شرقي الحمام يقال له خان عبد الباسط . والثالث خان براس العمارة وكان تحت مقابر

الفراديس خان ابن النحاس. فقتل فيه تاجر رومي. فهدمه وبناه مدرسة.
وفوق الطيبين خان تحت الحمام
سوق مسجد القصب به عدة خانات . الاول غربي السوق على بابه بيطار . والثاني في الزقاق الشامي الذي تجاه الجامع. والثالث خان الشهابي المعد لفنول الحلبيين
وبالسبعة عدة خانات. الاول دار الطعم العتيقة. والثاني خان شرقيها عند الدقاقين. والثالث خان تحته في وسط السوق. وتحت خان آخر. ومن جهة الشرق خان آخر. وخان الزيت كان هناك واخدم وزال
بباب البريد خانان . الاول عند الحبس. والثاني في الاخفافيين
وعند باب الجامع الشرقي الذي بالدرج خان. وفي اول سوق السلاح خان
وفي راس سوق السروجيين اربع خانات. وتحت ذلك في الدرب تجاه الحمام خان
وفي الطريق الذي غربي جسر الزلابية وشرقي الميدان خانان
وفي سوق حكر السماق خان
وفي طريق القنوات خان
وفي البزوريين خان
وبسوق جفنق خان التكة
وبسوق باب السريجة الذي غربي باب الجابية عدة خانات. الاول الذي يترله جلّابة العيد . والثاني خان ابن المسال الكبير . والثالث خان صغير بعده يباع فيه مثل الباذنجان . والرابع خان صغير غربيه. والخامس خان ابن ثريدة تباع فيه البضائع. والسادس . والسابع خان تجاهه يباع فيه القمح وغيره. والثامن خان السطل بعده. والتاسع خان يباع فيه العنب بعده
وفي الدرب الذي تحت سوق اللحامين ثلاثة خانات
وفي القصبة التي من باب المصلّى الى راس القُبيبات اربعة خانات
وبباب الصغير ثلاثة خانات
وبالقابون خانان . احدهما خان السبيل
فهذه اربعة وستون خاناً (١

١) اذا اسقطنا الخانات التي هدمت يكون مجموع الباقي ٧٦ خاناً وليس ٦٤

دور النصارى
في اقرار الخلافة الاموية

بقلم فؤاد افرام البستاني
استاذ الآداب العربية في جامعة القديس يوسف

هذه محاضرة ألقيت في نادي الشبيبة الكاثوليكية في بيروت ، وفي طرابلس — ولما كانت خلاصة ابحاث متشعبة غايتها ان تعرض النتائج التاريخية على اسلوب البسط والتقريب ، رأينا الا نرهق حواشيها بالتعاليق التامة ، فلم نذكر من المصادر الا ما كان ضروريًا لتأييد رأي جديد ، او لازالة استغراب قد يعلق بذهن من شبّ على تذوّق غرائب بعض « الروايات التاريخية » ، محيلين القراء على اشهر الكتب التاريخية في الموضوع ، مذكورًا اهمها في آخر هذا البحث.

وهل للنصارى من دور في إقرار خلافةٍ اسلامية ؟

نعم ! ودور مهمّ خلّد أثره التاريخ ، بعد ان اشاد بذكره شعراء العرب من نصارى وغير نصارى.

في هذا الدور تجلّت اروع صفحات الاتحاد الوطني ، كما سطع الدليل الواضح على ما يفيده التعاون بين الطوائف والعناصر ، اذا ما رافقه الاخلاص في حبّ الوطن الواحد.

ولا بدّ من القول اولًا اننا نفهم بلفظة « نصارى » ما فهمه بها كتّاب العرب الاقدمون[1] ، فميّزوا بين النصارى والروم اي مسيحيي بيزنطية ، كما ميّزوا بينهم وبين الفرنجة اي مسيحيي الغرب. فالنصارى هم مسيحيّو الشرق من

١) كالجاحظ مثلًا ، وهو يميّز بين النصارى والروم ، فيقول في تفصيل انواع العالم : « . . . وللخلفاء عمّة ، وللفقهاء عمّة . . . وللروم والنصارى عمّة . . . » (البيان والتبيين ، طبعة السندوبي ، مصر ، ١٩٢٧ ، ٣ : ٦٥) ويقول : « ولو علمت العوامّ ان النصارى والروم ليست لهم حكمة . . . وليس (ارسطاطاليس) برومي ولا نصراني . . . وليس (بطليموس) برومي ولا نصراني . . . (الردّ على النصارى ، في ثلاث رسائل ، طبعة J. Finkel ، مصر ١٩٢٧ ، ص ١٦) — واطلب A. S. Tritton, *Naṣārā*, dans *Encyclop. de l'Islam*, III, 906

العائشين خاصة في ظلّ الدولة الاسلامية ، سواء أكانوا من مغاربة الآراميين او مشارقتهم ، يعاقبة او موارنة او سريانًا كاثوليكيين ، نساطرة او كلدانًا او ملكيين.

ولا بدّ ثانيًا ، قبل ان نعمل على تحديد دور النصارى في العهد الاموي ، من ان نلقي نظرةً سريعةً على ما سبق هذا العهد من حوادث جليلة غيّرت وجه الشرق الادنى دينيًا ومدنيًا. الا وهي حوادث الفتح العربي.

يجب ان نجتهد في التجرّد عن الاميال والاهواء والنزعات الجنسيّة والدينية ، فننظر بعين الصراحة الى هذه الحوادث ، ونقيسها بمقياس التاريخ العادل . فلا نتعصّب للعرب ، ولا على العرب. ولم يخلُ شعبٌ من نقائص وفضائل.

ان ما وقر في اذهاننا من ذكر الغزوات البربرية في العصور القديمة ، ووصف الاكتساحات المغولية والتترية والتركية في العصور المتوسطة ، وما نعرفه من بلايا الحروب العصرية ، يمثّل لنا فظائع واهوالًا في الحضارات المضنكة ومظاهر التخريب والتدمير ، نطبّقها ، دون انتباه ، على الفتوحات العربية في الشام.

هذا من جهة . ومن جهة اخرى ترانا آخذين ، دون نقد ، باقوال مؤرّخين كتبوا بعد هذه الحوادث باكثر من قرن ، ولم يخلوا من نزعات وميول . فمن عبّاسيين وعلويين الى حجازيين وعراقيين ... ولا يتسع بنا المجال لتحديد هذه النزعات وتفصيل مراميها ؛ انما نكتفي بالاشارة الى وجودها .

حتى اننا نخال العرب — اذا ما حشونا ذاكرتنا بهذه الروايات — نظّموا خطّة الفتح في الحجاز . ونفّذوها على ادق ترتيب ، كما ينفّذ قوّاد العصر خططهم الحربية . فجمعوا الجيوش المنظّمة ، وساروا الى اليرموك ، فصادفوا ، في انتظارهم ، جيشًا بيزنطيًا منظّمًا كذلك . وقد بلغ بعدده بعض المتقصدين بالارقام ٢٠٠٬٠٠٠ فقط ، وارصله غيرهم الى ٦٠٠٬٠٠٠ . فانتصر عليه العرب ، ولم يبلغوا الثلاثين الفًا — ولا يجوز ان نعجب بالأمر ! — ثم اندفعوا يكتسحون بلاد الشام...

وهنا يتفنّن المتعصّبون على العرب فيقولون ان المسلمين اعملوا السيف في انحاء الشام ونهبوها واحرقوا بعض قراها ، واجبروا الناس على الدين بالاسلام . فهجرها اهلها ، فتناقص عددهم من خمسة عشر مليونًا الى خمسة ملايين.

كلها روايات آخذة بنصيب وافر من الاسطورة.

من الحقّ ان كثيرين من سكان هذه البلاد هجروا مدنهم وقراهم على اثر الفتح العربي. الّا ان عددهم لا يتجاوز الآلاف. ومن الحقّ انه هلك عدد قد يكون كبيراً من الشاميين. وهو امر طبيعي في ايّ بلد كان مسرحاً للمعارك.

امـا القول بان المسلمين الفاتحين اعملوا السيف في سكان الشام، او اضطهدوهم واجبروهم على الدين بالاسلام، فهو اقرب الى الخيال منه الى الأمر الواقع. والواقع ان امراء المسلمين في صدر الدولة الاموية كانوا يعيشون على اتمّ الوفاق مع النصارى، سكان البلاد الاصليين، كما سنفصله في هذا البحث.

وهناك وهم آخر يجب تبديده قبل الكلام عن معونة النصارى للمسلمين في اقرار خلافتهم. هو ما استخرجه بعض المستشرقين، وفي طليعتهم دي گويه (de Goeje)، اذ طبّقوا نظرياتنا العصرية في سموّ العنصر البلدي، وما يدعو اليه من نزعات قومية، على العرب قبل الفتوح. فاستنتجوا ان عرب الحجاز أتوا سورية فاتحين ليخلّصوا «اخوانهم عرب الشام» من نير الاجنبي (كذا!). ولا يخفى ان مدلولات الوطن، والعنصر، والقومية، وما اليها كانت غريبة عن اهتمام البدو في جزيرتهم، وهم اقرب الناس الى النزعة الفردية. انما وُلدت بعد ان تكوّنت الامبراطورية العربية على عهد الامويين بفضل السوريين واللبنانيين: نصارى وغير نصارى.

* * *

بقي ان ننظر بدقة الى حالة بلاد الشام وسكانها قبيل الزحف العربي.

لم يكن في هذه البلاد ثلاثون مليوناً من البشر، كما ذكر بعض ذوي المخيلات المولّدة. بل لم يكن فيها خمسة عشر مليوناً. ولم يكن في قيسارية — قيسارية فيلبّس، او بانياس سورية اليوم — ٧٠٠٬٠٠٠ مدافع، و٣٠٬٠٠٠ سامري، و٢٠٬٠٠٠ يهودي، و٣٠٠ سوق يقوم بحراستها، كلّ ليلة، ١٠٠٬٠٠٠ جندي، كما ذكر البلاذري[1]، اصدق مؤرّخي الفتوح العربية قاطبةً.

---

١) البلاذري: فتوح البلدان (طبعة de Goeje) ص ١٤١

وأين هذه المدينة الجبّارة ، المتسعة الرقعة في الخيال، من بانياس الحقيقية، وهذه آثارها لا تزال ماثلة للعيان في عصرنا ؟ وهي ، مهما بولغ في عظمتها السابقة ، لأوضع من ان يقوم على اسوارها كل ليلة مائة الف جندي (!)

ولنقس على ما ذكر ما لم يُذكر من مبالغات رواة العرب واخباريّيهم. وقد اصبح من النافل ان تدلّ على اغفالهم اصول التدقيق الحسابي ، وعلى مجازفتهم بالارقام حتى كأنها لا تمثّل شيئاً مهمّاً في نظرهم[1].

بيد اننا اذا ما عرضنا امر هذه الجيوش ، الغازية والمدافعة ، على ما نعرفه من عدد امثالها في الحروب البيزنطية - الفارسية ، فثبت لنا ، بواسطة مؤرخي البيزنطيين ، ان الامبراطور هرقل ، لما سار بحملته الشهيرة على بلاد فارس ، لم يمكنه ان يجمع من الجنود الّا عشرة آلاف ، دُفعنا طبعاً الى التخفيض من هذه المئات من الالوف المكردسة جزافاً ، فاقتربنا من التقدير القائل ان الجيش البيزنطي اكثر ما بلغ عدده في وقعة اليرموك كان نحو ٣٠ الفاً يقاوم نحو ٢٥ الفاً من العرب[2].

وقد لا نخطئ الحقيقة اذا قلنا انه كان في مناطق سورية الجغرافية جميعها نحو من الخمسة الملايين. ولم يكونوا من « العرب الذي ينتون تحت نير الاجنبي» وينتظرون « اخوانهم » عرب الحجاز ليخلّصوهم . انما كانوا من عناصر مختلفة وطوائف متنوّعة شأنهم اليوم ، وشأنهم كل زمان.

الّا ان هناك عنصرين قويّين كانا الاصليّين في بلاد الشام ؛ وهما : العنصر الآرامي في الشمال والوسط . والعنصر الكنعاني - الفنيقي على الساحل وفي الجنوب. وليس من شك في ان الشعوب المتفرّعة عن هذين العنصرين كانت تتأثر بالعناصر الدخيلة المتسرّبة اليها من الشمال ، من تغور جبال طوروس ، من تلك المنافذ التي دعاها الروم « بالابواب » ، والعرب « بالدروب » . كما كانت تتأثر بالعناصر العربية المتسرّبة اليها من الشرق والشرق الجنوبي . وكان ان العرب القدماء تكاثروا في تلك المنطقة فأنشأوا لهم دولة قوية في بترا او صُلع عُرفت

١) راجع حبيب زيّات : المجازفة بالارقام في التاريخ. المشرق (٣١ [١٩٣٣] ١٦١).

٢) H. Lammens, *La Syrie* I, 56

بالدولة النبطية ، كما انشأوا دولة اخرى في تدمر بلغت أوجها على عهد زينب الزبّاء. ومن العرب المهاجرين النازلين في الاراضي الشامية نذكر الغساسنة ، عمّال البيزنطيين على خفارة الحدود[1]. الّا ان هؤلاء ظلّوا اعلق بالبداوة من النبطيين والتدمريّين . وهكذا القول عن سائر القبائل العربية النازلة هـذه البلاد بعد الغساسنة ، فانها على تحضّرها بعض التحضّر، وتأثّرها بالبيئة الشامية، ظلّت اقرب الى العروبة الخالصة من ارباب بترا او امراء تدمر . نرى ذلك في مظاهر الحياة الاجتماعية ، ولا سيما اللغة . فان لغة النبطيين والتدمريين كانت من اللهجات الآرامية[2] . اما لغة الغساسنة ومن اليهم من القبائل الضاربة في بلاد الشام فقد كانت العربية. ولكنها عربية بعيدة عن لسان قريش الصافي بسبب ما كان فيها من المفردات والتراكيب الآرامية ، والآرامية لغة الغساسنة الطقسية ، وهم من اليعاقبة كما لا يخفى. وهذا الاختلاط في اللغة مما يوضح انه لم يقم شاعر واحد من عرب الشام قبل الإسلام. حتى كان الغساسنة اذا ما اهتزّوا لسماع المدائح العربية اتاهم الشعراء من نجد والحجاز واليمامة فتبارى في منازلهم حسّان والاعشى والنابغة وحدهم ، لا يقوم شاعر واحد من غسّان فينافسهم . . .

والى جنب هذه العربية المشوبة ، القليلة الانتشار في بلاد الشام ، كانت المناطق السورية باكثرها تتكلّم اللغة الآرامية التي اوصلها المرارنة حتى الى جبال لبنان ، فاصبحت لغة الشعب الجارية في معاملاته ومرافقه المدنية ، وفي القيام بشعائره الدينية ، من الشمال الى الجنوب ، من انطاكية الى اورشليم فغزّة . وكانت اليونانية لغة رجال الثقافة وسراة القوم وارباب المصالح العامة. واللاتينية لغة الجيش والمحاكم.

ثم ان هؤلاء العرب نصف المتحضرين في اطراف الشام لم يكونوا على صلة

---

١) راجع، في ما تقدّم، الاب لامنس: سورية في زمن الفتح العربي. المشرق (٣٠ [١٩٣٢] ١٠-١٦)

٢) وللاستاذ كانتينو الابحاث القيّمة في لغة التدمريّين، راجع خاصّة:

J. Cantineau, *Le dialecte arabe de Palmyre*, Beyrouth, 1934.

- *Nabatéen et Arabe*, Paris, 1935.

احترام بعرب الحجاز ، وهم يدعونهم «حَرَشة الضباب وأكَلة اليرابيع » ، كما ان الحجازيين كانوا يُبادلونهم هذا الاحتقار فيزدرون المتحضرين « ويتشاءمون » حتى بالريح الهامّة عليهم من « الشام » . وكثيرًا ما خلط شعراؤهم بين سكان سورية الاصليين ، ورجال حكومتها من البيزنطيين ، فجمعوهم كلّهم بلقب « الروم » ، واطلقوا على المقاطعات الشامية اسم « بلاد الروم » . ومن اوضح الادلّة على دحض نظرية دي گويه (de Goeje) ان معظم الجيش البيزنطي الذي حارب غزاة العرب في اجنادين واليرموك كان من عرب الشام النازلين في تلك النواحي الشرقية - الجنوبية ، على نحو ما قدّمنا .

ولا بدّ ، في ذكر سكان سورية زمن الفتح العربي ، من الإشارة الى السامريين المنكمشين على انفسهم في منطقة « السامرة » من فلسطين . وقد كانوا وافري العدد اذ ذاك حتى استُنتج من اقوال بعض المؤرخين انهم بلغوا نصف مليون[1] . وليس بثبت . ومهما يكن من أمر فانهم كانوا يفوقون اليهود عددًا ومنعةً . واما هؤلاء فكانوا يقيمون خاصّةً في بلاد الجليل . وهناك ، في شمال سورية ، كانت تعيش طائفة من المانوية ، قد يكون يزيديّو عصرنا من بقاياهم .

واذا استثنينا اليهود والسامريين والمانويين ، رأينا جميع سكان البلاد الشامية من النصارى . الّا انها نصرانية منقسمة طوائفها بعضها على بعض ، متفرّعة في اكثرها عن بدع القرن الخامس . وكان اكثر هذه الطوائف عددًا الارثوذكس او الملكيّة ، ظلّوا على هذا التفرّق حتى عهد الامبراطور هِرَقل ، فأخذ شأنهم يتضاءل ، لأن الامبراطور المذكور كان يقول بالمشيئة الواحدة ويتعصّب لها . فعزّز البدعة المونوتيليّة . واذا بطائفة جديدة تدخل المعركة مع ما كان من نساطرة ، ويعاقبة ، وملكية ، وموارنة . فتزداد المشاحنات الدينية ، وتبلغ الى اعماق الشعب ، مبلبلةً الافكار من ادنى طبقات السرقة حتى الامبراطور نفسه — وقد كان غائصًا في ادقّ المناظرات اللاهوتيّة عندما كان تواده يندحرون امام العرب —

---

١) راجع الاب لامنس : سورية في زمن الفتح العربي (المشرق ٣٠ [١٩٣٢] ١٥)

متجاوزةً المجادلات الكلامية الى الاخـذ بانواع الاضطهاد الجائر . مما اضطرّ الموارنة الى ترك السهول الخصبة والاعتصام بجبال لبنان المنيعة. وعلى هذا النوع كانت المشاحنات الدينية بين اليهود والسامريين.

هذه حالة الشعوب المختلفة في البلاد الشامية ، قُبيل الفتح العربي ، فكيف كانت حالة المسلّطين عليها ، اي البيزنطيين ارباب الجيش والحكومة ؟ وكيف كانت علاقة الشعب برجال حكومته ؟

خلاصة ما يُستنتج من الدروس التاريخية الصحيحة ان بيزنطية عملت على تنفير الشعب منها ، إمّا بالاضطهاد الديني الذي اثاره هرقل على اليهود اولًا ، ثم على جميع النصارى المنتسبين الى غير نِحلته ؛ وإمّا بارهاق المكلّفين بالضرائب التي احتاجت اليها الدولة في حروبها المتواصلة مع الفرس.

اما الجيش فلم يبقَ له من الجيش الروماني القديم الّا الاسم[1] . رجاله من المرتزقة لا يحمون ثغرًا بدافع وطني ، ولا يتحملون وقعةً باخلاص ، وإطاره مضطرب التنظيم ، وقوّاده من المستهترين بشأن العرب ، وقد تعوّدوا مثل غزواتهم في ما سبق ، يقومون بها على اطراف الشام فيستاقون بعض المواشي ويرجعون الى بلادهم. حتى اصبحت تلك الغارات ، في عرف قوّاد الجيش ، من « حوادث الحدود » البسيطة. فلم يهتموا بها ، هذه المرّة ، الا بعد فوات الحين، وقد تحققوا ان المتيمين لم يرجعوا على عادتهم، بالأسلاب الى بلادهم. بل اقاموا في المناطق البيزنطية اذ لم يخرجهم منها احد، بل توغلوا فيها اذ لم تصدّهم عنها حامية.

هذه المقدّمات المقتضبة كانت ضروريةً لفهم ذاك الاتفاق السريع الذي حصل بين العرب الداخلين وابناء الشام ، واكثرهم نصارى ، فلم يروا في الفاتحين اعداء ولا غزاة. انما رأوا فيهم اولًا — لا « اخوانًا » مخلّصين كما وهم دي گويه — بل مريحين من دولة شديدة الوطأة افقرتهم بضرائبها وضايقتهم بمشاحناتها الدينية.

***

وكان ما كان من دخول العرب دمشق وسائر المدن الشامية على ما هو

١) راجع، في هذا البحث، الاب لامنس: فتح العرب سورية والجيش البيزنطي (المشرق ٣٠ [١٩٣٢] ٢٢٧-٢٤٧)

مشهور. بيـد ان هناك حادثة لا بأس بالتعرّض لها بشيء من التمحيص . هي رواية فكهة تناقلها المؤرخون الشرقيون ، حتى بعض المعاصرين منهم ، بفضل ابن عساكر ، وتناقلها بعض الغربيين بفضل فون كريمر (von Kremer) ، وهي القائلة بان خالد بن الوليد دخل مدينة دمشق عنوةً من الباب الشرقي ، وابا عبيدة دخلها صلحاً من باب الجابية ، فالتقيا في وسط كنيسة القديس يوحنا ، فقُسمت الكنيسة بين المسلمين والنصارى (كذا !)

قد يختلف الإخباريون في ذكر الباب المدخول صلحاً او عنوةً، وقد يختلفون كذلك في ذكر القائد الداخل أكان خالدًا ام ابا عبيدة . ولكنهم مجمعون على « الصلح والعنوة » وعلى التقاء القائدين ، إما في وسط المدينة او في وسط الكنيسة ، وهو الأشهر . . .

قلنا : أوَ ليس في ضعف التصوّر باختراع هذه الحكاية ما يربأ بالمؤرخين ان يردّدوها ، ولا سيما في عصرنا وقد نُشرت الوثائق والاسانيد القديمة جميعها تقريباً فاستنتج منها الاختصاصيون ما كان يخفى على الإخباريين والمتظرّفين بالتاريخ ! أو لا نرى هنا أثر النزعة المدنية التي ترمي الى إشراك ابي عبيدة في هذا الفتح المهمّ في الاسلام ! وهي التي رمت فعلًا ، في ما بعد ، الى وضعه موضع خالد ، عندما تولّى الخلافة عمر بن الخطّاب ، فكان اول ما عمله ان عزل خالدًا وعيّن صديقه ابا عبيدة مكانه . ولقد كان في خطة الثلاثة : ابي بكر ، وعمر ، وابي عبيدة ان يخلف هذا الأخير عمر كما خلف عمر ابا بكر ، لولا ما كان من طاعون عمواس ! ولنا في ما نشره البرنس كايتاني في التاريخ الاسلامي القديم من شهادات مؤرخي العرب ، واكثرهم من ذوي النزعة المدنيـة ، الى اقوال مؤرخي الفرس والسريان والروم ، ما يؤيّد دحضنا للاسطورة المتقدّمة الذكر . ومنه يستخلص انه لما فُتحت دمشق ، لأول مرّة ، في ايلول ٦٣٥ ، كان ابو عبيدة بعيدًا عنها ، وهو لم يأتِ الشام الّا في السنة التالية[1] .

١) راجع فصل كايتاني المنون *La Campagna araba in Siria durante gli anni 14 h. e 15 h. : il problema dei due assedi di Damasco.*
L. Caetani, *Annali dell'Islam*, III, pp. 326-402 في

اما الغاية من هذه الاسطورة فقد تكون تبريرًا متأخرًا لما قام به الوليد بن عبد الملك من نزع كنيسة القديس يوحنا وتحويلها الى الجامع. وذلك ان قسمة الكنيسة بين المسلمين والنصارى اصبحت ، في نظر النقد الحديث ، من الروايات المشكوك فيها ، ان لم نقل من الاساطير المفروغ منها[1] . وقد يكون المؤرخون خلطوا سهوًا بين فتحي دمشق : الاول على يد خالد ويزيد بن ابي سفيان في ايلول ٦٣٥ ، والثاني على يد ابي عبيدة في كانون الاول ٦٣٦ ، فجعلوا هذا الى جنب خالد وبينهما اربعة عشر شهرًا .

بيد ان ما يهمنا خاصة في هذا البحث هو ان نعرف مَن قام بالمفاوضات بين اهل الشام والجيش العربي. ونحن نجهل مَن كان حاكم المدينة بعد ان رحلت عنها الحامية البيزنطية.

يقول البلاذري ان القائم بالمفاوضات كان اسقف دمشق ، ولا يذكر اسمه. ويقول سيف بن عمر ان اسمه نسطاس . ويقول اوطيخوس ، المؤرخ البيزنطي ، ان الذي قام بالمفاوضات ، « فخان المدينة والامبراطورية » ، انما هو منصور بن سرجون ، عامل هرقل .

ومنصور بن سرجون اسم اشتهر على عهد البيزنطيين ، وسيشتهر مدة على عهد الامويين ، حتى يشتهر طويلًا في تاريخ الكنيسة بشخص حفيده ، القديس يوحنا الدمشقي .

كان منصور مديرًا لمالية دمشق منذ اواخر عهد الامبراطور موريقي ، اي من اواخر القرن السادس . على ان ولاية دمشق لم تكن تشمل سورية بكاملها ، انما كانت محصورة بما دُعي فنيقية اللبنانية . فلما اخلى الجيش البيزنطي دمشق ، اصبح منصور من اهم الشخصيات فيها . واذًا فليس من عجب بان يعهد اليه الاهلون في مفاوضة الفاتحين بالاشتراك مع اسقفهم . اما نسبة « الخيانة » اليه

---

١) يمكن ان يُراجع في ذلك : H. Lammens, *Le Calife Walid et le partage de la Mosquée des Omayyades, à Damas.* Dans *Etudes sur le siècle des Omayyades*, Beyrouth, 1930, pp. 269-305

فليست غريبة من اوطيخوس المنتمي الى غير نحلته ، والمؤرخ الحوادث من الجهة البيزنطية .

واذا ترفعنا من هـذه النزعات الحزبية نرى ان منصورًا برهن عن حبّ وإخلاص لأهل مدينته اذ فاوض العرب ، مستعينًا باطلاعه الواسع على لغتهم وعاداتهم ، وبمعرفته لرغائب بني نوعه . فاظهر مقدرةً عجيبة في تحقيق شروط التسليم . حتى كأنه كان هو الذي يفرض الشروط على الفاتحين . فنال العهود بان العرب يخلون كل ما للدماشقة من ارزاق وبيوت ، ويحترمون عقائدهم الدينية وعاداتهم وكنائسهم وشعائرهم ، مكتفين بجزية قليلة .

ولا شك انه في تلك الأثناء ، واجه ، للمرة الاولى ، القائد يزيد بن ابي سفيان ، اخا معاوية . ومن الراجح ان المفاوضة كانت مع يزيد ، لا مع خالد ، وذلك انه يُستنتج من بعض روايات البلاذري ان يزيد سبق خالدًا الى دخول دمشق فالتقيا بالمصلاط[1] . وقد لا نخطىء الواقع اذا قلنا ان مهارة منصور وبلاغته ، ولا سيا خبرته بالشؤون المالية اثّرت في يزيد كل التأثير . ولا يخفى ان يزيد من افراد تلك الأسرة المالية الكبرى التي انبتت ابا سفيان ، أشهر من يُذكر بين الرأسماليين وارباب القوافل العظيمة في مكة . فكان ان يزيد لم يُعين والياً على دمشق حتى سلّم منصورًا ادارة الاموال .

ثم حدث ان هرقل جمع جيشاً جديدًا فتراجع العرب عن دمشق مدةً . وعادوا الى حصارها ثانيةً بقيادة ابي عبيدة . حتى فتحت المدينة ابوابها في كانون الاول ٦٣٦ . وكان في شروط الصلح ان المسلمين يتركون للنصارى خمس عشرة كنيسة ضمن الأسوار .

وظلّ ابو عبيدة على قيادة الجيش حتى طاعون عمواس . فكان من اولى ضحاياه . فعيّن عمر مكانه يزيد بن ابي سفيان ، الذي شاء مؤرخو العباسيين ان يخمدوا ذكره ، على ما ابداه من بلاء في الفتوح الشامية . وعيّن مكان يزيد على ولاية الشام اخاه معاوية . وولاية الشام اذ ذاك مقسومة الى كور او مقاطعات تسمى

---

١) البلاذري : الكتاب المذكور ، ١٢٤

الواحدة منها جُندًا . فكان هناك جند دمشق ، وجند حمص ، وجند فلسطين ، ويذكر بعضهم جند الاردنّ. ولم تكن دمشق عاصمة هذه الولاية ، انما كانت العاصمة العسكرية الجابية في الجولان ، من قرى الغساسنة القديمة . يقيم فيها الحاكم العام جامعاً بين يديه السلطات كلها من تشريعية وتنفيذية وعسكرية. وله نواب عسكريون في المدن السابقة الذكر ، يراقبون عن كثب سير الاعمال الحكومية ، وقد تركوها ، على الغالب ، في ايدي اربابها من اهل البلاد النصارى ، كما كانت على عهد البيزنطيين . فلم يمسّوا بشيء النظام القضائي ولا المؤسسات البلدية الخاصة . فظلّ للوطنيين لغتهم ، ودينهم ، ومحاكمهم ، و « احوالهم الشخصية » ، كما نقول اليوم ، وعاداتهم وتقاليدهم . وظلّوا يديرون بلادهم بأنفسهم فينظّمون شرطتهم ، ويقومون بمشاريع الريّ ، وبناء الجسور ، وفتح الطرق ؛ والخلاصة أنهم ظلّوا مستقلّين ادارةً داخلية عن الجيش الداخل[1] . حتى ان الفاتحين لم يهتمّوا بفئة جديدة من الشعب نشأت من هذه الحالة الجديدة. وهي فئة الموالي ، اي المسلمين من غير العرب ، فلم يعرفوا ايّ شريعة يطبّقون عليها ، وقد خرجت عن احكام النصارى ، سكّان البلاد ، ولم تحصل على المساواة التامّة بالعرب المسلمين. وهكذا ظلّ الموالي مدةً حائرين.

ولم يكن همّ الفاتحين ، اول الأمر ، الّا الادارة المالية ، لكثرة ما كانوا يحتاجون اليه من المال في الحروب المتتابعة . كان عليهم القيام بهذه الحروب . وكان على سكّان الشام القيام بتغذيتهم . ولهذا فرضوا ، فوق الخراج ، وهو الضريبة على العقار ، ضريبةً اخرى على الأعناق كانت في اصلها ديناراً على كل بالغ او ، في لغة ذاك العصر ، « على كل من جرت عليه المواسي ». ثم ضوعفت هذه الضريبة على متوسطي الحال ، ورُبّعت على الاغنياء[2] . اما تنظيم فرض الضرائب فكان على اساس ملكية الاراضي ابّان الفتح ، وعلى اساس عدد الذمّيين . وعليه فلا نستغرب ان نرى الجباة يتذمّرون احياناً اذ يرون بعض

١) قابل بما في Lammens, *La Syrie*, I, 61-62

٢) راجع في « الجزية » و « الخراج » بحثين للاستاذ بندلي جوزي في « المقتطف » ايار ١٩٣١ ، و « الكلية » تشرين الثاني ١٩٣١

الذميين يجنحون الى الاسلام فيتخلصون من اداء الضرائب ، وبالتالي تضطرب موازنة اولئك الجباة ، فترهقهم الادارة المركزية . حتى شكوا الأمر الى الخليفة . فكتب عبد الملك الى عمّاله يأمرهم بان يتلافوا النقص في عدد الذميين ، وان اضطرهم الأمر الى منعهم عن الإسلام . وكذلك كان فعل يزيد الثالث . فأين هذا من القول السائر في كتب بعض المؤرخين من ان العرب اجبروا أهل الشام على الديانة بالاسلام !

* * *

في السنة ٦٣٩ تسلم معاوية ولاية الشام . وكأنه رأى بثاقب بصره ان مستقبل الدولة الجديدة سيكون متجهاً الى الشمال والى الغرب ، فانتقل من الجابية الى دمشق . وهمّه امران : تحضير البدو ، ومقاومة بيزنطية . ومعاونوه في هذين الأمرين النصارى : عرباً كانوا او غير عرب .

اما تحضير البدو فنجح فيه بعض النجاح ، على صعوبته . نتحقق ذلك اذ نرى ان المعسكرات الاصلية في الجابية ، وعمواس ، ودابق ، لم تلبث ان اقفرت ، وانتقلت مراكز الحكم الى المدن كدمشق ، وحمص ، وغيرهما . بيد ان العمل كان صعباً ، كما قدّمنا ، لأن البدو نافرون فطرياً من حياة الحضر . لا يجدون فرصةً للرجوع الى بواديهم الّا اغتنموها . ولا عجب . فان اموراً كثيرة كانت تحول بينهم وبين الحياة الجديدة : عاداتهم القبلية تغاير هذه العادات الحضرية . مناخ بلادهم الحارّ الجافّ يختلف عن مناخ الشام ، ولا سيما دمشق ، بما فيه من رطوبة ناشئة عن المياه الغزيرة . وكان هذا المناخ الرطب يؤثر في اجسامهم المعوّدة الجفاف فيحدث فيها بثوراً ودماميل حتى اصبح عندهم من الأمثال الجارية القول عن « دماميل الشام وطواعين الجزيرة » . وكان الجنود ، حتى في اواسط العهد الاموي ، وقد عُوّدوا الاقامة في ثكنات المدن ، اذا ما اراد القائد مكافأتهم على عمل مذكور ، سألوه الاذن بالرجوع الى باديتهم . وحتى رأينا امرأة معاوية نفسها ، ميسون الكلبية ، على الرغم من حياتها المحفوفة باليسر والهناء في البلاط الملكي ، تحنّ الى حياتها البدوية ، فتنشد تلك الابيات المشهورة :

وبيت تخفق الارياح فيه أحبُّ اليَّ من قصرٍ منيفِ !
ولبس عباءةٍ ، وتقرَّ عيني ، أحبُّ اليَّ من لبس الشفوفِ !
واكل كسيرةٍ في كسر بيتي أحبُّ اليَّ من اكل الرغيفِ !
واصوات الرياح بكل فجٍّ احبُّ اليَّ من نقر الدفوفِ !
وكلبٌ ينبحُ الطرّاقَ دوني احبُّ اليَّ من قطٍّ ألوفِ !
وبكرٌ يتبع الأظعان صعبٌ احبُّ اليَّ من بغلٍ زَفوفِ !
وخرقٌ من بني عمي نحيفٌ احبُّ اليَّ من علجٍ عنيفِ !

ولنشر حالًا الى ان هذا البيت الأخير غير وارد في الروايات القديمة لابيات ميسون[1] . أوَ تكون الرقابة العباسية عملت عملها حتى في هذا الشعر ، فنعتت معاوية « بالعلج العنيف » ! !

ومهما يكن من أمر فان معاوية استعان في مشروعه العظيم هـذا ، اي تحضير البدو ، بقبيلة ميسون نفسها ، وهي نصرانية ، وبسائر القبائل النصرانية العائشة في اطراف الشام عيشةً وسطًا بين البدو والحضر ، والتي كانت قد حالفت الغساسنة في ما سبق ، وتعوّدت النظام العسكري على عهد البيزنطيين ، كبني تغلب ، وبني جُذام ، وبني كلب وما تفرّع عنها من البطون والعشائر . فاتكل عليهم ، وجعلهم قوّاد جنده يعلّمون البدو « طاعة اهل الشام » التي كثيرًا ما يذكرها فيمدحها مؤرخو العرب كالبلاذري والطبري ، والتي لم تكن معروفة في تلك الشراذم القادمة من الحجاز .

وهكذا عمل النصارى العرب على تنظيم الجيش ، مادّة القتال ، فمكّنوا معاوية من ان يرمي بنظره الى أبعد مما تصوّره الخلفاء الراشدون ، الى ناحية المدنية الغربية ، الى تلك الامبراطورية العظيمة التي كانت تقوم حاجزًا هائلًا بين الدولة الجديدة والاتساع ، الى بيزنطية . رمى بنظره الى تلك الامبراطورية فطمع فيها . ولكن كيف حقّق بعض مطامعه ؟ وكيف توصّل وهو لا يزال واليًا ، الى خلق حكومة اصبحت مثالًا للحكومات ؟ ذلك ما نفهمه اذا ذكرنا ما قام به النصارى من غير العرب .

كان قد خلا الجوّ لمعاوية بوفاة ابي عبيدة وخالد بن الوليد وغيرهما من

---

١) اطلب Lammens, *Mo'âwia*, 313

القوّاد ؛ وبرحيل عمرو بن العاص الى مصر ، وبمقتل عمر بن الخطّاب ، وبارتقاء نسيبه عثمان عرش الخلافة ؛ فشعر بالاستقلال اللامركزي . ولفطنته في نفسه ، ادرك ان ابناء الشام اقدر من البدو في ادارة الدواوين ولا سيما المالية منها . فوالاهم ومنحهم ثقته تامّةً ، تاركاً لهم حرّياتهم الدينية والمدنيّة المطلقة . فكان أنهم تحققوا تساهل الفاتحين ، ورأوا انفسهم لا يزالون على رأس الاعمال في بلادهم . فتابعوا مساعيهم في سبيل ازدهار الوطن . وكان في مقدّمتهم ذاك المالي القدير الذي رأيناه يضبط مالية دمشق ، بل ولاية الشام ، على عهد البيزنطيين ، ثم على عهد الفرس ، ثم على عهد البيزنطيين من جديد ؛ والذي شاهدناه يفاوض يزيد بن ابي سفيان على فتح دمشق فينتزع لها من الفاتحين شروطاً كانت كلّها في مصلحة ابناء وطنه . فيقرّه يزيد في ادارته . ويثبّته معاوية . فيصبح مدير المالية في الولاية كلّها ، حتى يُصبح ، بعد ذلك ، مديراً او وزيراً لمالية الدولة جمعاء . وهو لا يزال على نصرانيّته ، بل على تعلّقه بالنصرانية ، تعلّقاً حمل المؤرّخ تيوفانس على ان يسمّيه « الرجل المسيحي كل المسيحي » ، تعلّقاً تجاوزه الى افراد اسرته فنبغ من حفدته القديس يوحنا الدمشقي ، عنينا به منصور بن سرجون .

القى معاوية بين يديه بمقدرات الدولة المالية ، فادارها خيرَ ادارة ، منظّماً الموازنة ، ساهراً على جباية الضرائب ، محافظاً على الاموال ، دافعاً الرواتب في حينها ، منتبهاً لجميع الاعمال الاقتصادية .

وكان من الطبيعي ان يسهر على تنظيم اعمال الموظّفين . ومنهم الجيش الدائم فاخذ يهتمّ بتأمين معيشته اولاً ، ثم بتموينه بالمعدّات والذخائر ؛ ثم بتنظيم حركاته وغزواته . وهكذا اصبح ذاك الشيخ المسيحي مدير المالية والحربية ؛ وسيُصبح وزيرهما في تلك الدولة الإسلامية العظمى .

ولم يكن منصور النصرانيّ الوحيد بين ارباب الدولة . انما ذكرناه لشهرته ولاهمية ما كان يتولّاه من اعمال . وهناك كثيرون غيره من كبار الموظّفين واصحاب النفوذ في البلاط الاموي ، كالطبيب ابن أثال ، صاحب خراج حمص ، على عهد معاوية ؛ « وكان اركوناً من اراكنة النصارى عظيماً » على ما في قول

ابن عساكر[1] . والراهب ماريانوس مؤدّب خالد بن يزيد ، ومجدل الكلبي عمّ معاوية ، والشاعر الأخطل ، وغيرهم.

وقد جرى رجال الدولة الاموية على خطة معاوية في تكليف النصارى القيام بأهمّ دوائر الحكومة. فرأينا والي المدينة ، مروان بن الحكم ، يؤلّف شرطة أيلة من مائتي نصراني[2]. واذا انتبهنا لاهمية هذا المرفأ على البحر الأحمر ادركنا مبلغ تلك الثقة التي وضعها مروان في النصارى. وكذلك القول عن الوليد بن عقبة ، اذ عهد بادارة سجون الكوفة الى رجل نصراني[3]. وعرف الوليد بصداقته للشاعر النصراني ابي زُبيد ، وقد اقطعه بيتاً مجاوراً للجامع . فكان الشاعر ، اذا اراد زيارة صديقه ، بل « اخيه » كما كان يدعوه[4] ، مرّ في الجامع قاصداً اليه[5].

* * *

ومن النصارى مَن عاون معاوية في تحقيق مشاريعه الحربية ، وهم غير من ذكرنا من ابناء القبائل النصرانيـة ، معلمي البدو « طاعة اهل الشام » . هم اللبنانيون ، سكّان السواحل والجبال.

اصبح معاوية بأمن من هجمات بيزنطية البرّية . فبقي عليه ان يتلافى هذه الغزوات من جهة البحر . وادرك انه ما دام المتوسّط مسرحاً للاسطول الرومي فلا سبيل الى الطمأنينة والهدوء في بلاد الشام.

فكيف العمل ، والجيش العربي ليس ببحّار ؟ والبدو ينفرون من البحر ، قائلين بلسان شاعرهم:

طينٌ انا ، وهو ماءٌ ، والطين في الماء ذائب !

اجال معاوية بصره. واذا هناك على الساحل ثغور شهيرة كانت في ما مضى قد استعمرت العالم المتمدّن بسفنها الجبّارة. اذا هناك حفدة الفنيقيين بناة اساطيل صور ، وصيدون ، وأراد ، وقرطاجة ؛ بل بناة سفينة نوح على قول ارباب

---

١) ابن عساكر: التاريخ الكبير (طبعة بدران ، دمشق ١٣٣٢) ٥ : ٨٠

٢) الاغاني ٦ : ١٥٤ ٣) الاغاني ٦ : ١٥٦

٤) الاغاني ١١ : ٢٨ ٥) الاغاني ٦ : ١٨١–١٨٢

الاساطير العربية[1]

وسرعان ما صمّم معاوية على بناء الاسطول العربي. فعهد الى اهل عكا ، وصور ، وطرابلس ، كما يقول البلاذري ؛ فقطعوا الخشب من غابات لبنان ، وبنوا السفن . ولا ضرورة الى القول ان قوّادها وملّاحيها كانوا من اللبنانيين وكلّهم نصارى ، اذ ذاك. اما المقاتلون فكانوا من الجيش السوري . وقد شاء معاوية ان يشجّع عسكره على مجابهة خطر البحر ، فركب هو وامرأته كَتْوَة في اول السفن ، شأنَ رؤساء الحكومات في عصرنا اذا ما ارادوا الاحتفال بانزال باخرة الى البحر . وهكذا كان تدشين اول اسطول اموي بناه معاوية ، وهو لا يزال والياً .

وسار الاسطول اللبناني بسفنه وقوّاده وملّاحيه ، العربي بمقاتلته ، في ارجاء البحر المتوسّط. فاحتل قبرس اولاً سنة ٦٤٩ ، ومعاوية وامرأته على متن احدى سفنه[2]. ثم احتلّ رودس سنة ٦٥٤ . فقلقت بيزنطية ، وجهّزت اسطولها بقيادة الامبراطور كونستان الثاني نفسه. فاتحد الاسطول اللبناني والاسطول المصري — وقوّاد هذا من النصارى ايضاً ، وكذلك ملّاحوه — والتقيا بالاسطول البيزنطي في شاطىء ليدية. وما هو ان احتدمت المعركة حتى قال التاريخ: على الاسطول الرومي السلام ! .

الّا ان هذا الازدهار العجيب في البرّ والبحر ، وهذا التقدّم السريع في ولاية معاوية ، اصطدما بعقبة هائلة في تواريخ الامم هي عقبة الحروب الأهلية.

وكان ما هو مشهور بين علي ومعاوية من وقائع اسفرت عن انتصار الوالي الاموي ، فعن ارتقائه عرش الخلافة.

وقد اختار معاوية اورشليم ، المدينة المقدّسة ، لقبول البيعة . فاجتمع فيها جنده وبايعوه ، بعد ان ذهب فصلّى في معابد المسيحيين التاريخية ، كما ذكر احد مؤرخي السريان في قطعة نشرها نولدكه جاء فيها:

« في السنة ٩٧١ للساوقيين (وهي التي ابتدأت سنة ٦٦٠) اجتمع في اورشليم

---

١) اطلب ياقوت: معجم البلدان (Wüstenfeld) ٢ : ٥٨٨

٢) وقد توفيت امرأته هناك. (الطبري: تاريخ الرسل والملوك (de Goeje) ٣ : ٢٠٥)

عدد كبير من العرب والامراء ليتخبوا معاوية ملكاً . فصعد هذا الامير الى الجاجلة. ثم ذهب الى جتسماني ، والى قبر العذراء مريم ، فصلّى من جديد . . . ثم جعل مقرّ عرشه دمشق ، ولم يشأ ان ينتقل الى مقام محمد»[1] (اي المدينة).

وجرى ، في خلافته ، على سياسته الاولى ، فاستند الى ابناء البلاد ، ولا سيما النصارى منهم، وهم الاكثرية الساحقة ، مظهراً تساهلاً عجيباً. حتى كان بلاطه مسرحاً لزعماء النصارى وكبارهم ، ذكرنا منهم ابناء سرجون ، وعمه مجدل الكلبي ، والد ميسون ، وطبيبه ابن أثال ، والاخطل رفيق ابنه يزيد ، والراهب ماريانوس مؤدّب حفيده خالد.

ومما يدلّ على تساهله ومساعدته للنصارى ما ذكره تيوفانس من ان احدى الزلازل هدمت كنيسة الرها الكبرى . فانفق معاوية من ماله الخاصّ في اعادة بنائها[2] . وكذلك ارتياحه الى وجود ابنه يزيد في صحبة ابن سرجون الذي سيصبح ، في ما بعد ، القديس يوحنا الدمشقي ، وفي صحبة الاخطل ، وصرفه اياه عن معاشرة المغنين من اهل الحجاز ؛ وكذلك رضاه بان يربّي يزيد ابنه خالداً تربيةً نصرانية على يد الراهب ماريانوس.

ومن هذا القبيل ما ذكره ابن قتيبة من ان معاوية كان يُصاب بالأرق في آخر حياته ، فلا يناله النوم الّا قبيل الصبح . وكان الى جنب قصره ، قصر الخضراء بدمشق ، كاتدرائية القديس يوحنا تقرع نواقيسها عند الصباح ، وقت نوم الخليفة فتوقظه وتؤذيه . فاحتمل معاوية هذا اذ لم يرَ لنفسه الحقّ بمنع النصارى قرع نواقيسهم. ولكنه لجأ الى حيلة ظنّها تكفيه مؤذنة الألم والأرق. فلما لم تنجح الحيلة صرف النظر عن هذا الأمر.

على هذه السياسة الرحبة جرى يزيد . فكان يستعين بالنصارى في الادارة وفي الحرب ايضاً. وها انه يُرسل جيشاً من نصارى تغلب الى الحجاز لقمع ثورة ابن الزبير. واذا بالتغلبيين يمشون ، وامامهم الصليب مرتفعاً وراية مار سرجيس

---

١) راجع Lammens, *La Syrie*, I, 67

٢) *Corp. script. Orient.*, série III, XIV, 288. Cf. Tritton, *Naṣārā*, dans *Encycl. de l'Islam*, III, 907.

شفيعهم ، على ما يقول الأخطل :

لما رأونا ، والصليب طالعا ، ومار سرجيس ، ونُسّاً ناقعا . . .

حتى يدخلوا المدينة بقيادة مُسلم بن عُقبة . ثم يمشون على مكة يحاصرونها .

وكان من مكافأة يزيد للنصارى ، في اخلاصهم للدولة ، ان رفع عنهم كثيراً من الضرائب . واعاد الى مسيحيي نجران حقوقهم في بلاد العرب ، بعد ان كان قد طردهم ظلماً عمر بن الخطّاب .

وقد انقذ النصارى التغلبيون الدولة الاموية مرّةً ثانية ، على عهد عبد الملك ابن مروان ، عندما ثار العراق على الخلافة متضامناً والحجاز ؛ وتحفّزت خراسان للوثوب . فاضطربت الدولة على قواعدها . وانتقل عبد الملك برجاله من دمشق الى بُطنان ، في منطقة حلب ، وسيّر التغلبيين الى الجزيرة ، فكسروا عرب العراق ، وسحقوا بني سُلَيم ، وقتلوا زعيمهم عُمير بن الحُباب ، وحملوا رأسه الى الشام ؛ كما يفتخر الأخطل — وحقّ له الفخر ! — مخاطباً عبد الملك من ابيات رائعة في « خفّ القطين » :

وقد نُصرتَ ، امير المؤمنين ، بنا لما أتاك بيطن النوطة الخبرُ :
يرقّونك رأس ابن الحُباب ، وقد اضحى وللسيف في خيشومه أثرُ !
لا يسمع الصوت مستكّاً مسامعه ، وليس ينطق حتى ينطق الحجرُ !
أمست الى جانب المشّاك جبهته ، ورأسه دون اليحموم والصُوَرُ !

* * *

هذه امثلة قليلة من اعمال النصارى في سبيل الدولة الأموية ، ظهرت في مجال السياسة ، والادارة ، والحرب .

وهناك اعمالهم في مجال الشعر ، والعلم ، والمنطق . ويكفي باسماء الأخطل ، وابن أثال ، وماريانوس شاهداً مقنعاً . ولا بدّ من اشارة خاصّة الى الأخطل ، وهو اعظم صحافيي ذلك العصر . نصر الأمويين بلسانه كما نصرهم قومه النصارى بجيوشهم . ولا نبالغ اذا قلنا ان قصائده عملت في نشر مآثر الامويين ، واعلان جدارتهم بحسن الادارة وضبط شؤون الملك :

شمس العداوة حتى يستقاد لهم ، وأعظم الناس احلاماً اذا قدروا !

وفي تهيئة افكار الجمهور للاقرار بحقّهم الالهي :

ويومَ صفّين ، والابصار خاشعةٌ ، أمدّهم ، اذ دعوا ، من ربّهم مددُ ؟

ما لا تعمله جريدة حكومية مهما يُنفق عليها من اموال الاعتمادات السرّية .

ولم يكن الشاعر النصراني الوحيد ، او الجريدة النصرانية الوحيدة ، من الحزب الاموي . وهناك نابغة بني شيبان . وقف موقفاً في مجلس عبد الملك لا يفرق في شيء عن موقف مسكين الدارمي في مجلس معاوية عندما شاء مبايعة ابنه يزيد .

كان عبدالملك ، في آخر ايامه ، يرمي الى خلع اخيه عبدالعزيز عن ولاية العهد ، والمبايعة بها لابنه الوليد . ولكنه كان يخشى نفور العرب . والعرب لم يألفوا الحكم الوراثي ، على رغم ما بذله معاوية من جهود موفّقة . فجمع عبد الملك المجلس . وكان قد اشار الى النابغة بالقاء اقتراح يسبر فيه افكار القوم فقال النابغة :

آليت جهداً ، وصادقٌ قسمي ، لربّ عبدٍ بالله ينتصحُ ،
يظلّ يتلو الانجيل يدرسه ، من خشية الله قلبه طفحُ :
لأبنُك اولى بملك والده ! ونجم من قد عصاك مُطّرحُ !
داودُ عدلٌ فاحكم بسيرته ، ثم ابن حرب ، فاتم نصحوا ؟
وهم خيارٌ فاعمل بسُنّتهم ، واحي بخير ، واكدح كما كدحوا !

فابتسم عبد الملك ، ولم يعترض احد من الاعضاء . فنوى الخليفة انفاذ المشروع ، الّا ان موت اخيه عبد العزيز خلّصه من تبعة النقض والنكث .

اما في سبيل الفنّ ، فلنا ، كل مدّة ، من اعمال الأثريات ، برهان جديد على ازدهار الفنّ المحلّي وعلى نبوغ فنّاني النصارى في سورية على العهد الاموي . من هذه الآثار ما كان دينيًّا محضاً فلم يؤثّر مباشرةً في اقرار الدولة الاموية . ومنها ما قام به اربابه في تحقيق مشاريع الخلافة ، كبناء الجامع الاقصى في اورشليم لعبد الملك بن مروان ، وبناء الجامع الاموي في دمشق لابنه الوليد ، وبناء قصر الحير في بادية تدمر لهشام ، وبناء قصر المشتى في بادية موآب للوليد بن يزيد بن عبد الملك . وليس من موضوعنا الآن ان نتبسّط في درس هذه الآثار .

انما نستخرج من مظاهر هذا الازدهار المتنوّعة ان حياة النصارى على عهد الدولة الاموية — بل على عهد خلفائها الأوّل : معاوية ، ويزيد ، ومعاوية الثاني ، ومروان ، والقسم الأكبر من خلافة عبد الملك — كانت حياة سعة ورخاء . ولا يخالنّ احد ان هذا الرخاء كان ماديًّا فقط . لا . فان العاطفة

الدينية كانت عميقة لا يحول دون ظهورها شيء. وان الكنيسة الشرقية لتفتخر بكونها عدّت ، في العصر الاموي ، ثلاثة من اشهر نوابغ النصرانية هم : صفرونيوس بطريرك اورشليم ، والقديس يوحنا الدمشقي ، والقديس اندراوس اسقف اقريطش.

على ان عبد الملك بن مروان شاء ان يبدع امرًا جديدًا . فرمى الى تعريب مراتب الدولة ودوائر الحكومة.

تعريب الدولة من حقّ الخليفة العربي ، بل من واجبه ، اذا فهمنا به اقرار اللغة العربية في الدواوين مكان الرومية والقبطية. وما كان احد ليلوم عليه عبد الملك، لولا ما بالغ فيه خلفاؤه من ضيّقي الصدر ، فاساؤوا فهم غايته وخلطوا بين تعريب اللغة ، وتعريب الاعمال والدوائر ، كما خلطوا بين العروبة والإسلام. فاخذوا ، بحجة التعريب ، يستبدلون المسلمين العرب بالذمّيين ، وان كانوا عربًا ، او بغير العرب ، وان كانوا مسلمين. حتى دبّ الفساد في الدوائر ذوات الاختصاص ، فاضطرب نظام الحكم . يؤيد هذا ما نعرفه من اجوبة الولاة وشكاويهم سوء الحالة الجديدة وهذا قول للخليفة سليمان بن عبد الملك عن الموظفين النصارى ، وقد تحقق ضعف الادارة على اثر تنحيتهم عن دوائرها ، قال: « لم نستغن عنهم ساعة. وهم لم يحتاجوا الينا ساعة واحدة في سياستهم ».[1]

هذا العمل في « تعريب » الخلافة كان الحجر الأول في بناية التعصب القومي والديني: التعصب القومي الذي ادّى الى نفور الموالي المسلمين انفسهم من العنصر العربي ، وعمل على قتل الوحدة الاسلامية بل قتل الخلافة العربية بظهور بني العبّاس. والتعصب الديني الذي ادّى الى اتساع شقّة الخلاف بين العنصرين المهيمنين في الدولة الاموية الزاهرة.

لا نقول ان الشقاق بدا في عهد عبد الملك. انما نشير الى ان هذا الخليفة بذر بذوره — وقد يكون عن غير قصد — فنمت على عهد ابنه الوليد الذي تابع سياسة ابيه . فعزل اكثر الموظفين النصارى ، ونزع ادارة المالية من آل سرجون ، بعد ان اضطلعوا بها ، على غاية ما يُرجى من الدقة

(١) ابن عساكر: الكتاب المذكور ٣: ٢٧

والامانة والاخلاص ، مدة قرن كامل. وكان يدفع الوليد الى ذلك ، فوق ما عرفناه لأبيه من نزعة قومية ، ما اتصف من حب التسلط ، وما كان يظهره من التقوى الخارجية ، والمجاهرة بالعبادة مما لم نره عند واحد من سلفائه

والى عهد عمر بن عبد العزيز فاتسعت حركة « التعريب » . فتضاءل شأن الوطنيين ، وانشقت عناصر الدولة حتى ادّى الانشقاق الى هبوطها واضمحلالها. فما بدت الراية السوداء من ناحية الزاب الأعلى حتى امكن الشاعر العربي نصر بن سيار ان يقول:

فقرّي عن رحالك ، ثم قولي: على الاسلام والعرب السلامُ !

هذا ملخّص ضئيل لبعض ما قام به النصارى في ذاك العهد بسطناه سهلًا على امل ان يُغتفر ما فيه من جفاف واقتضاب.

وان يكن من عبرة نتّخذها من هذا التاريخ — والتاريخ ابو العبر ! — فهي ان ازدهار البلاد لا يكون الّا بالتساهل والتعاون.

اهم مآخذ البحث

البلاذري: فتوح البلدان (طبعة de Goeje) ليدن ، ١٨٦٦

الطبري: تاريخ الرسل والملوك (طبعة de Goeje) ليدن ، ١٨٧٩–١٩٠١

الواقدي: كتاب المغازي (طبعة von Kremer) ١٨٥٦ ، طبعة القاهرة ، ١٨٦١

ديوان الاخطل (طبعة صالحاني) بيروت ، ١٨٩٠

جورج مرعي حدّاد: فتح العرب للشام ، بيروت ، ١٩٣١

الاب هنري لامنس: اسرة القديس يوحنا الدمشقي (المشرق ٢٩ : ١٩٣١)

الاب هنري لامنس: كيف صارت دمشق عاصمة (المشرق ٢٩ : ١٩٣١)

الاب هنري لامنس: لماذا افتتح العرب سورية (المشرق ٣٠ : ١٩٣٢)

الاب هنري لامنس: فتح العرب سورية والجيش البيزنطي (المشرق ٣٠ : ١٩٣٢)

الاب هنري لامنس: سورية في زمن الفتح العربي (المشرق ٣٠ : ١٩٣٢)

de Goeje, *Mémoire sur la conquête de Syrie*, Leyden, 1900

H. Lammens, *Etudes sur le règne du Calif omaiyade Mo'âwia Ier*, Beyrouth, 1908

L. Caetani, *Annali dell'Islam*, III, Milano, 1910

H. Lammens, *La Syrie, précis historique*, I, Beyrouth, 1921

H. Lammens, *Etudes sur le siècle des Ommayyades*, Beyrouth, 1930

A. S. Tritton, *Naṣārā*, dans *Encyclop. de l'Islam*, III.

السلطة الابوية

في الشرع الاسلامي

على مذهب الامام ابي حنيفة

بقلم نجيب صدقه

مقدمة

كانت احكام الشرع الاسلامي ، حتى اواسط القرن الماضي ، مرعية الاجراء بكاملها في هذه البلاد . ولكن تعديلات خطيرة ادخلت عليها منذ ذلك الحين فضيقت دائرة تطبيقها العملي ووجهتها توجيهاً ملائماً للتطورات الاجتماعية الحديثة . ويكفي ان نشير الى القانون الجزائي التركي ، وقانون العقود والموجبات ، واصول المحاكمات المدنية ، والمجموعة الضخمة لقرارات المفوضية العليا ، لندرك اهمية هذه التعديلات من حيث تنظيمها للاحكام الشرعية القديمة ، واتيانها باحكام جديدة مستمدة من القوانين الاوربية عامة والقانون الافرنسي خاصة . حتى ان المطلع على الفقه الاسلامي وحده ليعجز عن تتبع الحركة القضائية في سورية ولبنان ان ظلت معلوماته محصورة في نطاق « مبسوط » السرخسي او « حاشية » ابن عابدين .

على ان هناك موادّ فقهية لم تحور قط لانها مرتكزة على آيات قرآنية واحاديث نبوية هي قدس اقداس الشرع الاسلامي ، لا يجسر المشترع المعاصر على ان يبدل حرفاً واحداً من حروفها او يفسرها تفسيراً مخالفاً لما ورد في كتب الائمة الاقدمين . ومعظمها متعلق « بالاحوال الشخصية » كالنكاح والطلاق والميراث . فان العلاقات الشرعية التي تربط افراد العائلة الاسلامية تتحدد حقوقهم وواجباتهم مقررة بوضوح في المؤلفات القديمة ، ولا يحق لأيّ كان ان ينقص منها او يزيد عليها الّا ما كان ملائماً لروح الشرع القديم .

وما تحديد علاقات الابناء بوالديهم الا فرع من هذه الفروع الثابتة التي لم تتغير بعد . فاذا نحن درسنا « السلطة الابوية » او — كما يسميها الاقدمون — « ولاية الاب » (وقد آثرنا الاسم الاول لانه موافق للاصطلاحات الاوربية المألوفة : (Paternal Authority, La Puissance Paternelle, Patria Potestas, Paternel Power)) ، فانا نتعرف الى احكام لا تزال مرعية الاجراء في بلادنا ، تنشى عليها المحاكم الشرعية الاسلامية . وقد اقتصرنا على درس المذهب الحنفي لانه متبع في هذه البلاد.

وبالرغم من حصر جهودنا في نطاق واحد ، وهو مذهب ابي حنيفة دون سواه ، فنحن لا ندعي قط بان هذا الدرس الذي نقدمه جامع للاحكام الحنفية كلها ، مظهر بوضوح لتطورهـا في خلال القرون الاثني عشر ، باسط بتفصيل جميع الاختلافات التي تفرق ائمة الحنفيين ، لان المصادر التي استطعنا الوصول اليها قليلة جداً بالنسبة لما يجب الاطلاع عليه للاحاطة بالموضوع من جميع نواحيه . فالجزء الكبير من المؤلفات الفقهية القديمة مفقود من مكاتب بيروت ، مبعثر في خزائن مصر واوربة. ولم يتيسر لنا الّا الاطلاع على نفر ضئيل منها نثبته في اللائحة التالية مراعين الترتيب التاريخي:

١ — القرآن

٢ — كتب الحديث

البخاري : ٢٥٦ هـ. الصحيح . طبعة بولاق ١٢٩٦ هـ

مسلم : ٢٦١ هـ. الصحيح . المطبعة العامرة ١٣٣٤ هـ.

النسائي : ٣٠٣ هـ. السنن. المطبعة المصرية بالازهر (تاريخ الطبع غير مذكور)

٣ — كتب الفقه.

القاضي ابو يوسف ١٨٢ هـ . كتاب الخراج . بولاق ١٣٠٣

الشيباني ١٨٧ هـ. كتاب المخارج في الحيل. نشر يوسف شخت . ليبزيك ١٩٣٠

قدوري ٤٢٨ هـ. مختصر القدوري البغدادي . « مطبعة عثمانية » ١٣٠٩ هـ.

السرخسي ٤٨٣ هـ. المبسوط . مطبعة السعادة . مصر ١٣٢٣ هـ.

ابرهيم الحلبي ٩٥٦ هـ. ملتقى الأبحر . مطبعة « علي بك » (؟) ١٢٩١ هـ.

امين بن عابدين ١٢٥٢ هـ. رد المحتار الى الدر المختار . المطبعة الميمنية ١٣٠٧ هـ.

قدري محمد ١٨٧٥ م . الاحكام الشرعية في الاحوال الشخصية . مصر ١٨٧٥ م.

مجلة الاحكام العدلية ١٨٧٦ م . طبعة نجيب هواويني . الحدث ١٩٠٥ م.

الياس داود كسبار : التتمة الفقهية . بيروت ١٩١٢
مخائيل عبد البستاني : مرجع الطلاب . بيروت ١٩١٦
عارف رمضان : مجموعة القوانين . بيروت ١٩٢٨

٤ – الدروس الافرنجية المتعلقة بالموضوع .

Clavel, Eugène, *Droit musulman du Statut Personnel et des successions*. 2 vol. Paris, Larose. 1895.

Guémard, Gabriel, *La condition juridique des gens mariés en Droit musulman*. Aix, 1915.

Salamé, Mohamed Mahmoud : *Le mariage en Droit musulman*. Montpellier, 1923.

Moutwali, Mohamed Mahmoud, *Le divorce en droit musulman*. Montpellier, 1925.

El-Yafi, Abdallah, *La condition privée de la femme dans le droit de l'Islam*. Paris, 1926.

Chatilla, Khalid, *Le mariage chez-les musulmans en Syrie*. Geuthner, Paris, 1934.

٥ – مجموعات القوانين التي قوبلت بالشرع الاسلامي فيما يختص بالسلطة الابوية :

Girard, *Droit Romain*. Paris, 1924.

Code Civil Français, 1804, Dalloz, 1936.

Planiol et Ripert, *Traité pratique de droit civil français*. Paris, Librairie Générale de droit et de jurisprudence, 1925.

Colin et Capitan, *Traité Élémentaire de droit civil*. Dalloz, 1934.

الحق العائلي في الكنائس الارثوذكسية . طبعة الارشمندريت فوتيوس .
القضاء الماروني ، للخوري يوسف زياده . مطبعة المرسلين اللبنانيين ، جونية ١٩٢٩

ترى مما تقدم ان المصادر الاولية للفقه الاسلامي قليلة في مكاتب بيروت ، وهي تكاد لا تبلغ ربع المصادر المعروفة . فلا كتب الشيباني ، ولا الخصّاف ، ولا السرتاشي ، ولا قاضي خان وغيرهم ، قريبة المنال بالرغم من اهميتها . اما المؤلفات التي اطلعنا عليها فجافة ، لا يتيسر فهمها الّا لمن اعاد قراءة نصوصها

مرارًا ، وتعوّد فهم مصطلحاتها الغامضة وتراكيبها المعقدة ، فضلًا عن ان طبعها قديم لا يرضي عين القارئ ولا يوافق ما تقتضيه الطريقة العلمية الحديثة لنشر الآثار القديمة، من ضبط وتدقيق وتنظيم. ووددنا لو ان هذه المؤلفات تفرد فصلًا خاصاً للسلطة الابوية ، شأن المؤلفات الغربية ، فتسهل علينا مهمة التنقيب والجمع . ولكنها تتبع تقسيماً بعيدًا عن المنطق ، وتبعثر المعلومات تتفاً تتفاً في كل فصل من فصولها. فيضطر الباحث ، والحالة هذه ، الى ان يراجعها بكاملها فيقرأ المجلدات الضخمة ليستخرج منها المعلومات القلائل . وحبذا لو اهتم بعض الباحثين بوضع فهارس مطولة لها ، كما وضعوا فهارس للقرآن والحديث ، فتصبح قريبة المتناول ، جزيلة الفائدة ، ويتسنّى لمحتوياتها ان تظهر الى حيّز الوجود ، بعد ان كانت، خلال قرون طوال ، ولا تزال حتى اليوم، كنوزًا دفينة ، وآثارًا للفكر مطويّة. ان للفقه الاسلامي قيمة ذاتية جليلة، لما يتحلّى به من الشمول والتدقيق ، ولكنه لن يحتل المنزلة الرفيعة التي يستحقها بين الشرائع العالمية ، ما لم يقدر له من ينظمه تنظيماً واضحاً ، فيزيل عنه هذا الغشاء الكثيف ، ويلقي النور على منعرجاته المظلمة . ولا يسعنا الّا ان نشير لما كان لواضعي « مجلة الاحكام العدلية » وكتاب « الاحكام الشرعية في الاحوال الشخصية » من الفضل الجزيل ، من حيث انهم جمعوا الآثار الفقهية المتفق عليها ، ونظّموها في ابواب مختلفة ومواد مقتضبة ؛ ولكن عملهم لا يفيد المؤرخ افادته المحترفين لانه لا يسهل الرجوع الى المصادر القديمة.

ولم نعتبر مؤلفات كسبار والبستاني مصادر ثانوية بما لهذا الاصطلاح من معنى مألوف ، لاننا اخذنا عنها بعض النصوص القديمة التي لم يتسنَّ لنا اخذها من معينها الاصلي. فهي تنقل الاحكام القديمة نقلًا يكاد يكون حرفياً. غير اننا لا نستطيع ان نعلم مقدار امانتها في النقل، لانها لا تشير الّا الى اسم المؤلّف الذي تستند اليه ، دون اي ذكر للجزء والصفحة. ولهذا السبب لم نستخدمها الا بتحفظ.

اما المصادر الافرنجية فعديمة الفائدة. افضلها مؤلف (Clavel) وهو شرح لكتاب « الاحوال الشخصية » . والكتب الباقية دروس قدمت لنيل شهادة الدكتوراه في الحقوق ، وهي ابعد ما تكون عن الطريقة العلمية في الابحاث التاريخية

والاجتماعية . وقد جهل واضعوها ، فيما جهلوه من الحقائق الاساسية ، ان الشرع مختلف عن علم الاجتماع ، وان احكام الاول تستمد من النصوص الفقهية وحدها ، في حين ان الثاني يمكنه الاستناد الى جميع مظاهر الحياة . فاذا كانت غايتنا التفتيش عن الاحكام الشرعية ، فلا يجوز ان نعتمد مثلاً على كتاب « الاغاني » او ديوان البحتري .

وقد اجتهدنا ، في سياق هذا البحث ، ان نقابل بين الشرع الاسلامي وغيره من القوانين المشهورة ، فاخترنا الشرع الروماني لانه ساعد في تطوّر الفقه الاسلامي ونموّه ، والقانون المدني الافرنسي لانه من ارقى الشرائع المدنية في اوربة ولان بلادنا تتأثر اليوم به ، والشرع الكنسي الشرقي الذي يطبق على المسيحيين من ابناء هذه البلاد . ولكننا لم نرجع الى النصوص اللاتينية لمعرفة الشرع الروماني ، بل استندنا الى مؤلف مدرسي يعتبره العارفون ثقة في الموضوع ، وهو كتاب Girard ، ورجعنا الى القانون المدني الافرنسي بنصّه الاصلي ، ولمؤلفين شهيرين في شرحه . اما الشرع الكنسي ، فتعرفنا منه الى المؤلفين اللذين تعتمد عليهما المحاكم الشرعية المارونية والارثوذكسية ، لأن ما تعتمد عليه طائفة الروم الكاثوليك لاتيني اللغة ، ويؤكد المطلعون ان هذه الطائفة الاخيرة تستند الى احكام مشابهة لاحكام الطائفة المارونية .

نتبع في درس السلطة الابوية ترتيباً اصطلح عليه علماء القانون في الغرب لانه يوضح البحث ويلائم طبيعة الحال . وهو يقتضي تقسيم سلطة الاب الى سلطة على « نفس » ولده (Droits sur la personne) وسلطة على ماله (Droits sur le patrimoine) ولكل من هاتين السلطتين ، او « الولايتين » ، احكام خاصة . ولهذا فاننا لا ندرسها على طريقة واحدة بل نتتبع احكام الاولى في كل من الادوار التي يمر بها الصغير ، منذ الحبل به حتى بلوغه ، لان هذه الادوار تخضع لقوانين مختلفة . ثم نلقي نظرة شاملة على السلطة الثانية دون ما تمييز بين الرضاعة والحضانة وغيرهما ، لان احكام الولاية في المال واحدة في جميع هذه الحالات .

الباب الاول

احكام عامة في السلطة الابوية

أ- تحديد السلطة الابوية.

لم تعطِ الكتب الفقهية تحديداً عاماً للسلطة الابوية لانها تهتم عادة بالجزئيات الدقيقة اكثر من اهتمامها بالاحكام الشاملة. وعبثاً فتشنا عن شرح لكلمة «ولي» او لكلمة «ولاية»، فلم نعثر الا على جمل مقتضبة في «حاشية» ابن عابدين تحدد «الولي» لغةً وعرفاً، وتتهرب من التحديد الشرعي فلا تورد الا شروط الولاية. قال ابن عابدين: «الولي (بفتح الواو) فعيل بمعنى الفاعل. وهو لغةً بخلاف العدو، وعرفاً (اي في عرف اهل اصول الدين) العارف بالله تعالى، باسمائه وصفاته، وشرعاً البالغ العاقل الوارث»[1] وكل ما يمكننا ان نستفيده من هذا القول هو ان الولاية المقصودة فيه هي ولاية القريب على قريبه، لان الولاية في الشرع الاسلامي على نوعين: اختيارية واجبارية. تكون الاولى بان يختار حرٌ بالغ شخصاً يثبته ولياً عليه، وهي لا تحدث الا في ظروف نادرة، كأن تفوض البنت البالغة امر زواجها الى ولي تختاره «كي لا تنسب الى الوقاحة»[2]. وتكون الولاية اجبارية او «ولاية جبر» اذا حرم انسان من القيام ببعض التصرفات الا تحت اشراف انسان آخر يدعى الولي. وتثبت الولاية الاجبارية باسباب اربعة:

١ ــ القرابة والمراد بها ولاية الاب على الصغار، والكبار المجانين، وتكون القرابة بالعصبات والارحام.

٢ ــ الملك، والمقصود به ملك السيد لعبده.

٣ ــ الولاء، وهو قرابة حكمية حاصلة عن العتق او الموالاة.

٤ ــ الامامة، وهي ادخال القاضي في التزويج باعتباره نائباً عن الامام[3].

---

١) ابن عابدين ٢ : ٢٣٠

٢) ابن عابدين ٢ : ٢٢١

٣) ابن عابدين ٢ : ٢٢١ ؛ وقدوري، ٩٨ ؛ وملتقى الابحر، ١٦٦

فولاية الاب على ابنائه الصغار ، — « والصغار » في الشرع الاسلامي هم الـ mineurs في الشرائع الاوربية اي الـذين لم يبلغوا بعد — هي ولاية اجبارية ثابتة بالقرابة . ويجب ان نفرقها عن الولاء ، والايلاء خوفاً من الالتباس . فالولاء ، كما ذكرنا ، قرابة السيد لعبد اعتقه ، او لعبد اختاره سيداً لنفسه فربطتهما ، في كلتا الحالتين ، قرابة شرعية او « حكمية » . والايلاء هو الحلف على ترك وطء الزوجة ، ومدته اربعة اشهر للحرة وشهران للامة[1] .

اما التحديد الايجابي للولاية فعلينا ان نستخرجه من تنظيمها الشرعي واحكامها القانونية . فيمكننا ان نقول ان السلطة الابوية هي مجمل الحقوق والواجبات التي يعلقها الشارع بالاب او بمن ينوب عنه فيما يختص بتربية الصغار والعناية بنفوسهم واموالهم .

ويكاد هذا التحديد ان يوافق ما تعطيه كتب الحقوق الافرنسية . كلّ الموافقة اذ ان Colin et Capitant يقولان :

«La Puissance Paternelle peut être définie l'ensemble des droits que la loi accorde aux père et mère sur la personne et sur les biens de leurs enfants, tant qu'ils sont mineurs et non émancipés, pour faciliter l'accomplissement des devoirs d'entretien et d'éducation dont ils sont tenus.»[2]

ويقول Planiol et Ripert :

« La Puissance Paternelle est l'ensemble des droits et des pouvoirs que la loi accorde aux père et mère sur la personne et sur les biens de leurs enfants mineurs.»[3]

ومع ان هـذين التحديدين يختلفان بعض الاختلاف ، فهما متفقان في الاحكام الاساسية . اما اختلافهما ، فكون الاول يشمل بالسلطة الابوية « الحقوق والواجبات » في حين ان الثاني لا يذكر الا « الحقوق والسلطة » .

---

١) قدوري ، ٨٩ ؛ وملتقى الابحر ، ٦٥

٢) Colin et Capitant, *Droit civil*, t. I, p. 454

٣) Planiol et Ripert, *Droit civil*, t. I, p. 349

وبديهي ان تحديد Colin et Capitant اكمل من تحديد Planiol et Ripert لان للسلطة الابوية ، كما يقر هذا الاخير ، تحديداً شاملاً وتحديداً ضيقاً ، فالشامل يقتضي ذكر الواجبات ، والضيق يكتفي بتفسير كلمة « Puissance » تفسيراً حرفياً فيجعلها مصدراً للحقوق وحدها ، وذلك لان الشرائع القديمة — وكلمة « سلطة » ابوية مشتقة منها : « Patria Potestas » — منحت الاب حقوقاً واسعة وضيقت على الصغار حتى كادت تعطي لابيهم سلطة مطلقة عليهم[1] . فالتفسيران الافرنسيان متفقان اذن ، ولكنهما يفترقان عن التحديد الذي اعطيناه في انهما يمنحان الام سلطة الاب نفسها على ابنائها الصغار ؛ اما في الشرع الاسلامي فحقوق الام ضيقة ، تكاد لا تتعدى تربية الصغير في دور رضاعته وحضانته وتضمحل تماماً في الولاية على ماله . وهذا ما سنراه بتفصيل عند كلامنا عن درجات الاولياء .

اما القانون الارثوذكسي فيستعمل تعبير « السلطة الابوية » ويحددها قائلاً : « السلطة الابوية هي مجموع الحقوق التي للاب على اولاده من زواجه الشرعي او من التبني مدة استقرارهم تحت هذه السلطة » .[2] وقد اهملت الواجبات في هذا التحديد مع انها ذكرت بتفصيل عند تبيان علاقات الاب بابنائه .

اما موافقة لفظة « ابوية » لطبيعة الحال ، فموافقة تامة في الشرع الاسلامي لان السلطة على الابناء ممنوحة للاب دون سواه ، وحقوق الام قليلة كما ذكرنا آنفاً ، في حين ان علماء القانون الاوربيين يودون لو يزول تماماً تأثير الشرائع القديمة فتبدل السلطة الابوية « بالسلطة الوالدية » لان حقوق الام وواجباتها مساوية لحقوق الاب وواجباته[3]

٢ اساس السلطة الابوية .

منحت الشرائع العالمية جمعاء سلطةً للاب على الابناء ، ولكنها اختلفت في تحديدها لاساس هذه السلطة واسبابها . فالشارع الروماني يعتبر الابناء وابناء

(١) Planiol et Ripert, *Droit civil*, I, 350

(٢) الحق العائلي : ص ٥٦ مادة ٢٣٢

(٣) Pl. et Rip. I, 350 - Col. et Cap. I, 455

الابناء ملكاً للأب ، ويبني السلطة الابوية على اساس الملكية[١] . والشارع الافرنسي يعتبر السلطة الابوية مرتكزة على حق الابناء على ابيهم ، فهو ، والشرع الروماني ، فيما يختص بهذا الموضوع ، على طرفي نقيض[٢] . فالصغار لا يحسنون التصرف بمالهم كما انهم يحتاجون الى من يهذب اخلاقهم وعقولهم ويقدم لهم الغذاء والكساء . وقد وكلت مهمة تربيتهم والاعتناء بهم لابيهم وامهم لانهما اقرب الناس اليهم واشفقهم عليهم ، وعهد الى « المجمع العائلي » (Conseil de famille) بمساعدة الابوين ومراقبة اعمالهما ، كما عهد للمحكمة بحق التصديق على التصرفات المالية الهامة كالبيع والشراء والرهن ، فاذا ثبت ان الاب غير اهل للقيام بوظيفته وتقديم العناية الكافية المطلوبة منه ، انتزع القاضي منه سلطته واعطاها لغيره[٣] .

ولم نجد في كتب الفقه التي رجعنا اليها شيئاً صريحاً عن اساس السلطة الابوية . فنحن مضطرون ، والحالة هذه ، ان نستند الى مجمل الاحكام المتعلقة بالموضوع لنستخرج منها تفسيراً يوافقها . يقول السرخسي ان الولد « جزء » من الوالد[٤] ، وسنرى ان حقوق الاب في اموال ابنه حقوق واسعة جداً ، وان سلطته على ولده لا يحدها الا ما ورد في القرآن عن تحريم قتل الابناء ، وفي السنة عن طريقة تأديبهم . ومتى علمنا ان هذه الحدود ليست واضحة كل الوضوح ادركنا ان الشرع الاسلامي اقرب الى الشرع الروماني منه الى الشرائع الحديثة التي تعتبر ان للابن حقاً على ابيه لانه اعطاه الحياة ، ويبقى هذا الحق للابن طيلة المدة التي يحتاج بها الى من يعينه ويرشده ويربيه . غير ان الشرع الاسلامي لا يعتبر الابن ملكاً لابيه ، كالشرع الروماني القديم ، بل يعترف له بحقوق كثيرة ويفرض على وليه واجبات جمة يعاقب ان تحداها . ولهذا السبب يمكننا

---

١) Girard, *Droit Romain*, p. 143

٢) Col. et Cap. I, 454-455; Pl. et Rip. I, 350

٣) القانون المدني الافرنسي : المواد ٤٥٧ و٤٦٠ و٢٠٤٤ والقوانين الصادرة في ٢٧ شباط ١٨٨٠ و٢ ايار ١٨٤١ ، و٢٤ تموز ١٨٨٩ و١٥ تشرين الثاني ١٩٢١ وغيرها

٤) السرخسي ٢١ : ١٤

القول ان الشرع الاسلامي لا ينتمي الى اي من النزعتين الرئيسيتين في الشرائع العالمية فلا هو يعتبر السلطة الابوية حقاً للابن ، ولا هو يعتبرها حقاً للاب ، بل ان احكامه تستمد من هاتين النظرتين على حد سواء حسب موافقتها لكل من الادوار التي يمر بها الصغير حتى بلوغه . ففي طور الرضاعة والحضانة تغلب المسحة الحديثة في اثبات حق الابن وواجب الوالدين ، وفي الزواج والولاية في المال تسيطر النظرة القديمة اي توسيع حق الوليّ وتضييق حق الولد . وان هذه المرونة ميزة خاصة بالفقه الاسلامي قد تجعله — من هذا القبيل — مفضلاً على غيره من القوانين العالمية.

٣ مدى السلطة الابوية.

من المشهور عن الرومانيين انهم كانوا يوحدون العائلة تحت سلطة رجل فرد يسمونه « اب العائلة » (Pater familiias) ويعطونه سلطة مطلقة على جميع ابنائه وابناء ابنائه ، حتى اذا توفي استقل ابناؤه استقلالاً تاماً ولم يخضعوا لامهم او عمهم او قريب آخر ، بل اصبحوا بدورهم « آباء عائلة » ينعمون بجميع الحقوق التي كان ينعم بها والدهم قبل وفاته . ولم يختص الرومانيون بهذا التنظيم الصارم بل ان شعوباً كثيرة من التي عاشت قدماً في اوروبة وآسية ، كاليونانيين القدماء ، والكلدانيين ، والاشوريين ، واليهود ، عرفت هذه الاحكام وعاشت في ظلها زمناً طويلاً.

اما الاب المسلم فيختلف عن الاب الروماني بامرين رئيسيين:

١ — تنحصر ولايته باولاده ، ولا تتعداهم الى احفاده.

٢ — تنحصر ولايته على اولاده مدة صغرهم ، ولا تمتد على حياتهم كلها ، كما في الشرع الروماني ، بل تنتهي عند بلوغ الولد ، وقد تزول ولاية المال قبل البلوغ ، ان شاء الاب ان يأذن لابنه بالتصرف بامواله[1] . ولا يقع الكبار تحت سلطة ابيهم الا اذا كانوا « غير مكلفين » اي مجانين وسفهاء.[2] — « للاب ولو مستوراً ، الولاية على اولاده الصغار والكبار غير المكلفين ، ذكوراً واناثاً ،

١) قدوري ٧٧ ؛ وملتقى الابحر ١٧٢–١٧٣ ؛ والمجلة ٩٧٠

٢) كبار ص ٤٨٧ ؛ والاحكام الشرعية ، المادة ٤٢١ ؛ والمجلة ، المادة ٩٨٤

في النفس وفي المال ، ولو كان الصغار في حضانة الام واقاربها . »[1]

اما سن البلوغ، فتبدأ عند انتقال الولد من دور الصغر الى دور الرجولية ، حالَ ظهور علامات فارقة في جسمه . فاذا لم تظهر فيه هذه العلامات يعتبر بالغاً عندما يجوز سن الخامسة عشرة[2] . وسنعرض ذلك بالتفصيل في اوانه .

هذا فيما يتعلق بتحديد السلطة الابوية من حيث الاشخاص الذين تتناولهم والزمان الذي تبقى فيه فعالة . اما تحديد « مادتها » ان جاز التعبير ، اي اظهار الحدود التي يجب ان تنحصر فيها المدة المعينة ، فمطاطة ، تسيرها العادات (mœurs) اكثر مما يسيرها الشرع . ينص القرآن على ان الابناء يجب ان يطيعوا والديهم ويحترموهما :

« واخفض لهما جناح الذل من الرحمة ، وقل ربِّ ارحمهما كما ربياني صغيراً » .[3]

« وبالوالدين احساناً اما يبلغنَّ عندك الكِبَرَ احدُهما او كلاهما ، فلا تقل لهما أُفٍّ ، ولا تَنْهَرْهما ، وقل لهما قولاً كريماً » .[4]

ولم تَرَ الكتب الشرعية حاجةً الى الزيادة على ذلك لان الناس لم يخرجوا عن الطرق التي سنها لهم القرآن : وربما كان من اسباب هذه الطاعة ، ما وضعه القرآن نفسه من حدود لواجبات الابناء . فعلى الابناء ان لا يطيعوا والديهم في القيام بما ينافي وصاياه الدينية : « وان جاهداك على ان تُشرك بي ما ليس لك به علم ، فلا تطعهما ، وصاحبهما في الدنيا معروفاً ، واتَّبِعْ سبيلَ من أناب اليَّ ، ثم اليَّ مرجعكم فانبئكم بما كنتم تعملون »[5] . فمن خرج عن هذه الاحكام عاقبه الله في اليوم الاخير : « ان كان آباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم

١) الاحكام الشرعية ، المادة ٦٣٠

٢) قدوري ص ٤٨ ؛ ملتقى الابحر ، ص ١٧٣ ؛ الاحكام الشرعية ، المادة ٩٩٥ ؛ المجلة ، المواد ٩٨٥–٩٨٨

٣) القرآن : ١٧ [الاسرى] ٢٥

٤) القرآن ، ١٧ : ٢٤ . راجع ايضاً : ٢ : ٧٧ و ٦ : ٢٦ و ٦ : ١٥٢ و ١٩ : ٢٢ و ٢٢ و ٣١ : ١٢ و ٤٦ : ١٤ و ١٦

٥) القرآن ، ٣١ [لقمان] ١٤

وعشيرتكم... احبَّ اليكم من الله ورسوله، وجهادٍ في سبيله، فتربَّصوا حتى يأتي الله بأمره، والله لا يَهدي القوم الفاسقين»[١]. وحدّد القرآن كذلك سلطة الاب على نفس ابنه فحرّم قتل الابناء: «ولا تقتلوا اولادكم خشيةَ إملاقٍ، نحن نرزقكم واياهم. ان قتلهم كان خِطأً كبيرًا»[٢]. واهتم النبي بهذه الوصية، فجعلها في مصاف الايمان بالله والتوحيد: «يا ايها النبي اذا جاءك المؤمنات يبايعنك على ان لا يُشركن بالله شيئاً، ولا يسرقن، ولا يزنين، ولا يقتلن اولادهن... فبايعهنَّ واستغفر لهنَّ الله، ان الله غفور رحيم.»[٣]

غير ان العلماء المتأخرين لم يعاقبوا الاب القاتل ابنه معاقبة غيره من المجرمين العاديين. فحكموا انه اذا امر بقتل ابنه لزمته الدية «استحساناً» ولا يلزم القصاص، «وفي القياس يقتص منه»[٤] اما اذا قتل ابنه بنفسه فلا يُقتل. والجد، من قِبَل الرجال والنساء، وان علا، بمنزلة الاب. كما ان الجدة من قبل الاب والام، وان بعدت، والام نفسها، تعامل معاملة الاب. وعلى الاباء والاجداد ان يدفعوا الدية اذا قتلوا الابن عمدًا، في ثلاث سنين. وان كان الوالد قتل ولده خطأً فالدية على عاقلته. وكان في ورثة المقتول ولد القاتل، او ولد ولده، وان سفل، بطل القصاص ووجبت الدية[٥].

وللاب في تأديب ابنه حق يؤيده ما ورد عن عائشة قالت: «عاتبني ابو بكر وجعل يطعنني بيده في خاصرتي فلا يمنعني من التحرك الا مكانُ رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورأسه على فخذي»[٦] — وزاد علماء الشرع ان الاب، ان ضرب ابنه الصغير للتأديب، لا يضمن (على رأي محمد وابي يوسف) ويضمن (عند ابي حنيفة). وقيل رجع الامام الى قولهما. اما اذا ضرب

---

١) القرآن، ٩ [التوبة] ٢٤. راجع ايضاً ٤: ١٢٤؛ و٩: ٢٣ و٢٤؛ و٢٩: ٧؛ و٥٨: ٢٢
٢) القرآن، ١٧ [الاسرى] ٣٢
٣) القرآن، ٦٠ [الممتحنة] ١٢ راجع ايضاً ٦: ١٢٨ و١٤١ و١٥٢
٤) كسار: ص ٢٠٦ (نقلاً عن البزازية).
٥) البستاني: ص ٢٦٣ (نقلاً عن الكافي وفتاوى قاضي خان).
٦) البخاري، ٦: ١٥٥

الابُ الصغير للتعلم فلا ضمان اتفاقاً. ويحق للاب ان ياذن للمعلم بضرب ابنه. اما الام فتضمن ان ضربت ولدها. وان عدم الضمان بما تقدم يبطل ان لم يكن الضرب في المحل المعتاد والكمية والكيفية المعتادة. فلو ضرب الاب ابنه على وجهه او على المذاكير، ولو سوطاً واحداً، ضمن لانه اتلاف[1]. ولا يزاد الضرب على المحل المعتاد على ضربات ثلاث. ويجب الضرب باليد لا بخشبة. وقد روي عن النبي انه قال لمرداس المعلم: «اياك ان تضرب فوق الثلاث، فانك ان ضربت فوق الثلاث اقتص الله تعالى منك».[2]

كل التفاصيل التي سبقت تجمعها ميزة واحدة، وهي انها سلبية، تحرم على الاب القيام ببعض الاعمال. اما الاحكام الايجابية فقليلة جداً، لم نجد منها في الكتب الشرعية الا اثنين:

١ ــ من المستحسن ان يتزوج الرجل من امرأة تعينه على تربية اولاده[3]

٢ ــ يجب على الرجل ان يعتني بابنه ويقدم له النفقة «فمن جحد ولده وهو ينظر اليه احتجب الله عز وجل منه وفضحه على رؤوس الاولين والآخرين يوم القيامة».[4]

واذا قابلنا القانون الافرنسي بالشرع الاسلامي، وجدناهما متفقين في حصر السلطة الابوية بالابناء طيلة زمن صغرهم، ومختلفين في تحديد مدة الصغر، فالمحاكم الافرنسية لا تعتبر الولد بالغاً الا اذا جاوز الواحدة والعشرين[5]. ولا يحق للاب ان يتقاعس في تاديب ابنه، والّا انتزعت منه سلطته واعطي الولد لغيره[6]. وفي القانون الافرنسي ميزة خاصة لم يعرفها المسلمون قط، وهي ان

١) كبار: ص ٣١٨ (نقلاً عن الدر المختار).

٢) كبار ص ٣١٨-٣١٩ (نقلاً عن ادب الاوصياء).

٣) البخاري، ٦: ١٨٤-١٨٥

٤) النسائي، ٦: ١٧٩-١٨٠؛ وقدوري: ١٧؛ وملتقى الابحر ٧٤ و٧٥؛ والاحكام الشرعية، المادة ٣٩٥ و٣٩٦

٥) القانون المدني الافرنسي: المادة ٣٨٨

٦) القانون الجزائي الافرنسي: المادة ٣١٣ – والقوانين الصادرة في ٢٤ تموز ١٨٨٩ و١٩ نيسان ١٨٩٨

الاب يحق له ان يطلب من السلطات العامة ان تسجن ابنه ، ولا يحق للقاضي ان يرفض طلبه ، ولا ان يستوضحه عن اسباب هذا الطلب اذا توفرت الشروط الاربعة الآتية :

١ ــ ان لا يكون الولد قد تجاوز السادسة عشرة .

٢ ــ ان لا يكون له مال خاص .

٣ ــ ان لا يكون صاحب عمل .

٤ ــ ان لا يكون الاب قد تزوج مرة ثانية .

فاذا فقد احد هذه الشروط حق للقاضي ان يتدخل ويحكم في القضية كما يشاء[1] . وليس للام ان تجبر المحكمة على حبس ولدها حتى اذا توفرت فيه الشروط الاربعة الآنفة الذكر ، بل عليها ان تقدم طلباً خاصاً الى القاضي ، وللقاضي الحق ان يرفضه او يقبله او يعدله . واذا تزوجت الام سقط حقها[2] . ولا يسعنا الا ان نعترف هنا بتفوق القانون الافرنسي على الشرع الاسلامي ، فهو ، فضلاً عن الاحكام السابقة ، يؤسس مدارس خاصة يقبل فيها الصغار الفاسقون او المجرمون عوضاً عن ان يدكوا في السجن ، ويستطيع القاضي ان يأمر الاولاد بدخول هذه المدرسة حتى اذا لم يتقدم اليه الاب او الام بطلب في هذا الموضوع ، بل كان الطلب صادراً عن المدعي العام . ولمدارس المجرمين الصغار غاية تهذيبية تسعى الى صقل اخلاقهم وابعادهم عن الشر باللين لا بالارهاب .[3]

اما الشرائع الكنسية فلا تهتم الا بتحديد سن البلوغ . وقد ورد في الحق العائلي الارثوذكسي انّ « من لم يُكمل السنة الحادية والعشرين من عمره عُدَّ قاصراً »[4] . وفي الحق العائلي الماروني لا ترفع الولاية عن الولد الا في الثامنة عشرة اذا كان انثى ، وفي العشرين ان كان ذكراً[5] . والحق الماروني هو الوحيد الذي يفرّق بين سن البلوغ للانثى والذكر .

---

١) القانون المدني : المواد ٣٧٦ و٣٨٠ و٣٨٢

٢) القانون المدني : المادة ٣٨١

٣) القانون الصادر في ١١ نيسان ١٩٠٨

٤) الحق العائلي : المادة ٢٣٧ ٥) القضاء الماروني : ص ١١

٤ – من يتولى السلطة الابوية

تنهي هذه الاحكام الشاملة لجميع الادوار التي يمر بها الصغير بنظرة الى درجات الاولياء. ونلاحظ ان هذا الترتيب يختل في حالة زواج الصغير ويحل محله ترتيب آخر نذكره في حينه . اما الذين يحق لهم ان يكونوا اولياء على الصغير فنثبتهم في اللائحة التالية مرتبين حسب الاسبقية:

١ ــ الاب . فان كان الاب حياً يكون وحده ولياً على اولاده ، ما لم تُنزع منه ولاية.

٢ ــ الوصي الذي يوصي به الاب قبل موته.

٣ ــ وصي الوصي ، وليس لهذا الاخير ان يوصي بوصي ثالث.

٤ ــ الجد الصحيح ، اي ابو الاب او ابو ابي الاب.

٥ ــ وصي الجدّ الصحيح.

٦ ــ وصي وصيّ الجد الصحيح.

٧ ــ القاضي ، ان لم يكن احد من الاولياء السابقين في قيد الحياة او انتزعت منه سلطته.

٨ ــ وصي القاضي.

٩ ــ وصي وصي القاضي ، على شرط ان تكون وصاية القاضي لوصيه وصايةً عامةً.[1]

ولا ولاية للام على ابنائها ان لم تكن وصياً[2] . وكل ما تذكره الكتب لها من الحق انها «راعية على بيت زوجها وولده» ولا تستنتج لها من هذا القول حقاً واضحاً بل واجبات واضحة «... وكلكم مسؤول عن رعيته»[3]

وفي الحق العائلي الافرنسي ان ولي الصغير ابوه ما لم تنزع منه ولايته (واسباب انتزاع الولاية من الاب عديدة جدًا نذكرها في اوانها) وتعطَ لغيره. واذا مات او غاب حقّ للام ان تكون ولياً . فاذا توفيت انقطعت الولاية ولم

١) كسار ص ٤١٣– والمجلة: المواد ٩٧٦ و٩٨٢ و٩٨٦

٢) البستاني ص ١٦٦ (نقلاً عن المندية)

٣) البخاري ، ٦: ١٤٥

تتحول الى الجد ، بل تحولت اليه « الوصاية » لان شروط الوصاية صارمة ولا يحق للجد ما يحق للاب[1].

وفي الحق العائلي الماروني تكون الولاية :

١ ــ للاب.

٢ ــ لوصي الاب.

٣ ــ للاخوة ، الاكبر فالاكبر.

٤ ــ الجد.

٥ ــ العم.

٦ ــ ابن العم.

٧ ــ المربي.

٨ ــ القاضي يولي وصياً اميناً كفوءاً[2].

وتكون الولاية في الحق العائلي الارثوذكسي :

١ ــ للاب.

٢ ــ لوصي الاب.

٣ ــ للجد والد الاب.

٤ ــ للوصي الشرعي الذي يختاره الرئيس الروحي بناء على طلب انسباء القاصر وموافقة المختار والكاهن « وغيرهما من اهل الثقة والخبرة ».[3]

وليس للنساء (ما عدا الام والجدة) ولا للمصابين بالجنون والعته ، ولا للمحكوم عليهم بالسفاه والممنوعين من شركة الكنيسة والمشهورين بسوء السيرة او بفساد العقيدة ، ولا للصم والقاصرين والاكليريكيين ، ومن له حق للتركة او عليها ، ان يكونوا من الاولياء[4] . واذا وجد للقاصر اولياء كثيرون اشتركوا في العمل وتكافلوا ولم يحق لاحد منهم ان ينفرد بعمل الا باذن صاحبه وعلى مسؤوليتهما[5].

(للبحث صلة)

١) القانون المدني : المادة ٢٧٢ و٤٠٢ و١٥٠ . والقانون الصادر في ٣٠ اذار ١٩١٧

٢) القضاء الماروني : ص ١٠-١١ ٣) الحق العائلي : المادة ٢٤٠ و٢٤٣ و٢٤٤

٤) الحق العائلي : المادة ٢٤٥ ٥) الحق العائلي : المادة ٢٤٦

اخبار حلب وحوادثها

من السنة ١٨٥٥ الى السنة ١٨٦٥

اخذًا عن يومية المعلّم نعوم البخّاش

المخطوطة الوحيدة ، نشرها وعلق عليها

الاب فرديناند توتل اليسوعي

٣

[٣٨٢] ــ الاحد ، صار مطر وافر . ــ الاثنين ، رحت عرس مخائيل بن نقولا اليان وانبسطنا كثير .

– والسبت ، في ٩ شوال ١٢٧٤ ، في ٢٢ ايار ١٨٥٨

وسافر حنا دير اروتين الى بيروت . ــ والجمعة ، سمعنا ان في طلب للمشورة للسلطان عبد الحميد لان الموسكوب طالب الشروط منه فقصد يجمع من بلاده مقدار الف واحد لكي يشاوروهم ويكونوا من ارباب الخبرة وهكذا الله يقدم الخير .

– السبت ، في ٢٩ ايار ١٨٥٨ ، في ١٦ شوال ١٢٧٤

[٣٩١] ــ وسمعت دشروا يوسف هندي من ترجمة الفرنساويه لان قونصل الفرنساوي ارسل خلفه بالليل ان يروح ويطالع واحد من الحبس فتركها الى بكره ما راح فعزله وسمعت ان جرجي ظاهر طالع واحد بغير اذن القنصل فعزله .

[٣٩٢] ــ الاحد ، اولها رحنا المسليه ومراش وبليط وجرجي غضبان .

– السبت ، في ٥ حزيران ١٨٥٨ ، في ٢٣ شوال ١٢٧٤

وبديوا بالرسايل جرجي سالم ونعوم كبابه . والسعله زايده كثير للاولاد والى الكبار عامّة الجميع . الله يعطينا خيرها . اجانا يوميل سكر من البيرفين ٢ مندايات وارسلنا قنطار تنبك لمرعش ــ والاثنين سافر فرنسيس شوكتلي الى مرعش .

[٣٩'] ــ الجمعة ، اجا حنا حكيم من اسلانبول واستقام [فيها] ٢٢ سنة . وعيد قلب يسوع .

– والسبت ، في ١٢ حزيران ١٨٥٨ ، في ٣٠ شوال ١٢٧٤

واولها عرس بن الشماس لبنت العرقتنجي . والتراجين هندي وضاهر ما رجعوا لمراجعهم الى الان .

[٤٠'] ــ الخميس ، سافر كريخ لانطاكية وتعشيت بالعويجي مع بيت فرنسيس عجوري جات . وعزوز وتاجر وضوناته وصولا .

– السبت ، عيد غريغوريوس ارمن ، في ١٩ حزيران ١٨٥٨ ، في ٧ ذي القعدة ١٢٧٤

وهذه الجمعة هوا زايد ورمي التفاح عندنا بالبيت ورمي المشمش والكرز بالبستان لحد السبت ومات قسيس جبرائيل رباط .

[٤٠'] ــ الاحد ، وحنا ومراش وبليط ومقربيه الوضيحي لعند ضيعه عبطين ورجعنا مساء جبت رطل ٣ ــ والاثنين قريت ــ والثلاثا طالعت علق واستكرينا جحش الواحد ٧٤ والثاني ٥ وركب مراش ببلاش وكانوا الصياده من اول يوم منضفين[1] عتيق الوضيحي ورجعنا مساء رطل ٢ بني وبراق وانكليز صغار .

– السبت ، في ٢٦ حزيران ١٨٥٨ ، في ١٤ شوال ١٢٧٤

وارسلنا مكتوبين لالبيرفين والى فخر لاسلامبول ومرسيليا . ــ والاثنين ، ولدت وجابت صبي قبل المغرب بنصف ساعة مراة انطون دير اروتين الياس . ومات بوخير حمو مركوبولي صهر ميشيل صولا .

[٤٠'] ــ اربعا ، ماتت مريانا خاتون مدام باركر ودفنوها ــ والخميس ، مات نازي الحكيم وقبروه الجمعة .

– السبت ، مار توما في ٣ تموز غربي ١٨٥٨ ، في ٢١ ذي القعدة ١٢٧٤

وبديوا بالرسايل ضاهر واولاد سالم وصاجاتي جردان ــ والجمعة ، اجا مقدسي شكري تاجر ونزل بيت عمه زياره واولها سافر مدور ونصري خوري وحكيم مقدسي شكرالله حمصي اسعد وزلمته .

[٤١'] ــ الاحد ، مساء كنت معزوم لعرس ميخائيل صادر وما رحت كنت تعبان ــ والاثنين ، قعدوا عندي اولاد يوسف مشحور بنت وصبي .

---

١) كانوا قد اصطادوا كل ما كان موجودًا من السمك

– والسبت ، في ١٠ تموز ١٨٥٨ ، ٢٨ ذي القعدة ١٢٧٤

وصار مثل هرا اصفر تصفرن وتوشيم ونطق وسهال لكن على خير وسلامه . ومن الجملة [مرض] صادر العريس وبنت فتح الله جهامي كابلكه وسوسه بنت الياس كبابه .

– والسبت ، في ١٧ تموز ١٨٥٨ ، و٦ ذي الحجة ١٢٧٤

[٤١٢] ــ وسمعنا بجده قتلوا كل الافرنج ما عدا بن امير ابن الحكيم سلم من القتل . وبكريد صار من الاسلام نصارى عده ٥ وتقاتلوا مع الاسلام في البلد اي كريد فقاموا النصارى الذي تنصروا قتلوا الاسلام يكون معلوم وباسلامبول صار فزلكه لولا يلحقوها صار خراب عظيم باسلامبول . والهراء كل هذه الجمعة زايد كتير كتير ودخلنا نمنا بالبيوت ليله الثلاثا كل الناس . ومعوض بطل عن المكتب وصار دكانجي عند ويبر الانكليزي السنة بالف ٤ يكون معلوم .

[٤١٣] ــ الثلاثا ، عيد الله اكبر والاسلام مزربنين[1] وكانوا رايحين يقوموا

١) ان المسيحيين رعايا السلطان في حلب لا يزالون عائشين في حالة الخوف . ولا يمكن ان نفسر ذلك الا برد فعل طبيعي بعد ما قاسوه منذ تسع سنوات من الشدائد والا فلا ارى كيف تكون احوالهم اسوأ من احوال سائر الشعوب المسيحية التي تعيش في المدن التركية التي لم يقع فيها ما وقع في حلب . على ان حوادث كحوادث ١٨٥٠ عبر نسيانها . بيوت خربت ، ورجال من عيون قومهم قتلوا ، نساء هتكت اعراضهن . فلا عجب ان يحاول من كانوا شهوداً عياناً لتلك الفظائع ان يحجبوا عن الانظار اموالهم ويمنعوا عيالهم عن الخروج ما وراء حدود الاحياء المسيحية . قبل الاحتلال المصري سنة ١٨٣٢ كانوا مصيبين في التشكي من شواذات عهودها سابقاً والنبت : كان ممنوعاً عليهم ركوب الخيل في البلدة والتنزه في البساتين وكان تجارهم الاغنياء يضطرون الى ارتداء ثياب رثة لئلا يستلفتوا الانظار فيسخروا في اعمال مشينة كتكنيس الطرقات او حراسة الابواب لكي يؤدوا برهاناً على خضوعهم وطاعتهم ، ولا يصافحهم او يكلمهم مسلم من المسلمين الا بالتحقير . ان المصريين عاملوا المسيحيين غير تلك المعاملة ولم يتجدد من ثم ظاهراً شيء من تلك الشواذات المشينة من جانب المسلمين بعد خروج المصريين من البلاد ، لكن بواطن القلوب ، على ما ارى ، لم تتغير الا قليلاً او لم تتغير البتة . ان المسيحيين يقولون ان الجديد لم يحدث الا سطحاً ولا يتفكون يتكلمون عن نهب وقتل عتيد ان يأتي عن قريب في كل فرصة سانحة « لتزرين » المسلمين في اعيادهم ومواسمهم . (انتهى)

يقول الناشر : ان هذه الاخبار قد استقاها القنصل سكيني من الناس . وانما تتفق مع

الاربعا والخميس هكذا سمعنا والفزلكه باسلامبول لاجل ان ما ختم مرسل العصلي بباريز للدول كان هذا السبب وبعده ختم وانقضت.

– والسبت ، في ١٤ ذي الحجة ١٢٧٤ ، في ٢٤ تموز ١٨٥٨

والسبت ، بدي هزاز يكتب وبديوا يبلطوا غلاقة كنيسة السريان جنب العراميد القرنة كلها.

[٤٢١] ــ الاحد ، ما رحت لمكان بل كنا وخفانين من قومة البلد ومرعوبين لان بطرس الطويل سب الاسلام بالبياضة وقال دين محمد مات والنصارى بدهم يقتلوا المسلمين وبده يدق الناقوز وهو من الاسلام والمذكور جانن ومغير عقله وحملت غلي[1] ــ والاثنين كذلك والثلاثا كذلك واناس بديوا ينقلوا الباش[2] للمدينة وصناديق ومصاغات يكون معلوم ــ الاربعا ، هديت وحبسوا بطرس الطويل وركنت الدنيا ــ اولها شاوروا يوسف شوكتلي الى بنت نعوم غزاله غره وما كان احد معزوم يكون معلوم.

– السبت ، في ٢١ ذي الحجة ١٢٧٤ ، في ٣١ تموز غ ١٨٥٨

ــ والجمعة ، سافروا لعند عمر باشا لبغداد ٤ فرناويه كانوا نازلين خيم في الحجازي . ووصلني خلعة عبدالله سالم طاقة بيضا زمام ومنديله لفافه.

[٤٢٢] ــ الاحد ، ضرب عبدالله بن شكرالله صايغ بن البردخجي بالفرد وصابه بوجهه وارادوا يسركلوا بن صايغ لكلز يوم ٢٢ وتعرض المذكور ــ والاربعا ، غط وانهزم وحبسوا ابوه مكانه بالصرايا يكون معلوم . وعندنا اخذوا ثوب جيت دبروا المخدات على عيدي وغير اشيا والبلد يعني[3] احسن من اول ــ والجمعة ، عيد التجلي ودرت عيدت والبلد مشوشه وسمعنا ان بصر

اخبار البخاش كأن احد الكاتبين كان مصدرًا للشافي . فهل يكون البخاش في تردده على القنصل البريطاني يخبر ويستخبر ؟ – ان امر ارتداء التجار ثيابًا رثة لاسفارهم معروف ولعل تلك العادة لا زالت جارية الى ايامنا فترى ان الحاليين لا يعتنون بلباسهم في السفر وحين هندامهم كما يهتم غيرهم بذلك من المسافرين في القطار الحديدي.

١) حملت غلي اي اثارت الاضطراب

٢) اللباش او الامتعة

٣) يعني اي نوعًا ما

بجامع الازهري انوجد اناس مسلحين مقدار الف . وباشة مصر صار له خبر فكبس الجامع ومسك الف ١٠ ومنهم بحرهم ومنهم حبسهم والمشايخ شنق ثلاثه وقتل اربع وبعد نعرف كيف صار . لان ما لي خبر شافي[1] وبيروت مزربنه وسمعنا طلب من الشام نظام بعد نعرف .

– السبت ، في ٧ آب ١٨٥٨ ، في ٢٨ ذي الحجة ١٢٧٤

ـــ والسبت، ولدت مراة حنا دير اروتين قبل المغرب جابت بنت ـــ والجمعة اجا نصرالله مراش من السفر واجا فتح الله بن نعوم عبجي من عين تورا ـــ والثلاثا خلص تبليط الكنيسة للسريان كلها ما عدا الرخام بالوسط .

[٤٢] ـــ سمعت ان بطرابلس مسلحين الاسلام ونزل من بيروت ليثبت قونصل [Lesseps] الفرنساوي ومعه انفار هدوا الناس وبالشام سمعنا كسروا الناقوز والبطرك انهزم . ـــ والثلاثا ، اول محرم ١٢٧٥ سنة مباركه ورجع اجا صايغ وقعد بطرس دير اروتين بن يوسف وكزه بنت اختي كتر المرحومة جايين العيله كلهم من ادنه ومن ترسوس لكي يحضروا عرس انطانيوس وثابت ـــ السبت ، البطرك اخذ معه بدله عتيقة وبدلة ثياب عتيقة وكتب ورقة انه تنازل عن البطركية وانهزم للجبل وقال اسمه قس بطرس .

في ٥ محرم ١٢٧٥ ، في ١٤ آب ١٨٥٨

واجوا اولاد العبديني من ادنه .

[٤٣] ـــ الاحد ، ماتت مراة الضاهر ام الياس ضاهر الله يرحمها ما طولت يوم ١٠ . ـــ السبت، ارسلنا مكتوب لالبيرفين مع صره ليره عدد ٥٠ فرنسا ـــ والاثنين ، دفعت لمراة كوبا ٥٢٠ غرشاً جينكوه ٢٠ سمر ٢٦ من كرا الحوش والسبت مات فرنسيس كنيدر الله يرحمه .

في ٢١ آب ٥٨ في ١١ محرم ١٢٧٥

ويوما اجا ناظر الاوقاف كتب اسمي وعدد الاولاد وكيف آخذ منهم وشاف الرزاية [التي كتبت عليها] فاتحة وما اعلم لماذا بعد نعرف عنيا وسمعنا

١) ما لي خبر شافي . هذه العبارة دليل على صدق البخاش فلا يؤكد الا ما تأكده بنفسه وما دون ذلك فيرويه على علاته .

في اسكندرية مصر في وبا وله سنة ٣٢ قاطع من هذه الديار والان ظهر هكذا قالوا وسركلوا بطرس الطويل وواحد اخر نصراني واسلام ٢ الى روم قلعة ايام طويلة.

[٤٣ʳ] ــ السبت سمعنا هدم ثلاث ارباع جده وشنقوا القاضي من بيضه واحدى عشر نفر اعيان شنقوهم بصاري المركب . واخذوا لاطوساق (؟) مقدار عدد ٤٠ نفر هكذا سمعنا قصاصهم لاجل انهم قتلوا القناصل الافرنج من جمع عده ٧ اخذوا التار وبعد نعرف.

– السبت ، في ٢٨ آب ١٨٥٨ ، في ١٩ محرم ١٢٧٥

واجا الاربعا حنا خوكاز من بيروت ولحق العزيمة لبيت عمه زلعوم عزيمة العروس ــ والخميس ، سافر مخايل بن اخت الخوري الى كاز وام مرته وكتبت ورقة لمطران يوسف تصليح من كتاب المقدس للكنيسة السريان مشق للتعليق . ولوسيا كوبا مراة شتمان جابت صبي الجمعة وكتبت صورة سيدة النجاة لكنيسة السريان وقف للسيدة بن يوسف نصره في ٢٣ آب ١٨٥٨ ــ والاربعا اجت مراة شكرالله تاجر من الغربة هربت من وقت النهيبة [١٨٥٠] الان رجعت .

[٤٣ʳ] ــ الاحد ، تغديت عند فرنسيس عجوري والمذكور رمدان وخطبة بنته الى شكرالله ابن نعوم بخاش وبعده رحت العزيمة الى سبرع بن زلعوم ورحنا العشا نقشة بنت نعوم غزاله الى يوسف شوكتلي وتعشينا وبعده ودينا العروس. الاثنين العرس وفطرت وبعده الكليل وبعد الكليل سخنت ومساء رحت عند الحكيم قال فصاده واهلي بيت اختي وجارتنا مريم فستوك دبرتني . واجوا س ٣ خواتي والثلاثا علق ١٥ باب الخاتم والاربعا احسن والخميس احسن وشربت ملح ترطيل درهم ١٢ والجمعة مساء راوند درهم نصف وملح درهم ١[1] ــ والسبت ، الحمد لله كيفي احسن . وارسلنا مكتوب الى البيرفين فرنك ١٠٠٠ والى اسلامبول الى بيت فخر وجاب جبرا ارز رطل ٥ من الاتي من مرعش .

١) هذه التفاصيل لم نحذفها من المتن لما فيها من فائدة عن طريقة التطبيب في تلك الايام

في ٤ ايلول ١٨٥٨ ، في ٢٦ محرم ٧٥

والسبت اخذنا فستق رطل ٧ غرش ٢٢ .

[٤٤'] ــ الاثنين قعدوا عندي اولاد فتح الله شمراوي وبدي يكتب اخو جبرا بليط .

ــ السبت ، ١١ ايلول ١٨٥٨ ، في ٣ صفر ١٢٧٥

[٤٤'] ــ الثلاثا ، رحت عزيمة جات مع بيت كوبا بستان الزيحاوي وكان جنو نعُوم وعقيلته واجا رزق الله جهامي بعد الظهر وبعده قسوس ٢ حكما روفايل ولويس[1] . ــ الاثنين ، سناني عمال يوجعوني والى الخميس والجمعة احسن على ملح العادة وملح البارود وصفة الجدّ . السبت اجا وكيل البطرك انطون سمحيري ومعه اولاده ونزل بيت الضاهر . والباشا اجا الاربعا . والاثنين سافر عمر باشا[2] باشة الذي قبله .

---

١) كلاهما من بيت الحكيم

٢) في الصفحة السادسة من مقدمتنا على اليومية لم نذكر عمر باشا في لائحة ولاة حلب على ذلك العهد . فهل يكون عمر ذات الحاج كامل؟ ومن المعروف انه كان للاتراك اسماء متعددة او هل غلط البخاش فيما كتب ؟ ولم نجد ذكرًا « لعمر » في سجل القنصلية البريطانية وقد وصف فيه القنصل سكين الباشاوات الثلاثة الذي تعرف اليهم في حلب فكتب في ٣١ مارس سنة ١٨٥٩ .

«محمد رشدي باشا ، والينا الحالي ، رجل ذكي الفؤاد ، لين العريكة ، نشيط ، مفكر ، عامل ، رابط الجأش ، حزوم . لكنه عنيد ، مستبد برأيه ، ولا اعرف تركيًا اشد كراهةً منه للثقافة الاوربية .

ان محمد رشدي باشا هو ازهد الباشاوات نفسًا ولا يلومه احد من الناس في الشهباء على نقص ما ولكن النتيجة الواقعية من حكمه لا تناسب المقدمة التي ذكرناها . من المدهش ان محمد باشا مع كون طبعه يخالف كل المخالفة طبع سلفه الحاج كامل باشا حاكم ازمير في يومنا ومع كون طبع الحاج كامل يخالف ايضًا كل المخالفة طبع سلفه مصطفى اشقودرولي الذي ارسل مؤخرًا واليًا على جدّه فالادارة في حكم الولاية لا تزال تسلك الطريق ذاتها التي سارت فيها بين جمود ورشوة مهما يكن من امر تغيير الولاة وتفاوت تراهتهم في التدبير . قد أفسر هذه الحالة بوجود الاعيان وتأثيرهم المتزايد في شؤون الحكم . فلا يأخذ الباشا على عاتقه مسؤولية تدبير الامور ولو تافهة ولا يبت بامر وينفذه الا بعد استشارة المجلس . لقد قللوا من عدد اعضاء المجلس وخطوا في سبيل الخير خطوةً مستقيمة فتتلص بذلك قلل الاعيان لكن

– السبت ، في ١٨ ايلول ١٨٥٨ ، في ١٠ صفر ١٢٧٥

والجمعة اجت التفنكه من مرسيليا من عند مارون التاراس فرنك ٤٥ سعر ٤٤ ٤ الفرنك.

– السبت ، في ٢٥ ايلول ١٨٥٨ ، في ١٧ صفر ١٢٧٥

[٤٤'] ــ والثلاثا ، سافر قس حنا ومعه الاولاد الى دير الشرفة والمذكور نايب بطريركي بطرك انطون سمحيري والباشا طلب البدليه[1] من النصارى.

[٤٥'] ــ الاحد ، عرس بن التركماني لبنت غابو الموصلي انطون ــ الاربعا ، قعد عندي بن الياس خليل وابن قندلفت الارمن عجم وابن مخايل جنبرت.

– السبت ، في ٢ ت الاول ١٨٥٨ ، في ٢٤ صفر ١٢٧٥

والنجمه للان زهرانه ما راحت.

– السبت ، في ٩ ت الاول ١٨٥٨ ، في ١ ربيع الاول ١٢٧٥

[٤٥'] ــ انتها ٣١ وابتدا ٣٢ سنة لافتتاحي المكتب سنة مباركه الله يحينا لامثالها بجاه اسمه العظيم.

[٤٥'] ــ الاثنين ، اجوا الحجاج لاجل ضرب التفنك مسك الباشا مقدار ٣٠ نفر وبعده اخذ مقدار ١٤٠ وبعده بكفاله طالعهم وانعزمت لعرس عازار وابن اختي انطانيوس ــ والجمعة ، مات بن ميتاك عمره شهر ٥ وبطل عرس عازار.

– السبت ، في ١٦ ت الاول ١٨٥٨ ، في ٨ ربيع الاول ١٢٧٥

واجا صافي القطن بخسارة ٢٥٠ وطالعها الى البير فين.

[٤٦'] ــ انعزمت الثلاثا لعرس انطانيوس عازار . والخميس مات الياهو

نفوذهم وتأثيرهم السيء. لا يزال حائلاً دون سير الاعمال الحثيث . . . ان حالة عامة الشمال السوري تصور صورة تركية كما كانت سابقاً لا كما اصبحت في سائر البلاد العثمانية . فان سلطة السلطان ممثلة بحاكم يعبر ختم التنفيذ غيره وفي الامر الواقع ان الادارة الحقيقية كلها في ايدي الاعيان او البكوات وهم على عاسدة وخاصة متداومة في اجم يفوق غيره جاهاً ونفوذاً. وهب ان للوالي الاخلاص لواجب الوطنية فهو عاجز عن القيام به.

١) راجع الحاشية على الضرائب فيما بعد [٥٣']

بجوتو وقبروه بالكنيس .

– السبت ، في ٢٣ تشرين الاول ١٨٥٨ ، في ١٥ ربيع الاول ١٢٧٥

والاربعا مطر وافر وسافر حبيب سالم الى ملطية يكون معلوم.

[٤٦ʿ] ــ الاحد الساعة خمسة وحت عرس انطانيوس عازار وجبنا العروس.

– والسبت ، في ٣٠ ت الاول ١٨٥٨ ، ٢١ ربيع الاول ١٢٧٥

والنجمة غطت وانور بولص اولها خطب الى كارولين مرتين وقالوا الخميس العرس هكذا سمعت وكتبت صورة مريم العذرا لكنيسة السريان وفرقوا بيت الحمصي لحم العجين وكرابيج للفقراء . وانتقلوا بيت جنبرت الى حوش خوري باسيليوس صعب وبطلوا بنات سالم وراحوا لمدرسة البنات وارسلنا مكتوب طلبت اشياء من البر فين: سكر وقهوة وغيره واجا صعب ونعوم بجّاش من الشام.

[٤٦ʿ] ــ الاحد ، مساء كان عرس اولاد فتح الله اروتين.

السبت ، ٦ ت ت ١٨٥٨ ، في ٢٨ ربيع الاول ١٢٧٥

وولدت بنت عزوز مراة رزق الله بجّاش وجابت بنت.

[٤٧ʾ] ــ الاحد ، كانوا عندنا بيت اختي والعروس مراة انطانيوس وتغدينا مقادم وكبة ورز حلو ــ الثلاثا ، اجت بنت السالم لويزا . ــ السبت، صليت ، عند الروم بالشرعاسوس.

في ١٣ ت ت ١٨٥٨ ، في ٧ ر ت ١٢٧٥

وكتب فرض الالام عندي ارسلوهم لكي اكلهم واصلحهم وهم بخط القس يوسف اسلامبوليه . واجانا حطب قنطار نصف بسعر ٦٠ ق وفرمنا بقية التنون كله مشروب الهنا..

[٤٧ʿ] ــ الاحد ، اولها رحنا صبحية بيت العجوري فطرنا جوكولاطا واولاد الظاهر انطوناكي وفتح الله . ويوما نبهوا على غفران الجيوبيليوم عندنا وعند الارمن ، [لكن] الروم والموارنة لا . ويوما عرس بطرس الحمصي لبنت عمه روزين ــ والجمعة اجا جنتار نمساوي من بيروت ضربوا له طراب ١١ وملاقيه كل القناصل والتراجمين واليسقيه ونزله كويسه وانا ما تفرجت وميخايل بن جبرا عرقتنجي مريض... وانتقلوا بيت حنا صايغ الى حوشهم بحارة تقلا .

– والسبت ، في ٢٠ ت ت ١٨٥٨ ، في ١٤ ر ت ١٢٧٥

واجت اخت غزالــه مع اخوها أميليا وبدي يكتب اجير زخور صاجاتي وكتبت مكتوب ٢ الى اصفر والجد ويهنان . والخواتم اجو من باريز كويسات كتير ورحنا صبحية . . . ودرنا كل الباسيلية ــ والاثنين قصان ٤/١٥٠ منشاني[1].

[٤٧٢] ــ الاحــد ، سيدة النجاة ودخولها للهيكل وغفران اجيوبيليوم غربي ــ الاثنين ، بدت تقرا مراة دير اروتين ــ الاربعا ، مات ميخايل خوري الله يرحمه وقبروه ــ والجمعة ، اخذت بخاطرهم.

– والسبت ، في ٢٧ ت ت ١٨٥٨ ، في ٢١ ر ت ١٢٧٥

والسبت سبوع بطرس حمصي الاحــد اولها ورشوحات زايده في كل الناس مرشحين كأن من قبل نجمة ام الذنب وبيس زايد ما في مطر.

[٤٨١] ــ الاربعا سافر الجنتار النمساوي الى بيروت.

– السبت ، في ٤ كانون الاول ١٨٥٨ في ٢٨ ر ت ١٢٧٥

وخفض دكان بقيسرية الزبال وقتل واحد دفنوه عمره ١٧ الله يرحمه وينجينا من ذلك. والاثنين بدي يكتب ابن يوسف خاطي ومات نصري تاجر الله يرحمه.

– السبت ، في ١١ ك الاول ٥٨ ، في ٦ ج ١ ١٢٧٥

[٤٨٢] ــ وارسلت مكتوب الى بقجي مع تركماني واجا عبدالله اسيون من اسلامبول يوم الجمعة ومطر ما في ابدًا.

– السبت ، في ١٨ كانون الاول ١٨٥٨ ، في ١٣ جمادى ١ ١٢٧٥

[٤٨٣] ــ وانا صمت ان اراد الله بكــل ــ والجمعة اجا قس حنا وكيل البطرك من الجبل ــ والاحد اولها اجا حبيب سالم من عينتاب.

[٤٩١] ــ الاربعا ، توفي نصرالله مراش رفيقنا بالصيد والعصر مراة يوسف دير اروتين نفسا وولدت وماتت هي والصبي الله يرحمهم.

– السبت ، في ٢٥ ك ١ ١٨٥٨ ، في ٢٠ جمادى الاول ١٢٧٥

وقرضت الى الفلاح براهيم كفرديراني ليره مجيديه عده ٢ وكل الجمعة مطر مبحبح.

---

١) من اجلي

[٤٩٢] ــ الاثنين ، بديت تقرا مارو بنت الصاجاني ويكتب بن عزوز ــ والاربعا ، اجا سوكياس واجا خبر بن الياس اسود من كلز كيف مات بعد نعرف.

– والسبت ، راس السنة غ ١٨٥٩ ، في ١ ك ٢ في ٢٠ ك ١ ش ١٨٥٨ ، في ٢٧ جمادى الاول ١٢٧٥

ان شاء الله سنة مباركة وفايدة الخيرات ومدرة السرور والبركات .

[٤٩٣] ــ الاربعا ، بديت تقرا ميليا مراة فرنسيس.

– السبت ، في ٨ ك ٢ سنة ١٨٥٩ ، في ٤ ج ٢ ١٢٧٥

والسهره بيت الدلال كل الجمعة .

[٥٠١] ــ اولها تغديت بيت نعوم سالم مقادم ــ الاربعاء تعد يوسف سوكياس عندي ــ الخميس رأس السنة شرقي.

– السبت ، في ١٥ ك ٢ ١٨٥٩ ، في ١١ ج الثاني ١٢٧٥

والسهره عند ظاهر. والخميس واجهت مطران يوسف مطر بالبيت عندهم.

[٥٠٢] ــ الخميس ماتت اخت يوسف هندي الله يرحمها . واولها الاحد ، كان هوا بارد شي. يلخ الوجه وقالوا زلق بن سنان ومات ــ والجمعة اجا شماس المطران يوسف مطر كتب سطر مشق.

– السبت ، في ٢٢ ك ٢ ١٨٥٩ ، في ١٨ ج ٢ ١٢٧٥

وارسلنا مكتوب الى فين وموسى التاراس وسهرت الخميس بيت نعوم اسيرن واجا الورق والكوكرت من البير فين [من مرسيليا].

[٥٠٣] ــ الاثنين غيم وبديت تقرأ مريم كرباج.

– السبت ، في ٢٩ كانون ٢ ١٨٥٩ ، في ٢٥ ج ٢ ١٢٧٥

والخميس اخذت قنطار حطب ٥٧ ونصف . ــ الاثنين ، غيم وهوا وما ثلج قليل. ــ الثلاثا ، هوا وبرد وثلج قليل. ــ الاربعا ، صحو رايق. ــ الخميس ، صحو رايق . ــ الجمعة ، غيم وبرد وماء ثلج قليل . ــ السبت ، غيم وهوا وبرد فقط.

[٥١١] ــ الاثنين ، بديرا بالرسايل بطق وغزاله وبطرس ودير اروتين وصايغ.

– السبت ، في ٥ شباط ٥٩ ، في ٢ رجب ١٢٧٥

واحترقت بنت الكبابه رزق الله عمرها سنة وشي ، الله يشفيها. غزاله نعوم مريض وارسلنا كتب ٢ الى التاراس وفين والسبت هواء بارد .

[٥١٢] ــ الخميس ، قونصل الفرنساوي بنتي يوليو[1] صار جنتار بيروت.

– السبت ، في ١٢ شباط ١٨٥٩ ، في ٩ رجب ١٢٧٥

واخذت مشط عظم ٢٤ .

– السبت ، في ١٩ شباط سنة ١٨٥٩ ، في ١٦ رجب ١٢٧٥

[٥١٣] ــ وغزاله وشوكتلي باسيل ومريم كرباج مرضا .

[٥٢١] ــ الاثنين ، بدي يكتب بن جبرا غزال حبيب. وطلب المطران كمالة الايجار زوده عن عام اول ٢٠٠ وقالت مراة كربا ادفعها الخميس دفعتها ١٩٢ .

– السبت ، في ٢٦ شباط ١٨٥٩ ، في ٢٣ رجب ١٢٧٥

وبديوا بالرخام بكنيسة السريان يبلطوا تحت الخوروس ومراة الازرق جابت صبي بنت كبابه ومراة نزوري هلال صبي.

– السبت ، في ٥ اذار ١٨٥٩ ، في ١ شعبان ١٢٧٥

[٥٢٢] ــ والثلاثا ، مراة الازرق جابت بنت بنت الكورنلي وخميس السكارى مع المجروش بستان العريجي وكان حنا سالم ووكيل نصري ، وشمراوي انطون ، وابن العبجي . وكتبت بالنهار الفوطة الى جرجي ابراهام وسوسه كربا جابت صبي.

– السبت ، مار افرام ١٨٥٩ ، في ١٢ اذار غ ، في ٨ شعبان ١٢٧٥

[٥٣٢] ــ وخلصوا ساط التاني الصدراني وباقي الوسطاني في كنيسة السريان ومات نعوم مشحور الثلاثا نزل خناقي الله يرحمه.

[٥٣١] ــ الاثنين ، بديت تقرا مريم كرباج وقعد عندي بن توتل ــ الاربعا ، سافروا المقاسه وطلعوا ملاقيه الى قونصل الفرنساوي ما اجا . ــ

١) وفي ٣١ مارس منها كتب القنصل سكين نومف بنتيفوليو قائلًا انه رجل يذكره زملاؤه التناصل بالخير وكذلك سائر الحليين ويأسفون لسفره فانه كان يتعاطى شؤون القنصلية الافرنسية بروح السلام والحزم وعدم محاباة الوجوه . (نمره ١٨)

الجمعة ، قالوا ان صار ميري[1] على الذبيب بالمئة ٢٠ وطلبوا الترابيه معامله على الجديد قمري ٥ والطي ٦ ليره ١٠٠ ، مجيدي ٢٠ يكون معلوم.

[٥٣] ـــ قعد عندي اولاد كوسا باكلهم وشربهم وكراءتهم وسالمه بدي يكتب . ـــ والاربعا ، سافروا حمصي وضاهر فتح الله الى القدس.

---

١) كتب سكين القنصل البريطاني في الوثائق المذكورة سابقاً : البدلية العسكرية هي ضريبة ثقيلة على عاتق المسيحيين لا لمبدئها وهم يقرونه ولكن لتطبيقه فيتشكون منها اذا اخذت منهم في السنين التي لا يعبر فيها القرعة للتجنيد بينما المسلمون معفون من الخراج . ويشكون ايضاً من عدم التوازن في تقاضي الضرائب من المدن . فكان الخراج في حلب يبلغ ١٠٠٠٠٠ غرش في العام بينما المبلغ الذي يتقاضونه عن البدلية مجموعه ٢٤٠٠٠٠ غرش مرتب دفعه على ١٥٠٠٠ مسيحي و٤٠٠٠ يهودي « بدلاً » عن ٤٨ عسكرياً كل عسكري نفقته ٥٠٠٠ غرش . . .

الرسومات او الضرائب على مواد الموازين والمقاييس وعلى غير ذلك من المبيوعات سوى التتون يبلغ مجموع ما يتقاضى عنها ١١٣٠٠ . والترابية هي ضريبة ١٥ بالمئة على البيوت ويبلغ مجموع ما يتقاضى عنها ٨٩٠٠٠٠ غرش وكلا المبلغين مضروبان على سائر طبقات الناس في حلب ولا ظلم في وضعها ولا في طرق جمعها . على ان الترابية لا يخلو طلبها من بعض النقائص فانها لا تجمع على طريق الالتزام شأن المرسومات والمواد الكمركية لان مشايخ الحارات يطالبون بها سنوياً وسلفاً . وهؤلاء الموظفون لا يحجمون دائماً عن ضرب البيوت المسيحية بضريبة تجاوز ما يترتب عليها نسبةً لقيمة الملك بينما انهم يخفضون الضريبة دائماً على املاك اهل طائفتهم . على ان سواد المسيحيين الاعظم يقيم في احياء خاصة ، لهم فيها شيخ الحارة من طوائفهم فيصير عندهم توزيع الضرائب اقرب الى الانصاف وبالغالب لا يتأتى من ثم داع للشكوى .

وهناك ضريبة جديدة وضعت على اساس قيمة المشروبات الكحولية بمعدل ٢٠ بالمئة تؤخذ ليس فقط على ما يتاجر به بالسوق ولكن على ما يحفظ منها في البيوت للاستعمال الشخصي . قد يعفون من الضريبة كسبةً منها اعني اقنين على عشر اقنى الى ان يبلغ عدد ١٠٠٠ اقة والاوربيون يقعون تحت حكم تلك الضريبة كسائر سكان البلاد . ان في هذه الولاية كثيرين من يفطرون شيئاً من الكحول بعد منهم الخمرة في بيوتهم لاستعمالهم العائلي فاخشى ان يؤدي القرار الصادر في امر المشروبات الكحولية الى هضم حقوق الناس من جانب المعهود اليهم بجمع الضرائب . فان مهمتهم بدخولهم بيوت الناس للتحقيق في كمية المشروبات المحفوظة فيها ليست كمهمتهم في تعديل كمية الحب على البيادر ومن ثم الباب مفتوح لمشاكل مزعجة خاصة في هذه البلاد حيث حرمة البيت وكره دفع الضرائب مع وجود روح محاباة الاشخاص يسبب العراقيل في سبيل ذلك القرار .

– السبت ، في ٢٦ اذار ١٨٥٩ ، ٢٦ شعبان ١٢٧٥

[٥٣٢]

– السبت ، في ٢ نيسان ١٢٥٩ ، في ٢٩ شعبان ١٢٧٥

والخميس صار مطر وتتل قتول على اللحم والخبز رطل الخبز ٤ غروش. وكتبت يسوع الناصري ملك اليهود وارمني وافرنجي الى عيتاب ليوسف خياط وكام القميس لمراة دير اورتين . والسبت كتبت بيت ٣ تاليف فرنسيس مراش واولها نبهوا على الحلويات في الكنائس [لكي لا يبالغ الناس باكلها لان السنة كانت سنة ضيق].

[٥٤١] ــ الخميس ، مطر زايد كتير وبالليل الله فرجها لان الحنطة[1]

---

١) في ٣١ مارس ١٨٥٩ كتب القنصل سكين :

« البلدة هادئة وافهم بالمدوّ عدم وقوع حركة اضطراب واسعة النطاق لان احياء عديدة في المدينة تتسخص وتلد الزوبعة في الساعة التي لا تتوقعها . انه لحدث جديد في هذه البلاد حيث النفر قليل ان تحدث فيها الفتنة في سبيل الخبز وذلك لم نسمع به الى يومنا فان الناس يتزاحمون عند الافران وليس ازدحامهم ما يدعو الى الطمأنينة . لقد ارتفعت اسعار الحاجيات فبلغ شنبل الحنطة ١٠٠ غرش فصار ثلاثة اضعاف ما يجب ان يكون عليه وتضاعفت قيمة اللحم ومع ذلك فلا وجود له في السوق وكذلك السمن وهلم جرًّا الخ . فخبز الدوز ليس في بيوت الفقراء فقط ولكن في مساكن العائلات المتوسطة ايضًا ولم تنجح الوسائل التي استعملتها الحكومة لاتقاء الغلاء . لقد استوردوا المؤنة من ادلب وعرضوها في الاسواق وظلت الاسعار على ما كانت . واقاموا موظفًا سعى في الجاء تجار الغنم الى بيع فئة من غنمهم باسعار مقبولة ولكن ادّى ذلك الى المناوشات فرفعت الشكاوي على الموظف لقلة انصافه في المعاملات . ولم يتداركوا امر البدو الرحّل المقيمين سابقًا بجوار البلد فتركوهم يرحلون بما عندهم من اغنام عددها ٥٥٠٠ رأس وزاد ذلك بالغلاء .

ان حسن السياسة والمعاملة مع العرب لامر حيوي لحلب ولسائر المدن الواقعة على حدود البادية . لقد حاولت السلطة ان تكبح جماحهم منذ سنتين بقوة العسكر النظامي ونجحت بمساعاها لكنها الحقت بذلك ضررًا بالمدينة لان العرب رحلوا ولم يدخلوا بالمعاملات التجارية التي كانت تعود على حلب سنويًا بربح ٥٠٠٠٠ ليرة انكليزية . فلم يبتاعوا الحب ومضوا باصوافهم والباضم واغنامهم الى غير اسواق .

في العام الماضي اتخذ الوالي خطة مخالفة للتي ذكرناها فمنح زعماءهم رواتب العسكر النظامي مما عاد على البلدة بحركة تجارية عوضت عن السنة السابقة ولكن العرب تشجعوا

وصلت الشنبل ١٠٠ ما في والخاروف غرش ١٠ والسمنه ٤٠ والجاجه ١٠ والخبز ١ ونصف الرطل فالله فرجها بالمطر ورخص كل شي..

– السبت ، في ٩ نيسان ١٨٥٩ ، في ٧ رمضان ١٢٧٥

الاثنين ، لموا مقدار الف ٢٥ [غرشاً] الفرنساويه لاجل بستان الى الكونت الذي كان موجود بحلب واخذوا بوابه البستان الف غرش من الحمايات الذي هو سوريته [sureté] ١٠٠٠ والحمايه ٥٠٠ مثل يوسف شوكتلي ١٠٠٠ انطوناكي ضاهر ٥٠٠ يكون معلوم.

[٥٤'] ــ الاثنين ، صارت العزعة ببستان بيازيد الافرنج ونوبة موزيقه المعسكر ... وسنيور موسى عمال يعمر حوش بالشابندر ورفع ليوان والبناؤون عمال يشتغلوا .

– السبت ، في ١٦ نيسان ١٨٥٩ ، في ١٤ رمضان ١٢٧٥

[٥٤'] ــ الاحد شعانين ورحت دورة العزاري وما كان نسوان والاثنين سمعنا بان بأرزروم صار كاثوليكيه الف ١٠ مسلمين وتعمدوا وقبلوا الايمان وايضا ان طرابلس قاموا الاسلام على بعضهم بعض وقالوا صار مقتله وراح من حلب عسكر للمساعدة وقالوا ان بعد عيد الاسلام بدهم ياخذوا قرعة من حلب.

[٥٥'] ــ السبت ، بدينا الشهر المريمي عندنا بالبيت بقسم من الوردية وانعزمنا لعرس ابن ابن عمي فتح الله بخاش رزق الله وان اراد الله اروح . وصار خبر من نبوه البابا انوسنسيوس ان متى مسا صادف تاني العيد مار مرقس وتاني العنصرة مار انطانيوس وميلاد يوحنا قبل عيد الجسد تحرق سلامبول وبر الشام ونواحيها ويسقط ملوك ثلاث الله ينهينا على خير.

– السبت ، ٢٠ نيسان ١٨٥٩ ، في ٢٨ رمضان ١٢٧٥

واخذنا جبنه رطل سعر ٩٤ ونظمنا برقتها كعك وطلعت مليحه وماكول الهنا ان كان الله يريد ويتمجد اسمه وجاب كسبار القاطرجي جاج ٣ غرش ١١ من طرف عينتاب.

(لها صلة)

وتجاسروا وصاروا يشلحون القافلات فاستدعى الوالي اليه زعيمهم فدعان وعامله بالاكرام وصالحه ورده الى البادية على ان يرجع منها باموال العرب فيعرضها في سوق حلب وتنفرج الازمة . »

(عن سجلات القنصلية)

مطبوعات شرقية جديدة

PAULUS TRUGLY, S. J., Cognitio divina de objecto indeterminato. In-16, 92 pp. Budapest, 1937.

المعرفة الالهية لما هو غير معيّن

يعلم اللاهوتيون ما عرضه مولينا وارباب مذهبه من آراء في التوفيق بين علم الله والحرية البشرية لخصتها جملة «العلم الوسيط» (scientia media). وها ان الاب تروگلي يبرّ بدوره، مدفوعاً باسباب عديدة يعرضها في هذا الكتاب، علماً آخر يدعوه «العلم المتوسّط» (scientia intermedia) وهو، علم الله بخليقة معدّةٍ لتكون ولكنها لم تكن بعد كوناً تاماً. ولا يخفى ان اكثر القرّاء يحذرون من طريقة جديدة تستند الى تخريجات وتميزات واهية في مشكل عويص كان العقل البشري ولا يزال اعجز من ان يطمع الى محاولة حلّه...

ب.م.

Mgr THAMER TOTH, Le Symbole des Apôtres. Cinquième partie, *Le Saint Esprit, la Sainte Église Catholique*. Sermons prononcés dans l'Église de l'Université de Budapest. Traduits du hongrois par l'abbé MARCEL GRANDCLAUDON. In-8°, 356 pp. Mulhouse, Salvator, 1938. Prix : 20 fr.

قانون الايمان : القسم الخامس

احسن مترجم هذا الكتاب بما توفق اليه من نقل مواعظ المؤلف بلغة فرنسية سهلة رائعة حفظت جمال الأصل، دالّةً على ما اتصف به سيادة الخطيب من عمق تبحّر في العقائد، وبعد نظر في الآراء الاجتماعية الحاضرة، ولا سيما في العشرين عظة التي خصّها بالكنيسة وبرأسها المنظور الحبر الأعظم.

ب.م.

Mgr THAMER TOTH, A la Jeunesse Catholique. Le caractère du jeune homme. Traduit du hongrois par Mme K. DE MARIASSY. In-8°, 240 pp., Mulhouse, Salvator. Prix : 15 fr.

نصائح الى الشبيبة الكاثوليكية

وهذا ايضاً من آثار المطران تُوث خصّه بالشبّان، مهتماً بما يوافق تنشئتهم،

ويقودهم على خير سبيل ، الى تعزيز الارادة ، والجهاد في تحقيق غايتهم السامية من هذه الحياة بالقيام بواجبهم مهما يكتنفه من صعوبات ومعاكسات . كل ذلك باسلوب سهل رشيق تزينه الامثلة العديدة. ه. بويار

CAESARE CARBONE, Praxis ordinandorum, ea omnia potissimum complectens quae clericis scitu necessaria seu utilia habentur. Editio tertia. Turin, Marietti, 1937. Prix : L. 10.

مختصر المبادئ للطلبة الاكليريكيين

انتشر هذا الكتاب في بعض البلاد فبلغ طبعته الثالثة ، مفيدًا الكهنة والمتدرّجين بما يجمعه من واجبات كلٍ من اصحاب الدرجات الكهنوتية. بيد ان طريقته التعليمية تظهر لنا على شيء من الغرابة . وذلك ان المؤلّف ، وهو يكتب لطلّاب الاكليريكيات العالية يستعمل ما يستعمله مؤلّفو التعاليم المسيحية للصغار من اسئلة واجوبة ولقد كان في وسعه ان يتبع الاسلوب العادي في المؤلّفات التعليمية اللاهوتية.

FIORENZO ROMITA, Jus Musicae liturgicae. Dissertatio historico-iuridica. In-8°, XXVIII+320 pp. Turin, Marietti, 1936. Prix : L. 15.

في الموسيقى الليتورجية

كتاب جزيل الفائدة للكهنة وسائر الاكليريكيين . يدرس الاناشيد الكنسية درساً قانونيًا ، مفضلًا الاناشيد التي رُخص باستعمالها في القرون الخالية ذاكرًا اشهر اوامر الاحبار الاعظمين في هذا الشأن ، وما هي الشواذ والتطرّفات التي رمت الى اصلاحها. ثم يعرض القاعدة التي يجب ان تُطبق في اختيار النصوص الطقسية ، وفي إعداد المرتّلين ، واستعمال الأرغن وغيره من الآلات الموسيقية. وكلّها من المسائل المهمة التي يسرّ المطالع ان يرى عنها اجوبة واضحة مدقّقة .

آرمان بوليو

Missale pro defunctis. Edition de 1922, petit in-4° (28×20 cm.) rouge et noir. Broché : 5 L. Relié : 9 L. Turin, Marietti, 1937.

كتاب القدّاس

مظهر هذا الكتاب واضح شائق ، وقراءته سهلة ، وثمنه من الرخص بحيث

يسهل اقتناؤه . وهو مثل من طبعات ماريتي الحجرية الجميلة التي يُقبل عليها كهنة اللاتين إقبالًا في محله. ا. ب.

BASILIO STEIDLE, O.S.B., Patrologia seu Historia antiquae litteraturae ecclesiasticae. Fribourg en Brisgau, Herder, 1937.

تاريخ الآداب الكنسية القديمة

من افضل ما يفيده هذا الكتاب الجديد في اعمال الآباء ما يعرضه من المصادر الكثيرة التامة ، في اكثرها ، حتى ايامنا . هو لا يغني عمّا سبقه من مؤلفات في الموضوع ، أوسع منه في عرض العقائد ، واقرب الى اظهار جهود الآباء في تاريخ تطوّر هذه العقائد؛ ولكنه يتمتها بما فيه من معلومات واشارات الى احدث الدروس الظاهرة في الموضوع بمختلف اللغات . اما اخراج الكتاب فظاهرة فيه العناية ، على رغم بعض الاخطاء المطبعية التي قد لا يخلو منها مؤلف من هذا النوع. ولنذكر منها خطأً تكرّر في الصفحة ٣٥ وفي الصفحة ٢٩١ في جدول الاعلام، وهو اسم الاسقف بوتن (Pothin) من ليون، فانه ذُكر مرّتين على صورة فوتينوس (Photinus) . ولا شك ان مثل هذه الهنات تُتلافى في طبعات مقبلة ستكون قريبة لما سيصادف الكتاب من رواج.

ل. اسكولا

LEON CHEVREUIL, Le Spritisme de l'Église. In-16, XIX+315 pp. Paris, Meyer, 1937.

ERNEST BOZZANO, Les phénomènes de bilocation. In-16, 188 pp. Paris, Meyer, 1937.

كتابان في السبريتيسم

يظهر هذان الكتابان من سلسلة مؤلفات في « الفلسفة الروحانية العصرية والعلوم النفسانية ». وليس فيها ما يتوهمه المؤلفان من اسلحة قاطعة ضدّ المذهب المادّي . فلا نستغرب اذًا موقف الكنيسة الحازم تجاه هذه المحاولات ، غير الموفقة ، الرامية الى المقابلة بين روحانية القديسين ومعجزاتهم ، وما يقوم به الوسطاء ومستحضرو الارواح من مظاهر غريبة يتبسّط المؤلفان في وصفها والتعليق عليها بكل لذّة واعجاب . . . ب. م.

FRANCIS TALBOT, S. J., Un saint parmi les sauvages. Traduit de l'Anglais par Mme VIÉVILLE. In-8°, 316 pp Paris, Spes. 1937. Prix : 15 fr.

قدّيس بين المتوحّشين

لا يضجر المطالع من غرابة الانشاء في الفصل الاول من هذا الكتاب. فما ذاك الّا خطوة صعبة اذا ما خطاها انتقل الى مجالٍ سهل يتمتّع فيه بروعة هذه الحياة العجيبة. لم يكن للقدماء ما نراه لبعضهم في زماننا من اهتمام بجمع شؤونهم حتى التافه منها ، ومن حرصٍ على ان يعرف الحفدة والذراري كل ما يتعلق بحياتهم من تفاصيل ودقائق. ولهذا لم يترك لنا المتقدّمون الشيء الكثير عن حياة نوابغهم الشخصية ، فكيف بحياتهم الداخلية والروحية ! فلا عجب ان لا نرى ، في هذا الكتاب ، شيئاً جديداً عن حياة القديس اسحق جوغ. بيد ان فيه جوّاً جديداً يكتنف كل ما نعرفه عن حياة البطولة التي قضاها. فتظهر تلك الغابات المتتابعة الى ما لا نهاية له ، وتلك البحيرات ، والانهر الواسعة المتسارعة المجاري ، والبيئة البشرية . . . ابناء الهيرون التي كانت المعمودية تؤثر فيهم تأثيراً عجيباً . وابناء الإيروكوا الذين قُتل الشهيد بضرباتهم الهائلة فقضى من اجلهم. حتى اذا انهينا الكتاب ، خرجنا منه ، ومل، جوانحنا الاعجاب بهذا القديس والميل اليه.

جوزف ميري

MARGUERITE CSABA, La vie en fleur. 1e partie : Ce qu'une adolescente du XXe siècle doit savoir. Adapté du hongrois par MARIE FRONCŒUR. In-8°, 228 pp. Mulhouse, Salvator, 1938. Prix : 15 fr.

نصائح الى المراهقات

نال هذا الكتاب شهرة واسعة في بلاد اللغة الالمانية . فنُقل الى الفرنسوية ببعض التصرّف ، بعد ان قدّم له الاسقف توث. اما موضوعه فيُفهم من عنوانه كما تُفهم كذلك اهميته وفائدته للوالدين وللمراهقات من الفتيات . فهو دليل امين ومشير ثقة للفتاة في اوقاتها الصعبة. وان يكن لنا ما نأمله فهو ان يستفيد من هذا العمل المخلص، الذي قامت به امرأة طيبة ، اكثر ما يمكن من فتيات اليوم وامهات الغد.

Ordo divini officii recitandi sacrique peragendi iuxta Kalendarium Ecclesiae universalis pro anno Domini 1938. In-8°, 140 pp. Turin, Marietti, 1937. Prix : L. 3.

نظام تلاوة الفرض الالهي في العام ١٩٣٨

لا يخفى ما يفيد الترتيب الزمني المتبع في الكنيسة جمعاء ، فضلاً عن الترتيب المحلي . وهو ما اخرجته مطابع ماريتي ، مضيفةً في المقدّمات ، او في الروزنامة الطقسية ، اشارات كثيرة الى اعمال جمعية الطقوس وغيرها من القرارات الرسمية في الموضوع . ا. ب.

Annales de l'École des Hautes Études de Gand, I. Études d'Archéologie romaine. In-4°, 235 pp., 9 pl., 72 fig. Gand, 1937. Prix : 50 fr. belges.

دروس في الاثريّات الرومانية

يسرّ المطالع البيروتي ان يقرأ هذا المجلّد . فيتحقّق ان في مدرسة العلوم العليا ، بمدينة غاند ، معهداً يشبهه — ولو عن بعد — معهدنا البيروتي لتدريس الآداب الشرقية الـذي يتابع محاضراته منذ السنة ١٩٣٣ . ويرى كذلك في الدروس المنشورة شبيهاً لما نشره « المشرق » ملخّصاً بعض محاضرات المعهد المذكور كدرس الاستاذ ثييت في اصول الفنّ الاسلامي مثلاً (المشرق ١٩٣٦ : ص ٤٨١).

اما هذه الدروس فقد رمى مؤلّفوها السنة الى ايضاح بعض المشاكل الظاهرة حديثاً في علم الاثريّات الرومانية . من ذلك عمل الاستاذ كركوبينو في تحديد الدور التاريخي الذي مثلته كليوباترا ملكة مصر الشهيرة ، وتزييف ما علق به من الاساطير . ومن ذلك ايضاً ما قام به بعض الشبان من الاساتذة في وصف هركولانوم وفقاً للحفريات الأخيرة ، وشرشل ومتحف الملك يوبا الثاني ، ومسارح ليون الرومانية . يأتي بعد ذلك بحثان يتعلّقان بالاثريات السورية . وهو ما يسرّ المطالع البيروتي ايضاً . وقد تقدّم للمشرق (١٩٣٤ : ص ٥٨٨) ان وصف وصفاً اجماعياً التصاوير المسيحية الراقية الى ما قبل السنة ٢٦٠ ، المكتشفة في دورا - الصالحية على الفرات . وفي هذا المجلّد يدرس الاستاذ سيتون التصاوير نفسها

فيرى فيها تلميحات عدّة الى شعائر الطقس ، والمعتقدات المتضمّنة في قانون الايمان ، وهو ما يوافق تزيين محلّ العماد في كنيسة من اعرق الكنائس قدماً . وهناك بحث للاستاذ گاجيه خصّه « بالمظاهر الحديثة لافريقية المسيحية » اشار فيه الى الأثر الشرقي الظاهر في تصميم الكنائس الافريقية ، وهو تصميم سوري محض ، ظهرته في رسوم الفسيفساء ، بل في طريقة توريق الجدران ايضاً .

ر . م .

MAHMŪD MUḤTĀR-KĀTIRCIOGLŪ, The Wisdom of the Qur'ān. The english Translation by JOHN NAISH. In-8°, LX+146 pp. London, Humphrey Milford, 1937. Prix : 5 sh.

حكمة القرآن

تقدّم لنا وصف هذا الكتاب عندما ظهر بنصّه الفرنسوي الاصلي . ولما لم يكن من جديد في هذه الترجمة الانكليزية فقد رأينا ان نحيل القرّاء الى الوصف السابق (المشرق ٣٤ [١٩٣٦] ٤٥٢)

JEAN BAZ, Essai sur la fraude à la loi en droit musulman. Préface de Mr le Professeur Roubier. In-8°, Librairie du *Recueil Sirey*. 1938.

محاولة في درس الحيلة على القانون

هذا المؤلّف هو الاطروحة التي قدمها صديقنا جان باز لمعهد الحقوق بمدينة ليون فنجح نجاحاً باهراً ونال لقب دكتور بالحقوق مع علامة جيد جداً (avec éloges spéciales) . وقد افتتح الكتاب بمقدمة من حضرة الاستاذ روبيه ، مدير معهد الحقوق في بيروت سابقاً ، واحد اساتذة معهد الحقوق في ليون حالياً ، وهو من علماء القانون الاعلام بفرنسة .

ولا عجب اذا كان المؤلّف نال هذا النجاح فقد عهدناه ، وهو احد تلامذتنا القدماء في مكتب الحقوق ببيروت ، طالباً مجتهداً ذكياً كان دوماً في مقدمة رفقائه . ومن ثمّ ، عندما تعاطى مهنة المحاماة ، ما زال منصرفاً للدرس والتنقيب فوضع كتاباً في امور القضايا المستعجلة ، وفهارس الجدية لقانون الموجبات والعقود والمحاكمات المدنية .

اما الموضوع الذي خاضه في كتابه الجديد فله من الوجهة النظرية والوجهة العملية اهمية كبرى في الشريعة الاسلامية. وهو معلوم ان الشرع باعتبار صفته الدينية، وكونه مؤسساً على القرآن والحديث، لم يحتمل مبدئياً التغيير والتبديل وفقاً لمقتضيات العصور والبيئات المختلفة التي انتشر فيها، فارغم الناس، ازاء قواعد كثيرة غير منطبقة على ضرورات الزمان والمكان، ان يحتالوا على هذه القواعد ساعين في اجتنابها بطرق شتى هي بحد ذاتها طرق شرعية ولكنها ترمي بالحقيقة لمخالفة قاعدة شرعية. وهذا ما يسمونه الحيل الشرعية. فالاستاذ باز قد درس هذه الحيل في مختلف نواحيها، فكرّس فصلاً أوّلياً للحيل الشرعية المستعملة في الحقوق المالية كالشفعة والوقف، وفصلاً ثانياً للحيل الشرعية المستعملة في الحقوق الشخصية كالنكاح والطلاق. وفي قسم آخر من كتابه، درس الحيل الشرعية المستعملة فيما اسماه المؤلف «الشرع الاسلامي الدولي» اي فيما يختصّ بالعلاقات بين المسلمين والغير المسلمين. وفي القسم الثالث والاخير من الكتاب قام المؤلف بعرض عام لنظرية الحيل الشرعية في بعض البلاد الاجنبية كفرنسة وايطالية واسبانية الخ.

فذكر هذه المبادئ العامة التي درسها المؤلف بشروح وافية، والتي لا يمكننا ان نفصلها بهذه الاسطر الضيقة، تكفي لتدلّ على اهمية الموضوع والفائدة التي ترجى من مطالعة هذا الكتاب القيّم. اميل تيان

MIRZÂ MUHAMMAD IBN 'ABDU'L-WAHHÂB-I-QAZWINI, The Ta'rikh-I-Jahân-Gushâ of 'Alâ' Ud-Dîn 'Atâ Malik-I- Juwaynî. Part III. «*E. J. W. Gibb Memorial*» series XVI, 3. In-8°, XVI+J+٥٩٣ pp. London, Luzac et C°, 1937.

تاريخ جهانكشاي

هو المجلّد الثالث من تاريخ جهانكشاي لعلاء الدين الجُويني المؤلّف سنة ٦٥٨ للهجرة (١٢٦٠ م) عرض فيه لتاريخ منكوتان، وهولاكو، والاسماعيلية. وقد ضبط نصّه، وقدم له بالفارسية، وعلّق عليه بعض الحواشي ووضع فهارسه الاستاذ محمد بن عبد الوهّاب قزويني. ثم مهّد له بالانكليزية الاستاذ دنيسون

روس . فظهر الكتاب في مجموعة جيب التذكارية على غاية ما يمكن من الدقة والوضوح .

JULIAN OBERMANN, The arabic original of Ibn Shâhîn's Book of Comfort. *Yale orientale series*, Researches, XVII. In-8°, LIX+ 188 pp., 156 pl. Paris, Geuthner, 1933.

الاصل العربي من كتاب في الفرج لابن شاهين

هـذا اثر من اجتهاد المستشرق أوبرمان . يحتوي على الأصل العربي من كتاب « في الفرج بعد الشدّة » لابن شاهين ، منشورًا مرّتين اولًا بالطبع ، وثانياً بالتصوير الشمسي لصفحات المخطوطة العبريّة الحروف . وقد حفل الكتاب بذكر المصادر المختلفة ، والفهارس للاعلام الشخصية والمكانية ، وبعض المفردات العربية والعبرية ، مع مقدّمة جامعة باللغة الانكليزية . فاتى تحفة طبعيّة جزيلة الفائدة .

E. DRIAULT, La Question d'Orient 1918-1937. La Paix de la Méditerrannée. In-8°, 538 pp. Paris, Alcan, 1937. Prix : 50 fr

المسألة الشرقية ١٩١٨-١٩٣٧

عرف المؤلف بكتاب اوّل ارّخ فيه المسألة الشرقية ، ونشره بالطبع سنة ١٩٠٨ ، فراج رواجاً دفعه الى تجديد طبعه مرّات . وها هو يردفه اليوم بكتاب جديد يتابع فيه البحث نفسه ، مع شيء من التبديل . ذلك انه يُدخل في المسألة الشرقية مشكلة البحر المتوسّط ويبالغ في تأثير هذا البحر حتى انه يرغب ان يسمّي الحرب العالمية الاخيرة « حرب البحر المتوسّط » (ص ٣٧) وهكذا ظهر الموضوع الاول ، اي المسألة الشرقية ، غارقاً في كثير من المشاكل العصرية . فترجرج التأليف ، وكان لا بدّ من بعض الاخطاء والاوهام ، على رغم ما في الكتاب من معارفات دقيقة ونظرات مصيبة . من تلك الاوهام قول المؤلف (ص ١٦) ان معاهدة كاينارجي ضمنت للروس الانتداب الديني على ارثوذكس تركية ؛ وقوله (ص ٥٢) ان القديسين كيرلس ومتوديوس عملا في سبيل الارثوذكس . وزعمه (ص ٧٣) ان سكة حديد بغداد نقلت الحرب الى قلب المشرق في ابتداء معارك سنة ١٩١٤ . وكذلك القول عن بعض المجازفات في

الاحكام البادية على كثير من التسرّع . بيد ان الكتاب مفيد لمن لهم اطلاع كافٍ على مشاكل الشرق المعاصرة. ج. ل.

Les ressources minérales de la France d'Outre-Mer. V, Le Pétrole. In-8°, 264 pp. Paris, *Société d'éditions géographiques, maritimes et coloniales*, 1937. Prix : 45 fr.

موارد فرنسة المعدنية في ما وراء البحر : البترول

اشترك عدد من الاختصاصيين ، بعناية السيد دي سيزانكور ، في تأليف هذا المجلد الخامس من « موارد فرنسة المعدنية في ما وراء البحر». وقد خُصّ بدرس مشروع مهمّ ، وان لم تظهر ثماره حتى الآن ، وهو التفتيش في اراضي المستعمرات الفرنسوية ، عن ذاك الوقود العجيب ، ذي التأثير البليغ في اقتصاديات البلاد زمن الحرب وزمن السلم . اما بوادر الأمل بالاكتشاف فقد ظهرت في مراكش ، ولكن بكمّية طفيفة . وكذلك القول عن مشروع الجزائر . وفي افريقية الوسطى ومدغسكر آمال بوجود شيء من البترول . اما افريقية الغربية وجزر الأنتيل فلا توحي بأملٍ ما . هذا ملخّص النتائج التفتيشية عن هذا السائل الثمين . بيد ان لفرنسة تعزية بما لها من نصيب في بترول العراق ، ومن أمل باكتشاف شيء من ذلك في الجزيرة العليا . ولا يجوز ان يتخلّى المفتّش عن هذا الأمل الّا بعد الجهود الطويلة المرتّبة ، وبعد ان ينفي الاختصاصيون بعلم طبقات الأرض امكان وجود البترول في البقعة المعيّنة.

ب. م.

JULES BERTAUT, **1848 et la Seconde République.** In-16, 450 pp. Paris, Arthème Fayard.

١٨٤٨ والجمهورية الثانية

يحقّ للمؤلف كثير من المدح لما يحتوي كتابه من معلومات جديرة بالذكر ، كما يحقّ له قليل من اللوم لما لا يحتوي كتابه من معلومات جديرة بان تكون فيه .

يوضح الكاتب ما كان في فرنسة من اوهام صبيانية سنة ١٨٤٨ ، وكيف قادت هذه الاوهام الى تلك الفواجع الأليمة . وهو مصير طبيعي لكل شعب

يغذيه قادتُه بالآمال التي لا يمكن ان تُحقق. حتى ينقلب عليهم ، واذا اصدقاء الأمس اعداء اليوم . واذا ذوو الآراء السمحاء ، والنيّات الصالحة ، وقد اضطربت ارادتهم فتردّدوا وقت العمل ، يتراجعون حتماً امام من يعرفون ما يريدون فيصلون الى غايتهم من تقلب الاحوال ؛ كما حصل للبرنس لويس نابوليون. كلّها عِبَر يجدر بالجميع ان يعتبروا بها . بيد ان فوقها عبرةً سامية يستفيدها الانسان اذا ما نظر من علُ الى تلك الاضطرابات التي تثيرها الاهواء الشخصيّة فتضحي، او تكاد، براحة مجتمعات وشعوب بكاملها في سبيل منفعتها الخاصّة. وان فوق الجميع عدالةً شاملة لا تلبث ان تعيد المياه الى مجاريها فتنيل كل ممثل على مسرح العالم نصيبه من الجزاء ، وان كان هذا النصيب خفيًّا عمّن لا يرون حوادث التاريخ الّا بعيونهم المادّية.

غ. نيرون

JACQUES HÉRISSAY, Les Pontons de Rochefort. In-12, 184 pp. Paris, Perrin.

في منفى روشفور

هـذا ملخّص لكتاب ضخم للمؤلف نفسه في الموضوع نفسه ، ظهر سنة ١٩٢٥ . وقد رأى ان يختصره على طريقة واضحة شرح لنا فيها جلّ ما يجدر بنا معرفته عمّا نال الكهنة الفرنسويين من عذابات واضطهادات في منفاهم الى روشفور ، مدة الثورة الفرنسوية الكبرى . وليس اروع من المشاهد التي تصوّر حياة هؤلاء الشهداء. فان مظاهر صبرهم ، واستسلامهم للمشيئة الالهية ، وغفرانهم لجلّاديهم والمسيئين اليهم لتفوق كل مدح وتقدير . وما القول عن القرار الذي اتخذوه جميعهم « بان لا يلبّوا رغبات الفضوليين . . . ، ولا يجيبوا عن الاسئلة التافهة . . . وان يتحملوا عذاباتهم بصبر دون ان يشرحوا تفاصيلها ، او يظهروا اقلّ تذمّر منها ، او اقلّ حقد على من قام بها او كان آلة لتنفيذها. »

ولا يخفى ان دعوى ١٠٢ من هؤلاء الشهداء قد عُرضت على رومة ، وليس من شكّ في نجاحها.

غ. نيرون

E. Herriot, Lyon n'est plus. T. I, Jacobins et Modérés. vol. (19×12), 410 pp., 1 carte et 1 plan hors-texte. Paris, Hachette 1937.

لم تبقَ ليون

ليس المؤلَّف الظاهر بهذا العنوان الغامض خدعةً لاهية، ولا نبوءة غريبة. ان هو الّا كتاب تاريخ، وتاريخ دقيق. يتناول فيه السيد ادوار هريو تاريخ مدينة ليون على عهد الجمعية الوطنية زمن الثورة. فيبدأ، في هذا المجلّد الاول، بتفصيل اصول ذاك الخلاف الذي اثار مدينة ليون على «الجبليين» من اعضاء الجمعية الوطنية، وانتهى بفشل المدينة. ومن هنا عنوان الكتاب المشير الى قرار تشرين الاول القاضي بهدم المدينة بقوله: «... لقد شهرت ليون الحرب على الحرّية، فلم تبقَ ليون...»

هو كتاب كثير المعلومات مشحونها حتى الغموض. تزاحمت فيه الحوادث حتى اصبح من الصعب، في ذاك التراكم، ان تقرّ الاحداث في تاريخها الحقّ، وان نقف على تسلسلها وتأثيراتها. فوق ما فيه من استطرادات طويلة بعض الاحيان. ذلك ان السيد هريو لم يبقَ له اليوم من الوقت والراحة ما يمكنه من العودة على كتاباته، فاصلاحها، فاخراجها تامّةً على نحو ما عهدناه في «مدام ريكاميه واصدقائها».

بيد ان الكتاب الحالي مليء بالحوادث، والمعلومات، والنصوص، يعرضها الكاتب بكل أمانة، غير هيّاب ان يُطلع على الحوادث والنصوص التاريخية مَن لا يشاطره الرأي والنزعات.

وان يكن هذا الاضطراب في التأليف الذي اسفنا لوجوده يفقد الكتاب شيئاً من سهولة المطالعة لمن يريد الدرس والحفظ، فقد يزيده حياةً وحركةً، بحياة تلك الجماهير المختلجة، المضطربة، المتردّدة، الهائجة دفعةً واحدة. وفي كل صفحة بل في كل مقطع وجوه جديدة تتقابل، وتتمايل، وتتزاحم، منها الخائف الناصل المضطرب باضطراب الاهواء، ومنها البارز القويّ المظهر في اعماله الشائنة. اما الابطال فلم يبرزوا من جمهور القوم في هذه الأيام، ولم يظهروا الّا على عتبة القبر.

والخلاصة ان الكتاب حيّ يشعر مطالعه ، حتى اقلهم إلماماً بموضوعه ، بأنه صوّر الحقيقة.

ج. ميري

MARCEL DÉAT, Le front populaire au tournant. In-16, 132 pp. Paris, Éditions du Journal « La Concorde », 1937.

الجبهة الشعبية في المفرق

صاحب هذا الكتاب من اشدّ المناوئين للاحزاب اليسينية. على انه لم يكن راضياً عن تجربة « الجبهة الشعبية » في حكومتي بلوم وشوطان. فقام على مساوئ الاشتراكية باللهجة العنيفة التي يقوم بها على الفاشستية ، وارباب الآراء المحافظة. مدفوعاً ، في كل ذلك ، بالتفتيش عن دواء الحالة الحاضرة التي لا يرى فيها الّا الداء الاقتصادي. اما هذا الدواء ، فهو، في نظره ، لا مراقبة الاسعار والتبادل، بل طريقة في الاقتصاد الموجّه تقوم بها الدولة فتراقب المصارف والاسعار والتجارة الخارجية دون ان تلغي الملكية الخاصة. وكلها اساليب قد تكون لها منفعتها الحالية ، ولكنها أبعد من ان تكوّن دواء حاسماً.

ب. م.

LOUIS R. FRANCK, Démocraties en crise. Roosevelt, Van Zeeland, Léon Blum. In-12, 80 pp. Paris, Rieder, 1937. Prix : 6 fr.

أزمة الديموقراطيات

هذه مجموعة محاضرات القاها المؤلف في شهر آب ١٩٣٧ ، بمعهد الدروس الدولية في جنيف . وقد اجتهد في الوصول الى كل ما هو وطنيّ خاصّ في المشاكل التي يدرسها ، اميركياً كان او فرنسوياً ، او بلجيكياً. واذاً فلا يرى المطالع المتوسط الثقافة ما يصبو اليه من أحكام جازمة ، وتقديرات مطلقة . بيد ان الكتاب جزيل الفائدة لأن الباحث لا يتوقف لدى ظواهر الإصلاحات العديدة التي تدّعي الديموقراطيات المذكورة القيام بها . فهو لا يهمّه منهاج بلوم مثلاً ، ولا برامج غيره من رؤساء الحكومات. انما يتوقف لدى النتائج المحسوسة لهذه المناهج ويلاحظ ، في ختام بحثه ، ان اسلوب ادارة رؤوس الاموال قلما تغيّر، وان يكن قد تطوّر احياناً ، فان تطوّره كان، لسوء الحظ، في سبيل إضعاف

الصناعة المتوسطة ، وارباب المهن الصغيرة . ولكن على رغم الفشل البادي في المحاولات الديموقراطية الثلاث ، فان المؤلف يظلّ متعلقاً بمبدأ الحرّية الذي طالما ضحّت به بعض الاساليب الحكومية ، وهو يشكر للديموقراطية محافظتها عليه.

ROBERT MAISTRIAUX, Les Humanités Classiques et l'Humanisme Chrétien. In-8°. 68 pp. Bruxelles, Éditions de la Cité Chrétienne, 1937. Prix : 4 fr.

علم البيان المدرسي والثقافة المسيحية

غاية كاتب هذا الكرّاس ان يدرس ، من الوجهة المسيحية ، قيمة الثقافة اليونانية - اللاتينية التي تُثقّف بها اذهان الشبيبة . وهو ، مع اقراره بتفوّق طريقة التهذيب بتدريس اللغات القديمة وعملها الصالح على تهذيب العقل ، وتقويم الاحكام الذهنية ، يرى في هذا «البيان» القديم خطرين قد لا يكونان وهميّين : اولها صرف الانتباه الى تغذية العقل وحده على اسلوب قد يجحف بحقّ سائر المواهب النفسية . والثاني تعويد الطلّاب شيئاً من الاحترام التقوي متعلقاً بالاساليب الخارجية فقط . واذاً فالمؤلف يطالب ، باسم الفلسفة المسيحية في تهذيب الرجل الكامل ، بان يُصرف اهتمام اوفى لترويض الجسم ، وتهذيب الشعور ، مع العمل على احياء الروح الاجتماعية في الناشئ . لأن « عقل » الفيلسوف الرواقي المترفّع لأعجز من ان يبلغ سموّ « المحبّة » المسيحية .

ولا شك في منفعة هذا البحث لجميع من يهمهم امر التربية والتعليم ويرون من واجبهم ان يطّلعوا على كل ما من شأنه ان يسهّل عليهم مهمّة تنشئة رجال كاملين .

پول ميش

K. GOEHRI, La Composition Française des élèves et étudiants de langue étrangère. In-8°, 404 pp. Lausanne, Spes S. A. (Suisse), 1937. Prix : 5 fr. suisses.

تعليم الانشاء الفرنسوي للطلّاب الاجانب

ليس من السهل ان يعلّم الطالب الاجنبي عن اللغة الفرنسوية ان يكتب بهذه اللغة لا باسلوب صحيح فقط ، بل بانشاء رشيق جذّاب . ولهذا رأى المؤلف ، وقد زاول هذا التعليم في زوريخ مدة خمس وعشرين سنة ، ان

يلخص مبادئ طريقته التي نجح بها في تعليم الطلّاب الالمانيين . عرض اولًا آراءه في الطرق التربوية لاصلاح الانشاء . وهي تُلخَّص بالانصراف عن اساليب التجميل الابتكارية التي كثيرًا ما يُدفع اليها المتجدّدون في درس اللغة ، وبالانكباب على درس المؤلّفين المدرسيّين ، مع الاهتمام بتحليل تعابيرهم وتراكيبهم ، والانتباه لمواقع مفرداتهم . ثم اورد نحو المائتين من فروض الطلّاب مبرهناً عن نجاح طريقته . وليس افضل من التمرين ، على يد استاذ ماهر ، للوصول الى امتلاك لغة كالفرنسية مرونةً ودقة تعبير .

ب . ميش

FERDINAND GOHIN, La Fontaine. Études et recherches. In-8°, VI+248 pp. « *Bibliothèque d'Histoire littéraire et de Critique* ». Paris, Garnier, 1937. Prix : 15 fr.

لافونتين

لا يزال في حياة لافونتين كثير من الغوامض : في اخلاقه ، ونشأته ، وطريقة تهذيبه ، ونصيبه من الابتكار . ولا يخفى ما تترك هذه الغوامض من مجال واسع للفرضيات والمناظرات . وهو ما اهاب بالمؤلف — الاختصاصي بشؤون لافونتين ، منذ ان ظهرت دروسه القيمة في « امثال » لافونتين وروحه التهكمية وطبعته النفيسة لهذه « الأمثال » — الى اتحافنا بهذا الأثر الجديد يحاول فيه جلاء بعض الغوامض في حياة الشاعر وشخصيته ؛ عارضاً في قسم اول لخُلق لافونتين ، وديونه الادبية لافلاطون ، ومونتانيه ، وغاسندي ، ومظهر دياناته ، ونزعته الاخلاقية . خاصاً القسم الثاني بطائفة من الابحاث التفصيلية في ادبيّات الشاعر ، مع ما يسندها من المصادر والشروح ، وهو يفيد الاختصاصيين بهذه الشؤون . على ان فصله في قيمة « الامثال » الأخلاقية ، وما حفظه الشاعر في قلبه من ايمان عميق ، رغم بعض التراخي في حياته ، يظهر على فائدة جليلة لجميع المثقفين .

ب . ميش

CHARLES BEUCHAT, Paul de Saint-Victor. In-12, 252 pp. Paris, Librairie académique Perrin, 1937. Prix : 15 fr.

پول دي سان ڤيكتور

لم يستحقّ الصحافي پول دي سان ڤيكتور هذا النسيان الذي يظهر حول اسمه في العالم الادبي. ولهذا قام المؤلّف يعيد الى ذهن القرّاء شخصيّة كانت على قسم وافر من اللمعان. ولا سيما بين السنتين ١٨٥٩ و١٨٨١ حيث عُرف الصحافي بانتقاداته الادبية ، وبصداقته لكبار الكتّاب والفنّانين في ذلك العصر ، اذ اجمع الناس على الاعجاب باسلوبه الانشائي ، وباحكامه الادبية. ولا شك في ان الاطلاع على آثاره يسهل تفهّم الحركة الادبية والفنيّة في القرن التاسع عشر . وقد درس المؤلّف ، بعد حياة المترجَم ، صفات الرجل ، والناقد ، والمؤرّخ ، والمنشىء ، تاركاً للقرّاء الرجوع الى آثار رجل احترمه اكثر معاصريه احتراماً مخلصاً .

ب. ميش

ALFRED DE VIGNY, Stello. Édité avec une Introduction et des Notes par M. REVON. « *Classiques Garnier* ». Paris, Garnier, 1937. Prix : 9 fr.

ستيللو لألفرد دي ڤيني

لا تخفى قيمة هذا القسم من «استشارات الدكتور نوار» لالفرد دي ڤيني ، وفيه ينتقد الشاعر انواع الحكم جميعها سواء أكانت ملكيةً مطلقة او برلمانية او ديموقراطية. حتى ان جيلبير ، وشاترتون ، وشينيه يقضون جميعاً ضحايا الأثرة الاجتماعية . هذه النظرية لم تفقد قيمتها بعد . وحسناً فعل الناشر باعداد هذه الطبعة النفيسة الموافقة للطبعة النهائية الّا في بعض علامات الوقف ، والمفيدة بمقدّمتها الحافلة بالمعلومات عن ظروف التأليف ، وآراء النقّاد فيه .

ب. ميش

Dr JEAN LOUIS FAURE, Au Groenland avec Charcot. In-16, 256 pp., 42 gravures et 5 cartes. *Collection Nelson illustrée*. Paris, 1937. Prix : 19 fr. 50.

مع شرْكو في غروننلَنْد

هو كتاب جديد ، يأتي بعد الكثير من نوعه ، على اثر الفاجعة التي ذهبت

بحياة الرائد المشهور شاركو . كان من نصيب المؤلف ان يرافق الفقيد ، سنة ١٩٣٢ ، الى بلاد غرونلند ؛ ثم اتت الفاجعة فاحيت فيه تذكارات وحوادث توالت في تلك الأيام التي لا تُنسى . فما كان منه الّا ان اخرجها باسلوب شائق جذّاب يفيد ، في ما يفيده ، مصدرًا قيّماً لتصوير شخصية شاركو .

ا . ب .

YVES SIMON, La Campagne d'Éthiopie et la Pensée Politique Française. « *Courrier des Iles* ». In-8°, 130 pp. Paris, Desclée de Brower, 1937. Prix : 10 fr.

حرب الحبشة والفكرة السياسية الفرنسوية

لم تنتهِ المناظرات والمشاحنات التي اثارتها حرب الحبشة الأخيرة ، وسوف لا تنتهي في أمدٍ قريب . ذلك ان الأهواء التي يثيرها هذا الموضوع تحول في الغالب دون اعمال الذهن الخلّي . وقد كان من همّ المؤلف ان يشرح ما هي العوامل التي دفعت الفرنسويين الى مواقفهم المختلفة تجاه الحكومة الايطالية ، وان يحكم عليها وفقاً للفلسفة والاخلاقيات المسيحية . فيبرهن عن تجرّد يقوده في متاهات هذا المشكل العويص الى موقف مخلص رفيع هو موقف المسيحي العادل .

ب . ميش

وحي الصحراء

جمعه محمد سعيد عبد المقصود وعبدالله عُمر بلخير

٤٢٦ ص . متوسطة — مصر ، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه

جمع هذا الكتاب نماذج متفاوتة الطول والقيمة من الادب الحجازي المعاصر منظوماً ومنثوراً ، بعد ان قُدّم له ببحث تاريخي تناول تطوّر الادب في الحجاز منذ العصر الجاهلي الى اليوم . وللكتاب تمهيد بقلم الدكتور محمد حسين هيكل بك اشار فيه الى ان اكثر الكتاب والشعراء المنتخَب لهم « لم يبلغوا الثلاثين ، ولم يتجاوز الاربعين فيهم احد » فهم من ابناء القرن العشرين يبشّرون بنهضة مباركة في القطر الحجازي ، اذا ما نضجت افكارهم وتكاملت ثقافتهم

التصوير في الاسلام عند الفرس

للدكتور زكي محمد حسن

٩٦ ص. بقطع ٤ ، ٥٤ لوحة فيها ٧٠ شكلاً – لجنة التأليف والترجمة والنشر ، مصر القاهرة ، ١٩٣٦

يعرف قرّاء « المشرق » الدكتور زكي محمد حسن بآثاره في الفنّ الاسلامي في مصر (المشرق ٣٤ [١٩٣٦] ١٥٠) ، وفي كنوز الفاطميين (المشرق ٣٥ [١٩٣٧] ٤٦٠) وان له من ثقافته الواسعة ، ومن مركزه في امانة دار الآثار العربية لعوناً في هذه الدروس القيّمة التي يسهّل فيها معرفة الفنّ الاسلامي على اختلاف عصوره وبيئاته. اما موضوع الكتاب الحالي فلا يقلّ اهمية عن موضوع الفنّ الفاطمي ، ان لم نقل انه يفوقه تأثيراً كما فاقه طولَ زمن ، وسعةَ انتشار ، وغنى مادّة . فلا عجب ان يكون للكتاب وقع بليغ في تاريخ تشعّبات الفنّ الشرقي الذي عمل الإسلام على تطوّره بعض التطوّر ، ولكنه ظلّ محافظاً ، في كل بلد ، على اهم ميزاته الاصلية.

صُدّر الكتاب بكلمة للمستشرق غاستون ڤيت قدّم فيها الى القرّاء مؤلّف البحث . اما المؤلّف فقد قدّمه الدكتور عبد الوهّاب عزام الخبير بالشؤون الفارسية. ثم يبدأ الكتاب بمقدّمة تاريخية واضحة في ايجازها تلخّص تقلّبات الدول على البلاد الايرانية . حتى اذا انزل المطالع تلك البقعة من المكان والزمان ، وصل الى «نشأة التصوير الفارسي» ، فتتبع الآثار الفارسية عصراً فعصراً ومدرسةً فمدرسة ، من المدرسة العراقية ، او مدرسة بغداد ، الى المدرسة الفارسية التتريّة ، الى مدرسة بخارى ، الى المدرسة الصفوية ، واذا به يصل الى العصور الحديثة ، فيدرس مظاهر الفنّ على عهد الشاه عبّاس وخلفائه . يؤيّد كل ذلك سلسلة من اللوحات الجميلة ، جليّة المظهر ، حسنة الطبع ، على الغالب . ويختم الكتاب بمصادر البحث في العربية ، والفرنسوية ، والانكليزية ، والالمانية ، وبجدول ابجدي باسماء الأعلام . فيكوّن اثراً لا مندوحة من الاطلاع عليه لكل من يهتمّ بدرس المدنيّة الاسلامية.

ف. ا. ب.

منشورات مديرية الآثار القديمة في بغداد

بقايا القصر العباسي في قلعة بغداد

٢٦ ص. صغيرة ، ٤٧ لوحة و٧ اشكال – بغداد ، مطبعة الحكومة ، ١٩٣٥

دليل معارض القصر العباسي

٢٤ ص. صغيرة ، ١٨ لوحة – بغداد ، مطبعة الحكومة ، ١٩٣٥

جسر حربي

٨ ص. صغيرة ، ٢٠ لوحة – بغداد ، مطبعة الحكومة ، ١٩٣٥

دليل خرائب بابل وبورسيبا

٢٠ ص. متوسطة ، خريطتان و١٨ صورة – بغداد ، مطبعة الحكومة ، ١٩٣٧

الأخيضر

٤٩ ص. صغيرة ، ٤٦ لوحة و١٣ شكلاً – بغداد ، مطبعة الحكومة ، ١٩٣٧

دليل المتحف العراقي

١٤٠ ص. متوسطة ، ١١٤ صورة – بغداد ، مطبعة الحكومة ، ١٩٣٧ – الثمن: ٨٠ فلساً

خريطة العراق الأثرية

١٠٠×٤٠ سنتيمتراً ، ملوّنة

قد يكون العراق في طليعة بلدان الشرق الادنى اهتماماً بتاريخه وآثاره . كفانا برهاناً ما وصفناه في هذه السنوات الاخيرة من كتب جديدة في التاريخ العراقي مجملاً ومفصلاً ، وهذه المنشورات القيمة التي قامت بها مديرية الآثار القديمة في بغداد .

يتناول الكرّاس الأول وصفاً دقيقاً لبقايا القصر العباسي في قلعة بغداد ، وهو المعروف « بقصر المأمون » ، وما قامت به مديرية الآثار من ترميمات . يزيّن كل ذلك اشكال واضحة ولوحات جليّة الطبع في اكثرها .

وبعد ان تمّ ترميم القصر رأت الحكومة ان تنقل اليه « معرض الذكرى » للملك فيصل الاول ، وان تؤسس فيه معرضاً للصور والخرائط المتعلّقة بمدينة بغداد وسائر المدن الأثرية في العراق ، عارضةً نماذج الآثار النفيسة . وقد وضعت لهذه المعارض دليلاً مختصراً ، هو الكرّاس الثاني .

على تسعين كيلومتراً الى شمالي بغداد ، جسر قديم على نهر الدجيل يرقى

الى عهد الخليفة المستنصر (١٢٢٦—١٢٤٢) ، من اواخر الدولة العباسية . وهو مشيّد ومعقود بالآجرّ ، وعليه كتابة يبلغ طولها مائة متر تشير الى بناء الجسر في زمن المستنصر سنة ٦٢٩ هـ. (١٢٣١—١٢٣٢ م) وقد درست هذا الجسر مصلحة الآثار وخصّت به الكرّاس الثالث حافلًا باللوحات الجميلة.

اما الكرّاس الرابع فدليل الى خرائب بابل وبورسيا ، بدأ بنبذة عن موقع بابل ، وتاريخها ، ووصف الحفريات التي أُجريت في موقعها ، وما اسفرت عنه من تخطيط المدينة بتحصيناتها الداخلية والخارجية ، وابوابهـا ، وقصورها ، ومعابدها ، وجنائنها المعلّقة ، وبيوتها ، وما في كل ذلك من نقوش وتزاويق . بقي صفحتان من الكرّاس وُصفت فيها خرائب بورسيا ، وهي مدينة مجاورة لبابل . وقد رسم الكرّاس صورة واضحة عن كل هذه الخرائب.

وكذلك القول عن الكرّاس الخاصّ بقصر الأُخيضر المشيّد في قلب البادية ، على نحو ٥٥ كيلومترًا من كربلاء الى الغرب الجنوبي. ولعلّ لوحات الأُخيضر ، ورسومه اجلى ما ظهر من امثالها في هذه المنشورات؛ وكذلك الشروح الموجزة، حتى يُعتبر الكتاب ملخصاً كافياً عن هذا القصر العجيب.

واما الكرّاس الاخير فلا بدّ منه لكل من شاء الاطلاع عـلى محتويات المتحف العراقي ، وفيه كثير من الآثار النفيسة العريقة في القدم ، الماثلة شواهد حيّة على مدنية من اقدم مدنيات العالم المعروفة.

وليس اوضح في الاشارة الى موقع الآثار العراقية جميعها من الخارطة الكبيرة التي نشرتها المديرية نفسها ، دالّةً على التلول ، والاماكن ، والمدن الأثرية ، مع دلالتها على المدن العصرية ، والطرقات ، والمناطق الحالية . فاستحقّت شكر الأثريين والمؤرّخين والجغرافيين معاً.

ف. ا. ب.

نشوء الأمم

بقلم انطون سعاده

الكتاب الاول : ١٨٢ ص. متوسطة – بيروت ، مطبعة الاتحاد ، ١٩٣٨ – الثمن : ١٠٠ غ.ل

يرى المؤلف ان كتابه « نشوء الامم » هو الاول من نوعه في اللغة العربية بعد كتاب ابن خلدون ، ويقدّمه الى رجال الحزب القومي السوري فيستهم

بكل جدّ ورزانة « رجال النهضة القومية الجبارة ونسائها العاملين لحياة سورية ومجدها ». ان صفة « جبّارة » تطلق على القومية السورية في هذه الايام لغريبة ، وقد رأينا اهل دمشق ينادون بالعروبة ، والترك يستولون على الاسكندرونة ، واهل الجزيرة واللاذقية يأبون الاتحاد بدمشق... وهل يدلّ مثل هذا الكلام في مثل هذه الساعة على كبير اتزان ؟

ويهتم الاستاذ سعاده بقضية لم تكن نظنه متخصصاً لها ، على تفاهتها ، اذ يفضّل على الارقام المتداولة في اللغة العربية والمعروفة « بالارقام الهندية » الارقام المتداولة في اللغات الغربية والمشهورة « بالارقام العربية » فيكتب مثلاً « 1938 » بدلاً من « ١٩٣٨ ». وكنت اظن ان جهود المؤلف العلمية في القوميات لا تترك له وقتاً للابتكار في الشؤون التافهة ابتكاراً غريباً.

ويناقض هذا التكلّف في تقديم الكتاب ضعف المبنى من حيث اللغة المضطربة ، والاغلاط المطبعية العديدة.

امّا التأليف فان فيه سبعة فصول في نشوء النوع البشري، والسلائل البشرية، والارض وجغرافيتها ، والاجتماع البشري ، والمجتمع وتطوره ، ونشوء الدولة وتطورها ، والاثم الكتماني.

في جميع هذه الفصول ، تأثر واضح بآراء المفكرين الالمان . ينقل المؤلف مبادئ اعتنقها اصحاب النظريات المتطرفة في القوميات الاوربية ، ويورد في كتابه احكاماً لا يصحّ تطبيقها في جميع الاحوال وفي جميع البلدان . وهو ما يقرّ به عرضاً في سياق كلامه اذ يقول عن رومة انها « مدينة برّية في الدرجة الاولى وكانت محاطة بأقوام تضاهيها وبعضها ارقى منها ثقافة... فساعد ذلك على الرغبة في ادخال هذه الاقوام في نطاقها السياسي والاجتماعي ومن هذه الوجهة كانت ظروف رومة تختلف عن ظروف صور » (123)

وايضاً : « شيء واحد لم تدركه الامبراطورية البحرية القديمة « الفنيقية » هو وجوب التناسب بين المركز والاطراف . فالامبراطورية البحرية لا غنى لها عن الارض والقوات البرية... » (116)

افلا يرى المؤلف ان هذا الاختلاف بين حالة ايطالية وحالة « سورية »

الجغرافية هو نتيجة اختلاف اعق ؟ ان سكان رومة والاقوام المجاورة لها الفوا امةً واحدة ، امّا صور وسائر المدن الفنيقية فانها لم تكن ترى ، منذ القديم ، الّا اعداء لها ، ما وراء لبنان.

ويحاول الاستاذ سعاده ، في الفصل الخامس ، ان يطبّق بعض الآراء في تطوّر الامم على الامة « السورية »، فيتكلم عن « المدينة البحرية » التي انشأها الفنيقيون (81) ، وعن الحروف الابجدية التي اكتشفوها (83) ، وعن امبراطورية صور البحرية (115) . وعبثاً تبحث في جميع هذه الامثال عن شيء لا يخصّ الارض اللبنانية. فاذا انحصر تطوّر القومية هذه في لبنان ، فلأنها قومية لبنانية لا قومية سورية.

ان بين العناصر التي تكوّن الامة عنصرًا اساسيًا لا بدّ منه ، هو التاريخ . وقد اقرّ به المؤلف في قوله : « فلولا ما حدث من وحدة الاغريق بعد الاسكندر لظل تاريخ الاغريق تواريخ اثينا واسبرطة وطيبة ومكدونيا الخ . . . » .

وفي الحقيقة لا يوجد تاريخ لسورية « الموحدة » المستقلة عن سائر جيرانها. وقد اعترف النائب السوري الاستاذ رباط في « الوحدة السورية والمصير العربي » بهذا التاريخ للبنان اذ قال عن الامة اللبنانية : ان لها « شخصية تكوّنت ونمت ، احيتها الحروب واليقظة الدائمة ، وحفظتها الطبيعة الصلبة » (١٤٧) وينطبق هذا التعبير على وصف موسوليني للامة عموماً : « ليست جنساً ، ولا بقعة جغرافية معينة . . . بل هي شخصية »

وهذه هي الشخصية التي نقصت سورية التي يعنيها المؤلف فظلّت بقعة جغرافية وجغرافية فقط ، واذًا فلا يصحّ الكلام عن « أمة سورية » تشمل سكّان لبنان ، وسائر العناصر من عربية وتركية الموجودة بين « الفرات وطورس والبحر والصحراء » .

ن. د.

املي سرسق

بقلم جرجي نقولا باز

٢٠٠ ص. متوسطة – المطبعة الادبية ، بيروت ، ١٩٣٨

اذا عُدّ ارباب الاحسان في بلادنا كانت السيدة املي سرسق في الطليعة . وقد قضت ستين سنة توالي اعمال البرّ والرحمة فمن مدرسة ، الى ميتم ، الى مستشفى ، الى رهبنة ، الى كنيسة ، لا ترمي الى غاية مادّية ، ولا تطلب مكافأة زائلة. الّا ان هذه الاعمال لم يلبث ان انتشر عرفها ، فنظم فيها الشعراء وكتب الكتّاب ، وتتابعت اوسمة الشرف على المحسنة ، ونصب تمثالها في مدرسة زهرة الإحسان. فرأى صاحب الكتاب ، وهو مؤرّخ الشهيرين والشهيرات من ابناء عصرنا ، ان يدوّن كل ذلك فجمع متني مثال من كتابات الجرائد والمجلّات ، ومن نظم اربعين شاعرًا ، ونثر جملة خطباء ، واعمال عدة جمعيات ونصّ مراسيم الاوسمة وسندات الاوقاف. وحسناً فعل !

في سبيل العربية

بقلم ادوار مرقص

٤١ ص. متوسطة – اللاذقية ، مطبعة الرغائب ، ١٩٣٨

خطاب القاه الاستاذ ادوار مرقص في النادي الوطني باللاذقية ، وقد ضمّنه « لفتة الى الدخيل وصحة الانشاء وحسن النقل عن الاعجمية يتقدمها دفع تهم عن لساننا العربي ودحض آراء غريبة بشأنه ».

* مطالب الشعب المغربي * ٥٩ ص. متوسطة صغيرة – المطبعة المهدية ، ١٩٣٨ – « مقدمة من اللجنة التنفيذية لحزب الاصلاح الوطني » الى سموّ الخليفة السلطاني مولانا الحسن ايّده الله والى مجاذة المقيم العام في فاتح عام ١٣٥٧ »

* برنامج الجمعية الخيرية المارونية * عن اربع سنوات ١٩٣٣، ١٩٣٥، ١٩٣٦، ١٩٣٧ – ١٣٣ ص. متوسطة ، بيروت ، مطبعة جدعون ، ١٩٣٨

* برنامج جمعية طوبيا البار المارونية * اعمال السنتين ١٩٣٦ و١٩٣٧ – ٢٢ ص. متوسطة ، بيروت ، المطبعة الحديثة ، ١٩٣٨

* تقرير عن اعمال الجمعية الخيرية للقديس منصور دي بول ، في دمشق * عن سنة ١٩٣٦ – ٥٦ ص. متوسطة ، حريصا ، مطبعة القديس بولس – وعن سنة ١٩٣٧ – ٧٢ ص. متوسطة ، حريصا ، مطبعة القديس بولس.

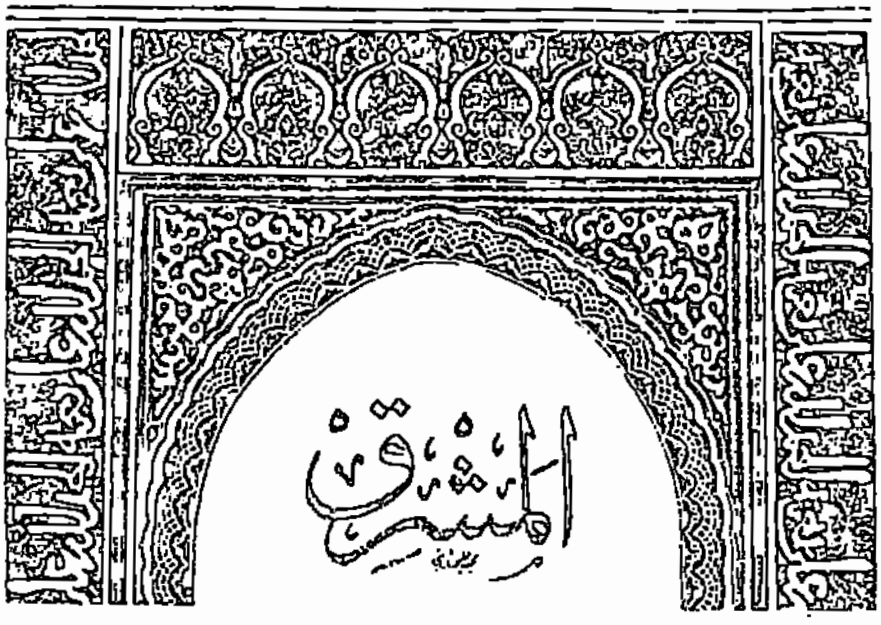

السنة السادسة والثلاثون — نيسان – حزيران ١٩٣٨

الاب جبرائيل لوقنك

١٨٦٨–١٩٣٨

ليؤلمنا بليغَ الألم أن ننعى الى قرّائنا ، واحدًا إثر واحد ، كبار القائمين على تحرير هذه المجلّة . فبعد ان فارقنا الاب يوسف مونجان في ١٤ كانون الثاني ١٩٣٧ ، تاركاً فراغاً واهياً في مجال وصف الكتب اللاهوتية والفلسفية ؛ أُصبنا في العشرين من الشهر نفسه بفقد الاب سبستيان رونزفال ، مَن دانت له ابحاثنا التاريخية والأثرية بالشيء الكثير منذ نشأة «المشرق» الى اليوم . وفي الثالث والعشرين من نيسان ١٩٣٧ ، استأثرت رحمة الله بمديرنا الأكبر الاب هنري لامنس ، بعد حياة مليئة بجليل الأعمال وخالد الآثار .

وها اننا ننعى اليوم رفيقاً للاب لامنس ملازماً في السنوات الاخيرة . توفاه الله بعد رفيقه بعام كامل فانتقل في ٢٢ نيسان ١٩٣٨ . هو الاب جبرائيل لوقنك اليسوعي .

وُلـد الاب لوثنك في مرسيلية ، في ٢ كانون الاول ١٨٦٨ . ثم انتقلت أسرته الى ليون . فدخل فيها مدرسة الآباء اليسوعيين . وبعد ان اتمّ دراسته الثنوية باشر درس الحقوق ، ميّالًا الى التاريخ والأدب . ولكنه لم يتمّ هذه الـدروس ، اذ لبّى الدعوة الكهنوتية ، فدخل دير ابتداء الرهبنة اليسوعية ، وقدم غزير سنة ١٨٩١ .

ثم ترامت به الواجبات الرهبانية من لبنان الى فرنسة الى انكلترة ، دارساً ، وناظرًا ، واستاذًا . الى ان رُسم كاهناً سنة ١٩٠٢ . وأُرسل الى مصر استاذًا للتاريخ والجغرافية سنة ١٩٠٨

واعادتـه ارادة الرؤساء الى لبنان سنة ١٩١٣ فعُيّن وكيلًا للمصروف في كلية القديس يوسف . واخذ يتابع دروسه التاريخية ، ولا سيما تاريخ الشرق الادنى .

وكان من اول العائـدين الى الجامعة اليسوعية ، بعد الحرب ، فباشر تعليم التاريخ والجغرافية ، على ذاك الاسلوب الهادئ ، الرصين ، الحافل ببعض اللذعات احياناً ، الذي عرفه به تلاميذه العديدون في مصر من ١٩٠٨ الى ١٩١٢ ، وفي بيروت حتى آخر حياته ، كما عرفه به مرشحو البكالورية اللبنانية ، وكان من لجنتيا الفاحصة في مادّة التاريخ والجغرافية . وقد عُرف كذلك بالتدقيق الوافر في الامتحان والعـدل الصارم في وضع العلامات ، كما عُرف باللطف المخلص يستقبل به كلّ زوّار المكتبة الشرقية ، دائباً على افادتهم في كل ما يرغبون ، منفقاً الساعات ، دون حساب ولا تذمّر ، في سبيل مـا يطلبون من كتب او معلومات . حتى غدا مثالًا لمديري المكاتب ، عاملًا على ترغيب الشبّان في متابعة دروسهم ، فعلى رفع مستوى الثقافة في لبنان وسورية .

وهو ما قدرته له الجمهورية اللبنانية فاهدت اليه وسام الاستحقاق اللبناني ذا السعف تكريماً لذكراه بعد الوفاة ، واشارةً الى هذه الخدمات التي ادّاها في تدريس الطلّاب وتوجيههم وجهة البحوث العلمية ، كما ادّاها في آثاره العديدة منشورةً على حدة ، او في مجلّة المشرق .

اما منشوراته على حدة فاشهرها كتاب لتدريس المبتدئين باللغة الفرنسوية ، و«جغرافية سورية ولبنان» بالفرنسوية كذلك. وهو كرّاس مختصر نال انتشاراً واسعاً لأنه كان الاول من نوعه.

واما ابحاثه في مجلة « المشرق » فافسح مجالاً واعمق اثراً . كان يجمع بين التاريخ والجغرافية ، مهتماً على الغالب بتاريخ الشرق الادنى ، غير منصرف عن التاريخ العام ، في ما يراه مؤثراً في هذه البلاد . فينشر الخلاصات الشاملة عن الحوادث العالمية[1] . ولا يفوته شيء من الحوادث الرابطة بين الحاضر والماضي . من هذا القبيل ابحاثه في « نهضة بولونية »[2] ، و«المائة الرابعة لوفاة ڤاسكو دي غاما »[3] ، و « التذكار المئوي لاحتلال الجزائر »[4] ، و « المؤتمر الجغرافي الدولي الحادي عشر في مصر »[5] ، وقد مثل فيه جامعة القديس يوسف . وكان آخر ما نشره من دروس بحث مهمّ تعاون فيه مع الاستاذ بوگوليوبسكي في « آخر مظهر لسياسة روسية الدينية في الشرق الادنى ١٨٩٥ - ١٩١٤ .»[6]

ولا بدّ من كلمة نخصّ بها عمله الدائب في درس « المطبوعات الشرقية الجديدة » ووصفها . كان مدير المكتبة الشرقية ، وكان واسع العلاقات كثير المعارف بين ارباب التأليف والطبع ، فكُلّف السهر على قسم المطبوعات الشرقية في مجلة «المشرق». فقام بوصف اهم هذه الكتب مدة سبع عشرة سنة متواصلة لا تملّه القراءة ، ولا يضجره ما يراه احياناً من سخافات ، ولا يتعبه ذلك العمل المجهد في النقد ، والإصلاح ، وقول الحقيقة وان جارحةً غالباً . حتى اختصّ بنوع من النقد يتعلّق بوصف ما في الكتاب وصفاً موضوعياً بحتاً مع الاشارة الناعمة اللطيفة الى المغالط والمزالق . وكان يدرس على الغالب كتب التاريخ والجغرافية ، ولا سيّما ما خصّ الشرق منها ، باللغات الفرنسوية ، والانكليزية ،

---

١) خلاصة تاريخ العام المنصرم (المشرق ١٩ [١٩٢١] ١١) – نظرة في سياسة العام المنصرم (المشرق ٢٢ [١٩٢٤] ٦٠)

٢) المشرق ٢٠ [١٩٢٢] ٢٦٠

٣) المشرق ٢٣ [١٩٢٥] ٢٦٤

٤) المشرق ٢٨ [١٩٣٠] ٢٧٠

٥) المشرق ٢٣ [١٩٢٥] ٤٠١

٦) المشرق ٣٣ [١٩٣٥] ٥٧٤

والالمانية ، والايطالية ، والاسبانية ، وكتب الادب الفرنسي، والفلسفة العامّة. ولا نبالغ اذا قلنا انه كان ينتقد في كل عدد من اعداد « المشرق » لا اقلّ من خمسة عشر كتاباً متنوعة الحجم والقيمة.

❁

لم يكن الاب لوثنك عامر الجسم ، جيّد الصحة . انما حياته المنظّمة ، واعماله المرتّبة ، قادته الى السبعين دون تعب بالغ . وظلّ على اعماله المتباطئة شيئاً فشيئاً حتى مرضه الأخير. وكان ان زلّت قدمه في اخريات حياته ، فاضطُرّ الى السكينة في سريره مدة طويلة ظلّ في اثنائها يطالع وينتقد . حتى انطفأت حياته هادئاً كما عاش بالهدوء والسكينة ؛ تاركاً لجميع مَن عرفوه من طلّابه واصدقائه العديدين ذكر الكاهن الشفيق ، والاستاذ الصديق ، والمعاون الخبير اللطيف ، كما ترك للبنان ذكر محبّ وفيّ وقف حياته لخدمته ورفع مستوى الثقافة فيه .

من الخزانة الشرقية

بقلم حبيب زيات

اليهود في الخلافة العباسية

لليهود ، منذ جلائهم عن الحجاز حتى زوال الخلافة العباسية وسقوط دولة المماليك ، أخبار وحوادث متفرّقة في بطون الصحف والمخطوطات . اكثر ما تُذكر في جملة وقائع النصارى . ولا سيما في المراسيم السلطانية القاضية على اهل الذمّة اتّباع احكام الذل والصغار التي اصطلح المؤرخون منذ القرن الخامس للهجرة ، في الارجح ، على تسميتها ايهاماً بالشروط العمرية . وقلّ جدًا ان يُشار الى شيء من اخبارهم رأساً في احوال خاصة بهم . ولا نعلم ان احدًا في الشرق تفرّغ للتنقير عنها والتقاطها من مكامنها ونشرها مرتّبة على حساب السنين ، مع التنبيه على اصولها ومآخذها ، وايراد الفاظ رواتها حيث امكن بالحرف الواحد ، ليتيسر نقدها ومراجعتها لكل من شاء . ولا يخفى ما يحول دون الاضطلاع بهذه الخطّة الصعبة من تعذر الوسائل ، وتشتت المؤلفات بين مطبوع ومخطوط في الخزائن العامة والخاصة ، وتوزع اجزاء الكتاب الواحد احياناً في اماكن شتى متنائية . فضلًا عما يتطلبه مثل هذا الدرس الشاقّ من الوقت والمؤونة . وهما ما لا ينهض باعبائها كل احد . وقد دلّنا طول الممارسة والاختبار على اعتياص فرز اخبار اليهود عن اخبار النصارى في الاسلام ، لاندراجها معاً في مجموع الاوامر السلطانية ، والاحكام الشرعية الصادرة في حق اهل الذمة عموماً . فلا مناص من نشرها بجملتها في كتاب يشمل وقائع طوائف اهل الكتاب . وقد رأينا ، بينما يتهيأ الفراغ من جمع مواد هذا التأليف الطويل الشقة ، ان نشرح في هذه العجالة ، على وجه التمثيل ، بعض اخبار اليهود في العراق ومصر والشام في ايام الخلفاء العباسيين والفاطميين . مما وجدنا فيه جدّة وغرابة في قسم من المخطوطات العربية التي اتفق لنا الوقوف عليها ، واتسع الوقت لنقل نصوصها . وقد عرفنا منها شيئاً وغابت عنا اشياء .

فرق اليهود في الاسلام

ذكر المقريزي ان اليهود كانوا في ايامه (١٣٦٥-١٤٤١ م) « اربع فرق . كل فرقة تخطّئ الطوائف الأخر . وهي طائفة الربانيين . وطائفة القرآئين . وطائفة العانانية . وطائفة السمرة » . وحكى ان العانانية « ينسبون الى عانان رأس الجالوت الذي قدم من المشرق في ايام الخليفة ابي جعفر المنصور . ومعه نسخ المثنا الذي كتب من الخط الذي كتب من خط النبي موسى . وانه رأى ما عليه اليهود من الربانيين والقرائين يخالف ما معه . فتجرد لخلافهم . وطعن عليهم في دينهم وازدرى بهم . وكان عظيماً عندهم . يرون انه من ولد داود عليه السلام . وعلى طريق فاضلة من النسك على مقتضى ملتهم . بحيث يرون انه لو ظهر في ايام عمارة البيت لكان نبيًّا . فلم يقدروا على مناظرته لما أوتي مع ما ذكرنا من تقريب الخليفة له واكرامه . وكان مما خالف فيه اليهود استعمال الشهور برؤية الاهلة على مثل ما شرع في الملة الاسلامية . ولم يبالِ في اي يوم وقع من الاسبوع . وترك حساب الربانيين وكبس الشهور . وخطأهم في العمل بذلك . واعتمد على كشف زرع الشعير . واجمل القول في المسيح عيسى بن مريم عليه السلام . واثبت نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم . وقال هو نبي أرسل الى العرب . الا ان التوراة لم تُنسخ ».[1]

ولا ندري اين نسخ المقريزي هذه الشروح . ولم يتفق له مرة الاشارة الى فرقة العانانية في اخبار كتابه السلوك . ثم عاد في الخطط فنقل في فصل آخر قول بعضهم « ان اليهود عانانية . وشمعونية . وجالوتية . وفيومية . وسامرية . وعكبرية . واصبهانية . وعراقية . ومغاربة . وشرستانية . وفلسطينية . ومالكية . وربانية . »[2] واشار الى جملة مذاهبهم . وذكر من انسابهم ان الفيومية تنسب الى ابي سعيد الفيومي . وهم يفسرون التوراة على الحروف المقطعة . والعكبرية اصحاب ابي موسى البغدادي العكبري ، واسماعيل العكبري ،

١) الخطط ، مطبعة النيل ، ٤ : ٢٦٨-٢٦٩

٢) الخطط ، مطبعة النيل ، ٤ : ٢٧٢

يخالفون اشياء من السبت وتفسير التوراة . والاصبهانية اصحاب ابي عيسى الاصبهاني . ادعى النبوة وانه عُرج به الى السماء فمسح الرب على رأسه . وانه رأى محمداً صلعم فآمن به . ويزعم يهود اصبهان انه الدجال وانه يخرج من ناحيتهم . والشرستانية اصحاب شرستان . والمالكية اصحاب مالك تلميذ عانان .[1]

وفي كتاب المنقذ من الضلالة للشيخ محمد بن عبد القادر الشهير بابن الصلف المحلي المالكي ان طوائف اليهود :

الاشمية مشبّهة مجسّمة . يعتقدون ان خالقهم في صورة شيخ ابيض الرأس واللحية . ويزعمون ان له في السماء الثالثة خليفة يسمونه الله الاصغر . ويزعمون انه مدبر العالم . وهم يقولون بالنسخ .

الاصبهانية اصحاب ابي عيسى الاصبهاني . يزعمون ان ابا عيسى كان نبياً مبعوثاً قبل موسى .

البنيامينية اصحاب بنيامين . موحّدة . غير انها تعتقد ان لله مضاداً من خلقه يضادّه . وهو فاعل الشر غير انه مخلوق من خلقه .

المالكية يزعمون ان الذي خلق العالم ليس هو الله . انما هو ملك من الملائكة . اقدره الله تعالى على ذلك قالوا وهذا الملك هو الذي كلّم موسى عليه السلام . وفلق له البحر . ورثيها مالك الصيدلاني من اهل الرملة .

الفارحية اصحاب يوحنا بن فارح على زمن ارميا عليه السلام . كانوا يعبدون صنماً يقال له بعل . ويقربون لنجوم السماء . كما هو مذكور في نبوة ارميا . والتوراة عندهم بلسان القبطي . ولا يعرفون العبراني .

العيسوية اصحاب ابي عيسى الاصبهاني ايضاً . يزعمون ان عيسى وعيسداً عليهما الصلاة والسلام . نبيان مرسلان لقومهما خاصة . ولم يُؤمرا بنسخ شريعة موسى عليه السلام .

السامرة وهم طائفتان . طائفة تقر بنبوة موسى وهرون عليهما السلام ويوشع عليه السلام . وتجحد نبوة من عداهم من النبيين . وطائفة تعترف بنبوة كل من الانبياء عدا عيسى ومحمداً عليهما السلام . وتزعم أن المسيح لم يبعث بعد وانه سيأتي . وآراؤهم غير آراء اليهود . ويخالفونهم في القبلة . فيتوجهون في صلاتهم الى جبل بالشام . واليه يحجون . وهو الذي نُفي اليه السامري جدّهم . وهم الذين يقولون « لا مساس » ويرون تحريم كل ما مسّه غيرهم . واليهود تزعم انهم ليسوا من بني اسرائيل .

وبالجملة فقد ذكر العلماء انهم يفترقون على احدى وسبعين فرقة . كل فرقة تضلّل الاخرى . والمعروف الآن اربع فرق : القرآؤن . والربانيون . والعيسوية . والسامرة . »[2]

---

١) الخطط ، مطبعة النيل ، ٤ : ٢٧٣ ٢) فصول من كتاب المنقذ من الضلالة الشاهد لمحمد وعيسى بالرسالة في المجموع رقم ٥٠٤٩ في خزانة باريس ، ص ١١٧

وغاية ما ذكره المؤرخون في الاسلام الفرق الثلاث فقط المشهورة . وهي فرقة الربانيين وهم اليهود على الاطلاق . وفرقة القرائين . وفرقة السامريين . ويظهر ان الفرق الاخرى التي تقدم تعدادها كانت قد قلّت جداً واضمحلت . ولذلك لم يكن يُشار اليها في توزيع الرسوم والجبايات السلطانية قال المقريزي :

« وفي سنة ٨١٦ (١٤١٣ م) الزم الامير التاج والي القاهرة النصارى واليهود بحمل ثلاثمائة مرتّة خمر . فوزعت على الاسارى المعروفين ببيع الخمر . وعلى بقية النصارى وعلى طوائف اليهود الثلاث . وجُبيت منهم بعنف وعسف . »[١]

ولا نذكر اننا في كل مطالعاتنا وقفنا على اشارة الى بقية الطوائف التي تقدم تعدادها . خلا ما جاء في ترجمة محمد بن جرير الطبري انه « كان لا يورّث كافرَين . . . لا شمعتياً من اليهود سامرياً . ولا عنانياً من الشمعتي . ووافقه على هذا المذهب الاوزاعي . »[٢]

اليهود الربانيون والخيابرة

قد اغفل المؤرخون اخبار قبائل خيبر منذ جلوا عن الحجاز . فلا نعلم كيف تفرقوا في البلاد . ولا شك ان اكثرهم استوطن فلسطين والشام ومصر والعراق . وخُصّوا بالذكر في ايام الخليفة الفاطمي الحاكم بامر الله . وأُعفوا من التعمّم بالسواد دون سائر اخوانهم في الدين . وهو قول النويري :

« سنة ٣٩٥ (١٠٠٤/٥ م) امر (الحاكم) اليهود والنصارى الا الخيابرة بلبس العمائم السود . وعلى اعناق اليهود قراميّ الخشب والجلاجل . »[٣]

« سنة ٤٠٣ (١٠١٢/١٣ م) امر الحاكم اليهود والنصارى بلبس العمائم السود الا الخيابرة . ومنعوا ان يستخدموا المسلمين وان يركبوا مع المكارية . »[٤]

ولا يدرى سبب هذا الإعفاء وما كانت حينئذ عدّة الخيابرة . وهل كانت لهم قبائل معروفة واحياء مستقلة .

ويؤخذ من بعض الروايات انهم كانوا قد كثروا وتوالدوا في المدائن ، وهي تطيفون القديمة ، في جوار بغداد . وقامت لهم في بغداد نفسها شوكة وصولة

١) السلوك لمعرفة دول الملوك . خزانة بريتش موزيوم Or. 2902, f° 16

٢) ارشاد الاريب لياقوت ٦ : ٤٥٤ ٣) نهاية الارب . خزانة ليدن Arab. 2 l., f° 76

٤) نهاية الارب . خزانة ليدن Arab. 2 l., f° 83

حتى استطالوا احياناً على المسلمين . وكانوا اذا شغبوا ، حتى في القرن السابع للهجرة ، ينادون بدعوتهم القديمة في الجاهلية ويصيحون يا آل خيبر ، كما سيأتي شاهده من كلام المؤرخ عبد الرزاق القرطي. وحدث لهم قبلاً في القرن السادس حدث يكاد لا يصدق لما فيه من الجرأة الغريبة . وبعد وقوع مثله في التقدير والحسبان من قوم من اهل الذمة « ضُربت عليهم الذلة » في الاسلام . وقد ساقه الذهبي في جملة اخبار سنة ٥٧٣ (١١٧٧/٨ م) فقال:

«جاء اهل المدائن فشكوا من يهود المدائن واضم قالوا لهم قد آذيتمونا بكثرة الاذان. فقال المؤذن لا نبالي تأذيتم او لا . فتناوشوا وجرت بينهم خصومة استظهر فيها اليهود . فجاء المسلمون مستصرخين الى صاحب المخزن . فامر بحبس بعضهم ثم اطلقهم . فاستغاثوا يوم الجمعة بجامع المدينة . فخفف الخطيب . فلما فرغت الصلاة استغاثوا . فخرج اليهم الجند فضربوهم ومنعوهم فانهزموا . فغضب العوام نصرة للاسلام . فضجوا وشتموا وقلعوا طوابيق الجامع وضربوا بها الجند وبالآجر وجرحوا . وخرجوا فنهبوا المُخلِّطين (١ لان اكثرهم يهود . فوقف حاجب الباب بيده السيف مجذوباً وحمل على الناس فرجوه . واغلق البلد. وضربوا الكنيسة وقلعوا شبابيكها وقطعوا التوراة واختفى اليهود . فتقدم المدينة بإخراب كنيسة المدائن وان تجعل مسجداً.»(٢

وليت الذهبي نقل السبب الذي من اجله انتصر صاحب المخزن وحاجب الباب ، اي دار الخلافة ، لليهود. مع ما شاع من إنكارهم التأذين . ولعل هذا الانتصار كان بتوسط احد جهابذة الحضرة او اطبائها من اليهود ، اذا صحت رواية الذهبي . وقد خالفه النويري في حكاية هذا الحادث فذكر انه وقع في بغداد ورواه على وجه آخر فقال:

« في هذه السنة (٥٧٣) جرت فتنة عظيمة بين اليهود والعامة ببغداد . وكان السبب ان مؤذناً عند كنيسة اليهود نال منه بعضهم كلاماً فشتم المسلم فاقتتلا . فجاء المؤذن يشتكي منه الى الديوان وتفاقم الحال . وكثرت العوام واكثروا الضجيج . ولما كان يوم الجمعة

١) لم ترد هذه اللفظة في كتب اللغة . ويُستفاد من قصة اوردها التنوخي في نشوار المحاضرة (١ : ٩٨-٩٩) ان المخلَّط بالفتح « هو لوز وسكر وفستق وبندق وزبيب يخلط معاً ». وهو ما يقال له اليوم في مصر «الفطرة». وقد نبّه عليه عماد الدين الخليلي في شذرات الذهب فقال: المخلَّط هو الفاكهة اليابسة (٤ : ٣٣) فالمخلِّطون اذن هم باعة المخلَّط من اليهود. وكانوا يبيعون ايضاً اصناف العطر ، ولذلك كانوا يقيمون ببغداد في سوق العطارين ، كما سيجيء من كلام النويري.

٢) التاسع من تاريخ الاسلام للذهبي ، خزانة اكسفرد Laud. Or. 304, f° 146-147

منعت العامة اقامة الصلاة في بعض الجوامع . وخرجوا من فورهم فنهبوا سوق الصفارين الذي فيه اليهود . وذهبوا الى كنيسة اليهود فنهبوها . ولم يتمكن الشُرَط من ردهم . فامر الخليفة بصلب بعض العامة . فأخرج في الليل جماعة من الشطّار من الحبس فصلبوا . فظن كثير من الناس ان هذا بسبب هذه الكائنة . فسكنت الفتنة . ولله الحمد .»(١)

وقد اغفل كلا المؤرخين ذكر الاصل الذي نقلا عنه هذه الواقعة كعادة معظم المؤرخين في الاسلام في الاخذ عمن تقدمهم او عاصرهم ؛ وكتمان المصادر التي استمدوا منها اخبارهم . ولا شك ان رواية النويري اوثق واقرب الى التصديق لانه يبعد جداً ان يحتج اليهود على تأذين الاسلام . وقد عُرف الذهبي بالمجازفة في اكثر ما يرويه من اخبار اهل الذمة وتراجم رجالهم وتحامله عليهم دائماً لشدة بغضته لهم .

وهنالك ما هو اشد مما تقدم واعظم شأناً . وهو الحادث الذي نازع فيه الخيابرة المسلمين في بغداد ، ولم يخشوا من اشهار السلاح في وجوههم والمناداة بعصبيتهم كما في الجاهلية . حكاه عبد الرزاق الفوطي في اخبار سنة ٦٥٤(١٢٥٦م) فقال :

« فيها زادت دجلة زيادة عظيمة . . . وانهزم الناس كلهم والماء في اثرهم فاحاط ببغداد . . . وعمل اليهود سُكْرًا في رأس بين الدربين ودرب الفيار . وساعدهم المسلمون على عمله . فنازعهم فيه من يتعدى ضرره الى ملكه . وجرت بينهم خصومات وشهروا السلاح . ونادوا يا آل خيبر . فقبض الشحنة على جماعة منهم فضربهم وشوّه خلقهم وشهرهم . ونودي عليهم هذا جزآء من شهر السلاح على المسلمين وقال يا آل خيبر . »(٢)

ولا يخفى ما في هذا الاشهار والمناداة من الدلالة على قوة الخيابرة ومنعتهم بعد ستة قرون ونصف من خروجهم من الحجاز . وفي بقاء هذه العصبية الجاهلية بينهم برهان على عدم انقراض الفرسان والشجعان منهم . وقد سبق لهم من آيات هذه الفروسية والشجاعة في اوائل الخلافة العباسية ما لا يكاد يصدق ، لولا ان شهد به عياناً احد ابناء الخلافة . وهو ابراهيم بن المهدي اخو الرشيد وعامله على دمشق . ويستفاد من حديثه انه كان للخيابرة في ايامه فصائل وعصابات عُرفت بشدة البأس والفتك ، والخروج احياناً على السلطان ، وانتهاب اموال الجباية ، والأنفة

١) مجلد من غاية الارب . خزانة ليدن Arab. 19 Gol. دون ارقام .
٢) الحوادث الجامعة ، ص ٢١٧–٢١٨

من ذلّ دفع الجزية . وحكى حادثة وقعت له مع احدهم ممن اشتهر بالبسالة وقطع الطريق والمعصية على العمال . وذكر من إبائه ، وعزة نفسه ، وحفظه للذمام ، وفضيلة اخلاقه البدوية ، ما يعيد ذكرى السموأل بن عادياء . ومن العجيب جدًا ان يكون فريق من اليهود ، بعد مضيّ نحو قرنين من نزوحهم عن مواطنهم حول المدينة ، باقين على هذه الفطرة العربية . ويحق للناظر في تاريخهم ان يسجّل لهم هذه الخصال في جملة ما قد يحمدون عليه من طيب الاخلاق . وان يحفظ لفارسهم الشاب يحيى بن ارميا ذكرًا خاصًا بين مفاخر الابطال في الشام .

وهذا نص حديث ابرهيم بن المهدي ننقله برمته . وفي ختامه فوائد طريفة في تاريخ ولاة دمشق وترجمة ابرهيم بن المهدي . ووصف لتجسّس الرشيد واقامته العيون والارصاد على عمّاله واهل بيته . واشارة صريحة الى ان موالي بني امية ، في خلافته كانوا لا يزالون يفسدون في بعض الاعمال حقدًا على الهاشميين :

« قال علي بن المغيرة الاثرم : حدثني ابرهيم بن المهدي انه ولي إمرة دمشق سنتين ثم اربع سنين لم يُقطع على احد في عمله طريق . (قال) وأخبرت ان الآفة كانت في قطع الطريق من دعامة والنمان . مولّيان لبني امية . ويحيى بن ارميا من جرود البلقاء . وانهم لم يضعوا ايديهم في يد عامل . فلما وليتُ كاتبتهم . (قال) فكتب اليه النمان بالأيمان المحرّجة انه لا يفسد في عمله ما دام والياً . (قال) ودخل الي دعامة سامعًا مطيعًا واعلمني ان النمان قد صدق وانه بي . واعلمني ان اليهودي كتب اليه اني خارج الى مناظرتك . فاكتب لي امانًا تخاف لي فيه انك لا تُحدث فيَّ حدثًا حتى تردني الى مأمني . فأجبتهُ . فقدم علي شاب اشعر امرد عليه اقبية ديباج ومنطقة وسيف محلّى . فدخل الى دار معاوية (١ وكنت في صحنها . فسلّم من دون البساط . فقلت ارتفع . فقال ايها الامير ان للبساط ذمامًا اخاف ان يلزمني جلوسي عليه . ولست ادري ماذا تسومني . فقلت أسلِم واسمع واطع . فقال اما الطاعة فارجو . واما الاسلام فلا سبيل اليه . فأعلمني ما لي عندك اذا لم ادخل في دينك . قال لا بد من اداء الجزية . فقال يعفيني الامير . قال فقلت لا سبيل الى ذلك . قال فانا منصرف على امانٍ . فاذنت له . وأمرتهم ان يسقوا فرسه عند خروجه اليه . فلما رأى ذلك دعا بدابة شاكرية فركبها وترك دابته . وقال ما كنت لآخذ معي شيئًا قد ارتفق منكم بمرفق فاحاربكم عليه . قال فاستحسنت ذلك منه وطلبته .

(قال) فلما دخل قلت الحمد لله الذي اظفرني بك بلا عقد ولا عهد . قال وكيف ذاك .

---

١) يستدلّ من هذا القول ان دار معاوية المعروفة بالخضراء ، بدمشق ، كانت لا تزال قائمة معمورة في ايام الرشيد وان الولاة كانوا ينزلونها .

قلت لانك انصرفت من عندي ثم عدت الي . قال شرطك ان تصرفني الى مأمني . فان كان دارك مأمني فلست بخائف . وان كان مأمني داري فردني الى البلقاء . فجهدت به ان يجيبني الى اداء الجزية على ان اهبه في السنة الفي دينار فلم يفعل . فاذنت له في الرجوع الى مأمنه فرجع فاسمر الدنيا شرًا .

ثم حمل الى عبد الله بن المهدي مال من مصر . فخرج اليهودي متعرضاً له . فكتب الي النعمان بذلك . فكتبت له إمرة بمحاربة اليهودي ان عرض للمال . فخرج النعمان ملتقياً للمال ووافاه اليهودي ومع كل واحد منهما جماعة . فسأل النعمان اليهودي الانصراف فابى . وقال ان شئتَ خرجتُ اليك وحدي وانت في جماعتك . وان شئت تبارزنا . فان ظفرت بك انصرف اصحابك الي وكانوا شركائي في الغنيمة . وان ظفرت بي صار اصحابي اليك . فقال له النعمان يا يحيى ويحك انت حدث . وقد بُليت بالمُعجب . ولو كنت من قريش لما امكنك معاداة السلطان . وهذا الامير هو اخو الخليفة . وانا وان فرّقنا الدين . احب ان لا يجري على يدي قتل فارس من الفرسان . فان كنت تحب ما أُحب من السلامة فلا يبتلى بك وبي من يسوّغنا قتله .

قال فخرجا جميعاً وقت العصر فلم يزالا في مبارزة الى الظلام . فوقف كل منهما على فرسه واتكأ على رمحه الى ان غلبت النعمان عيناه . فطعنه اليهودي فوقع سنان رمحه في منطقة النعمان . فدارت المنطقة وصار السنان يدور بدوران المنطقة الى الظهر . فاعتنقه النعمان وقال له أغدرًا يا ابن اليهودية . فقال له أوّ تحارب بنام يا ابن الأمة . واتكأ عليه النعمان عند معانقته اياه فسقط فوقه . وكان النعمان ضخماً فصار فوق اليهودي فذبحه وبعث برأسه . فلم يختلف على بعده احد .

ثم ولي بعدي دمشق سليمان بن المنصور فانتهبه اهل دمشق وسبوا حُرَمه . ثم ولي بعده اخوه منصور . فكانت على رأسه الفتنة العظمى . ثم لم يُعطِ القوم طاعة بعد ذلك الى ان افتتح دمشق عبد الله بن طاهر سنة عشر ومائتين (٨٢٥ م) . وكان السبب في صرفي عن دمشق المرة الاولى انني اشتهيت الاصطياح فاغلقت الابواب . قال فحضر الكاتب فصار اليه بعض الحشم فسأله ان يكتب له الى صاحب الترل فلم يمكن اخراج الدواة . واستعجله ذلك الغلام . فاخذ فحمة وكتب في خزفة بحاجته : فاخذ سليم حاجبي تلك الفحمة فكتب على الحائط « كاتب يكتب بفحمة في الخزف . وحاجب لا يصل » . فوافى صاحب البريد فقرأ ما كتب سليم . فكتب بذلك الى الرشيد . فوافى كتابه الرقة اليوم الرابع . فساعة وقع بصره على الكتاب عزلني وحبسني مائة يوم . ثم رضي عني بعد سنة . ثم قال لي بعد سنتين بخفي عليك لما تغيّرت ولاية أوليكها . فقلت دمشق . فسألني عن سبب اختياري لها فاخبرته باستطابتي هواءها واستسرآني مآءها واستحساني سجدها وغوطتها . فقال قدرك اليوم عندي يتجاوز ولاية دمشق . ولكن اجمع لك مع ولاية الصلاة والمعاون ولاية الخراج . فعقد لي عليها . » (١

(١) الرابع من تاريخ الاسلام للذهبي . اكسفرد Laud. or. 244, f° 182-3

وفي هذا الخبر المطرب من المُلَح واللُمَح الى ما كانت عليه في ذلك العصر اخلاق القوم واحوال المجتمع ، ما يندر جداً ورود مثله في الاخبار القديمة . واغرب ما فيه قول اليهودي الفارس الشاب — وما احبّه الى كل قلب ! — « ان للبساط ذماماً » ولذلك وقف دونه وابى ان يطأ عليه . واشد غرابة منه تخلّيه عن فرسه تحرّماً من مقاتلة السلطان عليها بعد ان شربت من ماء الولاية . وهذا التذمّم والتحرّج من يهوديّ خارجيّ شقّ عصا الطاعة وتعوّد إخافة السبل واستباحة الاموال من اعجب العجب.

وقد اشتهر اليهود في كل عصر ومصر بالتفوّق في اقتناص المناصب والاموال. والتلطف في ابتغاء الوسائل . لإحراز الجاه والتقرب من السلطان . ولذلك كثر منهم جهابذة الخلفاء ، وخزّان الوزراء ، وكتّاب الدواوين ، وكبار الاطباء ، واعيان التجار ، واغنياء المتصرفين والمتقبّلين . وما زالوا يزاحمون بالمناكب ويغتلون في الذروة والغارب حتى تبوّأوا ايضاً منصّة الوزارة ، ولو بانتحال الاسلام . ولو اردنا ان نفيض في تعداد كل المناصب والاعمال التي تلقّفوها بالحذق والرفق في السعي والمصانعة ، لامتدّ بنا شوط الكلام. ولكن حسبنا ان نروي نكتة واحدة وُصف فيها احدهم بوضع اليد على استيفاء الاوقاف الاسلامية بحلب ، وكيف عزل عنه مرتين بشكوى من الفقهاء . وكان يعود اليه كل مرة باصفق وجه واكبر دالّة . وهو ما حكاه ابن تغري بردي في ترجمة احمد بن عبدالله بن الزبير شمس الدين الحلبي الخابوري قال:

« مولده بالخابور سنة ستمائة (١٢٠٣/٤م) وهو خطيب حلب . كان له محاسن وطُرف ونوادر وخلاعة . وله في ذلك حكايات لطيفة . منها انه كان في ايام قرا سنقر نائب حلب مستوفٍ على الاوقاف يهودي . فضايق الفقهاء واهل الاوقاف وشدد عليهم فشكوه الى قرا سنقر فعزله . ثم انه سعى وبرطل وعاملهم اشد من الاول فشكوه فعزله . ثم ولي فشكوه فعزله . ثم ولي فشكوه فعزله . ثم سعى وتوسل . فاجتمع الفقهاء وقالوا ما لنا في الخلاص منه الا الخطيب . فجاؤا اليه فقال ما اصنع بهذا الكلب ابن الكلب . فقالوا ما له غيرك . فقال يدبّر الله . وامر غلامه ان يأخذ سجادة ودواة واقلاماً وورقاً ومصحفاً على كرسي . وقال له توجّه بها الى كنيسة اليهود . وافرش لي السجادة . وكان ذلك بعد عصر الجمعة فحضر الشيخ الى الكنيسة وجلس على السجادة وفتح المصحف من اوله واخذ ان يكتب . فجاءه اليهود ورأوه وما امكنهم يقولون له شيئاً لانه خطيب البلد وهو ذو وجاهة ونفاق

عليهم الوقت وارادوا الدخول في السبت واغمروا . فقالوا له يا سيدي قد قرب اذان المغرب وتريد تنقى الكنيسة . فقال ابيت فيها لاني نذرت ان انسخ هذا المصحف هنا . فضاقوا وضجروا وقالوا يا سيدي والله ما نُطيق هذا . وغدًا السبت . فقال كذا اتفق ولا بد من المقام هنا الى ان يفرغ هذا المصحف . فدخلوا عليه وقبلوا اقدامه واقسموا عليه . فقال ولا بد . قالوا نعم . قال التزموا لي ان تحرموا هذا المتوفي حتى لا يعود يباشر الاوقاف فالتزموا له بذلك واستراح المسلمون منه » (١

ومن كبار الجهابذة في عهد العباسيين هرون بن عمران ، ويوسف بن فنحاس[٢] ، واسرائيل بن صالح ، وسهل بن نظير[٣] . وقد شرح الصابئ كيف كان ابن عمران وابن فنحاس يوافقان الوزراء على اختيان الدولة واحتجان اموالها . ومنهم ايضاً علي بن هرون في ايام الامير بجكم المتغلب على السلطان وكان في سنة ٣٣١ (٣/٩٤٢ م) « وقع على التجار ببغداد ظلم عظيم وخبط شديد . فتهارب الناس وخرج عن بغداد جماعة من مياسير اليهود والمجوس الى الشام . وكان الامير بجكم قبل ذلك بسنتين قد جمع الكتاب بجيلة منه « وقبض النقيب على علي بن هرون الجهبذ اليهودي . واخذ احمد بن علي الكوفي منه بعد عذاب عظيم مائة الف وعشرة آلاف دينار . ثم قتله بجكم بعد ذلك بمديدة . »[٤] ومنهم ايضاً ابو علي بن فضلان اليهودي . التمس منه ابو علي بن اسماعيل قرضاً لبهاء الدولة وهو بواسط . فلم يسعفه . فقرر مع بهاء الدولة اخذ اليهود ومصادرتهم تقريرًا معلوماً . . . » فلما حصل ببغداد قبض على جماعة من اليهود وعسفهم في المطالبة والمعاقبة . »[٥]

ومن اشهر الضمّان والمتقبلين ابن علّان ضامن البصرة . قال النويري : « في سنة ٤٧٢ (١٠٧٩ م) امر السلطان بتغريق ابن علّان اليهودي ضامن البصرة واخذ من ذخائره اربعمائة الف دينار . »[٦]

ومن الكتّاب المجوّدين ابو غالب ابن كونة اليهودي ذكره ابن الساعي في

١) المنهل الصافي . باريس ٢٠٦٨ ، ص ٦١ ٢) تاريخ الوزراء للصابئ ، ص ٧٦
٣) الخامس من تجارب الامم لابن مسكويه ، ص ٣٤٦ ، طبعة مصر .
٤) كتاب الاوراق للصولي ، ص ٢٥١ و١٤٧-١٤٨
٥) ذيل تجارب الامم للروذراوي ، طبعة مصر ، ١٩١٦ ، ص ٢٨٣
٦) مجلد من نهاية الارب . خزانة ليدن Arab. 19ª Gol. ، دون ارقام .

تاريخه . توفي في مطمورة واسط سنة ٦٠١ (١٢٠٤ م) قال النويري: كان يزوّر على خط ابن مقلة من قوة خطه.[1]

وكان لليهود بمصر صولة ودولة في ايام الخلفاء الفاطميين. ومن الحارات التي كانت منسوبة اليهم في القاهرة « الجودرية » قال المقريزي : « ولها حكاية سمعت جماعة يحكونها. وهي انها كانت سكن اليهود والمعروفة بهم. فبلغ الحاكم انهم يجتمعون بها في اوقات خلواتهم ويغنّون:

وأمة قد ضلّوا ودينهم مثلُ
قال لهم نبيهم نعم الإدام الخلُّ

ويسخرون من هذا القول . ويتعرضون الى ما لا ينبغي سماعه . فاتى الى ابوابها وسدّها عليهم ليلًا واحرقها . فالى هذا الوقت لا يبيت بها يهودي ولا يسكنها ابدًا.[2] وكان منهم قوم بالاسكندرية يتعرضون ايضاً لما لا يعنيهم من شؤون الدولة . ولما حضر الافضل امير الجيوش الى الاسكندرية « كان بها يهودي يبالغ في سبّ الافضل وشتمه ولعنه فلما دخلها الافضل قبض عليه واراد قتله وقد عدّد عليه ذنوبه . فقال ان معي خمسة الاف دينار خذها مني وأعتقني واعفُ عني. فقال والله لولا خشية ان يقال قتله حتى يأخذ ماله لقتلتك وعفا عنه. ولم يأخذ منه شيئاً . »[3]

ومن الحارات المعروفة بهم ايضاً في القاهرة « الوزيرية ». قال ابن عبد الظاهر : « الوزيرية منسوبة الى الوزير يعقوب بن يوسف بن كلّس ابي الفرج. كان يهودياً من اهل بغداد فخرج منها الى بلاد الشام. ونزل بمدينة الرملة واقام بها. فصار فيها وكيلًا للتجار واجتمع في قِبَله مال عجز عن ادائه. ففر الى مصر في ايام كافور الاخشيدي فتعلق بخدمته . . . وكان صاحب حِيَل ودهاء ومكر ومعرفة مع ذكاء مفرط وفطنة . . . فكثرت امواله واتسعت احواله. واعجب به كافور لما خبر فيه من الفطنة وحسن السياسة فقال لو كان هذا مسلماً لصلح ان يكون وزيرًا.

---

١) مجلد من نهاية الارب. خزانة ليدن Arab. 19a Gol.

٢) الخطط ، مطبعة النيل ، ٣: ٦-٧

٣) أخبار مصر لابن ميسر ، ص ٥٩

فلما بلغه هذا عن كافور تاقت نفسه الى الولاية فاحضر من علّمه شرائع الاسلام سرًّا.»[1] واسلم في شعبان سنة ٣٥٦ (٩٦٧ م) فخلع عليه كافور ، وركب اليه اهل الدولة يهنئونه. فقلق بسببه الوزير جعفر بن الفرات المعروف بجزابة. وقبض عليه بعد موت كافور وصادره على اربعة آلاف وخمسمائة دينار[2]. ففرّ الى المغرب، وخدم المعزّ لدين الله. وعاد معه الى القاهرة ، وقلّده وزارته . ووزر بعده للعزيز بالله. وأعجب بخدمته غاية الاعجاب. ولما اعتلّ علّة الوفاة ركب العزيز اليه عائدًا وقال له: وددت لو انك تبتاع بملكي او تفدى فافديك بولدي... وصلّى عليه وألحده بيده في قبره وانصرف حزيناً لفقده . وامر ان تغلق الدواوين اياماً بعده[3]. وهو الذي احضر للعزيز من دمشق القراصية على اجنحة حمام الزاجل[4].

وممن وزر ايضاً للفاطميين من اليهود الاسالمة ابو منصور صدقة بن يوسف الفلاحي. كان ناظرًا على الشام فهرب من وجه امير الجيوش انوشتكين الدُزبري. وقدم الى مصر ، والوزير يومئذ صفي الدين ابو القاسم الجرجرآئي. فقرّبه ورعى له حرمته. ولما مات سنة ٤٣٦ (١٠٤٥ م) اوصى ان تفوّض له الوزارة من بعده. ثم اسلم بعد الوزارة. وفيه يقول الحسن بن خاقان الشاعر المصري يصف اخلاقه:

حجابٌ وإعجاب وفرط تصلّفٍ ومدّ يدٍ غو الملى بتكلّفِ
فلو كان هذا من ورآء كفاية عذرنا ، ولكن من ورآء تخلّفِ (٥

وكان اذ ذاك ابو سعد ابرهيم بن سهل التستري اليهودي يتولى ديوان والدة المستنصر « وذلك انها كانت جاريته فاخذها منه الظاهر واستولدها فولدت المستنصر بالله . فلما افضت الخلافة الى ولدها فوضت اليه امر ديوانها . فعظم امره وانبسطت كلمته بعد وفاة الجرجرآئي الوزير حتى لم يبقَ للوزير الفلاحي معه الا رسم الوزارة . فدبّر الفلاحي في قتله فقتل . وحقدت والدة المستنصر على الوزير الفلاحي وتحققت انه تسبب في قتله فقبضت عليه وصرفته

١) المقطط ٣: ٧
٢) مجلد من غاية الارب للتوبري . خزانة ليدن Arab. 2 l. Gol., p. 20
٣) الاشارة الى من نال الوزارة لابن الصيرفي ، ص ٢٢
٤) طالع الخزانة الشرقية في « مشرق » ١٩٣٨ ، ص ٦١–٦٢
٥) حسن المحاضرة للسيوطي ، مطبعة الموسوعات ، ٢: ١٣٦

عن الوزارة سنة ٤٤٠ (١٠٤٨ م) واعتقلته في خزانة البنود . ثم قتل بعد ذلك بيسير . »[١] وكان والده ابو الفضل يوسف علي الفلاحي متولي ديوان دمشق . وهو الذي هجاه ابو القاسم الواساني الدمشقي الشاعر الهجّاء بقصيدته المشهورة بالمجون والقذارة ومن اجلها عزل عن عمله واولها :

يا اهل جيرون ، هل أسامركم اذا استقلت كراكب الحمل (٢

وهجا معه ايضاً بهذه القصيدة منشا بن ابراهيم القزاز اليهودي. ويؤخذ من قصيدة هجاء له اخرى ان منشا المذكور كان من خيابرة دمشق. وهو قوله فيه:

ان منشا قد زاد في التيه وزاد في شامنا تمذّبه
وهو مغيظ على الوصيّ ومن ينزى اليه ومن يواليه
يذكر ايام خيبر بهم فهم قذًى في اماقيه (٣

ووصف بعض المؤرخين ابا اسعد التستري بالظلم والعتوّ. قالوا وزاد اذاه في حق المسلمين حتى كانوا يحلفون «وحق النعمة على بني اسرائيل»[٤]. ومن الابيات التي قيلت فيه يومئذ:

يهود هذا الزمان قد بلغوا غاية آمالهم وقد ملكوا
العزّ فيهم ، والمال عندهم ، ومنهم المستشار والملك
يا اهل مصر، اني نصحت لكم: خوذوا ، قد خوّد الفلك (٥

ولما قتل ابو اسعد التستري ، ردّ المستنصر لولده النظر في احد الدواوين ، ولاخيه ابي نصر هرون خزانة الخاص . وهو الذي توسط لثال بن صالح بن مرداس ، امير حلب ، بطلب العفو له من المستنصر. وكان هذا التوسط سبباً لاغراء الوزير ابي البركات اليازوري بقتله « فقبض عليه واخذ جميع ماله وعوقب حتى مات . »[٦]

وفي سنة ٤٦٥ (١٠٧٢/٣ م) ولي وزارة المستنصر بالله ابو المكارم بن

١) مجلد من غاية الارب السابق الذكر ، ص ٩٦
٢) ارشاد الاريب لياقوت ٦:٢٦
٣) ارشاد الاريب ٦:٢٥
٤) مجلد من غاية الارب للنويري. خزانة ليدن Arab. 2 l. Gol., f° 96
٥) اخبار مصر لابن ميسّر ، ص ٢
٦) اخبار مصر لابن ميسّر ، ص ٣

اسعد ثم قتله امير الجيوش بدر. ووزر بعده ابو علي الحسن بن ابي سعد ابراهيم ابن سهل التستري. وكان يهودياً فاسلم ثم صُرف بعد ايام قليلة[1]. وهو لا شك الذي ولاه المستنصر النظر في احد الدواوين بعد قتل والده كما تقدم.

وممن اشتهر من اليهود الاسالمة، في دولة التتار، الرشيد فضل الله بن ابي الخير الهمذاني الطبيب. قال ابن العماد الحنبلي في ترجمته: «كان ابوه يهودياً عطاراً. فاشتغل هذا في المنطق والفلسفة واسلم. واتصل بقازان وعظم في دولة خربندا بحيث انه صار في رتبة الملوك. قام عليه الوزير علي شاه بانه هو الذي قتل القان خربندا لكونه اعطاه على هيضة مسهلاً فتقياً فخارت قواه. فاعترف وبرطل جربان بالف الف دينار فما نفع. بل قتل هو وابنه. وكان يوصف بحلم ولطف وسخاء ودهاء. فسّر القرآن العظيم فشحنه بآراء الاوائل. وعاش نيفاً وسبعين سنة. وقيل بل كان جيد الاسلام. وهو والد الوزير المعظم محمد بن الرشيد وكان وزير التتار ومدبر دولتهم.»[2]

ومما برّز فيه اليهود ايضاً الطب وما يتبعه من الكحل والصيدلة. ولذلك كثر فيهم العطارون وباعة العقاقير والاعشاب. وتقدّم منهم في الدولة الاموية اطباء مثل ماسرجويه، متطبب البصرة، وفرات بن شحناثا في ايام المروانيين. ويظهر انهم كانوا اكثر عدداً في مصر في عهد الفاطميين منهم في بغداد في زمان العباسيين. واول من طبّ منهم للمعزّ لدين الله، منذ قدومه الى مصر، موسى ابن العازر واولاده اسحق واسمعيل ويعقوب بن اسحق. وخدم منهم الحاكم بامر الله جراحي من اهل مصر عالجه من عقر أزمن فلقّبه الحاكم لذلك بالحقير النافع. وتتابع منهم في خدمة خلفاء مصر افرائيم بن الزفّان في ولاية الافضل بن امير الجيوش. وتلميذه ابو الخير سلامة بن مبارك بن رحمون. ومبارك بن سلامة. والرئيس هبة الله. والمهذب ابو الفضائل بن الناقد. والموفق شمس الرئاسة ابن جميع. والموفق بن شرعة. وممن ادرك منهم اواخر دولة الفاطميين وتعلق بخدمة الملوك الايوبيين ابو المعالي بن تمام، واسلم جماعة من اولاده. والرئيس ابو

١) الاشارة الى من نال الوزارة، ص ٥٢؛ واخبار مصر لابن ميسر، ص ١٥و٢٢

٢) شذرات الذهب في اخبار من ذهب ٦: ٤٤-٤٥

عمران بن ميمون القرطبي وولده ابرهيم. وابو سعد المحلي يعقوب بن اسحق. واشتهر في الشام سكّرة الحلبي. عالج حظية نور الدين بن زنكي. وعفيف بن عبد القاهر بن سكرة من اهل حلب. وابو الحجاج يوسف المغربي الاصل. اقام بمدينة حلب وخدم الملك الظاهر غازي بن صلاح الدين. واوحد الدين عمران بن صدقة الدمشقي في ايام الملك العادل ابي بكر بن ايوب. والطبيب المعروف بالمفشكل اليهودي في اوائل القرن السادس للهجرة ورد ذكره في ابيات هجاه بها ابو الحكم عبيد الله الباهلي من مدينة المرية بالاندلس. ومن اطبآء المماليك زين الدين خضر الاسرائيلي امر السلطان برساي بتوسيطه سنة ٨٤١ (١٤٣٨ م) لما يئس من الحياة وظن ان اطبآءه تصروا في معالجته[1].

واما في العراق فمن ورد ذكره من اليهود الاسالمة ابن قوسين في الموصل. واوحد الزمان ابو البركات هبة الله بن علي بن ملكا. اسلم في خدمة المستنجد بالله. وربّن الطبري، كان طبيباً منجماً من اهل طبرستان. وكان والده علي بن سهل الربّان — ولذلك قيل له ربّن — طبيباً ايضاً مشهوراً. انتقل من طبرستان وسكن سُرّ من رأى. وولده هو ابو الحسن علي صاحب كتاب فردوس الحكمة. اسلم على يد المعتصم. ومن المغاربة الذين قدموا الى المشرق السموأل ابن يهوذا. توفي في المراغة سنة ٥٧٠ (١١٧٤ م) بعد ان دان بالاسلام.

كنائس اليهود الربانيين بدمشق

لما استولى العرب على دمشق كان لليهود فيها عند الجسر كنيسة كانت لم تزل ماثلة في زمان ابن عساكر. عدّها في جملة الكنائس الخمس عشرة التي اشتمل عليها كتاب الصلح. ولما نقل ابن شاكر الكتبي كلامه عليها قال ايضاً هي باقية الى يومنا هذا[2]. (٧٦٤ للهجرة = ١٣٦٢/٣ للميلاد). والجسر المشار اليه هو دون

١) الجزء الثاني من نيل الامل في ذيل الدول للقاضي عبد الباسط المؤرخ. خزانة اكسفرد Huntl. 610، دون ارقام.

٢) الثالث من عيون التواريخ. باريس ١٥٨٧، ص ٩٢

ريب الجسر الذي كان عند باب كيسان ، مدخل حارة اليهود قديماً.

وفي تاسع شوال سنة ٦٩٦ (١٢٩٧ م) هاجم هذه الكنيسة بعصابته الفاسق المشهور بقباحه خضر بن ابي بكر بن موسى العدوي ، شيخ الملك الظاهر بيبرس البندقداري. ونهب ما فيها من الآلات والامتعة . واحرق التوراة . قال النويري: « واخرج اليهود منها وجعلها زاوية . وعمل لاصحابه بسيسة عشرة قناطير بالدمشقي . فاكلوا منها . وحضر المغاني فعمل سماطاً ورقصوا على بقية البسيسة بارجلهم . فما افلح بعد ذلك . فاجتمع اليهود . وخرجوا عن مظالم كانت بينهم . ورفعوا اصواتهم بالدعاء وقالوا « يا محمد بن عبد الله نحن في ذمتك وعهدك . لا دولة لنا ولا سلطان . فانتصر لنا . » فكانت حادثة السيل . وخرج الشيخ خضر من الكنيسة على صورة منكرة »[1].

وهذا السيل الذي اشار اليه النويري . هو الذي فاجأ دمشق في غد اليوم نفسه . وعلا سور دمشق قدر رمح . وفي بعض المواضع احد عشر ذراعاً فيما قالوا. واتلف الجسور والابنية . واخرب المنازل والدور . وردم الانهار بالطين . واقتلع الاشجار من اصولها . واخذ الطواحين بحجارتها . واهلك زهاء عشرة آلاف نفس. وكان خلق كثير من الروم والعجم قدموا حجاجاً . ونزلوا بالميدان ففرقوا عن آخرهم هم وجمالهم ودوابهم[2].

وكان السلطان بيبرس يحب شيخه المذكور محبة عظيمة عمياء . حتى انه سمى احد اولاده خضراً لموافقته لاسمه[3] . ولذلك اطلق له الكنيسة المشار اليها والاملاك التي حولها[4]. ففعل بها فعلته القبيحة . دون ان ينكر عليه شيئاً منها فجعلها زاوية . وبقيت في يده ويد اصحابه ثماني سنين . ثم ردت على اليهود بالمحضر الثابت انه اخذها بغير مستند[5].

---

١) التاسع والعشرون من غاية الارب للنويري . باريس ١٥٧٨ ، ص ٤٤

٢) التاسع والعشرون من غاية الارب للنويري . باريس ١٥٧٨ ، ص ٤٤–٤٥

٣) البداية والنهاية لابن كثير . ورواية الطبراني . باريس ١٥١٦ ، ص ١١٢

٤) تالي كتاب الاعيان للموفق فضل الله الصفاعي . باريس ٢٠٦١ ، ص ٢٢

٥) ذيل ابن قاضي شهبة . باريس ١٥٩٩ ، ص ١٠٢

وفي سنة ٧٩١ (١٣٩٢ م) كتب القاضي الباعوني ، وهو نائب الغيبة ، للسلطان . واتهم اليهود انهم فعلوا ما يوجب نقض العهد ، فجاء الجواب ان يُفعل بهم ويفعل . وان تجعل كنيستهم مسجداً . فذهب القضاة وجماعة من الفقهاء وغيرهم اليها ، وقرّر النائب اقامة إمامها . وأُقيم بها شعائر الاسلام ، وبقيت كذلك سنتين . فلما جاء الملك الظاهر برقوق الى دمشق « تشفع اليهود بمن وصل خبرهم اليه . وان ما نُسب اليهم لم يثبت منه شيء . ولكن الباعوني كتب من غير تثبت على عادته . »[1]

وكان بدمشق قوم على شاكلة القاضي الباعوني دأبهم دائماً التملّل على اهل الذمة . والتجنّي عليهم بايسر الاسباب والحجج توصلاً الى مصادرتهم واذيتهم للانتفاع منهم . وفي هذه السنة نفسها حصل حريق شديد شرقي الجامع الاموي ووُجد يهودي قريباً منه . فاتُّهم انه الفاعل وأُمسك وضرب . قال ابن قاضي شهبة : « فاعترف على أناس . يقال ان الوالي امره بذلك . فسأل النائب القضاة فقالوا لم يثبت عليه شيء . فامر النائب بتحريقه . فأُخرج الى تحت القلعة . فقتل وأُحرق . وانكر الناس ذلك على النائب . وغالب الناس يعتقد انه بريء . وطُلب جماعة من اليهود الذين اقرّ عليهم وأُخذ منهم شيء . وكُتب في اليهود الى السلطان . فوصل كتابه بمصادرة اليهود وان يؤخذ منهم مال كثير . فعوقب بعضهم . ثم ورد مرسوم باطلاقهم . وان لا يؤخذ منهم شيء مما كان قُرّر عليهم . »[2]

وفيما عدا كنيسة الجسر ، كان للربانيين معابد اخرى بدمشق لم يُنبّه عليها في كتب التاريخ الاسلامية . لانه لا يُعقل ان تُغتصب منهم كنيسة الجسر ثماني سنين ثم سنتين كما تقدم ويبقوا دون بيت للصلاة . ولا سيما انه كان لهم دائماً بدمشق شأن وعدد يذكر . وقد حكى ابن قاضي شهبة انه لما وقع الوباء بدمشق سنة ٧٦٤ (١٣٦٣ م) « تزايد . وجمهوره في اليهود . يموت منهم في كل يوم نحو الخمسين قال ابن كثير لعله فقد منهم من اول شعبان الى مستهل رمضان نحو الف نسمة

١) ذيل ابن قاضي شهبة . باريس ١٥٩٩ ، ص ٨١ و١٠١-١٠٢

٢) ذيل ابن قاضي شهبة . باريس ١٥٩٩ ، ص ٨١

خبيثة كما اخبرني بذلك صلاح الدين الصفدي وكيل بيت المال . ثم كثر ذلك فيهم في شهر رمضان جداً . »[1] ومعلوم تشدّد يهود دمشق في اتباع سننهم وحرصهم على الصلوات في اوقاتها . فلا محالة انه كان لهم معبد آخر اجتمعوا فيه في السنوات التي خرجت فيها كنيسة الجسر عن ايديهم . وقد صرّح ابن عساكر ، ونقل عنه ابن شداد ، وابن شاكر الكتبي أنه كان لليهود بدمشق كنيسة اخرى في درب البيّاعة (وفي بعض النسخ درب البلّاعة) لا ذكر لها في كتاب الصلح جعلت مسجداً . وهو المسجد المعروف بابن الشهرزوري كان يعقد فيه مجلس الوعظ[2] . ويظهر ان الدرب المومأ اليه كان من وراء باب كيسان لانحصار سكن اليهود في جواره حتى اليوم . وقد ذكر السخاوي باب كيسان فقال :

« في سنة ٧٦٥ (١٣٦٤ م) في ربيع الآخر اعاد منكلي بُغا النائب فتح باب كيسان بدمشق بعد غلقه نحو مائتي عام من ايام العادل نور الدين محمود بن زنكي . وعقد عليه جسراً غرّ الناس عليه مشاة وركباناً . وتكامل عمله في رمضان وسمّوه الباب القبلي . وجاء في غاية الحسن . وكثر سرور الناس به حيث قاضوا في حارات اليهود . وأمن من مكرهم وخبثهم . سيما وقد جدد النائب في ذي القعدة هناك داخل السور خطبة واستنّ خطيبه . ولم يتفق ذلك منذ فتوح الشام . واستنّ في خطابته الصدر بن منصور الحنفي . »[3]

اليهود القرّاؤون

نـدر جداً ان يُشار الى القرّائين خصوصاً ، في اخبار اليهود عموماً في الاسلام . ولم يُميّزوا عن الربّانيين في شيء من الاحكام والمراسيم السلطانية ، خلافاً للسامريين كما سيجيء . وكانوا غالباً يعتزلون عنهم في الحارات وبيوت الصلاة . وقد انفرد ابن ابي اصيبعة بذكر بعض اطبائهم . عرف منهم في القاهرة السديد ابا البيان بن المدوّر . قال كان يهودياً قرّآء خدم الخلفاء المصريين في آخر دولتهم . وبعد ذلك خدم الملك الناصر صلاح الدين . ومثله ولده الشيخ السديد بن ابي البيان . ولد في القاهرة سنة ٥٥٦ (١١٦١ م) وخدم الملك العادل

١) ذيل ابن قاضي شهبة . باريس ١٥٩٨ ، ص ١٦٧

٢) الثالث من الاعلاق الخطيرة لابن شداد . خزانة بريتش موزيوم Add. 23333 f° 107 ، والثالث من عيون التواريخ للكتبي . باريس ١٥٨٧ ، ص ٩٣

٣) الاول من الذيل على دول الاسلام . خزانة اكسفرد Marsh. 508 ، دون ارقام .

ابن ايوب . ومنهم كذلك الموفق ابو البركات بن شمايا . توفي بالقاهرة وخلف ولداً يقال له سعيد الدولة ابو الفخر كان طبيباً نظيره . اقام بالقاهرة ايضاً.[1] ولعل من أهمل منهم اكثر ممن نوّه به . ولم يتفق لنا مرة في كل مطالعاتنا ان نعثر على اسم واحد منهم قرّاء ام اسلمي تولى الوزارة او تقلّد احد المناصب الخطيرة في الدواوين السلطانية . ما لم يكن قد فات النقلة والرواة التنبيه على نسبته ، وهو الأرجح. وقد الجأنا الشك والارتياب الى ان نعدّ في جملة الربانيين كل من لم يُنصّ على انه من احدى الفرقتين الأخريين . لقلة احتفال الكتبة والمؤرخين في الاسلام بالاشارة الى عزوة كل من اتفق لهم ذكره في غضون الاخبار والتراجم من رجال اهل الذمة ، جهلاً ام احتقاراً. ولهذه الاسباب لم نجد بعد كل بحث وتنقيب ما نُطرف به من وصف احوال القرائين ومقاماتهم في عهد الخلفاء العباسيين.

كنيسة القرائين بدمشق

لا شك انه كان للقرائين حين دخول العرب دمشق كنيسة خاصة بهم ، ولكنها لم تذكر في كتاب الصلح الذي اشار اليه ابن عساكر. ولا ندري حقيقة هل كانت كنيسة درب البياعة التي اغفلها كتاب الصلح وسبق ذكرها ملكاً للربانيين كما نظنّ ام للقرائين . واول مرة ورد فيها التنبيه على كنيسة خاصة بالقرائين سنة ٧٢١ للهجرة (١٣٢١ م) وهي السنة المشهورة التي ثار فيها المسلمون في الديار المصرية واتوا فيها على الكنائس والديارات نهباً وهدماً وإحراقاً. وانتهز جماعة من مسلمي دمشق هذه الفرصة ، وادّعوا على اليهود القرائين ان كنيستهم التي كانت بدرب الفواخير هي محدثة . وكاتبوا الابواب الشريفة بمصر ، فبرزت المراسيم السلطانية بهدمها . فهدمت في يوم السبت التاسع عشر من رجب (١٤ اغسطس = آب) وقد وصف ابن حبيب هذه الحادثة باسجاعه اللطيفة الآتية :

« في سنة احدى وعشرين وسبعمائة حُكم بهدم كنيسة اليهود المعروفين بالقرائين الكائنة بدمشق . بعد ان ثبت انها محدثة في دار الاسلام . ولم يُلتفت الى ما رقمتهُ من ثبوت قِدَمها الاقلام . لانها كانت داراً لبعض اليهود ومنزلاً يأوي اليه ابناء الخنازير والقرود . فجعلوها

١) عيون الانباء ٢ : ١١٥ و١١٨-١١٩

كنيسة . وكم لهم من فعلة خسيسة . ثم اخفوا امرها . ولم يظهروا سرها . حتى ان كثيرًا من الناس لا يعرف مكانها . ولا يتحقق وقت نقلها من المجالس الى الكنائس وزمانها . وبلغ من سعى في هدمها من لبس اثواب الثواب املًا . ووقع اجر من حكم بإزالتها على من لا يُضيع اجر من احسن عملًا .»(١)

ونقل هذا الخبر شمس الدين الجزري فافاض قليلًا في الشرح وقال :

« قيل ان هذه الكنيسة كانت من نحو مائة سنة بيتًا تجتمع فيه طائفة اليهود من القرائين . ثم أُضيف اليها شيء بعد شيء حتى كبرت واتسعت وصلحت عمارتها . فلما كان في سنة تسع وتسعين وستمائة (١٣٠٠ م) عند دخول التتار الى دمشق تمكن اليهود من اصلاحها وعملوا بها منبرًا . كل ذلك والمسلمون لا يعلمون . وذلك انها بدرب الفواخير وغالب سكانه اليهود . وهي في درب داخل درب . جوار سوق باب كيسان . والباب يومئذ مسدود . فبذلك تمكنوا من عمارتها وما شعر بهم المسلمون . ثم ظهرت في هذا الوقت فهدمت .»(٢)

وقد وصف المفضّل ابن ابي الفضائل هذه الكنيسة بقوله « الصغيرة المعروفة لطائفة القرائين بدمشق .»(٣) فكان لهم من ثم كنيسة اخرى اكبر ، ولعلها هي التي كانت بقاياها ماثلة حتى زمن دخول ابرهيم باشا المصري الى دمشق سنة ١٨٣٢ ، في حارة القرّائين قديمًا ، في الحي المعروف اليوم بحارة الزيتون . وكان القرّآؤون قد انقطعوا من دمشق منذ سنين عديدة . ولم يكن يحيا منهم يومئذٍ الّا رجل واحد يقال له المعلم ابرهيم ولد موسى فضول النجار القدسي . وهو الناظر على اوقافهم . فاشترى منه الروم الكاثوليك في تلك السنة موضع الكنيس وما حوله من الدور والابنية . واقاموا في مكانها كنيستهم الكبرى المعروفة باسم سيدة النياح . وحضر المبيع الخاخام ابرهيم ليولي الاسلامبولي نائبًا عن طائفة القرّائين في الآستانة والقرم ومصر . وتم العقد بتاريخ اواسط جمادى الاولى سنة ١٢٤٨ . وانقرضت منذ ذلك اليوم فرقة القرائين من دمشق . ولم يبقَ لهم فيها آثار ولا ديار .

اليهود السامريون

ويقال لهم ايضًا السامرة والسَّمَرة كأنه جمع سامر . وكانت منهم جماعات

١) درة الاسلاك في دولة الاتراك للحسن بن حبيب الدمشقي . باريس ١٧١٩ ، ص ١٦٣

٢) رواية النويري في مجلد من نهاية الارب في خزانة ليدن Arab. 19b Gol., f° 14

٣) النهج السديد . باريس ٦٥٢٥ ، ص ١٦٤

في مصر والشام. اشتهر منهم بالطب الحكيم السامري المعروف بشمس الحكماء. وكان في خدمة الملك الناصر صلاح الدين . وصدقة بن منجا بن صدقة توفي في خدمة الملك الاشرف موسى ابن الملك العادل ابي بكر . والحكيم موفق الدين يعقوب بن غنائم مولده بدمشق ووفاته سنة ٦٨١ (١٢٨٢ م) ، والصاحب امين الدولة ابو الحسن بن غزال بن ابي سعيد . اسلم ليتولى الوزارة فلقب بكمال الدين[1] . وكان اولاً يخدم بالطب الملك الامجد بهرام شاه بن عز الدين فرخشاه بن ايوب ، ووزر له . ولما توفي الملك الامجد بدمشق ، استقل بالوزارة للملك الصالح اسمعيل بن الملك العادل بن ايوب . وارتفع محله عنده بحيث لم يكن يخرج عن اشارته . وقد توسع ابن ابي اصيبعة في ترجمته ، وبالغ في وصفه بالعلم والرئاسة والفضل والادب والقدرة على النظم والتصنيف . واورد شيئاً من شعره . وكان جمّاعة للاموال والجواهر ونوادر المخطوطات . وذكر ابو المظفر سبط بن الجوزي تركته فقال: « وظهر لـه من الاموال والجواهر والياقيت والتحف والذخائر مـا لا يوجد في خزائن الخلفاء والسلاطين . واقاموا ينقلونه مدة . قال وبلغني ان قيمة ما ظهر له ثلاثة آلاف الف دينار غير الودائع التي كانت له عند ثقاته والتجار . ووجد له عشرة آلاف مجلد من الكتب النفيسة والخطوط المنسوبة . »[2]

ولما ملك دمشق الملك الصالح نجم الدين ايوب ابن الملك الكامل ، نقل الملك الصالح اسمعيل الى بعلبك سنة ٦٤٣ (١٢٤٥م) . وهمّ الصاحب امين الدولة باللحاق به . وجمع امواله وذخائره وصار بها ظاهر دمشق . فقبض عليه حينئذ الامير نائب السلطنة معين الدين بن شيخ الشيوخ . واخذ جميع ما معه . واستولى على جميع املاكه وارسله تحت الاحتياط الى مصر فاعتُقل فيها . وروى النويري انه شُنق فيها باشارة الملك الصالح نجم الدين . والصحيح ما ذكره ابن ابي اصيبعة ، وهو من معاصريه . حكى له من رآه بمصر انه شنق بامر الامير عز الدين التركماني . وان موته كان سنة ٦٤٨ (١٢٥٠ م) خلافاً لقول النويري سنة ٦٤٣

١) عيون الانباء ٢ : ٢٢٠-٢٢٩

٢) مجلد من نهاية الارب . خزانة ليدن Arab. 2 l. Gol., f° 348-349

ومن الاطبآء السامريين الذين بلغوا الوزارة بطبهم وجودة رأيهم مهذب الدين يوسف بن ابي سعيد بن خلف . تميز بالعلوم ، واتقن الصناعة الطبية ، واشتهر بحسن العلاج والمداراة . وابرأ ستّ الشام اخت الملك العادل بن ايوب من علة تعذر في مداواتها الاطبآء . وخدم عز الدين فرخشاه بن شاهنشاه بن ايوب . ولما توفي اقام عند ابنه الملك الامجد بهرام شاه ، وحظي لديه ونال الاموال والنعم . ثم وزر له وارتفعت منزلته لديه ، واستقلّ بتدبير دولته حتى قال فيه الشهاب فتيان الشاغوري الدمشقي :

الملك الامجد الذي شهدت له جميع الملوك بالفضل
اصبح في السامري متقدًا ما اعتقد السامري في العجل

وما لبث قوم من اهله واقاربه ان وفدوا عليه من دمشق . ففرقهم في الخدم والمناصب . فاشتدت اطماعهم ، واطلقوا ايديهم في العسف واختيان الاموال . فكثرت الشكاوي منهم ومن صاحبهم . وبلغ الملك الامجد ما غيّر رأيه في وزيره . فقبض عليه وعلى جميع المستخدمين من السامريين واستصفى اموالهم . واعتقله حتى خرج من كل ثروته . ثم اطلقه وحضر الى دمشق وتوفي فيها سنة ٦٢٤ (١٢٢٧م) واجتمع به ابن ابي اصيبعة وروى له ثلاثة ابيات من شعره ووصفه بالادب والفضل .[1]

ومما تقدم يتبين انه كان للسامريين بدمشق شأن يذكر . وكان لهم حارة خاصة بهم فوق العنّابة بالقرب من برج الرؤوس .[2] كانت لا تزال عامرة في سنة ٩٢٦ (١٥٢٠م) . ولما غزا الافرنج بيروت في ٢٧ شوال من السنة المذكورة ، نقل الى دمشق خمسة احمال من رؤوس القتلى منهم . وفُرّقت على الحارات . ووضع حمل منها في حارة السمرة وبقيت فيها الى ان اكل غالبها الكلاب .[3]

---

١) عيون الانبآء ٢ : ٢٢٢-٢٢٤

٢) قال محمد بن كنان : « حارة السمرا كانت فايت جامع المجرور وبرج الروس » (حدائق الياسمين في قوانين الخلفآء والسلاطين ، بذيل المروج السندسية في تلخيص تاريخ الصالحية ، خزانة برلين Ms. or. Wetzst. II n° 1117)

٣) جزء فيه شرح ابن طولون الصالحي على قصيدة الشيخ ابرهيم بن صارم الدين الصيداوي في غزو الافرنج لبيروت في ايامه . خزانة ليدن Arab. 1864, f° 8

وكان بدمشق درب يسمى درب السامري احترق سنة ٧٩٨ (١٣٩٦م) في الحريق الهائل الذي التهم كثيراً من اسواق دمشق وقيسرها وخاناتها وابنيتها.[1] ولا محالة انه كان ايضاً للسامريين كنيسة خاصة بهم لا ننتري اين كان موقعها. أفي حارة العنابة ، كما هو الارجح ، ام في غيرها. ولم نقف على اقل إلماع اليها.

وامتاز السامريون منذ اوائل دولة الملك الناصر محمد بن قلاوون ، عن سائر اليهود بمصر والشام ، باتخاذ العمائم الحمر ، بينما كان الربانيون والقرآؤون يعتمون بالصفرة . وقد نقل ذلك غير واحد من المؤرخين . نجتزئ بقول ابن قاضي شهبة منهم في ترجمة الملك الناصر :

« في سنة سبعمائة (١٣٠٠ م) ألزموا اهل الذمة بالصغار . وعزلوا عن الجهات . وألزم اليهود بالعمائم الصفر والسرة بالحمر . والنصارى بالزرق . فتميزوا عن المسلمين وحصل بذلك خير عظيم . »[2]

وقد اضحك الشعراء وقتئذ اجتماع هذه الالوان الثلاثة في رؤوس اهل الذمة ، فافحشوا في تعييرهم والهزء بهم . وقال احدهم الشيخ شمس الدين الطيبي :

تعجبوا للنصارى واليهود معاً والسامريين لما عمموا المزرقا
كانما بات بالاصباغ منهلا نمر السما . وضحى فوقهم ذرقا[3]

عداء اليهود للنصارى في الاسلام

من دواعي الاسف والحزن ان اليهود ، مع انهم كانوا اخواناً للنصارى في مقاساة شدائد الذمة ، وعدلاً لهم في الصبر على الصغار والهوان . والاتسام بسمات الذل من الزنار والعمامة والغيار . لم يكن هذا الاشتراك في البلاء والشقاء ليشغلهم لحظة عين عن السعاية بالنصارى لدى الحكام ، وتدبير المكايد لهم مبالغة في نكايتهم واذيتهم . واكثر ما كانوا يدأبون فيه ويبغون لهم من اجله الغوائل استئصال الكنائس والديارات . والاعانة على ابطال رسومها . ولما كان بعض الملوك والولاة يأمرون بهدم شيء منها كان اليهود في مقدمة الاعوان الذين

١) الدرة المضية في الدولة الظاهرية لابن صصري . اكسفرد Laud. or. 113, f° 173-173

٢) الذيل . باريس ١٦٠٠ ، ص ٣٠

٣) الخامس من المنهل الصافي لابن تغري بردي . باريس ٢٠٧٢ ، ص ٢٠٠

يبادرون للوثوب عليها. ونهب آنيتها. والمعاضدة على تخريبها. واشعال النيران فيها. وفي التاريخ عدة شواهد ثابتة نقتصر منها على ذكر ما يأتي على سبيل التمثيل فقط دون اقل استقصاء:

كان في صنعاء اليمن في خلافة المنصور العباسي كنيسة قديمة منذ ايام الحبشة مشهورة بالحسن عجيبة البناء يقال لها « القُلَيس ». وكان بصنعاء يهودي عالم فجاء الى العباس بن الربيع يتقرب اليه. وقال له ان ملكاً يهدم القليس يلي اليمن اربعين سنة[1]. فما لبث المنصور ان امر بهدمها.

وفي السنة ٣٢٨ (٩٤٠ م) ثار المسلمون بمدينة عسقلان وهدموا كنيسة مريم الخضراء. ونهبوا ما فيها واعانهم اليهود حتى احرقوها[2]. قال يحيى بن سعيد « وعاضد المسلمين اليهود في هدمها. وكان اليهود يشعلون النار في الحطب ويجرّونه بالبكر الى اعلى السقوف حتى يحرقوها. وينحلّ رصاصها وتقع عُمُدها. »[3]

وفي سنة ٣٥٥ (٩٦٦ م) نهب المسلمون كنيسة القيامة « وتوجّه الرعية الى كنيسة صهيون واحرقوها ونهبوها... وهدم اليهود واخربوا اكثر من المسلمين»[4] وهلمّ جرًا.

ويُستفاد من بعض النصوص ان اليهود كانوا احيانًا كالشرَط للسلطان. يستخدمهم للإذلال والاهانة والتعذيب. ولما أسر الملك لويس التاسع في وقعة دمياط، حزن عليه النصارى. قال ابو شامة « بلغني ان النصارى ببعلبك سوّدوا وسخّموا وجوه الصور في كنيستهم حزنًا على ما جرى على الافرنج. فعلم بهم الوالي. فجنّاهم جناية شديدة. وامر اليهود بصفعهم وضربهم واهانتهم »[5].

وربما انتُدب اليهود في بعض الامصار لخلافة الجلّادين والمشاعلية في قتل الأئمة. ومن هذا القبيل ما جاء في اخبار سنة ٨٦٧ (١٤٦٢ م) ان في ليلة الخميس

---

١) تاريخ مكة للازرقي. باريس ١٦٢٨، ص ٥١

٢) الخطط للمقريزي. طبعة بولاق، ٢: ٤٥٥

٣) تاريخ الذيل، ص ٩٦

٤) تاريخ الذيل، ص ١٢٤–١٢٥

٥) ذيل الروضتين، باريس ٥٨٥٢، ص ٢٠٢

تاسع وعشرين شوال « اتفق عبد وأمة سوداء على مولاتهما بطرابلس الغرب . وقد كان غاب الزوج عنها فقتلاها . فأخذا في ظهر يومهما ذاك . فأحضرا . ثم أمر بهما فذُبحا قصاصاً . وتولى ذبحهما رجل من اليهود على عادتهم في تلك البلاد اذا وقع مثل ذلك يحضرون يهودياً من اعراض اليهود كائناً من كان . فيؤمر بذبح من وجب عليه القصاص . تحاشياً عن ان يتولى الواحد منهم شيئاً من ذلك »[1] .

ومن ابين الادلة على ما كان في صدور اليهود من البغض الشديد والعداء للنصارى ، انه لما تم حريق الباطلية بمصر سنة ٦٦٣ (١٢٦٥ م) « امسك الظاهر (بيبرس) النصارى واليهود بالقاهرة ومصر . وجمع الجميع ليحرقهم . وركب بنفسه في عدة من الامراء ليقف على حريقهم بظاهر القاهرة . فبرز اليه ابن الكازروني الصيرفي . وقال للسلطان : « سألتك بالله لا تحرقنا مع هؤلاء الكلاب النصارى اعدائنا واعدائكم . بل أحرقونا بمفردنا . » فضحك السلطان[2] .

وآثار مثل هذا العداء كثيرة في كتب الاخبار الاسلامية ، فلا حاجة الى التوسع بالتنبيه عليها .

---

١) الروض الباسم لعبد الباسط الحنفي . الفاتيكان ٧٢٨ ، ص ٥٥

٢) الرد على الذمة للواسطي ص ٤١١ ، *Journal of the American Oriental Society*, vol. 41, p. 386-415

دُور القمار في الاسلام

كان القمار شائعاً في اكثر المدن والاقطار الاسلامية . وله دُور مشهورة يدخلها من يشاء حتى الغلمان ، بدليل قول القاضي ابي علي المحسن التنوخي.

اجذا القصر الطا لع من دار القمار
رائحاً من خيلاء الحسن في اجمل ازار ،
انا من هجرك في بعد على قرب المزار (١

وحكى ابو الفرج الاصبهاني عن ابي الفضل الكاتب انه دعا خالداً (الكاتب) ذات يوم . فاقام عنده وخلع عليه. فما استقر به المجلس حتى خرج. قال « فاتبعته رسولاً ليعرف خبره . فاذا هو قد جاء الى غلام كان يحبه فسأل عنه فوُجد في دار القمار. فمضى اليه حتى خلع عليه تلك الثياب. »(٢

ولا يدرى اين كانت بدمشق دار القمار التي اشار اليها الشاعر ابن رويبل الابّار الدمشقي في هجاء زوجته،وكان له دكان في سوق الابارين يبيع فيه الابر:

أغربت زوجتي بشرب الخمار اسكنتني بجنب دار القمار (٣

وكان بدمشق مواضع اخرى يجتمع فيها المقامرون تحت ظلّ الاشجار وفي الاسواق. قال ابن قاضي شهبة: « في شعبان سنة ٨٠٠ (١٣٩٨ م) قطعت اشجار الصفصاف التي بين النهرين عند جامع يلبغا باسر النائب . شُكي اليه انهم يقامرون هنالك ويرتكبون مفاسد . وكانت هذه الاشجار قطعت في ايام نيابة منجك »(٤ (سنة ٧٧٣/٥٧٣ م). ومن اشهر محالّ القمار ايضاً الساحة المعروفة بما تحت القلعة . وكانت حافلة بالاسواق والحوانيت والمتمشين . تحفّ بها الدور والقصور . وتزدحم فيها ارباب اللهو والبطالة على حلقات القصّاص والسمّار والمضحكين. « وفيها كلّ ما يتلذذ به السمع ويسر العين وتشتهيه النفس »(٥.

١) ارشاد الاريب لياقوت ٦ : ٢٥٧
٢) الاغاني ، طبعة ليدن ، ٢١ : ٥٠
٣) خريدة القصر للعماد الكاتب . خزانة باريس ٣٣٢٩ ، ص ٤٤
٤) ذيل ابن قاضي شهبة . خزانة باريس ١٥٩٩ ، ص ١٢٣
٥) محاسن الشام للبدري ، ص ٦٣

وكان النظر في هذه المجتمعات ومراقبة ما يجري فيها منوطاً بالمحتسب. ففي سنة ٨٣٠ (١٤٢٧ م) « خُلع على ناصر الدين بن شبل بالحسبة برسوم السلطان الاشرف. فاخذ في انكار المنكرات. غير انه كان يخطىء في كثير مما يفعله. ثم بعد ايام وقف الناس للنائب وشكوا حالهم بسبب منعهم من الجلوس في الشوارع المتسعة. فرسم لهم بذلك ونادى به ومنع من يتعرض لهم. واعاد المقامرين ومن يبيع المنكرات الى تحت القلعة»[1]. وانما اعاد القمار لانه كان عليه مكوس مقررة للسلطان كما كانت على بيوت الفسق والفجور والسكر وسائر المحرمات الشرعية التي كان رزق الديوان منها. وكثيراً ما حدث مثل ذلك بمصر فكانت تتعاقب الايام وكل حرام فيها مباح، لحاجة السلاطين للاموال. ثم يقوم بعض المصلحين من النواب والامراء فيأمرون بالنهي عن المنكر. وفي سنة ٧٤٤ (١٧٤٣ م) « أبطلت دار المقامرين وما عليهم من المكوس بامر النائب آل ملك »[2].

ويؤخذ من بعض النكات التي رواها ابن سعيد انه كان في دور القمار بمصر عامل حسن الشارة يقال له المطّيع. دأبه تهوين الخسارة على المغلوب وإطماعه في التعويض والربح. وربما اسعفه بالاقتراض له احياناً. وله على ذلك جار معلوم من ضامن الدار. وهو ما حكاه قال:

« امر الاخشيد في وقت من الاوقات بعدم المواخير ودور المقامرين والقبض عليهم. فأخذوا وأدخل عليه جماعة من المقامرين وعُرضوا عليه. وفيهم شيخ له هيئة. فقال هذا الشيخ مقامر؟ فقالوا هذا يقال له المطّيع. فقال الاخشيد وايش المطيع؟ فقالوا هو سبب عمارة دار القمار. وذلك ان الواحد اذا قمر ما معه. قال له فالعب على ردائك فلعله تغلب. وربما اقترض له. ولهذا الشيخ جراية يأخذها على هذا كل يوم من متقبّل دار القمار. فضحك الاخشيد وقال يا شيخ تُب الى الله وحده من هذا. فتاب وامر له الاخشيد بثوب وردآء والف درهم. وقال يجرى عليه في كل شهر عشرة دنانير. فانصرف الشيخ شاكراً. فقال ردّوه. قال وخذوا ما اعطيناه واطلحوه. فضربه مائة عصا. ثم قال خلّوه. اين هذا من تطبيك؟ »[3]

---

١) اللمعات البرقية في النكت التاريخية لابن طولون الصالحي، ص ٦١

٢) الاول من نيل الامل في ذيل الدول للقاضي عبد الباسط المؤرخ. اكسفرد Huntl 28، دون ارقام

٣) المُغرب في حلى المَغرب لابن سعيد. ليدن، ص ٢٠

وكان المقامرون ببغداد يجتمعون ايضاً في المنازل الخاصة ويتراهنون على الثياب والاثاث ، فضلاً عن الاموال. وقد اتخذ اللصوص هذه العادة وسيلة لدخول البيوت بدعوى اللعب فيها ، ثم يترقبون الفرص لسرقتها. قال القاضي التنوخي:

« ومن طريف حيل اللصوص الواقعة في عهدنا ان ابا القاسم عبيد الله بن محمد المقاف حدثني انه شاهد لصاً قد أُخذ وتشاهدوا عليه انه يغش الاقفال في الدور اللطاف التي تُخزن على انها مُزَّب. فاذا دخل حفر في الدار حفرة لطيفة كأنها بئر النرد. وطرح جوزات كأن انساناً كان يلاعبه. واخرج منديلاً فيه مقدار مائتي جوزة فتركه الى جانبها. ثم دار يكرّر ما في الدار. وان جاء صاحب الدار ترك عليه قماشه (١ وطلب المقاتلة والمروج . فان كان صاحب الدار جلداً فواثبه ومنعه وهمّ باخذه وصاح « اللصوص » واجتمع الجيران . اقبل عليه وقال ما ابردك. انا اقامرك بالجوز منذ شهور. قد افقرتني واخذت مني كل ما املكه. ما صحتُ ولا فضحتك بين جيرانك. وانت لما قرتك الآن قماشك اخذت تدعي علي اللصوصية يا غشّ. يا بارد. بيني وبينك دار القمار الموضع الذي تمارقنا فيه . قل بحذائهم او بحذاء هؤلاء الحاضرين « قد ضنيت » (٢ . حتى ادع عليك قماشك. فكلما قال الرجل هذا لص . يقول الحاضرون انما يريد ان لا يُفضح بالقمار. فلذا ادعى عليه باللصوصية. ولا يشكون انه مقامر. وان الرجل صادق. ويخلصون بينهما. ثم ياخذ الجوز وينصرف. ويفتضح الرجل. » (٣

واكثر ما كانت المقامرة بلعب النرد والشطرنج. وكان بعض الخلفاء انفسهم لا يرون بأساً بقبول الرهان ولو على مال له صورة . حدّث ابن احمد بن حمدون قال:

« كنت قد حلفت وعاهدت الله تعالى ان لا اعتد مالاً من القمار. وان لا يقع في يدي شيء منه الا صرفته في ثمن شمع يحترق. او نبيذ يُشرب. او جذر (٤ منية تسمع . قال فجلست يوماً ألاعب المعتضد بالنرد. فقامرته سبعين الف درهم. فنهض المعتضد يصلي العصر من قبل ان يأمر لي بها. وكان له ركوع طويل قبلها فتشاغل بها. وصليت انا العصر فقط. فجلست افكر

١) القماش هنا متاع الدار

٢) الصواب ضنوت كما سيأتي شاهده لان الفعل واوي. وفي كتب اللغة: ضنا « خان ». ويظهر انه كان يكفي ان تقال هذه اللفظة ليكون اللعب باطلاً.

٣) نشوار المحاضرة ١ : ٧٨-٧٦

٤) جذر المنية اجرتها. وهذا المعنى لم يرد في معاجم اللغة، ولا في تكملة المعجمات العربية لدوزي. ولم ينبه عليه الجواليقي في كتاب المعرّب ، ولا الخفاجي في شفاء الغليل. وارحد من ذكره فيما وقفنا عليه الثعالبي في فقه اللغة (المطبعة الكاثوليكية ص ٣٢٢) قال : « الجذر اجرة المغني وهو دخيل » وهو ما فاتت مراجعته احمد باشا تيمور في مقالة الالفاظ العامية (مجلة المجمع العلمي العربي ١٩٢٣ ، ص ٧٥-٧٦) وظن ان اللفظ محرف عن الشذر.

واندم على ما حلفت عليه. وقلت كم عساني اشتري من هذه السبعين الفاً شمعاً وشراباً . وكم اجذر وما كانت هذه العجلة في اليمين . ولو لم اكن حلفت كنت الآن قد اشتريت بها ضيعة . قال وكانت اليمين بالطلاق والعتاق وصدقة الملك والضيعة . واغرقت في الفكر . والمعتضد يراني وانا لا اعلم. فلما سلّم من الركوع سبّح وقال لي يا ابا عبدالله في اي شيء فكرت. فقلت خيراً يا مولاي. قال بحياتي اصدقني. فصدقته. قال وعندك اني اريد ان اعطيك سبعين الفاً في القمار ؟ فقلت له فتضمن ؟ قال نعم ضمنت. قم ولا تفكر في هذا. قال ودخل في صلاة العصر الفرض . قال فلحقني غمّ اعظم من الاول وفكر اشد منه. وندم على فوت المال. وقلت لِمَ صدّقتُه ؟ واخذت الرم نفسي. قال فلما فرغ من صلاته وجلس. قال لي يا ابا عبدالله بحياتي اصدقني عن هذا الفكر الثاني. فلم اجد بدّاً فصدقته . قال اما القمار فقد فاتك لاني قد ضمنت بك. ولكني اهب لك سبعين الف درهم غير تلك من مالي. فلم يكن علي اثم في دفعها. ولا عليك اثم في اخذها. وتخرج من يمينك فتأخذها وتشتري بها ضيعة حلالاً . فقبلت يده. فاحضر المال واعطانيه. فاخذته وعندت به ضيعة. » (١

واعجب ما في هذه الحكاية اعتقاد ابن حمدون انه اذا انفق مال القمار في الحرام يذهب عنه وضر الاثم. واذا استفاد به ملكاً يعيش منه كان حلّاً له مباحاً. وقد اشار الابيوردي الى مثل هذا الضلال بقوله:

صيامي ، اذا افطرت بالسُحت ، ضلّة ، وعلمي ، اذا لم يجدِ ، ضرب من الجهل
وتزكيتي مالاً جمعت من الربا خسار ، وبعض الجود اخزى من البخل

ومن الذين اشتهروا بحب القمار ابن جامع المغني المعروف في ايام الرشيد قال: لولا ان القمار وحب الكلاب قد شغلاني لتركت المغنين لا يأكلون الخبز.(٢

وممن امتُحن من الشعراء بالقمار شهاب الدين التلعفري الموصلي المتوفى سنة ٦٧٥ (١٢٧٦ م) وهو القائل:

اقلعتُ الّا عن العقار وتبتُ الّا من القمار

« وكان كلما اعطاه الملك الاشرف شيئاً قامر به. فطرده الى حلب فمدح العزيز فاحسن اليه. وقرر له رسوماً فسلك معه ذلك المسلك. فنودي في حلب « اي من قامر مع الشهاب التلعفري قطعت يده ». فضاقت عليه الارض فجاء الى دمشق ولم يزل يستجدي ويقامر حتى بقي في اتون حمام. وفي الآخر نادم صاحب حماة وتوفي. »(٢

١) نشوار المحاضرة ١ : ١٢٩-١٣٠
٢) فوات الوفيات لابن شاكر الكتبي ٢ : ٢٤٥-٢٤٦

الزنبيل او المصعد قديماً

L'ascenceur

من البديهي ان اتخاذ الزنابيل والسلال بالحبال ، للصعود والنزول ، حيث لا درجات ولا دركات في القصور والاسوار ، قد كان منذ اوائل الحضارة . ومن اشهر اخبار بولس الرسول تدليته في سلّ من نافذة في سور دمشق ، حين اراد الفرار من وجه والي المدينة . وما من اديب لا يذكر قول الفرزدق يفتخر بنسقه وفجوره :

هما دلّياني من ثمانين قامة كما انقضّ باز اقتنع الريش كاسره
فلما استوت رجلاي في الارض قالتا : أحيٌّ يُرجّى ام قتيل نحاذره(١)

وفي ايام المأمون (٨١٣–٨٣٣ م) اضطر والي دمشق في دوره الى الهرب في احدى الفتن . ففُعل به كما فُعل قبله ببولس الرسول . قال العباس صاحب شرطة المأمون ببغداد : «كنت مع بعض الولاة بدمشق فخرج علينا اهلها حتى اراد الوالي ان يُدلى في زنبيل من قصر الحجاج . وهرب هو وجميع اصحابه . وهربت في من هرب . »(٢)

ومن الالفاظ الدالة على معنى الزنبيل « السُرّيات » واول ما وقفنا على ذكرها في اخبار المماليك . وكانت اكثر ما تتخذ على الاسوار وفي القلاع . قال صاحب النجوم الزاهرة في كلامه على الامير شيخ المحمودي نائب الشام حين عصى على الملك الناصر فرج سنة ٨٠٢ (١٤٠٩ م) وتحصّن في قلعة صرخد . ثم سعى الامير تغري بردي باصلاح حاله مع السلطان :

« وتقدم فتح الله (كاتب السر) وحلّفه على طاعة السلطان . واخذ منه الامير كشبغا الجمالي واستبغا . وكانا في حبس الامير شيخ بعد ما خلع عليهما شيخ وادلاهما من سور قلعة صرخد . ثم ادلى الامير شيخ ابنه ابرهيم ليتوجه مع الولد ويقبل يد السلطان . فلما تعلق الصغير من اعلى السور بالسرّيات . صاح وبكى من خوفه ان يقع . »(٣)

---

١) الاغاني ١٩ : ١٧٥

٢) المحاسن والمساوئ للبيهقي ١ : ١٢٧

٣) النجوم الزاهرة لابن تغري بردي (طبعة بوبر) ٦ : ٢١٢

والسرّياقات ، فيما يظهر ، لفظة اسبانية (Zurriaga) ومعناها الاسواط جمع سوط وهو الجلد المضفور . وكانت الزنابيل تعقد بهذه الحبال من أدم لشدة وثاقتها . فأطلق لفظها على مجموع الاداة . ولا يبعد ايضاً ان تكون الكلمة تحريف « سرقانيات » مفردها سرقانية وهي لفظة رومية (σαγήνη) بمعنى السلة والزنبيل .[1]

وكان بعض ربّات القصور في بغداد يتخذن الزنابيل ويدلينها من القصر ويواعدن فيها من يُردن من اخوانهنّ . ومن اظرف ما جاء في هذا الصدد ما حكاه ابرهيم الموصلي قال :

« قال لي الرشيد يوماً يا ابرهيم اني قد جعلت غداً للحَريم . وجعلت ليلته للشرب مع الرجال . وانا مقتصر عليك من المغنين . فلا تشتغل غداً بشيء ولا تشرب نبيذاً . ولتكن بحضرتي في وقت العشاء الآخرة . فقلت السمع والطاعة لامير المؤمنين . . فما جاءني احد الا احتجبت عنه . ولا قرأت رقعة لاحد . حتى اذا صليت المغرب ركبت قاصداً اليه . فلما قربت من فناء داره مررت بفناء قصر . واذا زنبيل كبير مستوثق منه بحبال واربع عُرى أدم . وقد دُلي من القصر وجارية قائمة تنتظر انساناً قد وعد ليجلس فيه . فنازعتني نفسي الى الجلوس فيه . ثم قلت هذا خطأ . ولعله يجري سبب يعوقني عن الخليفة فيكون الهلاك . فلم ازل انازع نفسي وتنازعني حتى غلبتني . فنزلت فجلست فيه . ومدّ الزنبيل حتى صار في اعلى القصر . ثم خرجت فنزلت . فاذا جوارٍ كأنهنّ المها جلوس . فضحكن وطربن وقلن قد جاء من اردناه . فلما رأينني من قريب تبادرن الى الحجاب . . . »[2] .

وبعد ان عرفن من هو واسمعنه الغناء اخبرهنّ بقصته مع الرشيد . فضحكن وحبسنه اسبوعاً . ثم اجلسنه في الزنبيل واطلقن سراحه . وعاد اليهنّ مع الرشيد متخفياً . الى آخر ما هنالك .

---

١) R. Dozy, *Supplément aux Dictionnaires Arabes* t. I, p. 651, 649

٢) الاغاني ٥ : ٤٢–٤٣

العُيَيْنات

سماها المحبي مرة بالعيون المستعارة. وكانت تعرف في القرن الحادي عشر بالنظّارات ، وهو قول فتح الله بن محمود العمري الانصاري المعروف بالبيلوني نسبة الى البيلون ، وهو نوع من الطين يستعمل في الحمام . وكانت وفاته بحلب سنة ١٠٤٢ (١٦٣٢ م) واجاد في وصفها:

رب صديق عاب نظّارة يقوى بها الناظر من ضعفه
وعن قليل صار في أسرها يحملها رغماً على انفه (١

ولا يُدرى متى بدأ استعمالها في الشرق. وقد أصبنا اشارة اليها في بيتين من اواخر القرن الثامن للهجرة لشهاب الدين الدنيسري الشهير بابن العطار المتوفى في القاهرة في ١٦ ربيع الآخر سنة ٧٩٤ (١٣٩٢ م) وهما:

انى بعد الصبا شيبي ، ودهري رمى بعد اعتدالي باعوجاج
كفى ان كان لي بصر حديد ، وقد صارت عيوني من زجاج (٢

ولا يخفى لطف مقابلته الحديد بالزجاج.

وآخر من وجدنا له ذكراً لها محمد بن عمر العرضي الحلبي المتوفى في صفر سنة ١٠٧٠ قال ، وهو ادق تصوير لها:

قال لي الحبيب : لِمْ وضعت على الانف عيوناً وفي عيونك مقنع
قلت : مذ خط كاتب الحسن في شفرك نوناً كحاجبين وابدع
فجعلت العيون اربع علي ان أرى ، يا رشا ، حواجب اربع (٣

---

١) خلاصة الاثر للمحبي ٤ : ١٠١
٢) الاول من المنهل الصافي لابن تغري بردي . خزانة باريس ٢٠٦٨ ، ص ١٢٢
٣) خلاصة الاثر ٣ : ٢٥٧

دفائن الخزائن

ارجوزة غميس

(اي لم تعرف بعد)

للامام ابن سيده صاحب المخصص في اللغة

في خزانتنا مجلد لطيف في ٣٣ ورقة وقع الينا في دمشق في جملة اجزاء وجزازات شتى. وهو غفل من التاريخ ولا خاتمة فيه . اقتصر ناسخه على تعليق هذه العبارة في أعلى الورقة الثانية من الجانب الايسر «من كتب من كتب . الحريري من حلب . » وبآخره ثماني صفحات من اوائل كتاب «بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة» . وسائره ارجوزة غريبة تبلغ ٥٤ صفحة . كتب عليها بقلم الحريري المذكور هذا العنوان «هذه ارجوزة ابي الحسن علي بن اسماعيل النحوي اللغوي البارع المعروف بابن سيده المغربي المرسي صاحب كتاب المحكم في اللغة رحمه الله تعالى آمين» .

ولم نجد من اشار الى هذه الارجوزة بين كل من تكلم على ابن سيده ، وعدد مصنفاته بعد وفاته سنة ٤٥٨ (١٠٦٦ م). ولعلها نسخة فريدة لا ثانية لها . على انها لا تخلو من اوهام في النقل وبعض ابيات مختلة الوزن لتحريف فيها . او سقوط بعض الفاظها. وهي مرتبة على نسق حروف المعجم حتى حرف الزاي. ومن بعده على السياق الآتي: ط. ظ. ك. ل. م ن. ص. ض. ع. غ. ف. ق س. ش. ه. و. ي. ومرضوعها في الاصل لغوي. تخيل فيها الناظم ان ركباً من رجال المشرق قادهم الاغتراب نحو المغرب. وسئلوا عن اسمائهم، وآبائهم ، وقبائلهم ، واخوالهم، وبلدانهم ، ومراكبهم، ومعادن قسيهم ، وسهامهم ، وما يقتنصون من الوحش والطير ، وما يأكلون منها ، وما يهدون الى حبائبهم، واسم حبيبة كل منهم، والبيت الذي يقال لها عند الاهداء، وما كانت تنشده هي في الجواب. كل ذلك بالفاظ مبدوءة بنفس الحرف الذي تداوله من حروف المعجم كل رجل منهم في

دوره[1] . وقد شرح ابن سيده الغاية التي توخاها في هذا الرجز بقوله في المقدمة بعد البسملة :

الحمد لله الذي بحمده يدوم ما خوّلنا من عنده !
ثم صلاتي ، كل يوم وغدٍ ، على السراج المستنير ، أحمد !
نحنُ ركيب من رجال المشرق ، اكارم الانفس لُدّ المُنطق ،
مالت بنا الايام نحو المغرب ، مما يشرّق كوكب تغرّب !
والمرء قد يُزيحه عن الوطن حبُّ العلى ، او نبوة من الزمن .
يا ربّ حرّ ماجد تغرّبا شرّق في كسب العلى ، وغرّبا ،
وكم نبيه تارك اوطانه شدّ الاله ، بعد ذا ، سلطانه .
فلتسألونا واحدًا ، فواحدا ، لتعرفوا الفروع والمحامدا .
فكلنا قرم أب وخالِ ، ذو حسب عِدّ ، وفخر عالِ ،
وناشيء في سُرر الامصار ، بين المياه الزرق والانهار .
وكلنا رامٍ ، مجيد ، فارسُ ، تصمق من سوراتنا الفوارسُ !
وكلنا امواله وذائم ، بذلًا واهدآء ، وذاك دائم .
وكل مخطوط من الهجاء حواه ما غوي من الاسمآء .
كذلك اسم الاب ، واسم الخال ، وغير ذا من بلد ، وآل ،
ومركب ، وقنص مرميّ ، وشجر السهام ، والقسيّ ،
كذاك ما نهدي من أشلاء القنص ، وما اقرت النفس منها قد خلص ،
وما ترجيه الى الجانب خلّاتنا ، في ازمن الشائب ،
وما به من عَلَم يُسمينا ، اذا دعوناهنّ ، او يُكنينا ،
وكل ما نهديه من نشيد لهنّ ، او ينشدن من نصيد !
في كل ذاك من حروف المعجم ما لا يدور غيره على فمي .

ويتضح منهج المؤلف في هذه الارجوزة بنقل اولها وآخرها على سبيل التمثيل ، اي بابَي الهمزة والياء :

حرف الهمزة

ان تسألوا باسمي ، فاني احمد ، في كل لأواء الزمان أحمد .
ووالدي اربدُ الهمامُ في كل انواع العلى إمامُ .
ونسبي في عنصري اياد اهل التقى ، والبأس ، والايادي .

---

١) ممن قلّد ابن سيده في هذا الوضع عبد الرحمن الحميدي . وله في خزانة باريس في مجموع رقم ٣٦١٧ (الورقة ١٠-١٢) منظومة على حروف الهجاء تتضمن معرفة اسم الشخص واسم ابيه ، وامه ، وبلده ، وقبيلته ، وطبوعه ، وزاده ، وصيده ، وعدّته ، وشعره ، ومثَله .

وبلدي من ارفع البلدان آمدُ داري ، وقرى أسوان .
اما الذي اركبه فالابلُ ، او أُتن تمنو لمنّ السبلُ ؟
ان الاتان للفلوص ثانيه ، لا سيما ان اصبحت يانيه ؟
وقد ابان الفضل تلك البيّنا وكان حبرًا واجدًا لما ابتنى .
اما قسيّ فهي من ألآء ، وربما تخذتها من آء .(١
واسهمي من حائط الاراك ، ليس لمن تنشاه من حراك ؟
وربما استجدتها من أثأب(٢ ، تعجل من ارمي عن التثاؤب ؟
وربما كانت من الأمطيّ (٣ منبتها في العانك (٤ الوطيّ .
اما الذي اقنص فالاوزّ ، او الأنوق ، فهي نعم البزّ ؟
أغني عن الألية والاجام منها ، ويندو إبطها طعامي ،
ثمّت أهدي ، بعد ذاك ، ابطا الى فتاة من ظباء الأرطى ،(٥
ذات دلال اسمها امامه ، تمشي الهوينا مشية النعامه ،
انشدها باحسن النشيد ما يبعث الورّق على التغريد :
أما لجنح الليل من صباح ! اما يزال ضافي الجناح !
فعند ذاك تنشد الحسناء ما أذني عن غيره صماء :
آل عديّ ازهروا الرواحا ، فودّعت اجسامنا الارواحا !

حرف الياء

واسمي ، إن تسأل بذاك ، يشكرُ ووالدي تملك الملوك بمصر .
ونسبي في بيتة اليحامد اهل الندى ، والبأس ، والمحامد .
ولي خال في بني يربوع ، في فدك حلّ ، وفي ينبوع .(٦
اما الذي اركبه فيحمله ما ان تزال في الفيافي تعمله .

---

١) الألآء شجر رملي مرّ الطعم ، دائم الخضرة . والآء شجر له ثمر تأكله النعام . وقيل هو ثمر السرح . وكثيرًا ما يعبر بالثمرة عن الشجرة (تاج العروس ١٠ : ١٩ و ١ : ٤١)

٢) الاثأب شجر من اشجار البادية على ضرب التين ينبت ناعمًا كأنه على شاطىء نهر وهو بعيد عن الماء (تاج العروس ١ : ١٦٢)

٣) الأمطيّ شجر طويل يحمل العِلْك . والعلك ضرب من صمغ الشجر كاللبان (اللسان ٩ : ٢٦٦ و ١٢ : ٢٥٨)

٤) العانك الرملة فيها تعقّد

٥) الارطى شجر ثمره كثمر الخلاف وثمره كالعناب . قال ابو حنيفة هو شبيه بالنضى ينبت عصيًا من اصل واحد (تاج العروس ١ : ١٠١)

٦) فدك قرية بالحجاز بينها وبين المدينة يومان وقيل ثلاثة . وينبوع هو ينبُع قرية بين مكة والمدينة . اشبع الضمة لضرورة الوزن .

اما قسيّ فن اليَنْبُوت (١ منها معاني ، واجتلاب قوتي .
اما سهامي فن اليَعْضيد (٢ نحتُها من غصن خضيد !
وربما كانت من الينْتون (٣ أصلب عيدانًا من الزيتون .
اما الذي اصطاد فاليعقوبُ (٤ حيزومه باسهمي مثقوبُ ،
أصيب من جيمها الباقوخا ، من غير ان أحنو لها الفخوخا .
آكل منه يده اليمينا ، اذا وجدت لحمه سمينا !
ثمّ اهدي يده اليسارا ، ولا اعدّ فقدها خسارا ،
الى فتاة اسمها يمامه قد ألفت حدائق اليمامه
تُغذى من الرقلة والسحوق ، مما تسمّيه بنو صفوق ،(٥
يُجبى اليها الرطبُ السقيط ، والثامر المشّر الريط .(٦
والماء بين راحتيها جاري من كل عذب ، خضر النجار ،
تُغال في ملاعب البستان حوراء من كواعب الجنان ،
قلت لها ، وادمعي دمآء ، يوم النوى ، واضلعي ملاء :
يمّ غرقتُ فيه من هواكِ ، اذ اسفرت عن وجهها نواكِ .
قالت ، وقد اصغت الى كلامي ، بعد الذي اهدت من السلام :
يوم النوى معترك المشاقِ ، بين يد التوديع والفراقِ .
وبلدي يثرب خيرُ دار ، مأوى المهاجرين والانصار ،
حيث ثوى قبر النبي أحمدِ ، أكرِم بترب ارضهِ وأحمدِ !
نوافح المسك ونشر العنبر ، بين تراب قبره والمنبر !

١) الينبوت شجر المزروب في احد الاقوال . قال ابن سيده : اخبرني بعض اعراب ربيعة قال : تكون الينبوتة مثل شجرة التفاح العظيمة . وورقها اصغر من ورق التفاح ولها ثمرة اصغر من الزعرور (التاج ١ : ٥٨١)

٢) اليعضيد قال ابن سيده : بقلة زهرها اشد صفرة من الورس وقيل هي من الشجر (لسان العرب ٦ : ٢٨٦–٢٨٧)

٣) الينتون غفلت عن ذكره المعاجم الكبرى . وذكره ابن البيطار في مفرداته فقال : « ينتون : هو الثافسيا وقد قلت انه الدواء المسمّى بالبربرية ادوياس » (٦ : ٢١٠) وقال في ثافسيا : «...نبات جملته شبيهة بورق النبات الذي يقال له مارامون (كذا) وعلى اطرافه في كل شعبة أكلة شبيهة بأكلة الشبث فيها زهر وبزر الى العرض ما هو شبيه ببزر النبات المسمى ورس (كذا) وهو الكالخ غير انه اصغر منه واصل ابيض كبير غليظ القشر حريف» (١ : ١٤٨)

٤) اليعقوب ذكر الحجل

٥) الرقلة النخلة الطويلة التي تفوت اليد . والسحوق من النخل الطويلة .

٦) في الاصل الثامن بالنون . والثامر هو ما ادرك ثمره . والمشّر الثمر المدرك والكثير . والريط التمر اليابس يوضع في الجراب ويصبّ عليه الماء . والبسر المنفوع .

صلى عليه ربّنا وسلما ، وصانه في عرشه ، وكرّما ،
وآله وصحبه الكرام ! والحمد لله على التمام !

ومن هذين الحرفين ، فضلًا عما بينهما من سائر الحروف ، يتبين ان فائدة الارجوزة لا تتعدّى لغة البداوة . وكلها شواهد على سعة محفوظ ابن سيده وإحاطته بالوحشيّ منها والنادر . وقد توسّع جدًا في بعض الحروف واطلق العنان لبديهته فيها ، فابلغ حرف الدال الى ٨١ بيتاً ، والزاي الى ١٠٧ ، وهو اطولها نفساً واكثرها استطرادًا . واللام الى ١٠٢ والنون الى ١٠٣ . ويظهر ان تطويله في النون انساه ما بدأه فيها من ذكر النسب لإمعانه في الطفرة من معنى الى آخر . فكرّره ثانية ، وبعد ان افتتح الرجز بقوله اولًا :

واسمي ، ان تسأل به ، نمانُ ومولدي ومنشأي نمانُ ،
اعني بذاك واديَ الاراكِ ، والاسم قد يعمّ باشتراك .
ووالدي نُسبة ابن نائل طلق المحيّا ، سَبط الانامل ،
لم يُعتَمَر بسؤدُدٍ فناء ، منذ نفى وجودَه الفناء !
ابكي عليه بدموع ما تَني ؛ ليت الزمان قبله اماتني !

رجع على عقبه وقال ، بعد ان افاض في الرثاء والتذكير والاكثار من النصائح :

ولعنة الله على اناسٍ يخفون غير ما بدا للناس
وقد وعظتُ ، فاقبلِ المواعظا ، ان كنت من نفسك تُلفي واعظا
ان تسألوا باسمي ، فاني نامرُ ؛ ووالدي خِدن المعالي نامرُ .
وحسبي ونسبي في ناجيه ، قبيلة من كل سوء ناجيه .
ولي خال في بني النجار ، ممتنع الدار ، عزيز الجار .

وفعل قبلًا قريباً من ذلك في حرف اللام ، وبعد ان اسهب في الموعظة ، وقف وقال جامعاً بين الهجو والمديح لولعه في التنقّل اعتباطاً لغير اقتضاء او ملاءمة :

وقد اطلت القول ، إن وعظتنعْ ، وفّق من يصادق الوعظ اتنعْ ؛
الحمد لله الذي الشانُ ! سيّان عندي وابقٌ وشانُ .
ولعنة الله على أملاكِ يكفرون كلّ حبر زاكِ ،
من كل مفتوق المياه بطنه ، ليس له في غير ظلم فطنه ،
رخو الوكاء ، غير ذي غَناء ، الا لـذي القهوة والغناء .
ثعلب ليلٍ ، وضارًا جيفه ، تخفق رايات حشاه خيفه ؛
اذا رأى الغنام مستطيرا ، يكاد منه القلب ان يطيرا ؛
وان يرى الثريد ، فهو ليث فيه ليمنى واحتيه غيثُ ؛

يأكل في سبع من الامعاء (١) ، كما دحشت(٢) الثوب في الوعاء.
فحظه من الاله شحط ، عليه لعنٌ دائم وسخط !
لكن وليّ امرنا عليّ ، في كل مجد جدّه عليّ !
وُفّق للعدل وللرشاد ، فهو فتى السؤدد ذي السداد ،
مضمّر الكشح ، اشمّ المنكب ، واضحة غرّته كالكوكب.
ونسبي من الانام لحمُ سماء عزّ وطراف ضخم...

وعلي هذا هو ابو الحسن ابن الامير ابي الجيش مجاهد بن عبدالله العامري ، الذي كان ابن سيده منقطعاً اليه ، بدليل قوله في حرف الحاء:

صحبتُ خير ملك مجاهدا ، وكان في جمع العلوم جاهدا ،
ولم ازل بشغله مسعرا ، فما افدت عنده قطميرا.
لكنما سلبه ابو الحسن ، قد ظلمت منه في ذرى عيش حسن ،
ان لم يُفيّض لي هناك حاسد ! اذ كل ذي صدر علي حاقد.

وروى ياقوت ان لقب الامير علي كان « اقبال الدولة » وانه حدثت لابن سيده في زمانه نبوة(٣). فهرب منه. ثم قال يستعطفه من قصيدة:

الا هل الى تقبيل راحتك اليمنى سبيلٌ ، فان الامن في ذاك واليمنا !

وقد اثنى عليه ابن سيده في ارجوزته غير مرة. وقال ايضاً في حرف الزاي يمدحه ويعرّض بغيره من الملوك في ابيات ننقلها ، على طولها ، لتعريف طريقته في الثناء والهجاء والطعن واللعن:

قد بار سوق النهم ، الا عند من فاق الورى ، نجل الملي ابي الحسن ،
عليّ ابن الملك الموفّق ! لولاه سوقُ ادب لم ينفق.
بأوي الى حضرته اهلُ السُنى ، والحكمة الغراء ، والذهن الحسن ،
وحاملو القرآن ، والآداب ، في كنف منه وفي جناب.
يسقيهم وابله وطلّه ، وينثر ، الدهرُ ، عليهم ظلّه.
يكرمهم بالقصد والالمام فعلَ ابيه ، الملك الهمام !

١) اشارة الى الحديث : « المؤمن يأكل في معىً واحد. والكافر في سبعة امعاء ».

٢) كذا في الاصل الذي امامنا « دحشت » بالشين المنقوطة. وفي دواوين اللغة ان دحش بمعنى ادخل ودسّ هو من اصطلاح العامة. ولكن وروده على لسان مثل ابن سيده دليل على صحته. وقد كان في وسع ابن سيده ان يتنكب هذا اللفظ هنا ويقول في موضعه « دحست » بالسين او دسّست.

٣) في حاشية ارشاد الاريب (٥ : ٨٥ ، طبعة سنة ١٩١١) استدراك على هذه اللفظة وانها قد تكون محرفة عن « ذوبة » (كذا) وانما النبوة هنا بمعنى الزلة والعثرة.

يوسعهم رفقاً ، اذا ما اخطأوا ، ولا يزجيهم ، اذا ما ابطأوا ،
الّا بالوف من الحباء . كذاك فعل الاب بالابناء !
ما لهم من بعده من آوي ؛ كل الورى عمرو وهم كالوار .
وان تشأ فاختبر الاملاكا ، فلست تلقي فيهم ملاكا .
ما منهم الا اخو طنبور ، وجالس الى ذرى تنور ،
اذا رأى مغنياً مأبونا ، كساه ديباجاً وسقلاطونا ،
مسدّداً الى ذراه عُرفه بكفّه ، لابرئت من عَرفه !
وان رأى ذا ادب فقيها ، اهدى له غمامة يُاقيها !
يرميه إبعاداً له بالزندقه ، وهو الغبيّ لا يحاكي منطقه .
واوقح الناس ملوك فاسقه ، تقول للاحبار : يا زنادقه !
وانما اشدّ عن رشد هي فلا عدتهُ لمة من السما !

كذا بمثل هـذه السلاطة كان ابن سيده يتناول الملوك والامراء بالقدح والجرح . فما الظن بمن دونهم من العلماء والفقهاء والادباء الذين كانوا يزاحمونه على غشيان ابواب الملوك ومجالس الكبراء . فلا بدع اذا كانوا شديدي العداء له مجمعين على ذمّه وانتقاصه . وقد سبق إلماعه الى حسدهم له ، وتوغر احقادهم عليه ، حين ذكر حضرة الامير علي بن المرتضى فقال « اذ كل ذي صدر علي حاقد » . وهذا انموذج من خطابه لهم ، وفيه وصف زيّ العلماء في زمانه :

لو قد تركتم يا بني المُعيشه ثني ، ثنيت عنكم الاسنّه . . .
لا زيّنت هامتكم قلانسُ ، ولا اللحى ، فانما مكانسُ !
ولا احتمال الكتب في الاكمام ، فذاك ضدّ النور في الاكمام !
ولا تردّيكم ببيض الارديه ، وما تصدرتم له في الانديه ،
يا رب امّ قد يُسمّى قاضي ، وانه من غبراه غير راضي .
ورب من تدعوه بالفقيه ، وعُصمات الحيّ تتقيه .
ورب نكس لا اريد ذكره ؛ لم اعتقل في هجوه افكره .

وله في حرف الزاي ابيات سرد فيها دروسه ومحفوظاته سننقلها فيما يأتي . وبعد ان عدّد ما شاء منها ، قال بلسان الفخر والعُجب :

فكيف يُلحى عالم قد سَهرا ! ألا حياء من هلال سَهرا !
لتخبإ الكلاب عن هلال لا يرهب النقص على كمال ؛
اذا اطمأنّ بالهي قلبي ، فما أبالي بنباح كلب .
يا عجبا من قمر عسود ، هل فيه مرجى ليد الحسود !

يحسدني من لا ينال سعيي ، أشربي من عرضه ورعيي .
دعهُ وما يختاره لنفسه ثم أرضني لأختي وعرسي .
يظن قوم دأبي السكوتا : كأنني ارهب ان اموتا !
متى اجدت في اللئام نطقي ، فليقطع السيف سواء عرقي !

وهذه الابيات مرآة اخلاق ابن سيده وآدابه . وفي قوله « ثم أرضني لاخته وعرسه » مثال من بذاءة لسانه وسفالة منشاه . وقد اقر بفمه ان « مشربه ورعيه » من اعراض حساده واعدائه . وسمّى منهم مرة في رجز الطاء « ابن سهيل » وعرّض به اسوأ تعريض :

في عرسي والأم ، ثم الاختي ، ونفسه ، فذاك اخزى مقتي

ولم يقف عند هذا الحدّ القبيح . بل رماه باخبث داء . واشار الى نفسه بانه عافه وعف عنه باوقح الفاظ السوقة واخسهم ادباً ومشرباً . وهذه اول مرة نجد فيها احد اقطاب اللغة واشهر ائمتها ينحطّ هذا الانحطاط الشائن باستخدام اماليّ اللغة ومصنفاتها للتشفي من الاعراض باقذع لسان واسقط لفظ . ولا غرو فقد كان موضع الحياء منه خراباً . وقد نصّ كل من اشار اليه على انه كان ضريراً وابن ضرير .

ومن الغريب بعد ذلك قول القاضي الجيّاني عنه انه « كان مع اتقانه لعلم الادب والعربية متوفراً على علوم الحكمة . وألف فيها تأليفات كثيرة »[1] وكان يقال قديماً لاهل الحكمة « الفلاسفة » . ومن ابلغ الهزل ان يعدّ ابن سيده فيلسوفاً بعد ما سبق من قذره وفجوره . ولا شكّ ان الجيّاني يعني بالحكمة علوم المنطق والطب والحساب دون الفلسفة . وهو ما نبّه عليه ابن سيده نفسه حين اشار بتعلمها واجتناب الفلسفة ، اذ كانت عنده مفسدة للدين . فقال من رجز النون :

لا تعبأنْ مقالة الفلاسفه ، فانها للنيب غير كاشفه ،
وان تنل منها فحدّ المنطق ، او الحساب ، او بطبّ فاعلق :
وغير ذا من غامض الطبيعه مغمزة في هذه الشريعه .

وله في جملة مواعظه ونصائحه التي اكثر منها في مواضع شتى من ارجوزته اقوال منكرة ، لا بأس من الاشارة الى بعضها ، لما تشفّ عنه من المذاهب

---

(١) ارشاد الاريب ٥ : ٨٥

الفاسدة . ومن اقبحها انكاره على الله ، عزّ وجلّ ، بعض خلقه وتكوينه . واعتراضه عليه ، سبحانه وتعالى ، لعدم مساواته بين الناس في الرزق والحرمان. وذلك قوله في رجز الزاي :

لو شئت، يا ذا الصفح والغفران ، عمّمت بالسخط او الرضوان !
وفي الغنى سوّيت او في الفقر ، ولم تعذّب مُعدماً بثمر ،
كوّنت اشياء ذوات حسن ، ثم تُفني بِبِرّها وتُفني ،
ولو تشاء ، دام ما كوّنتا ، لا عالم بالسرّ الا انتا !
قدّ اهل الجهل بالاموال ، وبالبنين المسّد الرجال ،
تكسوهم الديباج والحريرا ، ويُمنحون التاج والسريرا !
ويحرم النبيل قوتَ ليله ، تتركه لضيعة ، وعيله !
وربما وهبته إناثا معرّيات ، عُطّلا ، غِراثا !
وربما صاهر في الارذال ، لثقل الظهر ، وعدم المال .
ترى الفقير باكيَ الالحاظ ، وان غدا مبتسم الالفاظ ،
تحمله شماتة الاقارب ان يتقذي من حُمة العقارب ،
ولو يطيق لاك أفعوانا ، ولا يوافي لاخٍ خِوانا .
هذا اذا ما كان ذا مروّه ، ومُعرقاً في طيّب الابوّه .

وفي بيت الاقارب اشارة الى المثل المشهور « الاقارب عقارب » وقد اعاده في رجز النون واشتطّ في تعميمه وسوء تأويله . وبلغ الغاية في التحامل على الاقرباء والاغراء بالبغض والتحذّر ، فقال :

إهوَ الذئاب ، واشنإ الاقاربا ، وواصلِ الحيّات والعقاربا !
شرُّ قرين للكريم اقربُه ، ذاك افعاه ، وذاك عقربه !
شرّم العمّ ، وخبل العم ، والخال ، والخالة ، وابن الام .
واشنأ الناس لك ابن أختكا ، فامقته ، فهو آخذ في مقتكا .

ومثل هذا الهذيان قول بعض الآباء ، لا شك حباً بالسجع « يا بني ، الاب ربّ . والام همّ . والاخ فخّ . والعم غمّ والخال وبال . » وليس الاقارب اول شهداء السجع في الاسلام . ويؤخذ من ابيات له في رجز النون ايضاً انه كان متشيعاً لبني امية ككثير من اهل الاندلس والمغرب . وهي قوله :

إثنِ على الصدّيق ، والفاروق ، فانه من اوكد الحقوق .
ولا تُضع تلوهما عنانا ، خير امرئ ، بعدهما ، قد كانا .
ولا تؤخّر ذا العلى عليّا الماشيَ ، البالَ الكميّا .

ومن يكُ يقدح في معاويه ، فذاك كلب من كلاب عاويه .
اتبع الحبر الاجلّ مالكا ، وان تبعت غيره ، فذلكا ،
كالشافعيّ ، وابي حنيفه ، كلاهما ذو ورع وخيفه .

وقد سكت تماماً عن احمد بن حنبل ولم يشر اليه بحرف .

ومن الفوائد التي تبرّع بها في هذه الارجوزة ، على غير انتظار ، ذكره دروسه ومحفوظاته ؛ وتسميته شيوخه ؛ وتعداده ، بلسان الخيلاء والاعجاب ، كل المصنفات والعلوم التي قرأها واتقنها . زعم انه اقبل على تلقن القرآن ، وهو في السنة الرابعة من عمره . ووعاه في صدره قبل السادسة . فقال في رجز الرّاي :

قرأتُ بالوحي ، وسنّي اربعُ ؛ وقبل ستٍ تمّ عندي اجمعُ .
حتى اذا حليت بالتنزيلِ نظرت في حقائق التأويلِ ؛
ولم ادع لعالم تحبيرا الا وقد ظلّلت بها خبيرا :
فلا ابن عباس اضمت وضمه ، ولا ابن سلّام تركت جمعه ،
ولا كتاب ابن حميدٍ عبدِ الا اذّخرت كل ذاك عندي ؛
حتى اذا استقامت بالحجاجِ ، قرأت كتب كل حبر ناجِ ،
كتب ابي اسحق ذي المعاني ، أوضح به اشكل القرآن !
وكل ما احمله من سندِ عن الفقيه الملّسكي احمد ،
ثم قرأت كتب الموطّا ، عليه دون كل مستبطا ؛
ثمّ اشبعت من البخاري رواية ، فتمّ لي فخاري .
ولم أضع كتب ابي عبيدِ ، جميعها في رقتي ، وقيدي .
ثم قرأت علم سيبويهِ ، لبّ الفؤاد فهماً عليهِ ،
على ابي عثمان شيخي نافعِ ، وكان فيه جد حبر بارعِ .
ثمّ قاومت ابا العلاء في كتب الصفات والاسماء ،
روّاني الغريب والإصلاحا حتى انار فجرها ولاحا . (١)
ثمت روّاني الى الالفاظِ رواية ، فندت في الحفّاظِ .
وقد قرأت كتب المجازِ عليه ، من قرموطة الشيرازي ؛
بعد سماعه عن الفقيهِ احمد ذي التفهيم والتفقيهِ .
ثم قرأت كتب الرمّاني ، والفارسيّ ، وابنه عثمانِ ،
اعني ابن جنّيّ ، فانه بنُ له وان كان اباه الحسنُ .

---

١) ورد هذا العجز في الاصل هكذا « حتى انرى فجرها واساحا » ولا شك انه من تحريف الناسخ .

فانـهُ خرّجـهُ وأدّبهُ ، وقد تقول للشفيق : يا أبهْ .
وغرّ قـوماً هـذه البنوّه ، فنحوا الفا الابوّه .
سبحان ذاك الواحد، المدل، الصمد ، لم يتخذ صاحبةً ، ولا ولد !
كل كتـاب لغـة وعيتُ ، وكل شعر لهم رويتُ ،
ثم تأملت حـدود المنطـق ، فن برُم حقيقةً ، فلينطق !

ويستدلّ من هذا البيت الاخير انه اجترأ من علوم الحكمة بعلم المنطق وحده . ولم تكن له مشاركة ، لا في الطب ، ولا في الحساب . ولذلك لم يذكرهما في جملة ما تعلمه وحفظه ، خلافاً لما يتوهم من قول القاضي الجياني كما سبق . ويا ليته بدلاً من علم المنطق تعلم ادب المنطق ، فانه كان اشدّ حاجة اليه !

ومن هذه التعليقات التي افدناها من مطالعة هذه الارجوزة، يتضح فضل نقد المؤلفات والنظر فيها ملياً لاستيضاح ما غمض من اخلاق المؤلفين ، ووصف آدابهم وعلومهم وآرائهم ؛ وسدّ جانب من الثلم التي غادرها المؤرخون في تراجمهم . وغني عن البيان ، بعد ما تقدم شرحه والاستشهاد به ، ان ابن سيده ، اذا كان قد اغرب في ما املاه من نوادر محفوظه الواسع في اللغة ، فقد اساء جداً الى علمه وقدره واسمه ، بما استرسل له في غير موضعه من اللغو والفضول ، والفجور والقذف الذي اطاع فيه غضبه ، واضاع ادبه .

لغة الحضارة

التقرير والرفيعة والمشروح

يشبه ان يكون لفظ التقرير من وضع ارباب الحكم والقضاء . ولعله لا يرجع الى ما وراء اوائل القرن الاخير . ولا يخفى ما فيه من القصور عن تأدية معنى rapport بالتمام . ولذلك آثرت عليه مجلة لغة العرب ببغداد كلمة «رفيعة» لما فيها من معنى القصة والبلاغ . وحبذا لو اصطلح الكتاب عليها في مكان التقرير . ولعلّ قلة شيوعها لورودها قديماً في الدلالة على الرقعة المرفوعة للتظلم والشكوى قال الصولي في اخبار سنة ٣٢٨ (٩٣٩/٤٠ م) « وكثرت الرفائع الى بجكم من ظلم اصحابه للناس . »[1] وقال الجهشياري بعد ان ذكر ان رياحاً ، والي الحرمين ، حبس محمد بن خالد سنة ١٤٤ (٧٦١ م) وحبس كاتبه رزاماً « فكان يضرب رزاماً في كل يوم . . . فلما بلغ به ما بلغ احضر رزام كتاباً يوهمه ان فيه رفائع على محمد بن خالد . فجمع رياح الناس . فلما اجتمعوا قال لهم ايها الناس ان الامير امرني ان ارفع على محمد بن خالد . »[2] وفي ايام احمد بن طولون في مصر اغتصب احد قواده راهباً خمس مئة دينار . فحضر الراهب ليبلغ شكواه للامير ، وانتظار ركوبه ليوصل اليه قصته . فقال له حاجب ابن طولون « انا ادفع لك الخمس مئة ديناراً . وانا استرجعها منه او اتركها له . واصرفه عن الرفيعة فيه . »[3]

وقد ورد الرفع بمعنى الرفيعة كالعرض والعريضة . قال ابن بطوطة في كلامه على السلطان ابي المجاهد محمد شاه ابن السلطان غياث الدين ملك الهند والسند : « كان لا يمنع احداً من اراد الشكوى . . . وعين اربعة من كبار الامراء يجلسون

١) كتاب الاوراق . اخبار الراضي بالله والمتقي لله ، ص ١٤٢
٢) كتاب الوزراء والكتاب ، ص ١٢٨
٣) سيرة ابن طولون للبلوي . المكتبة الظاهرية بدمشق .

في الابواب الاربعة من المشور لاخذ القصص . . . فان اخذ حاجب الباب الاول الرفع من الشاكي فحسن »[1] . . وقال ايضاً : « كتبت رقعاً وهم يسمونه عرض داشت . فدفعته الى قطب الملك صاحب السند . »[2]

ومن الشواهد على ورود فعل « رفع » بمعنى شكا وتظلم قول عبد الرزاق القرطي في اخبار سنة ٦٥٧ (١٢٥٩ م) :

« فيها توجه فخر الدين بن الدامغاني صاحب الديوان الى الاردو المعظم وهو صدور العراق . فانعم السلطان عليه . واراد ان يفوّض امر العراق اليه . فرفع نجم الدين بن عمران عليه . ونسب اليه انه اطلق من السجن بالمدائن رجلاً من انساب الخليفة المستعصم . »[3] وللمقريزي في كلامه على رشيق الاخشيدي « استحجبه ابو بكر محمد بن علي المادراني . فلما مضت عليه سنة رفع فيه انه كسب عشرة آلاف دينار . »[4] وهلمّ جرّاً . ومن هذا المعنى اشتقّ لفظ المرافعة في لغة الاحكام والقضاء .

وكان الكتّاب قديماً يعبرون عن معنى « التقرير » بلفظ هو اكثر مطابقة واصحّ تأدية وهو « المشروح » لان ما فيه ليس الا شرح الواقع وكشف الحال . ولنا عليه شواهد اقدمها ، فيما وقفنا عليه ، قول الوزير ابي شجاع الروذراوي في عنوان احد فصوله « نُسِخَت من جملة مشروح وجد بخط ابن شهرام : لما كان رسولاً الى الروم) »[5] . وللدبيثي في ذكر اعتراض الحاج في صفر سنة ٥٩٠ (١١٩٤ م) « كُتب بذلك مشروح وضع فيه الحاضرون من ارباب الدولة والفقهاء والعدول خطوطهم . »[6] ولما ذكر النويري وجود كريم الدين وزير السلطان الناصر محمد ابن قلاوون مشنوقاً سنة ٧٢٢ (١٣٢٢ م) قال « نُظم بذلك مشروح وسُيّر

١) رحلته . طبعة النيل ٢ : ٥١

٢) رحلته . طبعة النيل ٢ : ٨١

٣) الحوادث الجامعة ، ص ٢٣٨

٤) الخطط ، مطبعة النيل ، سنة ١٣٢٤ ، ٢ : ١٢٠

٥) ذيل كتاب تجارب الامم ، ص ٣٦

٦) الثاني من ذيل تاريخ بغداد للدبيثي . باريس ١٩٢١ ، ص ٧٥

الى الابواب السلطانية. »[1] وللمقريزي في كلامه على القاضي الرشيد بن الزبير ، ايام مشارفته الصعيد الاعلى « طالع المجلس الافضلي بحال ارباب الاملاك . . . ورسم له كشفها ونظم المشاريح بها . . . فاعتمدوا ما امروا به من الكشف في هذه الاملاك . . . واصدروا الى الديوان المشاريح بما كشفوه. »[2]

ومما يدلّ على شيوع هذا اللفظ وتفشيه بين كل طبقات الكتّاب وروده في تواريخ الاقباط ايضاً. قال في سِيَر البطاركة : « حضر المهندسون وكتبوا مشاريح بان هذا الحائط للكنيسة وما للمسجد فيه شي . . »[3]

ومن هذه الامثلة يُستدلّ على ان لفظ المشروح قديماً كان يراد به نفس ما يُراد اليوم من لفظ التقرير . فما اجدره ان يحلّ محله لتقدمه في الاستعمال وصحة اشتقاقه ووضعه. وحسن تأديته المعنى بالضبط والكمال.

المنتزه والمتنزّه

لم يبقَ احد ممن تصدّى للافتاء والاستدراك في اللغة. لم ينبه على وهم استعمال المنتزه بدلاً من المتنزّه. وقد دفع حب التقليد والتحذلق كل من طبع كتاباً او جدّد طبعة على اصلاح اللفظة الاولى بالثانية في كل المواضع التي وردت فيها ، دون المبالاة بامكان صدورها من قلم المؤلف نفسه . وربما تجاوز هذا العبث بالآثار القديمة كتب الائمة الذين يُعتقد فيهم حب التمسك بالفصيح كالاغاني ، في طبعته الحاضرة في دار الكتب المصرية ، الى مصنفات ضعفة الكتاب المتأخرين كنزهة الانام في محاسن الشام للبدري ، في طبعته البغدادية ، مع ان فيها من الوهم واللحن ما لا يصدّق معه ان يكون البدري خالف طبعه في هذه اللفظة الواحدة. وقد وردت كلمة المنتزه في كل نسخه المخطوطة في الخزائن الغربية. فما كان احقّ طابعي كتابه ان يبقوها على اصلها ولا يمسّوها بادنى تحويل ، اذ لا يخفى ما في مثل هذا التبديل والاصلاح الاخرق ، ولو بحجة الرجوع الى

١) مجلد من نهاية الارب. خزانة ليدن Arab. 19b Gaul, f°20a

٢) الخطط ١ : ١٣٧

٣) سِيَر البطاركة الاقباط. باريس ٣٠٢ ، ص ٢٨٦

الفصيح ، من الافساد والجرأة على المؤلفين والمؤلفات ، ونسبة الفصاحة احياناً الى غير اهلها . ولو شاء اليوم مؤرخ اللغة استقراء كل المواضع التي ثبتت فيها لفظة المنتزه في كتب المتقدمين ومقابلتها بشواهد المتنزّه للاستدلال من هذه المعارضة على ترجيح احد اللفظين وشيوعه في الكتابة لاخطأ الغرض والتبست عليه الحقيقة لكثرة ما في الكتب المطبوعة من اماكن التبديل الحديث .

وقد مرّت بنا مراراً اثناء مطالعتنا مخطوطات الخزائن العامة لفظة المنتزه مرسومة باقلام كثيرين من الكتاب بخطوط ايديهم فضلاً عن اشعار الشعراء . ومن هذه الاصول مجلد من المقفّى للمقريزي في خزانة باريس ، وهو بقلمه ، خطّ فيه كلمة المنتزه جلياً بتقديم النون على التاء كقوله في كلامه على عبد الرحمن الخليفة الاموي الداخل « ابتنى مدينة الرصافة منتزهاً لهُ » (رقم ٢١٤٤ ، ص ٥٦) وفي خزانة اكسفرد مجموع مما فيه كتاب المباحثات لابن سينا . ورسالة حيّ بن يقظان مع شرحها له . قال في مقدمتها : « قد تيسرت لي حين مقامي ببلادي . برزة برفقائي الى بعض المنتزهات المكتنفة لتلك البقعة » كذا بالنون ثم التاء . وخط هذه الرسالة واضح صريح لا شبهة فيه . كُتب في شهر ذي الحجة سنة ٦٣٤ (١٢٣٧ م)

واما في الشعر فقد جاءت لفظة المنتزه منذ القرن الرابع للهجرة ، اذا لم تكن تقدمت هذا التاريخ . وحسبك ان كشاجم المشهور بادبه وسعة علمه لم يتوقف عن استعمالها في بيت قاله يصف فيه بعض مواضع لهوه وقصفه :

منازل كانت لي من مآرب ، وكنّ مواخيري ومنتزهاتي (١)

ولا ريب انه لو قُدّر لنا الوقوف على دواوين من عاصره او سبقه من الشعراء العباسيين لاصبنا فيها شواهد اخرى تعزّز هذا الاستعمال . لانه لا يعقل ان يكون كشاجم قد انفرد وحده به ، دون سائر اهل عصره ومصره . ونظيره قول ابن منقذ مكين الدولة ابي الغنائم الكناني في بيتين مدح بها دمشق وقال :

ما بعد جلق للسرتاد منزلة ، ولا كـكأنها في الارض سكانُ

(١) معجم البلدان لياقوت . طبعة اروبة ، ٢ : ٦٨٦

فكأنها لمجال الطرف منتزه ، وكأنهم لصروف الدهر اقران (١

ولمحاسن الشوا الحلبي قصيدة طويلة مدح بها دمشق ايضاً وعدد مواضع أنسها ومنازهها فقال في بيت منها:

حول وادي الشقراء منتزهات آنسات ، سنيا لوادي شقرا ! (٢

وغلبت اللفظة جداً في اصطلاح المتأخرين من الكتاب والشعراء . ومن امثالها في الشعر قول عبد الكريم النقيب من موشح في مدح دمشق:

ورعى الغوطة من منتزه فاق في الحسن سواه وسما !

ونظيره قول محمد بن عثمان الشهير بابن الشمعة يصف دمشق ايضاً:

أحبب بها جنة الدنيا ، التي جمعت من كل منتزه مستكمل الصور (٣

وكفى بهذه الشواهد دليلاً على رواج اللفظة واقبال المحدثين والمولدين على اجازتها وتصحيحها . ولا مراء مع ذلك ان فعل انتزه لم يسمع فيما قيل او بالاحرى لم ينقل في دواوين اللغة . وان اول من انكر اشتقاق اسم المكان منه اصاب في تخطئته . ولكن الاشتقاق قياسي لا غبار عليه واذا كان الفعل الذي أخذ منه قد فات اللغويين تقييده ، فليس ذلك حجة على وجوب اطراحه . ولا نخال ان احداً يدعي ان ارباب المعاجم احاطوا بكل مفردات اللغة ومشتقاتها . ونقلوا كل ما نطقت به قبائل العرب قبل الاسلام في مختلف امصارها وحضارة ممالكها . ومما يرجح ورود فعل « انتزه » في اصل اللغة وامكان غفلة الرواة عنه انه جاء في مادة النون والزاي الثنائية مزيد آخر يشبهه مبنى ومعنى . وهو فعل « انتزح » اي تباعد . اثبتوا منه اسم المكان وقالوا هو بمنتزح عنه . اي ببعد منه . وهو نفس المعنى المقصود في اصل المنتزه . فلم يكون واضعو اللغة اجازوا في المادة الواحدة صيغة منعوها في المادة الاخرى وهما مترادفتان . وأية علة قضت بمثل هذا الشذوذ في الاشتقاق . وعلى كل فقد كان لفظ المنتزه مسموعاً في اوائل العصر العباسي بدليل وروده على لسان كشاجم دون ان يستدركه عليه احد ممن الف في كتب الملاحن . ومن سمع حجة على من لم يسمع .

١) تهذيب ابن عساكر ٤ : ٤٦٣-٤٦٤

٢) عيون التواريخ للكتبي . باريس ١٥٨٧ ، ص ٤٢

٣) البرق المتألق في محاسن جلق لابن الراعي .

السلطة الابوية
في الشرع الاسلامي
على مذهب الامام ابي حنيفة

بقلم نجيب مدته

٢

الباب الثاني

الولاية في النفس

الفصل الاول

الحمل

نبدأ بدرس الولاية في النفس متبعين الصبي في جميع الادوار التي يمرّ بها ، منذ الحبل به حتى بلوغه، مفرّقين، في كل من هذه الادوار ، بين حقوق الصبي وواجباته من جهة ، وحقوق الوالدين وواجباتها من جهة اخرى . غير انا لا نستطيع ان نسير على هذا الترتيب في درسنا للحمل لان كل ما تذكره المصادر متعلق بدية الجنين ان قتل . فالجنين كائن حيّ يجب على الجميع ان يحافظوا على حياته ، وان هم اماتوه أنزل بهم العقاب البشري. وما من شكّ ان الاحكام المتعلقة بهذا الموضوع متأثرة بما ورد في القرآن من تحريم قتل الابناء.

لتسهيل البحث ، سنقسمه الى اقسام خمسة موافقة لجميع الاحوال التي يمكن ان تحدث ، ومبيّنين في كل منها ما امر الشارع به :

١ ــ ان قتل الجنين وخرج ميتاً ، وجب على من سبّب موته ان يدفع لورثته خمسمائة درهم ، سواء أكان الجنين ذكرًا ام انثى . وان كان القاتل بين الورثة ، تقسم الدية (او « الغرّة ») بين سواه من الورثة الباقين ، لان القاتل لا

يرث . وان القت الام ميتين وجب على القاتل ان يقدم الف درهم.[١]

٢ ــ ان خرج الجنين حياً ثم مات ، ففيه الدية كاملة ، اي ليس خمسمائة درهم فقط بل خمسة آلاف ان كان انثى ، وعشرة آلاف ان كان ذكراً . اما « إذا خرج راس الولد وصاح ، فجاء رجل وذبحه ، فعليه الغرّة (لا الدية ، اي خمسمائة درهم) لانه جنين.»[٢]

٣ ــ ان القت الام جنيناً ميتاً ثم ماتت ، فعلى الضارب الدية بقتل الام ، وعليه الغرة بالقائها . وان ماتت الام من الضربة ، ثم خرج الجنين بعد ذلك حياً ، ثم مات ، فعليه دية في الام ، ودية في الجنين . اما اذا ماتت ، ثم القت ميتاً ، فعليه دية في الام ، ولا شيء في الجنين.[٣]

٤ ــ ان القت الام جنينَين ، احدهما ميت والآخر حي ، فمات الحي ، بعد الانفصال ، من الضرب الذي سبب موت اخيه ، فعلى الضارب في الميت منهما الغرة ، وفي الحي الدية كاملة.[٤]

٥ ــ اذا ضربت المرأة نفسها ، او شربت دواء لتطرح الولد متعمدة ، او عالجت نفسها بوسيلة اخرى حتى سقط الولد ، فعلى عاقلتها الغرة ان فعلت بغير اذن الزوج ، وان فعلت باذنه لا يجب شيء.[٥]

ولا يسعنا الا ان نستغرب هذا الحكم الاخير لما فيه من توسيع فادح لسلطة الاب ، ومنافاة ظاهرة لاقوال القرآن المحرّمة لقتل الابناء ، اذ ان الجنين لا يخرج عن كونه ابناً يستحق ما يستحق غيره من الابناء ايّاً كانوا.

---

١) البستاني : ص ٢٦٥ (نقلاً عن « درر » ، و« خزانة المفتين » و« الكافي » .) — الدية ليست للجنين بل للانسان بعد الولادة . ودية الجنين تسمى الغُرّة

٢) البستاني : ٢٦٤ (عن المبسوط وخزانة المفتين)

٣) البستاني : ٢٦٥-٢٦٦ (عن الهداية)

٤) البستاني : ٢٦٦ (عن الظهيرية)

٥) البستاني : ٢٦٦ (عن الكافي والهندية)

الفصل الثاني

الرضاعة

ليس في الكتب الباحثة في الشرع الروماني والافرنسي والكنسي شيء يتعلق بالرضاعة. فانّ ما نثبته في هذا الفصل، كالذي اثبتناه في الفصل السابق، مستمدّ من الفقه الاسلامي وحده. وقد حاولنا تنظيم المادة القليلة الموجودة في كتب الفقه، فجمعناها في مواضيع مختلفة تدور حول حق الام بارضاع ولدها وحقها في رفض ارضاعه، فالاحوال التي تتعين فيها اجرة الرضاعة للام، فمدة الرضاعة، وانهيناها بعرض حالة خاصة هي حالة فراق الزوجين.

١ – حق الام

اذا رضيت الام ان ترضع ولدها، فلا يحقّ لاحد ان ينازعها في ذلك، غير انها تستطيع ان ترفض ارضاعه وتسلمه للظئر، ان رضي زوجها، وقد ورد في القرآن: «وان اردتم ان تسترضعوا اولادكم فلا جُناح عليكم اذا سلمتم ما آتيتم بالمعروف.»[1] وعلى الاب ان يدفع للظئر اجرتها، وعلى الظئر ان ترضع الصغير عند امه[2]. ومدة الاسترضاع غير محدّدة في كتب الشرع، فهي متعلقة بارادة الطرفين المتعاقدين: الاب والظئر. فاذا انتهت هذه المدة وابت الظئر ان ترضع الطفل، وكان الطفل لا يقبل ثدي غيرها أُجبرت على ابقاء الاجارة. انما لا تجبر بالملك عند الام ما لم يشترط ذلك في العقد[3]. على ان هناك احوالاً «تُعيَّن» بها الام لارضاع ولدها وينزع منها حقّها في الرفض. فاذا لم يكن للولد ولا لأبيه مال يستأجر به مرضعة، ولم توجد متبرعة؛ واذا كان لهما مال انما لم يجد الاب من ترضعه غير الام؛ واذا توفر كل ذلك ولم يقبل الولد غير ثدي امه؛ في هذه الاحوال الثلاث يجب على الام ان ترضع ولدها.[4]

---

١) القرآن ٢ [البقرة] ٢٣٣؛ وملتقى الابحر: ٧٤

٢) الاحكام الشرعية: المادة ٣٦٧

٣) الاحكام الشرعية: المادة ٣٦٤

٤) الاحكام الشرعية: المادة ٣٦٦؛ ملتقى الابحر: ٧٤

٢ – اجرة الرضاعة

اذا ارضعت الام ولدها في حالة الزواج او في مدة الطلاق الرجعي[1] فلا تستحق اجرة على ارضاعه . اما اذا استأجرها زوجها لارضاع ابنه من غيرها ، او ارضعت ولدها من زوجها بعد مدة الطلاق البائن او فيها وطلبت اجرة على ارضاعها ، فلها الاجرة[2]. وليس من الضروري ان يكون هناك عقد اجارة ليثبت حق الام . فعلى الحاكم ان يأمر الاب او الوصيّ بدفع اجرة المثل لأم الولد ، طيلة مدة ارضاعه . ومدة الارضاع في حق الاجرة حولان لا اكثر.[3]

وان مات الاب قبل ان يدفع للام اجرتها ، فان حقها لا يسقط ، بل تستطيع ان تطالب به في التركة وتشارك الغرماء.[4].

٣ – مدة الرضاعة

رأينا سابقاً ان المدة التي يحق للام ان تطالب فيها باجرتها في الرضاع لا تتعدى السنتين . وليس هذا الحكم سوى نتيجة لما اثبتته الكتب الفقهية من تحديد لمدة الرضاعة ، استناداً لما ورد في القرآن من الآيات العديدة المتعلقة بهذا الموضوع.

جاء في القرآن :

« ووصّينا الانسان بوالديه . حملته امه وَهْناً على وهن . وفصاله في

---

١) « يقع الطلاق رجعياً بصريح لفظة الطلاق اذا اضيف اللفظ ، ولو معنى ، الى المرأة المدخول بها حقيقة ، غير مقرون بعوض ولا بعدد الثلاث ، لا نصاً ولا اشارة ، ولا مقروناً بنعت حقيقي ، ولا بافعل التفضيل ، ولا مشبهاً بصفة تدل على البينونة » (الاحكام الشرعية : مادة ٣٢٧) – « ويقع الطلاق بائناً بصريح لفظ الطلاق اذا اضيف اللفظ الى المرأة المدخول بها مقروناً بعدد الثلاث نصاً او اشارة بالاصابع ، مع ذكر لفظ الطلاق ، او مقروناً بنعت حقيقي ، او مضافاً الى افعل تفضيل ينبآن عن الشدة او الزيادة ، او مشبهاً بما يدل على البينونة » (المادة ٣٣٩)

٢) الاحكام الشرعية : المادة ٣٦٩ و٣٦٨ ؛ وابن عابدين ٢ : ٦٤١

٣) الاحكام الشرعية : ٣٧١

٤) الاحكام الشرعية : ٣٧٣

عامين. . . »[1]

« حملته امه كُرْهاً ووضعته كُرْهاً ، وحمله وفصاله ثلثون شهراً. . . »[2]

« والوالداتُ يُرضعن اولادهنّ حولين كاملين لمن اراد ان يُتمّ الرضاعة. . . فان أرادوا فِصالاً عن تراضٍ منهما وتشاورٍ فلا جُناحَ عليهما. »[3]

وقد يبدو ، في اول الامر ، ان هناك تناقضاً بين الآية الثانية والآيتين الاخريين . فاحداهما تقول ان مدة الحمل والفصال تكون ثلاثين شهراً ، والاثنتان الباقيتان تحددان مدة الرضاعة بسنتين كاملتين اي باربعة وعشرين شهراً. فاذا اعتبرنا القول الثاني ، واعتبرنا مدة الحمل تسعة شهور ، كانت مدة الرضاعة سنةً واحدة وتسعة شهور. غير ان التفسير الحقيقي الوارد في حاشية ابن عابدين يوفق بين القولين ، اذ انه يعتبر مدة الحمل ستة اشهر اي اقل مدة ممكنة.[4]

وينسب القدوري الى محمد وابي يوسف جعل مدة الرضاعة حولين ، ويروي ان ابا حنيفة جعلها ثلاثين شهراً.[5] وكلا القولين مستغرب ، فليس ابو يوسف ، ولا محمد ، اول من حدّد مدة الرضاعة ، بل القرآن ، وليس ابو حنيفة ليناقض ما ورد في الكتاب مثل هذه المناقضة الصريحة.

ويحقّ للوالدين ان يتفقا على ايقاف الرضاعة قبل الحولين ان كان الولد يستغني عنها . انما من المستحبّ ان تكون عامين كاملين ، ويجوز ان تمتد الى عامين ونصف . هذا قول بعض ائمة الحنفية ، كالقاعدي . لكن الرأي السائد ان الارضاع لا يباح بعد الحولين ، ولا يقطع قبلها اذا اراد احد الزوجين ، الا اذا كانت الزوجة امة ، فحينئذٍ يحق للاب ان يجبرها على فطام ابنها قبل الحولين — ان لم يضرّه ذلك — «لان الارضاع يعزل الامة ويشغلها عن خدمة زوجها. »[6]

---

١) القرآن ٣١ [لقمان] ١٣

٢) القرآن ٤٦ [الاحقاف] ١٤

٣) القرآن ٢ [البقرة] ٢٣٣

٤) ابن عابدين: ٢: ٤٣٧

٥) قدوري: ٨٣

٦) ابن عابدين ٢: ٤٣٨

٦ - فراق الزوجين

اذا وقعت الفرقة بين الزوجين فالامّ احقّ بالولد. وان لم تكن الام ، اي ان ماتت بعد الفراق ، فلا يرجع الطفل لابيه ، بل ينتقل الى الاشخاص الآتين ، مرتبين حسب اسبقيتهم :

١ ــ امّ الامّ.

٢ ــ امّ الاب.

٣ ــ الاخوات . وتقدم الاخت من الام والاب ، ثم الاخت من الام ، ثم الاخت من الاب.

٤ ــ العمات والخالات. والخالات اولى من العمات ينزلن كما نزلت الاخوات. والعمات كذلك. وكل من تزوجت من هؤلاء النساء سقط حقها وانتقل الى التي تليها ، الا الجدة اذا كان زوجها الجد.

٥ ــ ان لم يكن للصبي امرأة من اهله فاختصم فيه الرجال ، فاحقهم به اقربهم تعصباً . فان استلمت الام او الجدة الطفل الرضيع ، وكان غلاماً ، فيبقى عندهما حتى يأكل وحده ويشرب ويلبس وحده ويستنجي وحده ، وان كانت جارية ، فحتى تحيض . ومن سوى الام والجدة احق بالجارية حتى تبلغ « حداً تشتهي.»[1]

فان كان سبب الفراق الطلاق البائن ، كانت الام احق بارضاع ولدها ، وهي مقدمة على الاجنبية ما لم تطلب اجرة اكثر منها. ففي هذه الحالة لا يضار الاب . وان رضيت الاجنبية بارضاعه مجاناً ، او بدون اجرة المثل ، وكانت الام تطلب اجرة المثل ، فالاجنبية احق منها بالارضاع ، وهي ترضع الولد عندها لا عند امه.[2]

وقد يكون في هذا الحكم الاخير اجحاف فادح بحق الام والطفل ، اذا كانت الام فقيرة تحتاج الى مساعدة مالية لتستطيع ان تتفرغ للعناية بابنها .

---

١) قدوري ، ١٧

٢) قدوري ١٧ ؛ والاحكام الشرعية : المادة ٣٢٠

والشارع لا يفاضل هنا بين الام والاجنبية من الوجهة الاخلاقية والعاطفية ، ولا ينظر الى مصلحة الطفل قدر ما ينظر الى مصلحة الاب المالية . ومن المؤسف ان يثبت الشرع هذا الحكم الاخير ، فرب ام صالحة رأت اجنبية قليلة الاخلاص تنتزع منها ابنها ، لان القيمة التي ينفقها الاب على هذه تقل عن التي تحتاجها تلك !

اما اذا كان الخلع سبب الفراق ، فيمكن للزوج ان يشترط على امرأته ان لا يدفع اجرة رضاع ولده منها مدة الرضاعة ، او يشترط امساك امرأته لولده وقيامها بنفقته بعد الفطام مدة معلومة . فاذا قبلت الام بذلك اجبرت على ارضاع الولد مدة سنتين ، والزمت بنفقته في المدة المعينة . فان تزوجها ثانية ، او هربت وتركت له الولد ، او ماتت قبل تمام مدة الرضاعة او قبل تمام مدة امساك الولد والقيام بنفقته ، فللزوج ان يرجع عليها ببقية اجرة الرضاع الى تمام مدته ، وبنفقة ما بقي من المدة التي قبلت امساك الولد فيها ، ما لم يشترط ، وقت الخلع ، عدم الرجوع عليها بشيء اذا ماتت او مات الولد قبل تمام المدة[1] .

---

١) الاحكام الشرعية : المادة ٢٨٦ ؛ وابن عابدين ٢ : ٦١٥ و٦١٦

الفصل الثالث

الحضانة

١ – تحديد الحضانة

« في القاموس : حضن الصبي حضناً وحضانةً جعله في حضنه : . . ومعنى الحضانة الشرعي تربية الولد لمن له الحق في ذلك. »[١] وتمتد الحضانة من الولادة حتى سن التمييز ، فتشمل الرضاعة[٢] . ولقد افردنا فصلاً للرضاعة وفصلناه عن الحضانة لتبيّن الاحكام المختصة به دون غيره من سائر ادوار الحضانة.

٢ – حق الام بالحضانة

للام حق في حضانة ولدها ، سواء اكانت مسلمة ام ذمية ، وسواء أكانت الحضانة في مدة الزواج او بعد الفرقة[٣] . وللذمية حق كحق المسلمة ، الى ان يعقل ابنها ديناً ويخشى عليه ان يألف غير دين الاسلام[٤]. ولا فرق بين ان تكون مجوسية او كتابية او غير ذلك « لان الشفقة لا تختلف باختلاف الدين »[٥] . ويعقل الولد الاديان عندما يبلغ سن السابعة فينزع حينئذٍ من حضانة امه الذمية ، ولا ينزع من حضانة امه المسلمة . ويمكن ان ينزع من امه الذمية قبل هذه السن اذا خيف على دينه كأن تأخذه الى معابد ديانتها او تغذيه الخمر ولحم الخنزير . فيسلّم في هذه الحالة الى اناس مسلمين ، مرتبين حسب اسبقيتهم في جدول سنثبته قريباً.[٦]

وفي بعض الظروف تجبر الام على الحضانة ، اذا كان الولد مثلاً لا يأخذ

---

١) ابن عابدين ٢ : ٦٨٧ . راجع ايضاً كبار ص ٤ و١٢ ؛ وملتقى الابحر : ٧٢ ؛ والاحكام الشرعية : المادة ٣٨٨

٢) « تجبر الام على الحضانة اذا تعينت لها بان كان الولد لا يأخذ ثدي غيرها . . . » (كبار : ٥ ، عن « بحر »)

٣) ابن عابدين ٢ : ٦٨٧ ؛ والاحكام الشرعية : المادة ٣٨٠

٤) ملتقى الابحر : ٧٣ ؛ والاحكام الشرعية : المادة ٣٨١

٥) قدوري : ٩٧ ؛ وابن عابدين ٢ : ٦٨٧

٦) ابن عابدين ٢ : ٦٩٤

تدي غيرها ، او كان لا يوجد ذو رحم محرم منه ، او وُجد وامتنع من القبول.[1]

٣ – شروط الحاضنة

لا يحق لاي امرأة ان تكون حاضنة . بل يجب ان تتوفر فيها الشروط الآتية :

١ ــ ان تكون حرة . فالأمة يحق لها الحضانة اذا اراد سيدها.[2]

٢ ــ ان تكون بالغة ، فالصغير ليس من اهل الولاية. واذا ادعت المراهقة البلوغ واقرت به ، فتكون اهلاً للحضانة. والّا فلا . ويشترط ، فوق اقرارها بالبلوغ ، ان تكون جثتها تتحمل البلوغ ، والّا فلا اعتبار لاقرارها.[3]

٣ ــ ان تتوفر فيها الاخلاق الشريفة ، فتكون عاقلة وامينة ، قادرة على تربية الولد وصيانته ، فلا يضيع عندها باشتغالها عنه . فالفاسقة لا حق لها بالحضانة . والمراد بالفسق الزنا المقتضي لاشتغال الام عن الولد بالخروج عن المنزل ونحوه.[4]

٤ ــ ان تستطيع التفرغ لخدمة الولد ، والّا حقّ للقاضي ان ينتزع الولد منها حتى اذا كانت « صالحة ، كثيرة الصلاة ، قد استولى عليها محبة الله تعالى وخوفه حتى شغلاها عن الولد ، ولزم ضياعه »[5] . وان هذا الشرط مقدم ، من حيث اهميته ، على الشرط السابق ، لأن الام الفاسقة القادرة على خدمة ولدها ، يحق لها ان تبقيه في حضانتها الى ان يعقل الاديان فينتزع منها خوفاً من ان يتأثر بها[5] ــ وليس من الضروري ان يكون خروج الام لمعصية كي ينتزع منها ولدها ، فان خرجت لغير معصية انتزع منها ايضاً ، كأن تكون قابلة او غاسلة او عاجزة لمرض او سبب آخر.[6]

---

١) كبار : ص ٥ (نقلاً عن « بحر »)

٢) الاحكام الشرعية : مادة ٣٨٢

٣) الاحكام الشرعية : ٣٨٢ ؛ وكبار ص١٢ (نقلاً عن «التنقيح») ؛ والمجلة : المادة ٩٨٩

٤) ابن عابدين ٢ : ٦٨٧ ؛ والاحكام الشرعية : المادة ٣٨٢

٥) ابن عابدين ٢ : ٦٨٧

٦) ابن عابدين ٢ : ٦٨٨ ؛ وكبار : ٥ (عن الدر المختار والهندية)

٥ ــ ان لا تكون مرتدة ولا متزوجة بغير محرم للصغير[1]. فاذا ادعى الزوج بانها تزوجت ، وانكرت الام ذلك ، فتصدق . وان اقرت بانها تزوجت لكن ادعت ان ذلك الزوج طلقها فالقول قولها ان لم تعيّن الزوج ، اما اذا عينته فلا تصدق الّا اذا اقرّ هو ايضاً بالطلاق.[2]

٦ ــ ان لا تمسكه في بيت المبغضين له . فاذا كانت تأكل وحدها عند الاجنبي وابنها معها ، فلا حق بالحضانة ، لان الاجنبي لا سبيل له عليها ولا على ولدها ، بخلاف ما لو كانت بعيال ذلك الاجنبي لان في هذه الحال يخشى على الصبي من الضرر . « وعلى المفتي ان يكون ذا بصيرة ليراعي الاصلح للولد ». فانه قد يكون له قريب مبغض يتمنّى موته ، ويكون زوج امه مشفقاً عليه ، يعزّ عليه فراقه ، ويريد قريبه اخذه ليؤذيه ويؤذي امه او ليأكل من نفقته او نحو ذلك ، وقد يكون له زوجة تؤذي الولد اضعاف ما يؤذيه زوج امه ، وقد يكون له اولاد يخشى على البنت منهم لسكناها معهم . فاذا علم المفتي او القاضي شيئاً من ذلك ، لا يحل له نزع الصغير من امه ، لان مدار نفع الحضانة على نفع الولد.[3]

٧ ــ اذا كانت الحاضنة عصبة يجب ان تتحد ديناً مع الصغير . فلو كان مثلاً للصبي اليهودي اخوان : احدهما مسلم ، فيدفع لليهودي لا للمسلم.[4]

٤ – مراتب الحاضنات

حق الحضانة يستفاد من قبل الام ، فيعتبر الاقرب فالاقرب من جهتها.

ا – المحارم من النساء

١ ــ الأم.

٢ ــ ام الام ، اذا ماتت الام ، او تزوجت باجنبي ، او لم تكن اهلاً.

٣ ــ ام الاب ، وان علت ، عند عدم اهلية القربى.

---

١) الاحكام الشرعية : المادة ٣٨٣

٢) كبار : ص ١٠ (نقلاً عن « هندية »)

٣) كبار : ص ١٢ (نقلاً عن الدر المختار) ؛ والاحكام الشرعية : ٣٨٣

٤) كبار : ص ١٤ (نقلاً عن رد المحتار والبدائع)؛ والاحكام الشرعية : ٣٨٥

٤ ــ اخوات الصغير: الاخت الشقيقة ، فالاخت لام ، فالاخت لاب.
٥ ــ بنات الاخوات: بنات الاخوين لابوين ، فبنات الاخت لام ، فبنات الاخت لاب.
٦ ــ خالات الصغير : الخالة لابوين ، فالخالة لام ، فالخالة لاب.
٧ ــ بنات الاخت لاب . يتبعن القواعد نفسها.
٨ ــ بنات الاخ
٩ ــ خالة الاب
١٠ ــ عمات الامهات والآباء.[1]

ب - العصبات

اذا فقدت المحارم من النساء ، او وجدت ولم تكن اهلاً للحضانة ، تنتقل الحضانة للعصبات بترتيب الارث :

١ ــ الاب
٢ ــ الجد
٣ ــ الاخ الشقيق
٤ ــ الاخ لاب
٥ ــ بنو الاخ الشقيق
٦ ــ بنو الاخ لاب
٧ ــ العم الشقيق
٨ ــ العم لاب

فاذا تساوى العصبات ، يقدم اصلحهم ، ثم اورعهم ، ثم اكبرهم سناً.[2]

ج - ذوو الأرحام

اذا لم توجد عصبة مستحقة للحضانة ، او وجد من ليس اهلاً لها ، فيدفع الولد لذي رحم محرم ، حسب الترتيب الآتي :

---

١) الاحكام الشرعية : المادة ٣٨٤ ؛ وابن عابدين ٢ : ٦٩٢ و٦٩٣ ؛ وملتقى الابحر : ٧٢ ؛ وكبار : ٤
٢) الاحكام الشرعية : المادة ٣٨٥ والمصادر المذكورة في الحاشية السابقة

١ ــ الجد لأم
٢ ــ الاخ لأم
٣ ــ ابن الاخ لأم
٤ ــ العم لأم
٥ ــ الخال لابوين
٦ ــ الخال لاب
٧ ــ الخال لأم

ولا حق لبنات العم والعمة ، والخال والخالة ، في حضانة الذكور ، ولهن الحق في حضانة الاناث. ولا حق لبني العم والعمة ، والخال والخالة ، في حضانة الاناث ، وانما لهم حضانة الذكور . فان لم يكن للانثى المحضونة الّا ابن عم ، فالاختيار للحاكم : ان رآه صالحاً ضمها اليه ، والّا سلّمها لامرأة ثقة امينة.[1]

واذا امتنعت الحاضنة عن الحضانة ، فلا تجبر عليها الّا اذا تعينت لها ، بأن لم يوجد للطفل حاضنة غيرها من المحارم ، او وجدت من دونها واقتنعت. فحينئذ تجبر اذا لم يكن لها زوج اجنبي.[2]

فان لم يكن للصبي احد من الاشخاص السابقين ، فلوليّ الصغير اخذه . وان كان عدم وجود الحاضنة ناتجاً عن مانع ما ، فعلى ولي الصغير ان يرده اليها عندما يزول هذا المانع[3]. ولبعض ائمة الحنفية مذهب مختلف في هذه الحالة ، فهم يرون ان القاضي يضع الصغير حيث شاء من حاضناته الساقطات (ان لم يكن له الّا حاضنات ساقطات) ، وافتى بعضهم انه اذا كان بينهنّ امّ فهي اولى ، لكمال شفقتها.[4] غير ان الرأي المتبع هو ما ذكرناه في البدء .

٥ – اجرة الحضانة

اذا كانت الحاضنة اماً وكانت في نكاح الاب او معتدة فلا اجرة لها .

١) الاحكام الشرعية : المادة ٣٨٦ ، والمصادر المذكورة في الحاشية السابقة
٢) الاحكام الشرعية : المادة ٣٨٧ ، والمصادر المذكورة في الحاشية السابقة
٣) الاحكام الشرعية : المادة ٣٨٣ ؛ وكبار ص ٥
٤) كبار : ص ١١ (نقلاً عن المحيط ، والخير الرملي ، والشهاب الشلبي)

وان لم تكن في نكاح الاب او لم تكن معتدة فلها اجرة الحضانة والارضاع والنفقة ، وعلى الاب ان يقدم لها المسكن — ان لم يكن لها مسكن — وخادماً ، ان احتاج الصغير اليه . وتؤخذ جميع هذه النفقات من مال الصغير ، وان لم يكن له مال تؤخذ من مال ابيه او ممن تلزمه النفقة .[1]

وان ابت ام الولد ، ذكراً كان او انثى ، حضانته مجاناً ، ولم يكن له مال ، وكان ابوه معسراً ، ولم توجد متبرعة من محارمه ، تجبر الام على حضانته ، وتكون اجرتها ديناً على ابيه . فاذا وجدت متبرعة اهل للحضانة من محارم الطفل ، وكان الاب موسراً والابن فقيراً ، فالام ، ولو طلبت اجرة ، احق من المتبرعة . وان كان الاب معسراً وللصبي مال او لا تخير الام بين امساكه مجاناً ودفعه للمتبرعة . فان لم تختر امساكه مجاناً ينزع منها ويسلم للمتبرعة ولكنها لا تمنع من ان تراه وتتعهده وان كان الاب موسراً وكان للصبي مال ، وتقدمت امرأة متبرعة ، فلا يدفع اليها الصغير بل يسلم لأمه باجرة المثل ، ولو من ماله[2]

وقد اختلف بعض شيوخ الحنفية على وجوب اجرة المسكن للحاضنة فروى ابن عابدين ان قاضيخان لم يوجبها ، ثم قال ان الرأي السائد مخالف لرأي قاضيخان «لان القول بوجوب اجرة المسكن ليس مبنياً على وجوب الاجر على الحضانة بل على وجوب نفقة الولد . فقد تكون الحاضنة لا مسكن لها اصلاً بل تسكن عند غيرها ، فكيف يلزمها اجرة مسكن لتحضن فيه الولد ؟ بل الوجه لزومه على من تلزم عليه نفقته ، فان المسكن من النفقة . » ويجتهد ابن عابدين ان يوفق بين المذهبين المتناقضين فيعطي الحل الآتي : تلزم اجرة المسكن ان لم يكن مسكن للحاضنة ، اما اذا كان لها ، فلا تلزم الاجرة[3] .

٦ — مكان الحضانة

تلزم الحاضنة منزل زوجها ان كان الزواج قائماً بينهما . وتشبهها المطلقة الرجعية .

---

١) الاحكام الشرعية : مادة ٣٨٩ ؛ وابن عابدين ٢ : ٦٨٨ و٦٨٩ ؛ وكبار : ٥

٢) ابن عابدين ٢ : ٦٩٢ ؛ والاحكام الشرعية : المادة ٣٩٠ — وكبار ص ٥ (نقلاً عن الدر المختار ورسالة الابانة في تنفيذ الحضانة) .

٣) ابن عابدين ٢ : ٦٩١ و٦٩٢

اما المعتدة ، فليس لها الخروج بالولد قبل انقضاء العدة. واذا وقعت الفرقة بينها وبين زوجها وارادت ان تخرج بالولد الى محل اقامتها ، بعد انقضاء عدتها ، فلها ذلك ان كان الزواج قد وقع في محل اقامتها ، ولو بعيداً. اما اذا كان الزواج قد وقع في غير ذلك المحل ، فليس لها ان تخرج بالطفل ، الّا ان يكون بين منزلها ومنزل زوجها قربٌ ، بحيث يمكن للاب ان يبصر ولده ثم يرجع في نهاره. وان ارادت ان تنتقل لبلد ليس هو بلدها ، ولم يقع فيه عقد النكاح ، فلها ذلك ان كان بين البلدين قرب على التفسير السابق. والّا فلا . ولو انتقلت من مصرٍ الى مصرٍ ليس بقريب ولا هو مصرها ، لكن اصل العقد كان فيه ، فليس لها ان تصطحب الولد « على الاصح ». وان كان الزوجان من اهل القرى ، فارادت ان تنقل الولد الى قريتها وقد وقع عقد النكاح فيها ، فلها ذلك ، وان كانت بعيدة . وان كان النكاح وقع في غيرها فليس لها ان تنقله الى قريتها . وان تقاربا بحيث يمكن للاب ان يرى ولده ويعود قبل الليل ، فلها ذلك[1] . وان هذا الحق محصور بالام. اما من يبقى من الحاضنات ، فليس لهن نقل الولد الّا باذن الاب[2].

واذا مات الاب ، فلا تستطيع الام ان تنتقل بابنها الا باذن الاولياء ، على رأي الرملي . ويرى التركماني ان ليس للاولياء منعها . ولم يجد ناقل هذين القولين حلّاً يوفّق بينهما[3].

ويمنع الاب من اخراج الولد من بلد امه بلا رضاها ما دامت حضانتها . فان كان قد طلقها واخذ ولده منها ، لتزوجها باجنبي ، وعدم وجود من ينتقل اليه حق الحضانة ، جاز له ان يسافر به ، الى ان يعود حق امه ، او من يقوم مقامها في الحضانة. وغير الاب من العصبات كالأب[4].

---

١) ابن عابدين ٢ : ٦٩٧ ؛ قدوري : ٩٧ ؛ ملتقى الابحر : ٧٣ ؛ الاحكام الشرعية : المادة ٣٩٣ ؛ كبار : ٨ (نقلاً عن «هندية» و«الدر المختار»)

٢) كبار : ٨ (نقلاً عن «هندية» و«الدر المختار»)

٣) كبار : ٨

٤) ملتقى الابحر : ٧٣ ؛ الاحكام الشرعية : المادة ٣٩٣ ؛ كبار : ١٠

٧ – انتهاء مدة الحضانة

تنتهي مدة الحضانة باستغناء الغلام عن خدمة النساء ، وذلك اذا بلغ سبع سنين . وتنتهي مدة حضانة الصبية ببلوغها تسع سنين.« هذا هو المفتى به لانه الغالب . وما شذّ عن ذلك فهو نادر ، والعبرة للغالب الشائع لا للنادر » . وان حصل اختلاف في عمر الصبي ، فالقاضي لا يحلف الاب والام ، ولا يملك احدهما ابطال حق الولد من كونه عند امه قبل السبع وعند ابيه بعدها ، بل ينظر في الصغير ويمتحنه. فان اكل وشرب واستنجى ولبس وحده دفع الى من له الحق من العصبة يستلمه . وان امتنع اجبر . وان فقدت هذه الشروط الاربعة ، او فقد بعضها ، فلا يدفع الصغير الى احد بل يبقى عند امه[1].

الفصل الرابع

سن التمييز

يبتدئ سن التمييز حال انتهاء مدة الحضانة. فينزع الولد من امه ويسلم الى العصبة ، الاقرب فالاقرب . فاذا لم يوجد عصبة ، ولا وصي ، فالظاهر ان الولد يترك عند الحاضنة ، الّا اذا راى القاضي ان غيرها اولى. ويجبر الاب على اخذ الولد بعد استغنائه عن الام ، لان نفقته وصيانته عليه[2].

وقد تحدث بعض الاحوال الدقيقة المتعلقة بانتهاء مدة الحضانة وبدء سن التمييز ، ومنها ما ذكره ابن عابدين ، ونحن ننقله هنا :

١ ــ لو ادعت امرأة بان لبنتها صبياً ، وان بنتها ماتت، فطالبت هي بنفقة الصبي ، وقام ابو الصبي فقال لها ان ام الصبي لم تمت ، فعلى القاضي ان لا يسلم الاب ابنه الا اذا احضر الام.

٢ ــ ان احضر الاب امرأة وادعى انها ام ولده وابنة امرأة يسميها ، فانكرت المرأة ان تكون ام مَن احضرها الاب قائلةً ان ابنتها قد ماتت، فالقول للرجل ومن معه. ويدفع الصغير اليها.

١) ملتقى الابحر : ٧٢ ؛ الاحكام الشرعية : مادة ٣٩١ و٣٩٢ ؛ كبار : ٩ (عن الدر المختار ورد المحتار).

٢) ملتقى الابحر : ص٧٢ ؛ وابن عابدين ٢ : ٦٦٤ و٦٦٥ ؛ والاحكام الشرعية : المادة ٣٩١

٣ ــ لو قالت الجدة: هذا ابنك من بنتي الميتة. فقال لا بل هو من غيرها، فالقول للرجل. ويؤخذ الصبي من جدته.

٤ ــ لو احضر الاب امرأة وقال للجدة: ابني من هذه لا من بنتك، فكذبته الجدة وكذبته المرأة التي احضرها، فهو، بالرغم من ذلك كله، اولى بالولد «لانه لما قال: هذا ابني من هذه المرأة، فقد انكر كونها جدته (اي جدة ابنه) فيكون منكراً لحق حضانتها، وهي اقرّت له بالحق.»[1]

فكان اقامة الولد، قبل البلوغ وبعد سن التمييز، محدد اذن بما سبق من الاحكام. وليس لارادة الولد تدخل ما في هذه الامور، فهو ليس مخيراً بين ابويه قبل البلوغ، ذكراً كان او انثى، خلافاً لما يصبح عليه بعد البلوغ[2].

وان اختلفت المرأة، على امساك ولدها حتى سن البلوغ، فلها امساك الانثى دون الغلام، وان تزوجت في اثناء هذه المدة، فللزوج اخذ الولد منها ولو كان قبل في العقد ان يتركه عندها. وله الحق في ان يرجع عليها باجرة مثل اجرة امساكها[3].

الفصل الخامس

البلوغ

يبلغ الصغير عندما تظهر في جسمه علامات فارقة تدلّ على انه انتقل من دور الطفولة الى الرجولة. فبلوغ الغلام يبتدئ حالما يحتلم وينزل ويُحبل. وبلوغ البنت يكون بالحيض والحبل والاحتلام مع الانزال. غير ان الصغير لا يمكن ان يدعي بالبلوغ قبل سن الثانية عشرة، ولا يمكن للصغيرة ان تدعي به قبل التاسعة، فاذا تجاوزا هذين الحدين ولم يبلغا دُعيا «بالمراهقين». ويحق للمراهق ان يدعي ببلوغه، لانه يُصَدَّق حكماً. فاذا لم يدعِ، وتم له خمس عشرة سنة عُدَّ بالغاً، حتى اذا لم تظهر فيه آثار البلوغ[4].

---

١) ابن عابدين ٢ : ٦٩٥

٢) ابن عابدين ٢ : ٦٩٦ ؛ والأحكام الشرعية : المادة ٢٩٧

٣) الاحكام الشرعية : المادة ٢٧٨

٤) قدوري : ٤٨ ؛ ملتقى الابحر : ١٧٢ ؛ الاحكام الشرعية : ٢٩٤ و ٢٩٥ ؛ المجلة : ٩٨٥ – ٩٨٨

غير ان لهذه القواعد شواذاً واحداً ، وهو ان المراهق او المراهقة اذا ادعيا بالبلوغ وكانت جثتهما لا تتحمله ، وكان ظاهر الحال مكذباً لهما ، فلا يصدقان . والّا ، فهما يصدقان ، ولا يحق لهما ان يبطلا في المستقبل الحكم ببلوغهما عند اقرارهما[1] .

قلنا ان سن البلوغ هي الخامسة عشرة . غير ان ابا حنيفة جعلها الثامنة عشرة للغلام ، والسابعة عشرة للفتاة . فاتى ابو يوسف ومحمد وابطلا قوله ؛ وتمشى القضاة بعدهما على رأيهما وافتوا به[2] .

والشرع الاسلامي يختلف عن الشرع الافرنسي والشرع الكنسي الارثوذكسي بنقطتين رئيسيتين :

١ ــ ان يجعل الاساس لتحديد البلوغ ظهور علامات فارقة في الجسم .

٢ ــ ان لم تظهر هذه العلامات بدأ البلوغ حتماً بعد الخامسة عشرة .

ومن المشهور عن القانون الافرنسي انه جعل سن البلوغ في الواحدة والعشرين ، وكذلك الشرع الكنسي الارثوذكسي ، ولم يجيزا بدء البلوغ قبل هذه السن[3] – وليس لتحديد سن البلوغ اهمية في الشرع الروماني اذ ان للاب سلطة مطلقة على ابنه ما دام حياً . ويذكر Planiol et Ripert ان اللقيط يحدد سن بلوغه على وجه التقريب لان تاريخ ميلاده غير مضبوط تمام الضبط ، وان الشرائع الالمانية والايطالية والرومانية توافق الشرع الافرنسي في جعل سن البلوغ في الواحدة والعشرين ، في حين ان القانون السويسري يجعله في العشرين . والاسباني في الثالثة والعشرين[4] .

اذا بلغ الصغير المسلم خيّر بين ان يقيم مع ابويه ان لم يفترقا ، او مع

---

١) المجلة : مادة ٩٨٩ (استناداً الى المادة ١٠٠٥ «من سن في نقض ما تم من جهته فهو مردود عليه»)

٢) قدوري : ٤٨ ؛ ملتقى الابحر : ١٧٢

٣) القانون المدني الافرنسي : المادة ٤٨٨ – والقانون الارثوذكسي : الحق العائلي : المادة ٢٣٧

٤) Planiol et Ripert, *Traité de Droit Civil*, t. I, p. 307. Renvois 2 et 3

احدهما ، او وحده[1] . اما الانثى البالغة ، فان كانت بكرًا شابة او ثيباً غير مأمونة يضمها ابوها او جدها اليه ولا تخيّر في محل اقامتها ، وان كانت بكرًا واجتمع لها رأي وعفة او كانت ثيباً مأمونة على نفسها ، فلها الخيار ، وليس لاحد من اولياءها ضمها اليه[2] — ويظل الولد ينعم بهذا الحق من الاختيار بين امه وابيه ، حتى اذا اسلم احدهما ولم يسلم الثاني[3].

وبالبلوغ تزول عن الصغير ولاية الولي والوصي ، ويكون له التصرف في شؤون نفسه ، ذكرًا كان او انثى[4].

هذا عرض اجمالي للاحكام الشرعية الاسلامية المتعلقة بالولاية على نفس الصغير ، تتبعنا فيها طريقة منطقية من السير مع الصغير منذ الحبل به حتى بلوغه. ولم يبقَ لنا ، لنلمّ بهذا الموضوع ، الا ان نلقي نظرة عامة على الولاية في النكاح . وقد افردنا للنكاح فصلًا خاصاً ، ولم ندخله تحت سن التمييز ، او المراهقة ، او البلوغ ، لانه لا يحدث في احدهما دون الآخر ، بل يمكن ان يحدث في اي منهما. فهو اذن متمم لما عرضناه حتى الآن.

ويكاد القضاء الماروني يشبه الشرع الاسلامي في جميع التفاصيل المختصة بالحضانة . وانما لهذا السبب نتجنب عرض احكامه بكاملها ولا نتعرض الا لنقطة واحدة يتفرد بها ، وهي ضمان حالة اليتيم الصغير . فان لم يكن لليتيم ولي ، ضمه العصبة الاقرب فالاقرب وانفقوا عليه من ماله ، وان كان ليس له مال ، فالذي يضمه منهم تبرعاً هو اولى به . وان لم يشأ احد من اقاربه ضمه فعلى الاسقف ان يقيم له وليًا[5].

ولا يفرد الشرع الارثوذكسي بحثاً في الحضانة ، ولا القانون الافرنسي.

---

١) ابن عابدين ٢ : ٦٩٥ ؛ والاحكام الشرعية : المادة ٤٩٨

٢) ابن عابدين ٢ : ٦٩٥ و٦٩٦ ؛ والاحكام الشرعية : المادة ٤٩٩

٣) النسائي ٦ : ١٨٥ و١٨٦

٤) الاحكام الشرعية : المادة ٤٩٦

٥) القضاء الماروني : ٢٢

الفصل السادس

الولاية في الزواج

انّ تدخّل الوالدَين في زواج ابنائهما منظّم تنظيماً دقيقاً في جميع القوانين العالمية بما فيها الشرع الاسلامي، لانه مبني على اساسين متينين لا يتبدلان بتبدل الازمنة والامكنة. اولهما اعتبار الاولاد غير خبيرين في الحياة خبرة والديهم ، بل محتاجين الى من يرشدهم في الاعمال الهامة التي يقومون بها ؛ وثانيهما ان الزواج لا يهمّ الطرفين المتعاقدين فحسب ، بل يتعدّاهما الى افراد العائلة جميعاً. فيصبح من الحق ، والحالة هذه ، ان يكون للوالدين تدخل فعلي في شؤون تتعلق باسم العائلة ومركزها الاجتماعي ومصالحها الاقتصادية. ولا ننكر ان قوة العامل الثاني تختلف حسب البيئة وما تمتاز به من عادات اهلها واخلاقهم ونظمهم الفكرية والاجتماعية. ولكنّ احداً من القوانين العالمية لم يتجاهلها تماماً حتى اليوم ولا هو وسّع الحرية الشخصية الى حدّ يسمح به للصغير ان يتزوّج دون رضا والديه.

وهناك اعتبار آخر يضطرّ الشارع الى تحديد سلطة الوالدين ، وهو ان الابناء ، بعد ان يتجاوزوا سناً معيناً ، يخرجون عن ولاية ابيهم ويقودون انفسهم بانفسهم ، لانهم اصبحوا قادرين على ذلك، نظراً لاختبارهم ، وثقافتهم، وتسهيلاً للعلاقات المختلفة التي تربط الناس ببعضهم وتذلل العقبات المعترضة سبيلهم.

وقد اتت احكام الشرع الاسلامي موافقة لجميع هذه الاعتبارات ، فوسّعت سلطة الوليّ في الاحوال التي تمسّ العائلة او يكون الصبي فيها محتاجاً الى ارشاد وضيّقتها في الاحوال المخالفة ؛ وجعلت الولاية في الزواج « اجبارية » احياناً و« اختيارية » احياناً اخرى.

١ – انواع الولاية في الزواج

فولاية الاجبار تكون على الصغير ، والبالغ المعتوه ، وولاية « الندب » تكون على البالغة. فللبالغة حقّ في ان تتولى زواجها ، ولكن « يُستحبّ » ان

تفوض امرها الى وليها « كي لا تنسب الى الوقاحة . »[1]

وان ولاية الندب مختصة بالشرع الاسلامي ، دون الشرائع الرومانية والافرنسية والكنسية الشرقية ، لان هذه الشرائع الاخيرة تمنح البالغ والبالغة الحق المطلق في عقد زواجهما ، ما عدا الشرع الروماني الذي لا يمنحها هذا الحق الا بعد موت ابيهما ، ولو كانا بعد صغيرين .

وبديهيٌ ان ولاية الاجبار هي الموضوع الاهمّ في بحثنا هذا ، ولذا فاننا نتعرض في البـدء الى شرح الولاية الاختيارية بايجاز ، ليتسع لنا المجال لبسط ولاية الاجبار .

٢ – الولاية الاختيارية

أ ــ شروطها

يشترط في ولاية الندب ان يكون الزوج بالغاً ، عاقلاً ، حرّاً ؛ فاذا فقد شرط من هذه الشروط الثلاثة ، تحوّلت الولاية الى ولاية اجبار ، لان الصغير ، والمعتوه ــ ولو بالغاً ــ ، والعبد يبقون خاضعين لسلطة وليهم او سيدهم ما لم تتغير حالهم[2] .

ب ــ اتساعها

وحقوق الولي المختار كحقوق الولي الاجباري . امّا اذا عقد الزواج دون ان ينتخب ولي ، فان ذلك لا يفيد ان سلطته اضمحلت تماماً . فان يكن حُرم حق التدخل الفعليّ في عقد الزواج ، فلم يحرم حق الاعتراض عليه ، ان راى فيه ضرراً جسيماً . ولذا ، فان لوليّ الحرّة « المكلفة » (اي العاقلة) حق الاعتراض على زواجها ، ان تزوجت غير كفء او رضيت بمهر اقلّ من مهر مثلها . وللقاضي ان يحكم في الخلاف ، فامّا ان يثبت الزواج ويبطل حقّ الوليّ ، او ان يفسخه ، او ان يأمر باتمام مهر المثل ويسقط حق الولي بالاعتراض اذا عادت الفتاة فتزوجت الرجل نفسه ثانية بعد ان تكون قد فصلت عنه ، او اذا سكت الولي عن الزواج الى ان ولدت الفتاة . واذا رضي الولي بغير الكفء ، او بمهر

١) ابن عابدين ٢ : ٣٢١

٢) الاحكام الشرعية : المادة ٥٧

اقل من مهر المثل ، فيصحّ الزواج نهائياً ، ويسقط حقه في الاعتراض . غير ان هناك مسألة مختلفاً فيها ، فهل يصحّ الزواج اذا قال الولي للبنت : « زوجي نفسك بمن تختارين » ، فزوجت نفسها من رجل لا يعرفه ؟ والرأي السائد هو الذي يُنسب الى ابي حنيفة ويقضي بعدم اعتبار الزواج صحيحاً[1] . ويشترط في الولي ان يكون عصبة ليحقّ له الاعتراض على الزواج . فاذا لم يكن عصبة اصبح الزواج صحيحاً ، وان يكن المهر اقل من مهر المثل[2] .

هذا اذا زوجت الابنة نفسها او اذا اختارت زوجاً لها واقامت عليها ولياً في الزواج منه اما اذا اختار الولي نفسه زوجاً للبنت البالغة ، فانه لا يستطيع ان يرغمها على قبوله . بل ان قبولها ضروري ، وقد جاء في البخاري : « واذا زوجت الابنة ، وهي كارهة ، فنكاحها مردود »[3] ؛ واتبع شيوخ الحنفية هذا الحديث ، فلم يفرقوا بين البالغة الثيب (اي المطلقة او الارملة) والبالغة البكر من حيث حقها في قبول زواجها .[4]

اما كيفية تعبير الحرة البالغة عن رضاها ، فيُختلف في احوال ثلاث :

أ ــ ان كانت بكراً ، واستأذنها الوليّ القريب او وكيله او رسوله قبل تزويجها ، او زوّجها الولي واخبرها هو ، او وكيله ، او رسوله ، او فضولي عدل ، وعلمت بالزوج وبالمهر فسكتت عن ردّه مختارة لا مكرهة ، او تبسمت او ضحكت غير مستهزئة ، او بكت بلا صوت ، فذلك اذن في صورة استئذانها قبل العقد ، واجازة بعقده . ولو بكت بصوت ، او اخذها العطاس او السعال ، فلما ذهب عنها قالت « لا ارضى » جاز الرد ، على شرط ان تقول « لا ارضى » بلفظ متصل . واذا اخذ مخبرها فمها واضطرها على الصمت ولما انتزعها عبرت الفتاة عن رفضها ، فالزواج مردود .[5]

---

١) ابن عابدين ٢ : ٢٢٢

٢) الاحكام الشرعية : المادة ٥١

٣) البخاري ٦ : ١٢٠

٤) قدوري : ٧٤ ؛ وابن عابدين ٢ : ٢٢٢ ؛ والاحكام الشرعية : مادة ٥٣

٥) قدوري : ٧٤ ؛ ملتقى الابحر : ٥٠ ؛ ابن عابدين ٢ : ٢٥٥ ؛ الاحكام الشرعية : المادة ٥٣

ب ــ اذا استأذنها غير القريب من الاولياء وعين لها الزوج والمهر فسكتت او تبسمت او ضحكت او بكت ، فلا يعد ذلك منها رضا ، بل لا بد من الافصاح بالرضا ، او من وقوع ما يدل عليه منها.[1]

ج ــ اذا لم تكن البنت بكرًا بل ثيباً ، واستأذنها الولي ، بعيدًا كان او قريباً ، فسكتت ، فلا يكون سكوتها رضاً ، بل لا بد ان تعرب عن نفسها مفصحة برضاها او يقع منها ما يدلّ عليه.[2]

٣ – الولاية الاجبارية

تكون الولاية اجبارية على غير البالغين من الابناء والمعتوهين منهم. وليس اساسها ضعف الصغار وضرورة معونتهم فحسب ، بل حق العائلة في التدخل بهذه الشؤون الخطيرة . وان سلطة الولي متسعة جدًا في هذا الحقل ، الى حد انه يستطيع ان يرغم ابناءه على الزواج وينقص من المهر الذي يستحقونه. وهنا يجب ان نفرق بين سلطة الاب والجد من جهة ، وسلطة غيرهما من الاولياء من جهة اخرى.

أ ــ اتساع الولاية الاجبارية :

للاب ، والجد ، وغيرهما من الاولياء ولاية انكاح الصغير والصغيرة « جبرًا » ، ولو كانت البنت ثيباً ، لان « الشفقة » التي يكنونها للصغير تخولهم هذا الحق. ويستطيع الاب والجد ان ينقصا من مهر الابنة التي يزوّجانها ، او ان يزيدا في مهر امرأة ابنهما ، وليس للصغار انْ يعترضوا على الزواج ويفسخوه بعد ان يقطعوا سن البلوغ. اما اذا زوّجهم غير الاب والجد من الاولياء بغير الكفء، وانقصوا او زادوا في مهر المثل، فيحقّ لهم ان يفسخوا الزواج بعد بلوغهم، حتى اذا كان القاضي هو الولي ، او ان يرفضوه اذا علموا به قبل حدوثه، وكانا اذ ذاك بالغين. ولا يشترط ان يتفقا على الفسخ، بل انّ كلًا منهما ينعم بهذا الحق[3].

١) قدوري : ٧٩ ؛ ابن عابدين ٢ : ٢٢٦ و٢٢٦

٢) قدوري : ٧٩ ؛ الاحكام الشرعية : المادة ٥٤

٣) ابن عابدين ٢ : ٢٢٦ و ٢٢١ ؛ قدوري : ٧٩ و ٨٠ ؛ ملتقى الابحر : ٥٠ ؛ الاحكام الشرعية : المواد ٦٦-٦٧

وقد يعترض البعض على توسيع سلطة الاب والجد ، ويرون فيه مجالاً للتلاعب والظلم ، اذ ان الاب والجد لا يكونان في جميع الاحكام عادلين منصفين . ولهذا ، فان الشارع وضع حكماً خاصاً بهما ان كانا « ماجنين سيئي الاختيار » فجعلهما بمرتبة غيرهما من الاولياء ، اي انه منح الصغيرين حق فسخ الزواج ان زُوّجا بغير كفء ، او بغير مهر المثل[1] . ولكن هذا التعديل ناقص لسببين : اولهما انه لا يتناول الاب والجد الّا اذا كانا « مشهورَين » بالمجون وسوء الاختيار ، وان في تحديد هذه « الشهرة » لمجالاً واسعاً لتلاعب القضاة . والثاني ان بامكانهما ، كما هو بامكان غيرهما من الاولياء ، ان يلجأا الى حيلة لتثبيت الزواج نهائياً ، فيزوجا الصغيرة مرتين ، مرة بمهر مسمى ، ومرة بغير التسمية ؛ فان كان في التسمية نقصان فاحش ولم يصحّ الزواج الاول ، صحّ الزواج الثاني[2]

وحكم الصبي والصبية البالغين المعتوهين ، حكمهما ان كانا صغيرين[3] .

ويجوز لابي الصغيرة ان يخلعها من زوجها ، فان خلعها بمالها او بمهرها ولم يضمنه ، طلقت بائناً ولم يلزمها او يلزمه ، ولم يسقط مهرها . وان خلعها على مهرها او على مال والتزم بادائه من ماله للمخالع صحّ الخلع ووقعت الفرقة ولزمه المال او قيمته ان استحق ، ولا يسقط المهر بل تطالب به المرأة زوجها وهو يرجع به على ابيها ان كان الخلع على المهر .[4]

يتضح مما سبق ان تدخّل الولي في زواج الصغار يكاد يقضي على حريتهم الشخصية . وهي ميزة تقرب الشرع الاسلامي في هذه النقطة من الشرع الروماني[5] وتبعده عن القانون الافرنسي ، لان هذا القانون الاخير يضع شروطاً عديدة لصلاحية زواج الصغار ، منها رضا الوالدين ، ومنها ايضاً رضا الزوجين نفسيهما ، وهذا ما تعبر عنه المادة ١٤٦ من القانون المدني بهذه الكلمات الواضحة : « لا

---

١) ابن عابدين : ٢ : ٣٣٠ ؛ الاحكام الشرعية : المادة ٦٣

٢) ابن عابدين ٢ : ٣٣١

٣) ابن عابدين ٢ : ٣٣١ ؛ قدوري : ٧١ ؛ الاحكام الشرعية : المادة ٤٩٦

٤) الاحكام الشرعية : المادة ٢٩٠

٥) Girard, *op. cit.*, p. 145

قبول ؛ لا زواج ». ولم يكتف الشارع الافرنسي بسن هذا القانون وحده ، بل خشي ان يرغم الاباء ابناءهم على الزواج ، ويرغموهم ، بعد الزواج ، على القول بانهم قبلوا به ، ان قام من يعترض عليهم امام المحكمة ، فذهب الى ان الزوجين مضطران الى التصريح بقبولهما بالزواج ساعة عقده وبحضور ممثل الحكومة[1]. حتى اذا ثبت انهما ارغما على الزواج ، او ان رضاهما لم يكن كاملاً (ولا يكون الرضا كاملاً اذا وقع فيه خطأ او اكراه او تغرير) ، استطاع القاضي ان يفصلهما بفسخ العقد[2].

ويقف القضاء الارثوذكسي موقف القانون المدني الافرنسي ، فيجعل رضى الاولياء غير كاف لانعقاد الزواج ويقضي بوجوب قبول الزوجة[3] وان لم يكن وليها حاضراً بل كان غائباً « لا يُعلم امره » ، وكانت غيبته قد امتدت الى ما يزيد عن الثلاث سنين ، فقبولها يكفي ، ان كان مقروناً برضى الاقارب والرؤساء[4].

اما القضاء الماروني فشابه للقضاء الافرنسي ، وهو ينص على ان من اسباب فسخ الزواج « عدم رضى كل واحد من الرجل والمرأة بزيجة الآخر ، او رضاه اغتصاباً باحد وجوه القهر. »[5]

ب ــ شروط ولي الزواج

لا يحق لأي كان ان يتولى زواج الصغار ، بل يجب ان تتوفر فيه الشروط الاربعة الآتية :

١ ــ ان يكون حراً ، فلا ولاية لعبد على حر ، ولا على عبد مثله.

٢ ــ ان يكون عاقلاً ، فلا ولاية لمجنون او معتوه.

٣ ــ ان يكون بالغاً ، فالصغير ، ولو حراً وعاقلاً ، لا يتداخل في الزواج

٤ ــ ان يكون مسلماً في حق مسلم ومسلمة ، ولو فاسقاً. ولا ولاية لمسلم على كافرة الا اذا كانت امة وكان سيدها ، او كان سلطاناً ، او نائبه ،

---

١) القانون المدني : المادة ٧٥

٢) القانون المدني . المواد : ١٨٠، ١٠٩، ١١١٦، ١٣٣٨ ٣) الحق العائلي : المادة ٣٣

٤) الحق العائلي : المادة ٣٠ ٥) القضاء الماروني ، ص ١٧

او شاهداً. وللكافر ولاية[1] على كافر مثله.

وهذه الشروط مشابهة لشروط الولاية العامة.

ج ــ درجات اولياء الزواج

اولياء الزواج على طبقات ثلاث، مرتبون حسب اسبقيتهم، ونحن نثبتهم في اللائحة الآتية ثم نوضح بعض القواعد المتعلقة بالانتقال من درجة الى اخرى:

A) لائحة عامة باولياء الزواج

١ً ــ العصبة:

الاولياء العصبيون مرتبون على ترتيب الارث والحجب، وهم:

الابن ــ وهو يسبق الاب ان كانت امه صغيرة وتود ان تتزوج. ولكن هذه الحالة لا تحدث ابداً في الواقع لان ابن الصغيرة صغير، ولا يحق له، بهذه الصفة، ان يتولى النكاح. اما اذا كانت امه مجنونة، فله ان يتولى نكاحها قبل ابيها.

ابن الابن، وان سفل، وهذا ايضاً مما يتعذر وقوعه.

الاب. وهو الولي الاول في جميع الاحوال الواقعية.

الجد الصحيح، وان علا.

الاخ الشقيق

الاخ لاب

ابن الاخ الشقيق

ابن الاخ لاب

العم الشقيق

العم لاب

ابن العم الشقيق

ابن العم لاب

ولاء العتاقة[2]

---

١) قدوري: ٩٧؛ ملتقى الابحر: ١٥٠؛ ابن عابدين ٢: ٢٢٠ و٢٢٨ و٢٢٩؛ والاحكام الشرعية: المادة ٣٣

٢) الاحكام الشرعية: المادة ٣٥

٢ً ـ غير العصبة من الاقارب: ان لم يكن عصبة تنتقل ولاية النكاح الى:
الام ـ ام الأب ـ البنت ـ بنت الابن ـ بنت البنت ـ بنت ابن الابن ـ بنت بنت البنت، وهكذا. ثم للجدّ الفاسد، ثم للاخت الشقيقة، ثم للاخت لاب، ثم لولد الام، ثم لاولادهم. ثم لباقي ذوي الارحام العمات، ثم الاخوال، فالخالات، فبنات الاعمام، فاولادهم بالترتيب السابق[1]

٣ً ـ السلطان: وهو وليّ من لا وليّ له. ويتبعه القاضي الذي كتب له بذلك في منشوره[2].

ا) قواعد الانتقال من درجة الى درجة:

الاولياء مرتبون في اللائحة السابقة حسب افضليتهم، فلا يجوز الانتقال من ولي الى ولي بعيد، مع وجود الولي الاقرب المتوفرة فيه شروط الاهلية[3]. ولا يجوز للابعد ان يحل محل الاقرب الحي الّا في حالتين: اولاهما ان يكون هذا الاخير غائباً بحيث لا ينتظر الخاطب الكفء استطلاع رأيه (واذا عاد الغائب لم يبطل الزواج)، والثانية ان يكون الاقرب غير اهل للولاية[4]. وقد جعل قدوري للغيبة شرطاً واحداً، وهي ان تكون منقطعة، اي ان يكون الولي الاقرب في بلد لا تصل اليه القوافل في السنة الا مرة واحدة[5]. ولكن المؤلفات الشرعية الحديثة، كالاحكام الشرعية، اهملت هذا الشرط لان تسهيل طرق المواصلات الحديثة جعله عديم الفائدة، واكتفت بما قدمنا.

واذا استوى وليّان في القرب، فايهما تولى النكاح بشروطه، جاز، سواء اجازه الآخر او لم يجزه[6] ولو زوّج الصغير وليّان اثنان، فالعبرة للاسبق، وان كانا معاً بطل الزواج الى ان يعود احدهما فيسبق الاخر الى التزويج[7].

١) الاحكام الشرعية: المادة ٣٦
٢) ملتقى الابحر: ٥١؛ الاحكام الشرعية: مادة ٣٧
٣) ابن عابدين ٢: ٢٣٣؛ الاحكام الشرعية: مادة ٤٠
٤) ملتقى الابحر: ٥١؛ ابن عابدين، ٢: ٢٤١، الاحكام الشرعية: المادة ٤٠
٥) قدوري: ٧٦
٦) الاحكام الشرعية: مادة ٤٢
٧) ملتقى الابحر: ٥١

اما اذا امتنع الولي عن التزويج ، فليس للابعد ان يحل محله فيزوّج الصغير، بل يزوّجه القاضي او نائبه، اذا تحقق ان امتناعه كان بغير سبب مقبول ، وان الزوج كفء ، والمهر مهر المثل . وليس لاحد نقض الزواج الذي عقده القاضي او نائبه ، ولو لم يكن التزويج منصوصاً في منشوره . وان كان امتناع الولي عن التزويج ناتجاً عن سبب مشروع ، كعدم وجود الكفء او عدم وجود مهر المثل ، فلا يجوز للقاضي ان يزوج الصغير[1].

وقد يرضى الولي بالزواج لكنه يفضل ان لا يتداخل بنفسه فيه ، فيمكنه ، في هذه الحال ، ان يوكل من شاء بنكاح من له الولاية عليهم[2] لكنه لا يستطيع ان يعطي وصيّ اولاده حق الولاية في زواجهم[3].

فاذا قابلنا بين الشرع الاسلامي وغيره من الشرائع التي نهتم بها في هذا البحث ، وجدنا انه ، من حيث ترتيب درجات الاولياء ، ادق منها بمضمار بعيد ولكن هذه الدقة لا تنفع عملياً ، فكلما كان عدد الاولياء قليلاً سهل التعيين وخفت المشاكل. فالشرع الروماني ، كما ذكرنا آنفاً ، لا يعطي الولاية في الزواج الا للأب (Pater) ، فاذا مات الاب ، استطاع الولد ان ينال رضا رجل آخر. والقانون الافرنسي يميز حالات اربعاً:

١ ــ ان كان الاب والام في قيد الحياة ، فهما وليّا زواج ابنائهما ، ورضى احدهما كافٍ حتى اذا افترقا.

٢ ــ ان كان الاب او الام ميتاً ، او في حالة تعذر عليه ان يوافق على الزواج ، فالحق كله يصبح في يد الحي منهما.

٣ ــ ان كان الوالدان ميتين او في حالة تعذر عليهما الموافقة على الزواج ، فالحق ينتقل الى الجدين ولو بعدا. فان كان للصغير جدان لأب وجدان لأم ، فيكفيه ان ينال رضى فريق منهما ، وهو ينال رضى هذا الفريق ان نال رضى احد عضويه.

---

١) ابن عابدين ٣ : ٢٤٢ ؛ الاحكام الشرعية : المادة ٤١

٢) الاحكام الشرعية : ٥٧

٣) الاحكام الشرعية : ٣٨

٤ ــ ان لم يكن للصغير جدود ، « فللمجمع العائلي » (Conseil de famille) ان يتدخل في الزواج ، وليس للوصي ان يتدخل في حالة ما[١].

وكذلك القضاء الماروني ، فانه يقدم الاب ، ثم الام ، ثم الاقارب ، ثم الوصاء[٢] ، ويضطرهم الى السماح بتزويج الصغار وتجهيزهم جهاز المثل ، ان كان السبب في امتناعهم غير معقول[٣].

والقضاء الماروني يقدم الاب ايضاً ، فالجد ، فالعصبة بالترتيب واذا كان الاب اسيراً ولم يعد في ثلاث سنين ، جاز لابنائه ان يتزوجوا بعد ان يحصلوا على رضا جدهم او اقاربهم العاصبين ، « وكذلك كل اب جهل موضعه وحياته ، والاب الموسوس.»[٤]

د ــ حالات خاصة.

بعد ان عرضنا ، في الولاية الاجبارية ، لاتساعها ، وشروط القائمين بها ، ودرجاتهم ، ننهي البحث فيها بشرح بعض الحالات الخاصة:

١ ــ يجوز للاب ان يرفض تسليم ابنته الصغيرة لزوجها ، وان كان قد رضي بزواجها ، اذا كانت لا تطيق الوطء . وعلى الحاكم ان يأمر من يثق بهن من النساء بالكشف عليها ، فان قلن بصلاحيتها للرجال يأمر اباها بتسليمها والا فلا . ولا عبرة بالسن[٥].

٢ ــ اذا اراد رجل ان يتزوج امرأة هو وليها « وليست تبرز للرجال » فلا بأس بان توكله ان يزوجها نفسه ثم يخرج الى الشهود فيشهدهم على النكاح[٦]. وقد تعرض القضاء الارثوذكسي لهذه الحالة ، فقال : « ليس للولي او الوصي ان يتزوج بمن هي تحت ولايته او وصايته ، ولا لأبنائهما وصغارهما بعد وقوع وفاتهما ، الا اذا كان ابوهما في حياته عقد خطبتها مع احدهم او اوصى بتزويجها من احدهم.»[٧]

---

١) القانون المدني الافرنسي : المواد ١٤٨ و١٥٢ و١٦٩ و١٥٩
٢) الحق العائلي : المادتان ٣٠ و٣١
٣) الحق العائلي : المادة ٣١
٤) القضاء الماروني ، ص ١٥
٥) الاحكام الشرعية : المادة ٥٦
٦) الشيباني : ٥٥
٧) الحق العائلي : المادة ٦٣

اخبار حلب وحوادثها

من السنة ١٨٥٥ الى السنة ١٨٦٥

اخذًا عن يومية المعلّم نعوم البخّاش

المخطوطة الوحيدة ، نشرها وعلق عليها

الاب فردينان توتل اليسوعي

٤

[٥٥] ــ الثلاثا ، رحت كتبت حجر لمطران كيرللس[1] بيت ا بتاريخين

١) اليك الشعر ولا يزال الى يومنا منقوشًا في ايوان دار اسقفية الروم الارثوذكس في حلب وهو تأليف فرنسيس المراش

هذي ديار البطريرك تجددت وغدت لكل تقيّ وفضل موضعا
بعد احتراق وقته ولّى فان أرّخت قل وقت مضى لن يرجعا (١٨٥٠)
وبعهد راعينا الموقّر ذي التقى كيرللس قمت بخير قد سعى
فتقول حيث حوت بتاريخ ثنا الله اسعدها فلن تتزعزعا (١٨٥٨)

(راجع فرنسيس مراش : المرأة الحسناء ، مطبعة المعارف ١٨٧٢ ص ١٦٩)

رويتا الشعر لا لحسنه الفني ولكن لاجتماع تاريخ الخراب والعمار فيه — نعم مضى ذلك الوقت ونسأل الله الّا يرجع ابدًا . . . لكن واجب الامانة يقضي بحفظ الآثار عبرةً وذكرى . . . واننا وددنا لو نسينا حوادث ١٨٥٠ المشؤومة لولا ان مؤرخي حلب المعاصرين ذكراها بصورة تناقض الحقيقة وان يومية البخاش في مواضع عديدة تنوه بها فالفرصة سانحة للجلاء عن مغلطاتها ولو بالايجاز . ولما كانت مواد اليومية موضوعة لا عن سابق فكر وتصميم ولكن على ما اتت به الايام فلا مانع من التعليق على تلك المواد بحواشٍ مطوّلة برتاح لها القارئ اذا ما دوخته كثرة المواد وتنوعها في اليومية

قال البخاش في تاريخه المذكور في مقدمتنا ٣،٤٣٩ في اسفل الصفحة : لم يقتل في هذه الفتنة (١٨٥٠) من النصارى سوى رجلين عن غير قصد احدهما بطرس حمص (كذا) من كبار تجار المسيحيين. وقال كامل النزي في تاريخه المذكور في مقدمتنا ٣ ، ص ٢٧٧ سطر ٩ وما بعده : « ولم يقتل من النصارى في هذه الحادثة سوى خمسة نفر . . . »

اما سجلات الطوائف ووثائق القناصل فهي حافلة بالشهادات الثقة التي لا سبيل الى الريب بصدقها فتخالف ما جاء في البخاش والنزي . في ذلك العهد كتب المطران برلس اروتين الماروني الى رئيس مجمع انتشار الايمان : (راجع اخباراته في دار المطران الماروني نمره ٤٢٧)

ايها السيد الكلي الشرف والجزيل الوقار والاحترام

ه المعروض لا بد بلغ نيافتكم ما حدث بمدينة حلب وهو في ١٦ تشرين الاول [١٨٥٠] قامت اسلام البلد على المسيحيين مستعملين كامل افعال القبيحة الممكن وصفها اعني نهبوا وقتلوا وجرحوا وسبوا بنات ونساء وحرقوا كنايس وبعض من قلالي محلات سكنى الاساقفة ومن جملة ما قتل بعضاً من مصاف الاكليروس وقد اضحوا المسيحيين مبلبلين منهزمين من محلاتهم الى غير محلات كما والى بيوت الاوروباليه واخصهم جناب موسيو دليبس قونسلوس دولة فرانسا الجليلة الذي هو وجناب الخواجا جنروا الكنسلير والخواجا لافوس الترجمان تجندوا بكل غيرة وشهامة لملاحظة واسعاف المسيحيين الذين انصابوا واتهبوا من القوم البرابره واحضروا جمع غفير منهم الى محلاتهم وكانوا يقدموا لهم احتياجاتهم من المأكولات والحكما للمجرحين مع استعمال الوسايط اللازمة لصيانة كافة المسيحيين ما دام الخوف عليهم لحينا تقوى الحكم بالعساكر وضبط البلد وعينوا للذين حصلوا بالفقر بهذه المادة خبز ولحم لاجل معاشهم ومقداوهم نحو الفين نفر ما عدا الكساوي الذي قدموها لمن تعرى من النهبة وبالحقيقة الذي ظهر من هولا الابطال شيء يفوق الوصف وما دامهم فرع من دولة فرانسا الفخيمة المشهورة في العالم بحماتها واسعافاتها للمسيحيين فلا بد من الاغصان تسمو على اصول الشجر فمن الواجب علينا فرضاً ان نعرض لنيافتكم عما توقع وبدي من حضرات المشار اليهم مقدمين المديح والشكر الكلي عن سعيهم وغيرتهم ليشتهر ذلك في ديوانكم ويمتدح حسن تصرفهم الذي بواسطة دعاكم الصالح يكافيهم الرب الاله عن افعالهم هذه ذات الشفقة والحنو على المسيحيين بالاجور السماوية والانعامات الارضية الذين لم يزالوا في كل وقت مقدمين الوسايط الضرورية لاسعاف المسيحيين هذا ما لزم اعراضه بوجه الاختصار عما توقع حرفياً وادام الله رياستكم زماناً مديداً

وفي غره (٦١٦) من اضبارة المطران بولس اروتين في دار الاسقفية المارونية) أسامي المقتولين من الملة اليسوعية في حوادث ١٨٥٠

عدد

١ المقدسي نوم حمصي تجار اوروبا وشهبندر
١ نوم ابن جرجي مراش
١ عبدالله ابن انطون عجوري
١ مخائيل قز
١ يوسف قصاب
١ نعوم ديب
١ القس جبرائيل كلداني
١ القس شكرالله ايوب
١ الياس نوح
١ يوسف بازي
١ فتح الله ياقين
١ عبدالله صباغ
١ وانيس حلاق
١ امراة المذكور
١ كرايد عربكرلي
١ اكوب اجير دير مركار
١ ابراهيم عربكرلي
١ المقدسية مريم
١ عبدالله حسون
١ سوسان اخت كيورك
١ يعقوب ماردنلي

وفي النمره ٤١٨ لائحة عدد الاهالي المنهوبة من طايفة الموارنة ففيها اسم ١٠١ عائلة وذكر مهنتها مما يساعدنا على تعريف الامر . راجع فهارس الاعلام في آخر الكتاب

وجاء في سجلات القنصلاتو البريطاني ما يلي في ١٨٥١/١٢/٢٧

لقد خمنوا النفقات اللازمة لترميم واصلاح الكنائس ودور المطارين كما يلي :

غرش	
٩١٠٠٠	لدار مطران الروم الاورثوذكس
٨١٠٠٠	لكنيسة الروم الكاثوليك (الصليبة)
٧١٥٠٠	لكنيسة الروم الكاثوليك (الشرعوس)
٧٠٠٠٠	لكنيسة السريان الكاثوليك
٦٠٠٠٠	لدار مطران السريان الكاثوليك
٣٧٣٥٠٠	المجموع

ويقال إن هذا المبلغ هو دون ثلث ما يطلب لاجراء الاصلاحات بتمامها . . .

وبعد التي والتي في ٣ كانون الثاني ١٨٥٢ لم يقبض المسيحيون الا ٢٥٠٠ كيساً وكل كيس فيه ٥٠٠ غرش على سائر مطلوبهم من المنهوبات ليس من الكنائس فقط ولكن من الدور والدكاكين ايضاً وكان مجموع مطلوبهم ٢٨٠٠٠ كيس – ونالوا من رد المال المنهوب ما قيمته ٢٥٠٠ كيس . فبقي ٢٣٠٠٠ كيس عينوا اللجن في امر التدقيق بتقديرها ودخلت دعواها اخيراً في خبر كان واليك وثيقة من وثائق المطران بولس اروتين وفيها كيفية تشكيل لجنة التعويضات بين المسيحيين

« وجه تحريره هو انه

نقول نحن المدونه اسماؤنا بذيله قد اخترنا المواجات فرج الله نجم وجرجي ضاهر ويوسف كلزي وانطون خاطي بان يكونوا وكلا عن جمهور النصارى المنهوبين في امور منهوباتهم وقد فوضناهم مماطاة هذه الامور تفويضاً شرعياً وكلا يفعلون ويتصرفون به فنحن قابلينه وهم قبلوا هذه الوكاله قبولاً تاماً شرعياً وكذلك يخصهم ان يماطوا الاعتراضات لاوليا الامور بكلما يرونه صوابياً لخير الجمهور وحتى ان مماطاتهم هذه الامور المهمة تكون بتدبير حسن فقد اخترنا ايضاً ثلاثة عشر شخصاً بمنزلة خوره وهم المواجات نصرالله حمصي وعبدالله باسيل والياس ضاهر ونعمة الله غزاله وحنا خوري وانطون حمدي ويوسف حمصي وفتح الله كوبا ونعوم جنو وشكر الله بليط ويوسف خلجي وانكيفوس عجمي وبادروس قراجه لكي بشورهم وواجم يماطون امور وكالتهم وقد تعين في كل ستة جلستان لاعضاء الخوره لكي الوكلا الاربعه الموسى اليهم يخبروا ارباب هذه الخوره عن اعمالهم ويتذاكروا بما يرون صوابياً لخير الجمهور بالمحبة واتفاق الراي بدون ان يوجد ما بينهم نظر خاص في امر من الامور وهم قبلوا ذلك على انفسهم قبولاً شرعياً ثم قد فوضناهم بالمصاريف التي يلزم بدون معارضه من احد ان يكن كليه او جزيه وهذه المصاريف تنقسم براى الخوره على

وقعد عندي طحان وعيجي كتابة[1] وبطل[2] ادكرت بن الياكوسا والسبت انعزمت لبيت الوكيل.

– السبت ، في ٧ ايار ١٨٥٩ ، في ٥ شوال ١٢٧٥

والجمعة اخذنا قمح قنطار ١١٥ سعر .

– السبت ، في ١٤ ايار ١٨٥٩ ، في ١٢ شوال ١٢٧٥

[٥٥'] ــ واجوا المقادسة الزوار وسمعنا بدي الحرب بين الفرنساوي والنمساوي والموسكوب مع الفرنساوي هكذا قالوا وانتهب فتح الله كوبا من مخزنه بالشيباني الكميه مقدارها لا نعلم وقالوا نفضوها من الدراهم على نضيف[3].

[٥٦'] ــ قعدوا عندي اولاد اليان الواحد كاثوليك والواحد روم.

– السبت ، في ٢١ ايار ١٨٥٩ ، في ١٩ شوال ٧٥

وماتت بنت مخايل جنبرت عمرها ١٠ الله يرحمها وقطعوا القناية للتمزيل [ماء حيلان].

[٥٦'] ــ الاثنين ، كان باللو عند قونصل الانكليز في بستان القبار وكان مقدار الف ٥ واكثر وباشاوات واعيان وقناصل وناصبين خيم بارض القبار واجق باش ونوبة الموسيقه نصاره وحراقات ــ والخميس وقية ٢ فرخين تريس كبار واخذرهم بيت رزق الله حمصي الى ابنته مريضه اشتهت.

– السبت ، في ٢٨ ايار ١٨٥٩ ، في ٢٦ شوال ١٢٧٥

الاشخاص المنهوبين بحسب كتبة المنهوب لهم وكل منا ملزوم بدفع ذلك من دون تعلل ولا تأخير ولاجل ذلك نحرر هذا الصك للبيان تحريرًا في اليوم الثالث عشر من شهر صفر من شهور سنة سبعة وستون ومايتين بعد الالف ١٢٦٧

الحقير عبد الله خوري حنا سالم ، نصرالله نعمة الله كبابه ، اولاد المرحوم الياس كبابه ، يوسف مخايل هرون ، جبرائيل ديدكوز ، سمان جرجي، بولص مرهو (؟) ، انطون عيجي، جبرائيل حنا صايغ ، شكر الله سمان قصاب ، شكرالله مخايل حنا وعد ، يوسف جرجي كندي (؟)، جبرائيل خوري ، وكيل بطريرك الارمن ديريكورك، اثناسيوس مطران طرابلس، بولص اروتين مطران حلب ، باسيليوس عيواظ مطران الارمن الكاثوليك ، ديمتريوس رئيس اساقفة حلب وسلوكيه ، اغابيوس بطرس (؟) بطريرك الانطاكي

١) كتابة اي ليتعلم الكتابة لا غير

٢) بطل اي ترك المدرسة

٣) نفضوها على نضيف اي لم يبقوا فيها شيئًا

وارسلنا للتاراس[1] لا يرسل شيء لاجل الوخف[2] من الحرب.

[٥٦٢] ــ [قالوا] الخميس نهارها الساعة ٣ بده يصير شي مهول بالدنيا كلها [بسبب نجمة ام الذنب] بجلب ما صار شيء يكون معلوم.

– السبت ، في ٤ حزيران ١٨٥٩ ، ٤ ذي القعدة ١٢٧٥

الاثنين قعدوا اولاد جرجي شمراوي ومات فتح الله باسيل الله يرحمه.

[٥٧١] ــ الاحد صلينا ساعة ٧ [اي قرب الساعة ٤ افرنجية] قداس خوري جرجس شلحت وركبت جحش نعوم صاجاتي ورحنا مع بيت الضاهر نلاقي المقدسي فرج الله وصلنا لتبل الهرته ورجعنا مساء.

– السبت ، في ١١ حزيران ١٨٥٩ ، في ١١ ذي القعدة ١٢٧٥

ووصلني خلعة مخائيل وكيل طاقة بيضة شغل فينا بلفافه منديله خضره.

[٥٧٢] ــ الخميس سافر سوكياس ابن يوسف سوكياس الى اسلامبول وهذه الجمعة هوا بارد كثير ونايمين بالبيت.

في ١٨ حزيران ٥٩ ، في ١٨ ذي القعدة ١٢٧٥

والثلاثا ماتت مراة فتوح طحان ـ واجا كرابيت سيوفي ومرته من القدس وابن اخوه اكوبجان قبل يومين اجا من مرسيليا وتعلم افرنجي لسان.

[٥٧٣]

– السبت ، في ٢٥ حزيران ١٨٥٩ ، في ٢٥ ذي القعدة ١٢٧٥

واولها سمعنا باشة مصر ، مع وابورات ثلاث حربيه رابط قدام مينا ثغر بيروت لا نعلم لماذا . وسافر يوسف بردخجي الى اليبرقلي واولها الاحد مراة نعوم حمصي زيزف شلفها الحصان بالبريه ووقعت وقعة ظالمه والان مريضه وباقيه بيت اهلها بالكتاب.

[٥٨١] ــ الاربعا ، ولدت بنت الجروه مراة مخزومه وجابت بنت ومات

---

١) التاراس Altaras هي اسرة افرنسية اتت الشرق منذ القدم واستوطنت بلادنا. في آثار عثرنا عليها في حلب وثيقة مؤرخة في ٣٠ كانون الاول ١٨٥١ تفيد ان هارون التاراس المولود في حلب سنة ١٨١٣ قيد في سجل الجنسية الافرنسية

وكان التاراس مع جيروم بوريير Jérôme Pourrière مديرا البوسطة الافرنسية فيجلس قانونياً عضوًا في المحكمة القنصلية

٢) وخف اي خوف

ابن حماها جبرا مخزومه وبدي بالمقامات الياس دير اروتين.
– السبت ، في ٢ تموز ١٨٥٩ ، في ٢ ذي الحجة ١٢٧٥
واجا توتل[1] وبدي يكتب غضبان جرجي.

١) في مقدمة الكتاب ترجمنا لاسرة البخاش ووعدنا بذكر ما يصلح لتعريف القارئ بالأسر المحلية افادة للتاريخ . عند ذكر توتل رأينا فرصة سانحة لابداء ما نعرفه عن هذه الأسرة المسيحية

توتل الاسم مبهم الاصل والمعنى . دوزي (Dozy) في الزيادة على قاموسه الكبير Supplément au Dictionnaire Arabe-Français يذكر : توتل وتتوتل فعلًا معناه : Vasciller d'après Hélot, Dictionnaire de poche fr. ar. et ar. fr. 4e tirage Alger. استنادًا على قاموس طبع بالجزائر . وفي السنكسار الملكي القديم للبيروني – (نشره الاب شيخو في المشرق ١٩٠٢ ص ٦٧ ، وفي Griveau Patrologia Orientalis T. X القول على ما يستعمله النصاري الملكانية في الشهور السريانية ص ٢٢ / تموز ١٣ Thouthaël martyr دلنا عليه حضرة الاب اسحق ارملة) جاء ذكر ثوثائيل الشهيد في ١٣ تموز . ولا يبعد ان يكون ثوتل مرجع توتل كما ان ثابت مرجع تابت وثوثائيل مرجع ثوتل كما ان مخائيل مرجع ميشيل

ورأينا في حلب على حانوت اسم صاحبه الارمني توتليان اي ابن توتل وربما كان الاسم مشتقًا من التركي او الارمني من «توت» و«لو» فكان معناه صاحب التوت . لكن تخريجه اخذًا عن الارامية اصح من دون الالتجاء الى القول ان الواو في توتلو حذفت ولا موجب لحذفها على ما ادري فيكون الاسم اصله توت إل او توت الله بمعنى التوت العالي كما جاء في المزبور ٧٩ ، ١١ « ارز الله » بمعنى الارز العالي . (راجع Dictionnaire de la Bible : article El. par Vigouroux. Col. 1629.)

كان المرحوم الاب سبستيان روتزفال يميل الى هذا الرأي – وقد عثر في درسه النقود القديمة على قطعة رصاص مختومة بالاحرف السريانية وُجدت في الشمال السوري وهي من العهد الروماني قرأ على احدى واجهتيها ل ط و ت ل فصورها وقدمها لنا مع الاشارة الى امكان نسبتها الى اسم توتل والله اعلم

Famille Taoutel
d'après une bulle en plomb
de la Syrie du nord
(époque romaine — deuxième siècle)

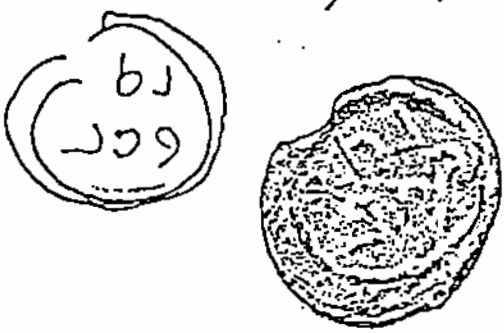

[٥٨٢]

– السبت ، ٩ تموز ١٨٥٩ ، في ٩ ذي الحجة ١٢٧٥

عمال الحرب بين الفرنساوية والنمسا ومنصورين الفرنساويه .

[٥٨٣] ــ الاحد ، كان عيد المسلمين الله واكبر . ما رحت لمطرح ــ السبت اجا انطوناكي كوبا من ليفورنا واستقام فيها سنة ٩ .

في ١٦ تموز ١٨٥٩ ، في ١٢ ذي الحجة ١٢٧٥

[٥٩١] ــ والاحد ، اولها درت بالصايح ورحت بيت حنا صايغ تغديت

على ان اسم العائلة محفوظ في آثار الطائفة المارونية فقرأناه في سجل المعمودية في ١٩ آب ١٦٧٢ في ذكر جرجس ابن سليمان توتل . ويأتي اسم جرجس بن سليمان الترجمان ومن القرائن يستفاد انه سليمان توتل

اما اسرة بيت توتل المعاصرة فجدها مخائيل اعتمد على يد المطران جبرائيل حوشب الماروني في ٢١ ت ١ ١٧٣٧ ورزق يوسف وجبرا

ان يوسف خلف عدة بنين اخصهم مخائيل ورزق الله ونصري وعبد الله . وكان الثلاثة الاولون موظفين في الحكومة العثمانية واخصهم نصري مدير المالية وهو بالغالب التلميذ المذكور في اليومية

ونال مخائيل ثناء الحكومة العثمانية على خدماته (راجع البشير ٣٠ ايار سنة ١٨٩٤) وتزوج فيكتورين ابنة انطون شمراوي فولدت له نديم ؛ ونصري تزوج ثلثين ابنة جروم بوريار فولدت له ليون وهذا مستوطن اليوم اسكندرية مصر؛ ورزق الله تزوج سليا بنت نعوم سالم وولدت له جوزف وكارلس (المتوفي سنة ١٩٠٧) وفردينان الاب اليسوعي صاحب المقال ووليم المقيم حاليًا في دير الزور ورأفت المتوفي في بغداد ١١ تشرين الثاني ١٩٣٤ عن طلقة نارية اصابها به وفيقه في الصيد فسبب بتر رجله ووفاته من بعد ذلك وقد أبى رأفت الّا ان يكتم اسم الذي اصابه امانةً منه على الصداقة . وكان عبد الله موظفًا في الديون العمومية وتزوج زوبه بنت حنا كبار وولدت له ادوار

اما جبرا فكان ابا نعوم ابي بشير توتل الموظف سابقًا في الديون العمومية وقد تزوج اسمى بنت جرجي سالم

ولم نذكر احدًا من الجيل الجديد واقتصرنا على ذكر المفيد الافيد ودار بيت توتل كانت في العليبة وفي صدر ايوانها حجر منقوش عليه هذا الشعر

سلم امورك للحكيم العالم وارح فؤادك من جميع العالم
واعلم فان الامر ليس كما تشا بل ما يشاء الله احكم حاكم

(١٨٧٤)

وكانوا المطرانين والقسوس وبندقي وسوكياس وبعد الظهر رحت بيت الدلال وكان شيخ الكيالي[1] . — والثلاثا ، رحت مساويه كور مصري وكان نوبة لاهل [سوق] الدراع .

— السبت ، في ٢٣ تموز ١٨٥٩ ، في ٢٣ ذي الحجة ١٢٧٥

وسمعنا عبد المجيد داير وراح لازمير وبعده مزمع يروح للاسكندريه مصر واولها رسموا بن الشعراوي قسيس الروم — الاثنين ، سافر تقل اليرقلي[2] وراحوا ناس مثل ستّان وعجوري نصري وغيره .

[٥٩٢] — السبت ، سمعنا صار صلح بين النمسا والفرنساوي .

في ٣٠ تموز ١٨٥٩ ، في ٣٠ ذي الحجة ١٢٧٥

ومات جرجي دبانه الاربعا الله يرحمه حو فيليب كوسا ومات شكر الله شدياق الله يرحمه .

[٥٩٢] — والاحد ، تغدينا كلنا عند قس لويس صباغ قسيسنا — الاثنين كان غفران ماو فرنسيس بالجبله .

— السبت ، ٦ آب عيد التجلي ١٨٥٩ ، في ٧ محرم ١٢٧٦

وبدي المزامير عصتيني وسرور ومشحور . ومريم كرباج اشتغلت لي كام قميص

---

١) قد يذكر له الحلبيون جولاته في البيوت خلافاً لما كان مألوفاً في زمانه . كانت النساء منظرةً الى استقباله في بيوتهن سافرات وكانوا اذا ما قدموا له المربى او الحلوى يأخذ الصحن ويضعه بالقرب منه فيأكله كله . وصفه جيس (Guys) في كتابه (المذكور سابقاً) السفر في سورية ص ٢٣٩–٢٤٦ فشكله اشكالاً ولونه الواناً . اما الطبّاخ صاحب اعلام النبلاء فترجم له في الجزء السابع وارّخ وفاته في ١٢٨١ هـ ووصفه برجل البر والصلاح ونسب له المعجزات (ص ٢٢٦)

٢) اليرقلي سوق تعقد في الاناضول كان الحلبيون يقصدون اليها حاملين اموال حلب فيعرضونها باليرقلي ومنها يرحلون الى القسطنطينية مارّين بمدن الاناضول الكبرى وكانوا يعودون من القسطنطينية ومعهم « مال استنبول » فيتاجرون به في حلب . ولما اغلقت الاناضول عن الحلبيين كسدت السوق بين يديهم . ولفظة يبرقلي تركية معناه الموضع المورق او المظلل بالشجر . وكانوا يقولون اذا سمعت الدقاق في خان الوزير استبشر خيراً واذا سكت الدقاق كسدت التجارة والدقاق مطرقة كبيرة يطرقون بها الاحمال لضبطها وربطها . وخان الوزير من خانات حلب الشهيرة

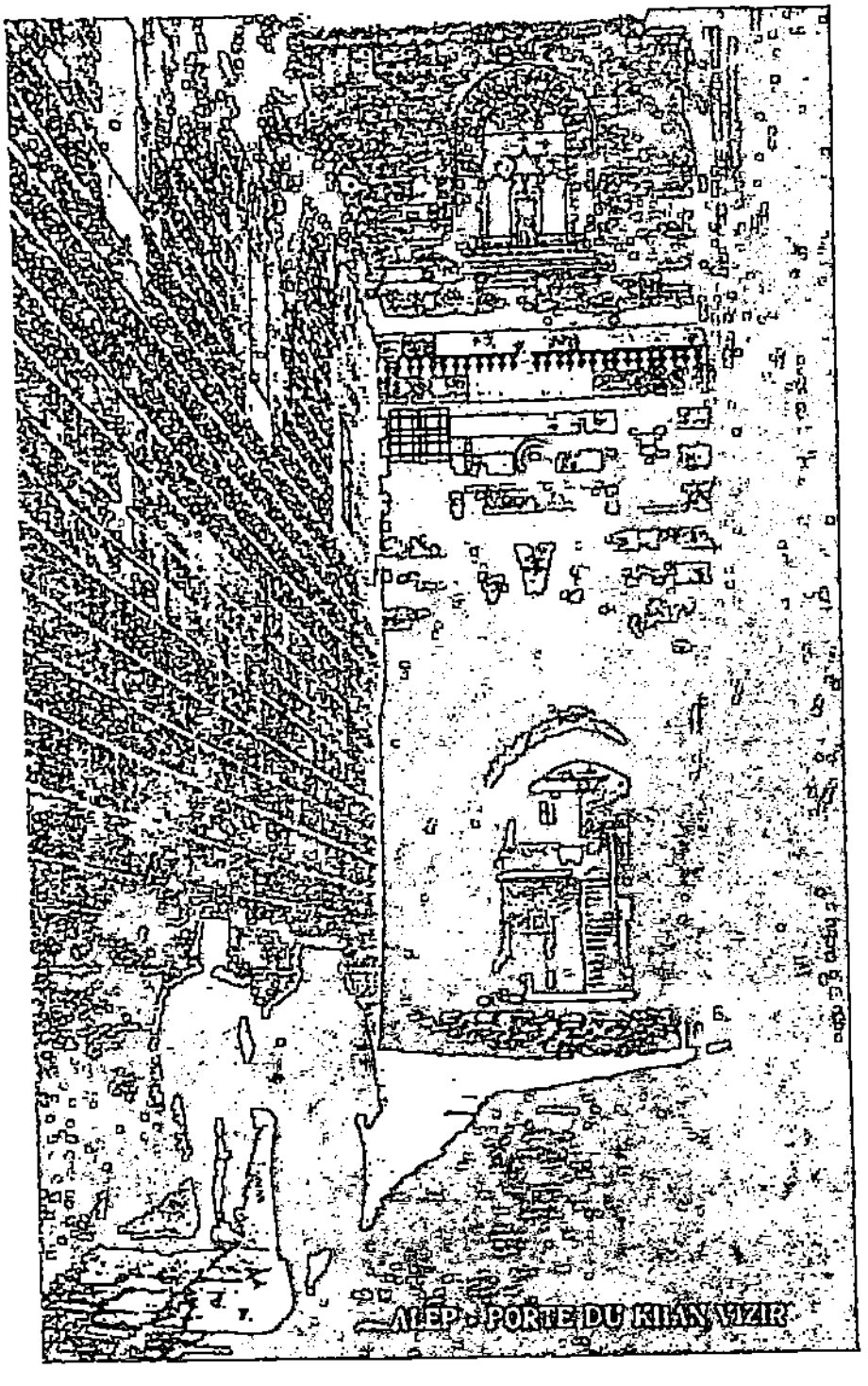

باب خان الوزير

حسيني[1] وياقه[2]. ومراة جبرا صايغ جابت صبي بنت بطرس الحمصي.

[٦٠١] ــ الخميس ، سمعت من يوسف اسود بوفاة رزق الله ابن فتح الله بخاش ابن عمي ورحت يوم الجمعة من بكره ومعي قس يوسف ياقين . شي الله لا يوريه لاحد من الحزن الزايد وجبناه ورحت وراه وقداس وجناز ودفناه . ورجعت للمكتب الساعة الثالثة والمذكور تعلم عندي القراءة والكتابة قبل رواحهم مرعش وحزنت عليه . ــ والاثنين ، قعد عندي لاجل الكتابة دب وشاشاتي وبندلي قراءة وكتابة وارسلوا بيت سالم عبدالله خلفي[3] ما رحت.

– السبت ، في ١٣ آب ١٨٥٩ ، في ١٤ محرم ١٢٧٦

وقالوا يوم السبت بده ينكس[4] القمر والاثنين والثلاثا وصل الشوب درجه ٣٨ والجمعة والسبت هوا وتلطف الشوب شوي . وارسلنا مكتوب لبغداد الى بهنان ونجو الصباغ ــ السبت نكس القمر قليل يكون معلوم.

[٦٠٢] ــ الثلاثا ، قعد عندي اخو شدياق الموارنة معلم فرنساوي لاجل الكتابة ــ الثلاثا ، جابت صبي مراة فرج الله زلعوم بنت الجهامي. ــ والاربعا ، جابت صبي مراة الياس سيوفي بنت العجوري ــ والخميس ، سافر لاسلامبول يوسف باشا الله معه ومراة مشحور يوسف جابت صبي الثلاثا .

– السبت ، في ٢٠ تموز ١٨٥٩ ، في ٢١ محرم ١٢٧٦

واجا خبر فتح الله وكيل من ازمير الله يرحمه وارسل اخوه نجيب اولاده الاثنين من ازمير مع زلمه[5] من عنده.

[٦٠٢]

– السبت ، في ٢٧ آب ٥٩ ، في ٢٨ محرم ١٢٧٦

[٦١١]

---

١) القميص الحسيني هو الموشى والمطرز عند العنق وفي الساعدين

٢) ياقه اي مطرّق القميص عند العنق

٣) ارسل خلفي اي ارسل يدعوني

٤) نكس اي خسف

٥) زلمه اي خادم ، نفر

– السبت ، في ٣ ايلول ١٨٥٩ ، في ٦ صفر ١٢٧٦

ومراة رزق الله كبابه بنت سوكياس جابت صبي اولها الاحد واخذت طاقة جوزية[1] من بيت باسيل عبد الله وارسلنا كتاب الى دحداح طلبنا الحساب غلاقته من البير فين ووقعت مراة يوسف وكيل بالحوش ووجعتها ايدها ومدول دلال وقعت من فوق الفرس وشحنطها[2] وانفج رأسها وقعدت بالفرشة .

[٦١٢] ــ الجمعة ، تجمهروا الاسلام لان الحنطة صار الشنبل ١٠٠ وكلها من الباشا لانه مرسم ان لا تجي من برا[3] حنطة واذا سمع احد جايه يرجعه فيها وشارك الطحانة دويس افندي فراحوا عند المشايخ ما لبوهم راحوا عند القنصل الفرنساوي اخذهم[4] وراح عند الباشا واعتمد [الباشا] ان يطلق اليسق[5] وان يطعمهم اياها ٥٠ غرش من خوفه لان البلد لولا ذلك قامت على الباشا وقتلوه .

– السبت ، في ١١ ايلول ١٨٥٩ ، في ٣ صفر ١٢٧٦

وطلب الباشا الروسا حتى يكتبوا في حقه بالمليح .

[٦١٣] ــ الاثنين اجوا اولاد المرحوم فتح الله وكيل الى بيت عمهم يوسف وكيل وسركلوا عزت بك لانه له اثره بالوراق المذكورة قبلًا وسركلوا حسن بك بن قطراغاسي الى الموصل وكانت مربوطة من يوسف باشا الذي راح سابقاً ان الحنطة شبل ١٠٠ فيقوموا الاوباش[6] ويقتلوا الباشا والاعيان والقناصل وبعده بيلوا على النصارى طبخه ملعونة الله قضاها ولم نزل بعكره لان ما انتهت للان وواقعين كثيرين بهذه الذله .

– السبت ، في ٧ ايلول ١٨٥٩ ، في ٢٠ صفر ١٢٧٦

[٦١٤] ــ الاثنين ، اخبرني القس يوسف ياقين عن نيابة البطرك لخوري جرجس شلحد .

---

١) جوزية اي مزدوجة
٢) شحنطها اي جرّها
٣) برّا اي خارج البلدة
٤) اخذهم اي اصطحبهم
٥) يسق اي منع
٦) اوباش اي رعاع القوم

– السبت ، في ٢٦ ايلول ١٨٥٩ ، في ٢٧ صفر ١٢٧٦

[٦٢٢] ــ الجمعة ، سمعنا ان ببيروت في تواتر طاعون ومزمعين يصيروا كورنتينات بكل الاساكل وكل الذي سافروا بهذا القرب لبيروت موجودين بالاسكله ما نزلوهم الفابورات لمركبهم ومنهم رجعوا.

– السبت ، في ١ ت الاول ١٨٥٩ ، في ٦ ربيع الاول ١٢٧٦

[٦٢٣] ــ الاحد ، اولها وقرأوا منشور البطرك انطون سحيري وصار خوري جرجس شلحت بدل مطران يوسف حايك والمذكور تلميذي ولبس تاج وخاتم وصليب على صدره وبيده. ــ الاربعا ، ذكر الريس ان اصير متقدم اخوية سيدة النجاة الاحد المقبل ــ الجمعة ، اجا بليط من عينتاب واخوه نصري وقس يوسف اسلامبوليه السرياني. ــ والاربعا والخميس والجمعة ، مطر وافر وبرق ورعد.

– السبت ، في ٨ ت الاول ١٨٥٩ ، في ١١ ربيع الاول

وسمعنا باسلامبول قصدوا يقوموها ويوقفوا عبد العزيز سلطان ويقتلوا عبد المجيد القايم بروسنا فسمع عبد المجيد مسك مقدار الف ٢ وقال بده يجدهم. صاحوا يمكن تبحرهم ورجب باشا رمي حاله بالبحر واختنق هكذا سمعنا. ومطران يوسف حايك صح من مرضه الان وطاب واولها الاحد فتحت مدرسة الفرنساوي بالمدينه والاثنين مدرسة البنات بالمدينة وبالصايح.

[٦٣١] ــ الاحد ، تغديت ورحت الى الاخوية لان صيروني متقدم من غير استحقاق على اخوية سيدة النجاة العذبان[1]. ــ والخميس ، راح رزق الله غزاله مدرسة الفرنساوي[2]... لان اهله لا يقدروا عليه[3].

---

١) العذبان اي الرجال الغير المزوجين

٢) جاء في سجلات الآباء الفرنسيسكان : في ١٠ ت ١ ١٨٥٩ ، تأسست مدرسة ترمسنا الكبرى. كان قبلها مدرسة صغرى مفتوحة منذ ثلاثين سنة وفيها يتكلمون بالايطالية والعربية وفيها يعلم ثلاثة اباء راخ ومعلم علماني للعربي – وفي يومنا مدرسة ترمسنا اصبحت في حي العزيزية وكذلك كنيسة الآباء الفرنسيسكان وديرهم – اما مقامهم القديم في الشبابي فهجروه لابتعاد المسيحيين عنهم وانتقالهم الى غربي البلدة

٣) اهله لا يقدروا عليه... نكتة لطيفة وما اكثر ما يسمع الاهالي يتهددون ولدهم العصب المراس قائلين : « بدنا نحطك نوم وقوم ونخلص من شرك » . اي نضعك في مدرسة داخلية

– الاحد ، اولها ، في ٩ ت الاول ١٨٥٩ ، في ١٢ ربيع الاول ١٢٧٦

انتها ٣٢ وابتداء ٣٣ سنة لافتتاحي المكتب . سنة مباركة ان اراد الله يحيينا لامثالها بجاه اسمه العظيم.

– والسبت ، في ١٥ ت ١ ١٨٥٩ ، في ١٨ ربيع الاول ١٢٧٦

[٦٣٢] ــ ليلة الاحد ، اجا نصري بن نعوم ضوناطو من الشام . ومعه شكري عبد الاحد.

– السبت ، في ٢٢ ت ١ الاول ١٨٥٩ ، وبدي شهر العقرب في ٢٥ ر ١ ١٢٧٦

واولها عرس جبرا بن الياس ناقوز الى بنت الياس وانيس . ووصلت الحنطة الى ١٢٠ وما في [منها في السوق] وهذه الجمعة طلب الباشا جمعية ان التجار يجيبوا حنطة من اين ما ارادوا ويقدموا للبلد وكذلك هو مستعد لذلك.

[٦٣٣] ــ الجمعة ، الحنطة ١٢٠ والشعير ٦٠ الشنبل للان.

– والسبت ، في ٢٩ ت ١ ١٨٥٩ ، في ٣ ربيع الثاني ١٢٧٦

[٦٤١]

– السبت ، في ٥ ت ت ١٨٥٩ ، في ١٠ ربيع الثاني ١٢٧٦

وكتبنا مكتوب ٢ الواحد الى بغداد والثاني الى ادنه واخذنا برلسه بالف ٢٠ من عبديني الى نعوم ايوب لاجل مسواق قطن الى مرسيليا وتشلحوا[1] اولاد

---

١) قد يأتي ذكر التشليح في اليومية ولم يكن الامر نادرًا . في تلك السنة كتب القنصل سكين :

ان الاراضي الواسعة المخصبة الواقعة بين حلب والبحر لا زراعة فيها ولا حياة اذ ليس فيها ما ينشط الفلاح على العمل ويحميه من جور الجائرين . في سهول انطاكية قبائل من التركمان تثير الاضطراب ولكن ليست مما يستوجب الخوف . فهي مضرة بكونها تحول دون عمران البلاد لا بكونها تعادي الحكومة . فقد تسلب القافلات الحاملة البضائع من ضيعة الى ضيعة وتنزو الانعام والمحصولات وان سرقاتها كثيرًا ما تكون جزئية لكن حدوثها يسبب القلق ويأتي بالشرور .

لقد ينقضي العام بالهدوء والسكينة واذ يعقبه عام زوبعة يضطر الاهالي الى هجر قراهم اذا فقدوا الامل بحصد غلاتهم عندما يدخل الاغارات بالمناوشات والمقاتلات بعضهم مع بعض فيجتاحون الارياف ويذهبون بنهب الفلاح .

كان احمد المعروف بزعيم الزوالا قد استخدمته الحكومة في حراسة الطريق بين حلب

الملتات بالف ١٥٠ ويوركي راح له فرده بالف ١٣ . — والخميس الجمعية لاجل الاخوية بالقلايه . ورجعت الساعة ٤ من الليل .

[٦٤أ]

– السبت ، في ١٢ ت ت ١٨٥٩ ، في ١٧ ر ت ١٢٧٦

[٦٤ب] — الاحد ، سكروا بوابة سوق الاحد لانهم[1] قدموه لعند البوابة

– الخميس ، رحت الكلاب تفتكه واجا مثل قوميصر او قونصل للاعجام .

– السبت ، في ١٩ ت ت ١٨٥٩ ، في ٢٦ ر ت ١٢٧٦

[ناقص ورقة اي صفحتان من المخطوط فضاع بها ذكر ستة اسابيع]

[٦٧أ]

– السبت ، في ٧ كانون الثاني ١٨٦٠ ، في ١١ ج ٢ ١٢٧٦ والجمعة الميلاد ش والقطاس غربي

وفطرت قراص شيباني[2] بيت الضاهر .

السبت مساء رحت للصلاة وكان تذكار مار استفانوس ريس الشمامسة فصار

واسكندرونة . وفي اثنائها خرج ابن عمه عمر لتشليح القافلات . فكان من شأن الوالي في حلب انه عوض ان يخرج على عمر بضابور من الجند المسلح المرابط في حلب لحراسة الطرق عزل احمد آغا واقام مكانه عمر فتحول احمد آغا الى لص قطاع طرق وعمر الى رجل امين . ولكن ذلك الاستبدال لم يبدل بحالة المسافرين فسُرق البريد مرتين في الاشهر الاخيرة وفي الاسبوع الماضي خرج بعض الذوات الى اسكندرونة فاوقفوا على الطريق خمس مرات .

ومن حوادث التشليح ما جاء في سجلات مركوبولي

١٠ كانون الثاني : تشلحت قافلة على طريق الموصل وغيرها على طريق اسكندرونة . وخرج الكونت بتيفولير القنصل الفرنسي راكباً على حصانه للترهة خارج البلد فهاجمه اللصوص وكان مسلحاً فهزمهم .

١) في حلب لا تزال سوق الاحد تعقد كل احد وموقعها شرقي البلدة بين قسطل الحراني ورأس الحميدية . ويوم الجمعة تعقد سوق غيرها واسمها سوق الجمعة وموقعها بالقرب من القلعة بجنوب ، وراء السرايا الجديدة . اما بوابة سوق الاحد التي ذكرها البخاش فليس لها أثر في يومنا ولعل ارتفاع اسعار الحاجيات صار سبب لهجوم العامة على الباعة فاقفلوا البوابة آنذاك وقد وضعت لمثل هذه الغاية .

٢) قراص شيباني نوع من الخبز المعجون بالسمن المحشو بالزبدة او « قايق » المملي بالسكر بعد خبزه بالفرن .

ليله منظومه[1] والريس خوري جرجس شلحت ونظموا له دخله[2] وخروج حبروي ونظموا له ترلوصو[3] مثل البطرك والمطران .

[٦٧ أ] ــ الاحد مساء رحت للاخوية واستجلنا بالصلاة وقبروا مراة اكويجان وكان مطر .

– في ١٤ ك ٢ ١٨٦٠ ، في ٢١ ج ٢ ١٢٧٦

وارسلنا مكتوب الى موصل وترسيس وبغداد .

[٦٧ ب] ــ الاربعاء مات مطران باسيليوس[4] الارمن وصار له بالدرب من بيته للكنيسة منظرية معتبره وقبروه بالكنيسة الخميس متفرجين مقدار الف ٥ وانا تفرجت بيت الياس ضاهر ومات انطون متري وانطون ادم وقس انطانيوس روم الله يرحمهم . هذه الجمعة ومات العياوي فقير . واولها باركت لبطرس باسيل بالعروس ومراة مخائيل زلعوم بنت السان اجت لبيت نعوم صاجاتي بيت اخته بتناظرتها[5] لهم وهم نوم قوم[6] عندها .

– السبت ، في ٢١ كانون الثاني ١٨٦٠ ، في ٢٨ ج ٢ ١٢٧٦

والاربعا ، بديت تكتب وتقرا بنت الياس قجله سوسه عن الشهر ٢٥ وتجي مع امها لعندي .

[٦٨ أ]

– السبت ، في ٢٨ ك ٢ ١٨٦٠ ، في ٥ رجب ١٢٧٦

موجود حرسان بالبلد واولها عيد الريس خوري جرجس عيد الميلاد [في]

١) منظومه اي احتفاليه متقنة
٢) دخلت الكنيسة وخروج منها
٣) قرلوصو نشيد المديح
٤) باسيليوس عيواظ – جاء ذكره في سلسلة اساقفة حلب الارمن الكاثوليك في قاموس التاريخ والجغرافية الكنسي ص ١٢٨ مع تاريخ وفاته ١٨٣٩ ؟؟
Dictionnaire d'Histoire et de Géographie ecclésiastique, art. Alep, diocèse arménien catholique, par Tournebize
٥) بتناظرها اي وهم تحت مناظرها ومراقبتها
٦) نوم قوم اي يبيتون ويأكلون عندها

الاخوية [وقدمنا له عيدية] عرش ٢٤ مجيدي ــ الاحد هوا بارد وشمس قليل ــ الاثنين مثله والهوا ازود ــ الثلاثاء مثله ومطر قليل وما كثير ــ الاربعاء مثله ومطر قليل وما زود [في نهر القويق] ــ الخميس بكره غيم قليل وبعده شمس مع غيم متغلب ــ الجمعة صحو وهوا وغيم مع وجود الشمس ــ السبت مطر كثير وغيم .

[٦٨أ] ــ الخميس سمعت توفي نعوم كوريخ وان شاء الله كذبه.

ــ السبت ، في ٤ شباط ١٨٦٠ ، في ١٢ رجب ١٢٧٦

ــ الاربعاء والخميس صار غوغه[1] وكانت رايحه تقوم[2] البلد . ودار الباشا مع الاي عسكر ومسك مقدار ٤٠ من اهل المغاير[3] والمعادي[4] وقرلق[5] وباب النيرب[6] والكلاسه[7]

[٦٨ب] ــ الاثنين رحنا مساء بالليل بيت العجوري فرنسيس كلنا س ١١ من الليل ــ والخميس مار مارون اجا زيد[8] وافر بالبويجي لحد نزلة الباب الحجازي لنصفه بكور مصري لحد الحاصل . ــ الجمعة ، غيرت سندوقة

---

١) غوغه اي اضطراب

٢) رايحه تقوم البلد كادت الفتنة تشتعل فيها

٣) المغاير هو الحي الواقع جنوبي الشهباء بغرب في متسع من الاراضي المهملة الواقعة خارج باب قنسرين واكثر سكان المغاير صنعتهم ضفر حبال القنب.وعمل المكانس وكلهم مسلمون

٤) المعادي منفصلة عن حلب وموقعها جنوباً بغرب تجاه باب المقام في متسع من البرية

٥) قرلق هي في شرقي البلدة خارج باب بنقوسا يحدها قبلةً حارة تاتارلر والفرايبين التحتاني وغرباً الدلالين وشمالاً برية الصفا وشرقاً البرية ولفظة قارلق تركية معناها المثلجة (عن كامل الغزي ٣ : ٣٢٤)

٦) باب النيرب حي واقع شرقي حلب كان الكثيرون من سكانه عرباً بدواً فتحضروا – ونيرب موضع الى ذكره في الآثار القديمة

٧) الكلاسة محلة يحدها قبلةً وغرباً البرّ وشرقاً منبرة الكلياتي وشمالاً البساتين وحارة جسر الملاحف واكثر سكانها يشتغلون بالكلس وقطع الحجارة

(راجع كامل الغزي : نهر الذهب في تاريخ حلب ٢ : ٧٦)

٨) زيد اي ارتفع نهر القويق

الانكي دنيا وكانت مزهرة ونقولا نجرها وواحده اخرى . وناظر العجم التفنجي من قبل الدوله محبوس وصير بروتسته على الباشا لانه حبسه لان العجام ضربوا بخنجر ايسقجي[1] يوسف اليهودي تونصل الاعجام وما مات ومرادهم قتل يوسف اليهودي

– السبت ، في ١١ شباط ١٨٦٠ ، في ١٥ رجب ١٢٧٦

ــ والجمعة ، سهرت بيت الدلال وانفصد نصري لان نفسه ديق وعرس يوسف دير اروتين الى بنت الفتال.

[٦٩'] ــ الاثنين ، قريت وبعد الظهر رحنا درنا الاولاد كلنا وصلينا وانصرفنا ومات موت الغفلة دير دير ارمن دير خجدور [في الكنيسة] ــ الخميس سكارى ، فتحت وكسحنا الداليه ونجّرنا صندوقات ١٠ وهدانا عجم صندوق عطره[2] . ومن بيت اختي كتر قديد دفة[3] ٢ وبزر رطل ١ جبَس[4] . ــ والجمعة ، فتحنا ودرّسنا . ــ والاثنين ، عرس خوال جبرا بليط ٢ الى بنات الاسود ٢ عدلًا . ودفعت للمطران مطر من كرا الحوش سلف من بعد ٦ شهر .

– والسبت ، في ١٧ شباط ١٨٦٠ ، في ٢٦ رجب ١٢٧٦

وذكر شركتلي عن ابن موايناري ونزلت الزوده [من النهر] وغيرت تراب صندوقة الايكدنيا وهي مزهرة.

[٦٩'] ــ الاحد ، اولها مرفع عيد الكبير والاثنين صلاة الشوبقونوكز وصمت وان اراد الله اكتل.

– السبت ، مار افرام في ٢٥ شباط ١٨٦٠ ، في ٣ شعبان ١٢٧٦

وسمعنا أن آمر السلطانُ عبد المجيد ان يتعلق ساعة بقلعة حلب يبلغ صوت ناقوزها مسافة ساعه واحده وإن ركزوها تعرف بعد[5] .

---

١) يسقجي اي قواس

٢) عطرة نوع من النبات الاخضر الطيب الرائحة

٣) دفّة قديد او قطعة

٤) جبس ما يسونه في لبنان بطيخ احمر

٥) عُلقت تلك الساعة على برج في ساحة باب النزج سنة ١٨٩٨

سوق الجمعة

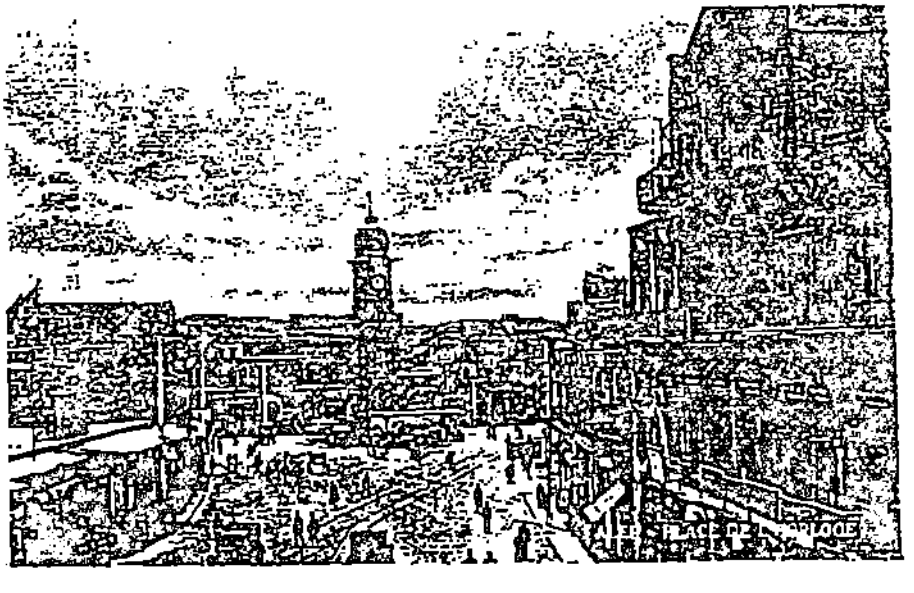

ساحة باب الفرج

[٦٩٢] ــ السبت ، صحو ــ الجمعة ، مطر وتلج وهوا بارد في ٣ اذار في ١٠ شعبان ١٢٧٦

ومات الياس بن يوسف اسود الله يرحمه واولها اخوية ورياضة موتة الصالحة ــ والسبت يدينا رياضة مار فرنسيس كسفاريوس عندنا بالبيت مع صلاة العصر [٧٠١]

– السبت ، في ١٠ اذار غربي ١٨٦٠ ، في ١٧ شعبان ١٢٧٦

وفرمت التتون يوم الثلاثا وسمعت انه صار على رطل التتون غروش ١٠ كمرك مهما كان من عال ودون كله سوا . واخذت السبت توتون رطل ١٢ بسعر ٢٢ كردي

[٧٠٢] ــ الاحد ، اولها طلعت سوق الاحد اخذت توتون رطل ٢ ونصف سعر ١٢ غرش وبعده اخويه رحت حجازي جبت زريقه ٢ وبعد الاخويه مساء كنز سريان . ــ الخميس ، سهرت بيت يوسف وكيل . ــ الجمعة ، درب الصليب سريان والقطن انشحن لمرسيليا . ــ والسبت ، مكتوب ٢ لترسوس ولمرسيليا طلبنا غراض من ورق .

– في ١٧ اذار غربي ١٨٦٠ ، في ٢٤ شعبان ١٢٧٦

ــ والاثنين ، واحد سكران جرح شدياق انطون بمدرسة الموارنة جرح ماكن وقصده يقتله فرط[1] ومسكود وحبسوه ــ الاربعا ، ليلة الخميس س ٨ ولدت مراة سالم وجابت بنت .

[٧٠٣] ــ الثلاثا ، طلعنا والاولاد قبل الظهر فشينا النيروز .

– السبت ، في ٢٤ اذار ١٢٦٠ ، في ٢ رمضان ١٢٧٦

وهوا بارد وتدفي على النار . وفرقت بنفسج مكبس . والمطران الموارنة حول خوري [الى] الياس راجي ٨٠٠ الباقيه من اجار ١٨٦١ واوعدت اعطيها واولها شاور سوكياس وخطب رزق الله شمراوي بنت حنا حداد بك الماوردي

١) فرط اي يقتله قتلاً بمصر المنى .

وارسلنا كتب ٣ بهنان وتاراس ومرعي . ــ الثلاثا ، ماتت كتر عزوز . والاربعا قبروها الله يرحمها لحقت اخوها انطون عزوز بينهم جمعه ١٣ . ودكان ورا العماره ، الحلاقه ، نزلوها [لانها] عاطلة وعمال يعمروها من جديد ليوسف الحلاق ، حلاقي .

[٧١'] ــ الاحد ، طلعت بيت قنصل الانكليز مستر سكين وطلب ابنه فلكس سطر ٢ من كتابتي واحد مشق[1] وواحد رفيع كتبت له . ــ الخميس ، صار مطر وافر وهواء . ونصري بن نعوم بخاش مريض الله يشفيه . وركبوا فوقاني[2] العواميد بهيكل مار بطرس وملون اسود واحمر وابيض دوار الفوقاني بكنيسة السريان .

– والسبت ، العازر ، في ٣١ اذار ١٨٦٠ ، في ٩ رمضان ١٢٧٦

وهذا الاثنين بدي عرس سنيور موسى مشوكه[3] وعرس قسطنطين . نوبات موزيقه وآجق باش وحراقات . ومتفرجين كثيرين . وانا ما رحت تفرجت . وايضاً صار موسه بتسميت جنتار النمسا صارت عليه وظيفة من دولة النمسا .

[٧١'] ــ الاحد ، اولها رحت القبار من بعد دورة الشمنينة ورجعت للصلاة والكرز والمسا بالليل دورة العذارى[4] . ــ الخميس ، قداس المشا وبعد الظهر غسل خوري جرجس شلحت . ــ والجمعة ، الدفنة .

– والسبت ، البشاير ، في ٧ نيسان ١٨٦٠ ، و٧ رمضان ١٢٧٦

[٧١'] ــ الاحد ، اولها عيد الكبير غربي في ٨ نيسان ونهارها صار غرغه بالبلد وترعبو الناس من طرف سنيور موسى بن الياهو لان الاسلام زعلانين منه كثير وكأنه معاديهم ومرادعهم ام قتله ام نفيه[5] . وسركاوا بن بيليوس من

١) مشق في الكتابة : مدّ حروفها

٢) فوقاني اي رأس العواميد

٣) مشوكه هو تصغير موسى وسمّي اذ ذاك موسى بجوتر مثل عام « جنتار » لدولة النمسا

٤) دورة الشمنينة حفلة كنائسية وكذلك دورة العذارى

٥) نحن في سنة ١٨٦٠ المشؤومة وقد بلغ التوتر اشده بين سكان بلاد واحدة اما غضب المسلمين وتزرئهم على سنيور موسى الياهو بجوتر فسببه ان البارون بجوتر

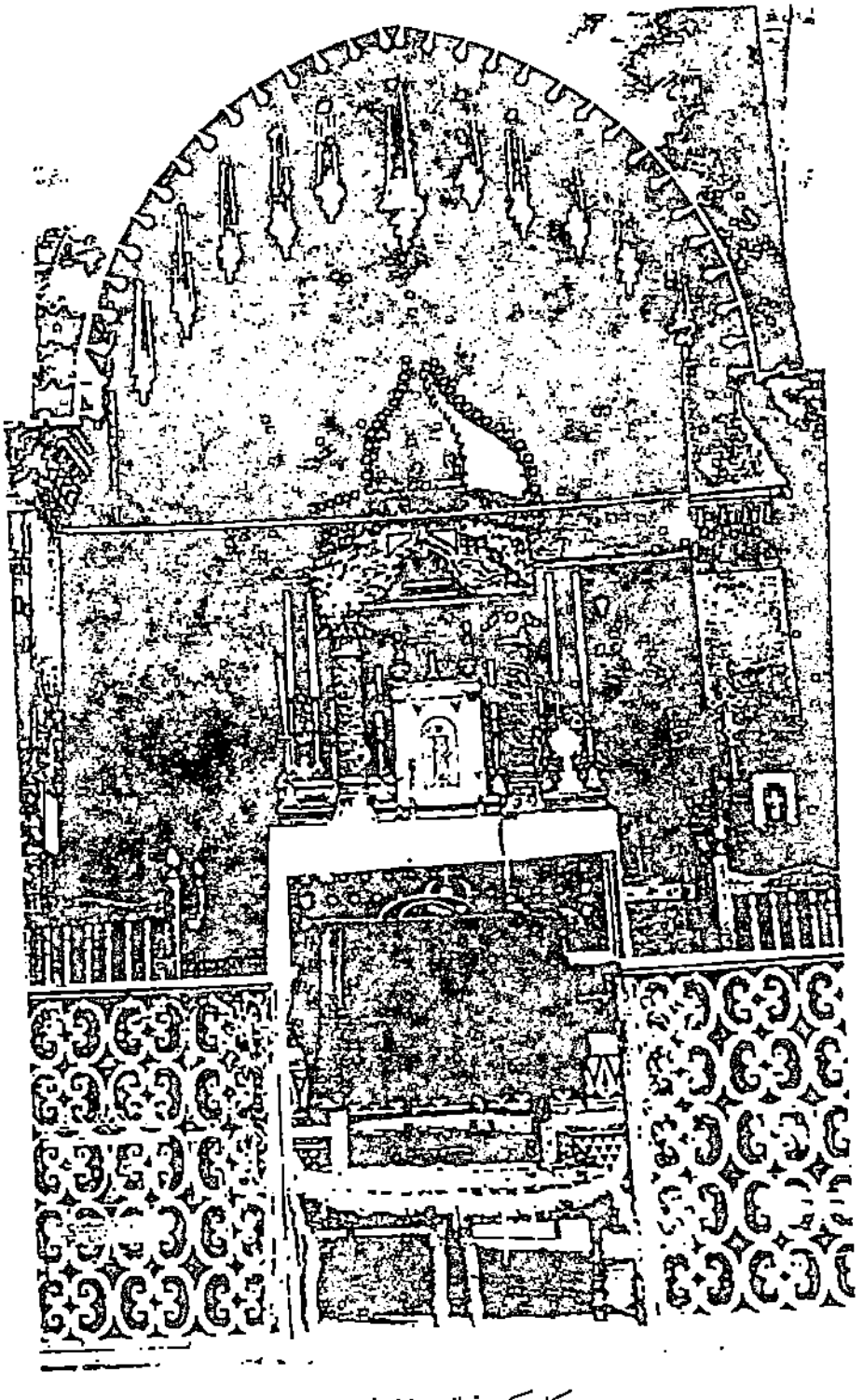

هيكل كنيسة السريان في حلب

اجل خربات قبليه بجامع معروف بلزق خانه وهو ملك المذكور وطلبوا جامع بستان الشابندر الذي كان قبلًا جامع الصفوه وللان ما انتهت ومزربنين الله ينجينا من شرهم امين.

– والسبت ، في ١٤ نيسان ١٨٦٠ ، في ٢٣ رمضان ١٢٧٦

وركبوا درابزين حديد مظفور قدام هيكل الوسطاني فقط باب بصراعين من حديد وبدي يكتب اخو شدياق الفرنساوي يوم الاربعا.

[٧٢] ــ الاحد ، اولها رحت ودعت دلال مسافر ومرته سوسه عجوري وقونصل الفرنساوي للبلاد ونعوم ضاهر اخو الياس الى مرسيليا . وكان عيد الكبير روم ويومها باكر ضربوا تفنك[1] الروام بالكنيسة وارتعبوا كثير ناس وظنوا قامت البلد . وكان جهل منهم هذا الصنيع لان البلد واقفه على ظفره[2]

وضع يده بحق الرهن على بستان واقع عند الناعوره مدعو باسم صاحبه شابندر وكان فارسيًا وكان بين بستان الشابندر وبين بستان كل آب (ماء الورد : كان يمر فيه سراب البلد ومنه ينتهي الى النهر وكانت روائحه كريهة فسموه ماء الورد على سبيل التهكم) طريق يدعى زقاق الصفوه وهناك جامع الصفوه الذي يذكره البخاش وقد باد اثره وعسير تحقيق موضعه لكن المرجح ان هناك في ذات بستان شابندر كان مقام للصلاة. فلما استملك بجوتو البستان اسخط المسلمين وكان ممثلًا لدولة النمسا وغيرها فتمكن بنفوذه من اطفاء شرارة الغضب عليه . وصارت دار بجوتو في الشابندر مصيفًا لهم وكانوا يجمعون فيها اليهود للصلاة في الديوان التحتاني ومضت الايام وابتاع المرسلون اليسوعيون جزءًا من بستان الشابندر الواقع ضمن كوع التويق يشرق وهم ينشئون فيه الآن ديرهم الجديد (٣١ تموز ١٩٣٨)

١) ضربوا تفنك اي اطلقوا الرصاص وكانت تلك عادتهم في فصحهم شأن اهل لبنان في افراحهم الى يومنا

٢) واقفة على ظفره اي ان الشرارة كافية لتضرم فيها نار الفتنة وتسبب مذبحة كمذبحة سنة ١٨٥٠ وكالتي كانوا يدبرونها ساعتئذٍ في دمشق وزحلة ودير القمر وغيرها . ومن المفيد ان ننشر في سبيل المعلومات وثيقةً اخذناها من سجلات الطائفة المارونية في حلب :

« حوادث جبل لبنان

صورة حاوية الرابطة بين الدروز في بعضهم بموجب حجه مختومة من كامل الدروز على نهب وضبط اموال النصارى المرجودين في الجبل وتقسيمها على بعضهم كما مرقوم ادناه

اولًا رزق دير القمر لبيت بو نكد والنهب للفلاحين ما عدا الحرير للمشايخ ثانيًا رزق

ــ الاثنين ، بدي يكتب بن شكرالله تاجر . ــ الجمعة ، سافروا بيت قجله الى سويديه او الى بيلان وباياس والاسلام قوا مزربنين ــ والسبت ، الوقفه

في ٢١ نيسان ١٨٦٠ اول العواء(٣ في ٣٠ رمضان ١٢٧٦

ونبهوا كل الطوايف ان بعيد الاسلام يوم ؛ لا يخرجوا النسوان للزقاق حتى ولا للصلاه ايضا لاجل زربنة الاسلام.

[٧٢] ــ الاحد ، اولها رحت القبار ورجعت الظهر وكان عيد رمضان جيت ورجعت للاخوبه ما في درت بالصايح والبلد مزربنه والناس مرعوبين . ــ الثلثا ، ظهر اوراق(٤) مكتوب فوقها صلبان ومعلقه بباب الجوامع والامضا

المناصر التحتا وارزاق نصاره المرقوب لبيت عماد والنهب للفلاحين ما عدا الحرير للمشايخ ولهم محلات في الكوره ثالثاً اقليم جزين وارزاق النصاره بالشوف لبيت جنبلاط والنهب للفلاحين ما عدا الحرير للمشايخ رابعاً زحلة وغربي البقاع وبلاد بعلبك مع ارزاقهم لدروز بلاد حوران خامساً بيت تلحوق وبيت وسلان لهم ارزاق الشويفات وساحل بيروت سادساً الدامور لبيت عيد وبيت عبد الملك ولهم ارزاق رشميا لحد شرتون الى الشيخ عماد الدين سابعاً رزق سافايا ورحالا وعبيه ورزق بيت باللمع الى امرا الدروز مع رزق نصاره المتن والنهب للفلاحين ورزق امارة بيت الشهاب ورزق الديوره عموماً يدفعوه منهم المال الذي يترتب بوقت ما والباقي يقسموه المناصب سويه ودروز بلاد صفد يعطى لهم رزق نصاره كسروان لحد نهر ابراهيم ومن نهر ابراهيم الى طرابلس ليكون لدروز جبل الاعلا وان نصاره لا يكون في الجبل الا معاري وصايغ وحداد وسكاف لوقت ما ومتى انتهت مادة زحله يتوجهوا الدروز بكل قوتهم لبلاد كسروان ينهوا امرها وبعده يتوجهوا بعدهوا ويجود النصارى الموجودين في بلادهم وتحت يدهم ولا يبقوا لهم ذكر ويجري بهم ما جرى بدير القمر . وهذا الشرح تقرر بكل تأكيد من احد مشايخ الدروز الذي اسمه محرر بالرابطة لا يمكن اظهاره الا بعد خلوص المادة لاجل تحصيل على جبران الخاطر »

٣) العواء منزل للقمر خمسة كواكب او اربعة كأنها كتابة ألف يقال لها ورك الاسد لانه يطلع في ذنب البرد كأنه يعوي في اثره لطرده وراءه ولهذا تسميه العرب طاردة البرد وعواء البرد : ويسمون العواء بالافرنسية Constellation du Bouvier

٤) هي دسيسة غايتها الترهيم ان اليهود سببوا المذبحة باغرائهم المسلمين عليها ومسهم بالصميم في تعليق الصلبان على ابواب الجوامع فمن ثم اذا كان ولا بد ان تقع العقوبات في المقتتين فتنال اليهودي قبل المسلم وتكال على الاول بمكيال يخفف وطأتها على الثاني — جاء

بوابة الياسمين ومنها المدخل الى حيّ المسيحيين العليبة

ممرّ في حيّ العليبة

جبيب صراف اليهودي. وبانت كتابة الاوراق عند الاسلام وحوشرهم وللان ما زال العارض ، لسأ مرعوبين. — والاحد ، اولها اجرا العجام وقتل واحد تقيل[1] وهم جايين بالدرب وقتلوه الكراد واخذوا منه صندوق من بندقي[2] وواحد سمنط وضربوه وجابوه العجم معهم

– السبت ، في ٧ رمضان ٧٦ ، في ٢٨ نيسان ٦٠

[٧٢] — سمعت ان قام الموسكوب الچيه[3] من اسلامبول وراح وما في احد محامي عن عبد المجيد هذه الخبرية مع تزوين اهل البلد الله ينجينا من شرهم

– السبت ، في ٥ ايار ١٨٦٠ ، في ١٤ شوال ١٢٧٦ – والخميس ،

.فرمنا التون العتيق.

[٧٣] — الاربعاء ، انعزمت للعشا جات بيت العجوري لمجي. رزق الله من عند اخته سوسه مراة الدلال وزوجها جبر اولاد الذين راحوا يدور مع قونصل الفرنساوي الى باريس او باريز.

– السبت ، في ١٢ ايار ١٨٦٠ ، في ٢١ شوال ١٢٧٦

[٧٣] — الاحد ، مساء رحت لعرس رزق‌الله سوكياس وانبسطنا كثير وجينا العروس ورجعنا الساعة ٩ وخواتي انعزموا ما راحوا بل تفرجوا من بيت قس بولس صباغ قسيسنا[4] . — والاثنين ، نظمت الرياضة ورحت للعرس والثلاثا كذلك.

في سجلات الطائفة المارونية ٢ ايار ١٨٦٠ : لقي اليهودي ناحيم الى بيروت لمدّه حائط وراء الجامع . ولعل هذا الحادث كان نتيجة السابق

١) تقيل اي مهمّ . — كان الحجاج الشيعيون يحملون الى بلادهم جثث موتاهم ولم يحسنوا تحنيطها فتزرع الوباء على الطريق ومن ذلك يتفشى الوباء الاصفر . وفي القرن التاسع عشر ظهر مرات في حلب خاصة سنة ١٨٤٨ وسنة ١٨٦٤ وسنة ١٨٧٥ و١٨٩٦

٢) البندقي ؟ لعله العملة المعروفة في زمانهم وكان سعرها ١٦٧ غرشاً

٣) الچيه اي عمّال او خدم

٤) كان وما زال الكهنة في حلب يتناسون الرعية وكل منهم يعتز بشؤون عدد معين

– والسبت ، في ١٩ ايار ١٨٦٠ ، في ٢٨ شوال ١٢٧٦

ــ والجمعة ، نوريه [اعطيت] قمري واحد وبالسطل [وصنعت] ثلاثة نصاص [وزارنا فيها] خوري جرجس الريس ــ والثلاثا ، سافر مقدسي[1] شكرالله حمصي ومعه ابن الجد واخوه الشدياق وسمع ان بالجبل[2] زهران قديس عمال يفتح عميان وخرسان ومرضى فراح لان المذكور ما بينظر صار له مدة طويلة ويمشي بقايد بن الجد عنده لهذه الغاية. وسمعنا ظهر قديس قسيس موراني ما هو بلبنان وعمال يظهر عجايب هكذا قالوا اي شي مثبوت[3]

[٧٣] ــ الاحد ، اولها رحت صبحيه الحصرم . ورجعت الظهر ما جبت شي. وبعده اخويه وبعد الاخويه قريت وبعده رحت سبرع بيت سوكياس من غير عزيه ويومها صار مطر بكره وافر وهوا ولبسنا قباقيب . ــ الاثنين بدي يكتب انطون جد . ــ الثلاثا ، نبهوا على المعاملة بجيدي [نزل] ٢٠/٢٤ وليرة بجيذيه ١٢٠/١٢٤ وقش[4] بقية المعاملة ريال ٢٣/٣٠ ووقفة البلد عن البيع والشرا الله ينهيها على خير. وكل الجمعة غيم وهوا زايد وبرد.

– السبت في ٢٦ ايار غ ١٨٦٠ ، في ٥ ذي القعدة ١٢٧٦

ــ والجمعة ، مات فتح‌الله دياب الله يرحمه خلاصه وناس ملاح[5]

[٧٤] ــ الاحد ، اولها العنصرة صلينا ورحنا كوسا وبليط حتانه ونسيته البواليع[6] ورجعت من جسر الحج[7] وركبت حمارة جبرا ورجعت ومعي فتح‌الله

من العائلات وهو « قسيس العائلة » وكانوا سابقاً لا يعترفون الا عند قسيس العائلة . ودخل المرسلون وهم مفوضون بسماع اعترافات كل من يقصدهم من المؤمنين فصار المؤمنون يعترفون عند قسيس غير قسيس عائلتهم .

١) مقدسي او مقسي : لقب من زار الاراضي المقدسة ويرادفه الحاج .

٢) الجبل اي لبنان

٣) ترى ان البخاش اذا ما شك في صحة خبر نبه الى شكه فيه .

٤) قش اي وكذلك بقية المعاملة .

٥) خلاصه وناس ملاح اي خلاصة الكلام فيه انه تقي .

٦) البواليع لعله اراد بها الدود الذي يرضع طعمة السمك او ما شاكله من عجين او غيره .

٧) جسر الحج واقع قبلي البادة بين حاب والرضيحي

طهماز . ــ الاربعا رحت القبار وبيت سالم بقصر الريحاوي مسكوني [للطعام] جات . وارسلوا خلف خواتي واجوا بعد العشا . اجت توبه وسهرنا لبكره . ونزلت بكره للمكتب . ونعسان وقريت البنات . وخلص شهر المريمي الله يتقبل . ــ والخميس ، قاموا الصناعية اسلام ونصاره لان ياخذوا الممدوحي ٣١ على العتيق يخرجوه على الدارج الجديد ٢٠ فضجوا من ذلك وراحوا عند المطارين ، والاسلام عند المشايخ . ــ السبت انعزل الباشا ويومها بعث زلام يتبوق سمنه من الخان حتى يحشرها[1] واجته العزله وبعد نعرف .

السبت ، في ٣ حزيران ١٨٦٠ ، في ١٣ ذي القعدة ١٢٧٦

[٧٤ٓ] ــ والاحد ، اولها رحت صبحية القبار ورجعت الظهر ٣ سلال[2] من عند اول القنطرية[3] من جوا . السبت رحت بيت الشوكتلي بعزيه وكان عندهم بنت عبود مرات سكزان معها زوجها البيروتي وكان غزاله وحمصي نصري وكان جفروا وعجوري ونوبة آجق باش .

– السبت ، في ٩ حزيران ١٨٦٠ ، في ٢٠ ذي القعدة ١٢٧٦

واجوا الطوايق الهندي سبع ملوك وبقجة[4] الحرير من الموصل وانعزمنا لعرس انطون تركماني يوم الخميس كلنا .

[٧٤ٓ] ــ الاحد مساء رحنا عرس بيت التركماني ــ الاربعا سكروا الصناعية وبالجديدة ضربوا واحد ضبطي من العساكر ونزل الكخيا[5] ومعه جمهور

---

١) يحشرها اي يحتكرها

٢) سلال سمك (؟)

٣) قنطرية او حنية الجسر

٤) طوايق الهندي – جمع طاقة – والهندي سبع ملوك : قماش مقلّم ملوّن بسبعة الوان والبقجة مناها الملفة .

٥) الكخيا او وكيل الحاكم . وفي الحادث مثال على طريقة صيد الاتراك في الماء العكر لانهم كانوا لا يطلقون سراح السجناء بعد اختتامهم الا « بأكل الدراهم » . من الوثائق التي وقفنا عليها في دار الاسقفية المارونية لوائح ما لزمت الطائفة به في مثل هذه الظروف وهي حتى عهد المطران جبرائيل حوشب المرتسم ١٧٣٢ المتوفى ١٧٦٢ جاء في « سنة ١٧٤٠ في بيان المصاريف التي انصرفت في زمان حضرة يعقوب باشا تحريرًا في غرة شهر جماد الاول ١١٥٣

وصاروا يضربوا لكل من كان او شافوه بالدرب وكان اولاد المقدسي نعمةالله حمصي مرعوبين كثير ومسكوا اناس كثير وودّوهم للحبس وصار لها قرقعة وراحوا المطارين وقناصل ٥ وما اراد الباشا يطلق المحبسين ومراد الذين راحوا عند الباشا ان يحبس الكخيا والمكانسي[1] ويطلق المحبوسين وباقيه الى الآن .

الى يوم طلوعه من حلب ما كان مجموعه ٥٣٧٣٠ غرشاً عن الموارنة لا غير وهم من اقل الطوائف فتصور من ثم المبالغ التي كان الباشا يحملها ايام القيام بوظيفته . واعلم ان الغرش كانت قيمته اضعاف اضعاف ما هي اليوم وكان ذلك العهد سابقاً ليومية البخاش باكثر من مئة سنة لكن تشابه الحالة والادارة في العهدين تخولنا الحق بضرب مثل عهد بعهد :

في تفاصيل اللوائح التي اشرنا اليها ذكر قتيل وقع خارج باب قنسرين فغرم به المسيحيون ومن جملتهم الموارنة :

٠٠ س مادية قتل برات باب قنسرين
٢١٠٠ الى خزنة الباشا وخزينة دار الكاخيه ٦٠٠ غرش
٤٢٥ الى الكاخيه
٣٥ الى خزينة دار الكاخيه
٨٠ الى ديوان افندي
١٦٠ ثمن فروه لنبجيلر كاهياي رئيس الابواب
٦٥ الى باش جاويش واتباعه
٨ الى جاويشيه
٥٠ الى ويس اغا
١٠ الى امين وترجمان
١٥ الى عربي كاتب
١٠٠ الى صراف الباشا
٥٠٠ الى
١٠٠ الى كاخيه اغامي
١٠٠ الى خزنه داره
١٠٠ الى خليل افندي

٣٨٢٨

١) المكانسي . راجع سابقاً ٣٣/١ – اليك نظرات مخالفة لنظرات الطباخ والنزي (في اخر حاشية ٥٥/٢) هي لسكين القنصل الانكليزي وفيها مع ما يعرف من نزعة السياسة الانكليزية في ذلك العهد وعطفها على المسلمين من الاعتدال في اللهجة والمذاق في التعليل ، ما هو اقرب الى طبيعة الحال مما كتبه النزي (٣٧٢/٣) بعد ذكره حوادث المحسين

ـــ الثلاثا باع بقجة الحرير جبرا بالف ٧[1] وانتخبوا الارمن مطران الاصطنبلي[2] وباركوا له . واولها رفس حصان في البستان الي سوكياس وابنه نعوم وقعدهم بالبيت ومؤذيهم .

السبت في ١٦ حزيران ١٨٦٠ في ٢٧ ذي القعدة ١٢٧٦

وصار غوغه بالجديدة لان ساوموا من فلاح حنطة طلب ٨٥ فدفع المشتري ١٠٠ فضربوه الحضار قتله معتبره . كان المذكور حكّار . وقاسوا حوش بيت صادر[3]

مستطرداً في «الكلام على احترام رابطة اللسان ورابطة الجواب عند امة العرب في جاهليتها واسلاميتها .»

ان حالة الاهالي المسلمين في حلب هي غير ما هي عليه في سائر مدن البلاد العثمانية المتصلة بالبحر وبالاوربيين كازمير والاسكندرية وبيروت . ان الوطني المنتسب الى الفئة المسيطرة لم يزل كما كان منذ القرون الماضية متكبراً متعصباً ، هامد الهمة سواء أكان نفوذه ضعيفاً او قوياً . ان اختلاطه مع الاجانب في التجارة لم يمزج بين اخلاقه واخلاقهم ولم يؤثر فيه تأثيراً محسوساً . ان خلف العرب العظام والترك الناقمين لا يشعرون وهم في حلب بتقدم المشاريع الاجنبية وسيطرتها ولا يفتحون اعينهم على ظاهرات السيادة المسيحية . والمصاب العظيم الذي قد طالما قسم المجتمع الاسلامي لا يزال في حلب قائماً على قدم وساق وهو الذي يفرق بين الاشراف ذوي العمامة الخضراء المنتسبين الى النبي والاقشارية الشرساء المستوثقين بالسلطان . عبثاً الكلام مع الاعيان على امل اقناعهم ان احوال الدولة التركية ليست كما كانت في السابق فانهم لا يصدقون الكلام ولا يتفكرون بعيشون في نطاق ضيق ينزلون فيه عن سواهم فيتكبرون ولا يستوحون الا بوحي النزعات الشخصية والمشاحنات الحزبية . فدينهم اساساً دين السيادة ويحرل دونهم ودون احتمالهم الاعتراف بحق المسيحية في الوجود وهي على ما يقولون دين التواضع لا يمكن من تحصيل القوت في خارج البلاد ومن النجاح في داخلها . ذلك داء قريب المنال دواؤه وليس ما يلجىء الى استعمال وسائل العنف والشدة القصوى في الوصول اليه فما ان يعزل الباشا احد الاعيان عن منصبه الا ويكسر شوكتهم اجمعين لكن لا حاكم من الحكام تجاسر واقترح على الباب ذلك العزل خشية ان يعرف امره ويتغلب عليه فتنة . » (Skene, n°114, 31 mars 1859)

١) بقجة حرير الموصل تباع بسبعة الاف غرش اي ما يزاهي ٧٠ ليرة ذهب . فتصور الارباح التي كانت تعود على حلب من حركة سوقها !

٢) الاصطنبلي — لم اوفق بعد الى تحقيق هوية صاحب الاسم

٣) حوش بيت صادر من افسح وافخم دور حلب القديمة موقعها في حارة الحصرم — ايام الحرب العظمى وضع فيها الالمان مستودع الذخائر الحربية . كان على ابوابها رفراف غبن

ولاد اختي فتح الله وانطانيوس طول وعرض

[٧٥'] ــ الثلاثا رحنا كور مصري وتلاقينا مع بيت الياس ارسان نسوان في ٢٧ حزيران غ ١٨٦٠ ، في ٤ ذي الحجة ١٢٧٦ :

ومراة دير اروتين من اليوم وقفت عن القراءة حتى تولد لانها بين نفسين[1] .

ــ والاربعا يعقوب انفشلت ايده من ابن شعراوي وعمال يعدها عند بنت غنطوز .

[٧٥'] ــ الاربعا سمعنا ان الدروز اخذوا زحلة وقتلوا مقدار نصارى ودجوهم ومطران الشاهيات انهزم ومشحور[2] وجهه والله سلمه . قدرانين[3] الدروز وبناء على سمع هذه الخبرية تربنوا الاسلام ــ والخميس الوقفه . ــ والجمعة عيد الله اكبر والناس نقلوا للمدينة[4] ومرعوبين من الاسلام كثير وصيروا جمعية ولموا ليرات ودفعوا لمن يطلع من يده حل وربط وبرطلوا[5] ان لا تقوم الاوباش

جبل الصنع فكوه واخذوه الى بلادهم – وفيها الى الان طاوان او سقف مزوق بالشغل العجمي المذهب وهو تحفة صنعة وفن .

كان الحجاج الفرس والهنود في طريقهم من ايران فبغداد فحلب الى مكة والمدينة يحطون في الشهباء وكان صناعهم الماهرون يشتغلون في البيوتات الكبيرة لتزويقها وتنسيقها فيستربحون من عناء السفر ويستفيدون من ثمرة اتعابهم بما يقوم بنفقات سفرهم الى بلاد العرب ومنها . ولا يباري اشغالهم بناء وحسن فن الا ما رأيناه في سرايا بتدين مقام الامير بشير الكبير من زخارف الفني الشرقي . ولم تزل حوش صادر الى يومنا عامرة وقد اصبحت وقفًا لطائفة السريان الكاثوليك فجعلوها مدرسة وعدد الاولاد يناهز الخمس مئة ضمن هذا الاحصاء . تصور سعة تلك الدار وعظمتها .

وفي حارة الحصرم والترمال والسيبي والصليبة عدة بيوت فخمة مثلها جديرة بان تحفظ ذكرًا اثرًا للتاريخ .

١) بين نفسين اي حبل

٢) مشحور وجهه اي ملطخه تنكرًا

٣) قدرانين اي الفوز حليفهم

٤) نقلوا للمدينة حيث يجدون حماية اما في دور القناصل والخانات واما عند اصدقائهم من المسلمين . وفي حلب يسمون «المدينة» مركز البلدة القديمة وفيها تدور حركة الاشغال الى يومنا في الخانات والاسواق الواصلة بينها والابواب في سرافتها تساعد على تحصينها والالتجاء اليها في ساعة الفتن .

٥) برطلوا او رشوا : ادّوا من الدراهم ما اكتفوا به مؤونة الشر .

تفسد بالبلد وبدي الحكم يدوّر عسكر بالبلد طوال العيد ليل ونهار ، الله ينجيها على خير.

– كيف كانت تجمع الدراهم لذلك « البرطيل » ؟

طالما الف المسيحيون وقوع مثل هذه الحوادث والمشاغب في بلدتهم واختبروا انها لا تنتهي على خير الا « على حسابهم » فقد الجئوا منذ القدم الى تدبير امرهم وتنظيم طريقة جمع الاموال بينهم غرامة

في وثيقة مؤرخة سنة ١٧٤٠ عثرنا عليها في دار الاسقفية المارونية في اضبارة المطران جبرائيل حوا حصلنا على تعاهد جرى بين الطوائف في ذلك السبيل. واليك نصه نرويه على علاته وهو بصفته الرسمية يتناول ليس فقط ايام زمانه ولكن السنين التالية طالما الجأت الحاجة الى العمل به. وتلك الحاجة كانت ماسّة سنة ١٨٦٠

« الباعث لتحرير هذه الوثيقة

هو انه تقول نحن الفقراء الى الله التي جمهور جماعة النصارى المتوطنين بمحروسة حلب المحمية من الاربعة طوايف الروم والارمن والسريان والموارنة المحررة اساميهم بذيله اننا لما رأينا ما حل باحوال جمهورنا من الفنا والاضمحلال والتقهقر والنزال وما طرى علينا من الضيق والمظالم وحاق بنا من الفقر والانعدام حتى ان البعض منا تكسروا والبعض عربوا والبعض عازمين على الرحيل والانزام لعجزهم عن ادا الديون المتفاقمة التي ترتبت علينا للسادة الاسلام والافرنج وغيرهم وان هذا العجز لاحق بنا لاعاله ويلجينا ضرورة الى اتباعهم بالهربة والنفار وترك العيال والديار ثم اذ تحققنا ان اكثر ذلك ناشيء من انقسام طوايف المسيحيين على بعضهم وعدم محبتهم واتفاقهم كما كانوا في الزمن القديم وان لا بد لتدبير هذه الاحوال من حال ليلا يتبدد شمل الباقين لعدم النظام بوجود هذا التبلبل والاختلال فارتأينا بشور ورضى اجماعنا الاساقفة المتولين على رعاية جماعة المسيحيين بهذه المدينة المحروسة وهم كبير مكسيموس مطران جماعة الروم وابرجم ورتبت مطران طائفة الارمن . . . . مطران جمهور السريان وكبير جبرائيل مطران زمرة الموارنة فاتفقنا ان نكون جميعنا من الان فصاعدًا كما كنا قديمًا جمهورًا واحدًا من غير تمييز طايفة عن طايفة اخرى متفقين مع بعضنا براي واحد وعزم متفق وقلب واحد ودفتر واحد ووكيل واحد كما كان سابقًا ليجري القديم على قدمه عسا ان يعود المعدوم من عدمه ولاثبات هذا الاتفاق والاتحاد فقد تعاهدنا جميعنا برضانا واختيارنا ان نرجع الى السلوك القديم وذلك ان يتوجه من كل طايفة ثلثة انفار لتبلغ مجموعهم اثني عشر نفرًا وليكونوا المنتخبين برضا الجميع وموكلين من قبلهم وكالة مطلقة ومفوضين ان يتلافوا جميع ما يلزم ملافاته لحفظ نظام الجمهور ودفع جميع ما يلحقه من الاضرار ان كان من حكام او خصام او سعايات او غير ذلك مطلقًا وان يكونوا ناظرين على الوكيل لكي لا يستطيع ان يقطع او يوصل من غير اذنهم ومراجعتهم وان وقع خصاره لا قدرها الله تعالى يلزموه حالًا بجمعها على المنوال الآتي بيانه في ترتيب دفتر الثمن

– السبت ، في ٣٠ حزيران ١٨٦٠ ، في ١١ ذي الحجة ١٢٧٦

وكتاب لبغداد لاجل الخام توب ٣٦ فرده ٢ .

[٧٥] — الاحد تغديت بيت نعوم سالم جات وكان ما في اخويه لاجل عيد المسلمين . — الاثنين بديت تقرا بنت عبد الله كبابه المرحوم برسم عمها

وشاشات (كذا) مطلعين على تدقيق حساباته اولاً فاولاً من غير تأخير وان اقتضت الضرورة مثلاً الى استدانة مقدار الف غرش والتزموا الى استدانتها فليختم لهم بما من ارادوه وان امكن اقتراضها ممن له مكنة القرضة فلا بأس ولكن على كلا الوجهين فان وفا هذه الدينة ينبغي ان يكون من اول دفتر يجمع بعدها اعلى اي وجه كان وان تعرض هولاء الوكلا المذكورين بسبب الوكالة المذكورة احد بوجه ظاهر او مخفي ووقع عليهم او على بعضهم خسارة او ضرر فهو على الجمهور ولكن ان عرض احد منهم ذاته لمخاصمة او مشاجرة لا تخص الجمهور ولا تلزمه من تلقا ذاته فجرمه عليه .

المواجهة لاجل ضبط دفتر التبن وشاشات يجتمعوا من كل طايفه عده انفار من المشهود لهم بالمعرفة العلمية والمفارشة وسلامة الذمة وخلوا الغرض وليكون بعضهم من ارباب المتجر وبعضهم من ارباب الصنايع والاطلاع على احوال الناس ويسلوا هذه المواجهة في اي موضع اختاروه وليكونوا هكذا اقل الرتب اذا لم يقدروا ان يوزعوا فريضة الدفتر المذكور بصحة العدل والتدقيق يوقدوا ذلك بوجه امكانية الخوف من الله تعالى على اقرب طريق ثم بعد الجهد اذا لم يوفى (كذا) الدفتر المذكور مبلغ التبن وشاشات المعلوم فيعود كسره على الجميع حسب ما يلحق الغرش وبعد تمام الدفتر المذبور ينتقد ويفحص تكرارًا من اناس خايفي الله تعالى خالين الغرض بمعرفة حضرة الاساقفة المذكورين من غير ان يُعرفوا ظاهرًا من الجمهور وذلك حذرًا ان يتقدر احد بفريضة الاولين لهو او لعدم معرفته بحقيقة حاله وبعد هذا التدقيق جميعه اذا انفر احد من حمله ولم يرض به فليكونوا الجميع عليه ويلزموه به وان احتمى احد واصرفوا لاجل منع حمايته دراهم فيبذلوا الجميع جهدهم لكي ياخذوا منه الذي اصرفوه بسببه وكذلك اذا حمى احدًا احد الاساقفة او الكهنة او احد المتقدمين في الطوايف فيكون الجميع على ذلك المحامي ويلزموه بحمل المحمى من قبله وهذا جميعه لبلا يتلف ويخرب نظام الجمهور . ونظير ذلك في زمن الخراج يختاروا اناس مشهورين بحسن السيرة والسريره والاطلاع على احوال الناس يباشروا تنسيم الاعلاوات على سماية نفر كالمطلوب مع قطع النظر عن المستحق من اي طايفة هو وبعد الجهد ان انكسر شيء فهو على الجمهور واما خراج النفرا فيخص كل طايفة بطايفتها وكذلك ما يخص الكنائس مثل بشكش المقام وملاقاة القاضي وتسجيل الخراج وكلفة عيد النطاس والفسح المجيد فهو على الكنايس كالمعتاد ثم اذا وجد من وشي على احدى الطوايف او احد الاساقفة وشايات الافترا نظير الوشايات السابقة غريبًا كان ام قريبًا فليكون الجميع عليه وبادلين الجهد في تاديبه ومهما اصرفوه عليه وعلى دفع الضرر فهو على الجمهور وان ظهر انه محدوف او ملفن من احد الروسا

شكرالله واولاد الشقال بدوا يكتبوا الاثنين . وامور البلد شوي هديانه واما عند الاسلام الى بعضهم ضرب وجروحات وقتل هذا اليوم نفر ٣ سمعنا قتلوا.
ـــ والخميس اجا ابن بطرس حجه نصري صار له مسافر ١٠ سنين
- السبت ، في ٧ تموز ١٨٦٠ ، في ١٨ ذي الحجة ١٢٧٦

[٧٦'] ـــ الاثنين ، سمعنا ان الدروز قتلوا الف ٢١٠٠ بمعاونة عسكر عبد المجيد عليهم رجال ونساء واولاد وشباب الله يرحمهم وينجينا من شر هذه السنة ـــ وسمعت يوم السبت من احد مسلم غريب صبحني وبعده قال لي ان النصارى بالشام كلهم تذبحوا عطاني بخبره. ـــ وولدت مراة حنا خوكاز جابت صبي ساعة اثنين وثلاثة ارباع بالليل.
- السبت ، في ١٤ تموز ١٨٦٠ ، في ٢٥ ذي الحجة ١٢٧٦

وطول هذه الجمعة بالليل الاسلام ببعضهم جروحات وقتالات وعيطات بالليل ويرعبونا وكل ليلة باوشم[1] النومات زعاق ـــ الاثنين واحد شامي عيط على بن الغالي لانه قاعد مضجوع على يده قال له ان النصاره بالشام اذا عدا مسلم يضربوا له مطانية[2] وبجلب ما عديتوا عن اكل خراكم[3] اصطبروا ايام ١٠ وتفرجوا ماذا يصير بحالكم هكذا سمعت واكثر الناس مرعوبين من الحكم

او احد الكهنة او احد من طايفته فليتادب الاخر منه ومهما حصل من الكلفة في ذلك فهو على الجمهور

اذا اراد احد البطاركة ان يعزل مطرانًا من اي طايفة كان وكانت الطايفه مع المطران المذكور وراضي منه فيلزم الجميع بمساعدته وحمايته ومهما اصرف على ذلك فهو على الجمهور واما اذا وقع العزل والنصب فيما بين بطاركة او مطارنة بموجب فرامين سلطانيه وبرآت خاقانيه متعلقه بمشاجرتهم مع بعضهم لا بما يخص حفظ نظام طايفتهم فتلك عليهم لا يلتزم بها الجمهور وكذلك اذا طلبت طايفة ما من بطركها عزل مطرانها والتحق بها خسارة بسبب ذلك فهي عليها وهذا جملة ما وقع عليه الرضى والاتفاق وبالله الاستعانة وعليه التكلان تحريرًا في ابتدا شهر آب المبارك سنة ١٧٦٠ الف وسبعماية واربعين مسيحيه

١) اوشم اي اشأم
٢) سلام كسلام الرهبان امام الهيكل يُحنى به الرأس حتى الركب
٣) عديتوا عن . . . : لم ترتدوا عن غيكم.

لان الحكم الظاهر ضد النصارة والباشا قالوا يدخل الاحد او الاثنين الله يقدم ما فيه الخير. — مكتوب من بغداد وصلوا الزوم ٢ من بغداد وبدينا نكبهم عند الكبابات بمناظرة الخواجا عبدالله باسيل وبكرايه للكب. والنوم بالبيت[1] من اول الجمعة من زود الهوا وبرودته بكره وعندما نفيق من النوم.

[٧٦'] — الاحد اجا خبر من الشام ان نهبوها الاسلام وحرقوا صايح النصارى وقتل ايضا وكنايس [حرقت] وايضا قناصل وكنسليراتهم وقتل اولاد قنصر ٢ وهذا خبر[2]. اما عدد الذين قتلوا ما انعرف بعد نذكر ان عشنا. وقتل يهود ونهبوا بيت عيله يهود. واهل حلب خربطوا[3] وبدي الباشا الذي انعزل يدور بالليل والكخيا وابن المكانسي ومعهم عسكر كل ليله لبكره والحكم متيقظ والتزموا ليجزوا للذين لازم يجزوهم والباشا اجا الاثنين واسمه حافظ باشا والناس ركنوا شوي لكن مزربنين وكل ليلة وعيه شكل من اخبار الناس واذا انضرب تفنك يموتوا رعبات الناس وقدموا زياحات يوم ٣ بكنيسة السريان لكي الرب الاله يرحمنا. — والخميس اول يوم محرم ١٢٧٧ وقرا فرمان الباشا وكلف الروسا وقال بعد قراءة الفرمان الذي يسمعوا كلامي ويكرنوا لازمين حدهم[4] ابي واخي وامي والذين يطلعوا برات الدرب[5] بغشم[6] بدي يطلع من حقهم[6] وقام ولبس اغاوات البلد ٣ بتساكر كل واحد بنفر ٩٠ — ١) رمضان اغا — ٢) ابن البابنسي — ٣) ابن جرنا (؟) ورجع المعاملة الباشا بجيدي ٢٤ وقمري ٥ وثلاثة ارباع وركن[7] البلد — والسبت سافر شوكتلي ومراة فرج الله

١) النوم بالبيت اي في الغرف لا على السطح او في الحوش كما يفعل الحلبيون ايام الحر.
٢) وهذا خبر : اي انه يحتاج الى تصديق وهنا ايضاً يمكن التمييز بين الشك واليقين في رواية البخاش
٣) خربطوا أو خربطوا اي صاروا يتكلمون عن غير دراية
٤) لازمين حدّهم اي غير متجاوزين القانون
٥) برّات الدرب اي خارج الطريق
٦) لا احسب لهم حقاً بان ادفع عنهم القصاص
٧) ركن البلد : هدّأه

مخزومه لعند زوجها لاسكندرية مصر وبيّاع اللولو الياس رباط[1] ومراة اخوه واولادها. وجلاده الصياد قتل بزيتان بعد نعرف (؟)

[٧٦] ــ الاحد درت بالصايح وتغديت بيت الظاهر جات ــ الاثنين الناس مرعوبين من اهل البلد ــ والاحد اولها صودف قتيل اعما فلاح بجسر الناعوره وقالوا مسكوا الذي قتله فلاح واجا واحد من قبل فريك[2] الذي طلع من اسلامبول وجايه على جبل الدروس ومعه الف قالوا ٥ وبعده جايه الف ١١ والذي ورد لحلب بعجله زايده واستقام يومين وتحدث مع الباشاوات الثلاث بحلب اي المعزول والذي ورد حافظ وباشة النظام ميرلو عمر باشا وعلى ايش تحدثوا لا نعلم بعد نعرف وأمر الباشا بان لا احد يسافر ابدًا ولا عاد يعطي اوراق للدرب[3] ــ والاثنين سافر مخائيل شوكتلي لعند اخته لازمير ومراة مخزومة سافرت لعند زوجها لاسكندرية مصر ــ الاربعا سافر قس يوسف سكر ومعه واحد الى مصر بامر بطرك انطون سمحيري بطرك السريان.

ــ السبت ، في ٢٨ تموز ١٨٦٠ ش ، في ١٠ محرم ١٢٧٧

والخميس انتقلوا بيت سالم لحرش مطر ودلال وغزاله وحماصنه كلهم وجبرا صايغ نورا السفر وطالعوا اوراق الدرب ومبدول ض ونسوانهم وقلبوا[4] وعجوري ايضا واوهبوا[5] الكرا للقاطرجي لانهم استكروا وحمارا منهم للكمرك وبعده قلبوا.

[٧٧] ــ الاحد اولها درت الصايح ورحت اخوية واخذت معي جبرائيل بليط ومساء زياح ارمن والبلد واقفه شوي نوعا احسن من اول والخطر ما زال

---

١) ترى كيف اخذ الناس يهاجرون وخاصة من كانوا يخافون على اموالهم كبيّاع اللؤلؤ.

٢) فريك او فريق وهو قائد الجيش

٣) اوراق للدرب اي جوازات سفر

٤) قلبوا غيروا فكرهم

٥) بعد ان كانوا دفعوا اجرة السفر لم يستردوها

ـــ الاثنين وبقية الجمعة بالريحاوي وقليل جداً عدد السمك وبدي يكتب بن الياس وانيس وابن خليل وابن الشماع وبدي يقرا ابن اليان عكوش ـــ والاربعا فكس القمر واجوا اولاد تركماني من ادنه ـــ والخميس اجا عسكر خياله مقدار ٦٠٠ وباشا وضربوا له طواب ونزل بالميدان[1] ـــ والسبت سافر بيت آدم وبيت الرباط وطلع قفل بازار البيرقلي وانطون سقال ايضا سافر لوندره يوسف سوكياس راح للبازار.

– السبت ، في ٤ آب ٦٠ ، في ٢٣ تموز ، في ١٢ محرم ١٢٧٧

وانطون جد الصغير جابت صبي مرته واولها عرس يوسف خياط الى بنت يوسف اسود دوطه[2] ٤٠ ما عدا جهازها وسلمه ٢٠ ـــ والشوب زايد هذه الجمعة

---

١) الميدان النسخة الواقعة شمالي حلب بشرق وقد تحولت في يومنا الى حي آهل بالارمن خاصة.

٢) دوطه: للمرة الاولى يأتي ذكر الدوطه في اليوميه مع ان ذكر الزيجات التي فيها عشرات المرات . . . كانوا الى ذلك الحين يعتدون الزواج طبقاً لتقاليد اقرب الى تقاليد العشائر في البادية او الى التقاليد الاسلامية اذ كان العريس يدفع ثمن العروس لابيها.

اليك تعليمات اخذناها عن الوثيقة غره ٥٥ من غير تاريخ من اضبارة المطران يوسف مطر في دار الاسقفية المارونية وبومية البخاش تفيد الوثائق المعاصرة لها وتستفيد منها:

« ان وظيفتنا برعاية النفوس تستلزم منا الاعتنا التام بخير الاغنام الروحي والزمني وغوم ونجاحهم. واذ كنا معاينين من قبل مراقبتنا وجود بعض عوايد سيئه بل مانعه على نوع ما خير رعايانا المرغوب منا فلذلك اجتمعنا بحضرة روسا طوايف حلب المسيحيين في اليوم السابع من تشرين الثاني هذه السنة الموافق اليوم الثالث والعشرين من تشرين اول شرقي. وبعد ملاحظاتنا الظروف الحاضرة والاصراف المتفاقم بخصوص النقود والجهازات وغيره . فقد اتفقنا براي واحد بحضور اولادنا ارخندوس الطوايف المسيحية ان نعلن لكافة الابناء المسيحيين اجمالاً وافراداً

اولاً ان نقد العريس للعروسة فالاعلا نوعان الاول خمسة الاف غرش. وجهاز العروس الاعلا عشرة الاف غرش. والنوع الثاني من الاعلا ثلاثة الاف وخمساية غرش. ويقابله الجهاز سبعة الاف غرش . ثم النقد الاوسط نوعان الاول الفان غرش والجهاز اربعة الاف غرش . والنوع الثاني من الاوسط الف وخمساية غرش ويقابله الجهاز ثلاثة الاف غرش . كذلك نقد الادنى نوعان. الاول خمساية غرش . ويقابله الف غرش. والنوع الثاني مايتان وخمسون غرش. والجهاز خمساية غرش ومن بعد هذه التقسيمات فالدون يدونه . والذي يتعدى النوع الموافق

وغنا ليله ٢ بالسطح كلنا وبديوا بالمقامات صايغ وخوري وليان وتركماني.

[٧٧ر] ــ الاحد اولها سمعنا ان طلع امرال فرنساوي الى بيروت وقضى وعزل [في] القشلة وطالع مقدار ١٢ الف فرنساوي ليبرتاي[1] الجبل بامر عبد المجيد الى كل المحلات التي بده يدورها وقالوا جايه غيرها مقدار الف ١٣ ايضاً وبعد نعرف والظهر اخويه وبليط والنصاره نوعاً ما خف رعبهم واناس زاد ــ الاربعا حرد صاجاتي يومين وراح عند الروم ــ الجمعة رجع لعندنا وسمعنا ان عمر باشا حلب رايح رجعنا للرعب يا فتاح يا رزاق !

– السبت ، في ١١ آب ٦٠ ، في ٢٣ محرم ٧٧

وما قريت لان ما لي كيف[2] وبدي بالديوان فتال مع بطق واجا قونصل الفرنساوي من السفر شطري دلافوس[3]

لقامه متشبهاً بمن يعلوه فقصاصه ارتفاع جبته في طايفته نظير الذين اراد التشبه بهم . اما نظرًا للخاطبين قبل الان فلم الفسحة الى الاحد وعلى الكثير لعيد العنصره .

ثانياً قد ترتب ان تقسيم الميراث لا يتأخر بعد وفاة المتوفي الا على الكثير لمرور اربعين يوماً وبعد القسمة حالا تتحرر الايرادات القاطعة كل خاصة في المستقبل .

ثالثاً قد صدرت منا تنبيهات فيما سبق خطاً ولفظاً وتنادى منا جهرًا في الكنيسة عن منع التنابيز للنسا مطلقاً واللاتي لهن تنابيز من سابق يخيطوهن تخييطاً محكماً . ثم النهي عن دورات العرايس ما عدا ليبوت والديمن ولا يرافق العروس الا نسا بيت احماها الساكنات في بيت عريسها ولا يكون في زيارتها نوبه حتى ولا العميان . كذلك نهينا عن ارسال الزهر ان كان للتهاني او للتعييد . فالان تشدد هذه الاوامر ونضيف اليها ايضاً النهي الصارم بان لا تخرج ولا واحدة من النسا الى الازقة بالقديمات والتواسيم حتى ولو كان في المحلات القريبة لان هذا من شانه يعاد الاحتشام المداني فضلاً عن الاحتشام المسيحي . كذلك ننهى من الان فصاعداً عن اخذ العروس بنوبه لا ذهاباً ولا اياباً . ومن يخالف احدى هذه القضايا فخطأه محفوظاً لرئيس طايفته لكي يفرض عليه القصاص الذي يستحقه والحذر من المخالفة والبركه على الطايعين

١) ليبرتاي Liberté هي الحملة العسكرية الافرنسية الشهيرة – في اوائل تموز سنة ١٨٦٠ اجتمع الاسطول الافرنسي والانكليزي في مياه بيروت ثم بعد مدة نزل البر جيش فرنساوي تحت امرة الجنرال دي بوفور دونيول

٢) ما لي كيف اي انا مريض منحرف الصحة .

٣) اليك وثيقة بلغت الينا عن مصدر ثقة وفيها اخبار مدينة حلب وملحقاتها ايام حركة الستين

« اسكندرونة ومقاطعتها لم تزل بعدوها وكذلك انطاكية بفضل قائمقامها طلعت افندي

[٧٧[٢]] ــ السبت سافر الياس عزوز وعمته غره لازمير ومزمعين يغلقوا الميلة ــ والجمعة بالليل راح العسكر وعمر باشا
– السبت ، في ١٨ آب غ س٦٠ ، في ١ صفر ٧٧

وانتقل جرجي خوري لحوش جرجي سيوفي قدام بيت صادر وبدي فيدوس[١] مدرسة الفرنساوي ونظم عيد لسلطان قنصل الفرنساوي وتمرق عسكر الي بده ياخذه للكنيسة ما عاد قبله ولا قبل النوبة القنصل واجا عمر باشا يتلطف بخاطره[٢] دار له ظهره وسمعنا اجا حافظ باشا باشة حلب ما راح حتى جلاها[٣] هكذا سمعنا .

[٧٨[١]] ــ الاثنين انعزمت لنقشة بنت يوسف شماس وقلت ان اراد الله اروح ــ الاربعا اجا قس ياقين ومطران يوسف حايك ــ الخميس تغدا عندنا القس بولس صباغ ــ الاربعا سمعنا طلع عسكر الفرنساوي مقدار الف ٦ الى بيروت وبالشام صار تحقيق على الناس الذين نهبوا وقتلوا النصارى من الاسلام وكان جايه بن شاهين مات بالدرب واجت عيلته من الشام واولاده ابابيب الله الله ! [٤] (للكلام صلة)

واعيانها الذين سمعوا لصوت الفتنة فساعدوا على حفظ السلام . اما « اصناف » المسلة فتهدد بالفتنة اذا بلغها ان الجيش الافرنسي دخل دمشق ولكن الامل معقود على اسا لن تأتي على ذلك طالما ركن الايمان الى السكينة . . . من انطاكية وطرسوس ومرعش واورفا وديار بكر وماردين الاعين شاخصة الى حلب فاذا طارت شرارة الفتنة فيها خشي ان تمتد الى سائر المدن وخاصة الى ديار بكر وماردين حيث المسيحيون يبيتون بقلق شديد . فلا بد من ان يحافظ الامن في حلب وهذا ما يجب ان يوجه اليه نظر الباب العالي . »

وفي وثائق كانت سرية وبعد مرور الايام عليها اصبحت مرجعاً للمؤرخين وهي محفوظة في مكتبة الاسبريكان عن حوادث الستين : ان فؤاد باشا ارسل الى حلب غازي الباشا فيها ان يسعى بكل قواه ولو بسفك دماء العسكر في سبيل حفظ الامن . فكانت رسالته متصدية للانذارات الاتية اليه من السفارات .

١) فيدوس او العطلة المدرسية . ابتدأ في ١٨ اب وسوف ينتهي في ١٢ ايلول فلا يتجاوز الشهر .

٢) يتلطف بخاطره يستعذر اليه

٣) اي زال سوء التفاهم . فترى من موقف القنصل شاتري دلافوس هيبته وخوف الباشا ان يكدره لئلا يسبب ذلك مشكلاً جديداً للحكومة العثمانية . . . والجيش الافرنسي يحتل جبل لبنان

٤) ابابيب اي ستار يصيحون يا بابا يا بابا

مطبوعات شرقية جديدة

BERUTTI (CHRISTOPHORUS) O.P., Institutiones Juris Canonici. Vol. VI, DE DELICTIS ET POENIS. In-8., XV-258 pp. Torino, Casa Editrice MARIETTI, 1938. Prix : Lib. 18.

اصول الحق القانوني : ٦ في المخالفات والعقوبات

هو ثالث مجلد يُصدره الاب بروتي من مؤلفه الكبير في اصول الحق القانوني ، وقريباً تُنشر المجلدات الثلاثة الاخرى ، اي الثاني والرابع والخامس. اما السادس هذا فمحور البحث فيه على مضمون السفر الخامس من مجلة الحق القانوني. وهو يُقسم على منوال هذه المجلة الى ثلاثة اجزاء. يتناول اولها المخالفات اجمالاً ، فيشرح المؤلف ماهيتها وتبعتها واسبابها المجتمة او المخففة ومفاعيلها الشرعية وما ينصّ الشرع في صدد السعي لارتكابها . وفي الجزء الثاني قسمان تُبحث في اولها العقوبات اجمالاً من حيث ماهيتها وانواعها وفارضوها والاشخاص الذين تقع عليهم ، وحق الحلّ منها ، وفي القسم الثاني يدور الكلام على انواع العقوبات. اما الجزء الاخير فتُعرض فيه شتى المخالفات وما يُفرض على مرتكبيها من العقوبات. ومن مزايا هذا المؤلف سعة المعلومات الواردة فيه واستقصاء الحقائق حتى كتبها . فنهنئ المؤلف ونتمنى لكتابه رواجاً. ش . ا.

A. CORONATA (MATTH. CONTE) O.M.C., Compendium Juris Canonici ad usum scholarum.

Vol. I — Introductio - Jus Publicum - Normae Generales - De Clericis - De Religiosis - De Laicis. In-8, XXIV-676 pp. Prix : Lib. 35.

Vol. II — De Rebus - De Processibus - De Delictis et Poenis. In-8°, XV-630 pp. Prix : Lib. 35. Torino, MARIETTI, 1937 et 1938.

مختصر الحق القانوني لطلاب المعاهد العلمية

كان الاب كوروناتا قد شرح موادّ الحق القانوني في مؤلفه « *Institutiones Juris Canonici* » شرحاً قيّماً جزيل الفائدة واسع النطاق استغرق خمسة مجلدات فسأله جمهور من الاساتذة زملائه ان يُعنى بتلخيصه كيما يسهل اقتناؤه واجتناء

فوائده ليس لهم فحسب بل للطلبة . وهي الرغبة التي نزل عندها المؤلف ، فجاء مختصره للحق القانوني وافياً للغاية المنشودة واقعاً في مجلدين يتناول البحث في اوّلها: الاصول التمهيدية ــ الحقّ العام ــ القواعد العمومية ــ الاكليريكيين ــ الرهبان ــ العلمانيين ، وفي الثاني: الاشياء ــ الدعاوي ــ المخالفات والعقوبات. اما الطريقة المتبعة في تصنيف هذا المختصر فهي الطريقة نفسها التي سار عليها المؤلف في وضع كتابه الاكبر ، بل ، اذا ما استثنينا بعض تعديلات طفيفة أدخلها على الثاني ، تكاد اغلب الالفاظ والعبارات الواردة فيه لا تختلف عن اخواتها في الاوّل ، مما يغني عن الاسهاب في اطراء ذاك لدى الذين عرفوا هذا فقدروه حقّ قدره . ومن ثم نتمنى للمختصر رواجاً في المعاهد الاكليريكية فيجد فيه الطلّاب ما يحتاجون الى اقتباسه ، بل ما يزيد عنهُ ، من المعلومات القانونية . ش. ا.

CAESARE CARBONE, Circulus philosophicus seu objectionum cumulata collectio juxta methodum scholasticam. V III, Cosmologia. Torino, Marietti, 1937.

دروس فلسفية

وضع هذا الكتاب لفائدة اساتذة الفلسفة المدرسية وطلّابها ، فعرض على طريقة منطقية متسلسلة اهم الاعتراضات التي تجابه نظريات المدرسة المذكورة في موضوع الكوسمولوجية اي درس الكائنات في العالم . وقد تمنينا لو كان الروح الشائع في الكتاب اوسع افقاً . ولكنه ، على ايّ حال ، مفيد لمن اراد الاطلاع على الاساليب المتبعة في هذا النوع من الدروس. ه. ن.

OPPENHEIM (D. PHILIPPUS) O.S.B., Institutiones systematico-historicae in sacram liturgiam. Pars Iª, Liturgia generalis; Series Iª, De scientia liturgica; vol. I, Introductio in literaturam liturgicam. Torino, Marietti. Prix: Lib. S.

في الدروس الطقسية

يبدأ هذا المجلد سلسلة جديدة في الدروس الطقسية. وقد وضع فيه المؤلف، وهو استاذ الليتورجية في معهد القديس انسلم برومة ، فوائد جمّة لا نشك في ان الكثيرين من المشتغلين بهذه المادة يستعينون بها شاكرين. على ان الاشارة الى

المصادر والمآخذ في موضوع الطقسيات لا نراها كافية . الّا اذا كان من قصد المؤلّف ان يزيدها في المجلّدات المقبلة . وهو ما نأمله متمنّين لهذه الابحاث مزيد الرواج .

ا . ب .

O. SCHŒLLIG, Les Sacrements. Précis de morale, de droit canonique et de pastorale, à l'usage des prêtres et des élèves des Grands Séminaires. Trad. de l'allemand par l'ABBÉ GUILLAUME. In-8, 360 pp. Mulhouse, Editions Salvator, 1938. Prix : 35 fr.

الاسرار

يعرض هذا الكتاب ، بلمحة اجمالية ، اهم المعلومات في الاخلاقيات ، والحق القانوني ، والرعائي ، المتعلّقة باسرار البيعة . فيغني عن الالتجاء الى كثير من المجلدات . وهو يهتمّ بعرض القانون عرضاً نظرياً ثم ينحدر الى تطبيقاته المتعدّدة ومتفرّعاتها الكثيرة ، مستخدماً ما وصل اليه العلم العصري في الشؤون النفسية ، والطبّ ، والتربية . كل ذلك باسلوب واضح ، مرتّب وينتهي الكتاب بفهرس المجدي يسهّل الوصول الى مختلف موادّه .

ه . ب .

SELMA LAGERLÖFF, Légendes du Christ. In-8°, 260 pp. Paris. Perrin, 1938. Prix : 22 fr.

الاساطير حول شخصية المسيح

لا يخفى ان الاساطير التي انشأتها مخيّلة الشعوب المختلفة حول شخصيّات المسيح ، والعذراء ، والرسل ، كانت ، ولا تزال ، منذ عهد الاناجيل الزور ، تحيّر العلماء بما فيها من سذاجة تقوى وبساطة ايمان . وها ان المؤلّف الاسوجي يجمع منها مجلداً لطيفاً يعيدنا ، بفضل انشائه الرائق ، الى تذكر قصص اندرسن الخالدة ، وان لم يظهر فيه دائماً ذاك الروح التقوي القديم

ب . م .

FRANÇOIS-MICHEL WILLAM, La vie de Marie, mère de Jésus. Trad. de l'allemand par l'ABBÉ RENÉ GUILLAUME. Préface de Mgr HARSCOUËT, évêque de Chartres. In-8°, 430 pp et 26 hors-texte. Mulhouse, Editions Salvator. 1938. Prix : 35 fr.

حياة مريم ام يسوع

غاية المؤلّف ان يصوّر حياة العذراء مريم ويفهمها الناس ، على قلة ما في

الاناجيل من معلومات عن هذه الحياة . فكان ان لجأ الى درس عادات البلاد التي نشأت فيها العذراء ، والى ما ورد من التقاليد التلمودية بشأن الاسرة ، وحفلاتها الاهلية في الخطبة والزواج ، والعبادة الخاصة والعامة . فاستغل كل ذلك . وشرح ، على ضوئه ، تلك المعلومات الضئيلة التي تناولها من الاناجيل . فكان منه عملٌ حيّ يضع بواسطته العذراء مريم في محيطها الفلسطيني ، مجتهداً في درس شخصيتها ، وتأثير اقوال الكتاب المقدس في نفسها النضرة ، وعلاقاتها بابنها يسوع . يسيطر على كل ذلك نفحة من التقوى قويّة . وعدد من الرسوم مشروحة شرحاً مختاراً. ه. ب.

NELLO VIAN, A la Gloire de Frère Antoine. Saint Antoine de Padoue. Trad. de l'italien par MARC HÉLYS. In-16, 211 pp. Paris, Perrin.

حياة القديس انطونيوس البادواني

ينبهنا المؤلف في اول كتابه الى ان الاسطورة لحقت بحياة القديس انطونيوس البادواني منذ القدم فانشأت حوله كثيراً من الروايات والحوادث. بيد ان الوثائق الصحيحة التي تفيدنا في كتابة ترجمة دقيقة للقديس انما هي قليلة نادرة . يستفيد منها المؤرخ نقاطاً راسخة يستند اليها ، متغلغلاً في درس هذه الحياة السامية بما جمعت من علوّ همة وحرارة ايمان ، وتضحية انالتها ذاك النفوذ العجيب . وكان من فضل المؤلف انه ادرك هذا السرّ فكان كتابه اقرب الى التاريخ من جميع الترجمات التي سبقته ، كما كان اقرب الى الحياة والتأثير الصالح. غ. نيرون

GABÉRIOL, Les Saints et les animaux. Légendes et contes illustrés. Un album cartonné, couverture et dessins en couleurs. 17/17 cm. 36 pp. Tours, Mame. Prix : fr. 8,50.

القديسون والحيوانات

مجموعة لطيفة يقلبها الاحداث بلذة فيرون فيها مظاهر البساطة والصلاح ، وضرورة الرفق بالحيوان ، وهو خير مقدمة للرفق بالانسان.

BIENHEUREUX AELRED DE RIEVAUX, Traité de l'amitié spirituelle. In-8°, 102 pp. Bruxelles, Editions de la Cité chrétienne. 1937. Prix : 10 fr.

في الصداقة الروحية

مؤلف الكتاب من تلامذة القديس برنردوس المباشرين . كان رئيساً لاحد ديورة اسكتلندة ، وترك المؤلفات العديدة في التعبّد والروحيات ، والتاريخ . ومنها هـذا الكتاب في الصداقة الروحية استند فيه الى الانجيل ، والى مؤلف شيشرون « في الصداقة » فجاء بحاورة لا تنقصها الطرافة ولا الطلاوة . وقد شاء الطابعون ان يطلعوا عليها ابناء العصر ، مترجمةً الى الفرنسوية بقلم فرانس إنغام. وحسناً فعلوا !

DE SEBASTIANIS (F. JOS. A S. MARIA). De consolatione ad episcopos sub analogia episcopatus et martyrii. In-8°, 76 pp. Turin, Marietti. 1937. Prix : L. 5.

في تعزية رؤساء الكنيسة

كتاب طريف على ما فيه من حقيقة ثابتة ، يقابل ما يصادفه رؤساء الكنيسة من عقبات في القيام بواجباتهم الدقيقة بما يعترض حيـاة الشهداء وموتهم من مصاعب ومكاره. فيعزّي ويشجّع مَن عليهم ادارة النفوس في كنيسة المسيح.

ب . م .

L'APOLOGÉTIQUE. Nos raisons de croire, réponses aux objections. Publiée sous la direction de M. MAURICE BRILLANT et de M. L'ABBÉ M. NÉDONCELLE. In-8°, VIII+1380 pp., 96 gravures. Paris, Bloud et Gay, 1937. Prix : 120 fr. (relié).

في سبيل الدفاع عن الدين

لا شك في ان هذا المجلّد الضخم يأتي في حينه فيسدّ ثلمةً واهية في هذا الموضوع ، جامعاً ، في مجلّد واحد ، معلومات وبراهين ضرورية نافعة في احقاق الدين المسيحي والدفاع عن عقائده ومبادئه.

في الكتاب قسم مهمّ خاصّ بدرس الظاهرة الدينية في العالم، فديانة اسرائيل، فالمسيحية ، فبعض الديانات غيرهـا . يلحق به عدد من الاجوبة عن كثير من

الاعتراضات الناشئة حول الكتاب المقدس ، والعقائد ، والاخلاقيات ، وتاريخ الكنيسة .

كل هذا مفيد ، وان لم يقصد المؤلفون ، واكثرهم من ارباب الاختصاص ، الى زيادة العلم الديني الكاثوليكي تقدماً وارتقاء . فانهم يكتفون ، على الغالب ، بعرض مواقف هذا العلم المفروغ منها ، مسهلين مآخذها في سبيل الجمهور . على ان هـذا لا يمنع ان يرى المطالع في بعض الصفحات قسطاً وافراً من الطرافة والابتكار كابحاث پول أرشمبو في « ديانات الإبدال » (ص ١٥٧—١٩٣) ، ومقال اتيان بورن في « عدم الايمان » (ص ٨٨٢—٩٠٣)

ولا يغلق الكتاب دون ان يتوقف المطالع لدى الرسوم المعروضة في الـ ٩٦ الصفحة الاخيرة مؤلفةً متحفاً رائعاً .

هنري بوبليار

GASTON MARCHOU, Bernadette de Lourdes. 92 pp. Paris, Librairie Plon.

برناديت

عُرف المؤلف بكتابين سابقين عن « الملكة أستريد » و« الملك ادوار الثامن » ظهرا في المجموعة نفسها . وها انه يهتمّ باظهار القديسة برناديت في صورة سريعة الرسم ، مترققاً خاصةً لدى وصف الجماهير في لورد .

J. M. FAURE-BIGUET, La petite sœur Thérèse. In- 92 pp. Paris, Librairie Plon.

الاخت تريزية الصغيرة

كتاب في المجموعة نفسها يتصف بما اتصف به سابقه من رغبة في الاختصار ، واهتمام باظهار شخصية القديسة بدقة ووضوح ، دالاً على ما للمؤلف من موهبة في النقد والسرد القصصي .

Une Sainte parmi nous, par divers auteurs (Ed. Estaunié, Laignel-Lavastine, etc.). Collection « *Présences* ». In-12, Paris, Plon, 1937.

ابحاث عن القديسة تريزية

جمع هذا المجلد محاولات وابحاثاً جمة في شخصية القديسة تريزية الطفل يسوع ، قام بها عدد من الكتاب المعروفين بالنزعات المختلفة تصوّروا اهم مظاهر تلك

الحياة القصيرة ، واروع مجالي تكريمها المنتشرة في العالم كله . فكان الكتاب شهادة ناطقة بسمو هذه الحياة وقوة نفوذها. م . ن.

LUDWIG KÖSTERS, S.J., Die Kirche unseres Glaubens. Volksausgabe. In-12, XII+224 pp. Freiburg im Brisgau, Herder, 1936. Prix : R.M.2,50.

كنيسة ايماننا

نال هذا الكتاب منذ صدوره سنة ١٩٣٥ رواجاً عظيماً دفع صاحبه الى اعداد طبعة ثانية في السنة التالية . فطبعة ثالثة ، بينا كان بعضهم ينقلونه الى اللغات الاجنبية . وها ان لدينا طبعة بسيطة جُرّدت مما في الطبعة العلمية من مصادر ومآخذ ، فألفت كتاباً سهل المأخذ ، يفيد جمهور الكاثوليك رسوخ ايمان ، واحياء عبادة ، وتعلقاً بالكنيسة ، دون ان يدخل في المناظرات والمشاحنات . فهو ليس كتاب جدل بل كتاب عرض شائق بما اتصف به من وضوح واخلاص وحياة . ب . م.

ADALBERT VON NEIPPERG, Benedikt Lehrmeister christlichen Lebens. In-8°, XVI+80 pp. Freiburg im Brisgau, Herder, 1938. Prix : R.M.1,50.

القديس بنديكتوس ، استاذ الحياة المسيحية

وُضعت هذه الرسالة التقوية الروحانية في سبيل المؤمنين من ابناء اللغة الالمانية ، شارحةً لهم المبادئ السامية في احياء التقوى ، تلك المبادئ التي عزّزها اختبار القرون العديدة ، والتي قادت رهبان القديس بنديكتوس ، وفقاً لروح المؤسس ، الى قلب الحياة النسكية ، حيث السكون والطمأنينة ، بعيداً عن ضجة العالم وضوضاء المضطربين فيه . ومن المفيد ان يقوم احد العائشين في محيط الحياة الروحية فيعرض مبادئها في سبيل المؤمنين جميعاً. ب . م.

JOSEPH FATTINGER, Recueils d'exemples modernes. Trad. de l'allemand par M. GRANDCLAUDON. In-8°, 320 pp. Mulhouse, Editions Salvator, 1938. Prix : 18 fr.

مجموعة امثلة عصرية

مجموعة عبر ومغازٍ غايتها تعزيز التعليم الديني . عُرضت موافقةً لترتيب التعليم

المسيحي. وكلها مأخوذة من الحوادث العصرية البالغة بعضها يومنا الحاضر . ولا شك في فائدتها للمتعلمين والاساتذة والوعاظ . ه. ب.

Reallexikon der Assyriologie herausgegeben von ERICH EBELING und BRUNO MEISSNER. Zweiter Band, Fünfte Lieferung: Ekidudê-Ezur und Nachträge. Berlin et Leipzig, de Gruyter, 1938.

معجم الاشوريات : منتهى المجلّد الثاني

ينتهي بهذا الكرّاس المجلّد الثاني (Ber-Ezur) من معجم الاشوريات المشهور الذي تكلمنا عنه ، غير مرّة ، على صفحات « المشرق » . وقد تضمّن الكرّاس الحاضر معلومات مهمّة كشرح اسماء عددٍ من الهياكل ، والابحاث الدقيقة في ايلام والإيلاميين ، وقد وقّعها عدد من الاختصاصيين فكتب كونيك تاريخ الإيلاميين ، ودرس كريستيان تحدّر سُلالتهم ، واضاف أونكر ملحقاً مهمّاً في الموضوع . ونقول الكلام نفسه عن ابحاث أونكناد المهمّة . بما يلحق بها من لوحات تصويرية . كل هذا يفيد ان المعجم الاشوري يقوم بما ينتظر العلماء منه فيكوّن اداةً للعمل في الدرجة الاول من الضبط والدقة .

ب. م.

CLAUSS (LUDWIG FERDINAND), **Als Beduine unter Beduinen.** In-8°, 114 pp., 26 phot. Freiburg im Breisgau, Herder, 1938. Prix: R.M.3,80.

بين البدو

رغب لودفيك كلوس مؤلف هـذا الكتاب في ان يعرف اخلاق البدو معرفةً دقيقة تتجاوز الاطلاع الكتابي والسماعي . فدرس اللغة ثم تمرّس بالحياة العربية ، عائشاً اولاً بين الفلاحين ، ثم بين انصاف المتحضرين في فلسطين ، ثم بين بدو شرقي الاردن ، يشاركهم في معيشتهم كلها ، بل في ديانتهم وطرق عباداتهم مسمّياً نفسه موقتاً باسم « محمد فريد شيخ البدو الالمان » (كذا!) وهي صفة نقته جزيل النفع على ما يظهر . حتى اذا نال غايته الّف هذا الكتاب مهدياً اياه الى الغربيين عن الشرق وعاداته خاصّةً ، مضمّنه الكثير من حوادث حياته « البدوية » وملاحظاته في اقامته بين افراد القبائل ، ولا سيما بني صخر

حيث نزل ضيفاً على الشيخ مثقال باشا . وليست الحوادث المسرودة غارات او غزوات ، انما هي اهم من ذلك ، هي حوادث جرت في داخلية العيال البدوية من خلاف ووفاق بين الرجل وافراد اسرته ، ورحلات في سبيل الصيد بواسطة البزاة ، وانتقالات بين المنازل والمحالّ الى آخر ما يتصل بالحياة البدوية مما يفيد لا المستشرقين فقط ، بل ابناء الشرق انفسهم.

ب . م.

Mélanges de Géographie et d'Orientalisme offerts à E.F. Gautier. In-8°, XIV+464 pp. Tours, Arrault et Cie, 1937. Prix : 70 fr.

ابحاث في الجغرافية والاستشراق

يسرّنا ان نقدّم الى القراء هذا المجلّد الخاصّ بتكريم الاستاذ گوتيه ، من كلية الجزائر ، والمعروف بابحاثه القيّمة في الجغرافية الافريقية ، ولا سيما جغرافية الجزائر والصحراء ، التي ظهرت في عدد عديد من الابحاث والمقالات « كفتح الصحراء » و« عهود المغرب المظلمة » وغيرها.

اما المجلّد الحاضر فقد جمع ٤١ بحثاً في الموضوعات المختلفة المتباينة. واهمها موضوع جغرافية افريقية الشمالية والصحراء بحث فيه الاساتذة سليريه (J. Célérier) وكابو-ري (Capot-Rey) وفريتز جيجر (F. Jaeger) ، وبوردير (Bourdaire) الذي خصّ مقاله بالاستاذ « گوتيه الصحراوي. »

وقد تفرّقت الابحاث الباقية بين الجغرافية العامة وجغرافية بعض المناطق. ولم يفقد الشرق الادنى نصيبه منها فكتب بروكلمان ، والمونسنيور ميشال فغالي وكراتشقوفسكي، وهنري ماسيه الدروس القيّمة في المظاهر الجغرافية والصناعية البارزة في مختلف مناطقه.

ومن الابحاث اللذيذة كذلك ملاحظات مارتينو عن « التاريخ والجغرافية في رواية « محمد » لڤولتير. »

وعلى الجملة فان المجلّد مفيد لذيذ جدير بالعالم الذي قُدّم اليه.

ب . م.

ALFRED BERNER, **Studien zur arabischen Musik auf Grund der gegenwaertigen Theorie und Praxis in Aegypten.** In-8°, 124 pp. Leipzig, Fr. Kistner und C.F.W. Siegel.

دروس في الموسيقى العربية

هذا الكتاب مثال بارز للاهتمام بالدقة والتحليل حتى ادقّ التفاصيل . بيد اننا لا يمكن ان نسميه غراماطيقاً للموسيقى العربية العصرية في مصر ، لأنه اذ ذاك يُصبح ذا نواقص . انما هو درس مقارَن للنظرية الموسيقية وتطبيقها في القطر الشقيق . وقد رأى المؤلف ان لا يتوقف طويلاً لدى تاريخ الموسيقى العربية القديمة ونظرياتها . فاهتم بالعصريين ، دارساً من النظريّين ميخائيل مشاقة ، وكامل الخولي خاصةً ، متكلماً عن السُلّم ذي الـ ٢٤ برجاً في الديوان منتقداً اياه انتقاداً دقيقاً في الفصلين الاولين من القسم الاول . وهو يقابل بين النظرية الجديدة وتطبيقات الموسيقيين ويستنتج ان هذه التطبيقات لا تنحدر من النظرية المذكورة بل ان النظرية الموسيقية القديمة ، وان تكن مجهولة في عرف اكثر الموسيقيين المعاصرين ، تظهر اقرب الى تطبيقاتهم من النظرية الجديدة . وقد يكون هذا من نواميس التقاليد القديمة . ثم تأتي الفصول الاربعة التابعة فتؤيد هذه النتيجة . وفي الفصول المذكورة يدرس المؤلف الآلات المعروفة في عصرنا : العود ، والقانون ، والكمنجة ، والناي ، والرق ؛ درساً دقيقاً يتناول ٢١ صفحة . ويبيّن فيه المؤلف ان الموسيقيين لا يأبهون كثيراً لقيمة الأبعاد السبعة عشر التي يُقرّها في الديوان ، فهم يأخذون بحسّهم الموسيقي اكثر مما يأخذون بتركيب الديوان النظري . وهو لا يرى ، في ابحاثه جميعها ، مثالاً واحداً للديوان « المعتدل » . يذكر ذلك مرّات . ومن الحقّ ان ادخال « التعديل » في الموسيقى العربية — كما يرغب بعض العلماء الموسيقيين — لمّا يفسدها ويفقدها ميزتها الخاصة . وللمؤلف بحث مفيد عن « الإيقاع » في الموسيقى العربية يأتي به بمناسبة الكلام عن الرق .

ويتناول ، في الفصل الثاني ، تأليف القطع الموسيقية متوقفاً خاصةً لدى نوع « التقاسيم » ، ذاكراً ، في كل قطعة ، النغمة او « المقامة » ، والإيقاع . ثم ينتقل الى درس « المقامات » وهي كثيرة — حتى انني عددت في احدى المخطوطات العصرية اكثر من ٣٠٠ مقامة — على ان المؤلف لا يدرس منها الّا

ثاني مقامات يتوسّع فيها كثيرًا في الفصل الثامن. وهي : الرصد ، السيكاه ، البيات ، الجهاركاه ، الصبا ، الحجاز ، النهاوند ، الحجازكار. ويختم قائلًا انه ليس في الديوان المصري الّا ١٧ بعدًا دون « تعديل ». وان هذا التحليل «للمقامات» الثاني يفسح امامه المجال لاعادة البحث في الإيقاع.

اما القسم الثاني من الكتاب (١٦ ص) فقد خصّه المؤلف كلّه بنشر امثلة من القطع الموسيقية. واكثرها من نوع « التقاسيم » رتّبها وفقاً للمقامات الثاني التي درسها في الفصل السابق. وهي مضروبة امّا بآلات مفردة او بمجموعة موقعة من هذه الآلات المفردة وقد نقلها المؤلف ، في اكثرها ، من مجموعة الاسطوانات في المعهد الملكي للموسيقى العربية في القاهرة. وادخل في نشرها اشارات تحاول تمييز الفروق بين ابعادها والابعاد المعروفة في الموسيقى الاوربية . وكثيرًا ما اشارت نقرات الرق الى الايقاع ، وارقام المقياس (métronome) الى الحركة.

وجملة القول ان الكتاب نفيس في موضوعه ، يفيد جميع المشتغلين بالموسيقى العربية من قديمة وعصرية.

الاب م. كولنجيت

L. Poinssot et J. Revault, Tapis tunisiens. T. I. Tapis de Kairouan. Un album de 94 pl., 27×19 cm., avec 32 pp. d'introduction. Paris, Horizons de France, 1937.

السجّاد التونسي : الجزء الاول

نُشرت هذه المجموعة برعاية الحكومة التونسية. وقد بُدئت بالمجلد الحاضر خاصًّا بسجّاد القيروان ، راميًا الى اطلاع العلماء والمهتمين بآثار الشرق ، على كنوز فنية تمثل صناعة فائقة الّا انها مهدّدة ، لسوء الحظّ ، بالانحطاط فالتلاشي ، ان لم تعطف عليها السلطة فتجدّد من شبابها.

وللمجلّد فائدة لغوية بما يبسطه من اسماء وضعية خاصّة بصناعة السجّاد القيروانية ، يطلقها ارباب هذا الفنّ على اجزاء السجّادة ، وانواع خيوطها ، وطرق تزيينها المتنوّعة ، البارزة في ٨٨ صنفًا جمعتها اللوحات ٤–٢٨. وكلّ هذه اللوحات ظاهرة على قسطٍ وافر من الاتقان يعجب المطالعين ، دون شك ، كما تعجبهم سائر الرسوم والصور ، ولا سيما اللوحات الثلاث الاول الملوّنة ، وفيها

اجمل مظاهر السجّاد القيرواني.

والشبه ظاهر بين هذه الصناعة وصناعة السجّاد الشرقي . ذلك ان الصناعة التونسية لا ترقى الى ما قبل القرن الثامن عشر ، وقد اتخذت امثلتها في سجّاد آسية الصغرى ، فنجحت كل النجاح. بيد اننا نأمل ان لا تنحرف هذه الصناعة عن ميزتها الشرقية الاصلية ، فلا تقلّد الصناعة الاوربية فتفسد وتُفسد. ب م.

GÉRARD TONGAS, Atatürk et le vrai visage de la Turquie moderne. In-8°, 100 pp. Paris, Geuthner, 1937. Prix : 15 fr.

اتاتورك والصورة الحقيقية لتركية المعاصرة

يبدأ هذا المجلّد سلسلة من «المستندات لدرس البلاد الشرقية». ولاندري ما تكون قيمة المجلّدات التابعة. اما هذا فعمل محاضر شاء ان يجتنب ، ويجنّب سامعيه وقرّاءه ، كلّ تحامل على اتاتورك وعلى بلاده ، فوقع في النقطة المعاكسة. ولم يأتِ الّا بقصيدة مدح وتقريظ في دكتاتور تركية ، والثورة الكمالية ، وما جرّته من قلب الانظمة في المجتمع والدين خاصّة ؛ كل ذلك باسلوب مُطلق لا يقيّده احتياط ولا تحفّظ . ولا ينسى الكاتب ان يدعو فرنسة الى التحالف مع تركية تحالف صداقة عمياء. وهو لا يتردّد ، في ما خصّ مشكلة الاسكندرونة ، في الاشادة بحقّ تركية الصريح ، وفي تأييد الاصل الحقّي لجميع سكان السنجق.

وان يكن لنا ما نقوله في هذا الكتاب ، فهو الأسف لما فيه من مبالغة وإطلاق حال بين المؤلّف والدرس الموضوعي الرصين ، فاخذ يلقي الكلام على عواهنه ، وكأنه لا خبرة له بالبلاد التي يكتب عنها. ب. م.

Ibn Haiyân. Al-Muktabis : T. III. Ed. et Introd. de MELCHOR M. ANTUNA, O S A. In-8°, XXII+١٧٥ pp. Paris, Geuthner, 1937. Prix : 120 fr.

كتاب المقتبس في تاريخ رجال الاندلس : القسم الثالث

هو القسم الثالث من «كتاب المقتبس في تأريخ رجال الاندلس» لابي مروان حيان بن خلف المعروف بابن حيّان ، خصّه بدولة الامير عبدالله الاموي ، صاحب قرطبة. وقف على مخطوطته بالخزانة البلديانة باكسفرد الاب ملشور م.

انطونية الاسباني ، نضبطها ونشرها ، واضعاً فهارسها ، مقدماً عليها ببحث فرنسي اللغة في المؤلف ، وكتابه ، ومخطوطاته باكسفرد وقسنطينة ، ومصادر تاريخه المهمّ ، واثره في المؤرخين الذين أتوا بعده. فاستحق شكر الادب والتاريخ لما جاء به من خدمة في سبيل الاندلس والمغرب الاسلامي.

ف. ا. ب.

PUBLICATIONS DE LA SOCIÉTÉ DES NATIONS :

Balance des paiements 1936. (1937, II A 16). 245 pp. Prix : 6 fr. suisses.

Le commerce international de certaines matières premières et denrées alimentaires par pays d'origine et de consommation, 1936. (1937 II A 21). 164 pp. Prix : 5 fr. suisses.

Statistiques du commerce international 1936. (1937 II, 17) 384 pp. Prix : 10 fr. suisses.

Projet de nomenclature douanière. 2 broch. à couverture rouge (33×22 cm) 135 et 318 pp. 1937. Prix : 6 et 12, 50 fr. suisses.

Monnaies et Banques 1937-1938. v. I : Aperçu de la situation monétaire. v. II : Les banques commerciales et centrales. 2 broch. à couverture verte (27×21 cm) 175 et 220 pp. 1938. Prix : 5 et 6 fr. suisses.

منشورات جامعة الامم

هذه مجموعة من منشورات جامعة الأمم ختمتها بموضوعات متنوعة تدور حول الاقتصاديات العالمية.

ميزان المدفوعات في السنة ١٩٣٦

يتناول الاول منها المدفوعات الدولية في ٣٦ دولة تجارية هي اهم دول العالم ، ما عدا ايطالية التي لم تطلع الجامعة على ارقام تجارتها منذ السنة ١٩٣٠. وقد خُصّ فصل من الكتاب بدرس النزعات الحاضرة في المعاملات التجارية درساً تفصيلياً شمل حتى حركات السياحة. فاتى باداة نفيسة يستخدمها الاقتصادي والمالي ، والتاجر ، فيشكرون جهود الجامعة.

التجارة الدولية

اما المجلد الثاني فجمع احصائيات موقتة للسنة ١٩٣٦ ، واحصائيات مدققة للسنة ١٩٣٥ ، تناولت ٣٥ نوعاً من المواد الاولية والمواد الغذائية كالقمح ، والسكر ، والكاوتشوك ، والخشب على مختلف مظاهره ، والجلد ، والصوف ، والقطن ، والحرير ، والحديد ، والنحاس ، ومستخرجات البترول. مصورة تجارة ١٢٢ دولة مثلت ٩٨ بالمائة من مجموع التجارة العالمية. وليس افضل ولا اتمّ من هذه الصورة التامّة لحركة البضائع بين البلاد المصدرة والبلاد المستوردة ولم ينسَ مؤلفو الكتاب بلادنا اللبنانية ، ولا سورية في عرضهم العام.

احصائيات التجارة الدولية للسنة ١٩٣٦

وهذا ايضا بحث مهمّ جمع ، في مجلد واحد سهل التناول ، طائفة عظيمة من الاحصائيات التي تضعها دول العالم جمعاء ، على التقريب . وقد فُصلت هذه الاحصائيات على سبعة جداول تناولت الصادرات والواردات ، ثم ذكرت المواد المهمة وطرق تنسيقها الدولي في اكثر من ٣٠٠ جدول.

مشروع في الاوضاع الجمركية

لا يخفى ان من المشاكل الدقيقة في ادارة الجمارك اختلاف الاوضاع من بلد الى آخر. ولهذا رأى ارباب الاختصاص ان يقوموا بمشروع يوحد هذه الاوضاع جميعها فكان ثمرة جهودهم المتتالية مدة عشر سنوات هذا العمل الذي نودّ ان تطبقه الامم جميعها في معاملاتها الجمركية.

العملة والمصارف

مجلّدان يعرضان لارباب الاقتصاد والتجارة مجموعة وثائق مهمة لحركة الذهب والمعاملات المصرفية جميعها مدة السنة ١٩٣٧–١٩٣٨ . في المجلد الاول دروس عامة تشمل استخراج الذهب وحركة انتقاله ، واسباب الاضطراب الاخير في النقد الفرنسوي ، والدور الذي تمثله في كل ذلك المصارف المركزية الكبرى. اما المجلد الثاني فيختصّ بتفاصيل الارقام والحوادث المتعلقة في كل بلد على حدة. وعدد هذه البلاد الممثلة في الكتاب ٤٩ بلداً.

YEPES J. M. et PEREIRA DA SILVA, La question de la Réforme du Pacte de la Société des Nations. [Extrait du tome III du *Commentaire théorique et pratique du Pacte de la S. D. N. et des Statuts de l'Union panaméricaine*]. fasc de 40 pp. Paris, Pedone, 1937. Prix : 10 fr.

في اصلاح ميثاق جامعة الأمم

يقترح المؤلفان اجراء تعديل في ميثاق جامعة الأمم لتتمكن من القيام بما وُجدت له . وهما يعتقدان ان ضعف الجامعة المذكورة ناتج لا من فساد مبادئها او ضعفها ، بل لأن تطبيق هذه المبادئ لم يحصل بطريقة حاسمة قوية . فيقترحان ، في جملة مقترحاتهما ، ان تُلغى المادّة القائلة بان قرارات الجامعة تُتخذ بالاجماع ، لا بالاكثرية . وان تُكثر الاحتياطات المتخذة ضد النزوع الى الحرب ، وكلّها احتياطات كلامية لـوء الحظّ .

كتب المؤلفان ذلك قبل الحوادث العالمية الاخيرة . ولعلّهما يستفيدان منها اجراء تعديل في تعديلهما هذا . ب . م .

La situation économique des Juifs dans le monde. V. I, La situation économique des minorités juives, 1re partie. vol. 22×16cm de 325 pp. Paris, Congrès juif mondial, 1938.

حالة اليهود الاقتصادية في العالم : الجزء الاول

لا شك في ان الحركة الناشئة في كثير من الدول الاوربية ضد اليهود خاصّة ، والعنصر السامي عامة ، عملت عملها في ما قام به المؤتمر اليهودي العالمي من بحث عن حالة اليهود الاقتصادية في العالم ، راميًا الى الردّ على الاحصائيات الفاسدة التي ينشرها اعداء اسرائيل . ولا يُخفي المؤلفون ان العمل شاق ، وان الوثائق الضرورية لم يمكن جمعها على طريقة كافية لجميع البلدان . على انهم رأوا نشر ما توفقوا اليه من معلومات عن النمسة ، وبلغارية ، ودانزيغ ، واستونية ، واليونان ، وسيليزية العليا ، والمجر ، والعراق ، وليتونية ، وبولونية ، وتركية ويوغوسلافية . ولا شك ان هذه المعلومات ، الظاهرة على قسطٍ من الامانة والاخلاص ، تفيد فائدة جمة المشتغلين بهذه الابحاث . ب . م .

LEON BERMANN, Histoire des Juifs de France. In-12, 520 pp. Paris, Lipschutz, 1938. Prix : 30 fr.

تاريخ يهود فرنسة

فكرة الحاخام بَرْمَن ، مؤلف هذا الكتاب ، محصورة في دائرة واحدة لا تخرج عن مدح اليهود ، فلم يهتم ، وهو مؤلف « تاريخ اليهود في فرنسة » بحوادث هذا التاريخ في الجماعات اليهودية ، ولم يرَ لهم اثرًا سيئاً . انما السيئات من اعمال اعدائهم وحدهم ، على نحو ما نراه في « سفر إستير . »

ب . م .

JACOB KAPLAN, Témoignages sur Israël dans la littérature française. In-12, 280 pp. Paris, Lipschutz, 1938. Prix : 15 fr.

شهادات في اسرائيل منتخبة من الادب الفرنسي

اما زميله يعقوب كابلان فغايته ان يجمع الشهادات الحسنة التي اوردها بعض الشخصيات البارزة من ادباء فرنسة ، في اليهود واعمالهم . وذلك ردًّا على الموجة المكتسحة بعض انحاء العالم اليوم ضدّ اليهود والساميين عموماً . ب . م .

PAUL CLAUDEL, R. P. BONSIRVEN, ANDRÉ SPIRE, R. MONTAGNE, RENÉ SCHWOB, G. CATTAUI, Lt Col E. MEYER, D. DE ROUGEMONT, R. DUPUIS, R. POSTAL, SIMON LANDO, JACQUES MARITAIN. Collection « *Présences* ». vol. 19×12 cm, 336 pp. Paris, Plon, 1937.

وهذا ايضاً من ثمار اضطهاد اليهوديين . ألّفه عدد من كتّاب المسيحيين الفرنسويين . وفي اكثرهم نزعة عطف على اسرائيل لما تلقاه من الاضطهادات ، ولما اظهره من جهود في مقاومتها . وفي الكتاب كثير من الملاحظات الدقيقة ، والآفاق الجديدة الواسعة . ب م .

LEWIS BROWNE, La vie des Juifs. Collection « *Le roman des peuples* » N° 3. Trad. de l'anglais. Paris, Gallimard, 1937.

حياة اليهود

مؤلف الكتاب يهودي اميركي يبدأ بتعيين عنوانه في نيويورك ، ويذكر الاسباب التي دفعته الى كتابة تاريخ شعبه من جديد . وهو يعدّ هذا التاريخ « اوفر غرابةً من الرواية الخيالية » . وانه لعلى حقّ في ما يقول ، وخاصة في ما

يفعل ، اذ يظهر « العهد القديم » ولا سيما اصول النصرانية ، على طريقة غريبة تخالف المعروف حتى اليوم . ولا يقف لدى المبالغة في تصوير الاضطهادات التي قاساها اسرائيل من قبل المسيحيين . ومما يُستغرب ايضاً ان المؤلف كلما ذكر المسيح سماه يشوع لا يسوع . ولعلّ هذا من آثار حبّ الإغراب والطرافة الذي اتصف به الكتاب .

ب . م .

J.-B. Ebeling, L'Histoire rencontré par ses témoins. Extraits des mémoires du temps :

1 — Louis XIII. Préface d'Emile Henriot.

2 — Louis XIV. Préface de Pierre Gaxotte, en 2 tomes. 3 vol. In-8°, 240 pp. avec chacun 18 héliogravures Paris. Plon « *Éditions d'histoire et d'art* » 1937-1938. Prix : le vol. 30 fr.

التاريخ كما يرويه شاهدوه

في هذه المجموعة ثلاثة مجلّدات ظهرت حتى اليوم . شاء مؤلفوها ان يجمعوا اهمّ النصوص المنتخبة من مذكرات معاصري الحوادث التاريخية المتكلّم عنها . وذلك في سبيل التقريب بين دارسي التاريخ والحوادث التي يدرسونها ، بعرض هذه الحوادث من خلال احكام معاصريها وآرائهم . وفي هذا تلبية الرغبة المنتشرة اليوم بان يقف المطالعون على الوثائق الاولى للحوادث حتى لا تقوم حواجز بين الدارس والنصّ الاصلي ، فيتمكن الدارس من القاء حكم شخصي على تلك الحوادث . ولا يخفى ان اصحاب المذكرات ، من معاصري الحادث التاريخي ، لا يكونون على الغالب ، اقرب الى الصحة ، والتجرّد ، والامانة ، من اختصاصي المؤرخين . ولهم اهواؤهم الخالية ، ومصالحهم القريبة ، وضيق مجالهم اذ يكونون من رجال الحادث نفسه احياناً ، فينحصر افقهم ، ويعجزون عن سعة الحكم التي ينيلها البعد الزمني والمكاني . وعلى الجملة فهم شهود لا ارباب حكم . فيجب ان نحمل اقوالهم على محمل اقوال الشهود ، فنعارضها بعضها ببعض ، وندرسها فنصل اماً الى تعديلها او الى تجريحها . وقد سهّل علينا مؤلفو الكتب المذكورة بانهم اجروا درساً اولياً دقيقاً لهذه الشهادات .

وفي المنشورات المذكورة عدد من الصور القديمة غاية في الروعة تساعد ، مساعدة

النصوص نفسها ، على تفهم الحقيقة التاريخية . ومما يجب ذكره كذلك تلك المقدّمات الموجزة التي وضعها اختصاصيون بعلم التاريخ ، فجمعت ، في ايجازها ، افضل المعلومات لتقدمة العصر والتمهيد لشهادات ابنائه. ب. م.

CLAUDE FARRÈRE et PAUL CHACK, Combats et batailles sur mer. In-8°, 70 pp. avec couverture illustrée et cartes dans le texte. Coll. « *Toute l'Histoire* », N° 2. Paris, Flammarion, 1937. Prix : 4 fr. 25.

معارك على البحر

هذا مجلد ثانٍ من مجموعة جديدة ترمي الى نشر « التاريخ كله ». اما المجلد الاول فمن قلم لونوتر في « المحكمة الثورية » . ونحن اذا تأملنا المجلدين المذكورين استبشرنا خيراً بمستقبل المجموعة . وقد خُصّ المجلد الحاضر بوصف المعارك البحرية سنة ١٩١٤ ، متوقفاً لدى الهجوم الالماني المنتصر في بينانغ وكورونيل ، ثم المضبوط المُقيّد المُندحر في فَلكلاند . كل ذلك في اسلوب يأخذ من الشعر ذكرياته واوصافه الرائعة للبحر ، ومن التاريخ حقيقته فيسمو بالكتاب الى فوق الآثار الروائية الادبية ، ويترفع عن فنّ لوتي بان اشخاصه تطفح بالقوّة والحياة ، وصحة العزيمة في العراك والتضحية. ج. تاردي

PAUL GUITARD. La France retrouvée. Préface de JACQUES DORIOT. In-12, 250 pp. Paris, Œuvres françaises, 1938.

فرنسة المستعادة

كان مؤلف الكتاب من ارباب الشيوعية ، و« قد حفظ من انحرافه في حزب موسكو ثورةً صحيحة على النفاق المكروه الموجود في الشيوعية الاسيوية» كما يقول جاك دوريو ، كاتب مقدّمة المؤلف. اما الكتاب نفسه فواضح التقسيم : يبدأ باظهار المقاطعات الفرنسوية في جمالها وتنوّع طرق الحياة فيها . ثم ينتقل الى ذكر المصاعب الاقتصادية التي تتخبّط فيها تلك المقاطعات ، مبيناً ان الدواء لن يكون عن طريق الشيوعية ، بل ان هذه الشيوعية تقود الى اقطع الكوارث الاجتماعية والاقتصادية . وهي امثولة يستفيد منها غير فرنسة من الامم.

ب. م.

PAUL CHACK, Des Dardanelles aux brumes du Nord. Coll. « *Marins à la bataille* ». In-12, 124 pp. Paris, Les Éditions de France. Prix : 5 fr.

من الدردنيل الى ضباب الشمال

الدردنيل ! كلمة لا يزال صداها يرنّ حزيناً في آذان من عرفوا الحرب وعاشوا في اثنائها. فلم ينسوا بعد تلك الضحايا في سبيل غاية صعبة التحقيق بل مستحيلة ، وهي الوصول الى البحر الأسود ، فاللحاق بالمرافئ الروسية. وقد جمع هذا الكتاب سرد المحاولات والجهود العجيبة التي قامت بها مراكب الحلفاء في ذاك المضيق المخيف ، مستقبلةً رشاش المقذوفات عن الجانبين من المدافع التركية ، والقةً على الألغام المنتشرة على عمق متر او مترين فقط. حتى اذا كان هجوم ١٨ اذار ١٩١٥ ، شاهدنا وفاة ثلاث مدرّعات في جوّ من الجهود الجبّارة التي لم تخلُ ، في اشدّ صعوبات العراك ، من التقيّد بآداب النظام واصول السلوك ، كما حصل في ذلك الاستقبال الفخم الذي اقامه جيش احدى المدرّعات لاميرالهم بينما كانت مدرّعتهم تنحدر شيئاً فشيئاً الى القعر المظلم.

اما الصفحات الاخيرة ففيها وصف انتصار باهر في « ضباب الشمال ».

ه. ج.

JACQUES BAINVILLE, L'Angleterre et l'empire britannique. In-8°, 244 pp. Paris, Plon. 1938.

انكلترة والامبراطورية البريطانية

تحت هذا العنوان ، الذي قد يتدرج الى الخطأ ، ظهرت مجموعة من مقالات نُشرت من نيسان ١٩١٤ الى تشرين الاول ١٩٣٥ في جريدة « الاكسيون فرانسيز » خاصةً.

ولا يخفى ان قراءة مقالات مرّ عليها عشرون او خمس وعشرون سنة في عالم يسير بسرعته الحالية ، لا تخلو من لذة ولا من فائدة ، وقد لا تخلو من كآبة احياناً ، على شرط الّا يكون الكاتب من ارباب البضاعة المزجاة. ولكن كم في هذه المقالات من عبرة للكاتب نفسه ، ومن تجربة ! وكم من الكتّاب

يمكنهم ان يجابهوا هذه التجارب . امّا الكاتب بانفيل فقد كان من هؤلاء القلائل .

ي . م .

ANDRÉ SIEGFRIED. Qu'est-ce que l'Amérique ? Col. « *Directives* ». Plaquette de 24 pp. Paris, Flammarion. Prix : 2 fr. 25.

ما هي اميركة ؟

في طليعة الواجبات الوطنية ان يحافظ الانسان على ميزات وطنه الفارقة . وهو ، في هذا العمل ، يستفيد ممّا عند الجيران من طرق واساليب يستخدمها ، بعد ان يبلّدها ، في سبيل وطنه من ذلك هذه الصفحات عن اميركة تفيد جميع البلاد الاوربية والاسيوية وغيرها بما تعرضه من فضائل الاميركيين واعمالهم في زيادة ثروة بلادهم . لا شكّ في ان الارض الاميركية غنية بالموارد الطبيعية . ولكن ممّا لا شك فيه ايضاً ان هذا الغنى الطبيعي وحده لم يكن ليقدّم البلاد لولا صفات ابنائها المهمة ، وفي طليعتها : القوّة ، والامل الضاحك . . .

Bibliographie Critique des principaux travaux parus sur l'histoire de 1600 à 1914. (Travaux de langue française ou relatifs à l'histoire de France) Année 1935. Paris, Maison du Livre français, 1937. In-8°, XVI+186 pp. « *Publications de la Société d'Histoire Moderne. Série des instruments du travail* ».

دروس نقدية لأشهر الكتب في التاريخ من ١٦٠٠ الى ١٩١٤

لا يخفى على احد الصعوبة التي يصادفها مؤلّفو هذا الكتاب ، سواء في وصولهم الى المؤلّفات التي يتكلمون عنها او في ترتيبهم هذا الجدول ، وهو الثالث من المجموعة .

وقد جُمع فيه جميع المؤلّفات الظاهرة باللغة الفرنسوية والمتعلّقة بالتاريخ العام العصري والمعاصر . ثم أضيف اليها المؤلّفات الظاهرة باللغات الاجنبيّة : الالمانية ، والانكليزية ، والايطالية ، والبولونية ، والروسية ، المتعلّقة بتاريخ فرنسة وحده مدة الحقبة نفسها (١٦٠٠–١٩١٤) . ولم يكن بالامكان ان يتسع التصميم الى فوق ما ذكر ، لا من جهة اللغات (اذ لم تُذكر المؤلّفات باللغات الاسبانية والهولاندية وغيرها . . .) ولا من جهة الموضوعات (فلم تُذكر ابحاث التاريخ

الاجنبي، وذلك في سبيل حصر الموضوع وجعله اسهل متناولاً. وعلى هذا السبيل لم يتوسّع المؤلفون في نقد الكثير من المؤلفات باللغات الاجنبية، انما اكتفوا بذكر عناوينها. وانما ما يؤسف له ايضاً ان كثيراً من الاحكام النقدية خالية من الامضاء.

ومع ان المؤلفين عرفوا نواقص عملهم وحدوده الضيقة، فلا بد من القول ان الكتاب لا يستغني عنه ايّ مؤرخ يهتمّ بالحقبة العصرية، لأن فيه، فوق تحليل الكتب التاريخية، خلاصة ١٦٠ مجلّة فرنسوية واجنبية، دُرست مقالاتها وحُلّلت، ونُقدت. ومما يسهّل التفتيش طريقة المؤلفين في تبويب الكتاب وذكر الملحقات. ولا شك في ان المؤرخين الذين يستفيدون، دون شك، الفائدة العظمى، لا يتأخرون من امداد الطابعين بملاحظاتهم ومعاوناتهم في سبيل تحسين هذه الطبعة وزيادتها في طبعة جديدة.

ب. م.

JEAN DE CELLES, Malherbe. Sa vie, son caractère, sa doctrine. In-12, 288 pp. Paris, Perrin, 1937. Prix : 16 fr.

مالرب: حياته، اخلاقه، عقيدته

تعدّدت الدروس في آراء مالرب وتحليل عقيدته الادبية. على ان المؤلفين لم يتعمقوا قبل اليوم في درس حياته واخلاقه البارزة، واشهرها الشهوة، وتتبع المصلحة الذاتية، والكبرياء المتعجرفة، الجاعلة منه مثالاً للمترفعين الى الملك في اواخر القرن السادس عشر. ويزيد الكتاب الحاضر على ما تقدّم انه يكشف عن نواحٍ عديدة في حياة الشاعر الخاصّة، مستنداً الى كثير من الحوادث والنوادر يسردها باسلوب يولي الكتاب حياةً تظهر في الرجل المترجَم له، وفي المحيط الذي تثقّف فيه وعاش، واعتاد ان يفرض احكامه الجازمة. ومن الواضح ان ليست هذه النوادر جميعها من الاهمية بالمكان الذي يتوهمه لها المؤلف. كما ان الانشاء بحاجة الى شيء من التهذيب بعض الاحيان. هذا الى نقص في ذكر المصادر والمآخذ يأسف له كل الأسف مؤرخو الادب ونقّاده.

ب. م.

Classiques Garnier

مجموعة غارنيه المدرسية

ازدادت هذه المجموعة المدرسية الشهيرة ثروةً جديدة بالمجلدات التالية:

Les Hymnes Homériques الاناشيد الهوميرية.

Nouvelle traduction de M. Louis Dimier, sans texte, avec préface et notes.

يذكر المترجم الاسباب التي تبرّر تسمية هذه القصائد « بالاناشيد » ثم يعلّق على الابيات حواشي تشرح اهم الصعوبات النحوية واللغوية ، والغرائب الميتولوجية.

Ovide, Les Tristes, Les Pontiques. من قصائد أوفيد

Texte latin et trad. en regard de M. Emile Rippert ; suivis de quelques morceaux attribués à Ovide : Ibis, le Noyer, Halieutiques.

Phèdre, Les Fables. امثال فيدر

Texte et trad. en regard de M. Pierre Constant.

للكتاب مقدّمة في حياة الشاعر ، وفي تحديد العصر الذي يمكننا ، على التقريب ، ان نردّ اليه تأليف اقسام الكتاب

Ciceron, Traité de la Divination et du Destin ; suivi des Nouveaux livres académiques.

بعض آثار شيشرون

Trad. en regard du texte de Charles Apphun

للكتاب مقدّمات وحواشٍ يوضح فيها المترجم مراد شيشرون في بعض الكلمات الصعبة الفهم والترجمة.

Saint Augustin, Les Confessions اعترافات القديس اغوسطينوس

Trad. de Joseph Trabucco avec le texte latin d'après la dernière édition des Pères Bénédictins.

الترجمة واضحة بسيطة تسهّل على المطالع تتبّع فكرة القديس اغوسطينوس التي كثيرًا ما اتصفت بالدقة والعمق.

RACINE, Théâtre complet. مسرح راسين
CORNEILLE, Théâtre choisi. منتخبات من مسرح كورنيل
MOLIÈRE, Théâtre choisi. منتخبات من مسرح موليير

يتقدم هذه المجلدات الثلاثة تمهيدات حسنة ، ويلحق بها حواش وشروحات نافعة مفيدة ، وكلها من قلم موريس را (M. Rat). ج. تاردي

A. GIBERT et G. TURLOT, Géographie générale. II, La vie à la surface du Globe. III, La découverte de la Terre. Classe de 6° A et B. 19×13 cm. Paris, Delagrave, 1938.

في الجغرافية العامة

ان من دواعي اللذة ان يقرأ المطالع هذا الكتاب فيرى فيه المعلومات الواجب حفظها مشروحةً بطريقة سهلة واضحة تزينها الصور والرسوم الطريفة الغريبة الاخّاذة. ولا شك في ان المؤلفين نجحا كل النجاح بهذا الاسلوب الجديد الموافق لاحدث المناهج التربوية. ج. تاردي

A. AUBIN, E. ORGEOLET et R. CORTAT, Grammaire française. Cours élémentaire et moyen. 22×16cm, 254 pp. Paris, Hatier, 1937.

غراماطيق فرنسوي

كتاب جديد في الغراماطيق الفرنسوي وفقاً لحاجات الصغار في الصف الابتدائي والوسط ، متكلاً خاصةً على ذاكرة الطلاب اكثر من اتكاله على قوة تفهمهم. وهي طريقة قد تأتي بثمار ناجحة اذا ما طُبقت على هذا العمر ، لا على ما فوقه من الأعمار. ج. ت.

NOËL NOUËT, Tokyo, ville ancienne, capitale moderne. 50 croquis, 25 et 50 pp. de texte français, anglais et japonais. In-8°, Paris, Geuthner, 1937. Prix : 25 fr.

طوكيو ، المدينة القديمة والعاصمة الحديثة

تُعدّ طوكيو اليوم ثانية مدن العالم بمساحتها الممتدّة على ٥٠٫٠٠٠ هكتار ، وسكّانها البالغين ستة ملايين من النفوس . ولكن هل اثّر فيها هذا الاتساع وهذا التطوّر موافقاً لروح العصر ، فافقدها شيئاً من جاذبيتها القديمة ، تلك

الجاذبية التي حفظتها لنا النقوش الراقية الى عهد كانت طوكيو تُدعى ايدو ؟ هذا ما يهتم به المؤلف ، وهو صديق حميم لليابان ، فيجيب عنه بالنفي ؛ ويقول ان طوكيو لم تفقد شيئاً من ذلك الجمال . ثم يؤيد قوله بخمسين رسماً تظهر فيها جاذبية الشرق الاقصى القديمة على اتم روعتها ممتزجة الامتزاج الدقيق بالمنشآت الحديثة في المدينة الجديدة .

وقد قدّم للكتاب ببحث رشيق الفيكونت دي سوزا ، عضو مجلس الاعيان ، ومستشار بلدية طوكيو ، فشهد ان الفنّان الاجنبي لم يفته شيء من الذوق الياباني .

ب . م .

ALBERT DAUZAT, Dictionnaire étymologique de la langue française. In-8°, 761 pp. Paris, Larousse. 1938.

معجم لغوي للغة الفرنسوية

للتفتيش عن اصل الكلمات اللغوي دعاته ومريدوه حتى في جمهرة القرّاء . ولهذا رأت مكتبة لاروس ، وهي المشهورة باخراج المعاجم المتنوّعة ، ان تلبّي هذه الرغبة فنشرت هذا المعجم اللطيف الحجم ، السهل المتناول ، الّفه احد مشاهير اللغويين في عصرنا ، فجمع بين السهولة المطلوبة في تآليف البسط الجمهوري ، والتدقيق العلمي المفروض في تأليف من هذا النوع .

FROMENTIN, Les Meilleurs Textes. Collection « *Choisir* ». Introduction de MAXIME REVON. In-12 cartonné, CXXXVI+506 pp. Paris, Desclée de Brouwer, 1937. Prix : 18 fr.

منتخبات من آثار فرومنتن

لقد شُهر اوجين فرومنتن ، في حياته ، بآثاره الفنّية ومقالاته الادبية النقدية . وان تكن شهرة الفنّان اصبحت تتضاءل شيئاً فشيئاً ، فان شهرة الكاتب اخذت ، بضدّ ذلك ، تتّسع يوماً فيوماً حتى تحلّه من تاريخ الأدب في المحلّ الذي يستحقّه . وهو ما حدا بالاستاذ ريفون الى ان يعدّ طبعة شاملة لآثار الكاتب . وقد رأى ، في الوقت نفسه ، ان يختار من هذه الآثار مجلّداً يدلّ الدلالة الكافية على قيمة الكاتب وتنوّع اتجاهه . فنشر الكتاب الحاضر بعد ان قدّم عليه بحثاً مستفيضاً في تطوّرات ثقافة فرومنتن وميزات شخصيته

المبتكرة ، قاسماً آثاره خمسة اقسام: الموضوعات الشخصية والنفسيّة ، الموضوعات الخيالية ، الوصف ، الاخبار ، النقود . وان المطالع ليسرّ ، دون شك ، بان يرى ، في هذا المجلّد ، منتخبات من «صيف في الصحراء» ، و«سنة في الساحل» و« الرحلة الى مصر » فيتحقق سلامة في الذوق ، ونضرة في التأثرات ، وحياة في الشعور البصير ، ودقة في التحليل يصوّرها كتابةً كما كان يصوّرها الواناً في منتهى الدقة والاضطراب.

ب. ميش

P. Ponsard, L'Enfant d'aujourd'hui. Collection « *Problèmes d'Éducation* ». In-16, 224 pp. Paris, Desclée de Brouwer et Cie, 1937. Prix : 13 fr.

ولد اليوم

مؤلّف هذا الكتاب ، رئيس كلية جويللي اليوم ، ذو اختبار واسع بشؤون التربية. فله الحقّ بان يُسمع صوته ، وتفهم ملاحظاته. وهو — سواء أشرح نفسية الولد في ايامنا هذه ، او درس مشكلة التعليم البياني والثقافة المسيحية وتأثير ذلك في التطوّر العقلي ، او بحث في نشأة الضمير والشعور بالمسؤولية في الولد ، مشيراً الى العاطفة الدينية وقيمتها في الثقافة — فانه يتناول كل ذلك تناول الاستاذ البصير ، والمربّي الخبير العارف بما يقول ، الواثق مما يرمي اليه .

ب. ميش

العراق في دورَي الاحتلال والانتداب

بقلم عبد الرزاق الحسني

الجزء الثاني: ٢٨٨ ص. متوسطة كبيرة - مطبعة العرفان ، صيدا ، ١٩٣٨ ، الثمن: ٢٥٠ قرشاً

تقدّم لنا وصف لبعض آثار السيد عبد الرزاق الحسني ، وكلّها في التاريخ العراقي جمع فيها من الوثائق الرسمية ، والملاحظات ، ما لا يستغني عنه دارس تاريخ تلك البلاد التي تقلّبت عليها الحوادث السياسية في الداخل والخارج حتى افضت بها ، قبل غيرها من بلاد الشرق الادنى، الى دخول جامعة الامم. وقد ظهر من هذا الكتاب جزء اول سنة ١٩٣٥ ، وهذا جزءه الثاني. اما مضمون الجزءين فخير ما يُقال فيه كلام المؤلف نفسه ، قال بالحرف:

« اجل كتاب سياسي تاريخي اصدرته المطبعة العربية حتى الآن عن العراق في هذين الدورين فقد قسمه واضعه الى سبعة اقسام خطيرة نتكلم في القسم الاول عن الحروب التركية - الانكليزية في العراق. وبحث في قسمه الثاني عن الثورات الموضعية. وفي قسمه الثالث عن الثورة العراقية الكبرى. وفي قسمه الرابع عن الحكومة الموقتة التي الفها السر برسي كوكس. وفي قسمه الخامس عن مشاكل العراق الخارجية . وفي قسمه السادس عن مشاكل العراق الداخلية . اما القسم السابع فقد تضمن وصف العلاقات بين انكلترا والعراق خلال عشر سنوات ، وهو الجزء الثاني.»

اما هذه العلاقات فقد استند في ذكرها الى الوثائق والبيانات الرسمية معلقاً عليها بعض الحواشي تتضمن آراءه هو ، وآراء المشتغلين بالسياسة من رجال العراق المعاصرين ، وزراء كانوا او نواباً او صحافيين. . . فاتى الكتاب اهم مصدر لتاريخ العراق الحديث ، لا ينقصه الّا وضع فهارس ابجدية تسهل الاستفادة من معلوماته.

ف. ا. ب.

عشائر العراق

١ : القديمة ــ البدوية الحاضرة

بقلم المحامي عباس العزاوي

٥٣٠ ص متوسطة – مطبعة بغداد ، بغداد ، ١٩٣٧ – الثمن: ٢٥٠ فلساً

اثر جليل حافل بشتى المعلومات عن القبائل القديمة النازلة في القطر العراقي ، وعن القبائل البدوية الحاضرة ، وما يتعلق بعرفها ، وانسابها ، وسائر احوالها . يضيف به الاستاذ العزاوي فصلاً جديداً على تاريخ القطر العراقي . ويفيد الباحثين في التاريخ العربي ، قديماً وحديثاً ، معلومات جديدة يقابلونها بالشكر. ولا تتعلق هذه المعلومات بزيادة المعروف عن تحدّر القبائل واحوالها فقط ، بل باصلاح ما اندسّ في بعض كتب التاريخ القديم من تصحيف وتحريف باسمائها واسماء انسابها ومنازلها.

اما طريقة المؤلف فسهلة يُمدح عليها . وهو يبدأ بذكر المراجع التاريخية

التي استند اليها في الكلام عن القبائل القديمة ، يضيف اليها ما اخذه شفهياً عن القبائل الحاضرة ، وهذا اهم ما في الكتاب. وينتقل ، بعد ذلك ، الى الكلام الاجمالي عن العرب ، فالى عرب العراق وتفرّع قبائلهم ، وتمدّد اماراتهم ، وانتشار الآداب العربية بينهم حتى الفتح الاسلامي . ومن ثمّ يتطرّق الى الموضوع الأهم الأفيد وهو الكلام عن عشائر العراق الحاضرة من البدو ، مفصلاً تحدّرها وتسلسلها ، مدققاً في عاداتها واحوالها في الحياة الاجتماعية ، مشيراً الى ما يراه مفيداً في اصلاحها وتعليمها .

ومما تجب الاشارة اليه انه زيّن الكتاب بكثير من الصور لرؤساء القبائل الحاليين ، واردفه بفهارس واسعة بلغت ٨٠ صفحة ، فجعلت من المؤلّف مصدراً جديراً بالانتباه والاستغلال ، يحتلّ خير مركز الى جنب كتاب بيك في قبائل شرقي الاردن (راجع المشرق ٣٥ [١٩٣٧] ١٥٤) فيساهمان في تمحيص معلوماتنا عن كثير من القبائل العربية .

ف . ا . ب .

وراء البحار

بقلم محمد امين حسونه

٢٠٠ ص . متوسطة — مطبعة الشمس ، مصر ، ١٩٣٦

رحلة شائقة قام بها الاستاذ محمد امين حسونه ، من ادباء مصر اللامعين ، تجال فيها بين مصر ، واليونان ، وتركية ، ورومانية ، والمجر ، والنمسة ، اذ كان لا يزال في العالم بلاد اسمها النمسة ؛ معملاً نظراً بصيراً في تلك المظاهر المدنية جميعها ، قادراً قيمة الآثار الفنية قدرها الحق ولا سيما في بلاد اليونان ، متوقفاً وقفات شعرية على البحر الأسود ، وبحيرة سناجوف ، ونهر الدانوب ، ملقياً بالملاحظات القيّمة في الاخلاق ، والعادات ، والتقاليد ؛ مزيناً كل ذلك بعدة صور جميلة . حتى اتى الكتاب أثراً معجباً يقرأه المطالع بلذة وفائدة .

ف . ا . ب .

مصر والطرق الحديدية

بقلم محمد امين حسونه

٤١٦ ص. متوسطة — مصر ، ١٩٣٨

وهذا اثر جديد من آثار الكاتب نفسه ، ترك فيه طرق التأملات والملاحظات الى الطرق الحديدية يؤرّخها ويدرس تفاصيلها ومنعرجاتها مستندًا الى الوثائق والتقارير الرسمية ، منفضاً الغبار عن إضبارات قلّما خطر لأحد ان يفتّش بين اوراقها الصفراء ، متجاوزًا سكك الحديد الى وسائل النقل المتنوّعة منذ القدم. وعلى الجملة فهو موضوع طريف يمسّ اهم سبب من اسباب العمران في القطر الشقيق . ولا يخفى ان مصر كانت « في طليعة البلاد التي سخّرت البخار في المواصلات ، ورحبت بالقطار في حداثته » ، كما يقول. وقد قسم الكتاب ثلاثة كتب ، بعد الاهداء ، وسجل المراجع ، والمقدّمة . فخصّ الاول بالمواصلات المصرية منذ القدم ، نهرية وبرّية ، متطرّقاً الى الملاحة الداخلية من عهد تراجان الى محمد علي فالى عصرنا ، ذاكرًا الطرقات البرّية كذلك. حتى يصل الى عصر السكك الحديدية فيمهّد بتاريخ نشأتها خاصًّا بالذكر المستفيض خطّ الاسكندرية — القاهرة ، ثم خطّ السويس فسائر الخطوط المصرية . اما الكتاب الثاني فيتناول شركات السكك الحديدية في مصر والسودان واساليب استثمارها . ويلخص الكتاب الثالث تطوّرات السكك وحالتها بعد الحرب ، وما صادفته من منافسة النقل المائي والنقل البرّي . وهو يختم بنظرة عامة في التوفيق بين وسائل النقل ، ومستقبل السكك الحديدية ، وكهربة الخطوط. ق . ا . ب.

دليل متحف الآثار العربية

في خان مرجان ببغداد

نشر مديرية الآثار القديمة في العراق

٤٧ ص. متوسطة ، مع ٣٨ لوحة خارجة عن المتن — مطبعة الحكومة ، بغداد ، ١٩٣٨ — الثمن : ٨٠ فلسًا

تقدّم لنا كلام (مشرق هذه السنة ص ١٤٠) في منشورات مديرية الآثار

القديمة ، في العراق ، ذكرنا فيه ما اتصفت به تلك المديرية من همة ونشاط يجدر بجميع الدوائر الأثرية في الشرق ان تقتدي بها فيها . وها ان لنا برهاناً جديداً ، بل برهانين ، على مضي هذه المديرية في اعمالها المثمرة . وهو هذا الدليل الجامع للآثار القديمة في خان مرجان . بدأ بوصف اجمالي للخان المذكور ، الراقي الى القرن الرابع عشر ، والذي اتخذ متحفاً للآثار العربية في بغداد من بداية السنة ١٩٣٧ . وانتقل الى ذكر ترميم الخان وتجديده ، مستطرداً الى القسم الثاني وفيه وصف الآثار العربية في الخان غرفةً غرفةً . يزينها ٣٨ لوحة تصويرية غاية في الاتقان. ف. ا. ب.

باب الغيبة في سامرّاء

نشر مديرية الآثار القديمة في العراق

٩ ص. متوسطة مع ١٢ لوحة خارجة عن المتن — مطبعة الحكومة ، بغداد ، ١٩٣٨ — الثمن : ٥٠ فلساً

وهذا هو البرهان الثاني على نشاط المديرية المذكورة التي فيه بحث دقيق عن باب في سامرّاء يُدعى باب الغيبة نسبةً الى « غيبة الامام المهدي » . وهو باب خشبي جميل يرقى الى عهد الخليفة العباسي الناصر لدين الله . وقد دُرست تفاصيله ونُشر ما عليه من كتابة ، وصُوّر على مختلف جهاته في ١٢ لوحة زينت الكرّاس اللطيف . ف. ا. ب.

القواعد العربية المصوّرة

تأليف يوسف عماد

السنة الاولى : ٦٨ ص. صغيرة — مطبعة صادر ، بيروت ، ١٩٣٨

هو اسلوب مستحدث في تعليم القواعد العربية بثلاثة اجزاء لثلاث سنوات طبقاً لمنهاج التعليم الابتدائي الحديث . واهم ما امتاز به المشجّرات التي يضعها المؤلف لأنواع الكلام العربي متفرّعةً كل فرع عن اصله ، على طريقة تسهّل الفهم والحفظ ، اذ يشغل التلميذ حاسّة البصر فتعاون عقله الناشئ وذاكرته الطرية . ف. ا. ب.

مختارات من كتاب « حديث الحكمة »

نشر مراد فؤاد حتي

٣٠ ص. متوسطة — دمشق ، ١٩٣٨

هي تتف حكمية مختارة من اثر فلسفي نفيس للطبيب السرياني ، الاسقف غريغوريوس ابي الفرج المعروف بابن العبري . حققها ونشرها الاستاذ مراد فؤاد حتي معلقاً عليها بعض الحواشي ، ممهداً لها بترجمة مختصرة للمؤلف. وقد ظهرت اولاً في مجلة المعهد الطبي العربي بدمشق.

الشعر الجاهلي

بقلم فؤاد افرام البستاني

« الروائع » : الجزء الثاني : ٦٤ ص. صغيرة — المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ١٩٣٨ — الثمن : ٩ غ.ل.س.

هي طبعة ثانية (الالف العاشر) منقحة ومزيد عليها للجزء الثاني من مجموعة « الروائع » . موضوعها الشعر الجاهلي : نشأته ، فنونه ، صفاته ، مع محاولة في تحديد الشعر عامة ، ونظرات في الشعر الصافي ، والإنشاد ، والوحدة في الادب القديم ؛ مؤلفة مقدمة عامة لدرس المنتخبات من شعر الجاهليين .

اللبناني

جريدة اسبوعية مصورة

١٨ ص. قطع ٤ — مطبعة جان دارك ، بيروت ، ١٩٣٨ — الاشتراك : ٣ ل.ل.س. في لبنان ، و١٥٠ فرنكاً في الخارج

جريدة جديدة ينشئها في بيروت الاستاذ حنا الخوري الفغالي ؛ فيخصها بالابحاث اللبنانية الصرفة من تاريخ ، واجتماع ، وتقاليد ، واخبار عن اللبنانيين ، المقيمين والمهاجرين .

* جمعية اصدقاء الاشجار * كراسان في ٢٦ ص. متوسطة — الاول باللغة العربية في مطبعة « العرائس » ، بكفيا ، ١٩٣٨ ؛ والثاني بالفرنسوية : مطبعة القديس بولس ، حريصا ، ١٩٣٨ — تضمنا تقرير امين السر العام ، الحكيم امين الجميل.

* مقاطعة الصهيونيين للمنتوجات السورية اللبنانية لا تؤثر على سوريا ولبنان * كراس في ١٤ ص. صغيرة وقعه « تاجر لبناني ».

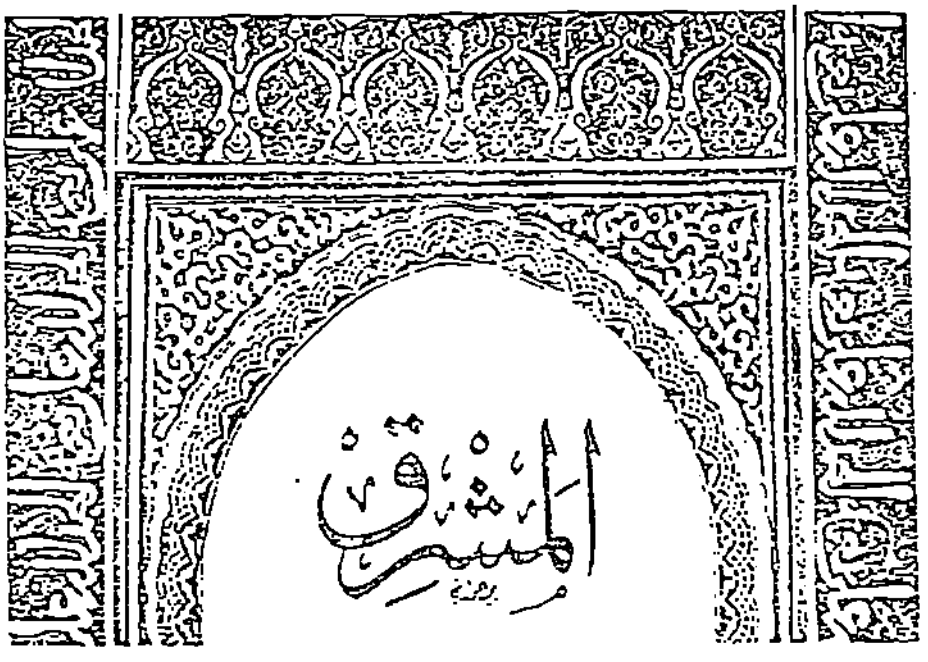

السنة السادسة والثلاثون

تموز — ايلول ١٩٣٨

الديانات النصرانية في الاسلام

بقلم

هيب زيات

مقدمة

الغريب انه ليس في المصنفات التي وضعها كتّاب العرب ، وبلغتنا اسماؤها ، تاريخ لاحد النصارى في ذكر البيع والديارات ووصفها ، في الاسلام. وغاية ما انتهى الينا في الكلام على طائفة منها المجموع الذي عُني بكتابته الشيخ المؤتمن سعدالله بن جرجس بن مسعود ، من اقباط القرن السادس للهجرة. وهو في مجلدين . طُبع احدهما منحولاً للشيخ ابي صالح الارمني ، مع ترجمته الى الانكليزية ، عن الاصل المحفوظ في خزانة باريس.[1] وبقي الآخر مخطوطاً مخبوءاً في حوزة احد كتبة القبط . ورثه من بعض انسبائه من رجال الكنيسة وهو شديد الضنّ به على العلم والعلماء لا يطيب قلباً بنشره. ولكن الاديار المذكورة في هذين المجلدين هي بعض من عِدّ مما كان قديماً منها في الديار الاسلامية . وحسبك ان مدينة الرها وحدها كان فيها وحولها ، فيما رواه الاصطخري ، « زيادة على ثلاثمائة دير وصوامع كثيرة.»[2] وابلغها ابن الفقيه الى « ثلاثمائة وستين ديراً.»[3] على بعض مبالغة دون شك في الروايتين. فما ظنك بما كان منها في سائر البلدان والجبال والقفار.

ومما فات الشيخ سعدالله التنبه له انه لم يتفق له مرّة ، ولو عرضاً ، ان

---

١) B. T. A. Evetts, *The Churches, monasteries of Egypt*. Oxford, 1895

٢) مسالك الممالك ، ص ٧٦

٣) كتاب البلدان ، ص ١٣٤

يصف كيفية بناء دير واحد من الاديار التي عدّدها ؛ او ان يشير الى شيء من خططها ورسومها ، وهندسة قلاليها ومعابدها ومرافقها ؛ وما كان يحفّ بها ويُضاف اليها من البساتين ، والمعاصر ، والحانات ، ودور الضيافة ، والمتنزّهات. واغفل ايضاً وصف كلّ ما كان واقفاً عليه في زمانه من احوال الرهبان ؛ وما كان شائعاً معروفاً من طرائق معيشتهم وسُنَنهم ومصطلحاتهم في اللباس والزيّ ؛ واساليب كل فئة منهم في الزهد والانقطاع ، والانفراد والاجتماع . شأنَ كل المؤرّخين في الشرق في قلّة التوسّع والاستيفاء ، وعدم الاكتراث والاحتفال بمثل هذه الشروح والاوصاف الخطيرة . فلا ندري اليوم كيف كانت حياة الاديار النصرانية بعد الهجرة. ولا نعلم من امرها سوى ما شاء فريق من كتبة الاسلام حكايته لنا من مجالس اللهو والقصف التي كانت تُعقد في ملحقاتها وحاناتها. وما كان يرتكب فيها من المنكرات حسبما نظمه في وصفها بعض الشعراء والخلعاء المتطرّحين فيها ، على رضى او كراهة من اهلها. وهذه الحكايات والاوصاف هي اليوم المصدر الاوحد والمرجع الفرد للباحث عندنا المتشوّف الى استطلاع شيء من انباء الرهبان والمتبتلين ؛ ومعرفة ما آلت اليه خلواتهم ومتعبداتهم من الابتذال والانتهاك في عهد الخلفاء والملوك والولاة ، منذ القرن السابع للميلاد الى انقراض الخلافة العباسية في القرن السادس عشر.

وقد الّف غير واحد من الائمة وفحول الشعراء في هذه الديارات والحانات. وجمعوا الاشعار المقولة فيها. وما كان يحدث فيها ويجري بين جدرانها من شجون ومجون ، وزهد وعبادة. ووصفوا بعض مواقعها وخصائصها ؛ وما كان يرتفع منها من الخمور ، والاثمار ، والنباتات ، والتجارات ؛ ويحمل اليها من النذور ؛ ويُستشفى فيها من الادواء والعاهات. ونبّهوا على ما كان مشتهراً خاصة بنزول الملوك والكبراء فيها ؛ وانقطاع بعض الشعراء والمجّان اليها. وقد بحثنا عنها طويلاً في تضاعيف الكتب المصنفة في الفهارس والتراجم والوفيات . ووقفنا منها على تعداد ما يأتي:

١ كتاب الحيرة وتسمية البيع والديارات لهشام بن محمد الكلبي(١) . وهو مفقود .

١) ارشاد الاريب لياقوت ٧ : ٢٥٢

والأرجح انه هو نفس المصنّف المشار اليه في كتاب مسالك الابصار للشهاب العمري في الكلام على دير الاسكون (١ : ٢١١)

٢ كتاب الديارات لابي الفرج الاصبهاني ، صاحب كتاب الاغاني(١ . نُكب الادب بخسارته . وبقيت تقول منه في معجم البلدان لياقوت ، ومعجم ما استعجم للبكري ، ومسالك الابصار للعمري ، وروايات شتى عنه في كتب الادب .

٣ كتاب الدِّيَرة للسريّ الرفّاء الموصلي الشاعر ، المتوفى في بغداد سنة ٣٦٢ للهجرة(٢ (٩٧٢/٣ م) . وقد ضاع بين سمع الارض وبصرها . ولا نعلم لاحد رواية عنه .

٤ كتاب الديارات لابي الحسن علي بن محمد الشابشتي الكاتب ، المتوفى سنة ٣٨٨ (٩٩٨م) ذكر فيه كل دير بالعراق والموصل والجزيرة والشام والديارات المصرية . وهو على اسلوب الديارات للخالديّين وابي الفرج الاصبهاني(٣ . كان منه نسخة ثمينة مزوّقة illustrée وقف عليها شمس الدين محمد بن طولون الدمشقي في القرن العاشر للهجرة (٤ . ولا يخفى ما فاتنا بفقدها من الفائدة الجلّى لامكان دلالة ما فيها من الصور والاشكال على رسوم الديارات وضروب ابنيتها . وتوجد من هذا الكتاب نسخة مخرومة في خزانة برلين . سقط منها جانب من ديارات العراق ، وكل ديارات الشام ، ما خلا دير البخت . وفي دار الكتب المصرية نسخة عنها خطية قليلة الضبط . واخرى مصورة في الخزانة التيمورية . وعنها صورة في خزانتنا . وفيها كل طريف ومستمع . وقد توسع كثيرًا في اخبار الشعراء والامراء الذين نظموا في الديارات واتصلوا بها . وذكر بعض من زارها من الخلفاء . وهو ذخر للمؤرخ ومتعة لكل اديب ، وحقيق بالخدمة والطبع .

٥ كتاب الديارات للاخوين الشاعرين الخالديّين(٥ ابي بكر وابي عثمان المتوفيّين في اواخر القرن الرابع للهجرة . وقد اتّهما السريّ كثيرًا بالإغارة على اشعاره وبثّ افكاره . فلعلّهما قلّداه ايضًا او زاحماه في هذا الباب . وفي ياقوت والعمري مآخذ عنهما .

٦ كتاب الديارات لابي الحسن علي بن محمد العدوي السُّيَّاطي . قال محمد بن اسحق الندم : « وهو يحيا في عصرنا في سنة ٣٧٧ (٩٨٧/٨ م) له كتاب الديارات كبير . »(٦ وفي جزء من تاريخ بغداد لابن النجار « انه كان شاعرًا يمدح الملوك . اصله من الموصل . سكن

١) وفيات الاعيان لابن خلكان ، ص ٤٢٦

٢) ارشاد الاريب لياقوت ٤ : ٢٢٧

٣) وفيات الاعيان ، ص ٤٢٦

٤) ذخائر القصر في تراجم نبلاء العصر لابن طولون الحنفي ، رقم ١٤٣٣ من الخزانة التيمورية .

٥) ارشاد الاريب لياقوت ٧ : ٢٥٣

٦) ارشاد الاريب ٥ : ٢٧٥–٢٧٦

بغداد ودخل واسط في سنة اربع وتسعين وثلثمائة (٧٠٣/١٣٠٣ م).» (١) وفي بغية الطلب في تاريخ حلب لابن العديم عدة مطالعات فيه وروايات عنه لم نجدها في غيره من كتب الديارات فلا شك انه كان اوسع اشتمالاً واغزر فوائد منها كلها . ولذلك وصفه صاحب الفهرست بالكبير . ولعل هذا التوسع ، مع قلة اقبال النساخ على كتابة غير مصنفات الحديث واللغة ، كان سبب اهماله وندرة نسخه . فعزّ طلّابها وصارت الى من لا يعرف لها قدرًا ولا قيمة وقُطعت اوراقها وبيعت على العطار والاسكافي ،

فهي إمّا مزاود للفقير ، واما بطائن للخفاف

٧ كتاب الدِّيَرة لمحمد بن الحسن بن رمضان النحوي (٢ . ويظهر انه هو الذي اشار اليه ياقوت في استدراكه عليه ما ذكره عن دير الرصافة .

٨ اوصاف الاديار في معجم البلدان لياقوت الرومي (٢ : ٦٣٩–٧١٠ من طبعة ليبسك) نقل مرارًا كثيرًا منها بالحرف الواحد عن تقدمه من مؤلفي الديارات . وسمّى منهم ابا الفرج الاصبهاني والمقالديّين . وفيها ، على ما يشوبها من اغلاط النسخ والطبع ، غناء وعزاء عما تلف او فات مما كان باقيًا في زمانه ولم ينتهِ الينا من كتب الديارات .

٩ نعوت ثمانية وثلاثين ديرًا من الاديار اوردها البكري ببعض اختصار في كتابه معجم ما استعجم طبعة وستنفلد سنة ١٨٧٧ (١ : ٢٥٩–٢٨١) ولم يأتِ فيها بغريب . ولم يسمِّ ممن نقل عنه غير ابي الفرج الاصبهاني من مؤلفي كتب الديارات .

١٠ باب الديارات في كتاب مسالك الابصار وممالك الامصار لشهاب الدين العمري في المجلد الاول منه المطبوع بمصر سنة ١٩٢٤ (ص ٢٥٤–٢٨٦) وفي طبع المتن بعض اوهام وتحريفات استدركناها في مقالة لنا طويلة نشرتها مجلة لغة العرب في بغداد (٦ [١٩٢٨] ٢٣٣–٢٤٣) وقد نقل المؤلف كثيرًا عن ابي الفرج الاصبهاني ، والمقالدي ، والسُّبَيْطي ، وربما نقل عن المقالدي الصفحة والصفحتين والثلاث . وفيه زيادات على ياقوت تبلغ نيفًا وعشرين ديرًا .

١١ مجموع في خزانة بريتش موزيوم في لوندرة رقم Add. 19408 بعنوان « الدرّ الملتقط من كل بحر وسقط » لمحمد بن علي بن محمود الكاتب الدمشقي . أنجزه في شهور سنة ثلاث وخمسين وسبع مائة (١٣٥٢ م) وقال في مقدمته : « بوّبته سبعة ابواب من ثلثين بابًا . واودعته حكمًا واداباً » ولكن لم نجد فيه الا بعض الابواب فقط . ومنها قسم ناقص . وفيه تقديم وتأخير . وفي اسماء الابواب بعض التشويش والاختلاط منها الباب السابع والعشرون ذكر عنوانه « البدور المسفرة في نعت الكنائس والاديرة » وليس به . ولكن في الصفحات ١١٧–١٢٤ اوصاف لتسعة عشر من الاديار . اولها دير الروم وآخرها دير مرّان بظاهر دمشق ، تلقّطها جامعها من كتب شتى . وفي سياقتها نقص واقتضاب . ويظهر انه لم يستمدها من المقالديّين

١) جزء من تاريخ بغداد لابن النجار ، رقم ٢١٣١ خزانة باريس ، ص ٢٤

٢) ارشاد الاريب ٦ : ٤٩٥

ولا من الشابشتي . ولا يبعد ان تكون طائفة منها مأخوذة من ديارات ابي الفرج الاصبهاني . فهي ، على كل حال ، تصلح للنشر . واقتصر ، في كلامه على دير مرّان ، على تكرار ما جاء عنه في كتاب بدائع البدائه لابن ظافر من حكاية الشاعر البغاء التي تقدمت للثعالبي في يتيمته . وفي مقابلة هذه الفصول على ما جاء في معجم ياقوت فضل وزيادة في البيان والتعريف . وهذه اسماء الاديرة الموصوفة فيها :

دير الروم (ص١١٧-١١٩) نقل فيه حكاية مدرك بن علي الشيباني ومزدوجته في عمرو بن يوحنا النسطوري .
دير الزندورد . والثعالب (ص ١١٩)
دير سالو . والثعالب (مكرر) . دير الجاثليق (ص ١٢٠)
دير اشموني (ص ١٢٠-١٢١)
دير جرجس (ص ١٢١)
دير العذارى (ص ١٢١-١٢٢)
دير مرمار (مار ماري) ص ١٢٢
دير هند (ص ١٢٣)
دير يونس . وقوطا . والشباطين (ص ١٢٤)
دير الزعفران (ص ١٢٥)
دير القُصير (ص ١٢٥-١٢٦)
دير البركة ويعرف بدير المافر (ص ١٢٦)
دير باب الفراديس بدمشق . زاره المتوكل على الله الخليفة العباسي (ص ١٢٦-١٢٧)
قصيدة في دير الزعفران السابق الذكر (ص ١٢٨-١٢٩)
خبر عن دير زكّى ظاهر الرقة (ص ١٢٩)
دير مرّان (ص ١٢٩-١٣٤)

١٢ « ذكر ديارات النصارى » في كتاب الخطط للمقريزي . اقتصر فيه على تعداد اديرة الديار المصرية ، وتعريف منشئها واحوالها . ونقل عن الشابشتي وياقوت الرومي اخبار ما كان مقصوداً منها في الاسلام للنصف واللهو . ولم يأتِ فيها بزيد يجدو بالتنويه .

وقد تفرغنا لمطالعة كل ما وقع الينا من هذه المؤلفات والاوراق . وراجعنا ما تهيأ معها من كتب الادب ودواوين الشعراء . وقيّدنا منها كل ما استشفّ لنا من خلال الفاظه وابياته بعض التصريح او التلويح الى شيء من اوصاف الاديار والتعريف باحوال المقيمين فيها . وقارنّا بين كل منها ، ونبهنا على اصولها بغاية الضبط . وربما اضطررنا مكرهين الى الاستشهاد احياناً ببعض الابيات والاقوال على ما فيها من الرفث والسقط ، بعد ان استبدلنا بما انقاد لنا من الفاظها

المنكرة وهذبنا ما استطعنا من حوشيها. ولا حاجة الى القول اننا كنا نودّ تجنب رواية مثلها لو خُيّرنا فيها . ولكن الحقيقة ضالة المؤرخ ينشدها في كل واد. ويقدح في البحث عنها وارتيادها بكل زناد . وغاية هذا الكتاب تصوير حالة الديارات في الاسلام كما كانت حقاً بما فيها من حسن او قبح. فلا بد ان يكون كالمرآة تصف كل وجه بمثاله. ورائد الحق ، كما قيل ، لا يكذب اهله.

وقد اقتصرنا في كل ما تناولناه من المباحث والفصول على شرح ما تمثل لنا من دلائل الآثار الاسلامية وحدها كما نبهنا عليه في العنوان . ولذلك لا يجد الناظر في هذه الصفحات الّا جانباً فقط من تاريخ المعاهد النصرانية بعد الهجرة الى سقوط دولة المماليك في القرن السادس عشر ، كما تمثلت لنا في الاصول التي درسناها . وقد استعنّا بانوار هذه الآثار الضئيلة لإضاءة بعض الظلمات المكتنفة ماضي الديارات في الاسلام ، على غير اهتداء بمثال سابق ، او احتذاء لاحد ممن تقدمنا من الكتبة والمؤرخين. ونرجو ان نكون ، في كل ما حاولنا جلاءه من غوامض العاديات المسيحية في العراق ومصر والشام ، قد رُزقنا فيه حظ المقاربة في الحكم. وكُفينا بعون الله وتوفيقه شطط الخطإ والوهم.

الدير والعُمْر

اكثر ما كانت تكون الاديار في ضواحي المدن بين الرياض والحدائق. وفي قمم الجبال والروابي المطلّة على الاودية والسهول الفسيحة . وفي المواضع المنقطعة عن الناس. ولذلك قال ياقوت في تعريفها: « الدير بيت يتعبد فيه الرهبان. ولا يكاد يكون في المصر الاعظم. انما يكون في الصحارى ورؤوس الجبال. فان كان في المصر كان كنيسة او بيعة.»[1] ولا يخفى ما في هذا الاستدراك الاخير من الخطإ والقصور. واصوب منه قول المقريزي « الدير عند النصارى يختصّ بالنسّاك المقيمين به. والكنيسة مجتمع عامتهم للصلاة.»[2]

وفي الشعر اشارات الى الاديار القديمة القائمة فوق الهضاب والقلل، وفي سفوح الاطواد وذرى المستشرفات. ولربيعة بن مقروم الضبيّ في وصف احدى الحسان:

لو انها عرضت لاشمط راهب ، في رأس مشرفة الذرى متنسّكِ !
جآر ساعات النيام لربّه حتى تخدّر لحمه ، متشمّلِ ،
لصبا لبهجتها وحسن حديثها ، ولهمّ من ناقوسه بتنزّلِ.[3]

ومن الديارات التي اشتهرت بعلوها وارتفاعها وسمّيت لذلك به دير بالموصل في اعلى جبل مطلّ على دجلة . كان يُضرب به المثل في رقة الهواء وحسن المُتشرَّف. وقيل له لهذا السبب الدير الاعلى. « وله درجة منقورة في الجبل تفضي الى دجلة نحو المائة مرقاة . وعليها يستقى الماء من دجلة.»[4]

واحسن وصف حُفظ لهذه الاديار المناطحة السحاب قول الشهاب العمري الدمشقي في دير السيق، قبلي البيت المقدس :

ارى حسن دير السيق يزداد ، كلما نظرت اليه والفضاء به نثرُ ،
بنوه على نجد على النور مشرف ، كتخت مليك تحته بُسُط خضرُ ،
واشرق في سُود الغمام ، كأنما تشقّق ليلًا عن جلابيبه الفجرُ ،

---

١) معجم البلدان، طبعة اوربة ، ٢ : ٦٣٩
٢) الخطط ، مطبعة النيل ، ٣ : ٤٠٦
٣) الاغاني ، مطبعة بولاق ، ١٩ : ٩٣
٤) مسالك الأبصار للعمري ١ : ٢٤٠-٢٤١

وقام على طود عليّ ، كأنما مصابيحه، تحت الدجى، الانجم الزهر.
وزفت اليه الشمس من جنب خدرها ، وناغاه جنح الليل في أفقه البدر ؛
وألفت اليه الريح فضل عناقها ، واحنى عليها لا تُبلّ له عذر.
ولو كان كالنسرين ، هان ارتقاؤه ؛ ولكنه قد حُطّ من دونه النسر ،
علا نسر ريحا ، والمجرّة فوقه ، فمن فوقه نسر ومن تحته نسر.(١

ومن اغرب ما جاء في تفسير كلمة الدير قول ابن سيده في المحكم « الدير خان النصارى.»(٢ وقد فاته انه كان ايضاً للمسلمين منذ عهد الخلفاء الراشدين:

كالمكان تنزله وترحل غادياً ويحلّ بعدك فيه من لا تعلم

ويقال للراهب الساكن في الدير المنتسب اليه « ديّار وديراني.»(٣ وللراهبة ديرية وديرانية . قال احد بني تغلب في خبر دير العذارى فيما زعموا « خلونا بعشرين ديرية.»(٤ وقال اسحق الموصلي: « دخلت دير القائم اطوف فيه. فرأيت ديرانية حين نهد ثدياها. عليها المسوح . ما رأيت احسن من وجهها وجسمها.»(٥ وللعمري في الدير الابيض بمصر:

وبالدير ديرانية برزت لنا فتمّ لنا فيها حديث واسار(٦

ومن جموع الدير التي لم ترد في معاجم اللغة الديَرة . ومنه كتاب الديَرة للسريّ الرفاء. ومثله لمحمد بن رمضان النحوي. وقد استجاز حسام الدين الحاجري جمعه على ديور في قوله:

واستجلبا عذراء مشمولة ، أم الرهابين وبنت الديور(٧ .

ويسمّى الدير ايضاً العُمْر وجمعه اعمار . قال الحسن بن هانئ ، وقيل انه للحسين بن الضحاك:

---

١) مسالك الابصار للعمري ١ : ٣٤٠–٣٤١
٢) لسان العرب ٥ : ٢٦٧
٣) اساس البلاغة ١ : ٢٩١
٤) مسالك الابصار ١ : ٢٦٠
٥) مسالك الابصار ١ : ٢٦١
٦) مسالك الابصار ١ : ٢٨٢
٧) حديقة الافراح لإزالة الاتراح للشرواني ، ص ١٤٦

آذنك الناقوس بالفجرِ وغرّد الراهب بالعُمْرِ (١

وللخالدي في دير مار ميخايل باعلى الموصل :

يا صاحبيَّ ، هو العمر الذي جُمعت فيه المُنى فاغدوا بالدير او روحا (٢

وقد اشتهر بهذه التسمية خصوصاً عمر كسكر او واسط . وعمر الزعفران بنصيبين . وعمر احويشا باسعرد من ديار بكر . وعمر مار يونان بالانبار . وعمر الزرنوق على فرسخين من جزيرة ابن عمر . والى جانبه دير آخر يعرف بالعمر الصغير . وعمر نصر بسامرّا . وفيه يقول الحسين بن الضحاك :

يا عمر نصر ، لقد هيجت ساكنةً ماجت بلابل صبٍّ بعد إقصار (٣

ويقال لصاحبه عمّار . وفي ديوان ابي نواس :

أذا الندامى ارادوا ، ما باعهم خمّار
حمرآء فيها اصفرار ، وعندهم عمّار (٤

وفي تاج العروس : « العُمر بالضم المسجد والبيعة والكنيسة . سميت باسم المصدر لانه يُعمر فيها اي يعبد . » (٥ وقد بحثنا كثيرًا فلم نعثر على شاهد واحد يثبت استعمال العُمر بمعنى المسجد . ولا ندري ما الفرق في هذا التحديد بين البيعة والكنيسة ، إلا اذا اراد ان يعني بالكنيسة معبد اليهود . وعلى ذلك يكون ، على رأيه ، معنى العمر بيت العبادة بالاطلاق لاهل الكتاب على السوا . وليس في اقوال الكتاب والشعرآء قديماً وحديثاً ما يؤيّده . قال ياقوت في تفسير العُمْر :

« ذكر ابو حنيفة الدينوري في كتاب النبات ان العمر الذي للنصارى انما سمّي بذلك لان العمر في لغة العرب نوع من النخل . وهو المعروف بالسكر خاصة . وكان النصارى بالعراق يبنون ديرتهم عنده فسمّي الدير به . وهذا قول لا ارتضيه . لان العمر قد يكون في مواضع لا نخل بها البتة كنحو نصيبين والجزيرة وغيرهما . والذي عندي فيه انه من قولهم عمرت ربي اي عبدته . وفلان عامر لربه اي عابد وتركت فلاناً يعمر ربه اي يعبده . فيجوز ان يكون

١) كتاب الديارات للشابشتي ، ص ١١٢–١١٣
٢) معجم البلدان ٢ : ٦١٢
٣) معجم البلدان ٣ : ٧٢٥
٤) ديوانه ، رواية الاصبهاني . باريس رقم ٤٨٣٠ ، ص ٤٢٥
٥) تاج العروس ٣ : ٤٢٠

الموضع الذي يُتعبَّد فيه يسمى العمر . ويجوز ان يكون مأخوذًا من الاعتمار والعمرة وهي الزيارة. وان يراد انه الموضع الذي يُزار. ويقال: جاءنا فلان معتمرًا اي زائرًا. ومنه قوله: وراكبٌ جاء من تثليث معتمر[1]. ويقال: عمرت ربي وحججته اي خدمته. فيجوز ان يكون العمر الموضع الذي يخدم فيه الرب.»[2]

وفي مراصد الاطلاع ان الدير يسمى عمرًا اذا كان مجاورًا للاماكن المعمورة وهو قوله: «ما كان من مواضع المتعبدات التي فيها مساكن الرهبان بقرب العمران فانه يسمى العُمر.»[3]

وفي هذه الاقوال كلها ما لا يخفى من التعمّل والتحكم كدأب اكثر ارباب اللغة والمفسرين في انكار اعجمية كل ما يمرّ بهم من الالفاظ الدخيلة. واحتيالهم لاستنباط اصل لها عربي، ولو بطريق التكلف والتمحُّل والشعوذة. والصحيح ان الكلمة من اصل ارامي ܥܡܪܐ بمعنى البيت والمنزل.

---

١) هذا عجز بيت لاعشى باهلة، صدره:
فجاشت النفس لما جاء جمعهمُ

٢) معجم البلدان ٣: ٧٣٤

٣) مراصد الاطلاع ١: ٤٢١

تخطيط الاديار

وتقدير ابنيتها وزينتها

لم يتفق لاحد من الكتبة والمؤرّخين الإلماع الى شيء من اوصاف ابنية الديارات ، وتقدير مساكنها وملحقاتها . فلا نعرف منها سوى انها كانت تشتمل ، فيما عدا الكنيسة والهياكل ، على القلالي ، وبيوت المائدة ، والمخادع للمستودعات ، ودور الضيافة وما يلحق بها ويضاف اليها من الصهاريج ، والحدائق ، والبساتين ، والحانات . ولا شكّ ان رسومها وخططها كانت تختلف باختلاف الامصار والسكان . وربما اقتعدت احياناً غارب الجبال ، ونُقرت في الصخر الاصمّ . واعجب ما عرف منها دير متى شرقي الموصل « واكثر بيوته منقورة في الصخر . وفيه نحو مائة راهب لا يأكلون الطعام الا جميعاً في بيت الشتاء او بيت الصيف . وهما منقوران في صخرة . كل بيت منهما يسع جميع الرهبان . وفي كل بيت عشرون مائدة منقورة في الصخر . وفي ظهر كل واحدة منهنّ قبالة[1] برفوف وباب يغلق عليها . وفي كل قبالة آلة المائدة التي تقابلها من غضارة وطوفرية وسكرّجة .[2] لا تختلط آلة هذه بآلة هذه . ولرأس ديرهم مائدة لطيفة على دكان لطيف في صدر البيت يجلس عليها وحده . وجميعها حجر ملحق بالارض . وهذا عجيب ان يكون بيت واحد يسع مائة رجل .. وهو وموائده حجر واحد . »[3] وكان لهذا الدير « عدة ابواب مفرطة في الكبر . وكلها من حديد مُصمَت . وبه صهريج عظيم يجتمع فيه ماء المطر . عمقه اثنا عشر ذراعاً . لكل شهر ذراع من

١) لم ترد هذه اللفظة في معاجم اللغة ولا في تكملة دوزي . ويُراد بها هنا بيت صغير كالمقرانة يكون في جُدُر المنازل . وهو المعروف اليوم عند العامة بالمرستان . وفي كتاب آثار البلاد للقزويني في كلامه على دير متى لفظة « بويت » (كذا) تصغير بيت . في موضع «قبالة» .

٢) الطوفرية نوع من الصحاف . ويقال احياناً طيفورية كانها نسبة الى طيفور ، لعله اول من اقترح صنعها . والسكرّجة لفظة فارسية ، ومعناها مقرّب الخل vinaigrier (شفاء الغليل للخفاجي ، ص ١١٩)

٣) معجم البلدان ٢ : ٦٦٤

الماء. وينتح هذا الصهريج من موضعين في اعلاه واسفله. فيخرج ماؤه من اسدين من صُفر.»[1]

ومن الاديار التي عُلِّقت في الجبال بمصر دير مغارة شقلقيل، تجاه منفلوط. «وهو نقر في الحجر على صخرة تحتها عقبة. لا يتوصل اليه من اعلاه ولا من اسفله. ولا سُلَّم له. وانما جعلت له نقور في الجبل. فاذا اراد احد ان يصعد اليه. أرخيت له سَلَبَة فامسكها بيده. وجعل رجليه في تلك النقور وصعد. ودير الطير قبالة سملوط وله سلالم منحوتة في الجبل.»[2] ودير السبعة الجبال باخميم، وهو دير عال بين جبال شاهقة. ولا تشرق عليه الشمس الا بعد ساعتين من الشروق لعلوّ الجبل الذي هو في لحفه. واذا بقي للغروب نحو ساعتين خُيِّل لمن فيه ان الشمس قد غابت واقبل الليل فيشعلون حينئذٍ الضوء فيه. ومن داخل هذا الدير دير القرقس وهو في اعلى جبل قد نقر فيه. ولا يعلم له طريق بل يصعد اليه في نقور في الجبل. ولا يتوصل اليه الا كذلك.[3]

وكثيراً ما كانت الاديار تُحصَّن بالاسوار الشاهقة وابواب الحديد، خوفاً من اللصوص والدُعَّار، كدير الاسكرن بالحيرة.[4] وعمر مار يونان بالانبار.[5] وربما ارتفعت جدرانها مئة ذراع، فيما قيل، كدير باعربا بين الموصل والحديثة على شاطىء دجلة[6]. ودونها السور المحيط بدير الزعفران في لحف جبل نصيبين. وقلّ ان تتخذ ابوابها من الحجر الصلب كدير طورسينا. كان له ثلاثة ابواب حديد. وفي غربيّه باب لطيف. وقدامه حجر اذا ارادوا رفعه رفعوه. واذا قصدهم قاصد ارسلوه فانطبق على الموضع فلم يعرف مكان الباب[7]. وكدير باطا بالسن بين الموصل وتكريت وهيت. زعموا ان بابه الحجري كان يفتحه الواحد والاثنان.

١) مسالك الابصار ١: ٣٩٩
٢) خطط المقريزي، مطبعة النيل، ٤: ٤١٢
٣) خطط المقريزي، مطبعة النيل، ٤: ٤١٣
٤) معجم البلدان ٢: ٦٤٢
٥) مسالك الابصار ١: ٢٨٦-٢٨٧
٦) معجم البلدان ٢: ٦٤٥
٧) معجم البلدان ٢: ٦٧٦

فان تجاوزوا السبعة لم يقدروا على فتحه البتة[1] (كذا)

على ان كل هذه الابواب الحديدية والحجرية وكل هذه الاسوار الشاهقة المتوقلة في الجبال لم تكن تحمي الرهبان ، على كثرتهم احياناً ، من عوادي اللصوص ونتكات الاعراب والاكراد واشباههم من قطاع الطريق . وليس هنا محلّ تعدادها . ويكفي شاهداً وإحداً عليها ما رواه صاحب مرآة الزمان في حوادث سنة ٤٤٩ (١٠٥٧ م) قال :

« فيها صعد عشرون رجلاً من الغز الى دير النصارى في ميافارقين . فيه اربعمائة راهب . فذبحوا منهم مائة وعشرين واشترى الباقون نفوسهم بست مكاكي ذهب وفضة . »[2]

وكانت القباب بشكلها البيزنطي تعلو بعض الاديار وتستوقف طرف الناظر اليها . ولا سيما اذا كان البناء زاهياً مشرقاً بلون الحمرة كقباب دير يوسف بالموصل . وقد تشوّق اليها السري الرفاء مرتين في شعره . فقال في احد اشعاره :

يا دير يوسف ، لا عدتك تحية ... للسزن بين رواعد وبوارق ،
غرآء ضاحكة اليها ثغورها ، ... ضحك الحبيب الى المحب الوامق .
سقياً لتلك منازلاً معمورة ... من كل مطروق الفناء ، وطارق !
حمر القواعد والقباب ، كأنما ... أشربن رقراق الخلوق الرائق . (٣)

وله ايضاً من قصيدة قالها ، وهو بحلب ، يتشوّق بها للموصل ودير يوسف :

اعلىّ صبوتنا دعآء مشوق ... يرتاح منك الى الهوى الموموق ،
هل الحرقنّ العمر بين عصابة ... سلكوا الى اللذات كل طريق ؟
ام هل ارى القصر المنيف معسّباً ... بردآء غيم كالردآء رقيق ،
وقلاليّ الدير التي ، لولا النوى ، ... لم أرمها بقلى ولا بعقوق ،
محمرّة الجدران ينفح طيبها ... فكأنها مبنية بخلوق ! (٤)

واكثر ما ذكرت هذه القباب في الحيرة والعراق . وهي من الابنية القديمة . عُرفت منها في الحيرة قبة السُنيق . وقبة غُمَين الى جانب دير الحريق في الحيرة .

---

١) معجم البلدان ٢ : ٦٤٦

٢) مرآة الزمان . خزانة بريتيش موزيوم Or. 4619, f° 241a

٣) ديوانه . خزانة باريس ٣٠٩٨ ؛ ص ١٤٧

٤) يتيمة الدهر للثعالبي ، طبعة دمشق ، ١ : ٤٨٨

زعم العمري انهما راهبان نُسبتا اليهما . قال وهما بديعتا البناء.[1] .وبازائهما قباب اخرى يقال لها الشكورة (او السكورة) ذكرها احد الشعراء فقال يصف خروج نساء النصارى منها الى قبة السنّيق:

والنصارى مشدّدين الزنانير عليهنّ كل حلي وثيق
يتمشّين من قباب الشا نين الى صحن قبة السنّيق(٢ .

ولبعض الديارات سمعة طائرة بنفاسة البناء ، واحكام الصنعة ، وبلوغ النهاية في الزينة والبهاء. منها دير الرصافة برصافة هشام. قال ياقوت: « رأيته وهو من عجائب الدنيا حسناً وعمارة.»[2] وكانت هياكلها وقلاليها وارضها موزّرة مفروشة بانواع المرمر وضروب الرخام المجزّع. مزوّقة الجدران والسقوف باشكال النقوش والفصوص المذهبة . ومن الغريب انه لم يتفق لاحد الشعراء او مؤلفي الديارات وصف شيء من آنانين الفسيفساء على كثرتها وشيوعها في الشام ومصر والعراق. قال ياقوت: « وكان اهل ثلاث بيوتات يتبارون في البيع وزينتها . اهل المنذر بالحيرة. وغسان بالشام. وبنو الحارث بن كعب بنجران. وبنوا دياراتهم في المواضع النزهة الكثيرة الشجر والرياض والغدران . ويجعلون في حيطانها الفسافس وفي سقوفها الذهب والصور.»[4]

ومنها دير نجران « بناه بنو عبد المدان بن الديّان . بنوه مربعاً مستوي الاضلاع والاقطار. مرتفعاً عن الارض. يصعد اليه بدرجة على مثال بناء الكعبة. فكانوا يحجّونه هم وطوائف من العرب. ولذلك سمّاه الاعشى كعبة نجران بقوله يخاطب ناقته ، مشيراً الى بني عبد المدان:

وكعبة نجران حتمٌ عليك حتى تناخي بابوابها(٤

وليس لدينا اقلّ اشارة الى ما كان في كنائس الاديار من المصاحف الثمينة وطرائف الآنية والزينة . وغاية ما روي في هذا الباب ان الدير الاعلى فوق الموصل لم يكن للنصارى دير مثله « لما فيه من اناجيلهم ومتعبداتهم .»[5] ولكن

---

١) مسالك الابصار ١ : ٢١٥
٢) كتاب الديارات للشابشتي ، ١٠٥-١٠٦
٣) معجم البلدان ٢ : ٦٦٠-٦٦١
٤) معجم البلدان ٢ : ٧٠٢
٥) معجم البلدان ٢ : ٦٤٤

اذا تذكرنا ان معظم هذه الديارات كان مبنياً قبل الاسلام في عهد الرومانيين والبيزنطيين ، تيسّر لنا تصوّر ما كان مجتمعاً فيها مصوغاً في خزائنها من الذخائر والاعلاق النفيسة ، ومصوغات الذهب والفضة. ولا سيما ان طائفة منها كانت من بناء القياصرة والملوك . وقد رووا عن النعمان بن المنذر ملك الحيرة انه ، لما بنى دير هند الصغرى ، « كان يصلّي به ويتقرّب فيه . وانه علّق في هيكله خمس مئة قنديل من ذهب وفضة. وكانت ادهانها في اعياده من زنبق وبان وما شاكلها من الادهان. ويوقد فيه من العود الهندي والعنبر شيء يجلّ عن الوصف».[1] وكانت بيعة ابا هور في دير سرياقوس بمصر «مُثرية بفضة قناديلها وذهب صلبانها.»[2] ولها نظائر كثيرة في جميع ديارات الشام ومصر والعراق لا سبيل الى تعدادها.

وقد ولع الشعراء منذ الجاهلية بذكر الدُمى والصور في البيع والاديار وتشبيه الحسان بها . وهي كانت اماً محفورة منقوشة بانواع الاصبغة والادهان . واما مرسومة بازهى الالوان. ذكروا ان دير باعتل من جوسية من اعمال حمص كان فيه عجائب « منها آزج ابواب فيها صور الانبياء محفورة منقوشة فيها. وهيكل مفروش بالمرمر لا تستقر عليه القدم. وصورة مريم في حائط منتصبة كلما ملت الى ناحية كانت عينك اليها.»[3] واشتهرت ايضاً في دير القُصَير في ذروة جبل شهران في ضاحية مصر « صورة مريم في حجرها المسيح في غاية اتقان الصنعة . وكان خمارويه بن احمد بن طولون يكثر غشيانه وتعجبه تلك الصورة ويشرب عليها.»[4] وقد وصفها محمد بن عاصم بقوله:

صورة من مصوّر فيه قالت فتنة للقلوب والابصار ،
اطربتنا بغير شدو ، فاغنت عن سماع العيدان والمزمار ،
يقتر الجسم ، حين ترميه حسناً بفنون من طرفها السحّار ،
واشاراتها الى من رآها بخضوع وذلّة وانكسار .
لا وحسن العينين ، والشفة اللعساء منها ، وخدها الجلناري ،

---

١) مسالك الابصار ، ص ٢٢٢ ٢) مسالك الابصار ، ص ٢٦٠

٣) معجم البلدان ٢ : ٦٨٥

٤) الديارات للشابشتي ١٢٦

لا تحادث عن مزاري لدير هي فيه ، ولو نأى بي مزاري(١

ولعل صورة دير مار سرجس كانت ايضاً تمثل العذراء . « حكى عبدالله الربيعي قال: دخلت انا وابو النصر البصري مولى بني جمح بيعة مار سرجس وقد ركبنا مع المعتصم نتصيّد. فوقفت انظر الى جارية كنت اهواها. وجعل هو ينظر الى صورة في البيعة استحسنها حتى طال ذلك. ثم قال ابو النصر:

فتنتنا صورة في بيعة فتن الله الذي صوّرها !
زادها الناقش في تحسينها فضل حسن انه نضّرها ؛
وجهها ، لا شك عندي ، فتنة وكذا هي عند من ابصرها ،
انا للقس عليها حاسد ؛ ليت غيري عبئاً كدّرها ! (٢

وفي هذا التمني الاخير ، بعد الاعجاب الاول ، موضع استغراب واعتبار .

ومن نفائس الصور التي اشتهرت بقدمها وصبرها على عوادي الزمن ، وجمالها واتقانها ، وزهاء الوانها ، صورة دير الباعوث على شاطىء الفرات. كانت في هيكله « دقيقة الصنعة عجيبة الحسن. يقال ان لها مئين من السنين لم تتغير اصباغها ولا حالت الوانها . »(٣

وذكروا ان بدير ابا يوسف ، فوق الموصل ، عجائب من بدائع التصوير(٤. وروى الخالدي انه كان في هيكل دير مرّان بدمشق صورة عجيبة دقيقة المعاني(٥. ونقل ياقوت مثل ذلك في دير مار ماعوث على شاطىء الفرات وقال: في صدره صورة حسنة عجيبة(٦. ولما زار العمري دير المصلّبة بظاهر القدس ، رأى فيها صوراً يونانية في غاية من محاسن التصوير(٥.

وبالاجمال لم يكن دير من الأديار يخلو من امثال هذه الصور اليونانية البيزنطية « فتنة للقلوب والابصار » كما تقدم من وصف محمد بن عاصم لها. ولا يخفى ما اصاب تاريخ الفنون الشرقية بضياعها ، وفقدها ، واحراقها في الفتن والمظالم ، من الخسارة الشديدة التي يُناح عليها ويُبكى.

---

١) الديارات للشابشتي ، ١٢٦ ٢) مسالك الابصار ، ٢٧٤
٣) مسالك الابصار ، ٢٦٣ ٤) مسالك الابصار ، ٣٠٢
٥) معجم البلدان ٢ : ٦٩٩ ٦) معجم البلدان ٢ : ٧٠٠
٧) مسالك الابصار ، ٢٣٩

القلالي والأكيراح

في تاج العروس ان القلّية بالكسر وشدّ اللام شبه الصومعة . ومنه كتاب عمر (رضه) لنصارى الشام لما صالحهم ان لا يحدثوا كنيسة ولا قلّية . وهي القلّاية عند النصارى معرّب كلّاذة (كذا)[1] . والصواب انها مأخوذة من اللفظة اليونانية κελλιον

وتجمع القلّية على قلالي بالتشديد مثل علّية وعلالي . وقد تخفّف الياء . ومنه قول العمري في كلامه على دير الكلب « وقلاليه مبنيّة بعضها فوق بعض . »[2] ونظيره بيت ابي بكر الخالدي :

منادماً في قلاليه رهابنةً راحت خلائقهم اصفى من الراح[3]

وللسريّ الرفّاء في دير سعيد ، بالجانب الغربي من الموصل ، ابيات قال فيها :

ام هل ارى القصر المنيف ممنّعاً برداء غيم كالرداء رقيق
وقلاليّ الدير الذي ، لولا الثرى ، لم أريها بقلّى ولا بعقوق[4]

وربما تُجوّز بحذف الياء والاستعاضة عنها بالتنوين . ومنه قول صاحب مسالك الابصار في دير سعيد « حوله قلالٍ كثيرة . »[5] ولاحد الشعراء في دير ابون :

سقى الله ذاك الدير غيثاً لاهله وما قد حواه من قلالٍ ورهبان[6]

وقد غلب في الاستعمال لفظ قلّاية على ضعفه . وورد كثيراً في الشابشتي والعمري وسائر كتب الديارات . واشتهر في الحيرة بناء كالدير عُرف بقلاية القس وفيها يقول الثرواني :

خليليّ من تيم وعجل ، هديتما ! أضيفا بحث الكأس بومي الى اسي
وان انتما حيّيتماني فحيّة ، فلا تدعُوا ريحان قلّاية القسّ[7]

---

١) تاج العروس ٨ : ٨٦
٢) مسالك الابصار ، ٢٥٤
٣) يتيمة الدهر للثعالبي ، طبعة دمشق ، ١ : ٥١٢
٤) مسالك الابصار ، ٢٩٣
٥) مسالك الابصار ، ٢٨٩
٦) معجم البلدان ٣ : ٦٤٠
٧) معجم البلدان ٤ : ١٥٦

وفي ضبط لفظ القلاية خلاف بين الشعراء. فرواها التعاويذي بكسر القاف وتخفيف اللام في بيت له في صفة الخمر قال فيه:

من عتاد الرهبان لم يخلُ عصر الدهر منها قِلاية الجاثليق(١)

وحكى البكري فتح القاف وتخفيف اللام وتشديدها ايضاً في البيت المعروف:

قلاية القسّ، مالي عنك مصطبرُ ومن الى من لحاه فيك يعتذر(٢)

وروى الخفاجي انه في زمانه (القرن الحادي عشر للهجرة والسابع عشر للمسيح) كان يقال للقلّية قلة غلطاً. قال: «ومعابد النصارى ومساكن الرهبان منها كنائس وهي ما يعدّونه للعبادة. وهي معروفة الآن. ومنها دير وقلية وصومعة. فما كان خارج البلدان والقرى ان كان فيه حجرات ومرافق فهو دير. واما القلاية وجمعها قلايا فهي بناء مرتفع كالمنارة تكون لراهب ينفرد فيها. وقد لا يكون لها باب ظاهر. والصومعة دونها وهي معروفة. كذا في كتاب الكنائس.»(٣)

وقد فاته ان ينبه على مؤلف هذا الكتاب. ولم نجد له ذكراً في كشف الظنون. فلا ندري من اي عصر شهادته. ولا شك ان القلالي كانت تكون ايضاً داخل الديارات تطلق على الحجرات فيها وغرف الرهبان، كما تعرف بها اليوم. وقد تقدّم من كلام ياقوت الرومي ان الاديار كانت اكثر ما ترى في ظواهر البلاد. ولكن لدينا شواهد كثيرة على وجود جانب منها غير قليل في داخل المدن. وفيها القلالي كما في الزمن الحاضر.

وكانت القلالي التي في الضواحي تُقام قديماً في جوار الاديار. ولكل راهب من المنتسبين اليها قلّية خاصة يفصلها عن الدير وعما جاورها بستان فيه اصناف الاشجار والثمار والبقول والرياحين. يهتمّ الراهب بزراعتها والقيام عليها، ويرتزق ببيع غلّتها. واشتهر بهذا الوضع دير تُنى قريباً من بغداد. كان فيه مئة قلية لرهبانه والمتبتلين فيه. وعمر كسكر اسفل من واسط. كان حوله قلّيات

١) ديوانه، ص ٣٠٨

٢) معجم ما استعجم للبكري، ٢٦٩

٣) شفاء الغليل، ١٨٩-١٩٠

كبيرة قد انفرد كل راهب بواحدة منها. ويحيط بالموضع بساتين كثيرة[1]. وكان الرهبان يتبايعون هذه القلالي بينهم من الف دينار الى مائتي دينار الى خمسين دينارًا[2]. ولا ريب ان الاثمان كانت تختلف باختلاف المواقع، واتقان البناء، واتساع البساتين، وارتفاع الغلال. واهمها غلة النخل والزيتون والكرم. وكانت هذه الغلّة وقتئذٍ تباع من مائتي دينار الى خمسين دينارًا.[3]

ومن الديارات التي عُرفت بكثرة قلاليها دير الزعفران بنصيبين[4]. ودير سعيد بجانب الموصل[5]. ودير مريحنا الى جانب تكريت على دجلة[6] وعمر يونان بالانبار[7]. وامتاز دير الكلبَ قرب معلثايا من نواحي الموصل ببناء قلاليه بعضها فوق بعض في صعود الجبل. فمنظرها احسن منظر[8]. ومثلها قلالي دير الزعفران. كان بناؤها متراصفاً باحسن وصف واملح تكوين. وله سور يحيط به[9].

وكان بعض هذه القلالي لا يخلو من النفاسة والتأنق والزخرفة كالقلية التي زارها ابو الفرج البغاء في دير مرّان بدمشق وشاهد في صحنها « بيتاً فضيّ الحيطان رخاميّ الاركان. يضم طارمة خيش مفروشة بحصير مستغل.»[10] وهذا غاية ما وقفنا عليه من وصف بنائها وتعريف ما كانت تشتمل عليه. وهو ما يدل على انها لم تكن مقتصرة على حجرة واحدة. وكان اكثرها مرتفعاً يُشرف على ما حوله من الجنان والرياض والندران. ولذلك كان عشّاق الصهباء من المسلمين يؤثرون الشرب على سطحها للتمتع بجمال مُطلّها. ونضارة ما تتناوله العيون من

---

١) كتاب الديارات للشابشتي، ١٢٠

٢ و٣) كتاب الديارات للشابشتي، ١١٥-١١٦

٤) مسالك الابصار، ٢٥٥

٥) مسالك الابصار، ٢٨٩

٦) مسالك الابصار، ٣٠٩

٧) مسالك الابصار، ٢٨٦

٨) مسالك الابصار، ٢٥٤

٩) مسالك الابصار، ٢٥٥

١٠) اليتيمة للثعالبي، طبعة مصر، ١: ٢٠٤ وفي المتن المطبوع: « طارقة خيش »، وهو تصحيف.

نطاقها[1]. ومن تعدت به الحال عن تحصيل قلّية منها او ابتياعها كان يتخذ له بيتاً ضيقاً يقال له الكرخ.

والكِرْخ بالكسر بيت الراهب والجمع اكراخ[2]. ولم يفسّرها في اللسان. ومن الغريب ان الجمع لم يأتِ الا بصيغة التصغير «أُكَيْراخ» قال: وهي بيوت ومواضع تخرج اليها النصارى في بعض اعيادهم وهو معروف[3]. وروى الخالدي ان «الأُكيراخ بيوت صغار تسكنها الرهبان الذين لا قلاليّ لهم. يقال لواحدها كِرخ.»[4] والصحيح ان اللفظة سريانية ܟܪܟܐ ومعناها الكرخ الصغير.

واشتهر بمثل هذه الأُكيراخ دير حنة، بظاهر الكوفة، في بقعة كثيرة البساتين والرياض. وفيه يقول ابو نواس مشيراً الى راهباته الحسان:

يا دير حنة من ذات الأُكيراخ، من يصحُ عنك، فاني لست بالصاحي!
رأيت فيك ظباء لا قرون لها يلعبن منا بالباب وارواح[5]

وله ايضاً فيه

دع البساتين من آسٍ وتفاح، واعدل، هُديت الى دير الأُكيراخ[6]

والظاهر ان هذه البيوت والأكواخ كانت مختصّة بديارات الحيرة والعراق وحدها، لاننا لم نجد لها ذكراً آخر في ديارات مصر والشام.

---

١) مسالك الابصار، ٢١٥ و٢١٦ و٢١٨
٢) تاج العروس ٢: ٢١١
٣) لسان العرب ٣: ٤٠٥
٤) معجم البلدان ١: ٢٤٥
٥) ديوان ابي نواس. باريس ٦٨٢٩، ١: ١٦٠
٦) ديوان ابي نواس. الفاتيكان ٦٥٦، ص ١٠٠، وهذا البيت منسوب ايضا لبكر ابن خارجة باختلاف قليل في العجز (معجم ما استعجم للبكري، ص ٢٧٢-٢٧٣)

القائم في الديارات

وردت هذه اللفظة في كتب الديارات ولم تُشر اليها معاجم اللغة . ذكرها ابو الفرج الاصبهاني في تعريفه دير حنة بظاهر الكوفة . قال : « وهو دير قديم بناه حيّ من تنوخ يقال لهم بنو ساطع . تحاذيه منارة عالية كالمرقب تسمّى القائم . »[1] والى هذا القائم اشار الثرواني بقوله :

يا دير حنة ، عند القائم الساقي ، الى المتورنق من دير ابن برّاق[2]

وربما اشتهر الدير بقائمه ، كدير القائم الاقصى على شاطئ الفرات ، من الجانب الغربي ، في طريق الرقة من بغداد . قال ابو الفرج ايضاً : « وقد رأيته . وانما قيل له القائم لان عنده مرقباً عالياً كان بين الروم والفرس . يُرقب عليه على طرف الحدّ بين المملكتين شبه تل عقرقوف ببغداد . واصبح خفّان بظهر الكوفة[3] . . . وبهذا الدير مرّ اسحق الموصلي لما خرج مع الرشيد وطاف به . ورأى فيه راهبة حسناء عليها المسوح فقال فيها :

بدير القائم الاقصى ، غزال شادن احوى[4]

فالقائم على ذلك هو المرقب كان يُقام بين الروم والفرس . ولكن هنالك اديارًا اخرى في الاسلام للملكانية واليعقوبية كانت معروفة ايضاً بقائمها ، وليس فيها صفة المرقب . منها دير القيّارة لليعقوبية على اربعة فراسخ من الموصل في الجانب الغربي من اعمال الحديثة . قال الشابشتي : « وكل دير لليعقوبية والملكانية فعنده قائم . وديارات النسطورية لا قائم لها . »[5] فالقائم اذن لم يكن مرقباً فقط . ولعلّ اوجه ما يقال فيه انه كان شبه صومعة كانت تتخذ الى جانب بعض الاديار لسكنى احد النساك المعتزلين فيها كالصومعة التي اقامها على باب دير مر يحنّا ، الى جانب تكريت ، عبدون الراهب وهو رجل من الملكية ونزلها ، فصارت تعرف به[6] .

١) معجم ما استعجم للبكري ، ٢٧٣ ٢) معجم البلدان ١ : ٢٤٥
٣) معجم البلدان ٢ : ٦٨٤ ٤) مسالك الابصار ، ٢٦٦–٢٧٠
٥) كتاب الديارات للشابشتي ، ١٢٢
٦) كتاب الديارات للشابشتي ، ٧٣

اديار النساء

لم يُعنَ احد ممن تكلم على الديارات بتعداد ما كان منها للنسوة المتبتلات والجواري الرواهب . وانما اشاروا الى قسم منها عَرَضاً وفي شجون الحديث . وليس بين اسمائها الّا ديران فقط تدلّ تسميتهما صريحاً على جنسهما ونسبتهما . وهما دير الخُوات ، ودير العذارى . وقد استقرينا كل الاخبار والاشعار المرويّة ولم نجد بينها الا تسعة عشر فقط يصحّ اثباتها وافرازها للاناث وهي :

١ دير الخُوات بعكبرا . « وهو دير كبير عامر يسكنه نساء مترهبات متبتلات فيه . »[1] ولفظة الخوات تحريف الأَخوات . وفي هذا الدير كانت تكون ، فيما زعم بعض السفهاء المتقوّلين ، ليلة الماشرش . وسنفرد للاشارة اليها وتزييف تهمتها فصلاً نثبت فيه بطلان هذه القالة الشنعاء بشهادة بعض كتبة الاسلام .

٢ دير العذارى بين سرّ من رأى وبغداد . قال الخالدي : وشاهدته . وبه نسوة عذارى[2] . وروى السري انه « كانت حوله حانات للخمارين وبساتين ومتنزّهات . لا يعدم من دخله ان يرى من رواهبه جواري حسان الوجوه والقدود والالحاظ والالفاظ . »[3] :

٣ دير العذارى في قطيعة النصارى ببغداد[4] .

٤ دير العذارى بالحيرة[4] .

٥ دير القائم بالرقة . كان فيه ، فيما يظهر ، مساكن للعذارى . حكى اسحق ابن ابرهيم الموصلي قال :

« خرجنا مع الرشيد نريد الرقة . فلما صرنا بالموضع الذي يقال له القائم نزلنا وخرج يتصيد وخرجنا معه . فابعد في طلب الصيد . ولاح لي دير فقصدته . . . فنزل صاحبه ففتح الباب . . . وعرض علي الطعام فأجبته . فقدم لي طعاماً من طعام

١) كتاب الديارات للشابشتي ، ٢٨

٢) معجم البلدان ٢ : ٦٧٦

٣) مسالك الابصار ، ٢٥٨

٤) معجم البلدان ٢ : ٦٨٠

الديارات نظيفاً طيباً . فاكلت منه . واتاني بشراب وريحان فشربت منه . ووكل بي جارية تخدمني راهبة لم ارَ احسن منها ولا اشكل . فشربت حتى سكرت . ونمت وانتبهت عشاء . فقلت في ذلك :

بدير الغانم الاقصى ، غزال شادن احوى ،
يرى حبي له جسمي ، ولا يعلم ما الثنى ؛
واكتم حبه جهدي ولا ، والله ، ما يخفى .

وركبت فلحقت بالمعسكر . والرشيد قد جلس للشرب وطلبني فلم أوجد . وأُخبرت بذلك . فغنيت بالابيات ودخلت اليه . فقال لي اين كنت ويحك . فاخبرته الخبر وغنيته الصوت . فطرب وشرب عليه حتى سكر . وأَخّر الرحيل في غد . ومضينا الى الدير ونزله . فرأى الشيخ واستنطقه . ورأى الجارية التي كانت تخدمني بالامس فدعا بطعام خفيف فاصاب منه . ودعا بالشراب وامر الجارية التي كانت بالامس تخدمني ان تتولى خدمته وسقيه ففعلت . وشرب حتى طابت نفسه . ثم امر للدير بالف دينار وامر باحتمال خراجه له سبع سنين .»[1]

٦ دير العَلْث على شاطئ دجلة من الجانب الشرقي . وقد صرّح جحظة البرمكي في شعر قاله فيه انه كان فيه عذارى لابسات المسوح . وهذه ابياته :

ايها الحاذقان بالله ، جُدّا وأصلحا لي الشراع والسكانا . . .
واحططا لي الشراع بالدير ، بالعلث ، لعلّي اعاشر الرهبانا ،
وظباء يتلون سفرًا من الا نجيل ، باكرن ، سحرة قربانا
لابسات من المسوح ثيابًا جعل الله تحتها اغصانا
خَفِرات ، حتى اذا داوت الكأ س ، كشفن النحور والصلبانا (٢

٧ دير مارت مروثا . في سفح جبل جوشن مطلّ على مدينة حلب . قال الخالدي : هو صغير وفيه مسكنان احدهما للنساء . والآخر للرجال . ولذلك سمي بالبيعتين . وقلّما مرّ به سيف الدولة الا نزل به[2] . وكان في زمان ياقوت قد خرب ودرست آثاره .

١) الاغاني ، طبعة بولاق ، ٥ : ١٢٢–١٢٤
٢) معجم البلدان ٢ : ٦٨١
٣) مسالك الابصار ، ٢٤٩–٢٥٠ .

٨ دير صليبا بدمشق مطلّ على الغوطة. يُعرف بدير السائمة. والى جانبه دير للنساء. وهما في الارجح الديران اللذان ارادهما جرير بقوله:

اذا تذكرت بالديرين ، أرّقني صوت الدجاج وقرع بالنواقيس(١

٩ دير مرّان في سفح جبل قاسيون بدمشق . يظهر انه كان فيه مساكن للرواهب في جوار مساكن الرهبان . وهو ما يؤخذ من قصيدة لعون الدين بن العجمي (٦٠٦–٦٥٦ للهجرة = ١٢٠٩/١٠–١٢٥٨) قالها يمدح بها الملك الناصر صلاح الدين . ومنها هذه الابيات :

يا سائقاً يقطع البيداء ، معتسفاً ، بضامر لم يكن في سيره واني ،
ان جزت بالشام ، شِم تلك البروق ، ولا تعدل ، بلغت المنى ، عن دير مرّان .
واقصد اعالي قلاليه تلاق بها ما تشتهي النفس من حور وولدان ،
من كل بيضاء هيفاء القوام ، اذا ماست ، فيا خجلة المرّان والبان !
وكل اسمر قد دان الجمال له وكمّل الحسن فيه فرط احسان(٢

١٠ دير هند الصغرى بالحيرة . وهي هند بنت الملك النعمان بن المنذر «ترهبت فيه وسكنته وعاشت دهرًا طويلًا. ثم عميت . وهذا الدير من اعظم ديارات الحيرة واعمرها. وفيه زارها الحجاج المشهور . وقبله سعد بن وقّاص حين فتح العراق . والمغيرة لما ولاه معاوية الكوفة وخطبها المغيرة حباً بالتشرف بها فاجابته: اي فخر في اجتماع اعور وعمياء..»(٣

١١ دير هند الكبرى بالحيرة ايضاً. بنته هند ام عمرو بن هند. وهي هند بنت الحارث بن عمرو بن حجر آكل المرار الكندي. وكان في صدره مكتوباً: «بَنَت هذه البيعة هند بنت الحارث بن عمرو بن حجر الملكة بنت الاملاك. وام الملك عمرو بن المنذر. أَمَة المسيح وام عبده وبنت عبيده. في مُلك مَلِك الاملاك خسرو انوشروان في زمن مار افريم الاسقف . فالاله الذي بنت له هذا الدير يغفر خطيئتها ويترحم عليها وعلى ولدها . ويُقبل بها وبقومها الى امانة الحق . ويكون الله معها ومع ولدها الدهر الداهر.»(٤

١) مسالك الابصار ، ٢٤٦–٢٥٠
٢) فوات الوفيات لابن شاكر الكتبي ١ : ٢٢٥–٢٢٦
٣) ديارات الشابشتي ، ١٠٦–١٠٧ ٤) معجم البلدان ٢ : ٧٠٦

١٢ دير مارت مريم بالحيرة . مرَّ به اسحق بن ابرهيم الموصلي لما خرج الى النجف مع الواثق. فقال فيه:

نعم المحلّ لمن يسعى للذّتو دير لمريم ، فوق الظهر ، معمور .
ظلٌّ ظليل ، وماء غير ذي اسن ، وقاصرات كامثال الدمى حور .(١

وقد روى ياقوت هذين البيتين وذكر غلطاً أن الدير بنواحي الشام[٢].

١٣ دير النساء الى جانب كنيسة مريم بدمشق . وهو الذي نهبه ثُوّار المسلمين في نصف رجب سنة ٣١٢ (١٧ ت ١ ٩٢٤) حين هدموا كنيسة مريم[٣]

١٤ دير حنة بظاهر الكوفة . يؤخذ من ابيات فيه لابي نواس انه كان فيه عذارى مترهبات ، وهو قوله يخاطبه مشيراً الى من فيه من الجواري المتبتلات :

رأيت فيكَ ظباء لا قرون لها يلعبن منا بألباب وارواح (٤

١٥ دير يوسف بالموصل وصف السريّ الرفّاء راهباته وكنى عنهنَّ بالدُمى النواطق قال :

كم دمية خرساء فيه ودُمية فضّلت عليها باللسان الناطق (٥

١٦ دير البنات مشرف على ارض طرابلس. زاره الشاعر الطيبيّ « ورأى فيه كل عذراء تُدهش المتحيّر وتُحيّر المتخيّر .»[٦]

١٧ دير الراهبات بحارة زويلة من القاهرة.

١٨ دير البنات بحارة الروم بالقاهرة.

١٩ دير الملقة بمدينة مصر. وكان اشهر ديارات النساء.

وهذه الاديار الثلاثة الاخيرة كانت في زمان المقريزي (١٣٦٥—١٤٤١ م) عامرة بالنساء المترهبات[٧].

ولا شك انه كان هنالك اديرة اخرى للراهبات لا سبيل لنا اليوم لتعيينها لعدم الاشارة اليها صريحاً في الاصول التي لدينا.

---

١) الاغاني ، طبعة برلاق ، ٥ : ١٢٨ ٢) معجم البلدان ٢ : ٦٩٢
٣) تاريخ ابن بطريق ٢ : ٨٢ ٤) ديوان ابي نواس . باريس ٤٨٢٩ ، ١ : ١٦٠
٥) ديوانه باريس ٣٠٩٨ ، ص ١٤٧
٦) مسالك الابصار ، ٢٢٤
٧) الخطط ، مطبعة النيل ، ٤ : ٤٢١ .

الاديار التي كان ينزلها الخلفاء والملوك والامراء

ووجوه الدولة

من اقدمها ذكرًا واعظمها مصرًا دير مرّان بدمشق. كان يزيد بن معاوية ثاني الخلفاء الامويين قد اتخذه وطنًا له ومتنزّهًا. وفيه قال، وهو وليّ العهد، بيتيه المشهورين لما سيّر معاوية جيشًا كثيفًا الى بلاد الروم للغزاة. وامر ابنه بالمسير معهم. فتثاقل واعتلّ. واصاب الناسَ في غزاتهم جوع ومرض شديد فانشأ يزيد يقول:

ما ان أبالي بما لاقت جموعهم بالفذقدونة من حمّى ومن موم
اذا اتكأت على الاغاط مرتفقًا بدير مرّان عندي ام كلثوم(١

ونزله ايضًا بعده جماعة من الخلفاء من الامويين والعباسيين[٢]. ومثله دير صليبا مقابل باب الفراديس بدمشق كان الوليد بن يزيد كثير المقام به يخرج اليه ومعه حُرَمه استحسانًا له[٣]. ودير يُوَنّا (يوحنا) بجانب غوطة دمشق اقام الوليد بن يزيد فيه اياماً في تخرّق ومجون[٤]. ودير الرصافة رصافة هشام بن عبد الملك وفيه قيل:

ليالي هشام بالرصافة قاطن وفيك ابنه، يا دير، وهو امير(٥

ودير السوسي على شاطئ دجلة. ولابن المعتز فيه:

يا ليالي بالمطيرة والكرخ ودير السوسيّ باقٍ عودي(٦

---

١) قال ياقوت: الفذقدونة هو اسم جامع للثغر الذي منه المصّيصة وطرسوس وغيرهما ويقال له خذقدونة (معجم البلدان ٣: ٧٧٧) والاظهر انه خلقدونة Chalcédoine وروى البكري في معجم ما استعجم (ص ٣٧٦) هذين البيتين في دير سمعان وان يزيدًا اقام به ووجّه الجيوش لغزو الروم. وهي غزاة الطوانة Tyane ولذلك روى عجز البيت الاول «يوم الطوانة من حمى ومن موم» والاصح ما ذكرناه بدير مران.

٢) مسالك الابصار ٢٥٥

٣) مسالك الابصار ٢٤٩

٤) مسالك الابصار ٢٥١

٥) مسالك الابصار ٢٢٦

٦) ديارات الشابشتي ٦٤

ودير عبدون. وفيه لابن المعتز ايضاً:

سقى الجزيرة ذات الظل والشجر ودير عبدون هطّالٌ من المطرِ
يا طالما نبّهتني الصبوح به في ظلمة الليل والعصفور لم يَطِرِ
اصوات رهبان دير في صلاتهم سود المدارع نأرين في السحرِ(١)

ودير مرمار (مار ماري) بسرّ من رأى. قال الفضل بن العباس بن المأمون «كنت مع المعتز في الصيد فانقطعنا عن الموكب. هو وانا ويونس بن بُغا. ونظرنا الى دير فيه ديراني يعرفني واعرفه. مليح ظريف. فشكا المعتز العطش. فقلت ههنا ديراني ظريف مليح. فقال مُرَّ بنا. فجئنا فخرج الينا واخرج الينا ماء بارداً. وسألني عن المعتز ويونس. فقلت فتيان من ابناء الجند. فقال لي تأكلون شيئاً. فقلنا نعم. فاخرج لنا الطف شيء في الدنيا وأكلنا اطيب أكل. وجاءنا باطيب أشنان واحسن آلة. فاستظرفه المعتز وقال لي قل له بينك وبينه: من تحب ان يكون معك من هذين لا يفارقك. فقلت له. فقال كلاهما وتمرّا. فضحك المعتز حتى مال على الحائط. فقلت للديراني لا بد ان تختار. فقال الاختيار والله في هذا دمار ما خلق الله عقلاً يميز بين هذين. ولحقنا الموكب فارتاع الديراني. فقال له المعتز بحياتي لا تنقطع عما كنا فيه. وفرحنا ساعة. ثم امر له بخمس مائة الف درهم. فقال لا والله. لا قبلتها الا على شريطة. قال ما هي. قال يجيب امير المؤمنين دعوتي مع من اراد. فقال ذلك لك. فوعدناه ليوم وجئناه فانفق علينا المال كله. فوصله المعتز بمثله وانصرفنا.»(٢)

ومن دواعي الاسف ان لا يكون انتهى الينا وصف هذه الدعوة بالكمال والتفصيل لنعلم كيف كانت تكون مثل هذه الولائم الخليفية في مثل الاديار النصرانية.

ومن اديار الملوك ايضاً دير زكّى بالرقة «كانت الملوك اذا اجتازت به نزلته

١) ديوان ابن المعتز. باريس ٣٠٧٨، ص ١٠٥ وفي معجم البلدان لياقوت: سقى المطيرة بدلاً من الجزيرة

٢) جزء من تاريخ بغداد للخطيب. باريس ٢١٣٠، ص ١٤١، والاغاني ٨: ١٨٥

واقامت فيه لانه يجتمع فيه كل ما يريدونه من عمارته ونفاسة ابنيته وطيب المواضع به. »[1]

ومنها عمر مرتومان (مار يونان) بالانبار. كان « من اجتاز بالانبار من الخلفاء ومن دونهم ينزله مدة مقامه. »[2]

ومنها دير مار مروثا في سفح جبل جوشن مطلّ على مدينة حلب. قال الخالدي: وقلما مرّ به سيف الدولة الا نزل به. وكان يقول كانت والدتي محسنة الى اهله وتوصيني به[3]. ومثله دير باعربا بين الموصل والحديثة. نزل سيف الدولة فيه[4].

ومنها دير الاعلى بالموصل « من اجتاز بالموصل من الولاة نزله ».[5]

واهم ديارات مصر التي كانت مألفاً للملوك والامراء ووجوه العمال والولاة وابناء الخلفاء دير القُصَير اعظم اديار الروم الملكيين واجلها مُشرفاً وموقعاً في قنّة الجبل المطلّ على قرية شهران من قرى مصر البائدة. وكان احمد بن طولون امير مصر كثيراً ما يطرقه ويخلو في بعض قلاليه[6]. وجرى على أثره ابنه ابو الجيش خمارويه. وكان شديد الإعجاب بصورة فيه بالفسيفساء للعذراء. فكان يكثر غشيان الدير للشرب على وجهها. وبنى له فيه غرفة لها اربع طاقات يجلس فيها[7]. ومن الامراء الشعراء الذين كانوا لا يفارقون الدير للقصف فيه والتنزه، الامير تميم بن المعز لدين الله الخليفة الفاطمي. وله فيه قصائد ومقطعات قال في بعضها:

ومن كان محبوساً على حب لذّةٍ فاني على دير القُصَير حبيس[8]

---

١) ديارات الشابشتي ٩٥ و٩٨

٢) ديارات الشابشتي ١١٢

٣) معجم البلدان، طبعة مصر ١٩٠٦، ٤: ١٦٨

٤) مسالك الابصار ٢٠١

٥) ديارات الشابشتي ٧٥

٦) سيرة احمد بن طولون للبلوي، رقم ٢٤٣ من مخطوطات دار الكتب الاهلية الظاهرية بدمشق، الورقة ٢٤

٧) ديارات الشابشتي ١٢٥

٨) ديوانه. خزانة ليدن Arabe 2038

واشتهر في دولة المماليك الامير سياي العلائي الاشرفي بكثرة الخروج للصيد والاقامة من اجله في بعض الاديار . قال السخاوي : «كانت عليه رواتب لبعض ديور النصارى محتجاً بقصد من يرد عليهم من المسلمين خصوصاً . وهو يكثر الخروج للصيد ويقيم عندهم فيها . ولم يزل في غزّ الى ان قتل في ليلة الجمعة ثالث رجب سنة خمس وثمانين (وثمانمائة) = (١٤٥٤ م) بمخيّمه على شاطىء النيل قريباً من طما من اعمال اسيوط . »[1]

وندر ان يكون دير في الاسلام من الديارات المشهورة لم يعرّج عليه الخلفاء والملوك في غزواتهم وتنقلاتهم ، ولا سيما في اسفارهم الى الشام ورجوعهم منه الى العراق .

---

١) الثاني من الضوء اللامع . الخزانة التيمورية ص ٥٢٩

مزروعات الاديار والقلالي

تقدم ان مساكن الرهبان كانت دائماً محفوفة بالبساتين والرياض. فلم تكن قلية تخلو، الا فيما شذّ وندر، من حديقة او جُنينة يقضي الراهب فيها قسماً من نهاره بين اشجاره وازهاره. وكانت المزروعات تتنوّع تنوّع الامصار والاتربة. وتكثر او تقلّ حسب مستغلّها ورواج مبيعه في حاجات الدير. فكانت الكروم من ثم اوفرها انتشاراً واوسعها بقاعاً للصيت الطائر الذي كان لخمور الاديار في الاسلام. وشدة الرغبة فيها والاتجار بها في كل البلدان. لحذق خمّاري النصارى باعتصارها. وتميزهم بنظافة الآنية وحسن الملبس والاجادة في اختيار انواع الاشربة وتعتيقها. وغلب في الحيرة والعراق النخل مع الكروم. ولا يبعد ان يكون الرهبان فيها تعودوا ايضاً اتخاذ نبيذ التمر وهو الدوشاب والفضيخ. ويظهر ان الزيتون ايضاً كان غير قليل فيها وفي جهات نصيبين.[1] واشتهر دير الزعفران على رأس الجبل المطلّ على نصيبين، في ما عدا زعفرانه وريحانه، بجنات فيه مملوءة بشجر البندق والفستق واللوز الفرك والزيتون والبطم.[2] وعُرف دير الكَلَب في سفح جبل بقرب مملتايا بوفرة الزيتون فيه والرمان والآس والكرم والزعفران والنرجس.[3] واختص دير الزندورد وناحيتهُ بالجانب الشرقي من بغداد بالفواكه والاترج والعناب. وكان عنبها من اجود ما يُعتصر هناك.[4] ونظيره في كثرة الفواكه والاعناب دير قُنّى بالقرب من بغداد. ودير قوطا بالبَرَدان على شاطئ دجلة. وعمر احويشا باسعرد من ديار بكر. وكان لدير كفتون ببلاد طرابلس حوض كبير مملوء من شجر النارنج يُحمل الى طرابلس ويباع فيها ويرتفق بثمنه الرهبان.[5]

---

١) الديارات للشابشتي ص ١١٦، ومسالك الابصار للعمري ص ٣٠٥

٢) مسالك الابصار ص ٣٠٥

٣ و٤) مسالك الابصار ص ٣٥٤

٥) مسالك الابصار ص ٣٢٥

وامتاز رهبان عمر الزعفران بعنايتهم بتربية النحل واشتيار العسل. ومنه ومن الزعفران اكثر يسارهم[1]. وغلبت زراعة النرجس والبنفسج والزعفران على دير مار مروثا بظاهر حلب. واشتهر دير مرّان في جبل قاسيون بدمشق برياضه الحسان. واشرافه على مزارع الزعفران. وحكى الخالدي انه اجتاز بدير العذارى بجانب الملث بين سرّ من رأى وبغداد وشاهد في جُنَينات لرواهبه جماعة يلقطن زهر العصفر. قال ولا يماثل حمرة خدودهن.[2] وكثرت في دير المعلبة بظاهر القدس اشجار الزيتون والكروم وشجر التين.[3]

وكان في دير إتراعيل، على اقل من ميل من كفر عزّى من قرى اربل، صنوف الزهر في الربيع وانواع الاقاحي والشقائق. وفي قلالي رهبانه جُنينات حسان فيها آس مصر وشجر مريم وغير ذلك.[4] ونظيره دير ابا يوسف فوق الموصل «وموضعه حسن معمور بالزيتون والسرو والآس والرياحين مغروس الربى بالنرجس.»[5]

وجملة القول ان الاديار كانت تشتمل خصوصاً في ما خلا الفواكه والبقول على الكروم لعصر الخمر. وعلى الرياحين والازهار للتحايا في الحانات ومجالس الشراب. وعلى الزعفران للتجارة. وسنفرد الكلام على كل منها بالتفصيل لما في التنبيه عليها من الفائدة والجدّة والطرافة.

---

١) مسالك الابصار ص ٣٠٥

٢) مسالك الابصار ص ٢٥٨-٢٥٩

٣) مسالك الابصار ص ٢٢٩

٤) مسالك الابصار ص ٢٨٨

٥) مسالك الابصار ص ٣٠٣

الخمر النصرانية

لم ينفرد النصارى بعصر الخمر وبيعها في الاسلام، بل سبقهم الى الاتجار بها اليهود في الجاهلية. ولذلك قال عديّ بن زيد في وصفها:

صاغها التاجر اليهوديّ حولَيـن واذكى من ريحها التعتيقُ(١

ووصف عبيد بن الابرص احدَ معتقيها من اليهود بصهبة الشارب فقال في غزله:

كأن ريقتها بعد الكرى اغتبقت صهباء صافية بالمسك مختومه
مما يتالي بها اليأع، عتَّقها ذو شارب اصهب يُغلي بها السيمه(٢

وللحسين بن الضحاك من ابيات يذكر خمّارًا يهوديًا:

دسَسْتُ حمراءَ كالشهاب له من كفّ خمّار حانة أفِك
يحلف عن طبخها بخالقه، وربّ موسى، ومنشئ الفلك(٣

ومن بعض اوصاف الخمور التي كانوا يبيعونها في حاناتهم ما عُرف بالجودة والقِدَم. ولذلك كان يقال لها معتَّقة اليهود. قال جحظة البرمكي لجليسين له كانا يستطيبان عشرته وغناءه «اجلسا عندي حتى... اطعمكما طباهجة بكبود. واسقيكما معتقة اليهود.»(٤ ومن المواضع التي اشتهر اليهود بتعتيق الخمر فيها سورا من ارض بابل بالعراق ولابي جفنة القرشي فيها:

ما زلت اشربها واسقي صاحبي حتى رأيت لسانه مكسورا
مما تخيّرت التجار ببابل او ما تعتقه اليهود بسورا(٥

وفي ديوان ابي نواس ابيات اشار فيها الى خمّاري اليهود. واجتاز مرة بحمص فشرب عند واحد منهم يقال له لاوي واستطاب شرابه وفضّله على شراب قطربل.(٦

---

١) التذكرة الحمدونية. باريس ٣٣٢٤، ص ١٠٢
٢) ديوانه، طبعة ليال، ص ٦١
٣) رسالة الغفران لابي العلاء، ص ١١٨
٤) نشوار المحاضرة للتنوخي ١: ٢٠٥
٥) معجم البلدان ٣: ١٨٤-١٨٥
٦) ديوان ابي نواس. خزانة القايتباي ٤٥٦، ٣: ١٦٦-١٦٧

وكان المجوس من الفرس يشاركون اليهود ايضاً في الاتجار بالخمور وعقد الحانات. وفي احدى بناتهم يقول ابن المعتز:

وخمّارة من بنات المجو س ترى الرقّ في بيتها شائلا
وزنّا لها ذهباً جامدًا فكانت لنا ذهباً سائلا (١

ونظيره قول عبدالله النُميري العراقي:

وخمّارة من بنات المجو س لا تعلم النوم الا غرارا
طرقت على عجل، والنجو م في الجوّ مستعرضات حيارى (٢

ولكن الخمور النصرانية ولا سيما معتقات الاديار كانت هي «المشهورة في الآفاق. المعروفة في مغارسها بكرم الاعراق».(٣ لما امتازت به معاصرها من النظافة وحسن الصنعة والتأنق في الآلة. واختُصّ به باعتها وسقاتها من اللباقة والملاحة في الحانات والملابس. وطهارة الدنان والمبازل والكوزوس. ولذلك لما اراد الواثق بالله الخليفة العباسي ان يعقد حانتين له ولبطانته احداهما في دار الحُرَم، والاخرى على شط دجلة، «امر ان يُختار له خمار نظيف جميل المنظر حاذق بامر الشراب. ولا يكون الا نصرانياً من اهل قطرُبُل. فأُتي بنصراني لـه ابنان مليحان وابنتان بهذه الصفة. فجعلهم الواثق في الحانتين. وضمّ اليهم خدماً وغلماناً وجواري رومية. واخدم النساء حانة الحرم. والرجال حانة الشط».(٤ وكذلك فعل الوزير المهلبي لما زاره الصاحب بن عباد ووصف اجتماعه به في كتاب كتبه لابن العميد وقال في جملة مُلَحه واخباره «وعلى ذكر عُكبرا حضرنا مع الاستاذ ابي محمد (المهلبي) ايده الله تعالى بها. فاستدعى دنًّا للوقت. وخمارًا للدير. وريحاناً من الحانة. واقترح غناء من الماخور واخذنا في فنّ من الانخلاع عجيب.»(٥

ولهذه الاسباب اتّهم الخليفة عمر بن عبد العزيز النصارى خاصة بإضلال المسلمين واغرائهم بالشرب في كتاب انفذه الى عـامله على مصر ايوب بن

١) تباشير الشراب لابن المعتز. باريس ٣٢٩٩، ص ٢٦
٢) فوات الوفيات لابن شاكر الكتبي ج ٢: ٢٥٠
٣) مسالك الابصار. خزانة باريس ٣٣٢٥، ص ٢٠٨
٤) مسالك الابصار. طبعة مصر، ١: ٢٩٣
٥) يتيمة الدهر للثعالبي، طبعة دمشق، ٣: ١٣

شرحبيل واهل مصر في النهي عن الخمر فخرّبت وكسرت آلاتها وعطلت حاناتها.[1] وكان الناس منذ عهد الخلفاء الراشدين يشربون الطِلاء. وهو العصير المطبوخ الذي ذهب ثلثاه وبقي ثلثه. قيل سمي بذلك لانه شبيه بطلاء الابل في ثخنه وسواده. وحجتهم في ذلك ما رُوي من ان عمر بن الخطاب كتب الى بعض عمّاله ان أرزق المسلمين من الطلاء ما ذهب ثلثاه وبقي ثلثه. وحكي ان ابا موسى الاشعري وابا الدرداء كانا يشربان من الطلاء ما ذهب ثلثاه وبقي ثلثه.[2] وكذلك كان يفعل زيد بن سهل الانصاري، ومعاذ بن جبل الانصاري، وابو عبيدة ابن الجراح.[3] قال ابو العلاء: «والمطبوخ وان اسكر فهو جارٍ مجرى الخمر. على ان كثيرًا من الفقهاء قد شربوا الجمهوري والبختج والمنصّف.»[4] وهذه الانواع من عصير العنب المطبوخ. وقيل للاول منها الجمهوري لان جمهور الناس اي اكثرهم يستعملونه.

ومع ان عمر بن عبد العزيز كان ممن رخّص قبلًا في مثل هذا الطلاء،[5] كتب الى ايوب بن شرحبيل يقول:

«يقولون ان الطلاء لا بأس علينا في شربه. ولعمري ان ما قرب الى الخمر في مطعم او شرب او غير ذلك ليُتّقى. وما يشرب اولئك شرابهم الذي يستحلّون الّا من تحت ايدي النصارى الذين يهون عليهم زيغ المسلمين في دينهم. ودخولهم في ما لا يحل لهم مع الذي يجمع نفاق سِلْمهم ويسارة المؤونة عليهم.»[6]

ومن الثابت المحقّق اليوم ان عمر بن عبد العزيز هو اول خليفة في الاسلام نظر شزرًا الى المسيحيين وابتدع، قبل المتوكل على الله، اول خطة لاذلالهم وحرمانهم وعسفهم.[7] خلافًا للرأي الشائع منذ القرن الخامس للهجرة بنسبة مجموع

١) تاريخ مصر وولاتها للكندي، ص ٦٨
٢) نهاية الارب للنويري ٤: ٨٢
٣) تهذيب ابن عساكر ٦: ٤
٤) رسالة الغفران، ص ١٧٦
٥) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم، ص ١٠٢
٦) نهاية الارب للنويري ٤: ٨٢
٧) سيرة عمر بن عبد العزيز، ص ١٠٢

هذه المظالم المعروفة بالشروط العمرية لعمر بن الخطاب. فلا بدع من ثم اذا اراد تأثيم النصارى لايثار المسلمين شرب خمورهم واستطابتهم لها. وقد شهد حين كان عامل المدينة تهتك بعض اولاد الخلفاء الراشدين والانصار والاشراف بالسكر في المنازل والاندية وحانات اليهود والمسلمين. حتى اشتهر حب الانصار للمطار وهي الخمرة الصارعة لشاربها. ولذلك وصفهم الاخطل بقوله:

قوم اذا هدر الصبير رأيتهم ... حُمرًا عيونهم من المطار(١)

وكان عمر لا يجهل ايضاً ان اول مولع بها، مدافع عن حِلّها، ومثيب على حسن اختيارها، هم اهل بيته واكثر بطانته. وانهم كانوا لا يرون اقل حرج في تناولها وانتجاع حوانيتها. ولا يتكتمون في المنادمة عليها ولسان حالهم ينشد لجليسهم قول الحسن بن هانئ:

خذها على دين المسيح، اذا نهى ... عن شربها دين النبي محمد

وقد قصد الوليد بن يزيد بن عبد الملك الحيرة من اجلها في طلب خمار في دير حنة وُصف له بجودة الشراب ونظافة الآنية وملاحة الحانة. واستسقاه اربعة ارطال وهبه عليها اربعمائة دينار.(٢) وقد اشار الجاحظ الى ولع الخلفاء الامويين والعباسيين بالشرب. وعيّن الايام التي كان كل واحد منهم يخصصها للهوه وسكره. وعدّ منهم يزيد بن معاوية. وعبد الملك بن مروان. والوليد وسليمان وهشام ابناء عبد الملك. ويزيد بن الوليد. والوليد بن يزيد. ومروان بن محمد من الامويين. وابا العباس السفاح. والمهدي. والهادي. والرشيد. والمأمون. والمعتصم. والواثق من العباسيين في ايامه. ولما ذكر عبد الملك بن مروان قال انه كان يسكر في كل شهر مرة حتى لا يعقل أفي السماء هو او في الارض(٣). وقال ان المأمون كان في اول ايامه يشرب الثلاثاء والجمعة. ثم ادمن الشرب عند خروجه الى الشام في

---

١) الاغاني، طبعة بولاق، ١٣: ١٤٨

٢) مسالك الابصار ١: ٢٢١

٣) في متن الجاحظ المطبوع «أ في السماء هو او في الماء» والاصح ما اثبتناه. وقد اشار الى هذا المعنى ابن مُعين بقوله في صفة الخمر:

كُمَيت اذا ما نلت منها ثلثة ... رأيت السما كالارض والارض كالسما

سنة خمس عشرة ومائتين (٨٣٠ م) الى ان توفي.[1]

فهل كان كل هؤلاء الخلفاء يشربون تحت ايدي النصارى . ام هل كان النصارى مسؤولين عن شهوات ملوكهم

عتب وخمر في الاناء وشارب فمن الملوم أعاصرٌ ام حاسر[2]

وناهيك ان النصارى لم يكونوا منفردين ببيع الاشربة والمسكرات في الاسلام. بل كان ، فيما خلا اليهود والمجوس ، قوم من المسلمين ايضاً لا يتورعون من بيعها في الحانات . اشتهر منهم ابن بجرة بالطائف وهو الذي قال فيه ابو ذؤيب الهذلي :

ولو ان ما عند ابن بجرة عندها من الخمر لم تبال لماني بناطل[3]

ومن النكت التي يجدر ايرادها هنا ما رواه الشابشتي قال: « ذكر ابو الشبل البرجمي قال: صرت انا ومحمود الى قطربل فدعونا خمارًا فقلنا : ائتنا بنت عشر قد انضجها الهجير. فجاءنا بها. فقلنا اسقنا. فسقانا. فقلنا اشرب واسقنا . فقال انا مسلم . وكان يهودياً قد اسلم. فقال لي محمود: قوم يكون الخمار عندهم مسلماً متحرجاً. وهم عند الخمار كفار. ترى لله فيهم حاجة. »[4] ومن البديهي ان اليهودي بعد اسلامه لم يبقَ خمارًا ولم يستجز بيع الشراب الا لمعرفته ان في الحانات نظراء له من المسلمين لا بأس عليه في الاحتذاء بهم. ولذلك لم يبعد الامام ابو حنيفة في النظر والاجتهاد حين اجاز بعد ذلك شرب المثلث والمربّع في عصر كان الخلفاء العباسيون انفسهم ، وهم الائمة الذين بهم يُهتدى وبسيرتهم يُقتدى ، يجهرون بشرب الخمور والانبذة في مجالس حافلة بوجوه الدولة واشرافها وعلمائها. ويعقدون من اجلها الحانات حتى في دار حُرَم الخلافة كما تقدم من اخبار الواثق بالله. خلافاً لدعوى ابن خلدون في تبرئتهم من معاقرة الخمر والاقتصار بهم على شرب نبيذ التمر.[5] وقد صرّح المؤرخون والادباء غير مرة بان الشراب الذي كان

---

١) كتاب التاج ، ص ١٥١–١٥٢

٢) لزوميات ابي العلاء ، ص ٢٠٢

٣) الاغاني ، طبعة بولاق ، ٦ : ٦٠

٤) الديارات للشابشتي ، ص ٢٠–٢١

٥) المقدمة ، طبعة بولاق ، ص ١٥–١٦

يتناوله الخلفاء في بعض مجالسهم ولا سيما في اسفارهم وزياراتهم الاديار النصرانية كان عصير الكرم. وسماه ابن المعتز في شعر له سيسرّ بنا قريباً «شراب القربان» وهو لا يحتمل اقل تأويل. ولا يخفى على احد محل ابن المعتز في بيت الخلافة فهو ادرى من ابن خلدون بما كان يشربه اهل بيته. وروى المسعودي عن ابي الحسن العروضي، مؤدب اولاد الخليفة الراضي بالله، انه دخل على الراضي يوماً فوجده خالياً بنفسه مغموماً. فجعل يسلّيه. ثم قال له: يمتع الله امير المؤمنين ان يكون كالمأمون في هذا الوقت حيث يقول:

صِل الندمان يوم المهرجان بصافٍ من مشقّة الدنان
بكأس خسروانيّ عتيق فان العيد عيد خسروانيّ
وجنّبني الزبيبيّين طرًّا فشأن ذوي الزبيب خلاف شاني
فاشربها وازعمها حراماً وارجو عفو رب ذي امتنان
ويشربها ويزعمها حلالاً وتلك على الشقيّ خطيئتان (١

وحسبنا ان نشير هنا الى ما اخبر به ابن حمدون من زيارة المتوكل على الله لدير صليبا بدمشق ومنادمته لشمانين ابنة قس الدير. قال: ثم جاء ابوها بشراب من بيت القربان ذكر المتوكل انه لم يرَ مثله قط فشرب وشربت معه (٢. ومعلوم ان خمر القربان لا تكون حتماً الا من العنب.

ولبعض الشعراء ابيات في حلّ الاخذ من كل ملاذّ الحياة وشهواتها. والاحتجاج لها بمذهب من مذاهب الائمة الاربعة قال فيها:

الشافعي من الائمة قائل اللعب بالشطرنج غير حرام
وابو حنيفة قال، وهو مصدّق في كل ما يروي من الاحكام،
شرب المثلّث والمربّع جائز فاشرب على امنٍ من الآثام

وقد اشتهر ابو حنيفة بمذهبه هذا حتى بلغت شهرته في هذا الباب اقاصي المغرب والاندلس، وصحّ معها لابن عبد ربّه الاندلسي ان يقول مشيرًا اليه:

ديننا في السماع دين مدنيّ وفي شربنا الشرابَ عراقي (٣

وقبله قال الحسن بن هانئ يعني ابا حنيفة والشافعي:

---

١) مروج الذهب، بهامش نفح الطيب، ٣: ٤١٨
٢) الحمدانية الشرقية ٢: ١٥، والمشرق ٣٥ [١٩٣٧] ٢٧
٣) يتيمة الدهر للثعالبي ٢: ٨

اباح العراقيُّ النبيذَ وشربه ... وقال حرامان المدامة والسكر
وقال الحجازيّ الشرابان واحد ... فحلّت لنا ما بين قولهما الخمر

ولو شئنا ان نروي كل ما قيل في الاسلام في إطراء الخمور النصرانية ومعتّقات الديارات لطال بنا سياق الابيات . ومن اغربها ما قالهُ فيها احد غُلاة الشعراء ، وهو تاج الدين محمد بن حواري من قصيدة مدح بها الملك الناصر سنة ٦٤٦ (١٢٤٨/٩ م).

هذي المدام التي كانت معتقةً ... من قبل ما سُمّيت الارض والسماوات
صلّوا لها . فلقد صلّت لها أُمم ... اضحوا عكوفاً عليها مثل ما باتوا(١

واحسن منه قول الشهاب التلعفري وفيه نظر الى خمر القربان:

عُج حيث تسمع اصوات النواقيس ... من جانب الدير تحت الليل بالعيس
مستخبراً عن كميت اللون صافية ... قد عتّقتها اناس في النواويس
مرّ الزمان عليها فهو يخبر عن ... ما كان من آدم قدماً وابليس
ترى الرهابين صرعى من مهابتها ... اذا بدت بين شماس وقسيس
تُتلى الاناجيل تعظيماً اذا حضرت ... لها باشرف تسبيح وتقديس
لها احاديث ترويها اذا مُزجت ... في كأسها عن سليمان وبلقيس
لو ذاق منها غزال السرب مضمضةً ... لخاف مُرَّ سطاه ضيغم الخيس
يسعى بها من نصارى الدير بدر دجى ... يبيس في فتية مثل الطواويس
فاصرف لها صرف خطب الدهر مغتنماً ... ونادم الشمس مع تلك الشماميس(٢

وقد وصف الشعراء في خمرياتهم رهبان النصارى وقسيسيهم باعتصار بنت الكروم والهينمة حول دَنّها بالصلوات وتلاوة المزامير . وهو قول عبد الصمد بن بابك في « عيسوية » الخمر وتعليل الكؤوس « المزنّرة » :

تهيّم النفس حولها وتغنّى ... بمزامير دَنّها المزمار
ثم لما انتمت الى دين عيسى ... شُدّ في خصر كأسها زنار(٣

وفي ضد ذلك احتج الاديب علي بن محمد المعروف بالاعمى الدمشقي الاصل . المصري المولد . الخراساني الدار . بعبث القسيس بدنّ الخمر في ما زعمه من

---

١) عيون التواريخ للكتبي ٢٠ : ٢٢٧-٢٢٨ ، الخزانة التيمورية .
٢) ديوان التلعفري . الفاتيكان رقم ٣٦٠ ، ولهذه الابيات رواية اخرى محرفة وردت في المشرق (١٩٠٣/٥ ص ٤٥٦) منسوبة غلطاً لبعض النصارى .
٣) ديوان عبدالله بن المعتز ، رواية الصولي ، باريس ٣٠٨٧ ، ص ١١٧

تفضيل الحشيشة عليها وقال:

وفيها معانٍ ليس في الخمر مثلها فلا تسمع فيها مقال مفنّد
هي البكر لم تُنكح بماء سحابة ولا عُصرت يوماً برجل ولا يد
ولا عبث القيس يوماً بدنّها ولا قرّبوا من حاضا كل ماجد(١)

ومن طرائف الصفات النصرانية التي تفننوا باطلاقها على خمر الديارات « شراب القربان ». قال عبدالله بن المعتز:

اسكنوها في الدنّ من عهد نوحٍ كظلام فيه غبار حبيسُ...
من شراب القربان يومي بها الشما سُ خزّانَ بيتها والقسوسُ(٢)

ومنها « بنت المذابح والقسوس ». قال عبد السلام بن رعبان المعروف بديك الجنّ:

تسقيك كأس مدامة من كفها ممزوجة بمدامة من ثغرها
بنت المذابح والقسوس كريمة لا يُستحى يوم الحساب بوزرها(٣)

ومنها « ام الرهابين وبنت الديور » في قول حسام الدين الحاجري:

واستجلها عذراء مشمولة ام الرهابين وبنت الديور(٤)

ومنها « ديريّة. وراهبية ». قال البيغاء من ابيات في دير الزعفران:

ولما دجا الليل استعادسنا الضحى براحٍ نأت بالليل عن ظلماته
نصيبيّة ديريّة كاد كرمها بجوهرها ينهلُّ قبل نباته(٥)

وقال الثروانى من ابيات في قلاية القس:

لنا قهوة حيريّة راهبيّة عتيقة خمس او تزيد على خمسٍ(٦)

ومنها «بنت قسيس». قال علي بن اسماعيل من شعراء الخريدة من قصيدة:

قم قبل تأذين النواقيس واجل علينا بنت قسيس(٧)

ومنها « ابنة المطران » في قول صدر الدين بن الوكيل:

ودارت علينا الخمر حتى تملكت عقول رجال مثلها ليس يملك

---

١) راحة الارواح في الحشيش والراح لتقي الدين البدري، باريس ٣٥٦٦، ص ١١٧
٢) ديوان عبدالله بن المعتز المذكور اعلاه، ص ١٠٦
٣) تباشير الشراب لابن المعتز. باريس ٣٢٩٩، ص ١٢
٤) حديقة الافراح للثروانى ص ١٤٩
٥) عيون التواريخ للكتبي. الخزانة التيمورية، ص ٢٠٣
٦) مسالك الابصار، ص ٣١٦
٧) خريدة القصر للعماد الكاتب. باريس ٣٣٣٨، ص ١٢٥

فلما رأيت القوم بالكأس صُرّعوا وان ابنة المثران بالقوم تفتك
أرقتُ دم الراووق حِلّا لانني رأيت صليباً فوقه فهو مشرك(١

وسماها سبط ابن التعاويذي مرة « بنت الشماس والاساقف » في قصيدة مدح بها الخليفة المستضيء بامر الله وقال منها:

قم يا نديمي ملبّياً داعي الصبوح ولا تخالف
فاستجلها كرخيّة بنت الشماس والاساقف

وقال فيها مرة اخرى:

حمراء تجلو ظُلم الاغباس «ربيبة القسيس والشماس» (٢

ودعاها شرف الدين بن المستوفي الاربلي المتوفى سنة ٦٣٧ للهجرة « ذخيرة شماس وقسيس » بقوله:

قم فاسقنيها على صوت النواقيس خمرًا ذخيرة شماس وقسيس(٣

وهلمّ جرًّا من امثال هذه النعوت النصرانية.

ومن الديارات التي اشتهرت خصوصاً بجودة خمرها . وكانت مقصدًا للتجار ومحطًّا للقوافل تنقل منها زقاق الشراب الى كل الانحاء والاقطار . دير ابا يوسف قريباً من بَلَد — مدينة قديمة فوق الموصل — كانت القوافل كل يوم « تحطّ عنده تأخذ خمرًا . والمُجّان تقصده للتنزه فيه بطنابيرهم وعيدانهم وسائر ملاهيهم ».(٤ ومنها عمر الزعفران «شرابه معروف يُحمل الى نصيبين وغيرها».(٥ ومنها عمر احويشا وهو «في نهاية العمارة وحسن المواقع وكثرة الفواكه والخمور. ويحمل منه الى اسعرت وارزن ».(٦ ومنها دير العذارى بجانب العلث بين سامرّا وبغداد. ودير سابُر في الجانب الغربي من دجلة. ودير جرجس بالمزرفة على شاطئ دجلة ودير سرجيس بطيرناباذ بين الكوفة والقادسية. ودير زرارة بين الكوفة وحمام

١) النهج السديد المنفضل بن ابي الفضائل. باريس ٤٥٣٥ ، ص ١٨٣
٢) ديوانه ، ص ٢٨٢ و٤٨٥
٣) جزء من تاريخ في المكتبة الاحمدية بحلب منسوب للصلاح الصفدي
٤) مسالك الابصار ، ص ٣٠٢
٥) الديارات للشابشتي ، ص ٨٢
٦) الديارات للشابشتي ، ص ٨٦

اعين . ودير اشموني بقطرُبُل . ودير قوطا بالبردان على شاطىء دجلة.[1] ودير الطور ما بين طبرية واللجون. «وحوله كروم يعتصرونها فالشراب عندهم كثير».[2]

ويُنسب الى دير اكمُن او اكمل على راس جبل بالقرب من الجودي الخمر الموصوف. فهو النهاية في الجودة. وقيل انه لا يورث الخمار.[3] وهو من اغرب المزاعم التي اطرأت شهرة الخمور النصرانية.

وبالاجمال ندر ان يكون دير من الاديار غير مختص بنوع من الاشربة يُتَّجر بها. ومنها في الغالب كان اكثر انتفاع الرهبان، في ما خلا الاثمار والرياحين والازهار .

---

١) مسالك الابصار، ص ٢٥٨؛ وديارات الشابشتي، ص ٢١، و٢٧، و١٠٢، و١٠٧ و١٨-١٩

٢) معجم البلدان ٢: ٦٧٥

٣) معجم البلدان، طبعة مصر ١٩٠٦، ٤: ١٢٤

التحايا

التحايا جمع تحية بمعنى التحفة والطرفة . وهي على هذا الوجه غير واردة في معاجم اللغة . وفي الشابشتي في كلامه على دير درمالس (رومانس) « حضر من احداث الموضع من كان يقضي لنا الحاجة ويجيئنا بالطرفة والتحية .»[1] واكثر ما تطلق على الطاقة من الازهار والرياحين التي يُحيَّا بها الندماء . وتُزيَّن بها مجالس الشراب . ومنها بيت الثرواني :

وان اتيا حيّيتاني تحية فلا تمدُوَا ريحان قلّاية القسّ(٢

ونظيره قول ابي الفرج البيّغاء في النرجس :

ونرجس لم يعدُ بيضَه الكأ س ، ولا اصفره الراحا
كأنما تُهدي التحايا به لطفاً الى الارواح ارواحا(٣

وفي هذا المعنى لابي اسحق الصابئ يصف مجلس أنس شبّهه بالمعركة :

كأن رجوم تحاياهُمُ سهامٌ على الجيش منها تثار(٤

وفي الاغاني لابي الفرج الاصبهاني : « قالت ريّق كنت يوماً بين يدي الرشيد وعنده اخوه منصور وهما يشربان . فدخلت اليه خارب جارية لعليّة (اخت الرشيد) ومعها كأسان مملوءتان وتحيّتان . ومع خادم يتبعها عود فغنتهما قائمة . والكأسان في ايديهما . والتحيّتان بين ايديهما . »[5]

ولمحمد بن بشير يهجو يوسف بن جعفر بن سليمان :

ريحانه بدم الشباب ملطّخ وتحيّة الندمان لطم الدين(٦

ولما خرج المأمون ونزل الدير الاعلى بالموصل وجاء عيد الشعانين « زُيّن الدير في ذلك اليوم باحسن زيّ . وخرج رهبانه وقسّانه الى المذبح وحولهم فتيانهم

---

١) الديارات للشابشتي ، ص ٢
٢) معجم البلدان ٤ : ١٥٦
٣) اليتيمة للثعالبي ، طبعة مصر ، ١ : ٢٢٨
٤) اليتيمة للثعالبي ، طبعة مصر ، ٢ : ٢٢٧
٥) الاغاني ٩ : ٨٧-٨٨
٦) الاغاني ١٢ : ١٣٤

بايديهم المجامر قد تقلدوا الصلبان وتوشحوا بالمناديل المنقوشة. فرأى المأمون ذلك فاستحسنه. ثم انصرف القوم الى قلالتهم وقرباتهم. وعطف الى المأمون من كان معهم من الجواري والغلمان بيد كل منهم تحية من رياحين وقتهم. وبايدي جماعة منهم كؤوس فيها انواع الشراب. فادناهم وجعل يأخذ من هذا ومن هذه تحية وقد شغف بما رآه منهم.»[1]

ومن شواهد اطلاق التحايا على هدايا الفواكه والتفاح قول ابي خالد الكاتب وقد اجتاز بدير محلّى ومعه ابو زرعة الدمشقي الشاعر: «ثم اتانا الرهبان بتحايا الورود والياسمين والتفاح واخرجوا الينا شراباً عتيقاً في نهاية الصفاء والرقة.»[2] ومثله ما رواه ابن عبد ربّه عن الفضل بن يحيى ان طفيلياً من اهل المدينة دخل عليه وبيد الفضل بن يحيى تفاحة «فالقاها اليه وقال: حيّاك الله يا مدنيّ. فكزمها واكلها. فقال له: شؤم عليك يا مدني. أتأكل التحيات.»[3]

وكان في الحيرة غلمان يرتزقون من حمل الفاكهة وبيع التحيات. منهم حُنين ابن بلّوع المغني المشهور «قيل كان لطيفاً في عمل التحيات. فكان اذا حمل الرياحين الى بيوت القيان ومياسير اهل الكوفة واصحاب القيان والمتطربين الى الحيرة ورأوا رشاقته وحسن قدّه وحلاوته وخفة روحه استحاره واقام عندهم وخفّ لهم.»[4]

وقد يراد بالتحية مجرّد الهدية من الطرائف والنفائس: «حدّث سعيد بن يوسف قال: كنت اتقلد خزائن الكسوة. وكان اذا امر المعتز ليونس (بن بُغا) بشيء اخذت له اجلّ ما في الخزائن واحسنه... فقلت له يوماً: يا سيدي انا عبدك وموفر لمالك. وانت تشرّف مسروراً المتحمي بالتحية الحسنة مما يكون بين يدي امير المؤمنين. وانا فلا تشرفني بمثل ذلك. فقال الليلة نوبتك.»[5]

---

١) الديارات للشابشتي، ص ٧٦

٢) مسالك الابصار، ص ٢٣١

٣) العقد الفريد. المطبعة الازهرية. مصر سنة ١٣٢١، ٣: ٢٧٩

٤) الاغاني، طبعة الدار، ٣: ٢٤٥

٥) الديارات للشابشتي، ص ٧٣

وكان يقال قديماً لمثل هـذه التحيات التي يُزيَّن بها مجالس الشراب اليمارة والعمار. وفسروا بها في احد الوجهين قول الاعشى:

فلما اتانا بُعَيد الكرى سجدنا له ورفعنا العمارا(١

قال ابن منظور: «العمار هنا الريحان يُزيَّن به مجلس الشراب وتسميه الفرس مبوران. فاذا دخل عليهم داخل رفعوا شيئاً منه بايديهم وحيَّوه به.»(٢ ومن هنا يُعلم ان عادة اتخاذ الورود والرياحين للشرب عليها والتحية بها كانت في الجاهلية وسبقت الاسلام. ومنها قول النابغة الذبياني في مدح آل جفنة النصارى:

رقاق النعال طيِّبٌ حُجُزاتهم يُحيَّون بالريحان يوم السباسب

اي يوم الشعانين. ولاعشى قيس في قصيدته «وَدِّع هريرة ان الركب مرتحل» ابيات ذكر فيها غدوّه الى الحانوت اي بيت الخمّار:

في فتية كسيوف الهند قد علموا ان ليس يدفع عن ذي الحيلة الحيل

واتبعها بقوله:

نازعتهم قُضُب الريحان متّكئاً وقهوة مزَّة راووقها خضل(٣

وله ايضاً يصف مجلس الشراب:

وشاهدنا الورد والياسمين والمسمات يقصّابها(٤

وفي حديث حسّان بن ثابت ان جبلة بن الايهم كان «اذا جلس للشراب فرش تحته الآس والورد والياسمين واصناف الرياحين.»(٥

ولابن سيحان من شعراء الاغاني:

أسقي أعاطيه كأساً لذّ مشربها كالمسك حُفَّت بنسرين وريحان(٦

ولم يكن مثل هذا التجمّل بالرياحين والازهار وطرحها على بساط المدام نصيب الاغنياء والمترفين فقط. بل اصبح في الاسلام رسماً للفتوّة لا يخلّ به اشقى الفقراء والمعدمين. روى ابو الفرج الاصبهاني قال: «دعا الاخطلَ شاب من

١) نكت الهميان للصفدي، ص ٧

٢) لسان العرب ٦: ٢٨٣

٣) الاغاني ٨: ٩٩

٤) التذكرة الحمدونية. باريس رقم ٣٣٢٤، ص ١٠٥

٥) التذكرة الحمدونية. باريس رقم ٣٣٢٤، ص ١٠٧

٦) الاغاني، طبعة الدار، ٢: ٢٦٠

شباب اهل الكوفة الى منزله فقال له: يا ابن اخي انت لا تحتمل المؤونة وليس عندك معتمد. فلم يزل به حتى انتجعه فاتى الباب فقال يا شقراء. فخرجت اليه امرأة. فقال لأمه: هذا ابو مالك قد اتاني. فباعت غزلاً لها واشترت له لحماً ونبيذاً وريحاناً. فدخل خُصاً لها فأكل معه وشرب. وقال في ذلك شعراً.»[1]

وفي حديث علي بن امية قال: دخلت يوماً على عمر الميداني. وكان له بقال على باب داره ينادمه ولا يفارقه ويقارضه اذا اعسر... فقال لنا عمر: معي اربعة دراهم تعطوني منها لعليق حماري درهماً والثلاثة لكم فكلوا بها ما احببتم. وعندي نبيذ وانا اغنيكم. والبقال يحضرنا من الابقال اليابسة في حانوته. فوجّهنا بالبقال فاشترى لنا بدرهم فاكهة وريحاناً. وجاءنا من حانوته بجوائج السكباج ونقل.»[2]

وقد بلغت عادة التحيات في الاسلام الغاية من البذخ والترف فكان الخلفاء والوزراء ووجوه الدولة يتفننون في تزيين مجالس شرابهم باطايب الفواكه ونوادر الرياحين والورود. ويغالون في الانفاق والتبذير، كما حكاه ابو جعفر بن حمدون وهو شاهد عياني، قال:

«كنا نشرب مع الراضي بالله يوماً في مجلس مغنّى بالفاكهة الحسنة الفاخرة. فعَرض بالجلوس فقال: افرشوا لنا المجلس الفلاني واطرحوا فيه ريحاناً ونيلوفراً فقط. طرحاً فوق الحصر بلا اطباق ولا تعبية في مشامّ كما تفعل العامّة. وعجّلوا ذلك الساعة لننتقل اليه. قال فلم تكن الا لحظة حتى قالوا له قد فرغنا من ذلك. فقال لنا قوموا. فقمنا معه. فلما رأى المجلس قال للشرابيّة: غيّروا لون هذا الريحان بشيء من الكافور يُسحق ويُطرح فوق. فليس هو مليح هكذا. قال فاقبلوا يجيئون بصواني الذهب فيها الكافور الرباحي المسحوق ارطالاً ويطرح فوق الريحان وهو يستزيدهم الى ان صار الريحان كالمغطّى ببياض الكافور. وكأنه ثوب اخضر قد نُدف عليه قطن رقيق. او روضة سقط عليها ضرائب الثلج. فقال حينئذٍ: حسبكم. قال فقدرت ما استعمل من الكافور كان اكثر من الف مثقال بشيء كثير. فشربنا عليه. فلما قام امر بنهبه. فاخذ غلماني منه مثاقيل كثيرة لانهم

١) الاغاني، طبعة بولاق، ٧: ١٨٥

٢) الاغاني، طبعة بولاق، ٢٠: ٦٦

كانوا في جملة الخدم والفراشين والغلمان الذين نهبوا ذلك. »[1]

وروى القاضي ابو علي التنوخي قال: «شاهدنا نحن ابا محمد المهلبي في وزارته وقد اشترى في ثلاثة ايام متتابعة وردًا بالف دينار فطرحت في بركة عظيمة كانت له في دار كبيرة تعرف بدار البركة - وشرب عليه ونهب . وكان في البركة فوّارة حسنة فطرح الورد فيها وفرشه في مجالسه . وكان لذلك شرح طويل . وشرب ابو القاسم بن ابي عبدالله البريدي بالبصرة على ورد بعشرين الف درهم في يوم واحد على رخصه هناك واسترخاص السلطان لما يشتهيه.»[2]

ومن اغرب ما كان يُتخذ من الرياحين والازهار في مجالس الشراب والحانات قُضُب كانت تجعل خلف آذان السقاة والشاربين . او تُعقد منها اكاليل توضع فوق رؤوسهم. ولذلك قال ابو دلف العجلي مفتخرًا:

يومًا تراني على طمرٍ ترهبني الأجبلُ الرواسي
ويوم لهوٍ احثُّ كأسًا وخلف اذني قضيب آس (٣

ومثله قول ابن المعتز في وصف ساقٍ:

وطاف بها ساقٍ اديب بمترل كخنجر عيّار صناعته الفتك
وحمّل آذريونة فوق اذنه ككأس عقيق في قرارتها مسك (٤

وله ايضاً في الساقي المكلّل بالآس المرصّع بصنوف الريحان:

عليه اكليل آسٍ فوق مفرقه قد رصّعوه بانواع الرياحين (٥

وقد جمع ابو نواس بين « تحيّات الندامى » و« أكاليل الرياحين » فقال:

الذ واشهى من قراع الكتائب مصافحة الطاسات من كل جانب
واخذ تحيّات الندامى وردّها بترحيب انس من حبيب وصاحب
ولبس اكاليل الرياحين معهم وإنصات آذان الى شدو ضارب (٦

وله ايضاً في الاكليل او التاج:

---

١) نشوار المحاضرة للتنوخي ، ص ١٤٤–١٤٥
٢) نشوار المحاضرة للتنوخي ، ص ١٤٧
٣) مروج الذهب ، بهامش نفح الطيب ، ٣ : ٢٠٤
٤) ديوانه . باريس رقم ٣٠٨٧ ، ص ١١٢
٥) ديوانه . باريس رقم ٣٠٨٧ ، ص ١١٧
٦) ديوانه . باريس رقم ٣٠٨٧ ، ص ١٠٥

كأنَّ اكليله تاج ابن مارية اذ راح متصباً بالورد والآس(١

ومثله قوله في وصف ساق.

يدور بها ظبيٌ غريرٌ متوَّجٌ بتاج من الريحان ملك القراطق(٢

وله في ريحانة الاذن:

احسن عندي من انكبابك بالفهم مُلِحاً به على وتد
وقوف ريحانة على أُذُن وسير كأس الى فم يد(٣

ونظيره قوله في ورد الآذريون:

يدَيْ ساقٍ عليه حلة من ياسمين
وعلى الاذنين منه وردتا آذريون(٤

ولابي بكر الصنوبري من ابيات:

لا اشرب الكأس الا من يدي رشإ مهفهف كقضيب البان ميّاس
مورَّد الخد في قُمص مورَّدة له من الآس اكليل على الراس(٥

ومن اصدق تشبيهات التحيَّات في «اكاليل الرياحين» قول ابي عثمان الخالدي في وصف مجلس انس حضره:

والخمر تُجلى على خطّابها فترى عرائس الكرم قد زُفَّت لازواج
وكلنا من اكاليل البهار على رؤوسنا، كانوشروان في التاج(٦

وفي لسان العرب ان مثل هذه الاكاليل التي اتخذها العرب عن العجم كانت تسمى العمار(٧.

وقد اشتهر الواثق بالله بحب المواخير وعقده حانتين احداهما في دار الحُرَم والاخرى على الشط. فلما فرغ منهما امر باحضار المغنّين والجلساء والدنان» وكان يوضع على رأس الحضور اكاليل الآس وما اشبه من الرياحين. »(٨

ومما تقدم تتبين حاجة الرهبان الى الإكثار من زراعة الورد والريحان والفواكه لبيعها في التحايا واصناف النقول في الحانات اللاحقة بالديارات.

---

١) ديوانه، طبعة مصر سنة ١٨٩٨، ص ٢٦٧
٢) ديوانه، طبعة مصر سنة ١٨٩٨، ص ٢٠٧
٣) خزانة الفاتيكان رقم ٤٥٦، ص ١٠٥
٤) ديوانه، طبعة مصر، ص ٢٢٩
٥) معجم البلدان ١: ٦٦٨
٦) يتيمة الدهر، طبعة مصر، ٣: ١٨٦
٧) لسان العرب ٣: ٤٣٠
٨) مسالك الابصار، ص ٢٤٩

الزعفران

هو النبات المعروف . وزهره احمر الى الصفرة ، ذكي الرائحة . وكان يُتخذ للصبغ والدواء والطيب . وله في الشعر والحديث ودواوين اللغة عدة أسماء ومرادفات ، بينها المأنوس والوحشيّ :

١ الجاديّ والجاديا . قال الزمخشري : « نُسب الى الجاديَة ، وهي من اعمال البلقاء . سمعت من يقول ارض البلقاء تلد الزعفران . »[1] قال بشار

باكرنَ عطر الطيبة وتُمسن في الجاديّ غمساً[2]

٢ الجَسَد والجساد . يقال ثوب مُجَسَّد ومُجَسَّد مصبوغ بالزعفران .[3] ومنه لا تخرجن الى المساجد في المجاسد .[4]

٣ الرادِن . يقال احمر رادنيّ اذا خالطت حمرته صفرة كالورس .

٤ الرَّدْع . او هو لطخ من الزعفران . وفي حديث عائشة : كُفِّن ابو بكر في ثلاث اثواب . احد ثيابه ردع من زعفران ، اي لطخ لم يعمّه كله . ويقال قميص رادع ومردوع ومردَّع : فيه اثر طيب او زعفران .[5]

٥ الرِّيقان . والرقان والرقون . قال :

وبُسمة اذا ما شئت غنّت مضمّخة الترائب بالرقان[6]

٦ الزَّرْنَب . وفي حديث ام زرع : المسّ مسّ ارنب . والريح ريح زرنب . قال ابن الاثير في تفسيره هو الزعفران[7]

٧ الحُصّ . ومنه في احد القولين بيت عمرو بن كلثوم في الخمرة :

مشعشعة كأن الحصّ فيها اذا ما الماء خالطها سخينا

---

١) اساس البلاغة ، طبعة الدار ، ١ : ١٦٣

٢) الاغاني ، طبعة الدار ، ٣ : ١٦٤

٣) التاج ٢ : ٢٢٠

٤) اساس البلاغة ١ : ١٣٤

٥) التاج ٥ : ٢٥٢-٢٥٣

٦) التاج ٩ : ٣١٨

٧) التاج ١ : ٣٨٧

ومثله قول الاعشى في التشبيه: كأنه « يُطلَّى بجصٍّ او يغشَّى بمظلمِ »[1]

٨ المبير. قيل هو اخلاط من الطيب تُجمع بالزعفران. وقيل هو الزعفران وحده. قال الاعشى:

وتبرد برداً رداء العرو س، في الصيف، رقرقت فيه المبيرا

ولابي ذؤيب:

ومربٍ تطلَّى بالمبير، كأنه دماء ظباء بالبخور ذبيح[2]

ويظهر ان اول من صبغ ثوبه بالزعفران من العرب عامر بن جُشَم بن حبيب فلُقِّب به وقيل له: ذو المجاسد.[3] واقتدى به سائر العرب. وعمَّ صبغ الثياب واللحى بالصفرة. روى اسمعيل بن عبدالله بن جعفر عن ابيه قال: رأيت النبي وعليه ثوبان مصبوغان بالزعفران رداء وعمامة[4]. وعن زيد بن اسلم ان ابن عمر كان يصبغ لحيته بالصفرة حتى تمتلئ ثيابه من الصفرة. فقيل له لِمَ تصبغ بالصفرة فقال اني رأيت رسول الله (صلعم) يصبغ بها. ولم يكن شيء احب اليه منها. وقد كان يصبغ بها ثيابه كلها حتى عمامته[5]. وفي كتاب نوادر الإشراق في مكارم الاخلاق عن ابي عبدالله قال: ما من شيء احسن على الكعبة من الرياط السابريّ المصبوغ بالزعفران.[6]

وكان يُعَدّ مثل هذا الصبغ من التأنق والطيب ولذلك نهى في الحديث ان يتزعفر الرجل. وقال لا تلبسوا شيئاً من الثياب مسَّه الزعفران ولا وَرْس[7]. وفي روايات الشيعة عن عمران الحلبي عن ابي عبد الله انه سُئل عن المُحرِم يكون به الجرح يتداوى بدواء فيه زعفران فقال: «ان كان الزعفران غالباً على الدواء فلا. وان كانت الادوية غالبة عليه فلا بأس». ورووا عن الصادق، وهو لقب ابي

---

١) التاج ٢: ٢٢٠

٢) لسان العرب ٦: ٢٠٥

٣) التاج ٢: ٢٢٠

٤) العقد الفريد لابن عبد ربه ٣: ٢٨٥

٥) سنن ابي داود ٢: ١١٤

٦) من مخطوطات الخزانة المملوكية، رقم ١٦٩٣، ص ١٤٢

٧) صحيح البخاري، بولاق، ٧: ٢٦ و٤٥

جعفر محمد بن علي بن الحسين ، انه قال : يُكرَه من الطيب اربعة اشياء للمحرم : المسك . والعنبر . والزعفران . والورس[1] .

وانما رغبوا هذه الرغبة في الزعفران لذكاء رائحته . وحمرة لونه المائلة الى الصفرة . وكانت الصفرة احب شيء الى رجالهم ونسائهم . ولاعرابي في عجوز :

وما غرّني الّا خضاب بكفّها وكحل بعينيها واثوابها الصفر[2]

وقيل ان الخليفة معاوية كان يصفّر لحيته كأنها الذهب .[3] وكان الامراء والولاة والكبراء اذا خلَوْا للشرب لبسوا المصبَّغات الملونة ولا سيما الصفر قال الشعبي : لما ولي بشر بن مروان الكوفة كنت على مظالمه فأتيته عشيةً . . . فاذا بشر بن مروان عليه غلالة رقيقة صفراء وملاءة تقوم قياماً من شدة الصقال وعلى رأسه اكليل من ريحان .[4]

ومن الخلفاء الذين غالوا في التهوس باون الصفرة وانفقوا عليه النفقات الطائلة المتوكل على الله . حدَّث ابو محمد بن حمدون عن ابيه قال :

« ان المتوكل اشتهى ان يجعل كل ما يقع عليه عينه في يوم من ايام شرابه اصفر . فنُصبت له قبة صندل مذهبة مجلّلة بديباج اصفر . مفروشة بديباج اصفر . وجُعل بين يديه الدستنبو والاترج الاصفر . وشراب اصفر في صواني ذهب . ولم يحضر من جواريه الا الصُفر عليهن ثياب قصب اصفر . وكانت القبة منصوبة على بركة مرصّعة يجري فيها الماء . فامر ان يُجعل في مجاري الماء اليها الزعفران على قدر ليصفرّ الماء ويجري من البركة . ففُعل ذلك وطال شربه فنفد ما كان عندهم من الزعفران . فاستعملوا العصفر . ولم يقدّروا انه ينفد قبل سكره فيشتروا . فنفد . فلما لم يبقَ الا قليل عرّفوه وخافوا ان يغضب ان انقطع ولا يمكنهم قصر الوقت من شراء ذلك من السوق . فلما اخبروه انكر لِمَ لم يشتروا امراً عظيماً

---

١) كتاب من لا يحضره الفقيه لابي جعفر محمد بن بابويه القمّي ، رقم ١٧٠٣ من الخزانة الملوكية ، ص ٢٤٢

٢) العقد الفريد ٣ : ١٢

٣) مجلد من تاريخ الاسلام للذهبي . خزانة اكسفرد Laud. Or. 286, f°35a

٤) الاغاني ، طبعة الدار ، ٢ : ٢٤٦

وقال: الآن ان انقطع هذا تنغّص يومي. فخذوا الثياب المصفرة بالقصب فانقعوها في مجرى الماء ليُصبغ لونه بما فيها من الصبغ. ففعل ذلك. ووافق سكره مع نفاد كل ما في الخزائن من هذه الثياب. فحُسب ما لزم على ذلك من الزعفران والعصفر ومن الثياب التي هلكت فكان خمسين الف دينار.»[1]

وهذا مثل من امثال شهوات الخلفاء الغريبة واقتراحاتهم في التبذير والاسراف وهي التي اتصف بها المتوكل خصوصاً في خلافته.

وكان الزعفران ايضاً من اهم مواد الطيب والزينة. تُمدح به النساء الحسان. ولذلك قال الشمّاخ بن ضرار:

بها شَرَق من زعفران وعنبر اطارت من الحسن الرداء المحبرا (٢

وما لبث النساء ان اتخذنه لطلاء وجوههن. وربما سُمّي هذا الطلاء الغمرة. وفي الامثال: من خُدع بالغُمرة وقع في الغَمرة. اي في الشدة والمكروه. حكي ان ابن عبدل تزوّج امرأة من همدان. فلما دخل بها كرهها، فقال من ابيات:

واني قد دُلِلت على عجوز مبرقعة مخضّبة البنان
تغضّن جلدها، واخضرّ، الّا اذا ما ضُرّجت بالزعفران (٣

وهذا معنى قولهم: اهلك النساء الاحمران: الذهب والزعفران[4].

وربما سمي الزعفران عطر العذارى. قال العباس بن الحسن، وزير المكتفي والمقتدر، وقد التطخت اصبعه الوسطى بالمداد:

انما الزعفران عطر العذارى ومداد الدرجيّ عطر الرجال (٥

وانما خُصّص بهنّ لكثرة استعمالهن له. والّا فانه كان عطر الرجال كما سبق من ذكر تحريمه على المُحرِم. قال المنصور بن عامر:

ألم ترَني بعتُ المقامة بالسرى، ولين الحشايا بالخيول الضوامر
وبُدّلتُ بعد الزعفران وطيبه، صدا الدرع من مُستحكمات المسامر (٦

---

١) نشوار المحاضرة ١: ١٤٦–١٤٧
٢) زهر الآداب للحصري، بهامش النقد القريد، ١: ٢٤٠
٣) الاغاني، طبعة الدار، ٢: ٤١٩
٤) كتاب البخلاء للجاحظ. طبعة ليدن ص ١١٧
٥) الوافي بالوفيات للصفدي، خزانة بريتيش موزيوم Add. 2358 f° 9b
٦) اليتيمة للثعالبي، طبعة مصر، ٢: ٥٤

ولذلك كان يُستصحب في الاسفار ويُستصلح للهدايا حتى للاعراب وساكني الخيام. قيل خرج عبدالله بن جعفر يريد الشام فألجأه المطر الى ابيات فقراه رجل فيها ليلتين فاراد مكافأته. فدعا بثوب فجعل فيه زعفراناً وصرّ في طرف منه مئة دينار ثم بعث به الى اهل الرجل. فابوا قبوله.[1] وكان لكثرة ما تهدي منه الوزراء واصحاب الثراء يُطحن كما يطحن الدقيق. حكى ابو عبد الله احمد ابن الاصبغ قال: «كنت اتصرف مع سليمان بن وهب (الوزير العباسي) لقرابة كانت بيننا من جهة النساء. وكانت حالي بصحبته في نهاية السعة حتى انه كان يطحن الزعفران في داري كما يطحن الناس الدقيق لكثرة ما يجيئنا من الجبل ونستعمله ونهديه.»[2] ويعني بالجبل هنا كورة اصبهان. واكثر ما كان يُستعمل الزعفران في تركيب الخلوق. وهو نوع من الطيب مائع اعظم اجزائه الزعفران. يقال: خلّقه وتخلّق الرجل اذا تطيب بالخلوق. ولابن المعتز في التشبيه

او عروس قد صُبِّغت بخلوق فهي صفراء في قميص حُباب[3]

وربما طيبوا بالخلوق بعض الاحجار تكريماً. قيل «وفي سنة ٦٦٠ (١٢٦٠م) ظهر في مصر تجاه حوض الجامع الاقمر حجر مكتوب عليه هذا مسجد موسى عليه السلام. فخُلّق بالزعفران وسمي من ذلك اليوم بالركن المخلّق.»[4] ومن هذا القبيل تخليق عمود مقياس النيل اذا بلغ الوفاء ست عشرة ذراعاً ويحصل لاهل مصر به فرح عظيم «ويُتخذ ذلك اليوم عيداً يركب فيه السلطان بعساكره وينزل في المراكب لتخليق المقياس. ويجتمع الناس من كل الانحاء للفرجة. ويجري من الطرب والتهتك ما لا مزيد عليه. ولذلك قال شهاب الدين بن العطار مورّياً الى الستر الذي كان يُسبَل على شباك المقياس للتبشير بوفاء النيل:

تمنّك الخلق بالتخليق، قلت لهم: ما احسن الستر! قالوا: العفو مأمول!
ستر الإله علينا لا يزال فما احلى تمتكنا والستر مسبول[5]

---

١) لباب الآداب لأسامة بن منقذ، مصر، ص ٨٥-٨٦
٢) نشوار المحاضرة ٨: ٦٦
٣) زهر الآداب للحصري، بهامش العقد الفريد، ١: ٢٠٧
٤) الخطط للمقريزي، مطبعة النيل، ٢: ٢٤٨
٥) الخطط للمقريزي، مطبعة النيل، ٣: ٦٧ و ٢٠٠

وفي سنة ٨٥٥ وفى النيل ست عشرة ذراعاً فنزل المقام الفخري عثمان ابن السلطان في وجوه الناس وخلق المقياس. وكان هذا اليوم من الايام المشهورة لغاية سرور الناس بوفاء النيل وخلق الناس بعضهم بعضاً بالزعفران[1].

ولما عاد الملك الظاهر برقوق الى مصر سنة ٧٩٣، في سلطنته الثانية، طلع الى القلعة ودخل الى الدور السلطانية. قال ابن تغري بردي: فاستقبلته المغاني والتهاني وفرشت الشقق الحرير تحت اقدامه ونثر على رأسه الذهب والفضة. هذا وقد تخلق غالب اهل القلعة بالزعفران[2].

وفي سنة ٨٨٦ عزل السلطان قايتباي كاتب السر ابن مزهر. ثم رضي عليه، واعاده الى منصبه، وخلع عليه. «فنزل من القلعة في موكب حافل وتخلق جماعة بالزعفران وزينت له حارته.»[3]

وفي سنة ٩٠٢ لما ثبت رشد السلطان الناصر ابي السعادات ابن الملك الاشرف قايتباي ضربت البشائر بالقلعة وتخلق جماعة بالزعفران.[4]

ومما تقدم يتبين ان العادة كانت لا تزال باقية حتى اوائل القرن العاشر للهجرة ان يتخلق الناس بالزعفران في بعض المواسم والاعياد والافراح.

وكان الطهاة قديماً يكثرون اتخاذ الزعفران في جملة الابازير التي تُطيَّب بها الاغذية والقدور، وتُصبغ بها الحلواء لموائد الخلفاء والمتنعمين.[5]

وقد مرَّ بنا قبلاً ان الزعفران كان يجبى بكثرة من كورة اصبهان وهو من مفاخرها. قال بعضهم يذكر محاسن اصبهان آسياً على فراقها:

ولها الزعفران، والعسل الما ذيّ، والصافنات تحت الجلال

ولذلك قال الحجاج لبعض من ولّاه اصبهان: قد وليتك بلدة حجرها الكحل وذبابها النحل وحشيشها الزعفران.[6] واشار ابن رسته الى فضل زعفران اصبهان

١) حوادث الدهور مدى الايام والشهور لابن تغري بردي، ليدن، ١: ١١١

٢) النجوم الزاهرة ٥: ٥٤٥

٣) ابن اياس ٢: ٢٠٦ ٤) ابن اياس ٣: ٢١١

٥) كتاب الطبيخ وإصلاح الاغذية المأكولات لابي محمد المظفر بن نصر الوراق. خزانة اكسفرد Hunt. 187 f°13-14

٦) معجم البلدان ١: ٣٤٤

على سواه فقال: «وبها من الزعفران الذي وان كان في غيرها من البلدان موجوداً فان فضله على كل ما في سائر المواضع ظاهر لانه اذكى رائحة وابين نفعاً واشبع صبغاً في كل ما يستعمل . ولا يبتاع في شيء من المواسم والاسواق التي يُجلَب اليها منه شيء ما دام يوجد زعفران اصبهان.»[1]

ومن مدائن الجبل التي اشتهرت بوفرة زعفرانها قُمّ . قال جعفر بن جرار كاتب ابن طولون:

تسحب ذيلين من خلوق قد أفنيا زعفران قُمّا
كانما أخنيا عليها من طيب ما باشرا وشمّا
فألفيا زعفران قُمّ فانغمسا فيه واستحمّا[2]

ومنها مدينة همذان. قال بلديها محمد بن بشار يفتخر:

بلد نبات الزعفران ترابه وشرابه عسل بماء قنان[3]

وروى البشاري المقدسي ان بنهاوند وروزراوند من اقليم الجبال مزارع الزعفران.[4] وكان في بلد الروم مدينة صغيرة اسمها كَيْنُوك. اجتاز بها ابن بطوطة قال: «ونزلنا بدار عجوز كافرة وذلك ابان الثلج والشتاء . فاحسنّا اليها وبتنا عندها تلك الليلة . وهذه البلدة لا شجر بها ولا دوالي العنب . ولا يُزدرع بها الّا الزعفران. واقتنا هذه العجوز بزعفران كثير. وظنّت اننا تجار نشتريه منها.»[5]

وكان في كيليكيّة من بلاد الارمن نوع فاخر من الزعفران يُحمل الى المغرب لرغبة المصوّرين فيه.[6] ومن الشرق دخل الزعفران اسبانية ، وكثر فيها وفي ايطالية ، حتى كان يحمل منها الى شتى الاقطار. وازدُرع ايضاً في افريقية ، وعُدّ في جملة ما يرتفع منها من التجارات.[7]

ومن اجل هذا الرواج الشديد في كل الاسواق على الزعفران وكثرة الحاجة

١) الاعلاق النفيسة ، ص ١٥٧
٢) العقد الفريد لابن عبد ربّه ٣: ١٢٨ و٢١٦
٣) معجم البلدان ٤: ١٨٣
٤) احسن التقاسيم ، ص ٣٩٣
٥) رحلته ، طبعة وادي النيل ، بمصر ، ص ١٨١
٦) W. Heyd. *Histoire du commerce du Levant*, II, p. 668
٧) احسن التقاسيم ، ص ٢٢١

اليه كان من هم الديارات العناية به في جملة مزروعاتها. كدير الكَلَب بنواحي الموصل. ودير مرّان بدمشق. ذكر ابو الفرج الاصبهاني الخالدي انه كان على قلعة مشرفة على مزارع الزعفران. وكدير مار ماروثا بظاهر حلب. واشهر الاديار التي كانت متخصصة به دير على رأس جبل مطلّ على نصيبين كان فرش ارضه من الزعفران. وسمي لذلك بدير الزعفران. قال الخالدي وشعر زعفرانه فائق. ومنه ومن العسل اكثر يسار رهبانه.[1]

ويظهر ان زراعة الزعفران قلّت او انقطعت في بعض المدن والديارات على اثر ما حلّ بها من الدمار والخراب. ولذلك كان تجار الزعفران يستجلبونه من جنوة في ايطالية، وبرشلونة في اسبانية. وكان الجنوي يفضل سائر الاجناس ولذلك كان يُقلّد كثيرًا ويُغشّ. قال الفقيه ابو عبدالله محمد بن العبدري المشهور بابن الحاج المتوفى بالقاهرة سنة ٧٣٧ (١٣٣٦/٧ م):

«من المفاسد ما يفعله بعضهم. وهو انهم يأخذون الزعفران الجنوي والبرشنوني والهمداني ويخلطون الجميع ويبيعونه على انه كله جنوي. وذلك لا يجوز لان الجنوي يرغب فيه اكثر من غيره.»[2]

---

١) مسالك الابصار، ص ٢٥٤-٢٥٥ و٢٠٥، ٢٢٢، ٢٢٥

٢) كتاب المدخل ٣: ١٢٤-١٢٥

دور الضيافة

اشتهرت الاديار في الجاهلية بايواء المجتاز بها . وضيافة اللاجئ اليها . والاحسان الى كل طارق محتاج . ولم يكن فيها وقتئذٍ دور خاصة بالضيافة بل كان نزول الاضياف في بعض الحُجَر فيها والقلالي . ثم جاء الاسلام فاوجب على النصارى في جملة الرسوم التي اراد بها إذلالهم « ان لا يمنعوا كنائسهم من المسلمين ان ينزلوها في الليل والنهار . »[1] وروى القاضي ابو يوسف ، صاحب الامام ابي حنيفة ، ان ابا عبيدة بن الجراح لما صالح اهل الشام اشترط عليهم ، في جملة الشروط ، ان يضيفوا من مرَّ بهم من المسلمين ثلاثة ايام.[2] فلم يكن من ثم بدّ من وجود مواضع في الديارات لمبيت الزوار وعابري السبيل. ثم كثر الاضياف والمتنزهون والمتطرّحون في الديرة لمعاقرة الخمر ، والتبسط في القصف والطرب . وتفاقم الداء بصحبة الجواري والخطايا لفريق من الامراء والمتطرفين واهل البطالة. وتأذّى الرهبان بمثل هذا الاختلاط ، فاعوزت الحال الى بناء دور وحُجَر لهم خاصة ، الى جانب الاديار ، ينزل فيها كل من ينشاها من الناس والمسافرين. وتُقام لهم فيها الضيافات على اقدار كل منهم. وكانت هذه البيوت تُقام احياناً فوق القلالي والكنيسة ، وهو ما يؤخذ من قول الخالدي في كلامه على عمر الزعفران « لهذا الدير بيوت للضيافة في علو الهيكل. »[3]

ومن الديارات التي نُصَّ على وجود بيوت للضيافة فيها :

١ « دير باعربا بين الموصل والحديثة. فيه بيت ضيافة ينزله من يجتاز به »[4]

٢ « دير باريشا بارض الموصل. قال الخالدي: رأيته في بعض السنين وكان به راهب يقال له كوريال (جبريال ؟) فاضافنا احسن ضيافة . واكرمنا غاية

١) جزء فيه بيان ما يلزم اهل الذمّة فعله ليقع التمييز بينهم وبين المسلمين في ملابسهم وغير ذلك، لابي يعلى محمد بن الحسين بن محمد بن الفراء، من مخطوطات خزانتنا عليه سماع بتاريخ ٤٣٧ (١٠٤٥ م)

٢) كتاب الخراج ، ص ١٦٥

٣) مسالك الابصار ، ص ٣٠٥

٤) مسالك الابصار ، ص ٣٠٠

الاكرام بالطعام الكثير والشراب المتيق الواسع وعلف الدواب واكثر. فعظم في عيني وعاتبته على الإسراف في فعله. فقال هذا والله رسمنا مع كل من ينزل بنا.»[1]

٣ دير مر يحنا الى جانب تكريت. قال الشابشتي: «لا يخلو من المتطربين والمتنزهين ولا من مسافر ينزله. ولكل من طرقه من الناس ضيافة قائمة على اقدار المضاف لا يخلون بها. وعلى بابه صومعة عبدون الراهب رجل من الملكية بنى الصومعة ونزلها فصارت تعرف به. وهو الآن المستولي على الدير والقيّم به وبن فيه. وقد بنى الى جانبه بناء ينزله المجتازون فيقيم لهم الضيافة ويحسن لهم القرى.»[2]

٤ دير الاسكون. وهو «راكب للنجف. وفيه قلالي وهياكل ورهبان يقيمون الضيافة لمن ورد عليهم.»[3]

٥ دير مرّان بدمشق. اشتهر بضيافة ابي الفرج الببّغاء، شاعر سيف الدولة، والتجاء احد آل المادرانيين فيه حين خشي الافلاس. واختبأ مع غلامه في قلّية منه «فضيّة الحيطان رخامية الاركان» استزار فيها ابا الفرج. وانقضت لهما فيها بين الطرب والهوى ليلة من ليالي الدهر خلّد الببغاء ذكرها في حكاية له رصّعها بنثره الشائق وشعره الفائق. ونقلها الثعالبي في يتيمته وابن ظافر في كتابه بدائع البدائه. ومن مطالعتها يعرف ما كان يجري احياناً وراء حدران القلالي ودور الضيافة في البيع والاديار من المجون والجنون.

٦ «دير سمعان بظاهر انطاكية وهو مثل نصف دار الخلافة ببغداد يضاف به المجتازون.»[4]

٧ دير القاروص على جانب اللاذقية من شمالها. اغفل ذكره ياقوت، ولم يُشر اليه غير صاحب مسالك الابصار. قال ابن بطوطة في رحلته: «هو اعظم

---

١) مسالك الابصار، ص ٢١٤

٢) كتاب الديارات، ص ٧٣-٧٤

٣) مسالك الابصار، ص ٢١١

٤) معجم البلدان ٣: ٦٧٢

دير بالشام ومصر يسكنه الرهبان ويقصده النصارى من الآفاق . و كل من نزل به من المسلمين فالنصارى يضيفونه . وطعامهم الخبز والجبن والزيتون والخل والكَبَر . »[1]

وكان بعض الاضياف ، ولا سيما من وجوه الدولة والامراء وذوي قرابة الخلفاء ، لا يبالون بابتذال مثل هذه الابنية الرهبانية وإطلاق العنان فيها لشهواتهم في عشرة القيان والغلمان. واشتهر منهم ابو علي بن الرشيد بملازمة دير مرّيان ببغداد والشرب فيه. « وكان له قيان يحملهنّ اليه ويقيم به الايام لا يفتر عزفاً وقصفاً وكان شديد التهتك . وكان من يجاور الموضع يشكون ما يلقونه منه . »[2]

ونظير ذلك ما كان يجري في دير الزندورد. « حكى عبد الواحد بن طرخان قال : خرجت الى دير الزندورد في بعض اعياده متطرّباً متنزّهاً ومعنا جحظة في جماعة من اخواني. فنزلنا موضعاً حسناً . ورافقنا هناك جماعة من ظراف بغداد . لجميعهم معشوقات حسان الوجوه والغناء. فاقمنا به اياماً في اطيب عيش . وقال جحظة فيه شعراً. ذكر الدير وطيب الوقت ومن كان معنا وغنّى فيه لحناً حسناً وهو :

سقياً ورعياً لدير الزندورد ، وما يحوي ويجمع من راح وريحان
دير تدور به الافداح مُترعةً من كف ساقٍ مريض الطرف وسنان
والعود يتبعه نايٌ يوافقه ، والشدو يحكمه غصن من البان
والقوم فوضى ، ترى هذا يقبّل ذا وذاك انسان سوء « جنب » انسان »[3]

ومن اقبح ما كان يجرّه على الاديار والكنائس العهد القاضي بايواء كل مسلم عابر سبيل نزول بعض اللصوص والفُسّاق ، وارتكابهم فيها المحرّمات والكبائر . وإفساد بعض المترهبين والمترهبات. كأبي الطمحان القيني « قيل له — وكان فاسقاً خارباً — ما ادنى ذنوبك. قال ليلة الدير. قيل له وما ليلة الدير.

---

١) مسالك الابصار ، ص ٢٢٦ ؛ ورحلة ابن بطوطة ، مطبعة التيل ، ١ : ٤٧
٢) الديارات للشابشتي ، ص ١٢
٣) مسالك الابصار ، ص ٢٧٤

قال نزلت بديرانية فأكلت عندها طفشيلاً[1] بلحم خنزير . وشربت من خمرها وزنيت بها وسرقت كساءها. ثم انصرفت عنها.»[2]

وقريب منه ما فعل عبّادة المخنّث «كان لما نفاه المتوكل الى الموصل يمضي الى دير الشياطين (غربي دجلة من اعمال بَلَد) فيشرب فيه ولم يكن يفارقه. فهوي غلاماً من الرهبان بالدير . وكان من احسن النـاس وجهاً وقدّاً. فهام به وجُنّ ولزم الدير من اجله. ولم يزل يخدمه ويلاطفه ويعطيه الى ان سلخ الراهب عن الدير وخرج معه. وفطن رهبان الدير بعبادة وما فعل من إفساده الغلام فارادوا قتله بان يرموه من اعلى الدير الى الوادي . ففطن بهم وهرب ولم يعد الى الموضع.»[3]

ولاحمد بن ابي طاهر يذكر ليلة قضاها في دير السوسي :

سقى سُرَّ من را ، وسكانها ، وديرًا لسوسيها الراهب
فقد بتُّ في دبره ليلة وبدر على غصن صاحبي
غزال سقاني حتى العيا ح صفراء كالذهب الذائب
سقاني المدامة مستيقظاً وغت ونام الى جانبي
فكانت هنات لي الويل من جناها الذي خطّه كاتبي[4]

ولعل هذه الهنات من التخيلات التي يهيم بها الشعراء في اودية الشعر او من قول ما لا يفعلون. ولا ريب ان كثيرين من اضياف الديارات كانوا لا يرون اقل حرج على من شاء منهم الاستسلام للشهوات واتيان انواع المنكرات :

«حتى ـ يحل على دير ابن كافرة من النصارى بيع الخمر مشهور[5]

---

١) الطفشيل نوع من المرق وضبطه في تاج العروس بتقديم الياء على الشين كسيدع والصواب ما حكيناه. قال ابو نواس يهجو رجلا :

لو كنتَ لونًا كنت طفشيلةً او طائرًا اصبحتَ مكّاء.

(ديوانه . باريس ١٨٢٩ ، ص ٢٩٠)

وقال ابو شراعة ، احد شعراء الدولة العباسية :

عينيَ جودي لبرمة الطفشيل ، واستهلي فالصبر غير جميل (الاغاني ٢٠ : ٢٩)

٢) الاغاني ١١ : ١٢٢

٣) الديارات للشابشتي ، ص ٧٩

٤) مسالك الابصار ، ص ٢٦٢

٥) مسالك الابصار ، ص ٢١٢

حانات الديارات

كان إلحاق الحانات بالديارات لا شك بعد الاسلام . أنشئت فيها على اثر اعتياد المسلمين ابتياع الخمور من الرهبان ، وطروقهم القلالي حتى في ظلمات الليل ، واختلاطهم بهم في اوقات العبادات والصلوات . فلم يروا بدًا من التحوّط والتصوّن . وعزل مستودعات الشراب بمنأى عن الهياكل والمعابد . وجعلها في حيّز المعاصر . وقد اخطأنا التوفيق في البحث عن وصف لمشتملات الحانات في نثر او شعر . او ايماء الى كيفية بنائها ووجه استغلالها . ويستدلّ من بعض الروايات ان طائفة من الاديار والقلالي بقيت مع ذلك تحفظ الخمر في مخادع ضمن اسوارها وتبيعها رأساً لزوّارها ، وهو ما يستفاد من قول القائد ابي عبدالله محمد بن خليفة السنبسي ، احد شعراء سيف الدولة صدقة بن دُبَيس :

ولربَّ دير قد قصدنا نحوه في فتية ، ناء عن الاسواق
فطرقتُ بابه . فقال كبيرهم : اهلًا بزائرنا ، وبالطُرّاق
ومضى بمعوله وغاب هنيهةً في مخدع ناء ورا اغلاق
وأتى بها بكرًا تخال حباحبا فوق الدنان نواظر الاحداق[1]

ومن الديارات التي اشتهرت بكثرة حاناتها :

١ « دير سابُر في الجانب الغربي من دجلة في بقعة كثيرة البساتين والكروم والثمار والحانات والخمارين . »[2]

٢ « دير جرجس بالمزرفة على شاطئ دجلة والبساتين محدقة به . والحانات مجاورة له . »[3]

٣ دير سرجيس بطيرناباذ بين الكوفة والقادسية « كانت ارضه محفوفة بالنخل والكروم والشجر والحانات والمعاصر . »[4]

---

١) خريدة القصر للعماد الكاتب . باريس ٣٣٢٦ ، ص ١١٧
٢) الديارات للشابشتي ص ٢١ ، ومسالك الابصار ، ص ٢٧٦
٣) الديارات للشابشتي ص ٢٧ ، ومسالك الابصار ، ص ٢٨١
٤) الديارات للشابشتي ص ١٠٢ ، ومسالك الابصار ، ص ٢٨٤

٤ دير زرارة بين الكوفة وحمام اعين وهو « كثير الحانات والشراب . »[1]

٥ دير اشموني بقطربل . وعيده اليوم الثالث من تشرين الاول . . . لا يبقى احد من اهل التطرب واللعب الا خرج اليه . . . ويمرون شطه واكنافه . وديره وحاناته .[2]

٦ « دير قوطا بالبردان على شاطئ دجلة . وهو يجمع احوالا كثيرة منها . ان الشراب هناك مبذول والحانات كثيرة . »[3]

ومن الغريب ان اديار النساء الرواهب كانت نفسها محفوفة بمثل هذه الحوانيت والخمارات باخطارها واضرارها . كدير العذارى بجانب الكرخ بين سامرا وبغداد « كانت حوله حانات للخمارين وبساتين ومتنزهات . لا يعدم من دخله ان يرى من رواهبه جواريَ حسان الوجوه والقدود والالحاظ والالفاظ . قال الخالدي : ولقد اجتزت به فرأيته حسناً . ورأيت في الحانات التي حوله خلقاً يشربون على الملاهي . . . وانشد جحظة لنفسه :

قالوا : تبيعك مغمور بآثار من المدامة ، والريحان ، والقار
فقلت من كان مأواه ومسكنه دير العذارى ، لدى حانات خمّار
لم ينكر الناس منه ان حُلّته خضراء كالروض او حمراء كالنار »[4]

ولسنا نعلم هل كانت ادارة هذه الحانات تعقد احياناً لاحد رهبان الدير ام تُضَمَّن في الاعمّ الاغلب لبعض الخمارين . ولدينا نصوص لا تحتمل التأويل شاهدة بان من الحانات ما كان في ايدي القسوس والرهبان كالتي في دير مارت مريم بالحيرة . ذكر ابو الفرج الاصبهاني انه كان فيه قسّ يقال له يحيى خمّارًا وابن يقال له يوشع تألفه الفتيان الظرفاء .[5] ومثله عُمَر نصر بسامرا وهو من متنزهات آل منذر بالحيرة . وكان الحسين بن الضحاك احد خلعاء الشعراء يألفه . « وكان

١) الديارات للشابشتي ص ١٧ ، ومسالك الابصار ، ص ٢٨٦
٢) الديارات للشابشتي ص ١٨–١٩
٣) الديارات للشابشتي ص ٢٠
٤) مسالك الابصار ، ص ٢٥٨–٢٥٩
٥) مسالك الابصار ، ص ٢١٨ وفي المتن المطبوع : « كان قس يقال له يحيى بن حمار ويقال له يوشع » وفيه تشويش وتحريف ظاهر . والصواب ما صححناه .

الى جانبه خمّار يقال له يوشع. وله ابن امرد حسن الوجه شماس. فكان الحسين يتألف الخمّار من اجل ابنه حباً له.»[1] وله في هذا العُمر ابيات منها:

خمّار حانتها، ان زرت حانته، اذكى مجامرها بالعود والنار
يحتزُّ كالغصن في سُلب مسوَّدة كأن دارسها جسم من القار[2]

اي في ثياب سوداء كالقار. وهو ما يدل على ان الشماس كان يتولّى الحانة ايضاً. ولعله كان خازنها اي، كما يقال اليوم، امين صندوقها، مثلما كانت الحال في دير مرّان بدمشق حيث كان القس خمّارًا وابنه الشماس وزّاناً صيرفيًّا، على ما ذكره ابن ابي جبلة الدمشقي في قصيدة قال فيها:

شمّاسه هو وزّان ومنتقد، وقسّه هو خمّار وكرّام[3]

وقد صرّح ابو عبد الرحمن الهاشمي السلماني بان ساقيه كان ابن القسيس حيث قال:

سقاني ابن قسيسها كأسها على زورة من حبيب ألمّ[3]

ومعلوم ان القسوس في الشرق كانوا يتزوّجون دفعة واحدة في العمر. ولا تزال هذه العادة متّبعة في بعض القرى والمدن. وكان احدهم لا يؤهّل للاسقفية او البطريركية الّا بعد وفاة امرأته. ومن اشهر من عُرف منهم البطريرك مكاريوس الزعيم الحلبي، وكان في صحبته دائماً ابنه الشماس بولس. ولما كان لا بد لهم من القيام بأود اولادهم كانوا يضطرّون، اذا تعدت بهم الحال احياناً، الى اتخاذ بعض الحِرَف. ولذلك قام منهم عدة خمّارين لبيع خمور البيَع والديارات.

وربما تولى احد رهبان الدير ادارة حانته. وللحسن بن هانئ يذكر دير الأكيراح وان ساقي الراح في حانته كان راهباً يلبس مدرعة صوف فوق مسح الرهبانية:

يا طيبَهُ، وعتيق الراح نحتتهم، بكل نوع من الطاسات رحراح
يسقيكها مُدمَج المنصرَين ذو كَيَفٍ اخو مدارع صوف فوق امساحِ[4]

---

١) معجم البلدان ٣: ٧٢٥
٢) برق الشام. خزانة ليدن Arabe 1,66, 64
٣) مسالك الابصار ص ٢٢٩
٤) ديوان ابي نواس. خزانة الڤاتيكان، رقم ٤٥٦، ص ١٠٠

ويُنشد لابي العيناء في دير باشهرا على شاطئ دجلة . وفيه تصريح بان الساقي كان الربّان قسيس الدير :

نزلنا دير باشهرا على قسيسٍ ، ظُهرا
على دَيْنٍ ايسوعٍ ، فما أفتى ، وما أسرى
فاولى من جميل الفعلِ ما يستعبد الحُرّا
وسقّانا وروّانا من الصافية العذرا
فطاب الوقت في الديرِ ، ورابطنا به عشرا
وسُقّينا به الشمس ، وأُخدمنا به البدرا
وأُحيَت لذة الكأس ولكن قتّلت سكرا
ونلنا كل ما نهوا هُ من لذاتنا ، جهرا
تصابينا ، وفتّينا ، وأرغمنا به الدهرا
فتكنا ، وتهتّكنا ، ومثلي هتك الستر
وقد ساعدنا ربا نُ طوعاً منه ، لا جبرا
جزاه الله عن خير به قابلنا خيرا
فقد اوسعه شكرًا كما اوسعنا برًّا (١

وفي قوله ان الربّان ساعده على لذّاته طوعاً شاهد على ما كان يقوم به احياناً بعض القسوس في خدمة الندامى من المجاملات المنكرة .

وللشعراء عدة ابيات تقدم بعضها ذكروا فيها استباءهم الخمر من ايدي الرهبان والراهبات ، فضلًا عن منادمتهم عليها بعض فتيان الدير وفتياته بالثياب السود والأمساح . ومنها لتاج الدين محمد بن حواريّ :

وربَّ دير طرقنا بابه سحرًا ، وللنواقيس في اعلاه اصوات
في فتية كالنجوم الزهر ، اوجههم منيرة اشرقت منها الدُّجنّات
فقال راهبه : من ذا ؟ فقلت له : قوم اليك لهم في الدير حاجات
فقام يسعى الى إكرامنا عجلًا وقال : بشرى لكم عندي المسرات
هُبّوا فما العيش الا ان يطوف على الندامى ، في الدير ، طاسات وكاسات (٢

ولا حاجة الى التنبيه على ان مثل هذه الاقوال المنسوبة الى الرهبان والقسوس في الاديار ليست الا من افانين الشعر التي يُراد بها التحسين والإغراب فلا يجب ان تؤخذ على ظاهرها .

١) الديارات للشابشتي ، ص ٢٢-٢٣
٢) الجزء العشرون من عيون التواريخ للكتبي . الخزانة التيمورية ، ص ٢٢٧-٢٢٨

ولابن الحكاك ابي الحسن بن محمود الخجندي الموصلي في دير سعيد:

رهبان دير سعيد بتُّ عندهم في ليلة نجمها حيران مرتبكُ
فجاء راهبهم يسعى، وفي يده مدامة ما على شرّابها دَرَكُ
كالشمس مشرقها كأس، ومغربها فم الندم، وكفّ الساقي الفلكُ
ما زلت اشربها حتى زوّت نشوتي عني، كما زُويت عن فاطم فَدَكُ
من كف اغيد تحكي الشمس طلعته، في خده الورد والنسرين مندعكُ (١

ونظيره قول ابي الحسين محمد بن ميمون الكاتب في دير باقوقا. ذكره ابن المستوفي في تاريخ اربل:

نزلت بدير باقوقا، وفيه من الرهبان لي خدن مقيمُ
فالمقني بصهباء شمول يفوح بعنبر منها النسيم
ونادمني برهبان ملاح وفيهم شادن حسن رخيم (٢

وفي منادمة الرهبان الملاح للشاربين المسلمين موضع نظر. ومثل هذه الدعوى لا شك من تخيلات الشعراء ومبالغاتهم المعتادة.

ومن اقبح ما هنالك ان الساقي كان يكون حيناً ابنة قس الدير، صاحب الحانة. روى العمري ان الفضل بن اسمعيل بن صالح بن عبدالله بن العباس نزل يوماً دير يونس مقابل الموصل «فرأى فيه حسناء ابنةً لقسّ كان فيه فخدمته مدة مقامه ثلاثة ايام. وجاءته بشراب صافٍ عتيق. فلما اراد الانصراف اعطاها عشرة دنانير ورحل. وقال في طريقه ابياتاً اولها:

عليك سلام الله، يا دير، من فتى بهجته شوق اليك طويل

وآخرها:

ايا ابنة قسّ الدير قلبي مذلّه عليك، وجسمي مذ بعدت عليل» (٣

وللشهاب العمري حين زار الدير الابيض من الديارات السبعة في مصر ابيات نظمها فيه، وذكر ان ساقيتهُ كانت من بنات القسوس فقال:

وكأس المدام علينا تطوف بحمراء صافية كاللَّهَبْ
يطوف بها من بنات القسو س باخلة الكفّ ليست تَحَبْ

---

١) التاسع من الجامع المختصر لابن الساعي. الخزانة التيمورية، ص ٢٠١
٢) مسالك الابصار، ص ٢٨٦
٣) مسالك الابصار، ص ٢٤٦-٢٤٧

مبتلة ، بين رهبانها ، لاحاظها في حشانا رَكَب
مسيحية طلعت في المسو ح كصبح اطلّ وليل ذهب(١)

ولا يخفى ما في تعرُّض بنات القسوس لمعاطاة الكؤوس من التبذّل والاستهداف لاخطار عربدة السكارى. وربما انتهت بهن هذه المنادمة الى الخروج من عصمة الدين، والدخول في ربقة الاسلام. ومن اشهر من أدّت بهنّ مثل هذه الحال الى سوء المآل شمانين ابنة قسّ دير صليبا بدمشق حين طاوعت الخليفة العباسي المتوكل على الله على الاسلام، والتزوج به، كما نقلناه في كلامنا على دير باب الفراديس(٢).

وقريب من هذه الاخطار بيع الرواهب للخمر احياناً حتى في ظلمات الليل. وهو اشد قبحاً من بيع بنات القسوس. ومن الابيات التي وردت شاهدة بمثل هذا التجوّز والتسامح قول ابن نباتة المصري:

وراهبة طرقناها بليل ، ودون مزارها ارج يفوح
فهبّت في الظلام الى مدام كأن شعاعها قبس يلوح
وحيّتنا بصافية شمول ، كما يترقرق الدمع السفوح
كأنّا قد سلبنا الديك عيناً ، فقام من الكرى فزعاً يصيح(٣)

على ان اكثر حانات الديارات كانت، دون ريب، تُضمَّن لبعض الخمارين من عوامّ النصارى، وهم اسلس مقاداً واقل عناداً في الدفاع عن حوزة الادب والعفة. فكانوا لا يرون بأساً في التوسّل بكل وسيلة لاجتذاب الشبان والمجّان وعشّاق بنت الحان. وفي طليعة هذه الوسائل اختيار السقاة عندهم والمغنّين من احسن الناس وجهاً وقدّاً من الغلمان والجواري. وعقد ادارة الحانة الى اجمل الفتيان واحذقهم في الشراب، وابرعهم في الحثّ على التلذّذ والطرب. كحانة دير اللج في الحيرة مثلاً، وهي التي قيل فيها:

بتنا بدير اللج في حانة شرابنا في الكأس مكبوب
يديرها ظبي هضيم الحشا يجبّه الشأن والشيب
حتى اذا ما الخمر مالت بنا جرت امور واعاجيب

---

١) مسالك الابصار، ص ٢٨٣
٢) الخزانة الشرقية ٢ : ١٢-١٦
٣) ديوانه، طبعة مصر، سنة ١٩٠٥، ص ١١٧

فما ترى ظنك في شادنٍ بات الى جانبه ذيب (١

ونظيرها دير حنة. وكان بالكوفة رجل اديب ضعيف الحال ، مهما وقع في يده شيء اتى به دير حنة فيشرب حتى يسكر. ثم ينصرف الى اهله ، وهو القائل :

ما لذة العيش عندي غير واحدة : هي البكور الى بعض المواخير
لمامل الذكر ، مأمون بوائقه ، سهل القياد من الفُرّاء المدابير
حتى يحلّ على دير ابن كافرة من النصارى بيع الخمر مشهور
كأنما عقد الزنار فوق تقًا ، واعتمّ فوق دجى الظلماء بالنور (٢

لا جرم ان الاقبال على مثل هذه الحانات التي اجتمعت فيها لذة البصر والسمع والشم والذوق كان عظيماً عميماً . ولذلك كثر السكر فيها ، وغلب المتطرّحون في افنيتها من الخلعاء ومجّان الشعراء من رجالات الادب واشراف العرب ، نظير ابي الشبل البرجمي ، وعبدالله بن العباس بن الفضل بن الربيع ، وابي جفنة القرشي ، وابي الطيب محمد بن القاسم الشيري ، وعمرو بن عبد الملك الورّاق ، وابي شاس منير ، ومصعب الكاتب ، ومهلهل بن يموت بن المزرّع العبدي ؛ وبكر بن خارجة ، ومطيع بن اياس ، ويحيى بن زياد ، والحسين بن الضحاك ، وجحظة البرمكي ، ومحمد بن عبد الرحمن الثرواني ، وكان آخر امره ان أصيب في حانة بين زقّي خمر ، وهو ميت.[٣] وكثيرين غيرهم . ولاحدهم ، مهلهل بن يموت ، يصف غرامه بالشرب في دير الطور :

يا غلام ، اسقني فقد ضحك السوق وقد تم طيب هذا الزمان
أدنِ مني الدنانَ ، صبّ الابا ريق ، استحثّ الكؤوس ، صفّ القناني (٤

ومنه اخذ الصنوبري قوله في دير زكّى من ابيات :

يا خليليّ ، ماقا عللاني عاطياني الصهباء ، لا تذراني !
أبعدا الماء ، أبعدا الماء ، قوما ، أدنيا أدنيا بنات الدنان (٥

١) مسالك الابصار ، ص ٢٢٦
٢) مسالك الابصار ، ص ٢١٢
٣) الديارات للشابشتي ، ص ٢٠,٢٥,٢٧,٢٨,٧٤,٨٣,٩٠,١٠١,١٠٦,١٠٩
٤) مسالك الابصار ، ص ٢٢٨
٥) الديارات للشابشتي ، ص ٩٨

ولاسماعيل بن عمار الاسدي يصف سكرة له بدير اللج ، وهو احسن ديارات الحيرة وانزهها . ولم نقف على ابيات اظرف والطف منها واصدق في تشبيه السكارى وقيامهم يتعثّرون الى الصلاة بعد فواتها :

ما انسَ سُعدة والزرقاء(١ يومَها باللج ، شرقيَّهُ فوق الدكاكين
تثنّيانا كنفث السحر تودعه منا قلوباً غدت طوع ابن رامين
يسقي شراباً كلون النار عثّفه يعبي الاصحاء منه كالمجانين
اذا ذكرنا صلاة بعد ما فرطت قمنا اليها ، بلا عقل ولا دين
نمشي اليها بطاء ، لا حراك بنا ، كأن ارجلنا يُقلَمن من طين
نمشي ، وارجلنا عوجٌ مواتمُها ، مشيَ الاوزّ التي تأتي من الصين
او مشيَ هيان دير ، لا دليل لهم سوى المصيّ الى عبد السمانين
اهوى رُبيحةَ إنّ الله فضّلها بحسنها وغناء ذي اقانين
فمن يقول لها غنّي ويسعدني قتلتني يوم دير اللُجّ فأحييني(٢

ولما كانت الحانات منسوبة دائماً الى اديارها استجاز الشعراء — وهم يقولون ما لا يفعلون — ان يفتخروا بالسكر في القلالي والكنائس . ولذلك قال ابو نصر المنازي :

هذا وكم لي بالكنيسة سكرة انا من بقايا شربها مخمور(٣

على ان بعض الزوّار من وجوه الدولة واعيانها كانوا يتغلبون بسطوتهم وجاههم على كل قانون للكنائس والاديار ، ويعاقرون الخمر ضمن اسوارها ، دون اكتراث بالرهبان . وقد سبق ان امير مصر ابا الجيش خمارويه بن طولون كان يسكر في دير القصير بمصر ، وهو ينظر الى صورة للعذراء كان شديد الإعجاب بها . وقد مرّ بنا عدة ابيات للشعراء صرحوا فيها بما كان يجري في الاديار من التبذّل والقصف والاسترسال في الشهوات ، وهو ما لا بد من التوسع في شرحه فيما يأتي وايراد الشواهد عليه دفعاً لكل شك وارتياب .

---

١) سعدة ، والزرقاء (سلّامة) ، ورُبَيحة ، المذكورة فيما بعد ، من جواري مغنيات كنّ لابن رامين ، وهو مولى عبد الملك بن بشر بن مروان .

٢) معجم ما استعجم للبكري ، ص ٢٦٧

٣) معجم البلدان ٤ : ٦٤٩

تغزّل الشعراء بغزلان الديارات

واحتيال الزوّار لمنادمتهم والشرب على وجوههم

للشعراء والمغنين وعشاق الخمور النصرانية مقطعات وقصائد تغزلوا فيها بالشمامسة والرهبان والراهبات وذكروا اختيارهم كل صبيح الوجه بينهم للمنادمة والشرب والمجالسة والمداعبة . واطلقوا العنان لقرائحهم في التصوّر والتمني والابتداع والتوهم . حتى اصبح غزل خمرياتهم اشبه بغزل قصائد المدح في كونه وليد الفكر ونتاج التخيّل والحلم ، واسلوباً من اساليب التفنّن في النظم . وفيما زعموه وحكوه من وقائعهم واحاديثهم ما يفوت حد الإمكان ، ولا يجوز مثله في تقدير ولا حسبان . واذا صدق ما حكاه بعضهم كان حسب الزائر وقتئذٍ ان يلج باب الدير ويستدعي شرابه ليكون له الحق في اختيار اول مليح او مليحة فيه ليشرب ويغني ويطرب بالنظر الى محاسنها والتلذذ بخطابها. ثم يخرج من الدير وبه «سُكران سكر هوًى وسكر مدامة .» وهو ما حكاه اسحق الموصلي المغني المشهور حين خرج مع الرشيد الى الرقة ، ومرَّ بدير القائم وطاف فيه. قال : « فرأيت ديرانيَّة حين نهد ثدياها وعليها المسوح . ما رأيت احسن من وجهها . وكأن تلك المسوح عليها حلي . فدعوت بنبيذ وشربت على وجهها اقداحاً . ثم دعوت بالعود فغنّيت في الدير صوتاً مليحاً ظريفاً وما زلت اكرره واشرب وانظر اليها وهي تضحك من فعلي حتى سكرت ».[1] وهذه الحكاية اشبه بما يجري في المواخير ودور القيادة منها بما يليق ان يكون في بيوت الزهد والعبادة .

ومن وقف على معظم ما حفظته الرواة من الاخبار والاشعار المقولة في هذا المعنى وتدبر ما ورد فيها من المزاعم والاشارات الى منادمة المسلمين احداث الاديار وتحيلهم بكل حيلة من لبس المسوح والصلبان. وتناول القربان. والتمتع بالايقونات . وحضور الصلوات . حباً بالتقرب منهم وايناسهم. والتلذذ بمجالستهم

(١) مسالك الابصار ص ٣٦٩–٣٧٠

والنظر اليهم . يبدر الى وهمه ان اعراض سكان الديارات كانت وتتنذر لحماً على وضم يتناوله من شاء . وان بيوت الصلاة كانت اولى ان تسمّى بيوت الريبة . ولكن اذا تذكر ان الشعر اعذبه اكذبه تحقق ان كل ما هنالك من دعوى الاستمتاع وقصص المنادمات والمداعبات لم يكن في الحقيقة الّا ضرباً من ضروب الوشي والتطريز في النظم يُراد به مجرّد الإغراب والإطراب .

وقد اخترنا من هذه المنظومات الديرية كل ما رأيناه جديرًا بالتأمل والاعتبار او وجدنا في ايراده فائدة ونكتة . واول ما نبدأ منها بابيات مشهورة لابن المعتز في راهب من دير عبدون تخيّل انه جاءه « في ظلام الليل » . وفي احدى الروايات « في قميص اللاذ مستترًا » فقال :

سقى المطيرة ذات الظلّ والشجر ... ودير عبدون هطّال من المطر
يا طالما نبهتني للصبوح بهِ ... في ظلمة الليل والعصفور لم يَطِر
اصوات رهبان دير في صلاتهم ... سود المدارع نأّرين في السحر
كم فيهم من مليح الوجه مكتحل ... بالسحر يطبق جفنيه على حوَر
لاحظته بالهوى حتى استفاد له ... طوعًا واسلفني الميعاد بالنظر
وجاءني في ظلام الليل مستترًا ... يستعجل الخطو من خوف ومن حذر
فقمت افرش خدّي في التراب له ... ذلًّا واسحب اذيالي على الاثر
فكان ما كان مما لست اذكره ... فظُنَّ خيرًا ولا تسأل عن الخبر (١

وعلى شاكلتها قول عمر بن عبد الملك الورّاق في دير مار يُحنّا الى جانب تكريت . وان كان دونها في الجودة والاحسان :

ارى قلبي قد حنّا ... الى دير مريحنّا
الى غيطانه الفُسحى ... الى بركته النتّا
الى ظبي من الانس ... يصيد الانس والجنّا
الى غصن من الآس ... به قلبي قد جُنّا
الى احسن خلق الله ... ان قدّس او غنّى
فلما انباج الصبح ... نزلنا بيتنا دنّا
ولما دارت الكأس ... ادرنا بيننا لحنّا
ولما هجع الناس ... غنّا وتمانتنا (٢

١) معجم البلدان ٢ : ٦٧٨
٢) معجم البلدان ٢ : ٧٠١

واجتاز الشاعر الكندي المنبجي يوماً بدير ماو ماعوث على شاطئ الفرات فاستحسنه . قال: ورأيت في رهبانه غلاماً كما عذَّر قد ترهب . فخاطبته فاذا به احلى الناس الفاظاً على لثغة فيه تجعل السين ثاء . فشديت سُماريتي[1] الى جانب الدير واشتريت شراباً من الرهبان . وبتُّ هناك منادماً لذلك الغلام . فلما اردت الرحيل انشدتهُ :

يا طيب ليلة دير مر ماعوث فسقاه رب الناس صوب غيوث
وسقى حمامات هناك صوادحاً ابداً على سِدْر هناك وتوث
ومورَّد الوجنات من رهبانه هو بينهم كالظبي بين ليوث
ذي لثغة فتانة فيسيّ الثا ووس حين يقول بالطاووث
حاولت منه قبلة فاجابني لا والمسيح وحرمة الناقوث
اتراك ما تخشى عقوبة خالق تمشيه بين شماث وقثوث
حتى اذا ما الراح سهَّل حثها منه المثير برطله المحثوث
نلت الرضى وبلغت قاصية المنى منه برغم رقيبه الديّوث (٢

وقريب من هذه الابيات قول مصعب الكاتب في دير الزعفران :

عمرت بقاع عمر الزعفران بفتيان غطارفة هجان
قللنا نسل الكاسات فيه على روض كنقش المسروانى
وغزلان مراتعها فؤادي شجاني منهم ما قد شجاني
رضيت بهم من الدنيا نصيباً غنيت بهم عن البيض الغواني
اقبّل ذا والثم خدّ هذا وهذا مُسعد سَلِس العنان (٣

وللسريّ الرفاء في غزلان الدير يذكر ليلة سكر فيها بقطربُل وقال من جملة ابيات :

ودير شُغفت بغزلانه فكدتُ اقبّل مطابقا (٤

وايسر خطباً مما تقدم قول الفضل بن العباس بن المأمون في دير مار ماري في سرّ من رأى :

أنضيتُ في سُرَّمن را خيل لذاتي ونلت منها مُنى نفسي وشهواتي
عمرت فيها بقاع اللهو متنفساً في النصف ما بين انهار وجنّات

١) السماريّة والافصح السُّمَيريّة ضرب من السفن.
٢) مسالك الابصار ص ٢٦٢ ، ومعجم البلدان ٢ : ٧٠١
٣) معجم البلدان ٢ : ٦٦٣-٦٦٤
٤) يتيمة الدهر ، طبعة دمشق ، ١ : ٤٦٨

بدير مر مارِ اذ نُغي الصبوح به ونُسل الكأس فيه بالمشيّات
بين النواقيس والتقديس آونة وتارة بين عيدان وناياتِ (١

ومثلها قول موفق الدين بن ابي الحديد المدايني وهو بدير ميخائيل بالموصل يشبب باحد رهبانه من « المرتّلين » :

يا ساكني دير ميخائيل لي أثر لكنه بشر في شكل تمثال
قريب دار بعيد في مطالبه غريب حسن والحان واقوال
سكرت من صوته لما اشار به ما لست اسكر من صهباء جريال
ما رمت امساك نفسي عند رؤيته الّا تغيرت من حال الى حال
يا ليلتي بفناء الدير لست كمن يقول يا ليلتي بالشيح والضال
قد صرتُ انشد بيتاً صار لي مثلاً لولا وصالك لم يخطر على بالي
لو اشتريت بعمري ساعة سلفت من عيشتي معكم ما كان بالغالي (٢

وللبيغاء في دير الزعفران ، وقد صحب فيه راهباً ماجناً زعم انه « تجاوز له عن صومه وصلاته » :

صفحتُ لهذا الدير عن سيئاته وعددت يوم الدير من حسناته
وصبّحت دير الزعفران بصحبة اعادت سرور القلب بعد وفاته
عمرت محل اللهو بعد دثوره وألّفت شمل الانس بعد شتاته
وعاشرت من رهبانه كل ماجن تجاوز لي عن صومه وصلاته
واهيف فاخرت الرياض بحسنه فأذعن صغرًا وصفها لصفاته
جلا الاقحوان الغضّ نوّار ثغره ومال بغصن البان عن حركاته
واسكرني بالعذب من فم ريقه واسقني بالورد من وجناته
ولما دجا الليل استعاد منا الضحى براحٍ نأت بالليل عن ظلماته
نصيبيّة ديريّة كاد كرمها بجوهرها ينهلّ قبل نباته
فاهدى اليها الورد من صبغ خده وايّدها بالفتك من لحظاته
الى ان تمادى بين غمري وغمره صليب يفوح المسك من فتحاته
ونمّ الينا دخّها بغيابها فواهاً لقلب ضاق عن خطراته
وما زال يسقيني ويشرب والمُنى تبشرني عنه بصدق عِداته
وخوّفني منه فخلت صليبه لشدة ما يخشاه بعض وشاته (٣

ودخل يوماً سبط ابن التعاويذي الشاعر المشهور دير الثعالب في ضواحي

١) معجم البلدان ٣ : ٧٠٠
٢) الجزء العشرون من عيون التواريخ للكتبي ، الخزانة التيمورية ص ١٢٦
٣) الجزء الثاني عشر من عيون التواريخ للكتبي ، الخزانة التيمورية ص ٢٠٣

بغداد يوم عيد للنصارى فرأى شماساً فيه وسيماً فقال فيه ارتجالاً :

وغزال علقتهُ يوم دير الثعالب
من ظباء الصريم يخطر في زيّ راهب
كالقضيب الرطب يو هيهِ حمل الذوائب
شدَّ زناره فحلَّ عقود المذاهب
ما رمى طرفه بسهم هوى غير صائب
بتُّ من حبهِ على مثل شوك العقارب(١

وللخالدي يشبب بفتى مترهب في الدير الاعلى بالموصل :

قر بدير الموصل الاعلى انا عبده وهواه لي مولى
لثم الصليب فقلت من حسد له قُبَل الحبيب فمي بما اولى(٢

ولاحد الشعراء في فتى راهب في دير اللج بالحيرة جمع بين حسن الوجه والصوت « اذا رجّع الانجيل اهتزَّ مائدًا » :

سقى الله دير اللج غيثًا فانه على بعده دير اليَّ حبيب
قريب الى قلبي بعيد محله وكم من بعيد الدار وهو قريب
يهيّج ذكراه غزال يحلُّه اغنّ سخور المقلتين ربيب
اذا رجّع الانجيل واهتز مائدًا تذكر محزون الفؤاد غريب
وهاج لقلبي عند ترجيع صوته بلابل اسقام به ووجيب(٣

وللجلال ابن الصفّار المارديني يتغزل بشماس وهو مما تُغنّي به :

برق بدا ام ثغرك المنعوت ام لؤلؤ قد ضمّه ياقوت
يا للنصارى برقعوا شماسكم قبل الضلال فانه طاغوت
ما قام اقنوم الجمال بوجهه الا وفي ناسوته اللاهوت
يشتاقه قلب اليه طائر صبّ وطرف حائر مبهوت
فأحسنْ فان الحسن وصف زائل واصنع جميلًا فالجمال يفوت
واستبقِ من اهل الغرام ولا تجُرْ فيقلّدوك دماءهم ويموتوا(٤

ونظيره قول ابن نباتة المصري في شماس وهو غاية في الظرف والاجادة :

لله ظبي كنيسة لاحظته فكأنما لاحظت ظبي كناس
يجلو محاسنه ويتلو صحفه ناهيك من شمس ومن شماس

---

١) ديوانه، ص ٥٢-٥٣
٢) معجم البلدان ٢ : ٦٤٤
٣) معجم ما استعجم للبكري ، ص ٢٦٦
٤) جزء من مسالك الابصار للعمري في المنثين والمنثيات ، باريس رقم ٥٨٧٠، ص ١٧٢

عجباً له في دين عيسى كيف قد اضحى يعارض حكمه بقياس
هذاك احيا الناس من موت وذا في الحب قد وافى بموت الناس
من اجل مبسم الشهيّ تفتحت في كفه ابداً شفاه الكاس
وكأنما مدّ اليدين صليبه يبغي عناق قوامه المياس(١

وفي هذا البيت الاخير تخيُّل غريب. ولابن خطيب داريا في دير مار الياس في داريا قصيدة اولها:

هات اسقني الصهباء يا مؤنسي قد فاح نشر الورد والنرجس

يقول فيها:

هذا هو العيش ومن لي به في دير مار الياس او بطرس
في فتية شبه بدور الدجى اذا بدوا في اسود الملبس
رهبان دير طيب اخلاقهم اصفى من الراح لمستأنس
اكثر الفاظهم: أشرَبْ فلا اسمعُ: لا أفت ولا أدرُس
ما لي وللفقه واصحابه يا نفس منهم آن ان تيأسي(٢

ولابي علي حسن الغزي في رهبان دير المصلّبة بظاهر القدس:

ومزنّرين اذا تلوا انجيلهم وتطهروا فحمام وغصون
ترعوا القلانس والمسوح فزُحزحت منهن عن غرر الشموس دجون
وسموا بكاسات المدام وما دروا ان الكؤوس الدائرات جنون(٣

وللسريّ الرفّاء يتشوق الى دير يوسف بالموصل ويصف راهباته. وكنى عن الراهبات بالدُمى النواطق:

كم دمية خرساء فيه ودُمية قضّت عليها باللسان الناطق
ومهفهف لو كنت املك امره بدّلت سُحق مسوحه بقراطق
كم قد رمقت به المنى فنشيتها ما بين مرموق الجمال ورامق
ومعذّل اخذ الصبا بيمينه فجرى به جري الجموح السابق
ورقدت من غزلانه وذئابه ما بين مسروق الجمال وسارق(٤

ومن الغزليات في الجواري الراهبات قول ابرهيم بن القاسم الكاتب المعروف بالرقيق القيرواني يذكر إدمانه السكر في دير القُصَير بمصر ومنادمته لاحدى

١) ديوانه، طبعة مصر سنة ١٩٠٥، ص ٢٧٠
٢) الرابع من المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي لابن تغري بردي، الخزانة التيمورية، ص ٦١٧–٦١٨
٣) مسالك الابصار ص ٢٤٠
٤) ديوان السريّ الرفّاء في مجموع رقم ٣٠٩٨، في خزانة باريس، ص ١٤٧

رواهبه:

وكم بتُّ في دير القصير مواصلاً ... غاري بليلي لا أفيق من السكر
تبادرني بالراح بكر عزيزة ... اذا هتف الناقوس في غرّة الفجر
مسحية خوطيّة كلما انثنت ... تشكّت اذى الزنار من رقة المتصر (١

وقد اشرنا قبلاً الى تلطف بعض المترددين على القلالي والاديار في مخادعة الملاح فيها، والتظاهر بالتقرب من النصرانية، والتزيّي بزيّ اهلها ومخالطتهم لهم في الكنائس لتأليف قلوبهم واستدامة معاشرتهم. ومن الابيات المروية في ذلك قول عبدالله بن العباس بن الفضل في شادن من الرهبان في دير قوطا بالبَرّدان من نواحي بغداد على شاطئ دجلة:

يا دير قوطا، لقد هيّجت لي طربا ... ازاح عن قلبي الاحزان والكُرَبا
كم ليلة فيك واصلت السرور بها ... لما وصلت به الادوار والنُخَبا
في عصبة بذلوا في القصف ما ملكوا ... وانتقوا في انتصابي العرض والنشبا
وشادن ما رأت عيني له شبهاً ... في الناس لا عجماً منهم ولا عربا
اذا بدا مقبلاً ناديت واطَرَبا ... وان مضى مُعرضاً ناديت وا حَرَبا
اقمت بالدير حتى صار لي وطنا ... من اجله ولبستُ المسح والصُلُبا
وصار شماسه لي صاحباً واخاً ... وصار قسّيسه لي والداً وابا (٢

ومن ابيات الكندي المنبجي حين مرّ بدير مار ماعوث:

وقد سلكت مع النصارى كل ما ... سلكوه غير القول بالثالوث
بتناول القربان، والتكفير للصلبان، والتسبيح بالطيبوث
ورجوت عفو الله متكلاً على ... خير الانام نبيّه المبعوث (٣

ولما زار ابن جناح دير قزمان في ضواحي حلب قال: رأيت فيه شماساً امرد كالبدر بقدٍ يقد القلوب. فانفذت اليه ليحضر عندنا فامتنع. فآنسته وجعلت لا افارقه. وتناولت معه القربان ودخلت معه كل مدخل الى ان أنس بي وعاشرني وقلبي معه وقلت:

يا دير قزمان كم لي فيك من وطر ... قضيته فسقاك الله غيثانا
اقتُ فيه أسنّى من مشمشة ... تنفي بسورتها همّاً واحزانا
نادمتُ فيه دهراً وربّما ... نادمت قسّاً وشماساً ورهبانا

---

١) ارشاد الاريب لياقوت ١: ٢٦١ ٢) معجم البلدان ٢: ٦٨١
٣) معجم البلدان ٢: ٧٠١

وفيهم قمر في ليل مدرعة على قضيب حوى حسناً واحسانا
فلم ازل انا اسعى في تبتّله وقد اخذت اقربي منه قربانا
حتى استكان الى وصلي ونادمني وكان من بعد ذا منه الذي كانا (١

ومن ادلّ الشواهد على ان كل هذا الذي زعموه من لبس الصلبان وتناول القربان لم يكن الا على سبيل العبث والهزل ومن باب التنادر والتظرف في الشعر قول الوليد بن يزيد في زيارته دير يُوَنّى بدمشق:

فاخذنا قرباهم ثم كفّر نا لصلبان ديرهم فكفرنا (٢

ومن تُرى يصدّق ان الخليفة نفسه يمازح الرهبان هذا المزاح ويرتكب مثل هذا الكفر في الشرع؟ وهل هذا القول ونظائره الا خُدعة من خُدَع الشعر. وأُغنيّة من اغانيّ الغزل والسكر؟

وبمثل هذا النقد والانكار يجب ان يتلقى المؤرخ اخبار منادمة بعض فتيان الرهبان والراهبات لزوّار الاديار وشُرّاب المدام. فان هذه المجاملة منهم لم تكن في الحقيقة الا خوفاً وتقيّة ومصانعة ومداراة. ومما يثبت ذلك ان الراهب كان لا يكاد يتخلّص من سخرة مجلس الشراب والغناء حتى يبادر توًّا الى موقفه بين صفوف المصلّين «النعّارين في السحر» كما سمّاهم ابن المعتز. حكى الشاعر المعتصمي في كتاب الديرة للصيباطي قال: «نزلت دير القائم الاعلى فرأيت فيه راهباً امرد لم ترَ عيني احسن منه وجهاً وقدًّا. فسألته ان يجلس لاشرب على وجهه. فجعل يسقيني ليلتي. فلما قارب طلوع الفجر نهض الى صلاته فسمعته يقرأ مزاميره بصوت ما رأيت قط اشجى ولا اطيب منه. فعلق قلبي به. وتهيأ مسيره في غد فقلت فيه:

رأيت البدر مجلوًّا بدير القائم الاقصى
له عينان لحظهما مُطاع الامر لا يُعصى

الى بقية ما هنالك من ابيات امّحت سطورها. وختمها بقوله:

فقام يغنّ مزمارًا بالحان له نصًّا (٣

١) بغية الطلب في تاريخ حلب لابن العديم Add. 23354 f°138b

٢) الخزانة الشرقية (المشرق ٣٦ [١٩٣٨] ٤٨)

٣) جزء من بغية الطلب في تاريخ حلب لابن العديم، خزانة بريتش موزيوم Add. 23354 f° 170

الامور والاعاجيب

في الحانات وملحقات الاديار

لاحدهم في حانة دير اللج ابيات قال فيها يصف مجلسه مع اصحابه . وما اهاجته فيهم سورة الخمار من ثورة الشهوات:

حتى اذا المسر مالت بنا جرت امور واعاجيب(١

ومن اقبح هذه « الامور والاعاجيب » تهتك بعض الاضياف والخلماء في عشرة غلمانهم وفتيانهم بجوار بيوت الصلاة ، والخلوة بهم في القلالي والحانات ، بحيث اصبحت احياناً ملتقى العشاق ومأوى الفساق . وهو ما لا يكاد يصدق لاول وهلة ، لولا تضافر الاخبار والاشعار على اثباته ونفي كل ريب فيه. ومن اصرح ما يشهد بذلك ما حكاه بعضهم قال : « حصلت يوماً بعكبرا في بعض الحانات فشربت اياماً بها . . . وقرأت يوماً على جدار البيت الذي كنا فيه:

ايها المغرمون بالحانات والمفتون في هوى الفتيات
ومتى استنفدت كروم بزوغى فأوانا(٢ امواله ، فالقرات
قد شربنا المدام في دير ماري «وأصبنا» البنين قبل البنات(٣

والطف تصريحاً منه قول ابي نواس في دير نهراذان ، وهو من اصدق الاوصاف لما كان يجري في ملحقات الاديار ، وفي بعض الاعياد النصرانية:

بدير نهراذان لي مجلس وملعب وسط بساتينه
رحت اليه ، ومعي قينة ، نزوره يوم سمانينه
بكل طلاب الهوى فاتك قد آثر الدنيا على دينه
حتى توافينا الى مجلس تضحك الوان رياحينه
والنرجس الغض لدى ورده والورد قد حفّ بنسرينه
وجيء بالدن على مرفع وخاتم الملح على طينه

---

١) مسالك الابصار ، ص ٢٢٦

٢) بزوغى كانت من قرى بغداد قرب المزرفة ؛ بينها وبين بغداد نحو فرسخين. واوانا بلدة كانت كثيرة البساتين والشجر ترهة من نواحي دجيل بغداد (معجم البلدان ١ : ٢٠٦ و ٢٦٥)

٣) معجم البلدان ١ : ٢٦٥

وطاف بالكأس لنا شادن يدميه من الكف من لينه
يكاد من إشراق خدّيه ان يختطف الابصار من دونه
فلم يزل يسقي، ونلهو به، ونأخذ القصف بآيينه
حتى غدا السكران من سكره كاليت في بعض احايينه (١)

وشتّان بين هُجر البيت الاخير من ابيات دير مار ماري المتقدمة وادب لفظ ابي نواس «نلهو به ونأخذ القصف بآيينه» اي برسومه وقوانينه وشروطه.

ويستفاد من حسن اوصاف ابي نواس ان مجالس اللهو والقصف والشرب والغناء، ومعاشرة القيان والغلمان، كانت تكون غالباً في الرياض والبساتين بين الازهار والرياحين. وانما كانت تُنسب خاصة الى الاديار حتى يُظَنّ انها جرت وراء جدرانها وفي جوار بِيَعها ومعابدها، لاضافة الحانات والحدائق اليها واشتهارها باسمها.

وقد اشرنا قبلًا الى بعض هذه المجالس المنكرة في كلامنا على دور الضيافة (ص٣٤٦–٣٤٩) ومن اظهر الشواهد على ما كان يتفق هنالك احياناً من تهتك وخلاعة، ابيات رواها ياقوت لكلاب بن حمزة، المعروف بابي الهندام (او الهيذام)، من اهل حرّان، في باعوث دير زكّى. وهي اصدق مثال لما كان يجري قديماً في الاعياد والمواسم النصرانية. وفي ظل القلالي والحانات من تعرض المسلمين للسواكب. واختلاط الرجال منهم بالنساء. وفتنتهم للفتيات والفتيان. واستباحتهم للذمم والاعراض:

بين النواقيس والتقديس آونةً ونارة بين عيدان وغايات

قال ابو الهندام في دير زكّى. ولا يخلو وصفه من الظرف. نجتزئ منه بما هو ادلّ على المراد من تعريف المهرجانات النصرانية:

سقياً لحرّان انه بلدٌ اصبح للتهو، وهو مضمارُ
في يوم باعوثم، وقد نشروا الصلبان، والمسلمون نُظّارُ
فمن مهاة هناك مقبلة ومن غزال عليه زنّار
ازحم هذا، وتلك ترحمني، وفي الحشا والفؤاد إسعار
فعارضتني هناك شاطرة منهم بها في الذراع أسوار
تقول لي، والدلال يصرعها أنحن، يا مسلمون، كفّار

(١) ديوانه، خزانة الفاتيكان رقم ٤٥٦، ص١٦٦

فقلت يا غايتي ويا أملي بل انتم المؤمنون اخيار
اطلب منها بذاك تقربةً والشعراء الهبات فُجّار
فرقّ لي قلبها وملتُ بها في دير زكّى(١ ونعمتِ الدار
تقول لي عند وقت منصرفي. انك من بعدها لغدّار
خلّلتَ عقد الامان منك لنا فما لعقد لديك إمرار
فقلت قد كان ذاك عن خطإ لا قَوَد عندنا ولا ثار
استغفر الله ، ثم اسأله التوب ، فلي بالذنوب اقرار(٢

وانكى ما في هذه الابيات ، مع ما اتصفت به من طلاوة وحلاوة ، قوله : « وملتُ بها في دير زكّى » كأن حانات الاديار في ذلك العهد كانت دورًا للريبة والفجور. يطمئن فيها الغاصب. ويأوي اليها الفاسق . ولذلك مدحها بقوله « ونعمتِ الدار». ويظهر ان الحال كانت على مثل ذلك ايضاً في مصر ، كما يُستدلّ مما رواه العمري بلفظه وسجعه قال:

« حُكي ان السراج الورّاق وابا الحسين الجزّار خرجا في عهد صباهما . والشباب اعقد حُباهما. يريدان النزهة. فوجدا غلاماً زامرًا يُتمنّى منه اللقاء. ويجتمع فيه الغصن والورقاء. يتلفت بصفحة القمر المنير ويُطرب كأنما زمره مما أُوتي آل داود من المزامير . فلقتاه اليهما لأمر. وظنّا انه ستُلينه لهما الخمر . فأتيا به دير شمران. وصعدا اليه فوجدا راهباً يصدع حبه الفؤاد. ويطلع قمره ولا شيء احسن منه في ذلك السواد. فزاد سرورهما بحصول الزامر والراهب. وابتنا ببلوغ المآرب. فلما حميت فيهما سورة الحميا. وظن كل منهما انه قد حصل له فراشه وتهيا. فطن الزامر والراهب لمرادهما فتركاهما ومضيا قبل التمام. وتركاهما وكل منهما يشكو ضجيعاً لا ينام

فقال السراج :

في فخّنا لم يقع الطائر لا راهب الدير ولا الزامر

١) ضبط في التاج دير زكى بالياء المشدّدة اي زكيّ كعلي (٣ : ٢٢١) وهو خطأ صريح . والصواب زكّى بالالف المقصورة كما ورد في هذا البيت . وممن وهم بضبطه ايضاً البكري في معجم ما استعجم (ص ٢٧٧) قال هو بفتح الزاي وتشديد الكاف واسكان الياء ولم ينتبه الى وروده بالالف المقصورة في بعض الابيات التي استشهد بها.

٢) ارشاد الاديب ٦ : ٢٠٤-٢١٠

فقال ابو الحسين الجزار:

فسعدنا ليس له اول ونحسنا ليس له آخر

فقال السراج:

فالقلب في اثرهما هائم

فقال الجزار:

والقلب من اجلها حائر (١

ومما يزيد في مغزى هذه الحكاية طموح الشاعرين الى الراهب ايضاً « وقد ظن كل منهما انه قد حصل له فراشه وتهيأ ». ومن تأمل بعين الروية والاعتبار هذه الشواهد باسرها يدرك بل. الاسف والاكتئاب علة قول ابن عاصم المصري في دير طموه من قرى مصر:

منازل كنت منتوناً بها يَفِعاً وكنّ قدماً مواخيري وحاناتي(٢

وقد يعجب القارئ من رضى الرهبان بمثل هذه السمعة الشائنة وإغضائهم عما كان يحدث ضمن قلاليهم احياناً. وفي ظل مواطن النسك والتبتل من اصناف المخازي والمنكرات. ولكن اذا تذكر حرج موقف الاديار في دار الاسلام. وتعرضها في كل حين لاخطار الضيافة. ووقوعها تحت سلطة الولاة والمتغلبين. وتمثل ذلّة رؤسائها بين يدي ارباب الدولة واعوان الحكم والظلم. يدرك عجز الرهبان عن صيانة حاناتهم وافنيتهم من الامتهان والابتذال. وصيانة بعض فتيان شماستهم من شبهات الريب والشكوك. ومن افصح الادلة وانصع البراهين على هذه الحال الشنيعة حادثة جرت في الرها ودير زكّى بالرقة. ترشك ان لا تصدّق لولا ثقة رواتها. وهي منقولة عن كتاب الديارات لابي الفرج الاصبهاني. وروايتها اصح متناً من رواية ارشاد الاريب لياقوت (٢: ٢٢-٢٦) قال الصنوبري الشاعر المشهور:

« كان بالرها ورّاق يقال له سعد. وكانت دكانه مجلس كل اديب. وكان حسن الادب والتفهم يعمل شعراً رقيقاً. فما كنا نفارق دكانه انا وابو بكر المعوّج الشامي الشاعر وغيرنا من شعراء الشام وديار مصر. وكان لتاجر بالرها نصراني

١) مسالك الابصار، ص ٢٦٧-٢٦٨

٢) معجم البلدان ٢ : ٦٧٥

ابن اسمه عيسى من احسن الناس وجهاً واحلاهم قدّاً واظرفهم طبعاً ومنطقاً . وكان يجلس الينا ويكتب عنا من اشعارنا . وجميعنا يحبه ويميل اليه وهو يومئذ صبي في الكتاب . فعشقه سعد الكتبي عشقاً مبرّحاً . وكان يعمل فيه الاشعار . فمن ذلك قوله وقد جلس عنده في دكانه :

اجعل فؤادي دواةً والمداد دمي وهاك فابرِ عظامي موضع القلم
وصيّر اللوح وجهي واعمُدْ بيدٍ فان ذلك برءٌ لي من السقم
ترى المعلّم لايدري بمن كَلِفي وانت اشهر في الصبيان من عَلَم

ثم شاع في الرها خبره بعشق الغلام . فلما كبر الصبي احب الترهب وشاور اباه وامه في ذلك والحّ عليهما حتى اجاباه وخرجا به الى دير زكّى بنواحي الرقة . وهو في نهاية الحسن . فابتاعا له قلاية ودفعا الى كبير الدير جملة من المال عنها . فاقام الغلام فيها وضاقت على سعد الوراق الدنيا بما رحبت . واغلق دكانه وهجر اخوانه . ولزم الدير مع الغلام . وهو في خلال ذلك يعمل الاشعار في الغلام . فانكر الرهبان على الغلام كثرة إلمام سعد به ونهوه عنه . وحرموه ان ادخله قلايته وتوعدوه بخروجه من الدير . فاجابهم الى ما سألوه من ذلك . فلما رأى سعد امتناعه عنه شق عليه . وخضع للرهبان ورفق بهم فلم يجيبوه . وقالوا في هذا اثم وعار ونخاف السلطان فكان اذا وافى الدير اغلقوا في وجهه الباب ومنعوه من دخوله . ولم يدعوا الغلام يكلمه . فاشتد وجده به وزاد عشقه الى ان صار الى الجنون . فخرق ثيابه وانصرف الى داره وضرب جميع ما فيها بالنار وكذلك دكانه . ولزم صحراء الدير وهو عريان يهيم ويعمل الاشعار .

قال ابو بكر الصنوبري : ثم عبرت يوماً انا والمعوّج الشامي من بستان بتنا فيه . فرأيناه جالساً في ظل الدير وهو عريان وقد طال شعره وتغيرت حاله . فسلمنا عليه وعذلناه وعنّفناه . فقال دعاني من هذا الوسواس . أترَيان ذلك الطائر الذي على هيكل الدير ؟ واومأ بيده الى طائر هناك . فقلنا نعم . فقال انا وحقكما يا اخويَّ اناشده منذ الغداة ان يسقط فاحمله رسالة الى عيسى . ثم التفت الي وقال يا صنوبري أمعك الواحك . قلت نعم . قال اكتب :

بحقك ، يا حمامة دير زكى ، وبالانجيل عندك والصليب
قفي ، وتحملي مني سلاماً الى قمر على غصن رطيب

عليه مسوحه واضاء فيها فكان البدر في حال المغيب
حماه جماعة الرهبان مني فقلبي ما يقرّ من الوجيب
وقالوا رابنا المام سعد ولا والله ما انا بالمريب
وقولي سعدك المسكين يشكو لهيب جوى احرّ من اللهيب
فصِلْهُ بنظرة لك من بعيد اذا ما كنت تمنع من قريب
وان انا متُّ فاكتب حول قبري عجبٌ مات من هجر الحبيب
رقيب واحد تنغيص عيش فكيف بمن له مائتا رقيب

ثم تركنا وقام يعدو الى باب الدير فوجده مغلقاً فانصرفنا عنه . وما زال كذلك زماناً ثم وُجد في بعض الايام الى جانب الدير ميتاً . وكان امير البلد العباس بن كَيْغَلَغ . فلما اتصل ذلك به وباهل الرها . خرجوا الى الدير وقالوا ما قتله غير الرهبان . فقال ابن كيغلغ لا بد من ضرب رقبة الغلام واحراقه بالنار وتعزير الرهبان بالسياط . وتصعّب في ذلك . فافتدى الرهبان نفوسهم وديرهم بمائة الف درهم . وكان الغلام بعد ذلك اذا دخل الرها لزيارة اهله صاح به الصبيان «يا قاتل سعد الوراق» وشدوا عليه بالحجارة يرجمونه . وزاد عليه الامر في ذلك حتى امتنع من دخول المدينة . ثم انتقل الى دير سمعان وما ادري ما كان منه .»[1]

ولا حاجة الى التنبيه على ما لهذه الحكاية من الخطر والشأن في الدلالة على ما كان عليه القوم في ذلك العهد من اخلاق ومساوئ وبغي وادّعاء وتحكّم في الديارات . واغرب ما هنالك ارادة امير الرها ضرب رقبة الغلام واحراقه بالنار جزاء تعفّفه وامتناعه . وتعزير الرهبان بالسياط وهي الطامة الكبرى . ولعل كل ذلك يشفع في نظر المؤرخ لبعض ضَعَفَة الرهبان في إيثار المداراة والمصانعة في الارتزاق . ويقيم لهم العذر في الإغضاء عما كان يجري حولهم، وعلى رغم منهم، من الفضائح والقبائح . ومن هذا الخبر الجدير بالعبرة والاستبصار يتضح حرج موقف الديارات وما كانت عرضة له من الاخطار والنكبات . وما كان يحلّ بها من آونة لاخرى من غوادي الظلم والاستبداد لعجزها عن التحرّن والاتقاء بين شعب قاهر . وفي دولة سلطان جائر .

---

١) الجزء الثالث عشر من عيون التواريخ للكتبي ، من مخطوطات الظاهرية بدمشق رقم ٤٩ ، في حوادث سنة ٤٢٦ للهجرة (١٠٣٤/٥ م)

التردّد الى الكنائس والاديار

للنظر الى غلمان النصارى ونسائهم

بين شواهد النحو بيت منسوب للاخطل ، وليس في ديوانه ، قيل فيه :

ان من يدخل الكنيسة يوماً يلقَ فيها جآذرًا وظباء(١

وهذا البيت كان قائد كل متفرج في الآحاد والاعياد . وكل متطرّح في القلالي والديارات . وقد اشتهر مدرك بن علي الشيباني بملازمته دير الروم في بغداد في خلق كانوا يقصدونه لاستجلاء مَن فيه من الوجوه الحسان . وله فيه :

وجوه بدير الروم قد سلبت عقلي فاصبحت في بؤس شديد من الحبل
فلم ترَ عيني منظرًا مثل حسنهم ولم ترَ عينٌ مستهامًا بهم مثلي
فكم من غزال قد سبى العقل لحظه ومن ظبية رامت بالحاظها قتلي (٢

وفي دير الروم لقي عمرو بن يوحنا النسطوري وعلق به وجُنّ . ونظم فيه قصيدته المشهورة :

من عاشق ناه ، هواه داني ناطق دمع صامت اللسان(٣

وهي التي مشى فيها على سَنَن ابي نواس في قصيدته الآتية الذكر وجمع فيها كل ما حفظه من اقسام النصارى بمسيحهم وروح قدسهم وقدادسهم وقديسيهم وحواريّهم واحبارهم ومعابدهم . وامثال هذه القصائد جديرة بالدرس لما ورد فيها من ذكر أولياء النساطرة وخصائصهم ومصطلحاتهم واحتفالاتهم . وعلى شاكلتها قصيدة بكر بن خارجة في عشير بن البراء الصراف من نصارى الحيرة . وله فيه شعر كثير يذكر فيه مواسم النصارى وقرابينهم واديارهم ومشاهير بيعتهم . ومنه قوله :

بمارثِ سرجٍ ، وبدير زكّى . ومر توما ، ودير الجاثليق
وبالانجيل يتلوه شيوخ من النسّان في البيت العتيق

---

١) خزانة الادب للبغدادي ، ص ٤١٢
٢) معجم البلدان ٢ : ٦٦٢ ، ومسالك الابصار ، ص ٢٧٣
٣) ارشاد الاريب ٧ : ١٥٢-١٥٨

وبالقربان ، والصلبان ، الا رثيت لقلبي الدنف المشوق
أجرني ، متُّ قبلك ، من هوم وأرشدني الى وجه الطريق
فقد ضاقت عليّ وجوه امري وانتَ المستجار من المضيق (١

ولا شك ان المجلي في هذه الحلبة هو ابو نواس في قصيدته التي نظمها في عبد يشوع بن مار سرجس واولها :

بمعمودية الدير العتيق ، بمُطرُبُليطها ، بالجاثليق

وهو القائل في غيره من غلمان النصارى هذه الابيات وهي جديرة ان تُوضع عليها اليد :

لَبِقٌ بديع الحسن لو كلمتَه لبذت دينك كله من حالق
واقْسِ ، لولا انني متخوّف ان أُبتَلى بامام جور فاسق ،
لتبعته في دينه ودخلته ببصيرة فيه دخول الوامق
اني لاعلم ان ربي لم يكن ليخصّه الا لدين صادق(٢

وللشعراء في الاسلام قصائد ومقطعات شتى على هذا النمط . تغزلوا فيها بفتيان النصارى وفتياتهم . يحسن جدًا ان تُجمع وتطبع لفائدتها في تاريخ النصرانية في الاسلام . نختار منها شاهدين فقط نوردهما مثالًا عليها . الاول قول ابي محمد الحسن بن علي بن وكيع التنّيسي في غلام قد شد في وسطه الزنار ، وفيه نظر الى ابيات ابي نواس المتقدمة :

فَضَل الغصون لانها من غرسنا، عند التأمل ، وهو غرس الباري
قد غيّب الزنارَ دقةُ خصره حتى ظننّاه بلا زنار
متنصّر قويت على إسلامنا بالحسن منه حجةُ الكفار
قالوا: أيصنع مثل هذا ربكم ويرى فساد صنيعه بالنار (٣

والثاني من نظم احد شعراء المغاربة يخاطب به راهبة في دير ريفة من صعيد مصر :

عاكِ ، بحق عياكِ ، رحمة قلبيَ الشاكي
فان الحسن قد ولّا كِ إحساني واهلاكي
راولني بصلبانٍ ورهبانٍ ونسّاك

١) معجم ما استعجم ، ص ٢٧١
٢) ديوانه . باريس ٢٨٣١ ، ص ٨٢ و ١٢٥
٣) يتيمة الثعالبي ، طبعة مصر ١ : ٢٢٥-٢٢٦

ولم آتِ الكنائس عن هوًى فيهنَّ ، لولاك (١)

وكان الشاعر الثرواني كثير الإلمام بالبيع والاديار ، معروفاً فيها بالعبث والهزل والاستهتار . حكى عنه جاره في الكوفة حمزة بن ابي سلامة قال : « باكرني في يوم شعانين وقال لي اعزم بنا اليوم على الشرب في دير الحريق لانه يوم سيقصده فيه خلق . ولي به صديق من رهبانه ظريف مليح القلاية جيد الشراب . فهلمَّ نتنزه اعيننا في ما نراه من الجواري والغلمان . ثم نعدل الى قلاية صديقنا فنشرب على سطحها المشرف على الرياض . فخرجنا فرأينا من النساء والوصائف والولدان في الحلي والحُلل ما لم ارَ مثله قط . فلم يزل يعبث ويتعرض ويقبّل ويعانق . وكان معروفاً بذلك فما احد ينكر عليه فعله الى بعد الظهر . ثم اتينا قلاية صديقه الراهب فلقيه بالاكرام والترحاب . فدخلنا قلايته . فما رأينا انظف من آلاتها ولا انضر من بستانها . ثم قدم لنا شيئاً من طعامه فأصبنا منه . ثم صعدنا سطحها وجلسنا ننظر الى منظر يبهر حسناً وجمالاً . من رياض وغدران وطير يصفر . ونحن نشرب حتى ثملنا وغنا هناك . وغدونا الى الكوفة . فقلت له تترك هذا اليوم مع حسنه عاطلاً من حلي شعرك ؟ فقال لا والله . ولقد عملت في في ليلتي هذه الابيات :

خرجنا في شعانين النصارى وشيَّعنا صليب الجاثليق
فلم ارَ منظرًا احلى بعيني من المتفيّنات على الطريق
حملن الخوص والزيتون حتى بلغنَ به الى دير الحريق
اكلنامنَ باللحظات عشقاً واضمرنا لهنَّ على الشوق (٢)

وهذا البيت الاخير لسان حال كل شاهد من شهود المسلمين في المراسم النصرانية .

ومن احسن اوصاف مواكب النصارى في الاعياد . وبروز النساء فيها بالحلي والحلل بعضهنَّ « على العَجَل » . وبعضهن على الشهاري والبغلات المصرية والحُمُر . ما حكاه الحسن بن يعقوب قال :

« صرت الى الرها فبتُّ بها . وخرجت قبل عيد الصليب بيوم . فاذا لدينا

١) مسالك الابصار ، ص ٢٨٦

٢) مسالك الابصار ، ص ٢١٥-٢١٦

وجوه حسان من نصرانيات خرجن لعيدهنّ . عليهن جيد الثياب وفاخر الجوهر . واذا روائح المسك والعنبر قد طُيّب الهواء منها . وقد فُرش لهنّ على العجل . وهو يُجرّ بهنّ . وأخريات على الشهاري الخراسانية والبغلات المصرية والحُمُر الفُره . ومشاة . وفي خلال ذلك صبيان ما رأيت احسن منهم وجوهاً وقدوداً وثياباً . فتأملت منظراً لم ارَ احسن منه قط . واذا هم يطلبون دير زكى ليعيدوا فيه .»[1]

وممن كان لا يفارق الكنائس في الاعياد ، شغفاً بفتاة نصرانية رآها وعلق بها ، عبدالله حفيد الفضل بن الربيع ، وزير الرشيد والامين . « خرج في عيد مار سرجيس فظفر بها في بستان الى جانب البيعة . وكان قبل ذلك يراسلها ويعرفها حبه لها . فلا تقدر على مواصلته . ولا على لقائه الا على الطريق . فلما ظفر بها التوت عليه وأبت بعض الإباء . ثم ظهرت له وجلست معه واكلوا وشربوا . واقام معها ومع نسوة كنّ معها اسبوعاً ثم انصرفت في يوم خميس . فقال عبدالله بن العباس في ذلك وغنّى فيه :

ربّ صهباء من شراب المجوس قهوة بابلية خندريس
قد تليتها بناي وعودٍ قبل ضرب الشماس بالناقوس
وغزال مكحل ذي دلال ساحر الطرف بابلي عروس
قد خلونا بطيبه نجتليه يوم سبت الى صباح الخميس
بين آسٍ وبين وردٍ جنيّ وسط دير القديس ما سرجيس
يتثنى بحسن جيد غزال ذي دلال مفضّض آبنوس
كم لثمت الصليب في الجيد منه كهلال مكلّل بشموس»[2]

وبالجملة ان تعرض المسلمين للنظر الى ولدان النصارى وحورهم في الكنائس كان في كل المدن الاسلامية . ولذلك قال ابو العلاء في لزومياته :

فلا تتعرض في طريقك ناظراً نساء النصارى غاديات الى الكُنُس .

---

١) مسالك الابصار ، ص ٢٧٣

٢) الاغاني ١٧ : ١٢٦ ، ومعجم البلدان ٢ : ٦٩٣

الشرب والغناء

على نغم الرهبان وضرب النواقيس

كان المترددون الى الاديار للتنزه والقصف وشرب الصبوح والغبوق ، ومعهم المغنون والقيان ، كثيراً ما يسمعون بالقرب منهم صلوات الرهبان والحانهم فربما حركت هذه الالحان من طربهم واستخفت اصواتها اشواقهم . فتبادلوا الكؤوس على ايقاعها ، او تحدّوا في غنائهم ضرب النواقيس . والى هذه العادة اشار الثرواني بقوله :

اشرب على قرع النواقيس في دير اشمونى بتنليس
لا تُخفِ شرب الكاس ، والليل في حدّ نعيم لا ولا بوس
الّا على قرع النواقيس او صوت قسّان وتشبيس
وهكذا فاشرب ، والّا فكن مجاوراً بعض النواويس[1]

ومن الديارات التي اشتهرت بهذا الطرب دير مارت مريم بين الخورنق والسدير . وهو دير قديم من بناء المنذر مشرف على النجف . قال ابو الفرج الاصبهاني : « كان فيه قس يقال له يحيى . وله ابن يقال له يوشع . يألفه الفتيان الظرفاء . ويشربون عنده على قراءة النصارى وضرب النواقيس . »[2] ونظيره عمر نصر في سرّ من رأى . وهو من متنزهات آل المنذر قديماً بالحيرة . قال الحسين بن الضحاك ، وكان كثيراً ما يألفه : اصطبحت انا واخوان لي في عمر سرّ من رأى . ومعنا ابو الفضل رذاذ . وزنام الزامر . فقرأ الراهب سفراً من اسفارهم حتى طلع الفجر . وكان شجيّ الصوت جداً . ورجّع من نغمته ترجيعاً لم اسمع مثله . فتفهمه رذاذ وزنام . فغنى ذلك عليه . وزمر هذا . فجاء له مغنى اذهل العقول . وضجّ الرهبان بالتقديس . قال الحسين فقلت :

يا عمر نصر ، لقد هيّجت ساكنة هاجت بلابل صبّ بعد إقصار
ثُمّ هاتفة هبّت مرجّعة زبور داود طوراً بعد اطوار
لما حكاها زنام في تفننها فاقتنّ يُتبع مزموراً بمزمار

---

١) معجم البلدان ٣ : ٦٤٣

٢) معجم ما استعجم ، ص ٢٧١

عجّت اساقفها في بيت مدعها وعجّ رهبانها في عرصة الدار (١

وفي قوله «لله هاتفة» تصريح بان مرجع الزبور كان راهبة خلافاً لقوله السابق انه راهب . ولعل الاثنان اشتركا في التلحين . وكان لبعض الراهبات الشماسات بل لبعض الجواري والفتيات ، في الكنيستين النسطورية واليعقوبية ، حظ في خدمة الهياكل والقراءات . ولما زار الخليفة المتوكل على الله دير باب الفراديس بدمشق ودخل البيعة مرّت به شمانين ابنة قس الدير. وعليها شارة من شارات خدمة الكنيسة . وبيدها مبخرة تبخّر بها(٢ . ومن الشواهد ايضاً قول جحظة البرمكي يصف راهبات دير العَلْث :

وظباء يتلون سفرًا من الا نجيل باكرن سحرة قربانا
لابسات من المسوح ثيابًا جعل الله تحتها اغصانا (٣

وقد اعتاد الشعراء ان يطلقوا لفظة «التلاوة او القراءة» على كل تلحين للنصارى. وان يصفوا كل صلاة لهم بانها تلاوة من الانجيل او ترجيع من الزبور. فلا شكّ ان ظباء دير العَلْث كنّ يردّدن بعض الانغام البيعية حين سمعهن جحظة البرمكي . او على الاقل كنّ يشاركنَ فيها . ولكل التقديرين شأنه في تاريخ غابر اخبار الفرق المسيحية في العراق.

ومن اظرف ما يروى في معنى الالحان النصرانية ان الغريض المغني المشهور كان يستحسن بعضاً منها ويجيد تحدّيها وصياغة اصوات على مثالها. وهو ما حدّث به حماد بن اسحق عن ابيه قال: «سمع الغريض بعض اصوات رهبان بالليل في ديرهم فاستحسنها . فقال له بعض من معه يا ابا يزيد صُغ على مثال هذا الصوت لحناً فصاغ مثله في لحنه :

يا أمّ بكر حبك البادي لا تصرميني انني غادِ

فما سُمع باحسن منه.»(٤

وعندنا ان هذه الانغام التي اصغى اليها الغريض وشاقته كانت على الارجح

١) معجم ما استعجم ، ص ٢٦٩-٢٧٠
٢) الدر الملتقط من كل بحر وسقط ، خزانة بريتيش موزيوم Add. 19408
٣) معجم البلدان ٢ : ٦٨١
٤) الاغاني ٢ : ١٤٦

انغاماً رومية. وقد اخذ العرب في بدء غنائهم كثيراً عن الروم. وبقي الغناء الرومي مأثوراً عندهم متداولاً في الحجاز والعراق والشام . حتى بين النساطرة واليعاقبة الاراميين . ومما يثبت ذلك ان الاعشى الشاعر المشهور كان يزور اساقفة نجران ويمدحهم ويمدح العاقب والسيد وهما ملكا نجران ويقيم عندهما ما شاء . فكانوا يسقونه الخمر ويسمعونه الغناء الرومي[1] . وكان لجبلة بن الايهم الغساني عشر قيان « خمس منهن يغنين بالعيدان بالرومية . وخمس يغنين بغناء اهل الحيرة . »[2]

وسنذكر في الفصل الآتي الصوت الذي صاغه المغنون على مثال ضرب النواقيس وسمّوه به.

النواقيس والاجراس

في الاديار والكنائس

قال القلقشندي : « اذا اراد النصارى الصلاة ضربوا بالناقوس. وهو خشبة مستطيلة نحو الذراع يُضرب عليها بخشبة لطيفة فيجتمعون . »[3] فالناقوس غير الجرس. ولكن قد يُطلق عليه لقول لسان العرب : « الناقوس مضراب النصارى الذي يضربونه اوقات الصلاة. »[4] ومثل هذا التعريف يعمّ كل ما يُتخذ للتأذين في الصلاة .

وتسمّى العصا التي يقرع بها الناقوس « الربيل ». يقال نقس بالربيل الناقوس نقساً اي ضرب.[5] ونقست النصارى وانتقست اي قرعت الناقوس قال :

كأن اصوات لِجيَها اذا اصطفقت اصوات عيدان رهبان اذا انتقسوا (٦

وقد جُمع الناقوس شذوذاً لضرورة الشعر على نواقِس بحذف الياء . ونُقُس على توهّم حذف الالف منه. قال المرقّش الاكبر:

١) الاغاني ٦ : ٧٢
٢) مختار من كتاب اللهو والملاهي تصنيف ابن خرداذبه ، من مخطوطات خزانتي
٣) صبح الاعشى ١٣ : ٢٨٤
٤) لسان العرب ٨ : ١٣٦
٥) تاج العروس ٤ : ٢٦٣

وتسمع ترقاء من البوم حولنا كما ضربت بعد الهدوّ النواقس

وقال الاسود بن يعفر :

وقد سبأت لفتيان ذوي كرم قبل الصباح ولما تُفرع النُقُس (١

وورد جمع النواقس غير مرة في شعر ابن عبد ربّه . وقال في ارجوزته التي مدح بها الخليفة عبد الرحمن الناصر مشيرًا الى العدو :

فاقبل الطاغ لهم مغيثا يوم الخميس مسرعًا حثيثا
بين يديه الرجل والفوارس وحوله الصلبان والنواقس (٢

ومن اوهام الشعراء وكتاب الدواوين ان خشبة الناقوس مقدسة في شرع المسيحيين. وربما قرنوها بخشبة الصليب واقسموا بهما معاً في جملة الأيمان التي كانوا يستحلفون بها النصارى . ومنه قول البحتري يهجو يعقوب بن الفرج الجهبذ النصراني بحلب :

فان كنتَ ادهنتَ او خنتَ او لهجت بظلمي في من لهج
فخالفتَ مريم في دينها ، وفارقت ناموسها المنتهج ...
وهدّمت بيعة ما سرجس واطفأت نيرانها والسُرُج
واوقدت ناقوسها والصليب تحت عثانك حتى نضج (٣

وسبق البحتريَّ ابو نواس فحلّف بالناقوس وحده في ابيات ، قال فيها مخاطباً عبد يشوع بن ما سرجس :

بارت مريم ، ويوم فصح ، وبالقربان ، بالخمر العتيق
وبالصلبان ترفعها وصاح تلألأ حين تومض بالبريق
وبالناقوس في البيع اللواتي تقام بها الصلاة لدى الشروق (٤

وزاد الفضل بن الربيع ، وزير الرشيد ، في السخف حين اراد استحلاف كاتبه عون النسطوري. فانتدب اسحق بن ابرهيم الموصلي المغني المشهور ان يتولى ذلك منه . فقال له في جملة رقاعاته واقذاره : خلعتَ النصرانية وبرئت من المعمودية. وطرحت على المذبح حيضة يهودية... والّا فشققت الناقوس وطبخت

١) اساس البلاغة ٢ : ٤٧١
٢) العقد الفريد ٢ : ٢٦٨
٣) ديوانه . خزانة باريس ٣٠٨٦ ، ص ٧٦
٤) ديوانه ، خزانة باريس ٤٨٣١ ، ص ٨٢

به لحم جمل وأكلته يوم الاثنين مدخل الصوم...[1]

وربما كان الناقوس والوبيل من حديد وهو قليل . وعلى ذكر الوبيل عصا الناقوس نقل الجاحظ ملحة يطيب ايرادها هنا. قال :

« قال الشرقي بن القطامي : خرجت من الموصل وانا اريد الرقة مستخفياً . وانا شاب خفيف الحال . فصحبني من اهل الجزيرة فتى ما رأيت بعده مثله . فذكر انه تغلبي من ولد عمرو بن كلثوم . ومعه مزود وركوة وعصاً . فرأيته لا يفارقها . وطالت ملازمته لها فكدت من الغيظ عليه ارمي بها في بعض الاودية ... فقلت له في شأن عصاه (فعدّد منافعها ومرافقها وأبان فوائدها في اثناء السفر وهي سبعة) ... قال. فلما صرت الى مفرق الطرق واردت مفارقته قال لي: لو عدلت معي فبتّ عندي كنت قد قضيت حق الصحبة. والمنزل قريب. فعدلت معه فادخلني في منزل يتصل ببيعة. قال فما زال يحدثني ويطرفني ويلطفني الليل كله . فلما كان السحر اخذ خشبة ثم اخرج تلك العصا بعينها فقرعها بها . فاذا ناقوس ليس في الدنيا مثله - واذا هو احذق الناس بضربه. فقلت له ويلك أما انت مسلم وانت رجل من العرب من ولد عمرو بن كلثوم. قال بلى. قلت فلِمَ تضرب بالناقوس. قال: « جعلت فداك. ان ابي نصراني وهو صاحب البيعة. وهو شيخ ضعيف فاذا شهدتُه بَرَرْتُه بالكفاية» واذا هو شيطان مارد. واذا هو اظرف الناس كلهم واكثرهم أدباً وطلباً. »[2]

وفي هذه النكتة شاهد على انه كان لضرب النواقيس في الاديار والكنائس اساليب وافانين تختلف وتتباين بحسب حذق الناقس وخفة يده بالضرب وكان الغالب فيه الضرب المقطّع المكرّر كصوت وقع حوافر الخيل في عَدْوِ الخَبَب. او كصوت قطر الميزاب. ولذلك سمّى العروضيون بحر الخبب من اوزان العروض « دق الناقوس » عند سكون ثاني الجزء فيه. اي بتسكين عين فَعْلَن. كقوله :

مالي مال الّا درهم او برذوني ذاك الادهم

ومن الابيات النادرة التي أشير فيها الى احد انواع ضرب الناقوس قول ابن

١) ديوان ابي نواس : الجزء الثالث ، رواية الاصبهاني ، باريس ١٨٣١ ، ص ٧٦

٢) البيان والتبيين ، المطبعة العلمية ، ٢ : ٦١-٦٢

الزنبقي المصري من ابيات في دير القُصَير بظاهر مصر:

وضربَ الناقوس فيه راهب ضرباً على رَيْثٍ، وضرباً بعجل(١

وقد تقدم من شهادة ابي الفرج الاصبهاني ان الفتيان الظرفاء كانوا يشربون على قراءة النصارى وضرب النواقيس ولذلك قال الثرواني:

اشرب على قرع النواقيس او صوت قانٍ وتشبيب

وهو ما يدلّ على مقدرة الناقسين وإجادتهم ايقاع الانغام بالوبيل. ولا يخفى ما في ذلك من التفنّن والإطراب. ولذلك لم يأبَ احد متقدمي المغنين معبد من تقليد اصوات الناقوس في هذا الشعر:

سلي دار ليلى هل تجيب فتنطق وانّى تردُّ القول يداء سَمْلَقُ
وانى تردّ القول دار، كأنما، لطول بقاها والتقادم، مُهْرَقُ

ودُعي هذا اللحن لهذا السبب باسم «النواقيس» لتحدّيه ايقاعها. ويظهر انه كان غريباً عجيباً. حتى اشتهى الخلفاء انفسهم سماعه. قال ابرهيم بن خالد المعيطي: «دخلت على المهدي وقد وُصف له غنائي وعلمي به. وقال لي تغني النواقيس؟ قلت نعم والصليب يا امير المؤمنين. فصرفني».(٢

ومن لطائف الشعر الذي قيل في مليح راهب يجيد ضرب الناقوس:

رأيته يضرب الناقوس قلت له من علّم البدر ضرباً بالنواقيس
وقلت للنفس: اي الضرب يؤلمك ضرب النواقيس ام ضرب النوى؟ قيسي(٣

وللاقباط تقاليد في اصل اتخاذ النواقيس لا بأس ان ننقلها من حاشيتين قرأناهما في هامش كتاب «مجموع من القوانين البيعية» بآخر الباب الخامس منه: «في القداس والشماس» قال:

الاولى: استنّ الآباء ضرب الناقوس من قول الله في التوراة (تكوين): ايام فرحكم واعيادكم وشهوركم اهتفوا بالقرون على ذبائحكم الكاملة. ويكون لكم ذكرًا امام الله ربكم.

الثانية: ذكر المؤرخون ان اول من ابتدأ بضرب الناقوس ابونا نوح عليه السلام عندما عمر السفينة. فانه كان يضرب بالناقوس عندما يستدعي الصنّاع للعمل فيها كل يوم. وشهد ايضاً كتاب اسفار الملوك بان اليشع تلميذ الياً ضرب الناقوس لما سار بنو اسرائيل لمحاربة

١) الديارات للشابشتي، ص ١٢٧
٢) تاريخ الطبري، طبعة اروبة، ص ٥٤١-٥٤٢ T. S.
٣) روض الآداب لاحمد بن المجازي، خزانة بريتش موزيوم Or. 3843 f°, 127v°

الموايين ولم يجدوا ماء في الطريق يشربون . وتنبأ لهم بان الوادي يمتلئ ماء . وان الله يسلّم الموايين في ايديهم . (١

وفي الشعر الجاهلي والاسلامي اشارات عديدة الى قرع النواقيس بالاسحار عند قيام الرهبان للصلاة . وقد أرق جرير من ضربها وقت صياح الدجاج حيث قال وهو بدمشق :

لما تذكرت بالديرَين أرّقني صوت الدجاج وضرب بالنواقيس (٢

وكان الرهبان يقرعونها في الصباح والمساء عند اوقات الصلاة . وهو ما اشار اليه ابو نواس في ابياته التي وصف بها رهبان دير حنة وقال :

يكرّرون نواقيساً مرجّعة على الزبور بإمساء وإصباح (٣

وقد يوافق ضربها عند الفجر صوت المؤذّن . ولذلك دعا ابن المعتز صوتها « تأذيناً » حيث قال :

يا نديميَّ ، سقيانى ، فقد لا حَ صباح وأذّن الناقوس (٤

ومثله لعلي بن اسماعيل من شعراء خريدة القصر :

قم قبل تأذين النواقيس واجلُ علينا بنت قيس (٥

وقد انكر الفقهاء قرع النواقيس قبل اوقات التأذين . وعُدَّ ذلك في جملة ذنوب خالد القسري في الكوفة . قالوا : « كانت امه نصرانية ولم يأمرها بالاسلام . وبنى لها بالكوفة بيعة وساق اليها الاقساء . واقام الناقوس يضرب قبل اذان المسلمين عند صلاتها . فتكلم الناس في هذا وانكروا عليه . »[٦] ولهذا لما كان احد الاديار يُهدم او يُغتصب في الاسلام كان يقال فيه بلسان الفرح والاستبشار :

بعد الاناجيل آيات القران به تُتلى ، وقد نسخ الناقوسَ تكبيرُ (٦

وربما كان قرع الناقوس داعياً لاغتصاب الدير . وهو ما حدث لدير عبّاد في ميافارقين . « قيل كان السيد قوام الدين ابو علي البلخي امير ديار بكر نائماً

١) خزانة بريتيش موزيوم Or. 1331, f° 44 [20]
٢) معجم البلدان ٤ : ١٠٠٦
٣) ديوانه ، خزانة الفاتيكان ٤٨٣٩ ، ص ١٦٠–١٦١
٤) ديوان المعاني لابي هلال العسكري ، بريتيش موزيوم Add. 23443, f° 89[b]
٥) خريدة القصر للعماد الكاتب ، باريس ٣٣٢٨ ، ص ١٢٥
٦) شفاء القلوب في مناقب بني ايوب ، بريتيش موزيوم Or. 7311, f° 78[b]

بالقصر فسمع وقت السحر صوت ناقوس فقال ما هذا. فقيل له ان هذا دير عباد على الجبل. فلما اصبح واجتمع الناس قال يُضرَب في بلاد المسلمين وعلى رؤوسهم الناقوس؟ فإذن نحن في القسطنطينية. فقالوا يا مولانا هذا عُمل مرة مسجداً وعاد النصارى ردّوه ديراً. فامر بقلع المذبح وعمل المحراب واتخذه مسجداً وسُمّي مسجد الفتح. واجتمع النصارى وخدموا بمقدار خمسين الف دينار. فلم يقبل منهم وبقي على حاله الى الآن مسجداً.»[1]

وقريبٌ من ذلك ما جرى في ٨ رمضان سنة ٧٨٠ (٢٩ دسمبر ١٣٧٨ م) لكنيسة ابي النمرس من الجيزة بمصر. «بات احد الفقراء الزيالة بناحيتها. فسمع لنواقيس كنيستها صوتاً عالياً. فوقف للسلطان الاشرف شعبان فلم ينل غرضاً منه. فتوجه الى الحجاز وعاد بعد مدة طويلة وبيده اوراق تتضمن انه تشفع برسول الله عند قبره في هدم كنيسة ابي النمرس. ووقف بها الى الامير الكبير برقوق الاتابك. فرسم بهدمها وعملها مسجداً. وبذل النصارى في تركها ذهباً له صورة فلم يقبل.»[2]

وهذه الحادثة جديرة بالتنويه في تاريخ الكنائس في الاسلام.

ولما افتتح العرب بلاد الروم البيزنطيين كان في جملة الشروط التي اشترطوها على النصارى في العهود المعطاة لهم «ان لا يُحدثوا كنيسة ولا بيعة ولا يظهروا ناقوساً ولا باعوثاً ولا صليباً» كما جاء في العهد الذي كتبه عياض بن غنم لاهل الرقة[3]. وروى القاضي ابو يوسف «ان ابا عبيدة بن الجراح اشترط على اهل الشام ان لا يضربوا نواقيسهم قبل اذان المسلمين. ولا في اوقات اذانهم.»[4]

وفي بعض المراسيم السلطانية، في دولة المماليك بمصر، نهي عن ضرب الناقوس بغير تقييد. كمرسوم الملك الناصر سنة ٧٠٠[5] (١٣٠٠/١ م) او امر بترك ضرب

١) مجلد من تاريخ ميافارقين لابن الازرق الفارقي، بريتيش موزيوم Or. 5803, f° 150a

٢) السلوك لمعرفة دول الملوك للمقريزي، رقم ١٧٢٧ باريس، ص ١١٥؛ وذيل ابن قاضي شهبة، ١٥٩٨، ص ٢٥٣

٣) فتوح البلدان للبلاذري، طبعة اروبة، ص ١٧٣

٤) كتاب الخراج، ص ١٦٥

٥) العبر لابن خلدون ٥: ٤١٦

الناقوس مطلقاً كرسوم الملك الصالح سنة ٧٥٤[1] (١٣٥٣ م) او تحريم اظهار الناقوس كرسوم نائب المملكة الطرابلسية الى نائب حصن الاكراد سنة ٧٦٥[2] (١٣٦٣/٤ م) والمراد في الحقيقة ان يكون ضرب الناقوس ضرباً خفيفاً في جوف الكنائس فقط، لا تحريمه على كل حال.

ومن البديهي ان يكون الناقوس مبغَّضاً الى الفقهاء والعلماء. لكونه من اظهر شعائر النصرانية. واكثرها جلبةً وانتشاراً. فكانوا يكرهون صوته ويكرهون كل ما يقرب منه او يضاهيه. ولذلك قال السيوطي في كلامه على آداب الوليمة وجواز السماع فيها «اما ما كان فيه الصنج والجلاجل فينبغي ان يكون مكروهاً لشبهه بالناقوس.»[3] (كذا)

سهم اصاب ، ورامية بذي سَلَمٍ ، مَن بالعراق ! لقد ابعدتِ مرماكِ !

وفي عكس ذلك كان مُجَّان الشعراء والمغرمون بالصهباء وطروق الحانات يتلذذون جداً بسماع النواقيس في الأسحار لاعتبارهم « تأذينها » دعوة وتنبيهاً لهم لاغتنام شرب الصبوح وتجديد مجالس اللهو والطرب. وقد مرَّ بنا بعض اشعارهم في هذا المعنى. وللامير تميم بن المعز لدين الله:

قد دعانا الى الصبا الناقوسُ حين حثَّت الى الصباح النفوسُ (٤

وللحسين بن الضحاك:

ونَدمان صدق لا ترى بين جهره وبين الذي تخفي سريرته فرقا
تنبَّه للناقوس ، اول نقرهِ ولم تبقِ لذات الكرام له طاقا (٥

وله ايضاً: حاجتي للصبوح نقر النوا قيس ونجوى حمامة وحمام
فاصبحاني، قبل الصباح، مداماً قهوة مرّة بماء غمام (٦

---

١) تاريخ البدر للعيني ، بريتش موزيوم Add. 22360, f° 59[a]

٢) صبح الاعشى ١٣ : ٢٢

٣) نزهة المتأمل ومرشد المتأهل لجلال الدين السيوطي، بريتش موزيوم Or. 4640, f° 140[a]

٤) مجلد من قطب السرور في اوصاف الخمور للرقيق النديم ، بريتش موزيوم Or. 3628 f° 216[a]

٥) مجلد من قطب السرور في اوصاف الخمور للرقيق النديم، لوندرة Or. 3628, f° 476

٦) مجلد من قطب السرور في اوصاف الخمور للرقيق النديم، لوندرة Or. 3628, f° 232

ولا يُعلم بالضبط في اي وقت اتُخذت الاجراس في لبنان بدلًا من النواقيس قبل ان تشمل أيضاً سائر بلاد الشام ومصر. وفي تاريخ الدويهي انهم « في سنة ١١١٢ قرعوا نواقيس النحاس عوض الخشب في لبنان.»[1] ولكنه لم يذكر على اي سند عوّل لاثبات هذه الرواية وتعيين السنة. وكلاهما موضع نظر. ولعلّه قدّر ان دخول الاجراس في لبنان كان لا محالة بعد دخول الصليبيين طرابلس واستقرارهم في بعض انحاء الجبل. واذا صح ان الاجراس قُرعت حقيقة في عهد الصليبيين في زمن لا سبيل الى ضبطه بغير ثبت ولا برهان. فلا ريب انها لم تكن الا في الكرسي البطريركي وحده في وادي قنوبين. ولنا على ذلك شهادات السيّاح الذين زاروا الجبل وكتبوا عنه. واقدم ما وقفنا عليه منها في رحلة لاحدهم سنة ١٥٣٣–١٥٣٤ جاء فيها ان بين كل الطوائف الشرقية لم يكن غير الموارنة في لبنان منفردين باتخاذ الاجراس في الكنائس[2] يعني كنائس قنوبين. وكان فيها جرسان فقط شاهدهما السائح الفرنسي كارلياي دي پينون سنة ١٥٧٩ وقال انه لم يَرَ غيرهما في تركية[3]. وفي سنة ١٦٠٥ حكى زائر آخر ان الاجراس كانت ايضاً في بعض اديار اخرى. قال وهي نادرة في هذا الجبل[4]. ونصّ الراهب اوجين روجه سنة ١٦٣٤ على ان الاجراس كانت اربعة في الكرسي البطريركي بقنوبين، ودير مار انطونيوس، ودير مار اليشع. قال واما سائر الكنائس والاديار فخالية من الاجراس وليس فيها الا خشبات معلقة بحبال وتقرع بالعصي[5]. ولما زار قنوبين الكاهن الانكليزي مُونْدِرِل في ٩ ايار (مايو) سنة ١٦٩٧ قال ما تعريبه: « في قنوبين جرسان صغيران في الحائط لدعوة الرهبان للصلوات. وهي مزية امتاز بها هذا المكان لا يتمتع بها غيره في الجبل وذلك لبعد الاتراك عن سماعها.»[6]

١) تاريخه، المطبعة الكاثوليكية، ص ١٠٣

٢) G. Affagart, *Relation de Terre Sainte*. Paris, 1920, p. 88

٣) Carlier de Pinon, *Relation de voyage en Orient*. Paris, 1920. p. 294

٤) Henri de Beauvau, *Relation Journalière du voyage du Levant*. Nancy, 1619, p. 98

٥) F. Eugène Roger, *La Terre Sainte*, Paris, 1664, p.491

٦) H. Maundrell, *Voyage d'Alep à Jérusalem*. Paris, 1706, p.242

واكبر حجة على ان الاجراس بقيت دائماً قليلة ممدودة في لبنان ، وان النواقيس لم تنقطع حتى الى اواخر القرن السابع عشر ، قول الاب ڤرسو ، رئيس الآباء اليسوعيين في سورية ، في كتاب له ارسله الى فرنسة بتاريخ ٩ نيسان (ابريل) سنة ١٦٩٩: « اذا بلغت الموضع الذي في نيتي القيام برسالتي فيه ففي النهار نفسه يُنادى للاجتماع بقرع الناقوس الخشب . وهو قبيح الصوت ولكنه يُسمع من بعد فرسخين في ما جاور من الجبال . »[1]

وكانت الحال كذلك في الديار المصرية . ولم تكن الاجراس الا في الاديرة النائية في القفار والجبال البعيدة عن العمران حيث لا يسكن المسلمون . كدير مار انطونيوس للاقباط في جبل العربة في الصعيد . وقد زاره سنة ١٦٧٣ الاب ڤانسلب الدومنيكي وحكى انه رأى في كنيسة القديسين بطرس وبولس فيه جرساً صغيراً يُقرَع لايذان الرهبان بالصلوات وبعض الاشغال . قال « وهو الجرس الفرد في كل القطر المصري . »[2]

ومما يجب ان ينبَّه عليه هنا ان عادة ضرب النواقيس الخشب كانت شاملة ايضاً بلاد الروم شائعة في القسطنطينية قبل استيلاء اللاتين عليها . قال احد سيّاح الروس انطونيوس ، مطران نوفغورود في كتاب « الحاج » (سنة ١٢٠٠ م):

« لا توجد اجراس في كنيسة اجيا صوفيا . ولكن هناك مضراب يُقرع باليد في السحر . ولا يقرع للقداديس ولا لصلوات المساء . خلافاً لبقية الكنائس فان نواقيسها تُدق للقداديس وصلوات المساء . وقد اتخذوا هذا المضراب باشارة الملاك . واما اللاتين فانهم يقرعون الاجراس . »[3]

ويقال ان عادة الاجراس دخلت القسطنطينية على يد الصليبيين . وفي سنة ١٢٠٤ شادوا القبة وازالوا من ظاهرها مسحتها القديمة .[4]

---

1) F. Besson, *La Syrie et la Terre Sainte au XVII siècle*. Paris, 1862, p. 448

2) P. Vansleb, *Nouvelle Relation en forme de Journal d'un voyage fait en Egypte en* 1672-1673. Paris, 1677, p. 293-313

3) Mme B. de Khitrovo, *Itinéraires Russes en Orient*. Genève, 1881, p. 97

4) J. Ebersolt, *Constantinople Byzantine et les voyageurs du Levant*. p. 154

النذور والاستشفاء

في الديارات

قلّ ان يكون دير في العراق، والجزيرة، ومصر، والشام، لم تُحمل اليه النذور والهبات، لوجود بعض الصور فيه والايقونات المشهورة بالاشفية والكرامات واجتراح المعجزات او لمكان بعض الشهداء او القديسين في مزاراته ومعابده. وكان الرهبان يرتفقون بهذه النذور والقرابين للقيام بأودهم وحاجات ديارهم، وتأدية خراجهم وضرائبهم. وربما طاف جماعة منهم في طلبها وجمعها كما كان يجري قبلاً في دير صيدنايا مثلاً.

ومن الديارات التي كان لها سمعة طائرة في كثرة هذه الهبات والصدقات دير برصوما قرب ملطية. وكان يُنادى له بطلب نذره في نواحي الشام، والجزيرة، وديار بكر، وبلاد الروم. ومما يجدر بالتنبيه عليه ان بعض هذه النذور كانت تأتيه من المسلمين انفسهم، كما لا يزال يُشاهد مثل ذلك احياناً في ديار مصر. قال ياقوت: «وفيه رهبان كثيرة يؤدّون الى ملك الروم وللمسلمين من نذوره عشرة آلاف دينار على ما بلغني. حدّثني العفيف مرجّى الواسطي التاجر قال: اجتزت به قاصداً الى بلاد الروم. فلما قربت منه أُخبرت بفضله وكثرة ما يُنذَر له. وان الذين ينذرون له قلّ ما يخالف مطلوبهم. وان برصوما فيه احد الحواريين. فألقى الله على لساني ان قلت ان هذا القماش الذي معي مشتراه بخمسة آلاف درهم. فان بعته بسبعة آلاف درهم فلبرصوما من خالص مالي خمسون درهماً فدخلت ملطية وبعته بسبعة آلاف درهم سواء. فعجبت ولما رجعت سلمت الى رهبانه خمسين درهماً.»[1]

وقريب منه دير السيدة في صيدنايا بجوار دمشق. ذكر العمري انه كان «له مغلات واسعة وتأتيه نذور وافرة».[2] ولا تزال هذه المغلات والنذور مطمح اطماع الرؤساء والوكلاء:

---

١) معجم البلدان ٣: ٦٤٦-٦٤٧

٢) مسالك الابصار، ص٢٥٦

خم اطاف به يباع جُزَع ما لا يُذاد فانه يُتقسَّم

ومنها دير مار توما على جبل عالٍ في ضاحية ميافارقين « تُنذر له النذور وتُحمل اليه من كل موضع ».[1] ودير كفتون ببلاد طرابلس وكان له « صيت جائل. وسمعة مذكورة . والنصارى تقصده وتحمل اليه النذورة.»[2] والديارات السبعة في الوجه البحري بمصر. كان « سكانها في غاية من قشف العيش وشظف القوت. ويحمل النصارى اليهم جلائل النذور والقرابين.»[3]

ومن الديارات المشهورة بالاستشفاء:

١ دير الجبّ في شرقي الموصل بينها وبين إربل . « يقصده الناس لاجل الصرع فيبرأ منه بذلك كثير. »[4]

٢ الدير الاعلى بالموصل. « وتحت الدير عين كبيرة تصبّ الى دجلة . ولها وقت من السنة يقصدها الناس فيستحمّون منها. ويذكرون انها تبرئ من الجرب والحكة. وتنفع المقعدين والزمنى. »[5] .

٣ دير هزقل بالشام يُستشفى به من الجنون. قال دعبل حين هجا ابا عبّاد كاتب المأمون:

فكأنه من دير هزقل مُفلت تحنق بجر سلاسل الاقياد

ويقال له ايضاً دير حزقيال. ولا ريب ان هزقل تحريف له وربما حُبس به بعض العشاق على تقدير ان العشق ضرب من الجنون. قال ابو الفرج الاصبهاني: « حدّث شريح الخزاعي قال: اجتزت بدير حزقيال فبينا انا ادور به اذ بسطرين مكتوبين على اسطوانة منه فقرأته فاذا هو:

رُبَّ ليل امدّ من نفس الما شق طولاً ، قطعته بانتحاب
ونديم كوصل من كنت اهوى قد تبدّلته ببؤس المتاب

---

١) معجم البلدان ٢ : ٦٩٧
٢) مسالك الابصار ، ص ٢٣٥
٣) مسالك الابصار ، ص ٢٧٤
٤) معجم البلدان ٢ : ٦٥١
٥) الديارات للشابشتي ، ص ٧٥ ، وفي المتن « المقرعين » وهو تصحيف

نسبوني الى الجنون ليخفوا ما بقلبي من صبوة واكتئاب
ليت بي ما ادّعوه من فقد عقلي فهو خير من طول هذا العذاب

وتحته مكتوب: هويت فمُنعت وشُرّدت وطُردت. وفُرّق بيني وبين الوطن. وحُجبت عن الإلف والسكن. وحُبست في هذا الدير ظلماً وعدواناً. وصُفّدت في الحديد زماناً.

واني، على ما نابني وأصابني، لذو مرّة باقٍ على المدّثان
فان تُعقب الايام اظفر بحاجتي، وان ابغ مرمياً بي الرّجوان
فكم ميّت مثلي بغيظ وحسرة صبور بما تأتي به المَلوان
هو الحب افنى كل خلق يجوره قديماً، ويفنى بعدي الثقلان

قال فدعوت برقعة وكتبت ذلك اجمع. وسألت عن صاحب القضية. فقالوا رجل هوي ابنة عمه. فحبسه عمه في هذا الدير. وعزم على حمله الى السلطان خوفاً ان تفتضح ابنة عمه. فمات عمه. فورثه هو وابنته. فجاء اهله واخرجوا الفتى من الدير وزوّجوه ابنة عمه.»[1]

ولمجانين دير حزقيال نكات واخبار وردت في كتب الادب والديارات.

٤ دير مياس في ضواحي حمص. قيل كان فيه عظام بعض الشهداء تُزار طلباً للعافية. «وكان البُطين الشاعر قد مرض. فجاؤوا به اليه يستشفي فيه. فقيل ان أهله غفلوا عنه فبال قدام قبر الشاهد[2]. واتفق ان مات عقيب ذلك. فشاع بين اهل حمص ان الشاهد قتله. وقصدوا الدير ليهدموه وقالوا نصراني يقتل مسلماً؟ لا نرضى او تسلموا لنا عظام الشاهد حتى نحرقها. فرشا النصارى امير حمص حتى دفع عنهم العامة.»[3]

٥ دير يونس في الجانب الشرقي من الموصل وتحته عين تعرف بعين يونس. كان الناس يقصدونها للاغتسال منها والاستشفاء. ولذلك قال فيها ابو شاس:

يا دير يونس، جادت صوبك الدِّيَمُ حتى تُرى ناضرًا بالنور تبتسم
لم يشفِ في ناجر ماءٌ على ظمإٍ كما شفى حرّ قلبي مازك الشَّبِم

١) معجم البلدان ٢: ٦٥٤–٦٥٥
٢) الشاهد هنا بمعنى الشهيد
٣) معجم البلدان ٢: ٧٠٢

ولم يحلك محزون على سقم الا تحلل عنه ذلك السقم (١

٦ دير الكَلَب بنواحي الموصل. فمن عضّه الكلب الكَلِب ويودر بالحمل اليه وعالجه رهبانه برئ . ومن مضت له اربعون يوماً من العضّة لم ينجع فيه علاج. وفيه يقول السفّاح الشاعر:

سقى ورعى الله دير الكَلَب ومن فيه من راهب ذي ادب (٢

٧ دير القيّارة على اربع فراسخ من الموصل. وتحته عين قير. وهي عين تفور بماء حارّ ويخرج منه القير . ومن كانت به علة أعيت الاطباء يقصده ويقيم به خمسة ايام مستنقعاً في العين المذكورة. فيبرأ من النقرس والتشنج والاورام الجاسية والرياح الغليظة والجراحات[٣].

٨ دير باطا بين الموصل وتكريت. فيه بئر تنفع من البَهَق.[٤]

٩ دير ابا[٥] هور بسرياقوس من اعمال مصر . كان يستشفى فيه من داء الخنازير بعلاج للرهبان ورماد يذرّونه على موضع الوجع.[٦]

---

١) الديارات للشابشتي ، ص ٧٨-٧٩

٢) الديارات للشابشتي ، ص ١٢٢ ؛ ومعجم البلدان ٢ : ٦٩ ؛ ومسالك الابصار ، ص ٢٥٤-٢٥٥

٣) الديارات للشابشتي ، ص ١٢٣ ؛ ومسالك الابصار ، ص ٢٠١ ؛ والاغاني ١٨ : ٢٠

٤) معجم البلدان ٢ : ٦٤٦

٥) ابا مقتطعة من كلمة أمّا بالقبطية او الحبشية بمعنى الاب. واكثر ما تكتب « انبا » بالنون لوقوع الميم ساكنة قبل الباء. وقد تداولتها السنة العامة ولا سيما بمصر وتصرف بها بعض الكتاب والمؤرخين تصرفهم بلفظة الاب احد الاسماء المتمة لاشتباه الحرفين لفظاً ومعنى. فقالوا كنيسة بو سرجة . وكنيسة بو بخوم . ودير بو ساويرس . ودير بو شنودة . ودير ابي بيشاي . ودير ابي مقار الكبير . ودير ابي يوسف وهلمّ جرّا من نظائر اسماء الكنائس والاديار الواردة في خطط المقريزي ومعجم البلدان لياقوت . وقد اخترنا اثبات لفظ الف ابا دائماً جرياً مع الاصل ورفعاً لكل التباس

٦) الديارات للشابشتي ، ص ١٢٢-١٢٣ ؛ ومسالك الابصار ، ص ٢٦٠

لباس الرهبان والراهبات

اجمع الشعراء على وصف لباس الرهبان والراهبات بالسواد الحالك. ولم نقف على اشارة واحدة الى انهم تدرعوا احياناً الصوف الابيض. ولذلك صحّ للمري الرفّاء تشبيه الليل بالراهب حيث قال من ابيات:

انظر الى الليل كيف تصدعه راية صبح مبيضة المذَب
كراهب حنَّ للهوى طرباً فشق جلبابه من الطرب (١

ونظيره لامية بن عبد الصلت المعري:

والليل في شملة ظلمائه كأنه الراهب في البرنس (٢

وللحسين بن الضحّاك في فتى من الرهبان كان يدير حانة عمر نصر بسامرّا:

يمترّ كالغصن في سُلب مسوَّدة كأن دارسها جسم من النار (٣

ومثله لابن خطيب دارياً في رهبان دير مار الياس:

مع فتية شبه بدور الدجى اذا بدَوا في اسود الملبس
رهبان دير طيب اخلاقهم اصفى من الراح لمستأنس (٤

ولعبدالله بن المعتز في دير عبدون من ابيات مشهورة:

يا طالما نبهتني للصبوح به في ظلمة الليل والعصفور لم يَطِر
اصوات رهبان دير في صلاتهم سود المدارع، نعّارين في السَحَر (٥

وكان تحت هذه السُلب والمدارع السود، المسوح في الغالب من الشعر الاسود. وقد اشار اليها والى ما فوقها من فاحم الشباب ابن عاصم المصري في ابيات له في دير القصير بظاهر مصر:

وكأنّ الرهبان في الشعر الاسود سرد الغربان في الاوكار (٦

---

١) يتيمة الدهر للثعالبي، طبعة مصر، ٢: ١٢١
٢) معجم البلدان ٢: ٦٩٩
٣) معجم البلدان ٣: ٧٢٥
٤) المنهل الصافي لابن تغري بردي، الخزانة التيمورية، ٤: ٦١٧-٦١٨
٥) ديوانه؛ خزانة باريس ٣٠٨٧، ص ١٠٥
٦) معجم البلدان ٢: ٦٨٦

ولابي نواس يصف راهباً ساقياً في دير الأكيراح:

يسقيكها مدمج المصرين ذو مَيَف اخو مدارع صوف فوق أسماح (١

ومن هذا البيت يستدلّ على ان المسح كان شعار كل راهب بين شيخ وفتى. ولذلك قال السري الرفاء في غلام من دير يوسف في الموصل:

ومهفهف لو كنت املك امره بدّلت سُحق مسوحه بفراطق (٢

وكان للراهبات مسوحهنّ ايضاً. وقد تقدم بيتان لجحظة البرمكي وصف فيهما عذارى دير العلث فقال في الثاني منهما:

لابسات من المسوح ثياباً جعل الله تحتها اغصانا

فالبرانس اذن والمدارع والمسوح هي كل ما نعلمه اليوم من ملابس سكان الاديار قديماً. وكانوا يشدون فوقها الزنار، وهو اهم سمات اهل الذمة في الاسلام. وقد نعت ابن المعتز رهبان دير عبدون بقوله «مزنّرين على الاوساط». وكان اذا اضطُرَّ احدهم الى انتحال الاسلام يبادر قبل كل شيء الى قطع زناره. وهو ما فعله ابو العتاهية تقليداً حين اراد تقبيل يدَي عُتبة التي تغزل بها في شعره ومثل لديها في زي راهب اختار الاسلام على يدها.(٣

وقد نقبنا عبثاً في كتب الديارات عن اشارة الى ما كان يتقنع به الرهبان والراهبات مع البرانس، فلم نجد الا ذكر قلانس رهبان دير المصلبة بظاهر القدس في شعر لابي علي حسن الغزي جمع فيه المسح والزنار والقلنسوة فقال:

ومزنّرين ، اذا تلوا انجيلهم وتعطفوا ، فحائم وغصون

نزعوا القلانس والمسوح فزُحزحت منهنّ عن غُرر الشموس دجون (٤

---

١) ديوانه ، خزانة الفاتيكان ٤٥٦ ص ، ١٠٠

٢) ديوانه ، خزانة باريس ٣٠٩٨ ، ص ١٤٧

٣) تاريخ بغداد للخطيب ٦ : ٢٥٤-٢٥٥

٤) مسالك الابصار ، ص ٢٤٠

التاج او اكليل الشعر

كان اتخاذ التاج او اكليل الشعر في الرؤوس (la tonsure) معروفاً بين الرهبان في الجاهلية. وفي حديث ابي بكر حين بعث الجند الى الشام انه قال في وصيته لهم «ستجدون اقواماً محوّقة رؤوسهم» ذكر ابن الاثير في تفسيره ان الحوق الكنس. قال: «اراد انهم حلقوا وسط رؤوسهم فشبّه ازالة الشعر منه بالكنس. ويجوز ان يكون من الحوق. وهو الإطار المحيط بالشيء والمستدير حوله».[1] ولا حاجة الى التنبيه ان التفسير الثاني هو الاقرب والارجح.

ولا يبعد ان يكون الرهبان الشرقيون قد سبقوا اخوانهم في الغرب الى اتخاذ التاج او اكليل الشعر. وقد ورد ذكره في بيت لابن المعتز وصف به رهبان دير عبدون بقوله:

مزنّرين على الاوساط، قد جعلوا على الرؤوس اكاليلاً من الشعر (٢

وللسريّ الرفّاء يذكر رهبان دير يوسف في الموصل:

من كل اهيف ناجه من شعره فكأنما هو شارق في غاسق (٣

والى مثل هذه العادة اشار ابو نواس يصف رهبان دير حنة:

تاتي بهم كل خفوق مفارقه من الدهان عليه سُحق امساح (٤

ولم تكن هذه العادة مختصّة بالرهبان الكهنة فقط، بل كان الشمامسة انفسهم يتخذونها ايضاً، عندما ينقطعون لخدمة الكنائس. ولذلك عرّف ابن سيده الشماس بأنه «من رؤوس النصارى يحلق وسط رأسه ويلزم البيعة».[5] والى مثل هؤلاء الرهبان والشمامسة المتوّجين اشار مُدرك الشيباني حين استحلف

---

١) النهاية ١: ٢٧١-٢٧٢

٢) ديوانه، خزانة باريس ٣٠٨٧، ص ١٠٥

٣) ديوانه، خزانة باريس ٣٠٩٨: ص ١٤٧

٤) ديوانه، خزانة باريس ٤٨٢٩، ص ١١١

٥) المخصّص ١٣: ١٠٠

عمرو بن يوحنا النسطوري في جملة الاقسام النصرانية التي سردها في قصيدته المشهورة فقال:

بحق قوم حلقوا الرؤوسا وعالجوا طول الحياة البوسا
وقرعوا في اليمة الناقوسا مشعلين ، يعبدون عيسى (١ .

ومن اغرب ما جاء في الاساطير القديمة في تفسير هذه العادة ما رواه وهب ابن منبه في كلامه على حنانيا الرسول حين شفى عيني بولس بدمشق. قال:

« كان بولس قد اخذ ابن اخيه وكان قد آمن بالمسيح. فحلق وسط رأسه ونادى عليه ورجمه حتى مات. فمن ثم اخذ النصارى حلق وسط رؤوسهم للتأسي بذلك فيما كان عوقب بـه . وانه كالتواضع لا كالعيب لمن آمن بالمسيح عليه السلام. »(٢

وكانت هذه العادة في اوائل القرن السادس عشر متبعة عند الارمن كما يؤخذ من شهادة سائح فرنسي سنة ١٥٣٧ مرَّ بالقدس وقال في جملة كلامه على فِرَق النصارى فيها:

« كهنة الارمن يتزوجون كسائر كهنة الفرق الاخرى . . . وفي شعور رؤوسهم اكاليل مدوَّرة عريضة . ومع ذلك لا يقصون اطراف جسمهم ولا لحاهم ». (٣

وقد اهمل اليوم رهبان الشرق هذه العادة في جملة ما اهملوه من رسوم الرهبانية قديماً.

---

١) ارشاد الاريب لياقوت ٧ : ١٥٦

٢) تهذيب ابن عساكر ٥ : ١٢-١٣

٣) G. Affagart, *Relation de Terre Sainte*. Paris 1902, p. 86

وصف الرهبان

بالعبادة ، والتقوى ، والعلم ، والحكمة

من وقف على ما تقدم من الفصول والاوصاف يوشك ان يعتقد ان الديارات اصبحت في الاسلام كما قال دعبل بن علي:

مدارس آيات خلت من تلاوة ومنزل وحي مقفر العرصات (١

واذا اعتبر القارئ ما كان يجري في حاناتها بين الخلعاء والمتطربين من « الامور والاعاجيب » يدرك مغزى قول كشاجم فيها:

منازل كانت لي جنّ مآرب وكنّ مواخيري ومنتزهاتي (٢

ولكن هذه التهمة الشائنة التي ألصقها بخلوات الرهبان والنساك بعض الاضياف والشعراء ، المتطرحين في دورها وافنيتها ، هي اوهى من ان تتناول كل الاديار والصوامع . وفيها القوّامون الصوّامون « النهّارون في السحر » ، كما تقدم من لفظ ابن المعتز . وقد انتصر غير واحد من شعراء الاسلام لهؤلاء القسّيسين والرهبان الذين اثنى عليهم القرآن . ووصفوهم بالتقشف والزهد والانقطاع للصلاة والعبادة . واطرأوا علمهم وآدابهم وفلسفتهم وحفظهم للنحو والشعر والطب والالحان . مع خفة ابدان وارواح . واخلاق اصفى من الراح . وهو ما عدّده الخالدي في ابيات مدح بها رهبان دير مرّان بدمشق ، وهو من اديار الملكيّين ، قال:

محاسن الدير تسبيحي ومصباحي وخمره في الدجى صبحي ومصباحي
اثت فيه الى ان صار هيكله بيتي ، ومفتاحه للحسن مفتاحي
منادماً في قلالية رهابنة راحت خلائقهم اصفى من الراح
قد عدّلوا ثقل اديان ومعرفة فيهم بخفّة ابدان وارواح
ووشّحوا غرر الآداب فلسفة وحكمة بعلوم ذات ايضاح
في طب بقراط لحن الموصلي ، وفي نحو المبرد اشعار الطبرّاح (٣

ولابي نواس يمدح رهبان دير حنة ، ويصف عبادتهم ونحافة اجسامهم من

---

١) ارشاد الاريب ٤ : ١٩٤

٢) معجم البلدان ٢ : ٦٨٦

٣) يتيمة الدهر ، طبعة دمشق ، ١ : ٥١٢-٥١٣

القنوت والسهر وشظف العيش حتى صاروا كالاشباح:

يا دير حنة من ذات الأكيراح من يصحُ عنك فاني لست بالصاحي
رأيت فيك ظباء لا قرون لها يلعبنَ منا بالباب وارواح
دعِ التشاغل باللذات ، يا صاحِ ، من العكوف على الريحان والراح
واعدل الى فتية ذابت نفوسهم من العبادة نُحف الجسم ، أملاح
لم يبقَ منهم لرائيهم اذا حملوا حذارَ ما خُوِّفوه ، غير اشباح
تلقى بهم كل محفوٍّ مفارقه من الدهان عليه سُحق امساح
لا يدلفون الى ماء بآنيةٍ الّا اغترافاً من الغدران بالراح (١

ثم عاد في ابيات اخرى في مثل وزنها وقافيتها واشار ثانية الى هزالهم ودقة اشباحهم من اطالة الصلاة وترجيع الزبور ودراسة الانجيل في الاسحار والعشيّ، وقال:

دعِ البانين من آس ونفاحِ واعدل، هُديتَ، الى دير الأكيراحِ
اعدل الى نفر دقت شخوصهم من العبادة الا نضو اشباح
يكرّرون نوائباً رجّعت على الزبور بإمساء وإصباح
تبعد بسمعك عن صوت تكرّهه فلست تسمع فيه صوت فلّاح
الا الدراسة للانجيل عن كتُب ذكر المسيح بإبلاغ وإفصاح (٢

ومن كانت هذه صفته من الضعف والزهد ، والعكوف على السجود والعبادة ، والرغبة عن الدنيا وغرورها ، والانقطاع الى امور الآخرة « حذار ما خُوِّفوه منها » ، كان اجلّ واعقل من ان ينقاد الى ملابسة الشهوات والادناس ويتعرض لتهمة ليلة الماشوش التي اراد بعض السفهاء والاعداء إلصاقها بهم زوراً وافتراءً ، كما سنبيّنه في الفصل الآتي.

---

١) ديوانه ، خزانة باريس ٤٨٣٩ ، ص ١٩٠–١٩١
٢) ديوانه ، خزانة الفاتيكان ٤٥٦ ، ص ١٠٠

ليلة الماشوش

الماشوش — وجاءت في الشعر بغير الف اي مشوش — لفظة دخيلة عراقية. زعم حمزة الاصفهاني ، في تعليقه على بيت لابي نواس ، انها «سريانية معربة عن مشوشى. ومعناها الاجتماع».[1] ولم يذكر عمن نقل هذا التفسير. وليس في معاجم اللغة الارامية ما يؤيده. وارتأت مجلة «لغة العرب» البغدادية انها تحريف الحاشوش بالحاء. ويراد بها جمعة الصلبوت او جمعة الآلام عند النصارى[2]. وشتان بين مدلول كل من اللفظتين في العرف والاصطلاح. فيبعد جدًا تفريع الاولى من الثانية. وعندها، ان القرامطة فيما ذهب اليه بعض الكتبة، هم اول من عُرفوا بهذه البدعة. واشارت الى نشأتهم سنة ٢٦٤ (٨٧٧/٨ م) ، فتكون ليلة الماشوش قد أُضيفت اليهم قبل إلصاقها برهبان دير الخُوات بزها. ١٢٦ سنة هجرية اي في زمان الشابشتي مؤلف كتاب الديارات المتوفى سنة ٣٩٠ (١٠٠٠ م)

والصحيح ان هذه التهمة القبيحة التي تحامل بها بعض خصوم النصرانية على رهبان الاديار كانت شائعة معروفة في بغداد منذ اوائل الخلافة العباسية فهي قد تقدمت نشأة القرامطة. وقد نصَّ عليها ابو نواس في بيت له في بهروز قال فيه:

نقيّ في الولادة عن مشوشٍ يرخصه النصارى للقسوس

قال ابو عبدالله حمزة بن الحسن الاصفهاني في شرحه هذا البيت:

«يزعمون ان للنصارى ليلة يجتمع فيها الغُزّاب من القسّان والرهبان «لاستباحة» الابكار. واهل العراق يسمونها ليلة الماشوش. والفرس يسمونها «شب اكلهرزان» (شب كُلْهِذاران اي ليلة العذارى). والنصارى لا تُعرف بذلك.»[1]

وهذا القول وحده كافٍ لدحض كل تهمة وفرية وتبرئة الرهبان من هذه المخزية الفظيعة. وهو شاهد صريح باثبات ورودها الى العراق في جملة ما اتى به الفرس من العادات والاخلاق والمساوئ التي ادخلوها في الحضارة العباسية.

١) ديوان ابي نواس ، خزانة باريس ٦٨٣١ ، ٢ : ٧٩

٢) مجلة لغة العرب : الجزء الخامس من السنة الثانية ١٩٣٠ ، ص ٢٨٦

ولم ينفرد حمزة الاصفهاني وحده بالدفاع عن النصارى ونضح هذه المعرّة عنهم ، بل اربى عليه احد مؤلفي الشيعة انفسهم في الانتصار للقسّان والرهبان والثناء على سيرتهم وصيانتهم . فقال، ولا تخفى مكانة قوله في العدل والانصاف:

« واما الماشوش فهو من تخريجات السفهاء عليهم انها ليلة يجتمع فيها رجالهم ونساؤهم لطلب عيسى عليه السلام. ثم يتهارجون كيف اتفق في الظلام . ونعوذ بالله في التحريض على مُوالٍ او مُعادٍ. وخاصة فرقة النصارى . فسيرتهم — على فساد اعتقادهم — هي بلوغ النهاية في الصيانة والامانة والشفقة على الكافة. »[1]

ولا نعلم قولاً للشيعة اجمل في الثناء على آداب النصرانية وفضائلها.

وفي اتفاق اهل السنّة والشيعة على اداء مثل هذه الشهادة غناء وكفاء لقطع قول كل عداء ومراء، ورحض كل ريبة ووصمة عن سكان الديارات.

ولم ينتهِ الينا من كل روايات مؤلفي كتب الديارات عن الماشوش الا ما حكاه منها الشابشتي فقط. فلا ندري ما نقله منها في هذا المعنى هشام الكلبي، وابو الفرج الاصبهاني ، والخالديان ، والسريّ الرفّاء ، والسيماطي. وقد اكتفى ياقوت بنسخ ما عند الشابشتي . ولا بأس بايراده بالحرف ليكون هذا الفصل جامعاً لكل ما قيل في ليلة الماشوش. قال الشابشتي :

« دير الخُوات بعكبرا. وهو دير كبير عامر يسكنه نساء مترهبات متبتلات فيه . . . وعيده الاحد الاول من الصوم يجتمع اليه كل من يقرب منه من النصارى والمسلمين. فيعيّد هؤلاء. ويتنزّه هؤلاء . وفي هذا العيد ليلة الماشوش . وهي ليلة تختلط فيها النساء بالرجال فلا يردّ واحد يده عن شيء. ولا يرد احد احداً عن شيء. . »[2]

وانت ترى من عبارة هذا النصّ ان الشابشتي لم يُشر اقل اشارة الى ان مثل هذا الاجتماع على الفساد كان يكون في دير الخُوات نفسه . ولعل هذه المفسدة كانت مروية عن المتنزهين في حانات الدير ، وبينهم السكارى والفُسّاق من المتخلقين باخلاق الفرس في ليلة شب كالمذاران.

---

١) دستور المتجمين ، خزانة باريس ٥٩٦٨ ، ٣٠

٢) كتاب الديارات ، ص ٢٨

وجاء بعد الشابشتي الامام البيروني فكتب ما يأتي في ليلة الماشوش في القول على اعياد النصارى النسطورية :

« هي ليلة جمعة زعم الذاكرون لها انهم يطلبون فيها المسيح . وقد اختلفوا فيها . فبعضهم قال انها ليلة الجمعة التاسعة عشرة من صوم ايليا[1] . وبعضهم قال انها الجمعة التي صلب فيها المسيح وهي الصلبوت . وبعضهم قال انها جمعة الشهداء وهي بعد الصلبوت باسبوع . والترجيح للقول الاول بين الثلاثة الاقاويل . »[2]

وليس في هذا القول ايضاً كما ترى اقل إلماع الى اختلاط الرجال بالنساء في الديارات . فمن اين سَرَت الى الرهبان والقسوس مثل هذه التهمة الجائرة . لا ريب انها كما قال صاحب دستور المنجمين « من تخريجات السفهاء . »

ومما يشهد بان مفسدة الماشوش هي من اصل فارسي دان بها ارباب البدع والبطالة والخوارج عن السنّة ان القرامطة ، والباطنية ، والاسماعيلية ، والبابكية ، والمازارية ، واشباههم من الفِرَق التي كثر فيها العنصر العجمي ، كانوا من انصار هذه الفاحشة . قال المقريزي :

« لما استقام الامر لقرمط امر الدعاة ان يجمعوا النساء ليلة معروفة . ويختلطن بالرجال و« يتقاربن » ولا يتنافرن . فان ذلك من صحة الودّ والألفة بينهم . »[3]

وقال ابن الجوزي :

« بقي من البابكية جماعة يقال انهم يجتمعون كل سنة ليلةً هم ونساؤهم . ثم يُطفئون المصابيح وينتهبون النساء . فمن وقعت في يده امرأة فهي له حلال . ويقولون هذا الاصطياد مباح . لعنهم الله تعالى . »[4]

وقال عبد القادر البغدادي في كلامه على المازارية :

« لهم ليلة يجتمعون فيها على الخمر والزمر . رجالهم ونساؤهم . فاذا طُفئت

---

١) صوم ايليا اوله يوم الاثنين بعد احد وعشرين اسبوعاً من الفطر الكبير . وايامه ثمانية واربعون يوماً . وفطره يوم الاحد . (الآثار الباقية ، ص ٣١١)

٢) الآثار الباقية ، ص ٣١١

٣) اتعاظ الحنفاء ، ص ١٥

٤) الثاني من عيون التواريخ للكتبي ، باريس ٧٣٥ ، ص ١٣٠

السُرُج « استباح » الرجال النساء.»[1]

ولابن العديم في اخبار سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة (١١٧٦/٧):

« في هذه السنة اظهر اهل جبل السُّاق الفسق والفجور. وتسموا بالصُفاة. واختلط النساء والرجال في مجالس الشراب. لا يمتنع احدهم من اخته وابنته. ولبس النساء ثياب الرجال. واعلن بعضهم بان سناناً (مقدم الاسماعيلية) ربُّه.»[2]

وكانت ليلة الماشوش معروفة ايضاً بين المسلمين في ديار المغرب والاندلس. وللفقيه عمر صاحب الازجال، اديب الاندلس، قصيدة وطّأ لها بنثر وجعل الجميع مقامة ساسانية سماها « تسريح النصال الى مقاتل الفصال » اولها:

تعالَ نجدّدها طريقة ساسان تقصّ عليها ما توالى الجديدان

ومنها:

اتذكر في منح العقاب مبيتكم غانين شخصاً من اناث وذكران...
واطفأتُ قنديل المكان تعمداً واومأتُ فانقضّوا كامثال عقبان
وناديت في القوم «الوثوب» فاسرعوا فريق لنسوان وقوم لذكران»[3]

ويظهر ان لليلة الماشوش آثارًا باقية في العراق وسورية ولبنان بين الفِرَق النصيرية، واليزيدية، والشبك، والكاكائية، والقلم حاجية، وغيرهم من ارباب البِدَع. وانها تسمى اليوم عندهم « ليلة الكشّة ».[4]

ومن هذه الشواهد كلها يتضح باجلى بيان ان ليلة الماشوش كانت مخزية فارسية مختصة بالخوارج والفرق المبتدعة في الاسلام. وان الرهبان والقسوس والنصارى في الديارات كانوا براء منها متنزّهين عنها باقرار اهل السُنّة والشيعة انفسهم. فما احق المسيحي اليوم اذا أنشد بيت ابي نواس المتقدم الذكر، او عُيّر بهذه التهمة العباسية ان يقول: « رمتني بدائها وانسلّت ».

---

١) الفَرق بين الفِرَق، ص ١٦٢

٢) زبدة الحلب في تاريخ حلب، ص ١٩٣

٣) نفح الطيب للمقري ٣: ٢٢

٤) مجلة لغة العرب ج ٦، سنة ١٩٢٧، ص٢٦٨؛ و ج ٥ سنة ١٩٣٠، ص٢٧٠-٢٧٢؛ ومجلة العرفان المجلد ٢٣، ج ٢: ص ٢١٤

خراج الاديار وجزية الرهبان

كان الخراج يُجبى من الديارات وملحقاتها ومزارعها ، كما يجبى من سائر الاملاك والضياع. وربما بلغت الجباية احياناً مبلغاً فاحشاً. «حُكي ان رهبان دير سعيد بالجانب الغربي من الموصل أُلزموا في وقت بجباية. فقاموا بثلثمائة الف درهم.»[1] وربما خُفّف عنهم الخراج في احوال خاصة. كما خفف فيما قيل عن رهبان دير صليبا بدمشق حين اعطوا خالد بن الوليد سلّماً صعد عليه بعض جنده لفتح الباب الشرقي[2]. وكما فعل هرون الرشيد يوم زار دير القائم الاقصى وشرب فيه من يد ديرانية عليها المسوح من حسان الراهبات وغناه اسحاق الموصلي . فامر ان لا يؤخذ من مزارع الدير خراج واقطعهم اياه. وجعل عليه من الخراج عشرة دراهم تؤدّى في بغداد.[3]

وفي تقاليد بعض الاديار ، وحكايات النساطرة خصوصاً ، اخبار وعهود منحولة للرسول او لعمر بن الخطاب في الوصاة بالرهبان والإعفاء من الخراج ، اذا نقدها المؤرخ البصير يتبين له اليوم من الفاظها وشهودها انها موضوعة مختلقة طمعاً من الرهبان في التخلص من التكاليف والجزى . وقلّ من تنبّه لها من مؤرخي الاسلام. ولعلهم اعانوا احياناً على رواجها وتصحيحها. ومن ذلك ما حكاه الخالدي في كتاب الديارات من دخول عمر بن الخطاب انطاكية قبل الخلافة. وقتله احد بطارقتها وخروجه منها ، وعدوله في طريقه الى احد الاديار قد يكون دير رمّانين في ضواحي حلب. وتنبؤ الراهب له انه بعد ظهور محمد يُخرج الروم من الشام ويملك الارض. ولذلك سأله الراهب بان يكتب له بعد ان اضافه كتاباً في قطعة من أَدَم في ترك خراج الدير والوصاة به[4].

واما جزية الرؤوس والجماجم ، كما كان يقال ، فكانت لا تؤخذ من

١) مسالك الابصار ، ص ٢٦٠

٢) فتوح البلدان للبلاذري ، طبعة اروبة ، ص ١٢٦

٣) مسالك الابصار ، ص ٢٧٠

٤) الخزانة الشرقية ٢ : ١٠

المترهبين اذا كانوا مساكين يُتصدّق عليهم. واما اذا كانوا ذوي يسار فكانت تُستأدى منهم كسائر الناس[1]. ومع ذلك فقد أُخذت غير مرة من الرهبان الفقراء. ففي خلافة عبد الملك بن مروان كان اخوه عبد العزيز بن مروان امير مصر (٦٨٤–٧٠٥ م) قاس باحصاء الرهبان فأُحصوا. واخذت منهم الجزية عن كل راهب دينار. وهي اول جزية أُخذت من الرهبان.[2]

وفي سنة ١٠٤ للهجرة (٧٢٢م) كان متولّي الخراج بمصر أُسامة بن زيد التنوخي «فاشتد على النصارى واوقع بهم واخذ اموالهم. ووسم ايدي الرهبان بحلقة حديد فيها اسم الراهب واسم ديره وتاريخه. فكل من وجده بغير وسم قطع يده وكتب الى الاعمال بان من وُجد من النصارى ليس معه منشور ان يؤخذ منه عشرة دنانير. ثم كبس الديارات وقبض على عدة من الرهبان بغير وسم. فضرب اعناق بعضهم وضرب باقيهم حتى ماتوا من الضرب. ثم هُدمت الكنائس. وكسرت الصلبان. ومُحيت التماثيل وكسرت الاصنام باجمعها وكانت كثيرة في سنة اربع ومائة والخليفة يومئذ يزيد بن عبد الملك. فلما قام هشام بن عبد الملك في الخلافة كتب الى مصر ان يُجرى النصارى على عوائدهم وما بايديهم من العهد. فقدم حنظلة بن صفوان اميرًا على مصر في ولايته الثانية فتشدد على النصارى وزاد في الخراج. واحصى الناس والبهائم. وجعل على كل نصراني وسماً صورة اسد. وتتبعهم فمن وجده بغير وسم قطع يده.»[3]

وفي امارة احمد بن طولون كان احمد بن المدبّر صاحب خراج مصر. فتتبّع الرهبان واستقضاهم الجزية. وكان ابن طولون كثيرًا ما يغشى دير القصير للملكيين ويأنس براهب منهم. فشكا اليه امر ابن المدبر وقال له انه يطالبنا بجزية رؤوسنا وقد سقطت عن امثالنا على مرّ السنين. فوقّع الى ابن المدبر بخطه. فكفّ عنهم واعفاهم وبلّغهم فوق ما يحبون.[4]

١) كتاب الخراج للقاضي ابي يوسف، الطبعة السلفية، مصر، ص ١٤٦

٢) الخطط للمقريزي طبعة بولاق، ص ٤٩٢–٤٩٣

٣) الخطط للمقريزي، ص، ٤٩٢–٤٩٣

٤) سيرة ابن طولون للبلوي؛ دار الكتب الاهلية، الظاهرية، دمشق رقم ٣٦٢، الورقة ٢٤

وفي سنة ٣١٣ (٩٢٥ م) « قدم الوزير علي بن عيسى بن الجراح الى مصر. فكشف البلد والزم الاساقفة والرهبان وضعفاء النصارى بادآء الجزية. فأدُّوها. ومضى طائفة منهم الى بغداد واستغاثوا بالمقتدر بالله. فكتب الى مصر بان لا يؤخذ من الاساقفة والرهبان والضعفاء جزية. وان يُجرَوا على العهد الذي بايديهم. »[1]

وكان بعض الخلفاء العباسيين لمعرفتهم بما استقر في نفوس العمال من حب الظلم والعسف والضراوة على إرهاق اهل الذمّة يشددون في اختيار اهل العفة والنزاهة منهم. ويوصونهم بالقسط في جباية الجزية وألّا ياخذوها من النساء والولدان والعجزة والمرضى والفقراء والرهبان. كما جاء في العهد الذي كتبه ابو اسحاق الصابئ من الخليفة الطائع لله الى فخر الدولة بن بويه في جمادى الاولى سنة ٣٦٦ (٩٧٦ م) قال:

« وامره ان يتخيَّر عماله في الاعشار والخراج والضياع والجهبذة والصدقات والجوالي من اهل الظلف والنزاهة... وان يوعزوا الى جُباة جماجم اهل الذمة ان يأخذوا منهم الجزية في المحرم من كل سنة. بحسب منازلهم في الاحوال وذات ايديهم في الاموال وعلى الطبقات المطبَّقة فيها. والحدود المحدودة المعهودة لها. وان لا يأخذوها من النساء. ولا ممن لم يبلغ الحلم من الرجال. ولا من ذي سنّ عالية. ولا ذي علة بادية. ولا فقير مُعدم. ولا راهب متبتّل. »[2]

وكان بعض الاقباط في دولة المماليك اذا قعدت بهم الحال عن دفع الجالية وهي الجزية المفروضة على رقاب اهل الذمة. يحتالون للتخلص منها بلبس الصوف والانتماء الى بعض الاديار. وفي ايام الملك الظاهر بيبرس البندقداري كثر امثال هؤلاء الرهبان الزور، وعلم السلطان بجلية امرهم، فامر باخذ الجزية من كل راهب لا يكون منقطعاً في الدير او معتزلًا في البرية. او لا تكون له شهود ثقات على صدق رهبانيته. فانتهز الجُباة هذه الفرصة لايذاء اكثر الرهبان والتسلط على الشيوخ والعجزة منهم، ولا سيما في جهات الغربية. قال كاتب « سِيَر

١) الخطط للمقريزي، ص ٤٦٤-٤٦٥

٢) صبح الاعشى للقلقشندي ١٠: ٢٧-٢٨

البطاركة الاقباط » بعد ان حكى ما اشرنا اليه في حوادث سنة ٩٩١ للشهداء (١٢٧٤ م)

«ولما جاء السلطان عزّ نصره اجتمع جماعة من رهبان الديارات وجاؤا الى باب السلطان بهدية على قدر حالهم مما يليق بالرهبان . فكتب لهم بمائة وخمسين اردبًا غلّة . وسمع بخبرهم رهبان دير القُصَير الملكية . فاحضروا الأخر هدية من النسبة فامر لهم بمائة اردب غلة وبقي الرهبان ملازمين باب السلطان مدة . وبعد ذلك خرج الامر بان يُكتب لهم بان يُجرَوا على عادتهم بشرط انهم لا يخفون احدًا ممن تجب عليه الجزية . ولا يرهبنون احدًا الا بعد تقريله في الديوان . ومن يستحق الرهبنة يدخل فيها لطلب الله تعالى لا لاجل جزية ولا شدة لحقته . واخذوا الكتاب المذكور ومضوا به الى القرية . ولم يقدم شيئًا . »(١)

وظلّ الرهبان على هذا الوجه يغرمون الجالية تارة ويُعفون منها تارة اخرى حتى في عهد الدولة العثمانية ايضاً كما يستفاد من شهادة الحجة الآتية التي وقفنا عليها في خزانة بريتيش موزيوم في مجموع خطي رقم Add. 9965 ومعظمه فصول دينية للبطريرك مكاريوس الزعيم الحلبي . وهي في اول صفحة منه بقلم غير قلم الكتاب . وهذا نصها بالحرف :

« صورة حجة منع الخراج »

« سبب تحريره هو انه حضر مجلس الشرع الشريف ومحفل الحكم المنيف بطرابلس الشام المحمية اجلّه الله تعالى . لدى متوليه مولانا وسيدنا الحاكم الشرعي الموقّع خطه الكريم اعلاه . دام فضله وعلاه . بعد ان حضر كل من الراهب ميخايل ولد الياس فرح المطران . والراهب الياس الخوري ولد يونس . وادّعيا على فخر الاقران علي اغا قايم مقام الدستور المكرّم المشير المفخم حضرة مصطفى باشا . المحافظ بطرابلس الشام وايالتها يسّر الله له من الخير ما يشا . مقررين في دعواهم بان المدّعى عليه يطلب منهما ومن امثالهما الرهبان الفقراء الجزية الشرعية عن هذه السنة . وان طائفة الرهبان المقدام بكنيسة طرابلس وبالديورة الكائنة بايالتها من جملة الفقراء النصارى الغير قادرين على الكسب . وليس لهم عادة من قديم الزمان هم ومن تقدمهم من الرهبان باعطاء الجزية وغيرها . وانهم معافون من ذلك بموجب ما بيدهم من العهد نامة النبوية . وسألوا من الحاكم الشرعي سؤاله عن ذلك . فسُئل فاجاب بالاعتراف من انه يطالبهم لكونهم من اهل الذمة . ومن جملة النصارى . وانه مأمور باخذ الجزية منهم بموجب ما بيده من البراءة السلطانية . وابرزها من يده . فقرئت بمسمع من المدعيَين فاذا من مضمونها بان الجزية الشرعية تؤخذ منهم على الاعلى والاوسط والادنى . ما عدا الفقير الذي لا يقدر على الاكتساب فانه الحق بالزمن والمفلوج والمريض . ولم يصدّق المدعى عليه بانهم من الفقراء

١) سِيَر البطاركة ، خزانة باريس ٢٠٢ ، ص ٢٦٥-٢٦٦

الذين لا قدرة لهم على الكسب . فطلب منهم بيان ذلك بالطريق الشرعي فاحضروا لذلك كل من الحاج حسين بن نعمان . والسيد يوسف بن السيد ابرهيم . ومحمد باسه ابن الفقيه . وموصلي اغا الشوباسي . فشهدوا بان طائفة الرهبان ليس لهم عادة من قديم الزمان باعطاء الجزية . وانهم فقراء وليس لهم كسب ولا حرفة . وانهم يعيشون بصدقات النصارى . شهادة صحيحة شرعية مقبولة منهم شرعاً . فلما شهدوا بذلك . عرّف مولانا الحاكم الشرعي المشار اليه . المدّعى عليه بطلب الجزية بان الفقير الغير القادر على الكسب، والزمن ، والمريض، والمفلوج ، ليس عليه جزية . وكذا الراهب الغير مخالط للناس كما في كتب المذهب . ومنعه من التعرض لطائفة الرهبان المرقومين بطلب الجزية تعريفاً ومنعاً شرعياً اوقعها بالطريق الشرعي . وبالالتماس المرعي طلب المدّعون المزبورون من الحاكم الشرعي المشار اليه بان يسطر لهما ولطائفة الرهبان القاطنين بطرابلس وايالتها صكاً شرعياً تمسكاً بيدهم ونافعاً لهم في المآل عند الاحتياج لدى الاحتجاج . فسُطّر بالطلب في اوائل شهر شوال المبارك من شهور سنة ١١٠٣هـ (١٦٩٢ م) .

فهارس الكتاب

الالفاظ المولّدة المشروحة في المتن والحواشي

		الصفحة
انبا وابا من القبطية بمعنى الاب	حاشية رقم ٤	٢٩٠
التاج او اكليل الشعر tonsure		٢٩٣
التحيّة والتحايا بمعنى التحفة والهدية من الازهار والفواكه والطرائف		٢٢٢–٢٢٣
الديّرة والديور في جمع دير		٢٩٨
السكرّجة vinaigrier	حاشية رقم ٢	٢٠١
الطَفْشيل: نوع من المرق	حاشية رقم ١	٢٤٩
الطوفرية او الطيفورية : نوع من الصحاف	حاشية رقم ٢	٢٠١
العُسر بمعنى الدير		٢٩٧
الغذقدونة او الخذقدونة Chalcédoine	حاشية رقم ١	٢١٦
الغائم في الديارات بمعنى الصومعة		٢١١
الفبالة بمعنى الخرستان	حاشية رقم ١	٢٠١
القلّاية والقلّاية وجمعها قلالي وقلايا		٢٠٧–٢٠٨
الكِرح والأكبراح ابيوت الرهبان		٢١٠
الماشوش		٢٩٧

الاديار والاعمار والقباب والقلالي والكنائس

التي تغنى بها الشعراء في خمرياتهم واشار اليها المؤرخون في هذا الكتاب

مرتبة على حروف المعجم

دير أبُّون في قردى وهي قرية قريبة من جبل الجودي بالجزيرة ٣٠٧
الدير الابيض بصعيد مصر ٢٩٨ ، ٣٥٤
دير إتراعيل بجوار كفرعزّى من قرى إربل ٣٢١
« الاسكون بالحيرة ٣٠٢ ، ٣٤٧
« اشونى بقطرُبُّل ٣٢١ ، ٣٥١ ، ٣٧٦
الدير الأعلى بالموصل ٢٩٧ ، ٣٠٤ ، ٣١٨ ، ٣٢٣ ، ٣٦٣ ، ٣٨٨
دير اكمُن او اكمل على جبل بالقرب من الجودي ٣٢١
« مار الياس في داريا من ضواحي دمشق ٣٦٣ ، ٣٦١
« مار اليشع في لبنان ٣٨٥
« مار انطونيوس في لبنان ٣٨٥
« مار انطونيوس في جبل العربة في صعيد مصر ٣٨٦
« باريشا بأرض الموصل ٣٤٦
« باشهرا على شاطئ دجلة بين الموصل والحديثة ٣٥٣
« باطا بالسّ بين تكريت والموصل وهيت ٣٠٣ ، ٣١٠
« باعربا بين الموصل والحديثة ٣٠٣ ، ٣١٨ ، ٣٤٦
« باعتل بجوسية من اعمال حمص ٣٠٥
دير الباعوث على شاطئ دجلة بين الموصل والحديثة ٣٠٦
« باقوقا (من قرى إربل ؟) ٣٥٤
« برصوما قرب ملطية ٣٨٧
« البنات بطرابلس ٣١٥
« البنات بالقاهرة بحارة الروم ٣١٥
« مار توما في ضاحية ميافارقين ٣٨٨
« دير مرتومان . انظر : مريونان
« الثعالب في ضواحي بغداد ٣٦١ ، ٣٦٣
« الجاثليق : ديرقديم كان قريباً من مَسكِن رأوانا ٣٧٣
« الجبّ في شرقي الموصل ٣٨٨
« جرجس بالمزرفة على شاطئ دجلة ٣٣٠ ، ٣٥٠
« الحريق بالحيرة ٣٧٤
« حنة بظاهر الكوفة ٣١٠ ، ٣١١ ، ٣١٥ ، ٣٣٥ ، ٣٥٦ ، ٣٨٣ ، ٣٩٣ ، ٣٩٥ ، ٣٩٦
« الخُوات بمكبرا ٣١٢ ، ٣٩٧ ، ٣٩٨
الديارات السبعة في الوجه البحري بمصر ٣٨٨
الديران بضاحية دمشق ٣٨٣
دير درمالس : هو دير رومانس
« الراهبات بحارة زويلة من القاهرة ٣١٥
« الرصافة رصافة هشام ٣٠٤ ، ٣١٦
« رمّانين بضواحي حلب بينها وبين انطاكية ٤٠١

دير رومانس في رقة الشأمية ببغداد ٢٢٢
« الروم في بغداد في الجانب الشرقي منها ٢٧٢
« ربقة بصعيد مصر ٢٧٢
« زرارة بين الكوفة وحمام اعين ٢٢٠ ، ٢٥١
« الزعفران في لحف جبل نصيبين ٢٠٢ ، ٢٠٦ ، ٢٢٠ ، ٢٢١ ، ٢٢٩ ، ٢٤٥ ، ٢٦٠ ، ٢٦١
« زكّى بالرقة ٢١٧ ، ٢٥٦ ، ٢٦٧ ، ٢٦٨ ، ٢٦٩ ، ٢٧٢ ، ٢٧٥
« الزندورد بالجانب الشرقي من بغداد ٢٢٠ ، ٢٤٨
« السائة : هو دير صابيا
« سابُر قرب بغداد بين المزرفة والصالحية ٢٢٠ ، ٢٥٠
« السبعة الجبال باخميم في مصر ٢٠٢
« مار سرجس بالطيرة قرب سامرّا . وقيل بعانة ٢٠٦ ، ٢٧٥
« سرجيس بين الكوفة والقادسية ٢٢٠ ، ٢٥٠
« سعيد بالجانب الغربي من الموصل ٢٠٧ ، ٢٥٤ ، ٤٠١
« سمعان بظاهر انطاكية ٢٤٧ ، ٢٧١
« السوسي بنواحي سامرّا بالجانب الغربي ٢١٦ ، ٢٤٩
« السيدة في صيدنايا في ضاحية دمشق ٢٨٧
« السيق قبلي البيت المقدس ٢٩٧
« شمران او شهران بظاهر مصر ٢٦٨
« الشياطين غربي دجلة من اعمال بَلَد ٢٤٩
« صليبا بظاهر دمشق وباب الفراديس ٢١٤ ، ٢١٦ ، ٢٢٧ ، ٢٥٥ ، ٢٧٧ ، ٤٠١
« طوبيه من قرى مصر ٢٦٩
« الطور او طورسينا ٢٠٢ ، ٢٢١ ، ٢٥٦ ،
دير الطير قبالة سمالوط بمصر ٢٠٣
« عباد في الجبل المطلّ على ميافارقين ٢٠٣ ، ٢٨٢
« عبدون الى جانب المطيرة بسامرّا ٢١٧ ، ٢٥٩ ، ٢٩١ ، ٢٩٢
الدير العتيق : دير قديم للنسطورية بناحية المدائن ٢٧٢
« العذارى بين سامرّا وبغداد ٢٩٨ ، ٢١٢ ، ٢٢١ ، ٢٢٠ ، ٢٥١
« العذارى ببغداد ٢١٢
« العذارى بالحيرة ٢١٢
« العَلْث على شاطئ دجلة قرب الحظيرة ٢١٢ ، ٢٧٧ ، ٢٩٢
« القائم الاقصى بالرقة ٢٩٨ ، ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢٥٨ ، ٢٦٥ ، ٤٠١
« القاروص بجانب اللاذقية ٢٤٧
« القرقس بجوار اخميم في مصر ٢٠٢
« قزمان بضواحي حلب ٢٦٤
« القُصَير في جبل شهران في ضاحية مصر ٢٠٥ ، ٢١٨ ، ٢٥٧ ، ٢٦٢ ، ٢٦٤ ، ٢٨١ ، ٢٩١ ، ٤٠٢ ، ٤٠٤
« قُنّى من نواحي النهروان قرب الصالحية ٢٠٨ ، ٢٢٠
« قنوبين بلبنان ٢٨٥
« قوطا بالبردان على شاطئ دجلة ٢٢٠ ، ٢٢١ ، ٢٥١ ، ٢٦٤
« القيّارة بجوار الموصل ٢١١ ، ٢٩٠
« كفتون ببلاد طرابلس ٢٢٠
« الكَلَب قرب مملثايا بنواحي الموصل ٢٠٧ ، ٢٠٩ ، ٢٢٠ ، ٢٤٥ ، ٢٩٠
« الأكيراح في الحيرة ٢١٠ ، ٢٥٢ ، ٢١٢ ، ٢٩٦
« اللج في الحيرة ٢٥٥ ، ٢٥٧ ، ٢٦٢ ، ٢٦٦
« مرمار (مار ماري) بسامرّا ٢١٧ ، ٢٦٠ ،

٢٦١ ، ٢٦٦
دير مار ماعوث على شاطئ الفرات ٢٠٦ ، ٢٦٠ ، ٢٦٤
« متى شرقي الموصل ٢٠١
« مرّان بدمشق في سفح جبل قاسيون ٢٠٦ ، ٢٠٩ ، ٢١٤ ، ٢١٦ ، ٢٢١ ، ٢٤٥ ، ٢٤٧ ، ٢٥٣ ، ٢٩٥
« مارت مروثا في سفح جبل جوشن بجوار حلب ٢١٣ ، ٢١٨ ، ٢٢١ ، ٢٤٥
« مارت مريم بالحيرة ٢١٥ ، ٢٥١ ، ٢٧٦
« علّى بساحل نهر جيحان قرب المصّيصة ٢٢٢ ، ٢٧٢
« مديان على نهر كرخايا قرب بغداد ٢٤٨
« المصلّبة بظاهر القدس ٢٠٦ ، ٢٢١ ، ٢٦٣ ، ٢٩٣
« المعلّقة بمدينة مصر ٢١٥
« مغارة شقلقيل تجاه منفلوط بمصر ٢٠٣
« مار ميخايل باعلى الموصل ٢٩٩ ، ٢٦١
« مياس في ضواحي حمص ٢٨٩
« نجران باليمن ٢٠٤
« النسّاء بدمشق ٢١٥
« نهرازان ٢٦٦
« هزقل او حزقيال بين البصرة وعسكر مُكرَم ٢٨٨ ، ٢٨٩
« هند الصغرى بالحيرة ٢٠٥ ، ٢١٤
« هند الكبرى بالحيرة ٢١٤
« هورد بسرياقوس من اعمال مصر ٢٠٥ ، ٢٩٠
« مريمنا بجانب تكريت ٢١١ ، ٢٤٧ ، ٢٥٩
« يوسف بالقرب من بلد مدينة فوق الموصل ٢٠٣ ، ٢٠٦ ، ٢١٥ ، ٢٢١ ، ٢٣٠ ، ٢٦٣ ، ٢٦٣ ، ٢٩٣
« يونان بالانبار ٢٠٣ ، ٢١٨
« يونّا بجانب غوطة دمشق ٢١٦ ، ٢٦٥
« يونس في الجانب الشرقي من الموصل ٢٥٤ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠
عمر احويشا باسْبِرْد ٢٣٠ ، ٢٣٠
عمر الزرنوق في جوار جزيرة ابن عمر ٢٩٩
عمر الزعفران بنصيبين ٢٩٩ ، ٢٣٠ ، ٢٤٦
العمر الصغير في جوار جزيرة ابن عمر ٢٩٩
عمر كسكر او واسط ٢٩٩ ، ٢٠٨
عمر نصر بسامرّا ٢٩٩ ، ٢٥١ ، ٢٧٦ ، ٢٩١
عمر مار يونان بالانبار ٢٩٩ ، ٢٠٩
قبّة السّبق بالحيرة ٢٠٣
قباب الشمانين بالحيرة ٢٠٤
قباب الشكورة بالحيرة ٢٠٤
قبّة غُمين بجانب دير المريق بالحيرة ٢٠٣
قلّاية القس بالحيرة ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ٢٢٩ ، ٢٣٢
قلية دير مرّان بدمشق ٢٠٩ ، ٢٤٧
كنيسة ابي النمرس بجيزة مصر ٢٨٣
كنيسة طرابلس ٤٠٤
كنائس قنّوبين بلبنان ٢٨٥

الشعراء الذين استشهد بابياتهم وقصائدهم في هذا الكتاب

ابن ابي جبلة الدمشقي ٢٥٣
ابن جناح ٢٦٤ ، ٢٦٥
ابن الحكاك ابو الحسين بن محمود المجندي الموصلي ٢٥٤
ابن خطيب داريا ٢٦٣ ، ٢٩١
ابن الرنبقي المصري ٢٨١
ابن سيحان ، من شعراء الاغاني ٢٣٤
ابن عبدل ٢٤١
ابن نباتة المصري ٢٥٥ ، ٢٦٣
ابو بكر الصنوبري ٢٢٧ ، ٢٥٦
ابو جفنة القرشي ٢٢٣
ابو الحسين الجزار ٢٦٩
ابو الحسين محمد بن ميمون الكاتب ٢٥٤
ابو دلف العجلي ٢٢٦
ابو ذؤيب الهذلي ٢٢٦ ، ٢٢٩
ابو اسحق الصابئ ٢٢٢
ابو شاس منير ٢٨٩ ، ٢٩٠
ابو عبد الرحمن الهاشمي السلماني ٢٥٣
ابو عبدالله محمد بن خليفة التميمي ٢٥٠
ابو العلاء المعري ٢٢٦ ، ٢٧٥
ابو علي حسن النزي ٢٦٣ ، ٢٩٣
ابو العيناء ٢٥٣
ابو الفرج البيغاء ٢٢٩ ، ٢٢٢ ، ٢٦١
ابو محمد الحسن بن علي بن وكيع التنيسي ٢٧٣
ابو نصر البصري ٢٠٦
ابو نصر المنازي ٢٥٧
ابو نواس الحسن بن هانئ ٢٦٩ ، ٢١٠ ، ٢١٥ ، ٢٢٥ ، ٢٢٨ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٥٣ ، ٢٦٦ ، ٢٦٧ ، ٢٧٣ ، ٢٧٩ ، ٢٨٣ ، ٢٩٣ ، ٢٩٣ ، ٢٩٥ ، ٢٩٦ ، ٢٩٧
ابو الهندام كلاب بن حمزة ٢٦٧ ، ٢٦٨
ابرهيم بن القاسم المعروف بالرقيق القيرواني ٢٦٣ ، ٢٦٤
احمد بن ابي طاهر ٢٤٩
احمد بن عبد ربه الاندلسي ٢٢٧ ، ٢٧٩
الاخطل ٢٢٥ ، ٢٧٣
اسحاق بن ابرهيم الموصلي ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢١٥
الاسود بن يعفر ٢٧٩
اسماعيل بن عمار الاسدي ٢٥٧
اعشى باهلة ٢٣٤
اعشى قيس ٢٠٤ ، ٢٢٤ ، ٢٢٩
امية بن عبد الصلت المعري ٢٩١
البحتري ٢٧٩
بشار بن برد ٢٢٨
بكر بن خارجة ٢٧٣ ، ٢٧٣
تاج الدين محمد بن حواري ٢٢٨ ، ٢٥٣
تميم بن المعز لدين الله الفاطمي ٢١٨ ، ٢٨٤
جحظة البرمكي ٢١٢ ، ٢٤٨ ، ٢٥١ ، ٢٧٧ ، ٢٩٣
جرير ٢١٤ ، ٢٨٣
جعفر بن جرار كاتب ابن طولون ٢٤٤
جلال الدين ابن الصفار الارديني ٢٦٣
حسام الدين الحاجري ٢٦٨ ، ٢٢٩
الحسين بن الضحاك ٢٩٩ ، ٢٢٢ ، ٢٥٣ ، ٢٧٦ ، ٢٧٧ ، ٢٨٤ ، ٢٩١

الخالديان ابو بكر وابو عثمان ٢٩٩ ، ٣٠٧ ، ٣٢٧ ، ٣٦٣ ، ٣٩٥

دعبل بن علي الخزاعي ٣٨٨

ربيعة بن مقروم الضبي ٣٩٧

سبط ابن التعاويذي ٣٠٨ ، ٣٣٠ ، ٣٦١ ، ٣٦٣
السراج الوراق ٣٦٨ ، ٣٦١
السري الرفاء ٣٠٣ ، ٣٠٧ ، ٣٦٠ ، ٣٦٣ ، ٣٩١ ، ٣٩٣ ، ٣٩٣
سعد الوراق ٣٧٠ ، ٣٧١
السفاح الشاعر ٣٩٠

شرف الدين بن المستوفي الاربلي ٣٣٠
الشماخ بن ضرار ٣٤١
شهاب الدين التلعفري ٣٣٨
شهاب الدين بن العطار ٣٤٣
شهاب الدين العمري ٣٩٧ ، ٣٩٨ ، ٣٥٤ ، ٣٥٥

صدر الدين بن الوكيل ٣٣٩ ، ٣٣٠

العباس بن الحسن وزير المكتفي ٣٤١
عبد السلام بن رعبان ديك الجن ٣٣٩
عبد الصمد بن بابك ٣٣٨
عبدالله بن العباس بن الفضل بن الربيع ٣٦٤ ، ٣٧٥
عبدالله بن المعتز ٣١٦ ، ٣١٧ ، ٣٣٣ ، ٣٣٦ ، ٣٣٦ ، ٣٤٣ ، ٣٥٩ ، ٣٨٣ ، ٣٩١ ، ٣٩٣
عبدالله المأمون بن الرشيد ٣١٧
عبدالله النميري العراقي ٣٣٣
عبيد بن الابرص ٣٣٣

عدي بن زيد ٣٣٣
علي بن اسماعيل من شعراء الخريدة ٣٣٩ ، ٣٨٣
علي بن محمد الاعمى الدمشقي ٣٣٨ - ٣٣٩
عمر بن عبد الملك الوراق ٣٥٩
عمرو بن كلثوم ٣٣٨
عون الدين بن العجمي ٣١٤

الفضل بن اسماعيل بن العباس ٣٥٤
الفضل بن العباس بن المأمون ٣٦٠
الفقيه عمر اديب الاندلس ٤٠٠

كشاجم ٣٩٥
الكندي المنيجي ٣٦٠ ، ٣٦٤

محمد بن بشار الهمذاني ٣٤٤
محمد بن بشير ٣٣٣
محمد بن عاصم المصري ٣٠٥ ، ٣٦٦ ، ٣٩١
محمد بن عبد الرحمن الثرواني ٣٠٧ ، ٣١١ ، ٣٣٦ ، ٣٣٣ ، ٣٧٤ ، ٣٧٦ ، ٣٨١
مدرك بن علي الشيباني ٣٧٣ ، ٣٩٣ ، ٣٩٤
المرقش الاكبر ٣٧٨ ، ٣٧١
مصعب الكاتب ٣٦٠
المتصمي ٣٦٥
المنصور بن عامر ٣٤١
مهلهل بن يموت بن المزرع العبدي ٣٥٦
موفق الدين بن ابي الحديد المدايني ٣٦١

النابغة الذبياني ٣٣٤

الوليد بن يزيد ٣٦٥

يزيد بن معاوية ٣١٦

المطبوعات والمخطوطات

التي استشهد بها او استند اليها في هذا الكتاب

المطبوعات

الآثار الباقية لابي الريحان البيروني . طبعة ليبسيك
اتعاظ الحنفاء باخبار الائمة والخلفاء للمقريزي . طبعة ليبسيك
احسن التقاسيم للبشاري المقدسي . طبعة ليدن
ارشاد الاريب لياقوت الرومي . مصر . مطبعة هندية
اساس البلاغة للزمخشري . طبعة الدار
الاعلاق النفيسة لابن رسته . ليدن
الاغاني لابي الفرج الاصبهاني . طبعة بولاق
الاغاني لابي الفرج الاصبهاني . طبعة الدار

البيان والتبيين للجاحظ . المطبعة العلمية . مصر

تاج العروس من شرح جواهر القاموس للزبيدي . المطبعة الخيرية . مصر
تاريخ ابن اياس . مصر
تاريخ ابن بطريق . المطبعة الكاثوليكية . بيروت
تاريخ بغداد للخطيب . مصر
تاريخ الدويهي . المطبعة الكاثوليكية . بيروت
تاريخ الرسل والملوك للطبري . ليدن
تاريخ مصر وولاتها لابي عمرو الكندي . المطبعة الكاثوليكية . بيروت
تهذيب ابن عساكر . دمشق .

حديقة الافراح لازالة الاتراح للشرواني . مصر . بولاق
حوادث الدهور مدى الايام والشهور لابن تغري بردي . ليدن

خزانة الادب للبغدادي . مصر
الخزانة الشرقية لحبيب زيات . الجزء الثاني . المطبعة الكاثوليكية . بيروت
الخطط للمقريزي . مطبعة النيل . مصر
الخطط للمقريزي . طبعة بولاق

ديوان ابن نباتة المصري . مصر

ديوان ابي نواس . مصر
ديوان سبط ابن التعاويذي . طبعة مرجليوث
ديوان عبيد بن الابرص طبعة ليال . بيروت

رحلة ابن بطوطة . مطبعة وادي النيل . مصر
رسالة الغفران لابي العلاء المعري . مصر ، مطبعة هندية

زهر الآداب للحصري . بهامش العقد الفريد . مصر

سنن ابي داود . مصر
سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم . مصر

شفاء الغليل للخفاجي . مصر

صبح الاعشى للقلقشندي . مطبعة الدار
صحيح البخاري . طبعة بولاق
صحيح البخاري . المطبعة الحسينية . مصر

العبر لابن خلدون . طبعة بولاق
العقد الفريد لابن عبد ربه . المطبعة الازهرية . مصر

فتوح البلدان للبلاذري . ليدن
فوات الوفيات لابن شاكر الكتبي . مصر

كتاب البخلاء للجاحظ . ليدن
كتاب البلدان لابن الفقيه . ليدن
كتاب التاج للجاحظ . مطبعة الدار
كتاب الخراج للقاضي ابي يوسف . المطبعة السلفية . مصر
كتاب المدخل لابن الحاج . مصر

لباب الآداب لاسامة بن منقذ . مصر
لزوميات ابي العلاء المعري . طبعة بوسباي
لسان العرب لابن منظور . بولاق
لغة العرب . بغداد . ج ٦ سنة ١٩٢٧ وج ٥ سنة ١٩٣٠

مختصر كتاب الفرق بين الفرق لعبد القادر البغدادي . مطبعة الهلال
المخصص في اللغة لابن سيده . بولاق
مراصد الاطلاع في اسماء الامكنة والبقاع . ليدن
مروج الذهب للمسعودي . بهامش نفح الطيب للمقري . مصر

مسالك الابصار لشهاب الدين العمري . المجلد الاول طبع احمد زكي باشا . مصر . مطبعة الدار
مسالك الممالك للاصطخري . ليدن
معجم البلدان لياقوت الرومي . طبعة ليبسيك
معجم البلدان لياقوت الرومي . مطبعة السعادة . مصر
معجم ما استعجم للبكري . طبعة وستنفلد
مقدمة ابن خلدون . بولاق

النجوم الزاهرة لابن تغري بردي . ليدن
نشوار المحاضرة للقاضي التنوخي . الجزء الاول . مطبعة هندية مصر
نفح الطيب للمقري . مصر ، المطبعة الازهرية
نكت الهميان في نكت العميان للصفدي . مصر
نهاية الارب في فنون العرب لشهاب الدين النويري . طبعة الدار
النهاية في غريب الحديث والاثر لابن الاثير . مصر

وفيات الاعيان لابن خلكان . بولاق

يتيمة الدهر للثعالبي . طبعة دمشق
يتيمة الدهر للثعالبي . طبعة مصر

G. Affagart, *Relation de Terre Sainte*. Paris, 1902
Henri de Beauvau, *Relation Journalière de voyage du Levant*. Nancy, 1619
P. Besson, *La Syrie et la Terre Sainte au XVIIe siècle*. Paris, 1862
J. Ebersolt, *Constantinople Byzantine et les voyageurs du Levant*. Paris.
B. T. A. Evetts, *The Churches and monasteries of Egypt*. Oxford, 1895
W. Heyd, *Histoire du Commerce du Levant*. Leipzig, 1885-1886
Mme B. de Khitrowo, *Itinéraires Russes en Orient*. Genève, 1889
H. Maundrell, *Voyage d'Alep à Jérusalem*. Paris, 1706
Carlier de Pinon, *Relation de voyage en Orient*. Paris, 1920
Fr. Eugène Roger, *La Terre Sainte*. Paris, 1664
P. Vansleb, *Nouvelle Relation de journal d'un voyage fait en Egypte en 1672-1673*. Paris, 1677

المخطوطات

برق الشام . خزانة جامعة ليدن Arabe 1466 (مختصر من كتاب الاعلاق الخطيرة لابن شداد)

بغية الطلب في تاريخ حلب لابن العديم. خزانة بريتيش موزيوم Add. 23354
بيان ما يلزم اهل الذمة فعله ليقع التمييز بينهم وبين المسلمين وغير ذلك. لابي يعلى محمد ابن الحسين بن محمد بن الفراء. في خزانتي.

تباشير الشراب لابن المعتز. خزانة باريس ٣٢٩٩
تاريخ بغداد لابن النجار. » » ٢١٣١
تاريخ الاسلام للذهبي. خزانة اكسفورد Laud. Or. 286
تاريخ البدر العيني. خزانة بريتيش موزيوم Add. 22360
تاريخ صلاح الدين الصفدي (الجزء الرابع) رقم ١٢١٦ المكتبة الاحمدية بحلب
تاريخ ميافارقين لابن الازرق الفارقي. بريتيش موزيوم Or. 5803
التذكرة الحمدونية. باريس ٣٣٢٤

الجامع المختصر لابن الساعي. الخزانة التيمورية

خريدة القصر للعماد الكاتب. باريس ٣٣٢٨

الدر الملتقط من كل بحر وسقط. بريتيش موزيوم Add. 19408
دستور المنجمين. باريس ٥٩٦٨
ديوان ابن المعتز. رواية الصولي. باريس ٣٠٨٧
ديوان ابي نواس رواية الاصبهاني. باريس ٤٨٢٩-٤٨٣٠-٤٨٣١
ديوان ابي نواس رواية الاصبهاني. خزانة الفاتيكان ٤٥٦
ديوان البحتري. باريس ٣٠٨٦
ديوان التلعفري. خزانة الفاتيكان ٣٦٠
ديوان السري الرفاء. باريس ٣٠٩٨
ديوان الامير تميم بن المعز لدين الله الفاطمي. ليدن Arabe 2038
ديوان المعاني لابي هلال العسكري. بريتيش موزيوم Add. 23443

ذخائر القصر في تراجم نبلاء العصر لابن طولون الصالحي. الخزانة التيمورية رقم ١٤٢٢
ذيل ابن قاضي شهبة. باريس ١٥٩٨

راحة الارواح في الحشيشة والراح. لتقي الدين البدري. باريس ٣٥٤٤
روض الآداب لاحمد بن الحجازي. بريتيش موزيوم Or. 3843

زبدة الحلب في تاريخ حلب. باريس رقم ١٦٦٦

السلوك لمعرفة دول الملوك للمقريزي. باريس ١٧٢٧
سيرة احمد بن طولون للبلوي. دار الكتب الاهلية الظاهرية. دمشق ٢٤٣
سير البطاركة الاقباط. باريس ٣٠٣

شفاء القلوب في مناقب بني ايوب . بريتيش موزيوم Or. 7311

الضوء اللامع للسخاوي . الخزانة التيمورية

عيون التواريخ لابن شاكر الكتبي . الخزانة التيمورية
» » » خزانة باريس ٧٣٥
» » » الخزانة الظاهرية ٤٩

قطب السرور في اوصاف الخمور للرقيق الندم . بريتيش موزيوم Or. 3628

كتاب الديارات للشابشتي . خزانة برلين We. 1100 ٨٣٢١

كتاب الطبيخ واصلاح الاغذية المأكولات لابي محمد المظفر بن نصر الوراق . اكسفرد Huntl. 187

كتاب من لا يحضره الفقيه . الخزانة المطوفية رقم ١٧٠٣

مجموع من القوانين اليمنية . بريتيش موزيوم Or. 1331

مجموع فصول دينية للبطريرك سكاريوس (الزعيم الحلبي) . بريتيش موزيوم Add. 9965

مختار من كتاب اللهو والملاهي لابن خرداذبه . في خزائني .

مرآة الزمان لسبط ابن الجوزي . بريتيش موزيوم Or. 4619

مسالك الابصار لشهاب الدين العمري . جزء في المغنّين والمغنّيات . باريس ٥٨٧٠

المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي لابن تغري بردي . الخزانة التيمورية

نزهة المتأمل ومرشد المتأهل لجلال الدين السيوطي . بريتيش موزيوم Or. 4640

النهج السديد للمفضّل بن ابي الفضائل . باريس ٤٥٢٦

نوادر الاشراق في مكارم الاخلاق . الخزانة المطوفية ١٦٩٣

الوافي بالوفيات للصلاح الصفدي . بريتيش موزيوم Add. 23358

اصلاح اغلاط الطبع

الصفحة	السطر	خطأ	صوابه
٣٢٧	٢٥	وقبله قال الحسن بن هانئ يعني ابا حنيفة والشافعي	وقبله قال الحسن بن هانئ يعني ابا حنيفة والشافعي. وفي رواية ان القائل هو ابن الرومي:
٣٢٩	٢٧ حاشية١	للثرواني	للشرواني
٣٣٠	٢١	بطيرناباذ	بطيزناباذ
٣٣٥	٨	الابقال	الاتقال
٣٦٧	١٧	حدران	جدران
٣٦٨	٧	ريّان	مديان
٣٥٠	٢٠	بطيرناباذ	بطيزناباذ
٣٥١	٢	اشموني	اشموني
٣٥٣ ٣٥٥ ٣٥٧	اعلى الصفحة العنوان	دور الضيافة	حانات الديارات
٣٥٦	١٨	بورت	بورت
٣٦٦	١٣	ومتى	ومن
٣٦٨	٢٢ حاشية٢	ارشاد الادبب	ارشاد الاريب
٣٧٥	١١	العاس	العباس
٣٧٧	١١	تلحيس	تلحين
٣٨٦	٢٢ حاشية١	F. Besson	P. Besson
٣٨٩	٨	تأتي	يأتي
٤٠٠	٢٢ حاشية١	الفَرق بين الفِرَق	مختصر الفَرق بين الفِرَق

فهرس الفصول

	الصفحة
المقدمة	٢٩١
الدير والخمر	٢٩٧
تخطيط الاديار وتقدير ابنيتها وزينتها	٣٠١
الفلالي والأكيراح	٣٠٧
القائم في الدياورات	٣١١
اديار النساء	٣١٢
الاديار التي كان يتزلها الخلفاء والملوك والامراء ووجوه الدولة	٣١٦
مزروعات الاديار والفلالي	٣٢٠
الخمر النصرانية	٣٢٢
التحايا	٣٣٢
الزعفران	٣٣٨
دور الضيافة	٣٤٦
حانات الديارات	٣٥٠
تنزل الشعراء بنزلان الديارات، واحتيال الزوار لمنادمتهم والشرب على وجوههم	٣٥٨
الامرد والاعاجيب في الحانات وملحقات الاديار	٣٦٦
التردد الى الكنائس والاديار للنظر الى غلمان النصارى ونسائهم	٣٧٢
الشرب والثناء على نغم الرهبان وضرب النواقيس	٣٧٦
النواقيس والاجراس في الاديار والكنائس	٣٧٨
الندور والاستشفاء في الديارات	٣٨٧
لباس الرهبان والراهبات	٣٩١
التاج او اكليل الشعر	٣٩٣
وصف الرهبان بالعبادة والتقوى والعلم والحكمة	٣٩٥
ليلة الماشوش	٣٩٧
خراج الاديار وجزية الرهبان	٤٠١
الالفاظ المولّدة المشروحة في المتن والحواشي	٤٠٦
الاديار والاعمار والقباب والفلالي والكنائس التي تغنى بها الشعراء في خمرياتهم	٤٠٧
الشعراء الذين استُشهد بابياتهم وقصائدهم في هذا الكتاب	٤١٠
المطبوعات والمخطوطات التي استُشهد بها او استُند اليها في هذا الكتاب: المطبوعات	٤١٢
المخطوطات	٤١٤
اغلاط الطبع	٤١٧
فهرس فصول الكتاب	٤١٨

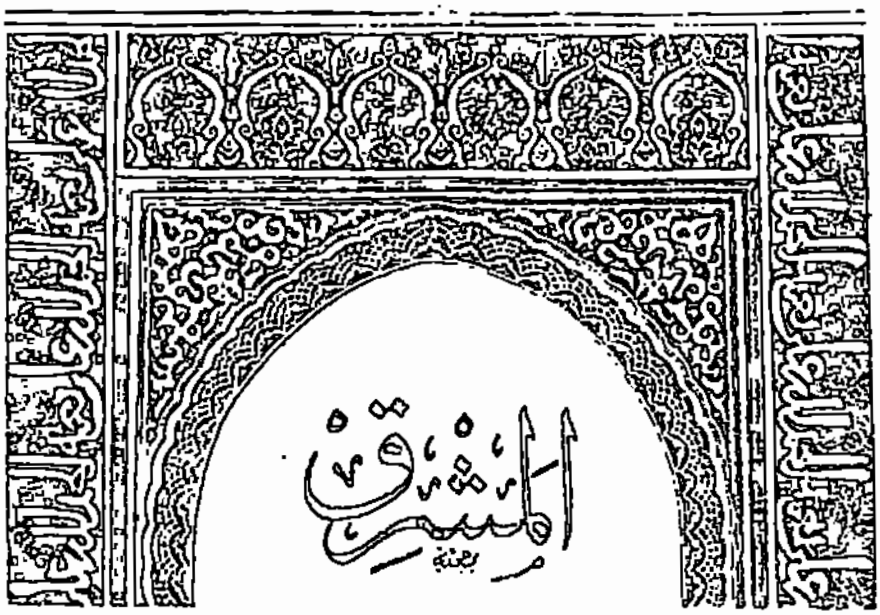

السنة السادسة والثلاثون — تشرين ١-كانون ١ ١٩٣٨

حفريّات قصر الحَيْر الغربي

« بادية » اموية في سهول تدمر

بقلم دانيال شلومبرجيه
مدير الحفريات المذكورة

لا يخفى ما في بادية الشام من اطلال متتابعة ، راقية ، في اكثرها ، الى العهد الروماني ، دالّة على ما كانت تتصف بـه هذه البلاد من ازدهار عجيب ظهرت معالمه من البطائح الزراعية في الغرب حتى سهول الشرق المقفرة في ايامنا هذه . بيدَ ان العهد الروماني لم ينفرد وحده بهذا الازدهار ، ولا بترك الآثار المتتابعة في الارض الشامية . وهو ، وان يكن ارقى العهود ازدهارًا ، فانه يشارك العهدين التاليين ، اي العهد البيزنطي والعهد الاموي ، في تعمير بادية الشام بالآثار المهمّة . واننـا نرى هذه البادية ، حتى القرن الثامن ، آخذة بالنصيب الوافر في الحياة التاريخية ، بعد ان أهبتها للدخول

في هذه الحياة ، تنظيمات الفتح الروماني ، ونشأة الإمارات النبطية والتدمرية ، الساهرة على سير القوافل ، واتساع الحركة التجارية . ولم تنحطّ بادية الشام عن مركزها هذا فتفقد كل اهمية الّا في اواخر العهد الاموي ، وقد آذنت الدولة بالانحلال والتلاشي ، بينا كانت جارات البادية المذكورة ، كمصر وسورية والعراق، تتابع حياتها ، لمدة قرون ، فتظل مسرحاً لاحداث غاية في التأثير التاريخي .

❁

من مواقع البادية التي تجاوزت العهد الروماني في الحياة والازدهار موقع قصر الحير الغربي ، بين القريتين وتدمر ، على نحو ٦٠ كيلومتراً غربي هذه المدينة . كان يرى فيه المشاهد آثاراً لا يشكّ في اصلها الروماني ، كبعض النقوش المشابهة لما يُرى في الآثار التدمرية (اطلب الرسم الاول . وقد كان القسم الاعلى من جانب الباب هذا ظاهراً فوق مستوى الارض قبل اجراء الحفريات) . وكان يرى خاصة برجاً عالياً يرقى طللاً مستطيل الشكل سمّاه المسافرون القصر « castellum » . وكان ما اختص به البرج من مادة بنائية ، وما زُيّن به من رموز نصرانية ، لا يدع شكّاً في اصله البيزنطي . والى جنبه طلل يظهر من تصميمه انه كان خاناً او محطةً للقوافل ، اكتشف فيه رقيم بالعربية لا يزال محفوظاً في متحف دمشق ، ويستفاد منه ان هذا البناء شُيّد في رجب سنة ١٠٩ للهجرة (تشرين الاول - تشرين الثاني ٧٢٧) بعناية الخليفة هشام بن عبد الملك .

وقد كان من فضل الاب بوادبار ، الاختصاصي المعروف بارتياد مواقع الآثار القديمة بواسطة الطيّارة ، انه كان اول من اظهر ان البرج والخان المذكورين ليسا الّا قسمين من بناء واسع ، يشتمل فيما يشتمل عليه ، على بستان فسيح مرويّ على طول كيلومتر بعرض ٥٠٠ متر . وفي وسط هذا البستان المحاط بالاسوار ، لا تزال تظهر آثار الاقنية المتشعبة من مجرى كان يأتي بالماء على مسافة خمسة عشر كيلومتراً ، من سدّ هائل البنيان قائم في الجبل في مكان يدعى هربقة . وكان في البناء المذكور ، مستودعات ثنوية للماء ، ومنشآت مختلفة الغايات .

وفي السنة ١٩٣٦ ، بفضل ادارة الطيران في الشرق ، التي لم تتردد يوماً في مساعدة الدروس والابحاث العلمية ، امكنني ان اتمتع بدوري ، من اعالي السماء ،

بمنظر هذه البنايات العجيبة. فتأكدت لي اهميتها، وتحققت ان المشاكل التي تثيرها لا يمكن ان تجلوها الّا الحفريّات المنظّمة. وفي طليعة هذه المشاكل نوع البناء وتاريخ تشييده.

فباشرت العمل سنة ١٩٣٦ و١٩٣٧، اولًا بمساعدة «محفل الرقم والآداب» الفرنسوي، ثم بمساعدة الحكومة السورية التي انفقت عن سعة في هذا السبيل. وبعد هذه الحفريّات المتتابعة مدة سنتين، يمكننا الآن ان نرى المشكل في طريق الحلّ، فنلخّص بما يلي تاريخ قصر الحير:

١ — ان الواحة التي يقع فيها البناء مدينة بوجودها لعمل السوريين، في العهد الروماني. وقد يكون منشؤوها من التدمريين خاصة. والى هذا العهد يرقى سدّ هريقة العظيم في اعالي الجبل (الرسم ٢). وان الدروس الفنية تبدّد كل شكّ في تاريخ بناء هذا السدّ العظيم البالغ ٣٦٥ مترًا طولًا في ١٨ مترًا علوًّا. ولولاه لما كان من وجود لجميع المنشآت المذكورة، لان منه تستمدّ ماءها فحياتها. وفي الخرائب المبعثرة في السهل نجد كثيرًا من القطع والشظايا، كذلك الباب الجميل الذي ذكرناه سابقًا ونشرنا، في الرسم ١، صورة جانب منه. وقد اكتشفنا، فوق ذلك، عددًا من الدمى المدفنية التدمريّة كانت، دون شك، في احدى المقابر القديمة المهمّة. وكل هذه الدمى نُقلت الى دمشق فرُتّبت في متحفها حيث لا تزال في يومنا. وهي كل ما بقي من الواحة الرومانية التي لم يكتب لبناياتها حظّ الدوام.

٢ — من الراجح ان السدّ أُهمل الاعتناء به، في اواخر ذاك العهد القديم، فغدا غير صالح للاستعمال. فنتج ان الواحة الرومانية كلّها أُهملت فانتصر عليها القفر. وقد يكون هذا الإهمال موافقًا لما نعرفه من سقوط دولة تدمر في السنة ٢٧٣ للمسيح. ولما اهتمّ البيزنطيون، في القرن الخامس او السادس، باعادة الحياة الى قصر الحير، لا نراهم تجاوزوا في بناياتهم، اقامة ذاك الحصن الذي يدلّ عليه البرج القائم حتى اليوم. ولم يحتاجوا الّا لمياه بئر حفروها في هذا السبيل، وكانت كافية، على ما يظهر، لارواء الحصن.

٣ — حتى كان العهد الاموي فرأينا الواحة كأنها تُبعث الى الحياة بفضل

جهود جبّارة. والشرط الأول في هذا البحث ، انما هو ترميم السدّ القديم والاعتناء به اعتناء دائماً. وهذا ما تحققناه في الحفريّات . فان الفضلات الرسوبية التي كادت تطمره ، في عصرنا ، كشفت ، اذ رفعناها ، عن بناء خارجي لاصق بالبناء الاصلي. وقد دلّت حجارته وطريقة بنائه ، لأول نظرة ، على انه مختلف عن البناء الروماني ، مشابه لما يُعرف من ابنية الخلفاء . اما غاية هذا البناء الملحق فلا يمكننا تعيينها بالتدقيق . وقد يكون البناؤون ، رموا فيه الى حماية مخرج الماء من تراكم الرسوبيات والوحول ، وانشاء طريقة جديدة لسدّ هذا المخرج ، على تصميم يخالف ما كان عليه السدّ القديم المخرب. على ان ما يهمّنا بشأن هذا البناء هو انه البرهان الواضح على اهتمام الخلفاء الامويين بسدّ مربقة .

وقد كان من عجيب الاكتشاف ، بفضل تلك الحفريّات ، ان جميع الابنية الماثلة اطلالها في ذاك السهل ، حتى موقع قصر الحير نفسه ، ما عدا البرج البيزنطي ، ترقى بجملها الى العهد الاموي . نقول هذا ، لا عن الخان فقط ، ذاك الخان الذي اكّدنا اصله الاموي بفضل الرقيم الراقي الى عهد هشام ، بل عن البستان نفسه ، وقد كشفنا بحفرياتنا سوره ، وبابه الفخم ، وما رأيناه جديراً بالاهتمام من اقنيته المتشابكة ، بل عن « القصر » نفسه وقد كان على غاية ما يمكن من الزينة والزخرف .

وان بقايا الرقم العربية التي وجدناها في حفريّات القصر — وبينها بضع كلمات من رسالة للخليفة هشام نفسه — وبعض اشارات ونصوص لمؤرخي العرب والروم تتفق مع ما اظهرته الحفريّات من نتائج تدفعنا الى الترجيح ، كل الترجيح ، ان قصر الحير الغربي كان مقاماً للخليفة هشام ، ذاك المقام الذي يسميه احد المؤلفين «الزيتونة» ، والذي كان ينزله هشام قبل ان ينتقل الى الرصافة فيجعلها مقامه المعتاد .

❁

لا يعجب احد لاكتشاف منزل للخليفة في منطقة مقفرة ، في ايامنا ، من صحراء تدمر . ولا يستغرب هذا الامر الّا غير العارف بتاريخ الامويين وبما كان عليه خلفاؤهم من الميل الى الحياة العربية الأعرابية .

اذا ما ذكرنا خلفاء بني امية ، نذكر بهم اولاً اسياد امبراطورية عظيمة

الرسم ١ – قصر الحير
جانب من الباب القديم الذي استعمله الامويون باباً لقصرهم

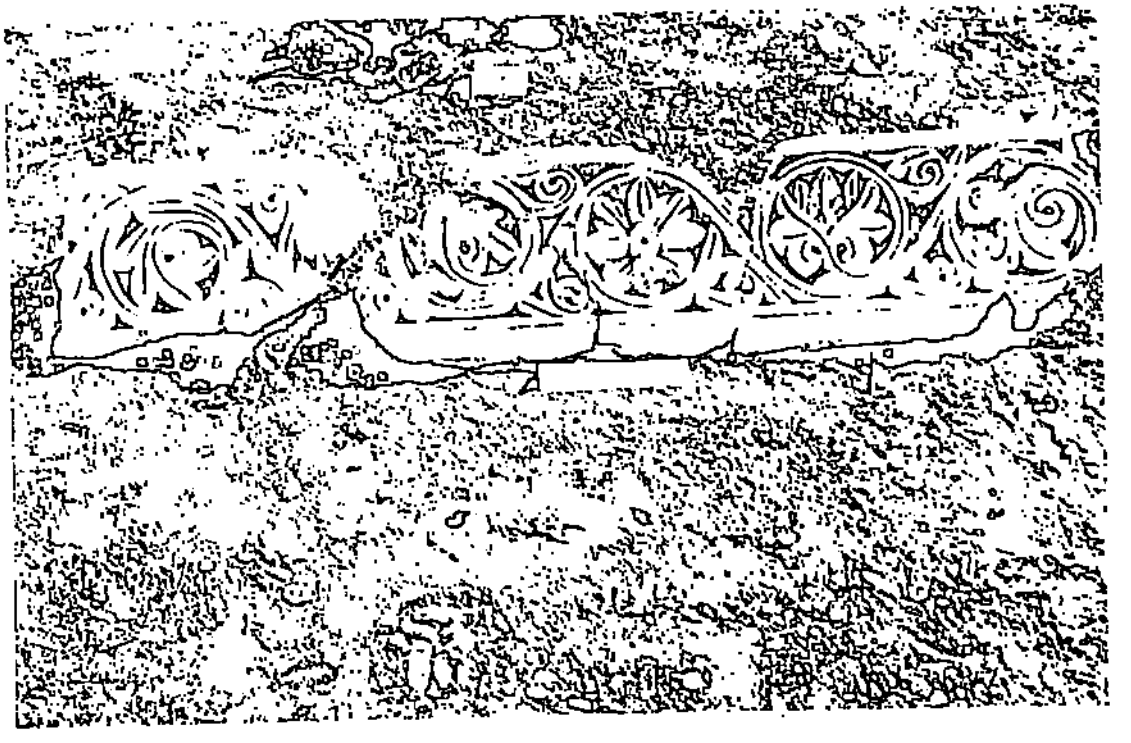

الرسم ٢ – قسم من الزخارف المحيطة باحد الابواب

الرسم ٨
تمثال من الدرابزين ذي الزخارف الملاطية الدائر بأعلى الرواق

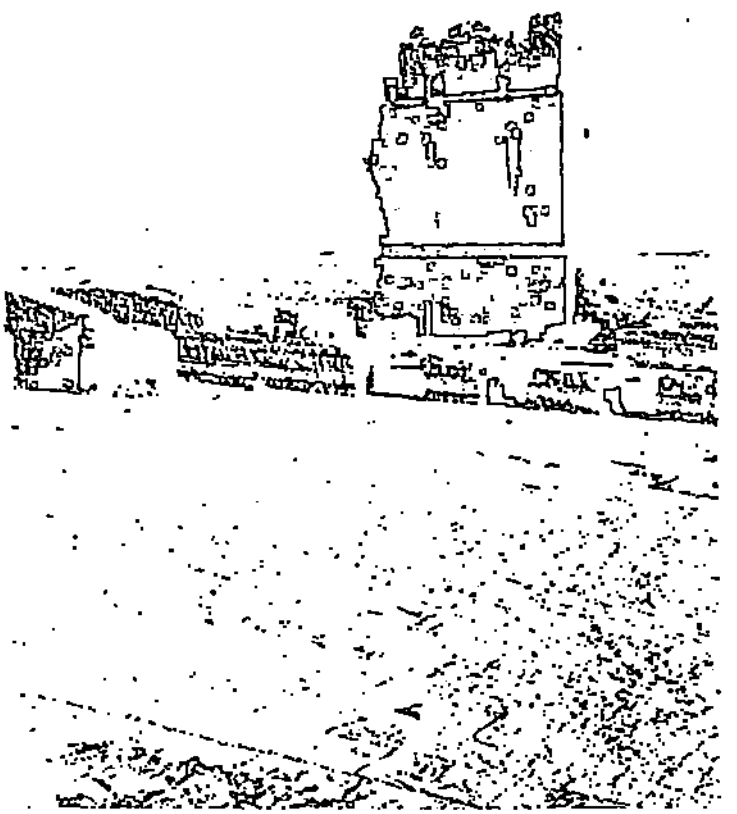

الرسم ٦

البرج البيزنطي ، وامامه فسحة الدار المبلطة في قصر الامويين . اما الحائط المهدم وسط الفسحة فهو بناء متأخر من عهد المماليك

الرسم ٢

سد هريفه من الناحية الداخلية . عندما أهمل هذا السد تراكمت الرسوبات في داخله ، حتى طمرت مكان البحيرة الاصطناعية . اما ما يرى في مقدم الصورة من مواد لاصقة بالسد فهي تلك الرسوبات وقد انزلت فيها المجاري المائية فشققتها

الرسم ٣ – قصر الخير – منظر خرائب القصر اثناء الحفريات ، مع البرج البيزنطي

كانت من اوسع الامبراطوريات المعروفة في التاريخ . وان اسم هشام ليذكرنا ، نحن الاوربيين، بذلك الزحف العربي الذي بلغ في السنة ٧٣٢ (اي نحو اربع سنوات بعد بناء الخان في قصر الحير) الى قلب فرنسة ، حتى لم يمكن شارل مارتل ان يوقفه الّا بين تور وبواتيه . ونرى في طرف الامبراطورية المقابل ، في ناحية الشرق ، جيوش الامويين تحارب « ما وراء النهر » ، في المقاطعة التي اصبحت اليوم تركستان الروسية ، قبائل البدو الطورانيين ، جدود الاتراك ، فتزحف محتلّة شمالي الهند . بيد ان هؤلاء الخلفاء لم يكونوا اسياد الإسلام المتسع الانتشار فقط ، بل انهم كانوا ، قبل كل شيء ، عرباً سوريي النشأة أَهَبتهم عمومتهم القرشية المكية وخؤولتهم البدوية السورية خاصّة ، لحب البادية والاغتباط بمظاهرها . ويجب ان لا يفوتنا ذكر الفتوحات العظيمة فينسينا تقيّد الامويين بعروبتهم وببدويتهم . ولم تكن سورية الحضريّة لتغذي فيهم هذه العاطفة الاصيلة . فان سكان المدن كانوا ، في اكثريتهم ، لا يزالون من النصارى. حتى ان دمشق نفسها ، عاصمة الخلافة الرسمية ، كانت اقرب الى المدينة الآرامية واليونانية منها الى العربية ، على رغم مسجدها الجامع وقصر خلافتها . واذاً فلم يكن الخلفاء يشعرون بعلو الغبطة والارتياح الّا اذا خرجوا من هذه المدن الضيّقة الى القفر الفسيح ، وهو عربيّ القدم وقد انتشر فيه الاسلام انتشاراً سريعاً . في هذا القفر كانوا في موطنهم الحقيقي حتى ان اغلبهم عاشوا في « براديهم » المنتشرة في مناطق القفار ، اكثر مما عاشوا في قصور دمشق . واذا اقاموا في دمشق ، فانهم يقيمون مدة الشتاء ، او مدة الاحتفالات الرسمية ، حتى اذا اقبل الربيع ، واخضرّ القفر مزدهراً ، ودنت مواسم الصيد ، خرجوا الى « باديتهم » او قصورهم يلهون مع نسائهم وشعرائهم ومغنّيهم في ظلال بساتينهم الوارفة . ونحن نعرف اليوم عدداً من هذه البوادي يقع اكثرها في شرقي الاردن . ولعلّ قصر الحير اولى البوادي السورية التي يمكننا اثبات موقعها . وهي ، على كل حال ، اولى البوادي التي اجريت حفريات منظمة في موقعها . وهذا يدلّ على ندور الآثار التي تكشفها واهمية المعلومات التي تفيدها .

بني قصر الحير على تصميم بسيط (الرسم ٣) . استند في احد اركانه ، الى البرج البيزنطي السابق الوجود ، وانتشر امامه على فسحة مربّعة متقنة التبليط (الرسم ٤) دارت بها المنازل المتتابعة بانتظام . وكانت هذه المنازل تنفتح على الفسحة المذكورة بواسطة رواق مسقوف يُسار في ظلّه كما في اروقة الجوامع او الديورة . وفي وسط الفسحة بركة صغيرة . وقد شُيد السور وآساس الجدران بالحجر . اما الجدران نفسها فبُنيت باللبن المقوّى بالالواح الخشبية . وللقصر مدخل واحد في الجهة الشرقية ، يحيط به برجان منتصفا الدائرة . وعلى الزوايا الاربع اربعة ابراج مستديرة . وفي زاويتين منها ردهتان واسعتان ، او بهوان للاستقبال ، يفتحان بسعة على الرواق . اما باقي الحجر ، وهي كثيرة ، فانها ضيّقة على الغالب ، تؤلف خمسة او ستة منازل ، يحيط كل منها بردهة فسيحة رفع سقفها على الاقواس الرشيقة من الحجر ، وفُتح لها وحدها المنفذ على الرواق فالفسحة او الدار . ولا شك في ان هـذه المنازل المعزلة ، المستقلّة كلّ منها بغرفه ومرافقه ، دون اتصال بما جاوره الّا بواسطة الرواق الخارجي ، كانت اماكن للحرم ، او مراكز لضيوف الخليفة .

لم نجد في اطلال القصر ، من الامتعة والرياش ، الّا بعض الأسرجة وبعض الكِسَر الخزفية . وكلّهـا لا تستحق الذكر . والسبب في ذلك ان القصر لم يتناوله الخراب الّا بعد ان تركه اربابه الى غيره . واذا كان قصر الحير هذا هو بالحقيقة « الزيتونة » ، وهي اولى « بوادي » هشام ، فليس في هـذا الترك ما يُستغرب . ومعروف ان هشاماً اقام ، بعد ذلك ، في الرصافة . فيكون قد ترك قصره الأوّل في حراسة بعض الوكلاء الذين اخذوا يحتلّون حجره متقدّمين شيئاً فشيئاً ، متصرفين عن السهر على ما خرج عن استعمالهم الخاصّ ؛ حتى رأيناهم يحتلّون ابهاء الاستقبال الفخمة فيضمّون الى الحائط ، على التراويق الملوّنة ، معالف خيولهم .

وعلى الرغم من عدم وجود الامتعة الاثاثية في القصر ، فـان الحفريّات لم تخيّب امالنا . بل اطلعتنا على بقايا كثيرة ، عجيبة في تنوّعها وابتكارها ، من زينة مزوّقة كانت تتحد اتحاداً وثيقاً بالبناء نفسه . كانت تشمل هذه الزينة قطعاً فسيحة من الفسيفساء الجداريّة ، وروافد منقوشة ، ملوّنة بالازرق السماوي

والمذهب على الغالب ، وملاطاً منقوشاً ، ثم زخارف ملوّنة في اكثر الغرف (الرسم ٥) . وقد امتاز بهوا الاستقبال بان ارضهما ازدانت بالمشاهد المصوّرة . بيد ان الفسيفساء تلفت كلّها لسوء الحظ . فلم يبقَ لنا الّا الاستنتاج ، من الوف المكعبات التي حُفظت مبعثرة في الغرف ، ان هذه الفسيفساء المذهّبة الاسّ ، كانت مشابهةً لما ازدان به الجامع الاموي في دمشق ، وهو يعاصر تقريباً قصر الحير . ولم يبقَ كذلك من الروافد المنقوشة الّا قطع نخرها السوس .

ولا يصحّ هذا القول على المشاهد التصويرية ولا على الملاط . فان اكثر الصور في البهوين محفوظ على افضل ما يمكن . اما الملاط فقد وجد مكسّراً الوفاً من القطع . ولم نرَ سالماً منه الّا زخرف احدى الاقواس (الرسم ٦) . ولا شكّ في ان انهيار البناء كسّر البقية الصالحة من هذه الزخارف . على انّ جهوداً صبورة في الجمع والمقابلة والتقريب ، متتابعة منذ اكثر من سنة ، مكنتنا من ترميم شيء من هذه الزخارف التي كانت تمتدّ داخل الغرف ، وعلى جدران القصر الخارجية . اما اشكال الزخارف الداخلية فقد كانت كلّها هندسيّة ونباتيّة (الرسم ٧) تمثل خاصّة مشبّكات النوافذ ، ومطوّقات الابواب والشبابيك ، ظاهرةً على غنًى وتنوّع عجيبين . واعجب من كل هذا الزخارف الخارجيّة ، سواء أأطلّت على فسحة الدار ام على الصحراء . هي عجيبة بكثرتها وازدحامها سادّة الفراغ كلّه ، حتى بدا البرجان المستديران نصف استدارة المحيطان بمدخل القصر ، مغطّيين على طول اثني عشر متراً بملاط مزخرف لم يُترك فيه سنتيمتر مربّع واحد دون نقش . وهي عجيبة كذلك بما فيها من تمثيل الهيئات والاشخاص . هناك كثير من النقوش الرمزية الكبيرة الحجم ، وكلّها متقطّعة الاوصال لسوء الحظّ ، تعلو عتبة المدخل بين البرجين المستديرين . وهناك درابزون من الملاط يعلو الرواق المحيط بالدار ، وقد مُثّل فيه ، على طول دائرته ، بين القناطر النحيفة ، كثير من الاشخاص في وقفات واعمال مختلفة . من نساء جالسات او واقفات يحملن الآنية والازهار ، ورجال يرفعون الامتعة المتنوّعة ، وحيوانات صغيرة تتراكض بين الاشخاص . اما الغاية من تمثيل هذه الاشخاص ، ومعنى وجودها على الدرابزون ، فغير واضح . ولا يسعنا الّا الامل بانه ، اذا ما تمّ جمع اقسام هذه الزخارف المتكسّرة وضمّها

بعضها الى بعض ، قد يمكن ان نصل الى شيء من الوضوح في هذا المشكل . بيد ان هذه الزخارف بهيئتها الحاضرة تظهر لنا ، منذ اليوم ، وثائق نفيسة في تفهم الفنّ الاموي . وتتعلق نفاسة هذه الوثائق بأنها نادرة ، وبان الفنّ الاموي لا يزال حتى يومنا مجهول الميزات ، غير واضح التحديد .

خرج العرب من جزيرتهم ولهم لغة ودين . ولا يخفى ان هذه اللغة وهذا الدين كانا العاملَين المهمّين في سرعة سير الفتوحات العربية ، وفي ايجاد حضارة عربية شاملة ونشرها على المناطق المترامية الاطراف . بيد ان العرب لم يكن لهم فنّ ، على خلاف ما كانت عليه المناطق التي غزوها . فان بلاد الامبراطورية البيزنطية وانحاء المملكة الساسانية كانت تنعم بتقاليد فنيّة عريقة في القدم والشهرة : كان في مصر فنّ مسيحي قديم هو الفن القبطي . وسورية الشمالية كانت زاهرة بآثار العمارة الرائعة . وفي فلسطين كانت الامكنة المقدّسة مركز حياة فنية مهمّة . وفي العراق واطراف العجم كان الفنّ الساساني لا يزال على سموّه . فلما بدأ الغزاة بالاستقرار ، وفكّروا بالبناء في ممتلكاتهم الجديدة ، وجدوا كثيرًا من الفنّانين وارباب الصناعات بين الذمّيين . فسخّروهم في سبيل الدولة . وكان الخليفة اذا شاء بناء قصر ، او تشييد جامع ، ارسل الى ولاته فيبعثون اليه عددًا من العمّال للعمل الفلاني ، وعددًا لغيره من الاعمال والصنائع المختلفة . وهكذا كان يجتمع ، في المباني الاموية ، نحّاتو الشام ، ومصوّرو الفرس ، ونقّاشو القبط ، وصانعو الفسيفساء من الروم . وان يكن من فضل للخلفاء في بناياتهم الفخمة فهو جمعهم هذا العدد من مختلفي الفنّانين بلادًا واذواقًا ، يأتون بهم من اقاصي اطراف الامبراطورية . ولا بدّ من الانتباه لهذا الامر ، في تفهم الفن الاموي الذي يبدأ ، في نشأته ، على تلك المظاهر الغريبة ، آخذًا بطرق واساليب مختصّة بالانحاء المتباعدة . وهو ما نراه مثلًا في قصر الحير بما فيه من اقواس الآجرّ ، والتزويق الملاطي ، وكلا النوعين غريب عن فنّ سورية السابقة للاسلام ، وقد وصل اليها عن طريق الفن البنائي المعروف في ما بين النهرين . من ذلك مظاهر الجمع بين الأزياء البنائية المختلفة ، واستخدام الاساليب المعروفة لاستعمالات

الرسم ٥

احدى غرف القصر ، وتظهر فيها زينة مصورة مُوّد فيها بشكل الرخام . وبجميع الالوان اقسام لوحة تصويرية في سيل مسّها بعضها الى بعض واعادة رسمها الاصلي

جديدة. كما رأينا في قصر الحير طريقة العقد بالحجارة القديمة مستخدمةً في الملاط، ومستعملةً عمودياً غطاء للجدران . وقد انتجت كل هذه الأمزجة فناً اسلامياً جامعاً شمل ، في منتصف القرن التاسع ، انحاء الامبراطورية الاسلامية بكاملها .

فيكون ان سورية الامويـة كانت البوتقة التي خرج منها الفنّ الاسلامي المشترك ، بعد ان صهرت العناصر الفنية الملتقية فيها من حوض البحر المتوسّط ومن اطراف الشرق ، آتية بالصناعات والاصطلاحات المتباينة ، وبالازياء المختلفة تمازج وتتفاعل حتى تنسبك في مظهر جماعي شامل . بيد اننا لا نرى من هذه الحركة الجماعية الّا نتائجها ، نرى ما ادّت اليه في الفنون الاسلامية المتعاقبة بعد هذا العصر. اما مظاهر تفاعلها بحدّ نفسها فلا تقع تحت بصرنا. حتى لنرانا عاجزين عن وصفها وتحديد تطوّراتها . وذلك اننا لا نعرف من مظاهر هذا الفنّ الاموي ، — وهو فنّ عظيم الأثر خطير الاهمية لأنه والد الفنون الاسلامية جميعها — الّا عدداً قليلاً جداً من الآثار كجامع دمشق ، وقبة الصخرة ، والجامع الاقصى في اورشليم ، وبعض القصور في البادية من التي لم تُجرَ في واحدٍ منها حفريّات منظمة ، وعدد من الانسجة والآنية الصغيرة المحفوظة في المتاحف . وليس ادلّ على جهل الناس بالفنّ الاموي حتى العصر الأخير من انهم كانوا يعتقدون ان هذا الفنّ يحرّم تصوير الكائنات البشرية ، ويتصوّرون ان هذا التحريم يرقى الى اصول الإسلام . ولم يتزعزع هـذا الاعتقاد الخاطئ الّا في اوائل القرن العشرين اذ اكتُشفت اللوحات التصويرية في قُصير عَمرة من بناء الامويين في شرقي الاردن .

وها ان اكتشافات قصر الحير تأتي بالدليل الواضح ان الفن الاموي منذ اوائل عهده ، وعلى الأقل في الآثار المدنية ، لم يتحرّج من تصوير الاشخاص البشرية. وهي تظهر انه كان للامويين لا فنّ تصوير رائع فقط ، وهو ما دلّت عليه اكتشافات قصير عَمرة ، بل كان لهم فوق ذلك ، فنّ نحت رفيع.

بيد ان فائدة هذه المكتشفات تتجاوز ما تقدّم الى اقرار فكرة عامّة. كان العلماء حتى اليوم مختلفي الآراء بشأن الفنّ الاموي ، لقلّة ما كان لديهم من الآثار الاموية. فكان بعضهم يرون في هذا الفنّ فرعاً من الفنّ اليوناني ، وبعضهم

يشارون به الى الفنّ السوري الاصيل ، وغيرهم يعتبرونه ايرانياً خاصة . فكان من فضل اكتشافات قصر الحير ان اتت بالوثائق الجديدة لحلّ هذه المشكلة . فاطلعتنا على اشكال عديدة ورسوم متباينة تدلّنا على التأثيرات الجمّة . يظهر فيها اولاً اثر الفنّ اليوناني - الروماني عامّة ، واثر الفنّ التدمري خاصة . وهناك آثار للفنّ المسيحي السوري . وقد يكون شيء من اثر الفن القسطنطيني ، والفنّ الايراني . ولهذا نرانا مدفوعين ، بفضل اكتشفات قصر الحير ، الى اعادة النظر في حكمنا العام على الفنّ الاموي ، والقاء ضوء جديد على العناصر التركيبية في هذا الفنّ ، وبالتالي على طبيعته الخاصة .

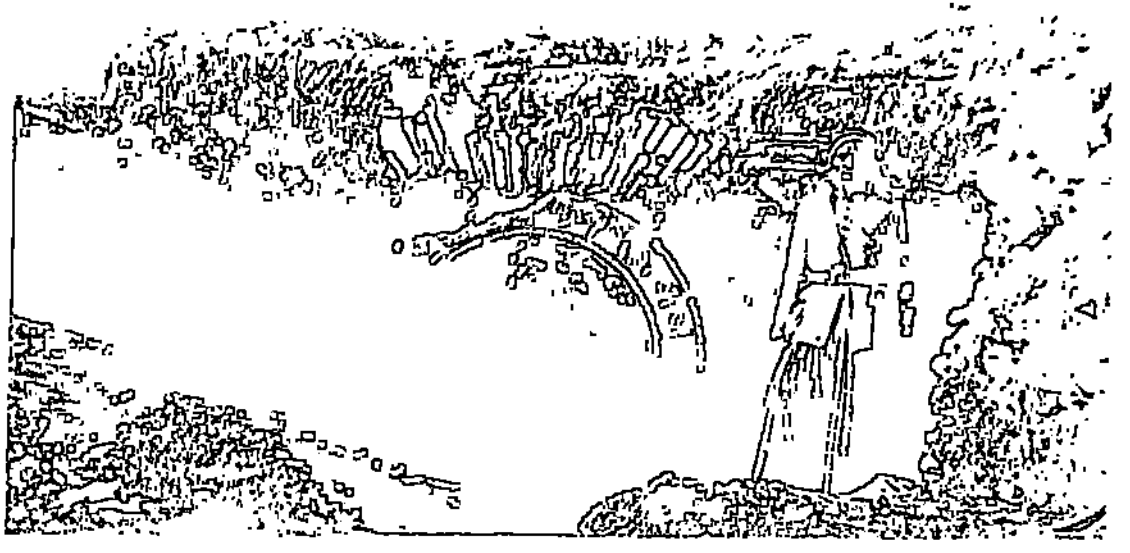

الرسم ٦ – قوس لا يزال عليها قسم من زخرفها اللاطي

السلطة الابوية

في الشرع الاسلامي

على مذهب الامام ابي حنيفة

بقلم نجيب صدقه

٣

الباب الثالث

الولاية في المال

الفصل الاول

احكام عامة

١ – على من تقع الولاية في المال

يتفق احياناً ان يكون للصغير مال خاص اتاه عن طريق الوراثة او الهبة او غيرهما. فمن الضروري ان لا يملك حق التصرف به لجهله ، وقلة اختباره ، وان يقام عليه وصيّ امين يحافظ على امواله ويحسن استعمالها واستثمارها ، على ان يكون مقيّدًا بحواجز شرعية تحول دون تلاعبه وتبذيره ، ان دفعته نفسه الى ذلك.

وقد اخذ الشارع الاسلامي بعين الاعتبار ضعف الصغار وحاجتهم الى معين ، فاطلق احكاماً عديدة تعرف في كتب الفقه بلفظة « الحجر ». والحجر في اللغة المنع ، وفي الشرع المنع عن التصرف بالمال . والمحجورون ثلاثة : الصغار ، والمجانين ولو كبارًا ، والعبيد ، فكل منهم لا يملك حق التصرف بماله الخاص الا بأذن وليه او سيده[1].

٢ – لمن تكون الولاية في المال

تكون الولاية في المال لمن له الولاية في النفس ، ولا يعني ذلك ان الولايتين لا تجتمعان الا في شخص واحد ، فان هناك احوالًا سنذكرها في نهاية هذا

١) قدوري : ٤٧ ؛ ملتقى الابحر : ١٧١ ؛ المجلة : ٩٦١ ، والاحكام الشرعية : ٤٨٢

البحث ، تنزع فيها ولاية المال من الولي العام فتعطى لغيره ولا تبقى له الا الولاية في النفس.

اما الذين يتولون على مال الصغير ، فالاب ، ووصيه ، ووصي هذا الوصي ؛ وان مات الاب ولم يوص ، فالولاية للجد الصحيح ، ثم لوصيه ، ثم لوصي وصيه. وان لم يكن الجد ولا وصيه انتقلت الولاية الى القاضي العام[1].

٣ – اثر الحجر

جاء في كتاب الاحكام الشرعية :

« اذا كان الاب عدلا محمود السيرة او مستور الحال ، اميناً على حفظ المال ، فله التصرف والتجارة بالمعروف في مال الصغير والصغيرة ومن يلحق بهما ، وله ان يدفعه للغير مضاربة وان يوكل غيره بذلك ، وله الاجارة في النفس للذكر وفي المنقولات والاراضي والدواب وسائر الاموال. »[2]

وهذا الكلام يحتاج الى شرح مفصل ، يبين مدى صلاحية الابن في التصرف ببعض ماله في بعض الأحيان ، ومدى حقوق الاب ، وتحديد واجباته الشرعية.

ولسنا نبحث في « طبيعة » (nature) هذه السلطة المعطاة للاب على اموال ابنه ، فنظهر ان كانت من « حق التمثيل » (droit de représentation) او من باب « الوكالة » او من غيرهما ، لان لكل من هذه الحقوق نتائج معينة يجب تطبيقها بحذافيرها، ان أثبت ان ولاية الاب تنتمي اليها. ولم يكن الشارع الاسلامي ليقرر في البدء مبدأ عاماً لسلطة الاب ويخضعها له ، بل وضع بالتكرار احكاماً متفرقة لم يجعلها تنحدر من اصل واحد وتتجه الى هدف فرد ، فهي موافقة للاحوال العملية التي تعرض للناس في تصرفاتهم. فليست اذن سلطة الاب « حق تمثيل » بما لهذا الاصطلاح من معنى مألوف ونتائج ضيقة ، ولا هي نوعاً من انواع « الوكالة » ، بل ان احكامها تنتمي الى الاثنين في وقت واحد ، وربما كانت اقرب الى التمثيل منها الى الوكالة ، لما جاء في السرخسي

١) الاحكام الشرعية : المادة ٤٣٦

٢) الاحكام الشرعية : المادة ٤٢٢

عن مقدرة الاب على رهن متاع ابنه: « واذا رهن الاب متاع ابنه عند رجل ، فادرك الولد ومات الاب ، لم يكن للولد ان يسترد الرهن حتى يقضي المال ، لانه تصرف لزم من الاب في حال قيام ولايته ، وهو في ذلك قائم مقام الولد. »[1]

ويجب على كل حال ان نتحفظ هنا ، فلا نعطي لسلطة الاب جميع المميزات التي تمنحها الشرائع العالمية « للممثلين » الشرعيين ، وخير ما يمكننا القيام به ان نتتبع احكام هذه السلطة بدقائقها متجنبين الاستنتاج الجري، والمقابلة السريعة.

٤ – تقسيم البحث

نتعرض في فصل اول لأثر الحجر على الصغير ، فنبين ما يبقى له من الحقوق في التصرف بماله. ثم ، في فصل ثانٍ ، نظهر واجبات الولي . وفي فصل ثالث نوضح حقوقه ، وفي الفصل الاخير نعرض كيفية انتهاء الحجر.

الفصل الثاني

حقوق الصغير

١ – الصبي المميز والصبي غير المميز

لا ينعم الصغير بالحقوق نفسها في جميع سني صغره ، بل يرى واجباته تتقلص وحقوقه تتسع كلما ازداد رشداً واختباراً . والمؤلفات الفقهية تفرق بين الصبي المميز والصبي غير المميز وتحدد علاقاتهما الشرعية. فالصغير غير المميز هو الذي « لا يفهم البيع والشراء ، اي لا يعلم كون البيع سالباً للملك والشراء جالباً له ، ولا يميز الغبن الفاحش، مثل ان يُغَش في العشرة بخمسة من الغبن اليسير. والطفل الذي يميز هذه المذكورات يقال له صبي مميز. »[2] فلا حدّ اذن ثابت يفصل بين الطفولة الاولى غير المميزة ، والطفولة المميزة. والمقياس المتبع في ذلك مبني على الاختبار والتقدير الذاتي الذي يقوم به الولي في تعهده الصغير. نقول ذلك بالرغم مما ذكرناه آنفاً في كلامنا عن الولاية في النفس ، من ان سن التمييز للذكر سبع سنين وللانثى تسع ، لان النص الاساسي الذي استندنا اليه لا يسمح لنا بذلك

---

١) السرخسي: ٢١-١٠٢

٢) المجلة: المادة ٩٦٣

٢ – تصرفات غير المميز

تصرفات غير المميز تكون على نوعين مختلفين . اولها يُدعى بالتصرفات القولية ، والثاني بالتصرفات الفعلية . فالتصرفات القولية تتعلق بالبيع والشراء والعقود المدنية المالية بنوع عام ، والتصرفات الفعلية هي الافعال التي يقوم بها الصغير ويَنتج عنها ضرر لغيره او نفع.

فالصغير غير المميّز لا تصحّ تصرفاته القولية ، بل تعتبر جميعها باطلة ، حتى اذا أذن له وليه[1] . اما التصرفات الفعلية فلا يقع عليها الحجر . فان اتلف الصغير شيئاً لزمه ضمانه ، وان جنى جناية انزل العقاب به[2] . وهي نقطة اساسية تفرق القانون الافرنسي عن الشرع الاسلامي ، ففي المحاكم الافرنسية يحكم على ولي الصغير ان يصلح الضرر الذي احدثه الصغير ، لانه مسؤول عنه ، ومسؤوليته هذه مبنية على اهماله في تربية الصغير وتتبع خطواته[3].

٣ – تصرفات المميز

لا تخلو تصرفات المميز من احد الامور الثلاثة الآتية: اما ان تكون نافعة له ، او مضرة بمصالحه المالية ، او دائرة بين النفع والضرر ؛ وفي كل من هذه الاحوال تختلف الحلول المعطاة.

أ ــ التصرفات النافعة

اذا كان في تصرفات الصغير خير محض له ، اعتبرت نافذة ، وان لم يأذن بها الولي. فللصغير ان يقبل الهدية والهبة دون ان يكون لوليه حقّ في منعه[4]. ولا يعترف القانون الافرنسي بحق الصغير في قبول الهدايا والهبات الا اذا كان له ذلك في عقد زواجه (contrat de mariage)[5] . ولا يتعرض القضاء الكنسي

١) المادة ٩٦٦ ؛ الاحكام الشرعية : المادة ٦٨٣

٢) قدوري : ٤٧-٤٨ ؛ المجلة : المادة ٩٦٠ ؛ الاحكام الشرعية : المادة ٦٨٧ ؛ البستاني : ص ٤٥٥ « ان طفلاً يوم ولد لو انقلب على مال انسان فاتلفه يلزم الضمان »

٣) القانون المدني : المادة ١٣٨٥

٤) المجلة : المادة ٩٦٧

٥) القانون المدني : المادة ١٣٩٨

لهذه النقاط لانه يختص بالولاية على النفس ، ويترك الولاية في المال للمحاكم المدنية .

ب ــ التصرفات المضرة

نستنتج من القول السابق ان الشارع هنا يعتبر مصلحة الصغار ويقدمها على جميع الاعتبارات الباقية . فمن الطبيعي اذن ان يقضي ببطلان جميع التصرفات القولية التي يقوم بها الصغير ، اذا كانت مضرة له ضرراً محضاً ، حتى اذا اذن وليه بها[1] . ومن الطبيعي ايضاً ان يكون الشرع الاسلامي متفقاً في هذه النقطة والقانون الافرنسي ، حتى ان هذا القانون الاخير يحافظ على مصالح الصغار محافظة اشد صرامة ، فيذهب الى ان جميع تصرفاتهم القولية يمكن ان تُفسخ ان ثبت ان فيها ضرراً لهم ، مهما كان هذا الضرر طفيفاً[2].

ج ــ التصرفات الدائرة بين النفع والضرر

المقصود بالتصرفات الدائرة بين النفع والضرر تلك التي يقوم بها انسان دون ان يعرف نتائجها ، كالمتاجرة والاجارة وغيرهما . وما من شك ان مصلحة الصغار تقضي ان يتوقف نفاذ هذه الاعمال على اجازة الولي . فان اجازها ، وكانت قابلة للاجازة ، نفذت . وان لم يجزها ، او اجازها وكانت غير قابلة للاجازة ، لم تنفذ . والولي مخير في اعطاء الاجازة وعدمها ، فان رآها مفيدة في حق الصغير اجازها ، والّا فلا[3].

ولا يمنع القانون الافرنسي حق القيام بهذه الاعمال للصغار غير المأذونين ، بل يوليها لابيهم او من يحل من الاولياء والاوصياء ، واذا كانت على جانب من الخطورة فرض على الولي مراقبة المجمع العائلي او المحكمة[4] ــ وفي هذا الحل ولا شك ، ضمان اوسع لحقوق الصغير لانه لا يحصر المسؤولية في شخص واحد

---

١) الاحكام الشرعية : المادة ٤٨٥ ؛ المجلة : المادة ٩٦٧

٢) القانون المدني : المادة ١٣٠٥ ؛ راجع ايضاً المواد التالية حتى المادة ١٣١٠

٣) الاحكام الشرعية : المادة ٤٨٦ ؛ والمجلة : المادة ٩٦٧ ؛ والسرخسي ٢٠ : ١٢

٤) القانون الصادر في ٢٧ شباط ١٨٨٠ و ٣ ايار ١٨٤١ ؛ والمواد ٤٦٣ و ٤٦٤ و ٤٦٥ و ٨١٧ و ٨٣٨ و ٢٠٤٤ وغيرها من القانون المدني .

بل يوزعها على اشخاص كثيرين ممن يُفرض فيهم حسن النية والغيرة على مصالح الصغير او السير حسب القوانين العادلة . ولكنه يجرّ، في كثير من الاحيان ، تطويلًا في الملاحقات امام المحاكم ويسبب نفقات باهظة يمكن للصغير ان يستغني عنها ان كان وليه غيورًا عليه ، امينًا على مصالحه .[1]

نختم هذا البحث في حقوق الصغير بالتعرض الى موضوع خاص هو نتيجة منطقية لما تقدم. فان كان الصغير قد قام بعمل ما من الاعمال السابقة ، فانكر عليه احدهم حقه امام المحاكم ، او كان الصغير يطالب بحق له ، او ادعي عليه لأمر ما ، فهل له ان يمثل امام المحكمة بصفته مدعيًا او مدعى عليه ، او — بكلمة اخرى — هل له حق المرافعة ؟ ان الحلول لهذه النقاط خطيرة جدًا ، لان عليها يتوقف في كثير من الاحيان مصير اموال الصغير .

يقضي الشارع بان الصغير لا يحق له ان يرفع دعوى او يمثل امام القاضي بصفته مدعى عليه ، الّا اذا أذن له وليه في ذلك . فاذا لم يأذن له ، وجب عليه ان يحضر بنفسه[2] . اما اذا كان الولد تاجرًا ، وكان وليه قد اذن له بمعاطاة التجارة ، فيمكنه ان يمثل بنفسه امام المحكمة ، ويمكنه ، فضلًا عن ذلك ، ان يقبل كفالة غريب في دعوى مقامة عليه . وفي هذه الحال الاخيرة يستطيع الولد ان يطلب الحضور مع كفيله ، ويجبر القاضي على اجابة طلبه ويحكم عليه بالتعويض على الكفيل ان لم تنجح دعواه ، « لانه هو الذي ادخله في هذه العهدة ، فعليه ان يخلصه بالحضور معه ليسلمه الى خصمه . »[2]

وان لم يكن الولد تاجرًا مأذونًا ، فلا يفقد الاجنبي لذلك حق كفالته في دعوى مقامة عليه ، فيمثله امام المحكمة ، حتى اذا لم يأذن الولي . واذا طلب الكفيل ان يحضر الصغير معه ليسلمه الى خصمه ، فلا يجبر الصبي على ذلك الّا اذا قبل بالحضور « لان قول الصبي ليس بلازم اياه شيئًا الّا ان يكون تاجرًا مأذونًا له . »[4]

---

١) في القانون الروماني يبطل حق الوالد ويصبح للابن حق في ملكه في حالات ثلاث : اذا حمل في الحرب على املاك خاصة ؛ اذا كان صاحب مرتبة عالية في الحكومة او الكهنوت ؛ اذا ورث عن امه او زوجه (Girard, 148-149) .

٢ و٣ و٤) السرخسي ٢٠ : ١١

اما القانون المدني الافرنسي فلا يتعرض لهذه النقاط لانها موضحة في غيره من القوانين ، وهو قانون المحاكمات المدنية.

الفصل الثالث

واجبات الولي

جاء في الحق العائلي الارثوذكسي :

« يترتب على الولي :

« ... ان يهتم بالمحافظة على ثروة القاصر وتثميرها بكل وسيلة مشروعة ، وان يحصل بنفسه ما للقاصر من المطاليب ، ويبذل نحوها نفس ما يبذله من العناية باموالة الخاصة . وهو مسؤول عن كل خسارة تنتج عن نقص في هذه العناية وعن تعدٍ على هذا الواجب او تقصير في ادائه ...

« ان يقدم للرئاسة الروحية الحساب عن تصرفه بثروة القاصر في السنة مرة على الاقل ، ولدى الاقتضاء ؛ ولا مناص من هذا الحساب قطعاً ، وليس لاحد ان يعفيه منه . »[1]

ونصّ القانون المدني الافرنسي على ان الولي واقع تحت مراقبة المحكمة حال قيامه باحد الاعمال التالية : بيع الاملاك المنقولة البالغة قيمتها ٧٥٠٠ فرنك او اكثر ، بيع العقارات مهما كانت قيمتها ، الاقراض ، الرهن ، الصلح[2] . وعليه ان يستثمر لمصلحة الصبي ، اموال الصبي البالغة ٧٥٠٠ فرنك او اكثر ، وان يقدم الحساب عن تصرفه عند انتهاء ولايته[3] .

اما في الشرع الروماني ، فالاب يملك جميع ما يملكه ابناؤه ، ويستطيع ان يتصرف به كما يشاء ، لان من المفروض به انه يعمل لخير العائلة ، ومن المفروض في سلطته انها موافقة كل الموافقة لما تقتضيه مصالح المجتمع[4] . فلا واجبات اذن على الولي .

١) الحق العائلي : المادة ٢٤٦

٢) القانون المدني : المادة ٣٨٩

٣) القانون المدني : المادة ٣٨٩ والمواد ٤٦٩ و٤٧١-٤٧٥

٤) الشرع الروماني Girard, *Droit Romain*, p. 145

ولا نصّ في الكتب الفقهية الاسلامية يظهر بوضوح وشمول جميع واجبات الاب ، بل النصوص متفرقة في فصول عديدة ، مخبأة في زواياها ، يتعسر الوصول اليها . وما عثرنا عليه منها قليل جداً ، يستفاد منه ان سلطة الاب على اموال ابنه واسعة جداً ، لا تحدها واجبات صارمة ولا قوانين معينة ، فلا مراقبة على الاب ، ولا واجب عليه في ان يقدم حساباً لاحد ، ولا ضرورة شرعية لاستثمار اموال الصغير استثماراً مفيداً . فالشرع الاسلامي قريب ، من هذا القبيل ، الى الشرع الروماني .

تقتصر واجبات الاب على النقاط الآتية :

١ً ــ ان يفي ديون ابنه من مال ابنه[1] . وان يستوفي ديون ابنه كما له كانت ديونه الخاصة[2] .

٢ً ــ ان يحفظ ما يكسبه ابنه القاصر او ابنته القاصرة ، فينفق عليهما منه ، ويبقي الجزء الآخر لهما فيسلمها اياه عند بلوغهما[3] . واذا كان الاب مبذراً بمال ابنائه انتزع منه القاضي سلطته واعطاها لغيره كما سنبين ذلك في حينه[4] .

فلا يسعنا بعد هذا ، الّا الاعتراف بان في الشرع الاسلامي مجالاً واسعاً لتلاعب الاولياء باموال الصغار الابرياء !

الفصل الرابع

حقوق الولي

قلنا سابقاً ان حقوق الولي متسعة جدّ الاتساع . فلنستعرضها الآن ، ولنحللها في جميع الاعمال التي يمكن ان يقوم بها الولي .

١ ــ ولاية الاقراض

اختلف علماء الشرع في منح حق الاقراض للاب . فمنهم من قال ان الاب

١) السرخسي ٢٠ : ١١
٢) السرخسي ٢٣ : ١٤
٣) الاحكام الشرعية : المادة ٤٠٦
٤) الاحكام الشرعية : المادة ٤٣٥

يستطيع ان يقرض مال ابنه ، ومنهم من رفض ان يعطيه هذا الحق ، ووفق السرخسي بين المذهبين المختلفين فقال ان الاب قادر على قرض مال ابنه للغير على ان يتمكن استرداده متى شاء.[1] . وتبعت « الاحكام الشرعية » رأي السرخسي ، فجاء فيها: « لا يملك الاب اقراض مال ولده الصغير ، ولا اقتراضه ولا هبة شيء منه ولو بعوض ، وله اعارته حيث لم يخشَ الضياع ولا التلف.»[2] اما الصغير ، فاذا استقرض شيئاً بلا اذن وليه فاتلفه ، فلا ضمان عليه . واذا استقرض باذن وليه فعليه الضمان[3].

وفي القانون الافرنسي لا يستطيع الولي ان يقرض مال ابنه — اذا كانت قيمته تبلغ ٧٥٠٠ فرنك — الّا بعد موافقة المحكمة. ولا يستطيع ان يستقرض مالًا لابنه الّا اذا وافقت عليه المحكمة كذلك. ولا توافق المحكمة الّا اذا كان في الاقراض او الاستقراض نفع ظاهر للصغير او ضرورة قصوى[4].

٢ – ولاية البيع

يستطيع الاب ، ان كان حسن الرأي والتدبير ، ان يبيع عقار ابنه ومتاعه. وان كان فاسد الرأي، سيء التدبير ، فلا يجوز له بيع عقار ولده الصغير الّا اذا كان هذا البيع خيرًا على الصغير — والخيرية ان يبيعه بضعف قيمته ، فان باعه باقل من ضعفها فسد البيع وحق للولد ان ينقضه بعد البلوغ[5] — وحتى اذا كان مشهورًا بحسن التدبير ، وباع متاعاً لابنه بفاحش الغبن فسد بيعه ، وما استطاع الولد ان يجيزه بعد البلوغ . وان باعه بغبن يسير او بقيمة المثل صح البيع[6] . وفي حال بيع الاب متاع ابنه بغبن فاحش ، يستطيع الاب والابن ان يبطلا العقد في المستقبل[7]

١) السرخسي : ٢١ : ١٠٣
٢) الاحكام الشرعية : المادة ٤٣٨
٣) الاحكام الشرعية : المادة ٤٨٨
٤) القانون المدني : المادتان ٤٥٧ و٣٨٩
٥) الاحكام الشرعية : المادة ٤٣٤ ؛ والبستاني ص ١٥٧
٦) الاحكام الشرعية : المادة ٤٣٣
٧) البستاني ص ٨٣ ؛ وكبار ص ٤٢١ (عن ادب الاوصياء) .

وللاب ان يبيع ماله لولده اذا شاء ، غير ان الابن لا يعتبر قابضاً للملك بمجرد البيع . حتى اذا هلك الملك قبل التمكن من قبضه حقيقةً ، يهلك على الاب لا على الولد[1] .

وكذلك يجوز للاب ان يبتاع لنفسه مال الصغير ولكنه لا يبرأ من الثمن حتى ينصب القاضي لولده وصياً يأخذ الثمن من ابيه ثم يرده اليه ليحفظه للصغير[2] .

وفي القانون الافرنسي يجوز بيع مال الصغير لابيه ، وبيع مال الاب لابنه ، ولا يجوز ذلك للوصي[3] .

وان باع الاب المسلم داراً لابنه فاذا هي لابن آخر ، جاز البيع . ويجوز ذلك ايضاً للوصي ، ولا يجوز للقاضي[4] .

٣ – ولاية الشراء

ان اشترى الوالد لولده شيئاً بفاحش الغبن جاز العقد على نفسه لا على ولده ، واعتبر هو مشترياً[5] . وهذا جزاء الاب المتلاعب باموال ابنه ، غير المهتم للتصرف بها على افضل وجه . وربما كان هذا العقاب صارماً لدرجة لا يستحقها جميع الآباء ، غير انه نافع . وعلى كل حال ، فالقانون الافرنسي يفضل هنا على الشرع الاسلامي ، لانه يتقي الشر من اصوله ، فلا يجيز للاب ان يبيع مالاً او يشتري مالاً لابنه الا بعد موافقة المحكمة ، كما سبق وقلنا . فاذا وافقت المحكمة ارتفعت المسؤولية عن الاب .

ويجب ان ندرك هنا معنى الشراء ، فالمقصود فيه شراء العقار او المنقولات لصغير غني . اما اذا كان الصبي فقيراً ، واشترى له والده شيئاً ، فهو غير مسؤول على ما اشتراه ، ولا يمكن اعتبار عمله ، في اية حالة كانت ، غبناً للصغير ، ان هو الا انعام عليه او قيام بواجب النفقة نحوه . غير ان ، في الاشياء التي يشتريها الوالد

١) الاحكام الشرعية : المادة ٦٢٦
٢) السرخسي ٢١ : ١٠٣ ؛ والاحكام الشرعية : المادة ٦٢٦
٣) Argument « a contrario » tiré de l'article 450
٤) كبار ص ٤٨٧ (عن ادب الارصاء) .
٥) الاحكام الشرعية : المادة ٦٢٣

لابنه الفقير ، ما هي واجبة على الاب لوجوب النفقة ولانها من النفقة نفسها كشراء الطعام والكسوة ، وما هي غير واجبة على الاب لانها ليست من النفقة الضرورية بل من الكماليات. فاذا اشترى الاب لابنه شيئاً مما هو واجب عليه ، ثم اراد ان يرجعه لمن ابتاعه منه ، فليس له ذلك[1]. واذا كان ما اشتراه شيئاً مما لا يجب عليه استطاع ان يرجعه ، ان « أشهد »[2] .

٤ – ولاية الرهن

كما انه يجوز للاب ان يبيع اموال ابنه او يشتري له مالاً جديداً (ولفظة مال تستعمل في الاصطلاحات الشرعية بمعنى « ملك ») ، كذلك يحق له ان يرهن ملكاً بمال الصغير ، ان كان هذا الملك ذا قيمة تفوق القيمة المالية التي يقدمها[3]. ولا فرق بين ان يكون صاحب الملك المرهون رجلاً غريباً ، او الولي نفسه ، او صغيراً آخر واقعاً تحت ولايته.[4]

يحق للاب ان يرهن من نفسه متاع الصغير ، وان لم يكن للصغير في ذلك منفعة ظاهرة ، لان الاب غير مهتم باعزاز نفسه على الولد.[5] ويحق له كذلك ان يرهن ملكاً لابنه بمال يتقاسمه وابنه[6] ، وعلى مثل هذه الاحكام نبني قولنا ان ولاية الاب في المال جد متسعة في الشرع الاسلامي. وليس ذلك فحسب ، بل ان الاب الفقير ، او الأب الموسر المدين ، يحق له ان يرهن متاعاً للصغير ليكفل دينه . هكذا رأى الامام ابو حنيفة ، وهذا هو الرأي المتبع والمفتى به ، بالرغم من معارضة ابي يوسف المستندة الى ان الاب في هذه الحال يصرف مال ابنه لمنفعة نفسه ، وذلك لا يجوز[7]. وان حدث فيما بعد خلاف بين الصغير والولي يقام عن الصغير وصي[8].

١ و٢) كبار ص ٤٦٠–٤٦١ ؛ والاحكام الشرعية : المادة ٤٣٠
٣) السرخسي ٢١ : ١٠٢
٤) السرخسي ٢١ : ١٠٢
٥) السرخسي ٢١ : ١٠٢ ؛ والاحكام الشرعية : المادة ٤٢٧
٦) السرخسي ٢١ : ١٠٢
٧) السرخسي ٢١ : ١٠٢
٨) البستاني ص ١٦٠ (من الفتاوى الولوالجية).

والشارع الافرنسي يتلافى جميع هـذه المشاكل ، كما ذكرنا مرارًا عديدة ، لانه يضطر الاب الى عدم القيام بعمل مالي مهم متعلق بابنه الا بعد موافقة المحكمة عليه .

٥ – حق الاب في قبول الحوالة على دين ابنه

اذا كان للصبي دين لم يباشر ابوه عقده بنفسه ، فليس له ان يحتال به (اي ان يقبل حوالته) الا اذا كان المحال عليه املأ من المحيل لا دونه ولا مثله . وان كان الاب هو الـذي باشر عقد الدين بنفسه ، جاز له ان يقبل الحوالة على من هو مثل المحيل او دونه في الملاءة[1] .

٦ – مقدرة الاب على مصالحة خصم ولده

الصلح اتفاق ودي بين المدعي والمدعى عليه . ولا يجوز للصغير ان يتولى صلح خصمه لانه جاهل . انما يجوز ذلك للاب والجد ووصيهما ومن يتولى غيرهما ، ولا يجوز للام او الاخ[2] .

ان كان الصغير مدعى عليه وصالح وليُّه خصمه على قيمة من المال ، جاز الصلح ان كان للمدعي حق في دعواه ، وان لم يكن للمدعي حق لم يجز الصلح الا اذا قدم الاب شيئاً من ماله الخاص . ولو ادعى الولي حقاً للصغير ثم صالح المدعى عليه وقبض منه مالاً يعادل حق الصبي او يقل عنه « بما يتغابن الناس فيه » جاز صلحه ؛ وان كان المال اقل من الحق بشيء كثير لم يجز ، لان الاب في هذا الصلح كأنه يبيع مال الصغير بغبن فاحش . وان لم يكن للصغير بينة على حقه جاز الصلح مهما كانت قيمة المال لان الاب في ذلك « جعل مالاً بمقابلة ما ليس بمال . »[3]

وان كان خصم الصغير مجرماً ، وادعى عليه الولي لانه الحق ضررًا بنفس من له عليه الولاية ، فيجوز له ان يستوفي منه القود ؛ ويجوز له مصالحة الخصم « لأن المقصود من القود تشفي الغيظ ، وذلك يحصل للصبي في الثاني اذا عقل (اي بعد بلوغه) ، واذا صالح على الدية تصل اليه منفعته في الحال . ثم هو

١) الاحكام الشرعية : المادة ٦٣٩

٢و٣) السرخسي ٢٠ : ١٧٨

بالصلح يجعل ما ليس بمال من حقه مالاً .»[1] انما يجب على الاب ان لا يحط عن خصمه شيئاً من الدية « لأن الدية مقدرة شرعاً » فمصالحته اذن تمنع الالتجاء الى المحكمة لا غير[2].

٧ – حالة خاصة

ان كان الاب والابن يكتسبان في صنعة واحدة ، ولم يكن لهما مال ، فالكسب كله للاب اذا كان الابن في عياله ، حتى انه لو غرس شجرة تكون لابيه. انما لذلك شروط ثلاثة ، اذا عدم واحد منها رجع كسب الابن له :

أ ــ اتحاد الصنعة .

ب ــ كون الابن في عيال ابيه .

ج ــ عدم مال سابق[3].

الفصل الخامس

زوال الولاية في المال

تزول الولاية في المال في كل من الحالات التالية :

١ً – موت الصغير

٢ً – موت الولي

وفي هذه الحالة تنتقل الولاية الى من يليه ، حسب الترتيب المثبت سابقاً . فان كان الولي الميت هو الاب ، ومات مجهلاً مال ابنه ، فلا يضمن ورثته منه شيئاً . اما اذا مات غير مجهل مال ابنه ، فالولد اخذ ماله ان كان موجوداً ، وذلك بعد الرشد ، او بمساعي وليه الجديد ، واذا لم يكن المال موجوداً اخذ بدله من التركة[4].

٣ً – انتزاع الولاية في المال

اذا كان الاب مبذراً ، متلفاً مال ولده ، غير امين على حفظه ، فللقاضي ان ينصب وصياً وينتزع المال من يد ابيه ويسلمه الى الوصي ليحفظه الى وقت

١ و٢) السرخسي ٣١ : ١٤

٣) البستاني ص ١٦١ (عن الفتاوى الخيرية) .

٤) الاحكام الشرعية : المادة ٣٠١

الحاجة او الى اوان بلوغ الصبي وثبوت رشده[1] . ولو مات الاب المبذر الذي انتزعت منه السلطة ، وكان قد اوصى قبل موته الى رجل ليكون ولياً على ولده ، فتصح وصيته كما لو كان رشيداً ، « لان التبذير لا يسلب شفقته على الصغير »[2]. ويقضي القانون المدني الافرنسي بان الولاية في المال تنزع في حالات اربع : جنون الاب ، الحكم عليه بالسجن على اثر جريمة ارتكبها ، غيابه ، انتزاع القاضي لسلطته . وهذه الحالة الاخيرة تختلف عن الحالات الثلاث السابقة بانها تحتاج الى دعوى ، اما الحالات السابقة فتنزع فيها السلطة دون الالتجاء الى المحاكم . ويستطيع القاضي ان ينزع السلطة من الولي المبذر لاموال الصغير او المهمل في استعمالها واستثمارها ويمنحها للغير . اما الذين يحق لهم في الادعاء على الولي ، فالام ، وان لم تكن الام او كانت وامتنعت ، فاي قريب آخر يغار على مصلحة الصغير ، والنيابة العامة[3].

٢ – الاذن

السبب العادي لزوال الولاية في المال هو بلوغ الصغير . انما يحق احياناً ان يسلّم الصغير ماله قبل البلوغ ، ان كان « مأذوناً » .

أ ــ تحديد الاذن : « الأذن هو فك الحجر واسقاط حق المنع ، ويقال للصغير الذي أذن مأذون. »[4]

ب ــ انواع الاذن : الاذن على نوعين ، احدهما خاص والثاني عام . فاذا سمح الولي للصغير بالقيام بعمل ما دون غيره ، كأن يأذن له في شراء شيء معين كان اذنه خاصاً ، وانتهى بانتهاء المهمة التي انتدب الصغير لاتمامها ، لانه « يُعد من قبيل استخدام الصغير توكيلاً على ما هو المتعارف والمعتاد. »[5] وهذا النوع من الاذن هو المقصود في المادة ٩٦٦ من المجلة : « لا تصح تصرفات غير المميز

١) الاحكام الشرعية : المادة ٤٢٥ ؛ وكبار ص ٤١٥ (نقلاً عن الدر المختار) .

٢) كبار ٤١٥ (نقلاً عن الدر المختار) .

٣) القانون المدني : المادة ٣٨٩ ؛ والقانونان الصادران في ٢٤ تموز ١٨٨٩ و١٥ تشرين الثاني ١٩٢١

٤) ملتقى الابحر ١٧٣–١٧٣ ؛ والمجلة : المادة ٩٤٢

٥) المجلة : المادة ٩٦٩

القولية وان أذن له وليه . » اما النوع الثاني من الاذن — وهو الذي يعنينا الآن — فالسماح للصغير بالتصرف بامواله ، سماحاً يمتاز بامرين : الامر الاول هو انه لا « يتوقت » ، فلو أذن للمحجور يوماً او شهراً ، فهو مأذون دائماً ، الى ان يحجر عليه ثانية ؛ والامر الثاني هو انه لا يتخصص ، فاذا أذن للمحجور في نوع من التجارة ، كان مأذوناً في سائر الانواع ، واذا اذن له بالتجارة في محل معيّن عُدَّ مأذوناً في كل مكان[1] . غير ان للولي الحق ان يجرب الصغير قبل اذنه له ، فاذا تحقق رشده سلم اليه باقي امواله واذنه اذناً نهائياً[2] .

ج — شروط صحة الاذن : يجب في الاذن ان يكون من يعطيه ولياً ، ومن يُعطى اليه مميزًا رشيدًا ، وان يبلغ خبر الاذن للصغير . فلو تصرف الصغير قبل وصول خبر اذنه اليه فتصرفه غير نافذ[3] . واذا امتنع الولي من اذن صغير مستحق ، فللحاكم ان يتولى الأذن اذا رأى فيه منفعة ، ولا يحق للولي ان يرجع بعد ذلك فيحجر الصغير[4] .

د — تصرفات المأذون : ان الصغير المأذون يعتبر بالغاً في تصرفاته مع غير مَن اذنه . اما تصرفاته مع مَن اذنه ، فتبقى على حكم ما لو اجراها ذلك الآذن بنفسه[5] .

ه — الاذن دلالةً . كما يكون الاذن صراحة يكون دلالة ايضاً . فلو رأى الوليُّ الصغيرَ المميز يبيع ويشتري ولم يمنعه وسكت ، يكون قد اذنه دلالةً — (autorisation tacite) .

و — حجر الصغير المأذون : للولي ان يبطل الاذن ويحجر الصغير ولكن يُشترط ان يحجره على الوجه الذي اذنه به . فلو كان قد اذنه اذناً عاماً فصار

---

١) ملتقى الابحر : ١٧٣–١٧٤ ؛ وقدوري ٧٧ ؛ والمجلة : المادة ٩٧٠

٢) المجلة : المادة ٩٦٨

٣) كسار ٤٥٧ (عن ادب الاوصياء) ؛ والمجلة : المادة ٩٧٤ ؛ والبستاني ١٦٦ (عن الهندية) .

٤) المجلة : المادة ٩٧٥

٥) كسار ص ٤٥٨ ؛ والمجلة : المادة ٩٧٢

ذلك معلوماً لاهل سوقه ثم اراد ان يحجر عليه ، فيشترط ان يكون الحجر عاماً من حيث يصير معلوماً لاكثر اهل ذلك السوق ، ولا يصح الحجر بحضر رجلين او ثلاثة في دار الولي[1] . وان كان الصغير مأذوناً من حاكم ، فلا يُحجر عليه الا من ذلك الحاكم او من خَلَفه ، وليس لابيه او غيره من الاولياء ان يحجروا عليه عند موت الحاكم او عزله[2] .

ز ــ بطلان الاذن : يبطل الاذن بوفاة الولي الآذن الا اذا كان حاكماً[3] .

في الشرع الروماني ، يجب على الاب الذي يريد ان يحرر ابنه ، ان يبيعه ثلاث مرات متوالية الى رجل غريب ، ويتفق والغريب على ان يرد الصبي اليه بعد المرة الثالثة ، فحينئذ يحق للاب ان يمنح ابنه حريته التامة[4] .

وفي القانون الافرنسي لا يحق للولي ان يأذن الصغير قبل بلوغه الخامسة عشرة ؛ وللقاضي حق التدخل في ابطال الاذن ان ثبت له انه مضر بمصالح الصغير او ان المأذون يبذر امواله[5] . ولا ينعم المأذون بجميع الحقوق التي ينعم بها البالغ بل يقام عليه وصي (curateur) هو غير الوصي العادي (tuteur) يرشده في الامور الهامة ويتدخل في تصرفاته المالية الخطيرة كبيع المنقولات واستثمار الاموال ، وقبول الهبات ، والمرافعة امام المحاكم بدعوى متعلقة بالعقارات وتنظيم القسمة ان كان الصغير شريكاً مع غيره في اموال تقسم بينهم[6] . وللمحكمة حق التدخل في امور اخرى هي على جانب كبير من الخطورة كبيع العقارات ، ورهنها ، والصلح في الدعاوى المالية[7] .

ه ــ البلوغ

ليس من الضروري ان تبطل الولاية في البلوغ ، فقد يبلغ الصغير معتوهاً ،

---

١) المجلة : المادة ٩٧٣

٢) المجلة : المادة ٩٧٧

٣) المجلة : المادة ٩٧٦

٤) الشرع الروماني في Girard, p. 198

٥) القانون المدني : المادتان ٤٧٧ و٤٨٥

٦) القانون المدني : المواد ٤٨٢ و٨٤٠ و٩٣٥ و٨٣٨

٧) القانون المدني : المادتان ٤٨٣ و٤٨٤

ولا يجوز ان تسلم اليه امواله ، بل يبقى تحت الحجر . ويرى ابو حنيفة ان الحد الاقصى هو سن الخامسة والعشرين ، فاذا بلغ الصبي سن الخامسة والعشرين سلم جميع امواله ، وان لم يؤنس منه الرشد . اما محمد وابو يوسف فيذهبان الى ان السفيه يبقى محجوراً الى ان يؤنس منه الرشد ، ولا يسلم ماله اليه قبل ذلك ، وهذا هو الرأي المفتى به[1] .

ولذلك « فلا ينبغي ان يُستعجل في اعطاء الصبي ماله عند بلوغه ، بل يجرَّب بالتأني ، فاذا تحقق كونه رشيداً تدفع حينئذٍ اليه امواله »[2] .

وان ادعى البالغ برشده وانكره الولي ، فلا يؤمر بتسليم المال اليه ما لم يثبت رشده بحجة شرعية . فاذا كان له ذلك وامتنع الولي بتسليم المال ، ثم هلك المال ، فالولي يضمنه[3] . اما اذا ظهر رشد الغلام قبل بلوغه ، او ظهر بعد بلوغه ، ودفع الولي اليه ماله فاضاعه ، فلا ضمان على الولي[4] .

وان بلغ الولد رشيداً وطالب بماله فادعى ابوه ضياعه او انفاقه عليه نفقة المثل في مدة صغره ، وكانت المدة تحتمله ، فيصدق الاب ان اقسم اليمين[5] . ولا يسعنا هنا الا ان نستغرب اتساع سلطة الاباء المسلمين ، خصوصاً اذا قابلناها بغيرها من السلطات الممنوحة في الشرائع الغربية . فالحق الارثوذكسي يفرض على الاب وجوب تقديم حساب سنوي كما ذكرنا ، ويمنح الابن حق الادعاء عليه بدعوى « تقديم الحساب » ، فان ثبت ان الاب سلب من مال ابنه غُرِّم بضعف ما سلبه[6] .

وفي القانون المدني الافرنسي ، يصبح البالغ حرّاً ، ولا يحق للولي ان يتدخل بعد في الشؤون المالية ، الا اذا كان معتوهاً او مبذّراً[7] .

---

١) قدوري ٤٧-٤٨ ؛ والمجلة : المادة ٩٨٢ ؛ والاحكام الشرعية : المادة ٦٩٦

٢) المجلة : المادة ٩٨١

٣) الاحكام الشرعية : المادة ٦٨١

٤) الاحكام الشرعية : المادة ٦٨٠

٥) الاحكام الشرعية : المادة ٦٣٢

٦) الحق العائلي : المادتان ٢٤٩ و٢٥٠

٧) القانون المدني : المواد ٣٨٨ و٤٩٩ و٥١٣ وغيرها .

الباب الرابع

النفقة

الفصل الاول

احكام عامة

١ – اهمية درس النفقة

تناولنا في الابحاث السابقة درس علاقات الابناء بوالديهم من حيث النفس والمال ، فلم يبقَ لنا الّا ايضاح نقطة هامة تمت بصلات الى ولاية الآباء المزدوجة ، وهي جمع الاحكام المختصة بالنفقة وتنظيمها من حيث يظهر بوضوح ما يترتب للابناء على والديهم وللآباء على ابنائهم . ولا شك في ان البحث في النفقة ضروري للالمام بجميع احكام السلطة الابوية ، فان له فوائد عملية قد تفوق على فوائد اي باب آخر من هذا الدرس .

٢ – تحديد النفقة

النفقة لغةً ما ينفقه الانسان على عياله . وشرعاً هي الطعام والكسوة والسكنى . وتستعمل احياناً بمعنى الطعام وحده ، ولذا يعطفون عليها الكسوة والسكنى ليتم المعنى المقصود[1] وفي الافرنسية تسمى النفقة طعاماً (aliments) ، ويسمى الواجب بتقديمها (obligation alimentaire) وقد حددت في كتب القانون : النفقة مبلغ من المال يحتاج اليه شخص فقير ليعيش عيشة متناسبة مع مركزه الاجتماعي[2] .

وتمتاز النفقة عن غيرها من علاقات الابناء بالآباء انها متبادلة بينهم جميعاً ، فكل فريق مضطر الى تقديم النفقة للفريق الثاني المحتاج اليها .

---

١) ابن عابدين ٢ : ٦٦٨ ؛ وقدوري ٩٥ ؛ وكبار ١٥

٢) Colin et Capitant, *Droit civil*, I, 37 ;

٣ – اساس النفقة

من العدل ان يتعاون الآباء والابناء في اسباب معيشتهم لان الصلات التي تربطهم وثيقة ، والواجبات المفروضة عليهم ناتجة عن حنوّهم وضرورة تكاتفهم . فالاب مضطر الى تقديم نفقة ابنه لانه هو علة وجوده ، والابن مضطر الى تقديم النفقة لوالديه لان لهما عليه افضالاً مادية وادبية لا سبيل لنكرانها . غير ان الشارع المسلم يبني احكام النفقة على اساس آخر فيقول : « النفقة تجب على القريب لقريبه باعتبار الحاجة والكفاءة ، وتجب على الزوج للزوجة معاوضةً عن الاحتباس . ولهذا ، لو سرقت نفقة القريب قبل مضي الوقت يعطى له غيرها . اما لو سرقت نفقة الزوجة فلا يعطى لها غيرها ما لم يمض الوقت . »[1] فالفرق اذن اساسي بين حالة الزوجة وحالة الابناء ، وما من شك ان هذه النظرة لحالة الزوجة لا تعطيه الاعتبار الذي تستحقه :

٤ – لمن تلزم النفقة

« نفقة الغير تجب على الغير باسباب ثلاثة : زوجية ، وقرابة ، وملك . »[2] ولا اهتمام لنا الآن بالنفقة على الزوج والعبد ، ولذا فنحن لا نتعرض الا للاصول والفروع . قال ابن عابدين :

« تجب النفقة بانواعها الثلاثة على الحر لطفله ذكرًا كان او انثى منذ يسقط من بطن امه الى ان يحتلم »[3] . وتجب للولد الكبير العاجز عن الكسب كالانثى مطلقاً ، والزمِن ، ومن يلحقه العار بالتكسب ؛ ولا نفقة على الحر لاولاده من الامة ولا على العبد لاولاده ولو من حرة . وعلى الكافر نفقة ولده المسلم . واذا « نشزت » البنت عن طاعة زوجها ، فتجب نفقتها عند بعض الائمة ، ولا تجب عند غيرهم . اما طلاب العلم ففي النفقة عليهم تردد « لفسادهم في هذا الزمان » ، والافضل ان لا ينفق على ذوي الرشد المشتغلين بالادب والفقه[4] .

---

١) كبار ٢٩ (نقلاً عن رد المحتار) ؛ وقدوري ٩٥ ؛ وابن عابدين ٢ : ٧٣٩

٢) ابن عابدين ٢ : ٦٦٨

٣) ابن عابدين ٢ : ٧٢٧

٤) ابن عابدين ٢ : ٧٣٩ و ٧٣٠

واذا اعتبرنا من وجه آخر ان للوالدين حقاً بالنفقة ، ونظرنا الى حالة شخص ما ، فلا يمكن الّا ان يكون في احدى الحالتين : له قريب واحد يحتاج الى نفقة ، او اقارب عديدون . ففي الحالة الاولى لا صعوبة في تعيين من يستحق النفقة ، فهو القريب الوحيد[1] . وفي الحالة الثانية لا يكون جميع الاقارب على درجة واحدة من حيث استحقاقهم ، بل هم متفاوتون في ذلك . ويجب ان نفرض وقوع احوال سبع لنُلمّ بالموضوع من جميع اطرافه[2] :

١ً – الفروع

اذا لم يكن للرجل الا فروعه ، اعتبر فيهم الاقرب فالاقرب ، ولا عبرة للارث في اسبقيتهم . فان كان لرجل ولدان احدهما نصراني او انثى وثانيهما ذكر ومسلم تجب عليه نفقتهما على حد سوي مع انهما مختلفان من حيث الميراث . وان كان له ابن وابن ابن وجبت عليه نفقة الابن لقربه . وان كان له بنت وابن وجبت عليه نفقة البنت .

٢ً – الفروع والحواشي

اذا كانوا فروعاً وحواشي يعتبر القرب والجزئية دون الارث ، وتسقط الحواشي بالجزئية ، ففي بنت واخت شقيقة تسقط الاخت . وان كان للرجل ابن نصراني واخ مسلم فيسقط اخوه .

٣ً – الفروع والاصول

اذا كانوا فروعاً واصولاً فيعتبر قرب الجزئية . فان لم يوجد اعتبر الترجيح . فان لم يوجد اعتبر الارث .

٤ً – الفروع والاصول والحواشي

حكمهم كحكم الفروع والاصول لسقوط الحواشي بالفروع ، فكأن لم يوجد سوى الاصول والفروع ، وهي الحالة الثالثة نفسها .

---

١) كبار ٢٥ (عن ابن عابدين)

٢) كبار ٢٥ و٢٦ و٢٧ و٢٨ (نقلاً عن ابن عابدين)؛ وملتقى الابحر ٧٥ ؛ وقدوري ٩٧ والاحكام الشرعية : المادتان ٩٩٥ و٩٣٦ ؛ وابن عابدين ٧٣٠ و ٧٣١

٥ً – الاصول وحدهم

ان كان مع الاصول اب فتجب النفقة عليه وحده . والّا فلا يخلو من ان يكون بعض الاصول وارثاً وبعضهم غير وارث ، او يكونوا كلهم وارثين . ففي الاول يعتبر الاقرب جزئية . فلو كان للرجل ام ، وجد لأم ، فعلى الام لانها اقرب . واذا اجتمع اجداد وجدات فعلى الاقرب ولو لم يُدلَ به الآخر . وان تساوى الوارث وغيره في القرب فيرجح الوارث . وان كان كل الاصول وارثين فالنفقة كالارث .

٦ً – الاصول والحواشي

ان كان احدهما غير وارث اعتبر الاصول وحدهم ترجيحا للجزئية ، ولا مشاركة في الارث حتى تعتبر بقدر الميراث فيقدم الاصل ، سواء اكان هو الوارث او كان الوارث الصنف الآخر الذي هو معه . وان كان الاصول والحواشي ورثة اعتبر الارث . واذا تعددت الاصول في هذا القسم بنوعيه اعتبرناهم كاعتبارنا للحالة الخامسة .

٧ً – الحواشي

اذا كان الاقارب حواشي فقط اعتبر فيهم اهلية الارث لا حقيقته .

الفصل الثاني

النفقة على الابناء

١ً – من يجبر بتقديم النفقة

نفقة الطفل الفقير على ابيه وحده . فاذا مات الاب او كان معسراً انتقلت الى غيره[1] . وللامّ ان تقبض نفقة ابنائها من زوجها ، فاذا مات الزوج قبل ان تقبض منه النفقة ، وكانت النفقة مستدانة بامر القاضي ، يكون للام الرجوع بها في تركته كما ترجع بها عليه لو كان حياً . وان لم تكن مستدانة بامر القاضي فتسقط بانفاق الاب لها[2] . وقد ورد في البخاري : « اذا لم يُنفق الرجل ، فللمرأة

١) قدوري ٦٦ ؛ وملتقى الابحر ٧٤ ؛ والاحكام الشرعية : المادة ٣٩٧
٢) الاحكام الشرعية : المادة ٤٠٧ .

ان تأخذ بغير علمه ما يكفيها وولدها بالمعروف.»[1] فلها اذن الحق في سرقة النفقة من زوجها دون ان يتعرض القاضي لها بالعقاب . غير انا لم نعثر في الكتب الفقهية التي رجعنا اليها على نص يتفق وهذا الحديث . اما اذا لم تشأ الام ان تلجأ الى المحاكم ولا الى السرقة ، وكان زوجها لا يريد ان يقدم النفقة ، فيمكنها ان تفاوضه في ذلك وتصالحه . فان كان ما اصطلحا عليه اكثر قيمة من النفقة وكانت الزيادة يسيرة تدخل تحت التقدير ، فهي عفو . وان كانت لا تدخل تحت التقدير فتطرح عن الاب . اما اذا كان المصالح عليه اقل من مقدار النفقة بحيث لا تكفي الابناء ، فيزيدها القاضي بحسب الكفاية[2] . وفضلاً عن هذه الوسائل المختلفة التي يحق للمرأة ان تستعملها ، فهي تقدر ايضاً على الاستدانة على زوجها ومطالبته بوفاء هذا الدين[3] .

وان لم يكن للاب مال للقيام بنفقة اولاده ، فعليه «بيع عقاره وارديته وثيابه للقيام بها لانه غني بهذه الاشياء.»[4] . وان لم يكن له عقار ولا اردية يمكنه الاستغناء عنها ولم يكن فيه زمانة تمنعه عن الكسب ، فلا يسقط عنه واجب الانفاق على اولاده لمجرد اعساره . بل يتكسب وينفق عليهم بقدر الكفاية . فان ابى ، مع قدرته على الاكتساب ، أُجبر على ذلك وحُبس في نفقة ولده . فان لم يكفِ اكتسابه لعدم تيسر أمر القريب بالنفقة نيابةً عنه ليرجع عليه في المستقبل[5] . فان كان الاقارب اصولاً وكان بعضهم وارثاً للاب والآخر غير وارث ، وتساووا في القرب والجزئية ، رُجح الوارث ولزمته نفقة الصغير . وان لم يتساووا في القرب والجزئية يعتبر الاقرب جزئية وتلزمه النفقة . وان كان جميع الاصول وارثين فالنفقة عليهم جميعاً بقدر استحقاقهم في الارث[6] . اما اذا كان

---

١) البخاري ، ٦ : ١٨٤
٢) الاحكام الشرعية : المادة ٤٠٦ ؛ وكبار ص ٢٩
٣) ابن عابدين ٢ : ٧٢٨
٤) ابن عابدين ٢ : ٧٢٨ ايضاً
٥) الاحكام الشرعية : المادة ٣٩٨ ؛ وابن عابدين ٢ : ٧٢٨
٦) ابن عابدين ٢ : ٧٢٨ ؛ والاحكام الشرعية : المادة ٤٠٠

الاقارب بعضهم اصولاً وبعضهم حواشي وكان احد الصنفين وارثاً والثاني غير وارث ، اعتبر الاصل لا الحاشية سواء اكان هو الوارث ام لا . فلو كان للولد جد لأب واخ شقيق فنفقته على الجد. ولو كان له جد لأم وعم فنفقته على الجد لأم . وان كان كل من الاصول والحواشي وارثاً ، يعتبر الارث ، وتجب عليهم النفقة على قدر استحقاقهم[1] .

وان كان الاب غائباً ، وله اولاد تجب عليه نفقتهم ، وكان له مال عندهم من جنس النفقة ، او كان له مال مودع عند احد او دين عليه ، وهو من جنس النفقة ، فللحاكم ان يأمر بالانفاق من هذه الاموال. وان لم يكن المال من جنس النفقة كأن يكون عقاراً او عروضاً فلا يباع منه شيء بالنفقة بل تؤمر الام بالاستدانة عليه. وللولد الذي فقد امه ان ينفق من مال ابيه الغائب بلا قضاء[2] .

اما اذا كان الاب الغائب فقيراً ، فعلى الام الموسرة ان تقدم النفقة . او لا ، فيجبر الاخ على نفقة اخيه ، ثم الاقارب الباقون ، ويرجعون في ذلك على الاب[3] .

هذا اذا كان الولد صغيراً لم يبلغ بعد. اما اذا بلغ حد الاكتساب ، وكان ذكراً فللاب ان يؤجره او يدفعه لحرفة ليكتسب ، فينفق عليه ابوه من كسبه ويحفظ ما فضل منه ليسلمه اليه بعد بلوغه . وان لم يفِ كسب الغلام فعلى ابيه تمام الكفاية. ويدفع الكسب الى رجل امين ليحفظه ، ان كان الاب مبذراً[4] . وللاب ان يدفع ابنته البالغة حد الاكتساب الى امرأة تعلمها حرفة كالخياطة مثلاً ، وليس له ان يؤجرها للخدمة ونحوها مما فيه تسليمها للمستأجر . ونفقة البنت المكتسبة من مالها الخاص ان كان مالها كافياً لحاجتها ، والّا فعلى ابيها تمامها[5] . وان كان للولد مال غائب فنفقته على الاب الى ان يحضر ماله[6] .

---

١) الاحكام الشرعية : المادة ٤٠١

٢) ابن عابدين ٣ : ٧٢١ ؛ والاحكام الشرعية : المادة ٤٠٢؛ وملتقى الابحر ٧٤؛ وقدوري ٤٦

٣) ابن عابدين ٣ : ٧٢١ ؛ وكبار ٢٨

٤) ابن عابدين ٣ : ٦٩٦ و٧٢٨ ؛ والاحكام الشرعية : المادة ٤٠٤ ؛ وكبار ص١٢ و١٤

٥) ابن عابدين ٣ : ٦٩٧ و٧٢٨ ؛ والاحكام الشرعية : المادة ٤٠٤

٦) ابن عابدين ٣ : ٧٢٨

والابنة البالغة ، والابن البالغ العاجز عن الكسب يستحقان النفقة من والديهما ، فتقل على الاب ثلثاها وعلى الام الباقي ، وقيل على الاب كل النفقة ، وهو الرأي المفتى به[1] .

٣ – مقدار النفقة

يجب على الاب ان يقدم لابنائه نفقة المثل . فاذا اشتكت الام من تقتيره فرضها الحاكم عليه وامر باعطائها لزوجته ان كانت امينة ، او باعطائها امينها ، ان لم تكن امينة . ويستطيع ايضاً ان يأمر باعطائها النفقة صباحاً ومساء فلا يمكنها ان تتلاعب بها[2] .

والابن الزمن المريض يحق له مطالبة ابيه بنفقة تكفيه وتكفي اجرة خادم له ، لانه في هذه الحالة محتاج الى من يخدمه[3] .

اما الابن المتزوج ، الذي غاب عن زوجه وولده ، فينتقل واجبه في الانفاق عليهما الى والده[4] . وان كان الابن المتزوج صغيراً عائشاً عند ابيه ولم يقدر ان ينفق على زوجته ، فعلى ابيه تقديم نفقته ونفقة زوجته ان كان قد ضمنها . اما ان لم يكن ضمنها ، فيؤمر بالانفاق عليها ويكون له ذلك الانفاق ديناً يرجع به على ابنه اذا ايسر[5] .

ان جهز الاب ابنته بما يجهز به مثلها ثم زعم انه كان قد اعارها الامتعة ، نظر القاضي الى العرف بين الناس وقضى بموجبه . فان كان العرف مستمراً ان الاب يدفع ذلك الجهاز ملكاً لا اعارة فلا يقبل قوله . والّا فيقبل . وان جهز الاب ابنته باكثر مما يجهز به مثلها فالقول قوله اتفاقاً ، ويرد له جميع الجهاز اذا شاء ، وليس فقط ما زاد فيه على جهاز المثل .[6]

---

١) ملتقى الابحر ٧٥

٢) الاحكام الشرعية : المادة ٤٠٥ ؛ وابن عابدين ٢ : ٧٣٦

٣) قدوري ٩٧ ؛ وابن عابدين ٢ : ٧٣١

٤) ابن عابدين ٢ : ٧٣١

٥) ابن عابدين ٢ : ٦٩٩ . راجع ايضاً ابرهيم الحلبي ٧٥ ؛ والاحكام الشرعية : المادة ٤٠٣

٦) البستاني ١٦٠ (نقلاً عن رد المحتار ، وعن الفتاوى الولوالجية) .

وفي القانون الافرنسي ان الآباء مضطرون الى تقديم النفقة لجميع ابنائهم المحتاجين ، حتى اذا كانوا بالغين . اما مقدار هذه النفقة فلا يقاس بقيمة الكسوة والسكنى والطعام فحسب ، بل بالقيمة التي تمكن الصغار من تلقي العلوم الابتدائية الضرورية والثقافة المتناسبة ومركزهم الاجتماعي[1] . وان كان الاب مقترًا في تقديم النفقة ، فللقاضي الصلح ان يسمح للام باستلام جزء من راتب زوجها الشهري او مدخولاته المتنوعة يكفي للقيام بنفقة اولادها[2] . ويراعى في تحديد قيمة النفقة شيئان مختلفان : حاجة من تجب له ، وثروة من تجب عليه[3] . فان تغيرت نسبة احد هذين العنصرين حق للقاضي ان يغير ايضاً قيمة النفقة فيزيدها او ينقصها[4] .

واما الشرع الروماني فيعترف للابناء بحقهم في طلب النفقة من رب العائلة (pater) فاذا لم يقدمها لهم لجأوا الى القاضي ليحكم لهم بها[5] .

وفي القضاء الارثوذكسي انه يجب على الاب القيام بنفقة اولاده ، فان دعت الضرورة زوجته الى ان تنفق من مالها نفقة المثل لتحسين اعاشة ابنتها ، تقيم الدعوى على الاب مطالبة بما انفقته عليها . والمحكمة الشرعية هي التي تقرر متى تلزم النفقة وتفرض مقدارها بالنسبة الى حالة من تجب عليه ، وهي قابلة للتعديل بالزيادة والنقصان ، بالنظر الى تلون احوال المعيشة رخصاً وغلاء ويسرًا وعسرًا . وعلى المحاكم الاجرائية ان تنفذ هذه الاحكام[6] .

الفصل الثالث

النفقة على الوالدين

كما ان الوالدين مضطران الى تقديم النفقة لاولادهما الصغار ، كذلك يجب على الابناء ان يساعدوا والديهم المحتاجين : « يسألونك ماذا ينفقون قل : ما

١) القانون المدني : المادتان ٢٠٣ و٢١٥
٢) القانون الصادر في ١٣ تموز ١٩٠٧ (المادة ٧)
٣) القانون المدني : المادة ٢١٨
٤) محكمة باريس البدائية : ٢١ كانون الثاني ١٩٣٠
٥) *Droit Romain*, Col. et Gif., 192
٦) الحق العائلي : المواد ١٧٧–١٨١

انفقتم من خير فللوالدين والاقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل ... » — «كتب عليكم اذا حضر احدكم الموتُ ان ترك خيرًا الوصيةُ للوالدَينِ والاقربينَ بالمعروف حقًّا على المتقين.»[1]

٢ — من يقوم بالنفقة على الوالدين

لا يشارك الولد في نفقة ابويه احد ، حتى وان خالفاه في الدين ، وسواء كان كبيرًا او صغيرًا ، ذكرًا او انثى ، او كان ابواه قادرين على الكسب او عاجزين . فالشرط الوحيد في فرض النفقة على الولد هو ان يكون موسرًا ويكون والداه معسرين[2] .

وان كان الاولاد عديدين ، فلا عبرة بالارث في تقسيم النفقة الواجبة عليهم بل تُعتبر الجزئية والقرابة بتقديم الاقرب فالأقرب . فان كان للرجل ابن وبنت موسران فنفقته عليهما ايضاً بالسوية . وان كان له ولدان موسران احدهما مسلم والثاني نصراني او يهودي فالنفقة عليهما ايضاً بالسوية . وان كان له ابن وابن ابن موسران فنفقته على الابن . وان كان الابن غائباً ولا مال له حاضر ، يؤمر ابنه بالانفاق ويُعطى له الحق بالرجوع على ابيه اذا حضر . وان كان له ابن ابن وبنت بنت فالنفقة عليهما بالسوية[3] .

وان كان للابن الغائب مال مودع او دين من جنس النفقة فللقاضي ان يفرض منه النفقة . ولا حق للمودع والمديون ان ينفقا على ابوي الغائب ما لم يحصلا على اذنه او على اذن الحاكم ، والّا ضمنا للغائب ما انفقاه وفقدا حق الرجوع بما انفقاه على الوالدين . ولو انفق المودع وديعته على ابي الغائب بلا امره ثم مات الغائب ولا وارث له غير الاب ، فلا رجوع للاب على المودع[4] .

قلنا يشترط في وجوب النفقة على الابن ان يكون موسرًا ، سواء اكان ابوه قادرًا على الكسب او عاجزًا . فاذا كان الابن معسرًا ، فلا يجبر على نفقة

١) القرآن ٢ : ٢١١ و١٨١

٢) قدوري ٩٧ ؛ والاحكام الشرعية : المادة ٦٠٨

٣) الاحكام الشرعية : المادة ٦١٦ ؛ وكسبار ص ٢٨

٤) قدوري ٩٦ ؛ والاحكام الشرعية : المادة ٦١٢

والديه الّا اذا كان كسوباً وكان ابوه فقيراً زمناً لا قدرة له على الكسب . فحينئذ « يشاركه الاب في القوت ديانةً » . والام المحتاجة بمنزلة الاب الزمن ، ولو لم يكن بها زمانة . وان كان للابن الفقير عيال ، فعليه ان يضم ابويه المحتاجين الى عياله وينفق على الكل . غير انه لا يجبر على اعطائهما شيئاً على حدة[1] .

٢ – من يستحق النفقة

يستحق النفقة جميع الاصول من اباء وامهات واجداد وجدات اذا كانوا فقراء ، حتى وان خالفوا الابن في دينهم .[2] وان كان للمرأة زوج وابن ، فعلى من تجب نفقتها ؟ يميز ابن عابدين في ذلك حالات ثلاث :

أ ــ اذا كانت معسرة تجب النفقة على الابن ، وان لم يكن الاب بحاجة اليها .

ب ــ اذا كانت موسرة وكان الاب محتاجاً اليها فنفقتها على ابنها ايضاً .

ج ــ اذا كانت موسرة ولم يكن الاب محتاجاً اليها أمر الابن بالنفقة ليرجع على ابيه[3] . ولو لم يقدر الاب الا على نفقة احد والديه فالام احق . يُستند في اعطاء هذا الحكم الى حديث نقله ابن عابدين عن احمد وابي داود والترمذي : « يا رسول الله ، من ابرّ ؟ قال : امك . قلت : ثم من ؟ قال : امك . قلت : ثم من ؟ قال : اباك ، ثم الاقرب فالاقرب . » ويعلّل ابن عابدين ذلك بقوله ان الام محتاجة الى النفقة اكثر مما يحتاج اليها الاب لانها لا تقدر على الكسب . غير انه يروي ان بعض الفقهاء يفضلون الاب على الام لانه انفق على الولد في صغره ، وان آخرين يرون ان تقسم النفقة بين الام والاب[4] .

٣ – مقدار النفقة

على الابن ان ينفق على والديه نفقة المثل . واذا كان الاب زمناً او مريضاً واحتاج الى زوجة تقوم بشأنه او الى خادم يخدمه ، وجبت نفقة الزوجة او الخادم

---

١) قدوري ٦٧ ؛ والاحكام الشرعية : المادة ٦١١

٢) الاحكام الشرعية : ٤٠٨

٣) ابن عابدين ٢ : ٧٢١

٤) ابن عابدين ٢ : ٧٢٠ و ٧٢١

على ولده الموسر ، كما تجب له نفقة خادم على ابيه ان كان معسراً ومحتاجاً الى ذلك[1] .

واذا كان للاب الفقير عدة زوجات فلا يجب على الولد الموسر الا نفقة واحدة منهن[2] . فاذا كانت الزوجات موسرات فعلى الابن نفقة الوسط منهنّ ، او معسرات فالدون ، او مختلفات فنصف نفقة الوسط ونصف الدون . ولهنّ رفع امرهن الى القاضي ليأمرهن باستدانة الباقي من كفايتهنّ لتكون ديناً على الزوج . وتجب الادانة على من تجب عليه نفقتهن[3] .

واذا كان للابن امٌ فتزوجت ، وجبت نفقتها على زوجها . فاذا غاب هذا ، او كان معسراً ، يؤمر ابنها الموسر بالانفاق عليها ، ويكون انفاقه هذا ديناً على زوجها[4] .

٤ – حالة خاصة

يملك الاب — لا الام ، ولا غيرها من سائر الاقارب ، ولا القاضي — بيع عروض ابنه الكبير الغائب ، لا عقاره ؛ وله بيع عروض ابنه الصغير الغائب وعقاره ، سواء اكان مكلفاً او غير مكلف ، في سبيل القيام بنفقته ونفقة امه وزوجته واطفاله . وليس للاب ان يبيع مال ولده الغائب ، صغيراً كان او كبيراً ، في دين له عليه سوى النفقة ؛ وليس له ان يبيع باكثر من مقدار النفقة[5] .

في القانون الافرنسي يجب على الابن تقديم النفقة لجميع اصوله[6] ، ولا تمتاز النفقة على الابناء عن النفقة على الآباء ، فكل ما قيل في الاولى يصح في الثانية .[7]

---

١) الاحكام الشرعية : المادة ٦٠٩ – راجع ايضاً ابن عابدين ٢ : ٧٣١
٢) الاحكام الشرعية : المادة ٦٠٩
٣) ابن عابدين ٢ : ٧٣١
٤) الاحكام الشرعية : المادة ٦١٠ ؛ وابن عابدين ٢ : ٧٣١
٥) الاحكام الشرعية : المادة ٦٣٣ – راجع ايضاً : قدوري ٩٨ ؛ وملتقى الابحر ٧٥
٦) القانون المدني : المادة ٢٠٥
٧) Colin et Capitant, t. I, pp. 390-394

الباب الخامس

زوال السلطة الابوية

اذا بلغ الولد عاقلاً فجميع تصرفاته نافذة ، ويلزمه احكامها سواء في نفسه او في ماله ، ولا يقبل قول وليه او وصيه انه محجور عليه الا اذا كان الحجر بامر الحاكم[1] . واذا بلغ مجنوناً او معتوهاً تستمر عليه ولاية الأب في النفس وفي المال . وان بلغ عاقلاً ثم عته او جنّ عادت عليه ولاية ابيه .[2] (قال ابو يوسف بل تكون الولاية للقاضي ، اما الرأي المتبع هو رأي محمد المذكور آنفاً[3] .)

والصبي العاقل يخرج ايضاً عن سلطة ابيه قبل بلوغه ، وذلك بفضل الاذن . اما الاذن لا يتناول الا الولاية في المال ، وقد عرضنا احكامه في حينها .

اما انتزاع السلطة الابوية فلم نعثر في الكتب الفقهية على نص يتعرّض لها الّا في ناحيتين : السلطة في تزويج الصغير ، وهي تنزع من الولي ان ابى تزويج الصغير كما قدمنا ، والسلطة في المال وهي تنزع في حالة التبذير كما قدمنا ايضاً . فيظهر ان الشرع الاسلامي لا يسمح بانتزاع السلطة الابوية انتزاعاً كاملاً من صاحبها ، اللهم الا اذا كان عاقلاً ثم جُن لان من شروط الولي ان يكون عاقلاً[4] .

وفي الشرع الروماني تنزع السلطة الابوية من صاحبها اذا فقد حريته او حقه المدني (Droit de cité) ، واذا حاز الابن على وظائف رفيعة كوظيفة القناصل ومحافظي المدينة والاساقفة . واذا باع الاب اولاده او دفعهم الى ارتكاب المنكرات[5] .

---

١) الاحكام الشرعية : المادة ٦٧٧

٢) الاحكام الشرعية : المادة ٦٢١ ؛ والمجلة : المادة ٩٨٦

٣) كبار : ص ٤٨٧

٤) راجع ص ٤٥

٥) Girard, *Droit Romain*, p. 197, 198

وفي القانون المدني الافرنسي يسقط حق الاب في الولاية على ابنائه الصغار ان ارتكبوا جريمة او جنحة قبل الثامنة عشرة من سنيهم ، او كان قد حكم عليه بالحجر القانوني (interdiction légale) لجريمة ارتكبها ، او كان قد دفع اولاده للفحشاء او شجعهم على ارتكابها ، او كان يعاملهم معاملة سيئة ، او لم يعتن بهم العناية المطلوبة ، او كان سكيراً او متهتكاً[1] .

وفي الحق العائلي الارثوذكسي تبطل السلطة الابوية اذا تعين الابن في مرتبة سامية ، او ارتكب الاب جريمة قبيحة شائنة مثل اختلاط الدم واكراهه ابنته او ابنه على المسير في سبل شائنة ، واذا تُبني الاب فصار ابناً بالوضع ، واذا تُبني الابن فصار ابناً لآخر ، واذا ثبت على الاب انه يعامل ابنه بقسوة شديدة ، او قبل بوصيته ، او طلب المتبنى غير البالغ العتق بعد بلوغه لاسباب موجبة عتقه ، او تزوجت البنت التي هي تحت سلطة ابيها ، او اتخذ الابن لنفسه مسكناً خاصاً وقضى حياة مستقلة برأيه الخاص[2] .

---

١) القانون المدني الافرنسي = القانونان الصادران في ٧ كانون الاول ١٨٧٤ و٢٤ تموز ١٨٨٩ (متممة في ١٥ تشرين الثاني ١٩٢١)

٢) الحق العائلي : المادتان ٢٣٥ و٢٣٦

من الخزانة الشرقية

بقلم حبيب زيات

شهداء النصرانية في الاسلام

للصلحاء والقديسين والشهداء في النصرانية تراجم مجموعة في كتاب يقال له سنكسار Συναξάριον اي ما يُقرأ في الجماعات . وكله او جلّه معرب عن الرومية . ومنه عدة مخطوطات في الخزائن الاوربية . ويغلب على هذه التراجم الغلوّ والميل الى الإغراب وخرق العادات والتهويل في رواية العجائب والكرامات . حبًّا بالموعظة والترويض . فلا تكاد تخرج في بعض اقسامها وروايتها عن الاساطير والحكايات . ولا تصلح الا فيما ندر للنقد والتاريخ . ومن الغريب انه لم يقم بين رجال الدين او غيرهم في الشرق من رأى ، فيما نعلم ، تدوين شيء من اخبار القتلى الذين ماتوا في سبيل مسيحيتهم بحكم من قضاة الشرع . او بيد العامة في الفتن والثورات . ولا يكاد يخلو منهم عصر او مصر . وقد روى الامام ابو الريحان البيروني اسم واحد منهم في جريدة الاعياد النصرانية التي اوحى اليه علمه واطلاعه الواسع نقلها في كتابه الآثار الباقية . ودعاه يوحنا المروزي . نسبةً الى مدينة مرو الروز في خراسان . وعنده انه كان من الملكانية اي من الملكيين . اورد ذكرانه اي تذكاره في الرابع عشر من تموز . وقال عنهُ : الحديث المقتول في زماننا (ص ٣٠٠) اي في النصف الاول من القرن الخامس للهجرة او القرن الحادي عشر للمسيح .

وفي جملة هذه الجريدة اسم «انطونيوس الشهيد» من العرب المسلمين المتنصرة فيما يقال . نقل ذكرانه في التاسع والعشرين من كانون الاول وقال : « زعموا انه ابو روح ابن عم هرون الرشيد . وانه تنصر بعد الاسلام . فصلبه هرون . وله عندهم قصة طويلة عجيبة ما سمعناها ولا قرأناها او مثلها في كتب الاخبار

والتواريخ . على ان النصارى قوم سماعون مصدقون لمثل ذلك . وخاصة ما يتعلق بدياناتهم . غير ناظرين من جميع الجهات في تصحيح الاخبار وتحقيق الآثار» (ص ٢٩٢) وقد عثرنا على رواية من هذه القصة الغريبة في مجلد من الرقوق في خزانة لوندرة وهو الآتي ذكره قريباً .

ومن شهدآء نصارى العرب الملكيين في ايام الخليفة الاموي هشام بن عبد الملك رجل من إياد من بني حُذافة كان هاجر الى الروم وصار في جملة مقاتلتهم . روى ياقوت خبره الصحيح عن خالد بن عمير بن عبد الجباب السُلمي . قال :

«كنا مع مسلمة بن عبد الملك في غزوة القسطنطينية . فخرج الينا في بعض الايام رجل من الروم يدعو الى المبارزة . فخرجت اليه . فلم أرَ فارساً مثله . فتجاولنا عامة يومنا . فلم يظفر واحد منا بصاحبه . ثم تداعينا الى المصارعة . فصارعت منه اشد الناس . فصرعني وجلس على صدري ليذبحني . وكان رسن دابته مشدوداً في عاتقي . فبقيت اعالجه دفعاً عن روحي وهو يعالجني ليذبحني . فبينا هو كذلك اذ جاضت (١ دابّته جيضة جذبتهُ عني ووقع من على صدري . فبادرت وجلست على صدره . ثم نفست به عن القتل واخذته اسيراً . وجئت به الى مسلمة . فسأله فلم يجبه بحرف . وكان اجسم الناس واعظمهم . واراد مسلمة ان يبعث به الى هشام وهو يومئذ بحرّان . فقلت ولمن الوفادة ؟ فقال انك لأحق الناس بذلك . فبعث به معي . فاقبلت اكلّمه وهو لا يكلمني . حتى انتهيت الى موضع من ديار مضر يعرف بالجريش وتلّ بحرى . فقال لي ماذا يقال لهذا المكان فقلت هذا الجريش وهذا تل بحرى . فانشأ يقول :

ثوى بين الجريش وتل بحرى (٢ فوارس من غُمارة غير ميل
فلا تجزعون إن ضرّآء نابت ولا تفرحون بالخير النفيل

فاذا هو افصح الناس . ثم سكت فكلّمناه فلم يجبنا . فلما صرنا الى الرها . قال دعوني اصلّي في بيعتها . قلنا افعل . فصلى . فلما صرنا الى حران . فقال اما انها لاول مدينة بنيت بعد بابل . ثم قال دعوني استحمّ في حمامها واصلي . فتركناه . فخرج الينا كأنه برطيل (٣ فضة بياضاً وعظماً . فادخلته الى هشام واخبرته جميع قصته . فقال له من انت . فقال انا رجل من اياد ثم احد بني حذافة . فقال له اراك غريباً لك جمال وفصاحة . فأسلم تحتز دمك . فقال ان لي

١) اي مالت وانحرفت

٢) تل بحرى هو تل محرى نُسب اليه البطريرك المؤرخ ديونيسيوس التلمحري الذي نشر تاريخه الاب شابو في السريانية مع ترجمته الى الفرنسية Chronique de Denis de Tell-mahré, quatrième partie. Paris, 1895

٣) البرطيل حديد طويل صُلب خافةً . ينقر به الرحى .

بلاد الروم اولاداً. فقال وعلك اولادك وثمن عطائك . قال ما كنت لارجع عن ديني . فأقبل به وأدبر . وهو يأبى . فقال لي اضرب عنقه . فضربت عنقه » (١

وقد تتبعنا كل السنكسارات المخطوطة التي عثرنا عليها فلم نهتدِ الى شيء فيها من انباء شهداء النصرانية في الاسلام خلا خبرين فقط مختصرين جداً وجدناهما في المخطوط رقم ٢٥٤ في خزانة باريس. ويظهر انه من القرن السادس عشر. اضاف اليه الناسخ ما بلغه من وقائع القتلى المسيحيين المعروفة في ايامه. احدهم رزق الله بن نبع من مدينة دمشق. كان مباشراً في ديوان النائب ازدمر في طرابلس . واستشهد فيها في اول شباط (f°133) وهذا النائب هو لا شك ازدمر العمري الناصري الشهير بالخازن او الخازندار. ولّاه السلطان الملك الاشرف شعبان نيابة طرابلس سنة ٧٦٤ ثم نقله الى نيابة صفد سنة ٧٦٦[٢]. فيكون من ثم استشهاد رزق الله بن نبع حدث بين سنتي ١٣٦٣ و١٣٦٥ للميلاد. والثاني « القديس الشاهد في الكهنة المقوي اسحق من قرية حناك (استنية افخاطيا) قتل في قاهر حماة في الحادي والعشرين من آب (f°288) وقد غفل الكاتب عن تعيين السنة وتعريف سبب قتله. وليس في كلا الخبرين ما يعول عليه لفائدة التاريخ .

وفي كتاب سيَر البطاركة الاقباط في حوادث سنة ٩٣٤ للشهداء (١٢١٨م) تفصيل استشهاد احد النصارى الملكيين في القاهرة . وهذا نص خبره بحرفه . قال :

« في هذه الايام امر السلطان (الملك العادل) عز نصره بعرض المسجونين . فعُرضوا عليه . فكان فيهم رجل يسمى اسداً . وكان حائكاً . وكان قد خاصم مع امرأته فحملته الى الشرع فجرت منه لفظة شُهد عليه فيها بالاسلام . وانكر هو فاعتُقل . وبقي في الاعتقال مدة سنة الى هذا الاوان . فاحضره السلطان ورغبه ووعده بمال وكسوة ان هو بقي على الاسلام . فامتنع وقال ما انا الا نصراني وعلى نصرانيتي اموت . فقال له ويلك تلفظ بالشهادة قدامي . واينما اردت امض اتصل بنفسك . فقال لا كان هذا ابداً . ولم تزل الحال تتردد بينهم وبينه الى يوم النطاس المجيد . فامر بضرب رقبته . فاحضره والي القاهرة عند باب زويلة . واحضر الشهود . وعرض عليه الاسلام قدامهم . فامتنع وقال أنجزوني بالله عليكم ولا تردوني الى الحبس . فتقدم اليه احد

١) معجم البلدان ، طبعة اروبة ، ١ : ٨٦٩–٨٧٠

٢) تاريخ ابن اياس ، طبعة مصر ، ١ : ٢١٣ ؛ والنجوم الزاهرة لابن تغري بردي ، طبعة ليدن ، ٥ : ١٦١

مماليكه فنخسه بالسيف الى ان غاب فيه اربع اصابع. فقال له كسل. فقال له الملك مدّ عنقك. فمدّه. فضربه ضربة طارت بها رأسه عن جسده. وعُلّق بدنه على باب زويلة. وبجّد الناس الله على صبر هذا الرجل وحسن ايمانه. وبقي معلّقاً ثلثة ايام. وبعد ذلك حضّروه واخرجوه خارج المدينة واخذوا ان يحرقوه. ولم يُلقَ عليه من الوقود ما يفي باحراقه فبقي جسده سالماً. واجتمعت جماعة من النصارى المباركين وسألوا الوالي فيه. فاعطاهم اياه فاخذوه ودفنوه في كنيسة الملكية التي بحارة الروم الحمرا. وشكروا الله الذي ثبّت قدّيسيه على الايمان باسمه الى آخر نفس.»(١)

ومثل هذه الاستشهادات كثيرة في كل ديار الاسلام. ويظهر ان كتبة النصارى انما تحاموا نقل اخبارها وتدوينها تقيّة وحذراً من العقوبة والانتقام. ولذلك آثر قوم كتابة اكثرها بالرومية.

ومن المخطوطات المعربة عن الرومية المجموع الذي اشرنا اليه آنفاً في خزانة بريتيش موزيوم رقم Oriental 5091 وهو من رقوق قديمة سقط قسم منها وفاتنا معرفة تاريخها بالضبط واسم كاتبها ومعربها. على ان في اولها اربعة رقوق بخط غير خط الكتاب. وهي فهرست ميامر وقصص واخبار لا تنطبق على مضمون المجموع بالتمام. وفي صدر الفهرست تعليق وود بذيله ما صورته بالحرف:

«وكتب الخاطي المسكين النير مستحق بان يدعا مرقس. بتاريخ يوم الجمعة السادس عشر من صفر سنة ثمان وستين وخماية (١٣ دسمبر = كانون الاول ١١٦٦)»

ويؤخذ من خط الرقوق ونوع قلمها ان كتابتها قد تكون من القرن العاشر او الحادي عشر. وفي جملة اخبارها «قصة ابائنا القديسين الذين قتلوا برابة وطورسينا الشهدآء المباركين» (الرق ٥٢—٥٣) وبآخر القصة هذه الحاشية:

«فسّر هذا الكتاب بالعربية من الرومية. في شهر ربيع سنة خمسة وخمسين ومايه من سني العرب (٧٧١ م) فمن قراه او نسخه فليستغفر للذي فسر ومن كتب. غفر الله لها»

وفي الرقوق ١٠٠—١٠٣ «قصة وشهادة روح الشريف المسمى انطونيوس بالرقة» وهو ابو روح ابن عم الرشيد الذي سبق ذكر البيروني له. اولها:

«كان في زمان الرشيد ملك العرب رجل من اشراف العرب اسمه روح. وكان نازل بدمشق في موضع يقال له النيرب في دير هناك على اسم الشاهد المبارك تاودرس وكان هذا الفتى القرشي كثير ما كان يولع في الكنيسة بسرق القربان المقدس ويأكله ويشرب ما يبقى من دم سيدنا...»

١) سير البطاركة. خزانة باريس ٣٠٢، ص ٢٢١

وفي المتن عدة اوهام في النسخ وتحريفات شتى.

وقد اخترنا من هذه الاخبار والحكايات قصة عبد المسيح المستشهد في الرملة انموذجاً من المجموع وهذا نصها بلهجتها واغلاطها القديمة :

« المسيح الهي ورجاي والسيدة مارتقريم شفيعتي

« هذه قصة عبد المسيح الذي استشهد بالرملة في ملك الاموية

« كان رجل من نصارى نجران يقال له قيس بن ربيع بن يزيد الغساني من خيار عرب نصاراها حسن العبادة في النصرانية عالم بما له وعليه . الى ان خرج مدة من الزمان وهو ابن عشرين سنة يريد الصلاة بيت المقدس مع قوم مسلمين من اهل نجران يريدون الغزو . فلم يزالوا في صحبتهم له يغرّوه ويستهولوه الى ان صيّر طريقه الى الغزو معهم . وكان من ارمى الناس بسهم واشده في قتال بسيف او رمح . فحسنته الجهالة والحداثة وخبث اصحابه الى الدخول مع الغزاة الى ارض الروم فجاهد معهم وقاتل وانتهب واحرق ووطئ كل محرّم كعنتهم . وصلّى معهم وصار على الروم اشد غيظاً واقسى قلباً منهم . فاقام على ذلك ثلثة عشر سنة يغزو الروم كل سنة ولا يجرح الثغور .

فلما مضت له ثلثة عشر سنة خرج يريد بعض مدن الشام يسبي فيها . فدخل نصف النهار الى مدينة بعلبك فاستقام على فرسه حتى نزل الى جانب كنيسة ثم دخل لينظر الى الكنيسة فاذا القسيس جالس على باب الكنيسة يقرا في الانجيل فجلس وتسمعه . ثم قال له اي شيء تقرأ فقال الانجيل . فقال فسّر لي ما تقرا بالرومية ففسر له . « ان من احب اب او ام او اخ او اخت او شي على الله فليس هو له باهل » وما يشبه ذلك . فبكى وتذكر ما كان فيه والى اي شي صار . فلما اكثر البكا قال له القسيس اي شي دينك يا فتى . فقال له الغساني انا كنت مدة من اصحاب هذا الانجيل فاما اليوم فانا من اعدائه . وانه قص على القسيس قصته (f° 103a) كلها . فقال له القسيس ما في شي ينفعك ان كنت كما ذكرت نادم ان ترجع وتتوب . فقال له الرجل ان الامر عظيم جدا . وانا اعلم من نفسي ما لا تحتمله الجبال والارضين . فقال له القسيس ان الله هو احمل من الجبال او الارضين . ألم تسمعه كيف يقول في الانجيل ان الذي لا يستطاع عند الناس فهو عند الله يستطاع . واذ قال ايضاً ان الله يفرح برجعة خاطي واحد اكثر من ماية صدّيق الذين لم يخطوا . نعم يا حبيب فاعلم ان الله الينا اسرع تعطفاً منا الى الرجعة اليه . وانت قد قرات كما تخبرني الانجيل . فاذكر اللص والابن الشاطر .

وان ذلك الشاب قام وصلى في الكنيسة واخرج سلاحه قدام المذبح وعاهد الله انه لا يعود الى شي مما كان فيه . وان القسيس صنع له يسون (Ayyaqnis) اي تحيص غفران من الذنوب وانه خرج وباع فرسه وتصدق بثمن سلاحه وفرسه على المساكين . وقدس له القسيس وقرّبه وصلى عليه وودّعه وخرج الى يارشليم قاصداً . فلما وصل لبس السواد ودخل

الى البطريرك أنبا يَنّه (١) فاخبره بقصته فبسطه وفرح به وصلى عليه . وارسله الى سيق ماري سابا الى رأس الدير ليرهّبه فمضى الى ثمّ وترهب وصيّره رأس الدير الى معلم روحاني قديس

فلما اقام خمس سنين خرج فطاف الديارات التي حول بيت المقدس وخرج الى طور سينا فاقام ثمّ سنتين في عبادة شديدة وخدمة للرهبان وحرص عليهم حتى انه كان يتردد الى أيلة من اجل خراج ضيعة قمر الطور . ومن اجل من هناك من نصارى اهل فاران ورواية حتى احبوه اهل تلك البلاد وصيروه اهل الطور اقنوم (ὑποκείμενος) عليهم خمسة سنين . ثم انه احب ان يظهر امره فاتى الى الرملة ومعه راهبين خيّرين قد ابذلوا انفسهم معه ودرنه . فكتب كتاب فيه انا قيس بن ربيع بن يزيد النساني (Ἀνανίας) النجراني ومن قصتي كذا وكذا وقد تنصرت وترهبت زهد في الاسلام ورغبة في النصرانية . وانا في كنيسة الرملة نازلا فان اردتوني فاطلبوني فيها . والقى الكتاب في مسجد الجامع بالرملة . ثم انه مضى هو والراهبين فجلسوا في الكنيسة السفلى ماري قورقوس (جرجس) بالرملة فلما قرؤا المسلمين الكتاب في المسجد تصلحوا (تسلحوا) وخرج منهم جماعة يطلبوا (يطلبوه) فاتوا الى ماري قورقوس الكنيسة السفلى فداروا فيها كلها خارج وداخل وفوق واسفل وهو جالس والراهبين معه ولم يروه . لان الله غطى اعينهم فلم يروه . وكانوا يرجموه (من الرجم اي الظن غيباً) ولا يصيبوه ولا يرجم الله اياه فلما رأوا ذلك الرهبان قالوا له ان الله لم يحب ان يظهر امرك اليوم لهم ولو علم انك تصير بصيرا لهم لهذا لاظهرك فاذا لم يريد الله ان يظهر امرك فلا تقاتلن امر الله . فقام ثلثة ايام بالرملة ثم انطلق الى الرها فصلى ورجعوا الى الطور .

وصادفوا رأس الدير قد تنيح . فتحصلوا عليه كلهم وصيروه رأس على طورسينا وقيسا وكان اسمه عند الرهبانية عبد المسيح . فاقام رئيس الدير سبعة سنين على طور سينا . فتحامل صاحب الخراج على الطور سنة من تلك السنين في الخراج وعلا جوره . وكان اذ ذاك خراجهم الى فلسطين . فخرج هو ورهبان معه يريد الرملة حتى اذا صاروا برحلة يقال لها عصيان لقي رفاق الحجاج قد انصرفوا من حجهم فبينا هو يدور في الرفقة اذا قد لقيه انسان من الحجاج فعرفه . فاذا هو قد كان رفيق له بالنزو سنين فتعلق به وقال له ألست انت قيس النساني . فقال له ما ادري ما تقول . فصيّح وجلّب فاجتمع لصياحه جميع اهل الرفقة . فقال لهم هذا الراهب كان معي في النزو سنين يصلي معنا ويصلي بنا . رجل من العرب . وقد كان رفيق لي . وقد اصابته ضربة في عنقه . ففتشوا عنقه فان لم تجدوه كذلك فانا كاذب . واتهم وثبوا اليه كلهم وكلموه . وانكر ورأوا الاثر في عنقه . فقيدوه بقيود الدواب وضمنوه الرهبان اصحابه . وكانوا ثلثة فحملوه .

فلما كان الليل طلبوا اليه الرهبان ان يفر ويدعهم يعملوا بهم ما ارادوا . وقالوا له نحن يا بونا نضع نفسنا دونك . فأبى وقال انا احق ان أقتل دونكم . فلما صاروا من الرملة على مرحلة

---

١) هو يوحنا الخامس وهو ما يدل على ان عبد المسيح النساني استشهد في ايامه . اي بين سني ٧٠٦ الى ٧٣٥

ركب ذلك الملعون الى الرملة فجمع جماعة ودخل الى الوالي فاعلمه بالذي كان من امر الراهب فارسل معه خيل حتى تلقوه في الطريق واتوا به الى الرملة . فأدخل على الوالي وكلمه وقال له استحي لنفسك فانك رجل من اهل بيت . فقال عبد المسيح الحيا من الهي المسيح ارجب علي من الحيا من الناس . فاقبل ما احببت فطلب عليه الشهادة فشهد عليه كثيرين زور لا يعرفوه . على شهادة الذي عرفه فحبسه ثلاثة ايام ثم اخرجه فعرض عليه دينه . فلم يسمع منه الّا ما نكره . فامر بضرب عنقه . فلما ضرب عنقه امر ان يُوارَى من النصارى ويُحرق فاخذوه وحملوه الى بير بالقة كانت قد خربت والقوا جسده فيها والقوا عليه حطب كثير ونار . فاحرقوه فيها بروا ومضوا وتركوه وكانوا كثيرين الارصاد له الّا يأتي احد من النصارى فيخرجه . فلما مضى لذلك تسعة اشهر اقبلوا رهبان دير طور سينا وكلموا اقوام من اهل الرملة فجزعوا من ذلك جدًا للسلطان ولبعد البير لان طولها كان نحو من ثلثين قامة . الى ان خاطر في ذلك عشرة رجال اشدا شباب . فهيّوا حبال وقفة قفير (زنبيل) كبيرة . واتوا الى الكنيسة السفلى فباتوا حتى اذا ناموا الناس اخذوا شمعة وانطلقوا ومعهم الرهبان فربطوا الراهب الواحد في الحبل والقفير ودلّوه وفي يده الشمعة والنار . فلما وصل اسفل (f°105a) اسرج الشمعة وفتش على قدر ركبة رماد كانوا القوا عليه . فاول ما بدا له منه جمجمة راسه . وهي تفي بيضا كالثلج ثم اخرج البقية فاصابه لم يحترق من النار البتة منه جزو . ففرح وعجب فخبي معه ذراع واحد من عظامه . ثم القى كل شي في الزنبيل . فلما اصعدوا العظام تخطفوها كلهم وهربوا به الى الكنيسة السفلى . وتخلفوا ثلثة من القوم فرفعوا الراهب فلما صعد انطلق حتى اتوا جميع الى باري قورقس فوجدهم يتنازعون عليه فلم يزل ينازعهم حتى اعطوه راسه وتركوا له الذراع الذي اخذه في البير . فدفنوه في دياقونيقون (١) (ⲇⲓⲁⲕⲟⲛⲓⲕⲟⲛ) الكنيسة الّا الساعد والساق امسكوه ليخرجوه للناس يتبركوا به . وانطلقوا الرهبان بما اخذوا حتى وصلوا به الى الطور وعملوا له عيد في الطور وبالرملة في السر وسبحوا جميع المسيح الذي له التسبحة مع ابيه وروح قدسه الى الدهر ابين . (f°105b)

---

١) الدياقونيقون خزانة اواني الكنيسة والبيتها تكون تحت إشراف الشمامسة .

اللعنات والحروم

في وقفيات المخطوطات النصرانية

من تتبّع اليوم المخطوطات النصرانية المحفوظة في الخزائن الغربية يجد قسماً منها كان قبلاً موقوفاً في الشرق على الكنائس والاديار . ثم عبثت به ايدي الاطماع وصروف الدهر ففارق اهله وخرج عن مكانه. دون ان تهول مختلسيه وبائعيه ما ورد فيه من الوعيد بالويل والثبور. والتهديد بالمنع والقطع لكل من نقض شرطه وانتهك حرمته. وقد اختلفت الفاظ الوقفيات واللعنات فيها باختلاف المدن والملل ولعل نقل جانب منها على سبيل التمثيل لا يخلو من فائدة ونكتة.

ومن احباس الروم الملكيين في منتصف القرن الخامس عشر ما خطّه مرقس اسقف صيدنايا في كتابه التريودي بالسريانية من كتب دير القديس خريسطوفورس فيها بعد ان استردّه من تركة بعض مستعيريه . قال بلفظه :

«... هو وقف موبد. وحبس محرم. على الدير المذكور. فما لاحد سلطان من الله تعالى. يخرجه عن الوقفية بوجه من الوجوه. ولا يبيعه ولا يوهبه. ولا يقايض فيه. ومن تجاسر وفعل غير ذلك. كان محروم مفروز من مجد الله تعالى. ومن الرسل الاطهار. ومن سبع مجامع المقدسة. ومن الرسل الاطهار . ومن تجاسر وقطع الورقة كان له نظير ذلك. وكتب مرقص الاسقف المذكور بتاريخ ثامن شهر ادار المبارك سنة ستة آلاف وتسعماية اربعة وخمسين لكون العالم (١٤٤٦ م) والسبح لله دايماً»[1]

وعلى هذا المنوال جرى اكثر من جاء بعد مرقص من رجال الدين. وقلّدوه خصوصاً في ذكر المجامع السبعة حتى من كان اقربهم الى الكثلكة واشدهم ميلاً الى موالاة رومة نظير البطريرك افتيميوس كرمة. وهذا نصّ ما كتبه في تعليق له على انجيل حبسه على «دير القديسة الكلية الحكمة الست كاترينا داخل القدس الشريف» قال :

«... فما لاحد سلطان من الله تعالى ان يغيره عن الوقفية المذكورة بوجه من الوجوه . او بحيلة من الحيل. او يبيعه . او يشتريه . او يقايض فيه . او يختلسه لنفسه . او يخرجه عن الوقفية المذكورة. الى ان يرث الله تعالى الارض وما عليها . وهو خير الوارثين . وكل من

---

١) راجع صورة هذه الوقفية بتوقيع مرقص في كتابنا تاريخ صيدنايا ص ١٥٦

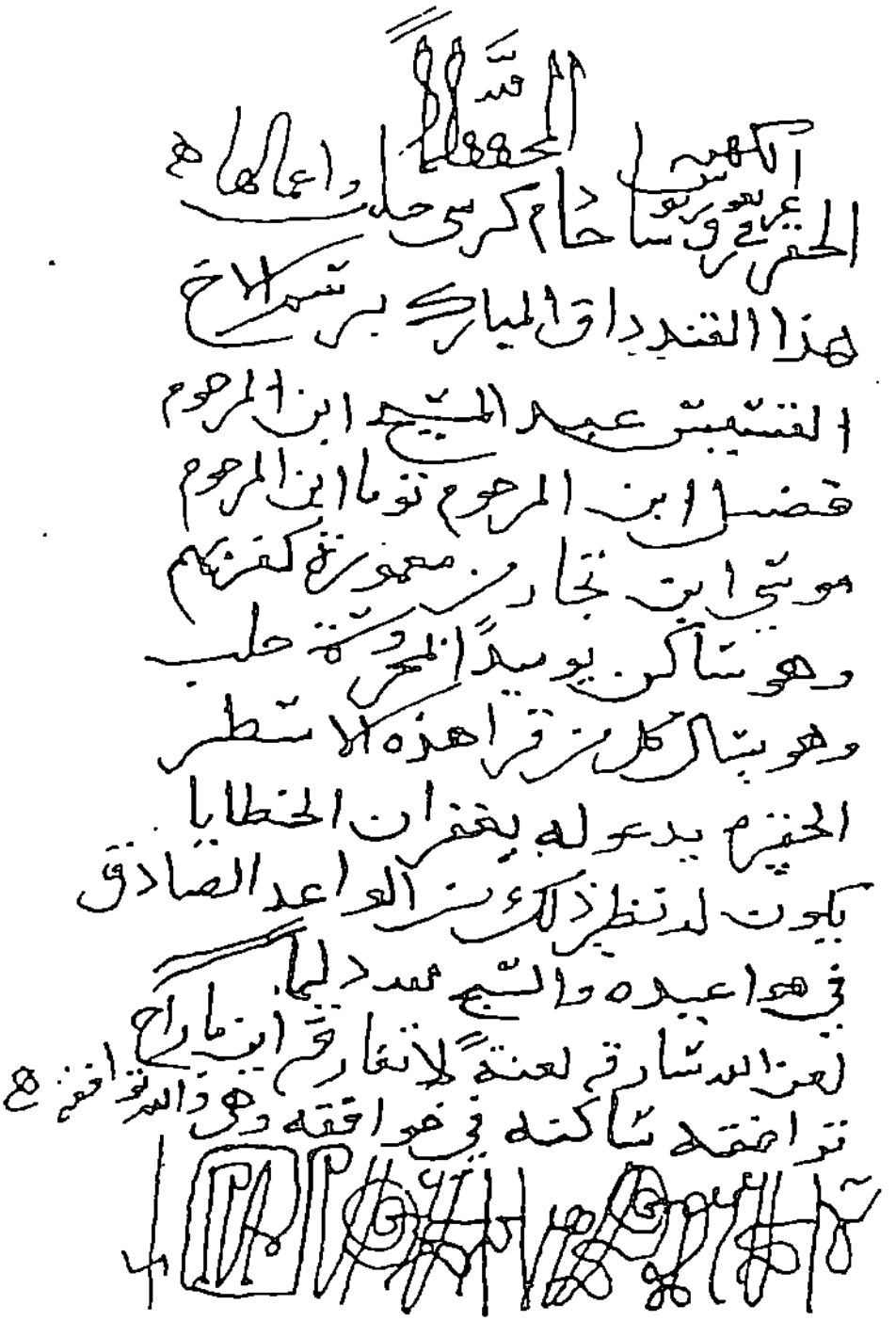

من خط المطران غريغوريوس فغيل

تعدّا ما حددناه . وخالف ما سطرناه . كائناً من كان . يكون ذلك الانسان . غضب الله ورجزه عليه . وعلى هامته وجسده وسائر تصرفاته . ويكون محروم مفروز من السبعة مجامع المقدسة . ومن قم ربا كهنة الدنيا . ومن في انا الحقير انتيموس البطريرك الانطاكي وسائر المشرق . وكل من وصل ليده هذا الكتاب الشريف من نهب او سلب . او خطف او سرقة . وما يستنكه ويرده الى مكانه . يكون نظير سارقه . والويل لمن رضي لنفسه ذلك .

تحريرًا في اوائل شهر اذار سنة سبعة الاف ماية اربعة وخمسين لآدم (١٦٤٦م) ولربنا الحمد » (١ .

واستقر هذا الاسلوب قاعدة مشى عليها في حلب خلف البطريرك المذكور المطران ملاتيوس الزعيم وهو المشهور بالبطريرك مكاريوس الحلبي . وكان ينسخ معظم عباراتها في وقفياته . ومنها ما جاء له على كتاب المجامع او كما يسميه الناموس الذي حبسه على تلّية المطرانية سنة ١٦٤٣ وهو محفوظ اليوم في خزانة الفاتيكان رقم ١١١

وامتاز بعض اساقفة حلب بالإغراب في اللعن والدعاء على من يستبيح وقفاً لهم . ومن اظرف ما وقفنا عليه من كلامهم ما خطّه بيسينه غريغوريوس فضيل الرومي الملكي . وهو من سبقت لنا اشارة اليه في مقالة سابقة[٢] . وكان نادرة من نوادر القوم : كتب مرة على مخطوط يعرف عندهم بالقنداق رقم ٤٧ من مخطوطات الفاتيكان :

« لعن الله سارقه . لعنة لا تفارقه . اين ما راح ترافقه . ساكنة في خوانقه . وهي رافقه ترافقه » (f° 102)

ومثل هذا القسم بالله من فم المطران احلى من الماء على لهاة الظمآن . ولكي لا تفوت القارئ بعد سماعه هذا السجع الرقيق ، لذة النظر الى خطه الانيق ، رأينا ان نرسم بجانبه صورة هذه الصفحة الفريدة من قلم المطران . وفي ذيلها توقيعه بالشكل الرومي monocondyle

ومن الشدة والغرابة ايضاً ادعية للمطران برمانوس فرحات الماروني في وقفية الكتب التي خص بها كنيسة مار الياس بحلب للموارنة سنة ١٧٣١ قال بلفظه :

١) خزانة القبر المقدس رقم ٢٧

٢) خطايا الروم الملكيين بحلب في القرن السابع عشر . المزانة الشرقية (المشرق ٣٦ [١٩٣٢] ٢٢-٤٠)

« . . . كل من يغيرها عن هذه الوقفية . . . فليكن مربوطاً . . . محروماً مسخوطاً مرذولاً . . . مقطوعاً من جسد الكنيسة الرومانية . ويكون بيته مثل صادوم وعامورا . ويذهب رزقه . وينهدم بيته . وتشحذ اولاده من ابواب الملايق . . . » (١)

وهذه العبارات الاخيرة وحدها كافية للدلالة على منشإ أسرة المطران في جبل لبنان.

ومن موقوفات دير المخلص للرهبان الملكيين التي انتقلت الى الخزائن الغربية بعض مخطوطات لا نود ان نشير الا الى اثنين منها فقط لفائدتها الطقسية . وكلاهما اليوم في خزانة الفاتيكان . وهما :

الاول . « باركليتكون » اي كتاب المعزّي . بالسريانية والعربية . رقم ٣٢٩ كتب سنة ٧٠١٧ لآدم اي ١٥٠٩ للمسيح . وعليه بخط حديث

« وقف دير المخلص من المعلم لطفي بن موسى ديب الشامي سنة ١٧٠٧ مسيحية »

الثاني « انتولوجيون » ويسمونه « كتاب الميّد » بالسريانية الملكية رقم ٣٥١ عليه وقفية بقلم القس حبيب ابن الاسقف مقاريوس من مدينة قارة . ومطالعة بخط « الحقير في روما الكهنة جرمانس مطران بعلبك » بتاريخ ٢٣ ايار سنة ٧٠١١ لآدم اي ١٥٨٣ للمسيح

وفي اسفل الصفحة الخامسة منه هذه العبارة « قد انتقل الى دير المخلص سنة ١٧٣٠ »

وفي هاتين الوقفيتين شاهد صريح بوجود بعض من رهبان الدير كانوا يقرأون السريانية ويصلون بها طقسهم البيزنطي . ولا غرو فقد كان منهم غير واحد من اهل معلولا وصيدنايا وسائر القرى التي كانت الارامية لا تزال لغة باقية فيها في اوائل القرن الثامن عشر . ويستدل من المخطوط الثاني ان كنيسة الروم الملكيين في بعلبك وما يضاف اليها من كنائس القرى كانت تتلى فيها الصلوات بالسريانية الملكية . ولدينا في المعنى نفسه عدة قيود اخرى من مخطوطات دينية تدل على انتشار السريانية في كنائس اسقفية بعلبك . وليس هنا محل استيفائها .

---

١) مقالة للخوري ابرهيم حرفوش : مكتبة طائفتنا المارونية في مدينة حلب المحمية (المشرق ١٧ [١٩١٤] ٢٤)

لُعَب الثياب

من معاني اللعبة في اللغة التمثال. واكثر ما كانت تصنع على شكل الجواري والولدان وتكسى وتزين وتروق باجمل زي والطف ذوق . ولذلك كانت تشبه بها النساء الحسان والغلمان الرُوقة والطرائف النادرة وكل بديع مستملح محبب الى القلب. وهو نفس المعنى الذي يراد بلفظتي poupée, joujou وفي كتاب الف ليلة وليلة في الكلام على مصر « نساؤها لُعَب.»[1] ولمازن بن عمرو بن عاصم من شعرآء الاندلس يتغزل بغلام نصراني :

قد تاه قُرطانه بتهدي صدره وزهى بلعبة خصره زناره[2]

ومثله لفاتك السهراجي من شعرآء اليتيمة في غلام يهواه :

يا لعبة اوقت على كل اللعب قد مسني بعدك بؤس ونصب[3]

ومما تروق جدًا معرفته ان الشرقيين في عهد الخلافتين العباسية والفاطمية سبقوا الغربيين في اتخاذ الدمى على قدر الاجساد لوضع الثياب عليها ودعوها لعب الثياب mannequins وتأنق الامرآء والاغنيآء في استعمالها فجعلوها ايضاً من العنبر لتعبق الثياب بطيبه من ملابستها . ولما قُتل الافضل شاهنشاه امير الجيوش بمصر سنة ٥١٥ للهجرة (١١٢١ م) « وجد له من الذخائر النفيسة ما لا يحصى. ومنها لعبة عنبر على قدر جسده برسم ثيابه لوضع ثيابه عليها لتكتسب رائحتها.»[4] ونقل مثل ذلك ابن ميسر في اخبار مصر[5].

وكانت امثال هذه الدمى في بغداد تصطنع كذلك من الرخام والمرمر . وروى اسحق الموصلي في هذا الصدد نكتة حدثت لعريب المشهورة جارية المأمون قالوا وكانت تتعشق ابن حامد ويتعشقها وقد نزل مرة الى جانب المأمون

---

١) Édition Breslau (1825 et suiv.) II, 190, 1

٢) يتيمة الثعالبي (طبعة مصر) ٢ : ٢٦

٣) يتيمة الثعالبي (طبعة مصر) ٢ : ١٧

٤) مجلد من نهاية الارب للنويري . خزانة ليدن Arab. 26 Gol. f°126

٥) الجزء الثاني من اخبار مصر، ص ٥٧ ، وفي المتن المطبوع : « ليكسب الراحة »

في بعض اسفاره . فلما وجدت عريب غفلة حولها عمدت الى مثال رخام فوضعته تحت الازار في مكانها من الفراش بحيث يُرى من بعيد فتُحسب انها نائمة . وصعدت من السطح وتدلّت الى منزل حبيبها . وطلبها بعد ذلك المأمون قبل ان ترجع فلم يجدها فعلم الى اين صارت . فقال عيسى بن عبدالله بن اسمعيل المراكبي من ابيات فيها :

قائل الله عريبا فعلت فعلاً عجيبا
ركبت والليل داجٍ مركباً صعباً اريبا
رعت الليل فلما اقتنص الليل الرقيبا
مثلت فوق حشاها لكي لا تستريبا
بدلاً منها اذا نُو دي باسمٍ لا يجيبا
ومضت يحملها الهو ف قضيباً وكثيبا
فتدلّت لمحب فتلقاها حبيبا (١

المشجب

هو الخشبة المشتبكة توضع عليها الثياب[٢] . ويقال لها ايضاً الشجاب porte-manteau . قال احد الشعراء يمدح فقره :

الحمد لله ليس لي مال ولا يخلق علي افضال
المتان بيتي ومشجبي بدني وخادمي والوكيل بقال (٣

ولآخر . انشده ابو العيناء للمعتصم :

والرأس ممدود على المناكب مدّ القباطيّ على المشاجب (٤

ويؤخذ من هذين الشاهدين ان المشاجب كانت شائعة في البيوت والحوانيت . وفي قول الثعالبي انها الخشبة المشتبكة دليل على انها كانت تضمّ وتصلّب لتوضع

١) السادس من كتاب بغداد لاحمد بن طيفور ص ٢٠٧–٢٠٨ ؛ والاغاني للاصبهاني (طبعة بولاق) ١٨ : ١٧٤

٢) فقه اللغة للثعالبي (المطبعة الكاثوليكية) ص ٢٥٧

٣) المحاسن والمساوئ للبيهقي ١ : ٢١٧

٤) المحاسن والمساوئ للبيهقي ١ : ١٨٧

عليها الثياب والانسجة . واكثر ما كانت تكون من عودين متساويين متعانقين عناق اللام للالف في الخط القديم ﻻ وعليهما مسامير يعلق عليها ما يراد تعليقه . وهو ما يستفاد ايضاً من رواية الخطيب البغدادي في كتاب البخلاء . قال « قيل لابي الحارث جمين مرة : بلغنا انك صرت الى نصر بن رستم . فكيف وجدته قال « مشجب » . قيل وما معنى مشجب . قال من اين جئته رأيت لا » .[1]

وقد تكون هذه الخشبات المنصوبة اعوادًا تدق في الجدران . ولذلك سماها الاصبهاني اوتادًا في كلامه على عبد الحكم بن صفوان الجمحي . قال « اتخذ بيتاً وجعل فيه اوتادًا . فمن جاء علق ثيابه على وتد منها . »[2]

وربما كانت هذه الاوتاد من حديد . ولذلك دعيت احياناً « مسامير » وان خالفتها في الشكل . وكان الوزراء والمترفون يتخذونها من الذهب حباً بالترفع والبذخ . ويتنوقون في صنعتها ويوزعونها في الحُجر والمجالس لكثرة ما كانوا يقتنونه من العمائم والاكسية والمناديل والديباج . فضلًا عما يجعلونه منها في حُجر نسائهم وحظاياهم . قيل ان امير الجيوش الافضل شاهنشاه بمصر كان في تركته منها بعد مقتله في رمضان سنة ٥١٥ (١١٢١ م) « عشرة مسامير من الذهب زنة كل مسمار مائتا مثقال . عليها العمائم المختلفة الالوان مغطّاة بالمناديل المزركشة . . ووجد له ثمان مائة جارية . منهن حظايا خمس وستون . لكل جارية حجرة وخزانة مملوءة من الكساوى والآلات والديباج والذهب والفضة . ومن كل صنف . »[3] ولا شك انه كان في كل حجرة مسمار واكثر .

وقد بالغ ابن خلكان في مقدار هذه المسامير كعادة كتاب العرب في المجازفة بالارقام . وزعم ان الذي خلّفه الافضل كان « مائة مسمار من ذهب . وزن كل مسمار مائة مثقال في عشرة مجالس . في كل مجلس عشرة مسامير . على كل مسمار منديل مشدود مذهب بلون من الالوان . ايا احب منها لبسه . »[4]

---

١) كتاب البخلاء . خزانة بريتيش موزيوم . لوندرة Or. 3139 f°16a

٢) الاغاني ٤ : ٥٢

٣) مجلد من غاية الادب للنويري . خزانة جامعة ليدن Arab. 2 Gol 126

٤) وفيات الاعيان ، (طبعة وستنفلد) ، ١ : ١٠٨

اخبار حلب وحوادثها

من السنة ١٨٥٥ الى السنة ١٨٦٥

اخذًا عن يومية المعلّم نعوم البخّاش

المخطوطة الوحيدة ، نشرها وعلق عليها

الاب فردينان توتل اليسوعي ٥

– السبت ، في ٢٥ آب ١٨٦٠ ، ٨ صفر ١٢٧٧

وتزوج زادور بن نيقوغوص عجمي بواحده مثله من ادمن البراسنه[1]
[٧٨أ]

– السبت ، في ١ ايلول سنة ٦٠ في ٢٠ آب ش في ١٥ صفر ١٢٧٧

وسمعنا ان بالشام عمال القتل والشنق والطلب والجرايم والحبس الى الذين قتلوا النصارى وسمعنا ان من صايع الميدان الذين فسقوا مقدار ٧٠ قطعوا ذكورهم وبعده كلبوهم بكلاليب حتى يموتوا وشيخ عبدالله الحلبي بقام بيت الكيال[2] طلع عنده من الباس كنيسة الروم الفسافسة فحبسوه والناس يقولوا شنقوه وطلعوا عساكر الفرنساويه مقدار الف ٨ واهل بيروت سبوا نفر ١٠ بحلب مات ٣ والباقي عمال يموتوا واجا يوسف فرقوعه من الشام.
[٧٨أ]

– السبت ، في ٨ ايلول ١٨٦٠ ، في ٢٢ صفر ١٢٧٧

— الخميس اجا قسيس مدرسة الفرنساوي وعجوري جرجس وذكروا عنه معلم وكتبت ختم بفص ٦ لابن الدب — الاثنين انتقلوا بيت انطون خوكاز لحوش بيت الشدياق بحارة الكراد وسافروا سكانها لبيروت — والجمعة صار مطر وافر وبرق ورعد وبرد شي مهول ووافر وهوا وزوابع الله ينجينا من فعله وصار زود بالنهر .

---

١) براسنه . ان ما قلناه في تفسيرها ٢/٣٧ كان اخذًا عن العامة وهناك تفسير اقرب الى الحقيقة وهو البراسنه ثم تباع برسوم اشارة الى كونهم يقولون بالطبيعة الواحدة .

٢) بيت الكيال من اعيان اسلام حلب

[٧٩'] ــ الاحد مساء سبوع بنت يوسف شماس انتهى ــ الجمعة صار لي زعج طلعت مره ١٠ .

– السبت ، في ١٥ ايلول ١٨٦٠ ، في ٢٩ صفر ١٢٧٧

[٧٩'] ــ الاثنين راح وكيل لمدرسة الفرنساوي ختم وطلع . والحمد لله كيفي احسن وعمال اشرب صمغ عربي واللين اقل وبديت تقرا عزه بالبيت وبدي يكتب كلداني ــ والثلاثا شربت خيار جنبر ٥٠ درهم والحمد لله كيفي احسن ــ والثلاثا اجانا عنب وكبسناه عرق من الخان سعر ١٢٠ القنطار فيوعي ومنخرا قدام الجب بساد لاجل تعزيل السراب[1] . ــ والاربعا قلبوا سطوح البلاط وشافه المطران يوسف مطر بن فستوك المعلم المبلط . ــ والخميس رحت صيد التفنكه وكان صاير لي رشح ودرسي عمال يوجعني . ــ بارود اوقية ١ ، ٥ غروش بن صعب . للفعول ٢١ غرش دفعه الى شبشول ٢٠٠ دفع .

– السبت ، في ٢٢ ايلول ١٨٦٠ ، في ٦ ربيع الاول ٧٧

[٧٩'] ــ الاثنين بدي يكتب قس حنا اسلامبولية [واسمه مكتوب في لائحة التلاميذ من الاولاد من صغار وكبار وهو قس ا] . ــ الخميس انعزمنا لخطبة بنت صندوق . ــ والسبت كتبت اوراق سنجق لنعوم دوناطه غرش ١٢

– والسبت في ٢٩ ايلول ١٨٦٠ في ١٧ ربيع الاول ١٢٧٧

ــ والاربعا انطرق رأس سوكياس ورحنا مساء شرطته . (راجع ٩٩' ، وتامل كيف ان المعلم ذاته يهتم لمداواة التلميذ) . ــ والجمعة خاريطون درت عيدت .

واولها فتحت مدرسة الفرنساوي وكتبنا لبهنان على طاقة عثمانية ٦ .

[٨٠'] ــ الاحد كان عرس باولاكي كبابه ــ الجمعة مات فتح الله طنبه بالكتاب الله يرحمه .

– السبت في ٦ تشرين الاول ١٨٦٠ ، في ٢٠ ربيع الاول ١٢٧٧

---

١) . . . لاجل تعزيل السراب . . . بعد مئة سنة من طبع هذا الكتاب سوف يستفاد مما كتبه البخاش عن بساطة لا مزيد عليها لمستزيد في درس احوال البلدة القديمة . . . وكفانا ذلك عذرًا لعدم حذف السطر . وكان الامر كذلك ، على ما يقال ، ايام الملك لويس الرابع عشر في باريس ! . . .

[٨٠٢] — الاحد رحنا بستان الخلاص وكان نوبة اولاد الفن — الاثنين سمعنا[1] ان الفرنساويه والمصلي اخذوا المختارة من الدروز وقتلوا نفر ٦٠٠ ومنهم نفر ٦ وهذا المكان لب الدروز ومركز المشايخ والاغاوات وراحت وطلبوا البدلية من حلب عن ٥ سنة كيس ٢٠٠٠ الفين كيس وبعد نعرف ماذا يجاوبوا عنها .

– والثلاثا ، في ٩ ت الاول ١٨٦٠ ، في ٢٤ ربيع الاول ١٢٧٧

انتهاء السنة ٣٣ وابتداء ٣٤ سنة لافتتاحي المكتب سنه مباركه ان اراد الله يحييها لامثالها بجاه اسمه العظيم .

– السبت ، في ١٣ ت الاول ١٨٦٠ في ٢٨ ربيع الاول ١٢٧٧

والشام سمعنا رجعت تحركت من جديد ورجع فؤاد باشا .

[٨٠٣] — الجمعة رحت القطانه ومعي ابن السقال . — والثلاثا سافر جبرائيل شامي وعيلته لازمير — واولها تكلل رزق الله ارسان بالكنيسة الموارنة لبنت القديسة .

– السبت ، في ٢٠ ت ١ سنة ١٨٦٠ ، في ٥ ربيع ٢ ١٢٧٧ .

والجمعة راح الخوري لجرج ناقوز باسكندرية وسمعنا جايه الموسكوب من اسكندرونة .

[٨١١] — الاحد سمعنا فؤاد باشا سكروه الفرنساويه وكبسوا خزنته وجدوا صندوق فيه صرر كثيرة واسم اصحابها عليها من شيخ فلان وشيخ فلان ختموا عليه وفؤاد باشا قلع صندوق اميني ورجع الشام لانهم مزربنين . — الاربعاء مطر ورعد وبرق ومساء رحت جبل النهر والقبار وبالليل احترق بالمدينة سوق الذراع[2] ونزل الباشا وبديوا يهدوا ويطفوا وكانت مقتلة من اهل البلد الله ينجينا من شرهم وطلع امر ياخذوا الترابية من الحمايات[3] وبديوا يلسوها

---

١) روى اليخاش الخبر على علاته اذ قال سمعنا فلم يثبت بصحته

٢) سوق الذراع لم يزل الى يومنا مفتوحاً للبيع والشراء وفيه الاموال التي تباع بالذراع .

٣) الحمايات او الناس المنتسبون بحماية دولة اجنبية وامتيازاتها وكانت اسماؤهم مكتوبة في سجل القنصليات وربما زاد عددهم على ما كان متفقاً عليه بين القنصل وبين الباشا فصار

– السبت ، في ٢٧ ت ١ ١٨٦٠ ، في ١٢ ربيع ٢ ١٢٧٧

[٨١ر] ــ الخميس زار الشيخ الكيالي[1] جرجي صاجاني وقالوا يومها انبسط كثير .

– السبت – في ٣ ت ت ١٨٦٠ ، في ١٩ ربيع ٢ ١٢٧٧

والجمعة سافر حبيب سالم الى بر الترك[2] . ــ الخميس ولدت مرات مخائيل اليان جابت صبي ويوم السبت عمدوه وسموه يرغاكي .

[٨١ر] ــ الخميس ركبت مع جهامي الياس الى النعسانه ورجعنا مساء .

– السبت ، في ١٠ ت ت ١٨٦٠ ، في ٢٦ ربيع ٢ ٧٧

واولما انتهب مطران الروم ديمتريوس وارادوا يميتوه والله نجاه . ــ والاربعا تحوشت السرقة والذي سرق . ــ والاثنين بديو مارو واختها بديوان الفارض . ــ والجمعة فضلت سبع ملوك التي من بغداد .

[٨٢ر] ــ رحت لعرس نعوم بن حنا صايغ ورجعت . وبدي الاثنين يقرا ويكتب بن المرحوم انطون دير اروتين الشام واخذت توتن رطل ٥ باديشا[3] سعر ٣٢ ومات ابن العاقل ومراة المارداني وموت كثير واقع بالاسلام

– والسبت ، في ١٧ ت ت ١٨٦٠ ، في ٣ جمادي ١٢٧٧

ومريم حردت من الاحد والثلاثا ورجعت ادلا سالم . ــ السبت اجا دلال من السفر ومرته . وجابت صبي مرات سوكياس ورده الساعة وحده ونصف من النهار .

[٨٢ر]

امرهم داعياً لمشاكل لا تزال سجلات الطوائف تحفظ اثرها وذلك لان الحمايات كانت تسعى في ان تتنصل من دفع الغرامات اذا ما فُرضت على الطوائف فيقع حملها كله على اكتاف البعض دون غيرهم من طائفة واحدة . ذلك مما الجأ اولياء الامر الى الاحتجاج لدى القناصل وهؤلاء كانوا يتلافون الامر باللتي هي احسن . ورواية البخاش في اخذ الترابية من الحمايات دليل على ان الامر لم يكن مألوفاً .

١) راجع [٥٩ر]

٢) بر الترك اي الاناضول

٣) باديشا نوع من التتون

– السبت ، في ٢٦ ت ت ١٨٦٠ ، في ١٠ جمادى الاول ١٢٧٧

[٨٢] ــ الاحد كان عيد سيدة النجاة وبشارة العذراء وعيد الاخوية وعيدت الخوري جرجس الريس ٣٢٤ غرش وابن القندلفت القسيس ١٢٤ والقندلفت ٥٤ . ورحت غلقت العيديات[1] وانتهيت بيت الصائغ وكان نوبة آجقباش وتمينا للساعة ٣ عصليه والاثنين والثلاثا قتالات اهل القصاله والكلاسه وجروحات. ــ الاربعا طلع الباشا والف عسكري وقرطعوا الطابق[2] ومسكوا ٧ او ٨ انفار مسلحين . ــ والخميس صار جروحه مع عريس بالسيف والترس وتجرحوا مقدار ١٧ نفر واجت الدوره ومسكت منهم والبلد مزربنه الله ينجينا من شرهم

– والسبت ، في ١ ك الاول ١٨٦٠ ، في ١٨ جمادي الاول ١٢٧٧

[٨٣] ــ الاحد اولها وكان مطر مساء . ــ الاثنين عرس نعمةالله اسيون الى بنت حنا بندقي كاتبه ليلة البربارة واجتنا سليقه وكنافه[3] . ــ الخميس سركلوا المطران[4] وقالوا قتاوه بعيد عن حلب بجمعه[5] وضبطوا ماله وانطلبوا لبيروت لعند فؤاد باشا وبعد نعرف وماتت مراة الشاشاتي بنت الصايغ ومات جاني بولص بالفالج يوم السبت وقعدوا اولاد الحمصي بن شكري انطون وابن نعوم سليم في ٥ كانون الاول.

– والسبت ، في ٨ كانون ١ سنة ١٨٦٠ ، في ٢٥ ج ١ ١٢٧٧

[٨٤] ــ الاحد اولها حبل حنه وبعده اخويه وابسوا خاتم لزيزف اخت جبرا بليط لابن يوسف اسود وسبوع بن جبرا اسيون نعوم . ــ الاثنين قعد عندي رفول عيجي . ــ الجمعة مات توما عجوري الله يرحمه.

السبت ، في ١٥ كانون الاول ٦٠ ، في ٢ ج ت ١٢٧٧

---

١) غلقت العيديات اي اتيت على سائر الزيارات التي جا تت بالمعايدات .

٢) قرطعوا الطابق : بددوا شملهم .

٣) السليقة هي حنطة مسلوقة ممزوجة بسكر ولوز وفستق وغير ذلك . والكنافة نوع من الحلوى له اصناف شتى وكلها فيها حشو تكتنفه قشرتان .

٤) سركلوا المطران – هل يكون نيقوغوص الارمني ؟

٥) اي بمساقة .

ومشيرين الدول نزلوا الشام لعند فؤاد باشا هكذا سمعنا

[٨٣٢] — الاحد اولها وتريت بعد الظهر اخوية ومساء كرز وزياح ورياضة سريان . — الاثنين بدوا صوم الميلاد صمت وان شاء الله بكمل وبدي يكتب شدياق انطون معلم مدرسة الموارنة واروح عنده اكتبه وكل الجمعة رياضة وزياح القربان . — وتقاتل جنه مع نعوم صاجاتي من تحت راس بنا الديواخانه — وودع القس مخائيل بليط المنتخب مطران الارمن يسافر الاحد المقبل فودعني.

— السبت ، في ٢٢ كانون ١ سنة ٦٠ اول المربعينيه ، في ٩ جماد ٢ ١٢٧٧

[٨٤١] — اولها سافر قس مخائيل بليط وابن شاهين وراح يرتسم مطران وابن تابت . — الثلاثا خطب قونصل الفرنساوي بنت انطون صولا قديماً خطبوها ليوسف كوبا ما رادها نكوها منه والآن خطبها القونصل . — والجمعة اجت بنت الناظور كتبت سطر مع ابوها بن الناظور وعمرها ١١ سنة وبدي يحي برجي سالم لان اخوه حبيب اجا من السفر ٣ العيد.

— السبت ، في ٢٩ ك ١ ١٨٦٠ ، في ١٦ جمادى ٢ ١٢٧٧

[٨٤٢] — الثلاثا راس السنة غربي ١٨٦١ سنة مباركة فائضة الخيرات ومدرة السرور والبركات وردت عيدت باسيلات . — والاربعا مطر . — والخميس بالليل عبرة مرات نعوم اسيون عند بنت اخته بيت سالم ورحنا واخواتي وتمينا الى الساعة ٥ وكان آجق باش وضيمت قبقابي[1] بالبدل .

— السبت ، في ٥ ك ٢ ٦١ ، في ٢٣ جمادي ٢ ١٢٧٧

[٨٤٣] — الاحد رحنا لعبرة العروس بيت الياس ضاهر وخواتي وكان نوبة آجق باش.

— السبت في ١٢ ك ٢ ١٨٦١ في ٢٩ جمادى الثاني ١٢٧٧

[٨٥١] — الاثنين رحنا الباشايات[2] : — الاربعا اجا الباشا عصمت باشا

١) القبقاب مداس خشبي يستعمل في الشتاء ويوضع عند عتبة البيت — وبدل المعلم البخاش قبقابه مع قبقاب غيره . . . حفظنا هذا التفصيل على قلة اهميته حفظاً لذكر الموائد القديمة

٢) بستان الباشا تحوّل في ايامنا الى حي آهل وفيه المصانع ومدرسة الاباء اليسوعيين

حلب بدل حافظ باشا . — والاربعا اجرا المشالح والذنانير والعنبر والحرير من بغداد واخذت مشلح وزنار وخبرا كذلك . — والثلاثا راحت كزه حمام نفيس[1] مع بيت سوكياس عزيه وهذه الجمعة برد وبرز . — والخميس انحل ومطر ومو[2] قوي برد .

[٨٥'] — الخميس رحنا وجبرا وثابت وابن باسيل بالثلج واصطدمت انا دج ٦ وانسلخ كعب رجلي من الجزمة .

– والسبت في ٢٦ ك٢ ١٨٦١ في ١٥ رجب ١٢٧٧

واخذت زنار والشلح واجا فتح‌الله دير اروتني من طرابلس وساكن وعقله مغيّر اللولسقيه .

– السبت في ١٩ ك٢ ٦١ في ٧ رجب ١٢٧٧

[٨٥'] — الثلاثا سركلوا مطران نيقوغوص[3] من ارمن البراصنة بامر الحاكم . — الخميس سعد دابح واول الخمسين .

– الجمعة ، في ١ شباط ١٨٦١ ، في ٢٠ رجب ١٢٧٧

واولها عرس جبران معلم مدرسة الروم الى بنت العكاوي الياس . — السبت صار تلج قوي .

[٨٦'] — الاحد مات ميتة البغتة شكري صايغ جار بنت كوبا ابو نعوم ومات بطرس حمدي ومات ابو الياس الحارس الله يرحمهم . — الخميس السكارى [تلج] حالول وهوا زايد مقبول وداب البرز ونهارها فتحنا المكتب والاولاد قلال . — وصار خبر ان جاي فؤاد باشا لحلب هكذا سمعنا .

المخصصة للارمن والمسماة باسم القديس ورطان الارمني وعدد تلامذتها اليوم (اذار ١٩٣٨) تجاوز الخمس مئة .

١) حمام نفيس او حمام النفساء الذي تدخله الامرأة بعد ولادتها .

٢) مو قوي برد : اي ليس البرد قوياً

٣) ذكرنا في ٣٣/١ اخبار نيقوغوص ومنذئذ وفقنا الى مراجعة بعض الوثائق فافادتنا ان انتخابه بطريركاً لم يوافق عليه الا احزابه وكان من امره اخيراً انه اسلم واقامته الحكومة العثمانية في احد مناصب الحكم بامة عظيمة تحمل منها عقلاء المسلمين

ـــ وليل الجمعة صار عند خوري جرجس بالقلايه كوموديا[1] يوسف الحسن[2] وفرعون واولاده وكان مقدار ١٠٠ نفر ومطران التنوخجي وقس بولس حاتم.

– السبت ، مسكرين[3] في ٩ شباط ٦١ ، في ٢٩ رجب ١٢٧٧

[٨٦'] ـــ الاحد بعد الظهر اخويه وزياح وبالليل طيروا قبب من ورق[4] [بالونات] . ـــ والاثنين صلاة الشوبقرنو واول الصوم ١١ شباط وصمت وان الله اراد يكمل.

– والسبت ، مار افرام في ١٦ شباط ٦١ ، في ٦ شعبان ١٢٧٧

والاربعا ماتت بنت البعال مراة السيوفي نفسا وكذلك بنت الخوري مراة مخائيل ناقوز توفت نفسا.

[٨٦'] ـــ اجوا الفعول وبديوا يكحلوا[5] حيط الحوش من البرية وتمرا طول الجمعة . ـــ والسبت اخذ الياس سبع مني ١٠٠٠ غرش مجيدي عده ٤٠ سعر ٢٥ .

– ٢٢ شباط ١٨٦١ ، في ١٣ شعبان ١٢٧٧

وموت كثير كل يوم عده ٥ او ٦ الله ينجينا من شر هذه السنة . وبلد صوصان[6] دخلوا اليها الموسكوب هكذا سمعنا.

[٨٧'] ـــ الاربعا بالنهار قدام الريحاوي الماء صافي وقليل مثل معتاد

١) كوموديا Comédie او رواية تمثيلية

٢) يوسف الحسن او ابن يعقوب ولقب بالحسن اخذا مما يقوله فيه القرآن

٣) مسكرين اي غير قانعين المدرسة

٤) بالونات – وقد تكون وقعت احدى تلك « القبب » ملتهبة فكادت تحرق البيوت وكانت تلك البالونات مرسلة من مدرسة الاباء الفرنسيسكان مما الجأ الناس الى مراجعة القنصل الافرنسي شاتري دلافوس بالامر فكتب هذا الى الاب برنار دورليان يطلب اليه الا يعودوا يرسلوا « بالونات » فاجاب الاب برنار بالقبول (١٣ شباط ١٨٦١)

٥) يكحلوا الحيط اي يضعون الكاس في شقوقه كما يوضع الكحل في شق العين

٦) صوصان Sis ومنها يعرف الصوامنة في حلب وقد يتخصصون لصناعة الخبز . في كل بيت من البيوت كانوا يتموتون بالقمح عند دخول الشتاء فيسلقونه سليقة (ومنه سليقة البربارة) ومنه يطحن برغلا للطبخ ومنه دقيقا للعجين . واذا « طلع » العجين او اختمر فيدعون «الصوصاني » فيأتي وياخذه الى الفرن ويعود به الى البيت . والصوامنة كانوا يأتون حلب فيقيمون فيها مدة يجمعون بها شيئا من المال ثم يعودون الى سيس او صوص بلادهم.

الصيف الله يترأف علينا ويرسل المطر والحنطة عمال ياخدوها للشام لفؤاد باشا.

– السبت ، في ٢ اذار سنة ١٨٦١ ، في ٣٠ شعبان ١٢٧٧

ومطران الروم كيرللس مريض بداء الاستسقاء الله يشفيه وموجود بدار زمريا لمداواته.

[٨٧ر] ــ الخميس درنا الاولاد بعد الظهر وطالعوا طالع[1] السنة الموقت زاوي ردي الطالع الله ينجينا من شرها وقالوا ٢٧ شعبان يوم مهول بده يصير شي مهول . ــ الاربعا صار طلب للصرايا لاجل ترتيب الترابيه على البلد بالمساواة وما نعرف ما تم .

– والسبت ، اربعين شهيد في ٩ اذار ١٨٦١ ، في ٢٧ شعبان ١٢٧٧

[٨٧ظ] ــ الاربعاء مات يوسف خياط موت الغفلة الله ينجينا وصار قتاله وقوس[2] بن كرزون من السطح ومسكوه ومسكوا النسوان وجلبوه لان المصلحة وخمة وملتبسه . ــ الخميس السكارى والجمعة ضيفتني مراة سكين قونصل الانكليز شغل ميشيل .

– السبت في ١٦ اذار سنة ١٨٦١ ، في ٤ رمضان ١٢٧٧

السبت اكليل قونصل الفرنساوي لبنت دولا ماريا . ــ والخميس كتبت ختم الى رزق الله كرباج بفص والى فتح الله وكيل شعر الى حافظ باشا تاليف فرنسيس مراش .

---

١) طالع السنة او بختها – طالعه الفلكيون وكانت ذكراوات حوادث حلب المشؤومة في ١٨١٨ مذبحة المسيحيين الكاثوليك وفي ١٨١٩ قومة البلد على خورشيد باشا ، وفي ١٨٢٢ الزلزلة ، وفي ١٨٣١ حملة ابراهيم باشا ابن محمد علي عزيز مصر ، وفي ١٨٦٨ الهواء الاصفر ، وفي ١٨٥٠ قومة حلب . . . تثير الرعب في القلوب لادنى اشارة مريبة . . . وظل هذا القلق مخيماً على البلد لسنين عديدة .

جاء في دفتر وقائع دير الاباء اليسوعيين في حلب في ١٦ ايار ١٨٨٢ : خشية كسوف الشمس . الخوف يعم البلدة خشية حدوث الزلزلة . عبثاً حاولنا تهدئة الناس مفسرين لهم اسباب ظاهرة الكسوف الفلكية فلا يصدقوننا بل ينقادون الى اقوال احد الشيوخ المتنبئين المنذر بالزلزلة . فهاجر اناس كثيرون بيوتهم وخرجوا الى البرية وضربوا خياماً وناموا تحتها واقبلوا على الاعترافات والمناولات اقبالا عظيماً شاهم في الاعياد الكبرى . . . خشية وقوع الاجل .

٢) قوس اي رمى بالرصاص

[واشترينا] ليمون رطل والنصف ٤ ٥ غروش الرطل
برتقال رطلين ٤ ٩ غروش الرطل
بنفسج رطلين ٧ غروش "
سكر رطل ١٦ " "

الثلاثا انتهاء رياضة مار فرنسيس.

[٨٨'] — الاحد مات ابو القسيس بن اكوب صباغ موت الغفلة ارمني. — الثلاثا مار يوسف درت عيدت للظهر وبعد الظهر رحت مع جبرا الى الكلاسه للقناية وطالعنا زريقيه وبعده القطانه وشفنا شحرور مقتول وما طالعنا شي واكلنا مطر ورجعنا الكلاب وطالعنا علق وشفنا دج[1] كثير وبعده القبار وما طالعنا شي سوى ٢ وتلاقينا مع نعوم بن الاطرش. — الجمعة صار زلزلة الساعة الثالثة.

— السبت، في ٢٣ اذار ١٨٦١، في ١١ رمضان ٢٧٧:

وهي الثمانين ويومها ركبوا ثريات ٢ بيت الصاجاتي بيت الكبير وركبهم ابو القس مرقس قندلفت السريان وكان مطر قليل وغيم وجايه مطران الارمن ابن البليط وراحوا يلاقوا له جبرا وغيره.

[٨٨'] — الاحد رحت القبار ومعي الياس جبامي ونزلنا الظهر تغديت والهوا زايد جدًا ومساء سلمت على مطران الارمن لانه اجا س ١٠ من الليل من غير ملاقاة من احد وسلمت على قس بولس بليط[2] صار ورتبيد وابن شاهين

---

١) دج طائر في حجم الشحرور وهو من جنسه لكنه ليس به لان الشحرور لونه اسود حالك لذلك سمّي شحرورًا (راجع معجم الحيوان لأمين المعلوف ص ١٧٨)

٢) باسيليوس عبواظ مطران حلب على الارمن الكاثوليك وسماه بولس تيمّنًا باسم رسول الامم. أسس مدرسة الطائفة ورقي الى رتبة ورتيت في ٢ شباط ١٨٦١ ورافق ابن عمّه المطران غريغوريوس بليط الى رومة ١٨٦٧ ثم الى الاستانة للاشتراك في المجمع الطائفي ثم انضم مع المطران غريغوريوس الى مية البطريرك حسونيان وأمّوا رومة للاشتراك بالمجمع الفاتيكاني ١٨٦٩

ومن اهمّ مؤلفات القس بولس كتاب الدعامة. وكتاب النبراس. وكان على قصر قامته وهزالة بنيته مهيبًا بتواضعه وتقواه. ويذكر له الخليون عظاته وارشاداته وتآليفه. فكان

وابن نعوم بخاش شكرالله من الشام وبعده كز سريان ــ والاثنين البشارة وبعد الصلاة رحت مع نعوم خوري ابن الاطرش وصهره اسطفان وغضبان وانطون ميناس والنخل الى عين التل وبعده الجبلات الشقيف والبطن[1] والقوّاس ومساء بالليل مات شكرالله زلعوم الله يرحمه بالريو[2] ورحت دورة العذارى والياس ضاهر ورجعنا الساعة ٣ ونصف ــ والثلاثا مطر وبالليل ايضاً ــ الاربعا كان هوا ومطر ــ الخميس فصح وقداس الكبير والدوره [يسير فيها المصلّون موكباً] وبعد الظهر الغسول .

[٨٨٢]

ــ الاحد ، اولها عيد الكبير غربي ١٨٦١ ، في ١٩ رمضان ١٢٧٧

ودرت عيدت وبكرنا ــ والاربعا انقصد فرج‌الله ضاهر

ــ والسبت ، في ٦ نيسان ٦١ في ٣١ اذار شرقي ، في ٢٥ رمضان

وقعد جبرا بليط عند بولس زلعوم بالمخزن باجره مقدار ٥٠٠٠ غرش ــ والاربعا ولدت مراة انطون تركماني جابت صبي بنت الصايغ والاثنين تغدا عندنا قس بولس صباغ .

[٨٩١] ــ الاحد ليلتها كان بالو بيت فيلكروز الى قونصل الفرنساوي الذي اخذ بنت صولا وكان موزيكا والقونصل تعينت قونصليته الى بغداد وحزنانين[3] على نيتهم بيت صولا ــ النورية[4] عندنا قري ١ نصاص ٣ بالقطل . ــ الاربعا عيد رمضان ــ الخميس رحنا بستان التاقي .

ــ والسبت ، ١٣ نيسان ١٨٦١ ، في ٤ شوال ١٢٧٧

علماً من اعلام الاكليروس في بلدتنا . وتوفي في ١٢ تشرين الاول ١٩١٠

١) الجبلات الشقيف والبطن : هذه مواضع لم تتحقق اثرها ولعلها كانت في ثنايا او منعطفات منبع عين التل اما بستان القواس فهو بالقرب من العين بجنوب

٢) الريو او ذات الربا

٣) اي بسبب سفر القونصل صهرهم

٤) النورية هي زيارة المطران السنوية لكل بيت من بيوت طائفته فيدخل المنزل ويرشه بالماء المقدس فيضع صاحب البيت شيئاً من الدراهم في سطل الماء المقدس

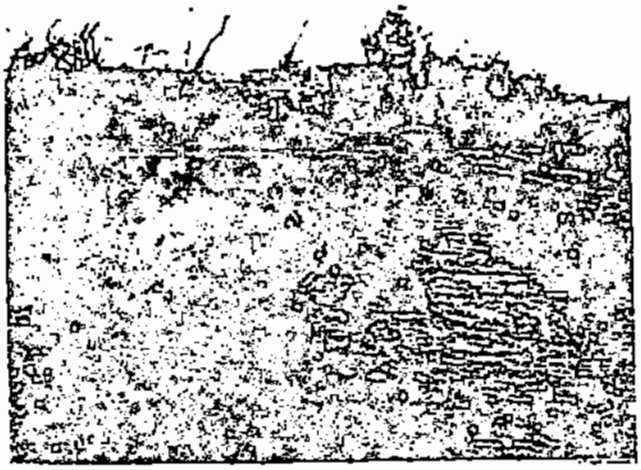

١

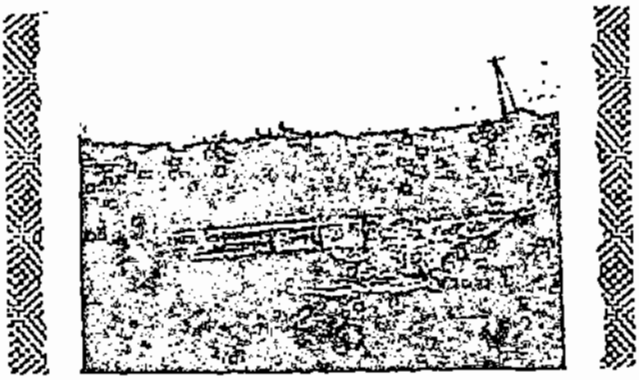

٢

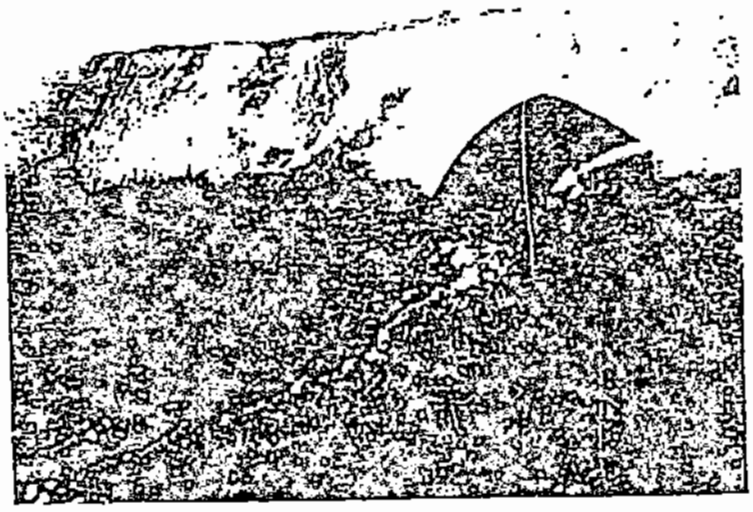

٣

١ بستان الميراني ٢ بستان التاني ٣ عين الش

وشيخ كيال مواظب على مجيئه للصليبه والكنائس والبيوت وللحمام بصايح النصاري عني خير . السبت صار هوا زايد شوّش وكنر بلّور ورمى شجار كثيره بالبساتين .

[٨٩ظ] ــ اولها كان رزق‌الله سالم واخوه عبدالله [في المدرسة] وبعده اجا الياس جهامي وقريت واجانا جبنه من عند بليط رطل ٦ سعر ٦ وثلث ــ والاثنين والثلاثا هوا بارد والاربعا وكن الهوا والجمعة مطر وافر للعصر وكان مغيّر كيفي من قبل ورم حنكي . وصف الجد منقى مطبوخ واستعملته ــ السبت ، الحمد لله صح كيفي والورم ما زال .

ــ ٢٠ نيسان ١٨٦١ ، في ١١ شوال ١٢٧٧

والثلاثا مكتوب الى اسكندرية وذكر جبرا عن لم الدراهم واولها كبسنا الزبيب لاجل عرق رطل ٢٥ .

[٨٩ظ] ــ الاحد اولها درت بالصايح وقريت واخويه وبعد لعب طاب ودك[1] للمسا ــ زياح ارمن ــ الاربعا صار بالو عند قونصل الفرنساوي شطري دلافوس لبكره وتعدوا عندي اولاد فتح‌الله عجم الاربعا عمال يعزلوا مغارتهم[2] بيت الوكيل واولها سافر شدياق انطون شماس مطران الموارنة وسكر المدرسة وجبران دشروه [صرفوه] من المدرسة التي للروم وفتح عند عمه مكتب بيت العكاوي ووصلني من جبرانيل بليط مجيدي دين ٢٠٠ .

ــ السبت ، في ٢٧ نيسان ١٨٦١ ، ١٨ شوال ١٢٧٧

واجا الياس كرونلي واخته من بيروت وطاب من وجعته وسافر فرنسيس عجوري الاثنين الى ادنه ارسله زلمته الفرنجي من اجل صوف .

---

١) لعب طاب ودك : يجلس اللاعبان وبينهما خشبة على شكل مربع مستطيل طولها زهاء الذراع وسطحها مقسّم الى بيوتات ينقل اللاعبان فيها « احجارها » طبقاً لما يتالونه من الوان القصب القائم الذي يطرحونه على عمود صغير موضوع على حدة فيغلب فيه تارة لون « الظهر » وطوراً لون « البطن » وبموجب ذلك الاتفاق ينقل اللاعب حجارته فيكسب او يخسر .

٢) حلب مدهشة بمغاورها ليس فقط في نواحيها ولكن في ذات المدينة واكثر الدور لها مغاور وتكون دافئة في الشتاء باردة بالصيف واحياء برمتها مبنية على مغاور متصلة بعضها ببعض

[٩٠١] – السبت احكى معي شكرالله عرقتنجي لاجل اولاده ٢ والاكثر ما صار بازار .

— في ٤ ايار ١٨٦١ ، ٢٥ شوال ١٢٧٧

وبديت شهر المريمي الثلاثا بقسمة من الوردية وانكسروا بيوت اربع باسلامبول حرا وبلطجي ولاسكريدي وسمنا قتلوا كندات ببيروت الاسلام ونعوم شمراوي متقل[1] والله يشفيه وارسلنا مكتوب ٢ لبغداد ومرسيليا تصفاي شغل وقشينا من الداليه بيرق[2] وسافر شكرالله بليط ومع باسيل يوسف الى انطاكيه لاجل تغير الهوا لان المذكور مريض وقالوا انه مسافر لعند اخوه نصري الى اسلامبول. ووقعت الساعة من زناري وانكسرت بلورتها .

[٩٠٢] — الاثنين كان عرس الياس عزوز الى بنت اخو فتح الله صدق وفكروا اخت جبرا بليط من ابن الاسود .

— السبت ، في ١١ ايار ١٨٦١ ، في ٢ ذي القعدة ١٢٧٧

وجبرا ذكر انه اشترى الجحش بجيدي ٢٥ بعدّته وربطه عنده باخور ابو الجهاد والجمعه ارسل ابن الناطور فردة فحم عن كتابة بنته امون [تلميذتي] .

[٩٠٣] — الاحد ازمزمنا للغدا بيت نعوم سالم وكان رينا وبعد الغدا صار تلبيس خاتم انره بنت نعوم سالم الى ابن فتح الله ارسان وما قدرت اروح الى الاخوية ونظمنا الرياضة عندنا ومساء زياح سريان — والاثنين بدي يكتب ابن شكرالله عرقتنجي ومساء صيد التفنكه بالعويجي واكلت مطر غزير ومعي الشمسية — والثلاثا بالصيد بالتفنكه واجا زود للنير وماوه احمر وضربت جاويش الترغل — والخميس برك[3] نهارين ابن رزق الله حمصي نقولاكي ورحت ورزق الله ثابت العويجي وجربنا التفنكه الجديده وضرب رزق الله صفري[4] وولدت مرات الياس قصاب

---

١) متقل اي انه متعوب تحت ثقل المرض.

٢) البيرق (من التركية مناد ورق) في اصطلاح الحليين ورقة الكرمة المشتملة قشرة للف الطعام « المحشي » ومنها البيرقلي اي الظليل راجع [٥٩١]

٣) برك اي اقام في المدرسة

٤) صفري او العصفاري طائر

صورة شكرالله عرقتنجي ، تشرتله ثياب تزي لبس الرجال في ذلك العهد
العمامة والزنار من شال ترما والقنبيز مع سوط والسروال من قماش جحجور وردي
والمست والبابوش والقنبيز حسيني

وجابت صبي وقطعوه حتى طالعوه ومريضه الله ينجيها من هذه الولاده — والجمعة مطر ولبسنا القبقاب والتفاح كله وقع من عندنا وسمعنا صاير غلا بالهند وعمال يموت كل يوم مقدار نفر قالوا ٢٠٠ من الجوع الله ينجينا وبارضه موجود جراد.

— السبت ، في ١٨ ايار ١٨٦١ ، ٩ ذي القعدة ١٢٧٧

وسافر شكرالله باسيل وميخائل ليان .

[٩١'] — الاحد رحنا وبليط وجهامي وثابت وبينا الوضيحي وبركونا عند الاخون الخالدي — الاربعا مساء مات نعوم شعراوي الله يرحمه — والثلاثا ختموا الرسائل شاهين ومشحور ورفقاؤهم ومساء رحت جنينة التاقي وجبت فرخ واحد ومساء تعشيت عند رزق الله حمصي وكانوا بيت كوبا كلهم .

— والسبت ، في ٢٥ ايار ١٨٦١ ، في ١٦ للقعده ١٢٧٧

[٩١'] — الاحد ودعت انطوناكي كوسا وركب وسافر ووقع من على الكديش ورجع وما عاد سافر والحمد لله الان كيفه احسن الله يشفيه واسلم ابن الصباغ شماس غنوسطوس وقالوا اكل قتله من جرجي ضاهر لانه تكلم على الريس خوري جرجس شلحت بالبركه حروف ع ف م[1] فضربه على هذا الكلام وارسلوا يتاوه للحكم فاسلم — والاربعا حطب قوم ٢٦ رطل غرش ٤٣ .

— السبت ، في ١ حزيران ١٨٦١ ، في ٢٣ ذي القعدة ١٢٧٧

[٩١'] — الاثنين قعدوا عندي اولاد هلال الثلاثة من مدرسة الروم [التابعة للبطران] كيرللس واجت مراة نصري حجه وحموه وحماته وابنه وبنته من قونية وسلمت عليهم — الثلاثا وقالوا طهروا الذي اسلم ابن صايغ شماس بطرك بطرس والمذكور اسلم قبلًا وحياه البطرك وبعد وفاة البطرك صار يعقوبي وبعده رجع والان رجع أسلم .

— السبت ، في ٨ حزيران ١٨٦١ ، في ٣٠ ذي القعدة ١٢٧٧

— وسمعنا الاربعا بده يسافر العسكر الفرنساوي من الجبل ونبهوا على

---

١) تخاشى البخاش اعادة الكلام فنوه به « بالبركه » او بالاختزال ذاكرًا اول حرف من كل كلمة

السلاح لا احد ينقله ، من الحكم ، بالكنايس. وباشة مصر انطلب لاسلامبول وراح وسافر معه يوسف حجه بالفابور وانطوناكي ضاهر بالزنطاريه من يوم ٢ الان وجه[1] العافيه ان اراد الله .

[٩٢'] — الجمعة توفي مطران كيرللس مطران الروم الافسي وسمعنا وحاوا الفرناويه من الجبل — والخميس خطب جرجي حمصي بن المقدسي نعوم حمصي الى مريوم بنت حنا خوري اللتي الان عمال اقريها — والخميس فرمنا التتون — والسبت زيت جره ٦٢٤ .

— في ١٥ حزيران ١٨٦١ ، في ٧ ذي الحجة ١٢٧٧

اجا القز من بغداد وكتبت ورقة عماد انطوناكي كوسا عمره ٢١ سنة .

[٩٢"] — الثلاثا عيد الاسلام الله اكبر ورحت مساويه القبار وانا راجع مساء صدفني عسكر نظام وهنتر[2] عليّ [اي كابر وشتم] لاجل شمل سيكاره — والجمعة ولدت مرات نعوم حمصي جابت صبي — والسبت دفعت للقس شكرالله ايوب علاقة الايجار ١٨٠٠ من كرا الحوش ٥٥٠ .

— في ٢٢ حزيران ١٨٦١ ، في ١٤ ذي الحجة ١٢٧٧

— والجمعة قتالة نعوم جنو وساجاتي نعوم لاجل سطارات المربع وحالوهم

---

١) وجه العافية اي توجه الى الصحة

٢) بلغت الينا عن اخبار تلك الايام وثائق لا سبيل الى ذكر مصدرها جاء فيها ان تلك « الهنترات » او الشتائم كانت تصدر تقريباً كل يوم في السوق اذا مرّت تلميذات راهبات مار يوسف المؤسسات آنذاك معهدهنّ حديثاً في حلب حيّ المدينة ؛ واذا خرج تلاميذ الاباء الفرنسيسكان للتنزه واجتازوا حيّ الجلوم قاصدين الى الاحياء المسيحية . ونالت الشتائم في بعض الاحايين القنصل الافرنسي ذاته ومعه قواسه ، فيعبر من ثم حادث سياسي يبلغ صداه السفارة في استنبول رغم له السلطة التركية في حلب . . . ومضت الايام ولا يبقى لهذه الشتائم اثر الا في الوثائق القديمة . . . وفي افواه بعض الرعاع فلا يتمسكون عن سب المسيحي اينما وجدوه وامكنهم سبّه دون الوقوع تحت طائلة المعاقبة . وليس المسيحي محتاجاً ، في يومنا الى ان يتوغل في حلب بعيداً في احياء باب النيرب وغيرها لكي يسمع تلك الشتائم بل حسبه ان يجتاز حدود الصليبة والجديدة الى الشرق ليسمع ما هان ولان ، نسال الله ان ينير الجهال ويقي البلاد شرهم فلا يذكر المخلف عن السلف الا كلّ اثر صالح

المطارين روم وموارنة وبديرا بالديوان مشحور وبطق وشاهين ورفقاؤهم [وكانوا قد ختموا الرسائل]

[٩٢ب] — الاحد اولها صلّيت عند الموارنة . وكان زيت القنديل [رتبة كنائسية] ورحنا الوضيحي بليط وشقال وخوري ورحنا كرا ٥٤ ونهارها اكلنا توت من الشيخ صعيد — والثلاثا صوم الرسل غربي وصمت الله يتقبل وقعد عندي باسيل ابن الاطجي وموصلي الغريب سليم — والاربعا طار طير الفرخ المكحل وما اجا للان .

— السبت ، الرسل في ٢٩ حزيران ١٨٦١ ، في ٢١ ذي الحجة ١٢٧٧

— الثلاثا توفي عبد المجيد السلطان ووقف مكانه السلطان عبد العزيز وظهر الاثنين نجمه بذنب من شمال عسى خير .

[٩٣أ] — الاثنين قعد عندي يوسف ابن اكوب الصباغ لاجل الكتابة .

— السبت ، في ٦ تموز ١٨٦١ ، في ٢٨ ذي الحجة ١٢٧٧

[٩٣ب] — الثلاثا اول محرم ١٢٧٨ سنة مباركة — الاربعا بدي يكتب كلداني — الجمعة اجت البوسطة ونصب عبد العزيز السلطان داود باشا للجبل باشا ارمني من غير مراجعة له ، مخير وتحت يده حكام ٢ وقروا الفرمان قبل الظهر وكلفوا الروسا[1] للفرمان وزكروا عنه — وتغدّا عندنا قس بولس صباغ

١) في مثل تلك الحفلات كانت تهيأ المقاعد للمدعوين فيجلسون طبقاً للترتيب الرسمي . اليك ترجمة النظامنامه المتعلقة بها الارادة السنية والصادرة عنها الاوامر السامية الى الولاة فيما يتعلق بتشريفات الروساء الروحانيين في ذلك العهد :

« انه نظرًا لكون في المجالس الخارجة يوجد افراد اعضاء من روساء الملل الروحانية الغير مسلمة وبما انه تقدمهم على بعضهم يكل على جاري بخلاف طرز ولكون من قبل عدم هذا الترتيب والانتظام يحصل قيل وقال وشكايات فلاجل دفع واصلاح هذه الحال قد صار الابتدار الان لوضع بعض قواعد اللازمة تتعلق بالتشريفات المذكورة وهي هذه :

المادة الاولى : ان الروساء المومى اليهم ينالون مراتب التشريفات بمقتضى الرتب المخصوصة الروحانية الحايزينها بموجب البرأات العالية : اولاً ان (المتروبوليت) اي الريس اساقفة يتوجد بعد القاضي والمفتي والذين هم برتبة اسقف هولاء يتوجدون بعد مديري المال .

المادة الثانية : اذا توجد بمحل روساء روحانية مختلفي المذاهب ووجدوا جملتهم برتبة واحدة فن اعتبار تاريخ براتهم حسب القدمية يتقدم بعضهم على بعض . فقط بمقتضى الامتياز

وكتب له ورقة الشجرة — زينه بالبلد يوم ٣ بعد نعرف .

— السبت ، في ١٣ تموز ١٨٦١ ، في ٥ محرم ١٢٧٨

وثوب حمدانا فخري ؛[1] للبيت .

المخصوص الذي اعطي من القديم الى رؤساء كنيسة الروم الروحانيين فرؤساء اساقفتهم يتقدمون على سائر الرؤساء الروحانيين الذين هم برتب مثلهم ايضاً .

المادة الثالثة : ان الاعضاء السائرة بمقتضى اصول التشريفات تترتب رتبهم ويتقدمون على بعضهم بحسبها اي ذي الرتبة الاعلى يتقدم على ذي الرتبة الادنى وكذلك اذا وجد اعضاء من الاسلام او من خلاف مذهب في احد المجالس برتبة واحدة او بغير رتبة فيعتبر بذلك تاريخ قدمية دوامه الى ذلك المجلس المأمور به وبحسب القدمية يتقدم بعضهم على بعض

المادة الرابعة : ان اصول هذه التشريفات التي ذكرت وتعددت اعلاه نظراً لكون مستندة مجرداً على قاعدة الامتياز المخصوص والرتبة والقدمية فغير وجه لا يعد وسيلة لتغيرها واخلالها انتهى »

راجع وثائق دار المطران المارونية في حلب ، المرتبة بفضل حضرة الاب الياس غالي ، اشارة المطران يوسف مطر ١٨٥٠-١٨٨٢ ، عدد ١٨ . ومن هذه النظامنامه قد يؤخذ الجواب على من لام الاكليروس الشرقي في المبالغة بالالقاب حتى لا يكاد احد من المطارين يكتفي بلقب اسقف بل يسمي نفسه رئيس اساقفة . . . واين هم الاساقفة المترئس عليهم ! . . . (راجع مادة انطاكية في قاموس التاريخ والجغرافية الكنائسي ، لكارلوفسكي Dictionnaire d'Histoire et de Géographie ecclésiastique, article Antioche par Karalowski) فان فعنا الى كون مجرد اللقب رئيس اساقفة كان يخوله الحق في التقدم على غيره في المجالس الرسمية واعلاء شأن « الطائفة » الموكل امرها اليه عذرناه فيما اتخذه شرفاً يساعده على القيام بوظيفته . . . على ايام الاتراك وقد نبغوا في التقسيم بين الطوائف وتخويلها الامتيازات الوهمية ! زينوا حلب احتفاء بالجلوس الهمايوني وسوف يقرأون الخطاب الذي بلغهم في ١ تموز ١٨٦٦ من المركيز دلاڤالت سفير فرنسة لدى السلطان عبد العزيز ، نشرته الطباعة تفاؤلاً بعصر البلاد في نور العهد الجديد ، ذكر فيه السفير الافرنسي المبادي الاساسية في الحكم الدستوري وحرية الضمير والمعتقد والتساوي في الحقوق والواجبات طبقاً لمعاهدة كولخانه وخط همايون ١٨٥٦ وقال ان السلطان في تطبيق تلك المبادي سوف يجد سنداً في محبة ومعروف شعب من مسيحيين ومسلمين . فاجاب عليه عبد العزيز وقال : « أعزّ ما يكون عليّ هو ان تتمتع رعيتي من مسلمين ومسيحيين ، طرّاً ، بنعم الحياة ، وان تنمو وتزداد كل الانعامات التي انعم عليهم بها ابي واخي ، بعون الله تعالى »

وما اكثر ما كان بعد الاتراك بالاصلاحات ! . . .

١) ثوب حمدانا او هذاقي (على قول الشيخ الترمذي) وافهم بالثوب ملفة القماش بكاملها يدوخها على الفرش

[٩٣ب] ــ الاحد رحنا الى مخاضة بابنس وانتهينا بالمسلمية ــ الاثنين كان زينة بالبلد من يوم السبت. زينة جلوس السلطان عبد العزيز يوم ٣ نزلت تفرجت بالمذينة وفت[1] بيت مركوبرلي وعند يوسف السنيور قونصل السويس وكتب سطر ليوسف المعلم الشامي ــ والثلاثا بالليل جاب العكاوي نوبه لاهل الحاره ودقت[2] بالليل.

ــ والجمعة ، في ١٩ تموز ١٨٦١ ، في ١٠ محرم ١٢٧٨

وبديوا بالمقامات صاحباتي وكبابه وسالم واخته ادلا وضاهر ومعهم هلال ٢

[٩٤أ]

ــ السبت ، في ٢٧ تموز ٨٦١ ، في ١٩ محرم ١٢٧٨

والمتنين[3] الحواش بالصليبية تغدّوا الاثنين عند مطران الروم ديمتريوس انطاكي ــ والثلاثا عند خوري جرجس شلحت ريس السريان ــ والاربعا عند الارمن مطران غريغوريوس بليط ــ والخميس عند مطران الارمن البراصنة ــ والخميس وصلني خلعة باسيل ضاهر طاقة وما قدر قبلانها [اي لا اقدر ان اقبلها] للان وسكنوا بيت شمرواي بحوش عبدالله سالم وسالم حوش هارون سكن واولها عرس ابن يوسف ايوب بنت شكري عبد الاحد .

[٩٤ب] ــ الاثنين قعدوا عندي ابن فتح‌الله جنبير ــ الثلاثا اجوا عندنا المعدّلين كرا الحواش لاجل الترابية كتيرين وصرفوا الاولاد وراحوا وسمت حوشي ١٢٠ كراها وقعدوا عندي اولاد نعوم حمصي ميشيل واخته .

ــ السبت ، في ٣ آب ١٨٦١ ، في ٢٦ محرم ١٢٧٨

واولها عرس ابن التاجر لبنت شكري تاجر ــ والثلاثا اجا نعوم خاطي ومرته واولاده من الشام ونزل عند انطون اخوه .

[٩٤ب]

ــ السبت ، في ١٠ آب ١٨٦١ ، في ٤ صفر ١٢٧٨

١) فُت اي دخلت وانت اللفظة مخالفة للعربية الفصحى من فات او مضى وذهب

٢) دقت النوبة اي عملت واشتغلت

٣) المتنين اي المتيّمين قبة البيوت وقبة كرانها ليضربوا من ثمّ الترابية عليها

[٩٥١] — السبت كتابة حجر قبر مطران كيرلاس الذي مات في ١٢ حزيران .

— والسبت ، في ١٧ آب ١٨٦١ ، في ١٤ صفر ١٢٦٨

والثلاثا صار شوب وصل الى درجة ٣٧ وغيم وتوهموا الناس من زلزلة[1] وفتحوا برابة وراء العمارة وراحوا بستان القبار كثيرين وصار مطر وافر بجان طومان — والسبت سافر شكرالله تابت ومعه جرجي ابن عمه الى الاسلامبول وجابت بنت امراة انطانيوس عازار .

[٩٥٢]

السبت ، في ٢٤ آب ١٨٦١ ، في ١٨ صفر ١٢٧٨

---

١) توهموا الناس من الزلزلة — لم يزل آنذاك حيًّا في حافظة البخاش ومعاصريه ذكر الزلزلة الكبرى التي حدثت سنة ١٨٢١ فزعزعت بلاد الشمالي السوري وخربت في مدينة حلب دورًا ومعاهد وقتلت الوفًا من الناس تحت الردم (راجع وصفها في تاريخ النزي ٣ ، ص ٢٢٩ وما بعدها ؛ وفي تاريخ الطباخ ٣ ، ٤٠٠) وقد رافقت تلك الهزات الارضية عوارض جوية وابتدأت بانقطاع الهواء واشتداد الحر . . . وصار الناس من بعد اذا ما اشتدت وطأة الحر عليهم يتوهمون قرب وقوع كارثة جديدة

ولما كانت نشرتنا هذه غايتها الالمام بالوثائق التاريخية المؤدية مواد لبناء التاريخ فرأينا ان نضيف اليها وثيقة اخذناها من وثائق دار المطران المارونية في حلب من اضبارة المطران جرمانوس حوّا عدد ١٢٥ وهي سابقة لعهد البخاش لكن فيها التطبيقات على اخلاق وسياسة عهد واحد . وهي رسالة من المطران جرمانوس الى القنصل الانكليزي باركر قال :

« انه في الزلزلة قد خرب بعض اطراف كنيستنا من خارج فارسل الباشا والقاضي كشفوا كنيستنا فما رأوا انا عمرنا شي بالكلية ومع ذلك مسكوا قسيس من كنيستنا وحبسوه وعروه من ثيابه واخرجوه ليشنقوه واخذوا جرم من كنيستنا ثمانية عشر الف وخمسماية غرش ١٨،٥٠٠ ش مع كونا لم عمرنا شيء واوقاف الكنيسة خربت ايضًا . فالبعض منها اكريناها لسكانها سالف لكي يعمروها ويسكنوا ويعطوا الكرى . وبقى ثمانية عشر حوش الذي سكانها فقرا والكنيسة مديونه وعاجزه عن عمارها فباقيه معطله ومطلوبين ان نعطى المساير والمابان عن الخراب وما بقي لكنيسه مدخول من الاوقاف . فان كان دولتكم العاليه الشان تكرم على كنيستنا واوقافها بشي لاجل العمار فيبقى لسعادتكم ودولتكم المنوره الثواب عند الله . . .

١٦ نيسان ١٨٣٣

جرمانوس حوّا

والجمعة وصلني قري ٦ كتابة حجر مطران كيرللس الروم ودفعت دراهم لاجل صوار مريم المذهب وبديوا بعمار قلايه الكبيره فعاله بالف ٧٥٠٠ يوم الاثنين [عند السريان] .

[٩٥] اولما عرس نصري دلال لبنت غزاله لوسيا .

السبت ، في ٣١ آب ١٨٦١ ، في ٢٥ صفر ١٢٧٨

وانعزمنا لعرس بن الشماسية كلنا .

[٩٦] رحنا عرس بن الشماسية وخواتي وكان نوبه وهربوا[1] العريس ورحنا جبنا العروس من المشارقه[2] وخوري ابراهيم حبس جرجي عجم لانه سكران وسب القسيس بدينه ورجعنا بكره صليت عند الروم بالشرعوس .

— السبت ، في ٧ ايلول ١٨٦١ ، في ٣ ربيع الاول ١٢٧٨

[٩٦] — الاحد بعد الظهر سبوع بيت الشماسية ورجعت بعد المغرب — والاثنين سبوع النسوان[3] .

١) هربوا العريس . عادة غريبة ، كانوا يحجبون العريس عن النظر اما عندما كان يسير الى بيته واما اذ هو فيه ، دفعاً للاصابة بالعين ، فيختبئ ويعود . ويقول الناس انه يختفي لئلا يغار منه ملك الجان فيؤذيه . وقد تكون علة هذه الخرافات اخم على ايام الفوضى والاستبداد كانوا يخافون على العروس لئلا يفتك بها احد الظالمين من الاقوات فيحجبون مظاهر العرس عن الانظار . . . وبالطبع اذا كانت العروس بارعة الجمال كان يُزاد الخوف عليها . وظلوا يحجبون شيئاً من مظاهر العرس بتهريبهم العريس . ان لم يكن ذلك خوفاً من الظالمين فيكون اشارةً الى ان العروس فيها من الجمال ما يفتن ملوك الجان فيبالغون بالحفاوة بها

وملوك الجان سبعة الاحمر والاخضر والاصفر والازرق والابيض والاسود والابلق ومن اجلهم سمّوا « سبع ملوك » القماش الملوّن بهذه الالوان . (راجع ٣/٨١) ؛ ورؤيا يوحنا ١٧:٦ ؛ ومقال الانبا ليتر في مادة « عدد » في قاموس الكتاب المقدس .

٢) المشارقة : جاء في تاريخ الازمنة للدويهي (ص ٥٢ من مخطوط المكتبة الشرقية) : « وفي سنة ١١٦٨ مسيحية توفي شاروق التركماني واليه تنسب الطائفة الشارقية . فسكنوا بظاهر حلب وبنوا عمائر كثيرة على شاطئ نهر قويق تعرف بالمشارقية » . . . ونقول ان تهريب العريس من ذلك الحي معقول لان الاهالي المشارقة كانوا ممن يخشى شرهم . وقال فيهم كامل الغزي (٢ : ٥٠٨) اخم خليط من العرب وقرباط العجم

٣) في مناسبة ذكر الاعراس واسبوع النسوان اليك اثراً عثرنا عليه في خزانة الاثار المارونية وهو ترجمان اخلاق ذلك العهد : (اشارة المطران يوسف مطر ، عدد ٥٦)

— السبت ، في ١٦ ايلول عيد الصليب غربي ، في ٩ ربيع الاول ١٢٧٨

ه اعلان بالرب لابناء طايفتنا المارونية

اننا لاجل نجاح نفوسكم وراحتكم الزمنية ونفوكم بنعمته تعالى فقد لاحظنا انه ضروري جدًا ان نوضع الوصايا الاتي ذكرها ونحث املًا منكم بحفظها بكل تدقيق الامر الذي مخالفته لا تخلو من لاية الخطا الثقيل وتحت ثقل خاطر الله وخاطرنا لانها واجبة لمجد الله تعالى وتوفيقكم بالنجاح العايد لنمو عيلاتكم المباركة كما وقبل كلشي نحرضكم على حفظ وصايا الله ووصايا كنيسته وعلى الخصوص حفظ ايام الاحاد بالتوقي من مباشرة اي عمل خدمي كان خاصةً البيع والشرا والمساوقات والاخذ والعطا والحلاقات التي لم تزل نحرض كافة جمهوركم المبارك بالتجنب عن مباشرة الحلاقة يوم الاحد وبالثاني نحرضكم على حفظ هذه الوصايا

اولًا نمنع غرايم العرايس قبل زيجتها وبعدها وفي ذهابها الاول الى بيت الاهل لا يأتي معها غير اثنتين ام ثلاث من اهل البيت والمكان الذي تدخل اليه لا يوجد فيه سوى اهل العروس ذاتها ولا نسمح لنسا طايفتنا ان يذهبنا الى دخول عرايس غير طايفة

ثانيًا عدم اجلاب العروس ليلًا بالشموع والاغاني واذا اقتضى لاجل الضرورة او بعد الطريق او غير حجة لازمة اجلاب العروس ليلًا فليكن جلبها على فترين او اربعة اقتار لا اكثر

ثالثًا نمنع باعظم ثقل نوم الشبان والبنات خارجًا عن بيوت والديهم واما اذا ضدف لاجل خدامة مرض ام ولاده واقتضى ان تنام الابنة خارجًا عن بيتها فليكن ذلك باذن مرشدها

رابعًا لا احد يذهب من بيت الى بيت لاجل الفرجه على الاعراس او الولايم ولا تخرج النسا ليلًا واقفات بالزقاق لاجل فرجه الاعراس ايضًا

خامسًا قد دخلت عادة سيئة وهو ان الرجال يتوجدون في اسبوعات النسا فمن الان وصاعدًا لا عدنا نسمح قط ان تتوجد الرجال في اسبوعات النسا ما عدا الاشيين والرجال الساكنين في دار العريس ذاتها

سادسًا كل عهد او وعد او هدية او خطبه او بصفة خطبة او بنوع او بشبه خطبة التي تعقد او توعد فيا بين الطايفين مع بعضهم انكان بين المتعاهدين او والديهم او وكلاهم او اقاربهم او اي شخص كان بدون وجود كاهن قانونيًا من قبلنا فنحن بسلطتنا نبطل هذا الوعد او العهد او الخطبة ونجعلها ان تكون باطلة متلاشية ولا قوة لها لمداعاة او دعوى ما قطعًا كليًا حسب مرسوم مجمعنا اللبناني المقدس والمناشير المبرزة من بطارك طايفتنا ايضًا

واخيرًا نروم من كل فرد من روسا العيلات ومن تقوى حضرات ارخندوس طايفتنا الجزيل اكرامهم ان يعتنوا بكل تدقيق ليس بان يحفظوا وصايانا هذه فقط بل ولان يجتهدوا بكل غيرة تقوية في ان يمانعوا ويصدوا كل طريقة او عادة من شأنها ان تثلم او تنتقص حفظ وصايانا هذه ونحن من صميم فؤادنا نطلب من الله ان ينسيكم وينجيكم روحًا وزمنًا مكررين

وبعثنا مباركه للعرس شغل ميشيل عرموش[1]

[٩٦ظ] ــ الاحد رحنا عزيمة مع فرنسيس عجوري الى جنينة شيخ الكيال وكان نوبة الأكثر .

ــ في ٢١ ايلول ١٨٦١ ، في ١٧ ربيع الاول ١٢٧٨

ــ والخميس المخلة اليهود وحنا سالم لبس خاتم لمازو شعراوي وسافر يوم الاحد الآتي .

[٩٧ا] ــ السبت سافرت مدول ضاهر بالليل بتختروان وفرج‌الله ضاهر راح يوصلها للاسكله .

ــ في ٢٧ ايلول ١٨٦١ ، في ٢٦ ربيع الاول ١٢٧٨

وسافر يوسف صايغ الى اسلامبول حتى يجيب اخوه شكرالله وكوبا شكرالله طلع لبيروت وجايه لحلب واولها اجا جرجي عجوري مع معلمين سكولا الفرنساوي وقدس[2] واجا معهم بطرك اللاتين سعود قاصد[3] ــ الخميس زار الكنايس وفرق للفقرا كل كنيسة ليره ١٠ فرانسا .

[٩٧ظ] ــ الاربعا سافرت مراة نعمةالله حمصي الى مرسيليا ومخائيل عجم الى جبل الدروز ــ والخميس انعزمنا الى نقشة مارو صاجاتي لابن الياس شاهيات ــ والسبت سافر بولاكي كبابه ومرته الى البصره وبغداد .

ــ السبت ، في ٥ ت الاول ١٨٦١ ، في ٣٠ ربيع الاول ١٢٧٨

[٩٧ظ] ــ الاربعا صيد سمك بكرد ما في شي ومسا . براق قدام الزقازيق بالدباغه وصيروا جمعية حكما لابن نعوم غزاله رزق‌الله الذي كان عندي سابقاً وصار للذكور وجمع الزلطان بجنكه وشاوروا ان يروح الى باريز حتى يطيب

نحوكم بركتنا الرسولية ثانياً وثالثاً — الحقير في روساء الكهنة

تحريراً في دار اسقفيتنا في افتتاح ١٨٥٥ — يوسف مطر مطران حلب

١) عرموش : نوع من الحلو المصنوع من مزيج الطحين ورغوة البيض المحمّرة المنسّرة ، وهيئته تذكر بشر الصنوبر والعرموس في لبنان يقال عن « شمّوطة » الدرد المصري .

٢) قدس اي زار القدس اورشليم

٣) القاصد السيد فالرجا Valerga

لان هناك حكيم ماهر بالجراحـه هكذا سمعت واجا خبر شكري خوري بن نصري خوري تلميذي متعلم عندي القراءة والكتابة فهذا اراد يسقي دابته من العاصي بانطاكية فقلب عن ظهرها واختنق الله يرحمه .

— الاربعا ، في ٩ تشرين الاول ١٨٦١ ، في ٥ ربيع الثاني ١٢٧٨

انتها السنة ٢٤ وابتدا سنة ٢٥ لافتتاحي المكتب سنه مباركه ان اراد الله بجاه اسمه العظيم ينجينا لامثالها — السبت سافرت مراة نعمةالله غزاله الى باريز حتى تطبب ابنها رزقالله من وجعة الزلمطان بحنكه الله يشفيه لها .

[٩٨١]

— السبت ، في ١٩ ت الاول ١٨٦١ ، في ١٥ ر ت ١٢٧٨

واجت مراة زمريا من ازمير — الاربعا صيد مع برجي سالم وسهرت الثلاثا ولعبنا عندهم بالورق — والجمعة اجا مطران السهان مكاريوس ونزل عند روم الفسافسة وسمعت فرقوا الورق[1] بحلب . وببغداد عمال الهوا الاصفر يموت ومشتغل .

[٩٨٢]

— السبت ، ديمتريوس ٢٦ ت الاول ١٨٦١ ، في ٢٢ ر ت ١٢٧٨

ورحت صيد التفنكه ضربت ٥ وبعد الظهر ركبت حماره سوسه مرات جبرا دلال على اسم مخائيل عجوري وراح انطوناكي وامه عين التل ونزلنا ماء وانبسطنا كثير .

[٩٨٣] وهذه الجمعة اجا عسكر ونبهوا ان من المغرب للعشا ما في شي والساعه ٥ نفير وبعده اي من شافوه قبضوا وبلا ضو يمسكوه عطايه ١٠٠ قرى ١٠٠ حبس شهر من الحكم وقالوا في مسك نظام قرعه ٧ .

— السبت ، في ٢ ت ت ١٨٦١ ، في ٢٩ ر ت ١٢٧٨

[٩٩١]

— السبت ، في ٩ ت ت ١٨٦١ ، في ٦ جمادي الاول ١٢٧٨

---

١) الورق للقرعة العسكرية

ماتت مراة سقيفه بالحوش الكبيره[1] جيت بيت شاهيات وكنا بالسبوع والولاويل مشتغله[2] .

[٩٩أ] ــ الخميس توفي قس يوسف كيال الارمني .

– السبت ، في ١٦ ت ت ١٨٦١ في ١٣ جمادي الاول ١٢٧٨

ودفعت لنصري بليط الطي ١٩ قرى ١٤ ابو العشرون ٤ قطعة ٥ لاجل توتون لان المذكور رايح مع جبرائيل بليط الى جبل الكراد .

[٩٩ب] ــ الاربعا تفرجنا على باشة بغداد والسبت سافر وكشفوا دولاب ماء مالح بالقبار قدام القدير لقنصل مستر سكيني الانكليز ــ الخميس مات القس متري شاهيات ولحم سنامي ورمان وكبسته بملح بشور وصفة انطون جد الحكيم ــ السبت مطر وغيم وهوا .

– في ٢٣ ت ت ١٨٦١ ، في ٢٠ ج ١ ١٢٧٨

واولها الاحد شرطت كرزه اختي لاجل وجع عيونها[3] .

[١٠٠أ] ــ الخميس مات فتح‌الله حسون بن نعوم .

– السبت في ٣٠ ت ت ١٨٦١ ، في ٢٧ ج ١ ١٢٧٨

وعيدت الخوري جرجس عيد الاخويه ٤٦٧ غرش وقس مرقس ١١٧ والقندلفت ٥٤ والبواب ٢٤ الله يعيده علينا بالخيرات عيد سيدة النجاة ــ السبت اجا اكوب صباغ وابنه من ازمير .

[١٠٠ب]

– السبت ، في ٧ كانون الاول ١٨٦١ ، في ٥ ج ٢ ١٢٧٨

والذين ولدوا بنت مراة سالم مراة جبران مراة منش . والذين ولدوا صبي مراة بردخجي مراة ارسان .

---

١) « حوش الكبيرة » دار واسعة الوقف يسكن فيها الفقراء بلا كراء.

٢) بينما نحن في الافراح كان اهل الميت بالولاويل

٣) التشريط يعبر عن يد الخلاق فانه يجرح الاذنين بالموسى ليسيل منهما الدم ويخفف من احتقانه في العينين ، على ما كانوا يقولون

وانتخبوا خوري جرجس مطران وكتبوا عرض للبطرك للاذن منه برسامته بحلب ووضعت امضاي بالعرض يوم الجمعة نقولاوص .

[١٠٠']

– السبت ، في ١٤ كانون الاول ١٨٦١ ، في ١٢ جمادي ٢ ١٢٧٨

واخذت تلسومه [بوطين] فرنجيه شغل حلب نصف جزمه للصيد غرش ٦٢ ومن جبرا مجيدي ١٠٠ سمر ٢٤٧ .

[١٠١'] ــ الثلاثا اجا مخائيل حمصي وشكرالله باسيل من السفر وتعشيت عند باسيل وكان ناس كتيرين وصيامي العشا ــ والاربعا بالليل صار تلج .

– السبت ، في ٢١ كانون الاول ١٨٦١ ، في ١٩ جمادي ٢ ١٢٧٨

[١٠١']

– السبت ، في ٢٨ ك ١ ١٨٦١ ، في ٢٤ جمادي ٢ ١٢٧٨

القرعه [العسكرية][1] عماله والبرد قالل كثير واجانا سلك حيات وبرتقال من عند سوكياس من انطاكية .

[١٠١']

– السبت ، في ٤ كانون الثاني ١٨٦٢ ، في ٤ رجب ١٢٧٨

برد زايد بديان من اليوم وولدت مراة فرج‌الله زلعوم وجابت صبي [وهي] كتر[2] بنت فتح‌الله جهامي .

[١٠٢'] ــ الاربعا توفى شكرالله قرالي .

– السبت ، في ١١ ك ٢ ١٨٦٢ ، في ١١ رجب ١٢٧٨

وقالوا يومها قرعة عسكر الشام بالصرايا ٢٧٦ وانكسرت ايد باسيل وكيل وجابوا الفلاح جبرها الاثنين والحمد لله طابت[3] وفي بوظ[4] هذه الجمعة لحد السبت .

---

١) القرعة عماله اي جارية بجراها

٢) كتر علم للاناث وهو مدول من كاترين

٣) طابت اي شفيت

٤) بوظ اي جليد

[١٠٢ر] ــ اولها درت بالعايح وكان تلج وما بنا طول النهار وصار بعده حالول[1] واشتغلت[2] المذاريب وراح

– السبت ، في ١٨ ك ٢ ١٨٦٢ ، في ١٧ رجب ١٢٧٨

والبدليه دايره[3] وطلعت الترابيه ومات نعوم قس نصرالله موتة الغفلة يوم الخميس .

[١٠٢ظ]

– السبت ، في ٢٥ ك ٢ ١٨٦٢ ، في ٢٤ رجب ١٢٧٨

بخشت[4] كتابة دمغة القماش الى نصري توتونجي ومات الياس شلحد عم الخوري . ــ الاحد كان هوا بارد والاثنين غيم ومسا دفا وصحو . ــ والثلاثا غيم وقبل العصر مطر دقيق . ــ السبت صحو وشمس غير رايقه .

[١٠٣ر]

– السبت في ١ شباط ١٨٦٢ ، في ١ شعبان ١٢٧٨

[١٠٣ظ]

– السبت ، في ٨ شباط غربي ١٨٦٢ ، في ٨ شعبان ١٢٧٨

ونزّلوا بوابة السيدي[5] لانها عاطلة بوابة الحارة .

[١٠٣ر] ــ الاحد اولها وقرأوا منشور لخوري جرجس شلحت بالمطرنية من بطرك انطون سمحيري .

– السبت ، في ١٥ شباط ١٨٦٢ ، في ١٥ شعبان ١٢٧٨

ــ والاربعا درنا والاولاد بالبريه[6] ووقع واحد من لعابين الجريد[7] بارض

---

١) صار حالول اي اخذ يذوب

٢) اشتغلت المزاريب اي سالت منها المياه على مدى ذوبان الثلج

٣) دايره اي يدور محالها على الناس لجمعها

٤) بخشت اي كتبت من دون اجرة

٥) حارة السيدي موقعها شمالي كنيسة الموارنة بشرق

٦) البرية اي الاراضي المحيطة بحلب ، المنترهات

٧) لعب الجريد . جاء في المنجد: الجريد قضبان النخل المجردة من خوصها ، الواحدة جريدة. ولعب الجريد يتبارى فيه الفرسان على خيولهم فيتسابقون ويتلاحقون ويترامون بالجريدة بينما ينظر اليهم الناس صفوفاً على جانبي الميدان

المشنقة[1] .

[١٠٤']

– السبت ، في ٢٢ شباط ١٨٦٢ ، في ٢٢ شعبان ١٢٧٨

ـــ والخميس دفعت قري للمكاوي عده ٢٠ على الجديد غرش ١٠٠ من الترابيه وتشلحت[2] بوسطة الفرنساوي ومعها ابن الكردي تشلح وبقي بالعمق وراح اخوه الياس يوم الخميس ومعه سقمان[3] من المشارقه حتى يجيبوه .

[١٠٤'] ـــ طلبوا البلدية من النصارى عصمت باشا .

– السبت ، في ١ اذار ١٨٦٢ ، في ١ رمضان ١٢٧٨

[١٠٤'] ـــ الاحد اولها المرفع سوا كل الطوايف[4] والاثنين الشوبترنو وكرز .

– والسبت ، ١٠ار افرام ، في ٨ اذار ١٨٦٢ ، في ٨ رمضان ١٢٧٨

ووصل ليره عده ٢٠ سعر ١١٧٤ [لنا من المعاملات التجارية] . ـــ والسبت مطر وافر كثير واجا زود [في نهر القويق] .

[١٠٥']

– السبت ، في ١٥ اذار ١٨٦٢ ، في ١٥ رمضان ١٢٧٨

(للبحث صلة)

---

١) ارض المشنقة كانت في موقع المنشية الواقعة الان بين حي التلل واحياء العزيزية الجنوبية

٢) كان ذلك على ايام عصمت باشا المشير حاكم ولاية حلب فكتب اليه القنصل شاتري ولاخوس طالباً اجراء التفتيش في سبيل معرفة الجناة واعلمه ان احد المرسلين الاميركان شلح وقتل عند ابواب اسكندرونة وان حوادث التشليح والسرقات متواترة في البلاد المعهود اليه بامرها وان القليطية ليس عددهم كافياً لحفظ الامن وقال ان مصطفى بك الموظف التركي في العمق اعلمه انه يعرف المجرمين في حادث التشليح فسأل عصمت باشا القبض عليهم واحضارهم الى حلب

٣) سقمان المشارقة او رجال من حملة السلاح من حيّ المشارقة

٤) كل الطوايف لموافقة وقوع عيد الفصح الغربي والشرقي في يوم واحد راجع ١٠٧/١

تعاون الشعر والموسيقى

في

نشأة الموشّحات الاندلسية

بقلم فؤاد افرام البستاني
استاذ الآداب العربية في جامعة القديس يوسف

حديث أذيع من محطة « اذاعة الشرق » في بيروت ، مساء الجمعة ١٧ شباط ١٩٣٩

لا موسيقى بلا شعر ؛ ولا شعرَ بلا موسيقى . فكيف بالفنّ الوليد ، اذا ما تعاون في نشأته هذان العنصران ؟

هو ما سنحاول الإلمامَ به في هذا الحديث الموجَز ، عارضين لنشأة الموشّحات الاندلسية ، قادرين قيمتها من حيث الشاعرية ، ومن حيث الاخراجُ الفنيّ .

ولا يخفى ما يتطلبه هذا البحثُ من توفيق بين المعلومات التاريخيّة والدروس النفسيّة . حتى أن التاريخ يُصبح تَنويًا بالنظر الى النفسيات ، بل يُصبح أداةً يُستند اليها ، او مجموعةَ شواهد تُبرّر نتائج الدرس النفسي .

كل قائلٍ ، القولَ الجازم المطلق ، بنقل الموشّحات العربية عن مُقطّعات الشعر الاسباني ، او بنقل الشعر الاسباني والاوربي ذي المقاطع (strophique) عن الموشحات الاندلسية ، يدلّ على غفلةٍ بالغة عن طبيعة الشعر والموسيقى ، وعن علاقتهما بالبيئة والعنصر القومي .

كذلك كلُّ منتقلٍ بفنٍّ من فنون الادب ، من بلدٍ الى بلد ، او من

أمّة الى أمّة ، دون انتباهٍ لما يفرضه هذا الانتقالُ من ضرورة تَبَلُّدٍ وتأقلُم ، اذا صحّ التعبير .

وكذلك كل قائل بولادةِ الفنون الادبية كاملةً ، ثم بانحدارها شيئاً فشيئاً الى التفسُّخ فالتعدُّد .

وما أشبهَ هؤلاء باولئك الذين يدّعون نزولَ اللغات ، على طريقة الوحي ، نزولها كاملةً تامّةً فصيحةً ، ثم فسادها باللهجات ، فتفرّعها الى العامية .

وأخشى ان يكون ابنُ خلدون ، في سيره المستقيم وراء المنطق التام ، ورغبتِهِ في وجود الحقائق جامدة متناسقة ، لا خَلَل فيها ولا شذوذ، قد سقط، في ما خصّ الفنون الادبية ، الى مستوى اولئك العلماء . فضلّ وأضلّ حين عرض لنشأة الموشّحات والأزجال . ذلك أنّ الأدب غير العلم ، وأن الطبيعة البشرية غير القياسات المادّية .

وبعد فهذا قوله في الموشحات:

« واما اهل الاندلس فلما كثر الشعرُ في قطرهم ، وتهذّبت مناحيه وفنونُه ، وبلغ التنسيقُ فيه الغاية ، استحدث المتأخرون منهم فنًّا سمّوه بالموشّح ، ينظمونه اسماطاً أسماطاً ، وأغصاناً أغصاناً ، يُكثرون منها ومن أعاريضها المختلفة ، ويسمّون المتعدّد منها بيتاً واحداً . . . وينسبون فيها ويمدحون ، كما يُفعل في القصائد . وتجاوزوا في ذلك الى الغاية . واستظرفه الناس جُملةً ، الخاصّة والكافّة ، لسهولة تناوُلِهِ وقرب طريقه . وكان المخترع لها بجزيرة الاندلس مقدّم بن معافر الفريري . . . واخذ ذلك عنه ابو عبدالله بنُ عبد ربه ، صاحبُ كتاب العِقد . . . »

وهذا قوله في نشأة الأزجال:

« ولما شاع فنُّ التوشيح في اهل الأندلس ، واخذ به الجمهور لسلاسته ، وتنسيق كلامه ، وتعريج أجزائه ، نسجت العامّة من أهل الأمصار على منواله ، ونظموا في طريقتهم بلغتهم الحضريّة ، من غير أن يلتزموا فيه إعراباً ، واستحدثوا فنًّا سمّوه الزّجل » .

فيكون ، على مذهبِ ابن خلدون ، أنّ الشعر يكثُرُ في الأندلس ، ويدخله التنسيق ، فيستحدثُ المتأخرون الموشّحات . ثم تشيعُ الموشّحات ، فينشأ فنُّ الأزجال .

اما الاختبار النفسي فيدلّ على عكس هذا الترتيب . ويأتي التاريخ فيؤيّد الدروس النفسيّة في نشأة الفنون الادبية ، ولا سيما ما كان منها ممتزجاً بالموسيقى كالأزجال والموشّحات .

فعلينا بهذا الدرس مستنداً الى التاريخ ، بعد ان نقول كلمة في نسبة الموشّحات :

اما مقدّم بن معافر ، مخترعها في نظر ابن خلدون ، فللمؤرخين اختلاف في ضبط اسمه ونسبة الموشحات اليه ، ولا نعلم من موشّحاته الكثير ولا القليل .

واما ابن عبد ربه ، صاحب العقد ، ذاك المتقيّد بالاساليب العروضية القديمة ، المتأثم من الخروج على بعض جوازات الخليل ، فبريء من نظم الموشّحات ، براءة ابن المعتزّ من تلك الموشّحة التي لا تزال كتب الأدب تتّهمه بها حتى اليوم : ايها الساقي اليك المشتكى .

ثم ان ابن عبد ربّه لم يكن من « المتأخرين » الذين يُشير اليهم ابن خلدون .

❁

دخل المسلمون الأندلس في منتصف القرن الثامن . فانتشرت لغتهم بانتشارهم في اطراف الجزيرة . ولم تلبث ثقافتهم ان اصبحت المثل الاعلى للمتأدبين من عرب ، وبربر ، ومستعربين ؛ حتى بلغ الإعجاب بالثقافة الشرقية أن اخذ الكتّاب والشعراء ، من مغاربة واندلسيين ، يقلّدون اهل الشرق في تعابيرهم واستعاراتهم الخاصّة ، بل في طُرق تهذيبهم ومناحي تأليفهم . وكفى شاهداً مقنعاً بكتاب ابن عبد ربه ، كتابِ العقد ، خيرِ ممثّل للتأليف الأندلسي . سار فيه صاحبه على اسلوب مؤلفي الشرق فكرًا ، وتعبيرًا ، وترتيباً . حتى قال الصاحب بن عباد ، وقد تصفّحه بعد ان تشوّق طويلًا الى الاطلاع عليه : « هذه بضاعتنا رُدّت الينا ! »

هكذا كان الادب الرسمي ، أدب السُراة ، في حواضر الاندلس ، ولا سيما قرطبة ، عاصمة الخلافة ، ودار العلوم العربية . وهكذا كان يلهو الشعراء الرسميون من ذوي الثقافة الكتابية المنقولة عن بلاد المشارقة .

اما العامّة ، اما الشعب فقد كان له لغته الخاصّة ، وعقليته الفنية الخاصة ، وثقافته الخاصة .

لقد تأثرت لغته ، دون شك ، باللغة العربية ، لغة الدين الجديد والدولة الجديدة ، كما تأثرت باللغة البربرية لغة اكثرية الجيش الفاتح .

ولكن العقلية الفنية الاندلسية لم تتأثر عميقاً بمظاهر الفنون المنقولة عن الشرق ، بل ظلّت آخذة بما يهمنا خاصّة في هذا البحث ، وهو ميلها الشديد الى الطرب والغناء مما لا نزال نتحققه فيها حتى اليوم .

اما الثقافة العاميّة فكانت اقرب الى الادب الشفهي المتناقل من حافظة الى حافظة تسنده الانغام ، ويمثله اولئك الشعراء - المغنّون ، المدعوّون Troubadours, Jongleurs ، وهم اشبه « بقوّالي » بلادنا ، ينتقلون من بَلاط الى بَلاط في جنوبي فرنسة واطراف اسبانية . وهذا التطواف بالشعر الملحّن ظاهرةٌ قديمة عرفتها الشعوب جماء ، ولا سيما في عهد ادبها الشفهي ، من تدماء اليونان الى الفرس ، الى العرب ، الى الفرنجة حتى عهد الصليبيين في ممالكهم الشرقية والغربية .

ولا تختلف موضوعات هذه الأناشيد ، عن موضوعات الأزجال والموشّحات التي وصلت الينا . وجُلّها يدور حول الطبيعة ومظاهرها ، يصف المُنشد منها ما تعلّق بالامير خاصّةً ، كالجنان والقصور ، منتقلاً الى ذكر مجالسه الحُرّية ولياليه الآنسة ، مادحاً اياه بالشجاعة والكرم ، ذاكرًا قصّةً عن مظاهر بطشه او بطش اجداده ، الى غير ذلك من عموميّات تسرّ الجميع ولا تختصّ بامير واحد .

وكل تلك الاناشيد ممتزجةٌ بالألحان ، كما هو الشأن في شعرنا العامي الذي لا يزال شفهيًّا في اكثريته الساحقة لحسن الحظّ ؛ وكثيرًا ما كانت تزدوج شخصيّة الملحّن المغنّي بشخصية الناظم المؤلّف فتكوّنان شخصاً واحدًا هو «المُنشد» . ولا يصحّ القول في المنشد إنه يوقّع اللحن للكلام ، او يضع الكلام للحن . انما يأتيه اللحن مستندا الى الكلام او الكلامُ مغلّفاً باللحن ، دفعةً واحدة . وقد يظلّ النغم مبهماً في حسّه الموسيقي ، كما يتردّد التعبير مضطرباً في حسّه الشعري ، حتى يشعّ بارقُ الإلهام ، واذا بالأثر يتولّد فنًّا سويًّا : شعرًا وموسيقى .

هذا في عصر الادب الشفهي اذ تولد الأزجال والموشحات ولادةً طبيعية. اما في عصور الأدب الكتابي ؛ فالغالب ان يكون الناظمُ غير الملحّن. وقد يتقدم النغمُ الغامضُ وضعَ الكلام ، كما يتقدّمُ نظمُ الشعر تأليفَ اللحن. ولعلّنا ندرك الفرق بين هاتين الظاهرتين ، اذا ما تأملنا بعض ميزات للموسيقى المصرية في عصرنا الحاضر . موسيقى امّ كلثوم الطاغية على شعر احمد رامي ، وموسيقى عبد الوهاب المستندة الى شعر احمد شوقي.

ومن هنا نرى خطر الفصل بين شخصيتي الشاعر والملحّن . فان هذا كثيراً ما يتصرّف بالمقاطع فيمدّها ويقبضها ، ويراجع بعض الكلمات احياناً ، حتى اذا كتبنا البيت كما يخرج من تلحينه ، وجدناه على وزن جديد غريب يختلف عن وزنه الاساسي الاصلي. هذا بصرف النظر عن الاخطاء في التوفيق بين النبرات العروضية من طويلة وقصيرة ، والنبرات الموسيقية المعبّر عنها بالطاءات والديهات. ولا يسعنا المجال لتفصيل هذه الازدواجات ، انما نشير الى ان الموسيقيين يفهمون «بالطاء» النقرة السريعة الجافّة التي تُضرب إمّا على حافة الدُفّ، او على ما يُعلّق به من دائرة نحاسية ، وإمّا على ظاهر الكفّ اليُسرى المقبوضة ، وإمّا على الارض بالرجل اليُسرى في اثناء الرقص. ويفهمون «بالديه» النقرة القوية المصوّتة المستطيلة التي تُضرب على وسط الدُف ، او على وسط الراحة اليسرى المبسوطة ، او على الأرض برجل الراقص اليمنى.

وغنيٌّ عن البيان ان الموشحات والأزجال الطبيعية كانت توافق فيها الطاءاتُ النبراتِ القصيرة المقتضبة ، والديهاتُ النبراتِ المائلة المستطيلة.

اما في الموشحات الصناعية ، بعد ان انفصل فيها تأليف الكلام عن وضع اللحن ، فقد احتاج اربابها الى دعائم وعكاكيز يسندون فيها اللحن الموسيقي . بيد ان هذه الدعائم نفسها ، وهي كلمات لا معنى لها في الغالب ، تدلّنا الدلالة الواضحة على اصل الموسيقى في نشأة هذا الفنّ ؛ قال ابن سناء الملك ، وهو من علماء الموشحات الاصطناعية:

« والموشحات تنقسم من جهة اخرى الى قسمين : قسم يستقلّ التلحين به ، ولا يفتقر الى ما يُعينه عليه ، وهذا اكثرها . وقسم لا يحتمل التلحين ، ولا

يشي الّا بان يتوكأ على لفظة لا معنى لها تكون دِعامةً للتلحين وعُكّازًا للمغني ، كقول ابن بقي:

من طالبٌ ثأرَ قتلى ظَبَياتِ الحدوجْ فتّانات الحجيج

فان التلحين لا يستقيم الّا بان يقول : لا لا بين الجيمين من هذا القتل. »

على ان العروضيين لم يشاؤوا الاقرار بمبدأ موسيقي في الشعر ، غير التفاعيل الخليلية. فحاولوا ردّ الموشّحات الى الأوزان العربية. حتى اذا اخفقوا ، وكان لا بدّ من الإخفاق ، اخذوا يعللون ويخرّجون . قالوا : « والموشحات منها ما وافق الأوزان العربية ، ومنها ما خالفها . . . » ثم زادوا : « وكان اصحاب الصنعة يرذلون الموافق منها تماماً للأوزان القديمة . فيعملون على إخراجه عن الأوزان بكلمة او بخرجة. مثالُ ذلك قولُ ابن الخطيب:

صَبَرتُ ، والصبرُ شيمةُ العاني ، ولم أقُلْ للعليلِ هجراني :
مُعذّبي كفاني !

«فهو على بحر المنسرح. انما اخرجه منه الزيادة الاخيرة: «معذّبي كفاني.»—وقد فات العروضيين ان هذه الزيادة ، او الخرجة كما يسمونها ، قد تكون ضرورية للنغم الموسيقي . واذًا فلا تكون مقصودة من الناظم في سبيل «الخروج» عن المنسرح . وهو لا يبالي ، في سيره على النغم ، بالمنسرح ولا بغيره من بحور الخليل .

❁

أوَ لا يحقّ لنا بعد هذا البسط ، ان نُجمل الرأيَ في نشأة الموشّحات فنقول:

ان الموشّحات ، كالأزجال ، كسائر الفنون الادبية الناشئة من نفسية الشعب ، هي عمل لا واعٍ ، غُفل ، مستطيل ، متتابع ، يبقى مدة طويلة في ضمير الشعب الادبي ، يرى طرقاً ناقصة لاخراجه فيخرج في ظواهر مضطربة ، متمايلة ، حتى يوجدَ النابغة الذي يستوعب في نفسيته المفردة القوية ، تلك النفسية المغفلة ، المتناثرة اجزاء على افواه انصاف الموهوبين ، ويجمع في ضميره المفرد الشامل شذراتِ الضمير العام المتبدّدة ، فيطلع على الناس بالرائعة التامّة. فيصفّق المُعجَبون. ويقول المؤرّخون من ذوي المنطقِ البارد ، ويؤمّنُ على قولهم

الادباء من ارباب النقد السطحي: لقد اخترع فلان النوع الفلاني.

وفوق هذا، نرى الموشحات الاندلسية ثمرةً طبيعية لذاك التنازع المستطيل مدّة بين الشعر التقليدي الرسمي المعبّر عنه باللغة الفصيحة البعيدة نوعاً عن طبيعة نفس الاندلسي، وما يجيش في هذه النفس من شعور طبيعي صادق فطري يتطلب طريقةً في الإخراج اقرب الى عاداته وبيئته ونفسه المرحة اللاهية، من عروض الخليل الجامدة المرتّبة ترتيب موادّ القانون، وجداول تصريف الافعال، وقواعد الصرف والنحو.

ذاك النزاع ازعج النفس الاندلسية مدّة طويلة. فتارةً كان ينتصر المثقفون تلك الثقافة الكتابية، فيخرجون عواطفهم باستعارات البدو، وبديعيات العباسيين. وطوراً كان ينتصر العامّة في اثر ادبهم الاصلي فيعبّرون عن عواطفهم بالحانهم الوطنية ولهجتهم العامية. وكثيراً ما كانت تسير القافلتان، كلّ في سبيل المحجة، وهي واحدة في عالم الفنّ المتوحّد، غافلةً الّا عن طريقها الخاص، حتى لا تكاد الواحدة تشعر بوجود رفيقتها الّا اذا ادركتا المحجة فاستغربتا تلك الفروق في مذاهب السير والوصول.

وكان من الطبيعي ان تتقارب العقليتان شيئاً فشيئاً في سبيل الاخلاص الفنّي. فنتج من ذلك الأزجال ثم الموشحات.

اما الأزجال فأشهرها آثار ابن قُزمان القرطبي المتوفى، في اواخر القرن الحادي عشر، ولغتها مزيج من العربية والبربرية والاسبانية. فلا يسلَم من المفردات العربية الّا مقاطع قليلة منها قوله في وصف معرَّش على حوض يقذف الماء فيه تمثالُ اسد:

وعريش قد قام على دكّان ... بحال رواق
وأسد قد ابتلعْ ثبانْ ... من غلظ ساق
وفتح فو جيتْ انانْ ... به الفُواقْ
وانطلق من ثمّ على الصفاحْ ... والقى الصياحْ

ولابي عبدالله بن الحاج المعروف بدغليس زجلية منها:

ورذاذ دقّ بترلْ ... وشعاع الشمس يضربْ
فترى الواحد يُنفضْ ... وترى الآخر يذهبْ

والنباتُ يشرب ويسكرْ والغصونُ ترقُص وتطرَبْ
وتريد نجي البنا ثم تستحي وترجع

واما الموشحات فقد فقدنا منها ما كان طبيعياً خالصاً ، ولا غرابة في ذلك ، لانها من آثار الادب الشفهي . ولم يبقَ الّا امثلة عديدة على الموشحات الاصطناعية ، اشهرها موشح ابن الخطيب ، وهو قصيدة مدح ، سار فيه صاحبه على الاسلوب الجديد معارضاً موشح ابن سهل :

هل درى ظبيُ الحِمى ان قد حمى قلبَ صبٍّ حلَّه عن مكنسِ
فهو في حَرَّ وخفقٍ مثلما لَعِبت ريح الصَّبا بالقَبَسِ

قال ابن الخطيب (من اهل القرن الرابع عشر) :

جادَك الغيثُ اذا الغيثُ همى يا زمان الوصل بالأندلسِ
لم يكن وصلك الّا حُلُما في الكرى ، او خُلسة المختلسِ

اذ يقودُ الدهرُ اشتاتَ المُنى تنقُل الخطوَ على ما ترسُمُ
زمرًا بين فُرادى وثُنا مثلما يدعو الحجيجَ الموسِمُ
والمَليّا قد جَلَلَ الروضَ سنا فتنور الزَّهر فيه تبسِمُ
وروى النعمان عن ماء السما كيف يروي مالك عن أنسِ
فكساه الحسنُ ثوباً مُلَسا يزدهي منه بأبهى مَلبَسِ

وبعد ان يستغلّ الكثير من الاستعارات الشرقية ، ويتوكأ على التكلفات البديعية ، يتخلص من الغزل الى المدح ، شأن قدماء الامويين ومتأخري العباسيين .

وقد نال هذا الموشح شهرة واسعة فعارضه الكثيرون حتى بطرس كرامه في تهنئة الامير بشير بجرّ مياه الصفا الى بيت الدين ، واحمد شوقي في موشحه المعروف بصقر قريش .

ولا يتسع لدينا الوقت لعرض امثلة من الموشحات ، وكلّها تدور حول مظاهر الطبيعة ، وذكر مجالس الانس في الرياض ، وعلى ضفاف الأنهار ، ووصف تباريح الهوى ، حافلةً بالعواطف السيّالة ، والاساوب السهل ، والموسيقى الناعمة . سواء في ذلك الموشحات الخاصة ، والغائية ، اي التي تكون غايتها المدح او التهنئة ، فهي لا تكاد تختلف في جوهر الطريقة النظمية .

حتى يصح القول انها نوع خاصّ من الشعر ولدت مع اللحن فلبّت داعياً في نفس الاندلسيين طالما ألحّ عليها ، فتنازعتها الفروق في الإخراج بين التعبير الشعري

القديم ، والصرخات الزجلية الطليقة تتواثب دون قيد سوى قيد الموسيقى البلدية .

فالموشح اذن فنّ اندلسي بحت ، مُولَّدٌ بين النغم البلدي الاسباني والطريقة الشعرية المستوردة من بلاد العرب ؛ كما كانت اللغة الاندلسية العامية مولّدة بين الاسبانية الاصيلة والعربية المنقولة ، وكما كان الاندلسيون انفسهم مولّدين بين العنصر الاسباني الاصلي والعنصر البربري المهاجر ، والعنصر العربي الدخيل في البلاد الجديدة .

وان التأخر الزمني الذي نتحقّقه في نشأة هذا الشعب المستعرب نتحقّقه كذلك في نشأة الموشحات . فلا نراها ترقى الى ما قبل القرن العاشر ، على كون المسلمين بسطوا سلطانهم على الاندلس منذ اوائل القرن الثامن ، وعلى كون الدولة الاموية تأسست في قرطبة منذ اواسط القرن الثامن فحفل بلاطها بالادباء والشعراء على طريقة المشارقة . ذلك ان هذا الفنّ ، فنّ الموشحات ، يفرض وقتاً تتضارب فيه الفنون التقليدية الشرقية ، والفنون التقليدية الاسبانية حتى اذا تمّ تفاعل العناصر ، تصاهرت الاجزاء ، وتلطّفت النتوءات ، واملاست النتوءات ، واستدارت الزوايا ، فنهض الفنّ الوليد ، وترعرع مستقلاً بنفسه .

وهل يجوز ، بعد هذا ، أن نقول جازمين :

ان الاندلسيين اخذوا الموشحات عن المشارقة ، وان اول من وشّح كان ابن المعتز ؟

او ان نجزم حاكمين :

ان العرب اخذوا الموشحات عن الشعر الاسباني القديم . او ان الشعراء الاوربيين اخذوا شعرهم ذا المقاطع عن الموشحات .

كلّها أحكام ساذجة تثير الابتسام اذا القيناها قاطعين .

امّا التفاعلُ المتغلغل بين الشعر الاسباني القديم ، والموشحات ، فما لا شكّ فيه . وليس للشعر لغة خاصّة ، وليس للموسيقى البلدية لغة مستقلّة كذلك .

لا شكّ ان الموشّحين الاولين اخذوا عن التروبادور والجونكلير ، كما أنّ التروبادور وشعراء الاسبان المتأخرين اخذوا عن الموشّحات . لمّا كان اخذهم في

الطريقة والموسيقى والقالب اكثر من اخذهم في المعاني والاستعارات (وقد رأيناها كأنها في الموشحات العربية لا تكاد تعدو اساليب قدماء المشارقة.)

وهكذا يكون الموشح ، في موسيقاه ونوعه الفني ، وليدَ الارض الاندلسية ، سواء أُعبّر عنه باللغة العربية ، ام بالاسبانية ، ام بالفرنسوية الرومانية.

□

والآن ما قيمة هذه الموشحات من حيثُ الشاعرية ، ومن حيثُ الإخراجُ الفني العربي.

اما الشاعريةُ فهي فيها سهلة سلِسَة حتى المَيْع ، لا تكلّف ولا سموّ ، لا غموض ولا دقّة . هي ايام نيسان في سهول غرناطة تتوالى متشابهة في مناخها السهل ، وصحوها المتماثل ، لا لذعةَ برد ، ولا وهجَ حرّ. بل هي ليالي الأُنس على ضفاف الانهر العذاب ، تتابع متسلسلةً لا يشوبها كَدَر ، ولا يزيد في لذّتها مصاعبُ او عقبات. او هي آفاقُ البساتين القريبة المرامي ، المسدودةِ المنافذ بالاخضرِ العذبِ المريح ، لا تحرّ الناظرَ اليها الأبعادُ المترامية ، ولا تُقلق عينيه المجاهلُ الخيالية.

واما الإخراج الفني فاننا نمدح فيه الموسيقى التي لا تعرفها. اما التركيب ، فقد ماثل الشاعريّة صفاء حتى الشفوف ، وسهولةً حتى التساهل والضعف . هذا اذا لم يعلق بالغموضَ احياناً ، لا غموض العمق ، بل غموض التعبير المقصور مجاراةً للنغم الموسيقي.

هذا ما كان من تعاون الشعر والموسيقى في نشأة الموشحات الاندلسية

افاعي الفردوس

بين الشهوة الصاخبة والعفّة المتنائية

بقلم جان عزيز

الياس ابو شبكه شاعر لبناني مجدّد ، اسرى — فيمن اسرى من شعرائنا غبّ الحرب — الى ينابيع الحياة في الغرب . وذلك بعد ان كادت مواصلة المومياءات العربية ، من مهىً وظبياتٍ ومعلقات ، تستنزف سوزًا شاحباً ، في اعراق هذا الشعب ، من نسغ الخَلق والابتكار . وان « افاعيه » التي تحاول درسها اليوم ، لمن ثمار تشرُّفنا بشموس الغرب ، او هي ، اذا شئت ، من جنى ما هيّأه لنا الغرب — نحن اللبنانيين ابناء المتوسّط — من لقاء ذاقتنا وعناق أنيتنا الحقّ .

* * *

اول ما يسترعي الانتباه في « افاعي الفردوس »[1] هدير شهوةٍ صاخبة ملحاح ، يتفجّر ، هنا وهناك ، في معظم المجموعة ، اما عربدةً حمراء ، واما خزياً قذرًا . قال :

شبق الليث ليلةً فتثنّى ، ثائرًا في عرينه المهجورِ ،
تقطر الحمّى المسمّرة الشأ ـ ـنه ، كأنه في هجيرِ ،
يضرب الارض بالبراثن ، غضبا ـ ـنَ ، فيصدي القنوط في الديجورِ .

وقال :

فابصرت اطباقًا تمسّدها يدٌ اصابع من عظمٍ ، وتصبنها يدُ ؛
صباغ يغور المزي منه ، ملاصقاً ، اذا علقت فيه النواظر تجمدُ .
وشاهدت في الاطباق مقسدة الورى ، تمور بها الديدان ، سكرى ، تمربدُ ؛
مقاذر تمشي في الحياة طروبةً تغني ، واصداء القبور تردّدُ .

---

1) الياس ابو شبكه : افاعي الفردوس – شعر – ٩٦ ص . كبيرة ، منشورات دار « المكشوف » ، بيروت ، ١٩٣٨ .

هي « حممٌ تتشظى » او هي « تنهدات مستنقع »، وحصاد امثالها ميسورٌ في « الافاعي ». ولكنها — وهـذا دليلي على نقص في الذوق الكسبي — مغمورة بابياتٍ اقل ما يُقال فيها انها بقيّات معتّقة من عهد « القيثارة » غير السعيد:

— والبعير البعير يخدع بالحسن، وينقاد كالضرير الضرير
— ان قاضي المستعبدين لعبدٌ وقضاة عور قضاة العور...

اضف الى هـذا موسيقى نظمية ضئيلة، ونغماً موحداً لا يكاد يختلف طوال الثلاث عشرة قصيدة التي تتألف منها المجموعة! ونحن، امام ابياتٍ، كالتي ذكرنا، تلفظها القريحة في « ساعات خدرٍ » هي الى الموت اقرب منها الى الحياة، لا يسعنا الى ان نأسف للحملة الشواء، يحملها صاحب الافاعي في « حديث الشعر »، على النظريات الشعرية الحديثة، باسم الموهبة الحرة والالهام الانفعالي والبديهة الكسول — كما لو كانت ارادة الفرد عديمة التأثير حقاً على هذا الشيطان الكامن في صدر كلٍ منا، ملكةً طائعة وقوةً صاغرة... وان ما يزيدنا على هذه الحملة اسفاً، كون التصوير الموسيقي في الابيات الشعرية الموفقة، قويّ جداً بل رائع، على توحّده، احياناً: مما يدل على موهبة خام، لو رفدها الكسب وصقلها العمل، اكثر مما رفد وصقل، لأعطت الجمال مثقفاً سوياً لا معوجاً ولا مخلعاً.

* * *

ولننتقل الآن من اعتبارات فنية محضة، الى أخرى يثيرها بعض الاهتمام بالآداب العامة وتدعو اليها « صراحة » ابي شبكه المتطرفة.

في اعتقادي ان « افاعي الفردوس »، وان كانت تمت الى « أزاهير الشر » بصلات، غير انها لا تحدث هذا الاضطراب النفساني العميق الذي يمكن التخوّف منه على المبتدئين والسبب ذلك اثنان:

الاول ما لمحت اليه من ان الابيات « الشعرية » يتخللها او يكتنفها ابيات « نثرية » تبدّد الوجد الفني تبديداً يكاد يكون تاماً. فهي اشبه شيء بتلك

« الكتل الفظيعة من احشاء الاسماك » ، تعترضك في غمرة البحران ، في اليم ، « بلون الورد الخفيف ، او الارجوان العميق » — بيد ان المواجد تتسرب الى عريك الاسمر من مذاب الشمس الفاتر او رهمة الاهاجير الموسوسة . والحال ان النثر لا يؤثر نفسياً ، الا بقدر ما يقترب من الشعر ، الذي امامه حضرة العقل تتقاص ، وبفعله توابع الشر تتفلّت في عزيفها المنكر وولولتها المسكرة.

اما السبب الثاني فهو هذا العري الفاجر في التصوير:

— اسدوم هذا العصر لن تتحجّبي !...

والفن ، اذا تعرّى من الستر على يد شاعر « خبثت عرائسه » ، تعرّى من سرّ الغواية فالشوق ، ورمانا في حالة هي الى التقزّز اقرب منها الى المتعة المضطربة . فلو القى شاعرنا على سدومياته وشاحاً من الغموض الحيي — « لا يكتم من (الحسن) الا بقدار ولا يشفّ عنه الا بقدار » — لكان خطره على الآداب شديداً . ولعله احسن صنعاً يوم فضل الآداب على الادب ، فاختار لنفسه هذه الطريقة « الطبيعية » التي اتبعها واوغل في اتباعها . وفقه الله الى ما وفق اليه هنري هينه حين قال:

« كنت على الشفاه ، بالخلق ، قادراً
ولقد شفيت يوم خلقت ... »

وبالجملة يمكننا القول ان جوّ « افاعي الفردوس » هو جوّ عربدة فاجرة يزجنا فيه شاعرٌ استوحى « المواخير » وراح ، نظير ملعون « الدينونة » : « يلي باثياب واظفار ... »

* * *

وصاحب « الافاعي » يشبه ملاعين الشعراء ، كبودلير ، من ناحية اخرى قد تبرّر نبوّة « الشهوة الحمراء » :

ينظر الندُ في اسي وينفره...

فان اشعةً دامية طاهرة تخترق هذا الجوّ المثقل بقتار الشهوات وفحيح البغايا: هي الذكريات الاولى البريئة ، هي خيالات الحب الاول العذري:

بقي لي الامس من غلواي عفّتها ولم يزل في دمي من نسلها نسبُ !

هذا فجرٌ صغير في ليل من الدعر رحيب . والخلاص (الخلاص الذي ينزع اليه المبعد المسكين من حيث قد يشعر ومن حيث لا يدري) طريقه الشائك ، طريقه السحيق ، حنينٌ ينبع في دمعةٍ كهذه :

وداعاً ، عذارى الحب في خيم الهوى ، جمالك محظورٌ وعدنك موصدُ !

ــ عدنك موصد ! نعم ، ولكن الى حدّ . لان « اعيادًا مقدسة » تنام في المدن الداخلي ، وأدتها الخمرُ الشهى قديمًا ، ولم تمت ، فاذا ارهها النور تهيساً ، افاقت اجراسها وشاعت تباشيرها واقلقت الشاعر في ماخوره ، فصرخ :

ولنماطِ الهوى لملّ عصيرًا من غاد الشفاه والاكبادِ ،
او لملّ الآثام تشرب منا ما تبقى من طهر ماء العهادِ !

هي صرخة المتقسم على نفسه الجريح ، يريد الافلات من مأساته فيحتال في « محق » احد عنصريها : ذاك الذي يشدّ به الى فوق . بيد انه لا يلبث ان يتحقق عجزه فيحاول « اقصاء » هذا العنصر فيقول :

مـا لنا وللأبد ان سره عميق . . .

ولكن في غير طائل لحسن الحظ . فيجرب سلاحه في العنصر السفلي اذاك ، محاولًا « انكاره » في زهوة محزنة :

فيثارتي لم الطخها باقذار ، على طواني جما في بؤرة العار .

ولقد يجترح المسخ احياناً ليتخلص من مأساته فيقول ــ والعهدة على الراوي ــ انه يجني « الشهد » من « الجيف الجرداء » ابريزًا . والله اعلم !

اما هذه المأساة نفسها فاقرب مـا في « افاعي الفردوس » الى قلوبنا . و« الخيالات النقية » كوىً منورة ننفذ منها ، مع الشاعر ، الى فوق : الى حيث ينتظرنا اله المجدلية فيحدب على ضعفنا وينهضنا من الوصول ويرحضنا « بتجاجات شمسه » الى الدم . . .

مواصلات الموارنة مع رومية

نبذة في مزاعم حضرة الاب بولس قرألي

بقلم الخوري لويس المازن

كتبنا في مجلة « المشرق » الغراء ، السنة ٣٥ (ص ٢٥٦ – ٢٦٣) كلمة عن كتاب حضرة الاب بولس قرألي باللغة الايطالية المعنون : « فخر الدين المعني الثاني حاكم لبنان ودولة تسكانا » وبعد ان ذكرنا باسهاب ما حوى من حسنات وفوائد بين دفتيه ، اشرنا بكلمة مقتضبة الى بعض ما فيه من غث . فلم يرق حضرة الاب قرألي ذلك ونفحنا في الجزء الرابع من السنة المذكورة للمشرق (ص ٥٢٦ – ٥٣٤) بردّ اتهمنا به بكل فرية مثل نكران الجميل (ص ٥٣١) والدس (ص ٥٣٢) وعدم معرفة صحة المنطق (ص ٥٣٣) وانا شوهنا كتابه (ص ٥٣٤) واعلن للملأ بانه لم يجنِ فائدة من نقدنا ولا استفاد ملاحظة سديدة يسترشد بها (ص ٥٢٦) الى اخر ما هنالك . ثم ختم كلامه (ص ٥٣٤) بدليل على قيمة كتابه ان المجمع العلمي الايطالي انفق عليه عن سخاء زهاء خمسين الف فرنك ايطالي .

قلنا : وقد فات حضرته بان قوة العلم والنقد لا تتفق غالباً مع قوة التجارة وكسب المال . . .

لاحظنا على حضرته مثلاً بانه لم يقل لنا كلمة عن وستنفلد وعن روجه ده سان پيار (ص ٢٦١) فافادنا (ص ٥٢٨) بان الاول نقل عن ماريتي والثاني عن الاب روجيه . فلو كان ابدى هذه الملاحظة في كتابه عند ذكر المصادر لكفانا مؤنة التنبيه اليها . كذلك ايضاً فانه قد اصلح في كتابه العربي اسم الكتاب فقال : « فخر الدين المعني الثاني امير لبنان : ادارته وسياسته »

ولكن هرباً من تطويل الكلام واضاعة الوقت بمسائل لا فائدة منها ، احتكم الى القراء واضعاً نصب اعينهم النص الكامل لقوله حيث اتهمني بالدس

الذي لا يجوز شرعاً وذمة. فقد قلت في نظرتي النقدية (ص ٢٦٢ من المشرق) ما نصه:

« نرى حضرة الاب قرألي ينسى احياناً ما قاله. فيظهر لنا مثلاً فخر الدين مثال العدالة (وجه ٣٧) ثم يقول (وجه ٩٨) انه كان يقطع انفاس كل من يتذمر منه او يطالبه بعدل.»

فاجاب حضرته (ص ٥٣٢) بما نصه:

«..اما عبارة «يقطع انفاس من يطالبه بعدل» فلم ترد في كتابنا بل دسّها حضرته علينا وهو ما لا يجوز شرعاً وذمة.»

وهاك النص الايطالي: (ص ٩٨)

« ...mozzava il respiro al colunniatore, o meglio al reclamente ; giacché troppo giuste erano le legnanze contro di lui. »

وهاك الترجمة:

« ... كان يقطع انفاس المغتاب او بالاحرى المطالب لان الشكايات منه كانت عادلة جدًّا »

هذا كلامه بنصه واترك للقراء الحكم بيني وبينه واقول لهم مع شاعر الرومان ڤرجيل:

Et crimine ab uno disce omnes »

اي « من ذنب واحد اعرف الكل »

اخيرًا ان ما يدلك على مقدرة الاب قرألي العلمية قوله (ص ٥٣١) في معرض نقده لي باني نشرت مقالًا في فخر الدين في مجلة « المنارة » واخطأت، على زعمه، في تعريب اسم الامير طرابيه، وقلت له لما لفت نظري الى ذلك في حينه ان اسماء الاعلام يجب ان تنقل كما هي، فقال: اذا التقينا مثلًا في كتاب افرنسي باسماء موسى ويسوع ومحمد تحتم علينا اذن، تبعاً لهذه القاعدة المطردة، ان ننقلها الى قراء العربية « موزيز » و« جاسوس » و« ماهوميت »

فاجيب انني لم انشر مقالة في « المنارة » الغراء عن فخر الدين، بل عربت ما جاء في كتاب روجيه Roger وقلت لحضرته حينئذٍ ان القاعدة المرعية في

نقل الاسماء من لغة الى اخرى عند علماء النقد[1] ، ولا سيما عند اختلاف احرف الكتابة ، اما ان يعمد الكاتب الى اصطلاح يشير اليه في المقدمة بان الحرف كذا يقابله في اللغة المنقول عنها كذا ، او ان ينقل الاسم باحرف تقارب اللفظ الوارد فيه وينقل الى جانبه الاسم باللغة التي ورد فيها . وهكذا فعلت فعربت اسم الامير كما اورده الكاتب: Therabet تيرابيت

فاين الخطأ ؟

ولكن العبرة ليست في تعريب اسم على نوع ما مجهول ، بل فيما اورده حضرته من الامثال . فكاني به يزعم ان اسم الامير « طربيه » له من الشهرة التي لا يجوز ان تجهلها صبية المدارس ما للاسماء موسى ويسوع ومحمد . . .

وقد اشرت انني في معرض تعريب مقال كاتب ولست في معرض تأليف علمي .

فالخطأ كل الخطأ عند ايراد اقوال تختلف تماماً عمّا جاء في الاصل المنقول عنه مما يدل على جهل اسرار اللغة التي ينقل عنها . وقد وقع في ذلك حضرة الاب قرالي اكثر من مرة ، كما يتضح لك عن قريب ، وهذا ما حدانا كما حدا غيرنا الى الظن بان حضرته لم يضع النص الايطالي لكتابه بل استأجر من وضعه له وهكذا نفهم سبب المناقضات التي وقع بها كما اشرت .

وقبل اعطاء الحجة على صحة زعمي ، القي نظرة اجمالية على تآليف الاب قرالي التي نشرت بعد كتابه الايطالي المذكور ، وفي كلها عبر مفيدة :

١ً « فخر الدين المعني الثاني امير لبنان » حريصا سنة ١٩٣٧ . وهو يقع في ١٥٦ صفحة . وما هو الا تعريب الشطر الاول من الكتاب الايطالي ، وقد اسمى الكتاب الايطالي الجزء الاول كما اشار الى ذلك ايضاً في الكتاب المعرب .

بيد ان هذا التقسيم لا يوافق واقع الحال ، لان الثاني ليس جزءا من كل

---

١) طالع مثلاً كتاب العلامة الاب اليسوعي ليوبلد فونك Leopold Fonck, *Il Metodo del Lavoro Scientifico*, Roma, 1909. p. 258-262.

يتبع بعضه بل هو تعريب فقط . وهو خالٍ من كل فهرس سواء كان للمواد او للاعلام. وهذا نقص غير جائز عند ارباب العلم في عصرنا الحاضر.

٢ً «فتوحات ابراهيم باشا المصري في فلسطين ولبنان وسوريا». حريصا سنة ١٩٣٨ . وهو يقع في ٩٦ صفحة ، وقد عربه عن تقارير انطون كتافاكو قنصل النمسا في عكا وصيدا سنة ١٨٣١–١٨٤١ وجاء في المقدمة ما نصه: «ان هذه التقارير مكتوبة باللغتين الفرنساوية والايطالية عربناها للقراء حرفياً»

ولا يفهم من كلام حضرته هل كانت تلك التقارير محررة كلها باللغتين المذكورتين او ان البعض منها بهذه اللغة والبعض الاخر بتلك . ولكن يتضح من الترجمة ان بعضها كتب بهذه اللغة والبعض الاخر بتلك . والتأليف خالٍ من فهرس هجائي ومن فهرس للاعلام.

٣ً «استشهاد ابراهيم اماره في دمشق سنة ١٨٤٠ نقلاً عن محضر القضية الاصلي». حريصا سنة ١٩٣٧ . وهو يقع في ٩٠ صفحة وخالٍ من فهرس للاعلام ومن فهرس هجائي.

٤ً «حروب المقدمين من سنة ١٠٧٥–١٤٥٠». بيت شباب سنة ١١٣٧ . خالٍ من كل فهرس . يقع في ٩٦ صفحة ، ويقسم الى قسمين: يتضمن القسم الاول زجلية للمطران جبرائيل اللحفدي المشهور بابن القلاعي ، اسقف قبرس المارونى ، المتوفى سنة ١٥١٦[1] . وفي الثاني ص ٨٥–٩٦ وثيقة قديمة اسماها نكبة كسروان ودير مار شليطا ولم يزل مخطوطها الكرشوني بين اوراق بكركي ، وهي منسوبة الى المطران تاودوروس مطران مدينة حماه ، وناسخها القس بطرس من قرية عجلتون.

فمع صرف النظر عن قيمة هاتين الوثيقتين التاريخية — لان مؤلفيهما يخبطان خبط عشواء في ايراد الحوادث والتواريخ . ولا عبرة لما زعمه حضرة الاب قرالي ص ٩٠–٩١ حيث لا يرى مناسباً ان يجاري الاب العالم ابرهيم حرفوش

---

١) اورد المؤلف في كتابه هذا نبذة عن ابن القلاعي ومؤلفاته بقلم حضرة الاباتي العالم البحاثة طوبيا العنيسي ص ٧٩–٨٤

المرسل اللبناني في نبذ الوثيقة الاخيرة جانباً . « وعذرنا عائد الى فقرنا المدقع بالمصادر التاريخية الراجعة الى القرون الاولى والوسطى من تاريخنا. فنحن كالجائع يلتقط الفتات بلهف ويزدردها بنهم لعجزه عن اشباع جوفه من الارغفة المستديرة والاطباق الملآنة. وكان هذا شأننا مع زجلية ابن القلاعي التي رذلها بناؤو تاريخنا فاعتبرناها رأساً للزاوية في صرحه »

فانت ترى ان حسر بصيرة الاب قرالي في النقد تجعله يجنح عن الصواب لانه، سواء جمنا او شبعنا، فقيمة الوثيقة من حيث النقد والتاريخ هي هي لا تتغير كما لا يغرب.

ـــ قلت مع صرف النظر، لان ليس من غايتي مثل هذا البحث. ولكن الفت نظر القراء الى غلط فادح ارتكبه حضرة الناشر الاب قرالي حيث قال في مقدمة الكتاب ما نصه حرفياً :

« في تاريخ الطائفة المارونيـة ثغرة واسعة تمتد من اواخر القرن السابع المسيحي الذي نشأت فيـه الى اواسط القرن الخامس عشر الذي عادت فيه مواصلاتها مع رومية. »

ولا نخال كثيرين من علماء الموارنة يسلمون معه بان نشوء الطائفة المارونية كان في اواخر القرن السابع المسيحي. واغرب من ذلك قوله بان مواصلات الطائفة المارونية مع رومية عادت في اواسط القرن الخامس عشر. لانه من الحقائق الراهنة الواضحة كالشمس انـه، اذا كان يوجد بعض الغموض في تاريخ مواصلات الموارنة مع رومية، فهو قبل عهد البابا زخيا الثالث (١١٩٨—١٢١٦) Innocent III (1198-1216) اي قبل اواسط القرن الثاني عشر، ويكفي تدليلاً على صدق هذا القول القاء نظرة على مجموعة البراءات المرسلة للموارنة والتي نشرها حضرة الاب العالم طوبيا العنيسي في كتاب يقع في ٥٧٦ صفحة في رومية *Bullarium Maronitarum*, Romae, 1911 واول براءة في المجموعة المذكورة هي من البابا زخيا الثالث، بتاريخ ١٢١٥ . ثم يليها براءات من سائر البابوات الى عهد لاون الثالث عشر حيث تنتهي المجموعة المذكورة.

ولكن كما نوهت ليس من دأبي البحث في هذه العجالة عن تاريخ الموارنة

او خلافه انما التدليل على ان اقوال حضرة الاب قرالي لا يعوّل عليها . لانه ، وان يكن ذا فضل بما نشره من الوثائق القيمة ، الا ان تآليفه كلها لا تدلّ على علم وفن راهن يرتكز عليه ارباب العلم والنقد. ويطول بي الكلام لو اردت تتبع خطواته في كل ما نشره لان ذلك يتطلب تمحيصاً ودرساً لا يتسع لهما وقتي ، وقد رأى القراء قسماً من ذلك فيما قلته عن كتابه الايطالي فخر الدين المعني الثاني وعلاوة عن ذلك فاني اكتفي بتقديم دليل على صدق اقوالي بانتقاد كتيب نشره اخيراً تحت عنوان « لبنان في السنة ١٦٤٣ نقلاً عن تقرير الاب فيتالي . عربه وعلق حواشيه الخوري بولس قرالي ، مطبعة صدى الشمال سنة ١٩٣٨ »

وهو اولاً خالٍ من كل فهرس وحاوٍ التعريب والاصل الايطالي. فالتعريب يقع في ٢٥ صفحة والايطالي في ٣٣ .

ثانياً ان الترجمة ، فضلاً عن انها غير متينة في مواضع كثيرة ، وفضلاً عن ان المؤلف اهمل تعريب بعض كلمات واسامي ربما لانه لم يفقه معناها ، فتراها بعيدة عن الصواب والمعنى احياناً كثيرة.

وهاك امثلة من النوع الاخير:

جاء في ص ١٣ عدد ١٤ من التعريب في معرض الكلام عن الارز ما نصه:

« هذا ما حمل الاقدمين على احاطة هذه الاشجار بظاهر الاعتبار . فنصبوا حول خمس منها مذابح يقام عليها في عيد التجلي الواقع في السادس من آب قداس صارخ يحتفل به عادة السيد البطريرك وتزدحم حوله الجماهير ازدحاماً شديداً ويحضره حاكم تلك المقاطعة وينصب ديواناً ممتازاً يلبي فيه من الطلبات ما امكنه . »

بيد ان الاصل الايطالي هو ص ٢١ عدد ١٤:

« ولهذا حافظ عليها (الاشجار) قدماؤنا باحترام عظيم وشيدوا قرب خمس منها خمسة مذابح يقام عليها يوم عيد تجلي الرب الذي يقع في ٦ آب قداس

حبري يحتفل به عادة السيد البطريرك ويحضره جمع غفير من الشعب ويعمل حاكم المقاطعة وليمة عامة يدعو اليها كل من اراد ان يأكل « Corte bandita اي العيش لمن عاش. فترجمها حضرة الاب قرالي :

« ينصب فيه ديواناً ممتازاً يلبي فيه من الطلبات ما امكنه »

وفي صفحة ٨ ايطالي عدد ٢ يقول المؤلف : « ان يكن اكثر هذه الأديار غير مأهول »

وفي الترجمة ص ٨ عدد ٢ لا اثر لذلك . اي ان الاب قرالي اهمل ترجمة هذه الجملة.

في ص ٩ يوجد فرق كبير بين ما قيل بالايطالي عن جبيل وبين الترجمة العربية.

في ص ٩ — ١٠ ايطالي قيل عدد ٣ :« وفي هذا الاقليم عاش ومات القديس يوحنا مارون اول بطرك على الموارنة وهنالك يكرم جسمانه في كنيسة شيدت على اسمه وفيه ايضاً كانت كرسي بطاركة الطائفة المذكورة حتى سنة ١٤٦٠ »

بيد ان المعرب ص ٩ عدد ٣ يقول « والى هذه المدينة جاء يوحنا مارون البطريرك الاول على الطائفة المارونية وفيها توفي ودفن في كنيستها المشيدة على اسمه واتخذها البطاركة خلفاؤه كرسياً لهم حتى السنة ١٤٦٠ »

في ص ١٣ ايطالي قال في الحاشية قولاً يختلف عما قاله بالصدد نفسه في الترجمة ص ١١ من الترجمة

ص ١٦ ايطالي ورد اسم كفرة Acefali (ناكري سلطة البابا والمجامع) وأهمل ص ١٣ من الترجمة

ص ١٦ قال المؤلف الايطالي ان يوحنا مارون اول بطرك على الموارنة عاش وكتب سنة ٦٠٠ مسيحية فلم يترجم ذلك حضرة المعرب ص ١٤ من الترجمة

ص ٢٣ ايطالي عدد ١٦ قيل ان اليسونة تخص الموارنة ، وحضرة المعرب ص ١٩ عدد ١٦ قد اهمل ذلك .

ص ٢٢ من الترجمة قيل في الحاشية « راجع ما قلناه في كتابنا ف ٢١٢ حاشية ١ » ولم يقل لنا حضرته اي كتاب من كتبه يعني .

ص ٢٤ ايطالي عدد ١٦ وردت كلمة visciole وهو نوع من الكرز شبه به البربريس ولم ترد ترجمة هذه الكلمة في العربي ص ١٩ عدد ١٦. اخيرًا ص ٢٤ من الترجمة عدد ٢٣ قيل : « فاختبأ بين قصب كان هنالك بقرب النهر» والمعنى الايطالي ص ٣١ عدد ٢٣ «سقط على القصب قرب النهر» .

* * *

ـ هذه بعض امثلة رأيت مناسباً اثباتها بايجاز كلي خدمة للنقد والعلم الصحيحين . وقد اهملت اغلاطاً كثيرة غير هذه واردة في الصفحات ١٥ و١٦ و١٨ و٢٠ و٢٤ من الترجمة . فعلى القارئ النزيه ان يحكم مما تقدم على سائر مؤلفات الاب ترالي حكماً سديدًا ، والله يهدي كل انسان الى الصواب ويسدد خطوات الجميع .

مطبوعات شرقية جديدة

Institutiones Theologiae Moralis ad normam Juris Canonici quas veteri compendio a P. GABRIELE DE VERCENO O. M. Cap. confecto, P. SERAPHINUS A LOIANO. S. Theol. Lector, ejusdem Ordinis, suffecit.

Vol. III. Theologia Specialis, Pars IV, De Justitia ejusque laesione. — Pars V, De Contractibus. — Pars VI, De Peculiaribus Clericorum et Religiosorum obligationibus. In 8 max., 1937. p. 1004 Lib. It. 40

Casa Editrice Marietti, Via Legnano, 23 - Torino (Italia).

اصول اللاهوت الادبي : المجلّد الثالث – للاب سيرافينو دي لويانو

سبق في المشرق وصف جزئي هذا الكتاب الاول والثاني. وهو في الاصل من وضع الاب جبرائيل دي ڤرشينو من رهبانية الاخوة الاصغرين الكبوشيّين ؛ فاخذ يُنقّحه ويُضيف اليه ايضاحات ضافية الاب سيرافينو دي لويانو سليل الرهبانية نفسها . ولسوء الحظ لم يُفسح له الاجل المحتوم الوقت اللازم لشرح ما تبقى من فصول الكتاب ممّا يتعلق بالاسرار الالهية السبعة والتأديبات الكنسية . اما المجلّد الثالث هذا فيدور البحث فيه على العدل وخرقه والعقود وواجبات الاكليريكيين والرهبان الخاصة . وممّا توخّاه الشارح ، رحمه الله ، في اول منزلة فزاد تعليقاته قيمةً من الوجهة العملية إفادة معلّمي الذمّة ورعاة النفوس ، فاصاب المرمى ولا غرو وقد أكبّ على تدريس اللاهوت الادبي ثلاثين سنة اقتبس خلالها خبرةً واسعةً في حلّ مشاكل الذمة . وهو من اتباع مذهب المحتمليّة الصحيحة ، لا يُرهق الضمير باضاليل التحريجيّين ولا يجنح به الى غرور المحتمليين المتطرفين ، يتحرّى الآراء المختلفة مثبتاً منها ما تدعمه البراهين الراجحة ويُقرّه الأئمة .

ش . ا .

BENEDETTI (IVO) Ordo Judicialis processus canonici super nullitate Matrimonii instruendi, juxta Instructionem a S. C. de Sacramentis editam, Novissima editio, 1938, In-8 max., p. 220. Lib. It. 12. Casa editrice Maaietti-Via Legnano, 23, Torino (Italia)

النظام القضائي لتسيير الدعاوى القانونية في بطلان الزواج

يهدي الاب إيفو بنيدتي كتابه هذا الى جميع متولي الدواوين الكنسية في مختلف الابرشيات ، ففيه يجدون كل ما لا مندوحة لهم عن الاطلاع عليه للسير طبقاً للقوانين المقدسة بالقضايا المنوطة بصحة الزواج او بطلانه. ففضلاً عن كون المؤلف ذا خبرة واسعة في الموضوع نسبةً الى مزاولته المحاماة لدى ديوان الروتا الرومانية فانه قد ضمّن مصنَّفه نصّ التعليمات الصادرة في ١٥ آب ١٩٣٦ من مجمع الاسرار المقدس في شأن القضايا المذكورة ، وأضاف اليها ايضاحات قيمة ترتكز على مجلة الحق القانوني واصول الاجتهاد. هذا خلا ما ألحقه بالكتاب من النموذجات العملية لصور المعاملات ومحاضر الجلسات ، مما يقدّره ولا شكّ حقّ قدره القضاة الكنسيون والمسجّلون ش. ا.

MGR TIHAMER TOTH, Le Symbole des Apôtres. VIe, La communion des Saints, la Rémission des Péchés, la Vie Éternelle. Traduit du hongrois par l'ABBÉ MARCEL GRANDCLAUDON. In-8°, 352 pp. Mulhouse, Éditions Salvator. 1938. Prix : 25 fr.

قانون الايمان : القسم السادس

القى المؤلف سلسلة مواعظ في شرح قانون الايمان جمعها في مجلدات ستة هذا آخرها خاصاً بشركة القديسين ، ومغفرة الخطايا ، والحياة الابدية . وان صفات الوضوح في العرض ، والدقة في التحليل ، وحسن الاختيار للامثلة والتشابيه ، والاهتمام بالاسلوب التي ضمنت النجاح للمجلدات الخمسة السابقة ، نراها على اجلى مظاهرها في هذا المجلد السادس . يبدأ الكتاب بعظة في « اقرب العقائد الى الاجتماع » من ايماننا ، وهي شركة القديسين ، ثم يخص اربع عظات بمغفرة الخطايا ، منها واحدة تتوجه نحو الذين يرفضون الاعتراف ، فتفند حججهم . ومن ثمّ ينصرف المؤلف الى بحث الحياة الأخرى وعواقب الانسان يتمتع فيها في

اربع عشرة عظة منها ثماني تتعلق بالموت ، فتـدرس الموضوع على مختلف نواحيه . بعد ذلك يتناول البحث المطهر ، والجحيم ، والنعيم . ومما يجدر بالذكر تلك الكياسة والصراحة والدقـة التي يأخذ بها المؤلف في بحثه عن الجحيم والهلاك الابدي امام مجتمع عصري . مما يجعل لعظاته سمة خاصة معجبة .

CARDINAL BERTRAM, Charismes de Vie Sacerdotale. Traduit de l'allemand par l'ABBÉ RENÉ GUILLAUME. In-8°, 336 pp. Mulhouse, Éditions Salvator, 1938. Prix : 22 fr.

كرامات الحياة الكهنوتية

هـذه « الكرامات » هي الفضائل التي طالما اوصى بها الكردينال برترام للكهنة الذين عرفهم . وها انه يعرضها اليوم على جمهور المتخصصين لخدمة الله وخير النفوس يُساعدهم التأمل فيها على التقدّم في تقديسهم الشخصي وفي حسن القيام بواجباتهم الكهنوتية تجاه ابناء رعاياهم. يجمع كل ذلك في فصول عنوانها: شخصية الكاهن ؛ ينابيع الكهنوت الحيّة ؛ في النور الالهي ؛ مع مريم ام يسوع ؛ كتاب الفرض كتاب الكاهن المقدّس ؛ في خدمـة النفوس ؛ سيف الروح ؛ كلمة الله ؛ الكاهن دليل الشبيبة ؛ الطبيب الحكيم في سرّ المصالحة ؛ استودعك الله ، ايها الزميل الحبيب !

لا شك في ان هذا الكتاب يحل المحلّ اللائق الى جنب مؤلفات الكردينال مانينغ ، وفوكان ، ومرسيه في الفضائل الكهنوتية ، لما اظهر فيه مؤلفه من دقة تحليل ، وعميق ملاحظة ، وابتكار اسلوب.

ABBÉ MICHEL PFLIEGLER, Le vrai chrétien en face du monde réel. Traduit par l'ABBÉ E. ROBLIN. In-8°, 200 pp. Mulhouse, Éditions Salvator, 1938. Prix : 15 fr.

المسيحي الحقّ تجاه العالم الحقيقي

لا يخفى مـا يحيط بالمسيحي الحقّ من عقبات تعرقل مساعيه في العمل الكاثوليكي . فكان من فضـل المؤلف ، وهو من شبّان اساتذة المعهد الكاثوليكي في ڤينة ، ان اجتهد في درس هذه العقبات والاطلاع على طرق تذليلها . ورأى ان يخرج هذه الابحاث على شكل مبتكر دعـاه « فحص

الضمير » فتوفق فيه كل التوفيق على ما ذكرت المجلات الكاثوليكية ، فامكننا القول ان الكتاب سيصح اداة ضرورية لجميع المشتغلين بالعمل الكاثوليكي.

FRANÇOIS AMIOT, **L'Enseignement de Saint Paul.** 2 v. in-12, XV+337 pp. et 261 pp. Paris, Librairie Lecoffre, J. GABALDA et Cie, 1938. Prix : 45 fr.

تعليم القديس بولس

غاية المؤلف ان يعرض لطلاب المعاهد الاكليريكية ، وللكهنة ، ملخصاً موجزاً واضحاً لعقيدة القديس بولس . ولم يكن الايجاز لينفي العلم والاجماع. ولهذا كان نجاح المؤلف تاماً ، على ما قال نيافة الكردينال تيسران ، كاتب المقدمة . فغدا الكتاب جزيل الفائدة لا لابناء الاكليروس فقط ، بل لسائر المسيحيين من الذين يودون التعمق في دينهم ، فيعودون الى نصوص الكتب المقدسة نفسها.

P. ANDRIEU-GUITRANCOURT. **L'Archevêque Eudes Rigaud et la vie de l'Église au XIIIe siècle, d'après le « Regestrum visitationum ».** In-8°, XII+464 pp. Paris, Librairie du Recueil Sirey, 1938. Prix : 80 fr.

رئيس الاساقفة اود ريغو وحياة الكنيسة في القرن الثالث عشر

هذا المؤلف درس في الحق القانوني من حيث تطبيقاته في بيئة كانت تعايشه اما موافقة لاحكامه واما محاولة التخلص منها . واذاً فليس لنا ان نطلب في الكتاب مشهداً عاماً لحياة الكنيسة في نورماندية في القرن الثالث عشر . ذلك ان اثر الاسقف اود ريغو ، الذي يستند اليه المؤلف في كتابه ، إن هو الا مجموعة مذكرات دونها صاحبها في زياراته الرعائية . حتى ان الحياة العقلية والاخلاقية والروحية نفسها تفسح المجال فيها لحوادث الخلاف القانونية او للوائح محتويات الكنائس والموانه . على ان الدارس يستنتج المعلومات الكثيرة من هذه المذكرات المدونة يوماً فيوماً ، تبعاً للوائح والمشاكل العارضة . ولما كانت الكنيسة لا تعيش بمعزل عن المجتمع ، اصبح لنا الكثير من اللمحات في حياة العصر . ولا سيما ان اود ريغو كان في آخر ايامه من اصدقاء القديس

لويس المسموعي الكلمة . وهذا ما يدفعنا الى القول ان المؤرخين وعلماء الحق القانوني يستفيدون جميعاً من هذا الكتاب .

ELIE MAIRE, Images de Dom Chautard, abbé de Sept-Fous. vol. 19×12 de 152 pp. Paris, Flammarion. Prix : 10 fr.

مظاهر من شخصية الاب شوتار

ليس هذا الكتاب سيرة حياة كاملة . انما هو لمحة اجمالية القاها المؤلف على اثر وفاة تلك الشخصية العميقة النفوذ ، المتسمة بجمال العمل . فكوّن منها « صوراً » تحيي لدينا نواحي متنوّعة من حياة الراهب المليئة . وفي هذه الصور المشاهد الرائعة كالمناظرة الشهيرة بين الراهب الفقيد وجورج كليمنصو سنة ١٩٠١ ، والصفحات في « روح الرسالة » مما يجعلنا نؤمل مطالعة كتاب اوسع في الموضوع نفسه . ب. م.

R. P. LACAN S. C. J., Le Jubilé Marial Français (1937-1938). Plaquette de 48 pp. Paris, Maison de la Bonne Presse. Prix : 2 fr., 50.

اليوبيل المريمي الفرنسوي

يبدأ المؤلف بنظرة في اليوبيلات عامة وتأثيرها الصالح . ثم يعرض للظروف الخاصة التي اكتنفت الاحتفال بهذا اليوبيل الموافق مرور ثلثمائة سنة على نذر لويس الثالث عشر . واخيراً يفصّل الشروط الضرورية ليربح الانسان الغفرانات المهنئة المعيّنة لهذا اليوبيل . ولا يخفى ما في ذلك من دوافع لتعزيز الايمان والتقوى. غ. ن.

MICHEL CHRISTIAN, Notre-Dame de France. In-8°, 144 pp. Paris, Téqui, 1938.

سيدة فرنسة

يخوض هذا الكرّاس في الموضوع نفسه تقريباً ، فيذكر بجلسة واندفاع نذور لويس الثالث عشر بتكريس فرنسة للعذراء مريم ، مشيراً الى ان هذا العمل الجليل كلّل عبادة الفرنسويين للعذراء . ومن ثمّ يتوسع في ذكر فضائل لويس العادل التي أهّلته للقيام بهذا النذر المهمّ . ولقد وددنا لو اطنب المؤلف

في درس المحيط الذي كان يكتنف الملك وفيه كثير من الشخصيات الدينية التي حفلت بها فرنسة اذ ذاك . ومهما يكن من امر ، فان الكتاب لجدير بان يطالعه كاثوليك فرنسة فيروا ما كان عليه آباؤهم من قوة ايمان وصحة تقوى.

غ . ن .

J. LAMOOT, **Monseigneur Sixe, premier missionnaire du travail.** Préface de Mr EUGÈNE DUTHAR. In-16, 416 pp. Paris, Spes, 1938.

المونسنيور سيس ، اول رسول للعملة

يعرض هـذا الكتاب الواضح حياة كاهن كان في طليعة مرسلي العمّال المسيحيين . تشبّع من آراء لاون هرْبل وألبر دي مون ، واقام مدة خمسين سنة يعمل على بعث الحياة المسيحية في طبقة العمّال من خورنيته الفسيحة في الشمال ، وفي مجلته « الديموقراطية المسيحية » ، وفي جماهير الزوّار من العملة التي قادها الى رومة . وقد امكنه ان يتعزّى قبل وفاته بمرأى النجاح العجيب الذي نالته جماعات الشبيبة العاملة المسيحية . وسيظلّ ذكره خالدًا في تقدّم المسيحية في هذه الاوساط العاملة الشعبية.

LÉOPOLD UHL, **Leçons catéchétiques sur le 6e commandement.** Traduit de l'allemand par LÉON DEHAENE. In-8°, 112 pp. Mulhouse, Salvator, 1938. Prix : 9 fr.

دروس في التعليم المسيحي عن الوصية السادسة

نُشر هذا البحث لاول مرة سنة ١٩٢٨ بناء على امر اسقفية ڤينة . وفيه دروس تامّة في الوصية السادسة مفصّلة وفقًا لاعمار السامعين . ولا يخفى ما في هذا البحث من فوائد للكهنة ، ولمدرّسي التعليم المسيحي خاصّة.

LOUIS ROBIN, **La morale antique** v. 19×12, 170 pp. Paris, Alcan, 1938. Prix : 15 fr.

علم الاخلاقيات عند القدماء

يقتصر بحث الكاتب على الاخلاقيات اليونانية التي جعل منها الفلاسفة مذهبًا مقرّرًا ، منصرفًا عمّا تفيده آثار الروائيين . ثم انه يكاد يكتفي ببضع مشاكل فقط من محيط الاخلاقيات كانت ولا تزال موضوع المناظرات

والمشاحنات بين الفلاسفة ، كمدلول الخير الاخلاقي ، وعلاقة السعادة بالفضيلة ، وتدرّج المواهب النفسية ، والقضاء والقدر بالنظر الى حرّية الانسان . فيدقّق فيها ويعرض لنا ، في صفحات مليئة ، فكرة اليونان الاجمالية بشأنها .

ج. تاردي

EMILE RIDEAU, Descartes, Pascal, Bergson. v. 20×13, 246 pp. Paris, Boivin, 1938. Prix : 20 fr.

ديكارت ، پاسكال ، برغسون

للمؤلّف سببان في هذا التقريب بين ديكارت وپسكال وبرغسون : منهاج البكالورية ، وميول المؤلّف الخاصّة . اما المنهاج فقد دفعه الى السير على اسلوب موضوعي واضح العرض ، تعليمي الغرض ، يرمي الى تهيئة الطلّاب للامتحان على افضل طريقة . وامّا الميول الخاصة فقد افادتنا لمحات ، ونظرات ، ومقارنات تتفلّت احياناً على غاية الموافقة ، حافلةً بنزعة محبّبة الى تفهّم الفلاسفة المذكورين ، حتى اننا لا نرى صعوبة في اتباع المؤلّف في ميله الى پسكال وبرغسون . واما ديكارت فان الكاتب يقنعنا بانه قد يكون متمّماً موافقاً لصوفية پسكال . وعلى الجملة فان الكتاب اثر استاذ بصير يهمّه نجاح تلامذته ولكن دون ان يضحي ، في سبيل هذا النجاح ، بما تفرضه الثقافة العقلية التامّة من إعمال رويّة ودرس شخصي . وكأنه لخّص فكرته بهذه الكلمات في الخاتمة : « والآن ، ان نكن قد فهمنا امثولة الاساتذة ، فلنذهب ولنحيَ ! »

J. MESSAUT O. P., La Philosophie de Léon Brunschwicg. In-8°, 171 pp. Paris, Vrin, 1938.

فلسفة لاون برنشويك

يُعدّ السيد لاون برنشويك ، في العالم الفلسفي المعاصر ، من اهم اعداء الفكرة الكاثوليكية . فكان لا بدّ من ان يتصدّى له احد مشاهير اللاهوتيين ، فيعرض آثاره على محكّ النقد الدقيق ، ويبيّن ما فيها من احكام جازمة ، وما تقود اليه من نتائج واهية ، على رغم لهجتها التأكيدية ، وعلى رغم ما تتصف به احياناً من قيمة فكرية لا تُنكر . وهو ما قام به الاب ميشو الدومنيكي .

لقد اتصف السيد برنشويك باحلال العقل المحلّ السامي . وهو فضل يذكر بالحمد في عصرنا هذا الذي كثر فيه عدد المتهافتين على تمجيد المادّة . بيد انه وان يكن قد تجنب مظاهر الانحطاط المادّي ، فانه لم يسلم من تجارب الكبرياء العقلية ، فهوى فيها دون تحفظ . وكان رأيه ان الفكرة البشرية يجب ان تكون لنفسها شريعتها السامية . فليس لها ان تتناول شيئاً خارجاً عنها ، وهي التي تُخرج العالم من طبيعتها دون ان تدين بشيء لهذا العالم . وهو ما لا يصحّ ، في نظرنا ، الّا عن الفكرة الالهية . ولا يخفى انه لا يبقى من محلّ للوحي في مذهب كهذا . ولا يخفى كذلك انه ليس بامكان الفيلسوف ان يؤيّد نظرية كهذه غريبة عن المعتقد العام دون ان يقع في المتناقضات الكثيرة . وهو ما يبيّنه الاب ميسو في هذا الكتاب ، دالّا كيف ان فلسفة القديس توما ، التي ينسبها السيد برنشويك الى الصيانية ، تشرح على اسلوب افضل وانسب ، شرائع العقل البشري الحقيقية ، وحدود مراميه التفكيرية . حتى اذا ما قرأنا هذا الكتاب تحققنا انه مهما كان لاعدائنا من مقدرة فكرية ، وبلاغة تعبيرية ، فلا نرى انهم يقاومونا بالأعتدة المهمّة . غ. نيرون

Les Philosophes du XVIIIe siècle. Extraits par J. CALVET et R. LAMY. In-8°, XII+600 pp. Paris, de Gigord, 1937. Prix : 25 fr.

منتخبات من آثار فلاسفة القرن الثامن عشر

ليس من شك في الصعوبة التي يراها طلّاب البكالورية في اعداد النصوص الفلسفية المعيّنة في المنهاج . وذلك لتنوّع نظريات الكتاب المذكورين ، ولما تثير آراؤهم من مشاكل . ولهذا كان فضل جامعي هذا الكتاب عظيماً لانهما انصرفا فيه الى اختيار النصوص التي تظهر فيها على اوضح جلاء فكرة « فلاسفة » القرن الثامن عشر . ولأنهما علّقا الحواشي والتوطئات المفيدة ، وافتتحا المجلّد بقاموس خاصّ في عشر صفحات ، لاهمّ الكلمات ومعانيها الخاصة في القرن الثامن عشر . ولمّا كان اكثر النصوص المنتخبة تستدعي التفنيد ، رأى الجامعان ان يشيرا الى ما فيها من خطأ او وهم باسلوب موجز ولكنه كافٍ ، تاركين

للاساتذة مهمة التوسع بهذا التفنيد ، وفقاً لما يرونه ضرورياً . وقد عملا على احياء ذاك العصر بما ضمناه النصوص من صور ورسوم أتت موافقة - فغدا الكتاب جديراً بان يكون في ايدي طلاب البكالورية جميعهم .

بول ميش

EMILE TYAN, **Histoire de l'organisation judiciaire en pays d'Islam.** T. I. [*Annales de l'Université de Lyon*], In-8°, XVI + 528 pp. Librairie du Recueil Sirey, Paris 1938.

تاريخ التنظيم القضائي في الاسلام

« ان هذا العمل الجبار ، ثمرة الجلد على التنقيب الدقيق ، قد اخرج بقالب جعلني اطالعه دفعة واحدة من دون ان تنقطع رغبتي فيه على الاطلاق . ويتحتم عليَّ ان اقول الآن انه اثر علمي عظيم القيمة . وهذا ما يغني — من يهمهم هذا التقرير — عن مطالعة الحيثيات اذا رغبوا في معرفة الخلاصة وحدها . »

بهذه العبارة استهلّ السيد ادوار لمبر مدير مدرسة الحقوق الدولية في ليون ، والاستاذ الفخري لدى جامعتها ، التقرير الذي رفعه الى اللجنة المكلفة درس مؤلف الاستاذ تيان لتقرير طبعه اولاً في المجموعة المعروفة باسم *Annales de l'Université de Lyon* وقد قررت اللجنة بالاجماع طبعه ، وصدّرته بتقرير الاستاذ لمبر الذي درس الكتاب درساً علمياً قانونياً واعتبره من الآثار العظيمة القيمة . لا شك ان هذا التأليف النفيس ذو فائدة كبرى لان مؤلفه درس التنظيم القضائي في الاسلام بطريقة علمية دقيقة ، وجمع كل ما يمكن للمرء معرفته ، او الاطلاع عليه ، مما يختص بتاريخ القضاء او مما لهم علاقة به ولو بعيدة . طالع في سبيل هذه الغاية ، خلا ما كتبه الفقهاء وعلماء القانون في هذا الموضوع ، كل ما له علاقة بالنظم القضائية في الجاهلية وفي اواخر ايام المملكة الفارسية والمملكة البيزنطية ، قبيل الفتح الاسلامي ، واشار الى جميع هذه المصادر . ثم بين بوضوح كيفية التطور الذي جرى في القضاء في العصور الاسلامية الاولى . فترى كيف ان الفاتحين لم يمسوا النظم الادارية او القضائية او البلدية في البلدان المفتتحة ، لانهماكهم في الحروب المتواصلة . فتركوا لأهل البلاد من نصارى

وغيرهم محاكمهم ودواوينهم ، حتى انهم تركوا الاشخاص الذين تولوا القضاء والادارة قبلهم في مراكزهم لحسن سير الاعمال في المالية وفي جميع فروع الدولة فبقاء منصور بن سرجون المسيحي مثلاً على راس مالية دمشق ، هو واحفاده اعواماً طويلة امر مشهور . واخذوا عن المغلوبين اساليبهم في الحكم والادارة والقضاء قليلاً قليلاً الى ان تمكنت الدولة الاسلامية من هضم الشعوب المغلوبة مع قوانينها وعاداتها ، فكونت شخصيتها العربية البارزة . وكما كان الحاكم في ايام البيزنطيين ، يتولى بمقتضى شرائع الامبراطور يوستنيانوس ، الادارة والقضاء في ولايته ، هكذا تولى القضاء والادارة في الاسلام حكام المقاطعات مثل ابي موسى الاشعري ، حاكم البصرة ومن شاكله . وظل للنصارى محاكمهم وقضاتهم من اساقفة وكهنة ، وقوانينهم من دينية ومدنية ككتاب الهدى ومراسيم الامبراطرة قسطنطين وثوادوسيوس ولاون المعروفة بالعرف السوري الروماني . وتولى القضاء عند المسلمين الشخصيات الدينية اقتداء بالروم وبالفرس معاً حيث كان للهربد وللكاهن وظائف دينية قضائية . حتى ان وظيفة قاضي القضاة واسمه هما تقليد لوظيفة الموبذان موبذ ، قاضي القضاة عند الفرس.

ينحصر درسنا الآن في المجلد الاول من تاريخ التنظيم القضائي في الاسلام وفيه ستة فصول عرض فيها الاستاذ تيان ، بطريقة علمية سهلة شائقة ، الاصول البعيدة للنظام القضائي عند المسلمين ، والتطور الطبيعي لهذا النظام حتى بلوغه حد الكمال . ففي الفصل الاول درس اصول القضاء في الجاهلية ، وفي ايام النبي وعلى عهد الخلفاء الراشدين . وانتقل في الفصل الثاني لدرس حالة القاضي الدينية والقضائية . وفي الثالث بيّن ماهية النظام القضائي وشروط تولي القضاء والثوب الذي كان يرتديه القضاة . واما كيفية تأليف مجلس القاضي وقاعدة القاضي الفرد ومجلس المشورة ، والمفتي ، والشروط المطلوبة فيه ، والمشورة في الاندلس ، والشهادة ومعاونو القاضي ، والوكلاء ، وجلسات القاضي وموعد انعقادها ، والمحافظة على النظام بها ، فقد اعدّ لها درساً وافياً في الفصل الرابع . وفي الفصل الخامس درس الآداب القضائية كما وردت في التآليف العلمية وفي الواقع . وفي الفصل السادس والاخير درس رواتب المراكز القضائية ونوعها وفقاً لما جاء

في التآليف العلمية ، وكما هي في الواقع.

وقد اشبع هـذه المواضيع درساً وتدقيقاً والمّ بها الماماً شاملاً من جميع نواحيها ، فلم تفته شاردة ولم يهمل من المصادر الفقهية والدينية والتاريخية والادبية امراً مهماً كان ام بسيطاً ، متجنباً الاساليب الرثة التي يتخذها عادة الفقهاء والمؤلفون العرب في كتبهم القضائية حيث لا تجد الا قواعد مبعثرة وامثالاً شاردة لا تربطها بعضها ببعض قاعدة عامة ، ولا تعرف مصادرها واسباب تطورها المنطقية. حتى يصحّ القول ان الاستاذ تيان احدث فتحاً جديداً في تاريخ القضاء الاسلامي ولا اظن انه من الممكن الآن الكتابة في هذا الموضوع من غير الرجوع الى تأليفه.

ويحق لنا نحن اللبنانيـين ان نفتخر الآن بمدرسة الحقوق وباساتذتها وبما تستفيده عاصمتنا من ماضيها العلمي المجيد فتضاهي مدرستُنا الحاضرة مدرستَنا الرومانية القديمة الشهيرة.

المحامي ابراهيم عوّاد

L. A. MAYER, Annual Bibliography of Islamic Art and Archaeology. V I., 1935. In-8°, VIII+64 pp. Jerusalem, Divan Publishing House. 1937.

فهرس سنوي لمنشورات الفن والاثريات الاسلامية : الجزء الاول

يحتوي هذا المجلد الاول على اسماء ما نُشر من كتب وابحاث ومقالات في الفنون والآثار الاسلامية سنة ١٩٣٥ ، جمعها ورتّبها الاستاذ ل. ا. ماير ، من الجامعة العبرية في اورشليم ، بمؤازرة رهط من العلماء الشرقيين والغربيين فظهرت في سبعة عشر فصـلاً من العموميات ، الى فنّ العمارة في مختلف المناطق الاسلامية ، الى التخطيط ، والفنون الجميلة ، والمجاميع ، والرقم ، والمسكوكات ، والملابس والاسلحة والشعائر الحربية ، الى المؤثرات الاسلامية ، وعلم الاجناس ، والحفريات ، والاشخاص. ويختم بجدول للمآخذ ومتفرقات وحواش وزيادات. وعلى الجملة فان العمل نافع جدير بالشكر.

ف. ا. ب.

REUBEN LEVY, Catalogue of the Arabic Manuscripts in the Library of the India Office. V. II, 3°, Fiqh. In-4, 138 pp. London, India Office, 1937.

فهرس المخطوطات العربية في مكتبة المعهد الهندي : القسم الثالث من المجلد الثاني

هذا القسم الثالث من المجلد الثاني من فهرس المخطوطات العربية في مكتبة المعهد الهندي بلندن ، عني بترتيبه وشروحه الاستاذ روبن لاوي ، مدرّس الفارسية في جامعة كمبريدج ، فرتب فيه ٤٥٣ مخطوطاً وفقاً لاصول السنة ، فاصول الشيعة ؛ فالفروع الحنفية اولاً ، ثم الفرائض ، فالفروع الشافعية ، فاختلاف المذاهب ، ففروع الشيعة ، فالمناظرات والجدل . ووصف كل المخطوطات بايجاز كافٍ مع الاشارات الى ميزات كل منها ، فجمع وافاد .

ف . ا . ب .

R. P. G. QUÉNARD, Le tour du monde par l'Extrême-Orient, en 1937. In-8°, 144 pp. Paris, Bonne Presse, 1938. Prix : 12 fr.

الدورة حول العالم من الشرق الاقصى

نقتفي ، في هذا المجلد ، آثار الاب كينار في رحلته الشاسعة التي قادته من فلسطين الى الهند ، الى مانيل ، حيث حضر المؤتمر القرباني ، وعاد بطريق الصين ، واليابان ، واميركة . وهي رحلة سريعة كما يتضح من انشاء الكتاب نفسه .

MARIE DORMOY, L'architecture française. In-8°, 172 pp., avec de nombreuses illustrations. Paris, Éditions de «l'architecture d'aujourd'hui», 1938. Prix : 65 fr.

فنّ البناء الفرنسوي

يجمع هذا المجلد بحثاً عاماً في هندسة البناء الفرنسوية من القرن الرابع حتى القرن العشرين ، ولا سيما ما تعلق منها بالعمارة الحجرية التي ادركت قمة ازدهارها في القرن الثالث عشر من السنة ١١٥٠ الى السنة ١٢٧٠ فظهرت الكاتدرائيات الفخمة ، وغدت العمارة الحجرية ميزة الفرنسويين ، كما كانت العمارة بالكرانيت ميزة الفنّ المصري ، والعمارة بالمرمر ميزة الفنّ اليوناني .

وبعد القرن الثالث عشر ظهرت عوامل التوقف في العمارة الفرنسوية . لقد تتابعت البنايات الشائقة ، ولكن دون ان يكون منها ما يصلح امثلة رائعة على الفنّ في عصره. انما كان جمالها بالدقائق التي لا تظهر الّا امام عيني الباحث الجلود المدقّق . وهذا من صفات المؤلفة التي نجحت بان اطلعتنا ، بواسطة القلم والصورة — وفي كتابها الكثير من الصور الجميلة — على ان العبقرية الفرنسوية في فنّ العمارة ، ما زالت متتابعة مطرّدة مدى العصور تظهر دائماً بتمام الفنّ وجمال الدقائق.

كوتيل

LOUISE LEFRANÇOIS-PILLION, La Cathédrale d'Amiens. [*Éditions d'Art et d'Histoire*]. In-8°, 64 pp. Nombreuses photogravures et planches hors-texte. Paris, Plon, 1937. Prix : 20 fr.

كاتدرائية أميان

هذا درس في الفنّ والتاريخ كتبته ادبية فنّانة محبّة لذاك العصر الذي ازدهرت فيه روائع البناء الفرنسوي ، فاخرجت لنا من خلال الحجارة بلاغةً فائقة في الشرح والتصوير جعلت من كتابها اثرًا نفيساً لا يملّ القارئ مطالعته والنزهة في رسومه.

La Cathédrale de Reims. Album 38×28 cm. de 49 pl. photogr. et 3 p. de texte. Clichés ROTHIER et texte de PAUL DESCHAMPS. Paris « Tel », 1937. Prix : 40 fr.

كاتدرائية رِيمس

وهذا أثر نفيس رائع من مجموعة « Tel » المشهورة باتقان اخراجها. جمال في الصور ، رونق في الطبع ، وضوح في الاسلوب ، كل هذا جعل من الكتاب متعةً للنظر والعقل . ولم يكن قصد الناشرين عرض صور جميلة فحسب ، بل ان هذه الصور ، المأخوذة اكثرها قبل تشويه الكاتدرائية القديمة مدة الحرب ، تؤلف سلسلة من الوثائق دالّة على ميزات الفنّ السامي الذي ولّدها . وقد اوضح هذه الميزات الاستاذ الأثري بول دي شام المعروف بدروسه عن آثار الصليبيين في بلادنا ، باسلوب موجز يرمي الى شرح الفنّ الفرنسوي القديم.

ا. ب.

PUBLICATIONS RÉCENTES DE LA SOCIÉTÉ DES NATIONS

منشورات حديثة لجمعية الامم

في هذه السلسلة الاحصائية دليل واضح على الخدمات المفيدة التي تؤديها جمعية الامم . وها اننا نشير الى ما ظهر منها حديثاً بادئين بالمنشورات ذات الصفة العامة :

Annuaire statistique de la Société des Nations 1937-1938. 336 pp. Genève, 1938. Prix : 10 fr. s. Dépositaire à Paris : Pedone, 13, rue Soufflot, Paris VIe.

الدليل الاحصائي لجمعية الامم ١٩٣٧-١٩٣٨

هو مجموعة واسعة للجداول والارقام ترافقها المعلومات المفيدة باللغتين الفرنسوية والانكليزية ، في ما يتعلق بحياة الافراد المادية ، وباحصاء السكان نسبةً الى الجنس والسنّ ، وبمعدّل العاطلين عن العمل ، والمشتغلين بالمعدين وما اليه من الاعمال الشاقة ، وبحركة تداول اوراق النقود ، وبنقل الاطعمة والحاجات الضرورية . كل ذلك يتناول اكثر بلدان العالم من التي تمكنت جنيف من جمع المعلومات الدقيقة عن حالتها . على اننا وددنا لو كان هذا الدليل تاماً بمعنى انه لو تناول كل الدول دون استثناء ، فشملت هذه الاحصائيات المفيدة بلاد الجمهوريات السوفياتية ، وسورية ، ولبنان ، والكونغو البلجيكي ، وغيرها مما لم نرَ عنها فوائد تذكر .

Aperçu général du commerce mondial 1937. 101 pp Prix : fr. s. 2,50.

لمحة تاريخية على التجارة العالمية في السنة ١٩٣٧

تفيد هذه المجموعة رجال الاقتصاد والتجارة فيطّلعون في منتصف السنة ١٩٣٧ على وقف تقدّم الازدهار الاقتصادي الذي ظلّ متتابعاً منذ السنة ١٩٣٢ ؛ كما يرون ، في ما خصّ التبادل بين البلدان المصدّرة ، تقدماً واضحاً في مصلحة الولايات المتحدة .

Statistiques du commerce international 1937. 450 pp. Prix : fr. s. 12,50.

احصائيات التجارة الدولية في السنة ١٩٣٧

يتناول هذا الجدول الاحصائيات المتنوّعة لتجارة ٦٦ دولة ، تقابل ٦٥ في

دليل السنة السابقة . وقد رُتبت هذه الارقام على طريقة اوضحت نحو ٧٠٠ حالة مختلفة لتجارات هذه الدول . واننا نأسف اذ اننا لم نجد ذكرًا لتجارة سورية ولبنان .

Statistique de la population active. 32 pp. Prix : 1 fr. s.

احصائية بعدد السكان العاملين للعمل

Liste minimum de marchandises pour les statistiques du commerce international. 62 pp. Prix : 2 fr. s.

لائحة بالبضائع العاملة لاحصائية التجارة الدولية

Statistiques du bois. 18 pp. Prix : 0,75.

احصائيات للخشب

Statistiques relatives à la formation des capitaux. 24 pp. Prix : 1 fr s.

احصائيات متعلقة بتكوين رؤوس الاموال

غاية هذه المؤلفات الاربعة ان تضع طريقة موحدة يدرب عليها ارباب الاحصائيات في العالم كله ، عاملةً بدقة ووضوح على تحديد كل نوع من انواع البضائع والتجارات وسائر ما يمكن ان يتناوله الاحصاء . وهو عمل شاق ولكنه نافع .

La production mondiale et les prix. 1937-1938. 143 pp. Prix : 5 fr. s.

المحصول العالمي والاسعار في ١٩٣٧-١٩٣٨

هذا تابع لما ظهر من نوعه في السنوات السابقة . على انه زاد بتدقيقه في تطوّر المحصول واضطراب الاسعار ، دلالةً على حالة العمل والبطالة ، واختلاف ذلك من دولة الى اخرى .

Balance des paiements 1937. 220 pp. Prix : 6 fr. s.

تعادل المدفوعات في السنة ١٩٣٧

وهذا من الجداول التي اعتادت جمعية الامم نشرها في السنوات السابقة . يتناول ٣٣ دولة كلها من اشهر البلاد التجارية في العالم . فيمكن الطالب ،

بسرعة وسهولة ، ان يطّلع على حركة الواردات والصادرات من بضائع ورؤوس اموال ، وزيارات سيّاح ، ونقل ذهب وما الى ذلك . . .

Le commerce international de certaines matières premières et denrées alimentaires par pays d'origine et de consommation 1937. 176 pp. Prix : 5 fr.

التجارة الدولية لبعض المواد الاولية والغذائية ، بالنسبة الى البلاد المصدّرة والمستهلكة في السنة ١٩٣٧

هو المجلّد الثالث من نوعه يتناول تجارة ١٢٣ دولة بما فيها سورية ولبنان ، اي ما يعادل ٩٨ ٪ من التجارة العالمية . وقد انصرف واضعو هذا المجلّد بما لا مزيد عليه من دقة ، الى ترتيب هذه البضائع المتنوّعة فاصلحوا كثيراً من الاهمال او النقص الواقع في الجداول والاحصائيات السابقة .

Revue de la situation économique mondiale. Septième année 1937-1938.

عرض الحالة الاقتصادية العالمية : السنة السابعة ١٩٣٧-١٩٣٨

مجموعة هيئت لدورة الجمعية ، ظهر فيها التقهقر العام في الحالة الاقتصادية في اواخر السنة ١٩٣٧ ، ولا سيما في اميركة ، على رغم ما كان قد ظهر في تلك البلاد من تقدّم بطيء في اواخر حزيران من السنة نفسها . وقد دقّق الواضعون في درس الحالات الخاصة في فرنسة والمانيسة واليابان ، وغيرها من البلاد التي نالتها الازمة .

Enquête préliminaire sur les mesures d'ordre national et international visant à relever le niveau d'existence. Memorandum présenté par M. N. F. Hall. 100 pp. Prix : 2 fr. s.

بحث تمهيدي في الاحكام الوطنية والدولية التي من شأنها رفع مستوى المعيشة

Étude sur les politiques nationales de l'alimentation 1937-1938. 126 pp. Prix : fr. s. 2,50.

درس في السياسات الوطنية بشأن التغذية في السنة ١٩٣٧-١٩٣٨

يتناول هذان البحثان مشكلةً مهمّة يعرض لها الاختصاصي الانكليزي هال

دون ان يرمي الى حلّها ، وهي مشكلة مستوى المعيشة البشرية في مختلف الطبقات . ولا يخفى ان هذه المعيشة ابعد من ان تكون متساوية في البلاد المتباينة . بل انها تفتقر في الكثير منها الى ما يؤمّن لها الصحة ومقاومة الامراض فضلاً عن الاوبئة الاجتماعية والاخلاقية التي لا تقلّ عن الامراض الجسدية تفشياً . وقد قامت بعض الحكومات بمحاولات جديرة بالثناء في سبيل رفع هذا المستوى . فاشار الكرّاس الاخير الى النقص البادي في ايجاد بعض المواد الغذائية ، ولا سيما الحليب ، والى ما اتخذته بعض الدول من الاحكام في تلافي ذلك .

ب . م .

P. J. NORDMANN, Tahiti. — تاهيتي
LOUIS SAUREL, L'armée française. — الجيش الفرنسوي
NOEL GUY, La marine française. — البحرية الفرنسوية
MAURICE PERCHERON, L'aviation française. — الطيران الفرنسوي
4 v. In-8° illustrés de 160 pp. Publications de la Maison d'éditions. FERNAND NATHAN, Paris, 1938. Prix : 24 fr.

لا يخفى ما امتازت به منشورات فرنان ناتان من جمال المظهر ورخص الثمن وها انها تعطينا دليلاً جديداً بهذه المجلدات الاربعة الرامية الى القاء نظرة تاريخية قد تأتي سطحية بعض الاحيان ، كما يتخللها احياناً أخرى ، آراء وملاحظات سياسية واجتماعية كانت يغنى عنها ، كالنزعة ضدّ الاكليروس في مجلّد « البحرية » والتصوير الشهواني لجزيرة تاهيتي في المجلّد الاول .

ALEX. VERRONNET, Constitution physique des Étoiles. In-8°, 100 pp. Paris, Gauthier-Villars. Prix : 40 fr.

تركيب النجوم الطبيعي

« ان تركيب النجوم الطبيعي لمن اهم المشاكل واجدرها بالدرس في تركيب العالم . وهو يعادل ، في علم الفلك ، تركيب الذرة المادية في علم الطبيعة ، او تركيب طبقة الارض في علم الجيولوجية . »

هذه اول جملة في مقدّمة المؤلّف يذكر فيها المشكل المهمّ الذي يدرس حلوله المختلفة في كتابه ، بادئاً بعرض المبادئ الطبيعية والفلكية ، مدقّقاً في

مختلف الصيَغ « التوازنيــة » التي تُفرض في درس النجوم ؛ حتى ينتهي الى اقرار « التوازن الحقيقي » بــل الحدّين الاقصَيين اللذَين يقع بينهما التوازن الحقيقي . ويختم الكتاب باستنتاجات جديرة بالذكر في ما خصّ تطوّر النجوم .

ش . كومبيه

علم تكوّن الجنين

تأليف الدكتور شوكت موفق الشطّي

الجزء الاول : ٢٧٨ ص . متوسطة – مطبعة الجامعة السورية ، دمشق ، ١٩٣٥

للطبّ العربيّ ، اليوم في الشام ، عصرٌ ذهبيٌ جديرٌ بالاعجاب والإجلال. قديماً ، قام الرازي وابن سينا وكثير من السريان يُتحفون لُغتَنا الشقيقتَين بأحسن ما وصل اليه فلاسفة اليونان وأطباؤهم كسقراط وجالينوس ؛ واليومَ جاء الاساتذة الكبار : سَبح ، خاطر ، الشطّي ، الكواكبي غير باخلين بعناء أو مال وتنقيب وتدقيق يتحفوننا بأفضل ما وصل اليه العلم الأوربي الحديث ، ناشرين تعاليم باستور وتلاميذه ، وكوخ وأعوانه ، وليستر وخرّيجيه ، بل ما كشفه في السنين الأخيرة الائمة : بهرنغ ورو ونالد روس ورنتجن وكوري وتريه ورايت وفورلانيني وسائر المُفضلين على البشرية بأعزّ ما عندها : الصحة . أولئك الذين وضعوا علم الجراثيم المتناهية صغرًا وشرًا ، وعلّمونا التطهير في الجراحة والمجين والتداوي او الوقاية بالمصل وشرّ البعوض الذي أمن منه شرّ الحيّات والضواري ثم كشف الخبايا المرَضية ، والتداوي بتلك الاشعّة نفسها ، والتعقيم الجراحيّ ، والتطعيم الواقي بجثث الجراثيم ، وفوائد الابرة الهوائية ، وغيرها كثير مما قلّل الآلام وأوقف الأوبئة وشفى الامراض وزاد في الرفاهية والهناء وأطال الحياة وأكثر عدد السكان . فتمّ على يدهم بعصر ، كما في اكتشاف البُخار والكهرباء ، ما لم يكن مثله بكل العصور السالفة ولم يحلم به بشر .

للغتنا العربية نهضةٌ عظيمةٌ ، نهضة مباركة ، نهضة تشرّف القائمين بها وخاصةً تجاه الذين يقدسون حرف اللغة ويرون فيها معبودًا لا واسطةً للفهم والإفهام.[1]

---

١) وهنا نرانا مدفوعين الى بيان نشعر بضرورته شعورًا عميقًا شديدًا ، كما يشعر علماء

قد سبق لنا في « المشرق » عينه ان قرظنا عمل الاستاذ سَبَح لوضعه تأليفه الجليل في الطبّ الباطنيّ . وجدير بالثناء إقدام سائر زملائه ممتن الفوا في الجراحة كالاستاذ مرشد خاطر ، والكيميا كالاستاذ الكواكبي وغيرهم اي في المواد الاساسيّة في فنّ الطبّ . غير ان في هذا الفنّ فروعاً ثانويّة ، اعتاد المؤلّفون بل المدرّسون ان يعاملوها ، كما يُقال بالافرنسيّة ، معاملة الفقراء من الأقارب . وعليه كان على الراغبين في علم الأجنّة بالعربية دينٌ من فيض مباحث الاستاذ الشطّي .

الى قبيل العهد بدروسنا الطبيّة كنا نكادُ لا نعرف من علم الجنين اكثر كثيراً مما ورد في القرآن : « لقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقةً فخلقنا العلقة مضغةً فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً ثم أنشأناه خلقاً آخر . . . »

واما في عصرنا عصر الميكرسكوب والاختبار فيتتبع البحّاثون تكوين الجنين يوماً فيوماً وكلّ ما يطرأ على النطفة الذكرية والأنثويّة منذ اتصال الجرثومين ببعضهما .

أجل انه لعلمٌ جذّاب أخّاذ بإعجابنا كلّه لرؤية جرثومٍ متناهٍ في الصغر لا يُرى الّا بالمجهر مطرد النماء الى ان يجمع كل الذريرات والخلايا التي تؤلّف جسم اليافع ، من أصغر شعرة الى اكبر عضو ، مع كل ما يكون من محاسن او

رجالنا كالرئيس علي باشا ابرهيم .

جرى يوماً في حديث بل بحث دقيق بشأن تعليم الطبّ بمصر ما مفاده : « مع احترامنا للغتنا كان من الواجب المقدّس ان نحترم مهمّتنا اي العلم والتعليم . فمن اين للعربيّة ان تغنينا عن الفرنسيّة او الانكليزية حيث مئات الألوف من العلماء والبحّاثين والنشرات وحيث كل يوم تنجلي غوامض جديدة وعوامل غير منتظرة تستوجب ألفاظاً واوضاعاً يستحيل علينا نقلها الى العربية ، فضلاً عن أن اطباء اوربة واميركة قاطبةً يكتبون : فلسفة وموسيقى «وميكروب» و«تلفون» وميكروكوك الخ وعندنا ينشبثون بترجمة كل هذه الالفاظ فنأبى ان نقول سوى جرثوم وحمة ومكوّرات وأزيز او هاتف . في الانكليزية او الفرنسية تقف بالترجمة على كل ما يُكتب في لغات العالم . فهل من الممكن ان يكون لك ذلك بالعربيّة ؟ إذن فللتدريس نحن بين امرين اعتماد اللغة الانكليزية او الافرنسيّة فآثرنا الأولى لأنها لغة ليس فقط انكلترة بل لغة اميركة ايضاً على ما هما عليه من الغنى بالعلماء والمال عصَب العلم كما هو عصَب الحرب .

عيوب وصفات إرثية مادية او معنوية وقوى غاء وتجدُّد وتطهير ما اكثرها وما أعجبها !

هذا ما حصل بقوة المجهر (الميكرسكوب) الحاليّ . وامّا غداً فما قولكم سنحصل عليه . وقد اكتُشف بالامس ميكرسكوب أقوى كثيراً ولذلك أطلقوا عليه « فوق الميكرسكوب » surmicroscope فضخّم المنظورات في حقل المجهر وأصبحنا نبصر ما لم نكن نحلم قبل بانه من المُبصَرات.

وفي تأليف الاستاذ الشطّي مباحث آية في الاجتذاب الى المطالعة كمسئلة الإرث وخاصةً بعد وضع قواعد الراهب مندل Mendel اي انتقال صفات الأهل والاجداد ، استناداً الى ما خبره من انتقال اللون في الأزهار او جلد الحيوان[1] . ومثله مباحث تفاعل الغدد الداخلية والتفاعل الناتج في الجسم كله من نتائج مُفرَزاتها ولو كانت لا تَزن الّا قدراً يُعدَّل بالكسور الملغرامية . ولكنا تبسّطنا في هذا الصدد لو سمح المقام ولو لم يكن وُجد التأليف الوافي ، موضوع كلامنا في هذه اللمحة .

وبعض هذه المباحث الجديدة ، بنت امس ، ظهر ذا خطورة كبرى وبعضه لم يزل في الدور العلميّ الى ان يبلغ الطور العمليّ ولا غرابة فما كل ذلك من تطوّر العلم الّا في طور الجنين في بدء امره .

وعلى كل حال فإن هذه الدروس لما يملأ العقل إعجاباً بقدرة الخالق جلّ وتعالى بحكمته وعنايته التي تدهش المدارك متى أُدركت . وإذ فهمنا ذلك ترتّب علينا ثناء وافر لحضرة الاستاذ الشطّي فهو جدير بشكر الأمة الناطقة بالعربية الشكر الجسيم .

امين الجميّل

---

١) ولعلّنا نضع بحثاً في ما أطلقوا عليه حديثاً اسم : Chromosone, gène, etc. الخ . فهو من دقائق جرثوم الحياة الأصليّ ؛ وقد أدّى الى إدراك مجهولات عديدة خطيرة طالما تمنّى خدمة العلم والانسانية الوقوف على أسرارها .

الطبّ الشرعيّ وعلم السموم

تأليف الدكتور فؤاد غصن

٨٦٢ ص . كبيرة – بيروت ، مطبعة السبيل ، ١٩٣٨

من المجهولات او المخفيّات ومن الصغائر او القلائل ما قد يؤثّر في الانسان أشدّ تأثير وأطوله ؛ فيظهر فينا يوماً بمظاهر بارزة ونتائج هامّة قد ترافقنا مدى الحياة كلها ، فهي كالماء المهراق على الارض يتغلغل في دقائقها ثم يصعد في ساق النبات ، فاذا به غداً الجذع الثابت الخالد او الزهرة الناضرة.

الحكيم الاستاذ فؤاد غصن وضع تأليفاً في « الطبّ الشرعيّ » ذا ٨٣٣ صفحة ، يشتمل ايضاً على « علم السموم ». فحضرني حالاً أنه ابنُ قاضٍ قديم عرفتهُ رجل العدل والدقّة ، قبلَ أن دخل مجلس ادارة جبل لبنان ، ذلك المجلس الذي تذكره الأمة بالخير ما ذُكر لبنان . كما ان الحكيم المشار اليه خدم بلدية بيروت سنين عديدة. والى أطبّاء بيروت هولاء ، بصرابٍ او ضلال ، (وبالاحرى على ضلال اذا جهلوا القسم الطبي الذي هو موضوع كتاب الاستاذ غصن) يعهد القضاء مهمّة الكشف على المُبتلين بالطوارئ او حوادث الاعتداء.

ومن الجنايات أنواعٌ وأشكال تجد فيها ما بالحيوان الضاري من أذى وقساوة وما بالانسان الشرّير من حيلةٍ ودهاء.

هذه الحوادث تملأ تفاصيلها محليّات الجرائد الى درجة ان الحكماء وعلماء الاجتماع وجدوا أن بإدراجها دعوةً خطرة الى الشرّ والإثم ، كخطر السينما المُفسد . نحن في عهدٍ ترد فيه على السلطات او الدقائق الشكوى عن طارئ او جناية حتى بالتلفون فتحضر الشرطة وتبدأ في البحث الأوليّ ، ثم تُنقَلُ الأوراق الى القضاء ؛ وفي الحالين نجدنا أمام مُوظّفين يعرفون الأنظمة والقوانين ، ولكنهم لا يعرفون ما لا يُعرَف بدون علم التشريح والفيزيولوجيا وسَير الجراح ونتائج الطوارئ والسموم وكثير من العلوم الاخرى او فروعها .

خُذ لك مثلاً كثير الحدوث . يُشتبه بزيد انه قاتلُ عمرو وعلى ثوب المتّهم او على سكّين وُجدت في حيازته لطخة دم ، وهو يزعم ان هذا الدم من دجاجة ذبحها بالامس . فالمجهر كفيل بالتمييز والفصل . بل ان تقدّم العلم بلغ من

تمكيننا من تمييز أنواع الدم في البشر ، وهو يختلف مع الاشخاص مما يؤدي الى نتائج خطيرة هائلة . ومنها ما يكون عنه اثبات الولد الشرعيّ او ما هو ثمرة الزنى . ومنه حوادث موت إثر عملية نقل الدم من سليم الى مريض ، اذا كان الدم غير متجانس بينهما

بأشعة رنتجن نهتدي الى السنّ ودرجتها بحسب ما يبين في طرفي العظام الطويلة من مظاهر البارغ في التعظيم ossification .

إن الشعرة او نقطة الدم لذاتي شأنٍ في « الطبّ الشرعيّ » . إذنْ كل ما يهمّ هذا الفنّ هو ركن من اركان القضاء الذي يريد ان يأتي بالأمور على نور ، وقد بسطه الحكيم المؤلف باسهاب وجلاء ودقّة بلغت اقصاها ، لما تجده من الرسوم والصور . والمؤلف لم يبخل بعناء ولا بنفقات لجعل كتابه تحفةً للغة العربية ، الأولى من نوعها . ولذلك انه لحريٌّ برجال العروبة سواء أكانوا قضاةً أو خبراء ان يلجأوا الى تأليف الحكيم غصن فيجدون فيه ما يغنيهم عن سواه .

وقد ألحق بالكتاب قسمٌ خطير للبحث في السموم . وهو بحث قلّ عندنا الاهتمام به مع عظم أهميته . ولا ريب ان الاستاذ ، وهو الواعد بطبعة جديدة نتمناها قريبة سيُصلح او يحسن بعض ما جاء في الكتاب : كأن يكتب اسماء العظام الواردة في الصور الجميلة المزدان بها المؤلف بعد الصفحة ٨٠٨ بأحرف أضخم اي أسهل قراءةً ، وهو أمر ميسّر .

وكأن يزيد على قوله عن التسمّم باليودوفرم : لا « مستحضر كثير الاستعمال » . بل : « كان كثير الاستعمال » . فليس منا من نسي ريحة الكريهة وثمنه الباهظ فضلاً عن ان الجراحة قد نبذته واستغنت عن كل هذه المطهرات ومنها حمض الفنيك . ولا أسف عليها بفضل التعقيم asepsie . والاخ غصن يجب ان يمشي مع العلم الحديث جنباً الى جنب ولا يقف الا حيث يقف : فتجده قد ذكر التسمّم بالثرونال وهو من عائلة السموم à la mode : « على المودة » . فنُتيح لها سفرٌ برأسه سُتي Les barbiturutiques . ونحن الناطقين بالعربية نجدنا في كلّ عام أمام تأليف اي دَين جديد للحكيم الاستاذ فؤاد غصن ، دَيناً يُجدّد حتى بكل شهر بفضل مجلته الطبية العلمية .

ا . ج .

الكتاب الذهبي لجيوش الشرق ١٩١٨–١٩٣٦

نقله الى العربية ادوار البستاني

٢٧٧ ص. كبيرة مزينة بالرسوم والخرائط – بيروت ، المطبعة الكاثوليكية ، ١٩٣٩

تسعة آلاف جندي ومائتان وسبعون ضابطاً اهرقوا دماءهم في ساحات الشرف من هذا الشرق الادنى ؛ فلا اقل من ان يقوم احد الشرقيين فيهرق قليلاً من الحبر في اطلاع ابناء وطنه على هذه التضحيات المجيدة هو ما قام به الاستاذ ادوار البستاني ، رئيس دائرة الترجمة لدى محاكم الجمهورية اللبنانية ، نزولاً على رغبة سيادة المطران اغوسطين البستاني ، فنقل هذا السفر الخالد ، وجلاه باسلوب من العربية بليغ سامٍ ، اظهرته المطبعة الكاثوليكية بهذا الاخراج الفني الرفيع

ليس الكتاب تاريخاً مفصلاً لاعمال الجيش. « انما هو مجموعة حوادث بسطت متعاقبة متناسقة على ما يوجبه تسلسل الاخبار او يتطلبه المنطق. »

وفي كل هذه الحوادث تضحيات مجيدة اقرّت السلام والنظام في بلادنا « فاستطاع الجيش ان يعيد السيف الى غمده ، على ما جاء في خاتمة الكتاب ، ولكنه لا يزال حارس الامن اليقظ ، المساهم في تحسين حالة البلاد ، والعامل على تدريب الجيوش الوطنية التي ستُلقى على عاتقها في مقبل الايام مهمة الذود عن حياض البلاد. » أثمر السلام والنظام. « فنمت في كنفه التجارة ، والصناعة ، والزراعة ، وخُرقت الطرق فاتحةً ابواباً جديدة للاتجار مع المناطق النائية ، واندفقت زيوت العراق عبر صحارى سورية الى البحر. وأهلت الجزيرة القفراء ثم غمرتها الزروع . وبُعث الجبل الدرزي بعثاً جديداً ، وتولد هكذا الازدهار والعمران من الدم الفرنسي على ما حدث وتكرر خلال العصور والازمنة. »

عصبة الأمم

غاياتها — وسائلها — اعمالها

وضعته سكرتارية عصبة الأمم . جنيف سنة ١٩٣٨

٢١٤ ص. صغيرة – القاهرة ، مطبعة مصر ، ١٩٣٨ – الثمن: ١٨ فرنكاً

نشرت سكرتارية العصبة هذه الايام نشرة عربية لكتابها المعروف باسم

« غايات العصبة ووسائلها واعمالها » ولم ينشر هذا الكتاب من قبل الا باللغتين الانكليزية والفرنسية . وكان الدافع الى نشر هذا الكتاب باللغة العربية كثرة الطلبات التي ابداها عدد عظيم من الجماعات الدولية لكتاب عربي يتناول اعمال العصبة ويقبل الناس على قراءته اقبالاً كبيراً.

وقد ظهرت الطبعة الاولى باللغة الفرنسوية سنة ١٩٣٥ ، وكانت موضوعة في اسلوب سهل واضح . فلاقى الكتاب نجاحاً كبيراً في انحاء العالم حتى اعيد طبعه عدة مرات. وهو في هذه الطبعة الحديثة المنقحة ينقسم اربعة اقسام:

القسم الاول خصص للشؤون التي يهتم بها الرأي العام في العالم مثل النظام الدولي قبل وجود العصبة ، ومثل نظام العصبة وغاياتها ووسائلها . القسم الثاني يصف اعمال العصبة سياسية وفنية . القسم الثالث يتناول اعمال محكمة العدل الدولية الدائمة في لاهاي (وهي المحكمة التي انشأتها العصبة) واعمال مكتب العمل الدولي. القسم الرابع يتضمن النص الكامل لميثاق العصبة.

وقد وضع هذا الكتاب خالياً من النزعات الخاصة ولم يحاول فيه اخفاء الازمة السياسية التي تجتازها العصبة الآن . على ان الآمال المعقودة على مستقبلها العظيم لم يغفل ذكرها بين سطوره.

لبنان الجميل

بقلم بطرس دهمان

٢٢ ص. متوسطة — ١٩٣٨

خطرات في لبنان وما خصّه الله به من جمال طبيعي ، واخلاقي ، واجتماعي ، ختمها المؤلف بالنشيد الوطني اللبناني.

* العمل الكاثوليكي وشركة القديس منصور دي بول * ٨ ص . متوسطة ، حريصا ، مطبعة القديس بولس ، ١٩٣٨ — مقال للاب كامل مدوّر البولسي ظهر اولاً في مجلة « المرآة »

* الرسول * ٣٢ ص . متوسطة ، بيروت ، مطبعة جان داود — نشرة رعائية شهرية تصدر عن كاتدرائية مار جرجس المارونية ، بيروت . بدل الاشتراك : ٥٠ غرشاً . المخابرة مع المتروبوليت مخايل الرجي رئيس كهنة مار جرجس.

* النشرة الراعوية لابرشية صيدا ودير القمر الملكية * ١٤ ص متوسطة ، صيدا ، مطبعة الرهبانية المخلصية — تصدر مرة كل شهرين.

فهارس المشرق

للسنة السادسة والثلاثين

١٩٣٨

فهرس اوّل

لموادّ السنة السادسة والثلاثين من مجلة المشرق

الجزء ١ (كانون الثاني – آذار) : الحجارة المؤلّهة وعبادتها عند العرب الجاهليين: ١ ، من آثار المرحوم الاب هنري لامنس اليسوعي (١–١٨) = من المتزانة الشرقية بقلم حبيب زيّات (١٨–٦٦) : المتزانات الموضوعة على مجاذيب حمص قديمًا (١٨) – خطايا الروم الملكيين بحلب ، في القرن السابع عشر (٣٣) – ايام السبوت بدمشق ، في عهد البأسيين (٤١) – دير يُوتّى (يوحنا) بظاهر دمشق (٤٧) – دير مَرْحنّا بمصر (٤٦) – احتيال الملوك الايوبيين في رشوة النساء الفرنجيات لتجسّس الصليبيين (٥٣) – لقب القاضي في دولة المماليك (٥٧) – القراصية الدمشقية ، رشهوة الخلفاء الفاطميين لها (٦٠) – القواكه المكتوبة او المصوّرة في الشرق (٦٣) – خانات دمشق القديمة (٦٦) – دور النصارى في اقرار الخلافة الأموية ، بقلم فؤاد افرام البستاني (٧١–٩٣) – السلطة الابوية في الشرع الاسلامي ، على مذهب الإمام ابي حنيفة : ١ ، بقلم نجيب صدقه (٩٣–١٠٨) – اخبار حلب وحوادثها من السنة ١٨٥٥ الى السنة ١٨٦٥ : ٣ ، بقلم الاب توتل اليسوعي (١٠٨–١٢٢) – مطبوعات شرقية جديدة : وصف ٣٠ كتابًا باللغات الاوربية ، و١٧ كتابًا باللغة العربية (١٢٢–١٤٤)

الجزء ٢ (نيسان–حزيران) : الاب جبرائيل لوتلك (١٨٦٨–١٩٣٨) ، قلم التحرير (١٤٥–١٤٩) – من المتزانة الشرقية بقلم حبيب زيّات (١٤٩–١٦٧) : اليهود في الخلافة البأسية (١٤٩) – دور النصارى في الاسلام (١٧٤) – الزنبيل او المصاد قديمًا (١٧٨) – العُيَيْنات (١٨٠) – دفاتن المتزان : ارجوزة نميس للإمام ابن سيده صاحب المخصّص في اللغة (١٨١) – لغة الحضارة : التعزير والرفيعة والمشروح (١٩٣) – المتزه والمتزّه (١٩٤) – السلطة الابوية في الشرع الاسلامي ، على مذهب الإمام ابي حنيفة : ٢ ، بقلم نجيب صدقه

(١٩٧-٢٢٥) – اخبار حلب وحوادثها من السنة ١٨٥٥ الى السنة ١٨٦٥ : ٤ (مصوَّرة) ، بقلم الاب توتل اليسوعي (٢٢٥-٢٥٩) – مطبوعات شرقية جديدة : وصف ٥٧ كتاباً باللغات الاوربية ، و١٢ كتاباً باللغة العربية (٢٥٩-٢٨٨)

الجزء ٣ (غرز – ايلول) : الديارات النصرانية في الاسلام ، بقلم حبيب زيات (٢٨٩-٤١٨) – المقدمة (٢٩١) – الدير والمعمر (٢٩٧) – تخطيط الاديار وتقدير ابنيتها وزينتها (٣٠١) – القلالي والأكيراح (٣٠٧) – القائم في الديارات (٣١١) – اديار النساء (٣١٣) – الاديار التي كان يقرلها الخلفاء والملوك والامراء ووجوه الدولة (٣١٦) – مزروعات الاديار والقلالي (٣٢٠) – المعمر النصرانية (٣٢٣) – التحايا (٣٣٢) – الرعفران (٣٣٨) – دور الضيافة (٣٤٦) – حانات الديارات (٣٥٠) – تنزل الشعراء بنزلان الديارات ، واحتيال الزوار لمادمتهم والشرب على وجوههم (٣٥٨) – الامور والاعاجيب في الحانات وملحقات الاديار (٣٦٦) – التردد الى الكنائس والاديار للنظر الى غلمان النصارى ونسائهم (٣٧٣) – الشرب والغناء على نغم الرهبان وضرب النواقيس (٣٧٦) – النواقيس والاجراس في الاديار والكنائس (٣٧٨) – النذور والاستشفاء في الديارات (٣٨٧) لباس الرهبان والراهبات (٣٩١) – التاج او اكليل الشعر (٣٩٣) – وصف الرهبان بالعبادة والتقوى والعلم والحكمة (٣٩٥) – ليلة الماشوش (٣٩٧) – خراج الاديار وجزية الرهبان (٤٠١) – الالفاظ المولَّدة المشروحة في المتن والحواشي (٤٠٦) – الاديار والاعمار والقباب والقلالي والكنائس التي تغنى بها الشعراء في خمرياتهم (٤٠٧) – الشعراء الذين استُشهد بابياتهم وقصائدهم في هذا الكتاب (٤١٠) – المطبوعات والمخطوطات التي استُشهد بها او استُند اليها في هذا الكتاب : المطبوعات (٤١٢) – المخطوطات (٤١٤) – اغلاط الطبع (٤١٧) – فهرس فصول الكتاب (٤١٨)

الجزء ٤ (تشرين الاول – كانون الاول) : حفريَّات قصر الحَيْر الغربي : «بادية» اموية في سهل تدمر (مصوَّرة) ، بقلم دانيال شلومبرجيه (٤١٩-٤٢٩) – السلطة الابوية في الشرع الاسلامي ، على مذهب الإمام ابي حنيفة : ٣ (تتمة) ، بقلم نجيب صدقه (٤٣١-٤٥٩) – من الخزانة الشرقية ، بقلم حبيب زيات (٤٥٩-٤٧٣) : شهداء النصرانية في الإسلام (٤٥٩) – اللغسات والحروم (٤٦٦) – لُعب الثياب (٤٦٩) – المشجب (٤٧٠) – اخبار حلب وحوادثها من السنة ١٨٥٥ الى السنة ١٨٦٥ : ٥ (مصوَّرة) ، بقلم الاب توتل اليسوعي (٤٧٣-٤٩٩) – تعاون الشعر والموسيقى في نشأة الموشحات الاندلسية ، بقلم فؤاد افرام البستاني (٤٩٩-٥٠٦) – «اناعي الفردوس» بقلم جان عزيز (٥٠٩-٥١٢) – مواصلات الموارنة مع رومية ، بقلم الخوري لويس الخازن (٥١٢-٥٢١) – مطبوعات شرقية جديدة : وصف ٤١ كتاباً باللغات الاوربية و٨ كتب باللغة العربية (٥٢١-٥٤٥) – فهارس المشرق (٥٤٥)

فهرس ثانٍ

يحتوي اسماء كتبة المشرق ومقالاتهم

ايلا (الاب شارل اليسوعي) : لـه وصف مطبوعات ٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ٢٥١ ، ٥٢٢

اسكولا (الاب لويس اليسوعي) : له وصف مطبوعة ١٢٥

البخاش (نوم) : اطلب : توتل (الاب فرديان اليسوعي)

البستاني (فؤاد افرام) : دور النصارى في اقرار الخلافة الاموية ٧١-٩٢ – تعاون الشعر والموسيقى في نشأة الموشحات الاندلسية ٤٩٩-٥٠٩ – وله وصف مطبوعات ١٣٩-١٤١ ، ٢٧٠ ، ٢٨٢-٢٨٨ ، ٥٢١

بوليو (الاب ارمان اليسوعي) : له وصف مطبوعات ١٢٤ ، ١٢٧ ، ٢٦٠ ، ٥٢٢

بويار (الاب هنري اليسوعي) : له وصف مطبوعات ١٢٢ ، ٢٦١ ، ٢٦٤ ، ٢٦٥

تاردي (الاب ج اليسوعي) : لـه وصف مطبوعات ٢٧٦ ، ٢٨١ ، ٥٢٦

توتل (الاب فرديان اليسوعي) : اخبار حلب وحوادثها من ١٨٥٥ الى ١٨٦٥ ، عن يومية المعلم نوم البخاش ١٠٨-١٢٢ ؛ ٢٢٥-٢٥٩ ؛ ٤٧٣-٤٩٩

تيان (اميل) : له وصف مطبوعات ١٢٨

الجميل (الحكيم امين) : له وصف مطبوعات ٥٣٨-٥٤٣

الخازن (الخوري لويس) : مواصلات الموارنة مع رومية ٥١٢-٥٢١

الدحداح (نجيب) : له وصف مطبوعات ١٤١

زيات (حبيب) : من الخزانة الشرقية : الخرافات الموضوعة على مجاذيب حمص قديمًا ١٨ – ٢٢ – خطايا الروم الملكيين بحلب في القرن السابع عشر ٣٢-٤١ – ايام السبوت بدمشق في عهد العباسيين ٤١-٤٧ – دير بوّلى (يوحنا) بظاهر دمشق ٤٧-٤٩ – احتيال الملوك الايوبيين في رشوة النساء الفرنجيات لتجسس الصليبيين ٥٣-٥٧ – لقب القاضي في دولة المماليك ٥٧-٦٠ – الفراسية الدمشقية وشهوة الخلفاء الفاطميين لها ٦٠-٦٣ – النواكه المكتوبة او المصوّرة في الشرق ٦٣-٦٦ – خانات دمشق القديمة ٦٦-٧١ – اليهود في الخلافة العباسية ١٤٩ – ١٧٤ – دور القمار في الاسلام ١٧٤ – ١٧٨ – ازنيل او المعاد قديمًا ١٧٨ – العيّنات ١٨٠ – شهداء النصرانية في الاسلام ٤٥٩-٤٦٦ – اللغات والحروف في وقفيات المخطوطات النصرانية ٤٦٦-٤٦٩ – لُعَب الثياب ٤٦٩-٤٧٠ – المشجب ٤٧٠ – ٤٧٣ –

الديارات النصرانية في الاسلام ٢٨٩-٤١٨
(راجع التفصيل في فهرس الجزء الثالث)
– دقائق الخزائن: اوجوزة غميس للامام ابن بيدّه ١٨١-١٩٢
– لغة الحضارة: التقرير والرقيمة والمشروح ١٩٢-١٩٤ – المنتزه والمتنزّه ١٩٤-١٩٧

شلومبرجيه (دانيال) : حفريّات قصر الحَير الغربي : « بادية » اموية في سهل تدمر ٤١١-٤٢٦

صدقه (نجيب) : السلطة الابوية في الشرع الاسلامي على مذهب الامام ابي حنيفه ٩٣ ١٠٨ ؛ ١٩٧-٢٢٥ ؛ ٤٢٩-٤٥٦

عزيز (جان) : «افاعي الفردوس» بين الشهوة الصاخبة والعفّة المتنائية ٥٠٩-٥١٢
عوّاد (ابراهيم) : له وصف مطبوعة ٥٣٩

قام التحرير: الاب جبرائيل لوفنك اليسوعي (١٨٦٨-١٩٣٨) ١٤٥-١٤٦

كولنيل: له وصف مطبوعة ٥٢٢
كولنجيت (الاب موريس اليسوعي) : له وصف مطبوعة ٢٦٨

كومبيه (الاب شارل اليسوعي) : له وصف مطبوعة ٥٢٧
لامنس (ق الاب هنري اليسوعي) : الحجارة المؤلّهة وعبادتها عند العرب الجاهليين ١-١٨
لوفنك (ق الاب جبرائيل اليسوعي) : له وصف مطبوعة ١٣٠

موترد (الاب بولس اليسوعي) : له وصف مطبوعات ١٢٣ ، ١٢٥ ، ١٢١ ، ١٢٤ ، ٢٦١ ، ٢٦٣ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٢٦٧ ، ٢٦٤ ، ٢٧٠ ، ٢٧١-٢٧٦ ، ٢٧٨ ، ٢٧٩ ، ٢٨١ ، ٥٢٥ ، ٥٢٤-٥٢٧
موترد (الاب ريته اليسوعي) : له وصف مطبوعات ١٢٧
ميري (الاب يوسف اليسوعي) : له وصف مطبوعات: ١٢٦ ، ١٢٣ ، ٢٧٧
ميش (الاب بولس اليسوعي) : له وصف مطبوعات : ١٢٥-١٢٧ ، ١٢٨ ، ٢٨٢ ، ٢٨٣ ، ٥٢٨

نيرون (الاب غوستاف اليسوعي) : له وصف مطبوعات ١٢١ ، ١٢٣ ، ٢٦٢ ، ٥٢٥ ، ٥٢٧
نيل (الاب هنري اليسوعي) : له وصف مطبوعات ٢٦٠ ، ٢٦٤

فهرس ثالث

للمطبوعات التي ورد وصفها في السنة السادسة والثلاثين للمشرق

على ترتيب اسماء مؤلفيها

١ — المطبوعات العربية والسريانية الخ.

ا

ابو شبكه (الياس) : اغاني الفردوس ٥٠٩ — ٥١٢

الآثار القديمة (مديرية) في بغداد : منشوراتها : بقايا القصر العباسي في قلعة بغداد — دليل معارض القصر العباسي — جسر حربي — دليل خرائب بابل وبورسيبا — الاخيضر — دليل المتحف العراقي — خريطة العراق الاثرية ١٤٠ — دليل متحف الاثار العربية ٢٨٦ — باب الغيبة في سامرّاء ٢٨٧

ب

باز (جرجي نقولا) : اهلي سرسق ١٤٤

البستاني (ادوار) : الكتاب الذهبي لجيوش الشرق ٥٤٣

البستاني (فؤاد افرام) : الشعر الجاهلي ٢٨٨

بلخير (عبد الله عمر) : وحي الصحراء (مع محمد سعيد عبد المقصود)

ج

جمعية اصدقاء الاشجار : تقريرها ٢٨٨

الجمعية الخيرية المارونية : برنامجها ١٤٤

جمعية طوبيا البار المارونية : برنامجها ١٤٤

جمعية القديس منصور دي بول في دمشق : تقريرها ١٤٤

جقي (مراد فؤاد) : مختارات من كتاب « حديث الحكمة » ٢٨٨

ح

حسن (زكي محمد) : التصوير في الاسلام عند الفرس ١٣٩

الحسني (عبد الرزاق) : العراق في دوري الاحتلال والانتداب ٢٨٣

حسونه (محمد امين) : وراء البحار ٢٨٥ - مصر والطرق الحديدية ٢٨٦

د

دهان (بطرس) : لبنان الجميل ٥٤٤

ر

الرسول : نشرة ٥٤٤

س

ساده (انطون) : نشوء الامم ١٤١

ش

الشطي (الدكتور شوكت موفق) : علم تكون الجنين ٥٢٨

ع

عبد المقصود (محمد سعيد) : وحي الصحراء (مع عبدالله عمر بلخير) ١٣٨

العزاوي (عباس) : عشائر العراق : ا" القديمة — البدوية الحاضرة ٢٨٤

عصبة الامم : غاياتها ، وسائلها ، اعمالها ٥٤٣

عماد (يوسف) : القواعد العربية المصوّرة : ا" ٢٨٧

غ

غصن (الدكتور فؤاد) : الطب الشرعي وعلم السموم ٥٤١

ل

اللبناني : جريدة ٢٨٨

م

مدوّر (الاب كامل البولسي) : العمل الكاثوليكي وشركة القديس منصور دي بول ٥٤٤

مرقص (ادوار) : في سبيل الحرية ١٤٤

مطالب الشعب الخزني ١٤٤

مناظمة الصهيونيين للمترجمات السورية اللبنانية ٢٨٨

ن

النشرة الزراعية لابرشية صيدا ودير القمر الملكية ٥٤٤

٢ — المطبوعات الاوروبية

Amiot (François), L'Enseignement de Saint Paul. (524).

Andrieu-Guitrancourt, L'Archevêque Eudes Rigaud et la vie de l'Église au XIIIe siècle, d'après le « Regestrum visitationum ». (524)

Annales de l'École des Hautes Études de Gand, I. Etudes d'Archéologie romaine. (127)

Antuna (Melchor M.) o. s. a., cf. Ibn Halyān.

Apphun (Charles), cf. Cicéron.

Aubin (A.), Orgeolet (E.), et Cortat (R.), Grammaire française. (281).

Augustin (S.). Les Confessions. Trad. Joseph Trabucco. (280)

Balsville (Jacques), L'Angleterre et l'empire britannique. (277)

Baz (Jean), Essai sur la fraude à la loi en droit musulman. (128)

Benedetti (Ivo), Ordo Judicialis processus canonici super nullitate Matrimonii instruendi. (522).

Bermann (Léon), Histoire des Juifs de France. (274)

Bernor (Alfred), Studien zur arabischen Musik auf Grund der gegenwartigen Theorie und Praxis in Aegypten. (268)

Bertaut (Jules), 1848 et la Seconde République. (131)

Bertram (Cardinal), Charismes de Vie Sacerdotale. Trad. par l'abbé René Guillaume. (523)

Berutti (Christophorus) o. p., Institutiones Juris Canonici. VI. (259)

Bouchat (Charles), Paul de Saint-Victor.(137)

Bibliographie critique des principaux travaux parus sur l'histoire de 1600 à 1914. (278)

Bozzano (Ernest), Les phénomènes de bilocation. (125)

Brillant (Maurice), et l'abbé M. Nédoncelle. Nos raisons de croire, réponses aux objections. (263)

Browne (Lewis), La vie des Juifs.(274)

Calvet (J.) et R. Lamy, Les Philosophes du XVIIIe siècle. (328).

Carbone (Caesare), Praxis ordinandorum. (124) — Circulus philosophicus seu objectionum cumulata collectio juxta methodum scholasticam. III. (260)

Celles (Jean de), Malherbe (279)

Chack (Paul). Des Dardanelles aux brumes du Nord. (277) cf. Farrère (Claude).

Chevrouil (Léon). Le spiritisme de l'Église. (125)

Christian (Michel). Notre-Dame de France. (525)

Cicéron. Traité de la Divination et du Destin. Trad. Charles Apphun. (280)

Clauss (Ludwig Ferdinand), Als Beduine unter Beduinen. (266)

Constant (Pierre). Cf. Phèdre.

Corneille, Théâtre choisi. (281)

Coronata (Matteo Conto A.) o. m. c., Compendium Juris Canonici ad usum scholarum, I, II. (259)

Cortat (R.). Cf. Aubin (A.) et Orgeolet (E).

Czaba (Marguerite) La vie en fleur. 1re partie. Adapté du hongrois par Marie Francœur. (126)

Dauzat (Albert), Dictionnaire étymologique de la langue française. (282)
Déat (Marcel), Le front populaire au tournant. (134)
Dehaene (Léon), cf. Uhl (Léopold).
Deschamps (Paul), La Cathédrale de Reims. (533)
Dimier (Louis). Cf. Homère.
Dormoy (Marie), L'architecture française. (532)
Driault (E.), La Question d'Orient 1918-1937. La paix de la Méditerranée. (130)

Eboling (Erich) und Meissner (Bruno). Realloxikon der Assyriologie. (266)
Eboling (J.-B.), L'histoire racontée par ses témoins. (275)

Farrère (Claude) et Chack (Paul), Combats et batailles sur mer. (276)
Fattinger (Joseph), Recueil d'exemples modernes. Trad. par M. Grandclaudon. (265)
Faure (Dr Jean Louis), Au Groenland avec Charcot. (137)
Faure-Biguet (J. M.), La petite sœur Thérèse. (264)
Franck (Louis H.), Démocraties en crise, Roosevelt, Van Zeeland. Léon Blum. (134)
Fromentin, Les meilleurs Textes. (282)
Froncœur (Marie) cf. Czaba (Marguerite).

Gabériot, Les Saints et les animaux. (262)
Gibert (A.) et Turlot (G.), Géographie générale. II, III. (281)
Goehri (K.), La composition française des élèves et étudiants de langue étrangère. (135)
Gobin (Ferdinand), La Fontaine. (136)
Grandclaudon (M.) cf. Toth (Mgr Tihamer) et Fattinger (Joseph).
Guillaume (René), cf. Schollig (O.), Willam (F-M.), Bertram (Cardinal).
Guitard (Paul), La France retrouvée. (276)
Guy (Noël), La marine Française. (537)

Hérissay (Jacques), Les Pontons de Rochefort. (132)
Herriot (E.), Lyon n'est plus. I, Jacobins et Modérés. (133)

Homère, Les hymnes homériques. Trad. Louis Dimier. (280)

Ibn Halyūn, al-Moktabis. III. Ed. et introd. de Melchor M. Antuna, o. s. a. (270)

Juifs (Les), par plusieurs auteurs. (274)
Juifs, situation économique dans le monde, I. (273)

Kaplan (Jacob), Témoignages sur Israël dans la littérature française. (274)
Kösters (Ludwig) s. j., Die Kirche unseres Glaubens. Volksausgabe. (265)

Lacan (R. P.) s. c. j., Le Jubilé Marial Français. (525)
Lagerlöf (Selma), Légendes du Christ. (261)
Lamoot (J.), Monseigneur Six, premier missionnaire du travail. (526)
Lamy (B.). Cf. Calvet (J.)
Lefrançois-Pillion (Louise), La Cathédrale d'Amiens. (533)
Levy (Reuben), Catalogue of the Arabic Manuscripts in the Library of the India Office, II. (531)
Loiano (Seraphinus a), Institutiones Theologiae Moralis. III. (521)

Maire (Elie), Images de Dom Chautard. (525)
Maistrieux (Robert), Les Humanités Classiques et l'Humanisme Chrétien. (135)
Marchou (Gaston), Bernadette de Lourdes. (264)
Mariassy (Mme K. de) cf. Toth (Mgr Tihamer.)
Mayer (L. A.), Annual Bibliography of Islamic Art and Archaeology. (531)
Mélanges de Géographie et d'Orientalisme offerts à E F. Gautier. (267)
Meissner (Bruno) cf. Eboling (Erich).
Messaut (J.), o. p., La philosophie de Léon Brunschwicg. (527)
Missale pro defunctis. (124)
Molière, Théâtre choisi. (281).
Muhtār-Kātircioglū (Mahmud), The Wisdom of the Qur'ān. (123)

Nédoncelle (abbé M.) cf. Brillant (Maurice).
Neippery (Adalbert von), Benedikt Lehrmeister christlichen Lebens. (265).
Nordmann (P. J.). Tahiti. (537)
Nouët (Noël), Tokyo, ville ancienne, capitale moderne. (281)

Obermann (Julian). The arabic original of Ibn Shāhin's Book of Comfort. (130)
Oppenheim (D. Philippus) o. s. b., Institutiones systematico-historicae in sacram liturgiam, I. (260)
Ordo divini officii recitandi sacriquo peragendi iuxta Kalendarium Ecclesiae universalis pro anno Domini 1938. (127).
Orgeolet (E.) Cf. Aubin (A.)
Ovide, Les Tristes, les Pontiques. Trad. Emile Rippert. (280)

Porcheron (Maurice), L'aviation française. (537)
Pflegler (Abbé Michel), Le vrai chrétien en face du monde réel. Trad. par l'abbé E. Robin. (523)
Phèdre, Les Fables. Trad. Pierre Constant. (280)
Poinsot (L.) et Revault (J.), Tapis tunisiens, I. (269)
Ponsard (P.), L'enfant d'aujourd'hui. (283)

Qazwīnī (Mirzā Muḥammad ibn 'Abdu'l-Wahhāb-i.) The Ta'rīkh-i-Jahān-Gushā of 'Alā' Ud-dīn 'Ata' Malik-i-Juwaynī. III. (129)
Quénard (R. P. G.). Le tour du monde par l'Extrême-Orient en 1937. (532)

Racine, Théâtre complet. (281)
Ressources minérales de la France d'Outre-Mer, V, Le Pétrole. (131)
Revault (J.). Cf. Poinsot (L.)
Revon (Maxime). Cf. Fromentin.
Rideau (Emile), Descartes, Pascal, Bergson. (527)
Rievaux (Alfred de), Traité de l'amitié spirituelle. (263)
Rippert (Emile). Cf. Ovide.
Robin (Louis), La morale antique. (526)
Robin (abbé E.) Cf. Pflegler (abbé Michel).

Romita (Florenzo), Jus Musicae liturgicae. (124)

Saurel (Louis). L'armée française. (537)
Schmitz (O.), Les Sacrements. Trad. par l'abbé R. Guillaume. (261)
Sebastianis (F. Jos A. S. Maria de), De consolatione ad episcopos sub analogia episcopatus et martyrii. (263)
Siegfried (André), Qu'est-ce que l'Amérique ? (278)
Silva (Pereira da). Cf. Yepes (J. M.)
Simon (Yves), La campagne d'Ethiopie et la pensée politique française. (138)
Stoidis (Basilio) o. s. b., Patrologia seu Historia antiquae litteraturae ecclesiasticae. (125)
S. D. N., Balance des paiements 1936 (271) — 1937 (536). — Le commerce international de certaines matières premières et denrées alimentaires par pays d'origine et de consommation 1936 (271) — 1937 (536). — Statistiques du commerce international 1936. (271) — 1937 (535) — Projet de nomenclature douanière. Monnaies et banques 1937 - 1938. (271) — Annuaire statistique de la S. D. N. 1937-1938. (534) — Aperçu général du commerce mondial 1937. (534) — Statistique de la population active (535). — Liste minimum de marchandises pour les statistiques du commerce international. (535) — Statistiques du bois. (535) — Statistiques relatives à la formation des capitaux. (535) — La population mondiale et les prix 1937-1938. (535) — Revue de la situation économique mondiale. (536) — Enquête préliminaire sur les mesures d'ordre national et international visant à relever le niveau d'existence. (536) — Etude sur les politiques nationales de l'alimentation 1937-1938. (536)

Talbot (Francis), s. j., Un saint parmi les sauvages. (126)
Tongas (Gérard), Atatürk et le vrai visage de la Turquie moderne. (270)
Toth (Mgr Tihamer). A la jeunesse catholique. Le caractère du jeune homme. Trad. par Mme K. de

Mariansy. (123) — Le Symbole des Apôtres, V. Trad. par l'abbé Marcel Grandclaudon. (123) — VI. (522)
Trabucco (Joseph) Cf. Augustin (S.)
Trugly (Paulus), s. J., Cognito divina de objecto indeterminato. (123)
Turlot (G.) Cf. Gibert (A.)
Tyan (Emile), Histoire de l'organisation judiciaire en pays d'Islam, I. (529)

Uhl (Léopold), Leçons catéchétiques sur le 6e commandement. Trad. par Léon Dehaene. (526)
Une Sainte parmi nous. (264)

Verronnet (Alex.), Constitution physique des Etoiles. (537)
Vian (Nello), A la gloire de Frère Antoine. (262)
Vigny (Alfred de), Stello. (137).

Willam (François-Michel), La vie de Marie, mère de Jésus. Trad. par l'abbé René Guillaume. (261)

Yepes (J. M.) et Pereira da Silva, La question de la Réforme du pacte de la Société des Nations. (273)

فهرس رابع

لجميع موادّ السنة السادسة والثلاثين من المشرق

ا

ابن سيده : ارجوزة غميس له ١٨١–١٩٢
ابو حنيفه : السلطة الابوية في مذهبه ٩٢–١٠٨ ، ١٩٧–٢٢٥ ، ٤٢٦–٤٥٦
احتيال الملوك الايوبيين في رشوة النساء الفرنجيات لتجسس الصليبيين ٥٣–٥٧
اخبار حلب وحوادثها من ١٨٥٥–١٨٦٥ ، ١٠٨–١٢٣ ، ٢٢٥–٢٥٦ ، ٤٧٢–٤٩٩
ارجوزة غميس للامام ابن سيده ١٨١–١٩٢
الاستشفاء والنذور في الديارات ٢٨٧–٢٩١
الاسلام : السلطة الابوية في شرعه على مذهب الامام ابي حنيفة ٩٢–١٠٨ ، ١٩٧–٢٢٥ ، ٤٢٦ – ٤٥٦ – دور النار فيه ١٧٤ – ١٧٨ – الديارات النصرانية فيه ٢٨٩ – ٤٠٩ – شهداء النصرانية فيه ٤٥٩–٤٦٦
افاعي الفردوس ٥٠٦–٥١٣
اكليل الشعر او التاج ٢٩١–٢٩٥
الاكيراح والفلالي ٢٠٧–٢١١
الامور والاعاجيب في الحانات وملحقات الاديار ٢٦٦–٢٧٢
الامويّون : دور النصارى في اقرار خلافتهم ٧١–٩٣ – « بادية » من عهدهم في سهل تدمر ٤١٩–٤٢٩
ايام السبوت في دمشق في عهد العباسيين ٤١–٤٧
الايوبيون : احتيالهم في رشوة النساء الفرنجيات لتجسس الصليبيين ٥٣–٥٧

ب

« بادية » اموية في سهل تدمر ٤١٩–٤٢٩
البخاش (الملم نورم) : مخطوطته في اخبار حلب وحوادثها من ١٨٥٥–١٨٦٥ ، ١٠٨–١٢٣ ، ٢٢٥–٢٥٦ ، ٤٧٢–٤٩٩

ت

التحايا ٢٢٢–٢٢٨
تخطيط الاديار وتقدير ابنيتها وزينتها ٢٠١–٢٠٧
تدمر : « بادية » اموية في سهلها ٤١٩–٤٢٩
التردّد الى الكنائس والاديار للنظر الى غلمان النصارى ونسائهم ٢٧٢–٢٧٦
تعاون الشعر والموسيقى في نشأة الموشحات الاندلسية ٤٩٩–٥٠٦
تنزل الشعراء بنزلان الديارات واحتيال الزوار لمنادمتهم والشرب على وجوههم ٢٥٨–٢٦٦
التنزير والرفيمة والمشروح ١٩٣–١٩٤

ج

الجاهليون : عبادة الحجارة المؤلهة عندهم ١–١٨

ح

حانات الديارات ٢٥٠–٢٥٨
الحجارة المؤلهة وعبادتها عند العرب الجاهليين ١–١٨
الحروم واللعنات في وقفيات المخطوطات النصرانية ٤٦٦–٤٦٩
حفريات قصر الحَير الغربي ٤١٩–٤٢٩

حلب : خطايا الروم الملكيين فيها في القرن السابع عشر ٣٣-٤١- اخبارها وحوادثها من ١٨٥٥-١٨٦٥ ١٠٨-١٢٢ ، ٢٢٥-٢٥٩ ٤٧٣-٤٩٩
حمص: المترافات الموضوعة على مجاذيبها قديماً ١٨-٢٢

خ

خانات دمشق القديمة ٦٦-٧١
خراج الاديار وجزية الرهبان ٤٠١-٤٠٦
المترافات الموضوعة على مجاذيب حمص قديماً ١٨-٢٢
الخزانة الشرقية ١٨-٧١ ، ١٤٩-١٦٧ ، ٢٨٩-٤١٩ ، ٤٥١-٤٧٣
خطايا الروم الملكيين بحلب في القرن السابع عشر ٣٣-٤١
الخمر النصرانية ٢٢٢-٢٢٣

د

دفاتر الخزائن ١٨١-١٩٣
دمشق: ايام السبوت فيها في عهد العباسيين ٤١-٤٧ - دير يوحنا بظاهرها ٤٧-٤٩ - شهوة الخلفاء الفاطميين لقراصيتها ٦٠-٦٣ - خاناتها القديمة ٦٦-٧١
دور الضيافة ٣٤٦-٣٥٠
دور القمار في الاسلام ١٧٤-١٧٨
دور النصارى في اقرار الخلافة الاموية ٧١-٩٣
الدياورات النصرانية في الاسلام ٣٨٩-٤١٩ - تحليطها وتقدير ابنيتها وزينتها ٣٠١-٣٠٧ - ديارات النساء ٣١١-٣١٣ - الدياورات التي كان يتزلها الخلفاء والملوك والامراء ووجوه الدولة ٣١٦-٣٢٠ - مزروعاتها ٣٢٠-٣٢٢ - حاناتها ٣٥٠-٣٥٨ - تنزل الشعراء بتزلاتها ٣٥٨-٣٦٦ - الامور والاعاجيب في حاناتها وملحقاتها ٣٦٦-٣٧٢ - التردد اليها والى الكنائس للنظر الى غلمان النصارى ونسائهم ٣٧٢-٣٧٥ - الشرب والغناء على نغم الرهبان وضرب النواقيس ٣٧٦-٣٧٨ - النواقيس والاجراس فيها وفي الكنائس ٣٧٨-٣٨٧ النذور والاستشفاء فيها ٣٨٧-٣٩١ - خراجها وجزية الرهبان ٤٠١-٤٠٦ - فهارسها ٤٠٦-٤١٩
الدير والعمر ٣٦٧-٣٠١
دير مرحنا بمصر ٤٩-٥٣
دير يوحنا (يوحنا) بظاهر دمشق ٤٧-٤٩

ر

الرقيمة والمشروح والتقرير ١٩٣-١٩٤
الرهبان: لباسهم ولباس الراهبات ٢٩١-٢٩٣ - الشرب على نغمهم ٣٧٦-٣٧٨ - وصفهم بالعبادة والتقوى والعلم والحكمة ٣٩٥-٣٩٧ - جزيتهم وخراج الاديرة ٤٠١-٤٠٦
الروم الملكيون: خطاياهم في حلب في القرن السابع عشر ٣٣-٤١
رومية: مواصلات الموارنة معها ٥١٢-٥٢١

ز

الزعفران ٣٣٨-٣٤٦
الزنبيل او المصاد قديماً ١٧٨-١٨٠

س

السبوت (ايام) بدمشق في عهد العباسيين ٤١-٤٧
السلطة الابوية في الشرع الاسلامي على مذهب الامام ابي حنيفة ٩٢-١٠٨ ، ١٦٧-٢٢٥ ، ٤٣٩-٤٥٩

ش

الشرب والغناء على نغم الرهبان وضرب النواقيس ٣٧٦-٣٧٨
الشعر والموسيقى: تناولها في نشأة الموشحات الاندلسية ٤٩٩-٥٠١

شهداء النصرانية في الاسلام ٤٥٩–٤٦٦

ص

الصليبون : احتيال الايوبيين في رشوة نسائهم للتجسس ٤٩–٥٢

ع

العباسيون : اليهود في خلافتهم ١٤٩–١٧٤
العرب : عبادة الحجارة المؤلهة في جاهليتهم ١–١٨
العُسر والدير ٢١٧–٢٠١
العُيَيْنات ١٨٠

ف

الفاطميون : شهرتهم للقراصية الدمشقية ٦٠–٦٢
الفواكه المكتوبة او المصوّرة في الشرق ٦٢ – ٦٦

ق

القاضي : لقبه في دولة المماليك ٥٧–٥٩
القائم في الديارات ٢١١–٢١٢
القراصية الدمشقية وشهرة الخلفاء الفاطميين لها ٦٠–٦٢
قصر الحَير الغربي : حفرياته ٤١٩–٤٢٩
القمار في الاسلام ١٧٤–١٧٨
القلالي والاكيراح ٢٠٧–٢١١

ل

لباس الرهبان والراهبات ٢٩١–٢٩٢
لُعَب الثياب ٤٦٩–٤٧٠
اللغات والحروم في وقفيات المخطوطات النصرانية ٤٦٦–٤٦٩
لغة الحضارة ١٩٢–١٩٧
لقب القاضي في دولة المماليك ٥٧–٥٩
لوفنك (الاب جبرائيل اليسوعي) ١٨٦٨–١٩٣٨ ١٤٥–١٤٩

ليلة الماشوش ٢٩٧–٤٠١

م

الماشوش (ليلة) ٢٩٧–٤٠١
المخطوطات النصرانية : اللغات والحروم في وقفياتها ٤٦٦–٤٦٩
مزروعات الاديار والقلالي ٢٢٠–٢٢٢
المشجب ٤٧٠–٤٧٢
المشروح والتقرير والرقيمة ١٩٢–١٩٤
مصر : دير مرحنّا فيها ٤٩–٥٢
المصاد او الزنبيل قديماً ١٧٨–١٨٠
المماليك : لقب القاضي في دولتهم ٥٧–٥٩
المنتره او المنترّه ١٩٤–١٩٦
الموارنة : مواصلاتهم مع رومية ٥١٢–٥٢١
مواصلات الموارنة مع رومية ٥١٢–٥٢١
الموسيقى والشعر : تعاونهما في نشأة الموشحات الاندلسية ٤٩٩–٥٠٦
الموشحات الاندلسية : تعاون الشعر والموسيقى في نشأتها ٤٩٩–٥٠٦

ن

النذور والاستثناء في الديارات ٢٨٧–٢٩١
النصارى : دورهم في اقرار الخلافة الاموية ٧١ – ٩٢ – شهداؤهم في الاسلام ٤٥١ – ٤٦٦
النواقيس والاجراس والاديار والكنائس ٢٧٨–٢٨٧ – الشرب والغناء على ضربها ٢٧٦–٢٧٨

و

وصف الرهبان بالعبادة والتقوى والعلم والحكمة ٢٩٥–٢٩٧

ي

اليهود في الخلافة العباسية ١٤٩–١٧٤

AL - MACHRIQ

Revue Catholique Orientale Mensuelle

SCIENCES—LETTRES—ARTS

Sous la direction des Pères de la Cie de Jésus

UNIVERSITÉ St JOSEPH

Trente sixième année

1938

BEYROUTH
Imprimerie Catholique
1938

TABLE DES SOMMAIRES

XXXVIe ANNÉE, 1938

JANVIER-MARS

Le culte des Bétyles chez les Arabes préislamites : I. (p. 1). *P. H. Lammens S. J.*

Notices et Extraits des manuscrits arabes : (p. 18). *Mr H. Zayat* : Légendes anciennes sur les Idiots de Homs. (p. 18). Les péchés des Grecs melkites d'Alep, au XVIIe siècle. (p. 32). Les jours de Sabbat à Damas, sous les Abbassides. (p. 42). Le couvent de St. Jean, dans la banlieue de Damas. (p. 47). Le couvent de St. Jean en Égypte. (p. 49). Femmes franques espionnes pour le compte des Ayyoubides. (p. 53). Le titre de Qāḍī sous les Mamlouks. (p. 57). Les cerises de Damas et les Califes fatimides. (p. 60). Dessins et inscriptions sur fruits. (p. 63). Vieux khans de Damas. (p. 66).

Le rôle des Chrétiens dans l'établissement de la dynastie Omayyade. (p. 71). *Mr F.-E. Boustany.*

La puissance paternelle dans le droit de l'Islam, d'après le rite hanéfite : I. (p. 92). *Mr N. Sadaka.*

Le diaire de Na'oum Baḫḫaš, instituteur alépin (1855-1865) : III. (p. 108). *P. F. Taoutel S. J.*

Bibliographie (p. 123).

AVRIL-JUIN

Le P. Gabriel Levenq (1868-1938). (p. 145). *La Rédaction.*

Notices et Extraits des manuscrits arabes : (p. 149). *Mr H. Zayat* : Les Juifs dans le califat abbasside. (p. 149). Maisons de jeu en Islam. (p. 174). L'ascenseur à l'époque abbasside. (p. 178). Les lunettes. (p. 180). Un poème (Urǧuzah) inconnu d'In Sīdah. (p. 181). Notes linguistiques. (p. 192).

La puissance paternelle dans le droit de l'Islam, d'après le rite hanéfite : II. (p. 197). *Mr N. Sadaka.*

Le diaire de Na'oum Bahhas, instituteur alépin (1855-1865) : (*illustré*). (p. 225). *P. F. Taoutel S. J.*

Bibliographie. (p. 259).

JUILLET-SEPTEMBRE

Les couvents chrétiens en terre d'Islam. (p. 291). *Mr H. Zayat* : Introduction. (p. 291). Les termes synonymes : « Daïr » et « 'Omr », ou couvent. (p. 297). Topographie et superficie des couvents. (p. 301). Les « Cellules » et les « Kirḥ ». (p. 307). Le « Qa'im », sorte d'ermitage. (p. 311). Couvents de femmes. (p. 312). Les couvents, lieux de plaisance des califes, des rois et des princes. (p. 316). Productions agricoles des couvents. (p. 320). Le vin «chrétien». (p. 322). Fruits et fleurs pour l'entretien du cabaret. (p. 332). Le Safran. (p. 338). Les chambres d'hôtes. (p. 346). Les cabarets des couvents. (p. 350). Poésie érotique et bachique. (p. 358). De quelques mœurs de cabarets. (p. 366). But peu religieux de la visite des Églises et couvents par les Musulmans. (p. 372). Le chant bachique accompagné du Naqûs et des psalmodies des moines. (p. 376). Naqûs (simandre) et cloches dans les couvents et les églises. (p. 378). Vœux et ex-votos. (p. 387). Habillement des moines et des religieuses. (p. 391). La tonsure. (p. 393). Piété, science et sagesse des moines. (p. 395). La nuit « al-Machûch ». (p. 397). Impôts et tribut. (p. 401). Tables. (p. 406).

OCTOBRE-DÉCEMBRE

Les fouilles de Qaṣr el-Ḥair el-Garbī. Une « bâdia » omayyade découverte en Palmyrène. (*illustré*). (p. 419). *Mr D. Schlumberger.*

La puissance paternelle dans le droit de l'Islam, d'après le rite hanéfite : III (fin) (p. 429). *Mr N. Sadaka.*

Notices et Extraits de manuscrits arabes : (p. 459). *Mr H. Zayat* : Les Martyrs Chrétiens dans l'Islam. (p. 459). Anathèmes et

excommunications dans les manuscrits chrétiens. (p. 466). Poupées et mannequins sous les Abbassides. (p. 469). Le porte-manteau. (p. 470).

Le diaire de Na'oum Bahhas, instituteur alépin (1855-1865) : V (*illustré*). (p. 472) *P. F. Taoutel S. J.*

Poésie et musique à l'origine des Muwaššahāt. (p 499). *Mr F.-E. Boustany.*

« Afa'i al-Firdaws », *notes critiques.* (p. 509). *Mr Jean Aziz*

Entre Rome et les Maronites. (p. 513). *Abbé L. Khazen.*

Bibliographie. (p 521).

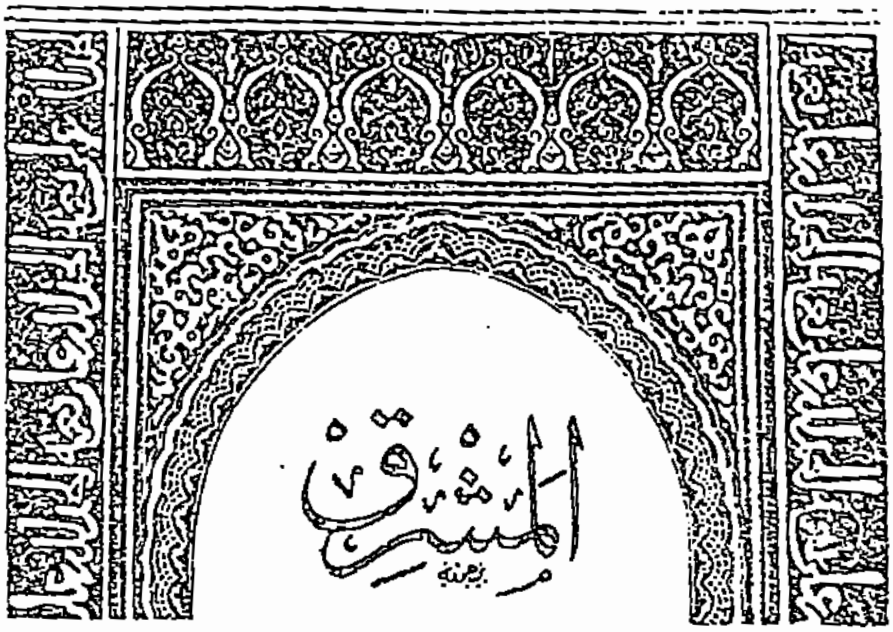

السنة السابعة والثلاثون — كانون الثاني – اذار ١٩٣٩

بشأن قواعد العربيّة

ردٌّ على من حسنت نيّته ، وساء رأيه

بقلم ادوار مرقص
من اعضاء المجمع العلمي العربي بدمشق

اطلعت في احد اجزاء الهلال ، منذ اشهر ، على مقال ضافي الذيول للاستاذ الكريم حسن الشريف عنوانه « تبسيط قواعد اللغة العربية » . ولا اشك ان الرجل مخلص صالح النية في ما كتب وارتأى وفند وانتقد ، راسماً خطة جديدة لقواعد اللسان العربي بقصد تمهيد سبيله وتسهيل تحصيله على طلابه . ولكن اخلاصه لا يعني انه اصاب المحجة ، واجاد في ابراز الحجة . كلّا انه كان على مراحل شاسعة من الصواب وسداد الرأي وقوة الاحتجاج . وكل ما يستحقه الكريم المخلص مثله لين لهجة في الخطاب والعتاب .

من دواعي الاسف والاستغراب معاً ان رجلاً غزير العلم والفهم مثل الاستاذ حسن الشريف يتسرّع في حكمه بشأن قواعد العربية ، وهو شأن في منتهى الخطورة ، فيجيء رأيه بباب تسرّعه فطيراً ، ليس فيه من الاختبار كثير ولا قليل . يطالبنا بأن نحذف قسماً كبيراً من قواعد العربية ، ونقلب رأساً على عقب قسماً ثانياً منهـا ، ونبقي قسماً ثالثاً على حاله . وهو لم يعيّن ويحدّد هذه الاقسام . ولكنه اشار الى كل منها بالامثلة تاركاً التعيين والتحديد لجمهور العلماء ، ربما يعون نصيحته ومشورته ، وتصحّ عزيمتهم على انفاذ تلك الخطة .

يطالبنا ان نقول : « قُتِلَ علياً » بنصب نائب الفاعل ، عوض « قُتِلَ عليٌّ » ؛ و « يا محمداً » عوض « يا محمدُ » ؛ و « جاء ابرهيمٌ » بالتنوين عوض « جاء ابرهيمُ » بعدم التنوين ؛ و « خمسة عشرة امرأة » عوض « خمس عشرة امرأة » ؛ و « اربعَ عشرَ رجلاً » عوض « اربعة عشرَ رجلاً » ؛ و « خمس مئات تفاحة » عوض : « خمسمئة تفاحة » ؛ و « زعم الفرزدق ان سيقتلَ مربعاً » بنصب سيقتل عوض رفعه . ثم علينا ان نقول في جمع كاتب كاتبون فقط . وليس لنا ان نقول كتّاب وكتبة . وعلينا ان نقول : « ما قام الا زيداً » عوض « ما قام الا زيدٌ » و « ما فلان الا عدواً لنيماً » عوض : « ما فلان الا عدوّ لنيم » .

هذا قليل من كثير مـا يرتئيه من التبديل والتغيير في قواعد لغتنا بحجة تسهيلها ، او حسب تعبيره ، بحجة تبسيطها ؛ وهو مع ذلك يقول : « يمكننا ان نصنع بلغتنا هذا الصنيع دون مساس بجوهرها واساسها . » ولعمر الحق لا ادري اين يكون جوهر اللغة واساسها اذا لم يكونا في قواعدها واصولها ؟

رويدك ! ورويدك ! يا اخانا الحسن الشريف ، ان اقتراحك غير حسن وغير شريف .

تقول : اذا قلنا « يا محمداً » عوض « يا محمدُ » فمحمد يسمع نداءنا . وازيدك انا مدداً ونجدةً ، وابشرك ان محمداً يسمعنا ايضاً ولو ناديناه « يا محمدِ » ، منوّناً مخفوضاً . . . ثم قلت : اذا قلنا قُتِلَ علياً عوض قُتِلَ عليٌّ ، علم السامع ان علياً اصبح مقتولاً لا قاتلاً . وابشرك ان السامع يظل علمه بهذا الخبر على حاله ولو قلنا : « قُتِلَ عليٍ » ، منوّناً مخفوضاً . . . أفهكذا تكون شروط الحظر والجواز

عنـدك ؟ وكيف نقع في التشويش والفوضى اذا لم تخطط طريقها على هذا الصيد ؟ . . .

ان اعظم اساس بنيت عليه مقالك واقتراحك هو تذكيرك لنـا ان اللغة ينبغي ان تُتخذ وسيلة لا غاية . فهي وسيلة تفاهم لا اكثر ولا اقل . نعم انها نظرية صحيحة في اجمالها شديدة الوضوح تكاد تدخل في البديهيات ، فكيف ينكرها عاقل منصف ؟ ولكن لا تنسَ انه يقترن بوسيلة التفاهم امر آخر عند اهل الفهم والذوق . هو الاجادة في استخدام هذه الوسيلة . هو حسن الاداء . ومن هنا تنشأ البلاغة والدقة والرشاقة بكل ما لهـا من انواع وقوالب . والا كنا سواء نحن والاطفـال والمجانين والحيوانات العجم . فانها كلها بنطقها او باشاراتها تتفاهم وتعبر عن اغراضها . اكذلك ترضى ان يكون كلام الخاصة ولغتهم الفصحى فيما بينهم ؟ . . . وكل من انعم النظر في اقتراحك رأى في نتائجه ما يمسّ جانباً غير يسير من دقائق وخصائص اللغة الفصحى ، ومن ثم يجني على بلاغتها . ومن شواهد ما ذكر بعض ما اثبتُّه في كتابي « ذخيرة المتأدب » من الطرف الإعرابية ، وهي جمل يختلف اعراب كل منها في حالتين او بضع حالات حسب اختلاف المعنى المقصود منها . واظن كل لغة راقية لا تخلو مما يشبه هذا المظهر الانيق في وجوه تعبيرها . ولا يُكتفى فيها ببساطة القواعد والمصطلحات ، ومن ثم ببساطة الاداء الناجم عنها مما هو مطبوع بطابع الخشونة والجفاف . إلّا في لغيات الحمّالين ، والبحّارة ، والحوذيّة ، ومسّاحي الاحذية ، والخدم واضرابهم . او في لغـة السبيرانتو المخترعة حديثاً والمقصود بقوامها السطحي تعميم نشرها لاجل التفاهم بها في ما قرب تناوله وكثر تداوله من احوال المعيشة . وهـذه دركات نأبى ان ينحط اليها لساننا المبين .

* * *

واغرب ما استغربته وارتعت له ، ايها الاخ الكريم ، ما جعلته لمقالك صدراً وبراعة مطلع في تشبيهك دارس اللغة العربية برحّالة مخاطر مغامر يقصد برحلته احد القطبين . ودارس غيرهـا من لغات العصر بسائح اعتيادي يقصد جهة من

جهات العالم المتمدن حيث لا عناء ولا عذاب ولا مجاهل ولا مخاوف بل امن ووسائل راحة ورغد وسرور ، كيفما اتجه واينما حلّ .

اسرفت ، ايها الفاضل ، بهذا التشبيه اسرافاً فظيعاً ليتك كفيتنا مؤونته وكفيت نفسك مغبته الادبية بالتريّث والتأني قبل الاقدام عليه . وبرهاننا في ذلك برهان عملي عياني ، فهو منتزع من وقائع احوالنا الراهنة . اخبرني اي تلميذ متوسط الفهم والاجتهاد من طلّاب لغتنا العربية درسها ، بعد ما ترعرع ، سبع او ثماني سنوات ، اي من سن الثانية عشرة او الثالثة عشرة الى سن العشرين ، ولم يبلغ منها درجة حسنة مقبولة في قواعدها وانشائها وتفهم آثارها الادبية نظماً ونثراً ، بحيث تصبح عثراته في ميدانها قليلة مغتفرة . وهذه نتيجة كافية وافية لجمهور الناشئة والمتأدبين . واما ان نقيم النكير على الناشيء اذا زلّ قلمه في اثناء مقال طويل عريض بست او سبع هفوات فهو تعنت وحكم جائر ينبغي ان تتنزّه عنه انت وامثالك من اولي الفضل ، لانكم تعلمون علم اليقين ان درجة التفوق والتبريز لا يطالب بها الا كبار الاساتذة واهل الاختصاص ، فانهم قد وقفوا حياتهم على الدرس والبحث والتنقيب بشأن فروع العلم التي اختاروها . ولا غرو فهكذا شأن زملائهم من الاساتذة والعلماء في سائر اللغات . ثم اخبرني الا يحتاج ايضاً دارس الفرنسية او الانكليزية او الالمانية او الايطالية اوغيرها الى المدة التي ذكرناها اي ٧ او ٨ سنوات (علاوة على سنوات الدراسة التمهيدية في طور الطفولة) لكي يحصل في احدى هذه اللغات الدرجة التي حصلها دارس العربية في المدة نفسها . وهي درجة حسنة مقبولة لكنها لا تعادل ولا تجاور درجة عالم او استاذ كبير . فما دام الامر كذلك بشهادة الالوف وعشرات الالوف من الناشئة الذين درسوا العربية وغيرها من لغات العصر ، فايّ مسوّغ يبقى لتهويلك بصعوبة درس العربية وتخفيفك من مصاعب درس سواها حتى جعلت لساننا بمقام القطبين وألسنة الاجانب بمقام مصر او سورية او فرنسة او ايطالية ؟

ومن المؤسف انك لم تكتفِ عند هذا الحدّ باستعجالك في الحكم غير موازن ولا مقارن بين وجوه البحث المختلفة ، بحيث تبنى المحاكمة على الانصاف

ونفاذ البصيرة ، بل انتقلت منه الى احكام اخرى جائرة او غير ناضجة . فاشرت الى عدة مصاعب في قواعد العربية ولم تشر الى شيء من مصاعب الفرنسوية التي التفتّ اليها على وجه خاص . وذكرت نحو عشرة الفاظ في نحو عشر آيات من القرآن جاءت مخالفة حسب ظاهر الامر لقواعد النحو . واتخذت ذلك دليلاً كافياً وافياً على ان للقرآن نحواً خاصاً ودراسة خاصة ، فدرس قواعد العربية ومتنها وآدابها لا يجدي المتعلم شيئاً ازاء الكتاب المذكور . ولم تعلم قبل حكمك هذا ان جزئيات الامور تمنع حقوق الكليات ، وان النادر يرجّح على الشائع المستفيض ، وان شوارد الكلام تلغي اصوله وقواعده . ناسياً ان حالة اللغة العربية بعد تدوينها هي غير حالتها القديمة قبل ان تدوّن ، واننا لا بد ان نعثر في اقوال الفصحاء من الجاهليين والمخضرمين على اشياء تخالف ما عرفناه من القواعد العامة اما شذوذاً ، واما بتعليل قريب او بعيد ، واما تبعاً لمذهب من القول كان حياً ثم باد . وهذه الاشياء المخالفة للقواعد ادخلها ائمة اللغة في سلك واحد وجعلوها مما يحفظ ولا يقاس عليه .

* * *

ثم نسيت ، او تناسيت ، ان اقتراحك الذي يقضي بالشيء الكثير من الحذف والتبديل في قواعد العربية ان نفذ اقام سداً كثيفاً من الحديد بيننا وبين تراثنا الادبي العظيم الذي تركه لنا اسلافنا ، فتنقطع الصلة الفكرية بيننا وبينهم ، ونصبح جاهلين الشيء الكثير من دقائق ما ارادوه في شعرهم ونثرهم ومصنفاتهم القديمة ، وفي طليعتها القرآن وما بني عليه من كتب الاحاديث والفقه والشريعة . كل ذلك اتيته ، وطاوعتك عليه مروءتك وعروبتك . ولماذا كل هذا التهديم والتدمير ؟ تقول : لاجل تبسيط قواعد اللغة العربية . ولكننا اريناك بالمثال المحسوس ان قواعد لغتنا لا تقتضي من الزمان اكثر مما يقتضيه غيرها . وهبها اقتضت اكثر من سواها سنة او سنتين فهل ترى هذه العلاوة ويلاً عظيماً لا يحتمل ، ولكنك لا ترى شيئاً من الويل في تلك المشوّهات وتلك المحذورات التي يقضي بها اقتراحك . صدقني

انه ما على هذه الصورة يسمى المجدّد مصلحاً كبيراً . ولا على هذه الصورة ينبغي للمرء ان يحسب نفسه قد زين بيت آبائه واجداده ، وتمم نواقصه ، وادخل عليه انابيب الماء العذب والنور الكهربائي — خلافاً لما زعمته وادعيته — ولكنه يكون قد افسد هندسة البيت ، ومزّق متاعه ، وطمس نقوشه ، وزعزع اساسه .

* * *

وفي جملة ما عرضت له من مصاعب القواعد في لغتنا اختلاف حركة العين من الفعل المجرد الثلاثي ماضياً ومضارعاً ، وقد قدمت مثالاً على ذلك الفعل « عنَفَ » وقلت اذا برزت هذه اللفظة امام عين القارئ حار في قراءتها امضمومة عينها ام مفتوحة ام مكسورة . قلتَ لا يدري القارئ شيئاً من ذلك ولو كان دارساً قواعد النحو بجملتها وتفصيلها من الكفراوي الى الاشموني مارّاً في دراسته بابن مالك وابن عقيل . وفي هذا القول تحامل . ولكني لا اظنك تعمدته فهل سهوت عن ان السماعيات في كل اللغات هكذا شأنها . تؤخذ بالنقل والرواية الوثيقة عن اصحاب اللغة الاولين ، واماكن البحث عنها افواه العارفين وبطون المعجمات . ولكن مما يخفّف خطبها ان معظمها يصبح بطول التداول والاستعمال معروفاً عند المتوسطي العلم ، فضلاً عن فوقهم . وحركة عين المجرد الثلاثي عندنا تحسب اجمالاً من هذا النوع السماعي . فما بالك استنكرتها كل هذا الاستنكار وغضضت الطرف عما هو اصعب واقطع منها بكثير في غير العربية .

غير ان تصديك لهذه الناحية من البحث ذكرني ناحية اخرى تتصل به واريد ناحية الهجاء في لغتنا ، اي رسم الحروف ، وهي ناحية لم تعرض لها بالذات ولكني ارى ان اعرض انا لها ، اتماماً للفائدة ، ورفعاً لوهم طارئ على اذهان بعض الاخوان ، حتى كاد يتحول فيهم الى عقيدة راسخة وهي في غير موضعها .

يقولون ان الهجاء في لغتنا عويص ناقص الدلالة يجعل قراءة الكلمات لغزاً من الالغاز فاذا كتبنا « اقدم » مثلاً فلا نعلم كيف نقرأها : اهي « أَقدَمَ » ام « أَقدِمْ » ام « أُقدَم » ام « أُقدِم » ام « أَقدَمُ » ام « أُقدَمُ » ام « أُقدَمَ » فان

كتابتها تحتمل هذه الاوجه كلها في القراءة . ثم يقولون : هل بلية علينا اعظم من هذه البلية !

على رسلكم ، ايها الغاضبون الواهمون. لو كان الامر في صعوبته الى حدّ ما تتصوّرونه وتصوّرونه لغيركم لما استطاع اقدركم واذكاكم ان يقرأ قراءة صحيحة سطرًا واحدًا قصيرًا . ولكننا نرى اضعفكم واغباكم يقرأ بسهولة وغير خطإ عشرين سطرًا طويلًا . ولا بدع فان قرائن اللفظ والمعنى في الكلام السابق واللاحق تساعده على صحة القراءة .

هذا من جانب . وهناك جانب آخر يساعد الجانب الاول في تدارك هذه الحال ، بل يكفل بازالة الالتباس وسدّ الثلمة ، وهو ان لا تبخل اقلامنا ومطابعنا بقليل من الحركات والضوابط على الكلمات التي نرسمها . ويكفي ان نستعمل الحركات والضوابط لربع او خمس حروف الكلمات ، اي لما يحتاج منها الى ذلك ؛ تاركين بقية احرف الكلمة بغير شكل . فاذا اردنا « دُحرِجَ » مثلًا مبنيًا للمجهول اكتفينا بضمّ اوله هكذا « دُحرج » . واذا اردنا « ذَهَبتْ » اكتفينا باسكان تائه ، وهلمّ جرًّا . فهل في هذا التدارك عناء كبير او خسارة من الوقت جسيمة ؟ كلا . ان حرصنا على شكل مواضع يسيرة يحلّ المعضلة . وتظلّ الكتابة في لغتنا ، مع ذلك ، اقل استلزامًا للعناء والوقت من الكتابة في لغات الفرنجة . لان الكتابة العربية تشبه الكتابة المختزلة اذ لا ترسم غالبًا الا جزءًا من الحجم الاصلي للحرف . فترسم « ج » من ج ، و « ن » من ن ، و « ص » من ص الخ . وهذه مزية للعربية لا يستهان بها ، ولكننا قلما احسسنا بها وفكرنا فيها لانها الفتنا والفناها منذ نعومة اظفارنا .

لنتعود استعمال القليل من الحركات والضوابط وكفى . فلا داعي ولا ضرورة لما ارتآه بعض الاخوان من وضع علامات جديدة نجعلها في صلب الكلمة وتقوم مقام الحركة والضابط . فهذه الطريقة تستلزم من العناء والوقت اضعاف ما يستلزمه القليل من الشكل الذي نشير به .

* * *

عدنا الى استئناف ما تولاه في بحثه الاستاذ الفاضل حسن الشريف . قال :

« ان الفرنسويين لا يترددون عند الحاجة في تعديل اجروميتهم بل مفردات لغتهم بغية التيسير والتسهيل » ثم استشهد على صحة ما قال بالفاظ قليلة العدد جدًّا قرر الفرنسويون اعادتها الى القاعدة العمومية عندهم في جمعها وتذكيرها وتأنيثها ومنها chou, hibou, caillou واخواتها وهي سبع مفردات . ومنها كلمات délice, amour, orgue والعددان cent, vingt مع جمع اسماء العلَم . وقد فاته ان هذا الشيء الذي قبلوا تعديله لا يبلغ في العدد والصعوبة جزءًا من مئة جزء من الباقي عندهم في ابواب الشواذ والسماعيات . وسأشير الى ذلك اشارة اوضح في ما يلي عند الموازنة بين مصاعب لغتنا ومصاعب لغتهم . ولو ان اخانا المقترح اشار علينا بتعديل واحد في المئة من قواعد لغتنا او اثنين في المئة او خمسة في المئة ، لسكتنا وقلنا لعله على حق وصواب ، ولعل مطلبه لا يجني على جوهر لغتنا وطابعها وكرامتها ، بل ربما افادها وافاد ابناءها اذا كان الشيء الزهيد المطلوب تعديله غير داخل في صلب اللغة وصميم الادب العربي بل يمكن اجراؤه على بعض السماعيات التي برزت عندنا على حواشي اللغة والادب مثل باب النحت ، واحكام الوقف ، والامالة ، والتضمين ، وتعيين حدود ورسوم لما يجوز لنا نقله بنصّه من الامثال والعبارات المجازية عند الاجانب وما لا يجوز لنا الا نقل مؤداه دون حرفه واسلوبه ، الى ما شاكل ذلك من المباحث الاضافية . ولكن اخانا المقترح اراد ، على ما يظهر من تمثيله وتقديره ، ان يعدل من صميم القواعد في لغتنا خمسين في المئة او اكثر بحيث يتنكر وجهها وتنقلب رأساً على عقب . وهذا تعديل بعيد عن العدل لا تحمله ارض العربيّة ولا سماؤها .

* * *

وصلنا الى الموازنة ، ولو بوجه تقريبي ، بين مصاعب لغتنا ومصاعب اللغة الفرنسية التي اكثر المقترح من ذكرها في بحثه والتدليل على سهولتها وبساطتها . ولا شك ان الحكم بشأنها يقاربه الحكم بشأن غيرها من لغات غربي اوربة فكلهن اخوات او بنات اعمام متحدرات في انسابهن عن اللاتينية واليونانية القديمة .

اما مصاعب قواعد العربية التي تزيد على ما يقابلها في الفرنسوية فهي في الامور الآتية :

الإعراب ، وجمع التكسير ، واختلاف حركة عين الفعل المجرد الثلاثي . وفي تفاصيل عدة ابواب اهمها الاعلال ، وموانع الصرف ، واحكام النواصب والجوازم ، والنداء وملحقاته ، والاستثناء ، والعدد ، والتنازع ، والاشتغال .

واما مصاعب الفرنسوية التي تزيد على ما يقابلهـا في العربية فهي هذه : الهجاء — وقد غلب الاصطلاح على تسميته املاء — وتصريف الافعال ، واستعمال ازمنة الفعل اي صيغه ، والمؤنث المجازي ، والنسبة ، والتصغير ، واسم المكان والزمان ، واسم الآلة ، وتبعية الاسم المشتق ، اي le participe présent ، لما يصحبه جمعاً وتذكيراً وتأنيثاً . واحوال كثير من الالفاظ التي نصّ عليهـا من النحو الفرنسوي قسم خصائص المفردات المسمى عندهم « سنتاكس Syntaxe » .

فالهجاء ، او رسم الحروف ، او الاملاء ، لا ضابط له في اللغة الفرنسوية بل تكاد كل كلمة يستقلّ هجاؤها بنفسه ، وقد ينطبق على كيفية النطق بها ، وقد لا ينطبق . فهناك من المصاعب تلال وجبال . وبديهيّ ان صعوبة الهجاء تتولد عنها صعوبة القراءة في كثير من الحالات . واما الهجاء العربي فايسر منه مثالاً بعدة درجات . لان اللفظة عندنا تكتب حسب النطق بها . ويخرج عن ذلك احوال يمكن التلميذ استيعابها نظرياً في ثلاثـة او اربعة ايام ثم التدرّب عليها عملياً في اسبوعين او ثلاثة اسابيع . لانها تنحصر في كتابة الهمزة ، والالفين المقصورة والممدودة ، والتائين المربوطة والمبسوطة ، وفي ما يُقرأ ولا يكتب وما يُكتب ولا يقرأ من الفـاظ لا تزيد على ثلاثين لفظة ، وفي حذف حرف العلة من آخر الامر المتل للمفرد المذكر المخاطب ، ومن آخر المضارع المعتل المجزوم . ولا اكون مبالغاً اذا قلت ان الهجاء في الفرنسوية يقـارب في صعوبته صعوبة الاعراب في العربية .

ثم لا ننسَ ان بعض لغات الفرنجة ذات اعراب ايضاً ومنها الالمانية والروسية والبولونية واليونانية . ولا ضابط في الفرنسوية لمعرفة المؤنثات المجازية ، واما في العربية فامرها سهل لانها محدودة يطلع الدارس عليها وعلى ما يجوز تذكيره وتأنيثه .

وتصريف الافعال في الفرنسوية يشذّ عن قواعده العامة نحو ٢٠٠ فعل كلها كثيرة الاستعمال . واما تصريف الافعال عندنا فلا تعترضه هذه العقبات ، وانما يعدل بعضها بتأثير الاعلال الذي ذكرناه في مصاعبنا الخصوصية فليس من الحق ان يجب علينا مرة ثانية في التصريف . ثم انه عندنا فوق ذلك ملاحظات يسيرة بشأن افعال قليلة تكاد تنحصر في ما يأتي : اكلَ . اخذ . سأل . أتى . امر . رأى . أرى . وكلها خفيف خطبها ، فالبون شاسع بينها وبين شذوذ مئتي فعل عند الفرنسويين في كثير من صيغها .

واستعمال ازمنة الفعل الفرنسوي les temps له عدة احكام وقيود مستريح منها دارس اللغة العربية .

والنسبة عندهم تأتي على قوالب مختلفة ، واحياناً تختلف النسبة عن اللفظ الاصلي اختلافاً عظيماً منشأه ، على ما زعموا ، الرجوع حينئذٍ الى اصل اللفظ في اليونانية او اللاتينية ، فهم يقولون : quotidien في النسبة الى jour ; hebdomadaire في النسبة الى semaine ; mensuel في النسبة الى mois . واما النسبة في ما عدا ذلك فهي متنوعة الادوات ، وهكذا في النسبة الى Turquie يقولون turc ؛ والى France يقولون français ؛ والى Belgique يقولون belge ؛ والى Chine يقولون chinois ؛ والى Egypte يقولون égyptien ؛ والى Chypre يقولون chypriote .

واذا خرجنا عن التمثيل بالمدن والممالك وجدناهم في النسبة الى histoire يقولون historique ؛ والى guerre يقولون guerrier ؛ والى paix يقولون pacifique ؛ والى lettre يقولون littéral ؛ والى littérature يقولون littéraire ؛ والى société يقولون social الخ .

وهكذا شأنهم في اختلاف الصيغ والقوالب للتصغير ، واسم المكان والزمان ، واسم الآلة مع ان كل باب من هذه الابواب عندنا له قاعدة ثابتة لا يشذ عنها الا بضع الفاظ مذكورة في آخر الباب يمكن التلميذ الذكي ان يحفظها في دقيقتين والتلميذ البليد في ربع ساعة .

بقي علينا ان نذكر المصاعب التي تتساوى فيها اللغتان او تتقاربان ، وهي هذه :

تصريف الفعل مع المزيدات (في العربية فَعلَ أفعل فعّل فاعلَ تفعّل الخ وفي الفرنسوية ادخال الزوائد les affixes على اوائله او اواخره مما يسمونه سوابق ولواحق : préfixes et suffixes) . التمييز بين الافعال اللازمة ، والافعال المتعدّية والافعال المستعملة على الوجهين . معرفة حرف الجر الذي يطلبه الفعل اللازم . صيغ المصدر صيغ الصفة المشبهة . — فهذه الابواب اوزانها سماعيّة في كلتا اللغتين .

ومن هنا يرى المنصف المتأمل ان صاحب الاقتراح اشتط كثيراً في حكمه المستعجل حين قال : ان مصاعب اللغة الفرنسوية لا تبلغ عشر معشار المصاعب في اللغة العربية . وكذلك حين قال : ان دارس العربية هو مثل رحالة الى احد القطبين او الى مجاهل القارة السوداء ، ودارس غيرها من لغات العصر هو مثل سائح موفق يسرح ويمرح في بلاد جميلة راقية سهلة المواصلات .

* * *

ومحصّل القول ان الاستاذ الفاضل حسن الشريف اقترح ادخال كثير من الحذف والتغيير على قواعد العربية بقصد تسهيل دراستها ، وهو يحسب هذا الصنيع اصلاحاً وتجديداً مفيداً . واما انا فاستنكره واعده غارة شعواء . وستندي الاسباب الآتية :

اولاً — ان تحصيل العربية ليس صعباً الى الحد الذي هوّل به المقترح ، وتوهّم ، واوهم ، ما دمنا نرى رأي العيان دراسة سبع او ثماني سنوات بعد اجتياز الدروس التمهيدية كافية لاكساب الدارس درجة حسنة مقبولة في اللغة العربية . وهكذا شأن الطلاب الدارسين غيرها من اللغات الحية .

ثانياً — ان الاغارة عليها بالصورة التي يطلبها المقترح تقضي على جمالها وخصائصها ، وتجني على كرامتها ، وتحرمها كثيراً من الاتساع الذي يسهل على ناظم الشعر مهمته ويساعده على السلاسة والمتانة . واللغة العربية لغة شعرية بالدرجة الاولى .

ثالثاً — ان الاغارة المطلوبة تقطع الصلة الادبية بيننا وبين اسلافنا من

فصحاء العرب فلا نفهم كلامهم على وجهه الصحيح لاسيما دقائقه ، وفي جملة ذلك القرآن وكتب الحديث والفقه والشريعة . وهذه الكتب النفيسة لا يستغني عن اغتراف فوائدها الاديب العربي ولو كان غير مسلم . فما قولك بالمسلمين العرب وهم تسعة اعشار الامة العربية .

رابعاً — لم نرَ اولياء لغة من اللغات الحية صنعوا بلغتهم الصنيع الذي يرضاه المقترح للغته العربية . ففي قواعد هذه اللغات مصاعب وعقبات جمة من شواذ وسماعيات واحكام وقيود متعددة آخذ بعضها برقاب بعض . لم يفكر اصحابها بالاغارة عليها حذفاً وتغييراً ، مع انهم لو ارادوا الاقدام على ذلك لم يجدوا واقفاً في طريقهم من العوائق والتقاليد وحرمة التاريخ والمحذورات ما يجده ابناء لسان مضر المبين .

* * *

هذا ما عنَّ لي الساعة ايراده . وامضى سلاح لي فيه الاخلاص والاجتهاد . والله الهادي الى الصواب .

من الخزانة الشرقية

بقلم حبيب زيات

شهداء السجاعة

لم ترد لفظة السجاعة في معاجم اللغة. وقد استعملها المبرّد في الكامل واراد بها التزام السجع في الكلام . فاجراها مجرى الكهانة والعرافة . ولا يخفى على البصير في علم الادب آفة السجع في الانشاء العربي . وهو داء قديم سبق في الجاهلية. وبه زوي ما انتهى الينا من اقوال الكهّان والعرّافين والخطباء . وعليه جرى القرآن في بعض السور كسورة الرحمن ، وسورة القمر وغيرهما . وجاءت به ايضاً بعض الفاظ الحديث. وكان اكثر التزامه في المكاتبات الديوانية في الخلافة العباسية . ولعل اشهر من اطنب فيه واطال ، واحتفل غاية الاحتفال ، كان ابو اسحق الصابئ. وقد سلمت من رسائله طائفة من العهود والتقاليد السلطانية ترى اليوم متفرقة في كتب الادب وبعض مخطوطات الخزائن . وهي غاية في التأنق والجزالة. ولكن غلب عليها الاسهاب في تكرار المعنى الواحد في فقرات مترادفة. وبذلك كان حظ الانشاء منها اوفر جداً من حظ التاريخ باستطلاع الآثار. وقد امتاز عصر الصابئ باشهر من نبغ في عهده في اواخر القرن الرابع للهجرة من فحول الكتاب والمنشئين كابن العميد ، والصاحب ابن عباد ، وعبد العزيز ، وبديع الزمان ، والخوارزمي ، والمتنبي ونظرائهم . وكان الصاحب اشدهم ولعاً بالسجاعة وهو فيها نسيج وحده . ولكنه أغري بها غاية الاغراء حتى اسف فيها الى الإملال والسخف كما سيجيء شاهده .

وعمّت هذه الطريقة الصناعية بعد القرن الرابع كل من كتب وخطب حتى اصبح المعنى في الكلام المسجّع تابعاً للفظ . لا بالعكس . واضحى الانشاء عند المولدين ومن جاء بعدهم ضرباً من الموسيقى والغناء يقصد به خصوصاً الإيقاع

والإطراب . وانصرفت العناية من اجله الى الاعراض دون الجواهر . وكانت الكتابة لديهم كما قال ابن الاثير « كظاهر مموّه على باطن مشوّه . او كغصد من ذهب على نصل من خشب ».[1] ومن طالع المقامات الحريرية ، وخطب ابن نباتة مثلاً ، وبعض فصول الصابئ والقاضي الفاضل ، وسائر الآثار الباقية من الرسائل السلطانية ، لا يصيب فيها ، تحت طلاء الفواصل والفقرات ، الا رسوماً ضئيلة من صور الوقائع والاخلاق واوصاف التمدن والعمران في كل الدول التي تعاقبت في الخلافة العباسية . ثم تفاقم ايضاً هذا الداء في ايام المماليك حتى اصبح « باب التسجيع » عند كتاب الدواوين السلطانية « هو علم الانشاء »، كما قال ابن حجة الحموي[2] ، بعد ان تقلد كتابة السلطان الملك المؤيد ، والملك المظفر ، والملك الصالح ، والملك الاشرف ، والخليفة المعتضد بالله . ومن وقف على كتابه المسمى بقهوة الانشاء ، وسائر كتب المصطلح الشريف كالتعريف ، والتثقيف ، وصبح الاعشى ، واعتبر ما فيها من نسخ التقاليد والعهود والتواقيع وبقية انواع المخاطبات الديوانية يدرك صحة قول ابن حجة ، ويستعظم خطب ضياع اعمار القوم في العناية بالقشور دون اللباب وتزويق مثل هذه الاباطيل والفضول .

وليس المعنى وحده اول شهداء السجع في الادب العربي . بل اللغة نفسها سهم ونصيب في هذه الشهادة . وحسبنا ان نذكر على سبيل التمثيل فقط ، دون اقل استقصاء ، ما جاء في الحديث من مخالفة الوضع والقياس حباً بالمقابلة والمزاوجة . وهو قوله : « أعيذه من الهامّة والسامّة . ومن كل عين لامّة » بدلاً من مُلِمّة . لان الاصل فيها من ألمّ فهو مُلِمّ . وكذلك قوله : « ارجعن مأزورات غير مأجورات » . والاصل موزورات بالواو لانه من الوزر . ومنه قوله : « دعوا الحبشة ما ودعوكم . واتركوا الترك ما تركوكم » . والاصل ما وادعوكم من الموادعة . ولكن حذف الالف طلباً للموافقة[3] . ولا تخلو كتب الادب والامثال من اشباه لذلك ونظائر .

على ان خطب اللغة من التسجيع اهون جداً من خطب التاريخ . وليس يعلم

١) المثل السائر ، ص ١١٧

٢) خزانة الادب ، ص ٤٢٣

٣) المثل السائر ، ص ١١٥–١١٦ ؛ وخزانة الادب ، ص ٤٢٤

الا الله وحده قدر ما ضاع من حقائقه بين زخارف الالفاظ ومحسنات الخيال والتورية والمجاز والاستعارة الغالبة على كل هذه الاضابير التي نضّدتها ايدي كتاب الانشاء الشريف وحدهم في الممالك الاسلامية مدة عشرة قرون كاملة . فضلاً عما تشوّه واستبهم من جوهر احاديثه ورواياته في ما دُوّن منها باقلام متكلفي التاريخ من عشاق القوافي كابن عربشاه ، وابن حبيب الحلبي[1] ، والعماد الاصبهاني ، والعتبي واضرابهم في تواريخهم المسجّعة التي وضعوها على طريق المعاياة والمباهاة . ولينظر اية فائدة للحقيقة التاريخية تُستخلص من معمّيات كتاب الفتح القدسي العماد وهو يكاد يكون بشوارده واسجاعه ضرباً من الطلاسم والرُقى .

ومن شهداء السجع في ايام الامويين وابن الزبير اسماء بن خارجة ، ونفر من الازد ، وقيس عيلان ، وتميم . قال المبرد : « كان المختار يدّعي انه يُلهَم ضرباً من السجاعة لامور تكون . ثم يحتال فيوقعها فيقول للناس : هذا من عند الله عز وجل . فمن ذلك قوله ذات يوم « لتنزلن من السماء . نار دهماء . فلتحرقن دار اسماء » . فذُكر ذلك لاسماء بن خارجة . فقال : قد سجّع بي ابو اسحق ؟ هو والله محرق داري . فترك والدار . وهرب من الكوفة . وقال في بعض سجعه : « اما والذي شرع الاديان . وجنّب الاوثان . وكرّه العصيان . لاقتلن ازد عمان . وجلّ قيس عيلان . وتميماً اولياء الشيطان . حاشا النجيب ظبيان » . فكان النجيب ظبيان يقول : لم ازل في عمر المختار اتقلب آمناً » .[2]

ومن حماقات الصاحب ابن عباد في التسجيع انه كتب لقاضي قُمّ ، وهي مدينة بين اصبهان وساوة : « ايها القاضي بقم . قد عزلناك فقم . » فكان القاضي يقول اذا سئل عن سبب عزله : انا معزول السجع من غير جرم ولا سبب[3] .

ولم تخفَ هذه الحماقة من الصاحب على ابي الفضل بن العميد . وحكى عنه

---

١) نقل وفاته ابن تغري بردي في سنة ٧٧٩ للهجرة (١٣٧٧ م) وقال : وتاريخه موجز وهو قليل الفائدة . ولذلك لم انقل عنه الا نادرًا . فانه كان اذا لم تعجبه القافية سكت عن المراد (النجوم الزاهرة . طبعة ليدن ٥ : ٢٢١-٢٢٢)

٢) الكامل للمبرد ٣ : ١٦٧

٣) معجم البلدان لياقوت ، طبعة اوربة ، ٣ : ١٧٦

انه خرج مرة من الريّ يريد اصبهان ومنزلهُ وَرَامين. وهي بُليدة في نواحي الريّ. قال: فتجاوزها الى النُوبَهار وهي قرية غامرة وماء ملح، لغير شيء. الّا ليكتب لي: كتابي هذا من النوبهار. يوم السبت نصف النهار[1].

وممن اوشك ان يُعزَل ايضاً بعلة السجع ابو الحسن بن نيداد، عامل كور الاهواز في وزارة علي بن عيسى بن الجراح. اتفق له ان وقعت النار في ارزّ من ارتفاع ناحيته فاحترق. «فكتب الى علي بن عيسى كتاباً اقام فيه عذره. وسجع في كتابه سجعاً زاد فيه. فوقّع علي بن عيسى على ظهر الكتاب «انت يا ابا حسن تكتب فتجيد. والاسم الحميد. خير من الكلام السديد. ضيعت علينا ارزّاً حصّلته. وعوّلت بنا على كلام الّفته. وخطاب سجعته. اوجب صرفك عما توليته. والسلام.» فقال ابو الحسن بن نيداد ما صرفني غير السجع. وكتب اليه: «وصل كتاب سيدنا الوزير اطال الله بقاءه مشتملاً على وصف وصرف. فاما الوصف فهو منه ادام الله تأييده مع محله من الصناعة. نهاية الفخر والسعادة. واما الصرف عن الاعتذار. بما جرى به المقدار. فما جزاء من اعتذر من حال لا دَرَك عليه فيها ان يُصرف عن ولاية لا جناية منه عليها؟ والاعتذار بلفظ الصواب. اولى من الاحتجاج بسوء الخطاب.» فاقره علي بن عيسى على عمله[2].

ومن وزراء العباسيين الذين اشتهروا بالرقاعة والولع بالتسجيع اعتباطاً ولو في غير محله ابو علي محمد بن عبيد الله بن خاقان، وزير المقتدر بالله، كتب الى بعض العمال: «الزم وفقك الله المنهاج. واحذر عواقب الاعوجاج. واحمل ما امكن من الدجاج». فحمل العامل دجاجاً كثيراً على سبيل الهدية. فقال هذا دجاج وفّرته بركة السجع. وتقدم بان يباع ويورد ثمنه في الحساب. فأورد منسوباً الى ثمن دجاج السجع.[3]

وحدّث ابو عبدالله بن ابي العلاء الكاتب قال: كنت بحضرة الخاقاني وقد عرض عليه كتاب كُتِب من الديوان الى عامل النيل (في سواد الكوفة) بحمل

١) معجم البلدان لياقوت، طبعة اروبة، ٦: ٨١٧
٢) تاريخ الوزراء للصابي ٣٣٥-٣٣٦
٣) تاريخ الوزراء للصابي ٣٣٧

غلة كانت حاصلة قِبَله . وأُنكر عليه تأخيرها . فوقّع اليه في الكتاب: « احمل الغلة . وأزح العلة . ولا تجلس متودعاً في الكِلة . » (قال) ثم التفت الي وقال : يا ابا عبدالله ، في النيل بقّ يحتاج الى كِلل ؟ فقلت اي والله ، واي بق . ومن اجله يلزم الناس الكِلل نهارًا وليلًا . (قال) فسرّ وقال : نحمد الله على حسن التوفيق » . ونفعني ذلك عنده[1] .

ومن هذه النكات والامثال القليلة يتضح عظم ما جناه السجع في الغالب على الادب العربي والتاريخ الشرقي . وما افناه باطلًا من القرائح والاعمار والاوراق .

---

٢) تاريخ الوزراء للصابئ ٢٧٧

نزهة الرفاق عن شرح حال الاسواق

(بدمشق)

ليوسف بن عبد الهادي المعروف بابن المبرّد

لا نعلم كتاباً واحداً جُمعت فيه اوصاف مصانع دمشق وخِطَطها بين دور . وقصور . وابواب . واسوار . وقلاع . واسواق . وسُويقات . وازقّة . ومحلّات . ورحبات . وحارات . ودروب . وقياسر . ودهشات . وخانات . وبيمارستانات . ومدافن . ومزارات . ومتنزهات وجنائن . وبساتين . وحانات . وحمامات . وانهار . وعيون . وقنيّ . وجسور . على نمط الكتب الموضوعة في تعداد جوامعها . ومساجدها . وتاريخ مدارسها . وزواياها . ورُبطها . وخوانقها . وتُرَبها . نظير كتاب ثمار المقاصد في ذكر المساجد ليوسف بن عبد الهادي . والفصول المعقودة في الغرض نفسه في كتابَي تاريخ ابن عساكر . والاعلاق الخطيرة لابن شداد . وكتاب تنبيه الطالب وارشاد الدارس لمحيي الدين النعيمي . ومختصره لعبد الباسط العلموي . ومما يُتحسّر على فقده في هذا الباب مخطوط شهاب الدين احمد بن حجّي الدمشقي المسمّى « الدارس من اخبار المدارس » يذكر فيه ترجمة الواقف وما شرطه . وتراجم من درس بالمدرسة الى آخر وقت[1] . وقد مُنيت دمشق بقلة اهتمام علمائها وكتابها بتقييد اخبارها وتخليد آثارها . ولا سيما في العصر الحاضر . وبينما نرى لحلب مثلاً بضعة مصنفات في وصف مبانيها وخِططها . وتدوين وقائعها وسِيَر من تعاقب عليها او نشأ فيها من الملوك والولاة والاعيان والفضلاء كمؤلفات ابن ابي طي ، وابن العديم ، والعظيمي ، وابن خطيب الناصرية ، وموفق الدين ابي ذرّ ، ورضي الدين بن الحنبلي قديماً ، وكنهر الذهب ، واعلام النبلاء حديثاً ، لا نجد لاهل دمشق ، وعندهم المجمع العلمي العربي ، ما يوازي هذه المخطوطات والمطبوعات . وقد مضى على لجنة المجمع ردح من

١) شذرات الذهب لابن العماد ٧ : ٦١٧

الدهر وهي تنظر في تحقيق كتاب تنبيه الطالب للنعيمي وتدرس نقوله وفصوله وأعلامه . دون ان توفق لنشر صفحة واحدة منه او من مختصره للعلموي ، على ما فيها من الثناء لتعريف جانب من معالم دمشق .

ولو شاء احد ادباء الفيحاء ان يتفرغ لتتبع اسماء محلات مدينته وحاراتها . ودروبها . واسواقها . وقياسرها مثلاً . منذ دخول العرب اليها الى الزمن الحاضر لامكنه وجود جانب منها غير قليل في كتب التاريخ والاخبار المختصة بحاضرة الامويين ، وعلى الخصوص في وَفَيات اعيانها . واكثر ما يُعثر عليه منها في تاريخي ابن عساكر وابن شداد ، وبعض اجزاء ونقول للحافظين الدمشقيَّين شمس الدين محمد بن طولون ، ويوسف بن عبد الهادي . فضلاً عن مؤلفات ابي شامة . والذهبي . والبرزالي . وابن كثير . وابن شاكر الكتبي . وابن قاضي شهبة . وشمس الدين محمد بن ابرهيم الجزري . والمحبّي . والغزّي . والمرادي . وغيرهم من الدماشقة . ويحسن ان نأتي بمثال لذلك نستمده من مجلدين صغيرين وقفنا عليهما في زيارتنا خزانة جامعة ليدن سنة ١٩٣٤ من ذيل البرزالي على تاريخ ابي شامة تضمّنا اخبار ووفيات سني ٧٠٩ الى اوائل ٧١٨ للهجرة (١٣٠٩–١٣١٨ م) وقيدنا منهما كل المتون والاشارات التي ورد فيها ذكر بعض خطط دمشق . وجمعنا كل خطة الى مثلها . وهذا سياقها على ترتيب السنين :

المحلات

« سنة ٧١٣ (١٣١٣ م) في ٨ شوال توفي الشيخ الصالح المقري محمد بن احمد بن ظاهر البالسي بمحلة السبعة . ظاهر دمشق (Arab. 1700 (a) f° 296)

« سنة ٧١٥ (١٣١٥ م) في ٢٢ شهر ربيع الآخر توفي الامير الكبير ركن الدين بيبرس الحسامي المنصوري ويعرف بالمجنون . . . سكنه بالزلاقة داخل الباب الصغير (ibid. f° 405)

« سنة ٧١٨ (١٣١٨ م) في شهر شعبان كمل عمارة الجامع الذي امر نائب السلطنة بالشام المحروس سيف الدين تنكز ببنيانه . وهو ظاهر دمشق خارج باب النصر في طريق القصر ومقابر الصوفية بالقرب من حكر السماق . وانفق فيه اموالاً كثيرة . وأقيمت فيه الجمعة يوم العاشر من شعبان (Arab. 1700 (b) f° 193) .

« ٧١٨ (١٣١٨ م) في شهر شعبان كمل عمارة الجامع الذي اذن القاضي كريم الدين وكيل السلطان أعزّ الله انصاره . في بنيانه من ماله بالقبيبات في آخر ميدان الحصى قبلي دمشق . وأقيمت فيه الجمعة في سابع عشر شعبان . (Arab. 1700 (b) f°198)

الحارات

« سنة ٧١٠ (١٣١٠ م) في ٣ رجب توفي الشيخ الصالح المقري ابو عمرو عثمان بن عبدالله الحمصي بحارة الخاطب. (Arab. 1700 (a) f° 99)

الدروب

« سنة ٧٠٩ (١٣٠٩ م) في ٢٧ ربيع الآخر توفي الامير شرف الدين قيران المنصوري بدمشق بدرب تايد. (Arab. 1700 (a) f° 10)

«سنة ٧١٣ (١٣١٣م) في ٤ المحرم توفي الشيخ . . . عفيف الدين ابو الفضائل عبد الخالق ابن الفارغ الحموي الشافعي بداره بدرب العجم بدمشق . (Arab. 1700 (a) 194-195)

« سنة ٧١٢ (١٣١٢م) في ٦ ربيع الآخر توفي الشيخ . . . الاديب الصدر شهاب الدين ابو العباس احمد . . . بن البعلبكي بداره بدرب البغل . . . وكان تاجرًا بالخواصين. ثم ترك ذلك (Arab. 1700 (a) f° 210)

«سنة ٧١٤ (١٣١٤م) في ٩ شعبان توفي جمال الدين الديني الجندي. ودفن بسفح قاسيون. وكان رجلًا جيدًا يسكن درب الدولية. (Arab. 1700 (a) f°351)

« سنة ٧١٤ (١٣١٤ م) في ٥ ذي الحجة توفي الشيخ الاجل بدر الدين ابرهيم بن عمر بن هشام المعروف بالصابوني الساكن بدرب السلسلة. وكان تاجرًا بسوق الزيادة (Arab.1700 (a) f° 375)

« سنة ٧١٤ (١٣١٤ م) في ٢٧ شعبان توفي الشيخ الصالح العابد شهاب الدين ابو العباس احمد . . . بن عبادة الانصاري الخزرجي المعروف بالزجاج الصابوني بدمشق . . . وكان يسكن بدرب الفرّاش. (Arab. 1700 (a) f° 350)

« سنة ٧١٤ (١٣١٤ م) في ذي القعدة توفي الحاج علي بن عبد الخالق بن منهال الدمشقي المعروف بابن الشاريش . . . كان يسكن بدرب الناصح داخل باب شرقي . (Arab. 1700 (b) f° 352)

« سنة ٧١٦ (١٣١٦ م) في ١٧ رمضان توفي الشيخ الصالح المقري ناصر الدين محمد . . . بن ابي بكر الخلاطي امام مسجد ابن القطينة بدرب الدعوة (Arab. 1700 (b) f°45)

الاسواق

« سنة ٧٠٩ (١٣٠٩ م) المحرم توفي فيه علي بن جعفر بن علي بن اسمعيل المؤذن الحلبي ثم الدمشقي. مؤذن مسجد الدركاه بالقلعة . . . كان له حانوت بسوق الفقرا . (Arab. 1700 (a) f°1)

« سنة ٧٠٩ (١٣٠٩ م) في ليلة الثلثا سلخ جمادى الاولى توفي الشيخ محمود بن منصور

بن محمود الديتوري الاصل ثم الصالحي الفامي بسوق الصالحية المعروف بالدخي. ودفن من الند بسفح قاسيون. (Arab. 1700 (a) f° 19)

« سنة ٧١٠ (١٣١٠ م) في ١٥ شوال توفي ناصر الدين محمد التاجر بسوق الزيادة الى جانب باب الجامع (Arab. 1700 (a) f° 114)

« سنة ٧١٤ (١٣١٤ م) في ١٢ شعبان توفي الشيخ الصالح الحاج ابرهيم بن سلامة المعروف بابن الحراني التاجر بسوق البطاين (Arab. 1700 (a) f° 352)

« سنة ٧١٦ (١٣١٦ م) في ٢٨ ذي القعدة توفي فتح الدين ابو بكر . . . بن فلاح بن خاتم الجذامي الاسكندري . . . كان فقيهاً بالشامية. تركها وصار خطيباً بجامع التل وخطب بالمسجد المجاور للزاوية . . . بسوق خان السلطان ظاهر باب الجابية (Arab. 1700 (a) f° 453)

« سنة ٧١٦ (١٣١٦ م) في ٢٨ شعبان توفي الشيخ الاجل سيف الدين ابو بكر قيصر بن ابي الهيجاء بن خالد العطار بالسوق الكبير المعروف بابن البيروتي . ودفن بسفح جبل قاسيون (Arab. 1700 (b) f° 40)

القيسر

« سنة ٧١٥ (١٣١٥ م) في شهر رمضان كملت عمارة القيسارية الملقبة بالدهشة والسوق المجاور لها جوار اللبادين والورّاقين وسكن في ذلك التجار (Arab. 1700 (a) f° 429) »

وقد سبق لنا نشر « حارات دمشق القديمة » لابن طولون . و« الإعانات على معرفة الخانات » ليوسف بن عبد الهادي[1] . وله ايضاً « عدة الملمّات في تعداد الحمامات » سننقلها قريباً. وعندنا في مجموع له بخطه جزء صغير يناهز ١٥ صفحة دعاه « نزهة الرفاق عن شرح حال الاسواق ». وسرد فيه خصوصاً المواضع التي كانت تباع فيها الامتعة والمصنوعات والبضائع والاغذية والاشربة في زمانه . دون استقصاء في استيفاء اسماء الاسواق عموماً ، لانه فاته منها غير واحد ، كما يُتحقَّق ذلك من سقوط طائفة منها قديمة كانت لا شك باقية في عهده. ومن ثم لا بد للمؤرخ اليوم من إعادة البحث والتنقيب لاستقراء الاسواق القديمة والحديثة بين دائر وحاضر . وهذا نص كلامه بلفظه ورسمه وعاميته احياناً وغلط رقمه وعدّه :

---

١) الخزانة الشرقية (المشرق ١٩٣٧ ، ص ٢٣-٢٥ ؛ و١٩٣٨ ص ٦٦-٧٠)

« بسم الله الرحمن الرحيم وهو حسبي

الحمد لله رب العالمين. وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين . وسيد المرسلين. وعلى آله وصحبه اجمعين

وبعد فهذه نبذة يسيرة فيها ذكر اسواق دمشق وما يتعلق بها وما يباع فيها . والله اسأل ان ينفعني بذلك وهو حسبنا ونعم الوكيل

في تعداد اسواق دمشق وما يتعلق بها وما تنسب اليه

فمنها ما ينسب الى ما يباع فيه. ومنها ما ينسب الى محلتو
ومنها ما ينسب الى واضعه. وهي اسواق كثيرة.

الاول منها — سوق الذراع خلف جامع الاموي . من جهة القبلة . يباع فيه البز من الحرير والكتان والثياب الرفيعة النفيسة.

الثاني — سوق الذهبيين شرقي سوق الذراع . يباع فيه الذهب المرقوق . وما يتعلق بذلك.

الثالث — سوق الدهشة شرقي جامع الاموي . يباع فيه آلات النسا من الثياب النفيسة وغيرها من لباسهن.

الرابع — سوق الحرير عند باب الجامع القبلي . يباع فيه الحرير.

الخامس — سوق العنبرانيين عند باب الجامع القبلي. يعمل فيه العنبر ويباع فيه.

السادس — سوق الرسامين بين سوق العنبرانيين وبين السراميجيين.

السابع — سوق السراميجيين غربي الجامع عند البيمارستان العتيق.

الثامن — سوق الكوافيين تعمل فيه الكُوَف(١) وتباع عند باب البريد.

التاسع — سوق الطيبيين في باب البريد.

العاشر — سوق الورّاقين في باب البريد.

الحادي عشر — سوق الكتبيين في باب البريد.

الثاني عشر — سوق الزرابليين لهم سوقان. سوق بالرصيف بباب البريد. وسوق بالعُقَيبة.

الثالث عشر — سوق الأخفافيين في راس الرصيف.

الرابع عشر — سوق السلاح قبلي الجامع . يباع فيه ساير السلاح.

الخامس عشر — سوق السيوريين تحت العنبرانيين تعمل فيه السيور وتباع.

السادس عشر — الصاغة وهما صاغتان . الجوانية يباع فيها اللولو والجوهر ونحو ذلك. والبرانية يعمل فيها الخواتم والاساور وغير ذلك مما يباع.

---

١) يريد بالكُوَف جمع كوفية وهي المعروفة اليوم عند العامة بالكفية. وقد سميت هذه السوق فيما بعد بالقواقين غلطاً فيما يظهر. وكانت تباع فيها الاحذية العربية (الروضة الغنّاء. لنعمان قساطلي ، ص ٦٨)

السابع عشر	سوق البزوريين تحت سوق السلاح . يباع فيه العطر والابازير ونحو ذلك .
الثامن عشر	سوق الدهينيين بين سوق السلاح والبزوريين . يعمل فيه سائر الادهان من دهن اللوز وغيره ويباع .
التاسع عشر	سوق العُبيّين تحت سوق البزوريين . ولهم سوقان . كل مدة يبطل واحد منها وينتقلون الى الآخر .
العشرون	سوق الخريزاتيين ولهم سوقان . احدهما في باب البريد . والثاني تحت سوق البزوريين .
الحادي والعشرون	سوق الحبّاكين ولهم سوقان احدهما بباب البريد . والثاني عند باب الجامع الشرقي .
الثاني والعشرون	سوق الطوّاقيّين خلف سوق البزوريين من جهة الغرب .
الثالث والعشرون	سوق سكّريّين تحت سوق البزوريين . يباع فيه السكّر .
الرابع والعشرون	سوق الأقباعيّين تحت سوق الطواقيين . يباع فيه اقباع الفلاحين والبدو .
الخامس والعشرون	سوق المقاعديين تحت سوق الطواقيين
السادس والعشرون	سوق الجوخيين يباع فيه الجوخ عند التكّة .
السابع والعشرون	سوق الفرّابين عند سوق الجوخيين . هذا سوق الفرا النفيسة .
الثامن والعشرون	سوق الفرّابين الفرا الحمر . عند سوق البزّ الذي يقال له سوق قيلة .
التاسع والعشرون	سوق الجوار والرقيق يباعون في التكّة في يوم الاثنين والخميس .
الثلاثون	سوق جقمق غربي التكة . يباع فيه الثياب والبز . ما دون ما يباع بسوق الذراع . ونسبته الى بانيه .
الحادي والثلاثون	سوق القطّانين تحت سوق جقمق . يباع فيه القطن .
الثاني والثلاثون	سوق النجّادين لنجادة (الفرش) غربي سوق القطن وسوق جقمق .
الثالث والثلاثون	سوق القضمانيين يعمل فيه القضامة .
الرابع والثلاثون	سوق الصابون غربي القضمانيين .
الخامس والثلاثون	سوق الحبّالين في باب الجابية .
السادس والثلاثون	سوق باب الجابية وهو يحتوي على دكاكين مختلفة المبيع .
السابع والثلاثون	سوق الزهوريين وليس لهم سوق مخصوص . بل عند كل باب من ابواب المدينة دكان لواحد .
الثامن والثلاثون	سوق الموبّاتيّة(١ في باب الجابية . وفي النقلية .

١) معلوم ان اهل الشام يسمون الماء « ميّة وموية وميّ » . والاصل فيها مُوَيهة بالتصغير . ومن الغريب ان يكون بدمشق سوق تباع فيها المياه على كثرتها وتفرقها في المنازل

التاسع والثلاثون	الشراباتية وهم ايضاً متفرقون في باب الجابية . وجسر الزلابية . ومسجد القصب . وباب الفراديس .
الاربعون	الحُبوبيّة بباب الجابية .
الحادي والاربعون	البراذعية لهم سوقان . سوق بباب الجابية . وسوق بباب الفرج .
الثاني والاربعون	سوق القمح عرصات بميدان الحصى وما والاه .
الثالث والاربعون	سوق عند جامع كريم الدين بالقُبَيبات .
الرابع والاربعون	سوق عند باب المصلّى .
الخامس والاربعون	سوق شمالي المصلّى .
السادس والاربعون	سوق باب الريحة .
الثامن والاربعون (كذا)	سوق خان السلطان .
التاسع والاربعون	سوق المكاكيكيّة شرقي خان السلطان .
الخمسون	سوق الأمشاطية الذين يصنعون امشاط التعجيل . عند الخريزاتية .
الحادي والخمسون	سوق الامشاطية الذين يصنعون امشاط الحياكة . شرقي خان السلطان الذي يقال له خان بن العسّال .
الثاني والخمسون	سوق الحدّادين لهم سوقان . الاول بباب الجابية . والثاني بالشاغور .
الثالث والخمسون	سوق النجارين وصنايعهم مختلفة . نجاري آلة الحرث بباب الصغير . وبالسبعة . ونجاري السكاكر والمفاتيح فوق سوق البيارمشان .
الرابع والخمسون	سوق باب الصغير
الخامس والخمسون	سوق الدقاقين الذين يبيعون الدقيق بباب الجابية .
السادس والخمسون	سوق الدقاقين الذين يدقون الثياب . ولهم سوقان . احدهما عند باب الخضرا . والثاني عند سوق العي .
السابع والخمسون	سوق المراطين لهم سوقان . احدهما قبلي دار السعادة . والثاني عند القشاشين .
الثامن والخمسون	سوق الأخصاصيّين الذين يصنعون الاخصاص والاقفاص ونحو ذلك . غربي دار السعادة .
التاسع والخمسون	سوق الدفوفيّين والطنابير عند سوق الاخصاصيين .
الستون	سوق الحوى عند باب دار السعادة . يباع فيه آلة الخيل .
الحادي والستون	سوق السروجيين غربي القلعة . تباع فيه السروج وآلة الخيل ايضاً .
الثاني والستون	الحدرة غربي القلعة يباع عليها الزبيب ونحو ذلك .
الثالث والستون	سوق القرّبيين بالحدرة . يصنعون القرب . والدلا . ونحو ذلك .
الرابع والستون	سوق الدجاجيين عند باب الجابية . وبالحدرة .

والدور والسُبُل والحياض المباحة للواردين . ولعل المياه التي كانت تباع في هذه السوق هي مياه الورد والزهر واشباهها . او انه يريد بالموبانية السقّائين وهو الارجح .

الخامس والستون	سوق جسر الزلاية شمالي القلعة الى الغرب .
السادس والستون	سوق النحاسين بباب الجابية . وثم منهم متفرقون بكل سوق .
السابع والستون	سوق السكاكينيين داخل سوق جسر الزلاية .
الثامن والستون	سوق النحاسين لهم سوقان . احدهما يباع فيه النحاس تحت القلعة . والثاني يصنع فيه بباب الفراديس .
التاسع والستون	سوق السقطية(١) لهم سوقان . احدهما في النحاسين تحت القلعة . والثاني في فضا تحت القلعة .
السبعون	سوق المسامرية لهم سوقان . احدهما تحت القلعة . والثاني في المُلَيبة .
الحادي والسبعون	سوق تحت القلعة جميعه .
الثاني والسبعون	سوق الخيل تحت القلعة في بكرة كل يوم .
الثالث والسبعون	سوق الحمير تحت القلعة في بكرة كل يوم .
الرابع والسبعون	سوق الجمال يوم الجمعة تحت القلعة .
الخامس والسبعون	سوق البقر يوم الجمعة تحت القلعة .
السادس والسبعون	سوق الفاكهة في راس تحت القلعة . وبدار البطيخ كل يوم .
السابع والسبعون	سوق الحطب تحت القلعة .
الثامن والسبعون	سوق البيمارستان وسوق برّا وسوق تُميلة — الثلاثة اسماء لسوق واحد تحت القلعة . تباع فيه المثلفان
التاسع والثمانون	(كذا) سوق صاروجا فوق تحت القلعة .
التسعون	سوق العدول تحت القلعة .
الحادي والتسعون	سوق الذراع تحت القلعة . يباع فيه القماش الذي هو دون ما يباع بسوق جفسق .
الثاني والتسعون	سوق القصّلات في راس سوق برّا .
الثالث والتسعون	سوق الخياطين في راس سوق برا
الرابع والتسعون	سوق الرحال لآلة الجمال وما يتعلق بها على جسر الحديد تحت القلعة .
الخامس والتسعون	سوق السلبية في راس سوق الرحال .
السادس والتسعون	سوق القشّاشية تحت القلعة .
السابع والتسعون	سوق المدهون تحت القلعة .
الثامن والتسعون	سوق الحصر في راس سوق المدهون .
التاسع والتسعون	سوق النشّارين في راس سوق الحصر .
المائة	سوق الفاخورية في راس تحت القلعة .
الحادي بعد المائة	سوق النقلية في راس تحت القلعة .

١) السقطي . بائع السقط اي ردي المتاع

الثاني بعد المائة سوق الشيخي تباع فيه الخلقان الحسنة التي هي اعلى مما يباع بسوق برا .
الثالث بعد المائة سوق الذراع بالتقلية
الرابع بعد المائة سوق الخضرية يباع فيه البقل باب الفرج.
الخامس بعد المائة سوق الشماعين باب الفرج.
السادس بعد المائة سوق الغرابلية باب الفرج.
السابع بعد المائة سوق المناخلية باب الفرج.
الثامن بعد المائة سوق الحلاوة الصابونية باب الفرج.
التاسع بعد المائة سوق القزازين باب الفرج.
العاشر بعد المائة سوق التواسيم باب الفرج.
الحادي عشر بعد المائة سوق سراميج الرجال داخل باب الفرج.
الثاني عشر بعد المائة سوق البقساطية تحت القلعة.
الثالث عشر بعد المائة سوق المجلدين للكتب عند باب البريد.
الرابع عشر بعد المائة سوق الازرار باب البريد.
الخامس عشر بعد المائة سوق الكتان باب البريد.
السادس عشر بعد المائة سوق الابادين باب الفرج. ولهم سوق آخر غربي البزوريين.
السابع عشر بعد المائة سوق الحلوانيين عند جامع السلطان.
الثامن عشر بعد المائة سوق العمارة
التاسع عشر بعد المائة سوق العلبية باب الفراديس.
العشرون بعد المائة سوق الأُدُميّة والحور(١) باب الفراديس.
الحادي والعشرون بعد المائة سوق الهواونية باب الفراديس.
الثاني والعشرون « سوق داخل باب الفراديس.
الثالث والعشرون « سوق مزيلي الاثار داخل باب الفراديس.
الرابع والعشرون « سوق القباقبية شمالي الجامع داخل باب الفراديس.
الخامس والعشرون « سوق قناة العوني
السادس والعشرون « سوق مسجد القصب
السابع والعشرون « سوق السبعة
الثامن والعشرون « سوق العنّابة
التاسع والعشرون « سوق باب شرقي

---

١) الأُدُميّة هم باعة الأَدم اي الجلد المدبوغ ويجمع على أُدُم . والحور جلد احمر من جلود الضان واصله حُوَّر الواحدة حورة . والعامة تسكّن الواو وتطلقه على كل الجلود الرقيقة .

الثلاثون بعد المائة سوق القيشاني بباب شرقي.
الحادي والثلاثون « سوق باب توما
الثاني والثلاثون « سوق البياطرة وليس لهم مكان بل هم مفرقون في ساير البلد . وجلّهم قرب القلعة.
الثالث والثلاثون « سوق الطباخين وهم مفرّقون.
الرابع والثلاثون « سوق السرايجية وهم مفرّقون وجلّهم قرب القلعة.
الخامس والثلاثون « القُفّاعيّة(١ وهم مفرقون وجلّهم بباب الجابية.
السادس والثلاثون « الاقساوية(٢ وهم مفرقون وجلّهم تحت القلعة.
السابع والثلاثون « الصوبجاتية والصاجاتية وهم مفرقون وجلّهم تحت القلعة.
الثامن والثلاثون « التورية وهم مفرقون وجلّهم بجسر الزلاية الى باب الجابية.
التاسع والثلاثون « دكّان الطيور بباب الصغير يباع فيها الصيد من الطيور.
الاربعون « سوق حكر السمّاق
الحادي والاربعون « سوق الربوة
الثاني والاربعون « سوق الجسر بالصالحية.
الثالث والاربعون « سوق شعيب بالصالحية.
الرابع والاربعون « سوق الشركسية
الخامس والاربعون « سوق القطانين بالصالحية.
السادس والاربعون « سوق الفاكهة بالصالحية.
السابع والاربعون « سوق التحتاني بالصالحية.
الثامن والاربعون « سويقة القاضي بالمدينة.
التاسع والاربعون « سوق البنادقية يوم الجمعة في راس سوق السلاح.
الخمسون « المحابرية . كان لهم سوقان . احدهما عند الاخصاصيّين ثم بطل. والثاني في القشّاشين وهو الى الآن.

هذا ما نعرفه من اسواق دمشق . والحمد لله وحده . وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

وفرغ منه يوسف بن حسن بن عبد الهادي يوم الاثنين من آخر شهر جمادى الاولى سنة ثلث وثمانين وثمان ماية (١٤٧٨ م) والحمد لله وحده . وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم . »

---

١) القفاع شراب يتخذ من الحبوب والثمار.

٢) قال الخفاجي : أقساسا بفتح الهمزة وسكون القاف وكسر السين . نقيع الزبيب معروف هذا الاسم . واظنه معرب ابسا . عربه المولدون . (شفاء الغليل ص ١٦) والصحيح انه معرب عن الرومية [illegible] وهو في الاصل شراب يتخذ من مزيج العسل والخل والماء.

واذا اسقطنا من هذه المئة والخمسين سوقاً غلط الزيادتين سهواً في العدّ ، تكون في الواقع جملة الاسواق بدمشق في القرن التاسع للهجرة ، اي الخامس عشر للمسيح ، مئة وتسعة وثلاثين سوقاً فقط بحسب رواية ابن المبرّد . وقد اسلفنا القول انه اغفل دون ريب جانباً من الاسواق القديمة . ومن مراجعة ما اقتبسناه من مجلّدي البرزالي آنفاً . نجد خمسة اسواق لا ذكر لها في « نزهة الرُّفاق » . وهي سوق الفقرا — اذا لم يكن هذا الاسم تحريف سوق الفرا — وسوق الصالحية المعروف بالدخي . وسوق الزيادة . وسوق البطاين . والسوق الكبير المعروف بابن البيروتي . فما الظن بغيرها من الاسواق المتفرقة في كتب التراجم والتواريخ الدمشقية . وانما كانت غاية ابن المبرد خصوصاً تعداد كل ما كان يُصنع او يرتفع في عهده للتجارة والمبيع في محلات المدينة وارباضها . دون المبالاة بضبط اسماء هذه المواضع قديماً والتنبيه على ما تحوّل او زال منها . ولذلك عدَّ من الاسواق « دكان الطيور » التي يباع فيها الصيد في الباب الصغير . ولعله نسي ايضاً بعض ما كان معروفاً في ايامه . لأنه لم يتتبع اسماء الاسواق بحصرها محلة محلة في المدينة او استيفائها باباً باباً بحيث لا يفوته شيء منها . ولكنه عوّل على حافظته في سردها وتقييدها . فربما اخطأ بعضاً منها في الموضع الواحد ثم عاد اليها من اقصى البلدة واتمّها ، كما فعل في إحصائه اسواق باب البريد فانه عدّ منها اولاً سوق الطيبيّين ، والورّاقين ، والكتبيّين ، ثم بلغ باب الفرج فاورد ، بعد اسواقه ، سوق المجلّدين ، وسوق الازرار ، وسوق الكتان ، بباب البريد . وانما كان الاجدر به ذكرها قبلاً في موضعها في غضون كلامه على الباب المذكور كما لا يخفى . ومع ذلك فلا يسعنا الا الثناء على ابن المبرّد لإدراكه فائدة مثل هذه القيود والاحصاءات الممتعة في تاريخ وطنه . ومن الشقاء ان لا يكون اقتدى به غير واحد من تلامذته فيما نعلم عدا ابن طولون الصالحي .

اخبار حلب وحوادثها

من السنة ١٨٥٥ الى السنة ١٨٦٥

اخذًا عن يومية المعلّم نعوم البخّاش

المخطوطة الوحيدة ، نشرها وعلق عليها

الاب فرديان نوتل اليسوعي ٦

— الخميس صيروا فابور[1] يسع خمسة عند جبل النهر واحد جبلي[2] وعمّال يدور فيه ويقدف بالنهر وفيه الركاب . وكملت الترابيه للمكاري ٦٣٧ غرش وعطوا قرار بنت الصاجاتي كتر لابن سابا ولبس مطران الروم خاتم الى سيود بنت سكياس الى انطون شعراوي والمذكور تلميذي ومات نصرالله ديب الله يرحمه . وليت باقة بنفسج .

[١٠٥٢] الاحد الساعة ٦ ركبنا بالفابور وقطعنا جبل النهر — والاثنين كان مطر وافر ورعد واكثره وقع بعيد [عن البلدة] والجمعة قبرو نعوم زخريا روم .

— والسبت ، في ٢٢ اذار غربي ١٨٦٢ ، في ٢٢ رمضان ١٢٧٨

— والاثنين انربط[3] من خوري جرجس قس يوسف صباغ — والاربعا حلد وقدس وعرّف .

[١٠٥٢] الجمعة دعوة حنه وقس باسيليوس شعراوي روم والكسيون[4]

١) فابور ! واي فابور لنطع « اوقيانوس النويق » ايام وفرة المياه في نهر حلب كان احدهم يترّل فيه عند الناعورة شحنورة او زورق وبقليل من الدرجات يقطع الناس الى « جبل النهر » .

٢) واحد جبلي اي رجل لبناني

٣) الرباط عبارة عن تأديب به يربط الكنائسي عن التصرف في الوظيفة او الجبل الكنسي او عن كليهما معاً (راجع غوري — حبيب — حرفوش مختصر اللاهوت الادبي ٣، ٥٧٤)

٤) دعوة الكسيون . لم اوفق الى حلّ لغزها . — جاء ذكر الياس جرجس بن انطون شعراوي في ١١ ت٢ ١٨٢١ في لائحة ر ك م (الروم الكاثوليك المعمدين عند الموارنة) وكان المعمد المطران جرمانوس حوّا .

وخطب نصري كبابه لبنت نعوم تابت والمذكوره كانت بالمكتب مع اخوهـا جرجي والاسلام مزربنين شوي .

– السبت ، في ٢٩ اذار ١٨٦٢ ، في ٢٩ رمضان ١٢٧٨

واولها مراة الناس ضاهر صار لها ما شرها[1] وانفصدت فصاده ٢ الحمد لله كيفها احسن ومراة رزق‌الله سوكياس كذلك وصار سمر للاولاد مثل حمره ويقولوا حماوة دم ـــ والاثنين وصلني من عبدالله باسيل ٤٣٩ فلوريني ٣٧ صاغ ٣٤ عتيق .

[١٠٦'] ـــ الاثنين عيد الاسلام رمضان .

– السبت ، في ٥ نيسان ١٨٦٢ ، في ٧ شوال ١٢٧٨

وبيت كوبا عمّل يعتروا فوق الليوان مربع[2] جديد ومراة يوسف مشحور جابت صبي واجا مخايل باسيل من بيروت من بعد ما تزوج وحده بلا مداما[3] وخوري جرجس ما عمال يقف على القرض[4] .

[١٠٦'] ـــ السبت اجوا الحجاج من الاسلام كثيرين .

في ١٢ نيسان ١٨٦٢ ، في ١٢ شوال ١٢٧٨

[١٠٦'] ـــ اولها كبسنا النبيت وبديوا بالديوان عجوري وشوكتلي ـــ الخميس [رتبة] غسول وهوا ومطر ـــ والجمعة كذلك مطر وافر وقداس رشوم[5] خوسو ومطر مزاريب[6] وبعد الظهر كز ودفنه وصلاة المساء .

– السبت ، في ١٩ نيسان ١٨٦٢ ، في ٢٠ شوال ١٢٧٨

واجا سوكياس من انطاكية وغزال[7] .

---

١) ماشرها مرض من امراض الجلد Erésipèle

٢) المربّع هو غرفة عالية

٣) بلا مداما اي بلا امرأته

٤) القرض او الصلاة الكنائسية في المورروس – ولم يقف عليه الخوري جرجس كسائر الكهنة لانه انتخب اسقفاً

٥) قداس رشوم خوسو اي سابق تقديسه

٦) مطر مزاريب اي ماؤه وافر يندفع كما يندفع الماء من المزاريب

٧) لما حدثت مذبحة الروم الكاثوليك في حلب سنة ١٨١٨ ونفي كهنة الروم الكاثوليك صارت الرعية تطلب المعمودية من كهنة الموارنة ، وحفظ سجل المعمودية الماروني اسماء من تعمدوا من الروم الكاثوليك من سنة ١٨١٩ الى السنة ١٨٣٤ فاطلعنا عليها واحصينا منها عدد

[١٠٧[1]]

– الاحد ، عيد الكبير سوا في ٢٠ نيسان ١٨٦٢ في ٢١ شوال ١٢٧٨

[١٠٧[2]]

– السبت ، في ٢٦ نيسان ١٨٦٢ ، في ٢٧ شوال ١٢٧٨.

– السبت ، في ٣ ايار سنة ١٨٦٢ ، في ٥ ذي القعدة ١٢٧٨

ـــ الجمعة جينه رطل ٥ سمر ٨ وسافر الخوري جرجس ودّعوه الى حيلان . وقعد عندنا بتراكي بن نصري حجه اخوه معايه بالمكتب عندي .

[١٠٧[3]] ـــ السبت من بكرا مطر وافر .

في ١٠ ايار ١٨٦٢ في ١٢ ذي القعدة ١٢٧٨

واخذنا زيت حلو كلزي غرش ٧٣٧ .

[١٠٨[1]]

– السبت ، في ١٧ ايار ١٨٦٢ ، في ١٩ ذي القعدة ١٢٧٨

[١٠٨[2]] ـــ الاحد اولها رحت الى بيت البليط للتفشه ورجعت الساعة ١ تعشيت بالبيت ورحت للعرس بيت البليط .

– السبت ، في ٢٤ ايار ١٨٦٢ ، في ٢٦ ذي القعدة ١٢٧٨

وسافر عجوري حبيب وفتح الله وكيل وابن الاسود وابن التاجر[1] وغيرهم الى البلاد واسلامبول .

[١٠٨[3]] ـــ الاحد اولها ارتسم خوري جرجس شلحد مطران على حلب رسام البطريرك انطون سمحيري[2] والسرياني الكاثوليكي بماردين .

اطفال الاسر المذكورة على ما يزاهي ٤ سنوات مما افادنا معرفة اهمية الاسرة لان الاسرة التي تعد لها ٤ او ٦ اطفال في غضون سنوات قلائل كانت ولا بد وافرة العدد . واشرنا بالاحرف ر ك م الى السجل المذكورة فيه اسماء « الروم الكاثوليك المعمدين عند الموارنة » . – وورد اسم غزال في ر ك م اربع مرات نخص بالذكر نصرالله انطانيوس بن مخائيل غزال المعمَّد في ٧ اذار ١٨٣٤ وكان المعمِّد القس الياس راجي .

١) ذكر في ر ك م عبدالله انطون فيلبوس تاجر وكان الاشبين اخاه والمعمد القس يوسف عيديتي .

٢) راجع ترجمته في المشرق ، ١٩١٤ ، عدد حزيران . ان السيد انطون سمحيري السرياني ، بعد ان اهتدى الى الكثلكة جاوب على مكتوب البطريرك جرجس سيار (١٨٣٦) اليعقوبي وكان يسأله ان يرجع عما صنع ويتهدده بالقصاص الصارم فقال : « اني بعد ما عرفت

ـــ الاثنين بدي يكتب ابن الياس بليط والجمعة ربطنا زوج الوضيحي قالوا خوف[1] قلناها المسلميه

– والسبت ، في ٣١ ايار سنة ٦٢ في ٣ ذي الحجة ٧٨

واستوت عندنا الانكي‌دنيا . للحارث اعطيت ٢٤ .

[١٠٩١] ـــ الاحد هوا وجراد كثير ـــ الاثنين بدي الجراد يدخل عندنا شي بكثره ـــ الثلاثا اجا شكرالله كوبا سموه روفائيل من بيروت وكان عندهم الظلاغيط[2] والجراد متواصل بكثره وختم [علمه] وطلع دير اروتين بطرس .

– السبت ، في ٧ حزيران ١٨٦٢ ، في ١٠ ذي الحجة ١٢٧٨

عيد الله اكبر عند الاسلام .

[١٠٩٢] الثلاثا راح مقدسي فرج‌الله ونعوم حمي يلاقوا المطران جرجس شلحد ـــ الجمعة وصل المطران ونزلوا السبت الساعة ١٠ وصير سهرانه من شانه وذكروا اسمه تيوفيلوس ـــ الجمعه بالعويجي واكلنا مشمش .

– السبت ، في ١٤ حزيران ١٨٦٢ ، في ١٧ ذي الحجة ١٢٧٨

ـــ والخميس مات ابن فرنسيس شوكتلي اميل وقبروه وابن نعوم ارسان ولد توفي وكان عزعه بيت الدلال لمراة نعوم غزاله التي اجت من سفرها .

[١٠٩٣] ـــ اولها نقشة بنت فتح الله باسيل الى نعمة الله خوري وباركت الخميس وسلمت على مطران جرجس شلحت غرش ٥٣ مجيدي ٢ ـــ والسبت كتبت له خاتم فضه اسمه ريس كهنة ـــ واولها ركبت مع خوري وكبابه وثابت وباسيل وعبدالله سالم ورحنا المخاضات على البغل واكلنا مشمش وتوت

وتحققت بكل تأكيد حقيقة الديانة الكاثوليكية لا يمكني الا اعتناقها من حيث ان لي نفساً واحدة فقط فان هلكتْ هلكتُ معها الى الابد . وانا ملتزم ان اطيع الله اكثر من الناس حسب تعليم بطرس هامة الرسل . فان ارادت غبطتك ان تقبل توسلي فاعتنق انت ايضاً الديانة الكاثوليكية التي تشهد انت ذاتك لحقيقتها ولا تخف من الذين يقتلون الجسد . وان رفضت توسلي فعلى خاطرك . اما انا فقد اخترت لي حظاً صالحاً لا يقدر احد ان ينزعه مني الى الابد . والذي تريد ان تصنعه فاصنعه عاجلاً . »

١) قالوا خوف اي هناك مدعاة للخوف لقلة الامن فعدلنا عن الوضيحي الى المسلمية

٢) الظلاغيط اصوات الفرح التي تطلقها النساء برجرجة رؤوس السنتهن في مقدمة الفم كذا : لي لي لي لي . . . »

وموز ونعناع ــ والخميس دورة عيد الجسد ــ والاربعا كتبت السناجق لكنيسة السريان كتابة اربع وقفيات .

– والسبت ، في ٢١ حزيران ١٨٦٢ ، في ٢٨ ذي الحجة ١٢٧٨

والجمعة مات ابن حنه صغير .

[١١٠١] ــ الجمعة صار قتاله مع الياس ازرق[1] وكوبا من تحت راس حوش بيت صادر .

– السبت ، في ٢٨ حزيران ١٨٦٢ ، في ١ محرم ١٢٧٩

ونصبنا الناموسيه[2] بالحوش .

[١١٠٢] ــ الاحد اولها رسم خوارنه مطران جرجس شلحت قس بطرس سالمه وقس بولس صباغ ــ والاثنين بدي يكتب ابن ليان هلال واولاد الشوكتلي طلعوا : باسيل ختم واخوته قعدوا بمدرسة السريان وبكتورين ضاهر راحت لمدرسة البنات الطابدات

– والسبت في ٥ تموز ١٨٦٢ في ٨ محرم ١٢٧٩

اشترينا زيت جره ٨٢٧ فحم ٢٢٧ صابون ١٥

[١١٠٣]

– السبت ، في ١٢ تموز ١٩٨٢ ، في ١٦ محرم ١٢٧٩

وبيت البخاش في كرم البقعه عزموا المطران شلحت وغزاله[3] .

[١١١١] ــ الاثنين كان عرس مخايل سابا[4] الى مريانا بنت الياس حمصي وماء النهر زاد من يوم الاحد والجراد قل شوي .

– السبت ، في ١٩ تموز ١٨٦٢ ، في ٢٢ محرم ١٢٧٩

---

١) أزرق جاء الاسم ٥ مرات في ر ك م منها في ١ ايلول ١٨٢٣ ذكر مريم بنت قسطون ازرق ، عمدها القس الياس راجي وكانت الاشينة عمتها صوفيا .

٢) الناموسية غطاء من القماش المخفف الشفاف الابيض يوضع على السرير فيحمي من النموس او البرغش .

٣) غزالة . ذكر رزق الله بطرس بن فتح الله غزالة في ر ك م في ٧ آب ١٨٢٤ عمده القس يوسف عبديني .

٤) جاء ذكر فتح الله بن يوسف سابا في ١ اذار ١٨٢٣ في ر ك م تعمد على يد القس لويس دمني وكان الاشبين عمه انطون .

وانعزمنا الاربعا لعماد بن حنا خوكاز وجابت صبي مراة نعمة الله حمصي زيزف .
[١١١٢]

– السبت ، في ٢٦ تموز ١٨٦٢ ، في ٢٩ محرم ١٢٧٩

والجمعة اجا وكيل فؤاد باشا الى حلب والقطن للان خالي والرطل ٤٠ .

[١١١٣] ــ الثلاثا اجت بنت الجد من مرسيليا اخت سلمتا بنت كندولف ــ الجمعة وقسع باسيل وكيل من الدرابزون الى الدهليز وانطرقت ذقنه وطلع دم وانصرف وعلقوا له علق بالبيت وصار احسن ان اراد الله .

– السبت ، في ٢ آب ١٨٦٢ ، في ٦ صفر ١٢٧٩

وكتبت ورقة لشكري تاجر ورقه صحيحه ميريه غرش ٢٠

[١١٢١] ــ الاحد اولها قريت وبعده اخوية وبعد الاخوية ركبت مع جبرا بليط ورحنا وجهامي عين التل وطلعت لطاحون جب الافندي واخذت انكليز ٢ وبعده المرجه انكليز ١ وكان عسكر نظام بالعين وبعده راحوا ورجعت للعين واخذت مقدار ٦ وجبرا ٤ وجهامي ٤ ونزلنا وانعزمنا للعشاء بيت الياس خانجي ورحت واخذت الصيده معي واخوتي للعشاء ورجعنا الساعة ٤ مع ابو بطرس واخواتي ــ والثلاثاء رحت صيد التفنكه ضربت بومه وعصفورتين وفيفه (؟) ــ الاربعا التجلي درت عيدت وتغديت ــ والجمعة اجا ابن عمي من السفر ومعه ابنه الذي كان بالدير وماتت مرات الحجار[1] خال بليط الله يرحمها ــ والثلاثا مات الياس كورتلي الله يرحمه .

– والسبت في ٩ آب ١٨٦٢ ، في ١٢ صفر ١٢٧٩

والاثنين رحت عين التل مع نصري بليط ركب جبت موسي [حصلته بعد ان] رميته هناك ــ تنباك من عند صائغ رطل ٢ سعر ٢ .

١) حجار جاء ذكره ٥ مرات في سجل معمودية الطائفة المارونية من ١٦٦٦ الى ١٦٧٢ وفي المرة الاولى كان لما وقفت مريم بنت بشارة الحجار في ٥ ك١ ١٦٦٨ اشبينة لكاترينا ابنة فرحات ابن مطر وكان الاشبين عبد المسيح ابن موسى ابن الراهبة . ولهذه الاسرة ينتسب القس جرمانوس حجار المتوفى في ٢ ك٢ ١٧٧٨ والقس يوسف المتوفى في ٢٧ ك٢ سنة ١٧٩٠ والقس برنردوس حجار الراهب المتوفى فجأة في ١٢ اذار ١٨٣٦ . وجاء ذكر مريم بنت يوسف حجار في ٢٥ حزيران ١٨٢٢ في لائحة الروم الكاثوليك المسددين عد الموارنة – الاشبينة سيدة بنت الياس كرّا الخوابي – المسدد القس شكرالله ابرب .

[١١٢ر] ــ الاحد اولها رحت صبحية القبار وجبت مقدار اوقية ٢ ورجعت الساعة ٤ وقريت واخويه ورحنا عين التل وكان جهامي ورزق الله شمراوي وجبت مقدار اوقية ٢ ــ والاثنين والثلاثا والاربعا بالعويجي واخذت انكليزيات ٢ والجمعة عيد السيدة درت عيدت وركبنا مع جبرا عين التل جبت اوقية ٤ ونزلنا مساء .

– والسبت ، في ١٦ آب ١٨٦٢ ، في ٢٠ صفر ١٢٧٩

والجمعة رحت صبحية التفنكه والسبت ايضاً وكان جبرا .

[١١٢ر] ــ الاحد اولها ونقشة بنت نصري خوري الى مخائيل ناقوز[1] ورسموا عبدالله ابن عمي شماس دياكونوس ورحت صبحيه ضربت اثنين ورجعت س ٧ ٤ قريت وبعده اخويه وبعده اجا عندنا فتح‌الله ابن عمي ولعبنا بالضاما وبعده رحنا مع جبرا عين التل ركبت معه [اصطدت] وقيه ٢ ودرت عيدت التجلي روم ارثودكس ــ والاثنين والثلاثا تفنكه وسافر شدياق انطون لادقاني للجبل قالوا بده يرتم قسيس ــ والاربعاء صيد سمك ــ والخميس تفنكه — والجمعة رحنا بستان مع خواتي وكانوا بيت الالطي بناصير الدينيه ومعهم اناس كثير وانا رجعت وحدي .

– السبت ، في ٢٣ آب ١٨٦٢ ، في ٢٧ صفر ١٢٧٩

وبدي يكتب بن قندلفت السريان وشال وردي دراع ٣/٣٠ جخجور[2] وتوما[3] مرض من اول الجمعة وحواه عنده كركر سيوفي بيته وجاب له تومازيني[4] والحمد لله طاب .

١) ناقوز. ذكر في (ر ك م) عشرة اطفال منهم واولهم الياس بن يوسف ناقوز ٣٠ آب ١٨٢١ – الاشبين عمه – المعمد المطران جرمانوس حوّا .

٢) خجخور تحريف خاشقور من خاش اي (جنس بالفارسية وغور اي جميل بالهندية وهو قماش غالي كانوا يصنعون منه السراويل الفخمة ، (عن الشيخ الترمذي بائع العاديات في حلب)

٣) وفي سجل معمودية الطائفة المارونية في ٢ شباط ١٦٦٨ ذكر عماد ابرهيم مخائيل توما وكان الاشبين توما ابن الحوّا والاشبينة حنة حرمة عبدالمسيح حوّا؛ وذكر الاسم في السجل ذاته مرتين بين سنة ١٦٦٦ و١٦٧٣ وراجع المشرق ٥ : ٣٩٦ : ترجمة نعمة توما الشاعر الحلبي .

٤) تومازيني ذكره بالشاء الرافر ورّي Werry القنصل الانكليزي في ٢٢ تموز سنة

[١١٣'] ــ الاثنين النوريّه قري ١ وملهوف ٢ بالـطل ــ الاربعا تركت الظيون بكور مصري ومـاء رحت رايته مكانه اخذته وانطرفت[1] عيني . ــ والخميس بديت اقطر قطره . . ــ والجمعة مقطوع الرأس نبهوا تذكار وانا سكرت وتغديت فطاري[2] .

– السبت ، في ٣٠ آب سنة ١٨٦٢، في ٤ ربيع الاول ١٢٧٩

[١١٣'] ــ الاربعا سافر انطوناكي كوبا الى البـلاد وراحوا اولاد عده ٤ سريان للجبل ومعهم ابن هدايا وسافر بن سكر وكثيرين راحوا وانطوناكي ضاهر واخوه ارسلوا فرساتهم للجالق[3] .

– السبت ، في ٦ ايلول ٦٢ ، في ١٢ ر ١ ١٢٧٩

ــ والخميس بيت غره جهامي كان نوبه لاخوهـا نعوم والمذكور باع ثلث الحوش كل قيراط بالف ٦ وقبض واشتروا اولاد اخوه فتح الله جهامي المرحوم بالف ٤٨ قيراط ٨ .

[١١٣'] ــ كان نوبه لبيت الوكيل اسلام ــ وشال خشجور وفصلوا طاقة صاجاتي يوم الجمعة .

– السبت ، في ١٣ ايلول ١٨٦٢ ، في ١٩ ربيع الاول ١٢٧٩

وانعزمت من نصري دلال للبستان يوم الاحد ورحنا كلنا للبستان فـاء كان جايه العشاء من بيت المقدسي نعمةالله حمصي طلعوا قوم واخذوا الطناجر ٣ رز ولوبيه بلحمه او فاوله وفراريج مشويه اخذوا الكل وباتوا الجمعيه بلا عشا اكلوا الخبز وجبس .

[١١٤'] ــ راحوا اخواتي عزيمة بستان القبار مع بيت الكبابه . ــ الاثنين بستان الطنبه عزيمه وكان نوبه وناس كثيرين .

١٨٦٨ في وصفه الهواء الاصفر في حلب . كانت الوفيات تطراوح بين ٢٠٠ و٢٥٠ كل يوم وكان الناس يهربون من حلب الى حماة او اللاذقية او بيلان اما تومازيني فكان يتفانى في اسعاف المصابين وكثيرون نالوا الشفاء على يده (وثائق القنصلية)

١) انطرفت عيني اي اصيبت بقذى او بحبة تراب.

٢) تغديت فطاري اي بظفر من دهن او سمن.

٣) الجالق او المرعى في فسحة البرية.

– السبت ، في ٢٠ ايلول ١٨٦٢ ، في ٢٦ ربيع الاول ١٢٧٩

المكاوي قري ١٥ وايضا ١٥ ورصيد الترابيه ٢٣٤ .

[١١٤'] ــ الاحد طلب انطوناكي ادلا بنت العجوري ومسوكره عندهم ــ والخميس انعزمنا كلنا لعرس نعوم صائغ ابن اختي والى نقشه بنت نعوم سالم ــ والاثنين مطر ــ والسبت دفعت حق التنوره غرش ٣٩٩ الى كزه مقصبه .

في ٢٧ ايلول ١٨٦٢ ، في ٣ ربيع الثاني ١٢٧٩

واجا فتح‌الله عبجي من عنتاب .

[١١٤'] ولبس الخاتم اولها انطوناكي ضاهر بنت العجوري والثلاثا عبدالله بردخجي لصوفي دلال والخميس صيد التفنكه وصف الجهاز[1] لبنت السالم غره[2] .

– السبت ، في ٧ ت الاول ١٨٦٢ ، في ١٠ ر ت ١٢٧٩

وتوفي فتح‌الله بردخجي ابو الشباب .

١) صف الجهاز كانوا يدعون اليه الاقارب وتلك الرتبة كانت مرحلة من المراحل المؤدية الى العرس

٢) جاء في سجل اسماء المعمدين من الطائفة الروم الكاثوليك في حلب :

لاونديوس ابن المقدسي ديمتري سالم سيم من المطران كير مكسيموس شماساً انجيلياً له في اليوم التاسع من شهر تموز ١٧٣٢ وجاء في سلسلة الشمامسة والكهنة في الحلقة ٣٧ : الشماس لاونديوس الانجيلي ابن ديمتري سالم سيم من المطران كير مكسيموس قساً له في اليوم الثالث عشر من شهر تشرين الثاني ١٧٣٣

وفي ٨ شباط ١٧٣٦ اعتمد عبدالله جبرائيل سالم وكان الاشبين عمه حنا .

وفي لائحة كهنة الروم الكاثوليك المنفيين في حادثة ١٨١٨ لاضم « تباع الافرنج » جاء ذكر القس حنا سالم (راجع المجلة السورية ص٢١ للقس بولس قرألي – المطبعة السورية بمصر)

وفي ١٧ تموز ١٨٣١ توفي الخوري حنا سالم في حلب وكان الدافن الخوري مخائيل انطاكي وتوفيت مريم بنت جبرا شماس حرمة خوري حنا سالم في ١٩ ت ١ ١٨٣١ وكان الدافن الخوري بطرس التيناوي وكان للخوري حنا ولد اسمه نعمةالله مولود في ١٦ ت٢ ، ١٨١٦ . فنال الولد التعويض الرباني عما قاساه ابوه في سبيل البرّ وذلك انه احرز ثروةً ورزق ١٣ ولداً منهم ستة ذكور و٧ اناث وكلهم تزوّجوا ورزقوا بنين وبنات وتوفي نعمة الله سالم في ١٧ ت١ ١٨٧٢ ونقش على ضريحه هذا الشعر :

قضت نعمة الله العظيم الى السما وظل بها في الارض ذكر ملازم
وقد تركت ذكراً حميداً على الثرى فما مات رب الفضل والذكر سالم

وحضرة الخوري جرجس سالم خادم النفوس حالاً في حلب حفيد نعمةالله حنا سالم .

[١١٥[١]] ــ الاحد رحنا عرس ابن اختي وتغدينا عندهم وجينا العروس وتكلل الساعة ٨٧ وكان نوبة قطرميز[١] ــ والاثنين سكرت[٢] بالعرس ــ والاربعا اجا خبر عبدالله انطاكي[٣] بن مخائيل من اسكندرونه والمذكور تلميذي ــ والخميس ماتت خاتون شاه مراة السيوفي وراحوا يلاقوا الى سوكياس واجا ميخائيل اليان ومرته من انطاكيه .

– والخميس ، في ٩ ت الاول ١٨٦٢ ، في ١٥ ربيع ت ١٢٧٩

انتهاء ٣٥ وابتداء ٣٦ سنه لافتتاحي المكتب وباركنا [للعروس] بصانية مرصبان[٤] ١٠/٣٥ غرش وانعزمت الى مشورة بنت حنا خوري مروم .

[١١٥[٢]] ــ الاحد رحت الصيد ورجعت تغديت بيت سالم وباركت الى بنتهم ورحت اخويه وبعده رحت مشوره بنت حنا خوري وبعده سبرع ارسان . الساعة ١١ رحت سبوع بن اختي وتمشينا ورجعنا الساعة ٥ ــ والثلاثا بدي يكتب الصائغ ــ والجمعة بدي يقرا ايضاً ــ والثلاثا رحنا بيت نصري حمصي كلنا وكان نوبة الاكثر الى مقدسي نعوم جهامي ورجعنا الساعة ٦ من الليل . والاثنين اجوا اولاد سوكياس وانس ونعوم للمكتب .

– السبت ، في ١٨ ت الاول ١٨٦٢ في ٢٤ ر ت ١٢٧٩

[١١٥[٣]] ــ الاثنين جاب نصري بليط شعير شنبل ٨ سعر ٢٤ وشكري وكيل ناولوه مريض ومشحوه ــ والماء فرق [تغير] وتوجه للعافية ــ والاربعا اجوا من السفر ابن الالطي ومرته بنت بهنا[٥] ونزل عند اهله .

١) قطرميز جاء الاسم ثلاث مرات بين ١٦٦٦ و١٧٦٢ في سجل الطائفة المارونية وفي ٢ ك٢ ١٦٦٧ اعتمد يعقوب مخائيل قطرميز وكان الاشبين مخائيل بن عبد الله عسلة والاشبينة ترازيا بنت عبد المسيح اسكندر .

٢) سكرت . لم يذكر قط البخاش انه سكر الا في هذه المرة وفعل ذلك ودونه اليومية لكثرة فرحه في عرس ابن اخته . والنكتة مضحكة في سلسلة الحوادث بين عرس وجنازة .

٣) جا ذكر عبد الله فتح الله انطاكي الرومي الكاثوليكي المعمد في ٣٠ ايلول ١٨٢١ في ر ك م وكان الاشبين عمه والمعمد المطران جرمانوس حوا .

٤) الصبية صحن واسع مستدير من النحاس والمرصبان حلوى مصنوعة من معجون اللوز والفستق والسكر .

٥) في سجل معمودية الطائفة المارونية في ٧ ك٢ سنة ١٦٧٢ ذكر عماد جرجس ابن

– السبت ، في ٢٥ ت الاول سنة ١٨٦٢ ، في ١ جمادي الاول ١٢٧٩

[١١٦'] ــ الثلاثا سافر نعوم ومرته وام نعوم ومريم اخته وتركاني[1] وبنات المصفي وماتت بنت حنا خوكاز عمرها سنة ٧ ــ والصناعيه مسكرين بدهم معاملة على الجديد وسكروا ايضاً القتالين الله ينجينا من شر هذه البوطلة ــ الخميس بدي بالديوان سيوفي ــ ومساء تعشى وبالليل مات يوسف كلزي الله يرحمه ــ والجمعة قبروه ورحت صيد سمك الريحاوي .

– السبت ، في ١ ت ت ١٨٦٢ ، في ٩ جمادى الاول ١٢٧٩

[١١٦'] ــ اولها رحت الصيد ورجعت الساعة ٥ قريت واخويه وبعده طاوله بيت البخاش والمساء كز وزياح السريان ــ الخميس طبخنا عرق طلع حامض وفطير .

– السبت ، مخائيل وجبرائيل في ٨ ت ت ١٨٦٢ ، في ٩ جماد الاول ١٢٧٩

[١١٦'] ــ الاحد اولها رحت الصيد وجبت عصافير ٧ وجمبنوا[2] القديد والساعة ١١٧ رحت نقشة بنت الخوري وتعشينا الساعة ٦ واخذوا العروس ــ والاثنين سكرت بعزعة ولبسنا بالضامة والثلاثا الساعة ٩٧ رحت مع ابو العروس للعرس بيت الحمضي وتعشينا وانتهينا الساعة ٥ من الليل والجمعة توفي رفول زريق[3] بموت البغتة الله ينجينا والله يرحمه وبالليل توفي شكر الله بن المرحوم انطون عزوز من تلاميذي الله يرحمه وفطرت عند ام ميشيل زيزف والسبت بدي المطر واكلته بالبستان وقتلت شحرور .

الخوري حنا وكان الاشبين حنا بن البودي والاشبينة نور ابنة الشدياق كفر حاني واندثرت من حلب اسرة بودي ولها ذكر قيم في المشرق ١٠ ص ٦٣٥ في سيرة الحبر عبدالله قرألي التي كتبها الاب توما البودي ونشرها الاب انطون رباط اليسوعي.

١) جاء ذكر مريم بنت جبرائيل تركماني في ١١ ت ٢ ١٨٣٢ في ركم وكانت الاشبينة خالتها مادلينا بنت العاقل والمعمد انس لويس دمتي

٢) جمبنوا القديد اي عاملوه معاملتهم الجامبون (Jambon) والقديد اللحم المجمد والمنشف بالبرد.

٣) جاء ذكر منصور زريق المفداوي في سجل معمودية الموارنة في ١٠ ت ١ سنة ١٩٦٧ وقد حمل على جرن المعمودية اسحاق ابن عبدالله وكانت الاشبينة ابنة الحاج نعمة الحجار.

– والسبت ، في ١٥ ت ت ١٨٦٢ ، في ١٣ جمادي الاول ١٢٧٩

[١١٧[1]] ــ الاربعاء صيد سمك وماء النهر زايد من زود المطر ومرّحل كثير . واخذت سمك اسود الرطل ٨ ــ والخميس عيد مخائيل وجبرائيل روم واخذت من المزاد بشيشه وجنتها ٧٧ عتيق [قنينة النارجيلة وصحنها] ودفعت مجيدي لكبار حتى يجيب زيت حلو من كلز .

– السبت ، في ٢٢ ت ت ١٨٦٢ ، في ٢٠ جمادي الاول ١٢٧٩ فاريقا (١)

[١١٧[2]] حضرنا قداس الكبير وعيدنا مطران جرجس شلحت بفلوريني ١٢ والقندلفت قري ١ والبواب نصف قري وتغديت وقريت ورحت الاخوية كز وزياح لاجلنا [ابناء الاخوية][2] وطلعت الساعة ١١ ورحت سبوع بن الحمصي

١) في اليومية لفظتان غريبتان وهما « باريقا » و« هلوانم » كنا اهملنا شأنها كغير ذلك من توافه الامور الى ان وفقنا ونحن نستقصي اخبار البخاش في حلب الى تفسير معنى الكلمتين المذكورتين : « فاريقا » معناها اعترفت « وهلوانم » تناولت ومن تكرار هذه الكلمة في الاسبوع اكثر من مرة فهم ان المعلم نعوم البخاش كان ملازماً المناولة المتواترة قبل صدور القرار الروماني الداعي المؤمنين اليها فكان رجلاً ديّناً تقياً « اسرائيلياً بلا مكر ولا غش » كما وصفه لنا الشاعر قسطاكي بك الحمصي وقد اهملنا ذكر اعترافات ومناولات المعلم نعوم في كل مرة جاءت في اليومية لانه احب ان يظل امرها خفياً على من يقرأ اليومية الا انه دوّنه اليومية كحدث خطير حقيق بالشكر والمسرة . فطوباه ثم طوباه !

٢) قد جاء ذكر الاخوية في كل اسبوع من اسابيع اليومية ولم نروه في ما نشرناه اختصاراً – إن في مكتبة بيروت اليسوعية مخطوطاً منسوخاً عن دفتر عنوانه : «وقائع اخوية العذبان في من طائفة الارمن التي هي على اسم الحبل بلا دنس وكيفية السعي في اقامتها وما حدث في ابتدائها تفصيلاً من اوائل شهر تموز سنة ١٧٥٣ الى ٢٠ شباط ١٧٧٦» – وفي ذلك العهد بلغ الاباء اليسوعيين الغاء رهبانيتهم «فسلموا بالامر المبرز بطاعة كلية» وهم مؤسسو الاخويات في حلب وكانوا يعالجون فيها حفظ القوانين بغيرة ونشاط والى تلك الاخويات الفضل في رسوخ التقوى في قلوب الحلبيين ولنعوم البخاش الحظ الوافر بالاستفادة من تلك الحركة المباركة . وقد صار متقدم اخوية العذبان للسريان . وكان البخاش مولعاً بالصيد مغرماً بالجولان في البساتين لكن قط لم يؤاخذ بما اوخذ به بعض اعضاء الاخوية من المخالفات واليك نكتة في هذا الصدد توقفنا على بساطة الايمان في ايام سبقت عهد البخاش بمئة سنة لكنها ظلت الى عهده محفوظة .

جاء في وقائع اخوية عذبان الارمن (مخطوطة نمرة ٣٩ من المكتبة الشرقية في بيروت ص ٩٥) :

٢٢ ك ٢ ١٧٥٨

« في اليوم الثاني والعشرون صار مجمع وفيه قد اورد احد الاخوة شكاية جرجي حايك

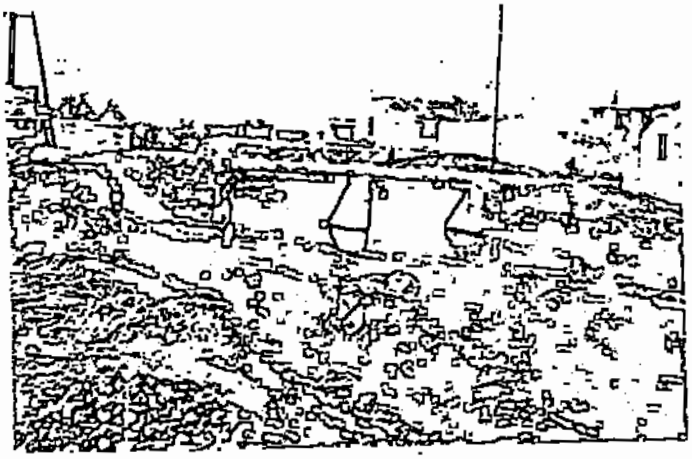

جسر الدباغة الحديث

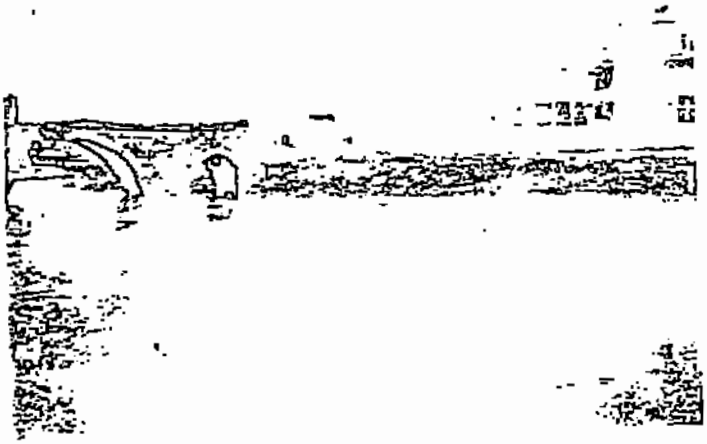

بستان النبار ، لم يبقَ منه الا آثار الجسر

جرجي وبعد المغرب س ١٢٧ نقشة بنت حنا صايغ وتعشينا عندهم ــ الساعة ٢ اجوا اخذوها والساعة ٤ وصلناها ورجعت سهرنا الى الساعة ٨ من الليل وكانوا بيت الكبابه للعب الداما ــ والاثنين بديت اقري لويس شدياق[1] وقعد عندي ابن الحفار باكله[2] ــ والاثنين فتح المطران جرجس شلحت مدرسة للبنات وسافر رزق الله سالم الى مصر

– السبت ، في ٢٩ ت ت ١٨٦٢ ، في ٧ جمادى الثاني ١٢٧٩

[١١٧ظ] ــ الخميس اجا الزيت [من كلز عن يد كسبار] رطل ٤ سعر ٦٦ غرش جديد وهزمه من الكمرك وجاب زعرور لاختي بخشيش ونظمنا البربارة بيت الضاهر انا وخواتي عند جارتنا ام يوسف بنت قدشه ــ والخميس كتبت سطر ٣ لانطون نجم غرش ٣ .

– السبت ، في ٦ كانون الاول ١٨٦٢ ، في ١٤ ج ت ١٢٧٩

ــ والسبت صار تلج وبنا مليح وبالليل اكتر وبعده حل وبكره صباح الاحد ما بقي شيء وفطرت بيت جرجي ضاهر سمك بحري جابوا من اسلامبول مع اسطفاني اغا سهر بيت عبدالله خوري والمذكور صار ترجمان بالصرايا بالشهر ٧٥٠ غرش ومعه فرمان بذلك من الدولة سلطان عبد العزيز خان ودرت عيدت نيقولاوص . هلوانم (اي تناولت) .

بانه عمل ليلية وكلف بها خمسة انفار من الاخوة وكذب عليهم بقوله انه اخذ اجازة من الاخ المتقدم فخف ذنب الاخوة المضافين اما المرشد وبخ جميعهم جهاراً ووضع قانون على صاحب الوليمة بانه يركع امام العامود الى انتها الجمعية وان لم يقبل القانون يخرج من الاخوية حالاً فاستقام راكعاً ساعة واحدة وبعد الساعة سمح له بالجلوس في مكانه وقد امر ايضاً الاب المرشد بان لا عاد احد الاخوة ينام خارج بيته وكل من خالف هذا الامر يخرج من الاخوية لا محالة وايضاً في هذا اليوم قد ورد عن احد الاخوة المشيرين انه يسهر وينام خارج بيته فابلينا فحص هذا الامر الى الجمعية الآتية فان صح حقيقاً هذا الامر فيصحه الاب المرشد اولا وان لم يستفد من ذلك يخرجه خارجاً » .

١) جاء ذكر لويس واسطفان شدياق في وثائق مؤرخة في ١٩ ايلول ١٨٥٨ . الى هذه الاسرة ينتسب حضرة الاب روبر شدياق مدير جريدة البشير الحالي .

٢) جاء ذكر مريم بنت الياس مخائيل حفار في ١١ اذار ١٨٣٢ في رك م وكانت الاشبينة في عمادها عمتها سيدة والمعمد القس برلس ارورتين .

[١١٨١] ــ الاثنين سهرنا بيت الكبابه وكان خيالاتي[1] والاربعا اخذت كبياله بفرنك الف ٥ من يوسف اسود على مرسيليا لمنشتر الى حبيب عجوري ومراش ودفعت الخميس ليرة مجيديه عده ٨٨ ومسكوب ٨ وفرنسا ٤ و ٥٠٠ مجيدي وضرب ابو خبيط الى حصان مقدسي فرج الله ضاهر وحكموه[2] بالليل الساعة ٧ ومات .

– والسبت في ١٢ كانون الاول ١٨٦٢ ، في ٢٢ ج ت ١٢٧٩

وكتبت غرش ٥٠٠ للسريان لاجل خام للفقرا .

[١١٨٢] ــ الاحد كان مرفع الموارنة ــ الاثنين قعدوا عندي اولاد جارتنا اولاد الصايغ والثلاثا بديت الرياضة عندنا بالكمنيسة وكل ليلة اروح ومرفع الميلاد . ــ الثلاثا صمت وان اراد الله بكمل ــ الخميس والجمعة والسبت مطر وافر وهوا واولها توفي ابن انطون عبجي بالحرسان عمره سنة ٥ .

– والسبت ، ٢٠ كانون الاول ١٨٦٢ ، في ٩ ج ت ٧٩

وفتح الله شاهيات صهر الصاجاتي متقل ومات ابن نصري توتونجي بالحرسان ما في غيره .

[١١٨٣] الاربعا بارامون[3] مساء قداس البارامون ورحت للصلاة ليلة العيد ورجعت وسهرت بيت الضاهر للساعة ٥ ــ والخميس عيد الميلاد بكرت وخواتي س ١١٧ وكان قرأ انجيل القداس[4] حضرنا الذي بعده والساعة ٢ صار مطر وبرق ورعد وبعده صحوه .

---

١) الخيالاتي : رجل يضرب ستارًا فيه اطار ابيض وما وراءه نور يلعبون امامه تماثيل من الجلد والورق ويشخصون بذلك روايات شتى . ولا يزال الخيالاتي يشتغل في حلب الى يومنا في المقاهي الاهلية القديمة خاصة في الشتاء في ليالي رمضان – وبطلان الخيالاتي الشهيران كركوز وعيواظ – وروايات الخيالاتي مضحكة بنكتها ولغتها العامية لكن من شاء ان يسمها عليه ان يرعى صاحبها بمراعاة حقوق الادب باللفظ والمعنى ما امكنه !. . .

٢) ابو خبيط – يسمّون بذلك الاسم المرض الفجائي الذي يقتل الدواب – حكموه اي يبطروه

٣) بارمون اي اليوم السابق العيد

٤) لم يكتفِ البخاش بان يصل قداساً بقداس بل « يسمع الذي بعده »

– السبت ، في ٢٧ كانون الاول ١٧٦٢ ، في ٦ رجب ١٢٧٩

[١١٩[١]] ــ الاحد ثلج بالليل وما بنا ــ والخميس راس سنة ١٨٦٣ غربي وزارت عندنا مراة صندوق ومعلومه جيتها[1] ــ والاربعا التلغراف بدي يدق واشتغل حامي ما عمال يدقر ابدًا[2] .

– السبت ، في ٣ كانون ٢ ١٨٦٣ ، في ١٣ رجب ١٢٧٩

ومسا اجا فرخ ٢ سمك الى حمصي وفرنسيس عجوري ووقفت على تقطيعه وارسلوا لنا منه بكره منه منظومه[3] .

[١١٩[٢]] ــ اولها فطرت بيت العجوري جوكولاتا ورحت بيت جنو كتبت قصيده للديواخانه بيت ٢ وتغديت عندهم جات .

– السبت ، في ١٠ كانون الثاني ١٨٦٢ ، في ٢٠ رجب ١٢٧٩

والاربعا البرد قليل ما في بوظ لحد الان .

[١١٩[٣]] ــ السبت علقت قصيدة جنو للدواخانه ــ والثلاثا سافروا اولاد انطون دوناته وانطون خاطي الى سوق اسلامبول بالانتيكات ــ واولها اجا مطران الروم من اسلامبول وكان يومها ثلج من بكره للمسا وسافر نعمةالله جهامي الى ازمير ــ والسبت اجا رزقالله بردخجي من اسلامبول .

في ١٧ ك ٢ ١٨٦٣ ، في ٢٦ رجب ١٢٧٩

وسمنا عزل صدر اعظم فؤاد باشا ومعه ٢ ايضا لماذا لا نعلم .

[١٢٠[١]] ــ الخميس شرفت على المحرسنين[4] خوري وسالم [تلميذيّ] .

– السبت ، في ١٤ ك ٢ ١٨٦٣ ، في ٤ شعبان ١٢٧٩

والجمعة ماتت مدول دوناته بالكتاب اخت مراة بيره ــ والخميس اجا الفريق من حرب زيتون[5] ــ الحارث مهر التامه[6] رمضان ١٢٧٩ ٢٤ ــ الطقس الاثنين صحو والمسا هوا ــ الثلاثا بديان غيم وعمال يزيد اكثر وبعده هوا ــ

١) كنا قد اعلمنا بمجيئها

٢) واصل شغل التلغراف من دون ان يقف عن تعطيل

٣) منظومه اي قطعة مطبوخة منه .

٤) المحرسنين اي المرضى بالحرسان .

٥) زيتون اسم قرية ، بالقرب من مرعش حيث فتك الاتراك بالارمن .

٦) مهرتامه اي عيدية .

الاربعا غيم وبرد وشمس قليل — الخميس غيم جزي وبرد شفاف ومساء بالليل صار هوا زايد وتلج وافر وحل بكره — والجمعة غيم رقيق وبرد وبعد الظهر شمس ومسا غيم وبرد وبالليل نجوم وبوراز مثل برد كثير — السبت بكره غيم وبعده شمس وصحو وبعده غيم قليل وبعده شمس وبعده هوا .[1]

[١٢٠٢] — الاثنين مات موسى مرتين فرنساوي — الاربعا درنا الاولاد بعد الظهر ورجعت قبل العصر واجانا زلابيه[2] — والجمعة اخر اربعينية[3] — والسبت ، اول الخمسين في ٢١ ك ٢ ١٨٦٣ ، في ١١ شعبان ١٢٧٩

واجاني كتاب من حبيب ومراش بارسال غزل فرد ٣ وحكره ١ فرده وتغدا عندنا طهماز فتوح .

[١٢٠٢] الثلاثا صار تلج وما بنا واولها دقوا اولاد الاسود بتللفراف وقالوا قرب الصلح ولكموا المدينة ولا عاد صار بيع ولا شرا .

—السبت ، في ٧ شباط ١٨٦٣ ، في ١٨ شعبان ١٢٧٩

[١٢١١] — الاثنين مات انطانيوس الطي — الثلاثا ولدت ورده مراة سوكياس وجابت صبي — الخميس كانوا بليلية[4] اولاد الضاهر بيت شوغا — الاحد كللوا البراصنه الى مينا بنت صندوق لابن جانجي بالمرقع — والخميس مات فتح‌الله شاهيات الله يرحمه زوج ماريا بنت صاجاني والمذكورة ولدت وجابت صبي بعد موت ابوه — والجمعة هوا وبرد وتلج ومطر .

---

١) حفظنا هذه التفاصيل لا لفائدتها الفلكية فقط ولكن لانها تنمّ ايضاً عن نفسية البخاش وولعه بالطبيعة .

٢) زلابية طعام وهو نوع من العجين المرقوق المطبوخ بزيت السمسم او السمن المحلى بالسكر .

٣) الاربعينية وهي من ٢١ كانون الاول الى ٣١ ك ٢ ويخلفها الخمسينية ذات السعود الاربعة كل سعد يستغرق ١٢ يوماً ونصف اليوم اوّلها في اول شباط . وجاء في اقرب الموارد سعود النجوم عشرة ومنها سعد بلع وسعد الاخبية وسعد الذابح وسعد السعود وجاء في المشرق (١٠ ص ٩٣٨) في المنتخب من امثال حلب للخوري توما ايوب : « سعد الذابح يخلي الكلب نابح وسعد السعود يدب الماء بالعود ويدفا كل مبرود وسعد الخبايا بتطلع العقارب والصبايا » .

٤) ليلية او سهرة راقصة .

– السبت ، في ١٤ شباط ٦٣ ، في ٢٥ شعبان ١٢٧٩

وهو سبت الموات واخذت توتون رطل ٣ جديد الرطل وقيه ١٥ سمر ١٣٥ جديد قري ٥ واشترا شعير من عندي ميخائيل عجوري شنبل ٨ بمجيدي ١٠ وتغديت عند فرنسيس عجوري قراص الشيني كسم[1] فطور .

[١٢١'] ــ اولها مات ابن فتح الله عبجي ورسم مطران جرجس شلحت قسيس لابن شكير وسماه جبرائيل ــ الاثنين صلاة الشوبقونو ــ السبت كان هوا بارد وصار بالليل تلج وبنا وبعده برز بالليل .

– ٢١ شباط ٦٣ ، في ٢ رمضان ١٢٧٩

وصار حريق في مصر واحترق مال رزق الله سالم باسكندرية وقالوا ان سعيد باشا بده يدفع حقه بعد نعرف . [وثبت من بعد ان رزق الله سالم خلص صندوقة نقوده وفيها كان صافي ما حصله من اشغاله وكان قد انهاها واستعد للعودة الى حلب] .

[١٢١'] ــ الاثنين بدي يكتب شماس المطران ــ والثلاثا قعد عندنا عبد المسيح هلال[2] اخو اسبير وبالليل مات بن نصرالله دلال عاش يوم ٤ وقالوا مات من برده ساعة ٦ من الليل ليل الاربعا ــ والخميس سافر سوكياس لانطاكيه وكان هوا زايد مـا يقدر احد يمشي بالزقاق ومعه برز . ومات نعوم تندلفت والساعة ٦ ليل السبت توفي مثلث الرحمات مطران يوسف حايك مطران بيروت سابقاً وقبروه بالكنيسة تدام صورة العذراء بعضاضة التي قدامها وماتت مراة بردخجي اخت عبد الله باسيل ومراة يوسف وكيل بالليل عمال تغسل ايديها خشبت والحمد لله الان احسن .

– السبت ، في ٢٨ شباط ٦٣ ، في ١٠ رمضان ١٢٧٩

[١٢٢'] ـ الاثنين ماتت مرة فتح الله خياط ودفعت لعجوري مجيدي ٢١٧ لاجل الكمرك الغزل والخزنة ــ الخميس سافروا المقادسة .

---

١) كسم اي شكل . اي ان الرقعة كانت فطورًا وغذاء معاً .

٢) هلال . ذكر الاسم ٤ مرات في سجل الطائفة المارونية في لائحة الاشبنة بين ١٦٦٧ و١٦٧٢ وفي ١٢ نيسان ١٦٦٧ وقف عبد الاحد هلال اشبيناً في عماد مخائيل بن الياس جبيتر وكانت الاشبينة ترازيا بنت شدياق فرحات .

– السبت ، في ٧ اذار غ ٦٣ ، في ١٧ رمضان ١٢٧٩

[١٢٢[٢]]

– السبت ، في ١٤ اذار ١٨٦٣ في ٢٣ رمضان ١٢٧٩

غرق مركب رايح الى اسكندريه وغرق ماله الله يساعد اصحابه لانه صار حريق وغريق مات نصرالله حكيم والمرحوم تلميذي[1] واخذت

١) جاء ذكر الاسم ٤ مرات بين سنة ١٦٦٧ و١٦٧٢ في سجل معمودية الموارنة وفي المرة الاولى ذكرت كاترينا حنا الحكيم المعمدة في ٣ ايار ١٦٦٧ وكان الاشبين مخائيل بن شيبان والاشبينة ترازيا ابنة شاس نعمة الحجار ومن اعلام الاسرة المطران ارسانيوس بن شكري حكيم سيم اسقفاً في حلب في ٢٦ اذار ١٧٦٢ وتوفي في ١٨٠٢

وله كتاب رحلته الى بلاد الافرنج سنة ١٧٦٨ مخطوطة منه مخطوطة في يومنا عند السيد بشير مكربنه في حلب (راجع المشرق ٢٠: ١٠١١ و١٠١٢ و٢١: ٤٥٦).

والمطران بولس بن يوحنا حكيم اروتين الحلبي سيم اسقفاً في ١٦ تموز ١٨٨٥ على مسقط رأسه وتوفي في ٢٥ شباط ١٨٨٨ في رومية.

والقس روفائيل حكيم المتوفى في ١٩ ايار ١٨٦٤ والى هذه العائلة تمت اسرة الحكيم البكناوية ومنها حضرة الراهبة الام كميلا حكيم الرئيسة العامة لراهبات القلبين الاقدسين سابقاً ١٩٢٢–١٩٢٨

وذكرت مريم بنت مخائيل مصري حكيم في ٢٣ ايلول ١٨٢١ في رك م وكان المعمد القس شكرالله ايوب ومن الاسرة الملكية الكاثوليكية مكسيموس حكيم مطران حلب المتوفي سنة ١٢٦١ (راجع المشرق ٢٠: ١٠١٢) والشاعر ابرهيم الحكيم (المشرق ٢٥: ٦٥٠)

وجاء في [٩٤/١] ذكر يوسف ايوب واليك بعض التعليقات على هذه الاسرة وهي من قدميات الاسر المارونية الحلبية . اول من ذكر منها في سجل الطائفة فرنسيس ابن شدياق ايوب فوقف اشبيناً في المعمودية لمريم بنت جرجس ابن هارون وكان الكاهن المعمد القس فرج‌الله المبديني في ٢٢ ت١ ١٦٦٦ – وفي احصاء الاسماء الواردة في سجل الطائفة بين ١٦٦٦ و١٦٧٢ ورد ذكر ايوب لا اقلّ من ٢٥ مرة مما دلّ على اهمية الاسرة في تلك الايام.

ونشأ من هذه الاسرة كهنة افاضل احمينا منهم القس نصرالله المتوفى بالحمى في قرية دلبتا في لبنان وقد دفن فيها ٤ ت١ ١٨٤١ – والقس بطرس ايوب المتوفى ١٦ ت١ ١٨٧٩ – والقس شكرالله ايوب المتوفى في ١٢ ت١ ١٨٩٦

ومن هذه العائلة نشأ حضرة الاب فرنسيس ايوب المعروف حالاً في حلب بادارته شركة رسالة الصلاة ومكتبة القديسة تريزيا ومنظمة الشبيبة العاملة الكاثوليكية وقد تخرج في الاكليريكية الشرقية اللاحقة بكلية الآباء اليسوعيين في بيروت.

وفي الدار الاسقفية في حلب حجر منقوش باحرف كرشونية يقرأ عليه : « ايوب ابن المطران يوحنا من قرية شري. هذا ضريح ابينا الكاهن... ١٦٣٦ »

حصر[1] للاولاد ٣ ٥٥ غرش ودفعت للقندلفت من البدليه مجيدي ٢ وقري ٢ ٥٠ غرش وصار سعر المجيدي ٢٠ .

[١٢٢[2]] الجمعة سمعنا ان دق تيل غراف وقالوا ان بغداد متحركه مزربنين ومعها عزلة عصمت باشا والي حلب وكان عيد الاسلام .

– السبت ، في ٢١ اذار ١٨٦٣ ، في ٢ شوال ١٢٧٩

[١٢٣[1]] ــ الاحد صار مطر بالليل وكانوا قد فرضو صلاة لاجل المطر لان الحنطة صار الشنبل ٦٠ غرش والسمنه والجبنه غاليه [وسائر ايام الاسبوع صار مطر .]

– السبت ، في ٢٨ اذار ١٨٦٣ ، في ٩ شوال ١٢٧٩

واما قسيس اخذ رزق الله كبابه منه كتاب وقالوا ان اليهود صلبوا ولد بازمير وابوه ما له غيره فوالده اخذ جماعه روام مسيحين ودوروا بيت اليهودي صاحب الولد وراوه مشبوح وفيه روح نزلوه وجرحوا من اليهود مقدار ١٥ وقتلوا مقدار ١٢ ولحق الباشا الماده وحبس اهل البيت رجال ونساء واولاد بعد نذكر ما يجد بعدها[2] .

[١٢٣[2]] ــ الاحد اخويه وصلاة الصلبوت بدل الموتة الصالحة .

– السبت ، البشائر في ٤ نيسان ١٨٦٣ ، في ١٦ شوال ١٢٧٩

---

١) ومن ذلك الدليل على ان تلامذة البخاش كانوا يجلسون القرفصاء على الحصيرة فيقرأون ويكتبون وكتبهم واوراقهم على ركبهم .

٢) ان شاهدا عيانًا لذلك العهد دون مذكراته في وثيقة بلغتنا وكتب عن اليهود الحلبيين فقال انهم كسائر الاسرائيليين في اكثر مدن الشرق يتعاطون التجارة والدلالة والصرافة وبعض الصناعات البسيطة . وليس لهم اهمية بالعدد ولكن لهم بعض النفوذ بفضل غناهم وسعة علاقاتهم التجارية . وقلما اختلطوا بسائر سكان البلدة ويظهرون البغض للمسيحيين ويساعدون عليهم المسلمين فينالون مساعدتهم وتساهلهم . واليهود الحلبيون ينتمون الى طائفة متحمسة جدًا لها تعاليم سرية ينسبون اليها خرافات بربرية ورتب دموية وقد اغنوها بالاستعاضة عن الخاروف الفصحي الذي امر به موسى ذبيحة بخلط دم بشري مع عجين الفطير ذلك ما يكرّه الاسرائيليين الى المسيحيين ويجعل هؤلاء هدفًا لبغض اليهود في كل فرصة سانحة .

فكان من الخبر الذي رواه البخاش دليل على صدق ما رواه الشاهد المذكور على ما شاع عند المسيحيين من الاعتقادات الخبيثة او الموهومة في ما يذكرون عن رتبهم الدينية الدموية . ولا حاجة الى القول ان الحالة اليوم غير ما كانت عليه في ذلك العهد .

[١٢٣٢]. ــ الاحد عيد الكبير .

– السبت ، في ١١ نيسان ٦٣ ، في ٢٤ شوال ٧٩

[١٢٤١] ــ الاحد صار بعد الظهر مطر وافر ورعد وبرق ــ الخميس راحوا للم الجراد ظاهر وحنه ودلال ونصبوا خيم فوق الخنّاقيه[1] وراحوا غيرهم ولموا تبنيه[2] ونصف وقده قد النمل وغير صوايح عمال يطلعوا يلموا لان اجا امر من اسلامبول بلم الجراد والباشا لاذذ بلمه عصمت باشا وطالع امر ودلال بالبلد ان لا احد يضرب تفنكه لا في البلد ولا في البريه لاجل العيد حتى الطير ايضاً ياكل من الجراد واذا اجا سمرمر لاتهرب وتجفل من الضرب والتوغل كثران.

– السبت ، في ١٨ نيسان ١٨٦٣ ، في ٢٠ شوال ١٢٧٩

[١٢٤٢] ــ الاحد ما صار اخويه بسبب الجراد ــ الاثنين طلعوا الناس الى لم الجراد نصاره واسلام ويهود وفرنج وروسا. وكل من طلع الى مكان وطلعوا كل المطارين وقسوسهم واكابر ونصبوا خيم وقونصول الفرنساوي اخذ طائفته واغلب المحلات رافعين بيارق امامهم والعسكر محيطين بالبلد لاجل الامن والنسا دايرين بلا غطا بالزقاق جملةً وانا فتحت المكتب ما طلعت والروسا ينظموا قبلًا زياح وسبعة مزامير التوبة ويخرجوا الى لم دقيق الجراد وقده مثل النملة ما عدا الذي فرضه قبلًا الباشا عصمت باشا على الضيع مبلغ من جرابات الجراد قبل ما يفقس والذي انلم شنبل جرابات . ــ الخميس كان مطر وافر وهوا ولبسنا القبقاب وعيدت المطران نصف مجيدي وما طلعوا للجراد .

– السبت ، في ٢٥ نيسان ١٨٦٣ ، ٧ ذي القعدة ١٢٧٩

وسمعنا ان سمعان حجه ابو بتراكي صار من عدد صراف باب همايون يوتمن على ماية الف كيس غروش ودقوا تيلغراف ان الموال متصاعده والقطن بفرنك ٢٠٠ وجبرا دلال صار ترجمان عند الانكليز وبطل عن الفرنساويه .

[١٢٤٣] ــ الاثنين مطر وافر ــ والثلاثا ايضاً ورعد وبرق ــ الخميس

---

١) الخنّاقية ارض واقعة غربي البلد بشمال وعند الطريق المؤدية الى السبيل وفيها كهوف واسعة.

٢) التبنية كيس كبير للتبن.

بدينا شهر المريمي عندنا بالبيت بقسم من الوردية والناس طلعوا للجراد بالمطر — والاربعا بطلوا ان يطلعوا اهل الصايح .

– السبت ، في ٢ ايار ١٨٦٣ ، في ١٤ ذي القعدة ١٢٧٩

ودفعت حق شالة القرمز لجارتنا ١٥٠ عتيق واجانا جبنه رطل ٨ جديد ٧٢٤ وسمنا اجوا اولاد خليل من ادنه وترسوس والجراد عمال يلموه .

[١٢٥'] — الاحد اجا فتح‌الله كبابه من سعرت واجا تريا باشا نزل عصت باشا دخل الساعة ٧ من النهار — الاثنين مات يوسف بطرس حمصي زوج سوسه دلال ودقوا لاخوته لمرسيليا واولاد رزق‌الله حمصي الواحد اجا يوم ونصف الى المدرسة واخته معه واجوا المقادسه وارسلنا له سلاماتيه ملبس وبرتقال ومقرمه[1] وارسل لنا مسبحة عرق لولو وصوارات لكرزه ومريم [اختي] .

– السبت ، في ٩ ايار ١٨٦٣ ، في ٢١ ذي القعدة ١٢٧٩

والجمعة بدي هوا زايد كثير ورمي مطر برات البلد ودام الليل كله — والسبت ايضاً نبسه ثريا باشا بان الجراد يلموه وبده لايام عشره من كل نفر واولاد ايضاً ثلث شنبل كل واحد والخواجه الياس ضاهر دفع عنهم وعن بيت العجوري وعني المفروض بيت فتح‌الله عجوري حمو ابنه .

[١٢٥"] — الاثنين الجراد عمال يلموه وفلتت دعوة السلاح وشقوا لميشيل بن نعوم حمصي واخرجوا الحصوه مقدار درهم والان احسن والبوشتي الذي شق له [أخذ] ٢٠٠٠ غرش .

[١٢٥"] — اولها عرس نعوم صانع بن شكري جنب بيت كوبا — الثلاثا اجا نعوم طرازي من بيروت ونزل عند مطران جرجس شلحت وقتل[2] ابن

١) المقرمة اسم آلة من قرم اي خش خشاً ضيقاً وهي يد من خشب لها رأس على شكل مخروط محزّز يحكمونه في جوف البرتقالة بعد قسمها ويبرمونه بشدة فيمصروها ويأخذون العصير شراباً .

٢) تقرأ خبر حوادث الجرائم المذكورة في الصحف اليومية وتتوهم ان زماننا اسوأ منه في ايام البخاش . لكن الحقيقة على خلاف ذلك لانه اذا وقع قتيل في يومنا جاء من يسأل عنه اما في ذلك العهد فتقع الجرائم وليس من يسأل عن اسبابها . وما اكثر ما تصدى التناصل في رسائلهم الى تلك الحالة .

الشامي بالهزازه والجرح عده ٢ ام قتلوا بعد نعرف ورجعوا نبهوا على السلاح وعلقوا اوراق من قبل الباشا ثريا باشا والجراد عمال يلموه الان بالضيع وصار له جناح كثير .

– السبت ، في ٢٣ ايار ١٨٦٣ ، في ٧ ذي الحجة ٧٩

– الخميس القلايه عمال يبلطوها ما خلصت .

[١٢٦'] – وزهران جراد كثير للغايه – والسبت ما عاد بيّن قالوا سافر شيء عجيب وسافر طرازي بالليل .

– السبت ، في ٣٠ ايار ١٢٦٣ ، ١٣ ذي الحجة ١٢٧٩

[١٢٦'] – الاثنين اجوا بيت الوكيل من الدوره واجا مقسي شكرالله حمصي زوج مدول ضاهر وابن انطون الجد وابن البندقي من مرسيليا وسلّمت عليهم – والثلاثا اجوا قسوس ارمن عده ٢ من السفر ويوما لبس الباشا ثريا باشا الى مطران غريغوريوس بليط نيشان رتبة اولى من قبل بطرك الارمن الكاثوليك من اسلامبول وفرمانه معه .

– السبت ، في ٦ حزيران ٦٣ ، في ٢٠ ذي الحجة ١٢٧٩

والجراد يجي ويروح الله يبعده عنا .

[١٢٦'] – الجمعة قلب يسوع والهوا زايد كثير مثل الجمعة التي قبلها لزج مكدّر .

– السبت ، في ١٣ حزيران ١٨٦٣ ، في ٢٧ ذي الحجة ١٢٧٩

والجراد موجود كثير منه عمال يقيم ومنه عمال يرحل وموجود بالعباره والقبور بكثره والباشا ثريا باشا طلب البدليه من الطوائف – والجمعة انتهبوا بيت مخائيل صائغ حرير وظروفه فضه مقدار ١٨٠٠ هكذا قالوا ما وقفنا على الحقيقة والجراد مثله .

[١٢٧'] – الثلاثا انتقل عكاوي لبيت الاسود وجبران سكن حوشه وانتقل لبيت مشق خليل وام جرجي حوش السيوفي وسلمت الاثنين عيله نعوم كوريخ اجوا من انطاكيه وهو ما اجا وسافر الياس زمريا ومرته وامه وبيت اليان الى ازمير سافر يوسف بن مخائيل صايغ معهم ازمير وذكرت مرأة جبرا

دلال عنه انقره[1] ــ الخميس اجا مخاتيل جروه من نابولي فرنجي وسلمت عليه.
– السبت ، في ٢٠ حزيران ٦٣ ، في ٣ محرم ١٢٨٠

[١٢٧[2]] ــ اوطا عرس ابن توما لبنت حفار القبور والقنايه ما رخوها للان والجراد موجود كثير . وباركت الى نعوم صايغ بالعرس .
– السبت ، في ٢٧ حزيران ١٨٦٣ ، في ١٠ محرم ١٢٨٠

[١٢٧[3]]
– السبت ، في ٤ تموز ١٨٦٣ ، في ١٧ محرم ١٢٨٠

ــ الثلاثا مات فرج‌الله اسيون بن جبرا اسيون المرحوم وسافروا بيت حسون عبدالله واخته الى بيروت وكانوا نازلين عند اخته مراة يوسف وكيل .

[١٢٨[1]] ــ الخميس مات مطران الروم ديمتريوس انطاكي[2] واجا الماء وزاد النهر لانه كان مقطوع لاجل تعزيله والان رخوا له .

---

١) بعد ان قال البخاش في يوسف صايغ انه سافر الى ازمير عاد وروى عن مصدر غيره انه سافر الى انقره فبيّن وسواسه في سرد الاخبار على علاتها فهو الرجل المصداق والاسف كل الاسف لكونه لم يثقف الثقافة الواسعة فلو فعل لكان بدّع في وضع التاريخ .

٢) له اثر في ذلك العهد عثرنا عليه في وثائق دار الاسقفية المارونية (نمره ٣٧٢ من اضبارة المطران بولس اروتين ١٨٢٩ – ١٨٥١) جاء فيه : « تنبيه الكهنة المفوضين باستماع اعترافات العابدات والمتعبدات والارامل المشبوهات بالعبادة المحرمة النازحات من تحت ارشاد الكهنة ، الممنوعين من طايفتنا الروم الكاثوليك . . . »

وخلاصة خبر العابدات انهن كنّ فئة من النساء من ابتدأن بالتعبد وسعين في تأسيس جمعية رهبانية لكنهن سلكن السبيل الى ذلك بالاساليب النير المألوفة من رؤساء الكنيسة ومدبريها . وبا ما ينقلب الشيطان ملاك الظلام ، لمدة ، روحاً نيرًا ليضلل النفوس بالكبرياء والعناد وتاخيرًا بالخطايا الجسيمة !. . ولا يقهره الا التواضع والطاعة . فحرض المطران ديمتريوس انطاكي في ٢٣ ايار ١٨٦٧ الكهنة على « تنقيه انفس النعجات الضالة واستئصال تلك التعاليم الغريبة والمبادي الممقوتة المنتقة منهن بمشورة عدو الخير واعوانه » .

اما مبادئ العابدات الممقوتة فاخصها انهن كن يعتبرن ذواتهن معصومات من الخطيئة اذا ما بلغن الى « حالة الاختطاف الروحي » وكن يسعين الى البلوغ الى تلك الحالة بان يحصرن افكارهن بتصاوير غير لائقة بحجة ما في اقوال الاباء القديسين وفي الكتاب المقدس ، كما في نشيد الانشاد مثلاً ، من الاستعارات السرية المفهومة عن النفس واتحادها بالله تعالى . فتبسن تلك الاستعارات بالمعنى المادي وانقلبن من عالم الارواح الى عالم المادة واستحققن مقت الماقتين (راجع عدد ٢٠٦ من وثائق اضبارة المطران بولس اروتين (الماروني)

السبت ، في ١١ تموز ١٢٦٣ ، في ٢٦ محرم ١٢٨٠

ومات ديمتري هلال ــ والاثنين سافر شكرالله قصاب الى تريسته والسبت ولدت بنت سالم غره جابت بنت مراة شدياق ارسان .

[١٢٨٢]

– السبت ، في ١٨ تموز ١٦٦٣ ، ٣ صفر ١٢٨٠

[١٢٨٣] ــ الخميس ماتت بنت فتح‌الله حمصي عمرها سنة ٣ مرحومه مثل التفاحة .

– السبت ، في ٢٥ تموز ٦٣ ، في ١٠ صفر ١٢٨٠

ــ والاحد اولها وقعت مراة زلعوم ووجعتها ايدها وانفكت وجابوا لها الفلاح ومات الياس وكيل موت الغفلة عم يوسف وكيل .

[١٢٩١] ــ الجمعة مات ابن فتح‌الله اسود انعمد بنت المقدسي نعمة الله حمصي الذي راح الى انطاكية .

– السبت ، في ١ آب ١٨٦٣ ، في ١٧ صفر ١٢٨٠

وجرجي ضاهر [مبستن] في بستان عبدي افندي تلان .

[١٢٩٢]

– السبت ، في ٨ آب ١٧٦٣ ، في ٢٦ صفر ١٢٨٠

ــ والثلاثا اجا دلال جبرا وسوكياس من انطاكية وخلفه جرجي سالم .

[١٢٩٣] ــ الاربعا توفي حنا صائغ الله يرحمه والخميس طالعوه .

– السبت ، البدة ١٥ آب ١٨٦٣ ، في ٢ ربيع الاول ١٢٨٠

[١٣٠١] ــ الثلاثا ماتت مدام پوپولاني وقرأوا فرمان القرعة والاربعا دوروا الاوراق ومرادهم الناس يجوا للقرعة بلا ظبطيه منهم لذاتهم وبدوا يروحوا حالًا وجرجس سالم جاب الخامة ما قبلتها راح يبدلها ورحت مع سقال صيد السمك وصار يومها الانتخاب عند الروم ، مطران ما صار ــ الجمعة انتخبوا الخوري بولس حاتم مطران وباركوا له بالقلاية ــ والسبت ما طلعت الصيد لان التنبيه على السلاح وانا بالجفت عمال اروح وشلت التفنكه في كرخ البستاني في ٢٢ آب ١٨٦٣ في ٨ ربيع الاول ١٢٨٠

[١٣٠٢] ــ الخميس المساء اجو نظام المكتوبين بنوبة الكبيره من مرعش .

– الجمعة ، في ٢٨ آب ١٨٦٣ ، في ١٥ ربيع الاول ١٢٨٠

وصار وجع قلب ونطق لكثيرين وقالوا سعر سلامه ولبس خاتم متى فرج الله ضاهر الى بكتورين بنت المرحوم يوسف حمصي .

[١٣٠٢] ــ اولها مشيت[1] الباشا تريا باشا ــ الخميس قعدت عندي مريوم مشاطيه ــ الجمعة صار رعد وبرق وغيم وصار مطر عندنا .

– السبت ، في ٥ ايلول ١٨٦٣ ، في ٢٢ ربيع الاول ١٢٨٠

واولها جاب ورقة الصيد عبدالله انطاكي للبيت وابن بستاني المريجي طلع بالقرعة وماتت مراة يوسف كرباج ام رزق الله كرباج .

[١٣١١] ــ الثلاثا كان عرس ابن التانا ؟ الى بنت انطوان كتفاكو اسمها كاتينه ــ والخميس كان مطران السريان جرجس شلحت مع بعض من الطائفة ببستان خلاص وكان مطران توتونجي[2] وكان نوبه .

– السبت ، في ١٢ ايلول ٦٣ ، في ٢٩ ربيع الاول ١٢٨٠

واولها وقع من الحصان وانكسرت رجله عبدالله شوكتلي وقصّبتها بنت غنطوز .

– السبت ، في ١٩ ايلول ١٨٦٣ ، في ٦ ر ت ١٢٨٠

[١٣١٢] ــ الخميس سافر جرجي بليط وسكر لادنه وسهرنا بالليل مع بنت رفول هنديه بالقبار .

– السبت ، ٢٦ ايلول ١٨٦٣ ، ١٣ ر ت ١٢٨٠

[١٣٢١] ــ اولها مشورة انطون شمراوي الى سيود بنت سوكياس وعرس ابن العرقتنجي الى بنت يوسف برغود ــ الاثنين الطلة يهود وخاريطون[3] روم ــ الخميس انعزمت لعرس انطون شمراوي .

– السبت ، في ٢ ت ١ ١٨٦٣ ، في ٢٠ ر ٢ ١٢٨٠

[١٣٢٢] ــ الاثنين اجا مطران بولس خاتم من بيروت وارتسم واجا بيوم

١) كان الباشا او الوالي عند خروجه في الازقة يرسل امامه الياور او الحرس وكان الناس عند رؤيتهم الحرس يقفون عند جانبي الطريق ويضربون التسليم او السلام الكبير للوالي عند مروره وكذا فعل البخاش لما مشى الباشا اي ضرب له السلام عند المساء

٢) جاء ذكر الاسم في سجل مسرودية الموارنة وقد وقفت مارينا ابنة دياب توتنجي اشينة لعماد زكريا بن سعيد الدرزي في ٦ ت١ ١٦٧٠ وكان الاشبين عبد الاحد كاترون .

٣) خاريطون وفيه يعيّد الروم الكاثوليك من كان اسمه نعمة الله .

٢٠ وصار يومها قتل قتول الناس وما صارت موافقه دخلته[1] ــ والخميس مات حنا جنبير بن فتح‌الله جنبير .

– السبت ، في ١٠ ت ١ ١٨٦٣ ، في ٢٢ ر ت ١٢٨٠

ــ والجمعة انتهاء السنة ٣٦ وابتداء السنة ٣٧ لافتتاحي المكتب وانعزمت الى نقشة سيود سوكياس من عدم التكليف.[2]

[١٣٢'] ــ الاحد اولها رحت لنقشة بنت سوكياس [سيود] وانصرفنا الساعة ١١ الاثنين بالعرس والثلاثا فتحت ورحت للعرس الساعة ٥٧ ورجعت الساعة ٧ بالليل . وصار الساعة ١١ رعد وبرق وزوابع ومطر وافر.

– السبت ، في ١٧ ت١ ١٨٦٣ ، في ٥ جماد ١ ١٢٨٠

[١٣٣'] ــ الاثنين اجت عندنا نوريه رد سلام مطران بولس حاتم مطران الروم وقعدوا اولاد كركور سيوفي .

السبت ، في ٢٤ ت ١ ١٨٦٣ ، في ١٢ جماد ١ ١٢٨٠

وكتبت حجر لليران القلايه باسم المطران الشلحت رخام تأليف نصري بخاش.

[١٣٣'] ــ الاثنين اجا رزق‌الله سالم من مصر ومساء تعشيت بيت سالم ــ الاربعا كان مطر وافر وكتبت بالنهار حجر ورا الهيكل الوسطاني بكنيسة السريان سرياني .

– السبت ، في ٣١ ت ١ ١٨٦٣ ، في ١٩ جمادى ١ ١٢٨٠

[١٣٣٢] ــ الثلاثا بطلت مشاطيه وبدي يكتب عرقتنجي.

– السبت ، في ٧ ت ت ١٨٦٣ ، في ٢٦ جمادى الاول ١٢٨٠

[١٣٤'] ــ اولها عرس بنت الشامي لبنت الدوش ــ الاثنين بدي يكتب ابن الرباط[3] وكرّس الكنيسة مطران جرجس شلحت كنيسة السيده السريان من عمارها من الحريق بالحادثه [١٨٥٠].

---

١) اي ان الترتيب في استقبال المطران لم يكن على ما يرام.

٢) من عدم التكليف اي انهم دعوني الى النقشة بصورة بسيطة كما يصير ذلك بين الاصدقاء والاقارب الادنين.

٣) جاء الياس بن نصري رباط في ١٧ اذار ١٨٢٢ في لائحة المسدين عند الموارنة من الروم الكاثوليك وكان الاشبين جرجي بن يوسف رباط عمه والمسد المطران جرمانوس سوا

– السبت ، في ١٤ ت ت ١٨٦٣ ، في ج ت ١٢٨٠

ـــ الخميس انعزمنا لعبرة جبرا بليط رحنا ورجعنا الساعة ٧ من الليل وكان نوبة آجق باش .

[١٣٤'] ـــ الاثنين اجا قفل من اسكندرونه فيه مشلحين ابن الشقال بن جبرا وابن الياس اسطنبلي وابن هندية .

– السبت ، في ٢١ ت ت ١٨٦٣ ، في ١ جمادى ت ١٢٨٠

ومات يوسف هندي الله يرحمه وقبروه الاحد ومات جفروا باش ترجمان الفرنساويه .

[١٣٤'] ـــ الاحد رحت الاخويه وصار كرز المطران وزياح طلعنا س ١٠ عيدنا المطران ٣٥ والمرشد ١٠٧ قندلفت ٥ يوآب ٢٧ .

– السبت ، في ٢٨ ت ت ١٨٦٣ ، في ١٧ جمادى ٢ ١٢٨٠

[١٣٥'] ـــ الخميس اشتروا بيت الكبابه حوش بيت شوكتلي بليره مجيديه ٢٢٠٠ وابن القهواتي[1] اشترى حوش بيت القصاب في الشرعوس بليره مجيديه ١٠٠٠ .

– السبت ، في ٥ كانون الاول ١٨٦٣ ، في ٢٥ جمادى ٢ ١٢٨٠

وجابت صبي مراة صادر[2] مريانا بنت عزوز واجا كوسا[3] اليا واخوه فيليب من البلاد وارنيست بقي لبعيد ـــ الاربعا عيد حبل حنة . وسهرت بنت الدلال ومسكني ريح بخاصرتي الشمال ـــ والسبت شربت جاي ورق النازنج .

---

١) قهواتي جاء في (ر ك م) ذكر مرغريتا بنت جرجس قهواتي في ٢٤ ت٢ ١٨٢٢ – الاشينة عنها مرغريتا – المعمد قس شكرالله ايوب .

٢) جاء الاسم في سجل معمودية الموارنة ٨ مرات بين ١٦٦٨ و١٦٧٢ واول من ذكر من العائلة ترازيا ابنة جبرائيل صادر المعمدة في ١١ شباط ١٦٦٨ وكان الاشبين الشدياق نوح والاشينة مريم ابنة يوحنا زنده .

٣) كوسا ذكر الاسم بين ١٦٦٨ و١٦٧٢ في سجل عماد الطائفة المارونية . حنا كوسا وقف اشبيناً في عماد الياس بن حنا نصف الليل في ١٩ شباط ١٦٦٨ وكانت الاشينة سيدة ابنة خليل .

وفي (ر ك م) جاء ذكر الياس بن يوسف كوسا في ٢١ اذار ١٨٢٢ اعتمد على يد المطران جرمانوس حوّا وكان الاشبين مخائيل بن جرجي جوان .

[١٣٥٢] ــ والخميس ضربت بالبيت عصافير وطبخناهم ــ والثلاثا قطعنا قديد رطل ٤ جديد ودفعت ١٣٧ غرش رطل وملحناه والجمعة ارسلناه بيت البطق.[1]

– السبت ، في ٢٥ كانون الاول ١٨٦٣ ، في ٢ رجب ١٢٨٠

[١٣٥٣] ــ وطلعوا اولاد الوكيل ورزق‌الله عند خاله نصري دلال ونعوم عند بيت فتح‌الله عبجي . ــ الثلاثا مرفع الميلاد والمسا بديت رياضة الميلاد بالكنيسة — والخميس والجمعة والسبت كل ليلة الرياضه عند السريان .

– السبت ، في ١٩ كانون الاول ١٨٦٣ ، في ٩ رجب ١٢٨٠

ــ والاثنين اجا صولا نعوم من البلاد واجا ارنيست بن فيلكروز من البلاد . ــ والخميس دتوا تيل‌غراف ان البابا بيوس انتقل لرحمة الله تعالى هكذا سمعت بعد تتحققها . ــ واولها تبروا كرابيد سيوفي زوج خاتون شاه ــ والاثنين صار تلج مقدار ساعه شي. بكثره وبعده قطع وداب وبعده جابت بنت روزين مراة بطرس حمصي بن المرحوم نعوم حمصي.[2]

[١٣٦١] ــ الاحد والاثنين والثلاثا والاربعا مسا رياضة والثلاثا اول المربعينيه والخميس ليل الميلاد رحت القداس المسا والجمعة والسبت ميلاد غربي والاثنين اشتوروا الروسا ان لا يقو غلايين بالعياد المعلومه العامة مثل الميلاد والكبير . وماتت بنت المرحوم يوسف حمصي صغيره ترضع واشترا حوش بيت الوكيل[3]

١) بطق ذكر الاسم ٨ مرات في (م) وكانت الاولى لما وقف مخائيل بن بولص بطق اشيناً في عماد بولينا ابنة جبير ابن الرمان الهدناني في ١٢ ت١ ١٦٦٨ وكانت الاشينة فروزينا ابنة داود سمر بيت الامير .

٢) جاء ذكر مخائيل نيقولاوس بن نعمة يوسف حمصي في ١٥ نيسان ١٨٢٢ في لائحة الروم الكاثوليك المعمدين عند الموارنة – الاشبين عمه نعمةالله – المعمد المطران جرمانوس حوّا .

٣) جاء ذكر وكيل في سجل الطائفة المارونية للمعمودية وهو حنا البودي وكيل وقف اشيناً في ١٥ ت١ ١٦٦٦ في عماد مرتا ابنة حنا الحصرم وكانت الاشينة روانا بنت زمريا .

وجاء في (ر ك م) ذكر ثلاثة اطفال من بيت الوكيل اولهم رزق‌الله جرجس بن يوسف جرجس وكيل الروم (كذا) في ١٥ آب ١٨٢٦ وكان الاشبين يوسف عمه والمعمد قس بولس اروتين .

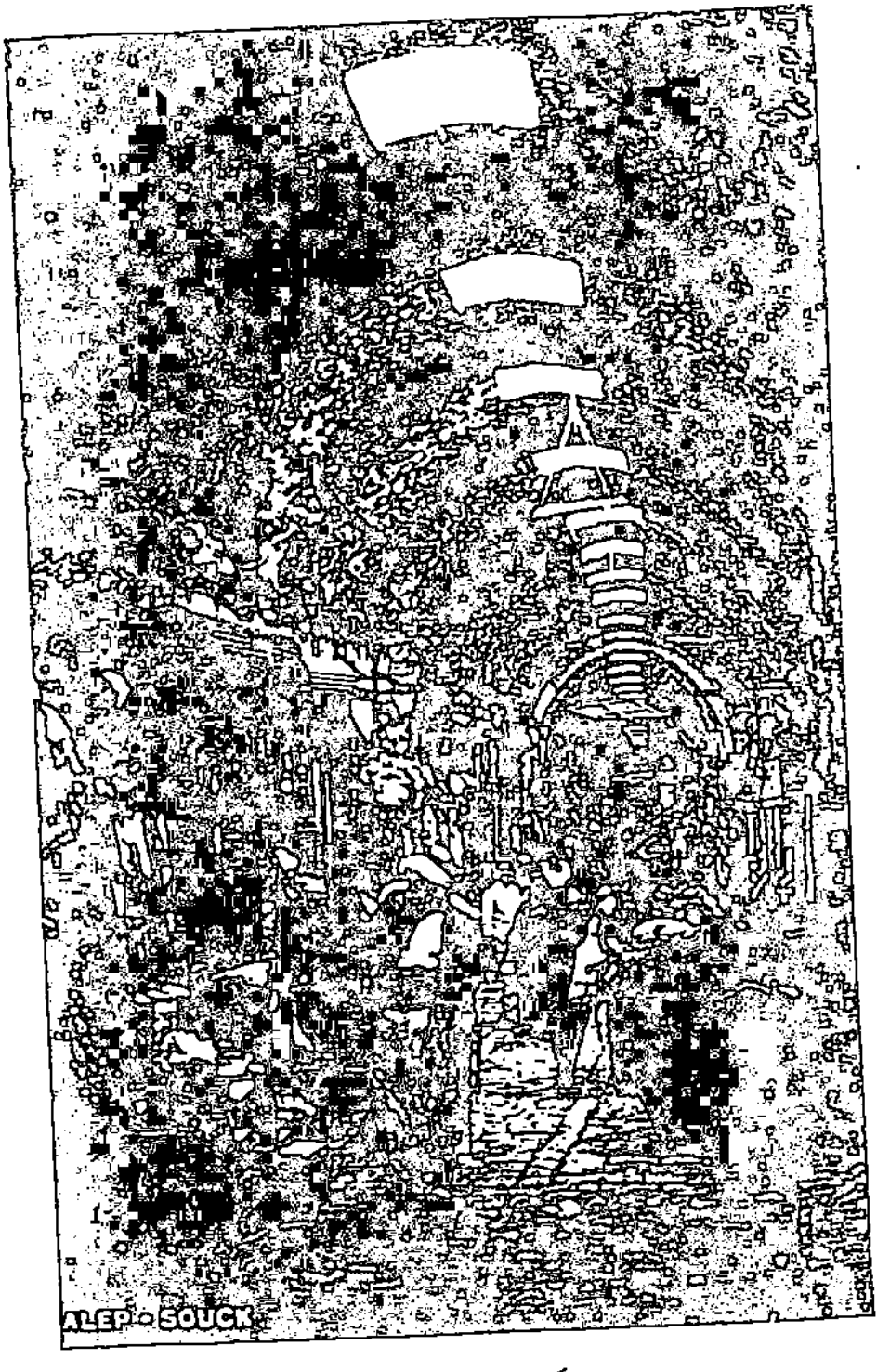

سوق الكافية بالقرب من الجامع الكبير

قيراط ١١ من طنبه[1] بليره ٨٠٠ مجيديه .

[١٣٦٢] ــ اولها كان مطر وافر والخميس صار تلج حالول وبقا والجمعة راس السنة مباركه الله يحيينا لامثالها ان اراد بجاه اسمه العظيم.

– السبت ، في ٢ كانون ٢ ١٨٦٤ ، في ٢٣ رجب ١٢٨٠

ــ والاربعا ماتت مراة جرجي موصلي ام اولاد فرقوعه الله يرحمها.

[١٣٦٢]

– السبت ، في ٩ كانون الثاني ١٨٦٤ ، في ٣٠ رجب ١٢٨٠

وماتت فرقوعه مراة عبدالله فرقوعه سلفة التي ماتت جمعة التي قبلها وماتت مينا بنت صندوق نفسا وعمال يموت نفسا كثير هــذه الجمعة وطلبوا الترابيه شيخ حارة الجديد ومعه رفيق.

[١٣٧١] ــ الاثنين رجعت عند الحكيم وصف خشخاش وتين ٥ وزهر ختمي ابيض درهم ٢ ــ والثــلاثا زيت خروع درهم ٢٠ ــ والاربعا حب ١ ، ٢ ، ٣ .

– السبت ، في ١٦ ك ٢ ١٨٦٤ ، في ٦ شعبان ١٢٨٠

وكل الجمعة مطر .

[١٣٧٢] ــ الاحد برد وافر وبوظ وتحت الجليــد بدرجات ٦ وتم ليوم السبت نزل درجه ٢ ــ والاثنين بدي بالمقامات بطق وبدي يكتب وانيس سيوفي ــ والجمعة جابوا خليل آغا واخوه من كلز وحبسوهم بالمغاره عن يد الباشا ثريا باشا الذي بكلز باشة حلب .

السبت ، في ٢٣ كانون الثاني ١٨٦٤ ، في ١٤ شعبان ١٢٨٠

[١٣٧٣] جبرا كل الجمعة حردان ما عمال يجي .

السبت ، في ٣٠ كانون الثاني ١٨٦٤ ، في ٢١ شعبان ١٢٨٠

[١٣٨١] ركبنــا ودرنا دورة باب الله انطوناكي وامه واخته وعجوري مخائيل وانا ــ الاثنين سلمت على عبدالله جهامي اجا من ازمير وتعشيت عندهم ــ الخميس رحنا درنا والاولاد بالبريه .

---

١) جاء ذكر ترازيا بنت الياس عبدالله طنبه في ٢ تموز ١٨٢١ (ر ك م) – الاشينة سوسان عمتها – المعمد قس يوسف عبديني .

– السبت، في ٦ شباط ١٨٦٤ في ٢٨ شعبان ١٢٨٠

والبرد موجود مثل اول ويوز وهوا بارد الله ينجينا من شر هذه السنة ومات جبرا دقاق الذي كان اخذ بنت نعوم الحكيم بشاره .

[١٣٨٢] ــ الاحد اجا باشة حلب من كلز ثريا باشا مع العشا ــ والاربعا بدي المطر وقطع البوظ ــ والجمعة سعد باع ولبس الخميس نيشان عند الباشا مطران بولس حاتم ودقت الموزيكا[1] بالقلاية[2] من العصر الى المساء .

– السبت، في ١٣ شباط ١٨٦٤، في ٦ رمضان ١٢٨٠

وبدينا الصوم سوا مع الاسلام .

[١٣٨٣] ــ الثلاثا وقعت وقعه ماكنه بالقبقاب ووصف الاربعا الحكيم شوربه الحمص والعدس وجاي وبنفسج ويومها مات لويس انطون دوناطو الله يرحمه ــ الجمعة برنابه كوى عين مطران جرجس شلحت لان المذكور له من يوم الثلاثا اول الصوم للان يوجع العين ومن الكوى قضى الم زايد الله يشفيه .

– السبت، في ٢٠ شباط ١٨٦٤، في ١٣ رمضان ١٢٨٠

[١٣٩١] ــ الاحد اولها وبعده اخويه ومسا كرز وطلبه سرياني ــ والاثنين بدي يكتب كلزي[3] بن يوسف ورحت الصيد ــ الاربعا مع سيوفي مزاعله وبطل والمطران للان عينه ما طابت واجا سوكياس من انطاكية .

– السبت، في ٢٧ شباط ١٨٦٤، في ٢٠ رمضان ١٢٨٠

[١٣٩٢] ــ الاربعا مطر وافر والخميس مطر وبرق ورعد ــ الجمعة ولدت مراة انطانيوس عازار[4] جابت صبي .

---

١) الموزيكا افهم بها النوبة بالالات النحاسية الافرنجية Faufare

٢) القلاية اي دار المطران .

٣) كلزي الياس بن نعمة جرجي بنا كلزي جاء في (ر ك م) في ٢٩ تموز ١٨٢٢ – المعمد قس شكرالله حوّا .

٤) عازار جاء ذكر الاسم ٤ مرات في سجل الموارنة للعماد وفي لائحة الاشبنة واول من ذكر من البيت الياس عازار وقف اشبيناً في ١٩ شباط ١٦٦٧ لعبد الله ابن يوسف قنوعه وكانت الاشبينة خاتون حرمة عطاالله شبني .

وجاء ذكر اربعة اطفال من بيت عازار في (ر ك م) منهم جرجي الياس بن جبرائيل عازار ١٥ تموز ١٨٢١ – الاشبين يوسف بن انطون سمان – المعمّد المطران جرمانوس حوّا .

– السبت ، في ٥ اذار ١٨٦٤ ، في ٢٧ رمضان ١٢٨٠

[١٣٩']

– السبت ، في ١٢ اذار ١٨٦٤ ، في ٥ شوال ١٢٨٠

ومات الجمعة مخائيل بازرجي موت الغفلة بالزقاق الله يرحمه وينجينا من هكذا موته ويوسف وكيل طاب والمطران ايضاً طاب .

[١٤٠'] ــ الاثنين العويجي واخذت برميدات ٤ ــ الخميس بزقزوته وراح جهامي دلال وباسيل[1] وبردخجي آجق قنا وجابوا زلاقطين ٥٠ .

– السبت ، مار يوسف ١٩ اذار ١٨٦٤ ، في ١٣ شوال ١٢٨٠

[١٤٠'] ــ اولها النيروز[2] والساعة ٢٧ رحت دورة العذارى ونعوم ضاهر مريض ومتقل وفتح‌الله ارسان فالج ــ الاربعا اجا جبران حنا طنبرجي وعيواظ من مصر ــ الخميس قداس الكبير والدوره وبعد الظهر غسول والسبت الما مطر وافر .

في ٢٦ اذار ١٨٦٤ ، في ١٩ شوال ١٢٨٠ -

[١٤٠'] ــ الاحد عيد الكبير غربي – الاثنين سافر نعمةالله حمصي الى منشستر بن نصري ــ الثلاثا ماتت بنت يوسف برسيخ مراة ابن طنبه فتح الله عمرها ٢٧ عروس الله يرحمها ويتنحهم المعونة على حزنها ــ الاربعا البشاره وشلفوه من جمعة الآلام الجمعة والزوم عيدوه بالآلام.

– السبت ، في ٢ نيسان ١٨٦٤ ، في ٢٦ شوال ١٢٨٠

[١٤١'] ــ الاثنين قعدوا عندي اولاد الياس كلداني وابن نعوم زلموم ايضاً .

– السبت ، في ٩ نيسان ١٨٦٤ ، في ٣ ذي القعدة ١٢٨٠

ــ الجمعة اجا قونصل الفرنساوي ومعه فتح الله عرقتنجي[3] كنشلر من برا

---

١) في ٢٥ نيسان ١٨٢٥ جاء ذكر عماد مرغريتا بنت جبرائيل باسيل في (ر ك م) وكانت الاشبينة سيدة بنت نصري قديد زوجة فتح‌الله مقل وكان المسبّد القس بولس اروتين

٢) النيروز او اول يوم الربيع.

٣) عرقتنجي اربعة اطفال ذكروا في ر ك م منهم فرج الله جرمانوس بن نصر الله عرقتنجي في ١٨ ك٢ ١٨٢٣ وكان الاشبين عمه فتح الله والمعمد المطران جرمانوس حوا –

ـ والاثنين اكليل نعوم شماس الى ارملة فتح الله خياط بالكنيسة . ـ والخميس مراة نعوم عبجي[1] جابت صبي ـ والاثنين جابت بنت مراة حنا خوكاز بنت زلعوم . ـ واولها اكليل حنا معلم الارمن الى بنت نعوم يعقوب

وفي ورقة قديمة مؤرخة في ٢٧ اذار سنة ١٨٦٢ عثرنا على لائحة نقود خاصة فتح الله عرقتنجي نروجا على علاقا لما فيها من تكميلات على تعليات البخاش

٢٠ ق	بشلك
٨٧	ممدوحي
٤ ق	استنبولي
١٦ ق	بندقي
٧٦	خيرية مصرية
٤	عدلي تاريخي
ق	جهادي
٦	ظريفة
٣٦	ربعية قديم
٢٧	ربعية زغرلي
٤	مجر
١	بشلك قديم
٤	appoint

مجموع قيمتها ٨٩٢ غرشاً .

ومن القرائن دليل على ان تلك النقود لم تكن للاستعمال الجاري ولكن كانت وديعة لها قيمتها الرهنية .

ـ اما العملة المستعملة في ذلك العهد فقد يفيدنا عليها سجل القنصلية الانكليزية في سنة ١٨٧٨ ٢١ تشرين جاء فيه :

ان النقود المستعملة بين الباعة وبين الشعب في معاملاتهم اليومية وفي تعاطيهم مع المتزينة العثمانية هي العملة التركية الذهبية او الفضية .

اما سعر الليرة الذهبية المألوف فهو ١١٧ غرشاً والمجيدي الفضي ٢٢ غرش والنصف المجيدي سعره ١١ غرشاً والربع المجيدي ٥ والنصف . اما قطعة الغرش او الغرشين الفضة فالمشرون منها تسوى المجيدي . البشلك قيمته ٥ غروش والمليك ٦ غروش .

وليس من نقود فضية في ايدي الناس سوى قطع ٥ بارات كل ثمانية منها تسوى الغرش .

و« القائمة » هي ورقة قيمتها المطبوعة عليها ١٠٠ غرش اما صرفها فهو ٣٦ ق غ

١) عبجي جاء ذكر ستة اطفال في ر ك م منهم خليل بن جرجي عبجي المعمد في ١ ت ١ ١٨٢١ وكان الاشبين جرجي بن عبدالله حكيم والمعمد القس شكرالله ايوب

بالكنيسة — والجمعة جبنا تنبك رطل ١٠ وقيه ٤ من عند صايغ بن حنا المرحوم...وصيرنا المرايا وبيست تر الحنة .

[١٤١٢] — الحنطة الشنبل ١٠٠ وما هي طيبه وما في وسافر نعوم خاطي وبيته الى الشام ورجع لبلده من بعد الحادثة التي صارت بالشام .

– السبت ، في ١٦ نيسان ١٨٦٤ ، في ٩ ذي القعدة ١٢٨٠

[١٤١٣] — الاثنين دفعت الترابيه الى شيخ الحاره غرش ٨٠ جديد وطباخ العرق ١١٧ — الثلاثا جابت صبي مراة الياس كلداني — الجمعة اكلت المطرة ببستان العويجي ورحت فت خيمة الجاير بالعويجي ومطره معتبره ورعد ومطر بسخا ونزلت الساعة ١١٤ وتزعت اديالي تراب .

– في ٢٣ نيسان ١٨٦٤ ، في ١٧ ذي الحجة ١٢٨٠

[١٤٢١] — الاثنين رحت الصيد طالعت براقه والماء زايد دراع ونزود وكان زلعوم وتوما وعبجي قدام القصير . وارسلت مدام سكين مراة القونصل الانكليزي لنا قهوة بسكر ونزلت ودعت انطوناكي ضاهر وسافر المذكور ودلال وعجوري واخوات قس يوسف ياقين رايحين للقدس وقعد عندي نعوم زلعوم بن فرج الله واولاد جرجي شمراوي — والاربعا راحوا زوار دير مار جرجس — والجمعة كان مطر ونبهوا ان يروحوا اهل الصليبه يلموا الجراد من اجل المطر ما قدروا راحوا .

– السبت ، في ٣٠ نيسان ١٨٦٤ ، في ٢٣ ذي القعدة ١٨٠

[١٤٢٢] — الاثنين راحوا للم الجراد المطارين وبعض من اهل الصانع الى الشقيف ولموا مقدار كيس ١٠ ونهارها اجا اخو مطران جرجس شلحت من مصر واستقام ١٥ يوم واجا جرجي اكريجان سيوفي من طرسوس ومات جرجي الياس بليط والمذكور كان عمال يكتب عندي وعمره ١٢ او ١٣ — والخميس مات جرجي بليط عم المتوفي الله يرحمهم .

– السبت ، في ٧ ايار ١٨٦٤ ، في ١ ذي الحجة ١٢٨٠

وجبنا جبنه رطل ٥ سعر ١٠ وخمسة ماكول الهنا ان كان الله يريد .

[١٤٢٣] — الاثنين قعد عندي نعوم طانيوس عازار — الخميس اجوا الزوار من الدير [مار جرجس] .

– السبت ، في ١٤ ايار ١٨٦٣ ، في ٨ ذي الحجة ١٢٨٠

[١٤٣١] — الاثنين قمد عندي اسحق اخو كيورك بغدادي بن يعقوب ست وعيد الله اكبر اسلام . — والاربعا ارسل خلفي مطران الموارنة وطلب كرا الحوش ليره مجيديه عدد ٢٥ وباقيه للآن.

– السبت ، في ٢١ ايار ١٨٦٤ ، في ١٥ ذي الحجة ١٢٨٠

[١٤٣٢]

– السبت ، في ٢٨ ايار ٦٤ ، في ١٥ ذي الحجة ١٢٨٠

وسافر نعوم كبابه الى عند رزق الله وراح انطون خوكاز الى ماردين معه ولبسوا خاتم الى شكر الله وكيل لبنت ميخائيل رعد مروم والمذكور تلميذي وانا ما كنت[1] ومشورة بنت حاتم.[2] دفعت كرا الدار الى رزق الله ارسان احد وكلا الوقف بليره ٢٢ مجيديه ولحنا شبشول ٢٣ غرش سنه مباركه ان اراد الله واجا جرجي خوري من اسلامبول .

[١٤٣٣] — الاحد مشورة ابن فتح الله ابن عمي الى بنت الابرص.[3]

– السبت ، في ٤ حزيران ١٨٦٤ ، في ٢٩ ذي الحجة ١٢٨٠

والهوا نار من الثلاثا للآن زايد كثير وبارد.

[١٤٤١] — الاحد سافروا بيت الشوكتلي الى ازمير وسقال[4] معهم ولبس خاتم لبنت سكر — والاثنين بديوا يعزلوا حوش بيت الشوكتلي بيت الكبابه لانهم اشتروها من قبل شهر ٤ . (للمقال صلة)

١) تلميذي وانا ما كنت . نكتة ظريفة تفيد ان البخاش ما كان يفوته حفلة اهلية الا بالنادر .

٢) حاتم . جاء ذكر فتح الله بن عبدالله حاتم في ٢٢ ك١ ١٨١٩ في لائحة الروم الكاثوليك المعمدين عند الموارنة – الاشبين الشماس شكرالله حوّا – المعمّد المطران جرمانوس حوّا ومن اعلام البيت المطران بولس حاتم على الروم الكاثوليك في حلب المتوفى في ١٠ شباط ١٨٥٥ والشاعر ميخائيل حاتم (راجع المشرق ٢٠ : ١٠٠٧)

٣) ابرص جاء مرتين في لائحة اسماء الروم الكاثوليك المعمدين عند الموارنة وكانت المرة الاولى في عماد جبرائيل بن الياس ابرص في ١٨ ك١ ١٨٢١ وكان الاشبين فتح الله بن انطون ابرص والمعمّد قس شكرالله ايوب .

٤) جاء ذكر نعمة الله سمعان بن جرجي سقال المعمد عند الموارنة في ٤ ايار ١٨٢٢ وهو من الروم الكاثوليك – الاشبين اخوه فتح الله المعمّد قس شكرالله ايوب .

الاسلوب العلمي والتأريخ

للدكتور اسد رستم

يعنى الدكتور اسد رستم بتأليف كتاب في مصطلح التاريخ او علم « المنودولوجية » . وبعد ان بحث في جمع الاصول ، والعلوم الموصلة ، ونقد الاصول ، طرق موضوعين هامين هما تنظيم العمل ، وتفسير النص . فرأينا ان نعرضهما نموذجاً لوضوع جديد في آداب اللغة العربية لم يسبق ان طرقه باحث آخر .

تنظيم العمل

يجدر بالمؤرخ المدقق ، بعد ولوج هذه الابواب الثلاثة ، اي بعد ان يكون قد جمع الاصول ، ونقدها ، وتمكن من العلوم الموصلة الى فهمها ، ان ينتقي ما جمع من الاصول ، ويتبع خطة عملية رشيدة في استخلاص المعلومات منها . وقد ادرك المنفعة من مثل هذا العمل خاصة الناس وعامتهم ، وأجمعوا عليه في حياتهم الشخصية . فقالوا بوجوب ترتيب الثياب في الخزائن والجوارير ، ووضع اواني المطبخ في محلات معينة لها ، وذلك لتسهيل الوصول اليها وعدم ضياع الوقت في التفتيش عنها .

وعلى الرغم من هذا لا تزال نرى بعض علمائنا يقضون السنين الطوال في البحث والتنقيب وجمع المعلومات ، وعندما تضطرهم الظروف للرجوع اليها ، يَستغلِقُ الامر عليهم ويعسر الوصول الى ما يريدون مما جمعوا ، الّا بعد العناء الطويل . ونحن نعرف صديقاً لنا قضى عمره في درس تاريخ لبنان الحديث ، فوقف على جلائله ودقائقه ، واصبح اعرفَ الناس به ، ولكنه قليل الترتيب في تدوين ما يعلم . فانك لو طلبت اليه ان يطلعك على مرجع من المراجع التي اخذ عنها وذهبت معه الى بيته ، ودخلت مكتبته ، لو فعلت هذا لرأيته يطلب دفتراً قديماً هنا ، وهامشاً هناك ، وقصائص اوراق دُوِّن في الواحدة منها معلومات

شتى بخطٍ سقيمٍ مُجمجمٍ . وقد تبقى في غرفته ساعتين او اكثر . ثم يقول لك سابحث عن هذا في جرٍ رائقٍ واوافيك بالجواب . وقد يجد ما يطلب او لا يجد . ولست ادري مَن ذا الذي قال ان مثل هذا مثلُ قوم قضوا حياتهم كلّها في تشييد بناء يحملون حجارته على اكتافهم دون ان يفقهوا اين يضعونها ، حتى اذا بلغوا المرحلة الاخيرة في حياتهم نظرت اليهم والى ما يفعلون ، فلا تسمع سوى ضجةٍ تصمُّ الاذان ، ولا ترى سوى سحب من الغبار عقدت سرادقات فوق رؤوسهم تُعمي الابصار .

ومثل هذا التنسيق او الترتيب ، على تواضع ظاهره ، يعدّ في عرف المؤرّخين المدققين ، دعامة كبرى في بناء التأريخ . وبفضله وحده يتميز نفر من المؤرّخين على سواهم . فيوفرون على انفسهم اتعاباً جمة . ويصلون من اهدافهم الى ما لا يصل اليه غيرُهم .

واذا كان لا بدّ من تنظيم العمل فكيف يكون ذلك ؟ وماذا يفعل المؤرّخ فورَ انتهائه من نقد الاصول ؟ على المؤرخ ان يعترف بادئ بدء أنه ليس بامكانه ان يعتمد على ذاكرته في العمل ، وان يسلّم بوجوب القيد . وهو امرٌ لا يرتاب فيه عاقل . وقد نطق بصحته فلاسفة علم النفس . وتناصرت عليه حُججهم . او لم يقل الفقيه اللغوي ابن عباس الكوفي :

لا تنسَ هاتيك العهودَ ، فانما سمّيت انساناً لانك ناسٍ

ويترتب على المؤرخ ان يبتعد كل البعد عن الدفاتر والاوراق المجلّدة . لانه اذا دوّن ما يستخلصه من الاصول في دفترٍ او دفاتر معيّنة ، تقيّد بترتيبٍ خاص قد تقضي الظروف بتغييره او تعديله قبل الانتهاء من مهمة التأريخ . وقد يُضطر المؤرخ ، بعد الابتداء بالعمل ، ان يُفسح مجالاً اوسع لموضوع ما ، فلا يرى سبيلاً لذلك الا بعد العناء . وقد لا يرى . اما اذا ابتعد عن كل ما يمتُّ الى المجلدين بصلة ، واتخذ للتدوين اوراقاً منثورة ، فقد انطلقت يدُه في العمل ، واصبح حرّاً ، يزيد متى يشاء ، ويقدّم ويؤخر ما يشاء .

وقد اختلف المؤرّخون في كمية ما يدوّنون على اوراقهم المنثورة . فمنهم من قال بتدوين كل ما لهُ علاقةٌ بالموضوع . اي اذا عُني مؤرخ ما بتاريخ حرب من

الحروب ، وافرد لكل سبب من اسباب هذه الحرب ورقة او ورقات ، ولكل موقعة منها مثلَ ذلك ، وهلمّ جرّاً ، فعليه ان ينقل على اوراقه كلّ النصّ الذي يتعلق بمثل هذه المواضيع . وقال آخرون بوجوب الاكتفاء بخلاصة النصّ .

اما نحن ، فقد وجدنا بالاختبار الشخصي ، بعد ان بدأنا بتأريخ الحملة المصرية على الاقطار الشامية (١٨٣١–١٨٤١) ، ان لا هذه الطريقة ولا تلك تفي بالمرام . وذلك لاسباب نعرضها حالاً زيادة للايضاح . إن الاصول لهذه الحقبة الوجيزة من تاريخ الاقطار الشامية تربو على الالف كتاب بين مقالة ورسالة ورحلة وتاريخ رسمي . وهنالك ما لا يقلّ عن الخمسين الف وثيقة تتعلق بالموضوع نفسه . فلو عُنينا بادخال جميع هذه النصوص ، على اوراق او بطاقات منثورة ، لاضطررنا ان نقضي حياتنا بالاستنساخ . وبعد ان عملنا بما ورد في اعلاه مدةً من الزمن ، وزاولنا استنساخ النصوص على البطاقات كما تقدم ، اضطرتنا الظروف ان نكتب شيئاً في بعض نقاط معينة . فوجدنا انه لا بد لنا من مراجعة المؤلّفات نفسها للتحقّق إمّا من صحة ما نقلنا او من علاقاته بما قبله وما بعده . فلم نستفد من بطاقاتنا ، والحالة هذه ، سوى انها ارشدتنا الى النصوص في وقت قصير للغاية ، وانها مكنتنا من ترتيب هذه النصوص ترتيباً تاريخياً في وقت وجيز ايضاً . فرأينا ، بعد هذا الاختبار ، ان نجعل من بطاقاتنا المنثورة فهرساً عاماً لجميع مواضيع الاصول وجميع اسماء الرجال والامكنة فيها .

على ان جميع المؤرخين اليوم يصرون على وجوب الاشارة الى زمن وقوع الحوادث المروية . ويحثون على المؤرّخ المنقّب وجوب الاشارة في كل ورقة من ورقاته المنثورة الى المرجع الذي يستخلص منه محتويات هذه الورقات ، وذلك بذكر المؤلّف والمؤلَّف والمجلّد والصفحة .

وقد لا يختلف اثنان من علماء التأريخ في ترتيب الاوراق المنثورة . فحيث نجعل من هذه الاوراق فهرساً عاماً للاصول نرتبها ترتيباً ابجدياً . وان آثرنا تدوين النصوص بكاملها عليها رتبناها اما بموجب تواريخها ، او بحسب الامكنة التي وجدت فيها ، او على اساس مواضيعها . وليذكر المؤرخ المستجدّ ان ترتيب النصوص

على اساس تواريخها ضروريّ في غالب الاحيان . وذلك لانه يوضح له تسلسل الرواية والحوادث المرويّة ، ولانه يتيه شر تقديم المسبَّبات على اسبابها. وحيث ترد بعض الاصول مجهولة التاريخ ، عليه ان يسعى سعياً حثيثاً لتأريخها ، كي يتمكن من ترتيبها بموجب تواريخها.

ولا يتبادر الى ذهن القارئ انه لا يجوز ترتيب النصوص على اساس الامكنة التي وجدت فيها ، او المواضيع التي تحتوي عليها . بل بالعكس ، فانه من المستحسن ان يتفنن المؤرّخ في الأُسس التي يتخذها للتصنيف والتنسيق ، سواء أكانت زمنية ام جغرافية ام غير ذلك. فاذا ما عالج المؤرخ درس موضوعه من مثل هذه النواحي المختلفة ، برزت له الحقيقة التي يتوخاها بوضوح وجلاء ، قد لا يصل اليها ، اذا اكتفى باتباع اساس واحد للتنسيق.

وقد يضطرّ المؤرّخ احياناً الى اهمال التنسيق على اساس زمن النصوص لاستحالة معرفة تواريخها . فيكتفي ، والحالة هذه ، بما تبقى لديه من سائر الاسس. ولنا في إختيار علماء اوربة ، ولا سيما العلامة الكبير تيودور مومسن، في مجموعة النقوش اللاتينية (Corpus Inscriptionum Latinarum)، مثال واضح يُؤيّد ما تقدم. فان معظم هذه النقوش غير مؤرّخ. وقد اختلف العلماء ، عشرات من السنين ، في امر تنسيقها وترتيبها . فقال البعض بتصنيفها على اساس محتوياتها وقسموها الى نقوش دينية ، ونقوش عسكرية ، ونقوش ادبية شعرية . واعترض آخرون على هذا التنسيق وقالوا باتخاذ المكان الذي وجدت فيه النقوش اساساً للترتيب . وذلك لان تنسيقها على اساس محتوياتها قد يضطر المؤرخ الى التكرار المملّ. اذ انه معقول جدًّا ان يحتوي نقش ما على شعر ودين وحرب في آن واحد . وبعد اختبار طويل دام قرناً كاملاً ، او اكثر ، اجمعت الآراء على افضلية الترتيب الجغرافي. وبعد ان نال العلامة مومسن ، مدة طويلة ، بالتنسيق على اساس المحتويات ، عاد فأيّد الاساس الجغرافي. وظهرت المجموعة كاملةً على هذا الاساس .

تفسير النص

وبانتهاء المؤرّخ من نقد الاصول ، على الوجه الذي تقدم شرحه في الباب الثالث من هذا الكتاب ، ينتهي النقد الخارجي . وينتقل المؤرّخ من ظاهر النص ومجرد اللفظ الى باطن الكلام وفهم المعنى ، فيشرع في النقد الداخلي .

والنقد الداخلي في مصطلح التأريخ على نوعين : نقد داخلي ايجابي ، ونقد داخلي سلبي . فالايجابي يفسّر النصّ ويظهر معناه . والسلبي يكشف الستار عن مآرب المؤلف واهوائه ودرجة تدقيقه في الرواية .

وتفسير النص ، وهو موضوع هذا الباب ، يكون على وجهين : اولهما تفسير ظاهر النصّ ، وثانيهما ادراك غرض المؤلّف . فعلى المؤرّخ المدقق المنقب ، حيث يحاول تفسير هذا النصّ ، ان يُلمّ اولًا بلغة الاصل الذي يدرس . وعليه ان يجيد فهمَ هذه اللغة كما عُرفت واستعملت في العصر الذي عاش فيه راوي الرواية . فمعاني المفردات تتطوّر وتتغيّر احياناً مع تطوّر الظروف وتغيّر الاحوال . وكفانا دليلًا على ذلك بعض اعمال المجمع اللغوي في مصر ، وما وضعنا في هذا الكتاب من المعاني الجديدة العصرية في بعض المفردات والاصطلاحات التي استعملت في كتب الحديث والتفسير منذ مئات السنين . وعلى المؤرّخ ايضاً ان يذكر ان المفردات والاصطلاحات اللغوية تختلف ايضاً باختلاف الاقليم . وقد تختلف باختلاف الكاتب نفسه .

وحيث يشعر المؤرخ المدقّق بشيء من الشكّ في فهم بعض هذه الدقائق اللغوية في اصل من الاصول يجدر به ان يكمل قراءة النصّ اولًا ، لعله يقف على ايضاح ما التبس . فان اعياه ذلك فعليه بسائر كتب المؤلّف . واذا لم يجد التفسير في النصّ نفسه ، ولا في مؤلفات المؤلّف الاخرى ، رجع في ذلك الى اقوال الزملاء المعاصرين . هذا ، وإنّ « لا أدري » لمن العلم !

وقد يكتفي المؤرخ ، في قراءة الاوامر الادارية وبعض النصوص التاريخية القصصية ، بتفسير ظاهر النصّ لادراك غرض المؤلّف . وذلك ان واضع النصّ ، في مثل هذه الظروف ، يتوخّى استعمال الالفاظ التي توضح المعنى دون ايّ تردد

في الامر. فاذا نجح المؤرخ في فهم ظاهر النصّ توصل الى ادراك المعنى الحقيقي.

وقد يلمس المؤرخ غموضاً او نقصاً او تناقضاً في المعنى، اذا هو استمسك بظاهر النصّ. فقد يكون في الكلام كناية، او مجاز، او استعارة، او تشبيه، او تلميح، او تعريض، وما الى ذلك. قال ابن عبد ربه في عقده[1]:

« وقد كنّى الله تعالى في كتابه عن الجماع بالملامسة وعن الحدث بالغائط... وقال تعالى: واضمُمْ يدك الى جناحك تخرُجْ بيضاء من غير سوء. فكنى عن البرص. ودخل الربيع بن زياد على النعمان بن المنذر وبه وَضَحٌ فقال: ما هذا البياض بك فقال: سيف الله جلاه. ودخل حارثة بن بدر على زياد وفي وجهه اثر فقال له زياد: ما هذا الاثر الذي في وجهك قال: ركبت فرسي الاشقر فجمح بي فقال: اما انك لو ركبت الاشهب لما فعل ذلك. فكنّى حارثة بالاشقر عن النبيذ وكنّى زياد بالاشهب عن اللبن. وقال معاوية للاحنف بن قيس أخبرني عن قول الشاعر:

اذا مـا مات ميتٌ من تميم فسرّك ان يعيش فجئ بزاد
بخبز او بتمر او بسمن او الشيء الملفّف بالبجـاد
تراه يطوف في الآفاق حرصاً ليأكل رأس لقمان بن عاد

ما هذا الشيء الملفف في البجاد؟ قال الاحنف: السخينة يا امير المؤمنين. قال معاوية: واحدة باخرى والبادئ اظلم. والسخينة طعام كانت تعمله قريش من دقيق وهو الخزيرة فكانت تسبّ به »

وهل ننسى، ونحن نتكلم عن الكناية، قول عمر بن ابي ربيعة:

ايها المنكح الثريا سهيلاً عمرَك اللهَ! كيف يلتقيان؟
هي شامية، اذا ما استقلت؛ وسهيل، اذا استقل، يماني.

ويجدر بالمؤرخ العربي، بعد مطالعة القرآن ودرس حكمه واحكامه، ان يدرس رسالة الفخر الرازي « نهاية الايجاز في دراية الاعجاز »، فيلمّ ببعض ما كان يجول في عقول السلف من هذا القبيل. فهنالك فصول متتابعة في الكناية وضروبها، والتجنيس وانواعه، والسجع، والتضمين، والترصيع، والمجاز، والتشبيه، والاعتذار، والاستعارة، والمطابقة، والمقابلة، والمزاوجة،

1) طبعة بولاق، سنة ١٢٩٣، ١: ٢٨٨-٢٩٠: « باب الكناية والتعريض ».

والاعتراض ، والالتفات ، والاقتباس ، والتلميح ، واللفّ والنشر ، والتعديد ، والايهام ، وتجاهل العارف ، والإغراق ، والجمع ، والتفريق ، والتقسيم. ومثل هذا يكثر في النصوص الدينية ، والمراسلات الشخصية ، والقطع الادبية. فعلى المؤرّخ المدقق ان يستعد لمثل هذه المفاجآت اللغوية ، ويتهيأ لها . وحيث يعترض المؤرّخ مثل هذه العقبات عليه ان يسعى لتذليلها بالوسائل نفسها التي يتذرّع بها لفهم الغامض من ظاهر النصّ : عليه بمطالعة النصّ كلّه اولًا ، ثم بمراجعة مؤلفات المؤلف الاخرى ، فاقوال الزملاء المعاصرين. ويجدر به ان يتروّن في مثل هذه المواقف فلا يتوقع الكناية مثلًا في غير محلها ولا يغفل عنها في محل وقوعها.

بقي علينا قبل اختتام هذا الباب ان نعترف بفضل علماء التفسير في هذا المضمار . فان الاسس التي اتبعوها في اصول التفسير علمية صحيحة . قال شيخ الاسلام تقي الدين بن تيمية في رسالته في اصول التفسير[1] ما نصّه: « فان قال قائل فما احسن طرق التفسير فالجواب ان أصح الطرق في ذلك ان يفسر القرآن بالقرآن. فما اجمل في مكان فانه قد فسّر في موضع آخر وما اختصر في مكان فقد بسط في مكان آخر . فان اعياك ذلك فعليك بالسنة فانها شارحة للقرآن وموضحة له بل قد قال الامام ابو عبدالله محمد بن ادريس الشافعي كلّ ما حكم به رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو بما فيه من القرآن . وحينئذٍ اذا لم تجد التفسير في القرآن ولا في السنة رجعنا في ذلك الى اقوال الصحابة فانهم ادرى بذلك لما شاهدوه من القرآن والاحوال التي اختصوا بها ولما لهم من الفهم التام والعلم الصحيح لا سيما علماؤهم وكبراؤهم . واذا لم تجد التفسير في القرآن ولا في السنة ولا وجدته عن الصحابة فقد رجع كثير من الائمة في ذلك الى اقوال التابعين كمجاهد بن جبر فانه كان آية في التفسير. فاما تفسير القرآن بمجرد الراي فحرام حدثنا مؤمل حدثنا سفيان حدثنا عبد الاعلى عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار.»

---

١) مقدمة في اصول التفسير من كلام شيخ الاسلام تقي الدين بن تيمية، عني بتحقيقها الشيخ جميل افندي الشلبي ، مطبعة الترقي بدمشق ١٩٣٦ ، ص ٢٤-٢٢

اللبنانيون في افريقية

بقلم كامل مروّه

للاستاذ كامل مروّه كتاب جديد اسمه « نحن في افريقية » (١ جمع فيه ذكرياته ومعلوماته في رحلته الاخيرة الى مهاجر اللبنانيين في افريقية الغربية ، دارساً ماضي الهجرة وحاضرها ومستقبلها . وقد رأينا ان ننشر له هذا البحث الذي خصّ به « المشرق » ، اشارةً الى ما في كتابه القيّم .

تيّار الهجرة يجرف مهاجرينا في البدء الى العالم الجديد، اي الى اميركة الشمالية ثم الى اميركة الجنوبية. وكانت مرسيلية المرحلة الاولى في الطريق اليها . وفيها على الارجح سمع مهاجرونا لاول مرة ببلاد مغمورة تدعى افريقية الغربية ، فغيّر انفار معدودون منهم مجرى الطريق ، واتجهوا اليها بدلاً من متابعة السفر الى الديار الاميركية ، اما رغبة في المغامرة ، او لعجزهم عن دفع اجرة السفر الباهظة من مرسيلية الى العالم الجديد ، او لان حالتهم الجسدية لم تكن تطابق الشروط الصحية القاسية المفروضة في اميركة على المهاجرين الجدد .

وليس بالاستطاعة تعيين التاريخ الذي بدأت فيه الهجرة نحو افريقية الغربية ولكن يمكن تحديده بصورة تقريبية حول سنة ١٨٨٠ . وقد ظلّ عدد المهاجرين الى افريقية ضئيلاً جداً في ذلك العهد ، ولم يتلبس صفة هجرة متواصلة الا في آخر القرن التاسع عشر .

وقد بذلت جهوداً كبيرة لمعرفة اسم المهاجر اللبناني الاول الى افريقية الغربية فلم افلح لانعدام السجلات والوثائق ، كما انه ليس بالاستطاعة تحديد المستعمرة الاولى التي استقبلته . والمرجح ان تكون السنغال اول مستعمرة دخلها

١) كامل مروّه : نحن في افريقية : الهجرة اللبنانية السورية الى افريقية الغربية : ماضيها ، حاضرها ، مستقبلها . — ٣٢٤ ص . متوسطة مزدانة بالرسوم ، مع خارطة كبيرة ملوّنة — نشر « المكشوف » بيروت ، ١٩٣٩

مهاجرونا في المنطقة الفرنسية ، وسيراليون في المنطقة البريطانية . واذا قابلنا بين حالة الاثنتين في ذلك العهد صحّ لنا اعتبار السنغال اول ما وطأته اقدامهم ، لانها عتبة افريقية الغربية جغرافياً .

وقد قام المؤلف الفرنسي « دربورد » ببحث دقيق عن تاريخ الهجرة الى السنغال خرج منه انه في اوائل سنة ١٨٩٢ وصل الى شواطئ سانيغامبيا اربعة او خمسة مهاجرين لبنانيين وتوزعوا بين سان لويس (السنغال) وكوناكري (الغينه الفرنسية) وكانوا يرتدون الملابس الشرقية (الشروال وتوابعه) ويحملون معهم بضائع زجاجية حقيرة ابتاعوها من مرسيلية ، فيعرضونها على الزنوج في الساحات العامة باسعار مجحفة .

وكانت الحركة التجارية قويّة يومئذٍ في هاتين البلدتين بسبب تردّد زنوج الداخلية عليهما عن طريق الانهر ، فصادفت بضاعة المهاجرين الجدد اقبالاً حسناً . واستطاع احدهم الحصول على مساعدة من احدى الشركات التجارية الفرنسية في كوناكري ، فساعد بدوره رفاقه ، وتحسّنت حالتهم جميعاً .

وبعد قليل وصلت الاخبار الى مرسيلية تنبئ بنجاح هؤلاء المغامرين ، وفيها كثير من المبالغة . وقد حدثني احد مهاجرينا القدماء ان الاشاعات التي انتشرت يومئذٍ جعلت الناس يتوهّمون ان الذهب يتدفق كالمطر على المهاجرين الاول . وكان لهذه الاشاعات تأثيرها السريع ، فعدل كثيرون عن متابعة السفر الى اميركة ، واتجهوا صوب افريقية الغربية على المراكب الشراعية او على بواخر الشحن .

تطور حركة الهجرة

وقد بلغ عدد مهاجرينا في افريقية الغربية في سنة ١٩٠٠ اربعمائة مهاجر تقريباً ، منهم ٢٧٦ مهاجراً في المناطق الفرنسية . ثم اخذ عددهم يتزايد رويداً حتى بلغ الاربعة آلاف اثناء الحرب العظمى . ومنذ سنة ١٩٢٤ ، اشتدت الهجرة واستمرت في تزايد مطرد حتى اصبح عدد مهاجرينا الآن احد عشر الفاً رجالاً ونساء واطفالاً . وكانوا يتوزعون في آخر سنة ١٩٣٨ على الشكل التقديري التالي :

المستعمرات الفرنسية :	دكار	١٦٠٠
	السنغال	٢٨٠٠
	السودان	٤٠٠
	الغينة	١٦٠٠
	شاطئ العاج	٧٠٠
	الداهومي	٤٠
	النيجر	١٠
	الموريتانيا	٢٠
	المجموع	٧١٧٠
المستعمرات الانكليزية :	غامبية	٣٥٠
	سيراليون	١٠٠٠
	شاطئ الذهب	١٠٠٠
	نيجيرية	٧٠٠
	المجموع	٣٠٥٠
المناطق الباقية :	الغينة البرتغالية	٤٠٠
	ليبيرية	١٠٠
	التوغو	٨٠
	المجموع	٥٨٠

المجموع العام ١٠٨٠٠

وينتمي اكثر مهاجرينا الى الاقضية التالية مرتبة حسب كثرتهم العددية: المتن ، صور ، بيروت ، البقاع ، جزين ، صيدا ، الشوف ، كسروان ، البترون ، طرابلس ، مرجعيون ، عكار .

ومهاجرو بلدة بيت شباب هم الاكثر عدداً في كل افريقية الغربية اذ يقاربون الالف . ويأتي بعدهم مهاجرو صور وعددهم ٨٠٠ ، بيروت ٦٠٠ ، قب الياس ٤٠٠ ، طرابلس ٤٠٠ ، جويا ٣٥٠ ، بينو عكار ٣٠٠ ، كفرحونه ٢٠٠ ، بكفيا ٢٠٠ ، الزرارية ٢٠٠ الخ .

ويتراوح عدد المهاجرين السوريين في كل افريقية الغربية بين ٧٠٠ و ٨٠٠ مهاجر ، معظمهم من دمشق (٢٥٠) وحمص وحماة (٢٥٠) .

اشغال مهاجرينا

عشرة الاف مهاجر ، ماذا يفعلون في القارة السوداء ؟

المهاجر اللبناني السوري في افريقية الغربية تاجر بطبيعته وطبيعة الاحوال المحيطة بقدومه . فالتجارة هي اساس العمل في القارة السوداء ، واضمن واسرع منفذ الى الثروة ، واسبابها متوافرة بوجه الاجمال لكل انسان . ولهذه الاسباب اقبل مهاجرونا على التجارة منذ قدومهم ، ولا تزال اكثريتهم الساحقة تمارسها حتى الآن .

ورغم ان انتشار الحضارة في افريقية قد فتح آفاقاً مادية جديدة ، فان مهاجرينا ظلوا متمسكين بالتجارة . وقد بدأت الزراعة تمثل دوراً رئيسياً في المستعمرات منذ بضع سنوات ، ولكن اقبال مهاجرينا عليها ضئيل جداً . ولا يزيد عدد المزارعين منهم عن المئة نفس ، اكثرهم يتعاطون زراعة الموز في الغينه الفرنسية ، والقهوة والكاكاوا في شاطئ العاج .

وبوجه الاجمال ، يمكن القول بان ٩٠ بالمئة من مجموع مهاجرينا يمارسون التجارة . والباقون يحترفون المهن الاخرى العادية كالحلاقة ، والخياطة ، وادارة المطاعم والحانات ، والمواصلات . وليس لمهاجرينا اي أثر في الصناعة لان الصناعة نفسها مفقودة في كل افريقية الغربية ، ما عدا صناعات قروية يدوية حقيرة . ويشتغل بعض مهاجرينا منذ بضع سنوات في استخراج الذهب والمتاجرة به (في سيراليون وشاطئ الذهب وشمال الغينه الفرنسية) .

دور مهاجرينا في التجارة

والتجارة من دكار حتى لاغوس ترتكز على عنصر واحد ، وهو المحاصيل الزراعية . يجني الزنجي فستق العبيد ، وزيت الباليست ، وبزره ، والكولا ، والكاكاوا ، والقهوة ، والصمغ ، والقطن ، والارز ، وغير ذلك من المحصولات المزروعة او الطبيعية ، ثم يبيع محصوله — في اكثر الاماكن — من مهاجرينا ، ويشتري بالثمن ملابس وبضائع وخرضوات .

وفي كل مستعمرة من مستعمرات افريقية الغربية شركات اوربية كبرى ، يرد بواسطتها ويخرج ٩٩ بالمئة من واردات البلاد وصادراتها ، فهي سيدة التجارة تتصرف بمقدراتها كما تشاء وتفرض ارادتها على الاسواق بلا منازع . وعلى هامش

هذه الشركات تقوم تجارة مهاجرينا .

قد يبدو دور مهاجرنا ثانوياً لاول وهلة . ولكنه اساسي في الواقع ، لان مهاجرنا هو صلة الوصل الرئيسية بين الشركات والعبيد ، فهو يشتري البضائع من الشركات بالجملة ونصف الجملة ويبيعها من العبيد بربح قليل بعد طول العناء . وهو الذي يشتري المحاصيل من العبيد ويبيعها بدوره من الشركات بربح ضئيل ايضاً .

هكذا تمرّ تجارة البلاد بين يديه ذهاباً واياباً بين الشركات والزنوج مرور « الترانزيت » . ولا يعلق منها سوى القليل وفي هذه الحلقة المفرغة تدور تجارة المهاجر اللبناني السوري .

وكانت الشركات تعتمد تدبياً وكلاء من الاوربيين والزنوج للقيام بدور الوسيط في بيع بضائعها ومشترى المحصولات لها . فلما دخل مهاجرنا الميدان شعرت الشركات باهليته ، ورأت ان الوكيل الاوربي يكلفها غالياً ، والوكيل الاسود يعرضها دائماً للخسارة بسبب عقليته وطباعه البعيدة عن التجارة ، فعمدت الى وضع ثقتها بمهاجرينا وتزويدهم ببضائعها ، ومشترى المحصولات على ايديهم .

ميزات مهاجرنا التجارية

والواقع ان مهاجرنا يتمتع بمؤهلات تجارية تساعد على نجاحه في القارة السوداء رغم خلوّه من رأس المال المادي والعلمي والاجتماعي . فهو يعيش عيشة بسيطة تسهل اختلاطه بالزنوج اختلاطاً مباشراً ، والتفاهم معهم وهو بطبيعته الشرقية بسيط ، يعامل الزنوج بتواضع وكرم . واحياناً يغالي في التراخي معهم لدرجة يتوهمون معها انهم ذوو منة عليه .

هذا من جهة ، ومن جهة اخرى فان معيشة مهاجرينا لا تحتاج الى نفقات مادية باهظة كمعيشة التاجر الاوروبي ، فيستطيع القناعة بالربح الضئيل مما يزيد في الاقبال عليه ويمكن الزنوج من الحصول على حاجاتهم باسعار رخيصة تتفق مع فقرهم وبفضل هذه الميزات اصبح مهاجرنا خبيراً بطباع الزنوج وميولهم ، يعرف ما يحبون من البضائع ، ويعرف كيف واين ومتى يجب تصريف هذه البضاعة او تلك . وهو داهية في تجارته مهما كانت صغيرة ، ماهر في اساليبها ، يستطيع ان يوسعها ويضيّقها بسهولة مستحيلة على غيره .

واللبناني السوري هو التاجر الابيض الوحيد الذي يدين الزنجي مبالغ كبيرة من الاموال والبضائع على ان يفيها في ايام الموسم . وهذا الدين لا يستند في اكثر الاحيان الى اي ضمانة او كفالة ، بل الى امانة الزنجي فقط . فاذا اعاد المال في الموسم كان ربح مهاجرنا كبيرًا ، والا خسر خسارة بالغة . وكثيرًا ما يكون الموسم سيئاً ، فيفقد التاجر كل امل باستعادة دينه مهما اكثر من ملاحقة المدين .

وقد كان شعار تجارة مهاجرنا ولا يزال : بيع البضائع للزنوج بربح ضئيل ، وبيع المحصول للشركات بربح ضئيل . وبفضل هذه الخطة تكثر الكميات المبيعة والمشتراة ، وتؤلف الكثرة ربحاً كافياً يعوض — بصورة نسبيَّة — عن الربح الناشئ عن بيع القليل بالسعر التالي .

على ان جهاد مهاجرنا ليس انانياً ، ولا تقتصر فائدته عليه وحده . ذلك ان لافريقية الغربية وجهين : وجه السواحل المنتق ، ووجه الداخلية القطري . ومهاجرنا هو الابيض الوحيد الذي تجرأ على اقتحام مجاهل الداخلية في اكثر المستعمرات ، وتحمل شظف العيش ومتاعب التجارة فيها ، ممهدًا الطريق امام غيره ، ناقلًا معه بشائر المدنية . ولولاه لظلت داخلية اكثر المستعمرات صحاري قاحلة وادغالًا مجهولة ، لا يفيد العالم شيئاً من ثروتها الطبيعية ، ولا يفيد سكانها المتوحشون من فضائل المدنية .

لقد حمل مهاجرنا معه بضاعة الابيض البراقة الى زنوج الداخلية ، فدهشوا منها واقبلوا عليها . ثم وجدوا ان المال هو الوسيلة الوحيدة للحصول عليها ، ولا سبيل للوصول الى المال الا ببيع المحصولات ، فاضطروا الى الاشتغال بالزراعة وجني المحصول . وهكذا عود مهاجرنا الزنوج العمل ، وبالتالي تزايد انتاج البلاد وانفتحت فيها اسواق جديدة للتجارة .

ثروات مهاجرينا

اما النتيجة المادية التي تعود على مهاجرنا من عمله فانها لا توازي جهوده . فالشركات ، كما اسلفت ، تستأثر بالارباح الكبيرة بفضل ضخامة رساميلها وخبرة مديريها واتساع تجارتها . وبين العشرة الاف مهاجر لا يوجد اكثر من اربعة او خمسة مثرين اغناهم تقدر ثروته بربع مليون ليرة انكليزية ، والثاني بسبعين الفاً .

وهناك مئة غني تتراوح ثرواتهم بين الخمسين الف ليرة انكليزية والعشرة الاف . ويقدر عدد الميسورين بثلاثة الاف . اما الباقون فان مقدرتهم المادية لا تزيد عن حد الكفاية الشخصية . وبينهم بضع مئات لا يملكون شيئاً . ورب قائل ان ثروة مهاجرنا يجب ان تعد كبيرة مهما كانت ضئيلة نسبياً ، لان دخل الارض الافريقية معدم . وهذا القول صحيح في نظر من يصدر حكمه عن بعد . ولكن من شاهد مثلي جهاد مهاجرنا وتلمس تضحياته الجبارة ، يدرك ان ارباحه لا تعدل عشرة بالمئة مما يستحق . ولا بد من الملاحظة بان الارباح في افريقية كبيرة لمن يملك رأس مال كبيرًا . ولما كان مهاجرنا الجديد فقيرًا ، فانه يقنع بالربح الضئيل في البدء ويعيش عيشة الاقتصاد الشديد كي يكوّن رأس مال كافياً . والعادة ان يبلغ مناه في معدل عشر سنوات اذا حالفه الحظ والتوفيق .

وكما ان الارباح كبيرة في افريقية ، فان نفقات المعيشة توازيها نسبياً . ولهذا السبب يضطر مهاجرنا الى التقتير في نفقاته ليوفر القليل من ارباحه . فالتقتير على النفس هو الركن الاول والآخر في تكوين ثروة المهاجر .

الحملات الاجنبية على مهاجرينا

ومع ذلك ، ورغم جميع المتاعب والمصاعب، لعب الحسد في قلوب الاغيار ، فاثاروا الشغب على مهاجرينا في بعض المستعمرات في ظروف مختلفة . وقد مرّت هذه العواصف بسلام ، وكانت نتيجتها الرئيسية تقديم برهان جديد على ان العشرة الاف لبناني في افريقية الغربية هم عنصر حيوي في تجارة ١٠ مليوناً من البشر ، في بلاد مساحتها ستة ملايين كيلومتر مربع .

ويجب الاعتراف بان خصوم مهاجرينا ليسوا من ممثلي الحكومة ولا من ممثلي الشركات الكبرى ، بل من صغار التجار الاجانب الذين ابتزع منهم مهاجرونا السبق التجاري ، وحاولوا محلهم في دور الوساطة بين الشركات والزنوج ، اي في تجارة المفرق .

وقد بدأت هذه الحركة السلبية في مستعمرة الغينه الفرنسية في سنة ١٨٩٨ وانتقلت منها الى السنغال والسودان ، لكن لم تعد على اصحابها باي نتيجة . وعقب الحرب اعتدى الزنوج على مهاجرينا في سيراليون ، ثم في ليبيرية . ثم ساد

هدوء نسبي طويل في كل المستعمرات . ولكن موجة الهجرة الكبيرة في سنة ١٩٣٦—١٩٣٧ كانت سبباً في تجدد الحركة في السنغال، فاضطرت الحكومة الى التدخل وفرض قيود شديدة على الهجرة لمنع دخول المهاجرين الجدد . ويجب الاعتراف بان هذه التدابير كانت في مصلحة البلاد ومصلحة مهاجرينا القدماء ايضاً .

واذا كان مهاجرونا لا يشكون ضغطاً حكومياً عليهم وعلى مصالحهم ، فانهم يتألمون في بعض المستعمرات من نظرة الاجانب المعنوية اليهم ، لاسباب ناشئة عن الفرق في مستوى المعيشة والثقافة والحياة الاجتماعية . ولا شك ان جانباً كبيرًا من المسؤولية في ذلك يقع على مهاجرينا انفسهم .

والتنظيم الاجتماعي موجود — مبدئياً — في العواصم حيث ألفت كل جالية جمعية لها . ولكن اكثر الجمعيات لا يعيش طويلاً ولا يثمر بسبب المنازعات الشخصية والطائفية . وليس في افريقية الغربية اندية لمهاجرينا ، سوى نادٍ واحد في كانو (نيجيرية) وآخر في موبتي (السودان الفرنسي) .

مصاعب المعيشة في افريقية

ويتضافر الجهل والفقر وسوء المناخ على جعل معيشة مهاجرنا صعبة . والواقع ان المعيشة لا يمكن ان تكون مرضية في بلاد تؤلف فيها الكينا والشربات عنصرًا ضرورياً في الطعام اليومي ، وتتعاون فيها رداءة الطقس مع الرطوبة والحرارة على ابتزاز آخر نقطة من الدم النقي النشيط في جسم الابيض ، فلا تبقى منه سوى عظام ناتئة من تحت الجلود ، او لحم هش خال من الحيوية الدموية .

والمهاجر اللبناني يتحمل كل هذه المصاعب بصبر عجيب يعجز عنه متشفو الهند وقد رأيت بعض مهاجرينا يعيش عيشة شبه مستحيلة في صحاري السنغال ، وغابات الفينه ، و « برور » سيراليون ، وادغال شاطئ العاج . ولولا نشاط مهاجرنا وطموحه وطول اناته لما استطاع ان يتحمل مرّ العيش في داخلية المستعمرات ، حيث لا يزال الزنوج على الفطرة ، وحيث ضروريات الحياة معدومة تقريباً .

المهاجر اللبناني السوري في افريقية الغربية يتناسى راحته وحاجة جسمه ، ويضحي بزهرة شبابه في جحيم القارة السوداء وادغالها لكي يجمع الثروة المنشودة ، التي تؤمن له مستقبله ومستقبل اولاده ، وتضمن له قبل كل شيء العودة الموفقة الى الوطن . فهذه العودة هي ابنة المهاجر العزيزة ، يحرص عليها ويغذيها بالآمال كلما دبّ في نفسه يأس الجهاد ومزقت قلبه حسرة الغربة . ولا يذكر المهاجر وطنه الا وفي فؤاده شعاع مؤلم من الحنين والشوق .

وافريقية الغربية ليست اميركة ولا اوربة ، ولا تزال متأخرة عن بلادنا بمراحل . والحياة فيها شاقة ، والحالة الصحية لا تطاق . فليس ثمة رابطة تربط مهاجرنا بها سوى المصلحة المادية وحدها .

والواقع ان بين مهاجرينا بضع مئات من المكتفين الذين افلحوا في تكوين ثروات حسنة . وهم يرغبون رغبة شديدة في العودة الى وطنهم . ولكنهم مع ذلك لا يعودون ، ولا اعتقد انهم سيعودون اذا دامت حالة بلادنا على هذا المنوال .

اما السبب في تفضيلهم البقاء في افريقية على الرغم منهم فهو خوفهم من تبديد ثروتهم اذا عادوا الى الوطن . ففي افريقية يستطيعون ان يتابعوا استثمار اموالهم بالاساليب التي اعتادوها . اما في الوطن فان هذا مستحيل اذا لم يتوفر من يمهد لهم الطريق مقدماً ويشق لهم ميادين الاستثمار والعمل ، ويخطو بهم الخطوة الاولى على الاقل .

وما دامت هذه العناصر الايجابية مفقودة ، فان الامل بعودة المهاجرين المكتفين مفقود .

هل افادتنا الهجرة الى افريقية ؟

بعد هذا العرض السريع لاحوال المهاجرين ، اتساءل : هل استفادت بلادنا من الهجرة الى افريقية الغربية ؟

لن اتسرع في الجواب على هذا السؤال سلباً او ايجاباً ، بل ابسط للقارئ بعض الاعتبارات التي يجب الاستناد اليها في اصدار الحكم .

جميع الذين هجروا بلادنا الى افريقية او غيرها كانوا معدمين مادياً . اي

انهم غادرونا ولا رأس مال لهم سوى نشاطهم واملهم . وهكذا لم تخسر بلادنا بخروجهم منها اي خسارة مادية مباشرة ، ولم تنقص ثروتها الاهلية شيئاً . وكتب النجاح لقسم وافر منهم ، فاخذوا يمدون ذويهم بالمساعدات ، وبذلك استفادت البلاد فائدة مادية عملية . وكثيرون منهم ارسلوا مبالغ طائلة لمشترى الاراضي او لانشاء المباني او لمساعدة المشاريع العمرانية ولاسيما في القرى .

هذا من الوجهة المادية والعمرانية . ولكن هناك وجهات اخرى لا يمكن اغفالها عند البحث في هذه القضية ، وفي مقدمتها قضية اليد العاملة .

لا اغالي اذا قلت ان ٨٠ بالمئة من مهاجرينا في افريقية الغربية نزحوا اليها من القرى لا من المدن . اي انهم كانوا مزارعين وعمالاً في الزراعة . والزراعة تظل العنصر الاساسي في حياة بلادنا مهما كانت مهملة . فخسارتها بضعة آلاف من رجالها هو خسارة بالغة تؤثر تأثيراً مباشراً عليها وعلى مستقبلها .

وجميع المهاجرين يكونون في شرخ الشباب عندما يغادرون وطنهم ، وبذلك يخسر الوطن بذهابهم خسارة فورية ناشئة عن تناقص عنصر الشباب فيه ، وهو العنصر الاكثر حيوية وفعالية في تطور البلاد .

وفي المهجر ينصرف الشاب المهاجر الى العمل ، ولا يفكر بالزواج الا بعد تحقيق امانيه ، اي بعد سنوات طويلة من هجرته بحيث يكون قد اشرف على المرحلة الاخيرة من شبابه او بدأ مرحلة الكهولة . وفي هذه الحالة ينقص النسل نقصاناً كبيراً . وقد شعرت بلادنا بهذا النقص ، فهناك قرى تكاد تكون خالية من السكان بالنسبة الى عدد سكانها الاصلي كالزرارية ، وجويا ، ومزيارة ، وبيت شباب ، وصور .

ثم ان الهجرة الى الخارج شجعت القرويين العاجزين عن الهجرة الى البلاد الاجنبية على الهجرة الى المدن الكبرى ، فاصبحت الخسارة مضاعفة من عدة نواح .

تطور فائدة البلاد من المهاجر

قلنا ان الشاب المهاجر يغادر بلاده معدماً ، ويبدأ العمل بجد ونشاط . واثناء ذلك يمد ذويه بمساعدات معتدلة بالنسبة لارباحه . ولكنه يوفر القسم الاكبر ليكوّن لنفسه رأس مال . فبلادنا اذن تنال نصيباً ضئيلاً من ارباح

المهاجر ، بينما يبقى النصيب الاوفر في المهجر

ومتى توافرت الثروة لدى المهاجر يعمد الى التزوج . ومتى اصبحت زوجته بجانبه انقطعت الصلة المادية بينه وبين ذويه الباقين في الوطن ، اذ ينصرف الى العناية بعائلته الجديدة المقيمة معه ، او يحصر كل ارباحه بها ، موطدًا رأسماله في املاك غير منقولة كالعقارات .

هكذا تستفيد بلادنا مادياً من المهاجر في السنوات الاولى من هجرته ، عندما يكون عوده المادي رطباً ودخله ضئيلًا في طور التكوين . ولكن عندما يصبح مثرياً ذا عائلة ، ويستقر وتستقر معه اموره ، تزول كل فائدة مادية منه ، ولا تبقى بينه وبين وطنه سوى رابطة الذكريات ، ورابطة الجنسية التي يحملها . وهي في كل حال رابطة معنوية لا تفيد البلاد بشيء لانها غير منظمة ، ولا موحدة بين جميع المهاجرين ، وليس لها اي مخرج او اية نتيجة عملية .

ثم ان الرابطة المعنوية تصبح واهية اذا طال عليها الزمن . وهي مرتبطة بحياة المهاجر نفسه . فاذا قضى نحبه في المهجر وترك ثروة لاولاده ، فانهم يستأنفون عمله في المهجر دون التفكير بوطن لا يعرفونه ، اذ يكونون قد اصبحوا ابناء المهجر الجديد ، ولدوا وترعرعوا ونشأوا فيه . لا ذكريات لهم تربطهم بوطنهم الاصلي ولا روابط حاضرة ، فمن الطبيعي ان يندمجوا في محيطهم الجديد وان يضيعوا فيه الى الابد .

ضرورة العناية بالمهاجرين

يتضح مما ذكرت ان البلاد تستفيد فائدة مادية محدودة في السنين الاولى من هجرة المهاجر . وعندما يصبح رب عائلة تضيع الفائدة المادية وتبقى المعنوية . وعندما يطول عليه العهد او يخلفه اولاده الناشئون في المحيط الجديد تضيع الصلة المعنوية ايضاً ، فتصبح خسارة البلاد بالمهاجر مثلثة : تخسره ونسله ، تخسر عطفه وشعوره المعنوي ، تخسر نشاطه وثمرة جهوده .

والسبيل الوحيد لتلافي هذه الخسارة هي عودة المهاجر قبل فوات الاوان ، او عند ما يصبح ميسوراً على الاقل . وليس لي في هذا المقال ان اتبسط في شرح قضية العودة وضرورتها واساليب تحقيقها ، ولكنني اذكر بايجاز ان قضية

مهاجرينا في افريقية ، تتطلب معالجة سريعة في الامور التالية على الاقل :

اولاً ــ انشاء قنصلية لبنانية (ومن الافضل لبنانية سورية) في دكار مثلاً ، تكون ذات فروع ملحقة في كل عواصم المستعمرات المهمة . فيصبح القنصل صلة الوصل بين المهاجر ووطنه ، وضمانة لاستمرار هذه الصلة على مر الاجيال . ويكون القنصل وسيلة لتحسين حالة مهاجرينا الاجتماعية ورفع مكانتهم وازالة المنازعات فيما بينهم الخ .

ثانياً ــ انشاء دائرة واسعة للمهاجرين ، لا كالدائرة الصغيرة الموجودة حالياً في بيروت ، بل دائرة كبيرة ذات ميزانية كافية ، لتكون مرجعاً للمهاجر في كل الاستشارات والمعلومات والتنظيمات والمشاريع الاستثمارية . بل ماذا يمنع من انشاء مديرية او وزارة للهجرة ، مـا دامت الفائدة المنتظرة من ذلك تفوق الفائدة التي تعود على البلاد من اي وزارة اخرى !

ثالثاً ــ تحسين المقاطعة المهملة في البلاد التي ينتمي اليها اكثر مهاجري افريقية كجبل عامل وعكار .

لقد بات معروفاً ان ما ينقص ابناء البلاد ليس العزم ولا النشاط ، بل المحيط الذي يمكن ان يبرزوا فيه ، بدليل ان الصفات العملية الجبارة تجلت في ابنائنا عند هجرتهم لان المهجر هيأ لهم الجو المناسب لاظهار اهليتهم . فاذا سعت حكومتنا الى خلق هذا الجو في البلاد نفسها ، فان جميع ابنائها يصبحون بهمة المهاجر وعزمه ، ويقلعون عن التطلع الى ما وراء حدودهم .

واذا استطاعت الحكومة ان تعمل عملاً جدياً لاجتذاب المهاجرين ، فانني اضمن للبلاد فائدة سنوية تفوق كل ما استفادته حتى الآن من سياسة التاطور والمختار ، وتعوض عليها كثيراً من خسارتها الاقتصادية السنوية المتواصلة . اما اذا دامت الحالة على هذا المنوال ، فانه لن يمر ربع قرن حتى تنقطع كل صلة بين مهاجرينا الافريقيين ووطنهم كما حدث بيننا وبين مهاجرينا في اميركة ، فلا يبقى لنا منهم غير الاسم ، ولا يبقى لهم منا غير الذكرى البعيدة ، وعندئذ نتحدث عنهم ويتحدثون عنا كما يتحدث الناس عن اشباح الماضي .

كان في تديم الزمان ... ... ورحم الله ما كان !

الحجارة المؤلهة

وعبادتها عند العرب الجاهليين

من آثار المرحوم الاب هنري لامنس

عود على بدء

كنا في مصر نراجع موادّ البحث المتقدّم[1] عندما وصلنا كتاب « الدروس السورية » للاستاذ فرانس كومون[2] . واول ما لفت نظرنا فيه الفصل المعنون : « حظ الساميين المزدوج ، والطواف على ظهر الجمل . » (ص ٢٦٣ وما وليها) وقد رأينا في الصفحة ٢٦٤ رسم قطعة خزفية مكتشفة في دمشق . وفيها صورة جمل يحمل إلاهتين في محمل كالهودج . وقرب سنام الجمل ، ثم على مؤخر عنقه ، وعلى الشخصين الالهيين نفسيهما يخال للناظر انه يرى شبه خيمة ابتدئ بتمثيلها او شبه قبة على شكل نصف دائرة .[3] ويقابل الاستاذ كومون بين هذه القطعة وقطعة اخرى خزفية مكتشفة في سورية ، ومحفوظة في متحف اللوفر .[4] وهي تمثل كذلك امرأتين على ظهر الجمل ، تنفخ احداهما بالمزمار ، وتضرب الاخرى على الدفّ . « وعلى رأسيهما تنتصب خيمة نصف مستديرة ، او قبة من جلد تحفظهما من وقع حرارة الشمس » (٢٧٤) ويرى العالم الأثري البلجيكي في هذا الزوج من الالاهات رمزًا الى ازدواج الحظّ في اعتبار الساميين . وليس لنا ان نتوقف لدى هذا الرأي . انما نكتفي بالاشارة الى قيمة هذه التماثيل ، واهميتها في التدليل على ما وصلنا اليه في المحاولات السابقة . ونحن نرى فيها كل العناصر التي اشرنا اليها في ابحاثنا : الجمل

---

١) اطلب « مشرق » السنة الثالثة ٣٦ [١٩٣٨] ١–١٧

٢) Fr. Cumont. *Etudes syriennes*. Paris, Picard, 1917

٣) Cumont, *op. cit.*, 265

٤) Cumont, *op. cit.*, 273

المقدّس ، والالاهات ، والقبّة نفسها ، مظلّلة « البيت » او الحجر المؤلّه ، وعلى الجملة كل ما يتطلّبه الطواف الديني من عناصر .

ويقول الاستاذ كومون : « ان الجمل يظهر لنا من الدوابّ الدافعة الى الهزء والسخرية . وان اسمه ليثير باللغة الفرنسوية عاطفةً بعيدة جدًا عن الاحترام . »[1] بيد انه كان محترماً في نظر العرب . كان لبني ياد ناقة مكرّمة « يتبرّكون بها . » وكانت القبيلة ، ايام النكبات ، تسير باجمعها وراءها .[2] وكان الطائيون يكرّمون التكريم المطلق جملًا لهم اسود .[3] ويحدثنا القرآن عن ناقة الله التي أرسلت الى ثمود .[4] فليس من شكّ اذًا ان وجود الجمل يدلّنا الدلالة الواضحة على جنسيّة الاشخاص ، وعلى مهنتهم الدينية . فنستنتج ان امامنا مشهدًا يمثّل طوافاً دينياً على عهد الجاهلية . اما الشخصان المؤلّهان فموطنهما تلك المناطق العربية التي أثّرت فيها اليونانية بعض الأثر ، مناطق « الولاية العربيّة » Provincia Arabia الممتدة جنوبي دمشق . ولا عجب ان يكون التأثير اليوناني ، الذي ولّد في تلك الجهات تمثالًا خاصًّا لزفس عُرف « بزفس الصَّفاني »[5] ، والذي حوّل اللات الى شبه اثينا - مينرڤا[6] ، قد عمل على احلال التماثيل المصنوعة محل « البيوت » او الحجارة المؤلّهة القديمة . واذا ما اراد علماء الإسلام ان يؤرّخوا دخول الاوثان مكّة فانهم يقولون انها جُلبت من هذه الانحاء .[7]

ويزيد الاستاذ كومون في وصفه ان الألوان المتعدّدة الفاقعة كانت تزيد في

---

١) راجع في مدح الجمل ، القرآن ١٦ [النحل] ٨٣'٦ . وكثيرًا ما يشبّه البطل العربي بالجمل . راجع Lammens, *Berceau de l'Islam*, I, 131-132 حسان بن ثابت : ديوانه ١٣ : ٥ ؛ ابن هشام : السيرة ٦٥، ٦٧٩ ؛ الجاحظ : الرسائل ٧٥ ؛ الواقدي : المغازي ٢٢٢

٢) الاغاني ١٥ : ٩٧

٣) الاغاني ١٦ : ٤٨

٤) القرآن ٧ [الاعراف] ٧١

٥) Dussaud et Macler, *Voyage archéologique au Safā*, 23

٦) Waddington, *Inscriptions de Syrie*, N° 2203, 2308.

٧) ابن هشام : السيرة ٥١

جمال الشكل الأول . وكان اجدرها بالذكر واقواها صبغاً الأحمر والاخضر.[1] قلنا: ولو حُفظت هذه الألوان لظهر ان الاحمر منها كان مختصاً بالقبة[2]. وكثيراً ما سمعنا بتلك « القبة الحمراء » او « القبة من ادم احمر » التي كانت تُنصب على الحجارة في الحلّ والترحال.

اما في ما خصّ الشكل الثاني فيلاحظ الاستاذ كومون « ان الزامرات كثيراً ما كنّ في خدمة الآلهة . . . وان الطبول والدفوف كثيراً ما استُعملت ، في بلاد الشام ، في الحفلات الدينية . » بل ان من ضاربات الدفوف من ظهرن في جامع المدينة ، على مرأى من النبي ، في اثناء الاحتفال باعياد مِنى ، وهي من الاعياد الدينية . فهل كان ذلك من مظاهر الصدفة والاتفاق ؟ وقد ذُكر منهنّ اثنتان في المدينة[3] ، وهو العدد الظاهر في القطعة الخزفية الثانية . ولا يتردّد الاستاذ كومون في ان يعتبرهما من متممات الموكب الديني . فيقول ان التماثيل المؤلهة كان يتبعها الموسيقيات فيُحملن على الجمل كما حملت الاشخاص الالهية.[4] وهو ما يظهر من مصادرنا العربية كما سيتضح من البراهين الآتية.

يسأل الاستاذ كومون لماذا عُرض لعبادة المؤمنين تمثالان لا تمثال واحد ؟[5] ويجيب بان السبب في ذلك يستخرج من ان في سورية مظهراً لتقدير الحظّ او النصيب المزدوج . بيد اننا قد نرى سبباً آخر ، اذا ما دققنا في درس مصادرنا العربية . فنستفيد معلومات قد نفهم بواسطتها حق الفهم هذه « الآثار » المهمة من جاهلية العرب ، التي كان من فضل الاستاذ كومون ان كشفها وابان ميزاتها الدينية . ولا يخفى ان معرفتنا الضئيلة بمظاهر الشرك العربي القديم تحول بيننا

---

١) Cumont, *op. cit.*, 265

٢) يذكر الطبري في تاريخه (١ : ٢٢١٦) ان عائشة كانت ، يوم الجمل ، في هودج احمر على ظهر جمل احمر .

٣) البغاوي : المصابيح ٢ : ١٩٧ ؛ النسائي : السنن ١ : ٢٣٦ . وفي موكب المحمل عدد من «الطبّالين» اطلب البستاني : الرحلة الحجازية ١٤١ ؛ G. de Nerval, *Voyage en Orient*; I, 168

٤) Cumont, *op. cit.*, 276

٥) Cumont, *op. cit.*, 265

وبين الشرح التام النهائي لهذه التثنية او الازدواج في عرض التمثال . وسنرى، في ما بعد، ان مكة المشركة كثيراً ما كرّمت الحجارة المؤلهة او الأركان أزواجاً أزواجاً، كما قد يُستخرج من ابيات شعرية منسوبة الى ابي طالب يُذكر فيها « المروتان ».[1] وكما قد يُستخرج كذلك من بيت لحسّان بن ثابت يشير فيه، الى الازدواج في الطواف[2]. ثم ان اختلاف الرواة في تعيين مقرّ الزوج الالهي، إساف ونائلة المكرّمين معاً[3]، قد يكون سببه الانتقال بهما في تطوافات متكرّرة.

❁

رأينا ابا سفيان في موقعة أُحد يحمل اللات والعزّى.[4] ولاحظنا في سرد الحادثة، اشتراك هاتين الالاهتين، على نحو ما رأينا في الأثر الدمشقي الأوّل. ويجب ان نفهم لفظة « يحمل » بمعنى يتجاوز المعنى الوضعي الضيّق . فإن ابا سفيان بصفة كونه زعيم الحملة امر بان تُنقل الالاهتان مرفوقتين بعدد من الحرس دون شك . ولكن هل نقل الحجران بنفسيهما ام نقل رمزٌ او مثال لهما ؟ هو ما لا نستطيع معرفته بواسطة النصّ الغامض . على ان رقم « الاثنين » يظلّ واضحاً . وهو الظاهر في طريقة الطواف القرشية المشركة . وقد يكون في اصله مأخوذاً عن تقليد عريق في القدم حتى ظلّ معروفاً، على ما رمى اليه القرآن من اشارة معاكسة، اذ جمع بين الاهات ثلاث: اللات والعُزّى ومناة[5]،

---

١) ابن هشام : السيرة ١٧٣

٢) حسّان : ديوانه ٥٧ : ٢

٣) ابن هشام : السيرة ٩٤، وقابل بما في الصفحات ٥٤، ٧١، ٩٨، ١٧٣

٤) الطبري ١ : ١٣٩٥ ؛ الاغاني ١٤ : ١٥ . وكثيراً ما ذُكرت اللات في رُقم الصفا ؛ اطلب :

Dussaud-Macler, *Mission dans les régions désertiques de Syrie*, 55...

٥) القرآن ٥٣ : ١٩—٢٠ . بيدَ ان القرآن نفسه يجمع في آية واحدة بين اللات والعزّى، ويبقي مناة وحدها في الآية ٢٠ . وقد يكون ذلك في سبيل السجع ! على ان مناة كانت تُعتبر الاهة مدنية خاصّة . راجع النصوص التي جمعها ولهوسن (Wellhausen, *Reste*, 25...) وقد تكون هذه الصفة المدنية هي التي حدت برواة موقعة أُحُد فأخرجوها من روايتهم .

فنسب الى الشعب احترامها مثلثةً . ذلك اننا نلاحظ الـلات والعزّى تؤلّفان زوجاً[1] يمثل وحده افضل تمثيل آلهة العرب المشركين جميعهم . يؤيّد ما ذهبنا اليه ، فضلاً عن النصوص القديمة ، حديث ينسب الى النبي اورده مسلم[2] . وفيه يقول : « لا ينقضي الليل والنهار حتى يعود الناس الى عبادة اللات والعزّى . » وقد شاء صاحب الحديث ان يصوّر عودة الناس الى الشرك او الوثنية قبل نهاية العالم فلم يرَ افضل من ان يمثل هذا الشرك بعبادة اللات والعزّى . هذه من الامثلة النادرة التي نرى فيها السيرة ومجاميع الاحاديث تستقلّ قليلاً عن القرآن ، فلا تتبعه حرفياً في ما خصّ المعلومات عن الشرك الجاهلي . فليس اذاً من صدفة عارضة في ازدواج الالاهتين في موقعة أُحد . وان من يحاول شرح الحادث بتأثير القسم او اليمين الحالفة باللات والعزّى[3] ، دون ذكر مناة ، فانه لا يشرح بل يردّ المشكل الى مشكل آخر .

نقل لنا ابن اسحق ، في ما نقله من قصائد منحولة ، قصيدةً نسبها الى زيد ابن عمرو المكي — وهو من اولئك الزهّاد الحنفيين القرشيين الذين لا تكاد تخرج شخصيتهم من ضباب الاساطير — وفيها ان الشاعر ينكر عبادة اللات والعزّى ، وبنتَي اللات ، وصنمَي بني عمرو .[4] وهذا كعب بن مالك ، الشاعر الانصاري ، يعلن ان الناس ينسون قريباً اللات والعزّى[5] . وفي حماسة ابي تمام[6] يحلف

---

١) راجع مطهّر المقدسي : الكتاب المذكور ٥ : ٨٢

٢) مسلم : الصحيح ٢ : ٥٠٤

٣) راجع النسائي : السنن ٢ : ١٤٠ : البخاري : الصحيح (طبعة القسطنطينية) ٧ : ٢٢٢ ؛ الاغاني ٣ : ٢١٠ ، ١٩٢ ، ١٩٣ : ابن سعد : الطبقات ١ : ١٠٠ ، ١٠١ (وفي ص ١٢٢ تُذكر اللات وحدها ، وهو حادث غريب في الأبان) ؛ الواقدي : المغازي (طبعة Kremer) ٢٢ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٤٨ . في ابن هشام : السيرة ٧٤٤ ، تُذكر اللات منفردة عن رفيقتها . اطلب ايضاً : ابن هشام : السيرة ٣٠٥ ، ٣٠٦ ، ٣٨٢ ؛ الاغاني ٢٠ : ١٢٩ ؛ مسلم ٢ : ١٩ ، ٤٦٧

٤) ابن هشام : السيرة ١٥٤ ؛ ابن دريد : الاشتقاق ٨٤ ؛ الاغاني ٣ : ١٥-١٦

٥) ابن هشام : السيرة ٥٢ . ويظهر ان الشرك في مكة كان يُلخّص بعبادة الالاهتين ليس غير . راجع ايضاً ابن هشام ٣٠٧ ، ٣٣٢ ، ٧٣٨ ؛ ابن سعد : الطبقات ١ : ١٠١

٦) ابو تمام : الحماسة ١٩٠ : ٥

احد الشعراء بالمُزَيّين ، ولعلّه اراد بهما الالاهتين اللتين حملها ابو سفيان ، واللتين يحلف بهما الشعراء عادةً ، كما تقدّم ، وكما فعل أوس بن حجر ايضاً .

فهل يمكننا ، بعد كل ما تقدّم ، ان نرى اللات والعزّى ممثلتين في القطعة الدمشقية ؟

لا شك في ان الجواب يُصبح سهلاً ، لو كنا نعرف الشيء الواضح عن الحالة الوثنية في بلاد الغساسنة . بيد انه يكفينا ان نرى في القطعة المذكورة تمثيل بعض الطقوس الدينية ، حتى لا ننسبها الى عبث الخزّاف برسم هيئات لا معنى لها ولا غاية ، كما ذكرت « المجلة الكتابية ».[1] وان هذا الشرح البسيط لا بدّ ان يكون قد عرض لفكرة الاستاذ كومون الثاقبة ، فلم يتردّد لحظة في اطّراحه .

تطلعنا مجاميع الحديث على ان النبي قام بالطواف حول الكعبة ، على ظهر الجمل ، وكذلك كان سعيه بين الصفا ومروة .[2] أوَ لم يرمِ بهذا الطواف الجديد في بابه الى محو تلك العادة الوثنية القديمة القائمة بالطواف مشياً . ولا يخفى ان الطواف على الجمل يجعل من المستحيلات استلام الحجر الأسود[3] ، وهذا الاستلام من ضروريات الحجّ ، كما يُقال . واذاً فما الحكمة في هذا التجديد ؟ اما علماء الدين الاسلامي فليس عندهم ما يشرحون به شرحاً مقبولاً عمل النبي هذا في سنّه للمؤمنين منهاج الحج الإسلامي حتى في ادقّ مظاهره وابسط مراحله .[4] واما القطعة الخزفية فتفيدنا ان هناك في الجاهلية نوعاً من الطواف كانوا يقومون به على ظهر الجمل ، نوعاً يؤكّده وصف معركة أُحد ، ويقرّه الشرح المقبول للالفاظ : «سعى ، إفاضة ، طواف» وكلّها تفرض فكرة الجولان او « الزيّاح » الطقسي مدّة الحجّ .

وفي وصف معركة أُحد اشارة الى أمر قد يحلّ لنا مشكل القطعة الخزفية

---

١) *Revue biblique*, 1918, p. 290

٢) النسائي : السنن ٢ : ٣٧

٣) النسائي : السنن ٢ : ٣١ ، وقابل بما في ٣٧ . ويستفاد من بعض النصوص ان محمداً يلمس الحجر بعصاه (الاغاني ١٣ : ١٦٦ ؛ مسلم : الصحيح ١ : ٤٨٦ ، ٤٨٨)

٤) النسائي : السنن ٢ : ٤٢ ؛ مسلم في المواضع المذكورة .

الثانية . هو ما ذكرناه آنفاً من عادة العرب بان يجعلوا حول « القبة » المقدسة موكباً من النساء. وقد يختلف عدد مؤلفات الموكب او حارسات القبة . فيقوم بحراستها اثنتان ، على نحو ما ورد في الاغاني عن فند الزمّاني اذ عهد الى « شيطانتين » من بناته بحراسة القبة[1] . وهو ما رمى اليه صانع القطعة الخزفية اذ مثل اثنتين فقط . وقد تتولى الحراسة امرأة واحدة كسُيمة الثقفية ، وابنة عوف بن مالك البكرية . وقد يتولّاها اربع .[2]

ومهما يكن من أمر ، فان القرشيين قبل سيرهم الى أُحد ، اخذوا معهم عدداً من النساء[3] ، وكذلك حصل قبل موقعة بدر . ولِمَ ذلك ؟ وما هو السبب الحقيقي لهذه الاستعانة بجمهور من النساء في معركة ليس من طبيعتهن ان يعطلن بحرّها ؟

هو ما فات مؤرخي المسلمين ، بعد الهجرة بقرن واحد ، فجهلوا السبب الحقيقي ، وخفي عليهم الدور الديني الذي يمثله النساء في المعارك[4] . فاخذوا يقولون ان الغاية من ذلك ان يحتسن الرجال ، ويستنفرنهم ، ويذكرنهم بانكسار بدر المخجل ، الى غير ذلك من الاسباب التي يمكن تصوّرها بعد وقوع الحادثة . . . بيد ان المؤرخين انفسهم يعلموننا ان النساء كنّ ، في اثناء الموقعة ، « يضربن بالأكبار والدفوف والغرابيل » وكلّها آلات موسيقية حربية يجهلها قدماء العرب في موسيقاهم ، ولا نرى لها ذكراً الّا عندما يتبع النساء الرجال الى ساحات الحرب . وليس ما يشين العادات العربية الاصلية ، والتقاليد البدوية العتيقة كاتخاذ النساء مثل هذه الآلات . حتى ان المرأة الحرّة لتأنف كل الأنفة من مسّها . ولهذا كانت الموسيقى متروكة للعبيد من الجنسين . وهو برهان جديد على اننا ، في هذا النص الحربي ، امام مظهر من مظاهر الدين ، وفي احتفال من الاحتفالات

---

١) الاغاني ٢٠ : ١٤٤

٢) الاغاني ١٢ : ٥٥ . اما بشأن ذي قار فراجع الاغاني ٢٠ : ١٢٦، ١٢٧

٣) الواقدي : المغازي ص ٢٠١

٤) راجع الواقدي : الكتاب المذكور ؛ ابن هشام : السيرة ٥٥٧ ؛ ابن سعد : الطبقات ٢ : ٢٥ ؛ الاغاني ١٤ : ١٤

الطقسية. ولولا الدين لما خرجت حرائر مكة في هذا المشهد، تنشد، على انغام الموسيقى، تلك المقطوعات نفسها التي نُسبت الى الكاهنات في موقعة ذي قار وايام بكر وتغلب.[1] وليس من ذكر للمزمار بين الآلات الموسيقية. على اننا نكتفي بهذه المقابلات، فهي وافرة الايحاء بشأن الموضوع الذي يهمنا. ومن العبث ان نطلب وصفاً اوفر، وتدقيقاً اوفى من مؤرخي تلك «المغازي». ولا يهمّهم، بعد ان اشاروا الى وجود المعبودتين القرشيتين، ان يفصّلوا دور النساء القرشيات وعملهنّ على جمع المحاربين حول القُبّة، او الخباء المقدّس، مظلّل المعبودتين. ومع ذلك فقد يلمّح الواقدي الى شيء من ذلك عندما يقول ان النساء تراجعن الى «الحُجرة»[2] ولا يخفى ان «الحجرة» ترادف «القُبّة».

على هذا الشكل كان يجتهد النساء في بثّ الحماسة في صدور الرجال «لئلا يفرّوا.»[3] وهو الدور الذي عرفناه لنساء البكريين يومَ ذي قار، عندما قام السيد حنظلة بن ثعلبة «الى وضين راحلة امرأته فقطعه. ثم تتبع الظعن يقطع وضنهنّ»[4] فيمنع النساء، وبالتالي الرجال، ترك الموقعة. وقد تجرأت احدى نساء المكيين، يوم أُحد، فرفعت اللواء.[5] واننا لنكون اكثر قرباً من الحقيقة اذا ما استبدلنا العذارى بسيدات قريش في اقوال «السيرة». وعند ذاك يقوى الشك في ما نُسب الى هند من تمثيل بجثة حمزة. وقد يكون هذا من مخترعات العبّاسيين في سبيل الحطّ من خصوم الدولة المباركة.

ونرى عادة نقل النساء الى ساحة الحرب شاملةً حتى النصارى من البدو. وهؤلاء التغالبة لا يشذّون عنها. فينقلون نساءهم الى ساحة الحرب، يوم الخشاك،

---

١) الاغاني ١٤: ١٧؛ ابن هشام: السيرة ٥٦٢؛ ابن سعد: الطبقات ٣: ٢٨؛ الواقدي: المغازي ٢٠٦، ٢٠٧، ٢٢١؛ وقابل بما في الاغاني ٢٠: ١٤٠، ١٤٤

٢) الواقدي: المغازي ٢٢٧

٣) الاغاني ١٤: ١٢؛ مسلم؛ الصحيح ١: ٥٥٧، ٥٦٢

٤) الاغاني ٢٠: ١٢٧

٥) الاغاني ١٤: ١٧؛ ابن هشام: السيرة ٦١٠؛ راجع بحثنا في «الاحابيش» في المشرق ٢٤ [١٩٣٦] ٢٤

ويتعاقدون على ان لا يفرّوا. فتساعدهم هذه الحالة على الظفر.[1] وقد ذكر الرواة عددًا من النساء مع النبي في مغازيه . فجاء في صحيح مسلم[2] انهنّ كنّ يقمن بما يقرب من اعمال ساقيات الجرحى والممرّضات . فاذا صحّ ذلك ، وكان هذا اصل مهمتهنّ، لا التأثر بذاك التقليد الديني القديم، فلِمَ لم تتتابع هذه العادة ولم يتأثر المسلمون بنبيّهم في اقرار هذه المؤسّسة الانسانية زمن الحرب . اما في يوم الجمل فلم يكن من النساء الّا عائشة ممثّلة في قبّتها الحمراء ، « بيت الاله » القديم او الحجر المعبود . ولنُشر اخيرًا الى خِباء سُبيعة الذي نُصب قبل ابتداء المعركة في حرب الفِجار ، وكانت تحرسه امرأة مسعود ، احد سَدَنة معبد اللات في الطائف .

ذكر احد قدماء الرحّالة عن سلطان مراكش انه اذا سار الى معركة مهمّة على رأس رجاله السود حمل معه «صحيح» البخاري محفوفًا بمظاهر التكريم، ومجالي الاحترام ، وكأنه تابوت العهد في الزمن القديم . وكان كتاب الصحيح يوضع في غلاف ثمين ، ويظلّله خباء خاص يُنصب حتمًا الى جانب خباء السلطان.[3] يقرب هذا ممّا توهّمه المختار في القرن الاول للهجرة من مظلّة او خباء يرافق الجيوش الى الحرب ، منصوبًا على ظهر بغل ، ومكسوًّا باغطية الحرير والاطلس[4] . وانه ليصعب علينا الايمان بان هذا الثقفي الغريب الاطوار — هذا الخَلَف المتأخر للكهّان ، كما يدعوه ولهوسن[5] — لم يفكر في اختراعه هذا بتأثير القبّة الجاهلية !

ولقد ظلّ ذكرها محفوظًا في اوساط مكة العسكرية . حتى ان معاوية ،

---

١) ديوان الاخطل (صالحاني) ص ٣٦٧ ؛ واطلب بحثنا في *Le chantre des Omayyades*, p. 137

٢) مسلم : الصحيح ٢ : ١٠٣

٣) ذكرها Goldziher, *Zähiriten*, 115

٤) راجع الجاحظ : كتاب الحيوان ٣ : ٩٩ ؛ ابن دريد : الاشتقاق ٢٩١ ؛ الطبري : تاريخه ٢ : ٧٠٣ ، ٧٠٤ ، ٧٠٦

٥) Wellhausen, *Reste*, 137

بعد ذلك بنصف قرن ، فكر فيها ، قبل معركة صفّين ، « فرفع قبة عظيمة . فالقى عليها الثياب ، وبايعه اكثر اهل الشام على الموت . واحاط بقُبّته خيل دمشق . »[1] أوَ ليست هذه القبة القبة الجاهلية بعينها ، التي رفعها ابو سفيان ، والد معاوية ، في معركة أُحد ؟ اللهم ما خلا الحجارة المؤلهة ، معبودات قريش سابقاً ، التي ادال الاسلام دولتها بقضائه على الشرك .

كل هذا الماضي الديني يمحوه ولهوسن بجرّة قلم عندما يكتفي بذكر القبة المرفوعة في صفين فيسميها قبة معاوية العسكرية .[2]

❁

وضح لنا ، في كل ما تقدّم ، كم كان للمواكب الدينية من تأثير في اهل مكة . حتى تحرّكت في هجائهم قرائح شعراء البدو[3] . وان لنا شاهداً مقنعاً في مفردات القرآن الخاصة بالحجّ ، والطواف ، وسائر الشعائر الدينية المتعلقة بالكعبة ، والصفا ، ومروة . وفي كلها اشارات الى المساعي ، والمواقف والدورات ، ورؤساء الحجّ ، والادلّاء مما قد يبرهن عن اصالة هذه العادات ، وتعوّد مكة مثل هذه الطوافات الدينية . ولم يكن هناك حجّ عرفة فقط ، او عُمرة رجب ، بل كانت مكة تحفل بعدد من الطوافات الدينية في سنتها الطقسية ، لوفرة ما كان في حرمها ، قبل الإسلام ، من « أنصاب » او « أعلام » كما تذكر بعض النصوص مستبدلةً اياها « بالانصاب » لأنها الطف وقعاً وأخفّ دلالةً على الشرك[4] . اما بعد الهجرة فيظهر انه استُعيض عنها شيئاً فشيئاً بمعالم مرتفعة « كالأبراج »[5] . وكان العرب ، قبل الاسلام ،

---

١) ابن الاثير : الكامل (طبعة Tornberg) ٣ : ٢٤٦ ؛ نصر بن مزاحم : الكتاب المذكور ١٢٠

٢) Wellhausen, *Reste*, 73 ٣) الاغاني ١ : ٢٠

٤) راجع في ذلك الطبري : تاريخه ٣ : ٢٢٢٦ ؛ ابن هشام : السيرة ٧٠٢ ، ٨٠٢ ؛ ابن سعد : الطبقات ٤ : ٢٣ ؛ ابن الاثير : النهاية ٤ : ١٨١ ؛ وقابل بما في الجاحظ : الحيوان ٤ : ٨٢ ؛ المقدسي ٧٧ ؛ اسد الغابة ١ : ٦٣

٥) ابن جبير : رحلته (طبعة de Goeje) ١١٢

يكرّمون هذه الأنصاب بزيارات وذبائح دورية هي « العَتائر » دون شكّ . وكان لحم الضحية يظلّ متروكاً لكواسر الجوّ ووحوش القفر . ولم يكن محرّماً على الحاضرين ان ينالوا من هذا اللحم . وهذا ما رأيناه في الاضحيّة التي فدى بها عبد المطلب ابنه عبدالله فبقيت « لا يُصدّ عنها انسانٌ ولا سبع . »[1] واني لأظنّ القرآن يشير الى هذه العادات عندما يتكلم عن « الإفاضة » في تلك المواكب المتحرّكة نحو لحوم الذبائح المضحّى بها حول الأنصاب . وليس من شكّ في أن دقائق هذه الحفلات ، لو حفظها لنا التقليد ، لظهرت شبيهة بدقائق الحفلة التي قام بها بدو منطقة سينا في استعدادهم للتضحية بالشاب تيودول ، ابن القديس نيلوس[2] . فلا بدع اذاً ان يكون النبي العربي أنف من هذه المظاهر الهمجيّة ، فقضى على عبادة الأنصاب وعدّها من « الرجس »[3] . وقد اهتمّ الإسلام ، بعد الفتح ، على عهد النبي[4] ثم على عهد الراشدين ، بتعيين مواقع هذه الأنصاب[5] . فكان هذا العمل التخطيطي دالّاً على معالم تلك الطوافات القديمة التي كانت الأنصاب محجّاتٍ واهدافاً لها ، والتي عمل الإسلام شيئاً فشيئاً على ملاشاتها او على تحويلها الى شعائر اسلامية .

ومن لوازم هذه الطوافات ، في العصور الجاهلية ، المظلّة او الخيمة المسمّاة « بالبيت » ، والتي عرفناها باسم « القُبّة » وهو الأشهر . على ان « القُبّة » هذه يجب ان تميّز عن الخيمة العادية[6] او « الخِباء » او « بيت الشعر »[7] الذي تأوي اليه الاسرة البدوية . اما الميزات بين الخيمتين فهي ان القُبّة - المظلّة الدينية

---

١) ابن هشام : السيرة ١٠٠

٢) مجموعة الآباء اليونان لمين ٧٤ : ٦١١

٣) القرآن ٥ [المائدة] ٩٣

٤) ابن سعد : الطبقات ٢ : ٩٩

٥) الذهبي : الميزان ٣ : ٢٩ ؛ اسد الغابة ١ : ٦٣ ، ٢١٤ ، ٣ : ١١ ، ٢٨٨ ، ٤ : ٢٠٧ ، ٢٢٧

٦) البكري : المعجم ٣٤ ؛ راجع ايضاً لسان العرب ٢ : ١٥٢ ؛ الجاحظ : المحاسن ١٠١ وفيها ذكر « قُبّة » الأسد ، ويريد بها قفصه .

٧) وكثيراً ما ترادف هاتان اللفظتان في النصّ نفسه . اطلب الاغاني ١٥ : ٥٠

تكون اصغر من الخِباء العادي[1] ؛ ويكون رأسها مستديرًا منتهياً بحربة[2] ؛ وتكون ذات لونٍ خاصّ هو الأحمر على الغالب ، واخيرًا تمتاز بالمادّة التي صُنعت منها وهي الجلد او الأدَم . وهي في اصلها صغيرة جدًّا حتى انها كانت تُحمل منصوبة . ولكنها تطوّرت شيئاً فشيئاً حسب الحاجات الزمانية والمكانية حتى اصبحت سرادق فخماً يُرفع في عظائم الاحوال في سبيل غايات بعيدة عن الدين. وقد غفل ولهوسن عن تتبّع هذا التطوّر السريع بتأثير الإسلام ، ففاته ادراك الأصل الديني والطقسي للقُبّة الجاهلية.

ولا يخفى ما كان من اهمية الجلد او الأدم عند قدماء العرب[3] . حتى ان هذه الصناعة كانت من موارد الثروة المهمّة في الطائف . وكان العرب يصنعون مضاربهم النفيسة اول الأمر من جلود الجمال . وكذلك كان القسم الأكبر من مواعينهم ، كالآنية ، والقُرَب ، والدلاء ، والوسائد ، والفرش . ونحن نعلم ان البدوي لم يكن يبطر خيله ، قبل الهجرة ، بل كان « ينعلها » اي يضع لحوافرها نعالًا من الجلد[4] . حتى ان وجود القدر المعدنية او اية آنية اخرى من المعدن كان دليلًا على الثروة والترف[5] . فاذا توفي صاحبها ورثها ابناؤه

---

١) ابن الاثير : النهاية ٣ : ٢٢٢ ؛ ويقول لسان العرب (٢ : ١٥٢) عن القبّة انها صغيرة مستديرة من أدم .

٢) وقد تُطلق « القُبّة » على المحمل (الاغاني ٦ : ٧٣ ؛ ٣ : ١١٥) ويكون محمل الحجّ هرميّ الشكل في قسمه الأعلى منتهياً بقبة صغيرة (راجع الدكتور صالح صبحي : الحجّ الى مكة ، ٣٦)

٣) قابل بما في القرآن ١٦ [النحل] ٨٢ : « وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتاً . » وراجع : Guidi, *Della sede primitiva dei popoli semitici*, 580 ؛ ثم الجاحظ : الحيوان ٥ : ١٤٢ . كانت الكنانات القديمة كلّها من جلد (ابن دريد : الاشتقاق ١٨) وقد اعتبر العلماء بالشعر القديم ان ذكر القيود الحديدية او السلاسل في القصيدة دليلٌ على فخامتها وحداثتها ، ابن هشام : السيرة ٨١ . ولنذكر ان اسنّة الرماح كانت في القديم من القرون لا من الحديد (ابن دريد : الاشتقاق ٢١٠)

٤) اسد الغابة ٤ : ١٥٨ . ويشير الجاحظ الى اختراع الركاب الحديدي في البيان والتبيين ٢ : ٥٤ . اما بشأن العرب المعاصرين فراجع Doughty, *Travels*, I, 309

٥) الاغاني ١٤ : ١٢٨ ؛ ١٣ : ٥٤–٥٥

من بعده[1] . واذا عرف بها الشعراء علقوا بوصفها معجبين ، وبالغوا مـا شاء خيالهم في كبرها وسعتها.[2] ولقد شاء الدين ان يظلّ أميناً على هـذه التقاليد القديمة . وهو ما رأيناه في كعبة نجران العريقة فقد كانت ، هي ايضاً ، من أدم على سعة مساحتها[3] . وقد يمكن القول نفسه عن كعبة مكة . بل هو ما يُرجَّح اذا ما اخذنا بالتقليد القائل ان قُبة او خيمة كانت تُنصب ، في الزمن القديم ، موضع البناء الذي قام على الحجر الأسود . وهـذا ما روى الازرقي وغيره من ان الله بعد ان طرد آدم من الفردوس منحه « خيمةً من خيام الجنة وضعها له بمكـة في موضع الكعبة قبل ان تكون الكعبة.»[4] وفي « السيرة الحلبية » اشارة الى ان الكعبة كانت خيمةً في اصلها.[5] أوَ لا نرى أثر هذا الوضع القديم في العادة المتّبعة حتى ايامنا بتجليل الحجارة المكرّمة ، او الابنية المحترمة ، وبما يوضع عليها من اقمشة وستائر متنوّعة . ولا تختصّ هذه العادة « بالكعبة المستورة » ، كما يقولون ، بل تتجاوزها الى غيرها من اماكن الحرم. وقد ذكر كاظم زاده « حجراً عالياً يجلله ستار اسود . ويعتقدون ان هناك صرّة حوّاء.».[6] وكان بنو تميم يكرّمون « بيتاً من عمائم وثياب».[7] وهذا شاهد آخر في يمين لقيس بن الخطيم يقول فيها:

واللهِ ذي المسجد الحرام ، وما جلّل من بُنة لها حُنُف[8]

---

١) الاغاني ٨ : ٦٧

٢) انظر الشواهد العديدة في الجاحظ : البخلاء ٢٤٥

٣) اطلب بحثنا في *Yazīd*, 340 . ويـذكر البكري في المعجم ، ص ٤٦ ، « بيتاً » لبني ياد اسمه « ذو الكعبة. »

٤) الازرقي (طبعة Wüstenfeld) ٢٥٧ ، ٢٥٨ ؛ ابن قتيبة : المعارف (الطبعة المصرية) ١٨٩

٥) السيرة الحلبية ١ : ١٦٠ . وفي المجموعة نفسها (٢ : ٢٩٢) يُذكر النبي في « قبة من خشب عليها سوح » ولا ادري مصدر هذا النصّ.

٦) اطلب *Relation d'un pèlerinage à la Mecque en* 1910-1911, p. 26

٧) ابن دريد : الاشتقاق ١٥٥ ، الحاشية e

٨) ديوان قيس بن الخطيم (طبعة Kowalski) ٥ : ١٤ . وراجع ، في معنى حُنُف ، ج. خنيف ، ابن دريد : الاشتقاق ٢٨٩ – وكذلك كانت مستورةً المظلّة او القبة التي رفعها

وليس من الضروري ان نفهم « المسجد الحرام » ، في قول هذا الشاعر اليثربي ، بمعناه الحصري فنعني به مسجد مكة. ان المساجد كانت كثيرةً في يثرب وفي غيرها من قرى الحجاز . وقد كان لنا ان برهنّا عن هذا في بحث خاصّ درسنا فيه كلمة مسجد ومدلولاتها.[1] فابتنّا انه لا يجوز من ثمّ ان نتابع ما رمى اليه المفسّرون واللغويّون من إيهام الناس ان المعبودات القرشية كانت هي السائدة في الجاهلية . ويُستخرج من قول قيس بن الخطيم انّ انتشار الاقمشة اليمنية عمل شيئاً فشيئاً على احلالها محلّ الجلد . فظلّ هذا مختصاً بالقباب الدينية المستعملة مظالّ في اثناء الطواف بالحجارة المؤلّهة ، او حولها.

وعند ما كان القرشيون — او على الاخصّ « الحُمس » من القرشيين[2] ، اي تلك الأسر الاكليريكية ، اذا صحّ التعبير — عندما كان هؤلاء يشتركون في حفلات مِنى كان لهم الحقّ بضرب قبابهم الجلدية ، على نحو ما جاء في قول للبلاذري هذا نصّه: « كانت قباب قريش من الأدم لا يضربها غيرهم بمنى . »[3] وكانوا لا يستخدمونها لسكناهم الخاصّة . وليس ما يبرهن انها لم تأوِ في البدء مجموع الحجارة المؤلّهة المعبودة في القبيلة ، او في الحيّ المكّي ، من التي كان يُطاف بها في اثناء مشاعر الحجّ او في زيّاحات شهر رجب . وعلى كل فهي قباب دينية لا تُستخدم الّا في مناسك الحجّ الأكبر[4] او مدة الإحرام[5] . ولهذا

المختار . اطلب ابن دريد ، ص ٢٩١ ، الطبري ٢ : ٧٠٦ ؛ ثم Van Gelder, *Mohtār der valsche Profeet*, 92 ...

١) راجع Lammens, *Les Sanctuaires préislamites dans l'Arabie occidentale*, *Mél. Univ. S. Joseph*, XI, fasc. 2, 1926.

٢) ابن دريد : الاشتقاق ١٥٢ ؛ ابن هشام : السيرة ١٢٦ ؛ ابن سعد : الطبقات ١ : ٤١ . ويدعى بنو قريش سَدَنة الكعبة ، ابن قتيبة : كتاب العرب ، ٢٩٠ ؛ و« آل الله » ، ابن دريد : ك . م . ٩٤

٣) البلاذري : كتاب الانساب (مخطوطة باريس) ٢٤ قفا

٤) اليعقوبي : تاريخه ١ : ٢٦٨ . وفي اسد الغابة (٥ : ١٨٥) ان المؤمنين المختارين حتى في السماء يسكنون « قباباً من الجلد » .

٥) ابن هشام : السيرة ١٢٨ . وكان الرسول مستنداً الى قبة من جلد بمنى . البخاري : الصحيح (طبعة استانبول) ٢ : ٢٢٠

لم يهتمّ القرشيون، في شؤون عباداتهم هذه، بنسج مظالّ الشعر. وهذا قول ابن سعد: « كانوا لا ينسجون مظالّ الشعر وكانوا اهل القباب الحُمر من الأَدم. »[1] ولا شك في ان الذين نقلوا الينا هذا النصّ التقليدي من جمّاع حوادث السيرة لم ينتبهوا لفائدته الدينية الكبرى. والّا فما معنى بيوت الشعر لبني قريش وايّة فائدة منها لقوم متحضرين ينزلون قريةً عامرة ؟ بيد انهم كانوا يحفظون باجلال وإكرام قباب الجلد فيخرجونها في مظاهر عباداتهم الموروثة. وكيف لا يمكن ان نرى في هذه المعلومات إشارة الى تلك القبة القديمة من الجلد الأحمر التي كانت تظلّل الحجارة المؤلّهة في مكة المشركة ؟

والى جنب القبة كان يذكر قدماء العرب « الأَعِنَّة »[2] دلالةً على وظيفة المتقدّم القرشي الساهر على قبة المدينة والآخذ بعنان الجمل المخصّص بحملها في منازل الحجّ. ولهذا غدت « القبة » مرادفة « للمحمل » الذي اتخذ هيئتها الخارجية.[3] فحلّ محلّ المتقدّم القرشي كبارُ رجال الدول الاسلامية في طموحهم الى الأخذ بزمام جمل المحمل. وان هذا المشهد الاسلامي ليذكرنا بابي سفيان، في طريقه الى أُحد، « يحمل اللات والعُزّى »، ويعاون كبار ابناء قُصَيّ حتى مكان المعركة. أوَ لا نرى في الزيّاحات المسيحية كبار الرجال يتنافسون في الأخذ بحبال المظلّة تكريماً واجلالاً. كذلك حالة الاشخاص التي تمثّلها القطعة الخزفية المكتشفة في دمشق.

ولا يصعب علينا بعد ان عرضنا الشواهد المتنوّعة وحللناها وفهمنا مضمونها،

---

١) ابن سعد: الطبقات ١: ٤١. يشهد النبي الحجّ في قبة من أدم (ابن سعد: الطبقات ٢: ٨٨؛ اسد الغابة ١: ٢٥١). وفي نصّ آخر (مسلم: الصحيح ١: ٤٦٩؛ ابو داود: السُنن ١: ١٩٠) تُذكر « قبة » من شعر. و« السِيَر » المتأخرة كالسيرة الحلبية مثلاً (٣: ١٢٨) تقول ان الأنصار اجتمعوا في « قُبة من ادم ». ولا شكّ ان في هذا سهواً عن مساحة القبة الاصلية الضيّقة.

٢) اطلب شرحاً تقليدياً في العقد ٢: ٣٧. ويذكر أُسد الغابة ١: ١٠١ انهم كانوا يجعلون في القبة « ما يجهّزون به الجيش » واعجب بهذا التحوّل ينال ذاك الخباء الضيّق فيجعله مخزناً للاسلحة ! اطلب Lammens, *La Mecque*; 67-68

٣) راجع صالح صبحي: الكتاب المذكور ٢٦

ان نتصوّر تلك الحفلات التي كانت تُقام في مكة مدة « العُمرة » ، ذاك العيد الديني الوطني الواقع في شهر رجب[1] . شوارع ضيّقة مزدحمة بالعابدين والمتفرّجين ، مواكب متتابعة تطوف بحجارة الاحياء ، جمال مترنّحة حاملة القباب المتمايلة الفاقعة الألوان ، يقودها زعماء القوم ، ويسير وراءها ، على الجمال ايضاً ، نساء قريش ، وقد حللنَ الشعور ، وضربن الدفوف والغرابيل ، وصحنَ باصوات الفرح والحماسة . حتى يصل الجميع الى فناء الكعبة . واني لإخال القرآن يشير الى هذه الحفلات الوثنية عندما يقول عن المشركين : « وما كان صلوتهم عند البيت الّا مُكاء وتصدية . »[2]

ومهما يكن من أمر فان التقليد الإسلامي نظر نظرةً سيئة الى عمرة رجب . ولا شكّ انه عبّر ، في هذا ، عن كره النبي لهذه « المتاتر »[3] ، او الضحايا التي كانت تُذبح وتُخلّى لحومها للطيور . ويظهر ان النبي حرّمها او منعها فقط مدة شهر رجب[4] ، لما كانت تحتوي عليه من شعائر الشرك البارزة في عُمرة رجب حتى ان « الرجبيّة » و« العتيرة » اصبحتا من المترادفات .[5] اما اهل مكة فكانوا على تعلّق شديد بهذه الأعياد الضاجة ، لا يتنازلون عنها بالسهل ، ولا يغيّرون شيئاً من مناهجها ولا سيّما زمن العُمرة . حتى كانوا يعتقدون ان من الخطأ ان يقوموا بشعائرها في اثناء الحج الى عرفة .[6] ولقد رمى النبي الى محو هذه الذكريات العريقة المتأصلة في ماضي مكة الجاهلي ، وفي فخامة حفلاتها المشركة عندما شاء ان يقوم بالعُمرة في غير شهر رجب[7] ، ثم عندما جمع بين العُمرة

---

١) قابل بما في ابن جبير : الرحلة ١٢٨ ، ١٣١ ، ١٣٣

٢) القرآن ٨ [الأنفال] ٣٥

٣) النسائي : السُنن ٢ : ١٩٠ ؛ ابن هشام : السيرة ٦٥٩

٤) النسائي : السُنن ٢ : ١٨٩ ، ١٨٠ ؛ مسلم : الصحيح ٢ : ١٦٥

٥) اسد الغابة ٤ : ٣٢٩ وقابل بما في ٢٦٧ ؛ ابن الأثير : النهاية ٢ : ٦٦ ؛ ابن هشام : السيرة ٥٣٤ ، ٥٦٩ ؛ الجاحظ : الحيوان ١ : ٩ ؛ ابو داود : السُنن ٣ : ٣٠٥

٦) مسلم : الصحيح ١ : ٤٨٠ ؛ النسائي : السُنن ٢ : ٣٤

٧) مسلم : الصحيح ١ : ٤٨٣ . ولعلّ اكثر هذه « العُمرات » المنسوبة الى النبي تفتقر

والحجّ.[1]

* * *

هذا الماضي العريق ترك في تقاليد القرشيين لقباً طالما طمح اليه « السادة » وهو « اهل القباب الحُمر »[2] ، لقب يُختصر احياناً فيُقال : « اهل القباب » محذوفاً منها نعت اللون وهو معروف.[3] ويقال ايضاً : « ربّ القبة » و« صاحب القبة ». وكلّها تعادل اعظم الالقاب شرفاً وفخراً ، كما يقول عبيد بن الأبرص :

اهل القباب الحُمر والنَّعَم المؤبَّل والمُدامَه[4]

وهو الذّ ما كان يُمدح به امراء الحيرة وملوك الغساسنة[5]. وقد مُدح والد امرئ القيس بانه « الربّ » و« ذو القباب ».[6] حتى غدت الكلمتان « الربّ » و« القبّة » تتداعيان وتكتملان الواحدة الاخرى. ولقد اصاب ذاك البدوي الهائم في القفر عندما شاهد الوان القبة القاتمة ، فصاح : « ما لهذه القبّة بدٌّ من ربّ ! »[7]

وكانت لفظة « الربّ » تدلّ على اعلى رتبة في الدرجات الاجتماعية. فكان اصحابها من العرب ، وهم « افخر الأمم » ، يرغبون في المباهاة بهذا الفخر ، فينشرون القبة الحمراء الدالة على « الربوبيّة » اذا صحّ التعبير[8]. ويتنافس شعراؤهم في تلك المنافرات ، فيتنازعون اللقب ويمنحونه لرجال قومهم جميعاً وكلّهم

الى ما يؤيّدها. وقد تكون وُضعت لتبرّر غياب النبي عن الحجّ الاكبر ، الذي لم يقم به الّا في آخر سنة من حياته.

١) راجع Lammens, *Sanctuaires préislamites...* , pp 131...

٢) ابن دريد : الاشتقاق ٢٠٨ ، ٢١٥ ؛ وقابل بها في الاغاني ٢٠ : ١٢٦

٣) كما يلاحظ الجاحظ : الحيوان ٥ : ١٤٣ ؛ الاغاني ١٦ : ١١٦

٤) ديوانه (طبعة Lyall ٢٩ : ٢

٥) الاغاني ٨ : ٥٠ ، ٩ : ١٧٣ ، ١٧٦ ؛ ١٠ : ٣٠ ، ١٦ : ١٦٥

٦) شيخو : شعراء النصرانية ٣ ، ١٢ ، ٢٣ ٧) الاغاني ١٦ : ٥٤

٨) اطلب بحثا في *Fātima*, 73 و *Chantre*, 137 ؛ ابن قتيبة : الشعر والشعراء ٢٧ ، ٢٢٢ ؛ الاغاني ١٦ : ١٢٨ ؛ نقائض جرير ١٤٠ ؛ عبيد بن الأبرص : الديوان ٢٥ : ١٠ ، ٢٧ : ٥ ، ٢٩ : ٢ . وقد كان مضرب تزار جد العرب ، احمر اللون . وهذا الخليفة هشام بن عبد الملك يقرّ الصحراء فيضرب خيامه الحُمر (الاغاني (طبعة صالحاني ١ : ١٤) محتفظاً باللون الارستوقراطي القديم.

متحدّرون من دم ملوكي يشفي الكلبي.[1] حتى غدت دعواهم طبيعية فاصبحوا جميعهم من « اهل القباب ».[2] وكثيرًا ما كان الأشراف من العرب ينصبون الى جنب مضرب الاسرة ، قبةً من الجلد الأحمر يدلّون بها على شرفهم، ويحتفظون لها ، من تلك الصفة الدينية القديمة ، بحق الإعاذة اي اجارة كل من يلجأ اليها . وهذا قول ابن دريد: « هم اشراف في الجاهلية لهم قبّة وهي التي يُقال لها قبة المعاذة من لجأ اليها اعاذوه. »[3] وما اشبهها بقبة سُبيعة في حرب الفِجار . وهؤلاء الشعراء ينال ارفعهم حق القبة الحمراء في سوق عكاظ ، فيستظلّها النابغة الحكَم المشهور[4] .وهناك قبة المنافرة[5] تُنصب في المساجلات التي يشهدها كاهن حَكَم وتنتهي عادةً بذبح الأضاحي.[6]

اما اختيار اللون الأحمر الفاقع للقبة الدينية فقد يبدو على شيء من الغرابة اذا ما تذكرنا ان سكان البادية يسكنون منذ القِدَم الاخبية القاتمة الألوان.[7] وهذه عروس « نشيد الاناشيد » تشبّه سمرتها بلون « أخبية قِيدار ».[8] واذًا فمن اين جاء البدوي باللون الاحمر ، وهو الذي يتجنّب طبعاً وعادةً اظهار مضربه فلا ينام على مفرق الطرق ، ولاقرب المياه لئلّا يشعر به اعداؤه . فلا بدّ من ان يكون أثر للاصل الديني في اختيار هذا اللون . وان « الدين » وحده يدفع البدوي الى الخروج عن المألوف . واذا قلنا الدين فهنا العادات الاصيلة المتوارثة بالتقليد . وقد جاء عن ياد ، احد جدود العرب القدماء انه ،

١) شيخو : شعراء النصرانية ٤٠٤ ؛ الاغاني ١٤ : ٧٤ ، ١٥ : ٧

٢) شيخو : شعراء النصرانية ٢٩٢

٣) ابن دريد : الاشتقاق ٢١٥

٤) الاغاني ٣ : ٥٢ ، ٧ : ١٧٠ (وفيها يضاف القول : « قُاد له حبال بين وتدين » . ولعلّ ذلك دلالة على تحديد حرم ؟) ٨ : ١٩٤ . اما بشأن عكاظ فراجع شعراء النصرانية ٦٤٠ ، ٦٨٧

٥) وقد تحتوي على الحجر المؤلّه .

٦) وقد تكون الأضحيّة جُملًا يوزّع لحمه على الحاضرين الاغاني ١٥ : ٥٤ : ٥٥ ، ٥٧ . وراجع ابن هشام : السيرة ٩٢ ، ٢٨٤ وفيها ذكر رئاسة الكهنة المحكّمين.

٧) راجع شعراء النصرانية ٧٧٠ . على ان هناك ذكرًا لمضرب احمر في الجاحظ : المحاسن ٣٠٣

٨) نشيد الاناشيد ١ : ٤

قبل ان يموت ، وهب ولده مُضَر « القبة الحمراء وهي من أدم »[1] فكانت من اعظم الهبات . وعلى اثره سار شيوخ القبائل مدة الاجيال المتتابعة . فكانوا يوصون لخير ابنائهم بالقبّة المقدّسة يولونهم بها السلطة الدينية في القبيلة ، وقد ينصون على ذلك بالعبارة التقليدية فيوصون « بالقبة والبيت » اي بالحجر المؤلّه ومظلّته .[2]

وهكذا تنتقل ادوات العبادة هذه من أسرة الى أسرة ، من حيّ الى حيّ ، مدة القرون المتتابعة ، وعلى رغم الاحداث والانقلابات المتنوّعة ، في شعب سطحيّ الايمان ، عديم التقوى ، بعيد عن النظم والترتيبات الاكليريكية ، ولكنه وافر المحافظة ، شديد التقيّد بما كان عليه آباؤه .[3] وان هذه الانتقالات تشرح لنا تلك التعابير المتناقلة منذ القدم في كتب السِيَر والانساب ، فنفهم معنى : « صار البيت الى . . . » او « تحوّل البيت الى . . . »[4] او « فيهم كان بيتُ ربيعة . »[5] وقد يتّسع التعبير فيقال : « فيهم البيتُ والعدد . »[6] ولا يخفى ان العدد له اهمية كبيرة في حياة القفر . وكانت الأُسر السريّة تتنازع « القُبة » حتى اذا نالتها نالت قسطها من المجد والرياسة[7] على سائر عيال القبيلة . وقد

١) اطلب *Chroniken* II, 135, 139-142 ؛ البخاري : الصحيح ٤ : ٨٨ ، عدد ٤٢ ؛ ابن سعد : الطبقات ١ : ٤١ ، ومن هنا القول : « مضر الحمراء » (شعراء النصرانية ٦٨٢) يشمل قبائل مضر جميعها . وقد اوصى لها اياد « بالقبة الحمراء » . اما ربيعة فلا يعطيه ابوه الّا « الحباء الاسود » (*Chroniken* II, 135) ولتنتبه المقابلة بين « القبة » و« الحباء » . وهو ما انتبه له المفسّرون فجاوزوا الحدّ في استغلال هذه الوصيّة حتى استخرجوا من القبة الحمراء حق مضر في النبوّة والخلافة . اما ربيعة صاحب « الحباء الاسود » فليس له الّا الطاعة والانصراف عن الطموح الى الخلافة .

٢) *Chroniken* II, 141 وفيها لفظة « رياسة » مرادفة « للقبة الحمراء » . ولا يخفى ان هذا الترادف يرقى الى عصر متأخر ، مما يدل على غفلة الرواة المتأخرين .

٣) قابل بما في القرآن ٢ [البقرة] ١٦٥ ؛ ٥ [المائدة] ١٠٣ : « نتّبع ما ألفينا عليه آباءنا »

٤) *Chroniken*, II, 139-140, 141, 142

٥) المقصود بنو حنظلة . لسان العرب ٢ : ٣١٦ ؛ Lane, *Lexicon*, I,280 . واطلب العِقد ٢ : ٥٢ ؛ الاغاني ١٠ : ٨٥ ؛ ابن دريد : الاشتقاق ١٠٧ ، ١٣٠ ، ١٤٢ . واخال الجملة « اليهم البيت » مقتضبة من « صار او تحوّل اليهم البيت » . ابن دريد : الاشتقاق ١٧٣ ، ١٧٤

٦) كما يقول الشاعر جميل في الاغاني ٧ : ٩٩

٧) القُبة تنيل الرياسة وترفع الى مراتب الاشراف ، ابن دريد : الاشتقاق ٣١٥

يكون من اهتمام العرب في هذه الانتقالات انتباههم لصفة المشيخة[1] ، وقد ظهروا في اطوار حياتهم جميعها على تعلق بهذا المبدأ الذي نقلوه الى الخلافة بعد الإسلام.[2]

ان تكن هذه المؤسسات الوثنية في العهد الجاهلي قد خفيت مدة طويلة عن علماء عصرنا حتى اطولهم باعاً واعمقهم درساً ، فان السبب في ذلك يُردّ الى جُمّاع الاحاديث الاسلامية وارباب التفسير . وقد يصعب علينا اليوم ان نقيس سماكة الغشاء الذي طرحه الحديث الاسلامي بين العهد الجاهلي ونظر علماء العصر. ولنذكر مثلاً واحداً دلالةً على الكثير من نوعه . نرى في الشعر القديم ذكراً مستفيضاً « للبيت » : ملكيته ، وانتقاله ، وتحوّله من أسرة الى أسرة ومن قبيلة الى قبيلة. فما يكون موقف المحدّثين والمفسّرين من هذه المعلومات ؟ يريدون ان يعتقدوا ، وان يعتقد الناس معهم ، ان الشعراء الجاهليين ، وهم من الانحاء والقبائل المختلفة ، يقصدون بكل هذا بيت مكة اي الكعبة.[3] واليها يردّون قول القرآن في سورة ابراهيم: « فاجعل افئدةً من الناس تهوي اليهم. »[4] وقد ادّت هذه الشروح الخيالية ، بعد ان عزّزتها السيطرة القرشية بعد الإسلام ، الى حكايات واساطير نرى فيها حراسة الكعبة في ايدي قبائل يضعها التاريخ ، زمن ولادة محمد ، على الوف الاميال من مكة.[5]

وقد يكون لنا عودة الى هذا البحث.

---

١) راجع Yazīd, 88; Berceau, I, 310

٢) « كان البيت من ضبّة في الكبر من بني ثعلبة » Chroniken, II, 142 ، وكذلك في الكلام عن الكعبة ؛ ابن هشام : السيرة ٧٥

٣) من ذلك قول قيس بن الخطيم (الديوان ١٣ : ١٢) « الحمد في ذي البنيّة »
ولا يخفى انه يقصد بالبنيّة : البيت ، « بيت » الغبيطة اي حجرها المؤلّه لا الكعبة ، كما وهم المترجم كوالسكي جارياً على اسلوب المحدّثين . وهو ما يطبق على بيت احد شعراء طيّ : « وبيت الله » في نوادر ابي زيد ٧٨ . وعلى اكثر « البيوت » في الشعر القديم.

٤) القرآن ١٤ [ابرهيم] ٤٠

٥) راجع Berceau, I, 116 ؛ الاغاني ٨ : ١٢٨ ، ١٨٨

شذرات

في اسكان العشائر النُصف الرُحّل

هي العشائر العربية المُكنّاة « أهل الشاة » ، لمزاولتها حرفة تربية الاغنام ؛ وتمييزاً لها من عشائر البدو الرُحّل « أهل البُلّ » اصحاب قطعان الابل .

والعشائر النصف الرُحّل تُعنى ايضاً بالزراعة ، ولذلك هي اقرب للتحضّر من البدو المحافظين مدى الاجيال على الهيأة الاجتماعيّة الاولى التي تكيّف بها بنو البشر .

والعشائر النصف الرُحّل (وندعوها العشائر المزارعة ونسمي افرادها أعرُبي وعَرَب دفعاً للالتباس) تؤلف الاكثرية الساحقة من سكان الفرات والخابور وهي التي تغذّي تجارة البلاد بنتاج مواشيها وزراعتها ، وتؤدّي القسم الاعظم من واردات الخزينة من ضريبتي الاغنام والاعشار . .

* * *

وقبل الخوض في موضوع الاسكان الدقيق يُستحسن الشروع بشرح كيفية معيشة العشائر المزارعة المتوطّنة نوعاً ما على ضفاف الفرات والخابور .

فاهل الشاة متحدرون اصلاً من البدو الرُحّل الذين لم يبقَ لديهم ، في غابر الازمان ، من وسائل المنعة والقوة ما يدعهم يثابرون على الحلّ والترحال لمسافات شاسعة ، فاضطرّ اجدادهم بتأثير ضغط وسطوة العشائر البدوية الشديدة البأس الى الالتجاء الى اطراف البادية والاحتماء بالمواقع المنيعة القريبة من الانهر .

واذا بتضييق مجال مراعيهم المألوفة يحملهم على ترك تربية قطعان الابل الضرورية للتجوال البعيد ، والنزوع الى تربية الاغنام الوضيعة التي تتناسب مع حالتهم الجديدة اغتناماً لفائدتها .

ثم ان وادي الفرات — كوادي النيل — يُعطي بدون مشقّة حاصلات عظيمة شجّعت البدوي المقصي عن البادية على استثمارها لسهولة منالها لانه كسُول بفطرته قليل النشاط يعتبر حراثة الارض حقارة :

١ً ــ لقد كانت المزروعات الصيفية « ألفيض » الخطوة الاولى في تحوّل البدوي الى الزراعة وابدال ثوبه بثوب العَرَبي الاوضع.

ففي كل سنة ، بعد انسحاب مياه الفرات عن الاراضي المنخفضة القائمة على ضفتيه ، في نهاية شهر ايار او غرّة حزيران ، لا يُطلب من أعرُبينا سوى ان يُودع طبقة الطين الغليظة الراسبة في المنخفضات بذور النبتات المختلفة - فيرتفع منها بسرعة مدهشة ، وبدون عناية ، وبكميات غزيرة ، البطيخ الاحمر والاصفر والخضار العجيبة الحجم واللذيذة الطعم .

واماً الذرة البيضاء والصفراء والسمسم فترشّ بدورها على سطح الطين الندي ، ثم يؤتى بالاغنام وتُدفع على وجهه فتغرس بقوائمها الصغيرة البذور المطشوشة ، واذا بالطين بعد غفلةٍ يكتسي بالحقول النَضِرة.

ومما تقدّم يتبين للقارئ ان زراعة الفيض تقوم بلا حراثة ولا عناء .

٢ً ــ ثم كانت الخطوة الثانية باتباع طريقة المزروعات الشتوية « السِيل » التي ترتوي من مياه الامطار : فعند منتهى الوديان المنحدرة من البادية الى وادي الفرات تُشقّ الارض البعيدة عن النهر سطحياً بالمحراث الذي عهده ابونا آدم ، وتزرع بها الحنطة والشعير . ويكفي حلول شتاء ممطر وبعض الغيث في فصل الربيع لانتاج اغلال وفيرة في سني الاقبال.

٣ً ــ واخيراً عندما بدأ العَرَبي يحسّ بفوائد التربة المغذية عمد الى زراعة السَقي الشاقة متشبهاً باهل الحضر الذين بجواره.

وتُسقى هذه المزروعات من مياه الفرات التي تُرفع الى مستوى الاراضي بواسطة « بَكَرات » او « غَرَاريف » تديرها الدواب و«البَكَرَة» اقلّ كلفة من القرّاف واكثر شيوعاً رغم ما يستلزم ادارتها من المشقّة لانها تُنهك قوى الدابة والعامل اللذين يديرانها جنباً لجنب . و« البكرة » تروي مساحة ٤٠ الى ٥٠ دونماً من الارض . ولكنها اذا دام عملها ليلاً نهاراً بواسطة تناوب الدوابّ والعَتَلة زادت هذه المساحة الى المثل . وفي الغالب تشاد هذه البكرة مزدوجةً فتسمى « كَرْدًا ».

هذا فيما يتعلق بمزروعات السقي على ضفاف الفرات حيث يسهل العمل

ويخفّ الجهد كلّما ارتفعت مياه النهر ، ويكثر العناء كلّما تناقص مستواها .

واما على نهر الخابور — ذي المجرى المُنتظم — فتُقام النواعير الصغيرة الحجم المدعوة « دولاباً » (جمعها دواليب) تديرها قوة المياه المندفعة ولكن اكثر الفلاحين هناك يعمدون الى البكرة وتحمل مشاقها المضنية نظرًا لكلفة اشادة النواعير .

وما كاد العَرَبي يتعاطى زراعة السقي ، ويتقن تنظيم سواقي الري حتى سمّي « شاوياً » (جمعها شَوَايَا وشُويَان) وهذا الاسم يعرف اهل تلك المنطقة من انواع التحقير .

وهكذا اصبحت مزروعات الزور الى يومنا هذا على نوعين :

ا — المزروعات الشتوية من شعير وحنطة : منها الزراعة بواسطة السقي الشاق ، ومنها الزراعة بطريق السيل كما يجري في البلاد الحورانية .

ب — المزروعات الصيفية من الخضار والفاكهة والذرة والسُمسُم . منها ما يسقى ايضاً ، وهذا شاق للغاية ، نظرًا لانخفاض مياه الفرات في الصيف لأدنى درجة ؛ ومنها الفيض يتعهدها خصب طين الفرات الذي يرسب في الاراضي المنخفضة .

***

ولما انتهج العَرَبي تعاطي الزراعة — وهي الخطوة الاولى نحو الاسكان — اضطرّ لاخضاع معيشته لاحوال جديدة يكيفها فصلا الصيف والشتاء بمستلزماتها .

فعند حلول الصيف — وهو فصل « القيظ » عندهم — يطوي العَرَبي بيت الشعر . فيقيم الرئيس والغني تحت « السِباط » ، وهو دور موقتة مركبة من قوائم خشبية تكسوها اغصان الطرفا والسوس والنعناع ويختلف حجمها حسب منزلة وثروة صاحب الدار . ويستظلّ الفقير « بعَرْزَالَة » وضيعة من الاحطاب ، او بحيطان من الطين يُغطّي سقفها بالاغصان والاعشاب .

ويقضي العَرَبي في قراه المنتشرة على ضفاف الانهر ايّام القيظ من شهر ايّار الى كانون الاول ، فيكرس اوقاته لحصاد وجمع مزروعاته الشتوية (ايّار - وحزيران) ثم يدأب على المزروعات الصيفية السقي (حزيران الى ايلول) واخيرًا يُهيّئ

اراضيه للموسم الشتوي المقبل (تشرين الاول والثاني) فيغمر الاراضي الجافة بالمياه ويعمل على حرثها وبذرها وتقطيعها مصاطب متسعة الى جانب سواقي الري الممتدة الى البكرات.

ويعنى في هذه البرهة ببيع محصولاته من نتاج الارض والمواشي ليسدد بعض ديونه للمرابين ، ويؤدي الاموال الاميرية . فاذا تبقى لديه شيء من المال اخذ احتياجه من الملبوس ، وزاد عدد ماشيته ، او اشترى حصة فرس كريم او تزوج . . . ولكنه لا يحتفظ ، على كل ، بشيء من النقد لديه.

* * *

بعد هطول الامطار وظهور الكلأ في البادية يقوم العُرْبي الى سياطه وعرزاته فيهدمها ، تاركاً منها القوائم بوضعها . ثم يحمل بيت الشعر التقليدي ويتوجه الى البادية بطروشه التي قضت الصيف بقربه تقتات من تبن الحقول المحصودة ومن المراعي القليلة الواقعة ضمن « حَاوِي » الفرات اي واديه .

ويستعيد العُرْبي في فصل الشتاء سالف حياته البدوية . الّا انه لا يبتعد كثيراً عن مواقع سكنه لفقدان وسائل النقل من الابل ، واحترازاً من الطوارئ وغزوات البدو.

واما افراد العشيرة الفقراء والمأجورون (وهم غرباء عن العشيرة) المكلفون رعاية المزروعات فيلبثون في القرية حيث يقطنون اوكاراً تُدعى « دُبْدَابَة » وهي كناية عن حفرة في قاع الارض يقيها من الامطار سقف من الاخشاب والتراب الكثيف يرتفع قليلاً عن سطح الارض ، ولا يُميّز عن الجوار الّا بصعوبة.

* * *

تبيّن للقارئ مما تقدّم ان السائح على ضفاف الانهر الزورية لا يجد قُرىً بالشكل المألوف لدينا : لا من بيوت مبنيّة من الحجر واللبن ، ولا من بساتين اشجار مثمرة تحيط بها او كروم عنب ولا ولا . . . بل يرى منازل وقتية تجدّد منذ مئات السنين . فاذا ما استحسنت العشيرة لسبب ما ترك مخيمها لا يبقى وراءها سوى رماد المواقد وبعض الحيطان من طين لا قيمة لها .

وليس ملكيتهم للاراضي المتصلة اليهم في اغلب الاوقات عن طريق التصرّف

مما يوجب استبقاء هؤلاء العرب وربطهم بها اذا شعروا بخطر يحدق بمصالح العشيرة الحيوية .

ان هذا التثبت المؤلم من تعلق العرب الضئيل بالارض يفسح امامنا المجال لاستنتاج مبلغ التأثيرات السيئة التي يمكن ان تعترض نجاح مهمة اسكان تلك العشائر ما لم يُتَّخذ لهذه الغاية تدابير حكيمة بصورة تدريجية تتلاءم مع عاداتها ودرجة تطوّرها نحو التحضُّر . فما دام العَرَبي لم يبنِ له بيتاً ثابتاً يتمتع به بقسط اوفر من الرفاه ولم يُقدم على اعمال زراعية كغرس الاشجار والكروم تكون ابقى من تحديش التربة بالمحراث ، فهو سيظلّ اقرب الى البداوة منه الى التحضُّر .

ولهذا السبب نجد اهالي الزور يطلقون اسم « أهل الوَبَر » على جميع العشائر من العربان الرُّحَّل والعَرَب النصف الرُّحَّل بينما نراهم يعتبرون كلمة « أهل الحَجَر » خاصة باهل المدن والبلدان العامرة فقط .

خليل جباره

مطبوعات شرقية جديدة

JAUSSENS-MORANDI. **Introductio biblica**, seu Hermeneutica sacra in omnes libros veteris de novi fœderis. Editio septima. In-8°, 430 pp., Turin, Marietti, 1938. Prix : 14 L. ital.

المدخل الى الدروس الكتابية

هـذا الكتاب التعليمي من تلك المؤلفات التي تتوالى طبعاتها ، مع شيء من التغيير احياناً . وهو اوضح دليل على اهميتها وفائدتها . نقول هذا ونحن نتصفح الطبعة السابعة من هذا المدخل للدروس الكتابية ، فنتحقق فيه سلامة العقيدة ، وحسن الاسلوب ، ووضوح العرض. ب. م.

MGR TIHAMER TOTH, **Le symbole des Apôtres. Introduction : La Foi, l'Existence de Dieu.** Trad. du hongrois par l'ABBÉ MARCEL GRANDCLAUDON. In-8°, 240 pp., Mulhouse, Éditions Salvator. Prix : 20 fr.

الايمان ووجود الله

يتمم المجلد الحاضر تلك السلسلة النفيسة في شرح « قانون الايمان » . فيخوض فيه المؤلف في الايمان ووجود الله ، سائراً على الاسلوب نفسه الذي عرف به في المجلدات السابقة من عمق البحث ، وحسن الإخراج . وهي صفات ضمنت الشهرة والرواج لجميع مؤلفات سيادة المطران توث.

لا شك في ان العالم المعاصر يشقى في ابتعاده عن الله ، وفي فقر نفسه المتكالبة على المادة ، والقوة ، واللذة. فوجب اذاً على راعي النفوس المسيحية ان يدل النفوس الضالة الى سواء السبيل ، فيسهل عليها الخروج من هذه المآزق ، ويقودها شيئاً فشيئاً الى التعزية بالايمان الحي . وهو ما رغب فيه سيادة المؤلف. فعرض اولاً ، بما لا مزيد عليه من وضوح ، دعائم الايمان . ثم درس العلاقات بين الايمان والعلم ، مدلياً بنصائح عزّزها الاختبار واحياها حب النفوس فاضحت عاملةً على التوبة ، وتعزيز الايمان في الفرد وفي المجتمع . مشيراً ببلاغة أخّاذة الى ان العقل والضمير وخير الانسان المادي والروحي ، كل هذا يتطلب الايمان

الحيّ المخلص . ثم ينتقل الى البرهان عن وجود الله فيعرض له بطريقة موافقة كل الموافقة لحياة العصر ومشاكل المعيشة الحاضرة. وهكذا يتمم المجلّدُ الحاضر المجلّدات الستة التي سبقته في الموضوع نفسه.

CHARLES BODIN, La doctrine sociale de l'Église et la Science économique. In-12, 136 pp. Paris, Spes, 1938. Prix : 8 fr. 25.

عقيدة الكنيسة الاجتماعية وعلم الاقتصاد

كثيرًا ما يعرض الكهنة والعلمانيون من الكاثوليك المشتغلون بالشؤون العمرانية والاجتماعية لتفنيد الآراء المتطرّفة التي شجبها الاحبار الاعظمون من اشتراكية ، وشيوعية ، وتساهل اجتماعي ، الى غير ذلك مما يُدخل اجمالًا ، ودون تدقيق ، تحت عنوان « الاقتصاد السياسي » او « الشؤون الاقتصادية ». ولا يخفى ما في هذا العمل من تعرّض للاخطاء او للاوهام . ولهذا رأى المؤلّف الخبير بهذه الشؤون ، ان يوضح عقيدة الكنيسة في العلم الاجتماعي وعلاقتها بالعلم الاقتصادي ، على اسلوب قد لا يقرّه كثير من الاقتصاديين ، ولكنه مستند الى الدرس العلمي الصحيح ، مؤيَّد بسلامة البحث وبعده عن التطرّف والتحيُّز .

DUNIN-BORKOWSKI, S. J., A la conquête des cimes. t. II. Adaptation française par l'ABBÉ R. GUILLAUME. In-8°, 252 pp. Mulhouse, Édition Salvator. Prix : 20 fr.

نحو ارتقاء القُمم

نشر الكاتب اولًا مجلّدًا عنوانه «لمحات واخبار» حاول فيه درس الشخصية الانسانية وتكوين الارادة . وها انه يلحقه اليوم بهذا المؤلَّف اللطيف يخطو فيه خطوة جديدة فيزيد على « الاخبار واللمحات» مبادئ عامة وتطبيقات عملية من شأنها ان تعزّز نموّ العقل ، وتهذيب الإرادة ، وتثقيف الميزة الانسانية السامية ، مستندةً الى الثقافة البدنية الصحيحة . ودليله في كل ذلك القدوة بالمسيح ، واختيار المهنة الموافقة ، ونضج الطبع .

والكتاب موضوع للشبّان يستفيدون من اسلوبه الرائق ، وافكاره الناضجة ، واختبار مؤلّفه الطويل .

Mgr Thamer Toth, **Mariage et Famille**. Trad. du hongrois par l'abbé Grandclaudon. In-8°, 288 pp. Mulhouse, Éditions Salvator ; Prix : 20 fr.

الزواج والأسرة

وهذا كتاب جديد ايضاً من قلم سيادة المطران توث يدرس فيه المشكل الحالي الدقيق ذا العلاقة الماسة برسالة الحبر الأعظم في « الزواج » « Casti connubii » . ولا يخفى ما كان لهذه الرسالة من وقع في جميع الاوساط العالمية. يعرض لها المؤلف في ١٧ عظة يحاول فيها ان يخرج فكرة الزواج والاسرة مما اكتنفها من الأضاليل العصرية المستمدة اكثرها من النزعة المادية الشادة بعالمنا اليوم ، مرتقياً فيها الى الجوّ الروحي حيث يعمل الزوجان بمعونة الله في تشييد الأسرة ، قائمين بواجباتها الصعبة متحلين بصبر واخلاص مشقات الحياة الزوجية.

ومن فضل المؤلف في هذا الكتاب انه لا يُغفل شيئاً من المشاكل التي تثيرها الحياة الحاضرة ، بل يعرض لها ، ويجابهها ، مشيراً الى الحلّ الموافق ، وما يرمي اليه من تطبيقات عملية ، دالاً في كل ذلك على معرفة بالغة بالشؤون النفسية وبمظاهر المعيشة العصرية . حتى غدا كتابه ، فضلاً عن فوائده الجمّة للمتزوجين ، جزيل المنفعة للوعاظ في ارشاداتهم لارباب العيال ، وللشبان المستعدين للزواج . وقد اجمع النقدة على ان الكتاب الحاضر من افضل مؤلفات الاسقف العالم العامل .

Albert Duléry-Reyval, **Le clairon de la résistence catholique. Le Père Coubé (1857-1938)**. Paris, P. Téqui et Fils. Prix : 17 fr.

ترجمة الاب كوبيه (١٨٥٧-١٩٣٨)

لا يقتصر هذا المجلّد على ترجمة حياة الاب كوبيه . انما يتناول تاريخ حقبة كاملة حافلة بالاحداث الدينية ، والاجتماعية ، والسياسية ، التي اضطرّ الاب كوبيه الى التدخل فيها ، من مناوشات ڤالديك روسو الخبيثة ، الى اضطهادات كومب الوحشية ، تلك التي جابهها المترجم بجملة اثارت معه الجماهير . هذه الحوادث المؤلمة احياها المؤلف مستنداً الى ذكرياته الخاصة اولاً ، وقد قضى

اربعين سنة صديقاً اميناً للفقيد ، والى معلومات انفرد بتدوينها ، والى ما وضعته بين يديه اسرة الفقيد من اوراق ومراسلات ثمينة . فاتى عمله من الطبقة الاولى في نوعه .

R. P. L. LAJOIC, A l'école de S. Jean Eudes, t. IV, Dieu et mon Ame. In-12. Paris, P. Téqui et Fils. Prix : 9 fr. 50.

الله ونفسي

تغتني مجموعة « في مذهب القديس جان أود » بكتاب جديد يعتبر فيه المؤلف نعم الله السابغة في مظاهر الخليقة ، وفي تطهير كل واحد منا . فيستخرج ، جارياً على مذهب القديس جان أود ، اعمق التأملات في حقوق الخالق علينا ، وواجباتنا نحوه تعالى . فيرفعنا الى الاعالي حيث النور الساطع ، الكامل المحيي .

ROBERT D'HARCOURT, Catholiques d'Allemagne. In-8°, 356 pp. Paris, Plon, 1938. Prix : 24 fr.

كاثوليك المانية

ليس اوسع ولا ادقّ من المؤلف اطلاعاً على علاقات الحكومة الهتلرية بالشؤون الدينية ، وقد كان اول من كشف عن نيّاتها السيئة واضطهادها للمسيحية عامة وللكثلكة خاصة . وهذه ابحاثه في « مجلة العالمين » ومجلة « المباحث » شاهدة على هذا القول . وقد شاء ان ينشر اليوم في الموضوع نفسه ، كتاباً يحتوي تاريخ هذا الاضطهاد المتكشف شيئاً فشيئاً حتى ظهور الرسالة البابوية « *Mitbrennender Sorge* » فيظهر للملأ ما يتمناه كل انسان من رجوع المانية الى نظام اقرب الى الانسانية . ب . م .

AMIN FARIS, The Antiquities of South Arabia, being a translation from the Arabic with Linguistic Geographic and Historic Notes of the Eighth Book of al-Hamdani's al-Iklil. Princeton University Press, 1938. Price : 2 dollars, 50.

ترجمة انكليزية لكتاب « الإكليل » للهمداني

هذه الترجمة الانكليزية لكتاب « الاكليل » تظهر عودةً على طبعة الاب انستاس وتنقيحاً لها بالاستناد الى مخطوطة جديدة وقف عليها المترجم . وقد قرن بترجمته صورة لاحدى صفحات المخطوطة ، وخارطة صالحة لطرق بلاد

العرب القديمة . وقدّم على الترجمة لمحةً في حياة الهمداني ، وفي النسخ المختلفة لكتاب « الإكليل » . ثم نبذة في مؤلفي المسلمين الذين تكلّموا عن جزيرة العرب في عصورها القديمة . ولا شك في ان هذا العمل الدقيق يفيد الأثريين ، واللغويين ، والرحّالة الذين يودّون الدخول في تلك الانحاء التي تكاد تكون مجهولة في جنوبي جزيرة العرب. ه. ش.

OMAR A. FARRUKH, **Das Bild des Frühislam in der arabischen Dichtung von der Higra bis zum Tode des Kalifen Umar 1-23 D. H. und 622-644 N. Ch.** In-8°, XVI+142 pp. Druck der August Pries GMBH in Leipzig. 1937.

صورة الاسلام الباكر في الشعر العربي منذ الهجرة الى موت الخليفة عمر

ظهر هذا الكتاب اطروحة قدمت الى كلية الفلسفة من جامعة ارلنجن (المانية) في سنة ١٩٣٧ لنيل الدكتوراه في الفيلولوجيا الشرقية.

اراد المؤلف في هذا الكتاب تبيان انتشار الدين الاسلامي بين العرب وتأثيره في تفكيرهم واخلاقهم ابّان الحقبة من الزمن التي انتخبها ، وذلك على ضوء الشعر العربي الصادر عن شعراء تلك الحقبة. ولا شك انها لفكرة طريفة ، فكرة الاستناد على الشعر العربي لدرس انتشار الاسلام وتأثيره في التفكير والاخلاق. واطرف من ذلك استخدام الشعر وحده مصدراً للقيام بذلك الدرس

ولكن لا بد من التنبيه ان هذا الدرس لم يتناول بالواقع الا عَرَضاً ونادراً تسرّب الدين الجديد وتغلغله الى نفسية العرب والانقلاب الفكري والاخلاقي الذي احدثه ، ولا يبحث اي العقائد نفذت اولاً الى تلك النفسية وباي مقدار تأصلت فيها — فهذا بحث قد يكون كتاب الدكتور فروخ من احسن المصادر للقيام به — بل كل همّ المؤلف الاشارة الى ان تلك العقائد وبالاحرى تلك الكلمات والتعابير الدينية الجديدة قد أخذ علم بها في جزيرة العرب بين السنة الاولى والثالثة والعشرين للهجرة . فها الفصل الاول يظهر لنا متى واين وكم مرة وردت عند شعراء ذلك العهد اسماء الله وصفاته واسم محمد والقابه (مع اربع لوائح احصائية لذلك) واسماء الملائكة والشياطين وذكر الموت والبعث والحساب والعقاب والثواب والشفاعة الخ... وها الفصل الثاني

يعرض لنا اصداء بعض معاني القرآن وتعابيره في الشعر . ثم يمر بنا الفصل الثالث اولاً على الفاظ الدين والبرّ ثم الفروض من صلاة وصوم وحج وجهاد وطهارة وزكاة وما اليها من مصطلحات ، واخيراً الزنا واللعب والخمرة والثأر والهجاء . وينتهي بنا الفصل الرابع بكلمة العرب التي جعل منها القرآن صورة للوحدة القومية التي خلقها في الجزيرة .

وان لم يدلنا هذا البحث على تأثير الاسلام في العرب الّا عرضاً ونادراً فهل يقنعنا على الاقل من انتشار ذلك الدين وتفشي عقائده — او قل تعابيره — بين سكان الجزيرة ؟

لو سلمنا ان الشعراء الذين يستند المؤلف على شعرهم يمثلون بالحقيقة مجتمعهم وان شعرهم ما هو الّا صدى لتفكير ذلك المجتمع ، لبقي هذا البحث بعيداً عن اقناعنا من انتشار الاسلام في شبه الجزيرة كلها . لان المؤلف لا يشير الّا الى قسمين من الشعراء : شعراء المدينة وشعراء ما خارج المدينة . دون ان يعلمنا من اي جزء من اجزاء الجزيرة هم شعراء ما خارج المدينة .

على انه ليس من الثابت ايضاً ان شعراء الاسلام الباكر يمثلون الرأي العام . فها المستشرق جولدزيهر يقول عن شعراء المدينة والشعراء المقربين من النبي — والمؤلف يستند في الاكثر عليهم — انهم كانوا افراداً « شذوا عن التفكير العام في عصرهم » . وان كان الدكتور فروخ قد حاول في مقدمته دحض هذا القول ، فانه لم يوفق الى ذلك مطلقاً . فهو يقول : « لو لم نعتبر شهادة الشعراء المقربين من النبي، للزم علينا ان لا نعتبر ايضاً شهادة كاتب سيرة كارلوس الكبير ، لانه كان يعيش في بلاط الملك ، وان نرفض شهادة الانجيليين عن حياة المسيح لانهم كانوا رسلاً له . » ولكن قد فات صاحب هذا القول ان جولدزيهر لا يرفض شهادة شعراء النبي عند إخبارهم عن حياته واعماله ، بل لا يعتبر ان تأثرهم بتعاليمه دليل على تأثر بقية الناس بها . وهذا يصح على الانجيليين ايضاً وعلى كاتب سيرة كارلوس الكبير .

على كل يجب ان نعتبر كتاب الدكتور فروخ كتاباً لغوياً ، لا فلسفياً لاهوتياً ، ولا اجتماعياً ، حتى نقدره حق قدره . فالدرس عن انتشار التعابير

الاسلامية الجديدة والتطور الذي طرأ بسبب الاسلام على معنى كثير من التعابير القديمة لدرس موفق كل التوفيق . فقد اظهر المؤلف فيه جدارة علمية كبيرة واطلاعاً واسعاً في الشعر العربي جاهلياً كان او اسلامياً . ولا شكّ ان كلية الفلسفة في ارلنجن اتخذت هذه الوجهة من النظر اذ منحت الاطروحة علامة جيد جداً. بيد انها لا تخلو من بعض الاغلاط كالخطأ مثلاً في تعيين بحر بعض الابيات . فالبيت :

« ومضى ربيع بالجنود مشرّقا ينوي الجهاد وطاعة الرحمن » (ص ٦٥)

ليس من الطويل بل من الكامل . والبيت :

« فلا تمنوا عليّ ولا تشطوا بقول الفخر ان الفخر حوب » (ص ١٢٢)

هو من الوافر لا من الكامل . الخ . . . ك . ع .

JEAN BAROIS, La Mecque, ville interdite. In-12, 162 pp. Paris, Correa. 1938.

مكة المدينة المحرّمة

توفق مؤلف هذا الكتاب الى دخول مكة « المدينة المحرّمة » ، على كونه مسيحياً واوربياً ، وعلى انه يجهل اللغة العربية . تبع قافلة الحجّاج فامكنه ان يشهد جميع الشعائر ، فيصفها بحماسة وميل ، معجباً كل الاعجاب بشخصية ابن سعود ، خاتماً كتابه بهذه الجملة : « واني لاخال بعضهم يقولون لي : ولكن لم يحصل لك شيء . . لم يؤخرك عائق . لقد مررتَ كالكتاب في البريد . » فاجيبهم : نعم كالكتاب ولكنه كتاب غير مدموغ ! . . . »

ا . ب .

PAUL MASSON OURSEL, La philosophie en Orient. [*Histoire de la philosophie* par EMILE BRÉHIER, fasc. supplémentaire.]. In-8°, XII+188 pp. Paris, Alcan, 1938.

الفلسفة في الشرق

عرف المؤلف من مدة طويلة بتضلّعه من الفكرة الشرقية . فلا عجب ان يقودنا في مختلف الاحقاب ، وفي مختلف المناطق ايضاً ، من آسية الغربية ، الى مصر ، الى ما بين النهرين ، الى ايران ، الى الهند ، الى الصين . يدرس فكرة هذه البلاد في ميزاتها الخاصة ، مشيراً الى مظاهر الاختلاف بينها وبين الفكرة

الغربية ولا سيما العصرية منها. ويشير كذلك الى انه في كل العصور كان تقارب وتبادل بين جميع هذه المظاهر المتنوّعة للفكرة البشرية . ثم يستخرج من كل هذا نتائج مهمّة يجدر بالغربيين الانتباه لها . فيذكرهم بانه « من الضروري الّا يضحّوا بالروحيّات في سبيل القوّة ولا في سبيل العلم المادي. والّا انحطّت قيمتنا في عيون الشرقيين.» ويستطرد الى القول بان الشرط الأساسي للسلام في العالم هو ان يفهم هذان العالمان احدهما الآخر . وان يجتهد مفكرو الغرب في ملاشاة ما تولّد في اذهانهم عن الشرق من احكام فاسدة يبنونها على القياسات العقلية وحدها . ولا شك ان درس الشرق يفيد الغرب افادة جليلة ، اذا توصّل الى اقناعه بان الانسان لا يعيش للفكرة العقلية المجرّدة فقط ، بل انه لا يجوز ان نفصل بين الحكمة البشرية والدين ، وهو ما فهمه الشرق دائماً .

غ . ن .

LOUIS DELAPORTE, **Les peuples de l'Orient méditerranéen. I. Le Proche Orient Asiatique.** [Coll. *Clio*] 362 pp. Paris, Presses Universitaires, 1938.

شعوب الشرق مما يلي المتوسّط

من المعلوم ان طريقة مجموعة « Clio » تمتاز عن غيرها باختصار ما يُعرض في فصول الكتاب ، وتخفيف المتن وتسهيله . حتى اذا كان الموضوع يثير مشاكل او حاولاً او مناقشات تُركت كلّها في الحواشي الملحقة بالكتاب . هذه الطريقة هي التي تبعها الاستاذ المؤلف ، وهو من الاختصاصيين بالشؤون الحثّية ، فقادنا الى العصور التي تقدّمت زحف الاسكندر الكبير . ونجح في عرضه نجاحاً احيى لدينا معيشة تلك الشعوب بمظاهرها ، سواء أكانوا منفصلين مستقلّين في محاكمهم الصغيرة ، او مجتمعين خاضعين لسلطة البابليين ، او الاشوريين ، او الحثّيين ، او الفرس . فغدا الكتاب وافر الفائدة ، لذيذ المطالعة . ا . ب .

JEANNE ARCACHE, **L'Émir à la Croix. Fakhreddine II Ma'an.** In-16. Paris, Plon, 1938. Prix : 18 fr.

الامير ذو الصليب : فخر الدين الثاني

بينما كان هنري الثالث يملك على فرنسة المقسّمة المنهوكة القوى بسبب الحروب

الدينية ، كان السلطان مراد الثالث ، امير المؤمنين وظلّ الله على الأرض ، يبسط مشيئته على الامبراطورية العثمانية القوية الفسيحة. وكان لا بدّ له من المال الكثير في سبيل تلك النفقات الباهظة ، فكان لا يألو جهداً في ابتزاز الضرائب والمكوس من مختلف المناطق الداخلة في حكمه. فارسل احد مقرّبيه ، ابراهيم باشا ، الى الشرق الادنى ليعاقب الدروز ، ويستخرج من حكام هذه المقاطعات اكثر ما يمكن استخراجه من مال. ولم يصل موفد السلطان الى هذه البلاد حتى خضع له الحكام جميعاً ما عدا الامير قرقماس ، والد الأمير فخر الدين الثاني ، سيّد دير القمر ، وزعيم الأسرة المعنية. وكان حصار شديد ، وكان تسميم المياه. فمات الامير قرقماس. وهربت امرأته ، السيدة نَسَب ، بولديها فربّتهما في الخفاء. حتى قيّض الله لاحدهما فخر الدين الثاني ان يعود الى عرش ابيه ، فيعمل في طليعة العاملين على توحيد لبنان واستقلاله كبيراً قوياً.

ثم تتوالى الاحداث ، فيجمع الامير حوله كل الناقمين على السلطة التركية ، وينظّم جيشاً دائماً ، فينتصر على جيوش السلطان في معارك عديدة . حتى يشعر ان لا دوام لاستقلال لبنان التامّ ، ولا ضمانة لحرّية سكّانه المطلقة الّا بالاستناد الى دولة اوربية . فيركب البحر الى فلورنسة ، ويقيم خمس سنوات في بلاط قوزما الثاني المديسي ، ساعياً في توثيق الاتحاد مع الغرب مهتماً باقرار حِلف دائم بين الامراء المسيحيين في سبيل تخليص الاراضي المقدّسة والدفاع عنها . بيد ان هذه المحاولة الصليبيّة تُمنى بالفشل . فلا يبقى منها الّا ما استفاده الاب جوزف ، مستشار ريشليو ، من ارسال رجال البعثات الدينية المسيحية الى الشرق الادنى . فاستقبلهم فخر الدين خير استقبال ، وانزلهم في اشهر مدن بلاده.

ولكنّ الايام تتحوّل ، والحلفاء لا يثبتون على مواعيدهم . وهكذا رأى فخر الدين حلمه الرائع الكبير يتبدّد سنة ١٦٣٤ امام القوّات التركية الهائلة. فانهار البناء السياسي ، ولكن الأثر العمراني الاجتماعي بقي حيّاً ، ينذيه ذكر الامجاد المتتابعة في بيروت وصيدا ودير القمر ، عواصم الامير التي زيّنها بالقصور والجنائن والمنشآت العديدة ؛ وفي اعمال المرسلين ناشري العلم والثقافة في هذه البلاد ، وفي صدور اللبنانيين التي افعمها مثال الامير وطنيّة واخلاصاً وتساهلاً

دينياً دلّ النصارى والدروز والمسلمين جميعاً الى انه بالامكان ايجاد وطن قوي مشترك يكوّن « لبنان الكبير » . فظلّوا يصبون الى هذا الأمل حتى تحقّق في القرن العشرين على يد الدولة المنتدبة.

هذا ملخص ما تعرضه لنا الآنسة جان ارقش في صفحات تخفق حياةً ، وتردهي ألواناً ، وترتقي فناً ، ولا سيما عندما تتناول شخصية الامير ، او بلاط السلاطين في استانبول ، او حياة امراء فلورنسة . حتى يخال المطالع احياناً انه في تلك المشاهد الخيالية من اساطير الشرق ، لولا ما هناك من نصوص التاريخ ودقّة الاسانيد.

F. CHARLES-ROUX, **France et Chrétiens d'Orient.**. [*l'Histoire et les Hommes*]. In-16. Paris, Flammarion, 1939. Prix : 25 fr.

فرنسة ونصارى الشرق

« حماية نصارى الشرق جزء من سياسة فرنسة الشرقية ، وبالتالي من سياستها في البحر المتوسّط . وان تكن فرنسة قد اختصّت منذ القرن السادس عشر بحماية فريق من هؤلاء النصارى ، ثم اتسعت حمايتها مدة القرن السابع عشر والثامن عشر والتاسع عشر ، فان عملها في هذه الناحية ، ككثير من اعمالها في النواحي الاخرى ، يمتّ الى اصول عريقة في القِدَم قدم فرنسة نفسها . . . »

بهذه الكلمات يبدأ المؤلف كتابه ، دالّاً بها على موضوعات بحثه ؛ راقياً الى عهد شارلمان ، فالى عصور الصليبيين فسورية الفرنجية ؛ واصفاً على ابلغ اسلوب دور فرنسة في بلاد الشرق منذ الف سنة . اسلوب موجز ، ولكنه جامع تامّ باسانيده ومصادره ، يوضح ما في الماضي من الامجاد ، وما يحمله الحاضر من الآمال . وهو يتوسّع في التاريخ المعاصر على ما يقتضيه الموضوع الحافل بالاحداث القريبة العهد ؛ فيجلو الحديث من دور فرنسة ، التي لم تنسَ عهودها ومهمّتها السابقة ، انما اضافت اليها صفة جديدة ، هي صفة فرنسة الدولة « الاسلامية » متحمّلة بذلك مسؤوليات جديدة ، وطريقة عصرية في المرونة السياسية . ولم يتراجع المؤرخ النزيه عن الاشارة الى الاخطاء والمساوئ التي ارتكبتها السياسة ، غير غافل عن المحاولات في وضع الخطوط الفسيحة

لعمل عامّ يستنير بالعدل والانصاف في سبيل الدفاع عن الحقوق والحريّات جميعها. وليس من مستشار انصح للسياسة من التاريخ الصحيح. ر. ش.

PAUL DE VEOU, **La Passion de la Cilicie (1919-1921).** Préface du général BRÉMOND. In-8°, 395 pp. avec 11 cartes. 2e édition. Paris, P. Geuthner, 1938. Prix : 24 fr.

—, **Le désastre d'Alexandrette (1934-1938).** Préface de JÉRÔME et JEAN THARAUD. [Coll. *Méditerranée*]. In-16, 3 cartes. Paris, Éditions Baudinière, Prix : 12 fr.

عذاب قيليقية (١٩١٩-١٩٢١)
نكبة الاسكندرون (١٩٣٤-١٩٣٨)

كتابان من اروع المؤلّفات وقعاً، وابلغها موافقةً للحوادث الحاضرة، ظهرا قبل التخلّي الاخير الذي اسفرت عنه الاتفاقات الفرنسية-التركية.

ولا يخفى ان المؤلف، السيد پول دي ڤيو، خصّص جهوده في سبيل الدفاع عن هذا الشرق الادنى الذي عُهد الى فرنسة بالسهر عليه منذ السنة ١٩١٩، لان مصالحه تتوافق مع مصالحها. وقد عُرف باعماله في لجنة البحر المتوسط محاولًا تخليص ما يمكن تخليصه. فرأى من ثمّ ان يُطلع بجرأة الرأي العام الفرنسي على امور عديدة يجهلها فيُهمل الاهتمام بها مهملًا، في الوقت نفسه، كثيرًا من مصالحه الحيوية في الشرق.

يتصف الكتابان بميزات مهمّة من حيث الاسلوب تدفع بالمطالع الى قراءتها بلذة، على ما فيهما من معلومات كثيرة واطلاع دقيق، فيرى على نورهما حقيقة «التضحيات» الفرنسوية في الشرق؛ تضحيات يمكن ان تكون ضرورية في الظروف الحاضرة، ولكنها نتجت حتماً من اخطاء سياسية فادحة. ر. ش.

ARTHUR PELLEGRIN, **Histoire de la Tunisie.** In-8°, 250 pp. Paris, Plon, 1938. Prix : 25 fr.

تاريخ تونس

مؤلف الكتاب فرنسي من تونس. عرف البلاد منذ وجوده في هذا العالم، فجمع الى درسه الدقيق ذاك الميل الفطري الذي يحبّب العمل وصاحبه، ويرمي الى ادراك النجاح في التأليف. وقد سبق له ان لفت نظر الاختصاصيين بكتاب

نفيس في «الإسلام في العالم». اما اليوم فيهمّ خاصّة، من تاريخ تونس الطويل، بالحقبة الاخيرة، حقبة الحماية الفرنسوية، موافقاً، في ذلك، ميله الى حبّ الاحداث التي شهدها، وتقديره لاهمية هذه الحقبة في تعيين المصير التونسي. ولكن هذا الاختصاص لم يمنع المؤلف من الإلمام بتاريخ تلك الارض المجيدة، ارض هنيبعل والقديس اغوسطينوس، الحافل باروع الصفحات وآلها على عهد قرطاجة، وما تبعها من الدول والسلطات. ر. ش.

J. Goulven, **La France au Maroc.** 25 ans de protectorat. In-8°, 100 pp. Paris, Publications du Comité de l'Afrique française, 1937.

فرنسة في مرّاكش

يحفل هذا الكتاب، على صغر حجمه، بكثير من المعلومات حتى يظهر مجموعة متناسقة لكل ما قامت به فرنسة، منذ الفتح، في سبيل تنظيم الحماية المغربية. وقد كان من الطبيعي ان تختلط الاعمال الحسنة بكثير من المساوئ، تبدو كالظلمات في حنايا الصورة، وهي اعمال المستغلّين والمضاربين وسائر طلّاب الفائدة المادّية حيثُ وجدت، مما يكثر حدوثه في بلاد المستعمرات. بيد انه كان من حسن حظّ مراكش ان وُجد فيها رجل كالمرشال ليوتي، عرف الغاية من وجود فرنسة في هذه الأرض، كما عرف مصلحة الشعب المراكشي فنظم التعاون بين الشعبين، فكان لا بدّ من التقدّم فالازدهار.

Freya Stark, **Les Portes du Sud. Dans l'Arabie inconnue.** Trad. de l'anglais et présenté par E.-J. Finbert. 1 vol. 384 pp., 30 photos, carte. Paris, Editions « Je sers », 1939. Prix : 24 fr.

ابواب الجنوب

لا شك في ان بلاد العرب من المناطق التي اثارت في كل زمان فضول الرحّالة والمكتشفين، كما اثارت مخيّلة المؤلفين والقرّاء، ولا سيما في العالم الغربي. ولا يزال القسم الأكبر من تلك الرمال الصحراوية التي شاهدت مرور القرون وتعاقب الدول والسلطات، يحتفظ بسرّه العميق، على رغم المحاولات المتتابعة في كشفه والاطلاع على ما يكتنه.

وقد عُرفت المؤلفة باكتشافاتها الاثرية المهمّة في ايران ، وبرحلاتها المتعدّدة الى آسية الصغرى. كما اشتهرت بمعرفتها الاوساط الاسلامية ، وبتغلغلها ، تغلغلَ الكولونيل لورنس ، في مناطق لا يسهل على الاوربيين الوصول اليها عادةً. وها انها اليوم تحاول الوصول الى قلب جزيرة العرب من ابواب الجنوب ، سائرة على « طريق البخور » القديمة ، مارّة بحضرموت ، مدقّقة في وصف « البدو الزرق ونسائهم الملوّنات الوجوه » ، على اسلوب رشيق طافح بالملاحظات الحيّة والنظرات البعيدة ، حتى اجمع النقّاد الانكليز على جعل الكتاب في مصاف « الكتب المدرسية » بشأن الرحلات ودرس الشعوب ، مادحين في صاحبته الرحّالة والعالمة الأثرية مدحهم الكاتبة المؤلفة.

وكان من فضل اليان فنبير ، وهو خبير كذلك بالشؤون الاسلامية ، ان ينقل الكتاب الى اللغة الفرنسوية ، وهو اول كتاب يُنقل للمؤلفة ، ويقدّمه على طريقة جديرة بالأصل ، فيحتلّ مركزًا لائقًا الى جنب اهم تآليف الرحّالة في عصرنا.

HENRI MASSÉ, Croyances et coutumes persanes, suivies de Contes et de chansons populaires. 2 vol. In-8°, 544 pp. [Collect. « *Les Littératures populaires de toutes les nations.* » Nouvelle série, t. IV et VI]. Paris, G. P. Maisonneuve, 1938.

عقائد وعادات فارسية

BESS ALLEN DONALDSON, The wild rue, a study of Muhammadan magic and folklore in Iran. In-8°, 216 pp. London. Luzac and C°, 1938.

في السحر والاساطير في ايران

تتقدم ايران ، بفضل حكومتها الرشيدة ، في طريق العمران العصري بخطوات جبّارة ، فتكثر الانقلابات الاجتماعية ، حتى لا يكاد يبقى فيها ، عمّا قليل ، الّا آثار دارسة لكثير من العادات والتقاليد المتناقلة جيلًا عن جيل منذ دخول الإسلام الى اليوم . ولهذا كان عمل المؤلفين في هذين المجلّدين على غاية من الاهمّية اذ انهما توفّقا الى جمع الكثير من هذه العادات والتقاليد ، فحفظاها قبل ان تعمل فيها يد التطوّر العصري.

اما الكتاب الاول فهو فرنسيّ اللغة اراد مؤلفه الاستاذ هنري ماسيه، المعروف في عالم الاستشراق، ان يخصّه « بالعقائد والعادات الفارسية » ولم يقل « الإيرانية » رغبةً منه ، على ما نرى ، في ان يظلّ في محيط بلاد فارس الاسلامية ، فلا يتجاوزها الى ما قبل الإسلام ، الّا في ما ندر ودُفع اليه من اشارة بسيطة الى بعض البقايا المزدكيّة . وقد استمدّ معلوماته من مناطق البلاد المختلفة ولا سيما المدن ، فجمع في رحلة قام بها بعد الحرب، كثيراً من الفوائد والنوادر والاخبار، أضاف اليها ثمرة مطالعات جمّة تدلّ عليها جداول المآخذ الواسعة ، فاتم الاختبار بالدرس ، وجمع بين الاحداث وتفاسيرها ، مضيفاً الى نتائج رحلته الشخصية نتائج رحلات الذين تقدّموه كالعلماء شاردَن ، وديلّا ڤالي ، وتافيرنيه ، وبروغش وغيرهم. ثم ختم كل ذلك بنصوص ايرانية استخرجها من نوروز نامه لعمر الخيام ومن جلستان سعدي . فاتى الكتاب حافلاً بكل ما يرمي اليه دارس عقائد الشعوب وتقاليدها ، مزدانًا بحكايات شعبية خُتم بها المجلّد الثاني فانالت البحث لذة وطرافة.

واما الكتاب الثاني فهو انكليزي اللغة يقرب من الاول موضوعاً وسعة معلومات ، وان يكن يفوقه ايجازًا واختصارًا ، ويختلف عنه طريقةً في البحث والتأليف . وهو عمل كاتبة قضت قسماً مهمًّا من حياتها في مدينة المشهد ، او مشهد علي ، وهي المدينة المقدّسة في نظر الشيعيين الايرانيين . فامكنها ان تتصل اتصالًا وثيقاً بالاوساط الانثوية وتعاشر الكثيرات من كبار الشيعيات المقيمات في المشهد او الآتيات اليها في سبيل الحجّ . وهذه فرصة نادرة للاطلاع على المراسيم التقليدية ، وما يتبعها من عادات جرت عليها الاجيال ، تعزّزها النساء بشروحهنّ الطويلة ، وتفاسيرهنّ وما يتناقلنه من عبادات وكرامات قد يفوت الرجال الانتباه لها او الاهتمام بها .

ولقد كان من حسن الحظّ ان يترافق الكاتبان في كثير من المعلومات فتتم الفائدة من الكتابين . ونطّلع على العقائد والاساطير الإيرانية وما تجرّه من اعمال ومراسيم ، مستفيدين نقاطاً للمقابلة مع ما نراه في بلادنا. من ذلك ما نرى من الشبه بيننا وبين الايرانيين في الخوف من الاصابة بالعين ومداواتها

بالخوزة الزرقاء . وكذلك القول عن اشتراك عامتنا وعامتهم في قرع الطبول والضرب على الآنية النحاسية زمن الكسوف والخسوف ؛ وما شاكل . على ان هناك عادات تظهر خاصة ببلاد ايران كذلك الاحترام الذي يولونه للنار، والذي يرى فيه الاستاذ ماسيه بقية التقاليد السابقة للاسلام . وكذلك القول عن اعتقادهم بمنفعة الحَرْمَل . وهو نبات اسمه العلمي peganum harmala L. لا حسن فيه ، ولا رائحة له ، ولا فائدة منه . ومن الغريب ان العرب القدماء اعتقدوا كذلك بمنفعته فقالوا انه يخرج السوداء والبلغم اسهالاً ويصفّي الدم ، وينوّم ، حتى عدّه ابن سينا من المسكرات . ولعلّه غير الحرمل المعروف في بلاد ايران.

ب . م .

S. ÉLISSÉEV, R. GROUSSET, J. HACKIN, G. SALLES, PH. STERN, **Arts Musulmans — Extrême-Orient.** [*Histoire Universelle des Arts, des temps primitifs jusqu'à nos jours*, sous la direction de LOUIS RÉAU, t. IV]. In-4°, 512 pp., 353 illustrations, 5 cartes. Paris, Armand Colin. Prix : broché, 100 fr.

الفنون الاسلامية والشرق الاقصى

اتت هذه المجموعة بفائدة جمة اذ كانت وسيطةً بين المختصرات المدرسية الجافّة في تاريخ الفنّ والمطوّلات الاختصاصية البعيدة عن منال جمهور المثقّفين . فاطلعتهم على تطوّر الفنون في مختلف مظاهرها من عمارة ، ونحت ، وتصوير الخ . في متعدّد البلدان على تتابع العصور .

ظهر فيها المجلّد الاول بعنوان « الفنّ القديم » من قلم الاستاذ كونتنو . وتلاه الثاني في الفنّ الابتدائي وفنّ القرون الوسطى ، فالثالث في فنّ عهد النهضة في اوربة ، والفن العصري ؛ من قلم مدير المجموعة نفسه الاستاذ لويس ريو ، من اساتذة السوربون . وها ان المجلد الرابع يظهر اليوم مختصاً بالفنون الاسلامية والشرق الاقصى . وهي اول محاولة جامعة بين فنون الشرقين : الادنى والاقصى ، في مجلّد واحد ، اشترك فيها عدد من الاختصاصيين . فمهّدوا لنشر هذه الفنون بمعلومات تاريخية وجغرافية كافية ، انتقلوا منها الى وصف تطوّر الفنون وانتشارها ، مجتهدين في تحديد خطوطها العامة ، مدقّقين في وصف ابرز

روائعها ، مصوّرين منها ما يصلح امثلةً وشواهد.

ولا يخفى ما يتطلّبه هذا الموضوع الواسع من جهود لا يقوم بها فرد مهما يبلغ من سعة اطلاعه ووفرة علمه . فكان لا بدّ من تقسيم العمل مناسباً لاختصاص كل من المؤلفين . وهكذا اهتمّ رينه گروسّيه بدرس البيئة التاريخية وتطوّر الفنّ في آسية . واختصّ جورج مسال بالفنون الاسلامية المحضة . وبحث فيليب سيرْن بالفنّ الهندي وانتشاره ، عن طريق البحر ، حتى السند والهند الصينية متفرّعاً الى الفنّ الجاوي والسيامي وما اشبه ؛ وعن طريق البرّ ، نحو بلاد التبت . وهنا درس هاكين الفنّ الهندي والفنّ الفارسي في آسية الوسطى وكان قد سبق وارتاد هذه البلاد متفقدًا مكتشفاً . وكان من نصيب سرج ايليسيف ان يبحث في الفنّ الصيني والفنّ الياباني . واخيرًا درست السيدة دي كورال - ريموزا مظاهر الفنّ الانامي

وان باسماء هؤلاء المؤلفين لضمانة كافية تسمو بالكتاب الى اعلى درجات العلم المقرون بوضوح العرض وسهولة الاسلوب. وكلّ من المؤلفين اعتاد التدريس. وان منهم من زاول بنفسه التنقيب فكشف عن كثير من الآثار التي يدرسها . ولا تزال اكتشافات هاكين في افغانستان ، وآثار سيرْن في الهند الصينية ملء اسماع العلماء .

وان في الجداول والفهارس التي يختم بها الكتاب مرافق تسهّل على المفتشين عملهم فتنالهم اللذة مقرونة بالفائدة.

P. Doncœur, S. J., Le Christ dans l'art français. 2 v. in-4°, 400 héliogr. Paris, Plon. Prix : 60 fr.

المسيح في الفنّ الفرنسوي

لا تزال صورة المسيح من اعظم مصادر الإلهام الفني ، يُقبل عليها الفنانون من مصوّرين ونحّاتين ونقّاشين سواء أأقرّوا بالوهيته أم انكروها . وقد كانت هذه الصورة ، في عصور الايمان السابقة ، تحتاط بالطمأنينة والفرح والتقوى. اما اليوم في ايامنا العصيبة فانها تدلّ على كثير من القلق الممزوج تارةً بالرهبة المضطربة ، وطورًا بالاحترام البليغ حتى الحبّ. هذه الشواهد المتنوّعة في اخلاصها

تنوّع النظرات وتنوّع النفوس الناظرة هي ما يظهره هذا الكتاب باجلى مظهر.

اما صورة المسيح التاريخية فلم تصل الينا في ايّ اثر. حتى ان شهادات الرسل والانجيليين لا تفيدنا شيئاً يُذكر عن ملامح الفادي. وعليه فان كل ما ولّده الفنّانون كان نتيجة تأملاتهم الداخلية وخيالهم السائر وراء الاعجاب او التقوى. ولم يتوقف مؤلف الكتاب طويلاً لدى مولّدات الأثريات، والايقونات. فصرف انتباهه الى شخصية المسيح كما تظهر في تطوّر حوادث حياته واعماله، في «الاسرار»، فاخرجها على اسلوب طافح بالحياة حافل بنحو ٤٠٠ صورة مُثلت في الكتاب افضل تمثيل فدلّت على عمل شعب كامل، مدة القرون المتتابعة، في تصوّر فاديه والهه وتصويره للملأ.

CLAUDE ROGER-MARX, **Daumier**. In-8°. 64 pp. Éditions d'Histoire et d'Art. Paris, Plon, 1938.

دوميه

فضل هذا الكتاب بما فيه من آثار الفنّان المتعدّدة وبما تدلّ عليه هذه الآثار من موهبة فائقة تهيب بصاحبها فيرفع الحوادث العاديّة الى مستوى راق، وكأنه يسمو بالطبيعة الى ما فوقها. وهي ميزة الفنّ الحقيقية. أوَ ليس جميلاً ان نرى تاريخاً حيّاً لبعض مشاهد طواها التاريخ حتى لا يفكر بها احد، كمشهد احدى حوافل القطار من الدرجة الثالثة او من الدرجة الثانية. وهي من اقدم المشاهد الاجتماعية العصرية، بل انها اقدم من المشاهد الاثرية التي يغتبط بها المتفرّج في قطار بيروت - دمشق.

JULIETTE NICLAUSSE, **Le Musée des Gobelins**. In-8°, 120 pp., 40 plan. illustr. et 15 clichés documentaires. Paris, éditions des Bibliothèques Nationales de France, 1938. Prix : 27 fr.

متحف غوبلَن

يبدأ هذا الكتاب مجموعة جديدة، واصفاً المعرض السنوي لمتحف گوبلَن. فيمهّد له الاستاذ غليوم جانو ببحث جامع يشير فيه الى الميزات الخاصة بـ ٨٧ قطعة من السجّاد الفاخر يصوّر منها نحو العشرين على اسلوب رائع. يلي ذلك بحث للاستاذ شارل لوبرن، بمناسبة مرور ثلثمائة سنة على عهد لويس الرابع عشر،

يدرس فيه تاريخ « الملك - الشمس » بالاستناد الى السجد . فيبدو المجلد على كثير من الفخامة والروعة .

CHARLES DE TOLNAY, **Le retable de l'agneau mystique des frères Van Eyck**. In-4°, 15 pp., 15 plan. Bruxelles, Édition de la Connaissance, 1938.

مقدس كاتدرائية غاند

بحث مختصر بسط فيه المؤلف في سبيل جمهرة القراء ما يعرف عن مقدس كاتدرائية غاند الذي يمثل الحمل الرمزي . فجمع المعلومات التاريخية والفنية واطلعنا ان الأثر المذكور بدأه الفنان هوبير فان إيك ، وتمه اخوه جان فان ايك ، وهو يمثل مقدمة عمل الفداء بالنعمة . وقد صور الكاتب مشاهد عدة للأثر المذكور كلها دقيقة واضحة ا. ب.

CHARLES OESSEL, **L'Église Notre-Dame de Dijon**. In-8°. 104 pp. Paris, Laurens, 1938.

كنيسة سيدة ديجون

تمثل كاتدرائية ديجون رائعة من روائع الفن القوطي البورغينيوني . شيدت في القرن الثاني عشر وتمت في التاسع عشر . فاتت ، على صغر حجمها ، تحفة في دقة الشغل وحسن التناسب . وهو ما يبينه المؤلف في هذا الكتيب اللطيف .

ا. ب.

EDOUARD HERRIOT, **Lyon n'est plus**. II, le siège. 516 pp. Paris, Hachette, 1938.

لم تبقَ ليون : الجزء الثاني

يتناول هذا الجزء الثاني (راجع وصفنا للجزء الاول في « مشرق » ١٩٣٨ ، ص ١٣٣) تاريخ الحقبة الممتدة من ٢ حزيران (نفي الجيرونديين) الى ٩ تشرين الاول (دخول الجيش الحكومي الى ليون) ويمتاز بالاكثار من النصوص مأخوذة من وقائع الجلسات ، والتقارير الرسمية ، والرسائل الخاصة . . . منها ما يفيد في ايضاح الحالة اذ ذاك او في شرح العقلية الخاصة ، ومنها ما ليس له بالموضوع الا علاقة ضئيلة او غير مباشرة . حتى يخيل الى المطالع ان السيد هريو اراد ان يسرع في انالة قرائه المنتظرين المجلد الثاني من مؤلفه . ج. ميري

COMMANDANT LHOPITAL, **Foch, l'armistice et la paix.** In-8°. IV+244 pp. Paris, Plon, 1938.

فوش والهدنة والسلام

لقد اصبح من الموضوعات المبتذلة ان يؤسف لضعف الضمانات التي رمت اليها معاهدة فرساي فلم تُنل السلام الدولي الّا حياة قصيرة . على ان في هذا الكتاب ، فوق مظاهر الأسف العقيمة صدىً بليغاً لآراء ذاك الذي انتصر في الحرب ولم تسمح له السياسة ، آراء المرشال فوش . وهو ما يجعل في قراءة الكتاب الماً بالغاً مع عبرة للمستقبل تستند الى شخصية القائد الكبير.

ب. م.

HENRY BORDEAUX, **L'air de Rome et de la mer.** In-8°, 264 pp. Paris, Plon, 1938. Prix : 18 fr.

هواء رومة والبحر

عنوان غامض يشتمل على مجموعة لمتفرقات شتى من خطب ، ومقالات ، وآراء ، وملاحظات دوّنها الكاتب في سفرتين قام بها الى ايطالية : الاولى في آخر السنة ١٩٣٤ ، والثانية في كانون الثاني ١٩٣٨ ، وفي رحلة الى جزر اليونان فخطر له ان يجمع بينها في هذا المجلد دون ترتيب ولا هدف خاصّ . انما يرى فيه المطالع ما امتاز به الكاتب من سهولة وحسن بيان ، ولا سيما عندما يخوض مواضيع الثقافة اللاتينية ، بل الانسانية العالية في كلامه عن ايطالية والبحر المتوسط . وقد تفيد المقابلة بين نزعات رومة ، منذ اربع سنوات ، عندما كانت لا تزال متجهة نحو فرنسة فاستقبلت الكاتب الفرنسي ذاك الاستقبال الحافل ، ونزعاتها اليوم وقد انصرفت عن ذاك الاتجاه . تقابل ونعتبر راجين مع المؤلف الّا تطول مدة هذا النزاع.

ب. م.

JEAN MAUCLÈRE, **Littérature lithuanienne.** In-12°, de 192 pp. [Coll. « *Panoramas des littératures contemporaines* »] Édition du Sagittaire, Paris, 1938. Prix : 20 fr.

الادب الليتواني

هو عمل طريف لذيذ عمل الاستاذ جان موكلير في اهتمامه بان يعرض لنا وصفاً تاماً للاداب الليتوانية . تنفرد ليتوانية بمزية نادرة في تاريخ الشعوب وهي

احتفاظها حتى اليوم بلغة تستند في الكثير من تعابيرها الى ما كان يستعمله الهنديون - الاوربيون منذ الوف السنين ، فتختصّ ببقايا لغوية ترقى الى ما قبل نشوء اليونانية واللاتينية. هذا من حيث اللغة. اما في الادب فقد انالها هذا التقليد مقدرةً عجيبة على الإخراج الشعري ولا سيما في وصف الطبيعة والتدقيق في شرح العواطف الناعمة . بيد اننا نبدي أسفاً بليغاً لخلوّ الكتاب من النصوص التي تمكننا من الاطلاع مباشرةً على روائع الادب الليتواني.

ب. م.

PHILIPPE D'ESTAILLEUR-CHANTERAINE et le Dr MAX J. RICHOU. **25 kilomètres au dessus de l'Asie.** In-12, IV+250 pp. Paris, Éditions de France, 1938.

٢٥ كيلومترًا فوق آسية

عرف السيد فيليب ديستلّيور-شنتورين في طليعة ابطال الطيران الفرنسوي في افريقية السوداء . وقد شاء ان يقوم برحلة واسعة المرمى تجمع بينَ فرنسة والممتلكات الفرنسوية في بلاد الهند . فزار پونديشيري ، وشاندرناگور ، وماهي ، وكاريكال ، تلك المستعمرات التي تفوت الانتباه لصغرها . ولم يكتفِ بوصف البلاد وصفاً جغرافياً بل دقق في الملاحظات السياسية . وان له آراء في طرابلس الغرب ، ومصر ، وسورية ، ولبنان لا تخلو من فائدة لابناء وطننا.

ب. م.

MARCEL PIPONNIER, **Le petit monde des ruisseaux.** [Collect. « *La joie de connaître.* »] Paris, Bourrelier, 1937.

عالم السواقي

كثيرًا ما يتخيل الناس ان المستنقع والساقية لا فائدة منهما الّا تغذية البرغش. على ان العالم المدقّق يرى في كل منهما عالمًا عجيباً من الحيوانات الصغيرة والحشرات المتنوّعة. وقد اعجب المؤلّف بما في هذا العالَم فوصفه على طريقة تعجب المطالع دون شكّ.

ا. ب.

Ansâb al-Ashrâf of Al-Balâdhuri, published for the first time by the School of Oriental Studies, Hebrew University, Jerusalem. Vol. IV B. Edited by MAX SCHLOESSINGER. In-8°, 190+90 pp. At the University Press, Jerusalem, 1938

انساب الأشراف للبلاذري

القسم الثاني من الجزء الرابع

تقدّم للمشرق (٣٥ [١٩٣٧] ٢٩٦) ان وصف الجزء الخامس من هذا الكتاب النفيس ، ذاك الجزء الذي اصدره الاستاذ ش. د. غويتاين . اما اليوم فلدينا القسم الثاني من الجزء الرابع ، ملحقاً بـه مجلّد الحواشي والشروح والتصحيحات . وقيمة الجزء الحاضر بما تضمّنه من اخبار وحوادث في العهد الاموي يندر وجودها في غيره على نحو ما بينه الناشر في المقدّمة اذ قال ان في هذا القسم ، «ترجمة ثاني خلفاء بني امية ، يزيد بن معاوية وافراد اسرته . وفيه اخبار كثيرة عن هذا الخليفة لم تُعرف الى الآن ، واشعار تُنسب اليه . الّا ان اهم الحوادث التي جرت في عهده ، وقعة كربلاء وموت الحسين ، لم يذكرهما البلاذري في ترجمة يزيد بل ذكرهما في تراجم ابي طالب ، وذلك حسب ما اقتضاه نظام الكتاب وفقاً لتسلسل الانساب . وفيه كذلك ترجمة سلالة زياد ابن ابي سفيان المعروف باسم زياد بن ابيه . ويتناول الكتاب باسهاب ايام عبيد الله ، ارفع ابناء زياد شأناً ، ويبيّن فصولاً عديدة من اضطهاداته للخوارج كانت مجهولة الى اليوم ويظهر ان البلاذري رجع فيما يتعلق بحركة الخوارج الى مصدر تاريخي لم يصل الينا . ومن المحتمل ان يكون البلاذري — كما يظنّ الدكتور ش. د. غويتاين — قصد في بادئ الأمر وضع كتاب منفرد يبحث عن حركة الخوارج ثم استعمل الموادّ التي جمعها في كتاب الانساب .»

وفي هذا الجزء ، فوق ما تقدّم ، ترجمة العاص بن امية واسرته ، وترجمة ابي العيص بن امية واعقابه ، وترجمة مختصرة لعفّان بن امية واعقابه ومنهم الخليفة عثمان .

اما التدقيق في الطبع والاتقان في الاخراج فمن تلك الصفات التي عرفناها في

نشرات الجامعة العبرية السابقة.

هذا والجزء الاخير حافل بكثير من الشروح والتعاليق المفيدة ، مع بعض الاصلاحات ، مختتم بجدول للمصادر كافٍ.

كتاب صلة الصلة

لابن الزبير

٢٩٨ ص. متوسطة – رباط ، المطبعة الاقتصادية ، ١٩٣٨

هوذا القسم الاخير من كتاب صلة الصلة ، وهو ذيل للصلة البشكوالية في تراجم أعلام الأندلس لجامعه الشيخ ابي جعفر احمد بن الزبير. اصدره معتمداً على الاصل المخطوط المحفوظ بخزانة العالم الكبير السيد محمد عبد الحيّ بن عبد الكبير الكتّاني الادريسي بفاس ، ومعنياً بتصحيحه وتعليق الحواشي عليه الاستاذ إ. لاقي بروفنصال.

ولا تخفى اهمية هذه المجموعة لكل من يهتمّ بدرس الاعلام الاندلسية مدة القرن الثالث عشر وقد استفاد بعض مؤرخي الاندلس من اثر ابن الزبير هذا ، فنقل عنه ابن الأبار في تكملة الصلة ، وابن الخطيب في الإحاطة ، ونشر ترجمة حياته . فالكتاب قيّم بحدّ نفسه ، وبما بذل في سبيل اخراجه الاستاذ الناشر من جهود موفقة مصحّحاً ، منقحاً ، مفهرساً . وقد وعد بنشر غيره من كتب التراجم الاندلسية ككتاب الذيل والتكملة لابن عبد الملك المراكشي والإحاطة وغيرها فاستحقّ الشكر سابقاً ولاحقاً.

اما المجلد الحاضر فيشتمل على تراجم الاعلام المبدوءة بحرف العين ، وفيها ٣٢٣ اسماً . ثم بحرف الغين وفيها ٥ اسماء فقط . وبحرف الواو وفيها ٧ اسماء . ثم اسم واحد يبدأ باللام الف . و٩٧ اسماً مبدوءة بحرف الياء . يلي ذلك فهارس الجدية واسعة لاصحاب التراجم وألقابهم ومعارفهم ، وللاعلام الجغرافية في الأندلس ، والمغرب ، والمشرق . ثم لاسماء الكتب المذكورة ، فالأبيات المستشهد بها .

دائرة المعارف الاسلامية

ينقلها الى اللغة العربية : عباس محمود ، عبد الحميد يونس ، احمد الشنتناوي ، ابرهيم زكي خورشيد

يراجعها من قبل وزارة المعارف العمومية محمد احمد جاد المولى

المجلّد الثالث

العدد الاول : انّا – انقرة . ٧٢ ص . متوسطة : شباط ١٩٣٧ .
العدد الثالث : اوزون حسن – ايوب . ٧٢ ص . متوسطة : حزيران ١٩٣٧
العدد الرابع : ايوب – باشا . ٦٤ ص . متوسطة : آب ١٩٣٧
العدد الخامس : باشا – بجايه . ٧٢ ص . متوسطة : تشرين الاول ١٩٣٧
العدد السادس : بجايه – بخارى . ٧٢ ص . متوسطة : كانون الاول ١٩٣٧

مطبعة الاعتماد ، مصر – الاشتراك عن ستة اعداد خارج القطر المصري : ٦٠ غرشاً صاغاً

يوالي الاساتذة الاربعة جهودهم في نقل هذا الأثر النفيس الى اللغة العربية . وقد تقدّم لنا مرّات ان وصفنا ما نشروه من اجزاء سابقة ، فاثنينا على ما يستحقّ الثناء من اعمالهم ، وأبنّا ضعف ما فيه الضعف ، ووددنا لو أعفانا بعض « شيوخ العلم » من بعض تعليقاتهم على ابحاث المستشرقين ، تعليقات اقل ما يُقال فيها انها بعيدة عن روح الموضوعية المجرّدة التي يسير عليها اصحاب الدائرة في ابحاثهم . وكيف يمكن التوفيق بين مَن قياسه ، في التاريخ مثلاً ، العلم الخالص والبرهان العقلي الصرف ، ومَن قياسه التقليد المتناقل ، والحجّة العاطفية الموروثة ؟ هما اسلوبان متباينان لا يمكن ان يؤخذ بهما في موضوع واحد ، وفي بحث واحد ، دون ان يضرّ احدهما بالآخر ، فإمّا ان تضيع فائدة البحث العلمي المجرّد ، وإمّا ان يبطل الإيمان بالعرف المشهور المتوارث . وقد يؤدي الأمر احياناً الى اضعاف الاسلوبين معاً ، فيصبح البحث مزيجاً من مولّدات العقل والقلب والخيال . فهو الى الشعر اقرب منه الى ايّ فنّ . واذاً فلتُترك ابحاث الدائرة كما هي ، على ما اخرجها اصحابها العلماء . وليؤلّف المطّلعون والمحدَثون ، اذا شاؤوا ، المجلّدات الضخمة في الردّ عليها ، وتفنيدها ، وتكفيرها . انما نرغب اليهم ان ينشروا تعليقاتهم

في كتاب على حدة ، فلا يشملها اسم « الدائرة » ، ولا يتحمل المستشرقون تبعة «تحقيقاتها وتصويباتها» ، ولا طلّاب الدائرة مؤونة ثمنها.

من الابحاث المهمة في الاجزاء الحاضرة ، مقال « الانبار » لستريك ، « والإنجيل » لكارا دي ڤو — وعليه ثلاث تعليقات ، احداها تتفرّع الى خمس عشرة مادّة ، للشيخين محمد عرفة ، واحمد محمد شاكر ، وهي من باب الحواشي الموصوفة اعلاه — وبحث في « الأندلس » لسيولد ، و« الانصار » و« الأوس » لركندورف — ولم يخلُ الأول من سبع تعليقات « طريفة » للشيخ احمد محمد شاكر — ومقال ستريك في انطاكية. ومما يجدر بالذكر مقال واسع في « اوغندة » لهادون ، وبحث شامل في جامع « آيا صوفيا » لسوسهيم ، ومقال بيكر في « الايوبيين ». اما حرف الباء فيشتمل على كلام في « الباب » ومذهب « البابية » لهيوار ، وفي الشاعر الصوفي « بابا طاهر » الفارسي لمينورسكي ، وتاريخ « بجاية » لإيڤر ، وسلسلة في وصف البحور المختلفة كالابيض ، والأسود ، والأحمر ، وبحر الخزر ، وبحر خوارزم ، وبحر الغزال ، وبحر فارس ، وبحر لوط ، وبحر المغرب ، وبحر الهند ، والمحيط ، الخ . . . ثم بحث مستفيض في « بُخارى » لبارتولد. ويختم العدد السادس بالكلام عن الإمام البخاري.

وقد لاحظنا في ، في تصفّحنا بعض الاقسام ، اوهاماً في نقل الاسماء العلمية كما في مقال « بالس » وقد ورد ان اسمها الآن « اسكى مسكين » (ص ٣٠٢) والصواب « إسكى مسكنه ». وفي العدد نفسه (ص ٣١٧) ورد في الكلام على بانياس « ان المنبع الاصلي لنهر الاردن على سفح هرمن » (كذا) وكل من له إلمام بالجغرافية يعرف ان اسم الجبل المذكور حرمون او جبل الشيخ . وهناك اضطراب في الترجمة سببه اما الإسراع واما سوء الفهم ، ونتيجته التواء المعنى او انعكاسه ، كما جاء في مقال « البثرون » (ص ٣٤٣). قال في الاصل الفرنسي :

«...C'était une petite forteresse en Syrie, sur la côte, entre Djubail et Tripoli. Sous les Mamluks d'Égypte, le district relevait de la niyâba de cette dernière ville...»

وقال المترجمون:

« حصن صغير في الشام على شاطئ البحر بين جبيل وطرابلس ، واكتسب هذا الاقليم في عهد مماليك مصر اهمية من جراء نيابته عن مدينة طرابلس . . »

فتأمل كيف اصبح الاقليم « نائباً » عن مدينة طرابلس ؟ « فاكتسب اهمية » لم تكن له في الأصل . ولعلها الاهمية العالقة بالصفة النيابية !!!

هذا قليل من كثير في هذه الترجمة الحافلة بالغرائب احياناً . وهي نواقص ان تساهل العلم فتغاضى عنها في المقالات الصحفية ، او في الروايات المسوخة عن الاصول الغربية ، فلا يجوز ان يُهمل التنبيه عليها في قاموس علمي يعود اليه المدققون ، ويطمح ناقلوه الى ان يفاخروا به الواضعين ولو في امانة النقل . .

ف . ا . ب .

الحيرة : المدينة والمملكة العربية

تأليف يوسف رزق الله غنيمة

٢٥٥ ص . متوسطة – بغداد ، مطبعة دنكور الحديثة ، ١٩٣٦ – الثمن : ١٥٠ فلساً

كتاب نفيس بما جمع من معلومات وافرة عن مملكة الحيرة البعيدة الذكر في التاريخ والادب العربيين ؛ فوق اهميتها في تاريخ الشرق القديم ، اذ كانت حاجزاً بين الامبراطوريتين الضخمتين : امبراطورية الروم وامبراطورية الفرس . فكان تاريخها تاريخ العراق السياسي وتاريخ قسم مهمّ من الادب العربي في عهد الجاهلية . وهو ما حدا باحد ابناء العراق البَرَرة ، الاستاذ يوسف رزق الله غنيمة ، صاحب الابحاث القيّمة في التاريخ والاجتماع ، الى تدوين كلّ ما يُعرف عن تلك المدينة القديمة ، وعن مملكة المناذرة وعلاقاتها بجيرانها من اعداء واصدقاء .

قضى المؤلف السنين الطوال ينقّب ، ويجمع ، ويرتّب حتى اخرج هذا السفر مبوّباً تبويباً تاريخياً ، مستنداً الى شهادات العرب والاجانب من قدماء ومحدثين ، بادئاً بوضع العراق السياسي منذ القرن الثاني للمسيح ، اي منذ نشأة مملكة الحيرة ، ملماً بنزوح العرب الى العراق ، فالى ذكر الحيرة ومعنى اسمها اللغوي ، وسكانها ، وقصورها المستفيضة الذكر في الادب العربي القديم ، واديان اهلها

وهم نصارى في اكثريتهم ، وتعديد دياراتها وبيعها ، وما اكتُشف فيها من آثار نصرانية جليلة الخطر. وينتقل المؤلف في فصل جديد الى مدارس الحيرة ومظاهر ثقافتها من شعر ، وخطابة ، وامثال ، وخطّ عُرف بالخطّ الحيري . وهو فصل قيّم كان قد نشر قسماً منه في « المشرق ». يلي ذلك الصناعات في الحيرة ، وفيها موادّ تصلح للتدقيق في وصف اقتصاديات تلك المدينة . ويتمّ البحث بفصل الحياة الاجتماعية في الحيرة متفرّعاً الى ابواب عشرة : شؤون اجتماعية منوّعة ؛ الحرب ؛ المرأة ؛ مآكل الحيريين ؛ الفتوّة والترف ؛ القيافة والخرافات ؛ الطب ؛ تربية الاولاد وألعابهم ؛ النذور والمناحة ؛ الحلف.

بعد هذه التمهيدات العامّة ، يصل المؤلف الى تاريخ ملوك الحيرة . فيبدأ بذكر التنوخيين جامعاً كل ما يُعرف عن ملوكهم من تاريخ واسطورة ، واشهرهم جذيمة الأبرش او الوضّاح (٢٠٨–٢٦٨ ؟) . منتقلاً الى قسم من التاريخ اثبت اسانيد ، واكثر مصادر ، هو تاريخ السلالة اللخمية التي ملكت ٣٤٥ سنة من ٢٦٨ الى ٦٣٢ مسيحية . ويقال لملوكها اللخميون ، وآل نصر ، والمناذرة ، وآل عمر بن عدي ، وآل المحرّق. وفي هذا القسم ايضاً نراه لا يترك شاردة عن هؤلاء الملوك الّا دوّنها عارضاً على المدققين في التاريخ كل ما يتطلبون من حوادث واخبار ومعلومات قد لا يقرّونها جميعاً. انما للمؤلف فضل التنقيب والجمع ، ولهم اذا شاؤوا الاختيار والنقد . ولم يكتفِ بترتيب اسماء الملوك وسرد اخبارهم المتناقلة ، فألحق بها جداول واسعة عرض في الاول منها سلسلة اسماء اللخميين المتعاقبة مع ذكر سني حكمهم ، ومن عاصرهم من ملوك الأكاسرة . وفي الثاني مقابلة بين سني حكم الملوك المذكورين كما استنتجها المؤلف ، وكما ذكرها كوسّن دي پرسڤال ، صاحب تاريخ العرب . وفي الثالث فصّل حكم الملوك الساسانيين ومعاصريهم اللخميين في الحيرة . وخصّ الجدول الرابع بالقرابة الطبيعية في سلالة اللخميين . والخامس بملوك الحيرة من سلالة واحدة وبمن دخل بينهم من الغرباء. هذا بعد ان فصّل تاريخهم حتى فتح الحيرة على يد المسلمين وذكر بقايا اللخميين وحكمهم في الاسلام.

وفي آخر المجلد قسم طريف سمّاه معجم مملكة الحيرة فصّل فيه شرح

النواحي ، والبقاع ، والمدن ، والقرى ، والمنازل ، والمياه ، والجبال ، والانهار الخ... مع فذلكة تمهيدية في امتداد سلطان مملكة الحيرة وتقلّصه على مرّ الازمان. كل ذلك على الترتيب الهجائي.

وينتهي الكتاب باضافات وتصحيحات ، ويذكر المآخذ والمصادر العربية والاجنبية. وبفهارس هجائية عامة. حتى يصحّ القول ان هذا التأليف اوسع عمل واتمّه في موضوع الحيرة : المدينة والمملكة ، لا يستغني عنه باحث في التاريخ والادب العربيين ف. ا. ب.

تاريخ اهدن القديم والحديث

تأليف سمعان خازن

الجزء الاول: تاريخ اهدن المدني

٢٦٢ ص. متوسطة – جونية ، مطبعة المرسلين اللبنانيين ، ١٩٣٨

قال لنا المؤلف في مقدمته (ص ٥) انه نظرًا لوفرة المواد التي جمعها اضطر ان يصدر كتابه في اربعة اجزاء ضخمة . وفي الجزء الاول الذي نحن بصدده ذكر « تاريخ اهدن القديم ومن انجبت من الحكام والقواد والابطال والمشايخ والاعيان والحوادث التي نابت اهدن والنضال المجيد الذي قام به الاهدنيون لحفظ كرامتهم وكيانهم وما قاله الشعراء. والكتاب في وصف اهدن وبسالة الاهدنيين ومآثرهم ومن زار اهدن من الملوك والعظماء غربيين وشرقيين والخدمات الجليلة التي ادّاها مواطنوه للبنانيين... وحبهم الصادق للدولة الفرنسية... مع بيان حدود اهدن القديمة والحديثة وجبالها وغاباتها ... وعدد سكانها وآثارها الخالدة . »

انجز المؤلف ما وعد فكتابه يُقرأ بلذة وعباراته منسجمة خالية من كل تعقيد وابهام. وقد سار فيه على نمط خاص يذكر في كل فصل ما يتفق مع عنوانه وموضوعه غير متقيد بالزمان. وحبذا لو حذا حذو المؤلف نخبة من الادباء والكتاب فيتحفنا كل منهم بتاريخ بلده او ناحيته لاننا بحاجة ماسة الى معرفة تاريخ بلادنا ونوابغها وتطوّرات الاحوال فيه لان الحاضر ما هو الّا نتيجة الماضي

والتاريخ، على حد قول فيلسوف الرومان شيشرون، هو معلم الحياة. ولكن، مع تقديرنا ما بذله الاديب سمعان خازن من الجهد والاعتناء في تدبيج كتابه المشار اليه لانه لم يترك شاردة او واردة بما يناسب موضوعه الّا اتى على ذكرها، نرغب منه ان يكون اكثر تدقيقاً في ذكر المصادر التي يستند اليها في كل ما يتحفنا به من اخبار السلف وان يتحاشى بعض المبالغات التي يدفعه اليها حبه المفرط لوطنه لان مهمة مؤلف التاريخ تنحصر في ان يكون كالمرآة الصافية تنعكس فيها الالوان والخطوط بكل ما فيها من بقع وانحرافات.

فعساه ان يتدارك ذلك في المجلدات التالية فتكون فائدة تأليفه اعمّ وتصبح المرجع الصادق لكل من يريد الوقوف على تاريخ بلدة اهدن الجميلة وفقه الله وحقق مسعاه. ل. خ.

تاريخ دوما

بقلم الخوري قسطنطين باشا المخلّصي

٢٨٦ ص. متوسطة – المطبعة المخلّصية، صيدا، ١٩٣٨

هذا من نوع الكتاب السابق الذكر، تاريخ خاصّ ببلدة لبنانية اشتهرت منذ القدم. ولم يكن لها تاريخ مدوّن. حتى قُيّض لاحد ابنائها ان يجمع ما تفرّق من المعلومات في بطون الكتب، وعلى افواه الشيوخ يتناقلونه جيلًا عن جيل، فمحّص ورتّب واخرج هذا السِفر، وجلّ قصده «ان يكون تاريخاً عامًّا لدوما لا تاريخاً لافرادها مما لا يسعه عمله. ولم يذكر من الأفراد الّا رؤساء العيال واولادهم واحفادهم لاجل ربط كل اسرة باصلها القديم وجدها الاول المعروف او لربط الاولاد والاحفاد بالاجداد طبقاً لغاية التاريخ بذكر الماضي لمعرفة الحاضر للمستقبل. وكذلك ذكر بعض الاعلام الذين نبغوا من دوما واشتهروا في لبنان باعمالهم ومواهبهم التي جملهم بها الخلّاق الكريم ليكونوا فخرًا وقدوة لاولادهم واحفادهم وابناء وطنهم الى ما شاء الله تعالى. وقد خصص كل طائفة من طوائف دوما المعروفة بفصل او اكثر ذكر ما اتصل به عن اجدادهم واحفادهم ليكون لهم من ذلك اصول شجرة لمن اراد عمل شجرة لاسرته الخاصة اذا احب.»

وقد زاد المؤلف : « واذ نعلم ان كتابنا هذا لا يخلو من الغلط والنقصان كما هو شأن كل انسان مما بذلنا من الجهد ليكون قريباً من الكمال نحن نقبل بالشكر الجزيل كل ملاحظة وتنبيه الى غلط وقع فيه لنصلحه في الطبعة الثانية ان شاء الله تعالى.»

القديس بولس الرسول

بقلم الاب بولس سويد ب. م.

٤٨ ص. متوسطة – المطبعة المخلصية ، ١٩٣٨

درس موجز جامع في تلك الشخصية الفذّة التي كانت ولا تزال تهيمن على انتشار النصرانية منذ سنيها الاولى . وقد وُفق المؤلف الى وضع الخطوط المهمّة لهذه الشخصيّة من حيث صورتها الخلقيّة، والادبيّة، والعقليّة ، فاتى بعمل جليل مفيد.

ماري افرام السرياني والاوخارستيا

بقلم الخوراسقف بطرس حبيقه

٧٠ ص. متوسطة – المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ١٩٣٩

بمناسبة المؤتمر القرباني الثاني في الشرق الادنى ، الملتئم في بيروت ١–٤ حزيران ١٩٣٩ ، وضع حضرة المؤلف هذا الكتاب جامعاً فيه منتخبات من اقوال القديس افرام في المسيح في القربان ، والاستحالة الجوهرية ، ومفاعيل التناول . واخرجها باللغات الثلاث : العربية ، والسريانية ، والفرنسوية ، ورفعها الى نيافة الكردينال اوجين تيسران. فاتت خير تذكار لهذا المؤتمر الفخم.

الاوخارستيا والكنيسة السريانية المارونية

تأليف الخوراسقف بطرس حبيقه

٨٨ ص. متوسطة – بيروت ، المطبعة الكاثوليكية ، ١٩٣٠

وبالوقت نفسه اهدى الينا حضرة المؤلف سلسلة مباحث في ثبوت عقيدة الاوخارستيا في الكنيسة الشرقية السريانية المارونية . بناها على شواهد

مأخوذة من صلوات الكنيسة المذكورة الفرضية ، وطقوسها ، وليتورجياتها ؛ ومن اقوال مار افرام ، ومار يعقوب النصيبيني ، والسروجي ، ومار يعقوب الرهاوي . ومن شهادات القديسين اغوسطينوس وقبريانوس . ووضعها بمناسبة المجمع القرباني الدولي الثلاثين الذي التأم في مدينة قرطجنة من بلاد تونس ٧–١١ ايار ١٩٣٠ .

الاصول العربية

تأليف حبيب وفيليب عبد الساتر

الجزء الاول : ٩٠ ص. متوسطة – طبعة ثانية مصحّحة
الجزء الثاني : ١١٨ ص. متوسطة

مطبعة المرسلين اللبنانيين ، جونية ، ١٩٣٨

قلنا كلمة (المشرق ٣٥ [١٩٣٧] ٦٠٠) عن الجزء الاول من هذا الكتاب في طبعته الاولى ، ودللنا على ما رمى اليه المؤلفان الاخوان من تسهيل الاسلوب لدرس القواعد العربية . وها انهما عادا بالنظر والتدقيق فأخرجا طبعةً ثانية للجزء المذكور ، واردفاه بالجزء الثاني ، مستفيدين اختبارًا جديدًا ، فتبويباً اسهل .

ادب الاصول العربية

تأليف لفيف من اساتذة مدرسة الحكمة

الجزء الاول : ٣٤٢ ص. متوسطة – طبعة ثانية
الجزء الثاني : ٢٩١ ص. متوسطة

مطبعة المرسلين اللبنانيين ، جونية ، ١٩٣٨

وما يُقال عن الكتاب السابق يُقال عن هذا الكتاب ، وهو ملحق ضروري للأول تُطبّق عليه قواعده ، ويؤخذ الطلّاب بالدلالة عليها في نصوصه . وقد اشترك بوضعه مع مؤلفي الكتاب السابق ، فريق من زملائهما في مدرسة الحكمة ، فأصلحوا الطبعة الاولى للجزء الاول ونشروا معها الجزء الثاني ، وهو اوفر تنوّعاً ، وارصن اختيارًا . فجاؤوا باثر متناسق المظاهر بين القواعد والنصوص .

ف . ا . ب .

تلّ السنديانه

بقلم ميشال شبلي

١١٦ ص. متوسطة مربعة – مطبعة صادر ، بيروت ، ١٩٣٨

رواية لبنانية اجتماعية تصف مشاهد من حياتنا المصرية ، المتعدّدة المظاهر، المتشابكة المشاكل بين الهجرة والسياسة والتطاحن في بذل النفوذ وتوسيع السيطرة ، ولو بالسير على رقاب الابرياء المساكين. اكثر فيها المؤلف من الشواهد والامثال الشعرية والنثرية فجمع بين السرد القصصي ، واعطاء الحكم ، ولكل نوع اربابه ومريدوه . بيد ان في الرواية عبرةً بالغة يجدر باللبنانيين جميعاً ان يستفيدوا منها ولا سيما في ايامنا العصيبة هذه.

ف. ا. ب.

ضحايا المجتمع

بقلم البير صحناوي

١١٦ ص. متوسطة – المطبعة البولسية ، حريصا ، لبنان

مأساة ذات خمسة فصول ، شاءها المؤلف ادبية اخلاقية اجتماعية انتقادية ، واراد ان يقاوم فيها علات النفس . وهي غاية محمودة يثني عليها الغيُر على النظام الاجتماعي الصحيح . ومنهم المؤلف الذي شاهد مرض المجتمع الانساني ، فوضع في هذه الرواية «شعوره تجاه تعس الآخرين» وضمّنها « بعض افكاره وآرائه الاجتماعية والاخلاقية والادبية والوطنية . وهي انتقادات قد اقتبسها من صميم الحياة.» . الّا انه لأمرٍ ما لم يجعل وقائعها في لبنان او سورية ولا في عصرنا الحاضر . انما جعلها « في شمالي فرنسة سنة ١٨١٥ وقت رجوع نابليون من جزيرة ألبا المعروف بعهد المئة يوم.» أخذ الله بيده وانالة غايته من اصلاح المجتمع .

ف. ا. ب.

الرمال الظالمة

تأليف : نويل تاني . تعريب : ا. ج. ج

روايات البشير المجلـة : ٩٢ ص. صغيرة – المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ١٩٣٧

رواية لطيفة أُخرجت في اسلوب شائق ، ونُقلت بلغة سهلة رائقة. فكانت من خير ما يطالع الاحداث ومن فوقهم من الراغبين في التسلية الخالية من كل خطر.

الشهر المريمي

للمدارس والعائلات

١٧٢ ص. صغيرة – الاسكندرية ، مطبعة الفرير الصناعية ، ١٩٣٨ – الثمن: ٣٥ مليماً

يحتوي هذا الكتاب الصغير على قراءات تقوية منتخبة لكل يوم من شهر ايار ، وعلى مجموعة من الخواطر والنوافذ الروحية. وضعه بالفرنسوية احد اخوة المدارس المسيحية في الاسكندرية ، ونقله زميل له ، فعمّت فائدته . وقد وافق عليه واوصى به سيادة النائب الرسولي في القطر المصري . فنتمنى له كل انتشار.

ردّ افتراء وتقرير حقائق

بقلم شكري الخوري

٢٩ ص. متوسطة – نشرته جريدة « ابو الهول » في سان باولو (البرازيل) ١٩٣٩

كان الصحافي المعروف واللبناني الصميم صاحب جريدة « ابو الهول » قد نشر في اعداد جريدته مقالاً مطوّلاً « ردًّا على افتراءات السيد فخري البارودي ، وصدًّا لتهجمات بعض القابضين على الحكم في سورية » . فرأى ان يعيد نشر المقال على حدة ويدعمه ببراهين جديدة « مؤيدًا فيه الحقّ منتصرًا على الضلال». فكان هذا الكرّاس الواضح الاسلوب ، البليغ اللهجة ، المصيب القصد.

صدى المعابد

من نظم الاب روفائيل نخله

وتلحين الاب الياس السكاف

ظهر منذ قريب « صدى المعابد » وهو كاغد موسيقي جميل اتحفنا به ملحن لبنانيٌ مجدد له الاطلاع الواسع على الالحان ، غربيها وشرقيها ، عارفٌ — وهو رجل الله — ان الموسيقى صلاة قبل كل شيء. و« ان من رتل فقد صلى مرتين.» فاذا « يهتافه » ابتهال الى مريم حارٌ ، ينبع في مقاطيعه الهادئة حيناً ، المتسعرة احياناً ، ثقةٌ موطّدة وأملٌ جريح ولكنه ملحاحٌ في ترقه ، مديدٌ في حنينه . واذا « باغنية العذراء الى ابنها » هدأة ناعمة تتدلدل فيها الاناغيم وسنانةً وتترنح النبرات خاشعةً بطلية . . .

وعلى كلٍ فهذا فتح في الموسيقى الدينية جريءٌ ، سيكون له في معابدنا احسن الصدى واحبه. ونحن ، الذين طالما اسفنا لتقاعد موهوبينا عن الافتنان بالعاطفة الدينية ، لفي انتظار ما وعدنا به المؤلف في ذيل ملحّنته هذه . واملنا انه سيكون في المستقبل ، الى النغم الشرقية اقرب منه الى الغربية ، مما لا ينافي التجديد والابتكار فيما نعتقد.

ج. ع.

قلم وسهم

بقلم الياس شليطا القرطباوي

١١٦ ص. صغيرة — طرابلس ، مطبعة صدى الشمال ، ١٩٣٨

مجموعة مقالات قدّمها صاحبها ، وهو لا يزال طالباً ، الى اخوته الطلّاب ، « تذكاراً حبياً ، يحفظ صورة عهد حياته المدرسية.»

* اتم ملح الارض * مجلة كهنوتية شهرية تصدرها القصادة الرسولية في بيروت في ٣٢ ص. متوسطة وتوزعها مجاناً على الكهنة . ظهر الجزء الاول منها في حزيران ١٩٣٩

كتب جديدة

نصفها في الجزء المقبل

D. Guiseppe Barbera, Dizionario maltese-arabo-italiano, con una grammatica comparata arabo-maltese. Beyrouth, Imprimerie Catholique, 1939.

مجلة مجمع فؤاد الاول للغة العربيـــة : الجزء الرابع ، اكتوبر ١٩٣٧ ــ القاهرة ، المطبعة الاميرية ، ١٩٣٩

الاب انستاس ماري الكرملي : نشوء اللغة العربية ونموّها واكتهالها ــ القاهرة ، المطبعة المصرية ، ١٩٣٨

نسيب عازار : نقد الشعر في الادب العربي ــ منشورات « دار المكشوف » ــ بيروت ، ١٩٣٩

توفيق يوسف عوّاد : الرغيف ــ منشورات « دار المكشوف » ــ بيروت ، ١٩٣٩

بشر فارس : مباحث عربية ــ مصر ، مكتبة المعارف ، ١٩٣٩

خليل مردم بك : الفرزدق ــ دمشق ، مكتبة عرفه ، ١٩٣٩

محمد رضا : محمد رسول الله ــ مصر مكتبة عيسى البابي الحلبي وشركاه ، (طبعة ثانية) ١٩٣٩

برزورث : دراسات في حياة يسوع المسيح ــ ترجمة مرقس فهمي فرج ــ مصر ، جمعية نشر المعارف المسيحية .

حبيب سعيد : سيرة رسول الجهاد ــ مصر ، جمعية نشر المعارف المسيحية

كليمندس وب : هل من علاقة بين الاخلاق والدين ــ نقلها الى العربية حبيب سعيد ــ مصر ، جمعية نشر المعارف المسيحية .

فلك طرزي : آرائي ومشاعري ــ دمشق ، مطبعة ابن زيدون ، ١٩٣٩

ادوار مرقص : الادب العربي في ما له وفي ما عليه ــ اللاذقية ، المطبعة التجارية ، ١٩٣٩

١٠ قدس عالمية ــ نشر دار الهلال ، ١٩٣٨

معهد الآداب الشرقية

منهاج الدروس للسنة ١٩٣٨–١٩٣٩

انتقل معهد الآداب الشرقية ، هذه السنة ، الى محلّه من بناية المكتبة الشرقية الجديدة غربي مدخل جامعة القديس يوسف . وهو يوالي دروسه ، ويعدّ امتحاناً في اللغة والآداب العربية ينال الناجحون فيه شهادات تعادل شهادات الليسانس الرسمية ؛ وهو اول امتحان من نوعه. وكذلك يعدّ امتحاناً في التاريخ والاثريات في سورية وفنيقية في العهد اليوناني - الروماني ؛ وامتحاناً في الشؤون الارمنية ، شأنه في ما سبق.

وقد نشر كراساً صغيراً تضمن اسماء الاساتذة ، ومواد الدروس في السنة الحالية ؛ رأينا من المفيد تلخيصه في ما يلي . اما الاساتذة فهم :

الاب جاك بونيتيار رئيس جامعة القديس يوسف

الاب رينه موترد ، مدير المعهد ، استاذ	الآثار القديمة في سورية
السيد فؤاد افرام البستاني ، استاذ	تاريخ الادب العربي
الاب روبر شدياق ، استاذ	فلسفة العرب ومؤسساتهم
الاب هنري فليش ، استاذ	اللغات السامية .
الاب هنري جلابرت ، مكلّف القاء دروس	تاريخ سورية وفنيقية في العهد اليوناني - الروماني
الاب جان مصيريان ، استاذ	لغة ارمينية ، وتاريخها ، ومؤسساتها
السيد فرنسوا اوليه ، الاستاذ في معهد الادب من جامعة ليون	تاريخ المدنية الهيلينية
الاب انطوان برادبار ، مكلّف بعثة علمية	المراقبة الجوية وعلم الآثار القديمة
الخوراسقف ميخائيل الرجي ، الاستاذ في المدرسة الاكليريكية	اللغة السريانية

واما منهاج الدروس فهذا تفصيله :

١ً اللغة العربية وآدابها

ا – تمهيد لدرس الفراماطيق المقارن في اللغات السامية

٣ اشولات يلقيها الاب هنري فايش من ١٧ تشرين الثاني الى ١ كانون الاول ١٩٣٨ ، على الترتيب التالي :

١ – لمحة في اللغة الفنيقية . الفئة الآرامية .
٢ – الفئة العربية .
٣ – الفئة الاثيوبية .

ب – تاريخ الادب العربي

٥ محاضرات و١٠ اشولات يلقيها الاستاذ فؤاد افرام البستاني من ١٥ كانون الاول ١٩٣٨ الى ٢٧ نيسان ١٩٣٩ ، على الترتيب التالي :

القسم الاول : مراجعات مع ذكر المصادر في سبيل الاعداد للامتحان :

١ – العصر الاموي : دمشق .
٢ – العصر العباسي : بغداد .
٣ – العصر الحمداني : حلب .
٤ – العصر الفاطمي : القاهرة .
٥ – العصر الاندلسي : قرطبة ، اشبيلية ، غرناطة .

القسم الثاني : في الادب العصري .

بيروت عاصمة النهضة الادبية

١ – اسباب النهضة :
ا – دخول المطبعة .
ب – المدارس الوطنية ومدارس المرسلين .
ج – العلاقات السياسية بين بشير الثاني ومحمد علي .

٢ – بيروت ، مركز ثقافة :
ا – الصحافة والنشر .
ب – المعاهد .
ج – الحلقات الادبية والمكاتب .

٣ – مظاهر النهضة :
ا – في النثر.
ب – في الشعر.
٤ – إشعاع النهضة اللبنانية :
ا – في بلاد اللغة العربية : مصر ، سورية ، فلسطين ، العراق.
ب – في المهاجر.
٥ – نظرة عامة في الروح اللبنانية في الادب العربي.

ج — مؤسسات البلاد العربية اللغة

أثر غير مطبوع للغزالي

٣ اسئولات يلقيها الاب روبر شدياق من ١٨ كانون الثاني الى ١ شباط ١٩٣٩
١ – المؤلّف.
٢ – مركزه في مؤلفات الغزالي.
٣ – العقيدة.

٢ً — التاريخ والآثار القديمة في سورية وفنيقية

ا — تاريخ سورية اليونانية - الرومانية

٧ محاضرات للاب هنري جلابيرت من ٢٣ تشرين الثاني ١٩٣٨ الى ١٨ كانون الثاني ١٩٣٩ :
١ – اليونان وفنيقية ، منذ البدء حتى عهد الاسكندر.
٢ – رومة وسورية في العهد الهيلني.
٣ – الحروب الاهلية في رومة ، وسورية وفنيقية.
٤ – الادارة الرومانية . مقاطعات سورية. المستعمرات. المدن. الممالك الوطنية.
٥ – الجيش الروماني في سورية . خطّ الحدود.
٦ – الامبراطرة السوريون . فيلبّوس العربي . المغامرة التدمرية.
٧ – النصرانية في سورية وفنيقية.

ب — سورية اليونانية - الرومانية استناداً الى الآثار

٥ دروس يلقيها الاب رينه موترد من ٢٢ تشرين الثاني الى ٢٠ كانون الاول ١٩٣٨ :
١ – المعابد وآنية العبادة.
٢ – البنايات العامّة والخاصة . شؤون البلد.
٣ – الكنائس . الزخرف المسيحي.

٤ – المقابر .
٥ – التجارة الفنيقية والسورية .

ج ــ المدنية الهيلينية

٥ اسئولات للاستاذ فرنسوا اوليه ، من ٢٧ شباط الى ١٥ اذار ١٩٣٩ :
١ – الإطار التاريخي والميزات العامّة للمدنية الهيلينية .
٢ – الملوك ، والمدن ، والسكّان الوطنيون .
٣ – الزراعة والصناعة والتجارة . المشكل الاجتماعي .
٤ – الفنّ والادب .
٥ – العلوم والفلسفة والدين .

د ــ طرق المراقبة الجويّة في علم الآثار

٣ اسئولات للاب پرادبار من ٨ الى ٢٢ شباط ١٩٣٩ .

٣ً ــ علم الشؤون الارمنية

ا ــ تاريخ ارمينية ومؤسساتها في العصر الحاضر .

٥ اسئولات للاب حسان مصيريان من ٦ كانون الاول ١٩٣٨ الى ١٧ كانون الثاني ١٩٣٩ :
١ – اناشيد « القوّالين » الارمن .
٢ – الأرمن والشرق الادنى .
٣ – مركز الأرمن في ما وراء القوقاس .
٤ – مركز الارمن في الامبراطورية العثمانية .
٥ – الحرب الكبرى ونتائجها في ما خصّ الشعب الارمني .

ب ــ تطور حركات الهجرة في الشعب الارمني

٣ اسئولات باللغة الارمنية للاب جان مصيريان .

ج ــ محاضرات ودروس مُعِدّة لامتحان الشهادة الثانية بالشؤون الارمنية

٤ً ــ اللغات الشرقية القديمة

يحق لطلاب هذا المعهد ان يتابعوا دروس الكلية الاكليريكية في جامعة القديس يوسف :
اللغة السريانية : يلقي دروسها الخوراسقف ميخائيل الرجي (الخميس) .
اللغة الارمنية القديمة : يلقي دروسها الاب جان مصيريان (السبت) .

المشرق

السنة السابعة والثلاثون — تموز — حزيران ١٩٣٩

كنز جديد

من مجوهرات قديمة

بقلم الامير موريس شهاب

امين دار الآثار اللبنانية

من الاقوال الجارية مجرى المثل ان التاريخ يعيد نفسه . ولا شك ان في هذا القول بعض الحقيقة . فلو اجلنا النظر في تاريخ العالم المتتابع لرأينا ان شكل الهيئة الاجتماعية على مدّ وجزر متواليين : تقوى السلطة الحاكمة فتنحصر في افراد قلائل ، او في فردٍ مستبدّ ، يرهق الشعب الساكن فيتحمّله صاغراً منتظراً . حتى يرى اقلّ صدع في مظاهر السلطة ، فيقوم عليها ثائراً منصاعاً لارباب الشغب . اما هؤلاء فلا يكادون ينعمون بانتصار ثورتهم حتى يدبّ الخلاف بينهم ، واذا بهم بعد الاتحاد يتقاتلون ،

وتكون البليـة على الشعب المسكـين ، فيستسلم الى اول من يتسلّم قيادته .

هذا ما حلّ بمصر في اواخر الالف الثالث قبل المسيح . فبعـد ان كان للفراعنة سلطة مطلقة على شعبهم ، قام بعض النبلاء يسعون للتحرر من هذه السلطة الشديدة الوطأة عليهم ؛ وقد نجحوا في الاستقلال شيئاً فشيئاً ، مستبدّين بالاحكام ، متقلّدين المراسيم الفرعونية . ولكن لم يلبث الشعب ان شعر بثقل ظلّهم وقد اصبح عليه ان يرضي جشع رؤساء عديدين ، بدل رئيس واحد . فثار عليهم ، وجرّت الثورة نكبات وبلايا تركت في قلوب المصريين ذكريات فاجعة ردّدوا صداها في مراثٍ ومناحات سبقوا بها مراثي ارميا ، فصوّروا مشاهد أليمة من ذاك الانقلاب ، منها ان الخادمة اصبحت لا تطيق تأنيب سيّدتها وهي التي كانت تقف مرتعشةً امامها . هذا اذا لم تستولِ على ملك سيدتها فتوقفها امامها صاغرةً ، وتتوسّد فراشها ، تداعب بيدها شعرها المسترسل ، وتحمل باليد الاخرى مرآة من الفضة امام وجه لم ينعكس من قبل الا على صفحة الماء الجاري . وبعد ان كان الصعلوك الاقرع يهرب خجلاً من الناس لفرط اشمئزازهم منه ، اذا بـه يتبختر متمايلاً ، ناشراً حوله في الفضاء روائح الطيوب الزكية التي انتهبها من بيوت الاغنياء .

وكان من نتائج هذه الثورة ان عمّت الفوضى البلاد . فـنُزعت ملفّات القوانين من المعابد ونُثرت في الشوارع تحت اقدام الجمهور يدوسونها غير مبالين . وسطا الرعاع على افراد الشعب . فانقطع الزارع عن العمل في حقله . وما الفائدة من الزرع وقطّاع السبل ينتظرون الحصاد ، فاذا رأوا الفـلّاح يعود من حقله سالماً حماره ، هجموا عليه ففتكوا به وسرقوا الحمار والحمل .

ومن الطبيعي ان تفقد مصر سلطتها الخارجية فتتحرّر البلاد التي كانت خاضعة لها وتستقلّ بادارتها . كما فقدت هيبتها الداخلية ، فتدفقت عليها جموع البدو فتوغّلوا في انحائها الشمالية ، مكتسحين البلاد ولا من يردعهم . ولم يبقَ لمصر العظيمة مراكب تقصد البلاد الفنيقية لتعود بالاخشاب الطيّبة والاصماغ

التي تحتط بها الموتى...

سادت هذه الفوضى سنين عديدة تحملت منها مصر الويلات . حتى قامت في طيبة ، عاصمة الجنوب ، اسرة شديدة العزم جعلت نصب عينيها اعادة النظام الى البلاد . فوفقت في مسعاها متبعة سياسة حكيمة انقذت المصريين من مخالب الجوع والاضطراب . وحصرت هذه الاسرة همها ، اول الامر ، في الدفاع عن مصر تجاه الغارات البدوية والنوبية . ولذلك فانها احتلت نوبية جنوباً ونشرت سلطتها على الصحاري الشرقية حتى جنوبي فلسطين. ثم عملت على اعادة صلاتها بالبلدان المجاورة . فارسل ملوكها الهبات الملكية الى ملوك فنيقية فتوثقت العلاقات بين البلدين.

وكان هذا العهد من افضل العهود في فنيقية. فازدهرت مدنيتها وساد الرخاء. وذاع صيت معابد جبيل. فاخذت الوفود تؤمها ، والهدايا والنذور تتدفق عليها. وقد قيض لنا ان وجدنا معظم هذه الهدايا من فؤوس ذهبية وخناجر وتماثيل برونزية مُوّهت بالذهب.

وكان ملوك فنيقية ، اذ ذاك ، ولا سيما أبي شمو وابشموأبي ، يتمثلون بالفراعنة ، فيدفنون في قبورهم الحلي المرصّعة بالحجارة الكريمة ، والآنية الثمينة. وقد وقفنا في جبيل على احد عشر مدفناً لعبت بها ايدي الناهبين ، فلم يسلم منها سوى ثلاثة . ولا شك ان في غير جبيل من المدن الفنيقية مدافن شبيهة بها ، تحتوي الكنوز النفيسة من امثال هذا الكنز الذي سنكشف عن محتوياته لقراء « المشرق » ، بعد ان نمهد بكلمة عن طريقة حصولنا عليه.

في السنة ١٩٢٥ وصل الى القدس رجل من بلادنا يحمل كنزاً ثميناً من المصوغات والمجوهرات القديمة . فباعه سراً لاحد تجار الآثار في القدس . ولم يلبث الكنز ان أُرسل الى اميركة على اسم المعهد الشرقي في شيكاغو . واذا بالحكومة الفلسطينية تعرف بالامر فتفاوض المعهد الاميركي ، وتستعيد الكنز . ولما كان بيننا وبين فلسطين اتفاق سابق بشأن الآثار القديمة ، فاوضنا بدورنا رئيس مصلحة الآثار الفلسطينية ، المستر ريشموند ، بشأن هذه التحف. وعندما تأكد له مصدرها اللبناني ساعدنا على الحصول عليها ، والعودة بها الى بلادنا ،

فدخلت متحفنا سنة ١٩٣٠[1].

ولا نفيض في ذكر اهمية هذه التحف ، فوصفها وحده كفيل بالدلالة على ذلك . وهي ، وان لم تعادل مكتشفات تمفيس ودهشور ، تظهر من اثمن وانفس ما تركه لنا فنّ الصياغة القديمة . ولا تزال محفوظةً في حالةٍ صالحة رغم انتقالها من يدٍ الى يدٍ وتشتتها من بلد الى بلد ، حتى ليعجب الانسان كيف لم تتبدّد وتتفرّق شأن الكثير من امثالها .

اما عدد هذه القطع فسبع وستون نصفها موجزين في ما يلي :

١ ـ قلادة باسم الفرعون أمِنِمحَت الثالث ، من الذهب الخالص ، مفرغة ومطعّمة بالحجارة الكريمة الملوّنة . مستطيلة الشكل يبلغ عرضها في اعلاها ٧٨ ميلمترًا ، وفي اسفلها ٧١ ميلمترًا ، ويبلغ ارتفاعها ٥٣ ميلمترًا (الرسم ١) .

يمثّل إطار القلادة مدخل معبد مع إفريزه . اما المحفورات من مشاهد واشخاص ، في داخله ، فأعيدت مرّتين على طريق التقابل بالنسبة الى محور القلادة ، ما عدا تلك التي مُثّلت على المحور نفسه .

يرى الناظر الى القلادة ، في اسفل المشهد ، الطفل هوروس واقفاً عارياً ، وعلى جبهته الافعى المقدسة ، وقد تدلى شعره في ضفيرةٍ ملتفّة من الوراء ، وتقدّم بداعب بيده ذقن البقرة حاطور . وتحت البقرة ظهر الفرعون جاثياً على ركبتيه يمتصّ ضرعها . والبقرة مزدانة بمناطق ، حاملة عقدًا في عنقها . وعلى ظهرها خاتم أمِنِمحَت الثالث . وفوق هذا تظهر حية متماوجة الجسم ، وفوقها العين « أوجا » تحيطان بالقرص الشمسي الذي يعلوه قرنا أمون وريشه وحول القرص عدد من الافاعي وشارات الحياة . وهناك كثير من الشارات والعلامات لا غاية منها الا ملء الفراغ ، وتعديد طرق الوقاية متوازنةً في هذا الاثر المتّصف بشيء من الضخامة شأن الكثير من آثار الفنّ المصري . وكل هذه الشارات تولي القلادة اكثر ما يمكن من القوة السحرية . من ذلك مثلث التقدمة البارز بين قائمتي البقرة

يسرّنا ، بهذه المناسبة ، تدوين شكرنا للمستر ريشموند المذكور ، ولحضرة الكونت دومال ، قنصل فرنسة العام في القدس ، لما ابدياه من الغيرة والاهتمام بشأن استرجاع هذه التحف .

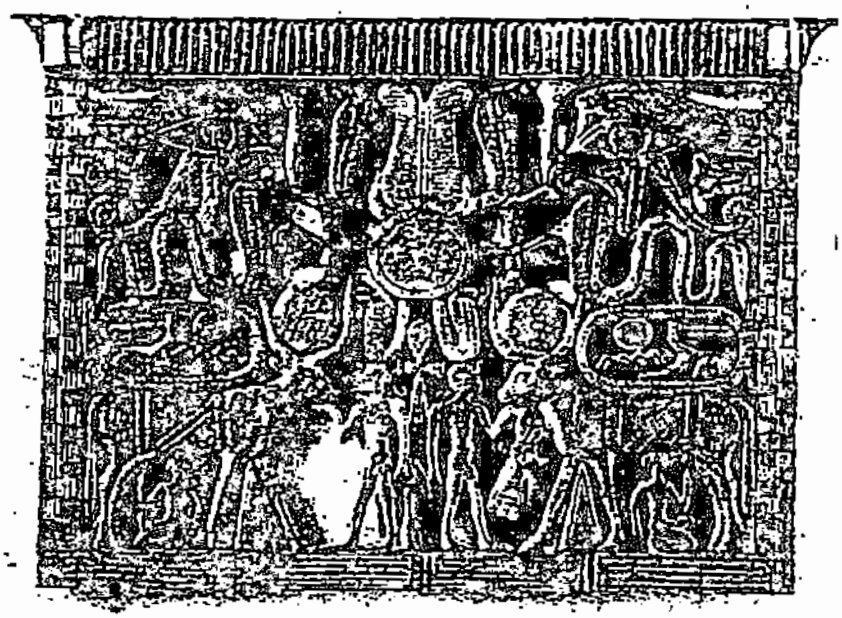

الرسم ١

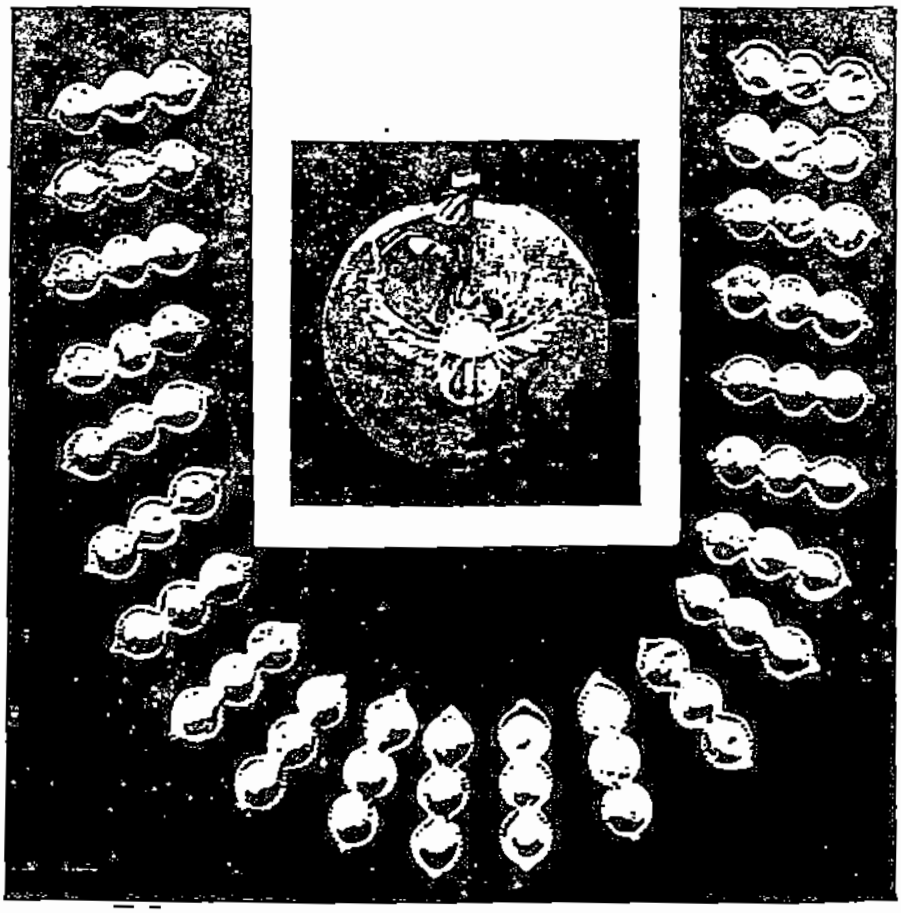

الرسمان ٢ و ٣

٣ ــ ٢٢ قطعة صغيرة متماثلة كانت تؤلف عقداً من الذهب . صُنعت كل واحدة من ورقة ذهبية مستطيلة مخصورة مرتين فألفت ثلاثة اقسام مستديرة . وقد دار بها إطار نافر محبّب . وفي قفا كل قطعة ورقة ذهبية ملصقة وفيها اربعة خروق لمرور خيوط الكتّان او اسلاك المعدن التي كانت تجمع بينها فتؤلف العقد . يبلغ طول كل قطعة ٣٤ ميلمترًا ، وسماكتها ١١ ميلمترًا ، ووزنها غراماً واحداً ونصف الغرام. (الرسم ٣)

٤ ــ خلخال ذهبي مؤلّف من انبوب اعرض في وسطه منه في طرفيه تكوّنه ورقة ذهبية ملفوفة. ويزين كلًا من الطرفين مجموعة مثلثة من الخطوط المستديرة تنتهي بدائرة ذهبية . يبلغ قطره الاوسع ١٢٨ ميلمترًا ووزنه ٧١ غراماً. (الرسم ٤)

٥ ــ ٨ ــ اربعة اساور ذهبية ، من صياغة الخلخال السابق الذكر. الا انها تختلف عنه بان انابيبها تميل قليلًا الى التسطّح ، وبان اطرافها لا يزينها الا مجموعتان من الخطوط لا ثلاث . يبلغ القطر الاوسع في كل منها ٦٢ ميلمترًا ، ووزن كل منها ١٧,٥ غراماً. (الرسم ٥)

٩ ــ ثماني وثلاثون صفيحة متماثلة من الذهب ، مغطّاة في احدى جهتيها بثلاثين صفًا من الحبوب الملتصقة في كل صف اربع حبات . يقابله خرق للجمع بينها جميعاً . تبلغ مساحة كل صفيحة ٤×٠,٧ ميلمترًا وسماكتها ٠,١٥ ميلمترًا ، وتزن ٣ غرامات

١٠ ــ ١٢ ــ ثلاثة ازواج من المفاصل الذهبية مؤلفة كل واحد من صفيحتين وفي جنب احدى الصفيحتين خط داخلي محفور يدخل فيه ، على طريقة المفصلات ، ثلاثة مقاطع بارزة في جنب الصفيحة المقابلة . وفي هذه الصفائح المقابلة ثلاثون خرقاً توافق الخروق المذكورة في الصفائح السابقة . يبلغ طول الصفيحة ٤ ميلمترات ، وعرضها ٠,٣ ميلمترًا ، وسماكتها ٠,٢ ميلمترًا . وتزن ٤ غرامات تقريباً.

وقد امكنت هذه الصفائح الموصوفة في الرقم ٩ ، والمفاصل الموصوفة اعلاه

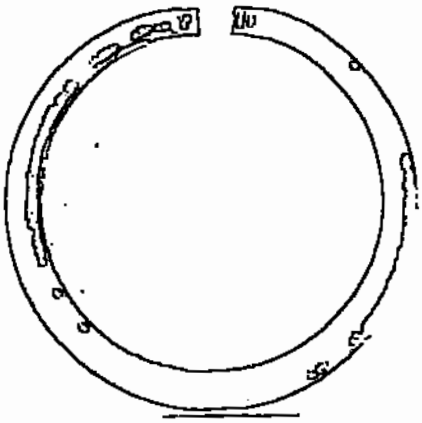

الرسم ٤

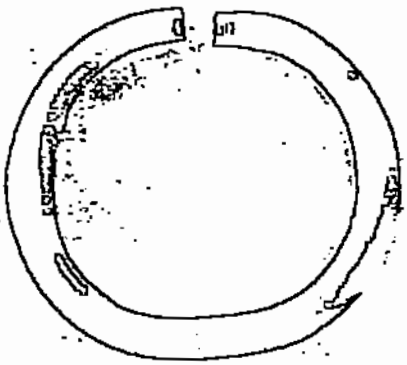

الرسم ٥

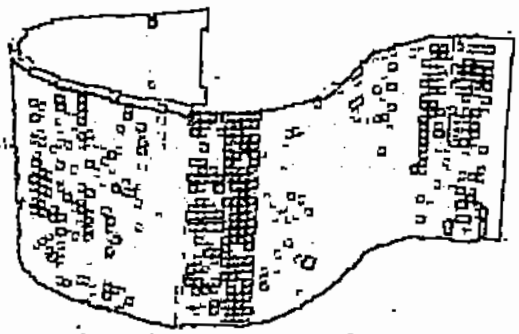

الرسم ٦

من تأليف سوار جميل (الرسم ٦) يشبه السوار المكتشف في دهشور.[1] ويلاحظ ان احد المفاصل يماثل تماماً المفصل رقم ٥٢٠١٩ الموجود في متحف القاهرة حتى في عدد الخروق البالغ ٣٠ خرقاً. اما الحبوب فهي في هذه الصفائح ادقّ منها في سوار دهشور ، تظهر متتابعة دون فاصل . وكانت اقسام السوار تُجمع بعضها الى بعض بواسطة ثلاثين سلكاً تخترق جميعها الصفائح المحنية وتستند متعلقة بالمفاصل . فيتكوّن من ذلك سوار وافر اللين والمرونة دقيق الصنعة.

١٣ ــ زهرة مستديرة بديعة الصنع ، تؤلفها ورقة ذهبية رقيقة جدًّا على شكل دائرة مضلّعة ذات وسط مستدير وقد تحدّب وسطها وكل من اضلاعها، وفُصلت بسطور بارزة مخطّطة عرضاً . وفي وسط قفاها تعليقة مستديرة . يبلغ قطر الزهرة ٨٦ ميلمترًا ووزنها ١٤ غراماً . (الرسم ٧)

١٤—١٧ ــ اربعة اقراط من الذهب ، يتألف كل زوج من انبوبين مُفرغين ، مزدوجين ، تكوّنها ورقة واحدة ملفوفة ، ويُختم كل طرف بدائرة ذهبية . ويتصل باحد الطرفين قطعة قصيرة كان من شأنها ان تدخل في خرق الاذن . يبلغ قطر القرط ٣١ ميلمترًا ، ووزنه ٩ غرامات ونصف الغرام . (الرسم ٨)

١٨ ــ قرط ذهبي صغير مؤلف من انبوب مفرغ غير مقفول . في طرفه المسطّح المستدق سلك يُلفّ على الطرف المقابل . وعلى الناحية الخارجية منه خطّ مخبّب . ويبلغ وزنه غرامين.

١٩ ــ خاتم على شكل الهلال ، يلتقي طرفاه على فصّ بشكل جعل من الجمشت الأكدر . وفي اسفل الجعل أُلصقت ورقة ذهبية حُفر فيها حروف هيروغليفية . طول الخاتم ٢٢ ميلمترًا . (الرسم ٩)

---

(1) De Morgan, *Fouilles à Dahchour*, 1894, pl. XVII et p. 66, n° 18 ; 1894-1895, p. 52, n° 8. Cf. Vernier, *Bijoux et orfèvrerie*, n° 52019, fig. 19 et n°s 52019 bis, 52028, 52032 et 52051.

وقد وُجد خاتم يماثل هذا الّا انه اكبر في حفريّات جبيل ، في المدفن الأول.[1]

٢٠ ــ اسطوانة من اللازورد مُركّبة في خاتم ذهبي غير مقفل ، تدخل في محور الاسطوانة بواسطة طرفين محدّدتين. وقد زيّن طرفا الخاتم باشكال خيوط ملتفّة مستديرة حتى تتصل بطرفي الاسطوانة الملبسة بالذهب، المزدانة بنقش مثلّث الازدواج ، يؤلف ست مناطق في الاولى منها تنينان رابضان الواحد وراء الآخر وقد ضمّا جناحيهما ورفعا ذنبيهما معقوفين في الهواء . وفي الثانية رسمان متقابلان لابي الهول . وفي الثالثة ارنبان بريّان . ويلي كل منطقة من هذه الثلاث منطقة فيها رسم مماثل على شكل الضفيرة. يبلغ طول الاسطوانة ٢٦ ميلمترًا. (الرسم ١٠)

٢١ ــ عصابة من الذهب مخرّمة يظهر فيها ثلاثة خطوط على شكل فلوس السمك . وكانت الميناء ترصّع جميع خلاياها . اما الآن فلم يبقَ منها الّا في خليّة واحدة . يبلغ طولها ٢٩ سنتيمترًا ، وعرضها ٢٨ ميلمترًا . (الرسم ١١)

٢٢–٢٣ ــ عصابتان من الذهب مزخرفتان على شكل جلد الحيّة . يبلغ طول الاولى ٥٨ سنتيمترًا وعرضها ٥٧ ميلمترًا ، وطول الثانية ٥٧ سنتيمترًا وعرضها ٥٥ ميلمترًا . (الرسم ١٢)

٢٤ ــ عصابة من الذهب مرنة . في كل من طرفيها تعليقة من سلك ذهبي استدار طرفاها على دوائر متعدّدة لتزيد مساحة الالتحام.[2] يبلغ طول العصابة ٥٣٥ ميلمترًا وعرضها ٣ ميلمترات ، ووزنها ٣٣ غرامًا . (الرسم ١٣)

٢٥ ــ دبّوس من ذهب ، رأسه كروي بارز التضليع . ازدان القسم الاعلى من الدبوس بخطوط مستديرة ، نافرة ، متقاربة. وفي اسفل القسم المخطّط ضلع أوفر بروزًا تدخل فيه حلقة صغيرة . يبلغ طول الدبوس ١٣ سنتيمترًا ، ووزنه ٢٥ غرامًا . (الرسم ١٤)

٢٦ ــ دبّوس يماثل الاول . الّا ان اضلاعه اقل تقاربًا وهي منتهية في الأسفل باسنان محدّدة . وقد لفّ طرفي الحلقة الداخلة في اسفل القسم المضلّع

١) Montet, *Byblos et l'Égypte*, pl. XCVI

٢) كسرت احدى التليفتين ولم يبقَ منها الّا الدوائر ، كما يظهر في الرسم .

الرسم ٧

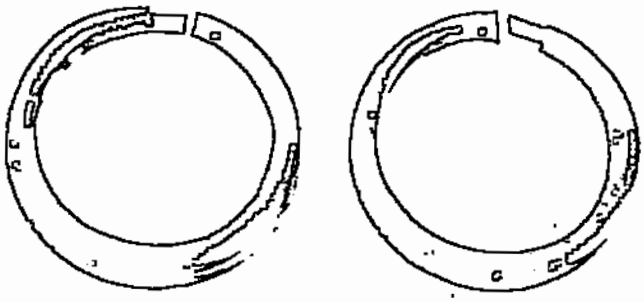

الرسم ٨

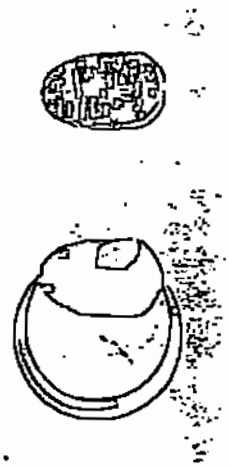

الرسم ٩

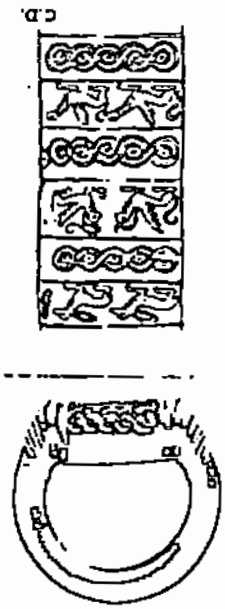

الرسم ١٠

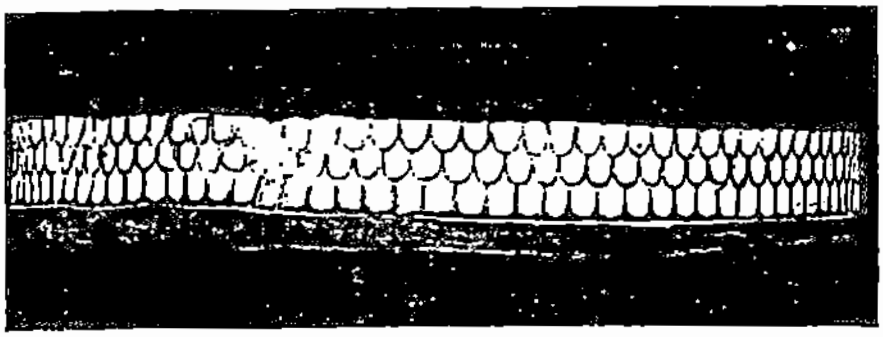

الرسم ١١

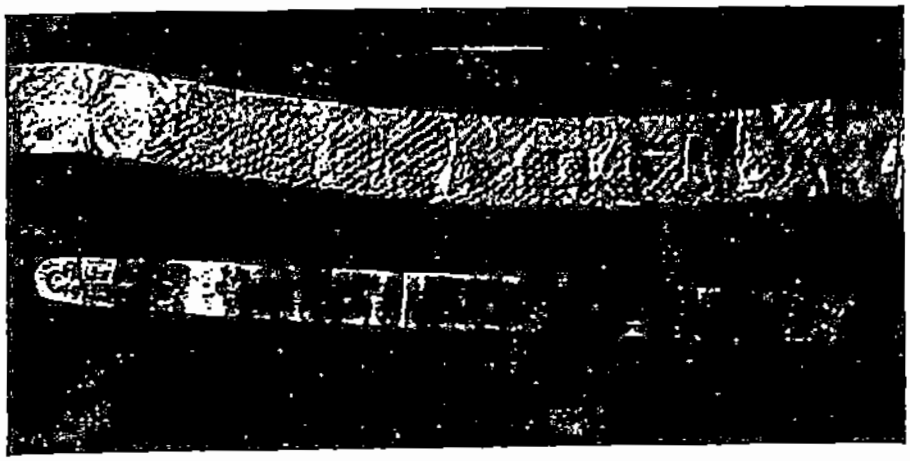

الرسمان ١٢ و ١٣

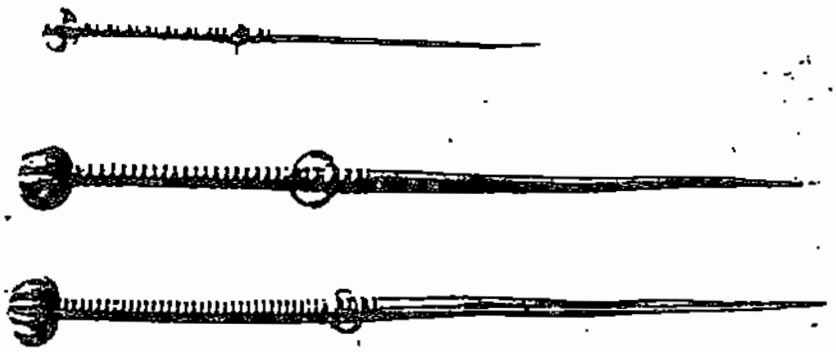

الرسوم ١٤ و ١٥ و ١٦

سلك ذهبي ملفوف . طول الـدبوس ١٢٥ ميلمترًا ، ووزنه ١٧ غراماً : (الرسم ١٥)

٢٧ ــ دبّوس ثالث. رأسه من الجمشت الأملس. وقد ازدان القسم الاعلى باضلاع متضخمة يفصل بينها فواصل رقيقة محدَّدة ، منها واحدة كبيرة تقوّي مدخل الحلقة في آخر القسم المضلّع. اما هذه الحلقة ففقودة . طول هذا الدبوس ٨ سنتيمترات ووزنه ٥ غرامات . (الرسم ١٦)

وهذا النوع من الدبابيس وافر الانتشار في عهد البرونز الثاني . وقد وجد مثله في مستوى راس شمرا الثاني.[1]

٢٨ ــ رأس حاطور منقوش في ورقة رقيقة من الذهب. طوله ٣ سنتيمترات (الرسم ١٧) ومن الراجح انه كان مُلصقاً على إناء او ماعون . وقد وجد عدد من نوعه ، انما بحجم اصغر ، في دهشور[2] ، وفي جبيل في مجموعة تقادم ترقى الى اواخر الدولة الثانية عشرة.

٢٩–٣٢ ــ اربعة اظلاف بقرية ، على الراجح. تؤلّف كل منها من ورقة ذهبية . في اسفلها قسم نافر . وقد دُلّ على وسطها بحفرة صغيرة. وفي مؤخرها خرق يدلّ على امكان وضعها على قائمة خشبية هي في الارجح قائمة قطعة من رياش البيت . طول الظلف ٥ سنتيمترات وعرضه ٤٥ ميلمترًا ، وارتفاعه ٢٣ ميلمترًا ، ووزنه ٧ غرامات . (الرسم ١٨)

٣٣ ــ اناء متضخم الوسط مصنوع من ورقة ذهبية سمكها ميلمتر واحد. يقتطع وسطه على زاوية حادّة ، واعلاها محدّب قليلًا . فمه متّسع قصير ، وكذلك اسفله . علوه ٩ سنتيمترات ، ووزنه ١٦١ غراماً . (الرسم ١٩)

٣٤ ــ اناء من ذهب محدّب الأسفل ، مقعّر الجهات قليلًا ، قويّ الالتحام . له مسكتان مستديرتان عموديّتان ، اتسع طرفا كلّ منهما وانقسم ليلتحم قوياً بطرف الاناء . طول الإناء ٦ سنتيمترات ، قطره ١٠ سنتيمترات ، ووزنه ١٤٣ غراماً . (الرسم ٢٠)

١) راجع *Syria*, XIII (1932) pl. XIII, fig. 3

٢) راجع De Morgan, *op. cit.*, pl. XXIV, n° 25

هيئة هذا الاناء لا تختلف في شيء عن هيئة الدست النحاسي المعروف في لبنان ، وفي بعض المناطق السورية . وهذان الاناءان هبة محل ڤيستر وشركاه

٣٥ — اناء من حجر الشطوط متصل البطن في اعلاه بعنق طويل متسع الفم . له مسكة واسعة مستدقة يزينها ثلاثة خطوط مستطيلة ، وهي متعلقة بمنتصف البطن الأعلى ، وبقرب فم الاناء ، وتؤلف في اعلاها كوعاً غير رشيق المنظر . ويقابلها مخرج (زمّولة) منحرف يربطه بعنق الإناء عروة مستديرة . يبلغ طول الإناء ١٢ سنتيمتراً . (الرسم ٢١)

استعير شكل هذا الاناء من اناء معدني . ويلتحق شكل مسكته بمسكات الآنية الفضية المكتشفة في جبيل في المدفن الأول والمدفن الثاني[1] ، وكلاهما معاصران لعهد أمِنِمحَت الثالث وأمِنِمحَت الرابع .

٣٦ — ابريق من الخزف الأزرق مزنّر بالدوائر الذهبية . مرتفع البطن ، مستدير الأعلى ، قصير العنق ، مسطّح اعلاه . عروته مسطّحة كذلك . يستدير به ثلاث عصابات ذهبية عُلّقت الوسطى منها بعروة صغيرة . وله ايضاً اربع عصائب من الذهب تلفّه عمودياً متصلة بالعصائب الافقية على مسافات متوازية . واعلى الفم مغشّى بورقة من الذهب . علو الابريق ١٤ سنتيمتراً . (الرسم ٢٢)

٣٧ — إناء من حجر الشطوط ، بيضوي الشكل ، مرتفع العنق يزينها خطوط عميقة مستديرة . وقد تآكل جسم الإناء في بعض المواضع . يبلغ علوه ١٣٥ ميلمتراً وقطره الأوسع ٨ سنتيمترات . (الرسم ٢٣)

٣٨ — إناء مماثل للاناء السابق الوصف . ازدان وسطه بخطوط ألّفت اوراقاً مستطيلة . يبلغ علوه ١٣٤ ميلمتراً ، وقطره الأوسع ٧ سنتيمترات . (الرسم ٢٤)

٣٩ — إناء مماثل للسابق الّا انه بدون عنق . علوه ١٢٥ ميلمتراً ، وقطره الأوسع ٨٥ ميلمتراً . (الرسم ٢٥)

---

١) راجع Montet, *op. cit.*, pl. CXI et CXII.

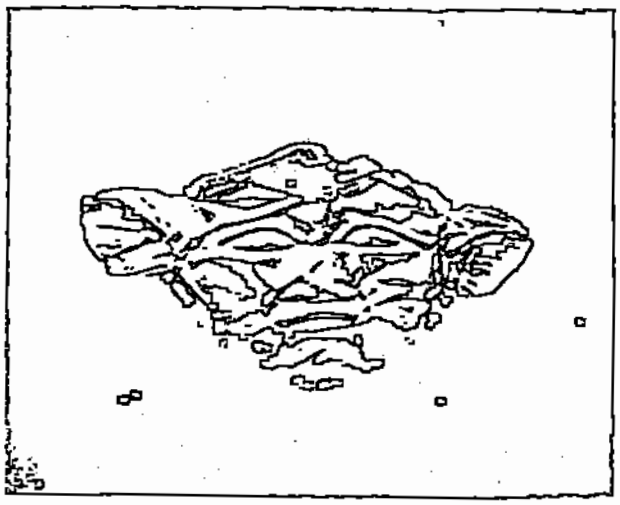

١٧ ---

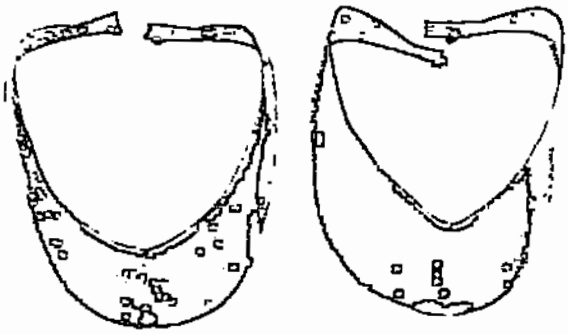

١٨ ---

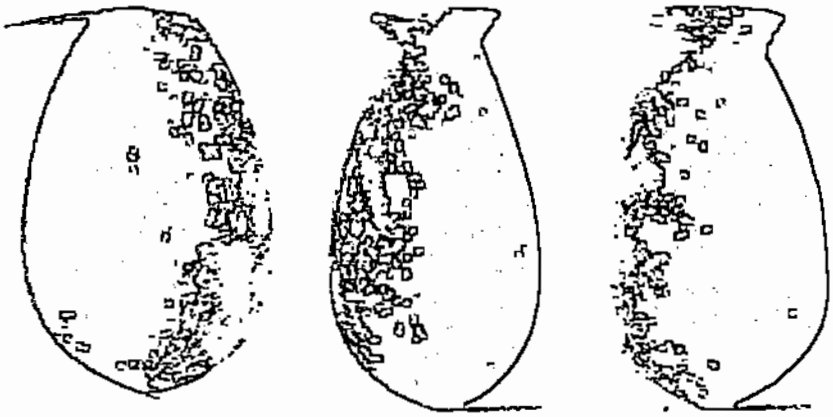

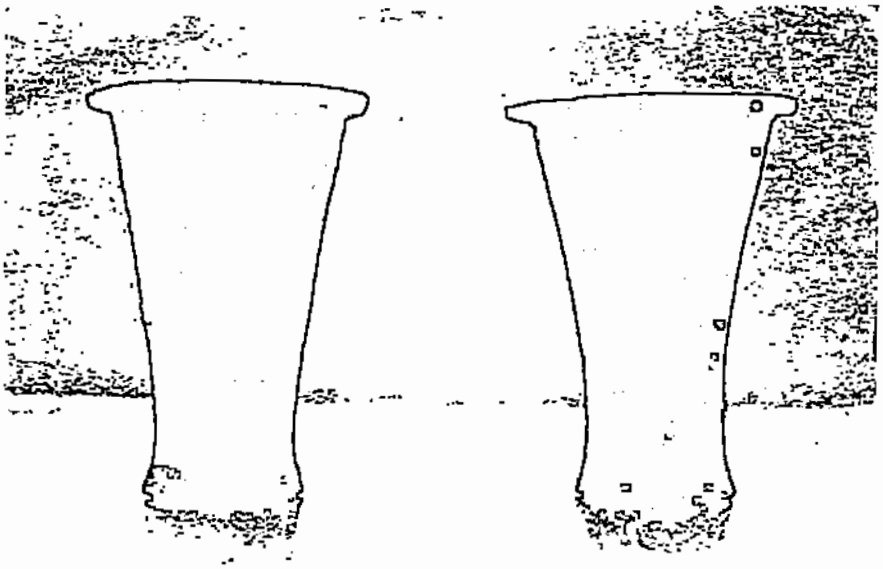

الرسم ٢٧

الرسم ٢٨

٤٠ ــ إناء صغير من حجر الدم مسطّح الأسفل والعنق ، وافر السماكة . يبلغ علوه ٣٨ ميلمترًا . (الرسم ٢٦)

٤١–٤٢ ــ اناءان للطيوب البلسمية من الحجر الرمادي ، مسطّحا الاعلى . طول الاول منها ٦٥ ميلمترًا ، والثاني ٨٥ ميلمترًا . (الرسم ٢٧)

٤٣ ــ قطعة اسطوانية الشكل من الذهب المفرغ ، متسعة الطرفين . يظهر احدهما مستطيلًا سيكًا ، والثاني مترقًا فيه ستة خروق يتعلق بها ما يوضع فوق هذه القطعة . وقد ازدانت بخطوط تؤلّف مناطق بعضها مسطّح وبعضها محدّب . ويبلغ علوّها ٣٢ ميلمترًا ، ووزنها ٥ غرامات .

٤٤–٤٦ ــ ثلاث دوائر من الذهب مخرّمة في اطرافها . وزنها نصف غرام .

٤٧–٥٢ ــ حلي على شكل اللؤلؤة من الذهب . طوله ٦ ميلمترات ووزنه ربع الغرام . ٥ مخروطات من الذهب المفرغ . وزنها نصف غرام

٥٣–٥٦ ــ اربع اوراق مخططة من الذهب . وزنها نصف غرام .

٥٧–٥٩ ــ ثلاثة قضبان صغيرة مستديرة من الفضة تغطّيها ورقة مخططة من الذهب . طول كل منها ٤٥ ميلمترًا ، ووزنه اربع غرامات .

٦٠ ــ بعض اوراق مستطيلة من الذهب . طولها ١٥ سنتيمترًا ، وعرضها سنتيمتران ، ووزنها ٩٣ غرامًا .

٦١ ــ قطع من الخزف المبيّض عليها غشاء من الميناء الزرقاء .

وقد وُجد كثير مثلها في مدافن جبيل الملكية .[1]

٦٢ ــ نصل من البرونز متآكل كثيرًا ، مسطّح الاعلى وليس فيه الّا خرق واحد طوله ١٩ سنتيمترًا ، وعرضه الاوسع ٧ سنتيمترات ، سماكته ميلمتران .

٦٣ ــ سراج من البرونز على شكل كوب مضغوط العنق . قطره ١٣٥ ميلمترًا ، وعلوه ٣٥ ميلمترًا . (الرسم ٢٨)

٦٤ ــ بيضة نعامة مخروقة في اعلاها .

(١ Montet, *op. cit.*, N° 726 te 830.

٦٥ ــ وزن ، او مدقة على شكل مخروط ، محدّبة الاسفل ، مستدقة الطرف. علوّها ٤٧ ميلمترًا ، قطرها الأسفل ٤ سنتيمترات ، وزنها ١٢٢ غراماً.

٦٦–٦٧ ــ هاونان من حجر البازالت . لكل منها ثلاث قوائم . يبلغ قطر الواحد ٢٥ سنتيمترًا وعلوّه ٧٧ ميلمترًا. وقطر الثاني ١٦٥ ميلمترًا وعلوه ٦٨ ميلمترًا.

⊖

اذا استثنينا القطع الموصوفة تحت الارقام ٦٥ و٦٦ و٦٧ ، وقد أدخلها في المجموعة البائعون اعتباطاً ، على ما يظهر، رأينا ان كلّ الحلى الموصوفة تكوّن مجموعة متناسقة وُجدت كلّها معاً في اكتشاف واحد ، على الأرجح . وانها بانواعها وجنسها واجتماعها تذكرنا بالكنوز النفيسة المكتشفة في دهشور ، وكذلك بالحلى التي اكتشفها الاستاذ مونتيه في المدافن الملكية في جبيل . وهو ما يحملنا على القول انها مستخرجة من احد المدافن ، من مدفن مهمّ ، من مدفن ملك او احد افراد العائلة المالكة.

واننا نرى فيها الأثاث المدفني العادي المعروف :

١ ــ حلى الميت : الحلي الصدري ، والعقود ، والاساور ، والعصائب ، والاقراط ، والخاتم.

٢ ــ الاواني المدفنية : آنية الطيوب البلسمية ، وآنية الذهب ، وحجر الدم ، وحجر الشطوط .

٣ ــ رخارف التابوت : اوراق الذهب ، واغطية الخزف التي لم يتمهل سارقو القبر لجمعها كلّها.

ونحن نعرف عهد هذه القطع الريشية المدفنية بفضل القلادة الصدرية المحفور عليها اسم الفرعون أمِنِمْحَت الثالث ، وقد حكم من السنة ١٨٤٩ الى السنة ١٨٠١ ق.م. وفقاً للتأريخ المجمع عليه اليوم . وان التشابه الذي نتحققه بين هذه الحلي وما اكتُشف في قبور اميرات دهشور ، وفي مدافن جبيل الراقية الى عهد الدولة الثانية عشرة يعزّز وحدة الاكتشاف هذا ، ويؤيّد نسبته التاريخية

المذكورة . وليس في كل هذه المكتشفات قطعة ، او دليل فني يحول بيننا وبين تأييد التاريخ المذكور .

اما اصل هذه الآثار فان لنا في وادي النيل كثيراً من الآثار المماثلة للحلى والآنية مماثلة لا يصحّ معها الشكّ في اصلها المصري . ويمكن القول ان حلي أمنِمحَت الثالث ، المماثل بإطاره وبقته المثقّل حلي الفرعون نفسه المكتشف في دهشور[1] ، صُنع ، دون شك ، في محلّات الصياغة التي كانت تؤمّن حاجات هذا الملك . وكذلك القول عن السوار المرن البديع الذي وصفناه في الارقام ٩—١٢ ، فانه خرج من محلّات الصاغة المصريين . وقد وُجد مثله في مكتشفات دهشور مركّباً من الاجزاء نفسها تقريباً . وفي فهرس المتحف المصري ذكر لتسعة عشر قرطاً تماثل الاقراط الموصوفة تحت الارقام ١٤—١٧ . خمسة منها مكتشفة في جورناه (دون تاريخ) ، وبعضها مكتشفة في رقّة ، من عهد الدولة الثامنة عشرة[2] او في بوباست ، من عهد الدولة التاسعة عشرة . اما اقراطنا فتقابل ، في وزنها ، اقراط جورناه ، وهي اثقل من اقراط بوباست . على ان هناك فروقاً في طريقة الصياغة . وذلك ان اقراط جورناه وبوباست يؤلّف كلّ واحد منها من اربعة انابيب مثلثة المقطع ، ويتكوّن الانبوب من ورقتين ذهبيّتين ملصقتين الواحدة من الداخل والثانية من الخارج . واقرب قرط في المتحف المصري الى اقراطنا هو القرط رقم ٥٢٣٩٢ . على انه ، لسوء الحظّ ، خالٍ من ذكر التاريخ والمصدر . وهو يظهر اثقل مما تقدّم . كل هذه الفروق في الصياغة قد تجيز لنا ان ننسب الاقراط الموجودة في متحفنا الى آثار الدولة الثانية عشرة ، وهي اقرب اليها منها الى آثار الامبراطورية المستحدثة .

اما القلادة ذات الجعل (الرقم ٢) فهي تماثل بشكلها حلي دهشور . ولكنها اقل رشاقة . وإن يكن في طريقة صنع قوائم الجعل ما يذكّر

١) راجع De Morgan, *Fouilles à Dahchour*. 1894. pl. XX, 2 et XXI.

٢) Engelbach, *Riqqeh and Memphis*, VI, p. 15 et pl. XI.

بجملان الامبراطورية المستحدثة[١] ولا سيما جعل حلي أوسبرتين الثاني[٢]، فان عدم الاتقان الظاهر في صنع زهرة اللوتيس، وشكل عنقها المسطح مما يجعلنا نتردّد في نسبة الحلي الى المصانع المصرية.

وفي دهشور اكتُشف عدد من آنية حجر الشطوط[٣] مماثلة لآنيتنا في الارقام ٣٧-٣٩، ومثلها اكتُشف في هراجيه[٤]. وفي كلا المحلين وُجدت هذه الآنية مع آثار راقية الى عهد الدولة الثانية عشرة. وكذلك رأينا في مدافن جبيل الملكية من هذه الآنية الّا انها على الغالب اكبر[٥]. اما الاناء المصنوع من حجر الدم فذو شكل عادي في مصر على عهد الامبراطورية الوسطى. وهو يوجد دائماً مع الآنية البلسمية، وكأنه جزء ضروري في زينة الميت. وله امثلة عديدة في لاهون[٦] ودهشور[٧] وغيرها. وليس من شك في ان شكل الاناء الخزفي الأزرق مصري محض، وقد وجدناه غالباً في عهد الامبراطورية الوسطى، في هراجيه[٨]، ورقّة[٩]. وان تكن جبيل قد اعطتنا عدة آنية او تماثيل من هذا الخزف الأزرق، فليس لنا ما يدفع الى الشكّ في اصل الاناء المصري.

الى جنب هذه الآنية المصرية الاصل، يظهر عدد من الآثار مصنوع في بلادنا. من ذلك الخاتم وفصّه اللازوردي. فان اللازورد مادة غريبة عن مصر، ثم ان طريقة تزيينه كتمثيل الضفائر، وابي الهول المجنّح، والأراتب

---

١) راجع H. R. Hall. *Catalogue of Egyptian Scarabs, etc., in the British Museum*, p. XXX-XXXII ; Percy E. Newberry, *Scarabs*, p. 70 et suiv.

٢) De Morgan, *op. cit.*, pl. XXI, 2.

٣) De Morgan, *op. cit.*, p. 74, fig. 21

٤) Engelbach, *Harageh*, pl. XVI

٥) Montet, *Byblos et l'Egypte*, pl. CXXII

٦) Brunton, *Lahun*, I, pl. IX et p. 36

٧) De Morgan, *op. cit.*, pl. XXV

٨) Engelbach, *op. cit.*, pl. XLVI, n° 13

٩) Engelbach, Riqqeh and Memphis, VI, pl. XII, 2

البرية ، كلها رسوم اذا جُمعت ، تظهر خاصة باسلوب النقش السوري - الاناضولي.[1] ومن الجدير بالاهتمام ان نتحقق هذه الطرق الزخرفية على ختم من آثار الدولة الثانية عشرة ، وذلك ان العلماء يميلون عادة الى جعلها في عصر متأخر ، عصر الأختام الراقية الى ما يسميه الدكتور كونتنو بالعهد الثاني.

لقد وجدنا دبابيس تشبه الدبابيس الموصوفة في الارقام ٢٤-٢٧ ، في المستوى الثاني من حفريات راس شمرا . ونرى منها كثيراً عند باعة الآثار القديمة في سورية . ويعرض هؤلاء ايضاً كثيراً من الحلقات تشبه الأساور في الارقام ٤ و٥-٨ ، يقولون انها مكتشفة في سلمية ، قرب حماه . وفي طاليش من بلاد العجم ، يظهر ان الأساور غير المقفلة من الاشكال العادية في المصوغات[2] ، وقد استعملت مصر هذا الشكل في الأقراط خاصة . بيد ان العقد والاساور الموجودة في مجموعتنا ليس لها بالحلي المصرية الا شبه بعيد . وهي اقرب الى السوار الذهبي المكتشف في المدفن الثاني في جبيل[3] ، واقل قرباً الى الحلقات غير المقفلة المكتشفة في اساسات معبد جبيل الراقي الى عهد الدولة الثانية عشرة.

لا اعرف في المصوغات المصرية جميعها قلادة واحدة تشبه الزهرة الموصوفة في الرقم ١٣ ، على كون استعمال هذا النوع من الحلي ليس بالنادر. وقد ذكر السيد مونتيه[4] عدة حالات تكون فيها القلادة المستديرة، على شكل وردة ، ويعلق في عنق الأشخاص او الحيوانات في الصور والرسوم المصرية. وقد استنتج انه كلما ظهرت هذه القلادة المستديرة ، كان لدينا اشخاص او كائنات إلهية غير مصرية ، او هناك شخص مصري لكنه يلبس اللباس الاسيوي. اما قلادتنا الوردية الشكل فيجب ان نقارب بينها وبين القلادة المستديرة السالفة بعنق ابي الهول الاسيوي في نقش من حرم رعمسيس الثالث . وكذلك

١) انظر مثلاً Ward, *The Seal cylinders of Western Asia*, p. 256-322 ; Contenau, *La glyptique syro-hittite*, passim.

٢) De Morgan, *Recherches sur l'Elyche persan*, dans les *Mém. de la délégation en Perse*, t. VIII, p 322.

٣) Montet, *op. cit.* pl. XC

٤) Montet, *op. cit.*, p. 133 et suiv.

تقارب بينه وبين القلادة المستديرة المزدان بها ، في الكرنك ، ابو الهول الذي سلبه من بلاد الشام الفرعون سيتي الأول . وفي مركبة تحوتمس الرابع ، يظهر في عنق كثير من الرؤساء السوريين حرزٌ يشبه بشكله وتقاطيعه قلادتنا الوردية هذه.[1] لكل هذه الاسباب نرجح ان القلادة المذكورة من مصنوعات بلادنا.

ولم تظهر المدافن الملكية المصرية الراقية الى عهد الامبراطورية الوسطى شيئاً من العصائب الذهبية يشبه العصائب المذكورة في الارقام ٢١–٢٤ . واقرب شبيه لهذه تلك العصائب المستخرجة من المدفن الثاني في جبيل.[2] وقد عُرف استعمال مثل العصائب المذكورة في آسية الغربية مما اكتُشف في مدفن أُور الملكي[3]. واذاً فمن الراجح ان تكون هذه العصائب ايضاً من مصنوعات بلادنا.

اما الآنية فللموصوف تحت الرقم ٣٣ اصول بعيدة في بلاد شومر[4] . وقد اكتُشف في جبيل مثيل لذي الرقم ٣٤ الّا انه اكبر حجماً بل هو « دست » تامّ الشكل لا شكّ انه من مصنوعات بلادنا كالآثار الموصوفة سابقاً .

واما سراج البرونز ، ذو الرقم ٦٣ ، فهو كنعاني الشكل . ونلاحظ ان جانبي العنق اقل دخولاً مما في الأسرجة الراقية الى عهد الدولتين الخامسة عشرة والسادسة عشرة.[5] فيمكن اذاً ان نرقى بهذا السراج الى عهد البرونز الثاني . بقي ان نقول كلمة عن الهاونين الموصوفين في الرقمين ٦٦ و٦٧ ، وهما شبيهان بكثير من الهواوين المكتشفة في الحفريات السورية.[6] وقد نميل الى ان نقرن

١) راجع Carter and Newberry, *The tomb of Thoutmosis* IV, pl. X et XI, et p. 29, fig. 5

٢) Montet, *op. cit.*, pl. XCVIII, n°s 644, 645, 646

٣) Woolley, *Ur Excavations*, II, p 299, pl. 139 ; pl. 146, N. 13790.

٤) راجع مثلاً :
Woolley, *Ur Excavations*, pl. 259 ; *Field Museum of Natural History, Anthropology Memoirs*, vol. I, n°s 1-3, passim.

٥) راجع Duncan, *Corpus of Palestinian Pottery*, n°s 91, A 4 et 5.

٦) راجع مثلاً :
Pezard, *Qadesh*, pl. XXXIII, fig. 4 ; Comte du Mesnil du Buisson, *Les ruines d'El-Mishrifé*, dans *Syria*, VIII (1927), p. 26, fig. 64.

بها الحجر الفرانيتي ذا الرقم ٦٥ ، لأن اسفله الأملس يجعله اشبه بمدقة الهاون.

في ختام هذا الدرس يظهر واضحاً ان كنز المجوهرات الذي وصفناه — بما في اجزائه من تناسب وتوافق ، وبطبيعة حلاه ، وبما تظهره في صناعتها من تأثير مصري ومن أثر بلدي بارز — شديد القرابة بما اكتشف في مدافن جبيل الملكية. وهل يكفي هذا للقول بان هذه المجوهرات مستخرجة من جبيل ، من احد المدافن الملكية ؟

بيد ان في قبول هذا المصدر كثيراً من الصعوبة . ذلك ان الكنز وافر القيمة حتى لا يصحّ القول انه اكتُشف قبل الحرب الكبرى او في اثنائها. ولو حصل ذلك ، لما تأخر مكتشفه في بيعه الى ما بعد الحرب ، بسبب ما كان في مدتها من عوز وفاقة . ومن جهة أخرى يصعب الاعتقاد بان كنزاً من هذا النوع يُكتشف بعد السنة ١٩٢٠ — وفيها أوجدت مصلحة الآثار القديمة في بلاد الانتداب — من غير ان يلفت نظر ارباب الشأن . بقي ان نفرض اكتشاف الكنز في منطقة بعيدة منعزلة عن السكان. وهو ما نميل اليه ونرجّحه.

من الخزانة الشرقية — بقلم حبيب زيات

آداب المائدة في الاسلام

قلّ من كتب في آداب المائدة في الاسلام . ومن المخطوطات المفقودة التي نقل لنا اسماءها الورّاقون ، ورواة التراجم والوفيات ، « كتاب ادب الموائد » للقاضي الحسن بن عبد الرحمن بن خلّاد الرامهرمزي .[1] و « كتاب ادب الطعام والشراب » لابي نصر الاصبهاني .[2] و « كتاب الطعام والادام » للامير المختار عز الملك المسبحي .[3] وفي كتب الادب والفقه عدة اشارات وشروح في معناها لو جُمعت لكان فيها سداد من عوز . وقد اختلف نظر الفقهآء والادبآء في رسوم المائدة وشروط المؤاكلة ، وتناقضت احكامهم فيها تناقضاً بيّناً حتى عُدّت طائفة كبيرة من آداب المائدة في الحضارة العباسية بِدَعاً يجب التحرّز منها في نظر اهل السنّة . وقد اجتزأنا ، من بسط آرآء الفقهآء ، على اقوال ابن الحاج العبدري المالكي في كتابه « المدخل » لما فيها من البيان والغنآء والغرابة .

آداب الطعام في السنّة المحمدية

الخوان او المائدة

« اما الخوان فلا ضرورة تدعو اليه لان النبي صلعم كان يأكل على الارض في بعض الاحيان . وفي بعضها يأكل على سفرة » (ج ١ : ص ١٨٨) وقد دفع التنطّع بعض المتمسكين بهذا القول الى اطراح كل ما له اقلّ شبه بالخوان لارتفاعه عن الحضيض ، فكان « اذا جآءته زبديّة لها قعر مرتفع يكسر قعرها . وحينئذٍ يأكل منها ويقول اخاف ان يكون خواناً لعلوها على الارض . » (١٨١)

١) الفهرست لابن النديم .
٢) الوافي بالوفيات للصفدي . خزانة اكسفرد Seld. Arch. a 24 f° 5
٣) المقفى للمقريزي . خزانة ليدن Arab. 1366 b f° 7

غسل الايدي قبل الطعام

« روى اسماعيل بن أويس عن مالك انه دخل على عبد الملك بن صالح (الهاشمي) يسلّم عليه . فجلس ساعة ثم دعا بالطعام ودعا بالوضوء لغسل يده. فقال عبد الملك : ابدأوا بابي عبدالله يغسل . فقال مالك : ان ابا عبدالله لا يغسل يده فاغسل انت يدك فقال له عبد الملك : لِمَ يا ابا عبدالله . فقال له : ليس هو من الاثر الاول الذي ادركت عليه اهل بلدنا . وانما هو من زيّ العجم . وقد بلغني ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يقول : اياكم وزيّ العجم .» (١٨١)

آنية المائدة

« يُتحرّز من هذه البدعة التي أحدثت وهي ان يكون للرجل طعام خاص به . وزبدية خاصة به . وكوز خاص به . ألا ترى حديث عائشة رضي الله عنها . قالت : كنت اشرب من الاناء فيأخذه رسول الله صلعم . فيشرب منه . فيضع فاه في موضع فيّ » (١٧٩)

تقطيع الخبز واللحم بالسكين

« تكسير الخبز بالسكين بدعة مكروهة . وفيه انتهاك لحرمة الخبز . وكذلك لا يعضّ في الخبز حين الاكل ولا ينهشه . بخلاف اللحم . لان السنة المحمدية قد فرقت بينهما . فجعلت العضّ والنهش في اللحم دون الخبز. وبعض الناس يتساهلون في هذه الامور فيقطعون اللحم بالسكين اذا ارادوا اكله ومثله الخبز . ولا ضرورة تدعو الى ذلك » (١٩١)

الاكل بالملاعق

« السنة ان يأكل بيده ولا يدخل اصابعه في فمه ثم يردها الى القصعة . . . وينبغي له ان لا يأكل بهذه الملاعق ولا بغيرها . وذلك لثلاثة اوجه . احدها مخالفة السلف في ذلك . والثاني انه يدخل ذلك في فمه ثم يرده الى الطعام . . . والثالث فيه نوع من الرفاهية » (١٨٥ — ١٨٦)

لعق الاناء بعد الفراغ

« ينبغي له ان يلعق الاناء اذا فرغ الطعام منه لما ذُكر ان القصعة تستغفر للاحسها » (١٨٦)

إخبار الضيوف بالوان الطعام

« ينبغي له ان كانت الضيافة الواناً وقُدّم له بعضها وقد بقي بعضها ان يخبرهم بانه قد بقي عنده من الالوان كذا وكذا حتى لا يكتفوا من الاول. وقد يكون فيهم من لو علم بالطعام الثاني لانتظره ... وكذلك يخبرهم بالحلاوة ان كان ما احضرها مع الطعام . وكذلك الفاكهة والنقل وغير ذلك » (١٩١ — ١٩٣)

الحلو بعد الطعام

« ينبغي له ان لا يخلي اضيافه من شيء حلو وان قلّ . بل هو آكد من الوان الطعام . فلو اطعمهم لوناً واحداً مع شيء حلو بعده كان اولى من عمل الالوان وليس فيها شيء حلو . فان جمعهما فياحبذا ». (١٩١ — ١٩٢)

غسل الايدي وتنشيفها بعد الطعام

« كان عمر بن الخطاب اذا اكل مسح يده بظهر قدميه » (١٨١) « وينبغي له ان ينبه من حضره وغيرهم على ما يفعل اليوم من هذه البدعة بل المحرّم للسرف والخيلاء . وهي ما يفعله بعض الناس من غسل الايدي بماء الورد وتنشيفها بالمناديل والفوط الحرير » . (١٩١ — ١٩٣)

آداب المائدة في الحضارة العباسية

السفرة والخوان

كانت السفرة اكثر ما تكون قوراء اي مدوّرة تبسط على الارض. ويتحلّق القوم حولها . ويقال لها بنيّة — وفي الاصطلاح بنيجة — اذا كانت مسفوفة من الخوص اي من سعف النخل كالاطباق . وربما عملت من النسيج او من النحاس . ثم غلب استعمالها من الاديم لسهولة إزالة الوضر عنه . ولما صار زرياب ، مولى المهدي الخليفة العباسي ، الى الاندلس كان ما اتخذه الناس عنه

« اختياره سُفر الاديم لتقديم الطعام فيها على الموائد الخشبية . اذ الوضر يزول عن الاديم باقل مسحة »[١].

وكان الامراء ووجوه الدولة اذا اطعموا الناس امروا ببسط السفر للعامة ونصب الاخونة للخاصة من بطانتهم. وممن عرف بذلك ابن هبيرة امير العراق. كان اذا صلى العصر توضع السفرة والطعام للعامة . ويوضع له ولاصحابه خوان مرتفع فيأكل معه الوجوه من اصحابه.[٢] ولكن يوسف بن عمر ، امير العراق ايضاً ، كان لجوده وكرمه لا يفرق بين الخاصة والعامة في اسمطته . ويطعم الناس على خمسمائة خوان . اقصاها وادناها سواء يأكل منها الشامي والعراقي . وعلى كل خوان قرنية[٣] عليها السكر . فنفد السكر من قرنية الى قرنية فتكلم أكلتها . فضرب الخباز ثلثمائة سوط والناس يأكلون . فكان الخباز يتخذ الخرائط فيها السكر فكلما نفد زاد[٤].

واكثر ما كانت تصطنع الموائد من الخشب لقرب متناوله ووفرته. ولكن بعض الكبراء والاغنياء كانوا يتأنقون في اختيارها من الرخام والمرمر والجزع[٥]. واتخذها الخلفاء من الفضة والذهب . واشتهر في سماط عيد الفطر في القاهرة « مائدة من فضة يقال لها المدوّرة وعليها اواني الفضيات والذهبيات والصيني »[٦] وانما سميت بالمدوّرة لاستدارتها كما قيل لغيرها « المُطاوَلة » لاستطالتها. وقد ورد ذكر المطاولات مرتين في الجزء الاول والثامن من نشوار المحاضرة للقاضي التنوخي[٧]. ويشبه ان تكون كلمة tavola بالايطالية مأخوذة من هذا الاسم.

---

١) نفح الطيب للمقري ٢ : ١٢٢

٢) وفيات الاعيان لابن خلكان ٢ : ٢٧٠-٢٧١

٣) يريد بالقرنية اداة بمعنى « السكرّية » كانت تصنع من القرن كما يدل عليها اسمها ويوضع فيها السكر على الموائد . وهي من الالفاظ المولّدة التي لم تذكرها المعاجم.

٤) وفيات الاعيان ٢ : ٤٧٨-٤٧٩

٥) مروج الذهب للمسعودي ، بهامش الكامل لابن الاثير ١٠ : ١٣٨

٦) المقفى للمقريزي . مطبعة النيل ٢ : ٢٢٠

٧) الخزانة الشرقية ٢ : ١٦٦

غسل الايدي قبل الطعام وبعده

قال ابن عبد ربّه : « من الادب ان يبدأ صاحب الطعام بغسل يده قبل الطعام ثم يقول لجلسآئه : من شآء منكم فليغسل . فاذا غسل بعد الطعام فليقدّمهم ويتأخر »[1]. وقد مرّ بنا ان بعض الخاصة كانوا ، اذا انتهوا من الاكل، يغسلون ايديهم بمآء الورد وينشفونها بالمناديل الحريرية . وهذا كان رسم مائدة الوزير ابي الحسن علي بن محمد بن الفرات . وقد وصف الصابئ مجلسه بين اصحابه على الطعام اجمل وصف . وشرح فيه كيف كان كتّابه يغسلون ايديهم مرتين . الاولى في الطسوت بعد ان ينتهوا من اكل اصناف الفاكهة التي كانت تقدم لهم قبل الالوان كما تقدم البوارد والمشهيات اليوم . والثانية بعد الفراغ من الاكل « في مجلس في جانب المجلس الذي كانوا فيه » . ومن هذا الوصف يتبين لنا مصطلح القوم في دعواتهم وخدمة موائدهم وما كانوا يتخذونه فيها من آنية واداة ومنديل . قال الصابئ بعد ان ذكر اسمآء تسعة من الكتاب الذين رسم ابن الفرات باستدعآئهم في وزارته الثانية :

« وكانوا يحضرون مجلسه في وقته . ويقعدون من جانبيه وبين يديه . ويُقدَّم الى كل واحد منهم طبق فيه اصناف الفاكهة الموجودة في الوقت من خير شي . ثم يجعل في الوسط طبق كبير يشتمل على جميع الاصناف . وكل طبق فيه سكين يقطع بها صاحبه ما يحتاج الى قطعه من سفرجل وخوخ وكمثرى . ومعه طست زجاج يرمي فيه الثفل . فاذا بلغوا من ذلك حاجتهم واستوفوا كفايتهم شيلت الاطباق وقدمت الطسوت والاباريق . فغسلوا ايديهم واحضرت المائدة منشّاة بديبقي فوق مكبّة خيازر . ومن تحتها سفرة أدَم فاضلة عليها . وحواليها مناديل القَمَر من الثياب المعصور . فاذا وضعت رفعت المكبة والاغشية . واخذ القوم في الاكل . وابو الحسن يحدّثهم ويباسطهم ويؤانسهم . فلا يزال على ذلك والالوان توضع وترفع اكثر من ساعتين . ثم ينهضون الى مجلس في جانب المجلس الذي كانوا فيه ويغسلون ايديهم . والفراشون قيام يصبون المآء عليهم .

١) العقد الفريد ١ : ٢٢٤

والخدم وقوف على ايديهم المناديل الدبيقية . ورطليات[1] مآء الورد لمسح ايديهم وصبّه على وجوههم »[2] .

الحَضَض او رقعة الوان الطعام

قال ابو الفتح كشاجم : « خُبِّرت ان بعض المتقدمين كان يذكر ما يصنع لاخوانه من الطعام في رقعة ويعرض عليهم . فمن استطاب لوناً حبس نفسه عليه »[3] وهذه الرقعة هي المعروفة اليوم باسم menu ولعل اولى ما يطلق عليها في اللغة لفظة الحَضَض على قلة ما فيها من طلاوة وحلاوة . وهي تعني « الوان الطعام » .

واذا كانت عادة كتابة الرقاع في الولائم لم تتجاوز موائد بعض المتقدمين فقد استعاض عنها غيرهم باستدعآء طُهاتهم وسؤالهم امام الاضياف عما عندهم من الالوان ليحبس كل رجل منهم نفسه وشهوته على ما يختار ويؤثر منها . وقد وصف الجاحظ مائدة عبد الاعلى بن عبدالله بن عامر فقال : « يأتيه الطباخ فيمثل بين يديه فيقول : ما عندك . فيقول : عندي لون كذا . وجدي كذا . ودجاجة كذا . . . ليقصر كل رجل عما لا يشتهي حتى يأتيه ما يشتهي »[4] .

المشوش

اذا صحّ ان عمر بن الخطاب كان اذا اكل مسح يده بظهر قدمه كما تقدم من لفظ ابن الحاج، فقد كان امرؤ القيس في الجاهلية اكثر ظرفاً حيث يقول :

غشّ بأعراف الجياد أكفّنا اذا نحن قمنا عن شوآء مضهّب

وهذه المشوش هي التي سماها الصابئ مناديل الغمر اي الذفر . وقد سبق من وصفه انها كانت على مائدة الوزير ابي علي بن الفرات من الدبيقي وهو ثوب كان يعمل في دبيق بمصر .

وكان بعضهم يضعها احياناً على صدره كما يُفعل اليوم اتقآء للوضر . وممن

١) الرطلية آنية كانت تسع رطلاً من مآء الورد او غيره من السوائل . وهي مولّدة .
٢) تاريخ الوزرآء ، ص ٢٤٠
٣) ادب الندم . باريس ١٣٣٠ ، ص ٣٠
٤) البيان والتبيين ١ : ١٢٢ ؛ وكتاب البخلاء ، طبعة ليدن ، ص ١٩٣-١٩٤ ؛ والعقد الفريد ١ : ٢٢٢

وصف بذلك ابن هبيرة امير العراق « كان يدعو بالغداء فيتغدى ويضع منديلاً على صدره ويعظم اللقم »[١].

الملاعق

« كان لاهل همذان خاصة حذق باتخاذ المرايا والملاعق والمجامر والطبول المذهبة التي قد فاقوا بها وباتخاذها جميع اهل الارض »[٢]. ولابن الخيمي المصري الدار المتوفى سنة ١٢٨٦/٦٨٥ ملغزاً في الملعقة :

وعدودة كيدِ المجتدي بكفٍّ على ساعد مسعد
ترى بعضها في فمي كالنا ، وجملتها في يدي كاليد (٣

واهدى البرهان الغزولي النحوي مرة ملاعق للصاحب زين الدين بن زبير وكتب معها الابيات الآتية نزويها على قلة طلاوتها وضعفها وابتذال معناها :

لما بعدتم وكاد اليأس يقضينا من نيلكم ، ودنت منا امانينا
بتنا على سغب الآمال في ظمأ والشوق ينشرنا طوراً ويطوينا
ثم استنبنا تحيات السلام عسى تعود منكم تحيات فتحيينا
وقد بعثنا لكم علوءة قُبَلاً مثل الايادي التي اعيت ايادينا
مستطعمات طعاماً من مطاعمنا وافتكم بلسان الحال يحكينا (٤

وكانت الملاعق تصطنع من الزجاج المجرود ، ومن النحاس ، والفضة ، والذهب . وممن كان يستعمل كثيراً الزجاج المجرود الوزير المهلبي « وكان شديد التقشف عظيم التنطس . . . وكان من ظرفه في فعله ونظافته في مأكله انه كان اذا اراد اكل شيء بملعقة كالارز واللبن وامثاله وقف من جانبه الايمن غلام معه ثلثين ملعقة زجاجاً مجرودًا . وكان يستعمله كثيراً فيأخذ منه ملعقة يأكل بها من ذلك اللون لقمة واحدة . ثم يدفعها الى غلام آخر قام من الجانب الايسر . ثم يأخذ اخرى فيفعل بها فعل الاولى حتى ينال الكفاية . لئلا يعيد الملعقة الى فيه دفعة ثانية »[٥].

١) وفيات الاعيان ٢ : ٢٩٥
٢) كتاب البلدان لابن الفقيه . ليدن ، ص ٢٥٢
٣) فوات الوفيات للكتبي ٢ : ٢٩٥
٤) مطالع البدور في منازل السرور لعلاء الدين الغزولي ٢ : ٤٠-٤١
٥) ارشاد الاريب لياقوت ٥ : ١٥٢-١٥٣

ولما توفي الوزير يعقوب بن كلس ، وزير المعزّ لدين الله ، ودفن بالقبة التي كان بناها « اقام الناس عند قبره شهراً . . . وكانت الموائد تحضر الى قبره كل يوم مدة شهر . يحضر نسآء الخاصة كل يوم ومعهنّ نسآء العامة . فتقوم الجواري باقداح الفضة والبلور وملاعق الفضة . فيسقين النسآء الاشربة والسويق بالسكر»[1].

ووجد في تركة القائد جوهر وزير المعزّ ثلاث آلاف ملعقة من الذهب والفضة .[2]

وليس لدينا اقل اشارة الى ان احداً في الحضارة العباسية استعمل على مائدته ما يقرب من « الشوكة » المعروفة اليوم . وانما كان اللحم ينهش نهشاً طبقاً للسنة .

١) الخطط للمقريزي ، مطبعة النيل ٣ : ١١
٢) تاريخ ابن اياس ١ : ٥١

نهرا ابانا وفرفار بدمشق

طال الخلاف حتى اليوم في تعريف نهرَي « ابانا » و « فرفار » اللذين افتخر بهما نعمان السرياني في سفر الملوك الثاني . وفي كتاب الخطط التاريخية في سورية للعالم الاثري رينه دوسّو ان نهر ابانا هو نهر بردى. ونهر فرفار هو نهر الاعوج.[1] ولكن من اعتبر تشابه اسمَي ابانا وباناس يترجح فوراً لديه انهما لمسمًى واحد. ولا شك ان لفظة باناس هي رومية الاصل (Abanas) تلقّاها العرب عن البيزنطيين واسقطوا الالف الاولى منها تخفيفاً بحيث دخلت في الاوزان العربية مثل ساباط وهي السقيفة بين دارَين تحتها الطريق . ولا يعترض على ذلك ان النهر سُمّي ايضاً بانياس بزيادة ياء . فان هذه التسمية لم ترد الا متأخرة . وقد انكرها صاحب « مراصد الاطلاع » فقال : « الصواب بغير ياء في النهر . وهو بالياء اسم لقرية او بلدة قرب دمشق تحت الجبل في غربي دمشق يرى عليه الثلج ».[2] ويظهر ان النهر لم يغلب عليه اسم بانياس الا حوالي القرن التاسع للهجرة . وغاية ما وقفنا عليه في الشعر بيت واحد للشيخ شعبان الآثاري وفيه تورية الى انهار دمشق :

شوقي يزيد وقلب الصب ما بردا وبانَياس من المشوق حين بدا (٣

واما قبل ذلك فلم يُنقل الا اسم باناس وحده في النثر والنظم . قال ياقوت في كلامه على نهر بردى :

«واما باناس فانه يدخل الى وسط مدينة دمشق فيكون منه بعض مياه قَنواتها وتساطلها . وينفصل باقيه فيسقي زروعها من جهة الباب الصغير والشرقي »[4] .

وقال شهاب الدين العمري في وصف انهار مسقط رأسه :

« فاما القنوات وباناس فهما نهرا المدينة . حاكمان عليهما ومسلطان على ديارها . يدخل باناس القلعة بها ثم ينقسم قسمين. قسم للجامع . وقسم للقلعة.

١) R. Dusseau, *Topographie de la Syrie Historique*, p p 313 et 288

٢) مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع ١ : ١٢٢

٣) نزهة الانام في محاسن الشام للبدري ، ص ٩٤

٤) معجم البلدان ، طبعة اروبة ، ١ : ٥٥٧

ثم ينقسم كل قسم منها على تقاسيم تتفرق على اصابع في المدينة .باصابع مقسومة وحقوق معلومة . . . ثم تتجمع وتتنهّر وتخرج الى ظاهر المدينة لسقي الفيطان » .[1]

واكثر ما جاء باناس في الشعر . ولا بأس ان نتوسع قليلاً في الاستشهاد عليه . قال العماد الكاتب الاصبهاني مشيرًا الى الانهار الاربعة :

الى ناس باناس لي صبوة لها داعٍ وذكرى مثير
يزيد اشتياقي وينسو كما يزيد يزيدٌ وثورا يثور
ومن بردى برد قلبي المشو ق، فها انا من حرّه مستجير [2]

واقتدى به الامير سيف الدين علي بن قزل المشدّ فقال في مدح دمشق :

واضارها اربع كلها تسيل لُجيناً وتجري ذهب
يزيد جا الماء من طيبه وحسبك ثورا ببنت العنب
ترى بردا علّا حارياً وباناسها لبناً يُحتلب

ولشهاب الدين التلعفري :

فاقت دمشق على البلاد فقد سمت عن شعب بوّان وعن قُطربُل
فليهنها باناس اعذب مورد من ماء دجلة والفرات السلسل

وله ايضاً : وراق مآوك، ياثورا، ولابرحت تميل فوقك بالاطيار افنان
ودام رفدك ، يا باناس ، متصلاً حتى يُرى كل ظام وهو ريّان

وله كذلك : ولا تعدّاك ، يا باناس ، منهمر جمي على القصر والميدان والشرف

ولتاج الملوك بوري بن ايوب :

ويباناس زاد وجدي فقلبي مستهام اليه ولهان ظامي

ولابن عُنَين الدمشقي :

ويا حبذا الوادي اذا ما تدفقت جداول باناس اليه تسيل

ولابن الظهير الحنفي الاربلي :

ايا ليت شعري هل يلوح لمقلتي سنير ، وظني باللقاء محقق
وهل بارد من ماء باناس بارد لظى كبد حرّى لها الشوق محرق

ولتاج الدين الصرخدي :

اقرَ السلام على الوادي وسرحته وحيّ باناسها عني فتحييني

ولمحاسن الشرا الحلبي :

---

١) مسالك الابصار . خزانة باريس ٢٣٢٥
٢) معجم البلدان ، طبعة اروبة ، ١ : ٥٥٧

يا رياضاً ما بين ثورا وبا ناسَ تردت على الشقائق حمرا

ولقلجق الحمصي :

ثاوٍ يثور له الى ثورا جوًى ويزيد منه الى يزيد حنين
بالناس لا باناس امسى قصده ومراده القُطّان لا قيطون

وهذه المدائح كلها من القرن السادس الى القرن الثامن للهجرة . ومنها يُدرك السبب الذي حدا نعمان السرياني الى ايثار مياه مدينته. وكفى بها دليلًا لاثبات ان باناس الكتاب والشعراء هو اباناس التوراة . فلا يبقى من ثم الا اطلاق اسم فرفار على نهر بردى وهما النهران اللذان كانا يتساوقان لريّ دمشق. ومن معاني الفرفار حتى في اللغة العربية « الطيّاش . والمكثار . والذي يكسر كل شيء . » فلعل بردى لُقّب به قديماً في ايام الاراميين لتدفق مياهه وثورانها واجترافها كل ما يحول دون مجراها .

وروى ياقوت ان بردى كان يقال له ايضاً بَرَدَيا ولم يؤيده بشاهد واحد . ولا يبعد ان يكون من تحريف النساخ . وقد اتفق له غير مرة ان يُخدع بسوء نقلهم كرواية دير بَرَّنى بالباء الموحدة بدلًا من يُرَّنى بالياء المثناة . وتلبين بالتاء بدلًا من تُلبين بالقاف اسم قرية بدمشق. ودير أيّا بفتح اوله والياء المثناة وهو دير لم نسمع به ولم يرد فيه قول لاحد ويشبه ان يكون تحريف داريّا من امهات قرى دمشق .

وكان البيزنطيون يسمون بردى Chrysorrhoas اي نهر الذهب. ودعاه اسطفان البيزنطي منذ القرن الخامس للميلاد بَرْدينس Bardinés ولا شك ان اللفظ العربي مأخوذ منه . واياه عنى حسّان بن ثابت بقوله في مدح آل جفنة :

يسقون من ورد البريص عليهم بردى يُصفَّق بالرحيق السلسل

واول من ارتأى ، فيما نعلم ، ان اباناً التوراة هو نهر باناس الآباء الصوديّون في « دليل فلسطين ».[1] وتابعهم الاستاذ المستشرق جان سوفاجه في مقالته :

٢) Jean Sauvaget. *Esquisse d'une histoire de la ville de Damas.*

١) *La Palestine. Guide historique et pratique*, 2e édition. Paris, 1912, p. 546.

وتعريبها في المشرق *Revue des Études Islamiques*, 1934, cahier IV, p. 432. ٣٦ [١٩٣٦] ١٦١–٢٠٨

دير مار جرجس في بلودان

من ضواحي دمشق

لا ذكر لهذا الدير في كتب الديارات . وقد اغفل ياقوت تعريف بلودان نفسها بين قرى دمشق . ولا شكّ ان بعدها عن الطريق السابلة ، وتوقّلها في قنة الجبل ، وصعوبة المصير اليها قديماً كان من اهم العقبات التي حالت بين الدير وزوّار المسلمين من عشّاق الخمور النصرانية . ولذلك لم يتغنَّ بذكره مُجّان الشعرآء من حُرّفآء الحانات . واوحد من نوّه به ممن تكلم على الديارات شهاب الدين العمري ، وهو دمشقي المولد ، فلم يكن يفوته موقع الدير وإشرافه على جنة الزبداني . وقد وصفه بقوله :

« بنآؤه قديم . بديع الحسن . وافر الظلة . كثير الكروم والفواكه . والمآء الجاري . بقرية بلوذان وهي محاذية لكفر عامر . تطلّ من مشترفها على جنة الزبداني ببلاد دمشق . وبه رهبان نظاف . وغلمان من ابنآء النصارى ظراف .

مررت به ونزلت اليه . ورأيت به غلاماً يفوق الظبي حسنا . ويشبه البدر او أسنى . بخصر نحيل . وطرف كحيل . قد قطع الزنار بين خصره وردفه . ونفث السحر بين جفنه وطرفه . ثم ما كان باعجل ما استتر بدره . ولاح ثم خفي فجره . فقلت فيه :

حبذا الدير من بلوذان دارا ... ايّ دير به وايّ نصارى
فيهم كل احور الطرف احوى ... فائق الحسن في حيآء المذارى
وغلام رأيته كهلال ... ما بدا للعيون حتى توارى
بتوام اذا تغايل نشوا ... نًا فالحاظ مقلتيه سكارى
ناحل الخصر حلّ عقد اصطباري ... عندما شدّ خصره الزنارا
قبل رؤياه ما رأيت غزالا ... بات يسبي من مرشفيه العقارا (١)

---

١) مسالك الأبصار ، مصر ، ١ : ٢٥٨

وهذا دأب الشعرآء في الاسلام لا يخفلون من كلّ ما يمرّ بهم في الديارات التي يطرقونها او يضيفون فيها الّا بالتغزل بولدانها وحورها . او بإطرآء طيب خمورها . فلا يكاد يظفر التاريخ بشيء يُؤثَر من اقوالهم فيها .

ومعلوم ان العمري توفي سنة ٧٤٩ للهجرة (١٣٤٨ م) وقد شهد ان الدير كان يُعَدّ في زمانــه « قديم البنآء » . ولكن هيهات ان يُعرف متى كان إنشاؤه . وهو من اديار الملكيين . وقد غابت عنا اخبار رؤسآئه ورهبانه . وغاية ما عثرنا عليه منها ان رئيسه في سنة ١٥٩٦ كان الحاج داود . دون اشارة الى نسبته وأُسرتــه . وكان لقب الحاج يُطلق على كل من زار بيت المقدس من رجــال الدنيا والدين . ومن جملة رهبانه وقتئذٍ القس شحاده . والقس ميخايل . والشماس موسى . ولا يُدرى اي الناس هم . ورد ذكرهم جميعاً في حــاشية مرّت بنا في ظهر الورقة ١٥٩ من انجيل سرياني ملكي رقم ٢٠ في خزانة الڤاتيكان . كتب سنة ١٥٢٧ للاسكندر اي ١٢١٦ للميلاد . وهذا نص الحاشية بالفاظها :

« رمم هذا الانجيل واصلحه الولد الحقير يحنا ابن القس مدلج من قرية بطرام من كورة طرابلس المحروسة . الاله الرؤوف والرب الرحيم يغفر له خطاياه وخطايا والديه . وخطايا القس شحادة . واخوه القس ميخايل . وخطايا الشماس موسى الذين اهتموا في عمله بشفاعة سيدة ام النور . وجميع القديسين آمين آمين .

وكان ذلك في سنة سبعة الف وماية واربعة لكون العالم . وعمله في دير مار جرجس بلودان . الله يعمره طول الازمان . ويغفر خطايا الحاج داود ريس الرهبان . . . »

وفي خزانــة اكسفرد مخطوط تريودي سرياني ملكي رقم ٨٤ ، كُتبت عليه الوقفية الآتية :

« هذا التريودي المبارك وقف مؤبد . وحبس مخلد على دير القديس مار جرجس بقرية بلوذان . »

ولا تاريخ لهذه الوقفية .

وفي هذين التعليقين شاهد صريح بان لغة دير مار جرجس في بلودان التي كان يُصلّى بها الطقس الملكي كانت السريانية كما في صيدنايا وسائر اديار الملكيين في القرى والجبال .

وكان في دير بلودان خزانة مخطوطات قديمة كانت باقية حتى اواخر القرن السابع عشر ، وهو ما يُستفاد من قول البطريرك مكاريوس الزعيم الحلبي :

« حصل لي خبر سمعان العامودي العجايبي . في كتاب رميم جدًا من كتب مار جرجس بمحروسة بلودان . وكان آخره ناقص . » (١

ونقل مثل ذلك ابنه الشماس بولس في كتابه المخطوط تاريخ انطاكية فقال :

« لما جمع والدي لما كان مطرانًا بمدينة حلب كتاب الدولاب اي اخبار جميع القديسين واكثرهم بخط يدي . واوقفهم على الفلاية المطرنية . كان في اين ما سمع في كتاب قديم في اي بلد كان او دير . يرسل يستحضره وبعد نساخته يرممه ويشيده ويرسله لمكانه . ومن جملة ذلك جاب كتاب قديم جدًا من دير القديس مار جرجس المشهور بقرية بلودان بقربة مدينة دمشق الشام . فيه خبر هذا القديس الشريف (سمعان العجايبي) لا غير . الا انه ناقص منه بعض اوراق . ومن آخره جانب كثير . وبالجهد حتى احييناه واظهرناه للوجود بكل تعب ونصب . ولم توجد له في بلاد العربية نسخة ثانية لتكملها . »

ولا يعلم متى بدأ خراب هذا الدير في القرن الثامن عشر . وكانت بعض جدرانه وابوابه لا تزال ماثلة في بدء القرن العشرين . وفيه مذبح متهدم تقام فيه الصلاة احيانًا . ولا يزال قوم في بلودان يذكرون ابوابه السبعة متتابعة متصلة حتى مدخل الكنيسة . وكل منها قائم من ثلاثة احجار فقط ضخمة . وجميعها بغير سقف . وهي قصيرة قليلة الارتفاع . وقد سلم منها الباب الاكبر . وترى اليوم في العرصة امام الكنيسة عدة آثار وبقايا عُمُد ومعاصر للدبس والخمر واجران وانقاض شتى ملقاة على الارض . وكان للدير املاك واوقاف جليلة وبساتين لا تزال تُعرف الى اليوم ببساتين الدير . استولى عليها اهل بلودان وتقاسمتها الاطماع . وتجزأت وتفرقت بالبيوع . وقد اشار اليها العمري بقوله « الدير وافر الغلة . كثير الكروم والفواكه » .

وفي عهد الجنرال غورو ، ادعى مسلمو بلودان ان الدير كان معبدًا للشمس وحاولوا وضع ايديهم عليه ، ومنعوا النصارى من الصلاة فيه . فامر للحال بكفّ اطماعهم عنه ، وان لا يُعترض الروم في صلواتهم فيه . فتبرع المرحوم

١) كتاب النحلة ، رقم ١٦١ من مكتبة الآباء اليسوعيين في بيروت ، ص ٩٨

روفان مرقص الدمشقي بخمسمائة ليرة ذهباً لتجديد بناء الكنيسة واقتدى به بعض مواطنيه واعانهم قوم من المهاجرين في اميركة فبلغ المجموع ١١٩٧ جنيهاً انكليزياً . وبوشر بالعمارة سنة ١٩٢٣ وانتهي منها سنة ١٩٢٤ وهذا نص الكتابة المنقوشة في لوح على يسار مدخل الكنيسة :

« تجدد بناء هذه الكنيسة المقدسة للقديس جاورجيوس للروم الارثوذكس سنة ١٩٢٤ باحسان النيور روفان يوسف مرقص الدمشقي. وحسنين آخرين مقيدة اسماؤهم في اللوحة الثانية . شقيقة هذه اللوحة والقائمة بجانبها . وجمعة واشراف اللجنة المؤلفة من حضرات نعمان بك ابو شعر رئيساً . وعضوية الافندية سرحان شحفة. وخليل الخوري . وجورج لاذقاني. سنة ١٩٢٤ »

وللكنيسة صحن واحد . وامام الهيكل حاجز من الخشب . ولما زرناها بتاريخ ٤ تموز (يوليو) سنة ١٩٣٦ كانت ابوابها مقفلة للخلاف الذي كان قائماً بين الخوري سيريدون بيطار واهل بلودان.

دُراقِن دمشق

قال ابن دريد : « عرب الشام يسمون الخوخ الدراقن . وهو معرب سرياني او رومي ».[1] قلنا هو معرب عن الرومية δωράκινον والعامة تشدد الراء . وفي القاموس « الدراقن المشمش والخوخ . شامية . » واستدرك عليه صاحب محيط المحيط هذا التعريف وزعم ان الدراقن شجر آخر غيرهما . ويقال له الدرّاق ايضاً . وفاته انه هو الخوخ في مصطلح اهل الشام كما سبق من شهادة ابن دريد . ولذلك اضاف الفيروزبادي ان اللفظة شامية . وقد روى البدري ان الدراقن في زمانه كان يُسمَّى في القاهرة خوخاً .[2] والذي يتضح لنا ان الفيروزبادي لم يخطئ بقوله ان الدراقن هو المشمش والخوخ . وكأنه يعني ما كان منها مُطَعَّماً من الآخر . وهو الذي يقال له بالفرنسية abricot-pêche = alberge وهو كثير في اسبانية ويقال له عندهم melocoton ولا بد انه كان من هذا التطعيم اشجار بالشام قبل انتقال من انتقل من اهلها الى الاندلس . ولذلك أُطلقَ عليها اسم الدراقن وهو الاصل .

وكانت اصناف الدراقن ستة عشر عدّها البدري كما يأتي : خواجكي (وهي نسبة فارسية بالكاف والياء الى خواجا) . رصاصي . حمصي . نيرباني (نسبة الى قرية النيرب قديماً) لوزي . لزيق (ولعله سمّي كذلك للصوقه بالنواة) لقيس . كلابي . صالحي (من صالحية دمشق) غتمي (وفي المطبوع ختمي بالخاء غلطاً) مظفّري . مسافري . صوري . زهري . لحم الجمل . مجهول .[3]

وفي تذكرة صلاح الدين الصفدي خلاف في بعض هذه الاسماء الستة عشر . وهي عنده : نيرباني . زهري احمر . زهري اصفر . زهري سالمي . زهري

١) المعرّب للجواليقي . طبعة اروبة ، ص ٦٤

٢) محاسن الشام ، ص ٢٠٦

٣) « « ، « ٢٠٧

رصاصي . مسكي . لوزي كبار . لوزي صغار . صوري . لزيق : لحم الجمل . كلابي . مظفري . مسافري . لقيس . خواجكي[1] .

ولا ندري اي هذه الاصناف انتقل الى فرنسة في عهد الصليبيين . ويقال له فيها : La Tullins, ou de Syrie (dans le Dauphiné)[2] .

وقد انقرض من دمشق اكثر هذه الاصناف . واقدمها عهداً الزهري وهو الذها طعماً واطيبها نكهة . وفيه يقول برهان الدين القيراطي :

حللنا بستان به الدوح واقف وجدول صافي الماء من تحته يجري
كأن النجوم الزُهر زهريّ خوخه ولم ارَ مثلي شبّه الزُهر بالزَهر

وفي زهره يقول محيي الدين بن قرناص الحموي :

مررت باشجار الدراقن سحرة وقد رنّحت اعطافه نسمة الفجر
فشبهته لما رأيت احمراره عيون مخامير افاقت من السكر (٣

وكان الدراقن في جملة بواكير الفواكه التي تحمل من دمشق الى الديار المصرية وتُتحف بها الملوك والسلاطين . وقد وقفنا في مجموع كتابات ديوانية على جواب هدية دراقن بعث بها احد نواب دمشق الى الابواب الشريفة بمصر . وهو غفل من التاريخ والعنوان . وهذا نص الكتاب بعد تسديد ما تصحف منه بجهل الناسخ :

« لا زال يهدي من الطُرف ما رقّ وراق . ويخص من الطيب الثار ما اقتطفته ايدي الاحباب من مائس الغصون واتزه الاوراق . اصدرناها تهدي سلاماً طاب نشرا . وثناء فاح عطرا . ونبدي لعلمه الكريم ان مكاتبته وردت الينا وفهمنا ما تضمنته من تجهيزه الدراقن من باكورة دمشق المحروسة . التي اصبحت ربوعها بجميل ملاحظته مأنوسة . فلله در المقرّ كونه اهدى من التحف اطرفها . وجهّز من النفائس الطفها . كل حبة منها قد راق جناها . وحسن بجناها . ولطف مرتشفها في شفاه السقيم . وكأنها سقيت بماء التسنيم . تختال في برودها الزمردية . وتتجلى بالثياب السندسية . ماء الحياة مصون بين عُجمها وثوبها . فلحلاوة مذاقها تفترّ عن شنب عُجمها . فيا لها من زائرة هي للعيون قرّة . والنفوس على ترقبها لها ابداً مستمرّة . لكونها لا تزور في كل عام الّا مرة . وقد وصلت هذه التحفة وهي في غاية الملاحة . سالمة من كل عيب كأنما حملت على كفوف الراحة . واما

١) فصول منقولة من التذكرة للصفدي في مجلد من ثمرات الاوراق لابن حجة الحموي

٢) Ch. Ballet. *Cuisine Fruitière*. Paris 1908 P.237

٣) محاسن الشام ، ص ٢٧

القاصد فكأنما طار بها على اجنحة من الدواب . فاكرمناه وعجبنا من سرعة سيره غاية الاعجاب. ووقع ما اهداه المقرّ من ذلك بموقع القبول الذي لا ينكر . وسرّ خاطرنا الشريف بوصول هذه التحفة واستبشر. والمقرّ بحمد الله ما زال يعمل بقول النبي عليه افضل الصلاة والسلام . فعادوا تتحابّوا ولا اعتراض على من اورد هذا الحديث ولا ملام . ونحن كما يعلم الله حبنا للمقر الكريم دائماً لا يعتريه غِيَر . ولا يشوب صفو ودنا كدر . فانه القريب وان بعد عن البيان . والمكين بالخصوصية وعين الاعيان . فانه تابع لملكنا الشريف طرازاً مرقوما . وعنواناً في المحبة واضحاً معلوما . احياه الله لامثال هذا العام . ومتّعه بطيب العيش على مر الايام . ليجتني ثمار السرور يانعة . ويتحف منها بكل شهية انوار روضاتها ساطعة . وقد اعدنا قاصده بعد ان احسنّا اليه . وأفضنا خلَل انعامنا الشريفة عليه » (١ .

ولعل اكثر ما كان يحمل الدراقن الى مصر من قرية الزبداني لقول البدري فيها « وفاكهتها هي المنقولة الى القاهرة المحروسة وغيرهـا » . (٢ وكان ينادى عليه قديماً « مُشقِر وناعم » لاكتساء قشرته بالخملة والزغب . وقد اشار الى ذلك الشيخ ابرهيم المعمار بقوله في التشبيه :

فكان كالخوخ اذ يُنادَى عليه ذا مشمر وناعم (٣

١) خزانة باريس ؛ رقم ٤٤٤٠ ، ص ٥٥-٥٦

٢) محاسن الشام ، ص ١١٨

٣) خزانة الادب لابن حجة الحموي ، ص ٣٢٠

دير قُنّى [1]

موطن الوزراء والكتاب، ومعقل المسيحية في العراق

بقلم ميخائيل عوّاد (بغداد)

قضت يد الزمان العاتية أنْ تندثر مئات المواقع العراقية ويغشاها ظلام حالك، حتى صرنا نتلمّس اخبارها، واصبحنا لا نصل الى نتيجة مرضية عنها الا ببذل الجهود الكثيرة والمراجعات المختلفة، ولا يخفى ما يحفّ هذه التتبعات التاريخية من شتّى المصاعب، لأنّ أغلب المصادر القديمة وعرة الاسلوب، ملتوية المسلك، مضطربة التفكير. وهذا ما لمسناه عند اشتغالنا في كتاب «تاريخ المدائن»، وهي من أمهات المدن العراقية التي لعبتْ أدوارًا خطيرة في عهود مختلفة من تاريخ العراق. وقد رأينا أنْ نتقدّم الى القرّاء اليوم احد فصوله، وهو في دَيْر قُنّى، من أشهر ديارات المدائن.

١ ــ الاختلاف في تسمية هذا الدير

تضاربتْ آراء الكتبة والمؤرخين في ضبط اسم هذا الدير، فأدّى ذلك الى إطلاق تسميات عديدة له، تقترب أحيانًا من بعضها، وتبتعد أخرى. ولنأتِ على أهم ما جاء بشأن هذه التسميات:

قال ياقوت الحموي في معجم البلدان: «دير قُنّى ــ بضم أوله وتشديد ثانيه مقصور»[1]، وكذا يُقال «قُنّا» والنسبة اليه قُنّاني أو قُنّاتي[2]. وورد باسم دور قُنّى والنسبة اليه قُنّاني أو الدورقُنّي[3].

---

١) ياقوت: معجم البلدان (طبعة ليبسك) ٣: ٨٧.

٢) ياقوت: معجم البلدان ٤: ١٧٨؛ عريب بن سعد القرطبي: صلة تاريخ الطبري (طبعة ليدن) ص ٩٦

٣) انظر ماري بن سليمان: أخبار فطاركة كرسي المشرق (طبعة رومة) ص ٤ و٢١؛ عمرو بن متّى: أخبار فطاركة كرسي المشرق (طبعة رومة) ص ٨٦؛ هلال الصابئ: تحفة

وذكر السيوطي أنّ القُنّاني منسوب الى قُنا[1]. وقد أخطأ البكري بقوله أنّ « دير قُنّه — بضم القاف وتشديد النون — بفارس »[2]، حيث من الواضح أنّ دير قُنّى واقعٌ في العراق وليس في فارس.

وورد ذكره في شهداء المشرق باسم دير قوني[3]، وفي ذخيرة الأذهان تارة باسم دير قُنّي، وتارةً دور قُنّي واخرى دير قوني[4]. وقد تطرّق السمعاني في « المكتبة الشرقية » الى هذا الاختلاف في التسمية حيث قال: « دير قوني وعند العرب دير قُنّى أو دور قُنّى »[5]

وذكره ياقوت في المشترك بقوله: « بضم القاف وتشديد النون، قُنٌّ والنسبة اليه القُنّي »[6]

ولم نقفْ في أنساب السمعاني على ما ينير السبيل في هذه التسمية، فقد قال: « القُنّي بضم القاف وفي آخرها النون المشددة المكسورة وهذه النسبة الى قُنّه »[7]. فهل قُنّه هذه هي قُنّى التي عليها مدار بحثنا ؟ أم هي نسبة الى احدى المواقع العديدة التي ذكرها ياقوت في مادة قُنّة من معجمه والتي هي متفرقة في انحاء جزيرة العرب ؟ وذكر السمعاني في محل آخر من كتابه: « القُنّاي — بضم القاف وتشديد النون المفتوحة في آخرها الياء المنقوطة من تحتها باثنين — هذه النسبة الى . . . . . »[8]، ويلاحظ أنّ الكلمة المطلوبة ناقصة في الأصل.

الامراء في تاريخ الوزراء (طبعة امدروز) ص ٣٨١ ؛ القس بطرس نصري : ذخيرة الأذهان في تواريخ المشارقة والمغاربة السريان ٢ : ١٠٠

١) السيوطي : لبّ اللباب في تحرير الأنساب (طبعة ليدن) ص ١٨٨ و٢١٣ . وقد ذكرها كلّ من مسكويه في تجارب الامم (طبعة امدروز) ٣ : ٢٦٠ ؛ والتنوخي في نشوار المحاضرة ٨ : ٢٠

٢) البكري : معجم ما استعجم (طبعة غوتنجن) ص ٣٨١

٣) أدي شير : سيرة أشهر شهداء المشرق ١ : ٢٤

٤) ذخيرة الأذهان ١ : ٤٠ ، ١٠٧ ، ٤٣١

٥) السمعاني : المكتبة الشرقية ، القسم الثاني من المجلد الثالث ، ص ٧٤١

٦) ياقوت الحموي : المشترك وضعاً والمفترق صقعاً (طبعة وستنفلد) ص ٣٦١

٧) السمعاني : الأنساب (طبعة مرجليوت) ورقة ٤٦٢

٨) السمعاني : الأنساب (ورقة ٤٦٣)

يرى القارئ أنه أُستُعملتْ لهذا الدير بضع تسميات نحصرها فيما يلي: (دير قُنّى، دير قُنّه، دير قُنّا، دور قُنّي، دير قوني). وعندنا أنّ التسميات الأربع الاولى تُطلق عليه في المصادر العربية، والخامسة في المصادر الارمية.

٢ ــ تأسيس الدير

تروي سِيَرُ القديسين أحاديث شتى بشأن مار ماري وتأسيسه ديرًا في موقع دير قُنّى، خلاصتها أنّ امرأة نبيلة كانت تُدعى قوني (لعلّها شقيقة أحد الملوك الفرثيين)، كانت مصابة بالبرص، فشفاها ماري باعجوبة، فقابلته بالإحسان بأنْ وهبته كثيرًا من ضياعها وأراضيها، أمّا هو فاكتفى من ذلك جميعاً ببيت النار المجوسي، حيث شَيَّدَ محلّه ديرًا هو دير قُنّى.

وقد رأينا أنّ مثل هــذه الروايات لا يمكن أن تقوى أمام التصحيحات التاريخية، فاكتفينا بالاشارة اليها دون التوغّل في تفاصيلها وجزئياتها[1].

ولمّا ماتَ ماري، دُفِنَ في هذا الدير، ومن ثَمَّ أصبح مدفناً لكثير من جثالقة المشرق.

٣ ــ موقع الدير

يقعُ دير قُنّى على «ستة عشر فرسخاً من بغداد منحدرًا بين النعمانية، وهو في الجانب الشرقي معدود في أعمال النهروان، وبينه وبين دجلة ميل، وعلى دجلة مقابله مدينة صغيرة يُقال لها الصافية وقد خربتْ . . . وبالقرب منه دير العاقول. . . والمنحدر في دجلة يرى نوره من بُعد. . .»[2].

وقد أخطأ ابن فضل الله العمري في كتابه مسالك الأبصار عندما ذكر موقعه

---

١) تفاصيل هذه القصة في شهداء المشرق لادي شير ١: ٣٤-٣٦؛ وسير الشهداء والقديسين [بالكلدانية] (طبعة بيجان) ١: ٨١-٨٦؛ ماري بن سليمان، ص ٤؛ ذخيرة الأذهان ١: ٤٠

٢) معجم البلدان ٢: ٦٨٧، نقلًا عن الشابشتي.

حيث قال: « دير قُنّى وهو ببغداد والمدائن أسفل منها باثني عشر فرسخاً . . . راكبٌ على دجلة ».[1]

والصواب فيما ذكره الشابشتي (ورقة ١١٦ من كتاب الديارات) فقد قال: « انه على ستة عشر فرسخاً من بغداد منحدراً في الجانب الشرقي ، بينه وبين دجلة ميل ونصف ، وبينه وبين دير العاقول بريد »[2].

كما أنّ السيّد أدي شير في كتابه « كلدو واثور » قد وَهِمَ في تعيين موقع الدير وبُعْدِه عن بغداد ، قال انّه « فوق بغداد على ثمانية كيلومترات منها في الجانب الأيسر من دجلة على كيلومترين منه[3] ».

والحال انّ هذا الدير تحت بغداد على تسعين كيلومتراً[4].

وجاء في المكتبة الشرقية « أنّ دير قوني محلٌ عند كوخي في القرية التي يسمّونها بادرايا ».[5]

وفي هذا القول تساهل كبير ، فانّ دير قوني ليس في قرية بادرايا ولا بقرب منها.

ويعطينا ابن سرابيون كشفاً بالمواقع التي يمرّ بها السائح في طريقه النهري بعد انحداره من بغداد ، بقوله : « واذا ما تتبعنا مجرى دجلة فالمنحدر يمرّ الى السيب ودير العاقول والصافية ودير قُنّى وهمانية وجرجراي والنعمانية »[6].

وقال القزويني في كتاب آثار البلاد أنّ « بنارق قرية بين بغداد والنعمانية ، مقابل دير قُنّى ، على دجلة ، وهي الآن خراب »[7].

---

١) مسالك الأبصار (طبعة أحمد زكي باشا) ١ : ٢٥٦

٢) راجع مقالة رائعة للاستاذ حبيب زيّات في نقد « كتاب الديارات » الوارد في الجزء الاول من مسالك الابصار لابن فضل الله العمري (لغة العرب ٦ [١٩٢٨] ص ٢٢٣-٢٤٢ ، المراجعة ص ٢٢٥). ٣) تاريخ كلدو واثور لأدي شير : مقدّمة الجزء الثاني ، ص ١١

٤) راجع بحث الاستاذ يعقوب نعوم سركيس بعنوان « مدينة بيث ربا » (النجم ١٠ [١٩٣٨] ص ٤٩-٥٢ ، المراجعة في حاشية ص ٥٢ ، وفيها تصحيح لما توهمه أدي شير .

٥) السمعاني : المكتبة الشرقية : القسم الثاني من المجلد الثالث ، ص ٧٤١

٦) ابن سرابيون : وصف ما بين النهرين وبغداد (طبعة لاسترنج) ص ٦

٧) القزويني : آثار البلاد وأخبار العباد (طبعة وستنفلد) ص ١٠٦

ويشاهد اليوم على ضفة دجلة اليسرى ، في شمال العزيزية ، أطلال تُعرف بين الأهالي هناك باسم « الدير » وهي ثلاثة تلول كبيرة ؛ الشمالي منها : الدير الاعلى ، والوسطي منها : الدير الاوسط ، والجنوبي : الدير الأدنى . ولعلّها بقايا دير الماقول ودير قُنّى[1] .

وخلاصة القول أنّ دير قُنّى يقع في الجانب الشرقي من دجلة ، جنوبي بغداد على نحو تسعين كيلومترًا منها ، ويبعد عن ضفة دجلة الحالية نحو كيلومترين ، نظرًا لتحوّل مجرى النهر على تمادي السنين . وبالطبع فقد كان عند تأسيسه أقرب الى النهر مما هو الآن ، وفقاً لما جاء في « شهداء المشرق » من « انّ المماريين قاسوا مشقّات كثيرة لكثرة رطوبة المكان لأنّه كان قريباً من ضفة النهر[2] » ، وكثيرًا ما كان يفرش الرهبان الحصر والثياب من الشط الى الدير عندما ينزل الجاثليق من الشبّارة لاداء الزيارة المفروضة لقبر مار ماري في الدير[3] .

٤ ــ مشتملات الدير

آ ــ كنيسة الدير

أشرنا قبيل هذا الى أنّ مار ماري كان قد وقع اختياره على بيت النار المجوسي ليقيم محلّه ديرًا وبضمنه كنيسة . وتفيدنا المراجع التاريخية[4] أنه عند وفاته كان قد دُفن عن يمين المذبح ، بالبيعة الكبرى بدور قُنّى .

ويؤخذ من فقرات عديدة وردت في كتاب المجدل أن من المراسيم المتبعة عند تبوء الجاثليق لكرسيّه في العراق ، أن ينحدر وفقاً للترتيبات البيعية المقتضاة لزيارة ضريح مار ماري الذي هو في كنيسة دير قُنّى .

واذا تتبعنا حوادث السنين نجد أنه أصابت الدير هجمات متعددة أتلفت

---

١) طه باشا الهاشمي : مفصّل جغرافية العراق (طبعة سنة ١٩٣٠) ص ٥٢٩

٢) شهداء المشرق ١ : ٣٤ . وقد أشار المسعودي الى تحوّل ماء دجلة هناك انظر : التنبيه والاشراف (طبعة ليدن) ص ٥٤

٣) ماري ، ص ١٥٥ ؛ وذخيرة الاذهان ١ : ٤٩١

٤) شهداء المشرق ١ : ٣٥ ، ٤٠ ؛ وذخيرة الاذهان ١ : ٤٠

قسما منه. وقد وقفنا على أن سبريشوع الجداوني[1]، اسقف كاشغر، كان قد جَدَّدَ بناء الهيكل على أثر إحدى النكبات التي لحقت به. ثمّ تلاه الجاثليق ايليا الثالث المكنى بأبي حليم، فأعاد تجديده بنتيجة تدمير آخر[2].

ولم نعثر أثناء دراستنا هذا الدير على ما يشير الى هندسة الكنيسة، ولم يتفق لأحد الكتبة الإلماع الى شيء من أوصاف البناء، أو أيّ طرز من العمارة كان قد أُتخِذَ له!

ب ــ مقبرة الجاثالقة

دير قُنّى إحدى غرسات ماري رسول المشرق، ثمّ غدا مثوى لجسده، فنال بذلك مركزاً سامياً وأصبح محلاً يزوره المسيحيون للتبرك، كما انه أضحى مقبرة لأجساد بعض الجاثالقة خلفاء ماري. قال السمعاني « . . . وأصبح دير مار ماري مدفناً لرؤساء أساقفة سلوقية القدماء »[3] وممن دُفن في مقبرة الجاثالقة هناك اسحق الجاثليق المتوفى سنة ٤١٠ أو ٤١١ م، وداديشوع شمونيل الجاثليق المتوفى سنة ٤٥٦[4].

ج ــ مدارس دير قُنّى

لا شكّ أنّ أول مدرسة نشأت في دير قُنّى، هي التي أسسها مار ماري وسميت باسمه، وانجبت تلاميذ كثيرين انتشروا في اصقاع البلاد ليبشروا بما تلقنوه من مدرستهم الاولى.

وممن نشأ في هذه المدرسة التي عُرفت أيضاً بـ « اسكول مار ماري »، العالم المنطقي متّى بن يونس الذي عظم أمره وخلّف مؤلفات تُعَدّ بالعشرات. ومنهم ايشوعياب القتّاني، فقد تعلّمَ في اسكول مار ماري وأسيم قسّاً ودبّر

---

١) التراجيم السنية لايليا الثالث (طبعة القس يعقوب نعمو الكلداني) المقدمة، ص ١

٢) عمرو، ص ١١١

٣) المكتبة الشرقية: القسم الثاني من المجلد الثالث، ص ٧٤١

٤) ذخيرة الاذهان ١: ١٠٧، ١٣٠

الاسكول بعد ذلك[1].

ومن المدارس التي حازت شهرة في دير قُنّى «مدرسة مار عبدا»، ويجدر بنا أنْ نسوق هنا كلمة عن هذه المؤسسة التي يحقّ ان نسمّيها باصطلاح اليوم كلية. فقد قال ماري بن سليمان أنّ «مار عبدا (وهو عبد يشوع القناني) تهّر في اسكول بلده واسيم قسًّا وبنى في بلده (دير قُنّى) ديرًا عظيماً واسكولًا جمع فيه جماعة وعلّم وتنصّر جمع غفير من الناس على يده»[2].

ويؤخذ مما ذكره «التاريخ السعردي» أنّ مار عبدا بنى ديرًا عظيماً واسكولًا جامعاً وصار اليه الناس من كلّ موضع... واستغنى مَنْ يريد التعلّم باسكوله عن الخروج الى الرها[3].

وممن تهّر فيه أخي ويابالاها الجاثليقان اللذان دبّرا الاسكول بعد تخرّجهما منه مدة طويلة[4].

وكانت اللغة العربية، فضلًا عن الارمية واليونانية، تُدرَّس في هذه المدرسة العظيمة، كما كانت تُدرَّس في مدارس نصيبين والرها وسلوقية. ويُضاف الى هذه اللغات مجموعة قيّمة من العلوم والفنون كالنحو والمنطق والشعر والهندسة والموسيقى والفلك والطب والفلسفة والعلوم الدينية. وبطبيعة الحال فقد كان لهم خزانة كتب حافلة تضمّ الكثير من المؤلفات القيّمة التي كانت متداولة في ذلك العصر[5].

ولكنّ شيئًا لا يستقرّ على حال. فقد حدث يومًا أنّ الملك فيروز أصدر امره الجائر — في اواسط القرن الخامس للميلاد — بهدم البيع والديارات وما اليها من المؤسسات، فكان اسكول مار عبدا إحدى تلك الضحايا[6].

١) ماري، ص ١١٧؛ وراجع عن هذه المدرسة ما جاء في مقالة نفيسة للأب أنستاس ماري الكرملي، بعنوان مدارس الرُّهاء في عهد الخلفاء (المشرق ١٠ [١٩٠٧] ٤٤٥).

٢) ماري، ص ٣٨

٣) التاريخ السعردي (طبعة أدي شير في باريس) ١: ١٩٥

٤) ذخيرة الاذهان ١: ٩٥، وعمرو بن متّى، ص ٣٥

٥) ادي شير: كلدر واتور، ص ٧ من مقدّمة المجلد الثاني.

٦) التاريخ السعردي ٢: ١٥؛ وماري، ص ٤٣

د ــ سور الدير

دير قُنّى « دير عظيم شبيه بالحصن المنيع وعليه سورٌ عظيم عالٍ محكم البناء»[1]. هذا ما قاله ياقوت في معجمه. ونستدلّ من كلامه أنّ هذا السور كان لا يزال منيعاً في حدود سنة ٥٤٥ هـ (١١٥٠ م) وذلك عند اقتراب العساكر السلجوقية من قرية بنارق القريبة من دير قُنّى وانهزام أكثر سكانها. قال بعض اولئك المنهزمين : « فلمّا كان الليل عبرنا دجلة لنجيء الى دير قُنّى لأنّه ذو سورٍ منيع. وبتنا فيه ثمّ تفرقنا في البلاد.»[2]

وقد ظلّ هـذا السور قائماً حتى اواخر عهد الدير ، وكان لا يزال ماثلاً للعيان أيام ياقوت الحموي المتوفى سنة ٦٢٦ هـ (١١٢٨ م) حيث قال: « . . . ويسكنه الآن بعض الرهبان الصعاليك»[3] ، وهذا يشير الى أن الدير قد وصل الى درجة بالغة من الانحطاط وآل أمره الى أن هجره أغلب رهبانه ، حتى لم يعدْ فيه منهم سوى تلك الشرذمة.

هـ ــ قلالي الدير

امّا قلالي الدير فكان عددها حسب رواية ياقوت مائة قـلّاية لرهبانه والمتبتلين فيه ، كلّ واحدة منها لراهب ؛ وكانوا يتبايعون هذه القلالي بينهم بمبالغ تتراوح من ألف دينار ؛ الى مائتين ؛ الى خمسين ديناراً. وكان حول كلّ قلّاية بستان ذو ثمار . ولا ريب أن أثمان القلالي كانت تختلف باختلاف مواقعها واتقان بنائها واتساع البساتين المحدقة بها وارتفاع غلالها ، وكانت هذه القلّة تباع من مائتي دينار الى خمسين ديناراً.

نرى من هذا ان قلالي الدير كثيرة العدد غالية الثمن ، لكننا لم نجد شيئاً يدلّ على تخطيطها أو طرازها المعماري ؛ اذ لم يحتفلْ أحد القدماء بمثل هذه النقاط

١) معجم البلدان ٢ : ٦٨٧ : والشابشتي (دراسة ساخو) ص ١٧
٢) معجم البلدان ١ : ٧٣١ ؛ وراجع آثار البلاد للقزويني ، ص ١٠٦ : مادة بنارق.
٣) معجم البلدان ٢ : ٦٨٧

والاوصاف المهمة[1].

و ــ مزروعات الدير

الزراعة من الاعمال الضرورية التي يقوم بها الرهبان ، « فكانت الأديار والقلالي محفوفة بالبساتين والرياض ، فيها أصناف الأشجار والثمار والبقول والرياحين وكانت المزروعات تتنوّع بتنوّع الأمصار والأتربة وتكثر أو تقلّ حسب مستغلّها ورواج مبيعه في حاجات الدير ، وكانت الكروم من ثَمَّ اوفرها انتشارًا واوسعها بقاعاً ، ومن هذا ما اشتهر به دير الزندورد بالجانب الشرقي من بغداد ، ونظيره في كثرة الفواكه والاترج والأعناب دير قُنّى. »[2]

وما يقوم بزراعته رهبان الدير يكون لهم موردًا لاقتناء حاجيات الدير ولوازمهم ، ومن هذا ما ذكره ياقوت: « انّ حول كل قلّاية بستان فيه من جميع الثمار ، يقضي الراهب فيه قسماً من نهاره ، وتُباع غلّة البستان منها ؛ من مايتي دينار الى خمسين دينارًا. »[3]

وكانت المياه تساق الى بساتين القلالي من نُهير كان يجري في وسط الدير[4] ، ولا شكّ أنّ مياه هذا النهير كانت تؤخذ من النهروان باعتبار أن مستواه أعلى من مستوى دجلة .

٥ ــ الاعياد المحتفل بها في الدير

لكلّ دير من الاديار عيد خاص ينفرد به تقريباً دون سواه ، فيشمل جمالُ العيدِ وابهتُه جميعَ سكان الدير ويمتد الى ما يجاور الدير من قرى وأرياف ، فيخرج الرهبان والقسوس في ذلك العيد الى المذبح وبأيديهم المجامر ، وقد تقلّدوا الصلبان وتوشّحوا بالمناديل المنقوشة ، وجميعهم يرتّلون التراتيل الدينية ،

١) معجم البلدان ٢ : ٦٨٧ ، وراجع « الديارات النصرانية في الاسلام » للاستاذ حبيب زيات ، ص ٣٠

٢) الديارات النصرانية في الاسلام ، ص ٢٢

٣) معجم البلدان ٢ : ٦٨٧

٤) معجم البلدان ٢ : ٦٨٧

فتتجلّى عندئذٍ عظمة العيد وجماله ، ويتقاطر الأهالون من القرى المجاورة ليشتركوا بهذه المظاهر. ولا شك أنّه كان لدير قُنّى عيد خاص به ؛ ذكره بعض المؤرخين ، من ذلك ما قاله ابن عبد الحق في مراصد الاطلاع: « ولدير قُنّى يوم مشهود عند النصارى يقصدونه فيه ، وكان فيه صخرة مصنوعة يُنضَح منها الدهن في يوم عيده ، فيأخذه النصارى للبركة ويسمّونه طيبوث »[1].

ومن الأعياد العظيمة في هذا الدير عيد الصليب . قال الشابشتي: « انّ عيد الصليب هو اكبر عيد في الدير. »[2] وكثيراً ما ينحدر الجاثليق الى دير قُنّى ، ليقوم بنفسه بالمراسيم العظيمة التي تُقام في هذا العيد .

٦ ــ النواحي المجاورة للدير

يجاور الدير ديارات اخرى وقرى متعددة ، فمن هذه الديارات: دير العاقول ، ودير مار جبرائيل المعروف بدير الكرسي. ومن القرى: قرية دير قُنّى ، وبنارق ، وبادرايا ، وباكُسايا ، والصافية ، والجُديدة ، وغيرها. لكنّ ما يلامس موضوعنا اليوم بصورة مباشرة من هذه المواقع هو : قرية دير قُنّى ، التي سنخصّها دون غيرها بكلمة فيما يلي :

قرية دير قُنّى

الى جانب هذا الدير قرية كبيرة تُعرف أيضاً باسم دير قُنّى ، أخرجت عدداً من الكتّاب والوزراء[3] ، وقد ذكر الطبري هذه القرية بقوله : « إنّ أبا أحمد بن المتوكل كان بالفِرك ، فأعدّ الشذا والسميريات والمعابر والسفن[4] ؛

---

١) ابن عبد الحق: مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع (طبعة ليدن) ١ : ٤٣٧. والطيبوث من الارمية (ܛܝܒܘܬܐ) انظر: مسالك الابصار: قسم التصويبات ، ص ١٢ والصليب في الاسلام لحبيب زيات: حاشية ص ٤٤ ؛ وكذا التراجم السريانية: حاشية ص ٢٤٠

٢) الشابشتي (دراسة ساخو) ص ١٧

٣) مسالك الابصار ١ : ٢٥٦

٤) هذه من وسائط النقل النهرية في ذلك العصر. ومن اراد التوسع في معرفتها فليراجع مقالة نفيسة نشرها الاستاذ حبيب زيات في مجلة لغة العرب (٥ [١٩٢٧] : ٤٦٠-٤٦٥) بعنوان « السفن والمراكب في بغداد في عهد العباسيين »

للرحيل لمحاربة صاحب الزنج ، فصار الى رومية المدائن ، ثم صار منها فنزل السيب ثم دير العاقول ثم جرجرايا ثم قُنّى .»[1]

وخالط ياقوت بعض الشك ، في كتابه « المشترك » لدى كلامه على مادة (قُنّ) ، حيث قال : « وقُنّ اسم قرية على ظنّ أبي سعيد . قال: وعُرف بهذه النسبة أبو سُعاد عبد الغالب ابن جعفر بن الحسن بن عليّ الضرّاب يُعرف بابن القُنّي . . . (قال ياقوت) : وأنا أظنه منسوباً الى دير قُنّى بين بغداد وواسط ».[2]

وأشار ابن عبد الحق الى أنّ هذه القرية كانتْ من قرى النهروان [3]

وقد مزج المسعودي بين دير قُنّى والصافية ، القرية المقابلة لها بقوله : « وتفرّقَ تلاميذ ايشوع الناصري في الأرض ، فصار ماري الى ما دنا من العراق فمات بمدينة دير قُنّى والصافية على شاطئ دجلة بين بغداد وواسط . وهذا البلد بلد عليّ بن عيسى بن داود بن الجرّاح ، ومحمد بن داود بن الجرّاح وغيرهما من الكتاب . فقبره هنالك في كنيسة الى وقتنا هذا ، وهو سنة اثنتين وثلثين وثلثماية ، تعظّمه أهل الدين النصرانية ».[4]

والغريب أنّ اسم دير قُنّى حُرِّف الى برمى ، في الطبعة المصرية لمروج الذهب (انظر ١ : ١٩٣ من طبعة القاهرة لسنة ١٣٤٦ هـ) .

وقد أُقيم في قرية دير قُنّى ديارات أُخرى ، منها الدير الذي شيّده مار عبدا القنّائي ، الذي نَصَبَ فيه مدرسة كلية كما أوضحنا آنفاً .

وصادف أنّ المتوكّل تغيّر على بختيشوع الجاثليق ، فهدم ديرًا بدور قُنّى وأقطعه لمحمد بن جميل صاحب الشرط ليبنيه منزلًا ، وأُخرجتْ عظام مار ابراهيم ورُميتْ في دجلة ، وقيل أنّه كان يُرى على الماء مثل السراج مدة طويلة[5] .

---

١) تاريخ الامم والملوك للطبري (طبعة ليدن) ، السلسلة الثالثة : ص ١٩٦١

٢) المشترك ، ص ٣٦١

٣) المراصد ١ : ٤٣٧

٤) مروج الذهب للمسعودي (طبعة باريس) ٣ : ٢٠٠

٥) ماري ، ص ٧٩

٧ ـ مشاهير دير قنى

لا يسعنا في هذه العجالة إلّا ذكر كلمة عن أبرز نوابغ هذه البقعة ، وان استقصاء اخبارهم مما يطول شرحه فيخرج بنا عن الحدود التي رسمناها في هذا البحث فاكتفينا بذكر اثني عشر منهم :

آ ـ مار عبدا

هو مار عبديشوع القنّاني ، كانت امه فاسدة ؛ والاعجوبة ان تلد امرأة فاجرة قديساً . ولمّا ولدته طرحته في البيعة وكفله النصارى وربّوه ، وتعلّم في اسكول بلده وتمهّر وأسيم قساً ، وبنى ديراً عظيماً واسكولاً جامعاً وصار اليه الناس من كلّ موضع ؛ فعظم أمره وصار فيه ستّون نفساً معلّمون وغيرهم[1] .

ب ـ الجاثليق ايشوعياب (الرابع) بن حزقيال

من دور قنى ، تعلّم في اسكول مار ماري وأسيم قساً فجُمِدتْ طريقته وحَسُنَ أثره في العفة والعلم ، جعله الجاثليق عبد يشوع الاول اسقفاً على القصر والنهروانات ... ودبّر الاسكول بقيّة ايام عبد يشوع . وكانت وفاته سنة ١٢٠٦ م[2] .

ج ـ أحي الجاثليق

من تلاميذ مار عبدا ، وكان قبل جثلقته قد أنتخبَ رئيساً لدير مار عبدا ، وفوّض اليه تدبير الاسكولانيين فيه .

ولما توفي اسحق الجاثليق اجتمع أصحاب الاختيار وأسيم أحي على الرسم بالمدائن سنة ٤١٨ م . وأحبّه يزدجرد . ثم ذهب الى فارس فسأل عن قبور الشهداء الذين قباوا الشهادة في أيام شابور وقد ألّفَ كتاباً أثبتَ فيه أخبار الشهداء

---

١) التاريخ السعردي ١ : ١٩٥-١٩٦ ؛ ماري ، ص ٢٨ ، ٢٤ ؛ عمرو ، ص ٢١ ؛ كتاب الرؤساء لتوما المرجي (مقدمة المستشرق بدج) ١ : ١٣١ ؛ شهداء المشرق ٢ : ٢٧٦ ؛ ذخيرة الاذهان ١ : ٩٥-٩٦ ، ١٠٧ ؛ كلدو واشور ٢ : ٣

٢) ماري ، ص ١١٧ ؛ ذخيرة الاذهان ١ : ٤٥٤

الذين استشهدوا بالمشرق ، وأثبتَ هذه الأخبار ايضاً دانيال بن مريم في تاريخه المسمّى اقلاسيطيقي . وألف أحيٌ ايضاً سيرة مار عبدا . وكانت مدة جثاثته اربع سنين ، واستناح ودُفن بالمداثن[1] .

د ــ متّى بن يونس

قال ابن القفطي: « متى بن يونس النصراني المنطقي ، ابو بشر نزيل بغداد ، عالم بالمنطق ، شارحٌ له ، مُكثِرٌ وَطِيءُ الكلام ، قصدُهُ التعليم والتفهيم . وعلى كتبه وشروحه إعتماد أهل هذا الشأن في عصره ومصره . وكان ببغداد في خلافة الراضي بعد سنة عشرين وثلثمائة ؛ وقيل سنة ثلثين . وله مناظرة جرتْ بينه وبين ابي سعيد السيرافي النحوي في مجلس عام بحضرة الفضل بن الفرات المعروف بابن حنزابة .

وذكره ابن النديم في كتاب الفهرست فقال : ابو بشر متّى بن يونس من أهل دير قُنّى ، ممّن نشأ في اسكول مار ماري ، قرأ على قُوَيْري وعلى روفيل وبنيامين وعلى أبي أحمد بن كَرْنيب ، واليه انتهتْ رئاسة المنطقيين في عصره .

ومن تصانيفه : كتاب تفسير الثلاث مقالات الاواخر من تفسير ثامسطيوس ، كتاب نقل كتاب البرهان ، كتاب نَقْل كتاب سوفسطيقا ، كتاب نَقْل كتاب الشعراء ، كتاب نَقْل كتاب الكون والفساد بتفسير الاسكندر ، كتاب نَقْل اعتبار الحِكَم وتعقُّب المواضع لثامسطيوس ، كتاب نَقْل كتاب تفسير الاسكندر لكتاب السماء واصلحه ابو زكرياء يحيى ابن عدي ، وفسَّرَ متى الكتب الاربعة في المنطق بأسرها وعليها يعوّل الناس في القراءة ، وله تفسير كتاب ايساغوجي لفرفوريوس وهو المدخل الى المنطق ، كتاب صدر كتاب انالوطيقا ، كتاب المقاييس الشرطية »[2] .

---

١) عمرو ، ص ٢٥ ؛ ذخيرة الاذهان ١ : ١٠٧ ؛ التاريخ السمردي ١ : ٢١٢ ؛ وقد ذكر ماري (ص ٣١) أنّ مدّة رئاسته كانت سبع سنين وأشهُر ، خلافاً لسائر المراجع التي تقول أنها كانت أربعاً .

٢) تاريخ الحكماء للقفطي (طبعة ليبسك) ص ٢٣٣ ؛ الفهرست لابن النديم (طبعة ليبسك) ص ٢٦٢ ؛ التنبيه والاشراف للمسعودي ، ص ١٢٢ ؛ طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة (طبعة

وكانت وفاة متّى بن يونس ببغداد سنة ٩٤٠ م .

هـ ــ الفضل بن يحيى بن فَرْخان شاه الديراني النصراني

كان من دير قُنى . وحدث يوماً ان قبض الخليفة المقتدر على جميع املاكه ، وكانت للفضل عند رجلٍ مائة وخمسون ألف دينار فأُخذتْ ايضاً من الرجل وضُمّتْ الى ما صودِرَ منه ، ووجّه شفيع المقتدري بأمر الخليفة ، ومعه غلمان وخَدَم ، الى قُنى فأحصوا تركة الفضل وضياعه . وكانت وفاته سنة ٩١٥ م [1] .

و ــ الحسن بن مَخْلَد بن الجرّاح

هو ابو محمد الكاتب الوزير ، وُلِد في قرية دير قُنى سنة ٢٠٩ هـ ، وعُيّن على ديوان الضياع سنة ٢٤٣ هـ ، ثم ولّاه الخليفة العباسي المعتمدُ منصبَ الوزارة في سامراء سنة ٢٦٣ هـ ، وكانت هذه المدينة اذ ذاك مقرّ الخلافة العباسية ، وكان الحسن بن مَخْلَد في الوقت عينه كاتب سرّ الموفق أخي المعتمد . ولكن الحسن فرَّ بعد شهرٍ تقريباً الى بغداد عندما وصل موسى بن بغا الى سامراء ، وعندئذٍ تولّى الوزارة عوضه سليمان بن وهب ، وتولّى كتابة السر ولدُه عبيدالله . وفي العام التالي طُرِد سليمان ونهب بيته ، وبذلك تولّى الحسن الوزارةَ للمرة الثانية . ثم دارتْ الايام عليه مرة أخرى فصُودِرتْ املاكه وأخيراً نُفِيَ الى مصر حيث ابن طولون على دست الحكم ، فأكرمَ هذا مثواه ، ولم تمضِ مدة وهو في نعيمه هذا ، إلّا انقلب النعيم جحيماً ، فأمر ابن طولون بالقاء القبض على الحَسَن فحبسه ثم دسَّ اليه في شربةٍ فقتله بها ، وتندّم أخيراً على قتله ، وكانت وفاته سنة ٢٦٩ هـ [2] .

ملر) ١ : ٢٣٥ ؛ تاريخ مختصر الدول لابن العبري ، ص ٢٨٥ . وفي « المخطوطات العربية لكتبة النصرانية » ، للاب لويس شيخو اليسوعي (ص ١٩) ذكر ما تبقى من مؤلفاته .

١) صلة تاريخ الطبري لعريب ، ص ٥٩

٢) المطبعة الاسلامية (الترجمة العربية) ١ : ٢٧٤ ، الطبري ٣ : ١٤٣٥ ، ١٩١٥ ؛ التنبيه والاشراف ، ص ٣٦٩ ؛ تاريخ اليعقوبي (طبعة ليدن) ٢ : ٦٠١-٦١٧ ؛ النجوم الزاهرة لابن تغري بردي (طبعة دار الكتب المصرية) ٣ : ٣٧ ، ٤٥ ؛ الكامل لابن الأثير (طبعة اوربة)

ز ــ أبو الحسن عليّ بن عيسى بن داود ابن الجرّاح

من أهل دير قُنّى ، كتبَ في الدواوين وتقلّد كثيرًا منها رئاسةً . وتولّى الوزارة سنة ٣٠١ هـ في عهد الخليفة العباسي المقتدر بالله . كان من خيار الوزراء ، محبًّا لمجالسة العلماء ، توفي سنة ٣٣٤ هـ[١] .

ح ــ الوزير ابن الفيّاض

كان من دير قُنّى ، وصلنا عنه أبيات شعرية مدحه بها البحتريّ وهي هذه :

ما تُقَضّى لُبانةٌ عِند لُبنى ؛ والمُمَنّى بالغانيات مُمَنّى !
نزلوا رَبوة العراق ارتيادًا أيُّ أرضٍ أشفُّ دارًا وأسنى ؟
بين دير العاقول مُرتَبَع أشـــرف مُحتلُّه الى دير قُنّى ،
حيث بات الزيتونُ من فوقه النخلُ عليه ورْق الحَمام تَغَنّى .
ما المَعالي إلّا المكارمُ تردا دُ ، وإلّا مصانعُ المجد تُبنى (٢

ط ــ مالك بن شاهي النِفّري

من دير قُنّى ، كان يسعى مع بعض رفاقٍ له في البيعة لابراهيم بن المهدي ، فأرسلَ المأمون بطلبهم ، وضربه مع أصحابه وحبسهم ، وكان ذلك سنة ٢١٠ هـ[٣] .

ي ــ محمد بن عليّ القنّائي

كان من اصحاب الحلّاج ، فقُبض عليه وكُبِسَ داره فوُجد فيها دفاتر مكتوبة بماء الذهب ومبطّنة بالديباج والحرير ومجلّدة بالأدَم ؛ وأشياء أخرى

٧ : ٥٤ ، ٢١٥ ، ٢١٦ ؛ الفخري لابن الطقطقي (طبعة باريس) ص ٢٤٣ ؛ نشوار المحاضرة للتنوخي ١ : ٢٠ ، ٢٢ ، ٨ : ٢٠ ، ٦٦

١) تاريخ الوزراء للصابئ ، ص ٢٨١ ؛ النجوم الزاهرة ٣ : ١٩١ ، ٢٨٨ ؛ مروج الذهب ٢ : ٣٠٠ ، صلة الطبري ، ص ٩٦ ، ١٦٥ ؛ نشوار المحاضرة ١ : ٢٥ ، ٢٩ ، ٤٨ ، ٥٤ ، ١٠٤ ، ٢٢٥ ؛ الفهرست لابن النديم ، ص ١٢٩

٢) مسالك الابصار (ص ٢٥٧) .

٣) معجم البلدان ٣ : ٦٨٧ ؛ اليعقوبي ٣ : ٥٦١ ؛ الطبري ٣ : ١٠٧٣ ، ١٠٧٥ ؛ تاريخ بغداد لابن طيفور (طبعة ليبسك) ٦ : ١٠٠ ، ١٧٦

من آثار الحلّاج[1].

ك ــ أبو قرّة الحسين محمد بن عليّ القنّائي

رجلٌ من دير قُنّى ، حسن الذكاء. نشأ بين كتّاب واسط وعلّمها وتخرّج معهم واختص بأحمد ابن عليّ القنّاني ، فتمهّر ؛ ولم يزلْ يتدرج في التصرّف حتى تقلّد رئاسة مدينة واسط . وفي سنة ٣٦٠ هـ قُبض عليه بقرية الجامدة من أعمال واسط وحُمل الى جنديسابور فمات بها[2].

ل ــ أبو عبدالله حمد بن محمد القنائي

ابن اخت الوزير الحسن بن مَخلَد الجرّاح ، خلف خاله دفعاتٍ على ديوان الخراج ومرةً على ديوان الضياع ، ثم ولي الخراج والضياع العامة بالسواد[3].

٨ ــ اقوال الشعراء في دير قُنّى

تَغنّى الشعراء بمقطّعات وقصائد في هذا الدير ، وأطلقوا العنان لقرائحهم في التصوّر والتفنن في النظم ، وأمامنا بعض المقطعات الخالدة من جمال الشعر :

قال ابن جمهور ، وهو ابو عليّ محمد بن الحسن القمّي :

يا منزل اللّهو بدير قُنّى ، قلبي الى تلك الرُّبى قد حَنّا !
سَقْياً لأيّامك ، لمّا كُنّا نختار منك لَذّةً وحُسْنا ،
أيامَ لا أنعَم عيش منا ، اذا اشتَهَيْنا وصَحَوْنا ، غُدْنا.
وان فني دَنٌّ ترلنا دَنّا ، حتى يُظَنَّ أننا جُننا.
ومُسعِدٌ في كلّ ما أرَدْنا ، يحكي لنا الغُصْنَ الرطيبَ اللَّدْنا ،
أحسن خلق الله ، اذ زانَحْنا ، وجسّ زير عوده وغَنّى.
بالله ، يا قسّيس ، يا با قُنّى ، متى رأيتَ الرشأ الأغنّا ؟
متى رأيت فتيَتي تَحنّا ، آه ، اذ ما ماسَ أو تثنّى ،
أسأتُ اذ أحسنتُ فيك الظنّا !

---

١) صلة الطبري ، ص ٩٠ ، ٩٦

٢) تجارب الامم لمسكويه ٢ : ٢٦٠ ، وحاشية ص ٢٨٩

٣) نشوار المحاضرة ٨ : ٢٠

وبات فيه الوزير عليّ بن مقلة ثم أصطبح فيه ، وقال :

باتَتْ بدِي تَجْنِي ثِمارَ الجُناحْ ، بدير قُنَّى من وُجُوهٍ مِلاحْ !
حتى تَلا الراهبُ مَزْمُورَهُ ، وضَمَّخَ الأُفْقَ خَلُوقُ الصَّباحْ .
فهَلْ فَتًى يُسْعِدُني عاقِدًا ذيلَ غُبُوقٍ بذبولٍ أصطِباحْ ؟
أُطيعُهُ في كل ما يَشْتَهي . كطاعةِ الرِّيشِ لِأَمْرِ الرياحْ ؟ (١)

وللبحتري أبيات يمدح بها الوزير ابن الفيّاض ذكرناها لدى الكلام عن هذا الوزير . ولابن الحدّار المصري قصيدة يصف كاساً فيه صورة كسرى تحت شجرة ورد :

إنَّ عَجْزًا كما نكون وغَبْنًا أن نُرَى صاحِيَيْنِ في دير قُنَّى !
حُبِّذا روضُهُ المدبَّجُ لَيْلًا ، وهواه ذاك المُسَكُّ رُدْنًا !
يِمَّةٌ ألْبَسَتْ من الزَّهْرِ ثوبًا ، فَتَراها تزداد طيبًا وحُسْنًا !
قد جَرَى السَّلْسَبيل بالمِسْكِ فيها فَحَوَتْه الدِّنانُ : دَنًّا فَدَنًّا .
كم سَحَبْنا به من اللَّهو ذيلًا ، واهتَصَرْنا به من العيش غُصْنًا !
وخَلَوْنا بخُسْرَوانيّ كِسْرَى وهو يُسْقَى طَوْرًا وطورًا يُغَنَّى ،
نحتسيها فَرِدةً من الوَرْدِ ، إلّا أنها من أنامل البدر تُجْنَى ! (٢)

وحكى جحظة البرمكي قال : كنتُ بحضرة اسماعيل بن بُلْبُل بواسطَ أيام حرب العلويّ البصريّ ، والموفّق الناصر يقاتله . فلما انصرفتُ رافقني البحتري ، وكان قد زار ابن بُلْبُل . فلما وصلنا الى دير قُنّى قال لي : ويحك يا جحظة ! هذا دير قُنّى وهو من الحُسْن والطيب على ما ترى ! وانتَ انتَ ! وطنبورُك طنبورُك ! فهل لك ان نقيم به اليوم ، فنشربَ ونطرب ، ونتنعّمَ ونلعب ؟ فقلتُ : نعم ! ولم يكنْ معنا نبيذ . فسألنا عمن يقربُ منّا من العمّال ، فكتب اليه البحتري :

يا ابنَ عِيسى بنِ فَرْخانَ ، وللفُرْسِ بعيسى بن فَرْخان افتخارُ !
قد حَلَلْنا بدير قُنَّى ، وما نبغي قِرًى غيرَ أن يكون خُمارُ ؛

١) مسالك الابصار ، ص٢٥٧

٢) معجم البلدان ٤ : ١٧٨ ، ومسالك الابصار ، ص٢٥٧ ، وبينهما بعض الاختلاف في تدوين هذه الابيات .

فأسقِ من حيثُ كان يشرب كسرى عُصْبَةً كلُّهم ظِماءٌ حِرارُ،
من كُمَيْتٍ تولَّت الشمسُ منها وما تولَّته من سِواها النارُ.

فوجّه اليه عشرين دنّاً شراباً ، ومائة دجاجة ، وعشرين حملاً ، وفاكهةً . وعملتُ في الأبيات لحناً . فلم نزلْ نشربُ عليه يومَنا وليلَتنا ، وأخذتُ فيها معنًى فقلتُ :

وبات يَسقينا جِنانيّةً ضنَّت بها الشمسُ على النار ! (١)

٩ — نهاية الدير وانقراضه

لم تصلنا معلومات كافية عن خراب هذا الدير الكبير ونهايته ، وجلّ ما بلغنا اخبار متضبة ، من ذلك ما ذكره ياقوت (المتوفّى سنة ٦٢٦ هـ) بقوله : « وامّا الآن فلم يبقَ من هـذا الدير غير سوره وفيه رهبان صعاليك ، كأنه خرب بخراب النهروان » .(٢)

واننا نعلم أن سبب خراب النهروان هو اختلاف السلاطين السلجوقيين وقتال بعضهم لبعض ، ومنافساتهم التي دمّرت كل عمران(٣) . ولا يخفى أنّ الصدمات التي لاقاها الدير كانت كثيرة العدد بالغة التخريب ، فقد قال ماري ابن سليمان ان الملك فيروز بعد عودته من بلد الترك (أيام بابويه) عادَ الى شرّه ورام محق النصرانية ، فصار يهدم البيع والديارات . ومن المؤكد أن بعض شظايا هذه النكبة كانت قد أصابتْ دير قُنى فأبادتْ قسماً من معالمه(٤) .

ومن النكبات التي حلّت به انّ الكواكبي المعروف بابن البقّال ، الذي كان معلماً لبهاء الدولة ، اعتقل الجاثليق ببغداد ، وانحدر الى دير قُنى ، وتناهى في القبح وفعل الشرّ ، فشتّت الرهبان وصادرهم ، فقُبِضَ عليه وحُمل الى بغداد

١) مسالك الابصار ، ص ٢٥٨
٢) معجم البلدان ٣ : ٦٨٧
٣) معجم البلدان ١ : ٧٢٩ ، مادّة بنارق
٤) ماري ، ص ٤٢ ؛ والتاريخ السعردي ٢ : ١٥

وقُتل ورُميتْ جيفتُه الى الماء[1].

ويؤخذ من كلام ابن عبد الحقّ في مراصد الاطلاع أنّ هـذا الدير قد استولى عليه الخراب في عهده ، ومن المعلوم أنّ وفاته كانتْ في اوائل القرن الرابع عشر للميلاد.

ويشاهد اليوم على ضفة دجلة اليسرى أطلال عمارات قديمة يسمّيها الاهلون هناك « الدير » ولا يبعد أن تكون تلك الأطلال بقايا دير قُنّى ودير العاقول ودير مار جبرائيل[2].

خاتمة

نخرج من بحثنا ان هذا الدير الشهير ظلّ عامرًا برهبانه مدة طويلة قد تبلغ الألف سنة ، ثم تطاولتْ عليه يد الزمن وانتابته الأهوال فألحقته بالكثير من رفاقه ، التي صرنا لا نعلم عنها أكثر مما نقع عليه من الشذرات المتناثرة في بطون الكتب.

١) ماري ، ص١٠٨ و١٠٩

٢) « موضع مقتل المتنبي » للاستاذ يعقوب سموم سركيس (مجلة الاعتدال النجفية ، [١٩٣٧] ص ١٦٥)

اخبار حلب وحوادثها

من السنة ١٨٥٥ الى السنة ١٨٦٥

اخذًا عن يومية المعلّم نعوم البخّاش

المخطوطة الوحيدة ، نشرها وعلق عليها

الاب فرديناند توتل اليسوعي ٧

– السبت ، في ١١ حزيران ١٨٦٤ ، في ٦ محرم ١٢٨١

[١٤٤٢] ــ الخميس اجا خبر مطران انطون سمحيري الذي صار بطرك السريان الآن توفي ونوبوا من المجمع الى مطران جرجس شلحت يكون معلوم. ــ والسبت خطب مخائيل عجوري الى منوش بنت المرحوم يوسف حمصي عديل مقدسي فرج الله ضاهر .

– في ١٨ حزيران ١٨٦٤ ، في ١٣ محرم ١٢٨١

[١٤٤٣] ــ الخميس بالليل انعزمنا لبيت نعوم عبجي سهره موزيكا لبكره ــ الجمعة هوا زايد من يوم الاثنين لحد الان وموجود كثير جراد .

– السبت ، في ٢٥ حزيران ١٨٦٤ ، في ٢٠ محرم ١٢٨١

[١٤٥١] ــ الاثنين قعد عندي ابن نعوم صاجاتي اسكندر ــ الخميس سكرت (المدرسة) رحت عرس مخائيل عجوري لبنت يوسف حمصي والجمعة وقع نعوم بن جبرا صايغ وانكسرت قصبة ايده وقسطاكي ض وقع الاربعا في بيتهم وفظر جبينه وعلّقوا له علق . وليلة السبت صار مطر بالليل وفيق الناس لان تايين بالحواش والاسطحة وكبست مليح .

– السبت ، في ٢ تموز ٦٤ ، في ٢٧ محرم ١٢٨١

[١٤٥٢] ــ الاحد رسم مطران جرجس شلحت الى عبدالله ابن عمي قسيس وسماه روفائيل وباركت له بالقسوسية .

– السبت ، في ٩ تموز ١٨٦٤ ، في ٤ صفر ١٢٨١

[١٤٥٣] الاحد سافر رزق الله سالم مصر وكتبت ديوان بيت الوكيل

صديه[1] والاربا الساعة ٣ من الليل سافر مطران جرجس شلحت الى مردين لضبط تركة بطرك انطون سمحيري ومعه قس مرقس بن القندلفت وقس[2] المارديني . والخميس توفي رزق‌الله جهامي واجوا اولاد البردخجي من ازمير نعوم واخوه يوسف .

– السبت ، في ١٦ تموز ١٨٦٤ ، في ١١ صفر ١٢٨١

وسافرت مراة الكلداني قلنجي لمصر لاجل عرس ابنها

[١٤٦[1]] قراوا منشور من المطران جرجس شلحت نايب البطريركي وريس خوري يوسف ياقين بداله بحلب — الاحد انعزمت لعماد بن نعوم صاجاتي وسموه بكتور عمانويل وسافر مخائيل عجوري الى البلاد ومعه مخائيل الشدياق والقس المارديني الى الشرفة .

– السبت في ٢٣ تموز ١٨٦٤ ، في ١٧ صفر ١٢٨١

[١٤٦[2]] سافر اناس ليبرتلي بحر الاسود — الثلاثا سافر غيرهم برا — والخميس قرأ مطران يوسف مطر[3] مكاتيب مطران جرجس شلحت النايب البطريركي باسم الريس خوري يوسف ياقين .

– السبت ، في ٣٠ تموز ١٨٦٤ ، في ٢٥ صفر ١٢٨١

[١٤٦[3]] — الاربا مات الشيخ كيال وقبروه بالليل .

– السبت في ٦ آب عيد التجلي ١٨٦٤ في ٢ ربيع الاول ١٢٨١

ومسكوا مسنبق بك من جبل بيلان وباياس وذكروا ان زلامه مزمعين ان ينهبوا اسكندرونه هكذا قالوا — والاربا جابت بنت سيود سوكياس مراة انطون شمراوي بكريه .

[١٤٧[1]] — الثلاثا بدي يكتب ابن الاسود — الخميس العوجي مساء انكليزيات ٢ وبراقه وزقزوقه .

---

١) الصدية هي الكوة المفتوحة في الحائط على شكل خزانة بلا باب تصمد فيها الاشياء الشيئة. ٢) قس المارديني . كان اسم القس فات البخاش فترك موضعه ايض .

٣) جاء ذكر فرحات مطر في سجل معمودية الموارنة في ٣ اذار ١٦٦٧ وكان اشيئاً في عماد مريم ابنة موسى الراهبة وكانت الاشيئة خورية المصروني والى هذا البيت ينسب المطران جرمانوس فرحات الشاعر والاسقف النابغة . (راجع المشرق المجلد السابع)

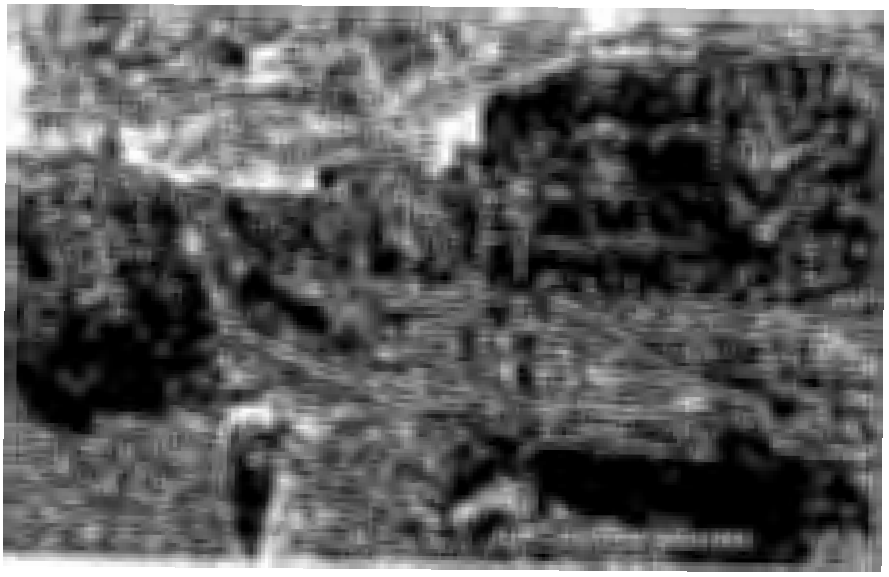

حي المشارقة عند الفويق

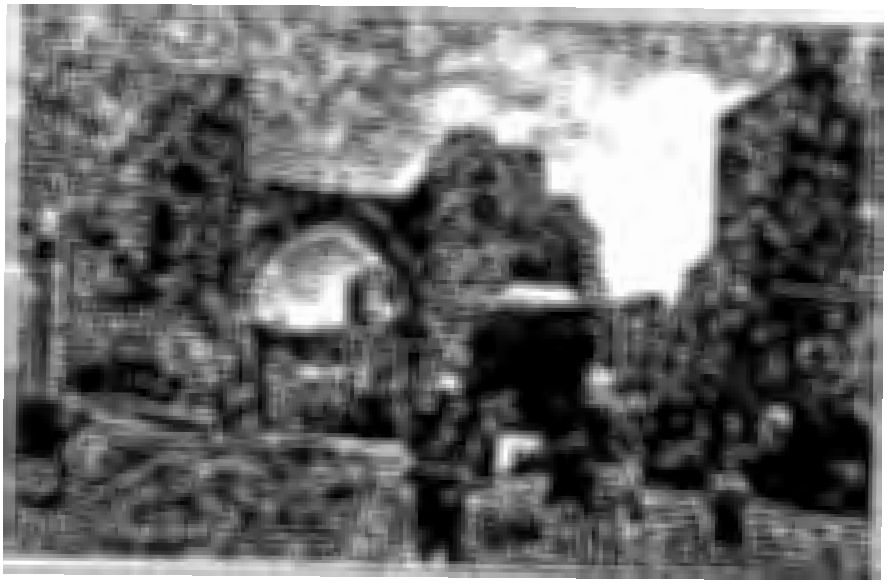

باب المقام ومنه الطريق الى مقابر الصالحين الاسلامية

– السبت ، في ١٣ آب ١٨٦٤ ، في ٩ ربيع الاول ١٢٨١

وكتبت قبر كوكور دوجه‌جي اوغلي ٢٠ غرش .

[١٤٧٢] الاتنين عرس يوسف تركماني الى بنت جنبرت[1] والمذكور تعلم عندي وما عزمني — جرجي سالم رجع يكتب — والجمعة بدي يجي باسيل صاحاتي يقرا ويكتب .

– السبت ، في ٢٠ آب ١٨٦٤ ، في ١٦ ربيع الاول ١٢٨١

[١٤٧٣] — الاتنين اجا ابن جرجس شعراوي من مصر — الجمعة قمت من الفرشة دايخ وفطرت قلب الطير وشربت ليمونادا سخن وكنت شوي .

– السبت ، في ٢٧ آب ١٨٦٤ ، في ٢٣ ربيع الاول ١٢٨١

[١٤٨١]

– السبت ، في ٣ ايلول ١٨٦٤ ، في ١ ر ت ١٢٨١

— الاربعا ماتت بنت شكري خوري بن جبرا بالمدرسة ماتت وطالعوها طلعه كثير كويسه وجابت صبي مراة جرجس حمصي بنت الخوري .

[١٤٨٢] اجا خبر انطون دير اروتين ابو الياس من ماردين الله يرحمه .

– السبت في ١٠ ايلول ١٨٦٤ ، في ٨ ر ت ١٢٨١

واجانا فستق رطل ١٠ سمر ١٠

[١٤٨٣]

– السبت ، في ١٧ ايلول ١٨٦٤ ، في ١٥ ر ت ١٢٨١

---

١) جنبرت جاء ذكر سوسان بنت عبدالله جنبرت في ٢٩ ك ١ ١٨٣٢ في لائحة الروم الكاثوليك المعمدين عند الموارنة – الاشبينة عمتها – المعمّد القس يوسف عبديني

ولما جاء في هذه الحاشية ذكر القس فرج الله العبديني رأينا الفرصة سانحة في الافادة على هذه العائلة ولم نكن قد عثرنا على هذه التطبات لما ذكرنا عبديني في [٦٤/١]

ان اسم الخوري موسى العبديني مكتوب في رأس لائحة الكهنة الذين توفوا في حلب ودفنوا في كنيسة مار الياس منذ دخول الطائفة المارونية وذلك سنة ١٤٨٩

وورد الاسم ٤٥ مرةً في دفتر المعمودية بين ١٦٦٦ و١٦٧٢ على ١٩ معمّدًا و٢٦ اشبيناً مما دل على اهمية الاسرة. وخرج منها عدة كهنة خدموا النفوس – وجاء في دفتر اخوية عذبان الارمن المخطوط (مكتبة البطريركية نمره ٣٩) اسم « جرجي عبديني ترجمان النمسا ومتقدم اخوية تطهير العذراء لمتزوجي الموارنة في حلب وقد توفي في ١٧ ت ٢ ١٧٦١ » وعبديني نسبة الى عبدين وهي قرية موقعها في محافظة الشمال في قضاء الكورة في لبنان .

[فقد من المخطوط صفحتان وفيها ذكر الحوادث التي وقعت بين ١٧ ايلول و ٧ كانون الاول سنة ١٨٦٤ ويناسبها في بدء المخطوطة فقدان صفحتين واخبارهما الواقعة بين ٣١ ايار و٣٠ آب ١٨٥٦ . على اننا وفقنا في تفتيشنا على اثار ذلك العهد الى الحصول على تعليقات مفيدة نستعيض بها عما فُقد . في السنة ١٨٦٤جرت في الشمال السوري حوادث وفتن فيتلصص بعضها في بلاد الزور وكان ابطالها رجال دهمان من قبائل العرب وبعضها في جبل الاكراد (كردضاغ) وبطلها خليل آغا وفي جبل قازان وبطلها يوسف آغا . وكان من جانب العثمانيين ثريا باشا والي حلب ودرويش باشا قائد حملة كردضاغ يسعيان في اخماد نار الفتن .

ولم تنته فتنة جبل الاكراد الا في ١٨٦٥ بعد ان أُعدم خليل آغا شنقاً ويوسف آغا بالرصاص فقطع رأسه وارسل الى الاستانة .

وانتهت حملة ثريا باشا على عرب الزور في بلاد الفرات باتفاق ثريا باشا مع العرب الشوايا على ان يدفعوا ٧٠٠٠٠ غرشاً فيعود هو وعسكره الى حلب.

وسببت تلك القلاقل ازمة شديدة في حلب فقد قبضت الحكومة على الدواب وساقتها لحمل الاحمال من اسلحة ومؤن.وزاد في حالة الاضطراب ظلم الضبطية الذين قبضوا على ٢٠٠ او ٣٠٠ دبة عوض ٤٠ او ٥٠ كانوا بحاجة اليها . فخافهم الجمّالة التركمان والاكراد وانسحبوا الى جبالهم . وصار الضبطية يردون ما لم يحتاجوا اليه من الدواب تلقاء دراهم يتقاضونها . فانقطعت المواصلات بين حلب وبين الارياف في ايام كان الناس في حاجة ماسة الى وسائل النقل والقمح على البيادر والحب في القرى . فصار الشنبل الذي كان يباع في العام السابق في حلب ٣٥ او ٤٠ غرشاً يباع ١١٠ او ١٢٠ وكذلك ارتفعت اسعار الفحم والحطب وقل اللحم في الاسواق وظلت الخضراوات في البساتين مرتعاً للعفونة والعنب متروكاً في الكروم . واخذ العوز يخيم على المدينة وصار الطمع يغري التجار فاحتكر بعضهم الحاجيات واحدثوا الفتنة فهجم الناس على السرايا يطلبون القوت .ووقفت حركة التجارة لان البضائع التي شحنتها السفن الافرنسية او المسكوبية او الانكليزية الى الاسكندرونة باتت مكدسة في مينائها لعدم وجود الدواب لنقلها الى حلب .

وفي ١٤ تشرين الاول بلغ سعر شنبل الحنطة ١٥٠ غرشاً فتجمهر النـاس وساروا بمظاهرات يتهددون من قيل عنهم انهم احتكروا القمح وصـار اعيان البلدة المتصلين مع عرب الزور يسعون في ان يحولوا ثريا باشا عن حملته لكي يعود الى حلب ويسترد اليها الامن فعاد ثريا باشا بعد ان صالح العرب] .

[١٤٩١] ــ الاربعا مات يوسف صائغ تيبيكون[1] موت الغفلة والمذكور كان بديار بكر استقام ٢٠ سنة وصار له جايه مقدار ٢٢ شهر واجا ثريا باشا باشة حلب

ــ الجمعة بدو صوم الميلاد ويومها اجا انطون تاجر من اسلامبول ودار دوره مطران السريان ومعه مطران الروم توتنجي وقس مرقص وقس حنا معمرجي باشي

– السبت ، في ١٧ ك ١ ١٨٦٤ ، في ١٨ رجب ١٢٨١

ــ والجمعة ثريا باشا نزل الخبز ٢٤ باره صار ٣١ والحنطة كانت من ١٠٠ الى ١٢٠ غرش (الشنبل) والتزم يقدمها ٩٠ والفحم والحطب بده يقدمها. وطلب القرعة من الضيع وبعث عسكر للدولة .

[١٤٩٢] ــ الاحد اخوية وبعده كرز قس حنا معمرجي باشي ــ الاربعا مطر كل النهار ومات نعوم بن شماس يعقوب الساعة ٢ والربع بالليـل وخطبة رزق الله اسود لفرة بنت العجوري فرنسيس التي كانت مخطوبـة الى شكرالله بخاش سابقاً ــ والخميس مطر ودار الباشا تخفاي ومعه المفتي بهاء الدين والقاضي بالسقطيه ومسك اناس شاربين ٦ (باسعار مخالفة لمـا كان امره) .فرت اللحم للكلاب وارسل البائع والشاري للحبس وكذلك الرز والخبز والاوزان والقبان

ــ والجمعة دار بانقوسا وارسل بهاء الدين للجديدة فصير كذلك

– السبت ، في ٢٤ كانون الاول ١٨٦٤ ، في ٢٥ رجب ١٢٨١

[١٤٩٣]

– السبت ، في ٣١ ك ١ ختام ١٨٦٤ ، في ٢ شعبان ١٢٨١

وقلبنـا البولسة الى ١١ ك ٢ ١٨٦٥ لاخرس ودياب[2] ١٧٢٧ وانكسر

---

١) « تيبكون » هو اسم كتاب طقس بيزنطي – لعل البخاش اراد بهذا اللقب الغريب التمييز بين بيت الصايغ الروم والصايغ السريان والصايغ الارمن وكلهم حليون فيكون معنى كلامه : يوسف صائغ الرومي الكاثوليكي

٢) دياب جاء الاسم في سجل عماد الموارنة تسع مرات بين ١٦٦٧ و١٦٧٢ واول من

شركات كركور سيوفي باسلامبول وترسوس وسكروا بيوتهم ورجع عليه مقدار ليرة الف ٣ ملزوم يدفعها لانها مجيره باسمه الله يعينه .

[١٥٠١] الاحد راس سنة ٦٥ سنة مباركة الله يحيينا لامثالها بجاه اسمه العظيم – الاثنين رحت العصر لمرس شكرالله بخاش لبنت نعمةالله غزاله. ودفع السيوفي كل الذي مجير عليه من البوالس باسمه .

– السبت ، في ٧ ك ٢ ١٨٦٥ ، في ٩ شعبان ١٢٨١

[١٥٠٢] ــ الاثنين توفي مساء نعوم بن لبوس تاجر زوج بنت الشاهيات[1] الله يرحمه ــ الاربعا دفعت لمطران يوسف مطر ليرة مجيديه ٦٤ سلفاً وتعجيلاً عن ١٢٨٢ ــ الجمعة طنبه خلص زهرة العسل من البلانسانه وشلفنا البوليسه لاخرس وشتمان الى شهر ٣ . ولعبت بالطاوله مع قس حنا معرجي باشي وغلبت ٤ .

–السبت ، في ١٤ ك ٢ ١٨٦٥ ، في ١٦ شعبان ١٢٨١

وكان عيد مولد السلطان عبد العزيز وسقلت قنباز الهندي ملوك وجابت مراة فرجالله زلعوم بنت الجامي كاتينكه .

[١٥٠٣] الاحد اولها شرفت على المرضى وبعده اخويه وبعده زياح سريان وسلمت على اولاد زلعوم فرجالله ــ الاثنين بدي يكتب معرّي وابن الديك[2] عمال ينظم زرايع وشقوف بيت الدلال[3] ــ والخميس غطاس غيم شفاف

ذكر من البيت مارينا دياب الصغير وقفت اشينة في ٣٠ ك ٢ ١٦٦٧ في عماد انطونيوس بن بطرس هدناني اخو جمه وكان الاشبين شماس رزق الله ابن شدياق حنا بشراني ومن اعلام الاسرة القس اوسانيوس دياب المتوفي في ٢١ ت ٢ ١٨١٨ والمطران يوسف دياب المتوفى في ٢ تشرين الاول سنة ١٩١٣ والقس يوسف دياب المتوفى في ٥ نيسان سنة ١٩٢٥

١) شاهيات جاء ذكر مريم بنت الياس شاهيات في ٨ ك٢ ١٨٢٢ في لائحة الممدين عند الموارنة من الروم الكاثوليك – الاشينة عنها ترازيا – الممد قس نصرالله ايوب

٢) ديك جاء ذكر رزق الله بن الياس ديك في لائحة الروم الكاثوليك الممدين عند الموارنة في ٢ ت١ ١٨٢٢ الاشبين نصر الله بن الياس خياط الممدّ المطران جرمانوس حوّا .

٣) دلال جاء الاسم تكرارًا في اليومية – وجاء ذكر كاترينا بنت عبدالله جبرائيل يعقوب دلّال في ١٨ ك ٢ ١٨٢٦ في لائحة من تمددوا من الروم الكاثوليك عند الموارنة – الممدّ قس بولس آروتين

ورحت الريحاوي وعمال ينظم الدايره النـاطور من وراق ورمان وقلب الطير وكرز ونسرين وبنفسج ـ الجمعة بصل الخزاما فرقته .

ـ السبت ، في ٣١ ك ٢ ١٨٦٥ ، في ٢٢ شعبان ١٢٨١

وطلب ثريا من الطحانين والخبازين ان يقدموا بارخص من الحاضر فقالوا لا يوفي معنا فسندهم [؟] وبدي هو يقدم طحين وخبز بارخص منهم ووكل بها. الدين[1] المفتي حالًا بذلك والزقاقات عمال العمار بها دك لاجل الكروسات وصار اجا اربع من الاستانة وامر ان لا يحضروا الى المشورة الا ركب بالكروسه والفلوريني واير الثلاثه ونص دقروا ما عادوا ياخذوهم بالسوق ولا بالمدينة

[١٥١'] ـ الاحد سهرنا كلنا بيت الكبابه[2] وكان خيالاتي وكان اناس كثيرين واجا نيشان الى مطران جرجس شلحت[3] من سلطان عبد العزيز ـ

١) هو الشيخ محمد بهاء الدين الرفاعي المتوفى سنة ١٢٩٠ هـ. هو ابن ابي الوفا الرفاعي وُلد في حلب وتلقن فيها العلوم الشرعية وكان شاعرًا حسن الخط اخذ الطريقة الرفاعية وصار بعد سنة السبعين مفتي البلدة

ومن شعره : كيف اخشى من سطوة التنكيل والهي على الاعادي وكيلي
واعتصامي بجلسه والتجائي لحماه من كل سوء كفيلي

وكان ينصر الضعيف ويبلغ شكواه آذان الحكام . ورثاه يوسف الداده بعد موته بشعر جاء فيه :

هذا نجيب كل باغ باسلٍ هذا مشجع مهجة المسكين

(عن اعلام النبلاء للطباخ : ٧،٣٥٥)

٢) كبابة جاء ذكر خمسة اطفال في (ر ك م) منهم مريم بنت نعمة الله كبابة في ٢٦ تموز ١٨٢١ امها ترازيا بنت يوسف بطرس دياب – الاشبينة مرغريتا اختها – المعمّد المطران جرمانوس حوًّا .

٣) جرجس روفائيل شلحت تعلم المبادي السريانية منذ نعومة اظفاره ولسرعة فهمه وحسن خطه جُعل كاتبًا لجباية الاموال الاميرية في حكومة ابراهيم باشا المصري في حلب اذ كان في السن التاسعة والعشرين ولم يشغله ذلك عن التردد الى حضور القداس وخدمة الكنيسة واذ احبه بطرس جروه اخذ يقرئه في المقدم المقدسة والالحان السريانية فاقتبسها سريعًا منه ومن يوسف شقال الحلبي الضرير . فلما تهيأ للدرجات المقدسة رقي في ٢ شباط سنة ١٨٤٣ الى درجة الكهنوت ولنشاطه رُفع في ٢٩ اذار سنة ١٨٤٦ الى رتبة الخوري مع اربعة اخرين وهم الخوارنة جبرائيل رباط وباسيل صعب ويوسف ياقين وروفائيل جروة .

وسافر الخوري جرجس الى رومة سنة ١٨٥٠ وعاد منها عن طريق مصر والشرقة الى

والاثنين الساعة ٨٤ عصليه راح المطران ولبس النيشان عند الباشا ثريا باشا وركبه حصانه وارسل قدامه قواسه عده ٣٠ واخذوا له سلام كل القلقات الذين بالدرب ورجوعه وقع ولد بصهريج القلاية ووجوه ركبه وطالعوه وباركت بعد المغرب وكان موزيكه النصاره وتمشوا عنده بعض من الطائفة ومساء رحت الريحاوي وكان يوسف شماع ونزل ينكي دنيا بالديره حاج عمر الناطور عده ١٣ — الثلاثا بديت تقرا مراة انطون تاجر[1] ودباغ صبي جابت — الاربعا غيم شفاف ومطر نخناخ وجابت بنت مرة سوكياس بنت الشوكتلي .

— السبت ، في ٢٨ ك ٢ ١٨٦٥ ، في ١ رمضان ١٢٨١

[١٥١[2]] — الجمعة مات نعوم الغلام الذي كفلان كسبار القاطرجي الذي الي عنده غرش ١٠٠٠ وكتبت ختم الى قس رافائيل بن عمي .

— السبت ، في ٤ شباط ١٨٦٥ ، في ٨ رمضان ١٢٨١

[١٥١[2]] الخميس سافر رزق الله عجوري وراح يودي بنت الحمصي مراة اخوه مخائيل لمشتر — الجمعة وسمعان حجه[2] سمعوا اهله انه مات من يوم ١٥ الله يرحمه والمرحوم متعلم عندي القراءة والكتابة .

— السبت ، في ١١ شباط ١٨٦٥ ، في ١٥ رمضان ١٢٨١

حلب . ولما حان الوقت لاقامة مطران على حلب انتُخب الخوري جرجس بتوقيع ثمانية من الاكليروس في ٢ كانون الاول سنة ١٨٦١ وهم الخوري يوسف ياقين والقسوس حنا اسلامبولية وبطرس سالمه ويوسف اسلامبولية ومخائيل ضاهر وبولس صباغ وافرام مداواتي ومرقس قندلفت ومائة وثمانين من الوجوه ورؤساء العائلات : نعمة الله فرج الله صباغ وسائر ممثلي آل حمصي وعندي وشلحت وسيوفي وبخاش وصعب ورباط وجنا وياقين وفتال وهزاز واسطنبولية وغيرهم وخُتم انتخابهم باستحسان السيد يوسف حاتك ولما عاد جرجس شلحت اسقفاً الى حلب انشأ مدرستين للصبيان والبنات ومأوى للفقراء وابنية جديدة واغنى المكتبة فعظم جاهه حتى عند المسلمين واولي الامر نخص بالذكر بهاء الدين مفتي حلب فكان يوده ويساعده في حلّ المشاكل حتى لقب كخيا المطران جرجس .

راجع تفاصيله : عناية الرحمان في هداية السريان ص ٥٩٣—٥٩٣ مطبعة صبرا ، بيروت ، ١٩١٠

١) في ١٦ ت ٢ ١٨٢٣ عبدالله انطون فيلبوس انطون تاجر ذكر في لائحة الروم الكاثوليك المسدّدين عند الموارنة — الاشبين اخوه فتح الله — المسدّد قس يوسف عبديني

٢) جاء ذكر جرجس ديقري بن مخائيل حجه في ١٦ ايلول ١٨٢١ في لائحة الروم الكاثوليك المسدّدين عند الموارنة — الاشبين عمه حنا — المسدّد القس بولس اروتين

وطبخنا دست من الذبيب طلع فطير تركناه لبعد يكون معلوم .

[١٥٢'] الجمعة سمعنا رجع خليل اغا الذي مسكه ثريا باشا من كلز وارسله لاسلامبول الان امه برطلت[1] الى اولاد سليمان باشا الذي مات بقونيه

١) البرطيل او الرشوة آفة المحاكم . رأيت سابقاً ان آخرة خليل آغا كانت عاقبتها وخيمة عليه — على اننا نتخذ من الحادث فرصة لرواية ما كتبه القنصل سكين الانكليزي عن حالة القضاء في ذلك العهد . قال :

ما ابعد نظام العادلية وادارتها في حلب عن طرق القضاء العادل :

ان مجلس التحقيق مكوّن من الرئيس والاعضاء الاربعة واعماله محصورة في التفتيش على الذنب من غير اصدار الحكم فيه الا اذا أمره الوالي بذلك . اما الوالي فيرسل الى مجلس التحقيق دعاوي لا اهمية لها ويرفع الدعاوي المهمة الى مجلس الولاية للنظر في صحة البينات . ان مجلس الولاية يكون من ١٣ عضواً ويتصدره الدفتردار ويجري جميع رؤساء الدوائر معاً مع بعض الاعيان وهو المحكمة المميزة في حكم مجلس التحقيق في الدعاوي الصغرى ويمكن الاستئناف من بعد ذلك التمييز لدى المحكمة الشرعية . اما السلطة الوحيدة التي تعلو على تلك المحكمة في العادلية فهي سلطة شيخ الاسلام في القسطنطينية .

ان سياق الدعاوي في المحكمة الشرعية هو في يد القاضي ويساعده المفتي وليس احد منها رئيساً على زميله بل مجانباً له ومستقلاً عنه . والقاضي يُحوَّل من مدينة الى مدينة في كل عام اما المفتي فحلبي المولد والموطن . ان هذا النظام لا بأس به ولكن طريقة تطبيقه لا تترك مجالاً للانصاف لان غاية القاضي الوحيدة هي ان ينتفي في مدة وظيفته القصيرة . اما المفتي فيسير عليه امر بيع فتواه والفتوى عبارة عن حكم شفاهي يطبق على كل حادث من الحوادث بعد نظر المحكمة فيه ولكن قبل اصدار الحكم عليه . اما سير الدعاوي فجاري من غير ترتيب البتة . فلا يكتبون الشهادة الشفاهية وكثيراً ما تفسد الرشوة الشهود وتفسد الحكم والرابحون في الدعوى انما هم المنالون في الرشوة . ان مدخل المجلس ايام المحكمة مزدحم بجماعة من الناس المعروفين بتأدية شهادة الزور اذا ان تحتاج المحكمة الى شاهد الا ويجدونه واقفاً على الباب وقد عُلّم ما عليه ان يقوله ويقبض مبلغاً يتراوح بين العشرين والخمسين غرشاً . ومجلس التحقيق ومجلس الولاية مفتوحان كلاهما للرشوة وقد يصادق عليها ضمناً الكثيرون من اعضاء المحكمة لانهم يصرفون وقتهم كله في وظيفتهم ولا راتب لهم فلا يبقى لهم الا قبول الرشوة وقد نالوا بها وظيفتهم لانها تعطى لا لمن يستحقها ولكن لمن يشتريها .

وهذه المحاكم كلها لا تنصف البتة في تقاضي مصاريف الدعاوي فان الخمسة بالمئة المضروبة في قيمة الدعوى على الرعايا الثمانين والاثنين والنصف على الرعايا الاجانب يُعفى منها خاسر الدعوى ومن ثم تُشجّع المرافعات ، وهذا ما يدعو بالمدين، وان يكن عالماً بانه اخيراً سوف يُحكم عليه بدفع الدين ، في الا يرضى بالتسوية فلا يأبى المحاكمة وقصده ان يغرّم الدائن بدفع مصارفاتها خاشياً .

ليره مجيديه ١٠٠٠.. وماتت زيزف بنت كركور سيوفي عمرها سنة ٢ . للحارث[1] بشاره ٥ غروش قمري — وأذّن قمر رمضان — ٥٧ قمري للحارث .

– السبت ، في ١٨ شباط ١٨٦٥ في ٢٢ رمضان ١٢٨١

[١٥٢] — الاحد حساب مازو شعراوي — الاثنين رحت ورزق‌الله طنبه التفنكه . ما حوشنا شي ولا شفنا شي . وضرب دالول — الاربعا راح المطران للدوره ومعه قس حنا وقس مرقس وصلوا للميدان وبديت المطره اكلوها ورجعوا لعندي ولمبت مع المطران للساعة ١٠ . وكسح الداليه بستاني العويجي وفرمت التتون . والزود وصل لعند قفل باب الطاحون الجبل النهر — والسبت نزلت دراع — وسمعنا انهزم من ادرنه خليل اغا الذي مسكه ثريا باشا وشلّح لابن طايفتنا بليره ١٥٠ ورصدت الترابية غرش ١٥٩ عن ١٢٨٠

– السبت ، في ٢٥ شباط ١٨٦٥ ، في ٢٩ رمضان ١٢٨١

[١٥٢] — الاحد المرفع سوا . ورفّعت لوسيا والعيله عندنا واجا يوسف البطى من مصر واليان من اللاذقية — والاثنين اول الصوم وعيد رمضان — الاثنين اجا ثابت رزق‌الله من الفباير[2] وعبدالله صايغ من اسكندرية مصر —

---

١) كان عند كل بوابة من بوابات البلد الكبرى حارس له كوخ ينام فيه فيغلق البوابة عند الليل ويفتحها عند الطلب لمن تغيّب من الحيّ وعاد اليه متأخرًا . ولم تكن مصلحة عامة او بلدية تقضي براتب معين للحارس فكان ينال « معاشه » من اهل الحي او « الحارة » في ايام الاعياد والمواسم مبلغًا ، غير محدود ، يعطى له طبقًا لسخاء المعطي وحسن حاله . وفي الاعياد يجلس الحارس عند البوابة او في مفارق طرق الحي وبيده قارورة طيب فيطيب طربوش او محرمة المارين تلقاء نقد ينقدونه اياه .

٢) اليك ملاحظات قيمة على تطور التجارة في ذلك العهد من جراء زيارات « الفباير » او الفبارك .

كانت الجالية الاوربية وافرة العدد في ولاية حلب ، لكن ما لبث ان تضاءل عددها وهذا التضائل سببه لا كساد الشغل بين حلب واوربة ، لان العلاقات ازدادت واتسع نطاق المعاملات على مدى الايام ولكن في السابق كانت التجارة محصورة في يد التجار الفرنسيين والانكليز والايطاليين والالمان المقيمين في حلب . ولم يكن من دوضم للمحلات التجارية الاوربية وسيلة للاتصال المباشر مع الحلبيين فلمّا تسهلت طرق المواصلات بالملاحة البخارية صار زعماء التجار الحلبيون يزورون قواعد اوربة التجارية وخاصة في فرنسة وفي انكلترة وصارت تلك المدن ترسل الى حلب رجالًا يدرسون ويختبرون مطلوبات البلاد ويدبرون

الثلاثا طبخنا الزبيب التايح [اي العاطل] ــ والخميس قعد عندي بن الجن . وبدينـــا رياضة عندنا بالبيت ومات انطونيوس مشاطي عم مشاطيه .

المعاملات وهاجر عدد غير قليل من التجار الحلبيين مع اسرهم الى بلاد الافرنج فأسسوا محلات في فرنسا وفي انكلترة وكان النجاح حليفهم اجمالا فصاروا وسطاء بين الحلبيين وبين الافرنج فاغنوا عن وساطة الاوروبيين الموجودين في حلب . وصار لاكثر المحلات المهمة الحلبية شعب في مرسيلية ومانشستر وليفربول وفي النمسة وفي ايطالية فتعاطت التصدير والتوريد واستغنت عن مساعدة اليد الاوربية في السوق المحلية . تلك الحالة اعرب عنها البخاش مرارًا في ذكره سفر من ذكرهم الى البلاد وان تراجع الفهارس في اعلام المدن الموضوعة في آخر الكتاب تهتدي الى معرفة اسماء التجار المذكورين كم كانت تتفاقم في اسفارهم في ذلك العهد ؟

— في الدار الاسقفية المارونية في حلب مخطوط غرته : ١٤٧٩ وهو بخط القس مخائيل كلداني الماروني . سافر من حلب في ٣٠ نيسان سنة ١٨٥٩ قاصدًا الى بلاد الافرنج وقد تزود بمكاتيب من اسقفه المطران يوسف مطر ومن غبطة البطريرك الماروني ومضى على وجهه فزار فلسطين ومصر ومالطة وفرنسة وانكلترة وايرلندة وذكر انه قطع ورقة سفره من دوبليته الى اميركا ، فكان سعرها ١٦٨٠ غرشًا ولا يثبت من جريدة سفره ، هل بلغ العالم الجديد او لا ، وعاد عن طريق فرنسا الى بيروت ثم عرج الى الاستانة فبلاد المجر وزار الامبراطور فرنسوا جوزف وجمع الحسنات ووصف رحلته وصفًا مستحلًا في المخطوط الذي ذكرناه ووضع لائحة نفقاته في السفر .

من حلب الى بيروت فرسيليا على حساب الغرش ، والفرنك الافرنسي انذاك قيمته خمسة غروش والنصف ، فافادنا على معرفة ما كانوا ينفقونه تقريبًا في سفراتهم الى اوربة في ذلك العهد ؛ قال :

غرش

٣٠٠ كرا من حلب الى اسكندرونه
٢٧٥ مصروف طريق اسكندرونه
٢٢٠ بابور الى بيروت ومصاريف أساكل لاذقية وغيره
١٥٥ كرا من بيروت الى ذوق وجبل مع بخاشيش ، زيارة غبطته ورحمه
١٢٢ مصروف في بيروت وبخاشيش للذي نزلت عندهم
٢٠ حق تواسيم الي والى كارلس
١٥٠ كرا بابور الى يافا ومصروف زواده ومصروف بحر
٨٠ كرا من يافا الى القدس
٧٢ من قدس الى يافا مع مصروف
٨٥ مصروف في يافا وكرا مركب هوا الى بيروت وزواده

— السبت ، في ٤ اذار ١٨٦٥ ، في ٦ شوال ١٢٨١

[١٥٣[١]] — الاحد قبروا انطانيوس مشاطي وانكسر يوسف الطي على الف ١٥ للمديون لهم . الاثنين مطر وافر — الثلاثا ربطوا الداليه وتغدوا عندنا اولاد بستاني الموجي ومعهم واحد وطباخ المرق تغدا وكبس الزبيب . وما لعبنا بالطاوله انطانيوس وطنبه وثابت وخوري — والاربعا اجا زود بطاحون الجميلات ناقص القنطريه منه نصف مدماك اخذت الاولاد بكره وتفرجنا للظهر . وقعد وراح بن مخائيل نقولا اليان[1] يورغاكي — وفتحنا شبابيك البيت من الشوب — الخميس اربعين شهيد قرّيت واخذت حمار كالداني ورحت وعزوز عين التل زريقيه ٢ — السبت بدي يكتب بن جره . وكسر شيشة الناربيج رزق الله جن .

في ١١ اذار ١٨٦٥ ، في ١٣ شوال ١٢٨١

[١٥٣[٢]] — اجا بن المراش[2] من منشستر واجا رزق الله سوكياس من انطاكية وانتهت رياضة مار فرنسيس وبديت القرعة للاسلام — الاثنين سافروا المقادسة — الاربعا ظهر مخنوق رجال الجبل النهر .

— السبت ، في ١٨ اذار ١٨٦٥ ، في ٢٠ شوال ١٢٨١

[١٥٣[٣]] — الاحد سافر كركور سيوفي الى اسلامبول . ونامت كزه بنت

١٩٠ مصاريف في بيروت الى حين ما رجعنا الى اسكندريه وكرا مكاتيب
٤٢٠ عن كرا بابور الى اسكندريه ومصاريف غيرها مع زواده
٢٤٠ في اسكندرية حق طربوش وزنار ومصروف اكل بعض ايام
١٣٠٠ مصروف الى مرسيليا ومصاريف زواده
٦١ مصروف في مالطه عن يوم واحد
٧٠٠ مصاريف في مرسيليا عن اكل عن يوم ٣٥ من عدا العزايم
٥٥ مصاريف نقريه
٥٧٥ كرا من مرسيليا الى باريز في درب حديد ومصاريف

١) جاء ذكر اليان مرارًا في اليومية . وجاء الاسم في لائحة الروم الكاثوليك المعمدين عند الموارنة في ٢٨ ت ١ ١٨٢١ في عماد جرجي الياس بن نعمة الله اليان — اشبين نعمة بن حنا اليان — المعمّد قس شكرالله ايوب .

٢) مراش جاء ذكر عبدالله الياس بن بطرس مراش في (ر ك م) في ٢٦ آب ١٨٣٠ — الاشبينة جدته ام ايه — المعمّد قس نصرالله ايوب .

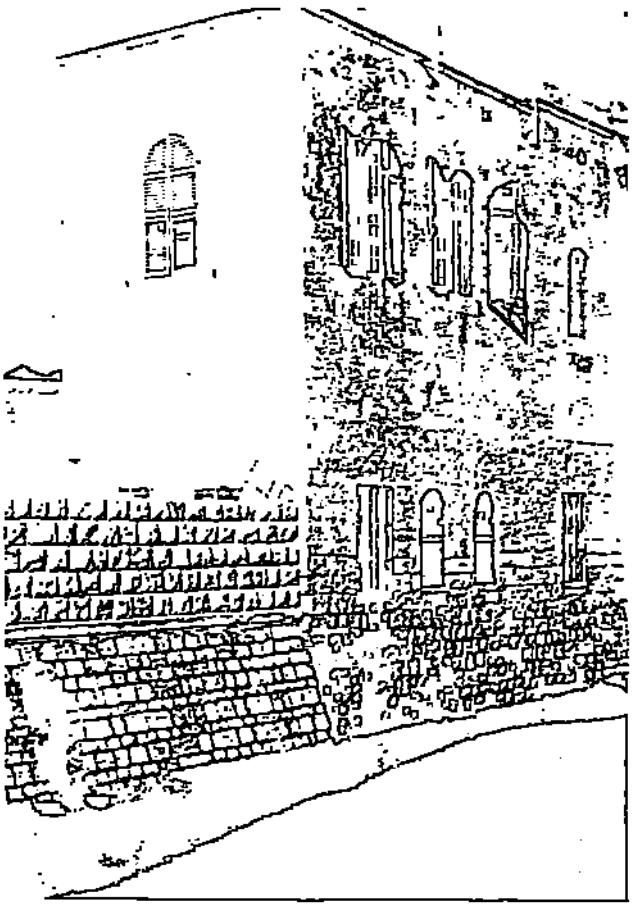

دار الشابندر القديمة ، وهي الآن جزء من دير الآباء اليسوعيين

انطانيوس ــ الاربعا قعد يورغاكي بن اليسان مخائيل مع بن عم ابوه اليان ــ السبت رسم مطران جرجس شلحت خوارنه ٢ قس يوحنا معمرجي باشي خوري وقس مرقس خوري وسماه خوري انطانيوس . وراحو للصيد وللتنزه بردخجيات وانطون عبجي ومقدسي وفرج وناهر وشكري ثابت ونعوم خليل الى سنبل اسم الضيعة شوكات بردخجي بالزراعة [كذا] .

– السبت ، ٢٥ اذار ١٨٦٥ ، في ٢٧ شوال ١٢٨١

[١٥٤'] ــ الاثنين عمال يبلطوا عند الزقازيق الطرفين مصاطب وعمال يدهنوا الكشوكه بالقصير لعم الناطور . واجا حبيب سيوفي ــ الجمعة جاب لي صورته قس رافائيل بخاش بن عمي فتح‌الله بخاش . واجوا ولاد البردخجي ــ السبت توفي شكرالله خوري بن رزق‌الله سهر بيت الدلال زوج لوسيا دلال الله يرحمه وسافر الخوري حنا معمرجي لبيروت .

١ نيسان ١٨٦٥ ، في ٥ ذي القعدة ١٢٨١

[١٥٤'] ــ الثلاثا جابت بنت مرة رزق‌الله سوكياس ــ ودخل رزق‌الله صايغ اخو انطانيوس الى الرياضه بده يصير قسيس واجا نعوم حمصي من منشتر ــ الخميس سهرت عند المطران جرجس شلحت ولعبنا بالدمينو ــ الجمعة الكشوكة عمال يدهنوهم وبالقبار الانكليز عمروا اوض دف فوق الجسر عده ٤ . ومات عبدالاحد اجق باش الله يرحمه

– السبت ، في ٨ نيسان ١٨٦٥ ، ١٢ ذي القعدة ١٢٨١

[١٥٤'] ــ الاحد رسم انجيلي لابن الشقال مطران جرجس ورسم انجيلي الى اخو انطونيوس صايغ بن اختي مطران بولص حاتم روم وباركت له بعد الصلاة ورحت دورة العذارى ــ الاثنين انتقل الياس سيوفي للكتّاب حوش سنيور موسه ــ الثلاثا ماتت ام رزق‌الله كبابه غره بنت الجهامي بالداي ــ الاربعا اجا جرجي صايغ من ترسوس وسلمت عليه ــ الخميس رحت صبحية تريس ٢ وحضرت القداس والدوره وبعد الظهر رحت العويجي اكلت مطر وافر .

– ١٥ نيسان ١٨٦٥ ، في ١٩ ذي القعدة ١٢٨١

[١٥٥'] ــ الاحد عيد الكبير غربي ١٦ نيسان ١٨٦٥ ــ الثلاثا مات برنابا الحكيم . وبالسهرة دعوة الدومنو مع المطران ــ والاربعا طبخنا العرق

وكان هواء بارد ــ الخميس اصبحت رجلي عمال توجعني من قِبَل الريح ما اقدر امشي . ووصف الجد جاي سخن والبابونج والحمدلله الجمعة احسن وجرحوا بجده الى مصطين ولد مسلم وراح ابوه خيط له حنكه وخده بالشيخ يبرق بالقشله عند العسكر .

– السبت ، في ٢٢ نيسان ١٨٦٥ ، في ٢٦ ذي القعدة ١٢٨١

[١٥٥ر] ــ الاثنين مات نعمةالله صباغ الله يرحمه ويومها وقع القندلفت يوسف الاشرم ابو خوري انطون قندلفت من فوق حيط الذي فوق الادبخانات لارض القلاية لولا العناية الالهية كان عض المطران جرجس شلحت . والمذكور فسخ رأسه وقبقبوا عينيه وتهشم وبعد قليل توفى والمذكور كفن نعوم صباغ وسبقه للقبر . ومات ابن الياس كلداني الصغير . والثلاثا جتروه وقبروه بالكنيسة قدام بيت النسوان عند بيت الشمع وبعده قبروا نعوم صباغ عند الباب قدام العامود لبيت النسوان وجابوه الموارنة والارمن والسريان كله ببدلاتهم والبادرية[1]

١) البادرية اي الآباء الفرنسيسكان Padri – جاء ذكر الجنازة [٢/١] وعلى ذكرها هنا وذكر اجتماع الطوائف فيها رأينا ان نثبت بين الوثائق المفيدة لتاريخ المسيحية في حلب اثرًا عثرنا عليه في اضبارة المطران يوسف مطر في تاريخ ٢٧ تشرين الثاني ١٨٧٦ وفيه حجة وصية الياس عبدالله قجله ترى فيها رحابة صدر الحلبيين للطوائف التي ليسوا منها فصاروا بذلك قدوةً صالحة لمن يحتاج ان يفهم ان الجوهر في الدين هو وحدة الايمان وان الطائفية ليست الّا صبغة عرضية :

« اوصى الياس قجله رحمه الله ، بثلث جميع متروكاته من نقود ومنقول ورزق وتجارة واثاث وفضة وغاس وكمبيالات وسندات وغير ذلك يُصرف بعد وفاته في وجوه البر بموجب نصف الثلث المذكور الى طائفة السريان الكاثوليك بحلب ، واقام وصيًا عليها الاب بطرس سالم الوكيل البطريركي ويكون توزيعه هكذا : ثلث ما خص الطائفة المذكورة حسنات قداسات وجنازات وتذهيب الوفاة والثلثان الآخران على فقراء السريان ما عدا المناد ان يوزع عليهم .

وما تبقى منه نصف ثلث المال قد اوصى بنصفه الى طائفة الارمن الكاثوليك بحلب واقام وصيًا بذلك المطران غريغوريوس بليط . . . والنصف الاخير منه نصف ثلث المال اوصى به الى طائفة الموارنة بحلب واقام وصيًا بذلك سيادة المطران يوسف مطر لكي يوزّعه هكذا : اي ثلث السهم حسنة قداسات وجنازات اعتيادية والثلثان لاجل عمار الكنيسة الجديدة والفقراء . »

كذلك وقدامه صليب ٣ وكل واحد بشمعه ٢ مربوتطين بربيان اسود . الله يرحمه وصار له دفنه معتبره كثير وعمره ــ الاربعا جبنا جبنه رطل ٨ بسعر ٧٠ ماكول الهنا مع ارادة الله ــ الخميس راحوا زارو مار جرجس وراح عازار وابوه وعماته .

٢٩ نيسان ١٨٦٥ ، في ٣ ذي الحجة ١٢٨١

[١٥٥[٢]] ــ الاثنين ماتت بنت الماروني ام شكور صباغ . وبدي يكتب الياس صايغ ــ الجمعة ماسكتي ريح بجنبي الشمال بالصابونه .

– ٦ ايار ١٨٦٥ ، في ١١ ذي الحجة ١٢٨١

[١٥٦[١]] ــ الاحد كان عيد المسلمين ما صار اخوية ومساء زياح بالشيباني ــ الاثنين مات شكرالله ناقوز الله يرحمه وبدي يكتب مرعب[1] ورفاقه ــ الخميس ارسل المطران خلفي لاجل الحوش انتهت سنة ٣ ليرة ٧٠ مجيدية ــ الجمعة سمعنا نوبة بايازيد .

– السبت ، في ١٣ ايار ١٨٦٥ ، في ١٨ ذي الحجة ١٢٨١

ودفعت للمطران ١١١٦٧ والى ارسان ٣١٣١ والى رزق‌الله سوكياس ٢٨٩٢ .

[١٥٦[٢]] ركبوا بالناعوره تيل‌غراف الى اسكندرونه . وكرّس المطران جرجس شلحت زيت الميرون ــ الاثنين رحت الشابندر وكان انطوناكي وكوبا وطلع صايغ[2] وعجوري[3] وكانوا بيت الضاهر في قبار الصغير ورحت عندهم مساء وكيفنا . ووقعت بكتورين بالنهر وطالعها خالها عبدالله ــ الثلاثا اجرا من القدس

١) جاء في (ر ك م) اسم مريم بنت عبد الله مرعب في ٤ نيسان ١٨٣٤ – الاشينة اختها – المعيّد قس شكرالله ايوب .

٢) جاء ذكر خمسة اطفال من بيت الصايغ في لائحة المعمّدين عند الموارنة من الروم الكاثوليك ، اولهم نعمة الله بن جرجي صايغ ٣ ك ١ ١٨٢٣ – اشيين ابن عمه نعمة الله – المعيّد قس الياس راجي .

٣) ثلاثة اطفال في (ر ك م) منهم رزق‌الله بشارة بن المقدسي ، جبرائيل عجوري ، في ٢١ تموز ١٨٢٣ – الاشيين نعمة الله بن يوسف بليط ارمن – المعمّد قس شكرالله ايوب .

(راجع في المشرق ترجمة الورتيت بولس بليط (١٧ ، ٨١–٨٩) ، وذكر المطران غريغوريوس بليط (٩ ، ٤٦١)

عبـــدالله انطاكي ومراة الكلداني من مصر فنـابت شهر ١١ ومساء سلمتُ .

– السبت ، في ٢٠ ايار ١٨٦٥ ، في ٢٥ ذي الحجة ١٢٨١

[١٥٦] ــ الاحد رحت للمسلميه ركب . على جبرا[1] بليط المركوب ورجعنا مساء ــ الثـلاثا نوريه ٥ سطل ١٧ ــ الجمعة انتقل يوسف طنبه لحوش بيت الكبابه عند رزق الله ابن اخوه وخليـل انتقلوا للشرعاسوس ودار كنيدر[2]

---

١) وكثر ما جاء ذكر بيت البليط في اليومية وجبرا بليط كان صديق البخّاش ورفيقه في تقرهاته ، وشريكه على ما يظهر في التجارة . وقد زرنا من عهد قريب السيد الياس بليط الحاكم سابقاً في المحكمة المختلطة فارانا في خزانته المطية مكاتيب تجارية عديدة مكتوبة بخط البخّاش فضلاً عن تحارير تجارية غيرها عديدة محفوظة من زهاء ١٥٠ سنة وفيها ما فيها من الفوائد على تجارة تلك الايام وهي جديرة بان تراجع سنداً لوضع تاريخ حلب الاقتصادي .

ومما رأيناه في خزانة السيد الياس بليط دفتراً فيه منتخبات شعرية ونثرية محرراً بيد نوم البخّاش . جاء في احد فصوله المختصة بالمراسلات وبصور المكاتبات الى البطاركة وغيرهم من المسيحيين هذا الشعر مع كلمة المتام ، وروايته لانفة بالبخّاش المخطاط الشهير :

« اذا افتخر الابطال يوماً بسيفهم وعدّوه مما يكسب المجد والكرم
كفى قلم الكتاب عزاً ونصرةً مدى الدهر ان الله اقسم بالقلم

تم الكتاب بعونه تعالى في اليوم التاسع من شهر تشرين الاول سنة ١٨٣٣ »

وجاء هذا التاريخ في موضع آخر منه :

« وقد كان الفراغ من نسخته على يد احقر عبيد الله نعمة الله الياس بخّاش من طايفة السريان في ايام بن محمد علي ابراهيم باشا في ٢٠ تشرين الاول ١٨٣٣ والرجا من القارئ به المسامحة من الغلط لانه كان بعجله — انتهى الكتاب الثالث » .

وقرأنا هذه النكتة استودعها البخّاش مجموعته المذكورة ، ترويحا على علاتها وما فيها من وحشي المعنى ، اثراً لاخلاق عهد مضى غير مأسوف عليه :

« بنت ١٠ لوزه مقشره — بنت ٢٠ نزهة الناظرين — بنت ٣٠ ام البنات والبنين — بنت ٤٠ ابرد من الاربعين — بنت ٥٠ عجوز في الغابرين — بنت ٦٠ اقتلوها بالسكين — بنت ٧٠ عليها لعنة الله والملائكة والناس اجمعين »

٢) وفي ١٦ ايلول ١٦٦٨ وقفت اصيل ابنة يوسف كنيدر اشبينة في عماد يوسف بن عبد المسيح الساحلاني وكان الاشبين نصير بن جرجس بردوط .

اشتروها بيت البردخجي[1] بليره ٢٧٠٠ مجيديه — وماء جاب انطانيوس ليرة ٢٨٢ مجيديه ورحت وديتهم لرزق‌الله سوكياس الذي دفعهم عني من يوم ٦ الى رزق‌الله ارسان وكيل وقف الموارنة عن كرا الدار وصار الجملة ليره ٧٠ مجيديه عن سنة ثلاثة سلف وتعجيلاً .

— السبت ، في ٢٧ ايار ١٨٦٥ ، في ٢ محرم ١٢٨٢

وهنا تنتهي اخر صفحة محفوظة بين يدينا من اليومية .

وفي التفتيش على آثار تلك الايام عثرنا على تحرير مؤرخ في تشرين الاول سنة ١٨٦٥ جاء فيه خبر الهواء الاصفر الذي حدث في صيف تلك السنة وعن اسبابه وتعليلاتها فاثبتناه في موضعه هذا تكملةً . « في شهر آب ١٨٦٥ صار قدوم الحجاج من مكة الى حلب يلقي في قلوب الحلبيين الخوف من تفشي الهواء الاصفر لان الوباء كان قد رافق الحجاج من بلاد العرب الى مصر وزرع فيها جراثيمه . وكان الحجاج بعضهم حلبيون وبعضهم ايرانيون . وطلب الناس الى الحاكم ان يحبس القادمين في المحجر الصحي لكن الحجاج عادوا الى بيوتهم زرافات ووحدانا قبل ان تتدارك السلطة امرهم . وقلق الناس لمرور قافلة الايرانيين وقد شاع عنهم انهم زرعوا الوباء في ساحل سويس ومعهم جثث موتاهم يحملونها ليدفنوها في بلادهم ولم يحسنوا تحنيطها . وسار على رأس القافلة المذكورة عيسى خان مدير شرطة طهران وميرزا حسن علي رئيس مجلس تبريز . وأتت القافلة عن طريق دمشق وكانوا قد قرروا في الشهباء ان يمكوا الحجاج الايرانيين بعيدين عن البلدة بثلاثة فراسخ ويحملوا اليهم ما يحتاجون اليه من المؤن ليواصلوا سيرهم فلا يدخلوا المدينة . لكن تهاون الاتراك حال دون تنفيذ الاوامر الصحية فقربت القافلة حلب ودخلتها في ١٦ آب . فهاج الاهلون ورفعوا شكواهم الى ثريا باشا فامر ثريا بطردهم وقد توزعوا في البلد وغصت بهم

١) بردخجي جاء ذكر سوسان بنت مخائيل بردخجي في لائحة الروم الكاثوليك المعمدين عند الموارنة في ١٩ ك ٢ ١٨٢٢ — الاشينة عنها صوفيا — المعمّد القس الياس راجي

الاسواق . وحدث اوليات اصابات الوباء في ١٦ آب فكانت حجة احتج بها الاهلون في قولهم ان الوباء لم يدخل الا مع الحجاج الايرانيين .

ومهما كان من صحة القول او عدمه فقد تأثرت حلب من الهواء الاصفر كما تأثرت غيرها من البلاد فان المرض كان قد ظهر منذ ٩ آب في قرية قراغاش بالقرب من اسكندرونة وكانوا قد وضعوا الحجر الصحي على صادرات اسكندرونة من دون السعي الكافي في تدبير طرق الوقاية منه في حلب الى ان انتشر وصار يفتك في السكان فتكه الذريع ولم تنطفئ شرارته الا في ٢٢ تشرين الاول بعد ان ذهب بحياة ما يزاهي عن ٦٠٠٠ نفس .

وصارت آفة هواء الاصفر فرصة سانحة لانجلاء عواطف الانسانية والتفاني النبيل في من تجندوا في خدمة المرضى ومساعدتهم من اطباء وحكام ورجال الدين .

الحجارة المؤلهة

وعبادتها عند العرب الجاهليين

من آثار المرحوم الاب هنري لامنس

٣

سنحاول الآن ، بالاستناد الى كل ما تقدّم ، ان نرتقي الى اقدم المعروف عن صفة « القبة الحمراء » او القبة من أدم أحمر التي كانت تحتلّ المركز الاول في منازل القبائل الكبرى او في احياء السادة الاشراف . وذلك زمن الجاهلية . حتى اذا جاء الاسلام ، ظلّت هذه القبة على مركزها من الاهمية والرفعة في معسكرات الخلفاء والقوّاد ، ولاسيما في الاحوال الحرجة ، في تلك المآزق التي يكون فيها مستقبل الدولة او « قبة الاسلام » على قول بعض النصوص ،[1] عرضةً للخطر ، كما حصل يوم صِفّين . وقد أكد بعض الاحاديث ان النبي نفسه ، ومزاحمه مسيلمة الكذّاب ، اتخذا هذه العادة باستعمال القبة الحمراء .[2] من ذلك القبة الحمراء التي نُصبت للاجتماع بين مسيلمة وسجاح[3] . وقد كان

١) الاغاني ٢٠ : ١٤

٢) راجع *Fâtima*, p. 73 النسائي : السُنن ٢ : ٢٠٢ ؛ البخاري : الصحيح (Kremer) ٤ : ٨٩ . ويذكر ان النبي كان يحمل في سفره مضربه من الادم الاحمر ، ويرتدي الاحمر ؛ الواحدي : اسباب النزول ١٥١ ، البخاري : الصحيح (طبعة القسطنطينية) ١ : ٩٩ ؛ ابو داود : السنن (مخطوطة باريس) ١٠٤ وجه ، السيوطي : الموضوعات ١ : ٢٢٠ . وهناك امثلة اخرى : في زمن الحجّ (ابن سعد : الطبقات ٢ : ٨٨ ؛ اسد الغابة ١ : ٢٥١) . في تبوك (ابو داود : السنن (طبعة الهند ١ : ١٩٩) . في حُنين (البخاري : الصحيح (القسطنطينية) ٧ : ٥٠ ، مسلم : الصحيح ١ : ١٩١ ، ١٩٢) . في الخندق (السيرة الحلبية ٢ : ٢٥٤) .

٣) الاغاني ١٨ : ١١٦ ؛ وراجع *Fâtima*, p. 67 . وكان لعمر بن ابي ربيعة « قبة حمراء من أدم » يتخذها زمن الحجّ . الاغاني ١٠ : ٥٣ : وهو تقليد مأخوذ عن « الحُمس » ، ان لم يكن اضافه احد الرواة المُعتَنين بالشؤون القديمة

النبي يقدر ، دون شكّ ، اهمية المظاهر الخارجية . بيد انه ، في اتخاذه القبة الحمراء كان يرمي الى اضعاف الخصائص الدينية الجاهلية باخضاعها لشخصيته ، وتحويلها عمّا كانت ترمز اليه .

وهكذا كان بشأن كلمة « الرب » التي اصبحت ، في لغة القرآن ، تعني لقباً دينياً فقط . وغدا النبي يحتجّ على استعمال « الكاهن » وما شاكل من الاسماء التي كانت تفيد ميزة ثقافية في العصر الجاهلي . حتى انه منع استعمال كلمة « الرب » في العلاقات الاجتماعية[1] . وقد دعا نفسه « الحَكَم » في العهد ، يوم استسلام المدينة ، وهو الحاكم المطلق الذي يجب ان يطيعه جميع المسلمين ، بعد ان يطيعوا الله : « اطيعوا الله واطيعوا الرسول » .

اما القبة فعاشت بعد كل هذه التطورات . وقد رأينا ان استعمالها الاول قديم يرقى الى عهد كان سيّد القبيلة يضرب خيمته الى جنب « البيت » او الحجر المؤلّه الذي كان من حقه وواجبه ان يحافظ عليه[2] . ويذكر ولهوسن[3] « الآلهة المنزلية » ويقول انها كانت في حوزة السيد . وكلها آراء عرضة للشكّ والخطأ كانت نتيجة التسرّع وعدم التدقيق في درس ولهوسن ومن سبقه من مؤلفي المسلمين لدور « القبة » الحقيقي في دين الجاهلية . ونحن لا نرى اي ذكر « للآلهة المنزلية » ، كما يفهمها ولهوسن ، الا في الاساطير المعروفة في « السيرة » و « دلائل النبوّة » وهي اخبار تكتنف صحتها بكثير من الشك . وفيها روايات عن اعمال المؤمنين الاوّلين وانتقامهم من الاصنام بتكسيرها واحراقها ، وهي من الحجر ! . حتى تُصبح هذه الغيرة على تحطيم الاصنام من الامجاد التي يتنازعها رجال الطبقات[4] .

١) مسلم : الصحيح ٢ : ٢٦٤

٢) كان السادن ينام قرب الحجر المؤله . وفي اسد الغابة ٤ : ١٥٣ : « نمت انا في بيت الصنم . » اي في القبة – المظلّة .

٣) Wellhausen , *Reste*, 49 ...

٤) ابن سعد : الطبقات ٣ : ٢٤ ، ٥١ ، ٦٩ ، ١١٨ ، ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٤٠ ، ١٤١ ؛ ابن هشام : السيرة ٢٥٤ ، ٢٠٣ ، ٨٣٣ ؛ اسد الغابة ٣ : ٥٥ ؛ السمهودي : الوفاء ١ : ١٧٨ ؛ مطهّر المقدسي ٥ : ١١٧

اما الحقيقة فهي ان الأشراف كان من حقهم، لا امتلاك « الآلهة المنزلية »، بل المحافظة على البيت او الحجر المؤلّه. وهم يحرسونه لا في المنزل او المضرب بل في القبة الخاصة به، وهي قبة القبيلة. وكانت هذه القبة تُضرب الى جانب خيمة السيّد. وهو معنى المزيّة الخاصة بالقول ضُربت عليه القُبة[1]. وفي بعض الاحايين يفسّر النصّ، بان هذه القُبة هي التقليدية المتوارثة فيُقال: « ضُربت عليه القُبة الحمراء، وهي قُبة مضر الحمراء، » المقدسة التي انتقلت جيلًا فجيلًا الى ممثل السيادة في المجتمع البدوي[2]. ويمكن الملاحظ ان يرى صلة دائمة بين انتقال البيت وامتلاك القُبة[3]. حتى ان الواحد لا يكون دون الآخر، او يبقى عقيماً لا منفعة منه. اما اذا اجتمعا للرجل فانه يضمن لقب « السيد » او « الرب » خاصة[4]. ويصبح هو وذووه، حرّاس او حفّاظ الحجر المؤلّه لا يدافعهم في ذلك احد؛ وهو معنى القول السائر: « هم البيت غير مدافعين »[5]، مقتضباً من القول: « هم ارباب البيت غير مدافعين. »[6] بهذا المعنى يمكن القول ان الآلهة، وبالتالي القُبة، كانت في ايدي الاشراف[7] او سادة الاسر الارستوقراطية، اي البيوتات[8]، كما قيل في ما بعد.

ونتيجة اخرى لهذا الامر أنه ليس في القبيلة المجتمعة من اصل واحد، الا « بيت » واحد، او « قبة » واحدة. واذاً فمن الاعتباط ان نتكلم عن « الآلهة المنزلية » او عن العبادة الفردية. فان عربيّ الجاهلية لم يعرف الا العبادة الشاملة، تلك الشعائر التي تقوم بها القبيلة بكاملها في ظروف خاصة ومظاهر قليلة كانت

---

١) قابل بما في الاغاني ١٤ : ١٠٥

٢) البكري : المعجم ٢٤، ١٥، ١٦ ؛ *Chroniken*, II, 141

٣) البكري : المعجم ٢٤، ٤٦٤، ١١ ؛ نقائض جرير والفرزدق ٦٧١

٤) راجع *Chroniken*, II, 141 وقد تُستعمل كلمة « رياسة » مرادفة لهذه الصفة.

٥) ابن دريد : الاشتقاق ١٧٢، ١٨٠

٦) راجع *Berceau*, I, 268

٧) يشير ولهوسن الى هذا الامر (ص ١٦) دون ان يستخرج النتائج التي لم ينتبه لها.

٨) ابن هشام : السيرة ٢٠٢. اما بشأن « البيوتات » فراجع ابن دريد : الكتاب المذكور ٢٢٨ ؛ *Berceau*, 316 ؛ لسان العرب ٣ : ٢١٩، وفيه يقال : « فلان بيت قومه ».

كافية لاستنفاد جلدة التقوي . وكان اذا خاف تأثيراً سيئاً من بعض القوات اللابشرية لجأ الى التمائم ، وهي افضل وانجع في نظره من وجود تماثيل الآلهة في خبائه او داره .

ولنسأل الآن هل تذكّر « الحديث » هذا الماضي العريق المصطبغ بعض الشيء بالشرك ، عندما جعل النبي يشجب اللون الاحمر بكونه لون الشيطان المفضّل ؟ [1]

❁

ان « البيوت » المتنقلة او الحجارة المحمولة ، والقبب - المظالّ عملت على تعزيز الطرافات الدينية[2] . وذلك ان الحجارة المؤلّهة لم تكن لتُنقل الا في موكب من الكهّان والكاهنات والسَدَنة ومن إليهم من ذوي العلاقات المباشرة بالقوة الالهية . وفي ايّ زمن اقلع العرب عن اتخاذ الحجارة النقّالة ؟ لا شكّ انهم اقتربوا شيئاً فشيئاً من هذا الأمر في تطوّر متتابع حتى انه كان على تقدّم ، قبيل الهجرة ، ولاسيما في الحجاز وما جاوره من اطراف نجد وهي المناطق التي كانت مهد الإسلام ، وبالتالي فهي التي تهمّنا وحدها في ابحاثنا هذه[3] ، كما انها كانت موضوع انتباه الأثريين الإسلاميين ومؤلفي السيرة . ولا يخفى ان وجود بعض الحجارة المؤلّهة في عكاظ يوافق ما نعرفه عن صفات الأسواق العربية من أنها كانت ايضاً اماكن للعبادة . وقد كان لعكاظ حَرَم ، على قول الاغاني[4] . وقد يكون وجود اللات والعزّى في أُحد آخر مظهر لمرض هذه « البيوت » او الحجارة المؤلّهة . فيكون ان سراة مكة ، وقد منوا بانكسار بدر فتداعت اركان جمهوريتهم ، شاؤوا هزّ الشعور القومي هزّاً عنيفاً ، فلجأوا الى احياء هذه المشاعر القديمة في مظاهرة غريبة يدفعون بها الوطنيين الى التأثّر

---

١) اسد الغابة ٥ : ١٢ ؛ راجع *Fāṭima*, 71 . واطلب في شأن قبة النبي الحمراء ، البخاري : الصحيح ١ : ١٠٧ ، ٢ : ٢٨٩ ، ٢٩٨

٢) قابل بالتعبير « قبة الاسلام » ، الشاعر عُديل في الاغاني ٢٠ : ١٤ ؛ « وقبة الكرم » الاغاني ١٤ : ١٠٥

٣) وهكذا فاتنا ضمن بلاد اليمن ، وهي تختلف في ما خصّ مظاهر التطوّر الديني .

٤) الاغاني ١٠ : ٣٩

برأى آلهة مدينتهم العريقة ، فاستعادة الثقة بها والايمان بتأثيرها ، بعد ان كاد هذا الإيمان يتمحي بما فطر عليه البدوي من عبث وعدم تقوى. بيد اننا في هذا المبحث ايضاً نرانا مضطرّين الى الأخذ بنصوص منقوصة لم يبقِ منها الرواة الأوّلون الّا ما شاءت نزعاتهم.[1] وقد كانوا مدفوعين الى تجاهل هذا الماضي الجاهلي ، ولاسيما في ما خصّ النظام الديني ؛ فلم يبقوا من النصوص والوثائق القديمة الّا ما وافق فكرتهم او فكرة من أثّر عليهم من ارباب السلطة. وكلّها ترمي الى تناسي « القبب الحمراء » « فخر العرب »[2] « ومجد الجاهلية » ، كما يقول الفرزدق ، وما الى ذلك من المظاهر المكية في طوافات رجب « والعتائر » الدامية ، والاختلاطات الصاخبة التي أنف منها النبي لما فيها من دلائل الشرك الوثنية . ويجب الّا نسهو عن مثل هذه الأمور كلّما طالعنا القرآن . وليس فيه ذكر « للبيوت » بمعنى الحجارة المؤلّهة ، ولا « للقباب - المظالّ » .

❁

ظلّت الحجارة العديدة مدةً طويلة تحتلّ فناء الكعبة ، اي الساحة المحيطة بها[3] . على انها لم تبلغ ذاك العدد الكبير الذي ترقى به الاسطورة الى ٣٦٠ يحطّمها النبي يومَ الفتح . وكان ذاك الفناء الضيّق ، وقد حصرته المنازل المتقدّمة من كل جهة ، يكوّن « مسجد الكعبة » ومجتمع القرشيين . ويزعم القرشيون ان نظام مجتمعهم هذا ، او دستور جمهوريتهم ، يرقى الى جدّهم قُصَيّ . واليه ينسبون كل ما يأخذون به او يطبقونه عليهم من مؤسسات وقوانين وشعائر مدنية ودينية[4] . وقد يكون قُصَيّ ، عندما شاء ترميم الكعبة[5] ، انتخب

١) فلم يروا في قُبّة سيمة الا الملجأ . وقابل بما في قول ابن دريد : الكتاب المذكور ، ص ٢١٥

٢) الجاحظ : الحيوان ٥ : ١٤٣

٣) وهو ما يسمّى « مسجد الكعبة » ، اسد الغابة ٦ : ٥٧ . وبعض الروايات تضع الحجارة داخل الكعبة اي ضمن السور الحجري ، لأن الكعبة لم يكن لها اذ ذاك سقف ولا بلاط .

٤) قابل بما في حسّان بن ثابت : الديوان ١٧٦ : ٥

٥) ابن دريد : الاشتقاق ٩٧ . وقد يكون قُصَيّ غيّر في مساحة الفناء ، وزاد في بناء الكعبة .

عدداً من تلك الحجارة المكرّمة[1] . من ذلك اننا رأينا ، بعد الترميم ، الى جنب الحجر الاسود ، وهو اهمّ مُؤَلّهات قُريش ، عدداً من « البيوت » و « الاركان » و « الحجارة » تحتلّ جوانب الكعبة . ويبذل التقليد السنّي جهوداً كثيرةً في سبيل ستر هذه المظاهر الانتقائية في الدين ، بعد ان دلّ عليها الترادف اللغوي ، كما دلّ عليها عدد الحجارة المحفوظة مكرّمةً في الإسلام الموحّد . فيحاول التقليد حصر انتباهنا في الحجر الأسود وحده . بيد ان الشعراء الجاهليين لا يهتمّون بهذه المرامي المتأخرة عن عهدهم . وهم ، ان لم يذكروا الحجر الأسود ، فلأنهم لم يسمعوا بعلاقته بالتوحيد الابراهيمي ، بل لم يتصوّروا وجود هذه العلاقة ، خلافاً لما يزعمه ابن هشام[2] . وهم ، فوق ذلك ، يذكرون ، غير الحجر الأسود ، من المعبودات في مكة . يشهد بذلك هذا البيت لحسان بن ثابت ، شاعر النبي ، في هجاء بني هُذَيل :

وما لهمُ ، اذا اعتمروا وحجّوا ، من الحَجَرين والمسعى نصيبُ[3]

والقصيدة متأخرة بضع سنوات عن زمن الهجرة ، كما يظهر من النصّ نفسه . وقد اوحى بها امر « الرجيع »[4] ، موحي سائر الاهاجي الموجهة الى بني هذيل . اما « الحجران » فقد نظنّ انهما الصفا ومروة[5] ، لولا ان القرآن سمّاهما « المشعرين »[6] ، وجرى الشاعر المدني نفسه على هذه التسمية في احدى قصائده[7] . واما « المسعى » فقد يمثل طواف غير طواف الصفا ومروة .

وكانت الحجارة المصطفّة في فناء الكعبة[8] عرضة للسيول التي كثيراً ما

---

١) كان النبي يكرّم خاصة الحجارة الموجودة « من نحو دور الجُمحيين » : مُسلم ، الصحيح ١ : ٤٨٧

٢) السيرة ٥٥

٣) ديوان حسّان ٦٨ : ٢

٤) ابن هشام : السيرة ٦٢٨

٥) وكلتا اللفظتين تفيد معنى « الحجر »

٦) القرآن ٢ [البقرة] ١٥٢

٧) راجع ديوان حسّان ٨٨ : ٢

٨) راجع مسلم : الصحيح ٢ : ٨٦

لطّختها بالوحل ، او جرّتها الى اماكن بعيدة[1] . فوجب من ثم العمل على وقايتها . واحياناً كانت مياه السيل تدخل الكعبة ، وتخلخل آساسها . فيقوم القرشيون على ترميمها دون اهتمام بحسن الهندسة احياناً[2] . وقد جرت احدى هذه الترميمات في حداثة النبي ، فأُعيد الحجر الأسود الى مكانه من جدار الكعبة[3] . على ان السيرة تتناسى مصير باقي الحجارة او « الاركان » فلا تذكر عنها شيئاً . ولا يشير « الحديث » الى عدد « الحجارة » الموجودة في بناء الكعبة[4] .

ولم يكن هذا العدد بالقليل . ولا ننسَ ان ارباب الاحاديث يجعلون منها ، امام النبي يوم الفتح ، ٣٦٠ ، وهي « الانصاب » التي تُركت في فناء الكعبة الضيّق ، على قولهم[5] . وقد استفادت المجموعات من المعنى المزدوج للفظة « رُكن » ، وهي تفيد « الحجر » و « الجهة » او « الناحية » . وهكذا غدا الحجر الاسود يُدعى « ركناً » او « الركن » على الاطلاق[6] ؛ مما يدل على ان « الركن » كان مشهوراً في مكة بمعنى الحجر المؤلّه .

١) ابن سعد : الطبقات ١ : ٩٣ . حصل سيل جارف على عهد المأمون ؛ الجاحظ : المحاسن ، ١٩ . وقد عرضنا الى ذكر هذه السيول المؤذية في بحثنا عن « مكة قبيل الهجرة » ص ١٠٣ وما بعدها .

٢) مما اثار احتجاج النبي ، راجع جغرافية المقدسي ، ص ٧٤

٣) ابن هشام : السيرة ١٢٢ . ولا يخفى ان ابن اسحق ، وهو من موالي العباسيين ، يميل ، في هذا الخبر ، الى تأييد الدعوة العباسيّة اكثر منه الى الدقة التاريخية .

٤) وكثيراً ما نرى الاشارة الى هذه الحجارة بصيغة الجمع فيُقال : « الاركان » . وفي سُنن ابي داود ١ : ١٨٧ يُذكر « ركنا » اليمن . قابل بما في رحلة ابن جبير ٨٣ . وهناك ذكر « لحجارة » داخلة في بناء الحائط . اطلب Snouck Hurgronje, *Mekka*, I, 2. ؛ وابن هشام : السيرة ، ٢٩ . وفي طبقات ابن سعد ١ : ٦٤ : « الله ذو الاركان » في قصيدة منحولة الى عبد المطلب .

٥) راجع البلاذري : فتوح البلدان ٤٠ ؛ ابن حنبل : المسند ١ : ٢٧٧ ؛ مسلم : الصحيح ٨٦

٦) راجع مثلاً ابن هشام : السيرة ٧٨٩ وفيها يُسمّى : « الركن الاسود » . ابن الاثير : النهاية ٢ : ٤٧ ؛ كتب الصحيح والسنن في « كتاب الحج » ؛ ثم مسلم : الصحيح ١ : ٤٨٧ ؛ *Chroniken*, II, 138 ؛ البخاري : الصحيح ٢ : ١٦١ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ؛ ابن سعد : الطبقات ١ : ٩٣–٩٤

ويظهر ، في زمن الهجرة ، انه كان لاكثر الأُسر القرشية المهمّة « اركان » خاصة ، تنفرد كل واحدة بركن منها . وقد ذُكر منها « ركن بني جُمَح »[1] . على ان المفسرين حاولوا تخفيف هذا التعدُّد في معبودات القرشيين ، فزعموا ان ليس الركن هنا بمعنى « الحجر المؤلَّه » بل بمعنى الجهة او الناحية من الكعبة « من نحو دور الجُمحيين »[2] . وقد نفهم من هذا كيف عملت الأُسر المكية الكبرى على اقامة انديتها او مجالسها في فناء الكعبة ، كل واحدة بقرب معبودها او حجرها المؤلَّه ، دون شك . وهناك ذكر للحجر الاسود والذي بجواره[3] . على ان الذكر المستفيض في كل هذه المجموعة الحجرية في فناء الكعبة يختصّ به « الركنان اليمنيان »[4] . وقد شاءت احدى الروايات ان تحوّلها الى « ركن يمني او يماني » واحد[5] . وهناك ذكر لحجرين يُكرَّمان في الصفا ومروة[6] . ولغيرهما من الحجارة المزدوجة[7] .

ينتج مما تقدّم الميل الى تكريم الاركان مزدوجةً . وهذه الفكرة في الازدواج هي التي اثرت في الطوافات المكية من « عُمرة » و« دَوَار » و« مسعى » . ولم تختصّ مكة بهذا الازدواج . وقد رأينا مظاهره في غير مكان من البلاد العربية[8] : في معركة أُحد مثلاً . وفي بيئة القطعة الخزفية التي درسها الاستاذ كومون . ومن السهل ان نعدّد الامثلة والشواهد على هذا الازدواج في عبادة الجاهليين ، وعلى ميلهم الى ذكر الحجارة او المعابد مزدوجة . وهذا حسان يتم

١) البناوي : مصابيح السُنّة ١ : ١٢٥ ؛ النسائي : السُنن ٢ : ٢٦ ؛ مسلم : الصحيح ١ : ٤٨٧

٢) مسلم : الصحيح ١ : ٤٨٧ ؛ النسائي : المكان المذكور .

٣) مسلم : في المكان المذكور .

٤) او « الركنان » فقط ؛ البناوي ١ : ١٢٢ ؛ ابن هشام : السيرة ١٢٤ ؛ مسلم ١ : ٤٨٦ ، ٤٨٧ ؛ ابو داود : السُنن ١ : ١٨٧ ؛ النسائي : السُنن ٢ : ٢٤ ، ٢٩ ؛ الدارمي : السُنن (مخطوطة مكتبة القاهرة) ٢٦٢ . وفي صحيح مسلم ١ : ٤٨٧ : « الركن الاسود وركن بني جُمح » .

٥) مسلم ١ : ٤٨٧

٦) الطبري : التفسير ٢ : ٢٨

٧) الدارمي : المخطوطة المذكورة ٢٦٢ ؛ النسائي ٢ : ٢٤ ، ٢٩ ؛ ابن هشام : السيرة ٢٢٨

٨) ديوان حسّان بن ثابت ٦٨ : ٢

ثابت يُسمّي مُطعم المكّي « رب المشعرين »[1] ، وقد ذكرنا له بيتاً يشير فيه الى « الحجرين » . وهذا شاعر مدنيّ آخر ، قد يكون تأثّر به حسّان ، وهو ابن الحُدادية ، يذكر « سعاية بين المشعرين »[2] . ولنشر الى الازدواج المعروف في الصفا ومروه ، وفي عَرَفَة والمُزدَلِفَة ، وأخيراً في « القَرنَين » ، حَجَرَي الحيرة المكرّمين ، المصطبغين بالدم كما يدلّ اسمها . وقد يكون هـذا الازدواج القديم أثر في تعميم التعبير الاسلامي « المَسجِدَين » الدالّ على مكة والمدينة[3] .

وكان من عادة الجاهليين ، في الأيمان المعظّمة او في الاتفاقات المشهورة ، ان يغسلوا بماء زَمزَم « أركان البيت » ثم يوزّعون ماء الغسيل على ارباب العقد فيشربونه[4] . رأينا ان الازدواج غالب في ذكر الحجارة . على ان كثرتها وتنوّعها يجيز الجمع في لفظة « الأركان » . ولنشر الى النصّ الذي يذكر فيه « ركنان » مجاوران للحجَر الأسود[5] . الّا ان يكون المعنى ركنان مجاوران لِحِجْر[6] . وكلتا القراءتين ممكنة . ومهما يكن من موقع هذه الحجارة فان جميعها جديرة بالتكريم تكريم الحجر الأسود نفسه . واذاً فلا غرابة ان يكون معاوية وابن الزُّبَير يكرّمان جميع « الأركان » الداخلة في حيطان الكعبة دون تمييز[7] . وهي عادة لا شكّ في تأثرها بالعادة الجاهلية[8] ، شارحةً

١) ديوان حسان بن ثابت ٨٨ : ٢

٢) الاغاني ١٣ : ٦ ؛ ٣ : ٩٩

٣) قابل بما في القرآن ٥٥ : ١٦–١٧ وفيه ان الله ربّ « المغربَين والمشرقين »

٤) الاغاني ١٦ : ٦٦

٥) أهو حَجَر ام حِجْر ؟ راجع مسلم . الصحيح ٢ : ٥١ ؛ النسائي : السُنن ٢ : ٢٤ . ويذكر البَتَنوني في « الرحلة الحجازيـة » ص ١٠٥ ، حجرًا في الركن اليماني اسمه « الحجر الأسعد » .

٦) البخاري : الصحيح ٢ : ١٥٦ . ويظهر ان النبي والصحابة كانوا يكرّمون جميعهم هذين الركنين ، أسد الغابة ٣ : ٢٤

٧) البخاري : الصحيح ٢ : ١٦٢ ؛ ابن حنبل : المسند ٤ : ٩٤–٩٥ ، ٩٨ . ولا يخفى ان معاوية وابن الزبير يمثّلان ، في نظر ارباب الحديث ، نزعتين متماكستين

٨) راجع الجَدَل في ذلك في ابن الأثير : النهاية ٤ : ١٦٢ . وقد ينتج من ذلك ان النبي لم يكرّم الا « الركن الغربي »

كيف اصبح « المسجد الحرام » ، وقد احتلّ وسطه « بيت الله » ، المعبد الوطني الجامع آلهة قريش وقبائل تهامة[1] .

والحَطيم الواسع الذكر في الأيمان الشعرية ؟ ان الغيوم المتراكمة بالشروح المختلفة لأكثف من ان تسمح لنا بتحديد طبيعة « الحطيم » واصله[2] . هل هو حائط الكعبة المجاور للحِجْر[2] ؟ ام هو مرادف حِجْر؟ وهكذا نرى النبي يقوم في الحطيم[4] بالشعائر التي تُقام عادة في دائرة الحِجْر[5] . هو شرح لا خطر فيه أقرّه ارباب الحديث ، واخذ به ولهوسن من بعدهم[6] . وقد أيد رأيه بالتعبير « حطيم البيت » . قلنا: وهي طريقة لم يكن لينكرها ابن دريد وابن سيده وامثالها من هواة « الإشتقاق » والتخريج .

اما نحن فلكي نتمكن من اقرار نتيجة كهذه يجب ان يثبت لنا ان الحِجْر كان منذ القديم قسماً من الكعبة . من الحق ان احد الاحاديث يقول بهذا . ولكن اي قيمة تاريخية له ؟ ثم ان ولهوسن يذكرنا برأي معاصري النبي ان الحطيم اسم شيطان او صنم[7] . واذاً فكيف نوفق بين معادلة الحطيم

١) كبني خزاعة وغيرهم من القبائل المجاورة الذين كانوا في مكة قبل القرشيين ، وتركوا فيها آلهتهم .

٢) اما في يومنا فالحطيم والحِجر واحد . راجع L. Roches, *Dix ans à travers l'Islam*, 297-298 ؛ اطلب ، في رحلة ابن جبير ، المقاطع المذكورة في الفهرست وزد عليها ص ١٠٣ ، ١٨٠ ، وفيها ان الحطيم هو القبة التي يقف فيها ائمة المذاهب السنية الاربعة . وكذلك في رحلة ابن بطوطة ١ : ٢٧٤، ٢٩٢ ، الذي كثيراً ما نقل عن ابن جبير ، راجع في ذلك الانتقادات المنشورة في *Journal Asiat.*, 1918, p. 474

٣) ابن هشام : السيرة ١٢٤ . قابل بالرأي المنسوب الى ابن عبّاس : الحطيم الجَدْر يعني جدر الكعبة . ياقوت ٢ : ٢٩٠ . اما الجَدْر فمعناه الحِجْر . البخاري : الصحيح ٢ : ١٥٦ ؛ ابن الأثير : النهاية ١ : ١٤٨ ، ١٥٠ . ٤) ابن دُرَيْد : تيسير الاصول ٣ : ٢٢٤

٥) ابن هشام : السيرة ٧١، ٩١، ٩٣، ٢٦٤ ؛ ابن حنبل : المسند ٤ : ٣١ ؛ الطبري : تاريخه ١ : ١١٥٧ ؛ البلاذري : انساب الأشراف ١٦٢ وجه ؛ مسلم : الصحيح ١ : ٨٢

٦) Wellhausen, *Reste*, 74 ؛ ابن الأثير : النهاية ١ : ٢٢٧

٧) *Reste*, 74, n. 1 وفي ياقوت : معجم البلدان ٢ : ٢٩٠ ان الحطيم « ما بين الركن الاسود الى الباب الى المقام حيث يتحطّم الناس للدعاء . وقال ابن دريد : كانت الجاهلية

للحجر[1] ، وهذا الرأي الاخير ،[2] واقوال الشعراء وتلميحاتهم[3] . فان اقوالهم الغامضة ، التي زادهـا التباساً واضطراباً عمل الرواة والشرّاح ، تضع « ركن الحطيم »[4] الى جنب « رب مكة » فيكون الحطيم «ركناً »[5] اي حَجَراً . ولا يخفى ان الكلمتين مترادفتان في مكة . وهل تخطئ ، بعد هذا ، اذا اعتبرنا وجود حجر مؤلّه او معبود لم يُذكر في لائحة « الحجارة » ، اسمه الحطيم ؟

وكان ينافس سائر « اركان » الكعبة في احترام الشعب فيكرّمه الحجّاج تكريمهم « ربّ البيت العتيق ».[6] ومن اضطراب الشرّاح انّ بعضهم لجأوا الى

تتحالف هنـاك يتحطّمون بالأيمان . وكل من دعا على ظالم وحالف اثماً عجّلت عقوبته . » (كذا !) وفي اشتقاق آخر ، في الموضع نفسه : « سُمّي حطيماً لان البيت رُبّع وتُرك محطوماً . »

١) راجع جغرافية المقدسي ٧٢، ٧٥ وفيها انه الحِجْر اي الناحية « مما يلي الميزاب . » اطلب ياقوت : الموضع المذكور ؛ ابا تمام : الحماسة ٧١٠ ؛ لسان العرب والتاج في مادة حطم . على ان هذا «الميزاب» لا يرقى الّا لسنوات قليلة قبل الهجرة ، لأن الكعبة في الأصل « لا سقف عليها » . وقد اورد اللسان عن ابن سيده انه سُمّي الحطيم لانهم « كانوا يحلفون عنده فيحطم الكاذب » وزاد على هذا الشرح انه « ضعيف » . اما الهمداني في « جزيرة العرب » (ص ٢٧٢) فانه يميّز بين الحجر والحطيم . وهناك غير ما تقدّم من شروح واشتقاقات في لسان العرب ٨ : ٢٩ — ٣٠ ؛ وتاج العروس ٨ : ٢٥١ ؛ وقد لخّص Lane, *Lexicon* نحو اثني عشر منها .

٢) اضف اليه الرأيين التاليين : ١ً الحطيم ما بين المقام او الباب . ٢ً الحطيم ما بين الركن والمقام وزمزم والحِجر ؛ ياقوت : ك . م . ٣ : ٢٩٠—٢٩١ ، ٦ : ٦٢٩ ؛ ابن بطوطة : رحلته ١ : ٢١٦ يجعل الحطيم ومقام ابراهيم واحداً

٣) ابن ملجم يحلف قرب الحطيم بانه يقتل عليّاً ، الطبري : تاريخه ١ : ٣٤٦٤ ؛ ابن الأثير : الكامل ٣ : ٢٢٩ ؛ ولا يمكن استنتاج شيء في تحديد الحطيم من قول ابي داود : السُنن ١ : ١٨٩

٤) وقد ورد في بيت للحزين ، في حماسة ابي تمام ، ٧١٠ . واذاً فلا يمكن جعله الحِجْر نفسه ، وليس الحِجْرُ بركن . اما بشأن نسبة البيت فراجع الاغاني ١٤ : ٧٨ ، ٧٩ . ولا ينفي ذلك المعادلة بين الحطيم والحجر الاسود . وليس لنا نتيجة من قول الاغاني ١٣ : ٤٠

٥) في بيت منسوب للفرزدق ، الاغاني ١٩ : ٤١ ؛ وفيه ان الحطيم يُقبَّل وهو عمل لا يصح بالنسبة الى الحِجر .

٦) الاغاني ١ : ١١١ ، ٥ : ١٥٢ ، ١٤ : ٧٩

التوحيد بين الحطيم والكعبة . وقد يكون من أثر هـذا الجمع ذاك الحديث الذي عدّه السيوطي بين « الموضوعات» والذي ينسب الى النبي قوله ان درهم الربا افظع من ستة وثلاثين زنىً في الحطيم.[1] على ان هذه المحاولة في التوحيد بين الحطيم والكعبة تصطدم بوجود التعابير القديمة من مثل « حطيم البيت » و« حطيم الكعبة . » وكلها تفيد علاقة لا معادلة بين الأثرين . وهذا التعبير الاخير وارد في بيت شعر قديم يذكر الحطيم موضعاً للأعيان[2] . وسرع ما يتحقق المطالع تجاه هذه الشروح والتفاسير المتعدّدة اضطراب الرواة والمحدّثين واجتهادهم في تغطية ما قد يُشتمّ منه رائحة الشرك .

وقد رأينا الكثير من هـذه الحجارة المحفوظة في جوانب الكعبة تتمتّع حتى يومنا بمظاهر التكريم كما يتمتع بها الحجر الأسود . امـا شكل الكعبة القديم بجدرانها الملساء ، الخالية من السقف ، المفتوحة لاستقبال الحجارة المؤلّهة ، فانه يرقى ، على الارجح الى عهد الترميم الذي قام به قُصيّ . وفي ذاك العهد أُحدِثت مُنشآت مختلفة بجوار الكعبة ، كدار الندوة[3] . فغدت الكعبة مع فِنائها الدائر بها المستعمل للطواف الديني ، تكوّن المسجد الارستوقراطي ، او المعبد الخاصّ بابناء قُصيّ الذين كانوا يغارون عليه ويقومون بخدمته وحراسته[4] . اما ما سوى ذلك من تاريخ تطوّرات هذا البناء في العهد الجاهلي فـلا نعرف عنها شيئاً . وليس في مرويّات الأزرقي واساطيره التي جمعها في القرن الثالث للهجرة ما يفيدنا شيئاً في هذا النقص . واذًا فترانا مضطرين الى ترك البحث عن اصل « الحِجْر » الغريب[5] ، وغايته ، وعن ذاك الجدار القليل الارتفاع المستدير

١) السيوطي : الموضوعات ٣ : ٨٣ ٢) ابن هشام : السيرة ٥٥٦

٣) ابن دريد : الكتاب المذكور ٩٧ . اما الغاية الحقيقية من هذه الدار فلا نعرفها تماماً، راجع *La Mecque* 62, 74, 101

٤) كان نادِيهم على فناء الكعبة . قابل بما في القصيدتين ١٧٣ و١٧٤ من ديوان حسان ان كانتا صحيحتي النسبة . ولا يخفى اثر الدولة العبّاسية في تكييف قصائد الشاعر المدني على رغباتها .

٥) وفي بعض النصوص يُحرّم على المصلّي ان يتجه نحو الحجر في صلاته . راجع جغرافية المقدسي ص ٧٢

من الكعبة ، وعن حقيقة القرار المتخذ بشأن « مقام ابراهيم »[1] ولماذا تُرك الحجر في مكانه قرب هذا المعبد خلافاً لما قُرّر بشأن سائر الحجارة او « الاركان » التي أُدخلت في الكعبة . وقد كان من نتائج هذا الادخال ان الاركان المذكورة جُمّدت في مراكزها فلم يعد من المستطاع نقلها في اثناء العُمرة ، اشهر الطوافات السنوية في مكة[2] . وبهذا فقدت تلك المظاهرات كثيراً من اهميتها القديمة . وقد تقدم لنا ان النبي شهد احد هذه الطوافات في حداثته ، فآلمه ما تحقق فيه من مظاهر الصخب الهمجي والشرك الصارخ . والى هذا قد تشير الآية التي تقضي على القائمين بتلك المظاهر الفاسدة بالعذاب الابدي فتقول : « ذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون »[3] . ويقول الحديث ان جميع طوافات العُمرة التي قام بها النبي كانت في غير رجب[4] ، وهو الشهر الذي كان يقع فيه عيد مكة في الجاهلية . وفي هذا دليل جديد على محاولات النبي في محو المظاهر الوثنية في عبادة المكيين .

٤

قبل ان تلاشت معالم « البيوت » النقّالة ، اخذت تتلاشى صفات الاشخاص الجامعين بين خصائص الكهانة والسيادة ، الحاملين بفضل هذا الازدواج في المهنة لقب « الربّ » الفخم[5] . وقد عرضنا مرّة ، الى هذا التعبير في درسنا الالقاب التي كان يحملها ارباب السلطة في الصحراء[6] . فيلزمنا الآن ان ندقق ، قدر

١) راجع المندسي ، Snouck Hurgronje, *Mekka*, I, 11 ؛ ٧٢–٧٣

٢) بصرف النظر عن سائر « المواكب » الدينية ، وكانت في كثرتها كثيراً ما تستدعي تحكّم البدو الشاكين ابداً . اطلب الاغاني ١ : ٢٠

٣) القرآن ٨ [الأنفال] ٣٥

٤) ابن سعد : الطبقات ٢ : ١٢٣

٥) الاغاني ٨ : ٦٨ ، ٧٠ : ١٠ : ١٥ ؛ ابن قتيبة : المعارف (الطبعة المصرية) ١٩٨ ؛ الجاحظ : الحيوان ١ : ١٦٠ (وفيه امثلة عديدة) . ويُدعى المتحدّرون من سلالة الكاهن شقّ « ارباب بَجيلة » . الاغاني ١٩ : ٥٣

٦) اطلب . . . Bercean, I, 203 ؛ في تفسير الطبري ١ : ٤٦ « الرب » يعادل « السيد المُطاع . »

المستطاع ، في قيمة هذا اللقب الذي يظهر نافرًا في تلك البيئة ، لما نعرفه من تقيّد البدو بمظاهر المساواة الديموقراطية . واذًا فلا شكّ في ان الاهتمام الديني وحده كان بامكانه ان يفرض على البدو الديموقراطيين قبول هـذا الامتياز الاجتماعي. وهذا نولدكه يميل الى الشك بصحة القول ان الجاهليين كانوا ينادون احد كهنتهم العظماء « يا ربّنا ! »[1] ومهما يكن من اسباب شكه ، فان حكمه بان القول المذكور « صورة إسلامية تمثل جهل المشركين الأعمى »[2] نراه على شيء من البساطة . فان فيه اهمالًا للاستفادة من بعض « بقـايا الجاهلية » على لغة ولهوسن . من الحقّ ان كثيرًا من المرويّات عن ذاك العصر ، التي تضخّم مجموعات الاغاني[3] ، يكتنفها الشك . وقد يكون منها هذا الخبر . ولكن من الحقّ كذلك ان الرواة والقصّاصين ، في انشـائهم لهـا ، استفادوا من بقايا وذكريات شعرية وتاريخية لا يمكننا الاستفادة منها اليوم . ولهذا لا نرى من الحكمة ان نطرح جانباً كل ما جاءنا من المرويّات القديمة ، قبل ان ندرسها ونحلّلها واحدة واحدة علّنا نستفيد تقدّماً في درس الضمير الديني في مجتمع ابناء اسماعيل .

ذكرنا في كتابنا « مهد الإسلام »[4] ، في الكلام عن اعمـال « الكهنة القدماء » ، انه كثيرًا ، ما كان يعرض لهؤلاء القائمين بخدمة الآلهة ، في اثنـاء استعمالهم وظيفتهم ، ان تتطفل في شخصيتهم اهمية دورهم ، فيخالوا انفسهم مكان تلك الآلهة المخدومة واذا بهم يستعملون طريقة الانشاء الخاصة بها . » من هذا القبيل ذاك الخبر المرويّ عن كاهن بني أسد ، عوف بن ربيعة ، الذي اجاب دعاء قومه : « يا ربّنا ! » بقوله : « يا عبادي . »[5] هذا الخبر الذي يوقع

١) قابل بالقول عن احد القرشيين من مخزوم : « ربّكم » ؛ ابن دريد : الكتاب المذكور ، ٦٣

٢) في *Der Islam*, V, 211 في نقده كتابنا *Berceau de l'Islam*

٣) وهي في اكثرها تعمل على شرح المقطوعات الشعرية فتستخدم معلومات تاريخيـة وجغرافية قد تكون موضوعة بعد الوقوف على المقطوعة الشعرية المنوي شرحها. ولا يخفى ان كل شارح يؤوّل فيها ويبدّل على ما يوافق هواه ونزعته.

٤) *Berceau*, I, 204 ٥) الاغاني ٨ : ٦٦

نولدكه في الاستغراب ، لا نراه بعيدًا ان يكون مستنتجاً من بيت لحسّان بن ثابت . في ديوان حسّان ، قصيدة يرثي بها الشاعرُ المدني سيّدًا من قريش اسمه مطعم بن عديّ . فيسمّيه « سيّد الناس » « وربّ المشعرين » وبعد اعطائه هذا اللقب الفخم ، هل يتردّد الشاعر الانصاري في القول ان المكيّين اصبحوا « عباد » مطعم ما قاموا بشعائر حجّهم !

كل هذه الملحوظات تدفعنا الى اعادة ما قلناه[1] من ان لقب « الربّ » مختصر من « ربّ البيت » ، او « ربّ القبة » ، وهو لقب عالٍ يضع صاحبه فوق سائر « السادة » فيرفعه الى مقام اكليريكي او ديني ، اذا صحّ التعبير . على ان اللقب المختصر اي « الربّ » ، لم يمنع استعمال التعبير الكامل : « رب القبة »[2] ، او « رب القبة الحمراء »[3] . وقد مرّ امام عيني القارئ كثير من هذه الأمثلة[4] . نرى هؤلاء الاشخاص ، المرتفعين عن جمهرة زملائهم في السيادة ، يخلفون « الكهنة » الذين اشارت اليهم الرُقُم النبطية[5] ، والذين كانوا

---

١) *Berceau*, I, 204

٢) او « أهل القباب » كما ذكرنا . وقد يُطبَّق هذا اللقب على الامير اللخمي ، ملك الحيرة ، كما نرى في قصائد النابغة الذبياني وحسّان بن ثابت ، حتى بعد اهتداء اللخميين الى النصرانية . فهل يكون المعنى الاصلي للتعبير دخل منذ ذاك ، في حيّز النسيان ؟

٣) او « ربّ المشعرين » كما في قول حسّان .

٤) وهذا مثل انثوي . فقد ذُكر في سُنن ابي داود ١ : ١٩٥ ؛ والاغاني ٢١ : ٦٠ ؛ واسد الغابة ٥ : ١٧ : « ربة بيت في الجاهلية » . ولا يظن القارئ ان المقصود بهذا التعبير « سيدة بيت » او « مديرة اسرة » فان هذه الصفة لا مبرّر للاشارة اليها في المجتمع الجاهلي . ان المقصود كاهنة متعلّقة بخدمة بيت او حجر مؤلّه .

٥) Jaussen - Savignac, *Mission archéologique en Arabie*, I, 213, 217, n°s 57, 58, 59. ويستغرب المؤلفان العالمان عدم وجود أثر لأيّ بناء ديني في جوار هذه الرُقُم وهو استغراب لا مبرّر له ، اذا انتبهنا لما استخلصناه من نتائج عن صفة « البيت » العربي الذي لا يفرض وجود الهيكل او المعبد بمعنى البناء الخاصّ . قابل ملاحظتنا (ص ٢١٥) بقول E. Littmann, *Zu den nabat. Inschriften von Petra*, dans *Zeitschr. für Assyr.* 1914, 17, 268-269 ليتمان اما اصل هذا الالتباس والوهم ، فإقبال العلماء من فرنسويين وألمان ، على ترجمة « بيت » بمعنى المنزل العصري *Maison* او *Haus*

يقومون بحفظ المظلّة المقدّسة او البيت او قبة القبيلة.[1] وفي الجزء الاول من مهد الإسلام ذكرنا اسماء عدد منهم ينتسبون الى اشهر الأسر العربية[2]. ونضيف اليهم الآن هشام بن المُغيرة المخزومي المشهور بكرمه حتى قيل « كان سيدًا مطعامًا » وعندما توفي اخذ المنادي يخترق شوارع مكة صائحًا : « اشهدوا جنازة ربّكم ».[3]

ولا يخفى ان تراجم هؤلاء الاشخاص الذين تقاسمت حياتهم الاسطورة ، فبلغت ببعضهم الى اعمار كثيرًا ما تجاوزت المائة بل المئات[4] فعُدّوا بين المعمّرين ، تفيدنا الكثير من التذكارات والتلميحات الراقية الى آثار المؤسّسات في الجاهلية الاولى .

بيد انه يجب ان لا نخلط بينهم وبين امراء الغساسنة وملوك الحيرة . كما قد يقود اليه لقب « الرب » المشترك ، « كربّ الشام » الدالّ على الأمير الغسّاني . و« ربّ الخورنق »[5] المشير الى ملك الحيرة . كذلك يجب ان نفصل بينهم وبين بعض امراء البادية من الذين كان من حظّهم ان تسنّوا ، لمدة قصيرة ، « بربّ الحجاز » ، « وربّ تميم »[6]. وكلها القاب ضخمة نقلها شعراء البلاط ، في ما بعد ، الى الخلفاء[7] . ولم يرضَ عنها التقليد السنّي فاشار الى ان النبي حرّمها

١) كان زهير بن جناب المشهور ينام « في قبة له من أدم » ، الاغاني ٩ : ١٧٦ ؛ ٢١ : ٦٠ ؛ *Berceau*, I, 320

٢) الاغاني ٢١ : ٦٠ ؛ *Berceau*, I, 204-205

٣) ابن دريد : الكتاب المذكور ، ٦٢

٤) من مثل زهير ، وشِقّ ، وسطيح . . . ، اطلب ابن دريد : الاشتقاق ٢٦٢ ، ٢٠٢ . والمجلّد الذي خصّه السجستاني « بالمعمّرين » ونشره Goldziher

٥) الاغاني ١٤ : ٧ ، ١٥ ؛ ابن قتيبة : الشعر والشعراء ١١٢ ، ٢٢٩

٦) ابن دريد : الاشتقاق ، ٢٢٠ ؛ الاخطل الديوان (طبعة صالحاني) ٣٠٥ . وهناك تعبير « رب العزّى » يميل ولهوسن الى نسبته الى الله (*Reste*, 35, 220) أوّ لا يكون من الاصحّ ان نُتمّ التعبير فنقول : « رب بيت العُزّى » ؟

٧) كرب مَعَدّ وما شاكل . . . الاغاني ١٨ : ١٥١ ؛ الجاحظ : الحيوان ١ : ١٦٠

بالنسبة الى البشر ،[1] ذاكرًا ان القرآن يجعل منها لقباً الهيًّا ،[2] شاجباً عمل « اهل الكتاب » في تلقيب افراد اكليروسهم « بالارباب » و« الربابنة »[3]. ولا يخفى ان الإسلام يخلو من نظام اكليريكي . واذا اضفنا الى هذا تذكارات الشرك الجاهلية العالقة بهذا اللقب ، فهنا موقف الحديث والتقليد من لقب « الربّ » موقف الحذر والإعراض . وسنرى كيف ان الشروح اللغوية تفيدنا عن قيمة هذه التذكارات القديمة في مركز « ربّ القبة » او « رب البيت » في البيئة الجاهلية .

في اقوال النسّابة ، اذا ما ترجموا للأسر الشهيرة والشخصيات الرفيعة المعروفة في تاريخ البادية ، كثيرًا ما نرى قولهم : « هم البيت » او« هو بيت قومه. »[4] واحيانًا تأتي هذه الجملة على صورة اخرى قد تكون اقرب الى الاصل وهي قولهم : « فيهم البيت » او « اليهم البيت »[5] فما هو هذا « البيت » أساس الشرف والعظمة في المجتمع العربي الارستوقراطي ؟ ولسنا اول من يلقي هذا

١) البخاري : الصحيح ٢ : ١٢٥ ؛ مسلم : الصحيح ٣ : ١٩٧ وفيه « ربّ الناس » عن احد السادة العاديين . شعراء النصرانية ٤٧٦ ، ويجب ، فيما ارى ، ان نقرأ « ربُّ » بالرفع ، بدل « ربَّ » بالنصب . وقابل بالقول « سيّد » الناس في بيت حسّان عن احد القرشيين . على ان هذا اللقب يُصبح الهيًّا في كلام صخر اخي الخنساء ، الاغاني ١٣ : ١٤٥ ، ان لم يكن هناك تحريف متأخّر العهد .

٢) اطلب فهارس القرآن في مادة « ربّ » . وينقل ابن هشام (السيرة ٣٥١) بيتًا لحسّان بن ثابت (الديوان ١٣٨ : ٢) فيستبدل بكلمة « ربّ » كلمة لا تأثير لها .

٣) القرآن ٣ [آل عمران] ٥٧ ؛ ٩ [التوبة] ١– ؛ ولاسيما بعد كفاح النبي ضدّ يهود المدينة ، راجع بحثنا *Les Juifs à la Mecque à la veille de l'hégire*

٤) ابن دريد : الكتاب المذكور ، ١٠٧ ، ١٢٠ ، ١٤٣ ، ١٨٠ ، ١٨٨ ، ٢١٤ ، ٢١٦ ، ٢٢٧ ، ٢٨٢ ، ٢٨٩ ؛ لسان العرب ٣ : ٢١٦

٥) ابن دريد : ك. م. ١٠٧ ، ١٢٠ ، ١٤٣ ، ١٧٣ ، ١٧٤ ، ٢٢٦ ، ٢٨٢ ، ٢٨٩ ، ٣٠٥ ؛ *Mo'awia*, 50 ؛ نقائض جرير والفرزدق ، ٥٨٧ ؛ الاغاني ٢ : ٢٠ ، ١٢ : ١٢٦ ؛ الطبري : تاريخه ١ : ١٠٢٨ وفيه : « البيت يوشك من ربيعة في آل ذي الجدّين . » قابل بما في البكري : المعجم ٢٩ ، ٣٠ ولاسيما القول : « فلان . . . هو بيت . . . (كذا) » ؛ ابن دريد : ك. م. ١٠٧ ، ١٢٠ ؛ لسان العرب ٣ : ٢١٦

السؤال. ذلك ان مَهَرة النسّابة وحذّاق اللغويين اهتموا قبلنا بحلّ هذا المشكل اذ اعترضتهم صفات مثل هذه عن بعض الأُسر : هم بيت سُلَيم ، او بيت غَطَفان ، او بيت هوازن ، او بيت ضبّة ، او بيت قيس . . .[1] فاخذهم الهمّ بشرحها وتأويلها . وهو همّ علمي يشكر عليه اولئك الاساتذة القدماء ، لولا ما كان من تسرّعهم في الاجوبة واندفاعهم الى تعديد المترادفات للتعبير المذكور ،[2] دون ان ينتبهوا المطالع لما كان في الاصل ولما زادوه من عندياتهم . ولا تخفى هذه الإصلاحات المتأخرة ، ولا هذه المترادفات المُتخمة ، على ذوي البصيرة من ارباب النقد اذا ما قابلوا بين الاصول القديمة في آثار الشعراء او المؤرّخين الأوّل ، وما ولّده تسرّع الشرّاح والرواة ، وتكثّر مؤلّفي كتب التراجم وجمّاع المعاجم التاريخية.[3] حتى ان البيت اصبح ، في نظر متأخري المؤلّفين[4] ، لا يختلف عن الأسرة او القبيلة التي تؤلّف البيت الاشهر اي المنزل الشرفي[5] . ولذا اخذوا يسرعون فيستبدلون بالبيت مترادفات عديدة « كالرياسة والحكومة » او « العدد والشرف » او « الشرف والرياسة »[6] او « الفرسان والعدد ».[7] بل اننا رأينا في بعض التراجم جملةً يُقصد منها مدح الخليفة العباسي بدغدغة كبريائه ، فيقولون عن أُسرةٍ ما « هي قريش القبيلة الفلانية ».[8] اما شعراء الامويين الذين

١) ابن قتيبة : المعارف ٢٥ ، ٢٨ ؛ ابن دريد : ك. م. ١٥٦ ، ١٧٢

٢) من مثل قولهم في *Chroniken*, II, 142 : « تحوّل البيت بني الشرف والرياسة . . . » ويلاحظ المؤلّف ان الشرح بعد لفظة « بني » من قلم شارح متأخر ، وذلك يخالف معنى الترجمة السابقة العهد . وهذا قوله : « وذلك يخالف المعنى المقصود بهذه الترجمة والله اعلم بالصواب . »

٣) من مثل العقد وأسد الغابة وما شابهما ٤) قابل بما في *Chroniken*, II, 139-142

٥) وقد رأينا بدل « البيت » كلمة « حُجرة » في نقائض جرير والفرزدق ١٣٠ : « والحُجرة يومئذٍ لبني عاصم . » والحال ان « الحُجرة » تعادل « القُبّة » . راجع شيخو : شعراء النصرانية ٦٨٠

٦) البكري : المعجم ٢٩ ، ٣٠ ؛ اليعقوبي : تاريخه ١ : ٢٥٦-٢٥٧ ، ٢٦٠-٢٦١ ؛ وكان يتجنّب كلمة « البيت » ؛ ابن قتيبة : المعارف ٢٧ ، ٢١ ، ٢٣ . على انه في ٢٨ يذكر « البيت والشرف » وفي ٢٢ : « العدد والبيت » . قابل بما في العقد ٣ : ٤٤ : « بيت فزارة ومركزه بنو بدر » وفي ٥٢ : « فيهم كان بيت ربيعة . » : *Chroniken, loc. sit.*

٧) *Chroniken*, II. 142 ٨) ابن قتيبة : المعارف ، ٢٢

ظلّوا على اتصال بالعقلية البدوية القديمة ، فكانت ثقافتهم جاهلية محضة ، فاننا نرى في شعرهم الجمع بين الفكرتين . وهذا جميل يدّعي لقبيلته « بالبيت والمدد »[1] . وهذا الأقيشر يقول :

وبنو دودان حيّ سادة حلّ بيت المجد فيهم والمَدَدْ[2]

وقد يكون هذا الجمع في قول الأقيشر طبيعياً متأثرًا بتطوّر الأفكار ، او مقصودًا لغاية ما ، وهي الأرجح في نظرنا .

ولا تطول المدة حتى يتناسى المؤرّخون وجمّاع التراجم كلمة « البيت » فيستعيضون عنها باحدى المفردات التي عددناها . وهو نصيب الكثير من الكلمات الجاهلية التي حوّلها مؤرّخو العصور التالية عن معناها الاصلي ، وفقاً لنزعاتهم الدينية[3] والسياسية التي عجلت في سير هذا التطوّر اللغوي . وكان القرآن قد بدأ عهد احتقار الاعياد القديمة : « ظنّ الجاهلية » ، و « حميّة الجاهلية » ، وكل ما ينتج من « حكم الجاهلية »[4] ذاك العهد البائد المتصف بالجهل والهمجية ، الجدير بان يغلّفه النسيان والاهمال . فكان ضرورياً من ثمّ ان تُجتنب هذه الذكريات المشبوهة ، فلا تُذكر « بيوت » الشرك ، ولا ينسب السادة الى جدودهم من كبار الكهّان ،[5] في تلك البيئة الجديدة التي كان ساداتها يتنافسون بالقاب العَقَبي ، والبَدْري ، والأُحدي ، والشجري ،[6] والانصاري ، والتي

---

١) الاغاني ٧ : ٩٩

٢) الاغاني ١٠ : ٨٥ . وراجع ، بشأن بني دُودان ، ابن دريد : ك . م . ١١٠ ؛ اسد الغابة ٢ : ١٣٨

٣) من ذلك ان كلمة « البيت » كانت تُذكّر بالشرك الجاهلي ، او بالكعبة نفسها . وفي كلا الأمرين لا توافق النزعات الجديدة .

٤) القرآن ٣ [آل عمران] ١٤٨ ، ٥ [المائدة] ٥٥ ، ٣٣ [الاحزاب] ٣٣ ، ٤٨ [الفتح] ٢٦ ؛ ابن هشام : السيرة ٨٢١

٥) هناك ذكر لكاهن صحابي (ابن دريد ٢٧٩) على ان اسد الغابة يقول : قد يكون اسمه « ابن الكاهن » !

٦) نسبة الى الاشتراك بمعارك العقبة ، وبدر ، وأُحد ، وبصلح شجرة الحديبية . وقد انتهى بهم الامر الى ان عيّنوا ثلاث معارك في العقبة ؛ اسد الغابة ٦ : ١٥٨

كان الانتساب فيها الى ابي بكر وعمر والمُبشَّرة[1] يفوق بما لا يقاس ذاك الانتساب القديم الى اشهر السادة واعظم الارباب في الجاهلية.[2]

هذه العقلية الآخذة بالآراء المعاكسة للجاهلية وما اليها عملت العمل الناجع في نشر التفاسير والشروح الموافقة للحالة الجديدة. فكان من ذلك ان التطوّر اللغوي لم يسر السير الطبيعي، فانتقل سريعاً معنى «البيت» من الحجر المؤلّه الى الاسرة الارستوقراطية في البادية[3]، واذا لدينا الفصول الممتعة في اسر العرب القديمة او، كما في لغة ارباب المجاميع، «بيوتات فاخرة متقدّمة»[4] وكانت هذه التعابير، في اصلها، تشير الى ان القبائل المذكورة او الأسر كان من حقّها وحدها المحافظة على «البيت» او خدمة «البيت» اي الحجر الموروث في القبيلة وهو معنى القول: «فيهم كان بيت عُذرة بن سعد»[5]. وقد رأينا، في ما تقدّم تلك الموافقة بين «الرب» و«القبّة» وما كان من صلة بين اللفظتين حتى انه كان لكل «رب» «قبة»[6]. وها اننا نتحقّق صلة مماثلة بين «ربّ» و«بيت». وهكذا فان الأسر التي «فيها» او «اليها» البيت هي الأسر نفسها التي كان منها في الجاهلية، «ارباب» ذوو قباب[7] ومن السذاجة بمكان ان ننسب هذه الصلات المترافقة الى الصدفة.

---

١) هم العشرة من الصحابة الذين «بشّرهم» النبي بالجنّة، اي ضمنها لهم.

٢) لام احدهم خالد القسري على انتسابه الى احد الكهّان فصاح به: «تعيّر في بشرفي»، الطبري: تاريخه ٢: ١٨١٣

٣) اطلب ملاحظة الغامي في *Croniken*, II, 142 بشأن اللبس في استعمال البيت = الحجر المؤلّه، والبيت = الشرف والنبل.

٤) راجع العقد ٣: ٤٤؛ الاغاني ١٦: ٢، ١٧: ١٠٥-١٠٦ : *Bercean*, I, 326

٥) البكري: المعجم ٣٠

٦) فهو «ذو القبة» كما يقول النابغة (شعراء النصرانية ٦٥١) او «صاحب القبة» الاغاني ٢٠: ١٢٦

٧) راجع الجاحظ: الحيوان ١: ١٦٠. كان «البيت» في بني بدر، فكان حُذَيفة، رئيس هذه الأسرة، يدعى «ربّ» سعد (ابن قتيبة: المعارف ١٩٨، وغيره من الامثلة في ص ٣٨) وقد تتحوّل «القبة» الى خباء يلجأ اليه ويُلاذ به، ابن دريد: الاشتقاق ٢١٥. على ان هذا التحوّل يفرض الصفة الدينية.

ولنتقدّم الى ذكر تعابير تزيد في اظهار الصفة الدينية في هـذه المؤسسة . ان كثيرًا من هؤلاء الاشخاص رؤساء الأسر ، ذوي القباب الحُمر ، الساهرين على « البيت » يتصفون بصفات اكليريكية اذ يحقّ لهم ان يتسموا باسم « الكاهن » او « الحازر » او « السادن » او « الحاجب »[1] ، وبعضهم باسم « الحَكَم »[2] . ولا يخفى ان اكثر « الحكّام » في الجاهلية كانوا في الوقت نفسه من « الكهّان »[3] ، وهؤلاء اشهرهم : شِقّ ، وسطيح ، وقُس بن ساعدة جمعوا بين الصفتين[4] . ومن حقّ هؤلاء ان يحكموا في الشؤون الخطيرة فيصدروا القرارات الحاسمة . فتنتقل القبيلة من مكانها ، متحوّلة الى منزل آخر[5] . وهو معنى القول في افخم ما يقال عن احد هؤلاء الكهّان او الحكّام دلالة على احترام قومه : « كانوا يصدرون عن رأيه » او « كانت مذحج في امره تتقدّم وتتأخر »[6] . ولا يخفى ان هذه الحركات كانت مقرونة بالحفلات الدينية ، ولا يأتيها القوم الا عن رأي العرّافين والزاجرين . ولا يدلي هؤلاء برأيهم الّا بعد ان يسألوا « البيت » الموكولة اليهم سدانته[7] ، ويجيلوا القداح ، ويؤوّلوا مظاهر الزجر[8] . وقد

١) « الحاجب » مرادف « السادن » ؛ راجع ابن دريد : ك . م . ٢٨٣

٢) « الحاكم » ؛ ابن قتيبة : المعارف ٢٧ ؛ وقابل بما في المفضّل : ك . م . ١٨١ : « شيخنا وصاحب ديننا » ؛ الاغاني ١٣ : ١٦ : « سيّد وحاكم »

٣) هم « حكّام اهل الجاهلية » ؛ اليعقوبي : تاريخه ١ : ٢٨٨ ؛ ابن هشام : السيرة ٢٦٠ ؛ البحتري : الحماسة الرقم ٤٤١ يظهر انه يميّز بين « الكاهن » و « الحازي » ؛ ابن الاثير : النهاية ١ : ٣٢٤–٣٢٥

٤) ابن هشام : السيرة ٢٦٠ ؛ الاغاني ١٦ : ٤١ ؛ ابن دريد : ك . م . ٢٨٦ ، ٣٠٣ . « سطيح كاهن العرب » ، اليعقوبي : تاريخه ١ : ٢٨٨

٥) الاغاني ١١ : ٤٤ ؛ *Berceau*, I, 267 . وهي الانتقالات التي تضطرّ اليها القبيلة على اثر الازمات الداخلية او الطبيعية كالجدب والنزو وما اشبه .

٦) ابن دريد : ك . م . ٣٣٩ ؛ ابن الاثير : النهاية ٤ : ٤٠ وفيها ان « العرّاف » مرادف « الكاهن »

٧) ان اصحاب « البيت » والعدد والشرف هم ايضًا من « سدَنَة » « وخَزَنَة » الكعبة . اطلب *Chroniken*, II, 138, 139 *etc.*

٨) قابل بقول كاهن أسدي لقومه : « لا تعجلوا . . . حتى أزجر لكم » ؛ الاغاني ٨ : ٦٧ . والكاهن سجّاع ، الجاحظ : الرسائل ، ١٢

لا تختلف اقوالهم ، عندما ينادون القبة - المظلّة المرفوعة على ظهر الجمل ، عن التعابير المدوّنة في سفر العدد : (١٠ : ٣٥) :

« قم ، يا ربّ ، فتبدّد اعداؤك ويهرب مبغضوك من امامك . »

وكذلك القول عن صلاة « الاستسقاء » ، وعن الميزة او الكرامة التي اختص بها بعضهم في استنزال المطر ، زمن الجدب . وهي ميزة يبرّرها عادة كون صاحبها يحفظ « بيت » القبيلة « وقبّتها » ، وللبيت والقبة مركزهما الأسمى في هذه الأدعية الحافلة[٢] . وكأن الخلفاء ، بصفتهم ورثة « ارباب » البادية العربية ، ورثوا كذلك هذه الميزة في الاستسقاء ، كما تشهد لغة الشعر في القرن الاول للهجرة .[٣] وان يكن فات عالماً من امثال نولدكه ، الانتباه لهذه النتيجة ، فلأنه أهمل العامل التاريخي الجاهلي . ونزيد ان هذه الميزة ، او الكرامة ، يختصون بها بصفتهم سادة الناس ، وخلفاء الله ، كما يقول الفرزدق[٤] . ولا نرانا مبالغين اذا ظننا الأصل نفسه لميزة اخرى يوليها العرب سادتهم او ملوكهم ، بل افراد بعض الأسر الشهيرة ، المحافظة على « القبة » ، وهي ان دَمهم يشفي من الكلب[٥] . وذلك لان آباءهم اتصفوا بصفة الكهانة . وقد اتسعت هذه الميزة حتى استفاد منها كهنة النصارى ورهبانهم في البادية ، فغدوا اطباء العرب ومعالجيهم .

كل هذه الاسباب تبرّر وتشرح وجود القبة الحمراء في معسكر معاوية وخلفائه الأقربين ، ورثة كرامات السادة في الجاهلية . ولم يتجاوز معاوية ان

١) قابل بما في المزامير ٦٧ : ٦٨ ؛ ١٣١ : ٨ .

٢) انظر ، في ما خصّ مظلة مختار ، ابن دريد : ك . م . ٢٩١

٣) اطلب ابحاثنا في *Chantre*, 70 ؛ *Poète royal*, 17, *n.* 1 وقد تتّسع هذه الميزة فتشمل الامويين جميعهم ، الاخطل : ديوانه (طبعة صالحاني) ٥٦ ؛ الفرزدق : ديوانه (Boucher) ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١٢٧ ، ١٧٤ ؛ *Chroniken*, II, 6, 302 وفي الاغاني ذكر لصلاة استسقاء يرئسها اسياد القبائل ، الاغاني ٢١ : ٢٦ ، ١٨ ، ١٧ : ٧٩ . اما نولدكه (*ZDMG*, 1898, 25) فلا يرى فيها الا صورة شعرية لقدرة الخليفة غير المحدودة . راجع في الكندي (طبعة Guest) ص ٨٢ ، كلاماً عن ولاة الامويين والاستسقاء .

٤) . الاغاني ١٦ : ٨٦

٥) اطلب الامثلة الكثيرة في الجاحظ : الحيوان ٢ : ٣-٤ ؛ ابن دريد : ك . م . ١٣٨

تابع عمل ابي سفيان ، وقد نام في أحد الى جنب القبة المضروبة على إلاهتي قُريش . ولسنا لنغفل عن اهتمام الخليفة الكبير بالمظاهرات الخارجية[1] .

وكثيراً ما جمع السيد بين صفتي « الرب » « والكاهن » ، كما فعل زهير ابن جذيمة « رب » بني عبس، بل اننا نعرف له « ربينة » او تابعة من الجن ،[2] وهي من ميزات العرّافين . [3] وكذلك القول عن سادن « كان له قدر » في بني ضبّة . [4] وفي نجران كانت سدانة الكعبة لآل عبد المدان ، « بيت » قومهم .[5] وهكذا نرى ان فكرة الشرف ، وكرامة « البيت » تظلّ عالقةً بصفة المحافظة على معبد ، كما حصل لبني عبد المدان حتى بعد اهتدائهم الى النصرانية . هذا زهير بن جَناب ، جدّ اشهر الأسر الشريفة في بني كلب[6] ، وسيدهم المطاع وقائدهم الاعلى ، كان في الوقت نفسه كاهنا وحازراً .[7] وهذا مطعم بن عدي ، صاحب المقام الرفيع في شرفاء قريش[8] ، نعرف ، بواسطة حسّان[9] ، انه كان يجمع بين الصفات الاجتماعية والدينية فكان « عظيم المشركين وربّها » . وهذا كليب

---

١) راجع كتابنا *Mo'âwia*

٢) الاغاني ١٠ : ١٢ ، ١٣ ، ١٥

٣) ابن سعد : الطبقات ١ : ١١٠ ، ١٢٦ وهو يذكر كاهنة انثى : السيرة الحلبية ١ : ٢٩ وقد يطلق على هذا الجني الأليف اسم « الرَّئِيّ » و « الصاحب » ، الاغاني ٣ : ١٨٨ ، ١٨٩ ؛ ١٣ : ٣٠ ؛ و « الآطي » وهو المكلّف تفسير الاحلام المُنبئة بالشيء ، الاغاني ٩ : ١٨٢ . قابل بما في ابن الاثير : النهاية ١ : ١٠٩ ؛ ٣ : ٥٥ ؛ اسد الغابة ٣ : ١٣٦ ، ٤ : ١٣٣ ؛ السمهودي : الوفاء ١ : ١٣٣ ؛ ابن هشام : السيرة ١٣٣ ، ١٨٦ ، ١٨٨

٤) ابن دريد ك . م . ١١٩

٥) ابن دريد ك . م . ٢٢٧

٦) ابن دريد ك . م . ٢١٦

٧) راجع *Berceau*, I, 204, 267 . « الحازر » جمعه « حَزارة » نوع من العرّافين يقرب من « القائف » ، الاغاني ١٠ : ٢٨

٨) ابن دريد : ك . م . ٥٤٠

٩) ديوانه ٨٨ : ٢ . ولنا في بعض النصوص تصريح باسم الاله الذي يحفظونه او يسندون له هو مثل وَدّ ، وفلس ، ابن دريد ك . م . ٢٣٧ ؛ البكري : المعجم ٣٤ . ويصرّح بصفة « الكاهن » عند ذكر بعض السادة ، البكري ٣٤ . ويذكر ابن هشام : السيرة ٢٧٥ ، ان حُلَيْلاً ، حما قُصيّ ، كان سيد مكة وسادن الكعبة .

اخو المهلهل، كان « رب » وائل . فكانت بكر وتغلب لا تصدران ولا تنتقلان الّا عن رأيه . وهو ما رأيناه في حديث زهير بن جَنـاب والأفوه الأودي.[1] حتى امكننا القول ان هنـاك كثيرًا من السادة شاركوا زهيرًا وكليباً والأفوه بهذه الميزة العائقة بالصفة الدينية . والى هذه الصفة الدينية[2] ترتقي الأمجاد التي افتخر بها احفادهم ، فدوّنها النسّابة بقولهم : « هم اول بيت في قضاعة »[3] ، او « هم بيت قيس » او « بيت بني الديّان.»[4]

ومن هنا نفهم موقف زهير بن جناب من بني غطفان . وكان هؤلاء تحت سيطرة الكلبيين مدة طويلة حتى شاؤوا الاستقـلال فقاموا بثورة عامّة . فاراد زهير ، سيد الكلبيّـين ، ان يعاقبهم ويقتصّ منهم . وكان اول اعماله انه امر بهدم حَرَمِهم وانتهاكه ، والحَرَم المذكور دلالة استقلالهم[5] . ولا يخفى ان الحرم يفرض وجود « البيت » . وهكذا فان الميزة الدينية الأصـل اصبحت مقرونةً بَل متوحّدة بفكرة المجد الوطني والاستقلال السياسي . أوَلا نرى الظاهرة نفسها في الكنائس الشرقية التي كان يتقدم استقلالُها الدينيُّ استقلالَها السياسي وكثيرًا ما كان يعدّه ويعمل في سبيله.[6] وهذا تاريخ البلقان كفيل باقرار هذا القول !

---

١) شيخو : شعراء النصرانية ٧٠، ١٦٦ . الاغاني ٤ : ١٥١ . ويفرض اجتماع السيادة والسدانة ، الجاحظ : الرسائل ٧٥

٢) البكري : ك. م. ٣٤ ؛ ابن دريد : ك. م. ٢٧٩ : كاهن - سيّد

٣) البكري : ك. م. ٣٤ ، ٥٤ ؛ الاغاني ١٩ : ٥٢ . جرير بن عبدالله « رب مروان » ، الاغاني ١٨ : ٢١٤ ، وهل يكون مروان اسم « بيت » او حجر مؤلّه ؟

٤) الاغاني ١٧ : ١٠٥

٥) الاغاني ٣١ : ٩٤ . ولا شك في ان هـذه الحكاية ، الرامية الى اقرار سيادة كلب على القبـيين، متأخرة عن زمن المعارك المتتابعة بين الحزبين على عهد الامويين . وقد يكون فيها الكثير من مبالغات الحزب السوري - الاموي ولاسيّما في الحوادث البطلية المنسوبة الى زهير . راجع بحثنا : *L'avènement des Marwanides et le califat de Marwan I*, *MUSJ*, XII, *fasc.* 2, pp. 21...

٦) كما جرى للشعب البلغاري .

على ذكر جبران

معلومات جديدة عن حياته وآثاره

جبران وبرباره — برباره في قبر جبران وفي متحفه — محاولات الكاتب والفنّان — آراؤه في شؤون مختلفة — مرضه ووفاته

بقلم فؤاد افرام البستاني
استاذ الآداب العربية في جامعة القديس يوسف

الى برباره ! الى برباره !

كثيرًا ما قرأ روّاد متحف جبران في بشري هذا التعبير باللغة الانكليزية يوقّع به المصوّر النابغة بعض رسومه الرصاصية والفحمية، فيرفعها هدية « الى برباره ». وكان الاختصاصيون بالشؤون الجبرانية يعرفون ان السيدة بربارة يونغ، من كبار الاديبات الاميركانيّات، عرفت جبران في آخر سنيه، واهتمّت، بعد وفاته، بتركته الادبية والفنية. بيد ان جمهور المعجبين بالشاعر الفنّان، الغُيُر على جمع اخباره وذكرياته، ما كانوا ليتمثلوا هذه الاميركية الّا شخصيّة غامضة لا تكاد تخرج من ضباب الأبعاد النيويوركية الّا لتلتحق بسرب اولئك السيّدات مشجّعات الادب والفنّ، بل الادباء والفنّانين، من اللواتي تتردّد اسماؤهن دون ان تدلّ على حقيقتها تلك الشخصيّات الجذّابة.

في احد ايام تشرين الاول سنة ١٩٢٣، كانت السيدة بربارة يونغ تشهد حفلة نادرة في كنيسة القديس مرقس الانجيلية الاسقفية في نيويورك. وكان القائم بتلك الحفلة السيد دافين-بورت بطلر، مدير مسرح غريب من نوعه في العالم؛ هو مسرح مجاني يعرض فيه الممثلون والممثلات اشهر الروايات في حفلات منظّمة

شأن سائر المسارح، ولكن تمتاز بكونها مجانيّة . فلا الادارة تنال شيئاً على تنظيمها، ولا الممثلون ينالون أجراً على اعمالهم. اعلنت هذه الجوقة أنها ستقوم بقراءة مقاطع من « نبيّ » جبران في الكنيسة الاسقفية. وتمت الحفلة على اكمل وجه بحضور المؤلف نفسه . وكان من جمهور المعجبين بالمقاطع الملقاة السيدة بربارة – او الست بربارة ، كما تعوّد اهل جبران واصدقاؤه ان يسمّوها في ما بعد . وكما سندعوها جرياً على هذه العادة ! – وهي لا تعرف جبران ولا شيئاً عن جبران

انتهت الحفلة وخرج الناس كلّ بذكرياته وتأثراته . وكان اتجاه الست بربارة الى اول مكتبة تتزوّد منها كتاب « النبي » فتحيي ليلها بقراءته معجبةً متأثرة . حتى اذا اقبل الصباح كان للنبيّ مبشّرة جديدة تندفع في نشر تعاليمه وشرح آرائه بما اعطاها الله من بلاغة حارّة ونبرة جذّابة ، وبما اولاها اهتداؤها الجديد من غيرة وحماسة . واذا بالمحاضرات تلو المحاضرات عن جبران ونبيه ، وبالقراءات بعد القراءات للمقاطع المؤثرة في المجتمعات الخاصة والعامة .

ومرّت اشهر خمسة .

في شهر اذار من السنة ١٩٢٤ ، بعد ان قامت الست بربارة بقراءة آيات من « النبي » في « جمعية النساء » في الكنيسة نفسها ، تقدّمت منها احدى الاوانس واخذت تسألها هل تعرف جبران. فهزّت الخطيبة رأسها متأسفة . وشدّ ما كان استغرابها عندما سمعت من الآنسة المذكورة ان جبران في نيويورك . على انها تردّدت في طلب التعرّف اليه خشية ان تمحو شخصيته الحقيقية تلك الشخصية المثلى التي كوّنها لها إحساسها الفني وخيالها الشاعر . وكان عراك شديد بين الاكتفاء بالمثل الاعلى الخيالي والفضول الانثوي الدافع الى الاطلاع على الجديد مهما يكن . حتى انتصر الفضول ، طبعاً ، ولكنه اقترن بشيء من الإيجاس والحذر ارضت به الست بربارة خيالها المكتفي بما تمثّله عن جبران . وبعد ان عزمت على مخاطبته بالتلفون، تجنّبت سماع صوت قد يبدّد ما تصوّرت سماعه من نبرات « النبي » ، فكتبت اليه رسالة إعجاب واحترام ، واخذت تعدّ الساعات مقدرة مدة الذهاب ، مؤمنةً بتسلّم جواب عن تلك الرسالة .

ناحية من نواحي محترف جبران وفيه معرض الرسوم الذي نظمته الست بربارة بعد وفاة الفنان

صورة العائلة بريشة جبران

وكان الجواب اسرع مما قدرت . وكان شفهيًا حمله سلك التلفون يسأل عن السيدة برباره يونغ ويدعوها الى محترف جبران ، او يدعو جبران نفسه ، اذا صح التعبير ، الى مكتبها . على انها فضّلت ان تذهب هي فتزور الشاعر الكبير في مهبط وحيه في « ٥١ وست الشارع العاشر ». ولم يكد ينتهي حديث المجاملات حتى اصبحت الست برباره من اخلص اصدقاء جبران ، واصدق معاونيه ، مدة سبع سنوات متوالية ، يفضي اليها بكل ما يخالج قلبه ، ويطلعها على خفايا حياته الكئيبة ولا سيما في آخرها ، فتحنو عليه حنوّ الامّ العطوف ، وتعجب به إعجاب الاخت الفخور ، وتمتثل اقواله امتثال البنت المطيعة . يستشيرها في المشاكل الاجتماعية ، ويتكل عليها في الشؤون الادبية ، ويرتاح الى تعازيها في أزماته الصحية ، ويراها جنب سريره في المرض الاخير ، وفي تلك الساعات القليلة التي قضاها في المستشفى ؛ حتى اذا فارق هذه الفانية ، اخذت تهتمّ بما تركه من مخطوطات فجهزت للطبع ثلاثة مجلّدات كتبت مقدّمة واحدٍ منها . ورتّبت آثاره الفنية فاظهرتها في معرض تذكاري ، في محترفه الخاص ، فتح ابوابه من كانون الثاني الى نيسان ١٩٣٢ (انظر الرسم) . ثم هيأتها مع آثاث المحترف جميعها حتى شُحنت الى مسقط رأسه . وكم كانت يقظة هذه التذكارات مؤلمة في بشري ، في متحف الفقيد ، وقد رأينا الست برباره تنتقل وكأنها مخطوفة الحواسّ ، من زاوية الى زاوية ، ومن صورة الى صورة ، من قطعة خشبية الى كرسي ، الى ريشة ، الى رأس تمثال مهشّم ، وتقول : « كان يجلس هنا ، وكان يسند كتابه الى هذا ، وكان يكتب بهذا ، وكان يرسم على هذا . . . » حتى اذا وقعت عيناها على دفتر بين مخطوطات جبران ، صاحت : « هذا خطّي . مقاطع من « يسوع بن الانسان » كان يمليها عليّ . »

❁

كان من نصيبنا ان اجتمعنا عدة ساعات في ثلاث جلسات الى هذه السيدة الراقية ، ورافقناها ، مع الامير موريس شهاب ، والاستاذ داود ازرق ، في رحلة خشوعية الى مسقط رأس جبران ، وقد جاءت لتقضي فيه سنةً كاملة تكتب في اثنائها حياة الفقيد . ولكن حوادث الحرب الحاضرة ، التي باغتتها في عرض

الاوقيانوس اضطرّتها الى الرجوع الى نيويورك ، وارغمتها على ان ترقب بصبر ختام المأساة العالمية الجديدة لعلّ الله يُفسح لها بعض الزمن فتتم ما بدأت به.

بيد ان الابحاث الجبرانية تستفيد الكثير من مرور السيدة يونغ في بلادنا، وان مروراً سريعاً : فهناك صور غير معروفة ، ومخطوطات غير منشورة استمدنا الحظ بان نطّلع عليها .. وهناك معلومات نفيسة عن حياة جبران العامة والخاصة ، وعن آرائه ومعتقداته ومظاهر روحانيته الغريبة نغتبط بالوقوف عليها بواسطة شاهد عيان ، بل طالب متفهّم معجب باستاذه ، شاء ان يسقط الاسانيد ، فنقل الينا بجذافيرها تلك المحادثات المتتابعة بينه وبين المعلّم الراحل . كانت الست برباره تنقل هـذه الاحاديث من ذكريات الاعوام المتعاقبة ، وكأنّها حصلت بالأمس ، فتحييها بابتسامها او بكآبتها ، بخشوعها او بمرحها ، وتتمثّل المشاهد العديدة في محترف جبران وفي غيره من المجتمعات النيويوركية ، بينما كانت السيّارة تقطع بنا اخاديد طريق اميون ، او تدور في المصاعد اللولبية المتراكبة من كوسبا الى اعالي الجبل المقدس .

ـــ هذا قاديشا الوادي المقدّس العابق بعطور النسّاك والقديسين

ـــ آه ! قاديشا !

وبرقت عينا الستّ برباره وهزّت حفيدها[1] ذا السنوات الأربع وهمست في اذنه : « كريستوف ، قاديشا » ، مشيرةً الى الوادي الرهيب . فردّد الطفل الكلمة مرّتين مبتسماً ابتسامة معنوية ، وتابع دون أن يحوّل نظره عن الوادي :

ـــ ومار سركيس ؟ اين مار سركيس ؟

ـــ سنصل اليه عمّا قريب .

هذه مغارة القديسة مارينا . . . وهممنا بالاندفاع في اطلاع الستّ برباره

---

١) اشارت بعض جرائدنا اليومية الى وصول السيدة يونغ وابحاثها عن جبران ذاكرةً انها اتت بابنها لتعلّمه لغة جبران . ولمّا سألناها عن اسم « ابنها » هذا ، تبسّمت واشارت الى الطفل والى وجهها الصافي على رغم بعض التجعدات : « ابني ؟ عمره اربع سنوات وعمري احدى وستون سنة . . . هو كريستوف ابن بنتي . » — ولعلّها اول امرأة تذكر عن عمرها رقماً يتجاوز ما يعتقده المتأمل فيها !

على هذه الاسطورة اللبنانية الجميلة . فهزّت رأسها مؤمنة ، وقالت :

اعرف القصة رواها لي جبران .

وكم كان انفعالها مؤثراً عندما اطلّت بشرّي، وفوقها وسام الأرز الأكدر على صدر ظهر القضيب ، كما يقول جبران . وما هي ان وضحت الخطوط ، وتقاربت الأبعاد ، حتى بان سنديان مار سركيس يصعد الى ابيضاض الكهف حيث شاء الشاعر ان يستريح من متاعب الدنيا ، وتكالب ابناء الدنيا .

هي طريق صعبة المرتقى تلك التي تؤدّي الى القبر ، شأن كل سبيل يتخذها الانسان لادراك شخصية ذاك النائم المطمئن . انها تفرض الرغبة الشديدة ، والجلد المتابع ، ان لم تفرض الحبّ البارّ .

ــ وما رأيكِ لو مُهّدت وعُبّدت فتقدّمت عليها السيّارات .

ــ لا ! لا ! لا سيّارات ولا ضجّة قرب جبران . قالت هذا واللهثات تقطّع كلماتها . يجب ان يتعب من يودّ الوصول الى جبران .

وما قطعنا الباب الخارجي لمدخل الدير حتى تولّانا الهيبة والاحترام ، ناظرين الى الآية اللاتينية المعروضة منذ اجيال : « *solitudo, sola beatitudo* ! » . ولم يكن يتخلّل ذاك الجوّ الرهيب الّا صوت الصفير ، وكأنه غُلّف بشيء من الغبطة الكئيبة ، يردّد : مار سركيس ! مار سركيس !

وفي القبر - المعبد ، طلبت ان تُترك وحدها . فخرجنا دقائق حفلت بالمناجاة الصامتة تهزأ بالمكان والزمان :

حسبُ الرفيقين نأيُ الأرض بينهما : هذا عليها ، وهذا تحتها بالي !

❁

في المتحف عرفت كلّ صورة ورسم ، وكلّ قطعة ودفتر . هذه وسادته . وهذا شمعدانه ذو السبع الشموع الذي كان يصوّر على نوره . هذا الحاجز الخشبي المحفور صنعه بيده ، وكذلك هذا المتكأ . وكأن حجاب الرموز الغامض انشقّ امام السيّدة ، فلم تبقَ صورة غامضة في المتحف ولا حركة في الاشخاص لا معنى لها . بين صور الفقيد غير المنشورة رسم ملوّن يمثل شخصين

عاريين متجهين كل الى جهة ، وقد ربطت يداهما برباط وثيق . كان الناس يعجبون بهذه الصورة ولا يعرفون ماذا تمثّل ، شأنهم في اكثر الصور الجبرانية . اما ذوو الاختصاص ، وارباب الادّعاء ، فكانوا يشرحونها متفلسفين بانها صورة الزواج الذي يربط بين الزوجين وان تخالفت نزعاتهما حتى المعاكسة . واما الست برباره فقالت مبتسمة : انها رمز الحزن والفرح المرتبطين ابدًا ، على تعاكسهما ، في حياة الانسان . واذا بالصورة تتخذ امامنا حياةً جديدة . واذا بنا نرى احد الشخصين وقد انتشرت على قسمات وجهه الغبطة الهادئة ، بينما تخدّد جبين الآخر بخطوط الكآبة الاليمة .

هي ساعة عذبة في متحف جبران ، وددنا لو طالت الى ما وراء الساعات والايام والشهور ، فتتمكن هذه السيدة ، وتمكننا ، من فهم رموز الشاعر ، وتصوّرات الفنان . ولا شك ان جبران كان يعبّر عن فكره بالرسم والكتابة على السواء كما يظهر من مخطوطاته ومسوّدات رسومه ، وبعضها في متحف بشري ، والبعض الآخر في حقيبة الست برباره وقد اذنت لنا بدرس ما فيها ، فرأينا ان نطلع مريدي جبران ودارسيه على ما لا يتسنى لهم الاطلاع عليه بعد سفر الكاتبة الاميركية .

❁

تحتوي الحقيبة على كثير من الصور الاصلية ، وعلى عدد من النسخ لاصول محفوظة في متحف الميتروبوليتن في نيويورك ، وهو من اعظم متاحف العالم ، او في متحف لندن ، او في مجموعات خاصة . وقد لاحظنا في بعضها ، ولا سيما في المحاولات ، ان الكتابة كثيرًا ما اقترنت بالخطوط ، فاظهرتا ، مجموعتين ، فكرة جبران . وهو اسلوبه في اكثر كتبه . من ذلك صورة جبل شاهق بارز عمّا حوله من العناصر الطبيعية ، مكتنف بكثير من الاضطراب ، وقد كتب على الصورة بالعربية : « اذا ماتت الأرض تحوّلت ماء ، واذا مات الماء تحوّل هواء ، واذا مات الهواء تحوّل نارًا . » وهناك محاولة لرسم المسيح — قد تكون ادّت الى الصورة المنشورة في هذا المقال — وعليها بالعربية : « مملكتي حيث يجتمع اثنان او ثلاثة منكم باسمي بالحب والفرح . »

الرسم والكتابة مقترنتان في نظره لا فرق بينهما في اداء الفكر . وكذلك لا فرق بين ان يؤدّيه بالعربية او بالانكليزية ، وان كانت الانكليزية اسهل سيلاً ، وارفع تعبيرًا ، واضبط دقائق، واعمق بلاغةً وتأثيرًا ، في رأيه، وبالنسبة اليه . يشهد بذلك كتاب « النبي » الذي كتبه اربع مرّات بالعربية فلم يرض عنه حتى مزّقه وكتبه دفعةً واحدة بالانكليزية . كما تشهد مخطوطاته وفي صفحاتها العربية كثير من التنقيح والاصلاح ، والتحشية ، وابدال المفردات ، مع بعض الاغلاط والاخطاء . اما الصفحات الانكليزية فصافية سليمة من آثار التنقيح، على الغالب ، الّا ما يعرض من وضع كلمة موضع اخرى او تقديم تعبير على آخر . وسنعرض مقاطع من مخطوطاته العربية تبرز اسلوبه في الكتابة والتنقيح . اما انه كان يستعين باللغتين معاً في إعداد ابحاثه فواضح من الاوراق الانكليزية وكل ما رأيناه منها مقاطع من « يسوع ابن الانسان » كتب في رأس صفحة منها بالعربية : « وصف مريم — تصفها احدى جاراتها . » ثم تابع بالانكليزية . وهذه صفحة كاملة بالانكليزية ، على اعلاها بالعربية . « فقال تلميذ : ترى هل انا اكثر من قطرة ندى . . . الخ . الخ . . . »

❦

ومن محفوظات الست برباره الرسمية صورة عبّاس عبد البهاء ، زعيم البهائيين . زار نيويورك سنة ١٩١٢ واجتمع به جبران في الساعة السابعة مساء فتأثر بهيبته الساجية حتى اذا جنّه الظلام لم يقوَ على النوم . وظلّ مضطرباً يتململ متأملاً بوجه عبد البهاء الى منتصف الليل ، فقام واخذ يعمل ، مستندًا الى ذاكرته وحدها ، حتى اخرج صورة تلك الهيبة على اتم ما يمكن ، وقدّمها صباح اليوم الثاني الى صاحبها فاعجب كل الإعجاب . وبهذه المناسبة ذكرت الست برباره ان جبران كثيرًا ما كان يصوّر دون أمثلة (modèles) مستندًا الى خياله الخصب ، والى تمارينه العديدة المتتابعة فانه كان من كبار المشتغلين تمريناً ورياضةً في الانشاء والتصوير . ومن محتويات الحقيبة الاميركية صورة امرأة نائمة، او مائتة، [illegible] وهي من اوليات صور جبران ، رسمها في بيروت ولم تستقل شخصيته ب[illegible] عهد شبابه صورة جميلة جدًا تمثل المريمات الثلاث : مريم ام يسوع ، [illegible]

المجدلية ، ومريم اخت لعازر ؛ وهي غاية في التأثير الأليم اشتراها احد سكان نيويورك ، وحفظت الست برباره نسخة عنها . وكذلك تحفظ نسخة من « شجرة الحياة » (الاصل في بشري) ، ومن « التجسد المتتابع » (الاصل في متحف متروبوليتن في نيويورك) ، ومن رسم « المسيح » الذي زيّن مدخل « يسوع ابن الانسان » ، ومن « العائلة » (الاصل في بشري). وقد نشرنا هاتين الصورتين في مقالنا هـذا . ومن الصعب وصف الصور الباقية في محفظة الست برباره لان الحديث لا يغني عن العيان ، ولعلّ اجملها « رؤوس العميان » ، وصورة شيخ شاعر في نيويورك تجلّت فيها الهيبة الوادعة ، فانسابت الطمأنينة والسلام من خطوطها . وقد شاهد هـذه الصورة الشاعر الاميركي المشهور ادوين ماركهام Edwin Markham) ، في المعرض الذي اقامته الست برباره بعد وفاة الفنّان ، فكتب عليها بخطّه الكبير الواضح : « هذه الصورة بروحانيتها اجمل الصور التي وقع عليها نظري ، ٩ نيسان ١٩٣٢ . »

وهناك اوراق عديدة متناثرة فيها دروس وتمارين ومحاولات تصويرية يكثر فيها رسم الايدي والأرجل ، والرؤوس ، والاجسام المتداخلة بعضها في بعض ، والعضلات خاصة . ويلاحظ المطالع ان في الفنّان ميلاً الى تمثيل اليد المقفّعة بتقاطيعها الدقيقة . وهناك صورة يد كبيرة اصابعها شديدة الانقباض وفيها الخواتم الضخمة ، وكأنه اراد ان يمثّل بها الشحّ والحرص . وهـذه الاوراق ترقى الى سنين متتابعة . منها ما يتصل بجبران الفتى ؛ ومنها ورقة تحمل ، مطبوعاً ، عنوان فندق في باريس ؛ ومنها ما يرقى الى آخر حياته .

❁

اما المخطوطات التي شاءت السيدة يونغ ان تطلعنا عليها فهي في اربعة دفاتر . خطّها واضح جليّ في الغالب ، على قسطٍ من الجمال ؛ انما يكثر فيه الحذف ، والتحشية ، والتنقيح ، سواء أكتب بالحبر ام بالقلم الرصاصي . ومما يلاحظ الدارس ان الكاتب يُسرع في تدوين اول ما يخطر على باله من التعابير حتى انه ينسى بعض الحروف ، ولاسيما الألف ، وسط الكلمة ، فيكتب « وحد » بدل « واحد » ، ويكتب « سطان » بدل « سلطان » « والمزكشة » بدل « المزركشة » .

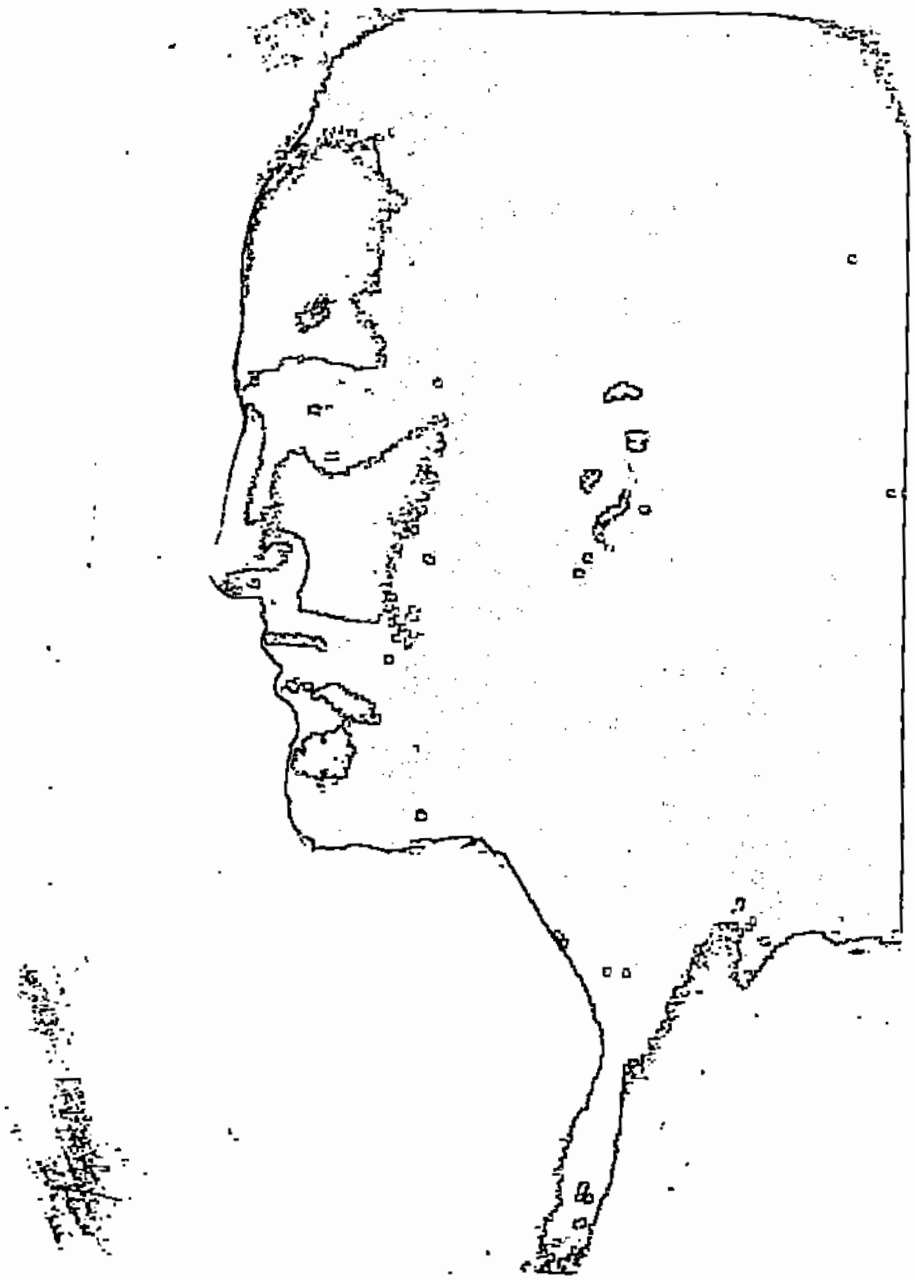

صورة المسيح بريشة حمدان

وقد لا ينتبه ، في سرعته ، لقواعد العروض ، ولا لاصول الإملاء والنحو احياناً . فيكتب الهمزة الواقعة بعد الألف مفتوحةً ابدًا دون كرسيّ مهما تكن حركتها : « شاءوا » . ويقول : « ترى ان العقل سطاناً » وقصده « ان العقل سلطان » . وكثيرًا ما نصب اسم ليس في « المراكب » في ردود الفتى :

ليس في الغابات عدلًا
ليس في الغابات عزماً
ليس في الغابات علماً
ليس في الغابات موتاً
ليس في الغابات سكرًا

ولكن اصلح ذلك مرة في « ليس في الغابات عزما » فضرب على الألف من « عزماً » . اما الغلطة النحوية في قوله « يدعى السيد الخطر او الوقر » فكأنه اراد تداركها لأنه وضع علامة استفهام فوق « الوقر » .

ويجب القول ان من هذه الدفاتر ما يرقى الى عهد تلمذة جبران . ومهما يكن من أمر فلا يجوز ان يؤاخذ الكاتب بما في مسوداته الاولى من خطأ او سهو . على اننا رأينا وصف هذه الدفاتر الاربعة بشيء من التفصيل لعلّ في بعضها فائدةً لطلّاب المباحث الجبرانية :

١ً دفتر صغير دون جلد . لا شك انه كان من دفاتره المدرسية ، عليه صور تحارير : « الى رئيس عام » و « الى صديق » والى « بطريرك » وما شاكل من تلك « الصور » و « التراجم » التي كان يتناقلها الطلاب في القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين . أوَليس عجيباً ان تكون اكثر « الصور الانشائية » التي تمرّن عليها جبران من الرسائل الاكليريكية ؟؟؟

٢ً دفتر ثانٍ اكبر من الاول . دون جلد . يحمل على ورقته الاولى : « من دفاتر جبران خليل جبران ت ١ ١٩٠٠ » وتحتها ، على ثلاث مرات ، هذان البيتان :

الا يا مستعير الكتب دعني فان اعارتي للكتب عارُ
وجدت كتابي في الدنيا حبيبي حبيبي لا يُباع ولا يعارُ

والدفتر مجموعة شعرية منتخبة من اقوال ابراهيم بن سهل ، وابن معتوق ، والشيخ سليم حنا الظاهر . وكلها من الشعر السهل المائع .

وفيه تمارين انشائية من نثر وشعر . اكثرها غير كامل ، حافلة بكثير من الاستعارات والتشابيه . منها هذا المقطع .

« اخذت اليراع وطيرت رائد الافكار فسقطت على جذوع الالفاظ والتقطت اثمارها ورجعت الى اعشاش الطروس وولدت افراخها . تطايرت طيور الافكار في سماء المعاني وسقطت على غصون البراعة وغرّدت الحاظا . ارتفعت اجرت (كذا) الافكار بحرارة شمس الذكاء الى فضاء المعاني ففاجئتها (كذا) ارياح الارادة الباردة واسقطتها (كذا) على الاقلام شوبوبًا فسال على الطروس مدادًا »

« انا الآن في البيت الذي سكناه من سبعوات (كذا) اعوام جالس على مقعد بقرب طاولة عليها نور يبعث على الورقة التي اخط عليها كلامًا ربما لا تنظره عين ولا تسمعه اذن ويشق كبد الظلمة باسهم نارية ارتجف بردًا لان الشتاء قد اقبل بعز الريح عطفيه ويسحب النسيم اذياله . »

وكلها من انشاء تلميذ على نصيب وافر من الخيال ، والميل الى الكتابة . انما لم تُصقل مواهبه بعد ، ولم يثبت ذوقه الفني .

يلي ذلك محاولات شعرية غير موفقة .

وفي آخر الدفتر هذه الصفحة الجميلة تخطّ تطوّر قليلًا فارتقى ارتقاء الاسلوب الانشائي :

« اشباح تجيء واشباح تروح . خيالات تطوف في فضاء وسيع وأرواح تسير على مراسح المادة وفي مسارح المكونات . افكار تتراوح بين هذه الدنيا وتلك وشعائر تتماثل بين الحب والبغض . نفوس تطلب الانعتاق من اثر المادة ومادة تروم السيادة على النفوس . قلوب ترى جمالا فتعبده وقلوب لا ترى الجمال ولا تعرفه . وفي هذه الاشباح وهذه الخيالات وهذه الارواح وهذه الافكار وهذه الشعائر وهذه النفوس وهذه المادة وهذه القلوب محبة كانت منذ الازل . ومن وراء كل هذه الاشياء قوة هي الله والله في كل شيء . »

٣ً دفتر عادي قليل الورق ، مجلّد . مكتوب على صفحته الاولى من جهة اليسار : « من دفاتر جبران خليل جبران »

فيه كتابات انكليزية قليلة . ثم محاولات شعرية بالعربية منها :

يا خليلي لو كنت تعلم ما بي ما جعلت الحديث (١ عهد التصابي
ذاك حلم دفنته بفؤادي وجعلت الاكفان برد الشباب
ما سلوت الحبيب لكن جفاني (٢ فاقتنعت (٣ بوحشتي واكتئابي
وبعدت عن الانام وحيداً (٤ (وحجبت) (٥ عن العيون مصابي
واتخذت الطروس صحاً فاني قد وجدت الطروس خير الصحاب
وجعلت المدام حبر دواتي واتخذت الندم وجه الكتاب
واتت من الخيال صروحاً عاليات (٦ يخرقن صدر (٧ السحاب
وخلقت (٨ من الخيال بلاداً (٩

وبعد هذه المقطوعة بيتان اعدهما ليكتبا تحت رسمه ، على ما يظهر ، وهما بعنوانهما : « تحت رسمي

« هذا خيال فتى يهوى الحياة ولا يهوى الحياة وفي الحالين يكتئب »
«فان بدى (١٠ جامداً والصمت يملكه فاتلوا عليه صلاة الحب يضطربُ »

وعلى صفحة اخرى ، دون عنوان :

يا نفس اياك الملال عن تجاهل او جهل
سيري على أمل فلا يدني الوصال (١١ سوى الامل

يا نفس قد ابعدتني عن لذة (١٢ العيش الهني

١) ما جعلت الحديث : كتب فوقها : « ما رجعت لذكر »
٢) لكن جفاني : كتب فوقها : « حتى سلاني »
٣) فاقتنعت : كتب فوقها : « فاكتفيت »
٤) وحيداً : كتب فوقها : « خجولا »
٥) الملالان في الاصل
٦) كتب فوق هذا الصدر المتقدم : واتت الخيال صرحاً رفيعاً يتسامى الى »
٧) يخرقن صدر : كتب تحتها : « يلثمن وجه »
٨) وخلقت : كتب فوقها : « وبرأت »
٩) انتهى . ولا عجز لهذا الشطر
١٠) بدى : كذا في الاصل
١١) الوصال : احاط هذه اللفظة بدائرة وكتب تحتها : « الاماني » ولا يخفى ان هذا الاصلاح يضعضع الوزن
١٢) لذة : وضع فوقها : « سكرة »

فرضيت فيك قسمة (١ وعن الرضا (٢ لن اتقي

وبعد هذا المقطع صوَّر بالحبر الأسود الصيني شبه جعل بشع ، بارز القرنين ، وتحته تابع القصيدة :

يا قس لو كان النوى يثني النفوس عن الهوى
لتشوش الشرع الذي نثر الكواكب في الفضا
يا قس لو كان البعاد

ثم شطب هذا الشطر

وفي الدفتر نفسه ، مقال طويل في عشر صفحات كثير الشطب والتحشية حتى لا يكاد يخلو فيه سطر من مظاهر التنقيح . واكبر الظن انه مسودَّة لمقال نُشر في « الهلال » جواباً عن سؤال كانت تلك المجلة قد طرحته بشأن النهضة الشرقية وامكان التضامن بين الاقطار العربية . ومما امكننا استخلاصه ، من بين الاصلاحات والتعاليق والحواشي الكثيرة مطلع المقال وهو :

« في عقيدتي ان ما نحسبه نهضة في الاقطار العربية ليس باكثر من صدى ضئيل لما ندعوه وغن في غيبوبة بالمدنية الغربية . ذلك لان هذه النهضة المباركة (٣ لم تولّد شيئاً من عندياتها ولم يبن منها ما كان موسوماً بطابعها الخاصّ او ملوّناً بصبغتها الذاتية . والاسفنجة التي تمتصّ الماء من خارجها وتنتفخ (٤ قليلاً لا تتحول الى ينبوع ماء حيّ . اما ذاك الذي يرى في الاسفنجة المنتفخة نبعة حيّة فهو احوج الى طبيب رمدي وعقاقيره منه الى صاحب هذا المقال ونظرياته » .

ثم يقول ان الشرق مقلّد للمدنية الغربية . ويزيد في جملة تدلّ على ان المقال كُتب في اثناء الحرب العمومية :

« ليس بحثنا هذا في ما اذا كانت المدنية الغربية صالحة بحدّ ذاتها او غير صالحة . فالمدنية الغربية قد وقفت في تموز سنة ١٩١٤ امام منصة القضاء السرمدي ولم تزل واقفة هناك . ولو انتدبني القضاء السرمدي لاصدار حكمه على المدنية الغربية لفعلت الساعة وكنت بما اقوله على وفاق تام مع المفكرين الغربيين انفسهم . »

ثم يحمل على الذين يدّعون الوطنية ، ويتظاهرون بالاستقلال عن الغرب في

١) كذا في الاصل
٢) كذا في الاصل
٣) كتب فوقها : « مختلفة »
٤) كتب فوقها : « وتنتفش »

بعض مظاهر الحياة ، وهم في جوهر حياتهم يقلّدون لكل مـا يخرجه الغرب . يأخذون بالتقليد ويدّعون الابتكار . قال في آخر تلك الجملة :

« ولكن لو قال لي هذا السياسي والوطني الحر الذي يلعب دورين بليدَين في وقت واحد لو قال لي ولو بشيء من التراهة السطحية : « الغرب سابق ونحن لاحقون وعلينـا ان نسير وراء السائر ونتدرج مع « الدارج » .

« اذا لقلت له « حسناً تفعلون . الحقوا السابق ولكن الحقوه صامتين . سيروا وراء السائر ولكن لا تدّعوا بانكم غير سائرين وتدرجوا مع « الدارج » ولكن كونوا مخلصين للدارج ولا تخفوا حاجتكم اليه وراء غربال المزعبلات السياسية . وماذا يا ترى ينفعكم التضامن في الامور العرضية وانتم غير متضامنين في الامور الجوهرية . ماذا تجدي الالفة في المزاعم وانتم متباينون في كل عمل من اعمالكم . . .

« هذا ما اقوله لمن يريد ان يسمع ولو بشيء من التراهة . اما الطرشان ، اولئك الذين لا يسمعون حتى همس نفوسهم فلهم الحصة الكبرى من عطفي وشفقتي . امـا نصيبهم من صوتي فمثل نصيبي من آذانهم . . . »

وفي آخر المقال صفحة وافرة التنقيح يستخلص منها ما يلي :

« وفي عقيدتي انه لو اتيح لنـا الوقوف(١ على قمة من قمم التجرّد مستعرضين المدنيات الغابرة . وما احدثته من النهضات والوثبات لرأينا ان نهضات (الشعوب) الامم ليست بما اوجدته لحفظها الخاصة بل بما تركته ارثاً(٢ للامم التي تأتي بعدها . وعلمنـا ان زبدة العهد الذي كان فجره في بابل وسماءه (كذا) في نيويورك هي في الحقائق الكلية الشاملة التي اكتشفها نبوغ الامم واثبتها . وفي الجمال المطلق الذي بان له في الحياة فالبسه قالباً خالداً واوقفه برجاً ذهبياً (٣ امام وجه الشمس . فان كنا متدينين قلنا . . . (٤ وان كان بنا ميل للآداب والفنون . وما الآداب والفنون من الدين الّا بمقام الشرح من المتن رأينا رموز تلك النهضات العلوية ظاهرة بجلاء في الثور المجنّح الكلداني وفي ابي الاهوال والهرم الاكبر، في مزامير داود وسفر ايوب، في الحكايات الهندية والنواحي اليونانية، في ايات علي ونظريات الغزالي وفتحات الفارض وغضبات (؟) المعري . وفي رؤيا (٥ دانت وتماثيل ميكل انجلو ورسوم دافنشي وروايات شكسبير وانتام يتوفن . »

---

١) كتب فوقها : « لفرد منا ان يقف »

٢) كتب تحتها : « لا يزول »

٣) كتب اولاً : « قوالب خالدة » « وابراجاً ذهبية » ثم اصلحها

٤) كذا في الاصل

٥) تحت رؤيا كتب : « قصيدة »

ومما يجدر بالذكر ، في هذا الدفتر ، صفحتان وافرتا التنقيح ، شأنَ سائر الكتابات العربية ، تدوران حول « العقل والروح » في بحث لا يظهر تامًا ، يستخلص منهما :

« ان العقول قشور الارواح أن (١ يعيش بعقله دون روحه لا ولن يعرف من الحياة سوى سطحياتها . ومن يحسب الروح ظلًا مثيلًا ومآتي الروح سرابًا (٢ كان وجوده بعض الوجود (٣ وكان وجدانه غلافًا للوجدان . ويقولون لي ان المدنية الغربية قد قامت على دعائم العقل والعقل شيء عملي اجرائي ايجابي (٤ وهذا ما جعل الغرب غنيًا قويًا غالبًا

ويقولون لي فانظر الى اثار العقول ومظاهرها من قطارات مسرعة وبواخر ماخرة وطيارات محلقة وآلات دائرة تقوم الواحدة منها مقام الف رجل وتنجز بساعة ما لا تنجزه الايدي البشرية بسبعة اعوام

ويقولون لي الا ترى اممًا بعقولهم قد سادوا وسادوا وقسموا الارض كما شاءوا (كذا) وحكموا سكان الارض كما ارادوا

يقولون لي مثل هذه الاقوال باسطين البراهين المزركشة على سلطة العقل وميزته ثم يختمون حديثهم بسؤالهم « وماذا يا ترى انتجت (كذا) ذاك الذي تدعوه روحًا؟ فان كنت تحسب الغرب عقلي الطوية والشرق روحي المذهب فانظر اذن الى هذا وتمثل ثم التفت الى ذاك واندب . »

يطلبون اليَّ ان انظر الى عقل الغرب العامل لارتش (٥ حسدًا ثم الى روح الشرق لاندب . ذلك لانهم يتوهمون ان الغرب بدون روح وان الشرق بدون عقل . ومن هذا الوهم يسحبون (؟) ويستنتجون الاسباب مما يدعونه تقهقرًا في الشرق (٦ وتقدمًا في الغرب (٧

اما نحن ، نحن الموحدون ، نحن السكارى بخمرة وحدة الحياة وفرديتها ، نحن لا نجزئ الارض الى شرق وغرب او الى قبلة وشمال . ولا نفصل (٨ بين عنصر من الناس وعنصر آخر .

---

١) كتب اولًا : « الذي » ثم اصلحها فوقها « بمن »
٢) في الجملة الاصلية : « نفحة في الفضاء » ثم اصلحها « بالسراب »
٣) في التعبير الاصلي : « نصف وجود »
٤) كتب اولًا : « عملي » ثم وضع فوقها : « اجرائي » واردفها بلفظة « ايجابي »
٥) كتب تحتها اولًا : « لاغتبط »
٦) كتب فوقها : « الشرقيين »
٧) زاد فوقها : « بين »
٨) كتب اولًا : « ولا نقسم البشرية » ثم اصلحها

نحن نرى الطبيعة مظهرًا واحدًا من مظاهر الله الاوحد . نحن نرى الارض كتلة واحدة والبشرية عنصرًا واحدًا واعمال البشر عملًا واحدًا

نحن لا نفصل بين شيء وشيء ، حتى ولا بين العقل وهو الشعور والروح وهو اللباب . ولكننا نميز بين هذا وذاك فنقول العقل سطحي وقتي وهو لازم (١ . اما الروح فباطني ابدي وهو الزم .

غير اننا في كليتنا نتساهل بعض الاحايين مع المجزئين (٢ ونقول نعم هناك قسم في هذه الفكرة يعرف اصطلاحاً بالشرق وهناك قسم آخر يدعى تمييزًا بالغرب . »

وفي آخر هذا الدفتر ، او في اوله من جهة اليمين ، مسودة رسالة قد تكون موجّهة الى ميّ كما يُستدلّ من النصّ . والمعروف ان جبران كان يكتب مسوّدات لرسائله . قال :

« ها قد رجعت من لبنان فانا بالطبع اهنئك بذهابك الى لبنان ولا ادري ما اذا كان عليّ ان اهنئك برجوعك سالمة الى مصر

لبنان . لبنان . لبنان . قولي لي ماذا وجدت في لبنان ؟ لو بعثت اليك بالرسائل التي تجيئني من ابسط اللبنانيين ومن اكثرهم (تركيباً) (٣ لما فكرت قط – لو كنت انتِ انا – (هلّا غفرت لي هذا الافتراض) – بالذهاب الى لبنان او الى اية قرية من قراني الشرق . »

٤ دفتر كبير اكثره ابيض . يبدأ من اليسار بمقاطع كثيرة من « آلهة الارض » باللغة الانكليزية . يليها محاولات تصويرية منها صورة امرأة تحضن طفلًا وترضعه . وقد رسمت بالرصاص على شكل دوائر متتابعة متداخلة بعضها في بعض فأتت على كثير من الغموض والوضوح معاً . ثم رسم حية برأس امرأة جميلة . ومحاولات كتابة اسم « بربارة » بالعربية نظن ان الست بربارة هي التي قامت بها وقد علّمها جبران ان تكتب اسمها بلغته . ولكنها نسيت ، في احدى هذه المحاولات ، الراء الثانية فاتى الاسم هكذا : « برباة »

١) زاد فوقها : لفظة : « ولكنه » ولا رابط لها
٢) كتب فوقها : « الجزئيين »
٣) كذا في الاصل

واول الدفتر من ناحية اليمين حافل بكثير من عناوين الاشخاص بالانكليزية . ثم هذا المقطع :

« اريد ان اموت قبل من احب كيلا اجن اذا مات قبلي
واريد من يحبني ان يموت قبلي كيلا يحزن لموتي قبله . »

وتحته ، وهي مسودّة قطعة معروفة بعنوان « الارض » :

« تنبثق الارض من الارض رغماً (١
« ثم تسير الارض فوق الارض تيهاً وكبرًا
« وتنثى (٢ الارض من (٣ الارض القصور والبروج والهياكل
وترسم الارض على الارض الاساطير والتعاليم والشرائع
ثم تمل الارض اعمال الارض فتحوك (٤ من هالات الارض الاحلام والاشباح
ثم يراود ناس الارض اجفان الارض فتنام نوماً هادئاً عميقاً ابدياً
ثم تنادي الارض قائلة للارض : انا البدء وانا النهاية (٥ وكل ما بي فيّ وما بقي ظافرة (٦ رحماً وقبرًا حتى تضمحل الكواكب وتتحول الشمس الى رماد . »

وفي صفحة ثانية مسودّة قطعة كاملة ننشرها في ما يلي :

« تسير اليوم مستندة على ساعده – وبالأمس كانت على ساعدي
وتجلس بجانبه في ظلال الغصون وبالامس كانت بجانبي
وتشرب الراح من كأسه وبالامس كانت ترشفها من كأسي
وترمقه بعين ملؤها الحب وبالامس كانت ترمقني

قلت لصديقي : الا فانظرها متكئة على ساعده وبالامس كانت على ساعدي . فقال : وغدًا على ساعدي .

قلت : تأملها جالسة الى جانبه وبالامس كانت الى جانبي . فقال . وغدًا الى جانبي .

قلت تبصّرها تشرب الراح من كأسه وبالامس كانت ترشفها من كأسي فقال وغدًا من كأسي .

---

١) كتب فوقها : « كرهاً وقسرًا »
٢) فوقها : « وتنبع »
٣) فوقها : « على »
٤) كتب تحتها : « فتبدع »
٥) كتب فوقها : « انا الرحم وانا القبر »
٦) كتب فوقها : « قوية هائلة »

قلت انظرها ترمقه بعين ملؤها الحب وبالامس كانت ترمقني . فقال وغدًا ترمقني
قلت اسمعها تهمس اغاني الغرام في اذنه فقال وغدًا في اذني
قلت انظر فهي تعانقه وقد كانت بالامس تعانقني . فقال وغدًا تعانقني
قلت انظر فهي تقبل شعره وقد كانت بالامس تقبل شعري . قال وغدًا شعري
قلت ما اغربها امرأة
قال : هي كالحياة يملكها (؟) كل الناس (١ وكالموت تتغلب على كل البشر وكالارض (٢) تضم كل البشر . »

ثم هذه القطعة التامّة الدالة على ميل جبران الى التوحيد، او الوحدة الرامية الى الحلولية ، التي تكلم عنها في قطعة سابقة (راجع ص٢٥٣) :

تجزئة سطح الارض شغل الساسة
وتجزئة النفس شغل الفلاسفة
وتجزئة القلب شغل الشعراء
وتجزئة السماء شغل الكهّان

ولقد وجدتني غريباً بطبعي واحلامي عن هؤلاء المشتغلين بالتجزئة والتقسيم متصرفًا الى الوحدة النفسية والعقلية والدنيوية والسماوية . »

يلي ذلك شذرات وحكم :

« العلم طريق من سار عليها لا يستطيع الوقوف يومين متتابعين في مكان واحد .
لم تحكم امة امةً اخرى الّا والفت الفتن بين عشائرها .
لو لم يكن في الارض غير شجرة واحدة لعبدها الناس .
ليس امرّ من فقر يأتي بعد الغنى . »

« نعرف الم اجسادنا بعقولنا فلو (صرفنا) (٢ عقولنا عن اجسادنا لما شعرنا بالالم
(العقل) (٣ يتموج مثل كل قوة غير محدودة . قد تستشرف سبيلًا الى ارسال تموّجات (عقلية) (٣ الى مكان بعيد . »

ولعل اهم ما في هذا الدفتر مسوّدات « المواكب » ، او اكثر المواكب . فان في درسها فوائد جمة تطلعنا على تطوّر فكر جبران ، واضطراب القوالب في التعبير عنه ، حتى استقرارها نهائياً على الشكل المطبوع ، وليس بالشكل

١) كتب فوقها : « البشر »
٢) الملالان في الاصل .
٣) الملالان في الاصل .

الأمثل . وهذه ابيات نشير الى طرق إصلاحها في المسودّة ، وقد وضع الكلمات المصلحة فوق الاصلية . ثم نقابل بينها وبين النصّ المنشور بالطبع :

نبدأ بالمقطع المعروف « بالعلم » . جاء في الدفتر :

والعلم في الناس سبل بان اولها ... اما اواخرها فالدهر والقدرُ

الرامي

واكثر العلم مثل الجهل ايسره ... يرضي ولكن في ادمانه الخطرُ

وافضل حلم

وانبل العلم وحي لو ابحت به ... وسرت ما بين خلق الله سخروا

وسرت ما بين ابناء الكرى سخروا

فان رأيت اخا الاحلام منفردًا ... عن قومه وهو منبوذ ومحتقر

النبي الند

فهو الكليم وبرد الغاب يحجبه ... عن امة برداء الامس تأتزرُ

لام الناس ام عذروا

وهو المجاهد غاب حضروا

وهو الغريب عن الدنيا وساكنها ... وهو الابي جاء الناس ام هجروا

الشديد

وهو البعيد وان ابدى ملاينة ... وهو البعيد

اما في « المواكب » المطبوعة فقد جاء هذا المقطع :

والعلم في الناس سبل بان اولها ... اما اواخرها فالدهر والقدرُ

وافضل العلم حلم ان ظفرت به ... وسرت ما بين ابناء الكرى سخروا

فان رأيت اخا الاحلام منفردًا ... عن قومه وهو منبوذٌ ومحتقر

فهو النبي وبرد الند يحجبه ... عن امة برداء الامس تأتزرُ

وهو الغريب عن الدنيا وساكنها ... وهو المجاهر لام الناس او عذروا

وهو الشديد وان ابدى ملاينة ... وهو البعيد تدانى الناس ام هجروا

اما البيت الثاني في المخطوطة : « واكثر العلم . . . » فلم يظهر في هذا المقطع من « المواكب » انما نقله المؤلف الى مقطع الحبّ كما سيلي .

وهذا مقطع « العدل » :

ويستضحك الاموات

والعدل في الارض يبكي الجن لو سمعوا ... به ويضحك اهل النار لو نظروا

فالسجن والموت للجانين

فالموت للمجرمين ان صغروا ... والمجد والفخر والاثراء ان كبروا

منبوذ (!) ومستهن — الخطر ؟
فسارق الزهر مذموم ومحتقر — وسارق الحقل يدعى السيد الوقر
وقاتل الجسم مقتول (بغلته) — وقاتل الروح لا تدري به البشر

وهذا هو في « المواكب » المطبوعة :

والعدل في الارض يبكي الجن لو سمعوا — به ويستضحك الاموات لو نظروا
فالسجن والموت للجانين ان صغروا — والمجد والفخر والاثراء ان كبروا
فسارق الزهر مذموم ومحتقر — وسارق الحقل يدعى الباسل الخطرُ (١
وقاتل الجسم مقتول بغلته — وقاتل الروح لا تدري به البشر

وهذا مقطع « الحب » :

والحب في الناس اشكال واكثرها — كالشب في القيظ لا زهر ولا ثمر
والحب ان قادت الاجسام موكبه — الى الرغائب والاغراض ينتحرُ
كانه ملك في الاسر مقتل — يأبى الحياة واعداء له ظفروا
والطير لا يبني عشاً وهو في قفص — كلّا ولا

اما في « المواكب » المطبوعة فجاء على هذا الشكل :

والحبّ في الناس اشكال واكثرها — كالشب في الحقل لا زهر ولا ثمر
واكثر الحب مثل الراح ابره — يرضي واكثره للمدمن الخطرُ (٢
والحب ان قادت الاجسام موكبه — الى فراش من الاغراض ينتحر
كأنه ملك في الاسر مقتل — يأبى الحياة واعوانًا له غدروا

اما اجوبة « الفتى » المعروفة في « المواكب » فكأنه كان يؤلفها معاً . فهي، في الدفتر ، كلّها متتابعة ، بعد ان تتابعت مقاطع « الشيخ » قبلها .

وفي الدفتر المذكور مسودّة قصيدة لا عنوان لها ننشرها كما هي مع التعاليق التي وضعها الشاعر على بعض الالفاظ بقصد ابدالها :

في هدوء الليل يأتي سبحاً — وهو مثل الليل هولاً قد بدا
يأتي منفرداً كان الارض لم — تحتضن الآه فرداً سيدا (ترى الآه عظيماً)
ويدوس الترب مرفوعاً كما — تلمس (الاطلال) اطراف السحاب

١) وفي بعض الطبعات الظاهرة ، بعد وفاة جبران ، أُصلح هذا الخطأ النحوي فجاء : « وسارق الحقل لهو الباسل الخطرُ . »
٢) هو البيت المنقول من مقطع الحلم .

فكان الجسم في اثوابه من شعاع ورياح وضباب

قلت يا طيفاً يعبق الليل في سيره هل انت جنّ ام بشر
قال (كلمة غير مقروءة) وفي الفاظه رنة الهزء انا كل القدر

معترضاً
قلت لا يا طيف قد مات القدر يوم ضمتني ذراع القابله
قال مبتسماً انا الحب الذي لا ينال العيش الا ناتله

قلت لا فالحب زهر لا يبشر بعد ان تذبل ازهار الربيع

ضجة البحر
قال مكتئباً وفي سحنته لهجة القبر انا الموت المريع

قلت لا فالموت صبح ان اتى ايقظ النائم من غفلته
قال مفتخراً انا المجد فمن لم يثلني مات في علته

وينتهي القسم العربي من الدفتر بعملية حسابيّة على الثقل النوعي غايتها معرفة كمية الفضة والذهب في خاتم مركّب من المعدنين .

هذا افضل ما في الدفاتر المذكورة من معلومات ادبية وفنيّة افادتنا الكثير عن تطوّر فكرة الشاعر المصوّر . وهناك افضل منها معلومات حيّة شخصيّة كانت تفيضها علينا الستّ بربارة دون انقطاع ، وفي حديثها نبرة الاعجاب والاحترام . فرأينا ان ننقلها ، مصادر ووثائق للدروس الجبرانية ؛ ونعرضها على طريقة موضوعية ، تاركين استخراج الأحكام لمن يُعنى بدرس جبران درساً شاملاً في المستقبل :

عاش جبران ، في نيويورك ، مدة ٢٢ سنة وحيداً دون خادم . سكن اولاً محترفاً ضيقاً يوافق دخله . حتى اذا مرّ عليه سنتان او ثلاث انتقل ، في البناية نفسها ، الى المحترف الواسع الذي ظلّ فيه حتى آخر حياته ، في ٥١ وست الشارع العاشر . وكان يكتسب من تصويره . وقد عرف امره فاقبل عليه الكثيرون ، حتى اصبح معدّل دخله من الصورة الواحدة ٢٥ دولاراً . ومن الذين صوّرهم فشهر بهم موريس مترلنك ، وهنري دي روشمون ، في باريس ،

وعبّاس عبد البهاء في نيويورك .

وظلّ يصوّر بالزيت حتى السنة ١٩١٥ . فارتفعت اسعار موادّ التصوير بما يفوق مقدوره . فترك الزيت الى الفحم والرصاص ، وبقي عليهما حتى وفاته .

❁

اما الكتابة فكان يلهو بها اول الأمر ، ولا يأمل منها ربحاً ، حتى نشر « المجنون » بالانكليزية ، سنة ١٩١٨ . فكان فاتحة الشهرة ومدخل الثروة . ولم يلبث جبران المصوّر ان تضاءل امام جبران الشاعر المفكر في نظر الاميركيين ، الّا ذوي الاختصاص بالفن التصويري فظلّوا يقدرون الفنّان المصوّر على احترامهم المؤلّف النابغة .

واخذت الست بربارة تفيض في احترام الاميركيين لآثاره الكتابية ، من المجنون ، الى يسوع ابن الانسان ، الى آلهة الارض ، مما يعرفه الجمهور ، متوقفة ، خاصّة لدى « النبي » الذي كاد يحتكر اعجابها اذ كان سبب اتصالها بالمؤلّف . فاطلعتنا على معلومات بشأنه تشير الى اخلاص جبران لفنه اخلاصاً نادرًا ؛ كما تدلّ على احترامه لأمّه وتقديره مواهبها . فرأينا في نقلها كل الفائدة ؛

كانت امّ جبران من النساء الذكيّات العاقلات . من اولئك اللبنانيات ذوات الشخصية القويّة ، اللواتي يؤثّرن في اولادهنّ اثرًا عميقاً يجاوز اثر الآباء ، ويرافق الابناء في جميع مظاهر حياتهم . كانت عارفةً باللغة الانكليزية ؛ وقد نالت ، في اثناء اقامتها باميركة ، كثيرًا من تلك الثقافة الاختبارية التي ينضجها التوازن العقلي على مهل . فغدت تفهم ابنها حقّ الفهم ، وتُعجب به ، لا اعجاب الام « بغزالها » ، بل اعجابها بفتى نابغ يخرج عن مستوى الجمهور من البشر . تعرف انه مدعوّ لتمثيل دور في ادب بلاده وفنها ، ولكنها تشعر ، على رغم محبة الامّ ، انه لم ينضج بعد للقيام بهذا التمثيل . وكان جبران يعرف منها هذا الحبّ العطوف ، ويشعر بهذا البصر البعيد ، فيعرض عليها آثاره الاولى ، ويتقيّد باحكامها وآرائها ، كما ظلّ يختلج احتراماً لذكراها ويردّد اقوالها طول عمره ، بعد ان ودعته الوداع الاخير سنة ١٩٠٣ ؛ وبعيدها قبل وفاته للست

برباره . حتى جمعت الكاتبة الاميركية من اقوال الامّ الراحلة واحاديثها كتيباً صغيراً استشره بالطبع مع ترجمة جبران .

الّف جبران « النبي » اولاً باللغة العربية . فعرضه على امه فخوراً . وبعد ان سمعته الامّ منتبهة ، لم يمنعها اعجابها القول : « انه كتاب عظيم ولكنه سابق لأوانه . فكرته رائعة عميقة ، ولكن تعبيرك عن هذه الفكرة لا يزال بحاجة الى الاختمار ، يا جبران . فارى ان لا تنشره اليوم . » فتركه جبران خمس سنوات ، توفيت في خلالها والدته . وعاد الى « النبي » يكتبه من جديد بالعربية ايضاً . ولكن لم يكد ينتهي منه حتى تمثل حكم امه ، ولم يرَ انه بلغ النضج الكافي . فمزّق الكتاب دون ان يقرأه كاملاً . ثم كتبه بالعربية للمرة الثالثة وتركه يختمر . ومرّت عشر سنوات . ولما عاد اليه يقرأه من جديد لم يرضَ عنه فمزّقه . وكتبه رأساً بالانكليزية ، وقد تجاوز الخامسة والثلاثين ، فاتّسع افق تفكيره ، واستقرّ ذوقه الادبي . فكان ذاك « النبي » الذي تجاوز الاعجاب به جمهور الادباء الى اكابر رجال الدين والدنيا فرُتّلت منه المقاطع في الهياكل الانجيلية ، وقام بتنغيم اناشيده حاخامو اليهود في كُنُسهم ، وقال عنه الرئيس ولسون : « انه اعظم كتاب بعد الانجيل . » وكان من نصيبه ان نقل الى اكثر من عشر لغات منها العربية . على ان جبران لم يكن راضياً عن هذه الترجمة العربية ، ولم يكن يخفي عدم رضاه هذا . ولكنه كان قد مزّق الاصل العربي الذي وضعه هو لهذا الكتاب ، ولم يجد مجالاً لوضعه من جديد بلغة بني قومه .

وعلى ذكر كتاب « النبي » وما تضمّنه من آراء دينية ، وموقف رجال الدين منه ، انتقلنا الى الكلام عن « يسوع ابن الانسان » وعن آراء جبران في الدين ورجاله . فاخذت الست برباره في حديث شائق كانت تقطعه نبرات اعجابها بالشاطئ اللبناني ، والسيارة تنهب بنا سهول جبيل والبترون ، وتلتفّ في مضايق راس الشقعة :

كان جبران مسيحياً كل المسيحي في الكثير من معتقداته وتصرّفاته ، ولاسيّما في بغضه للرياء والمرائين ، اولئك الذين حاربهم المسيح طول حياته ، اذ

كانوا يتمثلون له بأشخاص الفريسيين ؛ والذين اراد جبران ان يحاربهم كذلك ، وقد تمثلوا له برجال الاكليروس. على انه كان يستثني قليلاً من افراد الاكليروس عرفهم بصدق تقواهم واخلاص نيأتهم ، فكان يستقبلهم ويعطف على مشاريعهم الخيرية . وقد عرفت الست برباره من هؤلاء المستثنين الاب الدويهي ، نزيل بوسطن . وكان جبران كلما زار اخته مريانا في بوسطن ، يجتمع بالاب الدويهي فيحييان الليل في الاحاديث . وكثيراً ما كان يهبط الاب الدويهي نيويورك ، فيزور جبران في محترفه ويتحادثان الى ساعة متأخرة من الليل كذلك. وللراهبات في احترام جبران مركز خاص . كان لا يفوه بكلمة في انتقادهنّ ، ولا يجيز لأحد ان يتعرّض لهنّ بحضرته . وكنّ يعرفن منه هذا العطف ، فلا يتأخرن عن طرق باب محترفه ، كلما كنّ بحاجة الى اسعاف . ولم يحدث له ان ردّ احداهنّ خائبة . وكان له لذّة خاصة في عمل الخير على شكل تخفيف مصاعب الحياة عن المتعبين . تشهد بذلك اخته مريانا التي طالما كلفها ان توزّع الاحسان من قبله على فقراء اللبنانيين في بوسطن ، كما كان يتولّى الواجب نفسه بواسطة الراهبات في نيويورك . وتشهد بذلك وصيته ، وقد ترك فيها القسم الأكبر من منتجات كتبه في سبيل فقراء مسقط رأسه بشرّي .

❁

وكما كان جبران يكره الرياء في الدين كان يكرهه في المجتمع اشد الكره، ولاسيما في السياسة . ولهذا تجنّب الدخول في جميع «الجمعيات» و« الأندية» و « المحافل» وما اليها من المجتمعات التي كان ينشئها المتاجرون بالمذاهب السياسية من اللبنانيين والسوريين ، وهم كثيرون في جميع انحاء المهاجر . روت لنا الست برباره حادثة تدلّ على كره جبران للسياسة ، كما تدلّ على قوته البدنية ولاسيما في يديه . قالت :

جاءه في احدى الليالي سوري ذو اسم في بني قومه. واخذ يداوره في الحديث حتى اطال واضجر ، قاصداً ادخاله في مشروع سياسي «وسخ» — والكلمة للست برباره — فما كان من جبران، وقد تأثر حتى تشنّجت اعصابه ، الّا ان صرفه بلياقة ، ثم رجع مضطرباً نحو مكتبه ، وعليه جدول التلفون ، وهو في

نيويورك ، مجلّد ضخم . فتناوله ، وبلمحة بصر ، مزّقه بين يديه من الدفة الى الدفة ، متمنياً لو امكنه ان يستبدل بـه رقبة ذاك السياسي الوسخ . وبقي الجدول قطعتين في محفوظاته مدة طويلة شاهداً على قوّته ، وعلى ما نواه لرقبة ذاك السياسي . . . .

اما الكنائس فلا تذكر الست برباره ان جبران دخلها قبل وفاته . بيد انه ذهب مرّتين الى الكنيسة الانجيلية الاسقفية مكلّفاً من قبل قسّيسها القاء الإرشاد الاسبوعي . ولا يستغرب السامع موقف جبران يلقي المواعظ في الهيكل . فان صاحب « النبي » ، في آخر ايامه ، كاد يلتحق ببطله فيتوحدان في نظر الكثيرين من معجبي الاميركان . وهو ، في نيويورك المادية ، يمثّل برجاً من ابراج الروح . وكثيراً ما اتجه نحوه مريدو الروحانيات بل زعماؤها يأخذون رأيه ، ويهتدون بهديه ، كما جرى لكريشنا مورتي .

— ومن هو كريشنا مورتي ؟

— كريشنا مورتي شاب روحاني ثقّفته سيدة اميركية اسمها آني بيسنت . واعتكف على التأملات النفسية ، حتى نضجت فكرته واختمر اسلوبه ، فقام يخطب في المجتمعات ويدعو الناس الى التقوى والصلاح والفضيلة . وما هي مدة حتى سار ذكره في انحاء اميركة . فكثر تبّاعه ، والّف جمعية لتبشير المتردد بالدين المسيحي . وكان لا بدّ من ان يختلف بعض مريديه في شخصيته الغريبة . فمنهم من قال انه رسول بعثه المسيح الى هذا العالم ليخفّف من شروره وويلاته ، ومنهم من زعم انه المسيح بالذات . وتجاوز بعضهم الى الرغبة في التعبّد له . فاضطرب كريشنا من موقف تبّاعه ، وطفق يشرح لهم انه رجل عاديّ ألهبته محبة المسيح فاراد خدمته . فلم يُفلح . اخيراً كاد يملكه اليأس . فلجأ الى جبران يستشيره ، وعرض عليه مخطوطة كتاب في الروحانيات .

قرأ جبران الكتاب ، مع الست برباره ، في ليلة واحدة . وعندما عاد كريشنا ارجع اليه مخطوطته مع الثناء الحقّ . ونصح له ان يتابع خطته ، ولا يهتم بما يقول الناس عنه حسناً كان او سيئاً .

امّا كريشنا فحاول من جديد افهام اتباعه غايته الحقيقية. ولما لم يُفلح للمرة الثانية ، حلّ الجمعية ، وسافر وحده الى الهند .

❁

ـــ وجبران كيف كانت وفاته ؟ وهل مات كاثوليكياً ؟

كان جبران يشعر بتعب في قلبه ، ومعدته ، وامعائه خاصة ، مع انحطاط شامل في سائر جسمه . وليس من سرطان ولا ايّ مرض آخر بشهادة تقارير الاطباء في المستشفى . انما الشغل المتواصل انهك قواه ، واضرّ به عدم الانتظام في حياته . ذلك انه كان يُهمل الجسد اهمالاً تامّاً ، ويقول : لا قيمة الّا للروح ، ولا يستحق هذا الغلاف المادي شيئاً من الاهتمام . فلم يرَ طبيباً ولم يشأ ان يتناول دواء . حتى اشتدّت به الادواء ، فوقع مغشيّاً عليه في احدى الليالي بينما كان يشتغل في محترفه ، وليس عنده احد . على ان الجيران عرفوا بالأمر فأسرعوا وانعشوه بما حضرهم . ولما لم يعرفوا عنوان الست برباره ، تلفنوا الى سيدة تعرفها . وما هي دقائق حتى جاءت الست برباره وبعض اصدقاء الشاعر . وكان قد عاد اليه رشده . فحاولوا اقناعه بالذهاب الى المستشفى فأبى . ولم يفلحوا الّا صباح اليوم الثاني . فنقلوه الى مستشفى كاثوليكي اقام فيه ساعات معدودة .

ورأت الست برباره ان من واجبها اطلاع كبار اللبنانيين على ان جبران في المستشفى فتلفنت الى الاستاذ سلوم مكرزل وكلفته القيام بما يراه موافقاً . ولم يلبث السيد مكرزل ان جاء المستشفى يصحبه كاهن ماروني . وكان جبران قد دخل في غيبوبة الموت ، ولكنه كان لا يزال في وعيه الداخلي ، كما قال الاطباء . فاقبل الكاهن يخاطبه بالعربية ، ويسأله اسئلة لم تفقه منها محدّثتنا الّا لهجتها الاستفهامية وكلمة : يا جبران . ولمّا لم يفز الكاهن بجواب ، هزّ المحتضر بعنفٍ اثار احتجاج الست برباره ، فلم تتمالك الخروج عن لطفها المعتاد .

وبعد قليل جاء الطبيب واعلن الوفاة .

وهنا افاضت الست برباره ، تقطعها نبرات الأسف واللوعة ، في وصف الجنازة الفخمة في بوسطن ، حيث كانت الجماهير تزدحم خارج الكنيسة على مسافات بعيدة ، حتى انها اوقفت سير المركبات مدة عشرين دقيقة . وكان

المزدحمون ، عند مرور النعش ، يخرون راكعين . وعندما عرض الجثمان ، مرّ جميع الحاضرين من امامه يتأسفون مودّعين الراحل بعبارات مؤثرة لم تفهم منها تلك الرفيقة الامينة ، الّا كلمة : « حبيبي جبران » !

❁

ــ وماري هسكل ؟ تلك التي كثيراً ما يُلفظ اسمها في الكلام عن جبران ؟

ــ ماري هسكل سيدة فاضلة ، احسنت الى جبران في نشأته فمكّنته من متابعة ثقافته الفنيّة والادبية . وليس من صحة لما يُقال من انها كانت ترغب في الزواج منه . بل ان جبران نفسه هو الذي عرض عليها هذه الفكرة . ذلك ان الفقيد ، عندما اصاب نصيبه من الغنى ، اراد ان يكافئ المحسنة اليه ، وشاء ان يترك لها ثروته . فعرض عليها الزواج في هذه الغاية ، ليس غير . على انها رفضت العرض بلطف ، وقد سُرّت بفكرة الاعتراف بالجميل . فسُرّ جبران بالرفض كذلك ، لأن اقتراحه لم تمله العاطفة الحيّة . وبعدَ ذلك تزوّجت السيدة هسكل وعاشت مدة مع زوجها . وقد توفي منذ اربع سنوات . اما هي فلا تزال متمتعة بالصحة في سِلفانيا من مقاطعة جيورجية ؛ كما لا تزال محافظة على ذكرى تلك الصداقة المتينة التي كانت تربطها بجبران . واني اعرف الكثيرات من صديقات جبران يحفظن ذكراه باحترام قد لا يعرفه الكثير من اصدقائه .

❁

وارادت الست بربارة ان تلبي داعي الفضول قبل ان تجسر بالسؤال فتابعت : وافيدكم ان جبران كان في جميع علاقاته روحانياً سامياً يترفع عن الشهوات البشرية . كان حبّه من ذاك الحبّ الصوفي الشديد الهيام المغذّى بالفنّ والجمال المتفلّتين من القيود الارضية . هو روحاني في نظراته ، في احاديثه ، في علاقاته جميعها . يذيب نفسه في هذه الزفرفات نحو العلاء ، كما يذيب جسده في الشغل المتواصل والمعيشة الزاهدة المتقشفة . لا اعرف له علاقة غرامية واحدة . ولم يطلعني قط ــ وقد اطلعني على الكثير من شؤونه ! ــ على انه احبّ حبّ شهوة في حياته ! انما اطلعني على حادثة تأثّر منها مدة طويلة ارويها لكم

دون تعليق :

دعي مرّة وهو في ابهة مجده الادبي بعد ظهور « النبي » الى حفلة شاي في دار احد كبار اللبنانيين. وكان هناك كثير من مشاهير الاميركيين والاميركيات. لان جبران كان ذا علاقات حسنة مع كبار القوم في المهجر ، من أسرة الرئيس روزفلت الى مثيلاتها من سراة المجتمع. وكان بين المدعوين سيدة اميركية واسعة الثقافة اعجبت جبران بحديثها المشبع بدقة الاطلاع ، وبذوقها الفني الصحيح . فانصرف اليها على طريقة لفتت انظار المدعوّين . وعندما ودّعها شدّ على يدها علامةَ الاعجاب. امّا هي فلم يوافق حسنُ ظنّها حسنَ نيّته . وبعد يومين تلقّى منها دعوة الى حفلة شاي . فسُر وتهيأ للموعد المذكور . وشدّ ما كانت دهشته المؤلمة عندما وصل الى البيت فلم يجد من المدعوّين سواه . وكان اول ما تمتمت شفتاه في اضطرابه :

ــ ألم يصل احد من المدعوّين بعد ؟

ــ لا مدعوّين غيرك . فنحن وحدنا .

عند ذاك ، تلمس قوى نفسه جميعها ، وقام معتذرًا ، مودّعاً ، متلعثماً ، مضطرباً . وكان آخر عهده بتلك السيدة التي لم يشأ ان يذكر اسمها حتى لي .

وبعد وفاة الفقيد ، اتاني ميخائيل نعيمه ــ واضطربت الست برباره ممتعضة ــ فطلب مني ان اطلعه على حياة جبران السرّيّة . فابتسمت ، على رغم انفعالي الداخلي ، وقلت :

ــ لم يكن لجبران حياتان . عاش جبران ومات في وضح النهار . فانظر واحكم .

ولمّا اعاد الكرة واخذ يداورني كي اطلعه على شيء مما يريد ان ينسبه الى جبران ، قلت له :

ــ انا رفيقته ومعاونته مدة سبع سنوات لا اعرف له الّا حياة الشغل الدائم ، والجهاد المضني ، والمعيشة الروحانية . فان لم تعجبك هذه الحياة ، فاطلب غيري .

فذهب ولا اعرف ماذا نشر في كتابه . غير ان اللبنانيين والسوريين المهاجرين ، اظهروا سخطهم على هذا الكتاب عندما اطلعوا عليه في نيويورك

❁

كانت بربارة يونغ امينةً على ذكرى جبران ، مخلصة ، له في حياته ومماته . رافقته في عمله ، ورافقته في مرضه ، ورافقته في جنازته المحمولة الى بوسطن ، كما رافقته في ترتيب تركته الفنية وطبع مخلّفاته الادبية . فلا اقل من ان ترافقها ذكرى زيارتها قبر جبران ، في عرض الاوقيانوس الفسيح حيث تجابه الطوارئ والمفاجآت في هذه الأيام العصيبة ، راجعةً بعد حجها القصير ، الى مهبط وحي جبران !

مطبوعات شرقية جديدة

PUBLICATIONS DE LA SOCIÉTÉ DES NATIONS.

منشورات جمعية الأمم

كثيراً ما اشرنا الى منشورات جمعية الأمم المفيدة في مختلف مناحي العلوم الاجتماعية والاقتصادية . فنقلنا محتويات البعض منها في اجزائنا السابقة . وها اننا الآن نجمع معاً كل ما وصل الينا مؤخراً ، فنصفه مشيرين الى اهم ما يفيدنا من فوائده :

Projet de Nomenclature douanière. Vol. I, in-8°, 135 pp. Prix : 6 frs. suisses. Vol. II, in-8°, 318 pp. Prix : 12,50 fr. s.

مشروع في الاوضاع الجمركية

هذه طبعة جديدة مبنيّة على ملاحظات الحكومات للمجلدين الخاصين بالاوضاع الجمركية . وكان قد اشتغل في تأليفها عدد من الاختصاصيين بناء على طلب اللجنة الاقتصادية في جمعية الأمم ، وذلك في سبيل تنفيذ قرار المؤتمر الاقتصادي الدولي المنعقد سنة ١٩٢٧ ، وغايته توحيد الاوضاع الجمركية بين الدول. اما هؤلاء الاختصاصيون فعددهم ثمانية مثلوا اسوج ، والمانية ، وايطالية ، وبلجيكة ، وتشيكوسلوفاكية ، وسويسرة ، وفرنسة ، والمجر ، اشتغلوا مدة عشر سنوات ، فجمعوا موادّ كثيرة ومعلومات دقيقة ، استخرجوا منها هذا المشروع المفصّل التام الذي يمكن الحكومات ان تستفيد منه في تعديل تعرفاتها الجمركية . وكانت الغاية التي رمى اليها مؤتمر سنة ١٩٢٧ ان تجعل التعرفات الجمركية في الدول قابلةً للموازنة بعضها ببعض ، بفضل اوضاع جديدة من السهل على الحكومات استعمالها . وكان رائد لجنة الاختصاصيين في وضع هذا المشروع الجديد :

١ ــ ان الاوضاع الجمركية يجب ان تنظر الى التقاسيم العامّة التي وضعها

العلم والصناعة في المنتجات الطبيعية من جماد ونبات وحيوان ، وكذلك في المنتجات الصناعية .

٢ً ــ عليها ان ترتب المنتجات على اسلوب يذهب من البسيط الى المركب، اي ابتداء من المواد الأولية حتى المصنوعات التامة الرفيعة .

٣ً ــ عليها ان تجتهد في جمع منتجات الصناعة الواحدة جميعها في الابواب نفسها وفي الفصول نفسها اذا امكن .

٤ً ــ على لائحة الاوضاع الجديدة ان تتصف بالمرونة فتكون قابلة التقليل والتكثير ، لتوافق مظاهر الاقتصاد الداخلي في كل بلد من البلدان.

وفقاً لهذه المبادئ قام الاختصاصيون بوضع الاوضاع الجديدة مقسومة عشرين باباً ، وتسعين فصلاً. وفي كل من هذه الفصول رُتبت المنتجات في مراكز اولى ، وثانية ، وثالثة ، ورابعة . فيكون ان البضائع والمنتجات الموجودة في المراكز الأولى ، تحافظ مبدئياً على مركزها ، فلا تنقلها الدول التي توافق على هذا المشروع وتعمل به . اما المراكز الثانية ، والثالثة ، والرابعة فيمكن التصرف بها وفقاً لحاجات الدول الخاصة .

وقد خُصَّ المجلد الأول بنصّ المشروع نفسه . اما الثاني فشمل شروحاً تكميلية سهّل على كثير من الدول اعادة النظر في تعرفاتها الجمركية ، فاتخاذ هذا المشروع مبدأً لها .

Contrôle national de la fabrication et du commerce des armes. In-8°, 245 pp. Prix : 7 fr. s.

المراقبة الوطنية لصنع الاسلحة وتجارتها

في شهر ايار ١٩٣٧ ، قدم مكتب مؤتمر نزع السلاح طلباً الى سكرتارية جمعية الأمم يرغب فيه ان تجمع وتبلغ المكتب المذكور كل المعلومات الممكنة عن حالة مراقبة صنع الأسلحة وتجارتها في مختلف الدول . فكان هذا الكتاب . وقد احتوى على نبذة خاصة بالدول الاربع عشرة الآتية : المانية ، انكلترة ، بلجيكة ، الدانمارك ، الولايات المتحدة ، فرنسة ، ايطالية ، نروج ، هولاندة ، بولونية ، اسوج ، سويسرة ، تشيكوسلوفاكية ، اتحاد الجمهوريات

السوفياتية . وفي كل نبذة ملخص لحالة صنع الاسلحة وتجارتها في الدولة المذكورة ، مع مقتطفات من الشرائع المختصة بهذا الشأن . وقد قُسمت هذه المعلومات على بابين تناول الأول الأسلحة والذخائر : صناعتها وتجارتها الداخلية والخارجية . واختصّ الثاني بالمتفجرات .

وهو يشير الى طريقة اعطاء المأذونيات ، في كل من تلك الدول ، بصنع الأسلحة وتجارتها الداخلية والخارجية ، كما يدلّ على طريقة مراقبتها وتفتيشها ، ودور الحكومة في كل ذلك . ويظهر من المبحث الخاصّ بالمتفجرات ان لها شرائع خاصة في كل الدول ، وان هذه الشرائع سابقة ، على الغالب ، شرائع الأسلحة العامّة ، كما انها تفوقها بالصرامة والتدقيق في المراقبة .

E. J. Bigwood, **Directives pour les Enquêtes sur la nutrition des populations.** In-8°, 293 pp. Prix : 6 fr. s.

توجيهات للابحاث في قضية تغذي السكّان

كتاب نشرته اللجنة الصحيّة في جمعية الامم ، ألفه الاستاذ بيگوود من الجامعة الحرة في بروكسيل ، وقد حاول فيه وضع مناهج بحث ذات تطبيقات عامة حول نقطتي الاستهلاك الغذائي الحقيقي ، وحالة الاغتذاء في جماعات مختلفة. وبالتالي قسم الكتاب الى جزئين :

١ً ــ أبحاث غذائية : مثالاتها اربعة ، فيما اذا طبقت على بلد بجملته، او على جماعات محدودة ، او على عائلات ، او على افراد . يشرح المؤلف اولاً عملية هذه الابحاث وكيفية اجرائها بالأوزان والدفاتر العائلية والاسئلة الخ . . ثم يأخذ هذه النتائج ويحللها نظرًا الى طبيعة الاغتذاء ، والى احصاءات الاستهلاك العائلي ، احصاءات لا بدّ منها لمقابلة نتائج الأبحاث عن اشخاص يفترق مزاجهم عمرًا وجنساً . وقد خصّ الكلام في الفصلين الأخيرين بانواع التغذية من وجهتها الاقتصادية وبقيمة هذه الاحصاءات القائمة على تلك الابحاث .

٢ً ــ أبحاث عن حالة اغتذاء الجماعات : في هذا الجزء الثاني يلجأ الى مناهج البحث ، لا عن سبيل الاحصاءات المختلفة كما في الجزء الاول ، بل عن سبيل النظر في تركيب جسم الانسان والمواد المغذية له وحاجته اليها ؛ فيستند

في درسه هذا الى علم الحياة والطب والمزاج . لكنه يفسح مجالاً هاماً للاساليب المزاجية ، لاسيما التي تطلعنا على نقص المواد المغذية وعلى نقص الحديد في الجسم .

وينتهي الكتاب بإيراد امثال لابحاث مختلفة جرت في بلدان عديدة ، ويحتوي على فهرس تفسيري ومراجع .

Monnais et Banques 1938-1939. Vol. I. In-8°, 181 pp. Prix 5 fr. s. Vol. II. In-8°, 205 pp. Prix : 6 fr. s.

العملة والمصارف

في هذا الكتاب ذي المجلدين تجمع دائرة الدروس الاقتصادية في جمعية الأمم المعلومات المهمة بشأن العملة والمصارف في بلاد العالم جميعها . تخصّ المجلد الاول بلمحة في « الحالة النقدية » ، عارضةً لمختلف الحوادث في هذا الموضوع حتى اذار ١٩٣٩ ؛ اما المجلد الثاني الخاصّ « بالمصارف التجارية والمركزية » فانه يتناول المعلومات والاحصائيات المتخذة قاعدةً لدرس الحالة النقدية في ٤٤ دولة .

وقد زاد المؤلفون ، هذه السنة ، على المجلد الأول بحثين مهمّين :

١ً ــ البحث الاول يجمع ، لأول مرة ، الاحصائيات المتعلقة بودائع وممتلكات جميع الادارات القائمة بالاعمال المصرفية في ٢٢ دولة . واكثر هذه الاحصائيات ما يرقى الى السنة ١٩١٣، وكلها مدروسة في بحث خاصّ اشار الى التقدّم المتواصل في مصارف الاقتصاد ومؤسسات الاعتمادات العامّة ، هذا التقدّم الذي اجحف بعض الشيء بالمصارف التجارية وغيرها من المصارف الخاصّة . واشار البحث كذلك الى ازدياد النسبة التي تتناولها السلطات العامّة من الاقتصاد الوطني .

٢ً ــ وثاني البحثين الجديدين المهمّين يتناول سلسلة من الاحصائيات ترقى الى ما قبل الحرب العالمية وتؤلّف قاعدة لدرس تامّ في تداول استعمال الحوالات المالية ، وما كان من اسباب هذا الحدث وتأثيره في السياسة النقدية والمصرفية .

وفي المجلد الاول فصول تتناول تطوّر الحوادث مدة السنة ١٩٣٨ ، وفي

الشهرين الاولين من السنة ١٩٣٩ ، فيما خصّ القيمَ الاجنبية ، والذهب ، والنقد ، والاعتمادات والماليات العامّة . يلحق بها خمسة عشر جدولًا تلخّص ، على اساس متوحّد ، اهم الاحصائيات النقدية والمصرفية في العالم ، مدة العشر السنوات الاخيرة .

واهم ما في الفصل الاول : ثبات الفرنك الفرنسوي المتواصل . واستعادة القيَم المتعلّقة بالليرة الاسترلينية بعد الاضطراب المتتابع . وازدياد المراقبة على اعمال الصرف في البلدان الزراعية . ومحصول الذهب وتوزيعه في العالم .

اما الفرنك الفرنسوي فقد اصبح ، بفضل السياسة المالية المتخذة في ايار ١٩٣٨ ، وبفضل المنهاج الاقتصادي المباشر في تشرين الثاني ١٩٣٨ ، من اثبت النقود العالمية تعضده المقادير الموفورة من الذهب التي تزيدها السلطات النقدية في فرنسة يوماً فيوماً .

واما اضطراب القيَم المتعلّقة بالليرة الاسترلينية وما مُنيت به من الضعف سنة ١٩٣٨ ، فاهم اسبابه خروج ما يسمّونه « الرساميل التائهة » من انكلترة الى الولايات المتحدة ، ونقص الاحتياط الاسترليني في البلدان الزراعية الداخلة في منطقة العملة المذكورة بسبب انحطاط الأسعار ، وما قامت به ارلندة ، وليتونية ، وتزوج ، وأسوج من تحويل اموالها المحفوظة في لندن الى الذهب . ويرى المؤلفون ان اكثر « الرساميل التائهة » الاجنبية قد تركت لندن . على ان الاجراءات التي اتّخذت في اوائل هذه السنة ، ولاسيما تحويل ٣٥٠ مليوناً من الليرات الاسترلينية الذهبية الى حساب الصرف ، تشير الاشارة الواضحة الى عزم السلطات على الاحتفاظ بمستوى الليرة الجديد .

واما النقص في ميزان المدفوعات في البلاد المنتجة المواد الاولية فقد عادله التنقيص من احتياط القيَم الاجنبية ، وهبوط قيمة النقود في هذه البلاد ، واهمها : الارجنتين ، البرازيل ، الاكوادور ، ليتوانية ، بولونية ، رومانية ، يوغوسلافية . وبما قامت به زيلندة الجديدة من اتخاذ اسلوب جديد في مراقبات اعمال الصرف . على انه لم ينقص الاحتياط الذهبي في اكثر هذه البلاد .

واما محصول الذهب العالمي ، بصرف النظر عن محصول اتحاد الجمهوريات

السوفياتية الاشتراكية ، فقد زاد ايضاً في السنة ١٩٣٨ بمعدل ٧,٧ ٪ نسبةً الى محصول السنة السابقة . ويذكر المؤلفون من الحوادث المهمّة ، في ما خصّ توزيع الذهب في العالم ، ان الولايات المتحدة زادت احتياطها الذهبي « المنظور » زيادة عظيمة ، وان الاحتياط « غير المنظور » اصيب ببعض الاضطراب .

في السنة ١٩٣٨ زادت المخزونات الذهبية في الولايات المتحدة ١٧٥١ مليوناً من الدولارات ، اي بزيادة ٦٥٠ مليوناً من الدولارات عن محصول العالم العادي. وهذه المخزونات مثّلت في آخر سنة ١٩٣٨ ، ٥٨ ٪ من احتياط الذهب « المنظور » في العالم .

اما في انكلترة فان المتلكات الذهبية الخاصّة بالتساوي تناقصت حتى النصف في الستة الأشهر المنتهية في ٣٠ ايلول ١٩٣٨ . وقد نقصت كذلك نقصاً مهمّاً في آخر ربع من السنة المذكورة . واما في فرنسة وهولاندة فقد زادت كمية التثبيت الذهبي زيادة عظيمة مدة السنة ١٩٣٨ : وتقدّر زيادة المخزون الذهبي « غير المنظور » في فرنسة مدة الستة الأشهر المنتهية بـ ٣٠ ايلول ١٩٣٨ ، بقيمة ١٥٠ مليون دولار. وقد رمت المانية الى زيادة احتياطها الذهبي المستور اذ وضعت يدها في اذار ١٩٣٨ على المتلكات الذهبية في النمسة من عامّة وخاصة . ولكن هذه القيَم الاحتياطية نقصت نقصاً مهمّاً مدة التسعة الاشهر الاخيرة وقد صُدّر فيها من الذهب الصافي ما فاق قيمة المخزونات « غير المنظورة » في النمسة .

بقي القول عن اليابان وقد اشارت التقديرات غير المباشرة في المجلد الثاني ، الى ان المتلكات الذهبية الموقوفة على عمل التثبيت الياباني كانت كلّها قد انفقت في تموز ١٩٣٨ ، حتى اضطرت الحكومة الى وضع يدها على ٣٠٠ مليون بين ذهباً خاصة بنك اليابان . وهذه القيمة نفسها انفقت الحكومة القسم الكبير منها في ما بقي من السنة .

ويجيء الفصل الثاني فيدرس مرونة الاساليب النقدية المختلفة ، مما تحقّقه العالم في ازمة ايلول ١٩٣٨ . ويتوقع نهضةً اقتصادية عامّة في البلدان المهمّة ؛ خاتماً البحث في ما خصّ النقطة الاولى بقوله ان تأليف الاساليب النقدية الداخلي ، وطرق الاعتماد اظهرت كثيراً من المرونة في الازمة الدولية . وقد لُبّيت جميع

الطلبات النقدية دون اضطراب هبوطي يُذكر في اسعار العملة . وكذلك فان الارتفاع في اسعار الحبم لم يتجاوز الحدود المعقولة ولم تطل مدته حتى تناقص في الاشهر التالية . ولم نعرف انه حصل في شهر ايلول ١٩٣٨ افلاس مصرفي جدير بالذكر .

وفي ما خصّ توقع النهضة الاقتصادية فان آراء المؤلفين تختلف باختلاف البلدان . وهي تشير بالتفاؤل الى الولايات المتحدة ، وفرنسة ، وانكلترة وذلك بفضل العمل الدائم والمتوافق تقريباً الذي قامت به الدول الثلاث في سبيل تسهيل الانتشار النقدي وتنشيط المنتجات والاعمال التجارية .

وليس ما يشير الى مثل هذا التفاؤل في درس الانتشار النقدي في المانية واليابان . قال المؤلفون :

من الحقّ ان الانتشار النقدي لم ينتج ، في أيّ من البلدين ، تضخماً عاماً متتابعاً في الاسعار . ولكن يجب الانتباه الى النقص في بعض الاشارات الرسمية الى الاسعار ، والى تدنّي قيمة البضائع بالنسبة الى ثبات اسعارها . ومن الواضح ان تدني قيمة البضاعة يشير ضمنياً الى تضخّم عظيم في سعرها . ويرى اصحاب الكتاب ان حالة المانية واليابان تشبه الحالة التي كان عليها اتحاد الجمهوريات السوفياتية الاشتراكية في السنوات ١٩٣٠—١٩٣٢ ، قبل العدول عن سياسة « التقنين » ، عندما لم يكن بامكان المستهلكين ان يستعملوا القيم المعطاة لهم الّا لشراء قسائم الدولة ، وبالتالي لزيادة الاحتياط الجاري غير المثمر .

ويختص الفصل الثالث بدرس اهمّ التغييرات الطارئة منذ الحرب الكبرى على النظام المصرفي في ٢٢ دولة . فنتحقّق تضاؤلاً عاماً في اهمية المصارف التجارية وغيرها من المصارف الخاصة ، وذلك في سبيل ازدهار مصارف التوفير ، ومؤسسات الاعتمادات العامة ؛ وتقدّماً في نجاح شركات التأمين مجحفةً باسواق العملة ؛ وازدياداً في إقبال المؤسسات المصرفية على امتلاك القسائم التي تصدرها السلطات العامة ، او على تسليف هذه السلطات . ويُتحقق هذا الحدث الاخير خاصة في المانية ، وايطالية ، واليابان ، تلك الدول التي نظّمت مصارفها في سبيل حاجات السلطة المتزايدة دائماً . اما في غير ما تقدم ذكره من الدول فلم تقم

السلطات بعد بطلب الكثير من الاموال الموفورة ، مما يسمح بتنظيم قروض عامة لا تُرهق الاقتصاديات بوطأتها ولا طريقة الاعتماد في الدولة .

وفي الفصل الاخير تحليل للحوالة واضطراباتها من حيث انها اداة للاعتماد ومادة في موجودات المصرف . ومن اهم مظاهر هذا التحليل النقص الشامل في استعمال الحوالات . واسبابه كثيرة منها مراقبة الصرفيّات ، والتطور المهمّ في تمويل الاعمال التجارية والصناعية ، واستقلال الصناعة المالي . . . ويشير المؤلفون الى ان هذا النقص في استخدام الحوالات اثر الأثر السيء في تكوين ممتلكات المصارف .

ومن يهمهم الاطلاع على الارقام ، والاحصائيات ، والجداول ، وما تعلّق بكل بلد من الاحداث المالية والاقتصادية ، فاننا نشير عليهم بالرجوع الى المجلد الثاني وفيه معلومات وافرة عن ٤٤ دولةً .

MITCHELL B. CARROLL, La prévention de la double imposition et de l'évasion fiscale. In-8°, 59 pp. Prix : 1,50 fr. s.

توقّي ازدواج الضرائب وتهريب المال

بهذا العنوان أصدر السيد ميتشال كارول ، العضو الاميركي في لجنة المالية في جمعية الأمم ، كُرّاساً أبان فيه جهود الخبراء الماليين العاملين تحت رقابة جمعية الامم منذ نحو عشرين سنة ، لتحرير العلاقات الاقتصادية والمالية الدُولية من قيود التضريب المُعرقلة .

ذلك أنهم أوجدوا اصطلاحات مثلى قد اعتُمد عليها في عقد نحو ستين اتفاقاً عاماً بين حكومات أُلفت بها ازدواج الضرائب ، وفي عقد اتفاقات خاصة اكثر عدداً تختص بحقوق الوراثة وسن الضرائب على مشاريع الاسفار البحرية ووكالات المشاريع الصناعية والتجارية .

ويُشير المؤلف ايضاً الى ما ستكون توجيهات اعمال اللجنة التي اتسعت دائرتها اثر مشاكل جديدة عامة طُرحت على درسها ، كمسألة المبادي الفنية لوضع الضرائب على اختلاف انواعها .

ولا يفوت القراء باطلاعهم على امثال هذا الكراس كم تجتهد اللجنة في ان

تأتي اعمالها مفيدة وعملية ؛ ولا عجب وهي لجنة تتألف من اختصاصيين لدُول عديدة كانت او لم تكن من اعضاء جمعية الامم .

J. Tinbergen, Vérification statistique des Théories des cycles économiques. Vol. I. Une méthode et son application au mouvement des investissements. In-8°, 178 pp. Prix : 3,50 fr. s.

الامتحان الاحصائي لنظريّات الأطوار الاقتصادية : الجزء الاول

تنشر ادارة الدروس الاقتصادية في جمعية الامم كتاباً للاستاذ تِنبِرْگن بعنوان « الامتحان الاحصائي لنظريّات الاطوار الاقتصادية » ، ظهر الآن جزؤه الاول بعرض « طريقة وتطبيقها على حركة توظيفات الاموال » وهو كتاب يبدأ سلسلة محصورة من المنشورات تُتمّ الكتاب الذي نشرته الادارة نفسها ، سنة ١٩٣٧ ، للاستاذ غودفريد فون هابِرْلِر (Von Haberler) بعنوان : « ازدهار وانحطاط » . في هذا الكتاب ، قام الاستاذ هابرلر ، وهو اليوم في جامعة هَرْڤَرْد ، بدرس النظريّات المتنوّعة المعروضة لشرح طبيعة الحَدَث المعروف عادةً بالطور الاقتصادي . فعمل على تعيين ما في هذه النظريات من نقاط مشتركة ، واظهار ما تختلف فيه احداها عن الاخرى ، مع الاجتهاد بتعيين اسباب هذه الاختلافات . فكان عمله ختاماً لمرحلته الاولى من الابحاث والتنقيبات عن طبيعة الطور الاقتصادي واسبابه . اما المرحلة الثانية فتحاول مقابلة هذه النظريات المدروسة بالاحداث التي يدوّنها التاريخ ، وعرضها على الامتحان الاحصائي ، ان كانت تلك الاحداث من التي تلخّص بالارقام .

فكان من عمل الاستاذ تِنبِرْگن ، المنتمي الى مكتب الاحصائيات المركزي في هولندة ، ان عرض في هذا الكتاب شبه مقدّمة لهذا العمل في المرحلة الثانية ، ترمي الى اجراء الامتحان الاحصائي لتلك الفرضيات القائمة اساساً لمختلف النظريات في الاطوار الاقتصادية . وغاية المؤلف المهمّة ان يعرض الطريقة التي يقول بتطبيقها في الامتحان المذكور ، ويعطي على هذا التطبيق بعض الامثلة يتناول بها ثلاثة من الاحداث الاقتصادية هي : الاضطرابات الظاهرة في توظيفات رؤوس الاموال . والمبالغ المرصودة لبناء منازل السكن . وتوظيفات

الاموال في موادّ السكك الحديدية .

ولا يخفى ان نتائج البحث في هـذه الشؤون التطبيقية مفيدة جدًّا لدرس الاطوار الاقتصادية ، كما قال ، في مقدمة الكتاب ، مدير دائرة الابحاث الاقتصادية في جمعية الأمم . على انها لا تمثل ، في كتاب الاستاذ تِنبِرْگن ، الّا دورًا ثنويًا . اذ ان غايته عرض طريقته في التحليل الاحصائي واثارة المناظرات بشأنها مما قد يفيد القائمين بهذه الابحاث .

هذا وقد عُرضت المخطوطة ، قبـل طبعها ، على عدد من الاختصاصيين بالعلوم الاحصائية في مختلف البلدان ليضعوا آراءهم في هذا الشأن . كما ان عددًا من الاقتصاديين اجتمعوا في جلسـتين لمناقشة المؤلف في طريقته . واذًا فـان لكتاب الاستاذ تِنبِرْگن قيمة علمية جديرة باهتمام العلماء والاقتصاديين ورجال الاعمال الاقتصادية .

Annuaire Statistique de la Société des Nations 1938-1939. In-8°, 330 pp. Prix : 10 fr. s.

الدليل الاحصائي لجمعية الأمم ١٩٣٨–١٩٣٩

هي سنة جديدة لهذا الدليل النفيس التي تنشره سكرتيرية جمعية الامم ، فتجمع فيه اولًا لمحة اجمالية على الاحداث المهمّة بشأن سكّان البلدان ، والأمور الاقتصادية ، والمالية ، والاجتماعية . واكثر المعلومات الاحصائية فيه تصـل الى آخر السنة ١٩٣٨ ، ومنها ما يتناول الثلث الاول من السنة ١٩٣٩ الحالية . واهمّ الجداول الاحصائية التي برزت فيها الارقـام على اسهل ما يمكن من ترتيب ، فتمكن المقابلة بين مختلف البلدان ، تختص بالموضوعات الآتية :

الموازين والمكاييل ، النقود واسعارها ، مساحة البلاد وسكّانها ، حالة السكّان وتطوراتها : الزواج الولادة ، الامراض والوفيات . . . ؛ البطالة ومظاهر العمل واجور العمّال ، المحصول والاستهلاك : الحيوان ، المصايد ، المحصولات الزراعية على اختلاف انواعها ، المحصولات الصناعية والمعدنية ؛ النقليات والتجارة وميزان التبادل التجاري ؛ الاحصائيات النقدية ، والاسعار ، والشؤون المالية العامة .

ومما امتازت به هذه الطبعة الجديدة معلومات لم يسبق نشرهـا وتحسينات

جمّة في جداول الاحصائيات السابقة . منها ما تعلق بالسكان . وذلك ان الجدول المفصّل سكان العالم نسبة الى اعمارهم ، تناول هذه السنة اقساماً تذكر عدد السكان ممن ينحط عمرهم عن الخامسة عشرة ، ومَن هم بين الخامسة عشرة والرابعة والستين ، ومَن تجاوزوا هذه السنّ . وفوق ذلك معلومات عن سنّ المرأة الوَلود اي بين ١٥ و٤٩ . وأُضيف الى الارقام الدالة على عدد السكان ، ارقام تخمينية تفيد في درس ميول الشعوب الحالية . وهناك معلومات يستند اليها من يبحثون في تطوّر اسباب الوفيات تظهر من جدولين جديدين في عدد قابلي الحياة ، وعدد الوفيات وفقاً لسني العمر . وفي جدول الولادات حسب عمر الأمّ معلومات جديدة كذلك .

وفي الاحصائيات الاجتماعية تميز ، في ما خصّ العمل الصناعي ، بين الشؤون المتعلقة بالعمّال انفسهم ، وما يتعلق بساعات العمل .

وأُضيف جدول جديد ، في باب المحصولات والمنتجات ، من شأنه ان يفصّل محصول اللحم في العالم على طريقة اوفى ممّا كانت عليه في الجداول الماضية ، ولا يخفى اهمية هذا المحصول في الموادّ الغذائية . وكذلك في هذا الباب جداول جديدة لمنتجات البترول والبترول ومتفرّعاتها ، والمنتجات الثنوية من الكاوتشوك والصوف . . . وأُعيد النظر في جدول صيد الحيتان الكبرى من نوع البال . وتُوسّع في الجدول الخاص بانتاج الأزوت واستهلاكه .

ومما يتحققه المطالع التوسّع في الشروح والتعاليق التفسيرية وقد جُعل بعضها على شكل جداول كما في باب المنتجات الصناعية ، وتقلّب الأسعار . ومما تفيده هذه الشروح ان المطالع لا يملّ امام الارقام المتراكمة في الجداول ، فتمثل له بفضل الشروح والتعاليق معلومات حية ، فضلاً عمّا في تلك التعاليق من اصلاحات وتحفظات لا بدّ منها للوصول الى الحقيقة العلمية السليمة . من ذلك ما علّقه الكتاب بشأن سكّان العالم فقال ، بعد ان قدّر عدد هؤلاء السكان ، في الوقت الحاضر ، بمليارين ومائة مليون من البشر : « ان هذا العدد لا يمكن ان يؤخذ على اطلاقه . فان في الكثير من الحالات لا نعرف عدد السكان بالضبط . والكثير مما نسميه « احصاء » او « تعديداً » او « تقديراً » لا يعطينا بعض

الاحيان الّا ارقاماً تقريبية بل خيالية . ولا يخفى ان التدقيق في هـذه « الاحصائيات » يسير في بعض البلدان سيرًا مقبولًا وان بطيئاً . على انه كثيرًا ما يقود الى تضخيم العدد الاصلي كما حصل في الهند الهولندية مثلًا ، وفي البرازيل ، وفي سيام . وفي بعض البلاد يضطرب العدد اضطراباً غير معقول .

وهناك مشكل القياس الاساسي الذي يستند اليه علماء الاحصائيات في تخميناتهم فانه كثيرًا ما يختلف من منطقة الى اخرى ، فيختلف بالطبع تخمين السكّان . من ذلك ان تخمين سكان ايران انتقل ، من مدة قريبة ، من ٩ ملايين الى ١٥ مليوناً . وبعكس هذا الخطّ تخمين سكان البرازيل ٥ ملايين ، وسكان كولومبية ٦٠٠،٠٠٠ .

وما القول عن التناقض في الاحصاء الرسمي والتخمين السابق . وهـذه الجمهوريات السوفياتية الخطّ عدد سكانها حسب الاحصاء الاخير في هذه السنة ١٩٣٩ انحطاطاً مهماً بالنسبة الى نتائج التخمين السابقة . اما اتحاد دول افريقية الجنوبية فقد ظهرت زيادة مهمة في سكانها بعد احصاء ١٩٣٦ .

وقد نفتقر الى المعلومات الدقيقة عن شعب من الشعوب فنترك الرقم المذكور في ادلة السنوات المتتابعة ، كما هو الحال بشأن سكان الصين ، فاننا تركنا منذ السنين العديدة الرقم الاجمالي ٤٥٠ مليوناً .

اما سكان افريقية فلا نعرف عددهم بالضبط . وكل ما هناك من ارقام تظهر على الغالب نتيجة التخمين او التقدير الخيالي . ولاسيما في ما خصّ بلاد الحبش ، وليبيرية ، ومراكش الاسبانية ، وريو دي اورو ، فان الارقام تنتقل احياناً من الواحد الى ضعفه . واكثر الاحصائيات المزعومة دقيقةً التي تعرضها الحكومات لا تتناول الّا السكان البيض . اما الوطنيون ، وهم اكثر السكان ، فلا يعرف عددهم الّا بالتخمين .

وكذلك القول ، في ماخصّ الاضطراب العددي ، عن سكان اكثر بلاد اميركة الوسطى ، وبعض بلاد اميركة الجنوبية . وهـذه هايتي يتراوح تقدير سكانها بين المليونين والمليونين والنصف . وبوليفية بين مليونين ونصف وثلاثة ملايين . والاكوادور بين مليونين وثلاثة ملايين ونصف .

وكذلك في بعض انحاء آسية كبلاد الافغان (من ٧ الى ١٢ مليوناً) وبلاد العرب (من ٧ الى ١٠ ملايين) وايران (من ٩ الى ١٥ مليوناً) والعراق ونيبال ، وسورية ، ولبنان ، والهند الصينية ، وشرقي الاردن ، والصين . وبشأن الصين نقول ان الفرق بين التخمينات قد يبلغ مائة مليون .

اما في اوقيانية فلا نعرف عدد السكان الّا بطريقة غير مضبوطة ، ما عدا اوسترالية ، وزيلندة الجديدة . »

ويمثل هذه الفوائد الدقيقة تأتي الشروح والتعاليق في جميع موضوعات الدليل .

ومما يجدر بالذكر جدول مهمّ يلخّص نهضة النقليات الجويّة فيذكر انه بين ١٩٣١—١٩٣٧ زاد عدد الكيلومترات المقطوعة جوّاً في مختلف انحاء العالم ٨٠ ٪

وفي آخر المجلّد ستّ خرائط جغرافية مبنيّة على ادقّ التخطيطات وعلى معلومات جديرة بالثقة . يلي ذلك فهارس ابجدية تسهّل الفائدة من الدليل .

La production mondiale et les prix 1938-1939. In-8°, 121 pp. Prix : 5 fr. s.

المحصول العالمي والاسعار في السنة ١٩٣٨—١٩٣٩

يبيّن هذا المجلّد ان المحصول العالمي في السنة ١٩٣٨ هبط عمّا كان عليه في السنة ١٩٣٧ هبوطاً خفيفاً . وتفصيل ذلك ان مجمل المحصول الاساسي العالمي هبط ٢ ٪ ، بسبب النقص الظاهر في محصول الموادّ الاولية للصناعة ، وقد بلغ هذا النقص ١٠ ٪ بينما كان محصول الموادّ الغذائية يصعد قليلاً . اما محصول الموادّ المصنوعة كالفولاذ وورق الخشب وما اشبه فقد نقص ٩ ٪ وكذلك محصول الموادّ الرفيعة فقد هبط ٧ ٪ وبالتالي تحقّقنا هبوطاً محسوساً في مبلغ التجارة العالمية بلغ ٨ ٪ اي اكثر مما بلغه الهبوط في المحصول العالمي إجمالاً .

ويمكن ان يكون سبب هذا الهبوط الانحطاط الصناعي الذي ظهرت بوادره في الولايات المتحدة في النصف الثاني من السنة ١٩٣٧ ، فنالت نتائجه شيئاً فشيئاً عددًا من البلدان . على ان هذا النقص وصل الى اقصاه في منتصف السنة ١٩٣٨ فعاد النشاط الصناعي الى كثير من الدول ، وها اننا نرى المحصول يرمي

الى الازدياد في جميع البلاد المهمة. وقد فاقت فيها كميات المحاصيل ما كانت عليه سنة ١٩٣٧ . حتى يمكن القول ان انقلاب التطوّر الاقتصادي في الولايات المتحدة ، في منتصف سنة ١٩٣٨، يكوّن اول مثل لنجاح سياسة الحكومة في ما خصّ الاشغال العامّة وتسهيل دوران النقود .

وقد صحّ ما توقعه هذا الكتاب في طبعته السابقة من ان التطوّر الاميركي سيكون له تأثير عامّ يتناول سائر دول العالم . وهكذا كان فان الاضطرابات الاقتصادية التي حصلت في اميركة مدة السنة ١٩٣٨ ، وفي مطلع السنة ١٩٣١ ، كان لها التأثير الاعظم في اتجاهات العالم الاقتصادية مدة الثمانية عشر شهرًا الاخيرة . على انه بسبب العوامل المتشابكة توزّعت مظاهر التطوّر العالمي حتى اصبح من الصعب تفسيرها بالاوضاع الاقتصادية .

لهذا وضع الناشرون في اول الكتاب مقدّمة قصيرة يبيّنون فيها ما طرأ على العالم ، في السنوات الاخيرة ، من تغيّرات مهمة في تكوينه جعلت من الصعب القيام بتحليل اقتصادي صرف لتطوّر الاقتصاديات فيه . فان الطريقة الاقتصادية المتوحّدة تقريباً التي أقرّت في نحو السنة ١٩٢٠ لم يبقَ لها من وجود اليوم . ثم ان اضمحلال الوحدة النقدية المشتركة ، وانتشار السياسات التجارية الوطنية ، وكثرة الاجراءات المتخذة في بعض البلدان للتخفيف من مجرى الاطوار الاقتصادية ؛ كل ذلك كوّن عدة مجموعات من الدول المستقلّة تقريباً استقلالاً اقتصاديًا حتى انها اصبحت عرضة في داخلها لمجارٍ اقتصادية قد تتخالف في اتجاهها كل المخالفة . وقد تعزّزت هذه النزعة مؤخرًا بانصراف الدول الى الاهتمام بالتسلّح . فنتج ان الاختبار الماضي لم يعد صالحًا للدلالة على اتجاهات الحالة الحاضرة . ومن المنتظر ان تظلّ هذه النزعات المتخالفة ما دام القلق السياسي موجودًا .

Aperçu général du commerce mondial 1938. In-8°, 91 pp.

لمحة عامة في التجارة العالمية السنة ١٩٣٨

يعرض هذا الكراس صورة عامة لحالة التجارة العالمية مدة سنة ١٩٣٨ . فيبدأ بتلخيص النتائج ، ثم يفصّل قيمة البضائع التجارية وكميتها في العالم اجمع

مدة السنوات ١٩٢٩-١٩٣٨ . بعد ذلك ينحدر الى تصنيف هذه البضائع وفقاً لأنواعها ويصنف كذلك الحركات التجارية حسب البلاد المتاجرة . وبعد ان يتوقف قليلاً لدى درس التجارة بالنسبة الى الجغرافية ، يخصّ فصلاً كاملاً بملاحظات في العلاقات بين الاسعار وكميات البضائع التجارية . ويلحق بهذه البحوث اربع جداول واسعة تمثل بالارقام موضوعات الكتاب .

Rapport du Comité de Coordination des questions économiques et financières figurant à l'ordre du jour de la XIXe session ordinaire. Genève, 1938.

— de la XXe session ordinaiare. Genève, 1939.

Comité d'experts statisticiens, Rapport au conseil sur les travaux de la VIIe session. Genève, 1938.

Comité économique, Rapport au conseil sur les travaux de sa XLVIIIe session. Genève, 1938.

Remarques sur les perspectives actuelles de la politique commerciale. Genève, 1939.

Comité financier, Rapport au conseil sur les travaux de sa LXVIe session. Genève, 1938.

Rapport sur le contrôle des changes. Genève, 1938.

هذه تقارير رفعتها اللجان الخاصة الى مركز الجمعية ، وكلها تمسّ الشؤون الاقتصادية .

***

BERNARD VERNIER, **Qédar, carnets d'un méhariste syrien.** In-12, 244 pp. Paris, Plon. 1938.

قيدار

كثرت في عصرنا اخبار الرحلات والاسفار في الشرق الادنى يرمي فيها اصحابها الى اطلاع الناس ممن لم يعرف هذه البلاد على ما رأوه او تخيّلوه في سكانها ، ولاسيما نازلي الصحراء منهم . بيد ان هذا الكتاب يفوق القسم الاوفر من تلك المؤلفات بما فيه من دقة ملاحظة ، وحسن تصوير ، واصابة حكم ، يبدو في اسلوب رائق لذيذ يتذوّقه المطالع مغتبطاً . ب . م .

D. Giuseppe Barbera, Dizionario maltese-arabo-italiano con una grammatica comparata arabo-maltese. Vol. I. A-E. In 8°, XXV × 338 pp. Beyrouth, Imprimerie Catholique, 1939.

قاموس مالطي عربي ايطالي : الجزء الاول

انفق الاب برنبيرا السنوات الطويلة يدرس اللغات الشرقية من حيث اشتقاقها وتطوّر مفرداتها بتطوّر البيئات والعصور ، وما تركه فيها تأثير اللغات الاجنبية او تأثير لهجاتها الخاصة بعضها في بعض فاقام مدّة في شرقي الاردن ، وطاف في انحاء البادية ، حتى استقرّ في بيروت منذ سنوات يتمّ ما بدأ به . وقد تقدّم له بحث في اللهجة البربرية لفت نظر العلماء . وها هو الآن ينشر القسم الاول من قاموس شامل يتضمّن اشتقاق الالفاظ المالطية من العربية ، بل من اللهجة العربية السورية ، ومقابلة بين قواعد اللغتين العربية والمالطية ؛ مع ترجمة هذه الالفاظ الى لغة المؤلف الايطالية .

وقبل مباشرة القاموس ، خصّ القسم الاول من هذا المجلّد ببحث في غراماطيق اللغة المالطية ، وما يقابل قواعده من قواعد العربية ، تناول فيه لمحة تاريخية على تطوّر تلك اللغة ، واستقرارها في القواعد الحاضرة ، عارضاً لهذه القواعد من لفظ حروف الابجدية ، وفيها الشمسية والقمرية ، كما في العربية ، الى احكام الاسماء والافعال والحروف جرياً على الاساليب العربية نفسها . بعد ذلك انتقل الى القاموس فقدّم عليه الابحاث التمهيدية في ميزاته وطرق الاستفادة منه . ثم تناول المفردات المالطية وما يقابلها في العربية والايطالية مع شرح تطوّرها اللغوي والتاريخي ، منتهياً في هذا المجلّد بالحرف E . فاتى بعمل نفيس جزيل الفائدة للغويين عامّة ، وللغوي العرب خاصّة . ف . ا . ب .

Robert Brunschvig, La Versification arabe classique. Essai d'une méthode nouvelle. In-8°, 20 pp. Alger, Société Historique Algérienne.

علم العروض العربي المدرسي

يحاول الاستاذ برنشويغ تسهيل درس العروض العربي ، لا باختراع طريقة جديدة ، بل بالاستناد الى طريقة القدماء ، واختصار ما فيها من تشعبات

وفرضيات ادّت الى نظرية الزحافات والعلل المزعجة . ثم انه يحاول ان يستبدل بالطريقة الكتابية طريقة سماعية تنزل المقاطع الصوتية منزلة الحروف .

P. Paul Sbath. Al-Fihris, catalogue de Manuscrits Arabes. I, Ouvrages des Auteurs antérieurs au XVIIe s. Le Caire, Imprimerie Al-Chark, 1938. Prix : 95 p. e.

فهرس مخطوطات عربية : الجزء الاول

كثيراً ما اشرنا الى مخطوطات الاب بولس سباط التي يجتهد في جمعها وتبويبها منذ ٢٧ سنة . وقد نشر فهارسها في ثلاثة مجلدات سنة ١٩٢٨ و١٩٣٤ . على انه كان يَطّلع في اثناء تفتيشاته على كثير من المخطوطات لم يمكنه الحصول عليها فكان يدوّن اسماءها ، واسماء مؤلّفيها ، واصحابها . وظلّت هذه المعلومات مبعثرةً في اوراقه حتى خطر له ان يفيد ارباب الاختصاص بهذه الشؤون ، فجمعها كلّها ورتّبها في هذا الجزء الحاوي على وصف ما تقدّم القرن السابع عشر من هذه المخطوطات . واذا بها تبلغ ١٠٣١ مخطوطةً ، مرتبةً وفقاً لاسماء المؤلفين . وقد قدّم عليها لائحة باسماء اصحابها اليوم ، ومهنهم ، وطوائفهم ، ومحالّ اقامتهم . فأتى بفائدة جزيلة .

Paul du Véou, Chrétiens en péril au Moussadagh 1 In-12. Illustré. Paris, Baudinière, Collection *Méditerranée*. 1939. Prix : 15 fr.

نصارى موسى داغ عرضة للخطر !

ألّف هذا الكتاب على اثر بحوث خاصة قام بها المؤلف برفقة السيد غوترو عضو مجلس الشيوخ الفرنسوي ، وذلك بضعة اشهر قبل التخلي عن منطقة موسى داغ لتركية . وموسى داغ ، او جبل موسى ، جبل تسكن فيه جمهورية ارمنية صغيرة خرجت حيّة من عوادي الحرب الكبرى . وكان كثير من افرادها قد حاربوا تحت اللواء الفرنسوي ، فنال عدد كبير منهم وسام صليب الحرب ، كما نال بعضهم وسام جوقة الشرف . فكان للتخلي عن ارضهم عاطفة ألم صبغت تلك الحقبة المحزنة من تاريخهم . وقد شاء المؤلف ان يصف حياة هؤلاء الجبليين واخلاقهم ، وما اتصفوا به من ايمان مسيحي حيّ وتعلّق شديد بفرنسة . يتخلّل

ذلك نبرة عطف ، ومسحة جمال فني تجعل لكتابه لذّة خاصة . ولاسيما وقد فهم الشعب الذي احبّه ، فنجح في عرض قضيّته والدفاع عنها .

اما الآن وقد حفل العالم بالخطوب الخطيرة . فان قضية موسى داغ اصبحت من الاحداث الثنوية . بيد انه لا بأس من الاشارة اليها ، وثيقةً يستفيد منها مؤرّخ الغد ر . ش .

آرائي ومشاعري

بقلم الآنسة فلك طرزي

١٥٦ ص . صغيرة — مطبعة ابن زيدون ، دمشق ، ١٩٣٩

« يدل هذا الكتاب على ظاهرة حسنة في ادبنا العربي الحاضر ، وتلك الظاهرة هي اهتمام الفتاة بالادب العربي . » هذا ما قاله خليل مردم بك في مقدمة الكتاب . بيدَ ان مجالي هذا الاهتمام لا تتجاوز لطف الاسلوب ، ونعومة التعبير . ولا شك ان اللطف والنعومة من طبع الآنسة ، لأن الانشاء ، ان يكن دليلًا على شخصية الرجل ، فهو بالاولى دالٌّ على شخصية المرأة . وما رأينا بهذا اللطف وهذه النعومة يفرقان في المشاكل الاجتماعية ، او يضيعان في الصرخات « الوطنية » ، او يتحمّسان في المشاحنات السياسية ؟ لتطالب الآنسة ما شاءت بتثقيف الفتاة ، ولتعمل ما في وسعها لتحرير المرأة . اما ان ترمي الى انزال نفسها منزلة الرجل — والرجل السياسي السوري — فتنظر الى جيرانها بعينيه ، وتسمع لاصواتهم باذنيه ، وتشعر نحوهم بشعوره ، وتسخر ادبيا في سبيل التعبير عن كل هذا فهو ما نربأ بها ان تتصوّره ولو لمحةً خاطرةً . الّا اذا شاءت ان تعكس الطبيعة فتنزل الرجل منزلتها الناعمة اللطيفة ف . ا . ب .

مقاييس الكفاءة للاستقلال

تأليف الدكتور ولتر هولمز رِتشر

١٦٢ ص . متوسطة — المطبعة الاميركانية ، بيروت ، ١٩٣٨

نشر الدكتور ولتر هولمز رتشر ، استاذ العلوم السياسية في جامعة بيروت الاميركية ، هذه الرسالة باللغة الانكليزية سنة ١٩٣٤ . ثم طلب اليه بعض

الاصدقاء ان ينشر لها ترجمةً عربية ليزداد انتشارها وتعمّ فائدتها . وها هي ظاهرة في سلسلة العلوم الاجتماعية من منشورات كلية العلوم والآداب في الجامعة المذكورة . وقد اشتغل بنقلها الاستاذ فؤاد مفرّج ثم الاستاذ شاكر نصّار . على ان هذه الطبعة العربية لم تستفد من الاحداث التاريخية الواقعة بعد نشرها بالانكليزية ، منذ السنة ١٩٣٤ ، انما اكتفت بنقل النصّ الاصلي دون تنقيح . وهو ما اشار اليه المؤلف في المقدمة العربية ، معتقداً ان اهمية المشاكل التي تعالجها هذه الرسالة والنتائج التي ادّى اليها بحثه هذا لم تتغير بل ما تزال محافظةً على جدّتها . وقد تناولت « المقاييس » فصولاً خمسة اكتنفتها مقدّمة وخاتمة وتوزّعت كما يلي : المقاييس في العراق ، المقاييس في جزر الفيلبين ، مقاييس الكفاءة في الهند ، مقاييس الاعتراف بالدول الجديدة ، مقاييس الدخول في عصبة الأمم .

ولا يخفى ان في كفاءات الشعوب للاستقلال مؤهّلات روحية لا تقع تحت مقياس مهما يكن رفيعاً ومهما يبلغ نظر القائس من البعد والصواب . كما ان للشعوب احياناً نزوات وطوارئ تهزأ بالمقاييس .

تاريخ لبنان

التمهيدي المصوّر

بقلم اسد رستم وفؤاد افرام البستاني

٦٤ ص. متوسطة — المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ١٩٣٩ — الثمن : ٣٥ غرشاً لبنانياً

تقدّم لنا في مشرق السنة الفائتة ذكر الجزء الثالث من هذا التاريخ اللبناني ، وقد دعاه صاحباه « الموجز » ونشراه وفقاً لاتفاق عقداه مع وزارة التربية الوطنية اللبنانية قرّرت به تدريس هذا التاريخ في المدارس الحكومية واعتماده في الامتحانات الرسمية . وها ان المؤلفين يصدران اليوم الجزء الاول بعنوان « التمهيدي المصوّر » دلالةً على ما رميا اليه من تسهيل اساليب الدرس التاريخي على صغار التلامذة بالصور الواضحة الممثلة اهم حوادث بلادنا منذ عهد الكهوف الى توقيع المعاهدة اللبنانية - الفرنسية . فكانت الصور معالم بارزة يقفز بينها

التلميذ طروباً ، تسدّد خطاه يد المعلّم الضابطة وترعاه عينه الساهرة ، فلا يخشى الزلل . اما اللحمة بين الصور فتلك الشروح التي ارادها المؤلّفان موجزةً بسيطة تلذّ التلميذ ولا تتعبه ، ويسهل على المعلّم التوسّع فيها والزيادة عليها . وقد مُثلت بالحرف الكبير وضبطت بالشكل الكامل . فغدا الكتاب ، الى كونه تاريخاً وطنياً متقناً ، كتابَ قراءةٍ عربية جزيل الفائدة .

رنّات المثالث والمثاني في روايات الاغاني

جمع الاب انطون صالحاني

الجزء الثالث : ١٦٠ صفحة متوسطة – المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ١٩٣٩ –
الثمن : ٥٠ غرشاً لبنانياً

لا يخفى ما كان من اقبال المعاهد التدريسية ، على الجزئين السابقين من مختارات الاغاني اللذين نشرهما الاب صالحاني ، لأول مرة ، من نحو نصف قرن وتعدّدت طبعاتهما منذئذٍ . وقد كانت الحاجة تزداد الى جزء ثالث اسهل من الأولين اسلوباً ، واقصر حكايات . فاقبل الاب صالحاني ، على رغم الثالثة والتسعين ، يطالع من جديد الـ ٢١ جزءاً من الكتاب الكبير ، ويختار منها هذه القصص القصيرة البسيطة فيبوّبها ويشرحها ، جاعلاً منها مدرجة الى الجزئين السابقين ، مستحقاً شكر الغُيُر على اللغة وآدابها جميعاً .

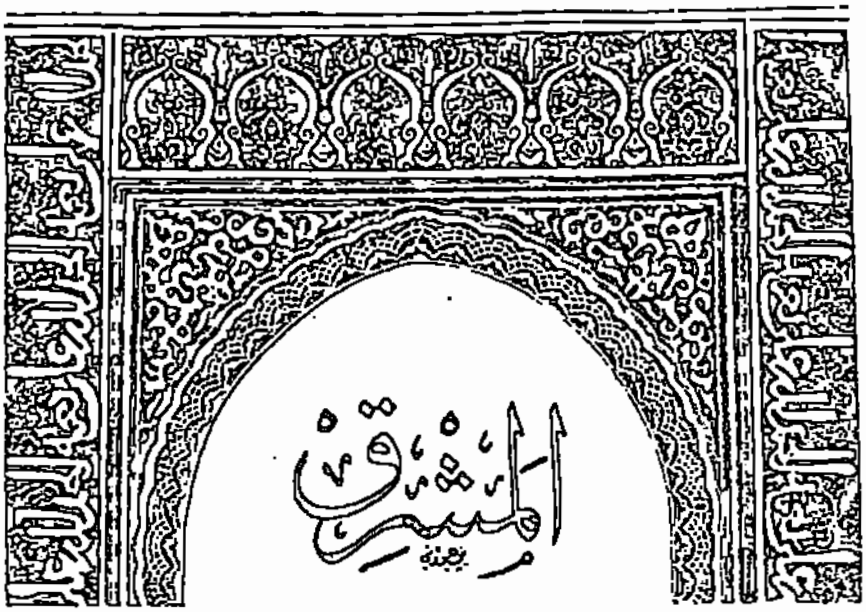

السنة السابعة والثلاثون

تموز – ايلول ١٩٣٩

الدوائر السريانية في لبنان وسورية

بقلم

الاب يوسف حيف

مقدمة

يهتم الاب يوسف حبيقة البسكنتاوي ، الراهب اللبناني الماروني ، من عشرات السنين بجمع كل ما تخلّف في عربية لبنان وسورية الدارجة من بقايا اللغة السريانية الاصيلة في هذه البلاد . وقد توفق في السنة ١٩٠٢ والسنة ١٩٠٤ الى طبع كراسين صغيرين في الموضوع ، نشر فيهما ، بمعاونة شقيقه الخوري اسقف بطرس حبيقة ، امثلةً عديدة من عمله هذا المفيد . فلاقت ارتياحاً لدى ارباب الاختصاص مما شجعه على متابعة البحث والتنقيب.

وها ان «المشرق» ينشر له اليوم هذه المجموعة من «الدوائر السريانية» مرتبة على حروف المعجم ، مذيّلة بترجمتها الى الفرنسية ، رامياً الى افادة ارباب هذه الابحاث اللغوية من شرقيين ومستشرقين ، قادرًا للمؤلّف العالم تنقياته المتابعة وجهوده المثمرة ، ذاكرًا بالشكر كل من افادوه من علماء السريانية الشقيقة بملاحظاتهم القيّمة وتصويباتهم الوجيهة.

تمهيد

يتضح لمطالع هذا البحث ما تركته اللغة السريانية الارامية من اثر عميق في لغتنا الدارجة ظهر في تلك المفردات الكثيرة الاستعمال في مرافق الحياة جميعها. وقد رأينا قبل ان نباشر عرض المفردات المذكورة ، ان نشير بكلمة الى اثر السريانية في لهجتنا نفسها ، وفي بعض طرق التركيب المتبعة في بلادنا. ومن اهم مظاهر هذا الأثر ما يلي ، نورده غير مستقصين:

١ً ان حرف الذال ، وهو التاسع من الحروف الهجائية العربية ، يُلفظ في اللغة العامية كحرف الزاي او الدال السريانية (ܕ) لانه لا وجود لحرف الذال في السريانية. فيقولون: « أبانا الدي في السماوات...» و« شي لديد »

٢ً تكثر العامة الضمائر مثل هُوْ وهِيْ بدل هُوَ وهِيَ . اما اهل مصر فيشدّدون الواو والياء في الضميرين ويقولون: هُوَّ وهِيَّ . وتقول عامتنا آنا في أنا جرياً على السريانية ܐܢܐ

٣ً ان الافعال الثلاثية المعتلة الجوف تورد العامة امرها المفرد المخاطب ببقاء حرفي العلة الواو والياء الاصليين ، على مثال اللغة السريانية ، فتقول مثلاً : قُوْم وبِيْع بدلاً من قُمْ وبِعْ ، كما يُقال بالسريانية ܩܘܡ

٤ً ومما امتازت به السريانية فظهر اثره في اللهجة اللبنانية والسورية إسكان المتحرك في اصل الكلمة ، وهو غير معروف في العربية فتقول عامتنا: حْبيب . حْليب. تْقوم. كْبار. صْغار...ولا فرق في ان تكون الكلمة اسماً او فعلاً.

٥ً ومن ذلك اسكان الحرف المتحرك بحركة الاختلاس في وسط الكلمة مثل: عَمْتَكْ. مَخْزَنَكْ. إلْبُسُه...

٦ً وكذلك إسكان ثاني المتحركين المتلاصقين في الكلمة الواحدة. فتقول العامة: شِرْكه. قَصْبه. بَدْوي...في: شَرِكة ، قَصَبة ، بَدَوي.

٧ً قلب الميم نوناً في ضمير المخاطب والغائب المجموع نحو: أخوكُنْ. إضربُهنْ. عندهُنْ. بدلًا من: أخوكم، إضربهم، عندهم.

٨ً إسناد الفعل الى فاعلين ظاهر ومضمر معاً مثل قول العامة: ضَرَبوني إخوتك.

٩ً الإضمار قبل الذكر لفظاً وحكماً وتقديرًا ولا سيما للمفعول به مع دخول اللام الجارّة عليه مثلًا: ضَرَبْتُو لِزَيْد. قَتَلْتُو لِعَمْر. كْتَابُو لِبَكْر. بدلًا من: ضربت زيدًا. قتلت عمرًا. كتاب بكر.

١٠ً وكثيرًا ما تحذف العامة الهمزة من الأمر المبتدئ بالساكن فتقول: ضْرُوبْ. شْراب. بدل: إضرب، إشرب.

هذه ملاحظات رأينا ان نقدّمها قبل عرض المفردات السريانية الأصل. ولم نقصد الّا وضع معالم متفرّقة يستأنس بها من يأتي بعدنا فيتم البحث في هذا الموضوع الدقيق.

باب الالف

١ **ابهات وامهات** — من الدوائر السريانية : أبهات وأمهات في الكلام عن حروف الطبع. وهما في السريانية ܐܒܗܬܐ و ܐܡܗܬܐ جمع ܐܒܐ و ܐܡܐ. ويعنون بهما اصول قوالب الحروف . وجمع « الام » في العربية الفصحى « امهات » للعاقلات و « امات » لغير العاقلات.

٢ **مهات** — ومنها أنهم يسمّون فلقات البصل التي ياخذونها فيزرعونها ليولدوا منها بزر البصل : مَهات وهي ܐܡܗܬܐ المذكورة . اي : اصل ، ومبادئ ، ومصادر . . . ثم ياخذون هذا البزر الذي يسمونه « بيدرون » وسيأتي ذكره في عدد ٤٥ فيثمر « القِزح » وهو عندهم ثمر بزر البصل . امّا في العربية الفصحى فالقزح هو بزر البصل . ويسمّونه ايضاً « قنّار » يأخذونه فيزرعونه في الارض فيثمر البصل.

٣ **الآب** — بالمدّ وهو الاقنوم الاول من الثالوث الاقدس عند النصارى . وفي السريانية ܐܒܐ الآب.

٤ **الاردخل** — ومنها لقب السيد المسيح له المجد في الكتب البيعية : الأَرْدَخل . وهو في السريانية ܐܪܕܟܠ اي البنّاء.

٥ **الاسكيم** — ومنها : الإسكيم لقلنسوة الراهب . وفي السريانية ܐܣܟܝܡܐ الزي والشكل. فكأنهم دعوا قلنسوة الراهب « اسكيماً » لاتخاذ الراهب له زيًّا خاصًّا به.

٦ **الاشبين** — ومن ذلك : الإشبين وهو عندهم كافل الطفل من العماد، وشاهد الزواج. وفي السريانية ܐܫܒܝܢܐ والاشبينة ܐܫܒܝܢܬܐ ويولّدون من هذه الكلمة فعلًا فيقولون : « شَشْبَنَ فلان فلاناً » اي كان له

اشبيناً . ويعرف اشبين العماد «بالعرّاب» وسيأتي في باب العين . وشَشْبَنَ متعدٍ متصرّف .

٧ **الاصحاح** — ومنها : الاصحاح. وفي السريانية ܦܨܚܐ الفصل من الكتاب الكريم . ويجمعونه «صَحاحات او إصحاحات».

٨ **اعبط** — ومنها قولهم : ما أعبط فلاناً ! يريدون بذلك أنه غليظ العقل بطيء الفهم . وهو في السريانية ܥܒܝܛܐ الكثيف والغليظ.

٩ **اعجر** — ومنها أنهم يذمّون الفظّ الطباع بقولهم عنه: انه أعجر . وفي السريانية ܥܩܪܐ اي شرس الاخلاق،فظّ الطباع.وما لم يُدْرِك وينضج من الفاكهة ، يقولون عنه انه «أعجر»، كأنّ ذلك لقساوته وصلابته قبل الادراك والنضج. ولا يخفى ما في الامرين من التشابه.

١٠ **الالم** — ومنها : الإلم بمعنى «الحقد»، والاليم بمعنى «الحقود» . وهما في السريانية ܥܠܐ الحقد و ܥܠܝܐ الحقود.

١١ **انفتل المرء** — ومنها: انفتل المرء اي اعوجّ بعقله واعماله . من ܐܦܬܠ اعوجّ. ويقولون: فلان «أفتل ومفتول»، اي اعوج العقل. ويقولون: عقله «مفتول» أي اعوج. ويقولون: عصا «مَفْتولة»، اي عوجاء . والفتال عندهم الاعوجاج بالعقل ، والاعمال، والادوات التي حقّها ان تكون مقوّمة مستقيمة. وكلمة مفتول المذكورة تقابل كلمة original الفرنسية. وفعل انفتل مطاوع فتل لازم متصرف.

باب الباء

١٢ **البواعيت** — من الصلوات البيعية قطعٌ تسمّى « البواعيت » ، واحدها باعوت . وهي قطعٌ شعريّة لبعض الآباء مثل يعقوب السروجي وغيره ، تكون عادةً في اواخر الصلوات وتُنشد بانغام مستطابة . وهي في السريانية ܒܘܥܘܬܐ ج ܒܘܥܘܬܐ . وكلمة « الباعوت » دارجة الى الآن في كنيسة الروم الكاثوليك والروم الارثوذكس ، ومشهورة فيهما . بل ان في طقسهم حفلة تقام ثاني عيد القيامة المجيدة يدعونها « الباعوت » . ولا بدع اذا بقي الى الآن في طقوسهم بعض كلمات سريانية وقد كانت في الاصل سريانية ، كما هو معلوم ، قبل ان اتخذوا الطقس اليوناني

١٣ **باخ** — ومن دوائرهم : باخ الثوبُ من ܒܚܢ ܠܒܫܐ خلق الثوبُ وبلي . وهم يريدون بهذا الفعل ذهب لون الثوب . ويُقال ان فعل « باخ » العربي مأخوذ منه . وهو متصرف لازم .

١٤ **بخر** — ومنها : بخّر القماش اي غسله لاول مرة وقصره بالماء ليتحقق جودته أو رداءته . وفي السريانية ܒܚܪ أو ܒܚܪܐ ومعناه اختبر وامتحن . ومنه المثل العامي عندهم : « ما في كلام حتى تبخّريها » ، اي متى اختبرتِ هذا القماش بغسله وقصره بالمياه يظهر لكِ صدق قولي بانه جيّد . وقد اطلقوا هذا المثل على كل امر لم يكن قد اصدق خُبْرُهُ خَبَرَهُ . وهذا الفعل متعدٍ متصرف .

١٥ **باعورة** — ومن مشتقات هذا الفعل عندهم « البواخير » . واحدها باعورة ܒܚܘܪܬܐ مؤنث ܒܚܘܪܐ اسم الفاعل من ܒܚܪ اختبر وامتحن واستدلّ . وقد اجروا جمعها مجرى جمع مثلها في العربية نحو : « ناعورة نواعير . وطاحونة طواحين . » اما البواخير عندهم فهي اثنا عشر يوماً تبتدئ من يوم ١٤ ايلول ، الذي يقع فيه عيد الصليب المكرّم ، يستدلّون بكلٍ منها على كيفيّة طقس كل شهر من شهور السنة . فاذا كان اليوم الاول منها ، اي يوم ١٤ ايلول ، طقسه رطباً او

جافًا يعتقدون ان الباقي من هذا الشهر سيكون كذلك . وكما يكون اليوم الثاني منها ، اي ١٥ ايلول ، يكون شهر تشرين الاول . وكما يكون اليوم الثالث منها ، اي ١٦ ايلول ، يكون تشرين الثاني ، وهلم جرًّا الى آخر هذه البواحير ، ومنتهى شهور السنة . ويصدق استدلالهم هذا في غالب الاحيان . حتى انهم يقسمون يوم الباحورة اربعة اقسام والشهر الذي يقابلها اربعة اقسام ، فيكون كل قسم منه بحسب ما يكون احد اقسام الباحورة رطبًا او جافًا . وقد يمكن اعتبار الباحورة بمنزلة المسودّة او البروفة من الكتابات والمطبوعات .

١٦ بحش — بحش التنور والتراب والارض ، ونحو ذلك . وفي السريانية ܒܚܫ حفر . ويقولون ايضًا : « بَحْوَش » للمبالغة بمعنى نبش . وكلاهما متعدّيان متصرفان .

١٧ البحواش — ومن هذه المادّة البِحْوَاش او المِحْواش ، وهو عودٌ او عصا يحرّك بها الخبّاز او الخبازة النار ليزيدها استعارًا . وفي السريانية ܒܚܘܫܐ ونصيحه في العربية « المِحْضأ » .

١٨ بجت — بجّت المياه في الارض . من ܒܘܓܬܐ سال ورشح ونبع ، اذا صارت الارض ذات نزّ وهو ما يترشّح ويتقطّر من الارض من المياه . ولا يخفى ما بين هذه المعاني من الارتباط وهو متصرف لازم .

١٩ البجبج — البَجْبَجة ، وتحدث عادةً في وجه الانسان . وهي شيء من الورم يصيب الوجه او الجسم . وسريانيتها ܒܘܓܒܓܐ النفّاخة التي تظهر في الاجسام . ويولّدون منها فعلًا فيقولون : « بَجْبَجَ وجه فلان » ، اي ظهر فيه شيء من الورم . وهو لازم متصرف .

٢٠ البشوقة — البَشُوقة وهي عندهم وعاء صغير من الفخّار . وفي السريانية ܒܫܘܩܬܐ القلّة الصغيرة .

٢١ بطانة الزرع — بطّانُ الزرع من الحنطة والشعير ونحوهما . ويريدون بمعنى « البطان » ان الزرع بدأت سنابله تتكوّن وتؤلّف حبًّا . اي بدأت تحبل

بالحب . وفي السريانية ܚܒܠܐ ومعناها الحَبَل . فكأنهم يريدون ان يقولوا بدأ الحب يتصوّر في السنابل ، او بدأت السنابل تحبل بالحب. ويقولون ايضاً « بطّن الزرع » وفي السريانية ܒܛܢ حبل. والمعنى ظاهر جلي وهو لازم متصرف .

٢٢ البد — البَدُّ وهو خشبة غليظة ثقيلة ترسل على العنب ونحوه فتخرج عصيره. ويُستعاض عنها احياناً بحجرٍ ثقيل يعلّق براس عارضة من الخشب ويرسل على العنب فيخرج عصيره ܒܘܕܐ

٢٣ بدغن — بَدْغَن الصلاة : الحاية، وستأتي، بمعنى اختصرها اي ابتدأ بتلاوتها من كلمة ܒܕܝܢ ومعناها « والآن » التي تكرن عادةً في اواسط ، او نحو اواخر بعض الصلوات ، فيترك القاري ما سبقها قَصْدَ العجلة والاختصار . وقد اطلقوا — خصوصاً الاكليروس — هذه الكلمة على اختصار الحديث واقتضاب الحكايات ونحوها فقالوا : « بَدْغَنَ الحكاية والقصّة » اي اختصرها وهذا الفعل ولّدوه من ܒܕܝܢ المذكورة وهو متعدٍ متصرف .

٢٤ البدق — البِدِق يكنّون به عن الفطِن، الخبيث ، الذي يفهم الامور من الاشارة اليها فقط ، ويدرك معانيها ومقاصدها ومغازيها بقوة ما فيه من الذكاء الشديد والفراسة. ويقولون: « ما أبدَق فلاناً ! » اي ما اذكاه واسبقه الى فهم الامور ومغازيها اخذوا ذلك من ܒܕܩ وܒܕܩ بمعنى عرف وتفحص ، وكلاهما متصرفان .

٢٥ البدق — البِدْقُ الشقُّ في الحائط والارض ونحوهما. وانبوبة المحقن، محقان صهريج ، وفي السريانية ܒܘܩܥܐ الشق والثقب والصدع.

٢٦ برّا — برّاً بمعنى خارجاً . فيقال : اخرج برّاً ، اي اخرج خارجاً. وسريانيتها ܒܪܐ ومعناها خارجاً .

٢٧ برّى — برّى الدابّة من ܒܪܐ اي نحّاها وجنّبها وابعدها عمّا يمكن ان تلتطم به. وهو متعدٍ متصرف.

٢٨ برخ مُر — ومنها انهم يطارحون كهنتهم السلام « والتصبيح » بقولهم لهم : « المجد لله بَرِخْ مُرْ » وفي السريانية ܒܪܟ ܡܪܝ، اي بارك يا سيدي. ويقولون يا سيدي بالمفرد، وان كان ثمّ كهنة كثيرون كأنّ لفيفهم محصور بكبيرهم. وهذه العادة لا تزال جارية في اكثر انحاء لبنان خصوصاً في مقاطعة كسروان ومقاطعة بلاد جبيل والجبّة . ومن عاداتهم المستحبة انه اذا اراد احدهم ان يشرب من الابريق بحضرة الكاهن يستأذنه بقوله: ܒܪܟ ܡܪܝ ، اي بارك يا سيدي الكاهن. فيباركه الكاهن. فيشرب هنيئاً.

٢٩ البرشان — البِرْشان وهو عندهم الخبز الفطير الذي يخبز بقوالب حديد منقوشة فيها صورة السيد المسيح مصلوباً ، وصور باقي ادوات الصلب ، ويعدّ مادةً لتقديس جسد ابن الله الكريم. وهو في السريانية ܦܪܘܫܐ ومعناه الشيء المفرز لتخصيصه لشيء او بشيء آخر . دعي كذلك لانه يفرز ويخصص بالتقدمة الالهية .

٣٠ برشن — ومنها انهم يولّدون فعلاً من كلمة « برشان » ، فيقولون مثلاً : « بَرْشَنَ التحرير » اي الصقهُ بالبرشان بعد ان يرطبهُ قليلاً . وهذه العادة كانت جارية قبل ان اخترع صنع المغلّفات المعروفة . ولا تزال تستعمل خصوصاً حيث لا يوجد مغلفات.

٣١ برعط — بَرْعَطَ بمعنى اكثر من الحركة . وفي السريانية ܒܪܥܛ تبرعص وتحرك . ومنه على ما نوى سُمّيت الحيَوانات التي تتولد في المياه الآسنة وفي المستنقعات على شكل عُصَيّات « بُرْعُطاً » . ثم تنقف بعوضاً وذلك لكثرة حركتها وتبرعصها في تلك المستنقعات. وبرعط لازم متصرف .

٣٢ البرك — البُرْك احد ادوات الحراثة والفلاحة عندهم . وهو عود ضخم على هيأة ركبة الانسان منحنٍ قليلاً يكون عند اسفل مقبض المحراث فوق السكّة وهو في السريانية ܦܪܘܟܐ الركبة. ووجه الشبه ظاهر بيّن .

٣٣ البرمة — البَرِيمة وهي قضيب رفيع من الحديد يحدَّد رأسها بشكل لولبيّ ويطوى طرفها بشكل حلقة او يوضع فيه خشبة معترضة فيثقب بها الخشب بضغطها وادارتها . اخذوها في فعل ܒܪܡ بالسريانية ومعناه « نخر السوس الخشبَ ». ولا بدع في ذلك فان « البرّيمة » عند ضغطها وادارتها في الخشب تفعل فيه فعل السوس فتخرج الخشارة تباعاً الى ان تثقبه. ومنهم من يلفظها « برّينة » بالنون . ولا يخفى ان حرف الميم يبدل من النون وبالعكس خصوصاً في اللغة العاميّة. وقد يولدون منها فعلاً فيقولون: « برّم الخشب » اي ثقبه بالبريمة المذكورة. وهو متعدٍّ متصرف.

٣٤ بسع — ومنها أن احدهم يستعجل الاخر بقوله له « بَسِعْ » وهو فعل الامر من ܒܥܐ سار وخطا . وهذه الكلمة تحكى خاصةً في انحاء عكّار. اما ابدال الباء من الفاء فهو مستفيض في اللغة العاميّة كقولهم « شَرْشَب » في « شَرْشَف » و« فرنيش » في « برنيش » .

٣٥ بقبق — بَقْبَقَت القِدر ܒܩܒܩܐ ܩܕܪܐ اي غلت مياهها وفارت فاعطت صوتاً يشبه صوت « بَقْ بَقْ ». ويقولون ايضاً : « بقبق الجمل » اذا هدر واخرج اصواتاً تحاكي نغمتها نغمة غليان القدر مع صوت داوٍ.

٣٦ بعط — بَعَطَ الولد وفي السريانية ܒܥܛ لَبط ، وبطر ، ومرح ، ورمح . وهم يريدون ان الولد اكثر من الحركة . ومنهم من يقولون: « بَعْبط » وكلاهما بمعنىً. وهو لازم متصرف .

٣٧ بعق — بَعَقَ فلان فلاناً اذا رفسه برجله ، وركله في بطنه فرماه على الارض . وفي السريانية ܒܥܩ رفس ، ولبط ، وركل وبَعْبَع خبط ، وصرع. وكلاهما متعدّيان متصرّفان.

٣٨ البقّة — البَقّة وهي اناء صغير من الفخار ونحوه يشبه القدح يضعون فيه الحبر والمداد للكتابة. وهي في السريانية ܒܩܩܐ المحبرة وتكون احياناً من نوع الخزف الصيني .

٣٩ البكير — البكير يقولون : مطر « بكير » ܡܛܪܐ الوسمي من المطر . وثمر « بكير » اي نضج قبل اوانه . وزرع « بكير » اي ادرك قبل اوانه . ويقولون : جاء « بكير » اي باكرًا ؛ وذهب « بكير » اي صباحاً باكرًا .

٤٠ البلشة — ومنها ان مَن تأتي عليه داهية ينشكّى منها بقوله : « ما هذه البَلْشة ؟ » من ܒܠܫ ضرَّ الرجل واصيب بأذى فكأنه يقول : ما هذه المصيبة ؟

٤١ بلم — بَلَمَ الفدان ܒܠܡ ܦܘܡܗ كمّ الثور . وهو متعدٍ متصرف .

٤٢ البلام — ومنها اسم الآلة من الفعل المذكور « البلام » وفي السريانية ܒܠܡܐ الكمام والكمامة يكمّون به فم الفدان لئلّا يأكل من البيدر ونحوه ، وفم الكلب مثلًا لئلا يعضّ .

٤٣ بهموت — يصفون الرجل الداهية الطماع بقولهم عنه : انه « بَهْمُوت » وفي السريانية ܒܗܡܘܬܐ ومعناها : فيه الموت . والبهموت عند السريان كالغول عند العرب وهو وحش يهولك خبره ، غير انه موجود الاسم مفقود الجسم .

٤٤ بهلي — يقولون للاحمق والابله : « بَهْلي » وفي السريانية ܒܗܠܐ ومعناها الابله يعنون بذلك انه سخيف العقل . ويولّدون منه فعلًا متعدّياً فيقولون : « بَهَلَهُ » ، اي جعله سخيف العقل بما فاجأه به من الدواهي . ويقولون : « تَبَهْلَل » اي تظاهر بالحمق وسخافة العقل . وكل هذه الافعال متصرّفة .

٤٥ البيدرون — البَيْدَرُون ܒܝܕܪܘܢ مصغّر ܒܝܕܪܐ بذار بحسب قواعد التصغير في اللغة السريانية . « والبيدرون » عندهم بزر البصل . ومعناه في الاصل « القزح والقنّار » الذي يزرعونه فيأتي بالبصل (راجع عدد ٢)

٤٦ البيرقون — البَيْرَقُون وهي خشبة غليظة يجعلها النشّارون تحت ما يريدون نشره من الاخشاب . وربّما يكون اصل الكلمة من ܒܝܪܐ وهو معقل النجار فقيل ܒܝܪܐ ܕܢܓܪܐ

باب التآء

٤٧ تبالط — من هذه الدوائر السريانية قولهم: «تبالط الولد»، وهذا ولد «بِلطٌ». أخذوا ذلك من فعل ܒܠܛ لَبَط، ورفس. وهو لازم متصرّف.

٤٨ تبهر — تَبَهَرَ الرجلُ، اي ذهل عمّا كان فيه من عمل، وضاع عقله، وتشتّت فكره. اخذوها من فعل ܒܗܬ بمعنى عجب، وتعجب، واندهل، وتحيّر. وهو متصرّف لازم.

٤٩ تجعط — تجعّط المرء اي تقاعس عن العمل ضجرًا وكسلًا وكراهية واشمئزازًا. وهو مشتقّ على طريق المزيد من فعل ܓܥܛ كره واشمأزّ. وهو لازم متصرّف.

٥٠ تحابر — تَحابَرَ فلان وفلان. بمعنى تشاركا وتآخيا، واستحكمت بينهما المحبة؛ وتوثقت عرى الالفة. وفي السريانية ܚܒܪܘܬܐ بالمعنى المتقدم. وهو لازم متصرف.

٥١ تحت — يذمّون السافل بكلمة «تِحِتْ» اخذوها من ܬܚܬܐ بمعنى اسفل، اي سافل، دنيّ.

٥٢ تحطط — يقولون عمّن يحقد ويغضب على احد ويتوعّده «تحطّط له او عليه» من ܬܚܬܬܐ اغتاظ وغضب. وهو لازم متصرف.

٥٣ تخّ — تخّ الحطب او الشجر او تختخ من ܬܚܬܚ ايبس وجفّف. وهم يعنون انه تهرّأ او كاد. ويشتقون من ذلك اسماً هو «التخاخ» و«التخاخ» عندهم ما تهرّأ من الحطب حتى كاد يشتعل بقدح الزند. وتخّ متصرف لازم.

٥٤ الترجومة — التَرْجومة . وفي السريانية ܬܪܓܘܡܐ الترجمة . ويريدون بها مقدمة التحارير والرسائل .

٥٥ الترماية — التِرْمَاية . وهي مستعملة في بعض انحاء لبنان مثل بلاد جبيل . يريدون بها الحدّ الذي يفصل بين قطعتين من الارض ، فهي بمنزلة التخم . وفي السريانية ܬܪܡܝܐ العلامة والخطّ . ويريدون بها ايضاً الحافّة الصغيرة الواطية التي تقام في الارض لحفظ تربتها من الانهيار . وفي البقاع (لبنان) يسمون الخطوط والاثلام التي تحدّد الاراضي وتفصلها بعضها عن بعض « تَرْمِيَة او تِرْماية » وهي المقدّم ذكرها .

٥٦ فنقة وتروبحة — يقولون للعامل : خَنْقة وتِرْويحة من ܢܝܚܘܬܐ وممناها الراحة والفرج . فكأنهم يقولون له : اشتغل مرةً واسترح اخرى .

٥٧ التريه — التِرِين وهو عندهم الرفيق بالالعاب . وقرين الثور في الفلاحة . اخذوه من ܬܪܝܢ السريانية بمعنى « اثنين » . فكأنهم يريدون بذلك من اصحاب الالعاب من لا يكونون عادةً الّا اثنين . ويولّدون من ذلك فعلاً فيقولون : « تارنَ فلان فلاناً » ، اي شاركه في عمله وكان فيه مثله . وتارن متعدٍّ متصرف .

٥٨ التشيشت — من كتب الموارنة الطقسية كتاب « التِشِيشْت » ܬܫܝܫܬܐ ، ترخيم كلمة ܬܫܝܫܬܐ السريانية ، ومعناها لغةً الخدمة ، ومعناها في اصطلاحهم الكنسي كتاب الصلوات البيعية التي وضعت لاعياد بعض القديسين والتذكارات والاعياد السيديّة ولبعض الآحاد .

٥٩ تشيشر — تشيشر بمعنى تسلّق الصخور ثم تصعّب نزوله عنها . من الشِير وهو الصخر العظيم المشرف على الهوة ، ومن الشوار اي الشفير الهاوي . ولعلّه من السرياني ܫܝܫܘܪܐ وهو الجبل من خوص .

٦٠ **تقندر الشاب** ــ تَقَنْدَرَ الشابُ وفي السريانية ܡܬܩܢܕܪ مشى مع قليل من الاستدارة معجباً بنفسه ، متباهياً مختالاً . وهو لازم متصرف . ومنه ايضاً « القندور » و « القندورة »

٦١ **تفقد عليه** ــ ومن دوائرهم السريانية : قولهم عمَّن يتحكم بالآخر فيطلب منه تارةً هذا الشيء وطوراً ذاك : « انه يتفقَّد عليه » ، اخذوها من ܦܩܕ بمعنى أمر او من ܡܦܩܕ تأمر . وهذه المادَّة متداولة عندهم خصوصاً في جهات المتن الاعلى من لبنان . وقد أخذتها عنهم بالسماع . وهذه الفعل لازم متصرف .

٦٢ **تكتك** ــ تَكْتَكَ المرء اذا تكلم كثيراً على الهدوء ، او ثرثر من ܬܟܬܟ هدر ، وهذرم ، وثرثر .

٦٣ **تلمد** ــ تَلْمَدَ الكاهنُ اذا غسل اصابعه التي لمست جسد ابن الله الكريم في القربان ، فوق الكاس ، بقليل من الخمر والماء غسلاً للكأس بهما . وهذا كان قديماً يفعله الشماس الانجيلي الذي كان يدعى من باب الاستحسان « تلميذ الكاهن » . ولمَّا بطلت هذه العادة صار الكاهن يكملها بذاته لذلك دعي هذه العمل « تَلْمَدَةً » في السريانية ܬܠܡܕܐ وܬܠܡܕܘܬܐ وܬܠܡܝܕܘܬܐ بمعنى « تَلْمَذَ وتَلْمَذَةً » والى الآن يلفظ اكثرهم هذه المادة بفروعها بالدال المهملة على اصلها السرياني كما يلفظونها في غير كلمات ايضاً فيقولون : « دِكر » في ذِكر و« لديد » في لذيذ و« الدي » في الذي وهلم جرًّا مما اشرنا اليه في التمهيد فليراجع . ويقولون « تلمده » اي اتخذه تلميذاً . وتتلمد له اي صار تلميذاً له . وهو متصرف .

٦٤ **التورة** ــ التُّورة من ملابس النساء . وهي في السريانية ܬܘܪܐ . وهي ثوب مستدير كالتُّور تلبسه المرأة تحت ثيابها ، ينزل من الخصر الى القدمين .

٦٥ **التوبدانيات** ــ التوبدانيات من الكلمات الكنسية . وهي صلاة

وطلبات وتذكارات تتلى خلال القداس الالهي . دعيت كذلك لان كلًّا منها تبتدئ بكلمتي ܬܘܒܬܐ ومع السريانيتين، ومعناهما « نذكر ايضاً ». فنسبت هذه الصلوات اليها بحسب قواعد النسبة في اللغة العربية . المفرد منه « توبدانيَّة » وبعضهم يجمعها « تُوَابدين »

٦٦ توردا — ومن دوارثهم : قولهم تَوَرَنا بصوتهِ من ܬܘܪܐ اذهل . يريدون بذلك انه اعجبهم واذهلهم بحسن صوته وخبل عقولهم بصراخه الشديد في غنائهِ . وبعضهم يبدل الراء لاماً فيقول : « تَوَلَنا ». وهو متعدٍ متصرف . يُستعمل للمدح وللذم ايضاً .

٦٧ توكه — اذا تقاعد احدهم عن العمل كسلًا ، يستفهمون عن علّة ذلك بقولهم : « ما هو تُوكَهُ » وهي في السريانية ܬܘܟܠܐ العطب والمصيبة والاذى فكأنهم يقولون : ما هي علة تأخرهِ عن العمل وما هي مصيبته ؟

٦٨ توّكه — ومنها : تَوَّكَهُ اي اضرَّه وآذاه واصابه بعطبٍ حتى تأخر عن العمل او عجز عنه . وفي السريانية ܬܘܟܠܐ عطب وآذى واضرَّ . وهو متعدٍ متصرف .

٦٩ توهنا — يقولون : تَوَهَنا فلان بحسن صوته . وفي السريانية ܬܘܗܢܐ اعجب واذهل اي انه بحسن صوته سلب منا الالباب وسبى العقول . وهو متعدٍ متصرف . (راجع عدد ٦٦)

باب الجيم

٧٠ ܓܚܪ — جحر الرجلُ اي نحّ وتنخّع. ويكون ذلك منه اذا اصابه الطحار وهو نوع من الزحير يعلو فيه النفس مع ضغطٍ. وفي السريانية ܓܚܰܪ نحّ، وتنخّع، وهو لازم متصرّف.

٧١ ܓܪܓܪ — جَرْجَرَ بمعنى جرّ، وجرّر، وسحب. وفي السريانية ܓܪܓܪ وهو متعدٍ متصرف. فالوزن سرياني الأصل.

٧٢ ܓܥܪ — جَعَرَ الفدّان ونحوهُ من ܓܥܪ عجّ الثور، وخار الفدان؛ وهدر الجمل، وعيّط الرجل. والمرّة منه «جَعْرَة» ܓܥܪܬܐ الصيحة والصرخة الشديدتان. وجعر لازم متصرّف.

٧٣ ܓܡ — جمَّ الكرمَ خاصةً. واغصان الاشجار عامةً. وذلك انهم يأخذون فسائل الكرمة ويغرسونها، وفي السنة الثالثة او الرابعة يجتثون هذه الاغراس من اسفل جذوعها لتفرخ من جديد فتثمر. او انهم يزيرون الاغصان من منبتها من جسم الشجرة. وفي السريانية ܓܡ و ܓܡܡ قطع واقتضب. وكلاهما متصرفان متعديان.

٧٤ ܓܡܠܘܢ — الجَمْلُون وهو عندهم عادةً سقف من الخشب والالواح يصنعونه محدّباً كسنام الجمل. دعي كذلك لمشابهته حدبة الجمل وهو في السريانية ܓܡܠܘܢܐ مصغّر ܓܡܠܐ «الجمل» بحسب قواعد التصغير في اللغة السريانية وذلك من باب تسمية الكل باسم الجزء. واعلم ان في لغتهم العامية بعض كلمات عربيّة ينطقون بها مصغرةً بحسب قواعد التصغير في اللغة السريانية لذلك الحقناها «بالدوائر السريانية» ستقف عليها في محلها.

٧٥ ܓܗܓܗ — جَهْجَهَ الضوء اي لاح. وفي السريانية ܓܗܓܗ انبلج الصبح واضاء. وهو لازم متصرّف.

٧٦ ܓܘܐ — ادخل جوّاً بالف الاطلاق. وفي السريانية ܓܘܐ الداخل.

باب الحاء

٧٧ كتاب الخاش — ومن دوائر السريانية كتاب الخاش وهو كتاب كنسيٌّ يحوي صلوات لاسبوع الآلام المقدس . مَن يتلوها من آل الكهنوت يفي فرضه البيعي . وفي السريانية ܟܬܒܐ ܕܫܒܥܐ اي كتاب « صلوات اسبوع » الآلام . دعي كذلك لاحتوائه على صلوات ووصف لآلام المخلص له المجد . ويدعون اسبوع الآلام « جمعة الخاش » اي الاسبوع الذي تألم فيه الرب جلَّ شأنه .

٧٨ الخاش — ومن هذه المادة : جمعة الخاش أو اسبوع الخاش . وهو عندهم الاسبوع الاخير من الصوم المقدس وفي السريانية ܫܒܬܐ ܕܚܫܐ ترخيم ܫܒܥܐ الألم . دعيت كذلك لان الرب يسوع له المجد تألم في مثلها حينما ضحّى بحياته لخلاص البشر .

٧٩ الخالول — الخالول وفي السريانية ܚܠܘܠܐ وهو من ادوات النجارة تضمُّ اجزاءه لوالب .

٨٠ خبر — خَبَرَ في الشيء وفي السريانية ܚܒܪ جمَّع اليه وحدَّق اليه . ويريدون بمعنى هذا الفعل النظر الى الشيء من مثل كتابة والتحديق اليها كثيرًا لفهمها ، او للنقل عنها ، او نسخ صورتها .

ولاخذي هذه الكلمة عنهم حكاية ظريفة لا بأس في ايرادها تفكهةً للمطالع اللبيب فاقول :

كنت ذات يوم في غرفتي في وطني بسكنتا ، انسخ شيئاً عن بعض الكتب ، ولم تكن صحتي على ما يرام ، واذا بوالدتي (١٨٥٢—١٩٢٨) ، رحمات الله تعالى عليها ، تدخل علي فجأةً . فوقفت اجلالًا لها . واذ رأتني انظر في الكتاب واحدّق اليه وانسخ عنه الى الطرس الذي كان بيدي دفعها حنانها الوالدي عليّ فقالت لي : « كفاك شغلًا يا ولدي . لا تَخبَرْ في الكتب بعدُ لئلا تتلف

عافيتك . » وكأنها تريد بذلك ان تقول لي « لا تحدّق الى الكتب بعدُ » فوقفت عند ذلك اتأمل في كلمتها « تحبر » وقلت لها اعيدي يا امّاه ما قلتِ . فاعادته بصورته المتقدمة قائلةً : « لا تحبر في الكتب بعد » فتحققت عندئذٍ ان الكلمة من دوائرهم .

وبعد يومين دخل عليَّ ظريف فوجدني اشتغل بالنسخ والكتابة فقال لي ما قالته لي والدتي . وقد رأيت في زجلية على التوبة للمطران عبدالله قراعلي († ١٧٤٢) انه قد استعمل هذه الكلمة فيها فاثبتُها . وفعل حَبَرَ لازم متصرف .

٨١ حبش — حبَش البناء وما ضاهاه . اي سكّر وقفّل وسدَّ آخر الفوهات فيها . اخذوها من سحُف في السريانية بمعنى حبس . ويكون ذلك بأن يُملأ ويسدّ ما يبقى من الفراغ والفوهات عند بناء المداميك والقناطر بالحجارة والكلس وحشرها بالحصى الكبيرة والطين . ويقولون : حبَّشه اي ادركه بالجهد . وهو متعدٍ متصرّف .

٨٢ حبص — ومنها قولهم في مَن تصعبت اموره : « حبَصت مسلتهُ » اخذوها من سحُص اذا اشتدَّ الامر وثقلت وطأته . وهو لازم متصرف . ويقولون ايضاً : « حبَص » بمعنى ارتبك بمرارة عند اشتداد الامور عليه .

٨٣ حرح — ومنها يصفون الرجل الداهية الشديد البأس والمكر بكلمة حُرح . وفي السريانية ܚܪܚܐ الماكر والمكّار والمحتال الذي لا يؤخذ من وجه .

٨٤ حربق — ومنها الفعل حَرْبَقَ اي عقَّد الخيوط عقدًا على غير ما يجب . وربط الشيء ربطاً معقَّدًا . وجعل الامور الادبية والمسائل المعنوية معقَّدة غير مسرَّحة . وفي السريانية ܚܪܒܩ شبك وعقل . وهو متصرف لازم .

٨٥ حربوقة — الحَرْبوقة وهي عندهم عقدٌ من الخيوط والامور وهو مشتق من حَربَق السابق . وفي السريانية ܚܪܒܘܩܬܐ وحرباقا العروة

ولا يخفى ما بين العروة وتعقيد الخيوط والامور من التقارب بالمعنى .

٨٦ حركش — حَرْكَشَ بين القوم اي عمل ما يهيجهم . وحركش النار حرّكها لتستعر . وفي السريانية ܚܪܟܫ حرّش بين القوم واغراهم . ومنه المثل : ܚܪ ܘܚܪܟܫ ܠܐܝܡܐ ܕܚܪܟܫܘ من تحكك بالاسد كان فريسته . وحركش متعدٍ متصرف .

٨٧ الختام — ومن دوائر السريانية البيعية الختام ܚܬܡܐ الختام . وهي صلاة يدخل فيها « ابانا ، والسلام ، وقانون الايمان » تختم بها صلوات الخوروس والفرض الكهنوتي .

٨٨ ختم — ومنها فعل ختم ܚܬܡ ختم الصلاة المذكورة « بالختام » اي الختام المذكور . وهو متعدٍ متصرف .

٨٩ حرقت — حَرَقَت البقول الحارّة فمه ولسانه . وفي السريانية ܚܪܩ ومعناه لذع الحلقَ خاصةً بطعم ما كان حريفاً غضاً . وهو متعدٍ متصرف .

٩٠ حزقت — حَزَّقت الامور ونحوها . وفي السريانية ܚܙܩ ربط وكبّل . وذلك اذا تعقدت الامور وتصعبت حتى بات حلّها متعسراً . ومن هذه المادّة يقولون : « حزّق الثديُ » اذا اشتدّ الضرع بسبب ورم ونحوه حتى لم يعد يُدرّ الحليب منه بسهولة . وهو لازم متصرف .

٩١ الحابة — ومنها الحّاية أو الحّاي وهي قطعة طويلة من صلاة الفرض الكهنوتي يوضع عند الابتداء بتلاوتها بخور . وتقع غالباً بعد « السواعيت » — وسيأتي ذكرها — وفي السريانية ܚܛܝܬܐ المغفرة والغفران والمسامحة . دُعيت كذلك لانهم بها وبالبخور الذي يحرقونه في بدايتها يسألون المولى تعالى نعمة الغفران وموهبة مسامحة خطاياهم .

٩٢ حك — ومن ذلك قولهم عن المقتّر المقتصد (لا البخيل) انه

« يحتك في مصروفه » اكلاً وشرباً واباً ونحو ذلك . وفي السريانية ܡܚܟܐ اذا اقتصد المرء في مصاريفه . ويعدّون هذا الفعل فيقولون : « حتّك الشيء » اذا اقتصد به (ووفّره) وذخرهُ الى وقت الحاجة .

٩٣ **حص** — حتَّ الحمارُ والدابّة اي اعطى صوتاً خاصاً كانه الصرير دون النهيق عندما يشعر بان صاحبه يقدم له العليق والعلف . وفي السريانية ܡܚܨ صرَّ البابُ . ولا يخفى ما بين المعنيين من التقارب . وهو لازم متصرف .

٩٤ **حص** — حُتُّ الباب وهو نجرانهُ (صوصه) الذي يدور عليه فيحدث صريرًا عند اغلاقه وفتحه كما لا يخفى . وهو مأخوذ من ܡܚܨ المذكورة .

٩٥ **حتك** — ومنها : فلان ضرب ما حَتَكَ ، اي اصابه مرض تتال لم يمهله الى المساء فقضى سريعاً . وفي السريانية ܡܚܬܟ اظلم وامسى . اي داهمه المرض فما عتم ان قصف غصن حياته ولمّا تمر بعدُ . وهو لازم متصرف .

٩٦ **الحل** — الحِلُّ وهو شقٌّ يكون في الحجر والبناء والحائط ونحوها . وفي السريانية ܚܠܠܐ ومنه ، على ما رأيت ، الحالول ، وهو غربال من شريط او سير جلد واسع الثقوب يغربلون فيه حبَّ الصنوبر ونحوه .

٩٧ **حلس** — حلس الرجلَ جمال فلانة وفي السريانية ܚܠܫ سلب . وهم يريدون ان جمال تلك المرأة سلب لبَّ ذلك الرجل وخلب فؤاده . وهو متعدٍّ متصرف .

٩٨ **حنحن** — حَنحَنَ قلب الجوز ، والصنوبر ، والبندق ، واللوز ونحوها . وفي السريانية ܚܢܚܢ انتن ، عفن ، فسد . وهو لازم متصرف .

٩٩ **الحورورة** — الحَوَرْوَرَة وهي عندهم الارض الحواريَّة الرقيقة الناعمة ذات الغبار . وفي السريانية ܚܘܪܘܪܐ ومعناها الشيء الابيض كالسحابة ،

والمجرّة ، وتعرف عندهم « بدرب التبّانه » ولا يخفى ما في ذلك من التشابه.

١٠٠ حوك — حوّك الشيء بمعنى تبيّنهُ بنظرهِ فـادرك ماهيته مع الجهد. وفي السريانية ܚܘܟ لغة شاذة بمعنى احاط وطوّف. وهو متعدٍ متصرف.

١٠١ حوتك — ومنها : حَوْتَكَ. من ܚܘܬܟ حوّك السابقة . ومعنى حوتك عندهم دار ينظر في حاجات قومهم يخدمه . وهو لازم متصرف .

١٠٢ حيص — حيّص الدابّة . وفي السريانية ܚܝܨ ربط ، وحزم ، وشدّ . وذلك شدّها وحزمها بالحياصة وهي ܚܝܨܐ الرباط والحزام. وحيّص متعدٍ متصرف .

١٠٣ حيل — ومنها : انهم يعبّرون عن اصابه الهزال فتأخر وعجز عن العمل بقولهم عنه : « انقطع حَيْلُهُ ». وفي السريانية ܚܝܠܐ الحول والقوة والمقدرة ويقول القوي المسترخي : « ما لي حيل » اي لا نشاط عندي ولا نهضة . ويقولون : « طحين حيّل » اي ذو حَيْلٍ يتمدّد بسهولة عند ترقيقهِ خبزًا . وقد ورد الحَيْل لغة من الحول في العربية بمعنى القوة والقدرة فتدبّر .

باب الخاء

١٠٤ خاف — ومن الدوائر خَافُ الميزان وهو ما يجعل في احدى كفتي الميزان الخفيفة من حجر صغير ونحوه ليتعادل ثقلها . او هو ما يجعل في احدى الكفتين مقابل ما يجعل في الكفة الاخرى من وعاء كطنجرة او سكرجة ونحوهما لوعي ما يراد اخذه بها من دبس ونحوه . وفي السريانية ܚܦܦܐ ومعناها الدرهم او الفضة المضروبة عملةً نقداً بوزن معلوم لا تتعداه . ولا يخفى ما بين وزن الدرهم المعيَّن المعلوم المقدار و« الخاف » من التشابه بالمعنى من حيث تحديد الوزن والمعيار .

١٠٥ خوطة — ومنها ان الرجل يبرئ ذاته من قوم او من شيء لا يريده لنفسه بقوله : « انا لست من هذه الخُوطة » وفي السريانية ܚܘܛܐ بترقيق الكاف ولفظها خاء ومعناها الدائرة والكوّة . وقد استعيرت هنا بمعنى الجماعة والعصابة والزمرة فكانه يقول انا لست من هذه العصابة التي تذكرون ولا من الزمرة التي تقولون .

١٠٦ خوطة — ومنها لعبةٌ للاولاد تسمّى « خوطة او خوط » وتقوم بان يرسم الاولاد دائرة متسعة على الارض يجعلون في وسطها « كللهم » او « كعابهم » وهي جمع « كعب » وهو العظم المعروف الذي يخرجونه من ايادي الحيوانات كالغنم والمعز ونحوهما من بين مفاصلها . فالكعب الذي يدفعونه باليد اليمنى يسمّونه « يَمْنَةً » والذي يدفعونه باليد اليسرى يسمونه « يُسْرًا او يَسَرًا » ولم اسمع بجمعه في لغة الاولاد العامية . فيجعلون « الكلل » الموصوفة او « الكعاب » المنعوتة في وسط الدائرة صفًّا مستقيماً ويرمونهُ ويقذفونه بكلل اخرى او كعاب اخرى تكون عادةً من « اليمنات » في ايديهم بعضها مرصّصةً للثقل والتقوية . فمن يخرج « الكلّة » او « الكعب » من تلك الدائرة فهو الرابح . ومن لا يخرجها منها فهو الخاسر .

باب الدال

١٠٧ دبور — الدبُور وهو الزنبور . وفي السريانية ܕܒܘܪܐ . ويكادون لا يعرفونه الّا باسم « الديور »

١٠٨ دجال — الدجّال يعنون به الكذّاب ، والمخادع ، والمحتال ، والمخاتل . خاصّة الطبيب المتطبب ، اي الطبيب الكاذب الذي يدّعي الطبّ والطبابة وهو لم يدرس علومها . وفي السريانية ܕܓܠܐ الكذّاب ، المحتال ، المخاتل ، المخادع . والدجال على الاخص عندهم المسيح الدجّال . والفعل من هذه المادّة دجّل ܕܓܠ كذب ، خادع . فيقولون : « دجّل » فلان على فلان ، اي كذب عليه وخادعه . وهو لازم متصرف .

١٠٩ دحوح — الدُّحوح وهي عندهم كِسَر الفخار خاصةً اخذوها من ܕܚܘܪܐ السريانية ومعناها تراب . ولايخفى ما بينهما من العلاقة في اصل المادّة . ومثل ذلك « الدَّحاحة » فينشد اولادهم للقمر قائلين : « يا قمر يا دحاحة شو نزّلك للساحة » . والواحدة دحّة ج دحوح ودِحاح وهي شقف الفخار

١١٠ دخيا — يسمّون المخاتلة والخداع « دِخيا » وفي السريانية ܕܚܝܐ منها ܕܚܝܘܬܐ النقى ، النقاوة بمعنى صفاء القلب وسلامة الطوية . استعملوها عكس معناها الاصلي . ومثل هذا مستفيض كثير في لغتهم العامية فقد قالوا مثلًا : مجّ الشراب والماء بمعنى جرعه وابتلعه ، وفي الاصل رمى به من فيه وقاءه وقذفه . وقالوا : المريّ بمعنى المليخ التافه الذي لا طعم له . وفي الاصل الهنيّ السائغ . وقالوا : القِلّة بمعنى الفقر وهي في الاصل النهضة من فقر . وقالوا : الشَّفَق بمعنى اول ضياء النهار وبداءة حمرة الشمس في آخر الليل عند الصباح ، وهو في الاصل بقيّة ضوء الشمس وحمرتها في اول الليل . وقالوا :

الجوالة بمعنى نفاية الحنطة ونحوها عند غربلتها وفي الاصل خيار الشيء. وكثير مثل ذلك.

١١١ درخ — درَّخ الدالية ܕܪܟܐ داس ووطىء يكون ذلك اذا طمر في الارض بعض اغصانها، اي طمر زرجونةً منها او اكثر، مخرجاً طرفها من جهة ثانية من الارض، فتكون بمنزلة نصوب جديدة بل افضل. والزرجونة المدفونة على هذا الشكل يسمونها «مَدْرُوخاً» وفصيحه «المَكِيسة» ܡܕܪܘܟܐ المدوس والموطوء. دعي كذلك لدقته وطمره في الارض كما تقدم. وفعل درَّخ متعدٍ متصرف.

١١٢ دردرية — ومن دوائرهم عشبة الدردريَّة ومن يقول «الدندريَّة». وفي السريانية ܕܪܕܪܝܐ وهي العشبة المذكورة، او الماقول باللغة الفصحى.

١١٣ دعر — دَعَرَ فلانٌ فلاناً بالعصا ونحوها. وفي السريانية ܕܥܪ وخز وطعن. وهو متعدٍ متصرف.

١١٤ دغل — دَغَلُ الجرح وفي السريانية ܕܥܠܐ الدنس والقذر. وهم يريدون بالدغل القبح والصديد. ويولدون منه فعلاً فيقولون: دَغَلَ الجرحُ اي قاح. ويقولون: فلان «قلبه دِغِلٌ» او «مُدْغِلٌ» اي حقود. وفصيح «الدَّغَل» بالعربية «الدَّخَلُ»، وهو ما داخل الانسان من فساد في العقل والجسم. وفعل دَغَلَ لازم متصرف.

١١٥ دقدوق — الدَّقْدُوق وهو عندهم صغار دود القزّ. وفي السريانية ܕܩܕܘܩܐ الصغير من الحيوانات كقول الكتاب الكريم ܐܝܟ ܕܩܕܘܩܐ اي اصطادوا لنا الثعالب الصغار. والواحدة دقدوقة ويجمعونها دقدوقات.

١١٦ دقر — ومنها المثل عندهم: إدْقَرْهُ تَعْلَمْهُ من ܕܩܪ طعن ووخز اي: آلمه تعلمه، اذ يظهر بعد ذلك ما يبطنه. وهو متعدٍ متصرف.

١١٧ دكش ــ ومنها دَكَشَ فلانٌ فلاناً بالدِكش اذا نمره بعصا او نحوها . وفي السريانية ܕܟܫ طعن . ومن هذه المادّة « الدِكش » وهو عصا كبيرة ذات رأسين كانهما حربتان ، وقد يكونان من حديد ، لتجمع بها الاشواك وتقذف هي والحطب بها الى داخل الاتون من بابه . وفعل دكش متعدٍ متصرف .

١١٨ دلف ــ دِلف البيت . وفي السريانية ܕܠܦ وكف السقف ، وقطر ، ورشح ، من كثرة الامطار واهمال حدالته كما يجب .

١١٩ دلف ــ ومن هذه المادة الدَلف وفي السريانية ܕܠܦܐ الوكف والرشح . ومن يقطر او ينقط او يرشح الماء من منخريه نقطةً يسمّونه « بو دَلفه » وهي ܕܠܦܐ بمعنى القطرة والنقطة من الماء . وهي في السريانية اسم المرّة من فعل ܕܠܦ المذكور .

١٢٠ دلل ــ دلّل الاغراس والنصوب ونحوها اي غرسها ونصبها بعيدةً من بعضها البعض نوعاً ، اي ابعد بينها اكثر من العادة المألوفة . وفي السريانية ܕܠܠ نقص وقلّل . وهو متعدٍ متصرّف .

١٢١ دليل ــ ومن هذه المادة الدليل اي ما كان من النصوب والاغراس والبذار بعيداً بعضه عن البعض الآخر ومتفرقاً اكثر من العادة المألوفة . وهو في السريانية ܕܠܠܐ المتفرق . ومنه المثل : « الدليل غليل » اي كثير الغلة .

١٢٢ دفراته ــ ومن اشجارهم الدفران . وفي السريانية ܕܦܪܢܐ شجر العَرْعَر . والدفران من طائفة الأرز والصنوبر ، وله حبٌ ينفع لوجع المعدة . ومنهم من يجعل منه شيئاً مع الآنسون (اليانسون) لصنع العرق من العنب .

١٢٣ دمدمانه ــ الدَمدَمان ، وهو في السريانية ܕܡܕܡܢܐ القيح الذي يخرج من الدمّل مخلوطاً بالدم وهذا معنى الدمدمان عندهم .

١٢٤ دمس ــ الدَمس وفي السريانية ܕܡܣܐ المدماك من الحجارة

في البناء ونحوه . . . ويقولون عن كل مساوٍ للآخر في العمر ونحوه : « هذا من دمس ذاك » اي مساوٍ له .

ويولّدون منه فعلًا فيقولون: « ان فلانًا يدمّس على حائط فلان » . وفي السريانية ܕܡܣܡܣ شاد البناء مدماكًا . ويعنون بذلك : ان فلانًا يقول قول فلان ويرتئي رأيه ، ويؤمن على كلامه ، ويوافق حسن اعماله . وهو لازم متصرف .

١٢٥ الدنح — ومن اعيادهم الكنسيّة الدّنح أو الدّنح وفي السريانية ܕܢܚܐ الظهور والاشراق . وهو عندهم عيد او تذكار اعتماد السيد المسيح له المجد من يد يوحنا المعمدان وظهوره للعالم . ولهذا العيد صلاة تقوم مقام الفرض الكنسي مطبوعة في كتاب « الفنقيط الشتوي » . وهذا العيد كان يحتفل به في الجيل الثالث كما جاء في سنكسار الموارنة في ٣١ من شهر اذار .

١٢٦ دندل — ومنها دَنْدَلَ . وفي السريانية ܕܢܕܠ دلّى . ويجدر بنا حبًّا للتفكهة ان نذكر هنا احدى عاداتهم التي يقولون بعد اجرائها : « دندلنا ولدنا » لكي يعيش اخوته الذين يولدون بعده . وفي السريانية ܕܢܕܠܢ اي دلّيناه .

وتفصيل هذه العادة : هو انهم اذا رزق الله احدهم ولدًا ولم يعد يعيش من يولد بعده من اخوته ، يأخذ هذا الولد اهله ويصعدونه الى سطح الكنيسة ، فيحلفه الحاضرون ثلاثًا بمار الياس النبيّ الحيّ على انه لا يأكل من « مقادم » (قوائم) الذبائح ورؤوسها مطبوخة (وهذه الاكلة تعرف عندهم باسم « الفتة » وهي اكلة لذيذة) الى ان يصير اخوه او اخته التي او الذي ولد بعده ، ويُخشى موته ، يقدر ان يذبح « الكرّاز » ، وهو تيس المعز الذي يعلّقون في عنقه جرسًا ليسير امام المعزى .

ثم انهم يخيّرونه ليطلب ما يشاء علاوةً على حقّه من ميراث ابيه فيطلب . لكنّه في الواقع لا يعطونه شيئًا علاوة على ميراثه . وبعدئذٍ يضعونه في سلّ او نحوه ويدلّونه الى الحضيض من خارج الكنيسة ويصعدونه ثلاثًا . وهذا الامر كان من حظّ مؤلف هذا الكتاب .

ومنهم من يتفاءل بالتدلي من احدى جهات الكنيسة ، ومنهم من يتشاءم من التدلي من الجهة الاخرى . وفي بعض انحاء لبنان يدلون الولد من فوهة احدى الابار الناشفة (الناشفة) او غيرها كما هي الحالة في بلاد جبيل . ودندل متعدٍ متصرف .

١٢٧ دنق — دَنِقَ او دنَّق وهو ان يموت الانسان من شدة البرد . وفي السريانية ܕܢܩ تعذب وتألم . فلا عجب والموت دنقاً او دنيقاً مؤلم معذب . ويفهمون ايضاً بمعنى هذا الفعل شدة البرد فيقولون : « اليوم دنيق » اي فيه برد شديد . ويعدون هذا الفعل فيقولون : دنَّقه ܕܢܩ عذب اي جعله يبرد كثيراً . وكلاهما متصرفان .

١٢٨ دوش — ومن العابهم لعبة الدَّوش وهو عندهم حجر مسطح منحنٍ نوعاً يرمي بـه اللاعب فقرةً او خرزةً من سلسلة احد الحيوانات ، او حجراً كروياً صغيراً يوضع على الارض تجاه اللاعب ضمن دائرة ، فاذا اخرجه منها برميته كان الرابح الفائز .

ومن هذه المادة يقولون عن القوي المتقحم انه ياخذ الامور « دوشاً » ، اي جملةً غير عابىء باحد . كل ذلك اخذه من فعل ܕܘܫ داس ووطىء واجتاح . وهذا الفعل متصرف .

١٢٩ ديلات — ومنها يقولون : « خذ ديلاتك واعطني ديلاتي » ومعناها ما يخصني وما يخصك . وهي من السريانية ܕܝܠܬܐ . فكانه يقول : خذ ما لك واعطني ما لي . ومنه المثل عندهم : ܡܢ ܕܝܠܟ ܠܟ اي ما لك تقرب لك . والكلمة والمثل مستعملان عندهم كثيراً . وديلاتي وديلاتك المذكورتان لا مفرد لهما في لغتهم العامية بل في السريانية فقط ܕܝܠܝ كما تقدم في المثل .

باب الرآء

١٣٠ رامو ع — ومن الدوائر السريانية : الرّاموع وهو عندهم كل مطرةٍ تعقب الرعد عادةً في ايام الخريف او الربيع . وهي تصحيف ܪܥܡܐ السريانية ومعناها الرعد او ܪܥܡܐ المرعِد . ولا يخفى ما في ذلك من الارتباط والتقارب لان المطر عادة يعقب الرعد .

١٣١ ربص — رَبَصَ الوحل في اسفل المياه والوعاء . وفي السريانية ܪܒܨ خفض استعملوه بمعنى انخفض ورسب . وهو لازم متصرف .

١٣٢ ربصه — ومنها : رَبَصَهُ في الارض اي وضع يديه على كتفيه ضاغطاً بها الى الارض من ܪܒܨ المذكورة اي خفضه الى الارض ليرطمه بها . وهو متعدٍ متصرف . ومنهم من يقول : ربض او ربز .

١٣٣ ربص الارض — ومنها : ربَّص الارضَ وفي السريانية ܪܒܨ ܐܪܥܐ اي ارسل فيها المياه ليرويها سقياً . والارض التي تُسقى يسمّونها « رُبصاً » ، وفصيحها باللغة العربية « سقيَّة » وهي الارض التي تسقى بالماء سَيحاً . والارض التي لا تشرب يسمونها « بَعلاً » وفصيحها بالعربية « عِذياً » ، وهو من الارض ما سقته السماء مطراً . وربَّص متعدٍ متصرف .

١٣٤ ربويه — الرُّبويَّة وهي شيء من الورم يحدث غالباً تحت الابط ، او في داخل الفخذ للجهة العليا يسبّبها عادةً جرح او بثرة في الرجل . وفي السريانية ܪܒܘܝܐ وهي الربوية المذكورة التي تقدم شرحها . اي ورم او دملة تكون في الحالب .

١٣٥ رجز — الرَّجز او الرَّجز . وفي السريانية ܪܓܙܐ الغضب والسخط . واستعمال هذه الكلمة شائع عندهم حتى في اللغة الكتابية .

١٣٦ الرشتة — الرِّشتة . وهي طبخة معروفة تؤلف من عجين

الدقيق من الحنطة يعجن ويسوّى رقاقاً ويقطّع قطعاً صغيرة . ثم يطبخ ويؤدَم وهو طعام لذيذ مَريء . وفي السريانية ܡܫܚܐ .

١٣٧ رشل — رَشَل الرجل بمعنى استرخى . وفي السريانية ܡܫܠ استرخى وترهّل . وهو لازم متصرف .

١٣٨ رشت — رَشَتَ القابلة الطفلَ ويكون ذلك اذا عرض للطفل مرض بعد ميلاده وخشي من موته قبل عماده الاحتفالي في الكنيسة من يد الكاهن ، فان القابلة « ترشمهُ » اي تعمّده من ܡܫܚ الفعل السرياني ومعناه رسم ، ووسم ، وعمّد . . . ومن حيث ان ܡܫܚ معناها ايضاً عمّد كما رأيت فمن رأينا انه اذا قالت القابلة عندما « ترشم » الطفل : « انا ارشمك باسم الآب والابن والروح القدس » ناويةً بعملها ان تعمل ما تعمله الكنيسة المقدسة ، فيصحُّ العمد . انّما ندع البتَّ بهذا الامر الهامّ لاساتذة اللاهوت . ورشم متعدٍ متصرف .

١٣٩ رض — رضَّ الزيتون وفي السريانية ܪܘܥ و ܪܘܥܐ رضَّ ورضّض . ويكون ذلك بان يرضَّ الزيتون الاخضر نوعاً ثم يملحونه ويصبّون عليه قليلاً من زيت الزيتون ، ويضعونه في الآنية الى ان يطيب ، فيأكلونه . ويقولون : « رضّه » لكمةً . اي لكمه بجمع كفّيه . ورضَّ متعدٍ متصرف .

١٤٠ رغلة — رَغَلَة الطاحون وهي عندهم القناة التي تجري فيها المياه الى الطاحون . وفي السريانية ܪܘܟܐ ترخيم ܪܘܟܬܐ ومعناها ساقية المياه ، غدير ، بُحَيْرة . والمشابهة جليّة ظاهرة وهو من باب تسمية الشيء بما يكون فيه .

١٤١ رط — رطَّ في مشيته وفي السريانية ܪܛܠ اهتزَّ وتقلقل . ومن هذه المادة « الرَّوْط » وهو دون الجاثرة ويكون من الحور او الدلب ونحوها بعد تعريته من الاغصان . وفي السريانية ܪܛܠܐ الغصن الطويل . دعي « روطاً » لاهتزازه وتلويه وارتجافه على كتف حامله او بين يديه . ورطَّ متصرف لازم .

١٤٢ ركش — ركش الارض وفي السريانية ܪܟܫ ركش اي قلب

الارض بالمعول ونحوه لِتَطيبَ للزراعة . و« المركوش » بمعنى المعول من هذه المادة . وركش متعدٍ متصرف .

١٤٣ ركوبه — ومنها يقولون عن الرجل المقلق انه رَوْبه بمعنى مقلق . وهو في السريانية ܪܘܒܐ القلق . فيكون انهم استعملوا المصدر للوصف .

١٤٤ ركخ — ومن كلماتهم العلميَّة : ركَّخ الكلمة اي لفظ بعض حروفها مرقَّقةً . وفي السريانية ܪܟܟ رقق الحرف . اي لفظ الكاف في السريانية خاء ، والـ غيناً ، والتاء ثاء الخ . ولذلك قواعد تذكرها كتب هذه اللغة . وهو متعدٍ متصرف .

١٤٥ تركيخ — ومن هذه المادة : التركيخ وهو ترقيق الحرف باللفظ كما تقدم . وفي السريانية ܬܪܟܝܟܐ الترقيق للحروف عند لفظها . ويقابل « ركَّخ والتركيخ » « قشَّى والتقشي » .

١٤٦ رمادة — الرُّمَّان وهو عندهم الرماد الحارُّ الذي لا يزال فيه شيء من الجمر . وفي السريانية ܪܡܕܐ ترخيم ܪܡܕܐ ومعناها الرماد الحار . وهذه الكلمة مستعملة في بلاد الشوف من لبنان . والعموم في لبنان يعرفونه باسم مَلَال ، وفصيحه « المَلَّة » .

١٤٧ ريح — ريَّح بمعنى اراح وفي السريانية ܪܝܚ اراح . وهو متعدٍ متصرف .

١٤٨ ريح — ريَّح بمعنى شمَّ او استنشق رائحةً فاستدلَّ على مكانه . وهذا يكون في الكلاب خاصةً . وفي السريانية ܪܝܚ شمَّ او استنشق . وهو لازم متصرف .

١٤٩ ريشقريان — ومن كتبهم البيعيَّة الطقسيَّة : « كتاب الرِّيشقريان » وهو في السريانية ܪܝܫ ܩܪܝܢ اي رأس القراآت اي احسنها واجودها لانها منتخبة من الكتاب المقدس وتقرأ في بعض الآحاد والاعياد .

باب الزاي

١٥٠ زاغ ــ زاغ الطفلُ اي ابدى حركاتٍ واصواتاً جواباً على مناغيات والدته له راقصاً مسرورًا صارخاً حبورًا . وفي السريانية ܙܰܥܰܩ صرخ وهتف . وهو لازم متصرف .

١٥١ زبون ــ الزبون وهو عندهم من يشتري احتياجاته من عند احدهم دائماً او غالباً . وفي السريانية ܙܒܘܢܐ المشتري والمبتاع . ويطلق عندهم ايضاً على الصديق .

١٥٢ زبه ــ ومن الدوائر السريانية في اللغة العامية العربية انهم لا يلفظون حرف الزاي العربي الّا « زَيْن » كما هو في السريانية ܙܰܝܢ .

١٥٣ زرق النجم ــ زرق النجم وفي السريانية ܙܪܩ تبدَّد وتبعثر . وبدَّد وبعثر . ويعنون بهذا الفعل سقوط الشهب والنيازك .

١٥٤ زرق ــ ومنها : زرق ريقهُ ، من ܙܪܩ المذكورة . ويريدون لذلك انه جمع شيئاً من ريقهِ جوَّ ثناياه . ثم ضغط هذا الريق بلسانه فاخرجه من الثقوب التي بين هذه الثنايا مبعثرًا .

١٥٥ زرك ــ زرك فلان فلاناً ونحو ذلك بمعنى حشر وزحم اخذوها ܙܪܩ السريانية ومعناها الحشر والزحام . ولعلّها تحريف ܙܥܪ بمعنى التحق وتشبث .

١٥٦ زرك ــ ومن هذه المادَّة الزَّرْك وهو مقدار كبير من الحطب الغليظ يقذفونهُ الى الأتون زيادةً في اضرامهِ .

١٥٧ زعف ــ زَعَفَ بمعنى انتهر . وفي السريانية ܙܥܦ انتهر . وهذه المادة منتشرة في صيدنايا ونواحيها جهة الشام . وهو متعدٍّ متصرف .

١٥٨ زغل ــ الزَّغَلُ بمعنى الغش ، والخبث ، والخَبَثُ . وفي السريانية ܙܰܓܠܳܐ الغش في البيع والاشياء وما شاكل من الموادّ والامور . فيقولون : هذا رجل لا زغل فيه . وامرٌ لا زغل فيه . وفضة لا زغلٍ فيها . اي لا غشّ فيها ، ولا خبث ، ولا مكر . والدرهم « الزَّغل » المغشوش والزائف . ويولّدون من هذه المادّة فعلًا فيقولون : « زغل الفضّة » مثلًا اي غشّها باضافته اليها مادّةً اقل ثمناً منها . ويقولون : « زغل الحنطة » الخ . . . اي جعل فيها شيئاً من الحنطة الرديئة او غيرها مادّة اقل ثمناً من الحنطة . وهو متعدٍ متصرف .

١٥٩ زفر ــ زفَر . وتزفَّر . وفي السريانية ܙܦܰܪ توسّخ ، وزنخ ، ونتن ، وسهك ، بسبب مـا يعلق في اليدين مثلًا او الرعاء من فضلات اللحوم وآثارها .

١٦٠ زفر ــ ومنها : الزَّفَر بمعنى اكل اللحم . « وتزفَّر » بمعنى اكل اللحم في الاصوام والحليب واللبن ونحو ذلك .

١٦١ زفر ــ ومنه : زفَّره ، اي اطعمه لحوماً وبياضاً . ويستعملون « زفَّر » بمعنى « تزفَّر » اي اكل اللحم في الاصوام . وهـذه الافعال كلها متصرفة .

١٦٢ زفت ــ الزِّفتُ وفي السريانية ܙܦܬܳܐ المنخس . ويقولون في جهات الشرف خصوصاً : نخس الثور بالزِّفتْ اي نخسه بالمنخس وهو المنـاس .

١٦٣ زفر ــ ومن دوائرهم : زفر فلان فلاناً . وفي السريانية ܙܦܰܪ نظر اليه شزراً اي بجانب عينهِ مـع إعراض او غضب . وابدال السين زاياً مستفيض وهذا الفعل متعدٍ متصرف .

١٦٤ زفف ــ زفف الحجرَ اي رَفَعَهُ دفعةً واحدة . وفي السريانية ܙܦܰܦ رفع وهذا الفعل متداول خاصةً في قريتي الخنشاره وبتغرين القريبتين من بسكنتا غرباً بجنوب . وهو متصرف .

١٦٥ زلع ــ زَلَعَ الاكل ونحوهُ، وفي السريانية ܙܠܥ بلع، وابتلع، وازدرد، وامتاح الماء، واغترفه، والطعام استرطه. ويقولون في مَن يركبي ويأكل اموال الناس وارزاقهم : انه «زلّاع بلّاع . وَزَيلَع وزيلمي» . وزلع متعدٍ متصرف .

١٦٦ زمور ــ الزُمور وهي قصبة صغيرة كالقلم مثلًا يصنعها الاولاد على طريقة خاصة فيزمّرون بها . وهي في السريانية ܙܡܘܪܐ .

١٦٧ زهرر ــ زَهرَرَتْ العيون اي انها بسبب ضعفٍ فيها تتأثر من التطلّع والتحديق الى الاضواء الساطعة الحادّة النور والبياض كالثلج مثلًا . اخذوها من ܙܗܪܐ في السريانية ومعناها الشعاع . ولا يخفى ما بين المعنيين من الارتباط . وزهرر لازم متصرف .

١٦٨ زوار ــ زوّار حنطة ونحوها. وفي السريانية ܙܘܙܐ ، وهي ملء الكفّ من الحبوب ونحوها ومن السوائل ونحوها . انما هم يقصدون ملْ كفّي المرء، واحياناً كفي الانسان ذاتها مفتوحتين مجموعتين من باب تسمية الشيء باسم ما يكون فيه . فيقولون مثلًا : «اشرب بزوارك» وخذ من هذا الشيء «ملء زوارك». وهذا المعنى يتناوله معنى الاصل السرياني .

١٦٩ زوم ــ الزُوم وفي السريانية ܙܘܡܐ ، ومعناه المرَق فتوسّعوا فيه على كل عصير كعصارة الخضر . ومرق اللحم وما شاكل وفصيح الزوم «التنّغ» . ويقولون مجازًا : هذا الكلام «ليس له زوم» ، اي لا معنى ولا فائدة .

١٧٠ زوم ــ ومن هذه المادة يولّدون فعلًا فيقولون : زوّم الجرح مثلًا ، اي سال صديده ، وزوّم الغصن. اي قطر منه قليل من الماء . وهو لازم متصرف .

١٧١ زيح ــ زيّح القربان والايقونة والولد ونحو ذلك ، اي طاف بها

في البيعة بين الاناشيد والتراتيل الروحية . ويصير ذلك ايضاً على المذبح بدون طواف . وفي السريانية أمسد ، طاف ودار . وهو متعدٍ متصرف .

١٧٢ زباح ــ ومنها الزَّبَّاح وفي السريانية أمسد الطواف بالايقونة ونحوها على الشكل المقدم ذكره . ومجمل القول في هذه المادّة ان عامّتهم لا يعرفون للطواف اسماً غير زبّح وزبّاح .

١٧٣ زبح ــ ومن هذه المادّة : زبّح على الارض اي رسم خطوطاً على الارض او القرطاس غير مستقيمة ــ او مستقيمة احياناً ــ كأن ذلك ، اي غير استقامتها ، يشابه الطواف باستدارتها . والزّبح عندهم خطّ واحد مستقيم يجمع عندهم زبابيح . وزبّح هذا متصرف لازم ومتعدٍ .

١٧٤ زبس ــ زبّق المعكرون . والمعكرون عندهم اكلة حلواء لذيذة تعمل من عجين دقيق الحنطة وتضاف اليها بعض الافاويه مثل اليانسون ، وحب المحلب ، زيادةً في تطييبها . ثم يقطّعون العجين كالبلح مثلًا ، ويُبرزون القطع على غربال الحنطة مثلًا ، لتنتقش ، ثم يطبخونها بالدبس مضافاً اليه شيء من الماء . وبعد نضجها يصبونها في الصحاف ويتركونها فيها الى ان تبرد نوعاً فيأكلونها هنيئاً . وتكون قبل اكلها قد قطر منها وتقطّر شيء من الدبس والماء اللذين طُبخت بهما لكنهما يتقطّران شديدين نوعاً . وهذا ما يسمونه « الزّبق » وهو لذيذ . لعلّها من السريانية أمسد ومعناها المطر الضخم . ويولّدون من هذه المادة فعلًا فيقولون : « زبّق المعكرون » اي قطر « زبقه » وتقطّر .

باب السين

١٧٥ ساروط — ومن هذه الدوائر السريانية السَّارُوط . وهو عندهم الاخدود الذي تحدثه المياه في الارض بجريانها الشديد . وفي السريانية ܣܪܘܛܐ الاخدود . ويجمعونه : سواريط .

١٧٦ سورطت — ومنها يقولون : سَوْرَطِتْ الارض ، اي حدث فيها اخاديد بسبب شدة جريان المياه فيها . وفي السريانية ܣܪܛܐ خدّ . انما استعملوه لازماً كما ترى . وهو متصرف .

١٧٧ ساروقة — السَّارُوقَة وهي عندهم من ادوات النجارة . وفي السريانية ܣܪܘܬܐ المنشار . انما الساروقة ليست بالمنشار بل شبيهة به لانها تمسك من جهة واحدة عند النشر بها .

١٧٨ ساعور — ومن كلماتهم الكنسية انهم في كتاب « الحاش » ، وقد مرَّ ذكره ، يسمُّون المسيح له المجد : « الساعور » الذي افتقد جبلته . و في السريانية ܣܥܘܪܐ الزائر والمفتقد . وقد كانوا يسمُّون خوري الرعية قديماً ساعوراً — وكذا الخوري البديط — لالتزامه بزيارة رعيته وافتقادها وعيادة مرضاها .

١٧٩ ساف — ساف القلب من الجوع . وفي السريانية ܣܦܐ باد وفني . اي ذاب قلبه ، وخار ، وتلف من كثرة الجوع . وهو لازم متصرف .

١٨٠ سبة — السَّبَة وفي السريانية ܫܒܬܐ الاسبوع . وهذه الكلمة متداولة جداً حتى في كتاباتهم .

١٨١ ساوس — سَاوَسَ فلانٌ فلاناً . وفي السريانية ܣܘܣ تملّق ولاطف . وهو متعدٍ متصرف .

١٨٢ سبلة — ومنه سَبَلَة النهر وفي السريانية ܣܒܠܬܐ وسوا مجرى النهر . وهم يريدون اشد نقطة من مجرى النهر في وسطه .

١٨٣ سدان — السِّدّان وفي السريانية ܣܕܢܐ وهو سندان الحدّاد المعروف يطرّق عليه من الحديد بحسبما تقتضي صنعته .

١٨٤ سرد — السَّرْد . وفي السريانية ܣܪܕܐ وهو مثل الغربال غير ان ثقوبه أوسع من ثقوب الغربال فيغربلون به الحمّص وحبّ الصنوبر وما شاكل ويولّدون منه فعلًا فيقولون : سرَدَ الحمص مثلًا ، اي غربلهـا بالسرد ، وهو متعدٍّ متصرف .

١٨٥ سطح — سطح العنب والتين . وهو ان يُنشر العنب في « المسطاح » وان يُشقّق التين ويُعدّ ويبسط على اطباق ونحوها ليجفّ ، وحينئذٍ يسمونه « تين مشرّح » فيؤكل هكذا . او يطبخونه بالدبس او بالسكر ويؤكل . وهو لذيذ جدًّا خصوصاً اذا كان من التين الابيض . وفي السريانية ܣܛܚܐ بالمعنى المذكور . وهو متعدٍّ متصرف .

١٨٦ سطم — سطم فاه وسطم الثقب او الثغرة الصغيرة . وفي السريانية ܣܛܡ كمّ وسدّ . ويقولون : سطم سكّة الفلاحة ، اي اصلحها وسدّ ما فيها من الخلل . ومن هذه المادة « السطامة » وهي خشبة مصنوعة بيد النجار تدخل في عمل الابواب والشبابيك ، وهي معروفة خصوصاً عند النجارين ج سطائم . وسطم متعدٍّ متصرف .

١٨٧ سفار — سفار البيت ܣܦܣܪܐ الشاطئ . والسفار عندهم ما برز ونتأ من الجوائز والعوارض والجذوع « والمطالسين » — سيأتي ذكرها في باب « الميم » — والاخشاب الدقيقة نوعاً عنـد طرف السطح من البيت خصوصاً فوق الجهة التي تكون فيها الابواب والشبابيك صوناً للحائط من الانهيار ومنعاً لدخول المطر من الابواب والشبابيك . دعي « سفارًا » لمشابهته شاطئ النهر وقيامه على طرف سطح البيت . وفي بلاد جبيل والبترون يسمّونه « سفرنيّة ج سفرنيّات » وهذه الصيغة تقرب من صيغة الاسم المصغّر في السريانية . ومن كان منهم غليظ الحواجب كثيفاً شعرها ومسترسلًا فوق العيون يسمونه « ابو سفرنيات » ولا يخفى

الشبه بين استرسال الحواجب وبروز السفار .

١٨٨ سفط ــ سَفَطَ الرجل حقَّهُ ، اي اسقطه . وفي السريانية ܣܦܛ قطع . وهم يريدون اسقط حقَّه وتركه . وهومتعدٍ متصرف .

١٨٩ سفط ــ سفَّط عَمَلَة الكرخانه اي معمل الحرير . وفي السريانية ܣܦܛ قطَّع . وهم يريدون بذلك ان العملة انقطعوا عن العمل في وقت معيَّن وحالٍ معروفة للراحة وغيرها . وقد استعملوا هنا الفعل المتعدي لازماً ولذلك امثلة في لغتهم العامية . وهو متصرف .

١٩٠ سفرق ــ ومن آنية الخمر عندهم السَفْرَقُ . وهو في السريانية ܣܦܪܩܐ اناء من فخار يجعل فيه عادةً الخمر او الخلّ لقضاء الحاجات الموقتة ج سفَارِق . يسع الواحد منها من الرطل الى الرطلين من الخمر .

١٩١ سكر ــ سكَّر الباب . وفي السريانية ܣܟܪ اوصد واغلق وهو متعدٍ متصرف .

١٩٢ سكرة ــ ومنها : سُكَّرة الباب . وفي السريانية ܣܟܪܬܐ قفل الباب . وكانت تعمل من الخشب وهي بمثابة القفل الحديد او الغال في هذه الايام .

١٩٣ سكيكة ــ السُكَيْكَة وهو عندهم الوتد يغرز في الحائط لتعلّق به الامتعة . وفي السريانية ܣܟܝܟܐ الوتد . وترى انهم اجروا تصغيرهُ مجرى تصغير مثله في اللغة العربية . والسُكَيْكُ عندهم الرجل الزري الحقير .

١٩٤ سلاق ــ عيد السلّاق عند النصارى . وهكذا ايضاً يعرفه العرب . وفي السريانية ܣܠܩܐ الصعود والارتفاع . وهو عيد صعود الرب يسوع له المجد الى السماء .

١٩٥ سلح ــ سَلَحَ الثوب من ܣܠܚ بمعنى استرسل وتولّى .. وهو لازم متصرف .

١٩٦ سواغيت ــ السُوَاغِيت وهي اناشيد تتخلّل صلاة الفرض في

المساء والليل والصبح . تنشد بالحان لذيذة يستغرق الذوق في استطابتها والسمع في استماعها حتى الفوا ان ينظموا كثيراً من الشعر العامي على لحنها ووزنها اناشيد وترانيم . ومن الكتبة من يلتزم ان يورد في اول كل من السواغيث حرفاً من الابجدية . وهي في السريانية ܐܒܓܕܐ ومفردها ܐܒܓܕܐ انشودة اناشيد .

١٩٧ سوخيّة — السُّوخيَّة وهي عندهم الغصن اليابس في الشجرة او المقطوع منها العاري من الورق وفي السريانية ܣܘܟܝܐ الغصن . ومن كلامهم بهذا المعنى: « صار فلان يرجف مثل السوخيَّة » اي انه لشدة غضبه صار يرتجف كالغصن اليابس يتلاعب به الهواء .

١٩٨ سيامِيد — ومن كلماتهم البيعية: صلاة السيامِيد . وفي السريانية ܣܝܡܝܕܐ ܨܠܘܬܐ اي صلاة وضع اليد و ܐܝܕܐ مرخمة ܐܝܕܐ كما ترى . دعيت كذلك لان الاسقف يتلوها وهو واضع يده على رأس من يسيمه كاهناً .

١٩٩ سيكونة — السَّيكونة الغصن اليابس في الشجرة او المقطوع منها العاري من الورق . او قسم من الشجر المعروف بالعجرم ، والزعرور ، والقندول . وفي السريانية ܣܝܟܘܢܐ تصغير ܣܝܟܐ الغصن .

٢٠٠ سوم — ومن كلماتهم الطقسيَّة : سوَّم الكلمة وفي السريانية ܣܘܡ او ܣܘܡܐ اي شكَّل الكلمة ، ووضع الحركات على حروفها ، وضبطها بالشكل الكامل او بالشكل الغير الكامل . وهو متعدٍ متصرف .

٢٠١ سوام — ومنها انهم يسمون حركات الكلمة سوَّام او سوَّامات . وفي السريانية ܣܘܡܐ الحركات والعلامات .

٢٠٢ سيمة — ومنها اذا كان لاحدهم رزقٌ او معاش على احد البيوت او من احدى المصالح ثم انقطع عنه هذا الرزق او المعاش فانهم يقولون : انقطعت سيمتهُ . وهي في السريانية ܣܝܡܬܐ ومعناها الذخيرة ، والذخر ، والكنز . ولا يخفى ما بين هذه المعاني والرزق من الارتباط والتقارب .

باب الشين

٢٠٣ شاح — من الدوائر السريانية : شاحت العين ، اي انه بسبب كثرة النظر والتطلّع الى الاشياء مع الانتظار كادت العين ان تذوب . وفي السريانية ܚܫܚ من فعل ܚܫܚ ذاب . ولا يخفى المعنى المراد بذلك . وشاح لازم متصرف .

٢٠٤ شبط — شبّط الحجارة . وفي السريانية ܫܒܛ طرق طرقات عديدة . وذلك اذا سوّى الحجارة بالاداة المعروفة باسم « ترتيك » وهو متعدٍ متصرف .

٢٠٥ شبط — ومنها : شَبَطَ ، مثل المتقدم . ويقولون : « شبطهُ كفًا » وفي السريانية ܫܒܛ اي صفعهُ كفًا . وهو متعدٍ متصرف .

٢٠٦ شبط — ومنهـا : الشَّبْطة والشَّبيطة والشَّبيط وفي السريانية ܫܒܛܐ العصا . وهي عندهم عصا طويلة ضخمة تشبه المتلة . ومن هذه المادّة المَشْبَطة . وهي عندهم المكسحة الكبيرة لكنس الاوساخ . عرفت بهذا الاسم لانه بها تُطرق الاقذار .

٢٠٧ شبق — شَبَقَ المتاع بعيدًا . وفي السريانية ܫܒܩ ترك ، رمى ، اطّرح . وهذا الفعل يستعملونه في كل ما معناه الرمي والاطّراح . فيقولون مثلًا : « شَبَقَ وشبّق الغبار » عن الامتعة ونحوها اي نفضه . و« شبّق اثاث البيت » اي نفّض غبارها بالعصا وبدونها . ويقولون : « شبقه كفًا او شبقه بالكفّ » ، اي صفعه ، « وشبقه في الارض » ، اي رماه . وهو متعدٍ متصرف .

٢٠٨ شابوقة — ومنها : الشّابُوقة وهي عندهم عصا طويلة يضعونها قرب باب البيت داخلًا يطردون بها الدجاج لئلا يدخل جوّا البيت . وفي السريانية ܫܒܘܩܬܐ العصا .

٢٠٩ ܫܒܠ ــ شَبَل الثوب والقماش ، قبل خياطته المحكمة ــ ويسمّون ذلك تسريجاً ــ ويكون بان يعمد الخيّاط بعد تفصيله الثوب الى ربط شققه بخياطة واسعة تكون بمثابة درب او سبيل لخياطته الاخيرة المحكمة المضبوطة . وفي السريانية ܫܒܠܐ بمعنى عمل سبيلاً . فيكون شَبَل الثوب على الطريقة المتقدم وصفها بمثابة سبيل لخياطتها المحكمة . وشبل متعدٍ متصرف .

٢١٠ ܫܒܘܩ ــ الشَّبُوق . وفي السريانة ܫܒܘܩܐ ترخيم ܫܒܘܩܝܐ ، وهو عندهم كل شجرة من السنديان او البلّوط والحور والدلب خاصّةً لم تبلغ من الضخامة مبلغاً كبيراً .

٢١١ ܫܒܝܬܐ ــ ومن كتب صلواتهم : الشبيَّة . وفي السريانية ܫܒܝܬܐ ترخيم ܫܒܝܬܐ ومعناها الاسبوعية . والشبيَّة كتيب يحوي فرض الرهبان الاخوة فيه الصلوات السبع تعاد كل يوم مرةً . وكان كثير من العوام يصلّونها مثل الرهبان . والكلمة منسوبة الى ܫܒܬܐ ترخيم ܫܒܝܬܐ الاسبوع او « السبَّة » . وهذه الكلمة « السبة » سريانية تقدم كلامنا عليها في بابها . وقد شاع هذا الاسم جدًّا حتى انهم صاروا يسمّون كل كتب الصلوات الصغيرة نوعاً شبية ، كما هو معلوم .

٢١٢ ܫܒܫܘܠ ــ شَبْشول الذرة الصفراء ، وشبشول الجوز . وهذا كالزهر من الشجر . والاول معروف يُغلى بالماء ويُحلّى ويشرب منه في الرشوحات . ولعلهم اخذوا كلمته من ܫܒܫܘܠܐ السريانية بمعنى زرجون الكرم . وشبشول الجوز يستعمل في صبغ الصوف بالسواد اي انهم يترّفون به بعد غليانه جيدًا الثوب او القماش الصوف الذي يريدون صبغهُ ليأخذ الصباغ جيدًا . و « ترّف » هذه مأخوذة على ما نظن من ܬܪܘܦܐ ومعناها الصوف الملوّن . و « التّاريف » هو ܬܪܘܦܐ المذكورة وهو عندهم مغلي قشر الرمان وقشر شجر « التِّفت » يوضع فيه ما يراد صبغه من القماش ثم يُغلى ثم ينشّف . ثم يُصبغ .

٢١٣ شَتَل ــ الاغراس والتصوب . وفي السريانية ܫܬܠܐ نصب وغرس . وقد غلب معنى هذا الفعل على غرس صغار الخضر والاشجار . وهو مستعمل كثيرًا في كل البلاد . وهو متعدٍ متصرف .

٢١٤ شَتلة ــ ومنها : الشَتْلَة . وفي السريانية ܫܬܠܬܐ النصبة والغرسة من الشجر والخضر ج شَتْلات وشُتُل ܫܬܠܬܐ نصبات وغرسات .

٢١٥ شَحر ــ ومن الدوائر ان المرأة تدعي على جارتها بقولها : « شَحَرَكِ الله ! » وفي السريانية ܫܚܪ سوَّد . فكانها تقول لها : فجعلكِ الله تعالى بعزيزٍ فتلبسين ثياباً سودًا حدادًا وحزناً عليه . وهو متعدٍ متصرف .

٢١٦ شَحار ــ ومن هذه المادَّة : الشحَّار والشحّار وهو عندهم ما يعلق بالقدر والمداخن وبسقوف البيوت ونحوها من سناج دخان الحطب والفحم . وهو في السريانية ܫܚܪܐ ومعناها سخام ، وفحم . و ܫܚܪܐ ايضاً فحم ، وسواد .

٢١٧ شَحار ــ والارض الرملية الضاربة الى السواد يسمونها : شحَّار . وهي ܫܚܪܐ المذكورة اعلاه .

٢١٨ شَحرة ــ ومن هذه المادة : المَشْحَرَة وهي عندهم الحطب المكدَّس على شكل خاص يشعارنه بطريقة خاصَّة تحوّله الى فحم .

٢١٩ شَحيرة ــ ومن هذه المادة : الشحيرَة . وهي مادَّة تتكوَّن على وجه بعض الاراضي الكبريتيَّة تُستعمل لصبغ الجلود بالسواد والصوف احيانًا . وتقوم نوعاً مقام المادة المعروفة باسم جاز وهو الزاج المعروف .

٢٢٠ شَحط ــ شَحَطَ ، بمعنى طرد . وفي السريانية ܫܚܛ طرد . وهذا الفعل مستعمل كثيرًا . وهو متعدٍ متصرف .

٢٢١ شَحط ــ شحَّط على الكتابة ونحوها اي ضرب على سطور

بجبر فافسدها . وفي السريانية ܫܚܠܠ افسد . وهو متعدٍ متصرف .

٢٢٢ شحل — شحّل الكرم ونحوه . اي اقتضب من اغصانه . وفي السريانية ܫܚܠܠ او ܫܚܠܠ سحل الحديد وبرده . ووجه الشبه ظاهر . وهو متعدٍ متصرف .

٢٢٣ شحلف — ومن كلماتهم البيمّة : شحلف اللحنَ وفي السريانية ܫܚܠܦ غيّر وبدّل . اي انشد الاناشيد بغير لحنها المعتاد . ويكون ذلك عادةً اذ يغيّرون الالحان المفرحة الى الحان محزنة كما يجري عادةً في اسبوع الآلام المقدس . وهو متعدٍ متصرف .

٢٢٤ شحيمة — الشحيمة . وفي السريانية ܫܚܝܡܬܐ ترخيم ܫܚܝܡܬܐ . والشحيم وفي السريانية ܫܚܝܡ ترخيم ܫܚܝܡܐ . ومعنى ذلك البسيط والساذج والغير الاعتيادي . وهو فرض الكهنة الموارنة الاسبوعي دعي كذلك اولاً : لسهولة عبارته في الغالب . ثانياً : تمييزاً له من بقيّة الصلوات التي ليست بالحصر فرضاً ولو وَفّى الكهنة فرضهم بتلاوتها كصلوات التشيشت والفنقيط و الحاش والصيامي الى غير ذلك ممّا تقدّم الكلام فيه .

٢٢٥ شخط — شخطَتْ السكين يدهُ ونحو ذلك . في السريانية ܫܚܛ خزق السهم الجلدَ وتقديم حرف على حرف ، كما تُقدّم هنا الشين على الخاء ، في اللغة العامية مستفيض . ومن هذه المادة المثل عندهم : « الضربة في غيري مثل الخشتْ في التِبن » ومعنى ذلك ان ضربة السهم في غيري هي بالنسبة اليَّ كضربة السهم في عدل التبن . وشخط متعدٍ متصرف .

٢٢٦ شرايا — ومنها انهم يقولون عمّن فتك بغيره فتكاً ذريعاً : « روّحهم شرايا مرايا » اي بدّدهم شذر مذر ، او طرائق حزائق . وفي السريانية ܫܪܝܐ مفردها ܫܪܝܐ المحلول والمفكّك والمخلّع . اما كلمة مرايا فهي متبعة على سبيل الالحاق لا معنى خاصاً لها .

٢٢٧ شربوكة — ومنها قولهم عند تصعّب الامور : هذه شربوكة . وفي

السريانية ܚܘܫܚܐ الاحبولة ، والشرك ، ويعنون بها الامر المضّد والاحبولة احياناً .

٢٢٨ شربك ـ ومنها: شَرْبَك فلان فلاناً اي غالطه بالحساب ونحوه، اي جعل او نصب العراقيل في سبيله الى الامور المعنويّة . وهو متعدٍ متصرف .

٢٢٩ الشربونيّة ـ الشَّرْبونيَّة . وفي السريانية ܚܘܫܚܐ مصغّر ܚܘܫܐ ومعناه الخبر والقصّة والحكاية . وهم يريدون بها الخبر الصغير التافه الذي ليس تحته كبير امر ، او ليس هو بذي بال .

٢٣٠ شرش ـ ومنها : الشِّرْش ج شروش . وفي السريانية ܫܪܫܐ ج ܫܪܫܐ وهي في عرفهم عروق الشجر . وبعضهم يقول : شِلْش . ج شلوش باللام عوض الراء كما تقدم . ويفهمون بالشروش او بالشلوش عروق الجسم وشرايينه وأوردته .

٢٣١ شرش ـ شرَّشت الشجرة . وفي السريانية ܫܪܫܐ تأصل الشجر وضربت عروقه في الارض . ومنهم من يقول : شلَّشت باللام عوض الراء ، وهي عندهم في الراء غالبة في الاولاد . وهو لازم متصرف .

٢٣٢ شرش ـ ومنها : شرَّش الارض اي اقتلع منها الاصول الغريبة مثل الثيل المعروف بالانجيل ، وبعضهم يقول « فيل » ، وبعضهم « تين » ، بالفاء بدل الثاء او النون بدل اللام . وهو النجم والنجيل وعرق الانجيل . وفي السريانية ܫܪܫܐ استاصل . واقتلع . وهو متعدٍ متصرف .

٢٣٣ شرطوحة ـ الشَّرْطوحَة . وفي السريانية ܫܪܛܘܚܐ ومعناها : بقيَّة ، فَضْلَة . وهي عندهم الحذاء او المداس الضيق جدًّا لكثرة ما لبسه الانسان فكانه فضلة وبقية من ذلك الحذاء .

٢٣٤ شركل ـ شَرْكَلَ الجداء . وفي السريانية ܫܪܟܠ بالجيم المصرية . ومعناه ربط . وذلك اذا ربط راعي الماعز رجلَ كلّ من الجداء

بخيط من شعر عادةً الى وتدٍ يرزُه في ارض زريبة الماعز حتى اذا جاءت أُمه من المرعى تجده في محلّه فتعرفه من بين سائر الجداء فترضعه . والّا اذا جاءت ولم يكن ثابتاً في محله بل مختلطاً بباقي الجداء فلا تعرفه . فَتُبَوْغِضُ اي تصير تبغضه واذا جاء اليها يتحكك بها تنطحه بعيدًا ولا ترضعه ابدًا . وهذا من الامور التي يضحك خُبْرُها وعيانها اكثر من خَبَرِها وبيانها . وشركل متعدٍ متصرف .

٢٣٥ شركل ــ ومنها يقولون : « تَشَرْكَلَ الحيوان والانسان . وتشركلت الخيوط » من ܐܫܟܠܠ تمرقل . اذا نشب الحيوان في مثل احبولةٍ او في مثل الحبال . وكذا الانسان . واذا اختبط ايضاً وتمرقل بمسائل ادبيّة . واذا تداخلت الخيوط بعضها في بعض . وهو لازم مطاوع متصرف .

٢٣٦ شرنق ــ الشَّرْنقة ، وهي عندهم البيت الذي تحيكه لنفسها دودة الحرير ونحوها ج شرانق وشرنقات . وهي في السريانية ܫܪܢܩܐ الشُرُف والفيالج وهي الشرانق المعروفة .

٢٣٧ شرنق ــ ويولدون منها فعلًا فيقولون: شرنقت دودة الحرير ، اي حاكت بيتها او شرنقتها . وهو لازم متصرف .

ويكنُّون بالشرنقة عن كيس يتكوّن فيه قيح ومديد داخل بثرةٍ ، او دمّل يخرج في الجسم فتصلّب مِدّته وقيحه فيشقّون الدمل ويخرجون الشرنقة منه . ويكنون بها ايضاً عن رأس البرّيمة وهي للقدح او المثقب . ولا يخفى ما في ذلك من التشابه بين رأس البرّيمة والشرنقة .

٢٣٨ شرى ــ شَرَى القزَّ ، وهي دود الحرير وذلك بان يطعمها أُكَيْلَةً عند انتصاف النهار . وفي السريانية ܐܫܟܠܐ مطاوع ܫܟܠ غذّى تغذّى . والاسم من هذه المادّة تشراية وهي مصحّف ܡܫܟܠܐ ومعناها الغذاء . وشرّى متعدٍ متصرف .

٢٣٩ شط ــ شَطَّ وَلَطَّ . لَطَّ سيأتي الكلام عنها في بابها . امّا شَطَّ فهي من ܫܛܐ السريانية ومعناها احتقر واهان . ويقولون : « فلان يأكل

الشطّة واللطّة » ساكتاً ، وهما ܚܠܛܐ و ܚܠܛܬܐ ، اي يحتمل الاحتقار والمسبّة ساكتاً لصغر نفسه . وكلا الفعلان متعديان متصرفان .

٢٤٠ ܫܛܚ — شطّحهُ على الارض ، بمعنى سطّحه . وفي السريانية ܫܛܚ سطّح . ويستعملون : شطح وشطّح بمعنى زلق من وحلٍ ونحوهِ . وهو متعدٍ متصرف .

٢٤١ ܫܛܝܚ — ومن امتعتهم الشطيح وهو اديم من جلد يضعون عليه العجين لتقطيعه قطعاً للخبز . وهو ܫܛܝܚܐ بمعنى المسطّح ، والمنبسط ، والمفروش ، والممدود .

٢٤٢ ܫܛܚܬܐ — الشَّطْحَة بمعنى السَّفرة . وفي السريانية ܫܛܝܚܐ المسافة . ولا يخفى ما في ذلك من تقارب المعاني .

٢٤٣ ܫܛܝܚ — ومن هذه المادة : مِشطاح الخبز ، وهو ما كان بين الرغيف المرقوق والطُّلمة مع عدم الاستدارة بل له شكل يقرب من الشكل البيضويّ او الشكل البطّيّ . وفي السريانية ܫܛܝܚܐ ساحة وَرَحْبَة . ولا يخفى ما في ذلك من التشابه .

٢٤٤ ܫܛܦ — شطَف الحَطَبَ . وفي السريانية ܫܛܦ فلق وفلّق وشقق الحطب . وهو متعدٍ متصرف .

٢٤٥ ܫܛܦ — شقف وشقّف الرغيف والحجر وما شاكل . وفي السريانية ܫܛܦ كسّر . وهو متعدٍ متصرف .

٢٤٦ ܫܛܝܦ — ومنها : الشَّقيف . وهو عندهم الصخر الكبير الجلمد . وفي السريانية ܫܛܝܦܐ الجلمد والصخر ، يجمعونه شِقَفان .

٢٤٧ ܫܛܘܦ — ومن ذلك : الشاقوف ، وهو عند البنّائين مطرقة كبيرة من الحديد يشقفون به الحجارة ويسوّونها . وهو ܫܛܘܦܐ اسم الفاعل من ܫܛܦ المذكورة اعلاه . وفصيحه في اللغة العربية المِلطاس او المِلطَس .

٢٤٨ ثقل ــ ثقل الاشياء ، بمعنى رفعها . وفي السريانية ܬܩܠ رفع . وهذا الفعل كثير الاستعمال بفروعه .

٢٤٩ ثاقول ــ ومن هذه المادّة : الثَّاقُول ، وفي السريانية ܬܩܘܠܐ الرافع . وهو عندهم عتلة غليظة يزحزحون بها الحجارة الكبيرة ويرفعونها عن مواضعها .

٢٥٠ ثقله ــ ومن هذه المادة ايضاً : الثَّقْلَة . وهي قدر ما يرفعه الانسان عن الارض من الاثقال .

٢٥١ ثقلب ــ ثَقْلَب الامتعة ونحوها وفي السريانية ܬܩܠܒ قلّب . وهم يريدون قلّب الاشياء بلا نظام . وهو متعدٍ متصرف .

٢٥٢ ثلح ــ ثلح المتاع بعيداً . وفي السريانية ܬܠܚ ومضارعه ܢܬܠܚ رمى بالشيء بعيداً . وهو متعدٍ متصرف .

٢٥٣ ثلح ــ ومنها : ثلح ثيابه . وفي السريانية ܬܠܚ ومضارعه ܢܬܠܚ تعرّى وغير ثيابه . ويقولون : ثلح الطائر ريشه اي سقط . وهو متعدٍ متصرف .

٢٥٤ ثلح ــ ومنها : ثَلَح الناسَ على الطريق ، اي سلبهم مالهم وثيابهم وامتعتهم قهراً كما يعمل قطّاعو الطرق . وهو من ܬܠܚ عرّاه ونزع عنه ثيابهُ . وهو متعدٍ متصرف .

٢٥٥ ثلح ــ ومن هذه المادّة اغنيةٌ يغنّونها لمن يدخل الرهبانية ولا يثبت فيها بل يخرج منها . فمتى بلغ وطنه عائداً منها يجتمع اترابه حوله ينشدون هاجين : « دُرْ دَلَحْ يَا دُرْ دَلَحْ فــلان كان راهب وثَلَحْ » اخذوا ذلك من ܬܠܚ المتقدمة اي نزع عنه ثوب الرهبانية بعد ان كان اتشح به مدةً .

٢٥٦ ثلع ــ ثَلَعَ الصخرَ والقصنَ بمعنى قطع واقتلع . وفي السريانية

ܫܠܦܐ استأصل واقتلع . وهو متعدٍ متصرف . ومنها « الشَلْفة » من الغنم ونحو ذلك .

٢٥٧ ܫܠܦ ــ شَلَفَ الشابُّ الابنة ليتزوجها . وفي السريانية ܫܠܦ خطف ونتش . ويقولون : شلف الشيء بمعنى خطفه واختطفه ، ورمـاه بعيداً . ويقولون : شلف تربةً عنه بمعنى دفعه بعيداً . و هو متعدٍ متصرف .

٢٥٨ ܫܠܦܐ ــ ومنها الشَلْفة وفي السريانية ܫܠܦܐ وهي عندهم كل عصا ضخمة في رأسها حربة . او كلّ قضيب من الحديد محدَّد الرأس . امّا معناها في السريانية فهو الفأس الصغيرة ، الحربة ، السهم ، النصـل . ولا يخفى التشابه بين هذه الاشياء . وقد يكون من هذا المعنى اخذوا اسم الشَلْفُون للشاب اليـافع الجريء . او للشُبَيْب النشيط . وهي ܫܠܦܘܢܐ مصغَّر ܫܠܦܐ المذكورة بحسب قواعد التصغير في اللغة السريانية .

٢٥٩ ܫܠܗܒ ــ شَلْهَبَ . ومعناه تحرَّق من كثرة الحرّ والشوب ، وشدّة العطش ، ونحو ذلك . اخذوها من ܫܠܗܒܬܐ مطاوع ܫܠܗܒ تحرَّق وشوَّب . وهو لازم متصرف .

٢٦٠ ܫܠܗܘܒܐ ــ ومنها : الشَلْهُوبَة ، وهي عندهم الريح الشرقية الحارَّة اللافحة وفي السريانية ܫܠܗܘܒܬܐ اللهبة والضرم والحرارة . وهي تضرُّ جدًّا بدودة الحرير والزروع الصيفيَّة كالحنطة والخضر ونحوها اذا لم يُحتط لها ما يدرأ بوائقها ولوافحها .

٢٦١ ܫܡܫܐ ــ الشمّاس . وهو في الاصل يختصّ بمن يرقى درجة الرسائلي او وظيفة الانجيلي عند النصارى . واليوم يطلقونه توسُّعاً على كل من يخدم القداس الالهي . وفي السريانية ܫܡܫܐ و ܡܫܡܫܢܐ بعد تعديلها ومعناهما الخادم . واسم الشمّاس يطلق الآن من باب التوسّع على من يتشح لباس الكهنوت ناوياً ان يصير كاهناً ولو لم يصر لسببٍ من الاسباب .

٢٦٢ شمس ــ ويولدون من ذلك فعلاً فيقولون : «شمّس له» اي خدم الكاهنَ في اقامته القداس . وفي السريانية ܫܡܫ خدم . وهو لازم متصرّف .

٢٦٣ شمامة ــ شمّامة السراج وهي عندهم فتيلة السراج . ولعلها السريانية ܫܡܡܐ وهو وسخ السراج ، وعكر الزيت . دعوها كذلك لما تحدثه هذه الفتيلة من الوسخ بسبب وضعها في الزيت واشعالها به وقتاً طويلاً فتحدث هذا الوسخ . او هي ܫܡܡܐ بالمعنى نفسه .

٢٦٤ شمر ــ ومنها يقولون عمّن عافت نفسه الطعام خصوصاً لعدم جودته : شِمِرتْ نفسه منه . وفي السريانية ܫܡܪ ارسل ، ونبذ ، وانف ، وعافت نفسه كذا . ويقولون : «شمرت نفسه من فلان» اي انف ان يتعاطى معه لسوء اخلاقه . وهو لازم متصرف .

٢٦٥ شمّار ــ شجر الشِمّار وفي السريانية ܫܡܡܪܐ الساج وهو شجر عظيم صَلب الخشب .

٢٦٦ شمط ــ النصبة من مكانها ونحو ذلك كالاذن ونحوها . وفي السريانية ܫܡܛ اقتلع . وهذا الفعل مستعمل جدًّا . وهو متعدٍّ متصرف .

٢٦٧ شموط ــ شمّوط الذرة ، ويعرف بالعرنوس ، وهو ثمر نبات الذرة المعلوم . وشمّوط الصوف ، وهو كبّة من الصوف المغزول تكون بشكل البصلة . وفي السريانية ܫܡܘܛܐ سنبلة الذرة . اي عرنونها المعروف .

٢٦٨ شندوفة ــ الشَندوفة وهي عندهم مثل الشرفة والجرف . وفي السريانية ܫܢܕܘܦܐ وقلب الجيم شيئاً موجود في اللغة العامية كقولهم مدرج في مدرش ، ومدارج في مدارش . وكقولهم شاويش في جاويش ، وشاويشيّة في جاويشيّة . ويولدون من ذلك فعلاً فيقولون : شَنْدَفَهُ اي رماه بعيدًا ، وخصوصاً رماه من علٍ . وهو متعدٍّ متصرف .

٢٦٩ شوار — الشوار وهو كل مطلّ او حافّةٍ خاصةً تكون مقامةً في الارض شبه حائط يصون التراب من التسرّب والانهيار . وفي السريانية ܫܘܪܐ الشور . ولا يخفى ما بين الحائط المذكور والسور من التشابه . ويقابل الشوارَ عندهم اللزقة .

٢٧٠ شور — ويولّدون من ذلك فعلًا فيقولون : شوّر الفلّاح او الفدان ، اي مال ليفلح الشوار المذكور . وهو متعدٍ متصرف .

٢٧١ شورة — والشُّورة من هذه المادة وهي عندهم حائط للارض اوطأ من الشوار المذكور .

٢٧٢ شوب — الشَّوب بمعنى الحرّ . وفي السريانية ܫܘܒܐ الحرُّ ضدّ ܩܪܝܪܘܬܐ البرد والقرّ .

٢٧٣ شوب — ومن ذلك : شوَّب الطقس والمرا . وفي السريانية ܫܘܒ اشتدَّ الحرُّ . وهو لازم متصرف .

٢٧٤ شوبرا — الشُّوبِرا كلمة مستعملة في حلب ، وفي بعض جهات كسروان ولاسيما مزرعة كفرديان ، ويعنون بها الذهاب للتنزّه والاكل وارتشاف المدام في بيت احدهم . وفي السريانية ܫܘܒܪܐ ومعناها الافتخار والتعظّم . فيكون ذلك عندهم كناية عمّا يبدونه عندئذٍ من الافتخار والتعظم بسبب رشفهم المدام . والكلمة كناية عن القصف او المقصف .

٢٧٥ شوتف — تشوتف معه بالعمل وفي السريانية ܫܘܬܦܐ شارك واشترك معه في العمل خصوصاً في عمل الخير . وهو لازم متصرف . وهذا الفعل لا يزال مستعملًا كثيرًا بين المسيحيين خصوصاً السريان الموارنة .

٢٧٦ شوتف — ومنه عندهم : الشَّوتَفة . وفي السريانية ܫܘܬܦܘܬܐ ومعناها الشركة والاشتراك والمشاركة . والى الآن لا يزال كثير من كهنة الموارنة يقولون في تقدمة القداس الالهي : « واذكر اللهم كلَّ من له معي تعب وشوتفة »

اي شركة . وكذلك اذا فرضوا على الشعب صلاة ما يقولون لهم : « صلوا كذا على نية كذا ولكل من له تعب وشوتفة في هذه الكنيسة المباركة » .

٢٧٧ شوتف — والفعل المتعدّي شَوْتَف اي شرك . وفي السريانية ܫܘܬܦܗ شرك فلان فلاناً معه بفعل الخير خاصةً . الخلاصة هذا الفعل مستعمل كثيرًا كما تقدم حتى ان شَوْتَفَ ، وتشوتف ، والشوتفة لا تزال مطبوعة في بعض كتبهم البيعية .

٢٧٨ شومر — شَوْمَرَ السراجُ الحائط وفي السريانية ܫܘܡܪܐ سوَّد السراج الحائط بدخانهِ وسناجهِ . وهو متعدٍّ متصرف .

٢٧٩ شومار — ومنه : الشُّومار ܫܘܡܪܐ مصدر ܫܘܡܪܐ المذكورة . او هي ܫܘܡܪܐ الدخان ، والسناج ، ونواس الدخان ، وهو ما تدلّى منه من السقف بعد ان علق به . وبعضهم يعرفون الشومار باسم غنج او شِخْتار (راجع هذه الكلمة في بابها) . وكل ذلك كناية عن النواس المذكور . و « الغنج » الذي يستخرجونه من دخان البخور المشعَل يعملون منه كحلًا للعيون بطريقة معلومة عندهم .

٢٨٠ شيب — شِيب الطاحون وفي السريانية ܫܝܒܐ وهو حيث تنصبّ المياه بقوّة على فراش الطاحون فتدير الرحى .

باب الصاد

٢٨١ صلفة — الصَلفة . وهي عندهم فلقة صغيرة من جسم الشجرة . وفي السريانيَّة ܨܠܦܬܐ الفلقة والشظيَّة

٢٨٢ صلفنة — ومنها : الصَلفنة . وهي بمعنى الكلمة المتقدمة . وفي السريانية ܨܠܦܘܢܬܐ مصغَّر ܨܠܦܬܐ المذكورة . ويولدون من ذلك فعلًا فيقولون : صَلفَنَ الشجرة ، اي قطع منها بعض فلقات وهنات يابسة . وهو متعدٍ متصرف .

٢٨٣ صلب — صَلَبَ الحجرَ ونحوهُ . وفي السريانية ܨܠܒ رفع . ومعناه عندهم رفع الحجرَ ونحوه بيدهِ الواحدة او بيديه الاثنتين الى ما فوق راسهِ . والصَلبَة عندهم هو الحجرُ ونحوهُ يتبارى الشبان في صلبها تمرُّناً وارتياضاً على رفع الاثقال وتعرف ايضاً عندهم باسم القيْنة ويدعوها الكتاب المقدس « حجرَ الامتحان » لان الشبان يمتحنون به قدرتهم الى اي حدٍ تصل من رفع الاثقال . وصلب متصرف متعدٍ .

٢٨٤ صمد — صَمَدَ العروسَ . وفي السريانية ܨܡܕ ܠܥܪܘܣܐ زيَّنت الماشطة العروس واجلستها على مرتبة عالية ، واخذت هي ورفيقاتها يغنّينها وينشدنها المدائح .

٢٨٥ صمد — ومن هذا المعنى : صمد الصورة ، والايقونة ، وذخائر القديسين ، اي جعلها على المذبح معدَّةً للتكريم او للزياح (راجع كلمة زيَّاح) . وكلاهما متعديان متصرفان .

٢٨٦ صمد — ومنها : صمد القربان المقدس ، بمعنى ما تقدم . ويريدون بذلك ايضاً ذخر القربان واذخره باكرام وحرص . من ܨܡܕ المذكورة بمعنى ذخر الشيء واذَّخرهُ .

٢٨٧ صمد ــ ومن هذا المعنى صمّد الدراهم خاصّةً . وفي السريانية ܨܡܕ اذّخر المال ونحوه مقتصداً به ليوم الحاجة او تلبية لداعي الطمع والحرص. وكلا الفعلين متعديان متصرفان .

٢٨٨ صلي ــ صِلي البُسَين للفأرة ، او صلي عليها . وفي السريانية ܨܠܐ رصد ، وراقب ، ورقب . وهو لازم متصرف .

٢٨٩ صلاحيّة ــ الصلاحيّة . وفي السريانية ܨܠܚܝܬܐ الصراحيّة . وهي صحن كبير من فخّار يصبّون فيه عادةً الطعام الرخو .

٢٩٠ صلوب ــ الصلُوب . وفي السريانية ܨܠܘܒܐ . وهو مزمار صغير من القصب يستعمله اولادهم ، ويسمّى ايضاً زَمُورًا ج زمامير ، وزمّيرات (راجع كلمة زمور) .

٢٩١ صور ــ صَوَّر فلان فلاناً بصوته ، اي انه بكثرة صياحه وغنائه جعل اذنَيْ صاحبه تطنّان وتدويان . اخذوا هذا الفعل من ܨܘܪܐ طنين الاذن ودويّها .

٢٩٢ صوي ــ ومنها صِوِيْ الولد ، وكذا الطائر المدعو « بو صُوَيْ الحيّات » بمعنى صرخ بصوت رفيع حادّ . وفي السريانية ܨܘܝ صأى الفَرْخُ .

ومن هذه المادة : صُوصُ الدجاج والحجل دعي كذلك لصُيْتِهِ . وفصيحه القُوب . ويطلقون كلمة صُوص على الطفل الصغير . وجمع الصوص صِيصان . ومن هذه المادّة صوص البـاب وهو هنة من الحديد زائدة تكون في اسفل احدى زاويتي الباب السفليين يدور عليها عند فتحه واغلاقه . وهي النجران من الباب . وصوصى وصُوصي لازمان متصرفان .

٢٩٣ صيار ــ صِيَار الباب . وفي السريانية ܨܝܐܪܐ شقّ الباب اي الصِيْرُ . ويريدون به ايضاً النجران وهي الخشبة التي فيها رجل الباب .

باب الطاء

٢٩٤ طارة — طارة الغربال ، وطار الدفّ . وهو في السريانية ܛܪܐ الإطار يكون من خشب .

٢٩٥ طرف — طرّف الطحين ونحوه بالماء . وفي السريانية ܛܪܦ خبط ، خفق ، خضخض ، مخض ، صفق . وهو متعدٍّ متصرف .

٢٩٦ طزّ — طزّ . اي ذهب الى هنا وهناك بحركة شديدة بدون لزوم كافٍ لذلك . وفي السريانية ܛܙܐ نطّ ، وذهب .

٢٩٧ ططر — الطَّطْرُ . وهو عندهم ما يرسب ويلتصق من عصارة العنب وعكر الخمر في الزواق ، والجرن ، والخابية ، والزقاق من الثمالة و « الوحل » وهو في السريانية ܛܛܪܐ المثالة . وفيهم من يسمّي ذلك طَرْطيرًا متى تحجر في الاوعية المذكورة وعلى حيطانها ، فيأخذون منه اذ ذاك ويستعملونه في صبغ الصوف الابيض احمر بالدودة المعروفة عندهم وبعض اجزاء غيرها .

٢٩٨ طاف — طاف على وجه المياه . وفي السريانية ܛܦ عام وطفا . وهو لازم متصرف . ومنها في العراق الطوف . ومن المادة نفسها : طوّف ، بمعنى عوّم . وفي السريانية ܛܥܢ عوّم وهو متعدٍّ متصرف .

٢٩٩ طوافة — ومن هذه المادة ايضاً : طوّافة القنديل . وهي هَنَةٌ رقيقة من خشب مثقوبة في وسطها يجعلون فيها فتيلةً دقيقة . ثم توضع الطوّافة في وعاء زجاج مملوء زيتاً فوق شكل مثلث الزوايا محدَّدها في رؤوسها ثلاث هنوات من الفلّين تعوم الطوّافة بواسطتها على سطحها . ثم تشعل للاستضاءة بها . اخذت من ܛܦ المذكورة كانها اسم فاعل اي عائمة .

٣٠٠ طبيت — الطَّبيت من آنية المذبح والتقديس . وهو قطعة

من الخشب الصلب او من الرخام يكون طولها عادةً اربعين سنتيمترًا بعرض خمسة وعشرين سنتيمترًا يكرّسها الاسقف او المأذون بذلك منه بالزيت المقدس (الميرون) . يوضع في تصف طاولة المذبح الامامية لتوضع عليه الكأس والصينية اللتين تقدس فيهما اسرار الخلاص الكريمة . وهو في السريانية ܡܕܒܚܐ.

٣٠١ طربون — الطَّرْبُون . وهو عندهم الغصن الواحد من التوتة ونحوها . وفي السريانية ܛܪܒܘܢܐ الغصن. وابدال الفاء باء كثيرٌ عندهم فقالوا: شرشف وشرشب. ويريدون عادةً بالطربون الغصن او القضيب المورق من الشجرة كقضيب التوتة ونحوه . او القضيب اليابس منها ايضاً . ومنهم من يقول فيه طَرْبين ج طَرَابين .

٣٠٢ طرش — طرشه بالماء من ܛܪܫ رشَّ ونضح . ومنه : طرش البيت بماء الكلس ونحوه . والكلس المذاب بالماء لهذه الغاية يسمّونه « طَرْشًا ». وطرش متعدٍ متصرف .

٣٠٣ طرطش — ومنها : طَرْطَشَ ثيابه وحلًا ونحوه . وفي السريانية ܛܪܛܫ لطَّخ ولوَّث . وهو متعدٍ متصرف .

٣٠٤ طرطع — طَرْطَعَ عَقْلُ فلان اي اختبل واختلَّ . اخذوها من ܛܪܛܥ اختلط الماء واختبط عند انحداره . والمختل العقل قليلًا يسمّونه : « طَرْطُوع » . وطرطع لازم متصرف .

٣٠٥ طرطق — اي اكثر من الكلام . او ضرب كثيرًا على لوح من الخشب او التنك . اخذوا ذلك من كلمة ܛܪܛܩ السريانية ، وهي خشبة تعلّق في كور الطاحون فتهزه عند دوران الرحى فتسقط الحنطة من ثقب في اسفل الكور . وطرطق متعدٍ ولازم متصرف.

٣٠٦ طيس — ومنها انهم يقولون عن الرجل الشديد العماء انه : اعمى طَيِّسٌ . وفي السريانية ܛܝܣܐ المصفّح يريدون بذلك ان اجفان عينيه اطبقت بعضها على بعض حتى اصبحت كصفحات فوق حدقتيه .

٣٠٧ طفطف ــ طَفطَفَ السراج . وفي السريانية ܛܦܛܦ ܢܘܪܐ ضيَّف السراج واوشك ان ينطفئ .

٣٠٨ طفطف ــ ومنها : طفطف الثوبُ والغطاء ونحوهما . من ܛܦܛܦ المذكورة ومعناها ضيَّف وارخى سدوله واسترسل وتدلَّت اطرافه . وهو لازم . ويمدُّونه فيقولون : طفطفه ، اي ارسل اطرافه ودلَّاها . وهو متصرف .

٣٠٩ طكس ــ ومنها : الطِّكسُ . وهو كتيب يكتبون فيه بعض صلوات فرضية كصلوات السادسة والتاسعة من فرض الكهنة الاسبوعي وبعض جنازات وصلوات مقتطفة ياخذونه في اسفارهم لخفة حمله . وهو في السريانية ܛܟܣܐ النظام والرتبة .

٣١٠ طمّش ــ طمَّش بمعنى غطَّى . وفي السريانية ܛܡܫ واراه في المياه ونحوها . ويقولون كذلك : طمس وطمّس في المياه اي غطس غطّس . وهو متعدٍ متصرف .

٣١١ طمّش ــ ومن طمّش اخذوا اللعبة المعروفة بالطَّمَّيش . وتقوم بان يغطّي الاولاد عيني احدهم ثم يدعوه واحدٌ منهم مغيّرًا صوته . فان عرف المدعوُّ الداعيَ التزم هذا ان يقوم مقامه في هذه اللعبة فيغطّي . وهلم جرًّا

٣١٢ طمس ــ طَمَس الشيء بالوحل ونحوه من ܛܡܫ وسَّخ ويريدون به لوَّث ولطَّخ . وهو متعدٍ متصرف .

٣١٣ طمّوسة ــ الطلموسة . وهي عندهم الطلمة الفرنية ، الكماجة الصغيرة . وهي في السريانية ܛܡܘܣܬܐ مصغَّر ܛܡܘܣܬܐ او ܛܡܘܣܬܐ بحسب قواعد التصغير في اللغة السريانية ج طَمُوسات وطلاميس .

٣١٤ طنف ــ طنَّف نفسهُ على كذا بمعنى دنَّأها . وعندنا ان هذه الكلمة من فعل ܛܢܦ السرياني ، ومعناه وسَّخ ودنَّس . اي انه يوسخ نفسه بتدنّيها الى نوال شيء تافه لا يستأهل التدني اليه ، ويوسخها بما هو خسيس .

٣١٥ طوايَة ــ الطوَايَةُ . وهي من آنية الطبخ عندهم اخذوها من فعل ܛܘܐ السرياني ومعناه : شوى اللحم ، وقلاه ، ونحو ذلك . وفصيحها في العربية المِقْلاة .

٣١٦ طوف ــ طوَّف الارض بالماء . وفي السريانية ܛܘܦܐ غمر الماء الارض. ويكون ذلك اذا ارسل الانهار الماء في الارض ليروِيها سقياً سَيْحاً. وهو متعدٍ متصرف

٣١٧ طيز ــ الطِّيز للأست . وفي السريانية ܛܝܙܐ الاست من الانسان والحيوان . ويكاد عامتهم لا يعرفون اسماً للاست إلّا الطيز . ويولّدون منه فعلًا فيقولون : طيّز فلان لفلان ، اي ادار له طيزهُ ، وولّاه قفاه غير مبالٍ به .

باب العين

٣١٨ **عابور** — ومن الدوائر السريانية العصفور المعروف باسم العابور . وفي السريانية ܥܒܘܪܐ العابر والمجتاز . دعي كذلك لانه بعد مجيئه الى لبنان من جزائر البحر المتوسط ، غالباً عن طريق قبرس ، واقامته فيه مدة ، يتابع سيره عابراً لبنان مجتازاً سورية الى العراق حيث يعشش ويفرخ . فيبادر الناس الى اقتناصه[1] .

---

١) وقد ادرج السيد خليل ملاط في جريدة « البيرق » ، مقالاً ممتعاً عن هذا العصفور العابور رأينا ان نثبت بعضه هنا لما فيه من الافادة والذكرى في مستقبل الايام . اما من حيث ان الكاتب يجهل اللغة السريانية ، على ما نظن ، كتب اسم هذا العصفور العَبور . وحقه ان يكتب العابور كما تقدم . وهذا كلامه :

العصفور العبور مجتمع عصافير صغيرة غالباً بحجم الحسّون وتكبر وتصغر قليلاً عنه . وهي ، وان تكن متقاربة الشكل ، فانها تختلف بالوان ريشها ويتضارب هذا اللون في ريش رؤوسها . فمنه ما هو اسود وتسميه العامة « خوري » . ومنه ما هو اصفر قاتم ويسمى « شهاباً » . ومنه ما هو رمادي اللون ويسمى « كحلونية » . ومن هذا ما هو ذو منقار طويل ويدعى « آكلة الدود » وسمي هكذا لانه يحوم على الحصاص وينقات بأكل دود القزّ .

يظهر هذا العصفور في سواحل بيروت في اواسط شهر نيسان آتياً من جزائر البحر المتوسط غالباً عن طريق قبرص ، فيغشى هذه السواحل وينتشر فيها انتشار الجراد زاحفاً الى الامام . وبعد ان يقطع السهول ينتحي ناحية الوديان فيمرّ بها بكثرة عظيمة ويظنّ متابعاً سيره الى ان يجتاز اراضي جبل لبنان وسورية ، ويصل الى العراق حيث يعشش ويفرّخ . وهناك يلقى حتفه بمبادرة الناس الى اقتناصه ولهم منه مغنم كبير .

يستمر عبور هذا العصفور في سواحلنا مدة شهر واحد تبتدئ من ١٥ نيسان وتنتهي في ١٥ ايار . ولذلك سمته العامة العصفور العابور ومن وسط ايار فصاعداً ينتهي عبوره وتختفي جيوشه الجرّارة ، ولا يبقى منها الا فرق قليلة تستوطن الساحل حيث تتنات باغاره الى آخر فصل الخريف فيتفلّص ظلها وتختفي باختفاء ثمر التين .

تقول عن خبرة حسية ان العصفور العبور يغشى الساحل في اوانه ويأكل كل ما هو اخضر من ثمر ونبات وازهار . ومنه ما يسطو على دود القز فيحدث فيه نقصاً كبيراً وبعد ان يكون اتلف ما اتلف واضر ما اضر في منطقة لبنان ، وتملّف وتسمّن من اثمارها

٣١٩ عابوره — ومنها يقولون : « هذه المسئلة عابوره او عابورا » دلالةً على انهم لا يكترثون لها لانها تزول سريعاً . وفي السريانية ܥܒܘܪܐ او ܥܒܘܪܐ العابر ، والعابرة . اي ان هذا الامر او هذا الهمّ عابر لا ثبات له .

٣٢٠ عافوق — ومنها النبات المضرّ ببعض المزروعات المعروف باسم عافوق . وهو نبات او عشبة تنبت على اصول المزدرعات الصيفية خصوصاً البندوره ، والباذنجان ، والبطاطا ، والدخان ، فتلتف على اصولها حتى تكاد تتلفها وتفتك بها فتكاً ذريعاً . ومنهم من يسمي العافوق « جعنير » او « جعفيل » . وبزره ينتقل الى الاراضي مع سماد المعزى كما يقول الفلّاحون .

ويستأصل بنزعه من جذوره قبل ان ينمو ويكبر ويبزّر . او بان يُرش المحلّ الموبوء به بمزيج من سولفات الحديد بنسبة ثلاث كيلوغرامات لكل مئة ليتر ماء . وقد جرّبوا زرع الحمّص ما بين المزدرعات التي تُعرفق فنمت نبات العافوق معها . وكذلك اذا زرعت بينها اللوبياء والذرة الصفراء .

ومزروعاتها ينتهي الى العراق ويكفر عن ذنوبه بان يقدم نفسه مأكلاً لذيذاً لسكانها فيمسخ بنا وجسم المثل الشائع : « النذر للدير والنقوط على سمعان . »

يقول المخبرون المتابعون قنص هذا العصفور منذ نيف وخمسين عاماً انه يتغذى بالاثمار والنبات الاخضر والازهار ، فيأكل المشمش ، والاكيدنيا ، والتين ، والفرصاد ، وسائر الاثمار بحيث تشاهد الشرة الناضجة منها مجوفة لم يبق منها غير قشرها ويطير على الازهار بجميع انواعها خصوصاً زهر الليمون ويهجم على المزروعات . وكثيراً ما يضطر الفلاحون الى تجديد زراعتهم مثنى وثلاثاً . ويؤكد المخبرون ايضاً ان هذا العصفور لا يلتقط الهوام والحشرات ، ولطالما فحصت حواصله فلم يُرَ فيها شيء من ذلك خلافاً للروار مثلاً ، فانه عند تشريحه يظهر في حاصلته انواع الهوام فضلاً عن انه يشاهد وهو طائر يتطاول بعنقه يمنة ويسرة لالتقاط انواع البرغش الطائرة في الهواء .

ويستثنى منه العصفور المسمى آكلة الدود فانه يشاهد دائماً مرفرفاً على الخماص ملتقطاً منها دود القز بجرأة زائدة واقد كان القزازون دفاعاً عن قزهم ، ينصبون له قضبان الدبق في الاشجار المجاورة وعلى حيطان الخماص لالتقاطه والنجاة من ضرره . (انتهى)

وكلمة العافوق في السريانية ܥܦܘܩܐ ومعناها المحتضن والمعتنق والملتف دعي كذلك لالتفافه على اصول المزدرعات حتى يكاد يتلفها .

وقد رأيت انهم يولدون منه فعلاً فيقولون : « عَوْفَقت الزَّرِيعة » اي نبت فيها العافوق . وهذا الفعل لازم متصرف

٣٢١ عالول — عالول الطاحون . وهو عتلة يجعلون في رأسها مثل كرة بيضوية من الخشب تجعل في كوّة محقن الطاحون لضبط المياه فيه جيداً ، ولتعديل خروجها من هذه الكوّة احياناً بقدر يدير الرحى . وهو في السريانية ܥܠܘܠܐ ومعناه الداخل دعي كذلك لدخوله في الكوّة المذكورة .

٣٢٢ عبي — عبّى النصوب والاغراس عند غرسها اي قرّب بعضها من بعض . وفي السريانية ܥܒܐ كثّف ، لزّ . ومن هذه المادة : العبيّ من النصوب وفي السريانية ܥܒܝܐ الكثيف وهو الجثل والجثيل من الشجر . وهم يريدون بالعبيّ المتلازّ المتقارب من النصوب والشجر والاسم من هذه المادة العبّاوة وفي السريانية ܥܒܝܘܬܐ او ܥܒܝܘܬܐ الكثافة . ويفهمون ايضاً بكلمة عبّى ملأ فيقولون عبّى العدل تبناً اي ملأه . ونحو ذلك . وهذه المادة بفروعها متداولة جداً في لبنان وسورية . وفعل عبّى متعدٍ متصرف .

٣٢٣ عتيد — العتيد بمعنى الآتي والمزمع والمستقبل . وفي السريانية ܥܬܝܕܐ بالمعنى المتقدم . والى اليوم يقولون في قانون الايمان : « ونترجّى قيامة الموتى والحياة الجديدة في الدهر العتيد » . اي في الدهر الآتي .

٣٢٤ عجر — ومنها انهم يذمّون الرجل الفظّ الاخلاق بقولهم عنه انه أعجر . وفي السريانية ܥܓܪܐ الشرس الطباع والشكس الاخلاق .

والاعجر ايضاً عندهم الفجّ من الفواكه اي الغير الناضج . ولا يخفى ما بين عدم نُضج الثمار وعدم نضج الاخلاق من المشابهة .

٣٢٥ عجور — ومنها نوع من الفاكهة يسمّونه عجُور وهو عندهم البطيخ الاصفر قبل نضجه . وفي السريانية ܥܓܘܪܐ بمعنى ܥܬܝܕܐ المتقدم

مع ما يراد به .

٣٢٦ عدان — العِدَّان . وهو عندهم بياض النهار او سواد الليل . فيقولون : الارض الفلانية لها عدَّان من المياه الفلانية او عدَّانان . وهو في السريانية ܥܕܢܐ ومعناه الوقت والزمان . انما هم قصروا مدلوله على بياض النهار أو سواد الليل كما تقدم . ويجمعونه عَدَادين ܥܕܢܝܢ ومثناه ܥܕܢܝܢ عدَّانان .

ويريدون بالعدَّان حالة الجو اي ما يطرأ عليه من التغيير فيقولون : « اليوم العدَّان مليح » ، اي ان الطقس جيّد .

ويريدون ايضاً به الوقت المناسب والموافق للعمل فيقولون : « العدان اليوم مليح للزرع وللنصب وللدراسة » وهلم جرًّا اي مناسب موافق لذلك . وطقس ملائم .

ولا يغرب عن الاديب انه لا نصيب للمثنّى ولا للتثنية في السريانية من اصل الاوضاع الّا لكلمة عدان ܥܕܢܐ المتقدم ذكرها ، فاذا اريد تثنيتها قيل ܥܕܢܝܢ عدانان اي زمنان . ولكلمة ܫܢܬܐ سنة ، ܫܢܬܝܢ سنتان . ولكلمة ܡܨܪܝܡ مصر العليا ومصر السفلى . ܬܪܬܝܢ اثنان . ܬܪܬܝܢ اثنتان وكلمة ܟܝܠܐ كيلة ܟܝܠܝܢ كيلتان .

قلت : ومن رأيي العاجز ان يتّفق أئمة هذه اللغة ان تثنّى الاسماء الصرفة دفعاً للالتباس على صيغة لتثنيتها ولا بأس ان تكون نفس الصيغة المثنّاة بها الاسماء المتقدم ذكرها فيقال مثلاً : ܡܨܪܝܢ بين النهرين ، ܟܬܒܝܢ كتابان ، ܡܠܟܝܢ ملكان . ولا اقلّ من ان يجروا هذه التثنية على ما كان من الاعضاء مزدوجاً طبعاً مثل : ܐܕܢܝܢ اذنان ، ܪܓܠܝܢ رجلان ، ܐܝܕܝܢ يدان . فلعل ذلك لا يخلو من فائدة وسعة في اللغة .

٣٢٧ عراب — العرّاب . وهو في السريانية ܥܪܒܐ كفيل الولد عند تنصيره « عماده » ، وهو الذي يتقبله من حوض العماد .

٣٢٨ عرابة — والعرّابة ܥܪܒܬܐ الكفيلة . وهي المرأة التي تقبل الولد من حوض العماد .

٣٢٩ عرب — ويولّدون من ذلك فعلًا فيقولون : « عرَّبهُ » اي كان عرّاباً له . وهو متعدٍ متصرف .

٣٣٠ عريط — ومن اشجارهم : العَرِيط وهو شجر الغَرَب في اللغة العربية واسمه في علم النبات populus canescens من نوع salicinée وقد يصلح ثمره او بالحري زهره حشواً للفرش والمخدات والوسادات لانه يشبه القطن نوعاً . وهو في السريانية ܥܪܒܐ غرَب والواحدة ܥܪܒܬܐ غربة ، او صفصافة . لان شجر الغَرَب هو نوع من شجر الصفصاف .

٣٣١ عرم — عرّم التراب والحطب ونحوهما وفي السريانية ܥܪܡ كوّم وكدس . وعرّم المكيال ملأه الى فوق حتى لم يعد يسع . وهو متعدٍ متصرف .

٣٣٢ عرنّ — ويقولون : فلان نفسه عَرِنَة . وفي السريانية ܥܪܢܐ ترخيم ܥܪܢܬܐ ، اي نفسه قاسية واخلاقه جاسية عاتية . اي انه متكبّر .

٣٣٣ عسب — ومنها عسَّب الزرعَ بمعنى اقتلع منه الاعشاب الغريبة عنه . ولّدوا هذا الفعل من ܥܣܥܐ السريانية بمعنى العشب وهو متعدٍ متصرف .

٣٣٤ عصّ — عصَّ ، بمعنى ضغط . وفي السريانية ܥܨܨ بفتح الادغام والتشديد ضغط ، وحشر ، وزرك . وهو متعدٍ متصرف .

٣٣٥ عفّر — عفَّر الكرم ، اي طلب ما تبقّى فيه بعد قطافه . وفي السريانية ܥܦܪ ماش الكرمَ اي طلب باقي قطوفه . وكل شيء من الاثمار والمواسم كموسم الحرير يطلبون باقي قطوفه يقولون : « عفَّرهُ » . وهو متعدٍ متصرف .

٣٣٦ عفارة — ومن هذه المادة ، العفارة . وفي السريانية ܥܦܪܬܐ الخصاصة وهي ما يبقى في الكرم بعد قطافه . وكذا من باقي الاثمار والمواسم كما تقدم اعلاه .

٣٣٧ عكوب — العكوب نبات يؤكل نيئاً ، ويطبخ باللحم ودونه ، وبالبيض ويسونه مفركة ، ويعمل منه ومن الحنطة الطبخة المعروفة بالهريسة وكل هذه المآكل لذيذة . ينبت في الجبال العالية وقليلاً في السواحل . وهو في السريانية ܥܟܘܒܐ .

٣٣٨ عكش — عكش الثور فلاناً . وفي السريانية ܥܟܫ نطح . وقرن الثور يسمونه « عِكْشاً » اخذوه من ܥܟܫ المذكور وهو شائع بين الدروز ، فلا يقولون : قرن بل عكش . وعكش متعدٍ متصرف .

٣٣٩ عقار — ومنها المثل عندهم : عقّار المحشي متوّم والعقّار في السريانية ܥܩܪܐ ومعناها الاصل والجرثومة . انما هم يريدون بها العاقبة اي عكس معناها تقريباً . ومثل هذا مستفيض في كلام العامة .

والمحشي عندهم اكلة لذيذة يأخذون لها ورق الملفوف ونحوه . ويقطعونه قطعاً صغيرة نحو راحة الكف بعد سلقه نوعاً . ثم يضعون في هذه القطع شيئاً من الارز واللحم المفروم المصلح بالافاويه والتوابل ويلفّون الورق على ذلك . ثم يطبخونه فيكون اكلة لذيذة . وبعدئذٍ يأخذون اضلاع ورق الملفوف فيسلقونها ويصلحونها بالتوابل والافاويه خصوصاً التوم . لذلك دعوا هذه الاكلة متوّم اي اكلة متوّمة .

وعقّار الامر عندهم عاقبته ، كما تقدم ، فيقولون مثلاً اذا طلع لاحدهم دمّل : ان « عقّاره مليح » ، اي ان عاقبته تكون حسنة فتصح العافية بما يقرف من هذا الدمّل من القيح والصديد والدمدمان (راجع ما كتبناه عن الدمدمان في عدد ١٢٣) .

٣٤٠ عقوص — عقوص الدبور (الزنبور) والنحلة ، والعقرب ، وما شاكلها وفي السريانية ܥܩܘܨܐ إبرة الزنبور والنحلة التي يلسعان بها . وشذام العقرب وزباناها وهو ما تضرب به من طرف ذنبها .

٣٤١ عضض ــ ومنها : عَضَّهُ الزنبور والنحلة والعقرب وما شاكلها . وهي من ܥܘܥܥܐ المذكورة اعلاه .

٣٤٢ عمد ــ عَمَدَ وعمَّد الكاهن الطفلَ وفي السريانية ܥܡܕ و ܐܬܥܡܕ اي غسله وغطَّسه بالماء كما يفعل الكاهن بالطفل عندما ينصّره . وهذا الفعل بكل مشتقاته شائع جدًّا . حتى انهم لا يعرفون لكلمة نصَّر الطفل غير عمّد المذكورة .

٣٤٣ عماد ــ ومنها : العماد وهو تنصير الطفل وفي السريانية ܥܡܕܐ التغطيس كما ذكر .

٣٤٤ معمودية ــ ومنها المعمودية . وفي السريانية ܡܥܡܕܘܬܐ التنصير . ومنها : المعمدان لقب يوحنا بن زكريا . وفعل عمَّد متعدٍ متصرف .

٣٤٥ عزقة ــ العَزْقة . وهي عندهم حلقة من حديد توضع في مؤخر برك الفدّان (راجع عدد ٣٢) وقايةً له من التشقّق والانكسار . وهي في السريانية ܥܙܩܐ الخاتم . ووجه الشبه بيّن ظاهر .

٣٤٦ عمص ــ ويقولون دعاء على احدهم : العَمَص . وفي السريانية ܥܡܨܐ ، وهو مرض تتقرّح منه حماليق العيون .

٣٤٧ عمص ــ ومنه : عمَصَتْ عيونُهُ . اي اصابها العمص المتقدم شرحه . وهو لازم متصرف .

٣٤٨ عور ــ العُور وهو عندهم الدقيق جدًّا من التبن وفي السريانية ܥܘܪܐ القُصافة والهباء وغفى البيدر . ويراد به احيانًا الروث الناعم . ويستعملون العور مخلوطًا مع الدلتان اي الصلصال لتطيين اراضي بيوتهم وحيطانها .

٣٤٩ عوعى ــ عَوْعَى الطفلُ . وفي السريانية ܥܘܥܝ اذا صرخ الطفل واستهلّ بالبكاء مصوّتًا : « وَعْ . وَعْ » .

فخت . وهم يريدون فتح في الارض حفرةً . وهو متعدٍ متصرف .

٣٥٩ فخّ — ومن هذه المادّة الفِخّة . وفي السريانية ܦܚܬܐ الفختة ، اي الحفرة . ولفظها ولفظ ما تقدم بالحاء المهملة دارج كثيرًا في بلاد جبيل والبترون والجبّة من جبل لبنان .

٣٦٠ فرتك — فَرْتَكَ بمعنى بتك ، وكسّر ، وخلّع . وفي السريانية ܦܪܬܟ حطّم وكسّر وخلّع . وهو متعدٍ متصرف .

٣٦١ فرج — فرّج فلانٌ فلانًا على الشيء ، وفرّجه الشيء اي اراه اياه . وعندنا ان هذا الفعل وفروعه مأخوذ من فعل ܦܪܚ السرياني بمعنى ألهاه به . وتفرّج الانسان على كذا من ܐܬܦܪܚ تلهّى بالشيء ، وبالامر متطلّعًا عليه .

٣٦٢ فرفوط — فَرْفُوطَةُ الخبز ج فرافيط وفي السريانية ܦܪܦܘܛܐ فتات الخبز وكسره . ويولّدون منه فعلًا فيقولون : فَرْفَطَ الخبز ، اي فتّه وكسّره ؛ والثمر فرطه وما الى هذا المعنى . وهو متعدٍ متصرف .

٣٦٣ فرس — فَرَسَ الحائط . وفي السريانية ܦܪܫ بمعنى مدّ وبسط . ويقصدون بذلك ان البناء جعل فيه نتوءًا الى الخارج . وهو متعدٍ متصرف .

٣٦٤ فرسة — الفِرْسَة . وفي السريانية ܦܪܣܐ و ܦܪܣܬܐ بمعنى الملحفة وما شاكل من القماش . وبعضهم يصف البسكنتاويين بيائعي الفِرْسَة لانهم كانوا يحملون الى البلاد اللبنانية ما كانوا يحيكونه في بسكنتا وطنهم من الاقمشة ثم يصبغونها في مصابغ وطنهم ويبيعونها من اهالي البلاد من اقصى لبنان الى ادناه وخصوصًا البقاع كما هو معروف عنهم الى زمان قريب . وقد كانت بلدتهم قديمًا تحوي مئتي نول لحياكة الاقمشة ونيفًا وثلاثين مصبغة لصبغها .

٣٦٥ فرط — فَرَطَ الثمرَ ونحوه . وفي السريانية ܦܪܛ نثر واسقط . وهو متعدٍ متصرف .

٣٦٦ فاروط ــ ومن هذه المادة : الفَارُوط . وفي السريانية ܦܪܘܛܐ اسم الفاعل من ܦܪܛ المذكورة ومعناها الناثر ، والمُنقِط . والفاروط عندهم مختصّ بمن ينثر ويقطف رؤوس ثمر الصنوبر . والآلة التي يقطف بها هذا الثمر يسمّونها الفارُوطة . وهي ܦܪܘܛܬܐ مؤنث ܦܪܘܛܐ المذكورة . وهي عندهم شَبْطةٌ رقيقة او عصا طويلة عقفاء الرأس . او انهم يجعلون في رأسها حديدة عقفاء ينثرون بها اثمار الصنوبر التي لا تطالها اليد .

٣٦٧ فرطش ــ فَرْطَشَ مناخيره ويحدث هذا اذا كبا الانسان على وجهه عاثرًا فاندقّ منخراه بالارض فتفرطشا او فطسا . اي تطأمنت قصبة انفه فصار افطس بسبب الصدمة . اخذوها من ܦܛܝܣܐ ومعناها فِطِّيسة الخنزير وفنطيسته . والشبه بينهما ظاهر . وهو ، اي فرطش ، متعدٍ متصرف .

٣٦٨ برطاش ــ وعندنا ان بِرْطاش الباب وهو أُسكُفّته التي يوطأ عليها ، هو ܦܛܝܣܐ المذكورة ووجه الشبه ظاهر بين .

٣٦٩ برطوشة ــ ومن هذه المادة : البَرْطُوشَة وهي الحذاء العتيق . دعي كذلك بسبب ما يصير اليه اخيرًا لكثرة الاستعمال .

٣٧٠ فركش ــ فَرْكَشَ فلان فلانًا . وفي السريانية ܦܪܟܫ شبك وازلق . ويكون ذلك اذا وضع الواحد رجله بين رجلَي من يغالبه فاوقعه . وهو متعدٍ متصرف .

٣٧١ فرم ــ فَرَم اللحم والتبغ وما شاكل . وفي السريانية ܦܪܡ هَبَرَ ، وقطّع . ومنهم من يقول : « هرم » وهو متعدٍ متصرف .

٣٧٢ فسق ــ ومنها يقولون عن الرجل الداهية : انه فَسَقَ الحِزْب الفلاني . اي انه بدهائه اوقع بين افراده الخلاف ورمى القلق حتى انفكّوا بعضهم عن بعض وفكّك اوصال حزبهم . وفي السريانية ܦܣܩ قطع ، وفصم . وهو متعدٍ متصرف .

٣٧٣ فَقَبْ — الفِسْتِيَّة . وهي عندهم اللفافة والقماط يدرَّج بها الطفل وهي في السريانية ܦܫܬܐ القماط ، والتسيمة .

٣٧٤ فَشَحْ — الراهب والمبتدئ من الرهبانية . اي تركاها . ويقولون فشَّح الرئيس الراهب او المبتدئ من الرهبانية اي طردها منها وقطعها من جسمها . وفي السريانية ܦܫܚ وܦܫܚ قطع . فكانهم يقولون ذلك عن الراهب او المبتدئ لتركها ثوب الرهبانية وانقطاعها او قطعها منها . ويعنون بذلك ايضاً خروج كل اكليريكي عن طريقته . وترك المؤمن دينه ذاهباً وراء شهواته ورغائبه . وفشح وفشَّح كلاهما متصرفان .

٣٧٥ فَشَخْ — فَشَخ اي خطا خطوات واسعة عند مشيه وسيره . وفي السريانية ܦܫܚ تفجّج اي فرّج بين رجليه عند مشيه . وهو لازم متصرف .

٣٧٦ فَشَخْ — ومن هذا الفعل ايضاً الفعل الثلاثي المتعدي فَشَخَ بمعنى خطا .

٣٧٧ فَشَخْ — ومن عاداتهم الخرافية المضحكة انهم اذا أحبُّوا ان يقتعدوا « قِرْقة » ، وهي الرَّنقاء ، فقبل ان يفعلوا ذلك يأتون بثابٍ « فيفشخ » ماراً فوقها . أَوْ يمرُّها بين رجليه . لانهم يعتقدون انهم اذا لم يفعلوا ذلك ومرَّ خيال امرأةٍ على الرنقاء والبيض الذي يحملونه تحتها في سلٍّ عادةً « يُتَوْدِر » اي يعذر البيض ولا تعود الرنقاء « تَنْقه » او لا يعود البيض « يتفقَّس » عن الفراخ اي ينفلق عنه لانها تكون قد ماتت بسبب مرور خيال المرأة عليها وعلى الرنقاء . وهذا الامر يسمّونه « كَبْسَة » فيقولون : كبست المرأة القرقة ، اي الرنقاء .

٣٧٨ فَشَرْ — ومنها ان الذي يكذب كذباتٍ كبيرة يسمّونه : فَشَّارًا . وفي السريانية ܦܫܪܐ الهزّاء والمهذار .

٣٧٩ فَشَرْ — والفعل من ذلك : فَشَرَ ، اي كذب كذبات

كبيرة . ويعدّونه فيقولون : فَشَره اي كذّبه . وكلاهما متصرفان .

٣٨٠ فشط — فشَط او بشَط على الارض وفي السريانية ܦܫܛ ܐܦܫܛ تبسّط وانبسط وتسطّح . وهو لازم متصرف .

٣٨١ فشكل — فَشْكَلَ الامتعة اي جعلها بدون ترتيب وقلّبها وجعل الامور معقّدة . وفي السريانية ܦܫܩܠ فتل ، وعوّج ، وهو متعدٍ متصرّف .

٣٨٢ فغر — ومنها اذا صاح احدهم بالآخر مزدجرًا اياه يقولون عنه : فَغَرَهُ من ܦܬܚ ܦܘܡܗ فغر فمه عند صياحه ونحو ذلك . ولا بدع فان من « يفغر » الآخر لا بدّ له من ان يفغر فمهُ ويفتحه . وفغر متعدٍ متصرف .

٣٨٣ فقع — فَقَع الحجرُ ونحوه اي انشقّ وتشقّق . وفي السريانية ܦܩܥ انشقّ وتشقق وهو كثير الاستعمال جدًّا . ويقولون : فقع المرء من الحزن ، بمعنى انه مات او كاد ينشقّ . وهو استعارة جميلة . ويقولون : فقّعهُ اي انه عمل امورًا تنكيه حتى كاد يفقع او ينشقّ . وهذه الافعال متصرفة . ويقولون : فقع المدفع ونحوه ، اي دوّى طلقه . ولا يخفى ما بين ذلك وبين صوت تشقق الصخور من الشبه .

٣٨٤ فقق — فَقَقَ بمعنى ثرثر . وفي السريانية ܦܩܩ ثرثر واكثر من الكلام بدون لزوم . وهو لازم متصرف .

٣٨٥ فقق — فَقْقَت القِدر من ܦܩܩ المذكورة اذا صاتت عند غليانها كأنها تقول : « فِقْ فِقْ » . وهو لازم متصرف .

٣٨٦ فلج — فلَج الحطبَ ونحوهُ . وفي السريانية ܦܠܓ شقّق . وهو متعدٍ متصرف .

٣٨٧ فلش — فلش الامتعة ونحوها . وفي السريانية ܦܠܫ فتّش

وقلّب الاشياء ليرى ما فيها من سائر جهاتها . وبعض يقولون : « فلفش » وكلاهما متعديان متصرفان .

٣٨٨ فلفوت — الفِلفُوت . كلمة كنسية لا تزال دارجةً في حلب في كنيستها المارونية هي عندهم نصف كتاب « الحاش » وقد مرَّ ذكره في بابه . وفي السريانية ܦܠܦܘܬܐ او ܦܠܦܘܬܐ وممناها النصف . وهم يريدون بها كل نصف من هذا الكتاب الذي يكون عادةً مخطوطاً شطرين : في الواحد مخطوط ما يتلوه مَن يكونون مع رئيس الخوروس من الكهنة والشمامسة والعوام ، وفي الثاني مكتوب ما يتلوه من يكونون على الجهة الثانية من الخوروس ، على « قرّاية » الشمامسة كما يعرف ذلك من له المام به .

٣٨٩ فلفل — ومنها يدعو احدهم على الاخر بقوله : « الدم يُفلفِلك » . وفي السريانية ܦܠܦܠ لوَّث ومرَّغ ، وضرَّج . فكأنه يقول له : قتلك الله وضرَّجك بدمك . وهو متعدٍ متصرف .

٣٩٠ فنقيط — ومن كتبهم الطقسية الفرضية الكنسية كتاب الفِنقيط او الفنقيث مراعاة لاصلها السرياني ܦܢܩܝܬܐ وممناها المجلد والكتاب .

والفنقيط : مجلدان ضخمان يدعى احدهما الشتويَّ لاحتوائه على صلوات اعياد تقع في فصل الشتاء . وقد طبع هذا المجلد في رومية العظمى سنة ١٦٥٦ . والثاني يسمّى الصيفيَّ لاحتوائه على صلوات الاعياد التي تقع في الصيف . وقد طبع هذا المجلد الثاني في رومية العظمى ايضاً سنة ١٦٦٥ وكل من هذه المجلدين يحوي ١٤ صلاة .

٣٩١ فوكر — فَوْكَرَ الشبّاك ونحوه من المنجور . وفي السريانية ܦܘܩܪ ربط وأوصَدَ .

٣٩٢ فاكورة — ومنها الآلة التي يفوكر بها الشباك وهي الفاكُورَة . بالسريانية ܦܘܩܪܐ اسم الفاعل من ܦܘܩܪ المذكورة وممناها الرابط والموصِد .

والفاكورة عندهم هنة من الخشب بشكل اللوزة ، او بشكل اللوزتين مقرون عقباهما بعضهما الى بعض يغرز في وسطها مسمار يُرَزُّ في محل مخصوص من الشباك ... فيوصد بها . وفوكر متعدٍ متصرف .

٣٩٣ فوطيل — الفُوطِيل وهو عندهم قرن الثور العتيق ونحوه الفارغ يتخذونه فيجعلون فيه شيئاً من القطران يدونون منه قليلًا في الماء ترغيباً للمعزى في اكثار الشرب منه فتشرب بشهوة . وهو في السريانية ܩܘܛܪܢܐ ترخيم ܩܘܛܪܢܐ ومعناها : قار ، زفت ، قطران ، والقرن المذكور . او هو من باب تسمية الشيء بما يكون او يوضع فيه . وهذه الكلمة مستعملة خصوصاً في بلاد جبيل والبترون من لبنان .

باب القاف

٣٩٤ قادوس — القادوس او القادوسة . وهو وعاء من فخار بيضويّ الشكل تقريباً يستعملونه عادةً لوعي اللبن والحليب ونحوهما ، ويتعالجون به في بعض امراض المعدة بطريقة مضحكة . وهو في السريانية ܩܕܘܣܐ ومعناها طاجن . ربما دعي كذلك لبعض الشبه بينهما .

٣٩٥ قارُوس — القارُوس ، او القارس ، او القاروسة . وفي السريانية ܩܪܘܣܐ وهي عتلة غليظة يستعان بها في اقتلاع الحجارة والصخور العظيمة ، وعلى رفع الرحى من محله « لنقشه » . وتستعمل مثل « المُخل » ويولّدون من ذلك فعلًا فيقولون : قَوْرَسَهُ اي رفعه بالقاروسة ، وهو متصرف .

٣٩٦ قاوَى — قاوَى الشيء كثيرًا ، اي ثبت واستمرّ . وفي السريانية ܩܘܐ ثبت واستمرّ . ويعنون به ان الشيء من الجنس الحسن ، كالفاكهة الفلانية ، مثلًا فتقوى على عوامل الفساد وتثبت كثيرًا على سلامتها وهو لازم متصرف .

٣٩٧ قايس — قَايَس البيت اي سقفهُ بالجذوع والاخشاب . وفي السريانية ܩܝܣ سقف البيت بالاخشاب . وهو متعدٍ متصرف .

٣٩٨ قياس — القياس . وهو مجموع الاخشاب من جوائز وجذوع التي يعملون منها سقف البيت . وفي السريانية ܩܝܣܐ الخشب .

٣٩٩ قبار — القبّار . وهو كالعفّيق يحمل ثمرًا يشبه الزيتون يجعلونه في الخلّ مدة الى ان يطيب فيأكلونه . وهو في السريانية ܩܒܪܐ ترخيم ܩܒܪܐ القبّار . وابدال الفاء باء مستفاض كقولهم : شرشب في شرشف .

٤٠٠ فبط ــ قبط الولد وغيره ، بمعنى جفل من صوت او أمر فاجأه. وفي السريانية ܦܒܛ جفل مرتاعاً . وهو لازم متصرف .

٤٠١ فبط ــ ومنها قبَط وفي السريانية ܦܒܛ اجفل،انتفض مرتاعاً ، راع ، وقد رأيت ان الفاء تبدل عندهم بالباء . وهو متصرف .

٤٠٢ فبع ــ قَبَعَ الحجرَ بمعنى اقتلعه . وفي السريانية ܦܒܥ ركن وغرز . استعملوه ضدَّ معناه . وقد تقدم امثال لذلك في ما سبق . وهو متعدٍ متصرف .

٤٠٣ فدح ــ قدح العشبُ . وفي السريانية ܦܕܚ ܥܫܒܐ نبت العشب . وهم يريدون برض العشب اي ظهر قليلًا بسبب ابتداء حرارة الربيع . وهو لازم متصرف .

٤٠٤ فرابة ــ القرَّاية . وهي شبه مائدة « طاولة » يضعون عليها الكتب في الكنيسة للصلاة واقامة الخوروس . وفي السريانية ܦܪܝܒܬܐ .

٤٠٥ فرداحي ــ القرداحيُّ وفي السريانية ܦܪܕܚܝܐ وهو الحداد الذي يعالج الحديد . وعامتهم تفهم به الحداد الذي يصلح السلاح والشظر ونحوها . والاسم منه القَرْدحة ܦܪܕܚܘܬܐ وهي حرفة القرداحي

٤٠٦ فردح ــ ومنها : فعل قردح ، مولَّدًا منها . اي اصلح السلاح ونحوه . وهو متعدٍ متصرف .

٤٠٧ فرقد ــ قَرْقَدَ الجلدُ اي تجعَّد وانقبض وتقبَّض الجلدُ بعد أن نشف من بلل . اخذوه من فعل ܦܪܩܕ بمعنى انقبض الجلدُ وتقبض . وهو متصرف .

٤٠٨ فرقش ــ قَرْقَش الحمص ونحوه باسنانه وفي السريانية ܦܪܩܫ كسَّر ، حطَّم ، قرض ، قضم . وكل مخروف يسمونه قَرْقُوشة ج

قراقيش وقرقوشات دُعيت كذلك لانها تؤكل قضماً وقرضاً . وقرقش متعدٍ متصرف .

٤٠٩ قرطة — قَرْطَة الحطب . وفي السريانية ܩܪܛܐ القطعة الكبيرة من مستدار جسم الشجرة ج قَرْطات .

٤١٠ قرعونه — القَرْعَوْن . وهو عندهم ثمر الخوخ والمشمش ونحوها قبل ان ينضج بقليل . ولعلّه مأخوذ عن ܩܪܥܘܢܐ السريانية ومعناها الصبر . لما في ذلك من بعض الشبه في الطعم . والواحدة منه قَرْعَوْنة او قَرْعُونَة بحسب لفظها السرياني المتقدم ايرادها امامك .

٤١١ قرقور — القَرْقُور وفي السريانية ܩܪܩܘܪܐ اسم لنوع من السفن ، والشخاتير ، والفلوكيات .

٤١٢ قرنوس — القَرْنُوس وهو ما يكون في جسم الصنوبرة خاصةً كالوَتد . وفي السريانية ܩܪܢܘܣܐ ومعناه الخشبة او العتلة التي يدار بها الوحى (راجع كلمة قاروسة) ومنه : قرنوس الجليد ، وهو ما يتجمد من الماء بسبب البرد القارس فيتدلّى كالاوتاد او الحراب ج قرانيس . ولا يخفى ما في ذلك من الشبه .

٤١٣ قرقوفة — القَرْقُوفة او القَرْقُوف وهي عندهم الصخور الناشزة في اعالي الجبل . وفي السريانية ܩܪܩܘܦܐ رأس الجبل ونحوه .

٤١٤ قز — القزّ وهو دود الحرير . وفي السريانية ܩܙܐ الخزّ وهو الحرير . ولا بدع في ذلك فان الحرير من دود القزّ .

٤١٥ قس — القسّ وفي السريانية ܩܫܝܫܐ الشيخ . جُعل اسماً للكاهن تلميحاً الى ما يجب ان يتحلّى به من صفات الشيوخ . وقد كان اسم القس او القسيس مشتركاً بين القسيس والخوري . امّا الآن فالاول مقصور على الكاهن الراهب والثاني على الكاهن العالميّ . اما في حلب فلا يزالون

يطلقون اسم القس على الخوري ايضاً . وقد ولّدوا من القس فعلًا فقالوا : قسقس المطران فلاناً اي سامه قساً او قسيساً .

٤١٦ قشب ــ القَشَب . وفي السريانية ܩܫܒܐ الشرث في الجلد من برد او بلل يتعرّض للهواء ونحو ذلك . واحياناً يأتي من مرض كالقوباء (الحزاز او الحزازة) ويولّدون منه فعلًا فيقولون : قشّب الجلدُ اي شرث ، وتشقّق او اصابته القوباء . وهو لازم متصرف .

٤١٧ قشى ــ قشّى الكلمة . وهي كلمة علمية يراد بها لفظُ الحرف مفخّماً . وفي السريانية ܩܫܝ قشّى . اي لفظ الحرف بدون ان يرقّقهُ ويقابل قشّى « ركّخ » . ولذلك قواعد تعرف من كتب اللغة السريانية وقواعدها . والاسم من قشّى التقشّي ܩܫܝܐ ومعناه تقسية الحرف عند لفظهِ . وقشّى متعدٍ متصرف .

٤١٨ قصرين ــ القَصْرين او القصرينة . وهو عندهم خشارة التبن الجافية . وفي السريانية ܩܨܪܝܢ جمع نونيٌّ لكلمة ܩܨܪܐ جمع ܩܨܪܘܬܐ قصر ، قصالة ، عقدة الزرع .

٤١٩ قطر ــ قَطَر الكَرّ . من ܩܛܪܐ ܕܟܪܐ عقد الدبس اي اغلاه حتى تعقّد وتخثّر . وهو متعدٍ متصرف ..

٤٢٠ قطريب ــ القطريب . وهو من ادوات الحراثة عندهم . وفي السريانية ܩܛܪܝܒܐ خشبة منحنية قليلًا تجعل في ثقب يكون في طرف العود « الصُمْد » الداخل في حلقة نير الفدان تمنعه من الخروج من هذه الحلقة . والقطريب ايضاً عندهم زوج اخت امرأة الرجل اي عديله ، او ابن زوج المرأة .

٤٢١ قمي ــ قِمي او قَمَى البوم من ܩܡܐ صرخ البوم ونعب . ويقولون ايضاً : قمي الديك والدجاجة اي صاتا وصرّخا عند شعورهما بمرور طائر جارح . وقمي لازم متصرف .

٤٢٢ قف ــ قَفَتْ القِرْقَة ، اي الرنقاء ، على البيض . وفي السريانية ܩܦ حضن وارخم على البيض . وهو لازم متصرف .

٤٢٣ قفقف ــ قَفْقَفَ الرجل من بردٍ ونحوهِ . وفي السريانية ܩܦܩܦ اقعى الرجل في قعوده او جلس القرفصاء . وهو لازم متصرف .

٤٢٤ قلحونه ــ القَلْحُون . وهو عندهم غصين في غصنٍ من التوت او من زرجونة من الكرم ، وهو مجرًى كما ترى مجرى . وزونه في المصغَّر السرياني ولعله تصحيف ܩܠܚܘܢܐ مصغَّر ܩܠܚܐ ومعناه الرطبة وهي المعروفة باسم الفضَّة . وفصيحها باللغة العربية فِضْفِضَة ما دامت رطبه طريئة . ولا يخفى ما في التشابه من جهة رخوصة الاثنين . و ج القلحون قلاحين . ويولّدون منه فعلًا فيقولون : قَلْحَنَ الدالية ، اي قطع قلاحينها الغير النافعة . ويقولون ايضاً : قلحنت الدالية اي نبتت فيها القلاحين . وقلحن لازم متصرف .

٤٢٥ قلط ــ قلط الثلج عن السطح . وفي السريانية ܩܠܛ رمى واطّرح . ويقولون : قلط فلان فلاناً من عنده ، اي طرده وابعده عنه . وهو متعدٍ متصرف .

٤٢٦ قلعوط ــ القَلْعُوط . وهو عندهم نعت للرجل الشديد البخل . وفي السريانية ܩܠܥܘܛܐ البخيل والخسيس .

٤٢٧ قفل ــ قفل ثوبه واكمام ثوبه وذلك اذا طوى طرف ثوبه الى ما فوق وطرف اكمامه الى ما فوق ايضاً . وفي السريانية ܩܦܠ طوى وثنى . وهو متعدٍ متصرف .

٤٢٨ قفليد ــ القَفْلِيد . وفي السريانية ܩܦܠܝܬܐ القَرِيَّة وهي خشبة تنوف على الذراع طولًا تجعل على رأس عمود جسر البيت يستند عليها فتقيه الانحطاط والانكسار . ويحفرون عادة بعض النقوش على جانبيها . ويتخذونها من خشب صلب كالسنديان والتوت .

٤٢٩ قفلد ــ ومنها يولدون فعلًا فيقولون : قَفَلَدَ الجسر ، اي جعل تحته قفليدًا يقيه الانحطاط والانكسار . وهو متعدٍ متصرف .

٤٣٠ قن ــ قنُّ الدجاج . وفي السريانية ܩܢܐ الوَكْن . وهو مبيت الدجاج .

٤٣١ قونة ــ القُوْنَة . وفي السريانية ܩܘܢܝܐ الايقونة . واصلها من اليوناني ايكون . وفصيحها في اللغة العربية النَصَبَة .

٤٣٢ قهل ــ قَهَلَت الدجاجة اذا صاتت خوفاً من الطيور الجوارح اذا مرَّت بقربها . وفي السريانية ܩܗܠ صخب ، وضجَّ . وهو لازم متصرف .

باب الكاف

٤٣٣ كاز ــ الكَاز وفي السريانية ܟܐܙܐ المجزّ والمقصّ . والكاز عندهم سكّين للاسكاف واسع الرأس نوعاً يُتخذ لقطع الجلود وما شاكلها من موادّ صناعته . وهو مأخوذ من فعل ܟܙܐ السرياني ومعناه قصّ ، وجزّ ، وقطع .

٤٣٤ كزم ــ كَزَم الرجلُ ، بمعنى غضب وقطّب وجهه . وفي السريانية ܟܙܡ غضب وسخط . وهو لازم متصرف .

٤٣٥ كازم ــ واسم الفاعل منه : كازِمٌ ܟܙܡܐ ساخط وغضبان ، ومغضب .

٤٣٦ كبس ــ كبس عليه بيده . وفي السريانية ܟܒܫ ضغط . وهو متعدٍ متصرف .

٤٣٧ كبس ــ كَبَس العجل خاصةً : عوّده الحراثة والفلاحة . وفي السريانية ܟܒܫ روّض وعوّد . وهو متعدٍ متصرف .

٤٣٨ كابوسة ــ ومن هذه المادّة : كابُوسة الفلاح . وفي السريانية ܟܒܘܫܬܐ مِقبض المحراث . دعي كذلك لان الفلّاح يضغطه ويشدُّ عليه بيده لجهة الارض لتفرز سكّة الفلاحة في الارض جيدًا فتشقّها شقًّا نعماً .

ومنها الكبّاس لهنة « كالبكلة » تجمع بين طرفي الثوب .

ومنها ايضاً الكابوس للحلم المزعج الذي يضغط على النائم الحالم فيضايقه .

٤٣٩ كتونة ــ ومن ملابسهم الكهنوتية : الكتُّونة . وفي السريانية ܟܬܘܢܬܐ وهي قميص بيضاء طويلة تتخذ عادة من الكتان يلبسها آل الكهنوت في الاحتفالات البيعية تحت سائر الاثواب الكهنوتية .

٤٤٠ كدن ــ كدن الفدّان . وفي السريانية ܟܕܢ ܦܕܢܐ أرّ ܟܕܢ

قرن الثور بثور آخر اي شدّهما الى نير واحد لفلاحة الارض . ومن هذه المادّة : الكدنة من الارض . وهي عندهم فلاحة يوم واحد . وكدن متعدٍ متصرف .

٤٤١ كردش — كَرْدَشَ اللحمَ . وفي السريانية ܟܪܕܫܐ اي عرق ما يتبقى على العظام بعد طبخها باسنانه . ومن هذه المادة الكَرْدُوش وهو العظم بما عليه من اللحم بعد طبخه . وكردش متعدٍ متصرف .

٤٤٢ كرز — كَرَزَ بمعنى وعظ . وفي السريانية ܟܪܙܐ وعظ وبشر وانذر . وهو لازم ومتعدٍ متصرف .

٤٤٣ كرازة — ومن هذا الفعل : الكرازة والكَرْزَة بمعنى العظة والموعظة . وفي السريانية ܟܪܙܘܬܐ العظة والموعظة .

٤٤٤ كاروز — ومن هذه المادّة : الكارُوز . وفي السريانية ܟܪܘܙܐ الواعظ . وقد كان هذا الاسم لسنوات معدودة خلت مستعملاً كثيراً . وقد لُقِّب يوحنا المعمدان بكاروز الحق لوعظه الشعب اليهودي وانذاره له وتبشيره اياه بالسيد المسيح له المجد الذي هو الحق والحياة .

٤٤٥ كرشوني — ومن الخطوط عندهم الخطّ الكرشوني وهو كتابة العربية بالحروف السريانية ، الامر الذي شاع استعماله عند الموارنة ، خصوصاً من اوائل القرن الثالث عشر . وقد اجاد كثيرٌ من خطاطيهم هذا الخط حتى انك ترى اكثر كتبهم الدينية والتاريخية والطبية وغيرها مما هو عربي اللغة مكتوباً بهذا الخط اي بالكرشوني او بالكرشونيّة . حتى بعد انتشار المطابع لا يزال بعضهم يكتبون العربية بهذا القلم خصوصاً الكتب البيعية . ونحن لسنوات معدودة خلت نعرف بعضاً من الاكليروس والعلمانيين لم يكونوا يعرفون ان يقرأوا اللغة العربية ان لم تكن مكتوبة بها الخطّ .

وقد تضاربت الآراء في اصل هذه الكلمة ومعناها الحقيقي . فقال بعضهم انها ܟܪܫܘܢܝܐ مصغّر ܟܪܫܐ ومعناها الجوف والحشا لانهم عند كتابتهم العربية بالاحرف السريانية الكرشونية يضعون النقط في جوف بعض الاحرف

وحشاها او عند جوانبها لتلفظ كالحروف العربية المقصودة . وهذه الحروف هي ܓ ܚ ܕ ܗ ܘ ܙ ܛ ܝ ܟ ܠ ܡ ܢ ܣ ܥ ܦ ܨ ܩ ܪ ܫ ܬ جو او ܪ ܟ . اما الدال و دوالذال ذ فلم يجعلوا لها علامة او نقطاً فارقة بينها بل تركوا ذلك لدراية القارئ وفطنته .

وقال البعض الآخر ان هذا القلم دعي ܟܘܫܝܢܝ ܟܘܫܝܢܝܐ بمعنى المخفي والمستور لاخفائهم بهذا الخط معاني كتبهم الدينية خاصةً عن الغير المؤمنين . وقد جرت ايضاً هذه العادة عند السريان القدماء المعروفين بنصارى مار توما في شطوط الملابار — قرب الهند — فانهم يكتبون لغة الملابار باحرف كلدانية ويسمونها «كرشونيَّة» . الى غير ذلك من الاراء .

٤٤٦ كرش — كَرَشَ فلانٌ فلاناً طردهُ بحدّةٍ ونزق وصياح . وفي السريانية ܟܪܫ طرد . وهو متعدٍ متصرف .

٤٤٧ كرعونة — الكَرْعُونة . وفي السريانية ܟܪܥܘܢܐ تدعى ܟܪܥܐ الكراع . وهو عندهم مستدقُّ الساق الذي يُطبخ مع «الفتة» وهي اكلة تؤلف من راس الخروف واكارعه وكرشه ونحوها (راجع مادة «دندل عدد ١٢٦) .

٤٤٨ كرف — كَرَفَ المياه ونحوها . وفي السريانية ܟܪܦ جمع الشيء من هنا ومن هنا . يريدون بمعناه صبَّ المياه بعجلةٍ بمرَّةٍ واحدةٍ ، ورمي الاشياء بعضها فوق بعض بدون نظام . ومنهم من يقول : كَرَفَتَ وكلاهما بمعنى . وقد تكون «الكرّافية او الكرّافة او الكرّافيَّة» مأخوذة من هذا المعنى وهي وعاء من زجاج للخمر والعرَق عادةً . دعيت كذلك لانهم يصبُّون الخمر والعرق منها لعشّاقهِ صبًّا . وهذه الافعال كلها متعدية متصرفة .

٤٤٩ كركي — الكَرْكي او الكَرَكي . الانبيق وهو آلة لتقطير الكحول خاصةً . اخذوها من ܟܪܟܝ السريانية بمعنى المستدير لانها تعمل مستديرة .

٤٥٠ كشى — كشّى الوعاء بالحنطة ونحوها ، اي ملأه الى فوق وزيادة .

وفي السريانية ܟܘܡܐ جمّع ، وكوّم ، وعرّم . ويقولون : تكثّى فلان اي تعرّم تكبّرًا وخيلاء . والاول لازم والثاني مطاوع ، وكلاهما متصرفان .

٤٥١ كوشك — ومنها ان احدهم يدعو على الآخر بقوله : يخرب كُوشتك . وفي السريانية ܟܘܫܬܐ الكومة والكدس . فكانه يقول : خرب الله جماعتك وبدّد قومك ومريديك .

٤٥٢ كمر — كمَرَ فلان فلاناً . اي طرده مع الصراخ والصياح . وفي السريانية ܟܡܪ صاح به وانتهره . وهو متعدٍ متصرف .

٤٥٣ كمرة — ومنها اسم المرّة : كَمْرَة من الفعل المذكور . وهي في السريانية ܟܡܪܬܐ الصيحة والانتهار .

٤٥٤ كلبتونه — الكَلَبْتُون . وفي السريانية ܟܠܒܬܘܢܐ مصغّر ܟܠܒܬܐ على غير القياس . وهي الكلبتان الحديد التي تُحبك بها السبحات بالشريط . وهي ايضاً الكلبتان الحديد التي يستعملها الحدّاد كالملقط الكبير يأخذ بها الحديد المحمي من الكور ليطرّقه بمقتضى صناعته . ومنهم من يقول « كَلَبْتونة » فتكون اذ ذاك اقرب الى الاصل السرياني اي ܟܠܒܬܘܢܬܐ مصغّر ܟܠܒܬܐ بحسب القاعدة .

٤٥٥ كلين — الحائط الكلّين . وفي السريانية ܟܠܝܢܐ ومعناه الكلّي او كلّي . ويريدون به الحائط المزدوج ، اي المبني من صفّين من الحجارة برّاني وجوّاني : صفٌّ للخارج نظيف وصفٌّ للداخل اعتيادي . فكانهم يريدون بهذا النوع من البناء انه كلّي المتانة . ويقابله الحائط المسفّط اي المبني من صفّ واحد من الحجارة .

٤٥٦ كود — الكُوْدُ بمعنى الجوق والجوقة . وفي السريانية ܟܘܕܐ الجوق والجوقة والعصبة والزمرة . ويعنون به عادة احد جوقي المصلين او المرتلين في الكنيسة والخورس ، فيقال انهم يرتلون او يصلون كُوْدَيْن اي جوقَيْن .

٤٥٧ كوش — كُوش المغزل. وفي السريانية ܟܘܫܐ المغزل ذاته. وهم يريدون به العود الذي به يفتلون المغزل دون الفلكة (التقّالة) لانهم يجمعون على هذا العود الخيوط التي يفتلونها. اخذوا ذلك من معنى كشّى اي ضمّ بمعنى كوّم وجمّع، كما تقدّم في عدد ٤٥٠.

ومنهم من يقصدون بذلك فلكة المغزل و كل ذلك بمعنى.

٤٥٨ كاش — ومنها يقولون: كاش فلان، اي اشتغل وجاهد فوق اللازم. من ܟܫ هدأ. استعملوها عكس معناها الحقيقي. ولذلك امثال كثيرة عندهم كما ورد مرات في كتابنا هذا. وكاش لازم متصرف.

٤٥٩ كوش — ومنها قولهم للكلب: كُوش. وفي السريانية ܟܫܫ اسكن، اسكت، اهدأ.

٤٦٠ كوشى — ومنها: كوشى الزبالة والحطب ونحو ذلك من ضمّ كوّم وجمّع. وهو متعدٍ متصرف.

٤٦١ كوكليّة — ومن ملابسهم القديمة الكوكليّة وهي عندهم كناية عن كوبران يُلبس فيتدلّى حتى الزنار كانه نصف عباءة كاملة الكمين، له قبع يوضع في الرأس وقاية من الحرّ والقرّ والشتاء. وهو في السريانية ܟܘܟܠܝܐ او ܟܘܟܠܝܐ او ܟܘܟܠܝܐ ومعناها كرة سودا. او طربوش الراهب او قبع الراهب او قبوعة الراهب. ولا يخفى ما بين ذلك كله من التقارب بالمعنى.

٤٦٢ كيفا — ومنها لقب بطرس زعيم رسل المسيح له المجد: كيفا. وهو في السريانية ܟܐܦܐ الصخرة والصفاة. دعاه السيد بهذا الاسم لانه تعالى بنى عليه بيعته المقدسة كانها على الصخرة.

قلت: وعلماء السريان الصرفيون مجمعون على ان كلمة ܟܐܦܐ — التي لا يراد بها الرسول بطرس — مؤنثة غير انها وَرَدَتْ مذكرةً في انشودة مار افرام التي بدؤها ܚܕ ܟܘܟܒܐ المطبوعة في كتاب قداس الموارنة — في جملة الافراميات — حيث يقول فيها عن يعقوب اسرائيل ابي الاباء انه ܐܝܟ ܟܐܦܐ

ܐܒܢܐ ܕܝܥܩܘܒ ܘܐܒܐ ܕܐܒܗܬܐ اي ان يعقوب اسرائيل ابا الاباء نصب ثلاثة حجارة رمزاً للثالوث الاقدس . وقد كان يجب ان يقول ܐܒܢܐ ܕܐܒܐ كما لا يخفى على الاديب الاريب . ووردت ايضاً مذكرةً في غير هذا الموضع وكل ذلك في الشعر الذي يحلُّ فيه ذلك .

٤٦٣ ܟܦܬܐ ــ كيفة قشر قضبان التوت . وفي السريانية ܟܘܦܬܐ القلفة لانها تشابهها .

٤٦٤ ܟܝܠܘܢ ــ ومنها المثل عندهم : « في ايلول ردَّ العنب على الكَيْلُون » . اي في ايلول يكون قد نضج العنب جيداً حتى في الجبال العالية فيقطفونه ويرسلونه الى المعاصر لاستقطاره وعمله دبساً او خمراً ونحو ذلك حاملينه في السلال والمحاجير مما يشبه الكيل او الكيلة خصوصاً لانهم يزنون العنب كيلاً بالسلّ اذ يعتبرون كل سلّ عنب عشرة ارطال . والكلمة في السريانية ܟܘܟܝܠܐ مصغَّر ܟܝܠܐ بحسب قواعد التصغير في السريانية . ومعناها الكيل والكيلة .

*٤٦٤ ܟܝܢܐ ــ لا كِينَا ولا زَدِيقَا . ومنها انهم اذا رجا احدهم خيراً من ابواب عديدة فطرقها ولم ينجح بل عاد بخفي حنين فيقولون عنه : رجع او اصبح « لا كِينَا ولا زَدِيقَا » وفي السريانية ܠܐ ܟܝܢܐ ܘܠܐ ܙܕܝܩܐ ومعناها الابرار والصديقون . فكأنهم يقولون عنه انه لم يحصل شيئاً مما كان يرجوه لا من هذا الباب ، ولا من ذاك ، بل خاب مسعاهُ من الامرَيْن .

باب اللام

٤٦٥ لابوت ــ اللّابُوت . وفي السريانية ܠܐܒܘܬܐ وهي المِسحاة ، حديدة مفرطحة محدَّدة تجعل في رأس منسَّة الفدّان يُسحَى بها الطين الذي يعلق بكَّة الفلاحة عند شقّ الارض بها . والمنسة تعرف بالمسّاس ، وفصيحه « مِنْساس » .

٤٦٦ لاش ــ لاشت المرأة العجين . وفي السريانية ܠܫܐ من فعل ܠܫ عجن وعرك . وهو متعدٍّ متصرف .

ومنها : اللَّوشة من العجين . وهي كمّية من الدقيق تكون المرأة عجنتها قليلًا . ثم تعمد الى مقدار آخر مثلها وتعجنه قليلًا . ثم وثمّ الى ان تأتي على المقدار الذي تريد عجنه كلّهُ . ثم تجعل الجميع في وعاء واحد وتعجنه جيدًا عجناً صالحاً ليخبز . وفي السريانية ܠܫܐ بالمعنى المتقدم .

٤٦٧ لبَش ــ لبَش على البغل والدابّة اي البسها عدتها استعدادًا للسفر اخذوها من فعل ܠܒܫ البس . وما يُهيَّأ على ظهر الدابة من اللباس والاكياس ونحوها يسمّونه لَبَش واحدها لَبْشة ، وتجمع ايضاً لَبْشات . ويقولون لبَش المسئلة والامرَ اي اعدّها وسوّاها من حيث كان . ولبَش متصرف .

٤٦٨ لبط ــ لبط من ܠܒܛ تحرّك . وقد يقال ܠܒܛ ܪܘܚܐ : ريح عاصف وثلج دائم .

٤٦٩ لحَش ــ لَحَشَ له لَحْشةً اي كالمَهُ سرًّا ، وبصوت خافت ، كلاماً قليلًا . وفي السريانية ܠܚܫ ܠܚܫܐ او ܠܚܫܐ اسرَّ اليه الامرَ سرًّا .

٤٧٠ لط وشطّ ــ لطَّهُ وشطَّهُ ، اي احتقره ولعنه وسبَّه . وفي السريانية ܠܛ ܘܫܛܐ احتقره وسبه ولعنه وشتمه . ولطَّ متعدٍّ متصرف .

٤٧١ لطه ــ ومن هذه المادة يقولون : فلان يأكل الشطّة واللطّة ويسكت . واللطة في السريانية ܠܛܘܬܐ اللعنة ، والمسبة ، والشتيمة .

٤٧٢ لطش ــ لطّش ثيابه وحلاً ونحوه . وفي السريانية ܠܛܫ لطّخ . لوّث وسّخ . وهو متعدٍ متصرف .

٤٧٣ لعوك ــ لعوكَ الكلام اي تلجلج في لفظه . وفي السريانية ܠܥܘܟ لكن ، لثغ . وهو لازم متصرف .

٤٧٤ لعوكة ــ ومن هذه المادّة : اللعوكة في الكلام ܠܥܘܟܬܐ لكنة اللسان وحبسته حتى لا يقدر الانسان على الكلام باجادة .

٤٧٥ لفحة ــ لفحة ارض . وهي عندهم قطعة من الارض كبيرة مستوية . وفي السريانية ܠܦܚܬܐ ومعناها الرّيف . ولا يخفى ما بينهما من المشابهة والتماثل .

٤٧٦ لفح ــ ومنها يقولون : لفّحه على الارض بمعنى القاه عليها ممدّدًا . وتلفّح اي استلقى على ظهره ممدّدًا على الارض . اخذوا ذلك من معنى اللفّحة المتقدمة .

٤٧٧ لفس ــ لفّس القزّ اي آخرها عن ميعادها مدة . كأنّ ذلك من ܠܦܣ السريانية أخر مأخوذًا من ܠܦܣܘܬܐ التالي . وهو متعدٍ متصرف .

٤٧٨ تلفس ومنها : تلفّس اي جاء متأخرًا خصوصاً في الليل . من ܠܦܣ تأخر وابطأ . وهو لازم متصرف .

٤٧٩ لفس ــ اللّفيس . وفي السريانية ܠܦܣܘܬܐ الوليُّ من المطر . اي الذي ياتي متأخرًا . وقد اطلقوه على كل ما لا يأتي في اوانهِ من مواسم القزّ والفاكهة وما شاكل ذلك .

٤٨٠ لكح ــ لكّح القصاع والصحف . وفي السريانية ܠܟܚ لحس . ويقولون عن الولد البلِط الغير المهذب : هذا الولد ما لكّحهُ ولا ملاك . فكانهم

يقولون : انه لسوء خلقه واخلاقه نفر منه ملاكه ولم يقرب منه . ولكح متعدٍ متصرف . ويعنون بقولهم : لكَّح القصاع الخ ، لحس ما علق بها من الطعام اما بلسانه واما بسبابته وهي الاصبع المحاذية للابهام . ومن هذا المعنى يسمّي عرب او بدوان لبنان وسوريّة الكلب « لكّاح » لانه يلكّح الآنية والقصاع . وهم يسمّون السبابة « لكّاح القِدْرة » لان بها يُلحس ما علق بالقدر من الطعام. ويجعلون اسماء عاميّة لسائر الاصابع ويتغنّى الاولاد بها هكذا: هذا عمّي بو قاسم (للخنصر) ــ وهذا لبّاس الخاتم (للبنصر) ــ وهذا الطويل بلا غلّة (للوسطى) ــ وهذا لكّاح القدرة (للسبابة) ــ وهذا نتّاف القملة (للابهام) .

باب الميم

٤٨١ ماسورة — ماسُورة الحائك وفصيحها « الوشيعة » وهي عندهم لفيفة من لحمة العباءة او الثوب ونحوها من القماش الذي ينسجه النسّاج تجعل على قطعة من القصب بشكل بيضويّ لفًّا على الدولاب الخاص لذلك . وهي في السريانية ܡܐܣܘܪܬܐ الحزمة والجرزة . ويجمعونها : مواسير ومَحمَصّهوا ايضاً في السريانية معناها خشبة يلفّ عليها السدى او هي الوشيعة .

٤٨٢ موسر — ويولدون من الماسورة فعلًا فيقولون : مَوْسَرَ ، اي عمل مواسير على الدولاب كما تقدّم وهو متعدٍ متصرف .

٤٨٣ ماسورة — ومن هذه المادّة : ماسُورة الغليون اي قصبته التي تتخذ عادةً من اغصان الورد .

٤٨٤ مار — مَارْ او مَارِيْ . وفي السريانية ܡܪܝ السيد . وهي عندهم عادةً مضافة الى ياء المتكلم هكذا ܡܪܝ ومعناها : يا سيدي ، يا مولاي . فيقولون الى الآن في تحية الكاهن ܒܪܟ ܡܪܝ اي بارك يا سيدي . وقد كان نوع هذه التحية دارجاً عند العموم في عهد بعض ملوك المغول ، كما قال ابن العبري في كتابه « مختصر تاريخ الدول » . والى الآن لا يزالون يكتبون للبطريرك وللمطران : « مار فلان أو مَارْي فلان » في مستهل وعنوان كتاباتهم لهما فيقولون : « الى سيدي او الى السيد مار او ماري فلان مطران المدينة الفلانية » . امّا كتابتها بدون « ياء » فمراعاةً للفظها . وبالياء فمراعاةً لاصلها مع عدم لفظها هذه الياء .

وهي عندهم بمنزلة كلمة « قديس » لاولياء الله فيقولون : « مار او ماري يوسف » اي القديس يوسف . ويؤنثونها مع المؤنث فيقولون مثلًا : مرت مريم ܡܪܬܡ ܡܪܝܡ اي القديسة مريم . ومرت تقلا ܡܪܬܡ ܬܩܠܐ اي القديسة تقلا الخ .

٤٨٥ ماعول ــ الماعول وهو عندهم المدخل بين تلّين او بين جبلين صغيرين . وهو في السريانية ܡܥܠܐ المدخل .

٤٨٦ متحركين ــ ومنها ان راعي المعز يدعو على قطيعه قائلًا : يا متحركين : وفي السريانية ܡܬܚܪܟܝܢ من فعل ܐܬܚܪܟ اي يا محروقين .

٤٨٧ مدارش ــ ومن كلماتهم الكنسية : المَدارِش واحدها مدرش . وبعضهم يقول : مدرج ج مدارج وفي السريانية ܡܕܪܫܐ مدارش . والمدرش في عرف السريان منظومة تقسم الى عدة قطع تكون عادة على وزن واحد . وتارة على اوزان مختلفة يُخطب بها على المنابر ويتغنى بها في المعابد .

٤٨٨ مرمايَ ــ ومنها صلاة ترد كثيرًا في فروضهم الكنسية تسمّى مَرمَاية . وفي السريانية ܡܪܡܝܐ وهي قطعة من الصلاة تشبه الصلاة السهيّة « النافذة » تقدم بها عواطف القلب والابتهالات لله تعالى . ويجمعونها مَرمَايات ، ومرامي .

٤٨٩ مزكا ــ المَزكا وهو عندهم الخمر المعدّة للتقديس . وفي السريانية ܡܙܓܐ ومعناه الخمر الممزوجة بالماء ، دُعي مزكا لان الكاهن بعد صبّ الخمر في الكأس يمزجها بقليل من الماء . فكأنهم سمّوا الشيء بما سيصير اليه . وولدوا من ذلك فعلًا فقالوا : مزّك الكاهن ، اي صب المزكا في الكأس ، او شرب من الخمر الجيدة المعدودة للمزكا .

٤٩٠ مدود ــ ويقولون : عقل فلانٍ مدوّد ، اي مصاب بالخبل . وفي السريانية ܡܕܘܕܐ مختبل مشوّش .

٤٩١ دود ــ ومنها : دوّد عقل فلانٍ . وفي السريانية ܕܘܕ شوش وافسد . انما هم استعملوا هذا الفعل لازمًا بمعنى تشوش واختل وفسد . وهو متصرف .

٤٩٢ مسار ــ المسّار . وهو عندهم ما تحدّر من الارض فاقاموا له

حافّات وحيطاناً عديدة عندما يشتغلونها لتحول دون ذهاب تربتها . وهو في السريانية ܡܢܫܪܐ المنشار . دعوها كذلك لانها بنتوء حافاتها تشابه المنشار . وفي جهات الشوف يطلقون كلمة المسّار على الصخور المتراكمة بعضها فوق بعض لتفاوت بعضها علوّاً على بعض بحيث يبدو لها منظر كأنه المنشار .

٤٩٣ مساس ــ المسّاس . عصاً طويلة يجعلون في رأسها مسماراً « منخساً » ينخسون به الفدّان ليجري حثيثاً في فلاحة الارض . وهو في السريانية ܡܢܫܐ المنشة والمناس .

٤٩٤ مطاح ــ مطاح العنب او الزبيب . وفي السريانية ܡܛܚܐ وهو ما يَنْشرونه من العنب تجاه الشمس ليجفّ نوعاً فيعملون منه الخمر الفاخرة او الزبيب المعروف .

٤٩٥ مفط ــ الحائط المفّط . وهو الحائط من البناء يبنونه من صفٍّ واحد من الحجارة . وهو في السريانية ܡܦܛܐ المقطوع . دعي كذلك لقطع حجارته من الاصل لهذا الشكل من البناء ولقيامه على صفّ واحد من الحجارة . ويقابله « الحائط الكلّين » وهو الذي يقام من صفّين من الحجارة متشابكة بعضها ببعض (راجع كلمة كلين في عدد ٤٥٥)

٤٩٦ ماصص ــ الماصص من الحبوب ونحوها . وفي السريانية ܡܨܨܐ الجافّ والذابل والذاوي . ويولّدون منه فعلاً فيقولون : مصّت الحبوب ونحوها مما هو اخضر اي جفّ وذبل وذوى . وهو لازم متصرف .

٤٩٧ مفوّت ــ مَنقُوتة الفلّاح . وهي مسمار يحدّد طرفاه ويفرّق في رأس المناس يوخز به الثور ليجري حثيثاً في فلاحة الارض . وهو في السريانية ܡܢܩܐ المنخس .

٤٩٨ مسح ــ ومن كلماتهم النصرانية : مسح المريض . وفي السريانية ܡܫܚ مسح . اي اعطى الكاهن المريض المدنف سرّ المسحة المقدّسة داهناً اياه بزيتها المقدس . وهو متعدٍّ متصرف .

الغسل والتخطيس بالماء . وهي في السريانية ܚܘܛܐ ܕܚܛܝܬܐ . والغسل منهما عند ، كما ذُكر .

٥١١ ܡܩܝ — المِقْي او المقطي وفي السريانية ܡܩܝܐ ترخيم ܡܩܝܬܐ القثاء . وهم عموماً لا يعرفون للقثاء اسماً غير المقي .

٥١٢ ܡܠܛ — مَلَشَ الريش والشعر ܡܠܛ نتف الشعر . وهو بفروعه كثير الاستعمال جدًا . وهو متعدٍ متصرف .

٥١٣ ܡܠܘܫ — المالوش . وهو الدويبَّة المعروفة ذات المخالب الحادَّة التي تقرض بها اصول بعض المزروعات الصيفية خصوصاً فتذبل بل تيبس احياناً . وهو ܡܠܘܫܐ من ܡܠܛ المتقدمة دعي كذلك لنتفهِ ونتشهِ وقضمهِ وقرضهِ اصول المزدرعات كما تقدم .

٥١٤ ܡܠܦܢܐ — المِلْفَانُ وفي السريانية ܡܠܦܢܐ الاستاذ ، العالم ، العلَّامة . ويقابله في الافرنجية الدكتور . والاسم من هذه المادَّة ܡܠܦܢܘܬܐ الملفنة . يقابلها بالافرنجية الدكتوراه .

٥١٥ ܡܢܘ ܣܦܩ — ومنها يقولون : عمل له مَنُوْ سُفِقْ وفي السريانية ܡܢܐ ܣܦܩ اي عمل له ما يلزم وما يكفي من القصاص لذنبه .

٥١٦ ܡܢ ܕܝܠܟ — ومنها المثل عندهم : ܡܢ ܕܝܠܟ ܢܩܪܒ ܠܟ « مِنْ دِيلُخْ نقرب لُخْ » اي مما لك نهدي لك .

٥١٧ ܡܘܙܪܐ — الموزار وفي السريانية ܡܘܙܪܐ وهو خشبة تشدُّ به الاعضاء المكسورة . او هو خشبتان يضغط بهما البيطار جحفلة الفرس اي شفتيه فيذلُّ فيتمكن من بيطرته بسهولة . وقد ولَّدوا منه فعلًا فقالوا : مَوْزَرَهُ ، اي شده او ضغطهُ بالموزار . وهو متصرف متعدٍ .

٥١٨ ܡܝܡܪ — ومن صلواتهم : المَيامِرْ مفردها مَيْمَر . وهي قطع في السريانية وفي العربية غاية في الحسن . ينشدون بعضَ العربية منها خلال

القداس الالهي قبل قراءة رسائل القديس بولس الرسول بلحن مستطاب لذيذ يأخذ بمجامع الالباب . ولا يعرفون لها اسماً غير الميمر ج ميامر . وفي السريانية ܡܐܡܪܐ ترخيم ܡܐܡܪܐ ج ܡܐܡܪܐ انشودة اناشيد

٥١٩ ممس ــ مَمَسَ الشيء . وفي السريانية ܡܡܘܫ هرس دهس ما كان فيه حياة كالانسان والحيوان والاثمار الطرية . وهو متعدٍ متصرف .

٥٢٠ مهات ــ « مهات البصل » (راجع عدد ٢) .

٥٢١ مي ــ مَيْ للماء والمياه . وفي السريانية ܡܝܐ ترخيم ܡܝܐ . وهذا الاسم شائع جداً بينهم .

٥٢٢ ميرون ــ المَيْرُون وهو عند المسيحيين الزيت المقدس يستعمل في سرّي العماد والتثبيت المقدسين . وفي السريانية ܡܘܪܘܢ .

٥٢٣ ميرن ــ ومنها : مَيْرَنَ الكاهن الطفل . اشتقوا هذا الفعل من الميرون المذكورة . اي دَهَن الكاهنُ الطفلَ بزيت الميرون المقدس عند تعميده له .

باب النون

٥٢٤ ناورة — وهي خشبة غليظة نوعاً مستديرة تكون في نول الحائك يبسط عليها سداه . وفي السريانية ܢܳܘܪܳܐ الحياكة ؛ من باب تسمية الشيء بما يُعمل بـه ، كما لا يخفى على الاديب ، على حدّ ما يسمّون الوعاء الذي يكون من فخار لجمل الحليب فيه محلوباً .

٥٢٥ نبر — نبر الاثاث . وفي السريانية ܢܒܪ نكث الارض وحثا التراب وشعث الشعر . ولا يخفى ما بين هذه المعاني من التقارب . وهو متعدٍ متصرف .

٥٢٦ نبع — النَّبعُ او النِّبع وهما ܢܒܥܐ و ܢܒܥܐ الينبوع والمعين . وقلما يقولون : ينبوع في لغتهم العامة . بل يقولون : نَبع ونِبع كما تقدم .

٥٢٧ نتش — نَتَشَ الشيءَ بمعنى خطفه . وفي السريانية ܢܬܫ خطف . وهو مستعمل بكل فروعه . وهو ايضاً متصرف متعدٍ .

٥٢٨ نتع — نَتَع الغصنَ اي امسك به فلواه الى اسفل . اخذوا ذلك من ܢܬܥ رجع . ووجه الشبه بيّن . ويقولون : نَتَعَهُ بمعنى حمله على كتفه خاصةً . فيكون انهم يستعملون هذا الفعل بمعنى خفض ورفع (ضدّ) ولهذا امثال في كلامهم العالي وهو متصرف .

٥٢٩ نتم — نَتَمَ الولدُ عند البكاء خاصةً من ܢܬܥ استنشق الهواء . وانما يحدث ذلك للولد لبكائه فيستنشق الهواء مراراً كثيرة من منخريه خصوصاً . وهو لازم متصرف .

٥٣٠ نفض — نَفَضَتْ عيناه من ضغط ونحوه . وفي السريانية ܢܦܨ انتفض اي انه لكثرة انضغاطه او احتداده انتفضت شرايين عينيه فتحلتا . ويقولون : نفض من كذا اي نفر . ونفضت الدابة اي انتفضت لتضرب

وترفس برجلها . وكلاهما متصرفان .

٥٣١ نقح — الولد كلّة تربه . وفي السريانية ܢܩܚ نقر اي ضربها بكلّته فاصابها فسمع لها صوت عند اصطدامها بعضها ببعض كالنقر . ويقولون : نقحه كفًا ، اي صفعهُ . ونقح نور الشمس الزجاج اي وقع عليه واصابه فخرقه . ونقح متعدٍ متصرف .

٥٣٢ نطى — نطّى الحائط . وفي السريانية ܢܛܝ ندي ورطب . ويحدث ذلك لعدم إحكام بناء الحائط فعند سقوط الامطار تتسرّب فيه المياه قليلًا فيندى ويرطب . ونطّى لازم متصرف .

٥٣٣ نطلة — النَّطْلَة بمعنى العمل العاطل والفعلة الغير الحسنة . اخذوها من ܢܛܠ بمعنى فتن وشغب اي احدث فتنةً وشغباً . ويجمعونها نطلات ، اي مساوئ . انما الفعل لم يسمع في لغتهم العاميّة .

٥٣٤ نقف — نقّف الكلمة وهي عندهم كلمة علمية تلاحظ صرف اللغة السريانية . ومعناها الحق الضمائر بالكلمة والفعل كقولك ܟܬܒܗ كتابه ܩܛܠܗ قتله . وفعل نقّف بالسريانية ܢܩܦ اي الحق الضمائر الخ كما تقدم .

٥٣٥ نوص — نوّص القنديل اي خفّف ضوءه وفي السريانية ܢܨܐ ܒܨܨܐ برض العشب اي بان اوله . فيكون المراد بفعل نوّص انه انزل فتيلة القنديل حتى لم يظهر منها الّا القليل كما يبرض العشب . وهو متعدٍ متصرّف .

٥٣٦ نوى — نوّى البين . وفي السريانية ܢܘܐ ماء السنور ونَعَا البين . وهو لازم متصرف .

٥٣٧ نقش — نَقَشَهُ كفًا او نقشه بكفه بمعنى صفعه . وفي السريانية ܢܩܫ قرع وضرب وطرق . وهو متعدٍ متصرف .

٥٣٨ نيح — ومنها نيَّح ܢܝܚ بمعنى اراح بكل مشتقاته . والى الآن لا يزال هذا الفعل مستعملاً بكل مشتقاته في الكتب البيعية والصلوات الكنسية .

٥٣٩ نيح — تنيَّح بمعنى مات ، وتوفي ، واستراح . وفي السريانية ܢܝܚܘܬܐ استراح وتوفي . وهو لازم متصرف .

٥٤٠ نياحه — ومنها : النياحة ، بمعنى الراحة . وفي السريانية ܢܝܚܘܬܐ الراحة .

٥٤١ نياحه — ومنها ايضاً النياحة ، وهي المعروفة عندهم باسم « الرحمة والتُرَيبينة » وهي من عوائدهم الدينية ولم تزل دارجةً عندهم في بعض الجهات خصوصاً عند المسيحيين المعروفين بالشرقيين وذلك في مدينة زحله ، وباقي البقاع (لبنان) وتفصيلها : انهم بعد وفاة احدهم ببضعة ايام يسلقون قمحاً ، ويضعون منه على صوانٍ ، ويرشون فوقه السكّر والملبس والزبيب وحب الرمان وماء العطر وما شاكل . ثم ياخذون هذه الصواني بما عليها الى الكنائس ليصلي عليها الكاهن في آخر القداس الالهي صلاةً مخصوصة . ثم يأخذها احدهم من على المذبح ويحملها بين يديه ويقف عند باب الكنيسة للجهة الخارجية فياخذ منها كل من يخرج من الكنيسة شيئاً قليلاً طالباً الراحة لنفس الميت المتقدمة من اجله . ولذلك دعيت «نياحة» اي راحة . وهذه الكلمة والفعلان المتقدم ذكرهما استعمالها شائع جداً في لبنان وسورية .

باب الهآء

٥٤٢ هايف — من دواثرهم انه اذا لفحت الريح الشرقية الزرع فذبل او اصابه القيظ فذوى يقولون عنه: هذا الزرع هايف اي اصابه الـ ܗܵܝܦܵܐ وهو الوهج والحرّ اللافح فذبل وذوى . ويولدون منه فعلًا فيقولون . « هَافَ الزرع » اي ذبل وذوى . وهو لازم متصرف .

٥٤٣ هبلة — هَبْلَةُ المياه . وفي السريانية ܗܲܒܠܵܐ البخار الذي يتصاعد من المياه عند غليانها . . .

٥٤٤ هبلت — ويقولون : « هبّلت المياه اي تصاعد بخارها عند غليانها وهو لازم متصرف . ويمدّونه فيقولون « هَبَّلَهُ » اي جعله فوق الهبلة . ومنه « التهبيلة » وهي انهم يغلون النعنع ونحوه ويهبّلون بـه وبالمياه التي يغلونه بها العضو المصدوع مثلًا . وهو متصرف .

٥٤٥ هبوصة — الهبوصة وهي المال الذي يوثره احدهم فيجعله في قارورة او نحوها وهي في العربية « بُوص » وفي السريانية ܒܘܨܐ الدمقس والحرير . ولا عجب فان للحرير عندهم قيمة المال فكنوا عن الاول بالثاني . وذكرنا هذه الكلمة هنا ليعرف ما هو اصلها . و « ها » فيها كانها للتنبيه .

٥٤٦ هدس — ومنها هدس به وفيه بمعنى فكّر فيه وفي السريانية ܗܕܘܨ فكر في الامر وافتكر به وفيه وهو لازم متصرف .

باب الياء

٥٤٧ يجبوه — اليَجْبُون أو اليجبور وهو عندهم كومة السنابل وكديس الزرع المحصود ونحوهما . وفي السريانية ܡܫܚܘܐ الكومة من الحطب تحرق فوقها الجيف . ولا يخفى ما بينهما من التقارب في المعنى .

اسماء القرى اللبنانية السريانية

رأينا ، تكملةً لفائدة قراء « المشرق » ، وتخليدًا لذكرى اللهجة السريانية في الانحاء اللبنانية ، ان نضمّ الى مفردات « الدوائر » سلسلة بالاسماء السريانية التي لا تزال تُعرف بها قرانا اللبنانية . ولا يخفى ان هذه الاسماء من « الدوائر السريانية » في بلادنا ، فلا تخرج عن البحث الاصلي بايرادها . وقد كان الاب يوسف حبيقة ، صاحب « الدوائر » ، قد جمع طائفة منها ، لا على سبيل الاستقصاء ، واشار الى معناهـا وطريقة اشتقاقها . ووقفنا للخوري اسحق ارملة على جدول مطوّل كاد يستقصي فيه جميع القرى اللبنانية . فاستفدنا من البحثين وجمعنا بينهما في سبيل فائدة المطالع . وكي لا يضيع على كل ذي حقّ حقّه ، رأينا ان نشير بعلامة ــ الى الكلمة التي اشترك في الاشارة اليها المؤلفان العالمان ، وبعلامة * الى التي انفرد بذكرها الاب يوسف حبيقة . اما ما لا اشارة له فهو مأخوذ من جدول الخوري اسحق ارملة .

ولا بدّ من التنبيه ان جميع القرى المبدوءة بحرف الباء المقتضب من « بيت » ، او بلفظ « بيت » او « كفر » او « دار » او « دير » او « مجدل » هي سريانية الاسماء بلا جدال . وقد يمكن القول كذلك عن القرى المنتهية اسماؤها بالفتحة المطلقة ، او بالنون ، او بالياء والنون .

وهذا هو الجدول :

* أودي او أرده ܐܘܪܕܐ : المجرى (الكورة)

ارزون ܐܪܙܘܢ : ارزة صغيرة (صور)

ارزى ܐܪܙܝ : أرزي (صيدا)

ــ ارصون ܐܪܨܘܢ : سوسن . ويجوز ان تكون تحريف قرسون ܩܪܣܘܢ اي جامد وبارد (بعبدا)

ارنون ܐܪܢܘܢ : تيس الجبل (صيدا)
اسنون ܐܣܢܘܢ : مخزن القمح (زغرتا)
ـ أصيا ܐܨܝܐ : طيب (البترون)
ـ اقتا ܐܩܬܐ : ينبوع (كسروان وطرابلس)
ام توتة ܐܡ ܬܘܬܐ : امّ التوت (صور)
اميون تحريف ܐܡܝܘܢ : ضبّ وغزال (الكورة)
اننه ܐܢܢܐ : شجر كبير يحمل حبًّا مستديرًا فيه مادّة حلوة يُعمَل منه الدبق (الكورة)
ـ ايطو تحريف ܐܝܛܘ : صيف (زغرتا)
ايلات ܐܝܠܐܬ : شجر كبير ، دوح (عكار)

باب مارع ܒܐܒ ܡܪܥ : مدخل المرض (زحلة)
باتر ܒܬܪ : وراء خلاف قدّام (الشوف)
باروك ܒܪܘܟ : رابض (الشوف)
* باريتا ܒܪܝܬܐ قصر : حصن
باريش ܒܪܝܫ : بيت الراس والمقدّم (صور)
بالوع ܒܠܘܥ : شصّ . بالع (المتن)
ـ بتاتر ܒܬܬܪ : رجمة (عاليه)
ـ بتبيات ܒܬܒܝܬ بيت الظبيات (بعبدا)
ـ بتحلين ܒܬܚܠܝܢ بيت العبادة (طرابلس)
بتدّين ܒܬܕܝܢ : محكمة (الشوف)
ـ بترومون ܒܬܪܘܡܘܢ بيت الرمّان ويقال * بترومين فتكون من ܒܬ ܪܘܡܝܢ عالية مشرفة (الكورة)
بترون والأصل بطرون بالطاء ܒܬ ܦܛܪܘܢ : بيت المقدّم (البترون)
ـ بتعبورا ܒܬ ܥܒܘܪܐ : بيت القمح (الكورة)
* بتغلين ܒܬ ܬܚܠܝܢ مرتفعة . بيت السادة (المتن)

ـ بتغرين ܒܝܬ ܐܓܪܐ : بيت الاجرة (المتن). ويجوز ان تكون من ܒܝܬ ܚܘܬܡ : مخزن السهام ، مرمى السهام

بتلون ܒܝܬ ܬܠܐ : بيت التلّ الصغير (الشوف)

* البتير ܒܝܬܝܪܐ : مسكن مأوى . وهي مزرعة قرب زبوغا (بسكنتا)

* بجّه ܒܓܐ : بستان لما فيه من الفاكهة خصوصاً السفرجل. وبجّه في حوران ارضها تنبع ماء ولعلّ بعضاً من نصارى حوران او غيرهم نزحوا الى بجّه لبنان واسموها باسم بلدهم هناك (كسروان)

بجوش ܒܓܘܫ : محبس (الكورة)

بجديدات ܒܓܕܝܕܬܐ : بيت جديد (كسروان) ويقال: بجليدات، كما في كتاب خط قديم يتجاوز تاريخه ١٥٠ سنة ܒܓܕܝܕܬܐ او ܒܓܕܝܕܬܐ القرية ذات الاخاديد ، او قرية الخُلد وهو دويبّة معروفة ج مناجذ من غير لفظها (كسروان)

* بحران ܒܚܪܢ او ܒܚܪܢ الاختبار او القرية المختبرة (البترون)

بحرصاف ܒܚܪܨܦܐ : بيت البَرَد (المتن)

بحنس تحريف بحنص ܒܚܢܨ : بيت الخنوص (المتن)

بحنين ܒܚܢܝܢ : بيت المرحوم (جزين)

بحوارة ܒܚܘܪܬܐ : بيت الابيض (عاليه)

* بخاز ܒܚܙ او ܒܚܙ اي فيك القوّة او بك التقوّى واعتصم (كسروان)

بدادون ܒܕܕܘܢ : بيت العمّ الصغير (عاليه)

بدبأ ܒܕܒܐ : بيت الدبّة (الكورة)

ـ بدغان ܒܕܓܢ : بيت دغون (صنم) (عاليه)

برتي ܒܪܬܝ : ابنتي (صيدا)

ـ برحليون ܒܪܚܠܝܘܢ : ابن الحلو (الكورة)

برسا ܒܪܨܐ : اسم علم ويقال دبّاغ (الكورة)

برشا ܒܪܫܐ : ابن الرئيس (عكار)

برعشيت ܚܘܪܒܐ ܕܥܪܒܐ : ارض شيت (صور) .
برعون ܒܪܥܘܢܐ : ابن الغم (الكورة)
برقا ܒܪܩܐ : برق (الشوف)
برقايل ܒܪܩ ܐܝܠܐ : برق ايل (عكار)
برمانا ܒܝܬ ܪܡܢܐ : بيت الرمان (المتن)
بريح ܒܝܬ ܪܝܚ : بيت الريح (الشوف)
بريقع تصحيف ܒܝܬ ܪܩܝܥ : بيت الرقيع (صيدا)
بزبدين ܒܝܬ ܙܒܕܝܢ : بيت الزبدة (بعبدا)
بزبينا ܒܝܬ ܙܒܝܢܐ : بيت المشتري (عكار)
ـ بزحل ܒܝܬ ܙܚܠ : بيت الزاحف او الجراد (كسروان)
ـ بزعون ܙܚܘܢ : مثقب (زغرتا)
ـ بزمار ܒܝܬ ܙܡܪ : بيت الزمير (كسروان)
ـ بزيزة ܙܘܙܝܬܐ : منهوبة (الكورة)
ـ بزينا ܒܝܬ ܙܝܢܐ : ترسخانة ، قرية السلاح (الشوف)
ـ بسابا ܒܝܬ ܫܒܐ : بيت الشيخ (عاليه)
بسبينا ܒܝܬ ܣܒܝܢܐ : بيت المشتري (البترون)
* بسري ܒܣܪܝ : اللحوم ، الجثث
* بسكنتا ܒܣܟܢܬܐ اسقطوا الياء من ܒܝܬ شأنها في امثالها ورققوا التاء فصارت ثاء وقلبوا الشين سيناً ووحدوهما سيناً للطف اللفظ وسهولته. فيكون معناها : محل السكن ، المسكن ، المثوى[1] .

---

١) قال المؤرخ روهنجر الالماني في تاريخه اليمني مجلد ١٠ صفحة ٣١١ كتاب ٥ طبعة ليباج في بلجيكا : « ان الموارنة بنو بسكنتا في وادي أولُون او وادي «ابولُون » كما ارتأى العلامة الاب انستاس الكرملي ، في القرن السابع سنة ٦٧٩ » وهذا ينطبق على تاريخ الموارنة وتقليدهم وعلى نفس معنى كلمة بسكنتا « المسكن والمثوى » .

واول من سكنها من ابراء المردة والموارنة الملك يوحنا خليفة يوسف ملك جبيل . والملك يوحنا هذا كان في ايام عبد الملك بن مروان وقد اغتاله في قب الياس قائد يوستنيانوس ملك

بسلوقيت ܚܡܐ ܡܨܝܕܐ : مَصيَد (زغرتا)
بسوس ܚܡܐ ܡܫܝܐ : بيت السوس (عاليه)

القسطنطينية ، الذي اراد من الملك يوحنا ان يصالح العرب فابى فدبّر اغتياله .

والامير الثاني الذي يصرّح التاريخ بانه سكن بسكنتا هو الامير سمان الذي قتل في موقعة جرت في نهر الكلب انتصر فيها النصارى على المسلمين انتصاراً باهراً . ثم حمل هذا الامير القتيل الى بسكنتا عاصمته ودفن فيها . وذلك في سنة ٨٧١ (الغرر الحسان ص ٢٠١) .

والتقليد الوطني في بسكنتا وسواها ايضاً على ان الامير الياس كان يسكن بسكنتا . وانه زحف على البقاع وخرب قراه في ايام ابي العباس السفّاح نحو سنة ٧٥٠ . وقد عمل الخليفة المذكور على اغتياله بحيلة انه يريد ان يعقد صلحاً معه .

والتقليد ايضاً في البلدة المذكورة على ان الامير ابرهيم كان يقطن بسكنتا . ولعلّ هذا الامير هو ابن اخت القديس يوحنا مارون الذي انتدب بطريركاً اول على الطائفة المارونية سنة ٦٨٥ – ٧٠٧ وحارب حروب المرارنة الاولى وكان ابن اخته ابرهيم المذكور قائد الجيوش اللبنانية في تلك الحروب .

ولا تزال اطلال قصور هؤلاء الامراء صابرة على غير الدهر ناطقة بما كان لاربابها من المجد والصولة والسطوة وقد اختاروا السكنى في هذه البلدة بسكنتا لمناعتها الطبيعية . ومن امّ هذه البلدة يرى بام العين حقيقة ذلك ويشاهد عن كثب اطلال تلك القصور في المحل المعروف اليوم باسم « الحُصَين » تصغير « حصن » وفي المحل المعروف باسم « قلعة الحبس » غربي بسكنتا حيث لا يزال محل الحبس معروفاً . وقد كان في مدخله بلاطة في سقفه فيها حلقة من حديد ربما كانت لشنق المجرمين المحكومين بالاعدام وبقيت كذلك الى نحو سنة ١٨٩٠ حيث كسر البلاطة احد الجهلة واخذ الحلقة لربط ثوره بها .

ولا يبعد ابداً ان امراء كثيرين ممّن تخلل وجودهم وجود الامراء المذكورين او ممن اتوا بعدهم سكنوا بسكنتا لمناعتها الطبيعية كما تقدم ، ولو لم يذكر التاريخ اسماءهم في تلك الحقبات الغامضة التاريخ .

وقد سكن بسكنتا سلالة المقدم فارس بن مراد ابن المقدم ابي اللمع الذي كان والياً على جبة بشري سنة ١٦٥٦ ، ثم والياً على عكار سنة ١٦٥٩ . وعُرفت هذه السلالة في بسكنتا بفرع فارس مراد ابي اللمع . ولا يزال البعض من دورهم قائمة الى اليوم . وقد اتصلت بالشراء الى بعض الاهالي في بسكنتا . ولم يبقَ فيها الى الآن احدٌ من هؤلاء الامراء .

وممن اشتهر منهم الامير علي فارس بن الامير طروده ابن الامير احمد ابن الامير حسن ابن فارس المقدّم بن المقدّم مراد ابن المقدم ابي اللمع . فهذا الامير علي فارس بسبب انحيازه الى الحزب المضاد لمحمد علي باشا عزيز مصر نفي مع البعض من اهالي البلاد الى سنار سنة ١٨٤٠ ، وعادوا جميعهم سنة ١٨٤١ .

واشتهر منهم الامير حسن بن ابي اللمع بن الامير ملّا ابن المقدم فارس ابن المقدم مراد ابن

بشامون ܒܝܬ ܫܡܘܢ : بيت شامون وهو اسم علم (عاليه)
بشتفين ܒܝܬ ܫܬܦܝܢ : بيت الشركاء (الشوف)
بشتليدا ܒܝܬ ܫܬܠܝܕܐ : مَغرَس (كسروان
بشتودار ܒܝܬ ܫܬܘܕܪ : مرسَل البترون)
بشري ܒܝܬ ܫܪܝ : المبتدئ (زغرتا)
بشعله ܒܝܬ ܫܥܠܐ : بيت الكفّ والراحة (البترون)
بشلة ܒܝܬ ܫܠܐ : بيت الدروع (كسروان)
بشرا ܒܝܬ ܫܘܪܐ : بيت الشمرة وهي نبات الرازيانج او بيت المُرسَل (الشوف)
بشناتا ܒܝܬ ܫܢܬܐ : بيت اشنة وهي عطر ابيض (طرابلس)
ـ بشنين ܒܝܬ ܫܢܝܢ : بيت قديم السنين. ويجوز ايضاً ان تكون من ܒܝܬ ܫܢܝܢ اي قرية الاسنان لان اراضيها كالاسنان (زغرتا)
بصالم ܒܝܬ ܨܠܡ : بيت الصنم (المتن)
بصرما ܒܝܬ ܨܪܘܡܐ : بيت عنقود التمر (الكورة)
بصفرين ܒܝܬ ܨܦܪܝܢ : بيت العصافير (المتن)
ـ بطرام ܒܝܬ ܛܪܡ : بيت عالٍ (الكورة)
بطرماز او بطرماس ܒܝܬ ܛܪܡܣ : بيت الطرموس (طرابلس)
بطلون ܒܝܬ ܛܠܘܢ : بيت الندى (عاليه)
بعاصير ܒܝܬ ܥܨܪܐ : معصرة (الشوف)
ـ بعبدا ܒܝܬ ܥܒܕܐ : بيت العبد (بعبدا)
ـ بعبدات ܒܝܬ ܥܒܕܬܐ : بيت العبدات (المتن)
ـ بعذران ܒܝܬ ܥܕܪܢ : بيت المنجد (الشوف)

المقدم في اللسع . وكان غنياً جداً ومات بدون عقب . وتعين وكيلاً لقائمقامية النصارى مدة قبل تشكيل المتصرفية المعروفة سنة ١٨٦٠ وقد كان حاكماً بكفتا والمتين وما جاورها كما يظهر من امر اصدره الى احد مشايخ الدروز في المتين. وهو في سجلات دير طاميش . ومن مشاهير بكفتا كثيرون يضيق المقام بتعدادهم .

بعترين ܒܝܬ ܥܩܪܝܢ : بيت العقاقير (المتن)
بعتلين ܒܝܬ ܥܬܠܝܢ : بيت معوج (الشوف)
بعلبك ܒܥܠܒܟ : اسم صنم للفنيقيين (بعلبك)
ـ بعلشميه ܒܥܠ ܫܡܝܐ : صنم للفنيقيين معناه : صاحب السماء (بعبدا)
بعلول ܒܝܬ ܥܠܘܠܐ : بيت الداخل (زحلة)
بعورتا ܒܝܬ ܥܘܪܬܐ : بيت المياه (عاليه)
بقاع صفرين ܒܩܥ ܨܦܪܝܢ : سهل العصافير (طرابلس)
بقاع كفره ܒܩܥ ܟܦܪܐ : سهل القرى (زغرتا)
بقرصونه ܒܝܬ ܩܪܨܘܢܐ : بيت البرد القارس (طرابلس)
بقرقاشا ܒܝܬ ܩܪܩܫܐ : بيت الطقطقة (زغرتا)
بقسطه ܒܝܬ ܩܣܛܐ : بيت الاكواز (صيدا)
* بقسيا ܒܝܬ ܩܣܝܐ القرية القائمة على حد او شفير المياه لانها على كتف نهر الجوز (البترون)
بقسه ܒܝܬ ܩܣܐ : بيت الحطب (الشوف)
بقشقش ܒܝܬ ܩܫܩܫ : مجمع القش (كسروان)
ـ بقعاتة ܒܩܥܬܐ : بقاع (كسروان)
ـ بقعتوتا ܒܩܥ ܬܘܬܐ بقعة توت (كسروان)
بقعون ܒܩܥܘܢ : شق او خرق (الشوف)
بقنايا ܒܝܬ ܩܢܝܐ : بيت القصب (المتن)
البقيعة ܒܩܝܥܬܐ : دكة مصطبة (البترون)
ـ بكاسين ܒܝܬ ܟܣܝܢ : بيت الكؤوس (جزين)
ـ بكركي ܒܝܬ ܟܪܟܝ : بيت المدارج والصحف (كسروان)
بكشتين ܒܝܬ ܟܫܬܝܢ : بيت الاقواس (الشوف)
بكفتين ܒܝܬ ܟܦܬܝܢ : بيت القبب (الكورة)
ـ بكنيا ܒܝܬ ܟܢܝܐ : بيت مختف او محجر (المتن)
بكيفا ܒܝܬ ܟܝܦܐ : بيت حجر (طرابلس)

ـ بلوزا ܒܝܬ ܠܘܙܐ : بيت اللوزة (زغرتا)
بريم ܒܝܬ ܡܪܝܡ : بيت مريم (بعبدا)
بكين ܒܝܬ ܟܝܢ : بيت ثابت (عاليه)
بنهران ܒܝܬ ܢܗܪܢ : بيت النهر الصغير (الكورة)
ياقوت ܒܝܬ ܝܩܘܬ : بيت محروق (المتن)
بيت شاما ܒܝܬ ܫܡܐ : بيت شهير (بعلبك)
بيت شباب ܒܝܬ ܫܒܒ : بيت الجار (المتن)
بيت شلالا ܒܝܬ ܫܠܠܐ : بيت مسلوخ (البترون)
بيت الكوكو ܒܝܬ ܟܘܟܘ : بيت الكمك (المتن)
بيت لميا ܒܝܬ ܠܡܝܐ : بيت التاعب (راشيا)
بيت مري ܒܝܬ ܡܪܝ : بيت السادة (المتن)
بيت ياحون ܒܝܬ ܐܚܘܢ : بيت اخينا (صور)
ـ البيرة ܒܝܪܬܐ : مقصورة او الآبار (راشيا وعاليه وعكار)
ـ بيروت ܒܝܪܘܬ : صنوبر (بيروت) واصل اللفظ فنيقي كما هو معلوم
ـ بيصور ܒܝܬ ܨܘܪ : بيت صور (جزين وعاليه)
بيتون ܒܝܬ ܐܬܘܢ : محبس (الشوف)
بينو ܒܝܢܘ : مرجان (عكار)

تلشع ܬܠܫܥ : تاسع (عكار)
تبنا ܬܒܢܐ : تبن (صيدا)
تبنين ܬܒܢܝܢ : تبن (صور)
ـ تحوم ܬܚܘܡ : حدّ (البترون)
تربل ܬܪܒܠ ܐܠ : صورة صنم (زحلة وطرابلس)
* ترتج ܬܪܬܓ ܐܠ الجبل المتوّج (البترون)
تلبايا ܬܠܒܝܐ : مكان الثعالب (زحلة)
تمنابل ܬܡܢܒܠ ܐܠ : حمل الاله (زحلة)

تكريت ܡܚܬܐ : حزن (عكار)
تل بيره ܬܠܐ ܕܒܝܪܐ : تل الآبار (عكار)
تنين ܬܢܝܢ : اثان (بعلبك)
ـ تنوره وتنورين ܬܢܘܪܐ و ܬܢܘܪܝܢ : تنانير (البترون)
تولا وتولين ܬܘܠܐ و ܬܘܠܝܢ : تل ربوة (البترون وزغرتا)
تويتة ܬܘܝܬܐ : متأنقة (زحلة)

جبلا وجبولة ܓܒܠܐ و ܓܒܘܠܐ : من جَبَلَ (البترون وبعلبك)
جبيل ܓܒܝܠ : جَبَلَ (كسروان)
* جدايل لعلها ܓܕܝܠ ܐܠܗ : حظ الهي (البترون)
* جدبرا لعلها من ܓܕܒܪܐ ܕܐܠܗ حظ الاكبر . او نصيب الاكبر (البترون)
جربتا ܓܪܒܬܐ : كوارة النحل (البترون)
جرمق ܓܪܡܩ : طاحون (جزين)
ـ جرنايا ܓܪܢܝܐ : جرن (الشوف)
جزين ܓܙܝܢ : جزّازون (جزين)
ـ جميتا ܓܡܝܬܐ : الصارخة (كسروان)
الجليلية ܓܠܝܠܝܐ : مدوّرة (الشوف)
جنتا وجناتا ܓܢܬܐ و ܓܢܬܬܐ : جنان (صور وبعلبك)
جنة ܓܢܬܐ : جنان (كسروان)
* جنسايا ܓܢܣܝܐ ذات الاجناس . او هي ܓܢܣܝܐ محل المبغضين او المنبوذين (جزين)
جنين ܓܢܝܢ : جنان (عكّار)
جون ܓܘܢ : زاوية (الشوف)
جونية ܓܘܢܝܐ : زوايا (كسروان)
جويا ܓܘܝܐ : داخلي (صور)

ـ حاصيا ܚܨܝܐ : خزّاف او خوابي (مرجعيون)
حاقل ܚܩܠ : حقل (كسروان)
ـ حالات ܚܠܬܐ : خالات (كسروان)
حامات ܚܡܬܐ : حماة (البترون)
حامول ܚܡܘܠܐ : جامع (صور)
ـ حبالين ܚܒܠܝܢ : ما يدعو الى الاسف او الفساد (كسروان)
حبشيت ܚܒܫܝܬ : محبسة (عكار)
حبوش ܚܒܘܫ : صومعة (صيدا)
حجولا ܚܓܘܠܐ : دوّار (كسروان)
حداثة ܚܕܬܐ : جديدة (صور)
ـ حدثون ܚܕܬܘܢ : جديد (البترون)
حدث ܚܕܬ : جديد (بعبدا وبعلبك)
ـ حدشيت ܚܕܫܝܬ : اسم علم (زغرتا)
حراجل ܚܪܓܠ : جراد (كسروان)
حرار ܚܪܪ : حرّ (عكار)
حربا ܚܪܒܐ : خراب (مرجعيون)
حربتا ܚܪܒܬܐ : خربة (بعلبك)
حردين ܚܪܕܝܢ : خائفون (البترون)
الحرف ܚܪܦ : حدّ (جزين وزغرتا)
حربيا ܚܪܒܝܐ : من ܚܪܒܐ : ظهر (كسروان)
حزرتا ܚܙܪܬܐ : خنزيرة (زحلة)
ـ حصرون ܚܨܪܘܢ : خنصر (زغرتا)
حليا ܚܠܝܐ : حليب (عكار)
ـ حلتا ܚܠܬܐ : خالة او غمد السيف (البترون)
حمّانا ܚܡܢܐ : حمو (بعبدا)
حمرة ܚܡܪܬܐ : خمر (صيدا)

حلايا ܡܬܟܢܫܐ : مجموعة (المتن)
حميرة ܡܬܚܡܪܐ : خمير (عكار)
حميري ܡܬܚܡܪܐ : خمير (صور)
حيله ܡܬܚܝܠܐ : مجموعة (صيدا)
حوارة ܡܚܘܪܐ : بيضاء (طرابلس)
حور تلا ܡܚܘܪ ܬܠܐ : تلب ابيض (بعلبك)
حوشب ܡܚܫܒ : حسب (عكار)
حوقا ܡܚܘܩܐ : صف (زغرتا)
حومين ܡܚܘܡܝܢ : حرّ (صيدا)
حياطة ܡܚܝܛܐ : خياطة (كسروان)
حيزوق ܡܚܝܙܘܩ : مسافر (عكار)
حيصا ܡܚܝܨܐ ܡܚܝܨܐ : شجاع (عكار)
ـ حيطورا ܡܚܝܛܘܪܐ : حي الجبل او الجبل الحي (جزين)

* الخنشاره ܚܢܫܪܐ ܕܐܪܡܝܐ : جيش الحرب او مجتمع الحرب او معسكر .
ولا عجب وقد جرى بينها وبين بتغرين موقعة حرب هائلة بين المردة والمسلمين في القرن الثامن كما يذكر التاريخ

ـ داريا ܕܪܝܐ : دور (كسروان والشوف)
دارين ܕܪܝܢ : دور (عكار)
* دار بعشتار ܕܪ ܒܥܫܬܪ : دار الجبل السيء (الكورة)
* دار شزين ܕܪ ܫܙܝܢ : دار خدمة السلاح (الكورة)
داورد ܕܘܪܕ : عجيب (الشوف)
دبين ܕܒܝܢ : دبب (مرجعيون)
دده ܕܕܐ : اعمام (الكورة)
دردغيا ܕܪܕܝܓܝܐ : طائر بعي (صور)
دردوريت ܕܪܕܘܪܝܬ : عاقول (الشوف)

ـ درعون ܕܪܥܘܢ : يوب (كسروان)
دريا ܕܪܝܐ : دار (البترون)
دنة ܕܢܬܐ : جنب (عكار)
ـ دفون ܕܦܘܢ : مدفن او جنب (عاليه)
دقون ܕܩܘܢ : مدقّ (عاليه)
دكوانة ܕܟܘܢܐ : رفّ (المتن)
دلبا ܕܠܒܐ : دلبة (كسروان)
دنيو ܕܢܝܐ : ذَنَب (عكار)

* دوق « الدوق » في بلاد جبيل قرب دير ميفوق وهي في السريانية ܕܘܩܐ المنظر لان موقعها يطل على البحر وعلى كثير من القرى
دير طاميش ܕܝܪ ܛܡܝܫ : مغطوس (المتن)
دير قوبل ܕܝܪ ܩܘܒܠ : استقبال (عاليه)

* دير كوشي ܕܝܪ ܟܘܫܝ دير الحبشي . قد يكون هناك قديماً ܕܝܪ ܡܪܝܡ دير للقديس موسى الحبشي ، او هي دير الجماعة (الشوف)
دير كيفا ܕܝܪ ܟܝܦܐ : دير الحجر (صور)
ديان ܕܝܢܐ : تيس (زغرتا)

* راس إيتا ܪܝܫ ܐܝܬܐ راس الجدار او الحائط لانها تقوم على رابية (الكورة)
ـ راس كيفا ܪܝܫ ܟܝܦܐ : راس الحجر (زغرتا)
ـ راس نحاش ܪܝܫ ܢܚܫܐ : راس النحاس (البترون)
ـ راشا ܪܝܫܐ : راس (البترون)
ـ راشانا ܪܝܫܢܐ : رئيس (البترون)
ـ راشيا ܪܝܫܝܐ : رئيسيّ او رؤساء (بقاع)
ـ رام ܪܡܐ : مرتفع (البترون)
ـ راموت ܪܡܘܬܐ : تلّ (كسروان)

ـ رشعين ܪܫܥܝܢ : راس العين (زغرتا)
رشف ܪܫܦ : دبّ وزحف (صور)
رشكيدا ܪܫܟܝܕܐ : راس المرتفع (البترون)
رشكنانية ܪܫܟܢܢܝܐ : راس المفصل (صور)
ـ رشيا ܪܫܝܐ : راس الماء (عاليه)
رعيت ܪܥܝܬ : راعية زحلة)
ـ رمالا ܪܡܠܐ : تلّ الخال او الرمل المرتفع والقرية ذات الرمال (عاليه)
رميش ܪܡܝܫ : مساء (صور)
رومين ܪܘܡܝܢ : اعالي (صيدا)
ريحا ܪܝܚܐ : ريح (بعلبك)

زبدين ܙܒܕܝܢ : زبدة (صيدا وكسروان)
زبوغا ܙܒܘܥܐ : شجر مشتبك (المتن)
زحلة ܙܚܠܐ : زاحل دابّ (زحلة)
زحلتا ܙܚܠܬܐ : زاحلة (جزين)
ـ زرعون ܙܪܥܘܢ : بقل (المتن)
زغدرايا ܙܓܕܪܝܐ ܕܐܝܠܐ زجج انها من ايلا صينيّة وكاس (صيدا)
زغرتا ܙܓܪܬܐ : رتاج (زغرتا)
زغر تفرين ܙܓܪ ܬܦܪܝܢ : رتاج مسدود (طرابلس)
زغرين ܙܓܪܝܢ : سدّ (المتن)
زفتا ܙܦܬܐ : زفت (صيدا)
زقيه ܙܩܝܬܐ : جود . سقاء (مرجعيون)
زكريت ܙܟܪܝܬ : مسدودة (المتن)
زكزوك ܙܟܙܘܟ : حلقة (الكورة)
زلّايا ܙܠܐܝܐ : قصب (زحلة)
* زمّر ܙܡܪ التزمير ، الغناء ، النشيد (الكورة)

زوطر ܐܘܛܪܐ : ذبيحة وثن (صيدا)
زيتا ܙܝܬܐ : زيتون (صيدا)

* سبرين ܣܒܪܝܢ : الظنون . او ܣܒܪܝܢ الرجاء (الكورة)
سبلين ܣܒܠܝܢ : حصيرة (الشوف)
سرعيتا ܣܪܥܝܬܐ : مشقوقة (كسروان)
سرعين ܣܪܥܝܢ : مشقوقة (بعلبك)
سعدين ܣܥܕܝܢ : سُعد : نبات (عكار)
سفتي ܣܦܬܝܐ : سفينة (صيدا)
سفيرة ܣܦܝܪܬܐ : رخام (طرابلس)
سفينة ܣܦܝܢܬܐ : سفن (مرجعيون)
سكة بما ܣܟܬܐ ܒܡܐ : سكة البخور (صور)
سلطا ܣܠܛܐ : صوّان (صور)
سلماتا ܣܠܡܬܐ : سلّ البيعة (البترون)
* سلفايا ܣܠܦܝܐ : الاسلاف (الشوف)
سلوقية ܣܠܘܩܝܬܐ : مرقى (بعلبك)
سمقانية ܣܡܩܢܝܬܐ : محرّة (الشوف)
سمقلي تحريف سمقري ܣܡܩܪܝ : اشقر (عكار)
سمونية ܣܡܘܢܝܬܐ : سمّ (عكار)
* سنيا ܣܢܝܐ : عوسج (جزين)
سويرة ܣܘܝܪܬܐ : عظاية (زحلة وجزين)

— شاتين ܫܬܝܢ : شربنا . لعلها تصحيف ܫܬܝܢ عريش (البترون)
شارنيه ܫܪܢܝܬܐ : شجرة صغيرة (صور)
شارون ܫܪܘܢ : مرج (عاليه)
شالوط ܫܠܘܛ : مسلّط (طرابلس)
شام ܫܡ : سام بن نوح (عكار)

شامات ܫܡܬܐ : علامات (كسروان)
شانية ܫܢܝܬܐ : منتقلون (عاليه)
ـ شاوية ܫܘܝܬܐ : متساوون (المتن)
ـ شبطين ܫܒܛܝܢ : قضبان (البترون)
شبعا ܫܒܥܐ : سبعة (مرجعيون)
شطوزا من ܐܦܝ ܛܘܪܐ اسفل الجبل (زحلة)
شخور ܫܚܘܪܐ : فحم (صور)
شحيم ܫܚܝܡܐ : بسيط (الشوف)
شدره ܫܕܪܐ : مرسل (عكار)
شربيلا ܫܪܒܝܠܐ : خير الله (عكار)
شربين ܫܪܒܝܢ : شربين (الهرمل)
شرتون ܫܪܛܘܢ : شرطي (عاليه)
شرين ܫܪܝܢ : أطلقنا (المتن)
شطاحة ܫܛܚܐ : ساحة (عكار)
شعث ܫܥܬ : ساعة (بعلبك)
شعيتة ܫܥܝܬܐ : شمعي . اصفر اللون (صور)
شقيف ܫܩܝܦܐ : كهف (صيدا)
شلينا ܫܠܝܢܐ : هادئ (بعلبك)
* شطار ܫܛܪ ܐܪܥܐ : القرية المقابلة للشمس
شمايا ܫܡܝܐ ܡܝܐ : شمس الماء (عاليه)
شمع ܫܡܥ : سمع (صور)
شمرين ܫܡܪ ܫܢܝܢ اسم المغارر (الشوف)
شملان ܫܡܠܐ : كامل (عاليه)
شويا وشرايا ܫܘܝܐ : متساوية (كسروان والمتن ومرجعيون)
شوريت ܫܘܪܝܬ : خطوة (فشخة) (عاليه)
شوكين تحريف شوقين ܫܘܩܝܢ : اسواق (صيدا)

ـ شويت ܫܘܝܬܐ : منار (بعبدا وعاليه)
ـ شوير ܫܘܝܪܐ : اسم مفعول من ܫܘܝ اي ما يُقتَز عليه (المتن)
شويفات ܫܘܝܦܐ : طرق صغيرة (عاليه)
شياح ܫܝܚܐ : شيح (بعبدا)
شيحين ܫܝܚܝܢ : نبات (صور)
شيرا ܫܝܪܐ : سوار (الكورة)

صربا ܨܪܒܐ : برج (صيدا وكسروان)
صرتين ܨܪܬܝܢ : اساطير (صور)
صريفا ܨܪܝܦܐ : سبك الدراهم (صور)
صليبا ܨܠܝܒܐ : صنم (بعبدا)
صور ܨܘܪ : صوّر (صور)
ـ صورات ܨܘܪܬܐ : صورة (البترون وكسروان)
* صوراتا ܨܘܪܬܐ : صورٌ . تماثيل (كسروان)
صيدنايا ܨܝܕܢܝܐ : صيدليّ (عكار)
صيدون ܨܝܕܘܢ : صيّاد (جزين)

طاران ܛܐܪܢ : صوّان (طرابلس)
طاريا ܛܪܝܐ : جبال (بعلبك)
طبشة ܛܒܫܐ : سفافيد (المتن)
طلوسه ܛܠܘܣܐ : صبي صغير (مرجعيون)
طليا ܛܠܝܐ : صبي (بعلبك)
طمره ܛܡܪܐ : مطامير (جزين)
طنبوريت ܛܢܒܘܪܝܬܐ : طنبورة (صيدا)
طورزيا : جبل زيّا . وزيّا اسم عَلَم (كسروان)
طوره ܛܘܪܐ : جبال (صور)
طويرى ܛܘܝܪܐ : مدهش (صور)

طير زينا ܛܝܪܐ ܙܝܢܐ : مجمع السلاح (صور)

ـ عابا ܥܒܐ : حرج (الكورة)

عاريا ܥܪܝܐ : برد (بعبدا)

* عاقورة ܥܝܢ ܥܩܘܪܐ : العين الباردة (كسروان)

ـ عاليتا ܥܠܝܬܐ : علية (كسروان)

عانا ܥܢܐ : غنم (زحلة)

عانوت ܥܢܘܬܐ : عنيد (الشوف)

عبا ܥܒܐ : غاب (صيدا)

عبدين ܥܒܕܝܢ : عبيد (الكورة)

عبرا ܥܒܪܐ : معبر (صيدا)

ـ عبرين ܥܒܪܝܢ : معابر (البترون)

عترين ܥܬܪܝܢ : غنى (الشوف)

ـ عجلتون ܥܓܠܬܘܢ : عجلة صغيرة (كسروان)

ـ عردات ܥܪܕܐܬ : حير (طرابلس)

ـ عرقه ܥܪܩܐ : سيور (عكار)

ـ عرمتي ܥܪܡܬܝ : كومة (جزين)

ـ عرمون ܥܪܡܘܢ : وعر او تلّ (كسروان)

ـ عرنايا ܥܪܢܝܐ : قاس (صيدا)

ـ عقبانا ܥܩܒܢܐ : منعطفات (جزين)

علما ܥܠܡܐ : عالم (زغرتا)

ـ علمات ܥܠܡܬܐ : عالمات (كسروان)

علمان ܥܠܡܢܐ : عالميّ (الشوف ومرجعيون)

* عماطور ܥܝܢ ܡܛܘܪ : عين ماء الجبل (الصوف)

عمرة ܥܡܪܬܐ : مساكن وديورة (مرجعيون)

ـ عمشيت ܥܡܫܝܬ : شعب شيت (كسروان)

عنايا ܥܢܝܐ : اغنية (كسروان)
عوره ܥܘܪܐ : ما. (البترون)
— عيناب ܥܝܢ ܐܒ : عين الأب (الشوف)
عين اشا ܥܝܢ ܐܫܐ : عين شهيرة (عكار)
عين بعال ܥܝܢ ܒܥܠ : عين بعل (صور)
عين بلاطه ܥܝܢ ܒܠܛܐ : عين النجاة (بعلبك)
عين تراز ܥܝܢ ܬܪܙܐ : عين مشقوقة (عاليه)
عين تنتا ܥܝܢ ܬܢܬܐ : عين العروة (عكار)
عين تينة ܥܝܢ ܬܝܢܬܐ : عين التين (طرابلس وزحلة)
عين جوزة ܥܝܢ ܓܘܙܬܐ : عين الجوز (بعلبك وعاليه)
عين حرشه ܥܝܢ ܚܪܫܐ : عين الخرس (راشيا)
عين حور ܥܝܢ ܚܘܪ : عين البيضاء (الشوف)
عين الخروبة ܥܝܢ ܚܪܘܒܬܐ : عين الخرنوب (المتن)
عين داره ܥܝܢ ܕܪܐ : عين البيوت (عاليه)
عين الدلب ܥܝܢ ܕܠܒܐ : (صيدا وكسروان)
عين الرمانة ܥܝܢ ܪܡܢܬܐ (عاليه)
عين زحلتا ܥܝܢ ܙܚܠܬܐ : عين زاحفة (الشوف)
عين صوفر ܥܝܢ ܨܘܦܪ : عين العصفور (عاليه)
— عين طوره ܥܝܢ ܛܘܪܐ : عين الجبل (كسروان والمتن)
عين طورين ܥܝܢ ܛܘܪܝܢ : عين الجبال (زغرتا)
عين عكرين ܥܝܢ ܥܟܪܝܢ : عين تحينة (الكورة)
عين عنوب ܥܝܢ ܥܢܘܒ : عين العنب (عاليه)
عين قانا ܥܝܢ ܩܢܐ : عين العش (صيدا)
عين القش ܥܝܢ ܩܫ : عين القس (المتن)
عين قني ܥܝܢ ܩܢܝ : عين الاعشاش (الشوف)
عين قنيا ܥܝܢ ܩܢܝܐ : عين القصب (مرجعيون)

عين مرعي ܥܝܢܐ ܕܡܪܥܝܐ : عين المرضى (عاليه)
عين وزين ܥܝܢ ܘܙܝܢ : عين الاوز (الشوف)
ـ عيناتا ܥܝܢܬܐ : عيون (بعلبك)
ـ غباله ܓܒܠܐ : جابلة (كسروان)
غدراس ܓܕܪܐܣ : غدير صغير (كسروان)
* غزير ܓܙܝܪܐ : مقطوعة (كسروان)
* غوشريا ܓܘܫܪܝܐ : جسور (كسروان)
ـ فاريا ܦܐܪܝܐ : ثمار (كسروان)
ـ فالوغا ܦܠܘܓܐ : مقسّم (بعبدا)
* فتري ܦܬܪܝ : فطر ، ضرب من الكمأة (كسروان)
ـ فرزل ܦܪܙܠ : حديد (زحلة)
فريكة ܦܪܝܟܐ : فريك (المتن)
* فستين ܦܣܬܝܢ : قناة المياه (الشوف)
فقال ܦܩܠ : عمامة لشكلها المستدير (كسروان)
فيطرون ܦܝܛܪܘܢ : بيطار (كسروان)
قانا ܩܢܐ : عش (صور)
قبريخا ܩܒܪܝܟܐ : قبر المبارك (مرجعيون)
قبعيت ܩܒܥܝܬ : قبع (عكار)
قبوله ܩܒܘܠܐ : مستقبلون (جزين)
قرحا ܩܪܚܐ : جرد (بعلبك)
قرزلا ܩܪܙܠܐ : كبة غزل (عكار)
قرصيتا ܩܪܨܝܬܐ : صقيع (طرابلس)
قرطبا ܩܪܛܒܐ : قرطب (كسروان)
قرطبون ܩܪܛܒܘܢ : قرطب (كسروان)
قرعون ܩܪܥܘܢ : حنظل (زحلة)

قرقريا ܩܪܩܪܝܐ : برد (كسروان)
قرقف ܩܪܩܦ : جمجمة (عكّار)
قرقفة ܩܪܩܦܬܐ : جمجمة (المتن)
— قرنايل ܩܪܢܐܝܠ : قرن ايل (بعبدا)
قريات ܩܪܝܬܐ : قرية (عكار)
قزحيا ܩܙܚܝܐ : قصير السر (زغرتا)
قصرنبا ܩܨܪܢܒܐ : قصر لوف (بعلبك)
قطين ܩܛܝܢܐ : دقيق (جزين)
قلحات ܩܠܚܬܐ : نمزق (الكورة)
قليا ܩܠܝܐ : مقليّ (زحلة)
قليعات ܩܠܝܥܬܐ : مقتلعات (عكار وكسروان)
قرسايا ܩܪܣܝܐ : حطب (زحلة)
قيتولا ܩܝܛܘܠܐ : مصيف (جزين)

كترمايا ܟܬܪܡܝܐ : مستنقع (الشوف)
— كرخا ܟܪܟܐ : بلد (جزين)
كفتون ܟܦܬܘܢ : قرية صغيرة (الكورة)
كفر ܟܦܪ : قرية (عكار)
— كفر بعال ܟܦܪ ܒܥܠ : قرية البعل (كسروان)
كفر تبنين ܟܦܪ ܬܒܢܝܢ قرية التبن (طرابلس)
* كفرايا — كفريا ܟܦܪܝܐ : الضياع المزارع (البترون وكسروان)
— كفر تعلا ܟܦܪ ܬܥܠܐ : قرية الثعلب (جزين)
كفر حاتا ܟܦܪ ܚܬܐ : قرية جديدة (زغرتا والكورة)
كفر حبو ܟܦܪ ܚܒܘ : قرية المكيال (طرابلس)
— كفر حتنا ܟܦܪ ܚܛܢܐ : قرية الحنّن (البترون)
كفر حتي ܟܦܪ ܚܬܝ : قرى جديدة (صيدا)

ـ كفر حزير ܟܦܪ ܚܙܝܪܐ : قرية الخنزير (الكورة)
ـ كفر خلدا ܟܦܪ ܚܠܕܐ : قرية الخلد (البترون)
ـ كفر حورا ܟܦܪ ܚܘܪܐ : قرية المناظر (زغرتا)
* كفرحي ܟܦܪ ܚܝ : قرية الحيّ (البترون)
* كفر حيال ܟܦܪ ܚܝܠܐ : حقل القوة (كسروان)
كفر دان ܟܦܪ ܕܢ : قرية الحاكم (بعلبك)
كفر دجال ܟܦܪ ܕܓܠ : قرية الكذّاب (صيدا)
كفر رمان ܟܦܪ ܪܡܢ : قرية الرمّان (صيدا)
* كفر زيتا ܟܦܪ ܙܝܬܐ : حقل الشاري (كسروان)
ـ كفر زينا ܟܦܪ ܙܝܢܐ : قرية السلاح (زغرتا)
كفر شخنا ܟܦܪ ܫܟܢܐ : قرية السكنى (زغرتا)
كفر شليان ܟܦܪ ܫܠܝܢܐ : قرية سليمان (البترون)
كفر شوبا ܟܦܪ ܫܘܒܐ : قرية الحرّ (مرجعيون)
كفر شيا ܟܦܪ ܫܝܐ : قرية شيا وهو اسم صنم للفنيقيين (بعبدا)
كفر صارون ܟܦܪ ܨܪܘܢ : قرية الخوف (الكورة)
كفر صير ܟܦܪ ܨܘܪ : قرية المصوّر (صيدا)
كفر عيدا ܟܦܪ ܥܝܕܐ : قرية المعبود (البترون) .
ـ كفر عقا ܟܦܪ ܥܩܐ : قرية القلادة (الكورة)
* كفر عقاب ܟܦܪ ܥܩܒ : القرية المتطرفة لقيامها على طرف الناحية (المتن)
كفر فاقود ܟܦܪ ܦܩܘܕ : قرية المأمور (الشوف)
كفر فيلا ܟܦܪ ܦܝܠܐ : قرية الفيل (صيدا)
كفر قاهل ܟܦܪ ܩܗܠ : قرية الدلّال (الكورة)
ـ كفر قطره ܟܦܪ ܩܛܪܐ : قرية الاعتصاب (الشوف)
كفر قوق ܟܦܪ ܩܘܩ : قرية الغيهب (راشيا)
كفر كده ܟܦܪ ܟܕܐ : قرية الياتصيب (كسروان)

* كفر مايه ܟܦܪ ܡܝܐ : حقل المياه (الشوف)
كفر مشكي ܟܦܪ ܡܫܟܝ : قرية الجلود (راشيا) .
كفر ملكه ܟܦܪ ܡܠܟܐ : قرية الملوك (صيدا وعكار)
كفر ميلي ܟܦܪ ܡܝܠܝ : قرية الاميال (كسروان)
كفر نبرخ ܟܦܪ ܢܒܪܟ : قرية نبارك (الشوف)
كفرنون ܟܦܪ ܢܘܢ : قرية السمك (عكار)
* كفرنيس ܟܦܪ ܢܝܣ : حقل الهدف (الشوف)
كفره ܟܦܪܐ : قرى (صور)
ـ كفريا ܟܦܪܝܐ : قرى ومزارع (صيدا وعاليه والكورة)
* كفرايا ܟܦܪܝܐ ضياع (جبيل وكسروان)
كفرر ܟܦܪܐ : قرى (صيدا وكسروان)
كفرن ܟܦܪܢ : جائع (كسروان)
ـ كنيفان ܟܢܝܦܢ : منحن (البترون)
ـ كلباتا ܟܠܒܬܐ : كلبات (الكورة)
كوشا ܟܘܫܐ : هدوء (عكار)
كوكبا ܟܘܟܒܐ : نجم (راشيا)
كونين ܟܘܢܝܢ : كانون (صور)

لبايا ܠܒܝܐ : قلب (زحلة)
لبونة ܠܒܘܢܐ : قلب (صور)
لقلوق ܠܩܠܘܩ : لقلاق (كسروان)

* مار شينا ܡܪܝ ܫܝܢܐ : قرية القديس شينا (البترون)
ـ متريت ܡܬܪܝܬ : مكيال (الكورة)
مجدل ܡܓܕܠ : برج (البترون)
ـ مجدلا ܡܓܕܠܐ : برج (عكار)
ـ مجدلون ܡܓܕܠܘܢ : برج صغير (بعلبك)

ـ مجدليا ܡܓܕܠܝܐ : برجي (زغرتا وعاليه)
مجدليون ܡܓܕܠܝܘܢ : برجي (صيدا)
* مرجيا ܡܪܓܝܬܐ : عريضة واسعة (المتن)
مركبا ومركبتا ܡܪܟܒܬܐ : مركبة (مرجعيون وطرابلس)
مرنا ܡܪܢܝܐ : اسم صنم (صور)
مزرعة ثلاثا ܡܙܪܥܬܐ ܬܠܬܐ : مزرعة مثلثة (راشيا)
مزرعة جنسايا ܡܙܪܥܬܐ ܕܓܢܣܝܐ : مزرعة الاهل (جزين)
مزرعة طيايا ܡܙܪܥܬܐ ܕܛܝܐ : مزرعة السعداء (صيداء)
* مزمورا ܡܙܡܘܪܐ : مزمار (الشوف)
مستيتا ܡܣܬܝܬܐ : سدى (كسروان)
مشحا ܡܫܚܐ : زيت (عكار)
* مشغرة ܡܫܓܪܬܐ : نبع المياه (زحلة)
مشقتي ܡܫܩܬܝ : مستاة (عاليه)
مغراب ܡܓܪܒ : مغرب (كسروان)
مغربون ܡܓܪܒܘܢ : مغرب (بعلبك)
مغروب ܡܓܪܒ : مغرب (صور)
مصريتي ܡܨܪܝܬܝ : معاصر (عاليه)
مطية ܡܛܝܬܐ : مدخل (صور)
مسرية ܡܣܪܝܬܐ : معمورة (صيدا)
مغدوشة ܡܓܕܘܫܐ : كرمة الجعيد (صيدا)
مقنة ܡܩܢܐ : معش (بعلبك)
* مكسة ܡܟܣܐ : المكوس (زحلة)
* مليتا ܡܠܝܬܐ : ملاتة (الشوف)
مهرين ܡܗܪܝܢ : مهر (كسروان)
ـ ميروبا ܡܝܪܘܒܐ ماء الضجيج (كسروان)
ميغدون ܡܓܕܘܢ : ماء الفدان (صيدا)

ميفوق ܡܦܘܩܐ : ماء فوقا (كسروان)
ميمس ܡܝܡܣܐ : لاعب : مهرّج (مرجعيون)

ناقورة ܢܩܘܪܬܐ : مَنقَر (صور)
ـ نقريا ܢܩܪܝܐ : نسبة الى ܢܩܪܐ وهي منقر الحجار (البترون)
غرين ܓܪܝܢ : غورة (طرابلس)
ـ نيحا ܢܝܚܐ : هادئ (البترون والبقاع)

هربونا تحريف رهبونا ܪܗܒܘܢܐ : عربون (البترون)[1]
هرهريا ܗܪܗܪܝܐ : خرير (كسروان)

وردين ܘܪܕܝܢ : ورود (بعلبك)
وطا صفرتا ܨܦܪܬܐ : صباح (البترون)

ياروته ܝܪܘܬܐ : ورّاث (الشوف)
ياروم تحريف ياروم ܝܪܘܡ : مرتفع (صور)
ياطر ܝܛܪ : فضلٌ (صور)
يانوح ܝܢܘܚ : هادئ (صور)
* يحشوش نظن انها مأخوذة من مادة ܚܫ بمعنى الالم والوجع فيكون معناها « قرية الاوجاع والآلام » (كسروان)
يحمور ܝܚܡܘܪ : جاموس (زحلة)
يخوف تحريف ܝܚܘܦܐ : غاسل (بعلبك)

---

١) او هربونا : موذا زعيتا وهي قرية قبالة مار يوحنا مارون كفرحي يُطلّ من اعلاها على هذا الدير ـ المدرسة القديم جدًّا الذي سكنه مدةً دانيال الشاماني بطريرك الموارنة (١٢٣٠–١٢٣٩) ، وتقليد الموارنة ايضًا على ان يوحنا مارون القديس بطريركهم الاول (٦٨٥–٧٠٧) بنى هذا الدير وسكنه ايضًا . ولا يبعد ان بطاركة غير هذين الاثنين سكنوا هذا الدير بدليل معنى هذه القرية : «هربونا » اي « موذا زعيتا » فكأنّ الصاعد منها اول ما يطلّ على هذا الدير فيقول : « موذا مقام او دير زعيتا »

يونة ܡܓܕܠܐ : مجيرة (بعلبك)
ينطا ܡܛܠܐ : حمامة (راشيا)
يونين ܡܬܡ : حمام (بعلبك)

انتهى

اصلاحات وزيادات

ص	سطر	غلط	صواب
٢٩١	١٧	اصل	اول
٣٠٠	٢١	ܐܝܠܐ	ܐܝܠܐ
٣٠٨	١٤	رَبط	رَبط
〃	٢	السواعيت	السواغيت
٣١١	١٧	يدفعونه باليد	يستخرجونه من اليد
〃	١٨	او يَسرًا	او يَسَرًا .
٣١٣	٩	ومن يقول	ومنهم من يقول
〃	١٩	ܐܝܬܘ	ܐܝܬܘܗ
٣١٥	٤	مدماكاً	مدماكاً فمدماكاً
〃	٥	يوافق	يوافق على
٣١٦	٢١	ܘܠܐ	ܘܠܗ
٣١٩	٢٢	ܘܡܕܡܘܡ	ܘܡܕܡܘܡ
٣٢٠	١٣	لذلك	بذلك
〃	١٥	اخذوها	اخذوها من
٣٢٥	٢١	ܡܕܡܐ	ܡܕܡܐ
٣٢٦	١٦	ܡܕܡܐ	ܡܕܡܐ
٣٢٧	١٠	ܘܡܘܡ	ܘܡܘܡ
٣٣٢	١٤	في الراء	لثغة في الراء

ص	سطر	غلط	صواب
٣٣٣	١٥	مديد	صديد
٣٣٥	١٣	ܬܡܟܘܢ	ܬܡܟܘܢ
٣٣٦	١٠	ܡܚܦܘܢܐ	ܡܚܦܘܢܐ
〃	١٨	ما	بما
٣٣٧	١٨	عرنونها	عرنوسها
٣٣٨	١٠	ܚܢܘܐ	ܚܢܘܐ
٣٤٠	٨	ܪܟܘ	ܪܟܘ
٣٤٢	٩	الرواق	الراورق
٣٤٤	١	ܠܗܘܢ	ܠܗܘܢ
〃	١٠	ܠܗܘܢ	ܠܗܘܢ
٣٤٩	٥	ܚܢܢܝ	ܚܢܢܝ
〃	١٨	ܚܡܢܗܘܢ	ܚܡܢܗܘܢ
٣٥٢	٤	ܐܚܘܢ	ܐܚܘܢ
〃	١٩	القصافة	العصافة
٣٥٧	١١	خطا	خطا وجاز
٣٦٢	٤	راع	. . . .
〃	٥	ركن	ركز
〃	٩	ܡܢܚܐ	ܡܚܐ
٣٦٣	٣	ܚܘܠܡܐ	ܚܘܠܡܐ
٣٦٤	١٣	ܡܪܘܡ	ܡܪܘܡ
٣٦٧	١٤	بضغطه	بضنطه
٣٦٨	١١	ܚܢܢܐ	ܚܢܢܐ
〃	٢٢	بها	بهذا
٣٧٣	٣	في رأس	في مؤخر
٣٧٦	١٢	بالسان	بالسيان

السنة السابعة والثلاثون — تشرين ١ – كانون ١ ١٩٣٩

في سبيل اتحاد الكنائس

ذكرى المجمع الفلورنتيني

١٤٣٩–١٩٣٩

بقلم الاب فرنان دي لانترسن اليسوعي

لمن اشهر الأحداث في تاريخ النصرانية حدث الثامن من شباط ١٤٣٨، اذ وصل الى مياه البندقية اسطولها الذي اعدّه البابا اوجين الرابع لنقل وفد الروم.

وكانت امارة البنادقة اذ ذاك تقوم بكل ما في وسعها من غنى وحفاوة في استقبال الوفد استقبالاً منقطع النظير، في اليوم الثاني من وصوله. وقد اوفد البابا، وهو بندقي الأصل، صديقه امبرواز تراڤرساري، رئيس الكالدول العام، الى ملاقاة الامبراطور. وعُمّمت الاوامر بان لا يُهمل شيء في سبيل انالة الشرقيين فكرة سامية عن الضيافة العربية.

وذلك ان الحدث المذكور لم يسبق له مثيل . كانت تُعقد المجامع العامة . وكان يأتيها الاساقفة الكثيرون ، فيتجشمون مشاقّ الاسفار الطويلة من اطراف الامبراطوريّة الى القسطنطينية ، او الى أفسس ، او الى سرديك . وقد حضر الامبراطور ميشال پاليولوغ بنفسه مجمع ليون الثاني سنة ١٢٧٤ ، فقدّم الى البابا غريغوريوس العاشر شهادة الايمان التي اتخذها عن سلفه اكليمنضوس الرابع . ولكن لم يشهد اي مجمع من المجامع السابقة مثل هذا الحشد من الاساقفة الشرقيين يقودهم امبراطورهم وبطريركهم فيهبطون بلاد الغرب للبحث والمداولة بشأن الاتحاد . أوَليس هذا حدثاً فريداً ؟ أوَليس جديراً بان تُعلّق عليه أعظم الآمال ؟

ومما كان يزيد في اهمية الحدث المذكور ، فيعزّز الآمال المعلّقة عليه ، هو ان الفريقين المتداولَين كانا بأمسّ الحاجة الى الاتحاد ، بل كانا لا يستطيعان الاستغناء عن الاتحاد .

كان الاتحاد ، في نظر الروم ، من تلك المسائل الخطيرة ، المؤدّية الى حياة الامبراطورية او الى موتها . هي سلامة المملكة تتعلّق بنتيجة المناقشات . وستتضح هذه القضية بجلاء ، بعد خمس عشرة سنة ، اذ يدخل محمد الثاني عاصمة الدولة فيقضي على الامبراطورية البيزنطية . بيد ان الروم كانوا يشعرون ، منذ السنوات البعيدة ، بقرب الخطر العثماني المتقدّم يوماً فيوماً مضيقاً عليهم الخناق . ذلك ان الاتراك لم يكتفوا بالسيادة في آسية الوسطى ، حيث جعلوا من مدينة بروسة عاصمة لهم ، بل اخذوا يتسرّبون الى البلاد البلقانية . وها ان سلطانهم مراد الأول يضع يده منذ السنة ١٣٦٠ ، على ادرنه وفيليپوپولي من تراقية ، وعلى قسم من بلغارية ومقدونية . ولا ينتهي القرن الّا وقد اصيب المسيحيون بانكسار نيكوپولي على نهر الدانوب ، على رغم ما اظهره من شجاعة فرسان الفرنسويين الذين اسرعوا بقيادة جان سان پور تلبيةً لنداء سيجسموند ملك هنغارية ، فلم يمكنهم الّا تخليص الشرف في تلك المعركة التي كان تهوّرهم من اسباب خسارتها .

وكان يحقّ لبايزيد ان يعدّ نفسه سيد القسطنطينية من ذاك الحين ، لولا ما

كان من ظهور تيمورلنك في الافق الشرقي ، فاضطرار السلطان الى دخول آسية لمحاربته . ولكن لم يكن تراجع الاتراك الا هدنة موقتة . فبينا كان المجمع الفلورنتيني على وشك الانعقاد ، كان مراد الثاني ، حفيد بايزيد ، يستعيد الممتلكات البلقانية التي كان قد احتلها جده . اما المآثر الحربية التي قام بها جان هونياد في سربية وفالاشية ، واسكندر برغ في البانية ، فلم تتمكن الا ان تؤخر بضع سنوات ذاك الخطب الهائل الذي كان للاتحاد وحده ، لو تمّ ، ان يتداركه ، ويحول دونه ، بجعل امراء المسيحية في الغرب ينضمون الى الروم في مقاومة الاتراك العثمانيين .

هذه المعونة الغربية هي التي جاء يطلبها الامبراطور جان باليلوغ . وكان لا بدّ للحصول عليها من الاتحاد الديني . فرغب فيه الامبراطور رغبة تامة ، مخلصة الارادة ، قويّة الفاعلية دفعته الى ان يترك مقاليد الدولة في يد اخيه قسطنطين لأجل غير محدّد ، ويأتي بنفسه فيحني امام رومة جلال بيزنطية العريق ، والى ان يتابع الجهود في هذا الاتحاد طول اقامة الروم في ايطالية . ولكن هل كانت هذه الرغبة كافية التجرّد ؟ هو ما قد نشكّ فيه اذا اعتبرنا ما يتطلبه دوام الاتحاد من ضمانة خالصة . وذلك انه لم يكن لهذا العمل الالهي المحض ، عمل الاتحاد ، ان يتمّ تحت وطأة الخطر التركي ولا في جوّ المشاغل السياسية . انما تُعدّه دعوة حارّة عميقة ترفع بها النفوس نحو الوحدة .

ولم يكن في الاوساط الرومية ، اذ ذاك ، ما يهيب بها الى هذه الدعوة . فلم يهزّ الروم ذاك الفرح المنفجر في الكلمات الاولى من البراءة البابوية في الاتحاد ، ذاك الفرح الذي يترك السماء والأرض في البهجة والحبور ، والذي عمل ، ولا شك ، على هزّ افضل ممثليهم في فلورنسة .

ولهذا لم يلاق اعضاء الوفد الرومي ، عند رجوعهم ، الا استقبالا باردًا من قبل الشعب الذي كان قد سئم الانتظار الطويل ، ولم ترضه تلك الوعود بمساعدة تتركه حتى الآن في حالة متقلقلة مضطربة . وكانت قد اثّرت فيه اسوأ أثر دعاية الرهبان ، معاكسي الاتحاد ، بما كانوا يروّجونه في مهارتهم ودهائهم من ان الاتحاد يساوَم عليه في المجمع مساومةَ السِلَع .

وهكذا اصبح مرقس الأفسي، من ظلّ في المجمع عدوّ الاتحاد الوحيد لا يضعف ولا يلين، اشبه ببطل مجاهد بل بشهيد في نظر الشعب . اما الذين وقّعوا على صكّ الاتحاد فان البعض منهم — وهم الاقلية ، على ما يظهر — كأنطوان المرقلي ، وسكولاريوس ، رجعوا عن توقيعهم . وتحقّق الباقون ضعف ذاك الاتفاق الذي قاموا به في ظروف ظهرت موافقة من الوجهة البشرية ...

❁

ولنترك التفاصيل الآن من الناحية الشرقية ، متجهين جهة الغرب دارسين حالته . هو ايضاً كان يرجو الاتحاد ويحتاج اليه .

فان الكنيسة لم تكد تخرج من الانشقاق الكبير ، المعروف بالانشقاق الغربي ، بفضل انتخاب مرتينوس الخامس، حتى تهدّدها خطر جديد لا يكاد يقلّ في شيء عن الخطر السابق .

وذلك انه خوفاً من الانشقاق الذي طالما قسم السلطة المسيحية العليا الى سلطتين تدّعي كل منهما السيادة حتى لم يكن يتسنّى دائماً لأقوم الناس نيّةً ان يميّزوا السلطة الشرعية بينهما فيخضعوا للبابا الصحيح ، — خوفاً من الوقوع في مثل هذا الانشقاق، نشأت فكرة جديدة لدى الكثيرين من ذوي الآراء، ولم تلبث ان اتسع انتشارها يوماً فيوماً. وكان مرماها تعزيز صلاحية المجامع العامّة وجعل سلطة المجمع فوق سلطة البابا ، في ايّ حال ، حتى وان حكم هذا فرداً دون معارض .

وكان من نتائج هذه الفكرة ان قُرّر في كونستانسة عقد المجامع العامّة ، على طريقة دوريّة . فعُقد مجمع بال سنة ١٤٣١ ، بعد مجمع سيانة سنة ١٤٢٣ ، تنفيذاً لهذا القرار . وعندما كانت تُرسل الدعوات لهذا المجمع الاخير ، كان اوجين الرابع ، كوندولمارو ، يرقى عرش البابوية خلفاً لمرتينوس الخامس .

وكان اوجين الرابع بندقيّ الأصل ، من أسرة شريفة ، دخل صغيراً رهبنة الاوغسطينيين في دير مار جرجس في ألمانيا . ثم رقّاه خالة غريغوريوس الثاني عشر الى رتبة الكردينالية . فاحتفظ بما عُرف به من تقوى عميقة ، ونظام دقيق في الحياة . كما انه ظهر حبراً اعظم جديراً بالاحترام ، مدقّقاً في اعماله ، راغباً في

استشارة الخبراء الصالحين. وقد اتّصف في استقباله وفد الروم بكثير من المرونة واللباقة ، ففهم عقليتهم وعرف ان يراعي رقّة شعورهم السريعة التأثّر فطرةً ، وقد زادها قبولاً للتأثّر ظروفهم الحاليّة وحاجتهم الى المعونة .

ساس اوجين الرابع الكنيسة في تلك الاحوال الصعبة ، وعمل جهده حتى اتم المجمع جلساته وأثمر ثمارًا لم تضمحلّ جميعها في ما بعد . وذلك انه ، ان يكن الاتحاد ظهر وقتيًا زائلاً ، فان اعمال المجمع وتحديداته لا تزال موجودة ، فوق ما اتى من ثمار اقلّ وقعاً حسيًا ، وان لم تكن اقل اهميـة . منها ان الملتئمين والمتناقشين عرفوا بعضهم بعضاً وادرك كل فريق مواهب الفريق الثاني فزاد الاحترام المتبادل بين الشرق والغرب ، وشعر لاهوتيو اللاتين بضرورة الرجوع الى المصادر اليونانية ، كما شعر الروم انفسهم بضرورة اعادة النظر في كنوزهم الاصلية ودرسها درساً دقيقاً .

بيد ان الكنيسة كانت بحاجة اذ ذاك الى حبر اعظم كلاون الكبير او كغريغوريوس السابع ؛ ولم يكن اوجين الرابع واحدًا منهما .. وكان قد اساء صنعاً — عن حسن قصد ، دون شكّ — منذ عقد مجمع انتخابه ، فقيّد نفسه بصكّ يضع فيه سلطته تحت رقابة الكرادلة . هي تلك النزعة التي اشرنا اليها راميةً الى الحطّ من السلطة البابوية تارة في سبيل تعزيز سلطة المجامع العامة ، وطورًا ، كما هي الحال هنا ، في سبيل تعزيز سلطة الكرادلة ، وليس لمجمعهم في اصل وضعه الّا صفة استشارية .

هذه النزعة هي التي اخذت توحي مناقشات مجمع بال واعماله ، على طريقة كانت تزداد خطرًا يوماً بعد يوم على سلطة البابا .

ولا يمكنني ان اطيل البحث في اعمال هذا المجمع ، الذي يشكّ الكثيرون في صفته المسكونية منذ بدء اعماله ، بسبب تأليفه ، وما كان في جلسات المناقشات فيه من قلة الاساقفة وكثرة الاكليريكيين الخالين من كل صفة انتدابية ؛ ولاسيما بسبب الخلاف الذي حصل بينه وبين البابا .

وفي السنة ١٤٣٧ ، عزم اوجين الرابع على نقل المجمع . ثم عين مدينة فرّاري مركزًا له . فاحتجّ اعضاء بال في اكثريتهم ، وامتنعوا عن الامتثال .

واذا بالانشقاق يذرّ قرنه من جديد . ولم تكن سلطة الحبر الاعظم ، اذ ذاك ، من الوضوح بحيث لا يضلّ في بال بعض من تعدّهم الكنيسة في الاوج من الكرامة والقداسة ، من امثال لويس ألمان ، رئيس اساقفة أرل ، الذي رفعه الحبر الاعظم ، بعد ذاك ، الى مصافّ الطوباويين .

واذًا فان الغرب كان يتخبط في وسط ازمة مهمة هي أزمة السلطة البابوية . وليس من شكّ في ان مجمعنا الفلورنتيني عزّز هذه السلطة ، وان يكن هذا التعزيز اتى عن طريق غير التي كان يرجوها عاقدو المجمع .

ولنكتفِ الآن بالاشارة الى ايّ حدّ كان الاتحاد مرغوباً فيه ، ان من جهة البابا ، وان من جهة اليونان . وأيّ مجد كان ينال البابوية ، تجاه عصاة مجمع بال ، وقد ظفرت بجميع الاخوة المنفصلين منذ اربعمائة سنة ، في تلك الظروف التي كان انشقاق جديد يهدد فيها السلطة البابوية . وقد بدا هذا النصر الادبي بمظهر جلي عندما اعلن الروم عزمهم على الذهاب الى فرّاري ، على رغم ما كان يقوم به موفدو مجمع بال من جهود في دعوتهم اليه ، وما كانوا يعرضون عليهم من مواعيد .

هذا ملخّص موقف الفريقين في السنة ١٤٣٨ .

❁

وقبل ان ندخل في تاريخ المداولات المجمعية نشير بكلمة الى مصادرنا :

ان المحاضر الرسمية التي كان يدوّنها كتّاب محلّفون (ثلاثة من الروم وثلاثة من اللاتين) قد فُقدت باجمعها . ولنا في القيام مقامها ثلاث وثائق نُشرت في المجموعات الكبرى الخاصة بنشر وثائق المجامع كمجموعات هردوَن ومانسي .

١ ــ الوثيقة الاولى . مذكرة رومية وضعها باليونانية احد آباء المجمع نجد فيها هذا القول : « نحن الاساقفة العشرة المعيّنون ... » ويرجّح ان واضعها دوروثاوس المتيليني . تُرجمت الى اللاتينية سنة ١٥٢١ ثم سنة ١٦١٢ ، بقلم متياس كاريوفيلوس .

٢ ــ مجموعة اعمال جمعها في القرن السابع عشر ل . الاتيوس ونشرها أ. جيوستنياني قيّم المكتبة الفاتيكانية . وهي في اساسها مذكرة كتبها

اندري دي سانتاكروس، من اشراف الرومان، الحاضر في المجمع. وأضيف اليها بعض الوثائق

٣ ــ الوثيقة الثالثة من تأليف كاهن رومي اسمه سيروبولوس كان من الدّ اعداء الاتحاد، وبالتالي يظهر على كثير من التحيّز. وضع في هذا المؤلّف كل الشكاوى، حقيقية او موهومة، التي كان يوجّهها الروم الى دعاة الاتحاد. وقد بالغ فيها المترجم الطابع، الانكليزي روبر كريتون.

❁

ولنعد الى المجمع:

عند وصول الروم كان المجمع ملتئماً منذ شهر. وقد جرت حفلة افتتاحه الرسمية في ٨ كانون الثاني ١٤٣٨، في كاتدرائية فرّاري، ترأسها الكردينال نقولا ألبرگاتي، موفد البابا، مكلّفاً رسمياً مهمة المداولة بشأن الاتحاد، وبشأن اصلاح الكنيسة، وبشأن السلام.

ولم يصل البابا الّا في ٢٤ كانون الثاني.

اما الامبراطور فقد تأخر اياماً في البندقية. ولم يتركها الّا في ٢٨ شباط. وفي ٤ اذار دخل فرّاري دخولًا حافلًا بالابهة والجلال.

ولم يبقَ لنا من مدينة فرّاري القديمة الّا شاهدان: القصر العديم الزخرف الشامخ بركنيه وبرجه، الذي كان مقام دوق ديست؛ والكاتدرائية الفخمة على عدم الوحدة في طرازها، بواجهتها النوطية الملصقة في القرن الثالث عشر على اصل البناء الروماني.

على ان فلورنسة قدّمت للمجمع، بعد ذلك، إطاراً اجدر وأليق. في السنة ١٤٤٠، كانت فلورنسة لا تزال في نهضتها البنائية، بهمة الغراندوق قزما المديسيي. كان دير القديس مرقس لم يتم بناؤه بعد. ولكن قبة برونيليشي (وقطرها يبلغ ضعف قطر الپانتيون) قد اخذت تلقي ظلالها على كاتدرائية المجمع. وكانت ابواب لندريا پيزانو، التي عدّها ميكال انج «جديرة باقفال السماء»، تزين مكان العماد.

❁

وكما تأخر الامبراطور فقد تأخر البطريرك ، تعيقه حوائجه التي لم يشأ التخلي عن شيء منها . فلم يصل الى فرّاري الّا في ٧ اذار .

ولم يكن من السهل ان تُعدّ القصور والمنازل لسبعمائة ضيف بين اساقفة ، وامراء ، وموظفين ، وكتبة ، واتباع . وهو عدد الوفد الروسي . فصرف مرتّبو الحفلات ، ورجال الاستقبال جهودًا جمّة في تعيين المقامات ، وتوزيع المنازل على اصحابها ، كلّ حسب رتبته .

وكانت مشاكل البروتوكول ، كما هي اليوم ، تظهر من الامور الجوهرية في نظر المتقيّدين بها . فكادت ، غير مرّة ، ان تقود الى اخفاق المجمع .

وقد اظهر البطريرك كل اهتمام بهذه المظاهر ، منذ وصوله الى البندقية ، وهو ما يبدو من ذاك القول المنسوب اليه : « ان كان البابا اسنّ مني ، فاني اعتبره كأب . وان كان من عمري نظرت اليه كأخ . وان كان اصغر مني سنًّا ، نظرت اليه كابن . »

اما الامبراطور فقد اعلن مرّتين ، في اثناء اقامته بفرّاري ، انه لا يرضى بالتنازل عن شيء من عادات الجلال والاحترام المتبعة في بلاط بيزنطية ، حتى في حضرة البابا . في المرّة الاولى ، في ٨ تشرين الاول ، كان يستعدّ لاولى الجلسات الحافلة ، فقرّر ان يصل على جواده فيدخل راكبًا ردهة الاجتماع حتى يبلغ المنبر الذي أُعدّ له . وعندما اوقفه خدم البابا على الباب ، أظهر الامتعاض الشديد وهدّد بترك المجمع . وفي المرة الثانية ، في ٢٧ تشرين الثاني ، لم يقم بالسلام عليه موفدو دوق بورغونية فور وصولهم ، فغضب . ولم يعد الى جلسات المجمع الّا بعد ان قام المذنبون بتعويض حافل .

على انها حوادث عرضية . فان اوجين الرابع بكياسته المعروفة . تدارك كل ما يمكن ان يؤدي الى اصطدام في نظام الاستقبالات والعادات البلاطية . ولم يبقِ من ميزاته الخاصّة والحقوق الواجبة له الّا ما لم يكن بامكانه التنازل عنه ، محافظةً على مقام الكرسي الرسولي . فليس من ركوع امامه ، ولا من تقبيل رجل . وهو يقف عند وصول البطريرك ويعانقه مقبّلًا اياه في الخدّ ، ولا

يكلف سائر الاساقفة الّا تقبيل يده ، وهي عادة دارجة عندهم ؛ وكان البابا يرفعهم حالًا فيعانقهم معانقة اخوية .

ومما اقتضى درساً طويلًا طريقة ترتيب الكراسي في ردهة الجلسات . وقد افادتنا الوثائق معلومات دقيقة بهذا الشأن .

في كاتدرائية فرّاري كان الروم يختصون بالجهة اليمنى ، اي جهة الرسالة ، واللاتين بالجهة اليسرى ، جهة الانجيل .

وكان في مقدّمة جهة اللاتين عرش البابا . والى جنبه ، اوطأ منه قليلًا ، عرش الامبراطور الجرماني . وقد ظلّ خالياً لان الامبراطور سيجسموند كان قد توفي في كانون الاول ١٤٣٧ .

فكان هذا الدهاء في الترتيب كافياً لجعل عرش الامبراطور البيزنطي في مقام عرش زميله الغربي . واذا بالبطريرك يحتل مركزه الى جنب امبراطوره .

وكان الكرادلة والاساقفة اللاتين يقيمون وراء البابا . وممثلو بطاركة الشرق ، مع الاساقفة الروم يجلسون وراء الامبراطور .

وقد اتّبع هذا الترتيب في جميع الجلسات مع شيء من التغيير الطفيف وفقاً لمساحة الردهات المختلفة والاحوال المتباينة . من ذلك انه يظهر في بعض الجلسات ان الاعضاء كانوا يجلسون على شكل مربّع يحتلّ عظماء الروم واللاتين جهتيه متقابلين . ويجلس الاساقفة وسائر الاعضاء على الجهتين الاخريين .

وفي الوسط منبر الخطباء يتعاقب عليه الروم واللاتين . وقريباً منه المترجم ساگونديو ، ينقل حالًا كل ما يقوله الخطيب الى الجهة التي لا تفهم لغته .

هذا مشهد الاجتماعات الخارجي ، وترتيب الجلسات القانونية . بيد ان الجلسات لم تحتلّ الّا قسماً من المجمع ، القسم الاوسط بالنسبة الى مدة عقده . وقد تقدّم وقت الجلسات زمن انتظار طويل قامت فيه اللجان الفرعية باعداد الأعمال ؛ وتبع الجلسات زمن مداورات اشبه بما تتطلبه الشرائع في تحويلها من مجلس الى مجلس .

ولنتقدّم الى معرفة هذا المجمع من جهتيه :

من جهة اللاتين

كان في المجمع ٨ كرادلة وبطريركان لاتينيان (بطريرك اورشليم وبطريرك سرادو) يجلسون وراء البابا .

وفي اسفل منشور الاتحاد ٦١ توقيعاً لرؤساء الاساقفة والاساقفة، و٤٣ توقيعاً لرؤساء الرهبنات .

ويجدر بنا ان نذكر بين الكرادلة اثنين كان لهما في اعمال المجمع نصيب أوفر من انصبة الباقين :

الطوباوي نقولا البركاتي، كردينال الصليب المقدس في اورشليم، الذي افتتح المجمع باسم البابا ، قبل وصول الروم .

الكردينال يوليانوس سيزاريني ، كردينال سانت سابين ، المدعو غالباً كردينال الملاك القديس . وقد مثّل دوراً مهماً في حبرية اوجين الرابع ، في مجتمع بال ، وفي الحملة الصليبية على الهوسيين ، وطول المناقشات والقرارات في فرّاري وفلورنسة . وكان من عادته ان يسود المناقشات ، فيتابع بدقة كل خطيب في عرض نظريته ، يعينه تارةً ، ويخفف من غلوائه طوراً ، يسدّ ثلمةً ، او يوحي بنصّ موافق ، أو يعطي جواباً حاسماً . وعلى الجملة فهو يظهر ، مدة المجمع ، مستشار البابا الخاصّ ، وقد كان جديراً بهذه الثقة .

ومن الشخصيات البارزة في المجمع ، بعد الكردينالين المذكورين ، نذكر اندري اسقف رودس (الذي تدعوه بعض محاضر الجلسات بالجبّار) . وقد اعتاد عرض العقائد بكثير من الاندفاع ، مسهباً في الشروح وايراد النصوص ، مطلعاً الاطلاع العميق على مؤلفات الآباء اليونان ، وعلى تاريخ المجامع ، الّا ان خطبه الطويلة كانت تضجر الحاضرين احياناً فيتذمّرون ويضطر الكردينال يوليانوس الى التدخل .

ونذكر اخيراً اثنين من الآباء الدومنيكان :

اولهما جان دي مونتينيرو المدعو ايضاً جان دي راغوز ، رئيس الدومنيكان في اقليم لومبارديه . وهو لاهوتي نابغ في جميع المواضيع ، بل هو خير الخطباء

اللاتين دون شك .

وثانيهما جان دي توركيادا الذي جُعل كردينالاً في ما بعد . وهو غير سميّه الذي يلوّح باسمه اعداء الكنيسة كلما تكلموا عن ديوان التفتيش .

من جهة الروم

اول من نذكر منهم البطريرك يوسف ، بطريرك القسطنطينية ، شخصية تكاد تكون متضائلة ولاسيما اذا قارناها بالامبراطور . فان هذا كاد ان يوحّد في شخصيته مثل الروم الاعلى ، فيلفت الانظار وحده ، وعلى اثره يسير موفدو الروم في اقوالهم واعمالهم . وان يكن قد اتصف من دقة الفهم وحسن الذوق بما يمنعه من الخوض في مجال العقائد والتحديدات ، محوّلاً دائماً على ارباب الاختصاص في هذه الشؤون ، فانه لا يتراجع عن ادارة المناقشات من جهة الروم بل من الجهتين معاً في ذاك المجمع الذي لم يكن له من رئيس .

وهي حالة غريبة ؛ انما يهيمن عليها ، فيمنعها من التهوّرات المؤسفة ، خيال قسطنطين الكبير . وقد جعلها مقبولة في فلورنسة ما فُطر عليه اوجين الرابع من كياسة وخلق مسالم على خلوّه من الضعف .

بيد ان البطريرك الشيخ المريض الضعيف ، المتضائل في ظلّ الامبراطور ، بقي يتمتّع ، في نظر مرؤوسيه ، بالخطر المميّز اول مركز بطريركي في الشرق . فيجتمع الاحبار الروم في غرفته عاقدين الحلقات الخاصة التي تبعت الجلسات العمومية . وقد وجد البطريرك الشيخ ، في وضوح ايمانه البصير ، مشروع اعتراف اتحادي بالروح القدس اجمع الاعضاء على الموافقة عليه . بيد ان الموت فاجأه بعد ذلك ببضعة ايام ، في ١٠ حزيران ، وهو الى طاولته ، وقد انتهى من تدوين وصيته الاخيرة . وكان من مفعول هذه الوصية ، ومن موقف صاحبها الراغب رغبة مجرّدة في الاتحاد ، ان اخذ من بقي من المعاكسين يتقرّبون شيئاً فشيئاً . فشاء البابا ان يُقدّم لجثمان الراحل الجليل كل ما يليق بمركزه البطريركي من جلال واكرام . ثم دُفن في كنيسة سانتا ماريا نوفيلا بفلورنسة ، ولا يزال في الكنيسة الرومانية عربون الاتحاد المقبل .

والى جنب البطريرك يوسف ، كان من المنتظر ان يجلس بطاركة الاسكندرية ، وانطاكية ، واورشليم ، وقد أرسلت اليهم الدعوات منذ السنة ١٤٣٦ . على انهم رأوا من الحذر الا يلبّوا بانفسهم دعوة الامبراطور فاوفدوا ممثلين عنهم وزوّدوهم ، بعد الصعوبات الجمّة ، بسلطات غير محدودة . وهذه اسماؤهم :

عن الاسكندرية : انطوان اسقف هرقلة، وغريغوريوس ماماس بروستنجلوس القسطنطينية .

عن انطاكية : مرقس اوجينيكوس ميتروبوليت افسس ، وايزيدور الكياثي .

عن اورشليم : دنيسيوس السردي ؛ ثم بعد وفاته ، دوزيتي النومنبازي .

واشهر من يذكر بينهم جميعاً مرقس الافسسي . ومن الصعب علينا ان نحكم بتجرّد على هذا الخصم العنيد الذي لم يفتر لحظة عن معاكسة الاتحاد . فلنكتف بتدوين صراحته وعدم تذبذبه . وله فيها الفخر على من بدا مضطرب العقيدة متغيّر الآراء كانطوان اسقف هرقلة ، الذي بعد ان وقع على وثيقة الاتحاد ، ارتدّ عن رأيه وأخذ بمحاربة المجمع . اما مرقس الافسسي فيظهر لنا ، على تعمقه في الدروس الكتابية ، عاجزاً عن قبول ما لا يوافق تقليده الحرفي الدقيق - وكأنه ، في اجوبته المضطربة احياناً لدى اشتداد المناقشات ، لا يرى الا ما اعتاده وحفظه ، وشبّ عليه .

بقي ان نحيّي الى جنبه ، دعاة الاتحاد المدافعين عنه وهم : بسّاريون ، وايزيدور الكياثي ، ودوروثاوس اسقف متيلينه .

وكم وددت لو اتيح لي ان اتوسّع في الكلام عن شخصية لعلّها من اجذب شخصيات المجمع واسماها ، هي شخصية بسّاريون ، الذي سيصبح كردينال الكنيسة الرومانية ؟ فاكتفي بالقول انه كان ، من جهة الروم ، في مسألة انبثاق الروح القدس خاصة ، افضل العاملين على الوحدة الداخلية والداعين الى الاتحاد . امّا وجهة نظره في هذه النقطة فيظهر انها تبثت مدة المجمع . ولكن له الفضل بان جمع ولخّص براهين اللاتين في رسالة موجزة قدّمها الى زملائه ولا

تزال خير ما كُتب في الموضوع .

اما ايزيدور الكياقي ، ممثّل العالَم السلافي في المجمع ، فلم يتمكن ، بعد رجوعه الى بلاده ، من نيل الموافقة على مقررات المجمع . فارتد الى رومة ميعيش فيها متحدًا مع الحبر الروماني الذي مجّده بحلة الارجوان .

وهناك كثير من الاسماء يعرفها العلماء لا اللاهوتيون فقط ، من امثال سكولاريوس ، وجينيستوس ، وفليتون ، ويَلسمون ، وكسانتوبولوس . وكلهم من كبار المتضلّعين حتى صحّ القول انه ، وان يكن المجمع قد حُرم رئاسة مدبّر بصير ، فقد امتاز بما مثّل فيه اعضاؤه من علم ومواهب متنوّعة .

❁

ولنلخّص الآن مراحل تاريخه

وهي تُقسم طبعاً الى حقبتين : فرّاري من اذار ١٤٣٨ الى كانون الثاني ١٤٣٩ ــ وفلورنسة كانون الثاني ١٤٣٩ الى ٦ تموز ١٤٣٩ ، وقد حدث فيه لا ، ختام المؤتمر ، بل تاريخ التحديد الاحتفالي المعروف بقرار اتحاد الروم .

ثم تابع المجمع اعماله ، بعد هذا التاريخ ، في فلورنسة اولاً مع موفدي الارمن . ثم في رومة حيث دوّنت قرارات الاتحاد مع سائر الكنائس المنفصلة من يعاقبة ، وكلدان ، وقبط ، ومنفصلي القبارصة .

وكل حقبة من حقبتي فرّاري وفلورنسة تقسم هي ايضاً الى عهدين : في فرّاري : عهد الانتظار ، ثم عهد الجلسات العامّة . وفي فلورنسة : عهد الجلسات العامّة حتى عيد الفصح ، ثم عهد المباحثات والمداولات الاخيرة .

❁

وصل الروم الى فرّاري في اوائل اذار .

وكان القوم لا يزالون في انتظار آباء بال ، ووفود الامراء الذين كان قد دعاهم البابا . اما الباليّون فكانوا يظهرون العناد حتى ان مجمعهم ، وقد اصبح منشقًا ، احتفل في ٢٤ اذار بجلسته الثانية والثلاثين فاعلن فيها تفوّقه على البابا . واما الامراء فلم يوفدوا احدًا عنهم .

فباشر البابا في ٩ نيسان ، افتتاح المجمع الاتحادي بجلسة حافلة . وكان

البطريرك مريضاً ، فتُليت رسالته التي يعترف فيها بالمجمع ، ويتمنّى ان يشترك فيه جميع الغربيّين ، معلناً الحرم على كل من لا يقرّ بـه . وبعد ذلك تُليت براءة اوجين الرابع

وتلا الجلسة الافتتاحية زمن فراغ طويل . كان فيه الروم يطلبون حضور الامراء ؛ اما الامبراطور فقد انصرف الى الصيد في ممتلكات دوق ديست .

وبفضل ما بذله البابا من الجهود ، توصّل الى تأليف لجنة لاهوتية يشترك فيها عشرة من الروم وعشرة من اللاتين ، فيجتمعون في كنيسة الفرنسيسكان لدرس الموضوعات المختلف عليها .

وسرعان ما اتفق الاعضاء على ان يحصروا في اربعة مواضيع اهم نقاط الخلاف وهي : انبثاق الروح القدس — الفطير — المطهر — رئاسة الحبر الاعظم . وهي النقاط التي خاض فيها واضعو التحديدات .

اما مسألة التقديس ومفعولية كلمات المسيح التي يردّدها الكاهن ، فقد اكتُفي فيها ، باعتراف شفهي قام به بسأريون بحضور البابا والكرادلة في اليوم السابق للتحديدات .

على ان لاهوتيي الروم ، اعضاء اللجنة لم ينالوا من الامبراطور الموافقة على اجراء المناقشة الّا في شهر حزيران . وفوق هذا فقد حصر هذه الموافقة بالموضوعين الاخيرين . فخصّ شهرا حزيران وتموز بعقيدة المطهر . واني اكتفي في صدد تلك المناقشات بذكر الخطيبين الشهيرين اللذين تولّيا المناقشة وهما : مرقس الأفسسي ، وجان دي توركمادا . وقد كانت المناقشة دقيقة متتابعة البراهين من جهة اللاتين . حتى اظهروا شيئاً من الاضطراب والغموض في آراء الروم بشأن الكفّارة ، كما اظهروا الثلمة الواهية في لاهوت الكثيرين منهم بعدم ايضاح الفرق بين الإثم والجزاء ، بين الخطيئة المغفورة بفضل الحلّة ، والتكفير الواجب على اثر هذه الحلّة .

اما اعمال المجمع في تلك الحقبة فقد نُشرت مؤخرًا في مجموعة الآباء الشرقيين للمنسنيور كرافن . فظهر انها كانت تُعدّ ، على افضل ما يمكن ، التحديد النهائي في هذا الموضوع . وهو التحديد نفسه الذي اكتفى المجمع التريدنتيني بان كرّره في جلسته الأخيرة .

وفي شهر تشرين الاول ، رضي الامبراطور بان لا تؤخر الى ما وراء هذا التاريخ ، جلسات المجمع العامّة . واذا بالاعضاء يستعدّون للبحث في انبثاق الروح القدس .

ولكن كيف يتناولون هذا البحث ؟

وهو مزدوج : فيه قسم يتعلق بالعقيدة ، ويتناول المشكل : هل ينبثق الروح القدس من الآب وحده ، كما يزعم فوطيوس ، ام من الاب والابن ، كما تعلّم كنيسة رومة ؟

وفيه قسم يتعلّق بالنظام الكنسي وموضوعه : هل يُفرض إدخال مسألة الانبثاق في قانون الايمان على جميع المسيحيين ؟ وهل هذا الإدخال مشروع في حدّ نفسه ؟

وعلى هذا تألّف في المجمع فئتان :

فئة قوامها بناريون وسكولاريوس مع جمهور اللاتين ، كان من رأيها ان يُخاض اولًا في أساس المشكل بتناول العقيدة .

وفئة ثانية تستند الى مرقس الافسسي ، وجينيستوس ، وفيترون ترمي الى البحث اولًا في شرعية الزيادة المذكورة على قانون الايمان .

وقد كان النجاح من نصيب هذه الفئة . وناهيك بما تدفق حول هـذا الموضوع من علوم كتابية وجمعية ، ومقدرة في الجدل والنقاش ، ومرونة في تفريع المشاكل وتنويع القياسات ، مما لا يتخيله المؤرخ على حقيقته الّا اذا رجع الى تفاصيل اعمال المجمع .

هم لاهوتيون يتشاحنون . وبصدد هذا المشكل النظامي البسيط ، يثيرون شتّى المواضيع المهمّة : كحقوق الحبر الأعظم في مادّة العقيدة ، والإضافة المشروعة وغير المشروعة ، والإضافة الجوهرية ، والعرضية الشارحة . . . وما الى ذلك من موضوع تطوّر العقائد ، وموضوع الصريح والضمني .

أضف الى ذلك مـا لا يؤمن جانبه في المناقشات من شروح وتطويلات في الطريقة التي يجب اتباعها ، ومن تضجّر السامعين وتذمّرهم الصريح احيانًا بسبب اطالة بعض الخطباء ، او انحرافهم عن الموضوع ، او اهمالهم الردّ على براهين الخصم ، واذا امامك صورة لما تقود اليه المشاحنات الكلامية ، ولم يضبطها ضابط

في طريق الجدل الحقّ .

كانت الفلسفة الكلامية قد قربت من عهد انحطاطها ، فظهرت فيها شهوة اطالة الجدل حتى الشره الخطابي ، كما بدا في اربابها كثير من التعلّق ببعض التعابير والصور القياسية المتداولة في الحلقات اللاهوتية جيلًا عن جيل . حتى اذا انتقل المتناقشون من الخطب الطويلة الى المجادلات القصيرة المتتابعة تتابع السهام سُرّي عن الجميع واستراح اولئك المناضلون استراحة ابطال المصارعة بعد الشوط المتعب .

وكان اللاتين يظهرون اقدر من خصومهم في هذه المناظرات القصيرة واسرع في ردّ السهام ، بينا كان الروم يفوقون اللاتين في معرفة النصوص الكتابية ، وفي استعمال الدقائق الكلامية في الشرح والتفسير . وكثيرًا ما نعوا على اللاتين التجاءهم الى المجادلة . فيجيب هؤلاء بانها محكّ الحقيقة ، ولا طريقة سواها للفصل بين المشاكل .

اما اهم المناضلين في هذه المعارك الكلامية المتتابعة في آخر شهور السنة ١٤٣٨ ، فكان اندريه الرودسي من جهة اللاتين ، ومرقس الافسي من جهة الروم . وكان الكردينال يوليانوس يعضد اسقف رودس ، والامبراطور يتدخل بنفسه فينتصر لاسقف افسس .

وكانت براهين الروم تدور في غالبها حول نصّ في مجمع افسس (وهو المجمع المسكوني الثالث) يمنع فيه ، تحت طائلة الحرم ، كل تغيير في قانون ايمان نيقية- فيجتهد اللاتين ان يظهروا ، مستندين الى ظروف القرار نفسه والى تاريخ المجامع التاليه ، ان النصّ يشير الى التغيير العقائدي،لا الى تغيير تعبير او اضافته- وهكذا كان من الممكن ان يُضاف شرعياً الى قانون الايمان النيقاوي تعبير : « والدة الإله » ، دون ان يعاكس نصّ المجمع الافسي ، الذي كوّن شهادة ايمانية ضدّ نسطوريوس .

طالت هذه المناظرات حتى ان بعض الروم اخذوا يفكرون بالرجوع الى بلادهم . وفي شهر كانون الاول ، بسبب انتشار وباء في فرّاري ، وبسبب

الرسم ١ – بسأريون وقد ارتدى النبعة الكردينالية – ويُلاحظ انه مازال محتفظاً بلحيته في بلاد المغرب

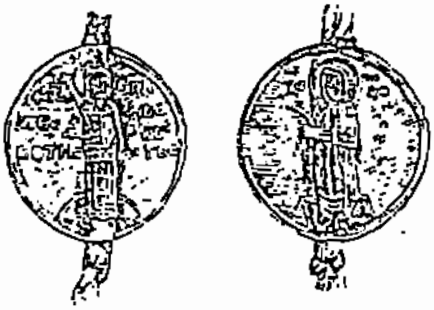

الرسم ٢ – الختام الذهبي باسم الامبراطور جان الثامن پاليولوغ الذي سُمر به قرار الاتحاد ، بعد ان وقعه البابا والكرادلة والامبراطور والاساقفة

الرسمان ٣ و ٤ – الامبراطور جان الثامن پاليولوغ (١٤٢٣–١٤٤٨) – جلست اسرة پاليولوغ على عرش بيزنطية منذ السنة ١٢٦١ . وقد خلف جان الثامن اخوه قسطنطين الحادي عشر وفي زمنه وصل الترك القسطنطينية سنة ١٤٥٣

الصعوبات المالية الظاهرة في خزينة الدولة ، رأى الحبر الاعظم ان يقترح نقل المجمع الى فلورنسة . وكان غراندوقها قد عرض عليه شروطاً موافقة .

وفي ٢ كانون الثاني ، كان الامبراطور في جلسة عند البطريرك ، فطلب الى الاساقفة ان يذعنوا لاقتراح البابا بنقل المجمع ، ويلبّوا طلب اللاتين بمباشرة البحث في النقطة العقيدية من انبثاق الروح القدس . فأيد بتاريون طلب الامبراطور ، وقبل الجمهور بالاقتراحين .

❁

في فلورنسة بدأت حقبة جديدة من تاريخ المجمع نراها افضل بكثير مما تقدّم سواء أكان بقيمة الخطباء أم بأهمية الموضوعات المطروقة .

وقد خلف اسقف رودس ، في الكلام عن اللاتين ، جان دي راغوز ، ذاك الذي تدعوه الوثائق الرئيس العام . اما من جهة الروم فظلّ مرقس الافسسي حامل لواء خطابتهم .

واما الموضوع المطروق فهو انبثاق الروح القدس . وهو موضوع يتطلّب بحثاً برأسه كي نفيه حقّه .

انما نكتفي بالاشارة الى اهمية هذه العقيدة في حياتنا المسيحية ، لانها تتعلّق بالسرّ الاساسي في ايماننا ، وهو سر الثالوث الاقدس . ومن ثمّ فلا يتهورنّ احد من المسيحيين الى القول : لنترك للاهوتيين امر المشاحنة في هذه المشاكل ، ولنحيَ انجيلنا في حياتنا المسيحية !

وكيف تمكن الحياة المسيحية اذا فُصلت عن اساسها ، وهو حياة المسيح نفسه فينا ، بروح قدسه مبدأ النعم المفاضة في نفوسنا ! وانّى يكون هذا ان لم يكن الروح القدس نفسه روح الابن متّخذاً من الابن كل قدرته المبرّرة وكل كيانه ، لانه ينبثق من الابن كما ينبثق من الآب .

وهو سرّ الوحدة الالهية في الثالوث الاقدس . لان الوحدة نفسها يعترضها الخلل اذا ما اخذنا بالتمييز بين اقانيمها ، ألا التمييز الانبثاقي المحض . واننا لنتعرّض لهذا التمييز الخطر ، اذا جنحنا الى القول بان الروح القدس لا ينبثق من الابن .

وعليه فان مجمع فلورنسة اتم عمل مجمعي نيقية والقسطنطينية في اقرار عقيدة الثالوث الاقدس .

اخذ جان دي راغوز الدومنيكي نصوص الآباء اليونان فعرضها وشرحها في ترتيب واضح ، من القديس ابيفانيوس ، الى القديس اثناسيوس ، الى القديس غريغوريوس النيصي ، مبيناً انهم ، وان لم يصرّحوا علناً بالانبثاق « من الابن » فقد علّموا ما يقابل هذا القول ، باثباتهم ان الروح القدس يتناول حقاً كيانه من الابن ، كما يتناول الابن كيانه من الآب (وان كانت الطريقة مختلفة)

وكان ان دخل نصّ منحول في مجموعة النصوص الابوية . هو نصّ مأخوذ من الكتاب الخامس من مؤلّف القديس باسيليوس في الردّ على اونونيوس . ومن المعروف انه ليس ثابتاً من آثار القديس باسيليوس ضدّ هـذا المبدع الّا الثلاثة الكتب الاولى . وعليه فلم يتردّد احد من الفريقين في رفض النصّ . على ان محاجّة جديدة نشأت بشأن نصّ آخر لا شك في صحة نسبته ، وهو مأخوذ من الكتاب الثالث للمؤلف نفسه . عرض اللاتين هذا النصّ مستندين اليه ، فردّه الروم بحجة انه لا يوجد في كثير من المخطوطات اليونانية للكتاب المذكور . فلم يصعب على الخطيب اللاتيني اظهار وجود النصّ في عدة مخطوطات يونانية قديمة جيء بها من القسطنطينية نفسها . وهو فوق ذلك ، مما يتطلبه المعنى الاجمالي في المقطع .

ولكن الخصوم لم يقنعوا ، اول الامر ، فثارت عاصفة من المشاحنات سُمع فيها كثير من النعوت تتردّد بين الفريقين ، ولا تبعد كثيراً عن صفات التزوير والتلفيق . ويُذكر بهذه المناسبة ، ان احد الخدم أُرسل ليحضر مخطوطة الى الجلسة . فدفعه الفضول في الطريق الى التفتيش في الموضع المذكور . ولمّا رأى النص المزعج لمعلّمه ، اراد ان يخلّصه منه ، واذا به يُقبل على حكّ السطر المطلوب . على انه في سرعته حكّ الصفحة المقابلة . ولشدّ ما كان استغرابه وحيرته ، عندما ادرك خطأه ، وهو يتسمّع في الجلسة فيرى الخطيب يستند الى تلك الحجة التي توهّم انه محاها وازالها من الوجود .

ويجب الإقرار ، وفقاً لشكوى الامبراطور ، ان تلك المناقشات العامة لم

تؤدّ الى نتيجة مقبولة ، إن من جهة البحث في العقيدة ، وان من جهة الجدل في شرعية الاضافة .

بيد ان الامبراطور استفاد من ايراد نصّ للقديس مكسيموس ، فتذرّع به واوقف تلك المناقشات .

اما النصّ فيقول: « اذا علّم الابوان اللاتينيان (اغوسطينوس وامبروسيوس) ان الروح القدس منبثق من الابن ، فهما لا يدّعيان ان الابن مبدأ الروح القدس الاولي . فليس الّا مبدأ اوّلي واحد للابن وللروح القدس . »

سمع الامبراطور هذا النصّ ، فصاح : ليقرّ اللاتين بصحة هذه الرسالة ونوقّع معهم وثيقة الاتفاق .

والحقّ انه كان في هذا النصّ نور جديد .

وكانت احدى صعوبات اليونان في قبول النصّ اللاتيني ناتجة من كلمة مبدأ (principe) التي كانوا يفهمونها دائماً بمعنى المبدأ الاولي ، وهو الينبوع الاصيل او المصدر الاولي لكل حياة دينية . وهذا الينبوع واحد أحد هو الآب

وهناك صعوبة ثانية تنتج من ان الروم كانوا ينسبون الى اللاتين القول بان الآب والابن مبدأان متميزان وبالتالي متعاونان في بثّ الروح القدس

وكان من فضل ذاك النصّ انه وفّر للمتناقشين حلّاً يمكن التفاهم فيه والاتفاق عليه ، وتعبيراً يوضح تلك العقيدة المطلوب تحديدها .

فبدأت المفاوضات بشأن اقتراح الامبراطور . وكان عيد الفصح قريباً . فاوقفت الجلسات العامّة . وبدأت حقبة المجمع الاخيرة ، حقبة المداولات بين وفد الروم ، والبابا يعاونه مستشاروه .

وكان اول ما بُتّ بشأنه عقيدة انبثاق الروح القدس .

وفي الاجتماع الاول الذي عقده اعضاء الروم في جلسة خاصة ، ظهر من تقرير بسأرين ، او رسالته الجامعة التي اشرنا اليها ، ان جميع المشاحنات السابقة لم تذهب عبثاً . لقد اثار الحقّ هذه النفس القويمة ، فلخّصت على افضل ما يمكن من الدقة والوضوح، في سبيل انارة اخوانها، جميع المشاكل والمناقشات والنتائج.

بقي الاتفاق على وضع النصّ . وهو ما قام به الفريقان بتؤدة وبطء .

ذلك ان اللاهوتيين اللاتين كانوا شديدي اليقظة والحذر ، والبابا نفسه ، الذي كان يبدو على كثير من التساهل في شتى الامور ، لم يكن ليتساهل بشيء في ما خصّ العقائد ، ولا ليتقدّم خطوة الّا بمعاونة اللاهوتيين . واخيراً حصل الاتفاق . وكان الروم قد حاولوا ان يضعوا الى جنب تعبير اللاتين — « الروح القدس المنبثق من الآب والابن » — وبطريقة مساوية له تعبيرهم هم — « الروح القدس المنبثق من الآب بالابن » . فتلطّف اللاتين في اقصاء هذه الفكرة حذراً من ان يظهر دور الابن الفعّال ، المعادل لدور الاب ، على شيء من الضعف . فاكتُفي بان يضاف الى تعبير اللاتين ، بشكل التصريح ، ان التعبير الذي استعمله الآباء والمعلّمون اليونان لا يرمي الّا الى ما يرمي اليه التعبير اللاتيني ، ويجب ان يفهم فيه دور الابن فعّالاً .

❁

نال الامبراطور هذه النتيجة فاعتبر عمله منتهياً . وكان قلقاً على عاصمته ، والترك يهدّدونها دائماً ، فنفد صبره ، وحذر من شتاء ثانٍ يقضيه في ايطالية . فلم يبقَ له من همّ الا التفكير بالعودة . حتى انه رفض قبول الملخّص الذي ارسله اليه البابا ليعرضه على المناقشة وينهي به موضوع الاتحاد في النقاط الثلاث الباقية وهي : المطهر ، والفطير ، ورئاسة البابا .

وقد كان الامر غريباً من قبل الامبراطور الذي كثيراً ما دفع اساقفته الى التعجيل في اقرار الاتحاد مهما كلّف الامر . والذي اوقف مرقس الافسي وانطوان الهرقلي على طريق العودة ، واقام على ابواب المدينة حُرّاساً يمنعون خروج الروم قبل انتهاء المجمع . هذا الامبراطور يهدّد اليوم بنقض كل شيء ويستعدّ للسفر العاجل على مرّتين .

في هذه الايام العصيبة ظهر الجلد الروماني في اوجين الرابع وصبره السموح باجلى مظهر ، لقد ساءه رفض الامبراطور لخلاصته ، فلم يتمكّن من البقاء . ولكنه اعطى الكردينال يوليانوس كل السلطات ليعيد المياه الى مجاريها .

واذا باللاتين ينزلون على رغبات الروم في اساليب المناقشة .

وكان البابا تارة يستقبلهم في مقامه الخاص ، وطوراً يذهب بنفسه الى مقام

البطريرك المريض فيرئس الجلسة عنده .

وقد تجنب جان دي راغوز في محاضرته على رئاسة البابا ، ولاسيما حقّه في دعاء المجمع ، وقبول جميع القضايا المستأنفة اليه ، كل تعبير يُشتمّ منهُ رغبة الردّ او المناقشة . وكذلك كان موقف جان تروكمادا في محاضرته على الفطير وكلمات التقديس .

اما البحث في النصوص الداعية الى المناقشة فكان يجري في لجان خاصة قليلة عدد الاعضاء. وهذه لجنة مؤلفة من اربعة لاتـين واربعة روم تشتغل وحدها مدة ثلاث ساعات، بينا كان البابا يستقبل في مقامه بدير الدومنيكان رؤساء الروم فيحادثهم بمختلف الشؤون، ويدير عليهم المرطبات واطباق الحلوى

وأخيرًا في ٢٧ حزيران أُلفت لجنة عُهد اليها بوضع نصّ الاتفاق ، الذي سيقرأ ويوقّع في التاسع والعشرين من الشهر نفسه ، عيد الرسولين بطرس وبولس .

ولكنّ المشاكل لم تنتهِ بعد. ومنذ الكلمات الاولى حصل خلاف جديد . يريد الروم ان يضعوا مع اسم البابا اسم الامبراطور . وبعد مداولات قليلة رضي البابا بهذا الشكل في مطلع الوثيقة :

« اوجين الاسقف، عبد عبيد الله ، تخليدًا للذكرى ، بموافقة ولدنا الحبيب بالمسيح ، جان باليولوغ امبراطور الروم الشهير . »

ووقّع وحده فوق الجميع على هذا الشكل :

« انا اوجين ، اسقف الكنيسة الكاثوليكية ، وقّعت محدّدًا . »

وبعد تواقيع الكرادلة ، وقع الامبراطور بهذا الشكل :

« انا جان باليولوغ ، المؤمن بالمسيح ، ملك وامبراطور الروم ، وقّعت . »

وهكذا تمّ الاتحاد. ولم يبق خارجاً عنه الّا مرقس الافسي فلم يوقّع الوثيقة.

❁

تقدّم لنا ان ذكرنا باختصار ما كان من مصير هذا الاتحاد ، على اثر رجوع الاساقفة. وكان هؤلاء قد استفادوا باحتكاكهم باللاتين ، اكثر من سنة ، على الدرس والجدل والمناقشة ، تفاهماً متبادلًا قادهم الى اعتبار بعضهم بعضاً . اما

الغائبون فجروا على ميول الطبيعة البشرية في مثل هذه الاحوال، فقالوا ان الحاضرين اساؤوا صنعاً. ونفروا من مقررات المجمع. وقد يكون زاد في نفورهم طول مدته، ولأنهم لم يشتركوا في اعماله، وهذا من مظاهر الانانية البشرية كذلك.

فرفض المجمع البطاركة الثلاثة في الاسكندرية وانطاكية واورشليم. اما الامبراطور فظلّ اميناً على توقيعه، وعمل على انتخاب خلفٍ للبطريرك يوسف، أحد دعاة الاتحاد المعروفين، متروفانس دي سيزيك. ولكن بعد وفاة الامبراطور، كانت فكرة الاتحاد قد مُنيت بكثير من الإعراض والمعاكسة، حتى ان اخاه وخليفته الامبراطور قسطنطين، لم يجرؤ على نشر قرار الاتحاد، على الرغم ما كان عليه الروم من حاجة الى معونة الغربيين.

بيد ان وثيقة الاتحاد التي وقعها الامبراطور وممثلو السلطات الرومية، لم تنقض قطّ رسمياً. اما ذاك المجمع القسطنطيني الذي يزعم بعض اعداء الاتحاد بانه نقض عمل فلورنسة، فلا وجود له الّا في مخيّلة هؤلاء الاعداء. وها ان افضل مؤرخي الارثوذكس، من امثال باسيليوس، لا يترددون في نفي وجوده.

واذاً فالنصُّ باقٍ في مضمونه العقائدي وثيقة الاتحاد الحقيقية.

فلتعمل الرغبات المخلصة المتزايدة يوماً عن يوم، والدروس الرامية الى التفاهم المتبادل، ولاسيما الصلوات المشتركة المستلهمة من المبدأ المسيحي الواحد، على اعادة هذا الاتحاد اعادةً نهائية.

هذا رجاؤنا جميعاً!

ذكرى المجمع الفلورنتيني (١٤٣٩-١٩٣٩)

رئاسة الحبر الروماني

بقلم الاب يوحنا كابيلو اليسوعي

بعد المناقشات الطويلة بشأن المطهر التي امتدّت نحو شهرين، تمّ الاتفاق على صيغة رضي بها الفريقان. وكان وباء الطاعون قد اخذ يتفشّى في فرّاري فانتقل المجمع الى فلورنسة. فتابعت فيها المناقشات في قضايا الفطير، وكلمات التقديس، ورئاسة الحبر الروماني.

اما بشأن الفطير فلما كانت القضية ليست من العقائد في شيء، بل من العادات الطقسية، اسرع الروم واللاتين في الاتفاق تاركين لكل كنيسة حريّتها المشروعة في هذا الاستعمال. وفي ١٢ حزيران ١٤٣٩، صرّح الروم: «منذ عهد الآباء، نستعمل في كنيستنا الخبز المختمر، وانتم تستعملون الخبز الفطير. وكلا الاستعمالين صالح.»

واما قضية كلمات التقديس فادقّ لانها تتعلّق بالعقيدة. وقد ادلى كل من الفريقين ببراهينه. حتى اذا انجلى الموضوع، بعد الدرس، صرحت لجنة الشرقيين، المؤلفة من ستة اعضاء بينهم ازيدور الكياقي، تصريحاً علنياً بحضرة البابا والامبراطور، في ٢٦ حزيران بما يلي: «نحن مستعدّون للتصريح علناً باننا نحن ايضاً نؤمن بان التقديس يجري بمفعول كلمات المسيح وحدها.» ثم في جلسة ٥ تموز، اعلن بتساريون بكلمات اوفر صراحة، وبلسان قومه، «انهم يشتركون جميعاً في عقيدة آباء الكنيسة، ولاسيما معلّمهم الاكبر القديس يوحنا فم الذهب، ويعترفون ان لكلمات يسوع المسيح مفعولية التقديس بكاملها.»

ولم يبقَ من ثمّ مجال لمتابعة الجدل.

على انه ، ان لم تُدخل هذه النقطة في مجموعة التحديدات ، فلأنّ الروم طلبوا صراحةً ان لا يُجابه الشرقيون بتعبير قد يرون فيه انهم قالوا بغير هذه العقيدة . فاجاب البابا هذا الطلب ، وصُرف النظر عن المسألة .

❁

بقيت تلك القضية المهمّة التي كان يراها الجميع اقوى العقبات في سبيل الاتحاد . وهي قضية رئاسة الحبر الروماني ، القضية الفاصلة بين الكنيستين في نظر الجميع ، حتى اذا أُتفق عليها ، لم يبقَ في الواقع ما يقسم بين الفئتين .

وهو ما يستنتج من كلام غبطة البطريرك كريستوف الثاني ، بطريرك الاسكندرية الارثوذكسي ، في خطاب القاه بعد انتخابه ، لبضعة اشهر خلت ، فقال مشيرًا الى ان الاختلاف بين الكنيستين ينحصر في نظام الحكم « فالكنيسة الارثوذكسية التي تحكم نفسها طبقاً للنظام المجمعي ، اعرضت دائماً عن النظام الملكي المتبع عند الكاثوليك . وهو الخلاف الوحيد الذي ولّد الانشقاق ولا يزال في اساس انفصال الكنيستين احداهما عن الاخرى ».

واننا لنوافق البطريرك على ان الخلاف المهمّ بين الكنيستين انما هو قضية الرئاسة الرومانية . وهو ما شغل اعضاء مجمع فلورنسة شغلًا مهمًّا . فلنلخّص اعمالهم في هذا الشأن :

كان موضوع المناقشات بين الروم واللاتين يتناول نقاطًا اربعاً : المطهر ، الفطير ، كلام التقديس ، رئاسة الحبر الأعظم . وقد تمّ الاتفاق على الثلاث الاولى ، كما قدّمنا .

وفي نهار الاربعاء ١٠ حزيران ، استقبل البابا موفدي الروم ، اساقفة كياف ، ونيقية ، وطرابيزندة ، ومتيلينة فقال لهم : « نحن الآن متفقون . ولم يبقَ الّا توضيح بعض نقاط . فاذا شئتم الموافقة على المواد التي سُتعرض عليكم ، تمّ الاتحاد بيننا . » وتليت المواد بعد ذلك . وكانت اولاها تطلب من الروم ان يقرّوا بان خليفة يسوع المسيح ، الحبر الاعظم ، يتمتّع بجميع ميزاته من حيث هو بابا .

فلاحظ الاساقفة الروم ان الامبراطور لم يسمح لهم بالجواب رسميًّا . على انهم قالوا ، في اثناء المحادثة الودّية ، انهم لا يرون مستندًا ثابتاً لهذا الطلب ،

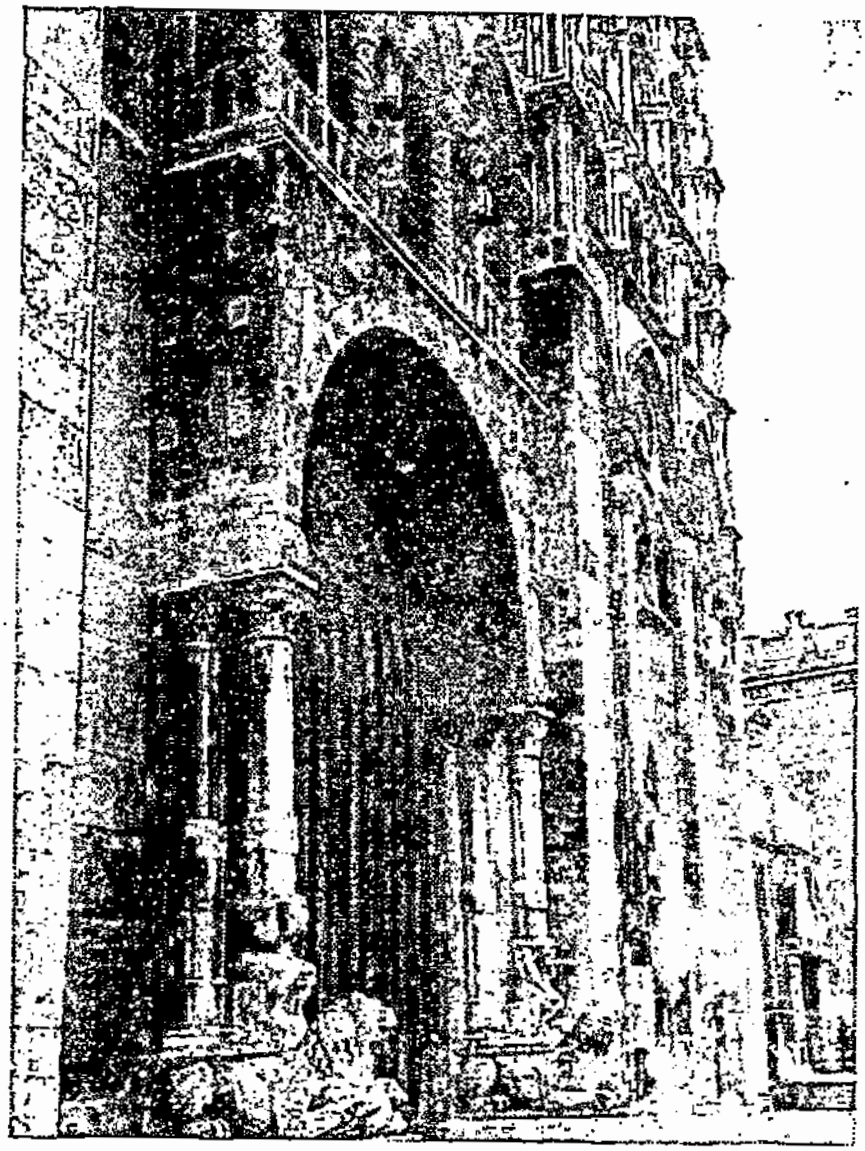

الرسم ٥ – واجهة كاتدرائية فرّاري التي عقدت فيها جلسات المجمع الاول

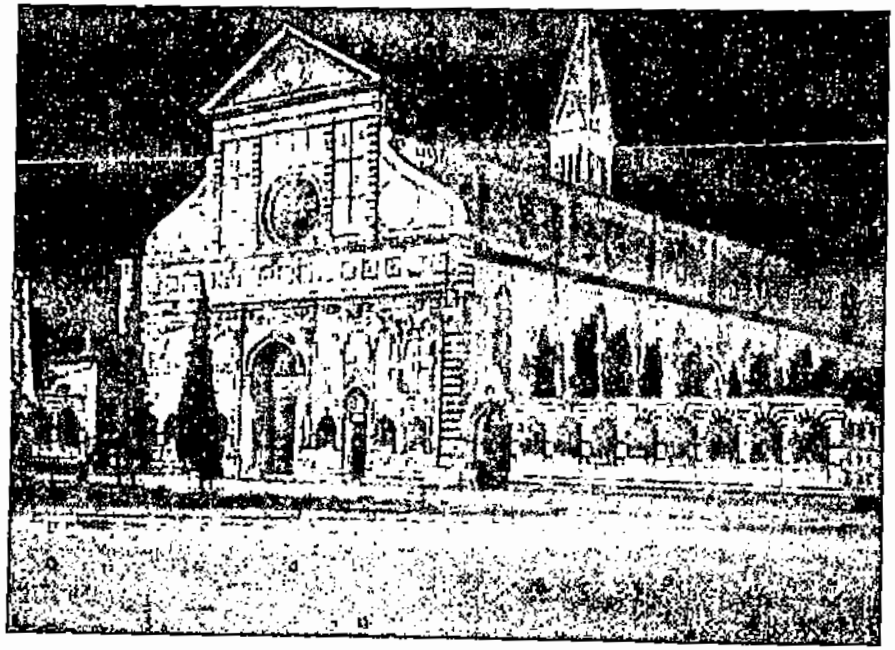

الرسم ٦ – كنيسة سانتا - ماريا - نوفيلا في فلورنسة التي كانت مقام البابا اوجين الرابع
مدة انعقاد المؤتمر . وفيها دُفن البطريرك يوسف المتوفى في اثناء المؤتمر

وانهم لا يمكنهم ان يقرّوا للكنيسة الرومانية بحقّ زيادة شيء على قانون الايمان، او حذف شيء منه، دون مشاركة سائر البطاركة. وعليه فهما يكن من صوابية هذه الزيادة وسلامتها العقائدية، فانها تظلّ مَلومةً لأنها حصلت دون موافقة مجمع. ومن ثمّ وجب على الرومانيين ان يقرّوا بخطأهم، ويعدوا بعدم الرجوع اليه في المستقبل، فيغتفر لهم.

وفي المساء نفسه، ١٠ حزيران ١٤٣٩، انتشر نعي البطريرك يوسف. مات البطريرك الشيخ بعد ان ترك على طاولته، وصيّةً اخيرةً كتبها في اليوم نفسه، وترك فيها لابنائه اعترافاً ايمانياً صريحاً هو هذا:

عهد البطريرك يوسف الثاني

يوسف، برحمة الله، رئيس اساقفة القسطنطينية، رومة الجديدة، والبطريرك المسكوني، وقد وصلت الى منتهى حياتي وعلى وشك ان ادفع دين البشرية المشترك، اريد بنعمة الله، ان أعرض صراحةً بالخطّ لابنائي الايمان الذي اعتقده، وان اوقعه. كلّ ما تعترف به وتعلّمه الكنيسة الكاثوليكية الرسولية، كنيسة سيدنا يسوع المسيح، القائمة في رومة القديمة، أقرّ به انا ايضاً، واعلن على رؤوس الملأ باني اوافق على كل ما فيه. واني اقرّ ايضاً بأب الآباء القديس، الحبر الاعظم، ممثّل سيدنا يسوع المسيح، بابا رومة القديمة. واني اقرّ ايضاً بالمطهر.

ولبيان هذا اوقع في ٩ حزيران ١٤٣٩، في السنة الثانية لعقد المجمع.

(Mansi 31[422], Hardouin 9[453], Hefele - Leclercq 7[2], p. 1014 - 1015)

اقيم للفقيد الكبير جنازة حافلة ودُفن في فلورنسة ، في كنيسة سانتا - ماريا - نوفيلّا . وتوبع عقد الجلسات منذ ١٢ حزيران .

وفي ١٦ حزيران ، بناء على طلب الامبراطور ، امر البابا جان دي راغوز بالقاء خطاب في موضوع الرئاسة ، برهن فيه ان التعابير المستعملة في خلاصة قضايا المجمع بشأن الرئاسة البابوية (وهي التعابير نفسها التي ضمنتها براءة الاتحاد) مستندة جميعها الى نصوص الآباء والمجامع . وهذه هي :

« نحدّد ايضاً ان الكرسي الرسولي المقدّس ، والحبر الروماني ، هو خليفة القديس بطرس ، ونائب يسوع المسيح . وانه رأس الكنيسة جمعاء ، واب ومعلّم جميع المسيحيين . وان له الرئاسة على العالم كله . وانه لهذا الكرسي نفسه ، وللحبر الروماني ، أُعطيت ، بشخص زعيم الرسل ، السلطة التامّة لرعاية الكنيسة العامّة ، ودعوتها ، وادارتها ، وحكمها . »

وظنّ البابا ان الجميع يرضون بهذا التحديد .

اما الامبراطور فقد اعرض عن نصيحة اساقفته ، ورفض نصّ التحديد ، مهدّداً بالانسحاب ، طالباً الى البابا ان يأمر باعداد سفر الروم حالاً .

فتأثر البابا . وترك المجمع مكلّفاً الكردينال يوليانوس سيزاريني متابعة المفاوضات .

وفي ١٨ حزيران ، توجه المجمع الرومي بكامله ، ما عدا الامبراطور ، الى زيارة البابا . فأمر البابا بالقاء خطاب جديد في ميزات الرئاسة الرومانية . وكلّف اثنان من الكرادلة قد توجّها ، ليلة ذاك اليوم ، الى الامبراطور حاملَين ايضاحات بشأن بعض التعابير في التحديد السابق مبدّدَين الشبهات التي عرضها بلسان بساريون . فنتج من ذلك مناظرة شائقة بين بساريون وجان دي راغوز .

وكان هذا قد اورد في الجلسة السابقة رسالات بابوية قبلتها المجامع العامّة بغاية التكريم والتمجيد ولاسيما مجمع خلقيدونية .

فاجاب بساريون ان هذا القبول من مظاهر الآداب التي لا تؤيد الرئاسة الرومانية بشيء . وليس لهذه الرئاسة ان تستند الى رسائل البابوات انفسهم ، بل الى القوانين المجمعية ، وهي تؤيدها وحدها .

فاظهر جان دي راغوز ان الرسائل البابوية لها قوة القوانين المجمعية نفسها . والبرهان ان المجامع العامّة كانت تتخذها احياناً اساساً لمقرّراتها العقائدية .

فسأل بـّاريون هل تعبّر الكلمات « ان البابا اب ومعلّم جميع المسيحيين » عن رئاسة شرفية او اكثر من ذلك كما يفيده التعبير « رأس الكنيسة » .

فاجاب خطيب اللاتين ان التعبير المذكور يفيد رئاسة حقّ وصلاحية . ثم اورد كلمات المسيح : « ارعَ خرافي ، ارعَ غنمي » واضاف ان هذه الرئاسة تتضمن ان الاساقفة المضطهَدين يمكنهم ان يستأنفوا دعاويهم الى البابا ضدّ الامبراطور ، كما حصل لاثناسيوس ولم الذهب . وليس في هذا الحقّ تطاولٌ على حقوق الامبراطور . لأن هذه تُطبّق في المحيط الزمني والمدني . اما حقّ البابا ففي المحيط الكنسي والديني .

عند ذلك تدخل الامبراطور الذي كان حاضرًا الجلسة ، فسأل : « هل تتضمن سلطة البابا حقّ دعوة الكنيسة الى مجمع عام . » فاجاب جان دي راغوز بالايجاب وقال : ان يكن بعض الامبراطرة قد دعوا في ما مضى الى عقد المجامع العامة ، فانما قاموا بذلك بموافقة الكرسي الرسولي او بناء على رغبته . ثم أيّد قوله بالأحداث التاريخية . ولكن في سبيل ازالة تخوّف الامبراطور وموفدي البطاركة ، زاد الخطيب اللاتيني « ان نظام الكنيسة المتوحّد الرئاسة لا يمكنه ان يجحف بايّ حق ولا باية ميزة من حقوق سائر الكنائس وميزاتها . » على انه اوضح بجلاء وصراحة ان سلطة البابا لا تشبه سلطة اسقف او سلطة بطريرك . فان هذه محدودة بحدود المكان . اما سلطة خليفة بطرس ، فلها « حقّ مباشر على جميع المسيحيين . »

ويقول دورثاوس المتيليني ، وهو المؤرخ البيزنطي للمجمع ، ان الامبراطور ، بعد ان سمع هذه الايضاحات ، أمر باحضار الكتب الخاصة بالموضوع للتفتيش فيها عن ميزات الكنائس وخصائصها .

وبعد ان تمّ هذا البحث اعلن الروم كتابةً بانهم مستعدّون لقبول ميزات الحبر الأعظم التي عيّنها اللاتين ، ما عدا اثنتين :

أ ــ حق اقامة مجمع مسكوني ، دون مشاركة الامبراطور وسائر البطاركة .

٢ ـ حق دعوة البطريرك شخصياً الى محكمة البابا ، اذا ما استؤنف الى المحكمة المذكورة حكم هذا البطريرك. وعلى البابا ، في هذه الحال ، ان يُرسل قضاةً موفدين من قبله الى بلاد البطريرك المذكور .

وفي اليوم الثاني ، ٢٢ حزيران ، اعلن اوجين الرابع بانه لا يمكنه التخلي عن ايّ حقّ من حقوق كنيسته . فلا حقّ الاستئناف اليه ، ولا حق دعوة المجامع المسكونية. وكلاهما ضروريان. وما على البطاركة الّا الخضوع.

فكادت هذه الكلمات الصريحة في صرامتها تؤدي الى الانفصال . فقال الامبراطور: « أعدّوا الأهبة لرحيلنا. »

فتأثر دعاة الاتحاد من الروم . واخذ بسّاريون ، وايزيدور الكياثي ، ودوروثاوس ، مؤرّخنا ، يعدّدون الجهود والمساعي.

وكانت النتيجة ان البابا دعا الامبراطور في اليوم الثاني. وجرى الاتفاق على ان تؤلف لجنة قوامها ستة اعضاء من اللاتين وستة من الروم للمناقشة في الموضوع وعرض النتيجة على جمهور المجمع. ثم ان الشرقيين عقدوا اجتماعاً خاصاً في منزل الامبراطور فدوّنوا بالاجماع التصريح التالي : « بشأن سلطة البابا اننا نعترف انه الكاهن الأعظم ، والمدبّر ، وممثل يسوع المسيح وخليفته ، راعي جميع المسيحيين ومعلّمهم ، وانه يقود ويحكم كنيسة الله ، دون ان تُمسّ امتيازات وحقوق بطاركة المشرق». ولم يشأ الروم ان يسلّموا بما فوق هذا التصريح. فطحنت المناقشات الى اشتدادها. وظلّوا ثمانية ايام يتداولون في صيغة النصّ النهائي.

وفي ٢٨ حزيران اجتمع موفدو الروم واللاتين في كنيسة مار فرنسيس ووضعوا نصّ قرار الاتحاد . وعندما عرضوه على الامبراطور ، اشار هذا بان القرار عليه امّا ان يذكر اسمه في مطلع النصّ الى جنب اسم البابا ، وامّا ان يبقى غفلاً دون اسم . ثم انتقد العبارة القائلة ان « البابا يحتفظ بالميزات التي حدّدها الكتاب المقدّس وتعابير القديسين » معترضاً بانه اذا كان احد القديسين قد كرّم البابا في احدى رسائله ناعتاً اياه ، على طريق الآداب والمجاملة ، بالقاب التمجيد ، فلا يجوز اعتبار هذه الألقاب ميزات حقيقية . وعليه فمن الضرورة ان يغيّر البابا هذا التعبير ، او يرجع الروم الى بلادهم.

فأسف البابا وارسل بعض الكرادلة الى الامبراطور حاملين الرضى بان يُضاف الى اسم البابا ، هذه الجملة « ومع موافقة الامبراطور والبطاركة . » ولكنه لم يشأ تغيير شيء في العبارة الثانية ، لأن رئاسة الحبر الأعظم لا يمكن ان تظهر بجلاء اوضح منها في آثار الآباء القديسين . وكان من قول سيزاريني في دفاعه عن هذا التعبير ان كل شيء حتى العقائد نفسها يجب ان تُحدّد بالاستناد الى التعابير التي استعملها الآباء القديسون .

وقد اقترح الروم للمشكل المختلف عليه الصيغة التالية : « يحتفظ البابا بامتيازاته وفقاً للقوانين ، ولأقوال الآباء القديسين ، والكتاب المقدّس ، ولاعمال المجامع » . ثم عرضوها على البابا واخيراً تمّ الاتفاق على الصيغة الآتية لأنها اخصر : « . . . وفقاً لما هو مُتضمَّن ايضاً في اعمال المجامع المسكونية ، وفي القوانين المقدّسة . »

فقبل الامبراطور بهذه الصيغة . وطلب ان يجتمع ، نهار الخميس في ٢ تموز ، الاثنا عشر عضواً عن الفريقين فيضعوا الوثيقة باليونانية واللاتينية . فيوقّع اللاتين النصّ اللاتيني ويُمهر بخاتم البابا ؛ ويوقّع الروم النصّ اليوناني ، ويمهره الامبراطور بخاتمه الذهبي .

ونهار الاحد ٥ تموز وقّع الروم في منزل الامبراطور (قصر بيروتزي) بحضور ثلاثة اساقفة لاتين . وامتنع مرقس الافسسي عن التوقيع . وفي النهار نفسه وقّع اللاتين في مقام البابا (دير سانتا - ماريا - نوفيلا) بحضور عشرة شهود من الروم .

وقد ترجم النصّ من اللاتيني الى اليوناني تراڤرساري واعاد النظر فيه فاصلحه بسّاريون .

وفي السادس من تموز قرأ الكردينال سيزاريني في جلسة حافلة بكاتدرائية فلورنسة نصّ الاتفاق باللاتينية . وقرأه بسّاريون باليونانية .

فصرّح علناً اساقفة الروم واللاتين مع ممثلي الروس ، والإيبيريين ، والڤلاشيين ، وموفدي امبراطور طرابيزندة ، بموافقتهم على القرار

وبعد ذلك ، قام البابا بنفسه ، يحتفل بقداس صارخ .

وهاكم ، في ما يلي ، نصّ الاتفاق بكامله في هذه الوثيقة المهمّة التي تدوّن

تحديد المجمع المسكوني المنعقد في فرّاري ــ فلورنسة ، مؤيّدة الى الأبد معتقدات الكنيسة للشرق والغرب:

قرار المجمع المسكوني المقدس في فلورنسة

اوجين الاسقف ، عبد عبيد الله ، تخليداً للذكرى ، بموافقة ولدنا الحبيب بالمسيح ، جان باليولوغ ، امبراطور الروم الشهير ، ومن يقوم مقام اخوتنا الاجلاء البطاركة ، وسائر الاساقفة ممثلي كنيسة الشرق .

لتبتهج السماوات ولتفرح الارض لان الحاجز الذي كان يفصل الكنيستين الشرقية والغربية قد سقط، وأعيد السلام والاتفاق ! وذلك ان حجر الزاوية ، الذي هو المسيح ، جعل الكنيستين كنيسةً واحدة ، جامعاً بصلة لا تنفصم من المحبة والسلام بين الجدارين ، وحافظاً اياهما بوثائق الوحدة الدائمة . بعد ليل متطاول من الحزن ، وبعد ظلام كثيف مزعج من انقسام طويل ، بدا للجميع نهار صافٍ من الاتحاد المنشود . لتفرح الكنيسة امّنا ، اذ ترى ابناءها يرجعون الى الوحدة والسلام ، بعد ان طال انفصالهم بعضهم عن بعض . هي التي طالما ذرفت الدموع المرّة على انقسامهم ، لترفع الشكر الآن لله بفرح لا يوصف اذ تراهم في هذا الوفاق العجيب ! وليترنّح جذلاً جميع مؤمني العالم ، وجميع من يحملون اسم المسيح ليبتهجوا مع امهم الكنيسة الكاثوليكية ! فها ان آباء الشرق والغرب ، بعد عهد طويل من الشقاق والانقسام ، جاؤوا الى

هذا المجمع المقدّس المسكوني ، بملء الفرح والحماسة ، معرّضين لجميع مخاطر البحر والبرّ ، منتصرين على كل العقبات ، مدفوعين بالرغبة في الاتحاد واعادة المحبة القديمة . فلم تخب آمالهم الشريفة . لانهم ، على اثر البحوث الطويلة المجهدة ، توصّلوا ، بنعمة الروح القدس ، الى هذا الاتحاد المقدّس المنشود . فمن يمكنه اذًا ان يرفع الى الله آيات شكر جديرة بهذه النعم ؟ ومن يمكنه الّا يعجب بخيرات هذه الرحمة الفائقة ؟ ومن هو ذو القلب الصخري الذي لا تلينه عظمة هذا السرّ الالهي ؟ هو عمل الهي حقّ ، لا أثر من آثار الضعف البشري . واذًا فليُقبَل بالجلال البالغ .. وليُحيّ بالاناشيد الالهية ! لك الحمد ، لك المجد ، لك الشكر ، ايها المسيح ، ينبوع الرحمات ، انت الذي اوليت عروستك ، كنيستك الكاثوليكية ، هذا الخير العظيم ، والذي اظهرت في ايامنا عجائب حبّك ، ليَشيد الجميع بذكر عجائبك . حقًّا ان الله اولانا عطيّةً عظيمة الهيبة ، فرأينا بعيوننا ما عجز الكثيرون غيرنا عن رؤيته على رغم رغبتهم الحارّة . وذلك ان اللاتين والروم المجتمعين في هذا المجمع المسكوني بذلوا جهودهم كلها ليبحثوا ، بين الشؤون المختلفة ، بابلغ التدقيق ، واعظم الاهتمام ، قضية انبثاق الروح القدس الالهي . وبعد ان عرضوا شهادات الكتاب المقدّس ، وعددًا وافرًا من نصوص المعلّمين القديسين في الشرق والغرب ، وبعضهم يقولون ان الروح القدس ينبثق من الآب والابن ، والبعض الآخر من الآب بالابن ، معبّرين جميعاً عن الفكرة نفسها بالكلمات المختلفة ، أكّد الروم انهم بقولهم ان

الروح القدس ينبثق من الآب ، لا يفهمون نفي انبثاقه من الابن ، بل انه كان يظهر لهم ، على ما يقولون ، ان اللاتين يعلّمون ان الروح القدس ينبثق من الآب والابن كانبثاقه من مبدأين ومن مصدرين ، ولهذا كانوا يمتنعون عن القول ان الروح القدس ينبثق من الآب والابن . اما اللاتين فقد اعلنوا ، بضدّ هذا ، انهم بقولهم ان الروح القدس ينبثق من الآب والابن ، لا يقصدون عزل الآب ، كما لو لم يكن الينبوع والمبدأ الاصلي لكل الوهيـة في الابن والروح القدس ، ولا يزعمون ان الابن لا ينال من الآب ما به ينبثق منـه الروح القدس ، ولا يقرّون بمبدأين او مصدرين . بل انهم يؤكدون انـه ليس الّا مبدأ وحيد ، ومصدر واحـد للروح القدس ، وهو ما اعتقدوه دائمًا . ولما كان ينتج من كل هذا حقيقة واحدة ، اتفق الجميع اتفاقًا واحدًا ، وأيدوا بالاجماع هذا الاتحاد المقدّس الاثير عند الله . وعليه ، فاننا ، باسم الثالوث الاقدس ، الآب والابن والروح القدس ، وبموافقة هذا المجمع الفلورنتيني المسكوني المقدّس ، نحدّد انه على جميع المسيحيين ان يعتقدوا ويقبلوا ، ويعلّموا هذه الحقيقة الايمانية وهي ان الروح القدس هو سرمديًا من الآب والابن ، وانه يتخذ جوهره وكيانه من الآب والابن معاً ، كما من مبدأ واحد ومصدر واحد . ونعلن ان التعابير التي استعملها المعلمون والآباء ، مؤكدين ان الروح القدس ينبثق من الآب بالابن ، ليس لها معنى آخر ؛ بل انها تعني ، كما يقول الروم ، ان الابن هو ايضاً سبب ، وكما يقول اللاتين ، انه مبـدأ بقاء الروح القدس وذلك

كالآب نفسه. وبما ان كلّ ما للآب اعطاه لابنه الوحيد في ولادته ما عدا الابوية ، فقد نال الابن ابدياً من الآب ، الذي ولده منذ الازل ، ما به ينبثق منه الروح القدس . واننا نحدّد ، فوق هذا ، ان تعبير « الانبثاق » ، الذي يلخص كل هذه العبارات ، زيد على قانون الايمان زيادة مشروعة معلّلة ، لايضاح الحقيقة ، وللضرورة الماسّة اذ ذاك . واننا نعلن ايضاً ان جسد يسوع المسيح حاضر حقيقةً في خبز الحنطة سواءٌ أكان فطيراً ام خميراً . وانه على الكهنة ان يستعملوا هذا او ذاك للتقديس ، كلّ وفقاً لطقس كنيسته شرقية او غربية . وفوق ذلك ، نعلن ان نفوس التائبين حقيقةً ، الماثلين في محبة الله ، قبل ان يكفّروا بثمار التوبة اللائقة عن خطايا عملهم او اهمالهم ، تتطهّر بعد الموت بعذابات المطهر ؛ وانها تستفيد تخفيفاً من هذه العذابات بادعية المؤمنين الاحياء كذبيحة القداس ، والصلاة ، والاحسانات ، وغيرها من اعمال التقوى التي اعتاد المؤمنون ان يقوموا بها بعضهم من اجل البعض الآخر ، وفقاً لاوضاع الكنيسة . وان نفوس الذين ، بعد العماد ، لم يتلطّخوا باي دنس ؛ ونفوس الذين بعد ان ارتكبوا الخطايا ، تطهّروا منها اما في هذه الحياة ، واما بعد انفصالهم عن الاجساد ، كما قيل اعلاه ، تُستقبل حالاً في السماء فتشاهد الله بوضوح كما هو في اقانيمه الثلاثة ؛ الّا ان بعضها يشاهده على اتمّ كمال من البعض الآخر وفقاً لدرجة الاستحقاق . وان نفوس مَن يموتون بحال الخطيئة المميتة ، او بحال الخطيئة الاصلية وحدها ، تنحدر حالاً الى الجحيم

لتعاقب فيها بمذابات مختلفة لا تتشابه . واننا نجدّد ايضاً ان الكرسي الرسولي المقدّس ، والحبر الروماني ، له الرئاسة على العالَم ، باسره ، وان هذا الحبر الروماني هو خليفة الطوباوي بطرس ، هامة الرسل ، ونائب يسوع المسيح الحقّ ؛ رأس الكنيسة جميعها ، اب المسيحيين كلهم ومعلّمهم ؛ وان سيدنا يسوع المسيح اعطاه ، بشخص القديس بطرس ، السلطة التامة بان يرعى ويدبّر ويحكم كنيسته الجامعة ، وفقاً لما هو مُتضمَّنٌ ايضاً في اعمال المجامع المسكونية ، وفي القوانين المقدّسة . والى هذا فاننا نجدّد نظام سائر البطاركة الاجلاء ، كما هو مقرّر في القوانين ؛ بنوع ان بطريرك القسطنطينية يكون الثاني بعد حبر رومة المقدّس ، وبطريرك الاسكندرية الثالث ، وبطريرك انطاكية الرابع ، وبطريرك اورشليم الخامس ، دون ان يُمسّ شيء من امتيازاتهم وحقوقهم .

أُعطي في فلورنسة ، في جلسة مجمعية عامة اقيمت احتفالياً في الكاتدرائية في سنة الف واربعمائة وتسع وثلاثين لتجسّد السيّد ، ليلة السابع من تموز ، وهي التاسعة لحبريتنا .

قد لا نغالي اذا قلنا انه لم يسبق ان دُرست القضايا العقائدية درساً اوفى من هذا الدرس ، ولا اكثر عمقاً ، ولا تُنوقشت تعابيرها جملةً جملة ، كما جرى في هذا المجمع . ولم يسبق ان بُحث بادقّ من هذا البحث في عقيدة الآباء وتقاليدهم .

واننا نستخرج عبرة بالغة من هذه الجلسات الجليلة حيث رأينا العلم والتقوى ينحنيان على آلام الكنيسة فيفتشان لها عن الدواء الشافي . وهي ان الطريقة الوحيدة في الوصول الى الاتفاق الحقّ هي ان نعرف الصعوبات بوضوح ، ونعمل على ازالتها بصراحة ومحبة . وفوق كل شيء ان نحب الحقيقة حبّاً صادقاً جريئاً .

من الخزانة الشرقية

بقلم حبيب زيات

لغة الحضارة

العجلة او العربة

من الطف الابيات التي صحّت فيها التورية الى العجلة قول شمس الدين المزيّن الدمشقي في الامير سيف الدين منجك اليوسفي الناصري ، وقد عمّر المدارس والخوانق والخانات :

لنا مليك على البنيان مقتدر ، قلوبُ صُمّ الحصى من ذكره وَجِلة
ذو همّة ، لو وفى في امره جبل اتى به مسرعاً ، في الحال ، بالعجلة (١

وفي ايام العباسيين ، سنة ٢٤٢ (٨٥٦ م) « حجّ من البصرة ابرهيم بن مظهر الكاتب على عجلة تجرها الابل وتعجب الناس من ذلك ».[٢] وكانت العجل حينئذٍ تجرّ بالجمال والابقار والخيول والبغال والاكاديش والحُمُر . ولكن لما مرض احمد بن طولون في انطاكية وطلب مصر « ثقل عليه ركوب الدوابّ فعملت له عجلة كانت تجرّ بالرجال وطُلِيت له »[٣] . وكان يُتأنّق في فرش هذه العجل حسب اقدار الركبان وثرائهم . وربما كانت احياناً « كالقباب مغطّاة بالديباج ».[٤] واجمل ما كانت تُرى في المهرجانات والاعياد النصرانية . وعليها النساء والفتيات والجواري في الحلي والحلل تختال بهنّ الشهاري الخراسانية والبغلات والحمر المصرية . حكى الحسن بن يعقوب قال : « صرت الى الرها

١) ذيل ابن قاضي شهبة . باريس ١٥٩٨ ، ص ٢٢٨
٢) النجوم الزاهرة لابن تغري بردي ، طبعة مصر ، ٢ : ٣٠٧
٣) عيون الانباء لابن ابي اصيبعة ٢ : ٨٤
٤) السلوك في اخبار دول الملوك للمقريزي . خزانة الفاتيكان ٧٥٩ ، ص ٦١

فبتُّ بها وخرجت قبل عيد الصليب بيوم فاذا لدينا وجوه حسان من نصرانيات خرجن لعيدهنّ عليهن جيّد الثياب وفاخر الجوهر . واذا روائح المسك والعنبر قد طُيّب الهواء منها . وقد فُرش لهنّ على العجل وهو يُجرّ بهنّ».[1]

ويقال ايضاً للعجلة « عربة » وهي لفظة دخيلة . قال الخفاجي : « العربة بلغة اهل الجزيرة سفينة يعمل فيها رحى وسط الماء الجاري مثل دجلة يديرها شدة جريه . وهي مولدة فيما احسب . قاله في المعجم . وانا لا ادري هل المركب المسمى عربة أُخذ من هذا او هو غير عربي وهو الظاهر ».[2] قلنا : ان الكلمة من اصل تركي « أَرَبة » بالهمز . ثم غلب التلفظ بها بالعين اي عربة ومنها استُحدث اسم « العربية » الذي يطلق اليوم في الاصطلاح الدارج على المراكب التي تساق بالخيول . وقد ذكرها النويري بلفظها التركي وتوسع قليلاً في تعريفها ووصفها فقال في اخبار سنة ٧٢١ (١٣٢١ م) :

« في هذه السنة في شوال توجهت الخوند طغاي المحمودية وهي احدى زوجتي السلطان (الملك الناصر محمد بن قلاوون) الى الحجاز الشريف وجُهّزت اعظم جهاز سمع الناس بمثله . وجهز لها « أربات » ومحفّات . والاربات مقاعد من الخشب يجلس عليها . وهي مركبة على عجل امثال اتراس السواقي تجرّ بكديش واحد او جمل بختيّ . وتسرع في المرور غاية الاسراع . »[3]

وقال ايضاً في اخبار السنة التالية :

« سنة ٧٢٢ (١٣٢٢ م) كان وصول الآدر[4] السلطانية من الحجاز الشريف في يوم الثلثا ٢١ من المحرم . فركب السلطان لتلقيهم . ومدّ سماطاً . ثم طلعت الآدر السلطانية الى قلعة الجبل على « أربة » . وتقدمها نساء الامراء على

---

١) مسالك الابصار للعمري ، ص ٣٧٢

٢) شفاء الغليل ، ص ١٥٦

٣) مجلد من غاية الادب . خزانة ليدن Arab. Gaul. 19b f° 12b

٤) الآدر جمع دار . ويكنى بها احتشاماً عن زوج السلطان كما يقال لها ايضاً « الجهة » و « الستر الرفيع »

« الأربات » والكوسات تضرب . والعصائب منشورة وكان يوماً مشهوداً »[1] .

وفي ايام المقريزي كان لفظ « العربة والعربات » قد راج على الالسنة والاقلام . ولذلك كتب في اخبار سنة ٧٢٠ (١٣٢٠ م) :

« فيها وصلت الستر الرفيع الخاتوني طلنباي . . . وخرج كريم الدين الكبير ومعه عربات وبخاتي وبغال . . . وركب في العربة الى الميدان . والحجاب تمشي قدام العربة » .[2]

وكتب ايضاً في اخبار سنة ٧٢١ (١٣٢١ م) :

« قدمت تقادم نوّاب الشام برسم سفر الخاتون طغاي . وعمل الامير ارغون النائب برسمها ثماني عربات كعادة بلاد الترك . ليُسافر فيها وجرّها الى الاسطبل . فأعجب بها السلطان . »[3]

وفي هذه الاقوال شواهد صريحة على ان اصل العربة تركي . ولما تغلب احمد ابن قرمان على ابن عثمان اخذ منه في ما اخذ « سبعمائة عربة محملة » قال ابن تغري بردي في تفسير اللفظة : « والعربة هي التي تجرّ على الجمال والخيول والبقر . »[4]

وممن نصّ ايضاً على عثمانية العربة ابن اياس ، وكتب في حوادث سنة ٩٢٢ (١٥١٦) :

« في يوم الاثنين ثاني عشر ذي الحجة اخرج السلطان الزردخانة الشريفة التي يخرجها صحبة العسكر . فجلس بالميدان وانسحبت قدامه العجلات الخشب التي كان صنعها بسبب التجريدة . وكانت عدتها مائة عجلة وتسمى عند العثمانية عربة . وكل عربة منها يسحبها زوج ابقار وفيها مكحلة نحاس ترمي بالبندق الرصاص . »[5]

---

١) غاية الارب ، المجلد المذكور اعلاه 16b م

٢) السلوك للمقريزي . خزانة الفاتيكان ٧٥٩ ، ص ٦١

٣) السلوك للمقريزي . خزانة الفاتيكان ٧٥٩ ، ص ٦٢

٤) حوادث الدهور ، طبعة ليدن ، ٣ : ٦٨٤

٥) تاريخ ابن اياس ٣ : ٨٩

نزل بساحله

من مصطلحات الشام اليوم قولهم : « فلان نازل بساحل فلان » ، اذا كان آخذًا بانتقاصه وذكر مساوئه . ولا يُدرى متى تحوّل هذا التعبير عن معناه الأول . لانه كان يقال قبلًا : « نزل بساحله » ، اذا صفعه » . والى هذا المراد اشار القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر في بيتين قالهما في فتح الملك الاشرف عكا سنة ٦٩٠ (١٢٩١ م) وهما :

يا بني الاصفر ، قد حلّ بكم نقمة الله التي لا تنفصل
نزل الاشرف في ساحلكم ، فابشروا منه بصفع متصل.(١

ومنه ايضاً لمحمد بن دانيال الحكيم في البرهان الفاحشة . وقد صُفع :

نزلوا سحرًا في ساحله فرأى الاصباح جم ظُلَما(٢

وقد صرّح بمعنى الصفع رضي الدين الحنبلي في كتابه « در الحبب في تاريخ اعيان حلب » . فقال في ترجمة محمد المنيّر شمس الدين الواسطي نزيل حلب : « كتب مرة رسالة وقال في ضمنها : قد خضت لجة بحر قد وقف بساحله . . . » فلما بلغ شيخنا العلامة الموصلي عابه على ذلك ، وانشد عنه :

ان المنيّر قد سا اقرانه بفضائله
ارسوا ببحر علومه وسيرلون بساحله

وفي البيت الاخير كما ترى ايهام لطيف . فان العوامّ يقولون : « نزل بساحل فلان ، اذا صفعه » .(٣

قلنا : والعلاقة ظاهرة بين الصفع ، وهو اذلال وامتهان ، ومعنى العيب والاغتياب . فلا بدع اذا تدرّج المعنى الاول الى الثاني .

١) السلوك للمقريزي . باريس ١٧٣٦ ، ص ٢٢٣
٢) فوات الوفيات للكتبي ٢ : ٢٤١
٣) خزانة باريس ٢١٤٠ ، ص ١٤٠–١٤١

الوفر بمعنى الثلج

هو ، فيما يظهر ، خاصٌ بلغة العراق . قال عبد الرزاق الفوطي :

« سنة ٦٦٧ (١٢٦٨/٩ م) سقط ببغداد وفر كثير كان سمكه في السطوح دون الشبر » .

« سنة ٦٧٤ (١٢٧٥ م) وقع ببغداد وفر كثير علا على الارض مقدار شبر . »[1]

وروى الدبيثي في ترجمة محيي الدين الشهرزوري قال : « من شعره ما انشدني ابو الفتوح محمد بن علي بن المبارك البغدادي قال انشدني نفسه ونحن جلوس بداره وكان الوفر ينزل :

ولما شاب رأس الدهر غيظاً لما قاساه من فقد الكرام
اقام يميط عنهُ الشيب غيظاً وينثر ما اماط على الانام »[2]

البيع سيفَ الموالي

البيع في التجارة اليوم انواع تختلف باختلاف شروط التسليم فيها . واكثرها شيوعاً نوعان : الاول يتقاضى فيه البائع ثمن البضاعة وحدها بعد شحنها في اقرب ميناء اليه . ويتولى المشتري العناية بالنول والاستعهاد لحسابه الخاص . وهو المعروف بالفرنسية ببيع « فوب » fob وهي لفظة مختزلة من كلمتين franco bord . والثاني يضمن فيه البائع ايصال البضاعة الى الميناء الذي يعينه له المشتري . ويُشترط فيه ان يدفع المشتري ثمن البضاعة ونفقات نولها واستعهادها معاً ، بعد وصول اوراق الشحن اليه . ويطلق على هذا النوع من البيع لفظتان منحوتتان من الفرنسية والانكليزية . وهما « كاف » Caf ، و « سيف » cif . والاولى مقتضبة من اوائل ثلاث كلمات coût = قيمة . assurance = استعهاد .

---

١) الحوادث الجامعة ، طبعة بغداد ، ص ٢٦٢ و٢٨٤

٢) ذيل تاريخ بغداد . باريس ٥٩٢١ ، ص ١٢٥

fret = نول . والثانية من ثلاث كلمات ايضاً : fraight, insurance, coast والنحت الانكليزي اقرب الى الصيغة العربية . ومن غريب الاتفاق وجود ما يرادفه في اللغة مبنًى ومعنًى . وهو لفظ « سِيف » بمعنى ساحل البحر . قال عمر ابن ابي ربيعة :

هيهات من أمّة الوهّاب منزلنا اذا حللنا بسيف البحر من عدن (١

فاذا قيل اشترى فلان كذا بسِيفَ الاسكندرية مثلًا ، كان المعنى تسليم ساحل الاسكندرية . وهو يقتضي ضمناً تسليف البائع نفقات البضاعة من نول واستعهاد . وهو مؤدّى اللفظة الانكليزية بالضبط والتمام .

ويكون النصب على الظرفية كما في قول عمر بن ابي ربيعة ايضاً :

عدمتُ اذًا وفري ، وفارقت مهجتي ، لئن لم أقِلْ قرنًا إنِ الله سلّما (٢

اي ان لم اقِل في قرن . وهو كما في ياقوت جبل مُطلّ على عرفات . ويقال له قرن المنازل[٣] . ومن هذا القبيل الآية : فبما اغويتني لأقعدنّ لهم صراطك المستقيم . قال الزمخشري انتصابه على الظرف كقوله (كما عسل الطريقَ الثعلب) . وشبهه الزجاج بقولهم ضرب زيد الظهر والبطن . اي على الظهر والبطن[٤] .

تفسير المراكب

التفسير ، كما هو معروف ، ايضاح الغامض . وقد استعير لتبيان ما في المراكب من السلع لاستيفاء حقوق بيت المال عليها . ولا يخفى ما بين المعنيين من الجامع والصلة . ولم يرد بهذا الاصطلاح في كتب اللغة . ويشبه ان يكون اول ما استعمل في الدواوين السلطانية . قال ابن الفرات الوزير علي لرجل كان يخدمه : « وردت البصرة سفن من بلاد الهند . فانحدِر اليها وفسِّرها . واقبض حق بيت المال وما كان من الرسم المستثنى . . . قال : فانحدرت وفسرت السفن وقبضت

١) الاغاني ، طبعة الدار ، ١ : ١١١
٢) الاغاني ، طبعة الدار ١ : ٢١٢
٣) معجم البلدان ٤ : ٧٢ (طبعة اوربة)
٤) الكشاف ١ : ٤٨١

حق بيت المال .»[1] وجاءت بهذا المعنى في رحلة ابن بطوطة . قال : « امروا صاحب المركب ان يتلي عليهم تفسيرًا بجميع ما فيه من السلع قليلها وكثيرها » .[2] وما عتمت هذه اللفظة ان استعملت بمعنى « الكشف » « والقائمة » في لغة المولّدين . بقطع النظر عن علاقتها بالملاحة . ولذلك قال ابن بطوطة نفسه في كلامه على الفنادق في الصين : « اذا كان بعد الصبح جاء الحاكم ومعه كاتبه . فدعا كل انسان باسمه . وكتب بها تفسيرًا .»[3] اي ورقة باسمائهم . فيحسن من ثمّ بالكتاب اليوم ان يستعيدوا هذا الاصطلاح الذي اقرّه السلف ويختاروه في تعريب : note, relevé et inventaire .

الجُزازة والجُزاز

الجزازة كالقُصاصة كلّ ما جُزّ واقتطع من اديم او ورق ونحوهما . وشاعت في عهد الخلافة العباسية بمعنى الرقعة والقطعة من القرطاس . وهي التي تسميها العامة اليوم « الورقة الطيّارة » . قال ابن خلكان : « تعرض شاعر لابي دلف وقد قصد دار علي بن عيسى . وبيده جزازة . فناوله اياها فاذا فيها مكتوب . . .»[4] وقال ياقوت : « قرأت في جزازة عتيقة املاها ابو الهيذام ما صورته . . .»[5] وفسرها دوزي بانها الورقة التي يكتب فيها المسافر ما يشتهي اكله وشربه في الخان .[6] واغترّ في هذا التفسير بما رواه الشريشي عن ابي ذرّ في شرح بيت الحريري من مقامته السابعة والعشرين المعروفة بالوبرية :

فاذا ما هبطت مصرًا فبيتي غرفة الخان ، والنديم جزازة

---

١) تاريخ بغداد لابن النجار . باريس ٢١٣١ ، ص ٢٥

٢) رحلته (مطبعة النيل) ٢ : ١٥٦

٣) رحلة ابن بطوطة (مطبعة النيل) ٢ : ١٥٧

٤) وفيات الاعيان ١ : ٤٣٦

٥) ارشاد الاريب ٦ : ٢١٠

6) *Supplément aux dictionnaires arabes*, II, p.191

ولا ندري كيف يكون الاكل والشرب في الخان نديماً . وانما اراد الحريري بالجزازة كل صحيفة فيها علم او ادب . يطالعها تتغنيه في خلوته عن النديم . وهو ما اشار اليه الفنجديهي في شرح هذا الموضع بقوله : « الجزازة قطعة كاغد عليها شيء مكتوب »[1] . وهو اولى تفسير يعوّل عليه .

وجاء الجزاز بمعنى الاوراق المهملة والاجزاء والكراريس الساقطة من المجلدات مما يسمى اليوم باسم « الشت » . ولا تخلو منها خزانة خاصة او عامة . وقد تكون بينها الصحف النادرة . والخطوط المنسوبة من التَرِكات . حكى الجواليقي قال : « كنت اقرأ على ابي زكريا (التبريزي) شعر ابي دهبل حتى وصلت الى هذا البيت :

يجول وشاحاها ويضرب حجلها ويشبع منها وقف عاج ودملج

. . . وكان الابيوردي حاضراً . فلما قمت من عنده قال لي الابيوردي اتحب ان تعرف معنى هـذا البيت . قلت نعم . فقال اتبعني . فمضيت معه الى بيته فاجلسني واخرج سلة فيها جزاز فجعل يطوفها الى ان اخرج ورقة فنظر فيها . . .[2]

وحدث ياقوت عن محمد بن احمـد الانصاري الدسكري المعروف بابن البرقطي قال : بلغني عن رجل معلم في بعض محال بغداد ان عنده جزازاً كثيراً ورثه عن ابيه . فخُيّل لي انه لا يخلو من شيء من الخطوط المنسوبة فمضيت اليه . . . وجلست افتش حتى وقع بيدي ورقة بخط ابن البواب »[3] . . . ومما رُوي عن ورع الرضي الشريف « انه اشترى اوراق جزاز من امرأة بخمسة دراهم . فوجد فيها جزءاً بخط ابن مقلة . فارسل اليها وقال وجدت في جزازك هذا . وقيمته خمسة دنانير . فان شئت الجزاز . وان شئت خمسة دنانير . فأبت وقالت بعتك ما في الجزاز . فلم يزل بها حتى اخذت الذهب .[4]

---

١) شرح المقامات الحريرية للشريشي ٢ : ٥٧

٢) ارشاد الاريب ٦ : ٢٥٦

٣) ارشاد الاريب ٦ : ٢٦٦-٢٦٧

٤) الثالث عشر من عيون التواريخ للكتبي 15 f° Or. 3005 خزانة بريتش موزيوم

دفائن الخزائن

الجزء الثاني من

ترسّل الصاحب ضياء الدين بن الاثير

وقفنا على هذا الجزء في خزانة مخطوطات الجامعة الاميركية ببيروت مرقوماً فيها كما يلي M S 892.76 D 62 T A وهو مكتوب في ٢٣٠ صفحة. في كل صفحة تارة ١٥ سطراً وتارة ١٤ . وبآخره خرم قليل. وفي اثنائه مواضع أكلتها الأرضة . والفاظ كشطت وغاب رسمها . وفي الورقة الاخيرة كتابة في ظهرها . منها :

« تم الجزء الثاني من ترسل المولى الصاحب ضيآء الدين رحمه الله . بتاريخ غرة صفر من سنة ست وخمسين وستمائة » (١٢٥٨ م) .

وتحت هذه الخاتمة سطر أُلصق عليه جزازة من الورق جاء في ذيلها :

« كتاب كتبه الى بعض غلمانه وقد ارسل على يده كتاباً فغرق في الفُراة (كذا) والحمد لله حق حمده وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه »

ويظهر ان هذه الكتابة هي عنوان اول رسائل الجزء الثالث . فيكون الموجود من هذا الديوان الثاني فقط . ولا يعرف ايّ خزانة ام ايّ ارض اشتملت على الجزئين الاول والثالث.

وابن الاثير هذا هو نصرالله بن محمد مصنف كتابَي « المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر » ، « والوشي المرقوم في حل المنظوم » المطبوعين . وهو ثالث الاخوين : المؤرّخ صاحب « الكامل » ، والمحدّث مؤلف « النهاية في الحديث » . ولد سنة ٥٥٨ للهجرة ومات سنة ٦٣٧ (١١٦٣—١٢٣٩ م) وسمي الصاحب لانه ولي وزارة الملك الافضل نور الدين علي بن الملك الناصر صلاح الدين الايوبي . قيل ولم تحمد سياسته . فيكون ديوان رسائله هذا قد خُطّ بعد وفاته بتسع عشرة سنة فقط . وهو ما يزيد في قيمة الجزء الباقي منه فضلاً عما اتصف به من صحة الضبط في الغالب وحسن الخطّ .

وهذه الدواوين التي جمعت فيها الكتابات السلطانية والرسائل الخاصة من اقلام الوزراء المنشئين . وبلغاء كتاب المصطلح الشريف ، هي احقّ بان تدعى سجلّات التاريخ . ويجب ان تعدّ من اصوله . وان يعوّل عليها في تتمة اخباره ونقدها ومعارضتها ، لولا كثرة جمجمتها احياناً وقلة طحنها ، وضياع الحقيقة فيما بين قشور الفواصل والاسجاع ، وكون جانب منها تحت غشاء القوالب اللفظية . على ان ضياء الدين بن الاثير هو من اقل الكتاب فضولاً ، واوفرهم محصولاً . ورسائله ، وان كانت لا تخلو من المبالغة والاطناب ، شأنَ كل المترسلين في عصره ، فهي تتضمن بعض الشروح والاشارات الجديرة باسترعاء نظر المتأدب لتفهم الوقائع واستطلاع الاحوال التي تقصر المؤرخون في وصفها او اغفلوا عن ذكرها . وفي هذا الجزء منها طائفة سنورد مثالين منها اخترناهما لعلاقتهما بتاريخ دمشق . وهذه عناوين الكتب المروية في هذا الجزء ننقلها برمتها لفائدتها وطرافة قسم منها ليرجع الباحث اليها عند الحاجة :

١ كتاب كتبه عن نفسه الى بعض اخوانه الصالحين وعباد الله المخلصين جواباً عن كتاب ورد منه يتضمن موعظة وتخويفاً (ص ١–٤) .

٢ كتاب كتبه عن نفسه الى تاج الدين ابي اليمن زيد بن الحسن الكندي . رحمه الله تعالى . جواباً عن كتاب ورد اليه منه وهو يومئذٍ بمدينة الموصل وارسله اليه الى دمشق المحروسة (٤–٧) .

٣ رقعة كتبها عن نفسه الى بعض الفضلاء جواباً عن رقعة وردت منه اليه يلتمس شيئاً من رسائله . وكتب الجواب في ظهرها (٨–١٠) .

٤ رقعة اخرى في المعنى المتقدم المشار اليه . وهو جواب للجواب عن الرقعة الاولى (١١–١٢) .

٥ كتاب كتبه عن نفسه الى بعض الاصدقاء ممن استجد مودته في سفرة سافرها معه . وهذا الكتاب اول كتاب صدر عنه اليه (١٣–١٥) .

٦ كتاب كتبه عن الامير الكبير مجاهد الدين قايماز زعيم الموصل الى صدر الدين شيخ الشيوخ ببغداد المحروسة . وكان قد سعى به اعداؤه الى الملك القاهر عز الدين مسعود ابن مودود صاحب الموصل حتى امسكه واودعه السجن . فنال دولته بذلك ضرر عظيم . واختبط امور الاجناد والرعايا . وخرج عن يده كثير من البلاد . واشرفت مملكته على الزوال . فعاد فاستدرك الفارط واطلقه من السجن وقلده امر المملكة على ما كان عليه واعظم . وكشف عن امره فعلم براءته مما رمي به . فانتقم من اعدائه الذين سعوا به ولم يطل لهم عمر . واصدر هذا الكتاب الى صدر الدين يبشره بخلاصه . لان صدر

الدين كان صديقه صداقة مرفوعة المقاصد . راسية القواعد . واخذ كتاب الديوان العزيز في امر خلاصه (١٥-٢٠) .

٧ كتاب كتبه عن نفسه الى بعض الفضلاء يتضمن شكوى الزمان في تقلب حالاته واتضاع ولاته (٢١-٢٣) .

٨ وكتب ايضاً توقيعاً عن السلطان الملك الافضل ابن السلطان الملك الناصر صلاح الدين رحمه الله تعالى باطلاق المكوس والمظالم بدمشق المحروسة عند مصيره اليه (ص ٢٤-٢٦) (وليس فيه اقل ذكر وتفصيل لهذه المكوس) .

٩ كتاب كتبه عن السلطان الملك الافضل علي ابن السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف ابن ايوب الى عمه السلطان الملك العادل ابي بكر بن ايوب بسبب ترعة ترعها بينهما الشيطان . وذلك في شهر رجب المبارك سنة تسع وتسعين وخمسمائة . وزعم الملك العادل ان الملك الافضل نقض عهده وباطن عليه جنده . فانتزع بسبب ذلك ما كان بيده من البلاد الفراتية . وكان جرى بينهما قبل ذلك وقائع وزعازع (٢٦-٣٢) .

١٠ وكتب ايضاً عن الملك الافضل علي الى الملك العادل ابي بكر كتاباً ثانياً في المعنى المشار اليه . لان الكتاب المتقدم لم يرجعه عما كان اصرّ عليه من حقده وبغيه عليه (٣٣-٣٨) .

١١ كتاب آخر ثالث كتبه عن الملك الافضل الى عمه الملك العادل وضمّنه شرح حاله مع عمه . وذلك انه لما توفي والده المولى السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن ايوب . رحمه الله تعالى . ألقى يده الى عمه المشار اليه الملك العادل دون جميع اخوته وبذل جهده في الاحسان اليه بنفسه وماله وعساكره . فكان ثمرة ذلك انه خدعه وانتزع دمشق منه . ثم قدّر الله بعد ذلك موت السلطان الملك العزيز عثمان ابن الملك الناصر صلاح الدين صاحب مصر . وملّكها الافضل اخوه بعده . فجمع العساكر وخرج الى الشام فحصر عمه الملك العادل بمدينة دمشق مدة طويلة . ثم انقلب الامر عليه واستولى الملك العادل على مصر . وحلف لابن اخيه الملك الافضل على بلاد بارض الجزيرة . ثم نكث به .

وهذا اول الكتاب بعد البسملة :

« ندمتُ على امر مضى لم يُثِر به نصيح ولم يجمع قراه نظام

رب وثوق يقود الى الندم وتودد يدعو الى التهم وقد يدل الحلم على صاحبه ويطمع في جانبه ولولا ذلك لما استُلين عودي فعُجِم واستُضعِف ركني فهُدِم ولا اشكو ما اشكوه الا الى عمي وصنو ابي الذي نفره نفري وهو الذي قلب فُواقي على وتري وعلمني التظلم من الايام واراني ضوء النهار بعين الإظلام ولقد اضاع فيّ احسانه وخالف في قطع رحمي سنة الله وكتابه وجعل اياي منه كيوم البعث الذي يتناكر الناس في انسابه واسبابه هذا وقد علم اني اتخذته ابًا ارجو بره ومولى اطيع امره وكنت له كنانة لا يطيش لها سهم ولا يوسى منها كلم ولم ازل ساعياً في تقويم أوَده واعلاء كلمته ويده واتعبى بي الجد في ذلك الى اني شاقفت بني ابي لمواصلته وقابحتهم لمجاملته وشققت في توخي إيثاره عصاهم وجعلت ادناهم الي اقصاهم حتى اصبحت من

إخانهم عربيًا وكنت غبيًا فصرت بكريًا هذا ولم يزل يحذرني منه النصاح ذوو السرائر وأولو الابصار والبصائر ويقولون هذا يخدعك بكيده ويجعلك حبًا لشبكة صيده فما فتحت لاقوالهم سمعا ولا وجدت لها مني موقعا ولا وقعا بل مضيت على ما انا عليه من شد يدي بموالاته وعقد قلبي على موالاته وقلت هـذا العضد وهذا الساعد وهذا العم الذي اذا مضى الوالد فهو الوالد وقد بدأته بالاحسان الذي اظن انه اهله وليس جزاؤه عند الاحرار مثله ولم اعلم انه خمر بواديه ونصب لي اشراك عواديه فشد ما نبذ ذمة الرحم خلفه ظهريًا واتخذ العهد الذي في عنقه شيئًا فريًا وانقلب ما كان يظهره من طيب الاقوال الى ما كان يضمره من خبيث الافعال فلقيت منه ما لقي جبير ام عامر وكافأني مكافأة النسـاج للطائر وانا راجٍ ان يقاتله احساني الذي كفره وما شكره ونسيه متعمدًا وما ذكره فان للاحسان جنودًا ترمي من غير سهام وتقاتل في كل معترك بحسام وتؤيد بالنصر في كل مقام ومن شأنها انها تناضل ولا يشعر بنضالها وتسري فتحول بين الظلمة وآمالها فكم ثنت من يد قبضت على سيفها ودعت الى حيفها وما امسكت يد عنان جود وعنان جحود الا غدا صاحبها صريعا ولم يجد له من دون الله تبيعا فينبغي له ان يراجع نظره في ما اتاه وان يجتنب قول موسى لفتاه ولا يكن ممن اطمأن الى مسالمة زمانه واطراد امر سلطانه فانما الايام التي ما سالمت الا حاربت ولا واصلت الا جانبت ولا تأتي هموها الا من جهة افراحها كما لا تأتي ظلمة لياليها الا من مطلع صباحها ولطالما اعجزت قديرا وزعزعت سريرا واذهبت نعيمًا وملكًا كبيرا وعادًا وثمودًا واصحاب الرس وقرونًا بين ذلك كثيرا فان كان بعد العهد بهؤلاء انساه الاعتبار واوجب له الاغترار فلينظر الى من رآه عيانا وكان له سلطانا وهو اخوه الذي خفقت في الآفاق ذؤابة علمه واستجابت الدول لامر سيفه وقلمه وكان اثبت منه ملكا واوسع بلادا واكثر اموالًا واولادا فشتت الايام على دولته فعفت آثارها واختفت اخبارها هذا ولم يزل يجبل قلوب الناس على الحسنى ويغرس فيها ما يرجو منه طيب المجتنى وقد رأيت ما فطره في بنيه وما بالعهد من قدم وما بالقوم عن ذلك الاحسان عمى ولا صمم فكيف ترجو انت ح الاساءة ان يشكروا بسببك او يحسنوا الملاقة لك في عقبك هيهات تلك اماني النفس المائنة ودواعي الهوى المائنة وانا اعظك ان تكون ممن تولى فقطع رحمه وخفر ذمته فان كل دنيا ستنصرم وكل من حكم عليه ظلمًا سيحتكم « والذين اذا اصابهم البغي هم ينتصرون » وقد بلغني انه يتوعدني بنكره ويوقد على احناء صدره وانه تألى على الله ليأخذنّ على يدي وليلبسنّ يومي بغدي ويوشك انه اخذ من الله موثقًا بالخلود وتابعته الاقدار على اقتسار الجدود ومع اليوم غد وما من يد الا وفوقها يد وكم بغى في هـذه الارض من باغٍ ففوجئ بالتدفيع والتدمير وحالت الايام بينه وبين ما يقدره من المقادير « وكأين من قرية امليت لها وهي ظالمة ثم اخذتها واليّ المصير » ولئن مزقتني منه هذه النبوة التي طاشت لها الاحلام وزلزلت فيها الاقدام فما خفّ لها الآن جبلي ولا تصرفت فيها بحولي ولا جيلي الكنني قد مددت الحبل معه

الى آخره وارتقبت ما تصير اليه عقبى مصايره وانا ادعوه الى كلمة سواء بيني وبينه ان يبقي احدنا على صاحبه ولا يذهب غير مذاهبه .

فان تدعني للشر أسرعْ وان تهب بصلحي فقد ابقيت للصلح موضعا

ويعز علي ان اعضد شجرة انا من اصلها او أقفر دارًا انا من اهلها فاكون في ذلك كمن جنت كفه على بنانها وعينه على انسانها واصبح اعق من غدا (عن فدى ؟) بهجته الدامية عن يده الرامية ولولا ذلك لأثرتُها فتنةً تخشن مراكبها وتحمرّ غوارجها وتقبح عواقبها وتكون دخانًا يغشى الناس منه عذاب اليم لا ينجو منه برّ ولا اثيم ولا بريء ولا سقيم ولكنني قد وضعت له جنبي وكففت عنه غربي وفارقت الاحداث وطلّقتها ولزمت الدعة وتعلقتها فلا يبعثني على مراجعة الحال المطلّقة ولا يحملني بعد سبيل الطاعة على السُبُل المتفرقة فقد أتيح للمضطرّ ان يركب كل محذور محظور ويستخلص حقه بالحق وبالزور ويدفع ظلامته بما وجد من السبيل وهو معذور واذا أُحرج الحليم خرج من شِيَمه واستُخبت النار من وارق سَلَمه فلا يظن ان قدحي لباريه ولا ليلي لساريه وقد طال ما بُلي عزمي فوُجد نفّاذًا في الاسداد طلاعًا للانجاد فما قدح الا امرج ولا كوى الا انضج ولا جهّز بعثًا من بعوثه الا غنيت آراء عن جنود شُهّد او عصفت سيوف من رؤوس رُكّد وذلك العزم باقٍ لم يَبِنْ ولم يَبِنْ ومتى استطارت ناره ملأت الاقطار وسبقت الحذار وقلّبت القلوب والابصار والتجربة تنصحك ان (لا) توقظ شرا قد استدام سكانه ونامه وكره الله والناس ان تستعاد ايامه فان ذلك السيف في يد القاتل وربما زاد الآجل على ما تقدم من العاجل والسلام» (ص ٢٩-٤٧)

وهذا الكتاب، مع بلاغة حجته وصدق كلمته ، وحدّة لهجته ، لم يدفع عن الافضل ظلم «صنو ابيه» فمضى العادل على غلوائه ، دون ان يثنيه عن متابعة الاساءة سابق احسان الافضل اليه. ولا بأس ان نذكر انه لما مات صلاح الدين ، كان الملك العادل بالكرك . فامتنع فيه وأبى ان يحضر عند احد من اولاد اخيه . فارسل اليه الافضل غير مرة يستدعيه فوعد ولم يفعل . وهمّ صاحب الموصل اتابك عز الدين ، ان يسير الى بلاد العادل الجزريّة لينتزعها منه فجهّز الافضل عسكرًا من عنده وارسل الى صاحبي حمص وحماة ، والى اخيه الملك الظاهر بحلب ، واعان عمه بما اجتمع من الجنود ، وانفذها معه ليمنع البلاد الجزرية . وفي سنة ١١٩٥/٥٩١ اراد الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين ان يحاصر دمشق فاستنجد الافضل بالعادل فسبقه الى دمشق . وكان الافضل لثقته به قد امر نوّابه ان يمكنوه من دخول القلعة . فما عتم الامراء ان انقلبوا على الافضل ،

وقرّروا ان يسلّم دمشق لعمه ، ويملك بدلًا منها الديار المصرية . فارسل العادل سرًّا الى الملك العزيز ان يثبت في مكانه وضمن له منع الافضل . ولما عاد الافضل الى دمشق ، اقام العادل بمصر عند العزيز ، واقنعه بالخروج معه في السنة التالية وحصروا دمشق ودخلاها بخيانة من احد امراء دمشق استماله العادل ففتح لهم الباب الشرقي . وانفرد العادل بدمشق ، واعاد العزيز الى مصر ، وتسلّم جميع الاعمال من الافضل ، واعطاه قلعة صرخد فقط . وكان اخوه الظاهر غازي ، ملك حلب ، قد ارسل اليه قبلًا يقول له : أخرج عمنا من بيننا فانه لا يجيء علينا منه خير . ونحن ندخل لك تحت كل ما تريد . وانا اعرف به منك واقرب اليه . فانه عمي مثل ما هو عمك وانا زوج ابنته . ولو علمت انه يريد لنا خيرًا لكنت انا اولى به منك . فقال له الافضل : انت سيّئ الظن في كل احد . ايّ مصلحة لعمنا في ان يؤذينا » .[1]

ولما مات العزيز بمصر ، وخلفه الافضل عليها ، سعى العادل فملكها منه ايضاً سنة ٥٩٦ . قال صاحب الكامل الذي لخّصنا عنه ما سبق : « ومن اعجب ما رأيت من منافاة الطوالع انه لم يملك الافضل مملكة قطّ الا واخذها منه عمه العادل . فاول ذلك ان صلاح الدين اعطى ابنه الافضل حرّان والرها وميافارقين سنة ٥٨٦ فسار اليها . فلما وصل الى حلب ارسل ابوه الملك العادل بعده فردّه من حلب واخذ هذه البلاد منه . ثم ملك الافضل بعد وفاة ابيه مدينة دمشق . فاخذها منه . ثم ملك مصر بعد وفاة اخيه الملك العزيز . فاخذها منه ايضاً . ثم ملك صرخد فاخذها منه . واعجب من هذا انني رأيت بالبيت المقدّس سارية من الرخام ملقاة في بيعة صهيون ليس يوجد مثلها . فقال القس الذي بالبيعة : هذه كان قد اخذها الملك الافضل لينقلها الى دمشق . ثم ان العادل اخذها بعد ذلك من الافضل . طلبها منه فاخذها . وهذا غاية وهو من اعجب ما يحكى » .[2]

ومما تقدّم يتضح جليًّا ان الملك العادل كان ذا مكر وغدر وخديعة . لم يشكر احسان اخيه صلاح الدين ولم ينصفه في اولاده . بل ترقّب وفاته ليحقّق

١) الكامل ٢ : ٤٨

٢) الكامل ٢ : ١٣٥

اطاعه في ملكه . فحوّله عنهم الى اهل بيته .. ولذلك فهو في نظر التاريخ المجرّد عن الهوى اجدر بان يدعى الملك « الظالم » .

١٢ وكتب الى السلطان الملك الافضل علي بن يوسف رحمه الله تعالى يهنيه بعام جديد وذلك في سنة احدى وتسعين وخمسمائة (ص ٤٧-٤٨) .

١٣ كتاب كتبه عن نفسه الى مخدومه الملك الافضل ابي الحسن علي بن يوسف وقد سيّره رسولاً الى صاحب الروم من حصن سيساط وذلك في سنة ثمان وستمائة فكتبه اليه من بعض الطريق وكان الزمان شتاء يصف البرد وغيره (٤٨-٥٢)

١٤ كتاب كتبه عن السلطان الملك الافضل نور الدين ابي الحسن علي بن يوسف الى الملك العادل نور الدين ارسلان شاه صاحب الموصل رحمه الله . يسلّيه عن هزيمة هزمها في مصافنة صافنها (كذا) . وذلك يوم السبت تاسع عشر شهر شوال من سنة ستمائة . وسبب ذلك انه خرج الى نصيبين وحصر قلعتها واشرف على اخذها وهي يومئذ لابن عمه الملك المنصور قطب الدين ابن اتابك صاحب سنجار . ثم عاد عنها بغير سبب ولا مزعج الا لامر يريده الله . فاستنجد صاحبها الملوك المجاورين كصاحب جزيرة عمر .. وصاحب دارا . وصاحب ماردين . وصاحب آمد وديار بكر . ونزلوا نصيبين بالجملة الكبيرة . وطلب صاحب نصيبين من صاحب الموصل المصافّ فاجابه اليه . واتفق ان يكون بين نصيبين والموصل على قرية تعرف ببوشزّى . فاجتمع عساكر صاحب نصيبين . ونجده كلهم عليها وسبقوا الماء وملكوه . واسرى اليهم نور الدين من الموصل فاخذ ثلاث مراحل في مرحلة واحدة إدلالاً بقوة عسكره . فحين وصل ونزل لم يلبث خصومه ان ركبوا وطلّبوا وقصدوه . فلم يجد بدّاً من لقائهم فلم يثبت لهم عسكره لتعبهم وضعفهم . فكان ذلك سبب الهزيمة (٥٢-٦٠) .

١٥ كتاب كتبه عن نفسه الى القاضي الامام تاج الدين ابي الفضل احمد بن علي السيرمي قاضي مدينة ملطية . وكان بينهما من الود شيء عظيم . وهو جواب كتاب ورد منه يخبره بمرض لحقه وعافية تداركه الله بها . فصدر هذا الكتاب يتضمن الهناء بالبرء . ولم يكن بلغه حديث المرض حتى سمع خبر العافية (٦٠-٦٣) .

١٦ كتاب كتبه عن نفسه الى الصاحب الوزير صفي الدين ابي عبدالله محمد بن شكر وزير الملك العادل سيف الدين ابي بكر بن ايوب شفاعة في حق الشيخ الامين زكي الدين ابي عبدالله بن سلامة الزّقي وهو من مشاهير التجار الدمشقيين (٦٣-٦٧) .

١٧ كتاب كتبه عن نفسه الى الصاحب بهاء الدين بن شدّاد قاضي قضاة حلب واعمالها . وكانت الكتب انقطعت بينهما (٦٧-٦٩) .

١٨ كتاب كتبه عن السلطان الملك الافضل نور الدين ابي الحسن علي بن يوسف بن ايوب الى اخيه السلطان الملك الظاهر غازي بن يوسف صاحب حلب حرسها الله تعالى . عناية بالصدر الاجل ظهير الدين ابن الدامغاني الذي كان ابوه قاضي القضاة ببغداد وسائر العراق . وقد

نبا به الزمان وخرج من بغداد مترزقاً (٦٦-٧٣) .

١٩ كتاب كتبه عن نفسه الى بعض الاخوان جواباً عن كتاب ورد منه سنة اثنتين وستمائة (٧٣-٧٦) .

٢٠ كتاب كتبه عن نفسه الى السلطان الملك الظاهر غياث الدين غازي بن يوسف صاحب حلب حرسها الله تعالى . يتضمن الشفاعة في امر شخص من العمال بديوان حلب . وارسله اليه من حصن سيساط . وذلك في سنة ثلاث وستمائة (٧٦-٧٩) .

٢١ كتاب كتبه الى الصاحب بهاء الدين ابي الحجاج يوسف بن رافع بن تميم قاضي القضاة بالشام عن نفسه . يتضمن العناية ببعض الفقراء . كان مؤذناً واحب الاشتغال بالعلم . وسأل كتب هذا الكتاب اليه (٧٩-٨٣) .

٢٢ كتاب كتبه عن نفسه الى بعض الاخوان (٨٣-٨٤) .

٢٣ كتاب كتبه عن نفسه الى بعض الاخوان . وكانت المكاتبة انقطعت بينهما مدة يسيرة . وسيّره اليه من حصن سيساط وقد عرّض فيه بشكوى الزمان (٨٤-٨٧) .

٢٤ كتاب كتبه عن نفسه الى بعض الاخوان . وقد وصله عتبه لانقطاع كتبه عنه . فاصدر هذا الكتاب معتذراً عن الانقطاع والبطء (٨٧-٨٨) .

٢٥ كتاب كتبه عن نفسه الى بعض اصدقائه بالموصل . وكان فارقه وسار الى خدمة السلطان الملك الافضل نور الدين علي ابن السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن ايوب بحصن سيساط . فوصل المشار اليه رسولاً الى خدمته من حلب . ثم عاد الى الموصل . وهذا الكتاب جواب عن كتاب وصل منه بعد عوده (٨٩-٩٣) .

٢٦ كتاب كتبه عن السلطان الملك الافضل علي بن يوسف الى اخيه الملك الظاهر غازي بن يوسف صاحب حلب المحروسة بسبب الشفاعة في امر شخص من عمال الديوان السلطاني بحلب المحروسة (٩٣-٩٦) .

٢٧ كتاب استملاه منه الامير الجليل مظفر الدين سنقر امير الحاج العراقي الامامي الناصري . وذلك انه لقيه بمدينة حلب في سنة سبع وستمائة . وكان قد أبَق من خدمة الديوان العزيز الى الشام . وكان سبب إباقه ان الوزير بالحضرة الشريفة قصده قصداً اراد فيه هلاكه . فلم يمكنه المقام على ذلك فهرب . فلما عزل الوزير وتولى غيره اصدر عنه هذا الكتاب (٩٦-١٠٣) .

٢٨ كتاب آخر في المعنى ايضا . كتبه عن لسانه الى المحروسة ببغداد (١٠٣-١٠٦) .

٢٩ كتاب كتبه عن السلطان الملك الظاهر غازي بن يوسف بن ايوب الى الديوان العزيز المقدس النبوي عظّمه الله تعالى . جواباً عن كتاب ورد منه وقد ارسل اليه سراويل الفتوّة (١٠٦-١١١) .

٣٠ كتاب كتبه عن نفسه الى بعض الاخوان . جواباً عن كتاب ورد منه يتضمن الاستعطاف على من الفى صداقته (١١١ - ١١٥)

٣١ كتاب كتبه عن نفسه الى بعض اصحابه العاشرين من اهل مصر . يقال له مؤيد الدين بن

الجيهاني . وكان مغربي الاصل مصري المولد . وعنده جزء كبير من الملاعة . فحج المؤيد الى بيت الله الحرام . وجاور بمكة سنين . ثم وصل بعد ذلك الى مدينة حلب المحروسة . وكان قبل الحج بمشق صبياً اسمه عبد القادر . وشهر به . فعرض بذكره في الكتاب (١١٥ – ١٢١) .

٣٢ كتاب كتبه الى صديق له من اخوانه الصادقين يعزّيه ببنت له توفيت (١٢١ – ١٢٤) .

٣٣ كتاب كتبه عن المولى السلطان الملك الظاهر غياث الدنيا والدين غازي ابن الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن ايوب رحمهم الله تعالى . الى الديوان العزيز النبوي ببغداد . جواباً عن كتاب ورد منه مبشراً في سنة ثمان وستمائة عن الطائفة الاسماعيلية انها اسلمت بحصون ألموت من بلاد العجم . وهم الحاكمون على الحصون الذين بالشام منهم بجبل الساق (١٢٤ – ١٣٠) .

٣٤ كتاب كتبه الى بعض الاخوان ليصف فيه مسترهاً حضر فيه في بستان واخوان . ومكان وامكان . وكان ذلك في زمن الربيع . وقد ذكر ذلك . ويصف الشطرنج الذي لعب الجماعة به (١٣٠ – ١٣٨) .

٣٥ كتاب كتبه الى بعض الاخوان جواباً عن كتاب ورد منه . وقد ضمّنه ذكر المشيب (١٣٨ – ١٤٣) .

٣٦ كتاب كتبه الى بعض الناس يتضمن الهناء بشهر رمضان على حكم التهكم والاستهزاء (١٤٣ – ١٤٥) .

٣٧ كتاب كتبه عن نفسه الى السلطان الملك الظاهر غياث الدين غازي بن يوسف صاحب حلب . عناية ببعض ارباب البيوت كانت تمم الله عليه جمة فاذهبها الدهر (١٤٥–١٤٩) .

٣٨ كتاب كتبه الى بعض الاخوان . جواباً عن كتاب ورد منه يتضمن استصلاح مودة (١٤٩ – ١٥٣) .

٣٩ كتاب كتبه تقليداً بولاية مدينة دمشق المحروسة من ديوان السلطان الملك الافضل نور الدين ابي الحسن علي ابن السلطان الملك الناصر صلاح الدين رحمهما الله تعالى . وذلك في سنة تسع وثمانين وخمسمائة (١٥٣ – ١٦٨) .

ولهذا التقليد السلطاني مكانة سنيّة بين سجلات دمشق لما ورد فيه من التنبيه على ولع اقوام من سكانها بشرب الخمر . وتناول الرشوة بين عمّال الديوان . وخصوصاً لما تضمّنه من الوصية والرفق باهل الذمّة . ولذلك نقتطف منه الفصول الآتية لفائدتها الجلّى في تاريخ الدولة الايوبية . ودلالتها على بعض الاخلاق البلدية :

« من المهم عندنا حدّ الخمر . فان الناس قد تمادوا على شربها وإدمانها وجاهروا في افتعالها وعصيانها ولم يردعهم الحد عليها عن تورد مكانها ونحن نأمرك ان تقتلع شرها من اصله

وتسدّ على شيطانها ابواب شبله ولايتم ذلك الا بان تجتهد في منع حلّها وتحريم حلّها وإراقة زقاقها ودنانها واستهلاك الدوابّ الحاملة لها باستهلاك اثمانها وان تتعهد قبناها بالنفي والاشتهار وهتك الاستار وتُنحي على آلاتها بقطع الاوتار وكسر كل ما كان من دفّ او مزمار واستعينْ على امرك هذا بكل محتسب يتولى الامر بالمعروف وبالعلماء من رجال الله الذين ينظرون بنوره من وراء السجوف ويعملون له لا لامر مرجوّ ولا لامر مخوف وترجو حينئذ ان يزول هذا الداء وان كان عضالا واذا نظر الله في امرنا في صدق النية كفى المؤمنين قتالا .

« ومن الرعية الذين تحت يدك اهل الذمة . وهم قوم سكنوا بين اظهر المسلمين سكنى الاذلال وبذلوا الجزية فعصموا بها مباح الدماء والاموال فعليك ان تلي عليهم ظل المعدلة وتنزلهم حيث انزلهم الله ورسوله من المنزلة وان تحفظ كلًّا منهم في نفسه وعرضه ولا تحمّله ثقلًا يخفّ عليه حمل بعضه وان تحفظ عليه عهده من النقض الا في سبب يحكم بنقضه ومن احسان السيرة فيهم الّا تطلب الجزية من راهب انقطع في صومعته ولا من شيخ حال الضعف بينه وبين الانتفاع به كما حال بينه وبين منفعته وهذا المقدار من هذا الوجه قد بورك في دينارهِ ودرهمه وخير ما صرفه المرء المسلم في ملبسه ومطعمه فليفرّق في الصدقة التي تريده طيبا ولا تجعل له في الحسنات مثلًا ولا ضريبا (ص ١٦١ – ١٦٢) .

وهنا كبيرة هي من اعظم الكبائر وقد فشت في الناس حتى صارت صغيرة من الصغائر وذاك ان ولاة السوء قد أَلِفوا تناول الرشوة التي تغير حكما وتختم على القلوب حتما وسمّاها الله سُحتًا واثما وانت ينبئك عنها دينك الذي هو عصمة امرك وعلو نفسك الذي يقضي بعلو قدرك ولكن ربما استنزل الهوى بعض اصحابك فملأ بها عينه وحال بين الحق وبينه فأحصِ على هؤلاء الاقفاس عددا واملك بين ايديهم ومن خلفهم رصدا وكن كالطائر الحَذِر الذي يظن كل شيء حجرا ويدا (ص ١٦٤) .

وتعليقًا على هذا التقليد الذي يجب ان يُعدّ من حسنات الملك الافضل وفضائله ، وزيادة في الشرح والبيان ، ننقل هنا ، على سبيل التأييد والتمثيل ، بعض ما وقفنا عليه من اخبار الخمر والمسكرات بدمشق . وقد اغضى عن هذا الداء العضال كثير من الملوك والحكام . وادخله بعضهم في جملة ما يُضمَّن في الديوان من الفواحش والمنكرات . حتى زعم سبط ابن الجوزي ان الحاصل من رسوم الخمر والخواطي والمكوس والمظالم ، في زمن الملك العادل سيف الدين ، بلغ مئة الف دينار[1] . ولا يخفى ما في ذلك من المجازفة والتهويل . ولما ابطل العادل ، سنة ٦١٢/١٢١٥ ، ضمانة الخمر والقيان « كان الذين يريدون شرب

١) ذيل الروضتين لابي شامة . خزانة باريس ٥٨٥٣ ص ١٢٠

الخمر يتكلفون الخروج الى ضياع جبل سنير (القلمون) في صيدنايا ومعربا ونحوها .[1] وكان واليه المعتمد « اقام رجالاً على عقاب قاسيون وجبل الثلج وحوالي دمشق بالجامكية والجراية يحرّمون احداً يدخل دمشق بمسكر . فكان اهل الفساد يتحيّلون ويجعلون زقاق الخمر في الطبول . ويدخلون بها الى دمشق فمنع ذلك » .[2] ولما خلف العادل ابنه الملك المعظّم ردَّ المكوس والخمور وما كان ابطله ابوه واعتذر بقلة المال ودفع الافرنج .[3]

وفي سنة ٦٨٠/١٢٨١ ضُمِّن الخمر والزنا بدمشق وجعل عليه ديوان ومُشِدّ . وسمي هذا الديوان « الجهة المفردة » . وضُمِّنت في كل سنة بسبع مئة الف درهم ، وتزايد فيها الضُّمّان حتى بلغت الفي الف درهم في كل سنة . فقام بابطال ذلك جماعة من العلماء والصلحاء .[4]

وفي سنة ٦٩٩/١٣٠٠ ضمّن قبجق نائب دمشق « الخمارات ومواضع الزنا من الحانات وغيرها . وجعلت دار ابن جرادة خارج باب توما خمارة وخانة ايضاً وصار له في كل يوم الف درهم » .[5]

وفي سنة ٧٤٤/١٣٤٣ « قدم الخبر (لمصر) بكثرة الفساد بدمشق . والمجاهرة بالخمور وانواع الفسوق . وقلة حرمة نائبها الامير طقز دمر » .[6]

وفي سنة ٧٤٦/١٣٤٥ « ضرب النائب واليَ البرّ نجم الدين بن الزبيق وعزله عن الولاية . وكتب عليه محضراً ان له خاناً يبيع فيه الخمر على جاهه » .[7]

وفي سنة ٧٩٨/١٣٩٥ « أُخبر قاضي القضاة ان خاناً بالقرب من قبّة الشحم

١) ذيل الروضتين لابي شامة ، ص ٩٧.
٢) ذيل الروضتين لابي شامة ، ص ١٢٠
٣) ذيل الروضتين لابي شامة ، ص ١٢٢
٤) البداية والنهاية لابن كثير . باريس ١٥١٦ ، ص ١٢١ ؛ ونهاية الادب للنويري . باريس ١٥٧٨ ، ص ١٢٢
٥) البداية والنهاية لابن كثير . باريس ١٥١٦ ص ١٧٢
٦) السلوك للمقريزي خزانة الفاتيكان ٧٥٩ ، ص ١٤٤
٧) ذيل ابن قاضي شهبة . باريس ١٥٩٨ ، ص ٧٢

(مأذنة الشحم اليوم) فيه خمور كثيرة . ويباع فيه الخمر جهاراً ... فاقتلعوا الخوابي وكانت مدفونة في الارض عمارة خمراً ... وكلّم النائب الحاجب كلاماً غليظاً . ونسبه الى حماية الخمور وغير ذلك . وسبّه وشتمه » .[1]

وفي سنة ٨٠٠/١٣٩٨ « اراق النائب خموراً كثيرة ظفروا بها . واردة في الليل نحو مئتي حمل ... وتواقعوا عند المزّة . واخذوا الخمر . وكانت فيما يقال لامير يقال له يَلْبُغا الاشقتمري مقدم الف » .[2]

وهذه الاخلاق والعادات لم تنفرد بها دمشق ومدائن الشام . بل كان منها وقتئذٍ بمصر ما هو اقبح .

٤٠ كتاب كتبه الى اخيه مجد الدين ابي السعادات تغمده الله برحمته يعزيه بسقط (١٦٩–١٧١) .

٤١ كتاب كتبه الى بعض الاصدقاء بالموصل من مدينة وكلّفه ان يطلب له نسخة الكتاب الذي كتبه شمس الدين علي ابن عمه رحمها الله عن السلطان الملك القاهر عزالدين مسعود صاحب الموصل الى ديوان الخلافة المقدسة المعظمة الامامية الناصرية ببغداد شرفها الله تعالى . في التعزية بالامير الكبير عدة الدنيا والدين محمد بن مولانا الامام الناصر لدين الله امير المؤمنين . وهو حينئذ ولي العهد . وكانت وفاته في سنة اثنتي عشرة وستمائة . وهذا الكتاب كتبه يداعب به ابن عمه الكاتب المشار اليه . وهذا الرجل المكتوب اليه هذا الكتاب هو رجل تاجر . وله معصرة بالموصل . وهو يتردد الى مجلس القاضي . وقد عرض بذلك في آخر كتابه (١٧٤ – ١٨١) .

٤٣ كتاب كتبه الى بعض العظماء يشفع به عنده في صاحب كان له فغضب عليه (١٨٢–١٨٥) .

٤٤ كتاب كتبه الى صديق له بنصيبين . وعرّض فيه بذكر وخمها . ويذكر الورد ايضاً . فانها معروفة به (١٨٦ – ١٨٨) .

٤٥ كتاب كتبه الى بعض الاخوان . جواباً عن كتاب ورد منه يتضمن شكوى الزمان وخيانة الاخوان (١٨٨ – ١٩٤) .

٤٦ كتاب كتبه الى الامير الكبير ناصرالدين احمد . والى اخيه الامير الاجل علاء الدين محمود ابن الامير الكبير مجاهد الدين شفاعةً في الاجل الكبير فخر الدين ابي العز بن الاثير العمراني رحمهم الله . وذلك لان فخر الدين ادّان من الامير علاء الدين ديناً . وتأخر وفاؤه عن الشرط المقرر والامد المقدر فتقاضاه ثم قاضاه وحبسه (١٩٤–٢٠٠) .

٤٧ وكتب الى الامير سيف الدين ابي عبد الله بن تميرك . وهو من الامراء الدمشقيين . وكانا

---

١) ذيل ابن قاضي شهبة . باريس ١٥٩٩ ، ص ١١٢ – ١١٣

٢) ذيل ابن قاضي شهبة . باريس ١٥٩٩ ، ص ١٢١

كلاهما بدمشق المحروسة وكانا متلازمين لانه كان من أكبر اصدقائه . فمضت ايام لم يلقهُ فيها . وقد عرّض بالرقعة بذكر صاحبه نجم الدين بن الجزري (٢٠٠-٢٠٢)

٤٨ رقعة كتبها اليه يشكر اياديه ويثني على معاليه . لاجل سجادة ارسلها اليه (٢٠٣-٢٠٤)

٤٩ وطلب منه الامير علاء الدين محمود ابن الامير الكبير المنعم مجاهد الدين برتقش العادي ان يملي عليه كتاباً يكتبه عن نفسه الى الصاحب مجد الدين البهنسي وزير الملك الاشرف موسى ابن الملك العادل ابي بكر بن ايوب في امر املاكه المنتزعة منه بلاد نصيبين وبلاد الخابور الجارية في مملكة الملك الاشرف . وذكر ذلك في معرض السؤال في سنة اثنتي عشرة وستمائة في شهر رجب (٢٠٤-٢١٧)

٥٠ كتاب كتبه عن نفسه الى بعض الملوك في التهنئة بمولود ولد له (٢١٧-٢١٩)

٥١ كتاب آخر في تهنئة بمولود كتبه عن نفسه الى بعض الملوك الاكابر ايضا (٢١٩-٢٢٠)

٥٢ كتاب آخر في التهنئة بمولود كتبه عن احد الملوك الاكابر الى الخليفة الامام الناصر لدين الله رحمه الله (٢٢٠-٢٢٢)

٥٣ فصل من كتاب (هنا ضرم) (٢٢٣-٢٢٤)

٥٤ (كتاب كتبه الى) السلطان الملك الافضل نور الدين علي بن يوسف بن ايوب . وارسله اليه الى حصن صرخد (٢٢٥-٢٢٧)

٥٥ كتاب كتبه السلطان الملك الافضل نور الدين رحمه الله جواباً على هذا الكتاب وسيّره الى ضياء الدين الى الموصل (٢٢٧-٢٣٠)

تم الجزء الثاني من ترسل المولى الصاحب ضياء الدين بتاريخ
غرة صفر سنة ست وخمسين وستمائة .

التنبيه والاشراف

ديوان ابن الساعاتي

(٥٥٣ – ٦٠٥ هـ = ١١٥٨ – ١٢٠٨ م)

عني بتحقيقه ونشره لاول مرة انيس المقدسي استاذ الادب العربي
في جامعة بيروت الاميركية
مطبعة الاميركان . سنة ١٩٣٨

الجزء الاول

لا تزال افضال الجامعة الاميركية ببيروت تتوالى في خدمة الادب العربي والتاريخ الشرقي . وهذه « الحلقة الثانية عشرة من سلسلة العلوم الشرقية » التي طوّقوا بها جيد التاريخ والآداب . والديوان المذكور هو الدرّة الاولى التي نثروها من خزانة الشعر في عهد الايوبيين . وقد وُفق الاستاذ المقدسي لاحياء اثر أنف من آثار الشعراء الشاميين . واصاب بإيثارهم على سائر شعراء المشرق ، نظرًا لما في مثل هذه الدواوين البلدية من المواد المعينة على تفهّم ما غمض احيانًا من الاخبار المكانية ، وتحقيق جانب من الخِطَط والمعالم والاعمال ، بما يرد من اسمائها والاشارات اليها في اثناء النظم . فضلًا عما يتخلّل لغتها من التجوّزات والمصطلحات المحدثة التي تناولتها الافواه والاقلام ، واغفلت ذكرها المعاجم وكتب المولّد والدخيل . وقد قدّم بين يدي الديوان فصولًا شائقة وصف فيها النسخ المخطوطة التي نقل عنها وخصائص كل منها . وذكر ما وقف عليه من ترجمة الشاعر ونشأته . وما تخلق به من مزية وطريقة ومعيشة . واشبع الكلام على شعره ومنهجه ومقدرته وافتنانه وافتنانه بالمحسنات اللفظية والمعنوية . واجاد في مثل هذه الشروح والنعوت إجادة نرجو ان تكون مثلًا وقدوة لكل من يتصدى لنشر شيء من دواوين الشعراء المتقدمين .

وقبل ان نشارك الاستاذ في ابداء ما يحضرنا من الرأي في رواية متن الديوان وتمثيله ، نسترعي نظره الى هنات وردت في الطبع وأغفلت في فهرست الاغلاط . وهي :

السطر	الصفحة	الخطأ	الصواب
١٢	٦٠	سوى اسقامهُ	اسقامهِ
١٢	٧٦	حلولَ الطرفَ	الطرفِ
٢	٩١	طرقت ريحَ الصبا	ريحُ الصبا
١١	٩٥	من مهل غفل وقطعُ معلَّم	وقطعِ مُعلَّمِ
١٥	١٠٩	فلما اودَّه	اودهِ
٧	١١٣	في المِرآة	في المرآة
١٥	١٢٧	ليس تَقيده	تُقيده
٢١	١٣٥	اسمع رجّا	ربّها
١٢	١٦٣	تدمي غورها	تدمى
١٢	١٦٣	عن اكفانها	اكفالها
١٢	١٦٤	ولا تلتَ	ولا تلتُ
١	١٩١	كل ملتَ	مُلتَ
١٧	١٩٢	عن كأسٍ فدامه	كأسٍ
٦	٢٠٨	بعد فراقُ	فراقِ
١٠	٢١٧	مُدام مُدامهِ	مُدام مُدامه
٧	٢٢١	لرن لمتهُ	لمتهِ
٢	٢٩١	وقد جهتنا	جمتنا
١٥	٢٩٤	بوصلِ النعى	بوصلِ

ويلحق بهذه الصغائر اهمال الهمزة او اثباتها على خلاف القياس في ما جمع على مفاعل وفعائل مما زيد في مفرده حرف مدّ ثالث او كان اصلياً . نذكر منه :

السطر	الصفحة	الخطأ	الصواب
٩	٧٧	مخائل	مخايل
٥	٩٥	تايج	تائج
١١	٩٥	بايق	بائق
٢٠	٩٨	منايح	منائح
٦	١١٥	معائد	مصايد
١٧	١٦٣	مخائل	مخايل

ومع ان الاستاذ بذل غاية الجهد والعناية في ضبط المتن ، واختار له اصحّ الروايات، بعد المعارضة ، وعلّق على بعض الفاظه والفاظه شروحاً طبّق فيها مفصل الصواب ، فقد ندّ عنه مواضع نستأذنه في الاشارة اليها والبحث فيها خدمة للعلم . واول ما ترآءى لنا من رواية الإعلام الدمشقية ان الاستاذ مع ما اتّسم به من الانس ، لم يتفق له ان يأنس يوماً بربوع الفيحاء ورياضها . ولا عنّ له حين تمثيل الديوان ان يتعرّف على الاقل مواضع اللهو والنزه فيها التي تغنّى بها ابن الساعاتي في شعره . بل لم يتثبت ايضاً في ضبط اللقب الذي أُطلق عليها غلطاً وهو جلّق فرواه مرتين :

الاولى وما بحتُ لولا نفحة جُلّقية حبيس عليها طل دمعي ووابله (س ١٥ ص ٧٧)
والثانية احبابنا بالغوطتين وجُلّق سلام وهل يدني البعيد سلام (س ٤ ص ٢٠٤)

اي بضم الجيم وفتح اللام، والجيم مكسورة في كل الاقوال . ولو راجع معجم البلدان لقرأ فيه قول ياقوت « جِلّق بكسرتين وتشديد اللام وقاف . كذا ضبطه الازهري والجوهريّ » . وقد اجاز بعضهم فتح اللام ولكن المشهور كسرها .

واشدّ من ذلك قلة ألفته باسماء بعض الانهار حتى عدّها من جملة الاماكن والقرى في حاشية له على البيت :

سقيا لمهد النيربين ومسرح الـ ـغزلان من بردى الى باناس (س ١٢ ص ٩٠)

فقال : « النيربين اسم مكان في الشام وكذلك باناس وبانياس (حاشية ٦) وانما باناس اشهر انهار دمشق بعد بردى . وهو مع القنوات نهرا المدينة حاكمان عليها ومسلّطان على ديارها .

ولما مرّ به البيت :

فمراص مزّتها الى قنواتها فالواديَين الى شعاب منينها (س ١٦ ص ١٢٤)

اقتصر على القول ان المزة وقنوات ومنين اسماء اماكن هناك . وكان الاصح ان ينبه على ان قنوات هو احد انهار دمشق السبعة . ويطلق احياناً على المحلة التي يسقي منازلها . وضبط المزّة بفتح الميم كما تلفظه العامة - والصواب بكسرها كما في معجم البلدان . وهي من امّهات قرى دمشق - ولا شك انهم اختاروا كسر الميم تمييزاً لها عن المَزّة بالفتح وهي الخمر اللذيذة الطعم اللاذعة اللسان . وما كان ضرّه لو كان بدلاً من الابهام في التعريف ، وهو آفة كتب البلدان والخطط، لو نصّ على ان منين قرية غنّاء بظاهر دمشق شمالي جبل قاسيون . وان الواديَين هما الغربي والقبلي من المرجة الخضراء . وهذه ايضاحات لا غنى عنها في تفسير شعر دمشقي .

وربما عدل احياناً عن الرواية الصحيحة مع ورودها في نسختين وآثر عليها تصحيحاً انفردت به نسخة ثالثة . كما فعل في البيت :

حبيب اليّ الشهم تندى شماله واعطاف بان السفح ترهى شمائله (س ١٧ ص ٢٢)

قال في الحاشية (٣) « السهم بالسين المهملة . في النسختين » . وما ندري

اي معنى تبين له من اختيار لفظ الشهم بالشين وهو الرجل الجلد الذكي الفؤاد . ولا اي مناسبة وجدها على هذا المعنى بين الصدر والعجز . وفي العجز تصريح ببان السفح اي سفح قاسيون او الصالحية . وكان ذكره وحده كافياً لتنبيهه الى ان هنالك مكاناً اراده ابن الساعاتي وتشوّق اليه . وهو السهم بالسين احد متنزّهات دمشق القديمة المتصلة بارض الصالحية . وقد حنّ اليه الشاعر غير مرّة في ديوانه . وقرن بينه وبين سفحي قاسيون في قوله :

سقى الله سفحي قاسيون وسهمه وما ضمّ كيفا كهفه ومقامه (س ١٤ ص ٣٤٠)

وقد اشكل عليه هنا ايضاً لفظ السهم وقال في الحاشية(*) « كذا الاصل . ولعله وتهمه (يريد بهمه بالباء) اي وما عليه من غنم وبقر » . وهذا التفسير هو لجمع بهيمة . والبُهم في اللغة جمع بهم وهو ما لا شِيَة له من الخيل ، والنعجة السوداء . وقد اعتادت الشعراء ان تدعو دائماً بالسقيا للازمنة التي يُتشوّق اليها او للامكنة والبلاد التي يُتحسّر على فراقها . فتحولت بهذا التفسير الى الغنم والبقر . ويشقّ جداً على الدمشقي الذي كان معجباً بصالحيته ينشد فيها البيت المشهور :

الصالحية جنّة والصالحون بها اقاموا

ان يقرأ اليوم في كتاب شاميّ ان هذه الجنة اصبحت مرتعاً للغنم والابقار، بعد ان كانت مطلعاً للشموس والاقمار . وتفسيره الخيف في العجز بالناحية او ما ارتفع عن مسيل الماء ليس بالصواب . وانما هو هنا كل هبوط وارتقاء في سفح الجبل وهو اولى بسفح قاسيون .

ومن الابيات التي مدح بها ايضاً ابن الساعاتي سهم الصالحية قوله في الجزء الثاني من الديوان يفخر بدمشق وبشرفها الاعلى :

ما جلّق الفيحاء الا جنّة فضّلها وحي الكتاب المنزل
فالشرف الاعلى بتيه شرفاً والسهم سهم والهموم منزل

ومن قرى دمشق التي ورد ذكرها في الجزء الاول ، فيما عدا المزة ، ومنين وبرزة ، والقابون ، قرية دارياً الكبرى . قال :

من لي بدارياً الى حاراتها وموقف الاحباب من اطلالها (س ٣ ص ٢٦٦)

والحارة كل محلة دنت منازلها . وهذه اول مرة نقرأ لشاعر دمشقي ذكرًا

لجارات القرى . ولذلك يترجح لدينا ان الاصل «جاراتها» بالجيم يعني قريتي خولان وبلاس في جوار داريا . وقد دثرت الاولى وعفت آثارها . وبقي من الثانية مزرعة صغيرة تسمى اليوم «حوش بلاس» . والى احداها اشار ابن منير الطرابلسي بقوله :

فالماطرون فداريًا فجارتها فآبل فغساني دير قانون

ومن الاعلام التي شكَّ الاستاذ فيها «عسفان» في البيت الآتي :

وخُذلت يوم دعوتكم بسُويقة الاولى وذي الاخرى على عسفان (س ٩ ص ٢٥٩)

قال : كذا في النسختين . ولعل عسفان اسم مكان (حاشية[٢]) وفي معجم ياقوت ان عسفان «قرية جامعة بها منبر ونخيل ومزارع على ستة وثلاثين ميلًا من مكة» . وقد أولع ابن الساعاتي بالتغزل باسماء مواضع في الحجاز واليمامة ، على مَحْلِها وشقائها ، مجاراةً للشعراء الاقدمين ، او حبًّا بالجناس وهو آفة شعره . ومن اظهر الادلة على هذا التكلّف والتقليد قوله :

يتيّم قلبي ظبي تيماء ظالمًا ويوضح ما اخفيته عنك توضح (س ٩ ص ٢٦٣)

وتيماء بُليد بين الشام ووادي القرى . وتوضح من قرى اليمامة . وهذا النزوع الى الحجاز والقفار المجدبة وايثارها سرارًا على مغاني الحضر عجيب من شاعر دمشقي نشأ وترعرع في مدينة :

ما بين جابيها وباب بريدها قمر يغيب والف بدر يطلع

وقد علق بيوم سُوَيقة والحّ وابرم حتى عددنا له في الجزء الاول وحده تسع قصائد كرّر فيها ذكره . وحسبنا لاول وهلة انه يعني بالسويقة احدى سويقات دمشق . حيث قد يكون اتفق له في عهد الصبا حادثة غرام تركت في فؤاده جرحاً لا يندمل . ولكننا حين قرأنا البيت السابق الذي قرن فيه بين سويقة وعسفان . وطالعنا قوله من قصيدة اخرى :

وقربتِ سهم القلب يوم سويقة والنَّعْفِ من رشقات تلك الاسهم (س ٦ ص ٢٣٥)

تذكرنا ببيت الاحوص :

وما تركت ايام نعف سويقة لقلبك من سلماك صبرًا ولا عزما

فتحققنا انه في كل المواضع لا يريد الا السويقة الحجازية التي نشدها الاحوص ، ونصيب ، وذو الرمّة ، وكثيّر ، وابن هرمة . واتضح لنا هوس الرجل وطمعه

بتقيل الشعراء الاقدمين والخطو على آثارهم .

ومثل هذا الإملال بتكرار الالفاظ والمعاني كثير في الديوان . ومع ما يتولى القارئ من الإعجاب والطرب بما يمرّ به من جزالة وبلاغة وحسن وشي وتصوير ، لا يلبث ان يسأم على التوالي كل هذه المعادات . والطبع كما قيل موكل بمعاداتها . ولا بأس ان نختار معنى واحدًا كلف ابن الساعاتي بترداده في عدة قصائد له . وألبسه كل مرة حلة غير الاخرى . ونبدأ بالبيت الاول من هذه القصائد لما تبين لنا من وهم الاستاذ في تصحيح اهم لفظ فيه . وهو قوله :

وبهجتي شرق المآزر فغمها ظمآن اوشحة له ومناطق (س ١٤ ص ١٢٠)

كذا روى فضمها بالضين . قال « وفي النسختين فعمها » ولم نجد في ما بين يدينا من كتب اللغة انه ورد فغم بالغين بمعنى الطيب الرائحة . ونعجب من الاستاذ كيف رجح لفظاً لم يسمع على آخر مسموع نبهت عليه المعاجم وهو الفغم اي المفغم الملآن . وقد اثبته هو بنفسه في بيت آخر :

بليتُ بفغم الردف لدن قوامه ضعيف مناط الخصر اهيف اغيد (س ٨ ص ١٢٠)

واعاد ابن الساعاتي هذا الوصف في بيت ثالث فقال :

عظمت روادفها وعقد نطاقها للضعف حلقة خاتم في خنصر (س ١٨ ص ١٠٥)

وفي بيت رابع :

كلفي بمخصبة الروادف لينها رقت على الخصر الجديب الماحل (س ١ ص ١٢٢)

وفي بيت خامس :

شموس حسن في بروج الاظعان من كل ظمآن يردف ريّان (س ٦ ص ١٩١)

وفي بيت سادس :

ظمآنة الخصر ريّا الردف جامعة بين النشاط الى الحاجات والكسل (س ٣٠ ص ٢٢٤)

ومن هذه الابيات في الجزء الاول وحده يتضح جلياً ان مراده بشرق المآزر فعمها ، في البيت الاول : فغم الردف او ريّانه او مُخصبه كما قال في وصف الردف الثقيل تحت الخصر النحيل

ومن هذا القبيل ايضاً تكراره « الثلاث السُفع » في ثلاث قصائد قال فيها :

١ – وبكآني بالاربع الحمر بعد السيض شوقاً الى الثلاث السفع (س ١ ص ١٤٩)

٢ – ابكي الثلاث السفع بعد فرا ق الظاعنين باربع حمر (س٦ ص ٢٠٨)
٣ – شجتني الثلاث السفع وهي مواثل فغاض لها من ادمعي اربع حمر (س٨ ص ٢١٠)

ولم يستبن للاستاذ المراد منها فقال « اما الثلاث السفع فغير واضحة المعنى » (ص ١٤٩ حاشية[1]) قلنا هي الاحجار الثلاثة المسماة بالاثافي التي توضع عليها القدور . وتبقى مواثل بعد الرحيل وتقويض الخيام . وقد اشار الشاعر الى هذه الاثافي بقوله :

كأن المثاني حين اعجمها الشحط بقايا زبور والاثافي لها نقط (س ٢ ص ٧٩)

وانما قيل لهذه الاثافي السُفع والواحدة سفعاء لانها تكون غالباً سوداً تضرب الى الحمرة من مسّ النار

وقد مرّ بالاستاذ كلمة « سفع » ايضاً ولم يفسرها في بيت وصف به ابن الساعاتي قصيدة له فقال :

قدّمت بيتها المعالي فللأفا ق حج اليه من كل سفع (س١٦ ص١٥١)

ولم نجد بين معاني السَفع او السُفع ما يصح اطلاقه هنا . ولا ريب ان الكلمة محرفة عن « صقع » بمعنى الناحية وهو ما يقتضيه المقام .

ومما أشكل عليه ايضاً فاهمل تفسيره او تردّد فيه ، لتحريف في روايته ، الابيات الآتية :

١ غصن لـ الهجر غر ذو الخصر في قيد النظر (س ١٨ ص١١٢)

قال في الحاشية[7] « قوله ذو الخصر غير واضح » . قلنا عرّف الخصر للضرورة كقوله : ذو السيف ينثر نظم كل مُفاضة » (ص ١٣٥) يريدانه ذو خصر يستوقف الانظار بدقته . فهو قيد لها . وهو مأخوذ من قول المتنبي -

وخصر تثبت الابصار فيه كأن عليه من حدق نطاقا

٢ أعد نظرًا في الصبح يعتنق الدجى والافقي الكافور بالمسك يعشب (س١٦ ص١١٧)

وقد سكت عن لفظة يُعشب فلم يذكر لها وجهاً او تأويلاً . ولا سبيل لتفسير إعشاب الكافور بالمسك . وعندنا ان اللفظة محرفة عن « يُشعَب » بتقديم الشين على العين اي يُجمع . شبه العذار في خد المحبوب بالليل يعتنقه الصبح . او بالمسك يجمع بالكافور .

٣ ما زال هذا القلب يسبح بالدمى متعرضاً حتى أصيب شغافه (س ٥ ص ١٣٢)

قال : « كذا في الاصل . ولعل سبح هنا بمعنى لها » . ولم ينقل احد من ارباب اللغة ان سبح وردت مرة بمعنى لها . والذي يتبين لنا ان الكلمة محرفة عن سنح بالنون بمعنى عرض اي يسنح للدمى متعرضاً لها .

٤ عفو الفوارس سُجّدًا لحسامه صُعر الخدود لغيره لم تسمد (س ٢٢ ص١٣٥)

وبين قوله سُجّدًا صعر الخدود وقوله لم تسمد بالميم تناقض ظاهر . لان معنى سمد رفع رأسه تكبرًا وهو خلاف السجود . وقد صرف الاستاذ نظره عن هذا التناقض فلم يعلّله بوجه . والصواب عندنا « لم تسجد » اي ان الفوارس تسجد لحسامه ولا تسجد لغيره .

٥ دانوا له وثنى الضراب بطعنه موجًا فظنّوه حنية مسجد (س ١ ص ١٣٦)

قال : « الضمير يرجع الى السيف اي اصبح من الضرب كقنطرة المسجد » . والقنطرة في اللغة الجسر وما ارتفع من البنيان . واطلاقها على القوس من اصطلاح البنّائين . والاصح ان يقال كحنية المحراب في المسجد . وهي مأخوذة من حنية الكنيسة لنصف قبة في صدرها . يريد ان السيف ثناه كثرة الضراب حتى اصبح متقوّساً كالحنية .

٦ لبسوا من الندران اي سوابغ وعلَوْا من الخلجان اي بواتر (س ١١ ص ١٧٢)

وفي الحاشية تعليقاً على لفظة « علوا » : « كذا في الاصل » . والبيت في وصف معشر ورثوا الممالك . وقطعوا في الاستيلاء عليها ظهور الانهار وركبوا متون الخلجان . شبّه مياه الانهار بالدروع السوابغ لتجعّدها بفعل الرياح كما قيل :

نسج الريح على الماء زرد يا له درعًا منيعًا لو جمد

وشبّه صفحات الخلجان بالسيوف البواتر . وهو كقوله من قصيدة في الجزء الثاني :

كأنما مياهها قواضب جرّدها الصيقل من اجفانها

٧ لولا الوفاء وحفظي ما اضعتُ لما لبستُ قرطيّ فيك اللوم والعذلا (س ٩ ص١٧٣)

قال في التعليق على كلمة قرطيّ : « كذا في الاصل . ولعلها فرضيّ اي ثوبيّ » ولا نذكر اننا قرأنا قط لشاعر لفظة فرض بمعنى الثوب على ورودها في المعاجم . وكلمة قرطيّ صحيحة لا غبار عليها . شبّه الشاعر اللوم والعذل على

كثرة تلبسه بها وورودها على سمعه بالقرطين اللذين لا يفارقان شحمة الاذن. وكان بعض الرجال قديماً يتطوّقون ويتقرّطون كالنساء في بعض الاحوال

٨ اذا نُصلت بالمسح فهي صوارم وان نُصلت بالنفس فهي سهام (س ٧ ص ٣٠٥)

الضمير للاقلام . قال في تفسير نصلت : « كذا الاصل . ولعله يقصد غمست او خضبت . فيكون الفعل من الاضداد » . ولم يسمع قط نصلت اللحية بمعنى خضبت ليكون الفعل من الاضداد وانما المقصود نصل السهم اذا ثبت في النصل . يشبه الاقلام اذا مسحت من المداد بالسيوف الصوارم . واذا أُثبتت فيه وغمست بالسهام المثبتة في النصال .

٩ يا باوقاً صدع الدجى من ومضه سهم مرق
قلبي وانت وقرطه كل اهيم اذا خفق (س ١٤ ص ٢٢٥)

قال في تأويل كلمة « اهيم » : « كذا الاصل وهو غير جليّ المعنى » . قلنا ان الاصل لا شك « كل يهيم » اي اذا خفق البرق والقلب والقرط . فخفوق كل منها هو من شدة الحب والهيام .

١٠ امّه من سلالة الزنج والروم بنوها ترضيك فرعاً واصلا (س ٤ ص ٣٣٠)

الوصف للقلم . فسّر قوله من سلالة الزنج والروم بانه « من قصب اسود وابيض » . ولم يُذكر قط ان الاقصاب كانت يوماً بيضاً . واذا كنى بالزنج عن الاقلام السود فلا محالة انه كنى ايضاً بالروم عن الاقلام الصفر . ومعلوم ان العرب كانوا يسمّون الروم بني الاصفر

١١ مدحها كالنسيب طيباً وما ضمن اوصاف زينب وأماما (س ٢٨ ص ٩٤٥)

قال « لعلها امامه فقلب الهاء الفاً » والصواب ان أمام ترخيم امامة كفاطم وفاطمة في بيت امرئ القيس « أفاطمَ مهلاً بعض هذا التدلّل » ولكنه من الترخيم في غير حده . لانه لا يقع الا في النداء .

ومما تصحف في متن الديوان حروف رويت على علاتها . نذكرها فيما يأتي مع تصحيحها تتمة للفائدة :

١ واهاً لنفح دمشق حيث تفاوحت كثبانه وترنحت باناته (س ١٧ ص ٦٤)

ولم يجئ من فاح فعل تفاوح وانما هو من اغلاط النساخ . والاصل تناوحت بالنون اي تقابلت . وهذا المعنى اليق بالمقام .

٢ هو موقف الشكوى الذي لولاه ما نتكت بقلب اسوده ظبياته (س ١٨ ص ٩٤)

والقُلب بالغين هي الاسود في اللغة فلا معنى لاضافتها الى نفسها والاصل بقلب اسوده كما رواه الاستاذ نفسه في وصفه شعر ابن الساعاتي (ص ٤٠).

٣ في ثناياه لمن يرشفها أثر هنّ بحار للقُبَل (س ١٦ ص ٧٥)

وليس بين معاني الأثر في اللغة ما يصح ان يكون مجرًى للقُبَل . فلا ريب ان اللفظة مصحّفة عن أُشر بالشين وهو التحزيز الذي في الاسنان

٤ وسقى الحيا عني الشآم واهله واعمّ ثم اخصّ باب بريده
آمًا لموقف ساعة ولّى بها نفسي وما ملكت جزاء معيده (س ١٦ ص ١٩٥)

كذا روى ولّى بالتشديد والالف المقصورة . ولا يظهر على هذه الرواية معنى للبيت . والصواب «أُولي بها» اي اعطي نفسي وما ملكت جزاء لمن يعيد لي موقفي في باب البريد .

٥ يبقى مساحب بردها وما وطئت صوب النائين من دمع ومن دِيَم (س ١٧ ص ٢٢١)

كذا يبقى بالقاف والالف المقصورة . وهو خلاف المعنى المقصود . والصواب يبغي بالغين والياء . اي ان دمع المحب ودمع الغمام كلاهما يبغي ويتتبع مساحب بردها وموطئ قدميها لتقبيل آثارها .

٦ وليست لحاظًا رانيات تظافرت على جلدي بل راميات من النُبل (س ٨ ص ٢٥٦)

ولم يُنقل تظافر في اللغة . والكتابة الصحيحة تضافرت بالضاد . اي تعاونت وتظاهرت .

ومن الاعلام التي تصحفت بقلم النساخ قوله : قال ايضاً وقد كتب بها الى الشهاب تينان (س ١٠ ص ٢٧٣) وانما هو الشهاب فتيان الشاغوري احد شعراء دمشق في عهد ابن الساعاتي : ومثله الظهير الحبشي (س ١ ص ٢٨٨) وانما هو ظهير الدين الحنفي الاربلي .

وقد سردنا اولًا اغلاط الطبع وعددنا بينها معظم ما وجدناه من اوهام الشكل والنقط . تحاشياً من نسبتها الى سهو قلم الاستاذ . وبقيت بقية لا بأس من التنبيه عليها هنا . وهي :

١ والطير فوق فروع الايك صادحة مدح المشوق الى احبابه الغُيُب (س ٦ ص ٧٣)

الغُيُب جمع غيوب . وليس هنا ما يقتضي استعمال لفظة المبالغة . والاظهر ان الاصل الغَيَب بفتحتين جمع غائب . وهو الافصح .

٢ بحيث سويداء الفؤاد حراقة وقلبي زناد والصبابة قادح (س ١٨ ص ٩٨)
والمنقول حُراقة بالضم .
٣ لوعة لا تبلّ مدنفها المضنى ودمع لا يبلّ أواما (س ١٨ ص ١٤٢)
والصواب لا يَبِلّ اي لا يبرأ المضنى بها .
٤ شربتُ فيها شعاعَ الشمس مشرقة صبح من الكأس تجلوه يدا قمر (س ٧ ص ٢٢٣)
قال « كذا الاصل » . والصواب « مَشرِقُهُ » بالهاء وهو مبتدأ خبره صبح
٥ يا سائرًا ما الصبر الا عن سواه بمستطاع
بُلِّغتَ يوم البين مُنيتهُ من العهد المُضاع (س ١٧ ص ٢٢٨)
والصواب بَلَّغتَ . على المعلوم كما هو ظاهر عند التأمل .

وقد تقدَّم ان الاستاذ قد يعدل احياناً عن الرواية الصحيحة على ورودها في احدى النسخ لديه . ويؤثر عليها وهماً ظاهرًا كما صنع في هذا البيت :
هُمُ رغبوا بي عن اجابة حادث فلي في خطاب الخطب مطل وتبيان (س ٨ ص ١٣١)
قال : « والاصل ليَّان » . وما ندري اي معنى تبين له هنا من التبيان حتى آثره على الاصل الصحيح . وفي اساس البلاغة لواه دينه مَطَله لَيًّا ولِيَّانًا . فهو من مرادفات المطل . ونظيره البيت الآتي :
يا من لأبيضَ كل جفنٍ اسودٍ هذي تدي ان اللواحظ لا تدي (س ٢ ص ١٣٦)
قال : وفي الاصل « هذي يدي » . ولم يذكر الى اي شيء يومئ اسم الاشارة في قوله « هذي تدي » . ولا اي معنى يستخلص منه . وكان الاولى اتباع الاصل . ومعناه انا ضامن لك . ويدي رهينة بان قتيل اللواحظ لا دِيَة له . وهذا البيت مثل من الامثال العديدة من شعر ابن الساعاتي التي لم يأتِ فيها بمعنى طائل لتهافته على الجناس والمحسنات اللفظية .

وهنالك ابيات كثيرة غلب عليها الغموض والاشكال فلا يستقيم لها معنى صحيح لتصحف بعض الفاظها باقلام النساخ فلم نتعرض لها .

ولا نشك ان الاستاذ سيتحفنا في آخر الجزء الثاني من الديوان بفصل خاص يدرس فيه لغة ابن الساعاتي . وما انفرد به من التصرف احياناً بالمنقول . وخالف به الوضع والقياس . وما احدثه مرة بعد اخرى من الصِيَغ والابنية التي لم ترد في المعاجم . وينبّه على بعض الالفاظ المولّدة التي مرَّت له في اثناء النظم . ولا تخفى على احد فوائد هذه الدروس في تاريخ لغة الحضارة .

اخبار حلب وحوادثها

من السنة ١٨٥٥ الى السنة ١٨٦٥

اخذاً عن يومية المعلّم نعوم البخّاش

المخطوطة الوحيدة ، نشرها وعلق عليها

الاب فردينان توتل اليسوعي ٨

ذيل

تم الكتاب بعونه تعالى ونشر بهمة المطبعة الكاثوليكية فسهُل لمطالعة القراء وبرز بحلة قشيبة وضّاحة بعد ان أُجهدت العينُ في قراءة متنه الدقيق المكتظ على ورقه الاصفر الذابل وأُعملت الانامل في غربلته وتنقيحه وطرح ما لزم طرحه منه كما اشرنا الى ذلك في المقدمة وقد تركنا المخطوطة في المكتبة الشرقية في كلية القديس يوسف في بيروت مرجعاً لمن شاء الزيادة على ما رويناه . وساعدتنا الظروف فاقمنا في حلب الاشهر الطوال تسنّى لنا في غضونها التفتيش على الوثائق القديمة فعثرنا على طائفة منها فادرجنا منها ما ادرجناه في حواشي تغلغلت في اليومية تغلغل النمل في غبار الحوادث على مدة عشر سنوات تقريباً ١٨٥٥—١٨٦٥

على شتات تلك المواد المتناثرة لا بد من القاء النظرات العامة فنلم «الغبار» ونجمعه في طينة مرصوصة تكون كاللبنة في البناء خدمةً لمن يضعون تاريخ الشهباء . فهي صفحة منه في الاحوال الطبيعية والاجتماعية والاقتصادية وذيل لليومية وحواشيها وتكملة للمقدمة واصل للمقال الافرنسي الذي سينشر في المؤلَّف المطبوع على حدة تقريبَ سناله الى المستشرقين .

في هذا البحث سوف نستعين بالتعليقات التي نستفيدها من تبويب الاعلام وترتيبها طبقاً لصيغتها ومعناها المتصل اما بجنس المسمّى او بصفته او بصنعته

وبسائر المفردات المذكورة في الفهارس وقد وفقنا في نقلها الى الافرنسية خدمةً لمعجم اللغة وللمستشرقين .

الحالة الطبيعية

ان سكان بيروت وطرابلس وصيدا وغيرها من مدن وقرى الساحل اللبناني يجدون في القرب منهم شرقاً الجبل ومنتزهاته بين هضاب وحزون في ظل الاشجار وعند مجاري المياه وغرباً البحر وافقه الواصل بينهم وبين شواطئ المتوسط الرابط بينهم وبين شعوب الارض فيستمدون من مواقعهم الطبيعية مرافق الفسحة والرغد والعشرة والانس ما يغنيهم عن العلاقات المتواترة بينهم . ورب مستوطن بيروت عاش فيها الاعوام ولم يتصل باهل الحي من جيرته وهو أعلق باهل القرية التي نزح منها الى الساحل منه باهل الاحياء التي تعج بسكان أتوها من مشارق البلاد ومغاربها . والى تلك القرية مسقط راس الكثيرين ممن سكان مدن الساحل ويعودون اليها في مواسم الاصطياف وينسون فيها هموم الاشغال والمتاعب .

اما حلب على ما يطوقها من الاخضرار المحف بها عند مجاري مياه قويق ومصبات قناة حيلان فشهباء هي ومحيطها صحراوي فلا رياض ولا غاب وافقها واسع فسيح الا في الناحية الغربية حيث منحدرات جبل سمعان ولا ماء الا ما يروي الانسان والحيوان احتساباً ويقصر عن احياء النبات حياة وافرة بهيجة .

نعم ان للقويق وثباته وطغيانه وقد يرمقه المعلم نعوم البخاش بعين ساهرة لا ليتوقع الحالة المناسبة للصيد فقط ولكن لكي يسير ايضاً بتلامذته الى « جبل النهر » فيدلهم على الحد الذي يبلغ « الطوفان » ارتفاعاً عند طاحون « الجميلات » فيلاحظ تلوّن الماء بين احمرار واضطراب ويدوّن ملاحظاته « اليومية » كانه يترجم لقول الشاعر وقد رواه كامل الغزي في « نهر الذهب في تاريخ حلب » في الجزء الاول الصفحة ٥٤ فقال :

« قويق اذا شمَّ ريحَ الشتا اظهر تيهاً وكبرًا عجيبا
وسائل دجلة والنيل والفرا ت جاء واطفأ وحسًّا وطيبا
وان اقبل الصيف ابصرته ذليلًا حقيرًا حزيناً كئيبا

اذا ما الضفادع نادته قريق قريق ابا ان يجيبا
وغني الجرادة فيه فلا تكاد قوايها ان تنيبا

فلم يكن النهر موردًا يغني السكان عن طلب النزهة والانشراح في مواضع سواه .

وكانت ظواهر البلد واخاؤها مجدبة مقفرة وبساتينها قليلة المياه ليس فيها ما يستهوي قلوب الاهالي شأن المنتزهات في لبنان وكان لا بد ان يكتفي الحلبيون بما لديهم من وسائل الراحة ضمن حدود المدينة فضلًا عن ان قلة الامن كانت ترد الاهالي الى داخل البيوت فيجبنونها ويتأنقون بزخرفها وزينتها ويلجأون اليها فيتأنسون بعشرة الجيرة والاقارب ويتفننون في اختراع وسائل التسلية والمسرة في محيطهم الضيق واذا حدثتهم النفس بالخروج من البلدة فلا يخرجون الا زرافات يتحامون بعددهم من قطعة الطرق.

ذلك ما ادّى بالبخاش الى الاصطحاب بمن ذكرهم من رفقته واذا سمع ان الامن غير مستتب في ناحية عدل عنها الى غيرها وحول وجهته من المسلمية الى الوضيحي وكان يُعد جريئاً مقحاماً شاذةً من الشواذات في ولعه بالصيد والتنزه وارتياده البساتين . اما سائر الحلبيين فكان ذوو النعمة منهم « يبستنون » في السنة مرة او مرات معدودة وربما ادت الاخريات،ولم تزل الى يومنا تؤدي،فرصة يتخذها بعضهم للتمتع بالفسحة واستنشاق الهواء الطلق ولهم في عددهم مأمن من عداوة الاعداء . وللبخاش نكتة مملحة في هذا الصدد : رُوي عن جماعة خرجوا الى البستان وكانوا قد اوصوا على العشاء من رز ولوبية او فاوله وفراريج مشوية وأرسل لهم العشاء بثلاث طناجر لما جاء قوم سرقوا الطناجر وبات المبستنون ولا طعام لهم غير العشاء الا الخبز و« الجبس » [١١٣] .

وان في الكلام على موقع حلب الجغرافي وحالتها الطبيعية سبيلًا الى سرد اسماء الاثمار والنبات التي جاءت في اليومية وهي محصولات حلب الطبيعية.

من اجاص واكيدنيا وبابونج وبرتقال وتفاح وتوت وتين وبصل اخزاما وبنفسج وتمر الحنة وجبس وحصرم وحنطة وخس وخشخاش ورمان وزعرور وسمر وعنب وعنب فيوعي وفاوله وفستق وقطن وقلب الطير وليمون ومشمش

ونسرين ونعناع .

وكذلك اسماء الحيوانات من طيور كالبومة والترغل والدالول والدج والزرزور والسمرمر والصفري والفرخ المكحل والقوال .

ومن الحيوانات الداجنة كالجمل والحمار والبغل.

ومن الدبابات كالجرادة والزلعطان والعلق .

اما الاسماك وقد ذكرت في اليومية فقد وفقنا الى الحصول على تسعة انواع منها فصورناها ولم يضبط قياسها بالطول والعرض لانها تنمو ويتفاوت حجمها مع تفاوت عمرها ومع ذلك فلاحها مفيدة لتعيين هويتها في سبيل وضع اسمائها اصطلاحاً عن الصيادين الحلبيين وهم احق من غيرهم بان يعرفونا بها فتدمج في القاموس وحالت ظروف الحرب الحالية دون استفتاء استاذ علم الحيوان في معهد الطب الافرنسي لمعرفة مرادفاتها باللغة الافرنسية واليك صورها والارقام تدل على الاسماء.

١ قاصورة	٤ براق	٧ تريس
٢ برميد	٥ تقل	٨ عريسه
٣ بني	٦ سلال	٩ انكليزي

واضف الى هذه الناحية من النظرات العامة ما جاء عن اسماء الامراض والعقاقير وعن التعليمات المفيدة اساليب الطب في ذلك الزمان.

فمن اسماء الادوية والعقاقير تمر هندي جاي خيار جنبير دهن القبار راوند زيت خروع طعم الغار عنبر بغداد كحل كوكرت معجون الورد ملح طرطير .

ومن اسماء الامراض حرسان حماوة داي طاعون ما شرها هوا اصفر وباء هزة الحيط ابو خبيط .

ومن الاعلام الواردة في اليومية ولها علاقة في احوال البلد الطبيعية ما دل على حيوان وجاء مستعاراً لما بين المسمى العاقل والغير العاقل من التشابه في صفة حسنة او سيئة وانما الغرض من ذكرها في هذا المقام اتصال الاسم بمفردات علم الحيوان والدليل على وجود المسمى في البلاد.

فمنها ما اخذ عن الطير كبازي وحسون وديك وقاق.

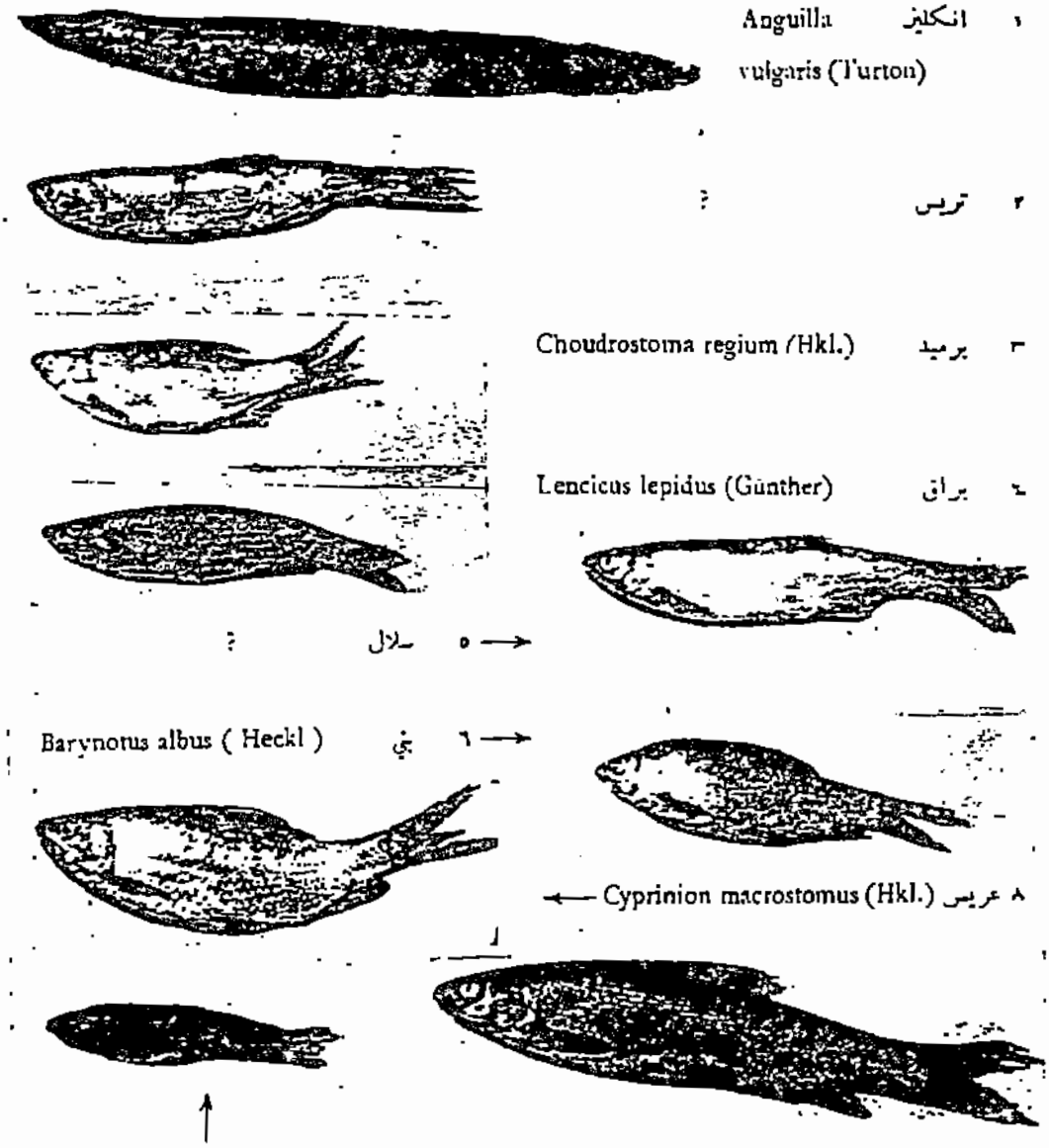

تنبيه – لما كان باعة السمك لم يجمعوا ولم يعمل على اسم معين لكل سمكة تنفردها بل اختلفوا عليه من اجناس وأيهم على اطلا الاسماء التسمية على السمكات المصورة اقتضى التنبيه الى موضع الشك. اما الاسم الافرنجي فموافق تمام الموافقة للصورة والفضل في تعيينه الى الاستاذ بيسر (L.Pas) من الكلية الطبية الافرنسية في بيروت.

او عن حيوانات داجنة كجروة وجمل وغزالة او ضارية كذياب وسبع ودب او عن حشرة كدبانة .

وما اكثر ما وجد من امثالها في اسماء الناس عند الشعوب القديمة والحديثة وخاصة عند العرب. راجع في هذا الموضوع: أدب الكاتب لابن قتيبة الدينوري المطبوع في هامش كتاب : المثل السائر لابن الاثير مصر ١٩٣٥ وقابل بين ما قلناه وما جاء في الكتاب المذكور من اسماء الناس المسمّين باسماء النبات والطير والسباع والهوام (ص ١١ وما بعدها).

الحالة الاجتماعية

ذكر البخاش عدداً وافراً من الاعلام في اليومية ولم يظهر في هذه الاعلام غالباً الا المسيحية ويضرب صفحاً او يكاد عن غير المسيحيين وأما بين هؤلاء فيخص بالذكر ابناء طائفته وبعض من تعرف اليهم من غير طوائف بواسطة تلامذته واهاليهم وعلاقاته معهم وقد يفيدنا بحث السبب في ذلك الايجاز لما فيه من النظرات النافعة درس حياتنا الاجتماعية .

لقد قيض لهذه البلاد ان تكون منقسمة عشائر وطوائف ومذاهب منذ القدم. ولما فتحها العرب لم يغيروا حالتها وزادوا على الطوائف الموجودة فيها طائفة او طوائف جديدة بظهور الدين الاسلامي فيها. واحتل الاتراك البلاد فايدوا نظام الطوائف واغنت العاطفة الطائفية الاهلين عن الاهتمام بفكرة وعاطفة وطنية جامعة كما تعرف في البلاد الغربية .

فعاش السوريون على مدى القرون طوائف وما بينهم بعد الفتح الاسلامي صارت الطائفة الاسلامية تتمتع باكثرية العدد وبنفوذ الحكام ودينها معروف كدين البلاد الرسمي وشرعها القرآني اساس في التشريع بما يخص الاحوال الشخصية وفي حكمه يعيش سكان البلاد من سائر الطوائف.

وكان البخاش على بساطة علمه فطناً ذكياً عارفاً بما جاء في كتب الشرع الاسلامي عن الاحكام في اهل الذمة مما لا يُنادىَ به عادةً على رؤوس الملا ولا ينشر في الجرائد وقد صار بعض المعاصرين يحسبونه مطوياً في طيات الاوراق

منسوخاً منسياً ؛ ولكن ما ان تحدث ازمة سياسية الا ويُسمع القول به وهو قريب المنال للقراء مطبوع ليس في الكتب الادبية الموضوعة للعامة ايضاً فاقرأ في هذا الصدد المستطرف في كل فن مستظرف للابشيهي (الفصل الثاني من الباب الحادي والعشرين) وكن على بصيرة من الامر. هي الاحكام والاقوال المنسوبة الى عمر بن الخطاب والخليفة المتوكل وغيرهما . لقد اكل الدهر عليها وشرب وألفيت او كادت ولكن تأثيرها لم يمح بعد من حياة البلاد الاجتماعية وانما نحن منها كالجرح اذا ضمد سكن وجعه وهدأ وما ان يُنكأ حتى يدمى ويؤلم لان اثره باق ولم يشفَ الشفاء التام . ذلك ما احس به نعوم البخاش كما احس به المسيحيون في البلاد التي لا حقوق مدنية لهم فيها الا بذمة المسلمين. وكانت لسوء الحظ حوادث الخمسين قد وقعت منذ عهد قريب وقد شاهد معاصرو البخاش كما شاهد هو ايضاً بام العين تدمير الكنائس وذبح الابرياء وسلب البيوت وحرقها ذلك ما جعل في قلبه خوف الحمل من ذكر الذنب تجاه فئة غير قليلة من سكان البلد. فكان في كل عيد « الله اكبر » يتوقع شراً جديداً ويذكر « تزرين » المسلمين واني اذا ما تكلمت عن الامر لا انسى ان عدداً وافراً من المسلمين يعيشون وايانا في السلام والمحبة والمجاملة بالخير لكن للحقيقة التاريخية حقوقها والامر الواقع شاهد على ان في حلب التي تعد اليوم زهاء ٣٠٠ الف نسمة ينفصل فيها الجزء الشرقي عن الجزء الغربي لا باودية وجبال ولكن بحواجز امنع من الانهر والصخور انما هي الحواجز الاجتماعية. ان مظاهرها موصلة بعادات واخلاق موروثة وقد يكون عنوانها حجاب النساء وطرق السكنى التي يتميز بها بيت المسلم من بيت المسيحي الى غير ذلك مما يجعل الاحياء المسيحية والمسلمة تكاد تكون ، في وجوه عدة ، اجنبيةً بعضها تجاه البعض . نعم ان الجميع يتمتعون بنور شمس واحدة ويستنشقون هواء جوّ واحد ويشربون مياه بلدة واحدة ويتكلمون لغة واحدة ولكن لقد شاءت الاقدار ان فئة من البلدة لا تختلط بالفئة الاخرى . ان هناك حرفة القصابين لا يحترفها غالباً الا المسلمون وغيرها كحرفة الحبالين والدبّاغين مما يلجئ المسيحيين الى التعاطي مع جيرانهم من غير دياناتهم في هذه المعاملات وفي غيرها مثلها. ورب شاب مسيحي

عمل لمسلم ومسلم لمسيحي بغاية الاخلاص ولكن تلك العلاقات وامثالها لا تتجاوز حدّ الاخذ والعطاء والمجاملة بالحسنى اما الاتصال الباطني المترتب على امتزاج الدم بالزيجات وبالاختلاط في العوائد والاخلاق فلا وجود له. وعلى هذه الروح ربيت الناشئة ؛ شئنا ام ابينا !

ذلك هو السبب الاساسي الذي حوّل نظر البخاش عن احوال المسلمين فقد جهلها او تجاهلها ولم يدونها اليومية خشية محذور اذا ما وقعت في ايدي من لم يستطيبوا قراءتها فدسوا الدسائس ورفعوا الشكوى عليه. ولا ننسى ان في ذلك العصر وبعد عهد البخاش بسنوات قُبض على جبرائيل دلال وحبس ثم مات في الحبس لما القي عليه من الشبهات في كتابات لم ترض عليها السلطة فتمثل صاحب اليومية بقول الشاعر: « الصمت زين والسكوت سلامة » وسكت.

ومع ذلك فقد وفّى الاعيان والحكام المسلمين حقهم من الثناء في كل فرصة سانحة فشكر للمفتي بهاء الدين ولثريا باشا سهرهما على حفظ الامن وتجاوز حدّ اقتضابه المألوف ووصف الحفلة التي اقامها الباشا لما قلّد النيشان الهمايوني سيادة المطران جرجس شلحت فاركبه على حصانه وشيعه بالجنود والموسيقى فعرف نعوم البخاش لذوي المعروف احسانهم.

وشمل سكوته اليهود لقلة الاختلاط بينهم وبين المسيحيين وانعزالهم في عيشتهم القومية

اما ذكره المسيحيين فملؤه كتاب اليومية وقد ياتي بصورة صادقة لحياتهم واخلاقهم واعمالهم. ليس منهم من يقطن الارياف واذا قصدوا الى القرى خارج حلب لشغل تجاري او زراعي لا يعشون ان يعودوا اليها ؛ ومن شيمهم التفطن وهم مطيعون خاضعون للسلطة فيدفعون الضرائب البدلية عن الاعناق والترابية عن الاملاك لمن أُقيم عليهم جابياً من ذويهم.

وبينما كان رعايا الدولة العثمانية في الروملي بعد اعلان خط كول خانه الهمايوني يسعون بالقوة الى تحصيل المساواة بينهم وبين المسلمين وتنشب من ثم الثورات في بلاد البلقان لعدم تحقيق امنيات الاقليات لم يكن المسيحيون الحلبيون الا راضين بحالتهم ولا يبالغون في معرفة هل تجري بالفعل التنظيمات الخيرية. وكان

البخاش ترجماناً لتلك الحالة اذا وصف اشتراكهم في افراح البلد في عيد الجلوس الهمايوني وتجنبهم اثارة المشاغب وخضوعهم للباشوات وتقديرهم تعب واخلاص من عمل في سبيل المصلحة العامة.

وقوّم البخاش بالمسرة اخبار افراحهم وملاهيهم وحياتهم القومية : فحضور روايات الخيالاتي ولعب الضومينو او الضاما او الطاولة او الطاب ودك وعمي عميش والسماع الى نوبة آجق باش او قطرميز وشرب التتون في الغليون او التنباك في النارجيلة مع القهوة في المقاهي او في البيوت ؛ والجلوس في الكشك عند مرور موكب في الطريق فينظرون منه قدوم الباشا في النهار او مرور العروس او عودة الناس من سهراتهم حاملين الافنار او الفوانيس في الليل او قضاء ساعات الاصيل في الديواخانة او الليوان في الصيف او في المربع في الشتاء فيعصرون البرتقال بالمفرمة ويتناولون فنجان القهوة بالظرف الفضي ثم يردونه الى الصمدية مع شيش النارکيلة بعد انصراف الضيوف ويأكلون المأكولات العادية كلحم العجين والقديد المحشي واللوبية والمقادم والشوربة والزبيب والرز والكبة والجبن والبسطرمة وخشاف البرتقال ويشربون الخمرة والعرق ويتأنقون في طبخ الفراريج المشوية والقراص الشيبيني وسائر انواع الحلوى من ثقيلة كالكرابيج والزلابية والكنافات والخفيفة كالمرصبان والبرموش والكلاسه.

وكان الرجال يلبسون الفروة والشال خجضور الوردي والقبقاب في الشتاء والقميص الحسيني والقنباز « سبع ملوك » الهندي وحرير بغداد ومشالحها في الصيف وكانت النساء يتبخترن بالتنورة المقصبة وتفاصيل الباطسته او الحرير.

هي فوائد اليومية في الناحية الاجتماعية وقد يحق ذكرها في الناحيتين الطبيعية والاقتصادية ايضاً كما ان لذكر الطب والامراض والعقاقير واسماء النبات والحيوان الذي اتى في وصف حالة البلد الطبيعية له مقامه في هذا الفصل وفي الذي بعده ولكن كفى القراء ما اوردناه.

وهناك من الاعلام فوائد اجتماعية منها ان اغلب الاسماء اتت بصورة لقب لا بصورة كنية وهذا معقول نسبة لعدد الاهالي لان الكنى كثيراً ما تؤدي الى الالتباس بين شخص وشخص فترى في كتابنا الاسماء بالالقاب عديدة واغلبها

تصطبغ بالصبغة العربيـــة ودليل على تغلّب هذه اللغة على لغات البلاد الاصلية اعني العبرية والسريانية واليونانية. ولفتت فيها نظرنا كثرة الاسماء الدالة على لون او صفة بدنية او عقلية سواء أجاءت بصيغة الموصوف او الصفة:

ابرص اخرس اديب ازرق اسود اسير اشرم اصفر اعور اكشر بطق بليط تابت جد جهامي حاتم حافظ خشفة خليل سالم ساله سيار شعراوي شيان شيخو صادر صعب صفير صرفي ضاهر طويل ظلط عاصي عاقل عزوز غالي غانم غضبان غلام فارس فخر قرالي كرم مراش مرعب مسرة مشحور مشق مظلوم معوض مقل ملتلت ملهوف نصره هذوم.

على ان اثر اللغات القديمة لم يمح بعد من حلب واليك ما جاء من الاسماء المأخوذة من العهد القديم : ادم ابراهيم ارميا اسماعيل امون ايوب جبران حوا خاطي (او حتي) سليمان داود عازار ومنها من قديسي العهد الجديد او من اعلامه المشاهير وبعضهم يونان:

ارسان اسبير اسكندر إليان انطون باسيل بربارة بهنا بهنان بولص توتل توما جرجي سابا قلاوص كسبار كيرلس ديمتريوس متري مرقس ميشيل ميليا نيقولاوس نقولا يعقوب يوسف.

ولعلّ بعض الاسماء الواردة في اليومية دلت على تعصم اصحابها بالمروءة وذكرتنا باعلام الاقدمين ومنها المركبة كعبد الاحد وعبد المسيح ومنها المتصلة بعلم الهيئة كرعد وهلال ومطر ونجم او باسماء الشهور والازمنة كرجب ورمضان من اسماء المسلمين ونصف الليل من اسماء المسيحيين ومنها مـا ذكر بحدث كهدايا وفرقوعه وصفرا وحجه ومنها ما دل على آلة ككرباج وناقوز وطارة ومكانسي.

ومنها ما دل على وعاء كقطرميز وصندوق.

ومنها على عضو من اعضاء الانسان كزلموم وسنان.

وهناك طائفة من الاسماء التبس امرها علينا ولا سبيل الى تحليلها في هذا المقام وبين يدينا منها عدد وافر مأخوذ ليس من اليومية فقط ولكن من سجلات الطوائف ايضاً. واليك ما جاء منها في كتابنا ومعرفته مفيدة لحياة البلد الاجتماعية

عسى ان يكشف هذا الافق لاعين القراء ناحيةً جديدة من انحاء تاريخ البلاد فيسعوا في تحليل الاعلام ودرسها ولهم فيها تفكهة وافادة:

بغدان بلطي جبيتر جرنا جنادري جنبرت جوغلاط دمتي روالا رويتيني زمريا رنده زنكيه زونين سمحيري سميان شاهيات شبشول شلحت شوايا شوغا صدف صريدار صلابا عبوش عيواظ عابو فستوك قجله قدشه كركوز كلياتي كتيمر كوريخ ماروص مرشو منش ميشا ميناس نجو.

الحالة الاقتصادية

ليس من شأننا بحث الحالة الاقتصادية المطول ايام كتب البخاش يوميته والموضوع جدير بان يتناوله احد ادباء التجار الحلبيين،من لهم من خبرة الاشغال وفراغ الوقت وطولة الباع في التحرير والصبر على التفتيش عن الوثائق التي تمكنهم من القيام بتلك المهمة حق القيام ولا تزال طائفة من تلك الوثائق محفوظة في دور الناس عامةً وفي دور القناصل خاصةً .ومن المعلوم ان القنصل كثيرًا ما كان يتعاطى اعمالًا مزدوجة مستفيدة بعضها من بعض فيعمل لدولته في حقل السياسة ولنفسه في حقل التجارة ويكاتب مراجعه على الحالة التجارية والصناعية في ايامه وعلى الصرافة والزراعة وسائر ما يهم رجال السفارات في علاقاتهم الرسمية مع البلاد الموكل بامرها اليهم.وهذه المخابرات مرجع قيم لاوضاع التاريخ الاقتصادي فضلًا عن السياسي.وهناك عدد وافر من المكاتيب التجارية المحفوظة في بيوت التجار القديمة واخص منها ما اطلعت عليه في بيت السيد الياس بليط فانها مادة مشحونة بتعليمات وافرة على اسماء التجار المتازين في ذلك العهد وعلى مواد التجارة التي تعاطوها مع بلاد الافرنج او بلاد الشرق بين صادرات وواردات مع حركة الصرافة والبنك في ارسال الذهب او الاوراق المالية ذلك كله اذا ما نشر يوماً سوف يستفيد من تعليمات نعوم البخاش ويفيدها.

لم يكن البخاش تاجرًا ومهنته التعليم لكنه كان انموذجاً لعدد غير قليل من الحلبيين من يحرصون على القرش ثم يشغلونه وعلى اساس هذه المعاملة بنيت ثروة الطبقة الموسرة من الاهالي.ان موقع حلب الجغرافي جعلها منذ القدم محطة

للقافلات اياباً وذهاباً بين خليج فارس والبحر المتوسط وكان التجار يرافقون تلك القافلات فاذا حطوا في خان من خانات حلب كانوا يسلّمون ويتسلّمون الاموال واثمانها وكان الكثيرون من الحلبيين لهم مصالحهم في تلك الحركة فيتصلون باصحابها مباشرةً او بالواسطة ويأتمنونهم على مبالغ من النقود او على كميات من السلع او المحصولات وقد صارت مادةً للمبادلات في المتجر . وكان نعوم البخاش في كل شهر بل في كل اسبوع يتقاضى شيئاً من راتب المدرسة عن التلاميذ . وكان مصروفه البيتي قليلًا لانه كثيرًا ما كان يُدعى لتناول الطعام عند الناس . وكان ينال من الهدايا من الشة وغيرها ما كان يكفيه مؤونة النفقات الطائلة فيستغل في كل شهر دريهمات يجمعها ويشغلها بالطريقة التي وصفناها سواء اوضعها بالفائدة في مصرف من المصارف أو ارسلها بولسة الى مرسيليا او قرضها الفاطرجي بين حلب وكليز . وهو دقيق في ضبط حساباته يقيد الخارج والداخل بعناية بليغة ولا يفوته تدوين اليومية الغرش ونصفه وربعه في ابتياع نوافل الاشياء كالتتون او في وفاء ما يترتب عليه للسطران في النورية او للكاهن او لمرشد الاخوية في الاعياد او للقندلفت او الحارس في المواسم . ويوفق بحسن الادارة على ما يظهر الى جمع ثروة لا بأس منها طالما مكنته من تعاطي الاشغال مع بر الترك واوربا والعجم . وفي اليومية وحواشيها اثار هذه المعاطاة فهي طورًا تخصه وطورًا تخص غيره سردها على سبيل سائر ما اتى به من الاخبار ومنها نتعلم الخطوط التجارية التي كانت تربط حلب بالمدن التي ذكرها .

فكان فيها بين النهرين بصره وبغداد والموصل . وفي بلاد سورية ولبنان اداب وسويدية ولاذقية ودمشق وفي بلاد مصر الاسكندرية . وفي بلاد الافرنج لوندره وليفربول ومنشستر ومرسيلية وباريز وتريسته وليفرنا . وفي بر الترك ادنه وازمير واسكندرونه واسلامبول وانطاكية وانقره وبانياس وترسوس وديار بكر وعينتاب وقونية وكلز وماردين ومرسين ومرعش وماطية واليبرتلي .

تلك هي الامكنة والبلدان المرتبطة مع حلب بالتجارة واليك رجالها من كانوا يتجشمون المخاطر ويغامرون في الاسفار الى ان يحطوا رحالهم في حلب فيستوطنوها فيغلب عليهم لقب البلد التي صدروا منها او اتصلوا بها اشد الاتصال

وذكرهم يكشف لنا عن مغمضات حركة تنقل الاهالي في الزمان الماضي واليك اسماءهم:

ادلبي ارمني اسلامبولية اسطنبلي انطاكي بربري بشرّاني بغدادي بندقي بودي تركماني ترمذي حمصاني حمصي دويجي ساحلاني شامي عبديني عجم عجمي عكاوي كردي كلدانيّ كازي كندي لادقاني ماردنلي مصري مقدسي موصليّ هندي هندية.

فترى انهم أتوا من الشرق ومن الغرب ومن الشمال ومن الجنوب عسى ان يوفق الكتبة يوماً بفضل اكتشافات اثار جديدة الى تحقيق زمان تزوج العائلات المذكورة والعلاقة بينها وبين حوادث التاريخ العامة.

والمثل في ذلك انك اذا فطنت الى كون الكثيرين من مسيحيي المدن المصرية ينتمون الى اصل سوري دخلوا ارض الفراعنة في سياق القرن الماضي فهمت ان لتزوجهم سبباً اما في حوادث الستين المشؤومة التي الجأت عدداً غير قليل من المسيحيين الى هجر بلادهم الشامية واما في النهضة التي اخذت ترفع البلاد المصرية منذ عهد محمد علي الى مستوى نجاحها العصري فجذبت اليها مئات المهاجرين من بلادنا مَن قصدوها في طلب الرزق. وكذلك ربما افادتنا الايام عن الاسباب التي دخلت من اجلها مدينة الشهباء أسر اتت من بر الترك والعراق ولبنان واوروبا واظهرت الصلة بين قدوم تلك الاسر الى حلب وبين الحوادث العامة من حرب او مشروع تجاري او صناعي كتبدل الدولة بدولة وانتقال الحكم من المماليك الى بني عُثمان او فتح طريق رأس رجاء الصالح او نقب ترعة سويس فاجتذاب او ابتعاد التجار الى حلب وعنها. والمادة اوسع من ان تشملها هذه الصفحات ولها علاقاتها في اثار البلدة من خانات ودور وحمامات الى غير ذلك مما جاء ذكره في مؤرخي حلب الاقدمين كابن شحنة وابن العديم.

وإن تبويب الاسماء اخذاً بتحليلها بالمبنى والمعنى ادّى بنا الى معرفة ارباب الصناعة والمهن والحرف نكتفي بضرب لائحتها وهي باب مفتوح على درس ناحية خاصة من نواحي حلب الاقتصادية:

بخاش بردخجي بصال تابر توتنجيّ جانجيّ حائك حداد حفّار حكيم (طبيب)

حلاق خياط دالاتي دباغ دقاق دلال رباط سقال سمان شاشاتي شقال صاجاتي عبجي مخملجي مشاطي طرازي طحان طنبرجي عرقتنجي مال غزال فتال قصاب قصار قهواتي كبابه كتابه كرا الخوابي كيال مداراتي مصفي معمرجي معمرباشي نجار نقاشه وكيل . وكذلك اصحاب الوظائف وكلها كنانسية خوري شدياق شماس قسيس قس نصرالله قندلفت .

ويلاحظ في مجموعة هذه الاشياء مصداق لقول المؤرخين عن الهيأة الاجتماعية ان الغير المسلمين في الدول الاسلامية كانوا يتعاطون الصناعة والتجارة والصرافة والمهن الحرة .

وفي كتابنا طائفة من الاسماء الاعجمية المتنوعة الاصل فمنها التركية آچق باشا الطنجي بازرجي بياز اوغلي بشخنجي زنبكلي دوجه جي اوغلي سكران شوكتلي كورنلي يغمور .

ومنها فارسية ابراهيمشاه وخاتونشاه وطهماز .

ومنها ارمنية اروتين خاجيك خجدور سوكياس كركور كيورك وانيس

وهي دليل على وفرة عدد الاجانب الذين اقاموا في حلب ولهم فيها مصالح اغنتهم عن البقاء في بلادهم الاصلية ومنهم الافرنج من الانكليز وفرنسيس والمان وطليان ويونان وغيرهم :

باركر بتراكي بيجوتو برتران برتيه برنابا بنتيفوليو بوبولاني بوخه بوريار بوشتي بولاكي بيريه بيلليوس بيوس تومازيني جاني جليا جوفروا جنبير او شنبير جنو جوان جوستيني جوليان جيس دوناطو ريفا ست سكين شاتري دلافوس شستان صولا فلاق فيلكروز فين تباليار كاتينكه كتفاكو كوبا كوندلف مرتين مركوبولي مريانا موليناري وغيرها مما لا مقام الى تبويبها وتفسيرها فنلقي بسلسلتها بين ايدي القراء عسى ان يوفق غيرنا الى بحثها واستنتاج فوائدها .

ولله الحمد في البدء والختام .

١ فهرس ابجدي للمواد مع ترجمتها

Vocabulaire et index des matières

آجاص ٢:٢٤	Poires.
ابو الثلاثة والنصف ٢:١٥	Pièce des 3 et demie (piastres).
ابو خبيط ١:١١٨	Attaque d'apoplexie (des bêtes).
ابو العشرين ٢:٩٩	Pièce de 20 (paras).
اجا خبر ٢:١٤٨	L'annonce de la mort de... est venue.
اخوية ٢:٦٢ ، ٢:١١٢ ، ٢:١١٧ الخ	Congrégation.
اربعينة ٢:١٢٠	Quarantaine.
ارخندوس ١:٩٦	Les notables ἄρχοντες
ارمقان ٢:٦٤	Etrennes qu'on apporte de voyage.
اسبوع العرس ١:١	Semaine des noces.
اسبوع النسوان ٢:٩٦	Semaine des femmes.
اسنبولي (عملة) ١:١٤١	Istambouli (monnaies).
اسقف ٢:٩٣	Evêque.
اضراب العمال ١:١١٦	Grève des ouvriers.
اعترافات ٢:٨٧	Confessions.
اكلت مطر ٢:١١٦	J'ai attrapé la pluie.
انتخاب مطران شلحت ٢:١٠٠	Election de l'Évêque Chelhot.
انتيكات ٢:١١٩	Antiquités.
انكليزي (سمك) ١:١١٢ ، ٨ ، ٢:١١٢	Poisson
اهل الصانع ٢:١٢٤	Habitants des quartiers populeux.
باب الخاتم ٢:٤٣	Anus.
بابونج ١:١٥٥	Camomille.
بار كليسي ١:٣٦	Consolation (office religieux) παράκλησις
بارود ٢:٧٩	Poudre.
« باريتا » ١:١٣٧	Je me suis confessé.
باشة بغداد ٢:٩٩	Pacha de Bagdad.
باشي بوزق ١:٢	Soldat irrégulier.
باطسه ٢:٣٢	Baptiste (étoffe).
بالو ٢:٨ ، ٢:٥٦ ، ١:٨٩	Bal.
بالونات ٢:٨٦	Ballons.
بخة مطر ٢:٧	Averse légère.
بخشيت ٢:١٠٢	J'ai fait cadeau de...

هذه اللائحة غايتها مزدوجة وهي : ١ً ترجمة الالفاظ والاصطلاحات الى اللغة الافرنسية خدمة للقاموس ٢ً تسهيل مراجعة المواد في اليومية في مواضعها المذكورة بارقامها ولم نوفق الى ترجمة بعض الاسماء فاكتفينا بوضعها مع الارقام الراجعة بها الى المتن وحواشيه وفيه الشروحات التي استطعنا السبيل اليها .

الارقام الموضوعة من دون رقم دقيق بعدها تدل على صفحات المقدمة والارقام الموضوعة مع رقم دقيق تدل على الاسم ضمن البند الموقع عليه الرقمان .

بدلية ٢:١٣ — Impôt sur la dispense du service militaire.
بديان ١:١٢٠ — A son début.
برامنة ٩ ، ١:١٢١ — Sectateurs de Barsoume.
برسولات ٢:١ — Parasols.
براق (سمك) ٨ ، ٢:٩٧ ، ١:١٤٧ — Poisson.
برتقال ١:٣ ، ١٣٦ ، ١:١٢٥ — Oranges.
برّد بقدر البيضة ١:٢١ — Grelon gros comme un œuf.
برّات البلد ١:١٢٥ — Hors de la ville.
برطيل ٢:٧٥ — Corruption avec de l'argent.
بركه بابويه ٢:٢٢ — Bénédiction papale.
برميد (سمك) ٢:١٣٩ — Poisson.
بزورات ١٠ ، ٢:١٨ — Grains.
بسطرما ٢:٢٣ — Bastorma.
بشلك ١:١٤١ — Bichlik.
بصل الخزامى ٢:١٥٠ — Oignon de lavande.
بطرك ٢:٧٥ — Patriarche.
بطيخ احمر ١:٦٩ — Pastèque.
بعبع ٢:٣٣ — Se gonfler.
بغلة ٢:٢٩ — Mule.
بقجه ٢:٤٧ — Baluchon, trousse.
بقصمات ١:١٢ — Biscuit militaire.
بكره ٢:١ — De bon matin.
بلاش ٢:٤٠ — Gratis, pour rien.
بلدية ٢:٣ — Municipalité.
بنت ٢:١٥٦ — Fille.
بندقي (عملة) ١:١٤١ — Vénitien.
بوراز ١:١٢٠ — Givre.
بوز او بوظ ١:١٠٢ — Glace, gelée.
بول ، احتباره ٢:١٨ — Rétention d'urine.

بولسه وقليا ١ ، ٢:١٤٩ — Traite contresignée.
بوطلة ١:١١٦ — Oisiveté.
بنديرة ١:٧ — Bannière.
بومه ١:١١٢ — Hibou.
بوّاب ٢:١١٧ — Portier.
بياض (سمك) ١:٢٥ — Poisson.
تاسومه ١:٧٧ ، ٢:١٠٠ ، ٢:١٥٢ — Soulier.
تبخيرة ٢:٣٢ — Désinfection avec de la fumée d'encens ou de plantes spéciales
تبنيه ١:١٢٤ — Mesure de volume (du sac de paille hachée).
تتون او تبغ ٧ ، ١:١ ، ٢:١٤ ، ٢:٣٧ ، ١:٤٧ ، ١:٧٠ ، ١:٨٢ ، ٩٢ ، ١:١٢١ — Tabac.
تتونجي ١:٨٦ — Marchand de tabac.
تجار اوروبيون ٢:١٥٢ — Commerçants européens.
تجار الغنم ١:٥٤ — Négociants de moutons.
تجارة ٢:١٤٨ — Commerce.
تختروان ٢:٣٨ ، ١:٩٧ — Litière.
تخفاي ٢:١٤٩ — Incognito.
ترابة ٢:٣ ، ٢:١٨ ، ٢:٥٣ ، ١:٨١ ، ٢:٩٤ ، ٢:١٠٣ ، ٢:١١٤ ، ٢:١٣٦ ، ٢:١٥٣ — Impôt foncier.
ترجمان ٦ ، ٢:١١٧ — Drogman.
ترغل ٨ ، ٣ ، ١:١٢٤ — Colombe sauvage.
تريس (سمك) ٢:١٥٤ —
تساعية مار فرنسيس كسفاريوس ٢:٤ — Neuvaine à S. F. Xavier.
تشريفات ٢:١٤٨ — Protocole, ordre des préséances.
تشليح ١:٦٤ ، ١:١٠٥ — Détrousser (action de -).

Chameau. جمل ٢:٣٤
Assiette. جنق ٢:٢٢ ، ١:١١٧
Ginque. جنكوه (عملة) ٢:٣٢
Gihadi. جهادي (عملة) ١:١٤١
Double (voile). جوزية (طاقة –) ٢:٧٤
Chocolat. جوكولاتا ٢:٤٧ ، ٢:١١٩
A l'intérieur. جوًّا ٢:٧٤
Toile « Indienne » -(sheet). جيت ٢:٢٣
Jubilé. جيوبيليوم ٢:٤٧
Gardien. حارس ٢:١٩
Neige fondante. حالول (ثلج –) ٢:١٧
Céréales. حبّ ٢:١٤٨
Indisposition. حتفة ١:١٣
Pélerins. حجاج ١:١٢ ، ١:٣٩ ، ١:٤٥ ، ٢ ، ٢:١٠٦
Pélerins persans. حجاج ايران ٢:٧٤ ، ٢:١٥٦
Feu d'artifice. حراقة ٢:٦
Rougeole. حرسان ٢:١٦ ، ٢:٣٠ ، ٢:٣١ ، ٢:٣٢ ، ٢:١١٨ ، ١:١٢٠
Atteint de rougeole. محرسن ١:١٢٠
Soie. حرير ٢:٧٤ ، ٢:٨٠
Soie de Bagdad. حوير بغداد ١:٨٥
Incendie du souk el zra'. حريق سوق الذراع ١:٨١
Incendie de l'église Syrienne. حريق كنيسة السريان ١:١٣٤
Honoraire de messe. حسنة قداس ٢:١٠٥
Verjus. حصرم ٨ ، ١:٣٣
Natte. حصيرة ٢:١٢٢
Bois, bûches. حطب ٧ ، ١:٣٢ ، ١:٣٣ ، ٢ ، ١:٤٧ ، ٢:٥٠ ، ٢:٩١ ، ٢:١٤٨
Monopole. حكره ٢:١٢٠

Détrousser la poste (action de -). تشليح البوسطة ١:١٠٤
Liquidation. تصفاي ١:٩٠
Coupe. تفصيلة ١:٥
Pommes. تفاح ٢:٩٠
Fusil. تفنكه ٢:١١٢ ، ٢:١٥٢
Elèves de Bahhas. تلامذة البخاش ٤
Télégraphe. تلغراف ٢:١٢
Henné. تمر الحنة ١:١٤١
Tamar indien. تمر هندي ٢:٢٢
Ils restèrent. تمّوا ١:١
Tombac. تنبك ٢:٣٩ ، ١:١١٢ ، ١:١٤١
Jupe à fils d'or. تنّورة مقصبة ٢:١١٤
Ballot. توب ٢:٢٥
Mûres. توت ٢:١٠٩
Figues. تين ٢:١١٢ ، ١:١٣٧
Lustres. تريات ١:٨٨
Neige. تلج ٢:١٠٢ ، ٢:١٧٧ ، ٢:١١٧ ، ١:١١٩
Jatte. جات ١:٣ ، ٢:١١٧
Jatte apprêtée au maigre. جات صيامي ٢:١٩
Thé. جاي ١:١٥٥
Infusion de violettes. جاي بنفسج ٢:١٣٨
Pastèques. جبس ٢:٣٢ ، ٢:١١٣
Fromage. جبنه ٢:١٥٥
Bas rempli de sauterelles. جراب جراد ٢:١٢٤
Sauterelles. جراد ١:١٠٩ ، ١:١١١ ، ٢:١١٤ ، ١:١٢٤ ، ٢:١٢٤ ، ١:١٢٥ ، ٢ ، ١:١٢٦ ، ١:١٣٦ ، ٢:١٢٧ ، ٢ ، ١:١٤٢ ، ٢:١٤٢ ، ٢:١٤٤
Contribution aux pots de vin. جمع المال للبرطيل ٢:٧٥

Hairie (monnaie). خيرية (عملة) ١ : ١٤
(oiseau). دالول ١ : ١٥٢
Treille. داليه ٢ : ٢ ، ٢ : ٣٥ ، ٢ : ١٥٢
Tuberculose des poumons. داي ٢ : ١٥٤
Créancier. داين ١ : ١٥٢
Voie ferrée. درب حديد ٢ : ١٢
Merle. دج ١ : ٨٨
Poules. دجاج ٢ : ١٣
Frêne. دردار ٢ : ٥
Précipiter. دركل ١ : ٦
Paquet. دست ٢ : ١٥١
Congédier, abandonner. دشر ٢ : ٨٩
دفتر دار ٢ : ١٧ ، ١ : ١٥٢
Bel enterrement. دفنه متبره ٢ : ١٥٥
Tape, partie de jeu. دقة ١ : ٣
Massue. دقاق ١ : ٥٩
Membrum virile. دكر او ذكر ٢ : ٧٨
Onguent tiré du caprier. دهن القبار ١ : ١٤
Promenade à pieds. دوره مشي ٢ : ٣
Dot. دوطه ١ : ٧٧ ، ١ : ١٥٤
Domino. دومينو ١ : ١٥٥
Galerie supérieure. ديواخانه ٢ : ١١٩ ، ٢ : ١١٩
Divan. ديوان ٢ : ٩٢
Rhubarbe. راوند ٢ : ٢٤
Reb'yé zingirli (monnaie) ربعية زنجرلي (عملة) ١ : ١٤١
Suppliants. رجايا ٢ : ٢١
Riz. رز ٢ : ١١٣ ، ٢ : ١٤٩
Riz doux. رز حلو ٢ : ١١٣ ، ٢ : ١٤٩
Epitres. رسائل ١ : ٩١
Pot de vin. رشوة ١ : ١٥٢
Plomb. رصاص ٢ : ١٤ ، ١ : ٧٢
Monopolisateur. حكار ٢ : ٧٤
Action de se raser. حلاقة ١ : ٩٦
Barbier. حلاق ٢ : ١٩ ، ١ : ٢٤
Friandises. حلويات ١ : ٢٠ ، ٢ : ٣٦
Eruption. حماوة ١ : ٨
Les protégés (des consuls). حمايات ١ : ٨١
Blé. حنطة ١ : ٨٧ ، ١ : ١٢٣ ، ١ : ١٤٩
Evénements de 1850. حوادث ١٨٥٠ ، ٢ : ٤١
Cour, maison. حوش ٢ : ١٥٢
Trouver. حوش ٢ : ١٥٢
Toile de lin. خام ١ : ١١٨
Toile teinte. خام مصبوغ ٢ : ٣٠
Boulanger خباز ٢ : ١٥٠
Pain. خبز ٢ : ١١٣ ، ١ : ١٤٩
Drap de Perse ou des Indes. خجخور ٢ : ١١٢
Laitue. خس ٢ : ٦
Oranges au sucre. خشاف البرتقال ٢ : ٣٢
Pavot. خشخاش ١ : ١٢٧
Il m'a envoyé quérir. خلفي (ارسل —) ١ : ٦٠
Il m'a préoccupé. خلّى بالي ٢ : ٣٥
Calligraphie de Bahhas خط البخاش ٤
Voie ferrée. خط حديدي ١ : ٢٢
Vieille écriture. خط قديم ٢ : ١٥٦
Fiançailles. خطبة ١ : ٧٧ ، ١ : ٩٦
Légumes. خضراوات ٢ : ١٤٨
Boisson fermentée. خمرة ١ : ٥٣
Canéficier. خيار جنبير ٢ : ٧٩
Théâtre d'ombres. خيالاتي ١ : ١١٨ ، ١ : ١٥١

Grenades. رمان ٢:١٥٠
Raisin sec. زبيب ٢:١٠٦
Raisin sec de qualité inférieure. زبيب تايح ٢:١٥٢
Jette la viande aux chiens. زت اللحم للكلاب ٢:١٤٩
زرين ١:٧
Redoutables. مزربنين ٢:١٢٢
Etourneau. زرزور ٢:١١
Azérolier. زعرور ١:١٤ ، ٢:١١٧
Rue des quarante. زقاق الاربعين ٢:٢
Rues. زقاقات ٢:١٥٠
زقزوقه (سمك) ١:١٤٠ ، ١:١٤٧
Beignets à l'huile de sésame. زلابيه ٢:١٢٠
Crabes. زلاطين ١:١٤٠
زلزلة ٢:٨٧ ، ١:٨٨ ، ١:٩٥
Tremblement de terre.
Cancer. زلطان (مرض) ٢:٩٧
Individu. زلة ١:٤
Bordure. زمك ١:٥
Ceintures de Bagdad. زنانير بغداد ١:٨٥
Chèvre feuille. زهر العسل ١:٣٦
زهورات او ظهورات ١:٤ ، ١:٦
Manifestes, ordres
Viatique. زوّادة ٢:١٥٢
La bombe a éclaté. زهنت القنبرة ٢:٣٣
Provisions de route. زيارة ١:١١٩
Huile. زيت ٢:٩ ، ٢:٣١ ، ١:٩٢
Huile de Killis. زيت كلزي ٢:١٠٧ ، ٢:١١٠
Huile de ricin. زيت الخروع ١:١٤ ، ١:١٣٧

Bénédiction des luminaires زيت القنديل ٢:٩٢
S'. Chrême. زيت الميرون ٢:١٥٦
Montre. ساعة ١:٩
Sept rois. سبع ملوك (قاش) ٢:٨١ ، ٢:١٥٠
Sept rois des djinns. سبعة ملوك الجن ١:٩٦
Corvée. سخرة ١:٣٢
Sérail. سرايا ٢:١٤٨
Egoût. سراب ٢:٧٩
Exiler. سركل ٢:٢٣
Légère épidémie. سعر ٢:١٠٥
Jours fastes. سعود ٢:٨٥
Echafaudage (scala ?). سقالة ١:٣٣
Fermer. سكّر ١:١٤٥
Ecole. سكولا ٩
Ecole des grecs. سكولا الروم ١:٣١
Ecole de français. سكولا الفرنساوي ١:٩٧
سلال (سمك) ١:٣
Le grand salut. سلام قلّي ٢:١٣٠
Ceux qui saluent. سلاماتية ١:١٢٥
Blé cuit et sucré. سليقة ١:٨٣
Pavé couvert (table). سماط ٢:٥٢
Arbre à épine. سمر (شجر) ٢:٥
Cigogne. سمرمر ٢:٨ ، ١:١٢٤
Poisson chat. سمك اسود ١:١١٧
Poisson de mer. سمك بحري ١:١١٧
Anguilles. سمك حيات ١:١١٧
Beurre. سمن ، سمنه ٧ ، ١:٥٤
Vigilante (office). سهرانة ٢:٣٦
Veillée. سهرة ٢:٢٨
Bracelet d'or. سوار ذهب ٢:٩٥
Marché d'Alep. سوق حلب ١:٥٤

Caisse. صحّارة ٢:٣
Sachet. صرّة ٢:٣٢
Oiseau jaune. صفري ٢:٩٠
Aboutir à. صفّى في ٢:٣
Prière à la Croix. صلبوت ٢:١٢٣
Niche dans un mur. صدبة ٢:١٤٥
Laine. صوف ١:٢٧ ، ٢:٨٩
Jeu de dames. شاما ٢:١١٢ ، ٢:١١٦ ، ٢:١١٧
Il a guéri. طاب ٢:١٢
Jeu (?). طاب ودك ٢:٨٩
Boule de neige. طابة ثلج ٢:٢٣
Moulin. طاحون ١:١١٢
Peste. طاعون ١:٦٣
Pièce d'étoffe pour couvrir la tête. طاقة ٢:٧٤
Tric-trac. طاولة (لعب) ١:١١٦
Chauvinisme pour le rite ou la communauté. طائفية ٢:١٥٥
Médecine. طب ٢:٤٣ ، ٢:٤٤
Distillateur d'eau de vie. طباخ العرق ٢:١٤١
Tarbouche. طربوش ٢:١٩
J'ai été pris d'un accès de fièvre. طرقني الدور ١:٢٣
Appât. طعمة الصيد ٨
Mort aux rats. طعم الفار ١:٣٢
Temps. طقس هواء ٢:٥٠
Funérailles somptueuses. طلعة كويّسة
Canon. طوب ١:١٢
Parfum. طيب ١:١٥٢
Boue. طين ١:٢٨
Enveloppe, sous-coupe. ظرف ٢:١٢٦
Zarifé (monnaie). ظريفة (عملة) ١:١٤١

Neige sucrée au moût. سويق ٢:٣٢
Faire. سوّى ١:١٣
Châle. شال ٢:١١٣
Châle pourpre. شالة قرمز ٢:١٢٤
Châle rose hajhour. شال وردي خجخور ٢:١١٢
Faux témoin. شاهد زور ١:١٥٢
Cyprinus. شبوط (سمك) ٨ ، ١:١٨
Merle noir. شحرور ٢:١١٦
Barque. شختورة ١:١٠٥
Taillader les oreilles à coup de rasoir. شرّط الاذنين ٢:٩٩
Visiter les malades. شرف على المرضى ٢:١٥٠
Sorte de gâteaux. شعيبات ٢:٧
Pot de fleur. شقف ٢:١٥٠
Dépouiller un voyageur. شلّح ٢:١٥٢
Renvoyer la fête. شلفوا العيد ٢:١٤
Temps couvert, (soleil non clair). شمس غير رايقة ٢:١٠٢
Eclipse de soleil. شمس وكسوفها ٢:٢٧
Pomme de pin. شمّوط ٢:٩٦
Chaleur. شوّب ١:٧٧
Indulgence. شوبقونو او الغفران ٢:٣٤
Ceci (?). شوبويك ٢:١١٢
Soupe. شوربا ٢:١٣٨
Un peu. شوي ٢:١٢
Cheikh-ul-Islam. شيخ الاسلام ٢:١٢ ، ١:١٥٢
Le cheikh du quartier. شيخ الحارة ١:٥٣
Narguilé. شيشه ١:١١٧ ، ١:١٥٣
Savon. صابون ٢:١١٠
Rotule. صابونة الركبة ٢:١٥٥
Quartier populeux. صايع ١:٣ ، ١:٥٩

Gendarmes. ظبطية ١:٣٣
Ongle. ظفر ١:٧٢
La ville ne tient qu'à un ongle (Il s'en faut de peu qu'il n'y ait une révolte). — البلد واقفة على ظفرة
Cris de joie : lilili. ظلاغيط ١:١٠٩
Pièces officielles. ظهورات او زهورات ١:٦
Dévotes. عابدات ٢:١١٠ ، ١:١٢٨
Seuil de la maison. عتبة البيت ٢:٨٤
'Adli tarihi (monnaie). عدلي تاريخي (عملة) ١:١٤١
Requête عرضحال ٢:١٠
Eau de vie. عرق ٢:١٠ ، ٢:١١٦ ، ١:١٥٥
Nacre. عرق لولو ١:١٢٥
Gâteau au blanc d'œuf battu et grillé. عرموش ٢:٩٦
Les célibataires arméniens. عزبان الارمن ٢:١١٧
Destitution d'un évêque. عزل المطران ٢:٧٥
Troupes régulières. عسكر نظام ١:٢٠ ، ١:٢١ ، ١:١١٢
Montant de la porte. عضادة ٢:١٢١
Géranium. عطرة ١:١٩
Exercice de tir. عطش ناري ٢:١٤
Ecraser. عفس ٢:١٥٥
Ration. علاقة ١:١٣
Sangsue. علقه ١:١٣ ، ١:١٤٥
On en vint aux mains. علقت ٢:٢٦
Livraison de main en main. على التسليم ٢:٣٥
A Jabra, on paye le prix de la monture. على جبرا المركوب ٢:١٥٦

Monnaie. عملة ٢:٣٢ ، ٢:٧٣ ، ٢:٧٦ ، ١:١٤١
Colin-maillard. عمي عميش ١:٣
Aveugles et leur musique (employée dans les réunions des femmes). عميان ونوبتهم ١:٧٧
Gros raisin. عنب فيوعي ٢:٧٩
Ambre de Bagdad. عنبر بغداد ١:٦٥
Constellation du Bootès. عوّاء ١:٧٢
Cadeau de fête. عيدية ٢:١٣٤
Gazette. غازتا ٩
Plonger, disparaitre. غط ٢:٤٦
Indulgence. غفران ١:٣٧ ، ٢:٤٧
Cherté. غلاء ١:٥٤
Achever, clore. غلّق ١:٥
Pipe. غليون ١:١١٣
Vapeur. فابور ١:١٠٥
Fatiha écrite sur un grain de riz. فاتحة على حبة الرز ٢:٢٢ ، ١:٦٣
Je me suis confessé. « فاريقا » ١:١١٧
Haricots verts. فاوله ٢:١١٣
Les fabriques. فبابر ٢:١٥٢
Fusées. فتاش ٢:٦
Charbon. فحم ٢:١٦ ، ١:٣ ، ٢:٣٣ ، ٢:٣٧ ، ٢:٥٥ ، ٢:١١٠
Poulets rôtis. فراريج مشوية ٢:١١٣
فرخ مكحل ٢:٩٢
D'un coup. فرد دكه ٢:١٤
Je lui ai montré qqc. فرّجته على شيء ٢:١٩
Balle. فرده ١:٢٣
Hacher. فرم ١:٩٢
Firman. فرمان ٢:١١٦ ، ٢:١١٧
Franc. فرنك ٢:٤٤ ، ٢:١٥٢

فروه ٥ : ٢ ، ٣٢ : ٢ — Fourrure.
فريق ١٢٠ : ١ حرب الزيتون — Général de la guerre de Zeïtoune.
فستق ٢٩ : ٢ ، ٩٣ : ٢ ، ١٤٨ : ٢ — Pistache.
فصاده ٩٣ : ٢ — Saignée.
فطر جبينه ١٤٥ : ١ — Il s'est ouvert le front.
فكس ٦٠ : ١ — S'éclipser.
فلوريني ١٠٥ : ٢ — Florin.
فنر ٣ : ٢ — Fanal.
فنس ٢٠ : ١ — Fanal.
فيدوس ٧٧ : ٢ — Vacances, récréation.
فيّق ١٤٥ : ١ — Eveiller.
قاطرجي ٩ — Moucre.
قايق ٦٤ : ١ — Crème (turc).
قاغة (ورقة مالية) ١٤١ : ١ — Papier monnaie.
قبّان ١٤٩ : ٢ — Bascule.
قبّوضي (سمك) ٣ : ١
قبق ١٥٥ : ٢ — Couvercle (turc).
قبقاب ٢ : ١ ، ٩٠ : ٢ ، ١٢٤ : ٢ — Chaussure en bois.
قتل تتول على اللحم ٥٣ : ٢ — On s'écrase autour de la viande.
قد النمل ١٢٤ : ١ — Gros comme des fourmis.
قديد ١٤ : ٢ — Viande desséchée.
قديد محنن ١١٦ : ٢ — Viande mise en conserve (en jambon).
قدّيات ٧٧ : ١ — Pièce de devant (vêtement).
قراص ٤ : ٢ — Pains pétris au beurre.
قراص شيبني ١٢١ : ١ — Pains farcis de crème, grillés et sucrés.
قرعة ٥٤ : ٢ — Tirage au sort.

القرعة عالة ١٠١ : ١ — On tire au sort.
قرمز ٣١ : ٢ — Vermillon rouge cramoisi.
قشّ ٩٠ : ١ — Cueillir.
قشله ١٥٥ : ١ — Caserne.
قطرميز ١١٥ : ١ — Bocal.
قطن ٢٩ : ٢ ، ٣٣ : ١ ، ٤٥ : ٢ ، ٧٠ : ٢ — Coton.
قلب الطير ١٣٧ : ٢ — Pruneaux verts.
قلنات عسكر ١٥١ : ١ — Postes de soldats.
قلّبوا البيت — Visiter une maison en vue de l'achat ou de la location.
قلّبوا العروس — Examiner une jeune fille en vue d'une demande en mariage.
قلّمه ٤ : ١ — Il l'a chassé.
قماش ٧ — Etoffe.
قمح ١٤٨ : ٢ — Blé.
قمري (عمله) ٧ ، ٣٢ : ٢ ، ٩٩ : ٢ ، ١١٣ : ١ ، ١١٤ : ١ — Kamari.
قميص حسيني ٥٩ : ٢ — Chemise brodée.
قناية ٨ — Canalisation.
قنباز النساء ٧٧ : ١ — Tunique spéciale de femmes appelée Combaze.
قنباز هندي ١٥٠ : ٢ — Combaze hindou.
قنبرة ٣٤ : ٢ — Bombe.
قنصل ٢٢ : ٢ ، ١٤١ : ١ — Consul.
قنطار ٣٧ : ٢ — Quintal.
قنينة ٨ : ٢ — Bouteille.
قهواتي ١٣٥ : ١ — Cafetier.
قهوة ٧ ، ٣١ : ٢ ، ٤٦ : ٢ — Café.
قوقمة ٧٤ : ٢ — Echauffourée.
قولوصو ٦٧ : ١ — Hymne d'action de grâces.
قومة البلد ٦٨ : ٢ — Révolte de la ville.
قوّاس ٨ — Archer, Janissaire de consul.

Pigeon roucoulant. قوّال (طير) ٢ : ٦
Deidevuse. كبّابة ١ : ٧٦
Hachis de viande et de blé concassé. كبّة ١ : ٤٧
Esquisse de l'écriture sur une étoffe. كتابة على قماش ٢ : ١٠٢
Être en augmentation. كتران ٢ : ٣٠
Collyre. كحل ٢ : ٨٦
Alcool. كحول ١ : ٥٣
Intendant. كخيا ٢ : ٧٤
Location d'un âne. كراء حمار ٢ : ٣٤
Boulettes farcies de pistaches etc... كرايج ٢ : ٤٦
Carrosse. كروصه ٢ : ٣٤ ، ٢ : ١٥٠
Cerise. كرز ٢ : ١٥٠
كرسين (سمك) ١ : ١
Terrain planté d'arbres fruitiers. كرم ٢ : ١٤٨
Façon. كسم ١ : ١٢١
Balcon fermé par des volets. Kiosque. كشك ١ : ١٤٤
Glace. كلاسه ١ : ٣
Tenaille. كلّابه ٢ : ٧٨
Encore. كمان ٢ : ٣٢
Douane. كمرك ٢ : ١١٧
Douanier. كمرجي ٢ : ٣٠
Sorte de gâteau... كنافة ١ : ٨٣
Correspondant. كورسبوندان ٢ : ٣٠
Soufre. كوكرت ٢ : ٥٠
Joli. كويّس ٢ : ٤٧
Il est content. كيّف ٢ : ١٥٦
Serrant de près. لاذذ ١ : ١٣٤
Vêtements. لباس ٧
Effets, hardes. لبش ٢ : ١٠

Libanais. لبناني ٢ : ١٠٥
Viande. لحم ١ : ٥٤ ، ٢ : ١٤٩ ، ٢ : ١٤٨
Galettes de pâte et de viande hachée. لحم العجين ٢ : ٤٦
Ils tardèrent à faire la paix. لكموا الصلح ٢ : ١٢٠
Petits pois. لوبية ٢ : ١١٣
Amande. لوز ١ : ٢
Livre anglaise. ليرة انكليزية ٧ ، ٢ : ٣٢
Livre turque or de Abdul-Magid. ليرة مجيدية ٧ ، ٢ : ٣٢
Crépir. ليّس ١ : ٢٨
Soirée dansante, bal. ليلة ١ : ١٢١
Citron. ليمون ١ : ٣٦
Liwan de l'évêché. ليوان الفلاية ١ : ١٣٣
Je suis saisi d'un coup de vent (rhumatisme). ماسكني ريح ٢ : ١٠٥
Erésipèle. ماشرها ٢ : ١٠٥
Produits de Constantinople. مال استنبول ١ : ٥٩
Préfet de Congrégation. متقدم الاخوية ٢ : ٦٢
Maggiar (monnaie). مجر (عملة) ١ : ١٤١
Séance. مجلس ٢ : ٤٤
Conseil d'enquête مجلس التحقيق ١ : ١٥٢
Conseil du Vilayet. مجلس الولاية ١ : ١٥٢
Concile libanais. مجمع لبناني ١ : ٩٦
Magidi. مجيدي ٧
Quarantaine. محجر صحي ٢ : ١٥٦
Mouchoir. محرمة ١ : ١٥٢
Mignon. محسون ٢ : ٣٢
Tribunal de Cassation. محكمة التمييز ١ : ١٥٢

Tribunal Char'i. محكمة شرعية ١:١٥٢
Tribunal Consulaire. محكمة قنصلية ٢:٥٩
Massacre de 1818. مذبحة ١٨١٨ ، ٢:٨٧
Ecole de français. مدرسة الفرنساوي ١:٦٣
Chambre haute. مربع ١:١٠٦
Missionnaires. مرسلون ٢:٧٣
مرسنك ذهبي (؟) ٢:٢٢
Sorte de gâteau. مرصبان ١:١١٥
Navire à voile. مركب هوا ٢:١٥٢
Masques. مساخر ٢:٣٦
Orientalistes. مستشرقون ٩ ، ١٠
Emprunts faits à l'hiver. مستقرضات الشتاء ١:٥ ، ٢:١٨
Les manteaux de Bagdad. مشالح بغداد ١:١٢٧
Écriture élancée. مشق (خط —) ١:٧١
Abricots. مشمش ١:٢١ ، ٢:٢٣ ، ١٠٩ ، ٢ ، ٢:١٠٩
Potence. مشنقه ١:٣٠
Imprimerie Maronite. مطبعة الموارنة ٢:٢٢
Manifestation de révolte. مظاهرات الفتنة ٢:١٦٨
Fête des Tabernacles chez les Juifs. مظلة اليهود ٢:٩٦
Remarquable. معتبر ٢:١٥٥
Pâté de roses (purgatif). معجون الورد ١:١٨
Moufti. مفتي ٢:٩٣ ، ١:١٥٢
Clairsemé. مفرقد ١:٢١
Pélerins de Jérusalem. مقادسه ١:١٢٢
Pieds de mouton. مقادم ١:٤٧

Séances. مقامات ٢:٩٣
Manchon pour presser. مقرمة ١:١٢٥
Ayant accompli le pélerinage de Jérusalem. مقي ٢:٧٢
Bonbons. ملبس ١:١٢٥
Sel de Tartre. ملح طرطير ١:٢٣ ، ٢:٤٣
Mamdouhi (monnaie). ممدوحي (عملة) ١:١٤١
Rebouteur. ممسك ، ممسد ٢:١
Communions. مناولات ٢:٨٧
منص (عملة) ٢:٣٢
Machine. منكمة ٢:١٢
Pourboire. مهرنامة ١:١٢٠
Maronites. موارنة ١:٢ ، ٢:١٢ ، ٢:١٥٥
Bananes. موز ٢:١٠٩
Fanfare. موزيقا ١:١٣٨
Rasoir. موس حلاقة ٢:٢٠
Pas beaucoup. موقوي ١:٢٥
Port. ميا ٢:٥٧
Tuyau du narguilé. تاريج ١:١٥٣
Moustiquaire. ناموسيه ١:١١٠
Grand'maman. نانا ١:١٣١
Bigaradier, orange amer. نارنج ١:١٤
Gourdin. نبود ٢:٣٤
Prophétie d'Innocent. نبوة انوسنتيوس ١:٥٥
Etoile. نجم ١:١٨
Comète. نجمة ام ذنب ٢:٤٧ ، ٢:٥٦ ، ٢:٩٢
Pluie fine et intermittente. نختاخ (مطر —) ٢:٢ ، ٢:١٨
Rose blanche musquée. نسرين ٢:٢ ، ٢:١٥٠
Loi martiale. نظام عرفي ٢:٩٨

Ordre de préséances نظامنامه ٢:٩٣
Menthe. نعناع ٢:١٠٩
Cadeau de noce à l'époux. نقد العريس ١:٧٧
Cadeau de noces. نقشه ٢:١٠٨
Groupe de musiciens... نوبة آجق باش وابراهيم ربيع ٢:٣٧
Groupe des artistes. نوبة اولاد الفن ٢:٨٠
Groupe de (nouba) Katramise. نوبة قطرميز ١:١١٥
نورية ١:٢٣، ١:٨٩، ٢:١١٣، ٢:١٥٦
Bénédiction de la maison par l'évêque ou le curé.
Coucher des jeunes gens en dehors de chez eux. نوم الشبان خارج البيوت ٢:١٥٣
En pension. نوم قوم ١:٦٣
Le premier jour du printemps. نيروز ٢:١٨
Décoration. نيشان ١:١٥١
Disparition de l'époux. هرّبوا العريس ١:٩٦

Crise d'épilepsie هزّة الخيط ١:٥
J'ai communié. « هلوانم » ١:١١٢، ١:١١٧
هوا اصفر ١:٩٨، ٢:١١٢، ٢:١٥٦
Choléra.
Epidémie. وباء ٢:٧٢
Envoyer, conduire. ودّى ٢:٤٣
Papier. ورق ٢:٥٠
... et quelque. ... وشيء ٢:٥٠
Recette. وصفة ٢:٢٤
Une mauvaise chute. وقعه ظالمه ٢:٥٧
Col. ياقه
Planton, huissier. يستجي ٦
Idem. يستي ٢:٢٦
ينكي دنيا ٢:٢٢، ١:٢٨، ٢:٣٥، ٢:١٠٨
Néflier commun.
Cela ne fait pas le compte. يوني ممنا (ما —) ٢:١٥٠
Sacrifice rituel chez les Juifs. يهود صلبوا ولد ١:١٢٣

٢ فهرس

اهم اعلام الاشخاص الواردة في يومية البخاش وفي الحواشي – الارقام الموضوعة من غير رقم دقيق تدل على صفحات المقدمة والارقام الموضوعة مع رقم دقيق تدل على الاسم ضمن البند الموقع عليه الرقان .

الاسماء الاوروبية مكتوبة بالاحرف العربية وتجاهها كتابتها بالاحرف اللاتينية

آدم ٤ ، ١:٧٧
آدم انطون ٢:٦٧
آجق باش ١٠ ، ٢:٦ ، ١:١٣٤
آجق باش عبد الاحد ١:١٥٤
آغاوات ٢:٣٥ ، ١:٦٤
ابراهيم آغا ٨
ابراهيم باشا ٢:٨٧ ، ١:١٥١ ، ٢:١٥٦
ابراهيم جرجي ٢:٥٢
ابراهيم ورتبيت ٢:٧٥
ابرص ٤ ، ٢:١٤٣
ابو خليل ٤
ابو الوفى ٨
اتراك ٢:٢٥
اثناسيوس مطران طرابلس ٢:٥٥
اخرس* ٢:١٤٩ ، ٢:١٥٠
ادلي ٤
ادو ١:٨٨
اديب ٢:٣٠
ارسان ١:١٠٠ ، ٢:١١٥ ، ١:١٥٦
ارسان رزق‌الله ٢:٨٠
ارسان شدياق ١:١٢٨
ارسان فتح‌الله ٢:٣٣ ، ٢:٩٠ ، ٢:١٤٠
ارسان نعوم ٢:١٠٩
ارمن ١:٢ ، ٢:٤٧ ، ٢:٧٥ ، ٢:١٥٥
ارمني ٤
ارميا ٤
اروتين ٢:٤٠ ، ٢:٤٢ ، ٢:٤٦ ، ٢:٤٧ ، ١:٤٩ ، ١:٥٣ ، ١:٥٨ ، ١:٧٥
اروتين بولس ٢:٥٥ ، ٢:١١٧ ، ١:١٢٨ ، ١:١٣٦ ، ١:١٤٠ ، ٣:١٥٠ ، ٢:١٥١
اروتين . دير – ٢:٣٨
اروتين يوسف ١٠
ازرق الياس ١:١١٠
اسبر يوسف ٢:٣٣
اسطفان آغا ٢:١١٧
اسطنبلي ١:١٢٤
اسكندر تريزيا عبد المسيح ١:١١٥
اسلامبوليه حنا ١:١٥١
اسلامبوليه يوسف ١:٤٧ ، ٢:٦٣ ، ١:١٥١
اسماعيل باشا ١ ، ٢:٢
اسود ٤ ، ٢:٩٠
اسود ٢:١٠٨ ، ٢:١٢٠ ، ١:١٢٧ ، ١:١٤٧
اسود الياس ٢:٤٩ ، ٢:٦٩
اسود انطون ١:١٧
اسود رزق‌الله ٢:١٤٩
اسود فتح‌الله ١:١٢٩

*) الى هذا البيت ينتمي سيادة المطران مخائيل المرتم اسقفاً على موارنة حلب في ٨ اذار ١٩١٣

اسود يوسف ٦٠ ١:٦٠ ، ٢:٨٣ ، ١:١١٨
اسير ٤
اسيون ٢:٢٩ ، ٢:٥٠ ، ١:٨٣ ، ٢:١٢٧
اسيون الياس ١:٧ ، ١:١٢
اسيون جبرا ٢:٨٣ ، ٢:١٢٧
اسيون عبدالله ٢:٦٨
اسيون نعوم ٢:٨٤
اشراف ٢:٢٥
اشرم ٢:١٥٥
اشقودرهلي مصطفى ٦ ، ٢:١٧
اصفر ٢:٢٥ ، ٢:٢٦ ، ٢:٢٨ ، ٢:٤٧
اعور ٢:٢٥
اعيان ٢:٢٥ ، ٢:٤٤
اغابيوس البطريرك الانطاكي ٢:٥٥
افرنج فرنسيسكان ١:٢
اكشر . نوبة الاكشر ٢:٩٦ ، ٢:١١٥
اكوب الاجير ٢:٥٥
الثاراس Altaras موسى ٢:٥٠
الياهو القونصل ٢:٢٥ راجع بجوتو
الطنجي ٤ ، ٢:٩٢
الطي ٢:٣٢ ، ٢:٩٩ ، ٢:١١٥ ، ٢:١٢١ ، ١:١٥٣
اليان ١:٥٦ ، ١:١١٢ ، ٢:١٥٢
اليان برباره ١:١٢ ، ٢:١٢
اليان مخائيل ٢:٩ ، ١:٢٣ ، ٢:٣٠ ، ٢:٣٨ ، ٢ ، ٢:٩٠ ، ٢:١١٥
اليان نقولا ١:١٥٣
اليان يوركي ١:٢٣
اليان يورغاكي ٢:٨١ ، ٢:١٥٣
امون ٤
امير ٢:١٣٥
امين افندي ٢:١٧ ، ٢:١٨ ، ٢:٢١
امين باشا ٢:٢٤
انطاكي ديمتريوس المطران ١:١٢٨
انطاكي عبدالله ١:١١٥ ، ١:١٣٠ ، ٢:١٥٦ ، ٢
انطاكي عبد المسيح ٢:٢١
انطاكي مخائيل ٢:٦ ، ٢:١٢ ، ٢:١١٤
انطاكي نعمةالله ١:٨٣
انقشارية ٢:٧٤
انكليز ١:٢٦ ، ٢:٣٠ ، ٢:١٥٢ ، ٢:١٥٣
اوريون ٢:١٥٢
ايوب ، ترجمة الاسرة ٢:١٢٢
ايوب شكرالله القس ١ ، ٢:٥٥ ، ٢:١١٢ ، ١ ، ١:١٣٥ ، ١:١٤١ ، ١:١٤٤ ، ١:١٥٦ ، ١ ، ٢:١٥٦
ايوب توما الخوري ٢:١٢٠
ايوب نصرالله ٢:١٥٠ ، ١:١٥٥
ايوب يوسف ١:٩٤
باركر Barker ٢:٦ ، ٢:١٠ ، ١:٩٥
باركر مدام ٢:٤٠
بازرجي مخائيل ٢:١٣٩
بازي يوسف ٢:٥٥
باسيل ٤ ، ٢:٥٣ ، ٢:١٠٩ ، ١:١٤٠
باسيل شكرالله ٢:٩٠ ، ١:١٠١
باسيل عبدالله ٢:٢٢ ، ٢:٥٥ ، ٢:١٠٥ ، ٢:١٢١
باسيل فتح‌الله ١:٣٠ ، ٢:٥٦ ، ٢:١٠٩
باسيل ميخائيل ١:١٠٦
باسيل يوسف ١:٩٠
باكر باشا ٨
بياز اوغلي ٢:١٠
بتراكي ٤
بتم ٤
بجوتو ٢:١٠ ، ٢:٢٥ ، ٢:٣٠
بجوتو الياهو ١:٤٦
بخاش ٤ ، ٢ ، ١:٣ ، ٢:١١ ، ٢:١١٠ ، ١:١٥١
بخاش اسطفان ٢

بخاش جبرا ٢:٢٦
بخاش جبرائيل ٢
بخاش جرجس ٣
بخاش رزق‌الله ٢:٢٠ ، ٢:٢١ ، ٢:٢٩ ، ٢:٤٦
بخاش رافائيل ٢:١٥١ ، ١:١٥٤
بخاش شكرالله ٢:١٤٣ ، ٢:١٤٩
بخاش الشماس ٢:١١٢
بخاش فتح الله ٢:١٦ ، ٢:١٧ ، ٢:٢٩ ، ١:٢٩ ، ١:٥٥ ، ٢:١١٢ ، ١:١٥٤
بخاش عبدالله ٢:١١٢ ، ٢:١٤٥
بخاش كرزه ٢:١٥٣
بخاش مخائيل ٢
بخاش نصري ٢ ، ١:١٣٣
بخاش نصري فتح‌الله ٣
بخاش نعوم ٢:٨٨
برامشاه ٤ ، ٢:١١ ، ١:٣٢ ، ٢:٣٧
بربارة ١:٢٠ ، ٢:١١٧
بربري ١:٢٧
برتران Bertrand
برتيه Berthier ٢:٦
بردخجي ٤ ، ١:٢ ، ١:٨ ، ١:١١ ، ١:١٨ ، ٢ ، ٢:٢٠ ، ٢:٢٠ ، ٢:٢١ ، ٢:٢٩ ، ١:٣٢ ، ١:١٠٠ ، ١:١٤٠ ، ٢:١٤٥ ، ٢:١٥٣ ، ١:١٥٤ ، ٢:١٥٦
بردخجي رزق‌الله ٢:١١٩
بردخجي عبدالله ٢:١١٤
بردخجي فتح‌الله ابو الشباب ٢:١١٤
بردخجي يوسف ١:١٨
بردخجيات ٢:١٥٣
بردوط نصير ٢:١٥٦
برسيخ ٢:١٤٠
برصوم ١:٧٨
برغود ٤ ، ٢:٢٩ ، ١:١٣٢
برنابا Barnabé الحكيم ٢:١٣٨ ، ١:١٥٥
برناردورليان Bernard d'Orléans ٢:٨٦
بشخنجي ٢:٣٣
بشراني ٢:١٤٩
بصال ٤ ، ٢:٢ ، ٢:٨٦
بصال انطون ٢:٣٨
بطق ١:١ ، ٢:١ ، ١:٣ ، ١:٥ ، ٢:٩ ، ٢:١٠ ، ٢:١٢ ، ١:٢٣ ، ١:٣١ ، ٢:٣٣ ، ٢ ، ٢:٣٣ ، ١:٣٥ ، ١:٥١ ، ٢:٩٣ ، ٢:١٣٥ ، ٢:١٣٧
بطي يوسف ٢:١٥٢
بغدادي كيورك ١:١٤٣
بندان ١:٢٦
بندو ٤
بقجي ٢:٤٨
بكاوات ٢:٤٤
بلطي ١:٩٠
بليط ٢:١ ، ٢:٥ ، ٢:١١ ، ١:٢٥ ، ١:٣٦ ، ٢:٣٩ ، ٢:٦٣ ، ١:٩١ ، ٢:٩٣ ، ٢:١٠٨
بليط الياس ١:١٧ ، ٢:١٠٨ ، ٢:١٥٦
بليط بولس القس ٢:٨٨
بليط جبرا ٢:٣٦ ، ١:٤٤ ، ١:٦٩ ، ٢:٨٨ ، ٢:٨٩ ، ١:١١٢ ، ١:١٣٤ ، ٢:١٥٦
بليط جبرائيل ١:٧٧ ، ٢:٨٩ ، ٢:٩٩
بليط جرجس ٢:١
بليط جرجس الياس ٢:١٤٢
بليط شكرالله ٢:٥٥ ، ١:٩٠
بليط غريغوريوس ٦ ، ٢:٨٨ ، ١:٩٤ ، ٢:١٢٦ ، ٢:١٥٥
بليط فتح‌الله ٢:٣٢
بليط ميخائيل ٢:٨٣ ، ١:٨٤
بليط نصرالله ١:١١ ، ٢:٩٩ ، ١:١١٢ ، ٢:١١٥

بليط نعمةالله ١٥٦ : ٢
بنتيفوليو Bentivoglio ٦ ، ٢ : ٢٦ ، ٢ : ٢٩ ، ٢ : ٥١ ، ٢ : ٦٤ ، ١ : ٦٤
بندقي ٤ ، ١ : ٥٩ ، ٢ : ٧٢ ، ٢ : ١٢٦ ، ٢ : ١٢٦
بندقي حنا ١ : ٨٣
بندلي ٤ ، ١ : ٦٠
بنّي ٨ : ٢
بهاءالدين المفتي ١٤٩ : ٢ ، ١ : ١٥٠ ، ١ : ١٥٠ ، ٢ : ١٥٠
بهنا ١٠ : ٢ ، ١ : ٩١ ، ٢ : ١١٥ ، ١ : ١٥١
بهنان ١٤٧ : ٢ ، ١ : ٦٠
بوبولاني Popolani ١ : ١٣٠
بوخير ١٤٠ : ٢
بودي Poche ١١٥ : ٢
بوربار Pourrière ١ : ٥٨
بوشتي Bochti ١٢٥ : ٢
بولاكي الرومي ١١ : ٢
بولص انور ١٤٦ : ٢
بيريه Bérier ١ : ١٢٠
بيليوس* Belilios ٧١ : ٢
بيوس البابا ١٣٥ : ٢
تاتارلر ٦٨ : ٢
تاجر ٥ ، ٣١ : ٢ ، ١٠٨ : ٢
تاجر انطون ١٤٩ : ١ ، ١٥١ : ١
تاجر اوغلي ٥ ، ١٦ : ٢
تاجر شكرالله ١٤٣ : ٢ ، ٩٤ : ٢
تاجر لبوس ١٥٠ : ٢
تاجر نصري ١٤٨ : ١
تره سنتا Terra Santa ٦٣ : ١
تركان ١٤٨ : ٢
تركان نوم ٣٠ : ١
تركماني ٥ ، ٨ : ١ ، ١٨ : ٢ ، ٢٤ : ٢ ، ٢٤ : ٢ ، ٢٧ : ٢ ، ٣٠ : ١ ، ٦٥ : ١ ، ٧٧ : ١ ، ١٦ : ١
تركماني يوسف ١٤٧ : ٢
ترمزي ٢ ، ٩٣ : ١
توتائيل ٥٨ : ١
توتل ٥ ، ٥١ : ١ ، ٥٣ : ١
توتل رأفت ٥٨ : ١
توتونجي ١١٨ : ٢ ، ١٣١ : ١
توتونجي المطران ١٤٩ : ١
تورنيز Tournebize ٦٧ : ٢
توما ١١٢ : ٢ ، ١٢٧ : ٢ ، ١٤٣ : ١
تومازيني Tomazini ١ : ٢ ، ١٧ : ١ ، ١١٢ : ٢
تيناوي ٣ : ١ ، ٥ : ١ ، ٢٧ : ٢ ، ١١٤ : ٢
ثابت ٥ ، ٢٤ : ٢ ، ٢٩ : ٢ ، ٣٦ : ٢ ، ٩١ : ١ ، ١٠٩ : ٢ ، ١٥٣ : ١
ثابت جرجي ٩٥ : ١ ، ١٠٥ : ١
ثابت رزق‌الله ٩٠ : ٢ ، ١٥٢ : ٢
ثابت شكري ٣١ : ٢ ، ٩٥ : ١ ، ١٥٣ : ٢
ثابت عبدالله ١ : ١
ثابت خائيل ٣
ثابت نوم ١٠٥ : ٢
ثريا باشا ٦ ، ١٢٥ : ١ ، ١٢٥ : ٢ ، ١٣٦ : ٢ ، ١٣٦ : ٢ ، ١٣٠ : ٢ ، ١٣٧ : ٢ ، ١٣٨ : ٢ ، ١٤٨ : ٢ ، ١٤٩ : ١ ، ١٥١ : ١
جانجي ٥ ، ١٢١ : ١
جاني بولص ٨٣ : ١
جبران ١٠٠ : ١ ، ١٢٧ : ١
جبيتر ١٢١ : ٣
جدّ ٥ ، ٨ : ١ ، ٤٧ : ٢ ، ٨٩ : ٢ ، ١١١ : ٢ ، ١٥٥ : ١

*) جاء هذا الاسم في سجلات قنصلية النمسة المحفوظة حالاً في القنصلية الايطالية في حلب – اول من ذكر من هذه الاسرة اليهودية مناحم بيليوس ١٨٣٧ .

جد الحكيم ٢:٢٢ ، ١:٢٣ ، ٢:٤٤
جد انطون ١:٧٧ ، ٣:٩٩ ، ٢:١٢٦
جرجي سمعان ٢:٥٥
جروه ١:٥٨
جروه بطرس ١:١٥١
جروه روفائيل ١:١٥١
جروه مخائيل ١:١٢٧
جرنا ابن — ٢:٧٦
جفروا Geofroy ٦ ، ٢:٢٦ ، ٢:١٣٤ ، ١:١٣٥
جليا ٥
جمل ٥
جنادري ٢:١٧ ، ٢:٣٨
جنبرت ٥ ، ٢:٤٦ ، ٢:١٤٧
جنبرت مخائيل ١:٤٥ ، ١:٥٦
جنبير ٥ ، ٢:١ ، ٢:٩٤
جنبير حنا ٢:١٣٢
جنّ ٢:١٥٢
جن رزق‌الله ١:١٥٣
جنو ٢:٨٣ ، ٢:٩٣ ، ٢:١١٩
جنو نعمة الله ٢:٢٢ ، ١:٤٤ ، ٢:٥٥
جهامي ٥ ، ٢:٥ ، ١:٣٥ ، ٢:٤٤ ، ٢:٦٠ ، ١:٩١ ، ١:١١٢ ، ٢:١١٣ ، ١:١٤٠
جهامي الياس ٢:٩ ، ٢:٨٨ ، ٢:٨٨
جهامي رزق‌الله ٢:١٤٥
جهامي عبدالله ٢:١٩ ، ١:١٣٨
جهامي غره ٢:١١٣ ، ١:١٥٣
جهامي كتر ٢:١٠١
جهامي فتح‌الله ١:١٠١
جهامي نعمة الله ٢:١١٥ ، ٢:١١٩
جوان ١:١٣٥
جوستيني Giustini ٢:٣٧
جوغلاظ ١:٢٥
جوليان Julien ٢:٤

جيس Guys ٢ ، ٦ ، ٢:٥٥
حاتم ٥ ، ١:٤٣
حاتم بولس المطران ٦ ، ١:٨٦ ، ١:١٢٣ ، ١:١٣٠ ، ١:١٣٢ ، ٢:١٣٩
حاتم يوسف القس ٢:٢٢
حاج محمد كامل باشا ٦ ، ٢:٤٤
حافظ ٢:٧٦ ، ٢:٧٧ ، ١:٨٥ ، ٢:٨٧
حايك جرجي ٢:١١٧
حائك يوسف المطران ٦ ، ٢:٢٩ ، ٢:٤٣ ، ٣:٦٢ ، ١:٧٨ ، ٢:١٢١ ، ١:١٥١
حجار ٥ ، ١:١١٢ ، ٢:١١٦
حجه ٥ ، ٨ ، ٢:٣٧ ، ٢:٩١
حجه بتراكي ٢:١٧ ، ٢:١٢٤
حجه سمعان ٢:١٨ ، ٢:١٥١
حجه نصري ٢:٧٥
حجه يوسف ٢:٩١
حداد ٥
حداد المنوري جرجس ٢:٣٩
حداد حنا ٢:٧٠
حسّون رزق‌الله ٣
حسّون فتح‌الله ١:١٠٠
حسّون عبدالله ٢:٥٥ ، ٢:١٢٧
حسّون نعوم ٢:٢٧ ، ١:١٠٠
حسّونيان ٢:٨٨
حصروني ٢:١٤٦
حفّار ٥ ، ٢:١١٧
حفّار القبور ٢:١٢٧
حكيم ٥ ، ٢:٣٢
حكيم ابراهيم ١:١٢٢
حكيم ارسانيوس ٢:١٢٢
حكيم جرجي ١:١٤١
حكيم حنا ٢:٣٩
حكيم روفائيل ولويس ٢:٤٤
حكيم كسيلا الراهبة ١:١٢٢

حكيم لويس ٥ : ٢ ، ١٨ : ١
حكيم مكسيموس ٢٢ : ١
حكيم نصرالله ١٢٢ : ٢
حلاق ٥ ، ١ : ١ ، ١٩ : ٢ ، ٢٤ : ١
حلاق وانيس ٥٥ : ٢
حلاق يوسف ٧٠ : ٢
حمدي باشا ٢ : ٢ ، ١٦ : ٢
حمصاني ٥ ، ٥ : ١ ، ٧ : ٢
حمصي ٥ ، ١٠ : ٢ ، ٢٩ : ٢ ، ٣٢ : ٢ ، ٥٣ : ٢ ، ٥٦ : ٢ ، ٧٦ : ٢ ، ١٥١ : ١
حمصي اليان ٦ : ٢ ، ٣٨ : ٢ ، ١١١ : ١
حمصي انطون ٨٣ : ١
حمصي بطرس ٤٧ : ٢ ، ٥٩ : ٢ ، ٨٦ : ١ ، ١٢٥ : ١ ، ١٣٥ : ٢
حمصي فتح‌الله ٥٥ : ٢
حمصي قسطاكي ١١٧ : ١
حمصي نصرالله ٥٥ : ٢
حمصي نعوم ٥٥ : ٢
حموي ٥
حوشب* جبرائيل ٥٨ : ١
حوّا** جبرائيل ٧٥ : ٢ ، ١١٥ : ١
حوّا جرمانوس ٩٥ : ١ ، ١٠٥ : ٢ ، ١١٢ : ٢ ، ١٣٤ : ١ ، ١٣٥ : ١ ، ١٣٩ : ٢ ، ١٤٠ : ١ ، ١٤٩ : ١ ، ١٥٠ : ٢ ، ١٥١ : ١
حوّا شكرالله ١٣٩ : ١ ، ١٤٣ : ٢
خاتون شاه ١١٥ : ١ ، ١٣٥ : ٢
خاجيك ٢ : ١
خاطي ٤٨ : ١ ، ٥٥ : ٢ ، ٩١٩ : ٢
خاطي انطون ٣٥ : ١ ، ٣٩ : ١
خاطي نعوم ٩٤ : ٢ ، ١٤ : ٢
خانجي الياس ٥ ، ١١٢ : ١
خجدور ٦٩ : ١
خرشيد باشا ٢٥ : ٢ ، ٨٧ : ٢
خشفه ٥ ، ١١ : ٢
خليل ٧٧ : ١ ، ١٢٧ : ١ ، ١٣٥ : ١
خليل آغا ١٣٧ : ٢ ، ١٤٨ : ٢ ، ١٥٢ : ١ ، ١٥٢ : ٢
خليل نعوم ١٥٣ : ٢
خوري ٥ ، ٣٢ : ١ ، ٧٧ : ١ ، ٩٢ : ٢ ، ١٠٩ : ٢ ، ١١٦ : ٢ ، ١٥٣ : ١

* جاء ذكر حوشب ١٢ مرة في سجل معمودية الموارنة بين ١٦٦٦ وكانت المرة الاولى في عماد بطرس رزق‌الله حوشب في ١٥ ك ١ ١٦٦٦

** وجاء ذكر حوّا ٣٢ مرة في سجل معمودية الطائفة المارونية ولليت اثار خطية عديدة محفوظة في خزانة الوثائق المخطوطة في دار الاسقفية المارونية وفيها شجرة العائلة واول من ذكر منها توما حوّا وقد حمل على جرن المعمودية في ٧ ت ٢ ١٦٦٦

وجاء ذكر حوّا في ٢٢ ك ١ ١٨١٩ في لائحة الروم الكاثوليك المعمدين عند الموارنة

ومن هذا البيت المطران جرمانوس حوّا ارتسم في ١ تموز ١٨٠٤ وتوفي بالطاعون في ٢٣ حزيران ١٨٣٧ والقس جبرائيل حوّا توفي في ٣ حزيران ١٧٩٦ والقس شكرالله حوّا مات ودفن في كنيسة حلب في ٤ ك ٢ ١٨٤٧

والاب يوسف حوّا اليسوعي ولد في ٢٠ شباط ١٨٥١ ودخل الرهبانية اليسوعية في ١٤ ك ٢ ١٨٨٢ وتوفي في عينبل في بلاد بشارة ايام الحرب الكبرى وهو واضع القاموس العربي الانكليزي (والى اسم حوّا ينسبون اسم شركة التلغرافات الكبرى المعروفة Havas ونذكر النسبة ولا نبت في حقيقتها)

خوري بولس ٢:٣٧
خوري جبرا ٢:٥٥ ، ١:١٤٨
خوري جرجي ٢:٧٧
خوري حنا ٢:٥٥ ، ١:١١٥ ، ٢:١١٥
خوري شكري ٢:٩٧ ، ١:١٤٨
خوري عبدالله ٢:١١٧
خوري عنائيل ٢:٤٧ ، ١:٨٣
خوري مرهوم ١:٩٢
خوري نعوم ٢:٨٨
خوري نصري ١:٦ ، ٢:٩ ، ٢:٩٧
خوكاز انطون ٢:٧٨ ، ٢:١٤٣
خوكاز حنا ٢:١٤٣ ، ١:١١١ ، ١:١١٦ ، ١:١٤١
خيري ١:٢
خياط ٥ ، ٢:٦ ، ١:١٢٢
خياط فتح الله ١:١٤١
خياط يوسف ٢:٥٣ ، ١:٧٢
دالاتي ٢:٢٨
داود خاجيك ٥
داود باشا ٢:٩٣
دب ٥ ، ١:٦٠
دب نصرالله ١:١٠٥
دباغ ٥ ، ١:١٥١
دبانه جرجي ٢:٥٩
دروز ٢:٣٠ ، ٢:٧٥
دقاق ٥ ، ٢:٣١ ، ٢:٣٦
دقاق جبرا ١:١٣٨
دلافالت Delavalette ٢:٩٣
دلال ١:٢ ، ١:١٩ ، ٢:٣١ ، ٢:٣١ ، ٢:٤٩ ، ١:٥٩ ، ١:٧٢ ، ٢:٧٦ ، ٢:٨٢ ، ١ ، ٢:١٠٩ ، ٢:١٣٥ ، ٢:١٤٠ ، ١:١٤٢ ، ٢:١٥٠
دلال جبرائيل ٤ ، ٢:٩٨ ، ٢:١٢٤ ، ٢:١٢٩
دلال موسه ٢:٣٣
دلال صوفي ٢:١١٤
دلال لوسيا ١:١٥٤
دلال نصرالله ١:٥ ، ٢:٩ ، ٢:٩٥ ، ٢:١١٣ ، ٢ ، ٢:١٢١
دلال نصري ١:١٣٥
دمق لويس ١:١١١ ، ١:١١٦
دوش ١:٣١ ، ١:١٣٤
دوناطو ٢:٦٣ ، ١:١٢٠
دوناطو انطون ٢:١٩
دوناطو لويس ٢:١٣٨
دنيكلي ٢:١٣
دوجه جي اوغلي ١:١٤٧
دوجي ١:٩٦
دياب ٢:١٤٩
دياب فتح الله ٢:٧٣
دياب يوسف ١:١٥١
ديب ٢:٥٥
ديدكوز ٢:٥٥
دير اروتين ٥ ، ٢:٩ ، ١:١١
دير اروتين انطون ٢:١٤٨
دير اروتين بطرس ٥ ، ١:١٠٩
دير ميكائيل ٥ ، ٢:٧
دي سوزا ٢:١٧ ، ٢:٣٠ De Suza
ديك ٢:١٥٠
ديمتريوس انطاكي المطران ٦ ، ٢:٥٥ ، ٢:٨١ ، ٢ ، ١:٩٤ ، ١:١٢٨
راجي الياس ١:٢٥ ، ٢:١٥٦ ، ٢:١٥٦
راهبات مار يوسف ٢:٩٢
رباط ٥ ، ٢:١٠٥ ، ١:١٣٤
رباط الياس ٢:٧٦
رباط انطون ١٠ ، ٢:١١٥
رباط جبرائيل القس ١:٤ ، ١:١٥١
رباط جرجي ٢:٢٦ ، ١:١٣٤
رباط يوسف ١:٩
رجب باشا ٢:٦٢

رشدي باشا ٢:٤٤
رعد ٥
رعد حنا ٢:٣٢
رعد شكرالله مخائيل حنا ٢:٥٥
رمضان آغا ٢:٧٦
ر م ك ٢:١٠٦
روالا ١:٦٤
روم ٢:٤٧ ، ٢:٥٥ ، ٢:٧٥ ، ٢:٩٣
روم ارثودكس ٢:٥٥
روبيني ٢:١٤
ريفا ٢:١٧
ريان ٥ ، ٢:١٩ ، ٢:٢٧
زريق ٥
زريق رفول ٢:١١٦
زلوم ٥ ، ٢:٤٣ ، ٢:٨٨ ، ٢:١٢٨ ، ١:١٤١ ، ١:١٤٢
زلوم فرج الله ٢:٦٠ ، ٢:١٠١ ، ٢:١٥٠ ، ٢ ، ٢:١٥٠ ، ١:١٤٢
زمريا ٢:٩ ، ٢:١٧ ، ٢:٣٠
زمريا نعوم ١:١٠٥
زنده ١:١٣٥
زنكيه ٥ ، ٢:٢٧ ، ٢:٣٧
زوين جرجس الخوري ٢:١١
سابا مخائيل ١:١١١
ساحلاني ٢:١٥٦
سالم – ترجمة الاسرة ٢:١١٤
سالم ٥ ، ٢:٦ ، ٢:١٢ ، ٢:٢٠ ، ١:٢١ ، ١:٢٢ ، ١:٢٤ ، ١:٣٥ ، ١:٣٣ ، ٢:٣٣ ، ١:٣٧ ، ٢:٤٦ ، ٢:٧٠ ، ١:٧٤ ، ٢:٧٦ ، ٢ ، ١:٧٤ ، ٢:٩٣ ، ٢:٩٤ ، ٢:١٠٠ ، ١ ، ٢:١١٥ ، ١:١٢٠
سالم ادلا ١:٨٢
سالم اسمى ١:٥٨
سالم حبيب ١:٤٦ ، ٢:٤٨ ، ٢:٨١
سالم حنا ٢:٥٢ ، ٢:٩٦
سالم جرجي ٢:٣٩ ، ١:٨٤ ، ١:٩٨ ، ٢:١٢٩ ، ١:١٣٠ ، ٢:١٤٧
سالم رزق الله ٢:٨٩ ، ٢:١١٧ ، ٢:١٢١ ، ٢:١٣٣ ، ٢:١٤٥
سالم سوسه ٢:٢٨
سالم عبدالله ٢:١٦ ، ٢:٢٩ ، ٢:٥٥ ، ٢:٦٠ ، ١ ، ٢:٨٩ ، ٢:١٠٩
سالم غره ١٧ : ١ ، ٩٠ : ٢ ، ٢:١١٤ ، ١:١٢٨
سالم قسطاكي ١:٢
سالم لويزا ١:٤٧
سالم ميليا ١:٥٨ ؛ ٢:٧٠
سالم نعوم ١:١٠ ، ٢:٢٠ ، ١:٥٠ ، ١:٥٨ ، ٢:٧٥ ، ٢:٩٠ ، ٢:١١٤
ساله ٥ ، ٢:٥٣
ساله بطرس القس ٢:١١٠ ، ١:١٥١
سبع الياس ٢:٨٦
ست ١:١٤٣
سراج الدين ٥ ، ٢
سرور ٥ ، ٢:٥٩
سريان ٢:٥٥ ، ٢:٧٥
سعيد باشا ٢:١٢١
سفال ٥ ، ٢:٨٠ ، ١:١٤٤
سفال انطون ١:٧٧
سفينه ١:٩٩
سكر ٧ ، ٢:٣١ ، ٢:٣٤ ، ١:٣٥ ، ١:٤٦ ، ٢ ، ٢:١١٣ ، ٢:١٣١
سكزان ٢:٧٤
سكين القنصل الانكليزي ٢:٣٥ ، Skine ٢:٥١ ، ١:٥٤ ، ١:٦٤ ، ١:٧١ ، ٢:٧٤ ، ٢:٩٩ ، ١:١٤٢ ، ١:١٥٢
سليمان ٥
سليمان باشا ١:١٥٢

سمحيري انطون البطرك ٢٢ : ١ ، ٣٩ : ٢ ، ٢٩ : ٢ ، ٤٤ : ٢ ، ٦٢ : ٢ ، ١٠٨ : ١ ، ١٤٤ : ١ ، ١٤٥ : ٢
سمان* ٥ ، ٥٩ : ١ ، ٦٧ : ٢
سمان مكاريوس المطران ٩٨ : ١
سمان يوسف انطون ١٣٩ : ٢
سميان ١٢ : ٢
سنان ٥٠ : ٢
سوسان اخت كيورك ٥٥ : ٢
سوكياس ٥ ، ٦ : ٢ ، ٨ : ٢ ، ٤٩ : ٢ ، ٥٠ : ١ ، ٥٧ : ٢ ، ٥٩ : ١ ، ٧٣ : ٢ ، ٧٧ : ١ ، ٨٢ : ١ ، ٨٥ : ١ ، ١٠١ : ٢ ، ١٠٥ : ٢ ، ١٠٦ : ٢ ، ١١٥ : ١ ، ١٢١ : ١ ، ١٢١ : ٢ ، ١٣٩ : ١ ، ١٥١ : ١ ، ١٥٣ : ٢ ، ١٥٦ : ١ ، ١٥٦ : ٢
سوكياس رزق‌الله ١٥٤ : ٢
سوكياس سيود ١٠٥ : ١ ، ١٣٢ : ١
سيوني ٥ ، ١١٦ : ١ ، ١٢٧ : ١ ، ١٣٩ : ١ ، ١٥١ : ١ ، ١٥٣ : ١ ، ١٥٤ : ١
سيوني اكريجان ٥٧ : ٢
سيوني الياس ٦٠ : ٢ ، ١٥٤ : ٢
سيوني جرجي ٧٧ : ٢ ، ١٤٢ : ٢
سيوني كرابيت ٥٧ : ٢ ، ١٢٥ : ٢
سيوني كركور ١١ : ٢
سيار جرجس البطرك ١٠٨ : ٢
شاشاتي ٥ ، ٦٠ : ١
شاترى دي لفوس ٦ ، ٧٧ : ٢ ، ٨٦ : ٢ ، ٨٩ : ٢ ، ١٠٤ : ١ Chatry de la Fosse
شامي ٥ ، ١٢٥ : ٢ ، ١٣٤ : ١
شامي رفول ٣٢ : ١
شامي فتح‌الله ٢٩ : ١
شامي يوسف ٩٣ : ٢
شاهين ٥ ، ٧٨ : ١ ، ٨٤ : ١ ، ٨٨ : ٢ ، ٩١ : ١ ، ٩٢ : ٢
شاهيات ٧٥ : ٢ ، ١٢١ : ١ ، ١٥٠ : ٢
شاهيات الياس ٩٧ : ٢
شاهيات فتح‌الله ١١٨ : ٢
شاهيات متري القس ٩٩ : ٢
شبشول حنا ١٤٣ : ٢
شدياق ٥ ، ٢٥ : ١ ، ٣٢ : ١ ، ٧٨ : ٢ ، ١١٥ : ٢ ، ١١٧ : ٢
شدياق انطون ٨٩ : ٢
شدياق شكرالله ٥٩ : ٢
شدياق لويس ١١٧ : ٢
شدياق مخائيل ١٤٦ : ١
شمان ٤٣ : ٢ ، ١٥٠ : ٢
شمراوي ٥ ، ٤٤ : ١ ، ٥٩ : ١ ، ٩٠ : ١ ، ٩٤ : ١ ، ١٤٢ : ١
شمراوي انطون ٥٢ : ٢ ، ١٣٢ : ١ ، ١٠٥ : ١
شمراوي باسيليوس القس ١٠٥ : ٢
شمراوي جرجي ٥٦ : ٢ ، ١٣٧ : ٢
شمراوي رزق‌الله ٧٠ : ٢ ، ١١٢ : ٢
شمراوي فيكتورين ٥٨ : ١
شمراوي مازو ٩٦ : ٢
شمراوي نعوم ٩١ : ١
شقال ٥ ، ٧٥ : ٢ ، ٩٢ : ٢ ، ١٣٤ : ٢
شقال الشماس الانجيلي ١٥٤ : ٢
شقال يوسف ١٥١ : ١
شكورلي مصطفى باشا ٢٨ : ٢
شكير جبرائيل القس ١٢١ : ٢
شلحت ١١٧ : ٢ ، ١٣١ : ١ ، ١٥٥ : ٢
شلحت الياس ١٠٢ : ٢

* جاء ذكر يوسف بن مخايل خلوف السمان في ٢٧ آب ١٨٢١ في لائحة المعمدين عند الموارنة من الروم الكاثوليك.

شلحت جرجس ١:٥٧ ، ١:٦٣ ، ١:٦٧ ، ٢:٧١ ، ٢:٩١ ، ١:٩٤ ، ١:١٠٠ ، ١:١٠٦ ، ٢:١٠٧ ، ٢:١٠٨ ، ٢:١٠٩ ، ٢:١٠٩ ، ١:١١٠ ، ٢:١١٧ ، ٢:١٢١ ، ٢:١٢٥ ، ١:١٣٣ ، ١:١٣٤ ، ١:١٣٨ ، ٢:١٣٩ ، ٢:١٤٤ ، ٢:١٤٥ ، ٢:١٤٥ ، ١:١٤٦ ، ٢:١٤٦ ، ٢:١٥٦
شمعون ٥ . وجاء ذكره في سجل عماد الموارنة في ٢٧ ايلول ١٦٧١
شاس ٥ ، ٢:٣٩
شاس جبرا ٢:١١٤
شاس نعوم ٢:١٤٩
شاس يوسف ١:٧٨
شاسية ٥ ، ٢:٩٥ ، ١:٩٦ ، ٢:٩٦
شاع ٥ ، ١:٧٧
شاع انطون ٢:١٠
شاع يوسف ١:١٥١
شوايا ٢:١٤٨
شوغا ١:١٢١
شوكتلي ٥ ، ١:١ ، ٢:٨ ، ٢:١١ ، ٢:١٢ ، ٢ ، ٢:٢٢ ، ١:٢٣ ، ٢:٢٧ ، ٢:٣٢ ، ٢:٥١ ، ١:٥٤ ، ١:٦٩ ، ٢:٧٤ ، ٢:٧٦ ، ٢ ، ٢:٧٦ ، ٢:١٠٦ ، ٢:١١٠ ، ٢:١٣٥ ، ١ ، ١:١٤٤ ، ١:١٥١
شوكتلي اميل ٢:١٠٩
شوكتلي عبدالله ١:٢٢ ، ١:١٣١
شوكتلي فرنسيس ٢:٣ ، ٢:٣٩ ، ٢:١٠٩
شوكتلي نعوم ٢:١٧
شوكتلي يوسف ٢:٢٥ ، ٢:٣٨ ، ١:٤٢
شيبان مخائيل ٢:١٢٢
شيتي ١:١٣٩
شيخو ١٠
صاجاتي ٥ ، ١:٣٥ ، ٢:٤٧ ، ١:٥٧ ، ٢:٦٢ ، ٢:٧٧ ، ٢:٨٣ ، ٢:٩٣ ، ٢:٩٧ ، ٢ ، ١:١٠٥ ، ٢:١١٣ ، ٢:١١٨ ، ١:١٢١
صاجاتي باسيل ٢:١٤٧
صاجاتي بكتور عمانويل ١:١٤٦
صاجاتي كتر ٢:١٦
صاجاتي مارو ٢:٤٩
صاجاتي نعوم ١:١٤٥ ، ١:١٤٦
صادر ١:٢ ، ٢:٧٤ ، ١:١١٠
صادر مريانا ١:١٣٥
صايغ ٥ ، ٢:١٨ ، ٢:٢٤ ، ٢:٣٧ ، ١:٧٧ ، ٢:٨٦ ، ١ ، ١:١١٢ ، ٢:١١٥ ، ٢:١٥٦
صايغ الياس ٢:١٥٥
صايغ انطون ٢:٢٦ ، ٢:١٥٤
صايغ جبرا ٢:٥٥ ، ٢:٥٩
صايغ جرجي ٢:١٥٤
صايغ حنا ٢:٩ ، ٢:١١٧ ، ٢:١٣٩
صايغ رزق‌الله ٢:١٥٤
صايغ شكرالله ١:٩٧
صايغ عبدالله ٢:٤٢ ، ٢:١٥٢
صايغ غنوسطوس ٢:٩١
صايغ مخائيل ١:٨ ، ٢:١٢٦
صايغ نعوم ٢:٣٣ ، ١:٨٢ ، ٢:١١٤ ، ٢:١٢٥ ، ٢:١٢٧ ، ١:١٤٥
صايغ نيقولاكي ٢:١١
صايغ يوسف ١:٩٧ ، ١:١٤٩
صباغ ١:٣٦ ، ١:٦٠
صباغ اكوب ١:٩٣ ، ١:١٠٠
صباغ بولس ٢:٧٣ ، ١:٧٨ ، ٢:٩٣ ، ٢:١١٠ ، ١:١٥١
صباغ شكور ٢:١٥٥
صباغ غنوسطوس ٢:٩١
صباغ فتح‌الله ٢:٥٥
صباغ لويس ٢:٥٩
صباغ نعمةالله ٢:١٨ ، ١:١٥١ ، ١:٥٥ ،

٢:١٥٥
صباغ يوسف ١:١٠٥
صدف فتح‌الله ٢:٩٠
صريدار ٢:٣٣
صراف حبيب ٢:٧٢
صمب ١:٥٣
صمب باسيليوس ٥ ، ٢:٤٦ ، ١:١٥١
صفرا جبرائيل ٢:٢٣
صقير حنه ٢:١٠٩
صقال* انطون ٣
صلابا ٢:٨
صندوق ٥ ، ١:٦ ، ٢:٧ ، ١:١١٩ ، ١:١٢١
صوامنة ٢:٨٦
صوفي ٥
صولا ١:٤٠ ، ٢:١٣٥
صولا ميشيل ١:٢٨ ، ٢:٤٠
ضاهر ٥ ، ١:١ ، ٢:١ ، ٢:٤ ، ١:٩ ، ١:٢٧ ، ٢:٣٣ ، ٢:٣٩ ، ١:٥٠ ، ١:٩٣ ، ١:٩٤ ، ٢:١١٧ ، ١:١١٨ ، ٢:١٥٦
ضاهر الياس ١:٧ ، ١:١٠ ، ١:٤٣ ، ٢:٥٥ ، ٢:١٠٥ ، ١:١٢٥
ضاهر انطوناكي ٢:٣٣ ، ١:٥٤ ، ٢:٩١ ، ٢:١١٠ ، ٢:١١٣ ، ٢:١١٤ ، ١:١٤٢ ، ٢:١٥٦
ضاهر جرجي ٢:٦ ، ١:٣٩ ، ٢:٥٥ ، ٢:١١٧ ، ١:١٢٩
ضاهر فرج‌الله ٢:٨٨ ، ١:٩٧ ، ٢:١٣٠ ، ٢:١٤٤ ، ٢:١٥٣
ضاهر مخائيل ١:١٥١
ضاهر مسدول ١:٢٧ ، ٢:٢٨ ، ٢:٢٩ ، ١:٩٧ أ ، ١:١٢٦
ضاهر نعوم ٢:٩ ، ١:٢١ ، ٢:١٤٠
ضوناتو ٢:١٠ ، ١:٤٠
طاره انطون ٢:١٦
طاها ٨ ، ١:٣ ، ٢:٩ ، ٢:٣٣ ، ٢:٣٥
طباخ ١:٢ ، ١:٢٥
طباخ راغب المؤرخ ١:٢ ، ٢:١٦ ، ٢:٥٥ ، ٢ ، ١:٥٩ ، ٢:٧٤ ، ١:٩٥ ، ٢:١٥٠
طحان ١:١ ، ١:٣ ، ٢:٥٥ ، جاء ذكر نعمة الله بن خليل طحان في ١٤ ت ١ ١٨٢٠ في ركم
طحان فتوح ٥ ، ١:٣٧ ، ٢:٥٧
طرازي ١:١٢٦
طرازي نعوم ٢:١٢٥
طرابيشي ٥ ، ١:٢٧
طلعت افندي ٢:٧٧
طنبرجي حنا ٢:١٤٠
طنبه ١:١١٤ ، ١:١٣٦ ، ١:١٥٣
طنبه رزق ٢:١٥٢
طنبه فتح الله ٢:١٤٠
طنبه يوسف ٢:١٥٦
طهاز ٢:١٢٠
طويل بطرس ١:٤٣ ، ١:٤٣
ظاظ ٥
عازار ٥ ، ١:٨ ، ٢:٣٥
عازار انطانيوس ٢:٧ ، ١:٢٩ ، ١:٤٦ ، ٢:١٣٩
عازار اوغسطين ٢:١١
عازار نعوم ١:٢٥ ، ٢:١٤٢
عاصي ٢:٩٧
عاقل ١:٨٢

* جاء ذكر مرتا بنت نعمة‌الله متري صقال في لائحة المسدين عند الموارنة من الروم الكاثوليك في ٢٥ شباط ١٨٢٣

عبرش ١ : ٢
عبجي ٥ ، ٢ : ٥٢ ، ٢ : ٥٥ ، ٢ : ١٤٣ ، ١ : ١٤٣
عبجي انطون ٢ : ٥٥ ، ٢ : ١١٨ ، ٢ : ١٥٣
عبجي رفّول ٢ : ٨٣
عبجي رزق‌الله ١ : ١٤
عبجي فتح‌الله ١ : ٢٨ ، ٢ : ٤٣ ، ٢ : ١١٤ ، ٢ : ١٢١ ، ٢ : ١٣٥
عبجي نعوم ١ : ٣ ، ٢ : ٥ ، ٢ : ٣١ ، ١ : ١٤١ ، ٢ : ١٤٤
عبد الاحد شكري ٢ : ٦٣ ، ١ : ٩٤
عبد الحسيد ٣ ، ٢ : ٣٨
عبد العزيز ٢ : ٩٢ ، ٢ : ٩٣ ، ٢ : ٩٣ ، ١ : ١٥١ ، ٢ : ١١٧ ، ٢ : ٤
عبد المجيد ٣٥ : ٢ ، ١ : ٥٩ ، ٢ : ٦٢ ، ٢ : ٩٢
عبد المسيح ٥
عبدني ٢ : ٤٣ ، ١ : ٦٤
عبدني فرج‌الله ٢ : ١٢٢ ، ٢ : ١٤٧
عبدني موسى ١٤٧ : ٢
عبدني يوسف ١ : ١٠٧ ، ١ : ١٣٦ ، ١ : ١٤٧ ، ٢ ، ١ : ١٥١
عجم ٥ ، ٢ : ٦٨
عجم فتح‌الله ٢ : ٨٩
عجم مخائيل ٢ : ٩٧
عجمي ١ : ٧٨
عجوري ١ : ٤ ، ٢ : ٦ ، ٢ : ٨ ، ٢ : ٢٤ ، ٢ : ٢٩ ، ٢ : ٤٧ ، ٢ : ٦٠ ، ٢ : ٧٦ ، ١ : ١٠٦ ، ٢ : ١١٤ ، ١ : ١١٨ ، ١ : ١١٩ ، ٢ : ١٢٢ ، ١ : ١٣٨ ، ١ : ١٤٢ ، ١ : ١٥١ ، ٢ : ١٥٦
عجوري ادلا ١١٤ : ٢
عجوري الياس ٢ : ٢٧
عجوري انطون ٢ : ٢٧
عجوري انكيفوس ٢ : ٥٥
عجوري توما ٢ : ٨٣
عجوري جرجس ٢ : ٧٨ ، ١ : ٩٦ ، ١ : ٩٧
عجوري حبيب ٢ : ١٠٨
عجوري عبدالله خوري ٢ : ٥٥
عجوري غره ٢ : ٧ ، ٢ : ١٤٩
عجوري فتح‌الله ١ : ١٢٥
عجوري فرنسيس ٢ : ٣٦ ، ١ : ٦٠ ، ٢ : ٦٨ ، ٢ : ٨٩ ، ٢ : ٤٣ ، ٢ : ٩٦ ، ١ : ١٢١ ، ٢ : ١٤٩
عجوري مخائيل ٢ : ٩٨ ، ١ : ١٢١ ، ١ : ١٤٤ ، ٢ ، ١ : ١٤٥ ، ١ : ١٤٦
عجوري نصري ١ : ٥٩
عرب ١ : ٥٤
عربكرلي ٢ : ٥٥
عرقتنجي ٣٩ : ٢ ، ٢ : ٩٠ ، ١ : ١٣٢ ، ٢ : ١٣٣
عرقتنجي الياس ٢ : ١٤
عرقتنجي شكرالله ١ : ٩٠
عرقتنجي فتح‌الله ١ : ١٤١
عزوز ٥ ، ١ : ٤٠ ، ٢ : ٤٦ ، ٢ : ٤٩ ، ٢ : ١٣٥ ، ١ ، ١ : ١٥٣
عزوز الياس ٢ : ٧٧ ، ٢ : ٩٠
عزوز شكرالله ١١٦ : ٢
عزوز كنر ٢ : ٧٠
عزيزه ٥
عسال كركور ١ : ٣١
عصاني ١٦ : ٢
عصمت باشا ٦ ، ١ : ٨٥ ، ١ : ١٠٤ ، ١ : ١٢٢ ، ٢ ، ١ : ١٢٤ ، ١ : ١٢٥
عصيني ٥
عكاوي ٨٩ : ٢ ، ٢ : ٩٣ ، ١ : ١٠٥ ، ١ : ١١٤ ، ١ ، ١ : ١٢٧
عكاوي الياس ٥ ، ٢ : ٨٥
عكوش ٥ ، ١ : ٧٧
علي باشا ٢ : ٦ ، ٢ : ١٧
علي بك ابن يوسف شريف ٢ : ٢

عمر الناطور ١:١٥١
عمر باشا ١:٣ ، ٢:٢٨ ، ١:٣٠ ، ١:٣٢ ، ١:٤٣ ، ٢:٤٤ ، ٢:٧٦ ، ٢:٧٧
عيسى خان ٢:١٥٦
عيواظ ٢:١١ ، ١:١١٨ ، ٢:١٤٠
عيواظ باسيليوس ٢:٥٥
غابر ١:٤٥
غالي ١:٧٦
غالي الياس ٢:٩٣
غانم يوسف خطار ٢:١١
غزال ٥ ، ١:٥ ، ١:٢٥ ، ٢:١٠٦
غزال حبيب ١:١٥٢
غزال نعمةالله ٢:١٥ ، ٢:٥٥
غزالة ٥ ، ١:١ ، ١:١٣ ، ١:٣٥ ، ١:٥١ ، ٢:٥١ ، ٢:٧٤
غزاله اميليا ٢:٤٧
غزاله غره ١:٤٣
غزالة فتح‌الله ٢:١٠
غزاله لويسا ٢:١ ، ٢:٢ ، ٢:٣٤
غزاله نعمةالله ٢:٩٧ ، ٢:١٠٩
غزي كامل ٢:٥٥ ، ٢:٧٤ ، ١:٩٥ ، ١:٩٦
غضبان ٥
غضبان جرجي ٢:٣٩ ، ١:٥٨
غضبان انطون ٢:٨٨
غلام ٢:١٥١
فارس* ٨
فالرجا Valerga ١:٩٧
فتال** ٥ ، ٢:٧٧ ، ١:١٥١
فجر ١:٣٦ ، ٢:٤٣
فدعان ١:٥٤
فرحات باشا ١:٢
فرحات جرمانوس ٢:١١
فرحات مطر ١:١١٢
فراجه بادروس ٢:٥٥
فرّا ٥
فرقوعه ٢:٧٨ ، ٢:١٣٦ ، ٢:١٣٦
فرقوعه الياس ١:٢٧
فرقوعه انطون ٢:٧
فرنجية ١:٢١
فرنسوا جوزف ٢:١٥٢
فرنسيسكان ١:٣٣ ، ٢:٩٣
فسانه ٩
فستوك مريم ٢:٤٣ : جاء ذكر يوسف الياس بن جبرائيل فستوك في ٢ شباط ١٨٣٤ في (ركم)
فؤاد باشا ٢:١٠ ، ٢:٧٧ ، ١:٨١ ، ١:٨٣ ، ١:٨٦ ، ١:٨٧ ، ٢:١١٩
فلاق ٢:٢٦ Valagues
فيلكروز ٢:١٣ ، ١:٢٥ ، ١:٨٩ Vilecroze
فيلكروز ارنيست ٢:١٣٥
فين ٢:٣١ ، ١:٣٣ ، ١:٣٦ Fine
فين البر ٢:٣٤ ، ١:٣٥ ، ٢:٣٩ ، ٢:٤٠ ، ١:٤٣ ، ٢:٤٦ ، ٢:٥٠
قاق ٢:١٠ جاء في (ركم) ذكر يوسف بن حنا قاق ٢٩ ك١ ١٨٣١
قاق حنا ٢:٣٧
قبالجر ١:٣٢ ، ٢:٣٢

* جاء الاسم في سجل طائفة الموارنة : في ١٥ آب ١٦٦٧ وقفت ترازيا حنا فارس الشبينة

** جاء ذكر ستة اطفال من البيت في (ر ك م) منهم عبدالله بن يوسف عبدو فتال في ١٩ آب ١٨٣١

قجلة ٥ ، ٢:٦٧
قجلة الياس عبدالله ٢:١٥٥
قدشه ٢:١١٧
قديد* ١:٧ ، ٢:١٤
قديد نصري ١:١٤٠
قرألي** ٢ ، ٢:٨
قرألي بولس ٢:١١٤
قرألي شكر الله ٢:٦
قرألي عبدالله ٢:١١٥
قره قوف ١:٢
قسيس ٥ ، ٢:٣٧
قسطون ازرق ١:١١٠
قس نصرالله نوم ٢:١٠٢
قصاب ٥ ، ١:١ ، ٢:٢١ ، ٢:٩٠ ، ٢:٢٨ ، ١:١٣٥
قصاب شكرالله ١:١٩ ، ٢:٥٥
قصاب يوسف ٢:٥٥
قصار بولس القس ١:٣٨
قطرميز ١:١١٥
قلاوص ١:٣٢
قمز مخائيل ٢:٥٥
قنبر جرجي ٢:٢٦
قندلفت ٥ ، ٢:١٣ ، ٢:٢٢ ، ١:٤٥ ، ٢:١١٢ ، ٢:١١٧ ، ٢:١٢٢ ، ١:١٥١
قندلفت نوم ٢:١٢١
قنوعة ٢:١٣٩
قهواتي ١:١٣٥
كاتيكه ١:١٣١
كبابه ٥ ، ٢:١ ، ٢:٥ ، ٢:١٠ ، ٢:٣٣ ، ١:٥١ ، ٢:٩٣ ، ٢:١٠٩ ، ٢:١١٤ ، ٢:١١٧ ، ١:١١٨ ، ١:١٣٥ ، ١:١٤٤ ، ١:١٥١
كبابه ٢:١٥٦
كبابه الياس ٢:٢١ ، ٢:٥٥
كبابه بولاكي ٢:٩٧
كبابه رزق‌الله ٢:١٥٤
كبابه عبدالله ٢:٧٥
كبابه فتح‌الله ١:١ ، ٢:٦
كبابه نصري ٢:٥٥ ، ٢:١٠٥
كبابه نوم ٢:٣٩ ، ٢:١٤٣
كبابه يوسف ٢:٢٠
كنابه ٥
كنفاكو ١:١٣١
كرا الحواني الياس ١:١١٢
كواسه القنصل الافرنسي ٦ ، ٢:٤ Grasset
كرباج ٥
كرباج مريم ٢:٥٠ ، ٢:٥١ ، ١:٥٣ ، ٢:٥٩
كرباج يوسف ٢:١٣٠
كردي الياس ١:١٠٤
كردي انطون ٢:٨
كرزه بخاش ١:٣ ، ٢:٣٣ ، ١:١٢٥
كركور ١:١١٢
كركرز*** ١:١١٨
كرم موسى ٢:١١

* جاء ذكر قديد القس في سجل عماد الطائفة المارونية في ١ حزيران ١٦٦٩ : ترازيا ابنة الياس قديد القس

** جاء ذكره في سجل الطائفة المارونية في ٩ ايلول ١٦٦٧ اذ كانت ام مخائيل قراطي اشينة

*** راجع Bulletin d'Etudes Orientales. Institut français de Damas 1937-1938 : Une farce de Karageuz en dialecte arabe de Damas par Ed+Saussey.

كرونلي الياس ٨٩ : ٢
كرونلي يوسف ١ : ٢
كريم باشا ٢ : ١
كسبار ١٣ : ٢ ، ١٤ : ١ ، ١١٧ : ١ ، ١٥١ : ٢
كسبار زويه ٥٨ : ١
كسفاريوس ٤ : ٢
كفرحاتي ١١٥ : ٢
كلداني ٥٦ : ٢ ، ٧٩ : ٢
كلداني الياس ١٤١ : ١ ، ١٤١ : ٢ ، ١٥٥ : ٢
كلداني جبرائيل ٥٥ : ٢
كلداني مخائيل ١٥٢ : ٢
كلداني قلقجي ١٤٥ : ٢
كلزي ٥ ، ١١٦ : ١
كلزي يوسف ٥٥ : ٢ ، ١٣٩ : ١
كلياني ٦٨ : ٢
كمبفاير ٩ Kampfmayer
كندي يوسف جرجي كندي ٥٥ : ٢
كنيدر ٥ ، ١٣ : ٢ ، ٣١ : ٢ ، ٣٣ : ٢ ، ١٥٦ : ٢
كنيدر حنا ٣٣ : ٢
كنيدر فرنسيس ٤٣ : ١
كوبا ١ : ٢ ، ٣ : ١ ، ٣ : ٢ ، ١٣ : ١ ، ١٢ : ٢ ، ٢٣ : ٢ ، ٢٥ : ١ ، ٩١ : ١ ، ١٠٦ : ١ ، ١١٠ : ١ ، ١٢٥ : ٢ ، ١٥٦ : ٢
كوبا الياس ١٦ : ١
كوبا انطوناكي ٥٨ : ٢ ، ١١٣ : ٢
كوبا سوسه ٥٢ : ٢
كوبا شكرالله ٩٧ : ١ ، ١٠٩ : ١
كوبا لوسيا ٤٣ : ٢
كوبا غرة ١ : ٢ ، ١٩ : ٢
كوبا فتح الله ٥٥ : ٢
كورونلي ١٣ : ٢ ، ٥٢ : ٢ ، ٨٩ : ٢ ، ١١٢ : ١ ، ١١٣ : ١
كوريخ ٣١ : ١ ، ٢٣ : ٢ ، ٤٠ : ١ ، ١٢٧ : ١
كوسا ٥ ، ١٢ : ١ ، ١٣ : ١ ، ٣٥ : ١ ، ٥٣ : ٢
كوسا ادكرت ٥٥ : ٢
كوسا ارنست ١٣٥ : ١
كوسا الياس ٧ : ١ ، ١٢ : ١ ، ٣١ : ٢ ، ١٣٥ : ١
كوسا انطوناكي ٩١ : ٢ ، ٩٢ : ١
كوسا فرنسيس ٣٢ : ١
كوسا فيليب ٦ : ٢ ، ٥٩ : ٢ ، ١٣٥ : ١
كوندولف ١١١ : ٢
كيرلس مطران الروم الاقسي ٥٥ : ٢ ، ٨٧ : ١ ، ٩٥ : ٢ ، ٩٢ : ١
كيورك ٥٥ : ٢
كيال الشيخ ٥٩ : ١ ، ٧٨ : ٢ ، ٨١ : ١ ، ٨٩ : ١ ، ٩٦ : ٢ ، ١٤٦ : ٢
كيال يوسف القس ٩٩ : ٢
لاذقاني انطون ١١٢ : ٢
لاسكريدي ٩٠ : ١
لافيس ورامبو ٢ : ١ Lavisse et Rambaud
ليان ٥ ، ٧٧ : ١
ليثبث Lesseps ٣٢ : ٢
ماردلي يعقوب ٥٥ : ٢
ماردني ١ : ٢ ، ١٤٥ : ٢
ماردني القس ١٤٦ : ١
ماروص ٥
متري انطون ٦٧ : ٢
مجر ٢ : ١
مجروش ٢١ : ٢
محمد رشدي باشا ٤٤ : ٢
محمد علي ٣٠ : ٢
محمد كامل باشا ٦
مخزومه ٥٨ : ١
مخملجي يوسف ٥٥ : ٢
مداراتي افرام ١٥١ : ١
مرتين موسى ١٢٠ : ٢
مرتين كارولين ٤٦ : ٢

مراش ٣٩ : ٢ ، ١١٨ : ١ ، ١٥٣ : ٢
مراش جرجي ٥٥ : ٢
مراش حبيب ١٢٠ : ٢
مراش فتح الله ٢٥ : ١
مراش فرنسيس ٤ ، ٥٣ : ٢ ، ٥٥ : ٢ ، ٨٧ : ٢
مراش نصرالله ٢٤ : ٢ ، ٤٣ : ٢ ، ٤٩ : ١
مرشو او مرهو ؟ ٥٥ : ٢
مرعب ١٥٦ : ١
مرقس القس ١٠٠ : ١ ، ١٤٩ : ١
مركوبولي ٣ : ٢ ، ٥ : ٢ ، ١٧ : ٢ ، ٢١ : ٢ ، ٣٠ : ٢ ، ٣١ : ٢ ، ٣٣ : ٢ ، ٤٠ : ٢ ، ٩٣ : ٢
مرهو بولس او مرشو ٥٥ : ٢
مريانا ١١١ : ١
مريم المقدسية ٥٥ : ٢
مستيق بك ١٤٦ : ٢
مسرّة ٣ ، ١٠
مسكوب ٢ : ١ ، ٢٦ : ١
مسيحيون ٣٠ : ٢
مشاطي ٥
مشاطي انطانيوس ١٥٣ : ١
مشاطية ١٣٠ : ٢
مشحور ٥ ، ٥٩ : ٢ ، ٦٠ : ٢ ، ٩١ : ١ ، ٩٣ : ٢
مشحور نعوم ٥٢ : ٢
مشحور يوسف ١٠٦ : ١
مشق ١٢٧ : ١
مشوكه ٢٨ : ٢ ، ٧١ : ١
مصريون ٤١ : ٢
مصطفى جكودري باشا ١٦ : ٢ ، ٤٤ : ٢
مصفي ١١٦ : ١
مطر جرجس ١ : ٢ ، ١٠ : ٢
مطر يوسف ٦ ، ٤ : ٢ ، ٥٠ : ١ ، ٧٧ : ١ ، ١٤٦ : ٢ ، ١٥٠ : ٢ ، ١٥٢ : ٢ ، ١٥٣ : ٢ ، ١٥٥ : ٢
معري ٥ ، ١٥٠ : ٢
معلوف امين ٨٨ : ١
معلوف عيسى اسكندر ٣
معمرجي ١٥٤ : ١
معمرباشي حنا ١٤٩ : ١ ، ١٤٩ : ٢
معوض ١٢٥ : ١
معوض انطون ١١ : ٢
مقادسه ١٥٣ : ٢
مقدسي فرج الله ١٠٦ : ٢
مقدسي نعمة الله ٧٤ : ٢
مقل فتح الله ١٤٠ : ١
مكاني ١٨ : ٢ ، ٣٣ : ١ ، ٧٦ : ٢
ملتلت ٥ ، ٢٢ : ٢
ملكيون ٣٦ : ٢
ملوف ١١٣ : ١
منش ١٠٠ : ١
موارنة ٤٧ : ٢ ، ٧٥ : ٢ ، ٩٥ : ١ ، ١٥٥ : ٢ ، ١٥٦ : ٢
موسه سنيور بجوتو ١٥٤ : ٢ Pichotto
موسى القس المارونى ١١ : ٢
موصلي ٥ ، ١٣٦ : ٢
موصلي سمعان ٢٤ : ٢
موليناري ٣٢ : ١ ، ٦٩ : ١
موليناري فيكوره ١٥ : ٢ Molinari
ميرزاخان ١٥٦ : ٢
ميشا ٣٩ : ١
ميشيل ٥
ميكائيل ٢٣ : ٢
ميليا ٥
ميناس انطون ٨٨ : ٢
نابوليون ٦ : ٢
نازي الحكيم ٤٠ : ٢
ناقوز ١ : ٢ ، ١١ : ٢ ، ٢٧ : ٢
ناقوز الياس ٦٣ : ٢
ناقوز شكرالله ١٥٦ : ١

ناتوز مخائيل ١:٢٨ ، ٢:١١٢
نجار ٥ جاء في (ركم) ذكر جرجي بن عطاالله نجار ٧ ت١ ١٨٢١
نجو ١:٦٠
نجم انطون ٢:١١٧
نجم فرج الله ٢:٥٥
نصره يوسف ٢:٤٣
نصف الليل حنا ١:١٣٥
نقاشه ١:١٥١
نقولا القديس ١:١
نوح الياس ٢:٥٥
نوح ١:١٣٥
نيقوغرص الارمني ١:٣٣ ، ٢:٣٣ ، ٢:٣٧ ، ١:٨٣ ، ٢:٨٥
هارون ٥ ، ١:٩٤
هدايا ٢:١١٣
هدناني ٢:١٣٥ ، ٢:١٤٩
هرون يوسف مخائيل ٢:٥٥
هزاز ٥ ، ١:١٥١
هلال* ٥ ، ٢:٣ ، ٢:٩١ ، ٢:٩٣
هلال اسير ٢:١٢١
هلال اليان ٢:١١٠
هلال ديمتري ١:١٢٨
هلال عبد المسيح ٢:١٢١
هلال نذوري ١:٥٢
هندوم ١:٣٧
هندي ١:١٥١
هندي يوسف ١:٣٩ ، ٢:٣٩ ، ٢:٥٠ ، ٢:١٣٦
هندية ٥ ، ٢:١٣٦
هندية رفول ٢:١٣١
وانيس ٥
وانيس اغا ١:١٧ ، ١:٧٧
ورّى Werry ٢:٢٣
ورطان القديس ١:٨٥
وكيل ٥ ، ١:١ ، ١:٩ ، ٢:٢٠ ، ٢:٢٨ ، ١:٣٢ ، ٢:٥٥ ، ٢:٨٩ ، ٢:١١٣ ، ١:١٢٦ ، ٢:١٢٧ ، ٢:١٣٥ ، ١:١٣٦
وكيل باسيل ١:١٠٢ ، ٢:١١١
وكيل الياس ٢:١٢٨
وكيل شكري ٢:١١٥ ، ٢:١٤٣
وكيل عبدالله ١:٦
وكيل فتح‌الله ٢:١٠٨
وكيل نصري ٢:٥٢
وكيل يوسف ٢:٧٠ ، ٢:١٢١ ، ٢:١٢٨ ، ٢:١٣٩
وليم باشا ١:٢
ياقين ١:٧٨ ، ٢:١٤٦
ياقين فتح‌الله ٢:٥٥
ياقين يوسف القس ١:٦٠ ، ١:٦٢ ، ١:١٤٢ ، ١:١٤٦ ، ١:١٥١
يرغاكي ٥
يوعيون ٢:٧١ ، ١:٨٥ ، ٢:٨٧
يعقوب ٥
يعقوب باشا ٢:٣٤
يغمور ٢:١٠
يعود ١:١٢٣
يوسف آغا ٢:١٤٨
يوسف باشا ٢:٤ ، ٢:٦٠
يوسف الحسن ١:٨٦

* جاء ذكر عبدالله هلال في ١٣ نيسان ١٦٦٧ في سجل الطائفة المارونية

٣ فهرس

اهم اعلام الامكنة الواردة في اليومية

آدنه ٣، ٢:١٠، ١:١٢، ٢:٦٣، ٢:٨٩
ابراهيم آغا، بستان ٢:٧
ادلب ١:٥٤
ارزروم ١:٢، ٢:٤٤
ازمير ٣، ١:٧، ٢:٧٤، ٢:٨٠، ٢:٩٨، ١، ١:٢٢، ١:١٢٧، ١:١٣٨
اسكلة ٢:١٧، ١:٩٧
اسكدرونة ٢:١٧، ١:٦٤، ٢:٧٧، ٢:١٤٦، ٢، ٢:١٤٨، ٢:١٥٦، ٢:١٥٦
اسكندرية مصر ٢:١١، ١:٤٣، ١:٥٨، ٢:٧٤، ١:٧٦، ٢:١٢١، ٢:١٢٣، ٢:١٥٢
اسلامبول ١:١٢، ٢:٢٦، ٢:٣١، ٢:٣٩، ٢، ٢:٤٠، ٢:٤٣، ٢:٥٧، ٢:٦٢، ١:٩٥، ١:٩٧، ٢:١١٧، ٢:١٢٦، ١:١٣٣، ٢:١٤٣، ٢:١٤٩، ١:١٥٢
اميركا ٢:١٥٢
اناضول ٧، ١:٥٩
انطاكية ١:٣، ١:٢٤، ٢:٧٢، ١:٩٠، ٢:١٠٦، ١:١١٥، ١:١٢٧، ١:١٢٩، ٢:١٢٩، ٢:١٥٣
انقره ١:١٢٧
اورفة ٢:٧٧
ايرلندة ٢:١٥٢
ايطالية ٢:١٥٢
باب الجنين ٨، ٢:٩، ٢:٣٥، ١:١٣٨
باب الله ٨
باب الفرج ٢:٦٩
باب قنسرين ٢:٦٨، ٢:٧٤
باب المقام ٢:٦٨
باب النيرب ١:٣٣، ٢:٦٨
بابنس ٢:٩٣
باريز ٢:٤٧، ١:٧٣، ٢:٩٧، ٢:١٥٢
باتقوسا ٢:٦٨، ٢:١٤٩
باياس ٢:١٤٦
بايزيد، بستان ٨، ٢:٥٤، ١:١٥٦
بتدين ٢:٣٠
البحر الاسود ١:١١
برم، حمّام ١:٢١
بستان باشا ٨، ١:١٨٥
بصره ٢:٩٧
بغداد ٧، ٢:٣٠، ٢:٣٣، ١:٤٢، ١:٦٠، ١:٨٥، ١:٩٠، ١:٩٧، ٢:٩٨، ١:٩٨، ٢:٩٩
بيلان ١:٧٣، ٢:١٤٦
بيروت ٧، ١:٣٣، ٢:٤٢، ٢:٥٢، ٢:٧٤، ٢:٧٨، ٢:١٠٦، ١:١٠٩، ١:١٠٩، ٢:١٥٢
بيضه ٢:٤٣
تا تار لر ٢:٦٨
تاقي الدين، جنينة ٢:٢١، ١:٨٩، ١:٩١
ترسوس ٢:٢٢، ٢:١٣٤، ٢:١٤٢، ٢:١٤٩، ٢:١٥٤
تريسته ١:١٢٨
تفليس ١:٢
تقلا، حارة ٢:٤٧

توسكانا ٣٠ : ٢
جالق ، بستان ١٢ : ٢
جامع الازهر ٤٢ : ٢
جبل النهر ١٠٥ : ١
جدّه ٤٣ : ٢ ، ٤٤ : ٢
جديدة ٧٤ : ٢ ، ٤٩ : ٢
جسر الحج ١٢ : ١ ، ٧٤ : ١
جسر السلاحف ٦٨ : ٢
جميلات ، طاحون ١٥٣ : ١
جلّوم ٩٢ : ٢
حجازي ، بستان ٨ ، ١٩ : ١
حصن الاكراد ٢٠ : ٢
حيلان ٢٥ : ١ ، ١٠٧ : ٢
خالدي ٩١ : ١
خان طوما ٩٥ : ١
خان الوزير ٥٩ : ١
خلاص ، بستان ٨ ، ٣٧ : ١ ، ١٣١ : ١
خناقيه ١١٤ : ١
دباغة ٨ ، ٦ : ٢ ، ٩٧ : ٢
دروز ، جبل الدروز ٩٧ : ٢
دلبتا ١٢٢ : ٢
دلالين ٦٨
دمشق ٧ ، ١٥٦ : ٢
دوبلينه ١٥٢ : ٢
ديار بكر ١٠ : ٢ ، ٧٧ : ٢ ، ١٤٩ : ١
دير مار جرجس ٧ : ٢ ، ١٤٢ : ١ ، ١٤٢ : ٢
ريحاوي ، بستان ٤٤ : ١ ، ١١٦ : ١ ، ١٥١ : ١
زحلة ٧٥ : ٢
زور بلاد الزور ١٤٨ : ٢
زقازيق ٨
الزقاق الطويل ٢٥ : ٢
سبيل ١٢٤ : ١
سرايا ٦٤ : ١
سردينية ٣٠ : ٢
سريان ٢ : ١ ـ ترميم الكنيسة وعمارها بعد حريقها سنة ١٨٥٠ ، ١ : ٢ ، ٣ : ١ ، ٣ : ٢ ، ٥ : ١ ، ٥ : ٢ ، ٦ : ٢ ، ١٥ : ٢ ، ١٦ : ٢ ، ١٨ : ١ ، ٣٣ : ١ ، ٣٥ : ١
سناجق الكنيسة ١٠٩ : ٢ ، المدرسة ١١٠ : ـ ١٣٥ : ٢ ، ١٤٤ : ٢ ، ١٥٥ : ٢
سمرت ١٠ : ٢
سقطيه ١٤٩ : ٢
سوق الاحد ٦٤ : ٢
سوق الجمعة ٦٤ : ٢
سوق اسلامبول ١١٩ : ٢
سوق الذراع ٥٩ : ١ ، ٨١ : ١
سويدية ٢٢ : ٢ ، ٧٢ : ١
سويس ١٥٦ : ٢
سويقة ٢ : ٢
سيبي ١٠٣ : ٢
شام ١٣ : ١ ، ٤٦ : ٢ ، ٦٣ : ٢ ، ٧٦ : ٢ ، ٧٨ : ٢ ، ٨٠ : ٢ ، ١٤١ : ٢
شابندر ٢ : ٢ ، ١٠ : ٢ ، ١٩ : ٢ ، ٥٤ : ٢ ، ٧١ : ٢ ، ١٥٦ : ٢
شرعاسوس ١٣٥ : ١ ، ١٥٦ : ٢
شرفه ١٥١ : ١ ، ٢٧ : ٢ ، ٤٤ : ٢
شقيف ١٤٢ : ٢
شيباني ٦ : ٢ ، ١٥٦ : ١
زريق ٣٤ : ٢
زقازيق ١٥٤ : ١
زيتون ١٢٠ : ١
صفا ٦٨ : ٢
صفوة ٧١ : ٢
صليبه ٢٠ : ٢ ، ٣٤ : ٢ ، ١٤٢ : ١
طرسوس ٧٧ : ٢
عباره ١٢٦ : ٢
عزيزية ١٠٣ : ٢
عقبه ٢١ : ١

علويين ، بلاد ٢:٣٠
عق ١:١٠٤ ، ١:١٠٥
عوجي ، بستان ٨ ، ١:٤٠ ، ١٠٩ : ٢ ، ١١٢ : ٢ ، ١٥٤ : ٢
عبدي افندي ٨
عيتاب ٢:٤٨ ، ١١٤ : ٢
عين التل ٨ ، ٨٨ : ٢ ، ١١٢ : ٢ ، ١١٨ : ١ ، ١٥٣ : ١
عينتوره ١:٥
غطانه ، بستان ٨ ، ١:٤
فرّايين ٦٨ : ٢
فرنسه ٣ : ٢ ، ٣٠ : ٢ ، ٥٢ : ٢
فرنسيكان ٤
فلسطين ١٥٢ : ٢
قازان ، جبل ١٤٨ : ٢
قبار ، بستان ٨ ، ٢ : ٢ ، ٨٨ : ٢ ، ٩٩ : ٢ ، ١١٢ : ٢ ، ١١٤ : ١ ، ١٣١ : ٢ ، ١٥٤ : ٢ ، ١٥٦ : ٢
القدس ٣ ، ٥٣ : ٢ ، ١٥٢ : ٢
قرص ١:٢
قرلق ٦٨ : ٢
قرم ٣٥ : ٢
قسطنطينية ١٥٢ : ١
قصالة ٨٢ : ٢
قصير ، بستان ٩٩ : ٢ ، ١٤٢ : ١
قطانة ، بستان ٨٠ : ٢
قناية ٨
قواس ، بستان ٨ : ١
قوّاس ، حمّام ٢١ : ١
قونية ٩١ : ٢ ، ١٥٢ : ١
قويق ٨ ، ٧١ : ٢ ، ١٠٥ : ١
قيسرية الزيال ٤٨ : ١
الكتّاب ١٣٠ : ١
كراد ، جبل الكراد ٩٩ : ٢
كربلا ، بستان ٨
كرم البقة ١١٠ : ٢
كريد ٢١ : ٢
كلز ٢٣ : ٢ ، ٣١ : ٢ ، ٦٨ : ٢ ، ١١٧ : ١ ، ١١٧ : ٢ ، ١٥٢ : ١
ارمن ، كنيسة ١ : ١
كرد ضاغ ١٤٨ : ٣
كريت ٢٣ : ٢
كور مصري ، بستان ١١٣ : ١
كولخانه ٩٣ : ٢
لاذقية ١٢ : ٢ ، ١٥٢ : ٢
لبنان ٧٣ : ١ ، ٧٧ : ٢
لوندره ٣٥ : ٢ ، ٧٧ : ١
ليفر بول ١٥٢ : ٢
ليفورنا ٥٨ : ٢
ماردين ٧٧ : ٢ ، ١٠٨ : ٢
مالطة ١٥٢ : ٢
مخاضة بابنس ٩٣ : ٢
المختاره ٨٠ : ٢
المدينة ٧٥ : ٢
مرجه ١١٢ : ١
مرسيليا ٧ ، ١٠ : ٢ ، ٣١ : ١ ، ٤٠ : ٢ ، ٥٠ : ٢ ، ٩٠ : ١ ، ١١٨ : ١ ، ١٥٢ : ٢
مرسين ٣
مرعش ٣٧ : ٢ ، ٣٩ : ٢ ، ٤٢ : ٢ ، ٤٣ : ٢ ، ٦٠ : ١ ، ٧٧ : ٢ ، ١٢٠ : ١
مصر ١١٧ : ٢ ، ١٢١ : ٢ ، ١٤٥ : ٢ ، ١٥٢ : ٢
المصلى ٨
مسلميه ٣٩ : ٢ ، ٩٠ : ٢ ، ٩٣ : ٢ ، ١٠٨ : ٢ ، ١٥٦ : ٢
مشارقه ٩٦ : ١
المنابر ٦٨ : ٢ ، ٨٩ : ٢
المنادي ٦٨ : ٢
ملطية ٤٦ : ١

منشتر ١٤٠ : ٢ ، ١٥٣ : ٢ ، ١٥٢ : ٢ ،
١٥٤ : ٢
موارنة ١٢ : ٢ ، ١٥٥ : ٢ ، ١٥٥ : ٢
موصل ١٠ : ٢ ، ٧٤ : ٢
ميدان ١٥٢ : ٢
ميرو ، جنينة ابن — ٢٥ : ١
نابلس ٧ : ١
ناعوره ٧١ : ٢ ، ١٥٦ : ٢
نسانه ، بستان ؟ ٨١ : ٢
النسا ٢٦ : ١ ، ٣٠ : ٢ ، ٧١ : ٢ ، ١٥٢ : ٢
نيرب ٦٨ : ٢
نيل مصر ٢٧ : ١
هزازه ١٢٥ : ٢
هند ٣ ، ٩٠ : ٢
هوته ٥٧ : ١
وراء العمارة ٩٥ : ١
وضيحي ٨ ، ٤٠ : ٢ ، ٧٤ : ١ ، ١٠٨ : ٢
ياسمين ، برابة ٣٩ : ٢
يافا ١٥٢ : ٢
يبرق ، الشيخ يبرق ٨ ، ٦ : ٢ ، ٣٠ : ١ ،
١٥٥ : ١
يبرقلي ٥٧ : ٢ ، ٥٩ : ١ ، ٧٧ : ١ ، ١٤٦ : ٢

فهارس المشرق

للسنة السابعة والثلاثين

١٩٣٩

فهرس اوّل

لموادّ السنة السابعة والثلاثين من مجلة المشرق

الجزء ١ (كانون الثاني – آذار) : بشأن القواعد العربية : ردّ على من حسنت نيّته وساء رأيه ، بقلم ادوار مرقس (١–١٢) = من الخزانة الشرقية : بقلم حبيب زيّات (١٢–٣٩) : شهداء الشجاعة (١٢) – نزهة الرفاق عن شرح حال الاسواق (١٨) = اخبار حلب وحوادثها من السنة ١٨٥٥ الى السنة ١٨٦٥ : ٦ (مصوّرة) ، بقلم الاب نوئل اليسوعي (٣٩–٦٣) = الاسلوب العلمي والتأريخ ، بقلم الدكتور اسد رستم (٦٣–٧٠) = اللبنانيون في افريقية ، بقلم كامل مروّه (٧٠–٨٢) = الحجارة المؤلّهة وعبادتها عند العرب الجاهليين ، من آثار الاب لامنس : ٢ (٨٢–١٠٢) = شذرات : في امكان المشاتر النصف الرّحل ، بقلم خليل جباره (١٠٢–١٠٧) = مطبوعات شرقية جديدة : وصف ٣٦ كتاباً باللغات الاوربية و ١٩ كتاباً باللغة العربية (١٠٧–١٤١) = معهد الآداب الشرقية : منهاج الدروس للسنة ١٩٣٨–١٩٣٩ (١٤١–١٤٥)

الجزء ٢ (نيسان – حزيران) : كنز جديد من جوهرات قديمة ؛ (مصوّرة) ، بقلم الامير موريس شهاب (١٤٥–١٦٢) = من الخزانة الشرقية : بقلم حبيب زيّات (١٦٢–١٨٠) : آداب المائدة في الاسلام (١٦٢) – ضرا ابانا وفرقار بدمشق (١٧٠) – دير مار جرجس في بلودان (١٧٢) – دُراقن دمشق (١٧٧) = دير قُنّى ، بقلم ميخائيل عوّاد (١٨٠–١٩٩) = اخبار حلب وحوادثها من السنة ١٨٥٥ الى السنة ١٨٦٥ : ٧ ، بقلم الاب نوئل اليسوعي (١٩٩–٢١٧) = الحجارة المؤلّهة وعبادتها عند العرب الجاهليين : ٣ و ٤ من آثار الاب لامنس (٢١٧–٢٤١) = على ذكر جبران : معلومات جديدة عن حياته وآثاره (مصوّرة) ، بقلم فؤاد افرام البستاني (٢٤١–٢٦٩) = مطبوعات شرقية جديدة : وصف ٢١ كتاباً باللغات الاوربية و ٤ كتب باللغة العربية (٢٦٩–٢٨٩)

الجزء ٣ (تموز – ايلول) : الدوائر السريانية في لبنان وسورية بقلم الاب يوسف حبيقة (٢٨٩–٣٨٧) – مقدمة (٢٩٠) – تمهيد (٢٩١) – باب الالف (٢٩٣) – باب الباء (٢٩٥) – باب التاء (٣٠١) – باب الجيم (٣٠٥) – باب الحاء (٣٠٦) – باب الخاء (٣١١) – باب الدال (٣١٢) – باب الراء (٣١٧) – باب الزاي (٣٢٠) – باب السين (٣٢٤) – باب الشين (٣٢٨) – باب الصاد (٣٤٠) – باب الطاء (٣٤٣) – باب العين (٣٤٦) – باب الغين (٣٥٣) – باب الفاء (٣٥٤) – باب القاف (٣٦١) – باب الكاف (٣٦٧) – باب اللام (٣٧٣) – باب الميم (٣٧٦) – باب النون (٣٨٣) – باب الهاء (٣٨٦) – باب الياء (٣٨٦) = اسماء القرى اللبنانية السريانية ، بقلم الابوين ارملة وحبيقة (٣٨٧–٤١١) = اصلاحات وزيادات (٤١١)

الجزء ٤ (تشرين الاول – كانون الاول) : المجمع الفلورنتيني (١٤٣٩–١٩٣٩) (مصوَّرة) ، بقلم الاب دي لاتورسن اليسوعي (٤١٣–٤٣٥) = رئاسة الحبر الروماني ، بقلم الاب يوحنا كابيلو اليسوعي (٤٣٥–٤٤٧) = من الخزانة الشرقية ، بقلم حبيب زيّات (٤٤٧–٤٧٨) لغة الحضارة : العجلة او العربة (٤٤٧) – نزل بساحله (٤٥٠) الوفر بمعنى الثلج (٤٥١) – البيع سيف الموالي (٤٥١) – تفسير المراكب (٤٥٣) – الجُزازة والجُزاز (٤٥٣) – دفائن الخزائن : ترسّل الصاحب ضياء الدين بن الاثير (٤٥٥) – التنبيه والاشراف : ديوان ابن الساعاتي (٤٦٨) = اخبار حلب وحوادثها من السنة ١٨٥٥ الى السنة ١٨٦٥ ، بقلم الاب توتل اليسوعي : ٨ ذيل وثلاث فهارس (مصوَّرة) (٤٧٩ – ٥٢٤) = فهارس المشرق (٥٢٤)

فهرس ثانٍ

يحتوي اسماء كتبة المشرق ومقالاتهم

ارملة (الخوري اسحق) : اسماء القرى اللبنانية السريانية ٢٨٧-٤١٢

البستاني (فؤاد افرام) : على ذكر جبران : معلومات جديدة عن حياته وآثاره ٢٤١-٢٦٩ – وله وصف مطبوعات ١٢٧-١٢٢، ١٣٦-١٣٧ ، ٢٨٤ ، ٢٨٦

البخاش (نعوم) : الطلب : توتل (الاب قردينان اليسوعي)

بوليو (الاب ارمان اليسوعي) : له وصف مطبوعات ١١٢ ، ١١٤ ، ١٢٤ ، ١٢٦

توتل (الاب قردينان اليسوعي) : اخبار حلب وحوادثها من ١٨٥٥ – ١٨٦٥ عن يومية المعلم نعوم البخاش ٢٩-٦٢ ؛ ١١٩ – ٢١٧ ؛ ٤٧٩-٥٢٤

جباره (خليل) : في إسكان العشائر النصف الرحّل ١٠٣-١٠٧

حبيقة (الاب يوسف) : الدوائر السريانية في لبنان وسورية ٢٨٩-٢٨٧ (راجع التفصيل في فهرس الجزء الثالث) – اسماء القرى اللبنانية السريانية ٢٨٧-٤١٢

الخازن (الخوري لويس) : له وصف مطبوعة ١٢٢

رستم (اسد) : الاسلوب العلمي والتاريخ ٦٢-٧٠

زيّات (حبيب) : من الخزانة الشرقية : شهداء السجاعة ١٣-١٨ – ترهة الرفاق عن شرح حال الاسواق (بدمشق) ١٨-٢٩ – آداب المائدة في الاسلام ١٦٣-١٧٠ – ضرا أبانا وفرفار بدمشق ١٧٠ – ١٧٣ – دير مار جرجس في بلودان ١٧٣-١٧٦ – دُرافن دمشق ١٧٧-١٨٠

– لغة الحضارة : العجلة او العربة ٤٤٧-٤٥٠ – نزل بساحله ٤٥٠ – الوَفْر بمعنى الثلج ٤٥١ – البيع بسيف الموافي ٤٥١ – تفسير المراكب ٤٥٢ – الجُزازة والجُزاز ٤٥٣

– دفائن الخزائن : الجزء الثاني من تمثّل الصاحب ضياء الدين بن الأثير ٤٥٥-٤٦٨

– التنبيه والإشراف : ديوان ابن الساعاتي ٤٦٨-٤٧٩

شارل (الاب هنري اليسوعي) : له وصف مطبوعة ١١٠

شدياق (الاب روبر اليسوعي) : له وصف مطبوعات ١١٦-١١٨ ، ٢٨٥

شهاب (الامير موريس) : كنز جديد من جوهرات قديمة ١٤٥-١٦٢

عزقول (كريم) : له وصف مطبوعة ١١١

عزيز (جان) : له وصف مطبوعة ١٢٦

عوّاد (ميخائيل) : دير قُنّى ، موطن الوزراء

والكتاب ومعقل المسيحية في العراق ١٨٠–١٩٩

كابيلو (الاب يوحنا اليسوعي) : رئاسة الحبر الروماني ٤٣٥–٤٤٧

لامنس († الاب هنري اليسوعي) : الحجارة المؤلّهة وعبادتها عند العرب الجاهليين : عود على بدء ٨٢–١٠٢ ؛ ٢١٧–٢٤٢

لانثرسّن (الاب فرنان دي اليسوعي) : ذكرى المجمع الفلورنتيني ١٤٣٩–١٩٣٩ ؛ ٤١٣–٤٣٥

مرقس (ادوار) : بشأن قواعد اللغة العربية : ردّ على من حسنت نيّته وساء رأيه ١ ١٣

مروّه (كامل) : اللبنانيون في افريقية ٧٠–٨٢

موترد (الاب بولس اليسوعي) : له وصف مطبوعات ١٠٧ ، ١١٠ ، ١١٩ ، ١٢٥ ، ١٣٦ ، ٢٨٣

ميري (الاب جوزف اليسوعي) : له وصف مطبوعة ١٢٤

نيرون (الاب غوستاف اليسوعي) : له وصف مطبوعات ١١٣

فهرس ثالث

للمطبوعات التي ورد وصفها في السنة السابعة والثلاثين للمشرق

على ترتيب اسماء مؤلفيها

١ — المطبوعات العربية والسريانية الخ.

ا

ا. ج. ج : اطلب : تاني (نويل)

ابن الزبير : كتاب صلة الصلة ١٢٨

اتم ملح الأرض : مجلة ١٣٩

ب

باشا (المتوري قسطنطين) : تاريخ دوما ١٣٤

البستاني (فؤاد افرام) : راجع : رستم (اسد)

البلاذري : انساب الأشراف : القسم الثاني من الجزء الرابع ١٣٧

بوزورث : دراسات في حياة يسوع المسيح ١٤٠

ت

تاني (نويل) : الرسائل الثالثة — تعريب : ا. ج. ج ١٣٨

ح

حبيقة (المتوراسقف بطرس) : ماري افرام السرياني والاوخارستيا ١٣٥ — الاوخارستيا والكنيسة السريانية المارونية ١٣٥

خ

خازن (سمعان) : تاريخ اهدن القديم والحديث : ١ ١٣٣

خورشيد (ابراهيم زكي) : اطلب : محمود (عباس)

المتوري (شكري) : ردّ افتراء وتقرير حقائق ١٣٨

ر

رتشر (ولتر هولمز) : مقاييس الكفاءة للاستقلال ٢٨٦

رستم (اسد) : تأريخ لبنان التمهيدي المصوّر — بالاشتراك مع : البستاني (فؤاد افرام) ٢٨٧

رضا (محمد) : رسول الله ١٤٠

س

سعيد (حبيب) : سيرة رسول الجهاد ١٤٠

السكاف (الاب الياس) : اطلب : نخله (الاب رفائيل اليسوعي)

سويد (الاب بولس) : القديس بولس الرسول ١٣٥

ش

شبلي (ميشال) : تلّ السنديانة ١٣٧

شليط (الياس) : قلم وسهم ١٣٩

الشنتناوي (احمد) : اطلب محمود (عباس) الشهر المريمي للمدارس والعائلات ١٣٨

ص

صالحاني (الاب انطون اليسوعي) : رثاءات المثالث والمثاني في روايات الاغاني ٣ : ٢٨٨

صحناوي (البير) : ضحايا المجتمع ١٣٧

ط

طرزي (فلك) : آراني وشاعري ١٤٠، ٢٨٦

ع

عازار (نسيب) : نقد الشعر في الادب العربي ١٤٠

عبد الساتر (حبيب وفيليب) : الاصول العربية : ١و٢ ١٣٦

عواد (توفيق يوسف) : الرغيف ١٤٠

غ

غنيمه (يوسف رزق الله) : الحيرة : المدينة والمملكة العربية ١٣١

ف

فارس (بشر) : مباحث عربية ١٤٠

ق

قصص عالمية ١٤٠

ك

الكرملي (الاب انستاس ماري) : نشوء اللغة العربية ونموها واكتهالها ١٤٠

ل

لفيف من اساتذة مدرسة الحكمة : ادب الاصول العربية : ١و٢ ١٣٦

م

مجلة مجمع فؤاد الاول للغة العربية : ٤ ١٤٠

محمود (عباس) : دائرة المعارف الاسلامية : ١:٣ ، ٢ ، ٤ ، ٥ ، ٦ . بالاشتراك مع عبد الحميد يونس ، احمد الشنتناوي ، ابراهيم زكي خورشيد ١٣٩

مردم بك (خليل) : الفرزدق ١٤٠

مرقص (ادوار) : الادب العربي في ماله وفي ما عليه ١٤٠

مروه (كامل) : نحن في افريقية : الهجرة اللبنانية السورية الى افريقية الغربية : ماضيها ، حاضرها ، مستقبلها ٧٠-٨٣

ن و ي

نخله (الاب رفائيل اليسوعي) : صدى المعابد — تلحين الاب الياس الكاف ١٣٩

وب (كليمندس) هل من علاقة بين الاخلاق والدين ١٤٠

يونس (عبد الحميد) : راجع : محمود (عباس)

٢ — المطبوعات الاوروبية

Arcacho (Jeanne). L'Emir à la Croix. Fakhreddinne II Ma'an. (114)

Barbera (D. Giuseppe). Dizionario maltese - arabo - italiano. I. A-E. (284)

Barois (Jean), La Mecque, ville interdite. (113)

Bigwood (E. J.). Directives pour les Enquêtes sur la nutrition des populations. (271)

Bodin (Charles). La doctrine sociale de l'Eglise et la science economique. (108)

Bordeaux (Henri), L'air de Rome et de la mer. (125)

Brunschvig (Robert). La versification arabe classique. (284)

Carroll (Mitchell B.). La prévention de la double imposition et de l'évasion fiscale. (276)

Charles-Roux (F.), France et Chrétiens d'Orient. (116)

Delaporte (Louis). Les peuples de l'Orient méditerranéen. I. Le Proche-Orient asiatique. (114)

Donaldson (Bess Allen). The wild rue, a study of Muhammadan magic and folklore in Iran. (119)

Doncœur (P.), s. j.. Le Christ dans l'art français. (122)

Duléry-Reyval (Albert). Le clairon de la résistance catholique. Le Père Coubé (1857-1938). (109)

Dunin-Borkowski, s. j.. A la conquête des cimes. t. II. Adaptation française par R. Guillaume. (108)

Elisséev (S.), Grousset (R.), Hackin (J.), Salles (G.), Storn (Ph.), Arts musulmans — Extrême-Orient. (121)
Estaillour-Chantoraine (Philippe d') et le Dr Max J. Richon, 25 kilomètres au-dessus de l'Asie. (126)

Faris (Amin), The Antiquities of South Arabia. (110)
Farrukh (Omar A.) Das Bild des Frühislam in der arabischen Dichtung von der Hijra bis zum Tode des Kalifen 'Umar. (111)
Finbert (E. - J.) cf. Stark (Freya)

Goulven (J.), La France au Maroc. (118)
Grandclaudon (Marcel). cf. Toth (Mgr Tihamer)
Grousset (R.), Cf. Elisséev (S.)
Guillaume (E.). cf. Dunin Barkowski.

Hackin (J.), Cf. Elisséev (S.)
Hourcourt (Robert d'), Catholiques d'Allemagne. (110)
Herriot (Edouard), Lyon n'est plus, II, le siège. (124)

Jaussens-Morandi, Introductio biblica. (107)

Lajeie (L.), A l'école de S. Jean Eudes. t. IV, Dieu et mon Ame. (110)
Lhopital (Commandant), Foch, l'armistice et la paix. (125)

Mazé (Henri), Croyances et coutumes paysannes, suivies de Contes et de chansons populaires. (119)
Mauclère (Jean), Littérature lithuanienne. (125)

Mistausse (Juliette), La musée des Gobelins (123)

Oursel (Charles), L'Eglise N.-D. de Dijon. (124)
Oursel (Paul Masson), La philosophie en Orient. (113)

Pellegrin (Arthur), Histoire de la Tunisie. (117)
Piponnier (Marcel), Le petit monde des ruisseaux. (126)

Richon (Dr Max J.), cf. Estaillour-Chantoraine (Philippe d')
Roger-Marx (Claude), Daumier. (123)

Salles (G.), Cf. Elisséev (S.)
Sbath (P. Paul), Al-Fihris. (285)
Stark (Freya), Les portes du Sud. Dans l'Arabie inconnue. Trad. de E. - J. Finbert. (118)
Storn (Ph.), cf. Elisséev (S.)
S. D. N., Projet de nomenclature douanière, I et II. (269) — Contrôle national de la fabrication et du commerce des armes. (270) Monnaies et Banques 1938-1939. (272) — Annuaire statistique de la S. D. N. 1938-1939. (278) — La production mondiale et les prix 1938-1939. (281) — Aperçu général du commerce mondial 1938. (282) — Rapport du comité de coordination des questions économiques et financières figurant à l'ordre du jour de la XIXe session ordinaire. (283) — de la XXe session ordinaire. (283) — Différents rapports... (283). — Cf. Bigwood (E. J.), Carrol (Mitchell B.), Tinbergen (J.).

Tinbergen (J.), Vérification statistique des Théories des cycles économiques. I. (277)
Tolnay (Charles de). Le retable de l'agneau mystique des frères Van Eyck. (124)
Toth (Mgr. Tihamer), Le symbole des Apôtres : introduction, Trad. Marcel Grandclaudon. (107)
— Mariage et famille, Trad. Marcel Grandclaudon. (109)

Véon (Paul de), La passion de la Cilicie (1919-1921). (117)
— Le désastre d'Alexandrette (1934-1938). (117)
— Chrétiens en péril au Moussadagh ! (285)
Vernier (Bernard), Qédar. (283)

فهرس رابع

لجميع موادّ السنة السابعة والثلاثين من المشرق

ا

الآداب الشرقية : معهدها ١٤١–١٤٥
آداب المائدة في الإسلام ١٦٢–١٧٠
أباتا وفرفار ضرا دمشق ١٧٠–١٧٣
ابن الأثير : الجزء الثاني من ترسّله ٤٥٥–٤٦٨
ابن الساعاتي : ديوانه ٤٦٨–٤٧٩
ابن الفيّاض ١٩٤
أخي الجاثليق ١٩١
اخبار حلب وحوادثها من ١٨٥٥–١٨٦٥
٢٩–٦٣ ، ١٩٩–٢١٦ ، ٤٧٩–٥٢٤
اسكان العشائر التصف الرّحل ١٠٢–١٠٧
الإسلام : آداب المائدة فيه ١٦٢–١٧٠
الاسلوب العلمي والتاريخ ٦٣–٧٠
اسماء القرى اللبنانية السريانية ٣٨٧–٤١١
الاسواق : في دمشق ١٨–٢٩
افريقية : اللبنانيون فيها ٧٠–٨٣
إيشوعياب الجاثليق بن حزقيال ١٩١

ب

البخّاش (المعلّم نعوم) : مخطوطة في اخبار حلب وحوادثها من ١٨٥٥–١٨٦٥ ٢٩–٦٣ ، ١٩٩–٢١٦ ، ٤٧٩–٥٢٤
بشأن قواعد العربية : ردّ على من حسنت نيته وساء رأيه ١–١٢
بلودان : دير مار جرجس فيها ١٧٣–١٧٧
البيع بيف الموافي ٤٥١

ت

التاريخ والاسلوب العلمي ٦٣–٧٠
ترسّل الصاحب ضياء الدين بن الاثير : الجزء الثاني منه ٤٥٥–٤٦٨
تفسير المراكب ٤٥٣
التنبيه والإشراف ٤٦٨–٤٧٩

ج

الجاهليون : عبادة الحجارة المؤلّهة عندهم ٨٣–١٠٢ ، ٢١٧–٢٤١
جبران خليل جبران : معلومات جديدة عن حياته وآثاره ٢٤١–٢٦٩
جرجس (دير مار) في بلودان ١٧٣–١٧٧
الجزء الثاني من ترسّل الصاحب ضياء الدين ابن الاثير ٤٥٥–٤٦٨
الجُزازة والجُزاز ٤٥٣

ح

الحبر الروماني : رئاسته ٤٣٥–٤٤٧
الحجارة المؤلّهة وعبادتها عند العرب الجاهليين ٨٣–١٠٢ ، ٢١٧–٢٤١
الحسن بن مخلد بن الجرّاح ١٩٣
الحسين بن محمد بن علي التنّاني ١٩٥
حلب : اخبارها وحوادثها من ١٨٥٥–١٨٦٥ ٢٩–٦٣ ، ١٦١–٢١٦ ، ٤٧٩–٥٢٤
حمد بن محمد التنّاني ١٩٥

خ

الخزانة الشرقية ١٢–٢٩ ، ١٦٣–١٨٠ ، ٤٤٧–٤٧٩

د

دراقن دمشق ١٧٧–١٨٠
دفاتن الخزائن ٤٥٥–٤٦٨
دمشق : نزهة الرفاق عن شرح حال الاسواق

فيها ١٨ ٢٩ = ضرا أبانا وفرقار فيها ١٧٠-١٧٢ — الدراقن فيها ١٧٧-١٨٠
الدوائر السريانية في لبنان وسورية ٢٨٩-٤١٢
دير قُنّى ١٨٠-١٩٩
دير مار جرجس في بلودان ١٧٣-١٧٧
ديوان ابن الساعاتي ٤٦٨-٤٧٩

ذ

ذكرى المجمع الفلورنتيني ٤١٣-٤٣٥

ر

رئاسة الحبر الروماني ٤٣٥-٤٤٧

س

السجاعة : شهداؤها ١٣-١٨
السريانية : دوائرها في لبنان وسورية ٢٨٩-٤١٢
سورية ولبنان : الدوائر السريانية فيهما ٢٨٩-٤١٢
سيف الموالي : البيع ٤٥١

ش

شهداء السجاعة ١٣-١٨

ع

العجلة او العربة ٤٤٧-٤٥٠
العرب : عبادة الحجارة المؤلهة في جاهليتهم ٨٣-١٠٣ ، ٢١٧-٢٤١
العربية بحث بشأن قواعدها ١-١٢
العشائر النصف الرحل : في اسكاتهم ١٠٣-١٠٧
على ذكر جبران ٢٤١-٢٦٩
علي بن عيسى بن داود بن الجرّاح ١٩٤

ف

فرقار وأبانا ضرا دمشق ١٧٠-١٧٢
الفضل بن يحيى بن فرّخان شاه ١٩٣
فلورنسة : ذكرى مجمعها ٤١٣-٤٣٥
في اسكان العشائر النصف الرحل ١٠٣-١٠٧

ق

القرى اللبنانية : اسماؤها السريانية ٣٨٧-٤١١
قُنّى : دير ١٨٠-١٩٩
القواعد العربية : بحث فيها ١-١٢

ك

كنز جديد من مجوهرات قديمة ١٤٥-١٦٣

ل

لبنان اسماء قراه السريانية ٣٨٧-٤١١
لبنان وسورية : الدوائر السريانية فيهما ٢٨٩-٤١٢
اللبنانيون في افريقية ٧٠-٨٣
لغة الحضارة ٤٤٧-٤٥٥

م

المائدة : آدابها في الاسلام ١٦٣-١٧٠
مار جرجس : ديره في بلودان ١٧٣-١٧٧
مار عبدا ١٩١
مالك بن شاهي النِفَّري ١٩٤
متى بن يونس ١٩٣
المجمع الفلورنتيني : ذكراه ٤١٣-٤٣٥
محمد بن علي القنّاني ١٩٤
معلومات جديدة عن حياة جبران خليل جبران وآثاره ٢٤١-٢٦٩
معهد الآداب الشرقية ١٤١-١٤٥

ن

نزل ساحله ٤٥٠
نزهة الرفاق عن شرح حال الاسواق في دمشق ١٨-٢٩
ضرا ابانا وفرقار بدمشق ١٧٠-١٧٢

و

الوَفْر بمعنى الثلج ٤٥١

AL - MACHRIQ

Revue Catholique Orientale Mensuelle

SCIENCES—LETTRES—ARTS

Sous la direction des Pères de la Cie de Jésus

UNIVERSITÉ St JOSEPH

Trente septième année

1939

BEYROUTH
Imprimerie Catholique
1939

TABLE DES SOMMAIRES

XXXVIIe ANNÉE, 1939

JANVIER - MARS

A propos de linguistique arabe : (p. 1). *Mr E. Morcos.*

Notices et Extraits de manuscrits arabes : (p. 13) : Les martyrs de la prose rimée : (p. 13). Un traité inédit sur les souks de Damas : (p. 18). *Mr H. Zayat.*

Le diaire de Na'oum Bahhas, instituteur alépin (18--'865) : VI (*illustré*). (p 29) *P. F. Taoutel, S. J.*

Méthodologie et Histoire : (p. 63). *D^r. A. Rustum.*

Les Libanais en Afrique : (p. 70). *Mr K. Muruwa.*

Le culte des Bétyles chez les arabes préislamites : II (p. 72) ÷ *P. H. Lammens. S. J.*

Varia : Comment sédentariser les demi-nomades. (p. 102) (*K. Gébara*).

Bibliographie (p. 107).

Institut de lettres Orientales : année scolaire 1938-1939 (p.141)

AVRIL-JUIN

Un nouveau trésor de bijoux antiques. (*illustré*) : (p. 145). *Emir M. Chéhab.*

Notices et Extraits de manuscrits arabes : (p. 162) : La tenue à table en Islam. (p. 162). Les fleuves Abâna et Farfar à Damas. (p. 170). Le couvent de St Georges à Bloudan. (p. 173). Les pèches de Damas. (p. 177). *M^r. H. Zayat*

Le Couvent de Qunnâ. (p. 180). *Mr M. Aouad.*

Le diaire de Na'oum Bahhas, instituteur alépin (1855-1865) : VII (p. 199). *P. F. Taoutel, S. J.*

Le culte des Bétyles chez les Arabes préislamites : III et IV (p.217). ÷ *P. H. Lammens, S. J.*

A propos de Gibran. (*illustré*) : (p. 241). *M^r. F-E Boustany.*

Bibliographie (p. 269).

JUILLET-SEPTEMBRE

Les Vestiges Syriaques dans le Dialecte Libano-Syrien, par le *P. Joseph Hobeika* : Introduction. (p. 290). Préface : (p. 291). A (p. 293). B. (p. 295). T. (p. 301). G. (p 305). H. (p. 306). Ḫ. (p. 311). D. (p. 312). R. (p. 317). Z. (p. 320). S. (p. 324). Š. (p. 328). Ṣ. (p. 340). Ṭ. (p. 342). ʿ. (p. 346). Ġ. (353). F. (p. 354). Q. (p. 361). K. (p.367). L. (p. 373). M. (p. 376). N. (p. 383). H. (p. 386). Y. (p. 386).

Les noms syriaques des localités libanaises. (p. 387). *PP. Armalé et Hobeika.*

Addenda et corrigenda. (p. 411).

OCTOBRE-DÉCEMBRE

Le cinquième centenaire du Concile de Florence (1439-1939) (*illustré*) : (p. 413). *P. F. de Lanversin, S. J.*

La primauté du Pontife Romain : (p. 435). *P. J. Capello, S. J.*

Notices et Extraits de manuscrits arabes (p. 447) : Notes linguistiques (p. 447). Un recueil de correspondances inédites d'Ibn al-Aṯīr : (p. 455). Notes bibliographiques (p. 468) *M. H. Zayat.*

Le diaire de Naʿoum Baḫḫaš, instituteur alépin (1855-1865) : VIII (*illustré*) (*fin*). (p.429) *P. F. Taoutel, S. J.*

Tables du Machriq pour 1939

المشرق

السنة الثامنة والثلاثون — كانون الثاني – اذار ١٩٤٠

الامبراطورية الفارثية ورومة*

بقلم الاب رينه موترد اليسوعي

تمهيد

كانت سورية تؤلف منطقة الحدود الشرقية في الامبراطورية الرومانية ، كما أسسها ونظمها الامبراطور اوكتافيان اغوسطوس.

وكانت رومة قد سبقت فبسطت سلطتها ، مدة قرنين كاملين ، على مجمل العالم المتوسط . حتى اذا ظهر اغوسطوس على عرش القياصرة ، كان من همه ان يثبت هذه المتلكات ، ويؤمن لملك الرومان حدوداً طبيعية .

ومن المعقول ان تحتل سورية مركزاً اولياً في اهتمامه هذا . وقد رأى ان لا يرمي الى التوسع ، كما رمى اليه بعض خلفائه كتراجان وقراقلا اذ حلما بفتوحات

* مادة المحاضرة الاولى من محاضرات « معهد الآداب الشرقية » في فرع « التاريخ والاثريات في سورية وفينيقية ».

يذهبان اليها من سورية الى الشرق ، متشبهين بالاسكندر الكبير ؛ فتصر همّه على وقف العالم الروماني على شاطئ الفرات وحدود الصحراء .

ذلك ان الصحراء تظهر حدًّا طبيعيًّا صالحًا . ولطالما سعى الرومان الى خلق مساحةٍ مقفرة تفصل بلادهم عن بلاد الاعداء ، فاكتسحوا الاراضي على شاطئ الرين ، وجلوا البرابرة من السكان على طول المناطق المحتلّة ، حتى يكوّنوا اراضي خالية ، لا تتألّب فيها الجموع في سبيل الانتقاض الّا رآها العيون ، وشعر بها الأرصاد.

بيد ان الصحراء في سورية ، ولا سيما ما كان منها متاخمًا لمناطق الحضر ، ليست من الخلاء بحيث توافق غايات الرومان من تلك الاراضي المقفرة . فالبدو يأهلون هذه القفار ، على تراميها في الابعاد. ومهما يكن من ضآلة شخوصهم ، واختفائهم في الاغوار المتعددة ، ووراء الكثبان المتشابهة ، فانهم لا يلبثون ان يظهروا ، مجتاحين البوادي طولًا وعرضًا ، عائثين بالغزو ، مدافعين ، حتى الهلاك ، عن حريّتهم التقليدية.

وهناك ، الى الشمال ، على الفرات ، ممالك صغيرة او إمارات منظّمة منها كوماجينية ، وأوسروينية ، وارمينية. فكان على رومة ، والحالة هذه ، ان تعزّز حدودها في وجه البدو فتضبط نزعاتهم ، وان تبسط نفوذها على هذه الامارات المتاخمة لها فتأمن شرّها . ولكنها اصطدمت ، في هذا المشروع المزدوج ، بامبراطورية نشيطة كانت ترمي الى الهدف نفسه على الفرات الاعلى ، تُعرف بالامبراطورية الفارثية.

هي امبراطورية قويّة شديدة البأس . وناهيك في بأسها أنّها قاومت رومة مقاومة مجدية حتى ان المؤرخ فرونتون لم يحجم عن القول: « لقد قام الفارثيون وحدهم ، بين البشر اجمع ، فجابهوا الشعب الروماني بمداورةٍ مخشيّةٍ ابدًا.»[1] وهذا تليينٌ يشبه مقاومة الفارثيين بمقاومة الجرمانيين لرومة.

1) Fronto, *Princ. hist.*, p. 315, Mai (apud Chapot, *La Frontière de l'Euphrate*, p. 39)

تأسيس الامبراطورية

كيف أسست هذه الامبراطورية الفارثية ؟ وما هو أصل هذا الشعب الفارثي ؟ سؤالان من الصعب ان نجيب عنهما في حالة معلوماتنا الحاضرة. فلنكتفِ بالقول ان تأسيس الامبراطورية في نحو السنة ٢٤٧ ق. م. يُنسب الى الملك تيريدات المتخذ اسم أرساكيس. وأرساكيس هذا هو المؤسس الرمزي للدولة التي نُسبت اليه فقيل الدولة الارساكيّة. اما مؤسس الامبراطورية الحقيقي فهو ميتريدات الاول ، ملك الفارثيين ، الذي حكم من نحو السنة ١٧٠ الى السنة ١٣٨ ، وامتدت سلطته من بحر قزوين الى خليج العجم.

وقد عزّز نشأة هذه الامبراطورية حادثان مهمّان: اوّلهما ضعف الدولة السلوقية منذ انتصار الرومان على انطيوخوس الثالث سنة ١٩٨ ، في مغنيزية على الميانذر. وثانيهما تلك الحركات العميقة في شعوب آسية التي بدأت منذ القرن الرابع قبل المسيح ، واخذت تقذف بالجماهير المجتاحة نحو الغرب والجنوب.

وكان من تلك الاقوام الشعب القرني او البرني الذي يدعوه اليونان والرومان « الفارثي » ، واصله من القبائل النازلة ، جنوبي شرقي بحر قزوين ، في تلك البطائح المنبسطة شمالي هركانية . وليس من شك في ان الفارثيين من عنصر ايراني ، تكلّموا لهجةً ايرانية كتبوها ، في ما بعد ، بالخط الفهلوي . وكانت اولى محاولاتهم في اكتساح الاراضي السلوقية في نحو السنة ٢٨٠ ق. م. ثم توصّلوا الى احتلال مرزبانية هركانية - فارثية . ومنها تقدّموا الى بلاد ميدية وجعلوا من اكبتان او همذان ، عاصمةً صيفية لهم. وفي نحو السنة ١٥٠ ق. م. اجتاحوا بلاد ما بين النهرين ، واجتازوا الفرات الى احتلال المنطقة القائمة بينه وبين الصحراء ، واشهر مدنها دورا - اوروبوس ، او الصالحية كما تُدعى اليوم ، الواقعة في الطرف الشرقي لمنطقة الانتداب الفرنسوي. ولا يخفى ما كان من اتصال دائم وثيق بين سورية ومدن المنطقة المذكورة الواقعة في نفوذ تلك الدولة النصف المتحضرة . وكذلك القول عن تدمر البادئة منذئذٍ باستغلال تجارتها على افضل ما يمكن.

النظام الاجتماعي

اما نظام الفارثيين الاجتماعي فلا نعرف عنه الّا الشذرات . يظهر ان في اساس المجتمع الفارثي طبقة من سراة الملّاكين ذوي الاراضي الواسعة . وان للملك سلطةً مطلقة ، لا تمنعه من استشارة مجلسين ساميين: مجلس مدني يؤلّفه اعيان الامة ؛ ومجلس ديني يجمع الحكماء او المجوس . ومن حقّ هذين المجلسين انتخاب الملك . وليس من الضروري ان يكون الملك المنتخَب بكر الملك السابق . ومن المعروف ان الملك يتزوّج عدة نساء ، وكثيراً ما يتزوّج اخته او اخواته جميعاً ، كما هو مألوف في عادات الفرس القدماء . ويُدعى الملك « اخ الشمس والقمر ».

واما ديانة الفارثيين فالمزدكية الشعبية . وهي تختلف عن الزرادشتية الاصيلة ، وعن عبادة النار التي سيتخذها الساسانيون بعد ان يقلبوا الفارثيين ويحلّوا محلّهم على عرش بلاد فارس في السنة ٢٢٧ للمسيح . فيتابع ملوكهم مجابهة رومة وبيزنطية بأس اشدّ واجدى.

المدن الفارثية

امتدت الامبراطورية الفارثية من بحر قزوين الى ما وراء الفرات من ناحية الغرب ، منبسطة من بطائح هركانية في الشمال ، محتلّةً « طريق الحرير » منذ السنة ١١٥ ق. م. ، التي كانت تتخذها القوافل القادمة من الصين بطريق تركستان ، مستفيدةً من هذه التجارة المزدهرة في القرن الاخير قبل المسيح ، ولا سيما في مناطق فارثية ، وميدية شمالي بلاد الافغان الحالية.

وكان من عادة الفارثيين في بناء مدنهم ان يحاوطها بحصّنة مستديرة كمدن الحثّيين وغيرهم من الشعوب القديمة . وقد رأينا هذا الرسم المستدير في بناء المدن المحصّنة في تلّ المزّر الذي أشارت اليه آخر المراقبات الجوّية على الحدّ الشرقي للامبراطورية الرومانية ، كما رأيناه في بغداد العبّاسيين ، بشهادة مؤرّخي ذاك

العصر.[1]

وهو رسم مدينة فراآتا او فراآسيا الفارثية المعروفة اليوم باسم طاق - إي - سليمان الواقعة على قمة جبل يبلغ ارتفاعه ٢٤٠٠ م ، على ٢١٠ كيلومترات جنوبي شرقي بحيرة أورمية[2]. هي مدينة مستديرة يحيط بها سور ذو ٢٧ برجاً بارزاً ، يفتح فيه بابان . وفي دائرة المدينة بحيرة جبلية يغذوها ينبوع دائم. وكان الملك فراآت قد جعلها حصناً لنسائه ومخزناً لأمواله. فشى عليها مرقس انطونيوس الروماني احد الثلاثة المسلطين ، وحاول فتحها سنة ٣٦ ق. م. في غزوة مفاجئة. ولكنه لم يُفلح. (الرسم ١)

ومن مدن الفارثيين الشهيرة حَطْرة التي بُنيت في اوائل القرن الأول قبل المسيح[3] . وجعلت ثغراً في وجه العدوّ ، ومحطةً مهمةً للقوافل ، على نحو ٥٠ كيلومتراً الى الغرب والشمال الغربي من مدينة اشور القديمة ، على الطريق الآخذة من بابل الى تِرْب ، قريباً من منبع الخابور. هذه المدينة كانت محاطةً كمدينة فراآتا ، بسور مستدير يتجاوز قطره ٣ كيلومترات. وفي وسطها مستطيل يطيف به خندق وسور ، وفي المستطيل قصر ذو إيوانَين او ليوانَين. (الرسم ٢)

ومما امتاز به هذا القصر زخارف متنوّعة يونانية الإلهام ، ولكنها مصنوعة بأيدي الفنانين الوطنيّين. منها اقنعة وجهيّة تعلوها شرفة[4] ، تشبه الاقنعة المصوّرة على جدران پومپي[5] ، ولها ، مكان العيون ، أحجرة برّاقة وافرة التأثير . الّا ان زيّها عاديّ مبتذل مكرّر نفسه في جميع الاقنعة دون تنوّع[6] (الرسم ٣). يظهر هذا الزخرف على جدران الإيوان او الليوان . والليوان هو للاستقبال

١) اطلب المشرق (٣٣ [١٩٣٦] ٧٦)

٢) راجع Arthur Upham Pope, *Illustr. London News*, 26 Févr. 1938, pp.348-9

٣) W. Andrae, *Hatra*, I^e Teil, 1908, IIe Teil, 1912 (*Wissenschaftliche Veroeffentl. des Deutschen Orients - Gesellschaft*, n°s 9 et 21)

٤) W. Andrae, *Hatra*, I, pl. IV

٥) راجع Rostovzeff, *Dura and the Problem of Parthian Art*, 1935, p. 214 n. 69 et pl. 32 a

٦) W. Andrae, *Hatra*, II, p. 158 et pl. XIX, 3

مستطيل مفتوح للهواء الطلق ، يفضي الى ساحة فسيحة. وهو من افضل الابنية واوفقها لاولئك البدو نصف المتحضرين . ويرى بعض العلماء ان الليوان او الايوان إيراني الأصل غدا من اهم المظاهر البنائية في عمارة الساسانيين ، وكذلك في عمارة « البوادي » او بنايات الخلفاء الأمويين في البادية.[1]

ملوك الفارثيين

ولم يكن ملوك الفارثيين ، اصحاب هذه القصور الجميلة ، ليحيوا حياة البرابرة. وقد دلّت الآثار على انهم اخذوا بنصيب من الحضارة البنائية كما رأينا ، ومن الحضارة الفنية كذلك. ولدينا عدة نقود ونقوش مُثِّلت فيها رؤوس بعض الملوك والملكات . منها دراهم فضيّة[2] عليها صورة مِثريدات الثاني (١٢٤-٨٧) معاصر سيلّا الروماني ، وفراآت الثالث الذي اتخذ لقب « ملك الملوك » سنة ٦٦ ق. م. وكان معاصراً لبومبيوس. وفراآت الرابع ، معاصر اغوسطوس.

ومما اكتُشف حديثاً في مدينة شوشن رأس امرأة من نساء الملوك ، يرقى الى القرن الاول قبل المسيح على التقريب. وهو من صنع نحات، يوناني كما يدلّ الاسم المحفور: « انطيوخوس بن درياس صنعه » . اما زيّ الرأس ففارثي بطريقة صنع الشعر كتلةً واحدةً مرفوعة الى اعلى الرأس ، ينحدر منها غديرتان مستديرتان مسترخيتان كل الى جهة خدّ من الخدين. ويظهر ان صاحبة هذا الرأس سيدة جميلة تميل الى السمن وهي في منتصف العمر ، ويشبهها الاستاذ كومون بتماثيل افروديت السورية[3]. ولعلّها الجارية اللاتينية موسى التي اهداها اغوسطوس قيصر الى الملك فراآت الرابع . (الرسم ٤)

الثياب والاسلحة

ولا بدّ من الاشارة الى ثياب هؤلاء الملوك زمن السلم ، وفي مواقع

١) W. Andrae u. H. Leuzen, *Die Parthersstadt Assur*, 1933 (*Wiss. Ver. DOG* n. 57), p. 5

٢) راجع Fr. Sarre, *Die Kunst des alten Persien*, pl. 66

٣) راجع Cumont, *CRAI*, 1939, pp. 330-339

الرسم ١

تصميم
مدينة فرا آتا

يُرى في شمالي
الصورة بعض
الخرائب ، مع
البحيرة الجبلية
الموجودة
ضمن الاسوار

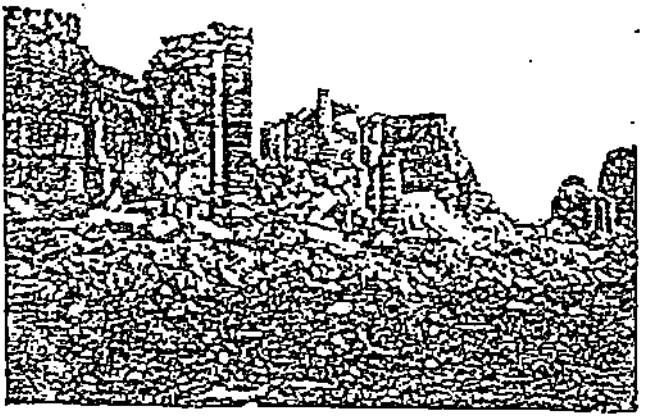

الرسم ٢
خرائب مدينة
حطرة
آثار الباب الداخلي

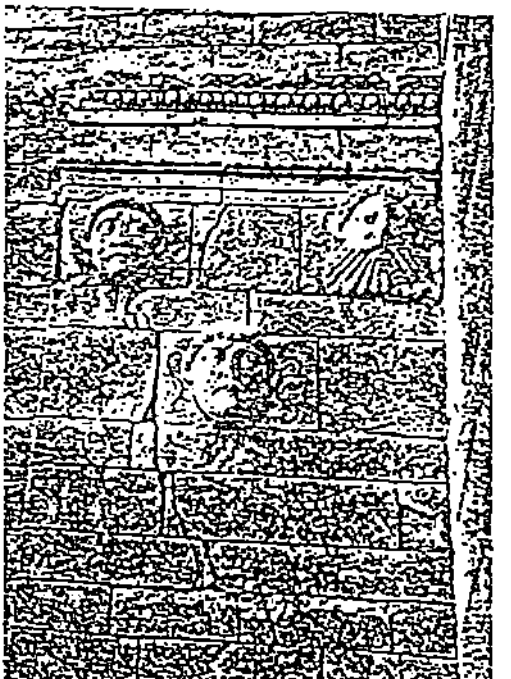

الرسم ٣
بعض الاقنعة التي تزخرف
قصر حطرة

الرسم ٥
انطيوخوس وميترا

الرسم ٤
رأس الملكة المكتشف في شوشن

الرسم ٧
رأس التمثال المذكور

الرسم ٦
تمثال فارني

الرسم ١

تصميم
مدينة فرا آتا

يُرى في شمالي
الصورة بعض
الخرائب ، مع
البحيرة الجبلية
الموجودة
ضمن الاسوار

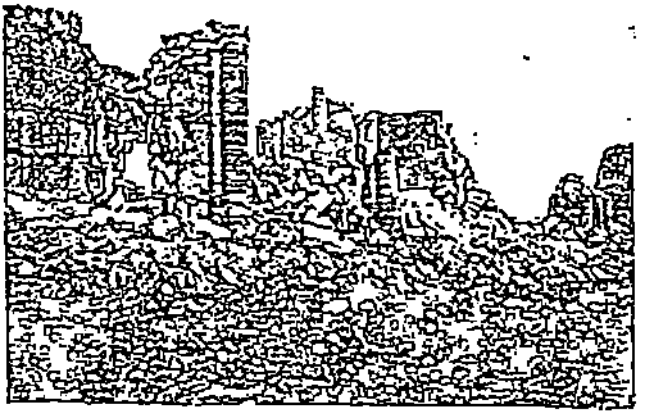

الرسم ٢

خرائب مدينة
حطرة
آثار الباب الداخلي

الرسم ٣

بعض الاقنعة التي تزخرف
قصر حطرة

الرسم ٥
انطيوخوس وميترا

الرسم ٤
رأس الملكة المكشف في بوشن

الرسم ٧
رأس التمثال المذكور

الرسم ٦
تمثال فارسي

الحرب[1]. كان ثوب الملك الفارثي لا يختلف ، على الغالب ، عن الثوب الفارسي او الفارسي - الفارثي الظاهر في رداء انطيوخوس الاول ، ملك كوماجينة ، ورداء ميترا البارزين في نقش نمرود داغ في بلاد كوماجينة ، الراقي الى ما قبيل السنة ٣٨ ق. م. (الرسم ٥) وهذا الثوب شبيه بالثوب التدمري البارز في اجمل النقوش المدفنية المكشوفة في مقابر تدمر ، كما لاحظ ذلك الاستاذ سيريغ.

وهناك رداء حربي ، وهو رداء الأشراف. يتألف من ثوب يشبه الردنكوت ، بالمعنى الاصلي ، اي الثوب المختصّ بالخيّالة . ويتبعه عقد يضمه الفارس في عنقه ، ويعلّق سيفاً بزنّاره. كما يظهر في نقش محفوظ في متحف برلين.[2]

وقد استفدنا من اكتشاف حديث ذكره السر اوريل ستين والاستاذ اندره غودار ، مدير مصلحة الآثار الإيرانية[3] ، معرفةً بثوب امير فارثي صغير كان يتيم، في القرن الاول بعد المسيح، في مدينة شامي قرب مالَمير في منطقة خوزستان، على نحو مائة كيلومتر شرقي شوشن . واجمل القطع المكتشفة تمثال من البرونز يبلغ طوله متراً واربعة وتسعين سنتيمتراً : ويؤلف من قطعتين مختلفتي اللون : الجسم وهو اثقل من ان يكون مصنوعاً في غير المكان المكتشف فيه. يرمي لونه الى الاخضر الباهت. والرأس وهو اسود اللون. ويظهر انه اصغر من ان يتناسب تماماً مع الجسم ، لأنه يخالف قاعدة القدماء بجعلهم نسبة الرأس الى الحجم الكامل نسبة واحد الى سبعة فقط. اما الرأس الحالي فانه يتضمن ثماني مرات ونصف في مجمل طول التمثال. فيُرجّح اذاً ان الرأس سُبك وحده ، وقد يكون عمل فنّان غير الذي قام بصنع جسم التمثال . (الرسمان ٦ و٧)

اما الشخص المُمثّل فليس في قسماته شيء من الملامح الاسيويّة . بيد انّ ما يهمّنا ، فوق هذا، هو الثوب الذي يرتديه : يؤلّف اولاً من سترة تشبه سترة السكيثيين ، مفتوحة على الصدر بين منطقتي جلد ، مقفلة على الوسط بزنّار .

---

١) راجع Fr. Sarre, *op. cit.*, pl. 65

٢) راجع Fr. Sarre, *op. cit.*, pl. 65

٣) A. Godard, *Les statues parthes de Shami, Abami, Athâr-e-Irân*, II, 2, 1937, pp. 285 ss.

وتحتها سراويل قصير. اما الساقان فلا يغطيها سراويل الفُرس المتقل، بل يلتفّ عليها طماقان ينحدران لفًا على القدمين فيسهّلان على الفارس ركوب الفرس. وعلى كل فخذ خنجر طويل.

ويظهر ان هذا الرداء الركوبي كان رداء النبّالة الفارثيين، مَن تمرّدوا، في حروبهم، ان يتظاهروا بالهرب امام العدو، حتى اذا لحق بهم فاقترب منهم، داروا عليه ورموه بنبلةٍ لا تخطئ.[1]

ولدينا قطعتا آجرّ مكتشفتان في سورية[2] تمثلان خيالة من السكيثيين. وهم يختلفون عن الفارثيين باستعمال القوس، ولكن ثيابهم لا تختلف في شيء عن ثوب امير شامي الفارثي. (الرسم ٨)

على هذا الزيّ ثوباً وسلاحاً، ما عدا القوس، كان الاربعون الف فارس نبّال الذين عبأتهم فارثية لمقاومة كراسوس.

ومن كتائب الفارثيين الخاصة بهم كتيبة الفرسان ذوي الخيول المدرّعة. وكانت تبلغ الستة آلاف في جيش فارثية. هم فرسان من اشراف الدولة، كانوا يلبسون ويُلبسون خيولهم الدروع المنسوجة بالزرد، او دروع الجلد المنزّل فيها قطع الحديد، ويتسلحون برمح طويل وسيف عريض. وقد وُجد في دورا-اوروبوس، غربي الفرات، صورة لاحد هؤلاء الفرسان، مع درع من ذوات الحديد المنزّل تكاد تكون تامة[3]. ولم يكن العدوّ لينال من هؤلاء الفرسان الّا عن الجنبين او على الساقين، لانه، لما لم يكن لخيولهم ركاب، كان من الضرورة ان يُطلق الساقان للاستمساك على ظهر الفرس.

وكان لا بدّ لهؤلاء الفرسان من خيول ضخمة قوية. فكانوا يأتون بها من مقاطعة نيزية في بلاد ميدية، فتمتاز بعلوّ صهواتها، وضخامة هياكلها، على خيول البطائح الضامرة. وكان ان ارمينية اخذت تستورد من هذه الخيول

---

١) كما يقول فرجيل: Fidentemque fuga Parthum versisque sagittis (*Georgiques*, III, 31)

٢) Fr. Sarre, *op. cit.*, pl. 54

٣) *Cambridge Anc. History, Vol. of Plates, IV*, pl. 26

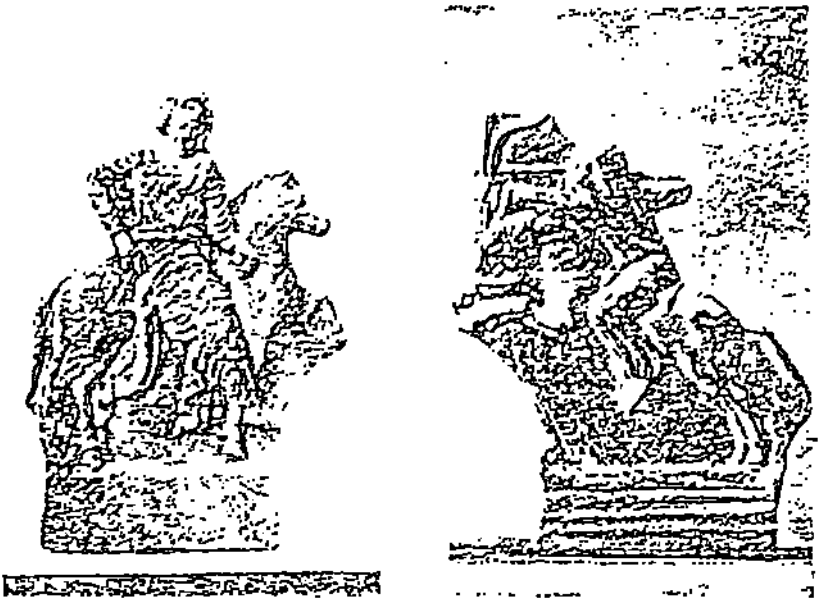

الرسم ٨

تمثالان من الآجر لجالة فارثيين او سكيثيين

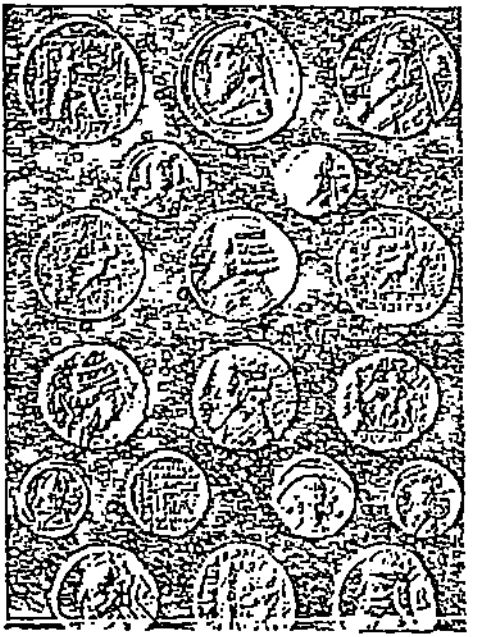

نقود فارثية

الضخمة ، وتلتها بلاد الصين. وقد رأينا الجنس نفسه من الخيول ، بعد اربعة او خمسة قرون في آثار الساسانيين. من ذلك فرس سابور الاول في ذاك النقش الذي يمثله مستقبلاً خضوع الامبراطور ڤاليريان المأسور على اثر انكساره سنة ٢٦٠

فارثيا وروما

هذا هو الشعب بأسلحته ومعدّاته ، الذي كان على روما ان تجابهه بكتائبها منذ عهد پومپيوس.

في السنة ٦٩ قبل المسيح ، بعد ان انتصر لوكلّوس على دكران ، او تيغران ، ملك ارمينية ، طلب فراآت الثالث ، ملك الفارثيين ، عقد محالفة مع روما . فرضيت روما ، ونال الملك الفارثي ، بفضل هذه المحالفة ، ان يجعل حدود مملكته الغربية مجرى الفرات . على انه تردّد في السير لمعونة روما في محاربة دكران .

وتشاء الأيام ان تنقلب سياسة دكران ، فينهي الحرب بمصالحة روما ويُصبح صديق الشعب الروماني . فيذكر پومپيوس ، الذي خلف لوكلّوس على قيادة الجيش الروماني ، ما كان من تردّد فراآت في معونة روما . فيحرمه المقاطعات التي كان موعودًا بها ، ويرسل احد ضباطه ، المدعوّ أفرانيوس فيحتلّها باسم روما .

عند ذاك مشى فراآت على بلاد دكران واحتلّ مقاطعة أديابينة ، مقاوماً روما مقاومة التِرن لتِرنه .

وكان في هذه المقاومة ما يحسبه الرومانيون اعتداء جريئاً ، بل جرعة لا تغتفر . ففكّر پومپيوس باكتساح بلاد ما بين النهرين بأسرها ، على ما يروي بعض المؤرخين . بيد ان الحوادث حوّلت في خطط هذه الحرب .

وذلك انه في السنة ٥٥ ق. م. نشب خلاف ، على الملك ، بين ولدي فراآت الثالث وهما متريدات الثالث واوروديس الثاني . فاستعان متريدات بالرومانيين . وسرعان ما مشى لنجدته غابينيوس ، حاكم سورية ، فقطع الفرات جادًا . ولكنه ادركه اذ ذاك موفد من قبل بطليموس الحادي عشر ، ملك

مصر اللاجئ الى قبرص ، يعرض عليه عشرة آلاف وزنة من المال ، اذا اعاده الى عرشه. فرجع غابينيوس على اعقابه واتجه جهة مصر.

فخاب امل ميتريدات الثالث ، وغلبه على امره احد اعضاء اسرة سورين الارستوقراطية. فالتجأ الى سلوقية ، على دجلة ، وتحصّن فيها مدة ، ولكنه لم يلبث ان استسلم وهلك في السنة ٥٤ ق. م.

وفي السنة نفسها مشى القائد الروماني كراسوس — وهو مرقس ليسنيوس كراسوس ، الذي كان قد ألف السلطة الثلاثية الاولى مع قيصر وبومبيوس — فدخل الاراضي الفارثية على رأس سبع كتائب.

ولا يهمنا البحث في الاسباب السياسية الداخلية التي دعت ارباب الحكومة الثلاثية الى تسيير هذه الحملة المشؤومة. انما المهمّ ان ندرس ما قامت به من تجريد رَجُلَي حرب وطريقتي عراك ووضعهما وجهاً لوجه.

قال تارن في تاريخه :

« كان كراسوس من اولئك القوّاد الذين كثيراً ما عرفتهم رومة : شجاعاً عنيداً ، ذا مقدرة متوسّطة ، شديد التشبث بآرائه . وقد يظهر انه ظنّ مهنته تقوم بوضع كتائبه تجاه العدوّ ، فتقوم الكتائب من نفسها بما بقي . ولم يكن رجاله يشعرون باقل اخلاص لشخصه يدفعهم الى التضحية في سبيله ، ولم يكن هو ليفهم كيف يمكنه ان يولّد هذا الاخلاص. وكان من سوء حظّه انه صادف، في آخر حياته ، خصماً يتصف بكل ما كان ينقصه من مخيّلة. »

وكان هذا الخصم يُدعى سورينا — او السوريني نسبةً الى اسرة سورين الارستوقراطية ، — مَن رأيناه يساعد اوروديس الثاني على اخيه ميتريدات ويثبت عرشه. وكان قد اصبح الشخص الثاني في الامبراطورية كلها ، فألّف من رجاله جيشاً بلغ عشرة آلاف فارس متسلّحين بالقسيّ وحدها ، وهم نبّالو الفارثيين المشهورون الذين تمرّنوا طويلاً برفقتهم قائدهم سورينا في جميع غزواته . وكان هذا « العربي المتأنق » ، كما يسميه كركوبينو متخذاً تعبير بلوتارك ، يجمع بين أنق مظاهر الترف واشدّ عزائم الشجاعة . « كان يجعّد شعره ، ويخطّط وجهه ، ويجرّ وراءه عدداً من النساء كبيراً . ولكنه يخفي ، تحت رداء هذا الشباب

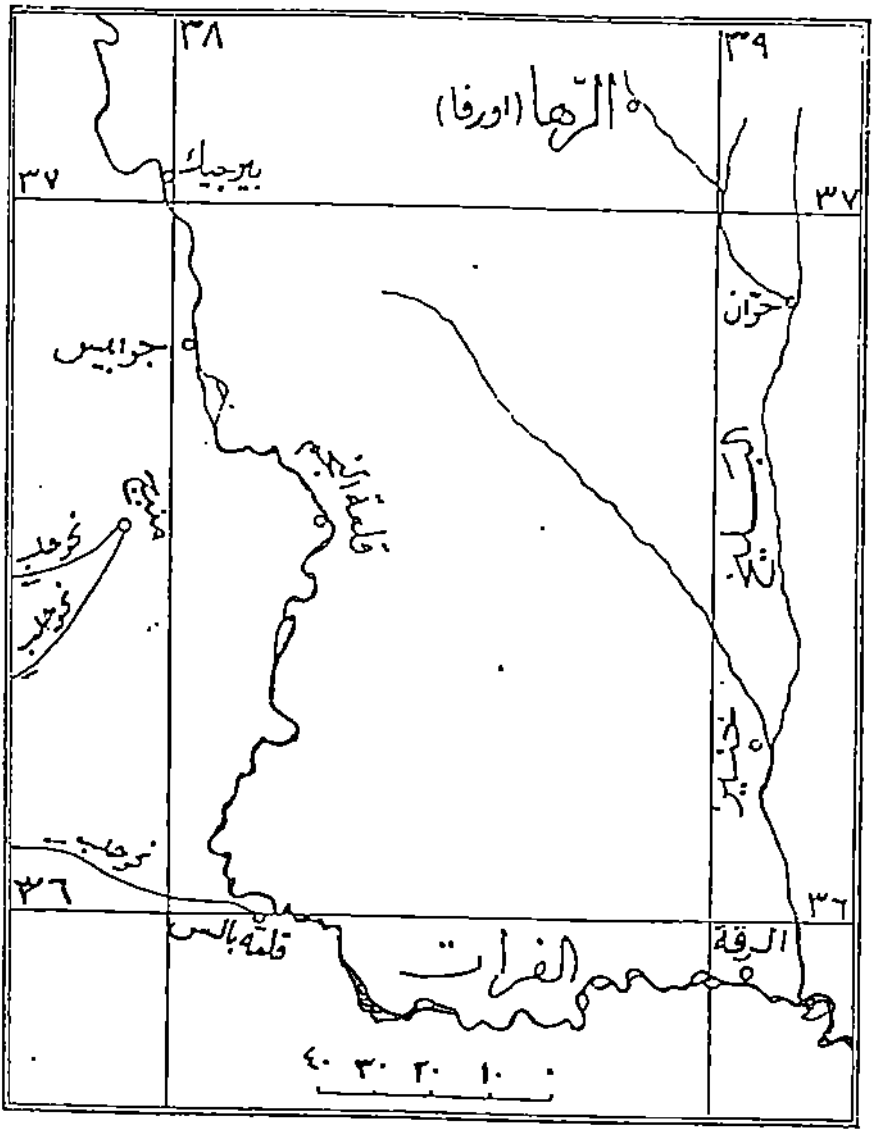

خارطة مستطيل الأسرُوين

لتتبع المعركة بين الرومان والفارسيين

البرّاق ، وهو لا يتجاوز الثلاثين ، دهـاء عميقاً ، وعزماً ابيًّا ، وخبرة شيخ حنكته الحروب . »

فرأى ان يتمّ معدّات خيّالته بألف جمل تحمل الذخائر من النبال . وهكذا سدّ تلك الثلمة التي كثيرًا ما ظهرت في حروب النبّالة فاضطرتهم الى وقف المعركة اذا ما فنيت عدّتهم من النبال[1] .

* * *

تقدّم كراسوس مسرعاً فاحتلّ مناطق البَليخ ، وهو احد سواعد الفرات ، يؤلّف الحدّ الشرقي للمستطيل المعروف بمستطيل الأسرُوين . على ان القائد الروماني اضاع الشتاء عبثاً في سورية . حتى اذا عزم في آخر ربيع السنة ٥٣ ق. م. على مهاجمة الفارتيين ، كان هؤلاء قد قرروا خطتهم بالسير على ملك ارمينية ليمنعوه مساعدة الرومانيين . وقد قام بتنفيذ هذه الخطة الملك اورودیس الثاني بنفسه . اما القائد سورينا فقد عسكر بجيشه على البليخ ، بين حرّان وخنيز او إخناي ، في نقطة تتقاطع فيها الطريقان الآخذتان من بلاد ما بين النهرين الى سورية ، فتصعد الواحدة الى الشمال قاطعة الفرات على جسر بلقيس ، او زوغمة ، وتسير الاخرى جنوباً نحو منبج ، بامبيكة - هيراپوليس القديمة ، منحدرة منها الى حلب . (راجع الخارطة في الصفحة السابقة)

فقطع كراسوس الفرات ، تحت زوغمة . وكان في جيشه ٢٨٫٠٠٠ من رجال الكتائب ، و ٤٫٠٠٠ فارس روماني ، و ٤٫٠٠٠ جندي من المشاة ، وفرسان اميين من امراء البادية اسمهما أبجر الثاني ، أمير أوسرُوين ، وألشودونيوس او ألخودونيوس (كذا) . ولم يكد يصل الى منبج منحدرًا والفرات ، حتى وردت الاخبار بظهور خيالة العدوّ جهة الشرق . فحمله الحماسة على اقتراف الخطأ بتركه شاطئ الفرات ، واندفاعه وراء اولئك الخيالة في مجاهل بدوية لا ماء فيها . اما آبارها المتفرقة فلا تكاد تفضل عن حاجة الجمال . وبعد مسير يوم ونصف يوم ، دون ماء ، تحت شمس آيار ، ادرك الجيش ضفة

١) راجع M. W. Tarn, *Les Parthes*, p. 13

البليخ بين حرّان وخنيز ، عند ظهر السادس من ايار (او الثامن والعشرين منه).

ولم يكد الجند يتناولون غذاء خفيفاً سريعاً حتى فاجأهم القائد بأمر السير جنوباً نحو خنيز . عندئذٍ وصل اليه الخبر بان الفارثيين هاجمون على جيشه.

اما الاميران العربيان أبجر والخودونيوس فاختفيا في فرسانهما بسرعة عجيبة . واما كراسوس فصفّ جنوده على طول البليخ. وعهد الى ابنه پوبليوس كراسوس بقيادة الميسرة ، والى كاسيوس بقيادة الميمنة ؛ محتفظاً بالقلب لنفسه مؤلفاً فيه ٤٨ فرقةً على ذاك الشكل المربّع الذي اصبح منذ عهد لوكلّوس خطة الكتائب الناجمة في مقاومة فرسان المشارقة . ولم يلبث الفارثيون ان ظهروا ، على ضرب صنوجهم وطبولهم ، يرفعون الألوية الحريرية خفّاقةً بما عليها من العقبان تجابه عقبان رومة . وكان اول اعمالهم ان أطلقوا الأعنّة لخيولهم الثقيلة فهجمت ، مزعزعةً مراكز المشاة الذين كانوا يؤلفون جبهة الجيش الروماني. ثم انسحبت الخيالة الثقيلة الى ما وراء الرماة فبدأ هؤلاء عملهم ممطرين الرومان وابلاً متتابعاً متواصلاً من النبال . وان يكن الترس الروماني يقي صاحبه من السهم المرميّ مستقيماً ، فكيف باتقاء السهم المنحرف او الآتي من وراء الظهر. وأنّى لفرسان رومة ومشاتها بمقاومة هذا الوبل الهابط من كل ناحية المتدفّق من كل صوب ، تمدّه الذخيرة التي يحملها الف جمل وراء النبّالة.

ولم يطل العراك حتى كاد العدوّ ، وهو لا يتجاوز ثلث الجيش الروماني عددًا ، يميل الى النصر فيضغط على ميمنة الرومانيين، قبل ان يتم تأليف المربّع في الوسط . عند ذاك امر كراسوس ابنه پوبليوس الذي كان يتولى قيادة ثماني كتائب ، والف فارس غالي ارسلهم قيصر ، وبعض الوحدات الخفيفة ، ان يبدأ الهجوم. فأطاع الشاب واندفع بفرسانه على العدو. بيد ان الفارثيين ، في تراجعهم ، جرّوه الى أبعد ما كان يريد ، فانقطع عن مشاته ولم يقوَ فرسانه الغاليون على مقاومة فرسان الفارثيين المصفّحين فكانت كسرتهم قاضيةً عليهم وعلى قائدهم. وكم كان ألم كراسوس شديدًا عندما رأى احد الجنود يحمل اليه رمحاً ركز فيه رأس ابنه پوبليوس. على انه تجلّد وقال للجندي ان الألم له وحده ، والمهمّ ان تنتصر رومة . وانصرف الى تعزيز مربّعه ، في الوسط ، الذي ظلّ يقاوم حتى

الليل. وفي الليل تراجع الفارثيون عن العراك شأنهم في جميع حروبهم.

ولو أحسن كراسوس خطته الحربية لكان أمر بالهجوم على معسكر الفارثيين ليلاً. فبيتهم، وهم مشاة لا يميّزون في الظلام اهدافاً لنبالهم. على انه أخطأ في الاولى، وأخطأ في الاخرى. ولم يكن في جيشه اذ ذاك الّا من يفكر بالهرب. فتراجع الجند مع قائدهم تاركين ٤ آلاف جريح، ملتجئين الى حرّان. ولمّا لم تكن المدينة صالحة للحصار، حاول كراسوس في الليلة الثانية ان يصل الى بيتاكة في سفح جبال أرمينية. ثم وقع في حبال الخداع اذ دُعي الى عقد صلح مع الفارثيين، فقُبض عليه وقُتل في ٩ ايار او ١ حزيران سنة ٥٣ ق. م.

وهكذا انتهت هذه الغزوة المخفقة، بانكسار قلّما عرفت رومة مثله ذلاً وصغاراً. ومن جيش كراسوس البالغ ٤٤,٠٠٠ لم يرجع الّا ١٠,٠٠٠ ادركوا سورية فألف منهم كاسوس كتيبتين كلفهما الدفاع عن هذه البلاد. وأسر الفارثيون ١٠,٠٠٠ فاقاموهم في مرو يدفعون عن حدود فارثية غزوات بدو تلك البطائح. وبلغت خسارة الرومان ٢٠,٠٠٠ رجل وألوية سبع كتائب[1].

* * *

ظلّ هذا العار لاحقاً بالرومانيين حتى عهد اغوسطوس. فلا قيصر الذي اعتزم في آخر ايامه تعبئة جيش ينازل الفارثيين، ولا انطونيوس الذي قام بغزوة مخفقة على فراآتا، لم يتمكنا من استعادة العقبان الرومانية التي خسرها كراسوس. بل ان اغوسطوس نفسه لم يتوصل الى ذلك الّا بطريق المفاوضات السياسية سنة ١٩ ق. م.، اي ٣٤ سنة بعد تلك المعركة المشؤومة.

وشدّ ما افتخر الامبراطور بهذا النجاح حتى انه حفر، في عهده السياسي المنقوش على جدران هيكل انقرة (أنكرة اليوم) ما معناه:

« عدد كبير من الألوية الحربية التي خسرها غيري من القوّاد استرجعتها من الاسبان، والغاليين، والدلماتيين. وأجبرت الفارثيين على ارجاع أسلاب ثلاثة

---

١) راجع W. Tarn, *Les Parthes*, p. 18

جيوش رومانية وألويتها ، وعلى ان يطلبوا صاغرين ، صداقة الشعب الروماني. وكل هذه الألوية والشعائر وضعتها في هيكل المريخ أُلتور »[٢] .

ولم يغفل الشعراء والفنانون عن التهليل لرجوع هذه العقبان الرومانية . وقد رأينا على دينار روماني مضروب في السنة ١٨ ق.م. اشارة الى استقبال اغوسطوس لهذه الألوية المسترجعة ، اذ نُقش على احدى جهتي الدينار *Caesar Augustus, Signis receptis.* ، وعلى جهته الاخرى مُثل قوس النصر المقام في ساحة الفوروم. ونحت الفنّانون صورة إرجاع الألوية على درع اغوسطوس في تمثاله الرائع المكتشف عند بريما بورتا .

* * *

ومن الحقّ ان نختم بقولنا ان الفارثيين ومن اتى بعدهم من الفرس الساسانيين قاوموا رومة ، ثم بيزنطية ، مقاومة مجيدة دامت حتى الفتح العربي في القرن السابع للمسيح .

٢) راجع Tarn, *op. cit.*, p. 19

الحجارة المؤلّهة

وعبادتها عند العرب الجاهليين

من آثار المرحوم الاب هنري لامنس

٥

درسنا في الابحاث السابقة بعض المظاهر لعبادة الحجارة بين العرب الجاهليين. وقادنا البحث الى ذكر شيء عن دور الطواف في شعائر الدين القديم. ثم حاولنا فهم لفظة « البيت » واتباع تطوّرها اللغوي . ولا شك في ان هذه الابحاث تظلّ ناقصة ، اذا اهملنا الاشارة ، وان مختصرة ، الى علاقة هذه المظاهر والشعائر الدينية بتكريم ذكرى الاجداد تكريماً دينياً في العصر الجاهلي .

ولا يخفى ان المكان الحافظ ذكرى الجد الفقيد ، المتضمّن ترابه كان يطلق عليه في الزمن الغابر اسم « البيت » . يشهد بذلك كثير من الشعر الجاهلي كقول زيد الخيل ، شاعراً بدنوّ اجله ، خائفاً من ان يُترك منفرداً في قبره في بلاد غريبة :

أمرتحل صحبي المشارق غدوةً واترك في بيت بفردة منجدِ (١

وقول كبشة ، اخت عمرو بن معدي كرب ، معيّرةً اخاها عمراً لتركه ثار اخيه ، تقوله على لسان القتيل :

ولا تأخذوا منهم افالاً وأبكرًا واترك في بيت لسدة مظلمِ (٢

وقول لبيد :

وصاحب ملحوبٍ نُجمنا بيومه وعند الرداع بيت آخر كوثر (٣

---

١) الاغاني ١٦ : ٤٦

٢) الاغاني ١٦ : ٢٥

٣) لسان العرب ٢ : ٢١١ ؛ قابل بما في البكري : معجم ما استعجم ٢٤٧ ؛ الاغاني ١٤ : ٨١ ، في قول طفيل الغنوي ؛ حماسة ابي تمام ١٠٧ ؛ حماسة البحتري ، عدد ١١٠ ؛ معجم ياقوت (طبعة مصر) ٥ : ٢٨٤ ؛ ابن الاثير : النهاية ١ : ١٠٣ ، ٤ : ٢١٢ . ويذكر دريد بن الصمّة « بنيان القبور » في الاغاني ٩ : ١٤ ، وفي الاغاني ١٤ : ١٣٠ ذكر لحجارة « بُنيت »

واقرب الينا رثاء جرير لامرأته :

لولا الحياء لعادني استعبارُ ولزرت بيتكِ ، والحبيبُ يُزار (١)

في هذه القصيدة العاطفية يقترن الشعور الحقّ بالتعبير الطبيعي . وهما ميزتان نادرتان في تلك الكثرة من المراثي البدوية(٢) التي غالباً ما اتصفت بالتعابير المبتذلة ، والصور والتخيلات المراجَعة(٣) . حتى بلغ الامر بالخنساء ومثيلاتها ان احتللنَ المركز الاول في هذا النوع ، من حيث الكمية . اما مراثي الرجال فهي اقلّ مراجعات ، واخفّ ابتذالاً .

وُجدت المرثاة لتمجيد ذكرى السادة الاشراف ، وتعداد مآثر الابطال ، فلم يكن لها ، والحالة هذه ، ان تبكي احدى اناث القبيلة . ولم يكن لحادث طفيف كموت امرأة أن يضعضع صبر البدوي المأثور . فاذا اظهر الرجل عاطفته لمثل هذا الحادث كان كمن خالف اصول اللياقة والاحتشام ، فحقّ لعائشة مثلاً ان تعاتب ذاك الأنصاري النادب شريكة حياته بقولها : « أتحزن على امرأة ؟ »(٤)

كان من حقّ النساء ان يصعدن الزفرات على الرجل الراحل ، ولا سيما الام والاخت ، وهما اقرب نسباً اليه من امرأته التي قد تكون « نزيعة » او « سبيّة »

على قبر . وهي حجارة موقوفة او مصنوفة على شكل دائرة . وعلى هذا النحو كان المسجد الذي بناه ابو بكر للنبي في الطريق تحت شجرة مكرّمة ، كما في قول الواقدي : « قام الى حجار فبنى تحتها مسجداً » ، كتاب المغازي ١١ . وراجع بحثنا في *Sanctuaires préislamites*, p. 58

١) البكري : الكتاب المذكور ٢٤٧ . وفي نقائض جرير والفرزدق أُبدلت « بالبيت » لفظة « قبر » ، وكذلك في معجم ياقوت (طبعة مصر) ٢ : ٢٨٤ . ولعلّ هذا الإبدال مقصود ، في سبيل الغاية التي سنشير اليها . وانظر كيف تعتذر عائشة عن زيارة قبر اخيها في الاغاني ١٤ : ٧٠ . وقابل ، بشأن الحياء ، بما في الاغاني ١٩ : ٨-١٠

٢) راجع كتابنا في *Fāṭima*, p. 120-121 ؛ وأطلب ابن قتيبة : الشعر والشعراء ٢٦٩ ، وقد اعجبت بهذه القصيدة فمدحتها سُكينة ، حفيدة علي بن ابي طالب ، الاغاني ٧ : ٤٠ ، ١٤ : ١٧٧

٣) راجع ، في الحكم على هذه المراثي ، ما يُنسب الى عنترة ، في الاب شيخو : الشعراء النصرانية ٨٢١-٨٢٢

٤) ابن هشام : السيرة ٦٩٨ . وفي ابن سعد : الطبقات ٣ : ١٢ ، مثل آخر ، وراجع *Bercean*, I, 106

من قبيلة اخرى . ولسنا نعرف في قديم الشعر مرثاةً خصّها رجل بامرأته[١] . وقد غفل التقليد الشيعي عن هذه الظاهرة الاجتماعية ، عندما شاء ان يخرج علياً من صبره الصامت لدى وفاة فاطمة[٢] ، فنسب اليه قطعة من الشعر الرثائي[٣] .

ولا شكّ في ان الإسلام أضعف من اهمية المرأة في الحياة الاجتماعية . ولكن هذا لا يخفّف من حيرتنا اذا ما فتشنا عن اسباب تخوّف جرير الحزين ، وجهوده في تسكين ما قد تثيره من الاستغراب مرثاته الجريئة . حتى ان التقليد الادبي ، الذي كثيراً ما ظهر ميّالاً الى جرير بل متعصباً له[٤] ، لا يتكلّف تبرير موقف الشاعر المفجوع . وها ان الفرزدق[٥] ، خصمه الوقح ، يتطاول بفظاظة على الهزء بألم زميله ، دون ان يثير ايّ احتجاج . بل ان جريراً نفسه نراه يتردّد في انشاد قصيدته العاطفية في حلقات المدينة[٦] ، معقل السنّة المحافظة على الايمان الخالص . ونحن نعرف ان الإسلام أظهر دائماً اعراضه التام عن تكريم القبور[٧] . لانه كان يشمّ فيه خطراً على خلوص التوحيد . حتى ان ارباب «الصحيح» وجُماع «السُنَن» اذا ما ارادوا تبرير زيارة القبور ، احتاجوا الى التسلّح باذن خاص من النبي ، يظهر منه انه تراجع ، آسفاً ، عن تحريم سابق[٨] . وقد يشعر الباحث بهذا

---

١) ولا نرى من هذا الشعر الّا في العصر الاموي كمرثاة الوليد الثاني لامرأته ، الاغاني ٦ : ١٢٢ ؛ وفي الاغاني ١٩ : ١٠٨ مثل آخر من العصر الاموي ، ولكن الشاعر يخاف العار والحياء . فيقول : « لولا الحياء ولولا رهبة العار . » وراجع « معارف » ابن قتيبة (طبعة مصر) ٩٣

٢) اطلب *Fāṭima*, 116

٣) العقد ٢ : ٧٠ — واكثر من هذه تلك المراثي المخصوصة بالجواري . اطلب الاغاني ١٢ : ١١٥ ، ١٤٢ ، ١٤٤ ؛ الجاحظ : الحيوان ٦ : ١٧٢ ؛ وخصوصاً العقد ٢ : ٢٢ . بيد ان فيه ، ص ٢٤ ، مقطعاً قصيراً يخصّه احد البدو بزوجته .

٤) راجع كتابنا في *Chantre*, 33 ؛ الاغاني ٧ : ٢٨ ؛ ١٩ : ٤٨

٥) وهو يرفض زيارة قبر امرأته ، الاغاني ١٩ : ١١

٦) الاغاني ٧ : ٦٦

٧) قابل بتشديد النبي على فاطمة ، وقد ظنّها زائرة احد القبور ، ابو داود : السُنَن ٢ : ٢٤

٨) اطلب *Fāṭima*, 118 ؛ البنوي : مصابيح السُنّة ١ : ٧٤-٧٥ ؛ السيوطي : موضوعات ٢ : ٢٢٤ ؛ ياقوت : المعجم (طبعة مصر) ١ : ٩٢ ؛ ابو داود : السُنَن ٢ : ٤٤ ، ٣٠٢-٣٠٣ ؛

الاختلاف في الآراء بشأن القبور اذا ما زار المقابر الاسلامية القديمة ، فشاهد تلك الصفوف من القبور المتماثلة ، وميزاتها المساواة المطلقة ، والرمي الى إغفال أعلامها[١] . هي روح السُنة اذ تشجب القبور « المسنمة » وتنهي عن البناء فوق القبور حتى لا تُحوّل الى مساجد كما يفعل اصحاب الكتاب[٢]. بل انها تنهي ان تُطلى القبور بالكلس الأبيض ، وان تنقش عليها الرقم او الكتابات[٣].

ولم تكن لفظة «البيت» الدالة على القبر في اللغة القديمة ، تلك اللغة الأثيرة لدى شعراء الامويين ، الّا لتنبه ارباب السُنة فتثير حذرهم وتخوّفهم . نتحقق ذلك في ما نراه من اختلاف الروايات في بيت جرير المذكور ، ومن محاولات ابدال « القبة » « بالبيت » في بعض النصوص القديمة . وقد ذكر غولدسيهر « بيتاً » اقامه الطائيون على قبر السيد قيس الداريّ[٤] بعد ان قتلوه فندموا ، وزاد محذّراً قرّاءه من ان يفهموا التعبير فهماً ظاهرياً[٥]. بيد ان هذا التحذير ، على فائدته ، كان من الممكن ان يُستغنى عنه ، لو دقّق المستشرق في ترجمة لفظة « بيت ».[٦]

ويُذكر عن النبي انه زار قبر امه : مسلم : الصحيح ١ : ٢٥٩-٢٦٠ ؛ ابن دَيْبَع : تيسير الوصول ٣ : ٢٠٤-٢٠٥

١) فهي كما رآها دروَن :

Elles sont, ça et là, modestes et sans ombre,
Toutes semblables pour des êtres différents...
Tous ont déposé là l'angoisse d'être un homme,
Tels les chameaux meurtris par les sangles, le soir
S'agenouillent enfin pour commencer leur somme,
Les naseaux rafraîchis à l'eau de l'abreuvoir.

Alf. Droin, *Chant du Magrib.*

٢) راجع صحيح مسلم ١ : ٢٥٧ ؛ أبو داود : السُنن ٢ : ٤٣ ، *Fātima loc. cit.* ؛ قابل بما في اسد الغابة ٥ : ١٥٠ من انه اقيم مسجد على قبر صحابي توفي في توجهه الى النبي !

٣) الذهبي : الميزان ٣ : ٢٨٤

٤) قابل بما في الاغاني ١٦ : ٨١ : ٥ بنوا عليه بيتاً ٥ ؛ ١٣ : ١٤٤ ، اي اثراً من الحجارة المتراكمة او المستديرة على شكل حظيرة .

٥) Goldziher, *Muh. Stud.*, I, 233

٦) وهو يترجمها بلفظة *Haus* وكذلك يترجمها ولهوسن *Reste*, 58, 194...

اذاً لما شكونا نتائج هذا الالتباس.

ذلك اننا نجهل الكثير من شؤون العصر الجاهلي وآثاره . وليست كتب اللغة التي بين يدينا كالتاج ، واللسان ، او كتب الادب كالعقد وامثاله ، لتسدّ هذه الثُلم الواهية في المعلومات عن ذاك العهد السحيق ، ولا سيما في هذه النقطة الخاصة . ولهذا نرانا مضطرين الى المقابلات والاستنتاجات . ونحن ، وان كنا لا نتصوّر بسهولة ما يمثله ذاك « البيت » المقام على القبر ؛ فان القدماء من العرب كانوا اذا ما رأوا « البيت » — وهو لا يعدو ان يكون حجراً مرفوعاً ، او نصباً ، او شاهداً ، او « قبة » ، وهي من مرادفات « البيت » ، قائمة في دائرة من الحجارة او « حرم »[1] — تمثّل لهم فيه معنًى دينيّ يتعلّق بتكريم الموتى . ومن هذا النوع كان النَّريّان في ظاهر الحيرة ، وهما بعيدا الذكر في تاريخ اللخميّين . وكل قبر معروف مشهور ، على هذا الشكل ، كان يُصبح « حرماً »[2] وبالتالي مذبحاً او مكاناً للتضحية . ولهذا يسمّى نصبه او شاهده « النَّريّ » ، او « المنري » اشارةً الى تلطّخه بالدم ، دم الذبائح او الاضاحي . ومن النوع نفسه كانت تلك « الإرَم »[3] والحجارة المرتبة مستديرةً على قبر معاوية ، اخي الخنساء ، تعلوها اغصان السَلَم السُمر :

الى إرَمٍ واحجار وصبر واغصانٍ من السلمات سمرِ[4]

وكثيراً ما كانت هذه الإرَم تجاور « الأنصاب » التي لم يبقَ شكٌّ في الغاية من رفعها . وقد رأينا الشعراء يميلون الى القسَم بها ، واعلان صفتها المقدّسة ، وذكر دماء الضحايا المهراقة عليها[5] ، في أيمان لا تقلّ في نظرهم عن الأيمان باقدس

---

١) راجع حديثا ظاهر الغموض والالتباس في الكلام على قبر ابي رغال ، ابو داود : السُنن ٢ : ٢١ ؛ وفي الاغاني ٤ : ٧٦ نصّ اوفر تحريفاً . وليُقرأ « كان في الحرم » بدل « هذا الحرم »

٢) راجع *Fāṭima*, 119

٣) اطلب ، في معنى « إرَم » ، ابن دريد : الاشتقاق ١٩٤

٤) تاريخ ابن عساكر (طبعة بدران) ٥ : ١٨٣ ؛ راجع الاغاني ٩ : ١٤ ، ١٣ : ١٤٤ ؛ شيخو : شعراء النصرانية ١٧٠

٥) الاغاني ٩ : ٦ ؛ ياقوت : المعجم (Wüstenfeld) ٤ : ٩٩٩ ، وقابل بما في ابن هشام : السيرة ٦٢٦ ؛ ١٤ : ١٣١

المياكل.

وهم يتكلمون عن الميت احياناً كما لو كان لا يزال في قيد الحياة يلجأون اليه ، ويعوذون بقبره او « بيته » او « قبّته » كما في قول الشاعر:

أتيت سُليماً فعذت بقبره واخر الزمانة عائذٌ بالأنمر(١

يتضح من كل هذا ان ارباب السُنة كانوا على حقّ في حذرهم من هذه البقايا الجاهلية . ومنها تلك « القُبّة »(٢ التي كانت تُنصب على قبر الجدّ ، او الميت السيّد المشهور ، فتختصّ هي وما يحيط بها من الارض بحقّ الحَرَم ، او الملاذ والملجأ . وليست هذه الصفة ، في الحقيقة ، الّا امتداداً ، حتى ما وراء القبر ، للمنعة او الحِمى الذي كانت تختصّ به « قبة » القبيلة وفناؤها ، بل انها توسّع في معنى « البيت » بدلالتيه الدينية والمدنية . وكما كان اللاجئ الى صاحب « القبة » في حياته يُدعى « جاره » ، كذلك اللاجئ الى القبر او العائذ بالقبة المنصوبة عليه يُسمّى باسم « الجار »(٣ فتؤمنه وتحميه شريعة الضيافة المنيعة . هو ضيف الميت يقوم بحقّه ابناؤه الساهرون على القبر كعديّ بن حاتم يستقبل الاضياف على قبر والده في الجاهلية(٤ ، وكالفرزدق الشاعر يفعل الفعل نفسه في الإسلام(٥ . وهكذا نرى قبر السيد الفقيد يكوّن حِمىً او حَرَماً يحافظ عليه اولاده وحفدته ، حتى اذا طال الزمن ، ومرّت الاعوام بوقار التاريخ ، تحوّل القبر شيئاً فشيئاً الى مقرّ للعبادة التقليدية .

ولنا في تاريخ الخليفة هشام بن عبد الملك(٦ ما يؤيّد هذه العادة.

كان الخليفة قد غضب على الشاعر الشيعي الكميت بن زيد ، فنذر دمه ،

---

١) ابن دريد : الاشتقاق ٢٢

٢) ولننتبه لاسم « القُبّة » ، فهي ليست خباء او بيتاً من شعر ؛ اطلب شيخو : شعراء النصرانية ١٧٥ ، وقابل بما في الاغاني ١١ : ١٤٤ ؛ الطبري : تاريخه ٢ : ١١٠٧ ؛ البخاري : الصحيح (القسطنطينية) ٣ : ٩٠ ؛ ابن حنبل : المسند ٣ : ٢٩٢

٣) راجع الاغاني ١٥ : ١٢١ ؛ ابو زيد : النوادر (طبعة بيروت) ١٦١ ؛ الاغاني ١٣ : ١٠٠ ، ١٩ : ٢٦ ، ٤٢ ، ٥٠ ؛ ابن عساكر : تاريخه ٥ : ٢٦٩ ٤) الجاحظ : المحاسن ٨٢

٥) ابن دريد : الكتاب المذكور ١٤٧ ، واطلب ترجمة الفرزدق في الاغاني.

٦) الاغاني ١٥ : ١١٥-١١٦

وجعل لمن يأتي برأسه جُعالة. فاحتال الشاعر حتى وصل الى قبر معاوية ابن الخليفة، فلاذ به ونصب عليه « قُبّة » ، معتبرًا قبر الامير الشاب اعتبارَه قبرَ بطل شهير او جدٍّ معروف. فنال بفضل هذه المظاهرة المريقة ، رضى الخليفة وامانه . وان كان لنا ما نستخلص من هذا الحادث فهو اثر « الدين » العربي الجاهلي العميق ، الذي كان لا يزال متسلكاً على نفوس المسلمين ، وقد مرّ على الإسلام ثلاثة ارباع القرن !

وكان من القبور ما يظهر اجدر من غيره باسم « البيت » ؛ كقبر حاتم طي، وقبر عامر بن الطفيل[1] ، وقد أُحيط كلٌّ منها بدائرة من الحجارة المركوزة او الأنصاب ، مشيرةً الى المارّة بصفة القبر المنيعة ، صفة الحِمى او الحَرَم.

وقد تقدّم لنا القول انهم كانوا يضحّون بالذبائح على اكثر هذه الأنصاب القبرية ، تضحية التكريم والإجلال[2]. ولم يكن احد ، في القرن الاول للهجرة ، ليجهل هذه الشعائر والعادات الطقسية . فلا عجب ان تكون اثارت احتجاج السُنّة ، فاندفعت الى تحريها بجدّة وصرامة شاملةً بتناهيها القاسية الذبائح على القبور[3] ، ونصب الفسطاط[4] في اثناء الجنازة وبعدها .

* * *

ولنذكر الآن قبر ابي رغال ، وما احاط به من احاديث:

معروفٌ ان قبيلة ثقيف ابعدُ القبائل الحجازية همّةً واشهرها مساعيَ بعد قبيلة قريش . فلم تكن لتنصرف عن تكريم ذكرى جدّها الاعلى ، واحترام مركز قبره ، وقد اصبح « القبرَ » على الاطلاق[5] . ولكنّ الحزب المعارض

١) اطلب ديوانه (طبعة Lyall) ص ٦١

٢) حتى ان المارّ نفسه يعقر راحلته كما سنرى.

٣) ابو داود: السنن ٢ : ٤٣

٤) البلاذري : الانساب ٢٨٢ b ، طبعة Ahlw ٤٠ ؛ السمهودي : الوفاء ٣ : ١٠٠ ؛ ابن الديبع : ك . م . ٣ : ٣٩٩ ؛ البخاري : الصحيح ٢ : ٦٨ ؛ ابن حنبل : المسند ٢ : ٢٦٢ ؛ مطهر المقدسي (Huart) ٥ : ١٠٥ – وقد يحتج بعضهم لنصب الفسطاط برداءة الطقس من شدّة حرّ او انهمار مطر . . .

٥) قد يكون هذا معنى القول : « والقبرُ قبرُ ابي رغال » الاغاني ١٥ : ١٣١

للامويين، المتغلغل تأثيره حتى الشؤون التاريخية واللغوية، تظاهر بجهله معنى الاسم « عبد ثقيف »، مستندًا الى إعراض النسّابة المسلمين وارباب الحديث عن ذكر كلّ معنى ديني لتلك الاسماء الجاهلية المبدوءة « بعبد »، مع قولهم ان النبيّ كان يكرهها ويسرع بوضع غيرها لتابعي دينه.

على اننا نميل اليوم الى القول ان « عبد ثقيف » يدلّ الدلالة الواضحة على عبادة عريقة او تكريم ديني لثقيف[1]. وثقيف، وابو رغال، وثَقِي، في نظر النسّابة، ثلاثة اسماء لمسمًّى واحد هو جدّ بني ثقيف، واذًا فبدل ان نرى في هذا الاسم دلالةً على مهانة الثقفيين — تلك التي شاء ان يلصقها بهم بعضُ جمّاع الاخبار القديمة من الذين كانوا يكتبون، عن جهل وسوء نيّة، في سبيل التزلّف للعلويين او العبّاسيين، فيتعمّدون إساءة بني امية بتذليل قبيلة اشهر ولاتهم — نرى فيه بينة ظاهرة على دين ثقيف القديم، لا تقل في شيء عن دلالة « عبد قُصي » على مظاهر التكريم الديني الذي كان يوليه قدماء القرشيين لجدّ سراتهم، وواضع شريعتهم المكيّة، كما يزعمون.

ولا نبالغ اذا قلنا ان بغض الشيعة والعباسيين لبني اميّة[2]، وولاتهم المخلصين كزياد بن ابيه[3]، وعُبيدالله، والحجّاج، دفع الرواة وجمّاع الاخبار الى استغلال اسطورة ابي رغال على اقبح شكل واسمجه، يرمون في ذلك الى النيل من الثقفيين خاصة، واهل الطائف اجمالًا. ولم تقلّ الشيعة، ذاكرةً حادثة كربلاء وعدد ضحاياها، عن دُعاة الهاشميّين المأجورين[4]، في تسويد ماضي الثقفيين، وقد نجحت هذه الخطة بفضل اجماع الفئتين.

على ان هذه الاحقاد السياسية التي بلغت اقصاها، بعد سقوط الدولة المروانيين، لم تستقلّ في التحامل على قبر ابي رغال. وقد لا نخطئ اذا اشرنا الى اشتراك مثلي التوحيد القرآني في العمل على الحطّ من هذا المظهر لعبادة جاهلية قديمة في

---

١) راجع كتابنا في *Tāif*, pp. 34,57,66,67

٢) ولا سيما يزيد المدعوّ « أشقى الاشقياء »، مطهّر المقدسي (Huart) ٥ : ١١٧

٣) راجع بحثنا في *Yazīd*, p. 124

٤) اطلب *Tāif*, p. 173

تكريم الاجداد. ولا يصعب على الباحث ان يدلّ على محاولات التوحيد في هذا الموضوع ، محاولات لم تستتر بمهارة كافية . وليس من عجب في ان يقوم ارباب السنة لمحاربة هذه البقايا ، وقد رأوا في المظاهر المختلفة لتكريم الموتى ، في هذه الآثار البسيطة الدالة على مواقع قبور الاجداد ، فعلى اهداف عبادة الحفدة ، من اعمدة مركوزة ، او صفائح مرتّبة ، او رُجم[1] مركومة ، من « بيوت او انصاب » ، كما كان يقال في لغة الشرك القديم ، خطرًا على سلامة العقيدة التوحيدية ، ومهدّدًا لمستقبل السنة الخالصة. فكان ان استعملوا ، في هذه الغاية ، المخاصمات السياسية ، والمنافسات بين القبائل . وهكذا استعانوا بعصبيّة الأسر الارستقراطية في مكة ، حتى حوّلوا قبر الجدّ قُصيّ[2] الذي كان مقرًّا للعبادة ، الى ما دعوه « بدار النَدوة » رامين الى اقرار مؤسّسة تجعل حقوق الهاشميين وراثيةً كابرًا عن كابر . فنجحوا كل النجاح بأن صرفوا الانتباه عن صفة القبر الدينية في العبادة الاصلية ، الى تمجيد الخلافة الهاشمية ، والتكثير من عدد المأخوذين بهذا السراب .

ولكنهم لم يأخذوا بالاحتياط نفسه، في ما خصّ الطائف، منافسة مكة في العهد القديم ، ومخالفة الامويين ، وبالتالي موضوع سخط العبّاسيين وهدف حقدهم الجامح .

وكان من همّ القائمين بهذه الحملة ، من مُلهمين ومنفّذين ، أن يحطّوا ، قبل كل شيء ، من شأن المعابد الجاهلية ، معاقل الشرك القديم . ولا بأس ان يستنجدوا بالمتخيّلات والاساطير . حتى اذا كثرت المعلومات المنحولة ، المتقطّعة المقتضبة عن قصد وتصميم ، كان منها ما يُحرّف ويُبدّل في معنى الشعائر المُقامة على قبر ابي رغال جدّ الثقفيين ، حتى تخرجها من صفة التكريم الى مجال الازدراء وانتهاك الحرمة . من ذلك انهم يصوّرون النبي ، في سيره الى حصار الطائف ، يقف على قبر ابي رغال ليهينه . ويقولون : « استُخرج منه غصن من ذهب »[3] . وهو قول

١) الاغاني ١٦ : ١٤٢ . وليقرأ في السطر الثامن قبل الاخير « رُجمي » لا « رحمي » .

٢) راجع كتابنا *La Mecque*, pp. 101, 226, 301 — إلّا اذا كان مقرّ هذا القبر الاصلي على مرتفع قرب مكة ، كان يُرجم بالحجارة ، وقد عيّنه بعضهم مركزًا لقبر ابي لهب .

٣) عُجيمي : اخبار الطائف (مخطوطة المكتبة الملكية في القاهرة) ص ١١ قفا . ويقول ابو داود : السُنن ٢ : ٣١ : « دُفن معه غصن ذهب » ، راجع الذهبي : الميزان ١ : ١٢٨

ضعيف وصل بطريق مورد غير صافٍ . وكأنه تحريف لقول قديم لعلّ لاصله اثراً في ما نقل الاغاني[1] عن « عمودٍ من ذهب » (؟)

ولا يخفى ان غاية الإسلام كانت أن يستبدل بالمجتمع الجاهلي القديم المؤلف من وحدات قبلية امّةً واحدة هي « أمة محمد »[2]. فكان ان المسلمين اخذوا بهذه النظرة الجديدة ، ولم يقلعوا عن عقليتهم العريقة ، فتوصلوا الى القَسَم بقبر محمد[3] منزلينه منزلة قبور جدودهم المكرّمة ، دالّين على رغبة الساميين اجمالاً في تعداد الأيمان ، جارين في هذا على مثال القرآن ، وقد كثرت فيه الاقسام ولا سيما في مطالع السور القديمة.[4] وقد رأينا في بعض الأيمان القديمة الحلف بقبر ابي رغال. ولعلّ ذلك كان جارياً مجرى العادة في الحجاز. يؤيّده ما نقله الاغاني[5] عن اشعب في حادثة يجمع فيها بين اليمين بقبر جدّ الثقفيين واغلظ الأيمان التي اعتاد البدو الحلف بها.. وقد يكون من غاية التقليد ان يُزري بهذه الأيمان القديمة ، المتنافرة والدين الجديد ، فوضعها على شفتي أشعب ، ذاك المهرّج الظريف الذي كان يُضحك مأجوراً علية المجتمع الارستوقراطي العابث في المدينة ، اواخرَ القرن الاول للهجرة.[6] ولا مرمى للاعتراض بضآلة الشخص المعدّد هذه الأيمان او بسيرته الماجنة. اما اذا كانت هذه الأيمان نادرة في ذلك المجتمع ، فما معنى تحريم السنة للحلف بالآباء والجدود ![7]

* * *

١) الاغاني ٦ : ٧٦

٢) والاسلام لا يرضى عن التعبير العريق البداوة « دين محمد » ، والقرآن لا يعرف الا « دين الله ». الاغاني ١٦ : ٦٦ ، وقابل بما في ابن هشام ٧١٢ : « ملة الله ».

٣) الاغاني ٦ : ٩١ ، ١٦ : ٩٢ ؛ ديوان حسّان بن ثابت ٣٠ : ١ ، وهو اقدم نصّ يُذكر فيه قبر محمد.

٤) انظر مطالع السور ٥١ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٦٨ ، ٧٥ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ٨٩ ، ٩١ ، ٩٣ ، ٩٣ ، ٩٥ ، ١٠٠

٥) الاغاني ١٥ : ١٢١–١٢٢

٦) اطلب ترجمة أشعب في الذهبي : الميزان ١ : ١٢٠–١٢١ ، ويلاحظ المؤلّف قائلاً : « لا يُكتب حديثه ! »

٧) الترمذي : الصحيح (طبعة الهند) ١ : ١٨٥ ؛ البغوي : الكتاب المذكور ٢ : ٢٢ ؛

يقول ولهوسن[1]: «ان رمي الحجارة على القبر، في الإسلام، يعني احتقارَ الميت. امـا في الزمن القديم فان هذا العمل كان يعبّر عن احترام الرامي.»[1] ولنضف: وكذلك وضع اغصان الشجر على القبر، كما يشهد دريد بن الصمة ذاكرًا[2] اغصانًا «من السلمات السمر» في بيته المذكور في اول هذا البحث، والذي شرحه صاحب الاغاني بقوله: «اي أُلقيت على قبره.»[2] وتذكر مجاميع «الصحيح» ان محمدًا احتفظ بهذه العادة القديمة، فرآه الناس يغرس الاغصان الخضراء على القبور في المدينة. على ان ارباب هذه المجاميع القانونية يجتهدون في إلحاق هذه الظاهرة بنظرية «عذاب القبر»[4]، متكلفين في ذلك مشقة لا تخفى. وهذا لبيد الشاعر المخضرم يوصي بان يُطرح على قبره الخشب واغصان الشجر[5]. وصية تظهر على عكس مـا تُختم به اوراق النعيّ اليوم: لا زهور، لا أكاليل. ولكن الفكرة الملهمة تظلّ ذاتها وهي فكرة تكريم الموتى.

وإلى مَن كان يتجه فكر مشركي الجاهلية في ترتيبهم الحجارة. وهي من تلك الشعائر الطقسية القديمة التي احتفظ بها الإسلام في شعائر الحجّ؟.

من الصعب ان نجيب عن هذا السؤال فنعيّن بدقة الى مَن كانت تُوجّه تلك الحجارة؟ ولكن مما لا نشك فيه انها لم تكن تستهدف الشيطان، كما شرح التقليد الرسمي منذئذ. قد يظلّ معنى هذه الظاهرة الدينية غامضًا. على اننا لا نخطئ اذا قرنّا بها عادة الجاهليين في رمي الحجارة على قبور موتاهم؛ فنسبناها الى فكرة دينية واحدة. ولم يكن قبر ابي رغال، وارض مِنى،

الاغاني ٨: ١٩٢، وفيه يبين بشأن؛ ابو داود: السُنن ٢: ٤٥؛ مسلم: الصحيح ٢: ١٨-١٩؛ اسد الغابة ٥: ١١٤؛ النسائي: السنن ٢: ١٢١؛ البخاري: الصحيح ٧: ٢٢١-٢٢٢

١) Wellhausen, *Reste*, 112

٢) قابل بما في الاغاني ١٦: ١٨٤: «يرمي من وراء حجرتنا» اي يدافع عنا؛ ابن هشام: السيرة ٦٢

٣) الاغاني ١٣: ١٢٢

٤) ابن دبيع: تيسير الوصول ٣: ٢٠٦-٢٠٨؛ النسائي: السُنن ١: ٢٨٩-٢٩١؛ البخاري: الصحيح ٧: ١٠٢؛ مسلم: الصحيح ١: ٢١٦، ٢: ٤٨٩

٥) الاغاني ١٤: ١٠١؛ ديوان لبيد (طبعة الخالدي) ٧٦

الوحيدين في الحجاز من مناطق رجم الحجارة. ومن الثابت ان منطقة ذي الحُليفة كانت تشاركها في ذلك. وذو الحُليفة اول محطة من محطات الحجّ للذاهب من المدينة. اما كونها مركزاً لمعبد قديم فثابت بوجود شجرة مقدّسة وعَلَم او نَصَب[1]. وحتى عهد السمهودي ظلّ « بعض الجهلة » من الحجاج يرمون بها الحجارة وغير ذلك. وهي عادة قام عليها ارباب السنة فنسبوها الى الجهل والاخذ بالخرافات. قال السمهودي: « لا يُرمى بها حجَر ولا غيره، كما يفعل بعض الجَهَلة.»[2] تقوى قبل الهجرة، جهلٌ بعدها!

ذكر الرائد هوبير[3] في واحة خيبر ركاماً من الحجارة يدعوها الناس « رجوم اليهود »، لانهم يعتبرونها قبوراً لليهود قديمة. وكلّما مرّ رجل من هناك « وضع حجراً فوق الكومة ». وقد اشار السمهودي الى انهم لا يكتفون بوضع الحجارة وحدها. واذاً فان فكرة الرجم ليست في اصل هذه العادة. وفي موضع آخر كتب هوبير في يوميّات رحلته[4]: « تمرّ الطريق الى جنب كومة من الحطب. واذا بمُحارب (وهو اسم دليله) يتقدّم فيزيد عليها بضعة اغصان... ويقول لي الدليل ان هذه الكومة تتعلّق بقصة غرام ترقى الى الف سنة. وقد أُقيم هذا الاثر من الحطب تذكيراً بالحادث، فغدا منذئذٍ معلماً يفيد في قطع النفود.»[5] ولا سبيل الى تضمين فكرة الإهانة والاحتقار في هذا

---

١) مسلم: الصحيح ١: ٤٤٦، ٤٦٨، وراجع كتابنا *Sanctuaires préislamites*, p. 56

٢) السمهودي: وفاء ٢: ٢٦٤

٣) Ch. Huber, *Voyage dans l'Arabie centrale*. (extr. *Bulletin Soc. Géogr. de Paris*, 1884-1885) p. 124

٤) *op. cit.*, p. 35

٥) هو « رمل عالج » المذكور في النصوص القديمة ويقول هوبير (ص ٢١) ان البدو يسمّونه « رمل عالي ». وقد يكون هذا التحريف ناتجاً من خطأ في تدوين اللفظ المسموع. ومن الشواهد على ان النفود هي رمل عالج قول حسّان في ديوانه ١٦: ٧: « اذا هبطت حوران من رمل عالج » والمعروف ان المسافر يصل من نجد الى حوران بعد ان يمرّ بالنفود. ويأتي الهمداني بشاهد جديد اذ يقول في صفة جزيرة العرب ١٧٨، ٢٠٥، ٢٠٦ ان رمل عالج من منازل بني كلب. قابل بما في ابن هشام: السيرة ٥٤٨، ٦٦٧

العمل . انما هي تظهر منفية بكل صراحة . وذلك ان البدوي المارّ ، اذا اضاف غصنه الى الحطب ، او زاد حجره فوق حجارة الكومة ، لا يرمي الى اهانة صاحب الاثر ، بل يرى نفسه مشاركاً في احياء تلك الذكرى التي يخلّدها الاثر . فهو ان فاتته الزهرات في البادية ، فلا اقل من ان يضع ما يقع تحت يده من حطب او حجر . وهكذا تزداد الكومة فتعلو شيئاً فشيئاً[1] .

اما في الحجّ الاسلامي فكان لقائد الحجّ ، او اميره ، ان يبدأ هذه الرتبة الطقسية في منى . وكان الحجاج الحاضرون يشاركونه بالفكر ، فيضع كل منهم حجره[2] . وفي ضواحي مكة تكثر المعابد والمناسك او مشاعر الحرام ، والأنصاب ، والجبال المقدسة ، والهضبات المباركة ، والرجوم او كوم الحجارة ، حتى نُسب الى النبي القول ان كل ما هناك « موقف ومنحر »[3] . فكان الحاج ، في ذاك الطواف الممتد على بضعة ايام ، يشترك في الذكريات القديمة : من قبر جدّ الى حجر مكرّم ، الى موقف مبارك ، تتتابع المحطات فتجعل شيئاً من التنوّع في ذاك الطواف الممل . .

هكذا قضى البدويّ القرون العديدة في الجاهليّة يكرّم هذه الآثار . وكلّما مرّ ، في اسفاره المتعدّدة ، امام القبر المكرّم ، اوقف راحلته متأثّراً ، محترماً[4] ، لدى تلك الصفائح المركومة دون ترتيب ، او لدى تلك الأنصاب الملطخة بدماء الذبائح[5] ، مذكرةً الحفدة باسم الجدّ الكريم . يوقف راحلته فيضع حجره ويستمطر على القبر « الغوادي الرائحات » او « الوابل المتحلّب » ، ويحيي صاحبه تحيّة صخر لاخيه معاوية :

---

١) الاغاني ١٤ : ١٢١ ، ٦ : ٦٤

٢) ابن هشام : السيرة ٧٦-٧٧

٣) وقد توسّعنا في درس هذا القول . وما كان من اختلاط بين بقايا العبادة الجاهلية القديمة ومناسك الحج الجديد في كتابنا *Sanctuaires préislamites*

٤) كما فعل عارب ، دليل هوبير ، في صحراء النفود . وكما فعل ادلّاني في شرق الاردن اذ كانوا يتوقفون قليلاً في الطريق فيرمون بحجارتهم على الكوم المتعالية فوق قبور بعض القتلى ، كما قالوا .

٥) وهو معنى القول : « وانصاب لدى الجمرات تُنحر » ابن هشام : السيرة ٥٢٤

اذا ما امرؤ اهدى لميت تحيّةً ، فحيّاك ربُّ الناس عني ، معاويا[١]

ولهذا قال صاحب « المحاسن » عن عادات ذاك العهد : « كان الميت منهم اذا مات تجعل فوقه الحجارة لم تكن القبور . »[٢] وكان هـذا العمل يقوم به الاهل والخلّان . واذاً فليس من فكرة رجم او اهانة في رمي هذه الحجارة . ولا يجوز ان نفهم بهذا العمل ما تضمّنتـه كلمة الرجم في عصرنا من دلالة احتقارية . ولم يكن البدوي ليضرب القبر بالحجارة ، ضربَ الراجم ، بل كان يضع حجره[٣] فيزيد به الكومة الحافظة جسد الميت . هو عمل محبة ومؤاساة للميت[٤] . بل رتبة طقسية يأتيها البدوي مشاركاً ابناء القبيلة في تكريم جدّهم ، مجدّداً العهد بينهم وبين الشيخ الراحل ، آخذاً نصيبه في هذا المظهر الديني للعاطفة البنوية .

وكثيراً ما كانت الذبيحة تتمّ هذه الرتبـة[٥] فتزيد فكرة التكريم الديني . كان البدو يضحون بالابل خاصّة . وذلك بان يعقروا البعير ، اي يقطعوا رجليه ، ويتركوه على القبر يتخبّط ويتألم حتى يموت[٦] . ويصعب جداً ان ننفي فكرة تكريم الميت في هذه الذبيحة التي قال صاحب « المحاسن » انها تُقام في حفل من الناس « تعظيماً له »[٧] . وكان المسافر ، اذا مرّ بالقبر المكرّم ، ولم يمكنه عقر راحلته ، اعتذر بانه لم يأتِ براحلة ثانية يعود عليها الى قومه[٨] . وكثيراً ما ندم على هذا السهو . والويل للنفس التي لم تُكرَّم بهـذا المظهر

١) الاغاني ١٣ : ١٤٥ – ١٤٦ ؛ ١٤ : ١٢٢ ؛ وقابل بما في ابن هشام : السيرة ٥٢١

٢) المحاسن المنسوب للجاحظ ، ص ٢٧١

٣) قابل بما في A. Musil, *Arabia Petraea*, III, 36 ؛ الاغاني ١٤ : ١٤٤

٤) وهو الشرح الوحيد الذي يعرفه ادلاني رزقناني من البدو .

٥) الاغاني ١٤ : ١٠٢

٦) الاغاني ١ : ١٢٨ ، ١٦٨ ؛ ١١ : ١٤٤ ؛ ١٤ : ٧ ، ١٠٢ ؛ ١٦ : ٤٩ ؛ العقد ١ : ٢٦ ، Perron, *Femmes Arabes*, 80 ؛ ١١٦

٧) المحاسن ، ١٧ – ويذكر ابن عساكر في تاريخه (طبعة بدران) ٥ : ٨٠ جواداً يُعقر على قبر .

٨) الاغاني ١٤ : ١٠٢

الاخير من البرّ والتقوى. ولا ينفعها في شيء، اذ ذاك، ما يصيح به اقربازها عند الدفن من صراخ تقليدي متردّد: «لا تبعد!». فان هذا الدعاء يضيع في مجاهل القفر دون ان يحدث اي صدى. أوَ لا نشعر بعاطفة الوَحدة المؤلمة في ذاك القبر الذي نُدي في القفر فلم تُعقر عليه راحلة، هي العاطفة الصارخة في قول عامر بن الطفيل عن قبر والده المنفرد وحيداً في بادية هرجاب:

الا ان خيرَ الناس رِسْلاً ونجدةً بهرجابَ، لم تُحبس عليه الركائبُ[1]

وها ان الامراء الغسانيين، حتى بعد اهتدائهم الى النصرانية، لا يمكنهم الإقلاع عن هذا الواجب التقليدي. فكانوا، في المواسم الحافلة، يخرجون الى قبر جدهم جفنة، فيتهافت نحوهم بدو نجد والحجاز يشهدون

اولاد جفنة حولَ قبر ابيهم، قبر ابن مارية الكريم، المفضل[2]

ينحرون المئات من الابل في سبيل تكريمه وتعظيمه. فيتقاسم البدو اشلاءها. ويأتي الشعراء كالنابغة وحسّان، فيصوّرونهم، لدى قبور اجدادهم، في جِلَق وصيداء[3]...، محافظين على التقاليد الجاهلية المأثورة فيعجب بهم العرب ويجعلونهم في عداد «واهبي المئين»[4].

واذا تُيّض للبدوي ان يقوم بكل ما تفرضه عليه هذه الرتبة الدينية، طابت نفسه، فركب ناقته راجماً رجوعَ المطمئن القائم بواجبه. حتى اذا نفرت الناقة لما تراه على القبر من آثار الضحية الحديثة[5]، هدّأ اضطرابها بصوته وكفه وقال:

---

١) ديوان عامر بن الطفيل ٣٢: ٣. انظر في معنى «الرِسْل والنجدة» – وهي من التعابير المردّدة حتى الابتذال – كتاب الجاحظ في «البخلاء» ص ٢٥٤–٢٥٥: «النقر هو النجدة واللبن هو الرِسْل». واذن فيكون معنى النجدة إطعام الإبل. اما التعبير «لم تُحبس» فيفيد عقر الراحلة على قبر الميت حتى تموت مكانها. وقد شاء التقليد الإسلامي ان يضع لهذه المادة معنى آخر فقال: ان هذه الراحلة توقف على قبر الميت حتى يركبها صاحبه في العالم الآخر، ابن الاثير: النهاية ١: ٩٥، ٣: ١١٢–١١٤

٢) البيت لحسّان في ديوانه ١٣: ٨: الاغاني ٩: ١٦٢، ١٤: ٢

٣) شعراء النصرانية ٦٤٥

٤) راجع Bercean, 1, 134-135، الجاحظ: المحاسن ٨١، ١٠٧

٥) اطلب ابن هشام: السيرة ٥٢

لا تنفري ، يا ناق ، منه ! فإنه سبأ خمر ، مسر لمزوب .[1]

* * *

في سبيل وقف هذا المجرى ، ووضع حدّ لهذه التكريمات الجاهلية الخطرة ، لم يتراجع ارباب السُنّة عن التحريف في معنى التقاليد العربية القديمة فصرفها عن هدفها الاصلي . ولهذا رأيناهم يجزمون ، دون برهان ، بعدم التمييز بين ابي رغال ، جدّ الثقفيين ، وذاك الخائن الذي اقام من نفسه دليلاً لجيش الحبش .[2] فامكنتهم هذه الاسطورة الخيالية من تحويل وضع الحجارة على القبور « تعظيماً » لاصحابها الى « رجم » يقوم به العرب احتقاراً[3] لقبر ذاك المجرم تجاه أمّته[4] .

وكان من شأن هذه الخطة الجريئة ان تصيب ايضاً عبادة الحجارة المؤلهة عامةً ، ولاسيّما تكريم العرب لقبور ابطالهم وسادتهم في العهد الجاهلي[5] .

---

١) الاغاني ١٤ : ١٢١ . ولا يخفى ان ذكر الخمر من شأنه ان يدلّ على كرم البيت وغناه . اما في معنى « مسر » فاطلب ابن دريد : الكتاب المذكور ، ١٢٢ .

٢) راجع الجاحظ : الحيوان ٦ : ٤٧ ، وفيه ان هذا القبر كان قريباً من مكة . يؤيّد ذلك بكثير من الشواهد الشعرية ، منها قول لمسكين يظهر منه ان عادة رمي الحجارة لم تكن حديثة . حتى ان معناها الاصلي بدأ يكتنفه الغموض منذ منتصف القرن الاول للهجرة .

٣) كذلك ترام برجمون قبر مسلم بن عُقبة Yâqût, 262-263 ، كما يقول المسعودي : الوفاء ١ : ٩٥ : « يُرمى كما يُرمى قبر ابي رغال . » راجع ايضاً المحبّي : خلاصة الأثر ٢ : ٢٦٢ ؛ المسعودي : مروج الذهب ٣ : ١٦١

٤) الاغاني ٦ : ٧٦ . قابل برواية ابي داود : السُنن ٢ : ٢١ ، وهي أخصر ، واقدم . استنتج منها صاحب الاغاني أسوأ الدوافع ، وقد اسند الخبر لا الى عبدالله بن عمرو بن العاص الذي اختاره اصحاب السُنن سنداً لروايتهم لما كان له من املاك واسعة في الطائف (راجع Ṭâif, p. 127) بل الى ابن عبّاس ، ذاك الذي كثيراً ما لجأ الى اسمه واضعو الاحاديث في العهد العباسي ، ولا يخفى ان ابن عبّاس قضى آخر حياته في الطائف .

٥) يذكر ابن جبير : الرحلة ١١١ ، في احدى ضواحي مكة كومتين من الحجارة يرجمها الناس ويعدونها قبر ابي لهب وامرأته .

صفحة مطوية من تاريخ لبنان

الشيخ عيسى حماده المتوالي

نشرها الاب بولس مسعد الحلبي اللبناني

وقف الاب بولس مسعد ، الراهب الماروني الحلبي اللبناني ، في دير رهبنته في رومة على اوراق مبعثرة ، فلمّ شتاتها ، ورتبها ، ودقق في درسها . واذا هي صفحات من كتاب ضاع في التاريخ اللبناني عامة ، وتاريخ الرهبنة خاصة ، فسه مؤلفه مجلدين بقي من ثانيهما نحو مائة صفحة تتناول حوادث السنوات ١٧٢٦ و١٧٢٧ و١٧٢٨ غير كاملة . ولم يبقَ من المجلد الاول الا خمس عشرة صفحة ، منها هذا الفصل الخير في اخبار الشيخ عيسى حماده المتوالي . اما مؤلف الكتاب فهو ما يبحث فيه الناشر ، بعد وصفه الموجز لاوراق المخطوطة . قال :

تمهيد

طول هذه الصفحات ٢٧ سنتيمترًا بعرض ١٩ ، وفيها يتتبع الكاتب تاريخ السنين ، على جاري عادة المؤرخين العرب ، فيصف ما جرى في كل عام نقلًا عن سجلات الرهبانية ، ويضيف اليها معلومات عديدة اخذها عن الاباتي توما اللبودي وغيره من المعاصرين الذين ساهموا في اهمّ حوادث التاريخ اللبناني في القرن الثامن عشر ، وكثيرًا ما يؤيد كلامه بكتابات الرؤساء الرسمية : من بطاركة ، ومطارنة ، ومشايخ ، تلك الكتابات التي تميط اللثام عن عدة امور اعتراها اللبس بسبب تقادم الاعوام .

كذلك لا يأنف المؤرخ ، رحمه الله ، من تسطير تلك الحوادث والاخبار التي تكشف عن الضعف البشري وسوء التصرف في بعض البطاركة ، الاساقفة ، والرؤساء ، والاعيان ، والرهبان . انما نعيب عليه شيئًا واحدًا وهو اسهابه في تبيان بعض اشياء لا تهمّ القارئ بتاتًا .

* * *

اما مدوّن هذا التاريخ فهما ، بحسب رأينا ، اثنان : الاب توما اللبودي ، والاب اغوسطين زنده الحلبيان ، الاول جمع الوثائق وقصّ الاخبار ، والثاني كتب كما سنرى . ونسند رأينا هذا الى ما يأتي :

١ً ــ رسالة بعث بها الاب عمانوئيل عبد الاحد الحلبي ، رئيس دير رومية الى الاب العام ، جاء فيها ما يلي :

« ان نائبكم الاب توما اللبودي من زمان متشوّق لكي يعمل تاريخ للرهبنة ، وما امكن ان يحصل على هذا فيما مضى ، والان وجد الاب اوغسطين زنده . فابتدأ في التاريخ » .

ثم يطلب الى الرئيس العامّ ان يأمر الاخ بطرس الساعاتي ، وكيل مكتبة الرهبانية العامة في دير اللويزة ، بان يرسل الى رومية بالوثائق والسجلات التي تمتّ بصلة الى تاريخ الرهبانية ، حتى ينجز هذا العمل الشاق . وبما انه يوجد قسم لا يستهان به من الوثائق المذكورة في دير رومية ، نتج ان صاحب هذا الكتاب هما الابوان المشار اليهما آنفاً .

٢ً ــ تكرار هذه العبارة : « كما روى او كما اخبرنا الاب توما اللبودي » . ثم ان الاوراق مكتوبة بخط الاب زنده الذي اعرفه تمام المعرفة .

٣ً ــ رسالة بعث بها الاب توما العاقل ، رئيس الرهبان الحلبيين العام الى الاب عمانوئيل عبد الاحد ، وهي بدون تاريخ ، ولعلها كتبت بين سنة ١٧٧٣ و١٧٧٧ جاء فيها ما يلي :

« . . . لم تذكروا انكم تسلمتم منه [الاب زنده] التواريخ التي عملها . وهذا اثم من كل شيء ، لا بد يكون كاتب في تواريخه الثلب في حق الرهبان الذين اصلهم من غير طائفة كما كتب في مكاتيبه للرهبان . القصد ان كان اخذتوهم احتفظوا عليهم وارسلوهم لنا عن يد امين ، وانكان للان لم تأخذوهم حالاً خذوهم منه من كل بد . . . »[1] .

هذا القول لا يثبت فقط كون الاب زنده هو واضع هذا الكتاب ، بل ان القسم الاكبر من مؤلفه هذا استولى عليه الرؤساء لكثرة الشتائم والمساوئ التي

١) عن اوراق دير رومية : سجل العلامة القرداحي

وجهها والصقها بالفئة الحلبية ، وبالرهبان الذين اصلهم من غير طائفة . . .

اجل ان هذا الاب كان من حلب ، وكان في اول الأمر من اشد العاملين بجانب مواطنيه الحلبيين ، الا انه لما لم يسندوا اليه الوظائف التي كان يأملها في الرهبانية ، انقلب عليهم وانحاز الى الفئة البلدية بعد الحصول على الاذن من المجمع المقدس .

وقد قرأنا في سجلات دير رومية عدة كتابات بخصوص الاب زنده ، وكلها تعلن انه كان متقلباً ، متعنتاً ، لا يلذّ له عيش ولا تروقه حالة . ومن بعد مجيئه من رومة حوالى سنة ١٧٢٧ ولم نعد نعرف عنه شيئاً ، رحمه الله .

وبعد فهذا هو الفصل في تاريخ الشيخ عيسى حماده . وقد اضفنا اليه العناوين :

صفحة

من تاريخ الشيخ عيسى حماده المتوالي

[ص ١-٥]

ثقة بالمال

اعلم انه بعد ان دخل المطران جرجس بنيمين الرهبنة اليسوعية ١٧١٢ اوقف لرهبانه مدرسة مار يوسف زغرتا الذي كان هو عمرها . وكان له الف غرش موضوعة عند الخواجا كين البازركان الفرنساوي بمدينة طرابلس فجعلها للرهبان اللبنانيين . وارسل الى الاب العام مكتوب ليتسلم الدراهم المذكورة من الخواجا كين . وذكر له في المكتوب عينه بعض قضايا سرية . فلم يشأ الاب العام ان يبقها في المكتوب العتيد ان يعرضوه على الخواجا ليتسلموا الدراهم بل قص من المكتوب المكان المحررة فيه القضايا السرية واعطاه الى القس توما[1] ينزل يعرضه على الخواجه ويتسلم المبلغ . فلما اعرضه القس توما لم يقتنع فيه الخواجا واعتذر انه مقدوص وغير شرعي . وصار ذلك بتدبير الهي خفي . فالتزموا الرهبان ان

١) يريد به القس توما اللبودي

مثال من التاريخ اللبناني المحفوظ في دير الرهبانية الحلبية بروما ص ٧٢

يراجعوا المطران جرجس بالامر . عند ذلك خصصها المطران لليسوعية ايضاً مثل المدرسة .

ولان اولاد الحلال لا تدع شيء يخفي اتصل الخبر الى عيسى حماده ان المطران جرجس له دراهم والخوري يوسف خوري عينطورين يعرف بها . فالشيخ عيسى الذي كان في خاطره من بلصة المطران جرجس قبل ان يسافر وما تحكم منه لما سمع بهذا الخبر وكان وقتها الخوري يوسف مريض صار ينتظر قيامه ليمسكه ويأخذ الثأر منه عن الاول اي عن سعيه في حكم الامير احمد بلاد الجبة وعن الثاني وهو اخفاؤه دراهم المطران جرجس عنده . لكن الموت حمى الخوري يوسف من يدي عيسى المذكور .

فلما مات الخوري ارسل الشيخ مسك اخو الخوري وبناته واولاده ووضعهم تحت الترسيم ليقروا له بالدراهم . ولانهم لم يعرفوا بالدراهم قالوا للشيخ ان كان المطران له دراهم تكون في زغرتا لان كنيسة زغرتا تبعهم وهو كان مطرانها . فارسل الشيخ مسك المطران جبرائيل ابو الولاد وامر ان يأتوه بحوايج كنيسة زغرتا . وكان للكنيسة جملة حوايج بدلات وغفرارات واشياء ثمينة غالبها موقوفة لها من مدينة حلب . فاتوه بالمطران والحوايج وصار يدقق بالفحص عن الدراهم . واخيراً صح من رمي كلمة ان الرهبان بيكونوا عارفين بالدراهم . فارسل الشيخ دعي القس توما . ولما وصل وسأله وراى القس توما اخو الخوري يوسف واولاده والمطران جبرائيل ممسوكين مع حوايج كنيسة زغرتا بسبب الدراهم قال للشيخ دراهم المطران مودوعة عند الخواجا كين الفرنجي في طرابلس فرام الشيخ ان يرسل البعض من العناطرة ليأتوا بالدراهم . ويرسم على القس توما ايضاً ليشفي بنوع ما ما بخاطره منه عن السعي القديم في حكم البلاد او اقله اذا لم تحصل الدراهم من الفرنجي فيبلص المسوكين ومن جملتهم القس توما . لكن العناطرة لم يمضوا بغير القس توما وقالوا للشيخ من غير ما يكون القس توما معنا ما نقدر نعمل شي بل اذا كان فيتكلم هو مع الخواجا والقنصل ويسعى معنا . فوفي الشيخ وارسله معهم .

فنزلوا الى طرابلس وبدوا يسعوا في خلاص الدراهم . ولانها صارت لليسوعية

فصاروا يداعوا ليحموها لهم . وفي هذه الفرقة كان وصل الخبر الى المشايخ الخوازنة ان عيسى مسك المطران جبرائيل[1] وطالب منه دراهم المطران جرجس فصعب عليهم وتوجه معهم كم شيخ ليأتوا يخلصوا المطران فوصلوا الى حنطورا حيث كان المطران والمسوكين وارسلوا طلبوا الشيخ عيسى الى عندهم وقد كان في زغرتا .

ولنرجع لدعوة الدراهم . بعد ان جمع القنصل جمعية من الفرنج والمرسلين وانعرض الضرر والخسارة العتيدة ان [تحدث] للمطران والمسوكين بسبب هذه الدراهم حكموا المرسلين والقنصل ان الدراهم تعطى فداء عن المذكورين واليسوعية ليس هم محتاجين لشي مثل هذا . فسلم الخواجا كين الدراهم بيد القس توما والعناطرة فقبضوها وطلعوا. وفي طلوعهم تلاقوا مع الشيخ عيسى عند عين داريا كان ماضي يواجه المشايخ الخوازنة فقبض الدراهم واوصاهم بالا يخبروا احد بشيء . وفي وصوله ومواجهته المشايخ والعتاب بينهم اطلق المطران والمسوكين كانه بخشهم للمشايخ .

واخذ من حوايج زغرتا كافة الاشياء المكلفة والثمينة وبيّن القليل منها وقال لاهل زغرتا في حضور المشايخ هذه حوائج كنيستكم كلها . قالوله نعم . خوفاً من شره فيما بعد وارتد كل احد الى مكانه .

وكان قصد الشيخ ان يزوج ابنه حيدر فابتدأ يفصل له بدلات وجهاز من كنيسة زغرتا تلك الثمينة .

وهذا هو التدبير الالهي الخفي في عدم تسليم الخواجا كين الدراهم للرهبنة لانه لو كانت تسلمتها الرهبنة وظهر خبرها فيما بعد لما كان يكفي الرهبنة مقدارها فوقها خسارة لان الشيخ ما كان يصدق ان هذا هو المبلغ فقط بل كان يتذمم ويطلب ولاسيما لان الضغينة كانت في خاطره من القس توما .

---

١) هو المطران جبرائيل مبارك الريفوني . رسمه اخوه المطران يوسف مبارك لما اقيم بطريركاً بعد حط البطريرك يعقوب عواد في ٢٧ ك ٢ سنة ١٧١٠ . وقد كان البطريرك الجديد رجلاً بسيطاً ، اصله راهب من دير سيدة ريفون ، ومن قرية غوسطا .

مصرعه

في هذه السنة [١٧١٧] صارت نهاية الشيخ عيسى حماده. وكان لهذا اسباب الهية وبشرية .

فالاسباب الالهية : اولاً لانه كان اخذ حوايج كنيسة سيدة زغرتا وتصرف بها في امور بشرية. والحال ان اختلاس الوقف هو من اعظم دلائل خراب الديار وحسم الاعمار . وقد اظهر اختلاس الوقف في المذكور اية قبل هذه وهي لما اخذ دراهم البطرك يعقوب التي كانت مودوعة في الرهبنة وزوج بها ابنه ابراهيم بام ملحم بنت الشيخ اسماعيل. فهذا ابراهيم جاه ولد اكتع . واخيراً ابراهيم المذكور قتل بعد مدة عند العرب لما كان مع ابوه عيسى

ثانياً لانه قصد ان يبلص جملة انفار من اهل بلاده وارسل مراسيل ليأتي بالبطرك يعقوب من كسروان الى بلاد الجبة بالمخاتلة لكي يصليه مع اهل البلاد ويرميهم في بعضهم ويبلص الجميع لانه كان مريدًا ان يزوج ابنه. وكأنه صار مستحزب.

اما الاسباب البشرية فاولاً ان تلك السنة كان دفع الى باشا طرابلوس جوخ في الميري وخسر الباشا فيه كثيراً. وكان دفع الجوخ عن يد القس توما الذي تسلمه من الفرنج ودفعه عن الشيخ. وصار الباشا يتهدد على القس توما ويترصد وقوعه ليقاصره.

ثانياً ان عيسى المذكور كان بقصده يحكم جومة بلاد عكار التي كانت مختصة غالباً بحكم شديد ابن ناصر . وكان يرسل ابن حسين ديب يخرب في تلك الناحية حتى يعجز الدولة ويحكمها كما كان حكمها سابقاً وشديد الناصر هو كان الحاكم في بلاد عكار . ومن هنا كان شديد الناصر يترقب الزمان لعيسى وياخذه بالامان ويكاتبه على حكم بلاد عكار ليكون بين اثنينهم معاً وانه يسعى عند الباشا في حكم البلاد لاثنينهم . فاركن عيسى الى شديد لانه لم يكن بينهم غلت سابق ولا عداوة . وفي زمان هذه المكاتبات التي جرت بينهم كان عيسى في دير عنطوره واستمر هناك ايام . ولا زال شديد الناصر يكاتبه ويرقده بالامان الى ان ربطها مع الباشا وعينوا عسكر سري وكان في قلب الباشا آه من عيسى وحلف الى شديد انه ان اتاه براسه يعطيه مهما اراد .

فاخذ شديد معه من امرا الكراد ابو الامير علي وكان بين امرا الكراد وبيت حمادة عداوة دم. ثم اخذ معه واحد من بيت رعد من الضنية وكم بيرق لاوند. وتجمعوا نحو ماية وخمسين نفر ما بين خيالة وزلم وخرجوا من طرابلس في الليل ومضوا في دروب غير مسلوكة .

وكان عيسى بخنطوره ومعه حيدر ابنه وجملة متاولة من اربعين خمسين نفر . فهجمت الكبسة عليهم في الليل وقتلوا عيسى وابنه حيدر وواحد يقال له الحاج درغام وغيرهم من ارفاق عيسى وقصوا روسهم وعادوا راجعين .

ولو يتأنوا لكانوا قتلوا غيرهم كثيرين من المتاولة . لكن القصد كان في عيسى. ومسكوا بلال العبد الذي كان عند عيسى واثنين متاولة ورجل ماروني يدعى سميا من ضيعة قنات كان يستخدمه عيسى في مراسلات ومشاوير. وصارت الكبسة والقتل من غير ان يعرف احد من اهل البلاد بشي . وبهذا الحال جازت والدة الاله من اختلس حوائج كنيستها وخلصت البطريرك واهل البلاد من شره وبلصه . وصار ذلك نهار الاثنين في اول اذار هذه السنة [١٧١٧] .

اما الذين مسكوهم لما وصار الى المدينة قتلوهم جميعهم. وجملة الذين قتلوا من ارفاق عيسى ما عداه هو وابنه والحج درغام اثني عشر واحد وارسلوا روسهم الى اسلامبول من غير ان يقتل احد من ارفاق شديد ام ينجرح . وفي قتلة عيسى كان القس توما غائباً في كسروان كان ارسله عيسى المذكور بمكاتيب الى البطرك يعقوب ليرجع الى البلاد . فبعد هذه المكاتيب للبطرك بعشرة ايام قتل عيسى لان اعيان طرابلس منعوا الباشا عن الركبة بنوع التسليق وطلع منهم كم واحد واجتمعوا مع اسماعيل وغيره من بيت حماده وعاودوا امند الباشا وطيبوا خاطره عليهم . وكفلهم الامير حيدر امير الدروز[1] وحكموا بلادهم كجاري عادتهم . وصار رأس بيت حماده الشيخ اسماعيل فضمن باسمه بلاد جبيل وبلاد البترون والجبة ايضاً . وبعد ان ضمن البلاد خاطب السيد البطريرك حتى يرجع لقنوبين وعمل له شروط ملائمة بحضور اهل الجبة فما رضي يرجع بل كان مقيماً بدير مار شليطا . وكان موقف وكيل في قنوبين ابن اخوه الشدياق سليمان .

١) هو الامير حيدر ثاني الامراء الشهابيين (١٧٠٦-١٧٣٠)

وصار خوف في الجبه من الدولة لئلا تركب وتنهب البلاد . وصار طرح صوت من الشيخ اسماعيل حماده . وجمع عسكر وكان قاصداً يأتي الجبة يأخذ نساء عيسى خوفاً عليهم من الدولة . وفي هذا الحال راح الخبر الى القس توما بقتل عيسى وانطلب الى الجبة ليلاحظ ويدبر الديورة خوفاً لئلا يصير تخريب في البلاد . وكان يومها الاب العام[1] في لويزه بكسروان . والمطران عبدالله هناك . فحثوا القس توما على التوجه سرعة . وفي مجيئه فات على جبيل ورأى اسماعيل وباقي المشايخ مجموعين . وبعد السلام استمنوه ان يأخذ لهم مكاتيب معه الى طرابلوس لبعض من الاكابر استخبار عن كيفية الاحوال ونية الباشا فالتزم من المحاياه ولاجل خاطرهم ايضاً ان ياخذ المكاتيب . ولان الباشا وكاخيته كانا متغلتين عليه لسبب الجرح كما مر ذكره فما قدر يدخل مجهراً مدينة طرابلوس بل التزم غير ثيابه ودخل بشكل لاوند كسرواني الى ان قضى لهم الغرض وارسل لهم جواب المكاتيب وطلع الى الجبة . وفي هذه الواقعة ما صار شي من الضرر على البلاد ولا ركبة دولة ولا غيره .

مالة بيت عيسى بعد قتله

ولما قتل عيسى كان باقي له في الحياة ثلاثة اولاد وهم موسى واسماعيل وحسين . وقبل ان قتل كان قتل له ولد اخر اسمه براهيم وهو الاكبر وكان تزوجه ام ملحم بنت الشيخ اسماعيل هذا الذي ازوجه من دراهم البطرك يعقوب التي ودعت في الرهينة واخذها هو فداركه الانتقام الالهي وجاه ولد اكتع ثم بعد مدة قتل عند العرب حين كان مع ابوه عيسى كما مر . وفي قتل عيسى هنا قتل معه ابنه الثاني حيدر الذي كان قاصداً ان يزوجه ام ملحم امرأة ابنه الاول وعمل له الجهاز من حوائج كنيسة سيدة زغرتا . فقتلته ام الله الاب وابنه لاجل اختلاس حوايج كنيستها كما ذكرنا . فبقي له ثلاث اولاد بعد موته وهم الذين ذكرناهم .

ثم بعد قتل عيسى وقع اختلاف بين اولاده واولاد اخوته من خصوص قسمة البلاد . لان عيسى كان له اخين فخلفوا ثلاث اولاد واسماهم ابو قاسم

---

١) كان وقتئذٍ رئيساً عاماً المطران جرمانوس فرحات

وابو حسين صالح وحسن ابو ناصيف . فهولا الثلاثة وقع الاختلاف بينهم وبين اولاد عيسى موسي واسماعيل وحسين من خصوص قسمة البلاد كما كان وقع هذا الخلف بينهم وبين عم عيسى سابقاً . فاولاد عيسى كاتبوا الشيخ اسماعيل لكي يزوج بنته ام ملحم التي كان اخوهم حيدر قاصداً الزواج بها الى الواحد منهم وهو موسي لكونه الكبير فازوجها له . وحضر الشيخ اسماعيل وقسم البلاد مناصفة بين اولاد عيسى واولاد عمهم . وبالحق كان يطلع البلاد ثلاثة لان عيسى واخوته كانوا ثلاثة وكل ما هو يخص الثلاثة . لكن الشيخ اسماعيل اغرض مع اولاد عيسى وقسم البلاد على الرؤوس ولان اولاد عيسى ثلاثة واولاد عمومتهم ثلاثة طلع البلاد مناصفة .

فطلعت حصة اولاد عيسى بشري حصرون بزعون قنوبين بلوزا ايطو كرم سده راس كيفا كفرصغاب اجبع سبعل والمزارع التي كانت بيدهم قبل القسمة استدامت معهم . وصار موسى المتولي لانه كبير اخوته واخوته تحت يده .

وهذا موسي هو الذي مسك الشدياقيـة في بشري لما ان [افترى] عليها البعض من المتاولة المبغضين انها مخبية مال الشدياق زوجها وعذبها بقساوة حتى ماتت تحت العذاب . ولما يتحركوا البشرانية الى حمايتها لانهم كانوا منقسمين في بعضهم والانقسام كان واقع بين بيت رحمه وبيت كيروز بسبب مشيخة الضيعة ومع ان الشدياق زوجها من بيت رحمه وهي من الكوارزه فمع ذلك ما احد اعتنى في خلاصها وصار هذا قلة خاصية من البشرانيه ما سُمع بمثلها اصلاً .

اما حصة اولاد عمومتهم وهي نصف البـلاد الاخر فمن وقتهم تقاسموه مثالثة فطلعت حصة ابو ناصيف اهدن . وحصة ابو قاسم حدشيت بقاع كفره قزحيا حوقا جرد الحوت . وحصة ابو حسين صالح عينطورين تولا حماطورا الحدث قنات . وكل من كان بيده مزارع دامت معه . وفي هذه القسمة انفرج البلاد لان كل حاكم صار يداري فلاحينه وعهدته وصار قتل عيسى سبباً لهذا الفرج . . .

واخيراً مات اسماعيل ابن عيسى وبقي اثنان منهم . فقسموا حصتهم مناصفة فخص موسي حصرون كفرصغاب كرم سده راس كيفا بزعون اجبع . وخص حسين بشري قنوبين بلوزا ايطو سبعل . ولم يزالوا حتى الان .

الطقوس السريانية الملكيّة

ومكتبة بكركي البطريركيّة

بقلم الخوري اسحق ارملة السرياني

جاء صاحب الغبطة الجليل مار انطون بطرس عريضة بطريرك السريان الموارنة الانطاكي الجزيل الطوبى ان يتحفنا برسالة سريانيّة أنيقة كتبها بخطّ يده الكريمة في ١٣ حزيران ١٩٣٦ معرباً بها عن تضامه من لغة الاجداد الشريفة وعن شغفه بها وشديد رغبته في تعزيزها . وما ان حظينا بتلك الرسالة الابوية حتى قصدنا الى مقام الكرسي البطريركيّ العامر في بكركي لنطّلع على ما حوته مكتبتهُ من المخطوطات القديمة ، ولاسيّما على ما له صلة بطقس السريان الملكيّين المنتمين الى الكرسيّ الانطاكيّ ، تكملةً لمقالنا عن « بطريركيتهم الانطاكيّة ولغتهم الوطنيّة والطقسيّة » الذي نشرناه عام ١٩٣٦ على صفحات مجلة « المشرق » في بيروت .

على أنّا عند وصولنا الى بكركي رحّب بنا صاحب الغبطة الاثيل ترحيب الأب بابنه . وأوصى بنا حضرة مدير المكتبة الهمام استاذنا الخوري ابرهيم حرفوش المرسل اللبناني الفضيل . وهذا بدوره مضى بنا الى دار الكتب الخطيّة ، والى متحف الآثار الثمينة ، وعرض علينا ما هنالك من المخطوطات التي لها علاقة بموضوعنا . فشكرنا لحضرته خدمته العلميّة وأثنينا كل الثناء على ما صرفه ويصرفه من الهمّة المتواصلة في تنسيق كلتا الدارين وضبط مشتملاتهما وتسهيل الطرق لمن شاء الوقوف على كنوزهما والاستفادة من ذخائرهما .

قضينا اربعة ايام في بكركي متفيّئين بوريف اظلال امّنا العذراء الجليلة ، مشمولين بانظار سيّدنا البطريرك الانطاكي المغبوط ، يبدي لنا السادة الاساقفة الاجلاء والآباء الكهنة الموقّرون كلّ تعطّف والتفات ، حتى أصبنا الهدف الذي تحرّيناه فاحببنا ان نتحف قرّاء مجلة « المشرق » الغرّاء بزبدة مطالعتنا ليستنتجوا منها النتيجة الواضحة الجليّة وهي : ان الروم الملكيين كاثوليكيين وارثذكسيين لم

يكن طقسهم منذ انشائه حتى القرن السابع عشر الّا باللغة السريانيّة البحتة في جميع انحاء البطريركيّة الانطاكية الملكيّة . وقسمنا درسنا هذا قسمين تكلّمنا في القسم الاوّل عن قدّاس السريان الملكيّين وبحثنا في القسم الثاني عن صلواتهم وطقوسهم القانونيّة .

اولاً : قداس السريان الملكيين

لا نظنّ احدًا يحاجّنا في قولنا مع جمهور الكتبة البيعيين ان اوّل كنيسة قد أُنشئت في علّية صهيون باورشليم . وأنّ اوّل طقس قد أُقيم فيها باللغة السريانية . وان هذا الطقس السرياني الابويّ الرسوليّ هو مرجع لجميع الطقوس البيعيّة على الاطلاق . وهوذا الاب سلافيل Salaville في يومنا يصرّح في كتابه « الليترجيات الشرقيّة » الذي نشره عام ١٩٣٢ تصريحًا جليًّا بقوله : ان اللغة الآراميّة المعروفة باسم السريانيّة الكلدانيّة هي أقدم اللغات الطقسيّة الشرقيّة . فنيها لفظ السيّد المسيح الكلام الجوهري في العشاء السرّي . وهكذا صنع الرسل بعده وهم مجتمعون في اورشليم قبل انطلاقهم الى انحاء العالم للتبشير بالانجيل[1] .

فالقول بان اللغة السريانية هي لغة الطقس الاصليّة ليس مبنيًّا على الحدس والتخمين ، لكنه مؤسّس تأسيسًا متينًا على حجج جميع المؤرخين والكتبة الذين صرّحوا بان كنيستي اورشليم وانطاكية وملحقاتهما ظلّتا عهدًا طويلًا تستعملان في قدّاسهما اللغة السريانية وحدها دون اليونانية . وحسبنا برهانًا صادقًا على ذلك ان اساقفة اورشليم الخمسة عشر الاولين الذين خلفوا مار يعقوب الرسول ، مثنّى القداس السرياني الأصلي ، كانوا باجمعهم من اليهود ، وكانت السريانية لغتهم الوطنية والكتابية . قال اوسابيوس القيصري في تاريخه (٤ : ٥) : « ܡܢܗܘܢ ܕܡܬܩܪܝܢ ܥܠ ܫܘܠܚܢܐ ܕܫܠܝܚܐ ܫܡܥܘܢ ܐܚܝܗ ܕܡܪܝܐ ܗܘܐ ܩܫܝܫܐ ܕܐܘܪܫܠܡ (ܚܘܢܝܢܐ) : ܗܢܐ ܕܡܬܩܪܝ ܐܚܘܗܝ ܕܡܪܝܐ ܗܘܐ : ܘܡܢ ܫܡܥܘܢ ܡܬܩܪܐ ܘܡܬܚܫܒ ܫܡܥܘܢ ܕܡܪܝܐ ܗܘܐ . ان الاساقفة الخمسة عشر المتسلسلين في كرسي اورشليم كانوا باجمعهم عبرانيين . وقد سبقوا فرحبوا بايمان المسيح ترحيبًا جميلًا » .

١) رسالة قلب يسوع : سنة ١٩٣٩ صفحة ٢٢٦

وليس من ينكر ان العبرانيين متنصرين وغير متنصرين لم تكن لغتهم في تلك الحقبة الّا السريانية وحدها . وقس عليهم المسيحيين في انطاكية وسائر المشرق. ونحن راسخون في هـذا القول لا يزحزحنا احد عنه ما لم يأتنا بمخطوط يوناني صريح يحوي ما يناقضه فيصرّح بان طقس القداس الانطاكي القديم كان باليونانية !

ومما لا يختلف فيه اثنان ايضاً ان القداس في اجيال الكنيسة الاولى لم يكن يُكتَب على قرطاس بل كان الكهنة يتلقنونه من فم الى فم . يؤيّد ذلك مخطوط لندن السرياني ١٤٣٩٣ المنسوخ في القرن التاسع ففي صفحة ١٤٧ ورد ما نصّه: « ܡܠܦܢܐ ܐܝܟ ܕܡܫܬܡܫܝܢ ܒܗ ܡܢ ܟܬܒܐ ܕܩܘܪܒܢܐ ܕܩܕܝܫܐ ܐܝܬܘܗܝ ܠܬܠܡܝܕܘܗܝ ܒܦܘܡܐ . ܘܠܐ ܡܫܬܡܫܝܢ ܒܗ ܒܟܬܒܐ ». قال اقليمس الروماني (٩٠-١٠٠ م) ان ربّنا لقّن تلامذته جميع الاسرار المقدسة وسلّمهم اياها مشافهة لا كتابة » . وذكر باسيليوس القيصري الكبير († ٣٧٩) ان الليترجيات لم تكن مكتوبة[1] . وايّد هذا القول جميع كتبة السريان.

بيد ان السريان الملكيين في البطريركية الانطاكية اهملوا القداس الاصلي القديم واستأثروا بقداس باسيليوس († ٣٧٩) وقدّاس يوحنا فم الذهب († ٤٠٧) وقداس غريغوريوس النزينزي († ٣٨٩) المعروف بقداس « البروجياسمانا » فنقلوا اصلها اليوناني الى لغتهم السريانية واستعملوها بالسريانية في كنائسهم باجمعها من اقصاها الى اقصاها منذ زمان لم يقرّره الكتبة الثقات . ورجّح بعضهم ان نقل تلك القداديس الثلاثة الى السريانية حدث في القرن السابع[2] . ومن ثم فالسريان الملكيون قبل هذا العهد ما كانوا يقدّسون الّا قداس مار يعقوب السرياني الاصلي .

ومما لا ريب في صحته ان البيعة الانطاكية برمّتها لم يكن طقسها يونانياً بصورة رسمية قطعاً . والبرهان على ذلك ان السريان الشرقيين والسريان الغربيين فالنساطرة واليعاقبة كانوا قبل القرن الخامس والسادس طائفة واحدة مع السريان

١) القداس للسيد المطران يوسف داود ٥٥

٢) الليترجيات الشرقية والغربية للسيد البطريرك انطونيوس افرام رحماني ٥٠٢

الملكيين والسريان الموارنة. وكان لهم باجمعهم طقسٌ واحدٌ ولغة واحدة وبطريرك واحد وعقيدة واحدة. زد عليه ان الاب سلائيل المذكور الساعة صرّح في كتابه المومأ اليه: «ان اللغة السريانية صارت منذ القرن العاشر حتى القرن السابع عشر لغة الطقس البوزنطي الذي اتخذه الملكيون في البطريركية الانطاكية». فيستنتج من قول هذا الكاتب ان السريان الملكيين استعملوا اللغة السريانية في القرون الثمانية المتأخرة. وهي مدة كافية لتمحو أثر اللغة اليونانية من طقسهم اللهمَّ ان كان هناك أثر. ولعمري اذا كان اليهود قد كفتهم سبعون سنة في الجلاء ليتقنوا السريانية ويكتبوا ويتكلموا بها فما قولنا في السريان الملكيين مدة ٨ قرون وهم اهالي البلاد السريانية بعنصرهم ولغتهم وطقسهم؟

وغير خافٍ ايضاً ان السريان الملكيين لمَّا شرعوا ينقلون قداسهم وصلواتهم القانونية الى العربية لم ينقلوها عن اليونانيين كما طبّل بعضهم وزمّر البعض الاخر. كلّا. بل نقلوها عن السريانية كما ايّد ذلك السيد البطريرك رحماني[1] بحجج صريحة اذ اورد نتفاً من القداس الملكي العربي المطبوع وقابلها مع النصّين اليوناني والسرياني وصرّح بان الترجمة العربية منقولة عن السرياني وليس عن اليوناني. وتأييداً لهذه الحجّة نورد من تلك الترجمة بعض الفاظ سريانية معرّبة نحو: ابيشالوم. اليشع. اوشعنا. شمانين. زخريا. غبرئيل. شاول. باعوث. برشانة قربانة. الملكوت العتيد. ملكوتك السماوية. القديس الطوباني. وصاياك الطوبانية. القوّات الطوبانيين. روح القدس تأتي عليك. المتنيحين. نيّح. الكارزين. نتماهد. ذاكرين. تلمذ القدسات. القدسات للقديسين الخ الخ. فهذه باجمعها الفاظ سريانية بحتة تؤيد أصلها السرياني تأييداً وثيقاً.

ومما ينبغي التصريح به كذلك ان السريان الملكيين في نقلهم الليترجيات اليونانية الى السريانية أبقوا بعض عبارات والفاظ بأصلها اليوناني يتلوها الشمّاس اثناء القداس. ولكنهم كتبوا تلك العبارات بحروف سريانية لا بحروف يونانية مما يرمن على جهلهم الخطّ اليوناني[2]. زد عليه ان علماء الملكيين وكتبتهم عموماً

١) الليترجيات الشرقية والغربية ٤٨٠ و٤٨١

٢) فيه ٤٧٦ و٤٧٨

لم يدرسوا اليونانية درساً متقناً ولم نسمع ان واحداً منهم صنّف كتاباً يونانياً . واعلم ان اقدم مخطوط يوناني حوى قداسي باسيليوس وفم الذهب مفسوخ في القرن التاسع وهو محفوظ في المصحف البريطاني[1] .

والخلاصة ان الملّة السريانية الملكية في البطريركية الانطاكية عموماً وخصوصاً لم تستعمل في كنائس مدنها وقراها واديارهـا وصوامعها منذ نشأتها حتى القرن السابع عشر الّا اللغة السريانية وحدها فقط . ثم نقلت السرياني الى العربي نقلاً مشوشاً مشحوناً بالغلط . وأبقت في قداسها العبارات الجوهرية بأصلها السرياني . ثم سمحت للكاهن المقدّس ان يستعملها في السريانية او في العربية في الازمنة الاخيرة . والى القارئ النجيب بعد هذا الشرح الوجيز كلمة عن مخطوطات مكتبة بكركي في هذا الصدد :

١ً : مخطوطة بكركي ١٢٧

انطوت هذه المخطوطة على قداسَي باسيليوس وفم الذهب في السريانية والعربية أُلحق بهما قداس « البروجيامانا » . واثبت الناسخ في صدر قداس باسيليوس ما نصّه :

« رسم خدمة القداس الالهي المختص بالقديس باسيليوس الكبير المرتّب في آحاد الصوم المقدس جميعها ما خلا احد الشعانين . ثم في يوم خميس الكبير والسبت العظيم وفي بارامونى ميلاد المسيح وفي بارامونى عيد الظهور الالهي وفي يوم عيد القديس باسيليوس . جملة ذلك عشر مرار في السنة » .

فقوله « القدّاس » و « الشعانين » يصرّح تصريحاً جلياً بالأصل السرياني . امّا عيد « الظهور » فهو ترجمة « ومسلم » وليس ترجمة « غطاس » كما يستعمله الملكيون في عهدنا . والى القارئ امثلة من قداس باسيليوس نقلاً عن مخطوطة بكركي المذكورة :

« سلاف مهوحيا هكلم وسعمي لهنما بدهف ه من اجل هذه القرابين المكرّمة الموضوعة من الربّ نطلب[2] » .

---

١) الليترجيات الشرقية والغربية ٥٠٢

٢) لا اثر للفظ « المكرّمة » في النص السرياني . والاجدر ان يقال « الى الربّ نبتهل » بدلاً من « الرب نطلب » ومن المعلوم ان « طلب ته » في العربية الفصحى يُراد به « أمره »

ويصف الشماس: « [illegible] من الابواب الى الابواب بحكمة فلتنصت » . . .

ويقول الكاهن: « [illegible] . [illegible] . فلتفرح قلوبنا فرح شاكرون للرب(٢ » .

اما الكلام الجوهري فهذا نصه :

« [illegible] . اعطا تلاميذه الرسل القديسين قائلاً خذوا كلوا هذا هو جسدي الذي يُكسَّر من اجلكم لمغفرة خطاياكم(٣ » .

ويتتلي الكاهن . . . « [illegible] . اعطا تلاميذه الرسل القديسين قائلاً : اشربوا من هذا كلكم هذا هو دمي العهد الجديد الذي يهرق عن كثيرين منكم من اجل مغفرة خطاياكم (٤ » .

والكاهن يلن : « [illegible] وخاصةً لذات كل قداسة الطاهرة المباركة المجيدة سيدتنا والدة الاله الدائمة البتولية مريم(٥ » .

والكاهن يلن : « [illegible] . [illegible] : اذكر يا رب ارلاريس كهنتنا فلان الذي وهبت له كنائسك المقدسة بسلامة وصحة وتكرمة وعافية واياماً مديدة واستقامة بكلمتك الحقة(٦ » . . .

ثم ورد في قداسي باسيليوس وفم الذهب مماً ان الشماس يقول ذبيحنا الاحياء على هذه الصورة :

١) يتّضح ان الناسخ كما قلنا كان يجهل اليونانية فكتب الالفاظ اليونانية بحروف سريانية

٢) طبقاً للنص السرياني يجب ان يقال . « فلتكن قلوبنا فرح . اشكروا الرب »

٣) طبقاً للنص السرياني يجب ان يقال : « . . . ورسله . . . لمغفرة الخطايا »

٤) يجب ان يقال : « . . . رسله القديسين . . . يهرق عنكم وعن كثيرين لمغفرة الخطايا »

٥) وتعريب الاصل السرياني هو هكذا : « خاصةً للجزيلة القداسة المترّهة عن العيب المباركة سيدتنا والدة الاله الدائمة البتولية مريم »

٦) اليك تعريب هذه الصلاة حرفياً : « اذكر ايها الرب الاله اولاً ابانا رئيس الكهنة فلان . امنحه كنيستك المقدسة بسلام مؤيداً مكرماً معافىً طويل الايام يفصّل باستقامة كلمة الحقّ » (الطبع ٢ : ١٥)

« فلان الاب القديس الطوباني اب الآباء ورئيس الرؤساء وراعي الرعاة وثالث الاثني عشر الرسل الاطهار بطريرك مدينة الله العظما انطاكية وسائر المشرق . وايضاً نظرايه الآباء القديسين الثلاث بطاركة الارثوذكسيين فلان بطريرك مدينة القسطنطينية فلان بابا بطريرك مدينة الاسكندرية فلان بطريرك مدينة الله المقدسة اورشليم . ومن اجل ابينا ورئيس كهنتنا فلان » . (انظر الشكل)

لسنا نروم ان نضيف شيئاً الى هذه الذبتيخا الطقسية التي لم نعثر لها على اثر في السريانية مما يبرهن على حداثة عهدها . فهي تصرّح التصريح كله بسيطرة اساقفة قسطنطينية على بطريركية انطاكية الملكية ومروقها كلتيهما عن طاعة الحبر الروماني خليفة مار بطرس رئيس الرسل جميعاً . فقد انفصل اساقفة قسطنطينية فالاسكندرية فانطاكية فاورشليم انفصالاً جلياً عن الاسقف الروماني رئيس جميع اساقفة العالم وألغوا اسمه من الذبتيخا في قداسهم وصلواتهم مذ عهد فوتيوس الى عهد ميخائيل كرولاريوس[1] . تلك حقيقة تاريخية راهنة لا تقبل جدالاً . ومن ثم لا يصحّ القول بان السريان الملكيين قد خرجوا على الكنيسة الكاثوليكية خروجاً مادياً لا صورياً حقيقياً . والا أفما كان حقهم ان يذكروا ذلك الحبر الكبير إلّم يكن في مقدمة الاحبار فاقله في جملتهم !

٢ً : مخطوطة بكركي ١٢٨

تضمنت هذه المخطوطة السريانية الملكية صلاة « الاغريبنية » والقداديس الثلاثة المشار اليها . وقرأنا في مقدمتها بعد البسملة ما نصه :

« الحمد لله الذي انار عقولنا بضياء الامانة الارثوذكسيّة . . . امّا بعد فان موسى نبي الله الكليم شرع رسماً في العهد العتيق القديم . بتقدمة الضحايا . . . فلمّا ورد كلمة الله الينا متجسداً . عاهد لتلاميذه عهداً وميثاقاً مؤيداً . لانه كسر خبزاً بيديه وأعطاهم . ومزج كاساً من الخمر بماء وسقاهم . . . فاستمرّوا التلاميذ وخلفاؤهم على هذا المذهب(٢ الى ان ظهر باسيليوس الكبير ويوحنا فم الذهب وجعلوا للاسرار المقدسة الصلوات . ورتّبوا لتقدمتها هذه الافاشين والطلبات . . . ولمّا كان اغلبها رومي ويوناني فترجموه الروم عربي وسرياني . . .

١) الليترجيات الشرقية والغربية ٤٧٢

٢) يعني المؤلف ان الكنيسة الانطاكية ظلت تقدّس بقداس مار يعقوب حتى عهد باسيليوس وفم الذهب . والّا فليدلّنا المطّلعون على القدّاس الذي كانت تستعمله قبل عهد اللاتينين المشار اليها

« فعندما وقفت انا الحقير ملاتيوس على النسخة العربية والسريانية(١ وقابلتُها على نسخة الاصل اليونانية والرومية فوجدتُها كلّها نقص وتغيير فحرّرتُها على اليوناني بأبلغ تحرير . واخرجتُها الى العربي بكدّ وتعب . وانا يومئذٍ مطران بمدينة حلب . وكل من نسخها بعد وفاتي وغيّر منها حرف واحد فيعلم انه لجماعة الارثذكسيين ناكر وجاحد . ويكون محروم مفروز من مجد الله . وعلى من يطابقه اللعنة والغضب من الله . وحرّرت بتاريخ الف وستماية وثلاثة وثلاثين لسيدنا يسوع المسيح . الموافق الف وثلاثة واربعين للهجرة الاسلامية . تاريخ صحيح » .

وفي حوزتنا اليوم نسخة كنسخة بكركي مصدّرة بمقدمة كمقدمتها وهي مكتوبة سنة ١٦١٢ م وسنة ١٠٢٠ للهجرة اعني ٢١ سنة قبل نسخة بكركي تتضمّن شيئاً من النص اليوناني بدلاً من السرياني فالنقل العربي . ونشاهد بعض صفحاتها خالية من النص اليوناني ومكانها فارغاً .

وقد حوت المكتبة الواتكانية تحت الرقم ٤١ مخطوطة سريانية ملكية ثمينة منسوخة سنة ١٠٤٢ م تضمّنت في ما تضمّنته قداس مار يوحنا فم الذهب بهذا العنوان : « ܩܘܪܒܢܐ ܕܡܪܝ ܝܘܚܢܢ ܦܡܐ ܕܕܗܒܐ ܕܐܬܬܝܠܕ ܡܢ ܝܘܢܝܐ ܠܣܘܪܝܝܐ . نكتب تقريب القداس لمار يوحنا فم الذهب منقولاً عن اليوناني الى السرياني » .

وقد رجّح المؤرّخ المدقّق السيد اقليميس يوسف داود المشهور بسمة مداركه ان قداس فم الذهب كان قداس البيعة الانطاكية الاصلي ، وقد نقله القديس عينه من انطاكية الى قسطنطينية ولذا سُمّي باسمه(٢ . على اننا اذا حذفنا من قداس فم الذهب الاصلي ما اضافته اليه فيما بعد بيعة قسطنطينية الغيناه شبيهاً باشرف القداديس السريانية واعرقها في القدم كقداس مار بطرس في كنيسة السريان الموارنة وقداس مار يعقوب في كنيسة السريان الغربيين وقداس الرسل في كنيسة السريان الشرقيين فان تعابير قداس فم الذهب صحيحة التركيب بسيطة خالية من الالفاظ المعقّدة والجمل المنتقة قريبة الفهم . وهي مزيّة في اللغة السريانية ملازمة لها لا تكاد تفارقها .

١) اذاً الى عهد السيد ملاتيوس كرمة الذي تولى الكرسي الانطاكي باسم انتيموس الثاني (١٦٣٤-١٦٣٥) كان قداس الروم الملكيين في بطريركية انطاكية جميعها بالسريانية والعربية ولم يكن يونانياً قطّ واصلاً

٢) النصارى ٥٧

والى القارئ امثلة من قداس فم الذهب تأييدًا لهذه الحجّة :

افشين المؤمنين الاوّل سرّ :

« نشكرك ايّها الربّ الاله القوّات الذي أهّلتنا الآن للوقوف في مذبحك المقدس وان نجثو لرافتك من اجل خطايانا وجهالات الشعب . فاقبل يا الله طلباتنا واجعلنا مستحقين ان نقرّب لك وسائل وطلبات وذبائح غير دمويّة . . . »

افشين المؤمنين الثاني :

« ايضًا مراوًا كثيرة نجثو واليك نتضرّع ايها الصالح والمحبّ للبشر لكيما اذا ما نظرت الى طلباتنا تنقينا نفسًا وجسدًا من كل دنس بشر وروح . وامنحنا ان نقف امام مذبحك المقدس غير ملامين ولا مدانين . . . »

وتتجلى المسحة السريانية ببساطتها المعهودة في الافشين الذي يقال بعد وضع الاسرار على المائدة وهو :

« ايها الاله الضابط الكل الواحد القدوس القابل ذبيحة التسبيح من الذين يدعونك من كل قلوبهم . اقبل منا نحن الخطأة طلباتنا وقدّمها الى مذبحك المقدّس . وأهّلنا ان نقدم لك قرابين وذبائح روحانية من اجل خطايانا وجهالات شعبك . . . »

فهذه الصلاة الاخيرة ما برح السريان يستعملونها في قدّاسهم لهذا العهد . ويلاحظ اللبيب المعن في تعابيرها وتعابير الافشينين السابقين مسحة اللغة السريانية المتازة بسهولة الفاظها واتقان تركيبها اكثر من سائر الالسنة البشريّة .

والى القارئ بعد هذا انموذجاً من مخطوطة بكركي ١٢٨ ننقله عن قداس فم الذهب الذي يستعمله السريان الملكيون طول السنة ما عدا الصوم الكبير والايام المخصّصة بقداس مار باسيليوس وهذا عنوانه : « ترتيب خدمة القداس الالهي لفم الذهب » . الكاهن يقول :

« [illegible] مباركة هي مملكة الآب والابن والروح القدس . من الآن والى كل اوان والى دهر الداهرين آمين » .

والشمّاس يقول :

« [illegible] . بسلام من الرب نطلب من اجل السلامة العلويّة » .

ويلي الكاهن :

« [illegible]

«نعمة ربنا يسوع المسيح ومحبة الله الآب وشركة الروح القدس تكون مع جميعكم» (٢ قور ١٣ : ١٣) .

« [illegible] . فلنضع قلوبنا فوق . شاكرون للرب » .

ثم يعلن الكاهن :

« [illegible] مرتلين تسبيحاً على الطنر وهاتفين وصارخين وقائلين » .

قس على ذلك سائر الصلوات فهي باجمعها سريانية وعربية ولا تكاد ترى لترجمتها فرقاً في هذه المخطوطة التي نصفها . امّا قداس باسيليوس فان نقله العربي في هذه المخطوطة مشوّش مخالف للنص السرياني والى القارئ مثالاً منه :

« [illegible] . من اجل رئيس كهنتنا فلان . والكهنة المكرّمين خدّام المسيح وجماعة الاكليرس وكافة الشعب من الرب نطلب » .

ولا نرى بدًّا من التصريح بان قدّاسَي باسيليوس وفم الذهب قد اشتملا على صلوات مقتضبة من قداس مار يعقوب السرياني الاصلي . وهو برهان على رجاحة رأي المطران اقليميس يوسف داود في ان فم الذهب نفسه نقل ذلك القداس الاوّل من انطاكية وطنه الى قسطنطينية كما نوّهنا . واليك نبذة من ذلك تأييدًا لهذا القول :

انشين الموعوظين سرًّا :

« ايها الرب الاهنا الساكن في العلى والناظر المتضائلات . يا مَن ارسلتَ ابنك الوحيد ربنا والاهنا يسوع المسيح لخلاص جنس البشر . انظر الى عبيدك الموعوظين الذين احنوا لك اعناقهم . وأهّلهم في وقت موافق لحميم اعادة الولادة وغفران الخطايا وإلباس عدم الفساد . والتئمهم متّحدين بكنيستك المقدّسة الجامعة الرسولية . وأحصهم في رعيتك المختارة » .

فهذا الانشين مقتضب من صلاة « وضع اليد » وصلاة « الحجاب » في قداس مار يعقوب كما يتضح لمن يقابل النقل العربي بالاصل السرياني .

زد عليه ان الكاهن الملكي يقول سرًّا بعد دعوة روح القدس :

« لكي يكون للذين يتناولون منه تطهير الانفس ومغفرة الخطايا وشركة روحك القدّوس وكمال ملكوت السماوات والدالّة اليك . لا للمحاكمة ولا لسبب دينونة . وايضاً نقرّب لك هذه الذبيحة الناطقة من اجل المؤمنين المتنيّحين . . . والكارزين والمبشّرين والمعترفين والنسّاك والملسّين . . . وخاصّةً لذات كل قداسة الطاهرة المباركة المجيدة سيدتنا والدة الله الدائمة البتولية مريم . . . والقديس يوحنا . . . والقديس استفانس . . . وجميع المتنيحين . . .

والسائرين في البحر والمسافرين في البرّ والمرضى والمسبيّين . . . والذين يحملون الاثمار . . . والذين يتعاهدون المساكين . . . ولجميع القديسين تعاهد ذاكرين » .

فهذا الابتهال برمّته تراه تارةً مجموعاً وطوراً متفرّقاً في القداس السرياني ولاسيّما قداس مار يعقوب اصل جميع القداديس المسيحية .

واشتملت مخطوطة بكركي نفسها على « خدمة الصوم المقدّس » وعنوانها « ترتيب قداس البروجيامانا الالهي في الاربعين المقدّسة العظيمة » . غير اننا شاهدنا في النقل العربي تحريفاً ليس باليسير نكتفي لتأييد ذلك بذكر ابتهالين فقط اولهما :

« ܡܛܠ ܕܢܨܠܝ ܘܢܒܥܝ ܠܡܪܝܐ ܐܠܗܢ ܡܢ ܟܠ ܚܛܝܬܢ ܘܡܢ ܟܠ ܥܠܘܗܝ ܕܐܝܟ ܕܥܒܕܢ ܠܗ ܟܠ ܝܘܡܝܢ ܘܒܥܝܢ ܡܪܚܡܘܬܗ ܕܢܫܪܐ ܥܡܢ ܟܠ ܚܛܝܐ ܘܥܠܘܗܝ ܕܐܝܟ ܕܢܬܚܢܢ ܠܗ ܟܠ ܝܘܡ ۔ وايضاً نطلب من اجل المطوّبين الداخلين الذكر الذين عمروا هذا الهيكل المقدّس . ومن اجل كافة المتنيحين من آبائنا واخوتنا الراقدين هاهنا وفي كل مكان الارثذكسيّين(١ » !

ويقول الكاهن :

« ܡܛܠ ܕܢܬܚܢܢ ܠܗ ܟܠ ܝܘܡ ۔ ܘܡܛܠ ܕܢܬܚܢܢ ܠܗ ܟܠ ܝܘܡ ۔ ܘܡܛܠ ܕܢܬܚܢܢ ܠܗ ܟܠ ܝܘܡ ۔ ܘܡܛܠ ܕܢܬܚܢܢ ܠܗ ܟܠ ܝܘܡ ۔ وايضاً نطلب من اجل الذين يقدّمون القربان والذين يصنعون الاحسان في هذا الهيكل المقدس الكلي الوقار والمتوبين والمصلّين . ومن اجل هذا الشعب الواقف المنتظر لدنك عظم غنا الرحمة(٢ » .

ليت شعري لماذا هذا الاختلاف كله في الترجمة وما سيئة يا تُرى !

ثانياً : صلوات الرهبان الملكيين الطقسية

٣ : مخطوطة بكركي ١٢٩

تضمنت هذه المخطوطة النفيسة الخالية من تاريخ النسخ رتباً وصلوات جمّة استعملتها الكنيسة السريانية الملكية في سالف الاحقاب وهي :

١) وحق النقل ان يكون هكذا : « لاجل مغفرة ذنوب وعفو خطايا آبائنا واخوتنا وملائكتنا واموانا وكل من له منا شركة من الاحياء والموتى نبتهل اليك فاستمع »

٢) وحق النقل ان يكون هكذا : « ثم نبتهل اليك ايها الرب الاهنا لاجل هذه الكنيسة المقدّسة واولادها . وهذه المدينة وسكانها المؤمنين المشتركين مع حقارتنا . ولاجل جميع اخوتنا المسيحيين المستقيمي الايمان : نبتهل اليك »

١ً : طقس العماذ يختمه الكاهن بهذه العبارة الجميلة :

« ܐܒܐ ܩܕܝܫܐ ܐܡܝܢ . ܪܘܚܐ ܩܕܝܫܐ ܐܡܝܢ . ܬܠܝܬܝܐܝܬ ܩܕܝܫܬܐ ܐܡܝܢ . ܐܝܟ ܗܘܐ ܗܘܐ ܠܥܠܡ ܥܠܡܝܢ » . وتعريبها : « تتوشح بالآب وتتسربل بالابن وتتعزز بالروح القدس . فليحرسك الثالوث من الآن والى ابد الآبدين » .

٢ً : صلاة المعموذية الصغيرة على ولد يُشرف على الموت .

٣ً : صلاة حلّ العاميد بعد ثمانية ايّام .

٤ً : طقس زيت القنديل . وهو يتألف من ٧ اقسام جميعها في السريانية جاء في اوّله ما تعريبه :

« يجب ان يلتئم ٧ كهنة ويبدأ احدهم : ܡܒܪܟ ܗܘ ܐܒܐ ܕܠܥܠܡ . ܐܡܝܢ(١ . ثم يتلون قدّوس الى ثلاث مرّات والمزمور ٥١ والطروباريّة والقانون وعند نهايته ܢܥܒܕ ܩܘܠܐ ܕܡܫܝܚܐ ܕܢܗܘܐ ܥܠܝܗ : ܡܢܘ ܕܟܝ ܠܟ ܡܚܝܠܬܟ ܠܝ ܐܢܐ ܚܛܝܐ(٢ . ويقول له الكهنة ܡܚܝܠ ܠܟ ܡܚܝܠ(٣ . ثم يتلى الزومار ورسالة مار يعقوب (ص ٥) والهلّال وانجيل من يوحنا (٥ : ١-١٦) ثم تتلى « الامانة الارثذكسية » وهي تتضمن الاقرار بالمجامع السبعة المسكونية . وقس على ما سبق اقسام الرتبة السبعة وفي آخرها « يضع الكهنة الانجيل على راس التائب ويضعون ايديهم على التائب . ويصلّي المتقدم فيهم ثم جميعهم « ايها الملك القدّوس » ثم يرفعون الانجيل عن راس التائب ويقبله ويقول الكهنة « ܡܪܝܐ ܡܠܟܐ ܩܕܝܫܐ ܐܫܬܘܩ ܠܝ ܡܪܝ ܐܫܬܘܩ » ويأخذون في رشه بالزيت قائلين : ايها الآب القدوس الشافي الاجساد والنفوس » .

وممّا يؤيد قدم طقس القنديل هذا اتفاقه مع طقس القنديل في كنيسة السريان الموارنة من حيث تألفه من سبعة اقسام واجتماع ٧ كهنة وتلاوة ٧ زومارات و٧ فصول من الرسائل و ٧ هلّالات و ٧ فصول من الاناجيل . امّا صورة السرّ فهي عين الصورة التي ذكرها المجمع اللبناني[٤] دستور الطائفة المارونية .

٥ً : رتبة تقديس الماء في عيد الظهور .

٦ً : ترتيب تقديس الماء في الشهور الثلاثة : تموز وآب وايلول . وفيه :

« ان رئيس الكهنة يأخذ العليب بيده ويكون عليه ريحان طيّب الرائحة مربوط معه .

١) مبارك هو الاهنا دائماً . الان

٢) يضع قليلاً من الزيت في القنديل فيجلو المريض في الوسط ويقول : باركوا وصلّوا عليّ واغفروا لي انا الخاطئ

٣) مغفورة لك خطاياك

٤) المجمع اللبناني : باب ٨ ص ٦٨-١٠٥

ثم يمسّ الصليب ويغوّصه في الماء شكل صليب ويقول ثلاث مرار : « ܒܫܡܐ ܕܐܒܐ ܘܒܪܐ . ܘܪܘܚܐ ܩܕܝܫܐ . ܐܡܝܢ ܘܐܡܝܢ ܘܐܡܝܢ . ܢܗܘܐ ܠܥܠܡ ܥܠܡܝܢ ܘܥܕܡܐ ܕܥܠܡܐ ܐܡܝܢ » وتربيها : « نور الآب . نور الابن . نور الروح القدس . من الآن والى ابد الآبدين امين » .

٧ : رتبة العهد في الاملاك .

٨ : رتبة تكليل العرائس . ورد في اوّلها ما نصه :

« اوّل ذلك يمضوا العريس والعروس والشابين(١ الى الكنيسة ويقفوا قدّام صورة السيد والسيدة ويسجدوا ثلثة سجدات . . . ويقفوا قدام الباب الملوكي ووجوههم الى الشرق . وتقف الشابين عن يمين العريس وشماله . ثم يلبس الكاهن الفلونية ويطراشيلي ويعطي العريس شمعة موقودة في يده اليسار ويسجدوا ايضاً ثلثة قدام الباب الملوكي . ويضع الاكاليل على المذبح ثم يقول الكاهن جهراً « ܒܫܡܗܘܢ ܕܐܒܐ ܘܒܪܐ ܘܪܘܚܐ ܩܕܝܫܐ » وبعد قراءة الانجيل : يزنّرهم ويوضع خاتم ذهب في اصبع العريس الذي جنب البهام . ويوضع خاتم فضّة في اصبع العروس المتنصر . ثم يضع الاكاليل على رؤوسهم وهو قائل : « الآب يبارك والابن يكلل والروح القدس يكمّل بالمجد والكرامة كلّلتهم » . . .

ثم يأخذ يد العروس اليمين ويلقّمها يد العريس ويوصيه قائلاً : « اعلم ياعريس ان السيد المسيح حاضر معنا . . . » ثم يقول للعروس : « وانتِ ايتها الاخت المباركة يجب عليك ان تقتني مخافة الله . . . »

« ثم يأتي بكاس خمر ويبارك عليه قائلاً : كاس الخلاص اقبل . . . » ويصلّي على الخمر قائلاً : « ايها الرب الاهنا الذي باركتَ كاس تلاميذك . . . » ويسقي العريس والعروس والاشابين والاشبينات ثم يصلّي ويرفع الاكاليل عن رؤوسهم ويعلق يديهم ثم يوصيهم هذه الوصية . . . ويختمها بقوله : « وانا المسكين الخاطي اسأل واتضرّع الى الذي هو ينبوع الخيرات . . . بان يجعل فرحكم تام . ويسهل سعيكم الاكرام . ويدفع عنكم المرض والاسقام . . . »

وهذه الوصية باجمعها مفرغة في قالب مسجع مكثر .

٩ : صلاة الزيجة الثاني .

١٠ : صلاة الزيجة الثالثة .

١١ : تحليل اكليل العريس في اليوم الثالث .

١٢ : عدّة صلوات عنوانها « صلوات لكل شيء » في جملتها : ترتيب تمليك الخوارج . هذه هي الامانة المستقيمة التي يقوّم بها الكاهن اللذي يرجع الينا من

١) من ܡܫܡܫܢܐ العرّاب

الامم البرّانية ... ويدهنه بالميرون المقدّس على رأسه وعلى جبهته وعلى صدره شكل صليب » .

١٣ : صلاة السجدة يوم احد العنصرة . وهي تشبه رتبة السجدة في طقس السريان والموارنة تشتمل على ٣ وقفات و٣ سجدات وفيها ما نصه :

« ويسجد جميع الشعب جاثين على الركب . ويسجد الكاهن على ركبه وتحت بساط وتحت ركبتيه مخدّة . ويصلّي الانشين الاول من صلاة السجدة . ثم ينهضوا قائمين ويبتدئ الخورس الثاني بهذه القطعة ... »

وهي في ما نرى رتبة عريقة في القدم تعوّدت استعمالها الكنائس الثلاث اعني كنيسة السريان الموارنة والسريان الملكيين والسريان الغربيين قبل عهد الانفصال .

ويقرأ في آخر هذه المخطوطة القيّمة ما حرفه :

« هذا الكتاب اهداه الخوري يعقوب غانم للسيد الذكر البطريرك بولس مسعد . وكان أخذه مع كتب اخر من المطران نيقون مطران الروم في الناصرة سنة ١٨٧٤ وقدّمه لغبطته سنة ١٨٨١ » .

٤ً : مخطوطة بكركي ١٤٥

حوت هذه المخطوطة السريانية الثمينة جميع رتب الخدم الكهنوتية مختومة برتبة « السجدة » المشار اليها آنفاً . فاثبت ناسخها .

١ً : رتبة تكليل العروسين وفيها يتلو الكاهن ما شرحه عن السريانية :

« باركهما يا ربّ كما باركت ابرهيم وسارا واسحق ورفقا ويعقوب وراحيل ويوسف وأسنت وزكريا واليشع ويوياقيم وحنّة ... »

ويستدل من هذه المخطوطة ان الطقس السرياني الملكي كان يحتم على العروسين ان يتقرّبا اي يتناولا القربان الاقدس حين تكليلهما . فقد جاء فيها انه بعد ما يضع الكاهن الاكليلين على هامتي العروسين :

« يصلّي الكاهن على الكاس او يأخذ رغيف خبز ويشيل من وسطه جوهرة ويرفعها ويقول : [illegible] (١) ...

١) هذه العبارة تقال في قدّاس « البروجياسانا » وتعريبها : هذه التي سبقت فتقدّست : القدسات للقديسين

وبعد ذلك يأتي اليهم بالجسد ويقول : [illegible] [1] . ويقرّبم الجسد المقدس . ويقول الكاهن : [illegible] [2] . ويؤدّي الكاس الى المذبح ويعي يعطيهم بركة إمّا سكّر وامّا خبز . ويوصيهم هذه الوصية » . . .

٢ً : رتبة تقديس الماء في عيد الظهور . وهي كالرتبة المذكورة في المخطوطة السابقة . وفيها ان الكاهن .

« بعد قوله الاقنين الذي برّا الباب يذهبوا الجماعة كلّهم الى بركة الماء والكاهن الذي قدّس مبدّل وحامل الصليب المكرّم بكلتا يديه والشماس حامل الانجيل والشياطون وقدّامهم الشمع المضي وهم مترنمين باللحن الثامن من هذه النغمة : [illegible] [3] . ثم يرتلوا بما ارادوا وتقراء قرأة من نبوة اشعيا وفصلين من رسالة قرنثية وفصل من لوقا (٣ : ٢١ و٢٢) . ويتلو الكاهن بعض صلوات ثم يسمّد الصليب ثلاث مرات قائلاً في السريانية « بسم الآب والابن والروح القدس . الآن » . وينشدون نشيدًا سريانيًا ثم يكمّلون القداس . . . وصباح العيد بعد تلاوة صلاة الصبح يتلون الصلاة على الماء مثل رتبة الماء ويقرأون القراءات عينها ويختم الكاهن بصلاة سريانية طويلة اولها [illegible] [4] . ويتبارك الجماعة كلّهم من الماء المقدّس ويعيدوا الاطروبارية [illegible] [5] . . . ويفرّق البركة الابروني . وبعده تقطر على الماء هذا يكون عشيّة . وبكرة تقطر على الماء اولاً وبعد على الابروني . . . وبعد هذه كلّها يصلّي الكاهن صلاة معمودية باسيليوس الكبير ويرجع يسمّد . هذا نظام الكنيسة المقدسة الجامعة الرسولية » .

٣ً : صلاة بارامونى الميلاد الشريف . الساعة الاولى تقول [illegible] [6] ثلاثة مرار . وتقول المزمور ١٦ و٤٥ و٤٦ ثم طروبارية ثم سطيشرا باللحن الثامن تأليف سفرونيوس رئيس كهنة اورشليم : « [illegible] [7] » . ثم زومار وقراءة من ميخا ومن رسالة العبرانيين

---

١) ادنوا بمحبة وايمان وتقوى

٢) خلّص اللهم شعبك وباركه واحرسه

٣) الى ذلك الصوت الصارخ والمنادي في القفر

٤) انك انتا الرب وخالق الكل وملك الملوك

٥) ظهرتَ وانرتَ

٦) قدّوس الله . وايانا الذي في السماوات وملئوا نحبّ ونسجد له

٧) تأهبي الآن يا بيت لحم واستعدّي يا مذود الحيوانات .

الاصحاح الاول ومن انجيل متى الاصحاح الثاني. ويكون ترتيب الساعة الثالثة كالساعة الاولى ايضاً مع مزمور ٦٢ و٨٦ و٥٠ وزومار وقراءة من نبوة ارميا ومن رسالة العبرانيين (ص ٥) ومن لوقا (ص ٢) . وقس على ذلك الساعة التاسعة فترتيبها كالساعتين المذكورتين . والانجيل من متى (ص ٢ : ١٣—٢٣) .

٤ً : رتبة باراموني عيد الظهور. ورد في اولها « ܚܡܫܬܐ ܕܚܘܝܐ ܕܐܝܠܐ ܕܡܫܝܚܐ ܕܐܝܠ ܕܐܝܠ ܕܐܝܠ

٥ً و٦ً : مخطوطتا بكركي ١٤٧ و١٤٨

اشتملت هاتان المخطوطتان على القوانين التي يستعملها السريان الملكيون والسريان الغربيون في صلواتهم القانونية بدءا من الاحد الرابع بعد القيامة حتى الاحد الثامن . تليها اكسفوسات القيامة وذكصيات للملك لاون وابيه الملك قسطنطين . ونرجح انها لاون الرابع (٧٧٥-٧٨٠) وقسطنطين الخامس (٧٤١-٧٧٥) محارب الايقونات ؟ ويقرأ في قانون الاحد الخامس ما شرحه عن السريانية : « لمّا قام السيد المسيح من بين الاموات صادف في طريق عمواس قليوفا ولوقا التلميذين » وقد اثبت التقليد السرياني ان رفيق قليوفا في تلك الطريق كان لوقا صاحب الانجيل نفسه » . وقرأنا في مخطوطة ١٤٨ :

« هذا الكتاب المبارك برسم الشمّاس يوسف من قرية مطولا والمسيح قُ دائماً » .

٧ً : مخطوطة بكركي ١٤٩

هذه مخطوطة ضخمة كاملة حوت كتاب « التريوذي » من احد الفرّيسي والمشار الى احد مدخل سبت لعازر . وهو باجمعه في السريانية :

« انتهى نسخه في ٢ ايلول سنة ٧١١٢ لابونا آدم عليه السلام الموافق لسنة ١٦١٢ لتجسد سيدنا يسوع المسيح . . . بيد . . . سابا باسم خوري وراهب ابن المرحوم الخوري يحنا بن سان . . . يُعرف بابن عيسى من قرية حردين من جبل لبنان من عمل البترون وطرابلس . . . وكان قاطن دير سيدتنا السيدة المعروف بمار طوره . . . لا لاحد سلطان ان ينتزعه من الدير المذكور الّا ان كان بسبب ناسخه ويردّه الى مكانه . ومن تجرأ على أخذه تكون السيدة خصمه يوم القيامة ويكون محروم مفروز من الله تعالى ومن الكنيسة المقدسة الرسولية » .

وقد اثبت الناسخ في صلاة سبت اللحم وهو تذكار جميع المرقى المستقيمي الايمان قوله :

« وبعد انجاز الصلاة نحمل الشمع والبخور ونمضي باجمعنا الى الكنيسة اعني مقبرة الآباء القديسين والاخوة المستنيحين »

واورد في صلاة السبت من اسبوع الجبن ذكر جميع الآباء القديسين بدءا من بولس وانطونيوس وافتيموس . فذكر من الجملة : اباء السريان كبابولا الانطاكي العجيب في الرعاة واشيلا زهر البرية واسحق واوتل واسيا والشيخ يوليان

وابرهيم ومرطوريس المعلّم العجيب[1] ومار افرام العظيم الملهَم من الله والمجاهد في الطهارة والمنعم روحاً الاهياً . وربولا العجيب المستحقّ كل طوبى . وزخريا الجزيل الوقار وفوقا وفيرونيا الشريفة وبيلاجيا ملاك الرب . ثم بطرس البهيّ واغناطيوس المجيد اللذين شاهدا المسيح . ونونا اسقف الرها الخ الخ. واثبت في السبت الاول من الصوم صلاةً للشهيد تاودورس . فاستنتجنا من ذلك ان السريان نقلوا عن السريان الملكيين تذكار هذا الشهيد وضمّوه الى تذكار ابيهم الكبير مار افرام الملفان .

وخصص السريان الملكيون اول احد من الصوم بتذكار « ܡܫܬܬܐ ܕܡܫܬܬܐ الترحيب بالصُوَر » وفيه يرد ما شرحه :

« اننا نسجد ونعظّم موقّرين لصورة المسيح النقية وصورة امّه الطاهرة وجميع صور القديسين المحفورة على الالواح والمرآيات والآنية الخالصة » .

وقرأنا في الاحد الثاني وهو احد الابن الشاطر قوله : « الاروام يعملوا اكلوتيا لا غريغوريوس مطران تسالونيقي » ومن المعلوم ان غريغوريوس هذا هو غريغوريوس بالاماس المشهور بمخالفته للمعتقد الكاثوليكي .

واشتمل الاحد الثالث على « رتبة الصليب » وفي اوّلها يقال :

« وفي اول الرتبة يدخل الكاهن يبدّل ويبخّر المائدة المقدّسة والصليب المكرّم ويحمله في صينية على رأسه وقدّامه الشمع والمباخر . ويخرج الى قدّام الباب الملوكي ويقوم المصلّين بالثلاث تقديسات ويقفوا في وسط الخوروس ويُحضروا ماء ورد وريحان ام زهر . ويمسك الكاهن الصليب بيديه والشماس يمسك الصينية تحت من الصليب في يده الشمال وتقم الماء ورد باليمين . ويتوجّه الكاهن الى الشرق ويرفع صوته قائلاً : « ܐܝܟ ܕܥܒܕ ܡܨܠܒܐ ܕܡܫܝܚܐ ܕܢܬܩܪܒ ܠܗ ܡܫܬܚܘܝܐ . ايضاً من اجل ملوكنا[2] المؤمنين المسيحيين » ثم يضع الصليب على كرسي قدام الباب الملوكي ويبخره ثلاث دورات وهم مصلّين ويسجدون ثلثة مرار ويقبّلوا الصليب . وبعد التقبيل يصلوا للشرق مطانية وللخورس اليمين مطانية وللشمال مطانية . واذا فرغوا من المطانية يقبّلوا الصليب ويقول الشماس ܡܫܬܬܐ ورفاقها » .

---

١) نرجح انه مرطوريس اي سيدونا القديس الملّاحة الذي هجر النسطورية في القرن السابع وانضمّ الى الكنيسة الكاثوليكية

٢) ان السريان في مثل هذا اليوم يذكرون ملكهم أبجر صاحب الرها الذي عاش في عهد السيد المسيح

واشتملت ليلة الاثنين من اسبوع نصف الصوم على « قانون سرياني » باللحن الروماني وهو برهان على ان السريان والملكيين كانوا يتبادلون بالصلوات في فروضهم البيعية . وترى في فرض الخميس الخامس من الصوم « قانون الليل الكبير » تأليف المطران اندراوس اسقف اقريطش . وهذا القانون اثبته السريان في اقدم مخطوطاتهم[1] . وجاء في آخره ما تعريبه : « نقله من اللسان اليوناني الى السرياني يوحنا بن عيسى من مدينة رومانة » ولهذا القسيس نقول طقسية شتّى عن اليونانية الى السريانية اشرنا اليه في مقالة سابقة .

ويُقرأ في عنوان صلاة الاحد الخامس قوله :

« احد النيّ والمسكين ما له شيء بالسرياني من عشيّة ابروصوميا فدخلوا في الرومي ابروصوميا الذي لمريم المصرية » .

واشتملت جمعة كمال الاربعين او هي جمعة لعازر على ابيات جمّة من طقس السريان الموارنة والسريان الغربيين .

٨ : مخطوطة بكركي ١٥٠

مما استغربناه في هذا المخطوط القديم العهد ان كل ورقة من اوراقه من اوله الى آخره مؤلفة من ورقتين لزقت احداهما بالثانية . وهو مجلّد بخشب وجلد اسود طوله ٢٩ س في عرض ٢١ س يحاكي شكل خطّه الحروف السطرنجيلية . ويرجّح انه منسوخ في القرن الخامس عشر . يحوي الصلوات القانونية لشهر ايار ١ : ذكر ارميا النبي — ٢ : ذكر اثناسيوس البطريق — ٣ : ذكر الشهيدين طيمثاوس وماوروس — ٤ : نيقيفورس — ٥ : ايريني الشهيدة افتتحه الكاتب بقوله : « [illegible] » وتعريبه : « توشّحتِ ايتها القديسة العفيفة بارجوانٍ يهي نسجه دم عنقك وبادرتِ تائقة الى الربّ » — ٦ : ذكر الانبياء القديسين وايوب الصدّيق — ٧ : عيد ظهور الصليب الكريم في اورشليم وتذكار الشهيد اقاقيوس — ٨ : ارسانيوس —

---

١) راجع فهرس مخطوطات دير الشرفة ٥—١ صفحة ٨٨

٩ : النبي اشعيا والشهيد كسطفورس — ١٠ : الرسول شمعون الغيور — ١١ : تأسيس مدينة قسطنطينية والشهيد موقيوس — ١٢ : ابيفانيوس اسقف قبرس وبرمانس بطريرك قسطنطينية — ١٣ : غلوقاريا الشهيدة — ١٤ : ايسيدورس الشهيد — ١٥ : فخوميوس وتذكار السيدة وفيه :

« ܫܡܥܘ ܟܠܗ ܥܡܐ ܕܐܬܝܐ ܡܢܗ ܘܚܕܘ ܟܠܗܘܢ ܐܝܟ ܚܕ . ܚܙܘ ܕܢܘܪܐ ܘܡܫܚܐ . ܘܡܢ ܟܠܗ ܡܫܝܚܘܬܐ ܘܡܫܝܚܐ . ܘܐܝܟ ܚܙܝܢ ܡܫܝܚܐ ܕܐܬܐ ܡܢ ܫܡܝܐ ܘܡܫܚܘܗܝ ܡܫܝܚܐ ܕܡܫܝܚܐ ܡܫܝܚ ܫܡܝܐ » وشرحه : « اننا نشاهدك في الحقيقة كزنبقة ضرّجتها بأجى الران الارجوان قوّة الروح القدس . فانبثقت من الاشواك وارتفعت وابهجت بعبيرك الطيّب جميع الذين يدعونك بايمان وغيرة » .

١٦ ايار : برجس الاسقف المعترف — ١٧ : اندرونيقس احد السبعين تلميذاً[1] — ١٨ : سبعة شهداء بطرس ورفاقه — ١٩ : فطرقيوس ورفاقه — ٢٠ : تلاوس الشهيد — ٢١ : تذكار القديسين ملكينا الظافرين قسطنطين وامّه هيلاني — ٢٢ : باسيليسقس — ٢٣ : ملاطيوس ورفاقه الشهداء الخمسة عشر — ٢٤ : شمعون الراهب وهو سمعان العمودي المعروف بالحديث († ٥٩٦) امّا سمعان العمودي الكبير († ٤٥٩) فتذكاره في اوّل ايلول . وقد ورد في احد الابيات المختصة بسمعان الحديث ما شرحه :

« اننا نتأمل في عمودك تأملنا في الراح كُتبت عليها اعمال جهادك يا ابانا العموداوي . . . فقد أسّستَ ديراً على الارض ضارع شكل السماء . وجلبت الناس من الاقطار ليسجّدوا الله سبحانه . واصبحت شاباً خادماً لوالدة الله وابتنيت بيعة جميلة مثلثة المحاسن على اسم لوقا الرسول الانجيلي وفيها نكرّم رفاتك ورفات مارتا والدتك . . . » .

٢٥ ايار : ظهور رأس يوحنا المعمذان — ٢٦ : الرسول قرقوس احد السبعين[1] — ٢٩ : ناردوسيا العفيفة الشهيدة — ٣٠ : الشهيد ابطيخيا — ٣١ : ارمانس الشهيد .

ولا يخفى ان الكلندارات السريانية كالكلندار الذي نشره الاب بترس اليسوعي البولندي يتفق اتفاقاً عجيباً دقيقاً في سرده اوليساء الله تعالى طبقاً للكلندار الملكي ما عدا اثناسيوس البطريق في ٢ ايار وكسطفورس في ٩ ايار

١) اعتقد السريان الملكيون وفقاً لنصّ لوقا الانجيلي في الترجمة السريانية البسيطة ان تلامذة الرب يسوع هم ٧٠ تلميذاً وليسوا ٧٢ تلميذاً .

وتأسيس قسطنطينية في ١١ ايار . امّا في ١٢ ايار فقد ذكر الكلندار السرياني مار يعقوب النصيبيني بدلاً من جرمانس القسطنطيني . وكذلك لا ترى عند السريان ذكرًا لجرجس المعترف في ١٦ ايار ولا لسمعان العمودي الحديث في ٢٤ ايار .

وقد خلّف السريان الملكيون مخطوطات قديمة قيمة على طراز مخطوط بكركي الذي نصفه كمخطوط دير الشرفة رقم ٦—٣٠ فقد انطوى على الصلوات القانونية لجميع اولياء الله تعالى الوارد اسمهم في شهر كانون الاول . وقس عليه مخطوط مكتبة المطرانية السريانية بحلب فقد حوى صلوات جميع التذكارات في شهر كانون الثاني . نذكر في اوّل يوم ختانة يسوع مع تذكار باسيليوس واورد هذه الانشودة :

« [illegible] . [illegible] . [illegible] [illegible] . [illegible] . . . يا يسوع المسيح ملكنا والاهنا . فليتقدّس اسمك على ساجديك في يوم تسبيحك المجيد . وكمّل بنا مشيئتك في الارض كما في السماء[1] » .

ومن أبدع ما سُطّر في هذا المخطوط يوم ٢٨ كانون الثاني وهو تذكار ابينا مار افرام السرياني قوله ما تعريبه عن السريانية :

« أصبح لسانك ايها القديس افرام البهي المنصال كقلم سيّال يسوّد ويبيّض ويصنّف تآليف سريانية . ويحفر على الواح القلوب وجوب التقيّد بالنواميس الروحانية . فقد وشحتك اتعابك وفضائلك بمجد الاهي . وضارعتَ بساعيك صديقك الحبر باسيليوس الحكيم . فيا مار افرام اذكر جميع الذين يحتفلون بتذكارك ويكمّلونه بايمان » .

الخلاصة

هذا ما توخّينا اثباته عن قدّاس البيعة السريانية الانطاكية الملكية وعن بعض طقوسها وصلواتها القانونية وفقاً لمخطوطات خزانة بكركي البطريركية .

ونرى في اختتام الكلام ان نطرح على القارئ النجيب هذين السؤالين :

١ : هل كان السريان الملكيون في سابق الايام يحتفلون بقداديسهم ورتبهم

---

١) كذا وردت هذه الآية الانجيلية في اقدم النصوص السريانية اعني « فلتكن مشيئتك في الارض كما في السماء » وهو الأصوب . اطلب مثلاً سفر مار يعقوب ١٠ مجلد ١ : ٢٢٣ والاشحيم ٢٢١

وصلواتهم هذه السريانية في القرى والدساكر وحدها كما زعم بعضهم ام كانوا يستعملونها في جميع كنائس البطريركية الانطاكية الكبرى والصغرى وفي اديارها برمّتها دون استثناء ؟

٢ً : هل يجوز الظنّ ان اولئك السريان الملكيين كانوا يقيسون طقوسهم وصلواتهم باليونانية في الكنائس الكبرى وبالسريانية في الكنائس الصغرى كما توهم بعضهم ونحن نشاهد بطريركاً من بطاركتهم وهو تيودوروس بلسمون في القرن الثاني عشر يضطرّ اولاد رعيته البطريركية ان يستعملوا قدّاسي باسيليوس وفم الذهب بدلاً من قدّاسهم الرسولي القديم . ثم نرى بطريركين من مشاهير بطاركتهم وهما البطريرك اثنيوس الثاني والبطريرك اثناسيوس دبّاس[1] (١٦٨٥–١٧٢٤) يصرفان المساعي الحثيثة في نقل تلك الكتب الطقسية عن السريانية الى العربية . فهل كانت ولاية اولئك البطاركة الثلاثة الانطاكيين تشمل كنائس المدن الكبرى فقط ام كانت تشمل جميع كنائس البطريركية الانطاكية السريانية الملكية من شواطئ البحر المتوسط حتى أقصى بلاد فارس ؟ والسلام .

---

١) في حوزتنا اليوم مخطوطة ضخمة جميلة نسخها الياس بن جرجس مايغ عام ١٧٩٩ في ٧٠٥ صفحات كبيرة بخط قاعدي جميل حوت صلوات « التريودي » وفي مقدمتها يقال ان اثناسيوس البطريرك نقلها الى العربية سنة ١٧١٥ م .

الاسبوع الاجتماعي في بيروت

٢١ — ٢٧ نيسان ١٩٤٠

المكاسب والاخلاق

لاول مرة في تاريخ بيروت تُعقد جلسات الاسبوع الاجتماعي . والاسابيع الاجتماعية مؤتمرات تعوّد ذوو الاختصاص ان يقوموا بها مساهمةً في كبريات مدن فرنسة ، وغايتهم عرض المشاكل الاجتماعية في بيئاتهم ، والعمل على دراستها ، بالتمحيص الممكن ، والاشارة الى ما يرونه موافقاً من حلول وعلاجات .

وما كان لوطننا اللبناني — وقد اندفع وراء بلاد الغرب في تيّار المدنية الزاخر ، غير مدقّق بين الحسن والسيّئ — ان يتأخر عن الغرب في درس موقفه الاجتماعي ، فمعالجة ادوائه المكتسبة والاصلية .

فكان هذا « الاسبوع الاجتماعي » ؛ يعقد جلساته في بيروت من ٢١ الى ٢٧ نيسان ١٩٤٠ . وموضوع ابحاثه « الاخلاق والمكاسب » مفتتحةً بخطاب لنيافة السيد ريمي لوبريتر ، القاصد الرسولي في سورية ولبنان ، ومختتمةً ببركة قداسة البابا بيوس الثاني عشر . اما الابحاث فقد قُسمت ست محاضرات تناولت اهمّ مظاهر الحياة الاجتماعية في بلادنا وما يعرض فيها من العلاقات بين المكاسب والمبادئ الاخلاقية . فتكلم في اليوم الاول السيد ميشال شيحا عن « المبادئ الاخلاقية والمكاسب في لبنان » . وفي اليوم الثاني دوّر الاستاذ جورج حكيم من اساتذة الجامعة الاميركية ، حالة « المساومة » في لبنان ، وكأنها من قواعد

المكاسب . ثم دقّق الاستاذ ارنست تيلهاك ، من اساتذه معهد الحقوق ، في تأثير الذهب باعمالنا الكسبية . وكان للاستاذ بشاره طباع ، احد مستشاري محكمة الاستئناف ان يخطب ، في اليوم الرابع ، بالاعمال النائقة في المهن الحرّة فالوظائف العامة . وفي اليوم الخامس تناول الكلام الاستاذ جوزف نجّار من اساتذة معهد الهندسة ، فدرس المشاريع الاقتصادية الكبرى في لبنان ، وما يمكن ان يعتورها من عقبات ، وما تؤدي اليه من منافع ومزالق . وكان الختام للاب ده برنتيل فصوّر بقلم دقيق بليغ ، ما يتغلغل في محيطنا اللبناني ، بالوقت الحاضر ، من أدواء فردية واجتماعية ، وما قد يلوح من ضرورة التكاتف والتعاضد على التخلّص منها .

هذا وقد رأينا ان نطلع القراء على زبدة هذه الابحاث ولاسيما ما يتعلّق منها بالمجتمع اللبناني تعلّقاً جوهرياً . فتكون تذكرةً لمن حضر الجلسات المذكورة ، وتبصرةً لمن لم يمكنهم حضورها ، وتدويناً لاعمال اول اسبوع اجتماعي في لبنان .

١

المبادئ الاخلاقية والمكاسب في لبنان

بقلم ميشال شيحا

يبدأ الاستاذ شيحا بمعلومات عامة في مكاسب البشر وحقوقهم وواجباتهم الاجتماعية حتى يصل الى لبنان.

واذا سمعنا الآن في بلادنا نداء صريحاً الى اقرار المبادئ الاخلاقية في المكاسب، فالى ضرورة درس الاساليب العاملة على ملاشاة الشرّ، فانه يجب علينا ان نتعرّف الى المحيط الجغرافي، والبيئة البشرية، حيث يتصاعد هذا النداء، وتُطبَّق تلك الاساليب.[1]

ولا يخفى ان لبنان بلدٌ صغير بعدد سكانه وبمساحة ارضه. ولنتساهل في تدوير الارقام فنرى فيه نحو مليون من السكّان يعيشون في ارض تبلغ عشرة آلاف كيلومتر مربع، تحتوي، في شرقيا خاصة، على نحو الثلث من الاراضي القليلة الخصب حتى لا تكاد تُسكن. فتكون مساحة الاراضي الصالحة ما يعادل السبعة الآلاف كيلومتر مربّع، يزدحم فيها السكّان بمعدّل ١٣٠ الى ١٤٠ في الكيلومتر المربّع الواحد. اما المعدّل العام فيكون بين ٩٠ و١٠٠ بالكيلومتر المربّع، وهو معدّل مرتفع بالنسبة الى سورية وفيها من ١٢ الى ١٥، بل بالنسبة الى فرنسة ولا يتجاوز سكانها ٧٦ بالكيلومتر المربّع.

اما تكوين الارض اللبنانية فكلّنا يعرفه: سلسلة من الجبال المتتابعة،

١) تقدّم للخطيب محاضرة قيّمة بهذا المعنى القاها في السنة ١٩٣١، ولخّصها المشرق بعنوان: «خواطر ونصائح: الى اللبنانيين من لبناني وطني.» (٢٩ [١٩٣١] ١١٦-١٢٢)

كثيرة التضاريس ترتفع بين ساحل ضيّق ، ومنطقة من الاباطح المرتفعة . فيها القليل من الاراضي المخصبة ، والقليل من المراعي كذلك . الّا ان محصولاتها وافرة التنوّع ، وان تكن ضئيلة الكميّة . واما ما تحت الارض فاهمه مقلع حجري فسيح . ولم يُستخرج حتى اليوم ما يعادل تكلّف العناء ، حتى كأنّ الطبيعة لم تضع في باطن ارضنا شيئاً من كنوزها الثمينة .

واذاً فليس لنا ما يستحقّ الذكر من الغنى المعدني ، ولا من الزراعات الفسيحة ، ولا من الموادّ الأوليـة ، ولا من الصناعات المهمة : فان اعظم مشاريعنا الصناعية من ذوات المعامل الشاغلة نحو الخمسين عاملًا او ما فوقهم بقليل ، تُعدّ على رؤوس الاصابع .

بيد ان لبنان ، الى جنب هذا الفقر في ارضه وفي ما تحتها ، يمتاز بكنوز طبيعية من نوع آخر : له البحر وله الجبل ، الواحد على اقدام الآخر ، يحيطانه بمنافعها العميمة وبسحرها الجذّاب . ففي الجبل كل المرتفعات السهلة المرتقى حتى الثلوج الناجعة ، والمياه الصافية ، والمناخ المعتدل ، الوافر اللطف ، الذي يجعل من لبنان ، في الصيف ، واحةً وسط مناطق وافرة الحرارة ، على سعة من العيش تمكّنها من الاسفار والانتقالات . وعلى قرب منا تقع الاراضي المقدّسة بتذكاراتها التاريخية والدينية ، الطبيعية والأثرية ، وهي من اهم الاماكن المكرّمة في العالم .

ثم هناك امرٌ وافر الاهمية من حيث التجارة ، ولكنه وافر المخاطر كذلك . وهو ان بلادنا تقع في قلب هذه المنطقة الضيّقة التي تمرّ فيها اهم طرق المواصلات في العالم القديم بين قاراته الثلاث بل الأربع ، اذا لم نغفل عن اوستراليا .

❁

ولننتقل الى نقطة ثانية نوليها اهتمامنا اليوم ، وهي تكوّن البيئة البشرية في لبنان .

في بيئتنا تنوّع عجيب في العناصر البشرية . منها القديم ، ومنها الحديث ، ومنها الاحدث ؛ يمتاز كل منها بالشارة الطائفية . وبما يجرّه اختلاف الطوائف من اختلاف في الاحوال الشخصية ، وبالتالي من اختلاف في المبادئ الاخلاقية ،

على نقاط جوهرية تتجاوز الحياة العائلية الى الحياة الاجتماعية ، فالى حياة الاعمال والمكاسب .

ومظهرٌ ثانٍ في المجتمع اللبناني يطلعنا ، في هذه البيئة المتنوّعة الاقسام ، فيشرحها بعض الشرح ، على حركة مدّ وجزر دائمة تقريباً :

من جهة نرى هجرةً دائمة الى هذه البلاد تقوم بها جماعات تدفعها اسباب مختلفة ، فتجد في لبنان ملجأً وملاذاً ، وهذا منذ الاحقاب المتطاولة - حتى اننا في هذه السنوات العشرين الاخيرة — وهي حقبة شاذّة في الحقيقة — رأينا نحو ثمن السكان الحاليين يأتون اليها عن هذه الطريق .

ومن جهة اخرى هجرة ميسة متتابعة تنقل الناس من لبنان ولاسيما منذ السنة ١٨٨٠ الى السنة ١٩١٤ . ولا يخفى ان اللبنانيين المهاجرين ، المنتشرين في جميع انحاء العالم يبلغون اليوم ، مع ابنائهم وحفدتهم ، مئات الالوف . على ان هذه الهجرة الراحلة قد تناقصت في السنوات العشر الاخيرة بسبب الازمات الاقتصادية المتعدّدة التي ألمّت بانحاء المعمور جمعاء ، وبسبب ما قامت به اكثر البلاد الاجنبية من اقفال ابوابها في وجه المهاجرين اليها .

وكثيرٌ عددُ المهاجرين اللبنانيين الراجعين الى وطنهم الاصلي . جاؤوا من اطراف العالم الأربعة ، مستفيدين ، في ما خصّ الناحية الاجتماعية وناحية المكاسب ، طريقةً في التفكير ونظاماً في المعيشة ، إن يكونا مقبولَين على الغالب ، فقد لا يسلمان من غرابة خاصّة . ولا نبالغ اذا قدّرنا بنحو خمسين الفاً هؤلاء اللبنانيين العائشين اليوم مع عيالهم في لبنان والذين هجروا وطنهم ، في حقبة من عمرهم ، ساعين وراء المكاسب في اطراف العالم قريبةٍ او بعيدةٍ ؛ فعادوا الينا وفي حقائبهم ، الى جنب الذهب او الى جنب نتائج التزوّر ، مجموعة من الاختبارات والعادات غريبة عن لبنان . وعلى كل فان من الذين تركوا محاريثهم وأبقارهم في سبيل الهجرة ، اقلّ من القليل عرفوا ان يعودوا الى حياة الفلاحة .

ودونكم مظهراً ثالثاً للحياة الحالية في لبنان : ٣٠٠،٠٠٠ من سكان لبنان يعيشون في المدن ، وثلثاهم في بيروت . وضعف هذا العدد يعيش في الجبال . والواقع انه في الضيع والمزارع ، بل في القرى الكبيرة ، تظهر

الاعمال الكسبية ضئيلة جدًّا . وقد احتفظت الحياة المادّية بمجراها العائلي البسيط القديم . ويبلغ عدد الفلاحين ، او مزاولي الزراعة ، نصف سكان لبنان على اقلّ تقدير . تحتاج العائلة منهم في معيشتها السنوية ، في ايامنا هذه ، من مئتي ليرة لبنانية الى ثلثمائة وقلّما بلغت الاربعمائة . وهي ميزانية ضئيلة كما لا يخفى .

ومما يجدر بالذكر ان كل عائلة تقريباً ، في متوسّط البلاد ، اي في مناطق متصرفية لبنان السابقة للحرب الكونية ، تملك قطعة ارض مهما تكن صغيرة . ولا يخفى ان هذا التقسيم البالغ في الاراضي من مميزات لبنان القديم وهذه العيال تعيش في ارضها فقيرة ، دون شك ، ولكنها تعيش معتبرة . وقد تستعين على ضآلة مواردها بشغل ابنائها المستخدمين .

وفي ما عدا حياة الفلاحين هذه ، نرى اكثرية الاعمال اللبنانية تنحصر إما في التجارة واما في الصناعات الصغيرة التقليدية . ويجب ان نضيف الى ذلك مظاهر صناعية جديدة تقدّمت كثيراً منذ عشرين سنة ، اذا ما ضمّناها صناعة التقليات وصناعة الفنادق اللتين لا تزالان بحاجة الى تنظيم العمل وتوحيد الجهود . على انها لا تزال ضئيلة ضعيفة . فيكون ان لبنان ليس فيه الّا عدد قليل من العمّال الحقيقيين . وذلك اننا نفتقر الى المواد الاولية كما اننا نفتقر الى الاسواق الخارجية الضرورية لاعاشة الصناعات الضخمة . وهو ما يتضح لنا يوماً فيوماً .

فنتج اذاً ان اغلب اعمالنا الكسبية هي التجارة . ومن العدل ان نذكر هنا ان المشاريع التجارية والصناعية الظاهرة على شيء من الاهمية في هذه البلاد هي مؤسسات ذوات امتياز ، اما في الحقّ واما في الواقع ، وان رؤوس الاموال اللبنانية ، وبالتالي حقوق الادارة والمسؤولية ، لا تبدو فيها الّا بدرجة ثانوية وبنسبة ضئيلة .

ولا بدّ من ذكر الموظّفين وممثلي المهن الحرّة ومن اليهم ، اذا اردنا ان نتمم هذا العرض الإجمالي لاعمال السكان في لبنان . ولنلاحظ ان كثيراً من المهن لا ممثلين لها في بلادنا . وان كثيراً من الاشخاص يمتهنون المهنة نفسها فيتنافسون متنازعين اللقمة . وفي هذا الميدان ، كما في غيره ، يجب ان تتدخّل المبادئ الاخلاقية فتحدّد الأضرار الناجمة من هذه الحالة . على انها عاجزة وحدها . ولا

يخفى ان بلاداً صغيرة في حالة بلادنا لا يمكنها ان تتحمل كل المهن التي تغذوها وتشجعها البلاد الكبيرة . وقد يعمل المستقبل على سدّ بعض هذه الثلم . اما الباقي فسيبقى واهياً لا يُتدارك .

لا شكّ ان الجميع يسعون الى مكاسبهم على طرق مختلفة . ولنا الحقّ بان نتول للفلّاح ، والمزارع ، والبائع النقّال ، الذين يطرقون ابوابنا في الصيف خاصةً ، عارضين بقولهم ، وثمارهم الخضراء او اليابسة ، وعسلهم ، وصابونهم ، وزيتهم ، وجبنهم ... ، ان يرضوا بالثمن العدل ، وان لا يغشّوا المشتري في كمية بضاعتهم ولا في كيفيتها . ولكن يجب ان نزيد على هذا ، اذا ما حكمنا بنظرة البائع اليائسة ، ان المشتري ، وهو احياناً المسلّط المطلق على قدرة الشراء ، يطيل المساومة حتى تجاوز الحدّ . فلا يخلو ، والحالة هذه ، من الاخطاء .

بيد اننا ، اذا تكلمنا عن المبادئ الاخلاقية في المكاسب ، لا نحصر بحثنا في البائع النقّال . ولنا قدّمنا الكلام في تركيب الشعب اللبناني ، وفي طبيعة ارضه المسكونة ، وما لها من ميزات وخصائص ، تمهيداً لبسط علاقة هذه المبادئ بالمكاسب . وهو امر من الصعوبة بمكان لفرط تنوّع البيئة في خصائصها الغريبة . وكيف السبيل في الانتقال من النظرية الى التطبيق في ظاهرة الهجرة المزدوجة مثلاً ، وقد اصبحت في لبنان قاعدة لا شذوذاً موقتاً ؟ وقد تُصبح المهاجرة النازحة نتيجة المهاجرة القادمة لفرط ضيق الأرض وضآلة مواردها ، فتغطيا على شعب له من طبيعة اصله ، وتراثه التقليدي ، دوافع الى الهجرة الجريئة المغامرة . ولا تخفى نتائج هذه الحالة في الموضوع الذي يهمنا اليوم . وذلك انه يعوزنا الوقت اللازم لتكوين العقيدة ، ولاقرار عادات واخلاق لم يتعوّدها القادمون الآتون بعاداتهم واخلاقهم الخاصة . وهم ، على الغالب مزاحمون ، لا نريد لهم الّا الخير ، ولكن لا يمكننا ان نهملهم في مجتمعنا .

وواضحٌ أنه في هذه الحالة ، كما في الكثير غيرها ، تتفق العادات والتقاليد حتى الامتزاج . وكيف يمكن ان تثبت تقاليد عرضة للتغيّر والتبدّل الدائم ؟

ولنضف الى ما تقدّم ظاهرة غريبةً نتحققها اذ نرى ، في الارض نفسها ،

احدث اساليب الصناعة العصرية تجاور مباشرةً اعرق الطرق في القدم ، كما تتجاور الأفكار الجريئة في تقدّمها العصري ، والعقليات المتأخرة . وهذه انواع التجارة جميعها مبسوطة لدينا من التبادل المعروف في « العهد القديم » الى احدث النظم الاميركية ، من رعي المواشي الى صناعة التبريد . وفي كلّها ، على نسب مختلفة بالطبع ، تعرض المشاكل الاقتصادية والاجتماعية من شروط العمل ، واجرة العامل ، والثمن العدل . . . فكيف بدرسها نسقاً واحداً والاجتهاد في حلّها ؟ وبأي علاقة للمبادئ الاخلاقية بهذه المكاسب جماء في هذه البيئة المتعدّدة العقائد والنزعات ؟

أوَلا يجب علينا ، بادئ ذي بدء ، ان نحدّد المقصود بالمبدأ الخلقي الذي نتخذه مقياساً وشريعة لهذه الاعمال . اذ لا يصحّ الاكتفاء بالمبدأ الخلقي العام الناتج من الحق الطبيعي .

❁

لقد سمعنا دعوةً عامة الى التقيّد بالاخلاقيات ، ولكن ما الذي دفع الى هذه الدعوة ؟ وما الذي اثار هذا النداء ؟

هو تجاوز الحدّ في المعاملات والمكاسب .

وليس من شك في وجود جماعة يعيشون كما لو كانت المكاسب غايتهم القصوى من الحياة . فلا يرون الّا المال في كل شيء . ومن كان هذا مذهبه فأحر به ان يضلّ سبيل الاخلاق ويضلّ غيره . هو الاعمى قائد العميان !

وهناك جماعة اخرى لا يبلغون مبلغ هؤلاء في التكالب على الكسب . ولكنهم لا يميّزون في اعمالهم بين الحلال والحرام لانهم فقدوا المقاييس الصحيحة .

وهناك من ندعوهم وقاح المتكسبين ، اولئك الذين يحلّلون جميع المكاسب ، على معرفتهم بمقاييس الحلال والحرام فيها .

وهناك نزيهو المكاسب . وليسوا بالاقل خطراً . . .

ولا يخفى ان هذه الجماعات غير خاصة بلبنان . فانها منتشرة حيث تكون المكاسب . وايّ بلد لا مكاسب فيه ؟ على ان في بلادنا ، ولا سيما في البلاد المجاورة ، بعض مقابح واضطرابات كسبية تؤثر في المراقبين ، ولاسيما الغربيين ،

وركام اطلال تزدحم فيها الآثار ، والرُّقم ، والشواهد ، منذ اقدم العصور الى عصرنا الحاضر . وعلى الرغم من مظاهر خمولنا وضآلتنا فان التاريخ لم يجهلنا قطّ ، مدة الاحقاب المتطاولة . كل اللغات ، كل الاخلاق ، كل المعتقدات ، بل كل الطقوس ، تجد من يمثلها في بلادنا . وكذلك كلّ البضائع وكل النقود العالمية . وقس على ما ذُكر ما لم يُذكر ، حتى اصبحنا نعيش ، وابوابنا مفتوحة للصادر والوارد . واعظم المكاسب في مدننا اكثرها مخاطر ، واوفرها مزالق من حيث المبادئ الاخلاقية . هي مكاسب صغار التجّار ، ومتوسطي الباعة ، ومؤجري الخدمات ، من وسطاء وعمّال ، ووكلاء وسماسرة ، ومسافرين ، وارباب فنادق ، تتصل علاقاتهم بالعالم اجمع ، ذاك العالم الذي تزوره نحن ويزورنا بدوره ، مرة بعد مرة .

أوَلا ترون ان هذه الحركة الدائمة المضطربة تجعلنا على شفير المخاطر الاخلاقية ؟ أوَلا ترون انه يلزمنا قوة ارادة ، وخلق شديد ، وكرامة نفسية لتقاوم التجارب الوافرة ونصمّ الآذان عن النداءات المتكاثرة التي تعدّدها الظروف والحالات وتنوّعها الى ما لا نهاية له ؟

أوَلا نشعر بشيء من القلق بعد هذا العرض ؟

ذلك انه في هذا الباب الصاخب من مشاحنات الباعة والمشترين ، في مهارة التاجر ، ودهاء الوسيط ، ومرونة الوكيل ، ولباقة السمسار ، يجب ان ننتبه للعنصر الروحي فنقرّه سامياً فوق المادة ، ذاكرين ان المبدأ يظلّ مبدأً لا يُتساهل فيه ، مهما بلغ من مظاهر هذا الضجيج الفوضوي . ولا يجوز ان يُضحّى بشيء من الناموس : ان المهمّ في الحياة الاجتماعية ، بل الشرط في بقاء هذه الحياة ، ليس الكسب ، بل الاهتمام بالمطلوب الواحد ، وهو ملكوت الله وعدله .

ولا بدّ من ان يُعترض علينا بالقول : على الانسان ان يؤمّن حياته فتجيب ، دون ان نتجاهل ، مراوين ، وجود الصعوبات الحقّة : لا شكّ في هذا ، ولكنه يؤمّنها كذلك اذا قام بواجبه . أوَ ليس التاجر الصحيح الضمير ينتهي الى احراز ثقة المشترين من ذوي الضمير الصحيح كذلك ؟ ولفرط تقيّده بالحقيقة في كلامه ، يصبح الناس على اعتقاد قوله ، فيخرجونه من دائرة الشك العام المحدق بزملائه . ولكن لا بدّ له من مقاساة المشقّة أول الأمر . هذا هو « الباب

الضيّق » المؤدّي الى العالم الأفضل ، الى عالم الاستقامة والصراحة ، الذي لا تزال البشرية المتألمة تنظر اليه ، حتى في هذا الكون الفاسد ، نظرها الى الحلم الامثل .

ولسنا لننفل عن البعد الشاسع بين النظرية والتطبيق . فلا نُخدع بتغذية الخيالات الخلّابة ، بل نعرف ان القوة على مقاومة الغرق تعوزنا خاصّة عند ما يجتاحنا التيّار . ولا يجوز لنا ان نرمي احدًا بحجر ، لفرط ما نتحمّله من الصعوبات والمخاطر . على ان التفران الأعدل ، والتسامح البشري ، لا يمنعان ضرورة التقويم والإصلاح .

ففي بلادنا اللبنانية ، بل في الشرق اجمع ، نرى من المعقول العادي ، اذا ما اردنا رفع المستوى ، ومنعه من الهبوط ، ان نطلب الكثير ممن يمكنهم بعض الشيء . لأن الخطر أعظم ، والمزالق اكثر .

❁

أوَلا نرى الآن ان دور الاكليروس يظهر على أهمية خاصّة ؟ أوَ تغالي اذا زدنا اننا ننتظر من هذه الناحية ، توجيهات بصيرة ، وأمثلةً لا يشوبها الضعف ولا الخمول ؟ أوَ نُرمى بالمبالغة وتجاوز الحدّ اذا رجونا مخلصين ان لا نرى رجلًا واحدًا من رجال الكنيسة ينصرف الى التجارة . وكيف يجوز لرجل الله ، اذا لبّى دعوته الكهنوتية ، ان يضلّ في متاهات المكاسب . ثم يرشد من حوله الى التجرّد والتفاني .

ولا يمنعنا هذا القول من الاشارة الى مسؤوليات العلمانيين انفسهم ، وهي مسؤوليات واسعة حتى لا تفوت واحدًا من ارباب العيال . وذلك ان المال يحتلّ في حياتنا مركزًا يجاوز الاهمية المعتدلة . فتكون النتيجة ان كثيرًا من فضلاء الناس يندفعون كلّ الاندفاع في مرافق الحياة المادّية حتى تضيّق على تفكيرهم فتذهلهم عن كل ما سواها . فالمال موضوع حديثهم ، والمال محور تأملاتهم ، والمال مقلق مضاجعهم . وكل اعضاء الاسرة يتحدّثون عن المال : الاب ، والام ، والابناء ، والبنات . صباحًا ومساء ، على المائدة ، وفي استقبال الضيوف . وهي ظاهرة عادية في بعض الطبقات الميسورة ، القليلة الأشغال ، من التي تتجاور فيها مآثر الفضيلة ورغبات الجشع تجاورًا غريبًا . بيد اننا نُسرّ مطمئنين اذا ما شعرنا ،

الى جنب هذه المتناقضات ، بكثير من عوامل التجرُّد السامي والثقة الوطيدة بالعناية الالهية ، في اشخاص تفرض عليهم الحياة ان يكسبوا معيشتهم يوماً فيوماً باعمالهم الوضيعة . ان الوضعاء في بلادنا لجديرون بكثير من العطف والمحبة . اولئك الذين لا تقلق مضاجعهم خطط البيع والشراء ، ولا يلتقطون البائع في طريقه ، ولا يعملون ، كل دقيقة ، على تقويم متنى جارهم وتقدير ثروته ، بشهوة تجاور الغيرة والحسد .

أين الدواء لهذه الادواء الاجتماعية ؟

أيكفينا ان ننقل الى محيطنا ما يُطبق في الغرب من نظم ومؤسسات ؟

لا نرى ذلك . الا انه يجدر بنا ان ننتبه دائماً لما توصّل اليه الغربُ من حلول وأساليب ، فنستوحي منها ما يوافق بيئتنا ، مطبّقين على احوالنا وحاجاتنا نتائج تلك الجهود المتواصلة ، وذاك الاختبار المتابع .

ولو كان مجتمعنا متوحّد العناصر لهان الأمر . ولكنه مختلف الشعور ، متنازع الاخلاق ، متضارب النزعات والمشارب ، كما رأينا . ليقف الواحد منا الى نافذته وليلقِ بنظره على هذا الشارع المتاوج بالناس ، مراقباً دون ضجر ، هؤلاء المارّين . وليتبه خاصةً لمائة منهم . فماذا يرى في هذا الفلم السينمائي الحيّ ؟ يرى ، على المائة ، خمسة عشر او عشرين بالأكثر من مظهر واحد . اما الباقي فيا لغرابة مظاهره ، ويا لاختلاف هيئاته ! تنوّعات عجيبة في الوجوه ، والالبسة ، والحركات ، تصوّر باوضح الصور ما صارت اليه هذه البلاد .

اذا نبي الانسان هذا المظهر ، اصبح من السهل ان يصف الادوية الجاهزة للادواء الاجتماعية ، كما يصف نظريو السياسات النُظم المقرّرة المدرسية . ولكن الخطر شديد اذا ما نقلنا العادات والشرائع من مناخ الى مناخ دون تكييف او تبليد . وكم يكون اشد خطرًا اذا كان القوم انفسهم ، الذين توضع في سبيلهم هذه الشرائع ، مختلفين في ما بينهم اختلاف سكّان المناطق المتباينة . فمن الواجب اذاً ان يؤخذ في هذه المعالجة بكثير من الحكمة ، والتمييز ، وقوة الارادة . والمستقبل كفيل بالتقدم والازدهار .

ولنذكر ، بهذه المناسبة ، جملة للمونسنيور دي سولاج ، في كلامه عن التطور الاقتصادي وما يتعرّض للعامل على الإسراع فيه من مخاطر. قال : « ان التقدّم الاقتصادي مشروع ، بل مفيد للتقدّم الاجتماعي نفسه ، لأنه هو العامل على تدريج مستوى المعيشة البشرية ، وبالتالي على انالتها ذاك الطموح الى الحياة الفكرية في الجمهور . ولكن بشرط ان لا يندفع هذا التقدم بسرعة تحول بين الانسان وبين تكييف حياته وفقاً له.» وهو ما يقال ايضاً في التقدم الاجتماعي. فارى ان اهم الاساليب لتقويم حالة مكاسبنا الاخلاقية وتحسينها انما هو التربية اولاً ، ثم المؤسسة . التربية ضرورية لانشاء المؤسسة نفسها ولا يخفى ان هذه ايضاً من مظاهر التربية . لأن التربية تهتمّ بالفرد ، بينما المؤسسة تتعلق بالعدد ، فتفرض الجهد الجمهوري . وفي هذا العلاج يلزمنا شيء من الاشتراك في النظرات والآراء ، وصحة العقيدة في المبادئ الاخلاقية،لنجمع بين الافراد في سبيل الوحدة الاجتماعية السليمة . لأن الجمع وحده لا يكفي . ومن يجمع بين الفوضويين ، والشيوعيين ، ومقلقي الراحة العامة ، لا يفيد المجتمع السليم ، بل يضاعف الخطر على كيانه . واذا ما نظرنا عن كثب الى التربية نجد ان لها في لبنان اهمية حيوية . وذلك ان بلادنا ، كما قدمنا ، معرّضة للمزالق الجمّة في ما خص الاخلاقيات . فاذا مالت الى التساهل في هذه الناحية ، ضعفت قوتها الفكرية ، بل اضمحل كيانها السياسي نفسه . واهم ما يهمنا في وطننا هذا ، انما هو بقاؤه سالماً متشبثاً بروحانيته . بل ان بقاءه المادي شرطٌ من شروط الروح . فلنسلّحه اخلاقياً ليقاوم التجارب والاهواء . ولا ريب ان من اخطر هذه التجارب تجربة المال التي تسود الجميع ، فتجرّ الجميع وراءها الى هوّة الخطر .

علينا ان نُعلن ونعلّم ان ليس كل ما في لبنان يصلح للبيع ، وان ليس كل مال يصلح للأخذ . وان كل المشتغلين بالمكاسب ، كثروا ام قلّوا ، عظموا ام حقروا ، عليهم واجبات نحو وطنهم ، مفروضة قبل واجباتهم نحو قريبهم ، لان الوطن هو قريبنا المتعدّد المتوحّد في جمهوره . وان مقاومة الخطر تستند الى وجود مثل اعلى رفيع طاهر ، والى صرامة في الاخلاق ، ولا سيما في شؤون المكاسب والاموال ، والى القيام السريع بواجبات المعاونة والمؤاساة ، لا في حال الانهيار

والتهافت فقط ، بل درءا للمهابط قبل حصولها .

على ربّ الأسرة ان يعلم ويعلّم ابناءه ، وعلى الاستاذ ان يعلّم طلّابه ، وعلى الدولة ان تعلّم وطنيها بجميع الطرق ، وخصوصاً بالشرائع والقوانين ، ان النزاهة ثروة روحية ، دون شك ، ولكنها ثروة مادّية كذلك . وان البلاد تنال المكاسب ، ويثق بها العالم ، كلما كانت سمعتها الخُلقية مستندة الى النزاهة والاخلاص ، وان الخيرات الروحية والاخلاقية تفوق ، بما لا يُقاس ، الخيرات المادية ؛ فتعمل ، اكثر منها على جعل الوطن اثبت اركاناً ، وامنع جانباً ، واوفر سعادةً .

هل تُعلّم هذه المبادئ في بلادنا ؟ ومن يجرؤ على الجواب بالايجاب ؟ وهل يعرف الاهل وابناؤهم معرفة كافية ان مستقبلهم ومستقبل اعمالهم الكسبية تفرض عليهم التعلّق بأرضهم اكثر من التعلّق بجانوتهم ! وانه لاجدر بلبنان ، في سبيل الخير العام ، ان يكون له مزرعة من ان يكون له خزانة حديدية ؟

وهل يعرف ارباب المعامل ، وموظّفوهم ، وعمّالهم ، واجباتهم الحقيقية بعضهم ازاء البعض الآخر ، وواجبات الجميع ازاء وطنهم ، هذا المظهر اللطيف الشريف للبشرية جمعاء ؟

هل أطلع مديرو الاعمال على واجبهم في تحمّل مسؤولية من تحت ادارتهم من العمّال ؟ وانّ عليهم ان يُعطوا العمل المأجور نصيبه الحقّ ، وان لا يرموا الى الغنى مجحفين بالعدل والنزاهة ؟

واولئك الشبّان الخلّاق بان يكونوا يوماً ما في ادارة الاعمال والمشاريع ، مهما عظمت او صغرت ، هل مُرّنوا على تحمّل واجبات الادارة ؟

وهكذا يمكن ان نعدّد الاسئلة ونطيل الاستفهام . انما يظهر من كل ذلك ضرورة التربية والتدريب في جميع مناحي حياتنا الاجتماعية . وهذا لا يفوق مقدّراتنا . بل يظهر على شيء من السهولة بالنسبة لصغر منشآتنا الاقتصادية ، وقلة العاملين فيها . وكم تكون النتيجة حسنة للجميع ، اذا ما طلبنا من مديري هذه المنشآت ان ينذّروا تجاه مأموريهم وعمالهم عاطفة لا اخشى من تسميتها « ابوّية » فيسألوا عن حياتهم العائلية ، ويطّلعوا على احتياجاتهم ، ويقفوا على مطالبهم

ومطامحهم ، ويهتموا بهم كما لو كانوا من الاهل . أوَ لا نعيش حياةً كاملة ، احياناً ، مع رجال ينفقون في سبيلنا اتعابهم وجهودهم ، وقد ينفقون ، لو طلبنا ، قلوبهم وعواطفهم ؟ نعيش تلك الساعات والايام المستطيلة جنباً الى جنب ، دون ان نتجاوز المعاملات المادية الخارجية . فلو جعلنا في هذه الحياة شيئاً من العواطف المتبادلة ، أما كانت المعيشة اقل صعوبة ، والعلاقات المتبادلة اوفر سهولة وطمأنينة ، والنتيجة افضل حتى في محيط الاعمال . وهو ما يظهر طبيعياً ومعتدلاً حتى نتساءل لِمَ لا تكون هذه العواطف من عادات المجتمع ، وبايّ تصلّب خارج عن حدود الانسانية توصّل الانسان الى الانصراف عنها . بيد ان الحقّ يدفعنا إلى القول انها موجودة في لبنان ، وانها اعمّ مما نتصوّر حتى يمكن القول ان عندنا من مظاهر هذه العواطف الشريفة امثلةً رائعة تجدر بان تكون قاعدةً عامة ، لا مظاهر فرديّة .

فللتربية اذاً ، والتهذيب ، والتعليم ، دور اساسي في تقويم مجتمعنا الاخلاقي . فعلى القائمين بها ان يخلصوا لواجبهم ، وخصوصاً ان يواظبوا ثابتين . فان من ميزات مجتمعنا ان نشهد ولادة الكثير من الحركات الطيبة ، والمقاصد الصالحة ، وان نشهد كذلك حبوط الكثير من الآمال . ان الثبات يعوزنا . والملل سريع التغلغل تحت اشعة شمسنا الشرقية .

فاذا كانت هذه حالة الفرد في عجزه عن تحقيق مشاريعه ، وحيداً ، فكم تكون الحاجة ماسّة الى المؤسسات والمنظمات التي قد تكون من اساليب الخلاص والإصلاح . وقد قال المونسنيور دي سولاج في اسبوع موهوز الاجتماعي : « ان المؤسسة ليست غاية . هي واسطة ضرورية للعدل الاجتماعي . واسطة تولد من عجز الفرد . »

وما هي المؤسسة ؟

لقد حدّدها بوضوح خطيب آخر في الاسبوع الاجتماعي نفسه ، هو الاب ڤيلاي ، فقال :

« هي كل منظمة تنشأ في قلب المهنة وغايتها تسهيل العمل وازدهاره . »

وهو تحديد جديد في دقّته ، لأن معنى المؤسسة العادي اوسع وانمض . على انه تحديد مفيد كافٍ .

فان تكن المؤسسة منظمةً تنشأ في قلب المهنة ، فهي تفرض وجود المهنة السابق على طريقة متينة مرتبة حتى يتمكن عدد من اربابها والآخذين بها من الاجتماع في مؤسسة منظمة. اما مظاهر هذه المؤسسة المهنية فاننا نراها في الغرب خاصة على صورة الجماعات والنقابات .

وغاية الجماعات والنقابات في عصرنا ان تدافع عن المهنة ، وعن مصالحها ، وعن اعضائها . اما في لبنان فلا نكاد نتحقق كياناً لهذه المؤسسة ، اذا ما استثنينا بعض المهن الحرّة . ومن اسباب هذا ان المهن المتنوّعة نفسها لا تزال في طفوليتها عندنا ، وان الاختصاص النسبي يكون بطيء التقدُّم في بلاد صغيرة. ولنأخذ مثلاً مهنة البناء في بيروت . أوَلا نرى انه كثيراً ما لا تميّز بين مهندس البناء ، والمهندس المادي ، والملتزم او المقاول ؟ . . . وحتى الماضي القريب كان من الممكن ان نضيف الى هؤلاء معلّم العمار نفسه . اما في ما سوى بيروت من مدننا وقرانا فان المشكل نفسه لا يكاد يعرض للحلّ . وذلك ان المهنة الواحدة لا تكفي لإعالة صاحبها ، فيضطرّ هذا الى الجمع بين الاثنتين او الاكثر من المهن . والشواهد عديدة على هذا الأمر .

فاذا اضفنا هذه الظاهرة الى ما تقدم لنا ذكره ، رأينا ان اخذنا بالمؤسسات الاجتماعية في لبنان يجب ان يحتاط بكثير من التحفّظات . لنهتمّ بهذه المؤسسات على شرط ان ننتبه للاحوال الخاصة ببلادنا ، بميزاتها ، بمظاهرها الاجتماعية المتنوّعة . والّا فاننا نغرّر بمجتمعنا ، اذ نعرّضه للصعود السريع في السلّم ، ومن ثمّ للتهورات المفاجئة المؤلمة .

ولهذا يجب علينا ان نضع في اساس البناء الاجتماعي — مع الانتباه الدائم لتنوّع الاخلاق في بلدنا وفي البلاد المجاورة ، وعلى الرغم من هذا التنوع ، وعلى الرغم من الصعوبات العديدة المتزايدة — إصلاحاً اخلاقياً خالصاً ، نقوم به بتواضع « العشّار » . ونثابر عليه حتى يخرج منه نظام جديد نسبي ولكنه كافٍ ، لا في اعمالنا الكسبية فقط ، بل في جميع نواحي مجتمعنا اللبناني . فان التقدُّم الاخلاقي ، مهما كانت صورته ، ومهما كانت العاطفة او العمل الذي يظهر به ، لا بدّ له من ان يحدث اثراً عميقاً في حياة الانسان كلها. فهو يمتدّ ويتتابع كالموج

حتى يأتي على كل شيء .

ولعلنا نتفق الآن على ان الاساليب الناجعة في اصلاح هذه الفوضى الاخلاقية في بلادنا ، سواء أكانت في الاعمال الكسبية ام في غيرها ، لا يمكن ان تكون اساليب اجتماعية فقط . وذلك لما في مجتمعنا من عدم الاستقرار ، والاضطراب في البيئة البشرية ، واختلاف استعداداتها لتمثل هذه الاصلاحات ، حتى تكاد الاخلاقيات تظلّ عرضةً للتهوّر والنبذ . ولهذا رأينا ، مع التشبث بمتابعة العراك ، أن نعرض لراغبي الاصلاح هذه الفكرة ينشرونها ويبثونها بجميع الطرق الممكنة :

« اذا اهلكتنا الاعمال الكسبية فان خلاصنا لا يكون الا من الارض . »

فالى الأرض اذاً حيث يدعونا واجبنا . ولا حصن لنا في بنائنا الاجتماعي الضعيف ، الّا ارضنا القوّية . فاليها نلتجئ اذا خشينا من التيّار الحاضر ان يطغى يوماً ما فيجرف مجتمعنا بكامله .

٢

المساومة

بقلم جورج حكيم
من اساتذة الفرع الاقتصادي في الجامعة الاميركية

كأني بأناس بين الحاضرين يسألون انفسهم قائلين : ما عساهُ أن يقول طيلةَ ساعة من الزمن في موضوع كموضوع المساومة ؟ وهم يظنون ان هذا الموضوع يمكن ايفاء حقه من البحث بإبداء ملحوظات عامّة تتخللها ملحٌ ونكات ، وبايراد حكاية أو حكايتين من مساومة مشؤومة ذهبت فيها ضحيةً لاحتيال بائع لا ضمير له . ثم يقولون في نفوسهم : وعب انه يستطيع ان يؤلف محاضرة جدية في الموضوع فهل يستحق هذا التعب ، وهل هو موضوع خطير يحسنُ أن يُصرف في سبيله وقت ثمين ، في حين انه من الامور الواضحة التي تقع كل يوم في حيّز اختبارنا اليومي ؟ أوَ لا يمكننا أن نعرف ما تحسن معرفتهُ بمجرد الطواف نصف ساعة في سوق سرسق حيث نرى المساومة تفعلُ فعلها ، بدلاً من أن نخوض غمار البحث فيها ونبدي النظريات بشأنها ، في ردهة يجب أن تُحفظ لمواضيع اسمى شأناً من موضوع المساومة ؟ . . .

اني ايها السادة لا ارغب في تسليتكم بايراد النكات والمُلح او ايراد الحكايات لاني لست بارعاً في فن التنكيت ولا في قص الحكايات ، بل اريد أن ابحث بحثاً جدياً في الموضوع فاحلّل المساومة في حياتنا الاقتصادية . لانها وان كانت تبدو بسيطة واضحة فهي لا تخلو من الارتباك ، ولا تنحصر في شراء الخضر والفواكه اللازمة للغذاء اليومي ، ولا في المناقشة على ثمن متر من النسيج الحريري تحتاج اليه سيدتي لملابس الربيع ، ولا في تعيين اجرة حانوت . بل هي تتدخل كلما اراد فريقان أن يعيّنا شروط عقدٍ من العقود ذات العوض ، ويمكننا ان نتدخل ايضاً في كل عملية من عمليات المبادلة باوسع معناها . وكلما اقتضت الحال تعيين ثمن سواء كان اجرة منزل او سيارة او سمر كيلو من البرتقال ، دخلت المساومة

ايضاً ، لانها ليست الا مناقشة بين فريقين على الشروط التي سيبنى عليها اتفاقهما فيتلاقى في هذا السبيل نطاق المساومة بنطاق العلاقات التعاقدية المتسعة كل الاتساع في حياتنا الاقتصادية . فمن المهمّ اذاً ان ندقق في هذا السَّنَن المتبع في حياتنا الاقتصادية لما فيه من الأدلة البالغة .

بيد اني لا اقتصر على النظر في المناقشة الشفهية أيّ الشكل المعروف للمساومة ، بل أريد ان احلل موقف الفريقين المتساومين ومقدرتهما النسبية في المساومة والنتائج التي تدلُّ على ان احدهما جنى ربحاً من الآخر في ميدان المساومة .

ومما يجعل المساومة مرتبكة بعض الارتباك في لبنان ، وجود عدة ضروب منها . وهذا التعدّد ناشئ عن تعدّد الاحوال الاقتصادية . فالاقتصاد عندنا هو اقتصادٌ مختلط (mixte) يقوم على عدة مناهج اقتصادية . ومما يسترعي الفكر في بلد صغير كلبنان ، أن يكون فيه ثلاثة مناهج اقتصادية مختلفة . فانك تجد بجانب المنهج التجاري المتفوّق عندنا ، منهجاً إقطاعياً (féodale) للزراعة والصناعات اليدوية ، ثم منهجاً ثالثاً للعامل . ويمكننا أن نعدّ هذه المناهج الثلاثة من الوجه التاريخي كمراحل للنموّ الاقتصادي في بلادنا . فيكون الاقتصاد الاقطاعي مختصاً بالماضي ، والإنتاج الميكانيكي للمستقبل .

ولا شكَّ في ان المناهج الثلاثة ستبقى معاً مدة طويلة لأن الاقتصاد الجديد لن يحل تماماً محل القديم . وكل ما يجري هو أن الجديد يتغلب ويسود فيغير القديم . واذا درسنا كلّ منهاجٍ على حدةٍ ، أمكننا أن ندرك صفته الجوهرية ، والعلاقات الموجودة بينه وبين المنهجين الآخرين ، وكيفية الانتقال من واحد الى آخر . وهذا الوجه التاريخي لازم كل اللزوم لفهم التطور الجاري في حياتنا الاقتصادية ، ولادراك اسبابه الاساسية .

❁

فبعد جلاء هذا الوجه التاريخي يمكننا أن نبحث في المساومة اللبنانية بجميع اشكالها وصفاتها ، لان ضروب المساومة التي سننظر فيها تقابل المناهج الاقتصادية المتقدم ذكرها فلننظر فيها اذاً بحسب ترتيبها التاريخي :

في عهد الاقتصاد الإقطاعي القديم كانت المساومة عاملاً من عوامل الثبات

الاقتصادي والاجتماعي. اجل اننا لم نرَ في لبنان نظاماً اقطاعياً بمعناه الخاص كالذي وجد في اوربة من القرن الثامن الى القرن الثاني عشر ، الا في عهد الحروب الصليبية ، على ما اظن . وأعني بالاقتصاد الاقطاعي هنا ذلك الاقتصاد الذي كان موجوداً في القسم الاكبر من القرن التاسع عشر اذ كان الفلاحون في ذاك العهد يقومون بالانتاج في اراضي كبار الملاك العقاريين ، كما كان الانتاج الصناعي من جهة أخرى يتمّ على ايدي صناع يشتغلون لسوق محدودة النطاق بناء على الطلب. وكانت الغاية من المساومة في هذا النوع من الاقتصاد تحديد اسعار المنتجات الزراعية ومنتجات الصناعات اليدوية. اما علاقات الفلاحين والملاك العقاريين فقد كانت تجري بحسب العُرف وبغير مساومة بل كانت على الخصوص علاقات مزارعة يُشترط فيها ان يأخذ الفلاحون جزءاً من الحاصل الزراعي (٥٠ في المئة مثلاً من المجموع). وعلى هذا المنوال اقتصرت المساومة على التبادل بين الفلاحين والصناع. وكانت تجري على سنة المساواة لان حاجة الفلاح الى المنتجات الصناعية كانت بقدر حاجة الصانع الى منتجات الارض . وكان كلّ فريق يعرف الآخر لانّ السوق المحلية محدودة . وجملة القول ان كل فريق لم يكن يجد فرصة لخدع الفريق الثاني والاثراء على حسابه .

اما المالك العقاري المثري فقد كانت حالته تختلف كلّ الاختلاف . وهذا الفرق لم يكن ناشئاً عن تفوق مركزه في مجال المساومة بل لانه كان يوفر ثراء واكبر دخلاً . امّا عملية المساومة اذ ذاك فقد كانت بسيطة جداً لا يدور فيها الا قليل من المناقشة لان الفريقين كانا يملكان معلومات صحيحة عن البضائع التي كانت تجري عليها المناقشة ، لما تقدم ذكره من ضيق نطاق السوق وبساطة طرق الانتاج .

وكان الصنّاع الذين يصنعون احدى البضائع يتجمعون على الغالب في سوق واحدة فيسهل على المشتري ان ينتقل من محل الى آخر للحصول على افضل ثمن . وما زال في لبنان بعض اسواق من هذا الطراز ، ولا سيما في داخلية سورية ، وفي بيروت نفسها كسوق الصاغة مثلاً . وكان بيع المنتجات الزراعية يعقد بسهولة : فاما ان يذهب الصانع الى القرى فيبتاع مؤونته واما ان ينقل الفلاح محصوله

الى المدن المجاورة او القرى الكبرى .

واهم مسألة تعرض في درسنا نتائج هذا النهج الأولي للمساومة ، هي أن نعرف ما كان يُمثلهُ سعر المنتجات المتبادلة . اما الجواب فسهل وهو انه كان يساوي « الثمن العدل » في القرون الوسطى الاوربية ، اي ثمن المواد الاولية مع اضافة ربح عادل كبدل عمل للمنتج . وكان هذا الربح يُحسب عادلاً عندما كان يسمحُ للعامل بان يعيش هو وعياله في مستوى مقبول . ولا يخفى ان حاجات الافراد ورغباتهم لم تكن عديدة في ذاك العهد ، ومقادير الدخل لم تكن متفاوتة كثيرًا فلا ترى شظف البأساء ولا ترف النعماء .

وكان الاقتصاد الاقطاعي القديم ثابتاً تجري فيه المساومة على منوال ينتج عنه تبادلٌ عادلٌ ، وكان ما يسمونه « قاعدة اللعب » محترماً بين الفريقين ، فكانت الحياة الاقتصادية تجري في مجراها النظامي على وتيرة واحدة بلا نزاع ولا تغيير كبير . واذا قابلنا بينها وبين حياتنا الحاضرة التي يشملها القلق وتعوزها الطمأنينة ، جاز لنا ان نتساءل عما اذا كانت حياتنا افضل من تلك الحياة . وربما جاز لبعض الناس أن يأسفوا على ذاك العهد القديم الميمون ، ولكنهم عبثاً يحاولون استرجاع ذلك الجو الصافي لان التاريخ لا يدور نصف دورة لسوء الطالع .

ايها السادة ، ان الماضي المتقدم وصفه ليس ببعيد عنا بل لا يزال موجودًا في بعض القرى اللبنانية . لكنه ليس كما كان بل اصبح مضطرباً بضجة السيارات وشوائب موجات الراديو ، ومهددًا من كلّ جهة ، واخلى محله لمذهب التوسع التجاري المعروف بالكومرسياليسم .

وليس لدينا متسعٌ من الوقت لنوضح كيفية الانتقال من النظام القديم الى النظام الجديد . فحسبنا أن نذكر هنا انه في نحو منتصف القرن التاسع عشر ، بدأت عوامل الاقتصاد المتعاظم في اوربة ، تهدم الجدران التي كانت تفصلها عنا ثم جاء استقلال لبنان الاداري وصناعة الحرير والمهاجرة والحرب الكبرى فاجهزت على ما بقي منها . ونمت التجارة بيننا وبين اوربة واجتاحت الآلات جبلنا الساكن المادي . ولقد تميز الاقتصاد التجاري الذي نعيش في جوّه بأنّ الانتاج فيه معدّ

لسوق اوسع مجالًا من السوق الماضية . واصبحت سوقنا فيما يختص بكثير من المنتجات تعد جزءًا من السوق العالمية . فالبلدان الاجنبية تقدم لنا قسماً كبيراً من المواد التي نحتاج اليها ، ومنتجاتنا من جهة اخرى يصدر قسم كبير منها الى الخارج ، فصار المنتج في هذه الاحوال لا يبيع منتجاته للمستهلك مباشرة بل يبيعه اياها بواسطة التاجر الذي اصبح محله نقطة مركزية لتوزيع البضائع . وفقدَ الفلاحون والصنّاع حبل الاتصال بالسوق واصبحوا مضطرين الى بيع منتجاتهم للتجار . ثم اصبح المستهلك يلجأ الى التاجر ليبتاع منه البضائع التي يحتاج اليها . اجل ان هناك بعض حالات يشتري فيها المستهلك مباشرةً من المنتج ولكنها اخذت تصبح قليلة استثنائية ، ولا سيما في ما يختص بالبضائع المستوردة من الخارج فانه لا يجد من سبيل الا شراءها من التاجر .

تعالوا الآن نبحث في المساومة التي تجري في حيز هذا الاقتصاد التجاري فننظر اولًا في المساومة بين المستهلك والتاجر ثم بين التاجر والمنتج او الصانع والفلاح . ولقد وصلنا هنا الى المساومة الشرقية التي الفناها وعرفناها لاننا جميعنا من المستهلكين . فهي مساومة سوق سرسق وسوق الطويلة ، او هي مناقشة طويلة او قصيرة يحاول فيها الشاري الذي يجهل قيمة البضاعة الحقيقية ان يدفع اقل ثمن ممكن ، بيد انه لا يكون واثقاً ابداً بما يعرضه . والسيدات يبرزن عادة في هذه المناقشة ، لا لانهن يتحلّين بطلاقة اللسان فقط بل لان حالتهن الاقتصادية تدفعهن الى المناقشة . فان المرأة في لبنان تابعة غير مستقلة . وهذا مما يجعلها في الغالب كثيرة الوقت قليلة المال فتسرف في الاول وتقتصد في الثاني ، ولا تتردد في اضاعة نصف ساعة لربح بضعة غروش . ربما كان الوقت يوماً عندها من ذهب ، على انها تتمنى ان تحوله الى ذهب لان عندها منه شيئاً كبيراً . . .

الحق ان هاتيك المساومة عمل جميل يشف عن الحذق . فهو يستلزم براعة من البائع . ومن الشاري ، فترى الاول يبتدئ بطلب سعر عالٍ جداً ليُبقي منه متسعاً كافياً لتخفيض كبير . فاذا كان الشاري غير عارف بما يجري وقع في فخ البائع وهذا ما يحدث في الغالب للقرويين الذين يأتون المدينة للاستبضاع ، وما يصابُ به على الخصوص السياح الاميركيون . اما المشتري البصير فلا يعرض

الا نصف الثمن المطلوب على الاكثر . ويدهشه في بعض الاحيان ان يقبل التاجر عرضه بلا ابطاء ويعقد البيع قبل أن يغير المشتري رأيه ، والّا طال مجال المناقشة وقامت بين الفريقين معركةٌ حقيقية بالكلام يصرفان فيها كل ما أوتيا من الفصاحة وقوة الحجة ، فيؤكد المشتري ـ كذباً في بعض الاحيان ـ انه دفع ثمناً اقل مما عرضه في مخزن آخر . فلماذا لم يرجع الى هذا المخزن ؟ هنا السرّ . اما البائع فيتظاهر بانه صدق كلام الشاري اذ لا يجوز على الاطلاق ان يماكسه . ومن القاعدة المرعية في فن البيع ان يظهر له على الدوام انه يصدق كلامه . ولكن البائع يعمد عندئذٍ الى وسيلة أخرى ، وهي انه يؤكد للشاري ان نوع البضاعة في ذاك المخزن يختلف اختلافاً تاماً عن نوع بضاعته . واذا لم يقتنع الشاري واتجه نحو الباب ليبرح المخزن ، ناداه البائع وعرض عليه تخفيضاً جديداً في الثمن ، واظهر فجأة ان قلبه مال اليه ثم طفق يحلف مؤكداً انه خفض له الثمن اكراماً لسواد عينيه وانه آخر شخص يمكنه ان يشتري بمثل هذا الثمن . ولكي يطمئن نفسه يؤكد له ايضاً انه خسر في هذا البيع فيرجو منهُ ان لا يذكرهُ على مسمع من احد ، مع ان المبلغ الذي تمّ الاتفاق عليه ليس الّا جزءاً صغيراً من الثمن الذي طلبه البائع في البدء .

ولا ريب في ان العالم النفسي يجد لذة حقيقية بمراقبة مثل تلك المساومة وبوقوفه على مسلك كلٍّ من البائع والشاري وعلى خلق كلٍّ منهما ، ويجد ان الخطّ الفارق بين الغلو والتكذب لم يكن الّا مبهماً جداً ، وان صفة الاستقامة عندهما مدعاة لاشد الريب ، وان الشاري على هذا المنوال لا يكون واثقاً على الاطلاق بانه لم يقع في شرك الخداع . ومما يوجب الأسف ان الحالة التي وصفناها ما زالت موجودة عندنا . وليس من غرضي ان اوزع الملامة بين البائعين والمشترين ، على أن هناك امراً يدخل على النفس بعض العزاء وهو ان هذا الضرب من المساومة بدأ يزول ويتلاشى . ولا غروَ فان الحياة قصيرة لا يجدر بنا أن نضيعها بمساومات عقيمة . ولقد اخذ كثيرون من المستهلكين يلزمون المساومة ويقصدون المخازن ذات الاسعار المحدَّدة . وهذا يعدّ المرحلة الثانية في مذهب التعامل التجاري . ومما يجعل سياسة تحديد الاسعار ممكنة ومستحبة توحيد

انماط المنتجات الناشئ عن الانتاج التسلسلي ، وهذا معناه نهاية عهد المساومة الّا اذا كان تحديدُ الاسعار نظرياً لا فعلياً ، وهو اسوأ من المساومة لان ثقة المشتري تستهدف للخدعة . وهب ان التاجر حافظ على قاعدة تحديد الاسعار فهل يحلّ ذلك المسألة ؟ كلا لان المستهلك لا يستطيع ان يعرف بالتدقيق قيمة البضاعة الحقيقية . وتعدّد المنتجات والماركات يوقع الاضطراب في نفسه ، والاعلانات لا تُنير فكره بل تزيده ارتباكاً . ولن يسعه ابداً ان يكون واثقاً بالحصول على بضاعة تساوي قيمة ماله .

فيجب اذاً أن يُطرح هذا السؤال الاساسي : «ماذا تساوي البضاعة ؟» سواء كان السعر محدداً او غير محدود . فهل تساوي « الثمن العدل » في عهد الاقتصاد القديم ؟ كلا فان هذا الثمن لا يساوي نفقة الانتاج وحدها بل يضاف اليها ربح يختلف بنسبة مقدرة التاجر على المساومة وهي، اي مقدرة التاجر، تكون من وجه آخر على نسبة المزاحمة التي يمكن ان يصادفها . فاذا كانت شديدة اضطر الى تخفيض ربحه . اما اذا كان التاجر يتمتع باحتكار منتجاته ، فيمكنه ان يجني ربحاً طائلاً .

ويجدر بي ان الاحظ هنا اني عندما اتكلم عن التاجر لا اقصد خاصة التاجر بالمفرق او صاحب المخزن الصغير بل اقصد ايضاً التاجر الكبير والمتجر بالجملة الذي لا يبيع في الغالب بضاعته رأساً من المستهلك . وعلى كل حال فان المستهلك الذي لا يملك معلومات حسنة عن حالة السوق وانواع البضائع واسعارها تكون مقدرته محدودةً في المساومة مما يجعل نتيجة المساومة في الغالب غير موافقة لمصلحته .

على ان هناك وسيلة تحرّر المستهلكين من قيود التجار وهي تنظيم جمعيات تعاون للاستهلاك . غير ان القضية لم تبلغ حداً فعلياً من التعقد ، والاقتصاد لم يبلغ عندنا من النموّ ما يجعل استعمال هذا الدواء مستطاعاً .

❁

وصلنا الى النوع الثاني من المساومة المتبعة في اقتصادنا التجاري وهي المساومة بين التاجر والمنتج : المزارع او الصانع . فان هذا النوع الذي كدنا ننساهُ هو

ذو شأن اساسي عند جماعة المنتجين من الأمة . فلننظر اولاً في المساومة بين التاجر والمزارع . وانما يلزمنا ان نلاحظ في البدء ان المزارع الصغير او الفلاح فقدَ صلته بالمستهلك من جراء اتساع السوق فاصبح لا يعرف شروط الطلب الحقيقية لمنتجاته . ومما زاد في ضعف مركزه انه ليس حرّاً بل مضطرّ الى بيع منتجاته ليتمكن من العيش . وهو لا يملك مالاً احتياطياً يعتمد عليه ولو موقتاً بل تراه في الغالب مديناً للتاجر ومجبراً على بيع محصوله لايفاء دينه . وترى التاجر يطالبه بالايفاء على اثر اجتناء المحصول اي في الوقت الذي تكون فيه الاسعار أدنى منها في ايّ وقت آخر ، فيقع الفلاح فريسة سهلة المساغ في قبضة التاجر . فلهذه الاسباب كلها تكون قوة المساومة عند الفلاح الصغير ضئيلة جداً فلا ينال الّا اسعاراً متدنية لمنتجاته . وهذا يوضح لنا الفرق المحسوس بين اسعار المنتجات الزراعية في الحقول واسعارها في المدن . وكثيراً ما يحدث ان ثمن الحنطة مثلاً الذي يقبضهُ الفلاح يكون خمسة غروش لكل كيلو في حين أن ثمن كيلو الدقيق في بيروت عشرة او خمسة عشر غرشاً .

ثم نرى ان ما يقع في المساومة بين التاجر والصانع هو نفس ما يقع بين الفلاح والتاجر . فالصانع فقدَ في الغالب علاقته بعامليه القدماء فصار المستهلك يرى من الاسهل عليه ان يبتاع الاشياء التي يحتاج اليها من التاجر مصنوعةً تامةً بدلاً من ان يطلبها من الصانع . فاصبح الصناع مضطرين الى بيع منتجاتهم للتجار . على ان هذه الحالة لا تدوم طويلاً لان التطور بدأ يجري مجراه واخذنا نرى في بعض الحالات الاستثنائية ان الصانع نفسه اصبح تاجراً يستخدم اناساً آخرين على حسابه . على ان الغالب هو ان يشغّل التاجر عدداً كبيراً من الصناع لحسابه لانه يملك رأس المال اللازم للمخاطرة ، فيفقد الصانع عندئذٍ استقلاله ويصبح مأجوراً في منزله يقدم لهُ التاجر المواد الأولية التي ابتاع منها مقداراً كبيراً بثمن منخفض ويدفع لهُ اجرته عن كلّ قطعة . وهذا التطوّر نراه في صناعة الخياطة وصناعة الاحذية عندنا ، حيث تجري المساومة على اجرة الصانع في منزله بعد ان كانت تجري على ثمن البضاعة فاصبح الصانع في حالة متضعضعة يضطر معها الى قبول الاجرة التي يعرضها عليه التاجر . وصار يشتغل سحابة يومه بل

يبقى في الغالب الى ساعة متأخرة من الليل مقابل أجر ضئيل .

ويطيب لي هنا ان اذكر في عرض الكلام حلاً لمسألة حماية المنتج الصغير من استثمار التاجر وإن كنت لا انوي وصف الادوية في محاضرتي. وهذا الحل يقوم بتأسيس شركات تعاون للانتاج. فاذا اندمج صغار المنتجين الفلاحين او الصناع في سلك شركات من هذا النوع ، امكنهم ان يستغنوا عن التاجر فان شركة التوزيع التعاونية مثلاً يمكنها ان تعقد بيعاً مشتركاً مفيداً على المنتجات الزراعية او المصنوعة التي ينتجها المزارع او الصانع ويكون في وسعها ان تساوم لحساب جميع اعضائها على طريقة افضل مما يستطيعه كل فرد منهم على حدة ، وان تستفيد من تزاحم المشترين للحصول على افضل الاسعار. وصفوة الرأي انها تقوم مقام التاجر وتضمن لاعضائها اكبر قسط من الارباح . ثم ان شركات التعاون للتسليف يمكنها من جهة أخرى أن تقوم باجلّ خدمة للفلاح المديون للتاجر. وعلى هذا المنوال يكون تأسيس شركات التعاون افعل وسيلة لانقاذ الفلاحين والصنّاع من البؤس الناجم عن ضعف مركزهم في المساومة التي تجري في ميدان الاقتصاد التجاري .

وصلنا الآن الى الجزء الاخير من هذه المحاضرة وهو بحث المساومة كما تجري في القسم الاكثر تقدماً في اقتصادنا اي القسم الذي سميناه « الاقتصاد المستقبل ». فقد رأينا ان هذا الاقتصاد اخذ يتقدم وينمو عندنا ولكنه لم يبلغ درجة التفوق حتى الآن . فما هي علاماته المميزة ؟ هي العمل الميكانيكي في المعامل بل في الحقول ايضاً وفي المشاريع الكبرى ذات المنفعة العامة ، وفي الشركات الكبيرة المغفلة والمصارف الكبيرة . وجملة القول انه نفس الاقتصاد الموجود في اوربة او بعبارة اخرى هو الاقتصاد الصناعي لانتاج مصنوعات متسلسلة. وسأنظر اولاً في المرحلة الاولى لهذا النوع من الاقتصاد، كما هي موجودة عندنا. ثم ابحث في حالته المستقبلة بعد ازدياد نموها وتقدمها :

في مجال هذا الاقتصاد ظهرت في السوق بضاعة جديدة من نوع خاص واصبحت موضوع مساومة ذات شأن اعني بها العمل الانساني . فان هذا العمل تحوّل الى بضاعة تُباع وتشرى في السوق كغيرها من البضائع الأخرى . وقد

رأينا في ميدان اقتصادنا التجاري الحاضر كيف ان الصانع انقلبَ مأجورًا في بيته يشتغل لحساب التاجر ، وان هـذا التاجر بالنظر الى افضلية مركزه في المساومة ، لا يدفع له الّا اجرة قليلة ويجني على يده ارباحاً طائلة تمكنهُ من جمع رأس مال كبير يرغب في استثماره . على ان التاجر يرى من جهة أخرى أن العامل المأجور في بيته لا ينتج انتاجاً كافياً بسبب استعماله ادوات اولية قديمة فيرتأي ان يستخدمه في المعامل حيث يمكنهُ ان يشتغل بآلات حديثة . ولذلك يشتري التاجر برأس ماله هـذه الآلات وتتحول الصناعة البيتية الى صناعة ميكانيكية في المعامل . ويضطر الحائك الذي يشتغل بيده على النول ان يترك عدته القديمة ليشتغل على نول ميكانيكي . ويذهب الحذائي يشتغل في معمل الاحذية وهلم جرًا ، فعلى هذا المنوال ينقلب التاجر رجلًا صناعياً بينما نرى الصانع يتحول عاملًا مأجورًا . ولم ينحصر الأمر في تحويل الصناعات القديمة الى حديثة بل انشئت في البلاد صناعات جديدة ، وبدئ بانتاج البضائع التي كانت تستورد من الخارج . وعلى هذا النحو اخذ الانتاج الحديث ينمو ويتقدم في خلال الخمس عشرة سنة الاخيرة .

وتُستخدم في هذا الانتاج طبقة العمال الذين يتوقف معاشهم على عملهم . وتتألف هذه الطبقة من الصناع والمأجورين المشتغلين في بيوتهم الذين لا يسعهم أن ينافسوا بنتاجاتهم المنتجات الميكانيكية القليلة النفقة . وزد على ذلك ان فريقاً من سكان القرى يأتون المدن لبواعث مختلفة بقصد ان يبحثوا عن شغل في المعامل .

ولكن ما معنى الاستخدام في المعامل ؟ ان معناه بيع عمل العامل . وهو البضاعة الوحيدة التي يستطيع العامل ان يبيعها . ولها سوقها الخاصة وثمنها الخاص كسائر البضائع . فنحن نشهد في لبنان الآن انشاء سوق للعمل كالتي أنشئت في اوربة منذ مئة عام تجري فيها المساومة لتحديد ثمن العمل أي أجر العامل .

اما مركزا الفريقين في هذه المساومة فغير متساويين في القوة . ولا شك في ان مركز رب العمل افضل من مركز العامل لانه لا يستخدم العامل الا اذا كانت اجرته على معدل يسمح له باجتناء الربح ، فتراه يحاول خفض تلك الاجرة الى

أدنى حدّ ممكن ليكون ربحه اكثر ما يستطاع. اجل ان رب العمل لا يستطيع على الدوام أن يخفضها الى ادنى درجة لانه مضطرّ الى مقاومة ارباب الاعمال الآخرين الذين ينافسونه في استخدام العمال. فهو لا يستطيع ان يفرض شروطه على العامل الا عندما يكون طلاب العمل جمهوراً كبيراً. وهذا ما يجري الآن في لبنان حيث نجد عدداً وافراً من العمال بلا اعمال على اثر انحطاط الصناعات القديمة. ونجد من جهة اخرى ان المعامل تطلب عدداً من العمال اقل مما كان لانها تستعمل الآلات. اضف الى ما تقدم ان العمل في المعامل جُعل بسيطاً فاصبحت النساء والاولاد يستطيعون القيام به. وليس في اشتراعنا الحالي قوانين اجتماعية فعّالة لتنظيم العمل، فنشأ عن ازدياد عدد العمال الذي نراه في هذا الوقت أن الاجور تدهورت الى حدّ ادنى.

بيد أن مركز رب العمل يبقى ذا قوة كافية حتى في الحالة التي يكون فيها عدد العمال غير كافٍ. فاذا رفض العامل الاجرة المنخفضة، أبى رب العمل ان يستخدمه لانه يستطيع الانتظار، خلافاً للعامل فانه اذا رفض الاجرة التي تُعرض عليه فلا يجد وسيلة لكسب معاشه فيموت هو وعياله جوعاً. وليس لدى العامل وتلك حاله الّا احد امرين: اما قبول الاجرة المنخفضة واما الجوع. وللناس ان يقولوا ان العامل يمكنه أن يصبر ريثما يحصل على اجر عالٍ. ولكن ما معنى هذا الانتظار؟ ان معناه خسارة قيمة عمله في مدة انتظاره، لان البضاعة التي يملكها العامل — اعني عمله — هي بضاعة قابلة للفناء. والوقت الذي يبقى فيه بلا عمل هو وقت ضائع لا مردّ له. ولذلك كان العامل مجبراً على قبول الشروط التي يفرضها عليه ربّ العمل، ولما كانت مقدرته في المساومة اقل من مقدرة رب العمل، اصبح ضحية استثمار شديد متواصل. ومما يزيد هذا الاستثمار شدةً ان سهمهُ يصيب طبقة اجتماعية تعيّنها طبقة اخرى، كما يقع في كل مساومة تكون فيها احدى الطبقات هدفاً لاستثمار غيرها. وهذا ما يميز اساساً بين الاستثمار المذكور، والاستثمار الذي يقوم به التاجر في معاملة المستهلك لان المستهلكين لا يؤلفون طبقة معينة ولا يقعون دائماً في شرك الخداع والغش حين يشترون، فليسوا كالعمال مضطرين الى الاختيار بين قبول المقاولة او الوقوع في براثن الجوع.

ولو اردتُ أن أصف أدوية — وهذا ليس قصدي — لطال مجال المقال . ولكن بعض الادوية تستخرج من تفحص « اقتصادنا المستقبل » الذي سيزداد فيه العمل الميكانيكي تقدماً ونمواً . وسيكون لـه المقام الأول في حياتنا الاقتصادية . والانسان كما يظهر لا يستطيع احتمال الجور والظلم زمناً طويلاً . فضرورات الحياة ستحمله على اكتشاف ادوية يعالج بها مواضع الشكوى . والتطوّر الاقتصادي سيتيح له فرصة استعمالها . والنظم الاقتصادية اذا كانت لا تتفق مع حياة معقولة توجب رضى معظم الامة ، فانها تقوض كلها أو تُصاغ بصيغ أخرى .

❁

ولنبحث الآن بايجاز في التعديلات التي سيدخلها تطوّر اقتصادنا على نهج المساومة بين العامل ورب العمل .

ان تقدم استعمال الآلات الميكانيكية يتبعه ازدياد العامل اتساعاً وعدداً وازدياد عدد العمال وتجمع شملهم . فيصبح العمال على اتصال متواصل بعضهم ببعض ويدركون كنهَ مركزهم وقوتهم ، وتنشأ فيهم روح جديدة للتضامن ، وتتضح لهم قيمة التعاون والتنظيم لانهم بعد اندماجهم في سلك النقابات يتحسن موقفهم عند مساومة رب العمل فيتمكنون من الحصول على اجر أعلى مما كانوا ينالونه وتزول المساومة الفردية لتحل محلها مساومة المجموع فتتولى النقابة أمرها بالنيابة عن اعضائها وعن العمال الآخرين ايضاً ويكون مركزها اقوى جداً من مركز العامل الفرد ، لأنه اذا كان رب العمل يستطيع ان يرفض زيادة الاجر فان العمال يمكنهم حينئذٍ ان يرفضوا العمل . وسيكون حقهم في هذا الاعتصاب نافذاً فعالاً . ولا يتوقع حينئذ العمال المندمجون في سلك النقابات أن يأتي عمالٌ اخر ليحلوا محلهم على اثر انقطاعهم عن العمل . وزد على هذا كله ان النقابة يكون في صندوقها مالٌ لاسعاف العمال في مدة الاعتصاب ، وان اهل الثقافة من الطبقة الوسطى في الأمة يعترفون للعمال بصحة شكاويهم ويعمدون الى مساعدتهم للحصول على اشتراع يؤيد حقوقهم في تنظيم انفسهم والمساومة بلسان مجموعهم واعلان اعتصابهم . وسيمكنهم فوز الديمقراطية اخيراً من انتخاب نواب

يسمعون صوتهم في الدفاع عنهم لدى الحكومة ، فتتدخل السلطة لتقيم المساواة في ميدان المساومة بينهم وبين ارباب الاعمال بقصد ان تضمن لهم حصةً عادلة من الانتاج الوطني.

على ان مساومة الجماعة وعقد الجماعة المختص بالعمل في لبنان ما زالا في ضمير المستقبل - فتمنى ان يتحقق هذا المستقبل بلا صعوبة ولا عنف فتنجو طبقة العمال من شقاء مبرح وتُكفى البلاد مؤونة الازمات الاجتماعية .

وفي ختام هذه المحاضرة أريد ان اشير الى فكرة اساسية أودّ ان لا تبرح اذهانكم . وهي ان الحياة الاقتصادية ليست شيئاً جامداً غير قابل التغير، بل هي شيء حي ذو حركة وقوة . وأن المساومة تتحول شكلاً وتزداد نمواً مع التطور الذي يطرأ على منهجنا الاقتصادي . واذا فسد ما يسمونه «قاعدة اللعب» او أسيء تطبيقه او نتج الظلم عن المساومة فان العدل لا يعود الى نصابه بالعمل لارجاع الماضي بل بالعمل للمستقبل وحده . واذا جاءنا المستقبل بمسائل جديدة مختصة به فان حلها منوط بالمستقبل نفسه . غير انه يجدر بنا ان لا نقول من جهة اخرى ان المستقبل يجيء عفواً عندما تأتي ساعته ، فان هذا القول يكون عبارةً عن انكارنا لمفعول قوة الارادة وعمل الانسان وعن ذهابنا مذهب القائلين بالقضاء والقدر . وعندنا ان المسألة ليست بترك الامور تتم بنفسها . بل المسألة الجلى هي ان نعرف كيف يمكننا ان نهيّء المستقبل ، وان لا ندع التاريخ ينشئ نفسه بل يجب ان ننشئ نحن التاريخ .

في التجديد الاجتماعي في لبنان

بقلم الاب كريستوف دي بونثيل اليسوعي

كانت كلمة المقام في الاسبوع الاجتماعي للاب دي بونثيل اليسوعي . فاهتمّ خاصةً بايضاح بعض الظواهر الاجتماعية ، وتصيبها من التعابير الجارية في مجتمعنا اليوم ، دالاً على ضرورة المؤسسات الناجعة في معالجة هذا المجتمع . قال :

سأكتفي باظهار ضرورة هذه المؤسسة . اظهرها دون ان ابرهن عنها . اظهرها بايضاح بعض التعابير ، لا بسلسلة من القياسيات البرهانية ؛ عاملاً على الايجاز قدر المستطاع ، مكتفياً بتعابير ثلاثة قريبة احداها من الاخرى ، مفتشاً عن معناها الدقيق الاكيد . وهي :

١ ــ الاجتماعي

٢ ــ العدالة الاجتماعية

٣ ــ المجتمع . من حيث انه كائن حيوي يتعلق بالاخلاقيات . فيكون ذاك الموضوع الذي يجب تحديده في الكلام عن العدالة الاجتماعية .

١ ــ تحديد « الاجتماعي »

احدد معنى النعت « الاجتماعي » بالاستناد الى مثلين واضحين : مثل المؤاساة الاجتماعية ، ومثل المسألة الاجتماعية .

أ ــ في المثل الأول ارى « المؤاساة الاجتماعية » مقابلةً او مناظرةً للبرّ او الاحسان الفردي الشخصي .

يبسط الي احد المتسولين يمينه . فاضع فيها خمسة غروش لبنانية . فهل اقوم بعمل اجتماعي ؟ لا . بل لمّا قمت بعمل يزيد ضمناً في شرّ نتيجة اجتماعية

هي التسوّل . على انها مساهمة ممدوحة يجدر القيام بها ما دام المجتمع لا يعالج نقيصة اجتماعية اخرى هي انتشار الفقر . ان عملنا هذا من الاحسان الفردي ، من هذا الإحسان الذي يتقدم دائماً العدالة العرجاء .

وجمعيات القديس منصور دي بول ، وهي مظاهر الاحسان المنظّم ، هل هي من الاعمال الاجتماعية ؟ لا مندوحة من الجواب بالنفي ، اذا ما انتبهنا لروح هذه الجمعيات الاساسي . وهو جواب لا يحطّ في شيء من فضلها . لأن نظام الإحسان ، ونظام المؤاساة الاجتماعية نظامان مختلفان ، على كونهما يتلاقيان في بعض مظاهرهما . وان جمعيات القديس منصور يمكنها ، بفضل حيويّتها ان تدفع الى انشاء الاعمال الاجتماعية ، فإلى رعايتها والسهر عليها . بيد انها أسست ، هي نفسها ، لمزاولة اعمال البرّ والاحسان الفردي . والفرق بين الاحسان والمؤاساة الاجتماعية أن الاحسان يرى في المآسي البشرية البائسة ، ولاسيما الفقر ، عوارض قد تُصبح عادية متمدّدة لسوء الحظّ ، ولكنها تظلّ عوارض ، وليست نتائج محتمة أكيدة لفساد في تركيب المجتمع . ولهذا نرى الاحسان يعالج كل حادثة بفردها ، ولا يعرف الّا سلسلةً من الحوادث الفردية . فهو الانسان يتجه نحو اخيه الانسان لمساعدته ، بل النفس تتجه نحو النفس ، والقلب نحو القلب . اما المؤاساة الاجتماعية فغايتها الاساسية التفتيش عن الاضطراب والفساد في تركيب المجتمع ، ومن ثمّ معالجة هذا الفساد . فهي جهة طبّ لمعالجة الظواهر ، ومن جهة اخرى نظام صحّي لوقاية المجتمع .

وما دمنا نتكلم عن النظام الصحي فلنسأل : هل يكون المتوصف المجاني من مظاهر الاحسان ام من متعلّقات المؤاساة الاجتماعية ؟ ولنميّز قبل الجواب . عندما تهتمّ عجائزنا من جدات حنونات ، او عوانس مشفقات ، فيحتفظن ، في القرى والمزارع ، بخزانة للادوية حافلة بقناني ماء الزهر ، وماء الورد ، مشحونة بالحشائش اليابسة الجزيلة المنافع ، فانهنّ لا يفتكرن بمؤاساة المجتمع ، بل يقمن باعمال الإحسان . ولكن عندما تهتم الجماعة في البلد ، او في المنطقة ، او في الوطن بكامله ، او في بعض الشركات الصناعية ، بواجباتها تجاه المجتمع البشري وبحاجات هذا المجتمع المقابلة لتلك الواجبات ، فاننا ندخل المحيط الاجتماعي .

اذ لا يعقل ان مجتمعاً ادرك درجةً من الرقي المدني ، يتساهل بأنّ طرق الشفاء التي توصّل اليها ، لا بجهود الطب الفردية وحدها ، بل بمشاركة المجتمع كلّه لهذه الجهود ، تظلّ فوق متناول افراده ، من اولئك الذين لا يمكنهم ان يشتروها بالمال . واذًا فان المستوصف الطبي العام يلبّي نوعاً ما ، دعوة العدالة الاجتماعية . وها اني الفظ ، لأول مرة ، هذه اللفظة التي سنحاول شرحها فيما بعد . وفضلًا عن هذا فان عددًا من الامراض المقيمة كالسلّ ، والسفليس ، والتراخوما ، والملاريا مثلًا ، لا تنجح مكافحتها ، اذا تُرك المصابون بها ، ومَن لم يُصابوا ، يقومون بطرق علاجاتهم او وقاياتهم الفردية . فلا بدّ اذًا من ان ينظّم « المجتمع » طرق الكفاح . وهو وحده القادر على ذلك ، يدفعه واجبه تجاه نفسه (لا تجاه الافراد الفقراء وحدهم ، كما في المثل السابق) . ويقوم بهذا الواجب مستندًا الى نظام الصحة الاجتماعية . وقد سمّينا « المجتمع » ، فلا تتسرّعوا في مماهاته للدولة . وشرحه موضوعنا في القسم الثالث من هذا البحث .

٢ ــ المسألة الاجتماعية

هذا معنى المؤاساة الاجتماعية . اما المسألة او المشكلة الاجتماعية فكانت ، اذا ذُكرت من ربع قرن ، فكّر الناس بداهة بمشكلة العمال او المسألة العملية . ولهذا الالتباس سببان يبرّرانه نوعاً ما . اولهما ان مشكلة العمال في ذاك العهد كانت اهمّ ما في المسألة الاجتماعية . حتى ان رسالة البابا لاون الثالث عشر « Rerum Novarum » الصادرة سنة ١٨٩١ تحمل عنواناً ثنويًا : « في حالة العمّال » . وقد كان العمّال ، على مدة من القرن التاسع عشر ، في حالة بعيدة عن الانسانيّة ، فكان مشكلهم على اشدّه خطورةً . ومهما يكن من أمر فان الشؤون الاجتماعية التي تهمّ الطبقات الدنيا لا تزال في طليعة المشاكل المحتاجة الى الحلّ . وهو السبب الثاني في عدم التمييز بين المسألة الاجتماعية ومشكلة العمّال . وذلك ان الطبقات الميسورة تجد في ثرواتها الاساليب الكافية والطرق الفعّالة في الدفاع عن مصالحها ، بينما الفقراء ، اذا بقوا في حالة التضعضع ، اي اذا لم تدافع عنهم السلطات المدنية واذا لم تكن لهم الحريّة الناجعة في تأليف المنظّمات التي تنيلهم قوة العدد

والاتحاد فيقاومون بواسطتها قوة المراكز العالية ، يظلّون مغلوبين دائماً في معركة تتفاوت فيها قوى المعاركين.

ولهذا رأى لاون الثالث عشر ان يبحث اولاً في حالة العمّال. حتى اذا مرّت اربعون سنة ، جعل بيوس الحادي عشر عنواناً تنويهاً لرسالته الصادرة سنة ١٩٣١ : « في تجديد النظام الاجتماعي » ، مشيراً الى التقدّم الجاري ، مدة نصف قرن ، في الاعمال وفي الآراء. فقد حُلّ مشكل العمّال في قسم صالح من مظاهره. ولم تبقَ حالة العامل المادية كما عهدناها يومَ كانت اجرة العمل بضاعة يُحدّد ثمنها بالاتفاق بين عامل ضعيف ومدير قوي ، وفقاً لمبادئ العرض والطلب . فكان ان المشكل الاجتماعي ظهر بجملته على اتم الوضوح ، بعد ان صُرف الانتباه عن احد عناصره ، اي ما يتعلّق بالعامل . ففُهم حقّ الفهم كيف تندمج مشكلة العمّال اندماجاً عضوياً بالمشكلة الاجتماعية ، وادرك الناس ان هناك مآسي وظلامات غير ظلامات الاجرة يجب مكافحتها ، وان هناك نواحي للتقدّم يجب السعي في تحقيقها في غير البيئات العاملة .

فلو كانت المسألة الاجتماعية لا تختلف عن مسألة العمال ، لما كان اسبوعنا هذا اسبوعاً اجتماعياً . والواقع اننا لم نضع في منهاجنا الكلام عن عالم العمل ، بل عن عالم الاعمال اي المكاسب. فكانت غايتنا درس حركة الاموال ، والاهتمام بضمائر ارباب الذهب ، وحاملي الاسهم والسندات ، وسائر رجال المال سواء اكانوا من الصناعيين ام من التجار. فلم يظهر لنا العمّال الّا في مجال ثنوي بعيد ، جمهوراً غامضاً تؤثر فيه ، دون شك ، اضطرابات الطبقات المديرة ومساوئها ، فتولّد الاوجاع المادية ، والآلام المعنوية ، والتسلسل الضميري الاخلاقي .

ولكن هناك فقراء غير المحرومين خيرات هذا العالم . فقراء يشبهون ملاك كنيسة اللاذقية الغريب ، الذي يخاطبه صاحب الرؤيا بهذا الكلام القارس : « ربما انك تقول : انا غنيّ ، وقد استغنيت ، ولا حاجة بي الى شيء.. ولستَ تعلم انك شقيّ ، وبائس ، ومسكين ، واعمى ، وعريان. فانا أشير عليك ان تشتري مني ذهباً مُصفّى بالنار حتى تستغني ، وثياباً بيضاً حتى تلبس ولا يظهر خزي

عُريتك ، وذرورًا تكحل به عينيك حتى تُبصر . » (رؤيا يوحنا ٣:١٧-١٩)
وانه لأنجع من الفتر الذي يجرّع المَد ذاك الشقاء الذي يملق بالغماز. ولا سيما اذا نتج هذا الشقاء من زيغ في المؤسسات ، واضطراب عام في الاخلاق ، فكوّن مشكلة اخلاقية بل اجتماعية عويصة.

ولنأخذ على ذلك مثلاً ، مثلاً بسيطاً عادياً ، اراه في « الدليل الازرق » في كلامه عن « جمهورية أندور » قال :

« بخشيش . لقد اصبحت عادة اعطاء البخشيش ، بل بالاحرى عادة قبوله ، طبيعة ثانية على عهد النظام البائد. اما النظام الجديد فقد أعلن باحتفال إلغاء هذه العادة الوطنية إلغاء تامًا. ولكنه لواضحٌ ان عادة لطيفة نافعة كهذه لا تضمحلّ بين ليلة وضحاها . وان بعض الموظفين ، في بعض الدوائر ، لا يتساوون اذا ما امكنهم ان يستغلّوا جهل الغرباء بالقانون الجديد ، فيرجعوا الى ضلالات الماضي. فعلى المسافرين اذًا ان يصمّوا آذانهم عن جميع التلميحات ، فيساعدوا الحكومة في محاولتها اصلاح الاخلاق . وعليهم خاصة ألّا يدفعوا شيئاً لموظفي الجمارك ، ورجال البوليس الخ . . . »

أوَ لا نرى مبلغ هذه النقيصة الاجتماعية ؟ وما السبب في ذلك ؟ هو الاضطراب في المؤسسات ، إمّا بشترى الوظائف وإمّا بقلة معاش الموظفين ، يدفع حتماً بالموكول اليهم القيام بالمصالح العامة ، الى ان ينالوا اجورهم من هذا الشعب المثقل كاهله بضرائب غايتها — نظريًا — ان تنفق في سبيل الخير العام. ولا يخفى ان هذا الاضطراب في المؤسسات ، حتى اذا تلاشى ، تظلّ آثاره في اضطراب الاخلاق ، لأنه من الصعب ان يقلع الانسان بسرعة وسهولة عن عادات لطيفة متأصلة .

هذا معنى « الاجتماعي ».

وهو شيء يؤثر في تركيب المجتمع البشري ، نظاماً او فوضى ، فيبدو ذاك الأثر في المؤسسات والاخلاق ، حتى يُصبح اصلاحه غاية الجهد الاخلاقي ؛ وهدف الواجب — وسنرى واجب مَن ؟ — في التفتيش عن دواء اجتماعي يصلح وحده لاعادة التوازن الاجتماعي.

٢ ـ تحديد العدالة الاجتماعية

وسنعمل الآن على التفتيش عن المسؤول في هذه الحالة. ولهذا وجب علينا ان نوضح فكرة ثانية هي فكرة العدالة الاجتماعية.

وقد استعمل البابا بيوس الحادي عشر هذا التعبير في رسالته العامة Quadragesimo Anno. فحسم الخلاف في ذاك النزاع القائم بين اخلاقيي المذهب المدرسي (حتى الكاثوليكيين منهم) والكاثوليك الاجتماعيين، حتى اكثرهم تطرّفاً. بيد اننا نعرف ان التعبير جديد، ولم يتفق الجميع بعد على مدى تحديده. واذاً فلا أدلي الّا برأيي الخاص في محاولتي هذا التحديد.

عندما كان الاخلاقيون، من تلامذة القديس توما، يتكلمون في العدالة، كانوا يميّزون بين العدالة التبادلية والعدالة الجزائية، ويتكلمون كذلك عن العدالة الشرعية او القانونية. ويردّون كل شيء الى هذه العدالات الثلاث.

وما هي العدالة التبادلية؟ هي نوع من التبادل بالمقابلة يضطرّ الانسان الى ان يعطي ما يعادل قيمة الشيء المأخوذ، وذلك بناء على عقد او اتفاقية صريحة او ضمنية. اذا اشتريتُ رطلاً من الحليب مثلاً، فعليّ، بفضل هذه العدالة، ان ادفع قيمة هذا الرطل غير منقوصة. وكذلك اذا ما شغلت خادماً فيجب عليّ دفع اجرته يومياً او شهرياً على حسب الاتفاق. واني لأسيء الى العدالة التبادلية اساءة واضحة اذا حرمته اجرته، او انقصت منها، او تأخرت في دفعها كاملة. وهذه العدالة تكون بين الافراد، او بين الفرد والجماعة، او بين الجماعة والفرد، او بين الجماعات. فعلى الموظفين مثلاً، بفضل هذه العدالة، ان يقوموا باعمالهم تجاه الحكومة، وعلى الحكومة ان تؤدّي مرتّبات الموظفين في اوقاتها. وبفضل العدالة نفسها، قام القديس لويس باسم الجماعة الفرنسية، فاعطى ملك انكلترة مقاطعات فرنسوية جغرافياً، عندما خشي بان لا يستطيع الاحتفاظ بها وفقاً للعدالة المذكورة.

اما العدالة الجزائية فهي حقّ السلطة في المجتمع وواجبها. تقوم بان تُوزّع المناصب والهبات الحكومية على نسب عادلة مع الانتباه للمصلحة العامّة، وتنوّع

الاستحقاقات ، والاستعدادات ، والمقدرات . الى هذه العدالة يرتقي مثلاً ذاك المشكل اللبناني الخاصّ بتوزيع وظائف الدولة على الطوائف . ولهذه العدالة نفسها يجب ان تعود الكلمة في سنّ شرائع مدرسية موافقة لتوزيع التعليم توزيعاً نسبياً . واني اخصّ بهذا الكلام بعض البلاد الاوربية، تلك التي يغذي المكلّفون فيها ميزانية المعارف الباهظة ، ثم عليهم ان يمارسوا بدفوعاتهم الحرّة ، مدارس خاصّة تولي ضمائرهم الاطمئنان الكافي . العدالة الجزائية هي القاعدة النظرية في توزيع الضرائب التي قلّما رأيناها متبعة . وذلك ان الشارع يفضّل فطرةً الحلول الصامتة التي تهبط بشدّة وطئها على تطليع المستهلكين الاعمى الأخرس، او انه يميل الى الحلول الكسلى التي تجرّ، جيلاً بعد جيل ، الاخطاء التقليدية ؛ او الى تلك الحلول الناتجة عن تطبيق الآراء والنزعات الحزبية التي ترمي الاضطراب في نظام الاقتصاد الوطني بحجّة نيابة ادّتها الى لتشتين بها اكثرية من المصوّتين لا صلاحية لها .

تجد العدالة الجزائية مجالاً متواضعاً للقيام بعملها في ادارة المدرسة التي توزّع العقوبات والمكافآت على مستحقّيها حسب استحقاقهم . وكذلك في الوزارات اذ توزّع الاوسمة الاكادمية والشارات الحمراء على مستحقيها ايضاً . او في دوائر البلدية اذ تهتمّ بتعيين حرّاس الليل او مأموري التنظيفات . كما تكون في المجتمع العائلي حيث يحنو قلب الاب والام على جميع افراد الاسرة بالعاطفة نفسها .

وتنتقل الفلسفة المدرسية ، على اثر القديس توما ، الى الكلام عن العدالة الشرعية او القانونية .

اما العدالة الاجتماعية فهي كلمة جديدة . على انها مذكورة في الرسالة البابوية . وها اني اعمل على تحديدها ، اعتباراً من حادثة يظهر فيها حقّ واضح مقرّر لكنه غير محدّد بالاشخاص حتى لا يمكن ان يُطالب به شخص معيّن ، طبيعي او معنوي . ولنأخذ مثلاً على ذلك مثل الاجرة المعاشية والعائلية : لنفرض ان من حقّ العامل ، بفضل هذه العدالة ، ان ينال الاجرة المعاشية ، اي انه مهما يكن العمل الذي يفرضه عليه المدير الذي يستعمله ، يظلّ من حقّ العامل ان يُعطى ، على الأقلّ ، ما يحتاج اليه ليعيش . ولنفرض ايضاً ان له الحقّ بالاجرة العائلية ، اي بما يحتاج اليه كي يعيش هو وامرأته وما يرزقه الله من

الاولاد. هذا حقّ من العدالة الاجتماعية. ولكن قد يحدث ان مدير العمل ، اذا ما اعطى عمّاله هذه الاجور ، يزيد نفقات مصنوعاته حتى يصبح عاجزاً عن مقاومة المنافسة التي يثيرها عليه زملاؤه ، مضطرّاً الى اعلان افلاسه ، عن قريب ، وطرح جميع عمّاله في الشارع . واذاً ، فلا يمكنه ان يعطي العمّال هذه الأجور العادلة. واذاً ، فهو مضطرّ اضطراراً مشروعاً الى اعتبار اجرة العمل كما تكون في الواقع ، بفضل شريعة العرض والطلب في السوق المحليّة . فهو اذا لم يُعطِ « الأجر العدل » ، كانت ظلامة موضوعية واقعية ، ولكنها ظلامة لم يقترفها هو ، انما هي ظلامة اجتماعية. والخلاصة ان حقّ العامل بالاجر العائلي ، بل بالاجر العائلي ، حقّ مقرّر منذ يبدأ العامل باعطاء عمله ، ولكنه حقّ غير محدّد بالنظر الى الاشخاص ، بمعنى انه لا يُطالب به شخص معيّن. للعامل الحقّ بهذا الأجر ، ولكن صاحب العمل المستأجر لا يمكنه دفعه فلا يُطالب به . هي ظلامة كما قدّمنا ، ولكن ليس من شخص ظالم ، لأن صاحب العمل غير مسؤول عن هذه الحالة . انما المسؤول هو المجتمع الفاسد النظام . وهذا معنى العدالة الاجتماعية ؛ والظلم الاجتماعي .

على ان مذهب التساهل الاقتصادي يقول: ليس من ظلم . لأن العمل تبلغ قيمته ما تبلغ في سوقه وفقاً لشريعة العرض والطلب . فاذا افسدتم هذا القانون بادخالكم النظريات الانسانية الخاطئة ، فلا تعملون الّا على اضطراب التوازن بين الاسعار والحاجات الحيويّة . . .

وهكذا تتابع هذه النظريات التي تؤدي الى نتائج لا يمكن ان يقرّها الكاثوليكي. انما يهمّ هذا بان هناك واجباً يرمي الى اصلاح مؤسسات المجتمع الاقتصادية حتى لا تؤدّي الى هذه الظلامات .

ولم يكن ذكري للاجرة العادلة المعاشية الّا مثلاً على الكثير غيرها ، حتى صحّ القول ان كلّ مؤسسة اجتماعية او عادة جارية تحول دون الحقّ وتطبيقه على اسلوب طبيعي ، انما هي حالة ظلم اجتماعي يجب العمل على تلافيه.

وليس المسؤول في هذا النظام الاجتماعي شخصاً بعينه يمكن للمظلوم ان يلاحقه ويقاضيه . ولكنه المجتمع . وما هو المجتمع ؟

٣ تحديد المجتمع

يجب ان نميّز اولاً بين المجتمع والدولة. اذا فتشنا عن حلّ اجتماعي لمشكل اجتماعي فاننا لا نرمي ضرورة الى حلّ تقوم به الدولة. واذاً فليس المجتمع بالدولة. حتى لو فهمنا بالمجتمع مجموع القوم او الشعب، تظلّ الدولة مميّزة عن هذا المجموع، كما تتميّز الحكومة عن الرعية المحكومة، او الرأس عن الجسم المرؤوس. وبهذا المعنى امكن لويس الرابع عشر ان يقول: «انا الدولة». فهل يجوز اذاً ان نقول ان الدولة، او السلطة، او الحكومة، هي المسؤولة عن هذا الظلم الاجتماعي، وان عليها بالتالي، ان تعمل على إقرار العدالة الاجتماعية؟ لشدّ ما يميل الانسان الى التشكي من الحكومة! هي شكاية فطرية كسولة تعفينا من التفتيش عن نقائصنا الخاصة، ومن العمل على اصلاحها. وكأن الديموقراطية لم تخرّج الانسان الّا لتغذي هذا الميل الفطري. وهي تولي أصحابها هذا الفضل المزدوج بان تخيّل اليهم ان لا سيّد لهم، ثم تخوّلهم اللذة في ان يتمتّعوا بانتقاد من سوّدوه عليهم.

على ان هذا لا يُبرّر كسلنا، وتواكلنا، وانتظارنا الاصلاح الاجتماعي من الحكومة.

ومهما يكن من أمر فان لكل فرد من افراد المجتمع مسؤوليته في نظام مجتمعه. وليست المؤسسات الفضلى تلك التي تُقدم عليها الدولة، او التي تخرج تامّة من دماغها. ولم تتغيّر في هذا الشأن عقيدة المذهب الاجتماعي الكاثوليكي. انما هي ثابتة تستند الى العقل البشري في اظهر توازنه. ويعبّر عنها المونسنيور دي سولاج بوضوح تامّ عندما يحصر مهمة الدولة في دفع المؤسسات الى التنظيم، وفي مراقبتها، لا في العمل على تأسيسها او تنظيمها.

اما دور اللاهوتي في المجتمع فليس بعرض الحلول او خلق المؤسسات، بل هو يقوم بايقاظ ضمائر رجال المكاسب، وبمراقبة ما يقترحون من حلول.

إيقاظ الضمائر. وهو ما حدا بي الى ان اعرض امامكم، بكل صراحة وبساطة، ما اراه عاملاً على تأخير تطوّر الاصلاح الاجتماعي في لبنان، وما اظنه

حائلاً بينه وبين قبول فكرة هذا الإصلاح بحرية وسماحة. حتى اذا تبيَّن لي اني اخطأت كنت سعيداً بان اكفّر عن خطأي.

١ ــ ارى اولاً من هذه العوامل المؤخرة ما نتحققه ونكاد نعتاده في فهم الحكومة، وغايتها، ومسؤولياتها بالنظر الى الشعب، حتى ليحتار الوطني المخلص تجاه ما تتطلبه النقائص الاجتماعية الواعية وما تقوم به الحكومة.

٢ ــ والعامل الثاني، او القضية الثانية، ففي حالة الاخلاق والمؤسسات. ولا يخفى ان الحالة الاجتماعية، في هذه البلاد لا تزال متأثرة بالأثر الإقطاعي، مسودةً بالمصلحة الفردية.

٣ ــ والثالثة في جمود الضمائر الشخصية وتمركزها في حواجز خاصة.

اما الإقطاعية فقوامها سموّ الامتيازات الخاصة وسيادتها على الحق العامّ، والميل الى جمهور العملاء والزبائن الملتفين حزباً واحداً حول الذين يساعدونهم بكل ما أمكن. واما الفردية فتقوم بتفضيل المصالح الخاصة على الخير العام.

وأشهر ما يُدلّل به على آثار الإقطاعية هو بقاء «الاحوال الشخصية» في مختلف الطوائف. وهي حالة أبعد ما يمكن عن الروح الوطنية، والعقلية الاجتماعية. على اننا لا نعلم كيف الخروج من هذا المأزق، وكيف يمكن الشارع البصير، المنتبه لجميع ما في حقيقة الواقع من صعوبات وعقبات، ان ينتصر عليها ويخرج سالماً ناجحاً. ولا بدّ في هذا من ان تتفق جميع الطوائف، دون استثناء، فتتخلى عن امتيازاتها دفعةً واحدة. على شرط ان تكون واثقة من انها تستبدل بها شريعة عامة مشتركة على قسطٍ من اللين والمرونة حتى تتفق وما تختص به كل طائفة من تنوّع العقائد وفروضها. واذا خرجت طائفة واحدة عن هذه المساواة تجاه الشريعة العامة المشتركة، فاختصت بنظام ممتاز، او اذا لم تنتبه الشريعة العامة لبعض الفروض العقائدية، لما امكن سائر الطوائف ان تقبل بهذا التمييز والخروج عن المساواة، ولا ان ترضى بهذا الضغط على حريّة الضمائر. وكيف يحلّ هذه المشاكل ؟؟؟

وفوق هذا الإقطاع الدينيّ او الطائفي نرى في لبنان اقطاعاً آخر مدنيا تقليدياً، هو إقطاع العائلة والعشيرة والحزب. ولو كان هذا الإقطاع محصور

التأثير في العادات التقليدية التاريخية ، لما كان له الأثر السيء الذي نتناه. ولكن اذا رأيناه يعمل في خدمة الفردية ، اي في خدمة المصالح الخاصة المُرَدَّة على خدمة الخير العام ، فيحق لنا القول انه من عوامل الظلم الاجتماعي. عندما يلجأ المتقاضيان في دعوى حقوقية ، او المتهم بمادة جنائية ، كلّ الى مطرانه ليشفع له عند القضاة ، لا يلجأون لأنهم على حق في مدّعاهم ، او لأنهم ابرياء او مساكين ، انما يلجأون لانهم موارنة ، او ملكيون ، او سريان . . . واذا لم يقم رئيس الطائفة بالشفاعات المطلوبة فان الرأي العام الطائفي يتذمر منه ويقرّر انه لا يقوم بواجبه ، وبالتالي فانه اسقف لا يهتمّ بشؤون الطائفة . اما الضمير الاجتماعي فماذا يقول وماذا يقرّر ؟ ؟ ؟

عندما يأتيني شاب مثقف ، عاطل عن العمل ، فيرغب اليّ ان اوصي به مدير الدائرة الفلانية في الامتحان الفلاني. فهو لا يطلب التوصية لما اتصف به من المؤهلات الخاصة من معرفة وامانة وثبات . . . بل يسكت عن كل ذلك — لا تواضعاً ! — ويطلب التوصية لأن جميع المرشحين للامتحان مُوصًى بهم . ثم ألا يحقّ له ان يطلب معونتي ، وهو من خريجي كلية القديس يوسف ؟

وماذا اقول وماذا افعل انا تجاه هذه الحالة ؟ أأترك هذا الطالب في حالة تفاوت وعدم مساواة بالنسبة الى رفقائه فلا اوصي به ؟ أم أعطيه توصية فأساهم في تعزيز هذا الاضطراب الاجتماعي الذي نرى فيه الوظائف والمراكز تُوزَّع لا على ارباب المؤهلات ، بل على ابناء الحزب الملتفين حول زعامة جريئة قوية ؟

هذه الزعامة الفردية لا تفهم ان يكون للحكومة من غاية سوى العمل على مدّ الطريق المفيدة امام بيوت افرادها ، منصرفةً عن بيوت رجال الحزب المعاكس . واذا لم تقم الحكومة بهذا « الواجب » فهي حكومة فاسدة . ولا تفهم ان يكون لرئيس الطائفة من غاية سوى العمل على توظيف ابناء الحزب في الوظائف المعيّنة لطائفته ، واذا اغفل هذا « الواجب » فهو أسقف لا تهمّه مصالح الطائفة . ولا تفهم ان يكون زعيم العائلة قد توصّل الى مركزه العالي من الدولة لغاية تختلف عن توظيف اقربائه وانسبائه . واذا أهمل هذا « الواجب » فهو قريب لا يهتمّ بعائلته ، فهو لا يصلح لشيء .

هذه بعض مظاهر الإقطاعية والفردية التي لا تزال تحول بيننا وبين التفكير الاجتماعي .

٣ ــ اما العقبة الثالثة فهي في جمود الضمائر الشخصية ، وانحصارها في حواجز متجاورة ولكنها غير متداخلة . فان الضمير الديني ، والضمير الادبي الاخلاقي ، والضمير المسلكي ، والمهني ، والضمير الاجتماعي لا تتشارك ولا تتفاعل ، وان تشاركت فعلى ضعف وضآلة . حتى ليمكن الفرد ان يكون دَيِّناً ورعاً تقياً ، ولا يؤمن جانبه في المعاملات التجارية . . . بل ليمكنه ان يكون دَيِّناً في عبادته ، وموثوقاً في تجارته ، الّا انه يُهمل ان يدفع اجور خدمه في مواقيتها . يمكنه ان يكون متملقاً حتى التعصب بطائفته ، وبعيداً كل البعد عن العبادة ، بل عن الايمان . . . ذلك أن الطائفة تظلّ صبغةً اجتماعية بعد ان تفقد معناها الديني في نظر بعض ابنائها .

وما دمنا على هذه الحال ، ما دمنا بحاجة الى ضمائر حيّة تعمل في جميع ميادين الحياة ، فاننا نظل عاجزين عن ضمانة التقدم الاجتماعي في وطننا . وكيف لنا بقبول التنازلات الشخصية والطائفية التي تفرضها علينا العدالة الاجتماعية ، اذا لم تكن لنا تلك الروح الاخلاقية العالية التي تسيّر ضمائرنا في القيام بواجباتها جميعاً حتى الدقائق والخفايا .

عند ذاك يمكننا ان نتخلص شيئاً فشيئاً من قيودنا المهمة فننتصر على عقبات الإقطاعية ، والفردية ، واحتجاز الضمائر ، فنخطو في سبيل التجديد الاجتماعي ، خارجين من حلقات الماضي المتماسكة على مجتمعاتنا تماسك الشرنقة على دودة الحرير ، تحافظ عليها حتى التضييق والخنق .

واذا فنحن احوج الى التفكير بهذا التجديد الاجتماعي ، عاملين على التوفيق بينه وبين آرائنا المتأخرة ، واخلاقنا الجامدة ، منّا الى وضع نظم المؤسسات الجديدة .

ولكن هل ننجح منذ هذا الاسبوع الأول ؟ ليكن ما يشاء الله !

على اني واثق بأنه ليس من فكرة تُطرح في العالم الّا تُتابع سيرها ، مهما يكن بطيئاً ، الى مجال تحقيقها التامّ .

وهو ما رمينا اليه في تنظيم هذا الاسبوع الاجتماعي !

مطبوعات شرقية جديدة

AVERROÈS, Tafsir ma ba'd at-Tabi'at. Texte arabe inédit établi par MAURICE BOUYGES, s. j. [*Bibliotheca Arabica Scholasticorum*, série arabe, V, 2] In-8°, VIII + 472 + 24 pp., Beyrouth, Imprimerie Catholique, 1938. Prix : 120 fr.

تفسير ما بعد الطبيعة لابن رشد

اشرنا غير مرة الى ما يقوم به الاب بويج من جهد مشكور وعمل جليل الخطر جمّ الفوائد في تحرير النصوص الفلسفية ، وضبطها ، وإخراجها بالطبع في مظهر كامل فاز باعجاب المستشرقين وابناء العربية على السواء . وقد تقدم له نشر « تهافت الفلاسفة » للغزالي (سنة ١٩٢٧) ، و« تهافت التهافت » لابن رشد (١٩٣٠) « وتلخيص كتاب المقولات » عن ارسطو ، لابن رشد كذلك (١٩٣٢) وها هو يعمد ، في الكتاب الذي بين يدينا اليوم ، الى أثر أُنف للفيلسوف الاندلسي الكبير ، ذكره اكثر من مائة مرة القديس توما الاكويني ، فيدرس مخطوطاته المختلفة ، ويلجأ الى ترجماته اللاتينية والعبرية ، ويستند الى اصل المتن اليوناني ، حتى يمثل بالطبع ، على الطريقة التي عرفناها من الدقة والكمال ، هذا الجزء الأول من « تفسير ما بعد الطبيعة » الذي وضعه ابن رشد على كتاب ارسطو . وهو المعروف بالتفسير الكبير . يتناول فيه القسم الاول من فلسفة المعلم في ما وراء الطبيعة ، مفسّراً « المقالة الاولى المرسومة بالألف الصغرى » ، « فالمقالة المرسومة بالألف الكبرى » ، « فالمقالة الثالثة مما بعد الطبيعة المرسومة بحرف الباء » ، « فالمقالة الرابعة المرسوم عليها حرف الجيم مما بعد الطبيعة . » اما ما بقي فسيظهر في مجلد ثانٍ يكون السادس من مجموعة نصوص الفلسفة العربية التي ينشرها الاب بويج منذ السنة ١٩١٧ . ويلحق به مجلد ثالث ، او سابع ، يحتوي على خاتمة النصّ والجداول والفهارس . وسيظهر مقدمةً للمجلد الحاضر ، جزء اول يجمع المعلومات الضرورية عن المؤلّف والمؤلَّف متمماً هذا العمل الجدير بكل شكر وإعجاب .

ف . ا . ب .

SA'ID AL-ANDALUSI, Kitâb Tabakât al-Umam. Traduction avec Notes et Indices précédé d'une Introduction par Régis Blachère. [*Publications de l'Institut des Hautes Etudes Marocaines*. T. XXVIII] In-8°, 192 pp. Paris. Larose. 1935

ترجمة كتاب طبقات الامم لصاعد الاندلسي

عرف قرّاء « المشرق » الاستاذ بلاشير بالدرس الجامع في « نقد نقّاد المتنبي » الذي اخترناه من كتابه النفيس في « ابي الطيّب »[1]. وقد اهتمّ المستشرق العالم، في الوقت نفسه، بنقل كتاب صغير كان من حظّه ان ينال الصيت الواسع في تاريخ الأدب العربي. هو كتاب « طبقات الأمم » للقاضي صاعد الاندلسي. لخّص فيه ما كان يعرفه العالم العربي الاندلسي عن علوم الامم المختلفة في القرن الحادي عشر. وجعله اساساً لبعض الشروح التي كان ينشرها بين طلّابه. على ان الكتاب نال ما لم يتوقّعه المؤلّف من الاهمية فغدا اساساً لأكثر المعلومات في تاريخ « العلوم » التي دوّنها مؤرّخو الحركة العقلية بين العرب من ابن القفطي، وابن ابي أصيبعة، وابن العبري، الى المقري، والحاج خليفة، الى المعلّم بطرس البستاني، ومحمد كرد علي. فرأى الاستاذ بلاشير ان ينقله الى اللغة الفرنسوية مقدّماً عليه بحثاً في التعريف بالمؤلّف والكتاب وقيمته. مستنداً في الترجمة الى النصّ الذي نشره، لأول مرة، الاب لويس شيخو في « المشرق »، والى ما اردفه به من اصلاحات واضافات، خاتماً بجدول في المفردات الوضعية ومعانيها وبفهرس ابجدي عامّ. فكان عمله وافر النفع، جديراً بالتقدير.

ف. ا. ب.

. ABI-BAKR MOHAMMADI FILII ZACHARIAE RAGHENSIS (RAZIS) Opera Philosiphica Fragmentaque quae supersunt colligit et edidit PAULUS KRAUS. [*Universitatis Fouadi I. Litterarum Facultatis Publicationum*, XXII], Pars Prior. In-8°, 316 pp. Cahirae, 1939.

رسائل فلسفية لابي بكر الرازي

قليل من المؤلّفين شغلوا فكرة القرون الوسطى في اوربة كما شغلها ابو بكر محمد بن زكرياء الرازي. فان تآليفه الكثيرة في الطب والكيمياء والفلسفة نُقلت

١) المشرق ٣٤ [١٩٣٦] ٥٧٥-٦٠٠

الى اللاتينية وظلّت ، حتى القرن السابع عشر ، تسود مناحي العالم العلمي ولا سيما في الطب. فان كتابه «الحاوي» الذي عرفه علماء اللاتين باسم «*Continens*» ظهر دائرة معارف واسعة لعلوم الطب عند اليونان ، وعند العرب ، مضافاً اليها اختبارات المؤلف المهنة . ولا تقلّ عن هذه الشهرة الطبية شهرة الرازي في الكيمياء والفلسفة . وقد عُرف خاصّة بنظريات مبتكرة خرجت عن معتقدات السنة فاثارت كثيراً من الردود والمجادلات خاض فيها عدد من مشاهير العلماء والفلاسفة كالفارابي وابن ميمون ، ووسمت صاحبها بسمة الكفر . وكان من تلامذة الرازي اللاهوتي النصراني يحيى بن عدي .

اما آراء الرازي الفلسفية فأعرض عنها السنيون . وعلق بقسم منها بعض الاوساط الشيعية . وكان من حظّ الغرب ان يبعثها الى الوجود فاهتمّ بها الاستشراق من زمن بعيد . وها انه يواصل اهتمامه الى اليوم . فيقوم الاستاذ كراوس في السنوات الاخيرة بدرس حافل بالاطلاع الواسع على علوم العرب في القرون الوسطى ، فينشر ، مع الاستاذ پينيس ، في «دائرة المعارف الاسلامية» سنة ١٩٣٦ ، بحثاً دقيقاً في الرازي . ثم يطبع في السنة نفسها ، بباريس ، رسالة البيروني وفيها جدول مؤلفات العالم الذي يهمّنا اليوم. ويتابع في مجلة *Orientalia* نشر منتخبات رازيّة ، على مدة سنتين[1] ثم يتحفنا بهذا المجلّد الأول من «الرسائل الفلسفية» للرازي جامعاً فيه احدى عشرة رسالة في الفلسفة لم يسبق نشرها ، وقف عليها في مختلف المكاتب الاوربية . ويكفينا ان نذكر منها «كتاب الطب الروحاني» ، و«كتاب السيرة الفلسفية» ، و«الحقائق في ما بعد الطبيعة» ، ونظرية «اللذة» والمقاطع في «العلم الالهي» و«الهيولى» و«الزمان والمكان» و«النفس» و«العالم» للدلالة على قيمة المجلّد . وهو ينتهي بمناظرة غريبة بين الرازيين ابي بكر هذا وابي حاتم ، الذي الّف المناظرة على طريقة الحوار ينتقد آراء سابقه الكفريّة بشأن النبوة ، على كونه اسماعيلياً مثله .

نُشر الكتاب بدقّة ووضوح في منشورات كلية الآداب من جامعة فؤاد الاول بالقاهرة . وقد تضمن في رسائله العربية رسالتين بالفارسية عُربت اهمّ

(١ *Orientalia*, N. S. IV, 1935, pp. 300 sqq. et V, 1936, pp. 35 sqq.

مقاطعها . ويمدنا الاستاذ كراوس ، في المجلد الثاني ، بنشر مقاطع جديدة ، وبدرس نقدي «لكتاب الطب الروحاني» مبنيًا على مخطوطة اكتشفها مؤخرًا ، مع بحث في المصادر التي افادت الرازي في تأليف كتبه ، وفهارس واسعة تسهل الفائدة من الكتاب . ر. شدياق

D. Giuseppe Barbera, Dizionario Maltese-Arabo-Italiano com una Grammatica comparata arabo-maltese. T. II, lettres F-L; III, lettres M-S; IV, lettres T-ħ, In-8°, 339-648.649-1000, 1001-1326 pp. Beyrouth, Imprimerie Catholique, 1939-1940 Prix: 150 fr. le volume.

قاموس مالطي - عربي - ايطالي

الاجزاء : ٢ و٣ و٤

تقدّم لنا كلام (المشرق ٣٧ [١٩٣٩] ٢٨٤) عن الجزء الاول من هذا العمل اللغوي المهمّ الذي يقوم به الاب باربيرا في الدلالة على اصل اللغة المالطية دلالةً لا تجعل بعد اليوم شكًّا في تفرّعها من العربية العامية الجارية خاصّة في لبنان وسورية ؛ مع الاشارة الى ما تداخل تلك اللهجة من مفردات وتعابير بربرية ، واندلسية ، وايطالية صقلية خاصّة .

وها انه ينبي ، في هذه المجلدات الثلاثة ، قاموسه التامّ للمفردات المالطية واصولها العربية وما يقابلها من اللغة الايطالية ، متكلفًا المشقّات في ضبط طرق لفظها ، وتدوينها بالاحرف اللاتينية ، معدّدًا المقابلات بينها وبين المفردات العربية الجارية في كثير من اللهجات العامية ولا سيما لهجات الطريقة الشمالية ، وفلسطين ، وسورية ، ولبنان .

ولا يقلّ اهمية عن القاموس تلك الجداول التي ختمه بها فسهّلت التفتيش فيه والاستفادة منه لابناء اللغة العربية خاصّة ، وقد جمع فيها جميع المفردات العربية من فصيحة وعامية ، الداخلة في قاموسه ، وكذلك كل المفردات الصقلية والايطالية والانكليزية والفرنسوية .

ولا شك في ان علماء اللغة ، مهما يكن لهم من آراء تخالف آراء المؤلف ، او

من طرق لا تتفق وطرقه ، يقرّون اجمالًا بقيمة هذه الخدمة الجليلة التي يقدمها الاب باربيرا للدروس اللغوية الشرقية ، فيستفيدون منها جميعهم .

ف . ا . ب

ALFREDO BUSTANI, Quitab el Culiat par ABU EL UALID MOHAMED BEN ROXD EL ANDALUSI (AVERROES). [*Publicaciones del Instituto del General Franco para la Investigacion hispano-arabe*] Grand in-8°, 231 pp. phototyp. + 43+٦٢+٢٠ pp., Larache, 1939.

كتاب الكليات لابن رشد

يغتبط روّاد العلوم العربية عامة ، وارباب الطبّ العربي خاصة ، بنشر هذا الكتاب النفيس الذي كان من المؤلفات المعتمد عليها في اثناء القرون الوسطى في بلاد الاندلس بل في البلاد الاوربية جماء . الّا انه ، على كثرة تداوله في الماضي ، نادر الوجود في عصرنا حتى لا تُعرف منه الّا نسختان صالحتان : الاولى ، وهي الاصلية ، محفوظة في مكتبة دير الجبل المقدّس في اعالي غرناطة ؛ والثانية ، وهي متأخرة عن الاولى بالتاريخ ، كانت محفوظة في مكتبة سان بطرسبرج قبل الثورة السوفيتية . وهناك نسخة مبتورة في مكتبة مدريد الاهلية .

فكان ان معهد الجنرال فرنكو اهتمّ بالنسخة الاولى فعهد باخراجها الى الاستاذ الفريد البستاني ، استاذ الآداب العربية في معهد الدراسات المغربية في تطوان . فنشرها مصوّرةً صفحةً صفحة ، وقدّم عليها بحثاً تمهيدياً في ابن رشد : حياته ، وآثاره ، وآرائه . واردفها بفهرس علمي واسع شرح فيه جميع المفردات الطبيعية والطبية الواردة في « الكليات » من اسماء نبات ، واشجار ، وحشائش ، ومعادن ، وحيوانات . وقد نقل المقدّمة والفهارس الى اللغة الاسبانية الخوان كريستوبال بيرس بيرا . فظهر الكتاب في حلّة جميلة لائقة بمعهد الجنرال فرنكو الجديد الذي نشكر له هذه المأثرة الجليلة آملين ان تتعدّد امثالها في سبيل نشر الكنوز العربية في الاندلس « وتجديد الصلة الثقافية بين الشعبين » .

ف . ا . ب .

G. Sbath et M. Meyerhof, Le livre des questions sur l'œil de Honein ibn Ishâq. [*Mémoires présentés à l'Institut d'Egypte*, T. 36] In-4°, 168 pp. Le Caire, 1938.

كتاب المسائل في العين لحنين بن اسحق

كانت العين موضوع كثير من الدروس الطبية منذ العصور القديمة . فرأينا احد اوراق البردي المعروف بايبرس ، الراقي الى السنة ١٦٥٠ ق. م. ، يذكر امراض العين المختلفة في مصر وطريقة علاجها . ولا شكّ في ان اليونان اهتموا بالعين كل الاهتمام . بيد انه لم يصلنا من هذه الدروس الّا مقتطفات اوردت على سبيل الشواهد . فلا نعرف آراء المشهورين من اطباء اليونان في هذا الموضوع الّا بفضل التراجم العربية . واول هذه الآثار العربية ترقى الى الطبيب النسطوري يوحنا بن ماسويه (٧٧٧–٨٥٧) والى تلميذه الطبيب المترجم الشهير حنين بن اسحق « مَن كان اعظم شخصية في القرن التاسع ، متصفاً بعقل من افضل العقول ، وبخلق من افضل الاخلاق المعروفة في التاريخ »، كما في قول لوكلير ، مؤرّخ الطب العربي.

وُلد حنين في الحيرة سنة ٨٠٩ ، وعاش ٦٤ سنة قام فيه بجهد عقلي عجيب. فبفضله عرفنا مؤلفات جالينوس الطبية ، وقد نقل منها ٣٥ رسالة الى العربية ، وبعض الرسائل الى السريانية فنقلها تلاميذه الى العربية ، وبفضله اطلع العرب على مجمل آثار بقراط ، وديوسقوريدس ، وغيرها من مؤلفات اليونان الطبية . وكان من حظّه انه دانت له اللغات الثلاث : اليونانية ، والسريانية ، والعربية . فنقل نقلاً صحيحاً جديراً بالثقة ، ووُفّق الى ايجاد كثير من المفردات الطبية والفلسفية ، لا تزال جارية حتى ايامنا فافاد اللغة في العمل على وضع هذا المعجم العلمي ، وان لم يكن اسلوبه في الذروة من الفصاحة المدرسية.

وفوق هذه الآثار المنقولة ، ترك حنين رسائل عديدة ألّفها في الطب منها اثنتان في « العين » ، احداهما هذه « المسائل في العين » التي ينشرها الاب سباط والاستاذ مايرهوف بنصّها العربي وبترجمتها الفرنسوية .

والكتاب مؤلّف على شكل السؤال والجواب . فيه ٢٠٩ سؤالات تدور حول العين وامراضها . اما العلاج فيرجع في طلبه الى كتاب آخر هو رسالة

العشر الخطب في العين . ولقد كان تأثير كتاب « المسائل » عظيماً في الشؤون العينية في العالم الاسلامي من مشرقه الى مغربه حتى الاندلس بل حتى اوربة في القرون الوسطى. اما قيمته اليوم فتاريخية اولاً لانها تطلعنا على آراء اليونان ، التي ورثها العرب في علم العين . ثم له قيمة لغوية بفضل ما فيه من مفردات علمية استُعملت مدة قرون . وسيسهل الاستفادة منها الجدول الدقيق الذي أُلحق بالكتاب .

اما المخطوطات التي استُخدمت في إعداد الطبعة فستّ محفوظة في ليننغراد ، والمتحف البريطاني ، والقاهرة ، وليدن ، وفي مكتبة احمد تيمور باشا ، والاخيرة في مكتبة الاب سباط نفسه . ومظهر الكتاب الطبعي دقيق جميل . وكذلك القول عن الترجمة التي تضمن امانتها وصحتها مراقبة الدكتور مايرهوف الاختصاصي بطبّ العيون . وقد قُدّم على الكتاب تمهيد بليغ. ر. شدياق

ARTHUR PELLEGRIN, L'Islam dans le Monde. In-8°, 182 pp. Paris, Payot, 1937. Prix : 20 fr.

الاسلام في العالم

الإسلام من مواضيع الساعة . ولكل دولة اوربية سياسة إسلامية تختلف عن سياسة زميلاتها في الموضوع نفسه . « لأن السياسة ، كما يقول المؤلف ، فنّ قد يُصبح شخصياً في بعض الظروف . فان انكلترة لا تتبع في مصر وفلسطين ، الطرق التي تتبعها فرنسة في الجزائر . » على ان هناك مبادئ عامة يجمل بكل سياسة اسلامية ان تنتبه لها . وهي التي تشرح بعض المقررات ، او بعض المواقف في المسائل المشكلة . وغاية المؤلف ان يعمل على التفتيش عن هذه المبادئ ذات القيمة الدائمة ، التي تسهّل بعض الشيء فهم الاسلام ، وتطوّره ، وتأثراته . وهو عمل جريء يفرض معرفة واسعة في الاسلام ، وعقائده ، ومؤسساته ، ونفسيته ، كما يتطلّب معلومات دقيقة في الشؤون التي تثيرها السياسة الاسلامية . وقد قدّم المؤلف في كتابه كلّ ما يحتاج اليه الفرنسي من علم بالاسلام .

ولمّا كان الاطلاع على الماضي ضرورياً لفهم الحاضر ، بدأ المؤلف كتابه

بقسم في « الاندفاع الاسلامي » تكلّم فيه عن « اتساع الاسلام » ، اتساع حربيّ فاتح اولاً ، ثم اتساع تبشيري. وقد كنا نودّ لو اسهب المؤلّف في اظهار شخصية النبي . على انه يهتمّ بدرس حياة الاسلام في قرآنه ، وعقائده ، وعبادته ، واخلاقياته ، وفلسفته ، وروحانيته ، فيخلص الى النتيجة ان ما عمل على انتشار الاسلام العجيب هو موافقته التامّة لحالة الشعوب التي اتجه نحوها . وفي فصل «النزعة الامبراطورية العربية» يدرس المؤلّف موضوع الخلافة ، ويُظهر ابن سعود زعيماً داعياً الى الوحدة العربية . ثم يناقش فكرة الاتحاد العربي وهل يمكن ان تتحقّق سياسياً . ويعرض بعد ذلك للسياسة الاسلامية في انكلترة ، وايطالية ، وهولندة . وينتهي الى خاتمة لا يسعنا الّا الموافقة عليها لأنها مستندة الى الاختبار ، وهي ان افضل سياسة تقوم بها دولة اوربية ان « تمدّن دون ان تهدم » .

ويخصّ المؤلّف القسم الثالث بذكر النفوذ الافرنسي في بلاد الإسلام . ولا شكّ في ان الفرنسويين الذين يقرأون هذه الفصول يجدون عرضاً واضحاً لجميع المشاكل الظاهرة في السنوات الاخيرة من مسألة «الدستور» التونسي الى «الوطنية» السورية .

والخلاصة ان الكتاب جزيل الفائدة لكل من يهمّه الاطلاع على المركز المهمّ الذي يحتلّه الاسلام في عالمنا الحاضر . ر . ش .

BERNARD VERNIER, La Politique Islamique de l'Allemagne. In-8°, 117 pp. Paris, Hartmann, 1939.

سياسة المانية الاسلامية

ليس هذا الكتاب باكورة المؤلّف في الشؤون الاسلامية . فقد ذكر له « المشرق » (٣٧ [١٩٣٩] ٢٨٣) كتاباً عنوانه « تيدار » دلّ فيه على موالفة متتابعة للاوساط التي يتكلّم عنها في البحث الحاضر . وها انه يضيف الى هذه المعلومات الاختبارية اطلاعاً واسعاً على المؤلّفات الالمانية في شؤون الشرق عامّة ، والاسلام خاصّة . فكان ثمرة ذلك هذا الكتاب الذي يتجه بنا من مراكش الى الشرق الادنى ، فيطلعنا على اعمال الدعوة الالمانية المستخدمة كل الوسائل من الطباعة الى السينما ، الى الاذاعة ، الى الانطوانات ، الى الرياضة ، الى رحلات الزعماء ،

مستندةً خاصةً الى تأثير الفكرة الفاشستية في الاسلام وما فيه من نزعة الى الزعامة المطلقة . ويختم الكتاب بفصل في الخطط الحربية الممكنة ، وقد أكدت اهميتها الظروف الحاضرة . ر. ش.

GÉNÉRAL EDOUARD BREMOND, Yémen et Saoudia. L'Arabie actuelle. In-8°, IX + 142 pp. avec 2 cartes. Paris, Charles-Lavauzelle et Cie, 1937. Prix : 12 fr.

اليمن والمملكة السعودية

كان الجنرال بريمون رئيس البعثة العسكرية الفرنسوية في بلاد العرب . فعرف عن كثب تلك البلاد ورجالها ؛ كما دقّق في درس تاريخها ، ومختلف مؤهلاتها في الماضي والحاضر . فامكنه ان يلخص لنا في هذا الكتاب الصغير كلّ ما تجب معرفته عن بلاد اليمن ، وعلاقاتها بجيرانها من جهة : الحجاز ، وعسير ، وحضرموت ، وعدن ؛ وبالدول الكبيرة من جهة ثانية : ايطالية ، وانكلترة ، وفرنسة ، واليابان . وقد خصّ فصلاً تمهيدياً بالمعلومات الجغرافية . ثم تابع في احد عشر فصلاً تاريخ اليمن ، منذ العصور القديمة ، الى علاقته برومة ، فإلى خراب سدّ مأرب سنة ١٢٠ ب. م. وهجرة اليمنيين فتأليفهم مملكتي المناذرة والغساسنة[1] . ثم عاد الى اليمن والحجاز قبل الإسلام ، فالى اليمن وحده ودوره في تكوين الدولة الاسلامية . وما كان من حالته على العهد المصري القديم ، اي زمن الفاطميين والايوبيين والمماليك ، فعلى عهد الاتراك العثمانيين ، فعلى عهد محمد علي ، فعلى عهد العثمانيين من جديد ، حتى الحرب الكبرى ، وكيف ظلّ اليمن محافظاً على الامانة للترك . وما ولي ذلك من حوادث في جنوبي غربي الجزيرة . الى ان يصل الى الفصل الثالث عشر فيخصه بالمناوشات والمفاوضات بين الامام يحيى وابن سعود . ثم يلخص نتائجه في فصل اخير ذي ثمانية مقاطع يجدر بكل راغب في الوقوف على الحالة الحاضرة في الجزيرة ان يعيد قراءتها مرات .

هذا والكتاب حافل بالملاحظات الدقيقة في اخلاق الشعوب ، وطرق السياسة

١) وهنا يؤخذ المؤلف ببعض الاساطير فيجعل من دمشق عاصمةً للغساسنة (ص ٢١) . كما انه لا يُدقّق في الفرق بين الناطرة واليماقبة حتى يكاد يخلط بين البدعتين (ص ١٨) .

والادارة ، وبعض الخطط العسكرية ، ولا يخلو من المقابلات بين العصور قديمها وحديثها ، ومن بعض التلميحات اللغوية ، المحتاجة الى شيء من الضبط والتدقيق احياناً ، كما تحتاج الملاحظات الى شيء من اللمحات الشاملة .

ومن الفوائد التي نجنيها على هوامش الموضوع الاساسي غزارة الامطار في جزيرة العرب ، وشدة اندفاعها ، « حتى لا تكاد تخلو سنة من الغرق في شوارع مكة » (كذا ص ١١) . ثم يزيد المؤلف ، عن فيضان دي سان مرتن ، « ان « وادي رومان » ، وهو نهر يشبه نهر الرين (١٢٠٠ كيلومتر) ، يجري ملآن حتى الضفتين مدة عدة اسابيع في السنة . » ويضيف من عنده « ان وادي فاطمة المنحدر من مكة نهر عظيم يبلغ عرضه ، زمن الفيض ، ستة الى سبعة كيلومترات » (كذا في الصفحة نفسها ، الحاشية ٦) .

ويفيدنا عن عُمان انها مجموعة قرى ومدن متفرّقة لا تصح تسميتها دولة . وان ليس لأهلها من العروبة الّا اللغة . اما عنصرهم فآري ، ودينهم يختلف عن الاسلام السنّي حتى تظهر فيه حتى اليوم آثار الصابئة او عبادة النجوم ، وهم يزرعون الكرمة في الجبل الأخضر ، ويشربون الخمر ، ولا يحجبون نساءهم .

اما حضرموت فلا تزال فيها قبائل تعيش كأنها في العصر الحجري . وينقل المؤلف عن الرحالة الالماني هنس هلفريتز ، الذي جاب تلك البلاد سنة ١٩٣١ ، انه شاهد قبائل من أكلة لحوم البشر .

ولعلّ اهم ما في الكتاب ما يوضحه المؤلف من مطامع اليابان التجارية في جزيرة العرب ولا سيما في اليمن .

ف . ا . ب .

E. H. Palmer, Oriental Mysticism. A treatise on the sufistic and unitarian theosophy of the Persians. 2e edition by A. J. Arbery. In-8° raisin, 86 pp. London, Luzac, 1938.

في التصوّف الشرقي

كان المأسوف عليه ادوار بالمر ، الذي اغتاله البدو في الصحراء المصرية سنة ١٨٨٢ ، قد نشر لأول مرة ، سنة ١٨٦٧ ، هذا الكتيب في التصوّف الاسلامي . استند فيه الى رسالة أنف من تأليف عزيز بن محمد الناصفي المسمى بالفارسية « مقصدى أقصى » اي « المقصد الاقصى » او الغاية النهائية . كُتبت

هذه الرسالة بين السنة ١٢٥٣ والسنة ١٢٦٣ ، فلخّصت باسلوب مختصر الآراء الصوفية المتعلّقة بنظريات ابن عربي في « الانسان الكامل » ، وهو «العالَم الأصغر» مقابلاً «للعالَم الأكبر». فكان ان اختار منها بالمير اهمّ المقاطع فنقلها بشيء من التصرّف . وقد رأى الاستاذ أربيري ان يعيد طبع هـذا الملخّص الواضح في الموضوع ، مضيفاً اليه جدولاً بالمفردات الوضعية جزيل الفائدة . بيد اننا وددنا لو نُشر النصّ الاصلي بكامله ، اذاً لكانت الفائدة أعمّ ، والفضل اجزل.

و. ش.

EDWARD JABRA JURJI, Illumination in islamic Mysticism. A translation with an introduction and notes based upon a critical edition of ABUL MAWAHIB AL SHADILI's treatise entiled Qawanin Hikam al Ishraq. In-8°, X+130 pp., Princeton, 1938.

الإشراق في التصوّف الإسلامي

هـذا الكتاب هو الرابع من سلسلة النصوص الشرقية التي تتولّى نشرها جامعة برنستون ، ولا يخفى ان في الجامعة المذكورة مجموعة من المخطوطات الشرقية جزيلة الفائدة ، كما سيظهر من الفهرس الموضوع جديداً ، والذي ستصفه بعيد هذا . فوجب الشكر اذاً لمن يقومون بنشر بعض هذه النصوص البعيدة عنّا ، فيسهلون علينا وعلى المستشرقين الاطلاع عليها ، والاستفادة منها. اما النصّ الذي يهمّنا الآن فهو رسالة لابي المواهب الشاذلي ، وافرة الاهمية في درس الحركة الصوفية التي تفرّعت عن الإشراق الأفلوطيني متأثرة بمبدأ الازدواج الماتوي ، فأثرت في نظرية ابن عربي والسهروردي ، حتى تبلورت متمركزة في عقائد الطريقة الشاذلية . نقل الاستاذ جورجي هذا النصّ الى الانكليزية وقدّم عليه بحثاً في نظرية الإشراق واصوله ، وختمه بجدول شامل للالفاظ الوضعية وترجمتها الانكليزية . على اننا نأسف لامر واحد ، وهو ان يكون الاستاذ جورجي اهمل نشر النصّ الاصلي . ولو فعل لأتانا بضمانة لصحة نقله في هذا الموضوع الدقيق ، فوق ما للنصّ الاصلي من قيمة ذاتية . وقد وددنا كذلك ان نرى جدولاً عاماً شاملاً لمآخذ البحث . ومهما يكن من امر فان الكتاب عمل جليل مفيد يُشكر عليه المؤلّف.

و. ش.

PHILIP K. HITTI, NABIH AMIN FARIS, BUTROS ABD EL MALIK, **Descriptive catalog of the Garrett Collection of arabic manuscripts.** In-4°, XII+6+668+XXXII+٥٦+٢ pp., Princeton, 1938.

وصف المخطوطات العربية في جامعة برنستون

هذا الجزء الخامس من سلسلة النصوص الشرقية في جامعة برنستون عمل جليل يُقرّ بفضل الجامعة المذكورة ، وبعناية المطبعة الاميركية في بيروت التي مثّلته بالطبع . وهو وصف مختصر جامع لـ ٢٢١٤ مخطوطة محفوظة في مكتبة جامعة برنستون رتّبها المؤلفون الثلاثة ، ورقّموها ، ووصفوها بكل تدقيق . فاتى كتابهم جديراً بان يحتلّ مركزاً رفيعاً الى جنب امثاله من فهارس المكاتب الاوربية ، فيولي اجلّ الخدم للمشتغلين بالابحاث الشرقية. ر . ش .

P. JÉRÔME KHAIRALLAH, **Histoire résumée de l'Ordre Antonin Maronite de la Congrégation de S. Isaïe.** In-8°, 60 pp. Beyrouth, 1940.

تاريخ مختصر للرهبنة الانطونية المارونية

طُبع هذا الكتيّب بمناسبة مرور مائتي سنة على تثبيت رومة للرهبنة المذكورة ، فافادنا معلومات كثيرة عن احوال الرهبان واعمالهم الروحية والزمنية. على ان اهمّ ما فيه للتاريخ اللبناني ذاك الفصل في علاقات الرهبنة بأسرتي الشهابيين واللمعيين. ر . ش .

DEMETRIUS PARYCZKO, **La situation de la classe ouvrière en U. R. S. S.** In-8° raisin, 45 pp. Florence, F. Le Monnier, 1939.

حالة طبقة العمّال في روسية

هذا العرض البسيط ، المستند الى الوثائق السوفيتية وحدها ، يكوّن صورة واضحة ومؤلمة في ايجازها عن الحالة الفقرية المسكينة التي وصلت اليها طبقة العمال منذ تأسيس النظام السوفيتي في روسية. ر . ش .

SS. PIE XI, **contre le communisme athée, encyclique** *Divini Redemptoris* du 10.3.37. In-8° raisin, 62 pp. Florence, Le Monnier, 1939.

في الشيوعية الإلحادية

هي رسالة الحبر الأعظم بيوس الحادي عشر المشهورة نشرتها مطابع لومونيه

في فلورنسة في سبيل تأليف مكتبة شعبيّة للثقافة الاجتماعية . فكانت الرسالة ، والكتاب السابق وصفه ، اولى منشوراتها. ر. ش.

Mgr Michel Féghali, Proverbes et Dictons syro-libanais. Texte arabe, transcription, traduction, commentaire et index analytique. Grand in-8°, XVII+850 pp. Paris, Institut d'Ethnologie, 1938.

امثال واقوال سورية - لبنانية

منذ اكثر من عشرين سنة يواصل المونسنيور فغالي ، بلا ملل ، دروسه في اللهجة العربية الدارجة في لبنان . وقد بدأ السنة ١٩١٩ ، فنشر بحثاً في «لهجة كفرعبيدا». ثم اردفه ، السنة ١٩٢٨ ، ببحث شامل في «قواعد اللهجات الدارجة حالياً في لبنان» . وفي السنة ١٩٣٥ ، اضاف الى ما تقدّم سلسلةً من النصوص بعنوان « حكايات واساطير وعادات شعبية في لبنان وسورية » . وها هو اليوم يتجاوز المحيط اللغوي الى المجال الاجتماعي الانساني ، فينشر كتابه المنتظر واصفاً فيه مستندًا ثميناً للدروس الاجتماعية والبشرية في لبنان وسورية . لأن المَثَل ، كما لا يخفى ، خلاصة حكمة الشعوب واختبارها سواء الخص حادثةً شعبية ، ام كان صدى لمعتقد قديم ، ام أوجز قاعدة اجتماعية او اخلاقية ، ام مثّل نزعةً ادبية او فنية . وهو ، في جميع حالاته ، يكوّن شاهدًا حيًا ، ووثيقةً ثابتة للعادات والاخلاق الاجتماعية في الشعب وتأثراتها العميقة.

- جمع المونسنيور فغالي في كتابه ٣٠٤٨ مثلًا اختارها بين خمسة آلاف ، غير متجاوز الأمثال الدالة على خصائص الشرق ، الضاربة لتدقيق في وصف البيئة الاجتماعية . ولم يكتفِ بنقلها الى الفرنسوية ، فعلّق عليها دائباً في التفتيش عن اصل المثل ، وتلخيص الحكاية التي دعت الى انشائه او توليده . ولا يخفى ان عملًا كهذا ، على رغم ما يفرض من جهد ويكلّف من مشقة ، لا يسلم من وهم او خطأ . وقد يناقش المطالعُ المؤلّفَ في بعض شروحه وترجماته ، وتطبيق بعض الأمثلة ، كما يأخذ عليه شيئاً من التطويل في بعض الشروح . الّا ان هذه الهنات لا تضعف من قيمة الكتاب الجدير بكل تقدير.

وقد رُتّبت الأمثلة ترتيباً مفيدًا تناول الموضوعات الاجتماعية ، من الحياة

الخاصة الفردية ، الى الحياة العائلية ، الى الحياة الاجتماعية ، فالحياة الزراعية الخ ... وفي كل فصل اقسام متعددة من شأنها ان تسهل التفتيش فالاستفادة وهو شأن الفهرس الابجدي ، الذي نعته المؤلف بالتحليلي ، وانهى به الكتاب.

ر . ش.

Dr Stephan Ronart, La Turquie Nouvelle. In-8°, 227 pp., 44 planches ; Paris, Geuthner, 1937.

تركية الجديدة

من الواضح انه لا يمكن البحث في تركية بحثاً شاملاً في ٢٢٧ صفحة ، ولا سيما اذا كانت غاية الباحث ان لا يكتفي بالجديد في تركية ، بل يرقى ، كما فعل المؤلف ، الى الطوفان ، بادئاً بالعصور السابقة للتأريخ منتهياً بايامنا الحاضرة ، مارًّا بالعهود الاسلامية جميعها . وهو ما شعر به صاحب الكتاب ، فترك الطريقة الوصفية وهي اقرب الى مجال السينما والراديو ، كما يقول في المقدمة ، الى الاهتمام « بالقوى العميقة في تجدد الحياة الدائم » وباستخراج المبادئ العامة في تسيير هذه الحياة . ولهذا صرف البحث ايضاً عن كثير من المشاكل الوضعية الخاصة ، وعن كل التفاصيل في الأبحاث .

فبقي عليه ان يضع الخطوط العامة لمصير الشعب التركي في مختلف العصور مدققاً خاصة في حركة اتاتورك التجديدية . وهو ما قام به قيام العارف بموضوعه ، المتضلع من مادة بحثه ، جامعاً في آخر الكتاب كلّ مصادره العديدة في جدول شامل .

اما اسلوب الكتاب فرشيق جذّاب يشفّ عن حماسة الكاتب واعجابه الاعجاب الحقّ بالاصلاح العظيم الذي قام به اتاتورك . على ان هذه الحماسة تشمل الموضوع كله حتى لتكاد تجحف بحق النقد العلمي ، فتؤدي الى المبالغة الواضحة في جعل العنصر التركي اساساً لكل مدنية عصرية ؛ وتظهر الكتاب اجمالاً مظهر اطروحة رسمية في موضوع تركية الجديدة ، اطروحة يعوزها شيء من الاحتياط والتحفظ .

ر . ش .

Entretiens sur l'évolution des pays de civilisation arabe. Publiés par le Centre de Politique Étrangère. t. III (3° année). Paris, Hartmann, 1938.

احاديث في تطوّر البلدان العربيّة التمدّن

ان الفائدة من نشر هذه الاحاديث في البلدان العربية اللغة تزداد سنة فسنة بفضل الباعث اليها الاستاذ روبر مونتانيه - ولا يخفى ان تبادل النظرات والآراء بين رجال العلم وارباب الادارة من ادعى العوامل على تفهم مظاهر البلاد المذكورة. هذا فضلاً عمّا يطفح به هذا الاسلوب من الحياة والرشاقة في مناقشة بعض الحوادث الحاضرة ، والعمل على شرحها . حتى اصبحت هذه المجموعة ، في مدة ثلاث سنوات ، تكوّن ديواناً غنياً بشواهد الاختبار ووثائق الآراء والنظرات الجديرة بالاعتبار.

وان من اهم موضوعات هذا المجلّد الثالث ، نظرات في العروبة ، والصهيونية ، والاسرة ، والمرأة ، والشبيبة ، ومستقبل اللغة البربرية ، واللغة العربية في افريقية الشمالية . يتقدم ذلك لمحة شاملة للاستاذ مونتانيه في تطوّر البلاد العربية من تموز ١٩٣٧ الى تموز ١٩٣٨ ، حلّل فيها كثيراً من النزعات التي خرجت الى الفعل في السنتين التاليتين. ر. ش.

PIERRE DUCASSÉ, Essai sur les Origines intuitives du Positivisme. [*Biblioth. de Philosophie Contemporaine.*] In-8°, 273 pp., 4 planches. Paris, Félix Alcan, 1939.

محاولة في الاصول الحدسية للفلسفة العربية

—, Méthode et Intuition chez Auguste Comte. [*Biblioth. de Philosophie Contemporaine*]. In-8°, X+620 pp. Paris, Félix Alcan, 1939.

الاساليب والحدس في فلسفة اغوست كونت

غاية المؤلّف في هذين الكتابين ان يعيد فرضيات اغوست كونت الحدسية ، اي تلك السلسلة من الحالات العقلية والعاطفية التي تسهّل درس الفلسفة الوضعية درساً متلاحماً.

وقد عمل المؤلّف في الكتاب الأول على ان يجعلنا نألف هذه الحالات

قبل ان نأخذ بالتفتيش عن صلة خاصة بين الاسلوب والحدس عند الفيلسوف المذكور .

اما في الكتاب الثاني — وهو منفصل منطقياً عن الأول — فيعرض المؤلف لمختلف الاساليب في المعرفة العلمية حتى يصل الى الاسلوب الموضوعي فالى الاسلوب الحدسي . فيقسم مؤلفه قسمين : اسلوب كونت ، وحدس كونت .

وخلاصة القول ان مَن يهتم الوقوف على سير الفلسفة الكونتية يجدون في هذين الكتابين ملخصاً لعقائد اغوست كونت الوضعية من جهة الفلسفة ومن جهة العلم .

ع . خ .

الفنون الايرانية في العصر الاسلامي

للدكتور زكي محمد حسن

٢٦١ ص . متوسطة + ١٦٠ لوحة + خارطة – القاهرة ، مطبعة دار الكتب المصرية ، ١٩٤٠

مجموعة جميلة من آثار الفنّ الايراني في العصر الاسلامي تناولت امثلة متعدّدة من العمارة الايرانية : قصور ، وجوامع ، وقبور ، وقلاع ، وقناطر . تليها آثار من الفسيفساء ، ونقوش على المخطوطات والسجّاد ، والمنسوجات ، والآنية الخزفية والمعدنية ، مع تصاوير حيوانية وبشرية . جمعها المؤلف ورتّبها ، بعد ان قدّم عليها بحثاً شاملاً في الموضوع تناول مقام ايران في تاريخ الفنون . ثم فصّل « الطرز الايرانية في الفنّ الاسلامي » من العباسيين الى السلاجقة ، الى التتر ، الى الصفويين ، منتقلاً الى البحث في مظاهر الفنّ المتعدّدة كالعمارة ، والخطّ ، والتذهيب ، والتصوير ، والتجليد ، والسجّاد ، والخزف ، والمنسوجات ، والتحف المعدنية ، والزجاج والخشب ، مشيراً الى العناصر الزخرفية الايرانية ، ذاكراً تأثير هذا الفنّ الايراني على الفنون الاخرى في الاسلام ، وما كان للفرس او الايرانيين من عمل في النهضة الفنية الاسلامية ، تأييداً لقول ابن خلدون الذي صدّر بهذا الكتاب وهو : « ان المباني والمصانع في الملّة الاسلامية قليلة بالنسبة الى قدرتها والى من كان قبلها من الدول . . . فلما استخدم العرب امة الفرس ، واخذوا عنهم الصنائع والمباني ، ودعتهم اليها احوال الدعة والترف ، فحينئذٍ شيّدوا المباني والمصانع . »

هذا واسلوب الكتاب واضح سهل يجدر بطلّاب الثقافة ان يطلعوا عليه . ولا يضيره ما يبدو في تضاعيفه من احكام وددنا لو كانت اوفر تدقيقاً ، ككلامه عن حركة « الايكونوكلاسم » في القرن الثاني للهجرة ، وترجيحه ان القائمين بها « كانوا متأثرين بتعاليم المسلمين في هذا الصدد » (ص ٨٢) . يقول هذا بعد ان يذكر ان الاحاديث المنسوبة الى النبي في شأن تحريم الصور غير صحيحة ، وانها في الحق لا تمثل الّا الرأي الذي كان سائداً بين رجال الدين في بداية القرن الثالث الهجريّ (كذا ، ص ٧٤). وكان من المفيد ان يعرف المؤلّف ، في هذا الموضوع ، بحث الاب لامنس الدقيق :

H. Lammens, *L'attitude de l'Islam primitif en face des Arts figurés* ; dans *Études sur le siècle des Omayyades.*

ف . ا . ب .

الاجتهاد في سبيل الاتحاد

تأليف المرسلين البولسيين

١٥٨ ص . متوسطة – مطبعة القديس بولس ، حريصا ، ١٩٣٩

بمناسبة الذكرى المئوية الخامسة لمجمع فلورنسة (١٤٣٩–١٩٣٩) نشر الآباء البولسيون هذا الكتاب ، وهو بحث في ما حدث من الانفصال ، وما بُذل من المساعي لاعادة الاتحاد بين الكنيستين الشرقية والغربية من القرن التاسع حتى الآن . وقد خصّص « المشرق » لهذه الذكرى ابحاثاً مهمّة في جزئه السابق .

تاريخ ابن الفرات

المجلّد التاسع : الجزء الثاني

حقّقه وضبط نصّه : الدكتور قسطنطين زريق والدكتور نجلا عزّ الدين

٢٤٧ ص . متوسطة – المطبعة الاميركانية ، بيروت ، ١٩٣٨

كان الدكتور قسطنطين زريق ، من اساتذة التاريخ الشرقي في جامعة بيروت الاميركية ، قد نشر الجزء الثاني من المجلد التاسع من تاريخ ناصر محمد بن عبد الرحيم بن الفرات في « سلسلة العلوم الشرقية » من منشورات الجامعة الاميركية في بيروت . (راجع المشرق ٢٥ [١٩٣٧] ١١٧–٢٢٩) وها هو يردفه

بالجزء الثاني ، متعاوناً مع الدكتوره نجلا عزّ الدين .

وقد تناول هذا الجزء تاريخ السنوات ٧٩٣–٧٩٩ للهجرة ، اي ١٣٩١–١٣٩٧ م ؛ حافلاً بالعناية نفسها التي حفل بها الجزء السابق - منتهياً بفهارس عامة للأشخاص ، والقبائل ، والشعوب ، تشمل الجزءين ، فتسهل الاستفادة منهما ، وهما من الاصول المهمة للتاريخ في تلك الحقبة .

فن القصص في كتاب البخلاء للجاحظ

بقلم محمد المبارك

٧٥ ص . صغيرة – دمشق ، مطبعة الترقي ، ١٩٤٠

وُفق الاستاذ محمد المبارك ، في باكورته هذه ، الى دراسة تحليلية لفنّ الجاحظ القصصي ، اعتمد فيها على نصوص اختارها من كتاب البخلاء ؛ فحلل بعضها ، واشار في البعض الآخر ، الى ما يدلّ على قيمة الكتاب الاجتماعية ، والتاريخية ، والادبية ، مدققاً في تبيان خصائص الفنّ الجاحظي عامّة ، والناحية القصصية منه خاصّة . فاتانا بدرس دقيق جديد يصلح معتمداً للطالب في تفهمه شخصية الجاحظ ، ومستنداً للاستاذ في مثل هذا النوع من الدراسات الادبية .

ف . ا . ب .

دريفوس

بقلم يوسف ابراهيم يزبك

١٢٠ ص . صغيرة . مطبعة الاتحاد ، بيروت ، ١٩٣٩ – الثمن : ٥٠ غرشاً لبنانياً

عمد المؤلف الى نبش هذه القضية التي احدثت ضجة شديدة في فرنسة ، في اواخر القرن التاسع عشر ، لسببين ذكرهما في المقدمة ، وهما :

« اولهما : خلو المكتبة العربية من اي أثر لها (للقضية) في حين انها كُتبت بجميع لغات العالم .

« والسبب الثاني اضطرار الامة العربية لمعرفة « الذهنية اليهودية » بعد ان ارغمنا على قبول اليهود في جزء من بلادنا على ان يكون هذا الجزء العزيز (فلسطين) وطناً قومياً لهم ، لا سمح الله ! »

الادب العربي في ما له وفي ما عليه

بقلم ادوار مرقص

١٤٦ ص. صغيرة – اللاذقية ، المطبعة التجارية ، ١٩٣٩ – الثمن : ٢٠ غ. ل.

وصف المؤلف هذا الكتيب بقوله: « خلاصة تاريخ الادب . شواهد ومثل عديدة في كثير من نواحي الادب منها شيء من المنثور في ايجاز واعجاز ونحو ٦٠٠ بيت من عيون الشعر العربي . نوادر ونكات . استقراء واستنتاج . آراء وملاحظات . »

١٠ قصص عالمية

عنيت بنشره دار الهلال

١٢٦ ص. متوسطة – دار الهلال بمصر ، ١٩٣٨

يشتمل هذا الكتاب على عشر قصص لأشهر المؤلفين العالميين هي: دونا روزينا للاسباني رامون كالاس ؛ شهيدة الخيال للمجري هنريك رالف ؛ في ليلة عاصفة للروسي مكسيم غوركي ؛ السارقة للروماني انطون موريتو ؛ حلم « ماهر » لليوغوسلافي تشوروفيتش ؛ العاشقة المفتونة الألماني جوزف فون مولر ؛ بطولة ام للنمساوي ستيفان برونشتاين ؛ الانقلاب للبولوني انطون سيكورسكي ؛ الشرة المنشودة للانكليزي موريس ليكوك ؛ طوبى للبسطاء للفرنسي اناطول فرانس . فاذا بها جامعة بين التحاليل النفسية العميقة ، والملاحظات السطحية المحتاجة الى بعض الاحتياط والتحفظ .

جمال بلادي

بقلم قيصر المعلوف

٤٤ ص. متوسطة – بيروت ، مطبعة هرموش وشركاه ، ١٩٣٩

هي منظومة طويلة « في وصف لبنان ومناظر لبنان وهوائه ومائه وصفاء سمائه الخ . . . نظم قيصر بن ابرهيم باشا المعلوف » اهداها الى ميشال بك المعلوف ، وقسمها الى سبعة عشر نشيداً تبتدئ في « بيروت على الشاطئ » وتنتهي في « وادي المرائش » .

نداء المجهول

بقلم محمود تيمور

١٦٠ ص. متوسطة — منشورات دار المكشوف ، بيروت ، ١٩٣٩

رواية قصصية من نوع حكايات المغامرات ، فيها تصوير نفسية غريبة سماها المؤلف «مس ايفانس» يجذبها «نداء المجهول» ، فلا تزال قلقة مضطربة حتى تلتحق به ؛ بعد ان تمر بعقبات جمة وصعوبات هائلة اشبه بما يراه المطالع في رواية « هي » الانكليزية او في بعض الافلام السينمائية « كينابيع النار » « والآفاق المفقودة » . وقد اراد المؤلف ان يجري حوادثها في لبنان ، فنثر فيها بعض الاسماء اللبنانية ، كانت الصلة الوحيدة بيننا وبينها.

منشورات جمعية نشر المعارف المسيحية

اهدت الينا جمعية نشر المعارف المسيحية الانغليكانية سلسلة من منشوراتها الجديدة التي تضعها في سبيل التبشير بمذهبها ، وهذه هي :

سيرة رسول الجهاد

بقلم حبيب سعيد

٢٩٧ ص. متوسطة ، مع بعض الصور واربع خرائط — الثمن : ١٠ غ. مصرية

التفاسير البيضاوية المسيحية : الرسالة الى العبرانيين

فسرها الكانن و. ه. ت. جرنز وغيره

١٧٦ ص. متوسطة — الثمن : ١٠ غ. مصرية

هل من علاقة بين الاخلاق والدين ؟

مجموعة محاضرات فلسفية دينية لكليمندس رب نقلها الى العربية حبيب سعيد

١٥٥ ص. متوسطة — الثمن : ٥ غروش مصرية

دراسات تحليلية في حياة يسوع المسيح

تأليف بوزورث . تعريب مرقس فهمي فرج

٥٠٢ ص. متوسطة – الثمن : ١٠ غ. م.

عشر قصص للاحداث

لخصتها عن الانكليزية مدام حبيب سعيد

١٢٤ ص. صغيرة – الثمن : ٥ غ. م.

كتب جديدة نصفها في عدد مقبل

علي محمود طه : ليالي الملاح التائه

محمد رضا : محمد

وجهة الاسلام (عن الانجليزية)

بشر فارس : مباحث عربية

J. Heyworth Dunne, An introduction to the History of Education in modern Egypt.

R. Levy, Ma'alim al Qorba by Ibn al Ukhuwwa.

G. Levi Della Vida, Il Califfo Mu'awiya I.

Tovia Ashkenazi, Tribus semi-nomades de la Palestine du Nord.

Nabia Abbott, The Kurrah Papyri from Aphrodito in the Oriental Institute (of Chicago).

Hassen Afchar, L'organisation du crédit rural en Iran.

Régis Blachère, Eléments de l'arabe classique.

R. Strothmann, Die Geheinmlehre der Batiniten.

المشرق

السنة الثامنة والثلاثون

نيسان – حزيران) ١٩٤٠
تموز – ايلول)

دُور العلم وبيوت الحكمة

من آثار الاب مغري لامنس اليسوعي

ان النصوص العربية القديمة ، الراقية الى القرون الثلاثة الاولى للهجرة ، كثيراً ما يصادف فيها المطالع كلمة « علم ». فما المراد بهذه اللفظة ؟ وماذا تمثل ؟ وهل تعني « العلم » بمدلوله العصري كما نفهمه في ايامنا ؟

ان الاكثرية الساحقة من هذه النصوص ، ان لم نقل كلها على الاطلاق ، تعني « بالعلم » فروع المعرفة الدينية ، وهي علوم القرآن ، والقراءات ، والتفسير ، والحديث ، والفقه ، وسيرة الرسول . . . وقد يُضاف اليها احياناً الادب واللغة . وعلى هذا : كان « العالم » الكسائي يلقي دروساً في اللغة بجامع بغداد[1] . ولا يخفى ان الجامع كان يُتخذ لالقاء الدروس في الفنون المختلفة من هذا « العلم »

١) ياقوت : معجم الادباء ٤ : ١٢٥

الديني . ولا شكّ في ان المحدّثين رموا الى هذه المعارف وحدها ، عندما نسبوا الى النبي الحديث المشهور : « اطلبوا العلم ولو في الصين ! »

وليس ما يشير في هذا الحديث الى العلم بالمعنى العصري . اما ما فيه من طلب الرحلة فيلتمح الى تلك الرحلات البعيدة التي كان يقوم بها بعض طلّاب « العلم » في سبيل جمع الاحاديث ، او لقاء شيخ مشهور بالتفسير او بالفقه.

وكان التعليم الملقى في الجامع حرًّا من كل نظام، سهل المأخذ على الجميع. وكان المعلّم يحتل مركزًا وسط الساحة ، او تحت رواق ، او قريباً من احد الاعمدة داخل الجامع . فيجتمع حوله السامعون في حلقة.

وكان يلتحق ببعض الجوامع غرف صغيرة ينزلها فقراء الطلّاب ، او النزلاء من المسافرين . وليس من امتحان ولا من منهاج خاصّ . انما يكتفي الاستاذ بقراءة نصّ من النصوص الدينية فيشرحه باقتضاب . وقد يلقي ، عن ظهر قلبه ، مئات الاحاديث فلا يتلعثم ، ولا يخطىء باسم واحد في تلك السلاسل الاسنادية المستطيلة . وهو من عجائب الحافظة . وقد ذُكر محدّثون حفظوا ٥٠٬٠٠٠ حديث[1] يوردونها باسانيدها. واذا ما انتهى الاستاذ من شرح كتاب او مادّة امكنه ان يعطي من اراد من سامعيه إجازة بالعلم الذي ختمه . ومن فضل هذه الإجازة ان تبيح لصاحبها تعليم غيره ما استفاده من استاذه الاول . وهي تقوم مقام شهادات اليوم، وتولي صاحبها مرتبة « العلماء ».

ولنشر اخيرًا الى ان لفظة « علم » الواردة في القرآن[2] تدلّ على المعرفة الدينية او الموحاة ، ليس غير.

٥

والعلم بالمعنى العصري، او المعارف غير الدينية، كيف كان يعرفها العرب ؟ وكيف كانوا ينعتون الطبّ مثلًا ، والرياضيات ، والفلسفة ، والفلك ؟

كانت هذه العلوم، ولا سيما الطب ، في صدر الاسلام، تروكةً لغير المسلمين يضطلع بها اليهود والنصارى خاصّة. وهذا الجاحظ يقول ان الطبيب الذي يحمل

١) راجع كتابنا *L'Islam*, p. 81

٢) القرآن ١٢ : ٢٢ ؛ ١٨ : ٦٤ ؛ ١٩ : ٤٤ ؛ ٢٨ : ١٣ . . .

اسماً اسلامياً ، يتعرّض للموت جوعاً . لأن إقبال الناس كان على الاطباء ذوي الاسماء النصرانية . وقد وضع المسلمون هذه المعارف الدنيوية جميعها على هامش « العلم » ، فسمّوها « العلوم القديمة » او « علوم القدماء » ، او « علوم الاوائل » ، او « علوم الحكماء »[1] . ولم يكن التعليم العام الملقى في الجوامع ليهتمّ بها او يشير اليها . وكذلك كانت الحال في « المدارس » — ولا ترقى اقدمها الى ما قبل القرن الرابع الهجري — فكان لا يدرس فيها الّا العلوم الدينية . على ان المقريزي يذكر بعض الدروس الطبية في الجامع الأزهر بالقاهرة . ومهما يكن من امر فإن تدريس الطبّ كان يُلقى عادةً في بعض البيمارستانات ، او المستشفيات ، حيث كان الطلّاب يزدحمون حول الطبيب الاستاذ ، فيحضرون تشخيصه وعلاجه ، ويسألون بعض الشروح ، ويحفظون طرق تطبيبه حتى ينشروها بدورهم في ما بعد . وهكذا كان الطب عملياً اكثر منه نظرياً .

ولا يخفى ما كان من إعراض « العلماء » والخُلّص من الفقهاء وارباب السنة عن العلوم الدنيوية ، وازدرائهم بها ، وتحذّرهم من اصحابها ، ولا سيما الفلسفة . وكثيراً ما اعتبروها من مدارج الزندقة . وعدّوها مع غيرها من « علوم الاوائل » في طبقة ما قال عنه النبي : « علم لا ينفع » . وهذا ابن تيمية ، المجادل الشهير ، لا يرضى باستعمال اسم العلم الّا للعلوم القرآنية .

وهو ما يقودنا الى ذكر كلمة عن « دور العلم » و« بيوت الحكمة » .

وقد يعرف القراء ان هذه « الدور والبيوت » ، على الرغم من اسمائها الفخمة والقابها الرفيعة ، كانت بعيدة كل البعد عن « الجامعات » المعهودة ، بل بعيدة عمّا نعرفه من معاهد التدريس .

ولعلّ اشهر هذه البيوت « بيت الحكمة » الذي أسسه المأمون (١٩٨—٢٠٢ هـ = ٨١٣—٨١٧) ، وخاله الكثيرون مدرسة كبرى تدرس فيها العلوم القديمة . اما حقيقته فمكتبة كان يشتغل فيها بعض النصارى فينقلون المؤلفات

---

١) راجع الفهرست ٢٣٨ ، ٢٤٣ ، ٢٥٥ ، ٢٧١ ، ٢٩٩ . . .

اليونانية القديمة.[1]

ودار العلم التي انشأها في الموصل جعفر بن محمد († ٣٢٨=٩٣٩-٩٤٠) لم تكن سوى مكتبة يُعطى المشتغل فيها الورق مجاناً[2].

وكثير من هذه « الدور » العلمية كانت ترمي الى هدف خاصّ ، أي ان اربابها كانوا يجمعون فيها عدداً من الكتب في موضوع معلوم ، رامين الى نشر دعوة دينيـة او الى تعزيز مذهب فقهي . وهكذا القول عن دار العلم التي انشأها في طرابلس ، قبيل الحملات الصليبية ، بنو عمّار . فان غايتها كانت نشر الدعوة لمذهب منشئيها الشيعيين . وهي غاية مكتبة الفاطميين الكبرى في القاهرة . ومن النوع نفسه كانت الدار الفسيحة ، المتعددة غرف المطالعة ، التي انشأها الحاكم الفاطمي فدعاها دار العلم والحكمة.

ولهذا كثيراً ما دعا الناس هذه المؤسسات « دور الكتب » و « خزائن الكتب » وهو لقب أليق بها من نعت التعليم . ولا ننكر ان بعض الشيوخ كانوا يلقون احياناً في هذه المؤسسات محاضرات او شروحاً تفسيرية ، انما كان هذا الأمر يأتي عرضاً ونادراً.

ومنذ القرن الخامس الهجري لا نكاد نسمع بتأسيس شيء من هذه الدور والبيوت في ديار الاسلام السنّي .

---

١) الفهرست ٢٤٨

٢) ياقوت : معجم الادباء ٢ : ٤٢٠

الفرزدق

٦٤١ – ٧٣٢

ان الفرزدق صخرةٌ عـاديّةٌ
طالت ؛ فليس تنالها الاوعالُ !
(الاخطل)

بقلم فؤاد افرام البستاني
استاذ الآداب العربية في جامعة القديس يوسف

الاخطل والفرزدق وجرير اشهر شعراء الامويين ، ومن اشهر شعراء العرب على الاطلاق . مثلوا عصرهم وبيئتهم ، كما مثلوا الثقافة العربية الخالصة اصدق تمثيل . فوجب ان يحلّهم دارس الادب المحلّ الاول في ذاك العصر الانتقالي الوسيط بين الجاهليين والعباسيين ، بين الادب العربي المحض والادب المولّد نتيجة الثقافات المتباينة . اما الاخطل فقد تقدّم لنا فيه ابحاث مستفيضة[1] . واما جرير فسنخصّه بدرس قريب ، ان شاء الله . واما الفرزدق فهذا هو :

حياته

نشأته

اسمه – قبيلته

ابو فراس همّام بن غالب بن صعصعة بن ناجية بن عقال . . . ابن مجاشع بن دارم من بيوتات تميم . كان جدّه صعصعة من أشراف قومه في الجاهلية . اشتهر بمآثر بالغ فيها الرواة ، كما بالغ الفرزدق في الفخر بها . وهي انه لما اشتد

---

١) في الروائع ج٣ (١٩٣٦) ، و٣٥ (١٩٣٩) ، و٣٦ (١٩٤٠)

الجدب ، في بعض السنين ، على بني تميم ، وفشا الجوع فيهم ، عمد بعضهم الى وأد بناتهم ، اي دفنهنّ حيّات ، ساعةَ ولادتهنّ ؛ فقام صعصعة يفتدي هذه الموؤودات ، حتى جاء الإسلام وقد اشترى « ثلاثين موؤودة .»[1] وكان ابو الفرزدق من سراة قومه كذلك ، عُرف بالكرم والمعروف . وكان أعور . وفد على النبي وأسلم ، وتوفي في اوائل خلافة معاوية . ودُفن في المقرّ من كاظمة البصرة . وكان الفرزدق يعظّم قبره[2] ، ويجير من استجار به ، جرياً على تعظيم « البيوت » ، او القبور ، في الجاهلية[3] .

في هذه الأسرة الشريفة ، الفخور ، وُلد همّام في حدود السنة الثمرين للهجرة ، (٢١ كانون الاول ٦٤٠—٩ كانون الاول ٦٤١) ، على التقريب . وله اخ أسنّ منه اسمه هُمَيم ، ولقبه الأخطل ، قال الشعر ولكنه لم يبلغ شأوَ اخيه . وتوفي قبله ، فرثاه الفرزدق[4] . وله اخت اسمها جِمْثِن اكثر جرير من هجائها وهجاء الفرزدق بها . وامّ الفرزدق لينة بنت قرظة الضبيّة[5] ، اخت العلاء بن قرظة الشاعر ، وكان الفرزدق يقول : « انما اتاني الشعر من قبل خالي ! »[6] . وقد خلط بعض المعاصرين بين امّ الفرزدق هذه وجدته ، امّ ابيه ، وهي ليلى بنت

---

١) ابن قتيبة : الشعر والشعراء (de Goeje) ٢٨١ ؛ ابن خلكان : وفيات الاعيان ٢ : ٢٦١ — اصبحت هذه الثلاثين ثلثمائة ، بل اربعمائة ، في رواية الاغاني (١٩ : ٥٣) ، كما أصبح وأد البنات عادةً شاملةً بين العرب في نظر بعض « المؤرخين » . قلنا : واذا كان ذلك كذلك ، فكيف حُفظ نسل العرب متتابعاً على كرّ الأجيال ؟ !

اما الفرزدق فقد اكثر من الفخر بهذه المأثرة ، ومن قوله فيها :

وجدّي الذي منع الوائدات ، وأحيى الوئيدَ ، فلم يوأدِ !

٢) اطلب ديوان الفرزدق (طبعة الصاوي ، وهي الطبعة التي نشير اليها عادةً) ص ٤٢ ، ١٦٢ ، ٢١٠ ، ٦١١ ، ٦٧٤ ، ٦٧٦ ، ٧٥٤

٣) اطلب الاب لامنس : الحجارة المؤلّهة وعبادتها عند العرب الجاهليين . في المشرق ٣٨ [١٩٤٠] ٢١

٤) الديوان ٩٩

٥) الاغاني ١٩ : ٢

٦) ابن قتيبة : الكتاب المذكور ، ٢٦٦—٢٦٧ ؛ الاغاني ١٩ : ٤٩

حابس[1] ، فخالوا ان « في شعر الفرزدق ما يرجح ان اسم امه ليلى »[2]. وهو انما يعني بليلى امّ ابيه لا أمه .

اما « الفرزدق » فلقب غلب عليه منذ صغره ، ومعناه « الرغيف الضخم »[3] ، أُقب به لجهامة وجهه ، وضخامة قسماته ، وما كان فيه من اثر الجدري . ولعلّ اباه سمّاه الفرزدق باسم دهقان الحيرة ، لانه كان يشبهه « في تيهه وابّهته ».[4]

مولده – منازل قومه

واما مولد الفرزدق فالبصرة ، على ما في معجم ياقوت[5] . وكان قومه قد نزلوا ارضها ، زمن تأسيسها سنة ٦٣٥ . الّا انهم ظلّوا على بداوتهم ينتشرون من أرض العراق الأسفل الى اعالي نجد واطراف اليمامة . وعلى هذه البداوة المحكّمة بالحضارة بعض الشيء نشأ شاعرنا ؛ وعليها بقي طول حياته ، غير متّصل بالحضَر الّا لماماً . يهجو صناعاتهم[6] ؛ ويتنصّل من استعمال دراهمهم[7] ؛ ولكنه لا يتردّد في الاستكثار منها واختيار كبارها[8] ، اذا وُهبت له . يرعى غنم قومه صغيراً[9] ، ويهنأ بعيره بيده كبيراً[10] . يجوب اطراف المملكة الاموية على ناقته من البصرة الى المدينة ، الى مكة ، الى اليمن ، الى البحرين ، الى فلسطين ، الى دمشق ، الى الرصافة ، مستأنساً بوحش القفر ، عائشاً حياة ادلّائه ورواده[11] . ولكنه لا يتردد في ركوب

---

١) الاغاني ١٩ : ٣

٢) صدقه اسمعيل القباني : شرح ديوان الفرزدق ٣ : ب

٣) الكلمة فارسية الاصل ، معربة عن بَرْزَدَه ؛ راجع ادّي شير : الالفاظ الفارسية المعرّبة ص ١٩٩ – قلت : ولا يزال العامّة من باعة الخبز في عصرنا ينادون : « برازق » على نوع من الفرغة يُصنع في بعض الخواسم .

٤) الاغاني ١٩ : ١١–١٢ . وقد تكون القصة موضوعة في سبيل التزلّف الى الفرزدق .

٥) ياقوت : معجم الادباء (Margoliouth) ٢ : ٢٥٨

٦) كصناعة الملاحة ، الديوان ٨٦٨

٧) الديوان ٢٢٠

٨) الديوان ١٤٨

٩) الديوان ٥١٢

١٠) الاغاني ١٩ : ٢٥

١١) وكان اذا ضلّ به الدليل مجاه فاقدع ، الديوان ٨٤١

السفن بدجلة وشطّ العرب ، وان كان يفضل الصحراء برمالها على هذه الطريق المارجة[1] . يرتاح الى سكنى البادية ، في الدهناء خاصّة ، فيتخلص من متاعب المجتمعات الحضرية ، ولكنه لا يحجم عن نزول المدن ، اذا دُفع الى ذلك رغبةً او رهبةً . وقد عرفنا له دارًا ذات بابين[2] في البصرة ، هدمها الحارث بن عبدالله ، عامل ابن الزبير (٦٨٤–٦٨٦)[2] . كما عرفنا له بئرًا ببطن السيدان نازعه عليها احد بني مرة بن عباد فهجاه ، واحتجّ بان له على ملكيتها كتابًا وشهودًا[1] .

اول شعره

يؤخذ من اقوال الرواة ان الفرزدق نظم الشعر يافعًا . وكان له من جهة خؤولته استعداد فطري للشعر ، ومن مفاخر آبائه ، وتيهه وصلفه ، مادّة لا تنضب ، ومن مروياته الشعر القديم وايام العرب واخبارها أمثلةٌ جديرة بالاحتذاء . فكان اول ما نظم قطعة فيها الفخر ممزوجًا بالنفس القصصي ، وهما من ميزات الشاعر في جميع منظوماته . وذلك ان امّه كانت ترسله في رعاية غنم لها . فاغار عليه ذئب ، فأخذ كبشًا . وهرب الفرزدق الى الحيّ فلامته امّه ، فقال من قصيدة :

وما كنتُ منياعًا ، ولكن همّتي سوى الرعي ، منظومًا ، واذ انا يافعُ ! (٥

ويقول الفرزدق نفسه انه كان يهاجي شعراء قومه في خلافة عثمان (٦٤٤–٦٥٦) وهو غلام . فكان قومه يخشون معرّة لسانه منذ يومئذٍ[1] . حتى اذا كان يوم الجمل ، وقدم عليّ البصرة بعد تلك المعركة : سنة ٦٥٧ : وفد عليه غالب ابو الفرزدق ، ومعه ابنه ، فقال : «ان بنيّ هذا من شعراء مضر فاسمع منه» فقال : « علّمه القرآن ! »[6]

١) الديوان ٦٢٦ ، ٨٧٥
٢) الديوان ٧٨٧
٣) الديوان ٧٢٨
٤) الديوان ١٠٧–١٠٨
٥) الديوان ٥١٢–٥١٣ ؛ ابن سلّام : طبقات الشعراء (Hell) ٧٦–٧٧
٦) الاغاني ١٩ : ٦

حياته العائلية والقبيلية

ازواجه : النوار

كان الفرزدق مزواجاً مطلاقاً. يضطرب في عاطفته كما يضطرب في ميله السياسي . لا يكاد يخلص لامرأة ، ولا تكاد امرأة تصبر على اخلاقه . يعيش مع زوجته مدة فيملّها او تمله ، فيطلقها ، او تهرب منه فتدفعه الى طلاقها . وهو ابداً طامع العين ، دائم الفسق والفجور . ذكر من نسائه ، في الشعر الذي وصل الينا ، اثنتي عشرة امرأة . أشهرهنّ النوار صاحبة القصة المتناقلة في كتب الأدب . وكان قد تزوّج قبلها بعددٍ من النساء ، منهنّ واحدة اسمها مُفدّاة بنت ثعلبة بن دودان ، توفيت قبل حادثة النوار ، كما يُستخلص من قول الشاعر[1] . اما هذه الحادثة فخلاصتها ان النوار بنت أعيَن بن صعصعة كانت ابنة عم الفرزدق ، وليس لها رجل اقرب منه ، فكان وليّها . وكانت قد تزوّجت ورُزقت ولداً[2] . ثم لا نعلم ما حلّ بزوجها أطلقها ام مات عنها ، فعادت الى قومها . وخطبها رجل من دارم ، وقيل من أمية[3] ، فرضيته وارسلت الى الفرزدق ان يزوّجها منه . فجمع الفرزدق قومه في مسجد بني مجاشع وخطب فيهم قائلاً : « تعلمون اني وليّ النوار ، واشهدكم اني زوّجتها من نفسي . »

فنفرت منه لما تعرف من سوء اخلاقه ، ولجأت الى مكة لائذة بعبدالله بن الزبير ، وهو يومئذٍ واليها يدّعي الخلافة ويقرّ له بها اهل الحجاز وفريق من اهل العراق . وكان ذلك حوالى السنة ٦٨٥ . فنزلت على امرأته امّ هاشم خولة بنت منظور ابن زبّان[4] . فهجا الفرزدق مَن حملها الى الحجاز ، ومدح ابن الزبير[5] . ثم لحق بها فنزل على حمزة ابن « الخليفة » ، فمدحه ومدح اباه بالخلافة[6] . فكانت شفاعة

١) الديوان ٦٠٥

٢) نقائض جرير والفرزدق (Bevan) ٨٠٣

٣) الاغاني ٨ : ١٨٦

٤) الاغاني ٨ : ١٨٦ ، ١٩ : ١٠٠٧ ؛ الديوان ١٥٩ ، ١٨١ ، ٦٠٣ ، ٨٧٣

٥) الديوان ١٠٤ ، ١١٠ ، ٢٨٦

٦) النقائض ٨٠٤ ؛ الديوان ٥٧٠

امرأة ابن الزبير انجع من شفاعة ابنه . فأل الوالي الى النوار ، واحضر الفرزدق فقال : « ما حاجتك بالنوار ، وقد كرهتك ؟ كن لها اكره وخلِّ سبيلها . » فغاظ ذلك الفرزدق ، وخرج وهو يقول : « ما أمرني بطلاقها الا ليثب عليها ! » وبلغ القول ابن الزبير ، وكان حديداً ، على قول صاحب الاغاني ، فاشتدّ غضبه على الفرزدق . ثم خرج يريد البيت الحرام ، فألفى الفرزدق بباب المسجد عند الباعة . فاخذ بعنقه فغمزها حتى جعل رأسه بين ركبتيه .[1] واخذ يعيّره هرب قومه من قريش في الجاهلية . فراح الفرزدق مغضباً . ولم يلبث ان سيّر ابياتاً يفتخر فيها على قريش ، ويهدّد ابن الزبير :

فان تغضبْ قريش ، ثم تغضب ، فـان الأرض ترعاها تميمُ .
هم عددُ النجوم ، وكل حيّ سوام ، لا تُعدّ له نجوم .
أعبدالله ، مهلاً عن اذاتي ! فاني لا الضعيف ولا السؤوم .

فاصابت الابيات موقعها من ابن الزبير . فاستدعى النوار وقال : « ان شئتِ فرّقت بينكما وقتلته فلا يهجونا ابداً ، وان شئتِ سيّرته الى بلاد العدوّ » . فقالت : « لا اريد واحدة منهما » . ثم تدخل في الأمر نفر من تميم . فصالح الوالي بينهما ، وزوّجه اياها على عشرة آلاف درهم أدّاها عنه سلم بن زياد ، وكان في حبس ابن الزبير . ورجعا راضيَين من مكة ، وهما عديلان في الحمل . والفرزدق يقول : « خرجنا متباغضَين ورجعنا متحابَّين . »[2]

ولعلّ الفرزدق نزل ، في هذه الرحلة ، بأُناط ، من منازل بني يربوع . فاضافه جرير . وكان قد لجّ الهجاء بينه وبين البعيث المجاشعي من قوم الفرزدق . فاتاه جرير شاكياً من البعيث معتذراً اليه عن هجائه ، وانشده قصيدة اعجبت النوار ، وكانت تسمع من ورائها ، في فُسيطيط صغير ، فقالت : « قاتله الله ! ما ارقّ منسيبه وأشدّ هجاءه ! » ، فتوقّع الفرزدق نشوب الهجاء بينهما منذئذ .[3]

بيد ان الاتفاق بين الفرزدق والنوار لم يدم طويلاً ، وهي انما زوّجته على

---

١) الاغاني ٨ : ١٨٩
٢) الاغاني ٨ : ١٨٩ – ١٩٠
٣) النقائض ١٢٦

كره، فكانت دائمة التذمر والشكوى. وكان يضربها، فتنتف لحيته[1] وتشتمه، وتستغيث، فلا يغيثها احد خوفاً من لسانه، حتى ادركت الشفقة ابن عم لها فساغاثها، فهجاه الفرزدق واقذع.[2] واراد ان يزيد في نكايتها فتزوج عليها امرأة من اليرابيع اسمها رُهيمة بنت غُنيم، لم تلبث ان نفرت منه فهجاها وهجا امها وطلقها.[3] وتزوج حدراء بنت زيق من نصارى بني شيبان، فماتت قبل ان تُزف اليه.[4] وكان قد فضلها على النوار واكثر من مدحها تشفياً ونكاية، فاستعانت عليه النوار بجرير.[5]

وظلت المشارة بينه وبين النوار حتى اقنعته بتطليقها وبذلت له مالاً، فرضي. فأبت الا ان يُشهد الحسن البصري، ففعل. ثم ندم ندماً رافقه طويلاً، وله في ذلك شعر سائر.[6] وتوفيت النوار قبله فحضر جنازتها، وهو في نحو الثمانين، وصلى عليها الحسن البصري.[7]

وقد ذكروا من أزواج الفرزدق امرأة من بني يربوع من النمر بن قاسط اسمها جهيمة. ونحن نرى انها رهيمة نفسها المذكورة سابقاً.[8] واخرى من بني

---

١) الاغاني ١٩: ١٢، الديوان ٤٨٦

٢) الديوان ٨١٢

٣) الاغاني ٨: ١٩٦، ١٩: ١٦؛ الديوان ٢١١

٤) الاغاني ٨: ١٩٢، ١٩: ١٨-١٩؛ الديوان ٥٢٢

٥) النقائض ٨٠٦-٨٠٧

٦) الديوان ٢٦٢، ومنه الابيات المشهورة:

ندمت ندامة الكسعيّ، لما غدت مني مطلّقة نوارُ!
وكانت جنتي، فخرجت منها، كآدم حين لجّ به الضرارُ.
وكنت كفاقئ عينيه عمداً فاصبح ما يُغني عنه النهارُ.
ولا يومي بجبّ نوار عندي، ولا كلفي بها، الا اتحارُ.
ولو رضيت يداي بها، وقرّت، لكان لها على القدر الخيارُ؛
وما فارقتها شبعاً، ولكن رأيت الدهر يأخذ ما يُعارُ.

٧) الديوان ٥٧٧، ٥٧٨؛ الاغاني ١٩: ٤٧

٨) الديوان ٨٤٥؛ راجع الاغاني ٨: ١٩٦ – وفيها البيت نفسه في هجو حماته وهو:
ان المسيحة كانت لي، ولابنتها، مثل المرابة بين النمل والندم.

عباد بن ضبيعة[1] . وواحدة اسمها سويدة[2] . وظبية بنت دلم بن المثهات تزوجها بكاظمة في شيخوخته[3] ، وهجا اباها[4] . وفي الاغاني انها ظبية ابنة حالم من بني مجاشع نفرت منه الى المهاجر الكلابي والي البحرين[5] . قلنا : ولعلها تصحيف ظبية بنت العجاج المجاشعي المذكورة في الديوان[6] والتي امرها أبان بن الوليد البجلي . وذكر له امرأة زنجية هي ام ابنته مكية[7] . وكانت من ضرائر النوار[8] .

اولاده

لم يرزق الفرزدق اولاداً في شبابه[9] ، فعيّرته النوار ذلك[10] ، وخافت عليه طيبة انقطاع النسل[11] . ثم رزق عدداً من البنين والبنات سمّاهم اسماء غريبة أشهرهم لَبْطَة — وكان يقول الشعر — وسَبْطَة وخَبْطَة ورَكْضَة ، من النوار .[10] وبناته خمس او ستّ منهنّ مكيّة بنت الزنجية . وتوفي من بنيه اثنان في كهولته فرثاهما[11] ، وواحد صغير قبل وفاته بايام[12] . على انه لم يكن برّاً باولاده ، ولا يظهر انه أحبّهم الحبّ الوالدي الحقّ ، فلم يجتبوه ، وقد شكا عقوق كبيرهم في آخر حياته[13] . وانقطع نسل الفرزدق بحفيده أعين بن لبطة .

---

١) الديوان ٢٩٣

٢) الديوان ٦٠

٣) الديوان ١١٤ ، ٥٨٢ ، ٥٠٦

٤) الديوان ٨٨٠

٥) الاغاني ١٩ : ٣٠

٦) الديوان ٦٠٠ ، ٦٢٢ ، ٦٠٠

٧) الديوان ١٨٢ ، ٨٨٠ ؛ الاغاني ١٩ : ٣٠

٨) الاغاني ١٩ : ٣٢

٩) الديوان ١٧٣

١٠) ابن قتيبة : الشعر ٢٦٢

١١) الديوان ٢٧٠ ، ٧٦٤ ، ٨٨٥ ؛ الاغاني ١٩ : ١٢–١٣ ؛ وفي الاغاني ان له ولداً اسمه حنظلة ١٩ : ٢٤ ؛ الديوان ١٢٤

١٢) الاغاني ١٩ : ٤٥

١٣) الديوان ١٢٤ ؛ الاغاني ١٩ : ٢٢

اهتمامه بقبيلته

وكان الفرزدق، على جفاف عاطفته واهماله الاعتناء بخاصته، وافرَ التعصب لقبيلته، شديد الفخر بآثرها، دائم الانتباه لحقوقها، مستعدًا للحفاظ عليها، والدفاع عنها لدى ارباب السلطان، كما سنرى. يحتجّ على معاوية حتى التهديد بشأن ميراث الحُتات، ويشكو الى الوليد وسليمان ويزيد معاملة بعض وُلاتهم. يلجأ اليه قومه في رفع غرامة عنهم فيتكلم بلسانهم، وتستعيذ امرأة فقيرة بقبر ابيه راجيةً ان يُعاد ابنها من بعث السند، فيكتب الى تميم بن زيد القيني، أمير البعث، فيرجع الجندي الى امه.[1] يسمع، وهو بعرفات، ان قومه خلعوا طاعة سليمان، فيدافع عنهم، ويردّ التهمة[2]؛ ويأتيه انّ فريقاً من قومه قُتلوا في بعث ابن الأشعث فيرثيهم مفتخراً[3]. ويعاتب ابن الزبرقان بن بدر حين زوّج ابنته غير كفء لها.[4] ويتجاوز ذلك الى الشؤون البسيطة فيحكمه الناس في قسمة دار، فيشير بما يرى، حتى اذا خالفوا اشارته هجاهم[5].

موقفه من ارباب السلطان

على عهد معاوية (٦٦١-٦٨٠)

كان الفرزدق لسان قومه في حضرة السلطان دفاعاً واحتجاجاً، واقراراً وخضوعاً. بدأ مهنته، وهو في الثلاثين من عمره، فقدم في وفد التميميين على معاوية، من العراق الى الشام؛ ومعهم الحُتات[6] بن يزيد المجاشعي، احد اعمامه. فخرجت جوائزهم من لدن الخليفة. وأصيب الحُتات بمرض في دمشق، فتوفي. فأمر معاوية بجائزته ان تُردّ الى بيت المال. فدفع الفرزدق قومه ونزقُ الشباب فنظم

١) ابن خلكان: ك. م. ٢: ٢٦٠-٢٦١؛ الديوان ٩٤، ١٩١
٢) النقائض ٢٦٦
٣) الديوان ٤٦١
٤) الديوان ١٤١
٥) الديوان ٤٨٥
٦) وفي الاغاني ١٩: ٢٧: الحباب، وهو تصحيف.

قصيدةً يتهجم فيها على معاوية ، ويهدده ، ويفتخر بآبائه ، مفضلاً اياهم على آباء الخليفة من قُصي وعبد شمس . قال ، وكأنه يأسف على ايام الجاهلية[1] :

أبوك وعمّي ، يا معاويَ ، أورثا تُراثاً ، فيحتاز التُراثَ أقاربُه !
فما بال ميراث الخُتات أكلتَه ! وميراث حربٍ جامدٌ لك ذائبه !
فلو كان هذا الدينُ في جاهلية عرفتَ مَن المولى القليلُ حلائبه !
وكم من من أبٍ لي، يا معاويَ، لم يكن ابوك الذي من عبد شمسٍ يقاربُه ! (٢

الشاعر وزياد بن ابيه (٦٧٠-٦٧٣)

فلما بلغت القصيدة زياد بن ابيه ، عامل معاوية على البصرة منذ السنة ٦٦٥ ، وعلى البصرة والكوفة (٦٧٠—٦٧٣) غضب على الشاعر[2] . فاختفى هذا مذعوراً . وكان زياد يوالي في اقامته بين المِصرَين . فاذا نزل الكوفة هرب الفرزدق الى البصرة ، واذا رجع الى البصرة ، انتقل الفرزدق متخفياً الى الكوفة . حتى بلغ زياداً ان الفرزدق هجا زهدماً التميمي ، صاحب شرطته[4] ، وهجا بني تميم وبني تهشل[5] ، وبني منقر ، فاستعدوا عليه الوالي[6] . فشدد في طلبه . فهرب الفرزدق

١) الديوان ٤٦ ، ٥٦ ؛ وراجع الطبري : تاريخ الرسل والملوك (de Goeje) ٢ : ٩٦—١٠٨

٢) تكون هذه فجة الشاعر في مخاطبة الخليفة ، سليل قريش ، ثم يأتي من شرّاح الديوان مَن يشرح قول الفرزدق في هجو باهلة والفخر عليها :

أباهلَ ، اين منجاكم اذا ما ملأنا بالملوك وبالقباب !

فيقول : « اي كنا في عدد الملوك بني قريشاً وهم الملوك ! » (كذا ! في الديوان ص ٢٦) وهل يكون أبعد من قريش عن فكرة الفرزدق اذا ذكر الملوك ، وهو القائل في قومه :

ونحن شرب الكتيبة المراض دماءنا شفتها وذو الداء الذي هو ادنفُ (الديوان ٥٦٢)

وهو القائل ، في مكة ، لابن الزبير ، عندما كان يدعى له بالخلافة :

فان تغضبْ قريشٌ ثم تغضبْ فان الارض ترعاها تميمُ !
ثم عدد النجوم ، وكلّ حيّ سواهم ، لا تُعد له نجومُ !

(الاغاني ٨ : ١٨١)

٣) راجع A. Schaade, *Al-Farazdak*. in *Encyclop. de l'Islam*, II, 64

٤) الديوان ٦٢٤

٥) الديوان ٢٤٩

٦) ابن قتيبة : ك . م . ٢٦٦

خائفاً ، مرعوباً ، متشرّداً في القفار ، يتزل ببعض احيا تميم فلا يجيرونه خوفاً من زياد[1] ، ويمرّ ببني هاجر فيطعمونه ولا يحملونه ، وبني لا يعيرونه دابة ، فيهجوهم[2] ؛ ويجيره بنو مرثد ، وبكر بن وائل ، فيمدحهم[3] . وهو ابداً قلق مضطرب[4] ، يعرض له أسد في بعض المفاوز فيفرق منه ، ولكنه يراه « اهون من زياد جانباً ».[5] وتبلغ الابيات زياداً ، وكأنه يشفق عليه ، فيشيع ان لو اتاه الفرزدق مستجيراً نادماً لأجاره وأعطاه . فيخاف الفرزدق

ان يكونَ عطاؤه أدامَ سوداً ، او مُدرجةً سُرا ، [6]

فيقصد المدينة لاجئاً الى واليها سعيد بن العاص[7] (نيسان ٦٦٩–٦٧٥) ، لا مروان بن الحكم ، كما في بعض روايات الاغاني[8] وما نُقل عنها ؛ لأن مروان كان في تلك الأثناء والياً على مكة (٦٦٨–٦٧٣) ولم يل المدينة الّا مرتين اولاهما قبل سعيد بن العاص (٦٦١–٦٦٩) وقبل ان يغضب زياد على الفرزدق ، وثانيتهما بعد سعيد (٦٧٥–٦٧٧) اي بعد وفاة زياد (ت ٦٧٣) فلا يمكن ان يكون لجأ اليه الفرزدق ، وهو والي المدينة . كما اننا نستبعد ان يكون مروان في مجلس سعيد ، اذ يمدحه الفرزدق بقوله :

ترى الشُمّ الجحاجح من قريش ، اذا ما الامر في الحدثان عالا ،
قياماً ينظرون الى سعيد كأنهم يرون به هلالا .[9]

فيعاتبه مروان ، اذا ما خرجا ، ويقول : « لم ترضَ ان تكون قعوداً حتى جعلتنا قياماً . . . »[10]

---

١) الديوان ٦٥٠
٢) الديوان ٢٦٤
٣) الديوان ٦٥٠ ، ٧٥٦
٤) وله مقاطع كثيرة في ذكر هربه واضطرابه ، في الديوان ٢٢ ، ٦٥ ، ١٦٢ ، ١٧١ ، ١٨٣ ، ١٨٦ ، ٥٢٧ ، ٥٤٥ ، ٥٧٦ ، ٦٠٨ ، ٦١٥ ، ٧٦٣ ، ٧٧١ ، ٨١٨ ، ٨٢٨
٥) الديوان ٢٢١
٦) اي قعوداً وسياحاً ؛ الديوان ٢٢٧
٧) الديوان ١٨٣
٨) الاغاني ١٩ : ٢٥ ، ٤٢
٩) الديوان ٦١٨
١٠) الاغاني ١٩ : ٢١

ولعلّ الفرزدق تابع رحلته من المدينة ، بعد أن أمّنه سعيد بن العاص واعطاه . فانتقل الى مكة ، وعليها مروان بن الحكم . فسار فيها سيرته في المدينة ، متردّدًا الى الحانات وبيوت اللهو[1] ، وهي كثيرة في الحرمين ، اذ ذاك . حتى غضب عليه مروان وطرده ، كاتبًا له في رقعة بمائتي دينار الى بعض عمّاله . فخشي الفرزدق ان يكون في الرقعة شرّ . فدخل على مروان ورماها قائلًا :

مروان ، ان مطيّتي محبوسة ترجو الجباء ، ورُبّما لم ييأس ؛
وأتيتني بصحيفة مختومة يُخشى عليّ بها حباء النقرس ؛
ألقِ الصحيفة ، يا فرزدق ، لا تكن نكدًا ، كمثل صحيفة المتلمّس ! [2]

فضحك مروان وقال : « ويحك انك أميّ لا تقرأ . فاذهب بها الى من يقرأها ، ثم ردّها حتى اختمها . »

كل هذا يتلاءم مع مختلف الروايات ، اذا ما جعلنا مروان على مكة في هذه الاثناء ، يطرد الفرزدق منها ، لا من المدينة . اما تأجيل الشاعر ثلاثًا ، فالذي فعله عمر بن عبد العزيز ، لا مروان ، كما سيأتي . فخلط الرواة بين الحادثتين . وقد يكون مروان نفاه عن المدينة في وقت آخر ، زمنَ ولايته الثانية مثلًا (٦٧٥–٦٧٧) بعد وفاة زياد . وليس ما يمنع . لأنّ قدمات الفرزدق الى الحجاز كانت كثيرة ، ومناوراته ومفاسده وافرة كذلك .

وفي مجلس سعيد بن العاص ، في المدينة ، اجتمع الفرزدق بالحطيئة ، وهو شيخ ، وبكعب بن جعيل ، شاعر تغلب ، قبل الأخطل ، فأقرّ له الحطيئة بالشاعرية .[3]

اما نهاية امره مع زيد فنأخذه من حديث نسب الى الفرزدق نفسه . قال بعد ان ذكر طرد مروان له :

« فخرجت اريد اليمن حتى اذا صرت بأعلى ذي قيّ ، وهو طريق اليمن من البصرة ، فاذا رجل مقبل . فقلت : من اين وضح الراكب ؟ قال : من

١) الديوان ١٨٠ ، ٢٥٥ ؛ الاغاني ١٩ : ٢١ ، ٢١
٢) الديوان ٤٨٣ – اما الابيات التي تورد على لسان مروان فنراها منحولة .
٣) ياقوت : معجم الادباء ٧ : ٢٥٨

البصرة. قلت: فما الخبر وراءك ؟ قال: أتانا ان زياداً مات بالكوفة. (قال) فنزلت عن راحلتي فسجدت. وقلت: لو رجعت فمدحت عبيدالله بن زياد، وهجوت مروان ابن الحكم فقلت:

وقلت، باعلى ذي قيّ، مطيّتي، امثّل في مروان وابن زيادِ ؛
فقلت : عبيدالله خيرهما لنا وادناهما من رأفةٍ وسدادِ ! (١

على انه لما بلغ الفرزدق ان مسكيناً الدارمي رثى زياداً، هجاه وهجا المتوفّى معاً[٢]. ثم اطمأنت به الحال[٣]. فعاد الى العراق سنة ٦٧٣ .

وبعد ذلك بنحو عشر سنوات، نرى الفرزدق في الحجاز من جديد يحادث الحسين بن علي بشأن قدومه على العراق، قبل مقتل الحسين باربعة ايام.[٤]

الشاعر وآل الزبير

ولا نعرف ما كان موقفه من ولاة العراق بعد زياد، وان يكن قد مدح ابنيه عبدالله[٥] وسلماً[٦]. الّا انه لم يخلُ من ميل زبيريّ. فقد مدح مصعباً حين تشيّعت له تميم وربيعة[٧]؛ وهجا عبدالله بن عمير الليثي، حين ارسله ابن الزبير لقتال النجدية باليحرين، فانهزم[٨]؛ ومدح عبدالله بن الزبير وسمّاه خليفةً حين قصده الى مكة في شأن النّوار[٩]، كما مدح ابنه حمزة[١٠]. وكان الشاعر قد بايع واليه على البصرة، عبدالله بن الحرث، حين خلع البصريون سلطة الامويين، وكتبوا بالبيعة الى ابن الزبير. الا ان جميع هذه المدائح نفعيةٌ، لا إخلاص فيها،

١) الاغاني ١٩ : ٣٥-٣٦
٢) الديوان ٣٤٦، ٤١٣
٣) الديوان ١٦٦
٤) الاغاني ١٩ : ٤٠-٤١
٥) الديوان ١٦٦
٦) الديوان ٦٦٠، ٧٧٥ – وقد رثاه ايضاً ٣٣٧
٧) الديوان ٦٠٠
٨) الديوان ٥٨٦
٩) نقائض جرير والفرزدق ٨٠٤
١٠) الديوان ٥٧٠، ٦٥٩

شأنه في امثالها. وها هو لا يحجم عن هجاء مَن مدحهم ، ولا سيما بعد انخذالهم ، فيستهم الملحدين ، ويلقّب عبدالله بن الزبير — مَن كان يدعوه خليفة — « بكذّاب مكة » ، فيقول ذاكرًا عبد الملك وانتصاره على الزبيريين:

فالارض لله ولّاها خليفته ، وصاحب الله فيها غير مثلوب ،
بعد الفساد الذي قد كان قام به كذّاب مكة من مكر وتخريب. (١)

ولعلّه بدا منه شيء من الانحراف عن الزبيريّين ، في اثناء تسلّطهم على العراق ، او قد يكون جرير — وهو مشهور بالنعرة الزبيرية — او احد اشياع جرير ، اغرى بالفرزدق والي البصرة ، اذ ذاك ، الحارث بن عبدالله بن ربيعة الأزدي (٦٨٤—٦٨٦) فهدم داره مرّتين . وهو ما يُستخرج من قوله في احدى النقائض ، مشمتاً ببني كليب بهدمها:

أفي قَتلي من كليبٍ هجوتُه أبو جهمٍ تتلو عليَّ مراجلُه ؟
أحارثُ ، داري مرّتين هدمتها ؛ وكنتَ ابن أختٍ لا تخاف غوائلُه ! . .
وقالت لهم : صبرًا ، كليبُ ، فانّه مقامُ كظاظٍ لا تتمّ حواملُه ؛
فان تهدموا داري ، فان أرومتي لها حسبٌ لا ابن المراغة نائلُه ! (٢)

وكأنّ الوالي اراد استدراك الأمر قبل تفاقمه ، فشاء ان يقتصّ من جرير السنّ بالسن والعين بالعين ، ويهدم داره. فصاح جرير محتجًّا مخاطبًا الوالي نفسه :

أحارثُ ، خُذ مَن شئتَ منّا ومنهم ودعنا نبس عدًا تُعدُّ غوائلُه !
فما في كتاب الله تهدمُ دارنا بتهدم ماخورٍ خبيثٍ مداخلُه ! (٣)

بعد انتصار المروانيين: عبد الملك (٦٨٥—٧٠٥) والوليد (٧٠٥—٧١٥)

لما انتهى عبد الملك من فتنة آل الزبير سنة ٦٩١ ، وخلصت الخلافة لبني مروان ، اضطرّ قوم الفرزدق الى التسليم بالأمر الواقع . واذا بالشاعر يتزلّف الى ولاة الامويين في العراق ، يمدحهم ويعتذر اليهم عن مواقفه السابقة ، متنصّلاً منها جهده ، شاتمًا مَن كان قد مدحهم بالأمس ، وهو على إيجاس دائم واضطراب

١) الديوان ٢٥
٢) الديوان ٧٣٨ ، ٧٣٩
٣) ديوان جرير (طبعة الصاوي) ٤٨٥

ظاهر ، شأنَ المذنب اذا تاب ولم تخلص توبته . وكان اول اتصاله ببشر بن مروان ، اخي عبد الملك ، ووالي البصرة والكوفة (٦٩٢–٦٩٣). بيد انه لم يجسر على مواجهته ، فارسل مَن انشده مقطعاً في مدحه[1] ، حتى رضي عنه بشر واستقدمه . فانقطع اليه مدةً ومدحه[2] . ثم رثاه بقصيدة مؤثرة[3] . ورثى ابنه عبد الملك . وكان له في حضرته مساجلات مع الشعراء . وفي ولايته اجتمع الفرزدق بالأخطل ، ولم يكونا قد تعارفا من قبل ، فسجد كلٌّ منهما للآخر[4] . وعند بشر اصدر الأخطل حكمه المشهور على الفرزدق وجرير ، وكان قد مرّ على تهاجيهما بضع سنوات .

وكما خاف الشاعر بشرَ بن مروان ، أول الأمر ، خاف الحجّاج ، وهذا اشدّ بطشاً ، واعظم صولةً ، واطول يداً ، وأفسح ملكاً . وليَ الشرق كلّه مدة عشرين سنة (٦٩٤–٧١٤) . وكان الفرزدق قد هجاه ، اول ولايته ، مهدّداً المروانيين بالرحيل عن بلادهم[5] . حتى اذا رأى بطش الحجّاج بالعراقيين ، تملّكه الذعر ، فأقبل يعتذر اليه مصرّحاً بخوفه واضطرابه . ويمدحه فيُسرف في مدحه ، منزّلاً الملائكة لنصرة جيوشه المظفّرة ، معترفاً بحق الأمويين ، مشيداً بذكرهم ، ولا سيما عبد الملك الذي لم يكن يجسر فيفد عليه[6] . انما ارسل اليه صكّ اعترافه بالامويين ، منقلباً على ابناء الزبير[7] :

اذا لاقَ بنو مروانَ ، سنوا لدينِ الله اسيافُ عضابا ،
صوارمَ فتح الاسلام منهم ، يوكّل وقعهنّ بمن أرابا ؛
جنّ لقوا بمكّة منحجنا ومسكن يجتنون حا الضرابا ؛ (٨

١) الديوان ٢١١
٢) الديوان ٢٨٦
٣) الديوان ٢٦٨
٤) الاغاني ٧ : ١٦٦
٥) الديوان ١٦٠
٦) الديوان ٢٥ ، ٨٤ ، ١٢٧ ، ٢٦٦ ، ٤٢٥ ، ٥١٥ ، ٥٩٣ ، ٦١٤
٧) الديوان ٢٢–٢٣
٨) مسكن : اسم موضع قريب من أوانا على نهر دجيل . وفيه كانت المعركة الحاسمة بين عبد الملك ومصعب ابن الزبير سنة ٦٩١

فلم يتركن من أحدٍ يصلّي وراء مكذّبٍ إلّا أنابا
الى الاسلام ، او لاقى ذبيحاً بما ركن التبيّة والحبابا.(١)

وقد يكون الحجّاج ، قبل ذلك ، حبسه شهراً ، فشفع له الحكم بن ايوب الثقفي ، ابن عم الحجّاج وصهره وعامله على البصرة[٢].

ثمّ مدح الفرزدق عمّال الحجّاج ، في اخلاصهم له ، كابن عمّه الحَكَم المذكور[٣] ؛ ويزيد بن عمر الأَسيدي ، رئيس شرطة البصرة[٤] ؛ والجرّاح بن عبدالله الحكمي ، عامله على البصرة ايضاً[٥] ؛ وهجا من شقّ منهم عصا الطاعة كعبد الرحمن بن الأشعث وهميان بن عدي السدوسي[٦] . كما هجا الخوارج ، ومَن كان يهرب من قتالهم[٧] ، كخالد بن عبدالله بن خالد بن أسيد[٨] .

ورثى اخا الحجّاج وابنه ، وقد توفيا في يوم واحد او في اسبوع واحد[٩] . ثم رثى الحجّاج نفسه[١٠] .

على انه لم يبايع بالخلافة لسليمان بن عبد الملك (٧١٥–٧١٧) ، عدوّ الحجّاج ، حتى اقبل الفرزدق يمدح الخليفة الجديد ، ويهجو الوالي الأَمين في قبره[١١] . ولما عُوتب في ذلك قال : « نكون مع الواحد منهم ما كان الله معه . فاذا تخلّى عنه ، انقلبنا عليه . »[١٢] وهو خير ما يُقال في تذبذب الفرزدق السياسي ،

---

١) ذبيحاً : اي ميتة مذمومة .
٢) الديوان ٦٨٦ ، ٦١٧
٣) الديوان ٣٣٠ ، ٦١٤
٤) الديوان ١٩٨ – وقد غضب الفرزدق مرة لأنه أبطأ في الاذن له فهجاه ، الديوان ٦٧١
٥) الديوان ٢٢٨ – وله مقطعان في رثائه ، وقد قُتل في اذربيجان على عهد هشام ؛ الديوان ٧٨١ ، ٨٠٦
٦) الديوان ٨٦٧
٧) الديوان ٢٨٦
٨) الديوان ١٧٣
٩) الديوان ١٩٠ ، ٤٩٤
١٠) الديوان ٢٦٥ ، ٥٢٩
١١) الديوان ٦١١
١٢) الاغاني ١٩ : ٥٠

واضطراب موقفه من ذوي السلطان.

وللفرزدق مدائح كثيرة في الوليد بن عبد الملك (٧٠٥—٧١٥)[١]. ولكنه لم ينشده اياها وجهاً لوجه، انما كان يرسلها بواسطة عمّاله، او مع الوفود، اذا صحّ ما تتفق المصادر على القول به من ان الفرزدق لم يتصل باحد من الخلفاء قبل سليمان. ومن هذه المدائح قصيدتان تستحقان الذكر، واحدة يشكو فيها عاملاً يشدّد في جباية الفرائض ولا يقبلها الّا دراهم[٢]، وواحدة يمدح فيها الوليد بتحويله كنيسة القديس يوحنا في دمشق الى الجامع الاموي المشهور[٣]. ولعلّ الفرزدق تأثّر فيها بقصيدة النابغة الشيباني في الموضوع نفسه[٤].

---

١) الديوان ٨٧، ٢٠٩، ٢٤٩، ٦٨٢، ٧٠٢، ٧٦٧ — وفي الديوان، ص ٧٠٨، قصيدة نُحوّلت باغا في مدح الوليد بن عبد الملك، وهي في مدح الوليد بن يزيد بن عبد الملك، كما يظهر من النعت، فاقتضى التنبيه.

٢) الديوان ٢٥٢ — ولا بأس بايراد بعض ابيات منها لأهميّتها في الدلالة على طريقة جباية الفرائض، اذ ذاك، شهرًا فشهرًا؛ وكيف ان العامل كان يرفض قبولها أحيانًا، ويُصرّ على استيفائها دراهم، مشدّدًا في الطلب، مهدّدًا المكلّفين بالسياط، حتى يدفعهم الى الاستدانة بالربا، وهو حرام، فيعرّضهم لدخول جهنّم باقتراف هذا الاثم، وهم يأتونه مرغمين خوفًا على ظهورهم من وقع السياط. قال:

امير المؤمنين، وانت تشفي ... بعدل يديك ادواء الصدور،
فكيف بعامل يسعى علينا، ... يكلّفنا الدراهم في اليدور؟
واتى بالدراهم؟ وهي منّا ... كرافع راحتيه الى التبور!
اذا سُقنا الفرائض، لم يُردها، ... وعدّ عن الشويهة والبعير.
اذا وضع السياط لنا ضارًا، ... اخذنا بالربا سَرَقَ الحرير!
فادخلنا جهنّم ما اخذنا ... من الارباء، من دون الظهور.
فلو سمع الخليفة صوت داعٍ ... ينادي الله: هل لي من مجير!
واصوات النساء مفرّقات ... وصبيان لهنّ على الخجور،
اذًا لأجابهنّ لسان داعٍ ... لدين الله ينضاب، تصور،
امين الله، يصدع حين يقضي ... بدين محمد، وبه أمور!

٣) الديوان ٧٦٧ — ولجرير قصيدة في الموضوع نفسه، ديوانه ٤٦١

٤) H. Lammens, *Le calife Walîd et le partage de la mosquée des Omayyades à Damas.* [*Etudes sur le siècle des Omayyades.*] p. 277

وقد مدح الفرزدق ابني الوليد عمر[1] والعباس[2] ، ولعلّه اتصل بهما .

في خلافة عبد الملك زار الفرزدق الحجاز بضع مرّات : منها واحدة على عهد ابن الزبير بشأن النوار ، كما ذكرنا . وثانية في ولاية أبان بن عثمان بن عفّان على المدينة (٦٩٤—٧٠١) . وكان يجتمع في مسجدها مع كُثيّر وابرهيم بن محمد الزُهري يتناشدون الأشعار[3] .

وفي خلافة عبد الملك ، او في خلافة ابنه الوليد على الأكثر ، حجّ الفرزدق . وكان هشام قد حجّ في جماعة من اهل الشام . فصادف زين العابدين ، وانشد الفرزدق ابياته المعروفة . فحبسه هشام في عسفان[4] .

الفرزدق وعمر (٧١٧—٧٢٠)

وفي هذه المدة ايضاً ، في ولاية عمر بن عبد العزيز على المدينة (٧٠٥—٧١١) قدمها الفرزدق في سنة مجدبة . فأكرمه عمر ، واحسن ضيافته ، وتقدّم اليه بان لا يتعرّض لأحد بمدحٍ ولا هجاء[5] . ثم اختبره فوجده صاحب فجور[6] . فنفاه عن المدينة واجّله ثلاث ليال . وهي الحادثة التي استغلّها جرير[7] ، بعد ان اشار اليها الفرزدق نفسه[5] ، فقال :

توعّدني فأجّلني ثلاثا كما وُعدت لملكها ثمودُ[8]

فاجابه جرير :

نفاك الأغرّ ابن عبد العزيز ، وحقّك تُنفى عن المسجدِ ؛
وشبّهت نفسك أشقى ثمودَ ، فقالوا : ضللت ولم تهتدِ ،
وقد أجّلوا ، حين حلّ العذاب ، ثلاث ليالٍ الى الموعدِ .

---

١) الديوان ١٧٤
٢) الديوان ٤٢٢ ، ٥٢٨
٣) نقائض جرير والفرزدق ٥٤٦ ؛ الاغاني ٨ : ١٩٢ ؛ ١٩ : ٣٨—٣٩
٤) ابن خلكان : الكتاب المذكور ٢ : ٢٦٤—٢٦٥ ؛ الاغاني ١٩ : ٤٠—٤١
٥) الاغاني ١٩ : ٥١ ؛ الديوان ١٨٥ ، ٢٦٠
٦) النقائض ٢٩٧
٧) ديوان جرير ١٢٨
٨) الديوان ١٨٥

بيد ان هذا النفي لم يمنع الفرزدق ان يمدح عمر بحسن تقواه وطيب خلقه ، وكرمه ، وشرف اصله . مدحه أوّلاً بمكة ، على اثر وفاة ابيه بمصر[1] سنة ٧٠٣ ؛ ثم مدحه والياً على المدينة[2] ، ثم خليفةً (٧١٧-٧٢٠)[3]. ولكنه لم يحظَ لديه حظوة ماديّة ، اذ كان عمر لا يعطي الشعراء ؛ ولا حظوة ادبية ، اذ كان يفضّل عليه جريرًا .[4]

الفرزدق وسليمان (٧١٥-٧١٧)

اما الخليفة الذي اتصل به الفرزدق اتصالاً وثيقاً فهو سليمان بن عبد الملك (٧١٥-٧١٧). مدحه وليَّ عهد ، فافاض في اجارته لابناء المهلّب ، وشبّهه بالسموأل في الوفاء لجاره[5] . ولمّا ولي الخلافة قصده الشاعر الى الشام . وهو «لولا حبُّه لما غشي

١) الديوان ٦٢٨ – وللفرزدق قصيدة في رثاء عبد العزيز ، الديوان ٢٢٥ ، ظنّها الناشر ، عبدالله اسماعيل الصاوي ، في رثاء عمر ابنه – على الرغم من انه توّجها بقوله : «ولما قدم الفرزدق الشام بلغه موت عبد العزيز فقال » – وكأنه ، اي الناشر ، نسي هذا العنوان بعد سطرين ، اذ عرض له قول الشاعر :

ان الارامل والايتام قد يئسوا ، وثالي العرف ، اذ لاقام المجرُ :
أن ابن ليلى بارض النيل أدركه ، وهو يسراعُ الى معروفه ، القدرُ .

فاضطرّ الى القيام «بتحقيق تاريخي» أسفر عن قوله معلقًا : «لم يشر احد من المؤرخين الى انّ عمر بن عبد العزيز مات بمصر . وحكوا انه مات بخناصرة او دير سمعان من عمل معرّة النعمان ، وانه دفن بدير سمعان ، ووافقهم ياقوت . وعلى هذا فيكون جنة بارض النيل متعلقة بالارامل واليتامى او جملة لاقام المجر . » (كذا ، ص ٢٢٥ ، الحاشية ١) ولعلّ ما دفع الناشر الى هذا الوهم ، فالى هذا التمحّل في التخريج النحوي ، ان الشاعر يكني عن عبد العزيز «بابن ليلى» . وفي عرف الناشر ان ابن ليلى هو عمر بن عبد العزيز ، كما ورد غير مرة في قول الفرزدق (الديوان ٢٢٢ ، ٢٢٤ ، ٦٢٠ . . . . . مقتنعًا : «وان يكن الشاعر دعا عمر بن ليلى فانما فعل ذلك تجوزًا لان ليلى كانت جدّته ام ابيه عبد العزيز ، لا أنّه ، على ما ورد في شرح الديوان نفسه ، ص ٢٢٩ ، من طبعة الناشر نفسه ، حيث جاء في الحاشية ٢ : «ابن ليلى يعني عمر بن عبد العزيز ، وام عبد العزيز ليلى بنت الاصبغ بن زيّان الكلبية . » فيكون ابن ليلى « الحنيفي » – اذا صحّ التعبير – عبد العزيز ، واما ابنه عمر فهو ابن ليلى المجازي !

٢) الديوان ٢٦٠

٣) الديوان ٢١٦

٤) النقائض ٢٩٧

٥) الديوان ١٥-٢٢

هذه البلاد البغيضة »[1] . فكان اول خليفة وفد عليه . ثم تعددت فيه قصائده[2] ، وكلها تنمّ عن تعلّقه بشخص الخليفة ، الذي يسمّيه « المهدي » ويكاد يهبط عليه الوحي[3] ، كما تنمّ عن تفاؤله باستقامة الأحوال في المستقبل . ثم مدح ابنه أيوب نشبّهه واباه بسليمان وداود .[4]

ويُستنتج من بعض الحوادث ان الشاعر كان يرافق الخليفة في بعض تنقلاته . رافقه الى الحجّ مع عدد من الشعراء . فلما كان بالمدينة ، تلقوه باربعمائة أسير رومي . فأمر الخليفة بان تُضرب رقاب البعض . وتقدّم الى الفرزدق في ذلك . فجبن الشاعر ، ونبا سيفه[5] . فلهج الناس بالحادثة ، وتهكّم جرير بالفرزدق تهكماً طويلاً . فدافع هذا عن نفسه موفقاً بعض التوفيق ، اذ نقض قول جرير :

بسيف ابي رغوان سيف مجاشع ضربت ولم تضرب بسيف ابن ظالم .[6]

بقوله :

فلا تقتل الأسرى ؛ ولكن فكّهم اذا اثقل الأعناقَ حملُ المغارمِ ؛
فهل ضربة الروميّ جاعلةٌ لكم ابًا عن كليب او أبًا مثل دارمِ ؟
كذاك سيوف الهند تنبو ظُباتها ؛ ويقطعن احيانًا مناطَ التمائمِ .[7]

ولما مات سليمان ، رثاه الفرزدق بابيات اربعة هي الوحيدة في رثاء الخلفاء في ديوانه الضخم .[8]

في خلافة يزيد (٧٢٠–٧٢٤)

وقد مدح الفرزدق يزيد بن عبد الملك (٧٢٠–٧٢٤) . وكان يفد عليه في

---

١) فحبُّك أغشاني بلادًا بغيضةً إليّ ، وروميًا بمَسّانَ أقشرا
(الديوان ٣٤٢)

٢) الديوان ٣٤٠ ، ٣٢٤ ، ٤١٥ ، ٦١٨ ، ٦٢٥ ، ٦٥٤

٣) الديوان ٦٢٥ ، ٦٥٤

٤) الديوان ٢٠٨

٥) الديوان ١٨٥ ، ٢١٢ ، ٢٦١

٦) ديوان جرير ٥٦٣

٧) الديوان ٨٥٨

٨) الديوان ٦٢٢

الموقّر ، من أرض البلقاء ، على رغم الثائين ، والشيب الشامل[1] ، والرياح الهوج تنثر الثلوج احياناً[2] ، فيمدحه مدحاً يضاهي سائر مدائحه الاموية .[3]

وكان له حوادث مع اكثر عمّال يزيد ، او عمّال سلفائه ، وأشهرهم آل المهلّب ، وعديّ بن أرطاة الفزاري ، وعمر بن هبيرة .

اما آل المهلّب فكانوا من مشهوري الولاة والقوّاد في الدولة الاموية . أصلهم من أزد عُمان . حارب ابوهم المهلّب بن ابي صُفرة الخوارج وانتصر عليهم . وولي الجزيرة لابن الزبير سنة ٦٨٦ . فمدحه الفرزدق[4] . ثم هجاه على عهد بشر بن مروان .[5] وكان ابنه يزيد والياً على خراسان (٧٠١-٧٠٤) ، وعلى الجزيرة نحو السنة ٧١٠ . الى ان ارتاب الحجّاج في اخلاصهم للدولة ، فحبسهم ، وصادر املاكهم . فاحتالوا حتى هربوا من حبسه ، لاجئين الى سليمان بن عبد الملك ، وهو وليّ عهد ، فآمنهم واستحصل لهم عفواً من اخيه الوليد . فمدحه الفرزدق ، كما تقدّم ، ومدح آل المهلّب لتخلّصهم من الحجّاج[6] . ولما بويع لسليمان ، عيّن يزيد بن المهلّب والياً على البصرة والكوفة سنة ٧١٥ ، فمدحه الفرزدق ، ومدح اخاه مروان . ثم انتقل يزيد الى جُرجان ، فاستدعى الفرزدق ، وارسل اليه باربعة آلاف درهم يتجهّز بها . فقبض الفرزدق المال وهرب الى الكوفة[7] . وبعد وفاة سليمان ، عُيّن عدي بن أرطاة والياً على البصرة ، فخلع يزيدُ بن المهلّب طاعة الخليفة الجديد ، وثار مع اتباعه . ولما وصل عديّ لمحاربته ، هجاه الفرزدق واشاد بيزيد[8] . ووُفّق ابن المهلب في ثورته فدخل البصرة عنوةً سنة ٧١٩ . فهجا الفرزدق

---

١) الديوان ٤٣٧ ، ٨٨٨

٢) الديوان ٨٣٩

٣) الديوان ١٦٤ ، ١٦٨ ، ٢٦٢ ، ٤٣٧ ، ٥٤٣ ، ٦٨٦ ، ٨٢٨ ، ٨٨٨

٤) الديوان ١٤٦

٥) الديوان ١٠ ؛ اطلب ايضاً ٢٥٢ : بهجوهم بكونهم ملّاحين . — وله قصيدة بذيئة في هجاء امرأة المهلّب ؛ ص ٦٠١

٦) الديوان ١٧ ، ٤٦ ، ١٩٢ ، ٢٧٤ ، ٨١٦

٧) الديوان ٢٤٢ ؛ الاغاني ١٩ : ١٦

٨) الديوان ٨١٢-٨١٤

عدياً من جديد[1] ، وهجا بني عمرو بن تميم الذين انهزموا في البصرة امام دارس مولى ابن المهلّب[2].

ثم مات عمر بن عبد العزيز ، فخلع ابن المهلّب طاعة يزيد بن عبد الملك. فسيّر عليه اخاه مسلمة بن عبد الملك في جيش جديد . فمدحه الفرزدق ، منقلباً على آل المهلّب[3] . حتى اذا رأى موقفهم ثابتاً ، حاول ان ينقلب على انقلابه ، مترلّفاً الى يزيد بن المهلب. فدخل عليه يريد ان ينشده مديحاً. فلما رآه قال يزيد: « اغرب في نار الله ، فوالله اني لا اقدر باي قتلة اقتلك ! » فخرج خزيان[4] . ولما ظفر مسلمة ، وقُتل يزيد سنة ٧٢٠ ، جعل الفرزدق يهجوه وأسرته ويهجو دعاتهم[5] ، ويكفّرهم مفتخراً ، ويمدح مسلمة[6] ، وهلال بن أحوز قائد البعث[7] ، ويكثر في مدح يزيد بن عبد الملك بهذا الانتصار كما يُكثر في هجو المهالبة[8] .

واما عدي بن أرطاة الفزاري فهو الذي ولي البصرة في فتنة ابن المهلب (٧١٧ - ٧٢٠) وليس للفرزدق فيه الّا الهجو والانتقاد . ينتقد تنظيمه البعث للخروج الى قتال ابن المهلّب[9] . ويهجوه بانكساره ، كما تقدّم . وهو موقف جدير بالفرزدق ، اذا ذكرنا ما كان بين قومه وبني فزارة ، قوم عدي ، من عداوة قديمة .

وهكذا كان موقف الفرزدق من عُمر ابن هبيرة ، وهو فزاري ايضاً .

---

١) الديوان ٢٢٤

٢) الديوان ٧٧٨

٣) الديوان ٢٠١

٤) الديوان ٨٨١-٨٨٢

٥) كالسبدع الزمراني المُرجئي ، الديوان ٥٠٨

٦) الديوان ٨٠٦

٧) الديوان ٦٠ ، ٥٤٨ ، ٥٧٤ – وله مقطع في رثائه ١٥٥

٨) الديوان ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٢٢ ، ١٦٠ ، ٢٦٢ ، ٤١٢ ، ٥١٦ – وفي ديوان الفرزدق بيتان لا عنوان لها ، يقول ياقوت انها في رثاء يزيد بن المهلّب ، وهو لا ينسبها الى احد . راجع الديوان ١٦٠

٩) الديوان ٥١٦

ولّاه يزيد العراق وخراسان والهند (٧٢١–٧٢٣) بعد ان عزل اخاه مسلمة عن العراق، وعزل ابن عمه عبد الملك بن بشر بن مروان عن نيابة البصرة، وسعيد ابن عمرو بن الحارث عن نيابة الكوفة. فانتقد الفرزدق هذا الترتيب، وهجا ابن هبيرة هجاء مرّاً، متهماً اياه بخفة اليد واختلاس اموال الدولة[1]. فقال مخاطباً يزيد:

امير المؤمنين، وانت والٍ شفيقٌ، لست بالوالي الحريص،
أأطعمتَ العراق ورافديه فزارياً أحذّ يد القميص؟
تفيق بالعراق ابو المثنّى، وعلّم قومه أكل القميص!

ثم اخذ يوالي بين مدحه وهجائه، وفقاً لمنافعه[2].

في خلافة هشام (٧٢٤–٧٤٣)

وآخر من اتصل به الفرزدق من الخلفاء هشام بن عبد الملك (٧٢٤–٧٤٣). وكان الفرزدق قد هجاه اميراً[3] وخليفة[4]. فلما استتبّ له الحكم، وفد عليه بقصيدة عامرة، قاطعاً المفاوز المهلكة من العراق الى الرصافة، متجشماً المشقات على شيخوخته، واصلاً سير الليل بسير النهار، حتى تتعب الناقة فتلقت ضجرة لغبة، فيسألها مسكتاً روعها:

إلامَ تلفّتين، وانت نحتي، وخبرُ الناس كلّهم اساسي؟
متى تأتي الرصافة تستريحي من التهجير والدّبر الدوامي؟
ويلقى الرحل عنك، وتستنيخي بمسل الارض والملك الهمام![5]

---

١) الديوان ٤٨٧، ٥٠٨
٢) مدحه في الديوان ٢٨٠، ٤١٦، ٥٧٦ – وهجوه في ٢٨٢، ٤٨٧، ٥٠٨، ٦٤٧
٣) الديوان ٥١
٤) الديوان ٧٨١
٥) الديوان ٨٢٥ – والقصيدة من النقائض، نقض جرير هذا المقطع بقوله:
تلفّت انما تحت ابن قين حليف الكير والنأس الكهام؟
متى تأتي الرصافة تخزَ فيها كخزيك في المواسم كلّ عام!
ديوان جرير – راطلب: فؤاد افرام البستاني: رصافة هشام ورقة الرشيد، في المشرق ٣٦ [١٩٣٦] ٢٤٤–٢٤٥

وكان خالد بن عبدالله القسري ، والي هشام على العراق (٧٢٤–٧٣٨) قد قبض ، حال وصوله ، على عمر بن هبيرة ، الوالي السابق ، فحبسه واستصفى ماله. فاحتال عمر حتى هرب من حبس خالد . فمدحه الفرزدق — وكان قد اكثر من هجائه في ولايته — وعرّض بخالد[1] ، بعد ان هجاه على اثر تعيينه[2] ؛ وقبل ذلك[3]. فغضب خالد وحفظها له. ثم بلغه ان الشاعر هجا « النهر المبارك » الذي شقّه خالد من دجلة[4] ونسبه الى الخليفة . فأرسل الى عامله على البصرة ، مالك ابن المنذر ، ان يحبسه .[5] فوجّه مالك الى ايوب بن عيسى الضبي ، فقبض على الفرزدق وحمله اليه فحبسه ، وقد قارب التسعين[6] . فأخذ في الاعتذار والتنصل من هجو النهر ، مادحاً معاوية بن هشام[7] ومالك بن المنذر[8] ، واخاه مسماً[9] ، وخالداً[10] ، واخاه أسداً[11]. وكأنّ الحبس طال عليه ، فلجأ الى هشام ووجّه اليه قصيدة مع ابنه لبطة يمدحه ، ويشكو من حبسه ، ويدّعي جوار مروان ، جاعلاً الخليفة جديراً بالخلود ، خليقاً بتلقي الرسالة والوحي[12]. وكان من حسن حظّه ان شفع له سعيد بن الوليد الأبرش. فأمر هشام خالداً ان يخلّيه[13]. فمدح خالداً[14]. واكثر في مدح هشام[15]. وكان جرير قد تظاهر بالشفاعة له لدى أسد بن عبدالله ،

---

١) الديوان ١٤٠
٢) الديوان ١٠٩
٣) الديوان ٢٧٣
٤) الديوان ٦٠١ — وهو في هجاء خالد ص ٢٧٣ ، ٥٦٨ ، ٨٧٤
٥) الديوان ٥٩٩
٦) الاغاني ١٩ : ٢٣–٢٤
٧) الديوان ٨٣٠
٨) الديوان ٢١ ، ٢٢ ، ٧٦ ، ٦٧٨ ، ٨٠٢
٩) الديوان ٦٩٠
١٠) الديوان ١٥٦ ، ١٦٥ ، ٢٦٥ ، ٨٣٠ ، ٨٣١
١١) الديوان ١٦٨ ، ١٧٧ ، ٢٤٠ ، ٢٤٤ ، ٥٢٦ ، ٥٨١ ، ٥٩٢ ، ٦٢٦ ، ٨٧٦
١٢) الديوان ٨٤٦
١٣) الاغاني ١٩ : ٢٤ ؛ الديوان ١٦٥ ، ٥٢٢ ، ٧٥٠ ، ٨٤٥
١٤) الديوان ٥٩٢ ١٥) الديوان ٦٢ ، ٩٦ ، ٥٢٢ ، ٧٨٢ ، ٨٠٨

فاستغرب أسد ، لما كان من العداوة بين الشاعرين ، وقال: « أتشفع له يا جرير ؟ » فقال : « ان ذلك اذلّ له ، اصلحك الله ! »[1]

وكان الفرزدق ذا اتصال بوليّ عهد هشام ، الوليد بن يزيد بن عبد الملك ، يفد عليه من العراق[2] الى قصر المشتى ، على الأرجح ، فيمدحه منتظرًا انتقال الخلافة اليه[3] . ولكن لم تحقق هذه الامنية . فقد مات الفرزدق ، والوليد ينتظر ان يجيئه البريد بنعي الخليفة الأحول .

ومدح الفرزدق من ولاة الامويين الورد الجنفي[4] ؛ وقطن بن مدركة الكلابي ، والي البحرين[5] ؛ وزياد بن الربيع ، أمير هجر[6] ؛ وأبان بن الوليد البجلي ، عامل خالد القسري على خراسان[7] ؛ وبلال بن ابي بردة ، عامله على البصرة (٧٢٨—٧٣٨) كان يقدم اليه من الدهناء ، في آخر عمره ، وقد صار

مثل النسر امسح واقعًا وافناه من كرّ الليالي ذهابها ، (٨

فيمدحه مستعطيًا مُلحفًا[9] . وآخر من اتصل بـه منهم خالد بن عبد الملك ابن الحارث بن الحكم ، والي المدينة (٧٣٢- ٧٣٥) مدحه في السنة التي توفي فيها الشاعر ، بقصيدة لعلّها آخر مدائحه[10] .

---

١) الاغاني ١٩ : ٤٣ ؛ ديوان جرير ١٧٨

٢) الديوان ٤١٧

٣) ٧٠٩ — ويجب ان يصحّح العنوان الموضوع لهذه القصيدة . فقد ورد (ص ٧٠٨) : «وقال الفرزدق يمدح الوليد بن عبد الملك» . وهو خطأ صوابه : يمدح الوليد بن يزيد بن عبد الملك ، كما يظهر من نصّ القصيدة ، ومن شرحها لابن حبيب . — ومدائح الفرزدق في الوليد ص ٧ ، ٨٤ ، ٤١٧ ، ٥١٠ ، ٧٠٨

٤) الديوان ٧٨

٥) الديوان ٧٠٠

٦) الديوان ٤١٣

٧) الديوان ٦١ ، ٢٧٤ ، ٤٢٠ ، ٥٤٧ ، ٨٧٦

٨) الديوان ٥٣

٩) الديوان ٥٣ ، ٧٠ ، ٧٤ ، ٥٤٧ ، ٦٦٠ ، ٦٧٤ ، ٦٧٣ ، ٦٧٤

١٠) الديوان ٦٢٢

الفرزدق والعلويّون

اما موقف الفرزدق من العلويين فيُستدلّ من حياته وشعره انه كان فيه على اخلاص فاق اخلاصه لغيرهم من ارباب الاحزاب ، وان يكن لم يجرؤ دائماً على إظهار عاطفته. هذا اذا جاز لنا ان نتكلّم عن الاخلاص بالنسبة الى الفرزدق. كان قومه من ذوي الميل العلوي في الخلاف الناشب بين علي وعائشة اولاً ، ثم بين علي ومعاوية. حتى اذا قدم عليّ الكوفة ، وفد عليه غالب ، والد الفرزدق ، ومعه ابنه ، وهو يافع اذ ذاك . على ان اخوال الفرزدق من بني ضبّة كانوا من حزب عائشة ، فحاربوا جيش عليّ ، يوم الجمل. وهو ما استفاد منه الفرزدق ، في تزلّفه الى الامويين ، فافتخر بأن اخواله حاربوا عدوّهم :

وعشيّة الجمل المجلّل ، ضاربوا ضرباً شؤون فراشه تتريّلُ (١)

يقول ذلك زلفى وتقرّباً . ولا سيما بعد ان تحقّق قومه قوّة الامويين ، وشعروا بصولة عمّالهم في العراق ، فارسلوا اليهم الوفود مبايعين. فمدحهم الفرزدق ، وبالغ واغرق حتى كاد يُنزل عليهم الوحي ، ويمنحهم مسحة الهدى والنبوة ، كما قدمنا . ولا يخفى ان اغراقه هذا وايجابه الدائم من ولاة امية لمن الادلة على اضطراب ميله وتذبذب موقفه . اما اذا ابتعد عن مركز الولاة ، فاطمئن الى ان يد الامويين لن تطاله ، وعرضت له فرصة ، فانه لا يتردّد في اظهار عاطفته لآل البيت. من ذلك ما روى الطبري والاصبهاني من ان الفرزدق لقي الحسين ابن علي بمكّة في السادس من ذي الحجة — قبل وقعة كربلاء باربعة ايام — وهو يهم بالخروج الى العراق فقال: «يا ابن رسول الله انفس الناس معك وايديهم عليك.» قال الحسين : « ويحك معي وقر بعير من كتبهم يدعونني ويناشدونني الله.» وسار الحسين.

ثم لقي الفرزدق عبدالله بن عمرو بن العاص ، وتذاكرا أمر الحسين . فقال عبدالله : ويلك فهلّا اتبعته ! فوالله ليملكنّ ، ولا يجوز السلاح فيه ولا

---

١) الديوان ٧١٤

في أصحابه . قال الفرزدق : « فهمت والله ان ألحق به ووقع في قلبي مقالته . ثم ذكرت الانبياء وقتلهم فصدّني ذلك عن اللحاق به . »

ولم يلبث ان ورد الخبر بقتل الحسين في كربلاء . فقال الفرزدق : « فإن غضبت العرب لابن سيدها وخيرها فاعلموا انه سيدوم عزّها وتبقى هيبتها . وان صبرت عليه ولم تتغيّر ، لم يزدها الله الا ذلًا الى آخر الدهر . وأنشد في ذلك :

فإن انتم لم تثأروا لابن خيركم ، فألقوا السلاح واغزلوا بالمغازل ! »(١)

وكذلك كان موقفه ، في مكة ايضاً ، وقد مرّ على هذه الحادثة بضع وعشرون سنة ، عندما حجّ هشام بن عبد الملك ، واضطرّه الزحام الى الانتظار . ووصل زين العابدين ، حفيد علي ، فتنحى له الناس ، حتى طاف واستلم . فسأل احد رجالات الشام : مَن هذا ؟ فاجابه الفرزدق ذاك الجواب الرائع :

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته والبيت يعرفه والحلّ والحَرَمُ !

ذكر هذا صاحب الاغاني ، وابن خلكان(٢) ، ومن نقل عنهما من مؤرخي الأدب ، موردين القصيدة على طولها في بضعة وعشرين بيتاً . اما ديوان الفرزدق(٣) فليس فيه منها الّا ستة ابيات . ولعلّ الرقابة العباسية حذفت منها ، او لعلّ بعض مريدي العلويين زاد فيها . فقد ذكر صاحب الاغاني بيتين منها نسبهما الى الحزين الكناني في مدح عبدالله بن عبد الملك(٤) ؟ ومهما يكن من أمر فان الفرزدق كان يُعدّ من شعراء العلويين ، وقد يُقرن بأبين ، وكُثيّر ، والكميت(٥) .

الفرزدق والشعراء

تمرّس الفرزدق بعدد من الشعراء منذ صباه ، فكان يهاجي شعراء قومه في خلافة عثمان ، وهو غلام ، ولكنه لم يذكر منهم واحداً باسمه . وظلّ على هذه النزعة

١) الطبري : تاريخ الرسل والملوك (de Goeje) ٦ : ٢١٨ ؛ الاغاني ١٩ : ٢٤ ، ٤٧

٢) الاغاني ١٩ : ٤٠–٤١ ؛ ابن خلكان : ك . م . ٢ : ٢٦٤–٢٦٥

٣) الديوان ٨٤٨

٤) الاغاني ١٤ : ٧٥

٥) راجع Lammens, *Mo'âwia*, p. 187, n. 3.

في شبابه ، حتى كاد الهجاء يغلب على سائر شعره . وكأنه عرض له ما جعله يتوب عن نهش أعراض الناس ، فأقسم ان يُقلع عن الشعر[1] . ولعله ذكر قول علي ابن ابي طالب لأبيه ، فقيّد نفسه ، وقد تجاوز الأربعين ، وأقام يعالج الآيات القرآنية ليجمعها في ذاكرة لم تتعوّد الّا حفظ الشعر المقذع والأخبار الفاحشة .

وكان الهجاء قد لجّ اذ ذاك ، بين جرير والبعيث المجاشعي ، ونالت شظاياه نساء مجاشع ، فأقبلن على الفرزدق شاكيات مؤنّبات قائلات : « قبّح الله قيدك ! فقد هتك جرير عورات نسائك ، فلُحيت من شاعر قوم ! »[2] فكنّ المشجّعات على ما كان يصبو اليه . ففضّ قيده ، وقال قصيدة اصاب وشاشها البعيث وهدّد جريرًا[3] . ثم خصّ جريرًا بقصيدة يائية اصابت البعيث كذلك[4] . وكان هذا في عهد الحارث بن عبدالله ، والي البصرة لابن الزبير (٦٨٤–٦٨٦)[5] . اما ما استنتجه بعض ادباء العصر[6] من ان الهجاء لجّ بين الشاعرين ، منذ خلافة معاوية ، محتجين بما ورد في احدى نقائض جرير من ابيات استشهد بها يزيد في خلاف نشب بينه وبين ابيه ، فلا سند له يوثق به . لان جريرًا ، في اولى نقائضه ، وهي اللامية ، يذكر النوار[7] ، ويذكرها البعيث كذلك في نقيضة سابقة[8] ، وقد تقدّم ان النوار لم تُزفّ الى الفرزدق الا على عهد ابن الزبير في حدود السنة ٦٨٥ . وفوق هذا فان جريرًا يخاطب في القصيدة نفسها الحرث ، والي البصرة . اما الابيات التي استشهد بها يزيد فقد قالها جرير في عتاب جدّه ، قبل النقيضة

---

١) الديوان ٦٦٦

٢) النقائض ١٢٦–١٢٧ ؛ وراجع الديوان ٧١٢

٣) الديوان ٧١١ ؛ النقائض ١٢٧

٤) الديوان ٨٩٥ ؛ النقائض ١٦٧

٥) وجاء في النقائض (ص ١٢٧) انه الحارث بن ابي ربيعة المخزومي . على ان الحرث هذا لم يلِ البصرة ، بل كان على الكوفة مدة اربع سنوات (٦٨٦–٦٩٠)

٦) مثل خليل مردم بك : الفرزدق ، ص ١١

٧) ديوان جرير ٤٦٢

٨) النقائض ١٢٧

بعشرين سنة ، على قول ابن حبيب[١] . ولعله ألحق بها ابيات الهجاء فألف تلك النقيضة اليائية . ثم توالت النقائض واحدة من الفرزدق واخرى من جرير نحو نصف قرن ، حتى وفاة الشاعرين سنة ٧٣٢ . والناس ، من شعراء ومتأدبين ، منقسمون قسمين : فرزدقي وجريري ، يتشاحنون حتى المشارّة والمداوة . وقد دخل الاخطل بين الشاعرين ، في ولاية بشر بن مروان للبصرة (٦٩١–٦٩٢) ، بعد ان مرّ عليهما في الهجاء بضع سنوات ، سأله بشر عنهما[٢] فقال : « الفرزدق ينحت من صخر ، وجرير يغرف من بحر . »[٣] فهاج الحكم جريرًا ، فبدأ عهد الهجاء بينه وبين الأخطل . امّا الفرزدق فشكر للأخطل حكمه ، واخذ يمدحه وقومه ، ويعاونه على هجاء جرير . وظلّ على اخلاصه بعد وفاة الشاعر — وهو امر نادر في اخلاق الفرزدق — فاقام من نفسه شاعرًا للتغلبيين بعد شاعرهم الكبير[٤] . كما حفظ التغالبة جميل الفرزدق ، بعد وفاته كذلك ، فاحتفوا بابنه لبطة ، في الحيرة ، وجمعوا له مائة من الابل[٥] .

ومن الشعراء الذين اتصل بهم الفرزدق ، قليلًا او كثيرًا ، الحطيئة ، وكعب ابن جعيل ، اجتمع بهما في مجلس سعيد بن العاص ، والي المدينة . فحكم له الحطيئة ، اذ سمع انشاده[٦] . وقد يكون لزمه الفرزدق ، بعد ذاك ، فروى له[٧] . وفي المدينة كان يجتمع كذلك بكُثيّر ، وبابراهيم بن محمد الزُهري

١) ديوان جرير ٦٠١

٢) نقائض جرير والاخطل (طبعة صاوي) ١٩٧

٣) الاغاني ٧ : ١٦٩

٤) الديوان ٧٠٨ — وهو يقول في ذلك :

امسى لتغلب من تميم شاعرٌ يرمي القبائل بالقصيد الأثقلِ ،
اذ غاب كعب بني جعيل عنهم ، وتنمّر الشعراء ، بعد الاخطل ؛
يتباشرون بموته ، ووراءهم ، بني ، لم ، قطع العذاب المرسل .

٥) الاغاني ١٩ : ١٣ ؛ ابن خلكان : ك . م . ٢ : ٢٦٦

٦) الاغاني ٢١ : ١٩٦

٧) Lammens, *Un poète royal à la cour des Omayyades*, in *Etudes sur le siècle des Omayyades*, p. 264

فيتناشدون الاشعار[1]. وفيها كان ينزل على الأحوص ، فيسكران ويسمعان الغناء.[2] ومن الشعراء الذين أصابهم رشاش من بذاءته مسكين الدارمي، هجاه لانه رثى زياداً ، كما تقدّم ؛ والطرمّاح الطائي هجاه وهجا قومه.[3] والأصمّ الباهلي هجاه وقومه ايضاً[4]؛ كما هجا امرأة شاعرة من نُقيم ، فلم تقصر في هجائه.[5] وقد اتصل بذي الرمة سمعه ينشد في المِربَد فحكم على شعره[6] ، ثم لم يلبث ان سرق من ابياته ، كما سرق من شعر الشمردل[7] ، وابن ميّادة[8] ، وجميل بن معمر[9] . وفي المربد كان للفرزدق حلقة خاصّة يجتمع فيها بالراعي وغيره من مريديه.

واجتمع الفرزدق ، في حضرة سليمان بن عبد الملك، بجرير ، وكثيّر ، وعديّ ابن الرقاع. ففضله سليمان عليهم جميعاً في الفخر[10]. واجتمع مرةً ثانية في المجلس نفسه بنصيب، ففضل سليمان نصيباً عليه في المدح. فهجا الفرزدق نصيباً[11]. وعرف ليلى الأخيلية فانشدها وانشدته[12].

وفي آخر عهده ، مدح عبدالله بن عبد الأعلى، شاعر بني شيبان، فأكثر واجاد[13]، ذاكراً فضل شيبان عليه في جابية الجولان.

---

١) الاغاني ٨ : ١٩٦
٢) النقائض ١٠٤٨
٣) الديوان ١٢٥ – ولكن الطرمّاح لم يسكت له، على ما يظهر في الديوان، الصفحة نفسها.
٤) الديوان ٢٢٢
٥) الديوان ٧١٩
٦) الديوان ١٤٧ – ويظهر ان ذا الرمّة أُعجب به.
٧) الاغاني ١٩ : ٢٢
٨) الاغاني ١٩ : ٦–٧
٩) الاغاني ٨ : ١٩٥
١٠) الاغاني ١٩ : ٢٢
١١) ابن خلكان : ك. م ٣ : ٢٦١
١٢) الاغاني ١٩ : ٢٦ – وذلك في حكاية جميلة السرد.
١٣) الديوان ٦٦٦ ، ٧٥٤

وفاته

رزق الفرزدق عمرًا طويلًا تجاوز التسعين في قوله هو[1] ، وبلغ السادسة والتسعين في قول ابن حبيب ، شارح الديوان[2] ، وقارب المائة في قول ابن قتيبة.[3] الّا انه ظلّ قويّ العزم ، بعيد الهمّة ، وان شمله الشيب ، فجعله مهيب الطلعة[4]. امّا وفاته فيتردّد القدماء والمحدثون في تعيينها أهي سنة عشر ومائة للهجرة أم ١١١ ام ١١٢ ام ١١٤[5]. وليس من مبرّر لهذا التردّد في نظر من يطالع الديوان ، فيرى فيه قصيدة قالها الشاعر في مدح خالد بن عبد الملك بن الحارث بن الحكم ، والي المدينة[6]. ومعروف ان خالدًا المذكور ولي المدينة مدة ثلاث سنوات ، من السنة ١١٤ الى السنة ١١٧. واذًا فلا يمكن ان تكون وفاة الفرزدق تقدّمت السنة ١١٤ (٣ اذار ٧٣٢ — ٢٠ شباط ٧٣٣). وهي السنة التي توفي فيها جرير كذلك.

واما المرض الذي توفي فيه فهو ذات الجنب ، في قول ابنه لبطة[7] ، او الدُبيلة[8] وهي داء يحدث عنه دمامل. أُصيب في البادية ، فنُقل الى البصرة. وأتى برجل متطبب ، فوصف له ان يُسقى القار الأبيض. فجعل يقول لابنه: «يا بنيّ ، عجّلت لابيك شراب أهل النار[9]». وقبره بالبصرة في مقابر بني تميم[10].

---

١) الديوان ٦٦٦ ؛ وكذلك في الاغاني ١٩ : ٤٦

٢) الديوان ٢٦٢

٣) ابن قتيبة : ك. م. ٢٩٤. اما زعم المرزباني بانه بلغ ثلاثين ومائة فلا يُعتدّ به.

٤) الاغاني ١٩ : ٢٢

٥) الاغاني ١٩ : ٦ ، ٤٥ ؛ عبدالله العلوي : شرح ديوان الفرزدق : ٥ ؛ خليل مردم بك : الفرزدق ، ص ١٦

٦) الديوان ٦٢٢

٧) الاغاني ١٩ : ٤٤

٨) ابن قتيبة : ك. م. ٢٩٤

٩) الاغاني ١٩ : ٤٦

صفاته واخلاقه

هيئته

كان الفرزدق ضخم التقاطيع ، مجهّم الوجه مستديره ، صغير القدمين ، غليظاً ، قصيراً[1] . أصيب بالصلع ، فكان جرير يدعوه « القُرَيد الاصلع »[2] ، ويعيّره « قصر القوائم ».[3] الّا ان الفرزدق كان يزمن بجماله ، فيصوّر نفسه كالهلال يروق النساء.[4] وكان يحتال على ما بقي من شعره فيجمعه في ضفيرتين يخضبها بالحنّاء.[5] ، كما يخضب لحيته . حتى اذا شمله الشيب ترك الخضاب ، فكان مهيب المنظر.[6] وكان يلبس اللباس الفاخر من الديباج والخزّ ، عمل اهل اليمن ، ويعتمّ بعمامة كبيرة ضخمة .

ثقافته

نشأ الفرزدق أمياً[7] كأكثر شعراء عصره. ولكنه روى ايام العرب ، ومفاخر قومه خاصّة ، وكثيراً من الشعر الجاهلي والمخضرم ، فكوّن لنفسه ثقافةً شفهية لا بأس بها. وحاول ان يحفظ القرآن ، وقد تقدّمت به السنّ ، فقيّد نفسه ، كما قدّمنا . ولكنه لم يحفظ ، على ما يظهر ، الّا حوادث القصص القرآني — واخبر اعلق بالذاكرة من الانشاء ! — اما الآيات نفسها فلم يُحكمها ، وان يكن قد اكتسب حساً بصحيح تركيبها . نُقل عن الاصمعي ان الفرزدق سمع رجلاً يقرأ : « والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما جزاء بما كسبا نكالاً من الله والله غفور رحيم . » فقال : « لا ينبغي ان يكون هذا هكذا » فقيل : انما هو « عزيز حكيم ».

---

١) ابن قتيبة : ك . م . ٢٨٩

٢) ديوان جرير ٢٤٤ وغيرها .

٣) ديوان جرير ٥٥٩

٤) الديوان ٥٧٢

٥) الديوان ٤٨٩

٦) الاغاني ١٩ : ٢٢

٧) وفي شرح الديوان ما يستنتج منه ان الفرزدق كان عارفاً بالقراءة . جاء في توطئة احدى القصائد : « وجعل الفرزدق يقرأ الكتب . » (ص ١٧٣)

قال: «هكذا ينبغي ان يكون.»[1] وجمع الى ذلك اساطير الجاهليين، وحكايات المفسّرين، فاعتلجت كلّها في ذاكرته القويّة، واندفعت متدفقةً في شعره بترتيب وبغير ترتيب. واذا به يلخّص قصة آدم وحوّا.[2]، ويذكر نوحاً وابنه والطوفان[3]، ويونس واقامته ثلاثة ايام في بطن الحوت[4]، وثمود وعاد والناقة[5]، ويأجوج ومأجوج[6]، وفرعون غارقاً في البحر وراء بني اسرائيل[7]، وابراهيم متأهباً للتضحية بولده اسحق[8]؛ وداود والمرأة التي اعجبته[9]، وابنه سليمان[10]،

١) الاغاني ١٩: ٣٥

٢) الديوان ٧٧١

٣) الديوان ٦١٧، ٨٥٢

٤) الديوان ١٤١، ٦١٧

٥) الديوان ٢٠٧، ٦٢٥، ٧٧١، ٨٥٥، وغيرها كثير.

٦) الديوان ٢٩٦، ٨٣٠

٧) الديوان ٧٧٠

٨) الديوان ٦٧٩، ٨٢١ — وهذان المقطعان واقرا الاميّة في تاريخ التفسير الديني. ومعلوم ان القرآن، في ذكر هذه الحادثة لا يسمّي ابن ابراهيم. اما التقليد الإسلامي الحاضر فيقول انه اسماعيل، جدّ العرب، لا اسحق، كما يعتقد اليهود. واما الفرزدق فيدلّ شعره على ان الاعتقاد الجاري بين العرب، حتى العصر الاموي، كان موافقاً للمعتقد اليهودي. ولعلّ فكرة الذبيح اسماعيل نشأت في العصر العباسي. وقد يكون بعض متأخري المفسّرين، لما وقفوا على شعر الفرزدق في الموضوع، جعلوه «يصحّح» رأيه متأخرًا فقولوه: «سمعت ابا هريرة يقول على منبر المدينة: الذبيح اسماعيل» (ابن قتيبة: ك.م. ٢٩٦) والّا فلمَ لم يستفد من هذا القول في شعره، وذكرُ «الذبيح اسحق» في قصيدتين من آخر شعر الفرزدق. اولاهما في مدح مالك بن المنذر بن الجارود؛ قالها في حبسه ثانيًا مستجيرًا، وقد أتت عليه تسعون سنة (ص ٦٨٠) وفيها يصرّح باسم اسحق:

اني حلفت بصارعٍ لابنٍ له اسحقَ فوق جبينه المتلولِ

وثانيتها نظمها في الحبس نفسه مادحاً معاوية بن هشام بن عبد الملك، متنصّلاً من هجو النمر المبارك، قال في الموضوع الذي يهمّنا:

أرجو الدعاء من الذي تلّ ابنه لجبينه، ففداه ذو الانعام،
اسحق، حيث يقول، لمّا هابه، لأبيه حيثُ رأى من الأحلام:
أمضي وصدّق ما أمرتَ، فانني بالصبر محتسباً لخيرُ غلامِ!

٩) الديوان ٤٢٠

١٠) الديوان ٣٠٨، ٦١٧

والسامري[١] ، وحكاية الفيل[٢] ، وامّ عيسى التي يجعلها فضلى النساء[٣] . وهو يجري مجرى الجاهليين في الاعتقاد بالصدى[٤] والزَّجر[٥] . ثم يحلف بالراقصات الى منى ، وبالقاصدين كَنَفَي حِراء ، وسائر مناسك الحجّ .[٦]

رقة دينه : فسقه وفجوره

بيد ان هذه المسحة من الأثر الديني لم تتجاوز الصبغة السطحية ، فلم تتغلغل في اعماق نفس الشاعر ، ولم تولِه شيئاً من التقوى ولا من خوف الله ؛ وان ذُكر مرةً انه صلّى[٧] وتاب نادماً[٨] ، وان ذُكر عنه انه بكى في المسجد[٩] ، وتأثّر ، في جنازة النوار ، بكلام الحسن البصري ، فقال انه اعدّ لليوم الآخر شهادة ان لا اله الّا الله مذ ثمانين سنة .[١٠] انما كان الغالب عليه الاستهتار ، واطراح فرائض الدين ، واللهو بالآيات لهوَ المستخفّ العابث . وهذه احاديث فسقه وفجوره تملأ ديوانه واخباره ، وتدفع الولاة الى نفيه عن مناطق الحرم . فمن تفصيل مغامراته الفاحشة[١١] ، متستّرًا في بعضها بستار الدين متصنعاً بصفة الزهّاد ، مستخدماً القرآن في نيل مأربه السافل ، خادعاً ربّ البيت بقراءة سورة الكهف[١٢] ؛ الى ارتياده

---

١) الديوان ٤٥١

٢) الديوان ٨٥٢

٣) الديوان ١٧٠ — ومما يدعو الى الابتسام حماسةُ طابع الديوان ، عبدالله اسماعيل الصاوي ، في احتجاجه ، بلسان الفقهاء ، على رأي الفرزدق هذا ؛ فقد علّق على البيت بكل جدّ : « وهل كانت السيدة مريم فضلى النساء ؟ ذلك رأي الفرزدق . فاما الفقهاء فلا يقولون هذا ؛ بل يعتبرونها من فضليات النساء . » (كذا ! ص ١٧٠)

٤) الديوان ٤٨ ، ٦١٧

٥) الديوان ٢١٣

٦) الديوان ٨٢ ، ١٦١ ، ٢٦٥ ، ٦١٧ ، ٨٦٠

٧) الديوان ٢٤٦

٨) الديوان ٧٧٠

٩) الاغاني ١٩ : ٤٧

١٠) الديوان ٥٧٧—٥٧٨

١١) الديوان ٢٥٥

١٢) الديوان ٦٥١

المواخير وبيوت اللهو ، مجاهراً بالشرب صرفاً[1] ؛ الى اقراره بالزنا في حضرة سليمان[2] ، الى تبذيـه وسفاهته ، وهو فوق الثانين من عمره[3] ؛ الى اصراره على هذه السيرة الخالعة الفاجرة[4] ، ناصحاً مَن كان على شاكلته ان يلتحق بنساء الجنّ فيخلص من دفع المهر والصداق ، وينجو من شرطة الاخلاق[5] ؛ مبرهناً عن اضطلاع عميق باساليب الفسق وصغير الفجور.[6] وهو لا يتورّع عن شتم جرير طائفاً بالبيت الحرام[7] ، ولا عن التهكم بتقواه « وتمسكنه »[8] ، وامتناعه عن شرب الخمر[9] ؛ كما انه لا يتحرّج عن تضمين الآيات القرآنية في اهاجيه المقذعة البذيئة[10] ، ولا يُحجم عن ان يشبّه مظاهر فسقه وفجوره ببعض شعائر الحج[11] . ولا يتردّد في ان يسابق الحسن البصري الى الإفتاء في مجلسه ، مستنداً الى شعره[12] بدل الآيات والحديث ، ذاهباً في فتاويه ، مذهب الجاهلية ، على قول ابن رشيق[13] ؛ مصرّحاً ، في موقف آخر ، بانه «يعرف سجدة الشعر ، اذا ما عرف غيره سجدة القرآن »[14]

---

١) ابن قتيبة : ك . م . ٢٩٤ — وقد سها جامع الديوان عن نشر هذه الابيات .

٢) ابن خلكان : ك . م . ٢٦٤ ؛ ابن قتيبة : ك . م . ٢٩٧

٣) الديوان ٧٨٣

٤) أمّا الزّنا فاني لست تاركه

(الديوان ٨٧٤)

٥) الديوان ٥٨٥-٥٨٦ — اما إمكان الزواج بنساء الجنّ فاطلب فيه : الإمام الشبلي : آكام المرجان في احكام الجان ، مصر ، ١٣٢٦هـ ، الباب الموفي ثلاثين : في بيان مناكحة الجنّ ، ص ٦٦-٧٤

٦) الديوان ١٢٠ ، ٢٧٢ ، وغيرها كثير .

٧) الديوان ٤٢٨ .

٨) الديوان ٧٢٦

٩) ابن قتيبة : ك . م . ٢٩٤

١٠) الديوان ٢٨٤ ، السطر ١٠-١١ ؛ قابل بما في سورة البقرة : ٦٣-٦٦

١١) الديوان ٣٠٨ ، السطر ١٢ ؛ الاغاني ١٩ : ٢٥-٢٦

١٢) الاغاني ١٩ : ١٤

١٣) الديوان ٥٧٦-٥٧٧

١٤) الاغاني ١٩ : ٤٨ — يقول ذلك اذ يلومه الناس ، وقد رأوه ساجداً لبيت من شعر لبيد .

فلا عجب اذًا ان يرفض القضاة شهادته، وقد جاهر بانه قذف الف محصنة.[1]

ولا عجب ان يصمّ الحسن البصري عن سماعه هجاء ابليس، وقد عرف نفسية الفرزدق ومبلغ اخلاصه في مثل هذه التوبة. حتى اذا هدّده الشاعر قائلًا: لتسمعنّ او لأخرجنّ فاقول ان الحسن ينهي عن هجاء ابليس. قال: «اسكت فانك بلسانه تنطق!»[2]

ولم يكن الموت نفسه ليدفع الفرزدق الى التوبة النصوح، على رغم توقّعه مجيئه[3]، وقلقه عمّا وراء القبر[4]، وما كان يؤمّل من عفو الله ومغفرته. فقد نقل ابن قتيبة[5]، وصاحب الاغاني[6]، انه اعتق بعض عبيده، قبيل وفاته، واوصى لهم بشيء. ولما اشتدّ به النزع، وهم حوله مع اهله، قال:

أروني من يقوم لكم مقامي، اذا ما الأمر جلّ عن العتابِ!
الى مَن تنزعون، اذا حثوتم، بأيديكم عليّ من التراب؟[7]

فقالت جارية له: «نفزع الى الله». فغضب وقال: «اخرجوا هذه من الوصيّة.»

وعن ابنه لبطة، وقد حضر نزع ابيه: «فقلت له: يا ابتِ، قُل: لا اله الّا الله. فجعلت اكرّرها عليه مرارًا. فنظر اليّ وجعل يقول:

فظلّت تعالى باليفاع كأنّما رماح غاما وجهَ الريح راكزُ!

فكان ذا هِجّيراه حتى مات.»[8]

على ان ابن خلكان «يرجو له الجنّة بكرمة تُنسب اليه»، وهي مدحه زين العابدين.[9] بل انه ادخله الجنّة بالفعل، على ذمّة بعض النسيبين، وقد رآه في

---

١) الاغاني ١٩: ٥٠؛ ابن خلكان: ك.م. ٢: ٢٦١-٢٦٢
٢) الاغاني ١٩: ١٤، ٢٢
٣) الديوان ٥٨٦، ٨٦٧
٤) الديوان ٨١٥
٥) ابن قتيبة: ك.م. ٢٦٤
٦) الاغاني ١٩: ٤٤
٧) الديوان ١١٤
٨) الاغاني ١٩: ٤٤ – ومعنى هِجّيراه: دأبُه
٩) ابن خلكان: ك.م. ٣: ٢٦٤

المنام، فسأله: بمَ غُفر لك؟ فقال: بالكلمة التي نازعتها الحسن[1]، اي بهجو ابليس. واما ابو العلاء المعري فلم يذكره في رسالة الغفران.

حسن حديثه وبديهته

ومن نتائج ثقافته الواسعة في ذاك العهد، انه كان كثير الاحاديث، حلو القصص عذب الاسلوب. نعته ابن قتيبة «بالمَنّ المِنّ».[2] ونُسبت اليه احاديث جذّابة السرد، كحكاية ليلى الاخيليّة وتوبة بن الحمير[3]، وقصة العذارى المبتردات وحديثه لهنّ بحكاية امرئ القيس يوم دارة جلجل[4]، وحديثه مع صاحبة القدح في البصرة. وحكاية عقيلة بنت الضحّاك وابن عمها عمرو.[5]

وكان الى ذلك قويّ البديهة، سريع الجواب، حاضر النكتة لاذعها احياناً. مرّ يوماً بمجلس بني حرام. فقال له عنبسة، مولى عثمان بن عفّان: يا ابا فراس، متى تذهب الى الآخرة؟ قال: وما حاجتك الى ذاك، يا اخي؟ قال: اكتب معك الى ابي. قال: انا لا اذهب الى حيث ابوك في النار. اكتب اليه مع ويالويه واصطفانوس[6].

وصادف جنازة فقال: ما هذا؟ فقيل: مات ابو الخنساء صاحب البغال. فقال:

ليبك ابا الخنساء بغلٌ وبغلةٌ، وعلاةُ سوءٍ قد أضيع شعيرها،
وجرقةٌ مطروحةٌ، وغنمةٌ، ومقرعةٌ صفراء بالٍ سيورها! (٧)

ودعاباته كثيرة تزداد فكاهةً، في حالتي سكره وعربدته. فهو اذا سمع

---

١) ابن خلكان: ك. م. ٢: ٢٦٥
٢) ابن قتيبة: ك. م. ٢٦٢
٣) الاغاني ١٩: ٢٦
٤) الاغاني ١٩: ٢٦-٢٨
٥) الاغاني ٧: ٥٢
٦) الاغاني: ١٩: ١١
٧) ابن قتيبة: ك. م. ٢٦٣

حماراً ينهق ، شتمه وذكر جريراً ، ناسباً الحمار لبني كلب[1] . واذا مرَّ بكلاب مجتمعة في الطريق ، احدها ذو لون احمر ، سلّم عليها ، وقال :

فما ردّ السلامَ شيوخ قومٍ مررتُ بهم على سكك البعير
ولا سيما الذي كانت عليه قطيفة أرجوان ، في النمور. (٢

ولكنها غالباً ما تتداخلها البذاءة . وقد ظلَّ متصفاً بها حتى آخر حياته ، اذ قال لابنه ، وقد وصف له الطبيب ان يشرب القار الابيض : لقد عجلت لابيك شراب اهل النار !

ومن بديهياته الرائعة جوابه للسائل عن زين العابدين في حضرة هشام:
هذا الذي تعرف البطحاء وطأته

جبنه

وكان الخوف يفعل في الفرزدق ، كما تفعل الحماسة ، في إحضار الجواب السريع والردّ المفحم . روى الاصمعي انه لما قدم يزيد ابن المهلب واسطاً قال لأمية ابن الجعد ، وكان صديق الفرزدق : اني لأحبُّ ان تأتيني بالفرزدق . وكان الفرزدق قد اكثر في هجاء يزيد وقومه أزد عُمان . فلقيه أمية فقال: ما فاتك من يزيد ، اعظم الناس عفواً واسخى الناس كفاً ؟ قال: صدقت ، ولكني اخشى ان آتيه فاجد العُمانية ببابه فيقوم اليَّ رجل منهم ، فيقول : هذا الفرزدق الذي هجانا . فيضرب عنقي . فيبعث اليه يزيد ، فيضرب عنقه . ويبعث الى اهلي ديتي . فاذا يزيد قد صار ارفق العرب ، واذا الفرزدق فيما بين ذلك قد ذهب[2] .

وجبن الفرزدق مشهور اكثرت كتب الادب من ذكر نوادره ، كما دلَّ عليه شعر الفرزدق نفسه . وكفى بالمقاطع التي قالها في خوفه من زياد شاهداً مقنعاً . فهو اذا تراءى له أسد في القفر ، ذكر زياداً ، فرأى الأسد اهون جانباً منه[4] . واذا

---

١) الديوان ٨٧٤

٢) الديوان ٢١٨ ؛ معاهد التنصيص ٢٢

٣) الاغاني ١٩ : ٢٩

٤) الديوان ٢٢١ راجع ايضاً الصفحات التالية ، وفيها كلها يظهر خوفه من زياد ٢٢ ، ١٥ ، ١٦٣ ، ١٧١ ، ١٨٣ ، ١٨٦ ، ٥٢٧ ، ٥٤٥ ، ٥٧٦ ، ٦٠٨ ، ٦١٥ ، ٧٦٣ ، ٧٧١ ، ٨١٨ ، ٨٢٨

عرض له ذكر زياد ، وهو «مطمئن في الحرم ، بينه وبين البصرة « سيل اللوى وهضب التهائم » ، طار نومه واحس بالحمّى تسري في عروقه[1] ؛ واذا ارتاد مجلس لهو ، فشرب الخمر ، وسمع الغناء ، ظلّت ذكرى زياد تعوده فتفسد عليه سروره وطمأنينته[2] . فهو دائم الاضطراب ، كأنه يردّد ابدًا :

اذا ذكرت نفسي زيادًا تكمّشت ... من الخوف احشائي ، وشابت مفارقي (٣)

وهو موقنه من كبار القوّاد والولاة كالحجّاج[4] ، وخالد القسري[5] . حتى عُرف عنه ذلك فجعل القوم يداعبونه ، ويخوّفونه ليتنادروا عليه . رآه مرةً شرطيّان ، من رجال الجرّاح بن عبدالله الحكمي ، جالسًا في سكة لا منفذ لها . فقال احدهما لصاحبه : هل لك ان انزعه ! وحرّكا دابتيهما نحوه . فادبر مولّيًا . فعثر في طرف برده فشقّه ، وانقطع شسع نعله . ثم انصرفا عنه . فلما علم انهما هزئا به ، واطمأنت به الحال ، اخذ يشتمهما وأمّيهما[6] . وصال عليه جمله مرةً ، «فرأى الموت» ، واخذ يستغيث بالمارّة[7] . وداعبه الحجّاج في وقعة دير الجماجم فعرض عليه ان يحمل ويعطيه عطاء كثيرًا . فاستغنى قائلًا : اني أخاف ، اذا حملت ، ان ينقطع أصل العطاء ! [8] وأمره سليمان ان يضرب عنق أسير ، فارتعشت يده ، واضطرب السيف ، فنبا . فضحك الناس منه . على انه استدرك الأمر بسرعة خاطره ، كما مرّ .[9] الى غير ذلك من الحوادث الدالّة على جبنه الصميم ، وخوفه الدائم . ولا يمكن ان تكون موضوعة لعصبيّة على الفرزدق . فان في شعره ما يعزّزها ويشير إليها ، فوق ما فيه من دلائل التذلّل والتصاغر امام العظماء ، اذا خشي منهم أن يقبضوا

١) الديوان ٧٧٢ ، ٨١٨

٢) الديوان ١٨٠ ؛ الاغاني ١٩ : ٢١

٣) الديوان ٥٧٦

٤) الديوان ٨٩ ، ٦٨٤ ، ٦٩٤

٥) الديوان ٢٦٥ ، ٨٢٠

٦) الديوان ٥٧٣ ؛ وفي الاغاني ان الحادثة هذه كانت على عهد زياد ١٩ : ٢٥

٧) الديوان ٧٧

٨) التالي : ذيل الامالي ٧٦

٩) الديوان ١٨٥ ، ٢١٢ ، ٢٦١ — وارجع الى الصفحة ١٥٢ من هذا البحث .

عليه فيمجنوه . على الرغم مما فيه من مظاهر التيه ، والكبر ، والنياشة اذا ما خلا الى مفاخر اجداده ونبل قبيلته .

فخره

ولم يكن ليقف عند حدّ في هذه المفاخر[1] . ولا يتردّد في الفخر بشؤون مضحكة مخجلة :

ابي الشيخ ذو البول الكثير بجانبي ، وعبدالله عمي ، وفضلُ[2]
ونحن بنو النحل الذي سال بوله بكل بلاد لا يبول بها نحلُ[3]

وكأنه يفتخر بالكثرة من كل شيء . فبيته بناه « حَكَمُ السماء » فلا يناله أحد ، وجدّه صعصعة احيي العرب باحيائه الوئيدات ، وابوه غالب معدن الجود ، يقصد الناس ناره من اقاصي البلاد ، حتى اذا مات كان قبره ملاذ العفاة وملجأ الخائفين . واخواله بُناة المجد . وقبيلته خير القبائل . فآباؤه لا يقاربهم آباء الخليفة من عبد شمس[4] ،

وان تغضب قريش ، ثم تغضب ، فان الارض ترعاها غَمِيمُ ! [5]

هذا اذا كان الفرزدق غير راضٍ عن حكم قريش . فاذا رضي ، تنازل فرفع قريش الى مستواه ، لا كل قريش ، بل عبد شمس وهاشم وحدهما :

ولو شئت من كفوتنا الشمس ، أومأت الى ابني مناف : عبد شمس وهاشم ! [6]

اما هو فخلاصة المفاخر كرماً ، وعلوّ همة ، وشاعريّة . اذا سقى مسافراً شنّة — اي لبناً ممزوجاً بماء — أعلن ذلك «فتخرّ»[7] . واذا طبخ اللحم نصب قدراً تضيع فيها الجزور وتطفو ازوارها كالقناة ، ويسع هزيمها بين البيوت كمتوي

---

١) الديوان ٤١

٢) الديوان ٦١٤

٣) الديوان ٦٩٢ – ويروى البيت لابن ذبان المازني (الديوان ٦١٤) ولعلّ الفرزدق سرقه .

٤) الاغاني ٨ : ١٨١

٥) النقائض ٢٩١ ؛ واطلب الديوان ٨٦٢

٦) الديوان ٦٧٤

الخصوم[1] . واذا شرب خمرة فهي من عهد كسرى[1] . واذا صافن[2] دليلاً في مفازة ، جعل نفسه اكرم من حاتم .[3]

بيد ان هذا الكرم لم يمنعه الحرص والمسألة ، حتى الإلحاف فيها فكان عمرّه يتعرّض للامراء والولاة والعُمّال ، فيمدحهم راغباً ، ويهجوهم مهدّداً حتى يشتروا منه اعراضهم احياء واموانًا . وهو ، ان لم يوفق الى الكثير ، رضي بالقليل ، فقنع بنحيٍ من سمن مثلاً[5] ، او بشربة سويق اذا كان عطشان[6] . وعُرف منه ذلك ، فكان مَن لا يستطيع البطش به ، خاف معرّة لسانه فاتقاه بالعطاء . ذكر المبرّد ان خالد بن صفوان وعد الفرزدق شيئاً فأخره عنه . فمرّ به الفرزدق فهدّده ، فأمسك عنه حتى جاز . ثم أقبل خالد على اصحابه فقال : ان هذا قد جعل احدى يديه سطحاً ، وملأ الاخرى سلحاً ، وقال : ان عمرتم سطحي ، والّا نضحتكم بسلحي[7] . وهكذا انقضت حياته كحياة الخطيئة ، الّا انه فاقه فسادَ خلق وبذاءة لسان .

بداوته

تقدّم ان الفرزدق كان بدويًا متصلاً بالحضر . الّا انه ظلّ شديد التعصب لبدويّته ، كثير الفخر بآثر آبائه في الاسلام وفي الشرك كذلك[8] . يهجو آل المهلّب بكونهم لم يعبدوا الاوثان قبل الاسلام ، فهم غير عرب[9] ؛ ويمدح كبار القوم بمفاخر آبائهم في الجاهلية[10] . وقد رأيناه يجري في تكريم قبر ابيه ، على

١) الديوان ٨٩٣–٨٩٣
٢) الديوان ١٥ ، وأطلب ٥٤٤
٣) صافنه الماء : قاسه اياه المثل بالمثل .
٤) الديوان ٨٤١ - ٨٤٢
٥) الديوان ٧٦١
٦) الديوان ٢٩
٧) المبرّد : الكامل ١ : ٢١٢
٨) الديوان ٤٢
٩) الديوان ١١ ، ٢٥٢
١٠) مثلاً أبان بن الوليد ، الديوان ٦٢

طريقة الجاهليين في إكرام « البيوت » . ثم هو يكرّم قبر بشر بن مروان[1] ، وقبر الهذيل التغلبي بنحره ناقتيه عليهما[2] . ويتقيّد في كل شيء بمظاهر البداوة ، فيدعو الى الاخذ بالثأر[3] ، ويفتخر بالضيافة .

ويظهر على كثير من جفاء البدو ، وخشونة طبعهم ، وقساوتهم . حتى يضحك منه اهل الحضر احياناً . ويودّ لو كان وحبيته بعيرَين جَربَين مطرودَين عن منهل القبيلة ، فيقول :

فيا ليتنا كنا بعيرَين ، لا نرد على منهل الّا نُثلُّ ونُقذفُ ،
كلانا به عرّ يُخاف قرافه على الناس ، مطليُّ المشافر ، أخشفُ .[4]

واذاً فلا عجب ان ينفر نساؤه من عشرته ، ويشكو اولاده قلّة حنوّه . ولا يغرنّ المطالع ما يراه من رثائه لأولاده في الديوان ، فهو انما يقوم بذلك جرياً على العادة : فلا يظهر له عاطفة حزن عميق . وسرعان ما ينتقل الى الفخر ، ويعزّي نفسه بموت كبار السادة من تميم[5] . ثم يسأل السامع المعجب برثائه : أوَ رأيتَ ابني ؟ فيتردّد ويقول : لا . فيقول الفرزدق : « والله ما كان يساوي عباءته ! »[6] .

وقد شاء مرّة ان يرهن ابنه الكبير لَبطة على مبلغ من المال ، فابى اصحاب الحقّ قبول الرهينة[7] .

هذا ما امكننا تصويره من شخصية الفرزدق بالاستناد الى شعره خاصةً . وقد تُتاح لنا فرصة ندرس فيها زميله جريراً ، فنعمل على زيادة الشخصيتين جلاء ووضوحاً .

---

١) الديوان ٢٦٨
٢) الديوان ٢٥٢
٣) الديوان ٤٨
٤) الديوان ٥٥٥
٥) الديوان ٧٦٤
٦) الاغاني ١٩ : ١٢-١٣
٧) ابن خلكان : ك . م . ٢ : ٢٦٦

القرى السريانية

في مدن سورية

بقلم المتوري اسحق ارملة السرياني

لسنا نظنّ احداً يحاجّنا او يناقضنا في قولنا ان الله سبحانه وتعالى سبق فاستعمر بني آرام جدّ السريان السوريّين في ارض سورية . فان الكتاب الكريم وجهابذة المحقّقين يؤيّدون ذلك كلّ التأييد . وهذه لهجة السوريّين واسماء مدنهم وقراهم الباقية آثارها الى هذا العهد لا تدع مجالًا للريب في تلك الحقيقة الراهنة . ومما لا بدّ لنا من الاشارة اليه أنّ اليونان لمّا ملكوا البلاد السوريّة اطلقوا على أهمّها اسماء يونانيّة فسمّوا حلب بروآ ، ومنبج ايروفليس ، والرصافة سرجيوبوليس ، والرقة قلنيقوس ، وتدمر بلمير الخ. لكنّ تلك الاسماء اليونانيّة التفت واضمحلّت بتقلّص ظلّ اليونان ، وأعيدت اليها اسماؤها الآراميّة القديمة . وقد نسج الاتراك على منوالهم فافرغوا جهدهم ونفوذهم في محو الاسماء السريانية خصوصاً من المدن والقرى المجاورة لانطاكية ، عاصمة المشرق ، واطلقوا عليها اسماء تركية بحتة ، كما يشاهدها القارئ مدرجة في « تقويم البشير » للسنة ١٩٣٩ . اما العرب فانهم خالفوا اليونان والاتراك في هدفهم وأبقوا القديم على قدمه ولم يطلقوا اسماء عربية الّا على المدن والقرى التي أحدثوها في عهد دولتهم .

وقد رأينا ، تكملة للابحاث عن القرى اللبنانية ،[1] ان نطرف قرّاء المشرق بنبذة من اسماء القرى السريانية اللاحقة بمدن سورية الكبرى ، اعني دمشق ، وحماة ، وحمص ، وحلب ، وانطاكية . ننقلها عن « تقويم البشير » المذكور ، ونضع الى جانبها اسمها السرياني الاصليّ ثم نلحق بها اسماء بعض قرى الجليل العليا :

---

١) راجع المشرق ٣٧ [١٩٣٩] ٢٨٧ .

١ ، قرى لواء دمشق السريانية

افرة ܐܦܪܐ : مقصورة (زبداني)
اوتايا ܐܘܬܝܐ : آتٍ . طارق . (دوما)
بابيلا ܒܝܬ ܐܒܠܐ : بيت الراهب
برزة ܒܝܬ ܐܪܙܐ : بيت الأرز (دمشق)
برقش ܒܪ ܩܘܫ : ابن القس (وادي العجم)
برهليا ܒܪܗܠܝܐ : ابن الحلو (زبداني)
بزينة ܒܝܬ ܙܝܢܬܐ : بيت السلاح (دوما) .
بسيمة ܒܣܝܡܬܐ : طيبة (دمشق)
بطرونة ܒܝܬ ܛܪܘܢܐ : بيت التلل (زبداني)
بقاعا ܒܩܥܐ : بقاع (قنيطرة)
بقين ܒܩܝܢ : جرار (زبداني)
بلودان ܒܝܬ ܠܒܝ : مكان يكثر فيه شجر اللاذن (زبداني)
بيت ساير ܒܝܬ ܣܥܝܪ : مبشر (وادي العجم)
بيتيا ܒܝܬ ܐܡܐ : بيت الام (وادي العجم)
بيرة ܒܝܪܐ : آبار (قنيطرة)
تلّ فتايا ܬܠ ܦܬܝܐ : تل الريش (النبك)
تلّ فيتا ܬܠ ܦܝܬܐ : الجبلة (دوما)
جباتا ܓܒܬܐ : جفنات (وادي العجم)
جبعدين ܓܒܥܕܝܢ : بقاع (جيرود)
جرابا ܓܪܒܐ : جراب (قنيطرة)
جرمانا ܓܪܡܢܐ : عظمي (دمشق)
جسرين ܓܣܪܝܢ : جُسور (دمشق)
جسرايا ܓܣܪܝܐ : جسريّ (دمشق)

جونية ܓܘܢܝܐ : زوايا (وادي العجم)
حجيرة ܚܓܝܪܬܐ : عُرج (دمشق)
حجيرة سقيا ܚܓܝܪܬܐ ܣܩܝܐ : عرج الظلّ (دمشق)
حرجلة ܚܪܓܠܐ : جراد (دمشق)
حارستا ܚܪܣܬܐ : خشنة (دوما)
حرفا ܚܪܦܐ : سكّين (وادي العجم)
حزة ܚܙܐ : حُفر (دمشق)
حزرما ܚܙܪܡܐ ܕܡܝܐ : ماء شحيح (دوما)
حلبون ܚܠܒܘܢ : حليب (دوما)
حوش خراب ܚܘܫ ܚܪܒܐ : حوش الخراب (دوما)
داريا ܕܪܝܐ : دُور (دمشق)
ديورة ܕܝܘܪܬܐ : زنابير (قنيطرة)
دردارة ܕܪܕܪܬܐ : قرطب (قنيطرة)
دمر ܕܡܪ : عَجَب (دمشق)
دورين ܕܘܪܝܢ : دُور (وادي العجم)
دير قانون ܕܝܪ ܩܢܘܢ : دير القانون (زبداني)
دير كوح ܕܝܪ ܟܘܚ : دير الصوامع (قنيطرة)
دير مقرون ܕܝܪ ܡܩܪܘܢ : دير الزنبيل (زبداني)
زبداني ܙܒܕܢܝ — زبدين ܙܒܕܝܢ : زبديّ زبدة (دمشق)
زعرته ܙܥܪܬܐ : صغيرة (قنيطرة)
زملكا تحريف ܙܡܠܟܐ : رواق الملك وصيفه (دمشق)
سبسا ܣܒܣܐ : دهليز الشيخ (وادي العجم)
سيلا ܣܝܠܐ : سيول (دمشق)
سينه ܣܝܢܐ : سيناءون (دمشق)
سحيتا ܣܚܝܬܐ : مغسولة (وادي العجم)
سرغايا ܣܪܓܝܐ : سرّاجون (زبداني)

سقبا تحريف سابا ܣܒܐ : شيخ (دمشق)
شبا ܫܒܐ : سبة (دمشق)
شفونية ܫܦܘܢܝܬܐ : ارض للزرع (دوما)
شقيف ܫܩܝܦܐ : كرف صخر (قنيطرة)
صحنايا ܨܚܢܝܐ : مصحون (دمشق)
صهيا ܨܗܝܐ : عطشان (دمشق)
صيدنايا ܨܝܕܢܝܐ : صيدلي (دوما)
عربيل ܥܪܒܝܠ : غربال (دمشق)
عربين ܥܪܒܝܢ : صفصاف (دمشق)
عرنة تحريف ܥܪܢܬܐ : ارض وعرة (وادي العجم)
عقربا ܥܩܪܒܐ : عقرب (دمشق)
علين ܥܠܝܢ : جديدة (قنيطرة)
عين حليا ܥܝܢ ܚܠܝܐ : عين الحلوة
عين حور ܥܝܢ ܚܘܪ : عين البيضاء (زبداني)
عين الحور ܥܝܢ ܚܘܪ : عين البيضاء (قنيطرة)
عين فيجه ܥܝܢ ܦܝܓܐ : عين الباردة (زبداني)
عين قنيه ܥܝܢ ܩܢܝܐ : عين القصب (قنيطرة)
غريفة ܓܪܝܦܐ : جرف الجبل (دوما)
فليطة ܦܠܝܛܐ : هاربون (نبك)
قابون ܩܒܘܢ : عنود (دمشق)
قارا ܩܪܐ : مقرور (نبك)
قرحتا ܩܪܚܬܐ : جرداء (دوما)
قرحتة ܩܪܚܬܐ : جرداء (قنيطرة)
قيرون ܩܝܪܘܢ تصحيف ܚܡܘܢ : حطب (دمشق)
قصرين ܩܨܪܝܢ : قصور (قنيطرة)
قطنا ܩܛܢܐ : قطّان (وادي العجم)

قطينة ܩܛܝܢܬܐ : قطينة ، ملاذة (جيرود)
قلدون ܩܠܕܘܢ : مفتاح (نبك)
قيا ܩܝܐ : حطب (دوما)
كفر بطنا ܟܦܪ ܒܛܢܐ : قرية الجنين (دمشق)
كفر حور ܟܦܪ ܚܘܪ : قرية البيضاء (وادي العجم)
كفر سوسه ܟܦܪ ܣܘܣܐ : قرية السوس (دمشق)
كفر قوق ܟܦܪ ܩܘܩ : قرية الخزّف (وادي العجم)
كفرين ܟܦܪܝܢ : قرى (دوما)
ميا ܡܝܐ : مخبز (وادي العجم)
مديرة ܡܕܝܪܬܐ : طبّقات البناء (دمشق)
مرجانة ܡܪܓܢܬܐ : مرجانة (وادي العجم)
مسرابا تحريف مسرافا ܡܣܪܦܐ : مشرب (دوما)
معدر ܡܥܕܪ : مساعد (زبداني)
معربا ܡܥܪܒܐ : مغرب (دوما)
معرة ܡܥܪܬܐ : مغاور (صيدنايا)
معرونة ܡܥܪܘܢܬܐ : مغاور صغيرة (دوما)
معلولة ܡܥܠܘܠܬܐ : مدخل (جيرود)
منين ܡܢܝܢ : معدودون (دوما)
ميدعة تصحيف ܡܕܥܬܐ : علامة (دوما)
نجما ܢܓܡܐ : فجر النهار (دمشق)
نولة ܢܘܠܐ : نول نسيج (دوما)
يلدا ܝܠܕܐ : ولد (دمشق)

٢٠ : قرى لواء حماة السريانية

بيرين ܒܝܪܝܢ ܒܝܬܐ : بيت الخوص
بيرين ܒܝܪܝܢ : آبار

بيعين ܒܝܥܝܢ : قوارير
تل عدا ܬܠܠ ܥܕܐ : تل النجاة
تل عداي ܬܠܠ ܥܕܝܐ : تل الغرباء
تومين ܬܘܡܝܢ : ثوم
جدرين ܓܕܪܝܢ : غدران
جرنية ܓܪܢܝܬܐ : جرن
حلبا ܚܠܒܐ : حليب
حلنايا ܚܠܢܝܐ : صفصاف
حماة ܚܡܬܐ : حارّة او حماة
حيالين ܚܝܠܝܢ : جيوش او خيل
زغرين ܙܓܪܝܢ : رتاج . مترس
سريحين ܣܪܝܚܝܢ : عائشون
شتة ܫܬܬܐ : مزلقة
شكاري ܫܟܪܝܬܐ : مزارع
شيحة ܫܝܚܬܐ : شيح
شير ܫܝܪܐ : سوار
طوبا ܛܘܒܐ : خير
عرشونة ܥܪܫܘܢܬܐ : سبيئة معلوفة
عورين ܥܘܪܝܢ : سكّان
عير ܥܝܪܐ : عشب
فريتان ܦܪܝܬܢ : هارب ومعتزل
قبيات ܩܒܝܬܐ : بناء مقبّب
قرس ܩܪܣܐ : قلّة ضيّقة الحلق
قحانة ܩܚܢܬܐ : قمحيّ
كباشين ܟܒܫܝܢ : مكبوسين
كفراع ܟܦܪܥ ܙܥܐ : قرية الراعي

كفر نبودة ܟܦܪ ܢܒܘܕܐ : قرية النوافذ
كيسين ܟܝܣܝܢ : اكياس
لاحونة ܠܐܚܘܢܐ : الى الاخوة
مالطة ܡܐܠܛܐ : مدخل
متنا - متنين ܡܬܢܐ . ܡܬܢܝܢ : لحف الجبل
مجدل ܡܓܕܠܐ : برج
محرده ܡܚܪܕܐ : شقوق المحراث
مر دنتين ܡܪ ܕܢܬܝܢ : منارة دفرف
مر شحور ܡܪ ܫܚܘܪ : منارة سوداء
موعة ܡܘܥܐ : منبت

٣ . قرى لواء حمص السريانية

برابو ܒܪܐܒܘ : ابن الأب
برزة ܒܪܙܐ : دباغون
تارين ܬܪܝܢ : ملحون
تدمر ܬܕܡܪ : عَجَب
تلّ علايا ܬܠܐ ܥܠܝܐ : تلّ عالي
تل عمري ܬܠܐ ܥܡܪܝ : تل الديورة
تنونة ܬܢܘܢܐ : مداخن
جرنايا ܓܪܢܝܐ : جرون
حداثة ܚܕܬܐ : جُدُد
حدث ܚܕܬܐ : جديد
حمص ܚܡܨ : حتس
حمية ܚܡܝܬܐ : حارّ . ساخن
حوارين ܚܘܪܪܝܢ : بيض
حيصة ܚܝܨܐ : اقرياء

دفحة وتسلا : اضواء
ربلة وحلا : مرعى
رسق تحريف ووولا : مرقب
رمزون وصلاولا : علامة
زور بقرايا اوو حمتلا : كفّ البقر
زيتا اهلا : زيتونة
شيحا حمسلا : شيح
عرقايا حتمسلا : اعشاب
عيفير حمحمزا تصحيف حمحمزا : ممزّغ بالتراب
قطينة صلمتلا : مضايق
كفرعايا لمّا حمز ححلا : قرية الناب
كفرلاما حمز للاحلا : قرية ملتئمة
كفرنان حمز مولح : قرية يونان
لفتايا حمحلا : ملفوف
مردان حمومولا : يربخ ، قناة
مهين حمومح : ناضج ، مطبوخ
نريحة نحيتلا : منفوخة
نير قمة نمز صحلا : نير مجتمد

٤ . قرى لواء حلب السريانية

امّا لواء حلب فقد صيغت فيه اسماء القرى السريانية اكثر من سائر الألوية السورية ، كما يتضح ذلك جليًّا من اللائحة التالية . وهي ولعمري تدلّ دلالة صريحة على جماهير السريان الذين كانوا يقطنونها في سالف الازمان. وممّا يؤيّد تلك الحقيقة التاريخية وفرة الكراسي الاسقفية ، فضلًا عن الكنائس والديورة ، التي كانت منتشرة في ضواحي حلب ممّا اثبته كتبة السريان وغيرهم في تواريخهم .

وتشتمل حلب في عهدنا على اقضية ادلب ، والباب ، واعزاز ، والمعرّة ، وجبل سمعان ، وجرابلس ، وجسر الشغور ، وحارم ، وجبل الاكراد ، ومنبج . وقد سُلخت منها كلس وعين تاب وغيرها من الاقضية . والى القرّاء اسماء تلك القرى السريانية تباعاً :

أبسو ܚܡܝܡܐ : طيب (جبل سمعان)
ابلين ܐܒܠܝܢ : رهبان (ادلب)
ابو طبه ܐܒܘ ܛܒܐ : صالحون (جبل سمعان)
ابو تينة ܐܒܘ ܬܢܬܐ : تين (منبج)
ابو حورة ܐܒܘ ܚܘܪܬܐ : بياض (جبل سمعان)
ابو دنة ܐܒܘ ܕܢܬܐ : جوانب (معرّة)
ابين ܐܒܝܢ : كرمة حجارة (جبل سمعان)
ادار ܐܕܪ : آذار (جسر الشغور)
اعزاز ܐܥܙܐ : قوّى
ام جرين ܐܡ ܓܪܝܢ : امّ الليوث (جبل سمعان)
اورم ܐܘܪܡ : علّى ورفع (جبل سمعان)
باتيو[1] ܒܝܬ ܐܒܐ : بيت الاب (جبل سمعان)
باتنه ܒܬܢܬܐ : عروة (ادلب)
باتيتا ܒܝܬ ܬܢܬܐ : بيت التينة (حارم)
باريثا ܒܝܬ ܪܝܫܐ : بيت الرئيس (حارم و ادلب)
باسومه ܒܣܡܡܐ : عطّارون (اعزاز)
باشرة ܒܝܬ ܫܪܬܐ : مرسلون (جبل الاكراد)
باشتلي ܒܝܬ ܫܬܠܝ : بيت الشامسة (حارم)
باصلحايا ܒܝܬ ܨܠܚܝܐ : بيت الخطّابين (جبل الاكراد)
باسونان ܒܝܬ ܣܘܢܢܐ : بيت القطر (جبل الاكراد)

---

١) اعلم ان الباء في اوّل اللفظ منقولة عن « بيت ܒܝܬ » للدلالة على اسم المكان

بانص ܒܝܬ ܫܝܠܐ : بيت الباشق (جبل سمعان)
بانصره ܒܝܬ ܫܘܢܐ : بيت الثناء (ادلب)
بانقوسة ܒܝܬ ܢܩܘܣܬܐ : بيت النواقيس (حارم)
بتراعل ܒܝܬ ܪܥܠ : بيت الرعد (حارم)
بتيا ܒܝܬܝܐ : بيت الاهل (حارم)
بتليته ܒܝܬ ܠܚܡܐ : معلقة (جبل الاكراد)
بجورته ܒܝܬ ܫܘܪܬܐ : بيت البيضاء (اعزاز)
بجوري ܒܝܬ ܓܘܪܐ : خبراء (ادلب)
بداما ܒܝܬ ܐܡܐ : بيت الام (جسر الشغور)
براته ܒܪܬܐ : شوارع (الباب)
برج القس ܒܪܓ ܩܫܝܫܐ : (جبل الاكراد)
برخ باطان ܒܪܟ ܒܛܢܐ : منزل مستقر (جرابلس)
برسة ܒܪܣܐ : دباغون (المعرة)
برشاية ܒܪ ܫܝܢܐ : ابن الوجاء (الباب)
برقوم ܒܪ ܩܘܡܐ : ابن القوم (جبل سمعان)
برلهين ܒܪ ܐܠܗܝܢ : ابن الالهة (الباب)
برناص ܒܪ ܫܝܠܐ : ابن الباشق (جسر الشغور)
برنان ܒܪ ܢܘܢ : ابن نون (المعرة)
بريش ܒܪ ܪܝܫ : ابن الرئيس (حارم)
بزاعا ܒܝܬ ܐܘܚܐ : بيت الخوف (الباب)
بزيت ܒܝܬ ܙܝܬܐ : بيت الزيتون (ادلب)
بسابور ܒܝܬ ܣܒܘܪ : حلاق (ادلب)
بسليا ܒܝܬ ܣܠܝܐ : نقابة (حارم)
بسنديا ܒܝܬ ܣܢܕܝܐ : سنديان (جسر الشغور)
بسيد ܒܝܬ ܣܝܕ : مكلسة (جسر الشغور)
بسينا ܒܝܬ ܣܝܢܐ : بيت القسر (حارم)

بشمارون ܒܝܬ ܫܡܫܘܢܐ : مرشق السهم (ادلب)
بشندلايا ܒܝܬ ܫܢܕܠܝܐ : بيت السفن »
بشندلين ܒܝܬ ܫܢܕܠܝܢ » » »
بطرانة ܒܝܬ ܒܛܪܢܐ : بيت الزعماء (جبل سمعان)
بطلايا ܒܝܬ ܒܛܠܝܐ : بيت الصبيان (ادلب)
بطياط ܒܝܬ ܒܛܝܛܐ : بيت الخير (جسر الشغور)
بعربو ܒܝܬ ܥܪܒܘ : بيت الصفصاف (المعرّة)
بقليد ܒܝܬ ܡܦܬܚܐ : بيت المفتاح (ادلب)
بكسريا ܒܝܬ ܐܪܝܐ : بيت زئير الاسد (جسر الشغور)
بكنلا ܒܝܬ ܦܠܐ : بيت ضمان (جسر الشغور)
بلوزة ܒܝܬ ܠܘܙܐ : بيت اللوز (جبل سمعان)
بيانون ܒܝܬ ܢܘܢ : بيت السمك (اعزاز)
بيشة ܒܝܫܬܐ : اذلاء (جبل سمعان)
تبارة ܬܒܪܐ : مكثرة » »
تديل ܬܠܐ ܕܐܠ : ربيع ايل (جبل سمعان)
ترحين ܬܪܚܝܢ : ايائل (الباب)
ترعي ܬܪܥܐ : ابواب (المعرّة)
ترمانين ܬܪܡܢܝܢ : مخادع وقلالي (حارم)
ترملا ܬܪܡܠܐ : مزود (المعرّة)
ترنية ܬܪܢܝܬܐ : سروة (ادلب)
ترتدين ܬܪܬܝܢ : ثريدة (جبل سمعان)
تنشو ܬܢܫܘ : مغرس (جرابلس)
تقاد ܬܩܐ : صولجان وعَلَم (جبل سمعان)
تلتانة ܬܠ ܬܢܐ : تل المخادع (اعزاز)
تلّ ترين ܬܠ ܬܪܝܢ : تل الثيران (الباب)
تلّ دادين ܬܠ ܕܕܝܢ : تل الاعمام (جبل سمعان)

تلّ سفير ܬܠܐ ܣܦܝܪܐ : تل الكاتب (اعزاز)
تلّ شور ܬܠܐ ܫܘܪܐ : تلّ السور (جبل سمعان)
تلّ شيح ܬܠܐ ܫܝܚܐ : تل الشيح (المعرّة)
تلّ عابور ܬܠܐ ܥܒܘܪ : تل المجاز (جبل سمعان)
تل كراتين ܬܠܐ ܟܪܬܝܢ : تل الكراث (ادلب)
تل مامو ܬܠܐ ܡܡܘ : اسم علم (جبل سمعان)
تل نصبين ܬܠܐ ܢܨܝܒܝܢ : تل الأغراس (جبل سمعان)
تل تونه ܬܠܐ ܬܘܢܐ : تل المخادع (ادلب)
تل حديا ܬܠܐ ܚܕܝܐ : تل الصدر (جبل سمعان)
تل عادة ܬܠܐ ܥܕܬܐ : تل النجاة (حارم)
تل عقبرين ܬܠܐ ܥܩܒܪܝܢ : تل الفار (حارم)
تل عمار ܬܠܐ ܥܡܪ : تل الساكن (حارم)
تليتينة ܬܠܝܬܝܢܬܐ : معلّقات (اعزاز)
تليلات ܬܠܝܠܬܐ : مستنقعات (جبل سمعان)
تليلة ܬܠܝܠܬܐ : مستنقعات (منبج)
تليلين ܬܠܝܠܝܢ : مستنقعات (اعزاز)
تل نيشا ܬܠܐ ܢܝܫܐ : تل الهدف (حارم)
تلنعة ܬܠܐ ܕܢܥܬܐ : تل الوصول (المعرّة)
جبالا ܓܒܠܐ : جبّال (المعرّة)
جبرين ܓܒܪܝܢ : رجال (حماة واعزاز وجبل سمعان)
جبول ܓܒܘܠ : جبّال (الباب)
جبين ܓܒܝܢ : آبار (جبل سمعان وجرابلس وحماة والمعرّة)
جدعين ܓܕܥܝܢ : اغصان (حارم)
جزرايا ܓܙܪܝܐ : جزّارون (جبل سمعان)
حاصين ܚܨܝܢ : ضهور (اعزاز)
حاليصه ܚܠܝܨܐ : الشدّاد (جرابلس)

حتان ܚܬܢܐ : عريس (حارم)
حتاني ܚܬܢܐ : عرايس (جبل سمعان)
حدث ܚܕܬܐ : جديدة (الباب)
حذرة ܚܕܪܬܐ : دوائر (المرّة)
حربتا ܚܪܒܬܐ : خربة (ادلب)
حرجلة ܚܪܓܠܐ : جراد (اعزاز)
حزامة ܚܙܡܬܐ : مناطق (الباب)
حزانو ܚܙܢܘ : ملعب (ادلب)
حزوان ܚܙܘܢ : ملعب (الباب)
حليصه ܚܠܝܨܐ : اشدّاء (اعزاز)
حمات ܚܡܡܬܐ : حمّامات (ادلب والباب)
حمية ܚܡܝܬܐ : حمّامات (جبل سمعان)
حنتوتين ܚܢܬܘܬܝܢ : حنطة (المرّة)
حورته ܚܘܪܬܐ : بيضاء (المرّة)
حيانا ܚܝܢܐ : نسيب (جبل سمعان)
حيانية ܚܝܢܝܬܐ : انسباء (جبل سمعان)
حيلا ܚܝܠܐ : خيل وعسكر (ادلب)
حيله ܚܝܠܐ : عسكر وخيل (جبل سمعان)
دابق ܕܒܩ : تابع مُوصِل (اعزاز)
داديخ ܕܕܝܟ : عتك (ادلب)
دارا ܕܪܐ : دار (حارم)
دارات ܕܪܬܐ : دور (منبج)
دارقينا ܕܪܩܝܢܐ : درّاق (حارم)
دليا ܕܠܝܐ : دليّ (حارم)
دير حنان ܕܝܪ ܚܢܢ : دير الكثيب (حارم)
دير سينا ܕܝܪ ܣܝܢܐ : دير الكرمة (حارم)

دير قاق ܕܝܪ ܩܩ : دير الغيهب (الباب)
ديرته ܕܝܪܬܗ : دير صغير (اعزاز)
ديان تحريف ܕܝܢܐ : جنوب (جبل سمعان)
راشه ܪܫܐ . رؤوس (المعرة)
راطونيه ܪܐܛܘܢܝܐ : راتينج (منبج)
راعه ܪܥܐ : مشقوقة (ادلب)
راعل ܪܥܠ : مرتعد (اعزاز)
ربعيتا ܪܒܥܝܬܐ : مربض (حارم)
رصافة ܪܨܦܐ : رصيف (ادلب)
زردنا ܙܪܕܢܐ : درع (ادلب)
زعرا ܙܥܪܐ : صغير (جبل الاكراد)
زعرايا ܙܥܪܝܐ : صغار (الباب)
زمار ܙܡܪܐ : مزمار (جبل سمعان)
زيتان ܙܝܬܐ : زيتونيّ (جبل سمعان واعزاز)
سيلي ܣܝܠܝ : عمولة (ادلب)
سرباية ܣܪܒܝܐ : مرزحة (جبل سمعان)
سرغايا ܣܪܓܝܐ : سراجون (حارم)
سرمدا ܣܪܡܕܐ : مشرومة (حارم)
سرمين ܣܪܡܝܢ : مشرومون (ادلب)
سقا ܣܩܐ : كريه (حارم)
سفيرة ܣܦܝܪܬܐ : دائرة كرة (جبل سمعان)
سلقين ܣܠܩܝܢ : صاعدون (حارم)
سين ܣܝܢ : قر (الباب)
شاغوريت ܫܓܘܪܝܬܐ : موقدة (ادلب)
شامر ܫܡܪ : مرسل (جبل سمعان)
شانورية ܫܢܘܪܝܬܐ : سنورة (جسر الشغور)

شيلة ܫܝܠܬܐ : سُبُل (الباب)
شرية ܫܪܝܬܐ : مشرومة (جبل سمعان ومنبج)
شعشور ܫܥܫܘܪܐ : سور مغلق او مسيّج (جبل سمعان)
شمارين ܫܡܪܝܢ : اسم السادة (اعزاز)
شولين ܫܘܠܝܢ : دروع ومسوح (المعرّة)
شويرين ܫܘܝܪܝܢ : مسوّرة (اعزاز)
شيح ܫܝܚ : شيح (جبل سمعان)
شيحه ܫܝܚܬܐ : شيح (منبج)
صراع ܨܪܥܐ : مصراع (المعرّة)
صريع ܨܪܝܥܐ : « «
صرين ܨܪܝܢ : شقوق (جرابلس)
صطه تحريف ܨܛܐ : جدران (جبل سمعان)
صفيرة ܨܦܝܪܬܐ : طيور « «
صندره ܨܢܕܪܐ : خشب الصندل (اعزاز)
صندي ܨܢܕܝ : شمرة (جرابلس)
صوران ܨܘܪܢܐ : عُنُقي (الباب واعزاز)
طاطية ܛܛܝܬܐ : عنقود (اعزاز)
طامورة ܛܡܘܪܬܐ : مطامير (جبل سمعان)
طرحانة ܛܪܚܢܬܐ : جبل رمل (جبل سمعان)
طلافح ܛܠܦܚ : عدس (جبل سمعان)
طليحية ܛܠܝܚܝܬܐ : ارض مسطحة (ادلب)
طليسية ܛܠܝܣܝܬܐ : فتيان (المعرّة)
طور لاها ܛܘܪ ܠܐܗܐ : جبل الله (حارم)
عبدة بيثة ܥܒܕܐ ܒܝܬܐ ܚܒܝܢܐ : عباد بائسون. كناية عن الرهبان (جبل سمعان)
عبرينا ܥܒܪܝܢܐ : معبر (حارم)
عبطين ܥܒܛܝܢ : لفافة (جبل سمعان)

عويرة ܥܘܝܪܬܐ : معابر (حارم)
عرية ܥܪܝܬܐ : كرمة (منبج ...)
عرادة ܥܪܕܘܬܐ : عشب (جبل سمعان)
عران ܥܪܢܐ : صُلب (الباب)
عرشاني ܥܪܫܢܝܐ : سينة (ادلب)
عرشين ܥܪܫܝܢ : سينة (حارم)
عريبا ܥܪܝܒܐ : مكفولة (حارم)
عفرين ܥܦܪܝܢ : تراب (جبل سمعان)
عقربا ܥܩܪܒܐ : عقرب (ادلب)
عقربات ܥܩܪܒܬܐ : عقارب (حارم)
عقربة ܥܩܪܒܬܐ : عقربة (جبل سمعان)
عليا ܥܠܝܐ : عالٍ (ادلب)
عمرية ܥܡܪܝܬܐ : ضيوف (جبل سمعان)
عولان ܥܘܠܢܐ : راعٍ (الباب)
عونيات ܥܘܢܝܬܐ : اغاني (الباب)
عويلين ܥܘܠܝܢ : مداخل (اعزاز)
عين شين ܥܝܢ ܫܝܢ : عين الجيران (جسر الشغور)
عيناته ܥܝܢܬܐ : عيون (ادلب)
فاسوق ܦܣܘܩܐ : قطّاع (حارم)
فجدان ܦܓܕܢܐ : غلق (جبل سمعان)
فركيا ܦܪܟܝܐ : متنزّه (المعرّة)
فرعه ܦܪܥܐ : شجرة الدفلى (ادلب)
فاراته ܦܪܬܐ : شجرة الخرّوب (جبل الشغور)
فاشوته ܦܫܘܬܐ : قرّاسون (جبل سمعان)
قاطة ܩܛܐ : رماد (منبج وجبل الاكراد)
قباين ܩܒܝܢ : اهراء (الباب)

قبر ايو ܡܕܝܢܬܐ : قبر الام (منبج)
قرشين ܩܪܫܝܢ : برد قارس (حارم)
قرصاية ܩܪܨܝܬܐ : قورشيون (ادلب)
قرقنيا ܩܪܩܢܝܐ : اسكاف (حارم)
قرقور ܩܪܩܘܪ : مركب (جسر الشغور)
قطرة ܩܛܪܬܐ : عُقد (المعرّة)
قمر كلبين ܩܡܪ ܟܠܒܝܢ : بئر الكلاب (اعزاز)
قلقوم ܩܠܩܘܡܐ : قلة (جرابلس)
قليدين ܩܠܝܕܝܢ : مفاتيح (جسر الشغور)
قنسرين ܩܢܣܪܝܢ : عشّ النسور
قنية ܩܢܝܬܐ : قصب (جسر الشغور)
قوقين ܩܘܩܝܢ : مرجل (المعرّة)
قيتون ܩܝܬܘܢ : قذّان (جبل الشغور)
قيطه ܩܝܛܗ : مصايف (منبج)
كته ܟܬܐ : قب (حارم)
كيخة ܟܝܟܬܐ : بيوت الرهبان (جبل سمعان)
كين ܟܝܢ : اكداس (الباب)
كنتين ܟܢܬܝܢ : قبب (ادلب)
كفر ܟܦܪ : قرية (ادلب) .
كفر ابين ܟܦܪ ܐܒܝܢ : قرية الراهب (جبل سمعان)
كفره ܟܦܪܗ : قرى (اعزاز)
كفربا ܟܦܪ ܐܒܐ : قرية الاب (ادلب)
كفربين ܟܦܪ ܒܝܠ : قرية بيل (جبل سمعان)
كفر تبر ܟܦܪ ܬܒܪ : قرية الذئب (جبل الاكراد)
كفر جوم ܟܦܪ ܓܘܡ : قرية العين (جبل سمعان)
كفر حاته ܟܦܪ ܚܝܛܐ : قرية الجدد (حارم)

كفر حايه ܟܦܪ ܚܝܐ : قرية الأحيا (ادلب)
كفر حوار ܟܦܪ ܚܘܪܐ : قرية البياض (حارم)
كفر حوم ܟܦܪ ܚܘܡܐ : قرية الحرّ (حارم)
كفر خاشر ܟܦܪ ܚܫܪܐ : قرية المجتهد (اعزاز)
كفر داعل ܟܦܪ ܕܥܠܐ : قرية الثعلب (جبل سمعان)
كفر دبين ܟܦܪ ܕܒܝܢ : قرية الذباب (جسر الشغور)
كفر ديّان ܟܦܪ ܕܝܢܐ : قرية الحاكم (حارم)
كفر رحيم ܟܦܪ ܪܚܝܡܐ : قرية الصديق (اعزاز)
كفر روحين ܟܦܪ ܪܘܚܝܢ : قرية الرياح (حارم)
كفر زيبا ܟܦܪ ܙܝܒܐ : قرية الكذب (ادلب)
كفر شلايا ܟܦܪ ܫܠܝܐ : قرية الرهبان الصامتين (ادلب)
كفر صفره ܟܦܪ ܨܦܪܐ : قرية العصافير (جبل الاكراد
كفر صفير ܟܦܪ ܨܦܝܪ : قرية العصفور (جبل سمعان)
كفر توته ܟܦܪ ܬܘܬܐ : قرية التوت (اعزاز)
كفر عروق ܟܦܪ ܥܪܘܩܐ : قرية الهارب (حارم)
كفر كرمين ܟܦܪ ܟܪܡܝܢ : قرية الكروم (جبل سمعان)
كفر كلبين ܟܦܪ ܟܠܒܝܢ : قرية الكلاب (اعزاز)
كفر كيلا ܟܦܪ ܟܝܠܐ : قرية المكيال (حارم)
كفر لوزين ܟܦܪ ܠܘܙܝܢ : قرية اللوز (حارم)
كفر ناصح ܟܦܪ ܢܨܝܚ : قرية الشهير (اعزاز)
كفر نايا ܟܦܪ ܢܝܐ : صاحب القرية (اعزاز)
كفريا ܟܦܪܝܐ : قرويّ (المرّة)
كفريني ܟܦܪܝܢܝ : قرويّون (ادلب)
كفليدين ܟܦܠܝܕܝܢ : قبع (حارم)
كفين ܟܦܝܢ : جائع (اعزاز)
كليد ܟܠܝܕܐ : مفتاح (جرابلس)

كمايا ܟܡܝܐ : جراد (جسر الشغور)
كوارو ܟܘܐܪܐ : كوارة (حارم)
كورين ܟܘܪܝܢ : قرى ادلب)
كوسيه ܟܘܣܝܬܐ : محدوب (جبل سمان)
كوكبا ܟܘܟܒܐ : كوكب (جبل الاكراد)
كوكبه ܟܘܟܒܐ : كواكب (المعرّة)
مارتين ܡܪܬܝܢ : سيّدات (ادلب)
مار سابا ܡܪܝ ܣܒܐ : مار سابا (جبل الاكراد)
مجدليا ܡܓܕܠܝܐ : برجيّ (ادلب)
مران ܡܪܢ : سيّدنا (الباب)
مربات بيثه ܡܪܒܝܬ ܒܝܬܐ ܕܥܡܐ : مرابض البانين (جبل سمان)
مرعايا ܡܪܥܝܐ : مرضى (المعرّة)
مرعيان ܡܪܥܝܢ : مُرض (ادلب)
مريين ܡܪܝܝܢ : مرتفعون (جبل سمان . . .)
مصيين ܡܨܝܝܢ : غرسات (ادلب)
منارة الارتيق ܡܢܪܬܐ ܕܐܪܬܝܩ : منارة الارتوقي (جبل سمان)
مراتة ܡܪܬܬܐ : مناوره (اعزاز وادلب والمعرّة)
مربليت ܡܪܒܠܝܬ : مغربلات (ادلب)
مربونة ܡܪܒܘܢܐ : مغربلون (ادلب)
معرة مصرين ܡܥܪܬܐ ܕܡܨܪܝܢ : منارة مصر (ادلب)
معرة دبسة ܡܥܪܬܐ ܕܕܒܣܐ : منارة الدبس (ادلب)
معر زاف ܡܥܪܬܐ ܕܙܦܐ : منارة النفاق (ادلب وحماة)
معر زيتا ܡܥܪܬܐ ܕܙܝܬܐ : منارة الزيتون (المعرّة)
معرسة ܡܥܪܣܬܐ : منارة الكرمة (اعزاز)
معر شمارين ܡܥܪܬܐ ܕܫܡܪܝܢ : منارة المطروحين (المعرّة)
معر شمشه ܡܥܪܬܐ ܕܫܡܫܐ : منارة الشمس (المعرّة)

ܡܪ ܫܘܪܝܢ ܡܕܝܢܬܐ ܕܡܪܥܬܐ : منارة الاسوار (المعرّة)
ܡܪ ܡܝܐ ܡܕܝܢܬܐ ܕܡܝܐ : منارة الماء (حارم)
ܡܪܝܢ ܡܕܝܢܬܐ : مناور (اعزاز)
ܡܨܪܬܐ ܡܚܪܬܐ : معاصر (حارم)
ܡܥܠܬܝܐ ܡܕܝܠܬܐ : مداخل (ادلب)
ܡܥܠܐ ܡܕܝܠܐ : مداخل (ادلب)
ܡܢܚ ܡܢܚܝ (ܡܢܚܐ) : منبت .
ܡܛܪܐ ܡܛܪܐ : تحرّس (جسر الشغور وجبل سمعان)
ܡܛܦ ܡܛܦܐ : مقطر الماء (ادلب)
ܡܢܝܐ ܡܢܝܬܐ : مراكز (جبل سمعان)
ܡܪܝܢ ܡܪܝܢ : سادة (ادلب)
ܡܙܪܐ ܡܙܪܬܐ : ممدودة (ادلب)
ܡܪܩܐ ܡܪܩܐ : نعال (المعرّة)
ܢܚܠܝ ܘܢܚܠܝܐ ܕܢܚܠ : وادي (ادلب)
ܢܩܪܝܢ ܢܩܪܝܢ : حفائر (جبل سمعان)
ܢܝܚܐ ܢܝܚܐ : مستقرّ (المعرّة وادلب)
ܢܝܪܒ ܢܝܪܒ : وادي (حلب وادلب)
ܢܝܪܒܝܐ ܢܝܪܒ : الساكنون في الوادي (اعزاز)
ܘܪܝܕܝ ܘܪܝܕ : عروق (جبل سمعان)

٥ قرى انطاكية السريانية

ܒܝܬܪܐ ܒܝܬ ܒܪܬܐ : بيرت الضواحي
ܒܝܬܪܘܢ ܒܝܬ ܒܪܬܐ : بيرتات الضواحي
ܒܪܒܪܘܢ ܒܪ ܒܪܐ : ابن الابن الصغير
ܒܝܬܐ ܒܝܬ ܫܝܚ : بيرت الشيوخ
ܒܝܬܪܐ ܒܝܬ ܒܪܬܐ : بيت الاخبار

باسليته ܒܝܬ ܫܠܝܬܐ : بيت المنصين
بايرة ܒܝܪܬܐ : الاراضي القحلة
بترين ܒܝܬܪܝܢ : ضواحي
بخشين ܒܝܬ ܚܫܝܢ : بيوت معتزلة
بسركه ܒܝܬ ܫܪܟܐ : بيت الاغصان
بعينان ܒܝܬ ܥܝܢܐ : بيت العين
بغراس ܒܝܬ ܓܪܝܢܐ : بيت الطحن
بقاتون ܒܝܬ ܩܛܘܢܐ : بيت الحطب
بيسون ܒܝܬ ܐܣܝܘܢܐ : بيت الطبيب
بيليلة ܒܝܬ ܠܝܠܐ : بيت الليالي
تل حبش ܬܠ ܚܒܫ : تل الحبس
تلة ܬܠܐ : تلال
تليات ܬܠܝܬܐ : معلقات
تل كاكل ܬܠ ܟܟܘܠ : تل الخبز
تليل ܬܠܝܠ : مستنقع
جندارية ܓܢܕܪܝܐ : دحروجة
جنتو ܓܢܬܐ : بخاني
جرم ܓܪܡܐ : جزّار
درسونية ܕܪܣܘܢܝܐ : مغذية
درعونية ܕܪܥܘܢܝܐ : متأة
دوير ܕܘܝܪܐ : مسكن
سارية ܣܪܝܬܐ : كبيرون
سلقية ܣܠܩܝܐ : مصعد
سورته ܣܘܪܬܐ : صور
سوسيه ܣܘܣܝܐ : خيل
شاغرة ܫܓܪܬܐ : موقدة وساقية

طرفند او ܗܢܓܐ : مكان المصباح
طامسيه ܛܡܝܣܝܗ ܐܣܐ : مكين الاساس
عامودية ܥܡܘܕܝܐ : عماد ، دعامة
عبارة ܥܒܪܘܬܐ : معبر
عتزرين ܥܬܪܪܝܢ عتزروت
عنصو ܥܝܢ ܒܫܐ : عين الباشق
فرزله ܦܪܙܠܐ : حديد
فرفري ܦܪܦܪܝܐ : فيضان
قرقيه ܩܪܩܝܐ : حطب وغراب
كفر عابد ܟܦܪ ܥܒܕ : قرية العبد
مارسو ܡܪܝ ܐܣܝܐ : مار اسيا
مدنبو ܡܕܢܒܘ : مذنب مؤخر
مسخانو ܡܣܟܢܘ : مسكين
مسطبة ܡܣܛܒܬܐ : دكة مسطبة
مراته ܡܪܬܬܐ : مغاور
مندله ܡܢܕܠܐ : ابراج
مينات ܡܝܢܐܬ : ذخائر تدبين
نباتين ܢܒܛܝܢ : نباتات
يقطو ܝܩܛܘ : محرقة

٦ قرى الجليل العليا

نضم الى ما سبق كلمة عن قرى الجليل العليا الباقية عليها مسحتها السريانية. فقد ذكر الكتاب المقدس (٣ ملوك : ٩) ان حيرام ملك صور الفونيقي امد سليمان الملك بخشب ارز وسرو وبذهب لاجل بناء هيكل اورشليم الشهير ، وانّ سليمان بدوره اعطى حيرام عشرين مدينة في ارض الجليل . فخرج حيرام لينظر الى تلك المدن فلم تحسن في عينيه فقال لسليمان: ما هذه المدن التي اعطيتني

يا اخي وسأها ارض « كابول » الى اليوم .

وكابول لفظ سرياني ارامي محرّف « ܟܒܘܠ ܐܪܥܐ » يُراد به ارض ذات اشواك وقرطب . ومذ ذاك الحين سكن الفنيقيون تلك الاراضي ومصروها واضافوا اليها بعض المدن والقرى على توالي الاحقاب . وأطلق عليها اسم بلاد الجليل . ثم قُسمت هذه البلاد قسمين : جليل عليا ، وجليل سفلى . فالجليل السفلى وقعت بحصة اسباط يساكر وزبولون ونفتالي واشير . اما الجليل العليا فأصبحت مذ ذاك في ملك الفنيقيين والآراميين والعرب . ولذا أُطلق عليها اسم « جليل الامم » (اشعيا ٩:١ ومتى ١٥:٤) وكانت لغتهم غير لغة العبرانيين ، ولهجة هؤلاء غير لهجة اولئك (مرقس ٧:١٤ ، ويو ٤٦:١ و٥٢:٧ ، واعمال ٧:٢) الخ . وليست تلك اللغة الجليلية الّا اللغة الآرامية السريانية[1] التي لبثت آثارها مستمرة باقية حتى اليوم في بعض قرى الجليل العليا التي دُعيت « بلاد بشارة » في الازمنة المتأخرة . والى القارئ اسماء ما تبقّى منها تلخصها عن مقالتين جميلتين نشر الاولى حضرة الخوري ابرهيم حرفوش عام ١٩٠٧ ، ونشر الثانية حضرة الاب فردينند توتل اليسوعي عام ١٩٢٣ ، في مجلة « المشرق » وهي :

بارين ܒܪܝܢ : آبار
بصه ܒܨܐ : جراير
بقيعة ܒܩܝܥܬܐ : صخور مشقّقة
بيت ليف ܒܝܬ ܠܝܦ ܟܦܐ : بيت مضروم
تبنين ܬܒܢܝܢ : تبن
ترسحات الماء ܬܪܣܚܬ ܡܝܐ : مكان الشروق
جدين ܓܕܝܢ : حظوظ
جش ܓܫ : قمر
جنانا ܓܢܢܐ : حدائق

---

١) اوسابيوس القيصري . كتاب « الظهور الالهي » وقد نشر بعضه الاب بولس بيجان في المجلد الاول من ميامر مار يعقوب السروجي . (٧٢٣-٧٣٦)

حاصور ܚܨܘܪܐ : سياج

حزور ܚܙܘܪܐ : تفّاح

حزيرة ܚܙܝܪܬܐ : خنازير

حمون ܚܡܘܢܐ : حمو صغير

دبل ܕܒܠܐ : قرصة تين

دور دخيا ܕܘܪ ܕܚܝܐ : موضع درس الحصيد

رامة ܪܡܬܐ : ربوة

رميش ܪܡܝܫ : مساء

سحاتا ܣܚܬܐ : بيوت مقرّاضة

شقيف ܫܩܝܦܐ : كهف

شقيف ارنون ܫܩܝܦ ܐܪܢܘܢ : كهف تيس الجبل

طويرة ܛܘܝܪܬܐ : حظائر

طيرة ܛܝܪܬܐ : طيور

عاناتا ܥܢܬܐ : غنم

علمان ܥܠܡܢܐ : جديد . حديث

عيتا ܥܝܬܐ : بيعة

فاصوطا تصحيف فاصيدا ܦܨܝܕܐ : غدير

فرحاطه تصحيف كفر حاطه ܟܦܪ ܚܛܐ قرية الحنطة

قانا ܩܢܐ : عش

قطمون ܩܛܡܘܢܐ : رماديّ

مليا ܡܠܝܐ : مرتفع

ميرون ܡܝܪܘܢ : مرّ . ويقال مروت ܡܪܘܬܐ : سيادة . وهي الحدّ الفاصل بين الجليل العليا والجليل السفلى .

من الخزانة الشرقية

بقلم حبيب زيات

التنبيه والاشراف

كتاب انساب الاشراف

لاحمد بن يحيى بن جابر البلاذري

القسم الثاني من الجزء الرابع

١٧٣ صفحة . والذيل عليه ٤٧ صفحة . الثمن ١٥ شلناً — مطبعة الجامعة العبرية بالقدس ١٩٣٨

هو المجلد الثاني من هذا التأليف الطريف الذي اصدرته الجامعة العبرية وابتكرت طبعه بعد الجزء الخامس . وقد وكلت ضبط متنه والتعليق عليه لاحد علماء المشرقيات فيها . فتقدم عليه ثلاث مقدمات بالعبرية والعربية والانكليزية . وألحقه بذيل وافٍ ضمّنه ما وقف عليه بعد البحث الطويل والتنقيب الشديد من المعارضات والاستدراكات والتصويبات والفوائد المعينة على استيضاح الاصل وحسن قراءته . وقسم كل صفحة من هذا الذيل قسمين . ساق في الاعلى منها كل الشواهد التي عثر عليها في كتب الادب والتاريخ في معنى كلام البلاذري ولفظه احياناً مع الاشارة الى اسم كل كتاب منها وارقامه . ودوّن في الادنى منها ما تبيّن له او رجح لديه في تمثيل المتن المخطوط من القراءات والاختلافات وبعض الشروح عند الاقتضاء . ونبّه على مواضع الشك والتسديد بعد الدلالة على كل كلمة وسطر بغاية الضبط والتمييز . فاجتمع من هذه القيود والآراء ذخيرة وافية يستعين بها المطالع على دراسة البلاذري والاقتباس منه . ولا عهد لنا في الشرق بمثل هذه الخدمة البالغة التي لا يضطلع بها الا الراسخون في العلم . ولكن قد يسوء بعض القراء بيننا ان الطابع اختار كتابة هذه الحواشي بالانكليزية وحدها بحيث لا ينتفع بها الا من كان قد شدا شيئاً من هذه اللغة وألف مطالعتها . واسترشد المصحح احياناً في بعض اقواله بآراء اصدقائه من علماء المشرقيات اليهود كالاستاذين كونكو ودلاڤيدا ، حرصاً على ان تبقى للكتاب صبغته العبرية البحتة ، ولا سيما انه موسوم باسم الجامعة . وحبذا لو توفر امثال

هؤلاء الاساتذة العربيين على متابعة خدمة الآثار العربية لجدارتهم بحسن البلاء فيها لما بين اللغتين العربية والعبرية من النسب والصلة وهما شقيقتان تفرّعتا من اصل واحد .

ولا يجهل احد ما للبلاذري من القدر والمنزلة بين مؤرخي القرن الثالث للهجرة . وكتابه « فتوح البلدان » اظهر دليل على فضله . وقد نهج في تدوين اخبار « انساب الاشراف » منهج المحدّثين في تتبع الروايات وتلقيها من كل فم وقلم ، دون العناية بنقدها او تمحيصها . فربما اجتمع له في حكاية الخبر الواحد اقوال متباينة ينقلها على علّاتها كما وعاها وانتهت اليه ، تاركاً للقارئ الخيار في ان يأخذ منها ويدع ، غير مبالٍ بما يشينها احياناً من الفحش والقذر كالخبر الذي افتتح به هذا الجزء ورواه عن خلوة يزيد بن معاوية بجارية من جواريه وما قاله فيها من الشعر القذع . ولم يفطن الى ان هذه الخلوة سرّ غابت شهوده . فمن تُرى سمع يومئذ ابيات يزيد وحفظها عنه . أجاريته السوداء ام امرأته المغبونة ؟ ولم يكن يخفى على الخليفة نفسه ما في ترداد مثل هذه البذاءة وافشاء هذا المجون من قلة الوقار والتجمل . فلا ريب ان هذا الخبر المنكر هو من جملة الاسمار الموضوعة في عهد العباسيين للنيل من يزيد والامويين . وفي ما ساقه البلاذري من الاحاديث المتناقلة عنهم صدى للعداء والمقت الذي كان شاملاً في زمانه كل رجال دولتهم . على ان بينها من اللُّقط والطرائف التي لم ترد في كتاب آخر من الكتب التي اتصلت بنا ما هو حقيق باسترعاء نظر كل من يُعنى خصوصاً بتاريخ الامويين والشام .

والكتاب غاية في اتقان الطبع وجودة الورق . ولكنه لم يسلم من اغلاط الطبع وهي غير ذات بال ذُيِّل الفهرست منها عن الصفائر الآتية :

صفحة	سطر	الخطأ	الصواب
٥	٢٠	ولا تحطّ بها	تحطّ
٤٠	٢	اتى به الحُسين	الحُصين (بن نمير)
٨٦	٨	كان عبدالله آكولاً	أكولاً
٩٤	٦	الخوارج	الخوارج
١٠١	١٢	جماعة	جماعة
١٦٨	٨	بُنات الخير	بُناة (جمع باغٍ كقاضٍ وقضاة)

ومن اغلاط الشكل :

١٠	٦	لم يزل ابوك جَدَّ رشيدِ	جِدّ رشيد بكسر الجيم . وفي معاجم اللغة يقال : فلان عالم جِدٌّ عالم اي متناه بالغ النهاية في العلم
١٠	١٢	الماك بُرقة الضباع	ولم يُقل برقة في معنى برقع . والصواب بَرقة بفتح الباء وهي المرّة من برقع كما سيجيء من قول شهوات مولى بني تيم من ابيات : « بَرقعِ الدبَّ واحمل القرد واترل » (ص ٢٥)
١٢	١٢	فظع بموت معاوية وكَبُر عليه	والاولى كَبُر عليه اي ضاق ذرعاً بموته وعَظُم عليه
٢٦	١٤	ولكن على اقدامنا يقطُر الدما	وهو عجز بيت صدره « ولسنا على الاعقاب تدمى كلومنا » وورد في الاصل المخطوط «الدماء» مجموعة بكسر الدال . فصحّح باسقاط الهمزة وفتح الدال . وهو وهم لا يتبين معه فاعل يقطر . والصواب « تقطُرُ الدما » بكسر الدال وهي فاعل تقطر
٦٨	١٩	أأنت تأمر كلباً ان يقتّلنا	وكيف يمكن منهم بعد قتلهم ؟ والصواب « اذا قُتِلوا » بالفتح اي تحميهم منا اذا قتلونا .
٩٢	١٥	من بيوت السَّوء	ولفتح السين وجه مقبول ولكن الأولى ضمّها .
١١٨	٨	طارق السَّوء	والمضموم الضرر . والمفتوح الفساد .
١٠٧	٩	قشط رأس لَمَبة	والصواب لُمَبة للشمال الذي يُلعب به .
١٤٨	٥	ولا مستنفعاً انت نافع	والاصل لا شك « مُستنفَعاً » بفتح الفاء اي اذا شئت النفع لا تنفع . كقوله قبلاً « ولا انت ضائر عدوّاً »

وما خلا هذه الهنات ، واضع رأينا في روايتها وضبطها محلاً للنظر والمراجعة نوردها هنا مرتبة حسب صفحاتها وسطورها مع الاشارة الى ما رجح لدينا من تقويمها . ولعلنا لم نُبعد فيها كثيراً عن اصل المؤلف :

صفحة	سطر	
٢	١	« كان يحمله (الفرد) على اتان ويرسلها مع الخيل فيسبقها » قال في الحاشية « قد يكون فتسبقها » ، ولا محل للتردد . وهذه القراءة متحتمة دون شك لقوله في البيت الثاني : « فقد سبقت خيل الجماعة كلها . . . اتان »
٢	١٧	« سكنت من جلق بيّما » وجاءت هذه الرواية في غير كتاب واحد . والصحيح « بُثَنا » جمع بثنة . وهذه البثن هي التي عناها بقوله بعدُ « في جنان ثمّ موثنة »
—	٢	« اذا اتكأتُ على الانماط في غُرُفٍ » كذا بالعين المهملة والراء المضمومتين .

والصواب « في غُرَف » جمع غُرفة . والكلام على دير مُرّان . يريد بالغُرف حُجر الدير الذي كان ينزل فيه يزيد وقلاليّه . ونظيره قول الخالدي في قلالي الدير المعروف بمُسر الزعفران المطلّ على نصيبين :

واقتُ في غُرَفٍ لديـــهِ كأنما غرف الجنان

(مسالك الابصار للعمري ٢٠٦)

٣ ٢ « بالنرقذونة » وقد كثر التصحيف في هذا الاسم لجته وكُتب ايضاً « التذقذونة » و« المذقذونة » كما في ياقوت . ولا شك انها كلها تصحيف « خلقدونة » (Chalcédoine) كما رواها ياقوت ايضاً (معجم البلدان طبعة اروبة ٢ : ٤٠٧)

٣ ٥ « ليزونه » ولا مرجع للضمير في قول معاوية . فالاولى « ليزون » باسقاط الهاء .

٥ ١٩ « فاعهد مقالتكم خذها يزيد وقل » . قال : « لعلها فاعَهَدْ تقايتكم » ورجح الاستاذ كرنكو « فاغيدْ مقاتلكم » وكلاهما لا يستقيم له معنى صحيح . والاشبه عندنا ان الشاعر اراد ان يقول « فاعهد مقالتكم » اي تذكر قولكم حين هم معاوية باستخلافك « خذها يزيد » اي الخلافة . وقل اليوم وانت تريد استخلاف ابنك معاوية « خذها معاويَ غير العاجز المَرِم » . وهو ما صرّح به ايضاً ابن همّام بقوله من ابيات :

تلقاها يزيـدُ عن ابيه فخذها يا معاويَ عن يزيد

٨ ٢ « واحضرت عذرًا عليه الشهود ان قاتلًا ذاك او تاركه »

والاصل لا شك « إن قابلًا » من القبول ضد الترك

١٠ ١٢ ألهاك برقة الضباع عن العمى حتى . . . وانت لاهٍ تلعب

بسقوط كلمة بعد حتى . قدّر الاستاذ كرنكو في مكانها « حتى تقيه » واختار الاستاذ دلّافيدا « حتى هلكتَ » . والذي يستدل من توطئة الابيات وهي « قال عبد الرحمن بن الحكم اخو مروان في يزيد حين خلعه ابن الزبير » ان اللفظة الساقطة هي « حتى خُلعتَ »

١١ ٨ ولستُ له في فضلة الكأس قائلًا لاصرعه سكرًا يخسّ وقد ابى

وعلى هذه الرواية لا يتبين المراد من البيت . وقد ضاق المصحح ذرعاً بتوجيه كلمة « قابلًا » فكتب ما يأتي perhaps a technical term used in connection with the rites of a disking-bout. Possibly is to be read قائلًا . وكان في المخطوط لديه « تخس » فابدل منه « يخسّ » ولا ندري ما الذي تبين له من معنى هذه اللفظة حتى اختارها في مثل هذا البيت . ونحن لا نتردد لحظة عن تسديد البيت كما يأتي :

ولستُ له في فضلة الكأس قائلًا لاصرعه سكرًا تَخَسَّ وقد ابى

اي اذا ابى الندم فضلة في كأسه وقد ابى تناولها ، لا اقول له « تخسّ » اي

اشرب ، لاصرعه سكرًا . وهذا التفسير يؤيده البيت التالي :

١١ ٦ ولكن احبيه واكرم وجهه واصرفها عنه واسقيه ما اشتهى

وقد ضرب صفحًا عن كلمة « اشتهى » فلم يعالج تفسيرها ولجأ الى قول للجاحظ في اختيار كمية ما يشرب الندم في مجلس الملك وفي حق الندم على الملك (كتاب التاج ٢٢) والمطلب ايسر جدًا من ان يُحتاج فيه الى مثل هذا التأويل البعيد . وانما لفظة « اشتهى » تحريف « اشتعى » اي اصرف فضلة الكأس عن الندم واكرمه واسقيه ما اشتعى .

١٢ ١٣-١٤ « كان مروان لا يأتي الوليد الا معذرًا متكارهًا حتى شتمه الوليد في مجلسه فجلس عنه مروان » . وليس في اللغة جلس عنه . وانما هو من تصحيف النساخ . والاصل دون ريب « فخنس عنه » اي تأخر وانقبض .

١٤ ٢٢ « ان الحسين اتى الوليد . . . فلما رأى عنده مروان وقد كانت بينه وبين الوليد تلك النِغرة » كذا بالنون المكسورة والغاء . والصواب النَفرة بالنون المفتوحة والفاء . وقد أُشير اليها في السطرين السابقين .

٢٦ ٢١ « لما قتل أُنيس في المعركة وانتفضَ عن عمرو وجُلّ من ... » . وانما هو انفضَّ بالفاء اي تفرق وهو يتعدى بمن .

٣٠ ١-٢ « سهل الخليقة لَيِّن الكتِف » بالتاء المكسورة ، ولا معنى له . والاصل الصحيح « الكَنَف » بالنون المفتوحة اي الجانب .

٣٠ ١٨-١٩ « يزيد الفهود ويزيد القرود . ويزيد الكلاب . ويزيد النَشَوات ويزيد الفلوات » قال في الذيل : كل هذا من التسجيع ويحتمل ان يكون سقط بعد قوله « ويزيد الكلاب » فقرة اخرى هي « ويزيد الالباب » . قلنا : والارجح ان السجعة الساقطة بعد يزيد الكلاب هي « ويزيد الذباب » ، بدليل قول موسى شهوات مولى بني تيم يخاطب يزيد بن معاوية :

بَرِّقع الدبَّ واحمل القرد واترك في بلاد الوحوش في الفلوات (ص ٣٥)

٣٥ ١٧ انتَ منا وليس خالك منا يا مجيب الصلاة للدعوات -

وفي الصدر من تناقض القولين ما هو بيّن ظاهر . والبيت لرجل من كلب . ومعلوم ان ام يزيد كانت كلبية وهي ميسون بنت بحدل . فكان من ثم بنو كلب اخوال يزيد . فكيف يمكن ان يقول له الشاعر الكلبيّ ليس خالك منا ؟ قال البلاذري : « كان خالد (بن يزيد) يتعصب لاخوال ابيه من كلب (ص ٦٨) ولذلك قال الشاعر ليزيد : انت منا » فلا ريب ان في القول الثاني بعض تحريف من النساخ . والذي يتضح لنا ان الاصل « اليس خالك منا » بوضع همزة الاستفهام بدلًا من الواو الساقطة . او « وإنّ خالك منا » اي بالاثبات مكان النفي وبذلك يستقيم المعنى والوزن .

وقد اشكل على المذيّل معنى « يا مجيب الصلاة للدعوات » فقال : قد يكون

الاصل « يا مُجاب الصلاة » او لعلها «الصلات» بالكسر جمع صلة . وارتأى الاستاذ دلافيدا وضع لفظة « يا مُضيف » (كذا) في مكان « يا مُجيب » وكل ذلك تكهّن وتحكّم غريب . وما في الاصل هو الصحيح . اراد الشاعر الكلبي بهذا البيت خصوصاً معارضة قول موسى شهوات في الصفحة نفسها :

لستَ منا وليس خالك منا يا مُضيع الصلاة للشهوات

فقابل كل نفي بالاثبات . واراد بالدعوات دعاء المؤذّن للصلاة .

٣٧ ٧ « ان مروان والامويين رجعوا فلم يبيتوا على اهل المدينة » من عاب بالباء . وهو تصحيف والاصل دون ريب « فلم يبيتوا » بالنون . اي في قتال يوم الحرة . وكان اهل المدينة كما قال المدائني «اخذوا عليهم العهود الّا يبيتوا عليهم الجيش» (الاغاني ، طبعة الدار ، ١ : ٢٢)

٤٢ ١٢ « فما بالنا منهم وان شفّنا جلل » كذا بضم الفاء من شفّنا وبالباء في بالنا . ولا يتضح له وجه في اللفظتين والصواب كما رواه ياقوت في كلامه على حرّة واقم :

وان ينجُ منكم عائذ البيت سالماً فما نالنا منكم وان شفّنا جلل

(معجم البلدان ٢ : ٢٥٢)

باثبات النونين في « نالنا » ، وفتح الفاء من « شفّنا » يقال شفّه الهم اي اوهنه واضعفه . والابيات الثلثة خطاب لانصار عبدالله بن الزبير عائذ البيت كما كان يدعو نفسه . واولها « وان تقتلونا » بناء المخاطبة بدلاً من ياء الغيبة . وبالواو باولها لكون البيت سالماً من الخرم . والمعنى ان ينجُ سالماً عبدالله بن الزبير فقد أبنا ايضاً بالسلامة ، وما اصابنا منكم هيّن يسير ، وان كان قد شقّ علينا .

٥٣ ٥-٧ ابن الزبير بئس ما تولّى اذ حرّق المقام والمصلّى قبلة من حج مماً ولبّى ويبعد جداً ان يكون الراجز قرن اللام بالياء في الروي . والظاهر ان لفظة « لبّى » من تحريف النساخ . ويغلب في التقدير ان الاصل « قُبلة من حجّ مماً وهلّا . »

٧٣ ١-٢ « اترضى حالك هذه للموت . قال لا . قال فهل انت مُجمع على الانتقال الى حال ترضاها للموت . قال ما سخت نفسي بذلك بعد » . يقال سخت بكذا عرّض به ولم يصرّح . والاظهر انه غير المراد هنا . وكان في الاصل المخطوط « سخت » بالسين والخاء اي رضيت وسمحت وهي اشبه بالمقام فكان الاول اثباتها كما هي .

٧٨ ٥ وشربت برداً ليتني من بعد برد كنتُ هامه
هامة تدعو الصدى بين المقفّر والسلامه

بتكرار هامة في البيت الثاني . وفي الكامل للمبرد « هتّافة » وهي اصح الروايات ، وبها يستقيم الوزن ، وكانت احق ان تؤثر .

٧٩ ٦ « اني احب اذا نزل كرمان » بدلا من ان انزل

٨٧ ٨ ليسَ زيادٌ كـاءَ المزَّ مُنكَرُهُ لكن كـاءَ زياد كان من صوف
كذا بضبط الصدر وشكله الغريب . وفي الذيل : يحتمل انه يكون الاصل
«ليس زيادٌ كـاءَ المزَّ بنكره» وذهب الاستاذ دلافيدا الى ان الاصل بالاحرى :
« لابن زيادٍ كـاءَ المزَّ مُنكَرُه » واللحن ظاهر في كلا التقديرين . والاصح
« ليسَ زيادٍ كـاءَ المزَّ مُنكرةٌ » بنصب كـاء اي ان اكتساء زياد بالمز
بعد الصوف من المنكرات .

٨٨ ٢ « وجدنا عروة بِشَرْب في دار . فضحك عبدالله وقال كذبتم . ليته كان يشرب »
وهذا القول كان كافياً للتنبيه على ان الاصل « بشرب » فلا يُتوقف عن
تصحيحه .

٩٠ ٧ « كان بين بشكر وعترة في امر الابل كلام فكادوا يتقاتلون حتى غرمها
حمران العتري » والصواب « يتقاتلون حتى غرمها » اي الابل المفقودة .

١٠٧ ٢٠ « فمُثبت عليه » والضمير عائد الى كلمة قبيحة قالها الاحنف لامرأة اتته
بجسر . ولا يقال عتب عليه كلاماً بمعنى نَقَمَهُ . والاصل لا شك « فبيت عليه » .

١١٦ ٢ « اتيتك في امر عليك فيه قضاء . قال فلا قضاه الله علي فيما يصلحنا » ولا يتبين
معنى قوله « فلا قضاه » بهاء الضمير . والصواب « فلا قضاءَ » بالهمز .

١٢٢ ٢ « رأيت الاحنف يطوف في المسجد على الحَلَق » كذا بالهاء المفتوحة واللام
المفتوحة . وهو وهم صوابه « على الحلَق » جمع حَلْقة اي دوائر المسجد .

١٢٩ ٢ « ما ادري اضعفتَ ام ضجَّعت الرأي » وضجَّع لا يتعدى بنفسه . يقال ضجَّع
في الامر قصّر فيه ووهن . فلا بد من اضافة « في » بعد قوله ضجعت .

١٣١ ١٤ « فجذف زمام ناقته فاعرمت النجرة » ومعنى جذف قطع . ولا بد من جذب
الزمام لتنخرم النجرة . فالاصل دون ريب « فجذب » بالباء .

١٣٥ ١٧ ألا يا لقوم للنوائب والدهر وللمرء يُردي نفسه وهو لا يدري
كذا بالكسر بعد لام الاستغاثة الاولى . وبالضم بعد اللام الثانية . ولا يخفى ان
الاصل « بالقومي » بالياء و« للمرء » بالكسر .

وثمّ مواضع اخرى يقف عندها القارئ حائراً متردداً لبعض الابهام في رواية الفاظها فلم نتعرض لها لخفاء صحتها علينا . كما ان في تعليقات الذيل شروحاً لا تخلو من النظر والمناقشة لم نرَ حاجة للتنبيه عليها لانها لا تمس صحة المتن ولا يفتقر اليها المطالع لادراك المراد منها

المستشرقون الراحلون

نلّينو (١٩٣٨) ــ فنسنك (١٩٣٩) ــ مارغوليوث (١٩٤٠) ــ غوتيه (١٩٤٠)

أصيب علم الاستشراق في السنتين الاخيرتين بخسارة من اشهر اعلامه البارزين هم نلّينو وفنسنك ومارغوليوث وغوتيه. وقد طالما وقف قرّاء مجلتنا من اساتذتهم واعمالهم. فرأينا من الواجب ان نخصّ كلاً منهم بدرس في حياته وآثاره وتأثيره في تقدم الابحاث الشرقية بادئين منهم بكارلو الفونسو نلّينو وهو اولهم في ترك هذا العالم رحمه الله. وقد لخصنا في هذا مقالاً واسعاً كتبه في مجلة «الشرق العصري» (*Oriente Moderno*, XVIII, 459-482) المستشرق لاثي دلافيدا آخذاً بعض التفاصيل عن اخت الفقيد وابنته وعمّا كان يتبادل واياه من محادثات وذكريات.

كارلو الفونسو نلّينو

١٨٧٢-١٩٣٨

نشأته شأنه ــ ابحاثه الاولى

ولد كارلو الفونسو نلّينو في تورينو في ١٦ شباط ١٨٧٢، من والد بيامونتي اسمه يوحنا كان استاذاً شهيراً في الكيمياء، ومن والدة لمبردية تدعى حنة مونتيني.

وكان لا يزال حديث السن لما نُقل ابوه الى اودين لاسباب وظيفته. فانتقل اليها. وتبع كل دروس المعاهد الابتدائية والوسطى. اما تربيته البيتية فكانت قاسية. وكثيراً ما كان يروي بنفسه بعض النكات اللطيفة عن قساوة والده المقرونة بالعطف في الاعوام الاولى لحداثته. ومما لا شك فيه انه مدين لهذه

كارلو ألفونسو نلّينو

١٨٧٢ – ١٩٣٨

داود صموئيل مارغوليوث

١٨٥٨ – ١٩٤٠

التربية في مداومته على السارك الامثل الذي عرف ان يختطه لنفسه طول حياته ، فجعله يمتاز على اقرانه منذ الاعوام الاولى لدراسته.

وكان منذ حداثته مولعاً ولعاً خاصاً بالجغرافية وكتب الرحلات . يتخيّل ، كسائر اترابه ، انه سوف يصبح رائداً كشافاً . بيد ان ما ينشأ عند الاكثرية من العاب المخيّلة الصبيانية ، فيضمحلّ جنيناً ، اصبح عنده داعياً للدرس المتواصل والتحضّر الاسلوبي حتى انه توصّل ، وهو يكاد يبلغ العاشرة من عمره ، الى ان يرسم ، استناداً الى معلومات اخذها من اخبار الاسفار ، رسوماً جغرافية مبتكرة لمناطق في افريقية الوسطى لم تكن تُعرف حق المعرفة الى ذلك الحين . وبعد ان ملك في وقت قصير ناصية اهم اللغات الاجنبية ، بمداومته على صفوف مسائية كانت تنظمها بلدية اودين ، شعر بدافع يدفعه الى اقتحام العربية ايضاً ، تلك اللغة المنتشرة في صقع كبير من آسية وافريقية . فبدون استاذ وبدون غراماطيق ، بدأ يحلّ الخط العربي ويتملّك من الاصول الصرفية واللغوية بمعونة كتاب منتخبات قديم وقع صدفة بين يديه في مكتبة اودين البلدية . ولما رأى والداه الجهد الجهيد الذي كان يبذله اهدياه غراماطيقاً من تأليف سابيتو (Sapeto)[1]، وبواسطة هذه المساعدة الضئيلة اولاً ، ثم بواسطة كتب اخرى كان يحصل عليها بالتتبع تقدم في معرفة هذه اللغة تقدماً جعله يملك الاسس اللازمة لفهم النصوص حتى الصعبة منها . وذلك قبل ان يجتاز عتبة الجامعة . وابتدأ ايضاً في اودين ، على ما يظهر ، بدرس العبرانية والسريانية .

وقد سجّل اسمه في آخر سنة ١٨٨٠ في الفرع الادبي من جامعة تورينو ، بعد

---

١) يوسف سابيتو : غراماطيق عربي عامي لاستعمال المدارس الخاصة ، فلورنسا – جنوى ١٨٦٧ . Giuseppe Sapeto : *Grammatica araba volgare ad uso delle scuole tecniche*, Firenze-Genova 1867.

كان سابيتو (١٨١٤–١٨٩٥) رسولاً ساعياً ، وصاحب الفضل الكبير في معرفة جغرافية الحبشة وشعبها . وكان استاذ العربية مدة وجيزة في معهد العلوم العالية في فلورنسا ومدة طويلة في معهد التعليم الخاص في جنوى : فكان يتقن هذه اللغة (واكثر منها اللغات الحبشية السامية) غير ان النقص كل النقص كان في استعداده العلمي .

قليل من التردد . لانه كان يفتكر بانتمائه الى جامعة بَدوي لقربها من البيت العائلي . وكانت تدعوه الى تورينو عائلة كارله (Carle) التي كان يمتّ اليها بصلة القرابة . ثم وجود منبر للدروس الشرقية يحتله المستشرق إيتالو بيتزي (Italo Pizzi) صاحب الباع الطولى في اللغة الفارسية ، والذي كان يزاول ايضاً تدريس العربية وسائر اللغات السامية. فاتخذه نلّينو استاذاً[1] وحفظ له طول حياته عاطفة قوية من الاحترام وعرفان الجميل[2]. وفي الوقت نفسه دفعه ميله للدروس الجغرافية الى ان يتتلمذ لگويدو كورا (Guido Cora) من اعظم العلماء الايطاليين في الجغرافية في ذلك الوقت[3]. ومن هذا النفع العلمي المزدوج ظهر منذ السنة الاولى لدراسته اول تأليف لنلّينو نشره كورا في مجلته كوسموس (Cosmos)[4] مع مقدمة ينبه فيها ان التأليف قد تمّ سنة ١٨٩٠ على انه لم يظهر الا بعد سنتين . والحقه نلّينو بلحق اتخذه من فحص بعض المخطوطات العربية الموجودة في مكتبة موناكو الملكية حيث اقام من ٢٦ آب الى ٢٤ تشرين الاول ١٨٩١ . ففي الثامنة عشرة اذاً كان الفتى المجتهد يملك لغة العرب الصعبة لدرجة تمكنه من قراءة ونقد نصوص قد تكون مستعصية حتى على اوفر المستشرقين خبرة ، بل كان يبرهن فوق ذلك عن معلومات لغوية وتاريخية وعلمية كثيرة ، وعن تملّك الاسلوب ، وعن بصيرة حادة في النقد. وهي ميزات اناله في العلم منصباً لا يقل رفعة عن منصب اي عالم متقدم في السن.

١) توجب عليه ان يتعلم ايضاً ، على يد بيتزي ، اللغة الفارسية ، وتمكّن منها جيداً. وظهرت معرفته لها في محاولة ألفها ، وهو شاب ، يبحث فيها عن رواية منزلية فارسية حديثة . غير ان نلّينو لم يندفع طوعاً الى العلوم الفارسية والتركية .

٢) انظر الترجمة المملوءة عاطفة في مجلة الدروس الشرقية المجلد التاسع ص ٢٢٢–٢٢٤ *Rivista degli studi orientali*, IX, 232-234 وفي دائرة المعارف الايطالية المجلد ٢٧ ص ٤٦٦–٤٦٧ *Enciclopedia Italiana*, XXVII, 466-467 وفي خاتمة الكتاب عن الفردوسي التي تشير اليه بعاطفة الحب .

٣) عاش من ١٨٥١ الى ١٩١٧ وكان استاذاً في التعليم الحرّ في جامعتي تورينو وروما .

٤) تحت عنوان : القيمة القياسية لدرجة خط الطول حسب الجغرافيين العرب . ابحاث ودروس لكارلو الفونسو نلّينو . *Il valore metrico del grado di meridiano secondo i geografi arabi. Ricerche e studi* di C. A. N.

الابحاث الرياضية والفلكية

وقد يبدو ان محاولة نلّينو الاولى كانت تعدّه للتخصص في الابحاث عن جغرافية العرب الرياضية ، وعن علم الفلك القريب منها . وفعلاً قد كرّس لهذا الفرع من الدروس ، عدا الابحاث المختلفة المنشورة في الكوسموس ، خمسة كتب نشرها بين الثانية والعشرين والرابعة والعشرين . اما الثالث منها على الاخص فيحتوي على ترجمة ضخمة في خمسين صفحة بالقطع الربعي في غاية الاهمية لما يخص تاريخ الجغرافية العربية ، لانه ينشر للمرة الاولى نصاً قديماً غير مطبوع . هو تأليف ثان اكثر منه ترجمة لجغرافية بطليموس . ومنه اقتبست كل التآليف الجغرافية العربية . ومعلوماته في الرياضيات حثّ الاخوين شِبرلّي (Schiaparelli)[1] الى ان يطلبا منه سنة ١٨٩٤ ان يأخذ على عاتقه هذا العمل الشاق في نشر وترجمة وشرح النص العربي « لمقدّمة علم الفلك » للبتّاني ، احد مؤسسي هذا العلم عند العرب ، الذي عاش بين القرن التاسع والقرن العاشر في عصر ازدهار التمدن والعلم في العالم الاسلامي . ولم يكن هذا المؤلّف من اهم ينابيع علم الفلك العربي فيما بعد فحسب ، بل كان الكتاب الذي اكثر من قراءته ودرسه الغرب المسيحي حتى عصر النهضة وبعده ، بواسطة تراجم لاتينية . ولم يطوه النسيان الا بعد ظهور علم جديد للفلك لا ينتمي الى بطليموس .[2]

وبالرغم من ان نلّينو لم يفتكر قط بتخصيص نشاطه بعمل من هذا النوع — وهو ما كان يذكره بنفسه في بعض الاحاديث الخصوصية وما يشير اليه في آخر

---

١) يوحنا (١٨٣٥–١٩١٠) وهو الفلكي الماهر مدير مرصد بريرا (Brera) في ميلانو الذي تُكوّن تآليف نلّينو جزءاً من منشوراته ؛ وشلستينو (Celestino) (١٨٤١–١٩١٩) . وهو المستشرق العظيم ، تلميذ اماري (Amari) الحبيب ، واستاذ اللغة والادب العربية في جامعة روما . وكان نلّينو مخلصاً له شديد الاخلاص فكتب ترجمة لحياته مطولة .

٢) كتب نلّينو عن البتّاني وعن تآليفه بعض معلومات قصيرة جامعة ، تختصر النتائج المفصلة في مؤلّفه الاكبر ، في دائرة معارف الاسلام (النشرة الافرنسية) المجلد الاول ص ٦٩٨–٦٩٩ *Enciclopedia dell'Islam* I, 698-699 وفي دائرة المعارف الايطالية (انظر « البتانيو ») *Enciclopedia Italiana*, (s. v. Albatenio),II, 135-١٣٥ المجلد الثاني ص

مقدمة المؤلّف — فانه لم يتردّد في قبول هذه المهمة التي لم يخفَ عليه عبؤها الثقيل . فسافر حالًا في خريف سنة ١٨٩٤ الى اسبانية ليقوم بنسخ المخطوطة الوحيدة المعروفة المحفوظة في مكتبة الاسكوريال . وفي السنة التالية انتقل الى نابولي لوظيفة جديدة سنتكلم عنها بعد قليل ، فتبع في الجامعة دروس علم الفلك والحساب في الكلية الصغرى ، ليتمكن من خوض المشاكل الصعبة التي سوف تعترضه في نصّ البتّاني ، ولا سيما في جداول مواقع السيارات والنجوم التي تكوّن القسم الاكبر من هذا النص . وفي الوقت نفسه باشر درس علم الفلك العربي ، والتعمق فيه مستندًا الى تآليف لا تحصى اكثرها غير منشور ، ومتفحصاً ، فوق ذلك ، عشرات التراجم اللاتينية من القرون الوسطى التي فُقدت نصوصها العربية ، راجعاً الى الينابيع اليونانية واللاتينية والايرانية والهندية التي جرت منها المبادئ الفلكية العربية . فكانت ثمرة هذه الابحاث الواسعة العميقة مجلدات ثلاثة مجموع صفحاتها ١١٣١ بالقطع الربعي . اول ما نشر منها المجلد الثالث الحاوي النص العربي ، ثم تبعه الاول وفيه الترجمة اللاتينية مع الحواشي ومقدمة طويلة تاريخية ادبية . واخيرًا ظهر الثاني وهو يحتوي على ترجمة الجداول مذيّلة بالحواشي ، وعلى شرح قيّم للالفاظ العربية الخاصة بعلم الفلك تلك التي تجهلها المعاجم ، ولا تستوفي شرحها ، وعلى فهارس مطوّلة لكل المؤلّف .

فهذه المأثرة العظيمة التي خرج منها علم الفلك العربي جديدًا نقيًا انالت نلّينو شهرة عالمية قلّدته المنصب الاول ، بلا منازع ، في كل ما يختص بتاريخ علوم العرب الفلكية والتنجيمية والرياضية . وزادته شهرةً مساعدةُ القيّمة للعالم السويسري هنريخ سوتر (Heinrich.Suter) في تأليف كتابه عن حياة وآثار علماء العرب الرياضيين والفلكيين[1] بارساله له وسائل خصوصية تضمنت التصحيحات والاضافات الوافرة ، حتى كادت تملأ كراساً من الذيول بكامله رأى سوتر

---

(1) *Die Mathematiker und Astronomen der Araber und ihre Werke*, Leipzig, 1900 [*Abhandlungen zur Geschichte der mathematischen Wissenschaften*, X].

نشره مناسباً[1]. وعُرف نلّينو، مدة سنوات عديدة، كصاحب الحجة القاطعة في هذا الفرع من العلوم العربية. واليه التجأت ادارة دائرة المعارف الاسلامية المنشورة في هولندة لتحرير ابواب التنجيم والفلك ومقياس بعض الكواكب وحركتها. وعهدت اليه ايضاً دائرة معارف الدين والاخلاق المنشورة في انكلترة في تحرير مقال طويل جامع عن التنجيم العربي نشر بعد مدة طويلة وبايجاز كلي عن النص الاصلي[2]. ولمّا دُعي نلّينو سنة ١٩٠٩ الى القاء دروس عربية في الجامعة المصرية، في القاهرة، حيث كان قد درّس اغناطيوس غويدي[3] قبل ذلك بسنة، ارادت الادارة ان يختص الدرس بتاريخ علم الفلك العربي في الاجيال المتوسطة. فجاء هذا الدرس الذي اعدّه نلّينو وكتبه بمزيد الاعتناء والتدقيق كتاباً هو افضل ما ظهر في هذا الموضوع المهم والصعب معاً. وهو كتاب ثمين بمعنى الكلمة المزدوج لان نسخاته الموضوعة لدى الجامعة المصرية فُقدت لسوء الحظ، او يظهر انها فُقدت. ونحن نتمنّى ان ينقل هذا الكتاب الى الايطالية ليكون ايضاً في متناول مؤرخي العلوم غير المستعربين. وبعدئذٍ اهتم نلّينو اهتماماً متقطعاً بتاريخ علوم الفلك والتنجيم والرياضيات عند العرب ووضع كتاباً وجيزاً جوهرياً خطّ فيه الطريق لابحاث تناولت ناحية خاصة من مشكل لم يزل غامضاً الى اليوم، وفي حلّه اهمية رئيسية لفهم تكوين الحضارة الاسلامية: الا وهو مشكل

---

١) *Nachtraege und Berichtigungen*, Leipzig 1902, (ibid. XIV).

اما لائحة الكتب الآنفة الذكر فتلزم الصمت التام عن هذه المساعدة ولا شك لان اسم نلّينو لم يذكر في العنوان. ومع ذلك فهي من اكبر مآثر نلّينو في تاريخ العلوم العربية القياسية.

٢) ان النص الاصلي لهذا المقال يستحق النشر دون ان يحذف منه شيء (ونتمنى ان يكون هذا سريعاً) فيصبح احسن مقدمة لدرس التنجيم الاسلامي الذي يفتقر حتى اليوم الى امداد عصري. والحال ان شبه العلم هذا يستحق ان يكون معروفاً، لا لمحتوياته فحسب، بل لأنه مشتق من التنجيم اليوناني المدرسي (وقد حفظ احياناً لهذا التنجيم اليوناني بعض كتابات واجزاء فُقد نصها الاصلي)، ولان منه نبع التنجيم اللاتيني واليوناني في الاجيال المتوسطة اللذان حفظا بدورهما تراجم لمؤلفات عربية مفقودة او غير مكتشفة حتى اليوم.

٣) انظر «الشرق المصري» المجلد الخامس عشر ١٩٣٥ ص ٢٣٦ – ٢٤٨ *Oriente Moderno* XV, 1935, pp. 236-248 ؛ والمشرق ٣٣ [١٩٣٥] ٤٤١-٤٤٥

تأثير الحضارة الفارسية الساسانية في تكوين تلك الحضارة. وكرّس نلّينو للجغرافية العربية بعض محاولات اخرى مهمة على ان احداها تُبرز مظهراً جديداً لنشاطه العلمي يختلف كل الاختلاف عما قبل ، وسنتكلم عنه فيما بعد.

الابحاث اللغوية والتاريخية

وقد يظنّ البعض بكل سهولة ان هذا الانتاج الغزير الهام للغاية يستوعب القسط الاوفر ، ان لم يكن كله ، من نشاط يبذله باحث فرد . غير انه لم يستوعب الا جزءاً زهيداً من نشاط نلّينو : وقد برهن ، منذ الابتداء ، على تضلعه من فروع اخرى في الدروس العربية والاسلامية ، مختلفة كل الاختلاف ، وبعيدة كل البعد ، عن الجغرافية والعلوم القياسية . فظهر كتيب بحجم صغير سنة ١٨٩٢ لا يحتوي في الحقيقة نتيجة ابحاث شخصية ، بيد انه عجيب لما فيه من المعلومات الوافرة الواسعة والآراء السديدة الناضجة . وكان لا يزال طالباً لما وضع اشهر سور القرآن على ترتيب تاريخي ، حسب نتائج ابحاث نولدكه ، واضاف اليها حواشي ومعجماً لاستعمال طلاب العربية تخص فيها نتائج احدث الابحاث عن اصل القرآن وفقه اللغة العربية ، دون ان تفوته المقابلة مع لغات سامية اخرى . فجاء هذا البحث الصغير في غاية المناسبة والمتعة . فنفد بمدة قصيرة ، وطلب الناشر مراراً من نلّينو ان يهتم بطبعته الثانية . ولكن الوقت لم يتوافر لديه لتحضيرها .

وبعد هذا باثل من سنة ظهر مقال درس فيه بدقة عجيبة المسائل التاريخية والاجتماعية المتعلقة بنظام القبائل عند العرب البدو الاقدمين . وهنا ايضاً يثير الدهشة نضج القريحة وسداد الرأي ، فلا يعتقد المطالع ان المؤلف لم يتجاوز العشرين من سنه الا من مدة وجيزة . وفي هذه المحاولة التي كتبها ، وهو شاب ، تنبسط تماماً احدى صفات نلّينو الخاصة : الا وهي ادراك واقعية الحوادث التاريخية ادراكاً جعله يحترز دائماً من التركيبات الخيالية ولو كانت فتّانة . ويتجنب في تآليفه التالية كلها الجمل الموضوعة الجامعة . وكان هذا المقال عن نظام قبائل العرب قليل الانتشار بين المستعربين ، وقد يعود السبب في ذلك الى نوع المجلة التي ظهر فيها ، فاخرجه من النسيان الاب هنري لامنس المؤرخ الكبير للبلاد

العربية القديمة الذي اظهر ، بعد مضي عشرين سنة ، انه في متناول جميع الاجيال[1].

ان مزايا هـذا المستشرق الشاب ، الذي كان عند حصوله على شهادة الدكتوراه يملك متاعاً علمياً وافراً لم تُعدم التقدير الرسمي حتى في حين كان فيه اهتمام الحكومة بالدروس الشرقية اقلّ منه فيما بعد . واذ منحته وزارة المعارف العامة منحة مدرسية ، اقام في القاهرة من كانون الاول ١٨٩٣ الى ايار ١٨٩٤ . وهو على استعداد للانتفاع ، ما امكنه ، من الاحتكاك المباشر بالعالم العربي . وكان دائماً مفتوح البصيرة للتنقيب الثاقب ، فجمع جماً وافراً من المعلومات التي جاءت في اساس خبرته بالعقلية العربية ، تلك الخبرة التامة التي كان مزمعاً ان يزيدها في المستقبل سعة ودقة باقامته طويلاً ومراراً عديدة في الشرق ، ولا سيما في مصر ، وبحثه على الاهتمام بالاسلام المعاصر في مظاهره المختلفة الدينية والاجتماعية والثقافية والسياسية . وقد وقف لهـا فيما بعد قسطاً وافراً من نشاطه .

ولم تظهر ثمرة مباشرة لهذه الرحلة الاولى الى مصر الّا بعد مضي بضع سنوات . غير انها جاءت في غاية الاتقان . فكتاب « العربية المتداولة في مصر » (*L'arabo parlato in Egitto*) هو حقاً افضل كتاب تناول لساناً عربياً حياً ، يرضي باعتدال موادّه ، وحسن توزيعها ، القوانين العلمية والعملية التي راعاها حفظاً لسعة المجموعة التي ظهر فيها . ولم يكن نلّينو لغوياً بحصر المعنى ، فلم يبحث طوعاً في الامور اللغوية المحضة[2] ؛ بيد انه اظهر في تأليف الكتاب سعة الاطّلاع ودقة التنقيب وهذه هي ميزة جميع مؤلفاته . وبعد ان ايقظ فتح ليبية اهتمام ايطالية بالعالم العربي ، ظهرت الطبعة الثانية مزاداً عليها ومنقحة بكل تأنٍّ ، حسب علم الالسنية العربية الذي كان قد احرز درسه في هذه الفترة تقدماً محسوساً . واثبت نلّينو في فرص متعددة انه ظل متتبعاً حركة هذا الفرع الثاني في نظاره ، من الدروس الشرقية .

---

١) H. Lammens, *Le Berceau de l'Islam*, Rome, 1914, p. 206

٢) ولكنه قبل نشر هذا الكتاب كان قد كتب ملاحظات قويمة واصلاحات قيمة لقواعد اللسان التونسي من تأليف ستوم (Stumme) .

الاستاذ في نابولي وفي بليرمو

بعد رجوعه من مصر، ورحلته الوجيزة الى اسبانية، تُقلد نلّينو، في شهر تشرين الثاني من سنة ١٨٩٤، ادارة منبر العربية في المعهد الشرقي في نابولي، حيث اقام الى آخر سنة ١٩٠٢، واصبح في السنوات الثلاث الاخيرة استاذًا فوق العادة. فهذا المنصب الرفيع بالنسبة لصغر سنّ من تقلّده، كان مع ذلك متوسطاً لزهادة المرتب، ولعدم تسهيل الدرس، وايضاً لسوء النظام الذي كان المعهد ينحطّ اليه في ذاك الحين. بيد ان الاستاذ كان مجتهدًا اجتهاده العادي المتواصل في القيام بواجباته التعليمية، دون ان يهمل متابعة نشاطه العلمي وتوسيعه على نمط منتظم يمتد الى حقول تزداد تنوعاً ورحابة، بالرغم من استغراق القسط الاوفر منه في اعداد درس البتّاني.

وفي السنة ١٩٠٠ نشر نلّينو جدولًا للمخطوطات العربية، والسريانية، والفارسية، والتركية، في المكتبة الوطنية، ومكتبة المحفل العلمي في تورينو. ولهاتين المجموعتين[1] اهمية كبرى، ان لم تكن رئيسية، ولا سيما في ما خصّ مخطوطات الاولى الفارسية. غير ان وصف نلّينو لها يفوق كثيرًا اهمية المواد ويؤدي مساعدة جزيلة لتاريخ الآداب ولمعرفة التصانيف. وفيها التدقيق والكمال وسعة العلم الشاملة. وهي حسنات يصبح وجودها عادياً من الآن فصاعدًا. ولم تسنح لنلّينو، فيما بعد، الا فرص نادرة ليهتم بالمخطوطات ومع ذلك لم تقل ابدًا خبرته في هذا الفرع من الدروس الاسلامية.

وفي سنة ١٩٠٢ اهتمت الحكومة الايطالية بمنبر بَليرمو العربي، الذي كان شاغرًا منذ سنوات عديدة، فدعي اليه نلّينو بعد فوزه في المباراة. وبقي هناك حتى السنة ١٩١٣ استاذًا فوق العادة اولًا، ثم عادياً بعد السنة ١٩٠٥. وتوافر

---

١) كادت الاولى، وهي اكبر من الاخرى، تتلف بكاملها لسوء الحظ في حريق حصل في ٢٩ كانون الثاني ١٩٠٤. انظر إ. بيتري في اعمال محفل تورينو العلمي، المجلد ٣٩ [١٩٠٣–١٩٠٤] ١٠٦٧–١٠٦٩ *Atti dell'Accademia delle Scienze di Torino*, XXXIX, 1903-1904, p. 1067-1069

في هذه السنوات العمل والدرس الواسع الدقيق في كل فرع من حقول الاسلام التي لا حدّ لها. ومع انه اتم الابحاث التي كان ابتدأ بها ، ونشر محاولات اخرى وجيزة ، الّا انه لم يأخذ بتأليف عظيم ضخم ؛ وقد يُظنّ انه كان لا يزال يشعر بالحاجة الماسة للدرس ، لا لغاية ما سوى ان يتعلم ، وانه لم يعتبر استعداده كافياً ، وان كان عظيماً ، لمعرفة العالم العربي القديم والحديث تلك المعرفة التامة التي وعد النفس بالحصول عليها ، والتي لم يبلغ مبلغه منها اي مستشرق معاصر.

ولا يستطيع ان يدرك مقدار مطالعته ودرسه وشروحه ، اثناء اقامته في بليرمو ، الا مَن كان يحظى بالتردّد الى زيارته ، فيتبع توسّع مكتبته العجيبة التي تكوّنت زويداً رويداً ، في هذه السنوات ، وما زالت تزداد غنى وحسن ترتيب بفضل تضحيات مالية كبرى حتى اصبحت اليوم من انفس المجموعات الخاصة للكتب الباحثة في الشرق ، ولاسيما للمطبوعات الشرقية . ويبدو مظهر الكمال الذي احرزه تضلعه التام من العربية على النشرتين الكتبيتين من المنشورات العربية للسنوات ١٩٠٦—١٩٠٨ اللتين ظهرتا في المجلّدين الاولين من مجلة الدروس الشرقية[1] . ولا يدور الكلام هنا عن جدول بسيط للكتب والمقالات بل عن الانتخاب والترتيب والبسط النقدي لمواد كثيرة التنوع ، وكل ذلك بمعرفة تامة للتآليف العديدة التي جرى البحث عليها .

ولم يتمكّن نلّينو من تخصيص كل الوقت الذي قضاه في بَليرمو بالدرس الهادئ المنتظم . فاضطر اضطراراً تافهاً الى الاقلاع عنه ، خصوصاً بسبب رحلاته الى افريقية الاسلامية . فمنذ السنة ١٩٠٥ اشترك في المؤتمر الدولي للمستشرقين المجتمع في الجزائر ، فانتهز هذه الفرصة ليزور اهم المدن الجزائرية ، ثم ليتقدم الى جهة غير معروفة تمام المعرفة ، على حدود مراكش ، قاطعاً مسافة شاسعة في الصحراء على ظهر الجمل[2].

---

١) التي اسسها سنة ١٩٠٧ اساتذة المدرسة الشرقية في جامعة رومة باقدام وهمة انغاطيوس غويدي بنوع خاص.

٢) ان الاستاذ شبرلي اراني خبراً مخطوطاً عن هذه الرحلة قدّمه نلّينو في جملة الوثائق لترقيته الى درجة استاذ عادي ، مرفوقاً برسم طوبوغرافي للطريق التي سار عليها ، ومكتوباً

الاستاذ في الجامعة المصرية

في السنة ١٩٠٩ دعته الجامعة المصرية ، كما مرّ ، الى القاء درس عربي في القاهرة حول تاريخ علم الفلك العربي. وكان من حسن نجاحه ان الدعوة تجدّدت في السنتين ١٩١٠—١٩١١ و ١٩١١—١٩١٢ . بيد ان الدرس تناول في هاتين الدورتين تاريخ الآداب العربية . فجاء هذا العمل في غاية الصعوبة لان هذه المادة زاولها حتى العلماء المصريون ، ولو مع نقص في طريقة النقد ، فاصبح المستشرق الاوربي غير البصير الذي يتجاسر وينافسهم يعرّض نفسه للوهم وتهكمهم . اما نلّينو فلم يخرج ظافراً من هذا المأزق الحرج فحسب ، (اذ كانت عربيته معصومة من الغلط في اللفظ والانشاء) ، بل اكتسب في الاوساط الادبية المصرية شهرة لا نزاع فيها جعلته معتبراً كاستاذ في كل مكان ، ومكّنته من التأثير تأثيراً حسناً على التقدم العجيب حقاً ، الذي احرزته بين العرب ، الدروس اللغوية في الربع الاخير من القرن . ومن تلاميذه الدكتور طه حسين (وقد كان ايضاً تلميذ غويدي) زعيم المذهب المصري الحديث في درس التاريخ والادب ، والذي اعترف جهراً اكثر من مرة بفضل نلّينو على نضجه الروحي .

في مهمّات رسمية

وبعد فتح ليبية ، نشأت من الوضع الجديد مشاكل ادارية ثقافية تتطلب رجالاً خبيرين بالعالم الاسلامي . فسرعان ما القت الحكومة على عاتق نلّينو مهمات ثقيلة دقيقة : فرافق وزير المستعمرات في زيارته الاولى للاراضي الايطالية الجديدة ، واشرف على اعادة تنظيم خزانة الاوراق السياسية العثمانية ، ومكتب الترجمة . ثم ارسل بصفة مفوّض ملكي لاعادة تنظيم معهد نابولي الشرقي من ايلول ١٩١٣ الى شباط ١٩١٤[1] .

بخط جلي موافق تقريباً لقوانين علم الخط . وقد حافظ نلّينو على تلاوة هذا الخط منذ السنوات الاولى من حداثته حتى النهاية ؛ وهذا دليل طفيف ، ولكن بليغ ، لثبات طبعه وتوازنه .

١) في اثناء قيامه بهذه المهمة داهمته داهية اليمة بفقد زوجته المحبوبة ، وهو يجد عنها .

وقد نشر في هذه الاثناء « قواعد » النقل الرسمي للالفاظ العربية ، ولاسيما الجغرافية ، وبحثاً عن الخلافة نقل الى الافرنسية والانكليزية .

ولا نستطيع السكوت عن عمل آخر اهتمّ به اثناء اقامته في پليرمو ، واشترك بـه اشتراكاً افضل مما يظهر لاول وهلة : وهو تجهيز مجلدين ضخمين احتويا على مذكرات لعدة كتبة تتعلق بصقلية ، ولاسيما الاسلامية ، وبايطالية الجنوبية في الاجيال المتوسطة الاولى ، وبتاريخ المدنية الاسلامية عامة . ونشرا تحت عنوان « التذكار المئوي لمولد ميكاله أماري »[1] . وكانت حصة نلّينو فيها كتابة بحث قيّم عن مؤرخ مغربي متأخر ، ولاسيما تنقيح ابحاث القسم العربي الاسلامي ، ووضع فهرس لاسماء الاعلام العربية ، وقاموس للالفاظ النادرة . وقد ظهرا مثالين في نوعهما . وفي الاول منهما حلّ موفق لبعض المشاكل الصعبة المختصة باسماء الاعلام .

في جامعة رومة

وقد المحت الى انتقاله الى رومة . وكان هذا نتيجة فتح ليبية . فلما تقرّر اعطاء الدروس الاسلامية في المدارس العليا حصة اوفر ، أنشئ في جامعة رومة ، بالقرب من منبر اللغة والآداب العربية ، الذي كان يملؤه شَبَرْلي بكل جدارة منذ السنة ١٨٧٥ ، منبر للتاريخ والاوضاع الاسلامية دعي اليه نلّينو في خريف ١٩١٣ ، بناء على امر ما لبث ان تحوّل الى نقل رسمي في اول كانون الثاني ١٩١٥[2] . فهذا التغيير في المسكن ، وفي لقب التعليم يبدأ عهداً اساسياً في حياة نلّينو العلمية . وبما انه كان دائماً دقيق الشعور بواجباته ، رأى ان ينشر كتابات

(كانت ابنة العالم الاقتصادي والاجتماعي الشهير س . كونياتي دي مارتيس S. Cognetti de Martiis الاستاذ في جامعة تورينو) وقد اقترن بها سنة ١٩٠٦ . وفي رسالة لي بهذه المناسبة يظهر ، خلال الالم الشديد الظاهر حتى في الصيغة الوجيزة المتحفظة الخاصة به ، عزمه الشديد على العودة باسرع ما يمكن الى المهمة التي يدعوه اليها الواجب .

١) *Centenario della nascita di Michele Amari*, Palermo, 1910

٢) وفي الوقت نفسه أنشئ في المعهد الشرعي منبر الحق الاسلامي ، وكُلّف به داود سانتيلّانا (انظر عنه مجلة الدروس الشرقية المجلد ١٤ ص ٤٥٢–٤٦١ ، *Rivista degli studi orientali*, XIV, 453-461).

جديدة تتفق تمام الاتفاق مع المادة التي يدرّسها ، والتي كان عادة يستمدّ لالقاء هذا الدرس فيها باعتناء عظيم. وفي الوقت نفسه تنازل له غويدي سريعاً عن ادارة مجلة الدروس الشرقية (*Rivista degli studi orientali*) فداوم على معاونة هذه المجلة. وكرّس للدين الاسلامي معظم التصانيف المنشورة بين ١٩١٥ و١٩٢٠ وكان هذا الموضوع اكثر ما تناوله في اشغالاته . وهنا ايضاً نلمس هذا الاتفاق العجيب وهو ان انتاج نلّينو كان دائماً انتاج « فرصة ناهزة » . ولم يتخذ نلّينو بارادته الحرة موضوعاً للبحث يتوسع فيه رويداً رويداً من المعلومات الكثيرة التي كدّسها طول حياته كلها ، بل كانت الحاجات الخارجية ، او امر باطني ، تقدمه له واحداً تلو الآخر. وقد يُشبه حارساً اميناً لكنوز عديدة لا يتكرم بها كرماً جزيلاً الا عند الطلب ، مبيّناً بعمله هذا ان المستودع الذي كان يستمدّ منه ذو غنى لا ينفد . وقد سبق لنا ان اشرنا الى الناحية اللاهوتية في سلسلة ابحاث نشرت في المجلدين السابع والثامن من المجلة شرح فيها بكل مهارة مشاكل تتعلق فوق كل شيء بنشأة الفكرة اللاهوتية الاسلامية وتطوراتها الاولى المتتابعة ؛ وعاد في بعض الابحاث الى المسائل الفلكية . وفي هذين المجلدين ، ولا سيما في الثامن ، عدد عديد من المعلومات عن مؤلفات في التاريخ وتاريخ الدين وتاريخ العلم يكوّن الكثير منها وصفاً اختصاصياً مبتكراً لما فيه من ذيل واسع للمواد واقتراح الافكار الجديدة. ويوجد كتاب آخر مظهره الخارجي مظهر كتب الوصف الفه بمناسبة ترجمة دي ماتّو (Di Matteo) لقصيدة ابن الفارض في التصوّف ؛ اما الكتاب الذي تبعه فهو ردّ على ردّ دي ماتو . واما قيمة هذا الوصف وهذا الرد ، نظراً لحجمها وفحواهما ، فكلها في درس نشأة التصوّف الاسلامي وميزاته درساً متقناً ينمّ عن تملّك عجيب للموضوع وعن معرفة تامة لمذاهب التصوف في الفلسفة الافلاطونية الجديدة والفلسفة المسيحية ، وعن فهم الاحوال النفسانية الدينية التي يصعب مراراً تناول اشكالها العديدة ووضعها ضمن لوائح منطقية .

❁

لم يكن نلّينو حتى الان خصّص عملاً مبتكراً بجملة من الدروس الاسلامية

يهتمّ به عادة المتخصصون في العلوم الشرعية ، الا وهو علم الحقوق . اما البحث الوجيز المنشور سنة ١٩٠٤ فيتناول الحياة والآثار اكثر منه فحص المذاهب . ولكننا نتيقّن ان نلّينو لم يجهل كل الجهل هذا العلم الواسع بل ساعد مترجمَي مختصر الخليل الشهيرين ومترجم كتاب جوينبُلّ (Juynboll) ؛ بيد اننا لا نلمس بعد تلك العقيدة ، وتلك الروح ، الشرعيتين اللتين يوضحها تأليف جدلي طويل (في ١٢٨ ص. كبيرة بالقطع الثمني) فرضته عليه ، كما يؤكد بنفسه ، واجبات مهنته كمدير المدرسة الشرقية في جامعة رومة ، خلفاً لتويدي المحال على التقاعد لبلوغه السنّ المحدودة . وكانت تحثّه على العمل الرغبة في دحض الخصم دحضاً نهائياً ، واكثر منها ظمأ شديد الى الكمال والدقة . فخرج للمرة الاولى في حياته عن حقل الدروس العربية الاسلامية . وبما ان الجدال كان يدور معظمه حول موضوع يقال له « الحقّ السرياني » ويتناول مسألة وجود حق شرقي عام ، عاد نلّينو الى درس السريانية التي كان قد اهملها من بضع سنوات ، وغاص في مطالعة الكتب الشرعية للكنائس المسيحية الشرقية ، وملك تماماً ناصية تاريخ الحق الروماني والبيزنطي وقوانينه . وكانت نتيجة هذه النيرة سلسلة ابحاث خاصة (لو جُمعت لكوّنت مجلدين ضخمين) افاضت نوراً جديداً على مشكل طالما اتعب عبثاً منذ سنوات عديدة مَن كانت مهنتهم درس الحقوق الشرقية . فاثبت نلّينو في جملة ما اثبته ، ان لا وجود للحق السرياني المزعوم ، وان لهذا المؤلف الشهير « كتاب سرياني للحق الروماني » نشأة متأخرة وميزة مدرسية محضة ، فضلاً عن كونه مجموعة نُخَب ، وان للحقوق المسيحية الشرقية (طبعاً في القسم الغير الديني فقط) علاقة تامة بالحق الاسلامي . واثارت ابحاث نلّينو هذه في الحقوق الشرقية ليس اعجاب المستشرقين فقط بل ايضاً اعجاب الفقهاء . وكان احد مشاهيرهم ، وهو العالم الكبير في الحق الروماني ، بطرس بونفانته (Pietro Bonfante) قد خاصمه اولاً ، ثم اقتنع ببراهينه المنتظمة المنيعة اقتناعاً تاماً جعله من اكثر مادحيه اعجاباً .

واتفقت ان سنحت فرصة اخرى لظهور بحثين لنلينو عن الفلسفة العربية ليسا ، على ما اعلم ، الا جزءا طفيفاً من المعلومات الضافية التي كدّسها .

يبحث الاول منها بحثاً خاصاً جداً قاده بتبحره المادي الدقيق النافذ عن لفظة «كولكوديا» (Colcodea) الغريبة التي يدّعي توما كمبانلّا (Tommaso Campanella) انها مرادفة للعقل الفعّال عند ابن سينا ، وتوصل نلّينو الى اكتشاف اصلها . اما الثاني فهو اساس لفهم موقف ابن سينا الفلسفي ، ولفهم كل الفلسفة العربية عموماً ، المترددة بين تجديد الفكر اليوناني وتنظيم اسلوب خاص يستمدّ من معلومات الحديث الديني ، النامية بنموّ الفكر اللاهوتي . وفي اوصاف اخرى عديدة طويلة[1] افاض نلّينو نوراً جديداً على الفكر الفلسفي العربي وعلى علاقاته بالفلسفة المدرسية المسيحية .

❁

ونتج ايضاً عن فرصة اخرى ، او بالاحرى عن القيام بواجب المحبة والاكرام ، هذا الاهتمام المتواصل الذي بذله في الطبعة الثانية لكتاب « تاريخ مسلمي صقلية » لميخائيل اماري (Michele Amari, *Storia dei Musulmani di Sicilia*) وقد كان على وشك الانتهاء منها ، لما صرعته المنون فجأةً . وبالغ التدقيق في تحويل النسخ القديم للاسماء والالفاظ العربية ، الى نسخ جديد يتفق والقواعد العلمية التي طبقها أماري بعدئذٍ . وفي نقل المآخذ من النشرات القديمة ، او من المخطوطات ، الى مآخذ من نشرات حديثة او جديدة ؛ وفي ردّ اضافات أماري الى محلها الحقيقي . وفي هذا العمل وحده ما فيه من مشقة عديمة الثمر تحملها نلّينو الى النهاية بثابرته العادية القويّة . غير ان فضله زاد ، لا لانه اضاف بيانات كتبية وايضاحات وتصحيحات صغيرة فقط ، بل لانه اوضح مشاكل واقعية في التاريخ الخاص والعام ظلّ اماري متردّداً في حلّها ، او حلّها حلاً ما لبث ان غيّره تقدم الدروس .

من هذه الابحاث المبتكرة ظهر كتاب آخر صغير مهم فيما يختصّ بفقه اللغة العربية ، وبتاريخ التجارة الاوربية في الشرق في الاجيال الوسطى . ويتجاوز هنا عمل نلّينو الشخصي دورَ التنقيح الى دور المساعدة المبتكرة . ولم يكن احد

(1 (*Oriente Moderno*, VII, 517-525 : XI, 114-116 ; *Rivista degli studi orientali*, XV, 383-389)

اكثر استعداداً منه لهذه المهمة لانه كان ، فضلاً عن ثقافته العربية العجيبة العامة ، قد درس رأساً تاريخ صقلية وايطالية العربيتين إما في تآليف صغيرة خاصة ، وإما ، وهو الافضل ، في تحضير المجلدين عن « تذكار اماري المنوي » بنوع ان هذا العمل ايضاً ، وهو في آخر اعماله ، يدخل ، بالرغم من وضاعة اشتراكه به ، في جملة اخص مظاهر نشاطه العلمي المتنوّع .

مركز نلّينو وشهرته

هذا الانتاج الغزير ، وهذه الابحاث المبتكرة المتنوعة ، انالت نلّينو شهرة عامة ومجداً رفيعاً لم يتطلّبها قط ، ولم يتباهَ بها ، بل قبلها كتحريض على القيام بواجبات جديدة . فمنذ العقد الثاني من القرن ، ولا سيما بعد الحرب الكبرى ، اصبح مطلق السلطة في عالم المستشرقين الايطاليين لان غويدي ، البالغ سن الشيخوخة ، والمتحفظ من طبعه في الخروج عن دروسه الخاصة الشخصية ، تخلّى اختيارياً عن الصولجان لزميله الاحدث سناً ، حافظاً له اعتباراً وحباً عظيمين قدّرهما هذا باحترام المخلص العجيب . وقد عهدت اليه وزارة المستعمرات ووزارة الشؤون الخارجية في مهمات دقيقة . فكان كلما اتى رومة احد ملوك الشرق الاسلامي ، او احد كبار رجاله السياسيين ، باتصاله بهم وبحديثه بالعربية الفصحى الخالصة ، وبمعرفته المدهشة لبلاد الضيوف ، يثير فيهم عاطفة الاعجاب العميق بالعلم الايطالي .

كان عضواً مراسلاً في محفل المدارس الثانوية منذ السنة ١٩٠٦ ، وفي المحفل الوطني منذ السنة ١٩١٦ ، فاصبح سكرتير فئة ونائب رئيس ، وبصفته سكرتيراً وقف مدة سنوات عديدة على نشر الاعمال باعتناء يماثل اعتناء سلفه غويدي . وظلّ طويلاً ، كما مرّ ، مدير المدرسة الشرقية في جامعة رومة ، ومدير مجلة الدروس الشرقية . وقد ترك بعدئذٍ هذه المهمة اخيره واخيراً لميكال انجلو غويدي (Michelangelo Guidi) . وانتُخب مراسلاً او عضواً في كل المحافل العلمية الايطالية تقريباً . ومن تاريخ ٢٩ اذار سنة ١٩٣٢ ، انتخب عضواً في الاكاديمية الايطالية .

ولم يُعهد اليه فقط بمهمات ذات علاقة بمعارفه الشرقية ، بل قام طويلاً ، وهو

استاذ في بليرمو ، بمهمة تدريس الشرع المدرسي . وكان كثير الخبرة في هذه المواضيع لما عيّنه جنتيله (Gentile) ، وزير المعارف العامة بعد ارتقاء الفاشستية ، عضواً في لجنة البحث عن جهود المعلمين في المدارس المتوسطة اولاً ، ثم في مجلس التعليم العالي ، وفي اللجنة الملحقة بهذا المجلس . وقام بهذه المهمة حتى السنة ١٩٢٨ بنفس الاعتناء والعدل والغيرة على مكانة العلم التي كان يجعلها في كل مشاريعه . وحتى في جلسات معهد الآداب كان ، اذا تكلم في الاحوال العصيبة — وهو قليل الكلام — يُصغى اليه بكل انتباه واحترام .

كان جنتيله زميله في بليرمو ، وفي رومة ، يعتبره كل الاعتبار ، فعيّنه في ادارة الفرع الشرقي من دائرة المعارف الايطالية ، التي بوشر نشرها سنة ١٩٢٩ ، وتمت من مدة وجيزة . ولا لزوم لاعادة القول انه وضع ايضاً في هذه المهمة الشاقة اهتمام المدير الحكيم ، وانتباه المنقح الدقيق لاعمال الآخرين ، ولا سيما المساعدة الثمينة لابحاث عديدة منها الطويل ومنها القصير بلغت غايتها في مقالة «الاسلام»[1] بحث فيها الدين الاسلامي بحثاً واضحاً مفصّلاً . وكان احد الاصدقاء قد طلب منه عبثاً ، قبل هذا بسنوات عديدة ، تأليفاً اوسع في الموضوع فتملّص منه لشكه الزائد في كفاءته العلمية .

❁

اما شهادات الاكرام التي اتته من الخارج فلا تقل عن هذه قيمة . منها انه انتُخب عضواً شرفياً في الجمعية الاسيوية الملكية (Royal Asiatic Society) في لندن (١٩٢٣) وفي (Deutsche Morgenlandische Gesellschaft) (١٩٣٤) . وهذه من انفس الجوائز في نظر المستشرقين . واستحق امجاداً اخرى اتته من مصر خاصة حيث كان اسمه معروفاً . فدُعي سنوياً من ١٩٢٧ الى ١٩٣١ لالقاء دروس كل اربعة اشهر في الجامعة المصرية . وكان قد علّم فيها ، وهي معهد حرّ ، كما رأينا ، ولما اصبحت معهداً رسمياً لم تشأ ان تُحرم هذا الاستاذ الماهر[2] .

---

١) (المجلد ١٩ [١٩٣٢] ٦٠٣–٦١٠ ، وتوجد مقالات اخرى (اذكر مثلا « الخليفة » و « الصوفية ») شاملة مهمة تستحق النشر على حدة مع مقالة « الاسلام » .

٢) كانت الدروس التي القاها تدور حول تاريخ البلاد العربية في الجاهلية . وهذا

وكان منذ سنوات عديدة عضواً شرفياً في المعهد المصري، (Institut d'Egypte). ثم عُيّن عضواً في المجمع الملكي للغة العربية الذي تأسس سنة ١٩٣٣ ؛ وكان كل سنة يُقيم طويلاً في القاهرة (وكانت المرة الاخيرة في شتاء السنة ١٩٣٨ وربيعها) ليشترك في اعماله العائدة قبل كل شيء الى جمع وترتيب وتجديد التراث الواسع للالفاظ العربية. واذ كان عضواً في المجمع العربي الدمشقي سافر الى سورية والى بلاد ما بين النهرين سنة ١٩٣٤ ، فاقيم له استقبال لا يقلّ فخامة عن استقباله في الدولة السعودية ، عندما انتقل سنة ١٩٣٨ من مصر الى جدّة ومنها الى مدينة الطائف الجبلية في قلب الحجاز ، متفوّقاً بحيوية الشباب على مشقات المناخ والسفر .

نلّينو « والشرق العصري »

ارجأت الى الاخير هذا القسم من حياة نلّينو العلمية الذي يتعلق تعلّقاً اوثق بمجلة « الشرق العصري » ، ويكوّن وحده عملاً جديراً بافضل الاعجاب. تأسس المعهد الشرقي سنة ١٩٢١ ، بهمة أميديو جياننيني (Amedeo Giannini) فانتخب نلّينو مديراً له ، وقرّر انشاء مجلة شهرية تبحث بنشر المقالات والاخبار الجديدة الضافية ، في سائر الامور السياسية والاقتصادية والثقافية المتعلقة بالشرق الاسلامي . فتهيأ نلّينو لهذا المشروع بتلك الرصانة العميقة وذلك الشعور الخالص بالمسؤولية الخاصين به. فلم يكتفِ بتنظيم المجلة وادارتها ، بل اراد ان يقف على تحريرها باعتنائه الدقيق. فكان يتبع يومياً تقريباً (ما خلا مدة غيابه عن ايطالية) عمل التحرير ، ويراجع المسودات بدقة عينيه وعقله العجيبة النافذة ، فلم يَفُته خطأ طفيف في الاخبار ، ولا عثرة دقيقة في الطبع. وساهم في التحرير ليس بمقالات قيّمة (قليلة لسوء الحظ) وباوصاف كثيرة مهمة فقط بل بوضع الحواشي العديدة ، ولا سيما باضافات وتصحيحات لم يوقعها ، مغربلاً في غربال علمه الواسع ودقته

موضوع بسط ، لا سيما فيما يختص بالرُقُم العربية الجنوبية ، بنظام خاص مستقل تقريباً عن العربية (الشمالية) المتبقية. ومع ذلك اصبح نلّينو استاذاً حتى في هذا الموضوع الشاقّ الكلي الغموض الى الآن. وان كانت ، لسوء الحظ ، منشوراته فيه نادرة.

المعصومة ، ونقده الثابت النافذ ، كل خبر وكل ملاحظة في الجغرافية ، والتاريخ ، والشرع ، والدين ، والثقافة ، والسياسة.

ان « الشرق المصري » كما هو وكما اراده واخرجه نلّينو بهمّة دامت ١٧ سنة ، لعمل فريد في نوعه يحقّ لايطالية الافتخار به . اما نلّينو فلم يجهل قيمة اعزّ تآليفه ، رغم تواضعه واجتنابه المديح. وبرهان ذلك الاهتمام الدائم الذي بذله له بكل عطف حتى يومه الاخير، وقد صحّح المسودات الاخيرة لكرّاس تموز ١٩٣٨ في الرابع والعشرين منه ، اي عشية انتقاله من هذه الحياة الارضية .

قيمة اعماله

لا يصعب الجواب على من طالع هذا العرض السريع الوجيز لاعمال نلّينو فتساءل عن فحواها الوضعي وقيمتها الدائمة . ففي تاريخ علم الفلك العربي ، والحقوق الشرقية ، ترك نلّينو آثارًا لا تمحى . ولم يساهم احد مساهمته ، لا قبله ولا بعده ، في تقدم هذين الفرعين الهامين من تاريخ المدنية الشرقية. اما في سائر المواضيع المختلفة التي تناولها موجزة او مطولة في ابحاثه المثمرة فله دون شك منافسون يضاهونه ، او يفوقونه ، في تقدم هذا الفرع من الدروس او ذاك . ولكن ، نظرًا لقيمة العمل ، لا نرى احدًا يسبقه وان خلّف بعضهم تآليف اكثر عددًا واوسع شمولًا . الّا ان التي نشرها نلّينو كانت كاملة في نوعها . والسمة النهائية التي طبعها لكل تأليف بمفرده تجعل من لا يقف على سائر منتوجاته يعتقد ان المؤلّف لم يهتم طول حياته الباحثة ، الا بالجول في هذا الحقل الضيّق الذي يتكوّن منه موضوع هذا البحث المعيّن . واذا افتكرنا انه عمل باستقلال في مختلف حقول العلوم الاسلامية ، وانه نقّب في كلها بنفس الفوز ، تأخذنا الدهشة والاعجاب امام المجهود الفريد الذي استطاعت قريحته القيام به والمواظبة عليه.

ونظرًا لامتلاكه التام انواع المعرفة بجميع العالم الاسلامي ، منذ نشأته التي تنبثق غامضة من خلال غيوم العهد السابق للتاريخ الى مظاهره العصرية العديدة المتغيّرة ، قد يضارع نلّينو الجابرة منفردًا بين معاصريه وربما بين سلفائه .

وبما ان لكل عظمة حدّها ، يجدر بنا القول ان نلّينو افتقر الى الوقوف

على مظاهر الفنّ. فلم يهتمّ كثيراً بتاريخ الفنّ ولم يكتب فيه شيئاً ، حتى ولم يحكم في جمال الشعر والنثر الفني ، مع انه عرفها حق المعرفة . ولدينا برهان على انه كان بمقدوره تذوّق الجمال في بعض التلميح الحيّي المختشي تقريباً المبعثر في كتاباته . غير ان عبقريته كانت دون شك عقلية اكثر منها خيالية. وهذا ما نتلمسه من مطالعة كتاباته التأليفية ، وهو يحب ان يعرض فيها ، عرضاً كاملاً ، الاصول التي تتألف منها الحوادث التاريخية والثقافية ويفضل تبيان العلاقات التي تربطها ، على تلقين فهمها حالاً وتماماً بواسطة معلومات وجيزة سريعة تلقينية .

وبينما كانت تتكوّن شخصية نلّينو العلمية ، تغيّر درس الاسلام تغيّراً اساسياً مع غيره من العلوم التاريخية . فعاد اهتمام دارسي الاسلام يدور — بعد ان كملت في النصف الثاني من القرن التاسع عشر طريقة درس اللغة ونقد عهد انشائها — حول بحث المؤسسات والعلوم ، واصبح العالم الاسلامي المعاصر للمرة الاولى موضوع البحث المرتّب. وتبع نلّينو الميل الجديد ، مع ما وجدناه عنده من سعة المعارف وشمول الاهتمام ، فساهم بنوع عجيب في تقدم درس الاسلام عموماً . ثم انشأ وترأس في ايطالية نزعة ترمي الى التأثير الفعّال ، ليس في العلم المحض فقط ، بل ايضاً في اتجاه النظر الى السياسة الشرقية . فبالكتابات ، ومن على المنبر ، وبواسطة المساعدات والمنشورات الخاصة ، ولا سيما بالتعليم الدائم المنبثّ من اعمدة مجلة « الشرق العصري » ، ثقّف فتيدنا وقوّم وقاد فريقاً من الشبان كان بعضهم باحثاً في امور العلم الصافي ، والبعض الآخر ، وهو الاكثر ، موظفاً في سياسة الدولة . وبواسطتهم انتشرت نظريته الى ما وراء البحار ولا تزال منتشرة ، وشاعت هذه الحقيقة التي كان دائماً يتصلب في اثباتها ، الا وهي انه لا يستطيع احد افادة المصالح الوطنية في العالم الاسلامي ، ان لم يكن حائزاً على معرفة ماضيه ، ومنظماته ، وحاجاته المادية والدينية معرفة دقيقة تامة .

❁

ان كل عالم يحمل روح انسان : فصفاته البشرية ، الصالحة منها والطالحة ، تؤثر على عمل درسه وتظهر فيه . ومن اعمال نلّينو تظهر شخصيته القوية المستقيمة التي كانت تنعكس في شكله المرتبع ، ووجهه العريض الدمث ، وجبهته

الواسعة ، وعينيه المتناوبة فيها حدة غريبة وجمود متحيّر . ومنّ الله عليه بملك النفس ملكاً خارق العادة . فكان يظهر انه يريد اخفاء صفاء روحه المذب عن انظار العالم ، حتى كاد يصبح تحفّظه برودة ، وبالرغم من خلوص المحبة وسلامة الطوية الغير المتصنعة في ترحيبه ، كان محدّثه يشعر مراراً بارتباك ووجل ، بل ربما كان هذا الوجل في قلب نلّينو ذاته الاكثر حرارة والاغنى عاطفة وحناناً مما يظنّه من اكتفى بالاقتراب من «الاستاذ» فقط . وفي وسط العائلة المحبوبة[1] ، في اثناء الراحة القليلة التي كان يسمح بها عمله الدائم ، كان يبدي انشراحاً صافياً خالصاً مظهراً روحه الطيبة .

ولم يكن ، وهو القاسي على نفسه ، بالقاضي المتساهل لعثرات الغير ، بل كان يحنق بنوع خاص على كل ما يشتم منه الكذب والغشّ ان في العلم وان في الحياة . غير انه لم يكن يقيم نفسه نقّاداً الا عندما تدعوه الى النضال واجبات مهنته وكرامته كباحث او مدني ، والدفاع عن حقوق الغير المهضومة . ففي مثل هذه المواقف كان ، وهو الهادئ المطمئن عادة ، ينتفض بكلامه ومظهره ، انتفاضاً شهماً عجيباً . وكما كان هذا الحنق يقوده حتى الغضب (وذلك بالحقيقة مرات قليلة جداً ومدة قصيرة جداً) ، فهكذا كان ، اذا دخل في جدال ما ، يضع فيه كل قوة مزاجه الحديدي المتسرّ . بيد انه كان دائم الاستعداد لمساعدة من يلجأ اليه . وان كانت قلة مقدرته في الامتناع وحرارته في البلاغة ، وذاك الاكرام المتحفّظ لنظريته الصادقة اتاته مباشرة تلامذة قليلين ، الا انهم كثيرون الذين حصلوا منه على آراء ومساعدات سببت له غالباً ابحاثاً طويلة شاقة . وفوق ذلك فان حياته الدراسية بكمالها وقفها ، ان لم يكن على خدمة اشخاص منفردين ، فعلى خدمة الخير العام الذي جدّ في اثره بتضحية اذواقه الشخصية تضحية السكوت

---

١) عدا فقد امرأته قبل الاوان ، ابتُلي نلينو ابتلاء شاقاً بفقد ابنه الوحيد الذي انطفأ وهو يكاد يبلغ السابعة من عمره ، بعد مرض طويل اليم . واتذكر اني قرأت على وجهه ، لما تأكد له فتك المرض الذي كان يفني شيئاً فشيئاً حياة ولده ، نمّا ازداد قوة كلما زاده قمّاً . واني احتفظ ببطاقة ارسلها لي بعد وقوع المصيبة بقليل ، تجلو في بضعة اسطر عن فرط حزنه العضال . غير انه لم يفتح منه الى المخارج الا الشيء القليل او لا شيء ، ولم يتوقف سير اعماله المنظم .

غير المتباهي. وفي الاحوال التي دعاه فيها الوطن للعمل ، ودائماً بنتيجة محسوسة ، برهن عن اتقان بلغ حدّ الشهامة تقريباً. فلخدمة الوطن والعلم زهد زهد الناسك بكل لهو عالمي ، وبكل تشتت فكري ، حتى وبالراحة ، مع شعوره بالحاجة اليها . ولا شك ان ما عجّل نهاية حياته هو الجهد الجهيد الذي فرضه على مزاج كان يحتاج منذ امد بعيد الى الراحة والعناية . فبعد ان رجع من رحلته الى جزيرة العرب ، تلك الرحلة التي اتعبته كثيراً ، عاد بحميّة الشباب الى شغل المكتب المضنك. وربّ صديق حثّه على السماح لنفسه بإقامة قصيرة في المصيف ، فكان جوابه انه لا يستطيع هذه السنة التفكير بالاصطياف . ففي اثناء هذا العمل المتواصل اصابه انزعاج ظنّه وقتياً فلم يعالجه حقّ المعالجة. وصباح الخامس والعشرين من تموز ، اذ نهض كالعادة واوشك ان يبدأ بعمله المعتاد ، انطفأ فجأة بين يدي ابنته وشقيقته ، وهو واقف ، انطفاء المجاهد البطل الذي لا يُقهر .

وعند خبر وفاة نلينو ، ارسل لي فنسينك[1] (Wensink) ، خليفة سنوك هورگرونيه (Snouck Hurgronje) ؛ بطاقة حزن وجيزة ختمها بقول داود في رثائه لشاول ويوناتان : « كيف سقط الاقوياء ! » اجل ان هذا القول لفي محلّه : كان نلينو بالحقيقة قوياً في العلم وفي الحياة . وقوة الذكاء وقوة الارادة المبدعة وقوة الترفع جعلت حياتـه حياة جندي مجيد منتصر تخلد في المستقبل اعماله المفيدة كما تخلد ، في ذاكرة من عرفه ، صورة وجهه المنير الامثل .

---

١) لم يعش فنسنك ، بعد وفاة نلينو ، الا سنة وبعض السنة ، فانتقل من هذا العالم في ١٩ ايلول ١٩٣٩ . وسنخصّ به بحثاً في عدد مقبل من « المشرق » .

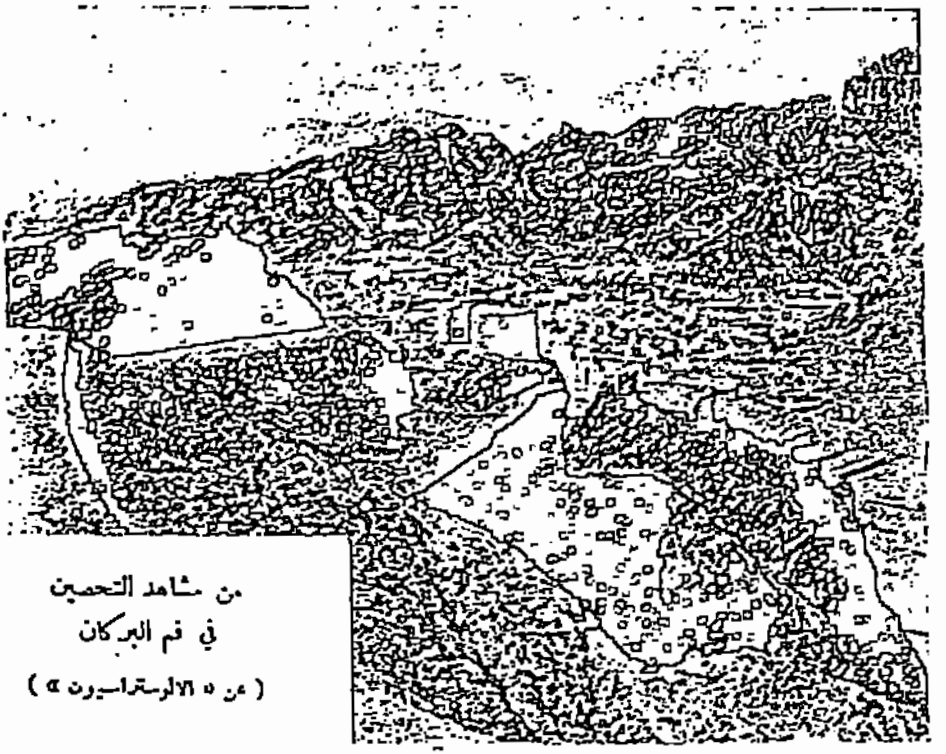

من مشاهد التحصين
في فم البركان
(عن « الالوستراسيون »)

عدن

الفردوس الغابر

بقلم فؤاد افرام البستاني

« ليس بين مناخ عدن وحرارة الجحيم الّا سماكة ورقة رقيقة. »[1]

لا عجب ان ينسب الرحّالة بثّت الى الجحيم تلك الحرارة الثقيلة الوطأة التي تأخذ بخناق المسافر ، اذا ما جال في طرق عدن اللاهبة ، فجفّف خياشيمه هواؤها اللافح ، وبهرت عينيه مناظرها الجرداء تتناوبها الألوان القاسية من الأحمر الناري

---

1) Theodore and Mrs. Beat, *South Arabia*, 1900, p. 46.

في الجبال ، الى الازرق الوسخ في البحر ، الى الأكدر الرصاصي في السماء ؛ لا تلطّفها خضرة ليّنة ، ولا يخفّف حدّتها ضباب رطب .

لا عجب ان ينسبها الى الجحيم ، وقد سبقته الاساطير العربية الى مسخ عدن عن الفردوس الارضي . كانت تلك الجنّة باسقة الاشجار ، متلاعبة الأنهار ، وارفة الظلال ، عذبة المقيل والمنام ، ينعم فيها الانسان الاول في راحة وادعة . حتى يخطئ خطيئته الاولى . واذا به يطرد من عدنه طردًا ابديًّا ، واذا بالفردوس يُمسخ عدن الحالية .

وتتوالى الاحداث الفاجعة على عدن . فيُدفن فيها قابين ، او قابيل ، في احد كهوف الجبل ، بين التواهي وفم البركان . ثم تُصبح موطنًا لقوم عاد ، على ما ورد في اقوال بعض الرواة . ويُرسل اليهم النبي هود . فيُعرضون عن تعاليمه . فيستعين عليهم بالحواصب والقواصف . واذا بفريق منهم تهلكهم السموم ، وبالفريق الآخر يُمسخون قرودًا يمرحون في الجبال القريبة من عدن . ولا يزال حفدتهم يأهلونها الى اليوم .[1] ولن يزالوا فيها حتى يثور البركان ثورته الاخيرة فيفتح طريق الجحيم ، معلنًا للملأ ابتداء اليوم الآخر

وكأن ذكرى القرود هذه هاجت مخيلة ألبر لوندر ، فاستغرب ان لا يرى الشياطين تتواثب في تلك القمم الجحيمية الناظر ، فتتناول المعذّبين باسنة النكال ، وترمي بهم في المراجل الجائشة .[2]

بيد ان هذا المنظر الرائع وحشةً وجفاء رنق ملكة سبا ، في اساطير القدماء ، فشاءت ان تعيد اليه الحياة . وأمرت بصنع اسداد هائلة لا يزال علماء الآثار يحاولون تأريخها علميًّا ، فتضطرب تقديراتهم على مدة الف سنة ، بين القرن الخامس عشر والقرن الخامس ق . م . ولا يتفقون الّا على الاعجاب بها إعجابهم بأثر من اروع الآثار الهندسية في العالم . تنتصب تلك الأسداد في مضيق متحدر ، فتستند الى الجبلين ، محفورًا بعضها في الصخور . وتتدرج هابطة الواحد تحت الثاني .

(١ D' Van der Meulen, *National Geographic Magazine*, 1932.

(٢ Albert Londres cité dans *l'Illustration*, 21 septembre 1940, p. 69.

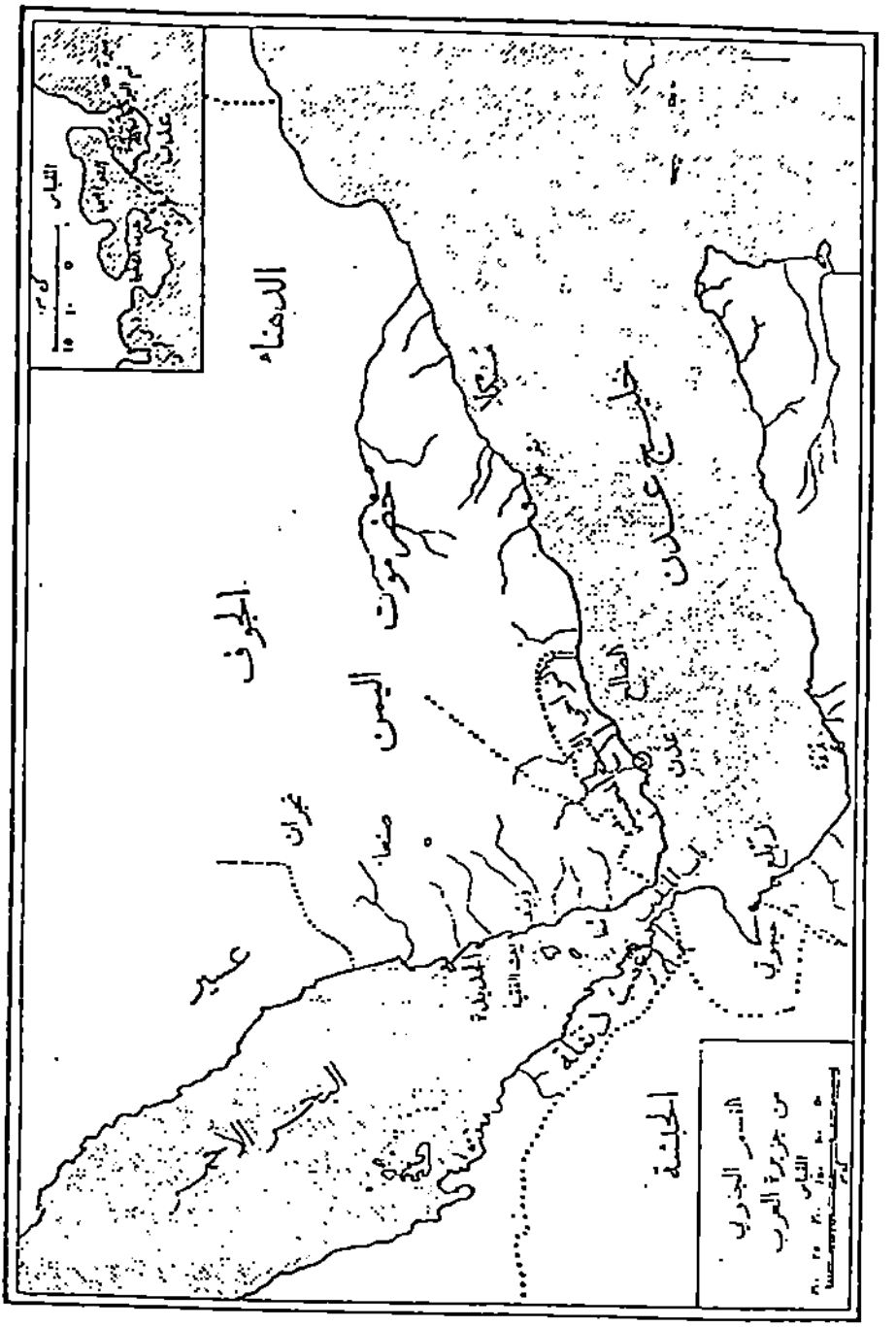
الدهناء
الجوف
حضرموت
اليمن
عدن
صنعاء
عسير
البحر الأحمر
الجنوب
الأسر الجنوب
من جزيرة العرب

حتى اذا امتلأ الحوض الاعلى صبّ فضله في التالي. وهكذا حتى الخزّان الاخير القائم في سفح الجبلين على انها، لفرط سعتها — وهي تستوعب ٨٠ مليون غالون

منظر بعض الاسداد (عن «الالوستراسيون»)

من الماء — ولقلّة الامطار في تلك المنطقة، لا تكاد تمتلي الّا مرة او مرتين في كل بضع سنين.[1]

محاولة جبارة قامت بها ملكة سبا. ولكنها لم تُفلح في اعادة الفردوس المفقود. فظلّت عدن ملتحفةً بجفافها اليائس، لا يلوح غصن اخضر في مَواتها البركاني، ولا ينبسط مرعى في شعابها القاتمة؛ ولا ينساب جدول ينقع غلّة اهلها؛ ولا ترفرف في جوّها الرصاصي أجنحة غِرّيد، الّا ما كان من

١) راجع، في وصف هذه الاسداد، امين الريحاني: ملوك العرب (الطبعة الثانية) ١: ٢٤٤

كواسر العقبان ، ونواعق الغربان ؛ يضاعف تدويها الدوائر السود في تلك الحرّات اللاهبة . حتى لو شاءت احدى الجوقات التمثيلية ان تعرض رواية مكبث لشكسبير ، لعجزت عن إخراجها على مسارح عدن. ذلك ان في الرواية الشهيرة مشهدًا تتقدم فيه جنود ملكولم ، وقد استتر كلّ منهم بغصن من الشجر ، فخفي سيرهم على انظار المراقبين . واين الاغصان في عدن ؟[1]

بيد ان هذا الجدب لم يمنع بعض ارباب الشعر — واعذب الشعر اكذبه — من التغزّل برياض عدن وحدائقها ؛ وكأنهم يتصوّرونها في عهد فردوسها الارضي ، او يمثلونها كما يشاء خيالهم . قال ابو بكر احمد بن محمد العيدي :

حيّاكِ ، يا عَدَنُ ، الحيا حيّاكِ ! وجرى رضاب لماه فوق لماكِ ،
واقترّ ثغر الروض فيك ، مضاحكًا بالنشر ، رونق ثغره الضحّاكِ ؛
ووشت حدائقه عليك معارفًا يختال في حبراتها عطفاكِ ! (٢

اما الاسداد فطمرتها العصور المتعاقبة ، حتى اعاد الانكليز حفرها ورمّموها سنة ١٨٥٦ .

❁

وتدخل عدن في ضوء التاريخ منذ العهد النبيقي ، فتُعرف بكونها من المناطق المتّجرة مع صور « بالانسجة الفاخرة ، باردية من السمنجوني والوشي ، وبالنفائس من الثياب المُبرمة المشدودة بالحبال المكرمة بين بضائع صور . »[3] كما يُستنتج من رثاء حزقيال للمدينة النبيقيّة العظيمة[4] ، ومن تعاليق دوسو على هذا الرثاء .[5]

ثم يظهر اليونان والرومان على مسرح العالم ، فيدركون اهمية موقعها التجاري ،

١) راجع ما يورده بنوا في روايته الاخيرة Pierre Benoit, *Les environs d'Aden*, 1940, p. 184.

٢) ياقوت : معجم البلدان (Wüstenfeld) ٣ : ٦٢٢ — وفيه تصحيفات اصلحناها .

٣) نبوءة حزقيال ٢٧ : ٢٤

٤) نبوءة حزقيال ٢٧ : ٢٣ — ويرد اسمها في الترجمة العربية اليسوعية بصيغة « عادان »

٥) René Dussaud, *Les Phéniciens au Négeb et en Arabie d'après un texte de Ras Shamra*. [*Revue de l'Histoire des Religions*, CVIII, 1, Juillet-Août 1933, p. 47-48.]

فتزورها مراكبهم ناقلةً بضائع الهند ، وفارس ، وبلاد العرب ؛ ويدعونها « أدَنه » او « أثنه » . ولا يلبث الرومان ان يحتلّوها في جملة ما احتلّوه من سواحل العرب.[1]

اما التاريخ العربي القديم ، فقد كان لها فيه النصيب الوافر. دخل اسمها في احداث العرب الاقتصادية ، كما دخل في اساطيرهم. وهم يُجمعون على انها اقدمُ اسواقهم تحفل بالمصانع والمناسج ، وتستقبل تجارة الهند منذ القدم[2] فتتفرّق بضائعها ومنسوجاتها حتى اطراف الحجاز وبطائح نجد. وتُعرض الثياب « العَدَنية » في سوق عُكاظ[3] ، فيتنافس السادة في الحصول عليها .

على ان علماءهم رغبوا في شرح اسمها ، رغبتَهم في شرح كل شيء ، فقال الطبري : « سُمّيت « عَدَن » و« أبيَن » بعدن وأبين ابني عدنان. » وقال ابن الكلبي : « سُمّيت عدن بعَدَن بن سنان بن نفيشان بن ابرهيم » وقال اهل السير : « سميت بعدن بن سنان بن ابرهيم . » ويميل عبد المنعم الى شرح اسمها شرحاً لغوياً ، فينقل عن وَهب « ان الحبشة عبرت في سفنهم فخرجوا في عدن ، فقالوا : عدونا ، فسمّيت عدن بذلك وتفسيره : خرجنا . » اما ياقوت فلا يلتحق بالحبشة في شرحه اللغوي ، بل يكتفي بالعربية ، فيقول : « عَدَن . . . من قولهم : عدن بالمكان ، اذا اقام به ، وبذلك سميت عدن . » وهو يستغرب شرح الطبري المتقدم ، فيقول : « وهذا عجب لم أرَ احداً ذكر أن عدنان كان له ولد اسمه عدن غير ما ورد في هذا الموضع . »[4] وما كان احراه باستغراب سائر ما ورد من الشروح والتفاسير !

وينتشر الاسلام في اطراف الجزيرة ، فيعيّن النبي على عدن حاكماً خاصاً هو ابو موسى الأشعري.[5] ولكن لا يلبث تاريخها ان يندمج بتاريخ اليمن مدة

---

١) Lammens, *La Mecque à la veille de l'hégire*, p. 240.

٢) جغرافية المقدسي : ٦٧ ، ١١٥

٣) الاغاني ٣ : ١٠٥ ؛ ١٩ : ٧٥ ؛ ابن هشام : السيرة ٢٨٢ ؛ ابن الاثير : النهاية ١ : ١٧٣

٤) ياقوت : الكتاب المذكور ٣ : ٦٢١-٦٢٢

٥) ابن الاثير : اسد الغابة ٣ : ٢٤٦

العصور الطويلة. حتى يبزغ القرن العاشر للمسيح فيؤسس فيها الزياديون ، او بنو زياد ، سنة ٩١٦ دولة مستقلة لا تترك ما يُذكر من الآثار.

وبعد ذلك بنحو مائة سنة ، يملكها بنو معن اصحاب لَحج ، وأبيَن ، والشِهر ، وحضرموت. فلا تدوم سلطتهم طويلاً.

ويخلفهم بنو الكَرَم، ينالون حكم المنطقة من المكرّم الصُليحي، صاحب صنعاء.

ومن بني الكَرَم ينشأ الزُرَيميّون الاسماعيليون ، فينادون باستقلالهم التام سنة ١١٢٥. ويتوالى منهم اربعة عشر اميرًا في نحو تسعين سنة يحكمون المدينة اثنين اثنين في العهد الاول ، ثم فردًا فردًا حتى السنة ١١٧٤[1] ، فيزحف عليهم طوران شاه الايوبي ، اخو صلاح الدين ، ويقضي على دولتهم ، كما قضى اخوه على دولة الفاطميين التي كانت تعطف على امراء عدن لصلتهم الدينية بها.

ولم تكن الدولة الايوبية طويلة الحياة في عدن ، فانقرضت في السنة ١٢٢٨.

فدخلت عدن في حكم الرَسُوليين ، ملوك اليمن. وقد شادوا دولة قويّة عاشت اكثر من مائتي سنة ، تعاقب فيها ثلاثة عشر ملكاً مستقلًا اولهم الملك المنصور نور الدين عمر الاول (١٢٢٨—١٢٥٠) وآخرهم الملك المظفر يوسف (١٤٤٢—١٤٤٣). وبعد وفاته تزاحم على الملك اربعة من الرسوليين هم:

---

١) هذا ما وقفنا عليه من تسلسل هؤلاء الامراء :

١ العبّاس ١٠٨٣ — ؟ يحكم مع مسعود ١٠٨٣ — ١١١٠ وهما اللذان عيّنهما المكرّم الصُليحي.

٢ زُريع ١٠٨٧؟ — ١١١٠ يحكم مع ابي الغارات

٣ ابو السعود يحكم مع محمد

٤ سبا — ١١٣٨ يحكم مع علي — ١١٣٨ خُلعا ، ولم يلبثا ان توفي.

٥ الاعزّ المرتضى ١١٣٨ — ١١٣٩

٦ محمد المعظم ١١٣٩ — ١١٥٣

٧ عمران المكرّم ١١٥٣ — ١١٦٤

٨ محمد ١١٦٤ — ١١٧٣

٩ ابو السعود ١١٧٣ — ١١٧٣

١٠ مسعود ١١٧٣ — ١١٧٤

المفضّل محمد، والناصر عبدالله تنازعا العرش منذ السنة ١٤٤٣، ثم المسعود نادى بنفسه ملكاً سنة ١٤٥٠، واخيراً المؤيّد الحسين ادّعى الملك سنة ١٤٥١[1]. ودام التنازع حتى السنة ١٤٥٤، وفيها استولى الطاهريون على عدن، فأضافوها الى زَبيد، وقضوا على سيادة الرسوليين.

وعلى عهد الملك الخامس من الرسوليين، وهو المجاهد نور الدين علي (١٣٢٢–١٣٦٣)، وصل ابن بطّوطة الى بلاد اليمن، فزار السلطان في عاصمته، وكانت تعزّ، لا صنعاء، واشار الى الغرابة في كيفية السلام عليه، قال: «فلما كان في اليوم الرابع، وهو يوم الخميس، وفيه يجلس السلطان لعامّة الناس، دُخل بي عليه. فسلّمت عليه. وكيفية السلام عليه ان يمسّ الانسان الارضَ بسبّابته ثم يرفعها الى رأسه، ويقول: ادام الله عِزّك!»[2] ثم وصف جلوسه للناس،

١) هذه سلسلة ملوك الرسوليين:

١ – المنصور عمر الأول	١٢٢٨–١٢٥٠
٢ – المنصور يوسف الاول	١٢٥٠–١٢٩٥
٣ – الأشرف عمر الثاني	١٢٩٥–١٢٩٦
٤ – المؤيّد داود	١٢٩٦–١٣٢٢
٥ – المجاهد علي	١٣٢٢–١٣٦٣
٦ – الافضل العباس	١٣٦٣–١٣٧٧
٧ – الاشرف اسماعيل الاول	١٣٧٧–١٤٠٠
٨ – الناصر احمد	١٤٠٠–١٤٢٤
٩ – المنصور عبدالله	١٤٢٤–١٤٢٧
١٠ – الاشرف اسماعيل الثاني	١٤٢٧–١٤٢٨
١١ – الظاهر يحيى	١٤٢٨–١٤٣٩
١٢ – الاشرف اسماعيل الثالث	١٤٣٩–١٤٤٢
١٣ – المظفّر يوسف الثاني	١٤٤٢–١٤٤٣
المفضّل محمد	١٤٤٣
الناصر عبدالله	١٤٤٣
المسعود	١٤٥٠
المؤيّد الحسين	١٤٥١–١٤٥٤

٢) ابن بطوطة: تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار (Defrémery et Sanguinetti) ٢: ١٧٢؛ الروائع ٥: ٧٢

ومؤاكلته لهم ، وترتيب ذلك .

ومن تعز انتقل الى صنعاء . ومنها الى عدن « مرسى بلاد اليمن على ساحل البحر الأعظم . » وكانت في إبان ازدهارها « تأتي اليها المراكب العظيمة من كنبايت ، وتانه ، وكولم ، وقالقوط ، وفندراينه ، والشاليات ، ومنجرور ، وفاكنور ، وهنور ، وسندابور ، وغيرها . » ولاحظ ان فيها عدداً من تجار الهند وتجار مصر يقيمون بها . اما اهلها « فما بين تجار وما بين حمالين وصيادين للسمك . وللتجار منهم اموال عريضة . وربما يكون لاحدهم المركب العظيم بجميع ما فيه لا يشاركه فيه غيره لسعة ما بين يديه من الاموال . » ولا بدّ ان يؤدي هذا الغنى الى « التفاخر والمباهاة » ، ويروي الرحالة مثلاً على هذه المنافسة بين التجار في مظاهر الغنى - وهي حكاية خلاصتها ان احد التجار ارسل غلامه ليشتري له كبشاً . وكان غيره ارسل غلاماً له في الغاية نفسها . واتفق انه لم يكن في السوق سوى كبش واحد . فوقعت المزايدة بين الغلامين حتى بلغ ثمن الكبش اربعمائة دينار . فسُرّ صاحب الغلام الذي اشترى الكبش ، واعتقه ، وأعطاه الف دينار لانه نصره على صاحبه . اما التاجر الثاني فضرب غلامه .

وعدا ذلك فالقوم « اهل دين وتواضع وصلاح ومكارم أخلاق يحسنون الى الغريب ويؤثرون على الفقير ويعطون حقّ الله من الزكاة على ما يجب . » وقد نزل ابن بطوطة على احد تجارها . فتحقق رخاء عيشه وحسن ضيافته . ولكنه لم يسهُ عن الاشارة الى جدب المدينة وحرّها ، والى خزّاناتها القديمة ، قال : « وهي مدينة كبيرة ، ولا زرع بها ، ولا شجر ، ولا ماء . وبها صهاريج يجتمع فيها الماء ايام المطر . والماء على بعدٍ منها . فربما منعته العرب ، وحالوا بين اهل المدينة وبينه حتى يصانعوهم بالمال والثياب . »[1]

كان الملك الظافر صلاح الدين عامر الأول ابن طاهر يتولى حكم زبيد منذ السنة ١٤٤٦ . فلما شعر ان الدولة الرسولية في عدن متداعية للانهيار ، بسبب ما كان بين ابناء الاسرة المالكة من الزحام على العرش ، رمى بابصاره اليها ،

١) ابن بطوطة : الكتاب المذكور ٢٠ : ١٧٧–١٧٦ ؛ الروائع ٥ : ٧٤–٧٥

وجعل يعمل على إلحاقها بمملكته الصغيرة . الّا ان تحقيق هذه الامنية كان من نصيب خليفته واخيه الملك المجاهد شمس الدين علي .

ولم يحكم عدن بعد الملك المجاهد من الطاهريين الا ملكان هما المنصور تاج الدين عبد الوهاب ، وابنه الظافر صلاح الدين عامر الثاني[1]. ذلك ان جيوش المماليك الشراكسة كانت قد مشت على اليمن بقيادة حسن الكردي ، احد قوّاد قانصوه الغوري ، فاهتم الظافر بالدفاع ، ولكنه لم يقوَ على مقاومة الزحف ، فسقطت زبيد ، سنة ١٥١٦ . فجمع ما تبقّى له من رجال ، وقادهم بنفسه الى معركة حاسمة في ١٣ ايار ١٥١٧ كانت نتيجتها انه قُتل هو واخوه ، وفُتحت ابواب اليمن امام المماليك الشراكسة . ولكنهم عجزوا عن دخول عدن .

وكان قد عجز عنها كذلك ، قبل اربع سنوات ، عمارة برتغالية اتت بطريق البحر بقيادة ألفونس دالبوكيرك . فتظاهرت في عرض المدينة ، وحاولت مهاجمة الأسوار . ولكن دون جدوى . وتلتها عمارة ثانية كان نصيبها نصيب الاولى .

وفي اواخر عهد الطاهريين ، وصل الى عدن الرحالة الايطالي الشهير ثارتيا ، فقُبض عليه بتهمة التجسس للبرتغاليين ، والقي في غياهب السجن مدة شهرين .

بيد ان المماليك لم يتمتعوا طويلاً بهذا الملك الجديد . لأن جيوش العثمانيين كانت على الأثر ، يقودها زعماء اللاوند . ولم يلِ اليمن من الشراكسة الّا ثلاثة ولاة في سنة واحدة : الحسن الكردي ، ثم برساي . وكلاهما قُتلا في السنة نفسها ١٥١٧ . ثم اسكندر الذي اقرّه السلطان سليم العثماني سنة ١٥١٧ ، فعزله ، بعد اربع سنوات ، كمال بك اللاوندي ، اول الولاة من قبل الاتراك العثمانيين .

وظلّت السيادة العثمانية في اليمن كلّه ، فعليّةً حيناً ، اسميةً احياناً ، حتى السنة ١٦٣٥ . وفيها تقدّمت عساكر إمام صنعاء ، المؤيّد محمد بن القاسم (١٦١٩

---

١) هذه سلسلة الملوك الاربعة الطاهريين :

١ الظافر صلاح الدين عامر الاول ١٤٤٦–١٤٤٩

٢ المجاهد شمس الدين علي ١٤٤٩–١٤٧٨

٣ المنصور تاج الدين عبد الوهّاب ١٤٧٨–١٤٨٨

٤ الظافر صلاح الدين عامر الثاني ١٤٨٨–١٥١٧

– ١٦٤٤) فهرب الوالي العثماني قانصوه باشا .

اما عدن نفسها فلم يدخلها العثمانيون الا سنة ١٥٣٨ . ولكن سرعان ما خسروها ، فاحتلّها زيود إمام صنعاء بعد ثلاثين سنة .

ثم استعادها العثمانيون ، حتى خسروها نهائيًا ، مع سائر مناطق اليمن ، سنة ١٦٣٥ ، كما قدّمنا .

وظلّت في حكم الزيود يستمدّ واليها السلطة من امام صنعاء حتى السنة ١٧١٩ ، وفيها انفصلت سلطنة لحج عن صنعاء . فكان من ممتلكاتها عدن وسائر المناطق المجاورة .

وقبل ان تنفصل السلطنة المذكورة عن اليمن باحدى عشرة سنة ، وصلت الى عدن بعثة فرنسوية كانت غايتها درس احوال البلاد ومعرفة محصولاتها وبضائعها ، تمهيدًا لتجارة ممكنة بينها وبين فرنسة . وقد دوّن لاروك نتائج هذه الرحلة ، استنادًا الى ملاحظات القبطان ومذكّراته ، في كتاب نشره في باريس سنة ١٧١٦[1] . فكان من اوثق المصادر واجمعها لوصف حالة عدن في تلك الايام .

ولعلّ فرنسة رمت الى احتلال تلك البلاد ، محاولة النجاح حيث اخفق البرتغاليون قبل مائتي سنة ، على ما يذكر گايتان فوكيه في «الآوستراسيون»[2] وقد يكون استنتج ذلك من تمهيد الرحلة ، وفيه يرفع لاروك كتابه الى الوزير الكونت دي پونتشارترَن (de Pontchartrain) امين سرّ الدولة ، ويقول ان الوزير المذكور « وافق على مشروع تلك الرحلة وشجّعها بكل ما امكن ان يؤدّي الى نجاحها . »[3]

ومهما يكن من أمر فان الرحلة لا تظهر رغبة الدولة الفرنسوية في احتلال عدن . انما تكتفي ، في قسمها الاول ، بوصف المدينة ، واستقبال حاكمها

---

1) La Roque, *Voyage de l'Arabie heureuse, par l'Océan oriental et le détroit de la Mer Rouge*. Paris, 1716.

2) Gaétan Fouquet, *Aden, porte de la Mer Rouge. L'Illustration*, 21 Septembre 1940, p. 72.

3) La Roque, *op. cit.*, A III.

للفرنسويين ، ورغبته الملحّة في الاتجار معهم . ثم تتبسط في وصف بعض المدن الساحلية ، ولا سيما مُخا ، ثم في وصف غيرها من مدن اليمن الداخلية حتى ذمار ومرآب او حصن المواهب ، عاصمة ملك اليمن الذي استقبل الفرنسويين استقبالاً حافلاً في ٢٢ شباط ١٧١٢[1]

وصلت المراكب الفرنسوية امام عدن ، في اليوم الثالث لاقلاعها من ساحل الحبشة . ولم تكد تلقي مراسيها وترفع العلم الفرنسوي . حتى أرسل حاكم المدينة مركبين يحملان الشيء الكثير من المرطبات . وفي اولها ضابط يستقبل الضيوف باسم الحاكم .

وفي صباح اليوم الثاني حيّت المراكب حاكم المدينة باطلاق سبعة مدافع من كل مركب . فاجابها مدفع القلعة . وارسل الحاكم موفدًا جديدًا يحيّي الفرنسويين ويدعوهم الى النزول ، بينا كانت قوارب المدينة وسفنها الصغيرة تأتي جماعات تعرض « المرطبات المتنوّعة » على المسافرين .

وبعد طعام الغداء ، نزل القبطان دي مرفيل (de Merveille) قائد الرحلة ، يرافقه السيد دي شامبلوريه (de Champloret) ، وعدد من ضباط المراكب الثلاثة . ويحسن بنا الآن ان ندع الكلام للقائد فيصف ما شاهده في تلك الأرض التي يطأها الفرنسيون لأول مرة في التاريخ ، قال :

---

١) كان ملك اليمن ، اذ ذاك ، سادس ائمة صنعاء ، المهدي محمد بن احمد بن الحسن الذي تولى الملك من ايار ١٦٨٦ الى ١٧١٦ . وكان عمره حينئذ ٨٧ سنة ، وكان مصابًا بقروح في رأسه ويده ، فشفاه الجرّاح باريه (Barbier) احد اعضاء الوفد الفرنسوي . وقدّم له الوفد عدة هدايا منها مرآة اعجبته كثيرًا ، فأقبل يمعن فيها النظر ؛ وتداولها افراد الحاشية من بعده كلّ يتمتع ناظريه بقسمات وجهه . واظهر الإمام رغبته في محالفة ملك فرنسة ، او على الأقل ، في ايجاد علاقات تجارية دائمة بينهما . ثم طلب من الوفد ان يُرسل اليه ملخص تاريخ ملك فرنسة ، وصورة قصره ، واذا امكن ، صورته وصور افراد الاسرة المالكة . وتلطّف فاهدى الى ملك فرنسة ٥٠٠ كيس من البنّ الممتاز أمر بايصالها الى مرفأ مُخا . ويقول اعضاء الوفد ان الإمام تزوّج وهو في السابعة والثمانين . وشاهدوا ، في قصره ، سفيرًا عثمانيًا اتى لعقد اتفاق بشأن تجارة البنّ ، مما يدلّ على اهمية هذا الصنف منذ ذاك العهد .

(La Roque, *op. cit.*, pp.234-264.)

« صادفنا على الرصيف عدداً من الرجال المسلحين ، فقادونا الى الباب الذي يدعونه «باب البحر الكبير» لانه كبير متجه نحو البحر . وكان واقفاً امامه فرقة من الحرس . وقد لاحظت ، في اثناء مرورنا ، ان الباب عظيم السماكة ، مكسوّ الظاهر بالمسامير الحديدية الكبيرة ، مستند من الوراء الى قضيب ضخم من الحديد ، زيادةً في متانته .

« دخلنا من هذا الباب الى مكان معقود . وبعد ان سرنا خمس عشرة خطوة وجدنا غرفة معقودة كذلك ، تنتهي بزاوية . وهنا استقبلنا رئيس الميناء ، وهم يدعونه « امير البحر » ونحن نسميه « ميربار » (Mirebar) . فاحتفى بنا ودعانا الى الجلوس على كراسي غريبة الشكل . ثم سألنا من اين جئنا ، وما الغاية من سفرتنا . ولكن الحديث كان مختصراً ، لأن هذا الموظف كان قد اعلم الحاكم بنزولنا ، فوصل أمره باستدعائنا اليه .

« خرجنا اولاً من باب حديدي يقفل هذا المكان ، ويقود الى باب آخر ذي اضلاع خشبية . وكنا نمشي بين صفّين من العسكر ، وامامنا ووراءنا عدد من الجنود كذلك . اما « امير البحر » فكان الى يسارنا حتى وصلنا الى قصر الحاكم .

« صعدنا اليه في سلّم جميل ، فوصلنا الى البهو الاعظم . واذا بالحاكم جالس في صدر قاعة منه ، على منبر مكسوّ بالسجّاد النفيس ، وهو مستند الى وسائد مطرّز قماشها بالذهب . وحاشيته الى اليمين والى اليسار مصطفة على السجّاد . اما سائر القاعة فمفروش بالحصر الدقيقة الصنع .

« وصلنا الى منبره دون ان نخلع احذيتنا ، وهذا امر لا يسمح به عادةً لأحد . وبعد ان حيّيناه ، مدّ لنا يده ، ودعانا الى الجلوس ، بواسطة ترجمانه ، وهو موقدّ برتغالي الأصل .

« بدأ الحاكم ببعض اسئلة عامّة تتناول بلادنا ، ورحلتنا . ثم أكّد لنا حمايته في مناطق ولايته . وقدّم لنا القهوة السلطانية . وتلطّف فاعلمنا بانه اصدر اوامره في اعداد منزل لنا . وبما انه ليس من العادة ان يُتحدّث في الشؤون العملية ، في المقابلة الاولى ، استأذنّا وانصرفنا بعد ان كرّرنا تعابير شكرنا ووعدناه بالرجوع

الى زيارته في اليوم الثاني.»[1]

ثم قادهم امير البحر، بالترتيب نفسه، الى بيته الخاص، وهو المنزل الذي أمر به الحاكم. ووصفه القبطان بانه بيت كبير جميل الظاهر. الا انه ليس فيه من الاثاث الا الحصر تُستعمل للنوم والجلوس والأكل، فتقوم مقام الأسرّة، والكراسي، والموائد. وقد أُتوا في المساء بعدد من الشموع دون شماعدين. فتعشوا وقضوا ليلةً سيئة. وهو ما استغربه «امير البحر» عندما بكّر، صباح اليوم الثاني، مستعلماً عن راحتهم، وكان قد رتّب الحرس حول المنزل، حتى لا يزعجهم احد بضجيج او صراخ. فاجابه القبطان بكل بساطة ان سبب انزعاجهم كان انهم لم يتعوّدوا النوم على مثل هذه الاسرّة الوثيرة. فتبسّم امير البحر ابتسامة خفيفة لاحظها القبطان ودرّبها مهمّاً، لأن هؤلاء القوم، كما يقول، «هم من الرصانة والوقار بحيث لا يكادون يضحكون ابداً ضحكاً عالياً.»

وعادوا الى زيارة الحاكم. وما كادوا يصعدون السلّم، حتى تزاحم نساء القصر وراء النوافذ، ينظرون من خلال المشبّكات الخشبية الى الغرباء. واستقبلهم الحاكم بالترحاب، مُلحّاً عليهم بالاتجار مع قومه. وكانوا قد اهدوا اليه انسجةً من الارجوان وعدداً من البنادق. ثم زاروا ضابط القلعة المطلّة على البحر، واهدوا اليه قماشاً من الجوخ وبندقيتين.

وأُصيب الحاكم بألم في معدته. فاوفدوا اليه طبيب الرحلة السيد لا لامباردير (La Lambardiere) فعالجه وشفاه، بعد حوادث متعدّدة يطول بنا شرحها. وعالج غيره كذلك من سادة العرب في عدن.

ولم يعرف بوصولهم جماعة «البنيان»، وهم سماسرة هنديّو الأصل ينبثّون في السواحل العربية، حتى لحقوهم يعرضون عليهم البضائع المختلفة.

وكان الحاكم، بعد ان استعاد صحته، يبذل جهده في حملهم على الاتجار مع مدينته. الّا ان بضائعهم كانت قليلة. وكانوا قد سمعوا بازدهار التجارة في مُخا. فاستأذنوا في السفر، فزوّدهم بكتاب توصية الى اخيه، حاكم مُخا. وتركوا ميناء عدن في ٢٧ كانون الاول ١٧٠٨

(1) La Roque, *op. cit.*, p. 48-51.

وكانت مُخا اوسع تجارة من عدن اذ ذاك. فنزلوها مدةً. وعقدوا معاهدةً مع اليمن وقّعها في ١٦ كانون الثاني ١٧٠٩ و٣٠ ذي القعدة ١١٢٠، القبطان دي مرئيل، مدير «الشركة الملكية الفرنسوية»، وحاكم مُخا، الشيخ صالح بن علي الحربي، اخو حاكم عدن السابق الذكر، والذي صار فيما بعد وزير إمام اليمن. وقد نصّت المعاهدة على كيفية تبادل البضائع والاساليب التجارية بين البلدين، كما نصّت على ان يدافع كلّ فريق عن الآخر في حالة الخطر[1].

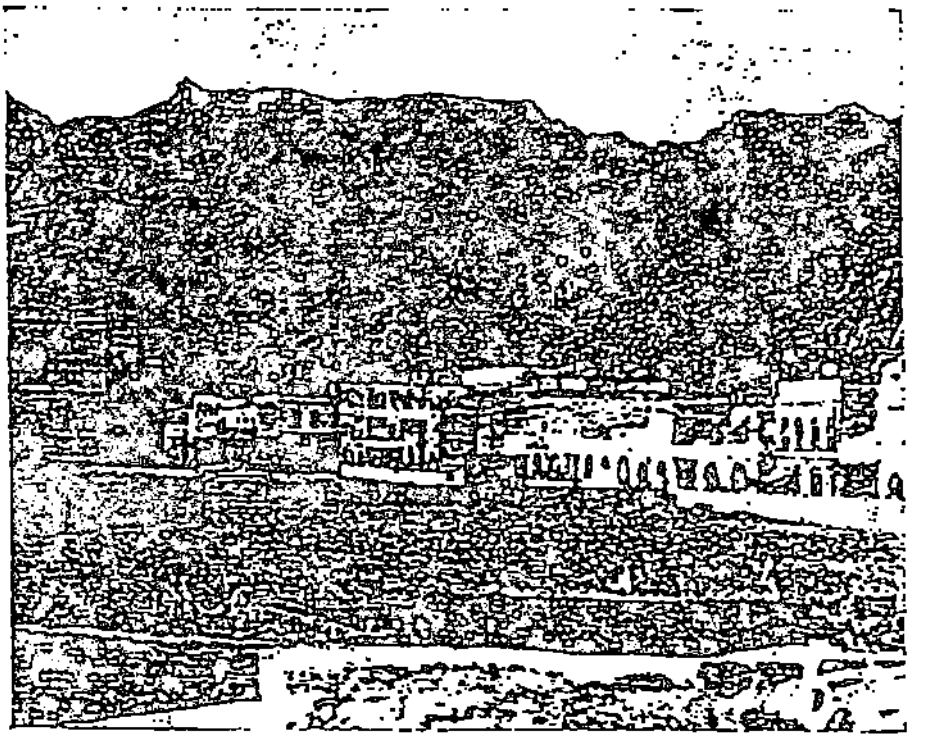

عدن تحيط بها الجبال (تصوير الاب شارل)

اما عدن فيصفها القبطان بدقة، ذاكراً «انها تقع في الدرجة السبعين من الطول، والثانية عشرة من العرض، وفقاً لجداول ابي الفداء. وهي تستريح على اقدام جبال شاهقة تحيط بها من جميع الجهات تقريباً. وفوقها خمسة او ستة حصون، وغير

(١ La Roque, *op. cit.*, p.99-105.

ذلك من مُنشآت الدفاع في عقاب الجبال . وعلى نحو ربع ميل من المدينة خزّان للماء تنحدر اليه من شعاب الجبل فيمدّ سكان المدينة بالماء العذب . وليس فيها سواه . خلافاً لما

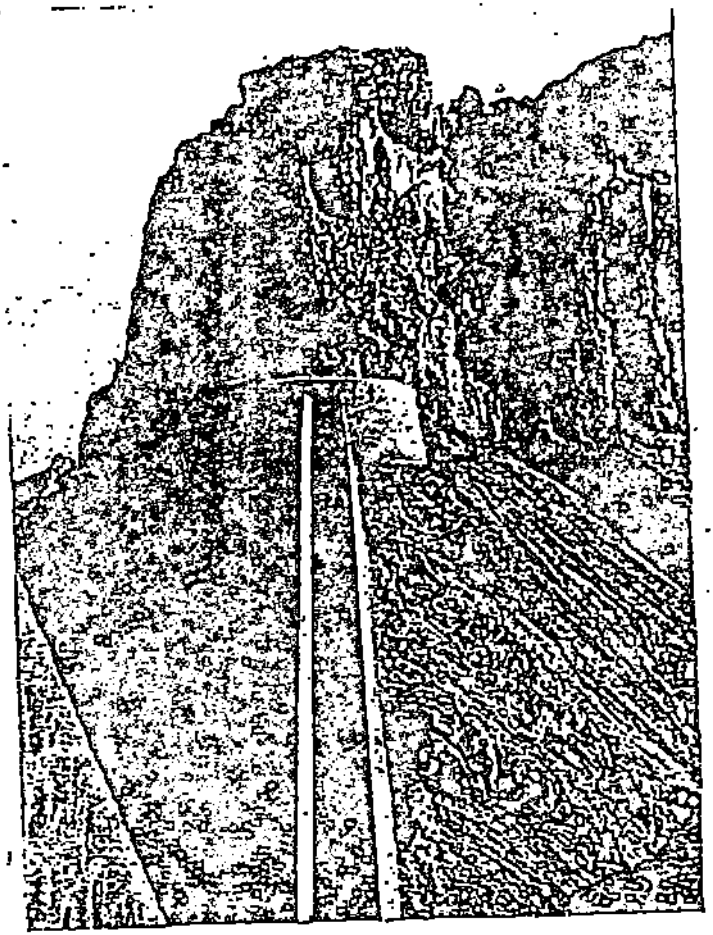

منظر التحصينات فوق الممرّ المهمّ
(عن « الالوستراسيون »)

يذكره جغرافيّونا — ولا اعلم الى ايّ سند يستندون — اذ يجعلون نهراً يخترق المدينة .

« ويحيط بموقع المدينة سور سيء الحالة في عصرنا ، ولا سيما من جهة البحر - على ان فيه ، من هذه الجهة ، بعض المسطّحات تعلوها مدافع من الفولاذ يبلغ عيار بعضها الستين ليبرة . ويُقال انها من بقايا المدافع التي تركها سليمان الثاني الذي دخل المدينة واحتل معظم البلاد . ثم اضطرّ الاتراك الى تركها فاستعادها امراء العرب .

« وليس للداخل الى عدن من جهة البرّ الّا طريق واحد ضيّق يتقدم نحو البحر في شبه الجزيرة . ورأس الطريق يقع تحت حصن يحميه حرس منظم . وعلى رمية مدفع من هـذا ، حصن آخر فيه اربعون مدفعاً من العيار الكبير موزّعة في عدة بطاريات . وفيه حامية مستعدّة حتى انه يبدو مستحيلاً اخذ المدينة من هذه الجهة . وبـين هـذا الحصن والمدينة حصن آخر فيه حامية لديها اثنا عشر مدفعاً .

« اما من جهة البحر ، حيث لا يصعب اخذ المدينة ، فينقسم الخليج المتسع على ثمانية او تسعة اميال ، قسمين غير متساويين ، يقرب اصغرهما من المدينة ، وهو المرفأ . وسعته نحو الميل ، من القلعة القائمة فوق البحر والمسلّحة بخمسين مدفعاً الى الرأس المتقدم المتسلسلة عليه الحصون التي اشرت اليها سابقاً .

« ولا اقول شيئاً عن داخل المدينة . وهي كبيرة لا يزال يرى فيها المسافر عدداً من المنازل الجميلة ذات الطبقتين والسطوح المنبسطة . ولكنه يرى كذلك كثيراً من الأخربة والأكواخ . فيفهم بالاستناد الى هذه الآثار ، والى موقعها الممتاز ، ان عدن كانت فيما مضى مدينة عظيمة ، حصينة ، وافرة الاهمية ، بل كانت اهم مراسي بلاد العرب السعيدة . »[1]

وكان القبطان قد زار السوق فرأى فيها « جميع البضائع معروضة مرتّبة في دكاكين مصفوفة على طول عدة شوارع ضيقة ؛ وكأنها معروضات سوق سان جرمن » .[2] اما اصحاب الحركة بيعاً وشراء في هذه السوق فهم البنيان ، اولئك السماسرة الهنود الذين ذكرهم سابقاً والذين لا يزالون حتى يومنا في عدن ، يقبضون على موارد التجارة مع اليهود . ولم يرَ القبطان في سوق عدن امرأة واحدة .

ولا بدّ من كلمة عن حمّامات المدينة في ذاك العهد . وقد اقرّ القبطان بانه « لا يمكن ان يرى اجمل منها في نوعها . كلها مفروشة بالرخام وباليصب ، مكللة بقبب شائقة مضيئة ، مزدانة بأروقة تستند الى الاعمدة الجميلة . وجميع غرفها

(١ La Roque, *op. cit.*, pp. 62-64.

(٢ La Roque, *op. cit.*, p. 55.

وخلواتها مرتبة ،مقيّة ، تقود كلها الى الردهة الفسيحة ذات القبة الكبرى.»[1]

هذه حالة عدن قبل ان انفصل سلاطين لحج عن إمامة صنعاء ، سنة ١٧١٩. ولم يلبثوا ان استولوا على عدن فجعلوها طليعة حواضرهم ، على مدة تجاوزت القرن . وتعاقب عليها منهم اربعة سلاطين ، حتى رمى الانكليز بانظارهم الى ذلك المركز المهمّ للملاحة التجارية والحربية ، فعقدوا سنة ١٨٠٢ معاهدة اولى تجارية ولائية مع رابعهم ، السلطان فضل الثاني او فُضيل بن عبد الكريم (١٧٧٧—١٨٢٧)[2]. الّا ان السلطان الخامس محسن بن فضل لم يرتقِ العرش حتى نقض المعاهدة. فسكت الانكليز على مضض طول عشر سنوات.

وكانت نهضة محمد علي في مصر ، وطموحه الى ما وراء حدود بلاده . وكان احتلال جيشه لتهامة اليمن ، وتقدّمه نحو عدن. فقلقت بريطانية. وانذرت والي مصر بوجوب التخلي عن بلاد العرب ، بينما كان سفيرها في الاستانة ينال من السلطان عبد المجيد ، فرماناً يخوّل الانكليز حقّ الاتجار في الممالك العثمانية ، وحقّ استخدام عدن مركزاً تجارياً لهم[3].

اما صاحب عدن سلطان لحج، محسن بن فضل ، فازدرى الفرمان ومعطيه. واما الانكليز فحاولوا ان يطلبوا تعويضاً منه عن مركب شراعي غرق في مرفأ عدن فنهبه الأعراب. ولمّا رفض طلبهم ، أمر قائد البعثة ، القبطان ستافورد هنس (Haines) بضرب المدينة . فأطلقت عليها المدافع في ١٩ كانون الثاني ١٨٣٩

وبعد مناوشة برّية قصيرة سلّمت المدينة ، وانتهى الخلاف بمعاهدة بين السلطان محسن والانكليز. احتلّ هؤلاء بموجبها قسماً من المدينة يدعى «التواهي» . وكانت عدن قد ساءت احوالها ، وانحطت اهميتها ، حتى ان سكّانها لم يكونوا يبلغون ، عند وصول الانكليز ، الّا ستمائة نفس يقيم اكثرهم في

---

١) La Roque, *op. cit.*, p. 57.

٢) كذا في E. de Zambaur, *Manuel de Géographie et de Chronologie pour l'histoire de l'Islam*, p.130 اما الريحاني فيجعل اسم هذا السلطان أحمد (ملوك العرب ١ : ٢٥٨)

٣) الريحاني : الكتاب المذكور ١ : ٢٥٢

اكواخ قشية ، ويعتاشون بصيد الأسماك[1].

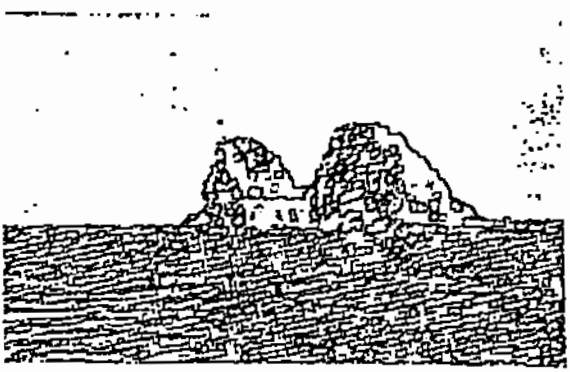

من منازل الصيادين في خليج عدن

على ان العرب حاولوا مرات ان يسترجعوا عدن من الانكليز فلم ينلجوا. وكان الانكليز ، بالقوة حيناً ، وبالاتفاق ودفع المشاهرات احياناً ، يوسعون حدود مستعمرتهم، ومناطق نفوذهم، حتى استقرت الاحوال في نحو السنة ١٨٦٧ . اما سلطنة لحج فظلت حية ، الا انها انكمشت على نفسها بعض الشيء، وانتقل سلطانها من عدن الى الحوطة ، وجُعل الحد بينها وبين المستعمرة الانكليزية بلدة دار الأمير ، بعد ان اشترى الانكليز بلدة الشيخ عثمان فضموها الى عدن . وتوالى السلاطين موالين للانكليز حتى اليوم . وقد زار امين الريحاني ، سنة ١٩٢٢، سلطانهم الحادي عشر، عبد الكريم بن فضل، فلقي عنده كل حفاوة.[2]

---

١) *Encyclopédie de l'Islam*, I, 134 ؛ الريحاني: ك.م.ا: ٢٥٢

٢) وهذه هي بلي سنة سلاطين لحج ، اخذنا قسماً منها عن زمباور ، كما اخذنا السلاسل السابقة . واتممناها عن الريحاني :

١ – فضل بن علي	١٧٢٧–١٧٤٢
٢ – عبد الكريم بن فضل	١٧٤٢–١٧٦٢
٣ – عبد الهادي بن عبد الكريم	١٧٦٢–١٧٧٧
٤ – فضل الثاني بن عبد الكريم	١٧٧٧–١٨٢٧
٥ – محسن بن فضل	١٨٢٧–١٨٤٦
٦ – احمد بن محسن	١٨٤٦–١٨٤٨
٧ – علي بن محسن	١٨٤٨–١٨٦٥
٨ – فضل الثالث بن علي	١٨٦٥–١٨٩٥
٩ – احمد بن فضل	١٨٩٥–
١٠ – علي بن فضل	–١٩١٥
١١ – عبد الكريم بن فضل	١٩١٥–

واخذت عدن ترتقي وتتقدم بفضل النظام الجديد حتى اصبحت اليوم مدينة كبيرة ، ومحطة تجارية ، وحربية ، وبرقية ، في اعلى درجات الخطورة .

ويجدر بنا وقد ذكرنا وصف ابن بطوطة لمدن القرون الوسطى ، ونقلنا وصف قبطان البعثة الفرنسوية في اوائل القرن الثامن عشر ، ان نلخص وصفاً معاصراً للمدينة الجديدة. قال امين الريحاني ، سنة ١٩٢٢ :

« ان المدينة تُقسم قسمين : عدن الفحم ، والحصون ، والسياسة ، وتدعى التواهي ؛ وعدن التجارة والموبقات وتدعى كمب اي المعسكر. في الاولى ، وهي على الشاطئ ، دار الاعتماد ، والقنصليات ، وبيوت الضباط والمتوظفين ، والانزال ، وبعض المخازن التي تُباع فيها بضائع الشرق والغرب الرديئة باسعار غالية. وفي الثانية ، وهي وراء الجبل على مسافة خمسة اميال، في نم البركان ، او ما كان بركاناً في قديم الزمان ، وفيها اربعون الفاً من السكان من كل شعوب الارض والاديان. فيها المسلم . . . والفارسي . . . والبُنيا . . . والمسيحي . . . والاسماعيلي . . . واليهودي . . .

« كلّ هؤلاء يتاجرون ولا يتنافرون ، ويربحون ولا يفاخرون . اما بيوتهم فواحدة لا تُعرف أعربية هي ام هندية ام اوربية . واما اديانهم فهي كالاشجار والادغال في الغاب ، وهم في ظلالها لا يتغيّرون ولا يتطوّرون . . . »[1]

ثم يصف الكاتب وصفاً شعرياً ما يسميه « الثالوث المادي » اي مؤسسات البرق ، والنور ، والبخار : عرش البرق في رابية مركز التلغراف ، وعرش النور على منارة عدن ، وعرش البخار على ركام الفحم المتراكمة فوق الشاطئ .

« ها هنا اذن في اسلاك البرق ، وفي اسباب البخار اهمية هذه الزاوية الجنوبية من البلاد العربية . ومعلوم ان اساس الاثنين العلم والاجتهاد . وسياج الاثنين الأمن والنظام . أيستطيع سلطان لحج او إمام صنعاء ان يوجد الأمن والنظام ويوطّدهما في عدن ؟ أوَ يستطيع اذا فُوّض اليه امرها ان يحافظ عليهما ؟ لا أظنّ ان احداً من ابناء العرب ، مهما صفت وطنيته وكبرت همته ، يجيب اليوم بالإيجاب . أوَ يستطيع العالم اليوم شرقاً وغرباً ان يستغني عن البرق والبخار ؟

١) الريحاني : ك . م . ١ : ٢٤٣-٢٤٤

لا اظنّ ان رجلاً عاقلاً يجيب بالايجاب . وهل يريد الشرق ان يستقلّ كلّ الاستقلال فيقطع الصلات كلّها بينه وبين الغرب ؟ لا اظنّ ان احداً من الشرقيين مهما غالى بالوطنية يجيب بالايجاب.

« لا بدّ اذن من البرق والنور والبخار في عدن . ومن يد تديرها وتحافظ عليها وتحميها. واليد اليوم انكليزية . وقد تكون غداً يابانية او عربية . لكن الغد له. يهمنا اليوم ويهم العالم اجمع ان تبقى هذه المحطّة الكبيرة ، هذه الصلة المهمّة ، في كنف الأمن والنظام . ولو كان فيّ ذرّة من اليقين ان الامام يحيى يستطيع ان يقوم مقام الانكليز لما فضلت احداً وطنياً كان او اجنبياً عليه.»[1]

ذلك ان الامام يحيى كثيراً ما اشتهى الوصول الى عدن وإلحاقها بمملكته . «كيف لا وقد كانت في الماضي زينة بلاده . . . انما هو يعلم ما يعترضه من العقبات. ولكنه لا يعلم ، على ما اظنّ ، ما للامم الشرقية والغربية في عدن اليوم من المصالح التجارية والمالية ، وقد اصبحت من اهم مراكز الاتصال بين الشرق والغرب.» وقلّما يفيده في هذا الطموح حماسة جنوده وقوّاده وهتافاتهم: «نشتهي عدن — دعنا نزحف على عدن فنأخذها بعشرة ايام.»[2]

ولا يسهو الريحاني عن نظرة الى الشؤون الاخلاقية والصحية في عدن ، فينتقد مظاهر الموبقات ، ولاسيما في الشيخ عثمان[3] ، ويرغب الى الانكليز في الاهتمام بما فيه تعمير البلد وصحة اهله في اجسامهم وعقولهم — المحافظة على شيء من الروح العربية — مدارس تعلّم الناشئة لغتهم وآداب بلادهم — ماء يصلح للشرب . مضى على الانكليز في عدن خمس وثمانون سنة ، وهم لا يزالون يستخدمون الانسان والقربة لرشّ الاسواق[4]. وهنا ينقل ملاحظة للكابتن هارلد جاكوب الانكليزي في « كتابه ملوك العرب » تؤيّد كلامه فيقول: « المرافق في عدن لا تزال على الطراز القديم والماء ، وهو مالح ، يُجرّ من بئر في شيخ عثمان

١) الريحاني: ك. م. ١: ٢٤٥-٢٤٦
٢) الريحاني: ك. م. ١: ١٥٣-١٥٤
٣) الريحاني: ك. م. ١: ٢٥٦
٤) الريحاني: ك. م. ١: ٢٤٦-٢٤٧

ويوزع ببراميل تجرها الجمال. والطرق، وهي دائماً في حاجة الى الاصلاح والانارة، لا تزال على الطريقة القديمة. اما عذر الحكومة في ذلك كله فقلة المال.»[1]

اما الماء فقد صلحت حاله بعد عهد الريحاني وجاكوب. فانشأ الانكليز مضخات كهربائية في الشيخ عثمان منذ السنة ١٩٣٤. واما المدارس والحركة الثقافية اجمالاً فلا نعرف عنها شيئاً يُذكر، سوى ما يُستنتج من بعض المنشورات الصادرة عن عدن أنّ فيها مكتباً للنشر[2]، وقد يكون فيها مطبعة كذلك.

امّا الرقي الاجتماعي فلا يزال مطّرداً في المدينة. اتّسعت الشوارع الجديدة في التراهي، التي يدعوها الانكليز Steamer Point، واستقامت منفرجة على شكل اضلاع المروحة، حتى تتصل في النطاقة المركزية Crescent، منزل السراة من قلب عدن. وأصبح المسافر يغتبط بفيء الشجر في تلك الساحة، وان لم يتجاوز عددها العشرين نخلة — وهي الوحيدة في شبه الجزيرة جمعاء — تظلّل بسعفها المنتشرة تمثال الملكة فيكتوريا، وتغتذي اصولها بالمياه التي كان الانكليز يستقدمونها، على مدة طويلة، بالمراكب من السويس.[3]

وزاد عدد السكان زيادة هائلة في مدة قرن. اذ انتقل من ستمائة، سنة ١٨٣٩، الى ٤٤ الفاً سنة ١٩١٣، الى نحو الخمسين الفاً سنة ١٩٣١ من مختلف الألوان والاديان والعادات[4]؛ منهم نحو سبعة آلاف هندي، واربعة آلاف يهودي، ونحوهم من الصوماليين، والاحباش والسودان، والصينيين. يُضاف اليهم نحو ثلاثين الف عربي، يضطربون في فم البركان، او عدن القديمة، (Crater)، متقلّبين في حرارة مذيبة، لا يهتمون الّا بتجاراتهم، وحفظ مستودعاتهم الخازنة اثمن الكنوز في بلاد العرب السعيدة من الصمغ، والبخور، والبنّ،

١) Jacob, *Kings of Arabia*, p.263.

٢) من منشورات هذا المكتب كرّاس بعنوان: اصدقاء العرب، مَن هم يا ترى؟، ظهر في ٢٠ شباط ١٩٤٠

٣) Gaétan Fouquet, *op. cit.*, p. 70.

٤) أجري الاحصاء الاخير في ٢٦ تشرين الثاني ١٩٣١ في عدن وبريم – الجزيرة الصغيرة في مدخل باب المندب – فبلغ سكانها ٥١ الفاً: ٣٢ الفاً من الذكور و١٩ الفاً من الاناث. *Annuaire statistique de la S. D. N.* 1937-1938, tableau 2.

من سكان منطقة عدن

(تصوير الاب شارل)

الى جلود الحبشة، وحرائر الصين، وثمار جاوى. لا يبالون بما يلاقونه من غرائب المصادفات في تلك الشوارع الضيقة المتشابكة، التي قد تصطدم فيها السيارات الاميركية الفخمة بقطعان الماعز، وجماعات الحُمُر الناقلة الماء، وقوافل الجمال الحاملة محصولات اليمن وحضرموت. ولا يهمهم ما يعلق بوجوههم وايديهم من الذباب الضخم الموالي الطنين، وما يلصق بشعورهم من الغبار الثائر، ولا ما يذغدغ خياشيمهم من طيوب الشرق معطرة الهواء، ناشرةً في اختلاط عذب، عَرْفَ الياسمين، والبخور، والندّ، والبهار وسائر الافاويه.

هي المدينة التجارية، غاية القوافل البرية في جنوبي الجزيرة، ومحطة القوافل البحرية من الغرب الاقصى الى الشرق الاقصى، سواء أقصدت فارس والهند، ام افريقية الشرقية والسويس واوربة، ام سنغافورة واوستراليا واليابان، ام مدغشقر والكاپ، تسهّل مرور البضائع المتنوعة بالمقادير الضخمة. وتختص باصدار القهوة النفيسة، تشحن منها كل سنة نحو الخمسين الف كنتال، ويبلغ رقم تجارتها السنوي ١٧,٨٠٠,٠٠٠ من الدولارات الذهبية استيراداً، و١٠,٨٠٠,٠٠٠ اصداراً[1]

واذا تخلص المرء من هذه المدينة التجارية، شاهد على الشاطئ الالوف المكدّسة من عظام السمك، وهياكل الاصداف، وبالقرب منها، متجاورتين،

(١ S. D. N., op. cit., tableaux 33 et 121 – ويمثل الرقم تجارة السنة ١٩٣٧

مقبرة فسيحة ، وساحة للالعاب الرياضية[1] .

اما تحصينات عدن الحالية فلا تتناسب روعة مظهر وعمق تأثير ، مع تلك الحصون والقلاع القديمة التي وصفها قبطان البعثة الفرنسوية واشار اليها الريحاني. وذلك ان سادة المدينة اليوم يرون ان الطيارات الرابضة في خور مقصر ، وسط البرزخ الجامع بين عدن وشبه الجزيرة العربية ، كافية للدفاع عن الموقع. يردفها عند الحاجة بعض الكتائب من الجنود الانكليزية في ثكنات التواهي ، وفيلقان او ثلاثة من الهنود البنجابيين في قمم البركان ، ونحو الالف من الجنود العرب يرابطون في مضيق خور مقصر.

واما هل تكفي هذه التحصينات لدرء المخاطر عن تلك النقطة الحيوية ، فما يحكم فيه المستقبل !

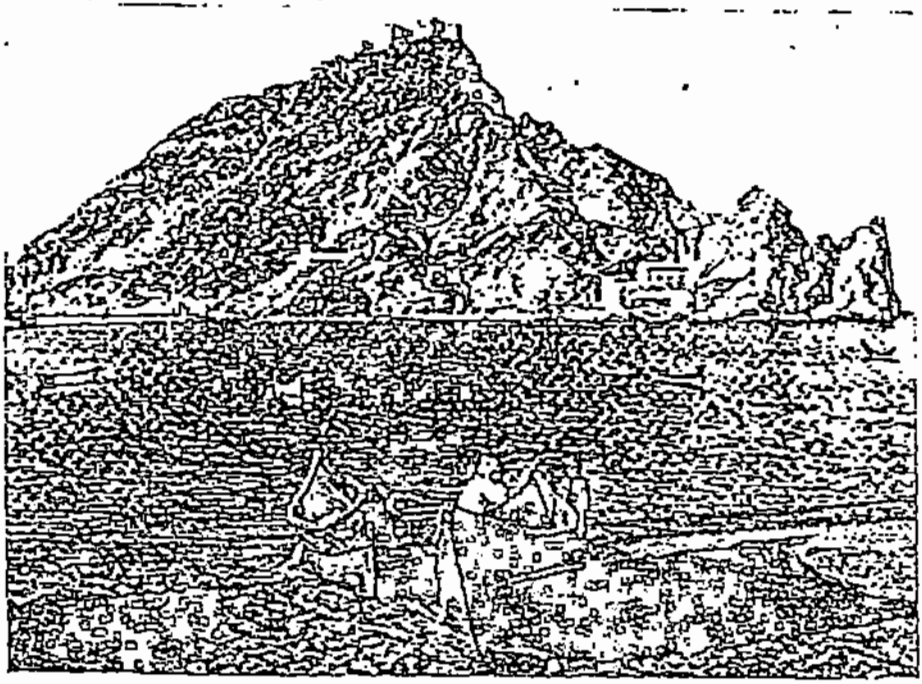

جزيرة سيراه ، شرقي عدن ، وما فيها من تحصينات (عن «الالوستراسيون»)

١) راجع في ذلك Gaétan Fouquet, *op. cit.*, p. 70

نوابغ المدرسة المارونية الاولى

جبرائيل الصهيوني

١٥٧٧-١٦٤٨

بقلم الاب اغناطيوس طنوس (كفرشخنا)
الراهب اللبناني

كان « المشرق » قد نشر اربعة ابحاث في « نوابغ المدرسة المارونية الاول في رومة » خصّها فقيد العلم والتاريخ ، المرحوم الخوري بطرس شالب ، باربعة من اعلام الموارنة هم البطريرك جرجس عميره(١) والمطران بطرس ضوميط مخلوف(٢) والمطران اسحق الشدراوي(٣) وابراهيم الحاقلاني(٤) . وها ان الاب اغناطيوس طنوس يخصّ اليوم هذا البحث الواسع بنابغة لا يقلّ سمة علم وعمق تأثير عن السابقين ، ان لم نقل يتوقهم ، الا وهو القسّ جبرائيل الصهيوني الاهدني ، مدرّس اللغات والعلوم الشرقية في جامعات رومة والبندقية وباريس ، وترجمان الملك في البلاط الفرنسي .

اسرة الصهيوني ونشأته

هو من عائلة كرم الشهيرة في اهدن - زغرتا ، المعدولة عن عائلة « الصهيوني » العريقة في اسبيطانيا اهدن . وقد سمّى المؤرخون جدها الاول « رئيس اهدن » . وقيل انه من سلالة صليبية ، قدم اهدن من صهيون ، في بلاد العاربين ، في اواخر القرن الرابع عشر ، فلقب بالصهيوني . وذهب لقبه اسماً مشهوراً لذرّيته . وظلت هذه الاسرة صهيونية في شهرتها حتى

١) المشرق ٢٢ [١٩٢٤] ٢٤١ ، ٤٢٨ ، ٤٩٧ ، ٥٨٦ ، ٧٠٨
٢) المشرق ٢٢ [١٩٢٤] ١٧ ، ١٠٠
٣) المشرق ٢٣ [١٩٢٥] ٤٢٠ ، ٥٠٦
٤) المشرق ٢٨ [١٩٣٠] ١٨٦ ، ٢٥٠ ، ٢٤٢

اوائل القرن السابع عشر ، حيث اشتهر منها ابو كرم صهيون ، على اجماع المؤرخين ، وكان سماحاً كريماً غلّب اسم « بو كرم » على اسمه الحق لكرمه الزائد . واهله الجود والتدين ، والنفوذ والوجاهة ، لعطف امير لبنان الاكبر ، فخر الدين العظيم ، عليه . فولّاه الحاكمية على جبة بشراي حول العام ١٦٢٤[1] .

ولقد انجبت الاسرة الصهيونية غير واحد من شخصيات التاريخ : كالمطران يعقوب الصهيوني ابن رئيس اهدن ، سُقّف على ابرشية اهدن عام ١٤٧٣ ، وتوفي عام ١٥١٣ ؛ وهو الذي استند الى بسالة الاهدنيين وسواعدهم فشتت اليعاقبة طرداً من جبة بشراي سنة ١٤٨٨ ، عندما استفحل امرهم وامرُ حاميهم عبد المنعم ، مقدّم البلاد البشراوي . وذلك نزولاً عند اوامر البطريرك بطرس بن يوسف بن يعقوب الشهير بابن حسّان ، من حدث الجبة ، الذي تولّى العرش الماروني (١٤٥٨–١٤٩٢)[2] .

والمطران مخائيل الصهيوني ، خريج مدرسة رومية المارونية الاولى ، احصاه العلّامة الدويهي بين المطارنة الاثني عشر ، تلاميذ رومية[3] .

ورئيس الكهنة البرديوط انطونيوس بن اوفسياني الصهيوني ؛ ارسل الى رومية صحبة نسيبه مترجمنا جبرائيل عام ١٥٨٣ ، وتلقى العلوم في المدرسة المارونية هناك . وعاد الى لبنان فترهب ، وصار كاهناً ، ثم برديوطاً ، ورئيس كهنة . واشتهر بنسخ الكتب : فنسخ عام ١٦١١ اسفار العهد الجديد التي اعتمدها مرهج نمرون الباني وطبعها برومية سنة ١٧٠٣ ؛ ونسخ كثيراً غير ذلك مما بلغت صفحاته ٤٤٤ ونيفاً في كتب عديدة تحتفظ بها الى اليوم المكتبة الاديشية في فلورنسة بايطالية تحت الارقام : ١٧٦ و١٧٧ و١٧٨ و٢٧٤[4] .

---

١) اقرأ « لبنان ويوسف بك كرم » لصديقنا العالم البحاثة الخوري اسطفان البشعلاني ، ٨٢ . ثم كتابنا « البيت الكرمي في اهدن » ص . ٨–٩

٢) تاريخ الموارنة للبطريرك الدويهي ، طبعة رشيد الشرتوني ، ص ١٤٢ ، ثم كتابنا المذكور ص ٩

٣) الطلب « الطائفة المارونية والرهبانية اليسوعية » للاب لويس شيخو ، ص ١٢٢

٤) « المكتبة الاديشية » للعلامة المطران اسطفان عواد السمعاني ، ص . ٥١ . ثم « الجامع المفصل » للمطران الدبس ، ص . ٢٨٨–٢٨٩

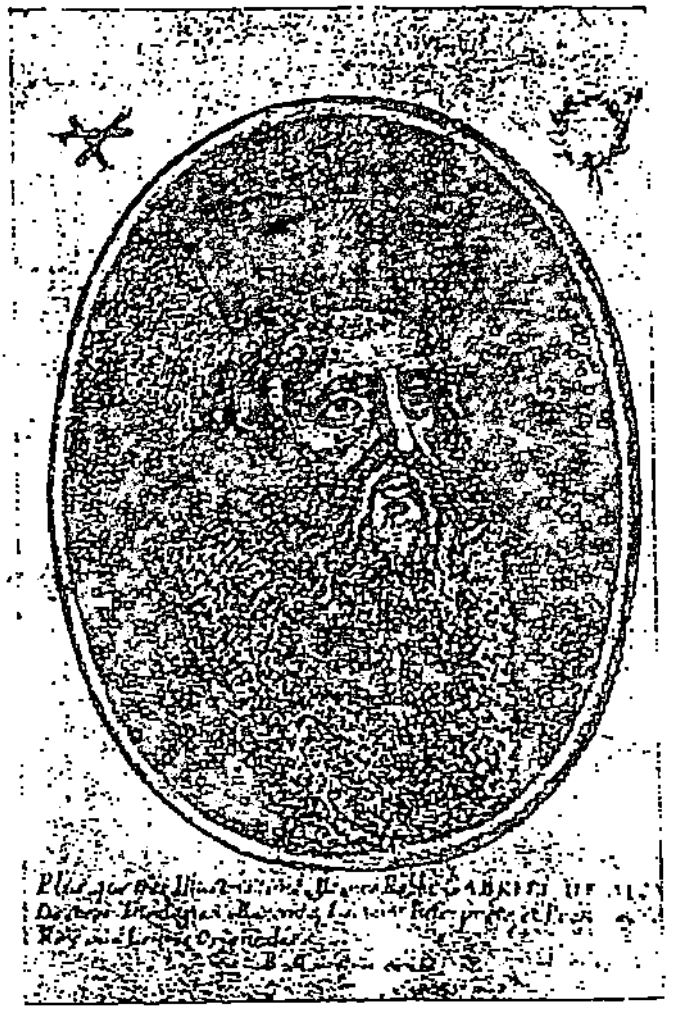

« Plus que très Illustrissime Rabbi Gabriel de Sion
« Docteur Théologien Maronite, Lecteur, Interprète
« et Professeur du Roi aux Lettres Orientales ».

وحوالى رأسه شاره الكهنوتي ، وهو كما تراه العين ، ثلاث شمات منيرة لثلاث جهات ، واكليل من زهر ، كان يرمز بذلك الى فضائل او خطط اختطها لنفسه .

والخوري ابرهيم الصهيوني ، عم العلّامة الصهيوني ، استسلم للنسك البليغ في محبسة مار سركيس اهدن طوال خمسين عاماً . وبلغ من القداسة حدوداً قصية[1] .

اجل من هذه الاسرة العريقة ، تحت سماء اهدن الجميلة ، رأى نور هذا الكون العلامة القس جبرائيل الصهيوني عام ١٥٧٢ ، وترعرع على فضائل والديه الورعين . وقد افادنا البطريرك الدويهي عن والد جبرائيل قال : « جبرائيل بن صهيون الاهدني[2] » ويؤيد ذلك ما درج عليه المترجم به في كتابة اسمه في اللغات الاوربية هكذا : « گبريال دي سيون ، او سيونيت ، او سيونيتا » (Gabriel de Sion, Sionite, Sionita) . او الاهدني (Ehdenensis) وتلقن صاحب الترجمة من مبادئ الدروس السريانية ، والعربية ، والتركية ، قدر ما تستطيع تلقينه مدارس لبنان ، اذ ذاك . تلك الدروس ، على قلة شأنها وضيق نطاقها ، كانت الكوة الصغيرة الضيقة انفتحت على مواهب الغلام جبرائيل واهليته وذكائه امام بصائر الرؤساء . فتفاءلوا كبير الخير وباهر الغد لذلك الصبي ، اذا هم وفروا له سبل الثقافة في محيط يساعده على تمرين ذكائه وتحقيق استعداده .

الصهيوني في رومية

دروسه – اعماله – شهرته

كان الصهيوني في ريعان الشباب من الحياة عندما قرّر الرؤساء وجوب ارساله الى عاصمة العلوم رومية المعظمة . وفي اواخر العام ١٥٨٣ ، سيّر البطريرك سركيس الرزّي (١٥٨١–١٥٩٧) وفداً الى رومية قوامه الخوري يوحنا ايوب الحصروني ، والرهبان : القس يعقوب الدويهي ، والقس يعقوب سركيس من حردين ، والاخ الشماس ابرهيم بن سمعان من ادنيت ، ليرفعوا الى قداسة البابا غريغوريوس الثالث عشر (١٥٧٢–١٥٨٥) عرائض الشكر على درع الرئاسة البطريركية . واصحب البطريرك وفده هذا اولاداً عشرة للتخرج في مدرسة رومية المارونية الجديدة

١) تاريخ اهدن الديني للاستاذ سمان خازن ، ص . ١٦٢

٢) كتاب الدويهي المذكور ، ص . ٢٠٠

آنذاك[1] وهم: جبرائيل الصهيوني صاحب الترجمة، ونسيبه انطونيوس بن اوفيسياني الصهيوني الآنف الذكر، وجرجس غبيره البطريرك فيما بعد (١٦٣٣—١٦٤٤)، وجبرائيل نعمه، الاهدنيون؛ ثم موسى سعد العتيسي من الماقوره[2]، ومخائيل صليبا من بسلوقيت، ويعقوب بن مخائيل من لفقوسية، وحنا بن جرجس فرنو، وجرجس انطون، وبطرس بن جبرائيل المطوشي القبارسة. وكانت بعثة هؤلاء الطلاب الثالثة من نوعها لاقتباس العلوم في رومية[3].

وصل الصهيوني جبرائيل الى ام المدائن والنور، في ذلك الموكب الماروني، واستسلم هناك للانكباب على قاطر الدرس والتحصيل. وقد سكت التاريخ السكوت كله عن اي ذكر لرجوع الصهيوني الى لبنان، مما يتم الدليل على ان خروجه من لبنان الى رومية، في ذلك الموكب المهود، ربما كان نهائياً ما عقبه رجوع ما؛ وان النظرة التي القاها من عرض البحر اذ ذاك، على جبالنا هذه العزيزة، ربما كانت ايضاً اخر عهد له بوطنه لبنان. ذلك الوطن سترى كيف كان يقدسه، على اسماع محدثيه، عند كل مؤاتية تدعوه الى ذكر بلاده؛ ويتغنى دوماً بامجاده وبان العربية هي لغته الام، وبانه من عائلة مقدسة، على الرغم من هجره اهله وبلاده وهو في السابعة من عمره[4]. واذا ثبت ان ذلك الهجر كان نهائياً، اتضح للعقل ان السبب في ذلك لا بد ان يكون ناشئاً عن موت ابوي جبرائيل وسائر اهله الادنين. فقضى ذلك على كل عاطفة اهلية فيه تجذب المرء طبيعياً الى اهله وبيت ابيه، ولا سيما اذا كان الهجر في الربيع السابع.

قضى جبرائيل على مقاعد التحصيل في جامعة البروبغنده الاعوام الطوال اللازمة لادراك الغاية الاخيرة من المعارف الوسيمة في اللغات والعلوم، متقلباً بين الطروس والمحابر في المعاهد والمكاتب. والعجيب في انه لم ينل شهادة دكتور

---

١) تأسست المدرسة المارونية في رومية بموجب براءة اصدرها البابا غريغوريوس ١٣ بتاريخ ٣١ ك٢ عام ١٥٨٢

٢) مطران قبرس فيما بعد (١٥٩٨—١٦١٩).

٣) الجامع المفصل للدبس، ص. ٢٤٧. ومجلة المنارة ٦ (١٩٣٥) ٦٦٣ و٦٦٦

٤) «دائرة المعارف الكاثوليكية» بالانكليزية، طبعة نيويورك، حرف G

في اللاهوت العام الا سنة ١٦٢٠ ، ولم يرسم كاهناً الا بعد ذلك بسنتين ، وذلك عقيب استيطانه باريس ، كما سيجيء[1]. وتضلّع في دروسه من اللاتينية ، والايطالية ، والعربية ، والتركية ، والسريانية ، والكلدانية ، واليونانية ، والعبرانية ، وهذه الاخيرة حصل فيها على لقب رابي (Rabbi) الخاص بعلماء اليهود والحاخامين ، كما تقرأ ذلك تحت رسمه في صدر هذا البحث . ثم اتقن الفرنسية في باريس .

وما كاد ينهي علومه حتى تبوأ المكانة العالية من الشهرة في اوساط رومية ومجالس العلماء ، ونال الاعتبار والقدر الحق لدى اولياء كلية السبيانه (الحكمة) ، من جامعات رومية الشهيرة ، فانتدبوه لتدريس العربية والسريانية في صفوفها . ثم انتدب لنفس المهمة في مدارس البندقية الكبرى ، فقام بكل ذلك القيام المشرّف اعجب به رجال العلم البارزين في المدينتين ، حتى العام ١٦١٤[2] ، اي ما ينيف على العشرين عاماً . وسنرى ، في كلامنا عن مؤلفاته ، ما انتج قلمه ، خلال هذه السنين في رومية من آثار العلم القيّمة .

الصهيوني والشخصيات الكبيرة في رومية[3]

ان الشهرة العلمية الوسيعة ، التي احرز العلامة الصهيوني في رومية ، وصلت به شخصيات علم وسياسة بارزة ، واكتسب ثقة ذويها العالية بما كان يؤدّي اليهم من خدمات علمية جليلة ، عن تمام الكفاءة والاهلية . من تلك الشخصيات

---

١) Michaud : *Bibliographie universelle*, édition II, T. 15. p.325 ; N. Jacques Le Long : *Discours sur les éditions des Bibles Polyglottes* p. 200.

وقد اخذنا اكثر معلوماتنا عن هذا الكتاب الاخير .

٢) الجامع المفصل للعلامة الدبس ٢٨٢ . ودي لاروك في كتابه « *Voyage en Syrie et au Mont-Liban* » ، طبعة باريس سنة ١٧٢٢ ، ٢ : ١٢٤ . والعالم هوبار (Huart) في « تاريخ العرب » *Histoire des Arabes* » طبعة باريس عام ١٩١٣ ، مجلد ١ : ٣٩١ . ثم مقالاً افرنسياً لصديقنا العالم المؤرخ اغناطيوس زياده رئيس كنيسة مار مارون بيروت ، في مجلة «فينيقية» الافرنسية (*Phenicia*) ٢ : (١٩٣٩) ١٦

٣) ان كل ما يلي في الصفحات التالية عن الصهيوني قد استقيناه من كتاب له لونغ المذكور ، من وجه ١٠٤ فيه وما بعد . وسنشير الى مرجع كل نقطة هامة فيه على ما سيأتي .

الخطيرة كان الكردينال دي بيرون (Perron) ، سفير فرنسة في الفاتيكان. وقد قال الصهيوني في مقدمته على ترجمته اللاتينية لكتاب « نزهة المشتاق في ذكر الامصار والآفاق » للشريف الادريسي : « ان الكردينال دي بيرون قد اقنع مليكه لويس الثالث عشر بكفاءته (الصهيوني) الكبرى لتدريس العربية والسريانية في فرنسة ، حيث لا يقدر احد على ذلك.»[1]

ومن اولئك الاصدقاء العلّامة الايطالي الكبير يوحنا المعمدان ريموندي (Raimondi) الذي عُني سنة ١٥٨٢ بترجمة التوراة وطبعها في عشر لغات : اللاتينية ، واليونانية ، والعبرية ، والكلدانية ، والعربية ، والمصرية ، والحبشية ، والارمنية ، والسريانية ، والفارسية ؛ وقد كان متضلّعاً منها كلها ، وهو الذي احيى موتاها في اوربة ونشر لواءها ، واوجد انجع الوسائل لطبعها على اسهل الطرق واروع المظاهر ، ولا سيما العربية التي كانت تبيد وتضمحل هناك[1].

ومنهم ايضاً المسيو فرانسوا سفاري دي بريف (Savari de Breves) سفير فرنسة في الفاتيكان . وكان عالماً كبيراً متضلّعاً من اللغات الشرقية ولا سيما العربية . وقد ساعده على ايجاد هذه اللغات اقامته في الاستانة سفيراً افرنسياً عالياً ، اكثر من ثمانية عشر عاماً ، حيث تيسّر له ان يقوم برحلة واسعة في الشرق طيلة سنتين (١٦٠٥—١٦٠٧) : فزار حلب ، ولبنان ، والقدس ، والاسكندرية ، حتى افريقية . وصاغ ماجريات رحلته هذه في كتاب نفيس طبعه عام ١٦٢٨ . واطلعه تجواله ذاك على كبير امر من التأخر والجهل عند النصارى ، فمسّت حالتهم قلبه الرسولي الغيور واقتوى مساعدتهم عند الامكان.

وفيما هو ذاهب من افريقية الى فرنسة ، في نهاية رحلته المعهودة ، بلغه امرٌ من مليكته ، ماري دي ماديسيس ، الجالسة حالئذٍ على عرش فرنسة نيابةً عن ابنها القاصر الملك لويس الثالث عشر ، بالذهاب الى رومية ليكون سفيرها المفوض في الفاتيكان ، خلفاً للكردينال دي بيرون الآنف الذكر . ولما استقام له الامر في رومية ، اتصل بالعلامة الصهيوني وزملائه اعلام الموارنة هناك ،

---

١) كذا . . . عن له لونغ (Le Long) ١١٠

٢) عن له لونغ : ٧٤—٤٨

امثال : يوحنا الحصروني[1] ونصر الله شلق العاقوري[2] ، وابرهيم الحاقلاني[3] .

١) هو المطران يوحنا بن قرياقوس من بيت صندوق في حصرون ، ذهب الى رومية عام ١٦٠٣ وتلقى علومه في المدرسة المارونية هناك . ورافق الصهيوني الى باريس عام ١٦١٤ حيث عاونه في ترجمة الكتب ونشرها مطبوعة . وصنّف وحده مؤلفات اخرى ، منها كتاب في الاسرار . ورجع من باريس الى رومية ، عام ١٦٢٢ ، حيث طبع كتاباً في العربية ترجمه اليها عن الايطالية ، هو « شرح القنية المسيحية » تأليف القديس بلرمينوس الكرديناليالي اليسوعي ، ووضع له مقدمة سمى نفسه فيها « رئيس كهنة انطاكية » (كذا . . . عن له لونغ ٢٠١) . وفي باريس عيّنه لويس ١٣ ترجماناً في قصره ملكياً . ثم عاد الى لبنان ، ورسم كاهناً ، وعلّم الاولاد في بترقاشا . وعام ١٦٢٥ اوفده البطريرك يوحنا مخلوف الاهدني الى رومية لتهنئة البابا اوربانوس الثامن بالبابوية ، يرافقه الاب منري اليسوعي ومعه ايضاً ١٢ تلميذاً للمدرسة المارونية . فاكرم البابا وفادته واثنى على تقواه وعلمه ، في جوابه الى البطريرك ، وارسل معه الى غبطته تاجاً وكتباً وآنية يمية . واذ عاد الى لبنان رسمه البطريرك المذكور مطراناً سارناً له ، فاتخذ مقره في دير مار جرجس بترقاشا . ولكنه لم يلبث ان توفي بعد تنيفه باربعة اشهر ودفن في بلدته حصرون . (عن الخوري بطرس غالب المكرزل الشبابي في ترجمة البطريرك جرجس عميره ، ٥٦) والجامع المفصل للدبس ، ٣٢٣

وكان ليوحنا الحصروني علاقة وثيقة بالامير فخر الدين المعني الثاني المعظم ، ومصداقاً على ذلك تثبت هنا رسالة من سيادته الى الامير المعظم لما علاقة بتنصره ، وهي منقولة عن المجلد ٢٤٧٦ من سجلات مدينة فلورنسة في ايطالية وقد توفق لها حضرة صديقنا المؤرخ الخوري قسطنطين الباشا الراهب المخلصي ، وافضى بها الى المؤرخين عيسى المعلوف والمرحوم الشيخ سليم خطار الدحداح فاثبتا نصها بحروفها في مقالهما الممتع عن « تنصر الامراء الشهابيين والمعنيين في لبنان » في مجلة المشرق (١٨ [١٩٢٠] : ٥٤٢-٥٥٢) . اما الرسالة فهي في وجه ٥٤٦ وهذا نصها :

« سلام الله العلي القدوس محيي الاجساد والنفوس ومعيدها الى قوانينها باحسن المعقوس نخص به حضرة سيدنا واميرنا وفرح قلوبنا وسرور طائفتنا المارونية الجليل القدير الامير فخر الدين المكرم

« والذي يعرضه على شريف علمكم عبدكم المعروف بخدمتكم المطران يوحنا الحصروني (من بيت صندوق) كاتب هذه العبودية فهو ان قريب جاييكم بمكاتيب كاخيتكم مصطفى بن حسن شبلي مع اخبار عدة وانشاء الله تكونوا منصورين على اعداكم والباقية للخير بحرمة يسوع المدونة الالهية سيدنا ومهدينا وصانع خلاصنا يسوع المسيح وشفاعة والدته العذراء مريم الدائم بتوليتها التي لا صار قبلها ولا بعدها آية تناسبها باعمال الله الواحد . هذا الذي نسأله متضرعين الى مراحم الجزيلة باهل ويصيركم اميراً مسيحياً مطاعة البابا مؤيداً بالعز والنصر الالهي بالمذهب المسيحي الذي هو وحده مذهب الحق والنجاة المنزلة من السماء بواسطة الكلمة

وذلك الاتصال ترنحت له جوانح السفير دي بريف طرباً ، اذ ولد في قلبه الرسولي الغيور اليقين بوصوله الى الفرصة المؤاتية لتنفيذ عزمه على مساعدة نصارى الشرق. وأولى بوادره في ذلك انه عهد الى العلامة الصهيوني ، ووطنيه العاتوري شلق ، بترجمة كتابين : واحد عن الايطالية الى العربية هو تعليم مسيحي من تأليف القديس بلرمينوس الكردينال اليسوعي ، والآخر عن العربية الى اللاتينية وهو مزامير داود . وتعزيزاً لمشروعه الرسولي الشرقي اصطنع امثلة للحروف العربية والسريانية والفارسية ، وانشأ مطبعة لذلك ، حمّلها اسم « مطبعة سَفاري » . ومن بواكير تلك المطبعة كان الكتابان المذكوران خرجا من تحت ملازمها في ترجمتيهما المذكورتين : التعليم المسيحي سنة ١٦١٣ ، والمزامير

الازلية سيدنا يسوع المسيح لخلاص الراغبين الخلاص بالايمان المذكور . . . » اه

وذلك ما يدلّ على ان المطران المذكور له يد كبرى في تنصر امير لبنان الاعظم.

٢) كان كاهناً من مشاهير الموارنة ونوابغ مدرستهم برومية . اقام في اوربة كل حياته . وله تآليف عدة : « مبادئ اللغة العربية » طبعه في رومية عام ١٦٢٧ ، وكتاب « رتب الكنيسة الرومانية » ، وترجم سفر ايوب من السريانية الى اللاتينية . وانشأ لطائفته مدرسة في راونا اطرأه عليها كثيراً البابا اينوشنس العاشر في براءة رسولية للترخيص له بانشاء هذه المدرسة . ووقف عليها ثروته وكانت وفيرة طائلة . وتوفي برومية عام ١٦٣٥ ، مشهوداً بصلاحه ومبرّاته . وعاشت مدرسته من بعده الى عام ١٦٦٤ حيث انيت ونقل تلامذتها الى مدرسة رومية (عن العتوري غالب في المحل المذكور ، ٧٢) . وكان نصرانه هذا يوقع اسمه في اوربة هكذا : « Vittorio Scialac » له لرنغ ١٠٧)

٣) من نوابغ الموارنة الذين عظمت شهرتهم في اوربة . درس العلوم في مدرسة رومية المارونية . وحاز رتبة دكتور في الفلسفة واللاهوت ، وظلّ علمانياً ، فتزوج ورزق بنين . وعند ما اختلف الاب لجاي والصهيوني على مشروع بوليكلوت باريس في اواخر عام ١٦٤٠ استُدعي الحاقلي الى باريس بدلاً من الصهيوني لانجاز ترجمة وطبع البوليكلوت ، كما نبأ في تفصيله وافياً . وفي اوائل عام ١٦٤٢ عاد الى رومية . ثم رجع الى باريس في اواخر العام ١٦٤٥ ، ومكث فيها الى عام ١٦٥٤ مدرساً في جامعة باريس ، ومترجماً ، ومؤلفاً الكثير من التصانيف القيمة . ثم عاد الى رومة يواصل جلائل اعماله العلمية ناشراً الترجمات والتآليف مما يضيق هذا المقام عن سرده . ومن رام توسعاً في الاطلاع على ذلك فليطالع ما كتبه عنه باستفاضة فقيد العلم المرحوم العتوري بطرس غالب في مجلة المشرق [٢٨ (١٩٣٠) ١٨٦ وما يليه .] ثم له لرنغ في كتابه المذكور ، ٢٠٢-٢٠٣ . وتوفي في رومية ١٥ تموز سنة ١٦٦٤ .

عام ١٦١٤ ، حاملين اسم المطبعة وصاحبها ، تعميماً لفائدتها في ابناء المسيح شرقاً وغرباً[1].

الصهيوني في باريس

كان السفير دي بريف على علاقة حبية وثيقة بالفرنسي العلّامة النبيل الشهير جاك اوغست دي تو (de Thou) ، رئيس محكمة باريس العليا[2] . وكان يراسله من رومية بتواتر ، مطلعاً اياه على كل فكرة له او عمل . وفي اواخر العام ١٦١٣ ، غضبت الملكة ماري دي مديسيس المعهودة على الكولونل اورنانو (Ornano) مهذّب ابنها الامير گاستون (Gaston) ، لمخالفته احد اوامرها ، فاقالته من منصبه ، وطيّرت امرها الى رومية تستدعي سفيرها دي بريف الى باريس ليتولى تثقيف ولدها المذكور . واذ ذاك درى بالامر الرئيس دي تو ، فكتب الى صديقه دي بريف يشير عليه ، قبل مغادرة المدينة الابدية ، ان يحصل على قدر ما يمكنه من مخطوطات واصول شرقية ، ويصطحب معه علماء اكفاء الى باريس تنفيذاً لما ينوي اقامه من مشاريع علمية لافادة الشعب . فاصاب الرأي وترا حياساً من المسيو دي بريف ، وراح يعد الاهبة لتحقيقه .

وقد مرّ بنا ان الكردينال دي بيرون كان قد زيّن للملك جدارة الصهيوني العلمية ومقدرته على تدريس العربية والسريانية في كلية باريس ، واقنعه بوجوب استدعاء ذلك العالم الماروني من رومية لاملاء المركز الشاغر ، منذ العام ١٦١٢ ، مركز العلّامة اسطفان هوبير (Hubert) الذي اوفده الملك حينئذٍ الى مراكش لاشغال منصب افرنسي فيها . فارسل جلالته امراً الى السفير دي بريف يوجب عليه ، قبل ان يبرح رومية ، ان يتوسل بالالحاح اللازم لدى البابا بولس الخامس

---

١) له لونغ ، ١٠٤-١٠٧ .

٢) ومن الشخصيات المقرّبة الى لويس ١٣ . وكان مؤرخاً خطيراً ، واكبر سوان ونصير لاهل العلم والادب في عصره . ولد في باريس سنة ١٥٥٣ ، واشتهر بقصائده الشعرية في اللاتينية ، وبمؤلفه النفيس « تاريخ زماني » (Histoire de mon temps) . ومات عام ١٦١٨ .

(١٦٠٦–١٦٢١) ليأذن للعلامة الصهيوني في السفر الى باريس للغرض المتقدم . فقام السفير بامر مليكه المطلوب ، واستحصل من قداسة البابا المذكور رخصة للصهيوني ، ولرفيق معه ، هو يوحنا الحصروني الآنف الذكر ، بمرافقته الى باريس والتقيد بخدمة لويس الثالث عشر .

وهكذا اضطرت الصهيوني مواهبه وكفاءته وشهرته الى النزول عند رغبات اصدقائه الافذاذ المشاهير : دي بيرون ، ودي تو ، ودي بريف المذكورين ، في السفر الى باريس استفادةً من علمه وجهاده . وما اشرف العام ١٦١٤ على ايامه الاخيرة حتى غادر علامتنا رومية لاستيطان باريس ، بعد ان قضى في المدينة الابدية احدى وثلاثين سنة (١٥٨٣–١٦١٤) . ووصل باريس صحبة صديقه دي بريف ووطنيه المعهود . فاستقبلهم العلامة دي تو والكردينال دي بيرون بكثير من الفرح والترحاب ، ووفّرا الصهيوني ورفيقه على السكنى والمعاش بما امكن .

وبعد مقابلة جلالة الملك ووالدته ، تعين الصهيوني استاذًا ملكياً (Profes-seur Royal) للسريانية والعربية في جامعة السوربون الملكية في باريس ، خلفاً للعلامة هوبير المذكور . وضمانة لمعاش الصهيوني وراحته مع رفيقه الحصروني ، وتسهيلاً للنفع والجدوى في مهمتهما ، حمل المسيو دي بريف ، بوساطته ، الملك ووالدته على تعيين معاش رسمي لصديقيه المارونيين قدره ستمائة ليرة[1] لكل منهما في السنة . وذلك بموجب براءة هذه ترجمتها الحرفية :

« في هذا اليوم ٢٦ ك ٢ عام ١٦١٥ ، اطلع الملك في باريس اطلاعاً كافياً على مقدرة وكفاءة وعبقرية جبرائيل الصهيوني ، ويوحنا الحصروني من جبل لبنان ، في اللغات العربية والتركية والسريانية ، ووقف على خدماتهما السابقة (٢ في جنب الملك المتوفى (والده هنري الرابع (١٥٨٩–١٦١٠) بواسطة المسيو دي بريف ، سفير جلالته قبلاً في البلاط البابوي ، وذلك في ظروف عديدة . ولتمكينهما من مواصلة ذلك في المستقبل ، وتأمين معاشهما منحهما جلالته ، بموافقة جلالة والدته المالكة باسمه ، منحةً سنوية قدرها اثنا عشر

١) تحولت ليرة ذلك العهد الى الفرنك الذهبي اليوم في فرنسة .

٢) دليل ان هذين العالمين المارونيين كانا على علاقة واتصال ببرش فرنسة من قبل ذلك العهد . وحبذا لو حفظ لنا التاريخ تفصيل تلك الخدمات والعلاقات .

مئة ليره عملة قديمة . اي لكل منها ستمائة ليرة . و يريد ويأمر متولي الخزينة حاضراً ومستقبلاً ان يدفع لها المبلغ المرقوم ، ابتداء من اول ك ٢ الجاري ، ليتوفرا بذلك على الاقامة والعمل بموجب هذه البراءة الحاملة توقيع جلالته بيده ، وتوقيعي انا مستشاره وامين اسراره في احكامه ومراسيمه . الامضاء :

وفي الاسفل : دي لومني (de Lomenie) . لويس » . ٣١

الصهيوني وبوليكلوت باريس

فكرة البوليكلوت وتطوراتها

اجل ان المساعي الحثيثة التي بذلت ، لنقل الصهيوني من رومية الى باريس ، قد كونتها فكرتان خطيرتان : الاولى تدريس العربية والسريانية في كلية باريس الملكية ، على ما تقدم بيانه . والثانية ، وهي الاخطر والاهم ، مشروع ترجمة الكتاب المقدس الى عدة لغات ، ونشره مطبوعاً فيها ، وهو ما يسمّى «بوليكلوت» (Bible Polyglotte اي الكتاب المقدس في عدة لغات) . وقبل ان نخوض في التفصيل عن مشروع «بوليكلوت باريس» هذا ، واعمال نابغتنا الصهيوني فيه ، وقد كانت لذلك المشروع نقطة الدائرة والمحور الجوهري الفعال ، كما سيجيء ، رأينا ان نعرّفه الى ابناء الضاد ، فيدركون ان لبنان مـا انقطعت قط سلسلة رسالته في خدمة الدين والعلم على اوجههما الصحيحة ، في الشرق والغرب ، في القديم كما في القرون الحديثة ، فنقول :

لم تكن فرنسة سباقة مبتكرة في مشروعها « بوليكلوت باريس » ، وقد سبقتها ممالك عديدة الى نشر الكتاب المقدس مطبوعاً في عدة لغات . فان اسبانية قد طبعت البوليكلوت مرتين ، الاولى (١٥١٤-١٥١٧) في اليونانية ، والعبرية ، والكلدانية ، واللاتينيـة ، على نفقـة وادارة الكردينال كزيمنيس (Ximenés) وزير اسبانية الاكبر ، الذي شغل في ذلك علماء جامعة الكالا (Alcala) ؛ والثانية (١٥٦٨-١٥٧٢) على نفقة واهتمام الملك فيليب الثاني ، ويسميها التاريخ « بوليكلوت انفيرس » ولغاتها العبرية ، والسريانية ، والكلدانية ، واليونانية ، واللاتينية .

(٣ نصها الافرنسي مثبت في له لونغ ، ٢٦٥ ، وما بعد

وفي ايطالية طبعت البوليكلوت مرتين ايضاً : الاولى (٥١٤ —١٥١٧) ولغاتها اليونانية ، والكلدانية ، والعربية ، واللاتينية . والطبعة الثانية احدثها العلّامة ريوندي الآنف الذكر ، في لغات عشر مرّ بنا بيانها . ثم في البندقية عام ١٥١٨ .

وطبعت المانية البوليكلوت ثلاث مرات : اولاً عام ١٥٨٦ في العبرية ، واليونانية ، واللاتينية ، ثانياً عام ١٥٩٦ في اليونانية ، واللاتينية ، والالمانية ، ثالثاً عام ١٥٩٩ في ١٢ لغة هي السريانية ، واليونانية ، والعبرية ، والايطالية ، والاسبانية ، والافرنسية ، واللاتينية ، والالمانية ، والبوهيمية ، والانكليزية ، والدانيمركية ، والبولونية .

وطبعات غير هذه يربو عديدها على السبع عشرة طبعة ضاق مقامنا هذا عن تعدادها . وقد فصّلها الاب العالم له لونغ في كتابه المذكور ، ص ١-٢٧٦

هذه المشاريع العلمية القدسية قد عزّ على فرنسة ان لا تجاري فيها تلك الممالك او تفوقها ، على ما سيأتي ، وهي حامية الدين والكنيسة في كل العصور ، ولا سيما في عصر علامتنا الصهيوني . لذلك هبّت تسدّ في تاريخها تلك الثغرة الهامة بعناية واهتمام شخصياتها الثلاث : دي بيرون ، ودي بريف ، ودي تو ، المعروفين اصحاب الفكرة الاولى في بوليكلوت باريس ، واصدقاء الصهيوني المعجبين بمواهبه والواثقين بمقدرته على تحقيق فكرتهم في مشروعهم العزيز . وسنرى ان علّامتنا هذا عرف كيف يكون عند ثقة واعجاب قادريه فحقّق « مشروع فرنسة » على رغم ما تصدّى له من عراقيل ومصاعب واضطهادات ومناوءات وبلايا ومحن من الله والناس ، تغلب عليها واتى العمل يستهوي به انظار اوربة في ذلك العهد ، وجعل العلماء يفضلونه على كل ما سبق من امثاله ، حتى على كل من بوليكلوت الكردينال كزيمنيس وانتيرس المعروفتين ، ويستصغرون ، حيال طبعه الفني المتقن وورقه الجميل الصقيل ، مجهودات ونفقات وزير اسبانية الاكبر ومليكها العظيم . وذلك حقّ لفرنسة الفخار به على وجه الدهر ، كما سيتبين بالتفصيل .

اما فكرة البوليكلوت الباريسية الصهيونية المارونية ، وطلائع العمل على تحقيقها فقد تكوّنت منذ العام ١٦٠٦ ، حين اولى عظماء الفرنسيس ، الاعلام

الثلاثة ، تقتهم وطنينا الصهيوني بعلمه وكفاءته . فجرت عام ١٦٠٦ المذكور مباحثات عديدة طويلة في ذلك الشأن للكردينال دي بيرون ، سفير فرنسة في الفاتيكان حائذ ، مع العلامة الايطالي الكبير يوحنا المعمدان ريوندي الآنف الذكر . وكان ذلك الكردينال السفير قد اوشك ان يبدأ في المشروع ، لولا ان شُغل عنه بمغادرة منصبه نهائياً في اواخر العام ١٦٠٧ ؛ وخلفه فيه المسيو سفاري دي بريف ، كما سبق ذكره .

وما تولى دي بريف منصبه الجديد في رومية حتى اقبل عليه العلّامة ريوندي يفاتحه بما كان قد حادث به سلفه الكردينال دي بيرون . فاصابت تلك المفاتحة موقع الشعور والاقتناع من السفير دي بريف . ثم جاءته نصائح ومشورات صديقه العلّامة الرئيس دي تو فزادته يقيناً وثباتاً وغيرة ولما سافر الى باريس عام ١٦١٤ ، مصحوباً بالصهيوني ورفيقه الحصروني ، اخذ معه ايضاً مطبعته وكثيراً من المخطوطات الشرقية ، من نسخ الكتاب المقدس وغيره . ويقول وطنينا الصهيوني ان تلك المخطوطات إنعم بها على دي بريف البابا بولس الخامس المذكور[1] .

اما مترجمنا الصهيوني ، فبعد ان استتب امره في باريس ، واعتنق مهمته التدريسية في جامعتها الملكية ، استهلّ عمله اولاً بكتاب اصول نحوية عربية (غرامطيق) نشره مطبوعاً بمشاركة رفيقه الحصروني . ولتعريف ذلك الكتاب الى الاوساط الباريسية ، رفعاه تقدمة شكر واخلاص الى صديقيهما الكبيرين الكردينال دي بيرون والرئيس جاك دي تو قائلين ، في مقدمته المؤرخة في ٧ ك٢ عام ١٦١٦ ، انهما قدما باكورة جهادهما في باريس الى « الرجلين الكبيرين » اقراراً بجهوداتهما الجيدة لطبع التوراة في عدة لغات . وراح الصهيوني ، والى جنبه رفيقه الحصروني ، يواصل الترجمة والتحبير والدروس والمقابلات ، في غمار من اضابير المخطوطات كتباً واوراقاً . وذلك ما جعل المسيو جاك دي تو يتهلل طرباً لاعتقاده انه بلغ النجاح المبين في فكرته العزيزة . فاقبل على صديق له كان مدير المكتبة الامبراطورية الافرنسية ، يبشره بالامر في رسالة تاريخها ٣ ايار عام ١٦١٥ قال فيها : « ... ان الهمم مبذولة اليوم لطبع التوراة في

١) له لونغ ١٠٦٠ .

عدة لغات . . وان الكردينال دي بيرون هو الداعي لذلك وقد انتدبني انا لهذا المشروع . . . »[1]

الايام تناوئ الصهيوني في مشروعه

بيد ان الايام ما عتمت ان خلقت للصهيوني ما اضطره الى تطوير خطته وتغيير سيره في العمل ، وذلك انه فجع بموت حليفه الغيور ، السيد جاك دي تو في ٧ ايار سنة ١٦١٧ . فكان ذلك كالصاعقة على علامتنا شلّت يده في العمل . ثم رأى ايضاً ان الترجمة من السريانية الى اللاتينية تتعذر عليه ، لعدم توفقه لنسخة للكتاب سريانية يركن الى صدق نصها . وقد كان سعى في رومية مع صديقه دي بريف المعهود ليحصل من ذلك على نسخة سريانية هي عند كل ثقته وارتياحه ، كانت محفوظة اذ ذاك في المكتبة الفاتيكانية ، وقد خطّها المطران سركيس الرزي مطران دمشق[2] ، وحملها بنفسه الى رومية عام ١٦٠٦ ، وقدمها الى البابا بولس الخامس تهنئةً له بجلوسه جديداً على العرش البطرسي ، وذلك نيابةً عن اخيه البطريرك يوسف الرزي (١٥٩٧-١٦٠٨) ؛ وقد قدم معها الى قداسته عدة تقادم اخر . فضنَّ البابا بتلك النسخة السريانية لشدة صدقها ، وعدم نظيرها ، وابى ان يسلمها الى دي بريف او صديقه الصهيوني ، بل اذدخرها اثراً نفيساً عزيزاً للمكتبة الفاتيكانية ، ومنع اياً كان عن الحصول عليها .

ويقول الاب له لونغ : « ان مطران دمشق المرحوم قد نسخ هذا الكتاب المقدس ست مرات بالسريانية ثم اشترى نسخته هذه الفاتيكانية الاب موران بثمن ١٦ ريالاً افرنسياً ونال بشرائها شرفاً عظيماً . وهذا الثمن رخيص جداً

١) له لونغ ، ١٠٥

٢) هو اخو البطريرك يوسف الرزي . وابوهما موسى اخو البطريركين مخايل وسركيس الرزيين (١٥٦٧-١٥٩٧) . ومن رهبان دير قزحيا ورئيس محبسه ، ومن تلاميذ رومية . رسمه اخوه المذكور مطراناً على دمشق عام ١٦٠٠ ، واوفده الى رومية عام ١٦٠٦ ، لتقدمة الطاعة باسمه وتهنئة بولس الخامس بالعرش الرسولي . فاشتغل هناك بالمناظرة على طبع الكتب الطقسية المارونية مثل : كتاب القداس ، وخدمته ، والشحيم ، وغيرها . . . وترجم التوراة العربية الى اللاتينية وطبعها جميعاً في ثلاثة مجلدات . ووقف خلفياته على اسقف طائفته وتوفي في رومية عام ١٦٣٨ (المشرق عام ١٩٢٢ ، ٧٢٥ . والاب غالب في كتابه المذكور ، ٦٥) .

نسبةً الى قيمة النسخة الثمينة من كل وجه».[1]

عند ذلك رأى الصهيوني ان يقتصر في عمله على ترجمة الكتاب من العربية فقط الى اللاتينية وبطبعه فيها معاً. وفي تلك السنة عينها قام احد علماء فرنسة، المسيو ملكيور مادري (Melchior Madere) استاذ العربية ايضاً في باريس، ولفظ محاضرة ممتعة عن روعة اللغة العربية وعظمة فوائدها، امام حشد حافل، واستشهد على صدق خطابه بعمل الصهيوني ورفيقه الحصروني قال: «... وان العالمين المارونيين جبرائيل الصهيوني ويوحنا الحصروني من جبل لبنان، آخذان اليوم باخراج التوراة من العربي الى اللاتيني، وعما قريب سيطبعانها بهذين اللسانين...».[2]

وفي تلك السنة نفسها ايضاً (١٦١٧) بدا للصهيوني، تدقيقاً في العمل الخطير، ان يعود الى رومية لاجراء بعض التصحيحات والمقابلات في ما لديه من وثائق واصول خطية. فقصد ام المدائن لاحقاً برئيس اساقفة اوش الافرنسية. وحالما فرغ من مهمته هذه عاد الى باريس يواصل العمل.[3]

وعام ١٦١٨، حين تبين الملك لويس ١٣ باكثر جلاء مجهودات الصهيوني الجيدة في التدريس والتأليف والترجمة، انعم عليه بمحل سكن، وبمرتب اضافي سنوي، قدره الفا ليرة ايضاً. وقد اقرَّ ذلك وحققه في براءة ملكية هذه ترجمة نصها الحرفية:

«في هذا النهار ١٧ كانون الثاني عام ١٦١٨ اراد الملك في باريس، عملاً للخير العام، ان يستفيد من خدمة جبرائيل الصهيوني من جبل لبنان، نظراً لكفاءته وعلمه، ولاسيما لمعرفته الوسيعة وتضلعه الكبير من اللغات العربية والتركية والسريانية؛ وتوفيراً له على الاعاشة بقوة المرسوم الذي بيده منذ تاريخ ٢٤ ك ٢ سنة ١٦١٥، وقد منحه فيه ستمائة ليرة معاشاً سنوياً يتقاضاه من يد خازنه الاقتصادي؛ وفوق ذلك يأمر امناء البلاط وقيّميه ومدراء قصوره وبناياته ان يمكنوا العالم المذكور من السكنى في دار ما او في غير موطن من المدرسة الجامعة في مدينتنا باريس. ويكون ذلك مختصاً به وموافقاً له حيث يستطيع ان يطبع ترجماته الآخذ بها من اللغات المذكورة الى اللاتينية. ثم يريد صاحب الجلالة ان ينفذ الصهيوني

---

١) له لونغ، ٤٧٣

٢) له لونغ: ١١١ و ١١٢

٣) له لونغ، ١١٢

المذكور بهذه البراءة من المصاعب التي اعترضته حتى الآن من حيث سكناه ، ليكون في راحة من دفع الاجور الى اصحاب المساكن ، وقاصاً له من كل ما يشغله ويحوّله عن دروسه واعماله ، او يقلقه ويلبكه به اصحاب المساكن ، كما كان حتى الآن . ويمكنه ايضاً من الحياة ليوفره على خدمة الشعب وافادته . وعليه فان جلالته قد منح الصهيوني هذا عن تمام الارتياح والسخاء ، مبلغ الفي ليرة معاشاً سنوياً ، بما في ذلك الثلاثة ليرة المشروحة له في المرسوم الاول المعهود ، بدلاً لاجور معيشته وسكناه . ثم يريد جلالته ويأمر مدير الخزينة الملكية حاضراً ولاحقاً ان يدفع الى جبرائيل المذكور قسطاً من ذلك كل ثلاثة اشهر ، ابتداء من اليوم الاول من الشهر الجاري (ك ٢) . ولهذه الغاية يقام ويخدم على حساب هذه المعاشات ، وبقوة هذا المرسوم العالي الموقع بيد جلالته وبيدي انا مستشار الدولة وامين اسرار الملك واوامره .

الامضاء

وفي الاسفل : دي لومني لويس ٥ . (١)

وفي سجلات الكرسي البطريركي اثر خطي للملك لويس الثالث عشر يتعلق بالصهيوني والحصروني . وهو عبارة عن ترجمة عربية لمرسوم اصدره الملك المذكور في نفس التاريخ الذي يحمله المرسوم السابق . وقد ترجم نص هذا الاثر العربي الى الافرنسي اسيو رستلهوبر ، قنصل فرنسة في بيروت سابقاً ، واثبت ذلك في كتابه الافرنسي « تقاليد فرنسة في لبنان Traditions françaises au Liban » وجه ٣٢٦ . وهذه ترجمة ذلك حرفياً عن رستلهوبر :

« ان ملك مدينة باريس لاجل خير شعب اراد في ١٧ ك ٢ سنة ١٦١٨ ان يأخذ على نفقته رجلين من جبل لبنان ؛ الاول هو جبرائيل الصهيوني ، والثاني هو يوحنا الحصروني ، العالمان باللغات العربية والتركية والسريانية . وقد عين لهما راتباً سنوياً من خزينة الملكية قدره مائتا قرش (كذا . . .) لكل منهما . وكلاهما يسكنان في المدرسة الملكية او في اي محل آخر ينتقيانه تسهيلاً لاعمالهما حيث يشتغلان بترجمة الكتب من لغاتهما الى اللاتينية وبطباعتها . واجرتهما ومعاشهما يكونان على حساب الملك . وجلالته يعطيهما فوق ذلك ستمائة وستة قروش وثلثين . . . ومنحهما هذه الزيادة عوناً على معيشتهما ونفقاتهما الصغيرة . وقد امر الملك ايضاً بان يؤدّى اليهما ذلك المعاش كل ثلاثة شهور مرة . ولاجل ذلك وقّع على هذا المرسوم . . . »

الا ان الله سبحانه وتعالى شاء ان ينغّص على علامتنا الصهيوني لذة ذلك العطف الملكي والايد السامي ، فامتحنه ثانية بوفاة مؤيده ونصيره الكبير الكردينال دي بيرون في ٥ ايلول سنة ١٦١٨ . فكان ذلك مصيبة عليه جديدة تظير محنته بوفاة العلّامة دي تو . ثم ناوءه الدهر بمحنة اخرى هي اختلافه مع

١) له لونغ ، ص ٢٦٦ وما يليه .

المسيو دي بريف. وذلك ان ما عرض للمترجم من صعوبات ورواح ومجيء بين باريس ورومة ، اضطره الى هدر كثير من الايام على غير جدوى فنال ذلك من صبر دي بريف. ووأد فيه نفوراً قوياً من الصهيوني ادّى به ، عام ١٦١٩ ، الى اهمال المشروع والعدول عنه نهائياً. وقد ساعد ايضاً على ذلك موت دي تو ودي بيرون نصيري المشروع وحاميه.

اما الصهيوني ، ورفيقه الحصروني ، فلم يفتّ ذلك الموقف في عزمهما وهمتهما ، بل لجأا الى مجمع الاكليروس الفرنسي ، وقد كان منعقداً اذ ذاك في مدينة بلوى (Blois) ، ورفعا اليه امرهما في عريضة ضمنت ما ترجمته بالحرف قالا :

« ان المسيو دي بريف جاء بنا من رومية الى باريس لنترجم التوراة من العربي فقمنا بالعمل وصرنا على وشك الفراغ منه. ونحن لا نبني لناء ذلك غير ضمانة تمنا من ان يذهب عبثاً وغير مثمر. بل نطلب ان يطبع الكتاب لافادة الشعب وخير الكنيسة ومجدها. ولذلك جئنا نسأل مجمعكم الموقر العون والمساعدة على اخراج ترجمتنا الى النشر والطبع. »

فراق ذلك المجمع سؤال العالمين المارونيين ، وقرر لهما اعتماداً مالياً قدره ثمانية آلاف ليرة (٤٠٠ ليرة ذهب اليوم) للانفاق على مشروعهما. ودوّن المجمع ذلك التدبير في محضر جلساته الرسمية المثبت برمته في الصفحات : ٣٦٣–٣٦٦ من كتاب له لونغ الذي بين يدينا .

على ان تلك المنحة قد قيدها المجمع بشرط ، هو ان يكون طبع الكتاب تحت اشراف وادارة لجنة من اعضائه . وعيّن ان يؤخذ ذلك الاعتماد من ارباح كتب الاخان ، وبعض كتب من تآليف القديس يوحنا فم الذهب التي طبعها المجمع على نفقته بادارة عالم يدعى اسمه الاب فرنتون دي درك . وهذه هي الترجمة الحرفية لنصّ ما رسمه وقرره ذلك المجمع المذكور :

« ان السيد جان مدبر المؤتمر قد تقدم الينا بعريضة الابرن المارونيين التي عرضنا فيها ان المسيو دي بريف قد استحضرهما من مدرستهما برومية الى باريس ليترجما الكتاب المقدس من اللغة العربية الى اللاتينية . وبما انهما انجزا هذا العمل فلا يطلبان مكافأة سوى ان تنيها لا يذهب عبثاً ولا يبقى عقيماً ، بل ان ينشر مطبوعاً لفائدة الناس ولخير ومجد الكنيسة وامة المسيح قاطبة. وانما يلتمسان من مؤتمرنا الاكليريكي العون الفعال على طبع هذه الترجمة. وان

طبعها هذا هو جد سفرول وصوابي . وللحصول على المال الواجب لهذه الطبعة قرّر مؤتمرنا ان يخصص لذلك خمسة الاف وستمائة ليرة من ريع مطبوعات القديس يوحنا فم الذهب والفين واربعمائة من ريع كتب الالحان . وجملة المبلغ ثمانية الاف ليرة تكون مساعدة من مؤتمرنا على طبع الترجمة التي عنيها الابوان المارونيان، وذلك باشراف اصحاب السيادة المطارنة : برتران ديشو رئيس اساقفة تور ، وجان دافي دي بيرون رئيس اساقفة سانس وشفيق الكردينال دي بيرون المثلث الرحمات ، وشارل بلساك اسقف نوايون ، وجان كاسوس دي بوتكاري اسقف بيي ، والسيد دي سان جان مدير المجمع ، الذين عينهم مؤتمرنا وانتدبهم ليديروا ذلك الامر بما يقتضي من عناية ونظر ويتقاضوا حساباً دقيقاً عن كل ما يلامس ذلك من ادارة وتصرف .

اعطي في بلوى بفرنسة ، نهار الاثنين اول تموز عام ١٦١٩ » .

وقد كتب الاب فرنتون اليسوعي نفسه رسالة في هذا الصدد ، الى امين المكتبة الامبراطورية الآنف الذكر ، تاريخها ١٥ ك٢ ١٦٢١ قال :

« . . . وان المارونيين اللذين يعلمان العربية في باريس (كذا) بمرتب الف ومائتي ليرة ، قد حصلا من مدة وجيزة على منحة مالية ذات قيمة من المجمع الاكليريكي ليعنيا الكتاب المقدس بالعربية واللاتينية التي ترجماه اليها ، وذلك على نفقة المؤتمر المذكور . . . » .

والامر عينه اكّده ايضاً عالم آخر شهير اسمه توما اربانيوس[1] ، وهو صديق الصهيوني ، ومن مشاهير البروتستان ، كما سيجيء .

الصهيوني كاهن ودكتور

اجمع المؤرخون الذين تضمنت آثارهم بين تضاعيفها ذكريات عدة للصهيوني انه حصل على رتبة دكتور في اللاهوت من جامعة البروبغندة في رومية عام ١٦٢٠ . وانه عقيب ذلك بسنتين ارتسم كاهناً . وكان في هذا الاجماع اغفال لذكر ما اذا كان الصهيوني رجع ثانيةً من باريس الى رومية لاحراز شهادة الدكتورية ام لا . مع ان الاب له لونغ لم يذكر للمترجم عودةً ما من باريس الى رومية الا عام ١٦١٧ ، وذلك لتمحيص الوثائق والمعلومات الخطية ، كما مرَّ بنا ذلك منذ قليل . اما نحن فنعلّل ان المترجم اضطرّ ، ولا ريب ، ان يقصد الى رومية خاصّة لاحراز تلك الشهادة ، فان منحها موقوف دائماً على النجاح في امتحان كتابي ثم شفهي خاص بالدكتورية .

---

١) له لونغ : ١١٣ و١١٤

اما رسامته الكهنوتية فتاريخ حدوثها يصعب تعيينه. ولقد كان على خطأ جميع الذين جزموا انها حدثت بعد صيرورة الصهيوني دكتوراً. فان مؤتمر الاكليروس الفرنسي المعهود، عندما يشرح، في محضر جلساته الآنف الذكر، المؤرخ عام ١٦١٩، عن تخصيصه الفي ليرة لمساعدة الصهيوني ورفيقه، يسميهما من الآباء. اذ يقول: «وصلتنا عريضة الابوين المارونيين جبرائيل الصهيوني ويوحنا الحصروني...»[1]. اذن ان رسامة المترجم ورفيقه كاهنين قد وقعت حتماً اما عام ١٦١٩ او قبل ذلك.

الصهيوني وحده في باريس

في العام ١٦٢٢ ترك الاب يوحنا الحصروني باريس نهائياً وعاد الى رومية، ومنها الى لبنان، لمهامّ الكنيسة والطائفة كما تقدم. وظلّ الصهيوني في عاصمة الفرنسيس يعايش شخصياتها الوجيهة ويلامس رجالاتها الافذاذ في قصر لويس الثالث عشر، صامداً في ميدان الجهاد يجابه المصاعب والنوائب ومناورات الخصوم الاقوياء التي افضت به الى السجون، كما سيجيء. وذلك لعمري ما حمل مؤرخي عصره، حتى اعداءه الاقوياء ان يضعوه في المرتبة الاولى بين زملائه. وقد قالت دائرة المعارف الكاثوليكية بالانكليزية طبعة نيويورك، حرف «g»: «...وكان الصهيوني اسمى من الحصروني واشهر...(كذا)».

ويقول الاب له لونغ، في صفحة ١١٥، من كتابه: «ان الصهيوني اناخ عليه الدهر بترس شديد الوطأة الزمه الفراش طريحاً مدة سنتين كاملتين، حتى امعن فيه الهزال اي امعان». لكنه ما كاد يستعيد قسماً من الصحة والقوة سنة ١٦٢٥، حتى طلع على العالم بكتاب «مزامير داود» مطبوعاً بالسريانية وترجمتها اللاتينية التي من قلمه. وقد اعتمد في عمله هذا مخطوطات سريانية ثلاث اهداه احداها صديقه السيد جورج مارونيو، مطران نيكوزية او لفكوسية عاصمة قبرس. وكما قال في مقدمته، ان هذا كتاب المزامير، والترجمة اللاتينية التي اخرج اليها كتاب «نزهة المشتاق...» وهو المعروف بجغرافية نوبة للشريف ابي

---

١) له لونغ، ص ٢٦٣ وما اليها.

عبدالله محمد الادريسي ، قد طبعها من ماله الخاص ، شاكياً متذمراً اذ ذاك من الذين تولوا امر الاعتماد المالي الذي منحه المؤتمر الاكليريكي المعهود كما تقدم . وقال ايضاً : انه لو توافرت له الوسائل وسعة الحال ، حاظياً ببعض الحماة والانصار ، اذن لامكنه ان يجعل اللغات العربية والسريانية واليونانية والعبرية تسير سواء منشورة اللواء في جميع انحاء اوربة[1] .

محاولته ترك باريس

وتوالت الازمات على مترجمنا تحرج موقفه في باريس وتشدّ عليه الخناق ، اذ تضاءل عدد تلامذته حتى اصبح مركزه التدريسي شاغراً عام ١٦٢٦ ، امدم وجود طلاب يختلفون اليه . فادّى به ذلك الى قطع المماش التدريسي عنه ، واوقعه في شبه نكبة جعلته من الفاقة والعوز في مساس ، فاخذ يؤثر الرجوع الى رومية . وقد اطلع على امره هذا اصدقاءه القادرين قدره في رومية فبادروا الى اغتنام الفرصة ليرجعوه ، ورفعوا عرضاً ضافياً بالتوسلات الى لويس ١٣ على يد الكردينال سبادا (Spada) ، والسفير البابوي في باريس السيد بَنْي (Bagny) يلتمسون ترخيصاً من جلالته للصهيوني صديقهم بالذهاب الى رومية ، حيث تدعو اليه حاجة ماسة ، فيشتغل ثمّ بترجمة التوراة العربية الى اللاتينية والايطالية ، وقد بدأ البابا اوربانوس الثامن (١٦٢٣–١٦٤٤) يعنى بها منذ سنتين .

اما ملك فرنسة فلم يجد مانعاً من النزول عند طلب اولئك العلماء . فاصدر مرسوماً ملكياً تاريخه ١٢ حزيران عام ١٦٢٧ أذن فيه للصهيوني بالشخوص الى رومية لمدة معلومة . وطمعاً بترجيعه الى باريس لاستئناف الافادة من علومه ، اغراه باعادة المماش الذي حذف حينذاك ، وامر بمنحه اياه مدة غيابه في رومية ، كما لو كان موجوداً في باريس . وهذه ترجمة حرفية لذلك المرسوم الملكي :

« اليوم في ١٢ حزيران عام ١٦٢٧ اصدر الملك مرسوماً في باريس ، بناء على ما عرض له من قبل قداسة البابا بواسطة الكردينال سبادا وسفير قداسته المسيو بَنْي ، انه لاجل تقدم ونجاح الديانة وخير الكنيسة العام انشأ صاحب القداسة جمعية من الكرادلة الاصليين الاولين والشخصيات العالمية الكبيرة والدكاترة المتضلعين من اللغات والكتب المقدسة وغيرها ، الذين

١) له لونغ ص ١١٥

نظروا مع قداسته ان الشعوب الشرقية والمتمسكة بالايمان ، عن رسوخ وثبات بين الاراتقة والكفرة ، لهي في الحاجة القصوى الى الكتب لتعليمهم الخاص ، كما لحديثهم في محادثاتهم ، لذلك قرّر قداسته طبع طائفة صالحة من اجود وانفع الكتب لتوزيعها على البلدان . ولكن بما ان اهل الخبرة والمرونة ، في ترجمة وطبع امثال هذه الكتب لتلك الجمعية المقدسة ، قد رأوا بعين الاعتبار ان اجدر من يقوم باتيان هذا المشروع وادارته على وجه الكمال والنجرة انما هو الاب جبرائيل الصهيوني المارونيّ ملةً ، ووليد مدينة اهدن في جبل لبنان ، الاستاذ والترجمان الملكي ، ذو المقدرة الوسيعة والتضلع الكامل من اللغات الشرقية . فأيدوا رأيهم هذا الى صاحب القداسة ليستعمل وساطته لدى صاحب الجلالة الملك ليتكرم بالسماح للسيد الصهيوني فينتقل الى رومية لمدة معينة ، ويعمل في وضع الكتب المذكورة .

ذلك المشروع يعطف عليه جلالته احتراماً وتأييداً لصاحب القداسة وغيرته على خير الكنيسة وتقدمها . ولذلك فانه ليس فقط يسمح سماحاً بل يأمر الصهيوني امرًا صريحًا خصيصاً ان يمشي الى رومية للعمل في مشروع كذا مقدس ، حسبما تؤهله لذلك مواهبه وعبقريته التي انعم الله عليه بها . ولاجل تلزيمه وترغيبه في ذلك بالاكثر ، واعتبارًا للخدم العظيمة اللذة والفائدة التي اداها الى جلالته ، يريد انه مدة اقامته في رومية يظل ممدوداً ايضاً كأنه حاضر وساكن وشاغل ، كما هو حالياً في باريس ، بكل سكون وسهولة ، وليتمتع ايضاً باجرته ومعاشه اللذين يلذ جلالته ان يتكرم عليه بهما من صندوق توفيراته ، ويمنحه ايضاً عند الاقتضاء اجرة اخرى وزيادات تكون له بصفة كونه مدرّساً . ويبقى خادم الدولة وعلى حسابها يتقاضاها الاجرة بحسبما بيده من وصولات بماش واجرة وزيادات تقاضاها في الماضي بموجب المرسوم والرخصة اللذين منحناه قبلاً وارسلناهما اليه في اليوم الاخير من كانون الاول عام ١٦١٦ ، وفي اليوم العاشر من كانون الثاني سنة ١٦١٧ . وقد امرني صاحب الجلالة ان اوصل الى الصهيوني الرسائل اللازمة مع هذا المرسوم الذي تنازل ووقّعه بيده . ثم اوقع عليه التوقيع الثاني انا امين مشورته واسرار دولته واوامره

وفي الاسفل : فيليبو (Phelypeaux) . الامضاء

لويس » . (١

عند هذه التدابير ، قام الصهيوني يلبي طلب اصدقائه رجالات رومية والكثلكة ، وامر جلالة الملك . فسيّر امامه اولاً بعض امتعته وحقائبه الحافلة بوثائق المخطوطات وترجمات قلمه وانشاءاته . بيدَ ان ذلك التدبير وما جرّ وراءه من اهبة الصهيوني للرحيل ، ما كادَ ينتشر خبره في الاوساط الباريسية حتى شعر القوم بالفراغ الذي سيجابهون ، وادركوا ان رواح الصهيوني الى رومية سوف لا

---

١) له لونغ ص ٤٥٤ وما بعد .

يعقبه رجعة ، نظراً لما يتمتع به من ثقة علمية . فهبّوا يتلافون ذلك وبذلوا المساعي الجدية فحملوا مجلس المحاسبة في الحكومة على التصدي لتنفيذ تلك الرخصة الملكية . وما زالوا بالصهيوني يبذلون جهودهم في ارضائه حتى اقنعوه بالبقاء في باريس يستأنف جهاده في التدريس والتحبير .

العود الى فكرة البوليكلوت

وتجدد العزم على تحقيقها وتوسيع مشروعها

بينا كان الصهيوني على تلك الوضعية في باريس ، اتصل في البلاط الملكي باحد المحامين اللامعين ، المسيو غي ميشال لجاي (Le Jay)[1] واخذ يزيّن له الفوائد الجلى المادية من طبع البوليكلوت على نفقته ، مستعيناً عليه بترغيبات كثير من زملائه العلماء . وقد قدّر له تلك الارباح باربعمائة الف ليرة[2] فضلاً عن ان المجد الذي عجز عن تحصيله ، من ذلك المشروع ، دي تو ، ودي بيرون ، ودي بويف ، سيخلده التاريخ للسيد ميشال لجاي .

غير ان اشباحاً جمة من تثبيط العزيمة كانت تنتصب في مخيلة المحامي لجاي وتحاول تحويله عن الاصغاء الى حجج الصهيوني وترغيبات زملائه . واهم تلك المثبطات كانت حاجة لجاي الى الوسائل الناجعة للنجاح ، وجسامة النفقات الفائقة التي سيضطر الى بذلها لاصطناع القوالب اللازمة لحروف اللغات الشرقية المزمع ان يطبع الكتاب فيها ، مع ترجمة لاتينية خاصة لكل منها ، ولو كان على مقدرة مالية هي في غاية الاعتبار . ثم عدم توفره على مخطوطات شرقية كافية من نسخ التوراة وعدم معرفته ايضاً بالصهيوني لدرجة توليه الثقة الكاملة باخلاصه في ما

---

١) شخصية فرنسية نافذة وثري وجيه كبير ومحامي البرلمان الفرنسي . ولد عام ١٥٨٨ من عائلة نبيلة . كان قديراً على تحقيق المشاريع الكبرى التي منها مشروع بوليكلوت باريس الحاملة اسمه . ومكافأةً له على ذلك عيّنه الملك عضواً في مجلس شورى الدولة ، ومنحه امتيازات عالية ، ورواتباً ضخماً ، وذلك عام ١٦٤٦ ومات في ١٠ تموز عام ١٦٧٦ : وقد انفق على البوليكلوت ثلاثمائة الف ليرة (عن له لونغ في نقاط مختلفة) . والعلّامتان المطران الدبس والاب لويس شيخو اليسوعي يعدّانه كاهناً فيسميانه « الاب او المحوري لجاي » طالع الجامع المفصل ٢٨٢ والمشرق ٣ [١٩٠٠] ٨٢

٢) له لونغ ص ١١٨

يقول ويؤكد ؛ ورييه ايضاً في ما اذا كان هذا العالم الماروني على التضلع اللازم من اللغات الشرقية ليقوم بمشروع هو من الخطورة والصعوبة بمكان . ولكن الصهيوني عرف كيف يوثق باهليته العلمية ذلك الثري الفرنسي الوجيه ، وجعله بعد كل ما تقدم ان يقتنع بوجوب البذل على مشروع البوليكلوت الباريسية . وبذلك احيي تلك الفكرة الخطيرة من جديد ، بعد نومها الطويل العميق ، وقد طالما اختمرت بها تلك الادمغة الوجيهة وخنقتها الظروف ضمن حدود الاختمار .

واقبل المسيو لجاي على اتيان المشروع هازئاً بتلك الصعوبات .

تحقيق مشروع البوليكلوت

ماجرياته . حوبته . لغاته . رجاله

اول ما بدأ به لجاي انه انتجر طبّاعاً ماهراً اسمه انطوان ڤيتري (Vitré) وامره باعداد كل ما يلزم لطبع البوليكلوت . فتجند ڤيتري للعمل واصطنع الحروف العربية ، والكلدانية ، واليونانية ، واللاتينية ، عند سبّاك شهير يدعى بي (Bé) قد ورث الفن عن ابيه الذي اعتمده فيليب الثاني ملك اسبانية في ضرب الحروف لبوليكلوت انڤيرس التي انفق عليها جلالته كما سبق ذكره اما الحروف السامرية فسبكها الفنّان جاك سانليك (Sanlecques) . واما الحروف العربية والسريانية فقد ضرب معظمها عن امثلة الصهيوني وقوالبه التي صاغها . وقد ضربت عليها قبلئذٍ كميات كبرى من الحروف اشتهرت « بالاحرف الصهيونية ».[1] اما الورق فقد انشئت له فبركة خاصة انتجت منه اجمل صنف عرف الى ذلك العهد واشتهر « بالورق الملكي » (Carta Imperialis)[2].

وفي شهر اذار عام ١٦٢٨ شرع انطوان ڤيتري يخرج البوليكلوت الباريسية مطبوعة حصصاً ومراحل ، حسبما كان الصهيوني وزملاؤه يجهزون له المواد ، وذلك بلغاتها السبع . العبرية ، السامرية ، الكلدانية ، اليونانية ، السريانية ، العربية ، حاوية ايضاً ترجمة لاتينية خاصة لكل من هذه اللغات على انفراد . مما جعل

---

١) له لونغ ، ص ١١٤ و١١٦

٢) له لونغ ١١٦

الكتاب يجيء في عشرة مجلدات ضخمة ، وكلها في حلة مطبعية جد رائعة اتت زينة ذلك الزمان ومنتهى فن الطباعة فيه . وقد اقتضت مدة الطبع سبعة عشر عاماً (١٦٢٨–١٦٤٥) بسبب مشاكل واختلافات عنيفة وقعت بين الصهيوني ولجاي سنفصلها في موطنها القريب .

وقد اطلقت على الكتاب عدة اسماء : « پوليكلوت لجاي » و« پوليكلوت باريس » و«البوليكلوت الكبيرة » و« پوليكلوت ڤيتري » . على ان اشتهارها بالاسمين الاولين عمّ جميع اوساط التاريخ والعلم . وقد حملت في صدرها تعريفاً لاتينياً هذه ترجمته :

« التوراة في العبرية والسامرية و . . . بالنصوص الاصلية الكاملة لكل الكتاب المقدس.
« قسم منها اخذ عن طبعة كومپلوتانس ، وقسم من طبعة انڤيرس الاسبانية الملكية ؛ وما تبقّى
« اخذ عن مخطوطات نُشدت نسخها وامكن اقتناها من معظم انحاء العالم . وجاءت في تسعة
« اجزاء موزعة في عشرة مجلدات » .

وفي آخر مقدمتها كلام هذه ترجمته :

« في عهد الملك المظفر لويس الرابع عشر السعيد الذي هو منة من الله ، وفي وصاية والدته
« المالكة باسمه حنة النمساوية (Anne d'Autriche) وهي ام الرعايا الافرنسية . ولقد قدمت
« فرنسة لهيكل الازلية المؤيد استار ملك الصور العظيم والصفحات القدسية مكتوبة بسبع
« لغات . ثم اعطت (فرنسة) ونذرت وكرّست ، بواسطة ميشال لجاي وعلى نفقته ، هذه الاسفار
« لهيكل الازلية العظيم » . (١

وكان للصهيوني زملاء اعوان في هذا المشروع ، وهم شخصيات علمية شهيرة ومن اخلص الاصدقاء والمؤيدين له ، كالعلّامة ڤاليريان دي فلاڤيني (Flavigni) دكتور من جامعة السوربون ، واستاذ ملكي فيها للغات المقدسة مع الصهيوني . وقد تولّى من البوليكلوت النصين العبراني والكلداني .

والاب موران الذي طبع النص السامري مع ترجمته الى اللاتينية .

ثم جيروم پارانت الذي اعاد النظر في ما كان قد طبعه الصهيوني قبل العام ١٦٣٧ من النصوص السامرية والسريانية والعربية .

والخوري يوحنا الحصروني (المطران بعدئذٍ) الذي شارك الصهيوني في قسم

---

١) له لونغ ١٣٣–١٤٣

من ترجمته السريانية والعربية الى اللاتينية كما سيأتي بيانه.

وابرهيم الحاقلاني الماروني الذي اشتهر في اوربة باسم «اكللنسيس» (Ecchellensis) وقد عني بسفر راعوت في العربية والسريانية، واضعاً لها معاً ترجمة لاتينية واحدة. ثم تولى سفر المكابيين الثالث في العربي فقط، معتمداً على النصوص التي كان الصهيوني قد طبعها قبلاً بالسرياني والعربي مع ترجمة لاتينية خاصة لكل منهما على انفراد. ثم ترجم ايضاً اسفار: استير، وطوبيا، ويهوديت من السرياني والعربي الى اللاتيني.

والشانوان غودفروي هيرمان اعتنى خاصة بالنص اليوناني.

ثم جان اوبير، من زملاء الصهيوني في التعليم بكلية باريس من قبل الملك للغة اليونانية، ترجم الى اللاتيني النص اليوناني الذي وضعه القديس كيريلس الاسكندري، وطبع الاصل والترجمة معاً، ناظراً ايضاً في سائر النصوص اليونانية.

وكان ايضاً للمشروع انصار كثر من شخصيات فرنسة الوجيهة واعلامها النبلاء. تؤازره برعايتهم وحمايتهم وآرائهم ونصائحهم ومساعداتهم وتشجيعاتهم من وجوه شتى. فكانوا للصهيوني وزملائه الايد الاقوى على نشر بوليكلوت باريس الخطيرة جداً في الحقلين العلمي والديني. ومن اولئك الرجالات: المسيو بيار سيغيه (Seguier) مدير الدوائر في حكومة فرنسة. والمطران ايليونور ديتامب، دوق ريمس ورئيس اساقفتها معاً. ثم اشيل هرلاي اسقف مالو. وجاك ليسكوت اسقف شارتر. والكردينال دي بيرول، ونيكولا دي بايرل رئيس الندوة الافرنسية. وغي دي طاليس رئيس المجلس الفرنسي الاعلى. وغيرهم يضيق بنا مقامنا هذا عن تعدادهم جميعاً[1].

قسط الصهيوني في بوليكلوت لجاي الباريسية

رأينا معرض العلماء الذين ساهموا في بوليكلوت باريس الكبرى، وتبينا حصة كل منهم في ذلك المشروع فعلياً وادبياً. اما علامتنا الصهيوني فكان له

---

١) له لوتغ ١٢٠ و١٢١

القسط الاوفر ، واليد الطولى ، والتفوّق الاكبر فعلياً وادبياً على انداده وزملائه العظماء في ذلك العمل ، مما نصبه دوماً في التاريخ نقطة الدائرة والمحور الاهمّ الذي دار حوله المؤرخون في كلامهم عن پوليكلوت باريس. وحصة قلمه وجهاده في هذه البوليكلوت تكوّن خمسة مجلدات ضخمة تنطوي جميعها على ثلاثة الاف ومائة وثلاث وثمانين صفحة .

وهذه المجلدات يحوي اولها تسعمائة وسبع صفحات ، موضوعها الاسفار الموسوية الخمسة ، وقد عاونه الحصروني في وضع ترجمة لاتينية لكل من نصيه السرياني والعربي. وهذا كل ما كان للحصروني من يد في البوليكلوت الباريسية .

والمجلد الثاني يتضمن اسفار : عوزيا ، والقضاة ، والملوك الاول والثاني والثالث ، وذلك في خمسمائة وخمسين صفحة .

والمجلد الثالث ذو اربعمائة وجه ، يدور على مزامير داود ، وسفر الحكمة : اما المزامير فقد طبعه على نفقته في باريس عام ١٦١٩ كما تقدم ذكره ؛ واما سفر الحكمة فقد وضع ترجمته باللاتيني في ستة شهور قضاها كلها ضيفاً على المسيو هوتمن ، من اعيان فرنسة المشاهير ، وذلك في قصره في غابة مورتفونتان التي هي من اروع حدائق اوربة .

وعلى ذكر ضيافة الصهيوني في ذلك البيت الفرنسي النبيل ، نثبت رسالة بهذا المعنى ، كتبها من باريس في ١٣ ت١ عام ١٦٣٥ ، المسيو كلود سومايز الى جاك غوليوس استاذ اللغات الشرقية في كلية ليدن (Leyde) قال :

« . . . والى الآن لم اتمكن بعد من اعطاء جغرافيتك السريانية الى السيد جبرائيل الصهيوني . فانه مغيب عن المدينة وهو الآن ضيف على بيت المسيو هوتمن دي سان مارك في مزرعته الريفية في « مورتفونتان » منذ اول عطلة البرلمان . ومعه هناك المسيو كونسايأه والمسيو لجاي وعائلته . وحالما يرجع من تلك المزرعة اسلمه الكتاب المذكور ، بعد ان آخذ منه تعهداً كافياً يضمن ارجاع هذه الاعارة » . (١)

واما ادعاء انطوان ڤيتري بان ترجمة هذا السفر هي من قلم الحصروني ، فان هو الا محض كذب ، فان ڤيتري هذا لم تكن له ادنى معرفة او علاقة

---

(١) له لونغ ٢٧٨ وما بعد .

بالصهيوني وبكل شؤونه الّا في اوائل سنة ١٦٢٨ حيث اضطره الشروع في طبع البوليكلوت الى التعرف بالصهيوني. وفوق ذلك ان الاب الحصروني المذكور قد غادر باريس نهائياً عام ١٦٢٢ ولم يعد اليها قط. اذن لم يدرك ڤيتري الحصروني ولم يتصل به على اي وجه كان ليمكنه ان يحكم في امره كهذا[1].

وقد اكد العلّامة الفرنسي الشهير جوزاف فرنسوا ميشو (Michaud) في مؤلفه الكبير الشهير (Bibliographie universelle ancienne et moderne) مجلد ١٥ صفحة ٣٥٦، ان انطوان ڤيتري كان من الدّ اعداء الصهيوني واشدهم غيرةً على ضرّه، فنبذ كل شهادة لڤيتري على الصهيوني.

والمجلد الرابع يتضمن خمسمائة وخمساً واربعين صفحة، وهو الاناجيل الاربعة أُخذت للبوليكلوت المعهودة عن نسخة للصهيوني كان، وهو في رومية، قد نقّحها واصلح فاسدها في مواطن عديدة، وترجمها الى اللاتيني وطبعها في المدينة الابدية عام ١٥٩١، بعناية ومناصرة العلّامة ريوندي الايطالي الآنف الذكر. وقد اكّد ذلك العلّامة بريان والتون (Walton). والاب العلامة له لونغ يتعجب متسائلاً كيف استطاع الصهيوني الفتى عملاً كهذا، وهو لم يكن اذ ذاك قد اتم ربيعه الخامس عشر !!![2].

والمجلد الخامس مضمونه سبعمائة واحدى وتسعين صفحة. ومداره على اعمال الرسل ورسائل مار بولس وسفر الجليان. على ان الصهيوني يدّعي، في دفاعه انه طبع من شغله وتعبه ستة مجلدات من بوليكلوت باريس الكبرى. وان كل مجلد ذو سبعمائة صفحة. فيكون مجموع صفحاته التي رقشها قلمه في تلك البوليكلوت اربعة الاف ومائتي صفحة. وقد اقرّ علّامتنا على ادعائه الاب جاك له لونغ[3].

واقتضى عمل الصهيوني هذا سبع عشرة سنة (١٦٢٨–١٦٤٥)

اما شغل الصهيوني في هذه المجلدات فكان قوامه وضع ترجمة لاتينية خاصة لكل من النصين السرياني والعربي، واصلاح مسودات طبعها، وتجهيزها جميعها

---

١) له لونغ ٤٧٨

٢) له لونغ ٧٨ و١٢٢

٣) له لونغ ٤٠٥

بالحركات والنقط الشكلية الاصولية للنصين المذكورين ثم وضع لها ، في جميع مجلداته المهودة ، حواشي وملاحظات غراماطيقية اصولية هامة . وهو الذي ضبط نصوصها ونسخها الاصليه الصالحة للاعتماد في المشروع القدسي الخطير . واضطرته دقته المهودة ، في كل اعماله العلمية وغيرها ، ان ينسخ تلك المجلدات وينقلها اربع مرات . ثم صاغ لهـا ايضاً بيده هو رسوم الحروف وامهاتها وقوالبها وطوابعها المطبعية ، للعربي والسرياني ، مما اكد انه كان ، فوق عبقريته العلمية ، ذا عبقرية صناعية آلاتية . وقد كلّفه كل ذلك اكثر من ثلاثين الف ليرة[1] .

عمل الصهيوني في نظر العلماء

هذه الاعمال كان لها قدرها الكبير عند رجالات العلم والسياسة ، في السلكين الكنسي والعالمي بفرنسة وغيرها ؛ وعدّوها عظيمة جبارة . واول من اكبرها وقرّظها كان موتمر الاكليروس الفرنسي . فانه عندما كان منعقداً مرة اخرى في باريس ، في اواخر عام ١٦٣٥ ، رأى ميشال لجاي ان الفرصة سانحة ليطلع رؤساء دينه في وطنه على اهمية مشروعه ، وجسامة نفقاته عليه . فتقدم من ذلك الموتمر ، بواسطة احد النواب المسيو لويس اوديسينك . فاعاره المجمع الاكليريكي اهتماماً ، وعهد الى ثلاثة مطارنة من اعضائه بفحص المشروع ودرسه ملياً ، مكلفاً اياهم وضع تقرير عنه ، يصير الاجراء بموجبه . فقام اولئك المطارنة بالمهمة كما ينبغي ، ووضعوا باللاتينية تقريرهم المطلوب ، مؤرخاً في ٢٤ كانون الثاني سنة ١٦٣٦ ، حافلاً بالاكبار لغيرة لجاي وسخائه الكبير على المشروع . ثم كالوا القدر الكبير من المديح والتقريظ لجهود الصهيوني فيه . وقد امرت هيئة الموتمر بادراج ذلك التقرير بين مقررات اجتماعاتهم حينذاك . وجاء الاب له لونغ فاثبت نصّ ذلك في كتابه الذي بيدنا ، من وجه ٣٧٩ وما بعد . اما ما خصّ الصهيوني من ذلك فهذه ترجمته :

« . . . ان الاسفار الموسوية لم تكن قبل العلّامة الصهيوني معروفة في اوربة انما صادقة « الترجمة . وكانت الثقة بانها مأخوذة عن اصلها السامري ضعيفة ، لعدم وجودها في الفولكاتا

---

١) له لونغ في المحل المذكور . وميشو ١٥ : ٢٢٦

« (ترجمة القديس ايرونيموس للكتاب) . والنص الذي كان يعرفه العلماء لم يكن معتبراً نصاً « علمياً يُركن اليه . لذلك اخذ الصهيوني على عاتقه ترجمتها عن السرياني والعربي ، المأخوذة « نصوصها عن المخطوطات القديمة العهد جداً ؛ فترجمها الى اللاتينية بصدق محسوس وبيان « فصيح . وضبط نصوصها الاصلية من العربية والسريانية مع اشكالها وحركاتها وضوابطها . مما « اثار اعجاب علماء اللسان اللاتيني واللسانين السرياني والعربي ايضاً » . (١

والعلامة الاب موران ، المعهود بين المشتغلين في البوليكلوت الباريسية ، وقد عني بالنص السامري فيها وترجمه الى اللاتينية كما تقدم ، قال في معرض كلامه عن اسفار موسى الخمسة ، في اللاتينية ما ترجمته :

« . . . واليوم عام ١٦٣١ يقوم مبشال جاي بطبع الكتاب المقدس في السريانية والعربية « مع ترجمة كليهما الى اللاتينية ، وقد وضعها العالم الكبير الاب جبرائيل الصهيوني دكتور « في اللاهوت واستاذ من قبل الملك للغات الشرقية في باريس منذ ١٥ عاماً ، وهو ماروني « من جبل لبنان قد تلقى علومه اللاهوتية في رومية ، حيث برع في اللغة اللاتينية » . (٢

والاب موران عينه كتب ايضاً رسالة ، في ١٧ كانون الثاني عام ١٦٤٢ ، الى الاباتي رئيس « دير الصليب المقدس » في اورشليم ، مفصلاً له ما عمل العلامة الحاقلاني في باريس ، وقد اطرأ الصهيوني معه قال :

« . . . والذين يعنون ولو قليلاً بقراءة ما كتب هذان العالمان المارونيان (الصهيوني والحاقلاني) ، ويتدبرون ما ظهر لهما من مؤلفات مطبوعة ، لا يسعهم الا الاقرار عن تمام الارتياح بما يتجسم في ذلك من دلائل النبرة والقوة على الجهاد العنيف » . (٣

وسيتأكد المطالع الكريم في شروحنا التالية ان الاب موران هذا كان من خصوم الصهيوني ومناهضيه ايضاً . فشهادته اذن ، وهو الخصم ، ثمينة قيمة .

وكذلك السادة العلماء : ليسكو ، ودي مويس ، وفلاثيني ، من الاساتذة الملوكيين في جامعة باريس ، قد فحصوا المجلدات الخمسة التي اشتغلها زميلهم الصهيوني في البوليكلوت المعهودة ، ودرسوها فصلاً فصلاً ، واقاموا لها التمداح والتقريظ الى حدود قصية ، قادرين قدر علامتنا الصهيوني فيها . ووضعوا لدرسهم

---

١) له لونغ ٢٨٢ و٢٨٣

٢) له لونغ ٤٦٧

٣) له لونغ ١٧٥

هذا تقريرًا واسعًا ذيّلوه بتوقيعهم ومهروه باختامهم. واليك ما قاله دي فلاڤيني استاذ العبرية الملوكي :

« معا مدحنا الصهيوني ، لا نفيه حقه ، من اجل عمل اتاه ، هو في غاية الاهمية والكمال تتجلى فيه الدقة والاتقان ، ولا سيما الامانة المرعية في كل ترجماته ». (١

ولما جاء العالم الانكليزي المشهور ، المستر بريان والتون السابق الذكر ، ليطبع پوليكلوت انكلترة البروتستانية ، التي تمّ طبعها في لندن ، عام ١٦٥٧ ، في تسع لغات ، استعان باعمال علّامتنا الصهيوني ، في پوليكلوت باريس ، وتأثر منهاجه في الدرس والترجمة والتنسيق والتدقيق والمقارنة ، واخذ عنه الشيء الكثير مما قد اعترف له به في مقدمته على پوليكلوت لندن. وهذه ترجمة ما كتبه ثمّ مقرظًا الصهيوني قال:

«وان هذا الرجل العظيم بذل انبابًا شاقة وافضالًا جزيلة كثيرة الفائدة لكل من يرغبون «في ان يتضلعوا من اللغات الشرقية والاسفار المقدسة. ومن لم يقر له بالفضل كان غامطًا الاحسان. « ونحن نعترف بان اعماله في پوليكلوت باريس هي من آيات الدنيا واعاجيبها. ونرى انه يلزم الجميع ان يؤدّوه شكرًا لا ينقضي ». (٢

وكذلك كل الذين ترجموا التوراة الى عدة لغات ، استعانوا بپوليكلوت الصهيوني الباريسية واستناروا بمنهاجه ومعارفه[٣].

ثم جاء المسيو كولومياه ، احد اعيان فرنسة العلماء ، وتأثر والتون في اكباره الصهيوني ، قال ، في صفحة ٢٦٣ من كتابه « Gaule Orientale » ما ترجمته :

« ان الصهيوني عالم متضلع من اللغات الشرقية ، ويمكنه الوقوف في صف واحد مع الذين شرّفوا فرنسة بعلومهم وانواع معارفهم ». (٤

---

١) له لونغ ١٨٢ و٤٧٧

٢) له لونغ ٢٠٤–٢٠٨ . ثم المطران الدبس في « الجامع المفصل » ص ٢٨٢ . ومجلة « فينيقية المذكورة : ٢ (١٩٣٩) ١١

٣) دي لاروك المطبوع عام ١٧٢٣ ، ٢ : ١٢٤

٤) له لونغ ١١٨

اختلاف الصهيوني والمحامي لجاي

اسباب الخلاف

يظن القارئ الكريم ان الصهيوني كان ، في ذلك المشروع العلمي القدسي ، ناعماً براحة الفكر وطمأنينة البال ، موفورة له كلّ اسباب التعزية والهدوء ، مما هو ضروري جداً لكل من يخوض الميدان لامثال مشروع البوليكلوت الباريسية . اما التاريخ الصادق فيقضي على ذلك الظن ، اذ تنكشف لنا طواياه عن خلاف هام حدث بين الصهيوني والمحامي البرلماني ميشال لجاي ، مثلت فيه الغايات ادواراً عصبية استهدف فيها المترجم لكبير امر من التضحية براحته وكرامته وماله وحقوقه وجهاده ، حتى ادّت به المسائل الى غياهب السجن يتكبد مرارته ثلاثة شهور كاملة .

وبين يدينا قدر كبير من المعلومات يتضمن عدة آراء وروايات لاسباب ذلك الخلاف . وكلها ضد الصهيوني تؤيّد جانب خصومه ، فتنصبهم ابرياء ذوي حق مشروع ، وتصور المترجم ذلك المجرم السباق الى الاعتداء . وتلك الروايات هي صادرة عن انطوان ثيتري الطباع المعهود ، الذي عرف بعدائه المشهور للصهيوني . ومزاعمه فيها هي ما يلي :

« ان الصهيوني كان بطيئاً جداً في العمل ، وطالما آخذه الكثيرون على « ذلك . . . وانه كان يشوش ثيتري في اعمال الطبع ويعرقله عن الجري في ذلك . « ولا يعرف في شغله اي نظام او متابعة وانسجام . . . وقد عُرف قصد هذا « الماروني ، وهو عرقلة المشروع ليرغم اصحابه على مجاراته في كل ما يريد . . . « وقد رأى انه الجوهر الفعّال والضروري في ذلك العمل ولا غنى عنه فيه ، « فاراد ان يستفيد من الحاجة الماسّة اليه ، وراح يظهر قيمة نفسه ومنزلته ، « ويتباطأ في العمل . فاضطرّ لجاي ان يأنف تماهله ونزقاته الحادة ويعلنه العدول « كلياً عن اتمام طبع البوليكلوت . . . وكان يفضل الراحة ورخاء العيش على كل « شيء في هذا العالم . . . ولا يقصد من عمله الا تحصيل الشرف والصيت الطنان . « وطبعه دائماً مستبد الثوران . . . وعندما كانوا يلحفون عليه بالشغل ، كان يجيبهم

« بغضب وتزاقة : انه يطرح التوراة في النار اذا قصدوا اتعابه . . . » . وغير ذلك كثير وكثير تجده مع ما تقدم في مقال هجائي طويل لانطوان ڤيتري ، نشره مطبوعاً عام ١٦٤٠ ، وقد حشاه طعناً وقذفاً ومثالب بالصهيوني ، رداً على دفاع اصدقائه الذي نشروه بالطبع تبريراً لصديقهم المترجم مما الحق به[1] .

ولما جاء الاب له لونغ ليكتب عن تلك الاحداث ، لم يجد في ميدان بحثه وتنقيبه غير روايات ڤيتري هذه . فاخذ بها واعتمدها ، على رغم اعتقاده وتحققه انها روايات عدو ! ! ولكن من يقرأ ما كتب العلامة ميشو الكبير عن هذه الروايات الڤيترية ، اذ قال : « ان روايات ڤيتري هذه انما هي لعدو شديد وخصم عنيد ، فلا يجوز الاخذ بها طليقة من كل نظر او قيد عقلي »[2] ، اجل ان من يتدبر هذا الكلام ، يمكنه ان يحدد لهذه الروايات ، ولكل ما هو من طرازها ، مبلغ القيمة والاعتبار في عين المنطق والانصاف .

والذي يزيدنا تشجيعاً على هذه النظرية ، ان التاريخ لم يحفظ لنا اي اثر ينتصر للصهيوني ويشرح وضعيته في ذلك الاختلاف ، كما هي مشروحة وضعية خصامه ؛ وقد كان له كثير من الانصار ، وقفوا الى جانبه يؤيدونه ويدافعون عنه بما عزَّ وهان ، حتى انقذوه من السجن وردوا عليه ما استطاعوا من حقوقه المهضومة كما سيأتي . فاين دفاعهم المعهود عنه ؟ ولماذا لم يثبت نصه الاب له لونغ كما اثبت مقال ڤيتري ، في كتابه الذي بيدنا ؟ ! ! اما الجواب على هذا التساؤل ، بل هذا الاستغراب ، فهو ان خصوم علامتنا كانوا اذ ذاك ذوي حول وطول ، وبيدهم الكفة الراجحة من النفوذ والحل والربط ، فتمكنوا من تنفيذ اغراضهم على ما ارادوا ؛ وقضوا على كل اثر ينتصر لمبعوثهم الصهيوني او يدعم حجته عليهم ، وبذلك جعلوا جوَّ التاريخ خالياً لآثارهم وحدهم . ويكفيهم ليصلوا الى كل ذلك ، ان يكون في جانبهم ، ويشد ازرهم ، الكردينال دي ريشليو ، زعيم فرنسة الاكبر ، ومن اعظم وادهى رجالها في التاريخ .

---

١) وقد اثبت له لونغ مقال ڤيتري المذكور ، في ٢٩ صفحة من كتابه الذي بيدنا .
٢) ميشو ١٥ : ٢٢٦

على انـه مهما يكن من شيء ، فوقوع الخلاف بين المحامي البرلماني ميشال لجاي والعلامة الاب جبرائيل الصهيوني هو امر اكيد. وقد اكد الخصوم ان اسباب ذلك الخلاف بطء المترجم في العمل ، وتماديه في الخمول والكسل. اما نحن فقد تأكد لنا ، مما بيدنا من آثار حول ذلك ، ان لجاي غرّه طمع الربح فانتحى الشحّ والتقتير ، في مكافأة الصهيوني ، الى درجة بليغة ، ولا سيما ان المترجم لم يرتبط مع لجاي ، المحامي الوجيه ، ارتباطاً رسمياً كتابياً في تجنده لعمل البوليكلوت . وان الصهيوني لما اوشك ان ينهي العمل ، قام لجاي يحاول الجري بمسوّلات نفسه ؛ وجابهه المترجم بطلب حقوقه فحجز على المخطوطات ، ممتنعاً ان يسلمها احداً قبل ضمانة حقوقه وتعبه ، فكان الخلاف وكان من نتائجه ما سيرد بيانه وحُكمنا هذا ستؤيده الوقائع التالية ، على ما سنرى.

الصهيوني لا يمكن الاستغناء عنه

تطورات الخلاف

واستحكمت شؤون الخلاف بين الرجلين ، وأدّت باحدهما. لجاي الى نفض اليد من الصهيوني . وعزم على مقاطعته كلياً ، عام ١٦٣٧ ، وراح ينشد رجلاً من انداد الصهيوني علماً واهلية ينجز له ما بقي من البوليكلوت ، وقد اوشك الصهيوني ان ينجزها . فكتب الى رومية يفتش عن ذلك الرجل. وبعد كثير من المساعي اصطدم بالفشل فارغمه واقع الحال على الرجوع الى خصمه صاغراً يطلب اليه استئناف العمل وانجازه ، محاولاً مرضاته بالتي هي احسن .

اما المترجم فكان قد درى بنوايا لجاي ومساعيه ومراسلاته الى رومية ، فاستضعف الثقة فيه واتخذ حياله موقفاً تقتضيه الحال. ولما رجع اليه لجاي يسترضيه بالوعود ، خاف ان تكون مواعيده براقة نظير الكثير مما سبق له منها. فطلب تأميناً لذلك وضمانة للعمل بصورة شرعية . اما المحامي لجاي فسبب له طلب الصهيوني هذا وموقفه ترددات وتغييرات في الرأي ، وروحات وجيئات ، لينال المترجم من جهة ما ، قبل تحديد الاجرة. اخيراً ارغمته الظروف على تعيين ثلاثين الف ليرة اجرة للمترجم ، مع خمس وعشرين نسخة من كل من مجلدات

البوليكلوت العشرة. وكتب على نفسه صكاً بذلك التعهد رسمياً ، عند كاتب العدل ، تاريخه ٣٠ ت٢ عام ١٦٣٨ . وهذه ترجمته :

« انا الموقع اسمي بذيله اتعهد للسيد جبرائيل الصهيوني مدرس اللغات الشرقية في كلية « السوربون الملكية في باريس ، ان ادفع اليه ، غب مرور سنتين من طبع البوليكلوت الكبرى ، « مبلغ ثلاثين الف ليرة وخمساً وعشرين نسخة من الكتاب المذكور الآخذ به الآن . وهذه « القيمة تدفع اليه مع النسخ حالاً بعد انجاز الطبعة . واذا مات جبرائيل هذا او حدث له مانع « شرعي يحول لزاماً دون انجاز المشروع ، عندئذ ادفع الى من يعينه جبرائيل ، بموجب وصية « منه رسمية ، مبلغ عشرة آلاف ليرة فقط وخمس عشرة نسخة من البوليكلوت المعهودة .

حرر في باريس ٣٠ ت ٢ عام ١٦٣٨ الامضاء :

لجاي » .(١)

وفي الوقت نفسه اخذ لجاي من الصهيوني صكاً آخر نظير المتقدم ، وامام كاتب العدل نفسه ، يتعهد فيه بما ترجمته :

« بهذا الخط الموقع بيدي ، انا الاب جبرائيل الصهيوني ، اقر ان لا حق لي بعشرة الاف « ليرة وخمس عشرة نسخة من مجلدات البوليكلوت ، حسبما جاء في تعهد المسيو لجاي ، اذا « مت عاماً ولم ادفع اليه التوراة العربية والسريانية متسمة الترجمة الى اللاتينية ، وفق ما بيدي « من الوثائق الخطية ، واؤمل ايضاً ان لا يرقلني عن ذلك ادنى عائق شرعي .

حرر في باريس ٣٠ ت٢ عام ١٦٣٨ الامضاء :

جبرائيل الصهيوني » .(٢)

ويقول فيتري المعهود : « ان المبلغ المالي في ذلك التعهد كان خمسين الف ليرة ، وان لجاي كان مرغماً على توقيعه ارغاماً ، وان الظروف القاهرة انتزعت منه الرضى بذلك التعهد والتوقيع عليه ، حتى انه كان في نيته وعزمه ان يمنح الصهيوني حينئذ اي مبلغ طلب ، ولو بلغ طلبه ثلاثمئة الف ليرة !!! لانه كان موقناً العجز كله عن وجود رجل آخر نظير الصهيوني يستطيع القيام بتلك الترجمات الخطيرة ، ولان الصهيوني كان يؤكد دائماً وانى وجد انه يحرق الكتاب اذا ارادوا ان يتاجروا على ظهره فلا يؤدونه الاجر الواجب عن تعبه !! » .(٣)

---

١) له لونغ : ٢٩٩ وما بعد

٢) له لونغ ، ٤٠٠

٣) له لونغ ، ١٥٦ و١٥٧

اما لجاي فكان مرغماً حقاً على توقيع ذلك التعهد . اذ انه راح ، بُعيد ما جرى ، يستحضر كل ما لديه من حيل وعبقرية في فن المحاماة والفقه ، للتفلت من قيود ذلك التعهد الشرعي. واخيراً وبعد لأيٍ ، فتقت له الحيلة الفقهية مخرجاً من مأزقه الحرج. فاستكتب المحرر العدلي صكاً اخر نقيضاً للصك السابق الذي صار يقدر على الغائه ساعة يشاء . وكان اذ ذاك قد مرَّ عام على التعاهد مع الصهيوني. وكان هذا قد انتهى من اتمام العمل حسب التعهد. لكن لجاي ابلغه الصك النقيض بواسطة الكاتب العدلي .

فاستغرب الصهيوني ذلك التدبير ، وقد رآه لا مبرر له ، وهو قد اتم العمل قبل سنة من حلول الاجل المتعاهد عليه. ولذلك ارسل الى لجاي ، في ١٠ ت٢ سنة ١٦٣٩ ، يعلنه انجاز العمل حسب التعاهد الاخير ، وذلك بواسطة ڤيتري وشخصيات كثيرة : كالسادة دي كاسيوف ، ودي لسيناس ، والمطران ليونور ديتامب ، رئيس اساقفة ريس و . . . اخيراً ذهب اليه بشخصه ، وبحضور كاتب العدل، ابلغه ان الشغل المفروض انتهى ، وانه مستعد لاتمام الطبع، على شرط ان يرجع عن الصك النقيض الذي لا مسوغ له .

غير ان لجاي كان قلبه غير نظيف ، وطياته حافلة بالعزم على النوال من الصهيوني باي طريقة كانت. ولذلك لم ينم دقيقة عن السعي للحظوى برجل آخر يقيله من الصهيوني. وكان قد اوصى حليفه الاب موران المعهود ، والحّ عليه عند سفره الى رومية ، في آب من تلك السنة (١٦٣٩) ، مرافقاً الكردينال بيشي سفير الڤاتيكان في فرنسة ، ان يفتش له في المدينة الابدية عن رجل جدير بالعمل كالصهيوني. وعندما ابلغ المترجم خصمه لجاي انجاز العمل حسب الاتفاق ، كان هذا الاخير قد ورده جواب الاب موران يؤكد له ان في رومية رجلاً من امثال الصهيوني جدارةً ، وهو تحت الطلب ؛ وان هذا الرجل لديه كل الاصول والوثائق اللازمة من المخطوطات الصادقة ؛ وانه بامكانه انهاء كل ما بقي من البوليكلوت في اقل من ستة شهور[1] .

ويقول الطباع ڤيتري ان الصهيوني قد درى بسعي لجاي وبجواب الاب

١) له لونغ ١٥٨

موران . ولذلك هرول الى لجاي يعلنه انجاز العمل المفروض وتحضيره للطبع ، واستوسط كثيراً من الشخصيات لاقناعه بالرجوع عن الصكّ النقيض ، وبوجوب استئناف الطبع[1] .

الصهيوني في السجن

ترشّح المحامي لجاي لجواب الاب موران نصيره وارسل يستحضر ذلك الرجل (وهو ابرهيم الحاقلي كما سيجيء) من رومية . وحين اقترح عليه الصهيوني ان يرجع عن الصك النقيض ، وان يصار الى تكملة الطبع ، قلب له ظهر المجن ونفّذ الصك الاخير المعهود ، ناقضاً تعهده الشرعي له . وعلى الاثر رفع عليه الشكوى الى مجلس الشورى في البلاط ، مدعياً « ان هذا الماروني نال من « شرفه وماله وكرامته بمكايد شائنة . وانه خرج على العهود التي اخذها عليه . « وانه يأبى اتمام البوليكلوت . . . وانه غير قدير على مشروع كهذا . ! ! ! » .

وصادفت عريضة لجاي قبولاً في ذلك المجلس ، وقد شدت ازره فيها وساطات رئيس اساقفة بوردو ، والمركيز دي سورديس ، ومطران ريمس ، وعلى رأسهم الكردينال دي ريشليو ، الوليّ الاول لكل وجوه الحلّ والربط في فرنسة . فحملوا المجلس المذكور على اصدار رخصة باعتقال الصهيوني . ثم استصدروا من الملك مرسوماً عالياً باجابة شكوى لجاي المحامي البرلماني والحجز على ظنينه الصهيوني . وهكذا في اواخر ك٢ عام ١٦٤٠ كان العلامة الصهيوني سجيناً في حصن غابة فنسين (Vincennes) . ثم اصدر الكردينال دي ريشليو الوزير امره حالاً بضبط كل ما للصهيوني من اوراق ومجلدات وهي الشيء الكثير . وعلى الاثر ايضاً صار تسليمها الى عدوه الالد الطباع فيتري ، الذي كان مهيئاً لها جيشاً من النساخ فنسخوها اذ ذاك بالاسراع ليتم طبعها عندما يأتي من رومة ابرهيم الحاقلاني المنتظر .

---

١) المحل نفسه

خروج الصهيوني من السجن

وموقف لجاي حياله

ولم يكن الصهيوني هملاً ولا رخيصاً في باريس. بل كان وجيهاً بارزاً يعايش المع الشخصيات ويشار اليه بالبنان. وما كاد يشيع نبأ اعتقاله ودخوله السجن حتى ضجت الاوساط هناك، وعب لنجدته وانقاذه اصدقاؤه وقادروه، وهم كثر ومن خاصة باريس البارزة، ولا يستهان بنفوذهم ووجاهتهم: امثال المطران دي شاتينيي، والسادة سيمون دي موبس المعلم الشهير، وفالبريان دي فلاتينيي، وكلهم من دكاترة السوربون واساتذتها اذ ذاك: فعقدوا الاجتماعات الشورية والمفاوضات الجدية، وانشأوا دفاعاً مجيداً عن زميلهم السجين نشروه وقتئذٍ مطبوعاً. وهذا الدفاع قد رجّحت نظريتنا الضعيفة منذ قليل ان يد اولئك الخصوم القوية نالت منه فيما بعد، فاوردته التلاشي، طمساً لكل اثر ضدّ قضيتهم، ومنعت على التاريخ ايصال نسخة منه الى عصرنا.

وما فتئ اولئك الملهاء يسعون للافراج عن زميلهم، حتى اقنعوا الكردينال دي ريشليو ان معاملة من هذا الطراز لرجل هكذا عالم وغريب، وضيف فرنسة في حطة في التاريخ من قدر بلادهم ودولتهم الجبارة، وحماره على النزول عند وساطتهم وبراهينهم، فلم يمر على سجن المترجم ثلاثة شهور، حتى استصدر الكردينال الوزير امراً ملكياً بالافراج عنه.

اما الاخصام فاذ اعياهم النجاح في الابقاء على عدوهم سجيناً، ورأوا ان الافراج عنه صار امراً واقعاً ما من ذلك بدّ، خافوا ان ينصرف لمناوءتهم في تقديم ترجماته الخطية للطبع، مستنداً الى نفوذ انصاره؛ واستصوب خوفهم الكردينال الوزير، فطلب من انصار الصهيوني كفالة رسمية في ذلك، قبيل استصدار المرسوم الملكي بالتخلية عنه. وللحال انتصب ستة من اولئك الانصار، وكتبوا على نفوسهم كفالة شرعية عند المحرر العدلي ضمنوا بها الصهيوني لدى الملك. وكتبوه هو ايضاً تعهداً خطياً وقعه باسمه في العربية، وهو بعدُ في السجن، وكفله فيه المطران دي شاتينيي وهذه ترجمة حرفية لتعهد الصهيوني قال:

« انا الموقع اسمي في ذيله ، جبرائيل الصهيوني ، مدرس اللغات الشرقية من قبل الملك ، « اتعهد لصاحب الجلالة بحضور سيادة المطران دي شاڤيني وكفالته بان اتم العهد ، الذي « كتبت على نفسي بخط يدي للسيو ميشال لجاي بشأن طبع الكتاب المقدس ، وذلك في باريس « في آخر ت٢ عام ١٦٣٨ . وهذا التعهد الآن يكون تابعاً الكفالة التي تكرّم عليّ بها اصدقائي « السنة لدى جلالته ، فصار امر . والبيان كتبت على نفسي هذا الخط وامضيته في غابة ڤنسين فصار عيد الفصح عام ١٦٤٠

الامضاء بالعربية : « جبرائيل الصهيوني » . (١

وبُعيد ذلك استصدر الكردينال الوزير مرسوماً من الملك باخلاء سبيل الصهيوني موجهاً الكلام فيه الى السيد دي شاڤيني ، على سبيل رسالة رسمية . وهذه ترجمة ذلك :

« ايها السيد دي شاڤيني . ان المسيو جبرائيل الصهيوني المدرس الملكي للغات الشرقية « يتعهد قابلاً بكل ما اوجب على نفسه للسيو ميشال لجاي محامي البرلمان ، بشأن طبع « البوليكلوت فاصدرت اليك ايها السيد دي شاڤيني هذا المرسوم لاؤكد لك اني استصوب « بل ارغب واريد ان تخرج العالم المذكور من قصري في ڤنسين وتطلق له الحرية ، بعد ان « تأخذ منه تعهداً آخر بتحقيق ما تكفل به لميشال لجاي . ولا ارى شيئاً آخر ازيده على هذا « المرسوم الآن سوى اني اسأل الله ان يتولاك دائماً بحراسته ايها السيد دي شاڤيني

« كتب في سان جان في لاي ٧ نيسان عام ١٦٤٠ » . (٢

وخرج الصهيوني من سجنه نهار عيد الفصح في ٨ نيسان من تلك السنة (١٦٤٠) وشكر اصدقاءه قادراً حبهم له وغيرتهم عليه الى تلك الدرجة . واصبح حراً يدعو بالنصر للحق والعدل الى ما شاء الله .

واقبل علامتنا بعد انعتاقه على لجاي يلحف عليه باتمام طبع الباقي من الترجمات قياماً بعهد كفلائه المحبين ، وعهده هو ايضاً للملك . لكن لجاي قد اخذ منه الحذر والتخوف من ان هذا الماروني ترافقه الذكرى الاليمة لما ناله بسببه من بلية ، فينتقم لنفسه بان يدس في تلك المطبوعات شيئاً من التوافه والمستقبحات ، افساداً للمشروع عليه وتضييعاً لجهوده ونفقاته الباهظة في سبيله . ولجاي يتوقع من الصهيوني اكثر من ذلك ، بعد ان اضاع نفقته به الى اقصى

---

١) له لونغ ، ٤٠١

٢) له لونغ ٤٠٠ وما يليه .

الحدود. ولذلك اخذ يحتال جهده ليؤجل الطبع، ريثما يتوفق لرجل جديد يفحص اعمال الصهيوني وترجماته، فيتقي بذلك حسد الاجانب، وشماتة اليهود به والاراتقة ونقدهم. ولكن جانب التأييد للمحامي لجاي قد ضعف، بعد انقاذ الصهيوني من السجن بفضل انصاره الميامين، وصار يتعذر عليه (لجاي) ان يجد من انصاره في باريس ذلك الشخص للفحص المطلوب، ولا سيما بعد وفاة جيرم بارنت الجدير بذلك، وبعد ما وجد من إعراض دكاترة السوربون عنه وتأييدهم لخصمه المترجم. اذن صار لزاماً على لجاي ان ينتظر مجيء العلامة ابرهيم الحاقلاني الى باريس للاغراض المتقدمة.

الحاقلاني في باريس

الموقف بينه وبين الصهيوني

طبيعي ان يكون مجيء العلامة ابرهيم الحاقلاني الى باريس، في تلك الظروف، غير مرغوب فيه لدى العلامة الصهيوني، ولو كان وطنيه اللبناني وابن جلدته الماروني. ولا سيما لانه آتٍ على نفقة لجاي ولاجله لكي يكون عوناً له على الصهيوني. ولكن الاحداث التالية ستحقق الخلاف. فيتبين شرف نفس الحاقلاني الكبير ومرونته في ذلك الموقف الحرج بين لجاي، المستنصر به مندقاً عليه الاموال كالمطر المدرار؛ وبين الصهيوني ابن بجدته ورفيقه على مقاعد الدرس في رومية. وقد اوقف ابرهيم العقل الحكيم العالي يوفق بين العاطفة الاهلية الوطنية من جانب الصهيوني، والارباح المادية الطائلة من جانب لجاي؛ مما مثّله بقدر الاوساط الباريسية واجلالها واكسبه شهرة وسيعة هناك سجلها له تاريخ فرنسة الى جانب ما سجل للصهيوني في صفحات علمائها الاعلام.

والصهيوني ايضاً كان يثق كل الثقة بما تقدم عن زميله الحاقلاني. ولذلك رأيناه، عندما تأكد عزمه على الحضور الى باريس، يكتب اليه في ١٢ تموز عام ١٦٤٠ رسالة هذه ترجمتها.

« ... بعد ان دبرت العناية الالهية فعُرفت الحقيقة واعيدت اليّ حريتي، اخذوا يعارضونني مدّعين ان ما بيدي من الاصول والوثائق المثبتة هي غير كاملة، وان ترجماتي

« لم تنته بعد . وكذلك الذين يستفيدون الارباح الجزيلة من طبعة البوليكلوت قد توقفوا « الآن عن اتمام العمل ، وبما تأتيهم مخطوطات اخر عربية وسريانية ويستحضرون من رومية « رجالاً متضلعين من هاتين اللغتين . وقد عرفت ايضاً انهم كتبوا بهذا الشأن الى اخوتك اجا « العزيز . وعليه اذا كان راقك ذلك واعتمدت القبول به ، ارجو ان تأتي حالاً ولا تتأخر « قط . فانني سيكون لي بك منجاة عمالنا فيه من الاحزان والمتاعب الكبيرة . وستكون لي « اخوتك سيفاً قاطعاً لحبل طويل من تعنيفات ومشاحنات جد مملة . »(١

ولما تقرر سفر الحاقلاني الى باريس ، بواسطة الاب موران ومساعيه المعهودة ، كتب اليه هذا الاب في تلك السنة عينها (١٦٤٠) ما ترجمته :

« . . . وانا اكيد مما ستلقى في هذا السفر من هناء وسرور ، وانا سرور جداً بذلك . « وعليه انبهك ان تأخذ معك سفر استير وباروخ بالعربية ، مع ما يلزم من معاجم « وقواميس . . . » . (٢

وبما ان ابرهيم هذا كان منوط الامر حينذاك بجامعة البروبغندة التي هو من اساتذتها ، اقتضى ان يستحصل من دائرتها عطلة سنة كاملة . وغادر رومية الى باريس في منتصف فصل الشتاء (عام ١٦٤١) . وقد كتب هو ، في مقدمة له على احد مؤلفاته ، انه في باريس اذ ذاك بأذن من الحبر الاعظم والكرادلة ، وبامر من الكردينال دي ريشليو . على ان زميله الصهيوني رابه ذلك قطلب اليه اثباته بالبينات . فاجابه الحاقلي :

« انني لما اقبلت الامر بالمجيء الى فرنسة ، وانت تنسك الحجت عليّ بذلك مراراً في « رسائلك العديدة ، حصلت على سنة عطلة كاملة من جمعية نشر الايمان المقدس ، حيث كان « قداسة البابا اذ ذاك . وقد اكدوا عليّ الرجوع الى رومية حتماً عند غاية عطلتي هذه . وكان « ذلك برسوم رسمي ليس هو بيدي الآن . واذا كنت غير مصدق ما اقول ، فسأريك « المرسوم بيني بعد شهرين » . (٣

ومن الكتب والاصول الخطية التي جاء بها الحاقلي الى باريس كانت نسخة الكتاب المقدس المعهودة لسركيس الرزي ، مطران دمشق ، وكانت على غاية من الكياسة في خطها وصدق نصها السرياني وضبطها . وقد اوصى بها ذلك

---

١) له لونغ ١٦٦
٢) له لونغ ١٧٠
٣) نفس المحل .

المطران ، عند موته في رومية عام ١٦٣٨ كما مر ، مع كل مقتنياته ، الى ابرهيم المذكور ، عربون محبة شديدة كان سيادته يحفظها له.

وما ان استقر المقام بالحاقلاني في باريس حتى عهد اليه لجاي بفحص كل ما قد طبع الصهيوني من البوليكلوت ، ومعارضة النصوص السريانية فيها بنسخة الكتاب الرزية . وكان ذلك ايضاً بتصديق الكردينال دي ريشليو وامره[1] . فقام بذلك ابرهيم القيام المنتظر ، وقد كلفه العمل خمسة شهور . ووضع تقريراً واسعاً عن دروسه ومعارضاته ملأه بالمديح والاطراء ، لكل ما عمل الصهيوني في بوليكلوت باريس وغيرها وقدمه الى اولياء الامر مؤرخاً في ١٥ كانون الاول عام ١٦١١ . وهذه ترجمة بعض ما جاء فيه :

« ان ليونور دياب رئيس اساقفة ريمس ، وجاك دي ليسكو مطران شارتر ، قد امراني « باسم الكردينال دي ريشليو ان افحص النصوص العربية والسريانية وترجمتها الى اللاتينية ، « اللتين هما من قلم الصهيوني ، وذلك في البوليكلوت الكبرى . فحصتها ملياً وباعتناء كلي ، « فوجدتها على تمام المطابقة للاصول المأخوذة عنها ووجدت الترجمات مرعية فيها الامانة « والدقة كل الرعاية . حتى انه يمكن القول بكل صواب ان ذلك المشروع هو جد خطير « ويستحق ان يحمل في صدره اسم صاحب النيافة الكردينال دي ريشليو » .[2]

وعقيب ذلك الفحص تعاقد لجاي والحاقلاني على اتحاف الجمهور بما كان ينقص البوليكلوت من اسفار لجمايا كاملة . واتفقا على ترجمة ذلك الى اللاتينية ، اذا تمنّع الصهيوني عن تقديم ترجماته الى الطبع . اما تلك الاسفار المتعاقد عليها فهي : سفر الملوك الرابع ، وعزرا الكاتب ، واستير ، وطوبيا ، ويوديت ، وسفر المكابيين الاول والثاني . هذه الاسفار كان الصهيوني قد جهزها بترجماتها اللاتينية للطبع فكفى الحاقلاني مزاحمته عليها . ويقول دي فلافيني ان الصهيوني قد ادى خدمة جميلة الى الحاقلاني ، اذ اعاره نصوص سفر راعوت فطبعه ابرهيم باسمه هو[3] .

وقد كادت الامور اذ ذاك تؤدي الى خلاف بين الصهيوني والحاقلاني .

---

١) له لونغ ١٧١

٢) له لونغ ١٧٢

٣) المرجع الاخير عينه .

لكن الاخير تلافى ذلك بحكمته ، فدوّن في ٥ آب من تلك السنة (١٦٤١) اتفاقاً بينه وبين الصهيوني رجاي يحل تواقيعهم ، وفيه رضي الصهيوني بان يتم الحاقلاني سفر المكابيين الثالث ، خلواً من الترجمة اللاتينية ، وبان تنتهي الطبعة بسفر الملوك الرابع. وهكذا عرف الحاقلي العظيم كيف يحافظ على رضى الصهيوني وفضله الكبير في پوليكلوت باريس . ومن عمل ابرهيم ايضاً في ذلك المشروع ترجمة اسفار : استير ، وطوبيا ، ويهوديت من السرياني والعربي الى اللاتيني لان نسخ هذه الاسفار كانت تنقص الصهيوني ، على ما فات ذكره . وفي مدة اقامته تلك السنة بباريس ، ترجم عن العربي الى اللاتيني كتاباً مضمونه « عشرون رسالة للقديس انطونيوس الكبير ابي الرهبان ». ثم طبع كتاباً اخر صغيراً في فلسفة العرب . واغتنم مجلس المعارف الافرنسي وجود هذا العالم الماروني في باريس فشغّله في دوائره قسطاً من الايام ليس باليسير[1].

واذ انتهت مأذونية الحاقلاني المعهودة بالاقامة في باريس ، عاد الى رومية معقود اللواء مجلياً في كل ما انتدب له ، شأنه في كل مهماته . وفي الرسالة التي كتب الاب موران الى رئيس دير الصليب في اورشليم ، في ١٧ ك٢ عام ١٦٤٢ ، وقد ورد بيانها قبلاً ، وذلك على اثر رجوع الحاقلي الى رومية ، قال :

« . . . ان هذا العالم الماروني رجع الى رومية بعد ان انتهى اي عمل من طبع البوليكلوت الكبرى ، وذلك مراعاةً لشعور الصهيوني وعدم التعرض لراحته ومنازعته الفضل في ذلك المشروع الذي كاد يكون بريئه من قلمه (الصهيوني) . وفضله فيه اصبح مشهوراً . . . »[2]

اذاً كانت اقامة الحاقلي في باريس حينئذٍ سنة واحدة فقط (١٦٤١—١٦٤٢) . على انه قد عاد اليها عام ١٦٤٥ وقطنها الى عام ١٦٥٤ قاضياً تلك الحقبة خلفاً للصهيوني ، عقيب وفاته ، على منبر التعليم في جامعة السوربون ، ناشراً بالطبع نتاج قلمه من ترجمة وتأليف: فانه عام ١٦٤٦ ترجم مقدمة المجمع النيقاوي العربية الى اللاتينية وطبعها . وعام ١٦٤٧ طبع دفاعين ردّ بهما على فلاڤيني نصير الصهيوني. وسنة ١٦٥١ طبع كتاب « علم التاريخ الشرقي » الذي

---

١) له لونغ ١٧٣

٢) له لونغ ١٧٥

ظهر بعدئذٍ للمرة الثانية في اللوفر عام ١٦٨٥ . وسنة ١٦٦١ طبع في فلورنسة كتاب ارخميدس في علم الجبر .

هذا كل ما ذكر له لونغ عن الحاقلاني في باريس رأينا ان نثبت مؤدّاه هنا: اولاً لما له من علاقة مكملة للكلام عن الصهيوني ؛ وثانياً ان فيه نقاطاً لم يهتدِ اليها من سبقوا الى البحث عن الحاقلاني العظيم .

مؤلفات الصهيوني

لقد مرَّ بنا عرضاً قدم مما انتج قلم الصهيوني من تآليف ورأينا ان المجلدات الستة التي اخرجها ذلك القلم الفياض ، في بوليكلوت باريس جعلت الصهيوني على ذروات عالية من مراتب الشهرة والمجد والاكبار . والان نبسط معرضاً آخر ، خارجاً عن البوليكلوت ، وافياً بجميع ما ترك علامتنا من الآثار:

١ً الاناجيل الاربعة

نظر الصهيوني في نصوصها العربية واجرى عليها تنقيحات واصلاحات عديدة هامة . ثم ترجمها الى اللاتينية وطبعها في رومية عام ١٥٩١ بعناية ومناصرة صديقه العلّامة يوحنا المعمدان ريوندي السابق الذكر[1] . وقد اكّد هذا العمل العلّامة والتن الانكليزي المعهود ، في مقدمته على مشروعه « بوليكلوت لندرة » سنة ١٦٥٧ . اما الاب جاك له لونغ فيرتاب في صحة ذلك وينسبه الى العلّامة ريوندي، مستنداً الى حداثة سن الصهيوني اذ ذاك ، وهو لم يتم بعد ربيعه الخامس عشر . لكن له لونغ يقر في الوقت عينه ان الصهيوني اجرى على نصوص هذه الاناجيل الاصلاح والتنقيح . وتلك الاناجيل قد ادمجها الصهيوني باصلها العربي وترجمتها اللاتينية في بوليكلوت باريس .

٢ً الكتوس المارونية

اشتغل الصهيوني في درسها وتصحيحها ، وعمل في ترجمتها عن اصلها ، وطبعها الطبعة الاولى في رومية خلال السنين (١٥٩٢–١٥٩٦) . على رغم ما كان عليه وقتئذٍ من حداثة العمر ايضاً حيال تلك الاعمال التي تقتضي من رجاحة

١) له لونغ ٧٨ و١٢٢

الثقل الوزن الكبير[1] .

٣ً ترجمة مار مارون بالسريانية

نقلها الصهيوني الى السريانية عن تاودوريطوس ، معاصر القديس مارون ، ومؤرخ حياته الاول . وقد اثبت هذه الترجمة بالطبع في آخر كتاب القداس المارونى الذي طبعه جرجس عميره (البطريرك فيما بعد) بمطبعة المديشيس في رومية عام ١٥٩٤ بمعاونة واهتمام زميله ووطنيه الصهيوني ، وبعض رفاقهما. وقد شارك الصهيوني في هذه الترجمة ايضاً اثنان من اتراب تلمذته في رومية ١٨ : جرجس الكرمداني وميخائيل الادنيتي[2]

٤ً كتاب تعليم مسيحي

تأليف القديس بلرمينوس ، الكردينال اليسوعي من معاصري الصهيوني واصدقائه . ترجمه علامتنا من الايطالية الى العربية بمشاركة زميله العالم القس نصرالله شلق العاقوري. وطبعه في رومية عام ١٦١٣ ، بمطبعة دي بريف المعهودة.

٥ً مزامير داود

كان نقله عربياً فترجمه الصهيوني الى اللاتينية . وطبع الاصل والترجمة برومية سنة ١٦١٤ في المطبعة المذكورة. وقد ساعده في ذلك ايضاً نصرالله شلق المذكور. وعلى قول العلامة السمعاني ان النص العربي في هذه المزامير مأخوذ عن اصل سرياني . وبعض النسخ من هذه الطبعة تحمل تاريخ سنة ١٦١٦ . وقد اخرجت تلك المطبعة جملة كبرى ايضاً من النسخ في النص العربي وحده ، وذلك لفائدة نفوس الشرق[3] .

٦ً النحو العربي او صناعة النحو

كتاب في اصل النحو الفه الصهيوني وطبعه في باريس عام ١٦١٦ ، كما ورد بيانه . وهو اول كتاب عربي في باريس[4] وقد شاركه في هذا الكتاب

١) ذكر ذلك العلم للصهيوني حضرة العالم الخوري انطونيوس زياده في مجلة « فينيقية » الافرنسية السنة الثانية [١٩٣٩] ١٦

٢) اطلب « الطائفة المارونية والرهبانية اليسوعية » للاب لويس شيخو ٨٧

٣) له لونغ ٧٨ و١٢٢ . وميشو ١٥ : ٢٣٦

٤) شيخو في المشرق ٣ [١٩٠٠] ٨٤

رفيقه المعهود الشماس يوحنا الحصروني (المطران فيما بعد) . وجعله مستهلاً لاعماله في باريس وواسطة للتعرف الى الاوساط العلمية هناك . ورفعه تقدمة الى صديقيه ونصيريه العظيمين الكردينال دي بيرون ، والرئيس جاك اوغست دي تو . وهذا الكتاب هو بقطع ربع ذو خمسة اجزاء.[1]

ومكتوب عليه باللاتينية ما ترجمته : « جبرائيل الصهيوني مدرس العربية والكلدانية في كلية باريس الملوكية ، ويوحنا الحصروني ماروني من جبل لبنان مدرس الفلسفة واللاهوت » . وله مقدمة ذات خمس صفحات ، تليها توطئة القارئ ذات صفحة واحدة . وعلى اثر هذه التوطئة تقريظ في الشعر اللاتيني ، موطأ له في اللاتينية بما معناه :

« الى الرجل العالم جبرائيل الصهيوني المعلم الملوكي للغة العربية ، ويوحنا الحصروني المارونيين » .

اما الشعر التقريظي فهذه ترجمته :

« ظهرت على الارض جاهلاً اللغة العربية .
فجعلت الناس يعجبون كيف ان « النالين » يتكلمون لغة بلاد « تير » (مدينة صور) .
عجب « النالون » ايضاً كيف صرت علامة في اللغة اللاتينية .
فجعلت العربيّ يصير غالياً والغالي عربياً
اذن صار واجباً ان يظهر ضلال اهل ليبية ويُرفَع حتى السحاب .
فتنجلي الغوامض على الاوراق اذا كان ثم شيء يعجبها » .

٧ ترجمة المشتاق في ذكر الامصار والآفاق

هو كتاب جغرافية عربي يبحث في بلاد نوبية التي قاعدتها الخرطوم ، وموقعها بين مصر والحبشة . ألّفه الشريف ابو عبدالله محمد الادريسي ، احد ابناء تلك البلاد ، ومن مواليدها وكانت وفاته عام ٥٧٥هـ (١١٨٠م) . وترجمه الصهيوني ، بمعاونة الاب الحصروني المذكور ، الى اللاتينية في رومية سنة ١٥٩٢ ثم طبعه في باريس عام ١٦١٩ . وفي مقدمته يدعو الصهيوني نفسه « معلم وترجمان ملوكي » في العربية والسريانية[2] . ثم جعل في ذيل هذا الكتاب نبذة ضمنها

---

١) له لونغ ١١١ ، و١٥٢ . وميشو في نفس المحل.
٢) له لونغ ١١٥ و١٥٢ . وميشو في المحل المذكور اخيراً.

فوائد جلى عن مواضيع شتى[1].

٨ً بحث في بعض المدن الشرقية وديانة اهلها وعاداتهم وآدابهم

« وضعه في اللاتينية الابوان جبرائيل الصهيوني ، استاذ ملكي ، ويوحنا الحصروني ترجمان ملكي المارونيان اللبنانيان ، مطبوع في امستردام بهولندة عام ١٦٣٣ » وهو صغير القطع ، كانه من كتب الجيب ، يضم مائتين وسبعاً وتسعين صفحة . ذكره العلامة ميشو بين كتب الصهيوني فقال عنه انه طبع اكثر من مرة في غير هولندة ، وان واضعيه استندا على بعض المؤلفين في هذا العلم (الجغرافي) امثال يعقوب بن سيد علي ويوسف بن عبد اللطيف ومحمد بن قاسم[2].

٩ً مزامير داود بالسريانية

ترجمه الصهيوني الى اللاتيني وطبعه في باريس سنة ١٦٢٥ ، معتمداً في ذلك على ثلاث نسخ منه ، اهداه احداها السيد مارونيو مطران لفكوسية عاصمة قبرس . ووضع له المترجم مقدمة علمية ضافية اغناها بالفوائد الجلى . وحجمه قطع ربع[3] . وفي المكتبة الماديشية ، في فلورنسة بايطالية نسخة من هذا الكتاب مخطوطة بيد الصهيوني ، بتاريخ سنة ١٦١٢ وذلك ما تنطق به حاشية على الصفحة الاخيرة من هذه النسخة[4] .

ومن هذا الكتاب نسخة اخرى سريانية خطية محفوظة الى اليوم ، في مكتبة دير الشرفة لبطريركية السريان الكاثوليك ، قرب سيدة لبنان في حريصة بكسروان ، تحت رقم ١/١٥ . وعلى الصفحة الاولى كتابة سريانية ننقل معناها بالحرف كما يلي : « ان القس جبرائيل الصهيوني الشنفاني ترجم هذه المزامير من السرياني الرهاوي الى اللاتيني في باريس سنة ١٦٢٤ م ، في عهد لويس الثالث عشر ملك فرنسة وهيأها للطبع »[5] . وقد ادمج الصهيوني هذه المزامير في

١) دائرة المعارف الكاثوليكية بالانكليزية ، طبعة نيويورك ، حرف G.

٢) ميشو ايضاً ، نفس المرجع .

٣) له اوزان ١١٥ و١٥٢ . وميشو في المحل المذكور اخيراً .

٤) العلامة الدبس في « الجامع المفصل . . . » ٢٨٣

٥) طالع « الطرفة في مخطوطات دير الشرفة لحضرة سيدنا العالم الخوري اسحق ارملة السرياني ، ص ١٤

بوليكلوت باريس .

ولما جاء العلامة والتن الآنف الذكر يطبع بوليكلوت لندن ، على ما سبق ذكره ، اخذ عن علّامتنا الصهيوني سفر المزامير هذا وجعله في مشروعه . ثم جاء العلّامة إلمس سنة ١٨٢٥ ، واقتفى اثر سالفه والتن ، فاستعان باثر الصهيوني المعهود ، آخذاً عنه تلك المزامير السريانية وترجمتها اللاتينية التي بقلم الصهيوني[1] .

وعام ١٩٠٤ جاء احد علماء عصرنا الاعلام ، الدكتور بارنس ، من المعلمين البارزين في جامعة كمبردج بانكلترة ، وطبع سفر المزامير بحسب الترجمة السريانية البسيطة ، وفقاً لنص السريان المغاربة ، واغناه بمقدمة وحواشٍ ولوائح قيمة . وقد اطلع ، في سير مشروعه هذا ، على اعمال من تقدموه في طبع المزامير . فذكر بين اعلام ذلك المضمار علامتنا القس جبرائيل الصهيوني ، وذلك في مقدمته صفحة ٢٧—٣١ ، وقال : « ان الصهيوني عندما طبع المزامير في باريس ، كان منه بين يديه ثلاث نسخ مخطوطة بالسريانية ، احداها يعقوبية والثانية نسطورية والثالثة مارونية » .

وهذه النسخ هي التي ذكرها الاب له لونغ كما قدمنا منذ هنيهة . على ان الدكتور بارنس حاول ان يغمز من قناة العلامة الصهيوني ، فنسب اليه « الجبن وعدم الجرأة في النقد كما يجدر بطابعي الكتب ، وانه لم يجرب ان يطبق قواعد النقد على تلك النسخ ، بل اكتفى بالنص الماروني . . . » وفضّل على طبعة الصهيوني هذه عمل العلامة توما اربانيوس (معاصر الصهيوني عن قرب) البروتستنتي ، في سفر المزامير الذي طبعته امرأته بعد موته عام ١٦٢٥ ، في ليدن من اعمال هولندة .

واخيراً جاء حضرة العالم المدقق الخوراسقف ميخائيل الرجبي واطلع على طبعة بارنس هذه ، وعلى ما فيها من تحامل على علامتنا الصهيوني ، ومن تفضيل اربانيوس عليه . فانشأ مقالاً مستفيضاً مستطاباً في مجلة المشرق : ٣٢ (١٩٣٤) ٣٣٧—٣٦١ ؛ درس فيه طبعة بارنس هذه درساً علمياً رائعاً ، ودافع عن الصهيوني

---

١) المشرق ٣٢ [١٩٣٤] ٣٣٦

بحجة ساطعة قاطعة.[1]

١٠ قصيدة فلسفية سريانية في الحكمة الالهية

هي قصيدة طنّانة بالسريانية من وضع العلامة غريغوريوس بن العبري الشهير. ترجمها الصهيوني الى اللاتيني وطبعها، باصلها السرياني وترجمتها معاً، في باريس سنة ١٦٢٨، في ٣٦ صفحة للاصل والترجمة. وهي من قطع ربع[2]. والى اليوم توجد منها نسخة خطية، كتبها الصهيوني بيده، في مكتبة باريس الوطنية تحت رقم ٢٧١ من المخطوطات السريانية. وفي هذا المحل عينه من هذه المكتبة، تحت رقم ٢٤٠ مخطوط آخر بيد الصهيوني اسمه «مختارات» من كتاب «الاكزامرون» (Exameron) او الاكساميرون الذي معناه «ستة ايام الخليقة» اي اخبار الخليقة منذ تكوين الملائكة الى ان انتهى الله من الخلقة في اليوم السابع تأليف يعقوب الرهاوي.

١١ المعاهدات والاتفاقات بين النصارى والمسلمين

هو كتاب عربي جمله الصهيوني في اللاتينية وطبعه في باريس طبعتين: الاولى سنة ١٦٣٠، والثانية عام ١٦٣٤، وذلك في العربي واللاتيني معاً. وهو بقطع ربع[3].

١٢ دفاعات الصهيوني

هي ثلاثة دفاعات ردّ بها الصهيوني على ما وُجّه اليه من تهم، وفند بها ادعاءات لجاي وفيتري. وضعها بالفرنسوية، واثبتها له لونغ في الصفحات (٣٨٧—٣٩٥ و٤٣١—٤٦٤).

١٣. وللصهيوني رأي، مشهور في عالم التاريخ، هو ان لفظة «كرشوني» هي نسبة الى «كرشون» او «جرشون» احد سريان ما بين النهرين وهو اول من اتخذ الحروف السريانية لكتابة اللغة العربية. وان هذا الرجل قد ظهر بُعَيد الفتح العربي الذي وقع عام ٦٣٦ م. وهذا الرأي وجيه بين آراء العلماء العديدة وقد تضاربت كثيراً حول ذلك الموضوع (مجلة المشرق: ٧ (١٩٠٠): ٦٨٨)

---

١) اطلب ذلك في المشرق، المحل المذكور.

٢) له لونغ ١٥٣. وميشو، المحل عينه.

٣) ميشو ايضاً: نفس المرجع.

علاقة الصهيوني ببلاده وطائفته

شدَّ ما بحثنا في مظانّ التاريخ عن عصر العلامة الصهيوني ، واسترشدنا ارباب التنقيب المدقّقين ، وقلبنا اضابير الاوراق والسجلات في قاطر المخطوطات البطريركية المارونية ، علّنا نعثر على اثر ما من علائق مترجمنا بطائفته ورؤسائه فيها ، فلم نجد سوى رسالة بالسريانية ، ارسلها ، من مدرسة راثانّه في ٥ ايلول سنة ١٦٤٧ الى المترجم ووطنيه سركيس الجبري ، القس يوسف الدمشقي « بن يوحنا بن موسى الاهدني المتكنين بعائلة « قطون » ، مدير المدرسة المذكورة ومدرس السريانية والعربية فيها . وفي ذيل هذه الرسالة حواشٍ وعبارات من تلامذة تلك المدرسة مع تواقيعهم بخطوط ايديهم .

والرسالة جواب على كتاب وجهه الصهيوني الى القس يوسف المذكور يسأله بها عن احوال لبنان والطائفة . مما يدل صريحاً ان المترجم ظل على علاقة ببلاده وقومه ، رغم بعاده السحيق في محيط ايطالية وفرنسة .

وقد نشر هذه الرسالة بنصها السرياني حضرة العالم البحاثة الاب ابرهيم حرفوش المرسل اللبناني ، في مجلة « المنارة » السنة الاولى (١٩٣٠) ٢١٣–٢١٦ وعنّيا بترجمتها الى العربية مراعياً فيها الحرفية ما امكن .[1]

وقد ذهب في تعليقه عليها ، ان الصهيوني والجبري كانا مقيمين في رومية ، عهد كتابة الرسالة[2] . والحال ان المعلومات التي بيدنا لا ذكر فيها لوجود الصهيوني في رومية حول تاريخ تحرير الرسالة (١٦٤٨) ، بل تجمع كلها انه توفي في باريس عام ١٦٤٨ ، اي عقيب تسطير الرسالة ببضعة شهور ، وذلك بعد ان كان قد انهكه التعب وفقدت عيناه النور لشدة ما سامها اجهاداً في الدرس والتدريس والكتابة .

وفي رأينا الضعيف ان الرسالة وُجهت الى الصهيوني وهو في باريس ، متشوقاً في ايامه الاخيرة ومرضه وعجزه ، قبيل وفاته ، الى الوقوف على اخبار وطنه لبنان .

---

١) « المنارة » ١ [١٩٣٠] ٢١٦–٢١٨

٢) المنارة ، في نفس المحل ، ٢١٣

ايام الصهيوني الاخيرة ووفاته

تفيد المعلومات التي بين يدينا انه انهى اعماله في البوليكلوت على آخر مرحلة من القوة والعافية منهوك الجسم خائر العزيمة. وقد ادّى به الدرس والتدريس والتحبير والتأليف الى انطفاء النور في عينيه[1]. وجرّ ذيل حياته الاخير اعمى ضريراً. وما زال العجز يتفاقم عليه حتى اعيى جسمه عن حمل نفسه الكبيرة وعلومه الغزيرة.

وكانت وفاة القس جبرائيل الصهيوني في باريس سنة ١٦٤٨[2] مغموراً بحسرات محبيه واسف عارفيه وقادريه من ارباب العلم واولي النبل والنفوذ الذين كانوا على اوثق العلائق به[3].

ولم ينفرد الصهيوني بان يكون وحده ضحية الدهر واطماعه، يستهدفه خصومه وحساده لمناوءتهم، ويهضمون حقوقه. بل قد وجد له ندٌّ من معاصريه وقع له نفس ما اصاب المترجم، وانطبعت حياة كليهما بطابع واحد، ذلك الرجل هو العلّامة ادمون كستيل الذي كان العامل الجوهري الاكبر في بوليكلوت والتن الانكليزية المعهودة. وكل ما حدث للصهيوني في بوليكلوت باريس، هو عينه جرى لادمون كستيل في بوليكلوت لندرة، مما جعل قوة الشبه في حياة الرجلين بليغة جداً. اذ عومل كلاهما ببخس الحق وغمط الفضل والتعب ومنع الاجر. وتظلّم الثاني كالاول من خرق الوعود والاتفاقات معه. وان ما تناوله من اجرة لا يتكافأ مع استحقاقه وجهوده التي تجاوزت امكانه فقضت على بصره ايضاً، نظير زميله الصهيوني، حارمة اياه نور النهار[4].

بيد ان اولياء الامور في باريس تذوقوا فضل الصهيوني على عاصمتهم وبلادهم واقروا به بعد موته اقراراً صريحاً مؤبداً الى ما شاء الله، وهو انهم نقشوا اسم «العلامة القس جبرائيل الصهيوني الماروني الاهدني الكرمي» على بلاطة فوق المدخل الكبير لجامعة السوربون الملكية، المعروفة اليوم بكلية باريس،

---

١) له لونغ ٣٠٠. وميشو ١٥ و٢٢٦

٢) له لونغ ٣٠٠

٣) دي لاورك في كتابه المنوه به ٢: ١٢٤

٤) له لونغ ٣٠٠. وميشو في المرجع المعهود.

وذلك بين اسماء العلماء الذين توالوا على منابر الجامعة منذ نشأتها[1]. وبين تلك الاسماء ايضاً اسم العلامة الماروني الكبير ابرهيم الحاقلاني، خليفة الصهيوني على منابر الجامعة[2].

ولم ينقل مواطنو الصهيوني عن تكريمه فقد تبرّع السيد بطرس الشيخه الدويهي، من تجارنا اللامعين في المكسيك باكلاف هذا التمثال الجميل الذي نصب في احدى السنة الفائتة تخليداً لذكراه.

١) قد اسسها في اوائل القرن ١٣ روبير دي سوربون من مشاهير كهنة فرنسة ونبلائها والمعرف الخاص للملك فرنسة القديس لويس. وحملت مؤسسته اسم عائلته من بعده، وهي من اعظم واشهر جامعات العلوم في الدنيا.

٢) رستاوبر في «تقاليد فرنسة في لبنان» ١١٦ و١١٧

بعد ٤٠٠ سنة

١٥٤٠-١٩٤٠

في العام الـ ١٩٣٩ احتفلت الرهبانية اليسوعية بمرور ٤٠٠ سنة على تأسيسها لكن هذه الاحتفالات جرت في مظهر بسيط على امل التعويض بمناسبة مرور ٤٠٠ سنة على تثبيت الكرسي الرسولي قوانينها في العام الـ ١٥٤٠ ، وذلك بتوحيد الاحتفاء بالذكريين ، لكن العام الـ ١٩٤٠ جاء مخضباً بالدماء وتعكّر جوه بدخان

المدافع والقنابل وآلام البشرية المتشابكة بحرب ضروس .

ترى ما معنى هذه الارقام ؟ ما هي العلاقة بين العامين الـ ١٩٣٤ والـ ١٥٣٤ والعامين الـ ١٩٤٠ والـ ١٥٤٠ ؟

في العام الـ ١٥٣٤ حدث ذلك التآلف الوضيع والخفي معاً ، الحافل باجل الآمال. ففي ١٥ آب من ذلك العام اجتمع سبعة من طلاب معهد السوربون ، القادمين من مختلف انحاء اوربة ، من نافارا وساڤوى ، والكاستيل والبورتوغال وغويبوتسكوا ، وقصدوا الى رابية مونمارتر المشرفة على باريس ، وابرزوا نذور الفقر والعفة وخدمة النفوس في اعمال الرسالة وزيارة القدس . ثم في العام التالي انضم اليهم ثلاثة آخرون من ساڤوى وبيكاردية والبروڤانسة .

لسري يطيب لكل يسوعي فرنسي ان يرى هذا الحدث يجري في ذلك الموقع الشهير ، ويلمس ان باريس كانت منذ ذلك الوقت مصدراً لمشاريع التضحية والشرف . والعجيب في ذلك ان هؤلاء الشبان الذين امّوا باريس للتحصيل لم يترددوا في اقتحام مثل هذا المشروع الخطير ، بينما كانوا يقيمون في موطن النقد والاندفاع ، ومعقل الفطنة والمقاصد الوثابة ، فلم تتحول اهواء الشباب الطائشة الى دخان في الفضاء أو الى تمثيل فصل من فصول الفروسية المعتادة في ذلك العهد بل جاءت موزونة بميزان الروية والحكمة ومطابقة للمقدور الانساني .

لم يقصد طلاب اللاهوت هؤلاء على قمة مونمارتر انشاء رهبانية ، ولم تكن نذورهم الا تعهدات فردية ، لانهم لم يكونوا ليعرفوا حتى ذلك الحين معرفة اكيدة الى اين يقصدون . وبينما كانت افكارهم متجهة نحو اورشليم اذا بهم يصلون الى رومية .

هناك ثبت جمعيتهم في ٢٧ ايلول من العام الـ ١٥٤٠ تمثل السلطة البيعية العليا ، البابا . ولما وقع البابا بولس الثالث براءة التثبيت الرسولية ، التي بدؤها « Regimini militantis Ecclesiae » وافق في الوقت عينه ، على المبدأ الاساسي الذي كان القديس اغناطيوس قد عرضه عليه . فاذا شئنا ان نعرف

ما هي الرهبانية اليسوعية ، فلا حاجة بنا الى ان نسأل مؤيديها والمدافعين عنها او اعداءها ، بل حسبنا قراءة هذا المبدإ الاساسي بصورته الاصلية والتعمق في معناه ، وقد داوم اليسوعيون على بذل قصارى الجهد في تطبيقه : « وهو ان هذه الجمعية تأسست خصوصاً لاجل تقدم النفوس في الحياة المسيحية وتعاليمها ، ونشر الايمان بواسطة الوعظ العلني وكرازة الكلمة الالهية ، والرياضات الروحية واعمال الرحمة ولاسيما تلقين المبادئ المسيحية للاولاد والجاهلين . . . » وعلى اعضاء الجمعية ان يفهموا منذ خطواتهم الاولى منهج هذه النذور ، وعليهم ان يتذكروا كل يوم طوال حياتهم ان « على كل هذه الجمعية ، وعلى كل فرد من افرادها ، النضال من اجل الله في الخضوع الثابت لقداسة سيدنا البابا والاحبار الرومانيين خلفائه » ؛ ومع انه ينبغي على كل المؤمنين الخضوع لنائب يسوع المسيح ، « فانه يترتب علينا نحن بنذر خاص ، من اجل ممارسة التواضع ممارسة اكبر وتحقيق تجرد اكمل ، ان نتسم بدون ما مواربة او اعتذار ، وفي الحال حسب استطاعتنا ، كل ما يأمر به الاحبار الرومانيون لاجل خير النفوس ونشر الايمان ، وذلك في كل البلدان التي يريدون ارسالنا اليها . »

كانوا عشرة في العام ١٥٤٠ ، لكن لم تلبث اوامر الطاعة ان شتتتهم في مختلف الانحاء : رودريغيس وكسفاريوس في البورتغال ، بل ان كسفاريوس كان على وشك ان يسافر الى الهند ، اما بطرس فاقر فكان يحضر اجتماع وورمس في المانية .

وهكذا ، لما حان الوقت لانتخاب الرئيس العام الاول ، لم يحضر عدد كبير من الجمعية الا بواسطة رقعة الانتخاب . وانه ليلذ التبرك بهذه الوريقات المحفوظة في الخزانة الرومانية وتقبيلها كانها ذخائر القديسين . ليست اوراقاً خالية من الحياة ، تضمنت اسماً واعلنت ارادة المنتخب بصورة سطحية . بل انها تحمل نصاً بليغاً املته بديهياً نفوس تشعر بما يخطه القلم وذلك بعبارات اختلط فيها الحديث الدارج بدون ما تشويش للغة اللاتينية الفصحى ، فتجلى منها ان هناك عالماً جديداً يجتاز فترة التطور . ويمكننا الآن مطالعة النص الذي كتبه القديس فرنسيس كسفاريوس والنص الذي خطه انامل الطوباوي بطرس فاقر .

انا ، فرنسيس ، غير مدفوع بأيّ اعتبار بشري ، ولا مستمع ، الا لضميري ، اقول واعترف انه ، في نظري ، يجب ان تنتخب رئيساً مُطاعاً لجماعتنا معلّمنا الاصيل وابانا الحقيقي ، دون اغناطيوس . لانه ، بعد ان يكون قد جمعنا ببذل المشقات ، يبدو اعرف الجميع بحفظنا ، وادارتنا ، وتوجيهنا دائماً نحو كمال أسمى ، لما بلغ من العمق في معرفتنا . ثم بعد وفاته (واني اتكلم وفقاً لعواطف نفسي العميقة ، كما لو كنت على وشك الموت في هذه الساعة) اعتبر ان الاب بطرس فافر جدير بان يخلفه . وأشهد الله ، في هذا ، على اني اتكلم وفقاً لفكري ، وبياناً للامر اوقع بيدي .

عن رومة في ١٥ اذار ١٥٦٠

فرنيس

ان رأيي في ما خصّ الاقتراح مثل لجهة اغناطيوس . وفي حال غيابه بداعي الموت ، لجهة الاستاذ فرنسيس كسفاريوس . واني اخضع كذلك لكل ما تقرّه الجمعية مدة غيابي ، اقرّ بكل شيء ، واؤيد هذا الإقرار بامضائي .

عن سيير في ٢٣ كانون الثاني ١٥٦١

بطرس فافر

assy mismo yo francisco digo y afirmo q̃ en ninguno modo
pudiera el hombre juzgo, que el que ha de ser elegido por
perlado en nra. compañia, al qual todos habemos de ob-
desecer me parece hablando conforme segun mi conciencia
que sea el perlado, nro. antigo y verdadero padre don
ignatio, el qual pues nos junto a todos en con perfecion
tos, no sin ellos nos sabra mejor conseruar gobernar y augm
tar de vien en mejor, por esto me el alcabo de cada
vno de nosotros, et post mortem illius hablando segun lo que
my anima siente, como si hubiesse sobre esto de morir

digo que sea el padre maestro pedro fabro, y en esta parte
lexo este mi testimonio que no digo otro de lo que siento y por que
es verdad lo firmo de mi propria mano escripto
en roma año 1560 / 15 de mayo

Francisco

XIV.

mi voto acerca del proposito es por Iuzgo y en su ausencia
por morte, por m.e francisco de xabier, y assimismo todo
el que fuere ordenado para la yamada en mi ausencia a todo yo
me somete y para todo ynstrumento mi nombre firmando
tal consentimiento de mi persona. dada en roma de 23 Janvier
1541

Pedro fabro

ان اقوال الاعتبار التي يتبادلها كل من الاثنين ، النيل من ناقارا والراعي من اعلى جبال « البورتان » ، اذا ما القينا نظرة عليها الآن بعد اربعة قرون تمكننا من الولوج الى صميم هذين الرجلين ، فظهرت لنا اخوة رائعة هي من الاسباب الخطيرة « لسر قدرة اليسوعيين » ذلك السر الذي هو ايضاً نذير لايام جديدة .

وفي ١٩ نيسان ١٥٤١ تسلم القديس اغناطيوس مهام الرئاسة العامة وقد كان اجمع رفاقه على انتدابه لها باتفاق الاصوات . فمن يجرؤ الآن ان يأمل بالاحتفاء احتفاء حافلاً في ١٩ نيسان ١٩٤١ بهذه الذكرى ، بعد ان ارغمتنا آلام البشرية ، في ٢٧ ايلول ١٩٤٠ ، على الاكتفاء بتلمّس عواطف الندامة والشكر واتخاذ مقاصد حازمة للعمل بنشاط أكمل ؟

الاب دي برنتيل اليسوعي

معهد الآداب الشرقية

برعاية جامعة ليون

غايته

غاية معهد الآداب الشرقية ، في جامعة القديس يوسف ، ان ينيل الطلّاب في بلاد الشرق الادنى ثقافة متممة في العلوم اللغوية ، والادبية ، وفي التاريخ والاثريات الشرقية .

أنشئ هذا التعليم العالي سنة ١٩٣٣ مجدّدًا « للمعهد الشرقي » من جامعة القديس يوسف (١٩٠٢-١٩١٤) . وهو يتمتّع منذ السنة ١٩٣٧ برعاية جامعة ليون. فيتّسم المناهج والطرق المعروفة في اعداد الليسانس . ويهيئ الطلاب لنيل شهادات ليسانس الادب (في اللغة اللاتينية ، والدروس المدرسية ، واللغة العربية، والتاريخ والأثريات في سورية وفنيقية على العهد اليوناني - الروماني) وذلك بعد امتحان يؤدّى في فرنسة . وينيل الطلّاب كذلك شهادات خاصّة في مختلف الفروع بعد امتحان يؤدّى في بيروت .

ويتناول هذا التعليم :

١ً ــ محاضرات عامّة ..

٢ً ــ دروس وتمارين على طريقة الابحاث العلمية .

اساتذة المعهد

للسنة ١٩٤٠–١٩٤١

الاب جاك بونيتمار	رئيس جامعة القديس يوسف
الاب رينه موترد ، مدير المعهد	التاريخ والأثريات في سورية وفنيقية
الاستاذ فؤاد افرام البستاني	تاريخ الآداب العربية
الاب انطوان پرادبار	المراقبات الجوية وعلم الأثريات
الاب روبير شدياق	مؤسسات البلاد العربية اللغة
الاب يوسف عظم	علم اللغة العربية
الاب هنري فليش	علم اللغات السامية
الاب جان مصيريان	اللغة والتاريخ والمؤسسات في ارمينية
الاستاذ اندري ميها	اللغة اللاتينية وآدابها

شروط الانتساب

على طالب الانتساب الى المعهد ان يكون قد انهى دروسه الثانوية.

اما رسم القيد فيبلغ ١٦ ليرة لبنانية تدفع على قسطين: ٨ ل. ل. من ١٥ الى ٢٥ تشرين الثاني ، و٨ ل.ل. من ١ الى ١٠ شباط.

واما رسم الامتحان وثمن الشهادة فيبلغ ٨ ل.ل.

وللمعهد مجلة خاصة هي « المشرق » تنشر اهم المحاضرات ، وتلخص الباقي منه ، حاملةً الى الطلاب المعلومات المتنوعة بشأن المناهج واساليب الامتحان . واشتراكها السنوي ٣٠٠ غ. ل.

ويحق للطلاب المقيدين سابقاً في احد معاهد الجامعة ، كاللاهوت والفلسفة ، والطب ، والحقوق ، والهندسة ، ان ينتسبوا مجاناً الى معهد الآداب . على ان يطلبوا ذلك ، وان يدفعوا رسم الامتحان ، وبدل اشتراك المجلة ، اذا شاؤوا .

يُفاوض بكل ما تقدم ادارة المعهد ، او المكتبة الشرقية (شارع جامعة القديس يوسف ، بناية المكتبة) كل يوم من الساعة ٩–١٢ و١٦–١٩ ، ما عدا الآحاد والاعياد الرسمية .

فرع الآداب العربية

على المنتسب الى هذا الفرع ان يكون قد انهى دروسه الثانوية ونال البكالورية اللبنانية او ما يعادلها.

مدة الدراسة في هذا الفرع سنتان.

في آخر السنة الثانية امتحان ذو دورة واحدة تُعيَّن في ايار، ويتناول:

١: مسابقة كتابية في موضوع من المنهاج.

٢: مناقشة شفاهية في نصّ من النصوص المقرّرة.

٣: أطروحة يختار الطالب موضوعها بموافقة الاستاذ في اواخر السنة الاولى. ويقدّمها في اواسط اذار، اي قبل الامتحان بشهرين.

يؤهّل النجاح بهذا الامتحان لنيل «شهادة في تاريخ الآداب العربية المدرسية»

المنهاج

يتناول منهاج الآداب العربية قسمين: ١ً قسماً عاماً اجمالياً في تاريخ الآداب العربية. ٢ً قسماً خاصاً يقوم بالتوفيق في درس بعض النصوص من التي تمثّل خير تمثيل مختلف عصور التاريخ.

القسم التاريخي العام

١ ــ العصر الجاهلي

معلومات اجمالية في نشأة الادب العربي.

الحياة في الجاهلية ـ الإنشاد ـ صحة نسبة الادب الجاهلي.

٢ ــ العصر الاموي: دمشق

ا ــ حياة البدو وحياة الحضر. أثر البيئتين في الشعر.

ب ــ الشعر في خدمة السياسة.

ج ــ اولى مظاهر النثر.

د ــ «الرواية» والعلوم العربية.

هـ ــ مظاهر الفنّ في العصر الاموي.

٣ ــ العصر العباسي : بغداد

ا – التطور السياسي والاجتماعي والديني : اثره في الادب .
ب – تقدّم العلوم الدخيلة : اثرها في الادب .
ج – صفات الشعر العامة .
د – تطوّر الفنون النثرية وصفاتها .

٤ ــ العصر الحمداني : حلب

ا – الشعر من مصادر التاريخ .
ب – تطوّر النثر : التكلّف في الزخرف .
ج – نشأة « الأدب » واستقلاله عن العلوم العربية .
د – تطوّر العلوم الدخيلة .

٥ ــ العصر الفاطمي : القاهرة

ا – التطوّر الديني والاجتماعي : اثره في الادب .
ب – تطوّر العلوم : النحو واللغة – الفقه والتصوّف – التاريخ والجغرافية .
ج – الفنّ على عهد الفاطميين .

٦ ــ العصر الاندلسي : قرطبه ــ اشبيلية ــ غرناطة

ا – اثر الشرق الادبي في ثقافة المغرب والاندلس .
ب – بعض النزعات المستقلّة في الشعر : الأزجال والموشحات .
ج – تطوّر العلوم : التصوّف والفلسفة .
د – الفنون الاندلسية .

٧ ــ عصر النهضة

ا اسباب النهضة : تلاقي الشرق والغرب : بونابرت في مصر – المدارس في لبنان – كتاب الدواوين وشعراء الأبلمة – المستشرقون .
ب – مظاهر النهضة : لبنان – مصر – سورية – العراق – المغرب – المهاجر .

القسم الادبي الخاص

يُدرس درساً دقيقاً من حيث اللغة والادب والتاريخ كل من النصوص الآتية :

١ ــ العصر الجاهلي
النابغة : منتخبات شعرية

٢ ــ العصر الاموي
الاخطل : منتخبات شعرية

٣ ــ العصر العباسي
بشّار : منتخبات شعرية .
ابن الرومي : منتخبات شعرية .
ابن المقفع : كليلة ودمنة (منتخبات) .
الجاحظ : كتاب الحيوان (منتخبات) .

٤ ــ العصر الحمداني
المتنبي : منتخبات شعرية .
الاصبهاني : الاغاني (منتخبات)

٥ ــ العصر الفاطمي
ابن هاني : منتخبات شعرية

٦ ــ العصر الاندلسي
ابن عبد ربه : العقد (منتخبات) .
ابن عربي : منتخبات .

٧ ــ عصر النهضة
ولي الدين يكن : منتخبات .

وضع هذا القسم الادبي من المنهاج لامتحان السنتين ١٩٤١ و١٩٤٢ . وقد يلحقه شيء من التعديل في السنين المقبلة فيُبدل شاعر بشاعر او كاتب بكاتب، وفقاً لاتجاه المحاضرات العامة التي تتغير موضوعاتها كل سنة . اما الاساس يبقى ثابتاً، كما يبقى ثابتاً كذلك القسم الاول من المنهاج ، وهو التاريخي العام.

اما موضوع المحاضرات للسنة الحالية ١٩٤٠—١٩٤١ فسننشره بعد ذكر

الكتب التي تستعمل اساساً لدرس النصوص ، وذكر المصادر التي يحسن بالطلاب اللجوء اليها توسيعاً لمعارفهم .

كتب النصوص

تُدرس النصوص المطلوبة ، في الطبعات التالية :

النابغة : في الروائع ٣٠
الاخطل : في الروائع ٣٤ ، و٣٥ ، ٣٦
بشار : في الادب العربي من آثار اعلامه (تقي الدين ، البستاني ، بارودي) الجزء الثاني
ابن الرومي : 〃 〃 〃 〃 〃 〃 〃 〃 〃 〃 〃 〃
ابن المقفع : 〃 〃 〃 〃 〃 〃 〃 〃 〃 〃 〃 〃
الجاحظ : في الروائع ١٨ ، و١٩ ، و٢٠
المتنبي : في الروائع ١١ و١٢ (الطبعة الثانية)
الاصبهاني : في الادب العربي من آثار اعلامه .
ابن هاني : منتخبات يختارها الطالب .
ابن عبد ربه : في الروائع ٨ و٩
ابن عربي : منتخبات يختارها الطالب .

بعض المصادر العامة

التي يحسن بالطلاب ان يرجعوا اليها

لقد اخترنا بين هذه المصادر ما هو سهل المأخذ ، يسير المتناول – وان لم يكن فيه التدقيق العلمي المطلوب – صارفين النظر عن كثير من كتب الاختصاص من التي لا يكاد يعرفها الطالب الّا بالاسم ، ولا يصل اليها الّا بشقّ النفس .

في عصور الادب عامة

الجاحظ : البيان والتبيين ، مصر ، ١٩٢٧
ابن عبد ربه : العقد الفريد ، مصر .
الاصبهاني : الاغاني (للجاهلية والعصرين الاموي والعباسي) – اطلب الفهارس .
ابن النديم : الفهرست .
ابن خلكان : وفيات الاعيان .
ياقوت : معجم البلدان .
ياقوت : معجم الادباء .
البستاني : دائرة المعارف .

جرجي زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية ، مصر ١٩١٤

Encyclopédie de l'Islam.

Clément Huart, *Histoire des Arabes.*

Clément Huart, *Littérature Arabe.*

Gibb, *Arabic Litterature.*

في العصر الجاهلي

H. Lammens, *L'Arabie occidentale avant l'hégire.*

ثم ابحاثه المتفرقة في مجموعة المشرق للسنوات ١٩٣١ ، ١٩٣٢ ، ١٩٣٤ ، ١٩٣٥ ، ١٩٣٦ ، ١٩٣٧ ، ١٩٣٨ ، ١٩٣٩ ، ١٩٤٠

محمد بن سلام : طبقات الشعراء .

طه حسين : في الادب الجاهلي .

محمد احمد الغمراوي : النقد التحليلي لكتاب في الادب الجاهلي .

فؤاد افرام البستاني : الشعر الجاهلي ، في الروائع ٢ ، طبعة ثانية .

ثم الروائع ٧ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٣ ،

في العصر الاموي

H. Lammens, *Etudes sur le siècle des Omayyades.*

وعدة ابحاث في المشرق ١٩٣١ و١٩٣٢

غاستون ڤيت : اصول الجمال في الفن الاسلامي ، المشرق ١٩٣٦

الاب ربه مورتد : الفن المسيحي في سورية وفن الامويين ، في المشرق ١٩٣٧

دانيال شلومبرجيه : حفريات قصر الحير الغربي ، المشرق ١٩٣٨

فؤاد افرام البستاني : دور النصارى في اقرار الخلافة الاموية ، المشرق ١٩٣٨

الروائع ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٦

الفرزدق ، في المشرق ١٩٤٠

في العصر العباسي

فؤاد افرام البستاني : بغداد عاصمة الادب العباسي ، المشرق ١٩٣٤

الروائع ١٨ ، ١٩ ، ٢٠

احمد امين : ضحى الإسلام ، مصر ، ١٩٣٣

حبيب زيات : الحزانة الشرقية ، المشرق ١٩٣٦ ، ١٩٣٧ ، ١٩٣٨ ، ١٩٣٩

الديارات النصرانية في الاسلام ، المشرق ١٩٣٧

ابن صاعد الاندلسي : طبقات الامم ، بيروت ١٩١١

ابن البحري : تاريخ مختصر الدول ، بيروت ، ١٨٩٠

احمد فريد رفاعي : عصر المأمون (ام نا في النصوص المنتخبة)

في العصر الحمداني

M. Canard, *Recueil de textes relatifs à l'histoires de Sayf ad-Dawla.*

الثعالبي: يتيمة الدهر.

فؤاد افرام البستاني: الروائع ١١، ١٢، ١٦

في العصر الفاطمي

المقريزي: الخطط.

زكي محمد حسن: كنوز الفاطميين

في العصر الاندلسي

المقري: نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب.

جبرائيل جبور: ابن عبد ربه وعقده، بيروت ١٩٣٠

فؤاد افرام البستاني: الموشحات الاندلسية، في المشرق ١٩٣٨

الروائع ١٣، ١٤، ١٥

في عصر النهضة

الاب لويس شيخو: تاريخ الآداب العربية في القرن التاسع عشر.

الفيكونت فيليب دي طرّازي: تاريخ الصحافة العربية.

فؤاد افرام البستاني: عدة ابحاث في المشرق ١٩٢٩

الروائع ٢١، ٢٢، ٢٣

منهاج السنة الدراسية ١٩٤٠ ـ ١٩٤١

١ ـ اللغات الفرعية المدرسية

اللغة اللاتينية وآدابها

دروس وتمارين عملية يلقيها الاستاذ فيها:

الاثنين، والثلاثاء، والاربعاء والجمعة الساعة ١٦ اعتبارًا من ٢٥ تشرين الثاني ١٩٤٠

ثم محاضرة عامة في ٥ اذار ١٩٤١ الساعة ١٨ موضوعها:

بعض الفلاسفة في العصور الاولى للنصرانية.

٢ ـ اللغة العربية وآدابها

ا ـ اللغة العربية

دروس وتمارين عملية يلقيها الاب يوسف عظم:

الثلاثاء الساعة ١١ اعتبارًا من ١٠ كانون الاول ١٩٤٠

١ – معلومات في الألسنية عامة – طرائق اللغات – الطائفة السامية.
نواميس الصوتيات اللغوية – الطريقة الصوتية في اللغات السامية – درس تفصيلي لبعض القوالب العربية.
٢ – نصوص
الزجاج: الجمل – السيوطي: المزهر – ابن خلدون: المقدمة (فصل اللغة) – فنيانوس – حج درويش.
ثم محاضرة عامة في ٢٩ كانون الثاني ١٩٤١، الساعة ١٨: هل من فلسفة عربية؟

ب – تاريخ الآداب العربية

١٥ محاضرة يلقيها الاستاذ فؤاد افرام البستاني
الخميس الساعة ١٨ اعتباراً من ٥ كانون الاول ١٩٤٠

الفنون الادبية في العصر الجاهلي

١ – الفن الابتدائي الاصيل: الشعر = الإنشاد او الانشاء الشعري.
٢ – الفنون المتفرّعة:
ا – السجع
ب – الخطب
ج – الامثال
د – القصائد:
الشعر الغنائي: الغزل، الرثاء، المدح، الهجاء.
الشعر الملحمي: الاساطير والحكايات
الشعر الحكمي.
٣ – ملحق في آداب الجنّ
٤ – نظرة عامة في الادب الجاهلي.

ج – مؤسسات البلاد العربية اللغة

٦ محاضرات يلقيها الاب روبير شدياق
الاثنين الساعة ١٨ اعتباراً من ٣ اذار ١٩٤١

الضحيّة عند الشعوب العربية القدمى (تاريخها وشعائرها)
الضحية في بلاد العرب قبل القرن السابع – الاضاحي والطوافات في زمن الشرك – الضحية اليهودية.
تطوّر الضحية في بلاد العرب
ثم محاضرة عامة في ١١ كانون الاول ١٩٤٠، الساعة ١٨: الضحية عند الشعوب العربية.

٣ ــ التاريخ والاثريات في سورية وفينيقية

سورية الرومانية

وثائق خاصة بالعبادات والالقاب

دروس وتمارين عملية يلقيها الاب رينه موترد

الاربعاء الساعة ١١ ابتداء من ١١ كانون الاول ١٩٤٠

أنار كاتيس ، في نظر لوقيانوس ، في *De dea Syria*

عبادات صور وصيدون

نصوص ورقم تتعلق بالألقاب الرياضية في سورية.

ثم ثلاث محاضرات عامة في ٢٠ و٢٧ تشرين الثاني و٤ كانون الاول ١٩٤٠ الساعة ١٨ :

الاسرة ، والارض ، والعمل في سورية اليونانية – الرومانية.

حول الحدود السورية

منطقة الحدود . توفير المزارع والآبار – الخطط الرومانية والبيزنطية في الحروب الشرقية.

محاضرتان يلقيهما الاب انطوان بوادبار في ٥ و١٢ شباط ١٩٤١ ، الساعة ١٨

تحضير البدو بين الفرات والبليخ

الحالة الجغرافية والجنسية – تحديد الظاهرة الاجتماعية

محاضرتان يلقيهما الاب متري شارل في ٢٦ و٢٨ آذار ١٩٤١ ، الساعة ١٨

٤ ــ الشؤون الارمنية

تاريخ ارمينية القديمة ومؤسساتها

(منذ الاصول الى القرن العاشر)

دروس وتمارين عملية يلقيها الاب جان مسربيان

الثلاثاء . الساعة ١٨ ، ابتداء من ٢٦ تشرين الثاني ١٩٤٠

١ – مركز ارمينية في آسية الغربية.

٢ – ارمينية هدف الحروب الرومانية – الفارسية. – الفتح العربي . – الممالك الارمنية والامارات العربية .

٣ – من الشرك الى النصرانية – الكنيسة الارمنية – الادب .

٤ – الأسرة والمجتمع في ارمينية القديمة – الرهبانية الارمنية – المدنية على عهد البراتيين، والسلطة العربية .

ثم ثلاث محاضرات عامة في ٨ و١٥ و٢٢ كانون الثاني ١٩٤١ ، الساعة ١٨ :

المدنية الأرمنية (صناعتها ، تطورها ، وتأثرها وتأثيرها)

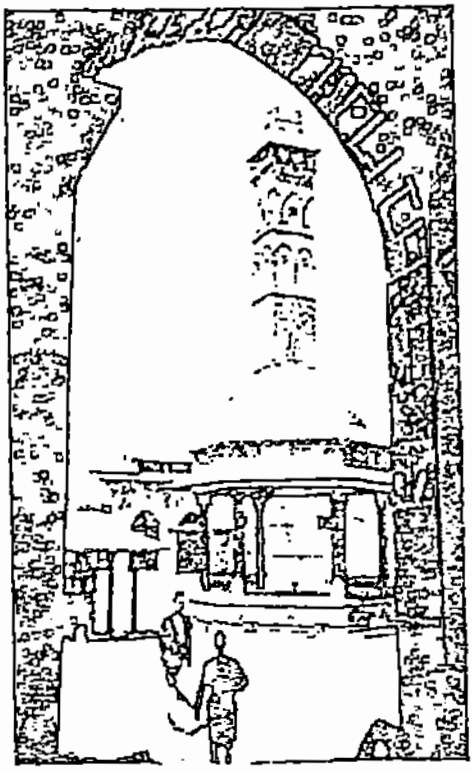

الرسم ٦ – الجامع الكبير:
قبة وصومعة القبة
في الوراء

الرسم ٥
الذكر عند الشيخ حاكم

الرسم ٤
ضرب السلاح
عند الشيخ حاكم

بسم الله الرحمن الرحيم وحمد الله تعالى وهدانا لا لولا أن هدانا الله

وبعد فهذه قصيدة جامعة عدد الأنبياء والرسل وطلب

الشفاء من كلام المحقق المدقق الشيخ محمد وفا

أفندي الرفاعي نفع الله بها من قرأها ودعى لناظمها بالخير آمين

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

بدئ بسم الله فيه تبركه ... وحمده يمن لكل حركه

فالبدء بالذكر العظيم الميمنه ... ومن دواعي القطع فوآمنه

أسألك اللهم أن تصلي ... على محمد إمام الرسل

مع السلام وعلى الصحابه ... والآل والعترة والقرابه

والتابعين هم أهل الطاعه ... والأولياء والقطب والجماعه

وبعد فالعبد الذليل الكسل ... المذنب العاصي الخؤون الوجل

ناسخ برد هذه المنظومه ... دامت عليه النعم العظيمه

عن له في مذكرتي عرضا ... وطلبات نفسه تعرضها

ولا

احبتهم واكثرت من المقامات الداعية الى زيارتهم ، وحثت على الفقير والغريب والمسافر والمجذوب منهم فتعطفت عليهم بهدية المسكين الى المسكين ، هي الخرق والمحارم المعقودة على قضبان الحديد او الخشب عند قبورهم ، وهي بقايا اواني الخزف المطلي قعرها باثر الزيت ، الذي يشعل قنديلاً عند المقام ، واسماؤهم تذكر باسم الجندي المجهول : فهذا مقام الشيخ عبدالله ، وهذا ضريح الشيخ معروف ، وهذه زاوية الشيخ فارس . ومن الاولياء من عظمهم الناس ، وقد كانوا عظماء في حياتهم فتمتعوا من ثم بعظمة الدارين . ولا يكاد يخلو اقليم من اقاليم البلاد الاسلامية من مقام ولي كبير . ففي سمرقند الشيخ عبيدالله ، وفي بخارى مولانا الجامي الشاعر ، وفي تركستان الخوجه احمد النسفي ، وفي قونية مولانا جلال الدين الرومي ، وفي مصر وفارس النقشبندي ، وفي الشام الشيخ احمد الرفاعي الخ الخ .

اما في مدينتنا حلب فقبور الاولياء وزواياهم تعد بالعشرات ومنهم العظيم الخطير . ومنهم من دفن فيها فحوت تربتنا عظامه ، ومنهم من ذكر فيها ونحت ذكره بالحجر لكرامة رويت عنه . وهؤلاء الاولياء في الغالب لهم دورهم في تاريخ حلب وقد جمع اسماءهم الشيخ ابو الوفاء في منظومته ، ولم تنشر الى يومنا ، فنشرناها بالجهاز العلمي الذي وفقنا اليه ، فاتت حلقة ثانية « للوثائق التاريخية عن حلب » .

المقدمة

في شهر تشرين الاول من السنة ١٩٣١ كان في دار الشيخ الترمذي ، تاجر العاديات ، القاطن في حي السفاحية في حلب ، مجموعة[1] من الكتب المطبوعة والمخطوطات معروضة للبيع . فقصدتها ودخلت على الشيخ فاجلسني بالقرب منه ودعاني الى مراجعة كتبه واقتناء ما يصلح لي منها . فقضيت الساعات في غرفة ضيقة اكتظت فيها الاشياء اكتظاظها في سفينة نوح (الرسم ١) وقلبت الكتب المخطوطة كلها وكان عددها يربو على الالف ، ومن جملة ما اخترت منها للمكتبة الشرقية كراس ورقه عبادي طوله ٢٣ وعرضه ١٦ سنتيمترًا ، وعدد صحائفه ثلاثون . على الاولى منها رسم عنوانه بخط مختلف عن خط سائر الكتاب . وقد تكون حررته يدُ ناسخ غلبت عليه عادة استعمال اللغة التركية لانه لم يضف الى المضاف اليه ال التعريف . والعنوان المذكور هو

منظومة شيخ وفائي في اولياء حلب

وخطّ الكراس بالحبرين الاسود والاحمر ، وهو بقلم نسخي ثلث متقن ، وعلى هامش الصفحات منه رضمت اسماء الاحياء الحلبية او القرب التي عدّد المؤلف اولياءها . وفي المخطوط اغلاط ونقائص وهو الآن محفوظ في المكتبة الشرقية في جامعة القديس يوسف في بيروت ، تحت الرقم ١٥٦٨ .

ومضت الايام ، وفي غضونها ترددنا على حلب ، مسقط رأسنا ، ثم اقمنا فيها ، واتيح لنا درس المنظومة في البلدة ذاتها التي كتبت فيها ، والوقوف عند الامكنة المذكورة فيها والتفتيش عن آثارها ، واستقصاء اخبارها ، وتصوير ما يستحق التصوير منها واخذنا بمطالعة تاريخي حلب للشيخين راغب الطباخ وكامل

---

١) لقد جاء بعدي من ثم كتبيّ دمشقي او عراقي ؟ فابتاع المجموعة وارسلها على ما سمعت الى دمشق او بغداد ؟ . ولم أر فيها درّة ثمينة الا بعض المخطوطات اللغوية والادبية وقد نشر بالطباعة .

النزي . فالاول وضع كتاباً بسبعة مجلدات بقطع ٨ وعنوانه « اعلام النبلاء في تاريخ الشهباء » واكثر فيه من تراجم الرجال ، والثاني الف كتاباً بثلاثة مجلدات (ووافته المنية رحمه الله ، قبل انجاز طبع المجلد الرابع) وعنوانه « نهر الذهب في تاريخ حلب » واكثر فيه من وصف الامكنة والعادات وسرد الحوادث[1] . وترك الشيخان المؤلفان لمن يأتي بعدهما مجالا واسعاً لمراجعة الاصول التي اخذا عنها ونقدها على انهما أفضلا علينا فيما جمعاه من موادّ وافرة قريبة المنال لا غنى عنها اذا ما شئنا بحث تاريخ حلب ، الى ان يأتي من الجيل الناهض رجالٌ اكفاء للاخذ بالموضوع من اساساته ومعالجته المعالجة العلمية الفنية المطلوبة . فلم نستغن عن كتابي الطباخ والنزي ، وعمدنا الى درسهما . واذ رأينا الفهارس فيهما ناقصة ترتيبها الابجدي ، اعملنا فيها الروية والقلم ودوّناها في مئات البطاقات ، مرجعاً قاموسياً اهتدينا به سريعاً الى معرفة الموادّ في مواضعها واخذ التعليقات اللازمة لفهم المنظومة الرتاني تمام الفهم والتعليق عليها .

واقبلنا على الموسوعة الاسلامية ، واستقينا منها الفوائد الغزيرة ، وبها وبغير ذلك من المؤلفات التي سنشير اليها في لائحة المراجع استعنا على احياء ذكر الاولياء الحلبيين المسلمين . وراجعنا ذوي الثقافة من مواطنينا المعاصرين فشاورناهم واستعنا بنصائحهم نخص بالذكر منهم المرحوم تسطاكي الحمصي ، الاديب اللغوي ، والشيخ راغب الطباخ ، مدير المدرسة الخسروية المذكور سابقاً ونحن لهم شاكرون .

---

١) ولم اتمكن عن وفاة النزي وعن فقدان الطباعة مجلده الرابع فقصدت الى بيت آله في حي الشرعسوس في حلب ، وسألت ابنته الآنسة نفيسة النسيبة سابقاً لراهبات الفرنسيسكانيات في حلب ، ان تطلعني على مخطوط المجلد الرابع من نهر الذهب وكانت قد نسخته بيدها فلم ار فيه الا رؤوس اقلام بيدة التجهيز عن الطبع لكني اخذت اسماء الاسر التي هيأ لها النزي رحمه الله ترجمة في كتابه الذي كان اخذ بتأليفه . وهذه الاسماء ارى الافادة في سردها هنا عسى ان يستفيد منها من رغب بالعودة الى مخطوطة المجلد الرابع المحفوظة الى يومنا في بيت النزي .

اسرة الاميري — النيرباني — بكتن — ميسر — الطيار — الكيالية — باقي زاده — مرعشلي — قطار اغاسي — مدرس زاده — الجابري — القدسي — كتخدا — المرتيني — الترمانيني — النوري — رستم — الرفاعي — قرقلاوي — الحيدرية — مشاطي — رويتيني — الجنباز — خيرالله — بشير النزي — الحلوي

وموضوع المنظومة بيّن من عنوانها فان الوفائي خصها بذكر ومديح الاولياء والابرار الحلبيين وغيرهم من الانبياء ذوي المقامات في الشهباء المسلمة . « والله وليّ الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور » .

(القرآن ٢ : ٢٥٨)

قيمة المنظومة الادبية والتاريخية والاثرية

ترجمنا للشيخ محمد ابي الوفاء الرفاعي ودرسنا حياته في البيئة التي تقلبها فيها وتتبعنا تردده على معاليه ، واستثماره المواهب الفطرية التي منّ بها الباري عليه . فكان له من الادب الجميل ومن فنّ الشعر خاصةً نصيب وافر ، ظهرت محاسنه في نظم قيّم عامر موثر ، اذا ما استوحى موضوعه عن حادث خطير كحادث مذبحة الاشراف في جامع الاطروشي . وان ذكر القبور والاموات والاولياء والانبياء لحافل بالموادّ التي حرّكت في افئدة الشعراء عواطف انبعث انينها بقصائد خالدة ، فهل يعالجها الوفائي معالجة الشاعر القدير ويسمو على عود الرثاء وتر الحزن فيبكينا بكاء الخنساء ، او يوقظ في المخيلة يقظات تطير بها في جوّ الفن او يثير في الشاعرية نسمات يهلع لها الفؤاد ولهاً لذكر فقيد حبيب ، والوفائي وقف الساعات يناشد مشاهد القبور ، وما اسهل عليه ان يستوحي من كتاباتها ما يستدرف الدموع كمثل هذا الشعر المنقوش على قبر احد احفاده وهو علي الدين الوفائي المتوفى سنة ١٣٥٣ نزيه شاهداً على ما نريد تبيانه (الرسم ٢) :

« قبر شاب في عمره ما هنا سلبته ايدي المنية منا
قد كان فينا مثل الهلال فلما صار بدراً غاب عنا
شهيد حل في جنات عدن واصبح لابساً ثوب النعيم
له حور الجنان مشرات بما اعطاه مولاه الكريم
وفي دار النعيم له مقام فيا بشراه في ذاك النعيم »

وما احقّه بان يعظنا بما يتعظ به الناس اذا ما زاروا المقابر وقرأوا مثل هذا الشعر المكتوب على ضريح عزة الوفائي المتوفى سنة ١٣٥٧[1]

« كنكف دموعك زائراً قبري ولا تبك فهذي الدنيا سوف تزول

---

١) القبران المذكوران هما في مرتفع الشيخ ابي بكر شمالي البلدة بشرق .

فالمتاق ضيف في الحياة موقت والكل جي ليس منها سبيل
انا ارتجي الغفران منه فانه رب رحيم في الحساب جميل
ومؤملا عفواه من كل الذنوب وصفحه قد كان ربي جليل »

ولكن ليست غايته اهاجة عواطف الحزن على الموتى ورثاء المنتقلين الى رحمة باريهم ، بل هي وضع قصيدة تقوية تذكارية تعليمية اشبه بألفية ابن مالك في الصرف والنحو تسهيلاً لاستظهارها ، او الماماً باسماء الاولياء الصالحين والابرار الحلبيين ، وذلك شكراً لهم بعد شفائه من مرض عضال شفي منه بعد التجائه اليهم فسرد لائحة اسمائهم ومزاراتهم نظماً ، وغاية ما ابتغاه من الشعر انما هو حفظ الوزن وقواعد العروض . وقد وفق في ذلك الا في النادر . ولعل الخطأ في الشعر المروي عنه آتٍ من النساخ . على انه اختار الرجز له بحراً وهو اقرب الابحر الى النثر ، ومن المعلوم ان جوازاته كثيرة فسهل لذلك حمار الشعراء ، يركبه ويسير بنا من مقام الى مقام ، ومن زاوية الى زاوية ، ومن قبر الى قبر ، فنقطع واياه في رحلتنا طرقات مدينة حلب وازقتها بين القلعة والجلوم وباب النيرب والقبارة ، وتتجول ظواهرها بين الصالحين والشيخ فارس والشيخ ابي بكر والمشارقة ونقرأ اسماء رجالها الاتقياء ، وكلهم مسلمون وذكرهم في الغالب لم يتجاوز البيت الواحد المعبر بالايجاز عن صفات الرجل الخاصة . وليس هناك اسم للنساء ، مع ان راغب الطباخ في كتابه « اعلام النبلاء » ذكر منهن نفراً . وربما توسع الوفائي في الكلام على فضائل او كرامات الرجال الذين ربطت بينه وبينهم رابطة النسب بالنسب او الصديق بالصديق ، او المعلم بالتلميذ . وذلك بالفاظ مأنوسة قريبة الفهم معانيها الا المفردات المختصة بطرق التصوف ، فهذه ادت لنا مادة لشروح وملاحظات مفيدة في درس الحياة الروحية الاسلامية والمقابلة بينها وبين الحياة الروحية المسيحية ، ومعرفة اسالب « الكمال » عند المسلمين .

وفي منظومة الوفائي الناحية التاريخية والاثرية . وهذه الناحية الواسعة الارجاء الحاوية اسماء رجال حلب من دفنوا فيها شرقاً وغرباً شمالاً وجنوباً فضلاً عن « الانبياء والابرار » الذين شيدت المقامات على اسمهم ، وهي اشبه بالتل القديم الجارية فيه الحفريات تحت اشراف العلماء ، فتأتي بالجدد والعتق كلما كشف معول

العمال عن انقاضها . هي المزارات من عهد ابراهيم الخليل ، وقد يحفظ له العرب في القلعة الجرن الذي كان يحلب فيه بقرته بالفي سنة قبل المسيح ويقري ضيوفه من اهل البلد فيخلدون ذكر صنيعه بتسمية محلتهم « حلب » ، الى عهد زكريا الكافل ، صاحب مقام الجامع الكبير ، الى زاوية النسيجي ، وقبر ابلوقيا ، وشمعون، الى آخر ما بلغ الينا ذكر كراماته من المعاصرين، وبعضهم اولادهم احياء يرزقون وهم من ارباب الخرق ، ومشايخ الطرق من رفاعية ، وشاذلية ، وقادرية ، ونقشبندية ، ومولوية ، وبدوية ، الى غير ذلك مما يعرض ذكره الى تعداد اسماء الأسر الاسلامية الكبرى . واي اسرة منها لا تفاخر بالمت الى البيت النبوي فتبرز سلسلة نسبها مخطوطة مرتبطة بحلقات اولها زعيم البيت الحلبي واخرها النبي محمد ولسان حالها يقول مع الشاعر :

« ان المكارم والاخلاق ترفعني الى العلا اخمص كل مخدوم
جدي النبي وامي بنته وابي وصيه وجدودي خيرة الامم »(١)

هم الاشراف وكان لهم دورهم في تاريخ المملكة العثمانية عموماً وحلب خصوصاً ، فشلوه مع الباشاوات الاتراك ومع الانكشارية ، وطوراً غلبوا على امرهم وطوراً غلبوا اخصامهم . ولهم يدان يد ممتدة الى العرب البدو المحيطين بحلب فيتفقون واياهم على احداث المشاغبات ، ثم يطفئون نارها بفضل نفوذهم ، ويد اخرى ممتدة الى مقام الخلافة في استنبول يبلغون بها السلطان اخبار البلاد كما يحبون ان تبلغه ويؤيدون هيبة امير المؤمنين وسطوته في الاعراب عن خضوعهم ، على ان يقرهم بقر الاشراف ويعترف لهم ، دون غيرهم ، بحق احياء شعائر الدين والتصرف بمال الاوقاف . ولا يستطيع الباشاوات الاتراك ان يكسروا شوكتهم ، ويضطرون الى الاتفاق معهم للسير في سبيل الهدوء والسكينة فيحتجون مرة ويخفقون مرات كما يجري في تاريخ البلاد على عهد بني عثمان ، ومنظومة الشيخ الرفاعي مرجع من مراجعه فتستحق النشر كما استحقته يومية نعوم البخاش التي طبعناها في المشرق ، وعلى حدة ، وكانت السلسلة الاولى من « الوثائق التاريخية عن حلب » فتكون المنظومة هذه السلسلة الثانية . وقد وفقنا فيها الى تكملة ما كان ناقصاً

---

(١) راجع ط ٥ : ٢٤٧ في ترجمة محمد بن سيد منصور

في الاولى وقد اختصت بالاسر المسيحية. فمنظومة الوفاني مختصة بالاسر الاسلامية ويأتي ذكر المئات منها ، وقد وضعنا لها الفهارس فصارت مرجعاً قريب المنال مطالعته .

❁

وان البحث في القبور والمقابر وهيئتها وكتاباتها ومواقعها يؤدي مادة لا يستهان بها في معرفة اخلاق الناس وقد تكون قبور الاولياء في جوار آلهم وفي بيوتهم ، وقد وقفنا عند شباك في حارة السواسين في حلب كان يشرف منه على قبر ولي اسمه العطار ، وكان قد اعده نصباً لنفسه ليكون مزاراً بعد موته . ثم توفي واحتاج من ثم اولاده الى الغرفة التي وضع فيها القبر فنزعوا منها النصب وحولوها الى سكناهم . اما اثر الولي عند الشباك فبقي الى يومنا . وربما تأسست القرب للموتى ، بالقرب من مقام احد الاولياء لان الكثيرين يرغبون ان ينامو نومهم الاخير في جواره . والمثال في ذلك تربة الصالحين الشهيرة حول مقام ابراهيم او حول السفيري (الرسم ٣) . ومن المعلوم ان وجود الشجرة في موضع كان يجعل ذلك الموضع مقدساً في اعين الناس ، فيختارونه دون غيره تربة لموتاهم . ورأينا في مقام النبي اباوقيا شجرة قد شاخت وعرمت فلم يبق منها الا الجزع المرتجب وحولها القبور القديمة وعندها المزار المقصود .

وربما دفن الولي في مقام عالي عند بئر ماء او صهريج كما رأينا ذلك في الشيخ فارس ، وهذا ما يذكر بعبادات الاقدمين اذ كانوا يقيمون معابدهم على المرتفعات والاكام وعند مجاري المياه .

وان هذه المقامات ، والمزارات ، والزوايا ، والمساجد الصغيرة ، الموجودة الى يومنا في حلب مهددة بمحو اثرها في عهد ربما كان اقرب مما نتصوره ، لسرعة تطورات البلدة واحداث التصليحات والترميمات فيها ولا يندر ان ينال فتح الطرق فيها من جدران تلك المقامات او من احجار قبورها نخراً ونهشاً وبتراً . فيكون من واجب كل محب آثار الاقدمين الاسراع ما يستطيع اليه سبيلاً في جمع هذه الآثار وما اليها من اساطير وقصص وروايات ونوادر وعادات سوف تندثر مع اندثار الآثار وفي فقدانها خسارة لما لها من المكانة في درس المدنية الشرقية

القديمة وبحث تاريخ الاديان . وان منظومة الشيخ الوفائي حافلة بذكرى القبور والترب وما اليها من اخبار لا يزال بعضها تتداوله الالسن في حلب ، فنقلناه عنها في التعليق على شعر المنظومة . ورويناه في ترجمتنا حياته . ولم نأل جهداً في الاتصال بالرجال المعهود اليهم في ايامنا بحراسة القبور والزوايا ، واحياء المراسم الدينية فيها ، فحضرنا اجتماعاتهم سواء اكانت فنية على جانب عظيم من اتقان الالحان في الغناء في المولد المحتفل فيه في البلدة ، او مهيبة مؤثرة كما رأيناها بين العرب البدو وقد تسلحوا على انفسهم بالسيف او بالشيش او بالدبوس او بالمسدس ليبينوا اذا ما اخترقهم السلاح ولم يمس منهم مقتلاً انهم لا يصابون باذى لانهم شربوا من ماء اهل البيت . وقد رأينا بام العين رجلاً غرس الشيش الحديد في بطنه واخرجه من ظهره وصوره احد الشاهدين (الرسم ٤).

واختلطنا بجماعات المسلمين عامتهم وخاصتهم واحاطت بنا حلقة الذكر ورأينا الشيخ يضع يده على رأس ولد كان ينام فيضطرب في منامه فينفخ الشيخ على وجهه ليخلصه من تسلط الجن عليه . وسمعنا اخبار الشيخ جاكير وغيره ممن صارت وتصير الكرامات عند قبورهم فذكرناها في محلها . ولبعض الاولياء خلفاء احياء ينالون اكرام الناس ، وبين هؤلاء المجاذيب او المتوهون . هذه وغيرها من التعليقات والملاحظات سوف تأتي في مواضعها تعليقاً على شعر المنظومة . وان الموسيقى واسطة من الوسائط التي يستعملها مشايخ الطرق المتصوفون لبلوغ اربهم من الاتصال بعالم الغيب . فاجتهدنا حضور حفلاتها وسمعنا الاناشيد بين ضجيج الطبول والزمور والمزامير والصنوج (الرسم ٥) ورويناه منها شيئاً بالتنقيط الموسيقي وما مفعولها في نظرهم ليأتوا بالمخرقات . وان هذه الناحية من الدرس تقرب الى القارئ معرفة حياة الامة كما هي بارزة في معتقداتها ومراسيمها الدينية . فضلاً عن ان هناك اسماء وردت في المنظومة ، وجاء ذكرها في اخبار اولياء المسلمين ، ومنها خاص بحلب دون غيرها . كالنبي بنقوس ، والنبي اباوقيا ، ومنها معروف في بلاد غيرها كدانيال وشمعون وزكريا ، ولعل التفتيش عن اصولها يكشف عن آثار مسيحية سبقت الاسلامية ، كما ان التفتيش عن بعض الآثار المسيحية يكشف عن غيرها من آثار يهودية او وثنية سبقتها . وحسبنا هذه الفوائد مبرراً لاصابة حكمنا في تقدير

قيمة المخطوطة كادة صالحة لدرس الآثار ونشرها خدمة التمام .

وفيما كنت اسير بين القبور في تربة المشارقة اقرأ كتاباتها وانسخ شعرها وتاريخها ، كما فعلت في غيرها من المقابر ، اذا بشيخ قدم اليَّ متعجباً وبادرني بهذا السؤال وكان اصوته شيء من رجفة الامتعاض ؛ قال : ما شغلك بين القبور ؟ فقلت : هي قبور المواطنين . شمس واحدة تشرق على حياتهم وحياتنا وتغرب على قبورهم وقبورنا وتربة واحدة منها عجنوا وعجنا وضمتهم وتضمنا افلا يحق لي زيارتهم ؟ فهزّ رأسه وقال : عافاك الله . وذهب .

وما شغلي في درس منظومة الوقائي الا نوع من افتقاد من رحل من مواطنينا الى دار البقاء .

وقد يكون غيري احق مني بنشرها ولكن الايام مضت عليها وظلت دفينة المكاتب وهي في خطر النسيان والضياع والحيف كل الحيف في ضياعها فلذلك لا لوم عليَّ في التعب عليها ، وارجو عنها المكافأة لمن ظهر الاموات امامه لينالوا ثواباً او عقاباً .

ومجلة « المشرق » الحريصة على كل اثر شرقي مفيد تاريخ البلاد عامة والديني خاصة ، سوف تضيف بنشر المنظومة سفراً على الاسفار المحفوظة في مجموعتها وقد اغتنت مجلداتها الاخيرة بابحاث علمية نادرة عن العرب ومعتقداتهم قبل الاسلام ، وعند ظهوره ، بفضل مؤلفات لامنس فقيدنا الكبير . فلتكن المنظومة ذيلاً متواضعاً لها عسى ان يجد في نشرها مواطنونا المسلمون صدق عاطفة الولاء نحوهم في تكريم ذكرى موتاهم .

نسخ المنظومة وتصاويرها

للمخطوطة خمس نسخ عرفناها . وهذه تقسم الى نوعين الاول وهو الذي اعتمدنا عليه في الطبع فيه عدد الابيات ٧٥٦ . ومنه النسخة الخاصة بالمكتبة الشرقية وسميناها الف ، ونسخة الدكتور احمد طلس الحلبي وسميناها باء ، ونسخة الشيخ راغب الطباخ وسميناها تاء . اما النوع الثاني فبين يدينا منه نسختان واحدة

خاصة الدكتور اسعد طلس، والثانية خاصة الشيخ راغب الطباخ . وقد تختلفان اختلافاً يحول دون التطبيق بينهما وبين نسخ النوع الاول وعدد الابيات فيها لا يبلغ ٧٠٠ فاهملناها او بالاحرى اعرضنا عن نشرها واكتفينا بالاستفادة منها لقراءة متن النوع الاول اذا شككنا في صحتها .

١) مخطوطة الف ، وصفناها سابقاً . وليس عليها اسم الناسخ وفي نهايتها وضع تاريخ ١٢٥٥ نسخاً عن الاصل .

٢) مخطوطة باء ، كراس طوله ٢٣ وعرضه ١١ سنتيمتراً . عدد صفحاته ستون وعدد الاسطر فيها ١٣ . خطه نسخي بحبرين احمر واسود في هامشه شروحات منها بقلم الناسخ ومنها بقلم الدكتور اسعد طلس . والكتاب محفوظ في مكتبته تحت رقم ٢٦١/٢٦٢

واني قابلت بين هذا المخطوط والمخطوط الف واستعنت به على ضبط القراءات ونبهت بالحاشية الى المواضع التي استفدت بها عنه .

وجاء في آخره :

« قد وقع فراغ تحرير هذه القصيدة المباركة في الثلث الاول من ليلة الاحد الحادي عشر من شهر ربيع الثاني الجاري لسنة اثنتي عشر وثمانماية والف من هجرة من خلقه الله تعالى على اكمل وصف سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وعلى آله واصحابه وعشيرته وتابعيه وتابع التابعين لهم باحسان على يد الفقير الحقير الراجي عفو مولاه القدير جمالي زاده محمد بشير غفر الله تعالى له ولناسخها وقارئها ولوالديهم ومشايخهم ولجميع المؤمنين والمؤمنات والمسلمين الاحياء منهم والاموات ولمن قرأ لهم الفاتحة ودعا لهم بالمغفرة وصلى على سيدنا ومولانا محمد النبي الامي وعلى آله وصحبه وسلم والحمد لله رب العالمين »

٣) مخطوطة ت خاصة الشيخ راغب الطباخ حررها بيده . وهي كراس مجلد بقطع الثمن كل صفحة منه فيها ٢١ سطراً ، وعدد صفحاته ٣٨ ، خطه نسخي ، حبره اسود ، فيه فراغ في البياض سطرت فيه اسماء الترب عنواناً لما يليها من الشعر . والفروقات بينه وبين الف وباء قليلة اشرنا اليها عند وقوعها واستعنا بها على ضبط النشر وخاصة على وضع العناوين المبينة اقسام المنظومة .

اما الصور التي يراها القارئ في كتابنا فقد تفضل بتصوير اكثرها الليوتنان مورل الافرنسي ، العضو في جمعية « وضع الدليل » الباريسية . جابت به الحرب

الى حلب فتعرف الينا في صيف سنة ١٩٤٠ ، وسألنا مساعدته على تصوير آثار حلب فرأيت الفرصة ثمينة لمساعدة متبادلة . فاتفقت واياه على ان ادله على الآثار المستحقة التصوير واؤدي له التعليمات اللازمة لوضع دليل حلب ، على ان يؤدي لي الصور اللازمة للمنظومة . ثم سافر اليوتنان فجأة الى بلاده على امل الرجوع الى ربوعنا عسى ان يتحقق الامل . ولم يتكامل عدد الصور التي رغبت بها معرضاً للعيون بعد ذكر مواضعها في المنظومة . ولكن ، وربك حميد ، كنت ابتدأت معه باخذ ما قلما التفت اليه السيّاح والمصورون من المقامات لصعوبة المسالك اليها في مواضع المدينة البعيدة منالاً عن غير سكانها المجاورين لها ، وكل يعلم في حلب ان نصف سكان البلدة يكاد يجهل ما في نصف البلدة الآخر من اثر او محل قديم فيجهل الكثيرون من سكان باب النيرب موضع حي الصليبة ، وكذلك الكثيرون من سكان الصليبة يجهلون موضع حي باب النيرب واذا قصد زائر زيارة البلد ذهبوا به من الجامع الكبير الى القلعة واشاروا له من اعاليها الى مآذن العادلية والعثمانية والخسروية والقيقان الخ ولم يفطن احدهم الى الوقوف في حارة السواسين ، ولم يجرأ منهم احد على زيارة الشيخ ابي بكر ، والشيخ فارس وهذا كان قبره في عهد ليس بعيداً منا ملجأ للحشاشين . وان في هذه المحلات آثار لها قيمتها التاريخية والفنية وسوف لا تمضي السنون العديدة الا ويكون قد اندثر الكثير منها مع تعاقب الايام وقلة العناية بها ، شأن غيرها من الآثار . فعجلنا وصورناها واعملنا فيها جهداً استحثنا عليه شأن تواضعها وحقارتها اعلمنا ان القليلين من السيّاح والزوار يمكنهم الاطلاع عليها ، وهي التي نشرناها مع منظومة الوفاني تبياناً للمواضع المذكور فيها من آثار الانبياء والاولياء الابرار والصالحين المسلمين . ويا ليت من يأتي بعدنا يعود الى المواضع التي زرناها ولم نستنفد كنوز آثارها ، فيعوض بجهده وعمله عن تقصيرنا في هذا المضمار . ثم اننا لم نهمل غير ذلك من الآثار العظمى الشهيرة وان تكن صورها مبتذلة في الاسواق فاخذنا منها مشاهد جميلة سوف تظهر في موضعها .

اصطلاحاتنا بالنشر

اخذت نسخة الف اساساً للطبع ونشرتها على علاتها واغلاطها. لكن اردفت الغلط بالتصاليح عند اللزوم في المتن ذاته موضوعاً بين معكوفين ومشكلات بالحركات بعض الحروف تسهيلا لفهم الكلام.

العلامة [ ] تدل على ان ما فيها هو من قلمي.

واشرت الى نسخة ب وت في كل موضع استثنت فيه ما، إما في ضبط قراءة الف او في شرحها.

« ط مناه كتاب اعلام النبلاء بتاريخ الشهباء لراغب الطباخ، والرقم الذي بعده يدل على عدد المجلد المذكور من مجلدات الطباخ السبعة، ومن ثم على عدد الصفحة التي رجعت بالقارئ اليها.

« غ مناه كتاب غرر النهب في تاريخ حلب لكامل الغزي، ويليه الرقم الدال على احد مجلدات الغزي الثلاثة وعلى الصفحة المشار اليها فيه.

Enc. Is. مناه دائرة المعارف الاسلامية *Encyclopédie de l'Islam*

اما غير ذلك من المراجع فيتضح في موضعه.

ورقمت الارقام على اسطر المنظومة: الاسطر الستة الاولى بالرقم الافرنجي وباقي الاسطر بالرقم العربي تسهيلا للمراجعة في الحواشي وفي الفهارس.

وفي تواريخ تراجم الرجال م مناه مات؛ واردفنا التاريخ الهجري بالتاريخ الميلادي اخذاً عن جداول تقويم البشير للاب لويس معلوف اليسوعي سنة ١٩٢٩

وارقام الحواشي ترجع الى ارقام الابيات بالتسلسل.

منظومة شيخ وفائي في اولياء حلب*

اقسام المنظومة ومحتوياتها

في المنظومة سبع مئة واثنان وستون سطرًا ؛ ستة منها نثرًا وسبع مئة وستة وخمسون شعرًا . وهذه تقسم بحسب محتوياتها الى الاقسام التالية :

١ً ١-4 عنوان الكتاب ؛ ٢ً ١-٥ الفاتحة ؛ ٣ً ٦-٢٩ المقدمة : غاية الكتاب ودواعي تأليفه ؛ ٤ً ٣٠-٣٨ مقامات الانبياء ؛ ٥ً ٣٩-٤٤٤ الاولياء خارج البلدة ؛ ٦ً ٤٤٥-٦٥٣ الاولياء داخل البلدة ؛ ٧ً ٦٥٤-٧٤٠ الآثار ؛ ٨ً ٧٤١-٧٥٦ الدعاء والخاتمة .

١ً عنوان الكتاب

1) بسم الله ولي التوفيق والحمد لله الذي هدانا لأقوم طريق
2) وبعد فهذه قصيدة جامعة عدد الانبياء والاولياء في حلب
3) الشهباء من كلام المحقق المدقق جناب الشيخ وفا
4) افندي الرفاعي نفع الله بها من قرأها ودعى لناظمها بالرحمة امين .

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين[1]

٢ً الفاتحة

١ بدئي بسم الله فيه البركه وحمده يمن لكل حركه

١) وجاء في (ب) بسم الله الرحمن الرحيم عليه توكلت وبه نستعين

* كذا في الف ولعل محرّر العنوان تركيّ ، والدليل على ذلك صورة المضاف اليه من دون ال التعريف .

وجاء عنه في هامش (ب) انه : « والد الشيخ بها الشهير المفتي بحلب رحمهم الله وجدّ الشيخ محمد وفا افندي الموجود الآن شيخ تكية الخلاصية . »

٢ فالبدء بالذكر العظيم الميمنه ومن دواعي القطع فهو آمنه
٣ اسألك اللهم ان تصلّي على محمّد امام الرسلِ
٤ مع السلام وعلى الصحابةِ والآل والعترة والقرابةِ

---

٢ الذكر يكون اما خفياً في القلب ، واما جلياً في اللسان وهو الواقي من العوائق التي تحول دون النجاح في العمل فيخزي الشيطان ويحمي من القطع او المنع عن بلوغ الغاية (Cf. Bjorkman : *Kalb*, *Enc. Is.*)

٣ الصلاة في اللغة الدعاء وفي الشريعة الاسلامية عبارة عن اركان مخصوصة واذكار معلومة بشرائط مخصوصة في اوقات مقدرة . والصلاة ايضاً طلب التعظيم لجانب محمد نبي المسلمين فجاءت بذلك المعنى في المنظومة . ودُعيَ فيها محمد اماماً بمعنى المثال الاعظم والانموذج الجدير بان يتبع . والامام من يتقدم المصلين فيتبعونه في حركاته ومحمد هو اول الائمة ومن بعده من اتابه مناه او خليفته . ومن صفات الامامة الكبرى النسبة الى قريش ويخص اهل الشيعة الامامة الكبرى بالاسرة النبوية ولا يقرّونها الّا في ذريته . ومن ثم يبيّن السبب الذي يتمسك به « الاشراف » ليتقدموا على غيرهم في الحقوق على الزوايا والجوامع والاوقاف اذا وقفوا أئمةً في الصلاة . والرسول بالمعنى الديني من له علاقة بالامة التي أُرسل اليها فينذرها ويكون شاهداً عليها يوم الحساب ولكل امة رسولها . (Cf. Wensinck : *Rasūl*, *Enc. Is.*)

٤ السلام : جاءت اللفظة في القرآن وخاصةً في السُّوَر المكية في ثاني وثالث قسم منها ومعناها الحالة التي لا يتاتها شر وكلها خير . وايضاً النجاة من الشر في الدنيا وفي الاخرة ، ولفظة سلام تستعمل غالباً للتحية والتعبير عن عواطف الاعجاب او الدعاء او المديح كذا في الكلام الموجه من المسلمين والابرار واليهم وقد يخصها بعض المسلمين بتحية المسلمين لا غيرهم بالعبارة « السلام عليكم » ! استناداً للآية ٢٤ : ٢٧ و ٦١

على انه ثابت من استعمال اللغة العبرانية والسريانية ان لفظة سلام للتحية حتى ما بين العرب كانت مستعملة في الجاهلية كما عند امرئ القيس (معلقة ١٠ : ١٢ ؛ وقطعة ١٠ : ٥)

— الصحابة او اصحاب جمع صاحب في اصطلاح المسلمين هم رفقة النبي وكانوا سابقاً يخصون بما من كان من الناس متصلاً بالنبي من عهد بعيد فرافقه في حلاته ثم اضافوا الى هؤلاء غيرهم .

واهل السنّة من المسلمين يجلّون الصحابة جلاً عالياً واليهم ينسبون الحديث المسند ويستشهدون باقوالهم وافعالهم على صحته فيحترمونهم ويعظمونهم وبين الاصحاب يميزون بالدرجة الاولى الخلفاء الراشدين الاربعة وستة غيرهم وهم « العشرة المبشّر لهم بالجنة » . اما اهل الشيعة فيلومون الصحابة في رضاهم على اغتصاب حقوق الخلافة من علي بن ابي طالب وذريته . (Cf. Goldziher : *Ashāb*. *Enc. Is.*)

— آل الاهل والاسرة . وفي الاصطلاح الاسلامي آل النبي ومعناه ، على قول اهل الشيعة ،

٥ والتابعين هم اهل الطاعةِ والاوليا والقطب والجماعةِ

٣ المقدمة

٦ وبعدُ فالعبدُ الذليل الكليلُ المذنب العاصي الخؤوف الوجِلُ
٧ ناسخُ بُرد هذه المنظومة دامت عليه النعم العظيمة
٨ عنّ له في مدلهمٍ عرضا ولهلاك نفسهِ تعرضا
٩ وذاك امراضٌ وحمّى بارده وعلل قد [اشمتت] حواسدَه
١٠ ان يُلتجى منه لسكان حلب من قد حمونا من هلاك وعطب
١١ مثل نبيّ او شهيد او وليّ او عالم او عارف مكمّل

٥ والتابعين مع اهل الطاعة (ب ت)
٧ ناسخ (ب ت)
٩ اشمتت (ب)

سلالة علي وفاطمة وفرعها الادنى الى النبي يسمى المقرة. اما على القول الشائع بين اهل السنة فآل معناه الصالحون اجمالاً او امة محمد جمعاء. (Cf. Goldziher : *Al, Enc. Is.*)

٥ التابعون في علم الحديث هم الرجال الذين لم يتعرفوا الى النبي لكنهم تعرفوا الى احد الصحابة. وسمّوا تابعَ التابعين من لم يتعرف الى الصحابة ولكن الى تباعهم وأسندوا اليهم الحديث المشهور وقيمته متفاوتة مع تفاوت البعد بين رواته وبين النبي (Cf. Carra de Vaux : *Tâbi', Enc. Is.*)

— القطب في عرف الصوفيين اكبر الاولياء واعظمهم وهو مجهول من الناس. وسمّوا اقطاباً اربعة مؤسسي الطرق الصوفية عبد القادر الجيلاني، واحمد البدوي، وابراهيم الدسوقي، واحمد الرفاعي. (Cf. Wiedemann : *Al-Kutub, Enc. Is.*)

٦ مرض الوفائي فالتجأ الى سكان حلب الابرار المتقلبين الى رحمة بارحم طالباً الشفاء بشفاعتهم ومتوسلاً اليهم بذكر اسمائهم ومحاسنهم فيرفعهم الى الناس بهذه المنظومة ويكتب بها اجراً ليوم الحساب وهو مؤمن بالله ونبيه محمد.

٨ عرض له عارض مرض في الليل.

١١ النبي فعيل بمعنى فاعل. وقال بعضهم انه مرادف لرسول الله. ويقول الفلاسفة المسلمون ان النبي من اجتمعت فيه: اولاً الاطلاع على المغيبات؛ ثانياً الظهور بالخوارق؛ ثالثاً ان يرى ويسمع الملائكة.

١٢ مراجعاً تراجم الاعيان من التواريخ مع الامان
١٣ وما أفاده المؤرخونا من حالهم وشأنهم تعيينا
١٤ [وما لهم من اثر شريف يؤثر عنهم ظاهرُ التشريف]
١٥ فقد أبانوا شرف الاقوام ونبّهوا عليه باهتمام
١٦ وذكروا قبورهم مفصّله في كل تربة وكل منزله
١٧ عسى ينال بهم المرادَ ويكتفي الصعاب والشدادَ

١٤ هذا البيت اخذناه عن (ب) وموقعه في (ت) بين ١١ و١٢ وهو مفقود من (الف).
١٥ فقد اتوا باشرف الاقوام (ب).

(راجع اصطلاحات الفنون للتهانوي في مادة نبي ورسول وولي والفرق بين معانيها وراجع مادة نبي في الموسوعة الاسلامية). (Cf. Horovitz : *Nabī, Enc. Is.*)

— والشهيد جاء بمعنى «مؤدي الخبر» في القرآن واوّله المفسّرون بمعنى من يثبت صحة الشهادة بسفك دمه. واستعملوا من ثم لفظة شهيد لقباً لمن حاربوا وماتوا في الجهاد، ثم لقب الناس شهيداً كل فقيد مات متمسّكاً واجبه في احتمال مرضه وصبره على الشدائد ومثل هذا اللقب كثيرٌ في الكتابات المنقوشة على القبور. (Cf. Bjorkman : *Shahīd, Enc. Is.*)

— والوليّ بمعنى فاعل من توالت طاعته من غير ان يتخللها عصيان او بمعنى المفعول فهو من يتوالى عليه احسان الله وافضاله. والولي هو العارف بالله وصفاته بحسب ما يمكن المواظب على الطاعات المجتنب عن المعاصي المعرض عن الانهماك في اللذات والشهوات (عن تعريفات الجرجاني).

١٢. لم يذكر المؤلف مصادره بالتفصيل، وعسير علينا معرفتها. لكن في المصادر التي ذكرها الطباخ في ذيل المجلد السابع لاعلام النبلاء كتبٌ لتراجم الرجال منها مخطوطة وكانت في حلب، ولا شك، على ايام الوقائي فيكون قد طالبها فضلاً عن خبرته الشخصية باحوال البلدة ومقابرها.

١٣ الحال في لغة التصوف قد يشابه معناه ما جاء في عرف الكتبة المسيحيين عن الحياة الباطنية: وجود النفس باتحادها مع الله تعالى في الصلاة محلّاةً بصفات تفرجها اليه تعالى وتبعدها عن الدنايا. «état d'âme» وراجع ايضاً في الموسوعة الاسلامية مقال لمكدونالد في مادة *Hal*.

١٦ منزلة... قابل هذه اللفظة بالعبارة التي يستعملها القديسون ومعلمو الحياة الباطنية عند المسيحيين Les degrés d'humilité. Les degrés d'oraison كالقديس اغناطيوس دي لويولا. (راجع: رياضات القديس اغناطيوس تعريب الاب خليل اده والخوري حنا طنوس، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٣٧).

١٨ فيعرف الناس لهم اقدارا وانهم كانوا بها اقمارا
١٩ وانهم كانوا نجوماً للهدى بهم هدى الله العظيم من هدى
٢٠ وأن كلًّا منهم ذو همه في كشف كل معضل ونقمه
٢١ وان ذكرت أجنبياً عنهم ولا يليق ان يعدّ منهم
٢٢ فانما اذكره استطرادا كابنٍ ومنسوب بهم قد [سادا]
٢٣ وقد جعلتُ هذه الخريده ليوم عرضي عدّةً عديده
٢٤ وأسألُ الله دوام العافيه والعفو والصفح وحسن حاليه
٢٥ فانني بلغت آخر العمر والوقتُ قد حان وجائني النذر
٢٦ والظن بالكريم حسن الخاتمه والفوزُ يومَ الفصل والمحاكمه
٢٧ واشهد الله باني اشهد ان لا اله غيره فيعبد
٢٨ وان خير خلقه محمدا نبيه وعبده نور الهدى
٢٩ وآن ان اشرع في المقصود معتصماً بالواحد المعبود

٤ مقامات الانبياء

٣٠ فحلب جامعها الكبير فيه النبي الاعظم الشهير
٣١ وهو النبي زكريا الكافلُ وقيل ذا يحيى الحصور الكامل

---

٢٠ ترى ان المؤلف بعيد عن تعليم الوهابيين المحرمين التشفع بالاولياء والانبياء والشهداء. (Cf. Lammens, *Islam*, p. 200).

٢٥ جائتني النذر (ب).

٣١ زكريا ابو يوحنا المعمدان ذكره القرآن مع عيسى والياً بين الابرار (٦: ٦٥؛ ٣: ٣٢، ٣٦؛ ١٩: ١-١٥؛ ٢١: ٨٩، ٩٠). ومن الآيات الشهيرة في هذا الصدد: «إني سميتها مريم واني اعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم. فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتاً حسناً وكفلها زكريا. كلما دخل عليها زكريا المحرابَ وجد عندها رزقاً. قال يا مريم أنى لك هذا؟ قالت هو من عند الله (٣: ٣٢) قابل ما بين هذه الاقوال واقوال

٣٢ وفي بزا ابلوقيا النبي ضريحه منور جلي
٣٣ في مسجد تظاله المهابه وكائن بداخل البوابه

الانجيل (لوقا ١ : ٥-٢٥) واحاديث المسلمين في هذا الموضوع كثيرة – اما جامع زكريا (الرسوم ٦ و٧ و٨) في حلب فراجع اخباره في الطباخ : الكلام على سقفه وجداريه القبلي والشمالي ٣ : ٤٨ – تجديد بنائه وتوسيعه ٣ : ٧٨ – الرخام المفروش في صحن الجامع ٣ : ٢٤٥ – تجديد تربة سيدنا يحيى ٣ : ٢٠٦ – ونقل رأس يحيى من القلعة اليه ٢ : ٢٠١ – تجديد المحراب ٢ : ٢٦٦ – اكتشاف عضو من اعضاء النبي زكريا ٦ : ٤٥١ – المنارة ١ : ٢٦١ – شرقي المحراب ٢ : ٢٦٦ – الرواق الغربي ٣ : ٤٧٢ – وراجع الغزي ٢ : ٢٢٥

وفي كتاب مخطوط عنوانه الآثار الكتابية العربية على الابنية الحلبية (مخطوط في المكتبة الشرقية – بيروت رقم ١٤٣) ص ١-٢ لائحة كتابات قديمة سجلت فيها بعض قوانين المكوس كأن مؤلفها اراد أن يزيد فاعليتها فوضعها في الجامع الكبير. واعلم ان كتابات الجامع حدث فيها تغييرات مع ما طرأ على المقام من الترميم والاصلاح.

ويعرضون في دمشق في الجامع الاموي قبرين ينسبون احدهما الى يوحنا والثاني الى ابيه زكريا.

٣٣ من هو ابلوقيا ؟ راجع الغزي ٢ : ١٠٧ ، وط ٦ : ٥٤٦ ، وراجع ايضاً كتاب قصص الانبياء الثعلبي : جاء في قصة بلوقيا ، جاءت فيه العجائب والغرائب (ط مصر ، ص ٢٠٧-٢١١) دورنا المسجد والشجرة القديمة عند بابه في صحن الدار والحجر الاثري المنقوشة عليها نجمة هي في الساحة بالقرب من المسجد. (الرسوم ٩ و١٠ و١١)

وان اسم ابلوقيا يوحي الينا اسم اقلوجيوس EYLOΓIOΣ القديس وقد توارد في السنكسار الروماني : في ٥ اذار ذكر اقلوجيوس الشهيد في فلسطين في زمان مجهول ؛ وفي ٢٧ نيسان ذكر اقلوجيوس الضياف المكرم سابقاً في القسطنطينية ؛ وفي ٥ ايار ذكر اقلوجيوس الرهاوي : وفي ١٠ ايلول ذكر الراهب السوري اقلوجيوس القديس.

فاذا صح ان مسجد ابلوقيا كان مقاماً مسيحياً للصلاة قبل الاسلام فيكون المسلمون اتخذوه بعد المسيحيين مقاماً اصلاتهم ايضاً كما فعلوا ذلك بغير مواضع في حلب وفي غيرها.

اما ساحة بزا فربما جاء اسمها من السريانية ܒܙܐ بمعنى ساحة البز. ولا يبعد ان تكون دُعيت هكذا لوجود رحبة فيها تقصدها الامهات اذا نقص حليبهن.

ولابي النتوح الميقاتي شعر في النبي بلوقيا رواه ط/٥٤٦ :

« مقام عليه هيبة وجلالة تدل على تحقيق ما شاع واشتهر
.. بأن الذي هذا الضريح يضمه نبيٌّ له في الذكر شأن وفي السير
وكان لمرسى صهره ورسوله ولم يخش جبارين اذ خشي النفر
وقاتلهم مع يوشع ثم بعده اتته من الله الرسالة والظفر

الرسم ٩ – مزار النبي ايزوقيا ، داخل البوابة

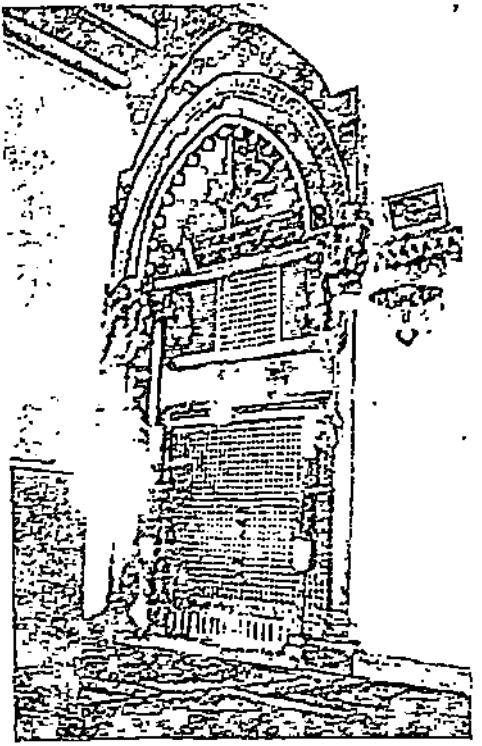

الرسم ٧ – داخل الجامع الكبير : قبر زكريا النبي وشجرة الرسول في المقام

الرسم ٨ – الجامع الكبير : الرواق الاكبر

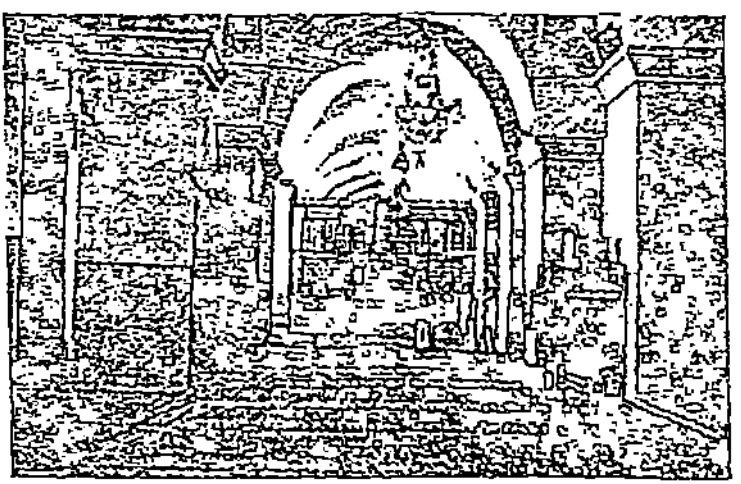

الرسم ١٠ –
الاثر الحجري القديم عند مزار ابوقبا

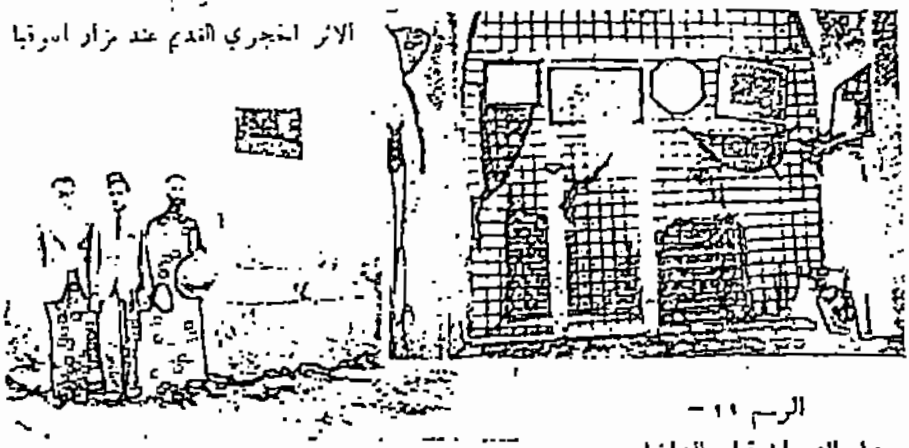

الرسم ١١ –
مزار النبي ابوقبا ، الداخل

الرسم ١٢ – مسجد نبي الله شمعون
وقد وقف امامه معلم المدرسة

الرسم ١٣ – المدرسة
عند مقام النبي شمعون

٣٤ نعمان وشمعون وبنقوس يقال بانهم من انبياء ذي الجلال
٣٥ وقال ناس ان شمعون دفين في مسجد في حارة السواسين
٣٦ وقيل بنقوس غدا مرموسا في الجامع الكبير من بنقوسا
٣٧ وقيل نعمان لدى النسيمي والكل ضعفه من المعلوم

٥ الاولياء خارج البلدة : باب المقام والصالحين

٣٨ وخارج البلدة في صحن المقام مقام ابراهيم حيّاه السلام

وفي اسمه الاقوال زاد اختلافها كذا في ايه لوقيا اختلاف المعبر
ورجح اصحاب التفاسير كالباً وابلوقيا من ابن لوقيا مختصر
ولم يدر ارباب التواريخ رسمه وثامن قرن فيه ذا الرسم قد ظهر »

(وراجع الحافظ اباذر في تاريخه فضل المزارات منها بلوقيا من الانبياء مدفون في محلة التركمان المعروفة الآن بساحة بزي) .

٣٥ في حارة شمعون بالقرب من الجامع الكبير (ب) وشمعون يذكرنا بسمعان العامودي القديس . (الرسمان ١٢ و١٣)

٣٦ في الله بنقوس في جامع بنقوسه الشهير (هامش ب) بنقوسا وبانقوسا – راجع الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب المنسوب لابن شحنة – طبعة سركيس – بيروت ١٩٠٩ . في النهارس والنزي ٢ : ٢٢٢ حيث نسب بانقوسا الى بيت نقوسا او بيت الناقوس . وقد يذكر بانقوس بلفظة Bachus او باخوس اله الخمرة . ومن الشائع ان تلك المحلة كانت كثيرة الاشجار وكان القديس باخوس رفيق القديس سرجيوس الذي شيدت على اسمه مدينة الرصافة جيوبوليس شرقي حلب . والاصح ما ذكره الاب اسحق ارملة تأويلاً لبنقوس حيث نفخ ومناد المسلخ حيث يذبح اللحم . ومن المعروف ان المسلخ في حلب الى عهد غير بعيد منا كان في جوار بنقوسا . وكان في قبلية جامع بانقوسا كتابة جاء فيها ان احمد ابن موسى السوري اوقف ذلك المكان وجعله مدرسة لقراءة القرآن ومأوى الغرباء سنة ٦٢٨ هـ . ١٢٣٠ م . (راجع الآثار الكتابية ، ص ٨) .

٣٧ نعمان (الرسم ١٤) يذكرنا بنعمان السوري الذي جاء يستشفي في عهد النبي اليشع (راجع ٢ ملوك ٥ : ١١) وقد عظم ذكر الله اسرائيل بعد شفائه . (Cf. *Dictionnaire de la Bible* : *Naaman*)

٣٨ في اخبار العرب الحلبيين ان ابراهيم في رحلته من بلاد اور الكلدانيين الى فلسطين مرّ بحلب واقام فيها وحلّب بقرته وأقرى الناس حليبها . ومن ثم سُمّيت المدينة حلب (غ ١ : ١٢) . والخبر اسطورة لا صحة له لان ابراهيم عاش بالقرب سنة قبل المسيح ولم يكن

٣٩ دُفِن فيه شارحُ المفصّل مفصّلِ الزمخشريّ الاكمل
٤٠ وهو الامام العالم ابن الصايغ محقق في كل علم نابغ
٤١ وفيه قبر العالم الجليل قاضيهم الشهير بالخليلي
٤٢ وابن العمادي بقربه مقيم الشيخ ابراهيم ذي المجد القديم
٤٣ كذلك الحدّاد والنوريّ وابن مظفّر هو الورديّ

اذ ذاك للعرب لغة تشهد لها الآثار بوجود لفظة « حلب » تطلق بها سكان البلدة . على ان مرور ابراهيم بالشمال السوري امر معقول اذ يكون قصد الى مواقع الماء من بلاد ما بين النهرين الى سورية ليسير الى فلسطين . فسافر من وادي الفرات الى بلاد الشمال السوري . وهذه الحقيقة التاريخية اتخذها العرب نواة نمت بين ايديهم وجاءت باشكالها والوانها . وكذلك جرى مع نعمان وشمعون وبنقوس . «لكن ضعفها من الملوم » (منظومة بيت ٣٧) ولابراهيم مقامان جليلان في حلب احدهما في القلعة اذ يظهرون فيه الجرن الذي كان الخليل يحلب فيه بقرته والثاني في صدر منبرة الصالحين ، وفيه اثر لقدم ابراهيم طوله يقارب الذراع . وفيه نملٌ رُضَّ تحته منديلٌ لئلا يتدنس به المقام . فترى من الفرق بين النمل واثر القدم ما يفيد عن عِظَم رجل ابراهيم (الرسالة ١٥ و١٦) . وعلى باب جامع المقام كتابة بالخط الكوفي جميلة نُقشت عليها البسملة .

٣٩ الزمخشري ٤٦٧/١٠٧٥ الى ٥٣٨/١١٤٤ — من كتبه المفصل في صناعة الاعراب اما شارحه الحلبي فهو ابو البقاء يعيش الموصلي الاصل الحلبي المولد والمنشأ ويُعرف بابن الصايغ (٥٥٦—٦٤٣) ١١٦٠—١٢٤٥ م . قرأ النحو على ابي السخاقيان الحلبي وسمع الحديث على عبدالله بن احمد الخطيب الطوسي بالموصل . . . وعلم في حلب وغالب فضلاء حلب من تلامذته . مات بحلب وطبع كتابه شرح المفصل في ليبسيك سنة ١٨٧٦ — (راجع سركيس معجم المطبوعات ٢٠٠٩ ولم اجد له ذكرًا في ط ولا خ) .

٤٢ العمادي ابراهيم سليل العلماء وُلد بحلب بعد ٨٨٠ هـ/١٤٧٥ م . ونشأ بها وتعلم وافتى ووعظ ، وحج من طريق القاهرة فاخذ عن علمائها واخذ العلم عن جماعة من مشايخ مكة وغزة . وكان يقول انا لا اعرف الا الفقه . وانتهت اليه رئاسة الشافعية بحلب بجامعها وعصرونيتها ، وعاق بالكيميا ثم تركها ، وكان صوفيًا معتقدًا يحيي كل ليلة جمعة بذكر الله تعالى ط ٥ : ٥٥٢—٥٥٦ .

٤٣ الحداد جاء الاسم في ط ٦ : ٥٥٢ وهو لقب احمد بن يوسف . . . المصري خطيب حلب واسمه منقوش على باب منبر الجامع الكبير توفي سنة ٧٢٤ هـ/١٣٢٣ م . ولعله المذكور في المنظومة .

٤٤ واحمد الطيبي ثوى هناكا . وصار جارًا لهم كذاكا
٤٥ والشيخ ابراهيم نجل الشحنة معهم وكلهم في الجنة

وجاء ايضاً في ط ٤ : ٥٦٠ ذكر علي المداد الشاعر م ٧٢٦ هـ ، ١٣٢٥ م . وكان مؤذناً .
— النوري جاء في ط ٤ : ٤٢٥ ذكر سنقرجاه النوري الذي عمر رباطاً في ايام زنكي ووقفه على فقراء العرب سنة ٥٥٤ هـ/١١٥٩ م .
— ابن الوردي اللغوي والفقيه والشاعر وُلد في معرة النعمان ٦٨٩ هـ/١٢٩٠ م . ومات في حلب بالطاعون ٧٤٩ هـ/١٣٤٩ م . درس في سقط رأسه وفي حماة ودمشق وحلب له مؤلفات منها الديوان وفيه المقامات والرسائل والخطب (Cf. Moh. Ben Cheneb : *Ibn Al-Wardi, Zaïn Al-Dîn, Enc. Is.*).

ترجم له الطباخ ٥ : ٣-١٢ وذكر عنه اخبارًا تاريخية ط ٢ : ٢٨٤-٤٢٩ كان معاصرًا لها ؛ منها ذكر فتح الباب شرقي المحراب في الجامع الكبير وظهور رأس سيدنا يحيى وذكر توسيع طرق الاسواق بامر ملك الامراء الطنبغا فتوقع عزله عن حلب اذ قال :

رأى حلبًا بلدًا دائرًا فزاد لاصلاحها حرصه . . .
وما بعد هذا سوى عزله اذا ثم امر بدا نقصه

ووصف الزلزال العظيم الذي خرب حلب وبلادًا غيرها وقال في سكانها :

هلكوا هم وديارهم في لحظة فكأنهم كانوا على ميعاد
يبسوا واوجههم تغيّ من الثرى مثل السيوف بدت من الاغماد

وكان ابن الوردي من المحرضين على السنة محافظة بليغة فلم يكن ليساعد على حركة التصوف وقال في هذه السنة ٧٤٤ هـ ١٣٤٣ م . مزقنا كتاب فصوص الحكم بالمدرسة العصرونية بحلب عقب الدرس وغسلناه وهو من تصانيف ابن عربي تنبيهاً على تحريم قنيته ومطالعته وقلت فيه :

هذه فصوص لم تكن بنفيسة في نفسها
انا قد قرأت نقوشها فصوابها في عكسها

(ط ٢ : ٤٠٦) وصحح الطباخ منظومة الوفائي في ذكر ابن الوردي وقال انه مدفون لا في صحن المقام ولكن قبلي حائط المقام .

٤٤ جاء في ط ٦ : ٥٤٥ محمد الطيبي الحلبي المولد والدار والوفاة ١١٧٢ هـ/١٧٥٨ م . ومم مسجد تبي الله بفوقيا . ولا يزل في حلب يدعى باسمه وهو بالقرب من التدريبة .

٤٥ جاء في ط في المجلد الخامس ١٩ مرة ذكر رجال من بيت الشحنة ولم يظهر فيهم اسم ابراهيم الا مرة واحدة في ترجمة احمد بن محمد بن ابراهيم . . . بن شحنة م ٩٣٦هـ/١٥٢٩ م وفي مخطوط المكتبة الشرقية ١٤٤ ص ٦ : الآثار الكتابية : « مكتوب على حجر فوق الجب ايضاً في المقام وقف العبد الفقير الى الله تعالى شيخ الاسلام علي الدين محمد ابن الشحنة عامله الله بلطفه . . . »

٤٦ مدرس الفردوس وهو البكري بينهم لقد ثوى في قبر-
٤٧ وابن الدغيم الحنبلي مثواه معهم برحمه مولاه

تحت المقام وقبله

٤٨ تحت المقام الغارُ فالشيخ ونس فيه و[منصور] الوليّ ذو النفس
٤٩ ثم ابن نذر صاحب الكواكبي قبلي المقام يا له من صاحب
٥٠ كذا العمادي الصغير ذو الشان بالقرب [منه] وهو عبد الرحمن
٥١ والراشدي الحسينُ باهي النور في الصالحين آخر القبور
٥٢ بالقرب منهم مرقد الحجازي قتيل اهل البغي والمجازي
٥٣ ويومه لكربلا يوازي والله من سعى به يجازي
٥٤ وشيخ والدي الكبيرُ الشانِ عمرُ افندي القادري الجيلاني

٥٠ بالقرب منه (ب ت)
٥١ تربة الصالحين (هامش ب)
٥٤ القادرُ الجيلاني (ب)

---

٤٧ ابن الدغيم ؟ هل يكون محمد بن عثمان م ٩٠٥ هـ/١٤٩٩ م. وقد سعى في دولة الاشرف قايتباي في ان يتولى قضاء الحنابلة. (ط ٥: ٢٦١)

٤٩ جاء في ط ٥: ٢٦٥ سليمان بن نذر الكواكبي (م ٩١١ هـ/١٥٠٥ م.) خليفة محمد الكواكبي الاردبيلي الطريقة.

٥٠ جاء في ط ٥: ٢٦٦: عبد الرحمن العمادي (م ٨٩٧ هـ/١٤٩١ م.) كان احد المعيدين الأربعة في المدرسة المصرونية في حلب واشتغل بالعلم في البلاد المصرية والرومية غ ٣: ١٤١

٥٣ يوم كربلاء فيه مقتل الحسين بن علي بن ابي طالب. يحتفل بذكره اهل الشيعة كل عام. ومن الغريب ان يشبّه يوم الحجازي بيوم الحسين وقد روى ط ٥: ٢٦٦ وغ ٣: ٢٦١ ان الحجازي قتله الشعبُ لتآمره، وهو نقيب الاشراف في حلب، مع المحتكرين لبيع الحنطة بالثمان باهظة في ١٧ جمادى الاول ١٠٩٦ هـ/١٦٨٤ م. وكان عبدالله الحجازي اديباً شاعراً بالغ في فن الاستارة، وبولغ في تقريظه.

٥٥ بالقرب منه رقد الغزالي لا صاحبَ الإحيا [فع] مقالي
٥٦ وشيخنا عمر افندي الاوشر له مقام بينهم منوّر
٥٧ كذا الدليواتي الصغير قد ثوى في الكرم [قرب] الصالحين وازوى
٥٨ بقربه مثوى الولي ياسين كم سمعوه الليل يتلو يس
٥٩ جانبه الولي شيخ النغله بالنون والغين رواه جمله
٦٠ واحمد الكوفي بقربه ثوى والخيشبي محمدٌ هنا ازوى
٦١ والصالحين الملكُ فيها مستقرْ كان كثير الاجتماع بالخضرْ
٦٢ واحمد الكمكي قريب منه وكان ذا حال روَوه عنه

غربي المقام

٦٣ غربي المقام فبنو الفنصاوي وفرعهم يس معهم ثاوي
٦٤ هنا وحسب الله ذو المأثر والابن والحفيد عبد القادر
٦٥ وكان هذا فاضلًا اديبا محاضرا مسامرا اريبا

٥٥ [فع] (ب) صاحب احياء علوم الدنيا والدين ابي الامام الغزالي الشهير
٥٧ قرب الصالحين (ت)
٥٨ مثوا [مثوى] (ب) يسين (ب)
٦٢ قريبًا منه (ب)
٦٣ ياسين (ب)

---

٥٧ الدليواتي الصغير وهو علي (م ٩٦٨ هـ/١٥٦٠ م.) (ط ٦: ٤٧) حفيد ابي بكر (ط ٥: ٢٧٠) وصف كامل الغزي (٢: ١٤٤) جامعه، وذكر الطباخ خبر ترميمه بسعي محمد اسعد باشا الجابري (م ١٣٣٦ هـ/١٩١٥ م.) (ط ٧: ٥٨١) في محلة القراقرة واحياء الفقه الشافعي فيه.

٦٣ جاء في (ط ٧: ٢١) ذكر ابي بكر ابن قنصة (م ١١٧٧ هـ/١٧٦٣ م.) وفي (ط ٧: ١٥٠) ذكر محمود بن علي قنصه (م نحو ١٢١٠ هـ/١٧٩٥ م.) اما ابو بكر فقد اجلاه عن حلب الى بيلان مع غيره من الاعيان السيدُ احمدُ باشا (راجع غ ٣: ٢٠٠)

خارج المقام بشرقه

٦٦ وخارج المقام نحو الشرق ضريحُ إخلاصٍ إمام الصدق
٦٧ نجارُه واصلُهُ صديقي وكان شيخَ القوم في الطريق
٦٨ لأجلهِ عُمّرت التكيّه فسُمّيت لذاك خلاصيه
٦٩ وشيخه شاهُ ولي الجليلُ جار له جانبه نزيلُ

٦٦ نحو الشرقي . . . امام الصدقي (ب)
٦٧ طريقي (ب)
٦٨ اخلاصيه (ب ت)
٦٩ وشيخه (ب)

---

٦٦ اخلاص المقلوتي (م ١٠٧٤ هـ./١٦٦٣ م.) — كان خادماً ثم تتلمذ للشيخ قايا ، خليفة الشيخ شاه ولي ، ودخل المقلوات كثيره من المريدين ، وخلف الشيخ قايا . وعمّر له محمد باشا الارنؤد زاوية ، وله في كل سنة ايام الشتاء خلوة عامة يجتمع فيها المريدون ، فيصومون ثلاثة ايام ويأكلون عند المساء مقدار اوقيتين من الحريرة ورغيفاً من الخبز اكثر من اوقية ، ولا يشربون الماء القراح بل يشربون القهوة ويستمرون في الذكر والعبادة آناء الليل واطراف النهار . . . (عن السباخ ٦ : ٢٢٧)

اما التكية او الزاوية المذكورة فزرناها ولم تزل عامرة وفيها صوامع على جانبها عددها نحو ١٢ وهي غريبة بشكلها مركبة من غرف خشبية صغيرة اشبه بخلايا النحل ، وهي مهجورة في يومنا وقرأنا على باب التكية الاخلاصية ، وقد تُعرف اليوم بتكية الرفاعي او الشيخ جمال ، الشعر التالي :

لك الحمد يا من ارشد الخلق للهدى وسيّر في بحر التقى كلّ غوّاص
وارسل الشهما الوزير محمداً فاهدى بها المعروف العام والخاص
وانشأ فيها مسجداً دام عامراً بذكر وتوحيد مدى الزمن الفاصي
واخلص في انشائه متضرعاً الى ربه الباقي عن الذنب العاصي
وقال لسان الحال اذ تم أرّخوا بنى مسجداً في داعي اخلاص [باخلاص]
١٠٦٦ [١٦٣٦ م]

٦٩ شاه ولي (م ١٠١٣ هـ./١٦٠٤ م) (ط ٦ : ١٨٢) كان جندياً ثم انصرف عن امور الدنيا وتصوّف وخلف معلمه الشيخ يعقوب .

٧٠ اما خليفة الولى اخلاص محمد البخشي فخاص الخاص
٧١ اول آخذ من البخشيه عنه الطريق وهي خلوتيه
٧٢ كان وعاء جامع العلوم يجول في المنطوق والمفهوم
٧٣ حبراً مدققا وفي الحديث خاتمة الحفاظ في التحديث
٧٤ وكان قد حج ومات في الحرم دُفن في الحجون موفور الحرم
٧٥ ثم ابنه الجهبذ عبدالله في الصالحين ذو مقام زاهي
٧٦ ثم ابنه الحبر ابو الاخلاص الحسن المعدود في الخواص
٧٧ كان هماماً عالما مؤلفا على مراضي ربه متعكفا
٧٨ له تآليف غدت عديده لكل من طالعها مفيده
٧٩ والشيخ اسحق وابراهيم كلاهما بقربه مقيم

---

٧٠ محمد البخشي (م ١٠٩٨ هـ/١٧٨٣ م) (ط ٦ : ٤٠٢) وُلد في بكنالرن ، قرية من اعمال حلب ، وعاش في حلب ، ثم مات في مكة . وجدّ البخشيين احمد بخشي خليفة الاماسي (م ٩٣٠ هـ/١٥٢٣ م) — بخشي لفظة عجماء قد تكون من اصل سانسكري دخلت في اللغة التركية الشرقية واللغة الفارسية على ايام المغول ويُفهم بها رجال الدين البوذي . وكان الكتبة التركيو الاصل يُدعَون بخشيين اذا حرروا تقارير للشعوب التركية والمغولية . وكان المغول يسمّون بخشياً الطبيب الجراح ، وفي الهند البخشي كان معهود اليه بتوزيع المعاش على الجند الخ . . . (Cf. Barthold : *Bakhshi, Enc. Is.*)

فترى ما وراء درس بعض الاسماء من الفوائد الدالة على العلاقات التاريخية بين بلادنا وبلاد آسية الوسطى . (الرسم ١٧)

٧٢ المنطوق ما يُدرك بذاته لوضوحه والمفهوم ما يدرك بشرح لغموضه

٧٦ حسن البخشي (م ١١٩٠ هـ/١٧٧٦ م) (ط ٧ : ٨٥) قال الطباخ : « وقف كتبه على التكية الاخلاصية غير انها لم تبقَ على حالها وفيها نفائس كثيرة لو تكلمت عليها لطال ذيل الكلام » . وقد راجعت المكتبة المذكورة فلم اعثر فيها على درّة ثمينة سوى مجموعة بخطّ الشيخ بهاء الدين وفيها الخطب التي تلاها في ايام مشهورة وهي دينية اكثر منها تاريخية .

٧٩ اسحق البخشي (م ١١٤٠ هـ/١٧٢٧ م .) (ط ٦ : ٤٧٦) مولود حماة سافر الى

٨٠ والمرشدُ الكامل عبد الرحمن تجاه إخلاص عليه الرضوان
٨١ هذا الذي كان أقام والدي خليفةً مكانه [للوارد]
٨٢ على مؤاده من الحق ورد وقد سرى السرُّ ولله المدد
٨٣ وحُرِّرتْ اجازةُ الخلافه وكان ختمه له اضافه
٨٤ ونجلهُ الصادقُ شيخ بركه وسالك في المرشدين مسلكه
٨٥ ضريحُه بقرب قبر والده ونالَ من طارفه وتالده
٨٦ وكان في حياته طلبني من والدي اراد يستخلفني
٨٧ مكانَه للاقتدا بوالده وما جرى مع ابي في وارده
٨٨ و[كاد] ان يعطيني الخلافه فأصدرَ القضا لنا خلافه
٨٩ لعارض اوقع بعدَ الوَحْشه بينهما وغشَّه مَنْ غشَّه
٩٠ وبعد ذا اختار لها علياً ولم تطل مدته مليا
٩١ وهو العيسي حفيدُ العطّار وكان صالحاً حميدَ الاطوار

٨١ لواردي (ب) لوارد (ت)
٨٣ حررة (ب)
٨٤ شيخ البركه (ت)
٨٨ وكاد (ب ت)
٩١ الاوطار (ب)

مكة. واخذ عن علماء الحرمين. وله تآليف ادبية سافر مع الوزير قبطان ابراهيم باشا في البحر وبنى مقدمة عربية وصف فيها الفتان برًّا وبحرًا.

ابراهيم اليخني اليكنالوفي الخاني (م ١١٣٦ هـ/١٧٢٣ م.) سافر الى مكة ودمشق، وعلّم في حلب في المدرسة المقدسية.

٨٠ و٨٤ عبد الرحمن وابنه صادق (ط ٧: ١٢٦) — صادق (١١١٣-١٢٠٥ هـ/١٧٠١-١٧٩٠ م.) نشأ بكنف والده واعمامه واخذ عنهم وعن غيرهم من العلماء. وكان شيخ التكية الاخلاصية بحلب.

٨٧ في وارده: في من يرده او يأتيه

٩١ جاء ذكر العطار الشاعر (ط ٦: ٤٤) ورمضان العطار (ط: ٤٨٢) ويوسف العطار (ط ٦: ٥٢٢) (الرسم ١٨)

٩٢ ضريحُه ما بينهم في المقبره حفَّ جميعَهم عظيمُ المغفره
٩٣ وكلُّهم من عنصرِ البخشيّه الّا عليًّا فهو في العبسيّه
٩٤ وقبر سيّدي محمد غازي منهمْ قريبٌ ولهم موازي
٩٥ أمّا وحيدُ دهره ايوبُ الخلوتي فرشدٌ مُنيبُ
٩٦ مقامُه في الناس يونسيُّ بكثرة الاخوان اوحديُّ
٩٧ كان إماماً مرشدًا مسلّكا قد راق مشربا وطاب مسلكا
٩٨ له كلامُ حِكمٍ كابن عطا ، اللهِ كم تكشفُ عن قلبٍ غطا
٩٩ ومات بالشام وبرج الدحداح مقامُه ، يرحمُه اللهُ الفتاح
١٠٠ والخلوتيُّ احمد العسّالي له مقامٌ في الطريق عالي
١٠١ له تكيّةٌ وفيها مدفون من خارج الشام تجاهَ القابون
١٠٢ وذو كرامات بها قد شهرا ووردُه السامي له سرٌّ سرى
١٠٣ وذكر ايوب مع العسّالي في هؤلاء السادة الاعالي
١٠٤ ولم يكونا معهمُ في التربه لكن لهم جمعيةُ [المحبه]
١٠٥ وكونُ كلٍّ منهما فخلوتي معاصرُ إخلاصِ شيخِ الجملة
١٠٦ ثم شمالي السادة البخشيّه ضريحُ شيخ كاملي المزيّه
١٠٧ لم ادرِ ما اسمُه وما شهرتُه لكن تبرّكا بـه ذكرتُه
١٠٨ والشيخُ احمدُ الفتى الغزّاوي في قبره بالقرب منهم ثاوي

٩٨ لكل كلام حكم لابن عطاء . . . غطاء (ب)
٩٩ او برج الدحداح (ب)
١٠٢ ذو كرامات . . . سرّ (ب)
١٠٤ ولم يكن . . . المحبة (ب ت)
١٠٥ في خلوتي (ب)
١٠٨ باوي (ب)

رأس الصالحين قبلة

١٠٩ وعند رأس الصالحين قبلَه القادريةُ الكرام جملَه
١١٠ معهم العرضي ابو المواهب وهو الفتى الشهيرُ بالمناقب
١١١ كذا ابن النور الوليُّ الزاهدْ من الكرام السَّادة الاماجدْ
١١٢ وعمرُ العرضي وعبد الوهاب بشرحه الشفا بخيرٍ قد آب
١١٣ قد ثويا وجملةَ العرضيين خلفَ المقامِ بالرضى محبورين
١١٤ والحنبليُّ العبدُ للرحمنِ في قبَّة رفيعةِ الاركانِ
١١٥ ونجلهُ الجهبذُ عبدُ الله جانبَه وهو من الأنباه
١١٦ في العلم والحديث والتَّفسير وفي الفرايضِ وفي التحرير

١٠٩ القادرية (هامش ا)
١١٣ قد ثويا جملة العرضيين (ب)

---

١١٠ ابو المواهب سبط العُرضي (م ١١٢١ هـ/١٧٠٦ م.) (ط ٦: ٤٤٤) رجّح الطباخ ان وفاته كانت في الاستانة لكن الشعر شاهد على انه دُفن في حلب – على انه قضى معظم حياته في استنبول.

١١١ ذكر الطباخ (٣: ٢١٢) سنة ١٠٧٢ هـ/١٦٦١ م. وفاة ابي النور عبد باشا الكوبريلي ولا ادري هل من علاقة بينه وبين المذكور في المنظومة.

١١٢ عمر العرضي (م ١٠٢٦ هـ/١٦١٥ م.) مفتي حلب الشافعي، شيخ الاسلام ترجم له الطباخ (٥: ٢٠٠-٢١٠) اخذاً من روايات عدة، وذكر له مؤلفات منها تاريخ مفقود الا بعض اوراق، نقل الطباخ شيئاً منها.

عبد الوهاب العرضي (م ٩٦٧ هـ/١٥٥٩ م.) وكان شقيق عبد العرضي (م ٩٢٠ هـ/١٥١٤ م.) الذي صار اماماً لخير بك كافل حلب على ما روى (ط ٥: ٢٧٨)

١١٣ ابن العرضيين جاء ايضاً ذكر بركات بن سرور العرضي (ط ٥: ٥٢٢) وخالد (ط ٦: ٤٢٢) وابي الوفاء بن عمر العرضي (ط ٦: ٢٠٨-٢١٨)

١١٦ بين الحنابلة المذكورين في ط ٥: ٦٢، ٦: ٦، ١٢٦: ٥، ١٦٥: ٥، ٥٦: ٦، ٥: ١٢٧، ٥٦٢: ٥، ٧: ٦، ٢٤٨: ٥ جاء ذكر عبد الرحمن ١٨٦: ٥ وعبدالله ١٧١: ٥ لكن هذا لا يمكن ان يكون ابن ذاك وقد سبقه بالعمر.

١١٧ ومنْ شمال اوّل القبورِ قبر محمّد الهمام الغوري

قبّة الصوت

١١٨ من قبّة الصوت قريباً شهدا ثلاثةٌ عز غزاةٍ سعدا
١١٩ احدهم يدعى بابراهيما كان شجاعاً بطلا وسيما
١٢٠ وقبرُ سيّدي سعيد واقع قبل المقام مثل بدر ساطع
١٢١ ومن شمال سعد الأنصاري تأتيهما جماعة الزوّارِ
١٢٢ ومشهدُ الدكّة من شماله كم استظل الناس في ظلاله
١٢٣ من شيعة النبي فيه جمله من سادة الاشراف والاجله

قبر السفيري في باب المقام

١٢٤ وان تيمّم مرقدَ السفيري فيا له في الخير من سفيرِ

١١٨ عن غزاة ثلاثة سعدا (ب) غزّ (ت)
١٢٠ قريب الشيخ اسعد (هامش ب)
١٢٢ المشهد (هامش ب)
١٢٣ الاشراف الاجله (ت)
١٢٤ اتمى الصالحين وابتدا من عند السفيري (هامش ب)

---

١١٨ لم اجد اثراً لغزاة الثلاثة اما في قبة الصوت فراجع (غ ٣:٢٦١) وهي شمالي مقبرة الصالحين.

١٢١ جاء في ط ذكر الكثيرين من الانصاريين ٤:٤٠٣، ٤٤٨، ٤٥٣، ٤٥٥؛ ٥:١٢٥، ١٧٧، ٢٢٤، ٣٦٠، ٥٤٩؛ ٦:٨٦، ١٨٩، ٥٢١ (الرسم ١٩)

١٢٤ ترجم ط ٥:٢٧٨ للسفيري (م ٨٧١هـ/١٤٦٦م.) وبينما كنت ابحث عن آثاره في مقبرة الصالحين التف حولي جماعة من العرب وقد دهشوا لعناية الفن المسيحي بالتفتيش عن موتاهم واستحسنوا العمل وحكى لي احدهم خبر السفيري قال: «كان يومياً يجي من قريته السفيره جنوبي حلب ليأتي زائراً قبور الصالحين، وكان يتلو القرآن كلّه بين اياب وذهاب. فمات ودُفن في الموضع الذي كان يُرى فيه معلياً وعنده بُنيت القبة.»

١٢٥ كان وليًّا بدلًا وعالما وقد يرى له الخضر مكالما
١٢٦ [فعنده] المحقّقُ اليزديْ من شيخه عليٍّ القوشجيْ
١٢٧ ثم أويس بك صالح تقيْ في الباب من مقامه محميْ
١٢٨ والخانتومانُ الفقيه الحنفي محمدٌ ضريحه لا يختفي
١٢٩ ومن شمالـه ابنه محمدُ العالم الحبر الفقيه السيدُ
١٣٠ كان تقيًّا فرضيًّا حاسبا على قراءة الشفا مواظبا
١٣١ شرع في كتابة كالحاشيه عليه لو تمت لكانت كافيه
١٣٢ فجمنا به الزمان العادي اساءةً واشمتَ الاعادي

١٢٥ مكارما في (ا) مسوحة. مصلحة: مكالما والوزن يقضي: وقد يرى الخضرُ له مكالما
١٢٦ فعنده (ت)
١٢٧ اويس لديه صالح (ب)
١٢٨ والخانتوماني (ب)
١٢٩ ومن شماله نجله محمد (ب)
١٣١ شرع في كتاب كالحاشيه (ب)
١٣٢ واشمتته (ب)

اما الصغير فزرناها وتفقدنا آثارها القديمة بمعية معتمد آغانا من جامعة القديس يوسف، واخذنا صورة شيخها عند الآثار القديمة بينما كان الاب رينه موترد ينقل الكتابة الاثرية المنقوشة على الاحجار. (الرسم ٢٠)

١٢٦ خليل اليزدي (م ٩٠٨ هـ/١٥٠٢ م.) (ط ٥: ٩٠٨)

١٢٧ اويس بك الدفتردار (م ٩٦٩ هـ/١٥٦٢ م.) قال الطباخ ٥: ٥٢٨: «طلب منه جماعة ترجمة الفرنج بحلب وسمرة البهار بما على ان يكون عليه للخزائن السلطانية (كذا! ولعل المتن الصحيح على ان يكون له من الخزائن السلطانية؟) مبلغ وافر من المال فرأى ذلك قالبًا عجبًا فأبى وحمل على بيت المال ثلاثين قطعة برسم تجهيز لكل من مات من المسلمين ولا شيء له يجهز به . . . هـ – على ايامه باع متولي الفردوس جانبًا من حجارة ذلك المعبد الجليل فركب اويس بك الى الفردوس وامسك المشتري وشدّد عليه وخلص الحجارة . . . وعمل في البهارستان النوري . . . ومات بالطاعون، وتأسف عليه الطيبون.

١٣٠ فرضيّ اي متضلع من علم المواريث وقسمة التركات والشفا هو كتاب حياة محمد

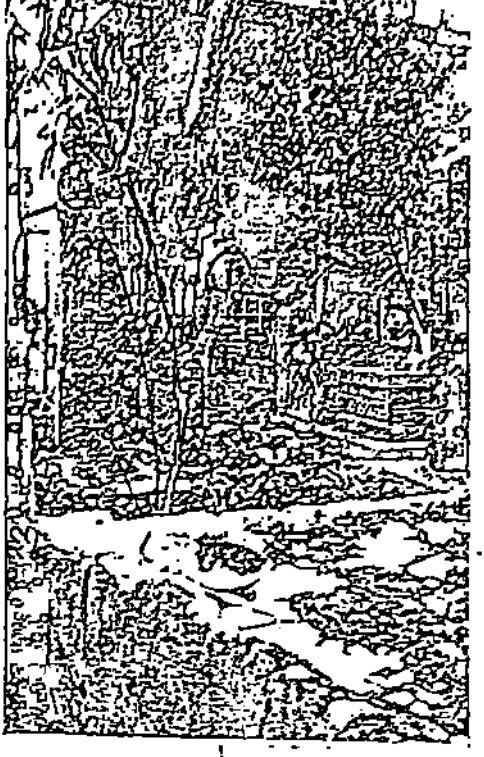

الرسم ١٤ –
زاوية النبي

الرسم ١٥ –
مقام ابراهيم

الرسم ١٦ – قدم
ابراهيم داخل المقام

الرسم ١٩ – قبة الصالحين

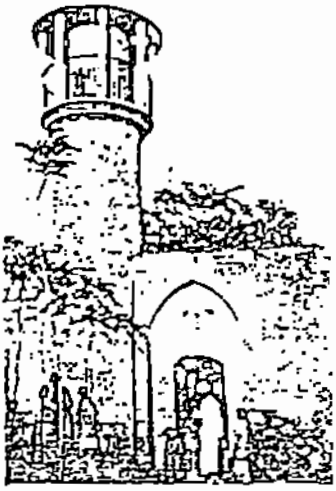

الرسم ١٧ – عند تربة البختي

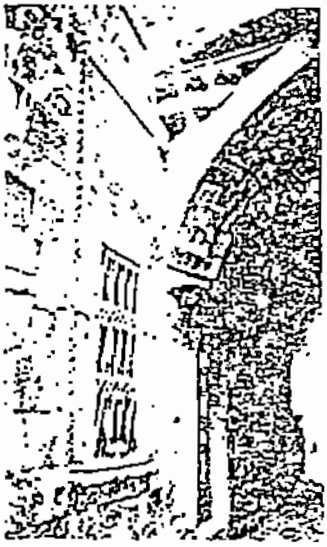

الرسم ١٨ – قبر العطار في حارة السواسين

الرسم ٢٠ – السفيرة سقط رأس الولي السفيري، الاب ريته موثرد بنسخ الآثار

١٣٣ بين السفيري وبين الشعله كلاهما حلّا عقيب النقله

تربة الشعلة في باب المقام

١٣٤ وتمم الشعلةَ شعلة القبَسْ جلّلها النورُ ومَن شاء اقتبس
١٣٥ فيها ضريح الحمصي احمد ركن الطريق [القادري] المسند
١٣٦ ازاءه وارثه الخاني قاسمُ ذو المشاهد الوَلِيُّ
١٣٧ ألفَ سفرَ السيرِ والسلوكِ فالحقَ المملوكَ بالمملوكِ
١٣٨ جانبه وارثه الشكعاوي محمّدٌ عنه الطريقَ راوي
١٣٩ حذاءه عبدُ الرحيم الناشدُ اذا حدى للقوم قام القاعدُ
١٤٠ بجنبه الخليفةُ المداري نِعمَ المربّي كان والمداري
١٤١ بقربه فالأصغري محمّد كم سالك وكم مريد مرشد

١٣٣ بين السفيري والشعله (هامش ا) طرف الشعلة من جهة الشيخ جاكير (هامش ب)
١٣٤ الشعله (هامش ا)
١٣٥ القادري المسند (ب) والمسند مرجع الناس في اعطاء الاجازات بالحديث
١٣٦ الولماني وفيه مصلحة الولي (ب)
١٣٧ فالحق المملوك (ب)
١٣٨ الكشاوي (ت)
١٣٩ قاعد (ب)
١٤١ ارشد (ب ت)

---

١٣٤ يسمّون الشعلة موضع قبور ظهر، على قولهم، نورٌ عندها. ومنها قبر «الفرنجية» وهي على ما يقال اميرة مسيحية جاءت من الغرب لزيارة الاراضي المقدسة ولم تستطع ان تتابع سفرها فاقامت واقامت في حلب ومات فيها ودفنت في الصالحين. اما الضياء الذي يظهر على المقابر فتفسيره اما ان يكون جاء زائر يتزور ليلاً قبر ميت فلاح ضياؤه عن بعد فظنه الناس أعجوبة او هو بقايا عظام الموتى وقد يشعّ من مادتها الفوسفورية لمان يضيء بالليل.
١٣٦ جاء ذكر قاسم الخاني (ط ٦: ٥١١) في ترجمة صالح المواهي.

١٤٢ وقربه وارثه [المواهبي] الشيخُ صالحُ مفيد الطالبِ
١٤٣ ونجلهُ الشيخ محمدٌ غدا خليفةً له على نهج الهدى
١٤٤ حاز مقامَ العلم والطريق ورتبةَ الإرشاد والتحقيق
١٤٥ من بعده صار ختامَ الخلفا ولدُه الفاضلُ شمسُ الاصطفا
١٤٦ الشيخُ اسماعيل ذو الآداب معظّمُ السنّةِ والكتابِ
١٤٧ وهو قريبٌ من ضريح والده وشربَ الأعذب من موارده
١٤٨ وكلُّهم خلائفٌ اماجد من بعد واحدٍ يقومُ واحد
١٤٩ وبإزاء الشيخ اسماعيلا اخوه احمدي غدا نزيلا
١٥٠ والحلويُّ احمد الخطيبُ معهُم وقبرُه قريبُ
١٥١ ونجله محمدٌ في التربه وهي التي جمعت الأحبّه
١٥٢ ومعه ابنه أهو المحمودُ مباركٌ وحالهُ مشهود
١٥٣ وقربهم عليٌّ المحبوب وفي طريقهم هو النقيبُ
١٥٤ كذاك عبدُ القادرِ الاسكندري حاذيهم بحسن صوت أشعري
١٥٥ والشيخُ أحمد الفتى البصيري يُعرَفُ عند بعضهم بالنوري

١٤٢ المواهبي . . . الطالبي (ب)
١٤٥ ولده الفاضل شمس الخلفا (ب)
١٤٨ خلايف (ب)
١٤٩ احمد (ت)
١٥٤ الاسكندر حاذيهم (ب)

---

١٤٢ صالح المواهبي (م ١١٥٢ هـ/١٧٣٩ م .) (ط ٦ : ٥١)
١٤٣ محمد المواهبي (م ١١٨٧ هـ/١٧٧٣ م .) (ط ٧ : ٦٥)
١٥٠ الحلوي احمد (م ١١٩٥ هـ/١٧٨٠ م .) (ط ٧ : ١٠٨) نسبة الى المدرسة الحلوية ، وله مؤلفات منها رسالة في الانتظام . وصار شيخ القادرية في حلب .
١٥٥ في ط ٧ : ٢٧ جاء ذكر محمد ، لا احمد ، البصيري (م ١١٨٠ هـ/١٧٦٦ م .)

١٥٦ والحافظ المجوّد القاوجي وقربه العجي بذاك العجي
١٥٧ اما اسمه فانه محمد والعجي فيه [لقب] مجرد

قبلة العلماء

١٥٨ وقبلة فالعالمُ العلامه والرحلةُ المحقّق الفهّامه
١٥٩ بحر الذكا محمّد العمّاد في كل علم ذهنه وقّاد
١٦٠ وولداه الحبرُ عبدُالله وصنوه طه من الأنباه
١٦١ ونجل عبدالله عبد الوهاب يقرء للسبعة بين الطلاب
١٦٢ جانبه فعمر الخفّافُ حبر همام كلّه الطاف
١٦٣ والشيخ عبدُالله بالعطاني شهرته بالقرب غير ثاني

١٥٦ القاوقجي (ب ت) العجي النجي (ب) النج (ت)
١٥٧ العجي فيه لقب مجرّد (ب) لمب (ت)
١٦١ يقرأ بالسبعة (ت)
١٦٢ جانبه عمر الخفاف (ب)

---

١٥٩ محمد العماد مفتي الشافعية ذكرت ابنته ترجم الشيخة م نحو ١٢٢٠ هـ/١٨٠٥ م. قرأت القرآن على والدها، واجاز لها جماعة من المحدثين وشهدوا بعلمها (ط ٧: ١٧٢) وجاء ذكر محمد العماد في ط ٧: ٣٠١

١٦٠ عبدالله م ١٢٢٩ هـ/١٨١٣ م. (ط ٧: ١٦) وطه العماد م ١٢٢٩ هـ/١٨١٣ م. (ط ٧: ١٦١)

١٦٢ عمر الخفاف (ط ٧: ١٦٥) كان عالماً نحوياً - كان ضريراً ومد يده في قفة ليتناول منها طعاماً، وكان ملمس الطعام ملمساً كملمس الحية فظن انه من حية فدعا بولد كان يدعي انه يحيي الحيات بقوة سيدي احمد الرفاعي وسأله «المدد» على الحية فمده الولد بالمساعدة «على الطعام» فاكل ومضى الى سبيله فصارت الاحدوثة بكلمة قال منها الخفاف لقب «كله الطاف»

١٦٣ عبدالله العطاني هو العطاني الصحاف (ط ٧: ٢٠١) م ١٢٣٣ هـ/١٨١٧ م. له آثار في الادب ومنها رسالة ترجم فيها لتسعة عشر اديباً بالاسلوب اليباني المسجع المفخم شأن الكثيرين من كتبة زمانه.

١٦٤ بجنبه الشيخُ عطاء الله والده وهو من الأشباه
١٦٥ ثم هنا المحدّثُ الشرابي عبدُ الكريم رحلةُ الطلاب
١٦٦ ثم ابنُه الشيخُ محمدٌ صفا قلباً وفضلا واخوه مصطفى
١٦٧ ومعهم احمد مع عبد الغني والاخ عبدالله ذو قدر سني
١٦٨ قد شربوا وهم شرابيّونا شرابهم وهم مقربونا
١٦٩ والشيخ طه العالم الجبريني كان اماما في علوم الدين
١٧٠ والزاهدُ الهندي عليّ ههنا كان معمّرا تقيًّا محسنا
١٧١ وعمر العلّاف مجذوبٌ لهيف معهم وهو على الروح خفيف

تربة الشيخ جاكير تابع باب الشام

١٧٢ واقصد ويمّم تربة الجاكيري ابي محمد شريف النور
١٧٣ في الطريق للشهيدين اشتهر قبر عن اليمين للمين ظهر
١٧٤ والشيخ جاكير عليه قبه رفيعة البنا بارض رحبه

١٦٥ شرابي . . . طلابي (ب)
١٦٧ احمد وعبد الغني (ب)
١٦٨ وهم شرابونا (ب)
١٦٩ الجبريني او الجيريني (ب)
١٧٠ والزاهد الهندي (ب)
١٧٢ النوري : تربة الشيخ جاكير لدى باب النيرب (هامش ب) ؛ تربة الشيخ جاكير (هامش ا)

---

١٦٨ شربوا ماء يسقيهم اياه شيخ الطريقة فتمتعوا بكرامات بواسطته .

١٧٠ جاكير لم اجد ذكره في ط اما النوري فوصف قبته وتكلم عن اعتقاد الناس به لكنه لم يهتد الى معرفة اصله (٢ : ٥٠٧)

واني زرت مقامه بغية المصور واخذ من داخل الدار الملاصقة مقامه صورةً نشرناها في هذا المقال وفيها كل طاقة من طوق البيت مخرّمة على طراز غير طراز غيرها . (الرسم ٣١ وراجع الرسمين ٤ و ٥)

١٧٥ وخارج القبة عجان الحديد محمد ذو مدد عال مديد

واجتمعنا بالمتعبدين للولي الشيخ جاكير ، وحضرنا رتبتهم الدينية للفرجة . فكانت غريبة بشاهدها ، وقد صارت بعد العشاء نحو الساعة العاشرة ليلاً ، على نور المصابيح الضئيلة ، وكانت هناك حلقة واسعة من الرجال في نصفها الاول حاسر البدو ، وظهرهم الى الشمال ووجوههم الى القبلة . وفي نصفها الثاني جلسنا ، اعني الداعي ، وكاهناً ثانياً يسوعياً بولونياً ، وجماعة من العسكر الافرنسيين ، وضباطهم . وكان في وسط الحلقة جمرة نار متقدة فدارت علينا النهوة العربية مع لفائف التبغ ، وبينما كانت الحلقة حاقة اذ المزامر تُفرع بالانامل والضجيج يزداد دقيقةً عن دقيقة وصوت المنشين والقوالين يرتفع ثم سكت الجميع الا الشيخ فاخذ ينشد الشعر :

الله الله يا ستار يالي للذنب غفار
يا ربي تغفر ذنبي وتجيني من حرّ النار
فتنخيك يا ابا الزهرا(١) اغيثني منك نظره
انا داخل على الحيره(٢) مددك مددك يا مختار
لأنتخي انا الرفاعي بسره(٣) لجم الباع
يوم الضيق تنفاع للفزعة دوم محضر
اغيثني يا دسوقي عرجي(٤) راعي البروق(٥)
انا بشدة ومضيوق ادركني راعي الاسرار
اغيثني يا طنطاوي يا قطب ويا علاوي
يا احمد يا بدوي للفزعة دوم نحضر
اغيثني يا عبد القادر برهانك دائم ظاهر
دخيلك عبد القادر ادركني راعي الاسرار (٦)
لاستنجد بعز الدين عرجي راعي البراعين
ادركني نسل الحسين للنجدة دوم محضر
يا فتاح يا عليم المدد يا مفيض النور على الوجود المدد
يا رسول الله غوثاً ومدد يا رسول الله عليك المعتمد
يا رسول الله فرج كربنا ما رآك الكرب الا وشرد
يا رسول الله كن بنا شافعاً انت والله شفيع لا ترد

---

١) استغفر فيك النخوة يا محمد
٢) عار جابني عليك ان لم تنجدني .
٣) السر او الواسطة التي لا يبوح بها
٤) من يرعى البروق وهي في حكمه
٥) كثير الاسرار

يا ابو بكر يا صديق المدد يا عمر يا ابن الخطاب المدد
يا عثمان يا ابن عفان المدد يا امام علي المدد
يا اربعين يا متدركين المدد يا اربعة يا اقطاب يا سلاطين المدد
يا سيد احمد الرفاعي المدد يا احمد البدوي المدد
يا عبد القادر الجيلاني المدد يا ابراهيم الدسوقي المدد
امسلّ المدد بالمدد ادركونا يا رجال الله بالمدد

الى ان قال :

شيخ المواجز ابا اسماعيل عالي حال
يا سمي النوم نظره المريد بالحال
محبوبك يناديكا باشيخ جاكير انا بالحال
ادرك محبك اذا ناداك سيدي بالحال

وقال الشيخ راوية هذا الشعر . عند ختام الكلام تظهر اشارة نورية في نظر منشد الشعر فيفهم منها ان قد اذن له بان يأمر بالخوارق فيأخذ المستمعون من الحاضرين بطعن انفسهم بالسلاح . واليك صورة صادقة لما شاهدناه وكنا جمهورًا فلا سبيل الى الشك بصدق نظرنا وقد اجمعنا عليه :

سكت الشيخ وعاد المنشون الى غنائهم ، والى ضرب المزامر الى ان صار احدهم ، وهو في وسطهم ، يصفع المزمر صفعاً بكفه ثم رماه بعيدًا فوقع بالقرب من المجمرة وكاد يقلبها على الحصير . لكن الشرارات طارت منها واثرت في الحصير المفروش في وسط الدار . ثم انقلب الرجل المذكور على وجهه مختبطاً بنوبة عصبية اشبه بنوبة من أصيب بالساعة فارتعش الناس واعتبر المنشون ان الوحي قد حلّ على الرجل ، وخارت قواه . فقام الشيخ وأمرّ يده على وجهه وصار يقول له : « وحّد الله وحّد الله » الى ان هدئ الرجل وعاد الى موضعه ، وعاد المنشون الى غنائهم لكن تلك الحادثة كانت اشارة الجماعة ان المدد قد حضر لكي يأتوا بالمخرقات .

فقاموا واحضروا اسياخاً من حديد وقضباً حديدية غيرها ودسّوها بالمجمرة حتى حميت واحمرّت اطرافها فأخذها الشيخ وصار يلحسها بلسانه . وقام منشد جميل الصوت ينشد ويعيد القصيدة التي كان الشيخ سبق وتلاها . وفيما هو ينشد قام الشيخ ودخل غرفة مظلمة ومعه الرجل الذي كان قد هبط عليه الوحي واعترته الهزة العصبية وصار الشيخ من داخل الغرفة يرفع صوته مناجياً الشيخ جاكير . وما مضت دقائق عشر الّا خرج ومعه الرجل وفي يده مجتاز سيخ الحديد . فصوّره احد الحاضرين مستملاً نور المتغربوم . وكان غيره من الرجال ينزع قطع الحديد المحمّرة في فمه ، وغيره يغرس دبوساً في خده . ونحن ننظر مستغربين الاعمال والاحوال .

وكان بين الجماعة الافرنج من حضروا تلك المشاهد الطاهرة فتحققوا اكيدًا ان السيف دخل من الخدر وخرج من الخدر ولم يجرِ منه دم . وقالوا ان من غرسوا تلك الاسلحة

تربة باب النيرب تابع باب المقام ايضاً

١٧٦ والتربة التي بباب النيرب فيها ابو العظام شيخ انجب
١٧٧ والشيخ فتيان قريب منه وكم كرامة رووها عنه
١٧٨ بقربه فالشيخ ابراهيم المكتبي الحنفي معلوم

١٧٦ تربة باب النيرب (هامش ا و ب) - شريف انجب (ث)
١٧٨ الحنفي المكتبي معلوم (ب)

في جسمهم كانوا في حالة مستجربة لم يشعروا فيها بالألم ولا بحاجة الى الناس عالمًا خارج الطبيعة لتعليل هذه الظاهرات وامثالها المتصلة من المشعوذين.

واهل باب النيرب يخافون الحلف كذبًا بالشيخ جاكير لئلا تصيبهم نقمته، ولهم في هذا الصدد اخبار. قالوا: «كان رجل له زوجتان وكان لاحداهما عقال صوف علقت فيه نقودًا ذهبية فرمت عقالها فاكلته بقرة بعد ان نخته وذاقت طعم الملح المتصل به من عرق جبين المرأة التي كانت تلبس به شعرها. فاتهمت صاحبة العقال الزوجة الثانية بسرقة العقال وحلفتها على الشيخ جاكير ان تصدقها القول على هي السارقة او لا. فحلفت الزوجة الثانية انها بريئة من السرقة وما ان انتهت من حلفانها حتى سمعوا في الجوار فرقعة فاذ البقرة تتمرغ وتطاير مع امعائها بقايا صوف العقال وفيه النقود الذهبية. ومن ثم صاروا يدعون الشيخ جاكير ويقولون: «يا بياع البقرة.»

– وفي تربة الشيخ جاكير قرأنا على قبر امرأة شعرًا يفيدنا عن التعميم في اعتقاد الجماعة:

احل الله امتـه جنابـاً عـ . تنتهيه من الامـاني
اطاعت امر باريهـا فنالت سبيلاً في مراديس الجنـان
فبشراها لقد لاقت كريمـاً فجاورها مع الحور الحسان

١٣٥١ هـ ١٩٣٢/٠ م.

١٧٥ عجان الحديد يحكي عنه حميده حامد المكتبي المعروف في حلب ان جدّه كان في بلدة الباب، وكان هناك فلاح يفلح، اذ انكسر حديد السكة في المحراث، فرآه الشيخ الجد فعجن الحديد وجبر الطب وسمي من ثم عجان الحديد.

١٧٦ ابو العظام يسميه بهذا الاسم اهل باب النيرب ويقولون ان حفلة ذكر اقيمت عند قبره ثم فتح القبر لدفن ميت. وكانت فيه عظام ميت سابق فلما حمل اهل الذكر يوحدون الله تحركت عظام الميت سابقًا كأنما ابتهجت لذكر الله. وصاروا من ثم يكرمون الولي «ابا العظام».

١٧٧ زرت ضريحه واستخبرت عنه. فقال لي احد الحاضرين ان الشيخ فتيان خلص من ايدي الجنّ انسانًا كانت الجن قد خطفته وهو ولي.

١٧٩ والشيخ صالحٌ هو السلطاني ضريحه منهم هناك داني
١٨٠ محلولُ زنّارٍ عظيم الهمه بالقرب منه وعليه الرحمه
١٨١ وابن زوين وهو عبد المعطي جارٌ لهم ما بينهم في الوسطِ
١٨٢ والشيخُ حيدرُ له في الزاويه قبر منير في رياض زاهيه
١٨٣ وجاره الشيخ الأويسي مصطفى والعجمي محمّدٌ بلا خفا
١٨٤ كذا سعيد الزاهدي البادنجكي القادري منجمع ذو نسك
١٨٥ وجامع التوبة فيه مرقدُ للمصرانيِّ الهمام الاوحدُ

١٨١ وابن زوين عبد المعطي – زوين هو (ت)
١٨٢ شيخ حيدر (هامش ا)
١٨٣ وجده الشيخ الاويسي (ب)
١٨٤ كذا سعيد الزاهد (ب)
١٨٥ جامع التوبة (هامش ا) — للمصراني الامام الاوحدي (ب ت)

---

١٨٠ محلول زنار لقب الاسم دليل على ان صاحبه في وقت الذكر كان يحرك صدره شأنَ رجال الطائفة في الذكر الى ان يتحل زناره وهو مخطوف بذكر الله . ويروي عنه اهل باب التيرب هذا الخبر انه استمد بذبيحة للذكر وتأخر المدعوون الى الحفلة عن الحضور . فوضع الشيخ محلول زنار المزامر على الارض وعلى كل مزمر عظماً من عظام الذبيحة واخذ يذكر الله بالتوحيد فتحركت العظام وتقرت المزامر من تلقاء ذاتها .

١٨٢ يكرم اهل باب التيرب الشيخ حيدر وينسبون اليه هذه الكرامة : سرق رجل من الزاوية بساطاً فظهر له الشيخ حيدر بالمنام وهدده بالقتل ما لم يردّ المال المسروق . فتاب السارق وردّ البساط .

١٨٣ بادنجكي الشيخ سعيد (م ١٢٥٠ هـ/١٨٣٤م) (ط ٧ : ٢٥٥) (في ٢ : ٢٥٦) الحقيقة بدانجكي اقام الذكر في جامع محلة بيدانجك وفي المدرسة الطرنطائية في باب التيرب في محلة محمد بيك وكان يتعاطى الحياكة - والناس يعتقدونه ولياً ويقولون ان اسرته لا تخلو من مجذوب . فاذا مات المجذوب فيها ظهر غيره . ومن اعتقاداتهم ان عبد الرحمن البادنجكي المتوفى منذ سنة تقريباً لما وضع على النعش ثابت اكتاف الحملة دون حمله ، ولم يستطع رفعه الا آله ، ولما حملوه دفنوه الى زيارة قبر ابيه ومن بعد ذلك دُفن بسلام .

١٨٥ يروي اهل باب التيرب عن المصراني انه سحب ماء للوضوء من بئر ، واذا

١٨٦ ومسجد في حارة الصفصافه مبارك حفت به اللطافه
١٨٧ فيه الولي زكريا دُفنا لزائريه كلّ خير ضمنا

تربة الملخ

١٨٨ في مسجد بالقرب من دار الغنم محمد الكوجك محبوب الشيم
١٨٩ ومنه للصحرا هناك الترمذي فاكحل بذاك الترب طرفك القذي
١٩٠ كذاك عبد الله والشيخ ططر كلٌّ همامٌ ذو مقام معتبر

تربة البلاط

١٩١ ثم اشتمل شرقا الى البلاط فانه حلّ بهذا الرباط
١٩٢ بقربه البنا العقيلي احمد الشاذلي وابنه محمد

١٨٦ الصفصافة (هامش ا) — ١٨٦ مبارك حلت فيه اللطافة (ب)
١٨٧ فيه الولي زكريا دفينا لزائره كل خير ضمينا (ب)
١٨٨ محمود الشيم (ب) تربت الملخ (هامش ا)
١٨٩ فاكحل بذاك طرفك القذى : بالقرب من الملخ خارج باب النيرب رضي الله تعالى عنه (هامش ب)
١٩٠ كذاك عبدالله والشيخ تطر (ب) عبدالله الشيخ (ت)
١٩١ البلاط (هامش ا) حارة البلاط (هامش ب)

بالدلو تظهر مملوءة ذهباً . فرد الدلو للبئر ، وسحبها مرة ثانية ، واذا ملؤها الذهب ، مرة ثانية ، فرديها وسحبها للمرة الثالثة فاذا فيها ماء للوضوء فتوضأ به .

١٨٩ من اصيب بمرض العين من المتقدين بالشيخ الترمذي كحل عينه بتراب من قبر الولي .

١٩٠ الشيخ ططر ؟ جاء في ط ٣ : ٢٠ ذكر موت الملك الظاهر ططر . . .

١٩١ راجع ذكر خانكاه البلاط (ط ٨ : ٢١٨) و(غ ٢ : ٢٢٢ ، ٢٤٢)

١٩٢ العقيلي ؟ راجع ط ٧ : ١٠٢ .

١٩٣ جانبه هرون دده كزر دده علي دده كذا وايماز دده
١٩٤ فانهم من صلحاء الاتراك كلٌّ ضريحه قريب من ذاك
١٩٥ قربهم الحدادُ وابن رستمْ مؤدّبُ الاطفالِ شيخٌ اكرمْ
١٩٦ بالقرب منه البكردجي قاسمْ وكان فاضلًا من الاكارم
١٩٧ كذا قدادُ الشيخ والشيخ المدد هما رفاعيان من أهلِ المدد
١٩٨ كذا القصيري الفقيه احمدُ منهم قريبُ المعيِّ أوحدُ
١٩٩ والمكتبيُّ الصالح التقيُّ هنا وكان شيخُه البكريُّ
٢٠٠ المصطفى المبجل الصديقي الخلوتيُّ عمدةُ الطريق
٢٠١ كذا ابو خيران شيخٌ قد صفا من كدرِ النفسِ فسمّي مصطفى

١٩٣ هارون دده كزر دده علي دده كذا ايماز دده (ب) كذاك وايماذ (ت) — جامع هارون دده (هامش ا) — دده سناه بالتركية الجد وهو لقب يلقبون به مشايخ الطرق. (Cf. Huart : *Dédé, Enc. Is.*)
١٩٦ الاتراكي (ب)
١٩٥ الحداد ابن رستم (ب)
١٩٦ البكرجي - في حارة البكردجي (هامش ب) - جامع البكرجي (هامش ا)
١٩٧ كذا الشيخ قداد وشيخ المدد . . . من اهل المدد (ب ت)

---

١٩٦ بكرجي قاسم (ط ٦: ٥٢٥) و(غ ٢: ٢٤٢) (م ١١٦٩ هـ/١٧٧٥ م) له مؤلفات ادبية. وفي حلب بني جامع على اسمه.

١٩٨ احمد القصيري كان صوفياً يلبس الخرقة والتاج. ويخلف من اختاره المشيخة، فيعطيه عصاً من عنده مدهونة بالخضرة، ويبسط موائده الواردين وتزوج باربع نسوة وكثر عنده العيال ولم يخلُ منزله [في الجبل الاقرع] من خمسين وارداً [كذا] غريباً يأكلون على سماطه، حتى كان يحتاج في كل يوم الى قريب من نصف مكوك من الحنطة ولكن كان المثرفون على الموت يهبونه اموالهم لاعتقادهم بفضيلته وجاء حلب ووعظ في الجامع الاموي. (م ٩٦٧ هـ/١٥٥٦ م)

١٩٩ المكتبي (جاء ذكر محمد المكتبي (م ١١٧١ هـ/١٧٥٧ م) اشتغل اولاً باقراء الاطفال ثم عاشر العلماء وتعلم عنهم. (ط ٦: ٥٤٤)

٢٠٢ وذو الكمال الحسن الخرمنده شيخ مهاب للكروب عده
٢٠٣ ثالثهم زناره محلول قصير قد باعه طويل
٢٠٤ ذو همة والاسم عبد القادر ادركتهم والسر فيهم ظاهر

تربة الحجاج

٢٠٥ وخذ الى مقابر الحجاج نحو الهمام البدر في الدياجي
٢٠٦ شيخ الحديث الحسن التيوفي الحبر ذي التأليف والتصنيف
٢٠٧ قد كان شيخ عصره في الشبا والعلما كانوا نجوماً شهبا
٢٠٨ وجاره محمد الزمار العالم الولي نعم الجار
٢٠٩ كان سلوكه بنهج السنه وكل معروف وخير سنه
٢١٠ والشيخ نعمان الولي المعتقد ذو النفس العالي ومن جد وجد
٢١١ بالقرب منه الالمعي الجذبه محمد الصادق في المحبه
٢١٢ كذا ابنه صالح التقي ونجله الآن هو المفتي
٢١٣ بقربه العلامة المطار علي الحبر له الفخار

٢٠٢ الشيخ المهاب الكروب عده (ب)
٢٠٥ حارة دكاكين احجيج (هامش ب) – تربة الحجاج (هامش ا) ويسميها الحداد تحريفاً عن الحجاج (ت)
٢٠٦ الحبر فالتأليف (ت)
٢٠٩ في نهج السنه (ت)

---

٢٠٦ البدر حسن التيوفي (م ٩٢٥ هـ. ١٥١٩ م) كان له اذا صلى بالجامع الكبير مشهد عظيم . وكان على هيبته لا يتنكف عن المزح . ومن شعره ما قاله في مؤذن اسمه قاسم لم يكن حسن الصوت :

اذا ما صاح قاسم في المنار بصوت منكر شبه الحمار
فكم سبابة في وسط اذن وكم سبابة في كل دار

(ط ٥ : ٤٠٤ – ٤١٠)

٢٠٨ محمد الزمار (م ١١٦٧ هـ. / ١٧٥٣ م) كان يتقلد ارامل جيرانه وايتامهم (ط ٦ : ٥٢٢)

٢١٤ كان ابا حنيفة الثاني له في كل فرع مشكل تفقّه
٢١٥ وكان في كل العلوم فايقاً ومن علوم القوم كان ذائقاً
٢١٦ ونجلهُ محمد الشريف يلمع حلاحل غطريف
٢١٧ له لسان في الطريق عالي دانَ له فيه ذوو المعالي
٢١٨ والشيخ عبدالقادر البنقوسي قد[خاض] في النفيس والمنفوس
٢١٩ اخوه مصادقٌ اديب فاضلْ كذا ابوه كاملُ [الفضائلْ]
٢٢٠ كذا الامين الصالح النعماني منهم قريب وقبره داني
٢٢١ وكلُّهم ثووا بتلك البقعةِ وبالتقى نالوا كمال الرفعة

مزبة قرلق

٢٢٢ وقرلقُ ظاهرها الشيخُ التقي الشيخ يوسفُ الشريفُ القرلقي

٢١٦ يلمع حلايل غطريف (ب ت)
٢١٧ فيه ذو المعالي (ب)
٢١٨ قد خاض في النفيس (ب ت)
٢١٩ صادقٌ (ت)
٢٢٠ منهم قريب صالح الاحسان (ت)
٢٢٢ قرلق (هامش ا) – خارج باب قرلق (هامش ب)

---

٢١٨ عبد القادر البانقوسي (م ١١٦٢–١١٩٩ هـ / ١٧٢٩–١٧٨٦م) كان فقيهاً اديباً جاب البلاد بين سورية والعراق واستنبول ودفن في مقبرة الحجاج خارج بانقوسا.
عن الطباخ ٧ : ١٦٦–١١٨

٢٢٢ زرنا بيته ووقفنا على اخباره عن ابنه وهو حي يرزق فقال ان اباه كان له طريقة يتصل فيها بالجن ، ويسخرهم في خدمته ، وهم يسقي الرضى ويقضي حوائج من قصده من الناس بحاجة . . . وكان يلبس الالون الاصفر اللبادي البني ، ويضع على رأسه « العرف » وهي عمامة ضخمة ثقيلة لونها اصفر بني . وجمع الشيخ يوسف مالاً ، واثرا ، بتسخيره الجن » في قضاء حوائج الناس . وكانت له طريقة ليستحضر الجن ، وهذه هي . واننا نرى مع التنبيه ان في استعمالها محذوراً ولا يجوز للانسان استعمال الوسائط التي نذكرها عن ان الشيخ يوسف . ولكننا ضربنا

٢٢٣ وجدّه لامه عبد اللطيف القادري وهو ذو قدر منيف

صفحاً عنها ، لولا علمنا بوجود امثالها في كتب سحرية شائعة بين الناس فلا يأتيهم « المشرق » بما يجاوزه فضلاً عن ان مجلتنا اختصاصية ليست العامة . اما الخاصة فهي اذكى من ان تغتر بمثل هذه المزعبلات قال الشيخ يوسف القرلقي :

بسم الله الرحمن الرحيم

كيفية الخلوة تدخل الخلوة يوم الثلاثاء عند صلاة الفجر ويكون بخورك عندك وتقرأ الدعاء بعد كل صلاة مفروضة عدد ٧٢ مرة وفي اليوم الاول تسمع نهيق حمار . وفي اليوم الثاني تسمع جري خيل على السطح . وفي اليوم الثالث يدخل عليك ثلاث قطاط احمر وابيض واسود ، ويحضرون من صدر الخلوة . وفي اليوم الرابع يدخل عليك خادم من النور فلا تخف ولا تفزع ولا تنقطع البخور حتى يقول : السلام عليك يا ولي الله . فقل له : وعليك السلام ورحمة الله وبركاته . فيقول لك : ما تريد منا يا ولي الله ؟ فقل له : ما اريد منك الا خادماً يخدمني ما بقي من عمري . فيقول لك : خذ هذا الخاتم الذهب منقوش فيه اسم الله الاعظم . هذا ميثاق بيني وبينك فاذا اردت حضوري ، اجعل الخاتم بيدك اليمنى ، واقرأ الدعوة ثلاث ، ثم تقول : يا ملك كنداس اجبني بحضورك في كل ما تريد وتطلب هذا مع التوكل على الله ، وهذا الدعاء المبارك .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم . اللهم اني اسألك واتوسل اليك يا الله يا الله يا الله يا رحمن يا رحمن يا رحمن يا رحيم يا رحيم يا رحيم يا يا يا

٢٢٤ وقربه مصطام مولّه الشيخ مصطفى الطويل الاكرم
٢٢٥ والشيخ نصري الادلبي الفاضل يعدّ بين السادة الافاضل
٢٢٦ والشيخ مصطفى هو العمّي الحافظ المجوّد التقي

تربة الاعرابي

٢٢٧ معهم وانزل الى العرابي فعنده مجتمع الأقراب
٢٢٨ هناك خيرالله الصيادي وبالرفاعي ظهره قوي
٢٢٩ ونجله محمد الممجد كذا علي صنوه المؤيد
٢٣٠ وابن ابنه فخير الله والكل منهم خيرٌ ذو جاه
٢٣١ وسائر الأهل وكل الطائفه كانوا حول العرابي طائفه
٢٣٢ وقربهم فأحمدُ البنتُ ثوى وذاك مجذوب على السر احتوى

٢٢٤ وقربه مولّه مصطام (ت)
٢٢٥ والشيخ نصر (ب)
٢٢٧ تكية الشيخ اعرابي تحت الشيخ ببرق ثم انتقل الى تكية ابي الوفا (هامش ب)
٢٣٠ وابن ابنه خيرالله – والكل منهم خيره ذو جاه (ب)
٢٣٢ البنت ثوا (ب)

---

٢٢٨ خيرالله الصيادي الرفاعي (م ١٢٨٩) شيخ المشايخ . له في الطباخ ٧ : ٢٤٧–٢٥٢ ترجمة غريبة خلاصتها ان الزاويتين الموجودتين الآن في حلب ، زاوية ابي الهدى الصيادي وزاوية خيرالله الرفاعي ، على ما بين الرجلين من القرابة مطعون تاريخهما بمواضع الريبة والشك والضلال ، والفضل على تعقد اخباره مفيد في معرفة « اساليب » المؤرخين والمترجمين في هذه الناحية .

دُعينا الى حضور حفلة الذكر في كلتا الزاويتين . فكان شيخ السجادة في الاولى الشيخ خالد الصيادي ، حفيد ابي الهدى . وفي الثانية الشيخ خيرالله . وكان منا جمهور من الجنود الافرنسيين عدة غير مرة تفرجوا على الذكر بين يدينا يتمايلون وحلقة المشايخ مضروبة حولنا ، وهم يلهجون باسماء الله الحسنى على نغم الالحان وضرب المزاهر وقرع الصنوج . وختمت الحفلة في بيت الشيخ خيرالله بصلوات خلناها مستوحاة من الانجيل اذ فيها الترضي على الاعداء والغفران لمن اساء .

ترجمة البخني

٢٣٣ ثم اشتمل نحو قبور البخت وزرهم تفز بحسن البخت
٢٣٤ هنالك الناشد عبد القادر خليفة السعد ابي المفاخر
٢٣٥ وحوله اولاده والاحفاد زكت اصولهم فنعم الاولاد
٢٣٦ كذا الطوير وهو مجذوب لطيف علي اطوار على الروح خفيف

ترجمة الشيخ ابي بكر

٢٣٧ والجبل الابيض مظهر الصفا مثوى ابي بكر المولي ابن وفا
٢٣٨ فيه تكية علاها النور وليس في الدنيا لها نظير
٢٣٩ بشرف القطب الذى قد حلها قد عرف الناس جميعاً قدرها

٢٣٤ هناك (ت)
٢٣٥ زكت اصولهم نعم الاولاد (ب)
٢٣٧ جبل الابيض يعني شيخ بكر (هامش ا) – جبل الابيض هي تكية ابي الوفا (هامش ب)
٢٣٩ قد عرفوا

٢٣٣ البخني وجامعه راجع (ط ٣: ٤٨٣) (غ ٢: ٤١٣) (الرسم ١٧)

٢٣٧ الشيخ ابو بكر مقامه على مرتفع شمالي البلد. وقد يستلفت نظر القادمين الى حلب عن بعد شأن القلعة. بنيت هناك تكية كبيرة وغرست حولها الاشجار وجرى اليها الماء – «والشيخو بكر» كما يقول الحلبيون هو ابن ابي الوفا. ولد سنة ٩٠٩ هـ. ومات سنة ٩٩١ هـ. (١٥٠٣ م – ١٥٩١ م) وينسبونه الى علي بن ابي طالب. ويروون عنه اخباراً شتى. كان يخاطب المخاطب بالتأنيث وبلغة دارجة بسيطة. وكان يألف المقابر والاماكن المخربة اينما ادركه الليل نام. راجع ترجماته العديدة في (ط ٦: ١٠٨–١٢٢) وكان من المجاذيب، واجتمعت عليه المجاذيب او البهاليل المتوهون «وهم اشبه منهم بالمجانين من الفضلاء. وهم مع ذلك قد صحت لهم مقامات الولاية» (ط ٦: ١٢٥ سطر ١٠) هذا، وحسبنا ما جاء في المنظومة تعريفاً له.

وراجع المشرق ١٩٣٨، ص ١١، حاشية حبيب زيات عن مجاذيب حمص

٢٤٠ وكان ذا جذب وكشف خارق قد شاع في الغرب وفي المشارق
٢٤١ وكان في [اطواره] معتقدا وكشفه الصادقُ لم يكن سدى
٢٤٢ قصدَه مشايخُ الاسلام واكثرُ الأئمة الاعلام
٢٤٣ واعتقدوه وبه تبركوا [ومنهج] الاداب منه سلكوا
٢٤٤ وزاره القضاةُ والحكّامُ ورؤساء الوقت والاعوامُ
٢٤٥ مدحه استاذُنا عبد الغني العارف المعروفَ بالفضل السني
٢٤٦ منوّهاً بقدره بقافيه كانت له عن كل مدح كافيه
٢٤٧ وقبرُه في قبّة الايوان امامه القاريْ ذو الاتقان
٢٤٨ وارثه بالعهد والاسرار وكان شهماً عالي المقدار
٢٤٩ قد قام في مقامه وصانا طريقَه وأرشد الاخوانا
٢٥٠ يأمرُهم بالعرف مذ ابانا سلوكهم واظهر الاحسانا
٢٥١ من قبل كانوا يأكلون الكلسا فقصدُهم بأن يهينوا النفسا

٢٤١ وكان في اطواره (ب ث)
٢٤٣ ومنهج الآداب (ث)
٢٤٧ امامه القاري والاتقان (ب)
٢٥٠ مذ بان . . . الاحسان (ب)
٢٥١ قصدهم بان يهينوا النفسا (ب)

---

٢٤٧ القاري الشيخ احمد نسبة لقارد توفي سنة ١٠٤١هـ / ١٦٣١م

٢٥١ اكل الكلس . راجع المقال عن « خطايا الروم الكاثوليك بجانب » نشره حبيب زيات في المشرق سنة ١٩٣٨ ص ٢٢ وما بعدها – جاء فيه عن خلاصة الاثر للمحبي عن رواية ايضاً الطباخ في تاريخه ٩ : ٢٢٤ ، ولم يتم بالاشارة الى المصادر . قال عن احمد القاري انه المتقلب في اقاليم الشطح ولازم خدمة الشيخ ابي بكر وقد كان الزوار لمرقده الشريف (بعد موته) لا يحصى عددهم والصدقات تتوارد عليهم وهم لا يملكون مقدارها ولا يستطيعون ان يشتروا ماعوناً يطبخون فيه لغلبة الجذب عليهم وكانهم غائبون اللحى يلبسون المرقعات ويفترشون جلود الغنم ويأكلون الحشيش والكلس وبعض المجاذيب منهم يشرب الخمر

٢٥٢ ويشربون القهوة البنيّه وما لهم بالماء من أمنيّه
٢٥٣ فدلهم على طريق الحقّ واطلقوا لحاهم من حلق
٢٥٤ ولازموا الصلاة والصياما وخالفوا الشكوك والاوهاما
٢٥٥ ثم أقام أوَدَ التكيه من كل ما به لها مزيه
٢٥٦ ومات عن بلوغ [سن] عاليه اثابه الله الجنان العاليه
٢٥٧ ثم اتى مشايخ وخلفا واتفق الرأي بهم واختلفا
٢٥٨ وبعضهم نازع في الخلافة فنازعوه ورأوا خلافه
٢٥٩ وظهر الحقّ وقرّ الامرُ على خليفة له اقرّوا
٢٦٠ وبعد آل الامر للوفائي حسين دده ذي الفضل والبهاء
٢٦١ ومصطفى دده اقام بعده على البساط في سنين عدّه
٢٦٢ والطيبُ الدرويش كان أوحدْ في المكرمات واسمه محمدْ

٢٥٣ الحقي . . . من حلقي (ب)
٢٥٤ وخالفو (ب)
٢٥٦ سنّ (ت)
٢٦٠ وبعده آل الامر للوفائي حسين دده (ب) ذو الفضل (ت)
٢٦١ ومصطفى دده (ب)

والتعرف ولا يصومون ولا يصلون وتتوارد عليهم مجاذيب البلاد على هيئات مختلفة . واحمد القاري منهم لا يقدر ان يخالفهم في صورة الظاهر في شيء حتى ضجروا يوماً من الايام فلاموا انفسهم وقالوا نرادنا شيخ يصلح نظامنا فنصبوا احمد القاري عليهم . فاشترى لهم بسطاً وصحوناً وبعض حوائج التكية ثم زارهم كافل حلب احمد باشا ابن مكاف فلامهم على ترك الصلاة وعلى هذه الاحوال ثم اجرى لهم اسماعيل نائب القلعة الماء من قناة حلب فاصلحوا ما فسد من حياضهم . . . واطالوا لحاهم الا احمد القاري ! (راجع الطباخ ٦ : ٣٢٥)

٢٦٠ حسين دده م ١١٩٦ هـ/١٧٧٢ م (ط ٦ : ٥١٩)

٢٦١ مصطفى دده م ١٢١٣ هـ/١٧٩٨ م (ط ٧ : ١٥١) اشتهر بالشيخ مصطفى ابي البنات وبقيت السجادة بعد وفاته شاغرة عشر سنين .

٢٦٢ محمد دده الوفائي م ١١١٩ هـ/١٧٠٧ م (ط ٦ : ١١١٩)

٢٦٣ ومدفنُ الجميع في التكيّه جباهم الرحمنُ بالتحيّه

زيارة الشيخ فارس

٢٦٤ والشيخ فارس ففي بابلّى في ظاهر الشهباء مستقلّا
٢٦٥ بقربه قد دفن الشيخ الخضرْ وقبره في قبة لقد شهر
٢٦٦ والشيخ شدّاد وشيخ السمله زائرهُ . يُحظى ببرء العلّه
٢٦٧ والأسدي وكلهم اماجدُ ثم الطويل قبره مشاهدُ

٢٦٣ جاءهم الرحمن (ب) — في التحية (ت)
٢٦٤ خارج حلب باب الله (هامش ب) — شيخ فارس (هامش ا)
٢٦٦ بستان السمله (هامش ا) — ضمن بستان السمله (هامش ب)
٢٦٧ تربة جب النور (هامش ب) — والاسدي كلهم اماجد (ب)

٢٦٤ الشيخ فارس مزاره واقع على مرتفع صخري شمالي الجبل بشرق ، ومنه يشرف الناظر على البلدة وضواحيها . المزار فيه صهريج للماء منقور بالصخر وصحن داره منقورة في الصخر كانها قدت من حجر واحد وفي اعالي الحجر نحو الشرق قبر الوليّ وعروسته وجواريها الست واليك الخبر عن الشيخ حارس المقام :

كان ما كان على ايام الملك الظاهر رجل اسمه سليمان الفارسي وكان متنسكاً له صومعة في هذا المكان . وبانه يوماً قدوم الملك الظاهر الى حلب فارسل اليه وطلب منه ان يزوجه ابنته الاميرة . فابى المالك — فاجابه الوليّ ترفض عليّ ابنتك ولِمَ ؟ اطلب المهر ؟ — فقال الملك يكون المهر اربعين حملاً من ذهب . فقال الناسك ارسل البغال . فارسل الملك اربعين بغلاً مع رجال يحرسونها فلما وصلت الى مقام الشيخ فارس قال للجمالين املأوا حصّى الاكياس التي على البغال . فملأوها . وقال املأوا حصّى بغلاة كل بغل من البغال . فمنهم من ملأها ومنهم من ضحك على الناسك وأبى . — ومضوا الى ان وصلوا الى دار الملك الظاهر فنظر فاذا الاحمال ملؤها الذهب والمخالي ملؤها الذهب الا التي لم يملأها اصحابها حصىً فوهب الملك اصحابها المخالي الملأى ذهباً وسير موكب العروس الى الجبل . وصار المساء واجتمع الناس لحفلة الزفاف واولموا الوليمة ودعوا العريس . . . واذا هو قد مات . فقالت العروس اني اكون له وحده حياً او ميتاً فابكيه في قبره والاقيه في الجنة وطلبت من ابيها ان يسمح لها بدفن الولي والاقامة عنده مع ست من جواريها . فقبل — وانت ايها اللبيب اذا زرت الشيخ فارس لا تنس ، ان تذكر الاميرة وجواريها الست وقبورهن مصفوفة بالقرب من قبر الوليّ الفارسي .

٢٦٧ احمد بن الشماع المشهور بابن الطويل م ٦٩١ هـ/١٥٥٣ م (ط ٦ : ١٧) أيكون

زيارة الشيخ بيرق وجوارها

٢٦٨ والشيخ بيرق الرفيع القدرِ وهو براق عند من لا يدري

٢٦٩ رباطه فيه منار المرضى يُعرض حالهم مناماً عرضا

٢٧٠ يبيت فيه الزمنُ العليلُ يأتيه ليلاً هاتفٌ دليلُ

٢٧١ يقول يا هذا دواك في كذا فافعل لما [قلت] يزلْ عنك الاذى

٢٧٢ بالقرب من رباطه قد دُفنا مَن أمّه فخرُ النسا وارتهنا

٢٧٣ ذكره بن الحنبلي في سفره في العلما منوّهاً بقدره

٢٧٤ ثم علي باپا بقربه دُفن كان رزيناً راجحاً اذا وُزن

٢٧٥ والشيخ باكيرُ منوّرُ جلي مبارك خليفة الباپا علي

٢٧٦ والكامل المشهور باپا بيرم دُفن في مقامه المعظم

٢٧٧ وقربه الاخلاف والأنساب وكلهم الى التراب آبوا

٢٦٩ مرضا (ب)

٢٧١ فافعل لما قلت يتزل عنك الاذا (ب) — يزل عنك الاذى (ت)

٢٧٤ بالقرب منه دفن . . . راجحاً لو وزن (ب)

٢٧٦ في تكية باپا بيرم خارج اقبول (هامش ب) — باپا بيرم (هامش ا)

هو المذكور في المنظومة : قيل انه ترك اكل توت حلب قدر ست عشر سنة تزهداً وأكل يابس الخبز مقوتاً بالماء . . .

٢٦٨ الشيخ بيرق زاويته في النشقة التي بناها ابراهيم باشا بن محمد علي (راجع الغزي ٢ : ٢٦٦)

٢٧٥ باكير جاء في الطباخ (٦ : ٢٧٦ وما بعدها) ذكر باكير بن احمد بن النقيب م ١٠٩٤ وروي له شعر لطيف غني بالاستعارات البيانية منه :

في روضة قد صاح فيها الديك ، اذ عطس الصباح شمت العطاس

رافقة باكير قد تأتي من السريانية ومعناها : الارلي دهنا

٢٧٦ باپا بيرم (ط ٧ : ١٥٣) زرت تكيته بالقرب من موضع سوق الاحد . روى لنا احد درويش التكية ان باپا بيرم كان رجلاً فارسياً يعيش في منارة ويطعم الناس الحلوى في الاعياد فيمرون ويأكلون لقمة والحلوى لا تنفد بين يدي الباپا بل تكفيهم اجمعين . (الرسم ٢٢)

٢٧٨ وآف بابا في الجبل المعظّم شيخ همام خلوتي اكرم
٢٧٩ والشيخ مقصود قريب الميداني قبره كهف لكل ولهان
٢٨٠ قطن فيه شيخنا الترابي وبالخصوص جاء من عنتاب
٢٨١ طالع هناك خلوة سنيّه وبعدها رجع بالامنيه
٢٨٢ وبعد ذا عاد الى الشهباء فاصبحت مخضلّة الارجاء
٢٨٣ وعُمّرت له بها التكيّه واظهر الطريقة العليّه

زرنجب النور

٢٨٤ واثن العنان نحو جبّ النور واخلص النيّة في الحضور
٢٨٥ وزر ضريح القادري الانجقي عليّ الشيخ الملك التقي

٢٧٨ في جبل العظام تجاه التكية (هامش ب) — تربة المعظم (هامش ا)
٢٧٩ شيخ مقصود (هامش ا) — قريب الميدان وقبره (ت)
٢٨١ طالع فيه (ت)
٢٨٤ جب النور (هامش ا)
٢٨٥ الانجقي (هامش ا)

---

٢٧٩ الشيخ مقصود، سميت باسمه المقابر المخصصة الان في حلب بالطوائف المسيحية وبالتسكر الافرنسي من وطني وغيره. وساقتني الظروف الى زيارة الشيخ مقصود يوم السبت ٤ ك ١ ١٩٦٠ في مأتم طيّارين افرنسيين سقطا بالقرب من النيرب، وماتا ضحية الواجب. وهذه التية كانت قد اوشكت على الخراب فرممها الجيش واصلحها، ورتب كهفها الشرقي على شكل مدفن واسع نصبت عليه مصاطب وضعت عليها موقتاً، الى ان تنقل الى قرنة، توابيت موتى الافرنسيين وبينهم تابوت الجنرال موته وغيره من شبان واطفال رحمهم الله وهم في جوار الشيخ مقصود. وقد راعى الافرنسيون حرمة قبره فوجدنا عليه علبة مملوءة من قطع البخور. وعلى جدار الكهف غرباً كتابة عربية محفورة حاولنا قراءتها فلم نفلح ثم عدنا الى كتاب الآثار العربية فاذا فيه العبارات التالية: «الشيخ مقصود — عمر المدعى بالملك عبدالله ابن عبدالله الذى انشأ هذا المكان المبارك وهو قبر الشيخ مقصود رحمه الله تعالى في سنة ٦٨٠ — واذا صحت القراءة فهذا التاريخ يكون من اقدم تواريخ المجموعة التي بين يدينا.

٢٨٠ الترابي جاءت ترجمته ضمن ترجمة صاحب المنظومة في (ط ٧ : ٢٧٨) ومات الشيخ تراب سنة ١٢٠٦ هـ / ١٧٩١ م كان شيخاً من اتقياء المقصودين افضلهم.

٢٨٦ قد كانَ شيخي في الصبا أقراني فقهاً ونحواً كاشفاً عن [روني]
٢٨٧ جانبَه محمدٌ خليفتُه وابن محمد وطابتْ نيتُه
٢٨٨ شمالهم عبدُاللطيف الاخضرُ ونجلُه طه التقيُ الأنور
٢٨٩ والشيخ صالحٌ ابو الكارات مستغرقُ الأطوارِ والحالات
٢٩٠ والشيخ يحيى وهو الطباخُ للزائرين عنده مناخُ
٢٩١ بقربهم محمد الملثمُ الاحمديَ البدويَ الاكرمُ
٢٩٢ والشيخ يس التقي المكتبي ما بينهم ضريحُه لا يختبي
٢٩٣ وشارح الحرز المسمى بعمر الارمنازي المتقنُ السبعَ الغرر
٢٩٤ والعبد للوهاب نجل عمدِ شاركه بفضله وعلمه
٢٩٥ ونجله محمودُ كان مثلَه ثم اعتراه بعد هذا ولهُ
٢٩٦ محمد احمد عبد الوهّاب اولاد محمود وكلٌ اوّاب
٢٩٧ بالقرب منهم يوسفُ الشرابي الحافظ المتقنُ للكتابِ

٢٨٦ في الصبا قراني (ب) الرون ج روون اي الشدة . يقال كشف الله عنك رونة هذا الامر . (المنجد)
٢٨٩ مستغرقا (ب)
٢٩٠ متناخ (ت)
٢٩٢ ياسين (ب)

---

٢٨٩ ابو الكارات – ايكون شفيع الصناع في حلب : الحائك والخراط والجاقجي والسكاف والتنكجي او السكري الخ

٢٩٣ عمر بن عبد القادر الارمنازي م ١١٦٨ هـ/١٧١٥ م المدفون في مقبرة جب النور (ط ٦ : ٤٨٦) في سنة ١٠٤٧ هـ/١٦٣٧ م حدثت مجاعة في حلب قتل في اثنائها رجل اسمه خليل المداري فترّم الارمنازي بين من غرّم بدم القتيل فرض بسبب ذلك ومات . ولا ادري هل هذا المداري المذكور سابقاً في البيت ١٦٠ او هل هو احد انسبائه .

وجاء ذكر عمر بن ابراهيم الارمنازي في (ط ٦ : ٨٤) وكان احد اكابر القراء .

٢٩٨ بالقرب منه مصطفى القضماني كان من الناس البلا يماني
٢٩٩ وصائم الدهر الفقير الصوفي الشيخ ابراهيم ذو المعروف
٣٠٠ ومن هنا الجانب الغربي نحو ضريح أحمد المصري
٣٠١ وهو التقي الفاضل العلامه ملازم للدرس والامامه
٣٠٢ محافظ الوقت بجامع الشرف كل بفضله اقر واعترف
٣٠٣ بقربه ضريح جدي عمرا بزينة الدنيا غدا مشتهرا
٣٠٤ وانما شهرته بالزينه لمنحة منحها مكينه
٣٠٥ قيل رأى الصديق وهو نائم تفل في فيه فعاد هائم
٣٠٦ وهجر الاتراب والأقرانا وفي قليل حفظ القرآنا
٣٠٧ وكان قبلا بطلا شجاعا في الحرب بالكثير لن يراعا
٣٠٨ فرده الله اليه ردا وصار للخدمة مستعدا
٣٠٩ وقد فني بربه واستغنى واختار ما يبقى على ما يفنى
٣١٠ فجمع المحاسن الفريده مع المزايا الجملة العديده
٣١١ كان كثير الدرس والتلاوه بلحنه المشهور بالطلاوه
٣١٢ جمع بين العلم والقرآن بالسبعة الوجوه بالاتقان
٣١٣ وبين حسن الصوت والاداء اذا تلا الكتاب بالغناء
٣١٤ منفردا بصوته الداوودي وصحة الالفاظ والتجويد

٢٩٨ البلا يماني (ب)
٣٠١ ملازم الدرس
٣٠٥ قد يتفل الشيخ في فم المريد عند الصوفيين اي انه ينفخ فيه ويذيقه ريقه (عن الشيخ راغب الطباخ)
٣١٠ الجملة (ب ت)

٣١٥ اذا رقي المنبر [يبدي] العبره — او قام في المحراب تُرخى العَبره
٣١٦ ونظم الشعر وألف الخطب — وكتب الخط وفاق في الأدب
٣١٧ وأجمع الناسُ على توقيره — وان لا يوجدُ من نظيره
٣١٨ طُلِب للامامة [الكبرى] فما — أجاب واستعفى وعنها احجما
٣١٩ طلبه السلطان محمود القديم — عليهما رحمة ذي العرش الكريم
٣٢٠ جانبَه [محمد] اخوه — وهو جليل قدره نبيه
٣٢١ شماله الوالد ملصقٌ به — محمد ووجهه لطهره
٣٢٢ اتته منقادة الخلافه — فجرٌ فيها فاخرًا أعطافه
٣٢٣ بالامر من استاذنا الرفاعي — للشيخ خيرالله [رحب] الباع
٣٢٤ فجاءه بسرعة وخلفه — وقلبه الله عليه عطفه
٣٢٥ وعاد مملوءًا بحال ومدد — وكثرت اخوانه فوق العدد
٣٢٦ حصّل في صباه فضلًا واضحا — وطرفا من العلوم صالحا
٣٢٧ ملازما تلاوةَ القرآن — على انفراد ومع الإخوان
٣٢٨ في كل يوم يقصدون الزاويه — بهمة قصد الثواب عاليه
٣٢٩ ويطعم الطعام في يوم الأحد — للفقرا وكلّ وارد ورد
٣٣٠ جانبَه اخوه عبد القادر — وكان ذا فضل وعلم باهر

٣١٥ اذا رقى المنبر تبدو النغره (ب) تبدو العبرة (ت)
٣١٨ الكبرى (ت)
٣٢٠ محمد اخوه (ت)
٣٢١ لطهره (ب ت)
٣٢٣ رحب الباع (ب ت)
٣٢٧ على انفراده مع الاخوان (ب)
٣٣٠ وكان ذا فضل وعلم باهر (ب ت)

٣٣١ مات وامّه بيوم واحد بالطعن والآسفُ غيرُ واحد
٣٣٢ وصنوه محمود شمس السعدا جانبَه جاز مقامَ الشهدا
٣٣٣ ومات يافعا زمان والده فكان قصمَ ظهره وساعده
٣٣٤ والعمُّ عبدُالله نعم العبد غربًا ومن ذوي التقى يعدُّ
٣٣٥ والاخوان احمد وعمرُ وكان عنهما الكمال يوثرُ
٣٣٦ حقًّا وكل حافظ خطيب من اسهُمِ الفضل له نصيب
٣٣٧ وجدُّنا من جهة الامومَه عقيل الصغيرُ ذو الأرومَه
٣٣٨ من ولد الشيخ عقيل المنبجي ضريحه شمالهم قربًا يجي
٣٣٩ قبلتَه جدّتنا المصانه من ولد الجيد تُدعى النانه
٣٤٠ بالقرب منهم قبر عبد اغبَر صاحب اطمار ولكن انوَر
٣٤١ كنا نسمّيه بشيخ النور ادركته فكان ذا حضور
٣٤٢ وكلهم قد احتووا في المقبره حفٌّ جميعهم عظيمُ المنفره
٣٤٣ والشيخ خيرالله منهم قبلَه كوردي من الأكارم الاجلّه

٣٣٢ جانبه حاز (ب ت)
٣٣٣ قسم ظهره (ب)
٣٣٨ شمال البلد على الطريق تحت تربة السيد علي (هامش ب)
٣٣٩ من ولد الجيد (ت)
٣٤٣ كوردي من الاكارم (ب)

٣٤٣ علي بن خيرالله الرفاعي م ١٢٨٩ له ولذويه ترجم الطباخ في (٧ : ٢٤٧) وذكر اقوال ابي الهدى الصيادي فيه ونقدها .

وفي اذار ١٩٦٠ حضرنا في بيت زاوية آل خيرالله الرفاعي في حلب حفلة ذكر عظيمة اجتمع فيها ١٠ اناف عن مئة من جنود الافرنسيين الذين كانوا اذ ذاك مرابطين في البلدة .

رفاعي احمد بن علي ابو العباس مؤسس الطريقة الرفاعية المتوفى في ٢٢ جمادي ١ ٥٧٨/٢٣ ايلول ١١٨٣ في ام عبيدة في مقاطعة واسط ، وسمي الرفاعي نسبةً لجدوده او لقبيلة رفاعة

تربة الهزازة

٣٤٤ واصعد الى مقابر الهزازه فيها اطار الهمداني بازه
٣٤٥ وهو الشريف المرتضى علي عريق اصل طاهر زكي
٣٤٦ وعالم علم واعظ مؤثر عزيز حلم عنه هذا يؤثر
٣٤٧ كان له في جامع الذكي مجلس وعظ مرهب الكمي
٣٤٨ يفسر القران والتنزيلا ويشرح التوراة والانجيلا
٣٤٩ في محفل مزدحم مشهود في درسه قد أسلم اليهودي
٣٥٠ اخلاقه على الوفى مطبوعه مدفنه في قبة مرفوعه
٣٥١ شماله القطب الولي العجمي والمدني ضريحه كالعلم
٣٥٢ والارمنازي ذي الشيخ ابراهيم من فضله في وقته معلوم

٣٤٤ الهمداني – تربة الهزازه تسمى الهزازه قريباً من السيد علي (هامش ب)
٣٤٥ في الوطى تربة السيد علي الهمداني المذكور من الاكابر رضي الله عنه (هامش ب)
٣٤٦ عزيز حلم عنه يوأثرو (ب) غزير علم (ت)
٣٤٧ مرهب الكمي اي الشجاع
٣٥٢ والاسنازي الشيخ ابراهيم (ب ت)

وهذه هاجرت من المدينة الى اشبيلية في اسبانية سنة ٣١٧ ومنها قصد الى البصرة احمد، جد مؤسس الطريقة . وكان لصاحب الترجمة خال اسمه منصور زعيم الرفاعية فمضى به الى واسط وعلمه على ابي الفضل وابي بكر الواسطي فاعطاه الاول الاجازة والثاني الخرقة وخلف احمد عمه بالمشيخة الرفاعية وكثر عدد مريديه وخلفائه .

وينسبون لاحمد الرفاعي مجالس وديواناً وادعية واوراداً واحزاباً وخطباً يسمي فيها نفسه سليل علي وفاطمة ونائب النبي على الارض ، مما لا يتفق وما هو معهود في ترجمته من تواضعه فانه كان لا يرتاح الى قول من ينسبه القطب او الغوث او الشيخ .

ويروون عنه كرامات منها انه كان يقف في اتون النار ويجلس على اسد وغيرها مثلها قد رويت عن غيره قبله مما يذكر بالبراهمة وكراماتهم وتقشفهم .

ومن المرجح من المقابلة بين النصوص القديمة انه لم يرتبط بعبد القادر الجيلاني Margoliouth, *Al-Rifāʿi Enc. Is.*

٣٥٣ قد جمع القرآن بالوجوه سبعيةً باحسن التوجيه
٣٥٤ في بيته سبعٌ من القرّاء عُدّوا من البنات والابناء
٣٥٥ والشيخُ بكران بباب القبّه كان عزيزًا طورُه في الجذبه
٣٥٦ ومن شمال تربة العقيلي عثمانُ ذي الرفعة والتبجيل
٣٥٧ كذا محمّدٌ وعبدُ الرحمن نجلاه والكلُّ سمَوا في القران
٣٥٨ وابن ابنه محمّدٌ قد حصّلا من كل علم طرفا مكملا
٣٥٩ وشيخنا العلّامةُ المحققُ والجهبذ الفهامة المدققُ
٣٦٠ المغربي قاسمٌ من قبلَه ضريحه وكان شيخَ الجملَه
٣٦١ وفي الطريق مدفن المحبي قد صار بابُه امامَ الجبِّ
٣٦٢ فيه دفين وفيه حفر جاوي المصطفى كلُّ كمالٍ حاوي
٣٦٣ والسهروردي الصغير يحيى وحولَه اتباعُه في الدنيا

٣٥٣ في احسن التوجيه (ب)
٣٥٧ في الاقران (ب ت)
٣٦١ قد صار مرقده امام الجب (ب ت)
٣٦٢ فيه دفين وهو حفر جادي (ب ت)
٣٦٣ تربة العبارة خارج باب الفرج (هامش ب)

---

٣٦٢ حفر جاوي مصطفى م ١١٢٣ هـ/١٧١١ م جاء في مخطوط (ت) صفرجاوي – ولم اعثر على اسم صفرجة ولا حفرجة في لائحة قرى الجمهورية السورية (تقويم البشير ١٩٣٩ ص ٢٠١ وما بعدها) تعلّم في ادلب وزار مصر والحجاز واقام في حلب في جوار بيت محمد الدين فاكرموه ودفن بعدئذ خارج الخزازة .

٣٦٣ سهروردي م ٥٨٧ هـ/١١٩١ م مقتولاً في حلب . كان فيلسوفاً صوفياً (ط ٤: ٢٩٢) قبره لا يزال محفوظاً في الموضع الذي كان فيه منذ القدم ، وعنده يبتدئ حي الصليبة المسيحي . راجع ترجمته في Van den Bergh : *Al-Suhrawardi, Exc. Is.* لقبوه بالمقتول لكي يعلنوا انه مات شهيدًا – كان قد عاش في اصفهان فيلسوفاً صوفياً ثم في بغداد وحلب . وكان الملك الظاهر ابن صلاح الدين قد قربه اليه وانعم عليه لكن علماء البلد اتهموه بالزندقة

٣٦٤ وقبرُه في القرب من باب الفرَج الى الشمال ليس فيه مِن عوَج
٣٦٥ وتربة الكورديّ جبريلِ الهمام عند [الخراسان] وذا حبرٌ إمام
٣٦٦ بالقرب منه فالولي القانتُ الشيخُ عبدالله يُدعى الصامتُ

تربة العبادة خارج باب الفرج

٣٦٧ وقبر نينو فهو في العبّاره عليه من اطواره إشاره
٣٦٨ كذا انا عَنْوُ المباركُ الوليّ هنا وهذا كانِ ذا فضل جليّ
٣٦٩ وقربَه فالمغربي [عُمرُ] ابوه مع اخوته ستذكر
٣٧٠ والاشرفي من شمالِ التربه منفرداً جاور فيها ربّه
٣٧١ كان خطيباً حسنَ الشمائل وفاضلاً يُعدُّ في الافاضل
٣٧٢ عن الحرام والرشا منكفّا وقصةُ المسجد ليس تخفى
٣٧٣ كذا الحجازي الثاني عبدُالله فهو من الأفاضل الانباه

٣٦٥ وتربة الكردي . . . عند الخراسان وذا حبر امام (ب ت)
٣٦٦ بالقرب منه الولي القانت (ب)
٣٦٧ وقبره بنو (ب)
٣٦٩ عمر (ت)

فقتله وعمره بين ٣٦ و٣٨ سنة. ولقبه صاحب الخطوطة بالعشير وهناك سهروردي غيره، وهو شهاب الدين العمري الشافعي المولود سنة ٥٣٩ هـ/١١٤٥ م وكان متبحراً التعليم المقبول من علماء زمانه .

٣٦٥ جبريل الكردي م ٩٣٠ هـ/١٥٢٣ م كان فقيهاً متواضعاً ترابياً (ط ٥ : ٤٢٨)

٣٧٠ احمد بن طه الاشرفي (م ١٢٢٩ هـ/١٨٠٣ م) كان الواعظ بالجامع الكبير وكان كتيباً مغرماً بجمع الكتب وتوفي بالطاعون (ط ٧ : ١٩٢) وه قصة المسجد» ان الاشرفي رمم مسجداً قديماً كان في خان قباد قد صار مطرحاً للاقذار. فاصلحه وجعله لائقاً بالصلاة .

٣٧٣ عبدالله بن محمد حجازي (م ١٠٩٦ هـ/١٦٨٤ م) الشهير بابن قضيب البان وله مؤلفات ادبية ودرّس في المدرسة الحلوية — الحجازي الثاني راجع ٥٢ الحجازي القتيل .

٣٧٤ كذا الطرابلسي مُفتي الشهبا محمدٌ له الكمال يُحبى
٣٧٥ ومصطفى ابنه ثوى هنا كا وفي العلوم احرز اشتراكا
٣٧٦ وقربهم يوسف أفندي الشامي الحنفي المفتي للانام
٣٧٧ والقمري الفاضلُ عبد الحي جاورهم في مرقد بهي
٣٧٨ والفاضلُ المحترمُ الريحاوي بستانه المتنزهات حاوي
٣٧٩ والشيخ محمود الفقيه الطيبي حلَّ [هنا] في منزل رحيب

المولوية خارج باب النصر

٣٨٠ والمولويّة ففيها الباپا احمد قد جاور منها الباپا
٣٨١ وشيخها ابو علي مصطفى من الكرام [الغر] ارباب الصفا

٣٧٤ الترابلسي (ب)
٣٧٦ الانامي (ب)
٣٧٩ على هنا (ت)
٣٨٠ التكية المولوية (هامش ب)
٣٨١ هذا البيت ناقص في ب – وشيخنا (ت) – الكرام الغر (ت)

---

٣٧٤ محمد الطرابلسي جاء ذكره في ترجمة ابنه مصطفى: م نحو ١٢٢٠ هـ/١٨٠٥ م) وكان نقيب الاشراف ومفتي الحنفية.

٣٧٨ الريحاوي بستانه كان على ضفاف النويري بين الكاف والشاندر وقد باد اثره وجاء في البيت ٣٠٨ من المنظومة اسم عارف الريحاوي. اما في الطباخ فجاء ذكر محمد الريحاوي (م ١٢٠٦ هـ/١٧٨٩ م (٧: ١٢٨)) المدفون في تربة الشيخ نجم خارج باب قنسرين ومصطفى ابن الفتوى (م ١٢٨١ هـ/١٨٦٤ م) (٧: ٢٢٩) وحفوظ (٧: ٢١٧) ومصطفى (٧: ٢٢٩)

٣٨٠ راجع العزي (٣: ٢٠٨-٢١٢) وجدير ايضاً بالمراجعة ما كتبه عن الجابي موريس بارس: Maurice Barrès, *Une enquête au pays du Levant*. II. p. 72 et 99. فانه وصف زيارته الى قونية وحادثته الشيخ الجابي، وحضوره حفلة فئة الدراويش باسلوب تمازج فيه الفن بالمزح والعلم بالخيال. والشيخ الجابي قام في حلب مشهور زرناه وتحدثنا الى بعض الدراويش (الرسم ٢٣). وذكرتنا مواسمهم ببعض الاديرة اللبنانية ومن الغريب ان بعضهم يبشرون بالتبتل وهذه شاذة من شواذات الاسلام القائل بحديث النبي لا رهبانية في الاسلام راجع لامنس: الاسلام ص ١٥٤ Lammens: *L'Islam*, p. 154. Beyrouth, 1941.

٣٨٢ تركيٌّ اصلٍ ذائق طريفُ وفي الموسيقى لـه تشنيفُ
٣٨٣ وقبّة شيخ سراج الدين بجانب النهر عن اليمين
٣٨٤ قبليّها زاويـة الاطماني نيّرة قـديمـة المبـاني
٣٨٥ دفن فيها الشيخ بايزيدُ من الكرام الاوليا معدودُ
٣٨٦ بالقرب منه المرشد الخبازي سـاد المعاصرين بامتيـاز
٣٨٧ خارجهـا جماعة اجلّا مَن عصرهم بذكرهم تحلّى
٣٨٨ مثل اللطيفي ومثل الزلزلي ومثل سعدِ الذينِ نسلِ الكملِ
٣٨٩ قربَهم الشياح سعدى نير وغـيرهم كل عزيز [خير]

٣٨٢ ظريف (ت)
٣٨٣ على جسر الناعوره (هامش ب) — الناعورا (هامش ا)
٣٨٤ الاطماني (ت)
٣٨٦ قربا الكتاب غربا في حائط القبلي
٣٨٨ نسل الاكمل (ب)
٣٨٩ كل عزيز خير (ب ت)

---

٣٨٣ سراج الدين، عند الناعورة وقد اندثر اثره بعد عمار الجسر الجديد وسوف يأتي ذكر سراج الدين او جفرجق في البيت ٦٠٥ وجاء في الطباخ (٥: ٧٥٦) ذكر محمد بن سراج الدين (م ٧٥٦ هـ/١١٥٥ م) اخذه ... تيمور الى ما وراء النهر. ومنها ذهب الى الروملي، وتوفي فيها، وكان له ولد.

٣٨٤ الاطماني. وجاء في (ت) الاطماني وهذا جاء ذكره في (ط ٥: ١٤٤) قال: محمد الاطماني (م ٨٠٧ هـ/١٤٠٥ م) انقطع في زاوية خارج باب ألبنان وهي بطرف حارة المشارقة وفي فتنة تيمورلنك خرب بعض هذه الزاوية ثم رممت وخصصت بالبسطامية وتعرف الان بجامع الاطماني قبلي المخفر المبني حديثاً غربي جسر الناعورة.

٣٨٥ جاء في النزي (٢: ٥٠٦) ذكر سبيل في زقاق بيت باقوني الفضيلة عمره المدعو محمد بيازيد.

٣٨٨ لطيفي (م ١١٢٣ هـ/١٧١١ م) راجع (ط ٦: ٤٤٥) صاحب السياحات الف عنها كتاب رحلته.

٣٩٠ قبليهم فصاحب العزم الاسد ... هو سري الدين يُدعى بالأسد
٣٩١ دفن في زاوية منيره ... رأسَ الزقاق عندهم شهيره
٣٩٢ وعند قبره الشريفُ الأمجدُ ... المغربيُ الشاذليُ احمدُ
٣٩٣ فرع ابن بشيش زكي النفس ... من حاز اسرارًا بفيض قدسي
٣٩٤ بقربه العالم نجل الحصني ... مَن بالتقى حَلَّ اجلَّ حصن
٣٩٥ والشيخ دوغان في المشارقه ... زاوية دفن فيها شارقه
٣٩٦ بالقرب منه فابو السباع ... الشيخ اسماعيل رحب الباع

تربة السنيلة

٣٩٧ وخذ على القبلة للسُّنيبلهْ ... فيها ايمةٌ سموا في المنزله
٣٩٨ مثل الهمام [ابن] علي القزويني ... وكان ركنا في [علوم] الدين
٣٩٩ بالقرب منه العارف الرباني ... محمدُ الشهير بالصوراني
٤٠٠ وغيرهم من الفحول العلما ... مَن فاخرَ العصرُ بهم شهبَ السما

تربة الشيخ ثعلب

٤٠١ وخذ الى [مقبرة] الشيخ ثعلبْ ... وزر ضرائحها اليها تنسب

٣٩٠ هو سري الدين الشنطي الاسد (ب)
٣٩٥ بالمشارقة ، حارة المشارقة (هامش ب)
٣٩٦ بالقرب منه ابو السباع (ب)
٣٩٧ السنيلة (هامش ا) – تربة سنيلة قرب جسر الدباغة (هامش ب)
٣٩٨ مثل الهمام بن علي ... كنا في علوم الدين (ب ت)
٤٠١ خذ الى مقبرة الشيخ ثلب وزر ضريحا (ب) – شيخ ثلب (هامش ا) – قبور الجراكسة قرب المشهد (هامش ب) وزر ضرائحا (ت)

٤٠٢ مثلَ فقيهِ اليشبكية الهمام الفاضلِ الكامل الشيخ الإمام
٤٠٣ وابنِ اويس الهمداني الفاضلِ الشيخ ابراهيم ذي الفضائلِ
٤٠٤ وغيره من الرجال الكمّلْ وكان شيخ بالتقى تسربل
٤٠٥ وخذ الى الشرق فتي الطريق شيخ همام عارف صديقي

تربة الكليماني

٤٠٦ وهو كما قد حققوه الشيخ كليب ليس الكليماتي فذا شكٌ وريب
٤٠٧ وهو من اجداد طه زاده كذا رواه البعضُ بالإفاده
٤٠٨ بالقرب منه العارفُ الريحاوي قد كان من كلِّ العلوم حاوي
٤٠٩ بقربه محمّدُ الهبراوي ابوه والجدّ هناك ثاوي
٤١٠ بالقرب منه الفاضل السرميني محمّد من جهة اليمين

٤٠٢ مثل الفقيه اليشبكية . . . الكامل الفاضل والشيخ الامام (ب)
٤٠٤ وكل شيخ بالتقى (ب ت)
٤٠٥ خارج باب قنسرين من جهة الكلاسه (هامش ب)
٤٠٦ اكليب (ب) تربة الكلياتي وسابقاً تدعى الكليباتي (ت)
٤٠٨ محمد كل العلوم حاوي (ب ت)

---

٤٠٢ اليشبكية راجع (ط ٦ : ٢٢١) وغزي (٢ : ٧٨) هي تربة ومسجد ومكتب موقعها برأس سوق النشابين المعروف الآن بسوق النبي .

٤٠٧ طه زاده احمد الجابي . اسس المدرسة الاحمدية في الجلوم ووقف عليها ما اقتناه من الكتب النفيسة والالات الفلكية ، ولا زال الكثير منها محفوظاً بعناية آل الجابي وانا نستغنم فرصة من مقالنا للثناء على عبد اللطيف افندي صاحب الدار لما اظهره من التساهل في اطلاعنا على كنوز تلك المكتبة الشهيرة وجاء ذكر طه زاده في (ط ٧ : ٥٦) و (٦ : ٢٦٢) و ٦ : ٤٨٤) والغزي ٢ : ٥٢)

٤٠٩ الهبراوي محمد (م ١٢٦٧ هـ/١٨٥٠ م) كان عالماً له مؤلفات راجع (ط ٧ : ٢١٤) وايضاً (٧ : ١٨١ و٤٧١)

٤١٠ السرميني محمد م ١٢٥٥/١٨٣٩م (راجع ط٧ : ٢٦٧) ومن آثاره كتاب في النحو .

٤١١ جانبه فلا موسى الكوردي حبرٌ مبارك بعيد العهد
٤١٢ كذا سوادٌ فاضل همامْ بالخير والتقى له اهتمامْ
٤١٣ قد ثويا [في] تربة تنمى لأو لاد الملوك هكذا لنا رووا
٤١٤ وتربة الملواني اورطه تبه الحسن الفاضل طابت تربه

تربة ابي نمير

٤١٥ واقصد حمى ابي النمير الارحبا حامي حمى الشبهاء قطباً انجبا
٤١٦ فعند قبره تجابُ الدعوه وعنده تنالُ كلُّ حظوه
٤١٧ كان له في وقته التصرفُ في حلب الشهبا بهذا يعرفُ
٤١٨ بالقرب منه الشيخ عبد الوهاب الازهري الشاذلي الاوّاب
٤١٩ وهو الذي احيى الطريق الشاذلي في حلب وجاء بالفضائل
٤٢٠ رحمه اللهُ اقام والدي فيه خليفةً مع التعاهد
٤٢١ له كرامات [رووها] علنا اذ جاء نباشٌ يسلُّ الكفنا

٤١١ جانبه منز يوسف الكوردي (ب)
٤١٢ كذا سوار (ب ت)
٤١٣ في تربة (ت) ب (في زائدة في الف)
٤١٤ في وسط المحل المرتفع (هامش ب)
٤١٥ ابي نمير (هامش ا) – تربة ابي نمير (هامش ب)

---

٤١١ جاء في (ت)
والشيخ موسى وكذا سوار بالقرب منهم لها مزار
٤١٤ جاء في ت عوض البيت المذكور في (الف) ولم اقف فيه على معنى اورطه تبه
وخارج الكلاسة الولي ابو الرجا [الرجاء] شيخ التقي الرضي
٤١٥ راجع الرسم ٣٤
٤١٨ عبد الوهاب الازهري (م بعد ١٢٠٠ هـ/١٧٨٥ م) راجع (ط ٧ : ١٢١) علم الطريقة الشاذلية في حلب .

٤٢٢ ليلة دفنه ونحا الطابقا فقام في نبوته مسابقا
٤٢٣ أوما اليه فدعاه ميتا كذا سمعناه صحيحاً مُثبتا
٤٢٤ بالقرب منه المصطفى الكوراني في كل علم كامل المعاني
٤٢٥ جانبه الدر ديري عبدُالقادر الشافعي خلاصة الاكابر
٤٢٦ ومن ابوه زكريا الحافظ محمدٌ على التقى محافظ
٤٢٧ يتلو الكتاب الليلَ والنهارا ويُقرئ الصغارَ والكبارا
٤٢٨ نهاره يقضيه وهو صائم وفي الليالي ساجد وقائم
٤٢٩ وهو قريب من ابي النمير وكان شيخاً مظهرًا للخير

تربة الفردوس

٤٣٠ ومن هنا فخذ الى الفردوس فيه الفراديسي علي ذو الكيس

٤٢٢ نبوته سابقًا (ب)
٤٢٥ الديري (ب ت)
٤٢٦ الحافظ (ب)
٤٣٠ الفردوس (هامش ا) - تربة الفردوس قبلي حلب (هامش ب)

---

٤٢٤ مصطفى الكوراني (م ١١٩٨هـ/١٧٨٣م) راجع (ط ٧ : ١١٤) كان اديبًا شاعرًا
٤٣٠ البكري مدرّس الفردوس لم اعثر له على اثر في ط ولا غ . اما مدرسة الفردوس وبناياها فلا تزال الى يومنا شاهدًا على عزّ باذخ بالرغم مما اتاها من الخراب (الرسم ٢٥) وفي (ط ٢ : ٢٦٣-٢٦٧) و (غ ٢ : ٢٨١-٢٩٦) وصف البنايات التي صبرت على الزمان وبلاياه في الفردوس وجوارها، ورواية ما كتب على جدار المدرسة . واليك شيئًا منه (عن غ ٢ : ٢٩١)
« في هذه المدرسة اعمدة ضخمة من الرخام الاصفر ملفاة في صحنها وفيها قاعة عظيمة لدرسها وللمدرسة من جهاتها الاربع مناظر وشبابيك الى بستانها وفيها ايوان مكتوب عليه في طرازه وطرازها :
قد در اقوام اذا جن عليهم الليل سمعت لهم انين الخائف واذا اصبحوا رأيت عليهم تغير الوان :

اذا ما الليل اقبل كابدوه ويسفر عنهم وهمُ ركوع

٤٣١ من عصبة النبي والذريه اعظم بهذا الانتما مزيه
٤٣٢ ومعه جماعة اجلّا زرهم ومن انوارهم تملّا
٤٣٣ بقربه الشيخ الشريف الزمن زائره من كل خوف يأمن
٤٣٤ بقربه بن مشرف عبد الله شيخ جليل ومنيب اواه
٤٣٥ ووسط الطريق لا عن بُعد مصطبة فيها الحسين السعدي
٤٣٦ وقبره حوى ابنه من بعده عبدَ الكريم وولي عهده

٤٣٣ شريف الزمن (ب)
٤٣٤ اواه [كذا]
٤٣٦ هو ولي عهده (ب)

اطار الشوق نوهوا فقاموا . واهل الامن في الدنيا خشوع

اجسادهم تصبر على التعبد واقدامهم لياها مقيمة على التهجد لا يرد لهم صوت ولا دعا نوام في ليلهم سجدًا ركعًا قد ناداهم المنادي واطربهم الشادي

يا رجال الليل جدوا رب صوت لا يرد
ما يقوم الليل الا من له حزم وجد

لو ارادوا في ليلهم ساعة ان ينامو اقلقهم الشوق اليه فقاموا وجدهم الوجد والغرام فناموا وانشدهم مزيد الحضرة وبثهم وحلهم على المناجاة وحثهم

حثوا مطاياكم وجدوا ان كان لي في القلوب وجد
قد آن ان تظهر الخبايا وتنشر الصحف فاستعدوا »

ولم اجد في تاريخي الغزي والطباخ ورواية للآثار الخطية القديمة المدونة في مخطوط المكتبة الشرقية (الاثار الكتابية العربية على الابنية الحلبية رقم ١٦٣ ص ١٧) جاء فيها :

خارج الفردوس في كرم بنات الملك العزيز ابو الفتح شهاب الدين توفت عايشة خاتون يوم احد في ١٢ ربيع الاول سنة ٦٦١ هـ/١٢٦٣ م وايضًا اختها ست الملوك يوم الخميس لعشرين من ربيع الاخر سنة ٦٦٤ هـ/١٢٦٦ م

وفي الكرم خارج الفردوس تربة مسماة باسم تربة صلاح الدين ومؤرخة من سنة ٦٢١ هـ

٤٣٥ حسين السعدي (م بعد ١٢٠٥ هـ/١٧٦٠ م) راجع (ط ٧ : ١٢٤) وكان فقيهًا عالمًا .

٤٣٧ ونجل سلطان خليل حلّ في مقبرة للمرعشي الاحنفي
٤٣٨ وهو تلميذ الامام الأسجي العالم الحبر السري النهج
٤٣٩ وولده الشحنة فتح الدين شمس سماء الفضل واليقين
٤٤٠ مقبرة المنقار فيها تربته عليهم من الرحيم رحمته
٤٤١ هذا الذي اليه علمي وصلا من خارج البلدة علماً مجملا
٤٤٢ ولم يزل في ظاهر الشهباء اكابر مطوية الاسماء
٤٤٣ لان بعد العهد يدرس الاثر سبحان من بالموت خلقه قهر
٤٤٤ وان ظفرت بعد ذا باسم احد معيّن اضفته الى العدد

٦ الاولياء داخل البلدة

٤٤٥ والآن اثني عليهم عناني لداخل البلدة من سكان
٤٤٦ ذوي التقى والعزم والعزائم ساداتنا الاماجد الاكارم

باب المقام

٤٤٧ من المقام ان ترم نزولا فشيخنا الشيخ علي شاتيلا
٤٤٨ في تربة على شمال النازل ومعه اكارم افاضل

٤٣٧ الحنفي (ب)
٤٣٨ الاجي (ب ت)
٤٣٩ وولد الشحنة (ت)
٤٤٠ قدام الفردوس (هامش ت)
٤٤١ هذا الذي علمي اليه وصلا (ت)
٤٤٥ والآن اثني منهم عناني
٤٤٦ ذو التقى (ب)
٤٤٧ ان ترونا (ب)
٤٤٨ ومعه من اكارم افاضل (ت)

جامع الطواشي بالنصيلة

٤٤٩ وجدت في جامع الطواشي عليه من مَهابة غواشي
٤٥٠ وحوله جماعة افاخر من الكرام و[بهم] نفاخر

داخل جامع مادة النصيلة

٤٥١ وجامع القصيلة المنايري حلّ به وهو من الاكابر

تحت القلعة

٤٥٢ وخذ شمالا نحو باب القلعه ومر في مرقد باهي الطلعه
٤٥٣ السيّد الغوث الشهير الاعظم وحوله كلّ مقام اعظم
٤٥٤ وقبّة من حولها مشاهد في بقعة شريفة المعاهد
٤٥٥ وهذه البقعة من خير البقاع لأن [فيها] شيدا بلا نزاع
٤٥٦ في باب دار العدل من شرق نزل درويش نير الضريح والمحل

٤٤٩ وجده في جامع الطواشي (ب) – جامع الطواشي (هامش ب) – جامع الطواشي في النصيلة (هامش ا)
٤٥١ جامع النصيلة (هامش ا)
٤٥٢ وخذ . . . ومر بالمرقد باهي الطلعة تجاه القلعة مقام سيدي الغوث (هامش ب)
٤٥٤ مشايد (ت)
٤٥٥ لان فيها الشهدا بلا نزاع (ب) لان فيها شهد (ت)

---

٤٤٩ جامع الطواشي راجع ما كتبه فيه (ط ٦ : ١٢٥) والنزي (٢ : ٢٧٣) وقد صوّرناه (الرسم ٣٦) موقعه شمالي باب المقام. والطواشي معناه الخصيّ وكانوا يهدون اليه بحراسة الحرم.
٤٥١ النصيلة راجع (النزي ٢ : ٥٠٢) موقع هذا الحي شرقي حلب بجنوب وهو من اقدم احيائها. والنصيلة لفظة لها اصل بالسريانية ضريحة ومعناها النصّابون والقطّاعون (اسحق ارملة).

الرسم ٢٣
المولوية خارج باب الفرج

الرسم ٢١ – عند الشيخ جاكير

الرسم ٢٢ – بابا بيرم

الرسم ٢٤ – المناور تحت تربة أبي خير

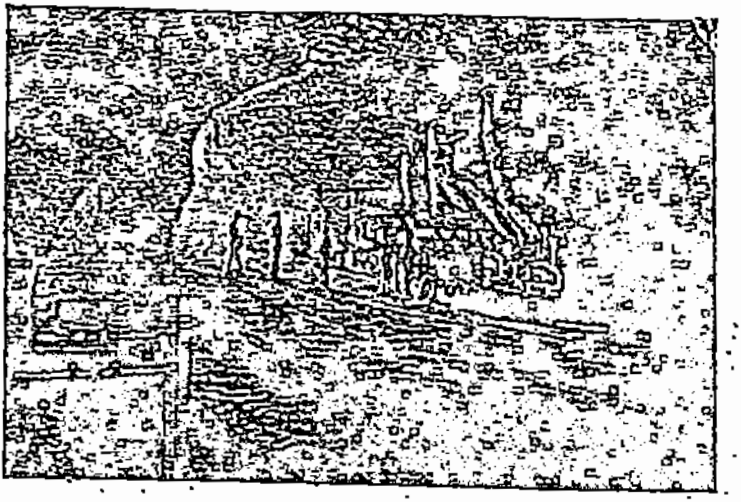

الرسم ٢٦ – جامع الخواتي
وسيدة جامع الاطروش

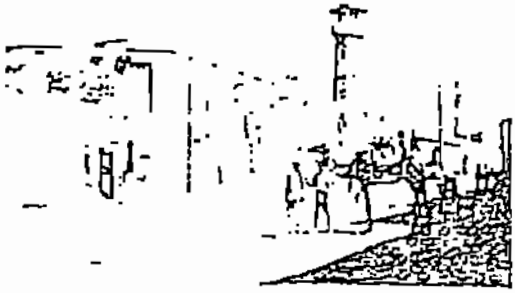

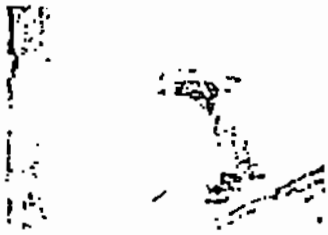

الرسم ٢٨ – قديم تقريب داخل جامع الاشبيلية

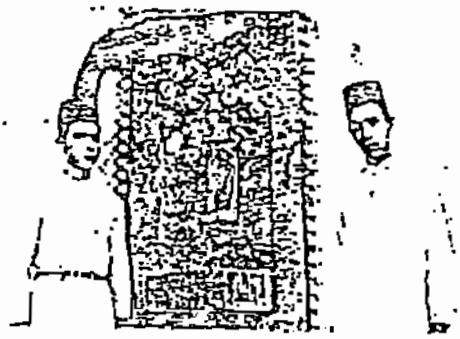

الرسم ٢٧ – مزار الكريزاد

الرسم ٢٥ – جامع الفردوس

حارة البستان

٤٥٧ ومن قريب حارة البستان مثوى بلال وهو ذو برهان

تكية الشيخ تراب قبل الناعبة

٤٥٨ وخذ الى تكية الترابي شيخي واستاذي من الشباب
٤٥٩ محمد بلدته اوقات اشياخه اكارم سادات
٤٦٠ وكان من عنصر زين العابدين شريف اصل من كرام هادين
٤٦١ كتب لي اجازة نقشبه وخلوتية مع النوريه
٤٦٢ اقامني خليفة من بعده مقامه وعمني برفده
٤٦٣ ثم لمن أقيمه مقامي من [والدي] ومن ذوي ارحام
٤٦٤ بشرني بكل خير آتي وطول عمر وصفا اوقات
٤٦٥ وكل ما عاينته قد ظهرا كالشمس في النهار من غير مرا
٤٦٦ وكان ذا كشف صحيح خارق مع تصرف بعزم صادق
٤٦٧ اخبرني بموته وعينه فكان ما وقته وبينه
٤٦٨ فرحمة الله تعم مرقده ما كان أسماه وأعلى مدده
٤٦٩ ثم ابو بكر الخريزاتي ثوى بقربه في مسجد به انزوى

٤٥٢ قريباً من حارة البستان (هامش ب)
٤٦٦ من والدي ومن ذوي الارحام (ب)
٤٦٩ الخريزاتي (هامش ا)

---

٤٥٧ محمد بن بلال (م ٦٥٧ هـ/١٢٥٨ م) راجع (ط ٥ : ٥٢٣)
٤٥٨ الترابي جاءت ترجمته في (ط ٧ : ٢٧٨) زرنا قبره في غرفة حجبتها عن الانظار الاشجار .
٤٦٩ الخريزاتي (الرسم ٢٧) النزي(٢ : ١٢١) اما الشيخ فترجم لزين العابدين الخريزاتي

٤٧٠ والذهبي تجاه حمام الذهب . في الذاهبين قد تولى وذهب
٤٧١ ومن قريب جامع الرومي قبر صفاء الدين شيخ الحي
٤٧٢ وقربَ حمام بزا دفين حبر جليل فضله مبين

باب قنسرين

٤٧٣ وبابُ قنسرين مثوى الاخيار وفيه مرقد الخليل الطيار
٤٧٤ وقربَه عبد الكريم الخافي من سيره الظاهر غير خافي
٤٧٥ دفن في زاوية شهيره في السوق في المحلة المذكوره
٤٧٦ والكختلي ذو النسمات السافحه بقرب حمام تسمّى المالحه
٤٧٧ وفي الكريميّة ذات الشرف لقد ثوى عبد الكريم الحنفي

٤٧٠ حمام الذهب (هامش ب) – الذهبي (هامش ا)
٤٧١ عند جامع الرومي (هامش ب)
٤٧٢ عند حمام بزا (هامش ب)
٤٧٣ باب قنسرين (هامش ا) في حارة باب قنسرين في الجامع (هامش ب)
٤٧٤ من سيره الظاهر (ت)
٤٧٦ باب قنسرين) هامش ا) – والكحيلي – عند حمام المالحة (هامش ب)
٤٧٧ في الكريمية (هامش ب)

(م ٩٣٧ هـ/١٥٣٠ م) كان في اول امره ينسل الموتى . ولما جاء الطاعون بحلب ، وكانها يومئذ ازدر الجركسي ، مات من عماليكه الجم الغفير . فكان الحريزاتي ينسل من مات منهم ويأخذ سلبه فاثرى وصار شيخ شيوخ حلب . وكان قادرياً سهروردياً رفاعياً وكان ذا حيل ودهاء .

٤٧١ جامع الرومي راجع (ط ٢ : ٤٤٣) والغزي (٢ : ١٠٦) « بناه شكلي بنا الشيخ سنة (٧٧٨ هـ/١٣٨٥ م) وكانت محلته قبل بنائه مكاناً يباع فيه الخمر يقال لها محلة الابن (كذا ، ولم يذكر الغزي المصادر) .

٤٧٦ عبد الكريم الخافي دفين جامع الكريمية (م ٨٨٦ هـ/١٤٧٩ م) راجع (ط ٥ : ٣٠١)

٤٧٨ وخذ الى زاوية الهلالي فيها الهلالان هما المثالي
٤٧٩ كذا ابو بكر بها مقيمُ قبليّه فالشيخ ابراهيم
٤٨٠ وجهة الغرب هناك مرقدُ ثوى [به] ابنه الفتى محمدُ
٤٨١ كانوا ذوي مراتب في الرشد والخير والتقى وحفظ العهد
٤٨٢ ثم الأريحاوي وهو موسى في جامع غدا له مرموسا
٤٨٣ والشيخ عبدالله من خان مطاف له مقامٌ وسطٌ في الأطراف
٤٨٤ ومصطفى المجذوب وهو الطاهري في المدفن القبلي فيه محتوي
٤٨٥ وهو من صلب الافندي عمر وكشفُه قبل مماته ظهر
٤٨٦ والشيخُ صالحُ سليل الجيلي من داخل المدفن في مقيل
٤٨٧ والشيخ طه قبره في المدرسه مدرسة الاكراد يُسمى أكوسه
٤٨٨ ومن له يُنمى فطه زاده وفي حماه دفنوا اولاده

٤٧٨ في جلوم زاوية الدرعزاني (هامش ب)
٤٨٠ ثوى فيه الفتى ابنه محمد (ب) – ثوى به الفتى ابنه (ت)
٤٨٢ الريحاوي (ب)
٤٨٣ من خان الطاف – في جلوم عند خان الطاف في الجادة الشيخ عبدالله الشهير في (هامش ب)
٤٨٤ المجذوب الطاهري في مدفن القبلي (ب)
٤٨٥ مدفن بيت الجليلي (هامش ب) وعنده المكتبة الأحمدية
٤٨٦ من دخل المدفن في مقيلي (ب)

---

٤٧٨ احمد بن الحسن الهلالي باني الزاوية البهادرية (م ٨٦١ هـ/١٤٥٨ م) (ط ٥ : ٢٢١)
٤٨٣ خان مطاف او خان الطاف راجع (ط ٣ : ٢١٦) (والغزي ٢ : ٧٣)
٤٨٧ مدرسة الاكراد وطه زاده راجع في ذلك (ط : ٤٦٩) وما جاء سابقاً بيت ٤٠٧ في الحاشية .

٤٨٩ وخذ الى مدرسة الكواكبي حمى ابي يحيى رفيع الجانب
٤٩٠ ومعه الكواكبي محمد الاردبي خرقةً ومسنَد
٤٩١ جانبه المولى ابو السعود مُفتي الانام كوكبُ السعود
٤٩٢ ومعهم في ذا المقام علَماً من قومهم ايمة في ذا الحما
٤٩٣ وقد غدت مقبرةَ الذريّه وكلُّهم كواكب دريّه
٤٩٤ والكيزواني شيخُه علوانُ الحموي عليهم الرضوانُ
٤٩٥ في قلعة الشريف داخلَ المقام له محل في الطريق ومقام

٤٨٩ للكوكبي (ب) في مدرسة الجراكسة تجاه البهرامية (هامش ب)
٤٩٠ الاردبلي خرقة ومسندا (ب)
٤٩٤ عليهما الرضوان
٤٩٥ في قلعة الشريف

---

٤٨٩ محمد يحيى الكواكبي (م ٩٨٧ هـ/١٥٩١ م) سمي بالكواكبي لانه كان في بدء امره حداداً يعمل المسامير الكواكبية وسلك الطريق الصوفية (ط ٥ : ٢٢٦)

٤٩٠ محمد الكواكبي (م ٩٦٢ هـ/١٥٥٤ م) (ط ٦ : ١٩) كان يخرج في جنائز الطاعون سنة ٩٦٢ ومعه شرذمة يذكرون الله .

٤٩١ ابو السعود بن احمد الكواكبي (م ١١٣٧ هـ/١٧٢٤ م) (ط ٦ : ٤٦٥)

٤٩٢ ذكر النبائح آل الكواكبي ايضاً في ٣ : ٤٦٢ ؛ ٥ : ٢٦٥ ؛ ٦ : ١٩٦ ، ٢٧٢ ، ٢٨٠ ؛ ٦ : ٤٤٧ ؛ ٧ : ١٠١ ، ١٨٧ ، ٤٠١ ، ٥٠٧

٤٩٤ علي بن احمد الكيزواني (م ٩٥٥ هـ/١٥٤٨ م) اصله من حماه ، وجاء حلب ، وكان له جماعة من المتصوفين من اتباعه ، فامرهم بالطواف في الاسواق مع حمل الخرز في رقابهم ، ولبس الفراء المقلبة ونحو ذلك . وبعضهم خرم انفه ، فكره كثير من الناس فعل ذلك ، وانكره بعض الفقهاء . اما القاضي فساعد عليه . وقيل عن الكيزواني انه كان في بدء امره يمكث الجمعة اشهر طاوياً لا ينام الا جالساً وبنى له نائب حلب تكية عظيمة واجتمع عليه خلائق لا يحصون ، فوقعت فتنة في حلب فقتل الدفتردار وقاضي العسكر فقال الناس ان ذلك باشارة الكيزواني ، والتكية المذكورة تعرف الان بجامع الكيزواني في محلة العتبة .

اما الشيخ علوان فراجع خبره مع الكيزواني في (ط ٥ : ٥٥٨)

٤٩٦ وفي الشعيبيّة فالنضايري شعيب الولي ذو المآثر
٤٩٧ سوقُ الجديد فيه قبر نير وهو قديم من قديم يذكر
٤٩٨ والشيخ معروف بسوق الضرب كان شجاعاً باسلاً في الحرب
٤٩٩ والبشبكيُّ قربَ دار العدل في البشبكيّة وريفَ الظلِّ
٥٠٠ والأسدي علي مفتي الشهبا وكان شهما في المعالي ندبا
٥٠١ وكان في العلم إمام الكلِّ وبارعاً مبرزاً في الفضلِ
٥٠٢ في الاسديّة له قبر شهير ومعه ابنه محمد المنير
٥٠٣ جانبَه اصلان دده الوليُّ ذو شهرة وكشفه جليُّ

٤٩٦ النضايري
٤٩٨ في سوق الضرب – يعني سوق الرزب الشيخ معروف الشهير
٥٠٠ المفتي الشهبا كان (ب) والندب السريع الى الفضائل الخفيف في الحاجة لانه اذا نُدب اليها خف لفضائلها (المنجد)
٥٠١ بارعاً ومبرزاً للفضل (ب) – مميزاً (ت)
٥٠٢ مدرسة الأسدية (هامش ب)

---

٤٩٦ النضايري (م ٣١٣هـ/٩٣٥م) روى الطباخ (٦:١٦) عن الذهبي ان ابا عبيدة لما فتح حلب دخلها المسلمون من باب انطاكية ووقفوا داخل الباب ورفعوا اتراسهم في المكان. فبني ذلك المكان مسجد، وقال ابوذر في كنوز الذهب وهو اول ما اختط من المساجد، ويقال له مسجد الاتراس لما تقدم، ثم عرف بمسجد النضايري نسبةً لرجل من الصالحين دعي بذلك الاسم.

٤٩٨ راجع ما كتبه عن الشيخ معروف (ط ٢:٨٤) والنزي (٢:٧٨) والأحق به ان يسمى الشيخ مجهول لان ليس سبيل الى معرفة هويته. زرنا قبره وسألنا الحارس عن سيرة الشيخ فقال كان لمعروف الفضل في الدفاع عن الضعفاء، والله اعلم!

٤٩٩ دار العدل راجع النزي (٢:١٥)

٥٠٢ الاسدية (ط ٦:٢٥١) والنزي (٢:١٠١)

٥٠٣ أصلان دده غزي (٢:١١١) و(ط ٦:٢٤٨) مات نحو (١٠٤٨هـ/١٦٣٨م) وكان قد حمل له الجذب الالهي ويقال انه قطع خصيتيه... ولازم بيت القهوة فكان لا

٥٠٤ وفي الصلاحيّة شيخٌ امجد من الكرام واسمه محمد
٥٠٥ بالقرب منه الشيخ عبد الرحمن على الطريق شيخُه الشيخ اصلان
٥٠٦ مُعظّم المقام في [الجيران] لكل قاصٍ مُرتجى ودانِ
٥٠٧ ومعه شخصان مدفونان في الأشرفيّة [رفيعا] شان
٥٠٨ واقصد مقام السّيدِ الكيالي عبد الجواد ذي الجنان العالي
٥٠٩ ابنُ الرفاعيّ صحيحُ النسب قاصدُه لكم نجى [من] عطب
٥١٠ طار بجنحين بعلم ومدد له مقامان [صلاح] ورشد
٥١١ جانبه اولادُه نزول عليّ واسحقُ واسماعيل
٥١٢ فالشيخ اسماعيل ذو [احوال] له كرامات وكشف عالي
٥١٣ صاحب تصريف وحال خارق وهيبةٍ عليه لم تفارق
٥١٤ ثم عليٌّ ذو كمال ووقار يميل في فخاره للاعتبار

٥٠٥ على الطريق وشيخه الشيخ اصلان – وهو قاضي الحاجات (هامش ب)
٥٠٧ في جامع الاشرفية رفيعان الشان (ب) – عند حمام الريساني (هامش ب)
٥٠٨ ذو الجناب العالي (ب) – زاوية بيت الكيال الشهيرة وراء الجامع الكبير (هامش ب)
٥٠٩ قاصده كم نجا من عطب (ب) الكم نجا (ت)
٥١٠ الجنحان مقامان صلاح ورشد (ب ت)
٥١٢ ذو الاحوال (ب)

يخرج منها ليلاً ولا نهاراً الا احياناً قليلة ولا يتكلم مع الناس الا القليل من الكلمات تارة بانتظام واخرى بدونه . . . فمكث الاكابر عليه وقدمت الاموال اليه . . .

٥٠٦ الصلاحية راجع التزي (٣ : ٢) وتعرف اليوم بالبياتية .

٥٠٨ عبد الجواد الكيالي (م ١١٩٣ هـ/١٧٧٨ م) (ط ٧ : ٦٥)

٥١١ عليّ الكيالي (م ١٢٠٧ هـ/١٧٩٣ م) (ط ٧ : ١٤٥) – اسماعيل الكيالي (م ١٢٣٢ هـ/١٨١٦) (ط ٧ : ١٦٥) جاء في الحاشية عنه انه حصل له جذبة فخلع ثيابه وصار يدور في الاسواق ، وعلى هذه الحالة شوهدت له كرامات وخوارق واحوال . . .

٥١٥ جرى على يديه اسنى منقبه حاز بها في الناس أعلى مرتبه
٥١٦ وصنوه اسحقُ وفى كيلَه وبين اهل الفضل جرَّ ذيلَه
٥١٧ قرأ حصّةٍ من العلوم فنالها بطبعه السليم
٥١٨ طائفةٌ شريفةٌ مباركه وفي المعالي [أبوا] المشاركه
٥١٩ وان تيمم مرقد البيلوني الشيخِ فتح الله ذي اليقين
٥٢٠ فقبرُه ضمن الزقاق الضيق بقرب جبِّ اسدِ الله التقي
٥٢١ على الطريق قبلَة الحمام الشيخُ عبدالله في المقام
٥٢٢ الجاوزي وشيخُنا المواهبي يقوم، ان يمرر له، بالواجب
٥٢٣ والشيخ[زين]في زقاق الفرن والشيخ فتحي ثويا في أمن
٥٢٤ والبكفلوني منيما قريبُ في مسجد كالنجم لا يغيبُ
٥٢٥ ومعه الشيخ ابو بكر مقيم مثواهما صار بجنات النعيم

٥١٦ اوفى كيله (ب)
٥١٨ ابو المشاركة (ب)
٥١٩ في زقاق البيلوني الشهير بزقاق المبخانات (هامش ب)
٥٢٢ عند عتبة الياسين (هامش ب)
٥٢٣ والشيخ فتح(ب)سجية دباغة الثيفة(هامش ب)والشيخ زين في زقاق الفرن(ت)

---

٥١٩ بيلوني فتح الله (م ١٠٦٣ هـ/١٦٥٢ م) (ط ٦: ٢٢٩) اشتهر بأدبه وتآليفه.
٥٢٠ جب اسد الله ط ٦: ٢٢٩
٥٢٢ الجاوزي ذكر الطباخ: صالح (م ١١٩٢ هـ/١٧٣٩ م) (٦: ٥١) وابنه محمد (م ١١٨٧ هـ/١٧٧٣ م) (٧: ٦٥) وابنه اسماعيل (م ١٢١٨ هـ/١٨٠٣ م) (٧: ١٦٢)
٥٢٤ بكفلوني ذكر (ط ٦: ١٠٦) ياسين البكفلوني (م ٩٨١ هـ/١٥٧٣ م) عالم بلاد اربعا، مات بقريته بكفلون ودفن بها بزاوية بناها لنفسه وصُلّي عليه بحلب صلاة الغائب. اما الذي ذكر (٢: ١٦٨) عبد الوهاب البكفالوني (م ١١٥٥ هـ/١٧٤٢ م) ومسجده في اواسط الزقاق النازل الى مسجد شمون
٥٢٦ الصالحية (غزي ٢: ٢٠٤) وتعرف ايضاً بالنادرية.

٥٢٦ والصالحيّة الرباطُ المعمور بالذكر حلّها العنيزي المشهور
٥٢٧ والشيخ بدران من الشمال وهو من القوم ذوي الكمال
٥٢٨ وللسمرقندي قربَ الدولك قبرٌ منير وهو فيه منسلك
٥٢٩ والقرمانية فيها المغربي محمدُ التقيُّ زاكي النسب
٥٣٠ كذا اخوه ذو الكرامات حسَن جامعٌ بحسيتا بتربة سكَن
٥٣١ والشيخ سيتا قربَ باب الفرج ضريحُه في مسجدٍ في المدرج
٥٣٢ وان تشرّق فضريح القاموس شيخ جليل في مقام مأنوس
٥٣٣ وفي الزقاق من شمال المحكمَه قبر القدوري الحنفي له سمَه
٥٣٤ في مسجد مبارك معمَّر بالصلوات مشرّق منوّر
٥٣٥ وعد الى القبلة للسماج الشيخ عبدالله كهفِ الزاجي

٥٢٨ عند خان الدولك قرب بحسيتا (هامش ب)
٥٢٩ التقي محمد زاكي النسب (ب) جامع القرمانية مقام المغربي محمد واخيه حسن في جامع بحسيتا الذي هو على الجادة (هامش ب)
٥٣١ والشيخ سيتا (؟) او سيتا (ب) في جامع ضريحه في المدرج (ب)

---

٥٢٨ السمرقندي جاء الاسم في (ط ٦ : ٢٦٥) ؛ (٥ : ١٨٠ ، ٥١٦)
٥٢٩ محمد المغربي (م ٩٧٧ هـ/١٥٦٩ م) راجع (ط ٦ : ٧٣) ومسجد القرمانية (نزي ٢ : ٢٠٦)
٥٣٠ بحسيتا قال النزي ٢ : ٢٠٧ « هذه المحلة اكثر سكانها يهود والمشهور انها كانت في صدر الاسلام مشتملة على كثير من المدارس العلمية الاسلامية . . . » ولم يرجع بنا الى المصادر لنستند اليها عن ثقة . ونرى في الاغلب ان ذلك الحي كان في سابق الزمان كما في يومنا يهودياً وذلك لان باب النصر المؤدي اليه من الشرق كان يدعى باب اليهود . ولان هناك الى يومنا كنيس اليهود الاثري القديم وعلى جانبي الممر او الدهليز المؤدي اليه احجار قديمة قد ترقى الى العهد اليوناني الروماني الى ما قبل الهجرة . والكتابات العبرانية الموجودة في الكنيس تشهد له بالقدم مما يدل على ان الحي كله كان يهودياً . اما لفظة بحسيتا فتأتي من السريانية : بيت سحيتا اي بيت المرحومة والناقلة .
٥٣١ مسجد سيتا نزي (٢ : ٢٠٧)

٥٣٦ بقربـه زاوية المنصوري القادري الأزهري المشهور
٥٣٧ جاورَه ابن اخته خليفتُه عُمَرُ من طاب وطابت نيّته
٥٣٨ ثم الدلوياتي ابو بكر الولي بقربه و كشفُه الكشفُ الجلي
٥٣٩ وقبر شيخ قد ثوى في المحكمه قبر قديم ذو وقار وسمَـه
٥٤٠ لدا الحسامية دار خربَه دفن فيها عارف ذو رتبَـه
٥٤١ قيل اسمه محمد كمالُ له على جيرانـه افضالُ
٥٤٢ وفرجٌ شيخ من النوريّه مثواه تحت القلعـة السنيّه
٥٤٣ في مسجدٍ يُعرَفُ بالايناس والآن صار مسكَناً للناس
٥٤٤ شرقيَّه استاذُنا النسيمي بمـزجُ المشرب [بالتسيم]
٥٤٥ في داخلَ الرباط تحت العتبَه وكان ذا مكانـة ورتبَه
٥٤٦ داخلَه مصطفى ذو الرحلَه ذُكر فيها اولياء جملـه
٥٤٧ ومعهم ابو الصفا قد دُفِنا كلٌّ بساحة النسيمي سكنا

٥٣٦ عند الرشدية قرب زقاق القنابات (هامش ب)
٥٣٨ جامع الدليواتي تجاه المنصورية المذكورة
٥٣٩ ذو وقار – ضمن المحكمة (هامش ب)
٥٤٠ ذو مرتبة (ب ت) جانب الحسانية (هامش ب)
٥٤٤ بالتسيم (ب)
٥٤٦ ذكروا (ب)

٥٣٨ دليواتي (م ٩١٥-١٠٠٩ م) (ط ٥ : ٢٧٠) المسجد الذي دفن فيه هو في محلة القرامزة.
٥٤٠ الحسانية (ط ٤ : ٤٠١) وغزي (٢ : ١٢٦)
٥٤٢ مسجد الشيخ فرج (غزي ٢ : ١٢٦)
٥٤٤ جاء في (ط ٣ : ٨٥) ذكر منذل علي عماد الدين النسيمي متهماً بالزندقة على ايام يشبك (م ٨٢٤ هـ/١٤٢١ م) نائب حلب قال وهو مدفون في تكية تعرف به في محلة القرمزة وكل من تولى مشيخة هذه التكية صار يعرف بالنسيمي.

٥٤٨ والنقشبندي احمد الشهير ... من خارج وقبره منير
٥٤٩ كذا النجيب رجل مبارك ... وفي طريقهم لهم قد شارك
٥٥٠ ومسجد احياه اسماعيل ... الحكمدار الحازم النبيل
٥٥١ ففيه زين العابدين آوى ... والذاهبين الأولين ساوى

تربة الجبيل

٥٥٢ وتربة الجبيل مثوى السادة ... وروضة الانوار والشهادة
٥٥٣ كالنعلبندي حوله أولاده ... والكل منهم ظاهر امداده
٥٥٤ يقربه العلامة النحرير ... الحسن المدرس الشهير
٥٥٥ كان له الرسوخ في العلوم ... [ورتبة] المنطوق والمفهوم
٥٥٦ وكان مفتي حلب العواصم ... بورع فيه وزهد قائم
٥٥٧ جانبه محمود وهو المرعشي ... من قلبه علماً وإيماناً حشي
٥٥٨ اعلا الجبيل مهبط الأملاك ... فيه ثوى محمود الانطاكي
٥٥٩ ومعه العالم ذو التحقيق ... محمد الفائز بالتوفيق
٥٦٠ وكان قد فوض امر الفتوى ... في حلب كذاك له يروى
٥٦١ وجيه القبلة فالتوريه ... اكابر اجلة صوفيه

٥٥٢ بقي تربة الجبيلة (هامش ب)
٥٥٥ ورتبة المنطوق (ب ت)
٥٥٧ اعلى الجبيل (هامش ب)

---

٥٥٤ حسن المدرس ، جد آل المدرس ، (م ١٢٥٠ هـ/١٨٣٤ م) (ط ٧ : ٢٥٢) كان من كبار مدرسي حلب في الثمانية ومن ذلك اكتسب لقبه .

٥٥٧ محمود المرعشي (م ١٢٥١ هـ/١٨٣٥ م) (ط ٧ : ٢٦٢) رحل من مرعش مسقط رأسه بعد حادث فتنة واقام في حلب وسافر الى استنبول وعلم اخت السلطان .

٥٥٨ محمود بن عبدالله الانطاكي (م ١١٦١ هـ ١٧٤٨ م) (ط ٦ : ٥٢٨) اقام في بلاد

٥٦٢ اوّلُ آتٍ منهم بالبسط . من نحو اخلاط بهذا الربط
٥٦٣ محمدٌ وكان شيخاً ماجدا مكتفيا بربه وزاهدا
٥٦٤ وبعده خلفُه محمودُ شيخ تقي صالحٌ رشيد
٥٦٥ وبعده احمد ذو الكرامه خليفة اقامه مقامه
٥٦٦ وبعده الشيخ المربي الناصح خليفة القوم محمد صالح
٥٦٧ ثم ختام المرشدين مصطفى عُرِفَ بالخوجا وكان ذا صفا
٥٦٨ مفنّنا اخلاقه رضيّه عالي جنابٍ ونفسُه زكيّه
٥٦٩ وبعدَه خادمه شريفُ خليفةٌ ومجدُه طريف
٥٧٠ وفي الجبيلِ [قبور] قديمه [وشهدا] اخبارهم معلومَه
٥٧١ مجاهدون في سبيل الله بهم نفاخر وبهم [نباهي]
٥٧٢ وكلهم طوتهُم الاراضي وقد مضوا والله عنهم راضي
٥٧٣ في باب غربي الجبيل قبرٌ له مهابة سمت وسر
٥٧٤ محمد الغول كذا سمعنا عن باخبار الكريم يُعنَى
٥٧٥ ومسجدٌ منها اليها يسلك من قبلة فيه ثوى شاهين بك

٥٦٢ بالبسطي في هذا الربطي (ب)
٥٦٧ باخواجا (ب)
٥٦٨ اخلاقه مرضية (ت)
٥٦٩ خلفه ومجده (ب ت)
٥٧٠ وفي الجبل قبور وشهدا (ب ت)
٥٧١ وبهم باهي (ب)
٥٧٢ الارض (ب)

الاكراد بيش طول السنة بستة قروش ترسلها اليه والدته من ثمن غزلها . قال عنها وكانت اذا غزلت تقول وهي تدير الدولاب عند كل دورة : اللهم زد علم محمود . . . ونشأ محمود عالماً

٥٧٦ ومسجد من جهة المشرق بان بقربه قد دفن الشيخ بلبان
٥٧٧ ومسجد فيه ابو [ذر] الهمام ومعه اعزّة عزّ كرام
٥٧٨ ودرج القسطل قرب السوق فيه منار كاملُ الشروق
٥٧٩ فيه ضريح رجلٍ قديمٍ قد حلّ فيه وهو كالرقيم
٥٨٠ والعارف الهندي عبدالقادر هو بكلتاوية مجاوِر
٥٨١ والمستدامية فيها شيخان من الاكابر الفحول الاعيان
٥٨٢ شيخُ جمال الدين والشيخ كما لُ الدين حلّا وهنا مثواهما
٥٨٣ معهما جماعةٌ في المرقد اجدادهم في المشكلات تقصد
٥٨٤ في حرم الجامع في البياضه شخص هنا جثته مرتاضه
٥٨٥ يروى لنا عمن رأى في الرؤيا بان هذا الجركيّ يحيي
٥٨٦ في منزل مالكه الدباغ قبر عليه من وقار داغ [؟]
٥٨٧ وهو محمد دعي بالكوفي [اكرم] بصوفيٍ صفا فصوفي

٥٧٦ تجاه حمام بلبان (هامش ب)
٥٧٧ قريبٌ من البلباني (هامش ب) — ابو ذر غرّ (ت) — الكرام
٥٧٨ في زقاق القسطل الطويل غرباً (هامش ب)
٥٨٠ في الكلتاوية (هامش)
٥٨١ مستدام بك (هامش ب)
٥٨٣ جمع ابي حنة (هامش ب)
٥٨٦ قبر عليه عليه (ب)
٥٨٧ اكرم (ب)

---

٥٧٦ بلبان من السريانية ومعناها بيت اللبن جاء ذكر ثلاثة رجال سموا بهذا الاسم (ط ٢: ٢٢٨؛ ٥: ١٨٠١٧؛ ٦: ١٠٦)

٥٧٧ راجع (ط ٦: ٢٨١) جامع ابي ذرّ وذكر ابي ذرّ حسين (٥: ٥٠٦) وابي ذرّ المؤرخ صاحب كنوز الذهب (٥: ٢٦٧)

٥٨٠ المدرسة الكلتاوية غزي (٢: ٢٦٠)

٥٨١ المستدامية غزي (٢: ٢٨٤) و (ط ٥: ٢٤٨)

٥٨٨ [بالقرب من باب الحديد مرقد في مسجد لزركي احمد]
٥٨٩ في جامع الحموي ضريحُ النوري محمدٌ مستوجبُ التوقير
٥٩٠ وهو من النوريّة الاكابر له مكارم وسرٌ ظاهر
٥٩١ وفي الطريق عند جبّ القبّه قبر جليل وعليه الجبّه
٥٩٢ ولسليمان الشهير جامع فيه ضرايح سناها ساطع
٥٩٣ فالقرامانيان قربه انجلا قبراهما وفي الطريق جُعلا
٥٩٤ هما محمد الولي النيّر وعمر الشهم الجليل الأنور
٥٩٥ بالقرب منهما ضريحٌ ذو قدم من قبل بعثة النبي المحترم
٥٩٦ دليل هذا قبرُه منحرفُ جهة الشرق وليس يعرف
٥٩٧ ووصفوه انه شيخ الكبّب يقبلها نذرا لتفريج الكرب
٥٩٨ يضعها الناذرُ فوق قبره فتختفي وذا قبول نذره
٥٩٩ وفي المشاطية قبر السعد وهو اليماني الوفي العبد
٦٠٠ شيخ شهير مرشد ذو قدر مغيث مَن في ظلّه [يستذري]

٥٨٨ بالقرب من باب الحديد مرقد في مسجد للزركي احمد – في الباب وهو الشيخ محمد الحديدي (هامش ب) وهذا البيت مفقود في الف فاخذناه عن (ب ت) وبه تكامل عدد المنظومة المعهود ٧٥٦
٥٨٩ في جامع الحموي في البياضة (هامش ب)
٥٩٢ ثناها ساطع (ب)
٥٩٣ بالقرب منهم انجلا (ب)
٥٩٦ الشرق ليس يعرف (ب)
٥٩٩ في جامع المشاطية قبر الشيخ سعد اليماني والشيخ ابرهيم العجمي رضي الله عنهم (هامش ب)
٦٠٠ يستذري (ب)

٥٨٩ جامع الحموي راجع غزي (٢ : ٢٨٠)

٦٠١ والعجمي الشيخُ ابراهيمُ في الصحن من جامعها مقيمُ
٦٠٢ رايتُه في النوم من سنينا عديدةٍ اظنُّها خمسينا
٦٠٣ في موضع الصندوق وهو راقدْ ووجهُه يزهو كبرق خاطف
٦٠٤ [جبهته] لبنة طريّه لمستُها بيدي النويّه
٦٠٥ وعند اوجترجق مدفون ولي يدعى سراج الدين ذو نور جلي
٦٠٦ والموصلي في جامع المصلّى بالسرّ والامداد قد تحلّى
٦٠٧ في محلة الأبراج فالابراجي غوثٌ وليٌّ عونُ كلّ راجي
٦٠٨ والعالمُ العلّامة الحدادي الحنفي بركةُ العبّاد
٦٠٩ وهو الإمام شارح القدوري وعمدة المذهب في التحرير
٦١٠ ضريحُه في جامع الحدادين يجاب عنده دعاء الداعين
٦١١ وكم رأوا فيه الامامَ الغالب على امام الشرق والمغارب
٦١٢ ثم المناوري على الطريق منه بعيدٌ في شمالي السوقِ
٦١٣ وجهةَ العريان جامع به القاسم النجّارُ ذو النور البهي

٦٠١ في صحن جامعها مقيم (ب)
٦٠٤ جبهته (ت)
٦٠٥ في حارة اوجتورجق سراج الدين والموصلي في جامع الموصلي (هامش ب)
٦٠٥ اجتورجق ذو نور جلي (ب ت) — اسفرجق (ت)
٦٠٧ في محلة الابراج (هامش ب) محلة الابراج (ت)
٦١٠ جامع الحدادين (هامش ب)
٦١٢ شمال السوق (ب) .

---

٦٠٥ سراج الدين جاء ذكر محمد بن سراج الدين (م ٧٥٦ هـ/١٣٥٥ م) في (ط ٥ : ٢٦١) .
٦٠٧ الابراج راجع غزي (٢ : ٢٤٥)
٦١٠ جامع الحدادين راجع غزي (٢ : ٢٤٦)
٦١٣ قال الغزي (٢ : ٢٤٥) عن مسجد العريان ان في شماله حجرة فيها ضريح للشيخ

٦١٤ كذا الحريرون قد اقاموا [بـه] وهم اعزّة كرام
٦١٥ بالقرب منهم الفتى العريانُ العبد للباقي لـه برهـان
٦١٦ وقربَه فتربـة الشريف تعتـه الجميع بالتشريف
٦١٧ مشحونةٌ بالعلماء السادَه والشهداء والغزاة القادَه
٦١٨ شهرتها الآن قبور الغربا تعظيمهم عند المرور وجبـا
٦١٩ وقربَهم محمد القريب مَن قبلةٌ مقامُه زحيب
٦٢٠ وفي زقاق السَّيدَا شبّاكُ لقبّـة فيها الفتى الفتّـاك
٦٢١ يقال عيسى البطلُ الجاهري ذو العزم في الحروب والمآثر
٦٢٢ غربيُّه على الطريق السالكِ زاويـةٌ للقنبري التـاسكِ
٦٢٣ دفن فيها معه شيخان من الكرام الغرّ صالحان
٦٢٤ وفي رحاب جامع الميداني المصطفى الملقي عالي الشان

٦١٤ به وهم (ب)
٦١٥ جامع العريان (هامش ب)
٦١٨ تربة قبور الغرباء بني تراب الغربا (هامش ب)
٦١٩ القريبو (ب)
٦٢١ قرب تراب الغربا على الطريق عيسى الجاهيري في زقاق السيّد ابن ابرهيم الحوراني قيل ولده من صلبه وقيل مشدودًا له رحمهم الله تعالى (هامش ب)
٦٢٣ دفن معه شيخان (ب)
٦٢٤ جامع الميداني عبد الاماجي (حاشية ب) ملق الثوب اي عبده (المنجد)

العرياني ، وهو رجل يعتقده اهل المحلة ويقولون عرف بالعريان لانه كان في اكثر اوقاته يغلب عليه الحال ، فيتجرّد من ثيابه .

٦١٤ الحريريّون . الى هذا الاسم ينسب في من ترجم لهم الطباخ خليل (م ٩٢٨هـ/ ١٥٢١م) ومصطفى (م ١٠٠١هـ/ ١٥٩٣م)

٦٢٠ السيّدا راجع الغزي (٢ : ٤٥٥)

٦٢٢ القنبري راجع (ط ٦ : ١٥)

٦٢٤ الميداني (ط ٥ : ٤٦٥) قبله دير الاباء اليسوعيين في « ترب الغرباء » ذكر الطباخ

٦٢٥ ومعه فالشيخ عبدُالله وسادةٌ من جلة الأشباه
٦٢٦ ومن شمال الجامع المذكور الى الزقاق السالك المعمور
٦٢٧ في رأسه الشيخ حسين الفتال شيخٌ همام وهو فيه قد قال
٦٢٨ شماله فالشيخُ عبدالله راسُ الطريق في رباط زاهي
٦٢٩ وشرف الدين ففي المعظم من غربه ايضا فشيخ اكرم
٦٣٠ والحرمي في بردميك لقد ثوى بخيره أعلى المقامات حوى
٦٣١ وخذ الى محلة الاكراد فقبرُ عبدالله فيها بادي
٦٣٢ وهو لنا جار ونعم الجارُ له مقامٌ زانه الانوار
٦٣٣ والشيخ صالح له في الساحه في مسجدٍ قبرٌ رحيبُ الساحه
٦٣٤ ومعه اجلّةٌ في الصحن من خارج فزرهم تستغني

٦٢٥ من اجلة والاشباه (ب)
٦٢٧ في جامع الفتال (هامش ب)
٦٣٠ بخيره على المقامات حوى (ب)
٦٣١ محلة الاكراد (هامش ا)
٦٣٣ في ساحة ثنائير (هامش ب) في الجديدة

بناه على ارض الترب وقال : « ذلك لا يخلو من نفع ذاتي » .

لكن النزي في (٢ : ٤٥٤) بعد وصفه الدير والكنيسة بين ما للآباء اليسوعيين من الفضل في احياء مرات « ترب الغرباء » . قال : « بعد ان وضعت الحرب اوزارها مست الحاجة الى ان تجعل مدرسة تجهيزية عليا يتلقى فيها الشبان العلوم التي لا يستغنى عنها في سبيل الوصول الى المراتب الرفيعة من العلوم والفنون فتفتحت سنة ١٩٢٠ م سنة ١٣٣٩ هـ . فاقبل عليها من انهى دروسه في مدارس حلب ورغب ان يحصل على ما هو اسمى منها . والعلوم التي تتلقى فيها هي علم البيان والبلاغة في العربية والافرنسية والحساب والجبر والهندسة والكيميا والفيزيكا والتاريخ والجغرافية والترجمة وعدد تلامذتها الآن ٥٠٠ وهم من نخبة الشبان والنوابغ منهم تختبرهم لجنة مؤلفة من الحكومة قوامها علماء وطنيون وفرنسيون ، فاذا نجحوا بامتحانهم فانهم يعطون شهادة تخولهم حق الدخول الى مدارس الطب والهندسة والحقوق والزراعة وغيرها في فرنسة وبيروت . الخ » .

٦٣١ محلة الاكراد ذكرها النزي (٢ : ٤٥٠) وقال ان من آثارها مسجد خيرالله .

٦٣٥ وفي رباط السادة السعديّه ضريح شيخ كامل المزينه
٦٣٦ الاكمل الشهم الهمام الفردِ ومعه عبد الرحيم السعدي
٦٣٧ وجامع الجديدة المشهورُ فيه ضرايح علاها النورُ
٦٣٨ منهم محمدٌ ابو الحسين وذاك سعديٌّ بغير مينِ
٦٣٩ غربيّه بنقوس في الاخبار عُدَّ ومعدود من التجار
٦٤٠ وجامع الزكي بقربه اشتهر قبر خليفة لَهُ الزكي عمر
٦٤١ وعند قوم فهو البَبّاج وليس في ذا لهم احتجاجُ
٦٤٢ هذا الذي تحريره تيسّر اما الذي قد فاتني فاكثر
٦٤٣ لأنَّ الاستقصاء غير ممكن واني بذا مقرّ مذعن
٦٤٤ فانما الشهباء اسلاميّه قديمةٌ في الأعصر الخاليه
٦٤٥ اطرافها مشحونة بالسادة كذاك من دخلها زياده
٦٤٦ وانما تقادُم الاعصار لم يبق من عين ولا آثار
٦٤٧ وعادةُ الله بهذا جاريه فليتعظ ذوو العقول الواعيه
٦٤٨ فيا اولى الابصار هل من مذكِّر ويا اولى الغفلة هل من معتبر

٦٣٥ في قسطل اخرامي زاوية الشيخ السعدية (هامش ب)
٦٣٧ في جامع الجديدة (هامش ب)
٦٤٠ قبر خليفة الذكي اسمه عمر – جامع الذكي قرب حمام السلطان (هامش ب)
٦٤٣ واني بذا مقر ومزعن (ب)
٦٤٤ فان الشهباء (ب)
٦٤٥ اطرافها (ب ت) كذاك من داخلها زيادة (ب ت)
٦٤٧ ذو العقول (ب)
٦٤٨ فيا اولي (ب)

٦٤٠ جامع زكي راجع (ط ٦ : ٧٦) والتزي (٢ : ٤٥٣)
٦٤١ البباج راجع التزي ٢ : ٤٥٤)

٦٤٩ فكلُّ مخلوقٍ عليها فانٍ والله يبقى [ابد الازمان]
٦٥٠ مُفني الانام بفناء الدنيا وهو معيدٌ خلقهم في الأخرى
٦٥١ يخرجهم للعرض والحسابِ الى نعيم او الى عذاب
٦٥٢ سبحانه ربٌّ كريمٌ قادِر احكامه فالعقل فيها حائر
٦٥٣ نسأله بوجهه الكريم رؤيته في جنة النعيم

٧ الآثار

٦٥٤ وارجع الآن الى الآثار فانها جليلة المقدار

المصحف

٦٥٥ فابتدي بمصحفٍ شريفِ معظّم القدر بخط كوفي
٦٥٦ بقلم المغيرة بن شعبه يقال من فاز بصدق الصحبه

الشعرة

٦٥٧ وشعرةٍ من [شَعر] النبيّ جليلةٍ بقدرها السني

٦٤٩ الازمانْ (ت)
٦٥١ الى نعيم اولي عذاب (ب)
٦٥٢ ربٌّ كبير (ت)
٦٥٤ الآثار الموجودة بحلب
٦٥٥ يخبر بمصحف شريف بخط المغيرة بن شعبة رضي الله عنه (هامش ب)
٦٥٧ عن شعرة النبي صلى الله عليه وسلم ضمن حجرة سيدنا زكريا عليه السلام في جامع اموي حلب (هامش ب)

---

٦٥٧ الشعرة (راجع ط ٧ : ٢٦٢ و ٣) جاء ذكر شعرة غيرها اهداها السلطان محمد رشاد الى جمال بك الاميري بمناسبة انتخابه عضوًا في مجلس المبعوثان ولما سمع الناس الخبر بادروا لاستقبال جمال بك عند عودته من استنبول وخرجت وفودهم الى بيروت وحمص وحماه للاقائه. ووضعت الشعرة النبوية في خزانة بحفلة عظيمة سنة (١٣٢٩ هـ/١٩١٠ م)

٦٥٨ قد وضعا لدى ابي الحصور شيخ النبيين عظيم النور
٦٥٩ هو النبي زكريا السيدُ في الانبيا له مقام امجدُ
٦٦٠ في المرقد الشريف نحو القبلَه من الاكاليل عليها ظلّه
٦٦١ من القماش المذهب الابريم قد طرّزوها بالطراز المعلم
٦٦٢ ولم تزل محجوبة عن النظر شوقا وتعظيما لسيّد البشر
٦٦٣ الا باوقات تكون في السنَه شريفةٍ عند الاله حسنَه
٦٦٤ اوّلَ جمعة تكون في رجَب وبعد عشرين وسبع تحتسَب
٦٦٥ منه وفي نهار نصف شعبان ويوم عشرين وسبع رمضان
٦٦٦ وليلةَ المولد في ربيع فانها تبرز للجميع
٦٦٧ يرفعُها على يديه الحافظُ واعينُ الناس لها تلاحظُ
٦٦٨ حجابُها زجاجُها الشفاف والعطر والطيب لها تضاف
٦٦٩ ويقف الحافظ في باب المقام يجهر بدأ بالصلوة والسلام
٦٧٠ على رسول الله صاحب الأثر ومن له معجزةٌ شقّ القمر
٦٧١ ويعلن الجميعُ بالصلوةَ عليه جهرةً وتسليمات
٦٧٢ فيهرع الزوّار للتقبيل واللمس بالتعظيم والتبجيل
٦٧٣ ويكثر الجمع والازدحام ما بين باكٍ دمعُه انسجام
٦٧٤ او فرح بانه قد لمسا آثار نوره ومنه اقتبسا
٦٧٥ ثمّ اذا انتهوا من الزيارَه تُرخي عليها الحافظُ الستارَه
٦٧٦ ومنذ يبديها الى ان تخفى نورُ الصلاة ابدًا لا يُطفى

٦٥٨ شيخ الانبيا عظيم (ب)
٦٦٨ لها مضاف (ب ت)
٦٧٤ اثار نوره واقتبسا (ب)

٦٧٧ والحمد لله ولي النعمه أن خصّني فضلا بهذه الخدمه
٦٧٨ وانني محمدٌ ابو الوفا والله ربي وهو حسبي وكفى

القدم

٦٧٩ وفي الكريمة آثار قدم يمين طه ذي المقام والقدم
٦٨٠ في حجر انواره [مبينه] سرقه شخصٌ من المدينه
٦٨١ وساقه القضاء للشهباء لحكمةٍ عظيمة الأنباء
٦٨٢ وكان قد رأى الفقيهُ الحنفي عبدُالكريم صاحبُ الفضل الوفي
٦٨٣ في نومه المبعوثَ بالرساله وعرف الشيخ بتلك الحاله
٦٨٤ وعيّنَ الشخص وعيّن الحجر فحيث ذاك الشخص بالجامع مرّ
٦٨٥ في غده يحمله على جمل فبرك البعيرُ بالحمل ومَل
٦٨٦ فبادر الشيخ وحولَ الحجر وحلّ بالسارق انواعُ العبر
٦٨٧ ووضع الحجر في القبليه كذا سمعنا هذه القضيه

الكف

٦٨٨ جامعُ بنقوسا فكفُ المصطفى عليه نور فوق نور رفرفا
٦٨٩ من يده اليسرى وان كانت يمين وذا اعتقادُ كلِّ ذي عقلٍ ودين
٦٩٠ موثّر في حجر شريف لاجل هذا [خص] بالتشريف

٦٧٩ وفي جامع الكريمة آثار قدم النبي صلى الله عليه وسلم (هامش ب) ..
٦٨٠ بينة (ت)
٦٨٨ وآثار كفه الشريف صلى الله عليه وسلم في جامع بانقوسا (هامش ب)
٦٩٠ خص بالتشريف (ت)

٦٧٨ راجع الرسم ٢٨ وفيه قبر صاحب المنظومة.
٦٧٩ راجع الرسم ٢٩

٦٩١ يقال انه شراه كوردي من المدينة بأغلا نقد
٦٩٢ مرادُه ينقله لبلده وهي داغستان اصل مولده
٦٩٣ تبركاً يكونُ فيه حرزُ لساكنيها وله فخرُ
٦٩٤ ومن هناك شاله على جمل [نقله] البعيرُ من غير ملل
٦٩٥ وقد اتى للبلدة الشهباء وصل بانقوسا بلا عناء
٦٩٦ وحيثُ صار في حدود الجامع وكان بلقماً من البلاقع
٦٩٧ في ساحة واسعة الفناء وليس من عينٍ ولا [من] ماء
٦٩٨ فبرك الحامل بالمحمولِ لسانُ حاله هنا مقيلي
٦٩٩ حينئذٍ شادوا بناء الجامع اهل المبرات ذوو الصنايع
٧٠٠ ووضعوه في جدار القِبْلَه يا ليتني انال منه قُبلَه
٧٠١ سمعت هذا من اناس عِدَدْ بذا عليهم لا عليَّ العيدة

نور النبي

٧٠٢ وبقعةٌ في جامع الاطروشِ مشرقة بنورها المرشوشِ
٧٠٣ من قبلةٍ في جهة [للشرق] سناؤها يُضيءُ مثل البرق
٧٠٤ رؤيَ فيها سيّدُ الوجودِ محمّدٌ صاحبُ فيض الجودِ
٧٠٥ وحوله [الداربزون] معقودْ تكرمةً لذي المقام المحبوذ

٦٩٥ للبلدة الشهباء (ب)
٦٩٧ ولا من ماء (ب ت)
٦٩٨ لسان حاله من هنا لأحول (ب)
٦٩٩ ذو الصنايع (ب)
٧٠٢ وفي جامع الاطروشي راوي [رأوا] النبي صلى الله عليه وسلم فوضعوا حولَ اثر اقدامه داربزون إحتراماً للنبي صلى الله عليه وسلم (هامش ب)
٧٠٣ من جهة للشرق (ب) وهذا البيت ناقص في (ت)
٧٠٥ الداربزون (ب ت) وفي باب المقام آثار قدم ابرهيم الخليل والحجر الاسود

قدم الخليل

٧٠٦ وقدمُ الخليل في المقامِ لم تمحه قِدمًا يدُ الانامِ
٧٠٧ في حجر من وطئه تأثر فهو مبارك جليل انوَر

الوسادة

٧٠٨ والحجر الاسود في المحرابِ شرقُه صار بالاقترابِ
٧٠٩ كان الخليل كلما جاء المقامْ يسند ظهره بالتزامْ

الجرن

٧١٠ والجرنُ في مقام ابراهيمَا في جامع القلعة قد أقيما
٧١١ وكان فيه يحلب المواشي فيهرع الناسُ من الحواشي
٧١٢ له ليتماروا من الألبان وكان يدعى بابي الضيفان

الخضر باب النصر

٧١٣ بالقرب منه فمقام الخضرِ وقيل الياس بباب النصرِ

خط الامام علي

٧١٤ ومسجد الغوث به قيل حجرْ من جهة القبلة نيّر الأثرْ
٧١٥ مكتب بالقلم الكوفيِّ خطُّ الإمام المرتضى عليِّ

الذي كان يسند ظهره عليه ، عليه السلام (حاشية ب) – تكرمة لذا (ت)
٧٠٧ في حجر في وطئه تاثر (ب)
٧٠٩ ظهره اليه بالتزام (ب ت)
٧١٠ وجرن الخليل ابنًا (؟) الذي كان يحلب به المواشي موجود في القلعة للآن (هامش ب)
٧١١ وماؤه بئر لكل علة مجرب مشاهدون فضله (ت)
٧١٢ وحضرة في القلعة الاسية فيها مقام السيده نفيسه (ت)
٧١٥ مكتوب بالقلم الكوفي (ب)

قطرة الدم

٧١٦ والأموي فيه كما قيل حجرْ اسودُ معه آخرُ قد استقرّ
٧١٧ في حايط القبلة من اعلاه غربا وفي الرأس غدا بناهُ
٧١٨ في يوم عاشوراء كلّ موسم يقطر منه قطرةٌ من الدم
٧١٩ لأنهم بالرأس يوم مرّوا من حلب وكان فيهم شمر
٧٢٠ فوضعوا الرأسَ على ذاك الحجرْ فخص بالتشريف من ذاك الاثر
٧٢١ وجعلوا الدرابزين تحته في الأرض للصون عن الوطئ له

مسند عمر

٧٢٢ والحجر الذي عليه يُرقى الى الحجازية نعم المرقى
٧٢٣ من ابهج الاحجار [منظرًا] حجرْ مسندُ ظهر مُظهرِ العدلَ عمرْ
٧٢٤ ابن الفتى عبدالعزيز الأموي اذا كان ناظرَ البنا كما رُوي
٧٢٥ في الجامع الكبير ايام الهشامْ وعنده يَعطي الاجور بالتمامْ
٧٢٦ فعمّه منه جزيلُ البركهْ مجرّبٌ لنجح كل حركهْ

وايضاً الاولياء

٧٢٧ والبدوي أحمدُ القُطب المكين مقامه في حارة الدلّالين

٧١٦ مع اخر قد استقر (ب)
٧١٩ شمر قاتل الحسين
٧٢١ الدرابزون تحته (ب)
٧٢٣ مسند ظهر العادل عمر منظرًا (ت)
٧٢٥ ايام هشام (ب)
٧٢٧ مقام احمد البدوي في حارة الدلالين (هامش ب)

٧٢٨ [والقرقلاري] فمقام الأربعين يُنمَى لهم وهو بهم ركنٌ ركين
٧٢٩ وهو رباطٌ من شمال القلعه اشياخه السبق حازوا الرفعه
٧٣٠ ايضاً واربعون زيلَ العقبه مقامهم هيبتهُ مرجبه
٧٣١ بابُ المقام فيه اربعونا ايضاً اقروا بهم العيونا
٧٣٢ وكل باب اعظم في البلده موكل بهم اهالي النوبه
٧٣٣ وخارج المقام [محرابان] لنجح من يدعوا مجربان
٧٣٤ وداخلَ الفردوس قبتان رفيعتا البنيا عظيمتان
٧٣٥ وفيها شخصان مدفونان من الكرام السادة الأعيان
٧٣٦ فان فتحت الباب عن احديها أغلق في الحال وهذا دائما
٧٣٧ والثاني ان اغلقته تفتحا حالا وهذا ظاهر قد وضحا
٧٣٨ وهذه كرامة لا تخلوا عن حكمة بالغة لا تجلى
٧٣٩ كذا سمعنا من صديق قطنا عندهما وهو صدق عندنا
٧٤٠ فهذه القبور والآثار بحسب الوسع لها [الذكار]

٨ الدعاء والخاتمة

٧٤١ فنسأل الله بأن ينفعنا بحبهم ومعهم يحشرنا

٧٢٨ والقرقلار مقام الاربعين – في حارة القرقلار مقام رجال الله الاربعين ولهم مقام في القبة قرب باب انطاكية وايضاً لهم مقام في باب المقام (هامش ب)
٧٣٠ واربعون هم في زيل القبه في بقعة ايضاً لهم متنخبة (ت) – هيبته (ت)
٧٣٢ من الاولياء اصحاب السر والكرامات يكونون احياء او اموات (حاشية ت)
٧٣٣ لرابان (ت) لنجح بدعو (ب)
٧٣٨ تخلو . . . تجلو (ب) تجل (ت)
٧٣٩ صدوق (ب ت)

٧٤٢ تحت لواء المصطفى في الحشر ... في زمرة المحجلين الغرّ
٧٤٣ والانبيا والاوليا والصلحا ... ومن لهم عن الذنوب صفحا
٧٤٤ ونظرًا لوجهه الكريم ... والشرب من رحيقه المختوم
٧٤٥ يا ربّنا استجب لنا الدعاء ... وارحم به الاموات والاحياء
٧٤٦ يا ربّنا واغفر لوالديّ ... وارحمهما وكن بنا حفيًا
٧٤٧ وهب لنا يارب من ازواجنا ... قرّة أعين وذرياتنا
٧٤٨ وافضلُ الصلوة والسلام ... واعظم الاجلال والاكرام
٧٤٩ على الرسول سيّد الخليقه ... محمد من أوضحَ الطريقه
٧٥٠ والآلِ والاصحابِ والأزواجِ ... ما شقّ فجرٌ عن ظلام داجي
٧٥١ والتابعين الغرّ والايمه ... اربعةٌ فهم هداةُ الأمه
٧٥٢ والاولياء حيّهم والميتِ ... كذا على اقطاب اهل البيت
٧٥٣ وكل قطبٍ ثم آل النوبه ... وصاحب الوقتِ عظيمِ الهيبه
٧٥٤ الى هنا قد تمّت الارجوزه ... على قلوب الادبا عزيزه
٧٥٥ خريدةٌ ميمونةٌ محجبه ... لكل ناظر لها محبّبه
٧٥٦ عدّتها خودًا زكا سناها ... تاريخها خير وفا انشاها

٧٥٦ ... سنة ١٢٥٥

٧٤٢ الغزي (ب)
٧٥١ التابعين الغرر (ت) الأئمة الاربعة : ابو حنيفة . الشافعي . مالك . الحنبلي
٧٥٢ على الاقطاب آل البيت (ب)

اعلام الاماكن

(الرقم يدل على البيت)

اراج ٦٠٧
ابراهيم ، مقام ٢٨
احمدية ٤٨٥
اربعين ٧٣٨
اسداللّه ، جب ٥٢٠
اسدية ٥٠٢
اشرفية ٥٠٧
اطروش ، جامع ٧٠٢
المجي ٦٣٤
اموي ، جامع ٦٥٧

باب الحديد ٥٨٨
باب الفرج ٢٦٤، ٥٢١
باب القلعة ٤٥٢
باب قنسرين ٤٧٢
باب المقام ٧٢١
باب النصر ٧١٢
باب النيرب ١٨٩
بانقوسا ٦٢٥ ، جامع ٢٦
بحسينا ٥٢٠
بردميك ٦٢٠
بزا ٤٧٣
بستان ، حارة ٤٥٧
بلبان ، حمام ٥٧٦
بكر ، ابو بكر ٢٢٨
بكرجي ، جامع ١٩٦
بلاط ١٩١
بحرامية ٤٨٩
بيلوني ، زقاق ٥١٩

باصة ، جامع ٥٨٤

ترابي ٤٥٨
ترب النوما ٦٢١
تربة باب النيرب ١٧٦
تربة جبيل ٥٥٢
تربة الشريف ٦١٦
تربة الشيخ جاكير ١٧٢
تربة الملواني ٤١٤
تكية ابي بكر ٢٢٨
تكية ابي الوفا ٢٥٦
تكية الترابي ٤٥٨
تكية خلاصية ٦٨
تكية السالي ١٠١
تنانير ، ساحة ٦٢٢
تربة ، جامع التوبة ١٨٥

ثعلب ، الشيخ ١ ب

جاكير ، تربة الشيخ ١٧٢
جامع الاطروش ٧٠٢
جامع البكرجي ١٩٦
جامع الباصة ٥٨٤
جامع التوبة ١٨٥
جامع الجديدة ٦٢٧
جامع الحدادين ٦١
جامع الحموي ٥٨٩
جامع الرومي ٤٧١
جامع الطواشي ٤٤٩

جامع الكبير ٢
جامع المشاطية ٥١٩
جامع المصلّى ٦٠٦
جامع الميداني عند الالمجي ٦٢٤
جامع نعيتا ٥٢٠
جامع بتقوسا ٢٦
جامع زكي ٢٤٧ ، ٦٤٠
جامع سبان ٥٦٢
جامع شرف ٢٠٢
جامع هارون دده ١٩٢
جب اسداللّه ٥٢٠
جب القبه ٥٤١
جب النور ٢٨٤
جبيل ٥٥٢ ، ٥٧٠ ، ٥٧٢
جديده ، جامع ٦٢٧
جلوم ٤٧٨ ، ٤٨٢

حارة الدلالين ٧٢٧
حارة الصفاقة ١٨٦
حارة دكاكين الحجيج ٢٠٥
الحجازية ٧٢٢
حجون ٧٤
حدادين، جامع ٦١٠
حديد ، باب ٥٨٨
حرامي ، قسطل ٦٢٥
حسامية ٥٤٠
حسابية ٥٤
حلب ٢٠ ، ٥٦٠
حلب الرواسم ٥٥٦

حمام بزا
حمام بليان ٥٧٦
حمام الذهب ٤٧٠
حمام السلطان ٦٤٠
حمام الملك ٤٧٦
حمام الوبساني ٥٠٧
حموي ، جامع ٥٨٩

خان الدولك ٥٢٨
خان الكاف ٤٨٤
خلاص ، تكية ٦٨

داخل البلدة ٤٤٥
دحداح ، برج ٩٩
دار النم ١٨٨
دباغة ٢٩٧
دباغة عتيقة ٥٢٣
درعزاني ، زاوية ٤٧٨
دكاكين احجيج ٢٠٥
دلالين ٧٢٧
دولك ، خان ٥٢٨

ذهب ، حمام ٤٧٠

رشدية ٥٣٦
رومي ، جامع ٤٧١

زاوية ٢٢٨
زاوية الشيخ حيدر ١٨٢
زاوية الدرعزاني ٤٧٨
زاوية القنبري ٦٢٢
زاوية المنصوري ٥٢٧
زرب ، زقاق ٥١٩
زقاق السبدا ٦٣٠
زقاق الضيق ٥٢٠
زقاق القنايات ٥٢٦
زقاق الميخانات او زقاق البلوني ٥١٩
زكي ، جامع ٢٤٧ ، ٦٤٠

ساحة النسيبي ٥٤٧
ساحة تنانير ٦٢٢
سقاحية ٤٥٨
سلطان ، حمام ٦٤٠
سليمان ، جامع ٥٩٢
سواسين ، حارة ٣٥
سوق الجديد ٤٩٧
سوق الزرب ٤٩٨
سوق الضرب ٤٩٨
سنبلة ٢٩٧
سيدا ، زقاق ٦٣٠

شام ٩٩
شريف ، تربة ٦١٦
شلة ، تربة ١٢٣
شلة النبس ١٢٤
شهباء ٦٩٥ ، ٦٤٤
شهبية ٤٩٦
شيخ حيدر ، زاوية ١٨٢

صالحية ٥٢٦
صفصافة ، حارة ١٨٦
صوت ، قبة الصوت ١١٨

ضرب ، سوق الضرب ٤٩٨
ضيق ، زقاق الضيق ٥٢٠

طاف ، خان الـ ٤٨٤
طواشي ، جامع ٤٤١
طويل ، قسطل ٥٧٨

عبد الرحمان الخنبلي ، قبة ١١٤
عبارة ٢٦٧
عسالي ، تكية خارج الشام ١٠١
عقبه ٧٢٠
علواني ، تربة ٤١٤
عنتاب ٢٨٠

غرباء ، ترب ٦٢١
غنم ، دار الغنم ١٨٨
غوث ، مسجد ٧١٤

فرج ، باب الفرج ٢٦٤ ، ٥٢١
فردوس ٤٦ ، ٤٢٠ ، ٧٣٤

قبة ، جب القبة ٥١١
قبة الشيخ جاكير ١٧٤
قبة الصوت ١١٨
قبة عبد الرحمن الخنبلي ١١٤
قرلق ٢٢٢
قسطل الحرامي ٦٢٥
قسطل الطويل ٥٧٨
قصيلة ٤٥١
قلعة ، باب الـ ٤٥٢
قنايات ، زقاق ٥٢٦
قنبري ، زاوية ٦٢٢
قسرين ، باب ٤٧٢ ، ٤٧٤

كبير ، جامع ، راجع اموي
كربلا ٥٣

كربية ٢٧٧ ، ٦٧٩
كلباني ٦ ، ٤
ساحة ، حمام ٤٧٦
عقة الاكراد ٦٢١
مدرسة الاسدية ٥٠٢
مدرسة الاكراد ٤٨٧
مدرسة الجراكسة ٤٨٩
مدينة ٦٨٠
مستدامية ٥٨١
مسجد الموت ٧١٤
مرج الدحداح ٩٩
مشارقة ٢٩٥
مشاطية ٥٩٩
مصلي ، جامع ٦٠٦
مقام ابراهيم ٢٨
مقام ، باب ٧٢١
مقبرة المنقار ٤٤٠
منقار ٤٤٠
مولوية ٢٨٠
ميداني ، جامع ٦٦٤
نسيبي ، ساحة ٥٤٧
نصر ، باب ٧٧٣
نير ، ابو ٤١٥
نور ، جب الأنور ٢٨٤
هارون دده ١٩٣
هزاره ، تربة ٢٤٤
وفا ، تكية ابن وفا ٢٥٦
ويساني ، حمام ٥٠٧

اعلام الرجال

(الرقم يدل على البيت)

آق باپا ٢٧٨
آل النورة ٧٥٢
ابراجي ٦٠٧
ابراهيم ٢٨ ، ٧٠٦
ابراهيم الرازي قبة الصوت ١١٩
ابراهيم الخلاب ٤٧٩
ابراهيم شكتي ١٧٠
ابراهيم قرب الخلاص ٨٩
ابو الاخلاص الحسن ٧٦
ابو السعود المفتي ٤٩١
ابو الصفا ٥٤٧
ابو الضيفان ابراهيم ٧١٣
ابو العظام ١٧٦
ابو المواهب ١١
ابو النصر ٤٢٩
ابو النور الولي ١١١
ابو الوفا محمد ، خص بحفظ شعرة النبي ٦٧٨
ابو بكر الفلاني ٤٧٩
ابو بكر بن وفا ٢٢٧
ابو بكر البكفلوني ٥٢٤
ابو خيران ٤٠
ابو در الخام ٤٧٧
ابو مصطفى المولوي ٢٨١
ابو كرات صالح الشيخ ٢٨٩
ابو نمير ٤١٥
ابو يحيى الكرآكي ٤٨٩
ابن ابراهيم الحوراني ٦٢١
ابن بشيش ٢٩٣
ابن الدغيم الحنبلي ٤٧
ابن رستم ١٩٥
ابن زوين عبد المعطي ١٨١
ابن الصايغ ٤٠
ابن عطاءالله ٩٩
ابن العمادي ، باب المقام والصالحين ٤٣
ابن محمد ٢٨٧
ابن مظفر الوردي ، خارج باب المقام ٤٣
ابن نذر صاحب الكواكبي قبلي باب المقام ٤٩
اتراك ١٩٤
اتيل دده ١٩٣
اصحيح ٢٠٥
أحمد الصوفي ٥٦٥
احمد الوفائي ٢٢٥
احمدي ١٤١
احنفي ٤٢٧
اخضر عبد اللطيف ٢٨٨
اخلاص ، خارج المقام غرب الشرق ٦٦ ، ١٠٥
ادلبي نصري ٢٢٦

اردبي ٤٩٠
ارمنازي عمر ٢٦٢
ارمنازي ابراهيم ٢٥٢
اريجاري موسى ٤٨٢
اسجي ٤٢٨
اسحق قرب اخلاص ٧١
اسدي ٢٦٧
الاسدي علي ٥٠٠
اسدي محمد ٥٠٢
اسماعيل ابو السباع ٢٩٦
اسماعيل المكمدار ٥٥٠
اسماعيل الشيخ ١٤٦
اشرفي ، وقفة المسجد ٢٧٠
اصغري احمد ١٤١
اصلان دده ٥٠٢
اطروش ٧٠٢
اطاني وزاويته ٢٨٤
الله ١
الله يبقى ٦٤١
الياس باب النصر ٧١٢
انا عفو ٢٦٨
انجفي علي ٢٨٥
انصاري ١٢١
انطاكي محمود ٥٥٨
اوجفر جق ٢٠٥
اورطه تبه ٤١٤
اوبس بك ١٢٧
الاويسي مصطفى ١٨٢
ايوب ١٠٢
ايوب الخاوتي ٩٥

بابا بيرم ٢٧٦
بابا احمد ٢٨٠
بادنجكي سيد ١٨٤
باكير الشيخ ٢٧٥
بايزيد في زاوية الاطاني ٢٨٤
بخت ٢٢٣
بخشي محمد خليفة اخلاص ٧٠
بخشيه ٧١
بدران ٥٢٧
بركة الشيخ ٨٤
بسطي ٥٦٢
بساج ٦٤١
بكزان ، بباب النبه ٢٥٥
بكرو حي قاسم ١٦٦
بكري ، مدرس الفردوس ٤٦
بكري المصطفى ٢٠٠ .
بكفلرلي ٥٢٤
بلال ، في حارة البستان ٤٥٧
لبان ٥٧٦
بنفوس ٢٤ ، ٢٦ ، ٦٢٩
بنفوسي عبد القادر ٢١٨
بيلرلي فتح الله ٥١٩

ترابي ٢٨٠
ترابي محمد ٤٥٨
ترمذي ١٨٩

ثعلب ٤٠١

جاكيري ابو احمد ١٧٢
جاوي ٢٦٢
جبريل الكردي عند الخرسان ٢٦٥
جركسي في جامع البياضة ٥٨٥
جلبي ٤٨٥
جمال الدين ، السنداوية ٥٨٢
جماهيري عيسى ٦٢١

حافظ ٢٢٦
حجازي الثاني عبدالله ٢٧٢
الحجازي القتيل ، الصالحين ٥٢
حرمي ٦٢٠
حريرون ٦١٤
الحداد ١٩٥
الحداد ، خارج باب المقام ٤٣
حداذي الحنفي ٦٠٨
حديدي محمد ٥٨٨
حسب الله النصاري ٦٣
حسين السعدي ٤٢٥
حسن المدرس ٥٥٤
حسين دده اوزقاني ٢٦٠
حضرجاوي ٢٦٢
حمصي احمد ١٢٥ ، ١٢٦
حنبلي ٢٧٢
حنبلي عبد الرحمن ١١٤
حوراني ٦٢١
حيدر الشيخ ١٨٢

خانتوماني محمد ١٢٨
خاني قاسم ١٢٦
خبازي المرشد ٢٨٦
خراسان ٢٦٥
خرنده حسن ٢٠٢
خربزاني ابو بكر ٤٦٩
خضر ٦١ ، ١٢٥ ، ٢٦٥
خضر باب النصر ٧١٢
خطيب ٢٢٦
خطيب احمد ١٥٠

خاوتي ١٠٥
خليل ، قدّه ٤٠٦
خليل الطيار ٤٧٣
الخليلي القاضي ٤١
خيرالله ٢٢٢
خيرالله ابن ابن الصيادي ٢٢٠
خيرالله الكردي ٢٤٢
الخيشي محمد ، صالحين ٦٠

دباغ ٥٨٦
درعزاني ٤٧٨
درويش ٤٥٦
درويش محمد ٢٦٢
دليواني ابو بكر ٥٢٨
الدليواني الصغير ، في الكرم قبر الصالحين ٥٧
دوغان في المشارقة ٢٩٥
دولك ٥٢٨

ذهبي ٤٧٠

الراشدي الحسين ، في الصالحين آخر القبور ٥١
رفاعي ١٩٧، ٢٢٨، ٢٢٢، ٥٠٩
رومي ٤٧١
ريحاوي وبستانه ٢٧٧
ريحاوي العارف ٤٠٨

زركبي احمد ، بالقرب من باب الحديد ٥٨٨
زكريا ابو الحضور ٦٥٨
زكريا الحافظ لحمه ٤٢٦
زكريا الكافل ، في الجامع الكبير ٢١
زكريا ، في الصفصافة ١٨٧
زكي عمر ٦٤٠
زلزلي ٢٨٨
زمخشري ، شارع المفصّل ، في صحن المقام ، باب المقام والصالحين ٢٩
زمار محمد ٢٠٨
زنارة محاول ٢٠٢
زين العابدين ٤٦٠ ، ٥٥١

سراج الدين اوجقرچق ٦٠٥
سراج الدين وقبته ٢٨٢
سرميني محمد ٤١٠
سري الدين الاسد ٢١٠
سعد الانصاري الغازي ١٢١
سعد الدين ٢٨٨
سعد الهاني ٥٩٩
سعدية ٦٢٥
سعيد الغازي ١٣٠
سفيري ١٢٤ ، ١٢٢
سقلي ٢٩٠
سلطان خليل ٤٢٧
سمرقندي ٥٢٨
سهروردي ، الصغير يحيى ٢٦٢
سواد ٤١٢
سيوفي حسن ٢٠٦
سيدنا الشيخ ٥٢١

شاتيلا علي ٤٤٧
شاذلي احمد ٢٩٢
شاذلي محمد ١٩٢
شاذلية وطريقتها ٤١٩
شارح القدوري ٦٠١
شامي يوسف ٢٧٦
شاهولي ، جانب اخلاص ٧٩
شاهين بك ٥٧٥
شحنه ٤٢٩
شحنه ابراهيم بن شحنه، خارج باب المقام ٤٥
شداد ٢٦٦
شرابي عبد الكريم ١٦٥
شرابي محمد ١٦٦
شرابي مصطفى ١٦٦
شرابي يوسف ٢١٧
شرف الدين ٦٢٩
شريف الزمن ٤٢٢
شريف ، خادم مصطفى خوجا ٥٦٩
شعيب الغضابري ٤٩٦
شكماري محمد ١٢٨ ، ١٢٩
شمعون ٢٤
شيخ زقاق القرن ٥٢٢
شيخ كامل المزيه مجهول اسمه ١٠٦
الشياح سعدي ٢٨٩

صاحب الوقت ٧٥٢
صالح بن محمد الصادق ٢١٢
صالح الجيلي ٤٨٦
صالح السلطاني ١٧٩
صالح الشيخ ١٤٢
صالح ، في الساحة ٦٢٢
صائم الدهر ٢٩٩
صديقي ٤٠٥
صفاء الدين ٤٧١

صلاحية ٥٠٤
صوراني ٢٩٩
صوفي احمد ٥٦٥
صوفي محمد ٥٦٣
صوفي محمود ٥٦٤
صوفية ٥٦١
صيادي خيرالله ٢٢٨

طه اثر قدمه ٦٧٩
طه الجيريني او جيريني ١٦٩
طه الشيخ ، في مدرسة الاكراد ٤٨٧
طه بن عبد اللطيف الاخضر ٢٨٨
طه زاده ٤٠٧ ، ٤٨٨
طه محمد العقاد ١٦٠
طاهري ٤٨٤
طباخ يحيى الشيخ ٢٩٠
طرابلسي محمد ، مفتي الشهباء ٢٧٤
طرابلسي مصطفى ٢٧٥
ططر الشيخ ١٩٠
طراني ٤٤٩
طوبر ٢٢٦
طويل ٢٦٧
الطيبي احمد ، خارج باب المقام ٤٤
طيبي محمود ٢٧٩

عارف الحلاية ٥٤٠
عبد الحي القسري ٢٧٧
عبد الرحمن الحنبلي ١١٤
عبد الرحمن الصلاحية ٥٠٥
عبد الرحمن، تجاه اخلاص ٨٠
عبد الرحمن عثمان ٢٥٧
عبد الرحيم السعدي ٦٢٦
عبد الرحيم الناشد ١٢٩
عبد الغني ٢٤٥
عبد الغني الشرابي ١٦٧
عبد القادر اخو عمر جد الشيخ وفاء ٢٢٠
عبد القادر الاسكندري ١٥٤
عبد القادر الدرديري الشافعي ٤٢٥
عبد القادر الغساوي ٦٤
عبد القادر الشارف اهندي ٥٨
عبد القادر خليفة السعد ٢٢٤
عبدالله كهف الراجي عند البلج ٥٢٥
عبدالله محمد العقاد ١٦٠
عبدالله، محلة الاكراد ٦٢١
عبدالله من خان الطاف ٤٨٢
عبد الوهاب ١١٢ ، ٢٩٤
عبد الوهاب الازهري الشاذلي ٤١٨
عبد الوهاب بن عبدالله العقاد ١٦١
عبدالله قطر ١٩٠
عطار بني ٢٤٢
عطاءالله ابو عبدالله العطاني ١٦٤
عطاني عبدالله ١٦٢
عثمان ، شمال تربة العقيلي ٢٥٦
عجان الحديد محمد ١٧٥
عجمي ١٥٦
عجمي ابراهيم ٦٠١
عرابي ٢٢٧ ، ٢٢١
عبد القادر زناره محاول ٢٠٤
عبد الكريم بن حسين السعدي ٤٢٦
عبد الكريم الحنفي ٢٧٧
عبد الكريم الهاني ٤٧٤
عبد الكريم الفقيه الحنفي ٦٨٢
عبدالله بن عبد الرحمن الحنبلي ١١٥
عبدالله الشرابي ١٦٧
عبدالله الصامت ٢٦٦
عبدالله الجاوري ، قبة الحمام
عبدالله بن البخشي، في الصالحين ٥٧
عبدالله بن مشرف ٤٢٤
عبدالله محمد البخشي ٧٥
عبدالله، شمال جامع الميداني ٦٢٨
عبدالله ططر ١٩٠
عبدالله عم عمر ، جد الشيخ وفاء ٢٢٤
العرضيون ، خلق المقام ١١٢
عربان ٦١٢
عربان الفتى ٦١٥
عناني احمد ١٠١ ، ١٠٤
عناد محمد ١٥٩
عقيل ٢٢٧
عقيل النجي ٢٢٨
عقيلي احمد الشاذلي ١٩٢
الملك ، الصالحين ٦١
علوان ٤٩٤
علواني ٤١٤
علي الامام المرتضى ، خطه ٧١٥
علي بابا ٢٧٤
علي دده ١٩٢
علي الشريف المرتضى ٢٤٥

علي الصبادي ٢٢٩
علي العبي حفيد العطار ٩٠، ٩٣
علي الفوسجي ١٢٦
علي المحبوب ١٥٢
العادي الصغير عبد الرحمن، بي الصالحين آخر القبور ٥٠
عمر افندي ٥٨٥
عمر افندي الاوشر، بالقرب من الغزالي ومن عمر القادري الجيلاني، الصالحين ٥٦
عمر افندي القادري الجيلاني، الصالحين ٥٤
عمر الحناف ١٦٣
عمر العرفي ١١٣
عمر العلاف ١٧١
عمر المغربي ٢٦٤
عمر الوفائي ٢٢٥
عمر بن عبد العزيز الاموي ٧٢٢
عمر جد الشيخ وفاء ٢٠٣
عمر زاوية المنصوري ٥٢٧
عمقي مصطفى ٢٢٦
عنبري الصابغية ٢٢٦
عيسى الجاهيري ٦٢١
غازي محمد قرب البخشية ٩٤
غالب الامام ٦١١
غريب محمد ٦١٩
الغزالي، بالقرب من عمر افندي القادري الجيلاني، الصالحين ٥٥
غزاوي الشيخ احمد الغني ١٠٨
غضابري ٤٩٦
غوث ٤٥٢، ٧١٤
غفران ٧٤٦
الغوري محمد ١١٧
غول محمد ٥٧٤
فارس بابلي ٢٦٤
فتح الدين الشحنه ٤٢٩
فتحي الشيخ ٥٢٣
فتال حسين ٦٢٧
فتاك ٦٢٠
الفتى البصيري احمد ١٥٥
فتيان الشيخ ١٧٧
فرج الشيخ النوري، تحت القامة ٥٤٢
فراديسي علي ٤٣٠
الفضاوي، غربي باب المقام ٦٢
قادريه، رأس الصالحين قبلة ١٠٩
قاري ٢٤٧
قاسم الخانيُّ ١٣٦، ١٣٧
قاسم المغربي ٢٦٠
قاسم النجار ٦١٢
قاضي الحاجات ٥٠٥
قاموسي ٥٢٢
قاوقجي او القاوجي ١٥٦
قداد الشيخ ١٩٧
قدوري ٥٢٢
قراماني عمر ومحمد ٥٩٢، ٥٩٤
قرافلاوي ٧٢٨
قرمانية ٥٢٩
قزويني ابو علي ٢٩٨
قصيري احمد ١٦٨
قضابي مصطفى ٢٩٨
قنبري ٦٢٢
كامل السعدية ٦٢٥
كحيلي ٤٧٦
كختلي ٤٧٦
كردي، شرى اثر كف النبي ٦٩١
كزر دده ١٩٢
الكمكي احمد، الصالحين قرب الملك ١٦٢
كلتاوية ٥٨٠
كليب ٤٠٦
كلياني ٤٠٦
كمال الدين المستدامية ٥٨٢
كمال محمد ٥٤١
كواكبي ٤٦
كواكبي محمد الاردبي ٤١٠
كوراني مصطفى ٤٣٤
كوجك محمد ١٨٨
الكوفي احمد، صالحين ٦٠
كوفي محمد ٥٨٧
كيزراني ٤٩٤
كيالي اسحق ٥١١، ٥١٦
كيالي اسماعيل ٥١١، ٥١٢
كيالي عبد الجواد ٥٠٨
كيالي علي ٥١١، ٥١٤
لطيفي ٢٨٨
محبي ٢٦١
محلول زنار ١٨٠
محمد الترابي ٤٥٨

محمد ابراهيم الهلالي ٤٨٠
محمد احمد عبد الوهاب ٢٦٦
محمد الرسول ٤ ، ٢٩ ، ٧٤٩
محمد الشريف بن العطار ٢١٦
محمد الصادق ٢١١
محمد الصلاحية ٥٠٤
محمد الصيادي ٢٢٩
محمد الصوفي ٥٦٣
محمد العجمي ١٨٣
محمد الفوض ام الفتوى ٥٦٠
محمد النبي وظهوره في جامع الاطروش ٧٠٤
محمد بن عثمان ٢٥٨
محمد بن الخطيب ١٥١
محمد ابو الحسين السعدي ٦٢٨
محمد خليفة الشيخ صالح ١٤٣
محمد خليفة علي الاخفي ٢٨٧
محمد صالح ٥٦٦
محمد عثمان ٢٥٦
محمد كمالي ٥٤١
محمد محمد الخاشوماني ١٢٩
محمد والد عمر ٢٢١
محمود السلطان ٢١٩
محمود الصوفي ٥٦٤
محمود اخو عمر الوفائي ٢٣٠
محمود بن الارمنازي ٢٩٥
محمود بن الخطيب ١٥٢
محمود شمس السعدا ٢٢٢
مداري ١٤٠
مدد الغرابي ٤٦٨
مدد الشيخ ١٩٧
مدرس حسن ٥٥٤
مدني ٢٥١
مرعشي احنفي ٤٢٧
مرعشي محمود ٥٥٧
مستدام بك ٥٨١
مصادق اخو عبد القادر البنقوسي ٢١٩
مصري احمد ٢٠٠
مصطفى الخرجا ٥٦٧
مصطفى المجذوب الطاهري ٤٨٤
مصطفى الصديقي الخاوتي ٢٠٠
مصطفى الطويل ٢٢٤
مصطفى النبي ٧٤٢
مصطفى حفرجاوي ٢٦٢
مصطفى دده ٢٦١
مصطفى ذو الرحله ٥٤٦
معروف الشيخ بسوق الضرب ٤٩٨
مصراني ١٨٥
مظام ، تربة المظم ٢٧٨
مقصود الشيخ ٢٧٩
مكتبي الصالح ١٩٩
ملتم محمد الاحمدي ٢٩١
ملاموسى الكردي ٤١١
مناوري ٦١٢
مغربي حسن ٥٢٠
مغربي عمر ٢٦٩
مغربي محمد ٥٢٩
مغيرة بن شعبة ٦٠٦
منصور الولي ذو النفس ٤٩
منصور القادري الازهري ٥٢٦
مواهبي ٥٢٢
موسيقى المولوي ٢٨٢
موصلي جامع المصلى ٦٠٦
مولوي ابو سعلي مصطفى ٢٨١
مولوية ٢٨٠

نجيب ٥٤٩
نسيمي ٥٤٤ ، ٥٤٧
نسيمي نعمان ٢٧
نعمان الولي ٢١٠
نعماني ٢٢٠
نقشبندي ٥٥٣
نعمان ٢٤
النفل الشيخ ، بالقرب من ياسين الولي في الصالحين ٥٩
نقشبندي ٥٤٨
نوري ١٥٥
النوري، خارج باب المقام ٤٣
نوري محمد، في جامع الحموي ٥٨٩
نوريه ٥٦١
نينو ، في البازه ٢٦٧

هارون دده ١٩٣
هبراوي محمد ٤٠٩
هدى ١٩
هزازه ٢٤٤
هشام ٧٢٥
هلالي ٤٧٨
همداني ٢٤٤
همداني ابراهيم بن اويس ٤٠٣
هندي عبد القادر ٥٨٠
هندي علي ١٧٠

واعظ ٢٤٦

وردي ٤٣
ولي عجمي ٢٥١
وفا ٧٥٦
ونس ، خارج باب المقام ٤٨
ويساني ٥٠٧
ياسين الولي ، قرب الدليواتي ٥٨
يبرق ٢٦٨
يحيى المصور ٢١
يزدي ١٢٦
يس ، غربي باب المقام ٦٢
يس المكتبي ٢٩٢
يشبكي ٤٩٩
يشبكية ٤٠٢
يوسف الشريف ٢٢٢

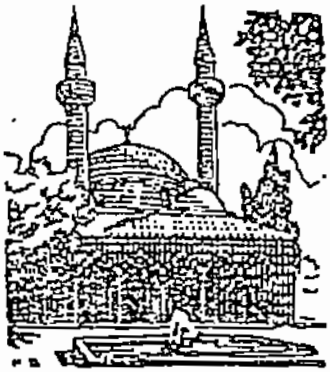

فهارس المشرق

للسنة الثامنة والثلاثين

١٩٤٠

فهرس اوّل

لمواد السنة الثامنة والثلاثين من مجلة المشرق

الجزء ١ (كانون الثاني – اذار) : الامبراطورية الفارسية وروما (مصوّرة) بقلم الاب رينه موترد اليسوعي (١-١٦) الحجارة المؤلّهة وعبادتها عند العرب الجاهليين : ٥ (تتمّة) ، من آثار الاب لامنس (١٦-٢٢) – الشيخ عيسى حماده المتوالي : صفحة مطوية من تاريخ لبنان (مصوّرة) ، نشرها الاب بولس مسعد الحلبي (٢٢-٤١) – الطقوس السريانية الملكية ومكتبة بكركي البطريركية ، بقلم المطران اسحق ارمة (٤١-٦٢) – المكاتب والاخلاق : الاسبوع الاجتماعي في بيروت (٦٢-٦٥) – ١ : المبادئ الاخلاقية والمكاتب في لبنان ، بقلم ميشال شيحا (٦٥-٨٢) ، ٢ : المساومة ، بقلم جورج حكيم (٨٢-٩٦). ٣ : في التجديد الاجتماعي في لبنان ، بقلم الاب دي بونتيل اليسوعي (٩٦-١٠٨) – مطبوعات شرقية جديدة : وصف ٢٠ كتاباً باللغات الاوروبية ، و٢٣ كتاباً باللغة العربية (١٠٨-١٢٩)

الجزءان ٢ و٣ (نيسان – ايلول) : دُور العلم وبيوت الحكمة ، من آثار الاب لامنس (١٢٩-١٣٣) – الفرزدق (٦٠١ ؟-٧٣٣ ؟) ، بقلم فؤاد افرام البستاني (١٣٣-١٧٥) – القرى السريانية في مدن سورية ، بقلم المطران اسحق ارمة (١٧٥-١٩٩) – من الخزانة الشرقية : التنبيه والإشراف : كتاب انساب الأشراف للبلاذري ، بقلم حبيب زيّات (١٩٦-٢٠٦) – المستشرقون الراحلون : (مصوّرة) كارلو الفونسو نلّينو (١٨٧٢-١٩٣٨) ، بقلم ج. لافي دلّافيدا (٢٠٦-٢٢٩) – عدن الفردوس الغابر (مصوّرة) بقلم فؤاد افرام البستاني (٢٢٩-٢٥٣) – التذكار المئوي الرابع لتأسيس الرهبانية اليسوعية ١٥٤٠-١٩٤٠ ، بقلم الاب دي بونتيل اليسوعي (٢٥٥-٢٠٧) – معهد الآداب الشرقية : غايته ومنهاجه (٢٠٧-٢٢١)

الجزء ٤ (تشرين الاول – كانون الاول) : اولياء حلب في منظومة الشيخ وفاء ، بقلم الاب فردينان توتل اليسوعي (٢٢١-٢٢٣) له فهرس خاص، ص٤١٤–فهارس المشرق (٤٢٣)

فهرس ثانٍ

يحتوي اسماء كتبة المشرق ومقالاتهم

ارملة (الخوري اسحق) : الطقوس السريانية الملكية ومكتبة بكركي البطريركية ٤١–٦٣ – القرى السريانية في مدن سورية ١٧٥–١٩٩

البستاني (فؤاد افرام) : الفرزدق (٦٤١؟ – ٧٣٢) ١٢٢–١٧٥ – عدن الفردوس الغابر ٢٢٤–٢٥٢
– وله وصف مطبوعات ١٠٨ ، ١٠٦ ، ١١١ ، ١١٢ ، ١١٦ ، ١٢٢–١٢٧

بونثيل (الاب كريستوف دي اليسوعي) : في التجديد الاجتماعي في لبنان ٩٦–١٠٨
– بعد اربعمائة سنة ٢٠٥–٢١٠

حكيم (جورج) : المنارة ٨٢–٩٦

ترتل (الاب فرديان اليسوعي) – اولياء حلب في منظومة الشيخ وفاء ٣٢١–٤٣٣

زيات (حبيب) : من الخزانة الشرقية : التنبيه والإشراف : كتاب انساب الاشراف للبلاذري ١٩٦–٢٠٦

شيحا (ميشال) : المبادئ الاخلاقية والمكاسب في لبنان ٦٥–٨٢

شدياق (الاب روبر اليسوعي) : له وصف مطبوعات ١٠٩ ، ١١٢–١١٦ ، ١١٧–١٢٢

طنوس (الاب اغناطيوس اللبناني) : جبرائيل الصهيوني (١٥٧٧–١٦٤٨) ٢٥٢–٢٠٥

وفاء (الشيخ) : راجع : ترتل (الاب فرديان اليسوعي)

لامنس († الاب هنري اليسوعي) : الحجارة المؤلهة وعبادتها عند العرب الجاهليين : ٦ تتمة ١٦–٢٢ – دور العلم وبيوت الحكمة ١٢٩–١٣٢

لاني دلافيدا (ج) : كارلو ألفونسو نلينو (١٨٧٢–١٩٣٨) ٢٠٦–٢٢٩

موترد (الاب ويتم اليسوعي) : الامبراطورية الفارثية وروما ١–١٦

مسعد (الاب بولس الحلبي اللبناني) : صفحة مطوية من تاريخ لبنان : الشيخ عيسى حماده المنوالي ٣٢–٤١

فهرس ثالث

للمطبوعات التي ورد وصفها في السنة الثامنة والثلاثين المشرق

على ترتيب اسماء مؤلفيها

١ — المطبوعات العربية والسريانية الخ.

ا

ابن الفرات : تاريخه : المجلد التاسع ، الجزء الثاني (نشر قسطنطين زريق ونجلا عزّ الدين) ١٢٤

ب

البلاذري (احمد بن يحيى بن جابر) : كتاب انساب الاشراف : القسم الثاني من الجزء الرابع ١٩٩–٢٠٦

بوزورث : دراسات تحليلية في حياة يسوع المسيح ، تعريب مرقس فهمي فرج ١٢٨

البولسيون (المرسلون) : الاجتهاد في سبيل الاتحاد ١٢٤

ت

تيمور (محمود) : نداء المجهول ١٢٧

ج

جرنر : التفاسير البيضاوية المسيحية : الرسالة الى البرانيين ١٢٧

ح

حسن (زكي محمد) : الفنون الايرانية في العصر الاسلامي ١٢٢

ز

زريق (قسطنطين) : راجع : ابن الفرات

س

سعيد (حبيب) : سيرة رسول الجهاد ١٢٧ — اطالب : و ب (كليمندس)

سعيد (مدام حبيب) : عشر قصص للاحداث ١٢٨

ع

عزّ الدين (نجلا) : راجع : ابن الفرات

ف

فرج (مرقس فهمي) : راجع : بوزورث

ق

قصص عالمية ١٢٦

م

المبارك (محمد) : فنّ القصص في كتاب البخلاء للجاحظ ١٢٥

مرقس (ادوار) : الادب العربي في ما له وفي ما عليه ١٢٦

الملوف (قيصر) : جمال بلادي ٢٦

و

و ب (كليمندس) : هل من علاقة بين الاخلاق والدين ؟ نقلها حبيب سعيد ١٢٧

ي

يزبك (يوسف ابراهيم) : دريفوس ١٢٥

١ — المطبوعات الاوروبية

Abd-el-Malik (Butrus). cf. Hitti (Philip.)
Arbery (A. J.). cf. Palmer (E. H.)
Averroès, Tafsīr ma ba'd at-Ṭabi'at. Texte arabe inédit établi par Maurice Bouyges. s. j. (108)
— cf. Bustani (Alfredo)

Barbera (Giuseppe), Dizionario maltese-Arabo-Italiano, t. II, III et IV. (111)
Blachère (Régis), cf. Ṣā'id al-Andalousi
Bouyges (Maurice). s. j. cf. Averroès.
Bremond (Gt Edouard), Yemen et Saoudia. (116)
Bustani (Alfredo), Quitāb el Culiat par Ben Rosed el Andalousi (Averroès). (112)

Ducassé (Pielle), Essai sur les origines initiatives du Positivisme. (122)
—, Methode et Intuition chez Auguste Comte. (122)

Entretiens sur l'évolution des pays de civilisation arabe. (122)

Farès (Nabih Amin). cf. Hitti (Philip.)
Féghali (Mgr Michel), Proverbes et Dictons syro-libanais. (120)

Hitti (Philip K.). Farès (Nabih Amin), Abd-el-Malik (Butrus), Descriptive catalogue of the Garrett Collection of arabic manuscripts. (119)
Ḥonein Ibn Ishāq, cf. Sbath (G.)

Jurgi (Edward Jabra). Illumination in islamic Mysticism. (118)

Khairallah (P. Jérôme). Histoire résumée de l'Ordre Antonin Maronite de la Congrégation de S. Isaïe. (119)
Kraus (Paulus). Cf. Razis

Meyerhof (M.). Cf. Sbath (G.)

Palmer (E. H.), Oriental Mysticism. 2e édit. by A. J. Arbery. (117)
Poryczko (Demetrius). La situation de la classe ouvrière en U. R. S. S. (119)
Pellegrin (Arthur), L'Islam dans le monde. (114)
Pie XI. Contre le communisme athée. (119)

Razis. Opera philosophica...colligit et edidit Paulus Kraus. (109)
Ronard (Dr Stephan), La Turquie nouvelle. (121)

Ṣa'id al-Andalusi. Kitāb Ṭabakāt al-Umam. Traduction avec notes et indices précédée d'un introduction par Régis Blachère. (109)
Sbath (G.) et Meyerhof (M.), Le livre des questions sur l'œil de Ḥonein Ibn Ishāq (113)

Vernier (Bernard). La politique islamique de l'Allemagne. (115)

فهرس رابع

لجميع مواد السنة الثامنة والثلاثين من المشرق

ا

الآداب الشرقية: معهدها ٢١١-٢٢١

الاجتماعي (التجديد) في لبنان ٩٦-١٠٨

الاخلاق والمكاسب ٦٢-٦٥

الاسبوع الاجتماعي في بيروت ٦٢-١٠٨

الامبراطورية الفارثية ورومة ١-١٦

أنساب الأشراف للبلاذري ١٩٩-٢٠٦

اولياء حلب في منظومة الشيخ وفاء ٢٢١-٤٢٢ - راجع فهرسها الخاص ص ٤١٤

ب

بعد ٤٠٠ سنة ٢٠٥-٢١١

بكركي: مكتبتها والطقوس السريانية الملكية ٤١-٦٢

البلاذري: كتابه في أنساب الأشراف ١٩٩-٢٠٦

بيروت: الاسبوع الاجتماعي فيها ٦٢-١٠٨

بيوت الحكمة ودور العلم ١٢٩-١٣٣

ت

التنبيه والاشراف ١٩٩-٢٠٦

ج

الجاهليون: عبادتهم للحجارة المؤلهة ١٦-٢٢

ح

الحجارة المؤلهة وعبادتها عند العرب الجاهليين ١٦-٢٢

الحكمة: بيوتها ودور العلم ١٢٩-١٣٣

حلب: أولياؤها في منظومة الشيخ وفاء ٢٢١-٤٢٢ - راجع فهرسها الخاص، ص ٤١٤

حماده (الشيخ عيسى) المتوالي ٢٢-٤١

خ

الخرانة الشرقية ١٩٩-٢٠٦

د

دور العلم وبيوت الحكمة ١٢٩-١٣٣

ر

رومة والامبراطورية الفارثية ١-١٦

س

السريانية: الطقوس الملكية السريانية ومكتبة بكركي ٤١-٦٢

السريانية (القرى) في سورية ١٧٥-١٩٩

سورية: القرى السريانية فيها ١٧٥-١٩٩

ص

الصيوفي (جبرائيل) ٢٥٣-٢٠٥

ط

الطقوس السريانية الملكية ومكتبة بكركي البطريركية ٤١-٦٢

ع

عبادة الحجارة المؤلهة عند العرب الجاهليين ١٦-٢٢

عدن الفردوس الغابر ٢٢٦-٢٥٣

العرب: عبادة الحجارة المؤلهة في جاهليتهم ١٦-٢٢

العلم : دوره وبيوت الحكمة ١٢٦-١٢٢
عيسى حمادة المتوالي ٣٢-٤١

ف

فارثية وروما ١-١٦
الفرزدق ١٢٢-١٧٥
في التجديد الاجتماعي في لبنان ٦٦-١٠٨

ق

القرى السريانية في مدن سورية ١٧٥-١٩٩

ل

لبنان : صفحة مطوية من تاريخه ٣٢-٤١
- المبادئ الاخلاقية والمكاسب فيه ٦٥-٨٣
- في تجديده الاجتماعي ٦٦-١٠٨

م

المبادئ الاخلاقية والمكاسب في لبنان ٦٥-٨٣
المساومة ٨٢-٩٦
المستشرقون الراحلون ٢٠٦-٢٢١
المكاسب والمبادئ الاخلاقية في لبنان ٦٥-٨٣
الملكية : طقوس السريانية ومكتبة بكركي البطريركية ٤١-٦٢
معهد الآداب الشرقية ٢١١-٢٢١

ن

نلينو (كارلو ألفونسو) ٢٠٦-٢٢١

و

وفا (الشيخ) : منظومته في اولياء حلب ٢٢١-٢٢٢ - راجع فهرسها الخاص ، ص ٤١٤

ي

اليسوعيون : مرور اربعمائة سنة على تأسيسهم ٢٠٥-٢١١

AL - MACHRIQ

Revue Catholique Orientale Mensuelle

SCIENCES—LETTRES—ARTS

Sous la direction des Pères de la Cie de Jésus

UNIVERSITÉ St JOSEPH

Trente huitième année

1940

BEYROUTH
Imprimerie Catholique
1940

TABLE DES SOMMAIRES

XXXVIIIe ANNÉE, 1940

JANVIER - MARS

L'Empire Parthe et Rome, (*illustré*). (p. 1). *P. René Mouerde, S. J.*

Le culte des Bétyles chez les Arabes préislamites : V (fin). (p. 16). ✝ *P. H. Lammens, S. J.*

Une page inédite de l'histoire du Liban : le Cheikh 'Isa Hamadé. (*illustré*). (p. 32). *P. F. Massaad.*

La liturgie syriaque melkite d'après quelques manuscrits conservés à Bkerké. (p. 41). *Abbé I. Armalé.*

LA MORALE ET LES AFFAIRES :
SEMAINE SOCIALE DE BEYROUTH. (p. 63).

I. La Morale et les Affaires au Liban. (p. 65). *Mr Michel Chiha.*
II. Le Marchandage. (p. 83). *Mr Georges Hakim.*
III. A renouveau moral, institutions nouvelles. (p. 96). *P. C. de Bonneville, S. J.*

Bibliographie (p. 108).

AVRIL-SEPTEMBRE

Maisons de la Science et de la Sagesse. (p. 129). ✝ *P. H. Lammens, S. J.*

Al-Farazdak (641 ? — 732). (p. 133). *Mr F.-E. Boustany.*

Les noms Syriaques des localités Syriennes. (p. 175). *Abbé I. Armalé.*

Notices et Extraits de manuscrits arabes : (p. 199). Le livre des Généalogies de Baladori. (p. 199). *Mr H. 'Zayat.*

Carlo Nallino (1872-1938), *illustré.* (p. 206). *G. Levi Della-Vida.*

Aden, le Paradis perdu, *illustré.* (p. 229). *Mr F. E.-Boustany.*

Gabriel Sionita (1577-1648), *illustré*. (p. 253). *P. I. Tannous*

Quatrième Centenaire de la Compagnie de Jésus (1540-1940) (p. 305). *P. C. de Bouneville, S. J.*

Institut de lettres Orientales : année scolaire 1940-1941 (p.307)

OCTOBRE-DÉCEMBRE

Les Saints Musulmans d'Alep, d'après le poème de Cheik Wafa édité et commenté, (*illustré*), par le *R. P. Ferdinand Taoutel, S. J.*

Tables du Machriq pour 1940

المشرق

السنة التاسعة والثلاثون — كانون الثاني – اذار ١٩٦١

فُسَيْفِساء أَنطاكية*

تفاعُل التأثير اليوناني والتأثير الشرقي

في الفن السوري

بقلم الاب رينه موترد
مدير معهد الآداب الشرقية

لقد كشفت لنا حفريات دُورا - اوروبوس عن آثار عديدة امكنتنا تمييز الخصائص العامة لذاك الفنّ الوسيط بين اليوناني والفارسي ، او اليوناني والايراني . دلّت تلك الآثار على فنّ مصطلح عليه يستند الى تسجيل المظاهر الطبيعية والرمز اليها ، لا الى تصويرها بحدّ نفسها ، متقيّدًا كل التقيّد بناموس المواجهة ؛ راميًا الى التمثيل الجمهوري او الاجتماعي . فهو يرسم الملك في ابّهته ، او الطبقات الاجتماعية مثلًا ، دون ان يدقّق في رسم

* من محاضرات معهد الآداب الشرقية في فرع « التاريخ والاثريات » .

الافراد. امّا اسلوبه فيتناول الموضوعات نفسها ، يراجعها دون تنويع ليولّد التأثير الكمّي الشامل . وهو ، فوق ذلك ، فنّ تلخيصي ، وبالتالي فنّ ابتدائي ساذج لا يرى الّا الخطوط الاساسية في المصوّرات فيحوّلها ، او يعمل على تحويلها ، الى هذه الخطوط . وبالطبع فهو لا يحتاج الّا الى بُعدَين من الأبعاد الهندسية ، مكتفياً بالطول والعرض ، غير متجاوز الى الجهد في توليد الشعور بالعمق ، وفي تساوق الخطوط والألوان سبيلاً الى هذا الشعور . بيد ان هذا لا يمنع الواقعية التي امتاز بها الفنّ المذكور . وكثيراً ما رأيناه يتبسّط بدقة في رسم زخارف الثوب ، او « جوهر » السيف الملكي ، او هيئات الحيوان المختلفة ، سبعاً كان او طائراً .

كلها ميزات فارقة تفصل هذا الفنّ الدُوري عن الفنّ اليوناني الهيليني الرامي ، قبل كلّ شيء ، الى تمثيل الطبيعة ، المتّصف بالإبهام ، والفردية ، العامل على وضع مصوّراته في الحياة الطلقة ، كما تظهر باجسامها وهياكلها ، وفقاً لشريعة الأبعاد الثلاثة .

❁

على ان الأثر الشرقي تغلّب على الأثر الهيليني في فنّ الحدود الشرقية من سورية اليونانية الرومانية . فما عسى ان يكون عمل هذا الأثر في عاصمة سورية السياسية : في انطاكية ؟

ولا يخفى ان التأثير في فنّ انطاكية يعني التأثير في الفنّ السوري باجماله ، بل التأثير في فنّ المناطق الغربية التي تأثرت بدورها بمذهب انطاكية في توليدها مظاهر الفن الجديدة .

وانه لمن حسن الحظّ ان تكون الحفريات ، التي بوشرت في انطاكية منذ السنة ١٩٣٢ ، قد اتتنا بالمواد الوافرة للقيام بهذا الدرس .

من الحقّ ان نوفيدي جامعة برنستون الذين قاموا بالحفريات ، بمعاونة جان لاسوس ، الاستاذ حالياً في جامعة ستراسبورغ ، لم يوفّقوا الى منحوتات فخمة ، ولا الى شيء من تلك الآثار الرائعة الحاملة بعض التواقيع الشهيرة ، من التي كانوا يأملون العثور عليها في مثل تلك الأرض الغنية ولكنهم اكتشفوا مجموعة عجيبة من آثار الفسيفساء اغنت المتاحف العديدة من متحف اللوفر ، الى متاحف

بلتيمور ، وبرنستون ، ووُرستر في الولايات المتحدة ، الى متحف انطاكية بالطبع ، بل الى محفل الفنون الجميلة في هونولولو . . .

تحتوي هذه الفسيفساء على أثمن الشواهد التصويرية في العصور اللاحقة بالعصر المدرسي وكثيراً ما كان العلماء يأسفون لانفصام الحلقات الفنية بين عهد تصاوير بومبي وعهد الفسيفساء التي تزيّن جدر الكاتدرائيات في رومة ورافنة الراقية الى القرنين الخامس والسادس . حتى كان اكتشاف فسيفساء انطاكية ، فسُدّت الثلم ، وتتابعت سلسلة الشواهد التصويرية .

لم يكن همّ المنقّبين نقل الفسيفساء اولاً . انما كانت غايتهم العمل على وضع تخطيط لانطاكية القديمة ، وفقاً لما ورد عن ذلك في كتابات الاقدمين . وقد اكثر هؤلاء من الكلام عن اهمّ آثار المدينة ، ووصفوها وصفاً عاماً امكن العلماء ان يستخرجوا اسماء شوارعها المهمّة ، ومواقع آثارها بالنسبة بعضها للبعض الآخر . وهكذا توصل اوتفريد مولّر (Müller) ، في العام ١٨٣٩ ، الى وضع تخطيط لانطاكية القديمة .

فكان قصد المنقّبين الأوّل ان يصلوا — لا الى الشارع الأعظم الآخذ من الشرق الى الغرب ، والذي لا يزال اتجاهه معروفاً في قسم من طريق حلب - انطاكية — بل الى احد الشوارع العمودية ، ذاك الذي كان يقع على جسر العاصي فيفضي الى الجزيرة ، وفيها المقام الملكي . ولنا الأمل بان نعرف يوماً ما قيمة المكتشفات في هذا الموضوع ، واي تخطيط يمكن وضعه للمدينة القديمة .

ولم تخلُ آثار الفسيفساء نفسها من افادة المنقّبين في هذا الباب . فجاءتهم فسيفساء يقطو بالمعلومات التخطيطية الجمّة .

كُشفت هذه الفسيفساء المشهورة في ايلول ١٩٣٢ ، في احدى القرى القائمة مقام دفنه القديمة ، بعناية مصلحة الآثريات ، وبادارة المرحوم كلود بروست (Cl. Prost) ، وقد فرشت ارضاً ذرعها ٧.٢٠ امتار في ٧ امتار .[1] (الرسم ١)

١) الطلب : Jean Lassus, *Antioch-on-the-Orontes*, I, pp. 114 sqq.

اما تصميم هذه الفسيفساء فبسيط : تقوم في وسطها دائرة فيها دُمية امرأة اسمها ميكالوبسيكيا ، كما يُقرأ في الكتابة المصوّرة حول رأسها . ولا يخفى ان هذا الاسم اليوناني يعني « عزّة النفس » التي تمثلها المرأة المصوّرة . وحول هذه الدائرة مُثلث اربعة مشاهد لعراك الحيوانات ، وستة مشاهد صيد . وقد فُصل بين هذه الموضوعات باربعة اشجار هَرَميّة الشكل من الحور — كما يُستنتج من لونها الاخضر المائل الى السواد — تشير الى حدود المستطيلات فتفصل بينها ؛ ثم باربعة اشجار مستديرة تملأ الفواصل العَرْضية .

وحول هذه المشاهد كلها إطار عريض ، جلّاب للنظر ، مُثلث فيه آثار بنائية ، وعدة مشاهد من حياة الشارع . وقد عرف الاستاذ لاسوس في هذا الإطار رسوم اهم بنايات انطاكية في اواخر القرن الخامس .

ولا شكّ في ان هذه المشاهد المتعدّدة المحصورة في الفسيفساء تدلّ على مهارة الفنّان وحذقه ، وقد توصّل الى ان يعرض امام الجالسين في القاعة او المتكئين في جوانبها ، اكثرَ ما يمكن من المناظر ، يرونها مباشرة ، كما انهم يدركون سائرها بسهولة ، وان اضطرّوا الى النظر اليها بانحراف .

❁

هذه مهارة الفنّان في تأليفه . فما هي قيمته في التلوين ؟

نظرة دقيقة الى الوان الدائرة الوسطى تكفي للحكم في حسن ذوقه ونجاحه في إخراج رسمه الفخم : (الرسم ٢)

يبلغ قطر الدائرة الوسطى ١٣١ سنتيمترًا . تظهر فيها « عزّة النفس » بشكل امرأة قويّة الأنف ، صغيرة الفم ، رماديّة العينين . لون بشرتها يميل الى الوردي الأزهر تخفّفه أظلال بنفسجيّة ليلكية . ولون شعرها وحاجبيها أسود . وقد اوضح بروز أرنبة الأنف خطٌّ أخضر .

اما شعرها فقد كفّته شريطة صفراء . وازدانت اذناها بلؤلؤتين بيضاوين علقت كل منهما بسلسلة من ذهب . ولبست قسطانًا ابيض اقفلته على الجيب بنيقةٌ فيها الكثير من الحجارة الكريمة المصقولة ، تتتابع وردية وخضراء ، مزخرفة الحواشي بالاسود والذهبي ، متصلة احدها بالآخر بصفّين من المكعّبات

الرسم ١
مينة فسيفساء أنطاكية بكاملها

الرسم ٢ : صورة « عزّة النفس »

الذهبية . وقد اتشحت السيدة بوشاح اول اصفر اللون طرحته على الكتف اليمنى ، وألقت على اليسرى وشاحاً آخر وردياً . ورفعت بيدها اليمنى وردة اشارت بها الى الحاضرين، جاعلة في اليسرى اناء اصفر حوى الكثير من الورود.

ولم يشرح احد هذه الاشارة قبل الاستاذ هنري سيريغ (Seyrig) ، فقال ان « عزّة النفس » هذه ترمي بالورود الى الابطال المنتصرين على الضواري. وهؤلاء الابطال معروفون باسمائهم المدوّنة الى جنبهم ، وهم : ميلياگر ، أكتيون ، تيريزياس ، زيس ، أدونيس (الرسم ٣) ، هيپوليت.

الرسم ٣ : ادونيس يطعن الخنزير البرّي

ولا شك في ان فكرة المصوّر ، كما بيّنها الاستاذ گرابار (Grabar) ووافقه الاستاذ گلانفيل دوني (Downey) ، قصدت تمثيل « عزّة النفس » التي تدفع عظماء الأبطال الى الصيد ، الى تلك الملاهي الملكية التي طالما اعتادها ملوك المشرق ، واليونان ، بل امبراطرة الرومان من امثال هادريانوس وقسطنطين. ولم يغفل العلماء عن فرض غير ما تقدّم من الشروح لموقف هذه السيدة ، فزعم الاستاذ شارل پيكار (Picard) انها تمثل الالهة سينتة المشورة ، تدلّ على الطمع الوبيل الذي يهيب بالابطال فيدفعهم الى تقليد الآلهة ، فيعرّضهم لغيرتهم وغضبهم. على ان هذا الشرح وامثاله يبدو على شيء من التكلّف ، بعيدًا عن مظاهر الرسم الواضحة .

اما الإطار التخطيطي فيذكّرنا بأثر مشهور يمثل خارطةً جغرافية للارض المقدسة في القرن السادس . اكتشف في شرقي الاردن ، وعُرف بفسيفساء مادبا[1] .

نرى في هذا الإطار سلسلة من البنايات المتتابعة تتخللها مشاهد من حركة الشوارع والاسواق نعرف منها ، بواسطة الكتابات التي ترافقها في الرسم ، حوض كَتْالي ، وميدان دفنه المشهور في نصوص الاقدمين . ثم عددًا من القصور ، والصروح العامة ، واخيرًا جسر العاصي ، واحد ابواب المدينة . فهو أشبه بدليل من الادلة الرومانية التي كان يستند اليها ، في القرون الوسطى ، زوّار المدينة الأبدية .

قلنا ان قسمًا من هذا الإطار يمثل ميدان دفنه . وهو المشهد الذي كانت تُقام فيه الالعاب الاولمبيّة منذ عصر الامبراطور كومود حتى السنة ٥٢٩ . واذًا فان هذا التاريخ يفيدنا الحدّ الادنى لصنع الفسيفساء . نرى الجدار الخارجي للميدان ، وفي وسطه بابٌ يحفّ به برجان مكعّبان . وعلى اليمين ، في آخر نصف الدائرة ، برج عالٍ مربّع التصميم ، وعليه سقف احمر . وعلى مقربة منه رسم « حمام خاصّ » منسوب الى اردابوريوس . ونحن نعرف اردابوريوس هذا قائدًا للجيوش الشرقية في انطاكية ، في السنة ٤٥٩ . واذًا فهذا الحدّ هو

---

١) اطلب *MUSJ, XVIII*, 1934. pp. 165-166

الحد الاقصى لصنع الفسيفساء[1].

وقد استند الاستاذ لاسوس الى القسم المصوّر فيه جسر العاصي في تعيين ترتيب المباني المرسومة (الرسم ٤).

ومما يجدر بالذكر، في واقعية هذا الفنّ، رسم احد الحمّالين، قرب الجسر، وقد شدّ الحبل الذي يربط حمله بيده، كما لا يزال يفعل، حتى يومنا هذا، حمّالو انطاكية، خلافاً لحمّالي بيروت الذين يشدّون هذا الحبل الى رؤوسهم. ولنلاحظ ايضاً ان الاشخاص المصوّرين يحتذون الاحذية المنقلبة الأطراف، كما يفعل فلّاحو تلك البلاد في عصرنا كذلك.

١) اطلب J. Lassus, *op. cit.*, I, p. 132

هذا ما يمكن استنتاجه من درس تلك الفسيفساء التي هي من اعجب الآثار المكتشفة في انطاكية. ولكنها ليست الوحيدة. بل هناك في الـ ٢٣٩ صفيحة التي اخرجتها الحفريات في السنة ١٩٣٦ ، وفي نحو الـ ٢٠٠ بلاط الموصوفة في المجلد الثاني ، من انطاكية العاصي[1] ، قطع أقدم من فسيفساء بَقطو، وابلغ تأثرًا بالفنّ الهيليني .

ولا يخفى ان المشهد الأوسط، في فسيفساء بقطو نفسها ، على جماله ودقّته، لا يظهر الاشخاص الّا في سطح واحد فليس من عمق، ولا من تساوق في الخطوط والأبعاد . ثم ان تلك الطيور بالوانها الزاهية ، تبدو مطروحة طرحاً لملء الفراغ بين تصاوير الضواري، فتؤيّد المظهر الاصطناعي المفتعَل في تأليف المشهد العام .

بخلاف هذا تبدو آثار الفسيفساء القديمة الراقية الى القرن الاول او الثالث، من التي كشفتها حفريات انطاكية ودفنه . واوضح مثال لهذه الأبلطة المتأثرة بالفنّ الهيليني فسيفساء كُشفت في انطاكية ، في الجزيرة، في إطار هندسي ، ظهرت فيها عدة مشاهد، منها ما يمثل « رهان الشرب » او « مأدبة ديونيزوس وهرقل » . وهو مشهد طافح بالحياة ، على سطح رمادي اللون محمرّه ، تتناوبه الظلال من أخضر وردي وليلكي ، وتظهر فيه بوضوح باهر ، بشرة ديونيزوس البيضاء الوردية ، وجلد هرقل النحاسي . (الرسم ٥)

وما اشبه هذه الفسيفساء بتلك التي تمثّل حُكم فاريس الراقية الى ما بين السنة ٥٠ والسنة ١٠٠ للمسيح.[2] فتمكننا كلتاهما من الاشارة الى خصائص الفسيفساء في القرن الاول للمسيح . ونحن نميّز فيه المشهد من الإطار . اما الأول فيقلّد التصوير ويصنع في مُحترف الفنان ، مستعملًا مكعبات من الحجر او من معجون الزجاج مختلفة الاشكال والمقاييس ، حتى ان خطوطها تمثل تموّجات رشيقة . واما الإطار فيُصنع في المكان الذي توضع فيه الفسيفساء ، مستعملًا اشكالًا هندسية بمكعبات حجرية متساوية الأبعاد .

---

١) *Antioch-on-the-Orontes*, t. II.

٢) G. W. Elderkin, *Antioch-on-the-Orontes*, I, pp. 45 sqq.

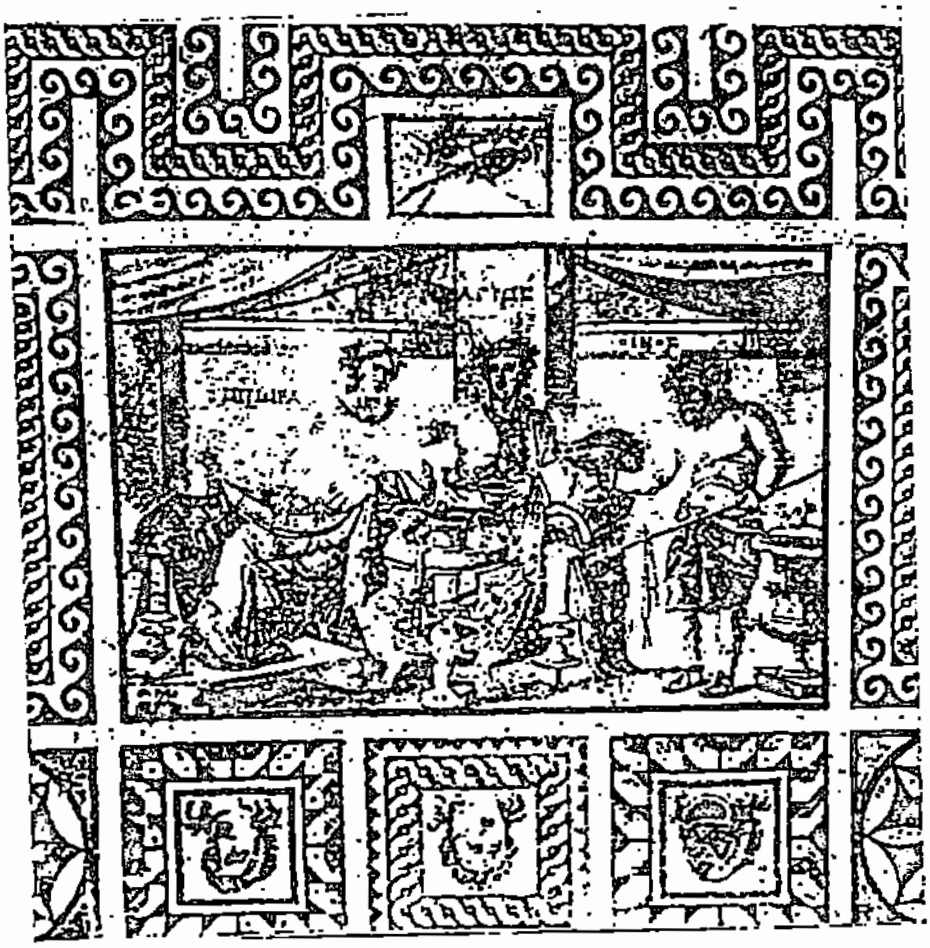

الرسم ٥ : مأدبة ديونيزوس وهرقل

اما ما يهمنا خاصة فهو الفن الذي أرخى مثل هذا المشهد . وهو الفن الاسكندري الآخذ بقسط وافر من الواقعية والايهام ، المستند الى قاعدة الابعاد المثلثة ، ومهارة تمثيل العمق . وهو ما نشاهده في كثير من فسيفساء بومبي .

واقرب مما تقدم الى فن بومبي ، في الموضوع ، لطمة فسيفساء ترقى الى القرن الثالث ، وتمثل تاجرًا يبيع تماثيل كوبيدون . نرى فيها اولئك الآلهة الصغار القساة القلوب ، بعضهم يستريح حاملًا بيده المشعل ، بينما الآخر يستعد لإطلاق

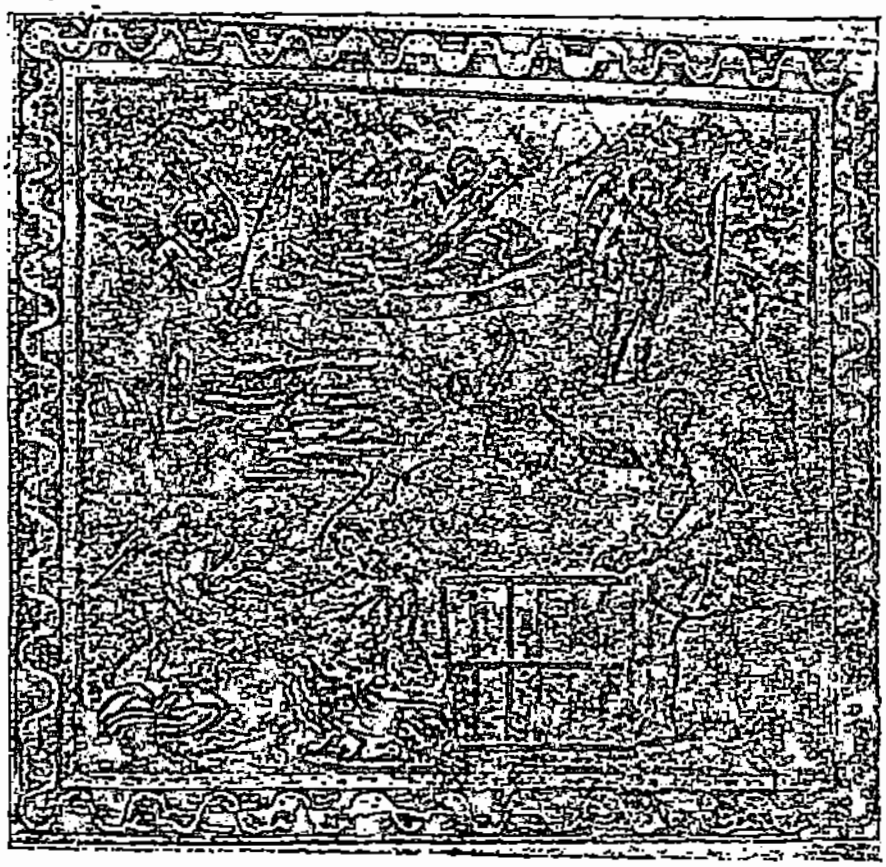

الرسم ٦ : تاجر يبيع قنائل كوبيدون

سهمه على قلب بعض البشر ، والثالث يلتهي بصيد السمك . وهناك اثنان ينصرفان الى التلذذ بمشاهدة عراك الديوك . على انهما قد يتعرضان لغضب الفلاح الشرس فيقبض عليهما ، كما قبض على كوبيدون السادس ، وسجنه في القفص مع سجين آخر . (الرسم ٦)

موضوع هذه القطعة اسكندري محض . الا ان الاشخاص قد فقدوا كثيراً من حيويتهم فبدوا في مستوى واحد ملصقين على سطح لا يزينه الا بضع اشجار . فليس شيء من تلاعب الضوء والنور ، وليس شيء من تفاوت الابعاد ومظاهر العمق المعروفة في الفن الاسكندري .

من مظاهر هذا الانحطاط في الفنّ ، او التطوّر على الاقلّ ، ما نراه من الميل الى تمثيل الصور الرمزيّة. وأشهر هذه الرموز الانطاكيّة رسم « عزّة النفس » الذي رأيناه في فسيفساء بَقطو . ومنها قطعة في قصر من بناء القرن الثاني ، تُشرف اهمّ غرفه على رواق متعدّد الاعمدة ينتهي بجنيّة بشكل نصف دائرة ، ثم تُطلّ على البرنية.[1] وهو تصميم نراه في جميع آثار مصوّري الجنائن اذ ذاك ، اذا ما ارادوا الايهام بشعور العمق . اما البلاط فيمثل نبتون وثالاسّا ، وسط تسعة وثلاثين شكلًا من الأسماك وذوات الاصداف. ولا شك في ان الشخصين جميلان . ولكن المشهد يخلو من الآفاق الفسيحة ، كما يخلو من الحذق في ايهام الأبعاد .

وفي الرواق القريب بلاط يحتوي على رسمين ينفصلان بآثار هندسيّة ، وهما ، كما يقول الاستاذ موريسه ، تجسيمان للحياة وغبطة المعيشة ، بيوس وتريفه ، مثالان واضحان للرمزيّة الهيلينية ، وليل هذا العصر الغائص في التأملات الى تجسيم القوّات التي يختبرها في محيطه ، والى ترتيبها في نسق منظّم .

وها اننا نصل الى الابتذال الفنّي في تمثيل الفضائل المجسّمة . فلا شخصيّة ، ولا ميزات فارقة في تصوّرها . وكلّ هذه الصفات الادبية والفضائل المجسّمة التي يشيد بها الفنّ الرسمي تختصّ اولًا بصاحب السلطة ، بالملك الهيليني ، ثم بالامبراطور الروماني . ففي تفا النقود الرومانية ، تظهر « عزّة النفس » فتكلّل الابطال ، قاتلي الضواري ، وهي تمثّل الفضيلة البطلية . اما « الحياة » التي تقابل « غبطة المعيشة » فهي من نصيب امراء العالم . ومن ارتفع الى المناصب العالية في وطنه ، او نال الثروة ، حقّ له ان يصبو الى هذه الفضائل السامية .

ولا يندر ان نرى بعض نوابغ الفنّانين يجدون ، حتى في القرنين الرابع والخامس ، إلهاماً حقّاً في تمثيل هذه الرموز .

من ذلك قطعة فسيفساء وُجدت في دفنه ، ترقى إلى عهد قسطنطين الكبير

(1) Charles Rufus Morey, *The Mosaic of Antioch*, pp. 24-32. pl VII.

(٣٠٦–٣٣٧) وتمثل الفصول الاربعة في مشهد من اروع آثار الفن تأليفاً وألواناً[1] (الرسم ٧).

يبدو زخرف البلاط بظهر سقف تتقاسمه تقاطيع العقد الرومانية. ولا يخفى ان اهم ما في هذه الإطار ، زخرفة الزوايا. وهو ما قام به الفنّان فمثل فيها الفصول الاربعة :

ظهر الصيف متجسماً في شكل احدى بنات البحر المجنحة ، تظللها الهيبة والوقار ، وترتفع فوق باقة باهرة من ورق الكنكر . ورسم الفنّان على الجهات الاربع اربعة مشاهد الصيد. وحول البلاط، في الإطار الدائر ، سلسلة من مشاهد الحياة الريفيّة . وليس في هذه الرسوم المصغرة ما يبدو مأخوذاً عن أمثلة سابقة . انما هي اشبه بتصاوير المخطوطات اليونانية واللاتينية الراقية الى القرن الخامس ، كتصاوير مخطوطة ڤرجيل المحفوظة في المكتبة الوطنيـة بباريس ، او سفر التكوين المحفوظ في ڤينة. فهي تصوّر اكثر مما تمثل ، تجتمع فيها كل المصوّرات من بيوت وحيوانات واشجار ، ملتصقة على مستوى مسطّح ذي بعدين ، مرتّبة حول الراعي .

عاش الفن الاسكندري حتى القرن الرابع بدلالة تمثالي باخوس الفتى، والشتاء الشيخ (؟) الموجودَين في الرواق الهندسيّ الزخرف ، المتقدم فسيفساء الفصول الاربعة.[2] اما تمثال باخوس فوافر الإشعاع حرارةً ولطفاً بما فيه من تزاوج لطيف بين دقائق الأصفر الخافت ، والاخضر ، والبنفسجي الادكن والليلكي . واما الشتاء فهو صورة دقيقة الصنع وفقاً لمثال حيّ .

وفي القرن الخامس نرى في بعض الآثار ان هذا التقليد الفني لم ينقض عهده تماماً . من ذلك تمثالان نصفيّان او دُميتان للأرض ، ولفصل الصيف ، في فسيفساء اكتشفت في دفنه. ولا تخلو المرأة التي تمثل الصيف بقبعتها القشّية المربّعة — مما يذكّرنا بتصوير كارل ڤرنه للأمازونات — من لباقة معجبة . بيد ان الطريقة

(١ Morey, *op. cit.* pp., 37-38

(٢ Morey, *op. cit.*, p. 39

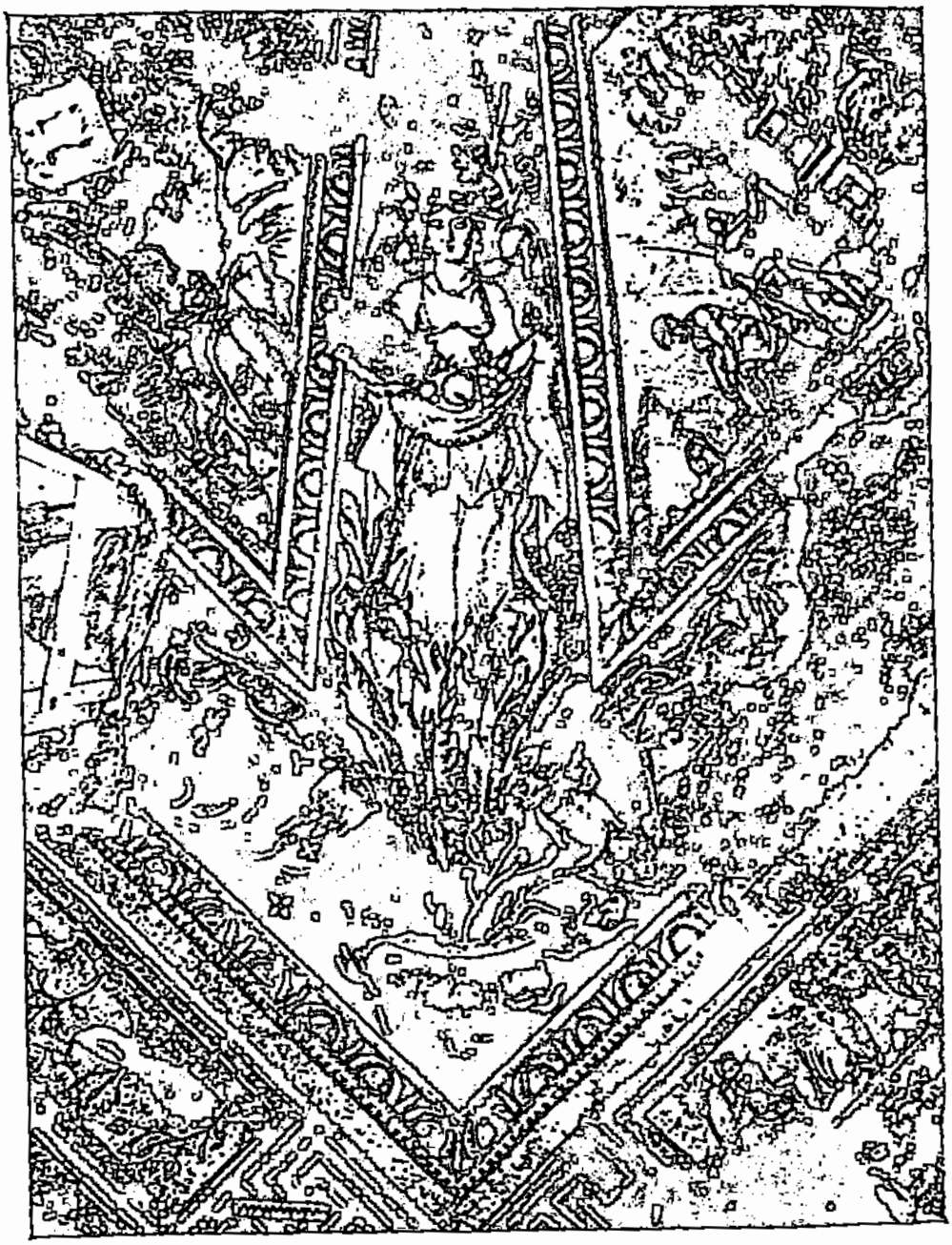

الرسم ٧ : رمز لفصل الصيف تحيط به بعض مشاهد العيد

التسطّحية في التصوير ، وعدم استخدام الامثلة الحيّة ، يدلّان على اننا في بدء انحطاط هذا الفنّ.

وقد آن لنا ان نترك هذه اللمحات الاخيرة من آثار الفنّ الاسكندري ، فنتجه نحو أبلطة من الفسيفساء يظهر فيها ، على اوضح مظهر ، أثر الفنّ الشرقي ، والفنّ الإيراني خاصّة . وهي ترقى ، في انطاكية ، الى النصف الثاني من القرن الخامس.

واشهرها بلاط فسيح تبلغ مساحته ١٠،٨٠ امتار في ٨،٨٠ امتار ، مفروش كلّه بالزهور مرتبة في مقطّعات هندسية . وفي وسطه تظهر صورة مركزية صغيرة بالنسبة لمساحة البلاط اذ لا يتجاوز طولها ١٩٦ سنتيمترًا . هي صورة الفونقس ، ذاك الطائر الخرافي الذي يحرق نفسه ثم يعود الى الحياة منبعثًا من رماده. (الرسم ٨)

الرسم ٨ : صورة الفونقس

اما الاسلوب الفني في صناعة الفرش، او مسطّح الفسيفساء، فهو الاسلوب المعروف بالفارسي نسبةً الى فارس السمك لوجود الشبه بينهما . ويكون ذلك بترتيب المكعّبات الحجرية البيضاء على خطوط منحنية، تندمج بعضها في البعض الآخر فتؤلف إطارات صغيرة تملأها صورة واحدة

تتكرر وتتتابع . وقد تكون هذه الصورة وردة او غيرها من الزهور، او طائراً او رسماً هندسياً ملوناً ، كما نرى في نقوش السجاد العجمي .

في هذه السجادة من الفسيفساء ، يظهر بارزاً على الفرش السطحي ، تمثال الفونقس[1] ، في هيئة رائعة فيها من النصر والافتخار ، وكأنه منبعث حديثاً من رماده . اما لونه فتغلب عليه الصبغة الخضراء في جسمه ، يزيدها روعة ظلال بنية وصفراء ، ولمحات بيضاء . وحول رأسه هالة من الليلكي الأكدر ، تخترقها اشعة خمرية وردية ، يزهر لونها كلما ابتعدت ، وتتضاءل على ممرها الوان الزهور الحمراء الوردية والخضراء .

فيكون مجمل التأثير مركباً من امتزاج الاخضر والأكدر الرمادي والوردي على مسطح ابيض متورد .

وهناك إطار الصورة ، وعرضه نحو ٦٠ سنتيمتراً ، تأهله صورة أكباش متقابلة مجنحة ، رائعة بألوانها . اما الجسم فلونه الاساسي بني محمر تتناوبه ظلال من البني المظلم ، وانوار من الأصفر والابيض . واما العين فبيضاء الحدقة ، سوداء الانسان . وفي عنق كل منها قلادة دقيقة حمراء اللون جميلة الوقع ، وكأنها تذكر بالوان الورود المجاورة . اما الأجنحة فمتنوعة الألوان من رمادي ، وليلكي ، وبنفسجي وأحمر قرميدي ، وكلها معلقة بشريطة من الأخضر الفاتع . (الرسم ١٠ ، ص ٢٠)

وليس من شك في ان هذه المثلات الاخيرة ترقى الى الفن الساساني . ولنا شاهد على ذلك في قطعة قماش ساسانية محفوظة في متحف الحراثر في ليون ، تمثل الأكباش المجنحة نفسها ، تسير وفي اعناقها القلادة نفسها . وقد بين نولدكه (Noeldeke) ، ودارمستتر (Darmsteter) ، ثم تُلّ (Toll) ان الكبش

(١ J. Lassus, *La Mosaïque du Phénix*. [M. Piot. t. 36, 1938.] pp. 81-122.

المجنح هو رمز هوارينو ، في الآثار الساسانية ، اي رمز الحظ او السلطة الشاهانية .

وان يكن الاستاذ لاسوس على حقّ في رأيه ان الفونقس المنبعث من رماده صورة رمزية لخلود الامبراطورية الرومانية ، فلا يمنع هذا ان يكون الاطار بما فيه من الاكباش المجنحة المتقابلة مأخوذ من موضوعات الفنّ الرسمي لملوك الساسانيّين .

ولنا غير ، ما تقدّم ، آثار من القرن الخامس واوائل السادس يظهر فيها ، باوضح جلاء ، تأثير الفنّ الايراني الساساني . منها هذا الاسد الرائع بحمرته القانية تزيد في رونقها الانوار الصفراء والظلال البنفسجية الرمادية[1] . وكأنه منطرح على سجّادة ذات تقاطيع صفراء خافتة ، وحوله طيور متنوّعة الالوان بين الاحمر ، والوردي ، والبنّي . (الرسم ٩)

يظهر مسطّح هذا الرسم مأخوذاً عن سقوف پومپي او دورا . على ان منه كذلك في بلاد الفرس[2] . ومن هنا اخذه فنّانو الاسلام فنقلوه في سامرّا خاصّة .

❁

ولنعد الى قسيفساء الفونقس . فنرى فيها — كما نرى في جميع القسيفساءات ذات الاسلوب الفلوسي ، المتوافرة في القرن الخامس خاصةً ، وكما نرى ايضاً في قطع القسيفساء ذات الإطارات المتقابلة ، القوية الشبه بالسجّاد — موضوعات الرسم الشرقي ، بل طريقة الزخرف الشرقي التي تأخذ رسماً واحداً فتكرّره وتعيده الى ما لا نهاية ، حتى تملأ الفراغ كله لا تهمها سعة المساحة او ضيقها . ولا يخفى ما في هذه الطريقة الزخرفية من سهولة[3] . وهي أسّ كل الزخارف في البنايات الاسلامية التي اتسعت وتنوّعت في اساليب لم تبعد عن هذا الأصل

---

١) *Antioch on-the-Orontes*, II, p. 189, n° 62.

٢) Morey, *op. cit.*, p. 42.

٣) Morey, *op. cit.*, p. 45

الرسم ٩ : رسم الاسد

الموحّد المتكرّر .

وخلاصة هذه العجالة في درس فسيفساء انطاكية تتفق مع ما استنتجه الاستاذ موريه . وهو اننا نشهد ، في القرنين الخامس والسادس ، انتصار الأثر الشرقي ، في انطاكية ، على التقاليد الهيلينية . ولعلّ هذا الميل الى المذهب المسطّح ذي البعدين ، والى الزخرف برسوم الحيوانات او تقاطيع السجّاد ، من عوامل الوراثة القديمة التي تعود بالفنّ الى مظاهره الشرقية .

وقد لوحظ مثل هذا التطوّر ، بعد قليل ، في القرنين السابع والثامن ، في آسية الصغرى ، وفي اليونان ، في ايطالية ، وفي الغرب اللاتيني . ونعرف الآن ان « هذا التطوّر مدين لتأثير سورية وعاصمتها . »[1] .

ولنضف الى ذلك ان سورية ، من دورا الى انطاكية ، كانت تلك البوتقة التي صهرت العناصر الهيلينية والايرانية ، فكوّنت اصول الفنّ البيزنطي ، واصول الفنّ الأوّل في القرون الوسطى .

---

1) Morey, *op. cit.*, p. 47

الرسم ١٠ : الاكباش المجنّحة

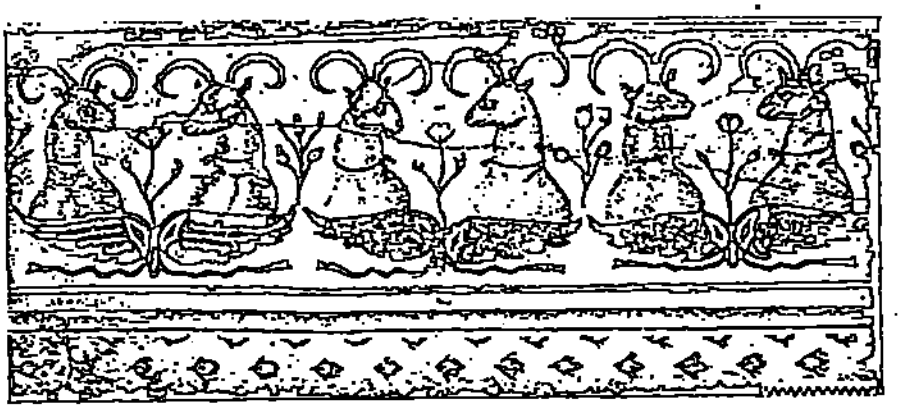

عن « الجبل الملهم »

هَزَزْنا كُرَةَ الأَرضِ ،
وجُبنا ملعبَ الشمسِ ؟
وهذي لغةُ الأمسِ ،
قضت منّا ؟ ولم تقضِ .

شرقُنا عضَّ ، في القديم ، نهودَ الأرضِ ،
يروي أعلامَنا باللبانِ ؟
وحدنا ، في ضمّة المارد الجبّار ،
وحبِّ الآفاقِ والأكوانِ .

وانتهكنا الأسرارَ ، والعُقَدَ البكرَ ،
على مطلع الشموس الدوانق :
ما تُرى احتضارُنا في الدجى ،
ألا تُرى لنا ، من الصبحِ ، بريقُ ؟

او رضينا بالأجهمِ الحظِّ ، ألّا
هَبَّ ماضٍ لنا دفيقُ الضياء ،
صاخبٌ في عروقنا بالبطولاتِ ،
معيدٌ وثوبَنا في الفضاء .

أُمَمُ الأرضِ ، دون عدٍّ ، تناحرنَ
على احقر المعادنِ ، قِدْما ،
فوق شبرٍ لنا من الأرض نَزْرٍ ،
كان ، في فقره ، عليهنَّ شُؤْما .

ورأينا الشعوبَ في أثر الأجيالِ
تجري ، ولم تبدّل سماء ؛
ولبثنا في اللازوردِ ، على الشمّ ،
كبارًا في عقلنا ، حكماء .

كم رأينا ، على المدى ، من مجوسٍ ،
وملوكٍ ، ومن جنودٍ غزاةٍ !
شعراءٌ ، وانبياءٌ ، وارباب
جثوا ، دون صخرنا ، في صلاةٍ !

وتظلّ الأمواه من نَهَر الكلب ،
كبارًا ، فوق الاهانة ، قدرا !
كَرَكَلّا ، يا رَعْتَبِيسُ ، ويا بَرقوقُ ،
انتم ، في الشطّ ، اوهامُ ذكرى !

لا بلادٌ في الأرضِ أضيقُ ترباً ،
دون ابنائها ، وارحبُ أفقًا !
هاجتها الدنيا نورًا باقصى
عددٍ ؛ فالتقت أعزّ وأبقى !

ما غَزتنا ، ونحنُ كنزٌ دفينٌ ،
فوق قدر الظُبى ، وفوقَ الحِرابِ ؛
هو وادٍ ومَنجمٌ علويٌّ ،
هو نارٌ طيَّ الجباهِ الرحابِ !

قِنطُنا ، نحنُ ، صَبرُنا ، منذ كنّا ،
منذ كان الزمان طِفلَ سريرٍ ؛
وعتاداتُنا العِبادةُ والفكرُ ،
وأنّ الباقي هباءُ قشورِ !

أنَّ بغضَ القريب فقرٌ ،
وأنَّ الحبَّ ريُّ الضلوع بالنعماء ،
أنَّ لذَّاتهِ على قَدْرهِ ؛ أنَّ
جُذى الحبَّ فوقَ ضمِّ النساء ؛

أنه يمنح البريّة في العرس
سخيًّا ، وأن حبَّ العدوِّ ،
قَدْرَما يُبغضُ ، انتصارٌ على الشرِّ ،
وشَقُّ الصباح من جهم جوِّ !

(عطور النقل)

سعيد عقل

المساجد والمشاعر

في العصر الجاهلي

من آثار الاب لامنس

نشرنا في السنتين السابقتين للمشرق ابحاثاً من آثار الاب لامنس في « الحجارة المؤلهة وعبادتها عند العرب الجاهليين » . وها اننا نتمها الآن بسلسلة من الابحاث جليلة في مساجد الجاهليين ومشاعرهم ، استند فيها المؤلف خاصة الى القرآن وهو اثبت ما لدينا من نص عن ذاك العصر السحيق ، واوضحه دلالة على مظاهر الشرك التي كافحها .

١

في اللغة الدينية الجديدة التي ابتكرها « النبيّ الأميّ »[1] ، عدة مفردات اتخذها من البيئة الجاهلية ، وكانت تدلّ على آثار ومؤسسات دينية راقية الى عهد الشرك . فعمل الاسلام على تنقيتها من مدلولاتها القديمة ، كما عملت هي على اثالة الإسلام صبغةً شخصية وطنية خاصة ميّزته عن الديانتين الموحِّدتين الكتابيتين .

ولنرَ اولاً هل يجوز لنا ان نعدّ ، بين هذه المفردات القديمة ، كلمة « مسجد »[2] ، باحثين فيها قبل التطوّر المتتابع الذي انتهى الى انشاء المسجد الجامع في الاسلام . ويجب القول اننا ، في هذه المحاولات ، نتخذ الطريقة المباشرة ، لا الطريقة الرجعية ، التي يفضلها العلماء عادةً : اذ تنتقل بهم على

---

١) لا إخال احداً من العلماء يشكّ ، في عصرنا ، في معنى « الأميّ » ودلالته على انه منسوب الى الامّة ، وان النبي كان من « الأمم » الاجنبية ، في نظر اليهود ، الشعب المختار : وليس منسوباً الى الامّية بمعنى الجهل بالقراءة والكتابة . وهو معنى عصري لا يؤيده شيء في النصوص القديمة .

٢) هذه المحاولة في تحقيق معنى « المسجد » الجاهلي قُدِّمت الى مؤتمر المستشرقين المنعقد في أثينة سنة ١٩١٢ . اما القسم الثاني من البحث الذي يتناول اواخر العصر الجاهلي فقد أُلِّف زمن الحرب الكبرى ، وأنهي سنة ١٩٢٦ .

مهل ، من المعروف الى غير المعروف ، راجعة عصرًا فعصرًا حتى تصل بهم الى اصل الشيء الذي يدرسون. على انها كثيرًا ما تقود الى الوهم والضلال إذ تسهل عليهم الخلط بين زمن وزمن ، واذا بهم ينسبون مدلولاتهم الحاضرة الى عصر سابق. وهي ، في الموضوع الذي يهمنا خاصة ، كثيرًا ما عملت على نشر الاعتقاد الخاطىء بان المسجد الجامع ، كما نراه اليوم في الجماعة الاسلامية ، يرقى الى عهد النبي . بل انها لا تزال توهم عددًا من المستشرقين فيؤمنون بصحة هذا الأمر ، من اولئك الذين لم يجدّدوا مصادر ابحاثهم منذ عهد فون كريمر وسپرنجر .

ولا يخفى ان هناك مادةً لكتاب كامل في نشأة المفردات الدينية وتطوّرها في لغة القرآن[1] . وما اخذت هذه اللغة عن المفردات السابقة المعروفة في تعابير اصحاب « الكتاب » الدينية[2] . ذلك ان النبيّ ، وقد تأكّد له انه يعمل مع ارباب الكتاب على مكافحة الشرك ، لم يتراجع عن اتخاذ بعض مفرداتهم ، مقاومًا بجهد جبّار ، وبنجاح باهر احيانًا ، تلك الصعوبات في « ايجاد مفردات خاصة للتعبير عن افكار ومدلولات اجنبية عن لغته الوطنية ، وعن بلده.»[3] وهذا كان شأنه في ما خصّ قصص الانبياء و« اساطير الأوّلين » . فكان فضله عظيمًا في خلق انشاء ديني غير معروف قبله في بلاد العرب . ولم تكن اسجاع الكهّان — تلك التي اتهمه بتقليدها معاصروه من المشركين[4] — لتقوى على احتمال المقابلة بينها وبين هذا الانشاء العربي المبين.[5] بيد ان النبي عرف الاسجاع معرفة المطّلع الخبير فردّ التهمة بقوّة ، ونسب غيره الى تقليد الكهّان فقال عن

---

١) قابل بخ في : Noeldeke, *Neue Beitr. zur semit. Sprachwissenschaft.* 1-30 ; J. Horovitz, *Jewish Proper Names and derivatives in the Koran* [in *Hebrew Union College Annual XXI*] 145-227 ; Rich. Bell, *The origin of Islam in its Christian Environment* Londres, 1926, p. 51...

٢) ولنذكر منها : الحنيف ، والقرآن . . . واطلب في اصل هذه اللغة ، ملاحظات قيّمة في R. Bell, *op. cit.*, 118, 121 etc.

٣) Horovitz, *op. cit.*, 184

٤) اطلب القرآن ٥٢ [الطور] ٣٠ ؛ ٦٩ [الحاقة] ٤٢

٥) القرآن ١٦ [النحل] ١٠٥ ؛ ١٨ [الكهف] ١

بعض زائريه ، من الآخذين بالاسجاع المتوازنة ، والمراجعات المتقابلة : « هذا من اخوان الكهان . » قال ذلك « من اجل سجعه الذي سجع ! »[1]

واذا شئنا ان نفتش عن رأي النبيّ الأصيل في « المسجد » و« المساجد » وما كانت تعنيه هذه اللفظة ، وعن دور العبادة في المجتمع الاسلامي الاول ، فلا يجوز لنا ان نأخذ بما تألف حول ذلك من معلومات واشارات وآراء متأخرة عن زمن النبي . انما مصدرنا الثابت هو القرآن الذي لا يُشكّ في صحته وتاريخيته . نستند اذاً الى القرآن، صارفين النظر عن مجموعات الحديث التي قد يكون فيها الضعيف والمضطرب والموضوع .

۞

نجد في القرآن كلمات قد تأتي منعزلة مفردة من امثال « خاتم » و«ماعون »[2]. وليس منها لفظة « مسجد » التي وردت ٢٨ مرّة في القرآن . على ان هذه الكثرة لا تأتي بالفائدة المطلوبة في تحديد اللفظة لما فيها من مراجعات القوالب نفسها،دون ان يأتي التعبير التالي بما يزيد عما اورده الأول. ولكنّنا نضحي بنصف هذه المراجعات في سبيل شيء من التحديد في وصف تلك « المساجد » المذكورة ، او في سبيل الاشارة ، وان سطحية ، الى شيء من شكلها وهيئتها ، وطرق العبادة فيها. ولكن لا سبيل الى ذلك. ولا شك ان تأثير الانشاء الشفهي عمل على ترك هذه اللفظة غامضةً ، كما عمل على ذلك كونُ السامعين يعرفون ما تمثله ، ويفهمون ما كانت ترمي اليه . واذاً فهي لفظة معروفة لديهم تشير الى مدلول معهود. والّا لما أحجم القرآن عن تحديدها والاشارة الى الغاية منها. فلنحفظ هذا لحينه .

ولنتقدم الى القول ان نصف هذه الاشارات الثاني والعشرين تردّد ، دون

---

١) مسلم: الصحيح ٢ : ٤٠ ؛ ابن حنبل: المسند ٤ : ٩٤-٩٥ ، ٩٨ ؛ قابل بما في ابي داود: السنن ٢ : ١٦٢

٢) القرآن ٣٣ [الاحزاب] ٤٠ ؛ ١٠٧ [الماعون] ٧ . وليس معنى « الخاتم » آخر النبيين ، كما قد نرى في بعض الشروح ، بل « مصدّق لما قبله من الانبياء » وهو الشرح المستخرج من مضمون النصّ.

اي تنوّع في التعبير ، القالب نفسه وهو « المسجد الحرام ». أما معنى هذا التعبير في لغة القرآن ، فقد يدلّ على بناء الكعبة فقط ، كما قد يدلّ على الكعبة مع « فنائها » القريب ، اي جوارها ، وقد يدلّ على حرم مكة كلّها[1] ، بل على كل ما تقدّم معاً . واما الشروح المختلفة فيقوم بتعيينها ومناقشتها ، بعد هذا العصر ، جمهور الشرّاح والمفسّرين ، فيميّزون في مكة « مسجد الكعبة ».[2] ويكتفي اكثرهم بالقول ان « الحرم كلّه مسجد. »[3]

وكي نصل على الخروج من هذه المراجعات التي قد تحتمل الشروح المختلفة ، نبدأ بالنظر في التعابير القرآنية التي وردت فيها هذه اللفظة بصيغة الجمع ، فجاءت « مساجد » ، فنقابلها بمضمون نصوصها ، وقد تخرج من الغموض الذي تولّده تعابير « مسجد الحرام » المماثلة المتعدّدة .

ولا يأسف المستشرقون على الوقت الطويل يُنفق في درس بعض التعابير القرآنية من تلك التي يتردّد في الجزم بمعناها علماء التفسير التقليدي . والواقع ان استعمال الجمع في لفظ « المساجد » لمما يُحيّر هؤلاء العلماء . حتى ان بعضهم لم يتردّد في وضع « مسجد » بدل « مساجد »[4]. ولجأ غيرهم الى لهجة عامية تعبّر ، في زعمهم ، عن « المسجد » المفرد بصيغة الجمع ، يؤيّدون ذلك بالاستناد الى بدويّ مجهول تناولوه من الضاربين في تلك الصحاري الفسيحة فقالوا : « قد حُكي سماعاً عن بعض العرب مساجد في واحد المساجد. »[5] ولا يخفى التعسّل والتحكّم في مثل هذه التفاسير . بيد انهم كلهم يجمعون ، في النتيجة ، على ان المسجد المقصود في الآيات المذكورة جميعها انما هو الكعبة . فلنستفد من هذا الإجماع الغريب ،

---

١) كما في القرآن ٢٢ [الحج] ٢٥ و٢٦

٢) مسلم : الكتاب المذكور ١ : ٥٢١ و٥٢٢ ؛ ابن الأثير : اسد الغابة ٣ : ٣٨٣ ، ٤ : ٥٧ ؛ النسائي : السنن (طبعة مصر) ١ : ١١٢ ، ١١٧ ، ٣ : ٢٤

٣) الازرقي (في *Chroniken der Stadt Mekka*, edi. Wustenfeld) ١ : ٣٠ ؛ الاغاني ١٤ : ١٥٥ ؛ البلاذري : فتوح البلدان ٤٣ ؛ القرآن ٢ [البقرة] ١٣٩ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٨٧ ؛ Snouck Hurgronje, *Het mekkaansche Feest* I, 38

٤) الفخر الرازي . تفسيره ٤ : ٦٠١ ؛ وكذلك تفسير البيضاوي (Fleischer) ١ : ٣٨٠

٥) تفسير الطبري ١ : ٢٧٥

ولنتابع محاولتنا في فهم المقصود « بالمساجد » بصيغة الجمع .

٤

لم ينفرد التفسير الرسمي بالعمل على هذا الإجماع في توحيد « المسجد » . بل هناك التاريخ الرسمي الناطق بلسان « السيرة » ومجموعات « الصحيح » و« السنن » و« المسند » ، في رواياتها المتنوّعة ، وكلّها تفرض ، ضمنيًا على الاقل ، انه لم يكن في بلاد العرب جميعها ، زمن بعثة النبي ، الّا مسجد واحد .

في بطن تلك البطحاء المتكوّنة بانخفاض وادي مكة ، وسط ساحة ضيّقة ، تضغط حدودها من كل جهة البنايات المجاورة ،[1] وتزدحم فيها الحجارة المؤلّهة منصوبة او ملقاة — ولنذكر منها مقام ابراهيم — كان يرتفع بناء مكعّب الشكل هو الكعبة . وكان هذا البناء ، بما يتصل به من حائط الحِجْر[2] الملتفّ على شكل نصف دائرة ، ومن بئر زمزم ، يكوّن « المسجد » على الاطلاق ، « البيت العتيق » ، « بيت الله » . فاذا كان ذلك كذلك فما القصد اذًا من لفظ « المساجد » بصيغة الجمع ؟ وكيف التوفيق بين النظرية السنّية التقليدية في المسجد الوحيد ، وتعدّد المساجد المستنتَج من الآيات القرآنية ؟

ولنتنبه خاصّة للآية ٤١ من السورة ٢٢ وهي سورة « الحجّ » :

« الذين أُخرجوا من ديارهم بغير حقّ الّا ان يقولوا ربّنا اللهُ . ولولا دفعُ اللهِ الناسَ بعضَهم ببعضٍ لَهُدّمت صوامعُ وبِيَعٌ وصلواتٌ ومساجدُ يُذكَر فيها اسمُ الله كثيرًا . ولينصُرَنّ اللهُ من ينصرُه ان الله لَقويٌّ عزيز »

وواضحٌ ان هذا النصّ يشير الى « المساجد » المعروفة على عهد النبي ، لا الى مساجد المستقبل ، كما يرمي اليه ارباب التفسير من اولئك الذين لا يترددون

---

١) ابن الاثير : النهاية ٣ : ١٣ ؛ قطب الدين (في Wüstenfeld, *Chroniken*) ٣ : ٧٣ ؛ Snouck Hurgronje, *Mekka*, I, 11-12 ؛ واطلب كتابنا *La Mecque à la veille de l'hégire*, 87...

٢) ويغلب ان يكون هذا « الحِجْر » بقية « مسجد » مستقلّ عن الكعبة ، راجع الاصطخري : جغرافيته (de Goeje) ١٦ . ويبلغ ارتفاعه مترًا ونصف متر ؛ اطلب Léon Roches, *Dix ans à travers l'Islam*, 297-298

في شرح ولا تأويل . ولا يخفى ان وضع « المساجد » بجانب الصوامع والبيع و[بيوت] الصلوات التي يُذكر فيها اسم الله ، يُستدلّ منه تعديد المساجد اولاً ، وثانياً انها من البنايات التي يُمكن ان « تُهدَم » كما ورد في الآية نفسها . فلنحفظ هذا لحينه ، ولنحذر من المبالغة في الاستنتاج . فان الآيات القرآنية لا تفيدنا شيئاً عن الفرق بين المترادفات الدالّة على المعابد[1] ، كما انها لا تفيدنا شيئاً كذلك في هندسة تلك المعابد واشكال بنائها . وقد يسأل الباحث : ولِمَ لم تذكر هذه الآيات — واكثرها ، ان لم نقل كلّها ، من العهد المدني — بين المعابد المتعدّدة « كنائس » اليهود .[2]

وفي آية اخرى يشير القرآن الى ظلم غير المؤمنين[3] « ممن منع مساجدَ الله ان يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها .»[4] وهذه هي المرة الثانية التي يرد فيها لفظ التهديم او التخريب بالنسبة الى المساجد . فهل يجوز ان نرى فيها غير التهديم المادّي بتقويض بناء مادّي ؟

ثم أليست الآية « ان المساجدَ لله »[5] تشير الاشارة الصريحة الى تعدّد المساجد ، خلافاً لما تفرضه نظرية المسجد الوحيد ؟ وسنعود الى درسها . واذا كان المقصود بالآيات المتقدمة مساجد المستقبل ، تلك التي سيقوم الاسلام ببنائها بعد عهد نبيّه — كما يعمل على تأويلها اكثر الشرّاح ، حتى اوفرهم تنقلاً وتنقاشاً

١) فلا يمكننا مثلاً ان نميّز ، بواسطة اسمٍ قرآني ، بين « الصوامع » و« البيَع » ؛ قابل بما في Fraenkel, *Aramaeische Fremdw.*, 274 وقد تدلّ لفظة « بيعة » على كنيسة في الاغاني ١٩ : ١٧ ، اما هذه الدلالة صحيحة الإقرار . وترجم Grimme, *Zeitschr. fur Assyrol.*, XXVI, 161 ان اصل اشتقاقها من لغة الحبش . اما الترادف بين « الصومعة » و« الدير » فلا مشاحنة فيه ؛ راجع مسلم : الصحيح ٢ : ٢٢٧ ؛ السيوطي : الإتقان ١ : ١٤٠ وفيه ان الصلاة معناها بالعبرانية « بيت الصلاة » . اما في تفسير الطبري ١٦ : ١١٢ فتدلّ « الصوامع » على الديورة و« البيع » على الكنائس .

٢) لا نرى اللفظة « كنيسة » او « كنيس » في القرآن . اوَ تكون داخلة ضمناً في « الصلوات » ؟

٣) وقد يُقصد بهم الروم البيزنطيون (؟) كما في البيضاوي (Fleischer) ١ : ٨٠

٤) القرآن ٢ [البقرة] ١٠٨

٥) القرآن ٧٢ [الجنّ] ١٨

كالجاحظ[1] — فما القصد من تهديد مشركي قريش بأنهم ما كان لهم ان يدخلوا الّا خائفين[2] ، معابدَ لا وجود لها اذ ذاك ؟ وما الغاية من منعهم ان يقيموا فيها الشعائر الدينية ولا سيما شعائر الحجّ ؟ وهو المعنى الصحيح للتعبير : « يَعْمُرُ مساجدَ الله » في الآية : « وما كان للمشركين ان يَعْمُروا مساجدَ الله شاهدين على أنفسهم بالكفر اولئك حبطت اعمالهم وفي النار هم خالدون. انما يعمُر مساجدَ الله من آمن بالله واليوم الآخر واقام الصلوة وآتى الزكوة ولم يخشَ الّا الله فعسى اولئك ان يكونوا من المهتدين. »[3] وواضح ان المقصود العُمرة المكّيّة ، وبالتالي الحجّ ، الذي انتهى النبي بتحريمه على المشركين. وقد بيّنتُ ، في بحث سابق[4] ، ان العُمرة الجاهلية كانت تقوم بالطواف والسعي الى المعابد القديمة المنتشرة في ارض الحرم. والواقع ان المعابد الاسلامية في هذه المنطقة متأخرة كلّها عن وفاة النبي. واذًا فان « مساجد الله » الممنوع على المشركين ان « يعمروها » لا يمكن ان تكون المعابد المتأخرة ، بل انها تدلّ على معابد جاهلية كانت معروفة زمن النبي. واذًا فقد لا نخطئ اذا اطلقنا على مكة الجاهلية ذاك اللقب الذي تطلقه الذكريات الدينية القديمة على أماكن المعابد ، فسمّيناها « ذات المساجد »[5] ، كما لُقّب وادي ثقيف « ذات الانداد »[6] لكثرة ما كان فيه من الحجارة المعبودة. وهو لقب قد لا يبعد في المعنى عن اللقب الاول .

⊡

ثم ان الغاية من الردّ على المشركين لا نراها تتجاوز حاضر المناقشة بين النبي واعدائه من مشركي قريش. والقرآن يمنعهم ان « يعمروا مساجد الله » فيمنعهم

---

١) قابل بما في الطبري : التفسير ١ : ٢٧٧. وقد تنال الاشارة النصارى الذين يضطربون خوفًا من ان يعاقبوا اذا دخلوا المسجد مسارقةً ! .

٢) القرآن ٢ [البقرة] ١٠٨ .

٣) القرآن ٩ [التوبة] ١٧–١٨

٤) الحجارة المؤلّهة وعبادتها عند العرب الجاهليين ، في المشرق ٣٧ [١٩٣٩] ٨٢–٨٩

٥) ورد اللقب في شعر عبيد ابن الأبرص : الديوان (Lyall) ٨٢ : ٨ ، ولكن لا يمكن تبيين موقعه .

٦) راجع كتابنا *Tāif*, 28-32

الكفرهم ، كي يعمُر تلك المساجد النبيُّ واتباعُه ممن «آمن بالله واليوم الآخر واقام الصلوة وآتى الزكوة.» والنبيّ لا يكتفي بالكعبة وحدها ، بل انه يطالب بحقّه في سائر المساجد المنتشرة في ارض الحرم. أو ليست المساجد كلها لله ؟ واذًا فمن حقّ رسول الله ان يُشرف عليها ، ويدبّرها ، وينظّم سدانتها ، ويراقب او يصلح «عمارة المسجد الحرام»[1] ، اي القيام بالعُمرة في مكة ، وفقاً للمنهاج المسنون في سورة التوبة او البراءة. هذا «أذانٌ من الله ورسوله !»[2]

واذا احتجّ مشركو قريش بحقّهم في السقاية من بئر زمزم[3] ، وما الى ذلك من خصائص الأسر القرشية النبيلة ، اجابهم القرآن بان تلك الحقوق القديمة لا تقوم امام حقّ الله ، وحقّ المؤمنين بالله ، والمجاهدين في سبيله : «أجعلتم سقاية الحجّ وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله ؟ لا يستوون عند الله ، والله لا يهدي القوم الظالمين.»[4] مضى عهد تلك الخصائص والشعائر . ولم يبقَ الّا نقضها بمؤسسات جديدة ، او ادخالها مُكيَّفة في النظام التوحيدي الجديد. وهو ما يقوم به النبيّ شيئاً فشيئاً ، باسطاً حقّه ، على جميع محطّات العُمرة القديمة من مساجد العاصمة الدينية وطريق الحجّ السنوي. حتى اذا خلص له الحرم المكّي بكامله ، استقلّ المسلمون بالمساجد دون المشركين من قريش وغيرها ، «اولئك ما كان لهم ان يدخلوها الّا خائفين.»[5]

الى هذه المساجد القرشية الاصيلة تُشير الآية ، لا الى ما سيُحدثه المسلمون

---

١) القرآن ٩ [التوبة] ١٦ – ومرعان ما نسي القوم معنى العمارة ، حتى قال بعض الشرّاح انها تقوم بتحريم كل كلمة فاحشة او بذيئة في المسجد ، اطلب اسد الغابة ٣ : ١٠٦ . وكذلك نجد ان معنى العُمرة ناله الكثير من الإبهام . راجع Snouck Hurgronje, *Mekk. Feast*, 78 وقابل بما في ابن هشام : السيرة ٧٤٠ : «العُمرة مشتقة من عمارة المسجد.»

٢) القرآن ٩ [التوبة] ٣ . . .

٣) راجع في سقاية الهاشميين ابياتاً منسوبة للعباس بن مرداس في الاغاني ١٦ : ٦٥ ، وليس ما يؤيد صحتها ، قابل بما في Gaudefroy-Demombynes, *Le pélerinage de la Mecke*, 87

٤) القرآن ٩ [التوبة] ١٩

٥) القرآن ٢ [البقرة] ١٠٨

من جوامع في المستقبل . ولا يخفى انه لم يكن من همّ مشركي قريش ان يدخلوا المساجد الاسلامية المقبلة ، انما كانوا ينازعون الجماعة الاسلامية الناشئة في ملكية المساجد الجاهلية القديمة[1] .

۞

ولنعد الى المفسرين وعلماء السنة ، فنرى ان « المساجد » ، بصيغة الجمع ، كثيراً ما حيّرتهم ، وعاكستهم في تأييد زعمهم بوحدة المسجد اي الكعبة ؛ فدفعتهم الى استخراج الشروح والتأويل الغريبة . حتى ان الإمام احمد بن حنبل لا يحجم عن القول بكل جدّ ورزانة ان المقصود « بالمساجد » اعضاء الجسد السبعة التي تتعاون في السجود .[2] ولا يقلّ جداً عنه اولئك الذين يصرّحون ان الجمع يُقصد به الأرض كلها . هذا اذا لم يعتبروا ان الجمع يقصد به الكعبة لأنها قِبلة المساجد . ويقترح غيرهم ان المقصود « شيء من المساجد » ثم يعيدنا الى مسجد مكة ، لأنّ من يزوره فكأنه زار « المساجد » جميعها .[3]

كل هذه الشروح ، بما فيها من آثار التكلّف والتداهي ، ومظاهر الرزانة الجادّة ، تثير دعابة الجاحظ[4] ، فيشترك في التفسير عابثاً ، على عادته . الّا انه يتستّر وراء ابي اسحق[5] ويقول عن لسانه : « لا تسترسلوا الى كثير من المفسرين ،

---

١) وقد يكون المنع رمى الى جلاء غير القرشيين . قابل بما في القرآن ٩ [التوبة] ٢٨ . لأن المشركين لم يُطردوا من مكة بعد الفتح . بل ظلّ كثير من القرشيين على شركهم في مكة حتى وفاة النبي فعملوا على هياج الفتنة .

٢) ابن حنبل : المسند ١ : ٢٥٥ ؛ قابل بابن سعد : الطبقات ٦ : ٢١١ ؛ تاج العروس ٢ : ٢٧١

٣) راجع البيضاوي : الكتاب المذكور ١ : ٢٦٣

٤) كتاب الحيوان ١ : ١٦٨ ؛ راجع البلاذري : الانساب ٥٨٣ ، قفاء وفيه عن ابن ملجم قاتل علي : « كان . . . مسجداً يبثون ان في وجهه اثر السجود . » قابل بما في اسد الغابة ٤ : ٢٨ – اما بشأن آراء الجاحظ الفلسفية فيمكن الرجوع الى Horten, *Die philos. Systeme der spekulat. Theologie in Islam*, 320 etc.

٥) راجع Schwally, Ibn Saad, *Tabaqāt*, II, introduction, p. 14 : Abou Yoûsof, , *Le livre de l'impôt foncier*, trad. d'E. Fagnan, p. 12, n. 9 الذهبي : ميزان الاعتدال (طبعة مصر) ٣ : ٢٤١

وان نصبوا انفسهم للامامة وأجابوا في كل مسألة . فان كثيرًا منهم يقول بغير رواية على غير اساس. وكلما كان المفسّر اغرب عندهم كان احبّ اليهم. وليكن عندكم عكرمة، والكلبي، والسدّي، والضحاك، ومقاتل بن سليمان، وابو بكر الاصمّ في سبيل واحدة. فكيف اثق بتفسير واسكن الى صوابهم وقد قالوا في قوله، عزّ وجلّ: «وان المساجد لله» ان الله، عزّ وجلّ، لم يعنِ بهذا الكلام مساجدنا التي نصلّي فيها، بل انما عنى الجباه وكل ما سجد الناس عليه من يد ورجل وجبهة وانف وثفنة.»[1]

ها هو الجاحظ يوقفنا على حيرة التفسير الرسمي التقليدي امام «المساجد» بصيغة الجمع. ولكنه، على ما فيه من ظرف وفكاهة، لا يتقدّم بنا في سبيل الحلّ المعقول.

---

١) قابل بما في صحيح مسلم ١: ١٨٨-١٨٩ : «أمرت ان اسجد على سبعة أعظم» (حديث)؛ ابن الاثير: النهاية ١: ٣٤؛ النسائي: السنن ١: ١٦٥، ١٦٦، ١٦٧؛ البخاري: الصحيح (طبعة استانبول) ١: ١٩٧، ١٩٨، ١٩٩؛ الدارمي: السنن ١٧٤، وفيها تعداد الاعظم السبعة التي يُسجد عليها...

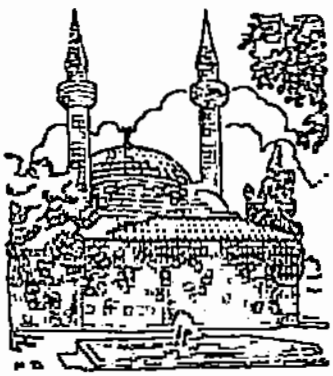

ذكرى النفي الى مالطة

١٨٤٠–١٩٤٠

بقلم نجيب الدحداح

« وفي الصباح توجّه ، ترافقه اسرته وحاشيةٌ كثيرة ، الى صيدا . فوصلها في الحادي عشر ووضع نفسه تحت تصرف الكابيتان باركلي ، قائد الموقع . وفي اليوم التالي نُقل الامير وجميع مرافقيه ، عن امر الاميرال ستوبفورد ، على ظهر الباخرة الانكليزية « سيكلوب » الى بيروت . ثم سافرت الباخرة ومضى الامير بشير يقيم في حمى الشعب البريطاني »[1]

هكذا نقل صحافي فرنسي ، منذ قرن كامل ، خبر انتقال الامير بشير الكبير الى مالطه في ١١–١٨ تشرين الاول سنة ١٨٤٠ . وقد جاء نفي الامير على اثر ثورة اهلية امدّها ممثلو الدول الاوروبية العظمى بمساعدات جمة ، فكان الحادث سبباً لحوادث اخرى هامة كان لها التأثير الاكيد في توجيه مصيرنا.

امّا نحن فنريد ان نستفيد من مرور مئة سنة على نفي الامير لنجعله محوراً لكلامنا في مقدماته ، وظروفه ، ونتائجه ، وكلها حافلة بما يفسّر احوال لبنان الى يومنا هذا ، ويجعلنا نزداد ثقةً بمستقبله.

المقدمات

قلنا ان نفي الامير جاء على اثر ثورة اهلية ؛ وسنرى اسبابها ، وحوادثها ومميزاتها . ومن كلامنا في حوادثها يتبيّن لنا دور السياسة الدولية فيها.

امّا الاسباب ، فتعود اصلاً الى اتفاق الامير بشير ومحمد علي ، وتصرف الفاتح المصري مع اللبنانيين . فقد ظلّ لبنان ، في مقاطعاته الاصلية على الاقل ،

(١ Baptistin Poujoulat, *Voyage dans l'Asie Mineure*. Paris, 1841, pp. 561-595 وفي الجملة الاخيرة تذكير بعبارة نابوليون عندما استسلم للحكومة البريطانية.

مستقلاً استقلالاً داخلياً مدة العهد العثماني ، يتولى الامر فيه امراء منبثقون عن انتخابات يقوم بها اصحاب الاقطاع . وكان السلطان العثماني في نظر الحكام اللبنانيين ، على نحو ما كان الامبراطور البيزنطي في نظر ملوك اوروبة الغربية ، صاحب سيادة اسمية يدفعون له الاموال للحصول على خلع تولي اصحابها صفة شرعية للحكم . ولم يكن الخلاف الدائم بين امرائنا ووزراء الدول العثمانية ليدور الّا على امرَين: مبلغ الاموال المترتب دفعها سنوياً للباب العالي ، وحدود لبنان الطبيعية . وكثيراً ما كان يغتصب الولاة المجاورون سهولنا الخصبة ومدننا البحرية الكبرى. ولمّا تحالف الامير بشير سرّاً مع محمد علي ، في سنة ١٨٢٣ ، وعد الاخير بأن يكافئ اللبنانيين اذا انضموا الى جيوشه ، بإعادة مدنهم اليهم وبتعزيز استقلالهم . وكان من الطبيعي ان يأمل جدودنا ايضاً ان تُدبَّر قضية الضرائب لخير مصلحتهم.

وفي ٢ تشرين الثاني سنة ١٨٣١ هاجم ابراهيم باشا ، ابن محمد علي ، فلسطين. فتريّث الامير قليلاً في البدء، ولم ينضم الى الفاتح المصري الّا بعد سقوط عكا ، في حزيران ١٨٣٢ ، وقد عرفها في عهد الجزار سبياً لعثرة بونابرت . فاشترك اللبنانيون بعدئذٍ بفتح دمشق وسائر الاراضي السورية. وعلى اثر معاهدة كوتاهية ، في ٥ ايار ١٨٣٣ ، انصرف ابراهيم باشا الى تنظيم « الاقطار الشامية ». فقامت في وجهه العراقيل والثورات في فلسطين (نيسان-ايلول ١٨٣٤) ، وبلاد النصيرية (تشرين الاول - كانون الاول ١٨٣٤)، والاضطرابات في حلب وانطاكية الخ. وكان في قمع اكثرها فضل للجند اللبناني. فكيف كانت المكافأة وكيف حققت الآمال ؟

لم يعبأ ابراهيم باشا بكيان لبنان الخاص عندما وضع الضرائب على الاقطار التي اعتُرف له بالسيادة عليها في معاهدة كوتاهية : فاحتُكرت منتوجات الارض والبهائم ، وسُخرت الافراد والجماعات ، واضطر كل فرد بلغ السنة الرابعة عشرة من عمره ان يدفع رسماً جديداً مشهوراً باسم « الفرده ». وقد ضجّت جميع البلدان التي حكمها ابراهيم باشا من هذه الضريبة الاخيرة. فقال شاهد عيان ان لبنان « يدفع في العهد المصري ما يزيد بأربع عشرة مرةً على الضرائب التي كان

يدفعها في عهد السلطان (العثماني)».[1]

ثم اردف متكلماً عن الاهلين: «لقد سلبهم الاستبداد حصائدهم المصفرّة على رؤوس جبالهم، وورقة التوت المنصوب في وديانهم، والزيتون، والتين والجوز التي كانت ثروتهم في الماضي. ان الاستبداد يمسك بهم، ويجرّدهم، ويدعهم عراة مثل صخور لبنان التي لم يعد ينبت عليها زهرة، ولا خضرة، هو يبتلعهم كما يبتلع نسر جبالهم لبّ الارز.»[2]

وما سهل هذا الاستبداد الّا على اثر تجريد ابناء لبنان من سلاحهم. وقد عمد ابراهيم باشا الى هذا التجريد بحيلة كانت اصلًا لشرور عدة توالت على اقوامنا، اذ تظاهر بأن التدبير لا يتناول الّا الدروز. فاضطرّ هؤلاء للتسليم. وبعد ذلك أعيدت الكرة على النصارى فسلّموا بدورهم سلاحهم (١٨٣٥). هي المكيدة الاولى في التفريق بين اللبنانيين، وكان نجاحها تحريضاً على تكرارها.

وفي تشرين الثاني سنة ١٨٣٧ شبّت نار الفتنة في حوران، فدعا الامير بشير رعاياه النصارى لنجدة الجيش المصري، فلبّوا الدعوة، ساقطين في حبال المكيدة الثانية لرضاهم بمقاتلة دروز حوران ابناء دروز لبنان. ولكنّ عاقبة ذاك التدخل كانت وخيمة على القائد المصري: فقد ابى اللبنانيون، عند انتهاء الفتنة المذكورة، تسليم سلاحهم، بل استفادوا من البنادق التي أعطيت لهم للقيام بثورة كانت اولى الضربات القاضية على فتوحات محمد علي.

— ولا يفتنا ان نقول، قبل الحديث في حوادث الثورة ونتائجها، ان شيئاً من عهود ابراهيم باشا بشأن مطالب جدودنا الوطنية لم يحقق. فان بيروت وصيدا وصور، بعد ان وُضعت، في ايلول ١٨٣٢، تحت سلطة الامير اللبناني، أعيدت الى الحكم المصري المباشر بعد معاهدة كوتاهية —

ولما رأى محمد علي اجماع الدول الاوربية الكبرى (ما عدا فرنسة) على مساعدة الدولة العثمانية، اخذ بتحصين المرافئ الخاضعة لسيطرته وبطلب الجنود من الاراضي المحتلة. فأمر اولًا بتجريد اللبنانيين من سلاحهم، واكثر

(١ B. Poujoulat, *op. cit.*, p. 561-595

(٢ Poujoulat, *op. cit.*, pp. 330-352

من الاخطاء السياسية فطالبهم ايضاً بالضريبة المذكورة اعلاه « الفرده » اتدفع سلفاً عن سبع سنوات . فضجت البلاد بالناقمين يحرّضهم رسل الدول الاجنبية ، وجرى اجتماع تمهيدي في ديرالقمر في ٢٧ ايار ١٨٤٠، وُجهت على اثره دعوة للعصيان الى جميع المقاطعات اللبنانية ومما جاء في تلك الدعوة: « . . . لزم اننا اظهرنا العصاوة بعد الاتكال على الله واعتمدنا على محاربة هذه الغدارة وتقديم الطاعة لسعادة افندينا الامير المعظم . . . نرغب بان تكونوا كما نحن متيقظين سهرارين (سهرانين ؟) واعين لكلما يجدّ نواحي بيروت وجهة الشمالية وكلما جد عليكم شي عرفونا حالاً صحبة مخصوص وبحوله تعالى انتم الظافرون ولا يلزم نحثكم على التيقظ كون هذا صالح عايده للجميع »[1] وكان اول عمل قام به الثوار اللبنانيون ما ذكر في هذه الدعوة عن توجه فريق منهم نحو صيدا حيث كان يستعدّ سليمان باشا ، احد قواد ابراهيم باشا ، لمهاجمة الناقمين اللبنانيين فظفر الثوار واستولوا على ١٨٠ بندقية للعدوّ . فكتب ابراهيم باشا الى اللبنانيين ينكر ان يكون في نية حكومته تجنيدهم ، ويشدّد في النفي مقسماً « بحياة عزيز رأس ابيه الخديوي الاعظم ورأسه » . ثم يهدّد الثائرين « بتدميرهم وتخريب اماكنهم كافة »[2] ان هم لم يرتدعوا عن مقاومته . فلم يرتدّ الوطنيون بل تقاطر فريق منهم الى كنيسة مار الياس في انطلياس ، واقسموا بأن يكونوا جميعاً « من دروز ونصارى ومتاولة واسلام المعروفين بجبل لبنان » ذوي « قول واحد ورأي واحد . »[3]

وفي ٨ حزيران ، اذاع الثوار نداء الى جميع مواطنيهم يدعونهم فيه لقتال المصريين، وسنعود بعد قليل الى مضمون هذا النداء الذي يصحّ ان يُعدّ دستور الثورة اللبنانية . وتتابعت المناوشات بين الثوار اللبنانيين والجنود المصريين . وكثر عدد الاولين واتسعت الحركة الوطنية . فأرسل محمد علي حفيده ، عباس باشا ، الى لبنان على رأس ١٢ الف رجل ، فوصلت هذه القوة الى بيروت في

١) سليمان ابو عز الدين : ابراهيم باشا في سورية ، بيروت ١٩٢٩ ، ص ٢٦٠
٢) اسد رستم : الاصول العربية لتاريخ سورية في عهد محمد علي باشا ٥ : ٩٨
٣) رستم : ك.م. ٥ : ١٠

٢٧ حزيران ١٨٤٠ . وجاء عثمان باشا من شمالي سورية الى بعلبك بقوة مثلها . وكان في الوقت نفسه سليمان باشا يهاجم الجبل من جهة السواحل بنحو عشرين الف جندي[1] . فكانت الحملة شديدة الوطأة، لا سيما وان سياسة الامير بشير الموالية لابراهيم باشا ، وسياسة التفريق المذكورة قبلاً بين النصارى والدروز كانتا قد اوجدتا الانقسام بين اللبنانيين . امّا الثوار فانهم ، بالرغم من هذا الضعف ، كادوا يفوزون على جنود عثمان باشا في البقاع ، وعلى جنود عباس باشا في ضواحي بيروت. ولكنهم فشلوا في سنّ الفيل (ضواحي بيروت) فاضطربت الحال بينهم وتشتتوا . وفي ٧ آب تمكن الجند المصري من القاء القبض على ٥٧ شخصاً من الامراء والمشايخ وسائر الاعيان فأُبعدوا الى سنار (السودان). وجُرّد اكثر اللبنانيين من سلاحهم[2] .

ولكن انتصار ابراهيم باشا كان وقتياً . فان مؤتمر لندن لممثلي انكلترة والنمسة وبروسية وروسية كان قد قرّر ، في ١٥ تموز ١٨٤٠ ، ان يوجه الى محمد علي انذاراً بوجوب الانسحاب بجيوشه الى مصر في مهلة عشرة ايام . وعندما مرّ الموعد المضروب دون ان ينفّذ المصريون مطالب الدول انتقلت هذه الى العمل ضد محمد علي ، فأرسلت انكلترة سفنها الى شواطئ الشرق الادنى واذاع السير شارل نابيير نداء الى جميع السوريين واللبنانيين يدعوهم فيه الى الثورة. ومما قاله : « يا اهالي جبل لبنان ، انكم بنوع خاص تشغلون نظرنا . انهضوا والقوا عنكم النير الذي يزعجكم . ان العساكر والسلاح والذخائر سوف تأتيكم من الاستانة ولا خوف بعد الآن على شواطئكم من المراكب المصرية . »[3]

وفي ١١ ايلول نزل في جونية عشرة آلاف رجل يقودهم السر شارل نابيير ، فاتحد بهم الثوار اللبنانيون، وقد عادوا الى القتال عند وصول النجدات الاوروبية والعثمانية ، واخذوا يهاجمون الجيش المصري في مواقعه التي كثرت في الجبال على اثر فوزه الاخير . فقسّم ابراهيم باشا جنوده في لبنان الى ثلاث فرق : سارت

١) سليمان ابو عز الدين : ك. م. ص ٢٦٥

٢) سليمان ابو عز الدين : ك. م. ص ٢٦٩

٣) Jouplain. *La Question de Liban*, Paris, 1908, p. 227

الاولى تحت امرته نحو بيت شباب الثائرة ، وبقيت الثانية تدافع بقيادة سليمان باشا عن بيروت ، وتمركزت الاخيرة — وعلى رأسها عثمان باشا — في ميروبا ، قاصدة ان تحول دون اتصال ثوار كسروان بالشواطئ . فهاجم الثوار ، يقودهم الامير بشير ملحم (خصم الامير بشير الحاكم) ، عثمان باشا واضطروه للفرار بفرقته الى بعلبك . ثم قاموا بحركة التفاف قطعت ابراهيم باشا عن نجدات كان ينتظر قدومها من البقاع ، فتمكن العثمانيون بقيادة السر شارل نابيير ان يهاجموا القائد المصري الاكبر . واضطر هذا الاخير ان ينسحب بدوره الى جرود كسروان فإلى بعلبك (٤—١٠ تشرين الاول) . وعلى اثر هذا الفوز استولى الانكليز على بيروت[1] . وفي ٩ تشرين الاول ، عند انتهاء مهلة اعطاها الحلفاء لتسليم الامير بشير الكبير (مما سوف نعود اليه) ، صدر فرمان بتعيين الامير بشير ملحم حاكماً على لبنان ، وقد عرف الحاكم الجديد باسم بشير الثالث او « بشير بوطحين » . وتقدم الامير بشير الثالث على رأس رجاله الى حمانا يراقب حركات الجيش المصري المحتشد في زحله والبقاع . ولكن المصريين لم يحاولوا مهاجمة لبنان واخذوا ينسحبون . فبلغت الثورة اللبنانية غايتها الاولى .

❁

روينا اعمال الثورة باختصار كي يحيلين الراغبين في اطلاع واسع على تلك الحوادث الى المؤلفات المذكورة في حواشي هذا المقال . وانا نريد التوقف قليلاً للنظر في ميزات تلك الثورة :

ان لثورة ١٨٤٠ عدة ميزات على ما تقدمها في لبنان من حروب اهلية :

فيها تدخل ممثلو الدول الاوروبية بصورة علنية وباجتهاد متواصل ؛ ولا غرو في ذلك فان الثورة اللبنانية تؤلف حادثاً من حوادث المشكلة المصرية التي كادت تقضي على التوازن الدولي في القرن الماضي . بل ان الثوار اصبحوا ، ابتداء من ١٢ آب (تاريخ نداء نابيير المذكور اعلاه) ، احدى الفرق المنتمية الى الحلفاء في قتال المصريين .

---

١) Jouplain, *op. cit.*, pp. 234-235

وفي ثورة ١٨٤٠ ، كثر ايضاً ، خلافاً للسابق ، تدخل الاكليروس اللبناني في مراحلها. فقد كتب الثوار في اوائل حزيران يستعطفون البطريرك الماروني[١] ، ثم اصدر سليمان باشا انذاراً يحذر فيه الرهبان من قبول الثوار في اديرتهم[٢] . وفي ٢٠ حزيران كتب اسقف صيدا الى البطريرك متخوفاً من خراب البلاد على اثر « اجتماع الناس ضد خاطر ولي الامر » ، ملتمساً من رئيسه الروحي ان يجمع الاساقفة وسائر الاكليروس لينصحهم بأن يعملوا ما يطمئن الافكار ويوقف الفتن[٣] . وقد تذمر الامير خليل ، ابن الامير بشير ، من موقف الاكليروس الماروني في كسروان وارسل من ينذر البطريرك بوجوب تغيير الكهنة في غزير وجوارها[٤] .

وامتازت الثورة المذكورة بصفتها الشعبية . وقد اصاب برلس نجيم عندما وصفها بأنها « قومية وشعبية »[٥] . ومن تدابير القائمين بها ما يجوز ان يُسمى بدعة في لبنان الاقطاعي ، فيُعلن نداء ٨ حزيران انتخاب جمعية مؤلفة من خمسة اعضاء يمثلون جميع النواحي « ويعقدون كلهم او بعضاً مجلساً في مكان مناسب للاتفاق على وضع ادارة منظمة » . ثم يقول : « وينتقي (مجلس الاعضاء الخمسة) عشرة آلاف من رجالنا البواسل لمقاومة كل الدسائس والحركات العدائية المسددة نحو حريتنا وتخصص الضرائب — التي كان في نية الحكومة استيفاؤها من الذين كانت تريد تجنيدهم لو لم ننهض عليها — لشراء المؤن اللازمة للعشرة آلاف مقاتل »[٦] . وقد اظهرت تلك الحوادث ابطالاً شعبيين كالشنتيري ، وابي سمرا غانم ، وشبلي العريان ، واحمد داغر . فتكون الثورة اللبنانية قد جمعت في رأسها سلائل البيوت الاقطاعية وابناء الطبقات الشعبية ، متخذة صبغة قومية

١) اسد رستم : الكتاب المذكور ٥ : ٩٤
٢) اسد رستم ك. م. ٥ : ١٠٢
٣) اسد رستم ك. م. ٥ : ١١٧
٤) اسد رستم ك. م. ٥ : ١٥٢
٥) Jouplain, *op., cit.* p. 219
٦) من نداء ٨ حزيران — انظر « مجموعة المحررات السياسية والمفاوضات الدولية » لفيليب وفريد الخازن ١ : ٤ ؛ واسد رستم : ك. م. ٥ : ١٠٢

وهي الميزة الاخيرة والكبرى.

قلنا مع بولس نجيم ان ثورة ١٨٤٠ حركة « قومية وشعبية » ، وبالصفة الاولى قد امتازت ، لا عمّا تقدمها من الحروب في لبنان ، بل عمّا جرى من الحوادث في الشرق الادنى في القرن التاسع عشر :

اذا شئنا ان نبحث عن غاية وطنية — حقيقية او مصطنعة — لقادة الثورة في الحروب التي جرت بين محمد علي والدولة العثمانية ، وفي الثورات التي قامت خارج لبنان بوجه ابراهيم باشا ، لن نعثر عمّا نطلبه. فان ابراهيم باشا ، عندما هاجم « الاقطار الشامية » في سنة ١٨٣١ ، اذاع انه قادم باسم السلطان العثماني نفسه ليقتصّ من عبدالله باشا والي عكا . ولما سأل إمامُ دمشقي هل يجب ان يوضع اسم محمد علي مكان اسم الخليفة محمود في صلاة الجمعة ، امر ابراهيم باشا بتأديب الامام السائل[1]. ويقول محمد علي في رسالته الى ملك فرنسة المؤرخة في ١١ تشرين الثاني سنة ١٨٤٠ : « ان جميع اعمالي صدرت عن حبي لوطني فقد كنت تمكنت بعد مساعٍ جسام ... من توطيد الراحة في سورية ... ان وجود سورية بيدي لعامل قوي يمكنني من مدّ يد المساعدة الفعالة لجلالة السلطان ولتركية ... فان مساعي الذين توهموا انهم يعملون على ضمان سلامة كيان السلطنة العثمانية بتحريض احدى ولاياتها على العصيان لم تؤول الى تحريك كل البلاد بل الى ايقاد نار الحرب الاهلية. »[2]

امّا الوطن الذي يذكره في بدء الرسالة ، فلا تعريف له . أتكون سورية التي احب الخديوي المصري ضمان راحتها ؟ أتكون تركية وقد حاربها ليمدّ لها يد المساعدة ؟ أتكون مصر ، مصدر تلك الحركة ؟ والحق يقال ، ان محمد علي لم يكن ليعرف سوى « مصالحه الشخصية ومصالح اسرته » التي يتحدث عنها في الرسالة نفسها وليست مصر في نظره سوى « إيالة » عثمانية استولى عليها ويودّ ان تتسع سلطته الى سائر « الإيالات » العثمانية ، ولربما طمع بالخلافة

١) Poujoulat, *op. cit.*, p. 313

٢) ف. وف. الخازن ك. م. ص ٦٤

الاسلامية. امّا الوطنية والقومية، كما نعرفها، فلم تخطرا له ببال، كما لم تخطرا ببال اعدائه اسياد السلطنة العثمانية.

فلنعـد الآن الى الثورة اللبنانية ولنطالع نداء ٨ حزيران المذكور سابقاً، ومطاليب الثوار، وجواب فريق منهم على سؤال وجه اليهم الامير بشير الكبير.

ان نداء ٨ حزيران قد طُبع اولاً مترجماً الى الفرنسية في الجزء الثالث من « مجموعـة معاهدات الباب العثماني » (باريس ١٨٦٥) للبارون ده تستا[1]. وفي هذه النشرة وردت التعابير التالية « الى المواطنين الاعزاء . . . انفة اللبنانيين وروح الاستقلال. . . حفظ شرفهم (اللبنانيين) وكيانهم » ولكنها غير واردة في نسخة عربية وجدها الدكتور اسد رستم في دار القنصلية البريطانية في بيروت فنشرها في « الاصول العربية لتاريخ سورية في عهد محمد علي باشا.»[2] وعلى كل فان النداء يحمل على الحكومة المصرية لاعتدائها على حرية اللبنانيين، وارهاقهم بالضرائب، والقاء الفتن فيما بينهم، وتجريدهم من سلاحهم بواسطة الخداع، وتجنيد فريق منهم. ويدعو القائمون بالثورة مواطنيهم الى الاتحاد والعمل السريع لمقاومة « العبودية »، ذاكرين مثل « الفرنسويين الذين عندما هددوا بالاستئصال اذا لم يستسلموا فضلوا الموت فخاضوا غمرات الوغى وكسروا ١٥٠ الف رجل»[3]، ويختمون — بعد تنظيم جمعية ثورية كما رأينا اعلاه — قائلين: « وقد سبقتكم الاروام على القيام وحصلوا على الحرية المطلقة من الله . » وفي الجملة الاخيرة تذكير بثورة اليونان (سنة ١٨٢٨) التي ادّت بتلك البلاد الى استقلالها التام. ولا ننسَ ما جاء في بدء المنشور من التمييز بين الحكومة المصرية التي قام الثوار يحاربونها وبين الامير بشير وقد سكت اللبنانيون، حتى ذاك التاريخ، عما اصابهم « لاجل طاعتهم لسعادته » . بل انظر الى مطالب الثوار اللبنانيين كما قدّموها الى الامير امين، ابن الامير بشير:

---

١) Jouplain, *op. cit.*, p. 288 : طالع تعريب النشرة في المخازن: ك. م. ص ٢

٢) رستم: ك. م. ٥: ١٠١

٣) في نشرة « المحررات السياسية » وردت عبارة « قتلوا » بدلاً من « كسروا » التي نقضّلها وقد جاءت في نشرة الاستاذ رستم . ولا ندري الى اية حادثة اشار كاتب النداء.

بقاء سلاحهم في ايديهم وعدم تجنيدهم ، وتنظيم جباية الضرائب وانشاء « ديوان مشورة » في بيت الدين لتمثيل البلاد ، وابعاد الشاعر بطرس كرامه عن ديوان الامير[1] .

امّا الطلب الاول فهو يهمّ كرامة البلاد . وفي الطلبين التاليين رغبة في التنظيم المالي والحكومي جديرة بالانتباه . وامّا الطلب الاخير فانه يهمّنا في هذا المقام لأنه يرمي الى جعل ديوان الامير وطنياً صرفاً ، بعيداً عن تأثير الشاعر الحمصي ، خليفة آل البحري اعوان الحكومة المصرية .

ولمّا اراد الامير بشير ان يقنع الثوّار بالعودة الى الهدوء ، فاوض اهل الشوف واستوضح موقفهم من الحكومة والثائرين فاجابوا انهم « بقلب واحد درزي ونصراني » ، وانهم لا يسلمون سلاحهم ولا يقبلون بالجندية ، ولا يسمحون للجند المصري بدخول البلاد ، ولا يحاربون احداً من مواطنيهم الّا اذا كانت غايته مقاتلة الامير الحاكم .[2]

اذاً لم يعد من ريب في ان غاية الثورة اللبنانية كانت اولاً وآخراً مقاومة الحكومة المصرية واستبدادها بالوطنيين ، والدفاع عن كيان لبنان وحرياته .

فأين هذه النفحة الوطنية تصدر من شعب صغير فقير في اواسط القرن التاسع عشر من روح محمد علي واعدائه العثمانيين كما تراءت لنا في الاسطر السابقة ؟

امّا الامير بشير ، فان الثوار ظلّوا يحترمونه حتى آخر لحظة من وجوده في وطنه . ولا غرو في ذلك ، فكان قد مضى عليه نحو ٥٢ سنة وهو على رأس البلاد يحافظ على كرامة شعبه الصغير ، ويوفّر له الامن وسائر اسباب النجاح .

فكيف ادّت ثورة ١٨٤٠ الى خلع الامير ونفيه ؟ نصل هنا الى الحادث التاريخي محور مقالنا ، فنرى موقف الامير من الثورة وظروف استسلامه الى الاميرال الانكليزي .

---

١) ابو عز الدين : ك . م . ص ٢٦٤

٢) ابو عز الدين : ك . م . ٢٦٨

الحادث

ان الثوار ، في ندائهم المشهور ، قالوا انهم سكتوا حتى الآن عن انواع الظلم التي الحقها المصريون ببلادهم ، اكراماً للامير بشير الذي « امنهم وطمنهم بالراحـة وبعدم الزود عليهم » ، ولكن حكومة ابراهيم باشا « غدارة وخداعة احتسبت خداعـة سعادته كلا شيء بل اظهرت له النفور في ترسوس كما قد بلغ البعض لما اعتذر عنهم » .

ترى ، ماذا جرى في طرسوس ؟ لا نعرف عن تلك الحادثة غير ما جاء في الجملة المذكورة ، ونستنتج منها ان الامير شعر بالضيم اللاحق برعاياه فنبّه عليه ابراهيم باشا فلم يأت التنبيه بالنتيجة المتوخاة . وفي ١١ حزيران كتب قنصل روسية الى حكومتـه يقول : « لقد لفحت سموم الفتنة في لبنان من جراء اصدار ابراهيم باشا امره بتجريـد الموارنة من اسلحتهم رغماً عن توالي نصائح الامير بشير له بتحامي جمعها »[1] ثم انه على اثر مهاجمة الاسطول الانكليزي لبيروت وتراكض اللبنانيين الى جونيه لاستلام السلاح من ايدي الحلفاء، استدعى ابراهيم باشا الامير بشيراً الى مقابلته في بعلبك وسأله رأيه في الحالة ، فأشار عليه بإعادة سلاح اللبنانيين اليهم وباعادة ما جبي منهم سابقاً باسم ضريبة « الاعانة »[2] .

في ما تقدم يظهر لنا الامير الكبير كأنه يعطف على شعبه ، ويودّ ان يخفف من آلامه ويحافظ عما تبقى له من كرامة . ولكنه يصطدم بارادة حليف قدير لا يحفظ عهداً ولا يرحم مخالفاً ، فيُبان في طرسوس ولا يُستمع الى نصائحه . وهو يريد ، قبل كل شيء ، ان يحافظ على علاقاته الطيبة بابراهيم باشا فيسكت عن هذا الاستبداد ، ويقاوم رعاياه في ثورتهم على الحكومة المصرية ، بل يبالغ في الاخلاص لهـذه السلطة فيأمر حفيديه بالتوجه الى صيدا للإتيان بالجنود المصريين الى بيت الدين[3] . وفي طلبه الاخير يقلّ وطنيةً عن محكوميه وقد

---

١) الخازن : ك. م. ص ٥

٢) الشدياق : اخبار الاعيان في جبل لبنان ، ص ٦٠٤

٣) الشدياق : ك. م. ، ٥٩٥

رأيناهم يعلنون ، في ساعة واحدة ، اخلاصهم لاميرهم وارادتهم في منع الجيوش المصرية من دخول بلادهم . وقد افرط في اخلاصه هذا — او بالاحرى في تظاهره بالاخلاص — فكتب الى القائد المصري عثمان باشا طالباً منه ان ينهض بفرقته الى المتن[1] . بل لنقرأ نشرة الامير بتاريخ ٣ ايلول سنة ١٨٤٠ :

« ان وصول الانكليز الى ثغر بيروت غايته خدعكم واخذكم بالحيلة لاضلالكم . وعليه فكل من قبل منهم كتابات ترمي الى التحريض على الثورة يجب عليه ان يسلمها لاولادي الامراء حتى اذا لم يفعل عوقب بالموت .

« وكل من يأخذ منهم سلاحاً او ذخيرة او مؤنة دون اذن من حكومتي ، فعقابه الموت . وكل من يضيف الجواسيس الذين يأتون للحض على شق عصا الطاعة او يصغى اليهم فعقابه الموت ايضاً . . . »[2]

ولكن خطأ الامير الاكبر كان في مساعدته لابراهيم باشا على القاء بذور الفتن بين الطوائف اللبنانية . ففرّق الحليفان بين النصارى والدروز عند نزع السلاح في سنة ١٨٣٥ ، وقاد الامير رعاياه النصارى في سنة ١٨٣٧ الى حوران لقمع ثورة الدروز . ثم عاد في سنة ١٨٤٠ ، في اثناء الثورة اللبنانية ، يدعو الدروز الى التخلي عن الثوار المسيحيين . ويعدهم ، لقاء عودتهم الى السكينة ، بتخفيض الضرائب واعفائهم من التجنيد والسخرة[3] . فتوفق قليلاً وكان توفيقه ويلاً على شعبه .

هكذا كان موقف الامير مضطرباً بين واجب الامانة نحو شعبه اليائس الثائر وبين ارادة ابراهيم باشا ، عندما تراجع المصريون عن لبنان على نحو ما رأينا . فاتصل به الاميرال ستوبفورد ، قائد الاسطول الانكليزي ، طالباً اليه الانضمام الى الحلفاء . وقيل ان الامير وقع عهداً يعترف فيه بسيادة الخليفة العثماني ، ولكنه كان لا يزال ، في الايام الاولى من تشرين الاول ، واثقاً بقوة محمد علي وبنجدة فرنسة ، فتردّد في قطع علاقاته بالمصريين وانتظر بضعة ايام رغم

١) الشدياق : ك . م . ، ٥٤٦
٢) الخازن ك م ص ٣٠
٣) Poujoulat, *op. cit.*, p. 561-595

وعد الانكليز بالاعتراف به اميراً مستقلاً وراثياً على لبنان . فأعطي مهلة ثمانية ايام انتهت في ٩ تشرين الاول دون ان يعطي جواباً على الانذار . فأعلن الفرمان السلطاني القاضي بعزله وبتولية الامير بشير الثالث مكانه . وكان بشير الكبير قد قطع الامل من حلفائه ، فاودع بعض مواده الثمينة في اديرة مختلفة ، وترك بيت الدين في ١٠ تشرين الاول ، يرافقه زوجته ، وابناؤه الثلاثة ، وحفيد له ، ومدبره ، وبعض الاعيان ، ومعه خزينته التي قدّر الشدياق انها تحوي « ثمانية عشر الف كيس من النقود الذهبية القديمة . »[1] وبات الامير الراحل ليلة في الاولي ، قرب صيدا ، ولمّا علم متسلم المدينة المذكورة بقدومه نصب له الخيام ، واستقبله بكل اكرام ، وادّى له الجند التحية الرسمية على عزف الموسيقى ، ثم توجهت به الباخرة الانكليزية الى بيروت حيث سُئل ان يختار مكاناً لمنفاه في اي بلد يشاء خارج مصر وفرنسة . فاختار مالطه وركب الباخرة ، بعد خمسة ايام ، برفقة زوجته ، واولاده ، واكثر احفاده ، ومدبره بطرس كرامه ونحو سبعين رجلاً من حاشيته . وسافر الى الجزيرة المختارة فاشتهر بلقب « المالطي » ، وتلك كانت ثالثة الاثافي . . .

وبعد ان مكث احد عشر شهراً في مالطة طلب ان ينتقل الى الاستانة فأذن له . فقدم العاصمة الكبرى وعاش فيها الى ان توفي في ٣٠ كانون الاول سنة ١٨٥٠ ودُفن في كنيسة الارمن الكاثوليك .

❁

ان الكثيرين قد استغربوا تردّد الامير الكبير في الدفاع عن كيان شعبه ، بعد إخلال ابراهيم باشا بعهوده ، وخصوصاً تردده في قبول الانضمام الى الحلفاء بعد ان وعدوه بالامارة الوراثية على لبنان مستقل .

والاستغراب في محله . لكن يجب ان لا ننسى ان الثورة اللبنانية وقعت في العام ١٨٤٠ ، اذ كان قد اصبح عمر الامير اثنتين وسبعين سنة ، وكان يحكم بلاده منذ اثنتين وخمسين سنة . فكان قد تعب ، لا سيما وفي ايام

---

١) الشدياق : ك . م . ص ٦١٠

حكمه كثرت المشاكل والهموم . بقي في البدء اكثر من خمسة عشر عاماً في حروب اهلية دائمة مع انسبائه مزاحميه على الامارة ، فيفرّ تارة من لبنان ، وطوراً يقع اسيراً في ايدي الجزار . فأصبح الحذر مبدأه ، وما سياسته في العهد المصري الا سياسة حذر دائم ، وقد رأيناه في آخر دقيقة ، عندما اراد مغادرة بيت الدين ليسلّم نفسه في صيدا ، «يظهر لبحري بك انه متوجه الى الشوف لجمع الرجال»[1]. هي صفحة مؤسفة من تاريخ الامير الكبير .

ومن الحق ان نعترف لبشير بانه في السنين الاخيرة لم يعد المسؤول الوحيد عن حكمه . فقد كان ، كما قلنا ، تعب من الاشغال ، فسلّم الامر لابنه الامير امين[2]. وكان هذا الاخير تلميذاً للشاعر بطرس كرامه وصديقاً حميماً له . امّا بطرس كرامه فكان غريباً عن لبنان ، ونسيباً لآل البحري معاوني ابراهيم باشا . وصادف تعيينه مديراً للامور (١٨٢٨) المدة التي كان الامير يمهّد فيها السبيل للفتح المصري ، فكان عيناً للحكومة المصرية على البلاط اللبناني . ومن يقلب صفحات المصادر التاريخية لذاك العهد يجد الامير امين المذكور ، متولي الامر من قبل ابيه ، وصديق بطرس كرامه ، اكثر الامراء تقرباً الى السلطات المصرية . فكثيراً ما نقرأ في « اخبار الاعيان » للشدياق ان ابراهيم باشا « كتب الى الامير ان يرسل له ولده الامير اميناً فأرسله » ، او « فسار الامير امين . فاستقبله الوزير احسن استقبال »[3] فلا غرو اذا عرف الثوار بتأثير الشاعر بطرس كرامه على ولاة الامر الوطنيين تأثيراً مضراً بمصلحة البلاد فطالبوا بإبعاده عن بيت الدين . وكانت آخر نصائح المدبر الحمصي اشارته على الامير بعدم التسليم للإنذار الانكليزي ، فضاعت فرصة ثمينة لجعل الحكم وراثياً في لبنان ، وبالتالي مستقلاً عن كل نفوذ خارجي .

❁

١) الشدياق : ك . م . ص ٦١٠
٢) الشدياق : ك . م . ص ٥٦٢
٣) الشدياق : ك . م . ص ٥٧٥ ، ٥٧٨ ، ٥٨٢ ، ٥٨٣

النتائج ان طول العهد الذي حكم فيه الامير بشير جعل منه سلطة ادبية لا تُنازَع . لنطالع كل ما قيل وكتب في اضطرابات لبنان على اثر احتلال المصريين لأراضيه ، فلا نعثر على جدال في حق الامير بالولاية . وقد رأينا الثوار يميزون بين الحكومة الاجنبية التي قاموا يحاربونها وحليفها الامير بشير فيكرمون هذا الاخير ويضعون شخصه خارج النزاع.

فلمّا انهارت هذه الشخصية سقط معها صرح الوحدة اللبنانية . وكانت الدعايات الاجنبية على اختلافها ، في السنين الاخيرة من ولاية بشير الكبير ، لم تغفل عن طريقة في هدم هذه الوحدة. وبينما كان اللبنانيون في حروبهم الاهلية الماضية ينقسمون الى حزبين ، جنبلاطي ويزبكي ، فيؤيد كل من الفريقين ترشيح امير شهابي لتسلّم الاحكام ، ولا يعرفون للطائفية معنى، حتى ان امير لبنان كان يدعى في الفرمانات الرسمية « امير الدروز » ، وغالباً ما كان مسلماً سنياً او نصرانياً دون ان يهتم بالامر احد من رعاياه — بينما كان اللبنانيون في الماضي لا يثورون على الحاكم الا وقد رشحوا للجلوس مكانه اميراً شهابياً ثانياً ، اذا بهم،بعد سقوط بشير الكبير،ينقسمون طوائف ويجادلون في نظامهم التاريخي.

فيطلب النصارى ان يكون حاكم لبنان اميراً مسيحياً ، ويعلن الدروز انهم غير راضين عن تعيين الامير بشير الثالث حاكماً لأنه مسيحي[1] .فلم يطل اجل ولاية الامير بشير الثالث ، وكثرت المناوشات الدامية بين ابناء الوطن الواحد ، فأعيد النظر في وحدة الاراضي اللبنانية ، تلك الوحدة التي ثابر امراؤنا على تأليفها والمحافظة عليها مدة قرون ، فقُسم لبنان الى قائمقاميتين ، درزية ونصرانية ، فمهّدت وقوعَ حوادث ١٨٦٠ .

وتداعى في الوقت نفسه نظام لبنان الاقطاعي ، وكان الامير بشير الكبير قد ضربه الضربة الاولى بإبعاده اكثر ابناء الاسر الاقطاعية عن حكم اراضيها. فلمّا ارتحل الامير عن البلاد، ظنّ هؤلاء انهم يعودون الى سالف مجدهم، ونسوا ان الشعب ، وقد شاهد سقوط اعظم سلطة عرفها منذ قرون ، لن يدعهم يحكمونه كما في السابق. فكانت حوادث سنة ١٨٥٨ .

١) المنازن : ك. م. ص ٥٠

وفي وسط تلك الانهيارات الهائلة التي شهدها هـذا الوطن الصغير على اثر نفي الامير ، بقيت سلطة واحدة لم يكن لها شأن سياسي يُذكر في عهد الامارة ، فكثر الدوران حولها في ايام الثورة على ابراهيم باشا ، وكان لها قسط في قلب النظام الاقطاعي ، حتى اذا خلت البلاد من سلطاتها التقليدية ، الامراء واصحاب الاقطاع ، برزت الى الوجود تعمل في سبيل لبنان وتحافظ على ما كان في الامكان المحافظة عليه ، هي البطريركية المارونية .

انطوى ، بنفي الامير ، فصل من تاريخنا بدأه فخر الدين في سبيل توحيد لبنان ، وواصل خلفاء فخر الدين عمله حتى كانت فوضى ١٨٤٠ ، فظنّ الكثيرون انه قُضي على هـذا الوطن الصغير . ولكن العالم شهد بأنه لا بـد من الوحدة اللبنانية لتوطيد الامن واسباب المدنيـة في الشرق الادنى ، فتدخّلت الدول العظمى ، في سنة ١٨٦١ ، لتضمن لنا الراحة والطمأنينـة ، ووضعت النظام الذي عاش حتى سنة ١٩١٥ . فقام ابناء لبنان ، في ظل ذلك النظام — وبالرغم من الهزات العنيفة الدامية التي مرت عليهم على اثر المغامرة المصرية وما وليها من بتر وطنهم — بمشاريع عمرانية واعمال ثقافية خلدت لهم ذكرًا في انبعاث الشرق .

ومن الحوادث التي رأيناها نحفظ امرين ، اولهما ان بشيرًا اوشك ان يضيع ببضع سنوات ما كان قد بناه هو وآباؤه مدّة قرون ، لأن الجرأة نقصته في علاقاته بالحليف المصري ولأنه استسلم لآراء مدير غريب عن البلاد وشعورها .

اما الامر الثاني فهو ما جاء في كتاب رفعه ممثل روسيـة في بيروت الى حكومته في ١١ حزيران ١٨٤٠ : «وكما ان انضمام اللبنانيين الى جيش ابراهيم باشا ، في سنة ١٨٣٢ ، قد جرّ معه خضوع كل سورية ، فلا يبعد ان ثورتهم اليوم ستؤول الى طرد المصريين نهائيًا من هذه البلاد .»[1] وتعاقبت الايام محققة ظنّ الكاتب في تأثير هذه الامة الصغيرة في احداث الشرق الادنى .

---

١) الخازن : ك . م . ص ٦

المستشرقون الراحلون : ٢

الاستشراق في بلاد الانكليز

قبل مرغوليوث

لقد ضربت انكلترة في علوم الاستشراق بسهم وافر . وهي ، وان لم تكن السابقة الى هذه الدروس في اوربة ، الّا انها سريعاً ما نهضت الى مجاراة الدول الغربية في علوم الشرق. فاخرجت كبار المستشرقين العالميّين منذ القرن السابع عشر ، وما اسماء ادمون كاستيل (E. Castell) وادوارد پوكوك (Pococke) الّا الشاهد المقنع على مساهمة الانكليز في هذه العلوم الجليلة .

عُرف كاستيل (١٦٠٦–١٦٨٥) ، اول اساتذة العربية بجامعة كمبردج ، بمعجمه المشهور الذي لم يقتصره على اللغة العربية ، بل توسّع فيه حتى جعله شاملاً للغات الساميّة ، ونشره سنة ١٦٦٩ ، بعد ان اشتغل في اعداده ثماني عشرة سنة . فاتى عمله الأوّل من نوعه ، وظلّ مدة طويلة مرجع الابحاث اللغوية الساميّة .

اما پوكوك (١٦٠٤–١٦٩١) استاذ العربية في جامعة اكسفرد ، فقد فاقت شهرته شهرة زميله الكمبردجي . درس العربية في بلاده فلم يكتفِ بذلك ، بل شاء مزيد تضلّع وتعمّق فقصد الشرق سنة ١٦٣٠ ، واقام في حلب خمس سنوات استفاد في اثنائها معارف واسعة ، ومخطوطات عديدة . وكأنّه أصيب بالاستشراق البلدي مع الاستشراق العلمي ، فما كاد يصل الى اكسفرد ويرتقي المنبر الجديد لتعليم العربية ، حتى رأيناه يزمّ رحاله سنة ١٦٣٧ فيعود الى حلب ،

مستزيداً من المعلومات ومن المخطوطات كذلك ، قاضياً اربع سنوات في الدرس والتنقيب . حتى اذا كانت السنة ١٦٤١ رجع الى انكلترة حاملاً ، في جملة ما حمل، شجرة تين نصبها في حديقة اكسفرد فكانت ، ولا تزال ، اول شجرة من نوعها في بلاد الانكليز .[1]

اما الآداب العربية فمدينة ليوكوك باول طبعة لكتاب «مختصر الدول» لابي الفرج بن العبري ، ومجموعة من ٤٢٠ مخطوطة ، لا تزال في مكتبة اكسفرد هدفاً لابحاث العلماء ، وبمستشرق آخر هو كبير اولاده ادوارد پوكوك (١٦٤٨—١٧٢٧) . تسمّى باسم ابيه ، واقتفى أثره في اختصاصه .

❁

ويرى القرن الثامن عشر تقدّم الدروس الاستشراقية في انكلترة . فنشهد سيمون اوكلي (Ockley) (١٦٧٨- ١٧٢٠) ، تلميذ پوكوك ، يدرّس العربية في جامعة كمبردج ، ويترك ترجمة انكليزية لحيّ بن يقظان . وتنتقل مع جورج سيل (Sale) (١٦٩٧—١٧٣٦) في درس العقائد الاسلامية ، فنطّلع على اول ترجمة اوربية كاملة للقرآن سنة ١٧٣٤ . وننتقل مع السر وليم جونس (Jones) (١٧٤٦—١٧٩٤) الى بلاد الهند، مؤلفاً في كلكوتا جمعية اسيوية، بادئاً عهد الدروس السنسكريتية ، بعد ان نشر ترجمة انكليزية حسنة للمعلقات السبع . ونهم على على اثر بوركهارت (Burckhardt) (١٧٨٤—١٨١٧) السويسري الأصل من حلب ، الى مصر ، فالى الجزيرة العربية ، فالى مصر وشمالي السودان، تاركاً مؤلفاً نفيساً في « البدو والوهابيين » و« رحلة نوبية » لا تقل نفاسة .

❁

اما القرن التاسع عشر فاهم من يمثل فيه الاستشراق الانكليزي لين (E. W. Lane) (١٨٠١—١٨٧٦) . مال منذ حداثته الى الشرق والاستشراق ، فركب البحر الى الاسكندرية سنة ١٨٢٥ ، فوصلها بعد شهرين ، واقام في

---

١) برنارد لويس في « المستمع العربي » ، لندن ، العدد ١١ (ايلول ١٩٦٠) ص ١٠ . وقد لخصنا عنه بعض المعلومات .

القاهرة ثلاث سنوات . ثم عاد اليها في رحلة ثانية فاقام فيها سنتين (١٨٣٣–١٨٣٥). وقد استفاد في الرحلتين معلومات جمة واختبارات كثيرة سهّلت له تأليف كتابه المشهور في « اخلاق المصريين المعاصرين وعاداتهم » . ولعلّ أشهر ما ترك لين معجمه العظيم العربي - الانكليزي الذي انفق في سبيله ربع قرن ولم يتوفق الى اتمامه .

ونشأ الى جنب لين عدد من مستشرقي الانكليز ، اشهرهم في حقل الدراسات العربية بلنت (W. S. Blunt) (١٨٤٠–١٩٢٢) الذي مال الى الاضطلاع بالحركات السياسية الناشئة في الشرق الادنى ، فاتصل بجمال الدين الافغاني وعرابي باشا ، وقضى آخر حياته في القاهرة لا يلبس الّا اللباس المصري ، ولا يتكلم الّا العربية. ثم شارل دوتي (Doughty) (١٨٤٣–١٩٢٦) الرحالة المشهور الذي لا يزال كتابه عن رحلته الى بلاد العرب من اهم المصادر . وتوماس ارنولد (Arnold) استاذ الدراسات العربية في مدرسة اللغات الشرقية بلندن ، والمتوفى سنة ١٩٣٠ . وغي لوسترانج (Le Strange) صاحب « بغداد ايام العباسيين » و« بلاد الخلافة التركية » المتوفى سنة ١٩٣٤ ، بعد ان كُفّ بصره منذ السنة ١٩١٢ . وفي السنة نفسها توفي بيفن (A. A. Bevan) ، ناشر « نقائض جرير والفرزدق » . ويجب ان نذكر لايل (Lyall) ناشر المفضليات ، ولين-پول (Lane-Poole) من كبار المؤلفين في التاريخ الاسلامي . وآخر من فارق هذا العالم منهم دواود صموئيل مرغوليوث .

داود صموئيل مرغوليوث

١٨٥٨-١٩٤٠

لا مغالاة في القول ان مرغوليوث كان في اثناء الـ ٣٥ سنة الماضية ، إمام المستشرقين لدى العام والخاص في بلاد الانكليز. فانه بفضل منشوراته العلمية، وعلومه الواسعة ، وشخصيته البارزة ، والمركز الذي شغله في الجمعية الاسيوية الانكليزية (R. A. S.) ، كان يُعدّ في عالم الاستشراق باجمعه ، ممثل الدروس الشرقية في بريطانية العظمى. فضلاً عن ان مدة تدريسه تلك العلوم في جامعة اكسفرد الشهيرة قد طيّرت صيته في جميع الاوساط حتى الى اقاصي البلاد الاسلامية الشرقية ، وأدخلت اسمه في عالم الاسطورة.

ولد مرغوليوث سنة ١٨٥٨ . ونشأ في جامعة اكسفرد . فدرس فيها كغيره الآداب المدرسية القديمة. ولم يظهر براعته في اللغة العربية حتى نشر الترجمة العربية لكتاب اريسطو في الشعر سنة ١٨٧٨ . وكان ان هذا البحث لفت انظار المستشرقين فعيّن مرغوليوث استاذًا في الجامعة نفسها لتدريس اللغة العربية . وقام

حينئذٍ، فنشر نخبة من الابحاث العلمية اهمها ما نشره سنة ١٨٩٣ من مخطوطات البردي الموجودة في مكتبة اكسفرد الشهيرة (Bodleian Library) .

واهتم بعد ذلك بان نقل الى الانكليزية قسماً من تفسير القرآن للبيضاوي، ورسائل ابي العلاء سنة ١٨٩٨، فبرهن على تضلّعه من اللغة العربية، وعلى براعة غير عادية في حلّ بعض الغازها العويصة .

وفي ١٨٩٦ تزوج مرغوليوث جسي پاين سميث Jessie Payne Smith بنت العالم الشهير باللغة السريانية، فعاونها سنين طوالاً على نشر كتاب والدها «الكنز السرياني» (*Thesaurus Syriacus*) . ومع هذا العمل فانه لم يكفّ عن متابعة ابحاثه الشخصية، فنشر منها عدداً من الدروس الانتقادية، في ما جاء في التوراة .

وفي ١٩٠٥ ظهر كتابه المعروف *Mohammed and the rise of Islam* اي «محمد وضحى الاسلام» نُشر في مجموعة *Heroes of the Nations* اي «كبار الرجال وابطال الامم» فلفت اليه انظار العالم واشتهر به المؤلف اختصاصياً في الشؤون الاسلامية. وتلاه بعد ذلك سنة ١٩١١ كتابه الآخر *Mohammedanism* اي «الدين المحمدي» ثم سلسلة من المحاضرات القيّمة في موضوع اتساع الدين المحمدي عند ظهوره (*Early developpment of Mohammedanism*) نشرت سنة ١٩١٤ مع عدد غير يسير من المقالات المختلفة في كثير من المجلات ودوائر المعارف (*Encyclopedies*) وقد نالت هذه الكتب الثلاثة استحساناً كبيراً لدى الجمهور وحازت نجاحاً باهراً، فكانت المثال الأعلى في بلاد الانكليز لما يصحّ قوله في هذه المواضيع. اما المستشرقون فلم يخلُ رأيهم من بعض الانتقاد. وهم، وإن كانوا يُجمعي الرأي على الاعتراف باقتدار المؤلف وعلمه المتين وسعة اطلاعه الغريبة في الشؤون الاسلامية، لا سيما في كتابه الثالث الذي جاء فيه بايضاحات وحلول جديدة لمسائل كانت غامضة من قبله، الّا انهم لم يرتاحوا لما كان يظهر في لهجته من الاستهزاء وقلة الاعتبار، مما اثار ايضاً غضب القراء المسلمين في الغرب والشرق. وهذا الروح كان يدعو الى التحفظ امام الآراء التي كان يُبديها، كلما كان الحكم منوطاً بشعور المؤلف وبنظريته الخاصة .

وجاء كتابه الاخير في السنة ١٩٢٤ عن العلاقات بين العرب وبني اسرائيل (*Relations between Arabs and Israelites*) فعرّضه للنقد نفسه مع ما جمع فيه من المعلومات الواسعة والوثائق المتينة من رقم حجرية وتقاليد أدبية قديمة.

ورغم ان المنتقدين كانوا اقل منه علماً ومكاناً، لم يلبث ان أثر انتقادهم في وضعيته، فعدّل موقفه نوعاً ما بالتدريج. وكان هذا العدول بيناً في رجوعه عما كتبه في مقال نشره سنة ١٩٢٥ في مجلة الجمعية الاسيوية *J. R. A. S.* جاء فيه ان لا صحّة على الاطلاق للشعر الجاهلي[1]. وقد كان التعجب عاماً من هذا الرأي، وان لم يعبّر المستشرق عنه دائماً. واما نظريته في هذا الشأن فلم تكن راكزة على البراهين التي تقدمتها في المقال، ولكن على رأي خاصّ في النظم كان قد عرضه في كثير من مقالاته الاخرى. ومع انه لم يقرّ قطّ بأصلية الشعر الجاهلي ايّاً كان، فانه لم يبق على رأيه هذا بصورة جازمة، كما يتبيّن لنا ذلك من ملاحظة ابداها في مقال له في المجلة نفسها سنة ١٩٢٧ يلطّف فيها موقفه السابق.

شعر مرغوليوث بمواهبه الخاصة للاستشراق، وبنوع الابحاث التي توافقه، اثناء جهوده في تعريب بعض النصوص العربية وضبطها بالنشر. من ذلك ان ذاكرته كانت عجيبة تحضر له، دون عناء، المعلومات الواسعة التي جناها في مطالعاته السابقة. فكانت له بذلك معاوناً لأبحاثه ومنشوراته نادر المثال. واشتهر خاصة في هذا الحقل بنشره كتاب « معجم الادباء » لياقوت. استغرق منه عشرين سنة، من ١٩٠٧ الى ١٩٢٧. ولكن نشره لكتاب الرسائل لابي العلاء، وكتاب « نشوار المحاضرة » للتنوخي سنة ١٩٢١ كان ادلّ لدى المستشرقين على علمه ومقدرته. اما براعته في التعريب فكانت عظيمة تجمع بين دقة المعاني وسلاسة

١) من هذا المقال استقى الدكتور طه حسين نظريته المعروفة في كتابه « في الشعر الجاهلي ». والحقّ يقال ان النظريّتين كليهما، المستشرق الانكليزي وتلميذه المصري، مدينان في ما في بحثيهما من نظرات معقولة لابن سلّام. راجع فؤاد افرام البستاني: الروائع ٢ (الطبعة الجديدة) ص ١٧-١٩

التعبير . تجلى ذلك خصوصاً في تعريبه « كتاب الاخبار » لمسكويه سنة ١٩٢٠ و« نشوار المحاضرة » للتنوخي ، و« تلبيس ابليس » لابن الجوزي المنشور حديثاً في مجلة الثقافة الاسلامية (*Islamic culture*) .

اما خدماته لمجلة الجمعية الاسيوية الانكليزية *J. R. A. S.* فلا حاجة الى ذكرها . فالوسام الذهبي الذي اهدي له سنة ١٩٣٨ جاء اوضح دليل على ذلك . كان اولاً تكريماً لمهارته الجبارة في ابحاثه العلمية ثم شكراً لاتعابه المصروفة في خدمة الجمعية مدة ٢٠ سنة عضواً في مجلسها ثم نائب رئيس ، ورئيساً . وكان مرغوليوث عضواً في الاكاديمية الانكليزية ، ودكتوراً في الآداب من جامعة درهام ، وعضواً في جمعية المستشرقين الالمانية . وقد زار مراراً الشرق الادنى فاستقبله هناك كبار المسلمين بالحفاوة الشرقية المعهودة ، رغم اختلاف مذهبه عن مذاهبهم . وعندما أسس المجمع العلمي العربي في دمشق سنة ١٩٢٠ ، كان مرغوليوث من اول اعضائه الاجانب . وقد دعته جامعة كلكتا في الهند سنة ١٩٢٩ الى القاء محاضرة هناك .

كان مرغوليوث لا يضنّ بعمله وبوقته على احد . وكان كثير التشجيع لتلاميذه حتى كان يؤمّل منهم اكثر من المنتظر . وقد حقق البعض آماله بنجاحهم . وكان يبدو لمن لا يعرفه كاظم الوجه صارم الهيئة ، ولكن هذه الظواهر كانت تزول عند التقدم في معرفته ، فيجد فيه الجميع صديقاً ودوداً ورجلاً لطيفاً انيساً .

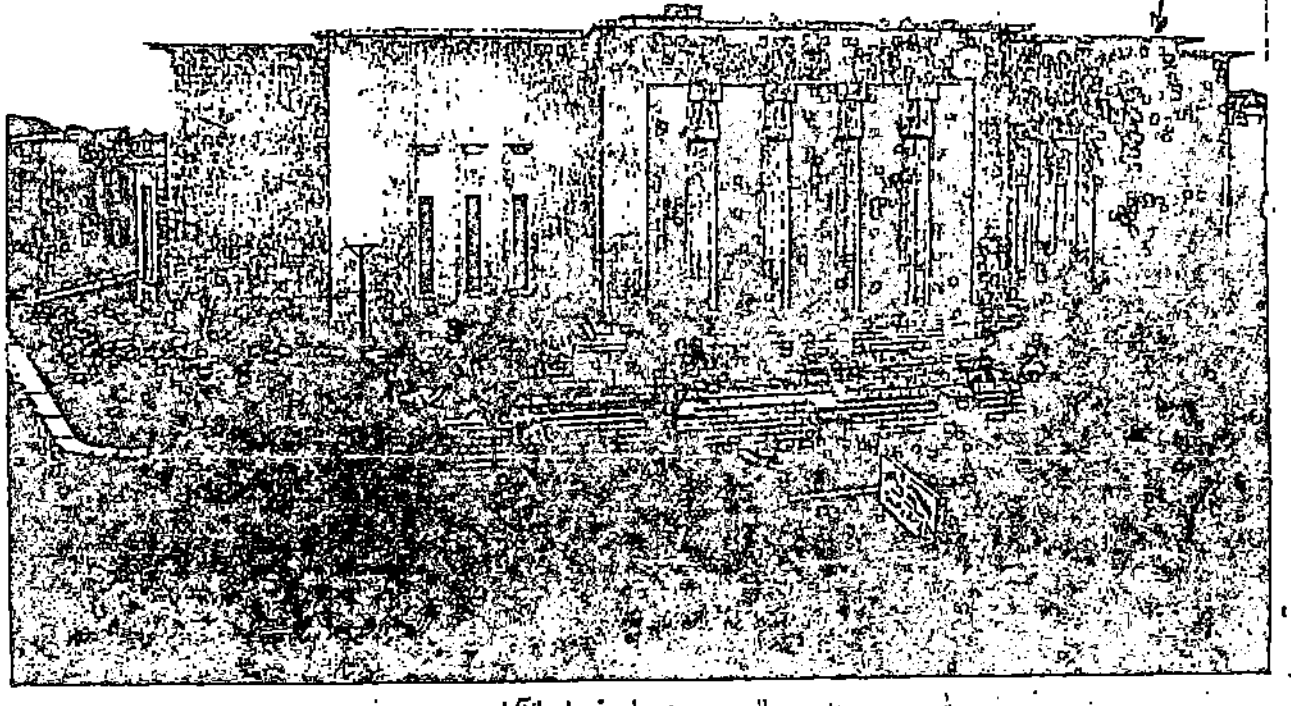

الرسم ١ : واجهة دار الآثار

دار الآثار اللبنانية

في بيروت

بقلم امينها الامير موريس شهاب

١

في السنة ١٩١٩ ، اخذ الكومندان ريمون ڤيل (Weill) ، احد ضباط الفرقة الفرنسوية في لبنان، يجمع بعض الآثار القديمة المكتشفة في هذه البلاد. فكان منها نواة دار الآثار اللبنانية

وُضعت هذه الآثار في غرفة من بناية الديأكونيس الألمانيات الواقعة في شارع جورج بيكو ، رقم ٧٣ . ولم تلبث ان زادت عدداً وخطورة بما كشفت عنه حفريات الدكتور كونتنو (Dr Contenau) في صيدا ، وبما قام به من هبات بعضُ اصحاب المجموعات الخاصة. حتى اذا أنشئت مصلحة الآثار القديمة في المفوضية العليا ، ارتفعت مجموعتنا هذه الى مقام « متحف » مستعدّ لإيواء جميع الآثار القديمة المكتشفة في البلاد اللبنانية.[1]

وكان يقوم بامانة هـذا المتحف ، حتى السنة ١٩٢٨ ، السيد ڤيرولو (Virolleaud) والڤيكونت فيليب دي طرازي ، امين دار الكتب اللبنانية ، اذ ذاك. ومنذ السنة ١٩٢٨ ، كُلّف كاتب هذه السطور أمانة المتحف. ولم تمض سنوات حتى فكّرت الحكومة اللبنانية ، بناء على اقتراح لجنة المتحف المذكور ، بانشاء بناية خاصة ، هي التي نصفها ونصف ما فيها في هذه المجالة :

تقوم بنايتنا الجديدة جنوبي - شرقي المدينة ، على طريق الشام ، قريباً من غابة الصنوبر ، وفقاً لتصميم وضعه المهندس اللبناني انطوان نخّاس.

---

١) في مناطق الانتداب الفرنسوي خمسة متاحف. منها متحفنا الوحيد في لبنان. واربعة متاحف في سورية : متحف دمشق المحتوي على الآثار المتأخرة عن عهد الاسكندر ؛ ومتحف حلب الجامع تلك الآثار السابقة عهد الاسكندر . ومتحف اللاذقية المعدّ لجمع آثار بلاد العلويين ؛ ومتحف السويدا الذي يحفظ الآثار اليونانية - الرومانية المكتشفة في جبل الدروز.

الرسم ٢ : قسم أفقي لمعبد الكرنك

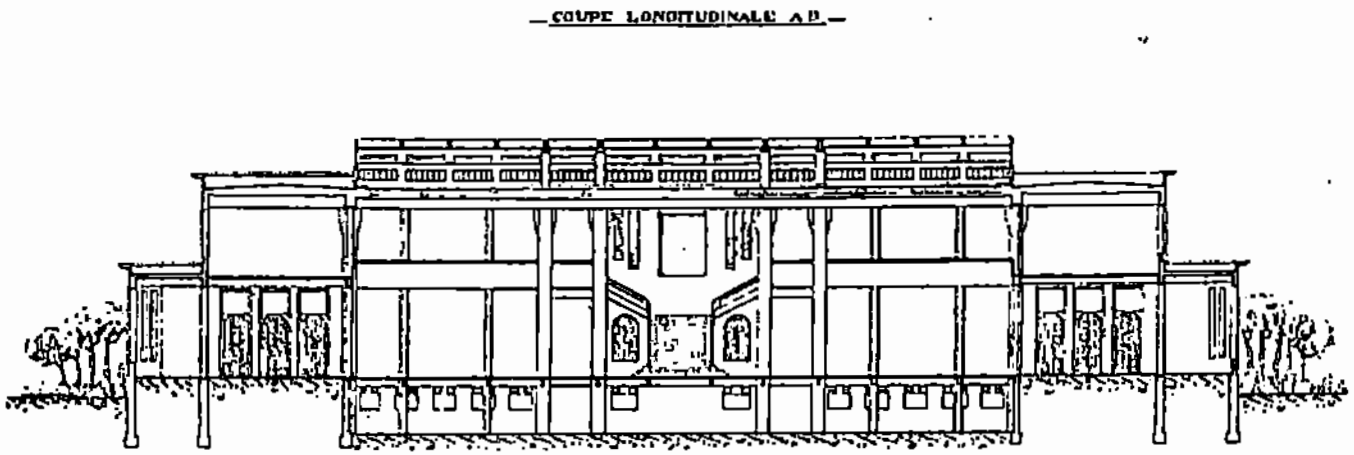

الرسم ٣ : تصميم عمودي لدار الآثار

يرتقي الزائر الى مدخلها بسُلّم عريض الدرج ، يوصل من ثلاث جهات ، الى رواق ذي اربعة اعمدة من الطراز الفنيقي المتمصّر ترتفع بين رُكنين . وينبسط وراء ذلك صحنٌ فسيح تكتنفه قاعتان بديعتان ، وتنفتح في مؤخرته غرف المجاميع . ويشتمل البناء بكامله على طبقة سفلى تحت الأرض ، وعلى طبقة أرضية ، يعلوها رواق عريض دائر حولها ، يستند الى اركان مربّعة . (الرسوم ١ و٢ و٣)

اما الطبقة السفلى فقد هُيّئت على شكل قاعة فسيحة لايواء جميع الآثار المدفنية من نواويس ، وقبور ، وشواهد ، واعمدة . وليس فيها الّا نور ضئيل يتسرّب من نوافذ ضيّقة تُتمّه الانوار الكهربائية الموافقة .

واما الطبقة الأرضية ففي صحنها الفسيح جميع الآثار غير المدفنية الراقية الى العصر اليوناني - الروماني ، وغيرها مما يتقدم عهد الاسكندر . ويغمر هذا الصحن نورٌ كافٍ ينحدر من السقف الزجاجي الصفيق . اما الغرف المتحرفة فتنيرها نوافذ طويلة ضيّقة .

ويُصعد الى الرواق الاعلى بسلّم مزدوج في مؤخرة الصحن . وهذا الرواق يحتوي على سائر الآثار ، مرتّبة وفقاً للتاريخ ، مما سنفصّله في ما يلي .

ويلحق بهذه البناية المركزية جناح خاصّ يتصل بغرف المجموعات ، وتقوم فيه ادارة المتحف ، ودوائره ، ومكتبته .

❁

كان الفنيقيون اول الملّاحين في العصور القديمة . سارعوا الى غزو الجزر من ساحلنا اللبناني . فكان كل خليج ملجأً لسفنهم ، وكان كل رأس وكل جزيرة محطّة لرحلاتهم ، او منزلاً تنشأ فيه مدنهم . ويشمل لبنان الحالي ثلاثاً من ممالكهم القديمة : جبيل ، صيدون ، صور ، كما يشمل سهل البقاع الفسيح ، الخصب ، المحدود بين سلسلتي لبنان . ولا يخفى ما في هذه المناطق من آثار تدلّ على غنى تلك المدنية السامية ، آثار كان من نصيب متحف بيروت ان يجمعها مرتّبةً ناطقة بفضل اربابها ، كما سيكون من حظّه ان يحفظ ما سيُكتشف في المستقبل .

ظلّت فنيقية ، مدة ألف سنة ، من السنة ٥٠٠ ق.م. الى السنة ٥٠٠ ب.م. تقريباً ، في عهد ازدهار عجيب . فتسابق فنّانوها وصُنّاعها في شتى

مظاهر العمل والانشاء ، مزيّنين أرضها بالهياكل ، والحمامات ، والقصور ، والصروح العامّة والخاصة ، والمدافن الفخمة الفسيحة . وعلى الرغم مما اصيبت به بلادنا من بلايا الاكتساحات ، ومصائب التهديم والتخريب ، لا تزال الاطلال العديدة تنبت في سهولنا وجبالنا ، وقد افادتنا محتوياتها القسم المهمّ من المجموعات المحفوظة في متحفنا .

وكان من فضل العلماء المنقّبين ، في جهودهم المتتابعة المتناسقة ، ومن فضل تضحيات حكومتنا ، ما رتّب هذه البقايا ؛ فظهرت العصور الاولى من التاريخ الفنيقي الى نور العصر الحاضر ؛ مستندةً الى مكتشفات جبيل العديدة النفيسة ، كما ستستند ، عن قريب ، ان شاء الله ، الى مكتشفات صيدا التي لم تبدأ الحفريّات فيها حتى ظهرت غنيّة بالممكنات .

وقد رأينا ان نقسم محتويات المتحف اقساماً ثلاثة توافق وضعية البناء نفسه . فرتبناها كما يلي :

١ ــ في الطبقة الأرضية : مجموعة من النقوش البارزة والمنحوتات .

٢ ــ في الطبقة السفلى : كل ما تعلّق بالفنون المدفنية .

٣ ــ في الطبقة العليا : كل ما يمكن ان يعرض في خزائن البلّور من الآثار الصغيرة الحجم .

الطبقة الارضية

لقد اجتهدنا في ان نرتب الآثار وفقاً لتاريخ صنعها . ولا يخفى ان اقدم النقوش البارزة متأثرة بالفنّ المصري ، فتحتاج الى كثير من النور لتظهر نتوءاتها الدقيقة . ولهذا رأينا ان نخصّ بها الجهة الجنوبية ، وهي اوفر الجهات تعرّضاً للنور . فعلى الزائر اذن ان يبدأ الزيارة آخذاً بالجهة اليسرى .

رواق الابجدية

من اروع روائع الفكر البشري اكتشاف الابجدية . ذاك ان الجهل بالكتابة اوقف ، مدة القرون الطويلة ، انتشار الفكرة ، وبالتالي تقدّم المدنية . ولم تكن الكتابة ، على الالوف من السنين ، الّا تصويرًا للاشياء المقصودة بالتعبير .

وغنيٌّ عن البيان ان هذا الاسلوب التصويري ، على ما فيه من صعوبة ، لا يفي بالمرام ، ولا يفيد الّا في تمثيل الاشياء الحسيّة . واذًا فقد ظلّت الفكرة المجرّدة عن الحسّ ، فكرة المعقولات ، حائرة ، عاجزة عن الانتقال من دماغ المفكر الى مفهوم ابناء جنسه . وعبثاً حاولت الشعوب القديمة حلّ هذا المشكل ، فلم تأتِ الّا بأساليب تقريبية ، متعدّدة الأشكال ، صعبة الحفظ والاستعمال . فظلّت معرفة الكتابة من الاسرار التي لا يضطلع بها الّا افراد قلائل في المجتمع ، يرفعهم علمهم هذا الى اعلى المراتب في الدولة .

الى ان خطر على بال الفنيقيين ان يستبدلوا بهذه الاساليب الهيروغليفية والمسمارية اسلوباً سهل المأخذ ، قليل الأشكال ، يفيدهم في رحلاتهم البعيدة ، وتجاراتهم المتشعّبة . فاطّرحوا مئات الصور والاشكال ، التي كانت قد ارتقت منذ اول وضعها ، دون ان تخرج عن كونها مَعْطَيَة عاجزة عن تتبع الفكرة في ملاويها المجرّدة ؛ واستبدلوا بها جميعاً ستة وعشرين حرفاً كانت على الغاية من السهولة والمرونة والشمول حتى اننا بعد اربعين قرناً ، لا نزال اضفنا عليها شيئاً جوهرياً ، بل لا نزال قمنا فيها الّا بتحويرات بسيطة وفقاً للهجات الشعوب المتباينة .

وهكذا نقل الفنيقيون الكتابة من التصاوير الى الحروف . وانطلقت الابجدية في مجاري السفن ، وعلى خطوات القوافل ، منتشرةً في انحاء العالم القديم جميعها ، مقوّضة الحواجز بين المفكرين والعلماء في مختلف الأمم ، منتصرةً على الزمن في تدوين آثارهم العقلية ، ناشرةً اياها على مرّ الأحقاب وشتى البلدان .

جمعنا في هذا الرواق ، رواق الابجدية ، اهم الآثار المتعلّقة بتطوّرها منذ اقدم عصورها :

من اهمّ هذه الآثار كتابات ورقم بارزة في الحجر او على صحائف البرونز ، يراها الزائر في اول الرواق ، وليست بعد من الكتابات الابجدية . ولعلّها تمثّل التمهيد المقطعي للكتابة الفنيقية . وهي ككلّ الكتابات السامية ، مخطوطة من اليمين الى الشمال ، على جهة طيران العصفور الذي يبدأ واحدةً منها ، بخلاف الطريقة المتخذة في تصاوير الخطّ الهيروغليفي المصري . على ان في هذه الرقم قليلًا

من الصور الهيروغليفية المشكوك في اصلها ، تظهر مكتنفة باشارات هندسية على شكل جديد نرى فيها بعض علامات ستظهر ، فيما بعد ، في الابجدية الفنيقية. وعدا هذه الملاحظات التي لا تؤدي الّا الى الحدس والفرض ، فاننا لا نزال نجهل كل شيء عن هذه الرقم التي لم تظهر بعد الّا في حفريات جبيل.

يلي ذلك رقيم ابجدي يرقى الى القرن الثاني عشر قبل المسيح . فهو يعاصر تقريباً رقيم أخيرام ، المعروض على ناووسه في الطبقة السفلى ، والمكوّن اقدم مثال للابجدية الفنيقية الاصلية . وقد ترجم الاستاذ دونان (Dunand) هذا الرقيم بما يلي :

هيكل بناه بعلك ، ملك جبيل .
ها انه رمّم جميع خرائب هذه الهياكل .
فليمدّ بعل شمين وبعل جبيل وجميع آلهة جبيل
القديسين ايام بعلك وسنيه على جبيل ، لأنه ملك
عادل ، ملك مستقيم ، تجاه آلهة جبيل القديسين.

وهناك قالب عن شاهد ميشاع ، ملك بلاد موآب (شرقي الاردن) الراقي الى القرن التاسع ق.م. يلخّص الشاهد غزوة اخاب ، ملك اسرائيل ، لتلك البلاد ، والتضحية بابن ميشاع لالهه كاموش. ثم يسدّ الثلمة الموجودة في نصّ الكتاب المقدّس عن هذه الغزوة ، بما يفيده من تفصيل في انكسار أخاب .

والى ذلك قوالب عن شواهد آرامية قد ترتقي الى القرن الثامن (؟) وُجدت في النيرب ، قريباً من حلب .

اما الفائدة من هذه القوالب فالدلالة على انتشار الابجدية الفنيقية شمالاً وجنوباً في القرنين التاسع والثامن ق. م.

ثم يرى الزائر قطعاً من ناووس شِفَتْبَعْل ، ملك جبيل ، في القرن السادس ق. م.

وقالباً يمثل شاهد الملك يحوملك ، الذي وُجد في جبيل ، بعد ذهاب رينان بقليل. ثم وُجد قطعة منه مؤخرًا فأضيفت الى الأصل . وهو يمثل يحوملك واقفاً

امام بعلة جبيل المصوّرة على شكل إيزيس-حاطور . ويشير النصّ الى الترميمات والزخارف التي امر الملك بعملها في هيكل الالاهة . والشاهد يرقى الى القرن الرابع ق. م.

وعلى الهيكل القريب من هذه الآثار احدث ما اكتشف من كتابة فنيقية ، ترقى الى القرن الثاني بعد المسيح ، وتنصّ بما يلي ، وفقاً لترجمة دوسّو :

صنعتُ هياكل البخور هذه ، انا ،
عبد اشمون ، البنّاء ، ابن اسما ، من اجل
سيّدنا (الامبراطور) ومن اجل تمثال
البعل (جوبيتر) فليبارك وليعمّره .

ترقى العلاقات بين الفنيقيين والمصريين الى ابعد العصور القديمة. فلا بدع ان يتأثر الفنّ الفنيقي الاولي بالفنّ المصري ، كما تدلّ عليه النقوش القليلة التي وصلتنا من تلك الاحقاب السحيقة .

منها نقش اثر فيه تعاقب الأدهار ، يرقى ، على الارجح ، الى النصف الاول من الالف الثاني ق. م. ويمثّل ملك جبيل ، على شكل فرعون ، جاثياً على ركبتيه امام آلهة المدينة .

ومنها نقش آخر يمثّل شخصاً ، ويظهر على دائرة الحجر آثار مسامير تدلّ على ان النقش كان مغطّىً ، في القديم ، بصفيحة من المعدن .

اما في عصور الامبراطورية المصرية الوسطى فقد ازدادت هذه العلاقات بين البلدين وكثرت الشواهد المصرية في بلادنا . فحفظنا منها قطعة من شاهد باسم الفرعون تحوتمس. وهناك رعمسيس الثاني الذي ترك آثار مروره في عدلون وفي نهر الكلب، ناقشاً شواهد انتصاراته. وقد رمّم، او بنى ، في جبيل أثرًا مهمًا حفر على بابه نقوش خاتمه . وكان من حسن الحظّ ان اكتشفت اقسام هذا الباب فحفظناها في الرواق الغربي .

وهنا نصل الى فراغ يمتد ، لسوء الحظ ، على أزهى العصور في تاريخ فنيقية .

الرسم ٤ : ناووس اشمون عزر

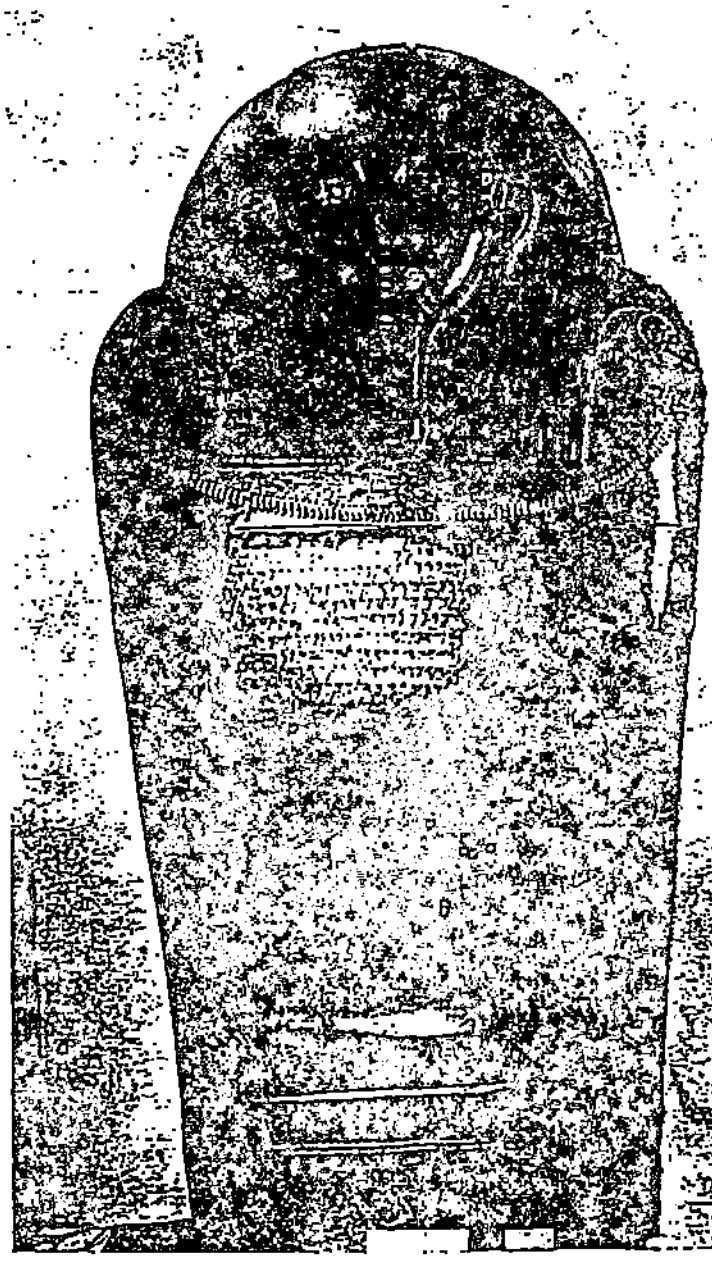

ولم تفدنا الحفريات ، التي لم تجر بطريقة منظمة بعد ، شيئاً مهماً من آثار ذاك العهد الزاهر الذي تسلط فيه الفنيقيون على بحار العالم المتمدن اذ ذاك . ولعل لنا في ذمة الحفريات المقبلة ما يسد هذا الفراغ .

بيد ان العصر التالي ، عصر كان الفنيقيون يحاربون الى جنب الفرس متحدين ،

ظهر غنياً بآثاره المتنوعة .

رافق ملك صيدون وامراؤها قمبيز الملك الأعظم في غزوته ارض الفراعنة . فعادوا منها مستفيدين مما رأوه في وادي النيل . حتى اذا احسّ تبنيت واشمون عزر بقرب الأجل ، نزعا لهما ناووسين مصريّين من مقابر الفراعنة . (الرسم ٤)

الرسمان ٥ و٦ ناووس صيدوني من الرخام اليوناني

ولما كان الناس على دين ملوكهم ، اقبل سراة الصيدونيين يتخذون لانفسهم النواويس من الرخام اليوناني يحفرونها على شكل الهيئة البشرية ، مقلدين في ذلك نواويس ملوكهم، متأثرين بتوابيت المومياءات المصرية . (الرسمان ٥ و٦)

اما علاقات الفنيقيين بمدن اليونان ، سواء أكانت علاقات حبية ام عدائية ، فقد ظهرت بالمادة المستعملة في نحت هذه النواويس ؛ اي الرخام اليوناني، كما ظهرت في اسلوب نحت الرؤوس البشرية فيها . ومع ان الفنيقيين كانوا، في اول امرهم من حلفاء فارس الّا انهم سرعان ما تأثروا بالادب والفنّ اليونانيين . وكان ما ساءهم في تصرّف مرازبة

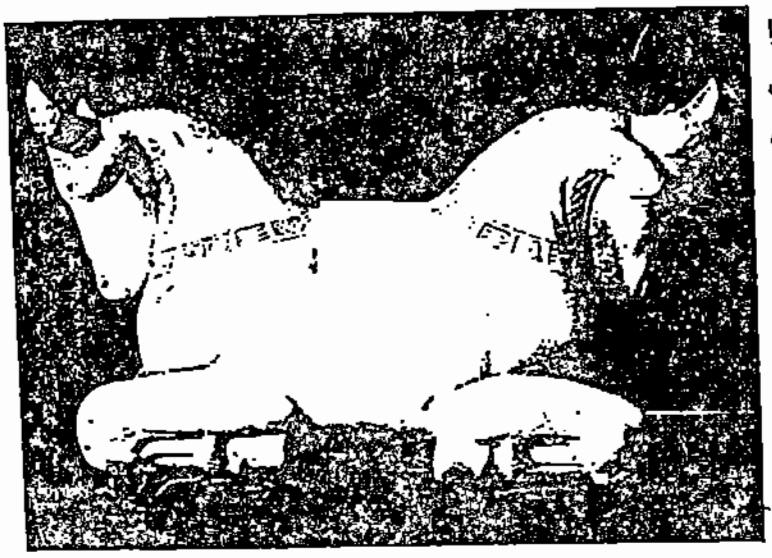

الفرس فثاروا في القرن الرابع ، وهجموا على قصر الوالي الفارسي في صيدون ، فأخربوه . وظلت بقاياه المقطّعة من تيجان

الرسمان ٧ و٨ : تاج وقاعدة عمود في صيدون

الاعمدة المكسّرة وقواعدها المهشّمة ، في مكانها حتى كشفت عنها الحفريات العصرية ، فنقل منها قاعدة وتاج الى متحفنا وعُرضتا في الصحن ، دالّتين على فخامة تلك الاعمدة التي كانت تتجاوز العشرة الامتار علوًّا . اما طراز الفنّ فيها فيشبه تاجها ما اكتُشف في شوشن . وهو يؤلّف من ثورين متدابرَين . واما القاعدة فهي فنيقية محض باستدارتها المنتفخة . الّا ان زخارفها تذكر بالزخرف الاشوري المعروف في كيوبجيك . (الرسمان ٧و٨)

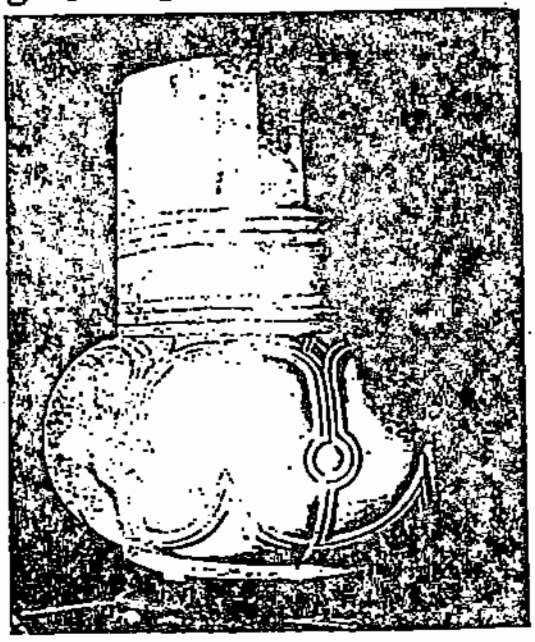

ومن هذا العصر نرى في جبيل اسماء عدد من الملوك الفنيقيين تظهر على قطع النقود . منهم ملك حكم في نحو السنة ٣٥٠ ق. م. اسمه عزبعل . وقد حفظ متحفنا ناووس امّه بنْعم ، وعلى احدى جهاته الكتابة التالية :

في هذا الناووس ، انا بَنْعَمْ ، امّ
الملك عزبعل ، ملك جبيل ، ابن فلطبعل ،
كاهن البعلة ، استريح ؛ وعليّ ثوب
ومغفرة ، وعلى فمي غطاء من الذهب ،
هكذا كما دفن الملوك قبلي .

رواق اشمون

ومن ميزات الرُقم العديدة التي وصلت الينا من العهد الفارسي انها توضح لنا شيئاً من عبادات الفنيقيين . من ذلك ان رقيم اشمون عزو يدلنا على تقوى هذا الملك ، وايمانه بالاله اشمون ، واحترامه هيكله . ولا تزال بقايا هذا الهيكل قائمة على ضفة الأوّلي ، النهر الذي يسقي بساتين صيدا . وعلى الحجارة الضخمة التي يستند اليها جدار الساحة او فناء الهيكل ، رُقم فنيقية تفيدنا ما يلي :

الملك بُدَعْشْتَرْت ، ملك الصيدونيين ، حفيد
الملك اشمون عزر ، ملك الصيدونيين ، في صيدون
البحر ، شمين ، رومين ، ابريس رشافين ، صيدون
ميشال التي بناها ، وصيدون السهل ، بنى هذا
الهيكل لإله اشمون ، الامير القدس .

وكان هذا الاله - الإبن ، حارس المدينة وملوكها ، يُشرف من اعلى فناء الهيكل ، على مجرى بوستريس ، او الأوّلي ، الموزّعة مياهه الخصب والازدهار على الاراضي الصيدونية . وكم من الشكاوى والآلام والآمال علقت تذكاراتها بجدران الهيكل ! وكم من الأسقام شفاها هذا الإله الذي عرف فيه اليونان الهم اسكولاب . وكان الناس ، في سبيل شفاء مرتجى ، او شكراً على شفاء سابق ، يقدّمون الى الاله تماثيل صغيرة من الرخام تمثل ابناءهم المرضى او الناقهين . وقد

وُجد حول الهيكل اربعة من هذه التماثيل ترقى الى العهد الهيليني. وكل الاولاد الذين تمثلهم يتجهون الى ناحية واحدة، كأنها ناحية تمثال الاله، موضوع إكرامهم.

ويظهر، وسط الرواق، تمثال مكتشف في جهة صيدون، يرقى الى ما قبل عصر التماثيل السابقة ويمثل شخصاً يزين عنقه عقد ثمين متعدّد اسماط اللؤلؤ. وعلى وسطه زنّار ينحدر على شكل حيّتين رشيقتين. ويده مزدانة بسوار ينتهي برأسي حيوان. نرى مجمل هذا التمثال منفعلاً بالتأثيرات المختلفة. فهو من ذاك العهد الذي بدأ فيه الأثر الاشوري يتضاءل، بينما كان الأثر المصري لا يزال يقاوم الاثر اليوناني المتقدّم تقدّماً سريعاً. وقد اكتشف مثل هذا التمثال في الساحل الفنيقي، وفي قبرص التي احتلّ الفنيقيون قسمها الشرقي مدة طويلة.

رواق جوبيتر

بعد فتوحات الاسكندر الكبير دخلت فنيقية وسورية في إطار العالم الهليني. فاصبح الشرق يعادل في مظاهر فنونه المدن اليونانية نفسها، وكثيرًا ما كان يفوقها في فنّ تجميل المدن.

من آثار هذا الفنّ الهليني الرشيق تماثيل هيكل اشمون التي اشرنا اليها.

ثم قسمٌ اسفل من تمثال امرأة وُجد في طرابلس دقيق الصنع، ولا سيما في تمثيل الثوب.

وامام هذا التمثال، في الناحية الثانية، من الفسيفساء، يرتفع التمثال الامبراطوري المدرّع، المكتشف في بيروت، والراقي الى القرن الثاني بعد المسيح.

وفي الإطار المسدّس تمثال جبّار نصفي، يمثل جوبيتر قاعدًا، وهو يرقى ايضاً الى القرن الثاني ب. م.، ومن مكتشفات بيروت.

والى الحائط قطع من نواويس ترقى الى العهد الروماني. منها واحد من القرن الثاني للمسيح نُحتت عليه المتوفّاة، بشعرها المتجعّد، ممدّدة على ديوان، امامها مائدة عليها اناء، وبيضتا دجاج مع ملعقة صغيرة لتناول البيض. والى جنب المائدة خادمة مستعدّة لتلبية اوامر سيّدتها. وتحت المائدة كلب ينتظر نصيبه من بقايا الطعام. (الرسم ٩)

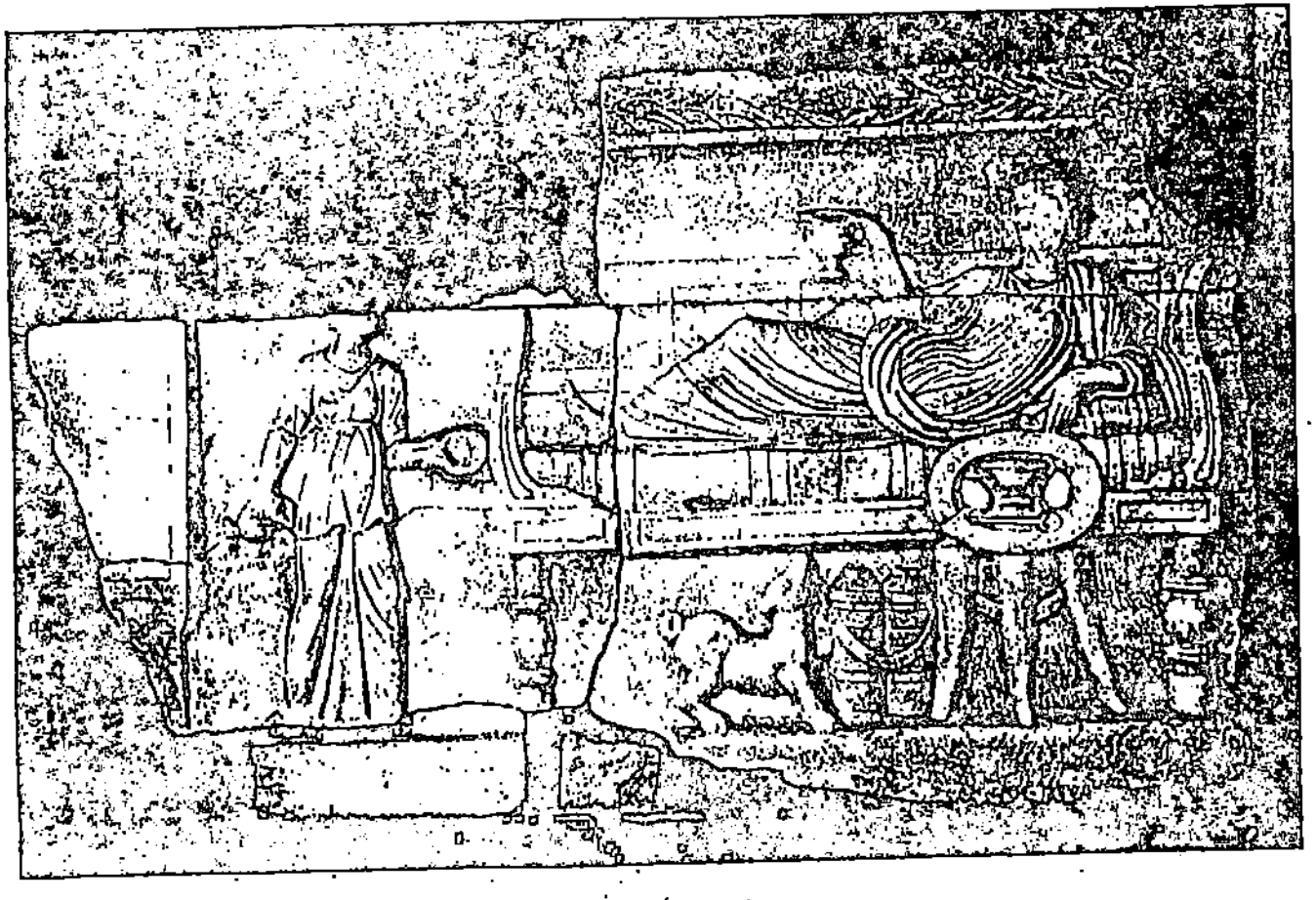

وهناك قطعة من ناووس يرقى الى القرن الثالث للمسيح . يظهر فيه، تحت القناطر، ديدال يعدّ جناحاً لإيكار الذي وقف امامه ، وقد ألصق الجناح الاول بالشمع ، وبدا مستعدّاً لطيرانه ، ذاك الطيران الذي يوصله الى قرب الشمس حتى تذيب حرارتها شمع جناحيه فينحلّان ، ويسقط في اليمّ ضحية كبريائه الجريئة .

الفسيفساء

كان العهد اليوناني-الروماني عهد الفسيفساء الزاهر. نبغ فيها الفنانون والصنّاع الشرقيون نبوغاً عجيباً ، ففرشوا جدران المباني المهمّة ، والأبلطة ، بل ارصفة الشوارع ، بمشاهد الصيد ، ومناظر الطبيعة ، وبكثير من الحوادث المأخوذة من اساطير الميتولوجيا. وقد نال هذا الفنّ اوج ازدهاره في العصر البيزنطي .

ومن اشهر مظاهر الفسيفساء في المتحف لوحة تمثّل ، في إطار عريض رشيق التموّجات ، الاله باخوس مكللاً بورق من اللبلاب والكرمة. كانت هذه الفسيفساء تزيّن ممثّل المسرح الروماني الصغير ، المكتشف في جبيل راقياً الى القرن الثاني بعد المسيح. (الرسم ٩)

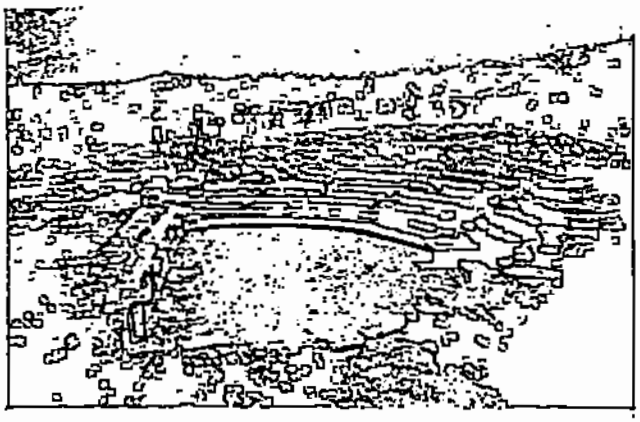

الرسم ١٠ : مسرح جبيل الروماني

وهناك قطعة اخرى تمثّل اربعة مشاهد من مغامرات جوبيتر. يظهر الاله في احداها ، الى اليسار ، على شكل بجع يجانب ليدا. وتحت هذا الشكل يظهر جوبيتر على شكل عقاب يختطف الفتى غانيد . والى اليمين تظهر الاميرة دانايه، وقد سجنها ابوها ، فوصل اليها جوبيتر على شكل رذاذ من الذهب. وفوق ذلك

يبدو جوبيتر مع الكسينا . ترقى هذه الفسيفساء الى اواخر القرن الثالث ، وقد اكتشفت في بيروت ، شارع جورج بيكو .

يلي ذلك فسيفساء بيزنطية من القرن الخامس . تمثل الراعي الصالح ، حوله ماشية عديدة . وقد نجح الفنّان في تمثيل رشاقة الحركات ، وجلال الوقفة . وكانت هذه الفسيفساء تزين الردهة المهمّة في قصر بيزنطي كان يقوم في الجناح ، من ضواحي بيروت . وكان فيه ١٤ غرفة تحيط بفناء لا سقف له . وكانت ارض القصر باجمها مفروشة بقطع الفسيفساء التي يحتوي متحفنا على اجمالها .

رواق بيرينيس

في وسط الرواق ، رقيم كبير الحجم من اثر رفعه في بيروت ، هيرودس الكبير . ثم رممه ووسّعه بيرينيس وهيرودس اغريبا الثاني . والمعروف ان اسرة هيرودس ، المالكة في اليهودية وبلاد الجليل ، قامت ، في سبيل التقرّب الى امبراطرة الرومان ، بتزيين بيروت بعدد من البنايات العامّة ، وبميدان لسبق الخيل .

يلي ذلك عدة شواهد مصوّرة ، من العهد الروماني ، رُفعت في سبيل غاية مدفنية . يمثل اجملها امرأة متوفاة اسمها فيلومين متمددة الى مائدة تتناول الطعام ، والى جنبها خادمة تحرّك مروحة .

وهناك ناووس ولد اكتشف في بيروت ، ومُثّل على احدى جنباته الولد واقفاً امام مؤدّبه ، ووالديه . وعلى جانب صغير صورة اله الحبّ يحمل في يده مشعلاً مقلوباً ، وفي اليد الثانية اكليلاً من الزهور المعروفة بالخالدة . وعلى الجهة الكبرى الثانية ، ظهر الولد يلعب مع آلهة الحبّ في ارض الجنّة . واخيرًا ، على الجانب الرابع مثل الولد على شكل هرقل ، حاملاً مطرقته ، مشتملاً بجلد الأسد ، منتصرًا على جميع العقبات التي قامت في سبيله .

الإنشاد

او

الفنّ الاصيل في الأدب الجاهليّ

بقلم فؤاد افرام البستاني ، استاذ الآداب العربيّة في جامعة القديس يوسف

مادّة المحاضرة الاولى من محاضرات « معهد الآداب الشرقيّة »
للسنة ١٩٤٠-١٩٤١ في فرع « الادب العربي »

لقد قادنا التجوال في السنوات السبع الاخيرة الى عواصم الآداب العربية ؛ من دمشق عاصمة الادب الاموي ، الى بغداد عاصمة الأدب العبّاسي[1] ، الى حلب عاصمة الادب الحمداني ، الى القاهرة عاصمة الادب الفاطمي ، الى قرطبة واشبيلية وغرناطة عواصم الادب الاندلسي ، الى بيروت عاصمة النهضة ، الى مضارب الجاهلية مهد الادب العربي الأصيل.

و كان انتباهنا خاصّة ، في تلك الجولة الاولى ، لمظاهر الحياة الاجتماعية والثقافية من حيث مجاريها العامّة وخصائصها المميّزة.

فآن لنا أن نباشر اليوم ، في سلسلة جديدة ، درس صرح الادب القائم في تلك الأوساط المتنوّعة . نقف على آساسه مدةً ، ثم نرقى طبقاته ومشارفه درجةً درجة ، فنقدر ما فيه من قوّة وجمال.

وها اننا نعيد التجوال في سبيل غير السبيل الاول ، لكنه مستنير به ، متمّم له ، يقودنا الى درس فنون الأدب عصراً عصراً ، منذ اقدم اصولها الى زمننا الحاضر ؛ مكتفين ، هذه السنة ، بمحاولة درس الفنون المذكورة في العصر الجاهلي.

---

(١) نشرنا ، من هذه السلسلة ، مادّة اربع محاضرات ، في المشرق ٣٢ [١٩٣٤] ٦٥-١٠٨ ، ٤٠١-٤٤٠

ولنبدأ بدرس الفنّ الاصيل في كلّ أدب ، لا عند العرب وحدهم ، بل كما يبدو لنا عند سائر الشعوب ، كذلك ، ولا سيما السامية ، في عصورها الجاهلية او الابتدائية . ولا بدّ من القول اننا نستعمل كلمة « الجاهلية » ، لا للدلالة على الجهل ، بل اشارةً الى عصر لم تكن فيه الكتابة تُتخذ لتدوين مولّدات الفكر البشري . فنفهم بالشعوب « الجاهلية » الشعوب ذات الثقافة الشفهية ، مهما يبلغ من تبحرها في المدنية ، كالفنيقيين في ايام ملاحم راس شمرا ، واليونان على عهد هوميروس ، والعبرانيين زمنَ انبياء اسرائيل ، والعرب في عصر اصحاب المعلّقات والنبي .

اما هذا الفنّ الاصيل فاننا ندعوه « بالانشاد » . وهي لفظة قديمة في نشأتها ، حديثة في مدلولها ، فضّلناها على غيرها من اوضاع الفنون الادبية المتداوَلة ، لئلا يحصل الالتباس بين هذه الفنون — وكلّها من مواضعات عصر الأدب الكتابي — ومظاهر ذاك الفنّ الاصيل في عصر الادب الشفهي ، موضوع محاولاتنا اليوم . حتى اذا تمّت هذه المحاولات وضحت مظاهر هذا الفنّ الشفهي ، فوضح معنى الإنشاد .

واما طريقتنا في هذه المحاولات فمستندة الى أُسَين :

١ — أسّ نفساني تشترك فيه الشعوب عامّة .[1]

٢ — أسّ تاريخي نبني عليه بالنظر الى العرب خاصّة .

١) تقدّم لنا نظرات سريعة في الدلالة على هذا الفنّ الاصيل ، في «المشرق» ٣٠ [١٩٣٢] ٢٧١ - ٢٨٨ ، بعنوان «حول النثر الجاهلي : آراء وملاحظات في الإنشاد» ؛ ثم في «المكشوف» السنة الثانية : العدد ٤٣ ، و٤٤ ؛ ٥ و١٢ نيسان ١٩٣٦ ؛ واخيراً في الروائع ٢ : النثر الجاهلي (الطبعة الثانية ، ١٩٣٨) : ١٠ - ٢٥ . وقد اشرنا الى ما كان من فضل ، في هذه الدروس النفسيّة - اللغويّة ، الاب مرسيل جوس اليسوعي ، الذي سبق علماء النفسانيات واللغويين جميعاً الى ابحاث عميقة في نفسيات الشعوب الجاهلية ، وما يوافقها من قوالب الكلام في عهد بداوتها ، وما يظهر في ادبها الشفهي من صلة متينة بين الفكر والتعبير وحركة الاعضاء . فكان كتابه في « الإنشاء الشفهي » أساً لهذا العلم الجديد بما تضمّنه من ملاحظات وايحاءات وافرة الغنى ، وبما اثاره من ضجّة في عالم الادب والفلسفة والعلوم الكتابية . فتتابعت الابحاث والنقود ، منه وعليه ، في صحف فرنسة ، ولا نراها منتهيةً قريباً . وقد استندنا في هذا القسم النفساني من درسنا الى الكتاب المذكور ، والى ما ظهر حوله من الابحاث ، وهذه أهمّها :

١

الاس النفساني

١ ــ الانشاء البدوي او المحاكاة

ليسأل الواحد منا جارَه عن معنى الحركة اللولبيّة مثلاً ، او عن كيفيّة الصعود الى المئذنة بسُلّم لولبيّة الشكل ؟ او ليطلب منه تحديد الكومة ، كومة من التراب او من الرمل . وليتبه لحركات المسؤول في جوابه . فيتحقّق ان هذا المسؤول ، قبل ان تنفرج شفتاه عن اللفظ ، يأتي بحركة غير مقصودة ، يندفع اليها سليقةً في التفتيش عن إخراج تصوّراته . هي حركة فطرية تعبّر في ذهنه عن الفكرة التي يرمي الى شرحها . واذا بيده ترتفع وتستدير ، او تلتفّ ، سابقةً نبرات صوته . هو يستعمل يده في التعبير قبل ان يستعمل لسانه . يستعمل يده ، ثم يرمي الى استعمال سائر جوارحه ، فيعبّر بكل جسمه . وقد يخونه اللفظ فيتركه لاجئاً الى هذه الحركات العَضَليّة . وكم ، بين معارفنا واصدقائنا ،

Marcel Jousse, *Etudes de psychologie linguistique. Le style oral rythmique et mnémotechnique chez les Verbo-moteurs.* [*Archives de Philosophie*, vol. II, cahier IV]. Paris, Beauchesne, 1925.

Marcel Jousse, *Etudes sur la psychologie du geste.* Les Rabbis d'Israël, *Les Récitatifs rythmiques parallèles* ; I, *Genre de la Maxime.* Paris, Spes, 1930.

Léonce de Grandmaison, *Le style oral. En marge d'un mémoire de psychologie linguistique.* [*Etudes*, 183, 1925, p. 685-705].

Gaston Fessard, *Une nouvelle psychologie du langage. Le style oral, du P. Marcel Jousse.* [*Etudes*, 192, 1927, p. 145-162].

Frédéric Lefèvre, *Un grand initiateur. Le R. P. Marcel Jousse et la nouvelle psychologie du langage*, [*Lettres*, juin, 1927].

Paul Léonard, *Pour le retour à la vie*, I. [*Etudes*, 197, 1928, p. 418-432].

Les Philalèthes, *Le style oral dans l'Evangile.* [*La vie Intellectuelle*, 2e année, 15 juin 1929].

من الذين يبدأون جملهم بالكلمات وينهونها بالإشارات، المتنوّعة فتأتي تعابيرهم ابلغ واروع وقعاً !

هذه الحركة هي اول تعبير بليغ استخدمه الانسان في الأداء عن رغباته وميوله . واذاً فلم يخطىء من قال :

« في البدء كانت الحركة ! »[1]

وليست هذه الحركة الا مظهراً من مظاهر التقليد البشري ؛ بل هي المحاكاة الاصيلة في طبيعتنا أصالة رغباتنا في التمثيل والإخراج . وقديماً قال ارسطو عن الانسان « انه اكثر الحيوانات محاكاةً ».

❁

يلجأ الرجل فطرياً الى المحاكاة كلما شعر بالحاجة الى التعبير . فيمثّل ، بحركاته المختلفة ، ما يتمثّل له من هيئة الشيء المعبّر عنه ، مبتدئاً ، لا بمظاهر هذا الشيء جميعها ، بل بما يؤثّر فيه خاصّة من شكل بارز او هيئة فارقة ، مستعيناً بيده اولاً على محاكاة السلّم اللولبيّة مثلاً في دورانها والتفافها ، او الكومة الرمليّة في ارتفاعها واستدارتها.

ومن الدلائل على اصالة هذه المحاكاة في طبيعتنا البشرية اننا لا نزال نُدفع اليها اليوم ، في محاولاتنا التعبيرية ، على رغم انغلاقنا ، منذ القرون العديدة ، في عصر الادب الكتابي.

وهو ما يشعر به كلّ كاتب ، اذا ما عمد الى وصف معركة من المعارك قديمة كانت او حديثة ، فتصوّر احتدامها ، وتتبّع مظاهر تطوّراتها ، وهو الى مكتبه على اتمّ ما يكون من الراحة والطمأنينة . يباشر الوصف هادئاً مستكناً ، حتى اذا اندفع به الخيال ، شعر بعضلات كفّه تدفع قلمه الى الهياج والاضطراب ، بل شعر ، اذا ما حمي الوطيس ، بعضلات رجليه وسائر جسمه تضطرب كلها امام المكتب .

واذا وصف رجلاً غدّاراً دسّاساً فاسد الأخلاق ، دُفع الى المحاكاة نفسها

(1) D'Udine, *L'art et le geste*, p. 86 ; cité dans Jousse, *le style oral*, p. 3

على غير قصد منه ، فأحسّ بعضلات شفتيه ومنخريه تتقلّص علامة الاشمئزاز . حتى لو كان امامه آلة تدوّن هيئات وجهه ونبضات جسمه المتتابعة — اي حركاته كلّها — لكان له سلسلة من التعابير عن العواطف المتناوبة قد تكون ابلغ ممّا دوّنه قلمه من شعر او نثر .

❁

أوَ ليست من هذه المحاكاة لغة الخرس المتفاهمين بالحركات ؟

وتلك الشعوب الابتدائيّة الباقية على جاهليّتها في عصرنا هـذا ، كبعض هنود اميركـة واقوام افريقية الوسطى ، أوَ لا تظلّ تستند ، في تفاهمها ، الى الحركات خاصّةً ؟ وذلك لقلّة مفرداتها وضعف اساليب التعبير في لهجاتها .

وقد روى الرحّالة عن الاسكيمو انّهم يضطرّون ، اذا ما تحادثوا في الليل ، الى ايقاد النار ، كي يتفاهموا مستعينين بالحركات على ضآلة قوالبهم التعبيريّة .

ولمْ نبعد في التمثيل على هذا الأمر الواقع ؟ أوَ لم نكن نفهم ، لسنوات خلت ، وقائع الأفلام السينمائيّة الصامتة بالانتباه للحركات وحدها ؟

أوَ ليس هـذا نصيب مَن يحضر السينما اليوم ، وهو على جهل باللغة التي يتحاور بها الممثلون ، ولا يحسن قراءة تلك الترجمات المسوخة التي تتبرّع بها ادارات السينما على هامش الفِلم او في أسفله ؟

لا شكّ انـه يفوته الكثير من دقائق التعبير ، ومن اساليب اللحمة بين الوقائع . ولكنه لا يأبه لهذا . انما همّه الفكرة الاجماليـة ، ومطلبه التأثير الجمهوري ، وهما حاصلان له بالحركات على شكل لا يتبدّد ولا يتفرّع بتعداد المعاني الثنوية والدقائق التعبيرية . فمثله في هـذا مثل الانسان الابتدائي ، او الجاهلي الفطري ، تهمّه الافكار المتكتّلة او الصور المجتمدة للمعاني ، فيتناولها ، او يعبّر عنها ، قافزًا فوق ما تحوكه حولها نواميس التعبير الكتابي من روابط ولواحق بالادوات والحروف ؛ بل مثله مثل الطفل يستند في تعبيره الى الاسماء وحدها غير عابئ بروابطها من الحروف والادوات ، بل غير متصوّر وجود هذه الروابط . فيقول مثلًا : « ابي راح سوق » . فيُفهم ، ويُفهم ، مستعينًا ، فوق ذلك ، بحركاته واشاراته ، مقلّدًا كلّ مَن يرى وما يرى . هو الطفل يقلّد ابويه اوّلًا .

وهو الشعب الطفل يقلّد صغارُه كبارَه .

ومن هذا القبيل تقليد الطلّاب اساتذتهم . وقد يكون مقصوداً في اول الأمر على سبيل التفكهة والتظرّف . الّا ان كثيراً ما يؤدّي الى تقليد فعّال في تعابيرهم واساليب تفكيرهم ، فيصبحون صوراً متعدّدة لاساتذتهم .

وكم واحدٍ منّا ، اذا ذهب به الاعجاب بشخص ما ، رأيناه ، وقد اصبح يقلّد بعض اشاراته بل نبرة صوته او محطّات كلامه ، على غير علمٍ منه !

أوَ لم يروِ بعضهم عن الاستاذ شارل ديهل ، العالم بالشؤون البيزنطيّة ، مَن انفق السنوات العديدة منكبّاً على درس نقود بيزنطية وايقوناتها ، ونقد صحيحها وزائفها ، والتعليق على تنوّع مظاهرها ، انه اصبح ، في شيخوخته ، وفي قسمات وجهه وتلاميحه ما يشبه المثال البيزنطي الذي قضى حياته متأمّلاً فيه .

فثبت اذاً ان المحاكاة لا تنحصر بالحركة اليدويّة وحدها ، بل تشمل جميع اعضاء الجسم وعضلاته ، المنظور منها وغير المنظور .

❁

ولنتقدّم خطوةً في وصف تفرّع هذه المحاكاة من اشارة اليد الى اللفظة ، وهي حركة عضلية كذلك ، الى الجملة المنطقية المتناسقة .

لنفرض ان واحداً منّا وضع جمرةً حارّة على يد جاره . فما عسى ان يكون موقف هذا الجار في الردّ عليه ؟

يمكنه ان يلجأ الى اسلوبٍ من اربعة :

١ ــ إمّا ان يسحب يده بسرعة رامياً الجمرة ، مكتفياً بهذه الحركة .

٢ ــ وإمّا ان يقرنها بصوت صارخ معبّر بمقطع واحد عن الألم والغضب ، دون الاستعانة بالكلام ذي المعنى اللغوي .

٣ ــ وإمّا ان يمطر جاره بسيل من الشتائم الشعريّة يتفنّن فيها ما شاء شعوره وخياله .

٤ ــ وإمّا ان يخاطبه بجملة منطقية هادئة رصينة كأن يقول له مثلاً : ألا ترى ، يا صاح ، انّ النار عنصر يحرق ما ألمّ به ؟ ثم الا تراك وضعت هذه النار على يدي ، فكان لا بدّ انها تحرقني وتؤلمني .

هكذا تتطوّر طرق التعبير في الشعب المرتقي شيئاً فشيئاً من مجاهل الحياة الابتدائيّة الطفلة ، الى المجتمع الجاهلي ، الشفهيّ الثقافة ، الى العصر الكتابي في الادب.

ولنلاحظ ان الحركة وحدها كانت كافية ، في الحالة الاولى ، للتخلّص من الألم . وأنّ واحداً من الاساليب الثلاثة التالية لا يكتفي بنفسه ، ولا يستغني عن الحركة . انما هو يسندها ، ويتوسّع حولها ، قليلاً او كثيراً ، في طرق التعبير ومظاهر البلاغة.

وبعد هذا ألم يُصب مَن اخرج هذه الحقيقة إخراجاً حسيًّا اجماليًّا فقال : « يفكّر الانسان لأن له يدًا »؟ [1] يدًا تولّد الحركة الاساسيّة ، فتثير سائر الحركات ، وتعمل على تحقيق الفكرة باللفظ . وما اللفظة الّا حركة الحلقوم ، وحركة عضلات الجهاز التنفسي ، واخيراً حركة اللسان والشفتين.

ثم لا تلبث هذه الحركة التعبيرية — التي تتعاون في توليدها عضلات الجسم جميعها — ان تتخذ شكلاً موزوناً يقرّبها من النغم . والنغم اصيلٌ كذلك في الطبيعة البشرية . فتبدو وكأنها تتأرجح وتتمايل في موجات متّزنة . حتى يصحّ لنا ان نضيف كلمة الى ما تحققناه سابقاً ، فنقول :

« في البدء كانت الحركة المتّزنة. »[2]

واذا تناسقت هذه الحركات المتعاونة في سبيل التعبير ، ونظّمها النغم المتّزن بإيقاع الصوت واليد والرجل وسائر عضلات الجسم ، فتسارعت كلّها الى الغاية المقصودة ، ارتفع هذا الاسلوب الابتدائي الى نوع من التعبير سامٍ ، وافر البلاغة ، عميق التأثير ، الّا وهو الرقص المعهود لدى جميع الشعوب في التعبير عن فرحها ، او حزنها ، او عباداتها المتنوّعة.

ولا بدّ لهذا الرقص من اناشيد تتبع لياته متساوقة ، فتنتظم بها ، وتسندها في التعبير عن بعض المعاني الآخذة بشيء من التجرّد والمعقولات.

(١ Cité dans Fessard, *loc. cit.*, p. 149

(٢ Jousse, *op. cit.*, p. 20

وقد تستغني هذه التعابير عن مظاهر الرقص ، بما فيها من مولدات الخيال ، وإيقاعات النغم الموسيقي محتفظة بآثار الانشاء اليدوي من حركات وايماءات . فيتصل الشعب بمظهر جديد للتعبير ، هو الانشاء الشفهي او الإنشاد.

ب — الانشاء الشفهي او الإنشاد

١ — تمهيد

ولا بدّ لنا قبل محاولة هذا الدرس ، وتفصيل عناصر الإنشاد وتطوّر مظاهره ، من كلمة تمهيديّة عن أثر الحركة الاصيلة في الكتابة ، وفي تكوين مفردات اللغة :

كثيرًا ما نعتقد ان الاقدمين ، اوّلَ ما حاولوا الكتابة ، اخذوا يرسمون صور ما يقع تحت عيونهم من الاشياء . على ان الحقيقة مباينة بعض الشيء لهذا الاعتقاد . انهم لم يصوّروا الاشياء ، بل صوّروا حركاتهم التي كانوا يعبّرون بها عن الاشياء . لم يصوّروا الشمس في إشعاعاتها ومنافعها العميمة ، ولا الحيّة في صفاتها الجوهرية . انما صوّروا حركة ايديهم التي كانوا يعبّرون بها عن الشمس في استدارتها ، وعن الحية في انسيابها . وهكذا كانت كتابتهم لا تصويرًا للاشياء بحدّ ذاتها ، بل تصويرًا لحركاتهم المقلّدة اشكالَ تلك الاشياء .

ولا يخفى ان الفكرة ما كانت لتنفصل في البدء عن الحركة المولّدة لها . وهكذا اصبحت هذه الصورة الشكليّة ، مدوّنةُ الحركة ، تدوّن كذلك المقطعَ الصوتيَّ الذي كان يعبّر به المتكلّم عن الشيء المقصود ، مستندًا الى الحركة .

فالصورة اذًا وليدة العمل المشترك بين الانشاء اليدوي والانشاء الشفهي . تأخذ من الأول الحركة الممثلة شكلَ الشيء ، ومن الثاني المقطعَ الصوتي ، او اللفظة ، الدالّة ، مع الحركة ، على الشيء المذكور . فلو اخذنا رسم «الدائرة» في التصوير الهيروغليفي مثلًا لرأيناها تحتوي على عنصرين اساسيّين :

١ : تجتمد أوّلًا بالخطّ ، شكل تلك الحركة المستديرة التي كانت يد المصري تكوّنها في الهواء للدلالة على قرص الشمس .

٢ : وتدوّن ثانياً ذاك المقطع الصوتي الذي كان يلفظه المصري ، اذ تقوم يده بالحركة المستديرة ، مشيرًا الى الشمس بعينها ؛ وهو مقطع « رَعْ » الذي اصبح اسماً للكوكب المشعّ المنير.

وليس من شكّ في ان الصلة كانت متينةً بين الشكل والصوت اي بين الصورة والاسم ، صلة لا نكاد نتخيّلها اليوم ، وقد تناسينا اصل الأشكال ، فاصبحنا نعتقد ان هذه الخطوط الابجدية انما مثّلت الاصوات اعتباطاً واتفاقاً بين المصطلحين عليها.

واننا لنفهم هذا الأمر ، اذا ما قارنّاه بموقف الطفل الصغير من اهله . اذ يتناول الكلمات المتنوّعة فيظنّ انها وُضعت جزافاً للمعاني التي تعبّر عنها. ولكنه كلّما تقدّم في فهم اللغة ، فتعمّق في درس اصولها واشتقاقاتها ، ادرك ان هذه المفردات تخزن تاريخ أمّته بأسره ، ماديًّا كان او روحيًّا ، وانها لم تصل الى هذا الجمود الحرفي الّا في العهد الكتابي الاخير ، بعد ان كانت في الاصل حيّةً نابضة تمثّل حركاتٍ حيّة.

❁

ويقودنا هذا الى كلمة في المقابلة بين مدلول « اللغة » في عصرنا الكتابي ، وما كانت عليه « اللغة » في اصلها الشفهي . فنقول :

نعلم اليوم ، مؤمنين ، ونعلّم ، غير هيّابين ، ان اللغة تستند الى اصول ثلاثة :

١ ــ مفردات محدّدة المعنى.

٢ ــ قواعد تنظّم احوال المفردات في التعبير ، والتعابير في الجمل.

٣ ــ نظريّات ادبية تسنّ القوانين في فنون النثر والنظم.

ولكن هل يحقّ لنا ان نعرض هذه المبادئ ، التي نقرّها في عصر الادب الكتابي ، على العصور جميعها ، فنجعلها حقائق لا جدال فيها ؟

مفردات ، تعابير ، نظم ، نثر . كلّها مقيسات اقرّها عصر الكتابة. وذلك انه لم يكن بدٌّ للنحويّين واللغويّين من موادّ خارجيّة يُعملون فيها اساليب الترتيب والتفصيل ، متبسطين في نظريّاتهم التجريديّة.

ولما كان الكلام الشفهي حيًّا طيّارًا لا يقع في متناول يدهم ، رأيناهم

يندفعون في تجيده بالكتابة، متتبعين مواده جميعها يرتبونها ، وينسقونها فئات، وطبقات ، وفنوناً ، وانواعاً . فيجمعون المؤتلف ويفرّعون المختلف ، ويعددون النواميس والقوانين، والقواعد شاملين بعنايتهم الساهرة حتى الشوارد والشواذات؛ متنازعين اصولها وفروعها بين الصرف ، والنحو ، والبيان ، واللغة . وهم على حق ، شرطَ الّا يتجاوزوا مظاهر الآداب المكتوبة.

اما في العصر الشفهي فتخطئ مقاييسهم الهدف . ومهما يبلغ من استقراب النحويين ، ومن تدديدهم ، لاتذين بجمى الألفية :

كلامنا لفظ مفيد كاستقم : اسمٌ ، وفعلٌ ، ثم حرف للكلِم ،

فاننا نقول : ليست اللفظة مادة الكلام الاولى في عصر الادب الشفهي. في الانشاء اليدوي - الشفهي الاصيل لا اسم ، ولا فعل ، ولا حرف . انما هي حركة ، اشارة ، إيماء.

وفي كل حركة او إشارة يقوم بها الخطيب اليدوي او الشفهي تظهر المعاني الثلاثة الاساسيّة في كلّ تعبير : العامل ، العمل ، المعمول. وهي التي اصبحت ، في نظر التفكير الغراماطيقي ، محور الصرف والنحو : الفاعل ، الفعل ، المفعول.

❁

ولمعترض ان يقول : والاسماء العينية التي اطلقها الانسان ، منذ القدم ، على الاشياء فميّزها بعضها عن بعض ؟

فنجيب ان هذه الاسماء نفسها تؤيد ما ذهبنا اليه :

لم يطلق الانسان جُزافاً هذه الاسماء على مسمياتها . انما نظر فيها الى حركتها الخاصة او علامتها الفارقة — لا في عنصرها او جوهرها الذاتي — بل في مظهرها الخارجي ، في اشارتها الحسية ، فسماها بهذه الصفة . واذا باقدم الاسماء صفات مشتقة ، فاعلة او منفعلة ، مما لا يخرج عن المعاني الثلاثة المذكورة . وان من ميزات اللغة العربيّة ان تقودنا الى فهم هذا السرّ الاصيل في مظاهر التعبير بأسرع مما تقوم به غيرها ، لفضل قدمها ، واحتفاظها بالمدلولات القديمة لمفرداتها المشتقة.

وها نحن نعبّر ، في هذه اللغة ، عن اجناس العصافير والعقبان وما بينهما ،

باسم «الطائر» ، بل بصفة «الطائر» ؛ اي بالحركة الفاعلة . وكذلك ترانا نسمي السيف «الصارم» ، و«الماضي» ، و«القاطع» ، و«البتار» . . . وندل على الناقة «بالراحلة المرقال» . وبعد مرور القرون المتعاقبة على اخذنا بالادب الكتابي ، ألا ترانا نعود الى الاصل الشفهي ، في يقظتنا الابتدائية في القرن العشرين ، فنسمي الاوتوموبيل بصفة حركته «السيارة» ؟ وهكذا القول عن «الغواصة» ، و«الطيارة» ، و«الحاكي» ، و«الهاتف» »[1]

هي آثار الإرث الشفهي القديم التي صبغت مظاهر التعبير السامي جميعها في عهد الآداب الإنشادية ، فرأينا ملاحم راس شمرا تسمي الاله « راكب الغيوم » ، كما شهدنا ملاحم العبرانيين تمثل السمكة والطائر بـ« العائم في الماء » و« السابح في الهواء » .

وهذا الشعر الجاهلي لا نكاد نرى فيه اسماء الأعيان الا بصفاتها . فلا نقع — الا في النادر النادر — على اسم السيف ، والرمح ، والحربة ، والناقة ، والحصان ، والجمل . اما الصفات فعديدة لا قياس ولا ضابط لتنوعها وابتكارها سوى الهيئة التي يظهر بها الشيء الموصوف في حركته واشارته لعين الواصف ، لا لذهنه او عقله .[2]

فاذا شاء الجاهلي القديم ان يعبّر عن لحاق الفرس بالحيوانات الوحشية ، قال : السابح او المكرّ المفرّ المقبل المدبر ضابط الأوابد . . . — وكلها اسماء فاعل تمثل الحركات وحدها . وهو سرّ الجمال في قول امرئ القيس : « قيد الأوابد . »

---

١) ولعلّ اعضاء المجمع اللغوي المصري جروا على هذه الخطة الابتدائية ، في تعليمهم الناس اسماء الكائنات الحديثة ، فانتبهوا خاصة الى الحركة الخارجية في المسمّى . ولكنهم قلّما توفقوا الى شيء صالح في ذلك . وهم يقترحون مثلاً لنسبة القطار العادي ، وتمييزه عن الاكسبرس السريع ، صفة « الوقّاف » ، لانه يقف في المحطّات . وحيث يحاول الناس الاحتجاج بان الحركة الغالبة في هيئة القطار المذكور ، او الصفة المميّزة ، ليست الوقوف . . . (راجع « البشير » في ٢٦ حزيران ١٩٣٧)

٢) وهذا ما دفع بعض علماء العصر الكتابي الى الاعتقاد بالترادف في الاسماء العربية القديمة . وهم معذورون في ذلك ، بعد ان غابت عنهم صور الحركات التي مثّلها الجاهليون الشفهيون في الاسماء ، الصفات التي اطلقوها على مسمّياتهم الحسّية .

« المكرّ قيد الأوابد .»

إشارة حسّية معنوية تتضمّن في الحقيقة ثلاث إشارات — ونقول اليوم : ثلاث فِكَر — : الكرّ او السرعة ، التقييد ، وحشيّة الحيوانات . على ان هذه الفكر (بصيغة المصادر) تبدو مجرّدة ، بينما كانت الاولى حسّية حيّة بحركتها.

واذا خرج الاسم من تصوير هذه الحركة الحيّة عبّر في اول امره عن المعاني المحسوسة.

ثم تمرّ عليه الايام ، فتتقدّم البيئة في مذاهب الحضارة ، واذا له وجهان :

وجهه المحسوس الاول ،

ووجه منحرف عن الحسّ حتى يعلق بالمعقولات.

ولنأخذ صفة « الحازم » مثلاً : فهو اولاً حازم حزام الدابّة او حبلها ، او رابط الحمل على الدابّة ، ثم ضابط الامور ، العاقل . والعاقل نفسه أليس معناه اصلاً رابط الحبل على يد البعير ؛ ومنه اشتقّ العقل « الذي يعقل (اي يربط) صاحبه عن المعاصي.»

أوَ ليس كذلك في التفرّع من الاصل الحسّي: « العدل » من تعادل عديلتي الحمل ؟ و « الإنصاف » من اعطاء النصف ؟ و« السبب » ، وهو في اصله الحبل ، ثم الواسطة الى الشيء تشبيهاً بالسبب - الحبل الذي يتوصّل به الى قعر البئر فيُستخرج ماؤها . و« الجريرة » ، ما يجرّه الانسان وراءه من أثر مادّي ثم أُطلق على التبعة التي تنال الانسان من جرّاء عمله . . . وهكذا في المفردات القديمة جميعها .

ولا تنفرد العربية بهذه الظاهرة اللغوية . انما تشارك فيها سائر اللغات ، ولا سيما القديمة ، الّا انها تفوقها جميعاً في الدلالة عليها وفي ظهور الأصل المحسوس من قوالبها الشفّافة ، لما امتازت به من سهولة الاشتقاق في بناء مفرداتها ، والا انها لم تتعرّض كغيرها من اللغات الحديثة للتطوّرات العصرية ، واصطناع المفردات الدخيلة.

هذا الأثر الحسّي في نشأة المفردات واشتقاقاتها نجـده كذلك في التعبير القديم وما جرى مجراه . والادلّة عليه اوفر من ان تُذكر . . . لم يكن العرب القدماء يقولون عن اعدائهم : «هربوا» ، بل كانوا يمثّلون حركة الهرب بقولهم : «ولّوا الأدبار» . . .

كما ان عامّتنا ، من ارباب التعبير الشفهي ، لا يقولون عن عودة الانسان المخفق في عمله ، انه رجع خائباً خاسراً مجرّدًا حتى من ثيابه ، بل يمثّلون حركته في تلك الخيبة ، قائلين : « رجع إيد من خلف وإيد من قدّام . »

أوَ أدلّ من هذه الصور الحسّية على تمثيل الحركات ؟

واذًا فان اساليب التشبيه من أساس التعبير الشفهي . وغاية التشبيه ، في دلالته القديمة ، ان يقرّب المعنى الى افهام الحاضرين بواسطة الصورة المحسوسة الناتجة من حركة المشبَّه به او من هيئته .

اما تشبيه المحسوس بالمعقول ، او تشبيه المعقول بالمعقول ، فمن تجريدات البيانين في عصر الادب الكتابي . ولا يخفى أن الجاهلي الشفهي لا يشبه النور بالعلم ، ولا الجبال بالرزانة والوقار . انما هو يستعمل الضدّ ، اذا ما لجأ الى التشبيه .

هذه تمهيدات ضرورية لتفهّم « الإنشاد » : عناصره ، وأساليبه ، وانواعه عند الشعوب الساميّة عامّة ، وعند العرب زمنَ جاهليتهم خاصّة .

اما تحديد « الإنشاد » بعناصره ومظاهره فهو ما سنحاوله في بحث مقبل .

معهد الآداب الشرقية

في الثلث الاول من السنة الدراسية ١٩٤٠ــ١٩٤١

فرع التاريخ والاثريات

في سورية وفنيقية

افتتح المعهد دورته الدراسية هذه السنة في ٢٠ تشرين الثاني ١٩٤٠ بمحاضرة ألقاها الاب رينه موترد اليسوعي ، مدير المعهد ، موضوعها « الأسرة في سورية وفنيقية على العهد اليوناني - الروماني » فصّل فيها ، مستندًا الى النصوص ، والرقم ، والآثار التصويرية ، احوال الاسرة الرومانيّة ، فالاسرة السورية المتأثرة بها في ذاك العصر ، في مظاهرها المختلفة ، من زواج ، وولادة ، وموت ، واستعباد ، وتعليم اولاد ، وما الى ذلك من فروع وتشعبات تتعلق بالاجتماع والثقافة .

ثم خصّ محاضرة ثانية (٢٧ تشرين الثاني) بالارض ، والعمل . جاب فيها اطراف سورية سهولها وجبالها ، دالاً على انواع المزروعات والمحاصيل المتنوّعة التي كانت تُستخرج منها اذ ذاك ، وفي طليعتها القمح الرفيع الجنس المصدَّر حتى رومة نفسها ، وكثير من الفواكه الممتازة . ثم ذكر الغابات والاحراج المتكاثرة في ذاك العهد ، وما كان من عمل السلطة على تحديدها وحمايتها ، خاصاً القسم الاخير بمظاهر الاعمال الصناعية والتجارية التي كان يقوم بها الناس ، وبما يتضح من صفات هذه الاعمال من حيث العلاقات بين العُمّال والمديرين واصحاب رؤوس الاموال .

وقد تابع الاب موترد التمارين العمليّة للطلّاب المقيدين كل ثلاثاء في الساعة الحادية عشرة وفقاً للمنهاج المقرَّر .

فرع الادب العربي

اما محاضرات الادب العربي فقد بدأها الاستاذ فؤاد افرام البستاني ، نهار الخميس في ٥ كانون الاول . وألقى ثلاثاً منها في موضوع « الإنشاد » او الفن الاصيل في الادب الجاهلي . نشرنا اولاها في هذا الجزء مختصة بمظاهر الانشاء اليدوي ، وهو اول ما يلجأ اليه الانسان في التعبير عن تصوّراته . وسننشر ما تبقّى في العدد المقبل متناولاً عناصر الانشاد وتطوّراته حتى عصر الانشاء الكتابي .

دراسة فقه اللغة العربية والالسنية

الغاية من انشاء هذا الفرع في المعهد التوفر على درس اللغة العربية درساً يماشي دراسة اللغات التي تقدمت وفقاً للمنهج العلمي الحديث . والمسألة تقوم على امرين :

الاول الاطلاع على التراث الواسع الذي خلّفه لنا لغويّو العرب ، والثاني تمحيصه على ضوء العلم الحديث لنبذ ما خلق منه والاحتفاظ بما حسن ، ثم اكمال ما نقص بقدر ما تسمح به الظروف . لذلك كان من الضروري بسط المنهج العلمي، ثم عرض القوانين العامة التي استخلصها العلماء من البحث في اللغات وذكر الفروع التي تنطوي عليها دراسة اللغات . وقد جعلنا برنامج هذه الدراسة مؤلفاً من ثلاثة اجزاء تتساند وتكوّن وحدة مفيدة: وهي مبادئ علم الالسنية، وعلم الاصوات مع تطبيقها على اللغة العربية ، ثم قراءة بعض الكتب العربية الشهيرة.

افتتح هذه الدراسات الاب يوسف عظم اليسوعي، في ١٠ كانون الاول، بالقاء نظرة شاملة على تاريخ الالسنية منذ اواخر القرن الثامن عشر واوائل التاسع عشر الى ايامنا ، مع ذكر التطورات التي حدثت في هذا العلم عندما اخذ العلماء يطبقون عليه قوانين العلوم الطبيعية . وستليها محاضرات تبيّن ما هي مقوّمات اللغات ، وما هي العناصر العاملة على الجمود فيها او على التطور ، الى

آخر ما هنالك من المعلومات الاكيدة التي تعطينا فكرة صحيحة عن اللغات، والتي يكون لها عظيم الفائدة لفهم اللغة العربية نفسها.

الفرع اللاتيني

يُعيّن منهاج هذا الفرع عدداً من المؤلفين يُفرض على الطلّاب ان يتعمّقوا في درسهم فيحكموا الاحكام الشخصية في قيمتهم استناداً الى موازنة آثارهم بطريقة متتابعة. ولا بدّ في هذا من القيام بالترجمات من اللاتينية الى الفرنسية وبالعكس. وهو اهمّ ما اشتغل به الفرع في الثلث الاول من هذه السنة. هذا الى ما تمرّن عليه الطلاب من نقد النصوص لغةً وتركيباً وادباً، بمعاونة الاستاذ اندري ميها، مهتمين خاصةً بمؤلّفين من المعيّنة اسماؤهم في منهاج الليسانس، هما: تاسيت في الكتاب الثالث عشر من حولياته، وفرجيل في النشيد التاسع من الانياذة.

وقد حاول الطلّاب ان يكتشفوا من خلال النصوص فنّ الاديب وشخصيته. فوقفوا على قوّة التعبير في انشاء تاسيت ولا سيما في تحديد رسومه البارز كما في رسمه لنيرون، او أغريبين، او غيرهما، تلك القوّة التي كثيراً ما اقترنت بالشعور الفاجع. اما فرجيل فاوفر غنًى بشاعريته المتجدّدة دائماً سواء أقلّدت القدماء، ام ولّدت الموضوعات الجديدة، فهي مبتكرة في الحالين.

وسيتناول الدرس في القسم الثاني من السنة شيشرون وجوفينال.

فرع الشؤون الارمنية

خصّ الاب جان مخيريان اليسوعي درسه الأول (٢٤ تشرين الثاني) بكاتب مغمور هو المونسنيور كاركين سروانتزديانتز، وذلك بمناسبة مرور مائة سنة على ولادته. كان رحّالةً جال مدة عشرين سنة (١٨٦٠–١٨٨٠) في مناطق ارمينية

الروسية وارمينية التركية ، فوصف مشاهداته ، وجمع كلّ ما اتصل به من حكايات ، واساطير ، واناشيد ملحمية مروية او مغنّاة ، مؤسساً بذلك علم درس الاساطير في ارمينية .

ثم انتقل الاب مصيريان الى القاء اربعة دروس (٢٦ تشرين الثاني ، ٣ ، ١٠ ، ١٧ كانون الاول) في موضوع تمهيدي تناول الابحاث الارمنية :

درس مركز ارمينية في آسية الغربية من حيث الجغرافية والعناصر البشرية ، مبيناً ان البطحاء الارمنية المتراوح علوّها بين ١٦٠٠ و١٨٠٠ متر ، والتي دعاها بعض المؤلفين « الجزيرة الجبلية » او « القلعة » تمثل في آسية الغربية — بمدل اصغر بالطبع — ما تمثله هضبة بامير في آسية الوسطى .

اما من حيث اختلاف العناصر فقد أتت الرُقم الحثية المكتشفة في بوغاز كوي بشيء من التوضيح في ما خصّ اصول الشعب الارمني . فأيدت ، في أكثرها ، ما كان معروفاً بواسطة المصادر الايرانية ، والاشورية ، واليونانية ، والرومانية ، من ان الشعب الارمني نتيجة امتزاجات بين شعوب عديدة اهمها شعبان كانا في اصله وهما : قبيلة اسيوية اسمها « هاي » ، وقبيلة هندية-اوربية اسمها « أرمن » اتت ارمينية عن طريق تراقية والاناضول .

وكان يؤيد هذه الاقوال بعرض عدد من الخرائط الجغرافية ، ورسوم المكتشفات الاثرية .

الأضحية والاديان

ألحق بدروس معهد الآداب الشرقية ، هذه السنة ، سلسلة من ست محاضرات في موضوع الاضحية او الذبيحة ، ألقيت من ٢٩ تشرين الثاني الى ١٣ كانون الاول :

تناولت الاولى منها ، وقد ألقاها الاب كابيلو اليسوعي ، علاقة الذبيحة بالدين ، على الاطلاق .

ثم عرض الاب دي لانترسن اليسوعي ، لصفة الذبيحة : هل هي مجرّد حماقة بشريّة ام انها تدلّ على تفتيش دائب ، وان مضطرباً ضالاً بعض الأحيان ، عن طريقة في تكريم الألوهة .

بعد ذلك انتقل البحث الى درس الذبيحة : عند مختلف الشعوب . فتكلم الاب ري-هيرم عن الذبائح في العصور اليونانية القديمة .

ووصف الاب ستاركي الذبيحة عند اليهود .

وفضل الاب شدياق اليسوعي طقوس الذبيحة ، او التضحية في الإسلام ، كما تظهر في العقيدة القرآنية ، وفي التقليد البارز في شعائر الحجّ .

حتى كان الكلام للاب اسكولا اليسوعي فاستخلص نتائج الابحاث ، وقام بمحاولة في شرح هذه الظاهرة .

مطبوعات جديدة

PUBLICATIONS DE LA SOCIÉTÉ DES NATIONS

منشورات جامعة الأمم

❖ **Le commerce international de certaines matières premières et denrées alimentaires par pays d'origine et de consommations,** 1938. Vol. in-4° de 178 pp., Prix : 6 fr. suisses. Genève, 1941.

التجارة الدولية المتناولة بعض المواد الاولية والغذائية سنة ١٩٣٨

نشرت هذا الكتاب دائرة الدروس الاقتصادية في جامعة الأمم ، ومثلت فيه حركة التجارة الدولية مدة السنة ١٩٣٨ ، في ما خصّ بعض المواد الأولية والغذائيّة ، مرتّبةً ذلك بالنظر الى البلدان المصدّرة ، والى مناطق الاستهلاك . جامعةً احصائيّات موقّتة للسنة ١٩٣٨ ، واحصائيّات محقّقة مضبوطة للسنتين ١٩٣٦ و١٩٣٧ . وقد تناول الموضوع ٣٨ بضاعة منها القمح ، والسكّر ، والكارتشوك ، والخشب في مظاهره المتنوّعة ، والجلود ، والصوف ، والقطن ، والحرير ، والحديد ، والفولاذ ، والنحاس ، والبترول . موزّعة على ١٢٥ بلدًا مستوردًا ؛ بينما البلدان المستوردة المدروسة لم تكن في المجلد السابق سوى ٤٢ . ولهذا صحّ القول ان المجلّد الحاضر يمثّل التجارة العالمية للبضائع المذكورة لان البلاد التي يدرسها تعادل تجارتها ٩٨ ٪ من مجموع التجارة العالميّة .

وغاية الكتاب ان يدلّ على الموارد التي تستقي منها البلاد ما تحتاج اليه من موادّ اوليّة وغذائيّة . وهو ما لا تقوم به الاحصائيّات التجارية الخاصة التي تنشرها الدول مستقلّةً ، لانها كثيرًا ما لا تشير الى مصدر البضائع المستوردة ، وقد تكتفي بالاشارة الى البلد الوسيط ، بائع البضائع او ناقلها ، بدل ان تشير الى البلد مولّد البضاعة ومصدّرها .

ولهذا رأت جامعة الامم ، لستّ سنوات خلت ، ان تطلب من الدول ان تقوم باحصائيّات خاصة تشير الى البلاد المصدّرة اصلًا لهذه الموادّ التي تهمّها امرها. فكان من ذلك هذا الكتاب التي تمكّن من انالتنا فكرة عامّة عن حركة التجارة المذكورة .

اما البضائع والموادّ المحصاة فتبلغ ٣٨ كما تقدّمنا ، اختارتها لجنة خاصّة من الخبراء الّفتها جامعة الأمم ، واستندت ، في اختيارها ، الى اهمية هذه الموادّ في الحياة الدولية ومن ثمّ في التجارة العالميّة .

❖ Statistiques du commerce international, 1938. Vol. in-4° de 345 pp. Genève, 1939.

احصائيات التجارة الدوليّة في السنة ١٩٣٨

يتناول هذا المجلد احصائيّات عامّة للتجارة مدة السنة ١٩٣٨ في ٦٧ دولة هي : ألبانية ، الجزائر ، المانية ، الارجنتين ، اوستراليا ، النمسة ، بلجيكة ، برمانية ، بوليفية ، البرازيل ، بلغارية ، كندة ، سيلان ، شيلي ، الصين ، كولومبية ، كوستاريكا ، كوبا ، الدانمارك ، الجمهورية الدومنيكية ، مصر ، الاكوادور ، اسبانية ، استونية ، الولايات المتحدة ، فنلندة ، فرنسة ، اليونان ، غواتيمالا ، هايتي ، هوندوراس ، المجر ، الهند ، الهند الهولندية ، العراق ، ايران ، ارلندة ، ايطالية ، اليابان ، ليثونية ، ليتوانية ، ماليزية البريطانية ، المكسيك ، نيكاراغوا ، نيجيرية ، نروج ، زيلندة الجديدة ، بناما ، باراغواي ، هولاندة ، بيرو ، الفيليبين ، بولونية ، البرتغال ، رومانية ، بريطانية العظمى ، سلفادور ، سيام او تايلاند ، اسوج ، سويسرة ، تشيكوسلوفاكية ، تركية ، الاتحاد السوفيتي ، الاتحاد الافريقي الجنوبي ، اوروغواي ، فنزويلا ، يوغوسلافية .

ثم رُتّبت الاحصائيات وفقًا لأصناف البضائع ، ووزنها وقيمتها ، بالنظر الى البلاد المصدّرة والبلاد المستوردة ، مما جعل الكتاب افضل وثيقة لدرس الحركة التجارية سنة ١٩٣٨ بلا منازع.

❖ Matières premières et denrées alimentaires. Production par pays 1935 et 1938. Vol. in-4° de 75 pp. Genève, 1939. Prix : fr. s. 2,50.

المواد الاولية والمحصولات الغذائية

لم يسبق للعلماء ان فتشوا بما تعهده لهم اليوم من مثابرة واجتهاد عن مصادر المواد الاولية ومناطق الغلال والمحصولات الغذائية . فلا عجب ان تهتم جامعة الأمم بهذا الأمر وتعرض لاولئك العلماء مجلداً ، بل مجموعة من الجداول تفضل على اوضح سبيل معلومات لم يكن ليتوصل اليها طالبها ، قبل اليوم ، الّا بشق النفس منفقاً الساعات ، بل الايام ، في مقابلة الجداول والسعي وراء الاحصائيات المتنوعة . واذا بها كلها في متناول يده تفصل محاصيل العالم من مواد اولية وغلال بلداً بلداً ومادة مادة ، في السنتين ١٩٣٥ و١٩٣٨ . وقد شملت الجداول ١٤٠ بلداً ونحو ٢٠٠ مادة او بضاعة رُتبت على طريقة ظهرت فيها بجمل محصولات البلد في صفحة واحدة . واحتوت ، فوق ذلك ، ارقام الصادرات والواردات لكل بلد دالة بلمحة سريعة على موقف البلد المذكور من المواد المعهودة ، هل هو قادر على كفاية نفسه أم مضطر الى استقدام هذه البضائع الضرورية من السوق العالمية ، ام يمكنه اغناء هذه السوق بما يعرضه من فضل حاجته .

ويُضاف الى كل هذا جدول عام باهم مصادر المواد الأولية ، رُتبت فيه اسماء اهم البلدان مصدرة المواد المهمة ، على نوع تناول ٨٠ ٪ من مجموع المحصول العالمي . وقد ذُكر الى جنب ذلك معدل محصول كل بلد بالنسبة الى المحصول العالمي .

وفي جدول آخر أُشير الى نصيب كل قارة من محصول المواد الاساسية في العالم .

كل هذا قُدّم عليه بحث ضروري ليفهم المطالع طرق الاستفادة من الجداول ، فيأمن العثرات ، ويتحفظ في استخلاص النتائج السريعة التي قد يقع فيها من يلجأ الى الاحصائيات على غير خبرة .

ولا شك في ان مصلحة الدروس الاقتصادية في جامعة الامم أدت خدمة جليلة ، بوضعها هذه الآلة المرنة ، لجميع من تهمهم شؤون التجارة والاقتصاد في العالم ، سواء أكانوا من رجال العلم ام من ارباب السياسة .

* L'Habitation urbaine et rurale. Vol. in-8° de 176 pp. Genève, 1939. Prix : fr. s. 3,50.

سكنى المدن وسكنى الأرياف

وهذا المجلّد من منشورات مصلحة الدروس الاقتصاديّة ، عرضت فيه بالتفصيل ما قامت به بعض الدول من اساليب في تحسين حالة المساكن ، منتبهة للنفقات المبذولة في هذا السبيل ، وللنتائج التي توصلت اليها الدول المذكورة . وهو درس وافر الاهميّة لما يطلعنا عليه من محاولات في حلّ مشاكل السكن الناشئة بين السنتين ١٩١٨ و١٩٣٩ اي بين الحربين الكبريين . فلا بدّ اذاً من ان يلفت نظر جميع من يهمّهم امر التفكير بانشاءات وبنايات جديدة في الحاضر او في المستقبل .

وقد اهتمّ الكتاب خاصة بدرس الحالة الحاضرة في البلدان التالية : بلجيكة ، انكلترة ، كندة ، الدانمرك ، فنلندة ، فرنسة ، نروج ، هولندة ، اسوج ، الولايات المتحدة . وكان المؤلف قد زار اكثر هذه البلدان بنفسه ، درس فيها المشاكل العملية التي تجابهها الحكومات ، فرتّب معلومات الحكومات الرسميّة الى معلومات البلديات ، الى ما استفاده من المصادر الخاصّة . وخصّ كل دولة بفصل على طريقة تظهر فيها المعلومات سهلة المقابلة بما في غير ذلك من الفصول ، فيستطيع المطالع التنقّل السريع من دولة الى دولة ، فالمقابلة بين المشاكل والحلول التي تنفرد بها كل دولة من غيرها ، مع اقرارهنّ جميعاً بضرورة تحسين حالة المساكن البشريّة .

ومما يجدر بالذكر ما يتحقّقه المطالع من حركة صناعة البناء في مختلف المناطق ، ومظاهر التقدّم في تصميم البنايات منذ السنة ١٩٢٠ . كل ذلك يدرسه المؤلف في مظهرَيه : المظهر الاجتماعي ، اي كيف عملت السلطات على حلّ المشكل السكني الذي تفرضه حالة الحياة الحاضرة ، والمظهر الفنّي الصناعي .

وقد زاد ، في درسه للمناطق الاوربية ، فصلاً خاصاً بمشكلة المساكن الريفية ، وما تقوم به الحكومات من اعمال في تحسين سكنى الفلّاح وعمّال

وهناك فصل عامّ يلخّص مشكل السكنى بمظهريه المهمّين وهي : ١ً قلة المساكن . ٢ً عجز اكثرها عن القيام بالشروط الصحية من حيث المرافق ، والاتساع لراحة مَن يسكنها . . . وهو يدرس في القسم الاول اسباب النقص الطارئ في اعمال البناء من حين الى آخر . وفي الثاني ، يبيّن ان سبب الصعوبات ارتفاع أكلاف البناء بالنسبة لمدخول بعض الطبقات .

❖ **Annuaire statistique de la Société des Nations, 1939-1940.** In-8°, 285 pp. Genève, 1940. Prix : 10 fr. s.

الدليل الإحصائي لجامعة الامم ١٩٣٩—١٩٤٠

على رغم الحوادث العالمية الحاضرة ، تتابع امانة السرّ لدى جامعة الأمم اعمالها العلمية الاختصاصية . ومن ادلّ الشواهد على هذا الأمر ظهور هذا الدليل الجديد الذي يتناول حالة العالم حتى السنة ١٩٤٠ ، فيعدّد الاحصائيّات الدقيقة في عصر غدا فيه الانسان على اشدّ ما يمكن من الرغبة في الاطّلاع السريع على المعلومات الصحيحة ، بعيدًا عن تأثير الدعاوات والاحصائيّات المغرضة . فكان هذا الدليل الذي تتناول احصائيّاته المضبوطة حتى السنة ١٩٣٩ ، بل حتى النصف الاول من السنة ١٩٤٠ ، كثيرًا من الموضوعات ، في بلاد العالم جميعها . ومما يدلّ على اهتمامه بأحدث المظاهر انه لم يغفل الإشارة الى التغيير الجغرافي الحاصل في بعض المناطق ، والى الاحكام المالية والنقدية المتخذة بعد ابتداء الحرب الحاضرة .

ولمّا كانت المشاكل العنصرية في طليعة هموم العالم اليوم ، رأينا الاحصائيّات العنصرية والبشرية تتسع شيئاً فشيئاً في هذا الدليل متناولة ، لا حالة السكان الحاضرة في مختلف بلدان العالم فقط ، بل حركات تطوّرها ومظاهر مراميها ايضاً .

ومما يجدر بالذكر ان مصلحة الدروس الاقتصادية في جامعة الامم تخمّن سكان العالم في آخر السنة ١٩٣٨ بـ ٢,١٤٥,٠٠٠,٠٠٠ منهم ٤٥٠ مليوناً في الصين . وقد أجرى احصائيّات رسمية مؤخرًا ثلاث من كبار الدول : روسية ، والولايات المتحدة ، والمانية . فكانت النتيجة ان عدد سكان الجمهوريات الروسية

السوفيتية بلغ في كانون الثاني ١٩٣٩ نحو ١٧٠ مليوناً ونصف مليون ؛ وعدد سكان الولايات المتحدة بلغ في نيسان ١٩٤٠ ، نحو ١٣١,٤٠٠,٠٠٠ . اما سكان الريخ الالماني فكانوا في ايار ١٩٣٩ نحو ٧٩,٧٠٠,٠٠٠ ولا يتضمن هذا الرقم الاخير سكان « محمية بوهيمية ومورافية » البالغين ٧ ملايين ، ولا العشرة الملايين ونصف المليون من سكان البلدان الملحقة بالريخ منذ ابتداء الحرب .

نذكر ايضاً من ملاحظات الدليل ان حركة الولادات في المانية تابعت صعودها بالغة في السنة ١٩٣٩ ، في ارض الريخ القديم ، معدل ٢٠,٣ بالألف بينما كانت لا تتجاوز ١٤,٧ بالألف سنة ١٩٣٣ . وهي في النمسة ٢٠,٩ ٪ (وكانت ١٢,٨ سنة ١٩٣٧) ، وفي مناطق السوديت ٢١,٩ ٪ . وقد هبطت هذه الحركة ، في السنة ١٩٣٩ ، في الولايات المتحدة ، والدانمرك ، والمجر ، والبلاد البلقانية . وارتفعت في الاتحاد الافريقي الجنوبي ، واوقيانية ، وأسوج ، ونروج . اما حركة الوفيات فقد اتصفت بهبوط عام لا مثيل له في ما سبق من هذا الجيل . وهكذا نجد ان تقدم الطرق الصحية وحسن المعيشة يحفظ الملايين من النفوس البشرية سنة فسنة .

وهناك تقدم صاعد في المحاصيل الصناعية بدت مظاهره في بعض البلدان من منتصف السنة ١٩٣٨ وتتابعت حتى ابتداء المعارك . ومن اهم البلاد التي تتابعت فيها هذه الحركة ، في النصف الثاني من السنة ١٩٣٨ ، الولايات المتحدة وكندة . وان تكن احصائيات الاتحاد الجمهوري السوفيتي عرضة للاضطراب وعدم التناسب احياناً ، فان التقدم المهم في المحصولات الصناعية ، وفي بعض المحصولات الزراعية ، يظهر واضحاً لا شك فيه . ولا سيما في محاصيل القطن ، والكتان ، والشاي ، والسكر ، والحرير ، والفحم ، والفوسفات ، وبعض المعادن والفلزات ، والآلات ذات المحركات وقد نتج ان الاتحاد الجمهوري السوفيتي يحتل المركز العالمي الأول في ما خص انتاج الحبوب ، وسكر الشمندر ، والكتان ، والقنب ، والمانغانيزة ؛ ويحتل مركزاً مهماً في انتاج الحبوب الدهنية ، والقطن ، والكحول ، والبترول ، والفحم ، والحديد ، والفولاذ ، والذهب .

وكان من شأن هذا التقدم المتواصل في الانتاج الصناعي ، وقد ساعدته

سياسة خاصة، ان يستبدل ببعض المحاصيل منتجات جديدة. وهكذا رأينا انتاج الكاوتشوك الصناعي في ألمانية يبلغ في السنة ١٩٣٩ من ٢٠ الى ٢٥ الف طنّ، بينما يبلغ انتاج الكاوتشوك الطبيعي في العالم كلّه ١,٢٠٠,٠٠٠ طنّ. ورأينا البنزول، والكحول، وسائر انواع البترول الصناعي تحلّ بعض الاحيان محلّ مولّدات البترول الطبيعي. وكذلك القول عن الصناعات النسجيّة فاننا نشهد فيها تطوّرًا اشبه بالثورة منذ عشر سنوات. فبينما نرى انتاج الحرير الطبيعي يقلّ سنة فسنة، نتحقق ان انتاج الخيوط الاصطناعية يصعد، في هذه المدّة، من ٢٨٠٠ طنّ الى ٤٩٠,٠٠٠ طنّ.

وفي الكتاب لمحة خاصّة على تاريخ العملة وتداولها في السنوات الاخيرة. يُستدلّ منها سعة المراقبة التي اتخذت الحكومات، ما عدا الولايات المتحدة، تفرضها على جميع اعمال القطع. وقد تبع ذلك صعود في النفقات العامّة. وصعود كذلك في مبالغ الديون العمومية ولا سيما الداخلية منها. فقد صعدت الديون العمومية الداخلية غير الثابتة في ألمانية من ٦ مليارات ونصف المليار من المركات في اذار ١٩٣٩، الى ٢٣ مليار في حزيران ١٩٤٠. اما مجموع هذه الديون الداخلية فارتقى من ٢٩ مليارًا ونصف المليار الى اكثر من ٥٥ مليارًا. وفي انكلترة ارتفع مجموع الديون من ٧,٢ مليارات الى ٧,٩ مليارات من الليرات. وكذلك القول عن الديون الداخلية في الولايات المتحدة التي ارتفعت بين حزيران ١٩٣٩ وحزيران ١٩٤٠ من ٤٠,٤ مليارًا الى ٤٣ مليارًا من الدولارات؛ وارتفعت ديون اسوج من ٢,٦ مليارًا الى ٣,٦ مليارات من الكورون. اما ديون اليابان فتضاعفت تقريباً من اذار ١٩٣٨ الى اذار ١٩٤٠..

وتدلّ حركة التداول بالعملة على ميل نحو الارتفاع في جميع البلدان تقريباً.

* Monnaies et Banques, 1939-1940. Vol. I. Aperçu de la situation monétaire. Vol. in-8°. 112 pp. Genève, 1940. Prix : fr. s. 3.

العملة والمصارف : لمحة في الحالة النقدية

يختص لمحة هذه السنة، التي نشرتها مؤخّرًا دائرة الدروس الاقتصادية في جامعة الأمم، بعرض الأحكام والقوانين المختلفة التي سنّتها الدول، منذ

ايلول ١٩٣٩ ، في سبيل مراقبة اعمال القطع ، والاحتياط للقيام بالاعتمادات الطارئة جملةً ، وبما يُحتاج اليه من اوراق النقد والقطع المعدنية خاصّةً ، وبما قد تعمد اليه الحكومات من اللجوء الى القروض. ثم يدرس المجلد الحاضر تأثير هذه العوامل كلّها في مبلغ العملة ، ونفقات الاعتماد .

يتناول الفصل الاول الاضطرابات في اسعار القطع ، ثم يقوم بتحليل عامّ لمظاهر النقص في المدفوعات الخارجيّة ، وفي تحويل الرساميل ، تلك المظاهر التي فرضتها حالة الحرب. اما الفصل الثاني فموضوعه القوانين والاحكام المطبّقة مدة الحرب على المصارف ، واعمال البورصة ، ومظاهر التأجيل وسائر التسهيلات في الاعتماد ، وطرق اصدار عملة جديدة ، وما الى ذلك من تعديلات في شرائع المصارف المركزية الماسّة بحظر الإصدار .

يأتي بعد ذلك فصل يبحث في مالية الحرب والسوق النقدية ، فيصف طرق القروض التي تلجأ اليها الحكومات في كثير من البلدان ، متوقفاً لدى الدور المهمّ الذي تمثله المصارف المركزية والتجارية في المساهمة بنفقات الدولة .

وفي الفصل الرابع اشارة الى اتساع كمّية النقود في العالم ، وما نتج عن ذلك من اتساع الضمانة . وفيه ملحق اضافي يلخّص بعض الاحكام النقدية المتخذة مؤخّرًا في تشيكوسلوفاكية ، ودانتزيغ ، وبولونية .

يلي ذلك ما عهدناه في النشرات السابقة من جداول بالاحصائيّات النقدية الدوليّة معروضة بشكل يسهّل المقابلة بينها جميعاً.

ولا يقلّ هذا المجلّد في شيء عمّا نعرفه في المجلّدات السابقة سواء بالنظر الى عدد البلدان المدروسة ام بتنوّع المواضيع . وفيه ، فوق ذلك ، مقابلات جمّة بين الحالة الظاهرة هذه السنة وما كانت عليه في السنة ١٩١٤ .

ولا شكّ في ان هذا الكتاب يستحقّ الوصف الذي اطلق عليه من انه « دليل امين لحالة الماليّة الدوليّة » واذًا فلا يستغني عنه كل من يهمّه الاطّلاع على التقلّبات والتغييرات التي احدثتها الحرب في حالة النقد العالميّة .

في التراجم

BERNARD AMOUDRU, Ignace de Loyola, maitre d'héroïsme. [*Idéalistes et Animateurs*, 19]. Vol. 19×12, 208 pp. Paris, Bonne Presse, 1939. Prix : 10 fr.

اغناطيوس دي لويولا ، استاذ البطولة

لم ينتش مؤلف هذه الترجمة الحديثة للقديس اغناطيوس دي لويولا عن مصادر جديدة يستقيها ، واين ذلك ؟ ولم يحاول كذلك ان يغير في الصورة التي تركها لنا مترجمو القديس السابقون . على انه بالاستناد الى ما تقدّم ، وبتلخيص تلك المعلومات الكثيرة ، امكنه ان يأتينا بكتاب رشيق طافح بالحياة والحركة . وهو ما يمدح عليه . ب . م .

MGR MILLOT, Monseigneur Gibier, précurseur de l'Action Catholique. [*Idéalistes et Animateurs*, 20]. Vol. 19×12, 208 pp Paris, Bonne Presse, 1939. Prix : 10 fr.

المونسنيور جيبيه ، السابق الى فكرة العمل الكاثوليكي

لجأ الطابعون الى حرف صغير وطبع ملزوز حتى امكنهم ان يدخلوا ، في هذا المجلّد الصغير ، كلّ ما شاء المونسنيور ميلو ان يقوله عن ذاك الذي كان « اول خوارنة فرنسة » قبل ان يصبح من افضل اساقفة عصره . ومن النادر ان نرى حياةً كهذه مثلت في جميع اطوارها واعمالها المثال الأعلى للرسول الحقّ الذي لا يقتصد في وقف عقله وقلبه ووقته على خدمة القريب ، وخير المجتمع ، وخلاص النفوس . حياة طافحة بالمبرّات يعزّزها التفاني والجهاد الثابت المرتّب في سبيل الغاية المثلى . ب . م .

CLAUDE ARAGONNÈS, Madame Louis XIV, Françoise d'Aubigné, Marquise de Maintenon. [*Idéalistes et Animateurs*, 17]. Vol. 19×12, 200 pp. Paris, Bonne Presse, 1934. Prix : 10 fr.

المركيزة دي مانتنون امرأة لويس الرابع عشر

هي شخصية غريبة شخصية فرنسواز دوبينيه ، تلك التي قضت طفولة بعيدة عن مظاهر النعمة والترف ، فتزوّجت ، في زواج اول ، من سكارون ، ذاك الشاعر

المضحك الملهي المشوّه المظهر ، ثم اصبحت امرأة « الملك-الشمس » دون ان تُصبح ملكة . يدرس المؤلّف هذه الشخصية مظهراً خاصّة ، ما اتصفت به من صفات سامية كالحكمة والشجاعة والرصانة ، التي كانت تعجب لويس الرابع عشر وفي ذلك عبر مفيدة لعصرنا هذا المتقلقل المضطرب . ب. م.

PIERRE BELPERRON, Neville Chambarlain. Vol. in-8°, 96 pp. Paris, Plon, 1938. Prix : 3 fr. 50.

نفيل تشمبرلن

ظهر هذا الكتاب بُعيد مقابلة مونيخ ، فدلّ على ما طفح به قلب العالم من فرح شامل بسلام ظنّه دائماً ، بعد تلك المخاطر . على ان سوء الحظّ شاء ان يكون الفرح وقتيّاً والسلام زائلاً . وانه ، وان يكن التاريخ لم يتراجع التراجع الكافي فيسمح لأربابه بان يقدروا عمل الرجل السياسي ، فان هذا المجلّد اللطيف كافٍ لإظهار شخصية تشمبرلن ، فساعدة التاريخ على عمله .

ب. م.

LEON LEYDER, Le Roi Albert. Vol. in-8°, 96 pp. Paris, Plon, 1938. Prix : 3 fr. 50.

الملك ألبير

امـا شخصية الملك ألبير فقد دخلت في التاريخ محاطةً بمظاهر الكرامة والمجد . وهو ما يظهر في هذا الكتاب ، وان يكن المؤلّف يلخّص الكثير من معلوماته ، فيكاد يكتفي باعمال « الملك-الجندي » مدة الحرب الماضية ، وهي وحدها كافية لرفع تلك الشخصية الى مصافّ الابطال . ثم ان اسلوب الكتاب يجعل منه قراءة لذيذة جذّابة . ب. م.

ERNESTINE LE COUTURIER, Ce que dirait Saint François de Sales aux jeunes filles d'aujourd'hui. Vol. in-12, 144 pp. Paris, Bonne Presse, Prix : 9 fr.

ما قد يقول القديس فرنسيس سالس لفتيات اليوم

يبدأ هذا المجلّد اللطيف سلسلة جديدة عنوانها : « ما قد يقول... » تظهر فيها موافقةً لروح العصر ، معروضةً باسلوب رشيق ، حافلةً ببعض الشروح

والتعاليق ، اقوالٌ منتخبة من آثار الآباء وكبار المفكرين من الكاثوليك . ولم يكن افضل من ان تُبدأ باقوال القديس فرنسيس سالس الذي لم تهرم تعاليمه وحكمه . وسيتذوق المطالعون ، والمطالعات ، دون شك ما فيها من لطف ، ودقة ، وحياة ، وجرأة .

ABBÉ THOMAS MOREUX, Mon curé chez les savants. Vol. in-12, 220 pp. Paris, Bonne Presse. Prix : 15 fr.

خوريٌّ عند العلماء

طالما سمع القرّاء بمؤلفات الاب مورو العلمية . وها انه يتناول في هذا الكتاب ، على طريقة كليمان ڤوتيل ، كثيرًا من المشاكل العلمية فيعرضها على احد الخوارنة الذي ينتقل به الى محيط العلماء ، فيناقش الاطباء والجيولوجيين وغيرهم ، بلطف ، ورشاقة ، مبيناً لهم ان ليس شيء من هذه المكتشفات يتعارض والعقيدة الكاثوليكية . كل ذلك باسلوب حيّ يرضي المطالعين جميعاً .

ب . م .

CHANOINE V. LEROQUAIS, Un livre d'heures de Jean-Sans-Peur, Duc de Bourgogne (1404-1419). Grand in-8°, 74 pp., 16 planches. Paris, Georges Andrieux, Expert. 1939.

سواعية « جان سان پور » ، امير مقاطعة برغونية (١٤٠٤-١٤١٩)

اشترت المكتبة الاهلية في باريس مخطوط هذه السواعية ، في السنة ١٩٣٩ ، بمبلغ ٧٥ الف فرنك ، وهو مخطوط ثمين يرتقي الى اواخر القرن الرابع عشر تزينه تصاوير عديدة دقيقة الرسم ، بديعة التلوين ، على طريقة خطاطي القرون الوسطى من الرهبان . ومن الطف ما ورد من تلك التصاوير ما يتعلق بسيرة المسيح والعذراء كميلاد المسيح ، والزيارة ، والفرار الى مصر ، والآلام وغيرها . وقد درس المخطوط درساً مستوعباً القانوني ف . ليروكه فوصفه ، وشرح محتواه ، واثبت تاريخه ، وتاريخ مَن ملكه من الكبار والكتّاب ، مذيّلاً ذلك باربع عشرة لوحة تمثل ما حسن من تصاوير المخطوط .

ر . ش .

في الشؤون الشرقية

EMILIO DE LA BARRERA, **Los Equinos Auquenidos y estadistica Ganadera de la Provinica de Chumbilcias.** In-8°, 220 pp. Lima-Perú, Sud América.

تربية الخيول في مقاطعة شُمبيليكاس

يفصّل هـذا الكتاب انواع الخيول في منطقة المؤلف ، وهو من القوّاد المعروفين ، ويدرس اصولها وتاريخ دخولها تلك البلاد ، واساليب تربيتها ، والعناية بها ؛ مفردًا درساً خاصًا لما يسميه « الجمل الوطني » في مقاطعة شُمبيليكاس وهو الحيوان المعروف باسم « اللّاما » .

ALFREDO BUSTANI, **El Viaje del Visir para la Liberación de los cautivos, par el Vizir el Gassani el Andalusi.** [*Publicaciones del Instituto General Franco para la Investigacion hispano-arabe*, Sección Segunda, N° 1]. In-8°, XV+114+XXXVI+١٢٠ pp. Lorache, 1940.

رحلة الوزير في افتكاك الأسير

تقدّم لنا (المشرق ٣٨ [١٩٤٠] ١١٢) ان وصفنا ما يقوم به معهد الجنرال فرانكو من جهود موفّقة في سبيل نشر الآثار العربية الموجودة في اسبانية ، عاملًا على تعزيز العلاقات الثقافية بين العرب والاسبان . وكانت باكورة اعماله نشرة كتاب « الكليّات » لابن رشد ، في طبعة وقف على اخراجها الاستاذ الفريد البستاني ، استاذ الآداب العربية في معهد الدراسات المغربية في تطوان . وها ان الاستاذ البستاني نفسه ، يخرج اليوم هذه الوثيقة الثمينة المعروفة « برحلة الوزير في افتكاك الأسير » من تأليف محمد بن عبد الوهّاب الغسّاني الاندلسي ، وزير مولاي اسماعيل الذي انفذه سفيرًا الى كارلس الثاني ملك اسبانية سنة ١١٠٢هـ. (١٦٩٠–١٦٩١م) في شأن مفاوضته في افتكاك الاسرى المسلمين . فدوّن تفاصيل رحلته في هذا الكتاب . وقد ظلّ الكتاب مخطوطاً — وان يكن قد عرفه بعض الاختصاصيين من المستشرقين فلخّصوا ما فيه ونقلوا بعض مقاطعه — حتى قام الاستاذ الفريد البستاني ، بعناية معهد الجنرال فرنكو ، بالتفتيش عن

مخطوطاته ، فتوفق الى ثلاث منها اعتمدها في طبعته ، بعد ان مهّد لها بمقدمة وجيزة في حياة المؤلف ، وفي كتابه ، ومصيره بين النقاد والمؤرخين ، وفي حياة مليكه مولاي اسماعيل . ونشر ترجمتها الى اللغة الاسبانية ، ملحقاً بها فهرساً جغرافياً باسماء المحلات المذكورة في الرحلة ، بالعربية والاسبانية ، وجدولين واحداً بالاصطلاحات والتعابير المغربية الوارد ذكرها مع شرحها ، وآخر بالالفاظ والتعابير الاسبانية التي استعملها المؤلف في رحلته واثبتها محرّفة » ، ثم فهرساً ، بل معجماً جزيل الفائدة ، للاعلام الوارد ذكرها في الكتاب باللغتين العربية والاسبانية . فكان هذا العمل مساهمة ثمينة في تقدم الدروس المغربية يعرفها الاختصاصيون فيشكرونها للاستاذ البستاني ولعميد الجنرال فرنكو .

A. Baries, Avenir de l'Afrique du Nord, Opuscule in-8° carré, 66 pp. Paris, Librairie du Recueil Sirey, 1939.

مستقبل افريقية الشمالية

كانت افريقية الشمالية في حالة اقتصادية تكاد تكفي سكانها . اما الآن وقد اخذ عدد السكان يتكاثر يوماً عن يوم ، واخذت الحاجات تتعدد مجاراةً لمظاهر التقدم ، فوجب ان يُعاد النظر في الموارد الضرورية لإنالة هؤلاء السكان اساليب الحياة العصرية السهلة . وهو ما يقوم به المؤلف مظهراً الاعمال والمنشآت الجديدة ، ولا سيما في مراكش بتأثير المرشال ليوتي ، كحفر الآبار ، وتعبيد الطرق ، وبناء المستشفيات ، وانشاء الاسواق العامّة . مما تشترك فيه السلطة الفرنسوية والسلطة الوطنية في اتفاق مخلص . ولا شكّ في ان مستقبل افريقية الشمالية ، اذا ما تتابعت هذه الأعمال ، يكون على ازدهار متواصل . ولا يسعنا الّا ان نتمنّى مثل هذا الاهتمام لبلادنا المحتاجة ، على الأقلّ ، احتياج افريقية ، للتنظيم والاهتمام بمستقبلها .

ب . م .

مفرق الطريق

بقلم بشر فارس

مطبعة المعارف ، مصر ، ١٩٣٨ — ٦٠ ص . كبيرة بقطع الربع — الثمن ١٢ ق . م .

هي مسرحية منثورة ذات فصل واحد من النوع « الرمزي » . وانها لعلى

جانب كبير من الغموض مما احتدى المؤلف الى وضع توطئة « يبسط فيها الاسلوب الذي اجراها عليه » وكتابة تبيين يحدّد فيه مدار الرواية ، فاذا هو مغالبة بين العقل والشعور هنيهةً يلتقيان في مفرق طريق ينفرج عن اليمين منارًا وصاعدًا وعن اليسار مظلماً ومنحدرًا . « اما الجانب المظلم فحيث يقهر الشعور العقل فينحدر المرء ، وقد عمي رشده ، الى غاية تحترق عندها النفس ؛ واما الجانب المنار فحيث يصرع العقل الشعور فيسلك المرء في صعود مثلوجة يحيا عندها بنجوة من الاحتراق ، يحيا كمثل شجرة شظف عودها وجفّ ورقها وذوى زهرها . . . »

قال المؤلف في تحديد رمزيّته انها ليست بوقوفة على الرمز بشيء الى شيء آخر . ولكنها — فوق ذلك — استنباط ما وراء الحس من المحسوس وابراز المضمر وتدوين اللوامع والبواده ، باهمال العالم المتناسق المتواضع عليه المختلق اختلاقاً بكدّ اذهاننا ، طلباً للعالم الحقيقي الذي نضطرب فيه رضينا او لم نرضَ . . . »

وهو عالم « تدهشنا ظواهره وتروعنا بواطنه وتعجزنا مبادئه » ، هو « عالم الوجدان المشرق والنشاط الكامن والجماد المتأهب للتحرك . . . » مما لا يدرك الا « بالاحساس الدفين والادراك الصّرف والتخيّل المنسرح . » واذن فالرمز « بعيد ان يكون لوناً من التشبيه او الكناية الى غير ذلك من ضروب المجاز (التي) للذهن في وضعها ثم قبولها الحظّ الاعلى . » ان هو الّا « صورة او قبل سوب صور جزئية ينتزعها المنشئ من المبذول كما تُنتزع الاشكال من هيئات الموجودات على مرقم رسّام موفور الحواسّ ، مشغول المخيلة مُحدَّث القلب يَعُدُّ الملموس مُنبثقَ الانطلاق الى عالم امثال ، الى عالم روحاني يوفق بين الواقع والموهوم . »

— ويرى العارفون ان هذه الافكار صدى عربي لأحدث النظريات الغربيّة في علم النفس والفن فضلُ المؤلف فيها انه نقلها الى الضاد في اسلوب شخصي ولغة جميلة ترفل بالأصباغ الصوفية الجذّابة . ألا ترى اثر فرويد مثلًا في ما جاء في التوطئة ايضاً من ان الفن معوان « للغريزة » على التخلص من « الكَبْت » ؟ واثر ثاليري في تشبيه « المنشئ » بالراقصة « تنحرف عن قواعد الرقص المضبوط فتنه المتأمّم اعتيادًا لا اندفاعاً ، فتابى ان تخط اشكالًا محصورةً في نظام سرعان

ما يُهتدى اليه . . . وانا تكتفي بالتلوي والتوتر ، والنزوان والتقبض ، عن انفعالات احساسها الموسيقي (فاذا) بالسماع ينقلب حركةً ! » ؟

والواقع ان « ڤاليري » يشبه « الشعر » بالرقص الذي لا غاية له الّا الترنح والتطريب . اما النثر فيشبّه بالمشي : ذلك ان النثر غايته « البلاغة » والافهام ، كما ان المشي غايته البلوغ في وقت معين من الزمان الى نقطة معينة من المكان.

والحال ان لفظة « منشيْ » التي يستعملها الاستاذ فارس قد تنطبق في آن معاً على الناثر والشاعر بيد انه يغلب عليها معنى الصنعة والتأليف لا معنى الارتجال كما في قوله : « انما المنشيْ يعرض عن المراسيم الجامدة إرادةً ان يجعل الكتابة لحناً يغلّب فيه الارتجال الملهَم على الصناعة الموقوفة . . . »

هذا ، ويقلقنا في آراء المؤلف نزوع فوضوي الى التحرر من كل منطق زعماً منه « ان المنطق اصطلاح آلته العقل » وان « العقل انما يجرّد الاشياء او يشذّبها ثم يغفل بعضها او يجهل بعضها » فيكون « الترضيح الذي ينتهي اليه اقرب الى الاختراع منه الى التحقيق » ، بينا الفن كلّ الفن « اثبات البرق الذي التوى في السحاب فغزا الظلمة لحظة » و« تدوين اللوامع والبواده باهمال العالَم المتناسق المتواضع عليه الخ . . . »

اننا نشارك الاستاذ فارس رأيه في ان للعقل والمنطق والاستنتاج حدوداً ، كما اننا نقول بان غاية الشعر غير التعليم والتفهيم وإقامة البرهان . ولكننا نقول كذلك ، مع احدهم ، ان العقل والمنطق في الشعر وسيطة لا غاية ، فهما اشبه شيء بتلك المعالم البيضاء تهدينا ، وسط العتمة النيّرة ، الى الواحة المنحورة التي نسميها شعراً وروعةً شعرية

□

وبعد ، فلننتقل من عالم الرأي — وليس آن التوغل فيه الآن — الى عالم الواقع ولنقل كلمتنا مقتضبةً في الاثر بعد ان قلناها موجزةً في النظر :

في اعتقادنا ان مفرق الطرق مبنية على جهل لحقيقة المسرح . فما لا شك فيه ان الصبغة « الاجتماعية » اقوى في هذا الفن الراقي منها في غيره من الفنون وهو ، الى ذلك ، على حدّ قول لويس جوڤيه ، حوار بين الممثل والمشاهد والحوار ،

بطبيعة حاله ، لا يقوم الّا على التفاهم المتبادل . ورغبة الكاتب في ان يجعلنا نشاركه عمليّة الخلق لا تسوّغ هذا الابهام المفرط في فنّ هذه طبيعته.

اضف الى ذلك ان فناً لا يبالي بالعقل ، كفن الاستاذ فارس ، لا يستند في نهاية الامر الّا الى الحواس. والواقع ان المؤلف يعنى العناية كلها بالتزيين واللباس والتنوير والسماع الخ . . .

وهذه الظاهرة تخبي. جهلًا لطبيعة الكلام الذي هو عنصر المسرح الاساسي. والكلام اداة تعبير قبل كل شي. اي انه من العقل واليه. وقد قال ده سانتيس ما معناه: لا يعدل قوة الكلام وتفوّقه كاداة تعبير ، الا ضعفه عندما يُتوجّه به الى الحواس ، فهو اذ ذاك اعقم الوسائل التي يملكها الفن في تقليد الطبيعة والحياة. فمن الجرأة بمكان قصيّ ان يُستند في التعبير عن حالات نفسيّة شاذّة ، وآراء فلسفية مثالية ، وتحقيقات اجتماعية عادية ، الى التنوير والسماع واللبوس ؛ كما انه من التهور بمكان قصيّ ان يُستند الى الحواس — وان ارتقت الى درجة « الشعور » — في تصوّر هذه الحالات وتفهّم هذه الآراء .

ولا يذهبنّ المؤلف مذهب الاستاذ توفيق الحكيم — وتأثير شهرزاد في مفرق الطريق بادٍ ظاهر للعيان — فيقول ان مسرحيته ما وُضعت حتماً للتمثيل ، وانه لم يختر الشكل الروائي الّا لانه اكثر مؤاتاةً لغرضه واشد ملابسة لما همّ به من الامر . فاذا كان كذلك طلبنا اليه ان يشرح لنا معنى هذه الفقرة التي وردت في التوطئة وننقلها بالحرف . قال: « واما لغة المسرحية فقد اردتها سهلة ، لانه من العسف ان يُغرب المؤلف او يتكلف الصياغة ابتغاء التهويل ، ولا سيّما اذا الّف للمسرح ، ذلك ان المسرح هو مَنقل الوان الحياة . »

وفي الختام نسأل ادباء مصر القوميين — والمؤلّف منهم على ما يظهر — هل من المناسب حقاً ، في بدء هذه النهضة ، ان يعنى الادب العربي الحديث بعرض دروس ادبية تتناول نفسيات مشوشة كنفسية سيدة (بطلة الرواية التي نحن بصددها) وهي القائلة مخاطبةً « مغريها الى الشعور »: ألم اقل لك اني لست انا ؟ . . .

اننا ، مع مراعاة حقوق الفن في الحرية او الاستقلال ، نجيب عن هذا السؤال نفياً.

ج. ع.

نشرات بروتستانتية

١ من دحرج الحجر ؟

محام يقيم البينات

تأليف الاستاذ فرانك موريسون المحامي ، نقله الى العربية حبيب سعيد .

٢٢ ص متوسطة صغيرة - دار « الشرق والغرب » بولاق مصر ، وكتدرائية سنت جورج بالقدس الثمن : ٨ غ . م .

٢ رسائل الاخلاق الدينية

تأليف الاستاذ لطفي ليفونيان

سلسلة ابحاث وجيزة موزّعة في سبع رسائل صغيرة كما يلي :

١) ما هو الدين ؟
٢) اين هو ينبوع القوة في الدين ؟
٣) اين هو السلطان الديني ؟
٤) ما هي علاقة الدين بالمسائل الاجتماعية ؟
٥) ما هو الايمان بالله ؟
٦) الحكم على الطبع والنفس .
٧) ما هي الخطيئة ؟

والمجموع ١٧٢ ص . حجم صغير - دار «الشرق والغرب» ، بولاق مصر ؛ ثمن الكرّاس : نصف غ . م .

تواصل دار «الشرق والغرب» البروتستانتية الانكليكانية في مصر نشراتها الدينية والاخلاقية بنشاط لا توقفه الحرب وعراقيلها . ومن الطبيعي ان تكون اغلب هذه الابحاث منقولة عن التآليف الغربيّة ، ولا سيما الانكليزيّة منها ، كما انه من الطبيعي ان تكون بمجملها ، على محاسن بعض اجزائها ، غير موافقة للقرّاء الكاثوليكيين لما في عقيدتهم من التعلّق بكنيسة ظاهرة خُوّلتْ سلطة المسيح على الارض ، وبأسرار مقدّسة هي الواسطة الحيّة لاستمداد نعم الرب على عباده . ولكن ، اذا استثنينا القرّاء الكاثوليك ، نرى هذه المنشورات مفيدة كل الفائدة لمن سعى وراء الله بنيّة صالحة وقلب نقيّ .

اما الكتاب الاول « مَن دحرج الحجر » ? Who Moved the Stone فمعرّب عن الانكليزية . وقد كان له بين الناطقين بهذه اللغة ، في اوربة واميركة، ضجّة واسعة يجدر ان يحصل عليها في ثوبه العربي الجديد بين اهالي الشرق .

جاء في المقدّمة ان المؤلّف الاستاذ فرانك موريسون من كبار رجال القانون في انكلترة ، وقد بدأ حياته متأثرًا بالنزعة العلمية التي سادت القرن التاسع عشر وبآراء النقدة الجرمان خاصة ، الذين نبذوا روايات الانجيل الكريم . فشرع اولًا يُصنّف كتاباً عن السبعة الايام الاخيرة من حياة المسيح في ضوء بحوث العلم ، متولّياً النظر في القضيّة كمحامٍ ضليع . وذهب في بحثه مذهب رجل القانون الدقيق في تصوير الوقائع ، وتفنيد الاعتراضات ، واثبات الادلة . فكانت النتيجة انه بعد ان بحث وراجع وفنّد أخرج في آخر الامر كتابه هذا على عكس ما كان يقصد ، فاثبتَ فيه حوادث المحاكمة ، والصلب ، والقيامة ، بالادلّة القانونية المنطقية الجازمة .

وهو يبدأ بحثه من ليلة القبض على المسيح . ثم يسير بالقارئ خطوة خطوة متتبعاً الحوادث ، معلّلها بتدقيق حتى يصل به الى صباح القيامة . وقد جاءت الترجمة العربية حسنة الاسلوب متقنة الطبع .

كتب قيد الدرس

Abbé Th. Moreux, Où sommes-nous ?

Mgr Thamer Toth, Famille et Mariage ?.

— Les Msisionnaires au Travail.

V. Sinaïski, Culture et Droit.

J. Vendryes, Meillet (1866-1936).

Marteau de Langle de Cary, Les Saints du Calendrier.

J. Georgesco, Une enquête sur l'Union des Églises en Roumanie.

P. Thomsen, Palastina-literatur,V Band.

L. Gardet, Raison et foi en Islam. Texte d'Alghazali traduit de l'arabe et annoté.

Asad Talas, la Madrasa Nizamya et son histoire.

H. Afchar, l'Organisation du Crédit rural en Iran.

Olga Pinto e Georgio Levi Della-Vida, Il Califfo Mu'awiya I di Aḥmad ibn Yahya al Baladuri, Traduzione annotata.

Tovia Ashkenari, Tribus semi-nomades de la Palestine du Nord.

M. B. Affre, Le balcon sur le désert.

J. Heywoth Dunne, An Introduction of the History of Education in modern Egypt.

R. Levy, Ma'alim Al Qurba by Ibn al Ukhuwwa (*E. J. W. Gibb Memorial*).

K. Jahn, History of Ghazan Khan by Rashid al Din (*E. J. W. Gibb Memorial*).

Abbot, The Kurrah Papyri From Aphrodito in the Orie tal Institute.

G. Barbera. Elementi Italo-siculo-veneziano-genovesi nel linguaggi Arabo e Turco.

Islam Ansiklopedisi, traduction turque de l'Encyclopédie de l'Islam 1. Cür : AB-Abdul-Kadir — Istanbul, 1940.

محمد رشيد رضا : محمد

محمد عبد الهادي ابو ريـدة : وجهة الاسلام — تأليف الاساتذة جيب

وماسينيون وكامفماير وبرج والكولونيل فرار. نقله عن الانجليزية

عبد القادر محداد : كتاب زاد المسافر وغرة محيا الادب السافر ، لابي بحر صفوان بن ادريس التجيبي المرسي

ر. شتروطمان : بيان مذهب الباطنية وبطلانه . منقول من كتاب قواعد عقائد آل محمد — تأليف محمد بن الحسن الديلمي

انيس المقدسي : ديوان ابن الساعاتي : الجزء الثاني

ب كراوس : دراسات في تاريخ الترجمة في الاسلام

الخوراسقف بطرس حبيقه : مآثر عريضه : الجزء التاسع

عبد المنعم الغلامي : مآثر العرب والاسلام في القرون الوسطى

سامي حداد : مسند امير المؤمنين عمر بن الخطاب عن النبي : تأليف ابي يوسف يعقوب بن شيبه بن الصلت

جبرائيل جبور : عمر بن ابي ربيعة : الجزء الثاني

اسد رستم : مصطلح التاريخ

قسطنطين زريق : الوعي القومي

عمر فاخوري : الباب المرصود

توفيق عواد : الرغيف

خليل تقي الدين : الإعدام

سامي الكيالي : سيف الدولة وعصر الحمدانيين

الاب بولس سويد : الانسان ذلك المجهول

الاب انستاس الكرملي : نشوء اللغة العربية ونموها واكتهالها

يوسف كرم : تاريخ الفلسفة اليونانية

علي محمود طه : ليالي الملاح التائه

الياس ابو شبكة : الالحان

بشر فارس : مباحث عربية

وديع عقل : ديوانه

انطون ضاهر العقيقي : ثورة وفتنة في لبنان

العقدة الاولى التي كانت تحزّ في قلبه هي عقدة الحياة. واذا قلت « الحياة » وجب عليّ في الحال ان اميّز بين معنيين منفصلين لهذه اللفظة. فثمت « الحياة » بمعناها الروحي الشخصي الكياني. هذا هو المعنى الذي عناه شكسبير وغرته مثلاً عندما استعملا هذه اللفظة، وهذا هو المعنى الذي قال به ارسطو عندما اكّد ان الحياة الحقة انما تنحصر في الله وحده. اما الحياة عند برغصون فلها مفهوم آخر يختلف كل الاختلاف عن هذا المعنى الروحي. تتركب « الحياة » البرغصونية من عنصرين مختلفين: العنصر الاول هو ما يقوله علما البيولوجيا والسيكولوجيا الايجابيان بشأن الحياة، والعنصر الثاني هو ما يستخرجه برغصون نفسه من مشاهدة ذاته وتحليل حالاته النفسية المباشرة. واذن المصدران الأساسيان لمشكلة برغصون الاولى هما علم الحياة بمعناه الاوسع والتحليلات السيكولوجية الانعكاسية.

من هذين المصدرين يخلص برغصون الى تصوير خاص لكُنه الحياة. الحياة بحسب هذا التصوير هي نزوع مستمرّ وثاب الى الخلق والابداع. ولذلك كل تعليل للتطوّر البيولوجي قائم على الميكانيكية، اي على اعتبار عوامل الأقدار المتخبطة والصدفة العمياء أنها هي العوامل الحاسمة في تسيير التطور، وكل تعليل قائم على الغائية، اي على اعتبار ان الحياة تتطوّر وفقاً لغايات واضحة تضعها امامها، هذان التعليلان للتطور يقصران كل التقصير في نظر برغصون عن حقيقة التطور. فبدلاً من أن تكون الحياةُ رهنَ الصدفة والاقدار، كما يزعم الماديون، هي في حقيقتها مبدأ ايجابي يكافح المادة ليل نهار بغية التحرّر من عبوديتها. وبدلاً من أنْ تكبّلَ الحياةُ نفسها بصورٍ واعية ترمي الى تحقيقها، كما يذهب اليه [illegible]، هي في ذاتها قوة مندفعة لا تستطيع ان تعيّن من الآن جميع ما ستفضي [illegible] سرّ الحياة اذن يقع في دافع الحياة، في اعتزامها على تذليل كل عقبة تعترضها في تفتحها الزمني، في تطوحها الحرّ نحو المستقبل المفتوح، في هذا الزخم المريع الذي تفتح في التاريخ عن هذه الألوان اللامتناهية من النبات والحيوان الى ان استقر اخيراً فيّ وفيكم وفي برغصون نفسه، اي في الانسان، حيث الخلق والابداع يفعلان بحرية لا عهد للحياة بها من قبل. من كل هذا ينتج معنا أننا لا نكون انفسنا ولا نعرف الحقيقة ولا ننفذ الى سر الوجود إلّا اذا اندفعنا

بسذاجة طبيعية بريئة مع هذا الزخم الحيوي الوثاب ، خالقين ما سمحت لنا الظروف بخلقه ، مُبدعين ما كان كامناً في طيات الحياة التي نحملها .

في هذه الفكرة الأساسية ، التي استخلصها برغسون من علمَي البيولوجيا والسيكولوجيا ، ومن مشاهداته الانعكافية لنفسه ، تنصهر وتتعين جميع فكره الأساسية الاخرى. فالبصيرة او الحدسُ هي مقدرتنا على الرجوع المباشر الى تيار الحياة الخلاق واشتراكنا في عملية خلقه. ونحن ليس بوسعنا ان نقدرَ الاشياء قدرًا كلياً ، ولا ان نشعر بالحياة الحرة تنبضُ في كل شيء في العالم ، نحن لا نستطيع ان نعي الماضي المتراكم المخبوء في كياننا ، إلّا عن طريق البصيرة. وبما ان البصيرة تقودنا هكذا الى حركة الحياة المبدعة فهي مفتاح الحقيقة الاوحد. اما العقل فلا يستطيع ادراك الحقيقة لانه لا يُكبُّ إلّا على الاجسام الجامدة ولا يعقل الا فكرًا غير متحركة ولا يفهم إلّا ما ينطبقُ على هذا الفضاء المتقطع الميت ، بينما الحقيقة هي في الحياة والحركة والزمن . الحياة تُحيا ولا تُعقل ، تبدع ولا تدرَك ، تنطلق حرة نحو المستقبل دون ما تبعة لعقل يُرشدها او وعي ينير لها السبيل . الحياة لا تُفهم ، اي لا تكون ، إلّا بالبصيرة ؛ والحيّ هو من يخلق ويُبدع ، لا من يتفلسف ويفكر .

على هذا المنوال تنتظم جميع عقائد برغسون الأساسية ضمن اطار الحياة . ولو كان لدي مُتسع من الوقت لحاولت ان احبُك فكرةَ الزمن والذاكرة ، فكرةَ الماضي والمستقبل ، فكرة التغيّر المطلق وما يستلزمه من ضرورة الحرية والاختيار ، فكرة الخلق الروحي ، فكرة البقاء والتراكم — لو كان لدي متسع من الوقت لنسجتُ جميعَ هذه الفكر البرغسونية الأساسية في نظرة نظامية واحدة .

اما مركز برغسون في العالم الفلسفي فلا اظنني مغالياً اذا زعمت أنّ هذا الراحلَ العظيمَ اعمقُ جميع الفلاسفة الاوروبيين المعاصرين أثرًا واوسعهم شهرة في الاوساط الفلسفية الحرّة. ويشهد بذلك ائمةُ الفلاسفة الانكلوسكسونيين . هذا وليم جايمس مثلاً يقول في كتابه « كون متعدّد » إن برغسون احدث في

نفسه ثورةً اساسية ادّت به الى انكار مزاعم العقل في البلوغ الى الحقيقة ، وان الانسان بعد قراءة برغصون تعتريه رعشة من الحرية الروحية لم يكن له عهد بها من قبل. ويستطرد جايمس الى القول بان كل صفحة من صفحات برغصون تفتح امامنا افاقاً جديدة ، فكلامُه « كنسة الصباح وكتغريد العصافير »[1]. وهذا صموئيل الكسندر يقول في كتابه « الفضاء والزمان والالوهة » إنه ما من احدٍ خدم الفلسفة كما خدمها برغصون في تأكيده على ضرورة اعتبار الزمن حقيقة نهائية[2]. والجنرال سمطس ، الرئيس الحالي لوزارة جنوبي افريقية ، يقول في كتابه « الكلية والتطوّر » إنَّ برغصون المعُ فلاسفة التطوّر واشدّهم تأثيرًا في عصرنا هذا[3]. وفي كتابه « الفلسفة والحضارة » يقول جون ديوي إنَّ كلَّ واحد يقرأ اليوم برغصون[4]. واخيرًا يعترف استاذي هويتهد في مقدّمة اهم مؤلّفاته « العملية والحقيقة » بانه مدين في الدرجة الاولى لبرغصون[5] ، ومن يدرس هويتهد يشعر بتأثير برغصون في كل صفحة من صفحاته على وجه التقريب .

ويسرني بهذه المناسبة أنْ انقل اليكم خبرًا كتبياً وهو ان الترجمة الرسمية المعتمدة في اللغة الانكليزية لاشهر كتب برغصون ، اعني « التطوّر الخلّاق » ، قام بها رجل اسمه ارثر متشل تحت اشراف برغصون ووليم جايمس في آن واحد. وقبل رجوعه الى اميركة ودراسته للفلسفة في جامعة هارڤارد وقيامه بهذه الترجمة ، كان السيّد ارثر متشل معلماً بسيطاً للغة الانكليزية في جامعتنا هذه ، هنا في الدائرة الاستعدادية ، بين سنة ١٨٩٤ وسنة ١٨٩٦ .

---

1) William James, *A Pluralistic Universe*. New York, 1928, pp. 265, 266, 219

2) Samuel Alexander. *Space, Time and Deity*. London, 1920, vol. I, p. 150

3) General Rt. Hon. J. C. Smuts, *Holism and Evolution*. New York, 1926, p. 92

4) John Dewey, *Philosophy and Civilization*. New York, 1931, p. 202

5) Alfred North Whitehead, *Process and Reality*. New York, 1930, p. VII

اما اثر برغصون في الفكر العربي فإخاله اثرًا غير مباشر ، ذلك لاننا نقرأه في اللغتين الفرنسية او الانكليزية ، ولأن مصنفاته لم يترجم بعدُ واحدٌ منها الى اللغة العربية . ولا اظن دراسةً واحدةً وافية ظهرت بعد في لغتنا عن هذا الفيلسوف ، هذا اذا استثنينا بضع مقالات مستعجلة نُشرت في بعض المجلات هنا وفي مصر . واذا ذكرنا ان مؤلفات برغصون والدراسات التي أُلفت في برغصون في اللغات الاوربية تُحصى بالمئات ، واذا ذكرنا كذلك ان برغصون ليس بالفيلسوف الوحيد الذي طبع الفكر الاوروبي والذي لا نكاد نعرف عنه شيئاً ، ادركنا مقدار الجاهلية اللامتناهية التي تتخبط في ظلماتها وعظمَ العمل المنتظر من كلِّ طالبٍ للحقيقة منا في المستقبل . ومع ان اثر برغصون المباشر في الفكر العربي يكاد يكون عدماً فاثرُه غير المباشر واضح في بعض الكتاب والشعراء الرومنطيقيين الثائرين على العقل واحكامه ، المنفصلين عن التراث الفلسفي ، المؤلهين للغريزة والبصيرة والعفوية وكلِّ ما يمتّ الى العاطفة والشعور الذاتيين .

ومع ان برغصون لم يبحثْ في نظامه الفلسفي امورًا احسبُها في غاية الأهمية ، ومع انه لم يؤلف فلسفتَه من داخل التراث الفلسفي الايجابي ، فاظن اننا نستطيع في العالم العربي ان نستفيد من حكمته فوائد ثلاث ، اكتفي بمجرد الاشارة إليها :

اولًا تأكيدُه على حقيقة الروح وتعاليها على المادة ، وذلك في وجه المادية والميكانيكية الطاغيتين على العالم . يقول برغصون إن المادة وما يمتّ اليها كيان منحطّ بالنسبة الى الروح النزاعة المبدعة ، واذن من يتجهْ مادياً فهو متجهٌ آخرَ الامر نحو الفناء والعدم ، مهما تفنن في ارجاء اجله المحتوم . اما من يتجهْ نحو الروح الوثابة ، الروح التي دأبُها محاربةُ المادة بجميع مظاهرها ، فهذا لا خوفَ عليه ولا خطرَ على تدهوره .

ثانياً تأكيدُه على حقيقة الزمن وانه لا يقع في تسلسل الاشياء تسلسلًا خارجياً ، بل في انبثاقها انبثاقاً داخلياً تراكمياً . الزمن هو نمو الحياة المتواصل . الزمن هو الروح الخالقة المبدعة ، لا ما تخلق وتُبدع . الزمن هو الانطلاق الحرّ

نحو المستقبل ، لا الحنين الرجعي للماضي . والماضي ذاته ليس ماضياً الّا بقدر ما هو حيّ ينبض في كيان الحاضر المندفع نحو المستقبل. واذن الماضي انما يوجد لخدمة المستقبل عن طريق الحاضر .

ثالثاً اذا كان جوهرُ الاشياء يقع في عمليّة تغيّرها فكل من يحارب التغيُّر الصحيح ينصبُ نفسَه عدوّاً لجوهر الاشياء ، وجوهر الاشياء بالطبع لا يقهر ، لانه هو الحقيقة . وحريّ بنا نحن في العالم العربي ان نتعلم امثولة التغير ، وان نؤمن بانا بالفعل قادرون على تغيير انفسنا ، وان قرارات حياتنا الهامة لم تُتخذ كلُها بالنيابة عنا في الماضي ، وان خطوط كياننا لم تُكتبْ كلّها منذ الازل. برغصون يعلمنا أنَّ الحرية من خصائص كياننا الطبيعي ، فاذا اردنا نستطيع نحن ان نقرّر مصيرَنا بايدينا .

العقدة الاولى التي كانت تحزّ في قلبه هي عقدة الحياة. واذا قلت « الحياة » وجب عليّ في الحال ان اميّز بين معنيين منفصلين لهذه اللفظة. فثمت « الحياة » بمعناها الروحي الشخصي الكياني. هذا هو المعنى الذي عناه شكسبير وغرته مثلاً عندما استعملا هذه اللفظة، وهذا هو المعنى الذي قال به ارسطو عندما اكّد ان الحياة الحقة انما تنحصر في الله وحده. اما الحياة عند برغصون فلها مفهوم آخر يختلف كل الاختلاف عن هذا المعنى الروحي. تتركب « الحياة » البرغصونية من عنصرين مختلفين: العنصر الاول هو ما يقوله علما البيولوجيا والسيكولوجيا الايجابيان بشأن الحياة، والعنصر الثاني هو ما يستخرجه برغصون نفسه من مشاهدة ذاته وتحليل حالاته النفسية المباشرة. واذن المصدران الأساسيان لمشكلة برغصون الاولى هما علم الحياة بمعناه الاوسع والتحليلات السيكولوجية الانعكاسية.

من هذين المصدرين يخلص برغصون الى تصوير خاص لكُنه الحياة. الحياة بحسب هذا التصوير هي نزوع مستمرّ وثاب الى الخلق والابداع. ولذلك كل تعليل للتطوّر البيولوجي قائم على الميكانيكية، اي على اعتبار عوامل الأقدار المتخبطة والصدفة العمياء أنها هي العوامل الحاسمة في تسيير التطور، وكل تعليل قائم على الغائية، اي على اعتبار ان الحياة تتطوّر وفقاً لغايات واضحة تضعها امامها، هذان التعليلان للتطور يقصران كل التقصير في نظر برغصون عن حقيقة التطور. فبدلاً من أن تكون الحياةُ رهنَ الصدفة والاقدار، كما يزعم الماديون، هي في حقيقتها مبدأ ايجابي يكافح المادة ليل نهار بغية التحرّر من عبوديتها. وبدلاً من أنْ تكبّلَ الحياةُ نفسها بصورٍ واعية ترمي الى تحقيقها، كما يذهب اليه [illegible]، هي في ذاتها قوة مندفعة لا تستطيع ان تعيّن من الآن جميع ما ستفضي [illegible] سرّ الحياة اذن يقع في دافع الحياة، في اعتزامها على تذليل كل عقبة تعترضها في تفتحها الزمني، في تطوحها الحرّ نحو المستقبل المفتوح، في هذا الزخم المريع الذي تفتح في التاريخ عن هذه الألوان اللامتناهية من النبات والحيوان الى ان استقر اخيراً فيّ وفيكم وفي برغصون نفسه، اي في الانسان، حيث الخلق والابداع يفعلان بحرية لا عهد للحياة بها من قبل. من كل هذا ينتج معنا أننا لا نكون انفسنا ولا نعرف الحقيقة ولا ننفذ الى سر الوجود إلّا اذا اندفعنا

بسذاجة طبيعية بريئة مع هذا الزخم الحيوي الوثاب ، خالقين ما سمحت لنا الظروف بخلقه ، مُبدعين ما كان كامناً في طيات الحياة التي نحملها .

في هذه الفكرة الأساسية ، التي استخلصها برغسون من علمَي البيولوجيا والسيكولوجيا ، ومن مشاهداته الانعكافية لنفسه ، تنصهر وتتعين جميع فكره الأساسية الاخرى. فالبصيرة او الحدسُ هي مقدرتنا على الرجوع المباشر الى تيار الحياة الخلاق واشتراكنا في عملية خلقه. ونحن ليس بوسعنا ان نقدرَ الاشياء قدرًا كلياً ، ولا ان نشعر بالحياة الحرة تنبضُ في كل شيء في العالم ، نحن لا نستطيع ان نعي الماضي المتراكم المخبوء في كياننا ، إلّا عن طريق البصيرة. وبما ان البصيرة تقودنا هكذا الى حركة الحياة المبدعة فهي مفتاح الحقيقة الاوحد. اما العقل فلا يستطيع ادراك الحقيقة لانه لا يُكبُّ إلّا على الاجسام الجامدة ولا يعقل الا فكرًا غير متحركة ولا يفهم إلّا ما ينطبقُ على هذا الفضاء المتقطع الميت ، بينما الحقيقة هي في الحياة والحركة والزمن . الحياة تُحيا ولا تُعقل ، تبدع ولا تدرَك ، تنطلق حرة نحو المستقبل دون ما تبعة لعقل يُرشدها او وعي ينير لها السبيل . الحياة لا تُفهم ، اي لا تكون ، إلّا بالبصيرة ؛ والحيّ هو من يخلق ويُبدع ، لا من يتفلسف ويفكر .

على هذا المنوال تنتظم جميع عقائد برغسون الأساسية ضمن اطار الحياة . ولو كان لدي مُتسع من الوقت لحاولت ان احبُك فكرةَ الزمن والذاكرة ، فكرةَ الماضي والمستقبل ، فكرة التغيّر المطلق وما يستلزمه من ضرورة الحرية والاختيار ، فكرة الخلق الروحي ، فكرة البقاء والتراكم — لو كان لدي متسع من الوقت لنسجتُ جميعَ هذه الفكر البرغسونية الأساسية في نظرة نظامية واحدة .

اما مركز برغسون في العالم الفلسفي فلا اظنني مغالياً اذا زعمت أنّ هذا الراحلَ العظيمَ اعمقُ جميع الفلاسفة الاوروبيين المعاصرين أثرًا واوسعهم شهرة في الاوساط الفلسفية الحرّة. ويشهد بذلك ائمةُ الفلاسفة الانكلوسكسونيين . هذا وليم جايمس مثلاً يقول في كتابه « كون متعدّد » إن برغسون احدث في

نفسه ثورةً اساسية ادّت به الى انكار مزاعم العقل في البلوغ الى الحقيقة ، وان الانسان بعد قراءة برغصون تعتريه رعشة من الحرية الروحية لم يكن له عهد بها من قبل. ويستطرد جايمس الى القول بان كل صفحة من صفحات برغصون تفتح امامنا افاقاً جديدة ، فكلامُه « كنسة الصباح وكتغريد العصافير »[1]. وهذا صموئيل الكسندر يقول في كتابه « الفضاء والزمان والالوهة » إنه ما من احدٍ خدم الفلسفة كما خدمها برغصون في تأكيده على ضرورة اعتبار الزمن حقيقة نهائية[2]. والجنرال سمطس ، الرئيس الحالي لوزارة جنوبي افريقية ، يقول في كتابه « الكلية والتطوّر » إنَّ برغصون المعُ فلاسفة التطوّر واشدّهم تأثيرًا في عصرنا هذا[3]. وفي كتابه « الفلسفة والحضارة » يقول جون ديوي إنَّ كلَّ واحد يقرأ اليوم برغصون[4]. واخيرًا يعترف استاذي هويتهد في مقدّمة اهم مؤلّفاته « العملية والحقيقة » بانه مدين في الدرجة الاولى لبرغصون[5] ، ومن يدرس هويتهد يشعر بتأثير برغصون في كل صفحة من صفحاته على وجه التقريب .

ويسرني بهذه المناسبة أنْ انقل اليكم خبرًا كتبياً وهو ان الترجمة الرسمية المعتمدة في اللغة الانكليزية لاشهر كتب برغصون ، اعني « التطوّر الخلّاق » ، قام بها رجل اسمه ارثر متشل تحت اشراف برغصون ووليم جايمس في آن واحد. وقبل رجوعه الى اميركة ودراسته للفلسفة في جامعة هارڤارد وقيامه بهذه الترجمة ، كان السيّد ارثر متشل معلماً بسيطاً للغة الانكليزية في جامعتنا هذه ، هنا في الدائرة الاستعدادية ، بين سنة ١٨٩٤ وسنة ١٨٩٦ .

---

1) William James, *A Pluralistic Universe*. New York, 1928, pp. 265, 266, 219

2) Samuel Alexander. *Space, Time and Deity*. London, 1920, vol. I, p. 150

3) General Rt. Hon. J. C. Smuts, *Holism and Evolution*. New York, 1926, p. 92

4) John Dewey, *Philosophy and Civilization*. New York, 1931, p. 202

5) Alfred North Whitehead, *Process and Reality*. New York, 1930, p. VII

اما اثر برغصون في الفكر العربي فإخاله اثرًا غير مباشر ، ذلك لاننا نقرأه في اللغتين الفرنسية او الانكليزية ، ولأن مصنفاته لم يترجم بعدُ واحدٌ منها الى اللغة العربية . ولا اظن دراسةً واحدةً وافية ظهرت بعد في لغتنا عن هذا الفيلسوف ، هذا اذا استثنينا بضع مقالات مستعجلة نُشرت في بعض المجلات هنا وفي مصر . واذا ذكرنا ان مؤلفات برغصون والدراسات التي أُلفت في برغصون في اللغات الاوربية تُحصى بالمئات ، واذا ذكرنا كذلك ان برغصون ليس بالفيلسوف الوحيد الذي طبع الفكر الاوروبي والذي لا نكاد نعرف عنه شيئاً ، ادركنا مقدار الجاهلية اللامتناهية التي تتخبط في ظلماتها وعظمَ العمل المنتظر من كلِّ طالبٍ للحقيقة منا في المستقبل . ومع ان اثر برغصون المباشر في الفكر العربي يكاد يكون عدماً فاثرُه غير المباشر واضح في بعض الكتاب والشعراء الرومنطيقيين الثائرين على العقل واحكامه ، المنفصلين عن التراث الفلسفي ، المؤلهين للغريزة والبصيرة والعفوية وكلِّ ما يمتّ الى العاطفة والشعور الذاتيين .

ومع ان برغصون لم يبحثْ في نظامه الفلسفي امورًا احسبُها في غاية الأهمية ، ومع انه لم يؤلف فلسفتَه من داخل التراث الفلسفي الايجابي ، فاظن اننا نستطيع في العالم العربي ان نستفيد من حكمته فوائد ثلاث ، اكتفي بمجرد الاشارة إليها :

اولًا تأكيدُه على حقيقة الروح وتعاليها على المادة ، وذلك في وجه المادية والميكانيكية الطاغيتين على العالم . يقول برغصون إن المادة وما يمتّ اليها كيان منحطّ بالنسبة الى الروح النزاعة المبدعة ، واذن من يتجهْ مادياً فهو متجهٌ آخرَ الامر نحو الفناء والعدم ، مهما تفنن في ارجاء اجله المحتوم . اما من يتجهْ نحو الروح الوثابة ، الروح التي دأبُها محاربةُ المادة بجميع مظاهرها ، فهذا لا خوفَ عليه ولا خطرَ على تدهوره .

ثانياً تأكيدُه على حقيقة الزمن وانه لا يقع في تسلسل الاشياء تسلسلًا خارجياً ، بل في انبثاقها انبثاقاً داخلياً تراكمياً . الزمن هو نمو الحياة المتواصل . الزمن هو الروح الخالقة المبدعة ، لا ما تخلق وتُبدع . الزمن هو الانطلاق الحرّ

نحو المستقبل ، لا الحنين الرجعي للماضي . والماضي ذاته ليس ماضياً الّا بقدر ما هو حيّ ينبض في كيان الحاضر المندفع نحو المستقبل. واذن الماضي انما يوجد لخدمة المستقبل عن طريق الحاضر .

ثالثاً اذا كان جوهرُ الاشياء يقع في عمليّة تغيّرها فكل من يحارب التغيُّر الصحيح ينصبُ نفسَه عدوّاً لجوهر الاشياء ، وجوهر الاشياء بالطبع لا يقهر ، لانه هو الحقيقة . وحريّ بنا نحن في العالم العربي ان نتعلم امثولة التغير ، وان نؤمن بانا بالفعل قادرون على تغيير انفسنا ، وان قرارات حياتنا الهامة لم تُتخذ كلُها بالنيابة عنا في الماضي ، وان خطوط كياننا لم تُكتبْ كلّها منذ الازل. برغصون يعلمنا أنَّ الحرية من خصائص كياننا الطبيعي ، فاذا اردنا نستطيع نحن ان نقرّر مصيرَنا بايدينا .

النهضة الاجتماعية

والتقدم الصناعي

بقلم الخوري يوسف الجميّل

يشهد العالم في عصرنا ازمة وثورة : ازمة تتزايد وتشتد ، وثورة تجتاح جميع الاصقاع . ويشهد نضالاً مستمراً بين البلدان المختلفة ، وضمن نطاق الدولة الواحدة ، بين مختلف الطبقات والاحزاب . « تطاحن لا يعرف هدنة ... فكأنّ العالم كلّه يتنادى من اقصاه الى اقصاه ليلاشي بيده ما وصلت اليه البشرية حتى الآن من تقدّم ورقي وحضارة »[1] اذ عمّت الفوضى جميع مظاهر الحياة البشرية في مختلف البلدان ؛ وهي على ازدياد امتداد واستحكام ، بقطع النظر عن الحرب التي جاءت خاتمة ما كنا نشهده . من ترى وسوس للبشر حتى هبوا جميعهم يفتشون عن ضالّة لهم ، فاتبعوا سبلاً متنوعة متناقضة ؟

اما نحن فانا معتقدون وواثقون بان لجميع هذه المشاكل حلاً ، مهما بدت متناقضة ومتفرّقة . وان هذا الحلّ يرتكز على علاقات اسسها العدل والمحبة بين البشر . فيعمل الافراد ، ويعمل الحكام على احيائه . هذه الاسس وتوطيدها ، اولئك في قلوبهم ، وهؤلاء في قلوبهم ، وبفضل شرع يسنّونه .

---

1) الخوري يوحنا مارون : الفوضى الاجتماعية ، ص ٢ :

القضية الاجتماعية

الّا ان الافكار تتجه نحو معضلة تشغل ادمغة الجميع وتستغرق اهتمامهم . الا وهي القضية الاجتماعية لا شك في انها تتناول جميع مظاهر الحياة الاجتماعية ، وتحدّد لكل من اعضاء المجتمع واجباته وحقوقه منعاً للمنازعات والخصومات . لكن هذه الكلمات « القضية الاجتماعية » قد اتخذت اتجاهاً جديداً فاقتصر في استعمالها على مظهر من مظاهر الحياة الاجتماعية الى حدّ انها اصبحت مرادفة لهذه الكلمات « قضية العمل » ونحن نعرّفها قائلين : انها تبحث في العلاقات بين اصحاب العمل والعمّال وتحدّد واجبات كل من الفريقين نحو الآخر ، باحثة في اجور العمال ، وساعات عملهم ، وما اشبه ذلك . وكلما وردت هذه الكلمات « القضية الاجتماعية » في بحثنا فهمناها وفقاً لهذا التعريف الاخير .

القضية الاجتماعية اليوم

عمل الانسان دائماً بيديه ، وشهدت الانسانية ، لالوف من السنين خلت ، مستخدمين ومستخدَمين . وشهدت ايضاً منازعات بينهما . الّا ان الشرّ بلغ اشدّه من التفاقم والحدّة في منصرم القرن الماضي ، ومستهلّ القرن الحاضر ، ولا يزال على ازدياد « اذ الخليقة باسرها تئن وتتمخض حتى الآن »[1] رازحةً تحت عبء ثقيل ، يكاد يؤدّي الى خراب وتدمير واسعي النطاق شاملين قد يعمّان العالم باجمعه .

يقول البابا بيوس الحادي عشر في رسالته « تحديد النظام الاجتماعي » واصفاً هذه الحالة ، ما يلي : « في اواخر القرن التاسع عشر ادّى التطوّر الاقتصادي وتقدّم الصناعات في اغلب الامم الى ظهور الهيئة الاجتماعية منقسمةً الى فئتين ازداد تباعدهما جلاء مع الايام : فمن جهة فئة قليلة من اناس يكادون يتشعون بجميع ما توفره لهم الاختراعات الحديثة من اسباب الراحة . ومن جهة اخرى

---

١) رسالة القديس بولس الى الرومانيين .

فئة مؤلفة من جماهير العملة الذين ابهظتهم الفاقة وما تجرّه من الويلات وهم يحاولون عبثاً ان يفلتوا من ضيقاتها.

« وقد هان على الذين توافرت لديهم خيرات هذا العالم ان يرتاحوا الى هذه الحالة لانهم كانوا يرونها نتيجة ضرورية للنواميس الاقتصادية ولذا كانوا يريدون ان تلقى على عاتق الرحمة وحدها كل العناية بتخفيف وطأة ذلك البؤس كأنّ من واجب الرحمة ان تسدل ستراً على مخالفة العدل التي لم يكن الشارعون يغضون الطرف عنها فحسب بل كانوا ايضاً يقررونها مراراً. »[1]

لذلك لا يجوز اهمال هذه القضية ، لا بل يجني على المجتمع من يتناساها جناية لا تعرف عقباها . لان الشرّ قد بلغ مبلغه فاستفاق العمال كمن سبات عميق وشرعوا ينظمون صفوفهم ويؤلفون الكتل ، ويرفعون اصواتهم عالياً مطالبين بحقوقهم . وويل للعالم اذا وجد العمال في مختلف البلدان من يوحد كلمتهم ويقرّبهم فيسير بهم على طريق الثورة والتدمير فيشفون بالدم ما في نفسهم من تعطّش الى العدل والمحبة . وقد خبرت بعض البلدان امثال هذه الثورات فعادت على من قام بها وعلى من وجهت اليه ويلاً وتدميراً وخراباً.

موضوع بحثنا

قلنا انه اقتُصر في استعمال هذه الكلمات « القضية الاجتماعية » على قضية العمل . الا انه بالرغم من ذلك لا يزال مجال البحث واسعاً يستغرق مقالات متعددة اذ يتناول اسباب الفوضى ، وهي كثيرة ، ويتدرج الى الحلّ المناسب لها . وبما ان كثيرين بحثوا في هذا الموضوع وابدوا رأيهم فيه ، تعدّدت الآراء والنظريات . فمنها النظرية الاقتصادية الاباحيّة ، ومنها النظرية الاشتراكيّة ، واخيراً الحلّ المستمدّ من التعليم الكاثوليكي . وكل من هذه الآراء يتطلب ايحاثاً . ويزيد الموضوع اتساعاً ان الازمة تتكيّف في كل بلد بميزات خاصة يجب مراعاتها اذا ما اردنا ان نجد حلاً موافقاً .

---

٣) البابا بيوس الحادي عشر : تجديد النظام الاجتماعي (الترجمة العربية) ، ص ٢

اما نحن فنعرض في هذا المقال الى الاسباب التي ولدت هذه الازمة خاصين بالذكر التقدم الصناعي ، وما احدثه من ثورة في حياة العامل الفردية والعائلية وفي علاقاته مع صاحب العمل ، وننتهي الى ذكر الاسباب التي سهلت لها السبيل وساعدتها .

الا ان مقالنا لن يكون بحثاً ضافياً في « الآلة » فنعدد منافعها واضرارها مقارنين بين هذه وتلك ، واخيراً نشجبها او نبررها . لا : ان الآلة امر واقعي لا سبيل لانكاره ، ولا سبيل لاطراحها شئنا ام ابينا حبذناها ام قبحناها . الا انه يجوز لنا ان ندرس تأثيراتها في عالم العمل . ولا ندعي ان ما سنبينه في هذا الموضوع كان ولا شك واقعاً لو لم يوافق ازدهار الصناعة شيوع آراء فلسفية فاسدة ونظريات اقتصادية عقيمة حالت دون وضع حد لاخطار الآلة غير المنكورة .

فما الآلة الا درجة من درجات الرقي الانساني الذي هو في ازدياد مستمر . بل هي برهان ساطع على قدرة الانسان وحدة ذكائه الذي ابدع هذه الغرائب فتقف امامها مدهوشين مأخوذين . ولا مراء ان لكل تطور واسع النطاق تأثيره العميق في حياة الشعوب وقد يؤلف خطراً على توازن هذه الحياة ، اللهم ان لم يعمل الانسان على ملافاته ويحتاط للامر منعاً لاضراره . وقد نشبه هذا الانقلاب بنهر مياهه غزيرة صاخبة بوسعها ان تدمر كل ما يقف في طريقها ؛ وباستطاعتها ايضاً، بفضل جهود الانسان، ان تدرّ عليه خيرات فائقة . وهكذا الآلة فما هي الا اداة بين يدي الانسان يستخدمها فتخدمه ، او يستعبد لها فتسوده . اما في الواقع فان الآلة اثرت تأثيراً عميقاً في المجتمع ذهب ضحيته العامل ان في حياته الفردية ، وان في حياته العائلية . لان الانسان لم يعرف ان يستخدم الآلة ولان السلطة لم تعِ لتضع حداً لشرور نلمسها لمس اليد .

الآلة في حقل العمل

« الانسان شحيح بتعبه كلف بتقليل عمله »[1] لذلك نراه « بحفز طبعه كلفاً

---

١) الموجز في علم الاقتصاد – تعريب حافظ ابرهيم وخليل مطران ١ : ٩٤ .

بصنع الآلات وعلى قدر تنوه وارتقائه تتعدد هذه وتتنوع وتغرب اجهزتها.»[1] فبينما هو يحدث في بادئ امره «القوس والسهم وشبكة الصيد»[2] لا يلبث ان يسخر «الطبيعة وجنودها من حيوان وماء وريح وبخار وغاز وكهرباء وهواء مضغوط»[3] استزادة لقوته وضناً بتعبه وقد بلغ في هذا المضمار شوطاً بعيداً منذ منصرم القرن الماضي بفضل الاستنباطات المتعددة وما يسرت من تطبيقات عملية. سخر الانسان البخار والكهرباء فتوصل بواسطتها الى تسيير آلات جبارة ومتنوعة. شمل استعمالها معظم حقول الانتاج فاصبحت واسطة لاستخراج المواد الاولية، وواسطة لتحويرها، وواسطة النقل على مختلف مظاهره. وهكذا سيطرت الآلة فخلقت احتكاراً واقعياً، اذ لم يتردد الرأسماليون في استعمالها بدون أيّة روّية او تحفظ.

تأثير الآلة في حياة العامل الفردية

لا مشاحة ان ممكنات الآلة تفوق بدرجات ممكنات العامل اليدوي. فهي تمتاز عنه بسرعة في العمل، مع استخدام يد عاملة قليلة جداً. وقد يكفي ذكر بعض الامثال لتحقق صحة هذا القول: لنتصور عاملة في لف السكاير. فهي تتوصل بشغلها اليدوي مع الكد والاجتهاد الى تهيئة ٦٠٠٠ سيكارة في ثماني ساعات شغل، بيد ان الآلة تعطي النتيجة نفسها في دقيقتين ونصف الدقيقة فبوسعها اذن ان تهيئ مدة ثماني ساعات عمل ما يتوصل اليه ١٩٢ عاملاً في المدة ذاتها. لذلك اذا استعملنا الآلة اكتفينا بتشغيل عامل او عاملين بدلاً من ان نشغل ١٩٢ عاملاً.

مثل آخر: ليس من يجهل شركة باتا وهي في بلادنا فرع من شركة منبثة في كل البلدان. فهي تستطيع ان تكفي العالم ما يستهلكه من الاحذية. وقيسوا على ذلك جميع فروع العمل ان في الحقل الاقتصادي، وان في الحقل

---

١) الموجز ١: ٢١٣
٢) الموجز ١: ١٤٤
٣) الموجز ١: ١٤٥

الزراعي . فينتج عن ذلك البطالة وهي شر عرفته جميع البلدان فبلغ مجموع العاطلين عن العمل سنة ١٩٣٠ (وهـذا الرقم على ازدياد لا على انتقاص) ٣٠,٠٠٠,٠٠٠ عامل واذا قلنا ان اعالة شخصين او ثلاثة ملقاة على عاتق كل من العاطلين عن العمل فهمنا ان عدد المهددين بالجوع لا يقل عن المئة مليون.

وشر البطالة هذه ليس بحرمان ثلاثين مليوناً من عملهم فحسب ، بل يؤثر على من لم يصرفوا من الخدمـة ان في اجورهم وان في موقفهم ازاء صاحب العمل . لا شك في ذلك لانه يحل آنئذٍ في العمال ما يحل بكل ما هو خاضع لشريعة العرض والطلب . فكما ان اسعار الحاجيات تتصاعد او تتضاءل بالنسبة الى غزارتها وكثرة الطلب لها . هكذا تمل في اجور العمال . فانها تتصاعد اذا ما ندرت اليد العاملة وتتضاءل اذا ما سهل وجودها ، فكم بالاولى اذا ما كان ما ينيف عن الثلاثين مليوناً من العمال ينتظرون بفروغ صبر ان يجدوا شغلاً . ولا عجب ايضاً والحالة هذه اذا ما اصبح العامل الذي لم يصرف من الخدمة سريع العطب في موقفه ازاء من يستخدمه . لان هذا لا يتردد في صرفه من العمل إذا راق له ذلك ، على يقين من نفسه انه يجد من يخلفه في عمله.

تأثير الآلة في نفسية العامل

لا يقتصر ادخال الآلة في الحقل الصناعي على خلق فئة جديدة ، فئـة العاطلين عن العمل . انما كونت محيطاً جديداً لحياة العامل في عمله اثّر في نفسيته من افكار وعواطف ، دون ان يبدي العامل اية مقاومة ، لانه لم يكن لديه العدة الكافية لمجابهتها . وذلك أنّ تربيته ، وتهذيبه ، وتثقيفه ، لم تخوّله ان ينظر الى الانقلاب الذي شمل حياته نظرة حكمة وسداد رأي ، فرزح تحت عبء الآلة وضعفت معنوياته . كيف لا وقد اصبحنا نفتش عبثاً على الاقل في المدن الكبرى الصناعية عن الصناعة اليدوية وعن تلك الحوانيت الصغيرة الهادئة التي تضمّ تحت سقفها اشخاصاً معدودين يعملون معـاً ، يتحادثون ويتآنسون . هذا كله قد زال واستبدل . . . استبدل بتلك الحوانيت الهادئة المطمئنة معامل ومصانع كبيرة شاسعة جبارة ، بنايات واسعة الارجاء يتيه فيها من لم يألفها ،

فهي اشبه بمدينة منها ببناية . وهي تغصّ بالعمال ليلاً ونهاراً ، وتعجّ عجيجاً كأنها البحر المتاوج بما فيها من الآلات والادوات . الوف بالوف من العمال دخلوا تلك المعامل فوقفوا حياتهم في خدمة الآلة ينظمون حركاتهم وسكناتهم وفقاً لحركاتها وسكناتها وهي لا تقف ولا تسكن . فيرى العامل نفسه كأنه جزء منها يحرك يده ويحرك رجله ويحرك جسمه كلما تحركت ، الآلة وان تعب فلا سبيل الى الراحة . فهو مسيَّر لا مخيَّر.

تأثير الآلة في حياة العامل العائلية

فيثقل على العامل عمله ويزيد في ثقله مما يضطره الامر في غالب الاحيان الى ان يرى امرأته واولاده يغادرون البيت صباحاً ليعودوا في المساء. وقد انهكهم التعب . ولا سبيل الى الانكار ان الآلة سهّلت سبل العمل فجعلته قريب المنال من المرأة والولد « وقد تغني في بعض الاعمال بالمرأة والطفل عن عشرات من الرجال الاشداء ، الذين ينهكون قواهم دونها »[1]. نشهد هذا الامر في بلادنا. نعم ان مقالنا ينظر الى القضية الاجتماعية نظرة اجمالية تتكيف حسب البلدان ، الّا انه ينبغي لنا ان نأخذ بعض الامثال عما نشهده في هذه البلاد . اين هي تلك الانوال البيتية التي قلما كان يخلو بيت منها ، تديرها المرأة وتعاونها في عملها ابنتها حتى اذا ما كبرت كان بوسعها ان تنسج على النول الذي تجده في بيت زوجها . الّا ان هذا كله قد لا نرى له اثراً لان البضاعة الاجنبية والمنتج الصناعية قضت عليه لذلك اضطرت المرأة وابنتها الى مغادرة بيتها والاحتشاد في معامل النسيج . وهل من ريب في ان ذلك التفرق والتشتت في العائلة يضعف الحياة العائلية وينهكها ؟ يعود الرجل من عمله مثقلاً بشغل نهاره ، وهو يودّ ان يرى امرأته تخفّ لاستقباله لتخفف عنه وطأة التعب ، وقد هيأت له كل ما يحتاج اليه ليستعيد قواه فيعاود عمله بنشاط واندفاع . ولكن ظنه قد يخطئ اكثر من مرة ، فلا يجد بيته وفقاً لرغبته . ولا يندر ان تعود ربة البيت

---

١) الموجز ١ : ١٥٢

من العمل بعد عودة زوجها. وربما اشتغل الرجل نهاراً وامرأته ليلاً او بعكس ذلك . فتحدث حالة كهذه صدى بعيداً في حياة العامل وعواطفه وحبه ، ولا عجب اذا لجأ الى المقاهي والخمارات . . .

ولا لوم على المرأة ، لانها عاجزة عن ان تقوم بسياسة بيتها وتربية اولادها ، ولا على الرجل لان ما يتقاضاه غير كاف لاعالته مع اهل بيته . على ان هذا لا يمنع ان يكون للامر اهمية كبرى اذ الحياة العائلية مهددة بالدمار والانطفاء في ملايين من المنازل. ناهيك عن الحيف الذي يلحق بالفتى والفتاة ولم يتجاوزا بعد الرابعة عشرة من عمرهما عندما ينتزعهما المعمل من بين يدي امهاتهما ليلقي بهما في محيط مجهول اقل ما يقال فيه انه مشبوه امره .

تأثير الآلة في الانتاج

واخيرا لا يخفى — وهذه ميزة الآلة الثالثة — ان امكانيات الآلة في الانتاج غير امكانيات العامل بدونها . فتلك تفوق هذه بدرجات اذ باستطاعة الآلة ان تخرج ما تنتجه « بلا حدّ في العدد على مثال واحد وبهذا تبلغ الآلات غاية القوة»[1] . وبما ان المعامل التي تستخدم فيها الآلات لا تحدد انتاجها على الطلب الذي عليها اي انها لا تقتصر على صنع ما يكون قد طلب منها بل تتجاوزه كثيراً وتعرض ما فاض عليها في الساحات التجارية ، تكيفت الازمة التي يشهدها العالم بميزة خاصة غريبة الشكل ، وهي ان الطبيعة بفضل جهود الصناعة فاضت على الانسان بخيرات وافرة ، اذ تعددت المصانع وكل منها يحاول ان يزيد انتاجه ، بصرف النظر عن مقدرة الشاري الاستهلاكية . وهل يا ترى زادت مقدرة العامل الاستهلاكية ؟ لا . لذلك ليس بوسعه ان يستفيد من هذه الخيرات الفائضة لان مقدوراته الشرائية ضئيلة . ولا عجب اذا نظر بعين الغضب الى صنع يديه لانه محروم منه . ذلك ان المزاحمة بين المعامل وعدم تحديد الانتاج يمنعان ارباب العمل عن زيادة اجور عمالهم . ونكاد لا نصدق — الا انه امر واقعي —

---

١) الوجز : ١٥٢

ان سنة ١٩٣٤ اتلفت محصولات كثيرة نذكر منها :

٨.٨٦٠.٠٠٠ قاطرة من القمح، ١١٤.٠٠٠ قاطرة من الرز، ٣٢.٠٠٠ كيس من البن ، ١٣.٠٠٠.٠٠٠ طن من السكر، ٦.٠٠٠.٠٠٠ خنزير، ٨٠٠.٠٠٠ بقرة .

وقد شهدنا في بلادنا لسنين خلت اقتلاع اشجار الموز .

مع ان ما يزيد عن المئة مليون من العمال لا يأكلون شبعهم .

مساكن العمال

واخيراً اذا جاز لنا ان ندخل مساكن العمال ، فاكثر ما نراها بحالة غير مرضية ولماذا ؟

نعم ان الآلة تقتصر على استعمال يد عاملة قليلة ولكن هذا لا يمنع ان تضم المعامل الكبيرة مئات والوفاً من العمال . لان الآلات تتعدد فيها ولان تلك المعامل واسعة الارجاء فسيحة . واذا تعددت المعامل في المدينة الواحدة ومعظمها يبنى في ضواحيها ، فلا نعجب اذا عرفنا ان سكان بعض المدن الصناعية تضاعف عددهم بوقت قليل . لان من توافر لديه المال يمكنه بوقت زهيد ان يشيد البنايات ويستجلب الآلات اللازمة الصناعة التي يريد ان ينشئها . ويمكنه ايضاً ان يجد بسهولة العملة الذين يحتاج اليهم . فيتوافد هؤلاء ، اما من احياء المدينة ، واما من الجبل ، فيجدون كل شيء جاهزاً للعمل . الا انهم قلما يجدون بيتاً جاهزاً لسكناهم ، فيحدث واحد من امرين : اما ان يجدوا بنايات للاجار فيستأجرونها لقاء ثمن مرتفع لتكاثر الطلبات لها فيكتفي العامل بغرفة واحدة يلجأ اليها مع امرأته واولاده مهما كان عددهم . تارة تكون غرفة نوم وتارة غرفة اكل واخرى ردهة استقبال واما — وهو الامر الثاني — ان لا يجدوا البنايات المناسبة فيتم بسرعة وافرة بناء بيوت قد تصلح لكل شيء الا للسكن فيتكدس فيها العمال وهي اشبه باكواخ منها ببيوت — ضيق في النفس وضيق في المسكن مما يجعل العامل يشمئز من حالته ويفقده كل لذة في الحياة . ولا غرو اذا تكاثرت الامراض والعلّات في تلك المناطق التي يحتشد فيها الناس ، لانهم محرومون من مناخ جيد واكل مغذٍ .

الآلة وطرق المواصلات

وقد زاد الشر تفاقماً الانقلاب الذي احدثته الآلة في طرق المواصلات. وهذا امر بيّن لا يحتاج الى طول شرح ، فنكتفي بالمقابلة بين القوافل والقطارات او سيارات الشحن لنقل البضائع. وماذا نقول في السفن التجارية التي تؤمن المواصلات بين البلدان المختلفة ، وهي في اتقان مستمر تتزايد حمولتها يوماً عن يوم. وماذا نقول في الطائرات وفي تنوعها وضخامتها وسرعتها ؟ حتى اصبحت البلدان مهما نأت وتناهت في البعد باتصال بعضها ببعض تتبادل محصولاتها بسهولة كلية. وقد نتج عن ذلك امران نلفت اليهما الانظار :

ارتباط الساحات التجارية

قد لمحنا فيما سبق الى ان الصناعة لا تكتفي بتجهيز طلبات معينة فحسب ، بل تنتج اشياء كثيرة بصرف النظر عن طلب معين. ولا شك ان تلك البضائع تعرض للبيع في الساحات التجارية ان في شتى المناطق من البلد الواحد وان في مختلف البلدان ، وذلك بوقت سريع واكلاف زهيدة بفضل ما يسرت الآلة من طرق المواصلات في العالم. فحصل ان الساحات التجارية اصبحت متأثرة ومتماسكة ومرتبطة بعضها ببعض ، حتى اذا تأخر او نشط انتاج احدى الصادرات في بلد ما شعرت بذلك التأخير والنشاط الساحات التجارية التي تعرض فيها تلك السلع تتراوح اسعارها بين هبوط وصعود حسب توافرها وانتقاصها ، فيتضعضع الشاري والبائع ، فيمتنع هذا عن البيع وذاك عن الشراء ، او يستقل بالتجارة بعض المتمولين فيخلقون احتكاراً واقعياً ويحتفظون بتسعير البضاعة وفقاً لرغائبهم مشروعة كانت ام لا ولا ريب ان مثل هذا الاحتكار الواقعي له سهمه الاوفر في الازمة الحالية. وهل من حاجة الى القول ان ما نقاسيه في هذه الايام يعود الذنب فيه الى مثل هؤلاء المحتكرين ؟

المزاحمات التجارية

لكن الشرّ لا يقف عند هذا الحدّ اذ ينتج عن سهولة المواصلات امر آخر يؤثر في العامل بنوع خاص نعني به المزاحمات التجارية . لا منازعة ان المرافق

الطبيعية متفاوتة بين البلدان منها ما هو غني التربة ظاهرها وباطنها ومنها ما هو فقيرها . وهكذا قل عن التقدّم الصناعي فقد بلغ درجة من الرقي في بعض البلدان لم يصل اليها في غيرها . اضف الى ذلك ان اجور العمال ليست هي نفسها في كل صقع . فقد يتقاضى العامل الفرنسي مثلاً اضعاف ما يتقاضاه العامل الياباني . لا بل نشهد هذا التفاوت في الاجور ضمن نطاق البلد الواحد ، ولنا في بلادنا شاهد على ذلك اذ ما يتقاضاه العامل « المتوالي » اقل بكثير مما يطلبه غيره من العمال .

فهذه العوامل الثلاثة كافية لنفهم ان اكلاف البضائع متأثرة بغنى البلد الطبيعي ، وتقدمه الصناعي ، واجور اليد العاملة فيه . واذا توافرت هذه العوامل الثلاثة في البلد الواحد سيطرت بضاعته في جميع الاصقاع وهدّدت الصناعة الوطنية بالبوار . وما البضاعة اليابانية الا اكبر شاهد على هذه الحالة ، اذ نراها منتشرة ومعروضة في جميع الساحات التجارية . ولهذه المزاحمة اليد الطولى في قتل حرير القزّ في بلادنا . وادّت هذه المزاحمة ايضاً لبضع سنين خلت الى قتل معمل سكر بالقرب من طرابلس . لان السكر الذي يردنا من مصر كان اقل ثمناً واكلافاً من السكر الذي كنا نستخرجه في بلادنا . وحكاية النسيج الوطني شبيهة بقصة معمل السكر . فان حرير القز الذي تنسجه الانوال البيتية يكلف اكثر من الحرير الذي تنسجه المناسج الصناعية في البلدان التي نشطت فيها الصناعة وازدهرت .

لكن ما العمل لوضع حدّ لهذا الخطر ، اذ ما من بلد يرضى بان تموت صناعته ؟

للامر حلّان ممكنان او بالاحرى معروفان ، يعمل بهما : اما ان نقفل ابوابنا باية طريقة كانت امام هذه البضاعة الاجنبية فنعرض انفسنا للمعاملة نفسها ، فتقفل تلك البلاد ابوابها بوجه بضاعتنا . واما ان نحاول مزاحمة تلك البضاعة ، وذلك بانتاج بضاعة قليلة الاكلاف . واذا كانت الطبيعة لم تمنّ علينا بتربة غنية ، او لم تبلغ الصناعة مبلغها من الرقي كان لا بدّ لاصحاب المعامل والفبارك من تخفيض اجور عمالهم الى حدّ غير معقول . فيذهب العامل ضحية هذه المزاحمة

اذ يجد نفسه يتقاضى اجوراً دنيّة لا تكفيه واهل بيته . فقر وشقاء ينزلان بالعامل فيحسب نفسه ، وهو لعلى صواب ، ضحيّة الجور والظلم . ولا عجب اذا فتش عن اية طريقة ممكنة للافلات من حالة غير مرضية . وليس هذا الحل ، اي تقليل اجور العامل ، مما يبهج ارباب التجارة ، لان مقدرة العامل الشرائية تضعف بتضاءل اجوره فتفيض الخيرات ويكثر الجوع والشقاء .

تأثير الآلة في العلاقات بين العامل وصاحب العمل

شعر العامل بضيق في اجوره، وضيق في مسكنه ، وضيق في نفسه ، وجال بنظره الى ما حواليه فرأى نفسه بمنزلة يتخبّط في مصاعب شتى ، وما من يمد له يد المساعدة . فخامره الشك فيمن يتعاون واياهم على العمل لان الشعب بحاجة الى مدبر يضع فيه ثقته ويفضي اليه بهمومه ، وهو لم يكن على استعداد لمجابهة ظروف معيشة لم يألفها . فتضعضع وفتش عمن يكل اليه امره . ولما لم يجد صاحب العمل استسلم بين يدي من وعده بالاهتمام بشؤونه دون ان يتفحص امره .

علاقات العامل وصاحب العمل في الحوانيت الصغيرة

قلنا ان الصناعة اليدوية استبدلت بها الصناعة الميكانيكية وذلك بفضل الآلة . اين هي ، اللهمّ في المدن الكبرى ، تلك المصانع الصغيرة يجتمع فيها عدد صغير من العمال يشتغلون على مرأى ومسمع بعضهم من البعض، يشملهم نظر صاحب العمل الابوي ويكتنفهم بعطف وحنان هم بحاجة اليهما ، لا سيما اذا ما كانوا بعد في اول عمرهم . فانهم لم يُنتزعوا من بين يدي اهلهم ليُطرحوا في محيط مجهول . انما غادروا عائلتهم لينضموا الى عائلة اخرى لا تقلّ عطفاً ومحبة عن الاولى . فهم يتآنسون ويتحادثون ، ويلتفون حول مائدة واحدة يؤنسها صاحب العمل ، الذي لا يشتزّ من الاختلاط بهم ، ولا يحطّ من قدره عمله هذا انما يشرفه ويوطد في قلوب عماله نحوه عواطف المحبة والاحترام لانه يحب عماله ويحترمهم ويعرف ان عمل كليهما ليس الا واسطة تؤمن لهما الحياة . هم يقفون عملهم في خدمته وهو يأخذ على نفسه ان يزيلهم مع عائلتهم . كما ان الاب الذي يعطي الحياة لولد لا يتقاعد عن حفظ تلك الحياة وانمائها ، كذلك هو فقد تبنى

عماله وقطع معهم عهداً ان يعطيهم ازاء شغلهم ما يكفيهم وعيالهم . ولا عجب اذا وجدت هذه الروح التي تهيمن على المصنع اتحاد القلوب والتعاضد الحقيقي ، فلا تدع مجالاً للمنازعات بين الفريقين لان علاقات ودية صادقة تربطهما وتضمن لهما هناء العيش وصفاء النية . فيكبر العمل في عيني من يأتي به لانه يفهمه كما هو . فيكون هذا الجو العائلي الذي يشمل تلك الحوانيت من اكبر العوامل على رفع شأن العامل . ونقول ان ضائقة العمال ليست بضائقة مال فحسب ، بل هي ضيق في النفس وعزلة وانفراد . وقد تحدد ساعات العامل وتقللها على امل ان نضع حداً لشقاء العامل . وقد نرفع مستوى الاجور متوخين الغاية نفسها ولكن اصلاحاتنا هذه وان ضرورية لا تفي بالمطلوب وحدها ، لانها تهمل وجهة هامة في القضية وهي نفسية العامل . فقد اصبح هذا بحاجة الى ثقافة وتدريب خاصين يناسبان الظروف الحاضرة ويحببان العمل الى العامل .

علاقات العامل وصاحب العمل في المعامل الكبيرة

هذا ما كنا عليه ، وهذا ما صرنا اليه : الفة وتعاضد . ابتعاد ومنازعة .

قلنا ان تلك المعامل الصغيرة تبدلت الى معامل كبيرة تضم الوفاً من العمال يدير شؤونها اناس يجهلون العامل ، وهذا يجهلهم ، فيحدث واحد من شيئين :

اولها ان تلك الصناعة تخص مساهمين كثيرين او اعضاء شركات مغفلة يكلون ادارتها الى مهندسين يسهرون على سير الاعمال ، ويؤمنون لهم الارباح ، فيتقاضون لقاء عملهم اجرة معينة تربو اذا ما ازدادت المكاسب . فيصبح همّ المهندسين الاوحد ان ينشطوا الصناعة بقدر طاقتهم زيادة لارباحهم . ويصبح همّ الشركات والمساهمين ان يروا في ايديهم كثيراً من المال . فينسى هؤلاء وينسى اولائك ان تلك المكاسب انما القسم الاوفر منها ثمرة اتعاب اناس وقفوا حياتهم على خدمتهم ، لهم عيالهم ، ولهم متاعبهم وهمومهم ، فلا يجوز التغاضي عنها . لكن التبعات قد ضاعت . اما المساهمون فلانهم يجهلون كل شيء او يتجاهلون فيغسلون ايديهم قائلين : ما لنا وللعامل ، اننا لا نعرفه هو يجهلنا فليحلّ مشاكله اذا كان ثم مشاكل مع من يدير شؤون العمل . وليس هذا باكثر اكتراث منهم اذ لا يتردد في القول : انه عامل يتقاضى اجرته فلا يعنيه امر العمال ومطاليبهم . فيتضعضع هؤلاء غير

عارفين الى من يرفعون شكواهم فتتخزن في قلبهم الحزازات والضغائن ريثما تجد من يستغلها فتنفجر حينئذٍ عن تحاش وتتحول الى الخراب والتدمير والدم .

وثانيها ان صاحب المعمل يدير شؤونه بيده ، وليس ثم مساهمون او شركات غفل . الا ان الحالة قد لا تتغير . لماذا ؟ لانه يستحيل على صاحب العمل ان يتصل بعماله ، وقد كثر عددهم جداً ، فيتحدث اليهم ، وهم مئات والوف . فتكون الخطوة الاولى ابتعاد كل من الفريقين عن الآخر . فيولد هذا قلة المعرفة . هو يجهل همومهم ومشاكلهم ومطاليبهم ، وهم يجهلون استعداداته وعواطفه . هل من اعتبار لهم في عينيه ام هل يريد ان يستغلهم وحسب ؟ هم يتحملون عمل النهار والليل فيعودون الى بيوتهم مضنوكي القوى منهوكيها يتخبطون بمصاعب شتى . اما هو فهل يتعب او يشقى ؟ ام هل ينعم بما يدرّ عليه عملهم من خيرات : نحن نأكل لقمتنا مغموسة بالدم ، وهو يأكلها مغموسة بالعسل . هو يسعد من شقانا ، ونحن نشقى لسعادته . فيولد هذا الشك فيهم سوء التفاهم والحقد والبغض ، ويصبح العمل في اعينهم عبئاً باهظاً يثقل عليهم حمله . فليس ثمّ في اعينهم خدمة يؤدّونها لمن يستخدمهم يقابلها خدمة يؤديها لهم ازاءها فينخسون في ضمائرهم : اعطف ومحبة ام استعباد واستثمار ؟ اعدل واخاء ام جور واحتقار ؟

ساعة ابتعد العامل عن صاحب العمل ، فجهل احدهما الآخر ، حينئذٍ اصبح بالامكان التفرقة بين قلبيهما وبثّ روح الحقد والثورة في قلب العامل وعدم المبالاة والاحتقار في قلب صاحب العمل . حينئذٍ فقد العمل قيمته الانسانية فاحتقره العامل وثقلت عليه وطأته ، حينئذٍ اصبح العامل جزءاً من الآلة التي يديرها وصار عمله سلعة تباع وتشرى .

بعض الظواهر التي وطدت هذه الفكرة في عقل العامل

وقد يعدّ نفسه سعيداً ان لا تنحط قيمته عن قيمة الآلة . لندخل احد المعامل — ماذا نرى : شباناً وشابات يسيّرون آلات جبارة . ما العامل ازاء تلك الآلة ؟ قزم امام جبار . وما هي الا حركة غافلة او في غير محلها حتى تردده

الآلة ازدراداً ، فيستصغر نفسه ويستضعفها: « مسكين ابن آدم مكتوم الاجل ، مكنون العلل ، محفوظ العمل ، تؤلمه البقّة ، وتقتله الشرقة ، وتنتنه العرقة »[1] انما هو يعقل والآلة لا . لكن هل هو من ذلك على يقين ؟

لا نريد ان نغالي ونشوّه وجه الحقيقة . الّا ان ظروفاً كثيرة مبعثرة في حياة العامل تؤثر عليه وتدمي قلبه فنبدي على سبيل المثل هذه الملاحظة : لو فرضنا ان تعطلت لسبب من الاسباب احدى الآلات التي يستخدمها العامل ، فما يكون من صاحب العمل الّا ان يستدعي من يعالج شأنها ولا لوم عليه في فعلته . ولو فرضنا ان أُصيب احد العمال بعلة ما اثناء عمله فما يكون من صاحب العمل الّا ان يطرحه غير آسف عليه . ولا غرو فان الآلة عزيزة في عينيه ، لانها تكلّف مبالغ طائلة . اما العامل فمبتذل وبخس الثمن . كيف لا وهو بانتظار من يستخدمه على مفرق كل طريق ، وفي زاوية كل شارع ، وفي الساحات العمومية وفي القهاوي وفي . . . افواجاً افواجاً يقفون بطالين لانه لم يشغلهم احد . فما عليه الّا ان يبدي اشارة فتتوافد عليه العمّال مسترحمين متوسلين مستسلمين الى من في يده انعاشهم مع عيالهم ، وقد سئمت نفسهم البطالة وذاب قلبهم اسى لمرأى عيالهم جياعاً وعراة .

الاسباب التي منعت عن وضع حد لهذه الثورة

لقد احدث التقدم الصناعي فوضى في العالم . هذا امر واقعي . وكان لا بد للتقدم الذي شهدته الانسانية من ان يحدث ثورة . هذا ما يفهمه كل انسان . اما ما لا نفهمه فنبرره فهو ان يجر علينا ويلات لم نكن بانتظارها ، وقد صفقنا مهللين للاختراعات العجيبة مكبرين لها . لماذا ترى وصلت بنا الحالة الى ما وصفناه ؟

لان الثورة لم تجد رادعاً يوقفها عند حدّ فيمنعها من ان تنقلب الى فوضى عالمية . لان نظرات فلسفية فاسدة وآراء اقتصادية عقيمة شوّشت العقول وبلبلت الافكار ، فاعمت عيون ارباب العمل ومسكت بيد ارباب السلطات ، فجعلتهم يستسلمون للشر الذي يشهدونه وينقادون له صاغرين :

١) علي ابن ابي طالب ، الروائع ١ : ٤

« فالاضطراب ليس في الطبيعة الخارجية ، لان قوى الطبيعة خاضع اكثرها لتسيير الانسان ولا الانظمة الاجتماعية لانها هي ايضاً من وضع الانسان يكيّفها ويبدلها كيفما شاء .

« مركز الفوضى الحقيقي هو نفس كل واحد منا . في تفكك المعتقدات الاساسية التي تقوم عليها الحياة . في انهيار المبادئ التي نتمشى عليها في معاملة بعضنا لبعض ، في نضوب الينابيع الروحية في نفوسنا وجعل المادة مسيطرة على كل قوى الحياة في استسلامنا اخيراً الى نزق شهوات ومطامع ألهناها وحللناها في حياتنا محلّ الشرائع الازلية التي رسمها الخالق للانسان.

« لقد حلّ في عالمنا الحاضر ما يحلّ غالباً في جسم الانسان عند انتقاله من طور الصبا الى طور الشباب. فانه بسبب نموّه السريع تنحط في شرايينه قوة الدم الحيوية فيشحب لونه وتخور قواه وتصبح حياته مهددة بالخطر المميت. هذا الداء معروف عند الجميع « بفقر الدم » .

« فعالمنا اليوم قد سار شوطاً بعيداً في التقدّم المادي . بسبب الاستنباطات العجيبة التي لم يعرفها الانسانُ في الاعصر الغابرة . ولم يك هذا النمو ليرافقه نموٌّ في الحياة الروحية فطغت المادة على الروح وصرنا نحس بالافتقار الى تجديد روحي يعيد الانتعاش في الهيكل الاجتماعي. هذا هو السبب الرئيسي للفوضى العالمية. »[1]

رادعان للفوضى : داخلي وخارجي

الرادع الداخلي

ان هذا « الانتعاش في الهيكل الاجتماعي »[2] يتجسم لنا في امرين كان بوسعهما ان يكونا رادعين للثورة. اما الرادع الداخلي فهو ضمير نحي يدلي لكل انسان بواجباته فيتممها. فهو صوت العدل والمحبة والاخاء. هو نظرة عدل الى العامل واقرار بشخصيته وقيمته واعتراف بها، مهما دلت الظواهر على قوة الآلة وضعف العامل لان هذا يفوق تلك بدرجات لانه حي هو ، وهي لا. لان له نفساً تشرنه وترفع

---

١ و٢) الفوضى العالمية ، ص ١٤–١٥

مقامه وتعززه في اعيننا فهو ارفع من ان يباع ويشرى ، اما هي فليست الا سلعة مهما ارتفع ثمنها . لانه اخيراً يريد ان يكون شغله خدمة يقدمها لصاحب العمل ازاء خدمة تُقدم له، لا ان يكون سلعة يتجر بها لان شغله جزء منه فهو يريد ان يخدم فيفيد لا ان يستخدم فيُستغلّ .

الا ان تعطّشاً للربح لا يُروى وجشعاً لا يشبع استوليا على بعض الرأسماليين « فاصبح همهم منصرفاً الى توفير اموالهم باية طريقة كانت يسعون وراء غاياتهم فوق كل شيء وقبل كل شيء وما من امر الا يستحلونه لمصلحتهم الخاصة حتى افظع الجرائم في حق الناس . . .

« وكان من البديهي ان سيرة مديري الشؤون الاقتصادية المنحرفة عن الطريق المستقيم تدفع بعموم العملة في مختلف الاحوال الى التورط مثلهم في هوة الهلاك ولا سيما لان السواد الاعظم من مديري الاشغال الصناعية قد استخدموا عملتهم كالآلات الصماء غير مكترثين لخير نفوسهم بل غير مفتكرين بمصالح مستخدميهم السامية . . . وهكذا الشغل الجسدي الذي رتبته العناية الالهية لمنفعة جسد الانسان وروحه يتحول في احوال عديدة الى آلة فساد : اي ان المادة الجامدة تخرج من العمل اشرف واسمى ؛ اما الاشخاص البشرية فينفسدون فيه ويصبحون ادنى قيمة . »[1]

ولا غرو في ذلك لان النظريات الفلسفية المادّية حطّت من شأن الانسان وانكرت عليه روحه وجعلته في مصافّ الحيوان ، اذ المادة وحدة كائنة ولا كيان لغيرها . وما الانسان الا نتيجة المادة في مختلف تطوراتها . فهو يخلق وينشو ثم لا يلبث ان يموت فيتلاشى « مسكين ابن آدم . . . » اما هو فيعقل ، والآلة لا . لكن هل هو على يقين من ذلك ؟

الرادع الخارجي

كان ثم رادع ثانٍ لهذه الثورة يقف بها عند حدّ ، اعني به تداخل السلطات بوضع شرع يسنونه . لكن التقدم الصناعي حرم من هذا الشرع وقد قال احدهم :

١) رسالة البابا بيوس الحادي عشر : الترجمة العربية ، ص ٤٧-٤٨

« ان الصناعة الحديثة في اول ازدهارها كانت بحاجة الى تعليم ثقة يرشدها الا انها لم تلقَ الا تعليم الحرية الاقتصادية المرتكزة على شريعة العرض والطلب ، شريعة وثنية تدفع الضعيف بين يدي القوي.»[1]

يزعم مناصرو هذه النظرية ان الطريقة المثلى التي تنعش اقتصاديات البلاد وتفيض الخيرات على الافراد انما تقوم باعطاء الحرية المطلقة للافراد في حقل الصناعة والانتاج والتجارة « لان الفرد اخبر بخيره من كل شخص آخر. واذا ترك للافراد حق الاختيار فانهم سيسعون لتحقيق اكبر خير يعود لانفسهم . . . فلنترك الاسواق حيث يلتقي الشاري والبائع وشأنها فتتبدل الاسعار صعوداً او هبوطاً حسب قوى العرض والطلب الناتجة عن اختيار الناس وتفضيلهم بعض الاشياء على البعض الآخر واجور العمال كغيرها من السلع تدخل في نطاق الاسعار ولذا ينبغي ان تخضع مع سواها لقانون العرض والطلب.»[2]

فيكون والحالة هذه موقف العمال مزدوجاً ازاء صاحب العمل :

لو فرضنا ان صاحب العمل يريد ان يستخدم مئة عامل فيلبي دعوته ثمانون ، ويستحيل عليه ان يجد غيرهم . فيقول الاباحيون : ان لهؤلاء الحق بطلب الاجور التي يريدونها — وان لصاحب العمل الحرية في القبول ام الرفض — ولكن ماذا تكون النتيجة ؟ ان قبل شروطهم الجائرة لا يلبث ان يزرح تحت عبء ثقيل يقوده الى الافلاس . وان لم يقبل بالشروط ظلّ الثمانون عاملاً بغير شغل .

ولنفترض الآن ان صاحب العمل يحتاج الى مئة عامل فيلبي نداءه الف . ماذا يحدث ؟

يقول الاباحيون : دع الفريقين يتفقا على شروط العمل . فان لصاحب العمل الحق في املاء الشروط التي يريدها وان جائرة، وللعمال الحرية في القبول ام الرفض . فنجيب : وهمية هي تلك الحرية لان العامل يفضل الشغل وان لقاء اجر زهيد على البطالة التي سنتها نفسه . وهمية هي لان العامل اذا ما رفض الشروط

(١) *Cahiers d'Action Sociale* N° 72 Mgr. Germain

(٢) الطليعة — السنة الثانية ٣ : ٢٣٢

يعرف ان عمالاً كثيرين يعدون انفسهم سعداء اذا ما وجدوا شغلاً مهما كانت الشروط .

ان الاباحيين يقرون ان في بادئ بدء قد يحدث بعض الشرور والمظالم . لكن هذه لا تلبث ان تتلاشى ويحصل التوازن الاجتماعي من تلقاء ذاته بفضل شريعة العرض والطلب .. ولتحذرنَ السلطات ان تتدخل في الامور الاقتصادية فتضع شرائع تحدد فيها اجور العامل او ساعات العمل او الانتاج او المبادلات التجارية . لا . فان مثل هذا التدخل يفسد كل شيء ويقف حاجزاً في وجه حرية الافراد المطلقة الذين هم وحدهم عارفون بما يعود لخيرهم ويفتشون عنه بكل اعتناء . وبفضل المزاحمات الناتجة عن هذه الحرية المطلقة ينال كل انسان حسب جهوده . فكأني بهم يقولون للحكام : اطلقوا اليد في هذا الحقل واحذروا من ان تعرقلوا الحرية بطريقة من الطرق :

حرية المبادلات والمزاحمات التجارية، ولا تنتبهوا الى ما ينجم عنها من الخطر للصناعة الوطنية .

حرية اليد العاملة من رجال ونسوة واولاد كل يعمل متى يريد وكيف يشاء، وغضوا الطرف عما يهدد الحياة العائلية .

حرية التعاقد بين العامل وصاحب العمل، وتجاهلوا ما يلحق بالواحد او بالآخر من اجحاف .

واخيراً حرية الانتاج وان تراكمت الخيرات وفاضت وليس ثم من يشتري او يستهلك .

❁

واذا كان لا بد من خاتمة فنقول :

استنباطات معجزة شهدناها فوقفنا امامها حائرين مكبرين : سبحان من جعل الانسان يفهم ويعقل .

تطورات مدهشة في حقلي الصناعة والانتاج سهلت للانسان طرق المعيشة وفسحت امامه مجالاً واسعاً للتأنق في معيشته وتعدد حاجاته : « وليس تعدد الحاجات من آيات الوهن او علامات السقم في الفطرة البشرية . بل قد يكون

دليلاً على عظمتها وكرمها . فالطبقة السفلى من الحيوان اقل حاجات من الطبقة العليا والهمج اقل حاجات من البرابرة وهؤلاء اقل حاجات من الامم المتحضرة في اثناء المدنية.»[1]

تقدم سريع مشى حثيثاً بالبشرية المضنكة بالنظريات الفلسفية والاقتصادية فضعضعها وافقدها رشدها واتجاهها البعيد، ولم يمهلها وقتاً تعي فيه كيف تستعمل ما تدر عليها الآلات من العجائب والغرائب فتستفيد منها. فتمايلت عجباً وافتخاراً وتوهمت انها حظيت بالسعادة التي تفتش عنها وما هي الّا ليلة وضحاها حتى رأت نفسها تجر ذيلها خسيسة ذليلة وراء تلك الآلة ثمرة جهودها فاستعبدت لما خلقته لتستخدمه.

ونحن لا نحكم على الآلة فنشجبها انما ندعو الانسان مستوقفينه قليلاً قائلين له: هي الآلة لك فاستخدمها ولا تستعبد لها . انما انت اكبر وارفع من ان تخرّ ساجداً امام صنع يديك.

---

١) الموجز ١: ٢٧-٢٨

دار الآثار اللبنانية

في بيروت

قام انشاءها الامير موريس شهاب

٢

الطبقة العليا

عرضنا ، في هذه الطبقة ، الآثار الصغيرة الحجم من العصور السابقة للتاريخ حتى العصر البيزنطي :

الرسم ١ — من الجرار المكتشفة في جبيل

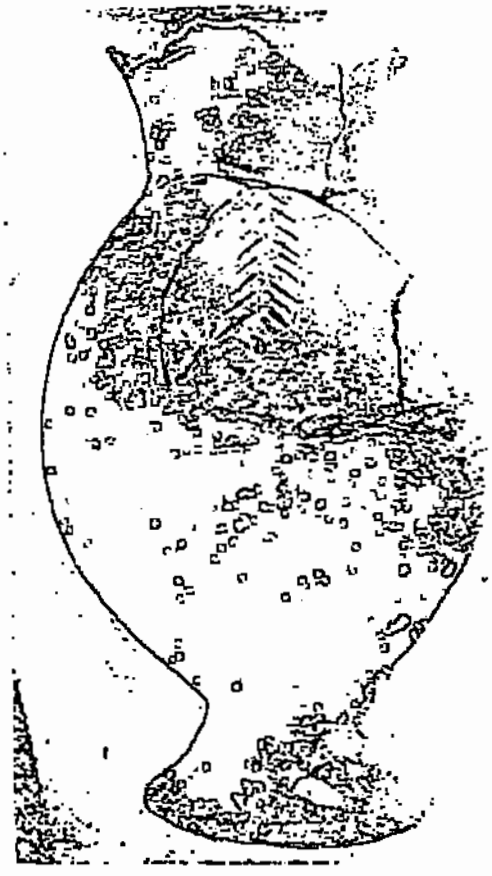

ظهر اولاً بوجه السلم الصاعد قالبان لجمجمتين ، مثلت الاولى جمجمة الانسان ، والثانية جمجمة القرد ، اقرب الحيوانات الى الشكل الانساني . على انه رغم هذا التقارب ، تظهر الفروق مهمة ولا سيما في الجبهة وفي الذقن .

رواق ما قبل التاريخ

ان الادوات الظرانية المعروضة في هذا الرواق هي ثمرة التنقيبات التي قام بها الاب بوفيه لا پيير (Bovier-lapierre)

والسيد باسمار (Passemard).

وقد مثلت صناعة الظرّان الاول، او غير المصقول، بآثار عديدة كالمطارق الضخمة، والمقاشط، والمناشير، والسكاكين، والحراب.

ولا يخفى ان آثار هذه الصناعة وافرة الانتشار في لبنان واهم محطّاتها موقع قصر العقيل قرب انطلياس، على ثمانية ك.ل. من بيروت.

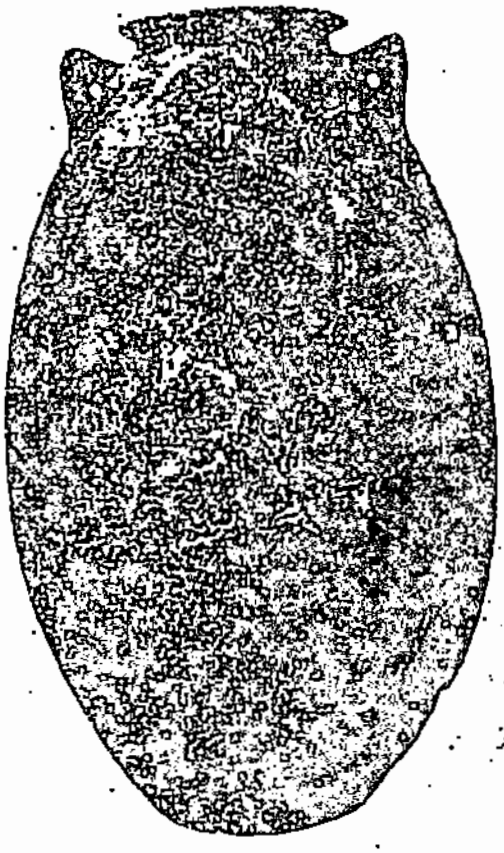

الرسم ٢ – من الجرار المكتشفة في جبيل

رواق ما قبيل التاريخ

يجد الزائر وسط هذا الرواق، في كومة من الرمال، عددًا من الجرار الراقية الى العصر الانيوليتي (الرسمان ١ و٢) وقد كُسر بطن الجرّة بضربة حجر، حتى أُدخل فيها الميت، فدُفن على هيئة الجنين في بطن امه. وحوله اسلحته الظرّانية، وبعض الآنية التي كان يستخدمها في مأكله ومشربه. وكثيرًا ما رأينا في أذنيه حلق الفضة: (الرسم ٣)

ومن ميزات الشعب الانيوليتي الجمجمة المستطيلة استطالة غير طبيعية. ذاك انهم كانوا يضغطون على رأس الطفل بلفائف تطيل جمجمته، حال نموّها. ويقول الدكتور ڤالوى (Vallois) ان هذا الشعب من سلالة الشعوب المنسوبة الى البحر المتوسط. ونحن نعرف انه بنى لنفسه اكواخًا على المنحنى الغربي من اكمة جبيل. وغطّى بجراره المدفنيّة كل الأكمة. وكان يستعمل الظرّان في صنع اسلحته

الرسم ٣ – ما وُجد ضمن جرّة من الجرار الانيولية

وادواته ، الا القليل منها فكان يستخدم لها النحاس . فهو شعب عرف المعادن (الفضة والنحاس) ولكن استعماله لها كان قليلًا نادرًا .

والى جنب هذه الجرار ، يرى الزائر في الخزائن ، عددًا من الآثار الخزفية مكتشفة في المدافن الانيوليتية المذكورة. وهي رشيقة البطون احيانًا ، مرتفعة العُرى ، دقيقة الأسفل . وكلها مصطنعة باليد مجففة بحرارة الشمس . ومنها ما زُخرف دائره بخطوط محفورة.

الرسم ٤ – اناء خزفي من العصر الانيوليتي

ومن هذا العصر الانيوليتي قطعة من العاج اكتشفت في احدى الجرار المدفنية ، تمثل اناء اسطواني الشكل وحيوانًا من ذوات الاربع .

وهناك عدد من الآنية الخزفية احدث عهدًا مما تقدم (الرسم ٤) . منها امثلة راقية الى الالف الثالث ق. م وهي اقلّ رشاقة من الخزف الانيوليتي ، معروفة في بلاد كنعان منذ اواخر الألف الرابع الى اوائل الألف الثالث . وهي في بعضها ، ولا سيما تلك المسطحة الأسفل ، المزدوجة العروة في بطنها ، المتسعة الفم ، تشبه آثار الخزف الانيوليتي . وتشاركها في ان تربتها غير نقية ،

فيها كثير من الحصى. وهذه الحرفيات مكتشفة في لبنا من قرى منطقة صيدون.

وقريباً منها آثار من الخزف حيوانية الشكل، تمثل الثيران او الطيور. وقد تزدان بخطوط من التربة الحمراء. ولا يخلو صنعها من دقة وقوة في التصوّر كما يظهر في احد الثيران. وهي من مكتشفات جبيل، ترقى الى الالف الثالث، وُجدت، مع غيرها من الآنية الصغيرة، في زاوية احدى الغرف الملحقة بهيكل جبيل. وكانت لا تزال مصفوفةً بعضها فوق بعض، كما رتبها احد كهنة الفنيقيين في القرن الثالث ق. م.، قبل احتراق الهيكل.

وفي الخزانة التالية، يرى الناظر قطعاً من حجر الشطوط هي بقايا الآنية او موائد التقدمة، حاملة اسماء الفراعنة الذين قدّموها. واقدمها يحمل اسم الفرعون خاسخموي، آخر ابناء الاسرة الثانية، الذي حكم مصر في حدود السنة ٣٠٠٠ ق. م. ومنها ما يحمل اسمي باني اهرام الجيزة، خوفو وميكرينوس. واحدثها عهداً واكثرها عدداً تدوّن اسماء بيبي الاول، وبيبي الثاني. منها اناء يمثل انثى قرد تحمل صغيرها، ويظهر على كتفها اسم الفرعون بيبي.

هذه الآنية المتعدّدة تدلّنا على العلاقات الودّية المتينة التي جمعت بين جبيل ومصر طوال الألف الثالث ق. م. كما تدلّ على الأثر العميق الذي كان لبعلة جبيل في نظر الفراعنة حتى اهتمّوا هذا الاهتمام بعبادتها، واهدوا اليها هذه التقادم، بينما كانت المدينة تصدر اليهم خشب ابنيتهم، وحنوط موتاهم.

رواق الألف الثاني

كان من فضل حفريات جبيل أن أولت تاريخ الألف الثاني ق. م. نوراً جلياً.

ومع ان الفنيقيين استقروا في بلادنا في اوائل الألف الثالث ق. م. فاننا لا نعرف آثار مدنيّتهم المزدهرة ذاك الازدهار العجيب الّا مذ اوائل الألف الثاني.

ففي القرنين التاسع عشر والثامن عشر، نجد ملوك جبيل يهتمون بقبورهم اهتمام فراعنة مصر. ويعاصر هذه القبور هيكل المسلّات المحتوي على كثير من

الكنوز . ومن هذين المصدرين : القبور الملكية والهيكل ، أتتنا اكثر التحف التي تزين خزائن الحليّ .

اكتشفنا في جبيل احد عشر قبرًا من قبور الملوك . الّا اننا لم نرَ محفوظًا منها الّا ثلاثة . اما التصميم فكان يتناول ، على الأرجح ، ثلاثة اقسام : مصطبة تعلو القبر ، لم يبقَ منها الّا الاساس . ثم بئر مربّعة القطع ، يختلف عمقها باختلاف عمق الحجر المحفورة فيه ، ثم الغرفة المدفنية التي يوضع فيها الملك الراحل محاطًا بحليه ، نائمًا في تابوت من الحجر او من الخشب .

اما القبر الاول وهو اقدمها ، فكان مثوى الملك ابي شمو . وقد عرفنا تاريخه بوجود إناء للبلسم من الاوبسيديين المطوّق بالذهب ، وهو رشيق الصنعة يحمل اسم الفرعون امنحمت الثالث الذي حكم من السنة ١٨٤٩ الى السنة ١٨٠١ . (الرسم ٥)

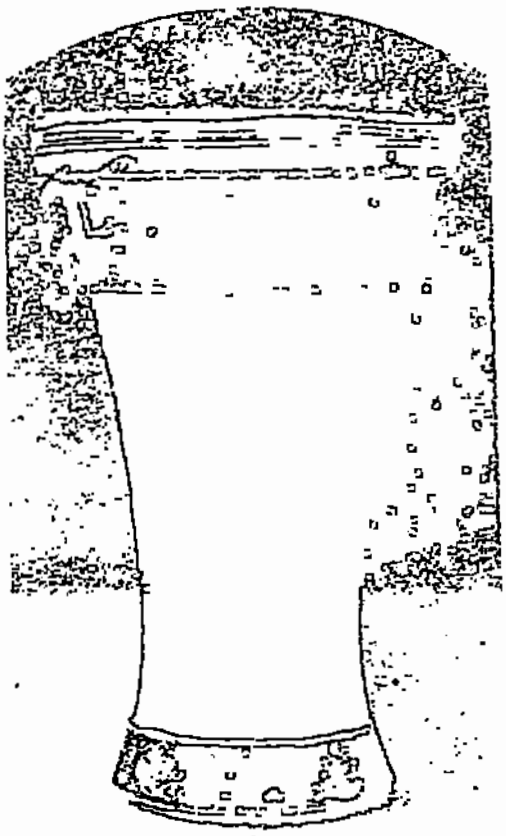

الرسم ٥ — اناء من الاوبسيديين

وكان الى جنب الميت مرآة صفحتها من الفضة ومقبضها مغطّى بالذهب ، ومصنوع على شكل ساق البردي ، وهو شكل معروف في مقابض المرائي المصرية . (الرسم ٦) وبالقرب منه صولجانه ، ينحني على شكل منجل الحصاد ، متأثرًا بالفنّ الأشوريّ

الرسم ٦
مرآة صفحتها من الفضة
ومقبضها مغطى بالذهب

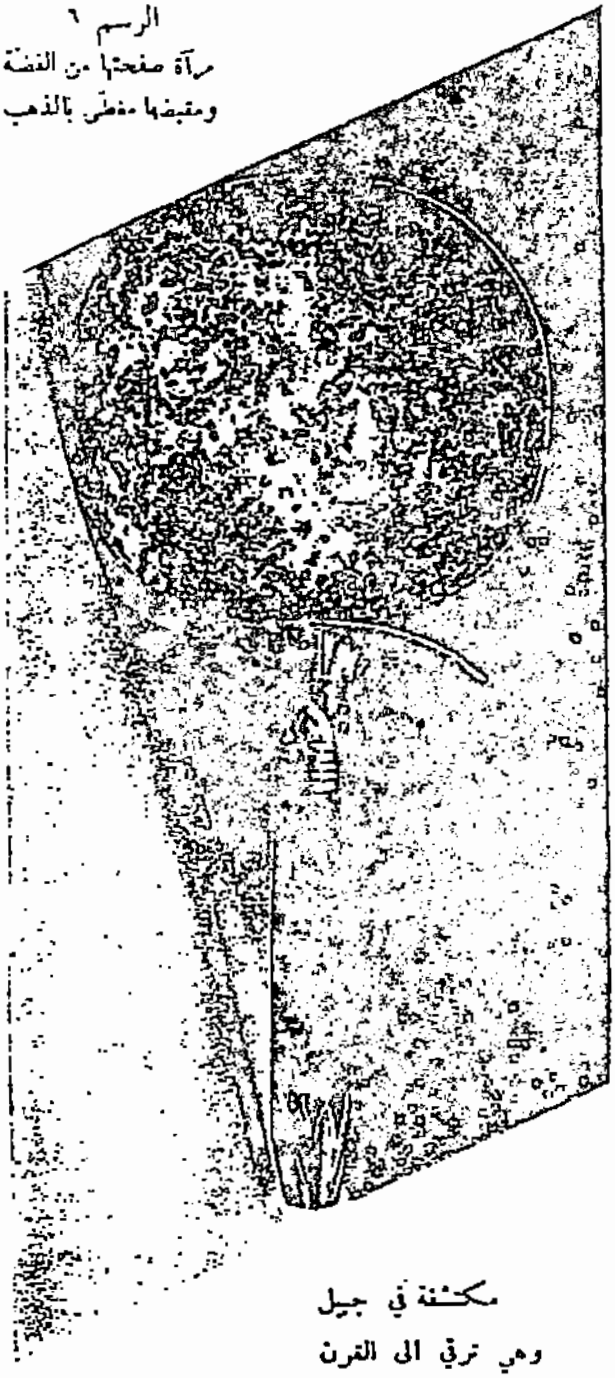

مكتشفة في جبيل
وهي ترقى الى القرن
التاسع عشر قبل الميلاد

الأكدي . وقد اتخذ الملك نعلين من الفضة واحاطت بعنقه قلادة من العقيق ، واخرى من الذهب مزدانة بباز مبسوط الجناحين . وفي يده سوار مذهب ، وفي اصبعه خاتم ذهبي ذو فص من العقيق على شكل الجمل .

الرسم ٧ – اناء رشيق مكتشف في جبيل

وكان حول الناووس آنية كثيرة من الذهب ، والفضة ، والبرونز ، والخزف ، وحجر الشطوط ، تحتوي على طيوب الملك وطعامه . منها اناء رشيق يشبه ابريق الشاي ، مضلّع البطن يظهر من اجمل آثار الفنّ المحلي (الرسم ٧) . وكذلك بضعة آنية من الخزف مغشّاة بطلاء لمّاع . ومعها آنية من حجر الشطوط مصنوعة في مصر ، او في فنيقية تقليداً للفنّ المصري .

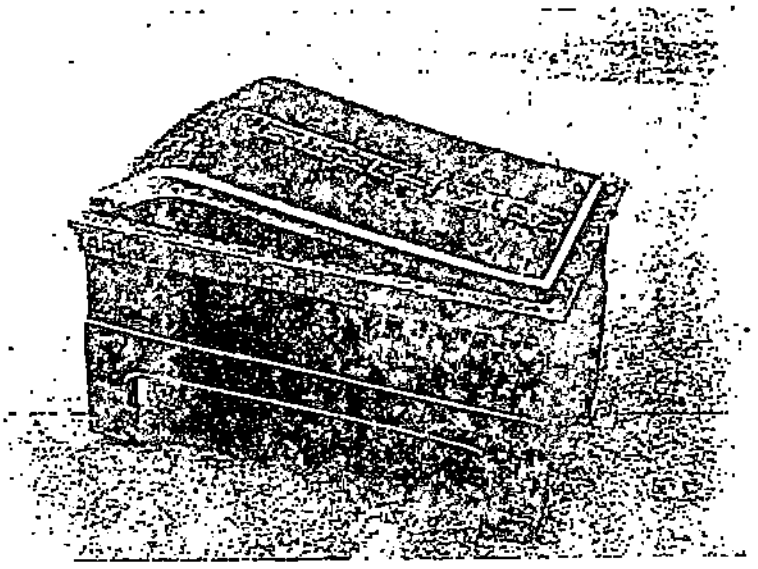

الرسم ٨ – علبة من الاوبسيديين مطوّقة بالذهب

اما القبر الثاني ، وهو شبيه بالأول في هيئته ونوع اثاثه ، فكان مدفناً لابن الملك ابي شمو السابق الذكر ، وهو الملك إب شمو أبي . ومع ان ناووس هذا الملك كان من الخشب المرصّع بقطع الميناء الملمّعة ، فان أثاث قبره ظهر اثمن من اثاث قبر ابيه . وقد نُقش اسمه ونسبه على صولجانه بحروف هيروغليفية من الذهب . واهدى اليه الفرعون امنحمت الرابع علبة من الاوبسيديين مطوّقة بالذهب ، نرجح انها كانت تحتوي على البخور ، لأن اسمها في المصرية « يبز أنتي » اي بيت البخور (الرسم ٨) . ووُجد في هذا القبر حَليان جميلان من الذهب مرصّعان بالحجارة الكريمة ، احدهما يمثل ناووساً ازدان اعلاه بدائرة الشمس مجنحة يحيط بها قرنا أمون . والحلي الثاني على شكل صدفة ، ازدان بصورة جعل وصورة باز وبينهما خاتم يحمل بالصور الهيروغليفية اسم إب شمو أبي السامي .

وقد أمر إب شمو أبي ان يحفر سرداب بين مدخل قبره ، ومدفن ابيه ، رغبةً منه في ان يشرك اباه في التقادم ومظاهر الاحترام المرفوعة الى روحه .

اما القبر الثالث فظهر فيه صولجان من البرونز ، وقلادة ذهبية تعلق بها حَليٌ جميل فيه البازي المعروف باسطاً جناحيه. وهو ادقّ صنعاً من حلي القبرين السابقين . (الرسم ٩)

الرسم ٩
حليٌ ذهبي مكتشف في جبيل

ويظهر ان اسرة ابي شمو حكمت جبيل اكثر من قرن . وكانت مدة حكمها عصر ازدهار للمدينة .

وكان من مآثرها ان رفعت ، او جدّدت ، بناء هيكل على قمة الأكمة . تضمن هذا الهيكل سوراً خارجياً حدّد منطقة الحرم ، فارتفع في وسطها مذبح كبير ، دار حوله عدد من المذابح والأنصاب كان بعضها على شكل المسلّات اشارة الى العلاقات الطيبة بين مصر وجبيل . وكانت احدى هذه المسلّات تحمل عمودين من الكتابة الهيروغليفية ذكر فيهما اسم الملك أبي شمو، واسم الاله رشف. وفي فناء الهيكل ، أقيم عدد من النواويس الصغيرة ، وبعض البرك في سبيل الحاجات الطقسية .

أَوْلى الجبيليون القدماء هذا الهيكل الفقير المظهر احترامهم المتتابع ، فاودعوه كثيراً من النذور الثمينة . وكان اكثرها يوضع في جرار خزفية ، تُخفى بعناية زائدة تحت بلاط الهيكل . وقد يكون اشار الى هذا الهيكل ، احد ملوك جبيل في استغاثته بفرعون مصر ، إذ قال : « لا يحتقرْ سيدي الفرعون جبيل ، لان في هيكلها كنوزاً فائقة . »

❁

اما هذه الكنوز فتتكوّن في اكثرها من أسلحة كنصول خناجر ، وفؤوس ، وحراب من البرونز ، لبعضها مقابض منتهية بشكل لولبي يدلّ على تأثير قرقاسي . وفيها مجموعات من تماثيل صغيرة تصوّر اشخاصاً بشرية ، او آلهة ، او حيوانات .

واثمن هذه المجموعات ما يأتي :

١ً – مجموعة الخنجر

اجل ما في هذا الآثار خنجر من الذهب مُثّل على جهة من مقبضه الاله رشف بجسم رشيق متأثر بالفنّ المصري ، وقبعة قشيّة . وعلى الجهة الثانية غزالان قاعان تحت غزال يرعى . وهذا المشهد اقرب الى ما يصوّره الفن الاشوري الأكدي . وعلى قراب الخنجر مشهد واحد يتكرر على الجهتين ، يمثل الملك على ظهر حماره يحمل صولجانه ، ويتجه لاستقبال جماعة من البشر والحيوانات .

وفي هذه المجموعة اربع فؤوس من الذهب . مُثّل على احداها كبش طويل الأليّة . وهناك صورة كبش آخر على فأس اخرى من العصر نفسه ، تظهره من من النوع المعروف حاليًا في لبنان .

ويتم المجموعة عدد من التماثيل الصغيرة تمثل اشخاصاً بشرية . وتمثال لابي الهول تختلف هيئته عن هيئة ابي الهول المصري . واجلها يبلغ طوله ٣٥ سنتيمترًا ويغطي الذهب مادته البرونزية . ويعلو رأسه قبعة مخروطة الشكل لا تزال نراها بعد اربعة آلاف سنة على رؤوس بعض اللبنانيين ، وهي المعروفة « باللبّادة » .

٢ً – مجموعة الفؤوس

تحتوي المجموعة الثانية على عدد من الفؤوس مصنوعة من الذهب ، او من مزيج الذهب والفضة . وهي تمتاز لا بنفاسة المادّة التي صنعت منها فقط ، بل بما فيها من دقّة الحبك والتحبيب في زخارفها مما لا يكاد يبلغه صيّاغ عصرنا .

٣ً – مجموعة الأساور

وجدت هذه المجموعة امام مدخل الهيكل . وفيها عدد وافر من الأساور الذهبيّة المبرومة مفتوحة الدوائر . وهو شكل تميل اليه صناعة المصنوعات الفنيقية . ولعلّه قوقاسي الأصل . ولم ينتشر في مصر انتشارًا يُذكر الّا في عهد الامبراطورية الحديثة ، بعد ان غزا المصريون هذه البلاد .

٤ً – مجموعة الحيوانات

هي مجموعة مهمّة من تماثيل الحيوانات من الطين الملتع ، تحتوي على اكثر

من ٣٠٠ قطعة. اكتشفت في شمالي مدخل الهيكل. ومع ما في بعض هذه التماثيل من الصبغة المصرية ، فلا شك في ان مجملها مصنوع بايدٍ فنيقية . وان تكن فرس النهر من آهلات النيل ، فان الدبّ لا يتكاثر الّا في جبال لبنان المرتفعة .

وكذلك القول عن الاناء الظاهر بشكل كأس لا عروة له ، فلا نرى مثيلاً له الّا في القبور الفنيقية. اما الاله بيس المكشر المحفور في الحجر الكلسي فان له من قوة العضل ما لا يعرفه الفنّ المصري . ثم ان مادة الطين اللمّاع التي صُنعت منها تماثيل الحيوانات تختلف اختلافاً بيّناً بلونها وتركيبها عن مادة التماثيل المماثلة في الصناعة المصرية . وان كانت هذه الحيوانات تقلّ رشاقة عن مولّدات الفنّ المصري فانها تفوقها بالحياة الطافحة في جميع مظاهرها ، ولا يخفى ان هذه الحياة من المميزات الفارقة في الفنّ الفنيقي بتمثيل الحيوانات . لقد رأى الفنّان امثلتها تسرح وتمرح في بلاده فمثلها حيّة قويّة ، كما امكنه ان يشاهد فرس النهر في رحلاته العديدة الى مصر ، او بين الحيوانات الغريبة التي كانت تأهل جنان ملوكه .

ثم كان زحف الرعاة ، او الهكسوس ، على مصر. فانقضى عصر الازدهار هذا ، كما انقضى عصر التأثير المصري في بعض منتجاتنا الفنية . ونحن لا نعلم مبلغ الدور الذي مثّله الفنيقيون في هذا الزحف . الّا اننا نتحقّق تغيّرات عميقة في العادات المدفنية ، كما نشهد تكوّن نوع جديد من الخزفيّات . وان تكن الجعلان المتكاثرة في المقابر لا تزال تدلّ على العلاقات التقليديّة بين مصر وفنيقية ؛ فان الطلاء الأحمر ، الذي كان يصبغ آنية المدافن الملكية في القرنين التاسع عشر والثامن عشر ، اخذ يتراجع امام طريقة جديدة ترسم الأشكال رأساً على الاناء. اما هذه الزخارف فتظهر غالباً دوائر ، او خطوطاً ، او اشكالاً لولبيّة. واما هيئات الآنية فاكثر تنوّعاً واوفر رشاقة من السابق ، دالّةً على تأثير الشمال والغرب معاً. حتى اذا كان القرن الرابع عشر برز التأثير الميقيني في آنية القبر المكتشف في القريّة ، قرب صيدا. وفي القرن الثاني عشر تكاثرت الآنية

المسطّحة البطن. وفي القرنين الثامن والسابع ، حفلت قبور تلّ الرشادية ، قرب صور ، بكثير من الآنية قُلدت فيها اشكال الخزف القبرصي . فبرزت الرسوم المتعدّدة الألوان ؛ وتكاثرت الآنية الصغيرة المستطيلة الشكل ، المزيّنة بالدوائر الموحّدة المركز ؛ كما تكاثرت الآنية الضخمة البطن ، الواسعة الفم ، المزدانة بالرسوم الهندسية والنباتية .

❁

ولم تشأ الحفريّات حتى اليوم ان تكشف لنا عمّا يستحق الذكر من عهد الاتساع الفنيقي العظيم. فاضطررنا الى السكوت عن عصر هو من اعرق عصورنا ازدهاراً ومدنيّة ؛ منتقلين بزائر متحفنا الى العصر اليوناني .

❁

الى هذا العصر اليوناني يرقى القبر المكتشف في الشيخ زناد ، قرب طرابلس ؛ والحافل بكثير من الآنية الخزفية الجميلة. واجملها كوب على شكل راس خنزير ، ازدان مقبضه برسم يمثل اولاداً يلعبون. فيرمي احدهم كرة في منفذ خاصّ ، بينا ينتظرها الثاني في قفزها ، ويتسلّح الثالث بالقوس. والرابع يستعدّ للقفز. والخامس يقشط الزيت عن جسده المدهون بمقشطٍ نرى مثالاً عليه في احدى خزائن متحفنا ، وهو من البرونز .

ومن آثار العصر الهليني الخزفية إناء صوّر عليه بالحفر الناتئ إله مجنّح يضرب على القيثارة .

❁

ولدينا كثير من التماثيل البرونزية الصغيرة ترقى الى العصر الروماني . اهمها تماثيل ڤينوس ، منها واحد يمثل هذه الالاهة عند خروجها من الحمّام اذ فاجأها جوپيتر فاتقته باشارة تدلّ على الخفر. وآخر يمثل الالاهة نفسها ، وقد امسكت بيدها مرآة ، وهمّت ترجل شعرها باليد الاخرى . ومما يجدر بالذكر في هذا التمثال منطقة تشدّ صدر ڤينوس ، على نحو ما كان معروفاً عند الرومان في ذلك العهد ، وكثيراً ما اثارت هذه المنطقة احتجاج الرومانيين لأنها كانت تسيء الى اجسام الفتيات بضغطها على صدورهنّ .

ومن هذه التماثيل عدد يصوّر كوبيدون حاملاً مشعاله ، مزمعاً ان يحرق به القارب .

ومنها ما يمثل پان ، اله الغابات ، البادي على شكل نصف انسان ونصف تيس .

وفي هذا الجناح عدد من الآنية الزجاجية الشفّافة شفوفاً متأرجاً . وهو نوع واسع الانتشار في العصر اليوناني . وكثيرًا ما دُعيت هذه الآنية بالبكّاءات لانها كانت توجد في النواويس او حولها . على انها في الحقيقة آنية للطيب . وعلى بعضها رُقم دُعائيّة بالخير والهناء .

وقريباً منها مجموعة من الأقفال والمفاتيح المسنّنة . ولم تكن المفاتيح اذ ذاك تدور في القفل . انما كانت اسنانها اذا دخلت فيها خروق لسان القفل هبطت به فانفتح . وهو نوع من الاقفال لا يزال يُستعمل حتى ايامنا في ابواب الجنائن وفي ابواب بعض البيوت ، ولا سيما في قرى سورية .

والى جنب هـذه المجموعة ، في خزانة خاصّة ، مجموعة لادوات الزينة والتبرّج : علب صغيرة ، وقوارير من الخشب لانواع الحمرة والكحل . ورقائق من البرونز تمزج عليها الادهان والطيوب . ومرائي من البرونز كانت مغطاةً برقائق من الفضة . وغيرها مرائي مزدوجة تدخل الواحدة في الاخرى . ومعها مرآة من الخزف تحتوي على قطعة من الزجاج . ولا يخفى ان اهل بلادنا كانوا اول من نشر في العالم المرائي الزجاجية ، وذلك في القرن الخامس بعد المسيح .

وفي الخزانة التالية بعض الادوات الخاصّة باللبس . منها الشارات المتعدّدة الاشكال . وقد كان استعمال الشارة معروفاً في فنيقية منذ القرن الرابع عشر ق . م . بدأت على شكل يدٍ مكوّعة . ثم اتخذت في العهد الروماني شكل القوس . وكانت تزين كتف الرداء الروماني . وكثيرًا ما كانت تُصنع من البرونز المفضّض او المذهّب . وقد تُصنع من الذهب الخالص .

الطبقة السفلى

تختصّ الطبقة السفلى من المتحف بعرض كلّ ما له مساس بالفنون المدفنيّة. وقد احتلّ وسطها أثر لا نبالغ اذا قلنا انه ذو اهميّة عالميّة. هو ناووس أخيرام الراقي الى القرن الثالث عشر ق. م. والمحفور عليه الرقيم المشهور (الرسم ١٠) تظهر الكتابة على جهة صغرى من الناووس وجهة كبرى من الغطاء. وهذه ترجمتها، كما عرضها العلّامة رينه دوسّو.

> ... بعل، ابن أخيرام، ملك جبيل، صنع هذا الناووس لأخيرام، ابيه، كمنزله الابدي.
> وان كان ملك من الملوك، او حاكم من الحكّام، ينصب معسكره امام جبيل، ويكشف هذا الناووس من تحت البلاط، فليكن حاطور قاضيه. ينهار عرش ملكه ويهبط الخراب على جبيل، بينا هو يمحو هذه الكتابة على مدخل (؟) الجحيم (؟)

وفضلًا عن هذه الكتابة التي تجعل للناووس المحلّ الرفيع في الآثار العلميّة، فان الزخارف التي ازدانت بها نواحيه كلّها ترفعه الى الدرجة العالية بين الآثار الفنيّة.

يستند الناووس الى اربعة اسود تبرز رؤوسها مكشّرة ناتئة في اسفل الزوايا الاربع. وفوقها، على الجهتين الكبريَين، عدد من مقدمي التحف والهدايا يسيرون طائفين نحو الملك الجالس على عرشه، وامامه مائدة حافلة بالاطعمة. ويقود الطواف ابن الملك، حاملًا باحدى يديه مذبّة، وبالاخرى منديلًا. ووراءه الطائفون يحملون صحاف الطعام، والجرار، واحدهم يقود جدياً، بينا غيرهم يرفعون الايدي علامة التكريم. وبين هؤلاء امرأتان تعرفان بسعة ثوبيهما! وعلى كل من الجهتين الصغريَين تظهر النوائح الندّابات يمزّقن ثيابهنّ عن صدورهنّ، ويخدشن الاثداء بالاظافر، ويضربن الرؤوس مظهرات الحزن العميق.

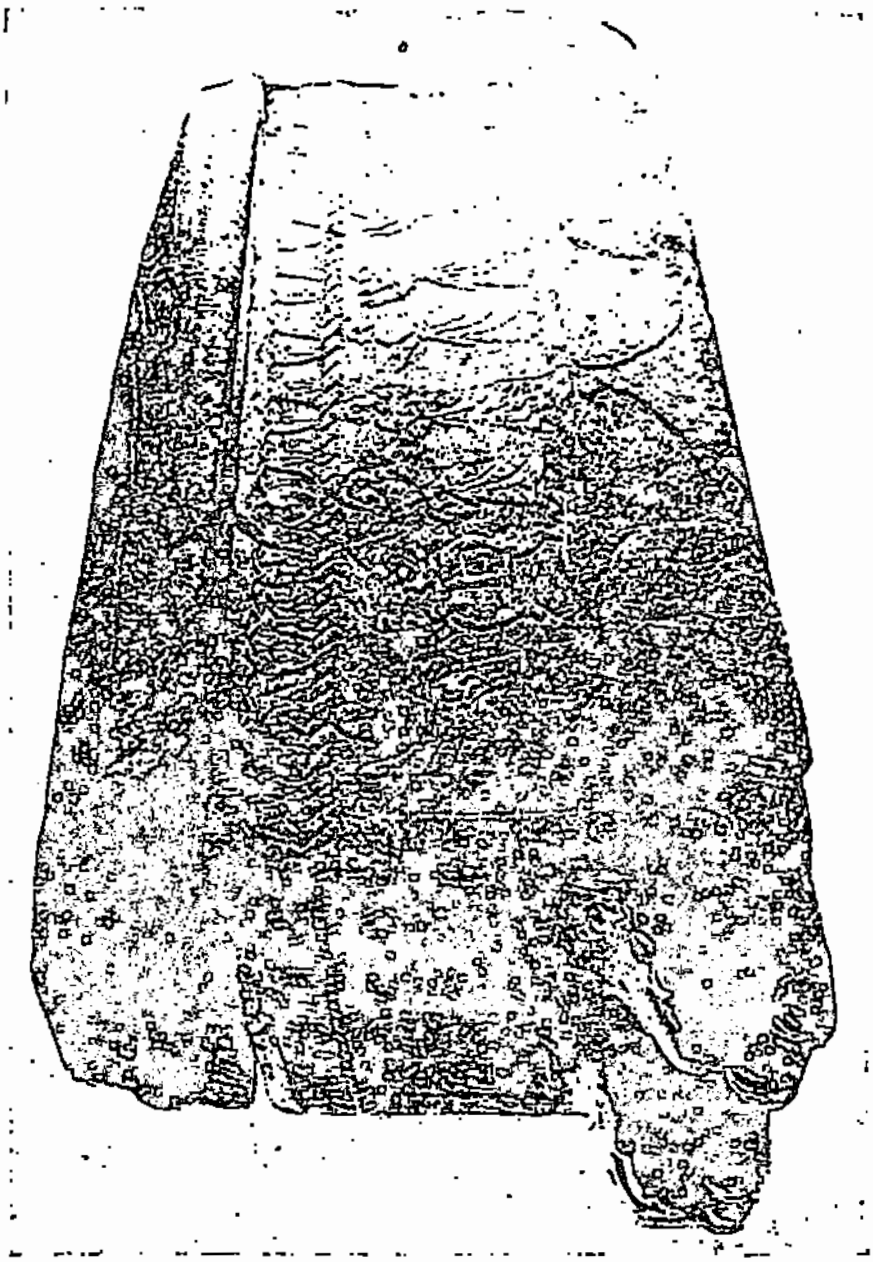

الرسم ١٠ – تابوت أخيرام

اما الغطاء فيظهر عليه رسم رجل اسود اللحية ، يرتدي ثوباً مقلّماً فوقه رداء مفتوح ، وفي احدى يديه زهرة لوتيس ينشق عرفها ، بينما يحمل في اليد الثانية هنة مستديرة. وامامه شخص يشبهه رافعاً يده علامة العبادة .

وقد اكتشف ، مع هذا الناووس ، عدد من الآنية المتنوّعة ، اهمها اناء من حجر الشطوط عليه خاتم رعمسيس الثاني ، وقطعة من العاج ميقينية التأثر . افادت كلها في تأريخ الناووس راقية به الى القرن الثالث عشر ق. م. ولا يخفى ان الحثيين كانوا ، في هذا القرن ، قد احتلّوا سورية الشمالية . فاهتم رعمسيس الثاني بايقاف زحفهم ، وتقدّم حتى حاربهم قرب قادش ، على بحيرة حمص .

ونلاحظ ان في زخرف الناووس شيئاً من التأثير الحثي، ومن التأثير المصري.

كذلك في وسط القاعة السفلى ، ومن عن الجانبين ، حنايا خاصّة لعرض النواويس .

منها واحد يزدان برسم سفينة شراعية لا مجارة فيها ، وهي جميلة الصنع. ولعلّها رمزٌ لسفر النفس البشرية الى ما وراء هذا العالم .

وهناك آخر يزدان برسم نسر ، رامزًا الى تمجيد النفس في عالم الخلد .

وفي غير ما تقدّم من النواويس ، تظهر النفس على شكل امرأة مجنحة بجناحات الفراش تستريح بجلسة الحزن والكآبة .

وعلى غيرها يظهر تنين غيزيس موقفاً بيده دولاب الحظّ .

اما رؤوس الميدوز فغايتها حفظ الاموات من الارواح الشرّيرة . ولا يخفى ان الميدوز كانت احدى الغرغونيات الثلاث. فتوصلت ، على رغم قبح منظرها ، الى لفت نظر جوبيتر ، فاثارت غيرة جونون. فارسلت اليها هذه برسيه . فاستعار اجنحة مركور ، واغتال الميدوز فقطع رأسها. ومن ثمّ اخذ الناس ينقشون رأسها على النواويس ، لأنّ عينها المفتوحة دائماً ، تجمّد كل عين تجرؤ على ان ترفع اليها النظر .

واما رؤوس الاسود ، حاملات السلاسل ، فقد قُلّد فيها رؤوس البرونز

التي كانت تُلصق بنواويس الخشب ، وتعلّق بها السلاسل .

ومن انفس آثار المتحف ، القبر المكتشف في صور ، والذي مُثل بكامله في الجهة الشمالية من الطبقة السفلى . وهو يرقى الى القرن الثاني للمسيح .

يزدان هذا القبر بمشاهد تصويرية هي اجمل ما اكتشف حتى اليوم من نوعها في لبنان وسورية .

يصل الانسان الى هذا القبر ، المحفور كله في الصخر ، بسلّم من نحو ثلاثين درجة . فيجد ، على يسار المدخل ، ردهة فسيحة تُستعمل لتجهيز الميت . وحول الردهة شبه مقعد مستدير على الجهات الاربع . وكان الموتى يُدفنون في نواويس من الرصاص او من الخزف تدخل في حفائر خاصّة منقورة في جدران الردهة . وكان في هذه الجدران مسامير ، لا تزال آثارها ظاهرة ، لاجل تعليق سلاسل الزهور التي كان اهل الميت او اصدقاؤه يقدّمونها فتعلّق على مدخل القبر . والى يمين الردهة رسم باب مزوّر ، جميل التلوين ، يوهم بانه يدخل الى مقرّ الاموات . وفوق ذلك ارواح مجنحة تحمل اكاليل الزهور ، وعدة مشاهد يونانية مستوحاة من الميتولوجية ومن الإلياذة .

فوق المدخل المزدان ، من عن الجانبين ، بعرش لطيف ، تظهر دمية نصفية لبسيكه المجنحة بجناح الفراش . ومن جهتي المدخل فتاتان من بنات البحر ، تنفخ احداهما بالناي ، بينا تضرب الثانية على القيثارة لتفتنا الارواح الشريرة فتجذباها وتخلّصا الاموات من شرّها .

والى اليمين رسم هركول ، وقد ربط سربير ، الكلب الهائل ، حارس مدخل الحقول السعيدة . وعلى مقربة من هـذا المشهد ، جلس اخيل مغتبطاً بانتصاره ، راقياً عرشه بجلال ، وقد ركع على قدميه الملك فريام الشيخ ، متكئاً على عصاه الوافرة العقد ، طالباً منه جثة ولده هكطور . اما هذه الجثة فظهرت في احدى كفتي الميزان ، وفي الكفة الاخرى قيمة الدية المطلوبة (الالياذة : النشيد الرابع والعشرون) .

وكان صدر الردهة مزداناً بمشهد لا يقلّ جمالاً يظهر مركور بخفّته المعهودة ،

قائداً مركبة فلوطون السريعة . وبين يديه تتخبط پروسرپين ، وقد تشعث شعرها وتزايد صياحها . فاسرعت ميغرفة متسلحة بحربتها ، ووراءها ديانة نازعة سهماً من كنانتها لترسله على الخاطف . اما پروسرپين التي اختطفها اله المناطق السفلى فسوف تردّ الى امها ديميتير ، ستة اشهر في السنة .

والى الشمال يظهر هركول عائداً بألكستيس الى اسرتها الحزينة . وألكستيس هي المرأة الطوف الشفيقة التي ضحت بنفسها بدل زوجها أدميتوس اذ حكم عليه بالموت آلهة الجحيم .

وهناك طنطال ، وقد احاطت به الاشجار المثمرة الا ان الهواء يهبّ عليها فيدفعها هاربةً من امامه . وهو يمدّ يديه ويتطاول عبثاً لينال ثمرة يخفف بها عطشه وحرقته . فلا يُفلح .

اما الغاية من هذه المشاهد فهي تعزية الأهل المفجوعين ، بان يروا امام اعينهم مصائب الأبطال والآلهة انفسهم ، اذ حرمهم القضاء من احبتهم ثم اعادهم اليهم .

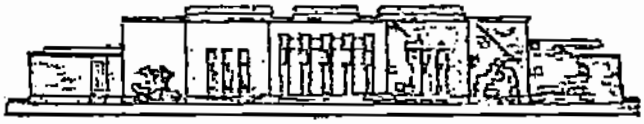

أبعادٌ مشرقيـــة

بقلم سعيد عقل

انا الشرق

بعيدًا على شاطئ الذاتِ ، في خاطر الغيهبِ ؛
حوالى مطلِّ الوجود ، في عَبَقٍ طيِّبِ ،
مُهِلٍّ من النفحة الأزليّـةِ ، معذوذِبٍ ،
شددتُ يدَ السرّ ، وهو على المهد بعدُ ، غبي .

❁

انا ابنُ الدهور ، ابنُ لبنانَ ، وَعْيُ الخليقةِ بي ؛
انا جُبْتُ ذاتي ، وأفرغتُ أغنيّةَ المطلبِ ،
نَهلتُ الذهولَ ، نَهَلتُ شحوبَ الفتى المتعبِ ،
وَصَمْتَ المساء يلفُّ اليتيمَ وقبرَ الأبِ ؛
نهلتُ الشقاءَ المُهِلَّ جميلًا كوجه نبي .
انا ثروةٌ كالكآبة عمقاً ، وكالغيهبِ ؛
غنيٌّ أحسُّ الوجودَ غبارًا على ملمبي .

❁

يقولون : قافلةٌ على الغربِ ، لم تُغلبِ ،
تشيدُ ، على الفتح ، أثبتَ من مجدك الخُلَّبِ ،
لها صفحةُ الأرض مرمًى ، وناصيةُ الكوكبِ .
قلِ : الفتحُ غمسُك في الذاتِ كفًّا من الصُّلْبِ ،
ورَشْفُك نفسَك رَشْفَ العتيق من المشربِ .

ابعاد

يا بعض ما أنت ، يا بعيدُ ، أهواكَ تفنى بك الحدودُ ،
ويسبحُ الآنَ في مراميك ، حاميًا ؛ فالدهرُ جودُ ،
وكلُّ أمنيةٍ لِقاءٌ ، وضمّةٌ سمحةٌ ، وعيدُ .
ما انتَ ؟ لونٌ في خاطر الياسمين ، ام رغبةٌ كؤودُ ،
تُرى ولا تُلمس : امتناعٌ يقوى ، وإلحافةٌ تزيدُ ؛
والوقتُ بين البقاء والموتِ ، حائرُ المرتجى ، شريدُ .
جوٌّ غريبُ الطيوبِ ، حلوٌ كثغرها ، وهي تستزيدُ ،
تغيب فيه القوى ، وينهار دون لذّاتنا الوجودُ .

هنيهة

عالَمٌ طَيٌّ نَغَمْ ، يتحدّاه العدَمْ ؛
ضَمّةُ القَبْلِ الى البَعْدِ بعُمْرٍ مُتَّهَمْ ؛
دَقَّ كالوهمِ ، وتأوي ذَرّةٌ منه الأُمَمْ ؛
لا بِناءٌ من خيالٍ لم يُزعزِعْهُ رِمَمْ ؛
او وثوبٌ في ظنونٍ لم يُفَجِّرْه هِمَمْ ؛
يُخصِبُ الفِكرةَ يَفتضُّ بها السِرَّ الأَصَمْ ،
ويُعرّي بيديه الشمسَ في قلب القَتَمْ :
فاذا نحن ، الى اللهِ ، شِراعٌ في خِضَمْ !

رجوع البحارة

أغنية

الى البلد الوادعِ ، الأسمرِ ،
نسيجِ الاساطيرِ والذكرياتْ ،
وأغنيّةِ السفنِ المقلعاتْ ،
مُحمّلةِ الفكرِ للكائناتْ ،
وللأعصُرِ !

الى البلد الحلوِ ، حيثُ الغمامْ ،
بلونِ هديلِ الحَمامْ ،
أجدُّ بياضاً ، وأغنى افتراضاً ، وادنى صلاهْ
الى مسمعِ اللهْ !

الى البلد الحلوِ ، حيثُ الترابْ ،
غبارٌ ينفّضه ، في الاياب ،
جوادُ البطلْ ؛
غبارْ
... تودّ الدولْ
لو انّ لها منه غارْ !

الى البلد الحلو ، حيث التلالْ
وكامُ حنينْ
بناها الخيالْ ؛
وحيثُ الفضاءْ
ضياءْ
يشيعُ من الياسمين !

الى حَنوةٍ من أبٍ
يظلُّ ، على الدهرِ ، حالمْ
يجُزرِ له وعوالِمْ ،
فيرنو ، جريحاً وباسمْ ،
الى المغربِ !

الشيخ محمد ابو الوفاء الرفاعي*

١٧٦٥ - ١٨٤٧

بقلم الاب فردينان توتل اليسوعي

خصّ الشيخ كامل الغزي آل الرفاعي بفصل من فصول المجلد الرابع من تاريخه « نهر الذهب ». ولم ينته من تأليفه لما وافته المنية فتركه مخطوطاً رؤوس اقلام ، لكنه ذكر في المجلد الثاني من الكتاب ذاته ، في وصفه المزارات والزوايا ، بيت الرفاعي واقاربهم مما يؤدّي مادّة لتاريخ الاسرة. اما الشيخ راغب الطباخ فاستقى تعليمات عديدة عن ابي الوفاء الرفاعي وعن الرفاعيين من مؤلّفات الشيخ وفاء ذاته ومن غيرها من المصادر ككتاب روض البشر للشطي ، وقلادة الجوهر لابي الهدى الصيادي. وذهب بالاخبار والاعلام متسرعاً ، شأنه في تاريخه العام. على انه افادنا بتعليمات قيمة سهلٌ منالُها في مجموعة ما جمعه من اعلام النبلاء.

على هذه الاصول الثابتة ، وعلى ما اخذناه من الاحياء معاصرينا من الفوائد ، وضعنا اساس ما كتبناه عن ابي الوفاء. ومن الكتب التي رجعنا بالقارئ اليها نحتنا مواد بناء ترجمة تاريخية مستوحين نظام ترتيبها وتنسيقها مما رأيناه وعرفناه في حلب مسقط رأسنا من اخلاق ومشاهد كانت في سني صغرنا ولم يزل الكثير منها في يومنا يمثل تمثيلاً حياً موافقاً للحقيقة ، حالة البلدة في القرن الماضي .

على ذلك المسرح الخيالي تعرّفنا الى اسرة الرفاعي ، ثم اظهرنا محمد وفاء طفلاً في حضن ابويه ، وتلميذاً بين ايدي مؤدّبيه ، وشاباً محط آمال اقاربه واصدقائه ، ورجلاً مفكراً ادبياً يشار اليه بالبنان ، وشيخاً وقوراً مقصوداً من مريديه ، في تلك البيئة الاسلامية المتورّعة المستيقظة بمظاهر التقوى واحياء مراسيم الطرق الصوفية عما فقدته من عزّ ونفوذ بانتقال سلطة السيف من العرب الى الاتراك .

---

* هذه الترجمة تتمة لبحثنا في اولياء حلب المنشور في «مشرق» السنة الثالثة ، ص ٢٢١

الاسم واللقب

ان لقب الرفاعي معناه المنتسب الى احمد بن علي بن ابي العباس مؤسس الطريقة الرفاعية. وهذا توفي في ٢٢ جمادى الاولى سنة ٥٧٨ هجرية (٢٣ ايلول سنة ١١٨٣) في ام عبيدة من مقاطعة واسط وسمي الرفاعي نسبة لقبيلة رفاعة. وكانت تلك القبيلة قد هاجرت سنة ٣١٧ هـ. (٩٢٩ م) الى اشبيلية في اسبانية ثم انفصل منها رجل اسمه احمد قاصداً الى البصرة فكان جد مؤسس الطريقة. وهذا اخذ الاجازة، ولبس الخرقة، وكثر عدد مريديه وخلفائه، ومنهم الرفاعيون في حلب.

اول من نتعرف اليه من الرفاعيين الحلبيين شاهين. كان شريفاً وجندياً، ومات سنة ١٦٩٥ م. وبعد موته بخمسة اشهر، ولد ابنه عمر، جد ابي الوفاء صاحب المنظومة، وربي في حضن عمه عبد القادر. تعلم القرآن ودرس في المدرسة الحلوية، وتلقن التجويد، واخذ الالحان وكيفية الانتقال من نغم الى نغم مع طول النفس بالانشاد فبرع في ذلك الفن. وقرأ الاجرومية وتضلع من المعارف الدينية ونسخ الكتب بيده وصار عالماً من العلماء بالمعنى المعهود به عند المسلمين (راجع المشرق ١٩٤٠، ص ١٢٩). وفي السنة ١١٤٨ عُهد اليه بامامة جامع الرضائية ومدرسته المعروفة بالعثمانية فانتقل الى دار عظيمة قريبة من الجامع المذكور مشهورة بدار الجربوعي وهناك رزق ولداً سماه محمداً الا انه لم يقم طويلاً في تلك الدار لرداءة مناخها.

وللرفاعيين في يومنا زاويتان او اكثر، منها واحدة في حارة البياضة، وثانية بالقرب من حارة الاكراد. ولهم دور السكنى في كلتا الزاويتين.

ثم نعلم ان محمداً تزوج ثلاث زوجات، ونعرف ايضاً انه كان غنياً وجيهاً فلا يبعد ان يكون قد اسكن كل واحدة منهن بيتاً خاصاً بها كما سيفعل ابنه صاحب المنظومة الذي سنراه يقضي يوماً في حارة الاكراد ويوماً في البياضة.

وكانت احدى زوجات محمد عمر شاهين الرفاعي الست آسية بنت السيد محمد الزنابلي الشريف، ووالدة محمد ابي الوفاء.

من حضن الوالدين الى المدرسة القرآنية

ابيض اللون صبيح الوجه اسود العينين مليح الانف والفم على غاية من الجمال ، بهذه الصفات وصف احد مترجمي محمد وفاء[1] ملامحه الخارجية . ولم يذكر مؤرخو شيخنا البيت ولا الحيّ اللذين تدرج فيهما . لكن حفيده الامام توفيق افندي الرفاعي أكّد لنا ان ابا الوفاء كان يسكن حارة الاكراد حتى اذا دخل السنة الخامسة او السادسة من عمره ارسله ابواه الى المدرسة في جوار مسجد خيرالله . فيدخلها الصبي ويتعلم قراءة القرآن وكلما يبلغ منه جزءا يرسل ابوه الى المعلم هدية فيفرح المعلم ويفرح الصغار . حتى اذا خُتِم القرآن دُعي المعلم مع الاولاد الى بيت الولد الناجح في دروسه وتقام لهم حفلة شائقة قد طالما شهدنا من امثالها في صبانا : يسيرون موكباً يتقدمه المطربون وضاربو المزاهر والطبول والعازفون بالناي ، وتمشي وراءهم زمرة الدراويش من الطريقة المولوية او غيرها . ومن المعلوم ان ابا الوفاء سوف يفاخر بطريقته الرفاعية ويسافر ويقطع الصحراء للوقوف على اسرارها . فلا شك انه ربي على الولع بمظاهرها وقد حفّت به منذ نعومة اظفاره . اليك الاولاد يحملون الاعلام الصغار وغيرهم يحمل الاعلام الكبار ويخفقون بها على الرؤوس في الازقة المكتظة بالمارة فتقف حركتها ويصطف فيها الناس الى اليمين والى الشمال ويوسعون الطريق للموكب . ويمر الولد راكباً على حمار ابيض ومن ورائه شيخه راكباً على برذون وبيده العصا ، عصا التأديب ، وهناك رجل يحمل الكرسي وعليه المصحف ، وغيره بيده المبخرة فيبخر دفعاً لشر الجن فلا يحسدوا الصبي الناجح ، وغيره ينثر على الناس شعيراً اتقاء للاصابة بالعين . هو الطواف في الشوارع ، والنساء ينظرن اليه من خلال شعرية الى ان يعود القوم بالصبي الى بيته فيضيفهم الاب الفستق والزبيب وبزر البطيخ والجبس والقضامة الحلوة والمالحة وشيئاً من الفستق الحلبي اللذيذ .

---

١) راجع ط ٧ : ٢٩٠ عن المرحوم قسطاكي حمصي . وسألت المرحوم قسطاكي عن سنده فيما رواه عن ملامح محمد وفاء ، فقال انه اخذ وصفها عن حفيده .

مرادنا طلب العلم

عظيماً كان شأن الخطّ في ذلك العهد والمطابع العربية كانت نادرة ، والآلة الكاتبة غير موجودة . فكان كل طالب مجتهد طموح الى بلوغ المعالي ، لا بد له من ان يتقن قواعد الخطّ . في سبيل ذلك الاتقان عمل محمد وفاء وهو صبي يافع ويبلغ مأربه فصار يحسن الكتابة بيده اليمنى واليسرى وشهدنا من اثاره في ذلك دليلًا واضحاً على نجاحه . نشأ وترعرع وصار يرافق اباه في روحاته وجيئاته ، وزار معه يوماً الشيخ اسماعيل الكيالي فكان لتلك الزيارة تأثير بعيد المدى في حياتـــه لان ذلك الولي ابن الولي كان من الـسادات الاشراف قوي الاحوال والكرامات اعترته الجذبة فصار يخلع ثيابه ويدور في الاسواق فتهابه العامة وتخشى مقاومته ومخالفته وبطشه وكان يتكلم احياناً كلاماً غير مفهوم فتعتبره الناس اشبه بكلام ملهم واذا التقطوا منه مـا فهموا معناه اخذوه استوسموا منه خيراً . وكذا جرى مع محمد وفاء فانه لما وقف مع ابيه بحضرة الشيخ اسماعيل الكيالي نظر الشيخ اليه وسأله قائلًا :

« اي شيء تقرأ من العلوم ؟ »

فتحاشى الغلام الجواب بحضور ابيه فتكلم عنه محمد الرفاعي ابوه وقال :

« الان مشتغل بالكتابة »

فقال الكيالي : « ما لنا والكتابة نحن مرادنا العلم والتعلم هذا الزم لنا من غيره » .

فخرج محمد وفاء وعقله وقلبه توّاق الى تحصيل المعارف .

وكانت المدرسة العثمانية شهيرة في ذلك العهد بوقعها في مركز المدينة القديمة في جوار الاسر الاسلامية الكبرى ، وببناياتها الفخمة ومنارتها اجمل منارات حلب وما الى ذلك من مقام للصلاة ودور للسكنى وفسحة وارفة ومياه ، وكانت ممتازة بمعلميها ومكتبتها ودروسها وكان من اساتذتها الشيخ حسن المدرس المولود في كلز سنة ١١٦٨ هـ . (١٧٠٤ م) والمتعلم فيها والراحل منها الى قيصرية وبهنسة ، والمقيم من بعد في حلب ، موقّراً بالعلوم التي تلقنها في اسفاره فكان يعلم فيها

اللغة التركية ويستحق من ثم لقب المدرس لنفسه ولأهله. فتعلم عليه محمد وفاء وكان مع ابيه لما لقيا الشيخ مصطفى الكوراني فيما كان راجعاً من حفلة الذكر الشاذلي فاستحسن الشيخ مشاهدة الفتى ودعاه لسماع دروسه في العثمانية ايضاً. وكان صوفياً اديباً فلا بد ان ايقظ في محمد وفاء المواهب الادبية والميل الفطري الى التصوف.

ومن كبار العلماء الذين تعلم عليهم محمد وفاء اسماعيل المواهبي المولود سنة ١١٦٠هـ. (١٧٤٧م) وكان يختلي في الصالحية كل سنة اربعين يوماً ثم يأتي الجامع الكبير فيجلس على كرسي موضوع تجاه مقام زكريا. ويجلس الناس فيسمونه. وكأني ارى بينهم محمداً ابا الوفاء الرفاعي غلاماً غضاً يلفت الانظار بملامحه الذكية يقعد بين السامعين فيتعلم العلوم كما كانوا ولم يزالوا يلقنونها في جوار المساجد من قراءات وصرف ونحو وبيان ولغة وفقه وتفسير الى غير ذلك من المعارف التي يفاخر بها اشراف المسلمين ارثاً خاصاً بهم فيحافظون عليه ويسلمونه خلفهم. فتعلم محمد وفاء ونبغ واثرت معارفه بمؤلفات شعرية ونثرية وقد وفقت الى تحصيل المنظومة التي خصصناها بهذا الدرس وفتشت عن باقي المؤلفات في حلب فلم اعثر الا على القليل منها بعدما ان تجهزت المنظومة للطبع اما لاختها فلا اقل من ان ارويها على علاتها اخذاً عن راغب الطباخ وهذه هي:

١ رسالة في خواص الاسماء السهروردية وسلسلة اسناده بالاذن بها
٢ مجموع فرائد ومجربات له مأذون بها من اشياخه
٣ رسالة فقهية في اركان الدين الخمسة
٤ القصيدة المجانية وشرحها لأحد الافاضل
٥ الفصول الوفية في السادة الصوفية مشتمل على مقدمة وعشرة ابواب
٦ منظومة في ٧٥٦ بيتاً نظم فيها من دفن في كل تربة وزاوية من علماء الشهباء واوليائها.
٧ السوانح الراقية في الفواتح الكافية (مجهول)
٨ رسالة في بحث سجود القلب الذي ذكره سيدي محي الدين ويليه مختصر ترجمة سيدي محي الدين
٩ رسالة نظم بها الاولياء والصحابة لا على الترتيب وترجم كل واحد منهم بالانفراد
١٠ رسالة في بيان الجوامع والمساجد والمدارس والتكايا التي في حلب. لم اطلع عليها
١١ مولد نثر اوله بامن اظهر كبرياء مجده

١٢ مولد نثر اوله الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب
١٣ مولد نظم اوله بعد حمدالله رب العالمين (مطبوع)
١٤ شرح الجاجلوتية وبيان خواصها
١٥ مولد اوله الحمد لله الذي افاض من قبضة فضله المحمود على صفحات الوجود
١٦ مولد اوله الحمد لله الذي اظهر شموس انوار النبوة المحمدية .
١٧ مولد اوله الحمد لله الذي اطلع في سماء الازل شمس انوار معارف النبوة
١٨ رسالة في خواص دائرة سيدي ابي الحسن الشاذلي
١٩ (كذا) رسالة استغاثة
٢١ (كذا) رسالة في خواص حرف القاف ويليه دعاء لطيف وورد ويليه قصيدة استغاثية له .
٢٢ رسالة ضبط بها اسماء اهل بدر على القاعدة النحوية وترجم بعضهم ويليها استغاثة باسمائهم بالافراد والترتيب

على ان الراوية ذاته اتانا باشعار من نظم المترجم وهي جديرة بالدرس فضلاً عن المنظومة وحقيقة بان تزيدنا معرفة الى شخصية ابي الوفاء الرفاعي .

الشاعر الاديب والمفكر

ان ما اطلعنا عليه من نظم الرفاعي قد ينقسم الى ثلاثة انواع : الشعر الغزلي ، والوصفي ، والتعليمي .

فالتعليمي ممثل في المنظومة وقد وفّيناه حقه من الكلام في مقدمة البحث عن المنظومة . اما الغزلي فوددنا لو اهملنا ذكره وما كان اليق بصاحب المنظومة عن اولياء حلب المشيد بذكر رجالها الصالحين ان يخصّ شعره بمواضيع الحب الصالح التي ترتاح لها القلوب ولا تبلبل الضمائر .

والغريب في ذلك ان راغب الطباخ فتح مجالاً واسعاً لهذا النوع الفاسد من الشعر في ترجمة الشيخ ابي الوفاء وفي ترجمة غيره من الاعلام النبلاء . ولم اقالك في مجالسة الشيخ راغب عن معاتبتي اياه معاتبة الادب والصداقة في ما كتب فقال لا محظور على الصوفيين اذا استعاروا لهجة العشاق المجونية بالمعنى المجازي في مخاطبتهم الحبيب الالهي شأن ابن الفارض، وعلى ذلك الاسلوب يرى ابو الوفاء في شعره الغرامي واني لا ادري كيف لا يستوحش الصوفي من هذه الاستعارات الشهوانية .

واحسن محمد ابو الوفاء الرفاعي في الشعر الوصفي فقرأناه فامتلأت صدورنا من العواطف الشريفة التي يهيجها في كل من يذكرها مذبحة جامع الاطروش الرائعة وقد ذهب فيها عدد غير قليل من الاشراف الحلبيين ضحية بطش الانكشارية وطغيانهم، ومنهم ابن الشيخ محمد وفاء الرفاعي. ولا بد لفهم قصيدته فيها من ان نعود الى تاريخ حلب فنتصفح اخباره ونقف على اسباب العداوة بين الاشراف وخصومهم مما ادّى الى كارثة آلَ امرُها اخيراً الى الايقاع بالانكشارية انفسهم، والى اضعاف السلطنة العثمانية وابتداء انحطاطها. والبحث يقتبس نوراً من ترجمة الرفاعي ويفيدها ايضاحاً في عصر قريب العهد منا بالزمان بعيد بالعادات والاخلاق، وقد مضى غير مأسوف عليه.

كان محمد ابو الوفاء الرفاعي في السنة ٤٦ من عمره، لما حدثت مذبحة جامع الاطروش. رواها الطباخ والغزي رواية واحدة تدلّ على مصدر واحد، وسمعنا من معاصرينا شيوخاً سمعوا تفاصيلها عن اجدادهم. وخلاصة الخبر انه في رمضان من السنة ١٢١٢هـ. (١٧٩٧م) تغلب الانكشارية على السادة الاشراف وهاجموهم في البلدة اينما استطاعوا السبيل اليهم. وان الشيخ محمد وفاء كان في بيته وابنه معه لما فاجأهما الاشرار ولم يحترموا هيبة الشيخ ولم يشفقوا على دموع الاب وذبحوا ابنه امامه. فهرب محمد وفاء واختفى. هذا ما اخبرنا عنه الشيخ عبد القادر جنباز عن ابيه.

وفي غضونها كان غيرهم من الانكشارية يهاجمون البيوت ولا يحترمون امرأةً ولا يحنون على ضعيف. ولم تكن احياء البلدة القديمة ومنها حارة السيدا الموجودة الى يومنا في جوار كنيسة الآباء اليسوعيين القديمة غرباً مع ما لها من سراديب ومنعكفات متينة البنيان كانها اروقة الحصون لتمنع الانكشارية عن اقتحام المساكن، فالجئ الاشراف الى مهاجرتها وذهبوا يلتمسون لهم مأمناً في جامع الاطروش ودور الصلاة مقدسة عند جميع الامم فاذا دخلها طريد ليس لقوة بشرية حق في ملاحقته. وما بين جوامع حلب كان للاطروش مكانة خاصة فانه واقع بين القصيلة وساحة الملح وفي جوار القلعة، وعنده تعقد الاسواق كانها تستمد من هيبته مأمناً من ظلم الظالمين ونفاق المنافقين. وكان حكام حلب سابقاً يقيمون

فيه الصلاة ايام الاعياد ومنارته المثلثة الطوابق وباباه الفخمان واروقته وغرفاته تفسح مجالاً للعاكفين للسجود صفوفاً لرب الجنود ومما يزين سحنته ان ذكر الفقراء والمساكين منقوش عالياً على رتاج احد بابيه لان كافل مملكة حلب عمره في سبيلهم ابتغاء لوجه الله تعالى في العشر من شوال المبارك سنة احد عشر وثمانمئة من الهجرة النبوية فكان له ما اناف على الثلاثمئة سنة وهو محفوف بهيئة العبادة والالتجاء الى الواحد القهار لما دخل في حماه السادة الاشراف .

فتعقبهم الانكشارية ولما لم يستطيعوا دخول الجامع وقد ارصدت الابواب في وجههم ضربوا عليهم الحصار فمنعوا عنهم الزاد والماء ثم راودوهم على التسليم وامنوهم على نفوسهم . وما ان استسلم الاشراف الا نقض الانكشارية عهودهم وانقضوا عليهم كالوحوش الضارية فتكاً وذبحاً وتفحيشاً رواه المؤرخون ويأبى القلم تسطير وضعه في هذا المقال . وكان الحاكم التركي غائباً في غضونها .

تركت الحادثة المشؤومة ذكرها السيء على مدى الايام ونزع عن مأذنة الاطروش طبقتها الثالثة كما تنزع العمامة عن الرأس اشعاراً بالحزن الجسيم ولم تزل الى يومنا في هذه الحالة الرثة ومن ذلك الزمان الى عهد قريب منا ظل الجامع الاطروش مهجوراً من المصلين .

هذه الحادثة تناولها ابو الوفاء ووضع فيه قصيدته الشهيرة ولا ادري هل يوجد في مجلدات الطباخ السبعة على ما فيها من منتخبات الاشعار والروايات الحسنة شعر يضاهي شعر ابي الوفاء في ذكر حادثة الاطروش بجلال الموضوع وصدق العاطفة وقوة البيان .

واعلم ان الشيخ مسلم مستسلم لاحكام باريه فاذا ندب لن يندب الا بعد جولة النظر في حياة الانسان كبير او صغير والاعتبار بمصيره في هذه الدنيا وكل من على وجهها فان . فارتفع في نظمه حكمه الى الاعالي التي بلغها من امثاله الزهاد والمتصوفون العرب . وظاهر انه قلّد في هذه المنظومة قصيدة ابي البقاء الرندي في رثاء الاندلس . قال مبتدئاً :

لا يأمنن صروف الدهر انسان ولا نوائبه فالدهر خوّان
فكم اباد من الماضين من ملك له بسطوته عز وسلطان

اين الملوك التي ذلت لعزتهم كل الرقاب ومن خوف لهم دانوا
اين الجبابرة العادون اين اولو الاخدود ام اين كسرى ام اين ساسان
دعوا احابرا فصاروا عبرة وخلت منهم دياو واحياء واوطان
فاصبحوا لا ترى الا مساكنهم فليعتبر من له للحق اذعان
وهكذا الدهر لم تؤمن عواقبه لـه الينا إساءات واحسان
تبارك الله ما الاسواء دائمة وكلما قد مضى آن اتى آن

ثم يذكر الرفاعي ابنه القتيل ودم الاشراف المهراق فيترسل الى عبارات وجد واسف تتردد بها الطبيعة حقوقها بعد التسليم المطلق لله ، هي عواطف القلب الجريح بذكر الولد القتيل والاشراف الذين اهرقت دماهم :

كل المصائب قد تسلى نوائبها الا التي ليس عنها الدهر سلوان
هي المصيبة في آل الرسول فقد سارت باخبارها في الناس ركبان
من آل بيت رسول الله شرذمة من النوابغ احداث وشبان

واخذ الان يخبرنا الخبر ويصفه الوصف المختصر كانه الجمر يكوي الفؤاد قال عن الاشراف عند دخولهم الجامع الاطروشي :

أووا لبعض بيوت الله من فرق من العدو وبالاعداء عدوان
فجاء قوم من الفجار تقصدهم بكل سوء لهم بغي وطغيان
لما أحاطوا بهم اليهم التجئوا فآمنوهم ولكن عهدهم خانوا
وباشروا قتلهم بما بدا لهم فبعضهم ذابح والبعض طعّان
او باقرٌ لبطون او مثل او ضراب سيف وفتاك وفتان
او مقتفٍ اثرَ مهزوم ليقتله وقلبه لـدم الاشراف ظمآن
او كاسر عظم مقتول وقاذفه كما تكسر اصنام واوثان
او خائض بدماء القوم مفتخرٌ بالفتك مستولع بالمتك ولهان
وكل هذا وآل البيت ما رُقمت لهم عليهم يـد والرب ديان
ان يستجيروا بجاه المصطفى شُتموا او بالصحابة سُبّوا ليت لا كانوا
فلو سمعتَ عويل القوم من بعد إذ يستغيثوا لهدتْ منك أركان
يا رُبَّ مستنصر من ليس ينصره تحت السيوف طريح النفس غلبان
يا ربَّ والدة كبت على ولد فرقوه وما رقوا وما لانوا
يا رُبَّ ارملة ريعت مصاحبها وحولها منه ايتام وصبيان

ولو كان في حلب آنذاك حاكم ذكي حازم ساهر على مصالح الرعية لما حدث ما حدث من سفك الدماء واثارة الضغائن التي سوف تسبب ذبائح غيرها مما يزول

امره اخيرًا الى خراب مملكة بني عثمان. لكن الباشا فضل ان يغيب ابان القتل والفوضى ولم يهمه أن غيابه في مثل تلك الازمة أشبه بهرب الجندي في ساعة الجهاد. ولم يخفَ امر المأساة عن السلطان سليم الثالث ، ولكن لم يكن بوسعه ان يكسر شوكة الانكشارية ، وهم ركن الدولة المتين وكان يهابهم اشد مما يهابونه. لكن السياسة التركية طويلة الباع بالحيل فماطلت. وجاءت حملة نابوليون على مصر وعلى فلسطين فشغلت البلاد عن المشاكل المحلية ووجهت الانكشارية الوفاً الى القطر المصري ومنهم سبعة آلاف حلبيون على ما رواه كامل الغزي (٣١٥:٣) وخرج معهم المتطوعون من الاشراف متناسين ما حلّ بذويهم من الغدر وفي الشدائد تذهب الاحقاد. ورجع الحلبيون من الحملة على بونبرت ظافرين وزيّنت البلد لقدومهم. وكان كلما خرج باشا ودخل باشا سعى في تقريب الفئتين المتعاديتين من اشراف وانكشارية ولسنا مطلعين على دور الرفاعيين في تلك الحوادث لكن ذكر وقوع ابن الشيخ محمد وفاء ضحية بطش الانكشارية والبيت الذي ختم به الرفاعي قصيدته قد يفيدنا ان صرخته سوف يتصدى لها السلطان وما هي الا صوت من الوف الاصوات التي كانت تتصاعد من اطراف المملكة العثمانية شاكية ظلم الاغاوات ومطالبةً بكفهم عن متابعة استبدادهم بالرعايا .

قال الرفاعي مستفزًا همم المناصرين :

الا ذوو نجدة الا ذوو همم الا ذوو غيرة للحق اعوان
الا عصابة حق للتقى انتسبوا لنصرة الدين اكفاء واقران
الا اماجد ذبوا عن نبيهم الا حماة امرض المصطفى صانوا
اهذا جزاء رسول الله من فئة قلوبهم ملؤها اثم ونيران
لا خير في عيشة والمصطفى هدف لاسهم الطغي ذا والله خسران
ان لم تقوموا بكف الشتم عنه فمن يقم به ولكم بعزه شان
قوموا لنصرة دين الله واعتصموا على اناس لهم الحق خذلان

ودخلت السنة ١٢٢٨هـ/١٨١٣م. فقيض للسلطان محمود الثاني ان يرسل الى حلب حاكماً محمد جلال الدين ابن چوچان . وكان هذا مراوغاً لا يخاف الله ولا الناس وكان قد علم بما دبّره عزيز مصر محمد علي في نكبة المماليك

سنة ١٨١٠ فحذا حذوه ودخل حلب واستقر في جوار تكيّة الشيخ ابي بكر وتظاهر بعاطفة التديّن . ودعا الانكشارية الى وليمة فاتوه غير مبالين بما يضمره لهم صاحب الوليمة فلما دخلوا الدار اغلقت عليهم الابواب وقطعت رؤوسهم فنالوا بذلك الجزاء على فظائعهم وما ظالم الا سيبلى باظلم . ولم يكن اهل الذمة من المسيحيين ليخلوا من براثن الاسد فحول الباشا الانظار اليهم عن القتلى وامر بان يمتشوا بعمائم زرق ويلبسوا البابوج الاحمر ليفرق بين زيّهم وزي المسلمين وذلك التعصب لارجاع اوامر الخليفة المتوكل المحقرة اهل الذمة كان حيلة يحتال بها الباشا ليغمي فتكه وقساوته في سفك دماء المسلمين .

وطالما الف المسيحيون في ايام الشدة والضيق عند وقوع ازمة سياسية او اجتماعية ان يروا لهم نصيراً بين اعيان المسلمين لأن رابطة الجيرة والاصل اقوى من ان تقطعها صوارم الايام . وكان شيخنا الرفاعي قد نشأ في القرب من حارة الاكراد وهي بمعظمها مسيحية . فكان له الاثر الطيب في التقريب بين الطائفتين .

رفاعي خلوتي شاذلي قادري نقشبندي

لماذا هذه الالقاب ؟ لم احصّل عليها كلّها الا خلسةً في مراجعة مكتبة توفيق افندي الرفاعي ، إمام العثمانية في حلب . وذلك في مطالعة مخطوطة كتاب الفصول الوفية في السادة الصوفية ، ولم اتمكن من مراجعته على مهلي .

هي الطرق الصوفية الخمس التي انتمى اليها محمد وفاء . فالرفاعية منها ذكرنا اصلها عند ذكر اسرة الرفاعي . اما الخلوتية فهي فرع من السهروردية البغدادية . والشاذلية هي طريقة علي الشاذلي التونسي . والقادرية تنتسب الى عبد القادر الجيلاني مدير المدرسة الحنبلية وشيخ الرباط في بغداد . أما النقشبندية فؤسسها بهاء الدين النقشبندي في الهند . وهذه الطرق أشبه بالاخويات عند المسيحيين . وكما ان الرجل الواحد يمكنه ان ينتمي الى مجتمعات مختلفة ويدخل في حكم نظاماتها ان لم تكن متناقضة ، فكذلك دخل محمد ابو الوفاء الرفاعي في الطرق المذكورة وكلها في اساسها تبتغي التصوف أو الانقطاع الى عبادة الله انقطاعاً ممتازاً عن عبادة العامة وان تكن تختلف بعضها عن بعض باختلاف

اصلها واصل مؤسسيها ومراكزها واساليب الصلوات والممارسات فيها والاغراض التي تتعرضها والوسائل التي تستعملها في سبيلها ومنها السحر والرقى .

ليس المقام لتعداد التكايا في حلب وقد اتينا في نشر المنظومة وشرحها على ما يغنينا عن ذلك ، لكننا نرغب في معرفة شخصية محمد وفاء الصوفية وقد تأثرت من العلل العامة التي ساعدت على نشر التصوف بين المسلمين واتصفت بصفات كل من الطرق المذكورة .

ترجم الشيخ وفاء لنفسه فذكر بين من تعلم عليهم الطرق اسماعيل الكيالي صاحب الزاوية ، والبركة التي يقصدها الناس للاستشفاء في جوار الجامع الكبير ؛ والشيخ مصطفى الكوراني الشاذلي مدرس المدرسة العثمانية ؛ فلبس الخرقة ، وأكل اللقمة ، وجاور المقامات في المساجد ولم يخل كونه متزوجاً ان عكف من حين الى حين الى الخلوة طبقاً للاساليب الصوفية . ومن المعلوم ان المريدين والمشايخ الصوفيين ينصرفون مدة الى عباداتهم . ثم يرجعون الى حياتهم المعتادة في دورهم فيسعون في كسب الرزق لعيالهم . فعمل محمد وفاء لدينه ودنياه وبالغ في طرق التصوف فلم يكتف بواحدة منها ، واتخذها وسيلة للعمل في سبيل دنياه فنجح النجاح الباهر .

علينا ان نتبع خطواته في هذه الناحية الخاصة من حياته فنراه في القسطنطينية يتقرب الى السلطان ويلفت نظره وينال من ثم اعتبار رجالات الدولة واركانها ، ويعود الى حلب مؤيداً بالانعامات الشاهانية ، فيجلس على سجادة المشيخة الرفاعية ويلجأ الباشاوات الى الائتمام به رشيداً ونصيحاً . وان تحدث الحملة المصرية ويرحل الى العراق كالمنفي ، فيعود منها مزداناً بمآثر الصالحين الصوفيين المتبركين من زيارة قبر عبد القادر الجيلاني ، فيستحق لذويه المكانة العالية ويرى ابنه بهاء الدين مفتياً على الديار الحلبية ولسان حاله يقول :

ما احسن الدين والدنيا اذا اجتمعا .

في دار السعادة

بين الاوراق القديمة التي اطلعني عليها في داره السيد عبد اللطيف الرفاعي خطابٌ مؤرّخ في سنة ١٢١٥ هـ. (١٨٠٠م) موضوعه حثّ المسلمين على الجهاد في سبيل خلع نير بونابرت عن مصر. ولا ادري هل الخطاب من قلم ابي الوفاء الرفاعي. لكن حفظه في بيته دليل على اهتمام الرفاعي بمصالح السلطان ومناصرته. هذا ومن المعروف ان الاشراف الحلبيين اشتركوا في الحملة على مصر آنذاك، وان حلبياً كان قاتل كليبر القائد الشهير الذي كان اقامه بونابرت حاكماً على القطر المصري، وان الحلبيين، كما روينا سابقاً، عادوا ظافرين من حملتهم. ولرجال الدين مكانتهم وتأثيرهم في نجاح الحملة، وكان الرفاعي فيها قلباً واحداً معهم. فظل يلتمس الفرصة لاستغلال نتائجها لبيته ويتوقع الوقت الموافق للسفر الى الاستانة سعياً في تحصيل الحماية التي يجدها في العاصمة طلاب الوظائف اذا ما وفقوا الى الاتصال باولياء الامر، وله في موالاته السلطان وفي الدعاية الى الجهاد في سبيله ما ينمي في قلبه الامل بالمعالي.

وفي السنة ١٢١٩ هـ. (١٨٠٤م) توفي والده الشيخ محمد. فتصور الابن البار قائماً بواجب ابيه المرتحل، ثم منصرفاً الى تدبير شؤونه العائلية وليس بعيداً عن الفكر امكان وقوع الخلاف على الزعامة الرفاعية بعد موت ابيه وقد كان مستحكماً امره حتى في ايام حياته (راجع الطباخ ٧: ١٦٣) فصمم ابو الوفاء النية على بتّ الخلاف بالالتجاء الى الباب العالي. وبالرغم عما نعرفه من ثروة عائلته قد يكون وقع في ازمة مالية احوجته الظروف الى فكها بالسفر. تلك الازمة مع الخلاف الذي حصل بينه وبين خصومه منوّه عنها في النشيد الذي الفه، وهو متوجه الى استنبول، ويقال انه كتبه على ورقة ورماه في البحر طلباً توسم منه خيراً، فنعت فيه نفسه بالمحزون ولعله بالحزن اشار الى وفاة ابيه. ثم شكا الظلم وطلب النجاة والنصر على خصمه. واليك الشعر ببعض ادواره، وهو مشهور الى يومنا يُتلى في حلقات الذكر وقد سميتُ في ضبطه عن لحنه الاصلي بالعلامات الموسيقية الفريغورية لانها اصلح من العلامات الموسيقية القياسية

ملحق للعدد الثاني (نيسان حزيران) ١٩٤١

صفحة ١٧٧

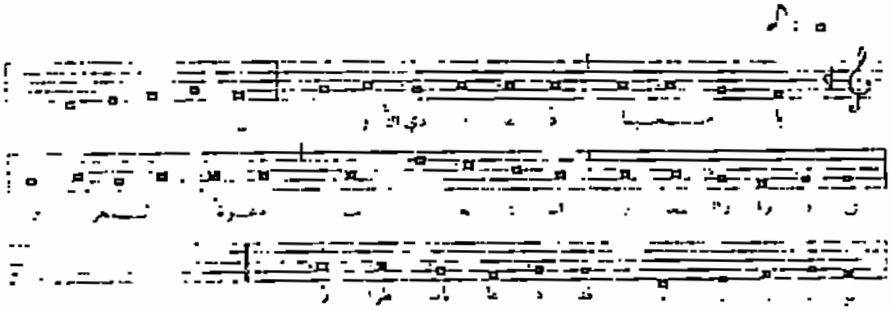

لحن نشيد ابي الوفاء الذي يتلى في حلقات الذكر في حلب الى اليوم.

اضبط اللحن العربي ذي الموجات الشبيهة بموجات الالحان الغريغورية .

يا مجيباً دعاء ذي النون في قرار البحار
استجب دعوة المحزون قد دعا باضطرار

دور يا الهي طالما ادعو موقنا بالمجاه
وحالي وقصتي رفع الك يا سيّداه
انت منك العطاء والمنّ انت انت الاله
لك امر بالكاف والنون ولك الاقتدار
انت من ظلمتي تنجيني فالبدار البدار

دور ملجمُ البحر منك بالقدره أنت نعم العتاد
الجم الضد واكفني شرّه واقض لي بالمراد
ربِّ واجعل هلاكه عبره لجميع العباد
وأذقه العذاب بالموت وارمه بالدمار
ربِّ باغٍ في الناس مفتون في خراب الديار

دور ربِّ بدل عسري بتيسير واتلني القبول
بجزيل من حسن ميسور ما اليه وصول
ربِّ وافتح ابواب تدبيري واقضِ لي بالدخول
وعلى ما اروم كن عوني واكسني بالوقار
بناتي اقرّ لي عيني انت بالعبد بارّ

والنشيد في سبعة عشر دوراً اكتفينا منها بما رواه الطباخ .

ولم تكن عاصمة بني عثمان، على ما فيها من الآثار الاسلامية الرائعة ومن المساجد الفخمة، قد الفت سماع الغناء الديني والاناشيد المتقنة. وقد روى لنا بهاء الدين الرفاعي في ذلك اخباراً لها محلها في مقالنا؛ دخل بمعية ابيه الشيخ وفاء جامع آياصوفيا فقال[1] عنه :

« لا يوجد له نظير في ساير البلاد الاسلامية ولا يوصف ما فيه من الغرايب والعجايب . قال لي بعض المجاورين هناك ان تحت القبّة مكان اثني عشر الف مصلي. ورأينا خلقاً كثيراً منهم مجتمعين على شيخ يقرأ القرآن العظيم يقال له النصيده جي ممن زعموا ان ليس عندهم من يقرأ مثله وهو لا يقاس لأدنى قارئ من ابناء العرب ومنهم من اجتمعوا على رجل سقطه[2] يقول :

١) راجع جريدة سفر الشيخ بهاء الدين المحفوظة في بيت السيد عبد اللطيف الرفاعي في حلب .

٢) سقطه لفظة تركية معناها طالب العلم .

قال رسول الله صلى الله عليه ، باعلى صوت وبالبكا والنحيب ويترك الحديث والكلام ويبتدي بنقل حكاية ثم بعد ان ينتها يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ويترك ويقول : خطر لي ان اذكر لكم حكاية لطيفة ، وينقلها . ومنهم من اجتمعوا على رجل اعمى يقرأ درساً ومنهم من اجتمعوا على عبد اسود يقرأ قراءة ما انزل الله بها من سلطان . ومنهم من يصلي ومنهم من يسبّح ومنهم من يدور في ارض الجامع والخلاصة خلق لا يعلم عددهم الا الله تعالى وفيهم الاكابر والرجال .

وبناء الجامع لا يوصف الا بالنظر لانه في غاية من الظرافة والمتانة وفي جهتي القبة الشرقية والغربية صورتان زعموا انها صورتا الملكان الكريمان [كذا] سيدنا ميكائيل وسيدنا جبرائيل عليهما الصلاة والسلام وفي نفس القبلية ايضاً من الجهة الشمالية كوبان عظيمان من الحجر المرمر الابيض ينبع الماء من داخلها وساذكر من عجائبها ان شاء الله تعالى اذا دخلتها ثانياً »

فلو كان الناس قد اعتادوا سماع القرآن بلسان عربي لا تركي وعن قارئ تعلّم التجويد فاجاد ، لما اقبلوا ذلك الاقبال على سماع « القصيده جي والسقطه والعبد » وقد طالما عاب العرب الاشراف ذلك الخلل على الاتراك ولا عجب ان تذرّعوا عند الفرصة السانحة بحسن لفظهم واتقان تجويدهم لكي يستعطفوا الاتراك وينالوا مودتهم . وان الشيخ ابا الوفاء كان عالماً وشاعراً عربياً مجيداً ، وفضلاً عن ذلك كان مغنياً مطرباً ومنشداً آخذاً بالباب سامعيه له صوتٌ رخيم جهوري يُسمع عن بعد يثير العواطف ويستذرف العبرات . ولما كان يخطب او ينشد او يقرأ في الجامع الكبير في حلب ، كانت الناس تقف صامتة في الازقة المجاورة فتسمعه كانها مسحورة ، وها انه بلغ استنبول وعرف ان يوم الجمعة سوف يكون يوم صلاة السلطان في جامع آيا صوفيا . فالتمس الاذن بالقاء خطابه ولما جاء الخليفة العثماني واقام في الموضع المهيأ له تحرك ابو الوفاء من موضعه وصعد المنبر واندفع يخطب خطبة الدعاء فادهش الناس واخذ بمجامع قلوبهم بصوته الجهوري المطرب ولسانه العربي الفصيح . ويسأل السلطان : من يكون الخطيب ؟ واذ يعرف انه ابو الوفاء الرفاعي ، يدعوه اليه ويلقي عليه خلعة ملوكية وهي كزك المشايخ وعصا المشيخة . وظل هذا الاثر معروضاً للناظرين في بيت الرفاعي في حي البياضة في حلب ثم اندثر . ونال الرفاعي امانيه بلفت نظر امير المؤمنين اليه وصار موضوعاً لاحترام الخاصة والعامة . لقد وصف بهاء الدين في جريدة سفره الحفاوة التي تمتع بها والده بين كبار الموظفين وصغارهم من الصدر الاعظم

الى الخدمجي . وربما تناول وصفه رحلة غير الرحلة التي نحن بصددها . لان ابا الوفاء سافر مرات الى استنبول لكن اثباتها في هذا الموضع مناسبٌ للمقام مبيّن حسن تصرف الرفاعي مع الناس . فيتصل بهم ويرتبط معهم بعرى الصداقة ، فيستفيد منهم ويجعلهم واسطةً بين يديه في البلوغ الى غايته وهي تحصيل البراءة في الزعامة . وسوف يُقام ابنه مفتياً في حلب ويتمتع بوجاهة وعظمة تذكر الى يومنا ولن يقطف تلك الاثمار الناضجة الا بعد ان يكون قد غرس ابوه اشجارها . وهوذا الآن وقت الغرس . وان من علامات ذكاء ابي الوفاء وفطنته وفراسته ومعرفته اخلاق الرجال انه لما دخل استنبول لم يستنكف عن ان يقصد موظفاً معزولاً بل طلب توسطه عند غيره لعلمه ان المعزول عن الوظيفة ألينُ عريكةً من المتمتع بها وان « الدنيا دولاب » في جميع بلاد الله وخاصةً عند الاتراك . وربَّ مملوك اصبح مالكاً فيُقبِلُ الايادي في اليوم وتُقبَلُ يداه في الغد . جاء في جريدة الشيخ بهاء :

« محمد حسيب باشا اوقاف وضرخانه مشيري سابقاً — لما دخلنا الى اسلامبول فحال ان سمع بنا ارسل قايقه (١) الذي يركب به بثلاث جفتايات (٢) وطلبنا اليالي (٣) فذهبنا لليالي . فحال دخولنا كان نائماً ايقظوه فخرج لملتقانا ولاقا جناب الوالد بتقبيل الايدي والاكرام التام والاعتنا الذي لا يمثل وادخلنا الى دايرة المابين وصار يدور بنا اماكنه العظيمة ويرينا ما عنده من العجايب واللطايف واستفدنا عنده الى مساء تلك الليلة فقال لي في اي مصلحة اتيتم فقلنا له في تجديد البرآءة فقال انا الان معزول ولكن وان كنت معزولاً بمسمى رسول الله انا اخدمكم هذا المدعو وارسل طلب مفتش الاوقاف وقال له شيخنا مراده يخلف ولده في الطريق ويفرغ عليه تولية التكية فلاجل خاطري تعمل تمام الهمه في هذه المادة ولا اريد الا البراءات تكون عندي فقال له على الراس والعين فحينئذٍ بارك لنا حسيب باشا في الخطابه والتكية وقال لا بد من نزولكم الى قلم الاوقاف ويقرر والدك لمفتش الاوقاف حتى يعطى اعلام بموجب تقريره وارسل خبر الى كتخداه محمد افندي بان يذهب معنا الى القلم فتوجهنا لقوناق الباشا وركبنا الخيول من قوناقه وخرجنا بالسلطنه والعظمه الى ان وصلنا الى قلم الاوقاف فقرر لنا بالخلافة والتوليه واعطوا الاعلام على تقريره حالاً ثم وصلتنا البراءه بعد ايام قليلة وخلاصة الكلام ان الوزير المومى اليه رجل تجمل من لطف وكمال وودّ واعتقاد نفعه الله بذلك بحرمة النبي وآله

---

١) القايق لفظة تركية اي الفلوكه او السفينة الصغيرة .

٢) الجفتايات اي المقاذف .

٣) اليالي اي المقام الصيفي .

وصحبه . باليه نعمه من الجنة سنه في بلريكي يعرف بباي خليل افندي ليس له مثايه في تلك البقعة . في بستانه انواع الفواكه المتنوعه المنبوله والمياه العذبه والزخرف والزينه حتى ان فيه اشجار تشابه كولاه الولوي واشجار تشابه شجر السرو كانهم مقصوصات بالبيكار وفيه الطرنج بانواعه والتفاح العظيم وجميع الفواكه وخلاصة الكلام عديم المثال وصاحبه مُحِبٌّ له أنعم به واكرم فرج الله كربه واصلح حاله ومآله ! »

بعد انقضاء الشهرين ، فكر ابو الوفاء بالعودة مع ابنه الى حلب ، وقد شقَّ عليهما الم البعد عن آلهما . فقطعا ورقة السفر وتجهزا لركوب السفينة ولكن أُلجئا الى البقاء في العاصمة الى ان يتيسر الرحيل في سفينة اخرى لكثرة عدد المسافرين في اليوم .

ولنا في جريدة بهاء الدين سرد الحوادث ، وهي بسيطة لا شأن لها ، لولا علاقتها بالمترجم وبعدة اسماء باشاوات وآغاوات وافندية ظهروا فيها بمعزل عن الحياة العامة كالممثلين المنتظرين دور تمثيلهم وراء ستار المسرح ، وقد يتوقعون الساعة الموافقة ليحوموا حول الباب العالي ، والسعيد منهم من يوفق الى الاتصال به مباشرةً او بالواسطة .

قال بهاء الدين ابن الشيخ وفاء :

« هممنا بالخروج من اسلامبول والتوجه الى الوطن في الوافور الذي توجه منها ثاني رمضان فلم يُقدَّرْ لنا ذلك لحكمة باهرة . وكانت الموانع من ذلك كثيرة في صورة قلّة من جملتها تعسر مصلحة سليم(؟) ولزوم تركه ونزولنا ومنها كثرة الازدحام في الوافور حتى بالغ لنا بعض المشاربه ان الركاب الذين كانوا في هذه المرة الف راكب غير الاحمال والارزاق لان كان محصل قبرز متوجه اليها واحمد باشا للشام وابن غيب باشا وحرمه للشام وحجاج ومكاكرد ومن جميع البلاد . فاثنى عزمنا عن التوجه بهذه النقلة وبقينا وبعد ان عدنا للمكان الذي نحن به فحصل عندنا ندم كلي على عدم التوجه والحال انه عين الخير من غير شك ولا ريب فنرجوه سبحانه وتعالى الاتمام بالخير كما احسن حالاً انه ولي الاجابة آمين .

اول يوم من توجه البابور حصل لي تمام الندم والوجد والتعب والمشقة فنزلت الى المدينة اخذت غليون سلمه وعود ورجعت الى القوناق كاني مريض من شهرين .

والم الشقة الذي لا يطاق يلازمني الى ان افطرنا تلك الليلة وصلينا التراويح وبقينا تلك الليلة في اسف عظيم وندم على عدم التوجه مع الوافور وفي اليوم الثاني والثالث والرابع ما طلعت من القوناق ويوم خامس رمضان يوم الخميس ذهبنا الى قوناق دفتر دار حلب لبيب وافطرنا هناك عند دامائه [صهره] فريد افندي وابن اخته سالم افندي واعتنوا بنا غاية الاعتنا واظهروا تمام المعنوية واللطف وصلينا التراويح عندهم . . . وعدنا الى السلطان احمد ومعنا

رضوان آغا اللبق فاخذنا من هناك دائة اركبناها لجناب الوالد وارسلناه الفوناق وبقينا هناك ورأينا الماهية في سلطان احمد كانت تلك الليلة مكتوبة الشكر لله وسرنا من هناك ومررنا على قبر السلطان محمود فبعد ان قصدناه رأينا عشرياتنا الحلبية شريف اغا البابلي وباكير آغا جمالي وعبد الفتاح السمان قاعدين في القهوة فقصدنا معهم الى قرب الارسة ومن هناك سرنا سوية الى السلطان ابا يزيد وجلسنا في قهوة ايضاً حصة ثم توجهنا الى دار السيد محمد ديب الشامي وكان عنده تلك الليلة ذكر فحضرناه معهم الى قرب الستة وبعد ان شربنا قهوة توجهنا الى الفوناق فرأينا جناب الوالد ينتظرنا فجلسنا معه الى ان تسحرنا واردنا النوم فما كنا نقدر عليه وذلك اليوم الذي هو صباح تلك الليلة جناب الوالد ما نام الا قليلاً وتلك الليلة جاء عزت باشا فريق بغداد وفطر معنا في فوناق الحاج باكير آغا وصلينا التراويح وجاء لعندنا السيد عبد القادر واخيه السيد طاهر وعبد اللطيف واستقمنا معهم الى قرب الستة وبعد ان ذهبوا قعدنا مع رضوان آغا والشيخ احمد سامحنا الله بمنه وكرمه انه ارحم الراحمين.

يوم السبت سابع رمضان المبارك زعم بعض الجهلة ان الله سبحانه وتعالى لا بد ان يُدخل النار لهؤلاء الخلق الموجودين لسوء أفعالهم وخبث احوالهم . فقلت له الانسان لا يعرف الا حقيقة حاله فقط وليس له علم باحوال الناس فاذا قلتَ عن الناس انهم افعالهم سيئة فيكون هذا مرآتك لان المؤمن مرآة اخيه. فصار يجيب باجوبة تنفر طباع البشر . لعدم اكتراثي بما اجاب ما حفظت له ولا جواب وعلمت ان جوابه السكوت لانه رجل محاجج مع انه غير عالم بما فرض الله عليه حق العلم ولا بما يجب لله وما يجوز وما يستحيل . ولا يمثل ذلك للانبياء عليهم السلام ولكن سبحان الحكيم الذي لا اله الا هو جل جلاله لا يسأل عما يفعل .

يومها شرف جناب الوالد لعند محمد باشا الكلي يسّر الله امره وذهب معه رضوان اغا اللبق والحاج باكير اغا ارسل طلبه القبوكتخدا والي بغداد حفظه الله واخبره انه طالبين المذكور في الباب وذلك اليوم جناب الوالد عدل عن الرواح لعند محمد باشا وراح لعند عصمة بك زاده عارف بك افندي وبات عنده تلك الليلة فداراه للغاية ثم الفقير بقيت في الفوناق وكان السمان التاجر الشامي اخر مصطفى ثم في اليوم الثاني خرجت الساعة الثامنة من النهار الى آق سراي وركبت الى ابا يزيد من هناك مشيت الى تحت القلعة فواجهت جناب الوالد عند السيد عبد القادر وعزمت على ان لا اعود للافطار تلك الليلة للفوناق فدعاني طاهر آغا المؤذن الى بيته للافطار وذهبت تلك الليلة وصلينا التراويح عنده وبعد الصلاة خرجنا الى القهوة التي بالقرب من بيته ورأينا هناك عبد اللطيف وقعدنا حصة ثم عدنا الى الفوناق من طريق آق سراي وفي الليلة الثانية افطرنا في الفوناق والتي بعدها دعانا عبد القادر آغا المؤذن وافطرنا عنده واستقمنا بعد الصلاة ثم عدنا الى الفوناق والتي بعدها في الفوناق والتي بعدها عند طاهر آغا ايضاً الصدر الاعظم الحاج عبد الرؤف باشا اجتمعنا به مرات عديدة وفي كل مرة نرى زيادة في التلطيف والمحبة ثم انه عمل تمام الاهتمام في مصلحتنا ادام الله بقاه والمنّة لله ولما اردنا تغيير ورقة الرافور ارسلناها له مع صايب افندي فاخذها بعد ما كان عمل فرمان على غيرها وقال لصايب افندي ان هذا الرجل لي معه تمام الحقوق والمودة وهو ممن يتنم لانه عديم المثال

ولكن انا بسبب تقادم العهد ما عرفته من اولى الشيء تمام المعرفة ولا عاملته بما يليق في حقه مع انه حفظه [الله] كان يقوم ويلاقي الوالد في نفس المسند والمنة لله في كل حال »

قدوة المشايخ والعلماء

في السنة ١٢٣٧هـ. (١٨٢١م) حدثت الزلزلة الشهيرة في حلب وقد تركت اثرها ليس في ذاكرة اجدادنا فقط ولكن في بنايات البلد ايضاً لان حي التلل اخذ ينشأ على ذلك العهد وصار يجرّ معه السكان من داخل البلدة القديمة الى الاحياء الجديدة الغربية . وتشققت جدران كثيرة بالهزة العنيفة في داخل حلب واصبحت بيوت عديدة غير صالحة للسكنى وكذلك قل عن المعاهد وخاصة الكبيرة منها كالجوامع والكنائس. ولا ادري في اي حالة كانت زاوية الترابي وهي زاوية الشيخ وفاء ، بعد الزلزلة. ولكن من الاكيد انه في السنة ١٢٤٢هـ (١٨٢٦م) زار المكان علي رضا باشا وعهد الى الشيخ محمد وفاء الرفاعي بامر تعميرها. وصارت الفرصة لرابطة قوية بين الشيخ وفاء وبين الباشا ولما تحول هذا الى بغداد ارسل واستدعى اليها صديقه الشيخ محمد وفاء فسافر الرفاعي مع ابنه بهاء الدين الى دار السلام في السنة ١٢٥٣هـ. (١٨٣٧م) وكان آنئذ ابراهيم باشا حاكماً عسكرياً في حلب من طرف ابيه محمد علي ، عزيز مصر ، وكانت رحى الحرب تدور بين المصريين والعثمانيين وكان للرفاعيين ولاؤهم المعروف نحو الدولة والخليفة فلا يبعد ان يكون محمد وفاء قد اغتنم فرصةً من دعوة والي بغداد لكي لا يضطر الى الاتصال بابرهيم باشا عدو السلطان ، فضلاً عما كان هناك من داعٍ دينيٍ يجذبه الى زيارة قبر الشيخ عبد القادر الجيلاني . فمضى الى بغداد والتقى بعلمائها وسمع منهم الاحاديث وحدثهم عما قرأه وتعلمه. « ونال تمام الاكرام والاحترام والاقبال » وعاد بالسلام الى حلب . وكان قد زار دارالسعادة في السنة ١٢٢٠هـ. (١٨٠٥م) في ايام مشاغب الانكشارية ومخاصماتهم في الشهباء. فعاد وزارها مرة ثانية بعد عودته من بغداد الى حلب ولا شك انه نال من الخليفة وكبار الدولة احتراماً بليغاً ، ورجال الدين لهم آنذاك مكانتهم الرفيعة عند سلطان المسلمين وهم قدوة الشعب في تأييد السلطة . والشيخ محمد وفاء

كان قد دخل في السنة الرابعة والسبعين من عمره ، وعليه شارات الطرق الصوفية ، وهو من كبار مشايخ حلب والموكل بحراسة الشمرة النبوية . وكانوا كما قلنا سابقاً يقصدون الى القسطنطينية لتحصيل وظيفة او استزادة نعمة او تسجيل حق يوقف او طلب المصادقة على شهادة ، وللرفاعيين شهادات شاهانية تدلّ على انهم ينتسبون الى البيت النبوي عن الرفاعيين الاصيلين . ولعل محمد وفاء كان من العاملين في سبيل اثبات تلك الشهادة من جانب الباب العالي . ومن المعلوم انها كانت تعود عليهم بحقوق المناظرة على اوقاف التكايا المعهود بامرها اليهم . هذا يبدو للنظر على التخمين ولم يتجاوز عندي حدّ الحدس ولم استطع سبيلاً الى التفتيش عن صحته في الوثائق . على ان الامر الراهن هو ان ابن الشيخ محمد وفاء سوف يشغل وظيفة رفيعة في حلب على ايام ثريا باشا[1] فيرونه مفتياً يدور مع الوالي في مجاعة السنة ١٢٨١هـ . (١٨٦٤م) يدعو الناس الى التهاود في وضع الاسعار ، ويقتصّ من اللحامين والخبازين المبالغين في المساومة على الحاجيات .

ودخلت السنة ١٢٦٣هـ . (١٨٤٦م) فحدث في حلب وباء عظيم وكثرت الوفيات حتى ضاق النهار على الجنائزية ، وصاروا يشتغلون في الليل والتزم الناس البيوت خوفاً من ان يدرك احدهم الاجل وهو خارج عن بيته . وكان الشيخ ابو الوفاء قد احس « بالحمى الباردة » كما ذكر ذلك في بدء المنظومة وهذه هي في عرفهم الفالج وعلى اثرها الّف منظومته عن اولياء حلب ملتجئاً اليهم وطالباً شفاعتهم لينال الشفاء . ولا ادري هل ناله ؟ او هل تحقق فيه المثل : فالج لا تعالج ؟ فيكون قد ظل نحو عشر سنوات ملازماً غرفته لا يزور مقامات الاولياء الا بالفكر فيما ينظم المنظومة . واننا نتصوره وقد دخل الخامسة والثمانين من عمره في ربيع الاول من السنة ١٢٦٤ متواضعاً متذللاً لربه وقد نعت ذاته بالعبد الذليل الكسل المذنب العاصي الخوّف الوجل فيلازم الصلاة والقراءة والعبادة ويردد ذكر الموت طبقاً لقول النبي : اكثروا من ذكر هادم اللذات .

---

١) راجع كتابنا وثائق تاريخية عن حلب ١ : ١٧٢

ويستعد لملاقاة ربه. ثم حان وقت الفراق الاخير والسفرة التي لا عودة بعدها فارتحل الشيخ وفاء الرفاعي من دار الفناء الى دار البقاء.

في تربة الصالحين، عند قبره، شرقي مقام ابراهيم وقفت قبيل غياب الشمس متأملاً، وجال بي رائد الخيال في ترب حلب وما اكثرها! فرأيت في خارجها وداخلها عند العزيزية والجبيلية والسليمانية والوكيلية شرقاً وغرباً جنوباً وشمالاً قبور اموات لا يحصى عددهم، بينها قبر الصبي والصبية والطفل والشيخ والاب والام فقلت في نفسي: ما احرانا ابناء بلدة واحدة من ضمت عظام آلنا ارض واحدة ان نعيش قلباً واحداً في ظل المحبة والاتفاق والسلام.

وخفضت نظري فوقع على ضريح الشيخ وفاء فقرأت ما كُتِب عليه نقشاً في الحجر:

«اذا ما تولى الله نفس وليه تهون عليه سكرة الموت بالحق
وما هي الا دعوة واجابة ويخلص من رق الكثافة بالعتق»

المراجع

راغب الطباخ: اعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء، ٧ اجزاء – طبع في المطبعة العلمية بحلب ١٩٢٣ – ١٩٢٦

كامل الغزي: نهر الذهب في تاريخ حلب، ٣ اجزاء – المطبعة المارونية حلب

– الآثار الكتابية العربية على الابنية الحلبية، كتاب خط، المكتبة الشرقية، بيروت رقم 143

Canaan Taufik: *Mohammedan Saints and Sanctuaries in Palestine*, Luzac and Co., London, 1927

Encyclopédie de l'Islam.

الإنشاد

او

الفنّ الاصيل في الأدب الجاهليّ

بقلم فؤاد افرام البستاني ، استاذ الآداب العربيّة في جامعة القديس يوسف

الاس النفساني

ب — الانشاء الشفهي

٣ – محاولات في تحديد الإنشاد *

ادركنا ، في البحث السابق[1] ، ماهية الانشاء اليدوي ، واهمّية اليد في توليد الفكرة مقترنةً بالصورة ، حتى صحّ القول: « يفكر الانسان لانّ له يدًا ». ثم انتقلنا الى كلمة في اثر الحركة في التعبير الشفهي ، ومن ثمّ في الكتابة ، وفي تكوين مفرداتْ اللغة ، مهّدنا بها لما سوف نحاوله من تحديد الإنشاد .

ولا بدّ ، بادئ بدء ، من لمحة تقابل فيها بين الفرد الناشئ في ترعرع قواه النفسية ، والشعب الناشئ في اول يقظته الى الفنّ الشفهي .

مما لا مشاحّة فيه ان الغلام الناشئ يكون اقرب الى تذوّق الحكايات الخيالية العاطفية ، المسرودة باسلوب يستند الى النغم الموسيقي ، منه الى تفهّم القياسات المنطقية والاستنتاجات الرياضية . ولا ينحصر سرّ ذلك في انّ الحكايات اسهل من مولّدات المنطق . لانه قد يكون في تشعّب الاساطير ، وتعدّد الاشخاص ،

---

*) مادة المحاضرتين الثانية والثالثة من محاضرات « معهد الآداب الشرقية » للسنة ١٩٦٠–١٩٦١ في فرع « الادب العربي » .

١) راجع « مشرق » هذه السنة ص ٧٥–٨٨

وتداخل الحوادث ما يفوق صعوبةً عقليةً الكثيرَ من قياسات الرياضيات او احكام العلوم . فالسرّ اذًا يتجاوز مسألة السهولة والصعوبة ، راقيًا الى ميل فطري في الانسان يدفع الناشئ — مع اخذه بالسهولة — الى التعلق بمولدات الحسّ والخيال والموسيقى ، منصرفًا ما استطاع عن شغل فكره بمظاهر التجريد العقلي .

هكذا نرى الفرد الناشئ ؛ وهكذا نرى الشعب الجاهلي في اول اخذه بالفنّ التعبيري . هو يميل الى كلّ ما يؤثر فيه ، فيمكنه حفظه عن طريق السماع ، ولا طريق سواه اذ ذاك لحفظ الآثار الادبية . وما كان لأثرٍ ادبي ان يُحفظ ، بل ان يولد ، في ذاك العصر الشفهي ، الّا اذا ارتكز على العناصر الحسيّة والخياليّة والموسيقيّة . فادّى الفكرة البسيطة بصورة مألوفة ، ونغم عادي ، واسلوب واضح ، بيّن التقاسيم ، وافر التأثير ، مستند الى اسهل الطرق البيانية الفطرية عاوقًا بالآذان ، واستقرارًا في النفوس ، كالمراجعات ، والترديدات ، والمقابلات ، والتضادّ ، والطباق ، ولا سيما السجع .

فاذا قام الخطيب — وكل مؤلّف خطيب اذ ذاك — بهذا النوع من الانشاء الشفهي ، او التعبير الفني ، معتمدًا على ذاكرته اولًا ، ثم على التأثير في الحاضرين فالعمل في ذاكراتهم ، قلنا انه « منشد » وان فنّه « انشاد » .

وقبل ان نتبسّط في الدلالة على هذه العناصر « الإنشادية » ، وموافقتها لروح العصر الجاهلي وحالته من الادب الشفهي ، ينبغي لنا ان نأخذ بمقابلة اخرى قد تكون مفيدة في موضوعنا . هي المقابلة بين « منشدي » الجاهلية و« قوّالي » عصرنا .

« المنشد » الجاهلي ، و« القوّال » او « الزجّال » العصري ، كلاهما يمثّل الادب الشفهي في محيطه .

ونحن نقصد « قوّالينا » ذوي الثقافة الشفهية الخالصة ، لا اولئك الذين اثّرت في بديهتهم الفطرية آثارُ الثقافة الكتابيّة ، فاصبحوا يضطربون بين بيئتين عقليّتين ، يفتّشون عن الكلمات الفصيحة ، الغريبة في نظر العامّة ، ويتعمّدونها ،

متوهمين انهم بواسطتها يزخرفون اقاويلهم فيرتفعون الى المستوى الراقي. وهم انما يخرجون عن سمتهم الطبيعي، فيفقدون بهجة الفطرة،وسلامة الذوق ، وينزلون بجمال الزخرف الصناعي ، واللفظ الغريب المجلوب .

ليس الفنّان الحقيقي ذاك الذي يبتكر الكلمات ، فيستعمل ما ليس معروفاً منها . بل هو ذاك الذي يبتكر التعابير ، فيولّد بالبسائط المعروفة مركّبات جديدة .

ان الكلمات كالحجارة ، كالأصوات ، كالألوان ، هي ملك الجميع . لا احتكار فيها ولا ابتذال. يعمد اليها الصناعي المتكلّف فتشمس له،وتتفلّت من امامه،فلا ينال الا مركّبات جامدة لا حياة فيها ولا بهجة ، وينام الفنّان الموهوب « ملء جفونه عن شواردها » ، فتأتيه صاغرة سلسة القياد . واذا بالحجارة ، والاصوات ، والألوان ، والكلمات ، التي ألفها الجميع عاديّةً بانفرادها واستقلالها ، تتكتّل في تراكيب جديدة ، وتتحد في مجموعات مبتكرة ، فتسمو بتلك المواد المبتذلة الى روائع النحت ، والموسيقى ، والتصوير ، والشعر .

فالفنّ اذاً لا يقوم باختراع الغريب من الألفاظ ، بل بالتوفّق الى حسن التأليف بين هذه الألفاظ . ليس معجز القرآن — ذاك المعجز الديني في نظر المسلمين ، والمعجز الادبي الفني في نظر سائر المتكلّمين بالعربية — بانه اخترع كلمات جديدة — ولو فعل لما فهمه العرب ! — بل بانه أدّى للعرب طرقاً فنيّة في الانشاء ، بانياً على كلماتهم نفسها .

أوَ لم يحسّ العرب بهذا السرّ العميق في البلاغة السهلة الألفاظ ، الممتنعة التركيب ، عندما قالوا ، على لسان النقّاد : « ركن البلاغة اللفظ ، وهو ثلاثة انواع : نوع لا تفهمه العامة ولا تتكلم به ، ونوع تفهمه العامة وتتكلّم به ، ونوع تفهمه العامة ولا تتكلّم به ، وهو أحمدها . »

أوَ ليس من هذا النوع تحديد البلاغة المنسوب الى ابن المقفّع ، صاحب « السهل الممتنع » ، تلك التي اذا سمعها الجاهل ظنّ انه يحسن مثلها . يسمع فيسهل عليه فهم الألفاظ ، ويعجزه التركيب ، وهو سرّ الفنّ العميق . ولقد اصاب بسكال في قوله : « اللفظة ككرة الصولجان. هي لجميع اللاعبين . انما الفوز

يناله ذاك الذي يضعها في المحلّ المقصود . »

III

ولنعد الى « قوّالنا » العامي الشفهي الثقافة ، الذي كثيرًا ما يكون أميًّا ؛ والى « منشدنا » الجاهلي الأمي، لا خلاف ، الشفهي الثقافة كذلك . ولنقابل بينهما يتضح لنا الكثير من عناصر الإنشاد .

لنتصوّر هذا « القوّال » في حلقة من مريديه وسامعيه ، تتحلّق على بعض سطوح القرية ، او في بعض قهاوي المدن ، او في ساحة الدير او المزار ، زمنَ العيد او الموسم . يبدأ بالترنيم والتنغيم، حتى اذا حمي الوطيس اخذ « بالقول »، وهو « الانشاد » اي الكلام الموزون المغنّى، يلقيه مقاطع منغّمة ؛ ترفده جوقته احيانًا ، وحينًا لا يترفد الّا صوته واكفّ الحاضرين يوقّعون النغم الاساسي . يتكل على ذاكرته وبديهته ، وكثيرًا ما ينتقل من الإلقاء الى الإرتجال ، ولا سيما اذا كان امامه مناظر . فيخوض « القوّالان » في مساجلة تتّسع حلقتها ، وتتناول شظاياها بعض الحاضرين من « القوّالين » وغيرهم ، حتى تبلغ من الفخر والحماسة ما يشاء المتساجلون ، بل فوق ما يشاؤون .

ولننتقل الآن ، متجرّدين من اوهام الثقافة الكتابية ، الى العصر الجاهلي . « قوّال » ذاك العصر او « منشده » — وسواء أسمّيناه « شاعرًا » ام « خطيبًا » ام « كاهنًا » — يتوسّط حلقة من السامعين والمريدين اشبه بحلقة « قوّالنا » العصري . فيحتلّ مركز الموسم ، او السوق ، قريبًا من البئر ، مستظلًّا بتلك الشجرة التي قد تكون الوحيدة في الساحة ؛ او يعلو مرتفعًا من الرمل ، او نصبًا قريبًا من فناء الكعبة ؛ او يكتفي بركوب راحلته منبرًا فخمًا ؛ فيلقي « قوله » ، شعرًا كان او عظةً او خطابًا . وهو، في كلّ ذلك، لا يعدو ما يلجأ اليه « قوّالنا » من الأخذ بالقاء المحفوظ اولًا حتى اذا احتدم الموقف ، دُفع الى الارتجال فالمساجلة — وما كان اكثرها في ذاك العصر ! — متكلًا على ذاكرته اولًا ، ثم على ذاكرة الحاضرين .

وكما نرى « قوّالنا » تحثّه جوقته ، وتردّد بعض اقواله ، مستعيدةً « لازمات » المقاطع ، واتمام الأوزان ، كذلك كان « المنشد » الجاهلي في قبيلته ،

يتحمّس له رجالها فيؤيّدونه في المفاخرات والمنافرات ، وينقل رواتها « شعره » واناشيده من حيّ الى حيّ ، ومن منزل الى منزل

نشهد القوّال او المنشد في حشد من الخلق مجتمعين لغاية دينية او تجارية — وكثيرًا ما تجتمع الغايتان ، كما في اعياد المزارات والمواسم — وقد جاء كلٌّ ببضاعته يبيع ويشتري . فتُقام السوق ، ولنسمّها عكاظ اوذا المجاز او بعض مواسمنا العصرية . يقف « المنشد » فيها مستفيدًا من هذا الاجتماع الطبيعي ، فينشر مأثرة ، او يفاخر بمكرمة ، او يقرع الاسماع بعظة ، او يدعو الى معتقد جديد . هو الاعشى يشيد بذكر المحلّق ، وهو النابغة يعزّز حِلف بني أسد ، وهو قسّ بن ساعدة يعظ من على جمله في عكاظ ، وهو النبي يتلو الآيات المحكمات .

يبدأ « المنشد » كلامه في صخب من القوم . فلا يكاد يسمعه احد . فيعيد مطلع خطبته ، ثم يتوقّف قليلًا ، منتظرًا ، مستفهمًا . فيترك هذا مناقشة جاره ، ويزمّ ذاك عدل بضاعته ، ويجذب الثالث ردن رفيقه جهةَ الخطيب . فيعيد هذا المطلعَ لافتًا نظر السامعين ، مستأثرًا بانتباههم ، حتى اذا انس منهم الاصغاء التامّ ، اندفع فامرّ كلامه مستندًا الى النغم الإيقاعي . وهو في ذلك لا يعدو نوعًا من اساليب الخطابة لا يزال يلجأ اليه خطباؤنا العصريون ، على رغم تبحّرهم في الأدب الكتابي ، اذا ما خطبوا في الجماهير المتألّبة ، الا وهو التوقّف .

أعطهم ، يا ربّ . ماذا تُعطي ؟ أعطهم رَحِمًا مثكلًا ، وأثداء جافّة .

هو توقّف هوشع النبي في الدعاء على بني أفرائيم[1] .

وأبلغ منه في نوع التوقف ما ورد في القرآن عن القارعة[2] :

القارعه !

ما القارعه ؟ وما ادراك ما القارعه ؟

يومَ يكون الناسُ كالفراشِ المبثوث ، وتكون الجبالُ كالعهنِ المنفوش ،

---

١) نبوءة هوشع ٩ : ١٤

٢) القرآن ١٠١ [القارعة]

وأما من ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية :
واما من خفت موازينه فأمه هاوية .
وما ادراك ماهيه نار حامية !

وكذلك القول عن سورة الحاقة[1] :

الحاقة :
ما الحاقة ؟ وما ادراك ما الحاقة ؟
كذبت ثمود وعاد بالقارعة : فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية
واما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية . . .

وفي سورة الطارق[2] :

والسماء والطارق .
وما ادراك ما الطارق ؟
النجم الثاقب .

ومما يلحق بالتوقف انواع الاستفهام ، كما في سورة الغاشية[3] :

هل اتاك حديث الغاشية ؟
وجوه يومئذ خاشعة ،
عاملة ناصبة ،
تصلى نارا حامية ،
تسقى من عين آنية !

وقد رتبنا المقاطع على غير المألوف من تسلسل الاسطر في الانشاء المنثور ، لندل على مواقع النغم ، ومحطات الايقاع الانشادي ، شأننا في ما سيأتي من الامثلة الانشادية .

❁

ولا يكتفي المنشد بالتوقف اسلوباً شفهياً يجذب به انتباه سامعيه . بل كثيراً ما تجاوزت غايته جذب الانتباه الى الرغبة في اقرار تعاليمه والعمل على

١) القرآن ٦٩ [الحاقة] ١-٦
٢) القرآن ٨٦ [الطارق] ١-٣
٣) القرآن ٨٨ [الغاشية] ١-٥

ان يحفظها هؤلاء السامعون . فلزمه ان يبني على ما سبق اليه فهمهم ، فينسخه ويقيم تعاليمه الجديدة بازائه . واذا بنا في التضادّ والمقابلة وما اليهما من اساليب لا يزال يأخذ بها البيانيون. وفي الانجيل امثلة عديدة على هذا النوع قد لا تفقد الكثير من صفتها الانشادية الشفهية اذا ما اوردناها بالترجمة العربية . منها تلك المواعظ والارشادات الجارية على هذا الاسلوب :

لقد قيل لكم . . .
او قيل للأوّلين . . . } وانا اقول لكم . . .
او سمعتم انه قيل . . .

ولا سيما في الوصايا التي كانت تفاجئ السامعين بجدّتها ، بل بغرابتها نسبةً لما ألفوه وعاشوا عليه . فكان يسوع يرمي الى اقرارها في اذهانهم بالاعتماد على المقابلة ، مقابلة بين ما يوجب على اتباعه العمل به ، وما يريد نسخه من التقليد القديم . وهي من اسهل الطرق في التعليم الشفهي ؛ لأن السامع ، اذا ما اقترن في حافظته التعليم الجديد بما يعاكسه من التعليم القديم ، هان عليه تذكّر الوصية الجديدة كلّما خطرت القديمة على باله :

قد سمعتم انه قيل:
العين بالعين والسنّ بالسنّ .
اما انا فاقول لكم :
لا تقاوموا الشرّير . بل من لطمك على خدّك الأيمن فحوّل له الآخر . (١

قد سمعتم انه قيل :
أحبّ قريبك وأبغض عدوّك .
اما انا فأقول لكم :
احبوا اعداءكم ، واحسنوا الى من يبغضكم . (٢

قد سمعتم ايضاً انه قيل للأوّلين :
لا تحنث ، بل أوفِ للرب باقسامك
اما انا فأقول لكم :
لا تحلفوا البتّة . (٣

وقد يتناول المسيح في مواعظه مثلاً كاملاً مبنيًا على التقابل والتضادّ ، مربوطة مقاطعه بألفاظ او تعابير مهمّة يجعلها محطّات انشائية ليعلق بها ذهن السامع

١) متى ٥ : ٣٨-٣٩
٢) متى ٥ : ٤٣-٤٤
٣) متى ٥ : ٣٣-٣٤

فيسهل عليه تذكر المثل بكامله. من ذلك مثل البيت المبنيّ على الصخر والبيت المبنيّ على الرمل ، نورده مرتّباً وفقاً للمقاطع والمحطات الانشادية :

فكلّ من يسمع كلامي هذا ويعمل به	وكلّ من يسمع كلامي ولا يعمل به
يشبه رجلاً حكيماً	يشبه رجلاً جاهلاً
بنى بيته على الصخر ؛	بنى بيته على الرمل :
فنزل المطر ، وجرت الانهار ، وهبّت الرياح	فنزل المطر ، وجرت الانهار ، وهبت الرياح ،
واندفعت على ذلك البيت	وصدمت ذلك البيت
فلم يسقط .	فسقط !
لان اساسه كان على الصخر .	وكان سقوطه عظيماً . (١)

وكذلك القول عن مثل الجائع والعطشان والعريان ، وكلّه من نوع المقابلة :

حينئذٍ	حينئذٍ
يقول الملك	يقول ايضاً
للذين عن يمينه :	للذين عن يساره :
تعالوا ، يا مباركي ابي ،	اذهبوا عني ، يا ملاعين ،
رثوا الملك المعدّ لكم منذ انشاء العالم .	الى النار الابدية المعدّة لإبليس وملائكته .
لاني جعت فاطعمتموني ،	لاني جعت فلم تطعموني ،
وعطشت فسقيتموني ،	وعطشت فلم تسقوني ،
وكنت غريباً فآويتموني ،	وكنت غريباً فلم تؤووني ،
وعرياناً فكسوتموني ،	وعرياناً فلم تكسوني ،
ومريضاً فعدتموني ،	ومريضاً
ومحبوساً فاتيتم اليّ .	ومحبوساً فلم تزوروني .

حينئذٍ	حينئذٍ
يجيبه الصدّيقون قائلين :	يجيبونه هم ايضاً ويقولون :
يا ربّ ،	يا ربّ ،
متى رأيناك	متى رأيناك
جائعاً فاطعمناك ؟	جائعاً
او عطشان فسقيناك ؟	او عطشان
ومتى رأيناك غريباً فآويناك ؟	او غريباً

١) متى ٢٥ : ٣٤–٣٧

او عرياناً فكسوناك ؟ — او عرياناً
ومتى رأيناك مريضاً — او مريضاً
او محبوساً — او محبوساً
فاتينا اليك ؟ — ولم نخدمك ؟

فيجيب الملك ويقول لهم : — حينئذٍ يجيب ويقول لهم :
الحقّ اقول لكم — الحقّ اقول لكم
انكم كلما فعلتم ذلك باحد اخوتي هؤلاء الصغار في فعلتموه . — انكم كلّما لم تفعلوا ذلك باحد هؤلاء الصغار بي لم تفعلوه (١

الى هذا الاسلوب في التقابل والتضادّ ، الجزيل الفائدة في إفهام السامعين وحملهم على الاصغاء فالحفظ ، يجب ان نضيف طريقة من بديهيّات الانشاء الشفهي ولا سيما التعليمي منه ، وهي المراجعة او التكرير . وقد بلغ من أثرها في الادب العربي القديم أن اصبحت من محسّنات الانشاء في عهد الادب الكتابي ، فعدّها البيانيون من محاسن الصناعة البيانيّة ؛ وقسموها نوعين لفظية ومعنوية . فاللفظية هي التي يُكرّر فيها اللفظ بعينه كقولك : هَات ، هات ؛ او قُلْ ، قُلْ . والمعنوية ما تكرّر فيها المعنى بغير لفظه نحو : أطِعني ولا تعصني .

وقد يكون التكرير اضطرارياً يُدفع اليه الخطيب الشفهي ، اذا ما طالت جملته وخشي ان تضيع لحمتها على السامعين ، فيرى من الضروري ان يعيد النبرة الأولى ، او غيرها من النبرات الاساسيّة ، في الجملة الطويلة . كما ورد في القرآن :

« ثمّ إنّ ربّك للذين عملوا السوء بجهالة ، ثم تابوا من بعد ذلك واصلحوا ، إنّ ربّك من بعدها لغفورٌ رحيم . » (٢

وفيه ايضاً :

« اذ قال يوسف لابيه : يا أبتِ ، اني رأيت احد عشر كوكباً ، والشمس ، والقمر ، رأيتهم لي ساجدين . » (٣

---

١) متى ٢٥ : ٣٤-٤٥
٢) القرآن ١٦ [النحل] ١٢٠
٣) القرآن ١٢ [يوسف] ٤

هذا النوع الطبيعي في الادب الشفهي اصبح ، هو ايضاً ، من محسّنات الانشاء الكتابي . قال ابن الاثير : « انه اذا طال الفصل من الكلام ، وكان اوله يفتقر الى تمام ، ولا يُفهم الّا به ؛ فالأولى في باب الفصاحة ان يُعاد اللفظ الأول مرةً ثانية ليكون مقارناً لتمام الفصل ، كي لا يجيء الكلام مبتوراً ؛ لا سيما في « إنّ » واخواتها . فاذا وردت « إنّ » وكان بين اسمها وخبرها فسحة طويلة من الكلام ، فاعادة « إنّ » احسن في حكم البلاغة والفصاحة . »[1]

أوَ هناك ادلّ على أصالة التكرير اللفظي في لغتنا العربية من صيغة المفعول المطلق التي تكاد تمتاز فيها على سائر الامم . موتاً تموت ! قتلته قتلاً . وكأننا كرّرنا اللفظ بالصيغة نفسها .

على ان كلا التكريرين ، اللفظي والمعنوي ، وافر مستفيض في مظاهر الإنشاد . يلجأ اليه المنشد في تقرير حالة نفسيّة يعبّر عنها بمقاطع موزونة تتطلّب محطّات متناسقة يستريح عندها ليتناول مقطعاً جديداً . فيردّد المقطع الاساسي ، منتظراً ما سوف يفتح عليه فيكتله على النسق الأول .

او تكون غايته استثارة حماسة القوم واندفاعهم في سبيل امر مهمّ كالقيام بغارة ، او اخذ ثار .

هو المهلهل يندب اخاه كليباً . فيكرّر مثيرات الأسف ، وكأنها لازمة الادوار المحزنة :

دعوتك ، يا كليب ، فلم تجبني ؛ وكيف يجيبني البلدُ القفارُ !
أجبني ، يا كليب ، خلاك ذمٌّ ! ضنينات النفوس لها مزارُ .
أجبني ، يا كليب ، خلاك ذمٌّ ! لقد فُجعت بفارسها نزارُ .

. . .

أتندو ، يا كليب ، معي ، اذا ما جبانُ القوم اغباه الفرارُ !
أتندو ، يا كليب ، معي ، اذا ما حلوقُ القوم يشحذها الشفارُ ![2]

ثم يذكر قتلهم بجير بن الحارث وهمّام بن مرّة وغيرهما . ولكنه لا يرى قتيلاً معادلاً لكليب في مختلف حالات الحياة البدوية :

١) ابن الاثير : المثل السائر : باب التكرير
٢) الروائع ٣ [المهلهل] ٢-٣

على ان ليس عدلاً من كليبٍ ، اذا خاف المغار من المغير .
على ان ليس عدلاً من كليبٍ ، اذا طُرد اليتيم عن الجزورِ .
على ان ليس عدلاً من كليبٍ ، اذا ما ضيم جار المستجيرِ .
على ان ليس عدلاً من كليبٍ ، اذا ضاقت رحيبات الصدورِ .(١

حتى يراجع الشطر عشر مرّات .

وكذلك موقفه كلما ذكر اخاه ، فناداه نداء اليائس :

يا خليليَّ ، ناديا لي كليباً ، واعلما انه ملاقٍ كفاحا ؛
يا خليليَّ ، ناديا لي كليباً ، ثم قولا له : نعمت صباحا !
يا خليليَّ ، ناديا لي كليباً ، قبل ان تبصر العيون الصباحا .(٢

حتى اذا اخذ بعض العقلاء يسعون في عقد الصلح بين بكر وتغلب ، هاجت عاطفة الاخ الموتور ، ودفعه التعطّش الى الثأر ، فالقى تلك السلسلة من المراجعات التهديديّة ليحرّض بها نفسه والقوم على متابعة الحرب حتى ابادة الاعداء :

ان تحت الاحجار حزناً وعزماً وقتيلاً من الاراقم كهلا .
قتلته ذُهلٌ : قلت براضٍ ؛ او نُبيدَ الحيَّين : قيساً وذُهلا ،
ويطير الحريق منا شراراً ، فينال الشرار بكراً وعجلا .
قد قتلنا به ، ولا ثأر فيه ؛ او تمسَّ السيوف شيبانَ قتلا .
ذهب الصلحُ او تردّوا كليباً ، او تحلّوا على الحكومة حَلّا !
ذهب الصلحُ او تردّوا كليباً ، او اذيقَ ، الغداةَ ، شيبان ثُكلا !
ذهب الصلحُ او تردّوا كليباً ، او تنالَ العُداةُ هوناً وذلّا !
ذهب الصلح او تردّوا كليباً ، او تذوقوا الوبالَ وِرْدًا وغلا !
ذهب الصلح او تردّوا كليباً ، او تميلوا عن الحلائل ، عُزلا ؛
او ارى القتل قد تقاضى رجالاً لم يميلوا عن السفاهة جهلا !(٣

واذا بنا في الصميم من الرثاء العربي الذي لا يكتفي بالبكاء على الميت ، بل يرمي الى التحريض على القيام بذاك الواجب المقدّس ، واجب الثأر . وليس افضل من اثارة العواطف الثأرية ، فالتحريض على غزو الواتر ، من تلك الترديدات الكئيبة فيها من الأسف على الراحل ، وفيها من تهديد القتلة ، وفيها على كل

١) الروائع ٣ [المهلهل] ٦-٧
٢) الروائع ٣ [المهلهل] ١٠
٣) الروائع ٣ [المهلهل] ٩

حال نبرة تذكي النار ، وتجدّد حماسة المنشد والسامعين. أوَ ليست من هذا النوع ترديدات الخنساء اللفظية والمعنوية المتكرّرة في ديوانها الضخم حتى الابتذال ؟ أو هناك من شكّ في ان غايتها لم تنحصر بالبكاء على اخويها ، بل كانت تتجاوز الى تحريض القوم على الأخذ بثأرهما ؟

وكأنّ هذه الترديدات الرثائية الثأرية تلك الأناشيد الحماسية الشفهية التي لا يزال يكرّرها ، الى يومنا ، فرسان الدروز في جبلهم ، وفرسان البدو في احيائهم ، اذا ما تنادوا الى القيام بغزوة او الى دفع غارة. فسبق فريق منهم الى ساحة الاجتماع ، واقاموا في انتظار الباقين ، يتساندون ، اذا كانوا مشاةً ، كمن يرقص « الدبكة » ، ويتظاهرون ، اذا كانوا خيّالة ؛ وكلهم ينشدون اغانيَ حماسيّة قليلة المعاني ، متكرّرة الألفاظ حتى الإملال . انما يوليها التأثر الحماسي تلك النبرات الشعرية الطاغية على الأفكار حتى لا تكاد تفهم ، توقعها الأصوات الجهورية على وقع الخطى ، او على وطء سنابك الخيل .

وهكذا القول عن « النذّابات » و« النذّابين » خاصّةً في قرانا اللبنانية .

وكم لقوّالينا من ترديدات لفظيّة يلهون بها السامعين هنيهة ، كما يلهون بها صوتهم ولسانهم ، حتى تأتيهم البديهة بالمقطع الجديد فيتمّ البيت او الفقرة من النشيد . وليس « المخمّس المردود » في اصله الطبيعي الّا من مظاهر الترديد الإنشادي ، اذ يستعين المنشد الشفهي بالمقطع الاخير من البيت السابق ، فيعيده شاحذًا قريحته ، بادئًا به مقطعاً جديدًا .

وعلى هذا ورد الكثير من « المطالع » العاميّة ، كمطلع الشيخ ناصيف اليازجي المشهور :

شاجتْ بدر النورْ بالجلفه ، لِيْنْ لبست الجبّة الزرقا .
انت القمرْ والبدرْ ، يا غندور ؛ لكن من أينْ للبدْر ها المشفه !
انت القمرْ والبدرْ ، يا غندور ، بالطالع المسعدْ وفيض النورْ !
برجكْ بقلبي لم يزل معمورْ
خيّمتْ في شرقيّهْ حتى انشغلْ قلبيهْ وانت المخبّا فيهْ
هذا السببْ غرقانْ ها الغرقه !

هـذا الـعبُ محجوبٌ عن عيني والحجبُ مـا بينك ومـا بيني !
بالله ، لا تنكرْ وفا ديني !
دين المحبّة عليك تنظرْ عيوني ليك وَمْ كان بعيد، بابيْك
لَنْتْك بشرقْ صوبنا مَرْقه ؟ (١

ومن هذا النوع نصيحة « ابو الاجران » افنيانوس بالزواج. قال:

يِفتْ شوفي بينْ قبلي شافوها ؟ الكلّ شافوها ، وعنها ما حكوا:
فانكانْ واحدْ يشتكي جَور الزواجْ، فالكلّ من جَور العزوبي يشتكوا.

فانكانْ واحدْ يشتكي جَور الزواج ، فالكل من جَور العزوبي في وهاجْ !
يا للعجب كيفْ الزواج ما لو رواجْ والطفالا عليه ، لو رعيوا ، بكوا !.

والطفالا عليه بكيوا ، وعا الصحيحْ وكل صاحب روح يعرفه مليحْ ،
لا تصدّق شخصْ اعزبْ مستريحْ. الله حلّلْ للزواجْ وباركوا.

الله حلّل للزواج ، قال ، وأمَرْ من غير أغاركْ فـلا تأكلْ ثمر.
اي غنى بيشابه اولاد الصغارْ ، يا مَن جهلت الاقتران وتاركو ؟(٢

ولينتبه الى ان المنشد العامي او « القوّال » قلّما يهتمّ بضبط القوافي ضبطاً كتابياً . انما يهمّه الوقع الموسيقي وحده . فاذا أسس مقطعاً على نبرة مقتضبة في القافية كقوله « أمرْ » و« تمرْ » مثلاً ، واتته القافية الثالثة طويلة النبرة كحرف المدّ في « الصغارْ » ، اقتضبها في الانشاد فوازنت القافيتين السابقتين في الرنّة الموسيقيـة . وكذلك يفعل اذا ما اعترضته النبرة المقتضبة في سلسلة من القوافي الممدودة فانه يشبع الحركة حتى يولّد منها حرف مدّ ، واذا « باكرَمْ » مثلاً تكون قافيةً تأتلف و« التمامْ » .

كلّها من مظاهر معاونة الصوت للفظ في« الانشاد » ، تلك المعاونة التي لا يجوز ان تغفل عنها اذا درسنا الشعر الجاهلي القديم ، واساسه الانشاد الموسيقي، فاجتهدنا في ان نعلّلْ اصل الجوازات الشعرية.

١) المشرق ٢٧ [١٩٢٩] ٢٧٢

٢) شكري الخوري : التحفة الماتية او قصة فنيانوس ، الطبعة الاولى ، ماناولي ، ١٩٠٢ ، ص ٦٧-٦٨

نسمع طرفة ينشد معلقته ، فيبدأ مرغماً :

لخولةَ أطلالٌ ببرقاة ثهمدِ تلوحُ كباقي الوشم في ظاهر اليدِ

فلا يتخدّش حسّنا الموسيقي ، حتى اذا رأينا هذا المطلع على الورق ، في عهد الأدب الكتابي ،

لخولة أطلال ببرقة ثهمد تلوحُ كباقي الوشم في ظاهر اليدِ

فقرأناه ، مجرّداً عن النغم ، وعرضناه على الموازين العروضية ، استغربنا بعضَ الشيء مخالفته لما استخرجناه من تفاعيل دقيقة للبحر الطويل التامّ . فترددنا في الحكم عليه . ثم ، بدلاً من ان نقول ان الشاعر في انشاده ، كثيراً ما كان يمدّ الحركة ليقيم الوزن ، نجزم مقرّرين : « يجوز في فعولن القبض فتُصبح فعولُ » ثم نتحقق كثرة هذا الجواز — بفضل النغم الانشادي اصلاً — فنزيد : « وهو مستحسن . »

امـا اذا كان هذا النقص الوزني اظهر من الماثل في مطلع طرفة ، كأن نقرأ مثلاً لامرئ القيس :

كلمع اليدين في حبيٍّ مُكلّلِ

↑ ↓

او : امال السليطَ بالذبالِ المفتّلِ

او : كأنّ السباعَ فيه غرقى عشيّةً

مما لا يسعنا ردّه الى الجوازات المأنوسة ، فقد يقشعرّ له بدننا العروضي ، فنقول : « لقد أشبع الشاعر الحركة » ونكاد نزيد : « سامحه الله . » وهو في الحقيقة لم يأتِ ما يستوجب اللوم او العذر او التنبيه ، لأنه لم يبنِ الّا على النغم كنشدنا العامّي .

وكم من المطالع الجاهليّة وردت ناقصة حرفاً من أوّلها كقول عنترة :

فُ عينا من رأى مثل مالكٍ عقيرة قوم ان جرى فرسانِ

وقول الحطيئة :

لمّا رأيتُ ان ما يبتغي القرى ، وان ابن أعي ، لا محالة ، فاضحي ،

فحار العروضيون في ضياع هذا الحرف ، حتى اجمعوا على القول : قد ترد « فعولن » على « فِعلن » في ابتداء بعض المطالع الجاهلية . ولا نخالنا بمعزل عن الصواب اذا تخيّلنا المنشد الجاهلي يبدأ بشيء من التنغيم قبل إنشاده يحثّ به قريحته ، او يجلو صوته ، حتى يستهلّ انشودته بنبرةٍ لا معنى لها من مثل « أ » او « إ » او « أ » وما شاكل يسند اليها المطلع فيتنه نغمياً . أوَ لا نرى شبيهاً لهذا الأمر في « إنشاد » قوّالينا اذ يردّد بعضهم نبرةً لا معنى لها يمدّها ويطيلها مكرّرًا « أوف » حتى يُفتح عليه « بالردّة » المطلوبة ؟

هذا وظاهرة التكرير اللفظي والمعنوي من ميزات الادب السامي الاجمالية ، وكلّه انشادي في اصله . ولنا في اسفار الكتاب المقدّس الامثلة الواضحة ، ولا سيما في مراثي ارميا ، وحزقيال ، وفي نشيد الاناشيد ، ومزامير داود . وهذا مطلع المزمور الخمسين يعيد فيه « إمام الغناء » الفكرة نفسها على مظهرين مختلفين ، وكأنّ هناك جوقتين من المنشدين تتقاذفانها كلّ بشكلها الخاصّ ، وغايتها مزيد الاقرار في ذهن السامعين :

ارحمني ، يا الله ، بحسب رحمتك ، وبحسب كثرة رأفتك ، امحُ مساويّ ؛
زدني غُسلًا من اثمي ، وطهّرني من خطيئتي .
فاني عارفٌ بمساويّ ، وخطيئتي امامي في كل حين .
إليك وحدك خطئت ، وامام عينيك صنعتُ الشرّ ؛
لكي تعدل في كلامك ، وتزكو في قضائك .
اني في الإثم وُلدت ، وفي الخطيئة حبلت بي أمي .
انك احببت الحقّ في الافئدة ؛ وفي الخفية أعلمتني الحكمة .
تنضحني بالزوفى فأطهُر ، تغسلني فابيضّ اكثر من الثلج . . . (١

وقد تأتي المراجعة اللفظية محطّة سجعيّة تسهّل اقرار المعنى في ذهن السامع » كما في بعض الآيات القرآنية ، ولا سيما مقطع « فبأي آلاء ربّكما تكذّبان ،

١) المزامير ٥٠ : ٣-٦

المتردّد ٣١ مرة في سورة الرحمن ، ولعلّها ادلّ السور على النوع الانشادي لجمعها بين السجع والتكرير :

بسم الله الرحمن الرحيم
الرحمن علّم القرآن .
خلق الإنسان ، علّمه البيان .

الشمسُ والقمرُ بحُسْبان ، والنجمُ والشجرُ يسجدان .
والسماءَ رفعها ، ووضع الميزان ؛ ألّا تطغَوا في الميزان ،
وأقيموا الوزن بالقسطِ ولا تُخسروا الميزان .

والأرضَ وضعها للأنام ؛ فيها فاكهةٌ ، والنخلُ ذاتُ الأكمام ،
والحَبُّ ذو العصف ، والريحان . فبأيّ آلاء ربّكما تكذّبان ؟

خلقَ الانسانَ من صلصالٍ كالفخّار ، وخلق الجانَّ من مارجٍ من نار .
فبأيّ آلاء ربّكما تكذّبان ؟

ربُّ المشرقين ، وربُّ المغربين !
فبأيّ آلاء ربّكما تكذّبان ؟

مرَجَ البحرينِ يلتقيان ، بينهما برزخٌ لا يبغيان .
فبأيّ آلاء ربّكما تكذّبان ؟

يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان . فبأيّ آلاء ربّكما تكذّبان ؟

وله الجوارِ المنشآتُ في البحرِ كالأعلام . فبأيّ آلاء ربّكما تكذّبان ؟

كلُّ من عليها فانٍ ويبقى وجهُ ربّك ذو الجلال والإكرام .
فبأي آلاء ربكما تكذّبان ؟

يسأله مَن في السموات والارض كل يومٍ هو في شان . فبأيّ آلاء ربكما تكذّبان ؟
سنفرُغُ لكم ، أيُّهَ الثقلان . فبأي آلاء ربّكما تكذّبان ؟
يا معشرَ الجنّ والانسِ ، ان استطعتم ان تنفذوا من أقطار
السموات والارض ، فانفذوا . لا تنفذون الّا بسلطان . فبأيّ آلاء ربّكما تكذّبان ؟
يُرسل عليكما شُواظٌ من نارٍ ونحاسٌ ؛ فلا تنتصران . فبأيّ آلاء ربّكما تكذّبان ؟
فاذا انشقّت السماء فكانت وردةً كالدهان ؛ فبأيّ آلاء ربّكما تكذّبان ؟
فيومئذٍ لا يُسألُ عن ذنبه إنسٌ ولا جانّ ؛ فبأيّ آلاء ربّكما تكذّبان ؟
يُعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصي والاقدام ؛ فبأي آلاء ربّكما تكذّبان ؟

هذه جهنّم التي يكذّبها المجرمون ، يطوفون بينها وبين
حميم آن . فبأيّ آلاء ربّكما تكذّبان ؟

وان خاف مقامَ ربّه جنّتان ، فبأيّ آلاء ربّكما تكذّبان ؟
ذواتا أفنان . فبأي آلاء ربّكما تكذّبان ؟
فيهما عينان تجريان فبأي آلاء ربّكما تكذّبان ؟
فيهما من كل فاكهةٍ زوجان ؛ فبأي آلاء ربّكما تكذّبان ؟
متّكئينَ على فُرُشٍ بطائنها من إستبرق وجَنَى الجنّتين
دان . فبأي آلاء ربّكما تكذّبان ؟
فيهنّ قاصراتُ الطرفِ لم يطمثهنّ إنسٌ قبلهم ولا جانٌّ . فبأي آلاء ربّكما تكذّبان ؟
كأنهنّ الياقوتُ والمَرجان . فبأي آلاء ربّكما تكذّبان ؟

هل جزاءُ الإحسان إلّا الاحسان ؟ فبأي آلاء ربّكما تكذّبان ؟

ومن دونهما جنّتان ، فبأي آلاء ربّكما تكذّبان ؟
مُدهامّتان ؛ فبأي آلاء ربّكما تكذّبان ؟
فيهما عينان نضّاختان : فبأي آلاء ربّكما تكذّبان ؟
فيهما فاكهةٌ ، ونخلٌ ، ورُمّان ؛ فبأي آلاء ربّكما تكذّبان ؟
فيهنّ خيراتٌ حِسان ، فبأي آلاء ربّكما تكذّبان ؟
حورٌ مقصوراتٌ في الخيامْ فبأي آلاء ربّكما تكذّبان ؟
لم يطمثهنّ إنسٌ قبلهم ولا جانّ ؛ فبأي آلاء ربّكما تكذّبان ؟
مُتّكئين على رَفرَفٍ خُضرٍ وعبقريّ حِسان . فبأي آلاء ربّكما تكذّبان ؟

تبارك اسم ربك ذي الجلال والإكرام !

وهنا ايضاً يجدر بنا ان ننتبه للاتكال ، في السجعات ، على المقاطع النغمية ، دون التقيّد بالتقفية التامّة ، فلا نستغرب ورود « الاعلام » ، و« الإكرام » و« الأقدام » في سجعات « تكذّبان » وما شاكلها .

❁

ولعلّ التسجيع اصلحُ الاساليب الانشادية في الإخراج ، وافعلها عملًا على اقرار المقطع في ذهن السامعين ، لما يوفّره من محطّات انشاديّة يستند اليها الخطيب« المنشد » في حفظه وإلقائه ، كما يستند اليها السامع في حفظه وتذكّره . ولهذا رأينا السجع في أسّ الأدب الشفهي عامّة ، وادبنا العربي الجاهلي خاصّة ،

سواء أُنسب الى الكهّان ، ام رُفع الى كبار الخطباء كقسّ بن ساعدة مثلاً ، ام جرى غفلاً على ألسنة العامّة في وضع امثالها ، ام ورد في القرآن على لسان النبي .

ومن صفات سجع الكهّان قِصر الجمل ، وتعدّد السجعة ، والإكثار من القَسَم ، مع شيء من الغموض والإبهام خليق بمن ادّعى الاتصال بالقوّات اللاشعرية ، فاستنزل معرفة الغيب ، واستغلّ سذاجة قومه ومعاصريه .

قالت الكاهنة زَبْراء تحذّر بني رئام القضاعيين من هجوم اعدائهم بني ناعب وبني داهن :

والنّوحِ المثافق ، والليلِ الغاسق .
والصباح الشارق ، والنجمِ الطارق ،
والمزنِ الرادق ،
انّ شجر الوادي لبأدو خَتْلا ، ويحرق انيابًا عُصلا !
وان صخر الطور ليُنذر ثُكلا لا تجدون عنه مَعْلا . (١)

وكذلك حكم الكاهن الخزاعي في المنافرة بين هاشم بن عبد مناف وامية ابن عبد شمس :

والقمرِ الباهر ، والكوكبِ الزاهر ،
والغمام الماطر ، وما بالجوّ من طائر ،
وما اهتدى بعلم مسافر ، من منجد وغائر ،
لقد سبق هاشم اميّة الى المفاخر ، أوّلُ منه وآخر !
وابو همهمةٍ بذلك خابر . (٢)

ولا غرابة في ان يكون هذا « الحكم » موضوعاً على عهد العبّاسيّين في سبيل التقرّب من ولاة الأمر ، والدعوة لهم ، بتفضيل جدّهم على جدّ اعدائهم الأمويين . بيد ان ما يهمّنا من القطعة اسلوبها السجعي ، وطريقة تأليفها ، ولا بدّ ان يكون الواضع جرى فيها ، لتسير وتروج ، على الاسلوب الاصلي في

---

١) القالي : الامالي ١ : ١٣٦
٢) ابن الاثير : الكامل ٢ : ٦ ؛ السيرة الحلبية ١ : ٤

سجع الكهّان ، شأنه في ذلك شأن مزيّف النقود ، فانه اذا لم يُتقن التقليد ، ويُحكم المحاكاة ، بار زَيفُه وفُضح امره .

وهـذه الأيمان المسجّعة بظاهر الطبيعة الموردة لإقرار الأمر المقصود نراها تكثر وتتعدّد في بعض السور القرآنية ، ولا سيما المكيّة منها ، والقرآن اثبت نصّ وصل الينا من العهد الجاهلي ، واوضحه على الاسلوب الانشادي الشفهي .

جاء في سورة الفجر :

والفجرِ ، وليالٍ عشرٍ ،
والشفعِ والوترِ ، والليلِ ، اذا يسرِ ،
هل في ذلك قَسَمٌ لذي حجرٍ ؟ (١)

وفي سورة الليل

والليلِ اذا يَغشى ، والنهار اذا تجلّى ،
وما خلقَ الذكر والأنثى ، ان سعيكم لشتّى ! (٢)

وهناك القسم بـ « الضحى » ، و« العصر » ، و« السماء ذات البروج » ، و« التين والزيتون ، وطورسينينَ » و« الشمس وضحاها »

والشمسِ وضُحاها ، والقمرِ اذا تلاها ،
والنهارِ اذا جلّاها ، والليلِ اذا يغشاها ،
والسماء وما بناها ، والأرض وما طحاها ،
ونفسٍ وما سوّاها ، فألهمها فجورَها وتقواها ؛
قد أفلح مَن زكّاها ، وقد خاب من دسّاها !
كذّبت ثمود بطَغْواها ، اذ انبعث اشقاها ؛

فقال لهم رسول الله : ناقة الله وسقياها .
فكذّبوه . فعقروها . فدمدم عليهم ربّهم بذنبهم فسوّاها .
ولا يخاف عقباها .

وعلى هـذا النحو من الانشاء النبوي سائر السور المكيّة ، تتدافع فيها العواطف القوية ، والتخيّلات الرائعة ، فتبدو باخراج ايقاعي ، ونغم موزون ،

١) القرآن ٨٩ [الفجر] ١-٤
٢) القرآن ٩٢ [الليل] ١-٤

حافلة باتمّ الصفات في التعبير الانشادي ، من حسّ وخيال وموسيقى . وهي الشروط الاساسية في الشعر .

أوَ نستغرب ، بعد هذا ، ان نرى موافقة تامة بين اشطرنا العروضية الحالية وكثير من الآيات القرآنية ؟ واكثر منها تلك التعابير والمقاطع الموسيقية الموزونة على نغم ايقاعي لو ضُبط في درس شامل دقيق — كما دُرست القصائد الجاهلية — لأمكن ان يجرّد منه اجر لم يفكّر بها الخليل وأصحابه .

واذًا فليس القرآن بالشعر ولا بالنثر ، انما هو قرآن[1] . يعني انه اسلوب شفهي لا يُحدّد بالقواعد الكتابيّة التي ميّزت مظهرَين في التعبير الفني ، فجمّدتهما ، كلًّا على حدة بنواميس ، مادّية يسهل اقرارها وتطبيقها في زمن الكتابة . ولكنها لا تُعرف في زمن تلك الفوضى الرائعة ، زمن الادب الشفهي . انما هو « قرآن » اي « إنشاد » ، « يُقرأ » اي يُتلى و« يُرتّل » موزوناً مُنغّماً على جماعة لا يدوّنونه الّا في ذاكراتهم القويّة . شأنه في ذلك شأن سائر ما وصلنا من آثار العصر الجاهلي الادبيّة . تأليف شفهي يُلقى على جماعة شفهيّين . فكيف يجوز لنا ان نحكّم فيه مقاييسنا الكتابية ؟

كيف يجوز لنا ان نطبّق موازيننا الادبية الحاضرة — وقد وُضعت في زمن الادب الكتابي ، فعرضنا عليها آثارنا وصنّفناها في قسمين متباينين ستينا احدهما « شعرًا » والثاني « نثرًا » — على آثار ولدت قبل نشأة هذا التمييز ، في بيئة لم تعرف فرقاً بين الشعر والنثر ، ولا عهدت حدودًا بينهما كالحدود المادّية التي نعرفها اليوم ونقرّها .

أوَ لا نُدفع الى الشطط في فهم نشأة الفنون الادبية ، اذا طبّقنا هذه النظريّات الكتابية المتأخرة على ذاك العصر العريق في الشفهيّة .

---

١) نشير الى قول للدكتور طه حسين ذكر فيه ان القرآن « لا هو شعر ولا هو نثر وانما هو قرآن » . فتهكّم به تلميذه الدكتور زكي مبارك ، زاعمًا « ان القرآن نثر ، وانه دليل على ان العرب كان عندهم نثر فني قبل الاسلام . » (راجع « المشرق » ٣٠ [١٩٣٢] ٢٢٥) قلنا : ان يكن الدكتور طه حسين قصد بجملته تلك ما شرحناه من اساليب « الإنشاد » السابق لمظهرَي الشعر والنثر المحدَّدين تحديدًا كتابيًّا ، فقد اصاب ، وطاش تهكّم تلميذه .

ولنا مثلاً حسناً جديداً يُضاف الى ما تقدّم من امثلة عديدة ، يؤيّد حتماً تلك الفوضى الشفهية الرائعة في العصر الجاهلي . لنأخذ واحدة من تلك الخطب الجاهليـة القديمة . — وكلّ فنّان جاهليّ خطيبٌ في اعماق نفسه سواء أكان « شاعراً » مقفّداً ، ام كاهناً مسجّعاً ، ام واعظاً زاجراً — ولتكن خطبة قسّ بن ساعده مثلاً . ولا يهمّنا ان تكون صحيحة النسبة ام منحولة مزيّفة[1] . لأنها ، ان كانت منحولة ، فلا شكّ ان ناحلها جرى فيها على امثلة متقدّمة مثلت في عرفه الخطب القديمة . واذاً فهي صورة لأصل مفقود . ونحن انما يهمّنا الآن ، وفي هذا الموضوع ، درس الاسلوب الانشادي ، سواء أظهر في الأثر الاصيل ام في الصورة المحافظة على خصائصه .

ندرس هذه الخطبة — ومثلها كثير — فنتحقق انها تبدأ بالسجع المتوازن . ثم تتّسع الفواصل وتتقارب شيئاً فشيئاً في ترتيب وقع النغمات ، حتى تصبح الجمل مقاطع متعادلة الطول ، متوافقة في موقع النبرات ، فتتحوّل الى اشطر عروضية تامّة ، وتتحوّل مواقع السجع الى قوافٍ سويّة . واذا « بالانشاد » ينتهي بالشعر الموزون ، كما نفهمه في عصرنا ، على ذمّة الخليل وتلاميذه :

ايها الناس ،

اسمعوا ، وعوا ،
انظروا ، واذكروا ؛
من عاش مات ؛ من مات فات ؛
وكلّ ما هو آتٍ آت !

ليلٌ داج ، وغار ساج ،
وسماء ذات أبراج .

ألا ان ابلغ الطلبات السيرُ في الفلوات ،
والنظر الى محل الأموات !

---

(١) وهو بحث سنصل اليه في ختام هذا الدرس ، فنرى فائدة « الإنشاد » في التمسّك بشكل نسبة الشعر الجاهلي .

إن في السماء لخبرا ! وان في الأرض لعبرا !
مالي ارى الناس يذهبون ، فلا يرجعون ؟
ارضوا هناك بالمقام فاقاموا ، ام تركوا فناموا ؟

. . .

يا معشر اياد ،
اين الآباء والأجداد ؟ واين المريض والعُوّاد ؟
واين الفراعنة الشداد ؟

اين من بنى وشيّد ؟ وزخرف وتجسّد ؟
وغرّه المالُ والولَد ؟

اين من طغى وبغى ؟ وجمع فأوعى ؟
وقال : انا ربكم الأعلى ؟

ألم يكونوا اكثر منكم اموالا ؟ واطول منكم آجالا ؟
في الذاهبين الأولين من القرون لنا بصائر !

لما رأيت مواردًا للموت ليس لها مصادر ، ورأيت قومي نحوها غضي الاصاغرُ والأكابرْ ،
لا يرجع الماضي اليّ ولا من الباقين غابر ، ايقنت اني لا محالة حيث صار القوم صائر !(١)

أو يجوز ، بعد هذا ، ان نقول : لقد بدأ قسّ خطبته نثرًا وختمها شعرًا ؛ ونبقى بمعزلٍ عن الجهل بنشأة الفنون الادبية ؟

الا نرى إن الخطبة قطعة واحدة لا تقلّ شاعريتها ، — خيالًا وصورةً وموسيقى ، — في القسم الاول عنها في القسم الثاني ، هذا اذا لم تفقها . ألا نرى ان موافقة مقاطعها الأخيرة لتفاعيل مجزوء الكامل ، لا يزيد شيئًا في ترشيحها للشعر .

لا هي شعر ولا هي نثر ، بالمعنى الاصطلاحي الكتابي . انما هي « إنشاد » . هي مظهر من مظاهر تلك الصلة ، بل تلك الوساطة ، بين الشعر والنثر

---

١) القلقشندي : صبح الاعشى ١ : ٢١٣ ؛ الاغاني ١٦ : ٤٠ ؛ ابن عبد ربه : العقد ٣ : ١٥٦ ؛ الجاحظ : البيان والتبيين ١ : ١٦٨ — وفي بعض الروايات اختلاف في ترتيب الخطبة سببه اهمال بعض الفقر ، او زيادة غيرها . — واطلب « المشرق » ٣٠ [١٩٣٢] ٢٨٥-٢٨٦

الاصطلاحيّين . هي من ذاك الفن الادبي الاصيل في بيئة لم تعرف هذه الفروق المادّية الواضحة التحديد في عصرنا .

لم يكن هوميروس شاعرًا ولا ناثرًا في إلياذته . ولم يكن سليمان الحكيم ، وداود النبي ، وسائر انبياء اسرائيل ، شعراء ولا ناثرين في اناشيده ومزاميره ، ونبوءاتهم ومراثيهم . ولم يكن المسيح شاعرًا ولا ناثرًا في خطبه وامثاله . ولم يكن « شعراء » الجاهلية او مقصدوها ، وخطباؤها وكهّانها شعراء ولا ناثرين في قصائدهم وخطبهم واسجاعهم . ولم يكن النبي شاعرًا ولا ناثرًا في القرآن . لم يكن جميعهم شعراء ولا ناثرين ، لأنهم لم يكونوا ليهتموا بشكل الشعر والنثر والفرق بينهما . انما كان لهم نوع واحد من الانشاء الفنّي الادبي السامي ، نوع يؤثّر في السامعين فيحملهم على الانتباه ، فالاصغاء ، فالفهم ، فالحفظ الى ما شاء الله ، ألا وهو « الإنشاد » . كان فنهم إنشادًا ، وهم كانوا « منشدين » !

❁

اما كيف سمّى العرب الجاهليون هذا « الإنشاد » ، وماذا فهموا بلفظة « شعر » ، فهو ما سنحاول درسه في القسم الثاني من هذا البحث ، وهو « الاسّ التاريخي » .

مطبوعات جديدة

في الشؤون الشرقية

JACQUES KODÉ, Géographie Liban-Syrie, 5 édition. 1 vol. in 8°, 204 pp., 9 Cartes hors-texte et nombreuses Figures. Beyrouth, Imprimerie Catholique, 1941.

جغرافية لبنان وسورية

اشار الاستاذ فؤاد افرام البستاني ، في محاضرته الموفقة اثناء الاسبوع الاجتماعي المنعقد في بيروت (ايار ١٩٤١) ، الى فوضى الكتب المدرسية في لبنان. فان التلميذ يتيه في سني دراسته بين كتب تاريخ وجغرافية فرنسة وسائر البلدان الاجنبية ، ولا يقع على جغرافية « محلية » بالفرنسية الّا ليقال له ان بيروت « مرفأ سوري » ، او ان لبنان جزء من قطر مجاور ، كما اعلمنا منذ سنة واحدة تأليف حديث تؤيده علناً بعض الهيئات الرسمية. وقد انتبه جاك اده لهذا الخلل فاراد ان يزيله في الطبعة الخامسة لكتابه « جغرافية لبنان وسورية » الذي حدثنا عنه قراء « المشرق » منذ سنوات . أمّا اليوم فان المؤلف اعاد النظر في مجمل الكتاب وتقاسيمه وابرزه في حلة جديدة حافلة بمعالم الفن والعلم والوطنية .

تقسم الطبعة الجديدة الى اربعة اجزاء كبرى : لبنان ، سورية ، المصالح المشتركة بين لبنان وسورية ، الشرق الادنى. وفي كل من الجزئين الاولين درس مفصّل عن البلاد التي يختصّ بها الجزء: الطبيعة والسياسة والاقتصاد ؛ امّا الجزء الثالث الخاص بالمصالح المشتركة فيدور على التجارة وخطط المواصلات. وفي الجزء الاخير نبذة مختصرة عن سائر البلدان الشرق الادنى : سنجق الاسكندرون ، فلسطين ، جزيرة العرب . ان هذا التقسيم يميز اولاً الطبعة الجديدة عمّا تقدمها ويعطي فكرةً عن حسن ترتيبها .

امّا المعلومات والاوصاف الواردة فيها ، فان غايتها واحدة : تعريف لبنان وما احاط به من البلدان الى الصغار والكبار. وقد توفق المؤلف في بلوغ غايته لأنه عرف ان يأتي بهذه المعلومات وهذه الاوصاف عن اصدق المصادر ، فلجأ في الفصول الخاصة ، الى المؤلفين او الاختصاصيين الثقات ، فنال معاضدة الاستاذ جوزف نجار — مدير مصلحة المياه سابقاً ، والاستاذ في معهد الهندسة ، ووزير المالية حالاً — في بحثه عن مياه لبنان وطرق الاستفادة من قواتها ، واستحصل على ادق الجداول والتفاصيل عن مناخ لبنان وسورية والامطار في البلدين من مرصد كساره ، واعطى ارقاماً في المساحة مأخوذة عن دروس الدائرة الخاصة بهذه المصلحة . وصف جاك اده لبنان وسورية على ضوء هذه المصادر في لغة فرنسية سهلة ورصينة ، وقرّب الوصف الى ذهن القراء بالصوَر الشمسية العديدة والخرائط الملوّنة .

وهي في اكثرها حديثة لم تنشر قبل اليوم .

واذا ذكرنا ان الصورة والخارطة تعلمان التلميذ خير علم خصوصاً في الجغرافية ، ادركنا قيمة الجغرافية الجديدة وتوفيق مؤلفها بها .

ولا يسع القارئ ، عندما يطلع على الكتاب المذكور ، الّا ان يقرّ ان لا شبيه له بين التآليف الموضوعة حتى الآن في جغرافية الشرق ولا سيما جغرافية لبنان .

فخليقٌ بالحكومة اللبنانية الموقرة ، ان توصي المدارس باتخاذ هذا المؤلَّف لتعليم تلاميذها فقد اقترن فيه العلم الصحيح بحب لبنان.

نجيب الدحداح

الوعي القومي

بقلم قسطنطين زريق

منشورات دار المكشوف ، بيروت ، ١٩٣٩ — ٢٤٠ صفحة متوسطة

يلاحظ الاستاذ قسطنطين زريق الفوضى الفكرية السائدة عند زعماء العاملين في حقل الوحدة العربية ، وعدم اكتراث الجماهير العربية لعقيدة تسير عليها نحو هدفها القومي ، والازمة الروحية المستحكمة بهذه الجماهير والمفرقة بين الاقطار والاحزاب العربية . ويقرر من جهة ثانية « ان ما من نهضة قومية تحررية قامت في العالم الّا وسبقتها او لازمتها نهضة فكرية مهدت لها الطريق » . فيأخذ على نفسه ، وهو العربي الصميم ، ان يلقّن الرأي العام العربي مبادئ عامة في القومية والجنس ، والتربية ، ودور المرأة الاجتماعي ، وحاجة العرب الى الادب التوجيهي ، الى غير ذلك من المواضيع المطروقة في فصول متنوّعة توحّد بينها غاية المؤلف وهي ان ترتفع العاطفة القومية العربية الى حيز العقل فتصبح « شعورًا يدعمه الفكر ، او بالاحرى فكرًا يذكيه الشعور ، وتسري في جوانب النفس كلها ، فتملأها « وعياً قومياً » (ص ٢٢) . وفي كل من هذه الفصول افكار ناضجة وآراء مصيبة في المسائل الاجتماعية يستفيد القراء من الاطلاع عليها .

وقد خصّ المؤلف احد ابحاثه بالقومية والجنس — « على هامش الدعوة الى الفنيقية في لبنان » — فانتقد بكل صواب قول المغالين الذين ينسبون ابناء لبنان الى فئة دون الأخر من الجماعات التي سكنت بلادنا ، وقال : « ان كلا الفنيقيين والعرب لم يحافظوا بعد ان نزلوا هذه البلاد على النقاوة الجنسية النسبية التي كانت لهم . . . بل امتزجوا بالسكان السابقين امتزاجاً عظيماً اختلط به دمهم وجنسهم ، ولم يعد ممكناً ان نتحدث عنهم كوحدات جنسية ، بل كوحدات سياسية ، او اجتماعية ، او ثقافية فحسب » (ص ٩٢) ، وفي الصفحة التالية « لننظر الى اللغة ، والثقافة ، والعادات ، والذكريات التاريخية ، والمصلحة الحاضرة والمستقبلة » . ثم يوصي مواطنيه بان يهتموا بمستقبلهم ومصلحتهم فيه ، اكثر مما يهتمون بماضيهم وبلون دمهم .

فوافق المؤلف كل الموافقة على هذه النظريات. غير ان الامر ينتهي به الى نتيجة متطرفة لم نكن ننتظرها لما عهدنا في المقدمات من الاعتدال ، فيقول : « ليس يخامرني شك في انه . . . لو بذل اصحاب العقائد القومية للتفكير القومي ما يتطلبه من تجرد واخلاص . . . لوجد اصحاب الفكرة الفنيقية انه ليس هناك ما يمنع — بل هناك ما يفرض — ان يذيبوا فكرتهم في الفكرة العربية الجامعة : هذه الفكرة التي تقوم لا على الجنس ، بل على الوحدة في اللغة ، والثقافة ، والجهاد الماضي ، والمصلحة الحاضرة ، والآمال المشرقة الى الامام » (ص ٩٥). نستغرب هذه النتيجة لما ذكرنا من اقوال المؤلف السابقة ولا سيما لما ورد في الصفحة ١٤١ : « كل من لا ماضي له لا حاضر له ولا مستقبل . والامة التي لا تعنى بروحها لا يمكنها ان تحيا » . ويعلم الاستاذ زريق ان للبنانيين قابلية مشهورة لتعلم اللغات المختلفة ولاقتباس الثقافة الغربية ، تلك الثقافة المسيطرة على الاطلاق في ربوعنا والتي كانت اصلاً للدعوة الفنيقية في لبنان . ويقرّ ان ماضينا لم يتفق دائماً وفكرة القومية العربية (فيدعو الى نسيان الماضي). فهل نخنق هذه القابلية ، وننكر تاريخنا ، ونسلخ انفسنا من كتلة المتوسط الابيض — واليها ننسب جغرافياً وروحياً — لنذيب شخصيتنا الخاصة في القومية العربية الموحّدة ؟

يطلب المؤلف منا ان ننظر الى مصلحتنا في المستقبل ، فنشاركه الرأي بفائدة الائتلاف بين البلدان العربية . ويطلب منا ان ننسى ماضينا وميزاتنا ، ولكن أوَ ليس هو القائل : « الامة التي لا تعنى بروحها لا يمكنها ان تحيا » ؟ ولا شك ان لكل من الاقطار العربية ، كما للبنان ماضياً وميزات ثقافية واجتماعية وطبيعية يختلف بها عن جيرانه . فلا يصحّ ان ننسب الاختلافات القائمة بين هذه الاقطار الى الازمة الروحية فقط . انما علينا ان نعترف بهذه الفوارق ، ونحترم ارادة كل قطر في المحافظة على تراثه الخاص ، وهو رأي الدكتور طه حسين في الوحدة العربية اذ قال عنها : « لا تنفع ولا تفيد الّا اذا احتفظت بالقوميات والشخصيات الوطنية والحريات الكاملة لاعضائها والسيادة العامة في حياتها الداخلية والخارجية ، وقامت على الحلف الذي لا يفني امة في امة ولا يخضع شعباً لشعب ، وانما يمكن

الامم من ان تتعاون على اساس ما يكون بين الانداد من المساواة » .

يذكر المؤلف هذا الرأي للتنديد به (ص ١١) . ولكن يجدر بنا ان نقف عند نظرية الدكتور طه حسين ، وهي قد تدلنا على الطريقة المثلى للتأليف بين الشعوب العربية اللغة : وهو ايجاد نوع من الحلف يعمل على التعاون الاقتصادي والسياسي والثقافي بين الاقطار العربية ، على ان يزداد هذا التعاون قوةً وشمولاً بالتدريج فلا نذيب فكرة في اخرى ، بل نجتهد في الترفيق بين الفكرة الوطنية الخاصة وفكرة الائتلاف . لا سيما وقد علمتنا حوادث اوروبة الاخيرة ان الوحدة التي تتجاهل ما يكون بين اعضائها من الفوارق تلبث مزعزعة الاركان فتنهار حالما تهب العاصفة الاولى .

نجيب الدحداح

مباحث عربية

تأليف بشر فارس

مطبعة المعارف بمصر ١٩٣٩

هذا الكتاب توطئة لرسالة اكبر حجماً واخطر قدراً لا تزال تحت المراجعة والتدقيق سيظهر بها المؤلف على الناس قريباً — ان لم يكن قد فعل .

ان امرَين يسترعيان الاهتمام في الكتاب: محتوياته والمنهج . اما المحتويات فهي بضع محاولات وجيزة : منها لغوية ترمي الى استخلاص معاني بعض الالفاظ من النصوص التي وردت فيها ، وبيان تسلسلها وتشعبها ، كالمروءة والشرف ومكارم الاخلاق . . . ؛ ومنها اجتماعية للتحقق في امرها من قيمة بعض الاراء فيها كالتفرد والتماسك عند العرب ، والبناء الاجتماعي عند العرب . اضف الى ذلك نبذة عن مُسلمي فنلندة . واكثر هذه المباحث كان قد نُشر في لغات اوروبية .

ثم يلجأ المؤلف الى الاجتهاد لاستحداث كلمات تؤدي معاني عصرية جديدة . فلقد يجد القارئ منها هنا بعض عشرات الكلمات المستحدثة اكثرها مُستساغ

مقبول . كالسرد والأخق والمساوقة والتفرد والتماسك الخ . . . tableau, appendice, accompagnement, individualisme, solidarité.

اما المنهج — وهو الاهم بلا ريب في نظر المؤلف اذ نراه يهدي هذه المباحث الى « انبعاث الروح العلمي الخالص في مصر والشرق العربي » — فهو المنهج العلمي المحض الذي يعتمد « على المشاهدة قبل الفرض ، والتحقيق دون التخيل ، والموضوعية دون الذاتية ، واقامة الدليل دون القناعة بالمقبولات والمسلّمات ، ثم الذهاب من المركّب الى البسيط ومن الخاص الى العام ، مع تسليط النقد النافذ . . . » وهذا امر جديد عن كتبة العربية نرحب به ، ونرى المؤلف جديراً ان يبرز فيه . ويكفل له النجاح فيه اطلاعه على مذاهب العلماء الاوروبيين واعتقاده بصحة المنهج الموضوعي .

غير انا لا نخفي انا نخشى عليه المغالاة والسقوط في التطرف المذموم الذي سقط فيه الغربيون فيذهب في ذلك ابعد منهم . فان في هذا المنهج قشراً ولباً ، والجمع القصد بين الاثنين امر على جانب من الدقة . فنأخذ على المؤلف بعض الاغراق في التفاصيل والاكثار من جمع الشواهد حيث لا يفيد التفصيل والاكثار شيئاً سوى اثارة الملل في نفس القارئ . ثم نربأ بالمؤلف عن الافراط في الاعتداد بالمحسوسات والملموسات فانه لا تزال للعقل اهمية كبرى في تأويل الشواهد الموضوعية مهما كثرت . فاذا ما اعار هذه النقطة الاخيرة الاهتمام الذي يليق بها ، خفّف من حدة المهاجمة عندما يتصدى لمن خالفه في الرأي واستبغ على المنهج العلمي الهدوء والبرودة المبتغاة . الا انا نثني على الاسلوب العربي الواضح الفصيح الذي تُقبل عليه النفس بانشراح رغم تجرده عن كل تزويق .

ي . ع .

على هامش التاريخ المصري القديم

تأليف عبد القادر حمزه باشا

المجلد الاول – ٢٤٠ ص. كبيرة – ٢٥ صورة و٣٢ لوحة منها ٦ ملونة . مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٤٠ – الثمن ٣٠ قرشاً مصرياً

يقصّ علينا المؤلف في مقدمة الكتاب كيف اتى على وضعه ، بعد ان كان لا يبالي الكثيرون من مواطنيه بتاريخ مصر القديم وآثارها. زار الاقصر وطيبة فانكشف له الستار عن مجد الفراعنة اسلافه ، فانكبّ على درسه خجولاً لجهله تاريخ بلاده ، بينما يرى الأجانب يتسابقون الى مصر ويقفون حياتهم على كشف اسرار هذا التاريخ ثم اعتذر المؤلف عن سرده للقراء قصته هذه بقوله :

وقد قصصت قصتي هذه في انسياقي الى التاريخ المصري القديم لاني اعرف أن شيئاً منها يوشك ان يكون صورة لما ينشأ عليه – مع الأسف – جميع المصريين. فهم يجهلون هذا التاريخ لانهم لم يقرأوا منه وقت تحصيلهم العلم غير اشياء ضئيلة مبهمة ، وهم بعد وقت التحصيل لا يجدون في هذا التاريخ مؤلفات عربية تجذبهم اليه ، وقد النقص الذي اعترى تربيتهم الاولى فيه . وهكذا ينشأ المتعلمون منا وكل الذين يعرفونه عن تاريخ مصر القديم لا يزيد في مجموعه على ما يعرفونه عن اليابان في آسيا أو عن كندا في اميركة . وقد يعرفون عن انكلترة أو عن فرنسة في ماضيها وحاضرها اكثر مما يعرفونه عن مصر . وبهذا تنقطع الصلة بين مصر القديمة ومصر الحديثة ، ويمتنع علينا ان نأخذ عن أمسنا ليومنا وغدنا ، والانسان الذي يعيش منقطع الصلة بامسه كالنبات الغريب ينمو ثم يموت وكأنه لم يوجد .

والآراء متفقة على ان التاريخ أعظم مهذب للأفراد والشعوب . فاذا كان هذا التاريخ تاريخ مجد لم يسبقه مجد امة اخرى ، فهو لابناء هذا المجد أعظم محيٍ الشعور بالعزة القومية ، وأقوى ملقن للفضائل الوطنية والاجتماعية . ولعل هذا هو بعثه الذي دفع بالانكليز ، حينما كانوا مسيطرين على التعليم ، الى ان يخرجوا منه تاريخ مصر القديم ، أو بعبارة ادق إلى ان يجيلوه فيه شبحاً بغير روح . ولكن هذه السيطرة وقعت منذ سنين ، وصار لنا أن نضع كما نشاء مناهج التعليم ، فحقاً انه لتقصير منا أننا لم نعن بعد عناية جدية بسد هذا النقص المعيب .

ثم اردف :

إن الناشئ في انكلترة أو في فرنسة أو في المانية أو في غيرها من البلاد الراقية ينشئ وتاريخ بلاده يسايره في كل سنة من سني تعليمه . فلا يكاد يغادر مقاعد الدرس حتى تكون

نفسه قد انطبعت بطابع ما في هذا التاريخ من عظمة وجمال . ومن هذا الانطباع يتولد حب خاص للوطن ، وتتولد رغبة في محاكاة أبطاله ، وينمو تبعاً لذلك الشعور بالقومية وتتربى أو تقوى فضائل الاقدام وسموّ النفس ومجالدة المخاطر والميل إلى طيب الاحدوثة . ومن عجيب أمر التاريخ انه يولد هذه الفضائل كلها سواء كان تاريخ مجد وسطة في الغنى والسلطان ، ام كان تاريخ متاعب ومكاره وآلام . وقد عرفت الامم الراقية ذلك فجعلت من تاريخها القومي أول عامل في تربية الفضائل النفسية وإبراز صفات الرجولة . أما نحن فقد جهلنا هذا فصار الناشئ منا ينشأ وهو لا يرتسم في ذهنه عن مصر القديمة غير خيال مبهم ، واذا اتفق له ان عرف شيئاً عنها فليس هذا الشيء سوى صورة مشوهة تختلط فيها الخرافات بالأخطاء ، وبذلك يفقد التاريخ المصري روحه ، ويتعذر عليه أن يتحدث الى النفوس حديثاً يقوّمها ويربي الفضائل فيها .

هذا رأي المؤلف ، وما اشبه ما يشكو منه بما نعانيه في لبنان . واما كتابه فهو عبارة عن مقالات نشرت تباعاً في جريدة البلاغ المصرية فاستحسنها القراء وجمعها المؤلف بعد تمحيصها وتكميلها تناول فيها مواضيع متنوّعة بلا رابطة جوهرية تربطها وهذه هي :

المدنية المصرية ، هل نبتت في مصر او طرأت عليها من الكلدان ؟ — التقويم المصري — معركة بين الكنيسة والآثار المصرية — عقيدة الحساب بعد الموت — المدنية اليونانية واثر المدنية المصرية فيها — اقتباسات هوميرس من الاساطير والآداب المصرية — قصة الغريق — رسائل سياسية وغير سياسية في عهد الاسرة الثامنة عشر ، بين ملوك مصر وحكام فلسطين وسورية — ملحق التقويم المصري

وقد برهن المؤلف في مقالاته هذه عن دقة في البحث وسعة في الاطلاع العلمي يستحقان المدح ومن امثال الاعتقادات الباطلة والخرافات التي فندها رواية عروس النيل التي نقلها المؤرخون العرب مسندين الى الخليفة عمر بن الخطاب ابطال تلك العادة الهمجية عند الفتح الاسلامي ، فقد ابان المؤلف بالادلة التاريخية الساطعة ان لا أثر لمثل هذه الخرافة عند المصريين لا بعد ولا قبل الفتح (ص ٢٣—٣٢) .

بقي هناك موضوع خالفنا المؤلف في طريقة عرضه ، وان وافقناه في جوهر

الحوادث المروية ، وهو ما قاله في المعركة بين الكنيسة وعلم الآثار المصرية (ص ٦٩—٨٩)

فانه كان شائعاً في الكنيسة سابقاً ان تاريخ الانسان لا يرتقي الى ابعد من ٦٠٠٠ سنة ، ولكن هذا الاعتقاد لم يكن من عقائد الكنيسة ، بل من باب التفاسير الخاصة لنصوص الكتاب المقدس ، كما كان الاعتقاد مثلاً في القرون الوسطى قبل غليلاي ان الشمس تدور حول الارض ، وذلك اعتماداً على حادث يشرع في الكتاب المقدس . وكانت الكنيسة ولم تزل حريصة على علم التفسير وما يلحق به لمنع الآراء السخيفة من تشويش معتقد المؤمنين . فلما اتضح علمياً ان الآثار المصرية ترقى لا شك الى أبعد من ١٠,٠٠٠ سنة او اكثر كان ذلك دافعاً الى اعادة النظر في بعض تلك التفاسير . ومن المسلّم به ان ارقام التوراة لا تعني سنين واسابيع ، كما نحسبها نحن الآن ، ثم ان التوراة لا تقصد الى ضبط علم التاريخ او علم الفلك ، او غيره من العلوم التي لا دخل لها بالدين والآداب ، بل سرد الحوادث كما كانت تتمثل لعرف الناس في ذلك الزمن . وبالفعل نرى ان هؤلاء العلماء الذين اكتشفوا تلك الآثار المصرية ومنهم شامبوليون الكبير واستنتجوا منها قدم الانسان خلافاً للمعتقد السائر كانوا من أخلص ابناء الكنيسة ، ولم يعتبروا ان في ابحاثهم العلمية هذه أدنى تضادّ لعقيدتهم الدينية او اقل خطر عليها . واليك قول احدهم عمانويل ده روجه Emmanuel de Rouget كما ورد في الكتاب نفسه :

«إن مبادئنا لا تسمح لنا بان نتهم المسيحية بأنها تتزعزع اركانها من جراء تقدم علم أيّاً كان . ونحن على تمام اليقين من أن سلسلة التواريخ المصرية ، مهما يكن القدم الذي تنقلنا إليه ، ستأخذ مكانها في العلم الحديث ، بجانب العلم الذي يبحث في القوانين الخاصة بسير الكواكب ، وبجانب العلم الذي يبحث في كيفية تكوين طبقات الارض ، من غير أن يكون ذلك سبباً إلى الايمان المسيحي» .

ونزيد ان الكتاب مزيّن بالصور الكثيرة التي تسهّل للمطالع مأخذه وتكسبه رونقاً جذاباً لا سيما الصور الملوّنة منها وقد جاءت آية في الفن تشهد بدقة العمل بمطبعة دار الكتب المصرية .

ر . ش .

دراسات في تاريخ الترجمة في الاسلام

بقلم پ. كراوس

المقالة الاولى : كتاب الاخلاق لجالينوس . بحث مستخرج من مجلة كلية الآداب ، المجلد الخامس ، الجزء الاول ، القاهرة ، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية ، سنة ١٩٣٩ ، ٢٢ صفحة حجم كبير .

يُعَدّ پ. كراوس الاستاذ في الجامعة الملكية المصرية الآن من مشاهير العلماء المختصين بالعلاقات بين الثقافة العربية والثقافة اليونانية فله في ذلك مقالات ودراسات عديدة كلها قيّمة محشوّة بالمعلومات الواسعة النفيسة وهو الآن يوافينا بمقالة اولى في تاريخ الترجمة في الاسلام تدور حول كتاب الاخلاق لجالينوس الطبيب اليوناني وهو مأخوذ عن مجموعة محفوظة في مكتبة المرحوم احمد تيمور باشا وكانت سابقاً في حوزة الاديب المرحوم جرجس بك صفا في بيروت وقد وصفها الاب لويس شيخو وصفاً مطولاً في مقالة نشرت ضمن مجموعة عنوانها ابحاث مؤتمر المستشرقين في باريس سنة ١٨٩٧ واعاد صاحبها جرجس بك صفا وصفه ذلك في السنة الـ١٩١٣ في مجلة المشرق ص ١٧٣ اما مختصر كتاب الاخلاق فلم يتنبه الاب شيخو الى اهميته لظنه انه كتاب معروف اصله اليوناني فلا يستحق النشر والحقيقة غير ذلك فكتاب الاخلاق لجالينوس لم ينشر بعد لا في اصله اليوناني ولا في ترجمته السريانية او العربية . والنص الذي عني بنشره الآن الاستاذ كراوس ليس بنص الكتاب بكامله ولكنه مختصر له منسوب على رأي الناشر الى ابي عثمان سعيد بن يعقوب الدمشقي المتطبب المترجم معاصر الوزير علي بن عيسى وقد يكون مترجماً عن الترجمة السريانية لحنين بن اسحق الشهير .

والنصّ الذي عني بنشره الاستاذ كراوس مضبوط بغاية الدقة ومصحوب بملاحظات ومراجعات عديدة تدل على سعة اطلاع الناشر على المخطوطات العربية .

و . ش .

Discursos pronunciados por el alto comisario de Espana en Marruecos Coronel Beigbeder y por el eminente Filosofo Libanes Prof. AMIN ER-RIHANI, 1 fasc. in-8°, 40 p. Larache, 1940.

خطابان خطيران القاهما المفوض السامي الاسباني في المغرب السيد خوان بيكبدر والاستاذ اللبناني المرحوم امين الريحاني في الحفلة الادبية التي اقامها معهد الدروس المغربية في تطوان بتاريخ ٢٠ يونيو سنة ١٩٣٩ بمناسبة تسمية الاستاذ الريحاني مديراً شرفياً لمعهد الدروس المغربية ومنحه وسام المهدي من درجة سمو. واهمية الخطابين سياسية اكثر منها ادبية وقد حملت روح المجاملة المعهودة في مثل تلك المحافل الكولونل بيكبدر الى ان يقول : « الآفاق غير محدودة وانظارنا وطموحنا لا حدّ له ولسنا نرغب فقط في ان تنبعث قرطبة وفي ان تعود العربية لغة الثقافة العالمية كما كانت في العصور الوسطى بل اننا لنحلم بايجاد وئام وتضامن وعلاقات وثيقة بين الثقافتين اللاتينية والعربية » فاملُ كل ناطق بالضاد ان تعود لغته قابلة مثل غيرها لنقل الثقافة العالمية ويكفيها في ذلك فضلاً .

ر . ش .

EDOUARD HERRIOT, **Sanctuaires.** 1 vol. in. 8°, Paris, Hachette 1938.

المعابد

هذه المعابد هي معابد مصر وفلسطين وسوريا ، اي معابد الشرق الادنى حيث نشأت الاديان العظيمة الشان. واذ كان السيد هريو شغوفاً بكل ما يتعلق بالماضي اراد ان يعرج على كل هذه المعابد الشهيرة ويقف امامها خاشعاً ومحاولاً ان يستوحيها سرّ عظمتها . فنراه يقف وقفة طويلة امام مصر واسرارها فتبدو له ولها دين قائم اساسه الجهر باله واحد وخالق وذلك منذ ١٥٥٠ سنة قبل الميلاد: «سلام لك يا سيماً لدعاء المحزون ، انت العطوف على من يفزع اليك. انك الوحيد مبدع كل موجود ، الوحيد الاوحد خالق كل مخلوق. إنا نعبد ارادتك لانك انت صانعنا.» (نشيد امون را) . وهناك نصوص تشهد بسمو اخلاقية سامية ، كما ان اخرى تدل على الايمان بالديمومة الاخيرة وبعقائد سياسية واجتماعية جد ناضجة.

كل هذا يبعث في السائح الشهير اسمى الاعجاب ويحبب اليه مصر هذه

القديمة التي يكاد السائح المتسرع لا يرى منها الا عظمة هياكلها التي تتحدى الاجيال. كما انه يستبشر بظاهر النهضة المصرية الحديثة ، تلك النهضة التي ساهمت العبقرية الفرنسية فيها بنصيب وافر .

وراح يستطلع معابدَ العلم بعد معابد الآلهة التي كانت لها حملة نابوليون بمثابة حجر الاساس بفضل نخبة العلماء الذين رافقوه وهم اشبه شيء بـ« موسوعة جوّالة ». وهنا يتلذّذ الليوني بتعداد اسماء الليونيين منهم : الكولونيل سيف ، المعروف باسم سليمان باشا منظم جيش محمد علي والعلماء فيكتور لوري ، ولورتي ، وجايار وموري . ويذكر كذلك ويلر ذلك الرجل الفذ جد الطيران الذي قضى نحبه فقيراً معدماً في احد البيوت الحقيرة في القاهرة.

ثم يذهب بنا المؤلف الى مصدر التوحيد الى فلسطين ، هذه البقعة العجيبة التي لا تزال آثار الماضي بادية على صفحتها. ويحاول ان يعثر على ما تبقى من آثار العهد القديم ومن آثار المعلم الناصري ولقد باشر جولته بروح الاخلاص وبرحابة صدر. الا انه اتخذ له دليلاً ، لسوء الحظ ، جنيبير في مؤلفه « يسوع ». فاغراه واضله السواء . غير ان ذلك لا يمنعه عن ان يأخذ عليه شكه المرذول ، مثلاً ص ٢٠٧ عند كلامه على المؤرخ اليهودي يوسف.

بعد ذلك ينتقل الى لبنان ، الى بستان ادونيس ، الى بعلبك حيث علّم السوريون روما البناء وفقاً لرسم منظّم يكون قوامه محور تتقابل على جانبيه وتتعادل اجزاء البناء. فما عتّمت ان صارت هذه النظرية القاعدة الاساسية لكل بناية رومية. وبالنظر الى هذا التجديد يبدو فوروم روما ، على عظمته ، مضطرباً لا يسوده نظام ، كما ان اكوبول اتينة ذاته لم يوضع لنقوشه رسم شامل . اما ابولودور السوري ، مهندس الجسر الجبار على نهر الدانوب ، فانه لما دُعي الى رومة لاقامة عمود تراجان والكنيسة اوليبا ، قد جاء بهذه النظرية وطبّقها على ما بنى في السنة ٢٢٨ .

وزرنا بعد ذلك في دمشق امام النهضة الاسلامية ، وينتهي الكتاب بنغمة من التفاؤل بمستقبل شعوب الشرق الادنى.

ان السيد هريو احسن الملاحظة الشخصية وزاد فاحسن الاصغاء الى الادلاء.

الذين خفّوا لخدمته ومرافقته. فظفر بفن عجيب ما سمع منهم وما لاحظ بنفسه من علم آثار وتاريخ واديان واجتماع فجاء كتابه رشيقاً لذيذاً ومفيداً .

ر . ش .

ALBERT CHAMPDOR, Terres et Dieux de Syrie, 1 vol. in. 8°, 210 pp. 12 illustrations dans le texte, Paris et Neuchâtel. Victor Attinger, 1938.

اراضي سورية وآلهتها

يدوّن المؤلف في هذا الكتاب ما شاهد بام عينه وما اثارت فيه مشاهداته من العِبَر اثناء رحلة قام بها في سورية. ويستدل من العنوان ان ما استلفت اهتمام المؤلف هو الجانب الديني سواء الحاضر او الماضي ، في هذا الشرق ، مهد الاديان الكبرى في العالم. فخص صفحات عديدة بانطاكية ، وبدراويش بابل ، وبحفلات مكة الدينية وبعلبك عاصمة الآلهة وبعُبّاد الشيطان . وكذلك تكلم عن الاسلام السوري وعن دين الدروز .

ويصعب على من يطرق مواضيع الى هذا الحد مختلفة ان يكون المامه بها وافياً . لذا نراه عندما فاتته المشاهدة الشخصية ، راح يستعين بكتب ليست دائماً من طبقة يؤمن الاستناد اليها . فكثيراً ما يودّ القارئ لو ان المؤلف دل على المصادر التي استقى منها ويسّر له التحقق مما اورد. على انه يظهر ان المؤلف لم يتحرَّ الامانة والضبط في ذكر الحقائق بقدر ما تحرى الطرافة والجدّة . والا فكيف كان يصح ان يجمع اشياء مختلفة كالدراويش وانطاكية ومكة ودمشق وبعلبك تحت عنوان واحد يسميه « ما بين النهرين » وذلك في الفصل الاول ؟

ر . ش .

La Terre Sainte et les Franciscains. Jerusalem, Typ. des PP. Franciscains.

الاراضي المقدسة

كتاب صغير لا يزيد على ١٠٠ صفحة يستعرض اهم ما جرى من الحوادث عند نزول الآباء الفرنسيسكان الارض المقدسة. ومن المعروف ان الفضل يرجع في قدومهم الى فقير اسيز القديس فرنسيس اذ اوعز الى الاخ الياس في مجمع

١٢١٧ بانشاء دير للفرنسيسكان في الشرق. فاسس هذا دير عكا الصغير. وقد زاره القديس سنة ١٢١٩. ثم تلاه تأسيس دير في دمياط ثم بنيت اديرة اخرى تكاثرت منذئذٍ في جهات مختلفة. ولم يكن لارض السلام ان تخلو يوماً من الاضطرابات والقلاقل والمشادات المنوعة. غير ان هذه الحالة لم تحد من عزم الاخوة فتشبثوا بالارض المقدسة في ثبات وصبر وجهاد. وكان جزاؤهم انهم توصلوا الى الاحتفاظ بالتراث المسيحي رغماً عن كل ما اعترضهم من العقبات التي طالما اودت بحياة البعض منهم، فاستحقوا ان يُدعَوا — وهم حقاً كذلك — حُرّاس الاراضي المقدسة.

و. ش.

منشورات مختلفة

الفيزيقا الحديثة، حاضرها ومستقبلها

تأليف احمد فهمي ابو الخير

مطبعة المقتطف القاهرة ١٩٤٠، ١٧٦ صفحة، قطع متوسط

اهدت الينا دار المقتطف كتاباً في «الفيزيقا الحديثة، حاضرها ومستقبلها» من وضع الاستاذ احمد فهمي ابي الخير، يتناول الاستاذ فيه ذلك الفتح العظيم الذي تم لعلم الفيزياء في الخمسين سنة الاخيرة على ايدي النوابغ الافذاذ امثال كلفن وماكسويل وطمسن وغيرهم... فيشرح النظريات الحديثة في الذرات وتركيبها والقوى الكائنة فيها ويبحث في الموجات الاثيرية كاشعة إكس والضوء فوق النفسجي والموجات الكهربائية الطويلة، فالجاذبية والنسبية، فالميكانيك الحديثة الى ما غير ذلك.

ثم يتصدى الحاضر الى المستقبل فيتكلم عن تلاقي الابحاث الفيزيقية والبيولوجية والبسيكولوجية وتعاضدها على حل الالغاز الهامة التي حيّرت العقل البشري منذ نشأته اعني ماهية المادة والحياة والعقل. فيعدنا المؤلف بان العلماء سيعرفون قبل سنة ١٩٥٠ اهم العوامل التي تؤثر في دالة الحياة وانه ستكتشف وسائل غير ضارة لزيادة الوثوب الحيوي فتقل مثلاً مدة الحمل حتى تصل الى

نهايتها الصغرى الطبيعية ويكون تجديد الشباب مأموناً ونافعاً ولكن لا كوسيلة لمحاولة الخلود والتغلب على الموت ؛ وتمحى امراض كالسرطان والزهري ! . . مَدّ الله حياة مؤلفنا وقرائنا الاكارم حتى تعقد هذه الزهور فيجنوا من ثمارها الشهية .

هذا مجمل ما جاء في كتاب الاستاذ فهمي ابي الخير ، اما كيفية شرح المسائل العويصة التي يتضمنها فبعدم استخدام القوانين الرياضية وبعرض النظريات دون مناقشة على ابسط وجه ممكن جاعلاً بذلك كتابه قريب التناول لمعظم من لهم بعض الالمام بالعلوم ؛ وقد تلذ مطالعته بنوع خاص لحملة البكالوريا الذين يرغبون في الوقوف على عجائب الفيزياء الحديثة . وإنا لهم من المحبذين .

ع . ا .

الحرية

تأليف ستانلي موريسون م . ع . (اكسفورد)

صدر عن دار الشرق والغرب في القاهرة ١٩٤١ — ١٢٤ ص . قطع صغير

ان سببين رئيسيين حملا الناشرين على وضع هذا الكتاب وهما اولاً كما ورد في المقدمة ان الحرب القائمة الآن ليست حرباً بين الجيوش المتقاتلة فحسب ، ولكنها نزاع محتدم بين نظريات وآراء في الحرية والعدالة يصدم بعضها بعضاً وانظمة من الحكم متنافرة متعادية وفلسفات من الحياة متنابذة قسمت العالم الى معسكرين كبيرين وخلعت مؤثراتها على نظم الجماعات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والاخلاقية بل حتى الروحية .

والسبب الثاني هو الاعتقاد بان كثيراً من المبادئ والاوضاع والانظمة الحالية لا بد ان يطرأ عليها تغيير كبير . فالنزعة القومية مثلاً التي توّجتها الحرب الكبرى الماضية ستبدل بنزعة جديدة ارقى منها الا وهي النزعة العاطفية الانسانية التي توفق بين مصالح الامة الواحدة ومصالح الامم جميعاً وترى خير الامة من خير الانسانية .

وجاء الكتاب بشروح واضحة عن هذه الافكار مبيناً واجب التعاون

الدولي وعارضاً الاقتراحات لانشاء نظام عالمي جديد وتكوين عصبة للامم على اسس قوية وختم بحثه بفصل عن الحاجة الى تجديد روحي عام لولاه اذهبت كل المساعي ادراج الرياح ولا يتألم العالم اليوم الا من تغلب المادة على الروح .

ر . ش .

مقالات

في اوصاف الله تعالى وكمالاته – في لاهوت يسوع المسيح – في الوهية الروح القدس – في الثالوث الاقدس – في خلود النفس – في القيامة الاخيرة ، مطبعة الادب بيروت ١٩٦١ ، ٦٨ ص . متوسطة .

أصدرها صاحب الغبطة مار انطون بطرس عريضه بطريرك الطائفة المارونية الجزيل الطوبى

جاء هذا الكراس مختصراً مفيداً عن أهمّ المعتقدات المسيحية معروضة بطريقة سهلة واضحة واسلوب عربي فصيح يجد فيها المؤمن بل الكاهن نفسه منافع شتى لايمانه ولعبادته . وقد ختمت هذه الدراسات الصغيرة بخلاصة في القيامة الاخيرة والحياة الابدية وما أحوجنا في ايامنا هذه الى الحقائق التي تجد فيها النفس قوة وسلوانا .

ر . ش .

S. E. Mgr Thamer Toth, **Mariage et Famille.** Sermons et Conférences, Traduit du hongrois, par l'Abbé Marcel Granoclaupon, 1 vol. in-8°, 288 pp., Mulhouse, éd. Salvator, Paris, éd. Casterman, 1939.

الزواج والعائلة

للمؤلف السيد تهامر توت الاسقف المجري كتب نفيسة تبحث في الحياة العائلية لا سيما ما اختص منها بالشبيبة في جيلنا الحاضر والاخطار المحدقة بها من الناحية الاخلاقية وقد اشرنا في اعدادنا السابقة الى كثير منها واما الكتاب الموصوف هنا فهو عبارة عن عظات ومحاضرات شرح فيها السيد تهامر توت ما هي عقيدة الكنيسة الكاثوليكية في سر الزواج وما تفرضهُ من واجبات على العباد . وترجمة الكتاب فصيحة سهلة المأخذ تقرب هذه التعاليم العالية الى افهام الجميع .

ر . ش .

Les Missionnaires du Travail, Plaquette de 24 pages, Paris, Bonne Presse, 1940.

رسل العمل

تسمى الكنيسة في الاوساط العاملة التي تسربت اليها الروح الشيوعية ففصلتها عن الدين المسيحي وافشت فيها روح اللادينية الى ان تعيد فيها روح الايمان وقد نوّه احبارها مراراً في رسائلهم بالمبادئ المسيحية الملائمة للحياة الاجتماعية الجديدة وهذه فصيلة من الرسل عكفت على التبشير بالانجيل بين العمال وادخال روح المحبة والعدل في اوساطهم . ر . ش .

Mme MARTEAU DE LANGLE DE CARY, **Les Saints du Calendrier**, Janvier, 1 vol. illustré. Grand in-8°, 164 pp., Paris, Plon 1940. Prix : 18 fr.

سيرة القديسين لايام السنة : كانون الثاني

كتاب لذيذ للصغار والكبار يورد سير القديسين يوماً فيوماً باسلوب سهل وشروح وافية وقد تجلّى بصورة خاصة بكل واحد منهم فنتمنى من المؤلف مواصلة عمله فتتم الفائدة . ر . ش .

ABBÉ TH. MOREUX, **Où sommes-nous ?** Nouvelle édition entièrement remise à jour. 1 vol. in-8°, 224 pp., 106 gravures. Paris, Bonne Presse, Prix : 15 fr.

اين نحن ؟

أصبح المؤلف وهو مدير مرصد مدينة بورج في فرنسة من مشاهير الكتّاب الذين قرّبوا العلوم الفلكية لعامة الشعب فبعد كتاباته : من اين أتينا ؟ والى اين نذهب ؟ ومن نحن ؟ جاء بكتابه هذا الاخير : اين نحن ؟ وهو ليس بحديث ولكنه جدد طبعه وضبطه كل الضبط بمقتضى الاكتشافات الاخيرة — فجاء قريب المأخذ سهل الفهم يصف بدقة ما في الافلاك من بدع وغرائب يدهش لها العقل البشري — وفي الكتاب تصاوير عديدة تزيد به رغبة ولذة .

ر . ش .

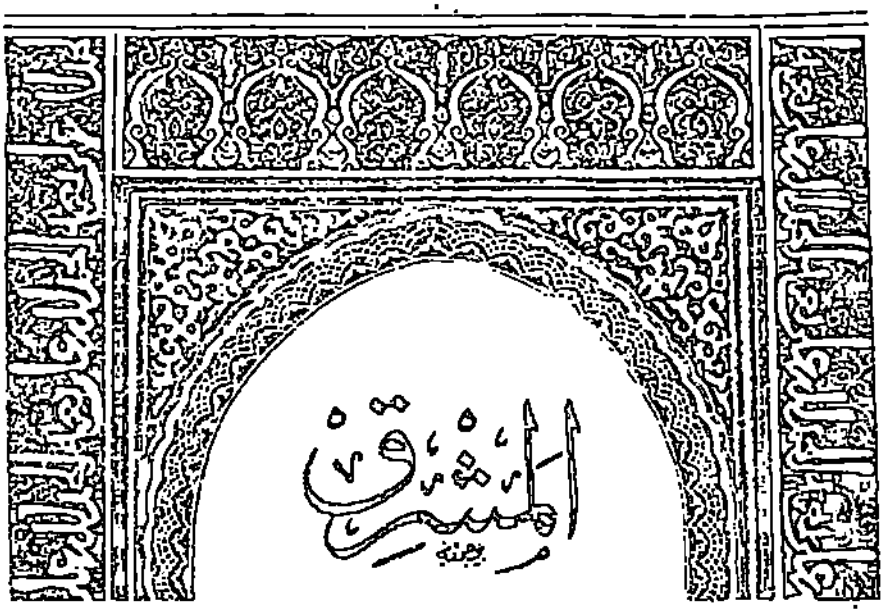

السنة التاسعة والثلاثون — تموز - ايلول ١٩٦١

الأرض والأعمال الزراعيّة

في لبنان وسورية

على العهد اليوناني - الروماني*

بقلم الاب رينه موترد اليسوعي
مدير معهد الآداب الشرقية

ان مستقبل البلاد في زراعتها .

كم تردّد على مسامعنا هذا القول ، كلّما تناولنا البحث في موارد لبنان وسورية ! ومما لا شكّ فيه ان ارض الساحل الفنيقي، وارض سورية اجمالًا — وقد خلت من المعادن الثمينة خلوّها من البترول — لا يمكنها إعاشة سكّانها الّا بالزراعة . والاراضي فيها صالحة للمزروعات ، وهي وافرة الخصب ، اذا ما اعتُني بتنظيم ريّها . ثم انها ، بفضل ما اختصّت به هذه

* ١) مادّة المحاضرة الاولى من محاضرات معهد الآداب الشرقية للسنة ١٩٦٠ – ١٩٦١ في فرع « التاريخ والآثار القديمة » .

البلاد من تدرّج المناخ بتدرّج المناطق صاعدةً من الساحل الى اعالي الجرود ، اصبحت وافرة الانتاج لمختلف الفواكه ، ومتنوّع الخضار.

هذه حالة الارض الطبيعية التي علينا ان نستثمرها . وقد يكون في درس التاريخ القديم ما يولينا العبَر في هذا الاستثمار . ولهذا رأينا ان نستفيد اليوم من التاريخ اليوناني - الروماني ، فندرس كيف عرض القوم لمشكل الارض والزراعة وكيف عملوا على حلّه .

ولنشر ، بادئ ذي بدء ، الى حلّ سطحي كثيرًا ما اخذ به بعض الكتّاب ، كلّما عرض لهم هذا البحث ، فأجابوا مسرعين بهذا الجواب الموجز : « كانت سورية أهراء رومة في العصور القديمة . »

وهو جواب لا نتردّد في الحكم عليه بانه يكتنفه الخطأ ، اذا ما أُلقي على إطلاقه .

فعلينا اذًا ان نستند الى الوثائق الراهنة في تعيين دور لبنان وسورية الزراعي في العصر اليوناني - الروماني وتعيين اهمّيتها الاقتصادية الصحيحة . وذلك : ١ً — بدرس منتجاتها الزراعية ، و٢ً — بوصف طريقة تقسيم الارض فيها.

قلت ان سورية لم تكوّن اهراء رومة فتؤمّن اعاشة عاصمة الامبراطورية ، كما يتوهّم البعض . ذلك اننا نعرف « اهراء رومة » على تتابع الحقب ، وهي الاراضي الايطالية اولًا ؛ ثم سهول صقلّية ؛ ثم افريقية بعد الحروب الفنيقية ؛ واخيرًا مصر .

ويرى ارباب الاختصاص في هذا الشأن ان افريقية ، في القرن الاول للمسيح ، كانت ترد الى رومة ثلث حاجتها من القمح . وكانت مصر تقوم بالثلث الثاني . اما الثلث الثالث فكانت تنتجه سهول ايطالية ، واسبانية ، وغالية[1] . ولا نرى ذكرًا لسورية في الصادرات السنوية المنظّمة في سبيل « الاعاشة المدنية » او اعاشة العاصمة ، الّا بعد عهد قسطنطين الكبير ، وبعد ان انتقل مركز الامبراطورية من رومة الى ضفاف البوسفور . عندئذٍ يصحّ الفرض ان ملّاحي الساحل الفنيقي كانوا ، ولا بدّ ، من جملة اولئك « الملّاحين

١) Haywood, *An Economical Survey of Ancient Rome*, IV, *Africa*, p. 42-43

الشرقيين » الذين عهد اليهم قسطنطين في نقل القمح والزيت والخمر الى القسطنطينية[1]. اما قبل هذا العهد فلم تصدّر بلادنا القمح الى رومة وما وراءها من الولايات الغربيّة في الامبراطوريّة ، إلّا مرّة بعد مرّة بطريقة غير منظّمة ؛ كما سنرى .

واذًا فلم يكن دور بلادنا الزراعي ضروريًا في اقتصاديّات الامبراطورية الرومانية . ولكن من الانصاف ان نقدره حقّ قدره .

ان لم تصدّر هذه البلاد الى رومة بطريقة منظّمة ما يفيض من منتجاتها الزراعية ، لا يعني هذا ان المنتجات لم تفض عن حاجتها ، او ان الارض كانت تستثمر في إعالة اهلها فقط . فانّ قسماً مهماً من محصول الحبوب كان يُحفظ لاعاشة الجيش الروماني المقيم في سورية . وكان هذا الجيش يتألّف من اربع كتائب ، وما يعادلها من الجيوش المساعدة ، فيبلغ ٥٠,٠٠٠ جندي في زمن السلم . اما زمن الحروب المتتابعة ضدّ الفارثيين ، ثم ضدّ الساسانيين ، فكانت تأتي النجدات من الاناضول ، وإلّيرية ، وميزة ، وجرمانية ، اي من جميع الحدود التي كانت تتمرّن فيها الجيوش فتكتسب دربةً وشجاعة . وكان على البلاد الشامية ان تقوم باعاشة كل هذه الجيوش . .

وفضلًا عن إعالة الجيوش، كانت الحبوب السورية تُصدَّر الى بعض الاسواق الخارجيّة ، لجودتها خاصّة لا لوفرتها . ومن المفيد ان نشير هنا الى اهم منتجات البلاد الطبيعية .

واوّلها القمح ، القمح الشامي الصلب المشهور . كانت مصر تستورد منه لتجدّد بذارها فتجوّد منتجاتها.[2]

ولم يكن نادرًا ان تستورد بعض الولايات الغربيـة من محصولات القمح

(1 *Cod. Theod.*, XIII, 5, 7 ; XIV, 22. Cf. Walting, *Et. hist. sur les corporations prof.* II, p. 40 ; Rostovtzeff, P. W. sv. *Frumentum*, col. 129, 49.

(2 Heichelheim, *An Econ. Survey*, IV, *Syria*, p. 128, n. 1 ; John son, *ibid.*, II, p. 1, n. 3 ; il s'agit de Pap. Lond. II, n° 256 = Wilcken u. Mitteis, *Chrestomathie*, n° 344.

الشامي في ازمان المجاعة ، او في سني قلة الانتاج في بلادها . وقد يكون من دلائل هذه العلاقات التجارية ، تلك الصفيحة الفضية المكتشفة في ديرالقمر، والمشتملة على رسالة منقوشة من المدير يوليانوس الى ملّاحة مدينة أرْل من بلاد غالية[1] . وقد كان لهؤلاء التجار الملّاحين محطّة في بيروت ، في اوائل القرن الثالث للمسيح[2] . فنستفيد من هذه الصفيحة المكتشفة انهم كانوا يشترون القمح وسائر بضائعهم في اسواق البلاد المنتجة نفسها.

والى العهد نفسه يرقى ، في ما يظهر، رقيم مكتشف في بُصرى اسكي شام نقله الملازمان قنسنتي وبونديه وارسل اليّ بنسختين منه الاب ماسكل (Mascle) المرشد الروحي لجيوش جبل الدروز . اما نصّ الرقيم فتقدمة موجزة باللغة اللاتينية نُقشت على هيكل من الحجر الكلسي:

Mercu
rio Aug (usto)
[S] acrum
[T] husdr .
[i] tani
Gen (io) Col (oniae)
s (uae) (f) (ecerunt)

وترجمتها :

تقدمة (مرفوعة) الى مركور اغوسطوس.
اهل تيدروس (رفعوا هذا الهيكل)
الى شفيع مستمرقم . »

واما رافعو الهيكل فهم بعثة ارفدتها مدينة تيدروس من اعمال تونس — واسمها اليوم الجيم — وهي مدينة اشتهرت بتجارة القمح طول العهد الامبراطوري . ولا يخفى ان وجود هذه البعثة في منطقة تبعد عن بلادها ، بل عن ساحل البحر، بعدَ بُصرى ، لا يمكن شرحه الا بالرغبة في مشترى القمح من حوران المعروف بخصبه وجودة غلاله . ومما يجدر بالذكر رفعهم الهيكل

١) *CIL*, III, 1465[a]

٢) A. Grenier, *An Econ. Survey*, III, p. 478 et n. 55

الإكرامي لمركور الجامع صفتين مهمتين في نظر البعثة التجارية . فهو شفيع اهل تيـدروس ، اي حامي مدينتهم ، وهو اله التجارة الذي يشهد صفقات البيع والشراء . ومن المحتمل ان يكون هؤلاء التجار رفعوا له هذا الهيكل بعد ان نجحت وفادتهم فاشتروا باسعار موافقة ما كانت تحتاج اليـه مدينتهم من حبوب ، على اثر موسم ماحل بسبب ما كان يصيب افريقية الرومانية من جفاف .

ولا تنفرد الرقم الكتابية بالدلالة على محصولات بلادنا الزراعيـة . بل هناك عدد من الآثار المصوّرة والمنحوتـة اشارت الى بعض هـذه المحصولات الاشارات الصريحة . فرأينا منها القمح والعنب يُمثلان ، بل يمجدان ، في منقوشات بعلبك . فتتعرّش الكرمة على واجهة هيكل ديونيزوس ، وتلتفّ اغصانها على بنات البحر ، وصغار الآلهات ، بل تلتفّ على من تُرضع الجدي رمز الإله . وترتفع سنبلة القمح مقرونة بورق الخشخاش ممثلة خصب السهول المقترن برمز الرقاد الابدي الذي يستولي على ادونيس ، ولا يرحم شبابه الجميل . (الرسم ١)

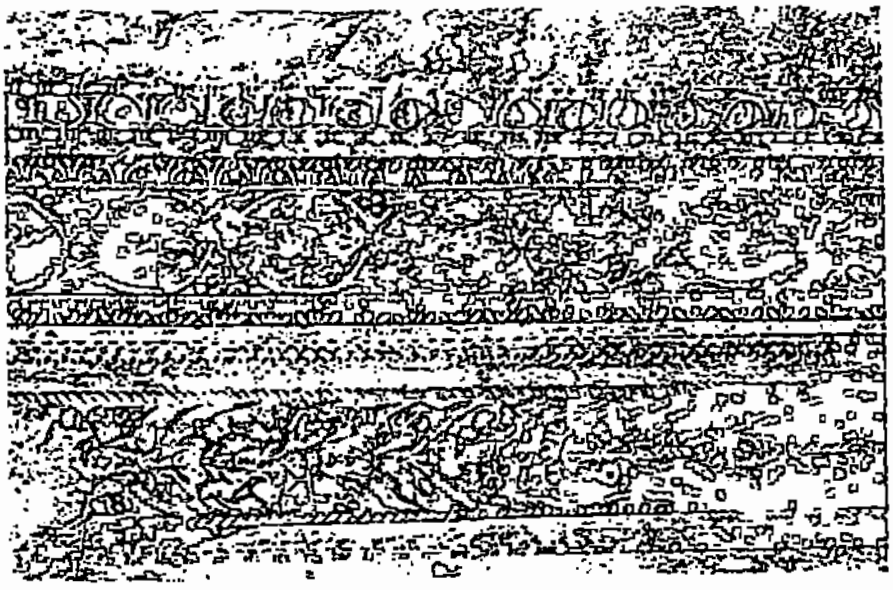

الرسم ١ — من نقوش الباب في هيكل ديونيزوس في بعلبك

الرسم ٢ – قطعة نقد ترقى الى القرن الثاني قبل المسيح وتمثل الاله الدمشقي حدد حاملاً بيده اليسرى سنبلة ضخمة

وهـذا جوبيتر البعلبكي نفسه يحتلّ محـلّ الاله الشامي حَدَد ، إله الصواعق والامطار ، إله الخصب الذي ينمي الزروع. يشهد بذلك عـدد من المعابد الصغيرة مقامة على اسم هذا الإله، ولا تزال اطلالها الكثيرة ماثلة في سهل البقاع ، وفي المرتفعات المحيطة به . ويشهد ايضاً قطعة من النقود مثلت سنبلة ضخمة من القمح وسط اعمدة الهيكل البعلبكي . ومن هـذه الآثار قطعة نقد فضية ترقى الى العهد اليوناني ، وتمثل الاله حَدَد الدمشقي حاملاً بيده اليسرى سنبلة ضخمة ، دالاً على انه هو الاله الذي يضمن للبلاد غلّتها المهمّة. (الرسم ٢)

ولقد كان للخمر الهه الخاص، او شفيعه المحامي، على الاقل في حوران وفي ما ندعوه اليوم جبـل الدروز . وهو دوساروس . اكتُشف له تمثال جميل من الحجر البركاني . وألفت الميتولوجية السورية حلقةً عن المعارك بينه وبين ليكورغ ، الاله الذي لا يشرب خمرًا . وقد مُثّل قريباً منه تمثال برونزي ، لحمار يحمل خرجاً موضوعاً على ظهره دون جلّ . والى جنبه قطعة خزفية تمثل جملاً محتلاً . وقد يكون حمله من العنب الذي لا يزال ينقـل ، على ظهور الجمال ، حتى ايامنا هذه ، فيشهد المسافر في شمالي سوريـة قطارًا لا نهاية له من الجمال الناقلة العنب من السفيري الى حلب مثلاً .

على ان مناطق سورية والساحل الفنيقي لم تكن تصدّر العنب في ما مضى ، بل كانت تهتمّ خاصة بتصدير الخمر . فكانت الجرار المملوءة في بـيروت واللاذقية تصل حتى مرافئ البحر الاحمر . ولا يفـد محمولها بفضل ما كان فيه

من كمية الكحول القويّة .[1] ومن المدن التي اشتهرت بخمورها حلبون ، قرب دمشق ، وأفامية ، وصور ، وغزة[2] . وكذلك خمور اندرون ، او الاندرين ، في بادية الشام[3] ، كانت تتجاوز شهرتها حدود هذه البلاد . ويقال الامر نفسه عن خمور ضفتي الفرات . وقد كشفت حفريات دورا - اوروبس ، على ضفة هذا النهر ، عن معاهدة يشير نصها الى ان احد رجال الجيش الروماني المعاون ، اقام منزله قريباً من مصبّ الخابور ، واشترى كرماً فيه ٦٠٠ كعب من العريش يبلغ ١٧٥ قطعة من الفضة[4] .

واذاً فان الكروم كانت منتشرة في انحاء البلاد جميعها . حتى انّ الامبراطرة اصدروا عدداً من القوانين في سبيل حمايتها من الرعاة واللصوص خاصة .[5] وقد يمكننا ان نتصوّر مظهر بعض هذه الكروم باستنادنا الى قطعة من الفسيفساء اكتُشفت في شرشل من بلاد الجزائر ، في نيسان ١٩٢٥ ، ومثّلت بعض الاعمال الزراعية ، ومظاهر الحقول . وقد ارّخها الاستاذ جان بيرار بأول القرن الثالث للمسيح او منتصفه . (الرسمان ٣ و ٤)

نرى في القسم الاسفل من هذه الفسيفساء طريقتين لغرس الكروم والعناية بها : ١ً طريقة التعريش التي ترتفع بها اغصان الكرمة على صقالة عالية . ٢ً وطريقة الكروم المنبسطة او الواطئة . وقد كانت الطريقة الاولى واسعة الانتشار حول الدور في المناطق الشامية جميعها ، كما لا تزال نراها في القرى اللبنانية حتى يومنا . الا ان العناية كانت تبلغ فيها حدّ الاتقان ، في تلك الدارات او المنازل الفخمة التي لا يزال المسافر يرى اطلالها ماثلةً في جنوبي غربي

---

١) *Peripl. mar. Erythr.* 6, 49 = *Geogr. Lyr. Min.* I, 293

٢) Heichelheim, *An Econ. Survey.* IV, p. 138-140

٣) Noeldeke, *Sitzungsber* ; Vienne. CXL, 1899, VII, 31 s : d'après Honigman, PW, *Syria*, col. 1677

٤) Pap. D. 101 : *The Excavations at D. E., Report* VII-VIII, p. 433 ss.

٥) راجع في حماية كروم حوران : *GRR*, III, 1341 ؛ وكروم هيرابوليس فريجية : *Mon. As. M. Ant.*, IV, 297 ; Robert, *Et. Anatol.*, 104 ; apud Broughton, *An Econ. Survey.*, IV, p. 687

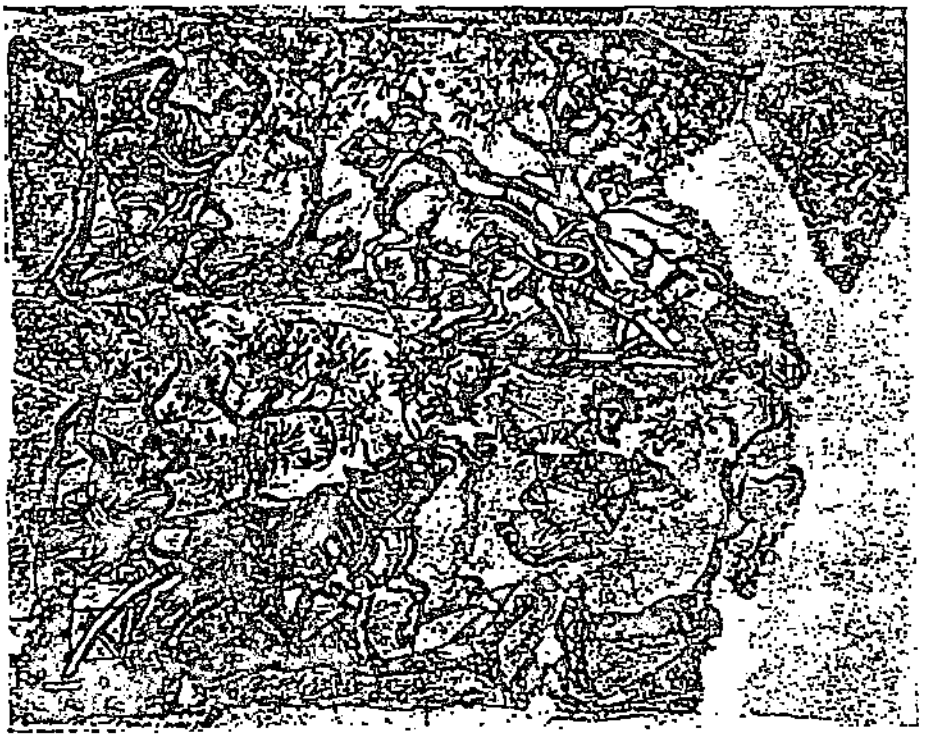

الرسم ٣ – قطعة من فسيفساء شرشل في الجزائر (القرن الثالث للمسيح)
تمثّل اعمال الحراثة والزرع

حلب وفي شمالها الشرقي ، فيشاهد الصفوف المتتابعة من الركائز الحجرية تحيط بالماشي والممرّات او تحدّ الاملاك المتاخمة . والى جميع هذه الركائز كانت تستند الاعضاد الخشبية ، وعليها تعرّش اغصان الكرمة . نذكر منها خاصّة ما رأيناه في معزّ ، قرب الطريق الآخذة من حلب الى انطاكية . وهو سور بستان قديم، لا تزال الركائز الضخمة تحيط به . وله باب مزخرف بنقش هندسي بارز .

ولنعد الى فسيفساء شرشل . فنرى فيها مشهدًا للحراثة بين الزيتون . يقوم بها الثيران ، لأن الخيل لم تُتخذ لهذه الأعمال قبل القرون الوسطى . ويشاهد في اعلى الرسم ما يُعرف « بالشقّ » وهي الحراثة الخريفية ، فنرى فيها الفلّاح يرتمي بثقله على المحراث ليمتق الشق في الأرض ، بينا نرى في المشهد الأسفل ، نوعاً ثانياً

الرسم ٤ – قطعة من فسيفساء شرشل تمثّل بعض اعمال الكرمة

من الحراثة ، ينصح به المزارعون الرومانيون ، بناء على قول ڤارون وپلينوس ، بعد القاء البزور. ولهذا مثلت الفسيفساء الزارعَ يتقدّم المحراث .

ذكّرتنا فسيفساء شرشل ، اذ صوّرت لنا الحراثة بين الزيتون ، بما لا تزال نشاهده في يومنا هذا ، في حقول الزيتون الممتدّة غربي بيروت . بيد ان زيت الزيتون لم يكن يصدّر من هذه البلاد في العصر الذي يهمّنا امره . ذلك ان الزيت اللبناني والسوري كان لا يبلغ جودةَ زيت ايطالية او اسبانية ، فكان عاجزًا عن مزاحمتها في الاسواق الرومانية[1] .

1) Heichelheim, *op. cit.*, p. 136-137

بيد ان بلادنا كانت تصدّر الى رومة كثيرًا من النباتات العقاقيرية والعطريّة مع مستحضراتها كالناردين ، والبلسم ، والمرّ ، والميعة[1] وكذلك كانت تصدّر ، شأنها في العصور الفنيقية ، الاصماغ المستخرجة من الصنوبر والسرو ، ومن اشجار التربنت في منطقة دمشق .[2] ويجب الّا ننسى ، في سلسلة الصادرات هذه ، خشب البناء المقطوع من غابات لبنان . وسنعود الى الكلام على هذه الغابات .

ولم تكن اكثر هذه المنتجات من نبات بلادنا الطبيعي . انما كانت تغرس ويُعتنى بها وفقاً لطرق دقيقة منظّمة ومدوّنة منذ العصر الهليني . ولا يخفى ان الرومانيين اتخذوا مبادئ الفنّ الزراعي عن مزارعي الشرقيين . وذلك انه بعد ان تغلّبت رومة على قرطاجة ، شاءت ان تستفيد من معارفها ، فامر مجلس الشيوخ الروماني ، ان يُنقل الى اللغة اللاتينية مؤلّف ماغون الشهير في الزراعة ، الذي كُتب اولًا على الأرجح باللغة الفنيقية - القرطاجية ، ثم نُقل الى اليونانية ، ومنها الى اللاتينية .[3] وكذلك استفاد الرومانيون من جميع الاساليب المعروفة في الزراعة اليونانية .

ويمكن القول نفسه عن الفواكه والثمار الشامية التي جرّب الرومانيون ان ينقلوا غروسها الى بلادهم ، فيبلّدوها . نذكر منها الخوخ الدمشقي[4] ، ونوعين من التين ، والدراقن ، والمشمش ، وقد لا يكون هذا اصيلًا في الارض الشامية الّا انه كان متبلّدًا فيها في هذا العصر[5] ؛ والفستق الذي نقل غرسته من بلاد الشام لـ. ڤيتلّوس ، والد الامبراطور المعروف بهذا الاسم ، عندما كان واليًا على سورية على عهد طيباريوس[6] . ونذكر اخيرًا نوعاً من الفجل السوري وآخر من

---

١) Scheffer-Boichorst, p. 529

٢) Heichelheim, p. 134-135

٣) Columelle, *De agricultura.*

٤) Pline, *H. N.*, XIII, 10, 51

٥) Friedlaender, *Sittengesch.*, p. 307, d'après Helin, *Kulturpflanzen u. Haustiere in ihren Uebergang*, (1870 : 7e éd. 1910)

٦) Helin, p. 416

البصل الممتاز دُعي في رومة « إيشالوت » (échalotte) وهي نسبة محرّفة لعسقلان ، اصل منبته.[1]

ونقل الرومانيون كذلك الى ايطالية فنّ غرس الاشجار المثمرة وتقليمها ، مع مبادئ زراعة الخضراوات . وقد كان معروفاً عند القدماء ان فنّ البساتين وما يقتضيه من عناية دائمة تظهر خاصة بالريّ المنظّم انما كان من خصائص بلادنا ولهذا نُقل عن پلينوس : *Syria in hortos operosissima ; unde venit in proverbium Graecis : Multa Syrorum opera.*

ومعناه : « ان سورية تمتّ اشدّ الاهتمام بالاعتناء ببساتينها حتى ضُرب في ذلك المثل عند اليونان فقيل : ما اعظم اعمال السوريين ! »[2]

وعلى هذا فقد كان اليونانيون اذا ما تأملوا بساتين صور وصيدون ، يفكّرون باعمال هركول . كما نتكلم نحن اليوم عن اعمال الرومانيين ، اذا ما وقفنا على آثار القناطر والاسداد القديمة . وكان من فضل هذه الاعمال ان ازدهرت ازدهاراً عجيباً مظاهر الزراعة التي خُصّت بها بلادنا منذ العصور القديمة . وكما اخذ عنّا الرومانيون زراعة البساتين ، وتعزيق الارض ، واستعمال السماد ، وتنظيم الريّ ، وكل ما يتعلّق بنظرية الزراعة العلمية ، افادونا بمنشآتهم البنائية في سبيل تعزيز الزراعة . حتى ان ارباب السلطة في عصرنا الحاضر ، اذا ما ارادوا توسيع المناطق الزراعية المرويّة في سورية ، لم يكن عليهم الّا ان يرمّموا قنوات السليمية مثلاً ، او ان يرفعوا السدّ الروماني في بحيرة حمص .

❁

وغنيٌّ عن البيان ان الاساليب الزراعية لم تكن تُطبّق على الطريقة نفسها في مناطق تختلف فيها الاراضي اختلافاً بيّناً من حيث التكوين ، والموقع ، والارتفاع . وبسبب هذه الاوضاع الطبيعية وبعض العوامل التاريخية ، قُسمت الاراضي طبقات متعدّدة . على انه يجب القول ان الفرق بين الاراضي الجافّة

(١ Pline, *H.N.*, XX, 16, 23 ; cf. Scheffer-Boichorst, p.523 et Friedlaender, p. 307

(٢ Pline, *H. N.*, XX, 16, 33 ; Scheffer-Boichorst, p. 523

والاراضي المروية ليس تامًا بارزًا كما هو في مصر مثلًا. ذلك ان بلادنا تستفيد من مناخ معتدل لقربها من البحر ، ثم لما تفيدها سلسلة الجبال اللبنانية وسلسلة الامانوس من ايقاف الغيوم ، فتكثيفها ، فالعمل على هطول الامطار. ولهذا كانت انواع الاراضي فيها تشبه المعروف في آسية الصغرى وافريقية الرومانية :

١ً مناطق الكلإ او المراعي ومزدرعات الحبوب . وهي ممتلكات فسيحة في الجبال والمواقع البعيدة .

٢ً مناطق المزدرعات المتنوّعة وهي من نوع الملكية الوسطى.

٣ً مناطق الخضراوات او المزدرعات الصناعيــة ، تقع قريباً من المدن والمحالّ المأهولة . ولنقل كلمة الآن عن الممتلكات الفسيحة والوسطى :

كل ارض من الممتلكات الفسيحة في سورية الرومانية ارث الملوك والآلهة.

كان الملك في العهد الهيليني يملك الاراضي الواسعة بفضل حقوق الفاتح الغازي ، او بما كان يقوم به من نزع ممتلكات اعدائه ، او بفضل حقّه الملكي فقط. وكان ، على الغالب ، يسهر بنفسه على منتجات هذه الاراضي وكان اكثر الملوك والامراء ، في هذه البلاد ، من عمال رومة او عملائها ، امثال ارخيلاوس القبادوقي او هيرودس الجليلي ، يستحقّون عن جدارة ما يقوله شيشرون مادحاً ديجوتار ملك غلطية : « *diligentissimus agricola et pecuarius* » ومعناه : « اوفر الناس اهتماماً بالزراعة والمواشي. »[1]

تشهد بذلك مغروسات البلسم التي استقدمها هيرودس من جزيرة العرب وبلّدها في سهل أريحا الحارّ المناخ. وكثيرًا ما قام عبيد الملك ومواليه بتجربات زراعية من هذا النوع .

ويجدر بنا ان نذكر ، بعد الممتلكات الملكية والاميرية ، املاك الهياكل والمعابد . وقد كانت متسعة الرقعة على عهد الاحتلال الروماني . وكان الكاهن الأعظم ، المعيّن على مدى عمره ، يهتمّ بادارتها واستغلالها . وكثيرًا ما كانت هذه المهنة وراثية ، فيقوم ابناء الاسرة الواحدة ، خلفاً عن سلف ، على ادارة

(١ *Pro Dejot.*, 27. Cf. Broughton, *An Econ. Survey* ,IV, *Asia M.*, p. 685

الارض المقدّسة ، كما كانت الحال في هيراپوليس - بيبيكه ، او منبج الحالية ، بين حلب والفرات. وقد ورد عن حِمص القديمة ، او حمص، انها بعد ان تخلّصت من ملكية اسرة سميجراموس، وكانوا من العرب المتعصبين، ظلّت في ايدي كهّانها. وكذلك القول عن املاك رؤساء الأرباع في الجبل المقدس حرمون ، او جبل الشيخ ؛ وعن املاك پوليمون ، وليزانياس ، وزينودور ، اصحاب كلسيس او عنجر في البقاع ، الذين نقشوا القابهم على نقودهم فسمّى كلّ نفسه « رئيس ربع وكاهناً اعظم .»[1]

وفي غير بلادنا من المناطق الرومانية ، كبلاد الاناضول ، وافريقية مثلاً ، بيعت املاك الامراء والملوك ، واملاك الهياكل باسم الشعب الروماني . فسهل لاغنياء الرومانيين من ارباب الرساميل ، واعضاء مجلس الشيوخ ، أن يمتلكوا الاراضي الواسعة. وانتقلت نهائياً الى ملك الامبراطور الخاصّ. اما في بلادنا ، اذا استثنينا ما زعمه البعض من وجود ملكية امبراطورية في الجليل الاعلى[2] ، فاننا لا نرى شيئاً من هذا النوع على عهد الأمبراطورية الأولى . بيد انه كان في بلادنا نوع من الحجز او الاحتكار موضوعاً على بعض الاراضي . يشهد بذلك اكثر من مائة رقيم محفورة على صخور الجبل اللبناني ، من شمالي غربي الهرمل الى المرتفعات القائمة فوق زحلة . وهي كتابات مهمّة في دلالتها على هذا الحق الامبراطوري ، وليس من اختلاف في نصوصها ، بل تذكر جميعها حقّ الامبراطور وتردفه ببعض ارقام. وقد حلّ ارنست رينان واحدة او اثنتين منها رُقمتا دون اختصار. وهذا نصّها :

Imperatoris Hadriani Augusti-Arborum Genera quattuor, cetera privata.

ومعناه : « ان اربعة انواع من الشجر تخصّ الامبراطور هدريانوس – اغوسطوس . اما سائر الانواع فملكية خاصّة . »[3]

(1 W. Wroth Br. Muslins, *Galatia, Cappad. a. Syria*, pl. XXIII, 11 ss. et pp. 279 sqq.

(2 Jos. *Vita*, 13, 71 ; d'après Rostowzeff, *Soc. a. Econ. History*, p. 568, n. 30

(3 Renan, *Mission de Phénicie*, p. 253 ss. et 858 B add. à la p. 279=*CIL*, III

والارقام التي تتبع هذا النصّ تدلّ ، على الأرجح ، على عدد الاشجار المحفوظة او المحتكرة في المنطقة

بقي السؤال عن هذه الانواع الاربعة ما هي ؟

يستند البعض الى نصّ ورد عن ڤيجيس[1] ، فيستنتجون ان انواع الشجر الاربعة المحتكرة لملك السلطة الامبراطورية انما كانت الاشجار الصالحة لصنع المراكب وهي : الشربين ، والصنوبر ، والسرو ، والعرعر . اما في لبنان فيجب الّا ننسى شجر الأرز .

وقد امكننا ، بمعاونة الاب جلابير ، ان نستفيد من رقيم محفوظ في متحف الجامعة الاميركية ، فنلحق هذا الاحتكار بعملية واسعة النطاق قام بها الامبراطور هدريانوس لتحديد مناطق الغابات والمراعي.[2]

اما تاريخ هذه الرُقُم الحجرية فقد استخرجناه من درس حجر ضخم منحوت على شكل الموشور ، ومنصوب قريباً من اللقلوق ، في عقبة الجبل المؤدية الى اليمونة فبعلبك . قادنا اليه احد اصدقاء الارض اللبنانية ، اسعد بك يونس ، فأمكننا ان نقرأ فيه :

على احدى جهاته : *Imp(eratoris) Had(riani) Aug(usti) vic (ies)* ou *vic(ennalibus)*

وسناه : « من الامبراطور هدريانوس المسلّك (اغوسطوس) عشرين مرّة »

او « في السنة العشرين لملك الامبراطور هدريانوس . »

وعلى الثانية : *C. Umbrius*

Proc(urator) Aug(usti)

وسناه : ك . أومبريوس

وكيل الامبراطور

وعلى الثالثة : *Imp(eratoris)*

il(erum) s(alutati) p(osuit)

« من الامبراطور المنادَى به امبراطوراً للمرة الثانية » .

---

١) *Ex cupresso orgo et pinu domestica, sive silvestri larice et abiete praecipue liburna contexitur.* (Veg. V, 4)

٢) راجع *MFO*, IV, 1910, p. 209-215 ; cf. Rostowzeff, *Klio*, 1911. p. 387

واذًا فان الرقيم يرقى الى السنة التاسعة عشرة من ملك الامبراطور هدريانوس ، وهي السنة التي نودي به فيها امبراطورًا للمرة الثانية ، وذلك بعد ان قُمعت الثورة اليهودية الثانية ، اي في السنة ١٣٤ م.[1]

وان تكن رُقم هدريانوس — التي يشبهها رينان ، في عبثه ، ببطاقات زيارة تركها الامبراطور في انحاء لبنان — هي الأثر الوحيد في الدلالة على الممتلكات الاميرية في بلادنا ، على عهد الامبراطورية الاولى ، فانه مما لا شكّ فيه ان امبراطرة القسطنطينية من القرن الرابع الى السادس كان لهم الاملاك الفسيحة يديرونها بانفسهم او بواسطة موظفي « الممتلكات الخاصة » .

وكانت هذه الأملاك الامبراطورية تجاور ، في ذاك العهد ، كثيرًا من الاملاك الشاسعة نتجت من ضمّ عدة ممتلكات خاصّة قام بها الفلّاحون مجتمعين حول سيّد قوي راغبين في ان يعينهم ويحميهم . من هذه الممتلكات ثروة ذاك الشيخ الانطاكي الذي يصفه القديس يوحنا فم الذهب ، في اواخر القرن الرابع ، فيقول كان له الاراضي الفسيحة فيها من عشرة الى عشرين منزلًا ، مع القصور او الدارات والحمّامات الخاصّة، وفيها من الف الى الفي عبد[2] و١٠ آلاف من الموالي[3] .

على ان استثمار الاراضي بواسطة العبيد كان امرًا نادر الوقوع في سورية الرومانية . ولم يكن يُرى هناك الّا نادرًا قصور او دارات شبيهة بقصور كبانية الجامعة بين المتنزّهات ومراكز الاستثمار الزراعي ، والتي كان يشتغل فيها مئات

---

١) اطلب ، في تأريخ هذه الحادثة ، W. Weber, *Untersuchungen z. Gesch. des Kaisers Hadrianus*, 1907, p. 180, n. 643- d'après v. Rhoden, PW, I, 514 ; Weber, p. 276, n. 1015. Cf. aussi Cagnat, *Cours d'épigr. lat.*, p. 196. *Pros. imp. rom.*, III ويجب القول ان ك. أومبريوس اوكايوس أومبريوس هذا لم يذكر في بل هناك ذكر لرجل اسمه أومبريوس بريموس كان ملّاكًا في ليغورية على عهد ترايانوس (*ibid.*, p. 468, n. 596)

٢) *In Mt.*, 63, 4. Cf. *Vita parvae Melaniae, Hist. Laus.*, 109 = PG., XXXIV, 1230

٣) Heichelheim, *An Econ. Survey*, IV, p. 165, n. 16

العبيد ، بعضهم مقيّدون بسلاسلهم.[1]

واذا جاز لنا ان نذكر شبهاً بعيداً لبعض هذه الدارات الواقعة على شاطئ البحر ، فاننا نذكر ما كشفته الحفريات مؤخراً من آثار دارة في الجناح من رمال بيروت. وقد كان من نصيب المتحف الوطني اللبناني ان يحتفظ بقطع الفسيفساء التي كانت تزينها .

وفي الداخلية آثار لدارات سورية ، كانت تُقام عادة في منطقة يحصنها سور يدفع عنها غارات البدو . واننا نرى اكثرها منتشرة في شمالي سورية بين حماه وإدلب ، وحلب ، وانطاكية. واشهرها دارات جرادة على ١٥ كيلومتراً شمالي معرّة النعمان ، على الطريق من حماه الى حلب . (الرسم ٥)

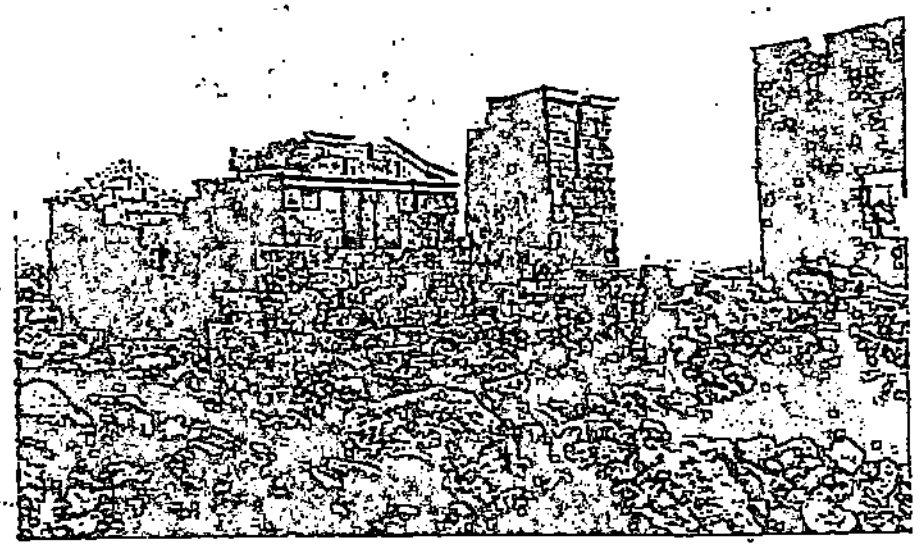

الرسم ٥ — بعض آثار دارات جرادة القديمة في الغرب من معرة النعمان

وشبيهةٌ بها الدارات القائمة آثارها في ناحية البارة من جبل الزاوية . نرى في

(١ Rostowzeff, *Roem. Mitt.* XXVI, 1911, *Die hellenist-roem. Architectur-landschfat*, pl. IX, et p. 94

احداها سورًا يحيط بعددٍ من البنايات. منها منزل السكن ازدانت واجهته بعدد من الاعمدة الرشيقة في رواق عالٍ. والى جنبه الاصطبل. وفي جهة ثالثة بنايات المرافق، وبيت الخولي او الوكيل. اما الجهة الرابعة ففيها البستان، ولا تزال تُرى فيه معرّشات الكرم على الركاتز.

وقد تساءل العلماء، امام هذه الآثار الفخمة في البارة وسرجيلية: ألم تكن منازل صيفية لكبار المثرين في انطاكية؟

وان لنا في بعض النصوص القديمة اوصافاً لمساكن زراعية واقعة وسط الحقول. كانت تُدعى في العهد الهيليني «باريس». وهي لفظة محرَّفة عن اسم سامي قديم دخل اللغة اليونانية، ومعناه «البيت المتين» او «المنيع». ثم تحرَّف الاسم من جديد فصار «برغوس» باليونانية، واستخرج منه الاسم اللاتيني «تيترا برجيوم» ومعناه «البيت المربّع الابراج». وواضح ان الاصل السامي لكل هذه الكلمات هو ما يفيد معنى «البرج» بالعربية.

هذه القصور البرجية، او المربّعة الابراج، كانت على انتشار يُذكر في سهول سورية الرومانية. وعنها اخذ الامويّون انشاء قصورهم في الصحراء او «براديسم» المشهورة من امثال المشتى وقصر الحير وغيرهما.

على اننا لا نرى في الوثائق المعروفة ما يفيدنا وصفاً دقيقاً لهذه القصور المربّعة الابراج التي كان يسكنها كبار الملّاكين في سورية. فاضطررنا الى الاخذ بقطعة فسيفساء تمثّل قصرًا من هذا النوع في قرطاجة. وهي قطعة معروفة بفسيفساء السيد يوليوس. (الرسم ٦)

نرى على واجهتها برجين يرتفعان من الجانبين. ونتصوَّر برجين كذلك في الجهة الموازية. اما الرواق الاعلى فمهدنا به في كثير من الابنية الشرقية، كقصر قطسيفون مثلاً. واذا ما اجتاز الزائر الرتاج العالي المنحني القوس، وجد نفسه في ساحة داخلية فسيحة، قامت حولها البنايات التي لا يرى منها في الصورة الّا سقوفها ذات القباب. ونتخيَّل بينها الحمام الخاصّ بوقده وغرفه الباردة والفاترة. وعلى الرغم من حالة الفسيفساء السيئة، يميّز الناظر عدة مشاهد تمثّل اعمالًا زراعية تختلف باختلاف الفصول. فيرى، الى اعلى الزاوية من الشمال، جمع الزيتون في فصل

الشتاء ، ثم خادماً حاملاً اثنتين من البطّ البرّي . والى اليمين يظهر راعٍ مع كلبه ، ووراءه في سطح بعيد ، كرخ من الاغصان المغطّاة بالطين ينام فيه الفلّاحون . وفي اسفل الفسيفساء ، من جهة الشمال ، وسط الازهار ، تظهر خادمة تقدّم عقدًا الى ربّة المنزل . ويقابلها الى اليمين صاحب الدار جالساً ، يستقبل رسولًا حاملًا اليه إوزّتين هدية من احد الجيران . نعرف ذلك من الرقّ المنشور في يد الرسول ، وقد تضمن كتاب الاهداء ، وظهر عليه اسم المُرسل اليه : [V[l (io)] dom (ino) « السيد يوليوس » . وفي الزاوية الاخيرة ، من جهة اليمين ، خادم يحمل سلّة فيها فواكه الخريف .

❁

اما الذين كانوا يشتغلون في هذه الاراضي فمن العملة الأحرار ، لا العبيد . انما كانوا فقراء لا يكادون يتميّزون في شيء عن فلّاحي سورية الداخلية في يومنا هذا وكان يديرهم ويدرّبهم ذوو الثقة من رجال الملّاك ، سيّد الأرض ، موالي كانوا او عبيدًا . وكان للامبراطور وكلاء على املاكه الخاصّة ، كما تقدّم في ذكر كايوس أومبريوس الذي نقش اسمه على صخر اللقلوق .

وكان لصاحب الأرض السلطة المطلقة على املاكه وعلى من يشتغل فيها . كما كانت سلطة الاغوات على اراضيهم وفلّاحيهم ، الى الأمس ، في سورية الداخلية . وقد كُشف في جُبَيل - بُطْم ، على عشرين كيلومترًا شمالي صور ، حجر تذكاري لإقامة حاجز حول بركة القرية تنفيذًا لأمر حاكم المنطقة او امر الامبراطور . اما ما يهمّنا فهو نصّ المحضر الذي يشير الى بناء الحاجز ، قال :

« وفقًا للقرار المقدّس ، أُقيمت البركة بحاجز وأُصلحت على عهد الملّاك كلوديوس بينوس ، بعناية نرسيس ابن . . . وعبد بينوس المذكور . »(١

وجديرٌ بالذكر ان مَن يُشاد باسمه في هذا الرقيم ليس الامبراطور ، ولا الوالي ، بل الملّاك صاحب الأرض .

❁

(١ R. Mouterde, *MUSJ*, XVI, 1931, p. 95, n° 10.

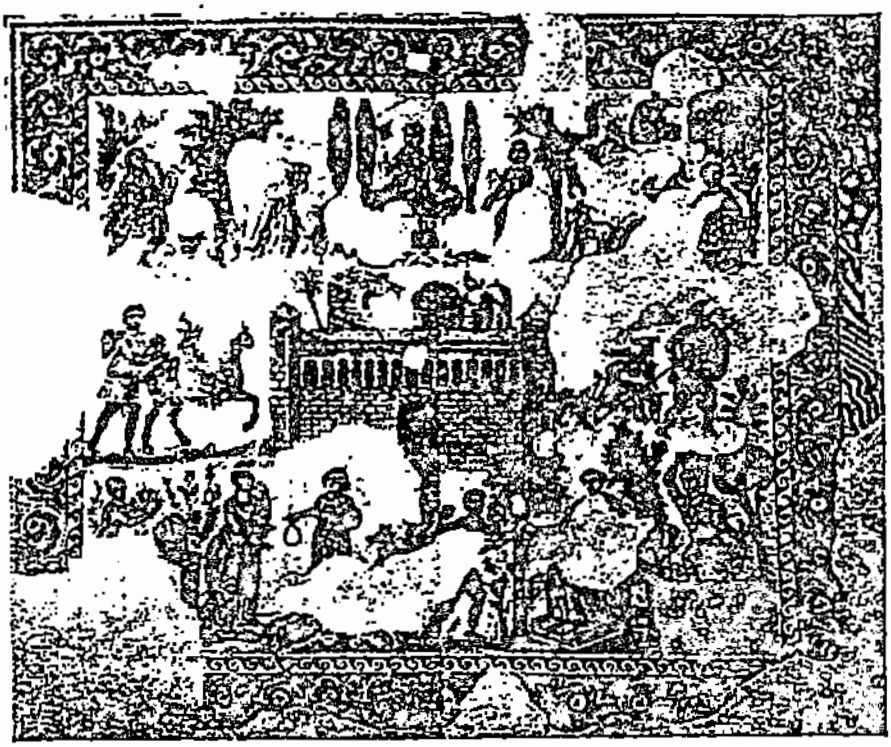

الرسم ٦ – قطعة من الفسيفساء تمثل قصر السيد يوليوس الروماني في قرطاجة

هذا ما امكننا جمعه في وصف الحالة الزراعية في سورية ولبنان على العهد الروماني . وهو مشهد ناقص ، يفتقر الى الكثير من المعلومات في اظهار ما كان يفيده الملاكون والمزارعون ، مثلاً ، من حالة الأمن العام ، من « السلم الروماني » المشهور ، ومن ضمانة الاستقرار في الملكية ، الناجمة من تأسيس اعمال المساحة والتحديد الرسمية منذ عهد السلوقيين .

بيد ان هذا المشهد ، على ما فيه من النقص ، يبدو جزيل الفائدة . اذ يظهر لنا ما امتازت به الزراعة من ازدهار في بلادنا اذ ذاك . وقد لا نخطئ اذا قلنا ان فلاح ذاك العهد كان اوفر حرية ، فاكثر انتاجاً ، فأيسر حياةً من الفلاح السوري في يومنا هذا . كان له كرمه الخاص وزيتونه الخاص . وكان

الملّاكون يهتمون بازدهار الزراعة ، وتحسين حالة المزارعين اكثر من اهتمامهم بربح الأموال التي يسلفونها فلّاحيهم . فلا عجب اذًا ان يكون سكان هذه البلاد قد بلغوا اذ ذاك ، وفقاً لادقّ التخمينات ، ضعف ما يبلغونه اليوم في المنطقة نفسها . وانّ مَن شاهد ، في سهول سورية الشمالية خاصةً ، بقايا الآبار والفجّارات ، واطلال معاصر الزيت والخمر ، وآثار المزارع والكنائس الدارسة ، لا يناله شكّ في صحة هذا القول .

وقد يعود لبنان وسورية الى ازدهارهما الزراعي فيعيشان في رخاء على شريطة ان تتعاون السلطات العامّة وكبار الملّاكين في عمل مخلص مشترك .

المساجد والمشاعر

في العصر الجاهلي

من آثار الاب لامنس

القسم الاول

٢

قلنا ، في البحث الاول من هذا القسم ، ان جميع الآيات التي تذكر « المساجد » بصيغة الجمع ، تشير الى منطقة الحرم في العهد السابق لفتح مكة. هذا ما يُستنتج من مقابلة النصوص في القرآن ، ومن الجدل بين النبي ومشركي قُريش ، ارباب هذه « المساجد » اذ ذاك. ولا يخفى ان مظاهر هذا الجدل ترقى الى زمن وجود النبي في المدينة حيث كان يُعدّ الحملة على مكة ، ويُعدّ رجاله من مهاجرين وانصار للقيام بهذه الحملة . فاذا أيّدنا ذلك ، فلندع المحدثين والمفسّرين يتخيّلون وجود مسجد وحيد ، هو الكعبة ، يدعم نظريّتهم في التوحيد الابراهيمي. بيد ان هذه النظرية تنسينا سائر الذكريات الدينية في مكة المشركة. وهي عديدة مهمّة في قاعدة تهامة ، وكثيرًا ما نازعت « البيت العتيق » في التبجلة والإكرام .

وقد لا نخطئ اذا شبّهنا مكة باورشليم من جهة انها كانت تحوي عدة معابد او اماكن مقدّسة . فهناك « الأنصاب » و« الاركان » و« المنازل » و« المواقف » و« الجمرات » . وكلّها مذكورة بصيغة الجمع في النصوص القديمة. ولا يبرّر استعمال هذه الصيغة القولُ بانها أُجريت مجرى صيغة « المساجد » في القرآن . وهذا زهير بن ابي سلمى يُقسم « بالمنازل من مِنى »[1] . ومثله الشاعر الطائي قيس بن جروة القائل :

وأُقسم جهرًا بالمنازل من مِنى

(١ Ahlwardt, *Ancient poets* 14,6

وليس اكثر ورودًا في أيمان الجاهليين من القَسَم بالأنصاب المشربة بدماء الضحايا ، على نحو قول الشاعر :

فأقسم بالذي قد كان ربّي ، وأنصابٍ لدى الجمرات مُمرِ »[1]

أوَ لا يدلّ هذا على تعدّد تلك الأنصاب والمواقف المقدّسة التي كان يُذبح عليها ويُضحّى . ويسير ذكرها الديني في الشعر . ولا شكّ في ان تلك الجلبة الغالبة على هذه الحفلات المُشركة ، وما كانت تنتج من فوضى واضطراب اثارت اشمئزاز النبي فمثّلت له صورة القيامة « يومَ يخرجون من الاجداثِ سراعاً ، كأنهم الى نصب يوفضون . »[2]

وكان المؤمنون بهذه الانصاب يقومون بالطواف الطقسي حول الجمرات[3] ، ويرمونها ، اي يضيفون اليها حجرًا او اكثر ، كما كانوا يرمون قبور جدودهم المشهورين .[4] وبديهيٌ ان الأيمان بها يدل على صفتها الدينيّة ، كما ان ورودها بصيغة الجمع يشير الى تعدّدها .[5] وسنذكر ، ما يؤيّد قولنا من اسانيد ، على رغم قلّة معلوماتنا بشأن الميتولوجية القرشية خاصة والحجازية عامّة .

IIII

ولا بدّ من القول اولًا ان لا وجه للشبه بين الكعبة والهياكل الدينية المعروفة ، بل لا تجوز المقابلة بينها وبين البناء العادي . ان في قرانا وضياعنا كثيرًا من المعابد الحقيرة في مساحتها وهندستها . الّا انه يظلّ لها صفة الفن البنائي .

---

١) ابن هشام : السيرة ، ٥٢٤ — وهو لا يضمن صحة نسبة القطعة . انما يكفيه ان تُعدّ « من اصحّ اشعار اهل بدر » . ولا شكّ في انها صُنعت — ان كانت مصنوعة — على مثال مقاطع جاهلية أدخل فيها تعابير ذات صبغة قديمة ، كما في استعمال « كان » بصيغة الماضي حيث يقتضي المقام الحاضر . ولا يخفى ان القرآن يستعمل احيانًا هذه الظاهرة التركيبية بوضع الماضي مكان الحاضر .

٢) القرآن ٧٠ [المعارج] ٤٣

٣) Welhausen, *Reste*, 111

٤) راجع بحثنا في « الحجارة المؤلهة » في « المشرق » ٣٧ [١٩٣٩]

٥) قابل بما في السيرة ، ١٧٣ ، من ابيات منحولة الى ابي طالب .

اما الكعبة فلم تكن على شيء من ذلك. وقد بقيت مدة طويلة دون سقف. فهي اشبه بجدار منها ببناء، بجدار جُعل إطاراً للحجر الأسود. وكان هذا الحجر اهمّ معبودات قريش، ولكنه لم يكن وحيدها[1]. ولعلّه كان قطعة باقية من الحجر المؤلّه القديم، من «بيت» القبيلة النقّال، المحمول في الحفلات والطوافات، كما هو الحال في «المَسْجِدا» النبطيّة. وكانت الكعبة، مع الحِجر الملتصق بها — وقد يُسمّى ايضاً الجدار والجِدْر[2] — تكوّن مركز هذه الحفلات الدينيّة في مكة. حتى اصبح كل ما فيها موضوعاً للإكرام والعبادة، على نحو القول المأثور: «ليس من البيت شيء مهجور»، اي «ليس من اركانه شيء مهجور».[3] وعلى هذا، رأينا اتقياء المشركين، قبل الإصلاح الذي قام به النبي، يمرّون شفاههم وايديهم على جهات الكعبة الاربع، وعلى كل ما برز من الحجارة المثبتة في الجدران او الملقاة في الزوايا، والتي تركتها رموزاً وآثاراً الهية اجيالُ القدماء من سكّان مكة.

III

هل خُصّت الكعبة دائماً بهذه الميزة الرئيسية في تاريخ مكة الديني؟

اقرّ باني لا ارى برهاناً كافياً لتأييد هذه الرئاسة، على الرغم مما يبذله التفسير الرسمي من جهود في هذا السبيل، بل بسبب هذه الجهود المحاولة اقرار الاعتقاد العام بالرئاسة المذكورة. وواضحٌ ان منسكَي الصفا والمروة قاوما مدة طويلة كل الحملات التي وُجهت الى المناسك القرشية القديمة. ذلك انهما كانا يحتلّان مركزاً مهمّاً في تاريخ المدينة. ولعلّهما نازعا الكعبة تأثيرَها[4]، بل لعلّهما

---

١) راجع، في ما خصّ عصرنا الحاضر،
Burckhardt, *Voyages*, I, 183 ; Snouck Hurgronje, *Mekka*, I, 16

٢) البخاري: الصحيح (Krehl) ١: ٤٠٠، ٤٠١

٣) ابن حنبل: المسند ٢: ٩٤—٩٥، ٩٨؛ البخاري: الصحيح ١: ٤٠٦. وهي اقوال كثيراً ما نُسبت الى معاوية، على انها تمثّل، دون شك، العقيدة القرشية القديمة. وراجع في عبادة «الاركان»، بحثنا في «الحجارة المؤلّهة».

٤) كما نازعها هذا التأثير منسك عرفة، راجع Welhausen, *Reste*, 92

تفرّقا عليها مدة ، كما كانا يرتفعان فوقها في المركز الجغرافي. وقد يظهر ان بعض المؤمنين النُيُر من غير القرشيين ، في حاشية النبي ، كانوا يرغبون في تجريد هذين المنسكين الوثنيَّين من صفتهما الدينية[1] على الاقل ، ان لم يمكن تخريبهما تماماً[2]. ذلك ان الطواف[3] بهما ، في الإسلام ، كان يولي اولئك المؤمنين شكوكاً مشروعة ، اذ انّ الطواف يفرض وجود « بيت » اي حجر مؤلّه ، وبالتالي منسك منافس لـ « بيت الله » اي الكعبة . بيد ان النبي رأى من الحكمة ان يتردّد في النزول على رغبة أنصاره المؤمنين ، اذ انّ قومه من قريش لم يكونوا مستعدّين بعد لمثل هذا الإصلاح ، فانتظر مدة ، ثم ترك الأمر لله ، ليتدخّل بسلطته العالية ، ويقدّم عليهما « البيت » ، على أنهما من شعائر الله . « ان الصفا والمروة من شعائر الله . » . فمن حجّ البيت او اعتمر فلا جناح عليه ان يطوف بهما. ومن تطوّع خيرًا فان الله شاكر عليم . »[4]

وهكذا لم ينفر زعماء قريش، وقد كان لبعضهم نوع من السدانة على منسكي الصفا والمروة[5] ، ولم يكونوا قد أشربوا بعد روح التوحيد المطلق الذي جاء به النبي .

اللا

اذا ما غربل النقدُ بعضَ نصوص مجاميع الصحيح ، كصحيح مسلم مثلاً ، توصّل الى نتائج غريبة بشأن نظريّة المسجد الوحيد . من ذلك ان في منسكي الصفا والمروة كان يقوم الناس بالشعائر نفسها التي يقومون بها في البيت « العتيق » .

---

١) كما رغبوا في إلغاء العُمرة ، راجع مسلم : الصحيح ، ١ : ٤٦٨

٢) الترمذي : الصحيح (طبعة الهند) ٢ : ١٢١

٣) قد يُبدل « بالطواف » كلمة « سعي » على انها اخف وطأة ؛ الترمذي ١ : ١٨١ ؛ مسلم ١ : ٤٨٩–٤٩٠ ؛ وقد يستعملون في الكلام عن الصفا والمروة « طاف بـ » و« طاف بين » ؛ النسائي : السُنَن ٢ : ٢٠ ، ٢١ ، ٢٧

٤) القرآن ٢ [البقرة] ١٥٣

٥) ورد ذكرهما في شعر متحول مطبوع على غرار الشعر الجاهلي اورده ابن هشام على انه معاصر للهجرة ، السيرة ١٧٣ ، ٢١٧

فكانوا يطوفون سبع مرّات ، ويقصّون شعورهم ، ويذبحون الاضاحي[1] .

اما الطواف بالصفا والمروة ، فقد ظل مألوفاً غير محظور في الاسلام بدليل الآية السابقة ؛ واما نصّ الشعر فقد قام به النبي نفسه[2] ؛ واما التضحية ففريضة زاها أهملت شيئاً فشيئاً في الكعبة[3] . فهل خاف قدماء القرشيين ان يحوّلوا مسلخاً فناء البيت حيث كان لكل قوم منهم نادٍ معروف . اما بعد الفتح ، فغدا الناس يضحّون حول البيت ، وحول الصفا والمروة . بيد ان التقليد والتفسير الرسميّين رأيا في إشراك الصفا والمروة مع « البيت » ما يمسّ نظرية توحيد المعبد الابراهيمي فاخذا بالجهود العديدة المتتابعة في سبيل الحطّ من خطر المنسكين القرشيّين المشركين . ولما لم يكن ممكناً انكار الشعائر التي قام به النبي نفسه في الصفا والمروة ، اخذ ارباب الحديث ، بواسطة طرقهم المعروفة من تعديد « الروايات » في إدخال بعض التحفّظات ، يعملون على تقليل اهمية هذه الشعائر . فهم تارةً يبدلون « بالطواف » « السعي »[4] المتعلّق اصلاً بالمُسرة ، وهو اخفّ خطراً في نظرهم ؛ وحيناً يحوّلون الى طواف واحد الطوافات السبعة التي قام بها النبي[5] . على ان همّهم الأكبر ان يجعلوا النبي يتّجه نحو الكعبة ، في قيامه بالشعائر الإكرامية للصفا والمروة[6] . وهكذا يعتقدون بانهم يوجّهون ذاك الإكرام ، الذي قام به النبي جرياً على عادة القرشيين القدماء ، الى « البيت » الوحيد في زعمهم ،

---

١) مسلم : ك . م . ١ : ٨٨ ، ٤٦٨ ، ٤٨١ ، ٤٨٥

٢) حنبل : المسند ٦ : ٩٦ ، ٩٧ ، ٩٨ ؛ الترمذي : ك . م . ١ : ١٨١

٣) اما تضحية عبد المطلب فزعم لا سند له . انظر اقوال ابن هشام نفسه ، في السيرة ص ١٠٠ . ومن الحقّ ان القرآن (٥ [المائدة] ٩٦) ؛ و٢٢ [الحجّ] ٣٤) يفرض التضحية في الكعبة . على اني لا ارى النبيّ قام بهذا الامر .

٤) وكثيراً ما اقرّ المحدّثون اعتباطاً الترادف المطلق بين « طاف » و« سعى » ، البناوي : مصابيح السنّة ١ : ١٣٣ ؛ مسلم : ك . م . ١ : ٤٨٥

٥) ابن سعد : الطبقات ٢ : ١٣٥ ، ٨٨ ؛ مسلم : ك . م . ١ : ٤٩٠

٦) وعلى هذا ، اصبح من ضروريات الحج ان يتّجه المطوّف بالصفا نحو الكعبة ؛ راجع الشافعي : كتاب الامّ ٢ : ١٧٨ ، والطلب Gaudefroy-Demombynes, *Le pèlerinage à la Mekke*, 227

فيحوّلونه عن تلك « البيوت » او الحجارة المؤلّهة الخاصّة.[1]

كان في مكة الجاهلية عدد كبير من المواقف ، والمنازل ، والمناسك الثنوية ، من تلك الحجارة او « البيوت » ، تُكرم في عبادة القرشيين الرسمية ولا سيما في اثناء العُمرة. وقد رأينا اشهرها الصفا والمروة يظلّ لها ذكر في الاسلام . اما ما بقي فقد عمل مؤرّخو المكيّين على طمس ذكره ، لأن وجوده لا يوافق نظريتهم في مسجد الكعبة ، ولأنّ القرآن لم يَرَ ان يذكر. ولا يخفى ان القرآن والحديث لا يمكن ان يكونا مصدرين مختلفين لمعلوماتنا عن نشأة الإسلام وما تقدّمها. انما كلاهما يهتمّان بالنقاط نفسها ، فيأتي الحديث متوسّعاً بما اوجز القرآن في ذكره.

وقد اشرت في بحثي عن « الحجارة المؤلّهة وعبادتها عند الجاهليين » الى تلك المواكب الدينية في مكة الجاهلية. فتخيّلتها طائفة من حيّ الى حي ، كما يفعل الحجّاج في عصرنا بقيادة المُطَوِّف. وكان الطواف الاصيل في مكة معروفاً بالعُمرة ، وهي تقع ، على الأغلب ، في شهر رجب . وكانوا يتجنّبون ان يوافق موعدها مواسم الحجّ السنوي .

كان الموكب يتوقّف في طريقه لدى المساجد ، والأنصاب ، والأركان ، والحجارة ، وسائر تلك المعبودات القديمة التي تركتها ماثلةً القبائلُ المتعاقبة على احتلال المنطقة منذ القدم كجرهم ، وخُزاعة ، حتى قريش ، فيوليها الإكرام وفقاً لاهميّتها[2]. حتى اذا وصل امام المناسك المشهورة ، من امثال تلك التي تعلق بها اليوم ذكريات اسلامية ، جدّد الطواف والسعي بين حجرين او اكثر كما يفعل مثلاً في منسك الصفا والمروة المزدوج. وكأنه يودّ اشراكها او اشراكها جميعاً في عبادته. ويختم الطواف[3] « بالوقوف » في المنحر اي محلّ التضحية ؛ وكأن

١) مسلم : ك. م. ١ : ٤٦٨ ؛ ٢ : ٨٧ – ويذكر الطبري : التفسير ٢ : ٣٦ ، حجرين مكرّمين في الصفا والمروة .

٢) ولا يزال ، حتى يومنا هذا ، عدد من الحجارة المكرّمة في مكة ، راجع ابن بطوطة : رحلته ١ : ٢٠٦ ; *Chroniken*, Wüst., III, 46 ; Burckhardt, *Voyages*, I, 167-168 ; Snouck Hurgronje, *Mekk. Feest*, 82.

٣) وقد نرى بدل « طاف » « دار » به ، ومنه المطوّف ، والمُدوّر ؛ اطلب عامر بن

افراد الموكب جميعهم يشتركون في هذا القربان ، وهو اسمى مظاهر العبادة.

هذه الطقوس والشعائر المتعددة لم يكن الشعب ليفهم تماماً اصلها وتطورها، على الاقل في العصر الذي ندرسها فيه[1]. ولعلها نتيجة شعائر عديدة تلخص تاريخ المدينة الديني ، منذ ان وصلها ، في العصور القديمة ، اوائل الاسماعيليين، فنزلوا حول بئر زمزم . امّا قبيل الهجرة فيظهر ان اكثر انصاب الأحياء المختلفة ، وبيوتها ومساجدها ، وأركانها ، اخذت تتضاءل بالنسبة للكعبة المحتوية على « بيت » الحيّ الارستوقراطي ، او « قريش البطحاء » ، سُمّي كذلك تميزاً له عن الاحياء المتفرقة في الضواحي او « قريش الظواهر ». وكانت الكعبة تتاخم بناء يقبل نحوها براجهته[2] يُسمّى « دار الندوة ». وهو بناء يصعب تحديده وبيان الغاية منه . الّا انه متعلّق بذكرى قُصيّ ، جدّ الأُسَر النبيلة في مكة ، التي كثيراً ما اعتصبت وحدها مجاهرةً بانفرادها عن « قريش الظواهر » و« الاحلاف ».[3] وحول الكعبة ، في تلك الفسحة الضيّقة ، كانت تزدحم « الاندية » و« المجالس » المشهورة في قريش ؛ يجتمع فيها كبار القبيلة واصحاب القول فيها من امثال ابي سفيان ، وابي لهب ، وابي جهل، فيتناقشون في شؤون تلك « الجمهورية التجارية » . ولم يكن وجودهم في جوار المسجد[4] دليلاً على تقواهم . انما هو الدليل على ان هذا الفناء كان يتصف بصفة دقيقة التحديد اذ يجمع بين الحرم والسوق. فهو مسجد ومجلس معاً .

بيد ان افضلية الكعبة او سيادتها ، اذا صحّ التعبير ، تعزّزت منذ ان

الطفيل : ديوانه (طبعة Lyall) ١١ : ٩ ، ثم المقطع ٨ ؛ ابن هشام : السيرة ١٤٣ ، ٥١ ، ٥٤ ، ٥٥ ؛ امرؤ القيس : المعلّقة ، ٥٨

١) اني اخالف ، في ما خصّ فهم « العُسرة » ، رأي Snouck Hurgronje, *Feest*, 80

٢) راجع ابن سعد : الطبقات ١ : ٢٩ ؛ ابن جبير : رحلته (de Goeje) ١٨١

٣) راجع كتابنا *La Mecque*, p. 50-62

٤) في الحِجْر مثلاً ، اسد الغابة ٤ : ٥٥ ، ٥٦ ، ٥٨ ، ١٤٩ . وسنعود الى ذكر هذا . راجع ايضاً مسلم : ك. م. ٣ : ٩١ ؛ ابن هشام : ك. م. ٤٧٣ ؛ الاغاني ٤ : ١٨-١٩ ، ١٦ : ٦٥ ؛ اسد الغابة ٣ : ٤٦ ؛ البخاري : الصحيح (اسطانبول) ١ : ٦٥ ؛ Lammens, *La Mecque*, 175, 226.

ركز فيها الحجر الأسود ، وكان « بيتاً » تقالاً في اصله ، فاحتلّ مركزاً خاصاً الى جنب غيره من الأنصاب ، ضمن إطار الكعبة . ولم يلبث ، وهو بيت قريش البطحاء ، ان كسف رواء غيره من التذكارات الدينية القديمة بفضل قربه من بئر زمزم . فتفاقت اهميته اهميّة الحجر ، والحطيم[1] ، ومقام ابراهيم[2] — وهو « بيت » تُرك بجوار الكعبة — وبالتالي سائر الحجارة المتفرّقة في احياء المدينة وضواحيها . الّا ان هذه المساجد لم تُهجر تماماً ، وان ضعف تأثيرها ، بل ظلّ العرب يولونها الإكرام فيحجّون اليها ويطوفون بها . وهذا ما يحيّر ارباب النظرية الرسمية في وحدة المسجد الابراهيمي ، فيعملون على تلافيه بمختلف الطرق ، كما تقدّم . ولا نرى حاجة الى القول اننا نهمل تلك الاسطورة المضطربة الاساس التي تجعل من الكعبة هيكلاً شاملاً لمعبودات الجزيرة يجمع داخل بنائه وفي فنائه الضيق ٣٦٠ صنماً او نصباً[3] .

٤

ويجدر بنا ، في ذكر المناسك القرشية ، ان نفرد اشارةً خاصة للمرتفعات والجبال المقدّسة ، وهي وافرة العدد[4] ، اشهرها حِرَاء[5] ، وابو قُبَيس ، وثَبِير ، وغيرها . وكثيراً ما كان في اعلى الجبل بناء الى جنب شجرة مقدّسة . اما في الإسلام فقد

١) الازرقي (Wüstenfeld) ٢٦٧

٢) أرَ ينبغي ان نضيف الحَزْوَرَة ، « وهو موضع بين البيت » ، كما في البكري : معجم ما استعجم ٢٧٨ ، ٢٧٦ ؛ ابن الاثير : النهاية ١ : ٢٢٤ . وقد ذكره الشعر الجاهلي ، باقوت : المعجم (Wüst.) ٢ : ٢٦٢ ؛ Gaudefroy-Demombynes, *Pèlerinage*, 72, n.5 وهو يدوّنها « Hazūra »

٣) مسلم : ك . م . ٢ : ٨٥ ، ٨٦ وفيه الروايتان : صنم ونصب ؛ اسد الغابة ١ : ٢٠٠ ، وهو يذكر اصناماً من الرصاص ! وقد آمن Gaudefroy - Demombynes, *op. cit.*, 43, §6 بهذه الاسطورة مع شيء من التحفّظ .

٤) Snouck Hurgronje, *Chroniken*, Wüst. , 447-448 etc. . واطلب في موقعها *Mekka* I, 22 وقابل بما في السمهودي : وفاء الوفاء ٢ : ١٠٩

٥) على فرسخ من مكة ، ابن بطوطة : رحلته ١ : ٢٢٧ . ويلقّب اليوم « بجبل النور » ، وهو مخروط الشكل Burckhardt, *Voyages*, I, 79, 236, n. 1 . ويزعمون ان عبد المطلب لمن غزاة الحبش من اعلى قنّه ، ابن سعد : الطبقات ١ : ٥٦ ؛ الجاحظ : الحيوان ٧ : ٦٠

خصّ بعض هذه المناسك الجبلية بذكريات عن حياة النبي وآله . وأهمل سائرها فأسدل عليها النسيان شيئاً فشيئاً . واما في العصور القديمة فكانت هذه القمم تشارك سائر المساجد والمناسك في احترام الشعب واكرامه . لنا على ذلك شهادة الشعراء ، اذ يحلفون بها كما يحلفون بالبيت العتيق نفسه . قال احدهم :

فاني والذي حجّت قريشٌ بمكّته ، وما حجت حِراءُ[1]

وكانوا يحلفون بحِراء ويدوّنون أيمانهم في اسفل المعاهدات المعقودة بين القبائل ليضمنوا المحافظة عليها ، فلا يخفر المتعاقدون ذممهم . ويذكر الشاعر خُفاف بن نُدبة السُلَمي ، مع ثبير ، « وكني حِراء »[2] اي الحجرين المؤلهين فيه ، وليُنتبه لاستعمال المثنّى . وقد كان لقمّة حِراء ميزة خاصّة فكان يرقى اليها كبار القرشيين ليلقوا فيها اللصات الخافلة على اعداء مكّة ، كما فعل عبد المطلب في لعنه غزاة الحبش .[3] وكأنها قمة الجلبوع[4] لبني اسرائيل ، على فرق ان حِراء يظهر اجدب واوحش من جبل السامرة ، خلافاً لمزاعم سبرنجر الذي يحوّل حِراء الى مصيف يصعد اليه « من اهل مكة مَن لا تمكّنه ثروته من الذهاب الى الطائف . »[5] ومهما يكن من أمر فقد اجمع المحدّثون واوباب التفسير على قداسته . وقد يحلّون محلّه جبل ثبير ، وجبل ثور . وكأنهم يلهون بهذه الاسماء لهوَهم المعتاد بالأرقام . حتى ان التقليد المدني ينقل جبل ثور الى المدينة فيقيمه في بلد الأنصار .[6]

على قمة حِراء الجرداء المشرفة على اوديته المنقفرة الموحشة ، وفي الكهوف المتخرقة في جوانبه الشوهاء ، مكوّنة مشاهد خليقة باثارة الرؤى والتخيّلات على

---

١) البكري : ك . م . ٢٧٣ ؛ اليعقوبي : تاريخه ١ : ٢٧٩ ، وهو يكتب « حرى » بالقصر ؛ الاغاني ١٦ : ٦٤ ؛ ابن جبير : ك . م . ١١٢

٢) الاغاني ١٦ : ١٤٣

٣) ابن سعد : الطبقات ١ : ٥٦

٤) اطلب سفر الملوك الثاني ١ : ٢١

٥) راجع كتابنا *Ṭāif*, 49-50

٦) اطلب مناقشة في ذلك ، في السمهودي : وفاء الوفاء ١ : ٦٤-٦٥

قول سپرنجر[1] ، كان بعض القرشيين في الجاهلية يندفعون في سبيل التحنُّث[2]. وما التحنُّث ؟ هي لفظة قديمة يُفرض فيها الدلالة على طريقة في السلوك الى الزهد ، على نوع من التنسُّك العربي لا يُحدَّد تماماً ، على مجموعة من اعمال التوبة والرياضة الروحية تنافي ما نعرفه من طبيعة اولئك التجّار الآخذة بالواقع المادّي الحتي قبل كل شيء ، الضيّقة الصدر بمظاهر العبادة والتقوى ، ولا سيما اذا طالت.[3] ومهما يكن من أمر فان هذه الاوصاف الروحانية كان من شأنها ان توهّب الناس للاعتقاد بالاندفاع الديني المنسوب الى « الحُمس » ، ثم بوجود الحنفاء ودورهم الديني . ولا يهمّنا الآن مناقشة هذه الامور والبحث في تاريخيتها . انما المهمّ انها — تاريخيةً كانت ام موضوعة — تدلّنا الدلالة الواضحة على اهميّة جبل حِراء الطقسية او النسكية في « دين » قريش القديم . الى هذا الجبل كان يلجأ الحنيف الغامض الشخصية زيد بن عمرو فيعيش منفردًا ، هارباً من المشركين[4] . واليه لجأ محمد منصرفاً الى « الجوار » ؛ ولا يخفى ما تفيده هذه اللفظة من وجود مكان مقدّس يجاوره . وقد قام النبي بهذه الزيارات ، و« جاور » مختلياً في رياضة روحية ؛ اذ كان لا يزال على دين قريش القديم ، بشهادة « السيرة » نفسها . فنستفيد دليلًا جديدًا على صفة حِراء المقدسة زمن الشرك ، وعلى قيمة تلك الشعائر في دين قريش الجاهلي . وقد ظلّ النبي ، في الاسلام ، على تكريمه لجبل حِراء ، فقاد اليه مرّاتٍ اصحابه « العشرة المبشرة ».[5]

---

١) Sprenger, *Mohammad*, I, 296-297

٢) البلاذري : انساب الأشراف (مخطوطة باريس) ص ٦٣ (وجه) ؛ الاغاني ١٦ : ٦٤ (ان تكن القطعة صحيحة النسبة) وفيها يدلّ حِراء على جبل من الجبال دون تخصيص، والشاهد قوله : « من سهلها وحِرائها » . وهناك زعم بان عبد المطلب كان اول من قام بالتحنُّث في حِراء ، وذلك في شهر رمضان (كذا !) ؛ البلاذري : ك . م . ٤٢ (قفا) ؛ ابن هشام : السيرة ١٥٢

٣) راجع مع ذلك Wensinck, *Arabic New Year and the Feast of tabernacles*, p. 8 etc.

٤) اسد الغابة ٢ : ٢٢٨ ؛ ابن هشام : السيرة ١٥٢

٥) الاغاني ٨ : ٨٧ ؛ الترمذي ٢ : ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢١٧ ؛ ابو داود : السنن ٢ : ١٦٧ ؛

وهناك جبل مقدّس يحتلّ مركزاً خاصاً في تاريخ مكة[1] ، حتى انه قد يفوق شهرةً جبل حراء . هو ابو قبيس المُشرف على مكة ، وعلى اكمة الصفا المتصلة به بواسطة طريق تصعد بدرج . هذا الدرج ، الضخم التقاطيع ، الآخذ من المنحدر الشرقي ، اتصوّره ، وقد انخفضت مراقيه تحت اقدام الحجّاج الصاعدين[2] اليه مواكب مواكب . وكان الكثيرون من هؤلاء الحجّاج لا يرضون الّا بان يُتمّوا « مسعاهم » الى الصفا والمروة ، بزيارة ابي قُبيس ، وبطوافهم حول « بيته » الخاص ، اي الركن او الحجر المكرّم فيه[3] . ومن ميزات ابي قُبيس الخاصّة كونه صالحاً لدعاء « الاستسقاء » . فكان الناس يصعدون اليه ، زمن الجدب ، فيستمطرون الغيث على بلادهم[4] . وذلك ان الصلوات والأدعية كانت مستجابة على قمّته ، ولا سيما ادعية المظلومين الذين كانوا يقصدونه فيستشهدونه ربّ « بيته » على احقادهم مستعينين بقدرته الغلّابة .[5] ويتردّد اسم ابي قبيس في رؤى عاتكة الماشية ، اخت العبّاس ، عندما اخذت تتكهّن بانكسار بدر[6] . اما الغاية من إقحام هذه الرؤيا التكهّنية في رواية العبّاسيين للسيرة فصرفُ النظر عن الموقف الشائن الذي وقفه العبّاس ، جدّ خلفاء بغداد ، في تلك الوقعة

اسد الغابة ٢ : ١٩٨ ، ٢٠٨ ؛ ٣ : ٣٧٨ Gaudefroy-Demombynes, *op. cit.*, 139 وهو يخلط بين «العشرة المبشّرة» و«الصحابة العشرة الاولين» . وبعض المبشّرة كعُمر مثلاً ، لم يكونوا من قدماء الصحابة . ويستفاد من اسد الغابة ٣ : ١٠٣ ان النبي ، حتى بعد اهتدائه ، اشترك في موكب حجّ يرئسه المشركون .

١) الازرقي (Wüstenf.) ٤٧٧ : الاصطخري : جغرافيته ١٦ ؛ المقدسي : جغرافيته ٧٤ ؛ ياقوت : معجم البلدان (الطبعة المصرية) ١ : ١٥١ ؛ ابن جبير : ك . م . ١٠٨

٢) ابن سعد : الطبقات ١ : ١٢

٣) وقد يكون فيه اكثر من ركن . قابل بما ورد في البيت المذكور آنفاً : « وما جمعت حراء » . واطلب في ابن سعد : الطبقات ١ : ١٢ ، ذكر الصلات القديمة بين ابي قبيس والحجر الأسود .

٤) ابن سعد : ك . م . ١ : ٥٤ ؛ البلاذري : ك . م . ٤٨ (قفا) ؛ اسد الغابة ٥ : ٤٥٤–٤٥٥

٥) الاغاني ١٦ : ٦٦ ، ٧٠ ، ويضع التقليد الاسلامي في ابي قبيس قبور عدد من الانبياء (*Chroniken* (W.), III, 442-443) ، اليعقوبي : تاريخه ٢ : ١٦

٦) الاغاني ٤ : ١٨ ؛ الواقدي (Kremer) ٢٢–٢٣

الشهيرة. ويرد اخيرًا ذكر ابي قبيس في لائحة « المشاهد » ، او الاماكن المقدّسة ، التي يزورها الحجّاج المسلمون[1]. وقد لا تكون هذه اللائحة تامّة ؛ الّا انها تذكر عددًا من مواقف العُمرة القرشية القديمة ، تلك التي كان يقوم بها الدّ خصوم النبي.

وفي الحوليّات المكية القديمة ان ابا قُبيس « اول جبل على الارض . . . حين مادت »[2]، تكوّن من ارتفاع قشرة الأرض، قبل ان تثبت وتتمركز. ويقول ارباب الحديث وعلماء التفسير ، كي يبرّروا ذاك الإكرام الذي ظلّ المسلمون يولونه ابا قبيس ، ان هذا الجبل آوى الحجر الاسود زمن الطوفان ، فحفظه في احشائه[3]. وقد لا نخطئ اذا قلنا أنّ حجرًا اسود ، مماثلًا لحجر الكعبة ، كان يُكرَم في الزمن القديم على قمة الجبل المذكور . أوَ لا يجوز الظنّ ان الحجر الأسود نفسه — وقد كان « بيتاً » نقالًا في اول الأمر ، كما تقدّم — انزلته قريش من ابي قبيس.[4] ومهما يكن من أمر ، فان التقليد الاسلامي يطلق على ابي قبيس لقب « الأمين » لامانته في حفظ الحجر ، ويضع فيه قبر آدم ، خاتمًا محاولاته في إسلام الجبل المذكور[5]، وتعفية ذكريات الشرك فيه ، وفي غيره من تلك المرتفعات المقدّسة التي كانت لا تزال تلفت انظار المسلمين فتجذبهم اليها جرياً على القيام بالشعائر الوطنية التقليدية .

لا شك في انه كان بناء على قمة ابي قبيس . على ان الرواة لا يذكرون صفته ، ولا الغاية منه ، ولا اشكاله الهندسية .[6] ولا يزى هذه التفاصيل تهمّهم ، ان لم نقل انها تضايقهم . فهل كان البناء يشبه الكعبة ؛ أو لم يكن فيه حجارة

١) المقدسي : جغرافيته ١٠٢

٢) الازرقي (W.) ٤٧٨

٣) الازرقي (W.) ٤٧٧ ؛ Dozy, *Die Israeliten zu Mekka*, 12 . وفي ابن سعد : الطبقات ١ : ١٣ ، ١٧ ، رواية غريبة لهذا الحديث .

٤) راجع ابن سعد : الطبقات ، في المواضع المذكورة .

٥) ابن جبير : رحلته ١٠٨ ، ابن بطوطة : الرحلة ١ : ٢٣٦ — ولا ذكر لابي قبيس في سيرة ابن هشام .

٦) الازرقي ٤٧٨ : قطب الدين في *Chroniken*, W. III, 442

مكرَّمة نُقلت الى الكعبة في ما بعد ؟ لقد يستنتج شيء من هذا من مرويات التقليد . ولا نرى الامر غريباً ، ولا سيما في العصور القديمة ، اذ كانت منطقة الحرم معرَّضة للسيول المتكاثرة[1] التي كانت تجتاحها مرةً بعد مرة ، فتجرف « بطن مكَّة »[2]، وتهدم الكعبة نفسها . وحتى بعد الاسلام نرى ابا قُبيس يبدو اقدس المرتفعات القديمة المقدَّسة بجوار مكة . فيستفيد من قربه الى الكعبة ، ومن سهولة الصعود اليه ، بالنسبة الى جبل حِراء الصعب المرتقى . ويظلّ المسلمون يعيدون فيه الشعائر التي جروا عليها منذ الجاهلية[3] . يعزّز ذلك وجود « البناء » المذكور الذي بقي قائماً مدة عشرات السنين بعد الهجرة .

ونعرف من اشهر زوَّار ابي قبيس ، في الإسلام ، عمر بن ابي ربيعة ، المستقلّ برأيه لمخزوميَّته ، والمائل الى التقليد الفني بشاعريته .[4] يرتقي الجبل ، برفقة بعض المخزوميين ، وهو بلباس الإحرام ، لباس الحفلات الدينية الخاصّ ، فيلفظ ، على القمة ، يميناً غموساً حالفاً « وربّ هذه البنية ! » وليس من شكّ في معنى هذا القسم الواضح . الّا ان التقليد الاسلامي لا يرضى به ، ولا يدع عمر ابن ابي ربيعة يحلف « بالبنية » القائمة على قمة ابي قبيس . بل يجعل الشاعر يرتقي الجبل بلباس الإحرام ، ليتّجه بنظره نحو الكعبة[5]، ويحلف ببيتها هي لا ببنية ابي قبيس القريبة منه .[6] ذلك لأن اليمين بغير « البيت العتيق » لا توافق نظرية وحدة المسجد الإبراهيمي التي أشرنا اليها . امّا نحن ، وقد رأينا الدلائل الوافرة

---

١) اطلب كتابنا في *La Mecque*, p. 103

٢) التعبير في القرآن ٤٨ [الفتح] ٢٤ . يزعم المفسّرون ان هذا في جوار الحُدَيبية ، مسلم : ك . م . ٣ : ١٠٢–١٠٣ . وهو تفسير لا مبرّر له . وواضح ان السورة تشير الى معركة في مكة بين المسلمين والمشركين ، معركة لم تذكرها « السيرة » ، ولم يبحث فيها Noldeke-Schwally, *Geschichte*, I, 216

٣) *Chroniken*, W , III, 442, 443

٤) اطلب كيف قلّد معلّقة امرئ القيس : Sal. Gandz, *Die Mu'allqa des Imrul-qais*, 122-125, dans les *Sitzungsberichte* de l'Acad. des sciences de Vienne, 1913

٥) كما فعل النبي نفسه من عن اكمة الصفا ، في نظر التقليد . مسلم : ك . م ١ : ٤٦٨

٦) اطلب تفصيل المشهد في الاغاني ١ : ٢٦

على ضعف هذه النظريّة ، فلا نرى ما يمنع ان نفهم فهماً عادياً عمل الشاعر الظاهر ، غير محتاج الى تأويل او تخريج . والّا فما الذي يدفعه الى ارتقاء مشارف ابي قبيس ليستشهد من تلك المسافة ، ومن فوق أكمة الصفا ، ببنية الكعبة ؟

وعلى قمة ابي قبيس ، شهدنا المغنّي ابن سريج يترنّم ، ليلاً ، بمرثاته المؤثّرة التي خصّها بقتلى قريش في معركة الحرّة[1] ، على عهد يزيد :

يا عين جودي بالدموع السفاح ، وابكي على قتلى قريش البطاح ![2]

ولا نستغرب اختيار المكان والزمان من قبل رجل فنّان كابن سريج . ولكن ما القول في زيارة عبدالله بن الزبير لابي قبيس ، في تلك الساعة ؛ وهو « الخليفة القوّام الصوّام » الذي لم يُثره على خلافة يزيد الّا السهر على مصالح الدين ، كما يزعم ؟[3] حتى اذا سمع ، في جوف الليل ، ترنّمات المغنّي المكّي ، تخيّل هواتف الجنّ تتداعى في ابي قبيس[4] .

وفي عهد المروانيين ، تجرّأ القوم على التخلّص من تأثير هذه الذكريات الجاهلية الموروثة من عهد الشرك ، ففتحوا في جوانب ابي قُبيس مقلعاً للحجارة . هو ما تذكره رواية بحاجة الى تأكيد .[5]

الله

وتجاوز ذكر الجبال المقدّسة ، في جوار مكة ، الى الشعر المتحول نفسه ، فاستغلّ واضعوه تلك المشاعر والمناسك المرتفعة . من ذلك ان ابن هشام اورد في « السيرة » بيتاً منسوباً الى ابي طالب يذكر فيه صعود الحجاج ونزولهم على مراقي حراء ، وثور ، وثبير[6] .

---

١) اطلب كتابنا في Yazīd, 237-257

٢) الاغاني ١ : ٩٩

٣) راجع Yazīd, 182 ؛ مسلم : ك . م . ٢ : ٢٧٥

٤) الاغاني ١ : ١٠٤ ، ٨ : ٥٨ . ولنذكر ان للجن مسجداً في مكة يُدعى « مسجد الجنّ » . وقد ورد ذكر هاتف على ابي قبيس في السهودي : ك . م . ١ : ١٧١ ، ١٧٣ ؛ اسد الغابة ٢ : ٢٨٣

٥) الاغاني ٤ : ١٥٢

٦) ابن هشام : السيرة ١٧٣ ؛ ياقوت : ك . م . ٣ : ٢٦

وقد استند واضع هذا الشعر الى تعابير قديمة ، والفاظ غريبة ، كان من شأنها ، في نظره ، ان تبرّر قدم القطعة فتوهم جاهليّتها . وهو عمل طالما عهدناه في نحل الشعر القديم عامّة ، والشعر المستشهد به في السيرة خاصّة . حتى ان ابن هشام نفسه ، وهو اقرب رواة « السيرة » الى الاخلاص العلمي ، كان يساوره الشكّ احياناً في تزييفيّة هذه الشواهد ، فيشير الى شكّه بكلمة لطيفة او بتلميح دقيق ينبّه ذهن المطالع دون ان يجرح امانة سابقه ابن اسحق .

ولنعد الى جبل ثبير فنرى ان له المركز الخاصّ في الاحتفال بالحجّ العربي القديم . ذلك ان قائد تلك الجموع الصاخبة كان يراقب قمّة الجبل ، حتى اذا شاهد عليها اشعة الشمس الاولى — وهو الحدث المعبّر عنه بالقول السائر : « اشرق ثبير » — أشار بالسير فتحرّك الموكب .[1] فثبير اذاً جبل مقدّس . يؤيّد هذا وجود اسمه في الأيمان ، وفي معاهدات التحالف .[2]

وقد يذكّرنا جبل ثبير ، في بعض نصوص مجموعات الصحيح ، بطابور الانجيل ، او جبل الطور ؛ اذ نراه يضطرب على قواعده تحت خطى محمد صاعداً اليه ، مع خلفائه الثلاثة الأوّلين ، او مع « العشرة المبشرة » .[3] فنسأل : وما الذي كان يدفعهم الى ارتقاء هذا الجبل ؟ اليس السبب نفسه الذي كان يدعو مؤمني الجاهلية الى ارتقائه ؟ وطبيعيٌّ ان جُمّاع الحديث ورواة الاخبار التقليدية لم يكونوا ليتصوّروا هذه النتيجة . انما كان المهمّ في نظرهم ان يدّعوا للاسلام

---

١) ابو داود : السُنن ١ : ١٩٤ ، وكل مجموعات « الصحيح » . وراجع ، بشأن التعبير : « أشرق ثبير » ، الهمداني : صفة جزيرة العرب (D. H. Müller) ٢٦٠ ؛ ابن الاثير : النهاية ٣ : ١٧٥

٢) اليعقوبي : تاريخه ١ : ٢٧٩ ، ٣ : ١٦

٣) ياقوت : ك . م . ٢ : ٦–٧ ؛ البكري : ك . م . ٢١٣ ، ٢٢٢–٢٢٣ ؛ الترمذي : ك . م . ٢ : ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢١٧ . وفي بعض النصوص ان هذه الاعجوبة حصلت على جبل حِراء ؛ ويعيّنها اهل المدينة على جبل أُحد – وهو من الجبال المقدّسة كذلك (اطلب مسلم : ك . م . ٢ : ٢٢٩ ، والترمذي : في المحل المذكور) . بيد ان تعيين موضع ثبير يظلّ عرضة للمناقشة . ومنهم من يذكر عدة جبال باسم ثبير Burkhardt, *op. cit.* I, 386 ; *Chroniken*, W. III, 78–79 اما شنوك هورغرونيه فلا يذكر ثبيرًا في *Mekka*, I, 22.

بجميع المناسك القرشية . « انا المساجد لله » هذا ما حاولوه في ثبير . وهذا ما رأيناهم يحاولونه في حراء ، وابي قُبيس . ولم يكن التقليد لينوّع طرقه واساليبه.

وبعد وفاة النبي ، رأينا ارملته عائشة تصعد مراقي ثبير المقفرة لتنصرف الى « المجاورة » او التنسّك تائقةً بنوع من الرياضة الروحية.[1] وهو حدَث يُستغرب ، لأول وهلة ، بالنسبة الى امرأة معروفة بانغماسها في اضطرابات السياسة المعاصرة . على اننا نستفيد منه لفظة « المجاورة »[2] الدالة على وجود بناء مقدّس يجاوره المتنسّك ، فيُستجاب دعاؤه[3] . وقد يكون هناك على القمة الجرداء نصب ضخم يمثل « البيت » القديم ، وهو ما وصف بقولهم : « حجر كأنه قبّة »[4] وبالقرب منه شجرة وحيدة منفردة تُتمّ ما نعرفه من مظاهر المساجد الجاهلية في تهامة[5] . ونذكر اخيرًا ان ثبيرًا كان يتمتع بالحصانة المتعلقة بمناطق الحرم[6] .

❁

سمعنا ابا طالب يحلف بجبل ثور[7] ، في بيت رجّحنا انه منحول . وسواء أكان منحولًا أم صحيحاً ، فان اليمين لا تفقد اهميتها . اذ ان النحل يدلّ على كثرة هذه الأيمان في الشعر ، كما ان الأيمان تدلّ على حرمة او قدسية الاشياء المتخذة موضوعاً لليمين ، وفي النصّ الذي يهمّنا ، تدلّ على قدسيّة جبل ثور . على انه يظهر اقلّ مرتفعات قريش حرمةً قدسيّة ، هذا اذا اخذنا بالدعاوة المنظّمة حول غيره من الجبال المقدسة في جوار مكة . ويُستنتج من قول ابن جبير ان الحجر المكرّم على قمة

١) راجع Wensinck, *op. cit.* p. 13-17

٢) البخاري : الصحيح (Kremer) ١ : ٤٠٨

٣) *Chroniken*, W. III, 451

٤) ياقوت : ك . م . ٦ : ٣٢٠ ؛ البكري : ك . م . ٧٠٤

٥) ياقوت : ك . م . ٦ : ٢٤٩ . ويظهر ان الحُجّاج ، بعد القيام بشعائر منى ، كانوا يزورون ثبيرًا ، اطلب بيتًا غامضًا في ابن دريد : الاشتقاق ١٧٣

٦) ابن هشام : ك . م . ١٦ (وهو منحول ولكنه قديم) . وفي التعبير الشعري : سرّك ثبيرًا وحراء » يعني : حاول المستحيل ؛ الاغاني ١٦ : ١٤٢

٧) وللشاعر ابن زَبير ، من رجال القرن الاول للهجرة ، بيت يحلف فيه بجبل ثبير ؛ نجد فيه الغالب نفسه المنسوب الى ابي طالب ؛ الاغاني ٨ : ٢٩

هذا الجبل كان على شكل عمود[1]. وكان من فضل ثور أنه آوى النبي في هجرته مع ابي بكر. فكان من عادة النبي ان يلجأ اليه منفرداً[2]، بعض الأحيان، كما كان ينفرد في جبل حراء، قبل الهجرة.[3] اما ما يهمنا خاصة في روايات الحديث المتكاثرة حول هذه العبادات او الزيارات التقوية فالدلالة على الاهمية الدينية التي كان يوليها قدماء العرب هذه الجبال والمرتفعات. هو ما قصدنا الاشارة اليه، وهو ما دلّ عليه ارباب الحديث والتفسير وعلماء السُنة — عن غير قصد — في محاولاتهم نفي هذه الصفات الجاهلية عن المعابد المذكورة بجعلها مناسك الدين الاسلامي، تذكر بزيارات النبي وغيره من آل البيت وكبار الصحابة.

وقد ظلّ النبي يقوم بهذه الزيارات التقوية في اثناء سكنه المدينة. الّا انه، في العشر السنوات الاخيرة من حياته، كانت بدانته تحول بينه وبين السير الطويل[4]، فضلاً عن انه لم يكن يرغب في كثرة التنقلات[5]. بيد اننا نراه على جبل أُحد. هذا ان لم تكن عصبيّة الأنصار قد دفعتهم الى إشراك جبلهم — وهو من القمم المقدّسة كذلك — بفضيلة زيارة النبيّ له. وكان من ذكريات معركة أُحد ان لفتت اذهان المسلمين عن قمة الجبل المكرّمة في الجاهلية، الى سفحه حيث جعل التقليد قبور حمزة ورفاقه من شهداء ذلك اليوم المشهور. فكان اذا رجع النبي من أسفاره، او غزواته، وشاهد عن بعد قمة أُحد المخروطة، خاطبه كما يخاطب الكائن الحيّ فقال: «هذا جبل يحبّنا ونحبّه!»[6]

---

١) ابن جبير: الرحلة ١١٧

٢) الازرقي: ك. م. ٤٢٧–٤٢٨، وفيه وصف الطريق التي اتبعها النبي بين حراء وثور، او ابي ثور (كذا) كما يسميه ابن جبير (ص ١١٦). ويقع ثور في جنوبي مكة على قول Snouck Hugronje, *Mekka*, I, 22

٣) اني افهم «الاعتكاف في المساجد» (القرآن ٢ [البقرة] ١٨٢) بمعنى الحجّ او العُمرة في مناسك الجبال خاصّة.

٤) قابل بما في ابن الاثير: النهاية، في مادة: «بدن»؛ وكتابنا *Mo'âwia*, 398

٥) البخاري: ك. م. ١: ٤٥، ١٩؛ مسلم: ك. م. ٢: ١٤٥

٦) مسلم: ك. م. ١: ٥٢٣، ٥٣٠، وفي سائر مجموعات «الصحيح». السمهودي: ك. م. ٣: ١٠٧، ١٠٨ وفيها روايات مختلفة؛ اسد الغابة ٢: ٣٧١

وهو هتاف غريب ان كان أُحد لا يذكّر الّا بذاك الانكسار المؤثّر !

ولنختم هذا البحث في القمم المقدّسة بلاحظة للجاحظ ينبّه فيها الى ان العرب الذين يطلقون على اولادهم اسماء جبل وطود لا يسمّونهم باعلام الجبال من امثال أُحد ، وثبير ، وأجا ، وسلمى ، ورضوى وما اشبه . ومع انهم كانوا يرون رؤوس هذه الجبال كلها خرجوا من مخاريبهم[1] . أوَ كان ذلك احتراماً لصفة هذه الجبال المقدّسة ؟ أوَ يكونون قد احترموها كما احترموا آلهتهم فلم يطلقوا اسماءها على اولادهم ؟[2] على اننا رأينا ، في بعض النصوص ، كنية « ابي أجا » ثم اسم « سلمى » ، وهو جبل طي الثاني.[3] وهناك رجل خزاعي من مشركي الجاهلية كان اسمه عبد ثور[4] . فاذا كان ثور يدلّ على الجبل المقدس ، كما ارجح ، حقّ لنا ان نسأل : ولِمَ لا نرى اسماء المرتفعات المقدّسة تكثر في تركيب الاسماء المسندة الى الآلهة !

---

١) راجع كتاب الحيوان ١ : ١٥٨

٢) ومع ذلك فقد رأينا اسم « هُبل » في نسب زهير بن جناب الكلبي . على انه نسب موضوع .

٣) الاغاني ١١ : ٦٥ ؛ الجاحظ : ك . م . ١ : ١٥٩

٤) اسد الغابة ١ : ٤٩ . ولينتبه الى ان المضاف اليه غير مُعرّف خلافاً لما ورد مثلاً في الاسم : « عبد الأسد »

المدرسة والتربية الوطنية

موضوع

الاسبوع الاجتماعي الثاني

المنعقد في بيروت ٢٧ نيسان - ٣ ايار ١٩٤١

تخصنا في « مشرق » السنة الفائتة (٣٨ [١٩٤٠] ٦٣–١٠٧) وقائع الاسبوع الاجتماعي الاول ، في بيروت ، الدائرة حول « المكاسب والمبادئ الاخلاقية » في لبنان . وقد رأت لجنة « الاسبوع » ان تخصّ وقائعه، هذه السنة ، بموضوع حيويّ في مستقبل لبنان وتطوّره ، الا وهو « المدرسة الابتدائية والتربية الوطنيّة » . ولا يخفى ما يتنازع ابناء لبنان من نظريّات مختلفة في الشؤون التعليميّة ، ومن ميول تتباين بتباين مِلَله ونِحَله .

افتتح الاسبوع نيافة القاصد الرسولي ، السيّد ريمي لوبريتر ، صباح الاحد ٢٧ نيسان ١٩٤١ ، بخطاب ألقاه في كنيسة جامعة القديس يوسف ، بسط فيه حقّ الله وكنيسته في تنظيم التعليم ، وما كان من همّ الاحبار الاعظمين بالسهر على تثقيف الناشئة وتنكيبها عن المجاهل والمزالق.

ومساء الاثنين بُدئت المحاضرات في قاعة الحفلات بالجامعة . فتكلم اولًا الاستاذ جرمان واتران ، من اساتذة معهد الحقوق ، عن « حقّ قيصر في المدرسة ». فافاض في شرح المبادئ التي استندت اليها نظرية الدولة في احتكارها مهنّة التعليم ، وفرض اساليبها على الناشئة الوطنية .

وكانت لجنة الاسبوع قد سألت ارباب التعليم في لبنان ان يمدّوها بآرائهم في الموضوع ، وبما يرغبون فيه من تحسين وتعديل في المناهج والاساليب .

فاجتمع لديها طائفة وافرة من الآراء والرغبات تمثل نزعات المهذبين جميعها على اختلاف الديانات والمذاهب والمشارب . فعهدت الى الاستاذ سامي الشتاس في ترتيبها ، وعرضها ، والتعليق عليها. فبسط ذلك في محاضرة الثلاثاء ، ٢٩ نيسان ، بعنوان : « التعليم كما يريد ان يكون. »

وفي اليوم التالي تكلم الاستاذ شكري القرداحي « عن التعليم كما هو » ، في حالته الحاضرة ، دارساً خصوصاً الشرائع والاحصائيات المتعلقة بتنظيم التعليم الابتدائي والسهر على سيره في لبنان.

وكان من نصيب الاستاذ فؤاد افرام البستاني ، أن يتناول ، في محاضرة الخميس ١ ايار ، المدارس الابتدائية من رسميّة وخاصّة ، واصفاً حالة المعلّمين ، وقيمة الكتب المدرسية ، ونزعات المناهج التعليمية.

وخُصّت المحاضرة الخامسة بتأثير الرياضة البدنية في التهذيب الاجمالي . فبسطت السيدة برنار طريقة جورج هيبرت، وما ادّته من نتائج باهرة في المدارس الابتدائية في فرنسة.

اما ختام هذه الابحاث فمحاضرة شاملة للاب غوستاف نيرون اليسوعي ، افاض فيها بتفصيل دور الكنيسة في التعليم ، شارحاً المبادئ العامّة التي يستند اليها اللاهوتيون في تنظيم التعليم تنظيماً دينيًّا اخلاقيًّا يصرفه عن استبداد السلطة ، وتحكُّم ربّ الدولة في عقول الناشئين وعواطفهم .

وقد رأينا ان نطلع قرّاء المشرق على زبدة المحاضرات الثلاث التي كانت اشدّها مساساً بالتعليم في لبنان ، وهي محاضرات الاساتذة الشتاس ، والقرداحي ، والبستاني .

التعليم الابتدائي في لبنان

كما يريد أن يكون

بقلم سامي الشماس
المحامي لدى محكمة الاستئناف

ليس المتكلم هذا المساء بالمحاضر . انما هو مقرّر لما قام به غيره من استطلاع آراء الخبراء ورغباتهم في موضوع التعليم الابتدائي في لبنان . فالأفكار اذاً ليست افكاره ، بل هي افكار ارباب التعليم انفسهم . وهذا افضل واجدر بالانتباه .

ولا تخفى اهمية هذا الموضوع . وقد زادها بروزاً ما نراه من اهتمام به ، في بلاد توالت عليها الخطوب ، فدُفعت الى اعادة النظر في اساليب التعليم والتهذيب حتى المتبعة في تثقيف أصغر ابنائها . ولعلهم هم المقصودون خاصة . لأن السنّ التي يتفتح فيها العقل ، هي التي يتأثر فيها أثره الأطول بل النهائي احياناً . وقد نجد في الرجل التامّ الرجولية أثرَ الغلام الناشئ اكثر مما نجد اثر الشابّ . ذلك ان الطابع الأول يظلّ في اعماق التأثرات التالية فلا يكاد يمحوه شيء . أوَ لم يقل برغسون « أن الانسان يظلّ اسير آرائه الاولى ، مهما يصنع للتخلّص منها . وإنْ ينفها بالديناميت في شبابه ترجع اليه يوماً آخذة بثأرها . »

أوَ ليس من حقّ لبنان ان يستفيد من اختبار غيره ، فيقوم بواجبه تجاه هذه الناشئة الحائرة بين المنازع والمشارب المتضاربة . وان تكن الشؤون الاجتماعية ، في بلادنا ، تزداد خطورةً باتصالها بالمشاكل الطائفية فلا يجوز لنا اهمالها ، ولا تبرّر هذه الصعوبةُ نكوصَنا عن المناقشة فيها . وقد طالما أُجل البحث في هذا المشكل . حتى رأى منظّمو الاسبوع الحاضر ان قد حان الوقت لفرضه ودرسه بجرأة تترفع عن النظريات والمشاحنات العقيمة .

وما الذي يفتقر اليه التعليم الابتدائي في لبنان ؟

سؤال طرحناه على مَن يُحسن الجواب عنه ؛ على ارباب التعليم انفسهم ، اولئك الذين يحيون بحياته . وهذه اجوبتهم متراكمة لدينا . فلنحاول عرضها وتنسيقها :

أو يمكن ذلك في تنوّعها واختلافها ؟ أوَ ليست تتباين الى ما لا نهاية له ؟ وأية نتيجة يجوز ان نستخلص منها جميعاً ؟

من الحقّ ان التعليم متعلّق بالطائفة ، فهو منظور اليه ، من عدّة نواحٍ ، بمنظار الطائفيّة المختلف باختلاف الطوائف . ولكن من الحق كذلك ان دارس هذه الأجوبة يشعر بالجذل اذ يرى الاتفاق عامًّا في الشؤون الاساسيّة ، على زعم التباين في دقائق التطبيق . ويتضاعف جذله عندما يتحقّق اننا لم نترك طائفةً او ملّةً الّا استطلعنا رأيها في هذه المشكلة المهمّة . فالنصارى والمسلمون والدروز ، الكثوليك والبروتستانت والارثوذكس ، الموارنة والسريان والارمن ، الاميركان والفرنسيون ، العلمانيون والمرسلون ؛ جميعهم ارسلوا الينا الاجوبة الضافية . ورأينا جميعهم يتفقون في إقرار الغاية من التعليم والطرق المؤدّية الى هذه الغاية .

اما الغاية فهي التربية قبل التعليم . واما الطرق فمردُّها الى تنظيم تعليم وطني حقّ .

١

الغاية من التعليم

يتفق مراسلونا جميعهم على نقطة جوهرية . وهي ان التعليم ليس كلّ شيء . يمكن التلميذ ان يتوصّل الى معرفة القراءة والكتابة والحساب ، ويظلّ مفتقرًا الى الشيء المهمّ في التعليم ، الى الجوهر التهذيبي ، الى التربية التي هي لباس كلّ علم . لقد حفظ كثيرًا من المعلومات . ولكن كيف حفظ ؟ وكيف دُرّب على إنالته الحكم الصائب ؟ والخُلق المستقيم ؟ والقلب الصالح الكبير ؟ ذاك القلب ينبوع الافكار السامية . وهل أُفهم ان من واجبه الطموح الدائم نحو الكمال فالعمل على افادة القريب ؟

هذه التربية الجامعة بين الاجتماع والاخلاق والدين ، غير المنصرفة عن الاهتمام بالجسد ، هي ما يهمّ مراسلينا من ارباب المدارس.

١ — التربية البدنية

اما في ما خصّ التربية البدنية فيحذرون من مجاوزة الحدّ في إجهاد الذهن . وأيّ كارثة تصيب المجتمع ، اذا اهمل المربّون شأن الجسد ، في سبيل انشاء فلاسفة موتى ! ليعمل التلامذة من ستّ الى سبع ساعات فقط في اليوم في ردهات موافقة للمبادئ الصحية . وهو اقصى ما يُطلب اليهم من جهد عقلي ، في نظر الآنسة أليس قندلفت ، من مدرسة الصنائع والفنون الدمشقية . اما سائر ساعات النهار فتُنفق في أعمال رياضيّة منظّمة وموجّهة توجيهاً مدرجاً نحو الألعاب الرياضية جميعها ، كما يقول الاستاذ مشنوق مدير كلية المقاصد الخيرية في حرج بيروت.

ولدينا الآراء الكثيرة في هذا الموضوع ، وكلّها تنمّ عن جرأة وبعد نظر ، في تربية الجسد . وقد تناول هذا البحث ، قبل اربعين سنة ، عالم كبير في الشؤون التربوية ، هو وليم جايمس ، فجعل اهم مشاكل التربية في اصلاح الجهاز العصبي . قائلاً : اجعلوا من هذا الجهاز صديقاً لكم محالفاً ، والّا انقلب عدوّاً ضارّاً . فهو الذي تحتاجون اليه في الساعات الخطرة والايام العصيبة. واذا ما عملتم على تمرين اعصابكم يوميّاً منذ الصغر ، فانلتموها الصحة والطمأنينة ، كانت لكم نعم المعين في حاجتكم اليها ، اثناء الكوارث والاضطرابات.

تربية الأعصاب ! أوَ لسنا بأمسّ الحاجة اليها في يومنا هذا . وكأنه لم يمرّ على قول الفيلسوف المربّي اربعون سنة !

٢ — التوازن العقلي

أوَ ضروريٌّ ان نُضيف الى ما تقدّم ان الجسد لا يُربّى لاثناء الجسد فحسب . وان غايتنا ليست بان نجعل من ابنائنا رجال مصارعة. وان « أعصاب الفولاذ » اذا ما حصلوا عليها بالتمرين ، لا تفيد وحدها ، ولا تغني عن سائر

مرامي التربية . واي فضل يكون للمدرسة اللبنانية اذا اكتفت بان تخرج للوطن حيوانات جميلة متناسقة الاعضاء ، سليمة الاجسام . ولا يخفى ان الجسد يكوّن حافظ العقل وخصمه معاً . ولم يُخلع العقل عن مقامه ، والحمد لله ! وان البشرية لتفتخر بسقراط التاعس اكثر من افتخارها بجنزير ستوارت ميل الضليع السمين . . .

وهو ما ترمي اليه التربية العقلية والخلقية والاجتماعية والدينية التي يفيض في وصفها مراسلونا ، ولهم الحق .

لقد لخّص مونتانيه (Montaigne) المثال الاعلى لنتاج هذه التربية بوصفه «الرأس الحسن الصنع» . فاقامه مناقضاً للرأس الملآن ، والعقل السطحي ، المغرور بالقياسات المادية ، المعتز بالمشاحنات اللفظية ، المتبط بشكوكه ، الطفيلي ، المتعصب ، المنصرف عن الناس ، مدّعياً السمو ، عاجزاً عن كل عمل بنائي . كل هذه المظاهر العقلية تناقض التربية الحق . اما هذه فمن مظاهرها الشعور بواجب الفرد الاجتماعي ؛ مع سماحة فعالة غيرى ولكن دون اندفاع خيالي ؛ ورغبة في التقدم ولكن ضمن احترام التقاليد الصالحة والانتباه للاحوال والظروف ؛ وثقة بالنفس دون غرور ولا تهوّر . وخلاصة كل ذلك توازن عجيب نادر تُشير اليه ضمناً اقوال مراسلينا في مختلف الوجهات من تربية النفس . ولنفصل بعض ذلك مستندين الى هذه الاقوال :

١ — ومن أولاها التربية الدينية الاخلاقية التي يريدها الاب ديد اليسوعي منتشرة في القرى انتشارها في الاوساط المدنية . ويرغبها سيادة المطران بطانيات ، والاب جندر اللعازاري ، على تقدّم دائم . أوَ ليس الدين اثبت قواعد الاخلاقيات ؟ بل قاعدتها الوحيدة في نظر الكثيرين ؟ وهذا التعليم المسيحي الذي يأمل سيادة المطران مبارك أن يراه في المحل الأرفع من المدارس اللبنانية ، يُحفظ ويُشرح يوماً فيوماً ، أوَ لا يظهر ، في عصرنا ، اداة الخلاص الوحيدة للكثيرين من اولئك الذين كانوا ، للأمس القريب ، يعتقدون بامكان ايجاد اخلاقيات دون قاعدة دينية ، وبالتالي دون تبعة ولا عقاب ؟

وغنيٌّ عن البيان ان هذا الإصلاح في التهذيب الديني الاخلاقي يجب ان

يكون بمعزل عن الاستئثار والضغط على الضمائر ، كما يقول الاب ادمون الكبوشي. يجب ان يتصف هذا التهذيب بروح الامانة ، والتعاون ، والتساهل ، واحترام العمل والنظام. وهكذا نؤمل الوصول ، يوماً ما ، الى توحيد الاخلاقيات في بلادنا

وأية ضمانة لنا ، في عصور تضاربت فيها الآراء تضاربَ النزعات والمثل العليا ، افضل من أن نرى المذاهب الخاصة جميعها تذوب في الايمان المشترك بالله ؛ ذاك الإيمان الذي تشير اليه السيدة ع. الدرزية آملةً ان ترى يوماً ما فضيلة التساهل لا تكتفي باحترام عقائد الغير ، بل تتسامى حتى تفوق نفسها منتقلةً الى التفاهم فالمحبة الفعّالة . وعندئذٍ يمكننا ان نبتدئ الاعمال اليومية المدرسية ، وفقاً لرغبة السيدة ع. ، « بنشيد الصلاة الداعية الى الضمير المشترك.»

أملٌ بعيد التحقيق !

وليس من يتجاهل ذلك. ولا شك في انّ الجهود التي تبذل في هذا السبيل ستصطدمُ ، بالمنازعات المتتابعة مدة القرون ، بظاهر الجهل ، والاحتقار ، والانكماش كلٌ على نفسه المقفلة وعقائده الخاصّة ؛ بل قد تصطدم بفكرة عن الألوهة هي اقرب الى التفريق منها الى الجمع،لأنها اقرب الى التواكل والتخاذل في التأمل العقيم منها الى التقارب في الجهد ، والتوحيد في العمل المشترك.

وهو ما أشارت اليه السيدة سُولتر قائلةً : « ان فكرة الله الممثلة بالقضاء والقدر ، اللاجئة في كلّ شيء الى القول : « من الله ! » ، تدلّ على كسل وتواكل يمنعان الجهد والتفكير . بل تدلّ على عقلية شعب انهكته صورة الالوهة الماثلة في العهد القديم. فيجدر اذاً بتدريس العلوم ان يوسّع هذه الفكرة القديمة مولّداً منها الايمان بإله يدعونا الى الدرس ، فالى الاطلاع على الاسباب والنتائج في هذا العالم المادّي الذي نعيش فيه.»

ب ــ اما في مجال التربية الاجتماعية فيرى مراسلونا ان التعليم يفتقر الى الاصلاح الوافر. فان فكرة المجتمع ، وفكرة الوطنية ، تتضاءلان امام النزعات الانانية ، شخصيةً كانت ام طائفية . وكلهم يجمعون على ضرورة العمل في

سبيل تعزيز وطنية نيرة تغذيها فكرة الكرامة والشعور بالمسؤولية تجاه الوطن.

وقد اهتمّ السيد لاترويت ، مدير المدرسة العلمانية ، بالمظهر الملكي من هذه التربية الاجتماعية. فرغب في ان ينظر المهذبون ، في توجيه التلامذة المهني ، الى ميزات محيطهم ، وحاجات البلد اللبناني . قال :

« يجب علينا ان نُمهّد للتوازن الاجتماعي ، والنهضة الاقتصادية ، بتوجيهنا القوى توجيهاً اصوب ، وبانتخابنا انتخاباً أفضل للمقدرات والقيَم.»

وزاد اخوة المدارس المسيحيّة ، ناظرين الى ناحية عملية من الموضوع:« يجب ان يُسهر على العملة الصغار ، فيُدفع عنهم جشع بعض ارباب الأعمال من الذين يستخدمونهم فور خروجهم من المدرسة لقاء اجور زريّة تقرّبهم من الشقاء ، اذ لا يدفعون لهم الّا اربع الى خمس ليرات في الشهر ، دون غذاء.. »

وسنعود الى هذا الشكل الملكي.

على ان هناك امورًا غير هذه تقلق خواطر مراسلينا . وقد اجمع الكثير منهم على السؤال : هل تعتقدون ان المدرسة تتمكّن وحدها من القيام بهذا التهذيب الديني ، الاخلاقي ، الاجتماعي ؟ واذا لم يجد الولد في عائلته ، كل يوم ، وفي محيط عمله ، بعد تحصيله الدروس ، جوًّا صالحاً ينمي فيه تلك العادات الحسنة التي استفادها في مدرسته ، ألا نكون قد بنينا على رمل ، أو غرسنا بجهد اشجارًا تفنى زهراتها قبل الثمر ؟

ولا دواء لهذا الّا بتعاون وثيق بين المدرسة والعائلة ، وبعمل دائب على تطهير الشارع ومشاهده ، وبتنظيم المنشآت الاجتماعية العامّة كمؤسسة حماية الصغار في لبنان وامثالها.

٣ — روح التعليم ولغته

هذا هو الاتجاه الذي يودّ مراسلونا ان يوجّهوا فيه التعليم اللبناني . وهو يتناول فكرةً واسعة في المدرسة ، كما رأينا ، اذ يشمل التربية البدنية والاخلاقية والاجتماعية. بيد انه يفرض اننا حللنا مشكلين جوهريّين في تعليمنا اللبناني وهما: ايّ روح يجب ان يتضمن هذا التعليم ؟ أيكون ميّالًا الى الروح

الغربيّة ام يكتفي بشرقيته وحدها ؟ ولا يخفى ان هذا المشكل يهمّ التعليم والتربية معاً . وهو يقود الى درس مشكل آخر : ما هي اداة هذا التعليم ؟ او ما هي اللغة التي ينبغي ان نستعملها فيه ؟

١ ــ اما مشكلة الاتجاه العامّ في ميــل التعليم اللبناني فتتعلق بالتردّد بين الاستشراق والاستغراب.

ويُجمع مراسلونا عــلى الرأي بأننا لا نحلّ المشكل بالمقابلة النظريّة بين الثقافتين الغربية والشرقية ، والحكم في ايتهما افضل بحدّ نفسها . انمــا يجب الأخذ بالامر الواقع في بلادنا . فنتحقق بالفعل اتجاهاً واضحاً نحو الثقافة الغربية.

للبناني صفات ثابتة من الايمان المتين ، والتقوى التقليديــة ، والمثابرة على الجهد ، والانصراف عن الترف وزخارف العيش ، الّا انها تأثرت في عصرنا بكثير من العادات الدخيلة ، والأخلاق المستوردة . أتى بعضها مع مهاجرينا الراجعين الى اوطانهم . ونتج البعض الآخر من انحدار سكّان جبالنا الى المدن الرازحة اخلاقهــا تحت عبء استعباد مستطيل . فكان ان روح الاستقلال الشامخ والإباء المتمرّد ، صفة الجبل المنيع ، اخذ يتضاءل في جوّ المدينة المشبع ، في قرون الاستعباد ، باللطف حتى الذلّ ، وباللين حتى الصّغارة. لقد استفاد اللبناني ، في جوار المدينة ، مرونةً في المعاملات ، ومقدرة على انتهاز الفرص . ولكنه فقد الكثير من خلقه النبيل . وفقد ، كذلك ، العلاقة الدائمة بارضه الجبلية مولّدة هذا الخلق.

وكان ان الجيل الذي أدرك الرجولية بُعيد الحرب الكبرى أخذ يفتّش عن مُصلح لهذه الحال في الثقافة الغربية . وتبعته الى هذا المفزع الاجيال المتعاقبة.

ولكن هل جاءتنا هذه الثقافة بالفائدة المتوخاة ؟ هل كان صالحاً ، في اصلاح فاسدنا ، كلّ ما نقلناه عنها ؟

ذلك اننا لم نأخذ عن الغرب روح الحريّة وحده ، بل نقلنا ثقافته كاملة بكل ما فيها من حسن وسيء ، بكل ما تفرض من تطوّرات ، وتولّد من حاجات جديدة.

وروح الحرية نفسه الذي تهافتنا عليه صالحاً في بلاده ، ألا نرى انه كثيراً ما تحوّل ، في عقليّة افرادنا غير المستعدّة ، الى شيء من الثورة على كل نظام ، هو أبعد ما يكون عن المساهمة في العمل البناني . أوَ لم تقدنا هذه « الحريّة » المستوردة الى مجتمعنا دون تبليد ، الى انظمة سياسية سرعان ما ظهر فسادها ، فضرورة اصلاحها السريع . وكيف لا نذكر هنا عبرة نظامنا الدستوري الذي وُلد فجأةً سنة ١٩٢٦ ، منقولاً عن الشرائع الدستورية الفرنسوية الراقية الى السنة ١٨٧٥ ، فاضطررنا الى تعديله سنة ١٩٢٧ ، اي بعد سنة من ولادته ؛ ثم عُدّل مرة ثانية سنة ١٩٢٩ ، ثم عُلّق سنة ١٩٣٢ . ثم غُيّر سنة ١٩٣٤ لحتى عُلّق نهائياً منذ سنتين .

وسبب كل ذلك أننا اهملنا ، في نقلنا هذه المؤسسات ، أمراً جوهرياً ، وهو السؤال ، بادئ ذي بدء ، هل توافق بلادنا هذه الدساتير المجلوبة ؟ على فرض انها موافقة بحدّ نفسها . لقد تناسينا ان المؤسسات السياسية الفرنساوية ، التي كانت فرنسة قد اخذت تئنّ من فسادها ، لم تولد فجأة في تلك البلاد . بل كانت ثمرة تطوّر تاريخي وسياسي مستطيل . تناسينا كلّ هذا ، واغتبطنا بنعمة النظام البرلماني الهابطة علينا ، منبترة الصلة بتقاليدنا ونظمنا التاريخية . ولم تكن على الأهبة الكافية للأخذ بنظام سياسي لم تتطلبه تقاليدنا وطبيعتنا . فأخفق ، وكان لا بد من اخفاقه ، جارّاً وراءه هذه الويلات المعروفة والتي لا نزال نئنّ منها .

وقد يطول بنا الكلام اذا فصّلنا ضروريات التربية المدنية والوطنية التي يرغب مراسلونا في ان تُعلّم منذ عهد الدراسة الابتدائية . انها توْهب الوطني الى معرفة واجباته المدنية ، مع تفهّم حقوقه ، فلا يطالب بالثانية قبل قيامه بالاولى ، من احترام السلطة ، ودفع الضرائب ، وما شاكل ، مستفيداً حقّ مطالبة السلطة باحترام الحريات الشخصيّة . ذلك ان الظلم لا يقلّ فساداً عن الفوضى .

النقل والتقليد هما الخطران اللذان يحذرهما مديرو التعليم اللبناني . لأنّ النقل ، دون تمييز ، يولّد ، في مجال التهذيب ، ما ولّده من مساوئ في مجال

السياسة ، اذ تأتي نتائجه مفتعلة غير طبيعية ولا موافقة لحاجات البلاد. وهكذا القول عن كل ثقافة اجنبية اذا ما نُقلت الينا دون تمحيص ، ودون إعداد . فانها ، ولا سيما اذا كانت تفوق ثقافتنا ، تولّد تلك العقول المنفردة بتفكيرها ، المنقطعة عن محيطها ، المترفعة عن مواطنيها حتى لا تفهمهم ولا يفهمونها . مَثَلها في ذلك مَثَل الشرائع الثورية التي تُفرض فجأة ، فلا يطلبها التطوّر ولا يتحملها الشعب . غروس غريبة لا تلبث ان تذبل وتجفّ ، لانها منقطعة الاصول ، فلا تتناول غذاءها الحيوي من ارض البلاد التي نُقلت اليها.

واننا نأسف ألّا يتسع بنا المجال فنسرد صفحات قيّمة للسيدة سولتر ، حاملةً على ذاك النوع من التغرّب او الاستغراب يتطلّبه بعض اللبنانيين في سبيل الانتفاع المادي ، او في سبيل التظرّف والتحذلق ، مما لا يوافق في شيء جوهر الطبع اللبناني الاصيل .

ولا يعجزنا ان نوجد حلًّا موافقاً لطبيعة هذه البقعة ذات المدنية الخاصّة ، وقد اتجهت ، من ناحية ، جهة البحر المتوسّط وحضارته الغربية ، واستندت الى الشرق من ناحية أخرى.

وليس الكلام عن التعليم الثنوي والتعليم العالي. فانهما سيتجهان حتماً الى الجهة التي توافقها ، على كونها لا يتناولان الّا العدد القليل من الشعب . اما التعليم الابتدائي فيمكن ان نوجد له اتجاهاً متوازناً موافقاً لنزعات الشعب.

وقد أيدت مراسلتنا هذه الآراء بقوة وصراحة قائلة :

« ان التهذيب الغربي الذي نحمله الى هذه البلاد لا ينبغي ان يُفرض كشيء خارجي مصطنع ، حتى وان رغب فيه الشعب رغبة المعجب المخلص . بل يجب ان يكون متوافقاً كل التوافق مع غريزة هذا الشعب الروحية . مهمتنا نحن ان نحمل الجديد ، ولكن ينبغي لنا ان نؤسس مدرسة ذات علاقات حيوية بالبلاد التي نأتيها من الغرب بما نودّ ان نعطيها اياه . وكيف القيام بهذا التعليم ؟ ذلك انه اذا اردنا ان تكون حياة ، فلا بدّ من القيام بتعليم حقّ ! »

ثم تقول ان افضل طريقة يقوم بها الغربيون لعرض آرائهم وجعلها مقبولة هي أن يعملوا هم باخلاص على فهم عقليّة بلادنا ، ومحبة شعبنا. ولا بدّ من هذا

التفاهم لمعرفة الحاجات الصحيحة في مجال التعليم والتهذيب. وبالتفاهم وحده يتسع النفوذ المقبول ، لا المفروض ، المحترم العادات والتقاليد ، الساهر على ان لا يحدث التباين الخطر بين المدرسة واهل التلميذ . لأن هؤلاء ، وان كانوا لا يزالون على البساطة الفطرية ، قد يمثلون افضل صفات الوطن . ولا بدّ للمهذب العصري من ان يحترم ما في العادات القديمة من روعة مؤثرة .

وبهذا الشرط وحده ، اي بغربلة جميع العناصر الدخيلة موافقةً للبيئة اللبنانية ، يمكن القيام بالعمل المجدي .

على هذا الأسّ الوطني للتعليم ماذا يجب ان نبني من المعلومات ؟

يقول الكثيرون بضرورة التوسّع في التعليم الابتدائي العملي بل الفني نفسه . ينبغي ان يطّلع صغار اللبنانيين على شؤون بلادهم ، على تاريخهم ، وتقاليدهم ، ومقدرات وطنهم الاقتصادية ، وعلاقاتهم مع جيرانهم بالنسبة الى مركزهم الجغرافي ؛ ومع كل هذا يجب ان نعزّز التعليم الزراعي في القرى ، والصناعي في المدن ، والتعليم المنزلي في مدارس البنات .

ولا شك في ان تعليمنا الحاضر ميّال الى النظريات اكثر منه الى التطبيق العملي . وهو ما يأسف له الاساتذة ، فيتوقون الى إعداد التلامذة إعدادًا أمثل لمجابهة صعوبات الحياة ، بتعزيز الناحية العملية في اذهانهم ، وتعويدهم النشاط والإقدام . « وذلك بتلقينهم دروس اشياء ، واعمالًا يدوية ، موافقة لما يرونه في محيطهم . وهكذا يصبح التلميذ ، وهو لا يزال في المدرسة ، شاعرًا بلذّة الاختراع والاكتشاف ، ولذة الاختبار الشخصي . ولهذا ينبغي ان يكون للمدرسة بستان صغير ، ومعمل للنجارة مهما كان حقيرًا . »

ويزيد الاب ادمون انه يجب مساعدة التلامذة على ايجاد مهنة لهم يتهنوها فورَ خروجهم من المدرسة .

اما هذه المهنة فيكاد يجمع المراسلون على أنها مهنة الأرض .

« إنه لمن الغريب ، على قول جريدة « لاسيري » ان لا نجد مدرسة زراعية في هذه البلاد العائشة بفضل الزراعة . نحن لا نرغب في ان نجعل من ابنائنا مهندسين زراعيين . ولكن لنعلّم ، على الأقل ، ابناء الملاكين شيئاً من مبادئ الادارة

الزراعية ، وتنظيم المزدرعات ، كما ينبغي ان نطلع ابناء الفلّاحين على المعلومات الضروريات بشأن انواع المزروعات التي تنبت في مناطقهم . ويجب ، في هذا ، ان نبدأ بالاساس ، فننشئ معلّمين على بعض المعرفة بالشؤون الزراعية ، فينشرونها بدورهم على تلاميذهم باسلوب يقرن النظرية بالعمل .»

ويفيدنا الاستاذ ستوارت دُد ، من الجامعة الاميركية ، معلومات جديرة بكل اهتمام ، في هذا الموضوع ، قال:

«الغاية الاساسية من مدارس القرى هي ان تُعدّ تلامذتها ، من صبيان وبنات ، لحياة القرية . وليس لمدرسة القرية ان تكون مرقاة لمدارس المدن ، ولا ان توجّه تلامذتها الى التعليم الثنوي. من هذا المبدأ تتفرّع النتائج التالية: ينبغي ان تصبح الزراعة ، النظرية والعملية ، اهم موضوعات التدريس . ويليها علم الصحة. اما القراءة فيجب ان تُستخدم لمطالعة النصوص الموافقة البيئة القروية ، لا لفهم الشعر العربي القديم والادب المدرسي . واما التاريخ والجغرافية والعلوم فعليها ان تكتفي بالمحل الثنوي . ويجب ان يعزّز التعليم الصناعي للصبيان ، والمنزليّ للبنات . واذا أمكن ، ينبغي انشاء شركات تعاونيّة ، كما هي الحال في الدانمرك ، والسويج ، وبلغارية ، والهند ، ومصر ، وفلسطين. وليس من يُنكر ما قامت به هذه الشركات من تحسين الحياة الاقتصادية في تلك البلاد . وعند ذلك يُصبح من منهاج التعليم شرح المبادئ التعاونيّة. ولا يخفى ان هذه الشركات التعاونية ، اذا ما عزّزتها الحكومة ، وعضدها مصرف مركزي ، قادرة على مساعدة الفلّاحين في حلّ مشاكلهم الاقتصادية ، والصحيّة ، وحسم المشاحنات بين القرى ، وملء الفراغ في الحياة الريفيّة ، ذاك الفراغ المملّ الذي يعزّز النزعة الى المدن في الشبيبة القروية.»

وعلى هذا الوتر من ضرورة تعزيز التعليم الزراعي يضرب الاخوة المربيّون ، آسفين على أنّ الارض تموت ، في بلادنا ، كما في اوربة. اما في بلادنا فان خطر الانصراف عن الارض يبدو اشدّ هولًا ، لأن مدننا لا توفّر للاجئين اليها المشاغل والاعمال الصناعية المتكاثرة في مدن اوربة .

على ان في مدننا صناعات صغيرة يجب تعزيزها ، وتوجيه بعض التلامذة

نحوها كصناعات النجارة والحدادة وما اليهما .

ومما يجب إصلاحه ، واعادة النظر في تنظيمه ، تعليم البنات . فهو بحاجة ماسة الى الاتجاه اتجاهاً عملياً ينظر الى مصير البنات في الاسرة ، وفي الحياة . آخذاً ، قبل كل شيء بالتعليم المنزلي من طبخ ، وغسل ، وخياطة ، وما يتبعها من تطريز وتخريم ، اذا أمكن . هذا ما يطالب به سيادة المطران صائغ ، جامعاً الى صوته اصوات اكثر مراسلينا .

ويجب ان نشير الى ان هذا التوجيه العملي والمهني للتعليم الابتدائي ، الذي يطالب به الجميع ، قد خرج من حيّز الآمال والرغبات الى حيّز التحقيق في بعض مظاهره . من ذلك ما قام به حضرة الاباتي باسيل غانم ، رئيس الرهبنة اللبنانية العام ، من تجربة سيكون لها الاثر البعيد في الشؤون الاجتماعية . فقد انشأ تعليماً زراعياً في بعض مدارس الرهبانية ، ودعا العاطلين عن العمل الى حرث اراضي الرهبنة وزرعها بشروط تخوّلهم الملكية التامة لقسم من هذه الاراضي بعد ان يستثمروها بضع سنوات .

ب — اما لغة التعليم ، او الأداة التي يجب ان تُستعمل في المدارس ، فيجمع غالب المراسلين على ان التعليم الابتدائي يجب ان يكون باللغة الوطنية .

«يلزم صغارنا ان يتكلموا اللغة العربية ، ويتلقوا المعلومات بالعربية . فان ذكاءهم يكون أتمّ نموّاً باستعمالهم لغة الامّ . حتى اذا ادركوا التسع السنوات اقبلوا على اللغة الفرنسوية ، فتثقفوها ، ولكن دون ان يهملوا التحدث بالعربية في مدرستهم . »

هذا ما تراه الآنسة قندلفت . ويشاركها فيه لا اللبنانيون فقط بل الاساتذة الاوربيون انفسهم . وهذه السيدة سولتو ترى انه «من الواجب ان يُخصّ تعليم اللغة الفرنسوية بابناء المدن وحدهم ، وابناء القرى الكبيرة .» ويقرّ الاستاذ لاتروبيت بانه «مهما يكن من رغبته في نشر لغته الفرنسوية ، يرى هذه اللغة قليلة الفائدة للعمّال وابناء المهن البسيطة الذين يؤمّون المدارس الابتدائية الوطنية .

وانه بامكانهم ان يتعلّموا بأنفسهم ، اذا ما عايشوا البنات المختلطة في المدن الكبرى ، ما يحتاجون اليه من المفردات الفرنسوية التي تسهّل معاملتهم مع الفرنساويين.»

ه

... وها اننا انتهينا في هذا القسم الاول ، وهو الأطول ، من عرض آراء الاساتذة ومديري المدارس ، في غاية التعليم الابتدائي وطرق توجيهه . فرأيناهم يجمعون على ان الغاية منه التربية والتهذيب قبل التعليم، وانه يجب ان يتّجه الى تهذيب الجسد والروح معاً ، متصفاً بالصفة الوطنية ، مستخدماً اللغة الوطنية.

٢

الطريق الى الغاية

يتعلّق القسم الثاني من مشكل التعليم الابتدائي بالطريق المؤدّية الى بلوغ الغاية منه ، فيسأل : هل نترك للحكومة ان تنظم هذا التعليم فتوزّعه هي على ابناء الرعية ؟ ام يجب الاهتمام بتعزيز المدارس الخاصّة ، وهي الكفيلة بنشره ؟

وغنيّ عن البيان ان لكلّ من النظريّتين المتعاكستين حزباً قوياً في بلادنا ، كما ان هناك كثيراً من دعاة التوفيق بعرض الحلول المتوسّطة .

اما النظرية الاولى القائلة باحتكار الحكومة للتعليم فتدعمها، على الغالب ، الاوساط العلمانيّة والاسلاميّة ، مؤيّدةً السلطة في قولها ان التعليم ، اذا لم تقم به الدولة ، اصبح عرضةً للتأثر بالخصائص الطائفية التي قد تؤدّي الى إضعاف التهذيب الوطني الشامل .

وهو ما يعبّر عنه بصراحة مدير المدرسة العلمانية فيأسف لكون المدارس الرسميّة لا تضمّ الّا ٢٠,٠٠٠ تلميذ مقابل ٦٠,٠٠٠ يختلفون الى المدارس الخاصة . ويتّفق مع مدير مدرسة المقاصد الخيرية في القول ان التعليم الابتدائي المجاني الإلزامي — وهو تعليم يرغب فيه الجميع — لا يمكن ان يُحقّق تماماً الّا اذا تدخّلت فيه الدولة تدخّلاً تامّاً .

واما الاوساط المسيحيّة فانها معاكسة إجمالاً لمبدإ احتكار الدولة للتعليم .

تقول هذه الاوساط انه لمن الوهم الخاطئ ان تتصوّر المدرسة الرسمية تمثل التهذيب الوطني . انما هذا التهذيب الحقّ تقوم به بالأولى تلك المدرسة الخاصّة القديمة ، المنبثقة من الأرض ، الحليقة وحدها بالمحافظة على التقاليد الوطنيّة ، الساهرة على إنالة تلاميذها تلك الروح الدينية الأخلاقية التي جعلناها احدى الغايات الاساسية للتعليم . اما المدرسة الرسمية فلا تظهر حكوميّة في نظر سيادة المطران صائغ ، الّا بالخارج فقط . وهي في حقيقتها بعيدة عن روح الحياد التي تدّعيها . هي طائفيّة تنتمي الى طائفة واحدة ، الى الطائفة الاسلامية . ويزيد الاب ديد أنها « إرث تركته الحكومة التركية التي لم تكن تعترف الّا بالمدارس الاسلامية . »

ويستنتج سيادة المطران حيقاري انه يجب ان تُعزّز المدارس الخاصّة وان تُبذل لها المساعدات الوافرة ، بل ان تُعتبر كالمدارس الرسمية .

وبين هاتين النظريّتين المتعاكستين مجال لحلّ متوسّط . وهو ما يراه الكثيرون في الوقت الحاضر ، حتى من ارباب النظريّتين ، اعتبارًا لأحوال اليوم التي تفرض الحلول الموقّتة . ولهذا رأينا ارباب السلطة أنفسهم يعترفون موقّتاً بالمدارس الطائفيّة ، كما ان ارباب هذه المدارس يتغاضون ، موقتاً كذلك ، عن المدارس الرسميّة .

ذلك ان اصحاب النظرية الاولى يقرّون « بان الانتقال من المدارس الطائفية الخاصّة الى المدرسة الرسمية الموحّدة لا يمكن ان يكون الّا تدريجيًا . » ومعلومٌ انه من الصعوبة بمكان إلغاء المنشئات الحافلة بوقار الزمن ثم هناك سبب ماديٌ هو ان موازنة التعليم الرسمي لأعجز من ان تستبدله بالمدارس الخاصّة جميعها .

ولا يخفى ، فوق ذلك ، ان الإصلاح المجدّد ، اذا ما اردنا ان يكون ناجحاً ، يجب ان يُطبّق وفقاً لمنهاج تلمّ في التنظيم المادي والتهذيبي . وما احوج التعليم الرسمي الى هذا التنظيم . يجب ان توزّع المدارس على جميع المناطق . فيُبنى ، في القرية المهمّة من المنطقة ، بناء خاصّ يكون جديرًا بمركز التعليم ، يُنظر فيه الى مقتضيات الفنّ التعليمي ، والى صحة التلاميذ ، مع الاهتمام بإيجاد مسكن المعلم في البناء نفسه . ثم يجب درس منهاج مَرِن للتعليم يوافق اشغال

القرويّين في المواسم المختلفة ، وهي اشغال كثيرًا ما تتطلب معاونة ابنائهم ، ويستهدف حاجات البلاد آخذًا بالاتجاهات العملية التي أشرنا اليها. ويجب ، قبل كل ذلك ، الاهتمام بتخريج المعلّمين وتنشئتهم تنشئة وطنية خالصة تستند الى الثقافة العامّة ، والتهذيب المسلكي الخاصّ.

والى ان يتحقّق هذا الامر ، يجدر بالسلطة ان تراقب التعليم الخاصّ مراقبة فعّالة . وهو من حقّها ، ومن واجبها كذلك. كما انه يجدر بها ان تولي المدارس الخاصّة ، مقابل هذه المراقبة ، اعانات وافرة متتابعة .

هذا ما يكاد يُجمع عليه ارباب الحلّ المتوسّط ، وما يقبل به اصحاب النظريّتين المتعاكستين قبولًا تفرضه الاحوال الحاضرة .

❁

لقد اطلنا في هذا العرض الموضوعي الجافّ ، رغبةً منا في اطلاع الجمهور على ما اتصفت به اجوبة المسؤولين من روح تجرّد وتساهل خليق بكل اعجاب. لقد توصّلوا ، على تباين نزعاتهم الطائفية ونظراتهم المذهبية ، الى تفهّم لحاجات الوطن اللبناني جعلهم يجمعون ، او يكادون ، على اقرار الغايات ، والطرق ، والمناهج نفسها في إصلاح التعليم اللبناني. وقد رأيناهم ، حتى في مشكل الدولة والتعليم ، يقبلون بالحلّ المتوسّط ، على ما في آرائهم من اختلاف بهذا الشأن .

فليتفضلوا بقبول شكر القائمين بهذا الاسبوع الاجتماعي ، لما اظهروه من تفاهم وددناه شاملًا سائر مظاهر حياتنا الخاصّة والعامّة . اذًا لرأينا جميع ابناء الوطن يستصغرون مشاحناتهم الطائفية والإقليمية ، مؤمنين ان لا حياة للبنان الّا بوضع مصلحته فوق المصالح جميعها .

على اننا ، حتى في هذا الأمل ، نرانا مضطرين الى الاتجاه نحو مهذّبي الناشئة ، ارباب التعليم الابتدائي ، فنضع فيهم ثقتنا التامّة ، راجين ان يكونوا عند هذه الثقة !

التعليم الابتدائي في لبنان

كما هو

درس في قوانينه وامصاباته

بقلم شكري القرداحي

الاستاذ في مدرسة الحقوق الفرنسية في بيروت ، وفي محفل الحق الدولي في لاهاي ، الرئيس الاول لمحكمة التمييز اللبنانية سابقاً

عهد اليّ اليوم بان اطلعكم على كلّ ما قام به وطننا في حلّ هذا المشكل الصعب ، مشكل التعليم الابتدائي . فلزمني ان اعرض النصوص المختلفة المتعلّقة بالموضوع ، بعد ان آتي بلمحة على النتائج العملية التي توصّلنا اليها .

وكلّكم يعلم ان حقّ التعليم هذا ، وما يجرُّ اليه من حقّ تهذيب الناشئة ، كثيراً ما تنازعته ، ولا تزال تتنازعه ، سلطتان قويّتان هما الأسرة والدولة .

ما هي حقوق الله في هذا الشأن ؟ والى ايّ حدّ تصل حقوق القيصر ؟ اسئلة اساسيّة في التهذيب تباينت الاجوبة عنها في مختلف العصور ، وفقاً لتباين التأثير الروحي ، والجوّ السياسي في كل بلد .

وان لم يكن من موضوعي التبسّط في شرح النظريّات المختلفة في حق التعليم ، إلّا ان بحثي في الحكم على التشريع المدرسي في لبنان يضطرّني الى الاشارة ، وان سريعة ، الى تلك المشاحنات المتتابعة التي يثيرها المشكل التعليمي في غير بلادنا ، ولا سيما في فرنسة . حتى اذا وضعت نواحي هذا المشكل عند سوانا ، أمكننا الاطّلاع على خصائص التعليم الابتدائي في لبنان ، وفهمنا الاسباب التاريخية التي عملت على تكوينه في ميزاته الحاضرة .

وغير خفيّ ان النظريّات المهمّة في هذا الأمر ثلاث احداها تتوسّط نظريتين اساسيّتين متعاكستين:

اما الاولى، المستندة الى العقيدة الكاثوليكية، فتقول: ان الولد ليس ملك الدولة. انما هو ملك ابويه أوّلاً، ولهما الحقّ في تعليمه وترتيبه. حتى اذا كبر وبلغ مبلغ المواطنين، كان من حقّ الدولة ان تطلب منه الاشتراك في مصلحة المجتمع المشتركة. واذاً فللدولة ان تساعد ابويه في تعليمه، وان تهديهما الى الاسباب الصحيحة في ذلك. اما ان تحلّ محلّهما فلا!

ثم ان الكنيسة سلطة مهذّبة مربّية كذلك. وقد أُسست لتقود ابناءها الى الحياة الروحيـة. فنالت اذاً الحقّ بان تعلّم كل الخلائق. ومَن اعطى الحياة كان من حقّه ان يقودها الى كمالها التامّ.

تعاكس هذه النظريةَ نظريّةٌ متطرّفة أيّدها دانتون عندما أعلن ان الولد ملك الدولة قبل ان يكون ملك أبويه. ثم اتبعها ارباب الانظمة المتسلّطة الذين يدّعون باحتكار التعليم، فيجعلون منه حقاً ملكياً بل مصلحة من المصالح العامّة لا يجوز ان تقوم بها الّا السلطة.

وبين هاتين النظريّتين نظريّة ثالثة تحاول التوسّط والتوفيق. وهي النظريّة التي انتهت اليها فرنسة، فاعترفت، الى جنب التعليم الرسمي الإجباري، بالمدارس الحرّة الخاصّة. ومع ذلك فمعروف ان حريّة الضمائر لم تكن مضمونة الضمانة الكافية، لما تضمنته من إجحاف شرائع السنة ١٩٠١ المشهورة، تلك الشرائع التي ألغاها مؤخرًا المرشال بتان في سبيل تمكين الوحدة الوطنية، فوضع حدًّا لتسلّط متحكّم كان يحرم الجمعيات الدينية من حقّ يوليه الدستور لجميع ابناء الوطن.

❁

اما في لبنان وسورية فانّ التعليم يظهر بمظهر يختلف كل الاختلاف عمّا ظهر به في فرنسة. ذلك ان بلادنا، بما فيها من اختلاف الديانات والطوائف، وبما كانت خاضعة له من نظام سياسي، توصّلت الى الاخذ بطريقة تعليمية يجدر بنا ان نفتش عن اصولها في تطوّرات العصور الماضية.

وينبغي لنا ان نفصل اوّلاً مظاهر السياسة التعليمية التي اتبعتها السلطة تجاه غير المسلمين من سكان البلاد . ثم نذكر الصفات المميّزة التي خصّت التعليم الموزّع على المسلمين وحدهم . ولا تخفى اهمّية الاطلاع على هاتين النقطتين في فهم الاسلوب التعليمي الذي لا يزال معمولاً به في بلادنا حتى اليوم.

ومعلومٌ انه في بلاد الإسلام ، كان الذمّيون — اي اصحاب الكتب المنزلة ، ابناء الديانات الموحاة من يهود ونصارى — يتمتّعون بحقوق واسعة على شرط ان يدفعوا لبيت المال ضريبةً تُعرف بالجزية . فاذا دفعوها ، دخلوا في « ذمّة » المسلمين ، فاصبحت اشخاصهم واملاكهم بأمن من السطو والتعدّيات. اما في ما خصّ القضاء ، فكانوا لا يعرفون الّا رؤساءهم الروحيين . وكان لهؤلاء الصلاحيات القضائية حتى في المواد الحقوقية والتجارية. وكانوا يخضعون لشرائعهم الخاصة وعاداتهم التقليدية . ولهم الحقّ بتعليم ابنائهم ، كما يشاؤون . على شريطة ان يحترموا «الذمّة» تلك العهدة التي تفرض عليهم ، فوق دفع الجزية ، فرائض متنوّعة منها ان يمتنعوا ، في اقوالهم وكتاباتهم ، عن كل ما يُشتمّ منه اهانة النبي ودينه.

اما المسلمون فكانت ديانتهم تمتزج بوطنيّتهم . فلا وطن لهم الّا الإسلام. وقد ظلّ هذا الامتزاج في البلاد العثمانية حتى السنة ١٨٦٩ وفيها ظهر القانون الفاصل فكرة « التابعية » الوطنية عن فكرة الدين . فكان مشكل التعليم سهل الحلّ . اذ لم يكن ممكناً ان تتصوّر اختلافاً ، فضلاً عن المماحكة ، بين السلطة الدينية والحكم الزمني ، لأن الخليفة كان يجمع بين يديه كل السلطات. فهو حافظ الإيمان ، وأمير المؤمنين ، وهو المتسلّط المطلق على رعاياه. هو الخليفة وهو الامبراطور ، جامعاً في شخصه ، كما يقول الشاعر ، تصفّي الله سبحانه وتعالى.

ويجب القول ان نظام التساهل هذا الذي كان يُطلق للذمّيين، اي النصارى واليهود ، حرّية التعليم في الدولة الاسلامية ، لم يكن غريباً عمّا كان يراه علماء الحقوق آنئذٍ في فكرة الدولة . وذلك انه بينا نرى صاحب السلطة ، في عصرنا هذا ، يبسط سلطته على جميع سكان الوطن ، لم يكن الأمر كذلك في

العصور الماضية . ولا سيما في البلاد الاسلامية ، بسبب ما رأيناه من امتزاج السلطتين . فان الشرائع في هذه البلاد ، كما في رومة القديمة ، لم تكن تتناول الّا الوطنيين فقط . اما الغرباء ، بوطنهم او بدينهم ، فكانوا يظلّون خاضعين لشرائعهم وتقاليدهم الخاصة . وهو ما يُعرف عند ارباب الحقوق ، بنظام « شخصيّة الشرائع » اي الشرائع المتعلّقة بالاشخاص ، الذي طالما ساد في المدن والحكومات القديمة . يقابله نظام الشرائع المتعلّقة بالاراضي ، الذي حلّ محلّه في عصرنا ، دالّا على تقدّم في فكرة الدولة ، وارتقاء في العادات ، وتطوّر في فكرة الرعوية الوطنية خرج بها عن التقيّد بفكرة الدين ، الى أُسّ افسح يُبنى على احوال البلاد الاقتصادية والسياسية ، على « حقّ الارض » و« حق الدم » معاً .

فوضح ، والحالة هذه ، كيف أُطلقت حرّية التعليم كحقّ طبيعي ، فرأينا ، الى جنب المدارس الرسمية العثمانية ، اي الاسلامية ، مدارس خاصة بالطوائف غير الاسلامية توزّع فيها على ابنائها التعليم الموافق معتقداتهم .

وعندما أُعلن الخطّ الهمايوني سنة ١٨٥٦ ، الذي أقرّ بحقوق غير المسلمين إقرارًا صريحاً ، لم يزد على ان نظّم هذه الحقوق والخصائص المعمول بها منذ القدم جرياً على العادات التقليدية ، ودوّنها في عهدة ذات مغزى دولي ، مع الاحتفاظ سرًا بالرغبة في ضبطها وإضعافها كلما سنحت الفرصة .

واذًا فليس غريباً ان تكون المناطق اللبنانية ، المستقلّة في قلب الدولة العثمانية ، والمناطق التي سُلخت عنه فأُلحقت بولايات الدولة قبل الحرب الكبرى ١٩١٤ - ١٩١٨ ، قد تمتّعت دوماً بحق انشاء مدارس خاصة ، توزّع فيها بكل حرية التعليم الديني والمدني ، دون ان تعترضها السلطة بشيء .

ولهذا لم يصَب مشكل التعليم في بلادنا ، بسبب هذه الحوادث التاريخية وبسبب تكوين الدولة العثمانية ، بشيء من الأزمات التي انتابته في فرنسة مثلًا ، اذ شاءت السلطة ان تحتكر حقّ التعليم فسنّت تلك القوانين التي اثارت الاحتجاجات المتتابعة .

❁

اما وقد اوضحنا ما كانت عليه من الحرّية المدارس المسيحية واليهودية في

الدولة العثمانية ، فلنعرض للتعليم بالنظر الى المسلمين انفسهم وكيف كانت تتصوره الدولة الاسلامية . حتى اذا وضح هذا الأمر ، ادركنا الاسباب في إهمال السلطة المركزية شأن التعليم وما كان من تأخرها في تنظيم هذه المصلحة وفقاً لمقتضيات العصر .

أو ينبغي لنا التذكير بانّ التعليم ظلّ ، مدة الاحقاب المتعاقبة ، في « دار الاسلام » ، خاضعاً للسلطة الدينية . تَبَنّهُ الشيخ ، ومركزه المسجد ، وصفته دينيّة مذهبيّة خالصة . وكان المسجد ، في ذاك العصر ، محور الحياة الاسلامية العامة سياسيّة كانت ، او ادبيّة ، او قضائية . في ظله يجلس القضاة للنظر في دعاوي المؤمنين ، ويتحلّق الطلّاب حول الفقهاء متمرّنين على اساليب الجدل ، ويجتمع اللغويون والنحاة يتناظرون ويتشاحنون . وقد ظلّ للجامع تأثيره العقلي حتى بعد تأسيس « المدارس » فكان كثيراً ما يسيطر عليها ، ويشاركها في نشر التعليم وتعزيز الأدب . وهو أمر يشبه ما عرفناه عن اوربة ، في القرون الوسطى ، اذ كان رجال الدين يمثلون الثقافة والعلم ، ويكادون يحتكرون نشرها ، حتى ان الناس طالما تناقشوا في هل كانت « الجامعة » مؤسسة دينية ام علمانية ؟

وكان هذا التأثير الديني يتجاوز العلوم العالية الى العلوم الثنوية والابتدائية ، فكانت مدارس الأطفال في حواضر الاسلام تخضع لسلطة الجامع .

فلا غرابة اذاً ان تكون هذه الصبغة الدينية الاكليريكية ، اذا صحّ التعبير ، ميّزت سياسة التعليم في تركية منذ نشأتها الى القرن التاسع عشر . حتى اذا شاءت الدولة ، في السنة ١٨٥٦ ، ان تدخل في حلقة الدول الاوربية ، وجب عليها ان تقلّد الحكومات العصرية فتفصل بين مؤسساتها المدنية والسلطة الدينية ، وبالتالي ان تنشئ للتعليم مصلحة عامة تضعها تحت مراقبتها المباشرة ، فتخرجها من الحلقة الدينيّة .

بيد ان التنظيم المدني العام لمصلحة المعارف لم يُظهر الّا في السنة ١٨٦٩ . بعد ان تقدمته محاولات محدودة تناولت نقاطاً خاصة ، وذلك منذ السنة ١٨٤٦ تقريباً .

اما القانون الشامل المؤرّخ في ٢ ايلول ١٨٦٦ ، الذي قلّد ما يشبهه في الدول الاوربية ، وفتح باباً لكثير من الاصلاحات ، فانه يظلّ حدثاً مهماً في تاريخ تلك الدولة .

خرج التعليم من يد رجال الدين ، مستقلاً في مصلحة رسمية اخذت تتطوّر وتتقدّم الى جنب المدارس الخاصة التي ظلّت تركية تسمح لغير المسلمين بانشائها وادارتها .

❁

آن لنا ، بعد هذه المعلومات التاريخية ، ان نبحث في الشريعة العثمانية الوحيدة المتعلّقة بالتعليم ، والتي لا تزال مرعيّة الاجراء نظرياً ، على الأقلّ ، بعد ان نسخت جميع الأحكام السابقة . هي شريعة ٢٣ ايلول ١٩١٣ .

تعلن هذه الشريعة مبدأين جوهريّين اخذتهما من الحق العصري ، وهما :

١ً ــ التعليم الابتدائي اجباري .

٢ً ــ التعليم الابتدائي مجاني في مدارس الحكومة الابتدائية .

اما المؤسسات الخاصة بالتعليم الابتدائي فهي :

مدارس الحضانة ، ومدارس الصبيان والبنات الابتدائية ، ومدرسة الصنائع والفنون . وينبغي ان يكون ، مبدئياً ، في كل قرية ، وفي كل حيّ من احياء المدن ، مدرسة ابتدائية .

وتفرض الشريعة ان تكون المدارس حسنة الإنارة موافقة للمبادئ الصحية . اما النفقات فتقوم بها الخزينة المحلّية . تقدّم ثمن الارض اللازمة للأبنية المدرسية ، ونفقات البناء ، ورواتب المعلّمين والمعلّمات ، وثمن الاثاث الخ . ويحقّ لمجلس الادارة في الولاية ، او اللواء ، او القضاء اللاحقة به القرية ، أن يفرض على المكلّفين هذه النفقات وفقاً لما هو مدوّن في سجلّ الأعشار .

اما منهاج التعليم الابتدائي فيشتمل على تعليم القرآن لصغار المسلمين ، وتعليم الدروس الدينية لغير المسلمين ، ثم الحساب ، والهندسة ، والتاريخ ، ودروس الاشياء ، والرياضة البدنية الخ . ثم تهتمّ الشريعة بشروط قبول المعلّمين الاصلاء والملتحقين بهم . وطريقة تفتيشهم ومراقبتهم . وتفصل واجباتهم

المسلكية ، مدققة ببعض هذه الواجبات مما يستحق ذكراً خاصاً . من ذلك أن من واجب المعلّم ان يتجنب كل قول من شأنه ان يمسّ الشعور الديني في سامعه ، وان يبتعد عن القمار ، والمسكر وما شاكل . اما العقوبات التأديبية المقرّرة في حال تجاهل هذه الواجبات ، او الإخلال بها ، فتتدرّج من التنبيه البسيط الى الطرد النهائي من مصلحة المعارف العامة ، مارّة بوقف الراتب ، والنقل ، والحطّ من الدرجة الخ . ولنذكر ان شريعة سنة ١٩١٣ تنزل العقاب الصارم بكلّ معلّم يقوم بما يؤول الى الحطّ من شرف المهنة وكرامتها . وحسناً تفعل . فان هذه المواقف ، من قبل المعلّم ، لشديدة الخطر ، ولا سيما امام صغار لا تمكنهم سنهم وحالتهم من التمييز ، ولا من الردّ على معلّمهم . فهم كالشمع اللين ينطبع فيه كلّ ما يشاء الطابع . فضلاً عن انه ، في بلاد تعدّدت مذاهبها وعناصرها ، قد يؤدّي التطرّف بالكلام ، مهما يكن بسيط الظاهر ، الى نتائج خطيرة وخيمة العواقب على الوحدة الوطنيّة .

ولا يمكنني التوسع في النظام المتعلّق بتعيين المعلّمين ، ومراقبتهم ، وتنظيم عقوباتهم مما قد يتطلّب بحثاً برأسه . فاكتفيت بالاشارة اليه .

ولما كان التعليم الابتدائي اجبارياً اتخذت الشريعة سلسلةً من الأحكام من شأنها ان تجعل هذا الإجبار عمليّاً ، وان تتوصّل ، اذا لزم الأمر ، الى فرض العقوبات على مخالفيه . ففرضت عقوبات قد تصل الى الحبس تطبّق بحقّ ارباب العيال ، اذا تركوا اولادهم في الجهل الكامل .

هذه الشريعة ، التي لخصنا اهمّ ما فيها ، تظهر لنا ممتازة . على انها لم تُطبّق .

وليس ، في لبنان ، في يومنا الحاضر ، شريعة تفرض التعليم الاجباري ، وبالتالي عقاب مَن لا يرسل اولاده الى المدرسة ، خاصة كانت ام رسمية .

من الحق ان شريعة ٢٠ تموز ١٩٢٨ ، تنصّ في مادّتها الرابعة ، على « ان التعليم الابتدائي إجباري » ولكنها تنصّ ذلك لتخوّل مصلحة المعارف العامة الحقّ باتخاذ التدابير اللازمة لفتح مدرسة تراها ضرورية في المنطقة . من هذه الناحية الخاصة فهمت الشريعة إجبارية التعليم ، فلم تضع شيئاً من النصوص في عقاب

من لا يطيع الشريعة.

اما تنظيم التعليم الابتدائي في لبنان ، ليومنا هـذا ، فهو ما نلخصه في ما يلي :

في اول درجات التعليم مدارس الحضانـة ، تقبل التلامذة دون السنة السادسة. وتعلّمهم باللغة العربية مبادئ القراءة ، والحساب ، ودروس الاشياء ، ثم مبادئ الرسم ، والاشغال اليدوية . ومدة هذا التعليم سنتان . ينتقـل التلامذة بعدهما الى المدارس الابتدائية وفيها ثلاثة صفوف: الصفّ التجهيزي ، والصف الإعدادي ، والصف الوسط . وكل صفّ يشمل دراسة سنتين . وتختم هذه الدروس بالشهادة الاعدادية الابتدائية ينالها الطالب اذا نجح ، وكان عمره لا يقل عن احدى عشرة سنة كاملة . وليس من رسم لهذا الامتحان.

وبعد هذه الحلقة من التعليم ، الشاملة ثماني سنوات ، يحقّ للتلميذ ان يتابع دروسه ، فيدخـل الصف العالي ، ومدة الدراسة فيه سنة واحدة ، ثم الصف التكميلي ومدته سنتان . حتى اذا اجتاز الرابعة عشرة من عمره ، على الأقلّ ، ونجح في الامتحان ، نال الشهادة التكميلية للدروس الابتدائية.

❁

مَن يقوم بنفقات انشاء هذه المدارس الابتدائية ، وتنظيمها والسهر عليها ؟

ينظّم ذلك القانون اللبناني الصادر في ٢٠ شباط ١٩٢٨ . فيضع على عاتق البلديات ثمن الارض المعدّة لبناء المدرسة ، مع أكلاف البناء او نفقات الإيجار. اما رواتب المعلّمين وتعويضاتهم — تلك التي كانت تضعها شريعة السنة ١٩١٣ العثمانية على عهدة الموازنة المركزية — فان القانون اللبناني المذكور يضعها على كاهل الحكومة.

امـا نظام المعلّمين فلا يستند الى شريعة سنة ١٩١٣ ، بل الى الأحكام الخاصة بنظام الموظفين اللبنانيين ، الساهر على معاقبة كل خطإ مسلكي.

وليُسمح لي هنا ان أُشير الى حكم قـريب الى قانون الموجبات اللبناني ، وان اتبسّط قليلًا في شرح ما يرمي اليه.

وفقاً للمبادئ العصرية بشأن المسؤولية ، تلك المبادئ التي لا تقرّها المجلة ،

وضع القانون اللبناني ، في مادته ١٢٦ ، الفقرة الثانية ، قاعدة بشأن مسؤولية المعلّمين . وقد اتبع فيها القانون الفرنسي ، فقال ان المعلّمين مسؤولون عن الضرر الناتج من عمل غير مشروع يقوم به تلاميذهم ، او المتمرّنون عندهم ، في الوقت الذي يكونون فيه تحت مراقبتهم . على ان مسؤولية الدولة تُستبدل بمسؤولية اعضاء التعليم العامّ . وهذه المسؤولية تتناول إجمالاً كلّ المعلّمين سواء أكانوا من التعليم العامّ ام من التعليم الخاصّ.

وينبغي لنا ألّا نخلط بين اصول هذه المسؤولية الخطيرة الواقعة على كاهل مَن يهتمّون بتعليم الولد وتهذيبه.

ولنفصّل اولاً نوع المسؤولية . فقد تتعلّق بكل ضرر لاحق بالولد نفسه ، ثم بكل ضرر ينتج من عمل يقوم به الولد.

اما في الحالة الأولى — اي اذا حصل ضرر للولد — فلا تُطبّق المادة ١٢٦ من القانون اللبناني . فاذا أُصيب احد الاولاد بضرر من جرّاء سوء حالة المدرسة ، او فساد محتوياتها ، او اهمال المعلّم نفسه . فلا يكون هذا مسؤولاً الّا اذا أُقيمت البيّنات على خطإه .

اما في الحالة الثانية — اي اذا نتج ضرر من عمل يقوم به الولد — فتُطبق المادة ١٢٦ حالاً ، ويكون المعلّم مسؤولاً دون ان تُقام البيّنات على خطإه.

واهمّ الحوادث التي تُطبّق فيها هذه المسؤولية الخطيرة هي التي تنتج من الاضرار التي يلحقها الاولاد بعضهم ببعض . فيكون فيها المعلّم مسؤولاً من قبل القانون ، الّا اذا بيّن — والبيّنة تقع عليه — انه لم يهمل شيئاً من واجبه في مراقبة الاولاد . كأن ينتج الحادث من ضربة سدّدها فجأة احد التلاميذ الى جاره ، دون ان يسبقها مشاحنة او حركة تنبّه المعلّم الى التدخل السريع . وعلى هذا فقد حُكم انه اذا ضرب احد التلاميذ جاره بقلمه فقلع عينه ، في اثناء الدرس ، فلا يمكن ان يكون المعلّم مسؤولاً بشرط ان يقع الحادث فجأة من غير ان يكون هناك نزاع بين التلميذين او حركة تنبّه المعلّم المشغول باصلاح فرض تلميذ آخر . كذلك تُحطّ عن المعلّم كل مسؤولية ، اذا كان قد اضطرّ ، بحكم مهنته ، الى التغيّب عن مكان الحادث.

ولنضف الى هذا ان القانون لا يهمّه ان يكون التلامذة الموكول امرهم الى المعلّم قد بلغوا سنّ الرشد ام لا . فان واجب المراقبة هو هو .

ولا يخفى ان المسؤوليّة التي يفرضها القانون المدني الفرنسي على المعلّم الرسمي باهظة جدًّا ، اذا انتبهنا الى ان هذا المعلّم لا يختار التلاميذ الذين يجب عليه ان يراقبهم ، ولا مكان المراقبة ، ولا معاونيه في هـذا الواجب . فيكون ان القانون يجعله مسؤولًا شرعاً عن حالةٍ لم يكن حُرًّا في ايجادها .

وقد بلغ من تأثّر احد المعلّمين تجاه حُكم نزل به من جرّاء هذه المسؤولية الهائلة ، ان فقد عقله دفعة واحدة . فأثّر هذا الحـادث المؤسف في اوساط الاشتراع الفرنسية ، وتولّد عنه ملحق أصلح به القانون الاصلي ، بتاريخ ٢٠ تموز ١٨٩٩ فأُضيف الى المادة ١٣٨٤ هذه الفقرة : « بيد ان مسؤولية الدولة تحلّ محلّ مسؤولية اعضاء التعليم الرسمي . » وهي الفقرة التي استوحى منها القانون اللبناني الفقرة الثانية من المادة ١٢٦ .

ولكن يجب الّا نعتقد ان معلّمي التعليم الرسمي ، في لبنان وفي فرنسة ، يتخلّصون من كل مسؤولية بفضل هذه الفقرة الاضافية . فان الاجماع يُقرّ لهم بالتخلّص ، لا من المسؤولية ، بل من وضعهم الشرعي بحالة المسؤولية . اي انهم يظلّون عرضةً لتحمّل نتائج الضرر ، اذا ما ظهرت البيّنات على خطأهم . فهم ليسوا مسؤولين شرعاً ، ودون بيّنة كما كانت حالهم وفقاً للنصّ الاول . واذًا فيظلّ من حق المصاب بضرر ناتج من عمل قام به التلميذ ان يرفع الدعوى على المعلّم . ولكنه لا ينال الحكم الّا اذا بيّن خطأ المعلّم المذكور . اما اذا كان الخطأ عرضةً للشكّ ، فالأفضل للمتضرّر ان يرفع الدعوى على الدولة ، وهي المسؤولة شرعاً عن الحادث . ويحق للدولة ، بعد هذا ، ان تتجه جهة المعلّم فتنال منه حقّها ، اذا ما بيّنت خطأه .

المدارس الخاصة

ولننتقل الى المدارس الخاصة من وطنية واجنبية . وقد رأينا كيف نشأت منذ القدم جريًا على السوابق التاريخية والحقوق المكتسبة ، وبفضل الامتيازات

التي اقرّت للاجانب الحقّ بانشاء مؤسسات للتعليم . ولا تزال هذه المدارس ، منذ انشاء الانتداب الفرنسوي ، تستفيد من رعاية المفوضية العليا والحكومة اللبنانية جميعاً.

اما تنظيم هذه المعاهد الخاصة ، في زمننا الحاضر ، فسنه قانون ٢٠ حزيران ١٩٢٤ ، المتمّم بعدة قوانين ، ولاسيما قانون ٣٠ آب ١٩٣٢ . وهو يبدأ بتحديد المدرسة الخاصّة . وهي معهد للتربية يؤسسه ويسهر عليه افراد او جمعيات . ويشمل التحديد الاجانب والوطنيين.

ومن المفيد ان نذكر هنا انه ، وان يكن نظام الامتيازات الاجنبية كان يسمح للاجانب بانشاء المدارس فان الشريعة العثمانية كانت لا تُقرّ بوجود الاشخاص المعنويين . واذا كان لا بدّ للجمعيات الاجنبية كالرهبنات والرسالات ان تسجل ابنية مدارسها باسماء افراد تتخذهم واسطة بينها وبين سجلّات الطابو . وقد زالت الحاجة الى هذا الاسلوب ، منذ صدور قرار ٧ نيسان ١٩٢٤ ، الذي اقرّ للاشخاص المعنويين الحق بالملكية العقارية في بلاد الانتداب . حتى اصبح اليوم لكل فرد ولكل جمعية ، مهما تكن دولتها وتابعيتها ، اذا قاما بالشروط التي يفرضها القانون ، ان يفتحا مدرسة ويتملكا الاراضي والابنية اللازمة لها.

وما هي الشروط التي يفرضها القانون ؟

يجب على طالب فتح مدرسة ان يقدّم :

١ً — عريضة يقرنها بشهاداته الجامعية ، مع شهادة بحسن اخلاقه وسلوكه.

٢ً — تصميم بناء المدرسة ، مع شهادة بموافقة البناء للشروط الصحية . واذا كانت المدرسة داخلية ، وجب ان يدلّ على الغرف المعدّة للنوم ، وعلى عدد التلامذة التي يمكن للمدرسة ان تقبلهم.

٣ً — نسخة عن المنهاج الذي ستتبعه المدرسة مع لائحة باسماء الكتب التي تدرسها .

وكل مدرسة لا تحمل مأذونية تُقفل.

وقد نصّت المادة الثامنة من القرار المذكور على ان لمديري المدارس الخاصة

الحريّة التامّة في اختيار الاساليب التعليمية ، والمناهج ، والكتب التي يشاؤون ، الّا ما كان منها ممنوعاً بقرار يتعلّق بالنظام العامّ .

ويجب ان يكون في كل مدرسة خاصّة سجلّ باسماء المعلّمين ونوع مهمّتهم مدة الخمس السنوات الاخيرة ؛ وسجلّ آخر يدوّن دخول التلاميذ وخروجهم من المدرسة .

❁

رأينا ان قانون السنة ١٩١٣ العثماني ينظّم مراقبة شديدة على التعليم الخاصّ . اما قرار السنة ١٩٢٤ فقد رأى ان لا يدع سبيلاً لتدخّل السلطة في شؤون المدارس الخاصّة تدخلاً قد يكون فيه شيء من التسرّع . فحصر دور التفتيش الرسمي لهذه المدارس في ما تعلّق بالنظم الاخلاقية والمبادئ الصحيّة . على ان المفتشين الرسميين ، اذا ما كانوا في بعثة قانونية ، لهم الحق ان يحضروا الصفوف ليطّلعوا على مستوى التعليم في اللغتين الاجباريّتين ، اي العربية والفرنسية .

ويقوم بهذه المهمّة التفتيشية في المدارس الخاصّة الوطنيّة مفتشو المعارف اللبنانية والمفتشون اللاحقون بالمفوضية العليا . اما المدارس الاجنبية فيقوم بتفتيشها مستشار المعارف العامّة في المفوّضية ومَن يقوم مقامه من مفتشي المعارف في الدوائر المذكورة .

وقد شاءت الحكومة اللبنانية ان تتم العمل التشريعي الذي قام به قرار ٢٠ حزيران ١٩٢٤ ، فاصدرت بتاريخ اول اذار ١٩٣١ مرسوماً ينظّم تنظيماً دقيقاً شروط انشاء المدارس الخاصّة ، وطرق تفتيشها .

فاصبح من حق رئيس الحكومة وحده ان يسمح بفتح مدرسة خاصّة لبنانية او ان يأمر باقفالها . اما المعاهد الاجنبية فتظلّ خاضعة لقرار حزيران ١٩٢٤ ، ويظلّ هذا الحق للمفوّض السامي .

ثم ينصّ المرسوم على ان كل معلّم في مدرسة خاصة يجب ان يكون بالغاً على الاقل ثمانية عشر عاماً ، وان يكون حائزاً على الشهادة الابتدائية اللبنانية . اما مدير المدرسة الخاصّة فيجب ان يكون بالغاً الحادية والعشرين على الاقل ، وحائزاً

الشهادة التكميلية . ولا يجوز ان يكون معلماً من حُكم عليه قضائياً بمادة مخالفة الاخلاق او الامانة .

ويتلافى القانون ما قد ينشأ من تأخير استخدام المأذونيات ، فينص على ان كل مدرسة لا تفتح ابوابها في مدة سنتين من تاريخ اعطاء المأذونية ، تُنزع منها هذه المأذونية ، كما انها تُنزع من كل مدرسة ظلت مقفلة مدة سنتين متتابعتين .

ويزيد ان تعليم اللغتين العربية والفرنسوية اجباري .

ويؤيد ما ذكره القرار السابق من ان مديري المدارس الخاصة لهم ملء الحرية في اختيار المناهج والكتب .

❁

ونصل الآن الى مشكلة الإعانات المدرسية .

يقول القانون اللبناني الصادر في ١٠ اذار ١٩٢٨ ان الدولة تساهم في نفقات المدارس الخاصة للتعليم الابتدائي باعانات منظمة .

ولكي يحق للمدرسة ان تستفيد من هذه الاعانات ينبغي لها :

١ً — ان يكون بيدها مأذونية .

٢ً — ان يكون فيها على الاقل ثلاثون تلميذاً .

٣ً — ان يكون اكبر راتب تتناوله لا يتجاوز الليرة اللبنانية - السورية عن التلميذ في الشهر .

تعيّن الاعانات وتدفعها وزارة المعارف العامة وفقاً للاساليب التالية :

تُجمع المدارس المأذون لها مرتّبة بالنظر الى اصحاب المأذونيات اي اصحاب السلطة المشرفين عليها . ثم يجمع عدد المدارس والمعلمين والتلامذة في كل قسم وتُقترح الاعانة بالنسبة الى هذا المجموع . ولا تُعطى إعانة اقل من عشر ليرات ذهبية بالسنة .

وتُراقب الدولة ، بواسطة المفتشين الرسميين ، صفة التعليم في المدارس التي تتلقى الاعانات حتى اذا ظهر ان المدرسة لا تقوم بالشروط التي ينص عليها القانون ، نُزعت عنها الاعانة .

ولنشر الى ان مشكلة الإعانات حُلت في بلادنا بروح اقرب الى العدل والتساهل مما كانت عليه في فرنسة حتى هذه الايام الاخيرة . ذلك ان مجلس شورى الدولة في فرنسة اصدر رأيين بتاريخ ٢٩ تموز ١٨٨٨ ، و١٣ تشرين الثاني من السنة نفسها ، منع فيهما منعاً صريحاً ان تعطي البلديات اعانات للمدارس الخاصة . وهو منع احتج عليه عدد من رجال القانون،فنعوا على الدولة أنها تعزز مصلحة التعليم العام بجحفة بحق التعليم الخاص . واظهروا الأمل بان عاطفة العدل والشعور بالحاجات الاجتماعية تدفع ارباب السلطة الى إحلال فكرة التعاون والتعاضد ، محلّ المنافسة والمزاحمة في المؤسسات التعليمية .

وقد حُقق هذا الأمل مؤخراً بفضل السيد جاك شيتاليه الذي سمح للبلديات ، منذ دخوله وزارة المعارف العامة ، بان تعطي الاعانات لكل مؤسسة تجدها صالحة للخير العام وبالتالي جديرة بالمساعدة .

❁

وتجب الاشارة الى ان التعليم اللبناني ، الرسمي والخاصّ ، يستفيد من رعاية مجلس المعارف الاعلى الذي أُلف بمرسوم تاريخ ٢ نيسان ١٩٢٨ يتممه مرسوم ٢٤ كانون الثاني ١٩٢٩ . ولا نذكر المجلس الاعلى الذي انشأته المفوضية بتاريخ ١٨ كانون الثاني ١٩٢٦ لمجمل البلاد الواقعة تحت الانتداب الفرنسوي . انما يهمنا المجلس المختص بلبنان وحده .

يرئس هذا المجلس وزير التربية الوطنية ، ويؤلف من عدة اعضاء منهم رئيس الجامعة الفرنسوية ورئيس الجامعة الاميركية ، وعضو من اساتذة التعليم العالي ، وستة اعضاء من اساتذة التعليم الثنوي . الخ .

وتتناول مهمته درس الشؤون المتعلقة بالمناهج والاساليب التعليمية ، ونظام الامتحانات ، وتدريج الشهادات ، وانظمة المدارس الخاصة ، وصفات الكتب المدرسية .

وللوزير ان يستفتي هذا المجلس بشأن الإعانات المدرسية ، وانشاء المدارس ، والانظمة الداخلية المتبعة فيها .

❁

ومن المفيد ، بعد هذه اللمحة الاجمالية في التشريع المدرسي ولاسيما ما تعلّق منه بالتعليم الابتدائي ، ان نتجه جهة الاحصائيات التعليمية ، فنطّلع على مبلغ انتشار التعليم في لبنان ، وعلى نصيب المدارس الخاصة والرسمية من هذا الانتشار .

ولن نطيل في هذه الاحصائيات الكثيرة خشية الملل ، انما نكتفي باهمها دلالة على ما نرمي اليه ، محيلين من أراد على ما جمعناه وسننشره من ارقام بليغة في التعليم اللبناني .

ينتج من الاحصائيات الرسمية ان عدد التلاميذ في لبنان يبلغ ١٧'١ ٪ من مجموع السكان اللبنانيين .

ويبلغ عدد التلاميذ المسيحيين بالنسبة الى مجموع المسيحيين في لبنان ٢٤ ٪ اما عدد هؤلاء التلاميذ المسيحيين بالنسبة الى مجموع التلاميذ فهو مرتفع جداً يبلغ ٧١,٢ بالمائة .

واما عدد التلاميذ المسلمين بالنسبة الى مجموع المسلمين فلا يتجاوز ٩,٧ بالمائة . ويستفاد من المعلومات التي وصلت الينا ان هذا النقص ناتج من ان كثيراً من المناطق الشيعية لا مدارس فيها .

وهاكم الآن ما وصل الينا من الاحصائيات في المدارس الرسمية الحكومية والمدارس الخاصة الطائفية :

يختلف الى المدارس الرسمية ١٩,٨٧٩ تلميذاً يمثلون ١٣,٦ ٪ من مجموع التلاميذ .

اما المدارس الخاصة فتجمع الاسلامية والدرزية منها ١٨,٩٣٦ تلميذاً اي ١٣ ٪ من المجموع المدرسي العام .

وتجمع المدارس الكاثوليكية ٣٦,٩٨٨ تلميذاً اي ٢٥,٤ ٪ من المجموع العام .

وفي المدارس المسيحية ، غير الكاثوليكية ، ٢٣,٤٣٦ تلميذاً اي ١٦,١ ٪ اما المدارس الفرنسوية ففيها ٣٥,٦١٦ تلميذاً اي ٢٤,٥ ٪ من مجموع التلاميذ العام .

بقيت نقطة سأشير اليها في ختام هذا البحث . وهي اني ، في مراجعة هذه الشرائع والقوانين المتعلقة بالتعليم اللبناني ، رأيت ان عدداً من المدارس أقفل ثم أعيد فتحه . ولم أفهم الحكمة في ذلك . قد تكون الوزارة او المديرية تسرعت في اقفال بعض المدارس ، فوجب ، انصافاً ، ان يُرجع عن القرار المبتسر . وقد تكون المؤثرات السياسية دفعت الى هذين العملين المتناقضين . ومهما يكن من امر فلا أخال ذلك ناتجاً من خلوّ المدرسة من التلامذة . وهو ما اردت الاشارة اليه مما قد يحصل في بلادنا ، كما حصل في فرنسة بالنظر الى بعض المحاكم . فقد ذكروا محكمة في بعض الاقضية عاطلة عن العمل حتى ان الرئيس كان يقضي ايامه بصيد السمك . ولم تكن الحكومة لتتخذ قراراً حاسماً بالغائها خشية احتجاج نوّاب المنطقة ، وغضب الرأي العامّ .

على اني لا أخال في المدارس اللبنانية ما يصل الى هذه الدرجة من الفراغ، ولا في المعلّمين اللبنانيين من ينصرف ، ايام العمل ، الى الصيد على مختلف انواعه .

اما اذا كان هذا فلا يجوز للحكومة ان تتردّد في اقفال المدرسة .

وان كان لنا ان نستخلص نتيجة من هذه الابحاث فهي اهمية التعليم بالنظر الى اهميّة غايته، وهي تهذيب الولد الذي يجمع الناس على احترامه بما يتضمن من قوة روحية ومدنية تُستخدم في بناء المجتمع الوطني المقبل .

المعلّمون، وكتب التعليم، والمناهج

التعليم الابتدائي كما هو

بقلم فؤاد افرام البستاني
استاذ الآداب العربية في جامعة القديس يوسف وفي داري المعلّمين والمعلّمات

ان يكن من الحقّ أن درجة المدنيّة في بلدٍ ما تُقاس بنسبة عدد المعلّمين في هذا البلد، فليسعد لبنان باحتلاله المحلّ العالي الى جنب الشعوب الرفيعة التمدّن.

فان مدارسه الابتدائية، من رسمية وخاصّة، تنشر التعليم على ١٣٥,١٧٥ تلميذًا اي ما يعادل ١٧,١٪ من مجموع سكّانه. وهي نسبة خطيرة جدًّا اذا ما قارنّاها بما في الاقطار المجاورة من الشرق الادنى. وهذا جبل الدروز، المتعطّش اليوم الى العلم، يظهر في المكان الثاني بنسبة ٨,٨٧٪ من مجموع سكّانه. اما سورية فلا تعدّ في التعليم الابتدائي الّا ٤,٤٨٪. وتأتي بعدها بلاد العلويين بنسبة ٣,٣٦٪، واخيرًا مصر بنسبة ٠,٥٤٪ اي ما يعادل ٣٢ مرةً اقلّ من لبنان.

بيد ان هذا التعليم المنشور عندنا بلا قيد ولا حصر في مختلف درجات المجتمع، هل يحتوي الضمانة الكافية للتهذيب الوطني الاخلاقي؟ هل يظهر عنصرًا صالحًا للمدنية الحقّ؟ هل يقوم، اخيرًا، بالتربية الوطنية؟ هو ما أحاول الجواب عنه، عارضًا، على اسلوب موضوعي بحت وبشيء من الصراحة المؤلمة، نتائج تحقيق دقيق قمت به في المدارس وكتبها ومناهجها، دون ان أمرّ بمديريها واساتذتها ممن قد يهمّهم تجميل الحقيقة وتحسين الواقع.

□

لقد وقفنا، اول من أمس، على رغبات مديري التعليم، وآمال من يهتمّون

به . فلنقف اليوم على سير هذا التعليم ، مجتهدين بقدره كما هو ، لا كما يشاء ان يكون ، ولا كما يشاؤون ان يظهروه لنا .

واني لأعتذر مقدّماً ، إنْ يبدُ لكم هذا المشهد على شيء من الدُكنة . فاني لم ابالغ في الالوان ، كما اني لم احاول التخفيف منها . ذلك ان المشكل الذي بهتنا اليوم اوفر خطورة ، والجرح الذي يكلم لبنان اعمق غوراً ، من ان نرضى بعد باحتمال المسكنات والحلول المؤقتة . لتكن لنا الجرأة على مواجهة الداء لنتمكن ، مخلصين ، من التفكير بالدواء الشافي .

⊡

لندع جانباً مدارس الاطفال ، تلك « الكتاتيب » القائمة في زوايا الجوامع ودور الكنائس ، او المستظلّة بظلّ الخرّوبة الهرمة والسنديانة الشائخة . ولنهمل كذلك المعاهد الثنويّة ، وشبه الثنويّة ، وبعضها لا همّ له الّا حشو ذاكرات الطلّاب طولَ السنة ، والتدخلات والتوصيات زمنَ الامتحان ، ليولّد نهائياً « رؤوساً ملأى » اخرجها « العلم » عن مستواها الاجتماعي الطبيعي .

ولننظر الى المدارس الابتدائية وحدها ، فنجد فيها ١٣٥,١٧٥ تلميذاً يأهلون ١٣٥٦ مدرسة منها ١٩٢ رسميّة . وليس في الكثير من هذه المدارس الّا معلّم واحد يدرّس جميع المواد ، ويراقب التلاميذ من الساعة الثامنة صباحاً الى الرابعة او الخامسة مساء .

واذا استثنينا اكثرية المعلّمين الرسميّين الخارجين من دار المعلّمين ، لا نكاد نجد في معلمي المدارس الابتدائية من تخرّج التخرّج المؤهّل للتعليم . لقد أقاموا أنفسهم معلّمين عندما اخفقوا في السعي لمهنة اوفر عائدة ولا يندر ان نرى مدرسة تُقفل ابوابها لأن المعلّم وُفّق الى مركز في الجاندرمة ، او نجح في امتحان خفراء الجمارك . كما انه لا يندر كذلك ان نسمع بفتح مدرسة جديدة لا غاية لها الّا توفير بُلغة ضئيلة لشابّ عاطل عن العمل عجز عن كسب معاشه من مهنة اخرى ، على ما هو عليه من ادّعاء العلم . لا ابالغ ولا اخترع . انما اجمع حوادث واقعية ، عالماً ومعلناً ان كل مدارسنا الخاصّة لم تبلغ هذا الدرك .

على انه ، وان تكن اهليّة المعلّمين التربوية — او عدم اهليتهم — على

شيء من التفاوت ، فان مظاهر الشقاء في حياتهم لعلى تماثل تام . من مرشح البكالوريا التاعس ، الذي رسب في امتحان تشرين ففزع الى مدرسة في بلاد الشوف يعلّم فيها بعشرين ليرة لبنانية في الشهر ، لا يُضاف اليها أكل او شرب او منام ، فيحتال على المعيشة كما يحتال على التدريس وعلى الدرس،منتظرًا بفروغ صبر دورة حزيران المقبل ؛ الى معلّم القرية الهرم الذي شاخ في مدرسته منذ اربعين سنة يعلّم المواد نفسها متخبّط في الصعوبات نفسها ، من غير ان يرى معارفه تزداد فكرةً واحدة ، ولا راتبه قرشًا فردًا . من ذاك الشاب اللاجئ الى التعليم الى هذا المعلم الشيخ تتحقق وجود كثير من هؤلاء الناس الذين نتعتهم بمؤدّبي الناشئة في بلادنا . ثم ان هذا المعلّم المسكين ليعدّ نفسه سعيدًا اذا توفّق الى ان يضيف على العشر او الخمس عشرة ليرة لبنانية التي ينقده اياها رئيسه الديني — بالاسم على الأقل — شيئاً من المقبوضات العينيّة كالبيض ، واللبن ، والسمن ، والزيت وما شاكل ، يهديها اليه اقلّ تلامذته فقرًا . وقد يصل هكذا الى ختام سنته المدرسيّة ، متكلًا في المعيشة مدة شهري العطلة على الهواء الطلق والماء الصافي ، وعلى ما يغذيه من الأمل — أمل عجيب عنيد لا يتحقّق ولا يملّ — بالسنة الجديدة .

أنستغرب بعد هذا ، وقد رأينا المعلّم يتخبّط في هذه الصعوبات ، أن يكون آخر ما يهمّه العمل على تهذيب تلاميذه التهذيب العقلي ، وأن يكون وراء هذا الآخر ، اذا صحّ التعبير ، السعي في تربيتهم الوطنية والاخلاقية ؟

بيد اننا يجب ان نستثني بعض المدارس الخاصّة في الاوساط المهمّة من التي يديرها المرسلون ، او تمدّها بالمساعدة بعض الجمعيات الخيريّة . ولكنها لا تخلو من النقد . وان يكن التعليم فيها افضل منه في المدارس السابقة ، فان التنشئة المدنية والتربية الوطنيّة على نقص واهٍ ، ولا سيما في مدارس البنات منها . ولا تخلو كلها من مساوئ واضحة إمّا بتعصبها الطائفي الضيّق ، وإمّا بخلوّها التام من العاطفة الوطنيّة . على اني سأعود الى هذه النقطة في الكلام عن الكتب التدريسيّة .

واذا استثنينا هذه المدارس ، وضح أنّ نسل المعلّمين ، في هذه الاحوال

المادية والاخلاقية ، عرضة للاضمحلال والفناء في مدارس لبنان الخاصة .

وهل في ذلك ما يؤسف له ؟

وبمَن يجب ان نستعيض عنهم ؟

وهل في مجموع المعلمين الرسميين من يصلح لسدّ هذه الثلم ؟ فيضطلع بهذا الواجب الاساسي في انهاض بلادنا ؟

وهل اخرجت دار المعلمين اللبنانية ، المؤسسة منذ ثماني سنوات ، رجالاً جديرين بتوجيه ناشئتنا جهة الوطنية الحق ؟

ليس من شكّ في ان معارف المعلم الرسمي على ازدياد منذ ان وُجدت دار المعلمين،وان طريقته العملية واسلوبه التعليمي على تقدّم،وأن حالة الصف الاجمالية أفضل مما سبق . ولكن ما القول في ضميره المسلكي ؟ في تعلّقه بالعمل ؟ في حبه لهذه الاسرة الكبيرة اي المدرسة ؟ في تجرّده للخير العام ؟ في رغبته الدائبة ، لا في خدمة وظيفته ومستقبله ، لا في خدمة الوزير والوزارة والدولة ، بل في خدمة الناشئة ، في خدمة الأمة ، في خدمة لبنان ؟

وماذا يمكن ان يقوم به افضل المديرين واخلصهم رغبة ، اذا ما وُجد في مدرسة رسمية مع معاونين لا يعرفهم ، ولم يكن له كلمة في اختيارهم ، ثم هم ، فوق ذلك ، عرضة لنقل لا سند له احياناً ، يصدر فجأة حتى في بحر السنة المدرسية ؟

وقد اطلعني بالأمس مدير احدى المدارس الرسمية الكبرى ، على مذكرة كتبها سنة ١٩٣٦ الى اساتذته يحضّهم فيها على تعزيز الروح اللبنانية في تعليمهم . أوَ أدلّ من هذه المذكرة على نقص الروح الوطنية في تلك المدرسة ؟ ومتى عهد الناس الاعضاء السليمة بحاجة الى معالجة ؟ ثم انّ هذا المدير نفسه طلب من رؤسائه ، في السنة ١٩٣٧ ، علماً لبنانياً ليرفعه ، كل صباح ، امام التلامذة مجتمعين فيمرّنهم على تحيته بانشاد النشيد اللبناني . وقد لا يستغرب احد اذا قلت انه لا يزال في انتظار العلم ليمرّن تلامذته اللبنانيين على اداء هذا الواجب الوطني .

قيل : لا أمة بلا روح ، ولا روح بلا تربية وطنية . أوَ نجدها هذه الروح

الوطنية في خريجي دار المعلمين ؟ أو يُقرّنا الضمير المسلكي على الجواب بالايجاب دون احتياط ولا تحفظ ؟

اقول هذا مفكرًا بذاك المعلم ، الذي لا غبار على معارفه وسلوكه ، الّا انه يبذل الرخيص والغالي في سبيل نشر الدعوة لحزبه القومي السوري . وذاك الآخر الذي لا يرضى ، في تدريسه للتاريخ ، الّا كتاباً لم يرَ مؤلفه ما يقوله عن الامير بشير الكبير الّا هذه الكلمة : « وفي عهد احمد باشا الجزّار كان في لبنان الامير بشير الثاني المعروف بالمالطي . » (انتهى) .

ولِمَ لا يُبدل واجبه في تدريس التاريخ اللبناني ، وقد يرى ما يسنده في كتاب مدرسي شبه رسمي لا يتردّد في حذف لبنان من خريطة الشرق الادنى ، فيُلحقنا ، بجرّة قلم ، بالجزيرة العربية ؟

□

كما يكون المعلم ، يكون كتاب التدريس .

لقد تصفّحت ستة وخمسين من هذه الكتب التدريسيّة بالعربية والفرنسوية ، تمثل تقريباً كل ما يتناوله ابناء لبنان من غذاء تعليمي ، فيتمثلون صالحه ، او يُسمّمون بخبيثه . وهي تنقسم كما يلي :

١٢ من كتب النحو والصرف وقارينها ، ٦ كتب في دروس الاشياء ، ٥ في الحساب ، ١٨ من كتب القراءة ، ٨ في التاريخ ، ٧ في الجغرافية .

ولنقل كلمة عن الكتب الفرنسوية فنُكفى مؤونة الرجوع اليها . ونحن لا يهمنا فيها كتب الحساب ، ولا كتب النحو . انما نقف لدى كتب القراءة من تلك النصوص المختارة ، ولا سيّما كتب دروس الاشياء . وفي كلّها نقص ظاهر من حيث الموافقة للبيئة . قد تكون هذه الكتب ممتازة بالنسبة الى المدارس الفرنسوية ، ولكنها بالنظر الى مدارسنا نرى فيها نقصاً ظاهرًا في اختيار الامثلة ، وفي وصف المناظر والمناطق المجهولة في بلادنا ، وكذلك في اسلوب الاتجاه نحو صغارنا ، وخطابهم على قدر عقولهم ، وبالتالي فهي لا توافق بيئتنا العقلية ، ولا محيطنا الاجتماعي . ولنزد ، رغبةً في تقرير الحقيقة كاملةً ، ان الكتب الفرنسوية الموضوعة في بلادنا ، وفقاً لمطلوب مدارسنا على زعم اصحابها ،

لا تظهر اكثر موافقة من الاولى .

اما كتب التاريخ والجغرافية فلا ننتقد فيها عدم الموافقة . انما ننتقد روح الاستئثار . وها ان بعض المدارس الخاصة لا تزال تحصر هذا التعليم بتاريخ فرنسة وجغرافيتها ، على رغم ما ينصّ عليه المنهاج الرسمي . اننا لا نرى بأساً في ان يتعوّد شبّاننا وفتياتنا الاشادة بفضائل القديس لويس ، وبطولة جان دارك ، وعظمة نابوليون ، او الاعجاب بجمال الثوج ، وجلال الألب ، وعذوبة الشاطئ اللازوردي ، لاننا لا نرى في ذلك الّا مزيداً من الثقافة والذوق جديرًا بكل تقدير . ولكننا نرى جديرًا بالتقدير كذلك ان يُضاف الى هذا ، في تعليم ابناء لبنان ، معرفة مآثر فخر الدين الثاني وبشير الكبير ، وتذوّق جمال الآثار اللبنانية وجلالها من الأرز الى بعلبك . ولا نظنّ ان الامرين يتنافران ، ولا نرى الثقافة العامة الّا رابحة مستفيدة من هذا الجمع .

اما ان يظلّ صغار اللبنانيين يردّدون : « كان جدودنا الغاليون من ذوي العيون الزرق والشوارب الشُقر » ، متصوّرين اولئك الجدود يجيئون بفرنسجيتوركس في ثورته على الظلم والظالمين ، فهو أمر لا يقلّ غرابة وإضحاكاً عن ان نصوّر اصغارنا انفسهم أنّ جدودهم كانوا يقودون خيولهم وراء طارق بن زياد في سهول الأندلس ، او انهم كانوا يترنّحون على ظهور الفيلة حول هنيبعل قاطعاً جبال الألب ، او أنهم كانوا يسيرون وراء الملك دكران على جبل أراراط ! تعدّد في الطوائف ، تعدّد في النزعات ، تعدّد في التواريخ .

واذا أمامنا لبنان الماروني منكفئاً في جبله الجليل يدافع عن مدخله بكل ما أوتيه من القوة والعزم ، ولبنان العربي يذيب شخصيته في نقطة ضائعة من الجزيرة الهائلة ، ولبنان الفنيقي يتغنّى باكتشافه الابجدية ووضعه أسس المدنية القديمة ، ولبنان - المأوى تلجأ اليه الاقليات جميعها فلا تتنازل عن امتيازاتها الخاصة مدعيةً كلٌّ حديثة منها حقوق اقدم سكّانه واهليه . ولبنان - المختبر تتنافس فيه البعثات والارساليات الدينية والعلمانية ، مولّدةً لبناناً فرنسيًّا او انكلوسكسونيًّا او اميركيًّا ، او ايطاليًّا ، بل لبناناً روسيًّا ، او يونانيًّا ، او دانمركيًّا .

أوَ لا يكفي كلّ هذا لتعزيز الخطوط الانفصالية في هذه الفسيفساء الحافلة

بختلف العناصر والطوائف والمذاهب ، التي استعانت بالظروف المؤلمة ، لسوء الحظ ، فتحوّلت عقيدة مقدّسة وثبّتت في اساس دستورنا السياسي التاعس !

أوَ لا يكفي كلّ هذا لتغذية تلك المناقشات التافهة الوخيمة في أصول اللبنانيين وصفة لبنانهم ؟ أفنيقيّ هو ؟ ام عربيّ ؟ ألاتينيّ ام مارونيّ ؟ ام سنّيّ ام شيعيّ ام درزيّ ام ارمنيّ ؟ كلّها فرضيّات ونظريّات نراها تنتقل من بيئة الى بيئة يُناقش فيها ويُدافع عن كلّ منها ، لسوء حظ اللبنانيين . ولكلّ منها الدعاة والمتحزّبون ، وكل حزب بما لديهم فرحون . الّا فكرةً واحدة قد تكون هي الصحيحة وحدها ، وهي ان لبنان لبنانيّ ، وان امّة تريد ان تعيش في وجه الشمس لا حاجة بها الى استعارة ثوب غيرها .

لقد قلت ، واكرّر القول ، اني لا اخترع شيئاً في كلّ هذا . بل أتحقّق ما تنشره كتبنا التدريسيّة من روح فاسد . تلك الكتب السخيفة المخجلة ، المفتقرة الى الاخلاص والامانة ، الرائحة بالتعصّب الذميم الضيّق ، والمطبّلة بالدعاوات الطائشة . كأنها كتب طائفيّة في حين ان لبنان بحاجة الى كتاب وطني .

◻

بيد ان الروح الوطنيّة الفسيحة المرمى ، اللطيفة المدخل ، لا تكفي وحدها في وضع الكتاب المدرسي . لا بدّ من ان يعاونها الفنّ التأليفي ، والاسلوب التعليمي ، والاهتمام بالاخلاقيات . فما القول اذاً في بعض كتبنا المدرسية ، من التي لا تصلح للتدريس مع انه لا غبار على نزعتها الوطنية . ذلك انّ مؤلّفيها ، وقد شاؤوا تنويع المنتخبات الشعرية ، شحنوها بمقاطع من الغزل الفاحش ؛ او أنهم اكثروا من حكايات اللصوص و« الشطّار » من اولئك الذين يحتالون على الناس ، فيفسدون الامانة ويسلبون الحقوق ، ويتسلّلون اخيراً من كل تبعة او عقاب ، واذا بهم مثال الدهاء و« الشطارة » . وما القول في كتاب اراد صاحبه الّا يمسّ فيه ديانةً ما ، فتوصّل الى ان يمسّ الديانات جميعاً بتجنّبه كل ما يشمّ منه العناية بالاخلاقيّات والواجبات الدينيّة . وقد يكون النقص ناتجاً من سوء التأليف ، كما في كتاب متعدّد الاجزاء ، مفروض التدرّج ، وفيه يظهر الجزء الثالث اسهل من الثاني بكثير . واني لا ازال اذكر مجموعة أخرى شاء مؤلّفها

ان يجدد فيها بان يجعلها عصرية مشوقة فما كان منه الآن أهمل دون تمييز كل تراثنا الادبي القديم ، مستعيضاً عنه ، في تنشئة ذوق التلاميذ ببعض مولدات المعاصرين من تلك التي اقل ما يقال فيها أن النقد لا يزال حائراً في الحكم عليها. أوَ يمكن ان نتصور كتاباً يؤلف لتثقيف صغار الفرنسويين ، فيطرح جانباً آثار كورنيل وراسين ولافونتين ، ليتعلق بمولدات موريس روستان ، وجان ايكار ، وراوول بونشون ؟

ولا بدّ من الاشارة الى الدافع المادّي الذي اهاب وحده ببعض الناس الى تأليف الكتب المدرسيّة. وغنيٌّ عن البيان أن كتاباً موضوعاً ليُباع في بيروت ، ودمشق، وبغداد ، وعمّان ، ورباط ، وتطوان، معاً ، لا يمكن ان يمتاز بصفات خاصة ، فيوافق بيئة من التلامذة محدودة . واذاً فلا بدّ من ان يهتمّ المؤلف بوصف مناظر خياليّة ومناطق وهميّة يزعمها مشتركة بين هذه البلاد جميعها ، وهي في الحقيقة لا توافق واحداً منها. او ان يلجأ الى الاغتراف من مجاميع الحكايات العربية القديمة ، من تلك التي راقت الاجيال الماضية في القرون المتعاقبة ، دون ان يكون لها سند في نقطة معيّنة من هذا الكون الفسيح .

وأيّة قيمة لكل هذه الكتب ؟

على اننا لا نهمل الاشارة الى ما امتاز به الكثير منها من التقدم بالنسبة الى كتبنا التدريسية قبل عشرين سنة. فان مظاهر الطبع ، والإخراج ، والتصوير ، والاهتمام بشرح النصوص والمفردات الصعبة ، وتنويع التمارين ، لجهود جديرة بالذكر يُشكر عليها اربابها .

❁

وننتقل من كتب القراءة والتاريخ والجغرافية الى كتب الصرف والنحو .

منذ ان نشأ النحو — والنحو العربي خاصة — نشأت النقود والمناقشات والمشاحنات . ولم يكن مرور الزمن الّا ليزيدها نشاطاً وسلاطةً . حتى اصبحت تلك القاعدة ، او تلك الشاذّة ، وقد ظهرت لفلان لا اهمية لها ولا مجال في الاستعمال ، تبدو في اعلى درجات الخطورة لمناظره. واذاً فيجب على التلامذة ، وقد أُصيبوا بدُوار هذه المشاحنات المستطيلة، ان يحفظوا القاعدة ، وما شذّ عنها ،

وما شذّ عن هذا الشذوذ ايضاً. وقد رغب بعض الموفقين في التخفيف من هذه الاعباء بتسهيل مبادئ العربية ، فلم ينجحوا النجاح التامّ . وظلّت كتب النحو عسرة الهضم ، سيئة الاسلوب ، وظلّ تدريس النحو العقبة الكؤود في سبيل التعليم الناجع .

اللغة العربية لغةٌ صعبة .

هي عقيدة يتناولها الناس مسلّماً بها ، فيقرّونها مغمضي العيون ، ويردّدونها بسكينة من اطمأنّ ضميره الى انه بذل جهده في مقاومة القدر الماكس ، فلم ينجح . واذا بنا نرى كل شيء صعباً في اللغة العربية : الصرف ، النحو ، المفردات ، التركيب ، الاصول ، حتى القراءة . . . ثم نجود بأحكامنا هذه على الناس ، فنقيم مظهراً من المجد والفخار لمن يتقن العربية ، وشيئاً من العذر والتجاوز لمن لا يتقنها . . .

على انها امتنا الوطنية . ونحن ، وان تكلّمنا عن لبنان القائم جسراً بين الشرق والغرب ، عن لبنان المتجه نحو البحر المتوسط (ذاك البحر الذي لا نراه اقرب الى الغرب منه الى الشرق) عن لبنان المتعدّد الألسن ، فاننا نقرّ هذا على شريطة ان يكون المركز الأول ، في هذه الالسن المتعدّدة ، للساننا الوطني .

ونحن ، وان نُضِف اللغة الفرنسوية ضيافة سخاء في تعليمنا الثنوي والعالي — على انها ضيافة نفعية ، والحق يُقال ، لاننا قد نستصعب تدريس العلوم العصرية والفنون المتقدّمة يوماً عن يوم ، كما نستصعب وصولنا الى مستوى العلم العالمي ، باستعمال اداتنا السامية القديمة وحدها — فلا بدّ لنا من إقرار لغتنا وحدها في أسّ تعليمنا الابتدائي . لا ننفي من التعليم سائر اللغات . ولكنّ نظرة دقيقة الى ما نلناه من نتائج في مدارسنا الابتدائية ، رسمية كانت او خاصّة ، تدفعنا الى الميل نحو توحيد اللغة في السنتين الأوليين من التعليم الإعدادي ، على الأقل . فلا نرى عندئذٍ خرّيجي مدارسنا الدينية خاصّة ، ولا سيما خرّيجاتها ، يغتبطون بانهم لا يفهمون الّا الفرنسوية ؛ حين انهم ، في الحقيقة ، لا يفهمون

فهماً دقيقاً لا هذه ولا تلك من اللغتين .

ولكن ما العمل بالمنهاج ؟

المنهاج الذي يفرض العربية والفرنسوية منذ السنة الاولى من التعليم الابتدائي ؟ المنهاج الذي يطلق الحرّية في تدريس بعض المواد ، فتُلقى موادّها إما بالعربية وإما بالفرنسوية . فتكون النتيجة انها تُدرّس باللغتين معاً ، وفقاً لقدرة المعلّمة (واخصّ الكلام بمدارس البنات) البارزة بغنى مفرداتها الفرنسوية ، وتعوّدها جمع هذه المفردات بجمل عربيّة النسق . واذا بنا نسمع ، حتى في امتحانات البكالوريا ، في مادّة التاريخ والجغرافية ، اجوبة مضحكة تتشابك فيها اللغتان وتتساندان على اسلوب عجيب غريب . وكأنها أمثلة متقدّمة لما ستكون عليه لغتنا ، بعد خمسين سنة ، ان لم نتدارك هذا الخطر فنسرع باصلاح مناهجنا المدرسية اصلاحاً جدّياً حاسماً . ولا يخفى ان المناهج توضع في خدمة التعليم ، وليس التعليم في خدمة المناهج . حتى اذا ظهر تنافر بين حاجات التعليم والمنهاج ، كان الخطأ من المنهاج وحده فوجب تغييره او اصلاحه .

وكما اشرنا الى هذا النقص البارز في موافقة حاجات التعليم ، يجب ان نشير الى ما يتصف به المنهاج من نقص في الناحية العملية . لقد شهدنا ، لسنتين ، امتحانات احدى عشرة طالبة لبنانية في فحص الشهادة الابتدائية ، سُئلن جميعهنّ ، في مادة التعليم العملي ، عن كيفية صنع الخبز . فكان ان تسعاً منهنّ أهملن ذكر الملح . ولم تكن مشكلة الملح من المهملات في بلادنا اذ ذاك .

ومعلومٌ انّ المعلّمين والمعلّمات يشاركون المنهاج في تبعة هذا الإهمال للشؤون العملية ، على انهم لم يكونوا لينصرفوا الى التعلّق بالنظريّات ، لو كانت الناحية التطبيقية في التعليم الابتدائي ، ولا سيما في التعليم المنزلي ، واضحة التحديد ، بارزة الاتجاه .

ثم الا يتّسع المجال ، الى جنب التعليم المنزلي ، لتعليم زراعيّ يكون اجدى من ذلك العمل الرمزي القائم بغرس نبتة ، كل سنة ، في اول احد من

كانون الأول ، والذي لا يمثل في نظر التلميذ — وغالباً ما يكون في نظر المعلم ايضاً — سوى يوم فرصة تعطل فيه الدروس ؟

ينبغي للتعليم الزراعي في مدرسة القرية ، ان يتساوق مع التعليم التاريخي والجغرافي ، مع احترام التقاليد المحلية ، والعيشة العائلية . فترمي كلها الى تعزيز علاقة الولد بمحيطه ، بأرض آبائه واجداده ، فتصرفه عن المدينة وعما فيها من تجاريب ومخاطر . وكيف القيام بذلك ، اذا اتكلنا على معلم غريب عن المنطقة ، تائه في محيط يختلف كل الاختلاف عن المحيط الذي نشأ فيه ، او الذي بناه خياله ؟ حتى اذا سنحت له فرصة عيد او يوم عطلة ، أسرع نحو المدينة الجذابة ، ولم يعد منها متذمراً الا على اليقين بانه ترك الجنة لتلك المنطقة اللعينة . وكيف تريدون الا تؤثر هذه المرارة المؤلمة في تلاميذه — وقد يكون على غير قصد منه — فتدفعهم الى تذوق هذه المدينة المجهولة الجذابة ، معززة فيهم دوار التشرد والانفلات .

وقد يطول بنا الكلام اذا تتبعنا اقسام المنهاج الابتدائي جميعها . فنخطئ الصبر بتفصيل انتقادات مهمة ولكنها مما لا يتسع له مجال هذه الاحاديث . فاذا استقامت نية حكومتنا في اصلاح التعليم ألفت لجنة من ذوي الاختصاص تقوم ، دون شك ، بعمل جزيل الفائدة .

ولنكتف الآن بسبر ثلاث نقاط من منهاج دار المعلمين والمعلمات .

النقطة الاولى : في باب الاخلاقيات والمعلومات المدنية . اننا نفتش عبثاً ، في هذا الباب ، عن مركز الاله الخالق ، والنفس البشرية ، وأس المسؤولية الاخلاقية .

النقطة الثانية : في باب اللغة والآداب العربية . أوَ ليس عجيباً ان هذا التعليم المُلقى على معلمين لبنانيين ، لا يتبسط في ذكر الدور العظيم الذي قام به اللبنانيون في نهضتنا الادبية الحاضرة ؟

النقطة الثالثة : في باب التاريخ والجغرافية . وهنا يسهل القول ويطول ، حتى لا نقول شيئاً .

بيد اننا ، اذا استثنينا هذه النقاط وامثالها من النواقص التي يسهل تداركها ، نرى دار المعلمين اداة الخلاص الوحيدة التي يمكن ان يستند اليها في اصلاح تعليمنا الابتدائي ، على شريطة ان يُبادَر اولاً الى إصلاحها هي ، فتُدخل فيها بعض التحسينات الجدّية .

من ذلك انه ينبغي ان تحتلّ مكاناً خاصاً بها . وقد كان من همّ حكوماتنا السابقة انها فكّرت بانشاء « المشاتل » الزراعيّة ، والمؤسسات لتحسين نسل الخيل . فلا بدع ان نأمل من حكومتنا الجديدة بان تهتمّ اولاً بتحسين نسل المعلمين .

فاذا كان ذلك ، أمكننا ان نرى الى جانب قاعات الدروس ، في هذه الدار الجديدة ، بستاناً صغيراً ينصرف فيه الطلّاب الى تطبيق دروسهم الزراعيّة ، تلك التي ظلّوا يمارسونها الى اليوم ، على المقاعد الخشبيّة . واذا أُلحق مطبخ مرتّب بهذه المدرسة ، سهلت مهمة ارباب التعليم المنزلي ، ذاك التعليم الذي يلحقه المنهاج « بالاعمال اليدوية » خاصاً بها ساعتين في الاسبوع ، والذي لم يمكن اجراؤه ، حتى اليوم ، الّا على الورق .

اذا تمّ هذا الاصلاح في بناء دار المعلمين ومعدّاتها ، وفي منهاجها ، وفي ادارتها خاصّة ، حقّ لنا ان ننتظر الخير الكثير . عندئذٍ تفتح ابوابها لمرشحي التعليم في المدارس الرسمية والمدارس الخاصّة كذلك . فيؤمّها هؤلاء معيّنين ، من قبل رؤسائهم الدينيين ، ولكنهم يخضعون لأنظمة المدرسة المختلفة في المباريات ، وامتحانات الاجتياز ، والشهادة ، شأنهم في ذلك شأن الطلّاب الرسميّين . حتى اذا نالوا شهاداتهم ، انتشروا يطبّقون الطرق التربوية نفسها في مختلف مدارسهم الخاصّة . وقامت الحكومة بدفع رواتبهم كما تدفع لمعلّميها انفسهم . وهكذا تُحلّ مشكلة الاعانات المدرسية العويصة ، تلك الاعانات التي يتبارى رؤساء الاديان في المطالبة بها كثيرةً متتابعة . فبدلاً من أن توزّع عليهم اموالاً ، كما هي الحال اليوم ، تُوزّع اشخاصاً ، اذا صحّ التعبير ، اي معلّمين حائزين على الشهادة التعليمية يعيّنهم اولياء المدارس الخاصّة ، ويقوم بتعليمهم وتهذيبهم التربوي اولياء المدارس الرسمية .

هذا المبدأ في التعاون التربوي بين نوعي التعليم تستند اليه الشريعة الانكليزية

في هذه الشؤون . وقد ادّى الى افضل النتائج حتى اليوم .

۞

مَن طلب الاعانة رضي بالتفتيش والرقابة . ولا شكّ في انّه ، اذا أنشئت دائرة رسمية للتفتيش تضمّ اعضاء لا نزاع في جدارتهم ، وسعة نظرهم ، واخلاصهم للمصلحة التعليمية ، وللروح الوطنيّة الحق ، خطا هذا التعاون بين التعليمين خطوة واسعة ، بل حقّ لنا ان نغتبط بضمانة استقراره . حتى لا تمرّ السنوات المعدودة الّا وتتغيّر الألوان الدكناء في هذا المشهد المؤلم . وبدلَ ان يكون لنا مدرستان متعاكستان ، نزجّ فيهما بابنائنا مضطّرين ، فتحتالان على الحياة ، جنباً الى جنب ، تتجاهل الواحدة وجود الاخرى ، اذا لم تحاربها ؛ تتقارب نزعاتهما شيئاً فشيئاً حتى تنصهرا في مدرسة واحدة تجمع بين حسنات المدرستين ، متخلّصة من سيئاتهما . وعند ذلك ، بدل المدرسة الرسمية والمدرسة الطائفية ، يُصبح لنا مدرسة واحدة هي المدرسة الوطنية .

مظاهر الثقافة الفنيّة

في لبنان

عهد « المشرق » الى فريق من ذوي الاختصاص في تدوين مظاهر الثقافة في لبنان ، فكان من خواطرهم ما يلي :

١

التصوير — الموسيقى — الراديو

التصوير

بزغ في لبنان فجر نهضة تصويرية جديدة شرعت معالمها تظهر في مجاليها المختلفة من معارض عامة وخاصة الى منتوجات حافلة مستقلة واعمال تصويرية فنيّة هامة . ورغم حداثة عهدها ، نشطت حركتها وأخذت تمتد وتتسع يوماً عن يوم مذلّلة العقبات التي تعترض طريقها ، مفسحة المجال للوثوب نحو الفن وثبات واسعة موفقة على يد نخبة الفنانين اللبنانيين الموهوبين الذين كانوا في طليعة طلاب الاكاديميات الاوربيّة ، والذين لا عذر لهم إن هم توانوا عن تأدية رسالتهم الفنية ولم يستمرّوا في مقدمة رفاقهم في كل قطر ومصر .

ومما هو جدير بالذكر ان الجمهور اللبناني بدأ يتذوّق الفن ويهتمّ به فيتقاطر الى زيارة معرض تصوير ، ويتسابق للتأمل في المظاهر الفنيّة المتنوّعة . وصرنا نرى احياناً بعض المنازل مزيّنة الجدران بلوحات من ريشة مواطنينا ، كما ان الاكليروس ، الذي كان يكتفي لسنوات خلت ببعض نمسوخات اوربية تأتيه على الغالب مزيّفة ، أخذ يكلف الفنانين اللبنانيين وضع صور للكنائس والمعابد والاديرة . . . ولا بدع بذلك فان الكنيسة كانت ، منذ أقدم عهدها ، وما

زالت تشجع الفنّ وتحضن الفنانين وتوحي اليهم بشتى المواضيع واسماها، ولولاها لما كان ميكالنج ورفائيل واقرانهما...

وقد أسفر هذا الميل الجديد عن شغل الفنان صليبا الدويهي نحو حولٍ كاملٍ في كنيسة المقرّ البطريركي الصيفي في الديمان، فأتى، على ما يقال، بعمل فني جبّار فريد بنوعه في هذه الديار.

وهكذا كلّف المهاجرون اللبنانيون في بيت شباب الشيخ قيصر الجميّل وضع تصميم لهيكل معبد السيدة في مسقط رأسهم، فاتحفهم فنّاننا بوضع مهيب، مذوق هو في الوقت نفسه غاية في البساطة والعظمة، وقد صوره بصورة من النوع النافر لفادي البشر في حضن امه الحزينة مفعمة بالمعاني السامية والشعور الرقيق والاحساس العميق والعاطفة الدينية الجليّة، جديرة بالاعجاب والتقدير. (انظر الرسم ١ الى اليسار)

وهناك عمل ثانٍ للجميّل من نوع آخر لا يقلّ روعة وجمالاً عن الاول، هو لوحة القديس هارون. نفض الشيخ قيصر غبارَ القدم والتقليد والتقيّد عن الصورة

القديمة المعروفة لابي الطائفة المارونية ليزين كاتدرائية بيروت بصورة جديدة ، كبيرة الحجم ، متزنة الاقسام ، محكمة التأليف ، منسجمة التقاطيع ، متلائمة الألوان طبيعية الامارات ، عليها مسحة رائعة من القدسية والكمال والوقار ، تمثل الموارنة ملتفين للصلاة حول ابيهم ومؤسسهم القديس ، ضمن إطار بديع من الفن العالي .

ومن مظاهر حركة العام الفائت « معرض اصدقاء الفن الثالث » الذي جمع حسب عادته المألوفة اكثر المنتوجات الفنية اللبنانية والاجنبية . اذ عرض فيه كثير من المصورين لوحات عديدة متفاوتة القيمة والأهمية ، الى جانب بعض النقوش للنحاتين اللبنانيين الذين يتزعمهم ، دون منازع ، الفنان اللبناني يوسف الحويك ، وقد زرع المعرض « تفوراً » كأنها الزهور تتفتح بين الصخور .

الرسم ٢ : « راهب » للجميّل

اما اللوحات التصويرية فيمكننا ان نذكر منها باعجاب : « غزلان » عمر الانسي التي تسرح وتمرح في حديقة بيته ذي « المدخل » القروي الساذج كما نراه في لوحة اخرى بين الصنيع الشائك . « وأشجار الكينا » خير دليل على سعة أفق صاحبها وانواره المشعة . وهو يحس حقيقة جو بلاده ويشعر بجمالها فينقل ذلك الى شاشته بفن مجيد وإخلاص وافر .

وهناك « مصبغة » و« راهب » فيليب موراني ، الذي يدرس مواضيعه كما يتقن دقائق لوحاته وتفاصيلها (الرسم ٢) . وعلى رغم ما قضى في

الرسم ٣ : « بدوية » لماري حداد

باريس من سنوات ، فاننا نراه يحافظ على صبغة ايرانية لطيفة فيبقى شرقياً بكل ما في هذه الكلمة من عذوبة ومعنى . وما القول في اشجاره التي

تنتم الحياة كأنها حديقة لا صورة .

و« مناظر » ماري حداد و« بدوياتها » وتصاويرها الدافئة المتانة الرائعة في كلاسيكيتها المصرية وألوانها القويّة . . . (الرسم ٣)

و« بركة عين البركة » في شتورا الجميلة الاخراج ، البعيدة التوفيق و« الحمّال الكردي » وغيرهما كثيراً للآنسة بلانش عمون التي تدمّغ لوحاتها بطابع خاصّ مستقلّ استقلال شخصيتها الفذّة (الرسم ٤) .

الرسم ٥ : « لبنانية » للجميّل

و« حورانية » قيصر الجميل ، الفنيّة بألوانها الموسيقية ، و« عاريته » التي حملت الريحاني على القول : « لو جمعوا صور العاريات لزوّروا بها العالم . امّا اخوات هذه فقليلة . » وبالواقع انها درس عميق للجسم البشري العاري وبحث بسيكولوجي وتحليل نفساني يمثل نوعاً خاصاً من الفن أصبح الجميّل عميده . يمزج حقيقة ملاحظاته وشعوره بسحر ريشته الناعمة وألوانه المختارة المتزنة . (الرسم ٥)

الرسم ٤ : بركة « عين البركة » لبلانش عمّون

الرسم ٦ : « اهدني » للدويهي

ولا بدّ من ذكر صورتين لمكاروف فاضل تمثلان فتاتين جمعتا البساطة والخفر الى حدّ بعيد ؛ وصورة رائعة لصليبا الدويهي خلّد فيها مثال الاهدني .

واخيرًا نذكر من الفنانين الاجانب اولئك الذين اهتموا بشؤون شرقية ، فعالجوا مواضيع وطنية ، وصوّروا مناظر محلّية . اولئك الذين عندهم فكرة صحيحة عن بلادنا وسكانها واهاليها لا اولئك الذين يدّعون باطلًا معرفة لبنان

دون ان يكون للوحاتهم صلة به رغم حياتهم الطويلة تحت سمائه الزرقاء .

وعلى كلٍّ فلا ننكر الفوائد التي يستفيدها الفن اللبناني من جراء المنافسة الاجنبية في هذا المضمار ، وان يكن لهذا الاختلاط حسنات وسيئات . ومن اللوحات التي تستحق الذكر :

« ناقرو العود » لدوبال ، و« الفجر » لوبثياه ، و« عذراء وطفل » والاحداث لليسور ، ومناظر لبنانية لمدام جوردانو ، وخليج جونيه وسرفأ صيدا ومناظر لبنانية كثيرة لغيرهم . . .

وهناك مظهر آخر للفن ، على شكل جديد في بلادنا ، لاقى رواجاً كبيراً هو متحف ميشليه الفني الذي أحيا امام نواظرنا أجمل مواقعنا التاريخية وبعض مناظرنا الطبيعية وشوارعنا المحلية على وجهها الأفضل . كل ذلك بمزيج من الفنّ والظرف اللطيف ، وقد عُلقت على جدران القاعة بعض لوحات مرفقةً لهذا الفنّان الشيخ منها واحدة «في الطريق الى مكة» نشرت عنها نسخة مجلة « الالستراسيون» الفرنسية منذ نحو خمسين سنة ! (الرسم ٧)

الرسم ٧ : « قهوة » لميشليه

تقف عند هذا الحدّ من الفنانين اللبنانيين والاجانب كي لا يطول بنا التعداد مكتفين بهذه المظاهر المختلفة للدلالة على مصير نهضتنا الفنية وحسن سير حركتها في لبناننا الفتّان الذي يكاد يكون بكراً من هذه الناحية .

وقديماً قال ألدوس هكسلي :

«لم يستطع احدٌ ان يعطي صورة كاملة عن منظر شرقي لان الفنان الموهوب والمثري كان لا يشعر بالحاجة الى السفر لزيارة الشرق وتصويره ، كما ان الفنان

الموهوب الرقيق الحال لا يمكنه ان يتكبد نفقات مثل هذه الرحلة .»

فهل يبطل الفنانون اللبنانيون زعم هكسلي هذا ؟ ويحققون قول برغسون: اسمى ما يترقى اليه الفن هو اباحة الطبيعة ! مستفيدين مما وهبت الطبيعة لبنان من جمال وسحر !

هذا ما سوف يكشفه لنا الغد ، على كل ان نهضة هذا مطامحها لجديرة بالاحترام .

ج ح.

الرسم ٨ : « كرديه » لبلاش عمّون

الموسيقى

طريقة مستحدثة جديدة

لتقسيم الاثني عشر بعدًا في الديوان الموسيقي

ان مسألة قسمة الابعاد في السلّم الموسيقي قد استرعت اهتمام الفلاسفة منذ القدم حتى يومنا هذا . فدرسها جمهرة من الفلاسفة والعلماء من امثال فيثاغوروس اليوناني ، وصفي الدين العربي ، وساليناس الاسباني ، وموريس مانويل الفرنسي ، وبروثو البلجيكي . وبالرغم من الجهود العظيمة لم يتوفق العلم الى ايجاد حلّ نهائي لهذه القضية .

وقد وفق الاستاذ اللبناني وديع صبرا الى اكتشاف مقياس للابعاد ، فحلّ بذلك اهمّ وادقّ المسائل الموسيقية ، والقى في ١٧ نيسان سنة ١٩٤٠ ، في دار الكونسرفاتوار الوطني ، محاضرة عن تقسيم الاثني عشر بعدًا في الديوان الموسيقي ذكر فيها كيفية تقسيم السلم الطبيعي والتقسيم ذي الضبط التام (Système de la justesse absolue) والتقسيم الميزوتونيكي الذي كان يستعمله الغربيون من القرن السادس عشر الى نصف القرن التاسع عشر حيث أبدل به التقسيم المعتدل (gamme tempérée) وجاء على ذكر تقسيم العلّامة برودان بروثو وغيره من العلماء الحاليين ، وقد ذكر في نهاية المحاضرة ، تفوق الطريقة المتممة الجديدة التي اكتشفها وكان لديه آلة مونوكورد مثلثة تعطي « النغم » الموسيقية (les accords) بدقة تامة فاسمع الحاضرين الفرق ما بين دوزان بيانو على الطرز العادي ، وبين بيانو دوزنه على الطريقة المتممة الجديدة .

وقد كتب اليه العلّامة هنري رابو ، مدير كونسرفاتوار باريس ما فحواه : « ان اكتشافكم لا يقلّ اهمية عن تربيع الدائرة » وفي رسالة للعالم الموسيقي

المعروف في دروسه ، الاستاذ بروردان بريثو (P. Pruvort) اطراء كبير لجهود الاستاذ اللبناني ختمه هكذا : « لا شك في ان اعمالاً كاعمالك سيكون لها تأثير عظيم في مستقبل الفن الموسيقي العالمي الذي هو كالمجتمع في حاجة الى النظام والحقيقة » .

الموسيقى العربية اصل الفن الموسيقي الغربي[1]

أعطيت هذه الرسالة في محاضرة القاها الاستاذ صبرا ، اولاً بالافرنسية في قاعة الاحتفالات الكبرى بجامعة القديس يوسف ، في ١٠ كانون الاول سنة ١٩٤٠ وثانياً بالعربية ، في دار الايتام الاسلامية ، في ٢٤ كانون الثاني سنة ١٩٤١ .

استشهد المحاضر اولاً بكتابات اهم رجال العلم الغربيين في هذا الموضوع فقال : كتب اوجين بوريل (Eug. Borrel) رئيس الجمعية الموزيكولوجية في باريس : « ان معظم تواريخ الموسيقى لم يرد فيها شيء يذكر عن الموسيقى العربية . وجل ما هنالك ان بعضها يلمح اليها تلميحاً » ، وهي عادة الفتها الجامعات التي تحول معظم الاهتمام الى الدروس اليونانية واللاتينية والى كل ما هو اوروبي . اما ما يختص بالدروس العربية فيحسبونه خارجاً عن المناهج . وقال ايضاً ان هيغو ريمان (H. Riemann) في كتابه تاريخ الموسيقى اورد ما يأتي : « ان نظرية محمد بن عبد الحميد اللاذقي المختصة بالابعاد الموسيقية لهي ذات فائدة عظيمة لكونها تدعم نظرية اتفاق ثلاثية الماجور (La consonance de la tierce majeure) في زمن (القرن الرابع عشر) كان فيه علماء الفن الغربيين لا يزالون يستوحون نظريات علماء اليونان فيما يختص بهذه الابعاد .

ثم برهن بواسطة الارقام أن صفي الدين هو الذي اكتشف الديوان الفيزيكي المستعمل عند الغربيين والذي هو اصل فن الاصطحاب او المسارقة (Harmonie) وقال « اذاً يستطيع العرب ان يفاخروا باكتشافهم نغمة

---

[1] نشرت هذه الرسالة باللغتين العربية والافرنسية معاً وهي تطلب من جميع مكاتب بيروت .

الماجور الطبيعية التي هي اصل السلم الفيزيكي الذي لم يعمل العالم الغربي الكبير (جيوزفو زرلينو) (G. Zarlino) الذي جاء في القرن السادس عشر سوى انه اظهر افضلية هذا الديوان الذي وضعه العرب قبله باربعمائة عام .

واهم ما تحتويه هذه الرسالة طريقة مبتكرة للتمكن من عزف الدواوين الموسيقية التي كانت مستعملة في عهد الخلفاء .

وتكلم الاستاذ صبرا من بعد ذلك عن المعلومات التي ادلى بها العالم التركي رؤوف يكتا عن التناقض الموجود بين علماء الشرق والغرب في تفسير ما كتبه فلاسفة اليونان والعرب باثبات علامات السلم الموسيقي ذاكراً ما كتبه الموسيقي الافرنسي الكبير كميل سانسانز (C. Saint-Saens) في احد مؤلفاته « اننا نحصي ونعرف الكوماتات (الكوما تسع البرج) لكننا لا نستعملها ونكتفي بأنصاف الابراج لامزجتنا ، على ان الحقيقة الموسيقية ليست في طريقتنا المرتكزة على انصاف الابعاد المترادفة (كعلامتي دو ديهز وري بول مثلاً التي جعل الافرنج منها علامة واحدة) التي ليست الا طريقة تقريبية ولا بد اننا لن نكتفي بذلك متى صارت يوماً ما اكثر دقة . حينئذٍ ينشأ فن جديد ويصبح الفن الحالي كاللغات الميتة تبقى تآليفها ولكن لا ينطق بها . »

والفن الجديد الذي يعنى به الكاتب الافرنسي هو الفن الذي ابدعه علماء العرب في عهد الخلفاء العباسيين .

ثم فند المحاضر ما كتبه العالم الافرنسي جول روانه (Rouanet) في دائرة المعارف الموسيقية بأن الموسيقى العربية بقيت في جمود من ايام الفارابي الى يومنا هذا متخذاً من قوله حجةً عليه اذ اننا بسبب هذه الذهنية العربية المحافظة قد تمكنا من تناول الموسيقى التقليدية وتفهم الفارابي وصفي الدين ، وان الموسيقى التي تناولناها تقليدياً ستكون كالشبكة التي ستحاك عليها موسيقى المستقبل .

وختم الاستاذ صبرا هذه المحاضرة النفيسة بقوله : « فعسى ان تعطى الموسيقى العربية المقام الاول الذي تستحقه ، وان تعلن الاوساط الاوربية تفوق النظريات الموسيقية العربية ، وكونها اساس الموسيقى العصرية الحقيقي . حينئذٍ يصير

كونسرفاتوارنا اللبناني الصغير المتواضع بمقام « ڤيلامديسيس »[1] جديدة تنقل من الشرق الى الغرب تلك الموسيقى التقليدية التي اورثنا اياها اساتذة عظام والتي ستكون سبباً لتوحيد هذا الفن الجميل ، الذي قال عنه العالم الموسيقي الشهير پرودان پريڤو هو كسائر الاوضاع البشرية ، بحاجة الى النظام والحقيقة .

و . ص .

الموسيقى الدينية

شهدت بيروت ، في السنة الفائتة ، ثلاث حفلات سماعية للموسيقى الدينية ، اقبل عليها جمهور المثقفين برغبة متزايدة .

منها السماع الذي قام به الاب بولس پنيمايل (Pincemaille) على أرغن الكاتدرائية اللاتينية للآباء الكبوشيين، فكان متمماً لحفلة من الغناء الديني . وكان من اهم روائع السماع « رعائية » فرانك ، خرج منها الموسيقي الفنّان على افضل ما يمكن من حذق ومهارة .

ومنها الحفلتان اللتان اقامهما السيد روبيّار (Robilliard) مستخدماً أرغن كنيسة الجامعة اليسوعية . ولم يتناول منهاجه في السّماعين الّا قطعاً أرغنيّة بحتة . وقد تشابه المنهاجان بكونهما جمعا قطعاً قديمة من ارباب القرن السابع عشر والقرن الثامن عشر ، الى قطع حديثة لبعض معاصري الموسيقيين . فكان من اروع ما سمعناه مقاطع من تأليف كليرَمبو (Clérambault) وكوپيران (Couperin) يليها « مَدخَل » باخ (Bach) و« رعائيته » وغير ذلك من آثاره الجليلة . واخيراً قطعة بطليّة لقيصر فرانك المذكور آنفاً ، شعر الناس بما ضمّنه فيها الموسيقي الكبير من عراك عنيف بين روح الشرّ المتمثّل بالموجة المتقطّعة الرهيبة ، والنغمة المليئة المطمئنة التي تمثّل روح الخير . فتحقّقنا فيها تأثير واغنر الكبير .

ونذكر ، في الحفلة الاخيرة ، قطعة مهمّة من تأليف السيد روبيّار نفسه ، ادخلها بين آثار المعاصرين فكانت موضوع اعجاب الكثير من المتذوّقين .

---

١) هي مؤسسة افرنسية في رومية يؤمها الافرنسيون الحائزون على جائزة الناجحين الكبرى فيقضون فيها ثلاث سنوات لاكتساب طابع جديد لموسيقاهم .

الراديو

عهدنا الى طائفة من الاختصاصيين بدرس مظاهر النشاط الفكري في هذا الشاطئ الخصب من المتوسط ، وأمسكنا عن تكليف احد نقد محطة « راديو الشرق » الفنية . وهي — في تقلقلها بين عقم الهزال وتقبل ما هبَّ ودبَّ من معزوفات — كأنما تعمدت ان لا تنتسب الى موسيقى ، فلم تندّ عن هذا الشرط واحدة منها على اسم وديع صبرا او أركادي كوغل ، او أقلّه ، على اسم غاوٍ يحمل شهادة من معهد موسيقي . ومن « محاضرات » لم يكن يلفظ الواحدة منها موهوب حتى تتوالى النكرات بالعشرات ، فتجيء اقرب الى نجاجات متعيش او علق على السياسة والأدب منها الى نتاج الخلق الفكري . ومن أناشيد تتحدّى تارةً ذلك البكاء الرخو من طقاطيق مصر الذي تربأ ان تنشره صحيفة هزيلة من صحف الأقاليم ؛ وتنفلت عليك طوراً ، باسم بعث التراث القومي ، وعلى ذمة طرح من المنشدين ، اغنيةً قديمة لم تمرّ عليها يد فنّان تقلّم منها العنجهيّ ذا الوتيرة الملّة الواحدة . وتوجه الخلو النابض بحرارة الشعبية ، اذ تقديم الأغنية على مأدبة الفن شيء ، وتسجيلها برسم المتاحف كوثيقة تاريخية شيء آخر . — أجل أمسكنا عن تكليف أحد نقد هذه المحطة الفنية وهي ما تزال غير خليقة بالنقد .

معهد الآداب الشرقية

في الثلثين الاخيرين من السنة الدراسية ١٩٤٠–١٩٤١

يسرنا ان نعلن أن محفل « الرقم والآداب » الفرنسوي أقرّ ، في جلسته المنعقدة بتاريخ ٦ كانون الاول ١٩٤٠ ، قبول الاب رينه موترد اليسوعي ، مدير معهد الآداب الشرقية ، عضوًا مراسلًا في المحفل المذكور . ولا شكّ في ان هذا التعيين لدليل ساطع على ما يوليه « معهد فرنسة » من اعتبار للجهود التي تقوم بها جامعة القديس يوسف في تعليم الآداب الشرقية .

فرع التاريخ والاثريات

القى الاب انطوان بوادبار اليسوعي في ٥ و ١٢ شباط ، محاضرتين ، جال فيهما حول الحدود السورية في العهد الروماني والبيزنطي ، تكلّم في الاول عن نظام الآبار والمزدرعات في ذاك العصر . وخصّ الثانية بالاساليب الرومانية والبيزنطية في الحروب الشرقية .

وفي ٢٦ و٢٨ اذار ألقى الاب هنري شارل اليسوعي محاضرتين كذلك في « تحضير البدو بين الفرات والبليخ » درس الموضوع من نواحيه الجغرافية ، والعنصرية ، والاجتماعية .

فرع الادب العربي

تابع الاستاذ فؤاد افرام البستاني محاضراته في « الفنون الادبية في العصر الجاهلي » ، مساء كل خميس ، متناولًا مظاهر هذه الفنون جميعها من « الإنشاد » او الفن الشفهي الاصل ، الى فروعه من اسجاع ، وخطب ، وامثال وقصائد ،

مفصلاً البحث في انواع القصائد من فخر ، وغزل ، ورثاء ، ومدح ، وهجو ، منتهياً بآداب الجن واساطيرهم ، خاتماً بنظرة اجمالية في الحضارة الجاهلية .

وقد نُظّم امتحان لطلاب السنة الثانية من هذا الفرع نجح فيه ثمانية طلاب هم السادة : نجيب الاطرش ، من المجيمر (جبل الدروز) ، بعلامة « جيد » . وموضوع أطروحته : ابن هاني الأندلسي والعقائد الاسماعيلية .

الشيخ علي الزين ، من النبطية ، « بعلامة « جيد » . وموضوع اطروحته : تطوّر الادب في جبل عامل .

جميل صرايا ، من الشوير ، بعلامة « حسن » . وموضوع اطروحته : مجنون بني عامر .

احمد يوسف حمّود ، من الناعمة ، بعلامة « حسن » . وموضوع اطروحته : وجود مجنون ليلى .

شفيق الارناؤوط ، من صيدا ، بعلامة « حسن » . وموضوع اطروحته : العاطفة في الشعر الجاهلي .

عبد الوهاب كلزيه ، حلب ، بعلامة « حسن » وموضوع اطروحته : الهوى العذري : جميل بن معمر .

مُعلّى احمد غانم ، من السجيرقة (بلاد العلويين) ، بعلامة « مقبول » . موضوع اطروحته : النبوءة في الشعر الجاهلي .

شفيق مالك ، من راشيا الوادي ، بعلامة « مقبول » . موضوع اطروحته : تصوّف ابن الفارض .

دراسة فقه اللغة العربية والألسنية

توالت التمارين في هذا الفرع وفقاً للمنهاج المنشور سابقاً . وقد نُظّم إمتحان في آخر السنة نجح فيه اثنان هما :

الاب سامي خوري اليسوعي ، من جزين .

السيد مبارك عون من الدامور .

وقد ألقى استاذ هذا الفرع ، الاب يوسف عضم اليسوعي ، في ٢٩ كانون الثاني محاضرة موضوعها : « هل من فلسفة عربية ؟ » .

الفرع اللاتيني

كانت مادة الدرس في هذا الفرع « أهاجي جوفينال » و « رسائل شيشرون » . وان يكن جوفينال أقل شاعرية من فرجيل ، الّا ان درسه لا يخلو من فائدة لما يمتاز به من تجديد في الموضوعات الاخلاقية ، ومن تنوع في التعبير الحيّ الدقيق .

اما رسائل شيشرون فوثائق ثمينة لتاريخ الجمهورية الرومانية في زمن تفسخها وانحطاطها . وقد يمكن المؤرخ ان يتتبع حوادثها اسبوعاً فاسبوعاً بالاستناد الى هذه الرسائل القيمة .

وفي امتحان آخر السنة نجح ثلاثة طلّاب هم السادة :

جوزف حجار
جورج كازوبولو
الاب غوانغ

فرع الشؤون الارمنية

توالت الدروس في هذا الفرع حتى شهر ايار . وكان اهمها ثلاث محاضرات باللغة الفرنسوية موضوعها : « هندسة البناء الارمنية » . في مظاهرها المتنوعة دينية ومدنية ، القرن الرابع الى القرن الثالث عشر ، ولاسيما منذ دخول العرب ارمينية . وقد فصّل المحاضر ، الاب يوحنا مصريان اليسوعي ، علاقة الفن البنائي الارمني بما أتى به العرب ، كما درس علاقة هذا الفن بالفن القوطي ، وما جاءها من عناصر الفن الفارسي القديم ، والفن السوري المسيحي ، وفن بعض المناطق الاوربية كفرنسة وايرلندة .

اما ما بقي من الابحاث فتناولت تاريخ ارمينية وآدابها ومؤسساتها في العهد نفسه ، ولاسيما نظامها الاقطاعي على عهد العرب حتى الغزوة السلجوقية .

بعض المخطوطات العربية

التي دخلت المكتبة الشرقية

في خلال هذا العام (وجميعها اتت من حلب)

بقلم الاب ترنل اليسوعي

الغنية لطالبي الحق عز وجل

(٢١×١٥) مجلد بجلد احمر قاتم بنقوش . راجع ما كتب عنه بروكلمان ١، ٤٣٥ في تاريخ الاداب العربية ، وسركيس ص ٧٢٨ في معجم المطبوعات.

طُبع الكتاب في مصر وفي مكة وهو لعبد القادر الجيلاني الشهير مؤسس الطريقة القادرية في التصوف. وهذا المخطوط كان يُستعمل في زاوية الحريري ثم في زاوية الرفاعي في حلب سنة ١١٩٠٠ . وعدد صفحات الكتاب ٥٦٠ وقد سقط منها بضع صفحات. وفي كل صفحة ٢٥ سطرًا ، بخط نسخي وحبر اسود واحمر — والغاية منه « معرفة الاداب الشرعية من الفرايض والسنن والهيئات ومعرفة الصانع عزّ وجلّ بالايات والعلامات . . . ومعرفة اخلاق الصالحين » (ص ٢)

وقد يذكرنا هذا الكتاب بكتاب وودريكس اليسوعي الشهير في « الكمال المسيحي » لا لتشابه المادة ولكن لتشابه الاسلوب بينهما .

وجاء في اخره : وكان الفراغ من تتميم هذا الكتاب المبارك نهار الخميس في آخر جمادى الاولى من شهور سنة ثمانية وثلاثين ومائة والف على يد الفقير خليفة بن محمد : . بلغ مقابلة بحمد الله وسبحانه على حسب الطاقة والامكان.

كتاب اللمعة في حل الكواكب السبعة

للشيخ شهاب الدين ابن احمد بن غلام الله (٢٠×١٥) مجلد يتقوى عدد صفحاته ٨٤ وعدد اسطر الصفحات ٣٢ بخط نسخي وحبر اسود واحمر جاء ذكره في بروكلمان ٢، ١٢٧ جاء في اوله : « وبعد فاني لما رأيت الهمم عن طلب العلم قد تقلص ظلها . . . اللفت كتابي المسما نزهة الخاطر في تلخيص زيج الشاطر ثم

اختصرته ... وسميته باللمعة ... بالجداول لانها اقرب للمتناول حاصراً الرسالة في اثني عشر فصلاً وجداول في ستين جدولاً ».

رسالة فوايد الفكر في الامام المهدي المنتظر

للشيخ مرعي الحنبلي

كراس (٢١×١٦) ٤٨ صفحة ١٧ سطراً بخط نسخي وحبر اسود . اوله: « حمداً لمالك الملك ومدبر الفلك والفلك ومدبر امور الملوك والسلاطين » ... واخره: « ومن اراد الوقف على ذكر تتمة الكلام على نزول عيسى عليه السلام وعلى ذكر بقية اشراط الساعة والنفخ في الصور فعليه بكتابنا بهجة الناظرين . كان الفراغ من تأليفه سنة ١٠٢٢ ... وكان الفراغ من كتابة هذه النسخة سنة ١٢٥٢ على يد احمد المكنا بالحمالي الحموي وطناً الشافعي مذهباً النقشبندي طريقة العطار صنعة ».

مجموعة في علم الحساب والهيئة

كراس (٢٢×١٨) ١٠٠ صفحة ١٩ سطراً بخط نسخي وحبر اسود واحمر . اوله: « الفصل الرابع من كتاب كنز العلوم في تقويم الشمس والقمر . » ويتخلل الكتاب جداول ورسوم . ويليه في اخره رسالة بطريق الهندسة في عمل الدخامة المسماة بالمزولة للشيخ محمد بن ابي الفتح الصوفي وبعدها فائدة جاء فيها: « اما بعد فهذه الدائرة مع الجدول الذي بعدها يعلم منها مداخل سنين الرومية وشهورها والكبيس والنسيط منها ومداخل الشهور العربية ».

في بيان اسامي سور القرآن وعدد آياتها وما هي مكية ومدنية

كراس (٢١×١٦) ١٦ صفحة بحبر اسود واحمر . في الصفحة ١٤ و١٥ رسمان للفم ولمخارج اصوات الحروف منه افادة للتجويد في القرآن وتفسيراً للجداول الموجودة في الكراس.

كيميا

هذا كتاب في علم الكيمياء وتحليلات المواد الكيماوية التي لا يمكن العمل بدونها والتصفيات المعدنية والتركيبات وغيرها مجلد بجلد احمر تام (٢٠ × ١٤) ٤٢ صفحة ، ٨ اسطر في كل صفحة بخط نسخي متقن وحبر اسود واحمر. جاء في بدئه: « الباب الاول: في التعالج ومسالك الطريق في خروج الحكمة وتعديلها وفي ص ٦ الباب الثاني في تصفيات المعادن وفي ص ١٩ الباب الثالث في تكليس الاجساد على طريق البيض وفي ص ٢٩ الباب الرابع في الاكسير من الابريز وهو الذهب وص ٤١ فصل في صنعة ذهبية .

رسالة المفتاح لجابر

كراس مخطوط (٢٠ × ١٤) ٣٢ صفحة ، ١١ سطرًا في الصفحة بخط نسخي متقن وحبر اسود واحمر وازرق. جاء في اوله : نقل من رسالة المفتاح لجابر قال الامام جابر ان الشيء الذي دبره جميع الفلاسفة والعلماء والحكماء والقدماء انما هو شيء واحد . . . مركب من جوهرين ذكر وانثى . . . وان المصلح بينهما . . . هو حجر الفلاسفة المكتوم ». وجاء في اخر الكتاب: « والابيض والعبد حوى هي الزيبق البكر وهو بياض البيضة الكريه البارد الرطب والله اعلم » .

كراس مخطوط

(١٦ × ١١) ٢٤ صفحة ، ١٣ سطرًا في الصفحة بخط نسخي وحبر اسود واحمر بلا عنوان . جاء في اوله « نكتب معرفة شهور الروم وتواريخهم وحساب سنينهم وعيادهم . تبارك من تفضل بالازل في الوجود . . . » وجاء في اخره : « فصل في الغالب والمغلوب والطالب والمطلوب من حكمة ارسطاطاليس الحكيم » . وفي خلال الكتاب تعليمات على تواريخ الاعياد المسيحية ووقوع المنتقلة منها في بحر العام .

مجلد مخطوط

(١٥ × ١٠) مجلد احمر منقوش ١٨٨ صفحة باسطر يتفاوت عددها ومخطوط متنوعة. هو مجموعة اذكار واوراد وصلوات وكلمات وفوائد منها سحرية للشفاء من الامراض او لاتقاء الاضرار. جاء في اوله: «لا اله الا الله محمد رسول الله عبد القادر ولي الله. تمت وبالخير عمت». ويليه ص ٢ باب للبردية و٣ باب للسخونه و٤ شروط الذكر و١٢ حزب البحر للشيخ الشاذلي الخ الخ وفي الصفحة ٦١ رسالة عبد الغني النابلسي تشتمل على خمسين سؤالا في علم التصوف وفي علم التوحيد. وجاء في اسفل ص ١٣٦: تمت على يد كاتبها الشيخ عبد الرزاق بن الشيخ مصطفى الفرجي الحسوي القادري طريقة ١٢٤٨ هـ. راجع سركيس، معجم المطبوعات، ص ١٨٣٢ في ترجمة عبد الغني النابلسي.

مطبوعات جديدة

HENRY HABIB AYROUT, S. J., Mœurs et coutumes des Fellahs. Préface de M. André Allix, Professeur à l'Université de Lyon, 1 vol. in-8°, x+190 pp., 32 photographies. [*Collection d'études, de documents et de témoignages pour servir à l'histoire de notre temps*], Paris, Payot, 1938, Prix : 25 fr.

الفلاّح المصري : اخلاقه وعاداته

اذا اردت ان تقف على بعض مظاهر الهيئة الاجتماعية المصرية الحديثة ، فلا بد لك من مطالعة هذا الكتاب للاب هنري عيروط اليسوعي . ففيه تجد معلومات جغرافية وزراعية واقتصادية لا غنى عنها لمعرفة معيشة الفلاح الفردية والعائلية والاجتماعية . تجد معلومات مستنتجة من ملاحظات واختبارات شخصية ، لان المؤلف من البلد الذي درسه ولانه ايضاً ، بحسب دعوته الدينية ، يعيش بالقرب من الفلاح فيصغي الى كلامه ويتأثر عند اناته وشكاويه .

يدور الكلام في هذا الكتاب حول نقطتين جوهريتين متناقضتين هما عمران مصر بسبب ازدهار الزراعة ، وتقهقر الفلاح ، العامل الاوحد في سبيل هذا العمران .

ان مصر من اغنى البلاد العالمية بالنسبة الى مساحتها وعدد سكانها ، اذ هي من البلاد القليلة التي يغلب فيها التصدير على التوريد . وهي تجمع في خزينتها اكثر من ٣٣ مليوناً ذهباً كل سنة .

بيد ان الفلاح لم يزل على ما كان عليه في عهد الفراعنة . كان فقيراً ومريضاً ومستعبداً ، وظل فقيراً ومريضاً ومستعبداً . لا يزال يقاوم رؤساءه لان السلطة التي اعتاد ان يأخذ باوامرها دون ما مجادلة ، ادت به الى عبودية اغلقت بصره وجعلته يجهل ان له حقوقاً يمكنه ان يطالب بها .

يعيش الفلاح في فقر مستمر لانه ابداً اجير بارض غيره . يندفع بكل قواه الى العمل فيرى المتملكين يقدرون عليه لانهم لا يقدرون اتعابه ولانهم يجنون منتجاً خلق لخدمتهم .

بيد انهم يعيشون بالرفاهية في المدن كالقاهرة والاسكندرية فلا يعرفون

من المزارع والحقول سوى ما تشاهده اعينهم الجشعة من نافذة العربة او القطار . ينتظرون المال في بيوتهم فيأتيهم رناناً . يتفرنجون ويقضون غالباً فصل الصيف في اوروبة ثم يبذرون في ليلة واحدة ما يكفي لاعاشة فلاح مدة السنة .

ان مصر الحديثة ، مع عمرانها وازدهارها ، مرتكزة بكاملها على الطبقة الفلاحة . وهذه الطبقة تجمع اكثر من ثلاثة ارباع السكان جميعهم يتألمون من امراض يلتقطونها من الارض ، لان الارض التي يندفعون اليها بكل قواهم تبث في اجسادهم جراثيم تجسست فيهم فصاروا ينتقلونها اباً عن جد . شوهت وجوههم وهزلتهم وقادت بالنصف منهم الى الهلاك . ولو لم يكن الفلاح ممن يريدون النسل والاولاد ، لما ارتفع عدد السكان في مصر من خمسة ملايين الى ١٦ مليوناً في اقل من قرن واحد .

اما الاولاد فان النصف منهم يموتون قبل تجاوزهم العاشرة . لان « السفلس الدموي » الوراثي يضعف قواهم ويجعلهم عاجزين عن مقاومة الجراثيم وهم في الصغر . وتثبت لنا التقاويم الرسمية ان الاولاد الذين يموتون قبل العاشرة يبلغون ٦٥ بالمئة من مجموع الوفيات . اما الامراض التي تترك اسوأ اثر فهي امراض العين والمعدة والمجاري البولية : تصيب اكثر من الثمانين بالمئة في بعض المديريات .

اضف الى كل هذا الجهل الرائع الذي يتصف به الفلاح . واذا قلنا ان الفلاح جاهل ، وان مصر لم تصنع شيئاً لتثقيفه ، فهذا لا يعني اننا نطالب بتدريس العلوم والرياضيات والاختراعات والمذاهب الفلسفية الحديثة لان الانسان يغنى عنها . انما نطالب بتعليم تلك الامور الانسانية التي لا يحيا المرء دونها . فعلى السلطة ان تفهم الفلاح ان له حقوقاً وان بامكانه ان يطالب بهذه الحقوق ، اذا ما تحقق له ان القساوة والضغط يحطان من قيمته ، وان الارباح التي يسمح له بها الاشراف والمتملكون لا تناسب الاتعاب التي يصرفها في سبيل الرؤساء .

اما الآن فانه يجهل بتاتاً روح الحق وطرقه : يجهل الامانة ، والمروءة ، والصدق . شغله خال من اللذة لان الذين يمت نفسه في سبيلهم لا يكافئونه الا بالاهانات والتقتير . لا يكب على العمل الا اذا رفع الكرباج وراء ظهره . ولذا طرق الشغل عنده خالية من الابتكار . نفسه محصورة بين الجهل والقساوة ،

لا يعرف من الحياة الا العمل والقهر والذل . لذلك نرى البعض يتساءلون عما لا يدفع الفلاح الى التظاهر بالمقاومة والثورة . اولئك يجهلون ان الفلاح يعيش منفرداً في بقعته وان لا علاقات له مع الخارج . فالطفل ينشأ في محيط اهله ويتغذى من افكاره ويتبع الخطة المرسومة ويندفع امام التيار الدائم دون ان يعرف انه من الممكن ان يقاوم هذا التيار . يعاشر في مدة صغره مدرسة الشيخ فيتلقن فيها بعض مبادئ الديانة الاسلامية ، ثم يندفع قبل العاشرة الى تحمل ضغط المحيط . اصبح اذن ذهن الفلاح ضعيفاً لكثرة ما اعتاد الاخذ دون رد او جواب ، واصبح عقله غليظاً غير قادر على ان يفيق من سبات طويل لا يزال يغرق فيه يوماً بعد يوم .

اذن بالرغم من عمران مصر وازدهارها فان اربعة اخماس السكان لا يزالون على ما كانوا عليه في عهد الفراعنة سواء في عقليتهم وعاداتهم او في طرق معيشتهم وشغلهم . والمشكلة في ذلك ان نعرف الاسباب التي تبرهن عن هذا الجمود العقلي الذي يجعل الفلاح المصري في طبقة متأخرة .

فمنهم من يرجع هذا الى قلة الطعام او الى عادة الاستسناء ، او الى المناخ ، ولهذا اخذوا يطالبون بتثقيف الفلاح .

لكن كثيراً من المدرين يظنون انه اذا نقل الفلاح انقاد الى التعاسة وان حالته النفسية الحاضرة المركبة من عدم شعور وعوائد معروفة سهلة هي اسعد حال له . فهو لا يتألم من هذه التعاسة التي تحيط به وهو لا يشعر ان له حقوقاً وملذات يمكنه ان يطالب بها . فان قلنا له ان له حقوقاً فقد نفيق في قلبه مطالب هو بغنى عنها . وهو اذا سعى وراء الراحة والملذات اشمأزت نفسه من الاشغال الزراعية المتعبة . فماذا يحل بمصر والمصريين عندئذ ؟

وقد اكد احد النواب سنة ١٩٣٣ ان تثقيف العامة هو السبب الاوحد المؤدي الى هلاك البلاد .

اننا لا ننكر ان في هذا الزعم شيئاً من الصواب . واننا نقبله اذا لم نميز بين التعليم الخالي من التثقيف والتعليم المطابق لعقلية الفلاحين . اما هذا الاشمئزاز

الذي يتكلمون عنه فانه ينتج من تعاسة وفقر اكثر مما ينتج من هذا التثقيف.

ولكن لا نخالنا صادقين اذا توقفنا في حديثنا دون ان نشير الى التحسينات التي جرت في مصر في العشر السنوات الاخيرة. ان الاب عيروط يقول ان مصر الراقية ابتدأت تعنى بمصر المتأخرة. لكن النتيجة لم تكافئ بعد هذه المساعي. على ان الأمل كبير بثبات الحكومة في مسعاها الانساني الضروري.

م. ع.

تاريخ الفلسفة اليونانية

تأليف يوسف كرم

مدرس بكلية الآداب في الجامعة المصرية

مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر في القاهرة ١٣٥٥-١٩٣٦

ان اثر الفلسفة اليونانية في تطور الفكر البشري غني عن كل بيان، واغنى منه تأثيرها على مفكري الشرق والاسلام. فاذا كان من المستطاع ان نقول ان للعرب فلسفة فلانهم تتلمذوا لفلاسفة اليونان واخذوهم لهم هداة، يدرسون مؤلفاتهم ويشرحونها ويعلقون عليها وذلك اعتقادًا منهم ان اليونان وضعوا اصول الفلسفة. وحسبنا ان نذكر راي العالم الاسلامي الكبير البيروني الذي اطلع على علوم اليونان وعلوم الهند فرأى ان الهنود كانوا يعترفون لليونان بان ما أعطوه من العلم ارجح من نصيبهم (الهنود) منه... «كنت أقف من منجميهم مقام التلميذ من الاستاذ لعجمتي فيما بينهم وقصوري عما هم فيه من مواضعاتهم، فلما اهتديت قليلًا لها اخذت اوقفهم على العلل واشير الى شيء من البراهين والوح لهم الطرق الحقيقية في الحسابات فانثالوا عليّ متعجبين وعلى الاستفادة متهافتين... فكادوا ينسبونني الى السحر... اقول ان اليونانيين كانوا على مثل ما عليه الهنود من العقيدة ولكنهم فازوا بالفلاسفة... تفحوا لهم الاصول... ولم يك للهند امثالهم ممن يهذب العلوم فلا تكاد تجد لهم خاص كلام الا في غاية الاضطراب وسوء النظام... اني ما اشبه ما في كتبهم من الحساب ونوع التعاليم الا بصدف مخلوط بخزف. والجنسان عندهم سيان اذ لا مثال لهم لمعارج البرهان»

وهذا لا يعني ان الفرس والهنود والصينيين لم يزاولوا النظر العقلي المجرد الى حد بعيد لكن غايتهم كانت دينية في المقام الاول. ارادوا ان يجدوا سبيلاً الى النجاة من الشر المحيط فلم يأتِ العلم غاية لذاته بل وسيلة للتخلص من الشر والألم. فلم يتوصلوا الى تبين ماهية الفلسفة كعلم مستقل. فكان من نصيب اليونان ان يتوفقوا الى وضع الفلسفة علماً كاملاً قائماً بذاته مبنياً على التجربة والبرهان لا على الكشف او الاشراق. وان حصل لهم ان تطلعوا الى الكشف فانهم حاولوا ان يفهموه كشفاً عقلياً. وساروا على هذا المبدأ معتمدين على قوى العقل الطبيعية حتى اواخر عهد الفلسفة اليونانية حين جاءت الافلاطونية الحديثة التي عدلت عن العقل الى الذوق وردّت هذا الى المقام الاول. وهكذا يظهر ان التفكير الشرقي كان بمثابة المقدمة للفلسفة اليونانية التي جاءت على نحو علمي. لكن هذه الفلسفة لم تأت بنت يوم او وليدة عقل رجل واحد توفق الى وضع اصولها وشاد بناءها دفعة واحدة لكنها كانت نتيجة محاولات عديدة توالت على مدى اجيال قام بها رجال عظام كانوا تارة يتفقون في الرأي وتارة يختلفون. فهذا الكتاب هو تاريخ محاولاتهم ونضالهم في سبيل الحقيقة والعلم.

ليس كتاب الاستاذ كرم الاول من نوعه من حيث الموضوع في اللغة العربية. لكنه ينفرد بمزايا كثيرة لربما تجعله احسن ما كتب حتى اليوم اذا غضضنا النظر عن المطوّلات. فهو اولاً حسن التبويب والتنسيق يقسم الفلسفة الى ثلاثة ادوار: «دور النشوء ودور النضوج ودور الذبول».

والدور الاول فيه وقتان: الوقت المسمى بما قبل سقراط. وهو يمتاز باتحاد وثيق بين العلم الطبيعي والفلسفة، ووقت السوفسطائيين وسقراط يمتاز بتوجه الفكر الى مسائل المعرفة والاخلاق.

والدور الثاني يملأه افلاطون وارسطو. اشتغل افلاطون بالمسائل الفلسفية كلها، وتجهد نفسه في تمحيصها، ولكنه يمزج الحقيقة بالخيال والبرهان بالقصة، حتى اذا ما جاء ارسطو عالجها بالعقل الصرف، ووفق الى وضعها الوضع النهائي.

والدور الثالث يمتاز بتجديد المذاهب القديمة وبالعود الى الاخلاق والتأثر بالشرق، والميل الى التصوف مع العناية بالعلوم الواقعية. والكتاب كله شرح

لهذا الإيجاز.»

والكتاب اربعة ابواب تميز مواضيعها الهامة ارقام ، ويتسلسل كل موضوع على فقرات تدل عليها حروف ابجدية. وهكذا يكون لكل مسألة وحدة ووضوح معاً ويتيسر على القارئ طلب الامور في مكانها دون حاجة الى قراءة الفصل بكامله. هذا من جانب المظهر. اما المادة فان المؤلف مطلع اطلاعاً واسعاً على اهم واخطر ما ظهر عن تاريخ الفلسفة اليونانية في اللغات الاوروبية. واستقى من هذه المصادر متوخياً ان يجعل كتابه على نسق المؤلفات الاوروبية هذه.

وهناك شيء آخر يستحق المؤلف الثناء عليه — وهو ليس بالامر اليسير في طور الفلسفة العربية اليوم — هو التوفق الى استنباط مصطلحات فلسفية جديدة كلما اضطره المقام ولم يجد عند الاقدمين ما يفي بالحاجة. ثم اردف كتابه بجدول اشبه شيء بقاموس صغير لهذه المصطلحات باللغة العربية والفرنسية نراه مفيداً ومساعداً على توحيد التعبير.

وهاك نموذجاً عن نسق المؤلف وسلامة اسلوبه نجاء به في خاتمة الباب الثاني عن افلاطون :

«نرجو ان نكون قد وفقنا في اثناء تصويرنا مذهب افلاطون الى إشعار القارئ بعض الشيء بسمو روحه وعمق فكره وتنوع أسلوبه. جمع افلاطون في شخصه كل مزايا العقل اليوناني فابلغها الى اقوى وابهى مظاهرها : الجرأة والتؤدة ، الحدس والاستدلال ، العاطفة والملاحظة ، الفن والرياضة ، واستوعب جميع الافكار فمحصها الى حد بعيد ، وسلكها في نظام واحد بديع ، واحس جميع النزعات الروحية ، فاستخلصها من الأرضية وسائر الاسرار ، ووضحها واحالها معاني عقلية ؛ فنقل الدين الى الفلسفة : قال ان المطهرين الذين تتحدث عنهم الاسرار ما هم الا الذين يعنون بالفلسفة بمعناها الصحيح ، وان الفلسفة هي التي تخلص النفس وتدخلها النعيم. واعلى كلمة الفلسفة على كل كلمة : فكان بكل هذه المميزات احد ينبوعي حكمة نهلت منه العقول من ايامه الى ايامنا ، ولن تزال ترده الى ما شاء الله. والينبوع الآخر تلميذه ارسطاطاليس.»

ي. ع.

سلسلة احاديث كلية العلوم عن العلوم المبسطة : المجموعة الاولى

كلية العلوم في جامعة فؤاد الاول . القاهرة ١٩٣٨-١٩٣٩ ، ١٩٣٩-١٩٤٠

لقد اخذنا نرى في شرقنا العزيز تباشير نضج علمي ، إن كان لا يزال ينقصه الكثير من المشجعات البيئية فانه اصبح ذا شأن لا بأس به . ان عندنا اليوم فئة من العلماء الشرقيين الذين اخذوا العلم عن علماء الغرب بل واخذوا معه حب العلم والشغف به ، شأنهم في ذلك شأن اجدادهم ، وشرعوا يجارون اساتذتهم ؛ فمنهم فئة في بيروت وفي الشام وخاصة في مصر التي تزعم النهضة العربية بلا مراء لتوفر المال والرجال ولبُعد اتصالها بالمدنية الغربية . واذا كان اهل الشرق يفخرون بعلمائهم الجدد وبنهضتهم فان هؤلاء العلماء يأبون على انفسهم ان يكتفوا بمثل هذا الفخر والاعجاب ، بل يريدون ان ينشروا العلم على الناس ليستفيد الناس من العلم بالعمل . لان العلم المحصور في ادمغة معدودة او في طيات الكتب لا ينفع الا قليلاً . يزاد على ذلك ان العلماء يجدون حافزاً لهم على التنقيب والبحث اذا ما عمر الجو العلمي حواليهم واعتم الناس بفائدة العلوم ومتعتها واخذوا يستزيدونهم علماً .

ولكن لنشر العلم على الناس في شرقنا عقبات جمة . منها قلة المثقفين ثقافة عالية ، وصعوبة اللغة وقصرها عن تمكين الباحث من تبسيط المسائل العلمية بكلام مفهوم قريب المنال يستطيع معه ان يحافظ على التدقيق والسهولة في آن واحد .

غير ان هذه العقبات ليست مستحيلة التذليل وكما انها ذللت في بلدان اخرى فانها يجب ان تذلل عندنا . وهذا ما حدا بعض الاساتذة في مصر وفي طليعتهم الاستاذ الدكتور علي مصطفى مشرفه بك على الاقدام على هذا العمل . فلجأ الى وسيلتين تكمل الواحدة الاخرى . اولاهما ان طلب الى العلماء الاساتذة او سواهم الذين تخصصوا في علم ما ان يلقوا على الشعب بالراديو حديثاً وجيزاً في موضوع من مادة اختصاصهم في يوم معين من الاسبوع . وان يكون رائدهم الدقة العلمية والتشويق ما امكن ، على ان لا يكون تشويق الزخرف والدعاية انما التشويق

الناجم عن اظهار المنفعة من العلوم. فلبى نداءه طائفة من العلماء الغير والقوا من سنة ١٩٣٨ الى سنة ١٩٤٠ سلسلتين من الابحاث العلمية المنوعة. ورأوا ان يعمموا فائدة الالقاء بالراديو فلجأوا الى الوسيلة الثانية اي طبع هاتين السلسلتين في كتاب متوسط الحجم يبلغ ما ينيف على المائتي صفحة .

نظرة واحدة على عناوين الاحاديث تعطي القارئ فكرة عن تنوع المواضيع وكثرة الفائدة : فانه يرى خمساً وعشرين بحثاً يقع كل منها في عشر صفحات تقريباً . منها في احساس النبات ، والكيميا الحديثة ، وتركيب الذرة ، والهواء الذي يحيط بنا . ومنها في اللؤلؤ والمرجان ، والارض وتاريخها ، والينابيع المعدنية ، وعلى هامش النسبية ، وكيميا المفرقعات . الخ . . هذا من حيث المواضيع اما من حيث الاسلوب فان القارئ يجد لذة عظيمة اذ يرى اللغة العربية تتسع لمثل هذه الاحاديث العويصة وتروض لها بمرونة وطلاوة ، فيشعر بروح انشائية جديدة تدب في عروق لغة الحضارة الغربية التي يغار على حيويتها وتطورها المعقول كل من يحب هذه البلاد واهلها . وما احسن ما ذكر الاستاذ مشرفة بك عن الباحث على تنظيم هذه الاحاديث حيث قال :

«لقد صارت العلوم في عصرنا الحالي ضرورة من ضرورات الحياة ، فهي لازمة للدفاع القومي ، لازمة لاستغلال الموارد الطبيعية في كل امة ، لازمة للمحافظة على صحة الشعب ولتنظيم الحياة الاقتصادية والاجتماعية بل هي لازمة لحياة الفرد العادية لا يكاد يستغني عنها في عمل من اعماله اليومية .

فاذا كان هذا شأن العلوم وكان هذا خطرها فماذا نحن فاعلون من أجلها ؟ . فالعلوم التي تدرس اليوم في مصر اما انها تدرس دراسة اكاديمية بحتة . او انها تدرس دراسة سطحية بغرض تطبيقها تطبيقاً محدوداً في دوائر ضيقة . والحلقة المفقودة التي يجب ان نعمل على ايجادها هي تلك الرابطة بين العلوم البحتة والعلوم التطبيقية ، بين الدراسات الاكاديمية التي ترمي الى المعرفة لذاتها وبين استخدام هذه المعرفة في خدمة المجتمع ، عندئذ ترقى الصناعة ويولد الاختراع وعندئذ نستطيع ان نركن الى انفسنا ونعتمد على مواردنا . »

ي . ع .

المشرق

فهرس الجزء الثالث من السنة التاسعة والثلاثين

تموز — ايلول ١٩٤١

		صفحة
الارض والاعمال الزراعية في لبنان وسورية على العهد اليوناني - الروماني (مصوّرة)	الاب رينه موترد	٢٢٥
المساجد والمشاعر في العصر الجاهلي : ٢	من آثار الاب لامنس	٢٤٥
المدرسة والتربية الوطنية (موضوع الاسبوع الاجتماعي) :		٢٦٣
التعليم الابتدائي في لبنان كما يريد ان يكون	سامي الشمّاس	٢٦٥
التعليم الابتدائي في لبنان كما هو	شكري القرداحي	٢٨٠
المعلّمون ، وكتب التعليم ، والمناهج	فؤاد افرام البستاني	٢٩٦
مظاهر الثقافة الفنية في لبنان (مصوّرة)	***	٣٠٩
معهد الآداب الشرقية		٣٢١
بعض المخطوطات العربية التي دخلت المكتبة الشرقية	ف. ت.	٣٢٥
مطبوعات جديدة :	م. عون ي. عضم	٣٢٩

٢٢٦

آ ص ٢٢٦

المشرق

السنة التاسعة والثلاثون — ت ١ – ك ١ ١٩٤١

المحبة
وتأثيرها في الحقوق

خلاصة محاضرة القاها بالفرنسية الاستاذ شكري قرداحي الاستاذ في مدرسة الحقوق الفرنسية في بيروت ، وفي معهد الحق الثانوي في لاهاي ، والرئيس الاول لمحكمة التمييز اللبنانية سابقاً . فعرّبنا اهم فصولها ، فشاء بما حوته من فرائد الفوائد . قال :

أسائل النفس هل يحسنُ بي في هذا الوقت أن أتكلم عن المحبة وألفظ هذه الكلمة الساحرة التي حدّد بها الكتابُ المقدس الخالق عزّ وجلّ بقوله : « ان الله هو المحبة » ، في حين أن العالم المسيحي يئن ويتألم ، والثروة النفيسة التي جعلتها الانسانية من ضروب النجاح ومن العلوم والفنون في عدة قرون ، تنحدر في طريق الفناء والاضمحلال من جراء حرب طاحنة لا تحاربها رحمة بل تكاد تكون انتحاراً اجتماعياً ؟ . .

لا جرم أنَّ تلك الفضيلة الجليلة العظيمة ، لم تكن يوماً أجدرَ بالنظر والبحث منها في هذا الوقت .

ان كلمة المحبة مكتوبة بحروف ذهبية في جميع صفحات الانجيل ، ومشعشعةٌ في جميع الكتب المقدسة ، وبارزةٌ في اقوال الرسل .

فايُّ امرئٍ لا يذكر النشيد الذي عظّم به القديس بولس المحبة ، ذلك النشيد الذي لم ينطق باجمل منه لسان انسان ؟

فلا عجب اذاً في أن نرى ثلاثة من كبار البابوات يستهلون مهمتهم البابوية السامية بما تدعو اليه تلك الفضيلة عند ما رأوا عقارب البغضاء تدبُّ في القلوب والحقد يأكل الصدور فأخذوا على انفسهم القيام بالواجب المتعب والشريف معاً ، واجب انقاذ الانسانية من نفسها وتجديدها بروح المحبة . ففي اول تشرين الثاني سنة ١٩١٤ اصدر البابا بندكتوس الخامس عشر منشوراً اظهر فيه اسباب الخطب العظيم الذي نزل بالانسانية في تلك السنة ، يعني حب الذات والجشع ونسيان شريعة الله . ثم عمد البابا بيوس الحادي عشر الى إصدار رسالة في ٢٢ كانون الاول سنة ١٩٢٢ اظهر فيها أن السلم الحقيقي لا يعودُ الى العالم الّا بالعودة الى القيم الروحانية ، وأن عهد الهناء والطمأنينة الذي عللتنا به تباشيرُ جنيف وأحكمته عبدة بريان - كيلوج لم يكن الّا سراباً خادعاً وبرقاً خلباً . وبينما كان العالم يهتز لقصفات المدافع وضوضاء المعارك أصدر البابا بيوس الثاني عشر منشوراً بابوياً في ٣٠ تشرين الاول سنة ١٩٣٩ اوضح فيه القواعد الانسانية التي يقوم عليها العدل والمحبة والتي يجب بناء النظام الجديد عليها لان تلك القواعد هي وحدها تصلح لأن تكون اساساً للمستقبل .

اما انا فقد جعلت مهمتي اكثر اتضاعاً واقرب الى نوع العمل الذي اقوم به ، وهي استقصاء فكرة المحبة في الحقوق الحديثة . ولقد كنت أودُّ ان اتتبع سير تلك الفكرة في جميع انظمة الحق العام والحق الخاص ، ولكن ضيق الوقت يضطرني الى الاكتفاء بنظرة اجمالية الى القوانين والاحكام الاجتهادية التي اوحت بها المحبة ، وبالاشارة الى خصائص مفعولها في تهدئة النفوس والسلام الاجتماعي ضمن نطاق الحق الخاص لأن البحث من هذا الوجه في الحق العام يتطلب

شرحاً ضافياً تضيق عنهُ محاضرةٌ بسيطة .

وسأبحث اولاً في الحق الجزائي واصول المحاكمات وطرق التنفيذ مقتصراً على لمحةٍ وجيزة. ثم افيض في الكلام على فتوحات المحبة في دائرة الحق المدني والحق البحري في هذا الزمن .

ويجدر بنا في صدر هذا البيان أن نحيي أولاً الاصلاح الخطير الذي يعدُّ في طليعة الاصلاحاتُ التي يدونها تاريخ المدنية ، اعني به الغاء الرقيق الذي دفعت اليه المحبة وسجلتهُ في مقدمة كتابها الذهبي وكان مستهل حركةٍ مباركةٍ لتوجيه الحق في سبيل الانسانية . وما زالت تلك الحركة تشتدُّ وتمتدّ يوماً فيوماً .

ولا مشاحة في ان المحبة اكتسبت مجداً كبيراً لانها رفعت شأن الكرامة الانسانية بالقضاء على نظام الرقيق العريق في القدم . ذاك النظام الذي فات كبار المفكرين القدماء ما يتضمنه من ظلم يحطّ من قدر الانسان وينزله الى مستوى الحيوان بل يحوّله الى شيء بسيط ليس له شأن .

وها اني على نور ذلك الحادث الخطير الذي يتلألأ كمصباح نير على الصرح القانوني ابدأ البحث والاستقصاء في خلال القوانين المختلفة مبتدئاً بالحق الجزائي وهو أقدم الحقوق .

III

ايها السادة ، ان تأثير المحبة كان فعّالاً في الحق الجزائي من حيث تلطيف العقوبة واختصاصها (indivi dualisation) ولقد ظهر هذا التأثير ايضاً في تقدم التدابير المختصة بالدفاع عن المجتمع (mesures de sûreté) . فان هذه التدابير التي تعدُّ تكملة للعقوبة تُتخذ من كل جهة في الحق الجزائي لتمكينه من القيام بمهمته الحقيقية التي لا تقتصر على معاقبة المجرم بل تشمل تلافي الاجرام بالتدابير المناسبة ، وخصوصاً مساعدة المجرم على اصلاح نفسه واسترداد منزلته .

ولا يذهب عنكم ان مدارس الحقوق تعلم عادةً طلّابها أن العقوبة يجب أن تكون قانونية وشخصية ومُصلحةً ومُكفّرةً وأن تكون ، الى حدّ ما ، عبرةً للناس .

على ان تقديم العبرة الممزوجة بفكرة الانتقام ، والموضوعة اليوم في المرتبة

الاخيرة من العقوبات ، بقيت ردحاً طويلاً من الزمن غايةَ الشارع الوحيدة فكان يذهبُ الى أن إحداث الرعب والهلع يصرف الناس عن ارتكاب الجرائم . وعن هذا المذهب نشأت ضروبُ التعذيب والتفظيع في العقوبات كعذاب نزع الارجل والايدي ، وعذاب الخازوق ووضع السلاسل الحديدية في الاعناق لربطها بالاعمدة . وكان القضاة يحكمون بالاعدام في اغلب الاحيان على من يرتكب جرماً بسيطاً أو يعودُ الى ارتكاب سرقة ، مما تعاقب عليه محاكمنا اليوم بالحبس بضعة اشهر او بضعة أيام فقط .

وكانت الاحوال التي تستوجب الاعدام في سالف الزمان ١١٥ ثم أنزل هذا العدد الى ٣٦ بمقتضى القانون الجزائي الصادر في سنة ١٨١٠ . اما اليوم فلا يتجاوز عددها اثنتي عشرة حالة .

ويروى ان القاضي كوزاك عندما آذنت شمس حياته بالغروب كان يقول مفتخراً بوجه باش وضمير مستريح « ان الذين حكمت باعدامهم يتجاوزون عشرة آلاف » .

ومما يدلّ على شدة العقوبات في سالف الزمان ، وعلى الرغبة في ايقاع الرعب والهلع في النفوس ما رواهُ المستشار دانغيو الذي كان يعدّ من صفوة القضاة في العهد القديم وهو : ان اعضاء المحكمة الجزائية في برلمان نورماندیا اعربوا له عن رغبتهم في معاقبة من يقطع شجرة سنديان كما يعاقب من يقتل الانسان ، على ان هذا المستشار كان اسمى شعوراً منهم ورأى ان عقوبة الاشغال الشاقة (الكورك) هي اكثر مناسبةً لمبلغ الجرم ولمصلحة المجتمع . اما في ايامنا فلا يستهدف من يقطع شجرة الا لجزاء نقدي . ولا غروَ فان المرء مهما يكن حبّه للشجرة فلا يستطيع أن يفسر او يستحسن مثل تلك القسوة الفظيعة .

ولقد بلغت فكرة الانتقام في بعض الأحيان الى حدّ الغلوّ في السخط والهيجان حتى انهم كانوا يحاكمون الحيوانات ويمثلون بالجثث والاشياء الجامدة . ألم نقرأ في الروايات القديمة ان محكمة بوفيه حكمت على ثور بالصلب لانه فتك بشاب في آبان هياجه ، وأن خنزيرةً حكم عليها بالموت ضرباً لانها قضمت ذقن ولد في قرية شارون . ألم نقرأ ان الجرس الذي قرع عند الهجوم على دير القديس

سان مارك لانتزاع جيروم سافونارول، شُهِرَ على ظهر حمار تنفيذاً لحكم قضائي؟ لا جَرم ان المرء يظن نفسهُ في حلم من الاحلام عندما يقرأ امثال تلك الروايات وهي مع ذلك صحيحة .

على ان مفعول المحبة ، وإن يكن بطيئاً ، لم يبدُ في هذا النطاق اقل تأثيراً منه في الشؤون الاخرى . ولا عجب في ذلك الابطاء لان إزالة العادات العريقة في القدم ، والتقاليد المحترمة لا تتم بلا عقبات .

اما حركة انهاض المجرم ، فقد اخذت تظهر منذ مدة غير قصيرة . ويحاول ولاة الامور في هـذا الوقت أن يقيلوه من كبوته ويصلحوا نفسه واخلاقه وينظموا له في مدة سجنه عملاً يكسبه رأس مال صغير يستفيد منه بعد إطلاق سراحه . ولا يفوتهم في الوقت نفسه ما يجب ان يناله من عقاب وألم تكفيراً عن ذنبه. وعلى هذا النحو يساعدونه بعد إطلاق سراحه ، على النهوض . ويرجع الفضل في هذا الانقلاب السعيد الى الفكرة الدينية . ويقول القانوني الكبير « غارصون » ان الفضل فيه يعود الى عقيدة الخلاص المسيحي التي وعدت بغفران الخطيئة حتى في حالة الندامة غير الكاملة .

ويرجع الى المصدر نفسه مبدأ تخصيص العقوبة الذي حققته المحاكم الكنائسية القديمة قبل انتشاره في المحاكم الحديثة كما يقول الباحثون ، والذي يعد الغاية الاخيرة عند علماء القانون الجزائي في هذا الوقت. وهذا الميل الى التخصيص يظهر اليوم في الحقوق العائدة الى الحكومة والادارة فيما يتعلق بمدة العقوبة . فايُّ داع يستوجب إطالة الحبس اذا اتضح أن المحكوم عليه قضى حق المجتمع وأصلح نفسهُ ؟ أليس من دواعي الانسانية ان يُعفى عنهُ ؟ لذلك جُعل حق اصدار العفو امتيازاً لرئيس الدولة كما أُعطيت الادارة حق الافراج عنه بشرط ان لا يعود الى ارتكاب الجرم ، فيرجع اذ ذاك الى سجنه وتُشدَّد عقوبتهُ .

ولا يخلق بنا ان نغفل الكلام هنا عن تدابير الدفاع عن المجتمع التي كانت مغفلة منذ قرن ثم اصبحت في هذا الوقت قاعدة لكل اشتراع وبلغت من الشأن الى حدّ ان مشروع قانون الجزاء الايطالي ،الذي وضع سنة ١٩٢٠ أحلها محل العقوبة .

واني اقتصرُ هنا على تعداد بعض تلك التدابير التي يُقصد بمعظمها إنهاض المجرم و إصلاحه ، فهي تعد تدابير حماية واسعاف كتربية الاحداث المجرمين ومعالجة المصابين باختلال عقلي كالمجانين واشباه المجانين والسكيرين والمتسمين بالعقاقير الخ .

ولا يسعنا ايضاً أن ننقل ذاك القانون الذي يجيز إيقاف التنفيذ في من يرتكب اول جرم وتمكينه من صون شرفه واجتناب الاختلاط المفسد بالسجناء ، على شرط أن يثبت بعد السقطة الاولى انه ينهج سواء السبيل . كما يجمل بنا ان نشيرَ الى التدابير المختصة باعادة شرف المحكوم عليه بعد اختباره في مهلة معينة لاصلاحه .

افلا ترون ايها السادة ان كلّ هـذا الاصلاح الاجتماعي الذي تتبعناه في مراحله المختلفة والذي تمّ تحت ستار « حب القريب » وضمنَ نطاق كان التطرف في الارهاب والغلوّ في الانتقام سائدين فيه — الا ترون انه اصلاح جميلٌ مثمر ؟

واذا انتقلنا الى أصول المحاكمات وطُرُق التنفيذ رأينا ان شعاع المحبة لم يكن فيها اقلّ فائدةً ونفعاً ، وان يكن اقلّ ظهوراً . فقد كانت تلك الأصول في الزمن الاول تُؤيد ابلغ تأييد حق الدائن على المدين حتى انها اجازت في البدء قتله عند الامتناع عن الايفاء ثم اجازت بيعه في السوق . على ان دافع المحبة خففَ من تلك الشدة وجعلها اقرب الى الانسانية فاصبح شخص المدين في هذا الوقت لا يضام من أجل دينه ولم يبقَ هذا الدين لاصقاً بعظامه كما كانوا يقولون بل اصبحت ثروته وحدها ضامنةً لدينه ، او بالاحرى جزء فقط من ثروتـه لان عاطفة الشفقة حملت الشارع على جعل فراش المدين وملابسه وملابس عيلته مع مقدار من الدقيق والمواد الغذائية الكافية لمدة شهر ، بمأمن من كل حجز ، بل ذهب في سبيل الرحمة الى ابعد من هذا المدى فمنع حجز الكتب المتعلقة بمهنة المدين ، وهو امرٌ ذو شأن في نظر أهل العلم والثقافة .

ولا غروَ فانّ الدائن المتحجر القلب المجرّد من الشفقة لا يجوز له ان يصل الى اقصى حد من حقه ، والرحمة تأبى عليه ان يطرد عيلةً بعنف وشدة من مسقط

رأسها حيث اجتمعت مواضيع حبها مع تذكاراتها الحلوة والمحترمة ، ولاسيما ان انتزاع صغار الملاك من منازلهم يهدد باخلاء الجهات الزراعية من سكانها ويقذف بهم الى المدن فيزداد فيها عدد العاطلين عن العمل . وإنّ الخطر من هذا الوجه لعظيم في ذاته فكيف اذا مدّ القضاء يده لاخراج صغار الملّاك من بيوتهم في القرى والدساكر .

وليس هناك شك في أن جاذب المدن الكبرى الخلّاب منذ استوت الآلة على عرشها تغلّب على نفس الفلاح وعلى كل الفضائل المجتمعة فيه بل على سحر البراري الخضراء ايضاً ، ورأينا أن تلك الطمأنينة القروية والسعادة الهادئة والبهجة الصافية ، التي تكافئ بها الارض الكريمة اولئك المتضعين الذين يخدمونها — الارض التي ودّ ثرجيل لو استطاع ان يبدل بها مجده وعبقريته — لم تستطع كلها ان تثبت اقدام القرويين في اراضي اجدادهم لان سراب النجاح الخداع الذي يؤدي في الغالب الى البؤس والاضطراب هو لسوء الطالع قويّ المفعول بليغ التأثير في انفسهم .

أو ليس من واجب الشارع في مثل تلك الاحوال ان يضمن ملك العيلة للمدين السيئ الطالع فيصون له هذا الملك الذي يعدُّ جزءاً من نفسه فيراعي في اشتراعه الدواعي الانسانية والاعتبارات الاقتصادية ، ويحول دون سلخ ذاك المسكين عن الارض التي كانت مسقطاً لرأسه ؟ لا مشاحة في ان هذا التدبير ينطبق على المصلحة العامة الكبرى للمجتمع ومن جملته نفس الدائن .

فلا عجب اذاً في أن نرى ذاك القانون الاميركي الأصل القاضي بصون ملك العيلة ، مرعياً في العالمين القديم والجديد ، وهو يسمى فيما وراء الاطلانتيك « Homestead » وفي القطر المصري « بقطعة النداءين الخمسة » ، ولا يسمح على الاطلاق بحجز ذاك الملك أو مسه

ومما يجدر بنا ذكره في عرض هذا الكلام ان دواعي الشفقة حملت الشارع على ابقاء جزء من اجرة العامل وراتب الموظف وأجر المستخدم بأمن من كل تعقب قضائي اذ لا يجوز أن يتحوّل التشديد في العدل الى ضرب من الظلم .

ننتقل الآن الى درس تأثير المحبة — وهي موضوعنا الاساسي — في الحق المدني الجديد :

على انهُ يخلقُ بنا في مستهلّ هذا البحث ان نوضح نطاق تأثير المحبة وان نميّز بينها وبين فضيلة العدل التي تعدّ اختاً لها :

لقد اجمع الباحثون بوجه عام ، على أن هاتين الفضيلتين ، مع وجود بعض الفوارق بينهما ، لا تتعارضان بل تُتمّم احداهما الاخرى . الا أن الواجبات التي تفرضانها ليست من نوع واحد . فالعدل يقضي بان يجتنب الناس كلّ ما يضر ابناء جنسهم وبأن يؤدوا لكل انسان حقه ، فكلُّ مخالفة لهذا الواجب تخول المضرور حقّ المداعاة بشرط ان يكون الواجب معيناً . أمّا المحبة فتوجب على الناس أن يمدوا يد الاسعاف للمتألمين وأن يتعاونوا على وجه عام . بيد أن وجوه الاسعاف أو التعاون كثيرة متعددة . فايّ اسعاف يجب على كل واحد أن يقوم به ، ولمن يكون هذا الاسعاف ؟

ان الغموض تامٌّ من هذا الوجه . فلذلك يصعب على الناس ان يتصوّروا ان أحد واجبات المحبة يمكن أن يكون له حقٌ يقابله وأنه ينفذ قضائياً .

تلك هي الوجهة النظرية ، على أن العدل والمحبة يجب أن لا يكونا متعارضين بمعنى أنّ كلّ واحدة من هاتين الفضيلتين تعتبر منافيةً مبدئياً للاخرى . فان بعض واجبات المحبة يمكنهُ ، في غالب الاحيان ، ان يتحول الى واجب عدل حينما يكون هذا الواجب معيناً على اثر بعض الظروف ، وحينئذٍ يصبح قابلاً للمداعاة ، لان الموضوع والمدين بالحق يكونان اذ ذاك معروفين .

وسترون ان المحبة قدّمت معونة قوية في دائرة العدل واحدثت فيه نشاطاً ونموًّا ، فهو يعدُّ من بعض الوجوه من منتجات المحبة لانها هي التي أدخلت في الاشتراع كثيرًا من الحقوق لم تكن تنطبق على العقلية القديمة . وهي التي خفّفت شدة كثير من القوانين الحديثة . ولقد تعددت التدابير من هذا القبيل حتى قال أحدُ المؤلفين : « اني لا اعجب من ان ارى يوماً المشترعين يؤكدون ان العدل ليس الا « اسماً » أعطي لموجبات المحبة ، التي رأوا من المفيد ان يحولوها الى قواعد حقوقية واجبة المراعاة . » وقال جيليه بهذا المعنى وبصيغة

أقوى : « ان العدل اليوم هو المحبة بالامس ، والمحبة اليوم هي العدل غداً . »

فالاعتبارات المتقدمة تبيّن لنا المنهج الذي يجدر بنا اتباعهُ . وسنبحث اولاً في ما يعود مباشرةً الى المحبة ، اي واجب الاسعاف ، ثم نتطرق الى الموجبات المختلفة الناشئة بطريقةٍ غير مباشرة عن تلك الفضيلة .

واجب الاسعاف

اننا لا نرى اثراً على الاطلاق في القوانين القديمة لواجب الاسعاف الذي قضت به المحبة ثم تحوّل الى موجب عدلي متحتم التنفيذ .

اما اليوم فقد أخذ نطاق فعله يزداد اتساعاً ، ونصّ عليه الحق البحري والحق المدني . فمن ذلك التعويض الذي تقدمهُ الدولة عند وقوع اضرار الحرب ، والاسعاف العائلي وتقديم الغذاء واسعاف صاحب المهنة عند وقوع حوادث العمل ، والاسعاف المختصّ بشمول الخطر كالاسعاف البحري ، ثم واجب التعاون الذي يقضي في بعض البلدان بمعاقبة من يظهر مجرّد امتناع عن الاسعاف .

ا – الاسعاف الذي تقدمهُ الدولة

ان قانون ١٧ نيسان سنة ١٩٢٩ يقدم لنا مثلاً من قوانين التعويض التي لم تستمدّ شيئاً من فكرة المسؤولية . وان كثيرين من رجال القانون يرون أن التعويض الذي يُعطى في مثل تلك الحال ليس الّا تطبيقاً منطقياً لفكرة التضامن والتعاون . فالضرر الذي ينشأ عن الحرب هو ضرر اجتماعي يجب توزيعه على جميع اعضاء المجتمع ولا سبيل الى هذا التوزيع الا بتحميل الدولة اعباءه

ب – الاسعاف العائلي

ان واجب هذا الاسعاف موجودٌ بين بعض ذوي القربى والمصاهرة . والقانون يعين الدائنين والمدينين بهذا الواجب كما يوضح في الوقت نفسه الموضوع أي الموجب الغذائي . وهو متحتم الاداء من الوجه الادبي الى حدّ ان واجب الغذاء شمل الاولاد غير الشرعيين وان لم يكنْ هناك نصٌّ قانوني يقضي به . على ان التيّار لم يقف عند هذا الحد بل تعدّاهُ الى جزء من الاشتراع محكم الاقفال منذ مدة طويلة ومصوغ في صيغة نهائية ، اعني نظام الاحوال الشخصية الاسلامي ،

فرأينا ان بعض المحاكم المصرية قضت باسعاف القربى غير الشرعية مع ان الشريعة لا تقضي به .

ج – الاسعاف المختص بالمهنة

ان القوانين المختصة بحوادث العمل يمكن تصويبها بالحجة نفسها . وهي قائمة على فكرة خطر المهنة . ولا غرو فان المهنة تجمع في مصلحة واحدة بين رب العمل والعمال . فاذا وقع حادث وجب التعويض على رب العمل لا لانه مسؤول بل لانه ملزم شرعاً باسعاف العامل على الرغم من جميع النظريات القانونية الأخرى ، وهو ملزمٌ على الاقل بان يسعف العامل عند ارتكاب خطأ لم يكن في الوسع اجتنابه .

د – الاسعاف البحري

ان فكرة الاسعاف تتجلى هنا بكل ما فيها من جمال . ومما يخلق بالذكر في هذا الباب أن البابا بيوس الخامس قضى في دستوره الشهير (*Cum nobis*) منذ سنة ١٥٦٦ ، بان جميع صيادي السمك والبحارة يجب عليهم أن يساعدوا السفن المستهدفة للخطر .

ثم جاءت القوانين الفرنسوية فأيدت هذا الواجب الذي تدفع اليه المحبة عند حدوث تصادم بين سفينتين فأوجبت على كل سفينة مصادمة أن تتذرع بجميع الوسائل المستطاعة لانقاذ السفينة الاخرى وما اكتفت بهذا كله بل أوجبت ايضاً في غير حالة التصادم، ما اوجبه اتفاق بروكسل سنة ١٩١٠ وهو ان كل قبطان ملزمٌ بأن يمدّ يد الاسعاف لكل شخص وان يكن عدوا اذا كان مهدداً بخطر الهلاك في البحر ؛ طبقاً لوصية القائل الكريم : احبوا أعداءكم .

ثم تجلّى الاخلاص في اسمى مجاليه في هذا الموجب ، اذ فرض على كل قبطان ان لا ينقذ نفسه قبل ان يضمن سلامة جميع البحارة والركاب الذين فوّض اليه امر المحافظة عليهم .

افلا ترون ان هذا الموجب هو قضاء على الأنانية ودعوة الى انكار النفس ؟

ولقد تشددوا الى حدّ ان الضرورة اصبحت لا تعتبر سبباً مبرراً ، ورأوا ان القبطان يلزمه أن يكون امام الخطر قدوةً لغيره في الشجاعة . ألا ترون

ان غريزة حفظ البقاء تنكص هنا امام هذا الواجب الخيري . واي امرئ لا يرى في اساس هذا الأمر موجباً من موجبات المحبة أيده الشرع فاصبح قاعدة حقوقية ؟

واذا نظرنا الى بعض القواعد المختصة بحالة الضرورة كالمادة ٩٠٤ من القانون المدني الالماني وجدناها عائدة الى فكرة الاسعاف الناشئ عن المحبة ايضاً . فقد جاء في المادة المذكورة « ان المالك لا يمكنهُ ان يمنع غيرهُ من استعمال شيء مختص به اذا كان استعماله امرًا لا بدَّ منه لدفع خطر حاضر أكبر من الضرر الذي يمكن ان يحلّ بالمالك نفسه من جرّاء استعمال ذلك الشيء » ويستطيع المالك في تلك الحال ان يطالب بتعويض .

ونصت المجلة في المادة ٢٧ على اختيار اهون الشرين ، ومعنى ذلك انه اذا تعارضت حقوق او مصالح غير متساوية في القيمة فيضحى باقلها شأناً لصيانة الاخرى .

واذا قام شخص مختلّ الشعور ، او ولد لم يبلغ سن التمييز ، بعمل مضر فان فكرة المحبة تدعو الى تعويض المتضرر مما اصابه .

واذا كان المجنون غير مسؤول عن عمله ، فان الضرر الذي حدث يستوجب الاسعاف وان يكن مرتكبه غير مدرك . ويمكن عندئذٍ تحويل موجب الاسعاف الى موجب قانوني .

ولقد جرت القوانين الالمانية والسويسرية والبورتغالية وقانون الموجبات والعقود اللبناني على هذا المنوال ، فاجازت اقامة الدعوى اذا كان المصاب محتاجاً الى الاسعاف ، وكانت ثروة المجنون تسهل عليه اسعافه . ونصّت المادة ٨٢٩ من القانون الالماني على ان العدل يستوجب التعويض في مثل تلك الحال ، وجاء في القانون السويسري « ان القاضي يمكنه اذا اقتضى العدل أن يحكم على شخص ولو غير مسؤول ، باداء تعويض كلي او جزئي من الضرر الذي احدثهُ » واذا نظرنا من جهة أخرى الى الاشتراع المختص بالضمان الاجتماعي (Assurances sociales) فاينا لا يرى فيه تطبيقاً تاماً لناموس التضامن والتعاون الاخوي ؟

ان الشراع في العهد الحديث نظروا بعين العطف الى العامل وارادوا ان

يضمنوا له ولعياله الاسعاف في الاوقات التي يكون فيها عاجزاً عن ممارسة مهنته فانشأوا له الضمان الاجتماعي حتى لا يحرم وسائل العيش اذا أصيب بمرض او عاهة مقعدة او حلت بـه الشيخوخة . فبهذه الوسيلة يقوم المجتمع بتضحية خطيرة إسعافاً لاعضائه البائسين .

قواعد عدلية اساسها محبة الغير

تقدم لنا أن بجانب الاحوال المشار اليها توجد احوالٌ أخرى كثيرة اتخذت شكل قواعد عدلية وجعلت المحبة التي سُميت تضامناً اجتماعياً وتعاوناً ، تتغلب على حب الذات والاخذ بمذهب الانفراد (individualisme) . وهذا يظهر خصوصاً في فكرة استعمال الحقوق الخاصة على وجه لا ينافي مصلحة المجتمع ، وفي الادراك الحالي للمسؤولية ، وفي تحديد مبـدإ استقلال الارادة وفي بعض القوانين المختصة بالعمال كقانون المخصصات العائلية والأجر الأدنى وغيره .

ان مذهب الانفراد الذي كان الشارع يسترشد به في القوانين منذ مئة عام ، لا يتفق مع حاجات هذا العصر الجديد ومصالحه . وسبب ذلك يرجع الى اتساع نطاق التضامن الاجتماعي بجميع اشكاله . فالاحوال التي نرى فيها القيام بعمل او الامتناع عنهُ لا يُودي الى مضرة او منفعة للغير ، اصبحت تقل شيئاً فشيئاً . وهـذا التطوّر حوّل الفكرة القانونية الى سُبُل جديدة . واصبحنا اليوم نراهم يتكلمون عن نسبية القوانين اي كونها منوطة بغاية ، بعد ان كانوا في سالف الزمن يعتبرون الحقّ مطلقاً غير محدّد ، فكلما حولوا الحق عن غايته الاجتماعية ، عدّ هذا التحويل سوء استعمال . ولا يخفى ما لقيته من الاقبال هذه الفكرة التي انتشرت في انحاء العالم .

وهنا نسأل : ما هي الغاية الاجتماعية للحق ؟

ان علماء القانون لم يتفقوا على هذا الامر ولكنهم يجمعون على نقطة واحدة وهي انه لا يمكن ان يكون للحقوق غاية تسمح للناس بأن يضروا بعضهم بعضاً . ولقد أيد الاجتهاد هذه الفكرة وطبقت عليها احكام كثيرة ولاسيما في موضوع الملكية وفي اتباع الطرق القانونية . قال الاستاذ جوسران : « اذا استطاع امرؤ

ان يقول: «لقد احدثت ضرراً، ولكن يحق لي ان احدثه» فقد ارتكب خطيئة ضدّ المحبة . وجديرٌ بنا ان نشير هنا الى ان المادة ١٢٤ من قانون الموجبات والعقود اللبناني التي نصّت على سوء استعمال الحق وأيدت أحكامه

اما التبعة الجرمية فقد وسّعت دائرة فكرتها . ومهما تكن الاسناد الفنية التي تحتمي وراءها فان هـذه الفكرة الجديدة المستندة الى المادة ١٣٨٤ من قانون الجزاء الفرنسوي، تقوم على اساس حب الغير . وان فكرة الاسناد هنا تنطوي تحت القرار الاجتهادي الذي اصدرته الهيئة العامة لمحكمة التمييز الفرنساوية في ١٣ شباط سنة ١٩٣٠ . فالضعيف يجب أن يُحمى من القوي، والمار الذي يصاب بحادثة سيارة يمكنه ان يثق بالحصول على تعويض من الضرر الذي اصابه بدون أن يثبت خطأ السائق — وهذا الاثبات يكاد يكون مستحيلاً في غالب الاوقات — وقد كان المصاب في الزمن الغابر لا يستطيع الحصول على تعويض الا اذا اثبت خطأ السائق . ولا يُعفى مالك السيارة اليوم من اداء التعويض الا اذا كان الحادث ناجماً عن قلة تبصّر المصاب او عن قوة قاهرة .

ولا غرو فان الماشي الذي تصدمهُ سيارة مثلاً في مكان منفرد تحت جنح الليل خالٍ من الشهود كما تقع الحوادث في اكثر الاحيان في هذا الزمان، لا يمكنه اذا بقي حياً ان يثبت عدم إنارة السيارة او غلوّها في السرعة . واذا طلب مثل هذا الاثبات من المصاب او من ورثته كان الطلب بمثابة رفض لكل تعويض . وعلى هذا المنوال صُرمَ حبل قاعدة عريقة في القدم وهي التي تقول «لا مسؤولية اذا لم يثبت الخطأ» والتي كانت تعدّ حقيقة أولية توارثها رجال القانون خلفاً عن سلف ومن قرن الى آخر ولطالما قاومت كل شيء حتى الهزّات السياسية العنيفة . فأعادوا من بعض الوجوه حرمة المثل القديم القائل «من يكسر الزجاجة يدفع ثمنها» .

ان حق التعويض في مثل تلك الحال، ايها السادة، تؤيده اعتبارات ادبية شريفة لانهُ يعود بالنفع على المصاب ويتفق مع عاطفة الشفقة على عضو متألم من اعضاء المجتمع .

وهناك عملية تجري اليوم في كل مكان لانقاذ الجيوب الصغيرة على الاخص

من اعباء التعويضات الباهظة وهي عقد ضمان للسيارات لدى «شركات الضمان» يوجب عليها دفع التعويض عند وقوع الحوادث .

فذلك الاجتهاد الانساني يجب ان يحلّ محل الاستحسان وان يكن بعض المخالفين يعارضونه لاننا في عصر حُكمَ فيه على الانسان بأن يعيش محفوفاً بالخطر ، عصر نرى فيه المركبات السريعة المختلفة تجتاز الشوارع من كل جهة والى كل صوب وتتصادم بشدة وعنف ، عصر اصبحت فيه معرفة اجتياز الشوارع والتنقل فيها بين السيارات والمركبات فناً من الفنون حتى انهم اخذوا يتحدثون عن وجوب تدريب المشاة عليها .

ولا غروَ فان تلك المعدات اذا لم تكن من المتفجرات فهي لا تخرج في بعض الاحيان عن كونها من آلات الموت . ولا يمكن في هذا العصر الذي بلغت فيه الحركة منتهى الشدة والنشاط ان نفكر في مسائل التبعة كما كانوا يفكرون عندما كانت المركبات تُجرّ جرّاً . بل يجب ان يسير الحق في سبيل التطور . فالاحوال الجديدة يجب لها حقوق جديدة . والشريعة الاسلامية نفسها — وهي نهائية غير قابلة للتبدل لانها شريعة مقدسة — اخذت تشعر بضرورة هذا التحوّل . ألم ترَ المادة ٣٠ من المجلة تنصّ على ان القانون يجب ان يكون مطابقاً لحاجات الزمان ؟

ثم ان المسؤولية الناشئة عن التعاقد وقعت بحكم الضرورات نفسها ، تحت تأثير تلك الافكار التي أوحت بها المحبة . فان محكمة التمييز الفرنسوية في هذه الايام ترى أنه عندما يستأجر احدٌ مركبة لتنقله من مكان الى آخر يصبح السائق مديناً له بموجب تأمين حياته ويعتبر ملزماً بايصاله سالماً الى المكان الذي يقصده فاذا وقع حادث في اثناء السفر ألقيت التبعة كلها على السائق لانه لم يقم بذلك الموجب ولزمه التعويض . وعلى هذا المنوال من البراعة ، ازيل ما يقوم في وجه المسافر من صعوبة اثبات الاهمال أو قلة التبصر .

وصدر في سنة ١٩١١ قرار مآله ان ناقل المسافر اذا اراد ان يجتنب الحكم عليه باداء بدل العطل والضرر ، وجب ان يثبت للمحكمة ان الحادث نشأ عن قوة قاهرة او عن خطإ ارتكبه المصاب ، وعلى هذا الوجه يصبح الشخص المنقول

واثقاً ، على التقريب ، بانه سينال التعويض لان ذلك الاثبات بالغ اقصى الصعوبة . وانتم ترون ان الدور انعكس هنا بمعنى ان بيّنة الاثبات لا تطلب من المسافر المصاب بل من السائق الذي نقله .

ويحسن بنا ان نذكر في سياق الكلام أن القواعد الجديدة المختصة بالتبعة الجرميـة والتبعة التعاقدية أدمجت في المادة ١٣١ والمواد التي تليها من قانون الموجبات والعقود اللبناني وان تطبيقها جار في محاكمنا .

واذا فرضنا — خلافاً لما جاء في المثل المتقدم — أن صاحب سيارة تبرع فدعا احد الاصدقاء او الاقرباء ، او اي شخص آخر الى ركوب سيارته مجاناً ثم وقع في اثناء السير حادث أفضى الى قتل الشخص المدعوّ او اصابته بجرح ، فما هي درجة التبعة التي تلقى على السائق وما هي شروطها ؟

انهم يقرّرون على وجـه عام — وهذا ما ارتأته محكمة النقض والابرام الفرنساوية — أن السائق لا يكون مسؤولاً ولا يلزمه التعويض الّا اذا كان قد ارتكب خطأً . وهو رجوع الى احكام الحق العام والى النكوة القديمة المختصة بالمسؤولية .

على أن بعض اهل الرأي يودّون لو تطبق المادة ١٣٨٤ من القانون المدني الفرنساوي التي تقضي كما تقدم بأن يُعطى الماشي المصاب بدل عطل وضرر على اساس التبعة الوضعية (responsabilité objective) من غير اضطرار الى اقامة البينة على الخطإ . ولقد وافق الموسيو جوسران ، ابو قانون الموجبات اللبناني ، على هذا الرأي واستحسنه مبدئياً الموسيو ريبير الذي طالما خالف الموسيو جوسران في كثير من الآراء .

ولا غرو فان المراد تأييـده انما هو اداء واجب المحبة في سبيل مصلحة المصاب ، واذا كان الاجتهاد لم يتبع حتى الآن نفس السبيل فان هذه الحركة القانونية القائمة على اساس الاسماق تستحق الذكر والتنويه .

اما العقود فلم تبقَ بمعزلٍ عن تأثير تلك الاحكام الجديدة التي قلبت رأساً على عقب الافكار التقليدية المختصة بالتبعة بل رأينا بعض القوانين كالقانون المدني الالماني ومشروع القانون المدني المصري الذي وضـع سنة ١٩٤٠ يسمح

للمحاكم بتخفيض المبلغ المقطوع والمنصوص عليه كجزاء عندما يظهر ان بدل العطل والضرر المتفق عليه بين المتعاقدين كان بالغاً حد الغلو . فهنا لا تعتبر الارادة قانوناً للمتعاقدين . ولا يضمن احترامها الا اذا كانت لا تخالف العدل ولا تؤدي الى ابتزاز مال الغير .

وان ذاك الاهتمام نفسه بالعدل هو الذي أوحى بالنظرية المسماة « ما لم يكن بالحسبان » (l'imprévision) والمطبقة في هذا الزمان في كل مكان سواء أكان في المسائل الادارية ام المدنية . وهي تجيز للقاضي أن يعيد النظر في العقد اذا اصبح باهظ العبء من جراء ظروف اقتصادية لم تكن في الحسبان. فقاعدة استقلال الارادة نكصت هنا امام ضغط الضرورات المالية أو السياسية. وبعضهم تطرف في هذا السبيل حتى رأينا احد الكتاب ينشر مقالة تحت عنوان « حق امتناع المرء عن ايفاء دينه » يعني أن القانون غالى في التساهل مع المدين حتى انه انتزع جانباً كبيراً من حق الدائن . ومما يذكر ان القوانين اللبنانية المختصة بايفاء دين المرهون تسترشد بالروح نفسها .

واننا نجد فكرة التعاون ايضاً بارزة في الاحكام القانونية المختصة بفسخ عقود العمل المنشأة لمدة غير معينة اذا جرى الفسخ في وقت غير مناسب ، فان المضرور من هذا الفسخ يُعطى حينئذٍ تعويضاً بالرغم من أن كل فريق من المتعاقدين كان يمكنه بمقتضى العقد ان يضع حداً لمدة التعاقد بشرط ان يرسل تنبيهاً سابقاً الى الفريق الآخر (والمادة ٦٥٦ من قانون الموجبات والعقود اللبناني تؤيد اعطاء هذا التعويض) .

ثم ان النظرية المختصة بعيوب الرضى لم تبقَ في نظر فلاسفة الحقوق مسألة ذات طابع علمي لا علاقة لها بروح العدل وبعاطفة المحبة ، فان زمن العزلة الشخصية المطلقة مضى وانقضى . وكلّ عقدٍ يبدو فيه عدم تناسب وعدم توازن بين الموجبات يعدّ مخالفاً للعدل كلما ظهر انه نتيجة استثمار أو ضيق او عدم اختبار ، او احتياج فريق الى الآخر .

على ان هذا التوسع في فكرة الغبن لم يلق تأييداً في القانون المدني الفرنساوي بعد إدخاله في القانون الالماني والقانون السويسري، ثم في قانون الموجبات والعقود

اللبناني (المادة ٢١٤).

III

وعلى اساس التعاون ايضاً بني القانون الفرنساوي المتعلق بالمخصصات العائلية والمؤرخ في ١١ اذار سنة ١٩٣٢ وهو يقضي باعطاء ابي العائلة اجراً خاصاً يفوق ما يستحقه عمله ، نظراً الى الاعباء التي يلزمه القيام بها . اما صندوق تلك المخصصات فيتألف من مبالغ يدفعها ارباب الاعمال والمشاريع لاسعاف العامل المعيل . ثم انكم ترون ذاك الطابع نفسه على قانون ١٠ تموز سنة ١٩١٥ المختص بالأجر الأدنى للعاملات اللواتي يشتغلن بصنع الملابس في بيوتهن . والغاية التي من اجلها تدخل الشارع في هذا الشأن انما هي منع سوء الاستثمار الذي مُنيت به العاملات اللواتي ليس لهن نقابة تجمع شملهن ، فأدى تدخله هنا الى فشل المبدإ الاقتصادي القاضي بأن يكون اداء الاجر تبعاً لناموس العرض والطلب دون اي اعتبار آخر .

بيد ان تلك الحركة التي يُراد بها تجديد الحق والتوفيق بينه وبين المبادئ الادبية ، تلك الحركة التي تدفع اليها فكرة حب الانسانية لم تقف عند ذلك الحد بل أخذت تنمو وتقوى حتى انه ظهر اليوم في فرنسة تيار من الافكار يميل الى معاقبة الشخص الذي ينكص عن مساعدة غيره في وقت الخطر اذا كان قادراً على مساعدته — او ، بعبارة اخرى ، انهم يبحثون بحثاً جدياً في وضع نص عام يقضي بان مجرد النكوص والامتناع يعتبر جرماً ، فيتحول اذ ذاك واجبُ الاسعاف الى قاعدة حقوقية كان رجال القانون القدماء المتشربون روح الانجيل يصوغونها في قالب هذا المثل المأثور : « من قدر وأحجم أجرم » .

على ان الأمرَ الذي لا يزال في فرنسة ضمن دائرة الاماني والآمال ، أُدخل فعلاً في قوانين بعض البلدان الاخرى ، فقانون الجزاء الايطالي الصادر في سنة ١٨٩٠ (المادة ٣٦٨) يفرض غرامة على من يبصر شخصاً جريحاً او واقعاً في حالة خطرة ، او يكون فاقد الحراك او يظهر انه كذلك ، ويحجم عن اسعاف هذا الشخص او عن ابلاغ السلطة أو رجال الامن بشرط ان لا يعرضه الاسعاف لخطر أو ضرر . والمادة ٢٣٦٨ من القانون المدني البورتغالي تنصُّ على « أن كل شخص شهد اعتداء على شخص آخر وكان في وسعه ان يساعده او يمنع وقوع

الجرم بدون ان يستهدف هو نفسه لخطر ، ولم يفعل — يحكم عليه بغرامة ».

أفلا ترون أن واجب المحبة الذي تحوّل هنا الى التزام عدلي يبدو في أتمّ مظاهر جماله ؟

انتهيت ايها السادة من بحثي . فاية نتيجة نستخلص من هذا البيان سوى ان فكرة المحبة هي الينبوع الفيّاض الذي يروي الاشتراع ؟ ان مفعولها كما رأيتم يشمل جميع المواد القانونية ، وتحويلها الى تعاون وتضامن واسعاف يفتح امام الحق ابواب مقدرات جديدة تبشر بفوائد عديدة . فهي التي ادخلت القلب الى قوانيننا بعد ان كانت حتى اليوم رهينة العقل ، وهي التي احدثت في الحق الجزائي انقلاباً كبيراً من حيث الشفقة والعطف على الانسانية وبلغت الحركة من هذا الوجه مدى بعيداً حتى ان بعض فلاسفة القانون كالموسيو دابين اخذوا يبحثون في وضع حدّ لها وحصرها في حالات معينة كي لا تنقلب الفكرة الى سوء استعمال .

على ان النظام العالمي الجديد الذي يتقرر مصيرهُ اليوم في ساحات القتال لا يمكن أن يُبنى بمعزلٍ عن المحبة ، لانها هي التي تدفع الى حبّ الخير الاسمى وادراك الواجبات والشجاعة اللازمة للتنازل عما يجب التخلي عنه لحياة الجماعة ، والى احترام الاشخاص والقيم الروحية التي هي اساسٌ لكلّ مجتمع بل هي تدفع الى ادراك الحق نفسه ، فاذا لم توجد المحبّة ، فلا سبيل الى التعاون ولا حياة لمجتمع بغير التعاون . فجلُّ الآمال والأماني التي نطمح اليها هي ان يصبح هذا العالم الواسع الأرجاء مطلعاً للإخاء الاجتماعي ، فيعودُ الى المحبة منارها الكاملُ الحقيقي أعني حبّ القريب باسمى معانيه ، وأبهى مجاليه .

السريان والملكيّون

بقلم الخوري اسحق ارملة السرياني

توطئة

تعزيزاً لبحثنا عن السريان الملكيين توخينا ان نكتب نبذة في ما نقله عنهم السريان والموارنة من الصلوات والقوانين منذ القرن السابع وأدمجوه في صلواتهم القانونية ورتبهم الاحتفالية . وقد استند السريان في نقلهم هذا الى مسوّغ فصّله المفريان غريغوريوس ابن العبريّ († ١٢٨٦) فقال ما تعريبه : « منذ عهد يعقوب الرهاويّ († ٧٠٨) وجورجي اسقف قبائل العرب (٦٨٦–٧٢٤) اخذت تدرج في الطقس السرياني تسابيح القوانين التي انشأها الكاتب الدمشقي قوريني[1] ابن منصور والراهب قوسما . . . وبما ان قوريني لم يتعرّض في تسابيحه للقضايا التي لاجلها حدث الخلاف والشقاق (بين الملل النصرانية) دخلت قوانينه في كنائس السريان شرقاً وغرباً[2] » .

يُستخلَص من هذا التصريح ان السريان أكبّوا على مطالعة تآليف آباء اليونان الدينية وصلواتهم الطقسية ولا سيّما تصانيف القدّيس يوحنا الدمشقي († ٧٤٩) ملفان الكنيسة وتآليف صديقه تُزما . وانتقوا منها ما انتقوه وضمّوه الى رتبهم وصلواتهم البيعيّة .

بناء عليه رأينا ان نجعل كلامنا في هذا المقال ثلاثة اقسام نبحث في الاوّل ما نقله السريان عن الملكيين ، وفي الثاني ما نقله عنهم السريان الموارنة . ونتوسّع في الثالث في وصف الاحتفالات التي تعوّد السريان الملكيون ممارستها في كنائسهم ، ولاسيّما في ديورتهم اثناء اسبوع الآلام العظيم المقدّس . وقد وضعنا بين معقفين « » ترجمة عربية لجميع النصوص السريانية .

---

١) كذا في الاصل وهو تحريف « ايونيّ » اعني يوحنا الدمشقي ابن منصور

٢) ايثيقون ١ : ٥ : ٤ صفحة ٦٥ و٦٦

اولاً : ما نقله السريان عن الملكيين

التقط السريان من المؤلفات اليونانية تراثاً ، او من الطقس السرياني الملكي نفسه ، أناشيد وصلوات جمة وأدرجوها في صلواتهم القانونية ، ايام المواسم والآحاد او في رتبهم الاحتفالية كرتبة الميرون وتقديس الطباليث والكنائس والسيامات الكهنوتية وحفلات العرس والتكليل وتذكارات الآباء والقديسين . وهذه تفاصيلها :

١ً **محمثا** : المعانيث اي الاغاني وهي اول ما نقله السريان عن اليونان . وعددها في الاصل ٢٩٥ معنيثاً انشأها سويرا بطريرك انطاكية (٥١٢–٥١٨ † ٥٣٨) وافتتح كلاً منها بآية من آيات الكتاب المقدس . وخصصها بالمواسم والآحاد وتذكارات بعض الشهداء واولياء الله تعالى الخ . وقد نهج نهجه فيما يوحنا رئيس دير قنسرين († ٥٣٨) وخلفه وفولا مطران الرها عام ٦٢٤ ، يوم كان في تعبرس . ونقحها يعقوب الرهاوي عام ٦٧٥ وضمها الى الطقس السرياني . ثم انتقى منها داود بر فولوس ١٧٠ معنيثاً نقلها الى بلاد المشرق ، وحتم ان تنشد في الكنائس كل يوم في خاتمة صلاة الليل[1] . ومن هذه المعانيث تسبيحة منسوبة في طقسنا الى القديس اثناسيوس الاسكندري (٢٩٦–٣٧٣) . وهي ذات التسبيحة التي يستعملها الملكيون ويسمونها « المجدلة الصغرى »[2] واولها : « المجد لله في العلى » نرتلها كل يوم في خاتمة صلاة الليل . وقس عليها تسبيحة « اهلنا يا سيد الكل برحمتك » التي يستعملها الملكيون كذلك[3] ونرتلها نحن ايام الصوم الاربعيني في خاتمة صلاة الصبح . ومنها تسبيحة ترتل في اول القداس . وهي موجهة الى ابن الله الوحيد عز شأنه ، يرثها الخورص الملكي اثناء خدمة القداس تنو الانديفونا الثانية وفاتحتها عندهم هي : « يا كلمة الله الابن الوحيد الذي لم يزل غير مائت » . ونرتلها كذلك كنيسة اورشليم وكنيسة

---

١) الشذرات السريانية لبطريرك اغناطيوس افرام رحماني ١ : ٤٤

٢) الاسبوع العظيم المقدس : طبع المرسلين البولسيين ٤٩

٣) فيه ٥١

انطاكية[1] . واما السريان فيصدرونها بآية داود : « اعظمك يا ربي الملك » (مز ١٤٤ : ١) ويتناوب في ترتيلها الاقليرس والمؤمنون معاً وقت القداس حينما يزاح السجاف ويطوف الكاهن حول المذبح حاملاً كتاب الانجيل تتقدمه راية الصليب والمبخرة وشمعتان . وننتبه ان النسخ السريانية الملكية القديمة العهد قد اثبتت نص الترنيمة السرياني بصيغة الغائب وفقاً للسريان وخلافاً للملكيين في يومنا فانهم يرتلونها بصيغة المخاطب[2] .

اما مؤلف الترنيمة فيعتقد السريان انه سويرا بطريرك انطاكية (٥١٢—٥١٨ ؛ ٥٣٨) . لكنّ المؤرخين على انهما تأليف الملك يوسطنيان الاول (٥٢٧ - ٥٦٥) لا يوسطنيان الثاني الاخرم (٦٨٥—٧١١) كما توهم بعضهم[3] . وحجتنا في ذلك ان تاوفان المؤرخ ذكر هذه الترنيمة في اخبار السنة ٥٢٨ ورقاها بارونيوس الى السنة ٥٢٠ . زد عليه ان يوسطنيان الاول على ما اثبت مؤرخو السريان عقد مجمعاً في قسطنطينية حاضره ثلاثة بطاركة وهم سويرا الانطاكي المشار اليه ، وثاودوسيوس الاسكندري ، وانتيموس القسطنطيني ، وجمهور من الاساقفة والرهبان القائلين بالطبيعة الواحدة أربى عددهم على الخمسمائة من سريان ويونان . ورحبت بهم ثاودورا الملكة التي كانت ابنة قسيس سرياني منوفيزيتي من منبج ، واضافتهم عدة سنوات في بلاطها الملكي . وقد افرغ يوسطنيان زوجها كل جهده يعظهم وينصح لهم ليعدلوا عن رأيهم ويوافقوا على عقيدة المجمع الخلقيدوني فلم يرضوا فصرفهم الى مواضعهم[4] .

فمن ذلك كله يجوز لنا ان نستنتج ان يسطنيان بالاتفاق مع سويرا نظما هذه الترنيمة المحكمة وقررا ترتيلها في كنائس انطاكية وقسطنطينية واورشليم .

٢ : ܡܪܘܡܝܐ : التعاظيم . دُعيت كذلك لانها اول لفظة افتتحت بها

---

١) ليترجيات البطريرك افرام رحماني ٢٠٧

٢) خدمة القدّاس الالهي طبع المرسلين اليسوعيين ٩

٣) *Les Liturgies Eucharistiques*, par Don F-Y Moreau, O.S.B. page 117

٤) تاريخ مختصر الدول ١٨٤ ، وتاريخ الدول السرياني ٧٨و٧٩ ، والتاريخ اليعقوبي السرياني في اخبار البطريرك افرام الامدي : تأليف المفريان ابن العبري

العذراء مريم تسبيحتها البديعة (لو ١ : ٤٦) . وقد نظم الآباء سبعة ابيات افتتحوا كلًّا منها بآية من آيات التسبيحة كما يستعملها السريان الموارنة حتى اليوم. ثم اقتصر السريان منها على خمسة ابيات فقط ، وانشأوا لها ثماني نغمات لكل نغمة اربعة او خمسة ضروب . وهذه التعاظيم السريانية التي يستعملها السريان والموارنة منقولة بلا ريب عن أصل يوناني ، كما يلاحظ القارئ من تنسيقها وتركيبها ولهجتها .

٣ : ܩܢܘܢܐ : القانما اعني المجالس . وتُطلق عند السريان على ترانيم يرتلها الاكليرس بينما يكون المؤمنون في الكنيسة جالسين . وقد نقل منها السريان ١٧٠ قانما عن أصل يوناني وخصصوها بالآحاد والمواسم ولم يضبطوا اوزانها ضبطهم للاغاني السريانية البحتة .

٤ : ܣܛܝܟܘܢ : الاسطيخون ويراد به الشطر الاول من آيات المزامير يردف بلفظة هلّلويه . والسريان يستعملون الاسطيخونات خصوصاً في طقس الميرون وسيامة الاحبار .

٥ : ܡܠܦܢܐ : الهتاف وهذا الصنف من الترتيل مقتضب من المعانيث المذكورة آنفاً . ويستعمله السريان في طقوس المواسم الربانية ولاسيما في عيد القيامة المجيد وعيد ارتفاع الصليب الكريم .

٦ : ܕܘܟܐ : الدور ويطلق على بيتين منقولين غالباً عن تآليف يونانية يرتلها السريان بعد تلاوة المزامير ايام الآحاد والاعياد في بدء صلاة المساء وفي قومات الليل .

٧ : ܩܢܘܢܐ : القوانين وهي أوسع ما نقله السريان عن الملكيين . يبلغ عددها في الصحف القديمة ٤٣ قانوناً . منظومة كالطقس اليوناني وفقاً لتسبيحة موسى (خروج ١٥) فتسبيحة حنة ام سموئيل (١ ملوك ٢) فتسبيحة حبقوق (ص ٣) فتسبيحة اشعيا (ص ٢٦) فتسبيحة يونان (ص ٢) فتسبيحتي الفتيان في اتون بابل (دانيال ٣) . وهم يرتلون الآيتين الافتتاحيتين من كلٍّ من تلك التسابيح يردفونها بيتين فبيت ثالث يصدّرونه بالمجدلة . ويختمون القانون بتعظيمة العذراء اي تسبيحتها . وليس للقوانين نغمة مضبوطة كسائر الاناشيد

السريانية . وهي تبرهن على الأمانة في النقل . والى القارئ مجمل القوانين التي ما برح السريان يرتلونها لهذا العهد في صلواتهم القانونية صباح المواسم والآحاد :

ا ــ قانون عيد الميلاد المجيد . واوّله معرّباً : « المسيح يئلد فأنشدوا التسبيح . المسيح أقبل من السماء فاخرجوا للقائه . المسيح على الارض تمجّد . سبّحي الرب ايتها الارض باسرها . واشكروه ببهجة قلبية يا جميع الامم لانه ممجّد » . وهذا القانون هو من تأليف الاب تزما ينشده الاكليرس الملكي سحر عيد الميلاد[1] .

ب ــ قانون عيد تهنئة العذراء ثاني عيد الميلاد . واوّله معرّباً : « يمينك يا ربي متشحة بغلبة عظمى ومتلألئة بقوة الاهية بهية . وهذه اليمين الخالدة المدججة بالعزّ قد حطّمت الاعداء وغرّقتهم وأنشأت ضمن اللجّة طريقاً سوياً لجميع الاسرائيليين » . فهذا القانون منقول بلا ريب عن اصل يوناني . لكننا لم نعثر عليه في كتب الملكيين الفرضية التي طالعناها .

ج ــ قانون تذكار قتل الاطفال ثالث عيد الميلاد . واوله : « انك قد كرّمتَ وعظّمتَ تذكار الاطفال الذين قُتلوا حبّاً لك . وشرّفت اعيادهم وبجّلتها . انك مجيد وممجّد » .

د ــ قانون ختانة الرب وعيد باسيليوس وغريغوريوس شقيقه . وقد اشتمل على وصف ختانة الطفل يسوع وعلى تقريظ الملفانين . واوله : « سلك اسرائيل على امواج البحر العرمرمية الشديدة . وتمهدت له الطريق اذ كان يتوهم انه يغرق في قعر البحر . امّا مركبات المصريين فقد اختفت بغتةً وأمست الامواه مقبرةً لفرسانهم بقوة الرب العظيم وقدرة يمينه » . وهذا القانون مخالف للقانون الوارد في الطقس الملكي الذي يقتصر على ذكر الختانة وذكر باسيليوس وليس فيه ذكر لغريغوريوس[2] .

ه ــ قانون عيد الانوار او عيد ظهور الرب وعماذه . واوّله : « أقبلتَ الآن يا ملكنا من البرّية الى سيول نهر الاردن صباح بزوغ النور للبشر . وحنيتَ

(١) المتأون : تصحيح المطران جرمانوس مقدّد : صفحة ٢٦٢
(٢) المتأون : صفحة ٢٩٠

هامتك للمهاذ كي تنقذ الانسان صورتك وتخلصه من كتائب الظلمة وتنجيه بيمينك ايها الرب العظيم لانك ممجد » . فهذا القانون البديع هو تأليف القديس يوحنا الدمشقي وفي ترجمته العربية عند الملكيين[1] بعض الفرق عن ترجمة النص السرياني كما يتضح ذلك لمن يقابلها .

و — قانون عيد تهنئة يوحنا المعمدان . واوّله : « هلموا ايها الشعوب نسبح المسيح الاهنا الذي فلق البحر العظيم للشعب الاسرائيلي . فأخرجه وأتى به وأنقذه من عبودية المصريين . لانه ممجد » . وهذا القانون لم نعثر عليه في المناون الملكي . وهو بلا ريب منقول عن اليونانية .

ز — قانون عيد دخول الرب الى الهيكل . واوّله : « لاحت الشمس يوماً فوق وليد الغمر الاسفل . اذ تراكمت المياه كالسور من كلتا الجهتين وعبر فيه الشعب واجلاً عبورَهُ في اليبس . وأنشد ترنيماً الاهياً شائقاً وهتف قائلاً : هلموا نسبح الرب الجبار لانه ممجد » . وهذا القانون عينه يرتله الملكيون في العيد نفسه[2] وهو من تأليف قزما المتوحد .

ح — قانون احد الثمانين واوّله : « ظهرت ينابيع الغمر التي لا عدد لها لداعي الرطوبة . وانكشفت وبانت اساسات البحر اذ كانت العاصفة تثير امواجه . فزجرتَهُ باشارتك الخفيّة فتكوّم . وانقذتَ شعبك الغفير وأنجيته فأنشد لك التسبيح يا رب الكلّ لسبب الغلبة » . وهذا القانون هو من تأليف الاب قزما ويوافق القانون الوارد في مخطوطة تخصنا[3] .

ط — قانون خميس الاسرار واوّله : « انفلق غمر البحر الاحمر بالعصا . وجفّ قعره المولّد الامواج . وصار في الوقت عينه طريقاً وطنه النزّل وقبرًا للمدججين بالسلاح . وأنشدت لله عزّ وجلّ تسبيحة بهجة . المسيح الهنا مبجّل وممجد بالمجد » . وهذا القانون هو من تأليف الاب قزما[4] .

---

١) المناون : صفحة ٢٣١ ٢) المناون : صفحة ٤٢٣

٣) نُسخت هذه المخطوطة الجليلة الضخمة عام ١٧٩٩ وفيها ان البطريرك اثناسيوس دبّاس (١٦٨٥–١٧٢٦) نقلها عام ١٧١٥ الى العربية

٤) الاسبوع العظيم المقدّس . طبع المرسلين البولسيين : صفحة ١١٦

ي ــ قانون عيد القيامة الكبير واوّله : « اليوم يوم القيامة . هلمّوا يا جميع الشعوب لنزدان في الموسم . الفصح فصح الرب . فقد أنارنا المسيح الاله بقيامته و « اجازنا » من الموت الى الحياة ومن الارض الى السماء مترنمين بتسبيحة الغلبة ». وهذا القانون قد انشأه القديس يوحنا الدمشقي[1] .

يا ــ قانون الاحد الجديد . واوّله : « ان التلاميذ لمّا أنكروا القيامة من بين الاموات . ظهر فجأة مانح الحياة الذي له يجب التسبيح لانه مجيد ومجّد ». ولم نعثر على هذا القانون في الفرض الملكي .

يب ــ قانون عيد الصعود . واوله : « يجب علينا ان ننشد ترنيمة الغلبة للمخلّص الرب الجبّار الذي أجاز الشعب العبراني في بحر سوف راجلاً دون رطوبة . وغرّق في قعره فرعون وجنوده » . وهذا القانون هو تأليف الانبا يوحنا .

يج ــ قانون احد الفنطقوسطي العظيم . واوله : « ان المسيح الذي يمحق الحروب من أقطار الارض بقوّته وقدرته قد غرّق فرعون ومراكبه في قعر البحر . فاياه نسبّح كلّنا لانه ممجد » وهو تأليف الانبا قزما .

يد ــ قانون عيد ارتفاع الصليب الكريم . واوله : « اشار موسى النبي الى الصليب لمّا ضرب بحر سوف بعصاه وفلقه . ومدّ فيه الطريق فسلكها اسرائيل راجلاً . ولمّا ردّ يده على فرعون ومراكبه جمع المياه وحشدها . وبذلك مثّل (الصليب) السلاح القيّار بالطول والعرض . ولذا نسبّح المسيح ملك جميع العالمين لانه ممجد » . وهذا القانون هو من تآليف الاب قزما[2] .

يه ــ قانون احد بشارة العذراء .

بيد ان السريان في نقلهم قانون العذراء الجليلة تأليف يوحنا المتوحّد لم ينهجوا نهج سائر القوانين اليونانية التي ترجموها بل توسّعوا في نقلها خصوصاً منذ الاودية الثامنة[3] التي تقابلها في السريانية ابيات تسبيحة الفتيان في اتون بابل[4] .

---

١) الاسبوع العظيم المقدس : صفحة ٥٥٢

٢) المأون : صفحة ٥٣

٣) المأون : صفحة ٦٥٠

٤) الفنقيث الاوّل : صفحة ٩٨

فنظموا عباراتها عبارةً عبارةً طبقاً للحروف السريانية الابجديّة طرداً وعكساً اعني من الالف الى التاء ثم من التاء الى الالف حتى اصبح مجموعها ٤٤ عبارة ولم يضبطوا وزنها وفقاً للنظم السرياني . وقد شئنا ان نثبت نتفاً من هذا القانون البديع ونعارض الترجمة السريانية بالترجمة العربية التي صححها السيد جرمانوس مقدّ الطيب الاثر ونشرها عام ١٨٩٧ في كتاب المناون :

الترجمة السريانية

فاتحة القانون

ارتم لك ايتها الطاهرة أحلى ترانيم أبيك القديم داود كنّارة الروح القدس اذ قال : اسمعي يا ابنتي وانظري واصغي الى بشارة رئيس الملائكة التي جاءكِ بها من العليّ . وها هوذا ببشركِ بفرح لا يوصف * ولعلّك تظنين ايتها العفيفة أني بشرتكِ بهذا مخادعاً . كلا . بل افرح لاني عاينتُ تدقيقاً في كلماتك . فابتهجي ايتها الطاهرة لانه حيث شاء الله التفت حدود الطبيعة بأمر خالقها . . .

باركوا الرب

قال التورانيّ : تقبّلي ايتها العذراء النقيّة كلمات مبشركِ . تبحّري وتبصّري في فكرة العلي الصادقة . أعدّي جسمكِ ونفسكِ لجابلكِ . فان الخالق رضي ان يتجسم منكِ ويظهر للكون . وانا اهتف بفرح : باركوا الربّ . . .

أجابت الامّ العذراء وقالت للملاك : ان العقل البشري يعجز عن فهم ما تقول . فان السرّ المجيد الذي تحدّثني به يُدهشني . اني لفخورة مبهورة ببشارتك . لكني اتخوّف . لان الهيبة ورّطت امّي (حوّا) بين الشجر . واخشى ان

الترجمة اليونانية

الاودية الاولى

فلبرتم لكِ ايتها السيّدة جدّكِ داود ضارباً كنّارة الروح قائلاً : اسمعي ايتها الابنة الصوت المطرب . صوت الملاك الذي بشركِ بالفرح الفائق الوصف . . . يظهر لي انكِ تفتكرين باني اتملق بالغشّ والبهتان . فانا اجذل لمسايتي تدقيقكِ الدالّ على صياتكِ . فثقي ايتها السيدة . لانه متى شاء الاله تصبح كلّ الامور المعجزة المسرة سهلة . . .

الاودية الثامنة

الملاك

ايتها البتول الفتاة النقيّة : أنصتي الى جبرئيل متكلماً عن مشيئة العلي الازلية الصادقة . قائلاً لعروكِ . كوني مستعدّة لتقبّل الاله . لان الغير الموسوع بك يمازج البشر . فلهذا اهتف صارخاً . باركوا الربّ . . .

السيّدة

فاجابت البتول قائلةً . ان العقل البشري يعجز عن فهم المعجزة التي تشير اليها . فانا ابتهج بكلامك . ولكن من حيث انه قد تولّاني الاندهاش فأخشى ان تفصيني من الله

تتكلم بخدعة . الأ اني اتشجع لانك هتف : باركوا الرب . . .

الخاتمة

دعاكِ دانيال جبلاً عظيماً . واشعيا عذراء والدة عمانوئيل . وجدعون الغاضي الشهير عاينكِ جزةً . وداود خزانة . وحزقيال باباً . وجبرائيل رئيس الملائكة هتف : السلام لكِ يا ممتلئة نعمة . ربنا معكِ ايتها المباركة .

بخدعة نظير حوّاء . الأ اني اراك هتف قائلاً : باركوا الربّ . . .

الخاتمة

ان دانيال دعاكِ جبلاً عظيماً . واشعيا والدة الاله . وجدعون عاينكِ جزةً . وداود سماكِ مقدساً . وآخر صوّرك باباً . وأمّا جبرئيل فمثّل لديكِ هاتفاً . افرحي يا ممتلئة نعمة الرب معكِ .

وما عدا هذه القوانين الخمسة عشر ، فان السريان قد نقلوا عن اليونان ثمانية قوانين كاملة ضبطوها بثماني نغمات ونظموها لصلوات الآحاد التالية لعيد القيامة المجيد . وما برحوا يستعملون هذه القوانين اجمع في صلواتهم الفرضية لهذا العهد . ثم انتقوا قانوناً لطقس الميرون وقانوناً لسيامة الاحبار . ونشاهد في المخطوطات السريانية القديمة العهد ٤٣ قانوناً[1] منها قانون في تقريظ الجرن مالك الرها وايقونة السيد المسيح . وقانون التوبة الكبير تأليف القديس اندراوس اسقف اقريطش يُرتّل بالنغمة السادسة . وقانون لعيد انتقال العذراء المجيدة ، وهو من أبدع وأجمل ما قيل في مناقب تلك السيدة الجليلة .

ومع تمادي الزمان احتذى بعض السريان بمثال اليونان فانشأوا جملة قوانين بلغتهم السريانية نوّاً . من ذلك قانون نظمه المطران يوحنا سعيد صابوني († ١٠٩٥) يرتل في طقس توشيح الرهبان بالاسكيم[2] .

هذا موجز ما نقله السريان عن الآباء اليونان وأدمجوه في صلواتهم وحفلاتهم . أمّا صلوات « السهرانة » الموجّهة الى العذراء المجيدة فأغلبها مقتضب من تآليف القديس يوحنا الدمشقي . وقد درج استعمالها في كنائس السريان باللغة العربية لا بالسريانية .

---

١) راجع بتكاز الشيخ في فهرس مخطوطات دير الشرفة : صفحة ٨٨.

٢) مخطوطة الشرفة ٧-٥ والآداب السريانية لروبنس دوفال : ٣٩٧

ثانياً : ما نقله السريان الموارنة عن الملكيين

نسج الموارنة على منوال السريان اخوانهم فنقلوا عن الملكيين عدة صلوات نظموها في كتبهم الفرضية . وحسبنا برهاناً على ذلك ما أثبته آباؤهم في كتاب « الاشحيمة » الذي اتخذه الاكليرس غذاءهم الروحاني يبدونه ويعيدونه كل يوم. فالذي يمعن فيه يعثر على عدة أبيات او نبذ منقولة عن اصل يوناني الى السريانية . والى القارئ انموذجاً منها .

يقرأ في صلاة مساء الاحد ابتهالاً الى العذراء الجليلة اوله معرباً : « السلام لك ايتها العروس البهية » (صفحة ٣)[1] . وفي القومة الرابعة من ليل الاثنين (ص ١١٢) ترنيمة اولها : « باركي يا جميع اعمال الربّ للربّ » . ففي الأبيات العشرة التالية للترنيمة نشاهد المسحة اليونانية ظاهرةً ظهوراً جلياً . وهي غير موزونة كسائر النغمات المارونية وزناً محكماً . وجميعها مختومة كالوف عادة الملكيين في قوانينهم بهذه العبارة وهي : « والملائكة والبشر يسبحونه (تعالى) قائلين باركوه » .

وفي القومة الرابعة من ليل الثلاثاء (ص ١٨١) ابيات مختومة بهذه العبارة وهي : « سبحوه وعظّموه جداً وباركوه الى أبد الآبدين » وهي بلا ريب منقولة عن أصل يوناني . وقس عليها ابيات القومة الرابعة من ليل الاربعاء (ص ٢٥٠) المنتهية بهذه العبارة : « سبحوا الرب واسجدوا له وعظّموه وباركوه الى ابد الآبدين » .

اما صباح الاربعاء فتقرأ (ص ٢٦٠) تسبيحة العذراء الجليلة تليها سبعة أبيات هي نفس الابيات التي يرتلها السريان بالنغمة الاولى واولها : « [illegible] انت فخر المسكونة جمعاء » .

وفي القومة الرابعة من ليل الخميس (ص ٣٢٢) ابيات مختومة بهذه العبارة : « ويسبحون هاتفين مباركٌ انت يا اله آبائنا ارحمنا » . وكذا الابيات

---

١) الارقام تدلّ على صفحات الاشحيمة المطبوعة سنة ١٨٧٢ في مطبعة الاباء اليسوعيين ببيروت

الواردة في القومة الرابعة من ليل الجمعة (ص ٣٩٢) والبيت الوارد في الصفحة (٤٥٠) وتعريبه : « السلام معك ايتها القديسة سيدتنا » وأبيات القومة الرابعة من ليل السبت (ص ٤٦٠) . فجميع هذه الأبيات التي تسبقها تسبيحة الفتيان في اتون بابل منقولة بلا ريب عن اصل يوناني منذ قديم الزمان . ويقاس عليها سبعة ابيات يترنم بها الاكليرس الماروني صباح الآحاد والمواسم مسبقة بتسبيحة العذراء .

على ان الترانيم المشار اليها لم تكن في اصل وضعها موزونة وزناً شعرياً . بيد ان آباء الموارنة استدركوا الامر فضبطوا وزنها وأحكموه وافرغوها في قالب سرياني بحت . وتُعتبر من هذا القبيل ايضاً جميع الأبيات الموقعة بوزن « ܡܠܦܢܐ » فهي في أصل وضعها منقولة عن تصانيف الآباء اليونان وقوانينهم .

ثالثاً : حفلات اسبوع الآلام العظيم
في كنائس السريان الملكيين وأديارهم

تتمة لمقالنا عن السريان الملكيين نضيف الى ما سبق خلاصة الحفلات والصلوات التي اعتاد اكليرسهم ولاسيما رهبانهم ان يمارسوها في الكنائس او الديورة اثناء اسبوع الآلام العظيم المقدس ننقلها عن مخطوطة نفيسة تخص الفيكنت فيليب دي طرّازي الجليل وقد أشرنا اليها في مقالنا الاول[1] . وتشتمل تلك المخطوطة السريانية على ٢٤٢ صفحة طولها ٣٠ س . في عرض ٢٩ س . مجلدة بجلد وخشب قديم مكتوبة بحروف سريانية ملكية ظريفة يرتقي عهدها الى القرن الرابع عشر او الخامس عشر تتضمن صلوات التريوذي منذ احد الشعانين حتى احد العنصرة تتخللها شروح او تعليمات طقسية بالعربية لها شأنها لدى محبي الآثار البيعية . وقد تركنا تلك الالفاظ العربية على اصلها دون ان نحرّفها او ننقحها . ولم نضف الى الاصل سوى شروح اوائل العبارات السريانية فقط .

---

١) المشرق ٣٦ [١٩٣٦] الرسم الاول : صفحة ٥٢٠

٢ً — ترتيب ليلة احد الشمن(١

افتتح الناسخ مخطوطته الثمينة بهذه العبارة الجليلة : « ܟܬܒܐ ܕܫܘܒܚܬܐ ܕܬܠܬܝܬܐ ܕܡܪܝܡܐ ܕܒܓܘܗܪܐ » اي : « بقوة الثالوث السماوي في الجوهر » واستلى : تكتب التريوذي من ما يُخدَم من احد الشمن الى احد العنصرة . اوّل ذلك ليلة احد الشمن . صلاة الماء الاغريبنية . ܒܪܟܝ ܢܦܫܝ ܠܡܪܝܐ . باركي يا نفسي الرب (مزمور ١١٣) ثم المزمور الاوّل . والمزمور ١٤٠ ونمسك عشرة : ܡܙܡܘܪܐ ورفاقها حتى يصيروا عشرة[٢] . ثم سطيخون بالنغم السادس . اوّله معرّباً . « اليوم جمعتنا نعمة الروح الحيّ القدّوس وأحضرتنا . . . » . تليه المجدلة ثم ܐܙܟܪܘܬܐ الزمار[٣] . وتقول ثلث قراءات . الاولى من كتاب كون الدنيا (تكوين ٤٩ : ١-١٢) . ويقول الشماس : « فلنقل كلّنا . . . » ثم « اهلنا برحمتك يا سيّد الكل[٤] » ونكمّل الخدمة .

ونخرج بالباعوث ونصلّي استشراري ستة ابيات بالنغمة الاولى . تعريب اوّله : « ايها الروح الحيّ الكلي قدسه الذي علّم الرسل ان يتفوّهوا بألسنة غريبة » . وعند الرجوع نصلّي بالنغمة الثامنة للشمن : « افرحي وابتهجي جدًّا يا مدينة صهيون » . وهي اربعة ابيات .

ويصير تبريك الخبزات كالرسم . حينئذٍ يبتدوا بالقراءات .

٣ً : صلاة سحر(٥ احد الشمن

بعد الستة مزامير ناوس كيريوس باللحن الاول : لمّا أتت لعازر . . . » ذكصا بالرابع : « لمّا دُفنا معك بالمعموذية . اوشعنا لابن داود » ويقال البوليالاون : « سبّحوا الرب » . ثم تقول هذه الاستيخونات ثم الزمار : « من افواه

١) كذا ورد لفظ « الشمن » بالشين والمين وفقًا للاصل السرياني . والا فلو كان النقل عن اليوناني لقال « الصن » . ذلك لخلو اليونانية من الشين والمين

٢) يريد بذلك عشرة ابيات تنشد بعد آيات المزامير

٣) الزمار : آية من الكتاب تسبق قراءة الاسفار المقدسة

٤) هذه الصلاة يرتلها السريان كما قلنا ايام الصوم الاربعيني في خاتمة صلاة الصبح

٥) ان الملكيين يبدأ يومهم الطقسي كما ترى من السحر اما السريان والموارنة فمن المساء

الشبان والاطفال هيأت تسبيحة . ܗܠܠܘܝܐ[1] ايها الرب ربّنا ما أمجد اسمك في الارض كلها » (مز ٨) . والانجيل من متى (٢١ : ١—٢٢) . ويقبّل الاخوة الانجيل وهم مرتلين مزمور الخمسين . واذ يقبلوا الانجيل يفرّق عليهم الاكليساريش أغصان الزيتون . ويبدوا بالقانون ويعملوا كل اودية اثنا عشر قطعة ويعاد الارموس في الخورصين .

قانون الليل وضع الانبا قزما[2] . وفي نهاية القانون يرتلون « قدّوس الله » والاطروبارية . وللوقت تخرج بالباعوث[3] بالشمانين مرتلين : « لمّا اتيتَ . . . » والاخرى : « لمّا دُفنا معك . . . » والقنداق . ويدوروا في ارض الدير . ويقروا انجيل متى ܦܐ (٢٠٦) وهو ينقري سحر . الانجيل الثاني من مرقص ܥܡܐ (١١٧) والانجيل الثالث من لوقا ܦܟܚ (٢٣٢) والانجيل الرابع من يوحنا ܪܛ (٩٨)[4] . وهذا يُعاد في القداس . فاذا كتلوا الانجيل مع الابتهالات يأتوا ايضاً الى الهيكل مترنمين : « اليوم أعدّوا . . . » ويضعوا الاكثاني الكبيرة : « ارحمنا . . . » والباقي . ويختم الصلاة . ثم يصلّوا الساعة الاولى . ويعطوا جميعُ الاخوة شمعهم للاكليساريش فيحفظه للغسل المقدس فيعطيه للاخوة .

وبعد هذا يكون القداس الالهي ليوحنا فم الذهب . الانتيفونا الاول : اللحن الاول : « أحببتُ ان يسمع الربّ صوت طلبتي » (مز ١١٥) . الانتيفونا الثاني :

---

١) المراد بلفظ ܗܠܠܘܝܐ : ܗܠܠ ويُطلق على آية من آيات الكتاب

٢) هو عين القانون الذي يرتله السريان صباح احد الشمانين وقد سبق ذكره

٣) الباعوث من ܒܥܘܬܐ اي الطلبة و لاستغاثة

٤) اعلم ان اموذيوس الشماس الاسكندري قسم الاناجيل الاربعة في القرن الثالث للميلاد ١١٦٤ جزءاً . فجعل انجيل متى ٣٥٥ جزءاً . وانجيل مرقس ٢٣٥ جزءاً . وانجيل لوقا ٣٤٢ جزءاً . وانجيل يوحنا ٢٣٣ جزءاً . ولدينا نسخة ثمينة من كتاب العهد الجديد مطبوعة طبعة قديمة منتظمة الارقام في هوامشها طبقاً لما اثبته اموذيوس . ويظهر ان السريان الملكيين ظلّوا ناهجين هذا النظام في اجزاء الاناجيل . ومن ثم فالجزء ٢٠٦ يقابل الاصحاح ٢١ من متى والجزء ١١٧ يقابل الاصحاح ١١ من مرقس والجزء ٢٣٢ يقابل الاصحاح ١٩ من لوقا والجزء ٩٨ يقابل الاصحاح ١٢ من يوحنا . ولا حاجة الى التنبيه ان جميع فصول الكتاب المقدس الواردة في هذه المخطوطة منقولة عن النسخة السريانية البسيطة كلمةً فكلمةً بكل ضبط واتقان

« آمنتُ وتكلمتُ » (مز ١١٥) . الانتيفونا الثالثة : « اعترفوا للرب فانه صالح الى الابد » (مز ١٠٧) . ثم القنداق وتقول : « انتم الذين بالمسيح . . . » والزمار والآية : اعترفوا للرب . وتقرأ الرسالة من فيلبوسيوس (٣:١) ثم الهلال : « سبحوا الرب تسبيحاً جديداً . . . » والانجيل من يوحنا (١٨) كما سبق .

٣ : عشية احد الشعن

مزمور « يا رب دعوتك » (١٤٠) غسك ستة . اللحن الثامن : « ابتهجي واطربي . . . » الثاني : « ذلك الذي على متن . . . » الثالث : « وانى المخلص اليوم . . . » . ويعادوا الثلاثة . وتقول : « من الآن تُطلق عبدك » و « قدوس الله » وما يتلوها . و « يا والدة الله » وما يتبعها . وتختم . اما مطانيات فلا يكون الّا بصلاة النوم .

٤ : سحر الاثنين العظيم

بعد الستة مزامير تقول الليلويا بالثامن بصوت عظيم ولحن لذيذ وتهلل . ثم هذه الطروبارية باللحن الثامن : « ها هوذا الختن السماوي » . وتقول ثلاث قاتسمات مزامير . وتقول ميمر الذهبي الفم في جفاف التينة . او المقالة السبعة والسبعين من تفسير بشارة متى . وتقول مزمور خمسين وتبتدي بالتريودي الثلثة تسابيح . تعمل كل تسبحة اثنا عشر . وفي الآخر نعيد الارموس في الخورصين .

ارموس : « لذلك الذي بالأمر الالهي . . . » ثم القانون باللحن الثاني ليوم الاثنين : « في تلك الساعة الهائلة . . . » ثم اكسيفوس . هذه القطعة تقال يوم الاثنين والثلثاء والاربعاء . القانون الثامن : « اني اشاهد عرسك يا مخلصي . . . » . وتقول : « جيد الاعتراف للربّ . . . » وقدوس الله وما يتلوها . وتضاف الساعة الاولى بدون قاتسما . والنبوءات والانجيل وبعد « المجدلة » باللحن الخامس : « أيّ شيء شابهتُ الّا التينة . . . » وتتمّ الساعة الاولى .

ونبدأ الساعة الثالثة : يدقّ الناقوس ثلث ضربات . وتقال الثلثة مزامير والليلويا وقاتسما . وللوقت ينصبون منارتين ويضعون عليها شمعتين ويبتدي المتقدّم في الكهنة في اول بشارة متى الانجيلي الى ان يكمل الثلث منها . وبعد

ذلك يقولون : « مبارك الرب في كل يوم ... » وتتم الساعة الثالثة .

الساعة السادسة . يدقّ الناقوس ستة ضربات . وبعد الثلثة مزامير المعروفة يقولوا قاتسا من المزامير . ويقولوا الثلث الثاني من بشارة متى . كترتيب الثالثة . وتختم الصلاة .

الساعة التاسعة . يدقّ الناقوس تسع ضربات . وبعد الثلثة مزامير المعروفة يقولوا قاتسا من المزامير . وتكتمل مقالة متى الانجيلي . وكالترتيب المتقدم تتم الصلاة وبعدها المقارزميّ .

٥ : عشيّة الاثنين العظيم

صلاة اشباريون تقول : « باركي يا نفسي الربّ ... » ثم الابروجيازمانا[1] .

٦ : سحر الثلثاء العظيم

يدقّ الناقوس نصف الليل ويصلّوا صلاة نصف الليل . ويدقّ الناقوس البولاد ويبتدىء المتقدم بالستة مزامير والليليا بالثامن وعليها : « ها هوذا العريس الساري ... » ثلث مرات . وتقول ثلث قاتسات مزامير وقاتسا باللحن الرابع : « يا ايها المؤمنون فلنسابق العذارى الحكيمات ولنضئ مصابيح نفوسنا ... » وتتلى ابيات العذارى والمصابيح[2] . وتقرأ مقالة ٧٨ من تفسير متى في العشر عذارى . وتقيم نصفين الاول بعد القنداق والآخر بعد التاسعة . ثم تقول التسبحة الثامنة . اثنا عشر . والتسبحة التاسعة لوالدة الله . وتقول : « قدّوس الله ... »[3] . وتضيف الساعة الاولى بلا قاتسا . والتبوّات والانجيل وتتمّ الساعة الاولى .

الساعة الثالثة . نصلّيها وعليها قاتسا من المزامير . وتقرأ نصف بشارة مرقس البشير . ثم « مبارك الرب في كل يوم ... » وتتم الساعة الثالثة .

---

١) يُستنتج من ذلك ان السريان الملكيين كانوا حتى القرن الخامس عشر يؤجّلون القداس الى عصر النهار

٢) يقيم السريان ليلة اثنين الآلام حفلة العذارى العشر ويسمّونها « النهيرة » . فاتفاق الملكيين معهم في ذلك برهان على كون هذا الطقس قديم العهد

٣) ان السريان لايذكرون العذراء مريم ولا يستعملون التناديس الثلاثة قطعاً في اسبوع الآلام

الساعة السادسة . نصلّيها وعليها قاتسما مزامير ونتم مقالة مرقص البشير و « فلتسبقنا رحمتك سريعاً . . . »

الساعة التاسعة . نصلّيها بقاتسما مزامير . ونقرأ نصف مقالة لوقا وبعد ذلك : « ولا تسلّني . . . » ونتم الصلاة .

٧ : عشيّة الثنا الظهر

« باركي يا نفسي الرب . . . » يلي ذلك ابيات في وصف الخاطئة التي دهنت قدمي المخلّص بالطيب . ثم النبوآت والانجيل وخدمة الابروجيازمانا « في تناول الاسرار . ذوقوا خبز السماء وكاس الحياة . واعلموا ان الرب صالح » .

٨ : سحر الاربعاء الكبير(١)

تتلو المزامير الستة السحريّة وقاتسما باللحن الثالث : « قد سكبت الخاطئة عليك يا ربّ الكلّ ميروناً كثير الثمن . . . » . ويقرأ القارئ من قول الذهبي الفم : اوله : سائر الاوقات توافق الذين يريدون التوبة . ثم تسبيحة ثامنة ارموس . وبعدها « افاضت حالاً المرأة ميروناً فاخراً . . . » . ونقول تريصاجيون . ونضيف الساعة الاولى بلا مزامير . والنبوآت والانجيل ونتمّ الصلاة .

الساعة الثالثة . نصلّيها كاملة بالمصوريون . ونقول تمام بشارة يوحنا الانجيلي . وفي هذه الساعة يجتمع الاخوة كلّهم في الدير ثم ينطلقون الى الكنيسة ويصلّوا المكارزمي اي التطويبات . وعند فراغها يستغفر الاخوة من بعضهم بعض ويقفوا قائمين ويقدّموا الرئيس پولى خرونيون اي سنين كثيرة(٢) . ويكون هو واقف مكانه . ونودّع المطانيات من هذه الساعة وما نعود نعمل في الكنيسة مطانيات ولا بسلطين .

٩ : عشيّة الاربعاء الكبير

نقول : يهوذا العبد الشرير . . . » ويخرجوا بالايصوذن والانجيل : ايها النور البهي . والابركيمن والنبوآت . وبعدها الانجيل ونكتمل قدّاس البروجيازمانا .

١) اثبت الناسخ تارة لفظ « عظيم » وطوراً لفظ « كبير » ولكلا اللفظين لفظ واحد في السريانية وهو « ڢدا » عظيم او كبير

٢) يظهر ان القرّاء لم يكونوا يومئذٍ يعرفون معنى « پولى خرونيون » فشرحها الناسخ

١٠ : سحر الخميس الكبير

يدقّ الناقوس نصف الليل . ويدق ناقوس البولاد . ويبدوا بالستة مزامير السحريّة . ويقال الليلويا في اللحن الثامن وعليها طروباريّة باللحن الثامن : « عندما استنار التلاميذ الالهيّون . . . » تقال ثلاثة دفوع . ثم مزمور الحسين والقانون . ونعيد الارموس مرتين . ونعمل كل تسبحة اثنا عشر وبالاخير نعيد الارموس مرّتين .

قانون الليل . وضع الانبا قزما : « انفلق غمر البحر بالعصا . . . » وهو ذات القانون الذي ترتّله الكنيسة السريانية الى هذا اليوم . ونقول ميمر الذهبي الفم . اوّله : دعتنا الضرورة ان نخاطب محبّتكم اليوم بكلمات يسيرة . ثم التسبيحة الرابعة : « لمّا سبق النبي حبقوق . . . » وهلمّ برًّا . وبعد القانون : قدّوس الله وما يتلوها . ونضيف الساعة الاولى بالمصوريون . ونقرأ النبوآت والانجيل . ونحلّ الصلاة[1] . وباقي السواعي نصلّيها في اوقاتها خلوًا من مطانيات .

١١ : عشيّة الخميس الكبير

يدقّ الناقوس ثامن ساعة بعد ان نكون قد صلّينا التاسعة ونبتدي بصلاة المساء بزمور : « يا رب دعوتك . . . » وعند كمال النبوآت يقول الشمّاس : « الى الرب نبتهل . . . » فيقول الكاهن : « لانك قدوس . . . » . ويقولوا آجيوس . والكاهن يقول الصلاة السريّة . والرسالة من قورنثية (اقور ١١ : ٣ —) . الانجيل من متى (٢٦ : ١ —) . ونبدأ بقداس باسيليوس . وعوض الشاروبيكون نقول ثلاثة دفوع : « اتخذني يا ربي واجعلني اليوم يا ابن الله شريكاً في عشاء اسرار قتلك . فاننا لسنا نقول سرّك الحيّ لاعدائك . ولسنا نعطي قبلة بخديعة كيهوذا . لكننا نعترف بك مع اللصّ . اذكرني يا ربّي عندما تأتي بمجد ملكوتك العظيم » . وبعد الافشين الذي يقال برًّا قبل اخذ البركة يصير الغسل .

١٢ : ترتيب الغسل

يأتي الكاهن ببدلة وتدّامه الشمع مسرج والتياطن (المبخرة) مع رئيس الكهنة قدّام الباب الكبير ويضع سفل ؟ للغسل . ويبارك الكاهن . ويبتدوا

٢) حلّ الصلاة : من السريانة جنا وحها اي ختمها وأطلق الشعب

بزمور خمسين . ويصلّوا التسبحة الخامسة من قانون الخميس باللحن السادس . ثم يصلّوا القطع المختصة بالغسل وهي خمسة . ثم كرازة : « بالسلام الى الرب نبتهل . . . » ويصلّي الكاهن افشين سرًا : « ايها الاله الجواد الغزير الرحمة . . . » ويرفع صوته قائلًا : « لانه لك يجب التسبيح والتوقير والسجود مع الآب والروح القدس . الآن . . . » . وينادي : ايريني پاسي . والشمّاس يقول : « احنوا رؤوسكم للرب » . ويصلّي الكاهن : « ايها الرب يا من اعلنت لنا بتواضعك وتذللك . . . »

ويبدأ الكاهن بقراءة انجيل الغسل (يوحنا ١٣ : ٣—٥) . وقد نسخ الناسخ خلال الاسطر السريانيّة التي نقلها عن الانجيل المومأ اليه هذه العبارة : والرئيس يكون منتصب ينزع ثيابه ويتزر بمنشفة في وسطهِ ويصبّ الماء في المغسل ويبدأ يغسل ارجل تلاميذه وينشفها بالمئزر الذي اتزر به .

واستتلى الناسخ : ويكونوا اثنا عشر لا غير[1] . ويبدوا من البواب الى الاقلوم الى الاكليسارشي . فانه هكذا يجب من الاصاغر الى الاكابر . ويكون الرئيس منتصب يعمل كل ما يحويه هذا الفصل حرف حرف وكلمة كلمة .

ثم يكتمل الانجيل : « ولمّا اتى الى شمعون كيفا . . . (يو ١٣ : ٦—١٧) . وبعد ذلك يصلّي الكاهن هذا الافشين سرًا : « ايها الرب الاهنا انك كمثل كثرة رحمتك أخليت ذاتك . . . »

والوقت يترنّموا بالاودية الخامسة التي ليوم الجمعة بعد ان يتباركوا كلّهم من ماء الغسل . ويدخلوا الى الهيكل . ويقولوا مزمور البركة . ويعطوا الاخوة البركة . وينطلقوا الى المائدة وهم مرتّلين مزمور (١٤٤) . ولهم ان ياكلوا طبيخ بزيت . ويشربوا شيء يسير من نبيذ . وامّا سمك فلا وجدنا في تبيكون الرومي . واذا جاء عيد البشارة في هذه جمعة الآلام . اي يوم جاء . يؤكل على المائدة طبيخ بزيت ويشرب النبيذ . واما سمك فلا يكون .

١٣ : سحر الجمعة العظيمة

لا تُصلّى صلاة نصف الليل . يدقّ الناقوس الساعة الثالثة من الليل . ونصلّي

١) يريد ان الذين تُغسَل رجلهم ينبغي ان يكونوا اثني عشر شخصًا

الستة مزامير والليلويا وطروبارية باللحن الثامن : « لما استنار التلاميذ . . . » تقال ثلاثة دفوع . ويكرز الشماس الكرزة[1] الاولى كلها . وبعدها يبدأ الكاهن : « عرض كل من أتى وحضر . . . » ونقرأ الانجيل الاول من يُحنّا (١٣ : ٣١–١٨–١) وهو انجيل الوصية . فان كان الرئيس حاضراً فلا يقرأه غيره . والّا الكاهن صاحب السُبّة[2] . وبعده نبتدئ الانتيفونات الاولة . وتعاد كل واحدة من الترنيمات : « الانتيفونا الاولى باللحن الثاني . تآمر العظماء والسلاطين . . . »

ثم نقرأ الانجيل الثاني من يُحنا (١٨ : ١–٢٨) . ثم « انتيفونا باللحن الخامس . اليوم يهوذا الخائن يغادر معلمه . . . »

ونقرأ انجيل ثالث من متى (٢٦ : ٥٧–٧٥) وانتيفونا باللحن الثامن : « جمهور اليهود الذين قبضوا عليك . . . »

ونقرأ انجيل رابع من يُحنّا (١٨ : ٢٨–٤٠ و١٩ : ١–١٦) وانتيفونا باللحن السادس : « ذلك الموشح بالبهاء والجلال . . . »

ونقرأ انجيل خامس من متى (٢٧ : ٣–٣٣) وانتيفونا باللحن السادس : « ان موتمر اليهود الغامط الجليل . . . »

ونقرأ انجيل سادس من مرقس (١٥ : ١٦–٣٢) . ونصلّي المقارزمي باللحن الرابع . « بواسطة العود صار ابونا آدم غريباً عن الفردوس . . . »

ونقرأ انجيل سابع من متى (٢٧ : ٣٣–٥٤) وقاتسما باللحن الرابع : « اليوم تكلّل ابن الله باكليل شوك . . . » ونقرأ ما فسّره الذهبي الفم لهذا الانجيل على الصليب .

ونقرأ الانجيل الثامن من لوقا (٢٣ : ٣٢–٤٩) ومزمور ارحمني يا الله . ونبدأ بالتريودي : « التسبيحة الخامسة . وضع الانبا قزما : اليك ابتكر . . . »

ونقرأ الانجيل التاسع من يحنا (١٩ : ٢٥–٣٧) على « سبّحوا الرب . . . كل اجناد الملائكة اخذهم الخوف . . . »

---

١) المراد بالكرزة : المناداة او اللوطانيا . ومن الغريب ان السريان يسمّونها احياناً « لوطانيا » بلفظ يوناني . اما الملكيون فيسمّونها « كرزة » بلفظ سرياني بحت !

٢) السبّة : من السريانية محدا اي الاسبوع

ونقرأ الانجيل العاشر من مرقص (١٥: ٤٣-٤٧) وبعده: «المجد لله في العلى ...» ويكرز الشماس «ارحمنا» ورفاقها. ويصلّي الكاهن جهراً «لانك الله رحيم ...»

ونقرأ الانجيل الحادي عشر من يحنا (١٩: ٣٢-٤٢) وبعد ذلك يترنّموا بهذه الاستشراريات باللحن الثاني: «ان يهوذا الخائن الدافع ...»

ونقرأ نبوّات اليوم والانجيل الثاني عشر من متى (٢٧: ٦٢-٦٦) وبعده نقول: «جيّد الاعتراف للرب ... وتريصاجيون وطروبارية.

فان كان قد اضاء الصباح نبدأ الساعة الاولى. والّا نستريح قليلاً. وعند طلوع الشمس ندق الناقوس الصغير ونجتمع الى الكنيسة ونبدأ بالساعة الاولى. وفي الساعة السابعة من النهار ندق الناقوس الصغير ويجتمع الاخوة كلهم في الكنيسة ونبدأ بالساعة الثالثة. ونضيف اليها السادسة والتاسعة والمكارزمي بلا لحن. ثم الامانة (قانون الايمان) وبعد ذلك: «نيح اللهم واغفر واترك الزلّات ...» وابانا الذي وطروبارية باللحن الثامن: «ما بين لصّين ...» واربعين كيرياليصون. ثم نقول: «فليكن اسم الرب مباركاً ...» ومزمور البركة ونختم الصلاة.

١٤: عشيّة الجمعة العظيمة

في الساعة الحادية عشرة ندق الناقوس ونبتدي بصلاة الغروب: «باركي يا نفسي الرب ... كل المسكونة تبدّلت ...». ونقرأ النبوّات. والزمار. والرسول من قرنثية الاولى (اقور ١: ١٨ و٢: ١-٢ والهلال والانجيل من ثلاث بشارات (متى ٢٧: ١-٣٨ ولو ٢٣: ٣٩-٤٣) ومتى ٢٧: ٣٩-٥٤ ويوحنا ١٩: ٣١-٣٧ ومتى ٢٧: ٥٥-٦١) و«اهّلنا برحمتك يا سيّد الكلّ ...». وما نقول تريصاجيون الّا هذه الطروباريّة: «ان يوسف الحسن الشكل احدر من الخشبة جسدك الطاهر ...» ولا نعمل ابروجيازمانا ولا قدّاس.

يجب ان تعلم انه في اديرة فلسطين ليس احد يأكل في هذا الصوم الصلبوتي[1]

١) الصلبوتي من رحمه اعني الصلّب

طعاماً . وبهذا امروا الرسل . فان كان قوم قد ضعفت قوتهم فليُعطَوا خبزاً وماء فقط .

١٥ : ترتيب التجنيز الالهي ليلة السبت الكبير

اوّل ذلك اذا صارت الساعة الثانية من الليل . هذه الديارة . وامّا في العالم ان ارادوا كذلك . والّا يكون نصف الليل . يأتي القندلفط يعمل مطانية للرئيس وينتح الكنيسة ويحطّ كرسي خشب قدام باب القدّيس او قرّاية بين الخورصين ويجلّلها بستر من ستور المذبح . ويضع الانجيل المفضّض والاموفوري الكبير الذي للجسد يكون احسن الموجود ويضعه على القرّاية . ويضع الصليب والمراوح في عصيّها في مشاريق القرّاية . ويلبس رئيس الكهنة والكهنة جميعهم والشمامسة البدلات كامل . ويعمّر التياطن (المبخرة) ويناولها لرئيس الكهنة . ويضع عليها البخور الطيّب . ثم يبخّر الانجيل الموضوع على القرّاية . .

ويرفع رئيس الكهنة صوته ويقول : « مباركة هي مملكة الآب والابن والروح القدس » . ويبدأ بمفرده بحسّ لباقة باللحن الخامس : « اننا نعظّمك باجمعنا ايها المسيح مخلّصنا . . . » . ثم يدور ويبخّر الصمدة والجماعة وكل الكنيسة . ويرجع يبخّر الصمدة والقسوس . وفي نهايته من البخور ياخذ الشماس المبخرة منه ويناولها للكاهن الذي هو اكبر القسوس فيبخّر كمثلما عمل رئيس الكهنة . وبعده ياخذها ثاني القسوس الى حيث ينتهوا البخور الجميع والشمامسة ايضاً يبخّروا . ويعيدوها الخورص الثاني ايضاً . وعند فراغهم يبتدي الخورص الاول بالمزمور الكبير (١١٨) وعلى كل اسطيخن منه قطعة ممّا هو مرتّب تدّامك . « ﷺ : طوبى للذين بلا عيب . . . اننا نقرّب لك باجمعنا ايها المسيح مخلّصنا . . . » الى الآية (٧١) — ثم يكرز الشماس : « ايضاً وايضاً ساعد وخلّص . . . » والكاهن الذي يتفق ان تكون المبخرة بيده يعلن قائلاً : « لانه لك يجب كل تسبيح . . . » . وهو بنفسه يبدأ بصلاة هذه القطعة التي هي من الجزء الثاني من المزمور الكبير (٧٢—١٣١) وفي قراءتها يبخّر الصمدة والرئيس والقسوس وكل الجماعة .

ثم يصلّوا الخورصين جميعاً هذه القطعة : « في الحقّ نسبحك معاً . . . » ثم

يكرز الشماس : « ايضاً وايضاً . . . » . والكاهن الذي نوبة البخور له يعلن قائلاً : « لانه لك هي الولاية ولك هو الملك . . . » . ويبدأ بالجزء الثالث على المزمور الكبير باللحن الثالث « جميع الاجناس والقبائل لك تسبح . . . » ويعيدها الخورص الآخر . ويكتملوا المزمور الكبير (١٣٢–١٧٦) . وفي الاخير يعيد الخورصين : « جميع الاجناس والقبائل لك تسبح . . . » .

ثم ان الشمامسة الانجيلية يأخذوا المراوح بايديهم والصليب ايضاً مثل ما هم بعصيهم . والغناسطة يتناولوا الشمع . ثم يضع رئيس الكهنة الانجيل الموضوع على الكرسي على كتفه الأيسر . وينتصب متوجه نحو الشرق قدامه . والمراوح وراءه . وشمّاس قدّامه بالمبخرة ويروحوا على الانجيل من فوق راس رئيس الكهنة . ويدخلوا الى الهيكل متخطّرين واحد بعد واحد . كل واحد برتبته . ويدوروا حول المائدة المقدسة ثلث دورات مصلّين بأعلى اصواتهم : « مُبارك انت يا رب » ثم « جميع جمهور الملائكة . . . » . ثم يخرجوا من الباب الذي بجنب التقدمة . فاذا وصلوا الى وسط الكنيسة يقف رئيس الكهنة وهو حامل الانجيل والكهنة حواليه من يمينه وشماله والمراوح من خلفه يروحوا على الانجيل : والمبخرة قدّامه . وهو والجميع متوجهين نحو الشرق . فاذا تمّوا صلاة القطع المذكورة يصرخ الشمّاس الذي بيده المبخرة : صوفيًا اورثي . فيدخلوا الى موضع الصمده مصلّين كلّهم : « يوسف ذلك الحسن الشكل . . . » الى حدّ قوله : « أدخله ووضعه في قبرٍ له جديد » . فيضع رئيس الكهنة الانجيل عن كتفه في مكانه على الكرسي . ويكون الانجيل واقف مستند . ثم يسجد له رئيس الكهنة ثلث سجدات ويتبارك منه . وكذلك الكهنة على رتبتهم والجماعة . فاذا فرغوا من السجود للانجيل المقدس كما رُسم يشلحوا[1] لرئيس الكهنة بدلته . ثم يشلحوا هم بدلاتهم . وللوقت يصرخ صاحب النوبة : « المجد للثالوث الاقدس المحيي المساوي بالجوهر » .

وامّا في القيامة فاذا فرغوا من قطع التجنيز يقولوا : « مبارك انت يا رب . . . » ورفاقها من غير ان يروحوا . واذا فرغوا منها يكون الذين يحملوا

٢) يشلحوا من مشح اي نزع وخلع

المراوح والصلبان قد حملوا وتهيّوا . ويحمل رئيس الكهنة الانجيل وهو مكشوف على كتفه الايسر . ويحمل القسوس النافور الذي كان الانجيل ملفوف فيه باربع قرن فوق راس الرئيس . ويدخلوا الى المذبح متخطّرين واحد بعد واحد وهم قائلون : آجيوس بلحن رفيع لذيذ الى ان يكملوا الثلث دورات المذكورة ويطلعوا الى وسط الكنيسة ويكملوا باقي الطقس . ويقولوا على تقبيل الانجيل : « لك انت المتوشح . . . » وبعدها : « يوسف ذلك الحسن الشكل . . . » ويشلحوا الجميع بدلاتهم .

وللوقت يصرخ صاحب النوبة : « المجد للثالوث الاقدس . . . » فيبتدئ واحد بورع واحترام الستة مزامير . ثم يقول الكاهن الاكثاني والاعلان وثاوس كيريوس بالثاني وعليها : « يوسف ذلك الحسن الشكل . . . » تعاد ثلث مرّات . ثم مزمور خمسين .

وتبدأ بالقانون باللحن السادس . الاربع تسابيح الاوّليات قول الاب مرقص اسقف اراثوسيّون . والاخريات قول تزما . نقول الارموس اولًا ثم نعيده في الخورص الاخير ونعمل القطع الذي بعده اثني عشر غيره . واخيرًا نختم في الوسط بين الخورصين : « لذلك الذي أخفى قديمًا في قعر الامواج . . . » . وبعد القانون يقول : « المجد لله في العلى » الكبيرة . ويبدّل الكاهن حلّته ويخرج بالايصوذن مع الانجيل . ويقولوا اجيوس اثوس وطروبارية « يوسف ذلك الحسن الشكل » ونبوّة حزقيال (٣٧ : ١—١٥) ورسالة من (اقور ٥ : ٦—٩ وغلاطية ٣ : ١٣و١٤) ثم الانجيل الثاني عشر من قراءة الليل من متى (٢٧ : ٦٢-٦٦) وتحلّ الصلاة .

١٦ : ترتيب عشيّة سبت النور .

ومن شاء يعمله وهو تقليد . يدقّ الناقوس في الساعة العاشرة ويبدّلوا الكهنة بالبدلات الحمري ويقفوا قدام المذبح الكبير وبيد كل واحد ثمياطن (مبخرة) ويحطّوا البخور ويدوروا حول المذبح مرّتين بصوت هادي متخشع ويقولوا : « غلة مجيدة . . . » وما يتلوها . ويبخّروا المذبح والكنيسة كلّها دفعتين . ثم يرفع الكاهن صوته قائلًا : « مباركٌ انت في هيكل مجدك الاقدس . . . » . ويكون ابوذياكن واقف قدّام باب المذبح الملوكي فيجاوب آمين . ويبدأ الشمّاس

يكرز . والكاهن يصلّي صلاة خلف المذبح . ويكون هناك قنديل سرج . فاذا تمّ الصلاة يسرج شمعة ويرفع يده ويصلّب بالشمعة على المذبح قائلًا : « نور المسيح ينير الكلّ » . ويلتفت الى الشعب ويصلّي صوته ويقول : « قومي استنيري . قومي استنيري ايتها البيعة يا اورشليم الجديدة . . . »

حينئذٍ يخرج الرئيس والكهنة بايديهم الشمع والمباخر ويطوفوا الكنيسة كلّها ويسرّح الشعب كله ويستيحوا التبريك من النور . ويصلّي المصلّون : « لك يليق التسبيح يا الله في صهيون . . . » ومزمور ١٤٧ و١٥٠ وعند رجوعهم للمذبح يقول الرئيس : « مبارك الذي ينير كل انسانٍ آتٍ الى العالم . . . » ويبدوا مزمور ١٤٠ ويكتملوا الصلاة وقدّاس باسيليوس .

١٧ : ترتيب آخر ليوم سبت النور

وهو كافي من التيبكن الرومي . يدقّ الناقوس الساعة الحادية عشر ويبدّلوا الكهنة بالبدلات الحمري . ويبتدي المتقدّم : « مبارك الرب الهنا . . . » ونقول : « هلمّوا نجثُ ونسجد له » . و « باركي يا نفسي الرب » . ويخرجون بالايصوذن والانجيل . ويقول الشمّاس « صوفيا ويا ايّها النور البهيج . . . » ويقولوا النبوآت بترتيبها . والرسول الى رومية . ولا يقال الليلويا . والانجيل من متى (٢٨ : ١—١٠) . والقدّاس من باسيليوس . ويكون انحلال القدّاس بعد الساعة الثانية من الليل . ويعطوا الاخوة البركة . ولا يخرجوا من الكنيسة لكن يجلسوا في مواضعهم ويأتي الخازن ويعطي كل واحد كسر خبز وملو كفّ تين او تمر وقدح من خمر .

ويقرأ القارى من اعمال الرسل . يقرأ كل واحد ساعة . ثم يقوم القندلفط ويقرع ناقوس البولاد ويقوم الاخوة . ويبتدي الكاهن : « مبارك هو الاهنا . . . » ويبدوا بقانون السبت الكبير بتأنٍ من دون استعجال باصوات هادئة متفقة . ونقرأ ما تبقّى من ميمر القدّيس ايفانيوس الذي اوّله : هذا السكوت العظيم . وبعد السابعة القنداق . وبعد التاسعة نقول : « المجد لله في العُلى » و « قدّوس الله » و « ابانا الذي في السماوات » .

١٨ : سحر احد الفصح العظيم المقدّس

يدقّ الناقوس الكبير ويطقّس القندلفط الكنيسة . ويسرج القناديل ويخرج

الشعب كله الى برّا . ويهيّ. مجمرة كبيرة ويكون فيها نار قويّة يحطّها خلف المذبح ويلقي فيها بخور كثير . وآخر في الخورص حتى تعبق الكنيسة بالبخور. ويبخّر الكاهن المائدة المقدّسة والريشيا (ܪܝܫܝܐ الرسا.) والكهنة الاخر يكونوا في الذياكونيكن يبدلوا في البدلات البيض ويخرجوا ويأتوا الى النرتكس. ويتقدّم الرئيس وقدّامه شمعتين وهو يضيء الشمع كله ويبخّر كلّهم بالنرتكس والشمعتين امامه . ويأتي وينتصب امام الباب الملوكي . وتكون الابواب مغلقة كلّها . وأحد الاخوة يكون واقف داخل الباب . ويضع الرئيس صليب مع البخور قائلًا : « المجد للثالوث الاقدس . . . » فيجاوبوا : آمين .

ويبتدي الرئيس بصوت رفيع :

ܡܫܝܚܐ ܩܡ ܡܢ ܒܝܬܐ ܕܡܝܬܐ ܘܐܦܠܝ ܠܗܘܢ ܕܒܩܒܪܐ
ܕܒܟܠܗܘܢ ܕܐܝܬܝܗܘܢ ܡܝܬܐ ܘܡܚܝܐ ܠܗܘܢ ܕܐܝܬܝܗܘܢ ܚܝܐ[1]

« المسيح قام من بين الاموات . ووطئ الموت بموته . ومنح الحياة للموتى الذين داخل القبور واقامهم[2] ». ويكرّر ذلك ثلث مرّات . والاخوة يجاوبوه .

ويقول الرئيس : « يقوم الله فيتبدّد جميع اعدائه » . فيجاوبوه : « المسيح قام من بين الاموات . . . » . ويقول الرئيس : « كما يتبدّد الدخان . . . » . فيجاوبوه : المسيح قام من بين الاموات . . . » . ويقول الرئيس : « المجد للآب والابن والروح القدس . المسيح قام . . . » . فيجاوبوه : « من الابد والى الابد . . . المسيح قام . . . »

ويقول الشمّاس الكرزة الاولى . ويقول الكاهن : « لانه بك يليق التسبيح . . . » بروسخومن . ويقول الكاهن : « السلام لجميعكم » . ثم الزمّار . ويقول انجيل ثاني من القيامة . وبعده « ارحمنا يا الله . . . » . ويذكر كلّ من شاء .

وبعد ذلك يقول الرئيس : « ارفعي ايتها الابواب رؤوسكِ . . . » فيجاوب الاخ من جوّا « من هذا ملك الجلال » . فيقول الرئيس ثانيةً : « ارفعي ايتها الأبواب رؤوسكِ » . فيجاوب الاخ من جوّا كالاوّل . فيقول الرئيس ثالثة : « الربّ

١) لاحظ ان هذا الشاف الجميل موقع بوزن مار افرام السابعيّ فنرجّح ان وضعه سريانيّ لا يونانيّ .

٢) الاسبوع العظيم المقدّس ٥٠٥

العزيز الجبار . الربّ الجبّار المحارب » . ويدفع الباب وللحين تنفتح الابواب ويدخلوا مرتلين باصوات شجية كأنها برزت من فم واحد : قانون القيامة المقدسة .

امّا يوم الفصح وجمعة النياح[1] فلا يصلّى غير القانون بفرده . التسبيحة الاولى : « انظري الى ابنكِ والاهكِ منبعثاً . وافرحي مع الرسول ايتها الطاهرة . وابتهجي ابتهاجك السابق ايتها النقية . . . »

وبعد الدخول الى الكنيسة يبخر الكاهن الاخوة كلّهم في الهيكل والمصلّين يصلّوا هذا القانون « تأليف الانبا يوحنا الدمشقيّ . اليوم يوم القيامة : . . . » . وهو ذات القانون الذي ترتّله الكنيسة السريانية لهذا العهد وقد سبق ذكره .

حينئذٍ ينزعوا البدلات ويطفوا الشمع ويجلسوا يترنّموا . ونقرأ قول غريغوريوس ايباكوبي : « كان الجند يحرسون قبرك يا فادينا . . . » . واذا كان بقي وقت نقرأ من تفسير فم الذهب لبشارة متّى او من بشارة يوحنا . المقالة الرابعة لكرلّس . ويقوموا يقولوا : « لقيامة المسيح مخلّصنا . . . » ثلثة دفوع . ولا يقال مزمور خمسين .

وعند قولهم « ܡܫܝܚܐ ܩܡ[2] » في آخر القانون يدخل الكهنة يبدلوا . ونسرج الشمس والرئيس يبدأ بارموس التاسعة : « قومي استنيري . قومي استنيري . . . »[3] . ولا نقول آجيوس كيريوس . ثم اكسيفوس :

ܫܒܚܘ ܠܡܫܝܚܐ ܕܩܡ ܡܢ ܒܝܬ ܩܒܪܐ ܕܐܦܬܚ ܠܢ ܦܪܕܝܣܐ
ܘܐܬܝܗܒ ܠܢ ܚܝܐ ܕܠܥܠܡ ܘܐܬܝܗܒ ܠܢ ܩܝܡܬܐ ܕܡܝܬܐ[4]

« في هذا اليوم قد قام ابن الله بقدرته من داخل القبر . ووطئ الموت وانتهب الجحيم وألقى الاهوال في قصوره » .

ونقول قطع الفصح الخمسة بالنغمة الخامسة : « اليوم لنا فصحٌ كهنوتي . . . » وهذه القطع تسبق بآية من المزمور ٦٨ « يقوم الله فيتبدّد جميع اعدائه » .

---

١) النياح من ܢܝܚܐ اي الراحة وما برح السريان يُطلقونه على يوم الجمعة التالي لاحد القيامة فيقولون ܥܕܬܐ ܕܢܝܚܐ جمعة الراحة .

٢) المراد بذلك ان الرئيس يبدأ بقوله : تبارك وتسبّح الآب والابن والروح القدس الخ

٣) هذه الانشودة يرتّلها السريان صباح احد القيامة بعد القانون : فتقيث ج صفحة ٣٤٥

٤) هذه الترنيمة وما يتبعها موزونة بالوزن الرباعيّ . ونرجّح ان اصلها سريانيّ لا يونانيّ .

وعند قول الذكصا يخرج الكهنة . ويكون الصليب بيد الرئيس والانجيل مع ثاني القسوس او مع الارشي ذياكون ويكون واقف لزق الرئيس . ويقبل الرئيس الصليب المكرّم والانجيل المقدس ويقف ماسك الصليب بيديه . ويتقدم الكهنة على رتبتهم ويقبلوا الصليب والرئيس والانجيل وحامله . ويقف في رتبته . وبعدهم المصلّين . فالاخوة كلّهم الذين في الكنيسة . وبعد فراغ التقبيل للصليب والانجيل ولبعضهم بعض يقرأ الرئيس ميمر الذهبيّ الفم . ويكونوا الاخوة واقفين وقت قراءته . وهذا اوّله : من كان حسن العبادة لله فليتمتع بحسن هذا المحفل . . . ثم يقول الشمّاس : « ارحمنا » وباقي الطلبات . وتختم الصلاة .

ويجب ان تعلم انه من يوم الفصح المجيد الى يوم السبة التاسعة وهذه السبة كلّها تقال هذه الصلاة عوض السواعي وعوض صلاة النوم وعوض صلاة نصف الليل بلا مزامير . وهي هذه : « المسيح قد قام من بين الاموات . . . » ثلثة دفوع . و« لقيامة المسيح خلّصنا . . . » ثلثة دفوع . وهذه القطعة والتي بعدها دفعة واحدة وهي : « اللواتي مع مريم سبقن فاسرعن صباحاً . . . » وتقول اربعين صوت « يا ربّ ارحم » . و« المسيح قد قام . . . » ثلث مرّات .

القدّاس الالهيّ . انطيفونا بالنغمة الثانية : « سبّحي الله يا كلّ الارض . . . » وتقرأ فاتحة اعمال الرسل وفاتحة بشارة يوحنا . ويحلّوا القدّاس ويمضوا الى الغداء الروحاني والجسداني . فالروحانيّ القراءة على المائدة والجسداني الطعام على المائدة .

١٩ : عشيّة الفصح المقدّس

بصلاة المسائية يدقّ الناقوس بالساعة الثانية . ويبدّل الكاهن ويخرج وبيده الصليب وامامه الشمع . ويقف قدام باب المذبح ويبخّر شبه صليب ثلثة دفوع ويبدأ « مباركة مملكة . . . » فيجاوبوه : آمين . فيقول : « المسيح قد قام . . . » ثلثة دفوع . وهم يجاوبونه كما كتبنا سحر الاحد . وقس على ذلك سحر وعشيّة الثلثاء والاربعاء والخميس والجمعة والسبت .

٢٠ : الاحد الجديد ويقال احد توما

الاغريبية . يوم السبت بالعشيّ يبدّل الكاهن بشرف ومجد . ويبتدئ : « مبارك هو الهنا . . . » ويبدوا بصوت مخشّن خلوّا من لحن : « المسيح قد قام من بين

الاموات . . . » و« هلمّوا نجثُ ونسجد له » ثلث مرّات. وهكذا نعمل في بدء كل صلاة. واسبارينون وصلاة نصف الليل وسحر السواعي وصلاة النوم. ونقول: « باركي يا نفسي الربّ . . . » . وبعد الكرزة الاولى : « طوبى للرجل . . . » والذكصا الاولى باللحن الثامن والاثنتين بالاول . ومزمور ١٤٠ بالاوّل . غسك عشرة . نقول ثلثة لمار توما استشراري ونُعيدهم . . . ثم يقال الزمّار و« اهلنا برحمتك . . . » وخمسة ابيات. واستيخن بالرجوع نصلّي هذه القطع : « يا للعجب المجيد . . . » ونقول: « يا والدة الله العذراء . . . »

ويصير تبريك الخمس خبزات. ويقرأ القارئ من اعمال الرسل ثم قانسانين. ثم البوليالاون ثم « القانون وضع الانبا يوحنا الدمشقي: « ان التلاميذ لما انكروا القيامة من بين الاموات . . . » . وهو ذات القانون الذي ترتّله الكنيسة السريانيّة لهذا العهد كما ذكرنا

ثم القدّاس الالهيّ . في ثالث ساعة من النهار يدقّ الناقوس ونصلّي الثالثة والسادسة والزمار والابركسيس والهلّال والانجيل . انتهى .

* * *

تلك زُبدة الصلوات والقوانين والرتب الاحتفاليّة التي اعتاد الاكليرس السريانيّ الملكيّ ، ولا سيما الرهبان القانتون ان يقوموا بها ويواظبوا عليها اثناء اسبوع الآلام الخلاصيّة . وفيها ما فيها من البراهين الصادعة على استعمال اللغة السريانيّة الجليلة دون غيرها في كليّات الرتب وفي جزئيّاتها عامّةً وخاصّةً . وهي لعمري تستحقّ كلّ تجلّة واحترام. وتدعو من يتبصّرها ويتعمّق في معانيها ومغازيها ان يُشدي بالثناء الوافر على نجابة الملافنة القدّيسين الذين أنشأوها ونظموها . وعلى تقوى الآباء والرهبان الفضلاء الذين مارسوها وأدمنوها .

المساجد والمشاعر

في العصر الجاهلي

من آثار الاب لامنس

القسم الاول

٣

تتمة

لم تكن هذه الأماكن المقدّسة الوحيدة من نوعها في منطقة الحرم . وها ان الاستاذ شنوك هورغرونيه يذكر ، في زيارته مكة المعاصرة ، عددًا من «الحجارة المكرّمة ، حجارة سوداء وخضراء ، أصلها جميعاً أصلُ الحجر الأسود ومقام ابراهيم .»[1] وقد عرض مرتان هَرْتسان فرضيّةً تجعل من قُصَيّ ، جدّ سراة القرشيين الاسطوري ، معبودًا مكيًّا ؛ وتجعل من دار النَدوة هيكلَ هذا المعبود .[2] وهكذا يكون للقُرشيين في مكة مقابل ما كان للثقفيين في الطائف.[3] ولا يخفى ان الدور الذي مثّلته دار الندوة في نظام قريش السياسي لا يزال غامضاً . وما اسرع ما لجأ العلماء الى الشرح اللغوي ، فحوّلوا الندوة ، وهي بيت قُصَيّ ، الى شبه مجلس شيوخ في مكة الجاهلية.[4]

١) Snouck Hurgronje, *Mekka*, I, 21 والطلب أيضاً Burckhardt, I, 183 . وهناك ذكرٌ لحجارة يلثمها الحجّاج كما يلثمون اركان احدى المصاطب ، راجع ابن جبير : الرحلة ١١١ ، ١١٥ ، ١١٦

٢) *Zeitschr. für Assyriol.* XXVII, 43... . راجع ، في شأن موقع الدار بالنسبة الى الكعبة ، ابن هشام : السيرة ٨٠ ؛ ابن سعد : الطبقات ١ : ٣٩ ؛ ابن جبير : ك . م . ١٨١ — وهذا الاخير لم يرَ الّا الموقع التقليدي ، او ما شاء القوم ان يدلّوه عليه .

٣) ياقوت : معجم البلدان (طبعة مصر) ٤ : ١٢—١٣ ؛ وراجع كتابنا في الطائف *Tāif*, 66-68

٤) ابن هشام : ك . م . ٨٠ ، ٨٢ ، ٢٢٢ ؛ وكتابنا في مكة *La Mecque*, 62... . اما البحث عن « دار الندوة » في دائرة المعارف الاسلامية فانه يلخّص المعلومات التقليدية دون ان يناقشها .

ومن يعرف ما اتصفت به الجزيرة العربية من الفوضى في النظام السياسي يستغرب ان يكون في مكة منظّمةٌ من هذا النوع ولا تترك أثرًا في حوليّات المدينة . والواقع انه ليس في التاريخ ما يؤيّد هذا الزعم المستند الى تحذلق اللغويين ، وبخيلة الأثريين . ولم تظهر الدار مرّةً بمظهر المجلس الجامع يؤمّه « الملأ » او تلك المشيخة القرشية التي كانت تعقد اجتماعاتها في الفضاء[1] ، امام الكعبة ، على نحو عشر خطوات من « البيت العتيق » . وكان اجماع الزعماء المكيّين ضروريًا لايلاء تلك المقرّرات صفة القوانين ، بينا نرى دار الندوة لا تفتح ابوابها الّا لابناء قُصَيّ وحدهم ، دون غيرهم من اهل مكة .

اما بعد الهجرة فتُسرع الحوليّات القديمة إسراعاً مريباً في التخلّص من هذا الأثر ، قائلةً انه عُرض للبيع على عهد معاوية[2] ، وكأنها تودّ التخلّص من شاهد مزعج ؛ مع انه كان يُعَدّ « مكرمة قريش » .[3]

ولنا في الاسم « عبد الدار » ، يحمله احد ابناء قُصَيّ[4] — كما في مماثله « عبد الكعبة »[5] — شاهدٌ على وجود هيكل مبني او « دار » لملّها « دار الندوة . » وهناك في تاريخ « الدار » الجاهلي اشارة تدفع الى النظر . وهي قول بعضهم ان هذا المجتمع القرشي حُوّل فيما بعد الى مسجد .[6] وقد فاته ان الجاهلية لم تميّز تماماً بين المسجد والمجلس . وها ان السيرة ، ومجاميع الحديث ، وسلسلة الاخبار والنوادر ، واقوال المفسّرين والشرّاح تضع مجالس قريش او انديتها بقرب المسجد الحرام ، بل في داخله حتى تكاد تأخذ من فناء الكعبة . فنرى حياة مكة المدنيّة والدينية ، في اوائل القرن السابع ، تتمركز في هذا

١) وهكذا نرى في المدينة ان المجلس كان يُفتح على الشارع . اطلب مُسلم : الصحيح ٢٠ : ٢٣٨ ؛ وراجع *La Mecque*, 88, 226

٢) اطلب *Mélanges*, 244, 246 ؛ ابن سعد : الطبقات ١ : ٤٥ ؛ اسد الغابة ٣ : ٤١ ، ٦ : ٧ . وهم لا يتفقون على اسم البائع

٣) اسد الغابة ٢ : ٤١ ، يُصبح مقرًّا للحكومة ، في ابن سعد : الطبقات ١ : ٤٥

٤) البلاذري : الأنساب (المخطوطة المذكورة) ٣٠ (وجه)

٥) اسد الغابة ٣ : ٢٦٨ ، ٣٠٥ ، ٢١٢

٦) الاصطخري : جغرافيته (de Goeje) 16

الحرم المنكشف لا سقف له.[1] فيبحث المجتمعون في شؤون البلد التجارية ، بينما تمرّ أمامهم مواكب الحجّاج في طوافهم التقليدي.

هنا ينبض قلب مكة ، ويختلج دماغ تلك النقابة المالية المتحدّرة من قُصَيّ . وكان كلّ فريق من القرشيين يحرص على احتلال قسم من هذا الحرم للبحث في شؤونه حتى قيل : «لم يكن من قريش فخذ الا وله نادٍ معلوم في المسجد يجلسون فيه .»[2] وكانوا كثيراً ما يخوضون في المناقشات الحادّة من اجل المسائل التافهة ، وهم مستندون الى الجدران في ظلّ الكعبة[3] ، او محتبون في دائرة الحِجر.[4] وفي هذا المقام الضيّق كان «المسجد» و«المجلس» يتداخلان حتى لا يميّز احدهما عن الآخر.[5] ولو صحّ ان «الدار» كانت مجتمعاً لمشيخة مكة[6] ، او مقرّاً لمجلس بلديّتها ، كما نقول اليوم ، لما فهمنا إسراع القوم ، واهتمامهم بان يحوّلوا الى مسجد جامع هذا المركز المدني . واذاً فقد عرفت دار الندوة اجتماعات غير هذه الاجتماعات المدنيّة البلديّة. ولهذا نرى ارباب الحديث ، وقد أنفوا من وجود هذا المسجد الوثني بقرب الكعبة[7] ، يُسرعون في تحويله على طريقة لا يخفى معناها على احد ، في يومنا هذا .

كانت القوافل بعد رجوعها من الرحلات الرسميّة ، «رحلة الشتاء ورحلة الصيف»[8] ، تحطّ رحالها امام دار النَدوة . «كذلك كانوا يصنعون.»[9] ومن هناك كانوا يرحلون. وكان رحيل القوافل الكبرى من الأحداث المهمّة في حياة المجتمع ، كانتقال القبيلة في سبيل النجعة ، وتغيير المنازل في البادية . وكلّها

---

١) اطلب كتابنا *La Mecque*, 73, 136, 173, 298

٢) اسد الغابة ٣ : ١٥٠

٣) هكذا كان يعظ النبي : ابو داود : السُنَن ٣ : ١٦١ ؛ اسد الغابة ١ : ١٠٦

٤) وقد يكون هذا المكان محفوظاً لاجتماع السادة . ابن سعد : الطبقات ١ : ١٣٦ ؛ ابن هشام ٤٧٣

٥) اطلب بحثنا في *Ziad ibn Abihi*, 88

٦) الأزرقي (Wüstenfeld) ٦٧

٧) ابن هشام ٨٠

٨) القرآن ١٠٦ [قريش] ٢

٩) ابن سعد : الطبقات ١ : ٣٦ ؛ واطلب *La Mecque*, 78

تقترن بالحفلات الدينيّة ، موافقةً لإشارة الكُهّان والعرّافين . ولا يشير هؤلاء بالرحيل الّا اذا سألوا ربّ « البيت » الموكولة اليهم حراسته ، فيجيلون القِداح ، ويزجرون الطير .[1] وكيف يمكن ان تقف مئات الإبل — بل الألوف كما كانت تعدّ القوافل الكبرى — في ذاك المجال الضيّق . ونحن نعرف ان واجهة دار الندوة[2] كانت مما يلي فناء الكعبة . وان هذا الفناء لا يتصل بالمدينة الّا بواسطة الطرقات الضيّقة المعروفة « بابواب » المسجد .[3] فينبغي ان نستنتج ان الحفلات الدينيّة ، السابقة رحيل القوافل ، كان يُقام بها في الدار نفسها ، على بعض خطوات من الكعبة .

وفي رجوع القوافل ، اذا حصل ما يمنع توزيع الأرباح على المساهمين ، كان من المتّفق عليه ان يظلّ المال موقوفاً في دار الندوة[4] ، كما جرى بعد وقعة بدر .[5] وهو برهان جديد على صفتها الدينيّة . وفي هذه الدار وحدها ، على قول مؤرّخي مكة ، كانوا يقومون بالاعمال المهمّة في حياة المجتمع[6] ، تلك الاعمال التي وسمتها الشعوب القديمة جميعها بالصفة الدينيّة . كانوا يحفظون في الدار لواء قُصَيّ المعروف « بالعُقاب ».[7] ومن هناك يخرجونه منشوراً دلالةً على قرب الدخول في الحرب . ولعلّنا لا نخطئ اذا قلنا انهم كانوا يحفظون ، في تلك الدار ايضاً ، القُبّة المعروفة ، التي كانت تظلّل البيت ، وتُحمل آن الطواف ، في عُمرة رجب[8] . ولا نرى في أقوال المؤرّخين كلمةً واحدة في هذا الموضوع . ذلك أنهم أخطأوا في فهم دور القُبّة الحقيقي ، واهمية الطوافات الدينية في حياة مشركي قريش . وفي دار الندوة كذلك ، كانوا يعلنون بلوغ الصبيان سنّ

١) راجع بحثنا في *Bétyles*, 85

٢) او باجا كما في ابن سعد : المكان المذكور

٣) راجع *La Mecque*, 87-88 ؛ اسد الغابة ٤ : ٥٧

٤) راجع *La Mecque*, 73

٥) ابن سعد : الطبقات ٢ : ٣٥ ؛ الواقدي (Kremer) ١٩٨

٦) ابن سعد : الطبقات ١ : ٣٤

٧) الاغاني ١٩ : ٧٦

٨) راجع *Bétyles*, 61, 78

الرجولية[1]. اما الصبايا فكان عليهنّ ان يدخلن الدار قبل ان يرضين بالخاطب[2]. وفي كل هذه الحفلات كان من الضروري حضور بني عبد مناف، وهم المتحدّرون رأساً عن قُصَيّ، واليهم وحدهم كانت حراسة الدار.[3]

وكيف لا يفكر الباحث، بعد كل هذه المعلومات، بوجود صفة دينية لحرّاس هذه الدار، من كهانة او سدانة، يحتكرها سُراة قريش. وقد أشرتُ، في بحث عن الحجارة المؤلّهة[4]، الى وجود شيء غامض من هذه المنظّمات الاكليريكية في بعض مناطق الجزيرة، ولا سيما في الطائف حيث كانت سدانة معبد اللات « للأحلاف » في تلك المدينة[5]. ولقد كان يمكننا زيادة الايضاح والتأكيد، لو كان الرواة والمؤرّخون، الذين نأخذ عنهم، اوفر ذكاء واقلّ غموضاً. بيد ان معلوماتهم المتبدّدة، المفتقرة الى كثير من التناسق، تعمل على إلقاء نور غير منتظر على تلك العبادة التي كان يوليها القرشيون جدّهم المؤلّه، تلك العبادة التي يشير اليها التقليد بشيء من الحَقْر، اذ يسمّيها « دين قُصَيّ.»[6] ولنُضف الى ما تقدّم ما كان يناله قبر قصي من الإكرام التقليدي.[7] وقد لا نخطئ اذا قلنا ان هذا القبر كان من محطّات الاحتفال بالعُمرة المكية، قبل ان تدخل في الشعائر الإسلامية.

اما مؤرّخو الإسلام السنّي فيُنفقون كثيراً من الحذق والمهارة ليتزعوا أثر الشرك عن هذه البقايا الجاهلية. ويجتهدون في ايلائها شيئاً من القداسة الإسلامية يعمل، في نظرهم، على صرف انتباه المؤمنين عن هذه المظاهر الوثنية، وتبديد شكوكهم في صلاح هذه الشعائر الراقية الى عهد الشرك الجاهلي. وقد حفظ لنا القديس يوحنا الدمشقي في كتابه عن البدَع[7] مثالاً لا يخلو من البذاءة،

١) اليعقوبي: تاريخه ٢: ٢٧٧

٢) الازرقي ٦٥، ٦٦، ٤٦٤–٤٦٥؛ ابن سعد: ك. م. ١: ٣٩

٣) واولهم نشأ في جوار الكعبة، الازرقي ٦٦؛ اليعقوبي ٢: ٢٧٧. وقد يكون هناك تاريخ منذ عهد قُصَيّ، اليعقوبي ٢: ٥؛ ٢٧٤، ٢٧٦، ٢٧٧

٤) *Le culte de: Bétyles*, 44 ٥) راجع كتابنا في *Taif*, 83, 88, 90-91, 109

٦) اليعقوبي ٢: ٢٧٨؛ البلاذري: الانساب ٣٠: وجه.

٧) في مجموعة *P. G.* (Migne) LXIX, c. 766-773. ولم تكن بذاءة التعبير لتوقف

عن هذه المحاولات في إسلام تلك الشعائر القديمة . ولعلّ المثال المذكور — اذا ما انتبهنا لعصر الذي ينقله الينا — اقدم مظهر لهذا النوع الادبي الذي كان من نصيبه ان يتّسع اتساعاً عجيباً في تطوّر العلوم الاسلامية . وقد عمل النبي على إدخال العُمرة المكية والحجّ العربي في إصلاحه الديني ، عندما أعلن « أن المساجد لله »[1] ، اي انه ينبغي ان تُخصص للإله الواحد ، اله ابراهيم واسماعيل ، تلك المعابد القديمة ، والحجارة المؤلهة من أنصاب وأركان وسائر ما كان يوليه المشركون العبادة والإكرام .

بيد ان هذه البقايا الجاهلية لم يتمثلها الدين الجديد بالسرعة المطلوبة : فظلّ منها ما يتنافر في مظهره الوثني والتوحيد القرآني الصارم . فكان من مهمّة مؤلفي السيرة ، وارباب الحديث والتفسير ان يعملوا على التخفيف من هذا التنافر . فخالوا أنهم يحلّون المشكل ، اذا ما ألحقوا هذه الآثار والذكريات الجاهليّة باسماء مكرّمة كأسماء ابراهيم واسماعيل ومحمد نفسه . حتى اذا لم يوفّقوا الى هذا الإلحاق تصوّروا العلاقات بين هذه البقايا وخديجة ، او عائشة ، او علي ، ومَن اليهم من ابطال الإسلام الأوّل .[2] ولعلّ من آثار هذه الغيرة ما نراه من ألقاب غريبة لبعض المساجد كمسجد الكبش[3] ، ومسجد الشجرة ، ومسجد الجنّ .[4] ولا حاجة الى التوسّع في ما تدلّ عليه هذه الأسماء .[5] ولا سيما اسم مسجد الشجرة[6] من عبادات بعيدة عن التوحيد !

المفسّرين القدماء الذين اخذ عنهم القديس يوحنا الدمشقي هذا المثال . أساذجة تلك البذاءة ام مصطنعة ؟ راجع Gaud.-Demombynes, *Pèlerinage*, 18; وهي مصطنعة خاصّةً ، اصطناع التعابير الغريبة في التفسير والحديث

١) القرآن ٧٢ [الجنّ] ١٨

٢) راجع الجداول الأبجدية في (de Goeje) *Biblioth. geograph. arabic.* ؛ و Snouck Hurgronje, (Wüst.) *Chroniken* ؛ الازرقي ٤٢٢ ؛ ابن جبير ١١٣ ، ١١٢ ؛ *Mekka*, I, 21-22

٣) Dozy, *op. cit.*, 91-92 ٤) ابن جبير : ش . م . ١١٠

٥) قابل بما في Snouck Hurgronje. *Mekkaan. Feest*, 87

٦) وهناك « ذات أنواط » وهو مسجد مشهور ، الازرقي ٨٣ ؛ Dozy, *op. cit.*, 19 ؛

وسواء أكانت دار الندوة في اصلها مسجداً ام لا ، فلا شك في انها كانت ملتحقة بالفناء الضيّق الذي يؤلفه الحرم المركزي او حرم البطحاء.[1] وكانت هذه المنطقة ، دون شك ، اقدس مناطق مكة ، وفيها كان يظهر « بيت الله » في بساطته القديمة ، فيُدعى « مسجد الكعبة » . اما بيتا الصفا والمروة فان القرآن ادخلهما في التوحيد ، مؤيداً صفتيهما المقدّسة ، عاداً اياهما « من شعائر الله » ، ومن « المشاعر » ، ومن « المناسك ».[2] وقد يُضاف الى هذه الأسماء احياناً اسم « المواقف ».[3] ولكنّ التفسير الاسلامي لم يدقّق ، لدى الحظّ ، في تحقيق هذا الترادُف . اذ ظلّ مهتماً ، فوق كلّ شيء ، بان يجد الآيات على التوحيد الابراهيمي في جميع المظاهر . فصرفه هذا الهمّ عن النقد والمقابلة . أو ليست الكعبة تمثّل آية التوحيد العريق[4] ، والاحتجاج الدائم على مظاهر الشرك المتعدّدة ؟ لهذا وضعها القرآن وسط العبادة الاسلامية ومركز نظامه الطقسي « فجعلها الله البيتَ الحرام قياماً للناس . . . »[5]

و« ذات الساق » ، شجرة مقدّسة صلّى بقربها محمد ؛ البكري ٤٨٣ ؛ السهودي ٢ : ١٨١ ولنذكر شجرة الحُدَيبيّة . وفي « السيرة » ذكر لعدد من الاشجار المقدّسة منها « ذات الرقاع » ، ابن هشام ٣٥٨ ، ٦٦٢ ؛ السهودي ٢ : ٣١٢ . « مسجد الشجرة » في ذي الحُلَيفة ، السهودي ٢ : ١٦٢ ، واحياناً يُسمّى « الشجرة » دون زيادة ، كأنّ التعبيرين مترادفان ، كما تدلّ عليه مقابلة الاحاديث ، راجع الدارمي : السُنَن (مخطوطة المكتبة الخديوية) ٢٥٦

١) راجع في حي البطحاء كتابنا ...*La Mecque*, 88

٢) القرآن ٢[البقرة] ١٢٢ ، ١٥٢ ، ١٦٤ ؛ ولا يخفى ان فعل نَسَك بفيد أراق الدم في معناها الاصلي (اطلب النسائي : السُنَن ٢ : ٣٨ ، وفيه : « انسك شاةً » اي ضحّ بها) وقابل بما في R. Smith, *Religion of the Semites*, 229 والمشاعر=المناسك ، اطلب اسد الغابة ٣ : ٢٧٢ ، ٥ : ١١٥ ، ١٣٠ ؛ Wellhausen, *Reste*, 118

٣) الطبري : التفسير ٢ : ٢٥-٢٦ . وفي ابن هشام ١٧٢ يصلح ولعوسن كلمة « مشعر » « بمشعر » . واطلب رأي ابن هشام في هذه القطعة المنحولة ، ص ١٧٧

٤) او الحَنَفيّة « بقايا دين اسمعيل » : ابن قتيبة : كتاب العرب (طبعة محمد كرد علي) ٢٦١ . والنابغة الجعدي يسمّيها « دين ابراهيم » ، اسد الغابة ٥ : ٢ . ولهذا احتاج التفسير الى « تعبير » هذا الشاهد المزعوم على التوحيد الجاهلي فمرّره الى ما وراء الحدّ . وهو من رجال العصر الاموي بل المرواني .

٥) القرآن ٥ [المائدة] ٩٨

وبعد بحثنا في الصفا والمروة، لم يبقَ من شك في ان القدماء كانوا يقومون حولها بالشعائر التي كانت تُقام حول الكعبة . وكان هناك « بيت »[1] يظهر موضوعاً لهذه الشعائر . وان لنا في الالفاظ المتعدّدة من مشاعر ومناسك ومواقف لدليلاً على تعدُّد مظاهر تلك الشعائر وتنوّعها . ولكنها لا تفيدنا شيئاً في تنسيقها، ولا في وصفها وتحديدها . ولا تسعفنا مفردات القرآن في ذلك باكثر مما اسعفتنا في شأن تحديد « المساجد » . انما هو الغموض نفسه يحيّر الشرّاح والمفسّرين، كما يحيّرنا اليوم، لدى هذا الغنى في المترادفات . على اننا نعتقد ان « الشعائر » تدلّ اولاً على الاماكن المقدّسة، ثم على مجموعة من الحالات والاعمال الطقسيّة الحقها القرآن بالتوحيد[2]، وحرّم انتهاكها وامتهانها .[3] اما « المشاعر » فهي « مواضع النسك » في نظر المفسّرين، اي تلك الاماكن التي تُقام فيها العبادات والتضحية . ولا يخفى ان التعليل اللغوي يؤيّد هذا الشرح، على ما فيه من غموض .[4]

في ديوان حسّان بن ثابت قصيدة يمدح بها احد مشركي مكة فيستهله « عظيم المَشعرين وربّها . »[5] ولا أرى النعت الّا جارياً مجرى النعت القرآني « عظيم

---

١) البخاري (Kr.) ١ : ٤٣٤

٢) القرآن ٢٢ [الحج] ٣٢ ، وفيها : « ومن يعظّم شعائر الله فانها من تقوى القلوب » . ثم ٢٢ [الحج] ٢٧ ، وفيها : « والبُدْنَ جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير » . والشعائر هنا تفيد الضحايا ، وهو معنى لا يوافق ما ورد في السورة الثانية من القرآن ٢ [البقرة] ١٥٢ : « ان الصفا والمروة من شعائر الله . . . » ولا ما في السورة الخامسة [المائدة] ١ : « يا ايها الذين آمنوا لا تُحلّوا شعائرَ الله ولا الشهرَ الحرام . . . » والمعنى في هاتين الآيتين بعيد عن الضحايا ، بل انه في السورة الثانية يدل بوضوح على الاماكن المقدّسة . اطلب Welhausen, *Reste*, 11

٣) القرآن ٥ [المائدة] ٢

٤) اطلب تاج العروس ٣ : ٢٠٤ ؛ Lane, *Dict.*, IV, 1562 . وضع الحديث « مشاعر » ، منى ، ومُزْدَلِفة ، وقُزَح ؛ ابن جبير ١٧٢ ، مُسلم : الصحيح ١ : ٤٤٩ ؛ الدارمي : المخطوطة المذكورة ٢٦٦ . ويُستنتج من القرآن ٢ [البقرة] ١٩٤ ، وجود « مشعر حرام » ، عَرَفات .

٥) ديوان حسّان ٨٨ : ٢ . وقد يكون « المِشْعَر » لغةً في « المَشعر » ، اطلب *Chroniken*. W., II, 9

القريتين »[1] ولا شكّ في ان تأليف القصيدة — وهي مدحة لا طرافة فيها ولا فنّ — متأخر عن ظهور السورة الثالثة والاربعين ، راتٍ الى عهد إسلام الشاعر.[2] اما الممدوح الظافر بهذا اللقب الضخم فيُدعى مطعم بن عدي. كان من سُراة قُريش وأجار محمدًا على اثر رجوعه من رحلته المخفقة الى الطائف . فحفظ له النبي هذه المكرمة ، حتى انه أعلن ، بعد وقعة بدر ، انه لو كان مطعم بقيد الحياة لما تردّد في اطلاق اسرى القرشيين إكراماً له.[3] ومن الممكن ان يكون حسّان قد قلّد بعض سلفائه فاستوحى منهم التعبير المذكور وهذا الشاعر المشرك ، قيس بن الحُدادية ، يذكر « المُشعرين » في قصيدة مدح بها عديّ بن نوفل المكّي[4] ، ويظهر انه يعيّن مركز المشعرين في منطقة الحَرَم.[5] وهذا التعيين نفسه يُستنتج ، على ما نرى ، من قصيدة للشاعر المخزومي الحارث بن خالد[6] ، في اواخر القرن الاول للهجرة ، يتناول فيها تعبير حسّان بن ثابت.

لم تأخذ الجاهلية العربية بالتوحيد في مظاهرها الدينية. بل كثيرًا ما كانت ترمي الى الثنائية في احتفالاتها وشعائرها كما بيّنا في بحثنا عن الحجارة المؤلّهة.[7] يظهر ذلك في الأيمان المعروفة باللات والعُزّى ، كما يظهر في الطوافات الدينية التي كان يحمل فيها الطائفون « بيتين » مؤلّهين[8] ، وكذلك القول عن « الرُكنين اليمانيَّين » والالهين إساف ونائلة . وهكذا كان الطائفون يجتهدون ، في اثناء

١) القرآن ٤٣ [الزخرف] ٣٠ ؛ والطب *Tāif*, 11, 71, 102-103

٢) وهو يسمّي محمدًا « رسول الله » (البيت الرابع) . وينبغي ان يكون تأليف القصيدة بين الهجرة ووقعة بدر

٣) ابو داود: السُنن ١ : ٢٢٦ ، وفيه ذكر احترام محمد لمطعم ، وكذلك اسد الغابة ١ : ٢٧١

٤) الاغاني ١٣ : ٦ ، وعدي هذا من بني عبد مناف ، ينبغي التمييز بينه وبين عدي آخر كان من الصحابة وذكر في اسد الغابة ٣ : ٣٩٨

٥) *Bétyles*, 75

٦) الاغاني ٣ : ٩٩ - وفي شعر لبشّار نرى المشعر = الحَرَم ، الاغاني ٣ : ٢١ ، وقريش المشعر = قريش البطحاء ، اي سراة قريش.

٧) *Bétyles*, 74...

٨) *Bétyles*, 54, 73...

العُمرة والحجّ ، في ان يجمعوا بين معبدين او منسكين بالإفاضة ، والنَّفر ، والدَّفع ، وكلّها من اساليب السعي او الطواف الديني . على ان هذا لا يقدّمنا في فهم حقيقة « المشعرين » . وان كانت البديهة تدفعنا حالًا الى التفكير بالصفا والمروة وقد جمعها القرآن ، والحديث من بعده . واي أثرين احقّ منهما بلقب « المشعرين » دالًا على العلاقة بينهما علاقة الازدواج او الثنائية . اما من جهة اللغة فان التعبير قد يظهر الترادف بين « المشعر » و« المسجد » . ومن الممكن ان يكون مُطعم بن عدي ، بصفته من ابناء عبد مناف[1] ، اي من اعظم سراة مكة ، قد قام بالحجابة او بالسدانة لدى المكانين المقدّسين ؛ او ان يكون له ، على الأقل ، بعض الحقوق عليهما . وكان بيته[2] قرب « المسعى » اي الطريق الجامع بين الصفا والمروة . ولا يخفى ان كلمة « ربّ » في التعبير « عظيم المشعرين وربّها » لها يبرّر استنتاجنا . وهي من المفردات الدينية في لغة قدماء العرب تدلّ على درجة او رتبة في النظام الاكليريكي زمنَ الجاهلية .[3] وهكذا يكون ابناء قُصَيّ ، ومنهم مطعم بن عدي ، قد بسطوا نفوذهم على الاماكن المقدّسة الثنوية ، واخذوا يراقبون الحفلات الدينية مستغلّين ما تفيده من ثروة وجاه .

وكان هذا خير طريق لمنع منافسة قد تضرّ بافضلية الكعبة ، كما كان خير اسلوب في إعداد العمل الجمعي ، وإخضاع تلك المناسك العديدة للبيت الأصيل . وهي سياسة طالما رمى اليها سراة القرشيين في سبيل مصلحة قبيلتهم ، قبل ان يقوم بها النبي باسم الله . وكان حسّان شاعره الخاصّ ، كما لا يخفى ، فلم يكن من الممكن الّا يُطلع النبي على نتاج قريحته . ولم يكن النبي ليدَعه وما تلهمه تلك القريحة في ما خصّ الشؤون المكّية . واذًا فلا يمكن ان يكون

١) الطب Wüstenfeld, *Genealog. Tabellen*, V, l. 21

٢) الازرقي ٢١٢ ، ٤٦٣ . وقد حُوّل ، في ما بعد ، الى قصر زاته «القوارير» . ولا يُقصد بالقوارير «المراني» كما فهمها Gaudefroy-Demombynes, *Pèlerinage de la Mecque*, 134 ، بل انواع النساء ، كما يظهر من نصوص الازرقي التي اشرنا اليها في هذه الحاشية .

٣) راجع ... *Bilyles*, 11 . وقد نظّم النبي استعمال كلمة « ربّ » ، مُسلم ٢ : ٢٦٩–٢٧٠ ؛ البغوي : مصابيح السنّة ٢ : ١٠٢ ؛ *Bercean*, I, 205

التعبير «عظيم المشركين وربّها» قد فات انتباه الرسول ، ولا سيما في زمن كان فيه القرآن[1] ينازع القرشيين حقوقهم في مناسك مكة . ولا شك في ان هذا الموقف يدلّ على تساهل النبي تجاه العبادة الوطنية في مجتمعه ، كما يدلّ على رغبته في مخالفة الأسر الكبيرة في مكة وكان هو نفسه مَديناً لمطعم باشياء لا شك في اهميتها حتى استحقّ مطعم هذا المدح الفخم من شاعره الخاصّ . ومن الصعب ان لا نرى فيه اشارةً الى شيء من الرقابة على شعائر العبادة القرشية كان يضطلع به مطعم . وهذا قول حسّان :

أجرتَ رسولَ الله منهم ، فاصبحوا عبادَكَ ، ما لبّى ، مُلبٍّ وأحرما ![2]

وكم كنا نودّ اشارة صريحة الى ما يهمّنا من هذا الأمر . ولا شك في ان مؤلفي السيرة استغلوا هذا البيت في سعيهم الدائب وراء الشعر المعاصر للهجرة . فاكتفوا باستخدام ذلك في تزويق حكايتهم عن رحلة النبي الغامضة الى الطائف .[3] وكان من الحقّ ان يقوموا بأفضل من هذا العمل .

وبعد كل ما تقدّم ، لا نستغرب استعمال القرآن «للمساجد» بصيغة الجمع . واذا سمعناه يطالب بحقّ ملكيتها لله ، فينبغي ان نفهم المقصود بها كل المؤسسات الدينية في مكة . من الكعبة الى ملحقاتها القريبة كدار الندوة ، والحجر ، وزَمْزَم ، ومقام ابراهيم ؛ الى منسكَي الصفا والمروة . وقد افادنا تدخّل القرآن ما كان لتلك المناسك الجاهلية من أهمية يجتهد الحديث في إضعافها .[4] وبعد ذلك نفهم المناسك الثنوية ، كالمواقف والمعابد ، كبيرة كانت او صغيرة ، والمذابح ، والبيوت او الحجارة المؤلّهة ذات الألوان المتعدّدة ، والهيئات المتباينة ، والاسماء المتكاثرة من مَشعَر ، ومَسجِد ، ومَنحَر ، وموقف ، وبيت ، وحَجَر ، ورُكن ، ومقام ، ونصب ، وجَمْرة الى ما شاكل من تلك الحجارة مبنيّةً كانت

١) القرآن ٢ [البقرة] ١٠٨ ، ولا سيما ٩ [التوبة] ١٧-١٩

٢) الديوان ٨٨ : ٤

٣) راجع ابن سعد : الطبقات ١ : ١٤٢ . ولا يذكر حسّانًا ابن هشام ولا ابن سعد . على انني لا اشك في ان حكاية الإجارة التي قام بها مطعم مأخوذة عن هذا الشاعر .

٤) راجع النسائي : السنن ٣ : ٤٠-٤١

او منصوبة ، مطروحة على الأرض او مكوّمة ، مفردةً قائمةً بنفسها او مقتطعةً من صخور الجبال ، ثابتةً على شكل المسلّات او مصفوفة على شكل النواويس ، تلحق بها الأشجار المقدّسة وتعاليقها من أسلحة ونذور متنوّعة . ثم رؤوس الجبال ، وغرات الكهوف والمغاور ، المنتشرة جميعها في منطقة مكة ، تولي هذه الناحية من تهامة شكلها الخاصّ وجاذبيتها القوية .

فكان من همّ الإصلاح الديني الرامي الى التوحيد أن يتمثّل جميع هذه المظاهر الجاهلية ، جميع بقايا الشرك بما تجره من شعائر ومراتب واحتفالات طقسية ، كما شاء ان يتمثّل اصحاب تلك المراتب كالحجّاب ، والسَدَنة ، والكهّان ، والعرّافين ، وزاجري الطير ، وسائلي القِداح ، وضاربي الحصى ، والكواهن ، والساحرات النافثات في العقد[1] ، والمكلفين تنظيم التاريخ وعدّ النسيء ، والقائمين على السقاية[2] او توزيع مياه زَمزم ، وأدِلّاء العُمرة والحجّ اصحاب الإجازة والإفاضة[3] . كل هذه المظاهر رأى النبي ان يلاشيها في سبيل التوحيد . وهكذا كان استعمال صيغة الجمع في « المساجد » مقصودًا ، لتُصبح كلّها لله . ولا تتصوّرنّ مساجد مبنيّة كما نرى اليوم . اذ لم يكن في مكة الّا مسجد واحد له شيء من مظاهر البناء ، هو مسجد الكعبة . ولم يكن فيه ، أوّلَ الأمر ، الا اربعة جدران لا سقف عليها . ثم اخذ القوم يُكثرون فيه من معبوداتهم الحجرية ، فاستقبل بين جدرانه ، الى جنب الحجر الأسود ، أهمّ الحجارة التي كانت مبدّدة في فِناء الكعبة . هي الأركان التي يجتهد الحديث في اخفاء تعدّدها ، وطمس اصلها ، فيعمل ، قاصدًا او غير قاصد ، على الخلط بينها وبين زوايا الكعبة[4] . ولا يزال بعض هذه الأركان هدفًا لإكرام الحجّاج حتى يومنا هذا .

نفهم الآن سعة القصد من ذاك التعبير البسيط المظهر : « ان المساجد لله » .

---

١) راجع في كل ذلك Bityles, 45.

٢) اطلب القرآن ٩ [التوبة] ١٦

٣) وهم سُبّاق « المُطَوّفين » في عصرنا .

٤) البخاري : ك . م . (Kr.) ١ : ٤٠٦ ؛ ابن حنبل : ك . م . ٤ : ٩٤-٩٥ ، ٩٨ ؛ مسلم : ك . م . ١ : ٤٤٦ ، ٤٨٦ ، ٤٨٧ ؛ Bityles, 74-75

انما اللهُ يمثل هنا الاسلام ونبيّه . واذًا فهي عمل وضع اليد على كلّ مظاهر الشرك القديم . وهكذا امكن القول : « إنّ الصفا والمروة من شعائر الله . . . »[1] وهو أمر كافٍ في نزع أثر الشرك عن المناسك والمعابد الجاهلية . فليهدأ الأنصار ؛ وليخففوا من حماستهم في مجاهدة تلك المناسك[2] . فالنبي أخبر بالأمر ، وهو العارف بان سياسة اللين والتساهل والانتظار تؤدّي الى ما لا تؤدّي اليه سياسة العنف والمجابهة . ولعلّ من تطبيقات هذه السياسة الدينيّة الناجحة موقفه مما اشار اليه القرآن في الآية التاسعة عشرة من السورة الثالثة والخمسين وما اوردته « السيرة » بعنوان « الغرانيق العُلى » . وذلك أنه قد يكون تساهل بشأن المثلث الالهي المعروف باللات ، والعُزّى ، ومناة ، على شريطة ان تنحطّ رتبتهنّ عن رتبة الله[3] ؛ « ان الله منهنّ أكبر ! » كما قال أوس بن حجر .

يظهر من استعمال القرآن « للمساجد » ان هذه اللفظة ، بصيغة الجمع ، كانت معروفة مستعملةً في لغة قريش الدينية[4] . ويظهر انها كانت تدلّ ، مع لفظة « المشاعر » — وهذه اقرب الى اللهجة البلدية ، على ما نرى — على جمهرة المناسك والاحتفالات في العبادة الحجرية في بلاد العرب الغربية . ولِمَ فازت لفظة المساجد على زميلتها في استعمال القرآن ، ومن ثمّ في اللغة الدينية الاسلامية ؟ لعلّ ذلك للعلاقة اللغوية ما بينها وبين « سجد » .[5] اما هذا الأصل فيكاد يكون مجهولًا في اللغة الجاهلية . ولا اخاله عُرف الّا في لهجات القبائل التي كانت على اتصال مع الاراميين في بلاد الشام وما بين النهرين . وقد استعمل القرآن فعل

---

١) القرآن ٢ [البقرة] ١٥٣

٢) النسائي : السُنن ٢ : ٤١ ؛ مسلم : ك . م . ١ : ٤٨٩—٤٩٠

٣) راجع في مصادر هذا الشأن Noeldeke-Schwally, *Geschichte des Qorāns*, I, 100...

٤) وهي لا تدلّ حتماً على بناء ، اطلب Snouck Hurgronje, *Mekkaan. Feest*, 44, n. 2 ؛ ثم R. Bell, *op. cit.*, 51...

٥) راجع في معاني « سجد » حماسة البحتري (طبعة شيخو) عدد ١٣٩ ؛ Salhani - Haffner, *Drei arabische Quellenwerke über die Addād*, 43

« سجد »[1] للدلالة على كيفية الصلاة الاسلامية الدخيلة ، اي التي لم يعهدها البدو في جاهليتهم . فكان على النبيّ ان يجتهد في سدّ الثلم الواهية في تلك اللغة الدينيّة الخشيلة . وكثيرًا ما عمد الى المفردات السامية القديمة فحمّلها المعاني الجديدة[2] التي كانت تتضح شيئاً فشيئاً مجاراةً لحركة اصلاحه الديني .

ولا يخفى ان المجال متسع ، في هذا الموضوع ، لدرس ناحية جديدة من التطوّر اللغوي والنفساني في لغة القرآن . ومن مظاهر هذا التطوّر ان لفظة « المسجد » فازت على مرادفتها لفظة « المشعر » ، في التعابير العربية ، ثم تجاوزتها الى لغاتنا الغربية فاغنتها بكلمة جديدة هي كلمة mosquée .

اما « المشعر » فلا يزال معناه الاصلي غامضاً ، ذاك المعنى الذي كان الجاهليون يفهمونه به ؛ ولعله كان على اتصال بـ« شعر » الذي معناه « عرف » و« حدس »[3] . فيكون « المشعر » دالاً على المعبد الذي يقوم فيه الكاهن او العرّاف بمعرفة الغيب وتعريفه[4] . ويكتفي الطبري بشرح « المشاعر » « بالمعالم »[5] . وهو ترادف غامض لا يقدّمنا خطوة في طريق الحلّ . وقد لا نخطئ اذا فهمنا « المشعر » بمعنى المكان المقرّر للقيام « بالإشعار » ، وهي عملية تعيّن الاضاحي المعدّة للذبيحة[6] . ومن ثمّ قد يكون أطلق الاسم « المشعر » على المعبد نفسه الذي كانت تُقاد

---

١) ولم يستعمل من الفعل الّا صيغة الماضي ، وكأنها وحدها المستعملة . ولنلاحظ ان هذا الاصل لم تتّسع مشتقاته في اللغة العربية .

٢) من مثل المحراب ، والحنيف ، والفرقان ، والزكاة .

٣) راجع مسلم : ك . م . ١ : ٥٠ د

٤) Goldziher, *Abhandlungen*, I, 3, 5. 17-24

٥) الطبري : تفسيره ٢ : ١٦١ — وقد دلّني زميلي الاب صالحاني على شرح « المشاعر » في لسان العرب ٦ : ٨٠ جاء فيه : « المشاعر كل موضع فيه خير والشجار » واذًا فهو من الامكنة .

٦) ابن السكّيت : تهذيب الألفاظ (طبعة شيخو) ٤ : ١ ، ٧٣٨ ؛ ابن سعد : الطبقات ٢ : ٦٦ ؛ البغوي : الكتاب المذكور ١ : ١٤١ ؛ مسلم : ك . م . ١ : ٤٨١ . اما تلك العملية فكانت تقوم بان تُجرح الاضحية قليلاً في جانبها الأيمن ، وهو معنى القول : « اشعرها في سنامها الأيمن » . وقابل بقول الفرزدق الذي اورده الطبري في تاريخه ٣ : ١٠٨ : « فيث كأنّ شعرنه . . . » واطلب Snouck Hurgronje, *Mekk. Feest*, 45

اليه الذبائح فيضحى بها ، وهو مكان « الشعائر » . وقد رأينا في النصوص القديمة كثيرًا ما تُبدل « الشعائر » بـ« العَتائر »[1] . وكأنّ قدماء اللغويين المسلمين رأوا في « العَتائر » اثرًا لأضاحي رجب تلك التي تسمّى الرجبيّة ايضاً[2] ، فاعرضوا عنها وابدلوا بها « الشعائر » . ولا يخفى ان رجب كان شهر الاعياد الدينية في العصر الجاهلي[3] . ولهذا شاء الإسلام ان يلاشي ذكره فابدل بالتعبير الدالّ على ضحاياه تعبيرًا أيدته لغة القرآن[4] . على ان لفظة « المشعر » في دلالتها الخاصة على موضع التضحية ، قرب المعبد ، او المنحر ، الذي كانت تُنحر فيه الشعائر او العتائر ، كانت أضيق من ان تفي بمقصود النبي . فلم يتردّد في تفضيل لفظة المسجد الجديدة الخالية من كل اثر للشرك الجاهلي[5] .

ولم يكن العرب ، في الجاهلية ، يعرفون من الصلاة الا تلك التعابير المقتضبة الجامدة التي تكوّن الدعاء . فكان من إصلاح النبي ، وقد عرف الصلوات الطقسية عند اهل الكتاب ، أن ادخل في الدين الجديد الصلاة القرآنية المعروفة بما تفرض من حركات منظّمة خاصّة « بالسجود » ، سواء أكانت فردية ام جامعة . ولا يخفى انها اجلى مظهر للعبادة الخارجية[6] وقد كرّر القرآن ذكر هذه الصلاة مقترنًا بها ذكر السجود .[7] وهو سبب جديد في الميل الى تفضيل « المسجد » على « المشعر » .

---

١) Wellhausen, *Reste*, 118

٢) اسد الغابة ٥ : ١٤ ؛ ابن الاثير : النهاية ٣ : ٦٦ ؛ ثم اسد الغابة ٤ : ٢٢٩ ، ٢٦٧ وفيها يُميّز النبي الترادف بين التعبيرين ؛ ابو داود : السُنن ٣ : ٢ ، ٥ ؛ العتائر تعني الضحايا المتروكة للسباع ؛ ابن هشام : السيرة ٦٥٩ ؛ الجاحظ : الحيوان ١ : ٩ ؛ الدارمي : المخطوطة المذكورة ٢٨٨

٣) وقد ظلّ عيد مكة المهمّ ، اطلب ابن جبير ١٢٨ ، ١٣٩ ، ١٢٢ ؛ *Bitvles*, 62, 78 . وكان المشركون يخصون هذا الشهر بالعُمرة ، النَّسائي : السُنن ٣ : ٢٤

٤) القرآن ٢ [البقرة] ١٥٢ ؛ ٥ [المائدة] ٢ ؛ ٢٢ [الحج] ٣٢ ، ٣٧

٥) لم ترد لفظة « المشعر » في القرآن الّا مرة واحدة (٢ [البقرة] ١٩٤) ، وهي بصيغة المفرد ، وكأنّ القرآن لا يريد ان يعرف الّا مشعرًا واحدًا .

٦) القرآن ٢ [البقرة] ١١٩ ؛ ٢٢ [الحج] ٢٧ ؛ ٤٨ [الفتح] ٢٩ . . .

٧) اطلب « سجد » في جداول القرآن .

اما المشعر فنراه مقروناً عادةً بالموقف ، اي محل وقوف الحجّاج و«الموقف» يعيّن حالة الخشوع الطقسي التي يتخذها العبّاد والحجّاج المشتركون بحضورهم في التضحية ، عندما يدعوهم الى هذه الشركة القائم بالذبيحة او السادن . وهو خشوع قصير الأمد تتلوه فجأةً حركة « الإفاضة » . والإفاضة تعني تارةً ذاك الهجوم الصاخب[1] ، صخبَ النهر الفائض ، الذي يقوم به الحجّاج على الأضاحي[2] ، وطوراً ذاك السعي الضاجّ المعروف « بالنفر » او « الإغارة »[3] يندفع فيها الحجّاج نحو معبد قريب ، وراء القُبّة التي تظلّل البيوت او الحجارة المحمولة في الطواف .[4] والى جنب كل « مشعر حرام » يذكر التقليد موقفاً خاصاً .[5]

ذلك ان التضحية ، وهي ارفع مظهر للعبادة البدوية ، كانت تشتمل على ثلاثة اقسام : عملية النحر والاستعداد لها ، وذلك في «المشعر» الذي يُدعى أيضاً « المنحر » لهذا السبب . ثم « الوقوف » ، وقوف الحاضرين واشتراكهم في عمل المضحّي بالنيّة و« بالدعاء » الصاخب خاصّةً ، واخيراً « الإفاضة » وهي اشتراك الحاضرين بالفعل وتناولهم لحوم الأضاحي . بيد ان التقليد السنّي جهل او تجاهل هذا الترتيب ، عاملاً على نشر شيء من الالتباس بين معاني المشعر ، والمنحر[6] ، والموقف والافاضة . اما في الحجّ الاسلامي فلم يبقَ من معنى « للموقف » ، اذ فقد علاقته المعقولة بسائر شعائر الحجّ . ذلك ان الاسلام ألغى الأضاحي لدى المعابد القديمة جميعها . فاصبح الحجّاج يقفون الساعات الطويلة ، أمام هذه المحطّات ، ولا يعرفون لماذا .

---

١) شكّ وفوسن في هذا المعنى (Wellhausen, *Reste*, 120) ولم يكن مصيباً في شكّه ، على ما أرى .

٢) قابل بما في القرآن (٧٠ [المعارج] ٤٣) : « الى نُصُبٍ يوفضون »

٣) كما في القول : أشرقْ ثبير كيما نُغير

٤) *Bitylos*, 59-60

٥) كما في مُزدلفة ؛ الطبري : تفسيره ٢ : ١٦٤ بالقرب من معبد الاله قُزَح .

٦) الدارمي : السنن (المخطوطة المذكورة) ٢٧٢ ؛ ابو داود : السنن ١ : ٢٢٢ ، وفيها ان كل ارض في مكة تُعتبر منحراً .

تأملات

يكتشفها المتأمل في اثناء لذة وسرور، وفي اثناء الم وحزن

بقلم ادوار مرقص
من اعضاء المجمع العلمي في دمشق

حدّثني من اعرفه اكثر من كل الناس ، واثق بصحة حسه وحدسه اكثر من كل الناس ، قال :

صحبتني، في سحابة عمري اوقات لذة وسرور، كما صحبت غيري من توفيق في سعي وعمل ، او تمتع بمجتمع لهو وانس ، او نحو ذلك من مباهج الحياة . فكنت ارى نفسي في اثنائها حليماً ، واسع الصدر ، بعيد النور في التأمل والتفكير ، منتبهاً الى خطاياي في كثير من ميول لي سابقة واحكام ادبية على الاشياء والحوادث والاشخاص،حتى قلت في نفسي حيا الله هذه الساعات الطيبة من ايام حياتي ، فقد اطلعتني على جانب من حقائق الكون ، وكأنها هبطت بها علي وحياً سماوياً ، مما لم توصلني اليه في عشرات السنين كتبي ودفاتري والابحاث والدروس المضنية . كان صدري يتسع ، ومشاعري ومداركي تحلق الى طبقة عالية في تلك السويعات الطيبة . فاقول : ما اشرف الحياة وصفو الحياة وبهجتها ، وما اجدرها نسبياً بالانسان العاقل ، او ما اجدر الانسان العاقل بها اذا ترفع عما اعتاده ، وعما اعتادته بيئته من خطط موجاة في امور يحسبها عظيمة جوهرية ، وما هي غير اباطيل او شبه اباطيل بحقارتها وضعفها في جنب ما ينبغي ان تهجر وتداس لاجله غير مأسوف عليها،اي في جنب الحصول على سلامة النفس وراحة الضمير وابتهاج القلب واكتساب الثقة والمودة والاكرام عند الخاص والعام ، وقد اشار الى ذلك الشاعر العربي حيث قال :

كأنك من كل الطباع مركّبٌ فانت الى كل القلوب حبيبُ

واوضح منه مقصداً واتمّ ملاءمةً لما نحن فيه قول الآخر :

تصوّر ناس كلهم سكناً ومثل الارض كلها دارا

نعم فليتصور العاقل الناس كلهم احباء تسكن اليهم نفسه بمعنى ترتاح ، والارض على طولها وعرضها داراً له تضمن امانه واطمئنانه .

عرفت ان المحبة ذات نفوذ عظيم عجيب ، له اول وليس له آخر . المحبة الانسانية ، اذا اختارها الانسان له مبدأ وديناً في غدواته وروحاته ، حميد مغبتها ، وعلم علم اليقين انها لا تبقي ولا تذر شيئاً من اثر اعوجاج او خلل او جور في هذا الجار او ذاك القريب او ذلك الصديق. المحبة تجتاح كل عيب وكل نقص ولا تبالي بشيء من هذا القبيل. فالمحبة بطبيعتها بحر زاخر قد يقع فيه من الاقذار والادناس ما لا يُحصى ولا يستقصى ، ولكن هيهات هيهات ان يبالي البحر بها بل يقبلها ويحملها ثم يغمرها ويغيّبها ثم ينساها ويظل البحر معها بحراً لا يتدنس بها ماؤه. ولا تزول هيبته ولا رواؤه .

المحبة بحر زاخر ، وان شبهتها بالجبل العظيم الشامخ لم تبعد عن الصواب ، فكما انها كالبحر تشبه الجبل ايضاً من حيث انه لا يبالي بايدٍ تعبث في جوانبه ، وحُفر تطرأ عليه وحشرات تنساب فيه. الجبل يهضم هذه المكروهات المزعجات كلها ، ويظل على عظمته وشمسه مشرفاً على مناظر فتّانة خالبة فيقري اللاجئ اليه متعةً لناظره وانساً لخاطره .

تأملت المحبة البشرية ، فعرفت تماماً سر الاديان التي اوصتنا بها وحرضتنا عليها وترحمت على القطب الكبير محيي الدين بن العربي حيث قال :

اديني بدين الحب انى توجهت ركائبه ، فالحبُّ ديني وايماني

وصل محدثي في حديثه الى هنا ثم امسك عن الكلام هنيهةً ليريح لسانه ويستجمّ جنانه فقلت له :

ـ لله درك لقد افدت واجدت في هذه التأملات ، واشعرتني بما كنتُ عنه غافلاً من حسن تأثير اللذة المباحة والسرور الشريف على العاقل . ولكن ، مقابل اللذة والسرور في الحياة ، نرى الماً وحزناً فهل فكرت في اثنائها وهل استوحيت شيئاً منها كما استوحيت من اللذة والسرور ؟

ـــ نعم فقد اصابتني مراراً اوقات حزن والم واشعرتني كما اشعرت غيري بغرور هذه الدنيا وغدرات الزمان ونبهتني الى الحكمة الرائعة في قول عمر بن الوردي :

قصّر الآمالَ في الدنيا تفُزْ فدليلُ العقل تقصير الأملْ

ـــ رويدك يا اخي فقد سقطت في تناقض حكمين من حيث لا تدري.

ـــ ما التناقض الذي تعنيه ؟

ـــ الم تخبرني منذ هنيهة ان ساعات اللذة والسرور اقنعتك بان الهناء جدير بالانسان العاقل ، وانه يجب ان يفتح صدره لاغتفار كلّ اعوجاج وخلل سيّاً وراء صفو الحياة. والآن تقول ان اوقات الحزن والالم اشعرتك بغرور هذه الدنيا وغدرات الزمان. فكيف توفق بين الشعورين او بين الحكمين ؟

ـــ ليس بينهما تناقض وتنافر خلافاً لما قد يتبادر الى الذهن لاول وهلة . اوَ نسيت اني لما قلت ان الانسان العاقل ينبغي له ان يغتنم بهجة الحياة فهي جديرة به وهو جدير بها، اردت بهجة الحياة نسبياً، وذكرت هذا القيد صريحاً. فعليه ان يسعى الى مباهج الحياة النزيهة على قدر ما تواتيه الفرص فلا يجوز ان يضيعها سدًى لدواع ثانوية كما لا يجوز ان يزيد المحن والبلاء على نفسه بسوء سلوكه وسوء معاشرته وحرصه على كل مكايدة ومناكدة واتخاذ مذهب التشاؤم عوض عن مذهب التفاؤل. فليس معنى ذلك اننا جحدنا قلة ثبات الدنيا على حالة رغد وسرور ولا اننا جحدنا غدرات الزمان وحوادثه وكوارثه . بل بعكس ذلك اشرنا من طرف خفي بانجاز الخطة الآنف ذكرها لمكافحة جانب من تلك المزعجات وتلك الكروب . ثم لما قال ابن الوردي بيته الذي تمثلنا به : «قصّر الآمال في الدنيا . . .» لم يشر علي وعليك بالجمود والخمود وعدم السعي وراء شيء من الاهداف في حياتنا. لم ينهنا عن الامل بتاتاً بل نهانا عن الاسترسال في الامل الى حد فاحش يجلب العناء والشقاء مما يقع فيه كثيرون. قال: قصّر الامال . اي اجعلها معقولة محدودة بحيث يتيسر تحقيقها وتحقيق معظمها فيكون لك غبطة ورضى. ولو اراد غير ذلك لاخطأ ولاورد بيته هكذا: اقطع الآمال او اهجر الآمال في الدنيا تفز. فالبلادة وخمول الهمة لا خير فيهما كما انه لا خير

في المطامع الجامحة. والخطة المثلى هي التفاؤل وسعة الصدر مع اتخاذ الحيطة لكل امر على قدر الامكان ومع وضع كل شيء في موضعه وهذا هو لباب الحكمة بل تعريفها عند جمهور من المحققين وهي خطة لم يندم اصحابها قط ولن يندموا.

ـــ صدقت واصبت . ولكن هل اوحى اليك الحزن والالم شيئاً آخر غير الشعور بغرور الحياة بحيث ينبغي للعاقل ان يقضيها متيقظاً لها منتبهاً لطبيعتها غير جازع منها ولا مستغرب فعلها اذا صدمته . هل استوحيت شيئاً آخر غير هذه النظرية التي شعر بها واشار اليها كثيرون قبلك ؟

ـــ انني يا صاحبي لم ادَّعِ ابتكار شيء ولا اكتشاف في ما قلته وساقوله بل اتوخى جمع شمله وايضاح معالمه تذكيراً وتنبيهاً. نعم اوحى اليَّ الالم في اثناء مقاساتي له ان مجرد غيابه وتخلص المرء منه يجب ان يحسب نعمة سابغة لا تعادلها نعمة. وهكذا كنت اعدّ نفسي اسعد خلق الله في كل فترة راحة بين الم والم . وانا لا اكاد اصدق بوجود تلك الفترة المباركة لعظم اغتباطي بها . فلما شفيت تماماً من الداء المؤلم وبعد عني عهد الآلام نسيتها وعدت الى ديدني لا احسب مجرد خلاصي من الالم نعمة وسعادة، بل اشترط للسعادة الف شرط من غنى ووجاهة ورفاهية عيش في الضروريات والكماليات ونفوذ كلمة الى غير ذلك من الاماني العديدة. وهكذا كان ولا يزال شأن غيري من ابناء آدم. تكون السعادة الصحيحة في كيانهم وحياتهم البسيطة فلا يلتفتون اليها بل يبحثون عنها في اعالي الجو وطبقات الارض واقاصي المعمور، حتى اذا نابهم مرض او فقر او موت حبيبهم او سجن او مخاوف او اهانات او مجاعة او معضل من المعضلات او نحو ذلك من المضايق احسوا بالنعمة السابغة التي كانت حواليهم ومعهم فلم يعرفوا قدرها ولم يقيموا لها وزناً .

. . .

هذا هو الحديث الحكمي الذي افضى به اليَّ من اعرفه واثق به اكثر من كل الناس . دونته بقلمي آملاً ان ينتفع بـه من المطلعين عليه اهل الحصافة والاعتدال الذين يستحقون التوفيق والانتفاع .

للتاريخ

اعلان الاستقلال
في سورية ولبنان

تمهيد

بعد ان دخلت جيوش الحلفاء سورية ولبنان تبادل الجنرال دي غول ، زعيم فرنسة الحرّة ، والكابيتن اوليفر ليتلتون ، وزير الدولة وعضو الغرفة الحربية الانكليزية ، الرسالتين التاليتين :

رسالة الوزير

بيروت ، في ٧ آب ١٩٤١

عزيزي الجنرال

استخلاصاً لمحادثاتنا التي حصلت اليوم ، اجد نفسي سعيداً بان اجدّد لكم التأكيد بان ليس لانكلترة من مصلحة في لبنان او في سورية سوى كسب الحرب. ونحن لا نرغب في شكل من الاشكال بان نتعدى على وضعية فرنسة. وفرنسة الحرّة وبريطانية العظمى انما تعهدتا بالاعتراف باستقلال لبنان وسورية . ومتى اتخذ هذا التدبير الاساسي تقرّ عن طيبة خاطر بانه ينبغي ان يكون لفرنسة في لبنان وسورية وضعية فضلى بالنسبة الى اية دولة اوربية اخرى ونحن انما كنا دائماً نتصرف ضمن هذا الروح. ولقد وقفتم على تصريحات رئيس الوزارة بهذا الشأن. واني لسعيد بان اؤكدها مجدداً اليوم لاصدقائنا وحلفائنا الذين نضمر لهم كل عطف وكل مساعدة . وانا سعيد فيما يتعلق بنا بان آخذ مجدداً علماً بتأكيدكم احترام الفرنسيين الاحرار ، بصفتهم اصدقاء وحلفاء لبريطانية العظمى ، ووفقاً للاتفاقات التي سبق ان عقدت وللتصريحات التي سبق ان ادليتم بها ،

المضي دون ما هوادة حتى النهاية في الحرب ضد العدو المشترك . وانا سعيد ايضاً بتأكيدنا على هذا الشكل تفاهمنا واتفاقنا التامين .

جواب الجنرال دي غول

بيروت ، في ٧ آب ١٩٤١

عزيزي الكابتين ليتلتون

تسلمت الرسالة التي شئتم ان تكتبوها لي كنتيجة للمحادثات التي دارت بيننا اليوم ، واني لسعيد بان آخذ علماً بالتأكيدات التي تقطعونها لي مجدداً فيما يتعلق بتجرد انكلترة عن كل غرض في سورية ولبنان ، وبان انكلترة تقرّ مقدماً بوضعية فرنسة الفضلى ومميزاتها عندما تستقل هذه البلاد وفقاً للتعهد الذي قطعته لها فرنسة الحرّة .

وانني مسارع في ان اكرر لكم بهذه المناسبة ان فرنسة الحرّة ، اي فرنسة ، انما تعتزم المضي في الحرب ، الى جنب انكلترة صديقتها وحليفتها حتى الانتصار التام على العدو المشترك .

اعلان استقلال سورية

ثم دارت مباحثات بين الجنرال كاترو ، المندوب العام لفرنسة الحرّة ، وكثير من الشخصيات السورية ادّت الى وضع النصوص التالية التي اذاعتها دار المندوبية العامّة في ١٦ ايلول ١٩٤١

رسالة الجنرال كاترو الى خالد بك العظم

من فخامة المندوب العام الى دولة خالد بك العظم رئيس الحكومة السورية

حضرة الرئيس

عطفاً على رسالتي المؤرخة في ٤ ايلول سنة ١٩٤١ ، والتي اعلنتكم فيها انه ستجاب قريباً رغبتكم ورغبة زملائكم في انهاء المهمة التي كلفتم القيام

بها ، لي الشرف ان اعلنكم ان صاحب الفخامة الشيخ تاج الدين الحسني ، وقد اشعرته بالامر ، قبل ان يستلم مهامّ الحكم .

في الساعة التي تتركون فيها اعباء الحكم وتضعونها بين يدي الحكومة الاولى لسورية المستقلة ذات السيادة ، ارى من واجبي ان اعرب لكم عن امتناني للتعاون المخلص القيّم الذي شرفتموني به

ان هذا التعاون قد اتخذ من الظروف التي نشأ ونما فيها طابعاً خاصاً يزيد في قيمته ، اذ انه تم في وقت دخول الحلفاء دمشق ، اي في وقت ، لو حصلت فيه ازمة حكومية ، لخشي معها على الدولة من البلبلة ، وعلى افكار الاهلين من الاضطراب . وقد تمّ ذلك ايضاً في وقت انبلج فيه فجر العهد السياسي الجديد .

لو كان في الحكم ، في مثل تلك الظروف ، رجال لم يتحلوا بقوة الروح الوطني التي تحليتم وزملاؤكم بها ، لكانوا فضلوا الاعتزال ، غير ان هذا الفكر لم يخالجكم قط ، بل انكم رأيتم ان واجبكم الوطني ، وواجبكم تجاه الحلفاء ، الذين اتوكم بالاستقلال ، يقضيان عليكم بالاستمرار في الحكم ، فلبيتم ندائي وبقيتم في مراكزكم الى الوقت الذي يمكنني فيه ان اعيد اليكم حريتكم .

فروح التجرد التي اظهرتموها في هذه المناسبة مع زملائكم اعضاء الحكومة تشرّف اخلاقكم وتوليكم امتنان مواطنيكم ، كما انها توليكم امتناني ومحبتي ، ذلك الامتنان وتلك المحبة التي ارجوكم مشاطرتها وزملاءكم .

وتفضلوا يا دولة الرئيس بقبول فائق احترامي .

الجنرال كاترو

رسالة الجنرال الى الشيخ تاج الدين الحسني

من فخامة المندوب السام الى فخامة الرئيس الشيخ تاج الدين الحسني ، رئيس الدولة السورية سابقاً

يا صاحب الفخامة

في البيان الرسمي الذي اذعته ، في الثامن من حزيران الماضي ، على اهالي سورية ولبنان ، باسم الجنرال دي غول ، نفسه قطعت فرنسة الحرّة فوراً على نفسها ، بالاتفاق

مع حليفتها بريطانية العظمى ، عهداً بان تضع حداً للانتداب وان تمنح سورية نظام دولة مستقلة ذات سيادة وان تضمن هذا النظام الجديد بمعاهدة.

واليوم ترى فرنسة الحرّة ان الوقت قد حان لانجاز هذا الوعد ، وتحقيق هذا البرنامج ، واول عمل تقوم به في هذا الظرف ، هو ان تضع بين يدي شخصية سورية كبرى تتمتع بثقة البلاد مهام وتبعات تنظيم الدولة السورية الجديدة في استقلالها وسيادتها .

ونزولاً على رغبة الرأي العام الذي قمت باستشارته بدقة ، ارى ، وانا لا استهدف الّا صالح البلاد العام ، ان فخامتكم هي في الظروف الحاضرة اكثر صفة من أي سواها للقيام بتحقيق هذه المهمة الوطنية الكبرى.

لذلك اقترح على فخامتكم ان تتسلموا مقدرات سورية ، متخذين لقب رئيس الجمهورية السورية ، مع الميزات والواجبات المترتبة على هذا اللقب ، وان تؤلفوا بهذه الصفة حكومة الدولة في اسرع ما يمكن من الوقت .

واذا قبلتم هذا الاقتراح — وهذا ما اتمناه — يمكنكم ان تتأكدوا من ان مساعدتي التامة ومؤازرتي لن تعوزاكم.

وتقبلوا يا فخامة الرئيس فائق احترامي .

الجنرال كاترو

جواب الشيخ تاج الدين الحسني

الى فخامة الجنرال كاترو المندوب الاعلى لفرنسة الحرّة

يا صاحب الفخامة

لقد تبلغت كتاب فخامتكم ، بتاريخ ١٢ ايلول سنة ١٩٤١ ، بزيد الغبطة والسرور ، فلا يسعني الّا ان ابدي عظيم شكري وامتناني ، على ما ابديتموه فخامتكم من العطف الاكيد على القضية السورية ، التي يسرّنا جميعاً ان تدخل في حيّز العمل في عهد فرنسة الحرّة ، وعلى رأسها ذلك القائد الكبير فخامة الجنرال دي غول.

لقد اثبتت فرنسة مرة اخرى صدق نياتها نحو بلادنا العزيزة ، وها هي

اليوم تحقق ما عاهدتنا عليه في منحنا الاستقلال والسيادة المطلقة اللذين ينشدهما الشعب السوري ، منذ زمن طويل ، فهذا العمل الطيب سيكون دعامة عامة قوية في توثيق عرى الصداقة التي تربط شعبينا منذ اقدم العصور .

وتلبية لنداء فخامتكم المخلص ابادر الى اعلان قبول المهمة الخطيرة التي يدعوني الواجب الوطني لان اتولاها ، بالرغم مما يحيق بها من التبعات الخطيرة ، مستنداً في ذلك الى مساعدة فخامتكم الثمينة ، والى ثقة مواطنيّ الاعزاء سائلاً المولى ان يسدّد خطانا الى ما فيه خير بلادنا العزيزة .

كما يسرني ان يقترن اسم فخامتكم المحبوب بهذا العهد الجديد ، الذي هو عهد الاستقلال ، فلا غرو فان تاريخ سورية سيحفظ لكم في طياته ما اسديتم من الخدمات الجلّى لقضيتنا الوطنية .

واختم كتابي هذا بالشكر الجزيل على العواطف النبيلة التي افصحتم عنها نحو شخصي . وارجو ان يمنّ الله على فرنسة الحرّة وعلى سورية وحلفائهما بالخير والفلاح .

وتفضلوا يا صاحب الفخامة بقبول اسمى تحياتي واحتراماتي الفائقة .

دمشق ، في ٢٥ ايلول ١٩٤١

محمد تاج الدين الحسني

خطاب الجنرال كاترو

ألقى فخامة المندوب العام في اثناء الاحتفال الذي أقيم يوم السبت ٢٧ ايلول ، في العاصمة السورية ، لاعلان الاستقلال ، البيان التالي :

ايها السوريون

في اليوم الثامن من شهر حزيران الماضي ، عند دخول جيوش الحلفاء بلاد الشرق ، اذعت عليكم باسم فرنسة الحرّة ورئيسها الجنرال دي غول بياناً اعترفت فيه لسورية بصفة الدولة المستقلة ذات السيادة تضمنها معاهدة تحدد فيها علائقنا المتبادلة . وفي الوقت نفسه اذاعت الحكومة البريطانية حليفة فرنسة الحرّة بالاتفاق معها بياناً اشتركت فيه بهذا العمل السياسي الخطير . وفي السادس عشر

من الشهر الحالي حققت مضمون بيان ٨ حزيران سنة ١٩٤١ وحولته من مدلول المبادئ المكتسبة الى حيز المؤسسات والحقائق الراهنة. وهكذا فقد أتيح لسورية المستقلة ذات السيادة العهد الذي تتولى فيه مقدراتها . لقد قبل فخامة الشيخ تاج الدين افندي الحسني ان ينظم عهد الاستقلال الجديد. وقد عينه لهذه المهمة السامية ما تحلى به من خبرة في الاعمال ومعرفة صميمة للضرورات العامة. واني اؤكد له وللامة السورية النبيلة مؤازرتي ومعاونتي المخلصة وسأقوم بهذه المعاونة مستوحياً المبادئ التالية:

تتمتع الدولة السورية بالحقوق والميزات التي تتمتع بها الدول المستقلة ذات السيادة . ولا تخضع هذه الحقوق والميزات الّا للقيود التي تفرضها حالة الحرب الحاضرة، وأمن البلاد، وسلامة الجيوش الحليفة ، ومن جهة اخرى فان موقع سورية في الواقع كحليفة لفرنسة الحرّة وبريطانية العظمى يستدعي انطباق سياستها انطباقاً وثيقاً على سياسة الحلفاء. وحيث ان سورية قد دخلت في الحياة الدولية فانها تنتقل اليها طبعاً الحقوق والواجبات المعقودة باسمها.

ويحق لسورية ان تعيّن ممثلين سياسيين لها في البلدان متى ترى ان مصالحها تقضي بهذا التمثيل. اما في سائر البلدان الاخرى فان سلطات فرنسة الحرّة تقدّم المساعدة لتأمين الدفاع عن حقوق سورية ومصالحها العامة وحماية ارباب التبعة السورية فيها.

ويحق للدولة السورية ان تشكل قواها العسكرية الوطنية ، وتقدّم لها فرنسة الحرّة مؤازرتها التامة لذلك.

لقد تعهدت بريطانية العظمى مراراً بان تعترف باستقلال سورية. وستتدخل فرنسة الحرّة بدون ابطاء لدى سائر الدول الحليفة او الصديقة لتعترف ايضاً باستقلال الدولة السورية.

ترى فرنسة الحرّة ان دولة سورية تشكل من الوجهة السياسية والجغرافية وحدة لا تتجزأ ، وانه من الضروري ان تضمن سلامة كيانها من اي تجزئة كانت. ولذلك فهي ستساعد على توثيق الروابط السياسية والثقافية والاقتصادية التي تجمع بين اجزاء الوطن السوري . وبلوغاً لهذه الغاية سيعدل مندوب فرنسة

الحرّة العام ، المطلق الصلاحية ، النصوص التي تتضمن الانظمة الخاصة الممنوحة سابقاً الى بعض المناطق بطريقة تؤمن خضوع هذه المناطق سياسياً الى السلطة المركزية مع استبقاء الاستقلال الاداري والمالي التي تظهر تمسكها الوثيق به . وهكذا يوفق بين مبدإ الوحدة السورية واماني تلك المناطق الخاصة . ومن المفهوم ايضاً ان ضمانات الحقوق العامة المسجلة في النصوص الاساسية لصالح الافراد والجماعات تبقى ويكون لها كامل مفعولها.

تتعهد فرنسة الحرّة بالتوسط لدى سورية ولبنان لايجاد ووضع اسس للتعاون الاقتصادي بين البلدين ولازالة الصعوبات التي يجابهها هذا الاتفاق الضروري بين بلدين اخوين وجارين يجب ان يضمن حقوق الطرفين المشروعة المتبادلة وان يثبت العلائق بينهما على اساس الثقة المتبادلة.

ومحافظة على استقلال سورية وسيادتها وقيامها بمهمة الكفاح المستمر قياماً موفقاً ، يتحمل الحلفاء في فترة الحرب اعباء الدفاع عن البلاد . ومن اجل ذلك تضع الحكومة السورية تحت تصرف ادارة الحلفاء لاجل المساهمة في الذود عن اراضي البلاد القوى الوطنية السورية . كما ان قيادة الحلفاء تتصرف منذ الآن بتجهيزات سورية ومصالحها العمومية ، لا سيما طرق المواصلات والمطارات وانشاءات الشواطئ ، وذلك على قدر ما تقضي به الضرورات العسكرية.

وتنص مهمة الذود عن البلاد بان يقوم تعاون وثيق في اي وقت كان بين الجنرال القائد الاعلى المندوب العام ودوائر الدرك والشرطة والامن في الدولة السورية ، اذ انه من الواجب الدفاع عن سورية في ايام الحرب ، ليس من اعدائها في الخارج فحسب بل ومن اعدائها في الداخل.

وبالنظر لاندماج سورية في منطقة الحرب ، وفي نظام الحلفاء الاقتصادي والمالي يقتضي ايضاً ان يقوم اوثق تعاون بين الحكومة السورية والحلفاء لكي تتأمن في فترة الحرب ، وفي سبيل المصلحة المشتركة ، موجبات واحترام جميع التدابير المتخذة لتسيير الحرب الاقتصادية في طريق النجاح.

وبلوغاً لهذه الغاية ، يمنح في فترة الحرب اكثر ما يمكن من التسهيلات لتأمين حرية التبادل بأوسع ما يمكن بين سورية والبلاد الداخلة في الكتلة الاسترلينية.

وسورية التي انضمت الى هذه الكتلة الاسترلينية تتخذ في الحقل الاقتصادي والمالي لا سيما في ما يتعلق بالقطع (الكمبيو) التدابير اللازمة لتبقى متمشية مع سياسة الكتلة الاسترلينية العامة .

ان الاحكام الواردة اعلاه توفق بين احترام استقلال سورية وسيادتها من جهة ومقتضيات حالة الحرب من جهة ثانية . وهي تستوحي فكرة واحدة هي فكرة ربح الحرب وتأمين مستقبل حر للشعب السوري عن هذه الطريق . وهي تحلّ المشكلة الفرنسية السورية حلاً منبثقاً عن عزم فرنسة الحرّة على عدم تأخير تحقيق الاماني القومية السورية وتنفيذ وعود الحلفاء بالرغم من الحرب . على انه من الضروري ان يقوم مقام هذا الحلّ حلّ نهائي باسرع ما يمكن على شكل معاهدة فرنسية سورية تكرّس استقلال البلاد وتثبته تثبيتاً نهائياً .

لتحيَ سورية المستقلة

ولتحيَ فرنسة

دمشق ، في ٢٧ ايلول سنة ١٩٤١

التوقيع : الجنرال كاترو

وقد ردّ فخامة الشيخ تاج الدين على بيان المندوب العام بخطاب قال فيه ان فرنسة لم تنسَ ماضيها ، وسورية تعرف هذه الحقيقة وتبقى دائماً وابداً حليفة وصديقة مخلصة لفرنسة . ثم حيّى رئيس الجمهورية جهاد الجنرال دي غول ومناوئيه في سبيل نصرة الحق ، كما حيّى ايضاً فخامة الجنرال كاترو لاهتمامه بالسلم وبنجح سورية استقلالها رغم المهام الخطيرة التي يقوم بها . وختم الرئيس بارسال شكر الشعب السوري الى فرنسة.

اعلان استقلال لبنان

في صباح الاثنين ٢٤ ت ٢ عام ١٩٤١ تبادل صاحبا الفخامة الجنرال كاترو والرئيس الفرد نقّاش الرسالتين التالي نصّها الرسمي :

كتاب الجنرال

الى فخامة الرئيس الاستاذ الفرد نقّاش

يا فخامة الرئيس

ان اعلان استقلال لبنان ، الذي انوي باسم فرنسة الحرّة القيام بـه في امد

قريب جداً ، انما يستدعي ايجاد وضع جديد ، واصلاح انظمة واختيار كتلة من الاشخاص قادرة ، تحت دفعة من رئيس خليق ، على تسلم مقدرات البلاد.

ثم ان ارادة الشعب ، التي وقفت عليها شخصياً ، بواسطة اتصالاتي الاخيرة المباشرة ، انما عبرت بصورة مجمعة عن المبادئ التي ترتئي ان تجعل منها اسس المستقبل المباشر للبلد اللبناني ، بحيث ينبغي ان يستوحي النظام الواجب ايجاده تطبيق مبادئ الاستقلال النظرية واماني الاهلين معاً.

يطلب هؤلاء حكومة قومية. وبالوقت نفسه يؤكدون بعزم وطيد ارادتهم بان لا يحرموا من صداقة فرنسة الفعالة.

وهم قد اتخذوا الماضي لهم أمثولة ، انما يرفضون السياسة العقيمة ، الكثيرة الاكلاف ، ويشجبون تنازع الاشخاص والاحزاب . وينشدون الوئام بين ابناء الوطن وطوائفه .

وهم يصرون على ان تتوفر ضمن نطاق المجموعة اللبنانية ، مساواة في الواجبات والحقوق بين الاشخاص ، وتوزيع منصف للتكاليف والمنافع بين الطوائف ، واخيراً احترام لمصالح المناطق.

يطلبون العدل المجرد ، والتقيد الدقيق بالقانون وزوال عهد الحزبية والتخاصم على المناصب.

ينشدون ادارة نظيفة رشيدة ، وحكومة نزيهة قوية ، تحرص على طمأنينتهم ، وتهتم بسد حاجاتهم ، وتكون قادرة على جعلهم يذللون المصاعب التي توجدها حالة الحرب ، وعلى ادارة المصالح العامة باقتصاد ، وتكون قوية في تحكيم سلطانها في جميع الامور.

وبكلمة واحدة تطلب الامة اللبنانية نظاماً حياً منعشاً .

ينبغي ان يخضع الحكم الواجب ايجاده لهذه الاماني المشروعة التي تتنكب عن اللجوء الى الاساليب النيابية ، وتستدعي اقامة حكومة ذات سلاح قوي في اتخاذ المقررات وفي العمل ، تجمع في ايديها بين السلطات التنفيذية والسلطات التشريعية .

وان حكومة كهذه ، ممثلة في تأليفها لوجه ومصالح العناصر المختلفة في

الامة ، جامعة رجالاً يتسمون بالاحترام والثقة عند الشعب ، انما تكون حكومة تبعث الطمأنينة في البلاد وهي على عتبة الاستقلال.

وتأليف مثل هذه الحكومة ونفخ روحها فيها ، ورسم مهمتها لها ، ودفعها الى العمل الذي ستكون مسؤولة عنه لديكم ، تلك هي الرسالة الوطنية السامية التي اقترح عليكم امر الاضطلاع بها متخذين لقب وميزات وواجبات رئيس الجمهورية اللبنانية ، وآمل ان تقبلوا بها.

وانا في توجهي اليكم بهذا النداء انما استوحي مصالح لبنان ، التي تهمني كما تهمني مصالح بلادي نفسها المرتبطة ببلادكم بصداقة لا تنفصم . واستوحي ايضاً الامانة التي برهنتم عنها لقضية الحلفاء . كما استنير بالصوت العام ، الذي يعترف به محبةً ، بخلقكم العالي المجرَّد ، وبجرأتكم الوطنية ، وبالمقدرة التي برهنتم عنها في اضطلاعكم بشؤون بلادكم في احدى مراحلها الحرجة.

وتفضلوا يا فخامة الرئيس بقبول فائق احترامي . وفي حال قبولكم العبء السامي الذي اقترح عليكم تحمله ، ثقوا بمؤازرتي الودية المخلصة في كل وقت.

بيروت . في ٢٣ تشرين الثاني سنة ١٩٤١

الامضاء : ج. كاترو

جواب الرئيس

الى فخامة الجنرال كاترو المندوب العام المفاتق الصلاحية لفرنسة الحرّة في الشرق

يا صاحب الفخامة

لي الشرف ان اشكر لكم الدليل السامي على الثقة التي ابديتموها لي باقتراحكم عليّ الاضطلاع بعبء ثقيل في الظروف الحاضرة ، هو رئاسة الجمهورية اللبنانية.

لقد شئتم يا صاحب الفخامة ، قبل اتخاذ هذا القرار ووضع برنامج الاصلاحات ، الذي تلطفتم بابلاغي اياه ، ان تدرسوا المشكلة اللبنانية عن كثب ، وجاء التحقيق الدقيق الذي قمتم به شخصياً في مجمل انحاء البلاد لاجل الوقوف على حاجاتها برهاناً صارخاً على الصداقة التي تكنونها لها وعلى اهتمامكم السامي بمقدراتها ، الامر الذي يؤثر فينا عميق التأثير

والبرنامج الذي رُسم على هذا الشكل هو ثمرة هذه التحريات الدقيقة المجردة، وتلك الاستشارات المباشرة التي يجدر ان يُطلق عليها اكبر اهمية وتؤخذ حتماً بعين الاعتبار في ادارة الحكم في لبنان.

وانا، وقد وقفت على اماني ابناء وطني، وتسلحت بالموازرة الودية المخلصة التي كنت اجدها لديكم دائماً في خلال الاشهر الاخيرة لاتمام واجب صعب بصورة خاصة وقفت الحكومة عليها جهودها، لي الشرف ان اقبل بالمهمة التي تقترحون، وسأسعى في تحقيق هذه الاماني متوكلاً على مساعدته تعالى.

وفيما اكرر امتناني ارجو، يا صاحب الفخامة، ان تقبلوا اكيد احترامي الفائق.

بيروت، في ٢٤ تشرين الثاني سنة ١٩٤١

الامضاء: الفرد نقاش

المناداة باستقلال لبنان

وفي اليوم التالي، الثلاثاء ٢٥ ت ٢، أصدرت الحكومة تنبيهاً بتعطيل الاعمال يوم الاربعاء ٢٦ ت ٢ للاحتفال باعلان الاستقلال، على ان يكون ذلك اليوم بعد الآن عيداً وطنياً في لبنان.

وحوالى الساعة العاشرة والدقيقة الـ٤٠ من يوم الاربعاء المذكور وصل فخامة الرئيس النقاش الى السراي الصغيرة التي كانت قد أعدّت قاعاتها لاستقبال كبار المدعوين، فقوبل فخامة الرئيس بالتصفيق الحاد وصدحت الموسيقى بالنشيد اللبناني وعند الساعة ١١ تماماً وصل فخامة الجنرال كاترو فصدحت الموسيقى بنشيد المارسيلياز وهتفت الجماهير وصفقت طويلاً.

ولما وصل فخامته الى قاعة الاستقبال في السراي استقبله على الباب فخامة الاستاذ الفرد نقاش والاستاذ احمد الداعوق يحيط بهما الرؤساء الروحيون في مختلف الطوائف والوجهاء ورؤساء الوزراء والوزراء السابقون والقناصل والهيئات المنظمة، وحوالى الساعة ١١ والدقيقة الخامسة ألقى الجنرال كاترو امام الميكروفون خطاباً ثم أذاع بياناً قوطع بالتصفيق.

خطاب فخامة الجنرال كاترو

يا فخامة الرئيس

اصحاب الدولة والسعادة

ايها السادة

في سجلّ امجاد التاريخ اللبناني، سيسجل الآن عمل كبير يجمل من دولتكم

دولة حرة التصرف في مقدراتها ، عمل يتراءى فيه بشكل رائع العداء الاساسي القائم بين الروحين اللذين فوق احتدام الجيوش ، يتنافسان من اجل نيل الظفر ومقدرات الانسانية .

وفيما نرى قوات العدو تسلب الامم او تدمرها او تسترقها ، نجد جيوش الحلفاء تحترمها وتبعثها وتحررها .

وفيما تُقام في احدى مدن البروفانس ، بامرة المستشار هتلر ، صورة مفوضية عليا لفرنسة تدعي انها تواصل ادارة سورية ولبنان ، يعلن مندوب فرنسة الحرة بتصرف تلقائي تؤيده بريطانية العظمى ، استقلال هذه البلاد .

وفي الحقيقة من عساه لا يتأثر في لبنان لهذا التناقض ؟ من تراه لم يحتر بين مثل العدالة والحرية عندنا ، وتهمة السيطرة والفتح التي تسير اعداءنا ، واي وطني لبناني لا يعتنق قضية ابطال حقوق الشعوب والناس ؟

او ليس مجرد طرح هذه الاسئلة اجابة عليها ؟ لان غريزة الشعب اللبناني هي الخضوع لشرائع العقل الوضعية والانصياع معاً لتدفق العاطفة . والعقل والعاطفة يتضافران اليوم في سبيل قيادته شطر اولئك الذين يريدون وحدهم حريته ويحاربون في سبيل انبل المثل العليا ، شطر الذين من وراء اعلام بريطانية العظمى وفرنسة الحرة ، تلك الاعلام المتعانقة ، سينقذونه هو والعالم من الاستعباد والجور .

ولو انه خامرني في ذلك ايّ شك لكفاني مؤونة ازالته من خاطري ان اثير حماسة تجلت في جميع الحفاوات التي خصها بي السكان في جميع انحاء لبنان ، عندما كانوا يحيون بي انا احد اولئك الجنود ، ويحيون بشخصي دولة فرنسة ، فرنسة الحقيقية التي يحبونها ويكرمونها تلك التي لا تعدل عن شيء ، تلك الامنية لمجدها وعزتها ، والتي باسمها سأعلن تحريركم واستقلالكم .

بيان الجنرال كاترو

ايها اللبنانيون

لقد اذعت عليكم في ٨ حزيران الماضي باسم الجنرال دي غول ، رئيس فرنسة

الحرّة ، بياناً اعترفت فيه للبنان بصفة الدولة المستقلة ذات السيادة بضمان معاهدة تُعقد فيما بعد وتُحدّد فيها العلائق المتبادلة بين لبنان وفرنسة . وقد ايدت هذا البيان حليفتنا بريطانية العظمى بتصريح خاص صدر في الوقت نفسه .

لقد ارادت فرنسة الحرّة ، وهي الامينة على تقاليدها الحريصة على البرّ بالعهود المقطوعة لكم ، ان تكون باكورة اعمالها عند دخولها الى بلاد الشرق عملاً تحريرياً ، وذلك بالرغم من الحرب ومن الحالة الشاذة التي تفرضها . لقد جعلتكم فرنسة الحرّة احراراً مستقلين ، وصارت امانيكم في حيّز التحقيق .

والآن ينبغي تنظيم استقلالكم . اما انا فعليّ واجبان تقضي بهما موجبات الرعاية .

الواجب الاول هو ان اسلّم امر تنظيم العهد الجديد وادارته الى شخصية تتوفر فيها في الظروف الحاضرة الصفات العليا للقيام باعباء هذه المهمة الوطنية الدقيقة . وبعد استشارات واسعة جدّاً للرجال وللرأي العام قمت بها في مختلف انحاء البلاد رأيت ان امنية الامة تتجه الى فخامة الاستاذ الفرد نقاش فطلبت اليه ان يبقى في الحكم متخذاً لقب وميزات رئيس الجمهورية وان يحكم بواسطة مجلس وزراء مسؤول امامه ، تتمثل فيه تمثيلاً عادلاً جميع المناطق والمذاهب التي تتألف منها الامة اللبنانية .

وها اني اؤكد لفخامة الرئيس النقّاش الذي قبل المهمة ، وللامة اللبنانية عامة ، عنايتي ومؤازرتي التامة .

اما الواجب الثاني فهو تحديد روح وشكل التعاون الذي ينبغي ايجاده بين لبنان وفرنسة الحرّة ريثما تُعقد بينهما معاهدة تحالف وصداقة .

ان فرنسة ، اذ تعترف باستقلالكم ، لا تستوحي إلّا صداقتها التاريخية للبنان ومهمة الرعاية التي تقوم بها نحوه على ممرّ الاجيال والحالة الممتازة التي اكتسبتها هكذا فيه . وتبقى مساعدتها ومؤازرتها متوافرتين في كل شيء للبنان حسب روح معاهدة التحالف والصداقة التي عُقدت بين البلدين سنة ١٩٣٦ والتي اجمع اللبنانيون على الموافقة عليها .

ومن جهة اخرى فظروف الحرب واحتلال قوى الحلفاء للاراضي اللبنانية

تضع لبنان موقتاً في حالة خاصة ، الامر الذي ينشأ عن بعض الحقوق والواجبات اذكر منها بنوع خاص ما يلي :

تتمتع الدولة اللبنانية منذ الآن بالحقوق والميزات التي تتمتع بها الدول المستقلة ذات السيادة ، وهذه الحقوق والميزات تخضع للقيود التي تفرضها حالة الحرب الحاضرة وامن البلاد وسلامة جيوش الحلفاء .

ومن جهة اخرى فكونها في الواقع حليفة لفرنسة الحرّة ولبريطانية العظمى يستدعي انطباق سياستها انطباقاً وثيقاً على سياسة الحلفاء .

ولبنان ، اذ يدخل في الحياة الدولية المستقلة ، تنتقل اليه الحقوق والواجبات الناشئة عن جميع المعاهدات والاتفاقات وسائر العقود الدولية التي عقدتها فرنسة بشأنه او باسمه . ويحق له ان يعيّن ممثلين سياسيين في البلدان التي يرى ان مصالحه تقضي بهذا التمثيل . اما في سائر البلدان الاخرى فان سلطات فرنسة الحرّة تقدم المؤازرة لتأمين الدفاع عن حقوق لبنان ومصالحه ولحماية ارباب التبعة اللبنانية .

ويحق للدولة اللبنانية ان تشكل قواها العسكرية الوطنية وتقدم لها فرنسة الحرّة كل المساعدة لذلك .

وحيث ان بريطانية العظمى قد تعهدت مرارًا بان تعترف باستقلال لبنان ، فان فرنسة الحرّة تتدخل بدون ابطاء لدى سائر الدول المتحالفة او الصديقة الاخرى لتعترف هي ايضاً باستقلال دولة لبنان .

ترى فرنسة الحرّة ان دولة لبنان تؤلف سياسياً وجغرافياً وحدة لا تتجزأ وان من الواجب ان لا تمسّ سلامتها . ولذلك فهي ستساعد على توثيق الروابط السياسية والثقافية والاقتصادية التي تجمع بين اجزاء الوطن اللبناني . ومن جهة اخرى ، وبلوغاً لهذه الغاية ، تضمن الحكومة اللبنانية المساواة في الحقوق المدنية والدينية والسياسية بين سائر تبعتها بدون اي تمييز ، وتؤمن توزيعاً عادلاً بين مختلف عناصر البلاد للمراكز العليا ولمجموع وظائف الدولة . كما انها تؤمن في توزيع النفقات ذات المنفعة العمومية نسبة عادلة بين مختلف المناطق وستقوم باسرع ما يمكن بتوحيد النظام المالي وبالاصلاحات الادارية اللازمة .

وتتعهد فرنسة بالتوسط لدى لبنان وسورية لايجاد ووضع اسس للتعاون

الاقتصادي بين البلدين ولازالة الصعوبات التي يجابهها هذا التعاون في الوقت الحاضر.

وهذا الاتفاق الضروري بين بلدين اخوين وجارين يجب ان يضمن حقوق الطرفين المشروعة المتبادلة وان يثبت العلائق بينهما على اساس من الثقة المتبادلة.

ومحافظة على استقلال لبنان وسيادته وللقيام بالحرب المشتركة قياماً حسناً، يتحمل الحلفاء في فترة الحرب اعباء الدفاع عن البلاد. وتوصلاً لهذه الغاية تضع الحكومة اللبنانية تحت تصرف قيادة الحلفاء للمساهمة في الذود عن البلاد القوى الوطنية اللبنانية، كما ان قيادة الحلفاء تتصرف منذ الآن على قدر ما تفرضه الضرورات العسكرية بتجهيزات لبنان ومصالحه العامة لا سيما طرق المواصلات والمطارات ومنشئات الشواطئ. وتقضي ايضاً مهمة الذود عن البلاد بايجاد تعاون وثيق في اي وقت كان بين الجنرال القائد الاعلى والمندوب العام ودوائر الدرك والشرطة والامن في الدولة اللبنانية، اذ انه من الواجب الذود عن لبنان في ايام الحرب ليس من اعدائه في الخارج فحسب بل ومن اعدائه في الداخل ايضاً.

وبالنظر لاندماج لبنان في منطقة الحرب وفي نظام الحلفاء الاقتصادي والمالي يقتضي ايضاً ان يقوم اوثق تعاون ممكن بين الحكومة اللبنانية والحلفاء لتؤمن في اثناء الحرب، وفي سبيل المصلحة المشتركة، موجبات واحترام جميع التدابير المتخذة لتسيير الحرب الاقتصادية في طريق النجاح.

وبلوغاً لهذه الغاية يُعطى في مدة الحرب اكثر ما يمكن من التسهيلات لتأمين حرية التبادل على اكبر قدر ممكن بين لبنان والبلدان الداخلة في الكتلة الاسترلينية. ولبنان الذي دخل الآن في هذه الكتلة سيتخذ في الحقل الاقتصادي والمالي، وعلى الاخص فيما يتعلق بالقطع (الكمبيو)، التدابير اللازمة ليبقى منسجماً مع سياسة الكتلة الاسترلينية العامة.

ان الاحكام الواردة اعلاه توفق بين احترام استقلال لبنان وسيادته ومهمة فرنسة التاريخية ومقتضيات حالة الحرب. وهي مستوحاة من فكرة ربح الحرب وتأمين مستقبل حرّ للشعب اللبناني عن هذه الطريق. وهي تحلّ المشاكل الفرنسية اللبنانية حلّاً منبثقاً عن عزم فرنسة على عدم تأخير تحقيق اماني لبنان القومية وتنفيذ وعود فرنسة، وذلك بالرغم من الحرب. على انه من الضروري ان يقوم

مقام هذا الحلّ باسرع ما يمكن حلّ نهائي على شكل المعاهدة الفرنسية - اللبنانية التي تكرّس استقلال لبنان وتثبته نهائياً.

وليحيَ لبنان الكبير !

وليحيَ بريطانية العظمى !

وليحيَ فرنسة الحرّة !

خطاب الرئيس النقاش

فاجاب الرئيس بخطاب قوطع بالتصفيق

يا صاحب الفخامة

في الوقت الذي تعلنون فيه استقلال لبنان وتعهدون اليّ بشرف وعب. تنظيم الدولة الجديدة ، ارى ان واجبي الاول هو ان اعرب لكم عن امتنان البلاد باسرها لشخصكم ، وعن الآمال التي تعلقها على فرنسة وحلفائها.

لقد شئتم يا صاحب الفخامة وانتم تعبرون عن فكر فرنسة الحرّ السخي وعن عدالتها — وشاءت في الوقت نفسه حليفتكم النبيلة بريطانية العظمى — ان تكون باكورة اعمالكم عملاً تحريرياً وان يكون لهذا التحرير ، طابع راهن فوري بالرغم من النظام الشاذ الذي تفرضه الحرب والذي نفهم ضروراته.

وريثما تمكن الظروف من عقد معاهدة تتحد فيها نهائياً العلائق بين فرنسة ولبنان ، ومن انتقال مجموع صلاحيات السيادة ومميزاتها ، اردتم منذ اليوم ان تعطوا اللبنانيين الدلائل الاولى الملموسة لهذه السيادة ، اعني التمثيل الخارجي وانشاء قوة عسكرية وطنية.

وهذا العمل الذي سيكتمل بالمعاهدة المقبلة مع ما يتفرّع عنه من النتائج سيتضمن تحقيق عهود فرنسة ومهمتها في بلاد الشرق. وذلك نتيجة تقاليد عظيمة لا يحدّها مكان او زمان ، وفيه تثبيت للروابط التي ربطت بلدينا على مرّ الاجيال . وتلك التقاليد المبنية على تبادل الاحترام والثقة والتي تنسجم تمام الانسجام مع احترام حقوق لبنان واستقلاله ، قد صرّح بها عالياً هنا الجنرال دي غول الذي نرجو ان تعربوا له عن صداقتنا وامتناننا.

يا صاحب الفخامة

اذا كنت اقبل اليوم المهمة السامية التي اتسلم مسؤوليتها من ثقتكم وثقة البلاد ، فلاني متأكد من ان الشرطين اللذين لا بدّ منهما لسلامة هذا الاستقلال سيتحققان حالاً .

لقد شئتم ان تؤكدوا لنا من جديد مؤازرة فرنسة اذ ضمنتم للبنان بقاء وحدته السياسية وسلامة اراضيه . وهكذا فان فرنسة وضعت اسس بقاء الوطن اللبناني واثبتت شرطه الاول .

اما الشرط الثاني للاستقلال فهو يتعلق بنا . وبهذه المناسبة اناشد حكمة بني قومي ووطنيتهم . فالاستقلال ، الذي لا كرامة بدونه ، يجب ان يكون مشيداً على اتحاد اللبنانيين . وعليه فالهدف الذي سأسعى دائماً اليه هو ادخال جميع العائلات الروحية التي يتألف منها الوطن اللبناني في المجموعة اللبنانية واني على ثقة بان الجميع قد فهموا ذلك وانهم جميعاً يشعرون اكثر فأكثر بضرورة الكف عن المنازعات الحزبية والخصومات المؤلمة العقيمة التي اخرت دخول البلاد في نظام الدول المستقلة استقلالاً حقيقياً .

ولذلك فسيكون اكبر همي بذل كل ما يمكن من الوسائل لانماء التطور الفكري العام على هذا النمط وتقوية فكرة الدولة .

والوسيلة الاولى لذلك هي التي ارتأيتموها فخامتكم في بيانكم الرسمي : اعني تأمين تمثيل المناطق والطوائف على قدر الامكان تمثيلاً يتوافر فيه اكثر ما يمكن من العدل واشراكها بالمسؤولية العامة وجعل مساهمتها في ادارة الدولة فعلية اكثر فاكثر ، وهكذا ، فاذا كان نظام الحرب لا يسمح لسير المؤسسات الطبيعي ان ينشئ تمثيلاً وطنياً ، فمن الممكن ان يُستعاض عنه بحكومة تجمع بين صفة التمثيل وسلطات التنفيذ ، على ان يتأمن فيها التوازن الاساسي بين الطوائف والمناطق طبقاً للامنية التي اعربتم عنها ومع اخذ حاجات الادارة الصحيحة بعين الاعتبار .

ومن جهة اخرى فالحرية الشخصية وحرية الضمير تكونان مضمونتين ومحميتين ونحن نؤكد ذلك علناً ومجدداً .

وعلى هذا الاساس وبفضل مؤازرة فرنسة ومساعدة الدول الحليفة والصديقة وعلى الاخص مساعدة بريطانية العظمى وتفهمها الحرّ لضروراتنا السياسية ، لي الامل الوثيق بان الدولة اللبنانية ستدخل في الاستقلال التام الحقيقي.

على ان مصيرها في الساعات العصيبة التي تجتازها البشرية ، يبقى مرتبطاً بمصير تحرير فرنسة والنصر النهائي ، وسيأتي يوم تزول فيه عن العالم شدائد الحرب فيتمكن لبنان بمساعدة حليفته الكبرى السخية من تحقيق مقدراته واتمام مهمته في شرق البحر المتوسط.

ولتحيَ فرنسة !

ولتحيَ بريطانية العظمى !

وليحيَ لبنان !

مطبوعات جديدة

CARBONE CESARE, Circulus philosophicus seu objectionum cumulata collectio iuxta methodum scholasticam. Vol. IV, Psychologia, vol. V, Theodocea. 2 v. in-8°, VIII+892 et VIII+663 pp. Turin, Marietti, 1938.

كتاب تعليمي في الفلسفة المدرسية

ينتهي بهذين المجلدين الرابع والخامس ، المختصين لعلم النفس والالهيات ، وبالمجلد السادس الذي قد يكون ظهر مختصاً بالاخلاقيات ، الكتاب التعليمي في الفلسفه المدرسية الذي طالما قدرته المعاهد الاكليريكيـة وعرفت مزاياه في تهذيب طلاب الكهنوت .

M. F. STEENBERHE, ENGERINGH, Mgr LE Dr HOOGVELD, Dr L. DUPRAZ, H. NAEGLEN, M. BAERS, R. P. PLUS, Y. DE ROBIEN, R. P. PILLOUD, La Femme Catholique dans le monde contemporain. vol. in-12. Plon, 1939.

المرأة الكاثوليكية في العالم العصري

غاية هـذا الكتاب ان يولي المرأة المسيحية التعليم الاساسي في ما خص طبيعتها ومهمتها في المجتمع العصري ، فيسهل عليها القيام بهذه المهمة وفقاً للدور الخاصّ الذي سنه لها الله ، مع العمل على تحقيق سعادتها الزمنية والابدية .

وسواء أكان دور المرأة المذكورة في الحياة الزوجية ام في العمل الكادح ، سواء أكان في الامومة ، ام في التربية ، ومهما كان مركزها في الحياة الاجتماعية وفي حياة الامة ، فان هـذه الابحاث تسنّ لها الطرق الواضحة وتعطيها الحلول الصريحة لمشاكل الحياة ، مستندة الى عقيدة الانجيل وتعاليم البرابات البابوية . فهي والحالة هذه ، خير دليل للمرأة المسيحية المهتمة بالقيام بدورها خير قيام .

Sancti Aurelii Augustini confessionum libri XIII cum notis P. H WANGNEREK, S.J. Edition Octova. In-16, Marietti, 1938

اعترافات القديس اغوسطينوس

هي طبعة جميلة المظهر ، رفيعة الورق ، سهلة المحمل ، لاثر القديس اغوسطينوس

الخالد . اما تعاليق الطبع فقليلة مختصرة موافقة رمى ما فيها خاصة الى اظهار ما يفيد الحياة الروحية ، والوعاظة .

PAUL HENRY, La vision d'Ostie, sa place dans la vie et l'œuvre de Saint Augustin. In-12, de 130 pp. Paris, Vrin, 1938.

رؤيا اوستية : دورها في حياة القديس اغوسطينوس وأثره

كتاب صغير الحجم ، كبير القيمة ، نذكره متأخرين ، وقد استقبلته بالترحاب فور ظهوره ، اوساط الفكر الديني والفلسفي .

كلّ من قرأ « الاعترافات » يذكر ذاك المشهد العجيب في اوستية الذي خلّده الفنّ التصويري ، بعد ان نشره القديس نفسه في مذكراته ؛ مشهد الام مونيكا في جذلها الدافق اذ ترى حلم حياتها يتحقق قبيل تركها هذه الفانية ، ومشهد الابن اغوسطينوس في فرح اهتدائه الى الايمان ودخوله بالمعمودية ، الى الكنيسة الكاثوليكية ، فاستعداده لتلك الحياة الطافحة بجلائل الآثار الفكرية والعملية ، كلاهما تجمعهما حالة وجدية وافرة النعم دقيقة الشعور ، عبّر عنها القديس بارفع واثمن ما يمكن من التعبير الايماني .

هذا المشهد الحاسم في حياة القديس اغوسطينوس ، هو ما حاول تفهمه الاب بول هنري ، مؤلف الكتاب ، فدفع في تحليله الدقيق حالة القديس ، الى ان يذكر ، بجنب النعمة الالهية التي كيّفت ورفعت جميع افكاره ، تلك الثقافة البشرية المتينة التي غُذي بها منذ صباه . وكان من الطبيعي ان يأتي المؤلف على ذكر افلاطين ، وقد عرفناه مؤرّخاً دقيقاً ومترجماً يقظاً للفيلسوف المذكور . فلا عجب ان يحمل تأملات اوستية تسير على طريقة افلوطينية . وليس من الغريب ان يكون سمبليانوس ، صديق اغوسطينوس ، قد تكلم بكثير من الاعجاب عن فيلسوف الافلاطونية المستحدثة، قبيل الحادث . وكما قُدّر للقديس توما الاكويني ان يكون ارسطاطاليسي الاسلوب في فلسفته المسيحية الشاملة ، كان للقديس اغوسطينوس ان يستفيد ، في تفكيره الايماني ، من اساليب الفلسفة القديمة التي تناول ارثها الثمين بطريق الافلوطينية .

هذا ، وعلى كثرة الكتب المؤلفة في حياة المعلم الشرقي الكبير ، واثره

الفلسفي اللاهوتي ، نرى لهذا الكتاب الصغير ما يجعل له المركز العالي بينها جميعاً

ب . م .

F. PALHORIES. L'Epanouissement de la Vie. 264 pp. Fernand Lanore, Paris.

ازدهار الحياة

مجموعة شائقة تجلو امامنا مظاهر ازدهار الحياة من الذرّة الى الفكر، مارّةً بعجائب المخلوقات جميعها في عالمَي النبات والحيوان . ولم يكن أجدر من المؤلّف ، مدير نشرة « كبار الفلاسفة » ، بان يلخّص في نحو ثلاثمائة صفحة ، احدث مكتشفات العلم في هذا الموضوع ، ويوقفنا على اتجاهها الرائع نحو قمم الانسانية والالوهية . والحقّ يُقال ان المؤلّف شعر بالنغم الجذّاب في تسارق مظاهر الحياة في العالم ، راقياً الى انشودة الروح ، وعرف ان يشعرنا بهذا النغم .

MAURICE ZUNDEL. Allusions. 100 pp. Edition du Lien, Le Caire, 1941.

تلميح

عنوان موافق لهذا الكتيّب الذي خصّه المؤلّف « بأزمة الحقيقة » التي نحياها في يومنا الحاضر . وقد أبان باسلوبه اللطيف الحازم ان اسباب الانهيار العالمي الذي نشهده يجب ان تُلتمس في تخلّي البشر عن الحقيقة المطلقة السامية . كلّ ذلك بانشاء رصين شعري جذّاب يقودنا تدريجياً ، شأنه في مؤلّفاته السابقة ، الى المعلّم الداخلي ذي الاشعاع المنير المحيي .

عظات

للخوري اسقف يوسف رحمه

٥٨ ص . متوسطة — مطبعة دار الخطيب ، بيروت ، ١٩٤٠

هي مجموعة اربع محاضرات دينية القاها المؤلّف من راديو الشرق ، بيروت ، في آحاد كانون الاول ١٩٣٩ ، فتناول فيها اثبات الوهية المسيح ، وشفاء المُقعد ، والكلمة ، ويسوع الطفل في مهده ، وضمنها الآراء السامية ، والارشادات البليغة ، والشروح النيّرة ، كل ذلك باسلوب لطيف ، ولغة سلسة .

نشوء اللغة العربية ونموّها واكتهالها

تأليف الاب انستاس ماريّ الكرملي

من اعضاء مجمع اللغة العربية الملكي

القاهرة ١٩٣٨

لا شيء يدل على غاية المؤلف من وضع هذا الكتاب احسن مما صدّر به مؤلّفه اذ يقول : هذا بحث لغوي ، جريتُ فيه على الاسلوب الحديث ، تمحيصاً للحقيقة ، ودفاعاً عن اللغة المضرية ، وايضاحاً لما فيها من دقائق الاوضاع ، وخفايا الاسرار ، وغوامض الحروف ، وخصائصها ، وبدائع الصيغ واوزانها ، وما فيها من مختلفات لُغى القبائل ، متوقعاً الباوغ به الى الحق ، غير مبتغٍ اجراً ولا شكوراً ؛ انما كل امنيتي خدمة العربية ، وحمل ابنائها على السير في مثل هذا النهج ، ليعلم غيرهم ان لسان العرب فوق كل لسان ؛ ولا تدانيها لسان اخرى من السنة العالم جمالاً ، ولا تركيباً ، ولا اصولاً ، ولا . . . ولا . . . ولا . . .

من هذا يتضح ان الكتاب اشادة بمحاسن اللغة العربية وفضلها . ولقد يمكن حضرة المؤلف علمهُ الكثير ووعيه الوافر من ان يغوص على درر الكلام وان يجول جولات واسعة في ميادين المعجمات فيستخرج منها الكثير مما لم يخطر على بال احد وجوده في طيّ امهات اللغة . لكنه يقصد ويتوخى ان تكون إشادته علمية مطابقة لعلم الالسني الحديث . فنراه يركّز بحثه في نقطتين يعيرهما الالسنيون اهمية خاصة ، ألا وهما : كيف نشأت اللغة العربية ، ثم ما هي علاقاتها بسائر اللغات اليافثية :

اما النقطة الاولى فان حضرة المؤلف يرى ان الاصل في اللغة العربية كان وضع مقاطع او هجاءات منفردة بسيطة يكفي النطق بها للدلالة على معناها ، لارتباط طبيعي بين رنة الصوت وبين المدلول عليه ثم يزيد حرف او حرفان على المقطع الاساسي وفقاً لتكاثر المعاني وتطورها . والبرهان على ذلك يطول سرده هنا . لكنا نكتفي بذكر مثل واحد : خذ مثلاً الافعال : ثرَم ، جرَم ، حرَم ،

خرَم ، شرَم ، صرَم ، عرَم ، غرَم ، ترى فيها حرف الراء يدل على الرَمّ . فهو المعنى الاساسي ، واذًا الوضع الاول لهذه الكلمات ، زيدت عليه حروف مختلفة الافادة مختلف المعاني الطارئة على المعنى الاساسي .

اما النقطة الثانية فالمؤلف يجزم ان بين العربية وبين اللغات اليافثية علاقة نسب . لكن هذا النسب محصور في حيّز معلوم . فانه بعد التنقيب والمقابلة وجد ان كل كلمة يونانية او لاتينية ذات مقطع او مقطعين لا شك ان لها مقابلًا في لغة مُضَر ؛ ويؤكد انه ما توصّل الى هذه النتيجة الا بعد ان قلّب معاجم هاتين اللغتين وعارض مفرداتها بمفردات العربية فتمكن من جمع قاموسين احدهما يوناني عربي والثاني لاتيني عربي يؤيدان هذه القضية . ولقد سرد في كتابه هذا بعض الامثال اثباتاً لهذه الفكرة الجريئة منها ما يظهر معقولًا مقبولًا كـ : « الزرع = Serere وثم = Tum » ومنها ما يظهر بعيدًا عن كل احتمال كـ : « مع = Cum وشرف = Super » . على كل حال فان الامثال قليلة وتتطلب قلباً وابدالًا وتحويرًا لتفيد الغاية المنشودة حتى ان اقل ما يقال فيها انها ستبدو للمتخصصين بدروس الالسنية مبنية على كثير من الخيال . فلا نرى ناصرًا لدعم قضية حضرة المؤلف افيد من نشر معجميه المذكورين ليبدد ظلام الشك من عقول قارئيه . نضيف انه حتى في حالة التثبت من النسب بين اللغات اليافثية والعربية ينبغي له ان يبين ان هذا النسب اصيل عريق وان هذه الكلمات ليست محض استعارات من اللغة المضرية للغات اليافثية على عهد النفوذ اليوناني الروماني . ويخشى ان يكون في الامر بعض العناء .

فهارس المشرق

للسنة التاسعة والثلاثين

١٩٤١

فهرس اوّل

لموادّ السنة التاسعة والثلاثين من مجلة المشرق

الجزء ١ (كانون الثاني-اذار) : فُسَيفساء أنطاكية : تفاعل التأثير اليوناني والتأثير الشرقي في الفنّ السوري (مصوّرة) بقلم الاب رينه موترد اليسوعي (١-٢١) – رسالة لبنان (عن الجبل الملهم) ، بقلم سعيد عقل (٢١-٣٥) – المساجد والمشاعر في العصر الجاهلي : ١ من آثار الاب لامنس (٣٥-٣٥) – ذكرى النفي الى مالطة (١٨٤٠-١٩٤٠) ، بقلم نجيب الدحداح (٣٥-٥١) – المستشرقون الراحلون : (مصوّرة) داود صموئيل مرغوليوث (١٨٥٨-١٩٤٠) *** (٥١-٥٩) – دار الآثار اللبنانية في بيروت : ١ (مصوّرة) ، بقلم الامير موريس شهاب (٥٩-٧٥) – الإنشاد ، او الفنّ الاصيل في الادب الجاهليّ : ١ بقلم فؤاد افرام البستاني (٧٥-٨٨) – معهد الآداب الشرقية : الثلث الأول من السنة الدراسية (١٩٤٠-١٩٤١) (٨٨-٩٢) – مطبوعات جديدة (٩٢-١١٢)

الجزء ٢ (نيسان-حزيران) : هنري برغسون ، بقلم شارل مالك (١١٣-١٢٠) – القضية الاجتماعية والتقدم الصناعي ، بقلم الخوري يوسف الجميّل (١٢٠-١٤٠) – دار الآثار اللبنانية في بيروت : ٢ (مصوّرة) بقلم الأمير موريس شهاب (١٤٠-١٥٩) – ابعاد مشرقية ، بقلم سعيد عقل (١٥٩-١٦٤) – اولياء حلب في منظومة الشيخ وفاء : ترجمة المؤلف ، بقلم الاب توتل اليسوعي (١٦٤-١٨٥) – الإنشاد ، او الفنّ الاصيل في الادب الجاهليّ : ٢ بقلم فؤاد افرام البستاني (١٨٥-٢٠٨) – مطبوعات جديدة (٢٠٩-٢٢١)

الجزء ٣ (تموز – ايلول) : الارض والأعمال الزراعية في لبنان وسورية على العهد اليوناني - الروماني (مصوّرة) بقلم الاب رينه موترد (٢٢٥–٢٤٥) – المساجد والمشاعر في العصر الجاهلي : ٢ من آثار الاب لامنس (٢٤٥–٢٦٣) – المدرسة والتربية الوطنية (موضوع الاسبوع الاجتماعي) : (٢٦٣–٢٦٥) – التعليم الابتدائي في لبنان كما يريد ان يكون ، بقلم سامي الشماس (٢٦٥–٢٨٠) – التعليم الابتدائي في لبنان كما هو ، بقلم شكري القرداحي (٢٨٠–٢٩٦) – المعلّمون ، وكتب التعليم ، والمناهج ، بقلم فؤاد افرام البستاني (٢٩٦–٣٠٩) – مظاهر الثقافة الفنّية في لبنان (مصوّرة) * * * (٣٠٩–٣٢١) – معهد الآداب الشرقية (٣٢١–٣٢٥) – بعض المخطوطات العربية التي دخلت المكتبة الشرقية (٣٢٥–٣٢٩) – مطبوعات جديدة (٣٢٩–٣٣٦)

الجزء ٤ (تشرين الاول – كانون الاول) : المحبة وتأثيرها في الحقوق ، بقلم شكري القرداحي (٣٣٧–٣٥٥) – السريان والملكيون ، بقلم الاب اسحق ارملة (٣٥٥–٣٨٨) – المساجد والمشاعر في العصر الجاهلي : ٣ من آثار الاب لامنس (٣٨٣–٣٩٨) – تأملات ، بقلم ادوار مرقص (٣٩٩–٤٠٢) – اعلان الاستقلال في سورية ولبنان (٤٠٣–٤٢١) – مطبوعات جديدة (٤٢١–٤٢٦) – فهارس المشرق للسنة ١٩٤١ (٤٢٦–٤٣٢)

فهرس ثانٍ

يحتوي اسماء كتبة المشرق ومقالاتهم

ارملة (الخوري اسحق) : السريان والملكيّون ٢٥٥–٢٨٢

أمبوبا (عادل) : له وصف مطبوعة ٢٢١

البستاني (فؤاد افرام) : الإنشاد او الفنّ الأصيل في الادب الجاهلي ٧٥–٨٧ ؛ ١٨٥–٢٠٧ – المعلّمون ، وكتب التعليم ، والمناهج : التعليم الابتدائي كما هو ٢٩٦–٣٠٨

ترتل (الاب فرديناند اليسوعي) : الشيخ محمد ابو الوفاء الرفاعي ١٦٤–١٨٤ – بعض المخطوطات العربية التي دخلت المكتبة الشرقية ٢٢٥–٢٢٨

الدحداح (نجيب) : ذكرى النفي الى مالطة ١٨٤٠–١٩٤٠ ٣٥–٥٠ – وله وصف مطبوعات ٢٠٨–٢١٢

الجميّل (الخوري يوسف) : النهضة الاجتماعية والتقدّم الصناعي ١٢٠–١٣٩

حنين (جوزف) : مظاهر الثقافة الفنية في لبنان : التصوير ٢٠٩–٢١٦

شدياق (الاب روبر اليسوعي) : الاستشراق في بلاد الانكليز : داود صموئيل مرغوليوث ٥١–٥٧ – وله وصف مطبوعات ١٠٢ ، ٢١٤–٢٢١ ، ٢٢٣–٢٢٤

الشمّاس (سامي) : التعليم الابتدائي في لبنان كما يريد ان يكون ٢٦٥–٢٧٩

شهاب (الامير موريس) : دار الآثار اللبنانية في بيروت ٥٩–٧٤ ؛ ١٤٠–١٥٨

صبرا (وديع) : مظاهر الثقافة الفنية في لبنان : الموسيقى ٢١٧–٢٢٠

عزيز (جان) : له وصف مطبوعات ١٠٥

عضم (الاب يوسف اليسوعي) : له وصف مطبوعات ٢١٢ ، ٢٢٢–٢٢٦

عقل (سعيد) : رسالة لبنان ، عن «الجيل المهيب» ٢١–٢٤ – أبعاد مشرقية ١٥٩–١٦٢

عون (مبارك) : له وصف مطبوعة ٢٢٩–٢٣٢

القرداحي (شكري) : التعليم الابتدائي في لبنان كما هو ٢٨٠–٢٩٥ – المحبة وتأثيرها في الحقوق ٢٢٧–٢٥٤

مالك (الدكتور شارل) : هنري برغسون ١١٢–١١٩

مرقص (ادوار) : تأملات ٢٩٩–٤٠٢

موترد (الاب بولس اليسوعي) : له وصف مطبوعات ١٠١–١٠٢ ، ١٠٥

موترد (الاب رينه اليسوعي) : فسيفساء انطاكية : تفاعُل التأثير اليوناني والتأثير الشرقي في الفن السوري ١–٢٠ – الارض والاعمال الزراعية في لبنان وسورية على العهد اليوناني ـ الروماني ٢٢٥–٢٤٤

لامنس († الاب هنري اليسوعي) : المساجد والمشاعر في العصر الجاهلي ٢٥–٢٤ ؛ ٢٤٥–٢٦٢ ؛ ٢٨٣–٢٩٨

فهرس ثالث

للمطبوعات التي ورد وصفها في السنة التاسعة والثلاثين للمشرق

على ترتيب اسماء مؤلفيها

١ — المطبوعات العربية والسريانية الخ.

ا

ابو الخير (احمد فهمي) : الفيزيقا الحديثة ، حاضرها ومستقبلها ٢٢١

ح

حمزه (عبد القادر) : على هامش التاريخ المصري القديم ٢١٤

رحمه (الخوري اسقف يوسف) : عظات ٤٢٢

ز

زريق (قسطنطين) : الوعي القومي ٢١٠

س

سعيد (حبيب) : اطلب موريسون (فرانك)

ع

عريضه (البطريرك انطون) : مقالات ٢٢٢

ف

فارس (بشر) : مفرق الطريق ١٠٥ — مباحث عربية ٢١٢

ك

كراوس (پ.) : دراسات في تاريخ الترجمة في الاسلام ٢١٧

كرم (يوسف) : تاريخ الفلسفة اليونانية ٢٢٢

الكرملي (الاب انستاس) : نشوء الامة العربية وغوها واكتمالها ٤٢٤

كلية العلوم المصرية : سلسلة احاديث عن العلوم المبسطة : ١ ٢٢٥

ل

ليفونيان (لطفي) : رسائل الاخلاق الدينية ١٠٦

م

موريسون (ستانلي) : الحرية ٢٢٢

موريسون (فرانك) : من دحرج الحجر ؟ (تعريب حبيب سعيد) ١٠٦

٢ — المطبوعات الاوروبية

Amondru (Bernard). Ignace de Loyola, maître d'hérmisme. (101)

Aragonnès (Claude). Madame Louis XIV, Françoise d'Aubigné, Marquise de Maintenon. (101)

Aycout (Henri Habib), S. J., Mœurs et coutumes des Fellahs. (329)

Barlos (A.). Avenir de l'Afrique du Nord. (105).

Barrera (Emilio de la). Los Equinos Anquonidos y estadistica Ganadera de la Provincia de Chumbilicas. (104).

Belperron (Pierre), Neville Chamberlain. (102)

Bustani (Alfredo). El Viaje del Visir para la Liberacion de los cautivos, par el Vizir el Gassani el Andalusi. (104)

Carbone (Cesare), Circulus philosophicus seu objectionum cumulata collectio iuxta methodum scholasticam. v. IV et V. (421)

Discursos pronunciados por el alto comisario de España en Marruecos Coronel Beigbeder y por el eminente Filosofo Libanes Prof. Amin er-Rihani. (218)

Eddé (Jacques), Géographie Liban-Syrie. (208)

Femme Catholique dans le monde contemporain (La). (421)

Henry (Paul), La Vision d'Ostie, sa place dans la Vie et l'Œuvre de Saint Augustin. (422)
Herriot (Edouard), Sanctuaires. (218)

Le Couturier (Ernestine), Ce que dirait Saint François de Sales aux jeunes filles d'aujourd'hui. (102)
Leroquais (Chanoine V.), Un livre d'heures de Jean Sans-Peur, Duc de Bourgogne (1404-1419). (103)
Leyder Leon, Le Roi Albert. (102)

Marteau de Longle de Cary (Mme), Les Saints du Calendrier. (224)
Millot (Mgr). Monseigneur Gibier, précurseur de l'Action Catholique. (101).
Missionnaires au Travail (Les). (224)
Moraux (Abbé Thomas). Mon curé chez les savants. (103)

Pathories (F.). L'Epanouissement de la Vie. (421)

S. D. N., Annuaire statistique de la Société des Nations. 1939-1940. (97)
— Le commerce international de certaines matières premières et denrées alimentaires par pays d'origine et de consommation. (93)
— L'Habitation urbaine et rurale. (96)
— Matières premières et denrées alimentaires. (95)
— Monnaies et Banques, 1939-1940. vol. I. Aperçu de la situation monétaire. (99).

Terre Sainte et les Franciscains (La). (220)
Toth (Mgr Tibamer), Mariage et Famille. (223).

Wanguerek (P. H.). S. J., Sancti Aurelii Augustini confessionum libri XIII. (421)

Zundel (Maurice). Allusions. (423)

فهرس رابع

لجميع مواد السنة التاسعة والثلاثين من المشرق

ا

الآثار اللبنانية : دارها في بيروت ٥١ – ٧٤ ؛ ١٤٠ – ١٥٨

الآداب الشرقية : معهدها ٨٨ – ٩٢ ، ٢٢٢ – ٢٢٤

أبعاد ١٦١

أبعاد مشرقية ١٥٩ – ١٦٢

الاجتماعية (القضية) والتقدم الصناعي ١٢٠ – ١٣١

الادب الجاهلي : الفنّ الأصيل فيه ٧٥ – ٨٧ ، ١٨٥ – ٢٠٧

الارض والاعمال الزراعية في لبنان وسورية على العهد اليوناني–الروماني ٢٣٥–٢٤٤

الاسبوع الاجتماعي الثاني في بيروت ٢٦٣ – ٣٠٨

الاستشراق في بلاد الانكليز ٥١ – ٥٧

الاعمال الزراعية والارض في لبنان وسورية على العهد اليوناني–الروماني ٢٣٥ – ٢٤٤

أنا الشرق ١٥٩

الإنشاد او الفنّ الأصيل في الادب الجاهلي ٧٥ – ٨٧ ، ١٨٥ – ٢٠٧

أنطاكية : الفيفاء المكتشفة فيها ١ – ٢٠

الانكليز : الاستشراق في بلادهم ٥١ – ٥٧

ب

برغصون (هنري) ١١٢ – ١١٩

بعض المخطوطات العربية التي دخلت المكتبة الشرقية ٢٢٥ – ٢٢٨

بيروت : دار الآثار اللبنانية فيها ٥١ – ٧٤ ، ١٤٠ – ١٥٨ – الاسبوع الاجتماعي الثاني فيها ٢٦٣ – ٣٠٨

ت

تأثير المحبة في الحقوق ٢٣٧ – ٢٥٤

تأملات ٣٩٩–٤٠٣

التربية الوطنية والمدرسة ٢٦٣ – ٣٠٨

التصوير ٣٠٩ – ٣١٦

التعليم الابتدائي في لبنان كما هو ٢٨٠ – ٢٩٥

التعليم الابتدائي في لبنان كما يريد ان يكون ٢٦٥ – ٢٧٩

التقدم الصناعي والقضية الاجتماعية ١٢٠–١٣١

ث

الثقافة الفنية : مظاهرها في لبنان ٣٠٩–٣٢١

ج

الجاهلية : المساجد والمشاعر فيها ٢٥ – ٣٤ ، ٢٤٥ – ٢٦٣ ؛ ٢٨٣ – ٢٩٨ – الفنّ الاصيل في ادبها ، او الانشاد ٧٥ – ٨٧ ؛ ١٨٥–٢٠٧

ح

الحقوق : تأثير المحبة فيها ٢٣٧ – ٢٥٤

د

دار الآثار اللبنانية في بيروت ٥١ – ٧٤ ؛ ١٤٠ – ١٥٨

ذ

ذكرى النفي الى مالطة ٢٥ – ٥٠

ر

الراديو ٣٢١

رجوع البحارة ١٦٢
رسالة لبنان ٣١ – ٣٤
الرفاعي (الشيخ محمد ابو الوفاء) ١٦٤ – ١٨٤

ز

الزراعة والارض في لبنان وسورية على العهد اليوناني – الروماني ٢٢٥ – ٢٤٤

س

السريان والملكيون ٢٥٥ – ٢٨٢
السوري (الفن) : تفاعل التأثير اليوناني والتأثير الشرقي فيه ١ – ٢٠
سورية : الارض والاعمال الزراعية فيها على العهد اليوناني–الروماني ٢٢٥–٢٤٤ – اعلان الاستقلال فيها ٤٠٣

ش

شهاب : الامير بشير الكبير : ذكرى نفيه الى مالطة ٢٥ – ٥٠

ص

الصناعي (التقدم) والقضية الاجتماعية ١٢٠ – ١٣٩

ف

فيفاء انطاكية : تفاعل التأثير اليوناني والتأثير الشرقي في الفن السوري ١ – ٢٠
الفن الأصيل في الادب الجاهلي او الانشاد ٧٥ – ٨٧ ، ١٨٥ – ٢٠٧
الفن السوري وفيفاء انطاكية ١ – ٢٠
الفنية (الثقافة) : مظاهرها في لبنان ٢٠٩ – ٢٢١

ق

القضية الاجتماعية والتقدم الصناعي ١٢٠–١٣٩

ك

كتب التعليم والمناهج والمعلمون ٢٩٦–٣٠٨

ل

لبنان : رسالته ٣١ – ٣٤ – دار آثاره في بيروت ٥٩ – ٧٤ ؛ ١٤٠ – ١٥٨ – الارض والاعمال الزراعية فيه على العهد اليوناني – الروماني ٢٢٥ – ٢٤٤ – التعليم الابتدائي فيه كما يريد ان يكون ٢٦٥ – ٢٧٩ – التعليم الابتدائي فيه كما هو ٢٨٠ – ٢٩٥ – مظاهر الثقافة الفنية فيه ٢٠٩ – ٢٢١ – اعلان الاستقلال فيه ٤٠٣

م

مالطة : ذكرى نفي الامير بشير اليها ٢٥–٥٠
المحبة وتأثيرها في الحقوق ٢٢٧ – ٢٥٤
مخطوطات عربية دخلت المكتبة الشرقية ٢٢٥ – ٢٢٨
المدرسة والتربية الوطنية ٢٦٢ – ٣٠٨
مرغليوت (داود صموئيل) ٥٤ – ٥٧
المساجد والمشاعر في العصر الجاهلي ٣٥–٣٤ ٢٤٥ – ٢٦٢ ؛ ٢٨٢–٢٩٨
المستشرقون الراحلون ٥١ – ٥٧
مظاهر الثقافة الفنية في لبنان ٢٠٩ – ٢٢١
المعلمون وكتب التعليم والمناهج ٢٩٦–٣٠٨
معهد الآداب الشرقية ٨٨–٩٢ ؛ ٢٢٢–٢٢٤
الملكيون والسريان ٢٥٥ – ٢٨٢
المناهج والمعلمون وكتب التعليم ٢٩٦-٣٠٨
الموسيقى ٢١٧ – ٢٢٠

ن

النفي الى مالطة : ذكراه ٢٥ – ٥٠

هـ

هتيهة ١٦١

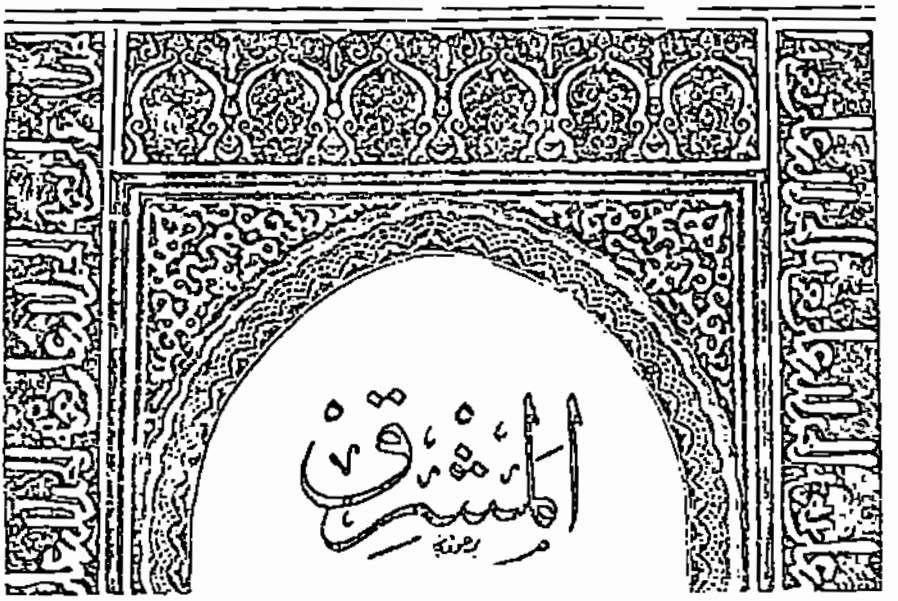

السنة الاربعون السنة ١٩٤٢

لبنان

في عهد المماليك*

بقلم المحامي ابرهيم عوّاد ، دكتور في الحقوق

المماليك قوم من الارقاء البيض منشأ البعض منهم ، المعروفون بالمماليك الاتراك ، في قفجاق من شمالي آسية من البلاد القزوينية والقوقاسية ، تشتتت قبائلهم على اثر غزو المغول لبلادهم. فاغتنم تجار الرقيق الفرصة واشتروا من اولاد اولئك التائهين اجملهم صورةً ، واقواهم بنيةً ، وانورهم عقلًا ، وباعوهم من امراء سورية وملوكها الايوبيين . فالملك الصالح الايوبي ابتاع منهم نحو الألف ، وجعل منهم رؤساء دولته وحرسه الخاص ، ورجال بطانته ، ودعاهم بالحلقة ، لأنه كان لا يعرح

*) محاضرة أُلقيت في نادي الشبيبة الكاثوليكية في بيروت .

محاطاً بهم . فتمكنوا بمدة قليلة ، بما كانوا عليه من المواهب الطبيعية ، من حصر مصالح الدولة الهامة في ايديهم ، ومن الاستيلاء على حصون البلاد المصرية المنيعة ، فابتنوا بامر الملك الصالح الايوبي في جزيرة الروضة ، في النيل ، قصوراً عظيمة منيعة ، فسموا بالمماليك البحريين . وعندما اشتدت سطوتهم ، استولوا على السلطنة ، وقتلوا سلطانهم المعظم ابن سلطانهم الصالح الايوبي ، وحكموا مصر وسورية من سنة ١٢٥٠ الى سنة ١٣٨٢ مسيحية .

اما منشأ القسم الآخر من المماليك فهو في نواحي بحر قزبين ايضاً ، في بلاد شركاسية ، ويعرفون بالمماليك الشراكسة . وقد اقتنى سلاطين المماليك البحرية عدداً وافراً منهم وجعلوا سكناهم في الابراج ، فلقبوا بالبرجيين . ثم ازدادوا عدداً وقوة الى ان تمكنوا من نزع الملك من السلاطين البحريين ، وجعلوا سلطاناً عليهم المملوك برقوق ، ولقبوه بالملك الظاهر . وهو اول سلطان من المماليك الشراكسة ، ومؤسس دولة المماليك الثانية التي تولت السلطنة في مصر وسورية من سنة ١٣٨٢ الى سنة ١٥١٦ مسيحية . حيث انتصرت الجيوش العثمانية ، بقيادة السلطان سليم الاول ، على جيوش المماليك بقيادة السلطان قانصو الغوري بمرج دابق ، قرب حلب .[1]

❁

قسم المماليك سورية الى ستّ ممالك ، او نيابات : دمشق ، حلب ، حماه ، طرابلس ، صفد ، الكرك . وجعلوا على رأس كل مملكة او نيابة حاكماً أو نائباً .

وكان لبنان الشمالي وكسروان تابعين لنيابة طرابلس . والبقاع ، وبعلبك ، والشوف ، والغرب ، وبيروت ، وصيدا كانت تابعة لنيابة دمشق . اما لبنان الجنوبي وصور فكانا تابعين لنيابة صفد[2] .

---

١) جرجي زيدان : تاريخ مصر الحديث ، مصر ، ١٨٨٩ ، الجزء الثاني ، ص ٢ و ٤ و ٤٢ و ٤٣

٢) Gaudefroy-Demombynes, *La Syrie à l'époque des Mamlouks*. Paris, Paul Geuthner, 1923

ان لبنان في عهد المماليك لم يكن ، كما هو الآن ، ذا حدود ثابتة ومعينة بدقة . ولكنه كان يتألف من مجموع اقطاعات على رأس كل منها امير ، او مقدّم لبناني ، يتولى الحكم فيها منذ زمن بعيد ، من ايام السلاطين الايوبيين والصليبيين ومن قبلهم ؛ فثبّتهم في حكمهم واقطاعاتهم السلاطين المماليك الذين حلوا محل الايوبيين والصليبيين في مصر وسورية .

وهكذا كانت أزمّة الاحكام والادارة الداخلية في لبنان ، في عهد المماليك ، اي خلال القسم الثاني من القرن الثالث عشر وطيلة القرنين الرابع عشر والخامس عشر ، محصورة في ايدي اللبنانيين ، كما كانت في ايديهم على ايام الايوبيين والصليبيين . فالقضاء ، والمالية ، والشرطة ، والمحافظة على الأمن ، والجيش اللبناني ، كان مرجعها الوحيد السلطات اللبنانية وحدها .

ان عصر المماليك في لبنان يجب ان يقسم الى قسمين : القسم الاول يتناول الجزء الثاني من القرن الثالث عشر ، من سنة ١٢٥٠ الى سنة ١٣٠٥ ، سنة خراب المماليك لكسروان . والقسم الثاني يتناول القرنين الرابع عشر والخامس عشر بكاملهما الى سنة ١٥١٦ ، تاريخ انتصار العثمانيين على المماليك في مصر وسورية .

والقسم الاول اهم بكثير من القسم الثاني بالنسبة الى اللبنانيين ، لأن هذا العهد ما هو الا عهد مقاومة عنيفة ومسلحة ، وسلسلة حروب متواصلة دامية . زد على ذلك ان الصليبيين قد خسروا في هذا العهد بقية ممتلكاتهم في لبنان .

من هم سكان لبنان في الجزء الثاني من القرن الثالث عشر ؟ وما هي علاقاتهم بعضهم مع البعض ؟ وما هي اسلحتهم ؟ وما هو تنظيمهم الحربي بالنسبة الى اعدائهم المماليك ؟ واخيراً كيف تمكن المماليك من اخضاع المقاطعات اللبنانية الواحدة تلو الاخرى ومن تحطيم قلعتهم الاخيرة ، كسروان ، المعروفة بالعاصية او الخارجة ؟

هذه هي الاسئلة التي نسعى ان نجاوب عنها :

كان يقطن لبنان في هذا العهد اقليات لها ديانات مختلفة تعيش بالقرب بعضها

من البعض ، ذات وحدة اجتماعية واقتصادية وسياسية قد اقتسمت لبنان على الشكل الآتي :

في لبنان الشمالي ، وفي كسروان ، كان يسكن الموارنة . وكان يقيم بينهم اقليات من الملكيين واليعاقبة ؛ وكان لكل قرية كبيرة رئيس يُدعى المقدَّم. ولكل مقدَّم في قريته حصن او حصون عديدة او على الاقل برج. فكان يرتفع وقتئذٍ في جبلنا حصون وابراج وتحصينات قويـة تقف في وجه الفاتحين عقبة كؤودًا .

ان الأسقف الماروني جبرائيل ابن القلاعي اللحفدي نظم ، في القرن الخامس عشر ، زجلية عامية لتخليد ذكرى المقدمين بقيت زمناً طويلًا مخطوطة تلاعبت بها ايدي النساخ الى ان نشرها بالطبع المؤرخ البحاثة الخوري بولس قرألي، في مجلته البطريركية في السنة ١٩٣٥ . ولقد جاء بالزجلية المذكورة انه عند اوائل هذا العهد اجتمع الاساقفة الموارنة من الدريب الى بلاد الشوف في جبيل تحت رئاسة البطريرك ، وكان عددهم اربعين اسقفاً ، وانتخبوا سمعان مقدم بكفيا - بسكنتا ملكاً على كسروان المعروفة بالعاصية او الخارجة .

كان الموارنة يملكون في جنوبي كسروان قلعتين شهيرتين : الحاجزية في انطلياس ، والعالية في بحرصاف عند مدخل بكفيا حيث ترتفع الان قبة قبور الامراء بللمع . ولقد اخبرتنا التواريخ والتقاليد عن علاقات ودية كانت بين الامير سمعان هذا والقديس لويس ملك فرنسة .

في الجرد ، اي في جرد كسروان ، والجبال العالية الكائنة شرقي بيروت ، حول جبل صنين وجبل الكنيسة ، كانت تقطن طائفة قوية من الدروز بين اقليات من المتاولة والنصيريين والنصارى ، وكان زعماء هذه الطائفة الدرزية يقيمون في كفرسلوان وحمانا . ونرى ان المؤرخين الموارنة في القرن الرابع عشر يطلقون على زعماء كفرسلوان والجرد لقب المقدمين بللمع.[1] اما المؤرخون الدروز

---

١) الخوري بولس قرألي : حروب المقدمين ؛ المجلة البطريركية سنة ١٩٣٥ ، ص ٨٥ و٨٦

والمسلمون في القرن الرابع عشر والخامس عشر فيسمونهم بامراء الجبال[1]، وكثيراً ما تسأل الكتبة في عصرنا الحاضر، فيما اذا كان البلمعيون امراء او مقدمين، فنجيبهم على ذلك انهم كانوا بالوقت نفسه امراء ومقدمين. لان كلمة امير كانت تطلق عندئذ على كل من كان صاحب امر، فكانت لقب اصحاب الوظائف الكبيرة في الجيش او في الادارة. كذلك كلمة مقدم كانت تطلق على كل رئيس في قومه او في وظيفته. فكان يقال امير الجيش، وامير البحر، وامير المركب، وامير المقاطعة، كما كان يقال مقدم الجيش، ومقدم المركب، ومقدم المقاطعة. فاذا كان من فرق بين الكلمتين فهو من جهة المصدر لا من جهة المعنى فيظهر ان مصدر كلمة مقدم هي اللغة الفنيقية لاستعمالها قديماً عند الفنيقيين ومنها كلمة قدموس الشهير، ولشيوعها في لبنان وبلاد العلويين وارثي فنيقية. اما كلمة امير فمصدرها الجزيرة العربية. ان مؤرخي النصارى اللبنانيين اطلقوا على البلمعيين لقب مقدمين لأن البلمعيين كانوا، في القرن الثالث عشر، مقدمي الجرد والشحار والبقاع. اما المؤرخون العرب من مسلمين ودروز فاطلقوا عليهم لقب امراء الجبال لأنهم كانوا حكام تلك الجبال. واليكم دليلاً على ذلك ما جاء في تاريخ بيروت لصالح بن يحيى اذ يذكر طوراً كلمة امير وطوراً كلمة مقدم للدلالة على شيء واحد. فيقول: امير الامراء، والمقدم على الامراء، وامير الالف، والمقدم على الالف، واحياناً يذكر الكلمتين معاً مثلا قوله: «وكان معتاد اميراً ومقدماً على الاشراف...» واذا صحّ ما جاء في تاريخ الاعيان لطنوس الشدياق من ان الامير حيدر الشهابي أمر البلمعيين بعد معركة عين داره بان تزوّج منهم وزوّجهم، فان البلمعيين قد زوجوا بالقرن الثالث عشر اعظم امير تنوخي، سعد الدين خضر، ثم صاهر البلمعيون في القرن السادس عشر فخر الدين المعني الكبير، وتزوجت بنتا الامير ملحم ممن ابن اخ الامير فخر الدين الكبير من ولدي المقدم علم الدين بلمع. ولدينا وثائق خطية وكتابات حجرية ترجع الى

---

(١) صالح بن يحيى (طبعة ثانية) المطبعة الكاثوليكية، سنة ١٩٢٧، ص ٧٧. والامير حيدر شهاب: كتاب الغرر الحسان: الجزء الاول، مطبعة السلام بمصر سنة ١٩٠٠، ص ٤١٠

قبل سنة ١٧١١ ، تاريخ موقعة عين داره ، تثبت انه كان يُطلق على آل بللمع لقب امراء كما كان يُطلق عليهم لقب مقدمين .

اما زعماء حمانا فهم المقدمون آل مزهر . وان هذه العائلة النبيلة حافظت وحدها في لبنان الى الان ، منذ القرن الثالث عشر ، على منازل جدودها وعلى لقب مقدم الذي يحمله كل فرد من افرادها . وان الكتابة التي وجدت على قبر المقدم صارم الدين مزهر في حمانا تدل على ان هذه العائلة كانت في مقدمة الاسر الجردية في القرن الثالث عشر . ولعلها فرع من اسرة بللمع . وهم ولا شك من سلالة امراء الجبال المشهورين في القرنين الثاني عشر والثالث عشر في جرد كسروان .

ولنعد الى ذكر المناطق اللبنانية :

عين زحلتا كانت ملكاً لطائفة درزية شهيرة تعرف ببني الشويزاني او السويزاني او السوبجاني[1] ، اجداد المشايخ آل عبد الملك في بتاتر .[2]

في بعقلين وبلاد الشوف كان يقطن الدروز ، وعلى رأسهم الامراء المعنيون الذين كان بينهم وبين الامراء الشهابيين ، منذ ذلك الحين ، علاقات قرابة وصداقة متينة .

اما مقدم الشوف فكان في ذلك الوقت ، على قول صالح بن يحيى ، معضاد ابن عز الدين معضاد[3] .

في حاصبيا ووادي التيم مهد الدروز في لبنان ، كان يقطن الامراء الشهابيون .

وفي صور ولبنان الجنوبي كان يسكن المتاولة من بني عاملة .

الغرب ، او السفح الغربي من الجبال الكائنة بين بيروت وصيدا ، كان تحت سيطرة الامراء البحتريين من بني تنوخ المعروفين بامراء الغرب . وان هذه العائلة النبيلة الدرزية كانت في مقدمة العائلات اللبنانية طيلة عهد المماليك . وقد اتخذ هؤلاء الامراء عاصمة لاقطاعهم اولاً عبيه ، ثم بيروت . وكان بين عائلة

١) صالح بن يحيى ، ص ١٠٠ بالحاشية .
٢) لحد خاطر : تاريخ لبنان ، بيروت ، سنة ١٩١٤ ، ص ١٢٠
٣) صالح بن يحيى ، ص ٦٢ و١٧٣

بحتر ، صاحبة الغرب ، وعائلة بللع زعيمة الجرد ، وصاحبة كفرسلوان ، روابط صداقة وقرابة . فان الامير سعد الدين خضر (١٢٣٩-١٣١٣) كان متزوجاً بابنة من كفرسلوان لم يذكر صالح بن يحيى اسمها ولا اسم عائلتها فدعاها بالكفرسلوانية ؛ وذلك تكتماً منه ، لأن عائلة بللع كانت لم تزل في ذلك الحين من الاسر الجردية التي اشتهرت بعدائها للمماليك والامير سعد الدين خضر هو من اشهر امراء الغرب ، ولقد جاء في تاريخ صالح بن يحيى انه «كان رجلاً جليل القدر زائد الحشمة حسن الشكل غوى الخيول الملاح والصيد واول من لعب بالطيور الجوارح من البيت ، وان صاحب قبرص اهدى اليه طيوراً (وربما كان الذي اهداها له صاحب بيروت ، لأن ذلك اقرب الى العقل) وكان غلمانه من عبيد حبوش مشترى ماله يرسل معهم خيله يرعيهم في المتن وكفرسلوان وتملك بها مروج لمراعي خيله»[1] .

وكان يقطن في الغرب قبائل اخرى : آل تلحوق في راس بيروت ، وبنو ابي الجيش في عرامون .

وبنو تغلب كانوا مقيمين في مشغره ، اما نفوذهم فكان يمتد على قسم كبير من البقاع .

واما سهل البقاع فكان مشاعاً تتقاسمه بيوتات جبل لبنان الشهيرة .

وخلال الجزء الثاني من القرن الثالث عشر كان لم يزل الساحل وجميع المدن الساحلية في لبنان في قبضة الصليبيين . واسياد تلك المدن كانوا : في صور : جان دي منفورت . في بيروت : عائلة ابلين . في جبيل : في الثاني . في طرابلس : الامير بوهيموند السادس والامير بوهيمند السابع . وبين العائلات المعروفة في ذلك العهد اشتهرت عائلة فونتنال وبوي لوران ولارمينا[2] .

ان علاقات الاسياد الصليبيين اللبنانيين مع امراء الدروز والمسلمين والمقدمين الموارنة كانت ودية . فكان يتلقى امراء الغرب من اسياد بيروت الصليبيين

١) صالح بن يحيى ، ص ٦٠

٢) E. Rey, *Les Colonies Franques de Syrie aux XIIe et XIIIe siècle*. Paris, 1883, p. 32.

هدايا كالطيور الجوارح وبزاة الصيد ، وكان امراء الغرب يهدون السيدات الافرنجيات حرائر ثمينة واشغالاً من الخشب، وخواتم منقوشة ، ورسومات متقنة. وكانت في اغلب الاحيان من صنع الامراء انفسهم .

ومن الادلة على تلك العلاقات الحسنة ما ذكره صالح بن يحيى ، حفيد امراء الغرب وكاتب تاريخهم ، الذي عاش في القرن الخامس عشر ان رنو دي ساجت (صيدا) وهمفري دي منفورت البيروتي قد وهبا جدوده حق استغلال عدة من المزارع الساحلية. وقد اخبرنا صالح انه ، في سنة ١٢٦٧ ، وهب همفري دي منفورت الفرنجي ، صاحب بيروت ، الامير زين الدين علي ، بموجب كتاب منه ، شكارة العروسية « بشرط ان لا يبيعها ولا يهبها ومتى فعل ذلك رجع في هبته ومن شروطه مساعدته لصحوبيته وان لا يخلي في بلاده هارباً من بلد بيروت الّا ويرده صلحاً او بغيره وان لا يمكنه من الاقامة ازيد من ثمانية ايام ولا يمكن احداً من بلاده يفسد في بلد بيروت اعني الساحل لان بلد بيروت كان في تلك الوقت حياله للمسلمين والساحل للفرنج . »[1]

وفي فصلي الربيع والصيف، كانت ترسل الخيول الى خارج المدن والى الجرود لاجل المرعى . وكان يجتمع امراء لبنان ومقدموه من كل الطوائف مع المشايخ والصليبيين للمباراة في ركوب الخيل ، ولعب الجريد ، والمبارزة في حماسة فائقة. ولقد اخبرنا صالح عن الامير سعد الدين خضر انه كان يرسل خيله يربعها في المتن وكفرسلوان وكان يملك قرية مروج لمراعي خيله « وانه قد غوى الخيل الملاح » . فكان يجري في باحات المروج قبل نزول الخيل الى الساحل العاب في الجريد ومباراة بين خيالة الجرد وكسروان والبقاع والسواحل اللبنانية . ومما يجدر ذكره ان هذه العادات لم تزل متبعة الى اليوم ، فكل سنة في نهار عيد مار تقلا الواقع في ٢ ايلول، يجتمع في المروج قرب ضهور الشوير الخيالة من دروز ونصارى ومتاولة من جميع الانحاء المجاورة للاشتراك في العاب الجريد والمبارزات الرياضية.

---

١) صالح بن يحيى ، ص ٥٢ و٥٧ و٨٠

كانت حياة اللبنانيين في ذلك العهد ملأى بالحروب والقتال المتواصل ، لذلك كانوا يتمرنون جدياً على الرمي بالنشاب وعلى الالعاب الحربية.

فكان يحمل الامراء والمقدمون اللبنانيون السيف ذا النصل المستقيم ، والرمح ، والخنجر ، والقوس. ويحاربون على ظهور جيادهم . اما الفلاحون فكان سلاحهم القوس ، والدبوس ، والطبر التي اخذوها عن الصليبيين . وكانت الرجال في الغالب مدرعة .

ولقد صرّح المؤرخ الافرنسي راي ان اللبنانيين هم اشهر الرماة في ذلك العصر[1] . واعطانا صالح بن يحيى في تاريخه ادلة عديدة على براعة اللبنانيين في الرمي بالنشاب ، وعلى اعجاب المصريين والتتار بمهارتهم . فاللبنانيون كانوا يتباهون بجمال قسيهم وقوتها فكانت تزين جدران منازلهم ويتوارثونها ويتهادونها ويصطادون بها الطيور والحيوانات البرية ويحاربون بها دون سواها اغلب الاوقات. والبارع بالرمي كان محترماً ، مكرماً . وكانت صناعة القسي الممتازة محتكرة في لبنان فكان المصريون والسوريون يشترون القسي القوية الجيدة من بلادنا . ففي موقعة عين الجالوت ، الواقعة بين بيسان ونابلس من اعمال فلسطين ، التي انتصرت بها جيوش المماليك على التتار ، كان الامير زين الدين صالح التنوخي يحارب مع المماليك ، فتحصن شرذمة من التتار في ذروة الجبل ، فاخذ يرميهم زين الدين عن قوس قوية . فاعجب مماليك السلطان رميهُ وصاروا يقدمون له النشاب من تراكيشهم (جعبهم) . ولقد اخبرنا ايضاً صالح بن يحيى ان احدهم اخبر زين الدين علي انه رأى دباً « فتوجه زين الدين ليلاً الى المكان ولم يصحب احداً ومعه قوسه فأكمن في المكان الذي قيل له عنه . فلما جاز الاسد عليه علم انه مغرور بالقول الذي قيل له ورمى الاسد بسهم واحد متعمداً على بيت القلب فمات الاسد منه . » اما عز الدين جواد فكان يرمي عن قوس ازيد من قنطار بالدمشقي فلما توفي اخذها ابراهيم بن ناصر الدين الحسين ثم باعها لرجل يسمى الفقريس من قرية البرج ثم اخذها تنكز بغا نائب بعلبك الخ . . .[2] وقال

١) E. Rey, p. 33

٢) صالح بن يحيى ، ص : ٦٥ ، ٨٢ ، ١٥٢ ، ١٦٣ ، ١٧٤ و٢٠٥

الدومنيكي برشارد الذي زار الشرق في سنة ١٢٨٣ : « ان الموارنة وحدهم يمكنهم تجنيد اربعين الف مقاتل »[1] وكانوا يلقبون بالرماة او النبالة .

ولقد شهد مؤرخ الصليبيين غيليوم الصوري انهم، اي الموارنة، رجال شجعان اشداء في الحرب وقدموا الى رجالنا خدمات جلى في مواقعهم العديدة مع اعدائهم[2] .

كان لدى اللبنانيين في ارضهم المادتان اللازمتان لصنع الاسلحة في ذلك العصر : الخشب والحديد . على اننا ، من جهة اخرى ، نرى اخصامهم المماليك قد سبقوهم في الصناعات الحربية ، وكان لديهم آلات متقنة كالمنجنيق التي كانت ترمي الحجارة الضخمة لابعد من ثلاثمائة متر . وكان لدى المماليك ايضاً جيوش خاصة لنقب الجدران ، ولسف الابراج .

❁

ان لبنان كان بحاجة في ذلك العصر لزعيم قوي يجمع ، تحت سلطته ، رؤساء القرى والمقاطعات ، او لملك شرعي يجمع شتاتهم ويُوحد صفوفهم . فالامراء والمقدمون كانوا مستقلين بعضهم عن البعض . وكان يعيش كل منهم في قلعته لا يفكر الّا في الدفاع عن قريته . كذلك كانت المدن الفرنجية منقسمة بعضها على البعض تتنازعها الاحزاب السياسية والمطامع التجارية . فكان على كل امير ، وعلى كل مقدم ، وعلى كل مدينة من مدن الشاطىء ، ان تتلقى وحدها صدمة جيوش المماليك بكاملها، من دون اي مساعدة من جارتها الاقرب اليها . وعلى العكس من ذلك كان السلاطين المماليك يحكمون بلادهم حكماً دكتاتورياً، ويقبضون في يد واحدة على اعنة سلطنتهم الممتدة من رمال طرابلس الغرب الى ضفاف الفرات .

لقد حارب لبنان اولاً السلطان بيبرس الدموي الذي توصل للملك باشتراكه بقتل سلطانه المعظم الايوبي ، وبقتله صديقه السلطان المظفر

(١ Mgr. Dib, *l'Eglise Maronite*, t. I., p. 186

(٢ Mgr. Dib, p. 87.

سيف الدين قطوز . وهذا المملوك الذي تولى السلطنة وحكم مصر وسورية كان جندياً نابغة ، وسياسياً محنكاً ، وادارياً ماهراً . فهو الذي اوقف القديس لويس في المنصورة بمصر ، وانتصر على هولاكو الشهير في عين الجالوت قرب بيسان في بلاد الجليل ، وطرد المغول من سورية . وهو الذي توصل الى منع اتحاد اللبنانيين ، ومحاربة كل مقاطعة وكل مدينة لوحدها . فتحتم اذاً على اللبنانيين ان يخوضوا غمار حرب لا توازن فيها ضد اشهر السلاطين المماليك ، اي ضد الظاهر بيبرس (١٢٦٠–١٢٧٧) ، والمنصور قلاوون (١٢٧٩–١٢٩٠) ، والاشرف خليل (١٢٩٠–١٢٩٣) ، والناصر ابن قلاوون (١٢٩٩–١٣٠٨) .

وقد سعى السلطان بيبرس وتمكن من منع اتحاد الصليبيين بعضهم مع البعض ، او اتحادهم مع اللبنانيين ، لمقاتلة كل منهم على حدة . فعقد اولاً في سنة ١٢٧٢ مع عكا، اقوى المدن الساحلية الصليبية في ذلك العصر هدنة لعشر سنين وعشرة اشهر . وحتى يحول دون عقد معاهدة دفاعية بين امراء الغرب وامير طرابلس بوهيمند السادس الذي انتزع منه انطاكية ، عمد بيبرس في سنة ١٢٧٦ لسجن امراء الغرب بمصر ، وهم زين الدين ، وجمال الدين ، وسعد الدين بحتر[1] ولقد سعى الامير بدر الدين صديقهم ، ونائب بيبرس ، في الافراج عنهم فاجابه بيبرس «هؤلاء ما افرج عنهم ولا اذيهم حتى افتتح طرابلس وصيدا وبيروت .»[2]

فنُزِعَ عندئذٍ اقطاع كفرعمي من امراء بحتُر ، وأُعطي لاجنبي عن البلاد ، قطب الدين السعدي ، فقتله الامير نجم الدين ابن الامير جمال الدين المحبوس في مصر . فاتخذ المماليك هذه الجريمة حجة لدخول بلاد الغرب ونهبها ، فاخذوا الحريم وجُعلنَ جواري ، والاولاد وجُعلوا مماليك ، واخذت خيولهم واغنامهم وابقارهم وقماشهم ولقد قال صالح بن يحيى في ذكره هذه الواقعة : « وهذه الكائنة ما سمعنا انه جرى على الغرب كائنة انحس منها . »[3]

وبعد ان دمّر المماليك الغرب ، قرروا كسر شوكة مقدمي لبنان الشمالي ،

١) صالح بن يحيى ، ص ٧٠
٢) صالح بن يحيى ، ص ٧٠
٣) صالح بن يحيى ، ص ٧٤ في الحاشية و٧٥ و٧٦

اصدقاء الافرنج المخلصين ، الـذين اجبروا المماليك في سنة ١٢٦٤ على رفع الحصار عن طرابلس ، وهزموهم هزيمة شنعاء.[1] . فبعد انتصار السلطان قلاوون ، في سنة ١٢٨١ ، في سهول حمص ، على جيوش المغول ، ارسل مماليكه لحصار اهدن في شهر ايار سنة ١٢٨٣ . فحاصروها حصاراً شديداً . فقاومت بنجاح هجماتهم العنيفة مدة اربعين يوماً ، واخيراً اضطرت للتسليم . فنهبوها وهدموا القلعة التي في وسطها ، والحصن الذي على رأس الجبل . « ثم انتقلوا الى بقوفا ففتحوها في شهر تموز وقبضوا على اكابرها واحرقوهم في البيوت ودكوها الى الارض واسرفوا في النهب والسلب » . اما اهالي حصرون وكفرسارون فانهم عندما عجزوا عن المقاومـة ، هرب البعض منهم والبعض الآخر التجأ الى الكنيسة ، فذبحوا فيها.[2]

وفي ٢٢ آب سنة ١٢٨٣ ، هاجموا الحدث فهرب اهلها الى العاصي ، قرب الحدث ، وهي مغارة محصنة فيها صهريج ماء وحاصروا بها ، وكان يتولى الدفاع عنها البطريرك دانيال الحدشيتي بنفسه . فعجز المماليك عن فتحها . وكان قد قارب الشتاء فعمدوا الى حيلة لالقاء القبض على البطريرك ، وتوصلوا بخيانة ابن الصيحا من كفرصغاب لاستملاك ذلك الحصن العاصي . واليكم ما جاء في تاريخ السلطان قلاوون عن البطريرك : « وتحصن البطرك في الحدث وشمخ بانفه . وما قدر احد على التحيل عليه من بين يديه ولا من خلفه . ولولا خوفه من سطوة مولانا السلطان خرب تلك البلاد وفعل ذلك او كاد . فاتفق ان النواب ترصدوه مراراً فما وجدوه . فقصده التركمان في مكانه وتحيلوا حتى امسكوه واحضروه اسيراً حسيراً وكان من دهاة الكفر وطواغيهم واستراح المسلمون منه وامنوا شره . وكان امساكه فتوحـاً عظيماً اعظم من افتتاح حصن او قلعة وكفى الله مكره. »[3]

---

١) الدويهي : تاريخ الطائفة المارونية (طبعة رشيد الشرتوني) المطبعة الكاثوليكية سنة ١٨٩٠ ، ص ١١١

٢) الدويهي ، ص ١١٥

٣) مجلة المنارة ، سنة ١٩٣٤ ، ص ٢٠٤

وبعد اخضاع لبنان الشمالي ، حاصر السلطان قلاوون طرابلس ، وانتزعها من الصليبيين سنة ١٢٨٩ . وخلفه السلطان الاشرف خليل ، فافتتح جميع المدن الساحلية وهدم قلاعها في سنة ١٢٩١ .

وما كاد المماليك يطردون الافرنج من الساحل حتى تحولوا بانظارهم الى كسروان ، الجبل الوحيد في لبنان الذي بقي محافظاً لذلك الوقت على استقلاله التام ، وخارجاً عن سلطة المماليك ، ومتمرداً على جيوشهم ونوابهم في بلاد الشام . فقرر قواد الجيوش اخضاعه كغيره من المقاطعات اللبنانية ، وجهزوا عليه حملة قوية في سنة ١٢٩٢ .

وقبل اعطائكم التفاصيل الوافية عن هذه الحملة ونتائجها ، علينا ان نبين اهمية جبل كسروان وبطولة سكانه :

ان حدود كسروان الجنوبية كانت تتصل بنهر بيروت ، وببلاد الشوف . فالمتن بكامله كان جزءا من كسروان . فهو يسيطر اذاً من جهة على سهل البقاع ، ومن جهة اخرى على البحر ، ولا يصعب على الكسروانيين مدّ يد المساعدة لاعداء المماليك سواء كانوا المغول القادمين بسهول البقاع او الافرنج الراكبين في البحر . اما سكان هذا الجبل فكانوا من جميع الطوائف اللبنانية . كانت الاكثرية الساحقة منهم دروزاً يقيمون في الجرد ، اي في حمانا ، والراس ، وقرنايل ، وترشيش ، وزرعون ، وكفرسلوان ، والمتين ، وزحله ، وبسكنتا ، وما جاور تلك القرى . ويأتي بعدهم الموارنة . ويقيمون في بسكنتا ، وكفرعقاب ، ومزرعة كفرديبان ، وفاريا ، وميروبا ، وحراجل ، وبكفيا ، وبجرصاف ، وبجنس ، وما جاور هذه القرى . وكانت تسكن اقلية شيعية ونصيرية بين الدروز . وكان يسكن في الشوير ، والخنشاره ، وبتغرين ، وما جاورها اقلية من النصارى الملكيين . اما اليعاقبة فكان اكثرهم يقطن في جونيه وضواحيها .

ان جميع هذه الاقليات ، عندما رأت ما حلّ بسائر الانحاء اللبنانية من القتل والنهب والخراب ، اتحدت يداً واحدة ، وسلموا قيادتهم لاسرة لبنانية كريمة عريقة في البلاد اشتهرت بالبطولة والوطنية والنزاهة ، الا وهي اسرة بيت

بللمع الشهيرة: فلقد جاء بتاريخ المطران تادوروس ان النصارى من جميع الطوائف فوضوا امرهم عندئذ الى هذه الاسرة الشريفة « واظهروا لها سرهم » ويقول المطران تادوروس ايضاً : « ان بيت بللمع الدرزي كانوا مقدمين في ذلك الوقت على الشحار والجرد والبقاع. فحلفوا لهم (اي للنصارى) انهم سعدتهم ولم خانوهم من حين اتفاقهم. »[1] وبالواقع سنرى ان الامراء البللمعيين او امراء الجبال ، كما يسميهم الدروز والمسلمون ، او المقدمين البللمعيين كما يسميهم النصارى ، كانوا عند ثقة مواطنيهم بهم ، واظهروا من البطولة في القتال ما تعجز عنه الجبابرة .

والیکم تفاصيل هذه الحملة كما ذكرها صالح بن يحيى :

« في شهر شعبان سنة احدى وتسعين وستماية (١٢٩٢ م) توجه الامير بيدرا بعظم العساكر المصرية وصحبته من الامراء الاكابر شمس الدين سنقر الاشقر والامير قرا سنقر المنصوري والامير بدر الدين بكتوت الاتابكي والامير بدر الدين بكتوت القلاعي وغيرهم . وقصدوا جبال كسروان واتهم من جبات الساحل وكن الدين بيبرس طقصوا والامير عز الدين ايبك الحموي وغيرهما والتقوا بالجبل وحضر الى الامير بيدرا من ثنى عزمه وكسر حدته فحصل الفتور في امرهم حتى تمكنوا من بعض العساكر في تلك الاوعار ومضايق الجبال فنالوا منهم وعاد العسكر شبه المكسور المنهزم وطمع اهل تلك الجبال فاضطر الامير بيدرا الى اطابة قلوبهم والاحسان اليهم وخلع على جماعة منهم كانوا قد اعتقلوا بدمشق لذنوب وجرائم صدرت منهم وحصل للكسروانيين من القتل والنهب والظفر ما لم يكن في حسابهم وحصل للامراء والعسكر من الألم ما اوجب تصريح بعضهم بسوء تدبير الامير بيدرا ونسبوه الى انه انما اهمل امرهم وفتر عن قتالهم حتى تمكنوا مما تمكنوا منه لطمعه فانه تبرطل منهم واخذ منهم جملة كبيرة واحتج الناس بذلك. »[2]

١) حروب المقدمين ، ص ١٧

٢) صالح بن يحيى ، ص ٢٩ و ٣٠

اما المؤرخ المقريزي فقد روى هذه الحادثة على الشكل الآتي :

« وفيه خرج الامير بدرالدين بيدرا نائب السلطنة بديار مصر ومعه معظم العسكر الى جبال كسروان من جهة الساحل فلقيهم اهل الجبال وعاد بيدرا شبه المهزوم واضطرب العسكر اضطراباً عظيماً فطمع اهل الجبال فيهم وتشوش الامراء من ذلك وحقدوا على بيدرا ونسبوه انه اخذ منهم رشوة. »[1]

على ان صالح لم يذكر شيئاً عن الكسروانيين . فاليكم ما قاله المطران تادوروس بالحرف الواحد : « واجتمعوا الكساروه وبيت بللمع في بسكنتا وانتظروا عسكر الشام حتى وصل الى عين صنين وتصافقوا الفريقين . وانهزم عسكر الشام من قدامهم واخذوا يقتلوا فيهم حتى ما سلم الا خمس رجال وصلوا الى الشام واخبروا بما صار فيهم . »[2]

ولم يذكر المؤرخون عدد جيوش المماليك في هذه الحملة ، ولا عدد العصاة اللبنانيين . ولكن يمكننا ان نقول مع الأب لامنس ان عدد الجيوش المصرية كان عظيماً بالنسبة لعدد الامراء الذين اشتركوا بهذه الحملة وبالنسبة لشخصياتهم الكبيرة[3] ولا يمكن تقديره بأقل من ثلاثين الف مقاتل . اما عدد الكسروانيين فلم يتجاوز العشرة آلاف مقاتل ، كما يستدل من اقوال المقريزي وابن سباط الدرزي .

❁

على ان هذا الانتصار الباهر الذي احرزه الكسروانيون والبللميون كان سبباً مباشراً لهلاكهم ودمار بلادهم . ذلك ان المماليك قد وطدوا العزم في هذه المرة على ابادتهم بكاملهم ، وعلى خراب بلادهم نهائياً ، فأخذوا بالاستعداد مدة سبع سنوات . فجمعوا الجيوش من سورية ومصر في صفد ، ودمشق ، وطرابلس . وبعد ان تم تجهيز الجيوش بكاملها اظهر المماليك للثوار انهم يريدون السلم ولا يطلبون منهم الا نزع سلاحهم والخضوع للسلطان . فوجه نائب الشام

١) المقريزي : كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك ، القاهرة سنة ١٩٣٩ ، ص ٧٧٩

٢) الخوري بولس قرألي : حروب المقدمين ، ص ٨٨

٣) Lammens, dans *Revue de l'Orient Chrétien*, VII, 1902, p. 458

الافرم زين الدين عدنان ، وقراقوس ، وتقي الدين ابن تيمية[1]، الذي كان يتمتع عندئذ بسلطة دينية وادبية واسعة في مصر وسورية ؛ فبعد ان عجز ابن تيمية عن اقناعهم ، راح يبشر بالجهاد ضدهم لابادتهم ، وكان تأثيره على مواطنيه عظيماً. فكتب الى جميع انحاء سورية حاثاً الرجال على القتال مبيناً اهمية تنظيم حملة ثانية ضدهم ، والاسباب الشرعية الدينية التي تبرر الحكم الذي تقرر تنفيذه في كسروان والكسروانيين ، وألّف في سبيل ذلك مؤلّفين ذكرهما ابن شاكر الكتبي وهما : « الردّ على اهل كسروان الرافضة » و« الجواب الصحيح على النصارى. » ردًّا على الرافضين وعلى المسيحيين.[2]

واليكم التهم التي وجهها تقي الدين ابن تيمية والمماليك الى الكسروانيين والجرديين: اتهموا بانهم اقاموا سوقاً علنية مدة عشرين يوماً على الشاطئ ، وباعوا من القبارسة الاسلحة والخيول التي غنموها من المسلمين . واتهموا انهم فرحوا بمجيء التتر مع الافرنج ، وبانهم باعوا من الافرنج جنودًا اسروها من جيوش المماليك ، وانهم تصدوا للعساكر المصرية المنهزمة من وجه المغول ، ونهبوها ، وفتكوا بالبعض منها ، وباعوهم اسرى للافرنج، وبأنهم مدوا بالذخيرة الصليبيين المحاصرين في طرابلس . وبأنهم يستقبلون الافرنج من جزيرة قبرس ويضيفونهم في بيوتهم .

وهاكم ما حفظه لنا صالح بن يحيى بالحرف الواحد عن اسباب هذه الحملة: « ومما نقلناه عن النويري والصلاح الكتبي في فتوح كسروان في حوادث سنة خمس وسبعماية (١٣٠٥ م) قالا في ذكر توجه العساكر الشامية الى جبال كسروان وابادة اهلها وتهيدها وهي النوبة الثانية في ايام السلطان الملك الناصر محمد بن المنصور. قالا: كان اهل كسروان قد كثروا وطغوا واشتدت شوكتهم وامتدوا الى اذى العسكر عند انهزامه من التتر سنة تسع وتسعين وستماية (١٣٠٠ م) وتراخى الامر عنهم وتمادى وحصل اغفال امرهم فزاد طغيانهم

---

١) صالح بن يحيى ، ص ٢٢
٢) ابن شاكر الكتبي : فوات الوفيات ؛ طبعة بولاق ، ص ٢٥

واظهروا الخروج عن الطاعة واعتزلوا بجبالهم المنيعة وجموعهم الكثيرة وانه لا يمكن الوصول اليهم »[1]

ان اقرب الناس لهذه الحوادث هما الاسقف تادوروس وصالح بن يحيى. وعلى الرغم من الاخطاء العديدة في مخطوطة المطران تادوروس ، فان فيها تعليمات ثمينة لا تناقض بتاتاً ما ذكره صالح . ان هـذا الاسقف كان معاصراً لهذه الحوادث، وهو يذكر ان استعدادات المماليك لهذه الحملة دامت سبع سنين،وان عدد العساكر التي اجتمعت في بلاد الشام بلغ المائة والخمسين الف مقاتل ، وان الأوامر قد اصدرت للعساكر لتركب على جبل كسروان وتطوقه من الشرق والقبلة والشمال ثم تدخل البلاد وتهدم « القلاع والابرجة والكنائس والاديرة والضياع والمالي تجعلوه واطي والخشن سهل وتقتلوا الرجال والصبيان والنساء والوضع بالسريع .فلما وصل الامر ركبوا وحاطوا البلاد خمسين الف من قب الياس الى انطلياس وخمسين الف من قب الياس الى نبع الخارجة وخمسين الف من الخارجة الى نبر ابراهيم للبحر ومقدم للعسكر نزل في مدينة قبعل وحطوهم تحت الحصار وظلوا اربعة اشهر حتى ملكوا البلاد . ولما ملكوا البلاد جعلوها عبرة للجيران ولم خلص منهم ذو حي الّا مدينة جونيه راحوا في المراكب.»[2]

اما صالح فقد ذكر هذه الحوادث على الوجه الآتي : « فعند ذلك رُسِمَ بتجريد العساكر اليهم من كل جهة وكل مملكة من الممالك الشامية . وتوجه افتش الاهرم من دمشق بسائر الجيوش في يوم الاثنين ثاني المحرم سنة خمس وسبعماية (١٣٠٥ م.) وجمع جمعاً كثيراً من الرجالة نحو خمسين الفاً وتوجهوا الى جبال الكسروانيين والجرديين . وتوجه سيف الدين اسندمر نائب طرابلس وشمس الدين سنقرجاه المنصوري نائب صفد وطلع اسندمر المذكور من جهة طرابلس وكان قد نسب الى مباطنتهم فجرّد العزم واراد ان يفعل في هذا الامر ما ينفي عنه هذه الشناعة التي وقعت به . فطلع الى جبل كسروان من اصعب

---

١) صالح بن يحيى ، ص ٢١ و٢٢

٢) الخوري بولس قرألي : حروب المقدمين ص ٨٦ و٨٧

مسالكه واجتمعت عليهم العساكر واحتوت على جبالهم ووطئت ارضا لم يكن اهلها يظنون ان احدًا يطأها وقطعت كرومهم واخربت بيوتهم وقتل منهم خلق كثير وتفرقوا في البلاد . واستخدم اندمر جماعة منهم في طرابلس بجامكيته وجزائه من الاموال الديوانية فاقاموا على ذلك سنين واقطع بعضهم اخبار من حلقة طرابلس واختفى بعضهم في البلاد واضمحل امرهم وخمل ذكرهم.»[1]

واما المقريزي فقد ذكر هذه الحوادث الشهيرة بالحرف التالي : « وفي عشرى شوال توجه الامير آقش الأفرم من دمشق لغزو الدرزية اهل جبال كسروان فان ضررهم اشتهر وامتنعوا في جبلهم وهو صعب المرتقى وصاروا في اثني عشر الف رام. فزحفت العساكر السلطانية عليهم فلم تطقهم وجُرح كثيرٌ منهم فاضطر عندئذ قواد الجيوش للمناداة بالعساكر بخنق كل جندي وكل راجل لا يتقدم للمحاربة او ينهزم من المعركة . فافترقت العساكر عليهم من عدة جهات وقاتلوهم ستة ايام قتالًا شديدًا الى الغاية فلم يثبت اهل الجبال وانهزموا . وصعد العسكر الجبل بعد ان قتل منهم واسر خلقًا كثيرًا ووضع السيف فيهم.»[2]

هذا وقد سمي شمالي كسروان الى الآن فتوحًا اشارة لدخول نائب طرابلس هذا مع جيوشه اليه لاول مرة. وذكر ابو الفداء هذه الواقعة بتاريخ سنة ٧٠٥ هجرية. وكذلك ابن الوردي ذكرها في تاريخه وزاد قائلًا : « وكان الذي افتى بذلك ابن تيمية وتوجه مع العسكر.» اما ابن سباط المؤرخ الدرزي، الذي عرف في شبابه صالح بن يحيى ، فقد ترك لنا تعليمات ثمينة ، وهي ان رجال الدروز الجرديين « كانوا عشرة امراء بعشرة آلاف مقاتل » هؤلاء الامراء ، ولا شك ، هم الامراء البلاعيون ، لأنهم هم وحدهم زعماء الجرد وكسروان في ذلك الوقت ، وقد سماهم صراحةً الطران تادوروس ولكنه دعاهم بالمقدمين البلاعيين لا بالامراء ، كما سمى نائب الشام الافرم مقدم العسكر، لا الامير ، كما يسميه مؤرخو الاسلام .

---

١) صالح بن يحيى ، ص ٢٢ و٢٣ ؛ Quatremère, t. II, Paris, année 705, p. 233

٢) المقريزي ، ص ٩٠٢ و٩٠٣

ويقول ابن سباط المذكور ان الجيشين التقيا عند عين صوفر ، وجرى بينهما قتال عظيم لا توازن فيه بالعدد فكانت الهزيمة على الامراء : « فهربوا بحريمهم وارزاقهم ونحو ثلاثمائة رجل من اتباعهم واجتمعوا في المغار غربي كسروان المعروف بمغارة نبيه وهي فوق انطلياس بالقرب من مغارة البلانه»[1] . ويقول صالح ابن يحيى : « ان موقعة نبيه المذكورة كانت وقعة رديئة لأن اهل كسروان تجمعوا وقاتلوا بها وكان فيها مغارة اجتمعوا بها بعد القتال وذكر ان عدد اهل كسروان هناك كان اربعة آلاف رجل فراح تحت السيف منهم خلق كثير والسالم منهم تفرقوا في جزين وبلادها وفي البقاع وبلاد بعلبك . »[2] وقتل من امراء الغرب في هذه الموقعة الامير نجم الدين محمود واخوه شهاب الدين ، ولدا الامير جمال الدين ، وثلاثة وعشرون نفرًا .

وجاء في ابن سباط المذكور انه بعد انكسار الكسروانيين والحرديين اجتمعت بقية منهم في مغارة نبيه المذكورة ، فامر نائب دمشق ان يبنوا على باب المغارة سدًا من الحجارة ، ثم هالوا على بابه التراب والاحجار ، وجعلوا حارسًا عليهم فهلكوا داخل الردم[3] ويقول ايضًا ابن سباط : « ان جيوش المماليك احاطت بتلك الجبال من كل الجهات ووطئت ارضًا لم يكن احد صعد اليها واخربوا القرى وقطعوا الكروم ونهبوا وقتلوا كل من وجدوه فخربت تلك الجبال المنيعة . »[4]

❁

ويذكر جميع المؤرخين من نصارى ومسلمين ودروز ، بنوع خاص ، ان الجيوش المهاجمة قطعت كروم الكسروانيين . فاين كانت تلك الكروم وما هي قيمتها في ذلك الوقت ؟ ان تلك الكروم كانت واسعة ، وعنبها وخمرها لذيذًا جدًا . وهي كانت تكسو الجبال الممتدة من ضهور بعبدات وبجنس الى ضهور الشوير . فكان غابات الصنوبر الكائنة هناك الآن كانت تمتد كروم

---

١) الامير حيدر شهاب : كتاب الغرر الحسان ، ص ٤٨٠

٢) صالح بن يحيى ، ص ١٠٠

٣) الامير حيدر ، ص ٤٨٠

٤) الامير حيدر ، ص ٤٨٠

العنب ، وهذا تحققناه بنفسنا ، وشاهدنا عدداً كثيراً من معاصر العنب الكائنة على تلك الجبال بين غابات الصنوبر القائمة الان. ولم تزل بقية من تلك الكروم القديمة الى اليوم . وقد اطلعنا على صكوك قديمة يرجع تاريخها الى ابعد من اربعمائة سنة تسمي غابات الصنوبر الحالية « بكرم العنب » و« كرم التين » . وكانت كروم العنب منتشرة ايضاً حوالى صنين من جميع جهاته ، فكروم زحله ترجع الى ذلك العهد ، وكانت اوسع مما هي عليه الان بكثير وتمتد الى نواحي عينطوره والمتين .

وبعد ان تم خراب كسروان واجرد زاد صالح قائلاً : « وعاد نائب الشام الى دمشق في رابع شهر صفر من السنة المذكورة وجعل الناظر في بعلبك والجبال الكسروانية بهاء الدين قراقوش فاخلا ما كان تأخر بجبال كسروان وقتل من اعيانهم جماعة ثم اعطوا اماناً لمن استقر في غير كسروان. »[1]

قد اجمع المؤرخون على اختلاف مذاهبهم ان المماليك لم يتركوا في كسروان كسروانياً واحداً الّا قتلوه ، ولم يعطوا الامان الا لمن كان قد تمكن من الهرب واقام خارجاً عن كسروان. ومن نجا من الكسروانيين التجأ اذاً إما الى البقاع حيث كان لهم قرى ومزارع ، واما الى بلاد جزين حيث كان للدروز اصحاب وأقارب، وإما الى بلاد بعلبك، الى العاقوره وما يليها حيث كان للموارنة قرى واديرة وكنائس ، واخيراً من تمكن من سكان السواحل كأهل جونيه قد التجأوا في المراكب الى جزيرة قبرس . فغدت جبال كسروان في ذلك العهد خالية من السكان ، واضحت مقبرة واسعة لاهاليها . ولقد ختم المطران تادوروس كلامه عن هذه الحوادث المفجعة بهذه الكلمات : « وتأسفت الجيران على دمار كسروان وجيرة تاسه . »[2]

وهكذا قضي على ابطال الملحمة الصليبية الاخرين الواحد تلو الاخر ، بعد ان ارغموا المماليك على حشد جيوشهم ، وكل ما لديهم من قوى ، والقتال قتالاً

١) صالح بن يحيى ، ص ٢٢
٢) حروب المقدمين ، ص ٨٨

عنيفاً لاستملاك كل مضيق من مضايق اوديتنا وكل اكمة من اكمات جبالنا ، وبعد اجبارهم على دفع ثمن كل بقعة من ارضنا ثمناً باهظاً . فقاوم اسلافنا مدة اربعة اشهر مدافعين عن ترابهم شبراً شبراً ، مضحين ، في سبيل حريتهم واستقلالهم في بلادهم ، بقراهم واملاكهم وبيوتهم واموالهم وحريتهم واولادهم وحياتهم . وعلى الرغم من كثرة الجيوش المعادية لهم، فان خوف المماليك من النبالة اللبنانيين كان يرعبهم ويُرعد فرائصهم، حتى اضطر نائب دمشق في اليوم الاول والثاني من معركة كسروان الهائلة ان يأمر قواده بالمناداة بالعساكر ان كل جندي يرتدّ الى الوراء او ينهزم يُخنق ويقتل حالاً في مكانه . واستشهاد اولئك الابطال قد القى الستار على عصر من اروع العصور التي مرت على لبنان. فلقد كانت وطأة هذا الانكسار شديدة على لبنان وشاملة جميع ابنائه ، حتى انه منذ ذاك التاريخ خسر اللبنانيون لقب العصاة او الجبابرة الذي طالما لقبوا به . وابتداء من سنة ١٣٠٥ فقد الموارنة ، ولزمن طويل لقب « مردة » ، وضيع الدروز ايضاً شخصيتهم الحربية الشهيرة . وكان الامر ضارباً اطنابه على جبالنا في بدء القرن الرابع عشر، فاضحى لبنان في هذا القرن رازحاً تحت عبء خراب دوره وقلاعه ومخضباً بدماء ابنائه . وبالواقع انه لم يمرّ على بلادنا عصر اسوأ من هذا العصر .

ولما كانت السيطرة على البحر في يد الافرنج ، وظلت هكذا الى زمن متأخر ، التجأ كثير من اللبنانيين ، وخصوصاً الموارنة ، الى قبرس حيث كان لهم هناك اسقف مقيم في الجزيرة نفسها وطائفة يزيد عددها على الثلاثين الفاً ، وتملك اكثر من اثنين وسبعين قرية .[1]

اما العصر الثاني من عهد المماليك فكان عصر تعمير، واتحاد ، وامل وطيد.

وها نحن نلقي نظرة سريعة على حالة اهم المقاطعات اللبنانية في القرنين الرابع عشر والخامس عشر ، اي على كسروان ، والغرب ، ولبنان الشمالي :

---

1) Mgr. Dib, *l'Eglise Maronite*. Paris 1930, t. I., p. 359

ان كسروان يمنا ، قبل كل شيء ، للبطولة الفائقة التي اظهرها في حروبه مع المماليك . وللويلات الهائلة التي نزلت به .

في سبيل منع الافرنج واللبنانيين من الرجوع الى كسروان ، ادخل المماليك الى ذاك البلد التركمان والاكراد ، واناطوا بهم مراقبة كسروان ، والمحافظة على الشاطئ من بيروت الى طرابلس . فلم يسمح لاحد المرور في دربند نهر الكلب ، او التجوّل في كسروان ، من دون رخصة من امراء الغرب او من امراء التركمان . وقد نزل التركمان في الزوق ، وعين طورا ، وعين شقيق ، وجونيه ، وانطلياس[1] واسكنوا في اعالي جبال كسروان عائلات من المسلمين السنيين . ولكنهم لم يلبثوا ان تركوا قراهم ، او باعوا اراضيهم الى المتاولة الذين باعوها بدورهم الى الموارنة او الدروز . وقد ترك لنا خادم رعية حراجل ، في جرود كسروان ، في اول القرن الثامن عشر ، مخطوطة يقول فيها حرفياً : « من بعد الفحص والسؤال من النصارى والمتاولي وجدت مع المتاولي تواريخ توضح قديمة الكنيسة التي على اسم السيدة عليها اشرف السلام . ووجود المتاولي في هذه القرية وقبلهم الاسلام وقبل الاسلام النصارى ووجود النصارى بعد المتاولي . . .

« ان الكنيسة على اسم السيدي مريم في حراجل قديمة ومبنية من زمان النصارى الذين كانوا قاعدين في هذه الضيعة وجتهن الاسلام وكحتهم وقلوا من الضيعة الى صوب بلاد العاقوره ورايح . وقعدوا الاسلام مطرح النصارى . ويوقته هدوا الكنيسي وما خلولا رسم من العمارة وما بقي فيها الا الداره ويقولولا دارة السيدة مريم بس . الاسلام قعدوا وباعوا رزقهم للمشايخ بيت حمادى . بعتو مشايخ بيت حمادى للمتاولي في بلاد بعلبك وجابوهن وقعدوا في حراجل . ووقت الى جو سنة ١٥٠٥ . اني شفت تاريخهم مكتوب محمدى احسبته طالع هيك وقت ما جوا »[2] .

ومما يلفت النظر انه لم تتمكن خلال القرنين الرابع عشر والخامس عشر ،

---

١) الامير حيدر ، ص ٤٨٠

٢) تاريخ عود النصارى الى جرد كسروان ، بقلم الخوري جرجي زغيب خادم حراجل . نشره الخوري بولس قرألي ، في المجلة السورية ، ص ١٩

اية عائلة كانت من الدروز او الموارنة من السكن في كسروان. ولكن عندما اخذت دولة المماليك في الانحطاط ، عاد الدروز الى الجرد ، وفي مقدمتهم امراء الجبال ، احفاد اولئك الابطال الاشاوس ، المقدمين بللمع ، الى كفرسلوان ؛ والمقدمون آل مزهر الى حمانا ، واخضعوا لسطوتهم سفحي الجرد المتن وكسروان من جهة ، وزحله والبقاع من الجهة الاخرى. كذلك الموارنة اسرعوا الى كسروان واخذوا برفع الانقاض عن قراهم ، وبنيان الكنائس والقبب الشامخة على انقاض الابراج الواقعة ، وبتعمير الاديرة على اسس الحصون المتهدمة . واول من عرفناه من الموارنة الذين رجعوا الى كسروان الشيخ المقدام حبيش بن موسى بن عبدالله ابن مخايل ، عميد المشايخ آل حبيش في لبنان . فلقد ترك يانوح وقدم غزير في سنة ١٥١٥ ، قبيل سقوط سلطنة المماليك تحت ضربات السلطان العثماني سليم الاول الشديدة .

ولا يخفى ان الموارنة والدروز ليسوا بدخلاء على كسروان ، فلقد استوطنوه في القرن الثالث عشر و ثاني عشر وما قبله والنكبة التي حلت في كسروان في سنة ١٣٠٥ حلت بهم قبل سائر الطوائف. فالشيعة والنصيرية لم تكن دوماً الا اقلية ضئيلة في كسروان . وها ان المؤرخ ابا الفداء († ١٣٣١) ، بذكره حوادث سنة ٧٠٥ هجرية ، يدعو الدروز المقيمين في كسروان بالظنيين والمارقين. وصالح بن يحيى ، على الرغم من تكتمه ولباقته ، لم يتمكن من ان يخفي علاقات المودة والقرابة التي تربط امراء الغرب بالكفرسلوانيين والجرديين الدروز. اما ابن سباط الدرزي († ١٥٢٠ م) فصرح ان رجال الدروز الجرديين المقاتلين في سنة ١٣٠٥ كانوا عشرة امراء بعشرة آلاف مقاتل . كذلك المقريزي صرح ان الاقوم توجه « لغزو الدرزية اهل جبال كسروان » . وخلافاً لما توهمه المستشرقون، حتى الكبار منهم، من امثال الاب لامنس اليسوعي[1] والسيد لاوست[2] نرى ان

(١ H. Lammens, *Les Nosairis dans le Liban.* [*Revue de l'Orient Chrétien,* VII. 1902.]

(٢ H. Laoust, *Remarques sur les expéditions du Kasrawan sous les premiers Mamlouks.* [*Bulletin du Musée de Beyrouth*] Paris, 1940

الموارنة لم يستفيدوا بتاتاً من خراب كسروان، ولم يحتلوا اراضي النصيريين ولا الشيعيين فيه في القرن الخامس عشر والسادس عشر، بل عادوا الى قراهم واراضيهم التي اضطروا الى تركها في سنة ١٣٠٥ وها ان الاسقف تادوروس، المعاصر لتلك الحملة، يؤكد اشتراك النصارى مع الدروز في تلك الحملة ووجودهم في غربي كسروان. وابن القلاعي يؤكد ازدهار الاسقفيات المارونية في بجرصاف، وبجنس، والراس اي راس المتن، من جنوبي كسروان قبل القرن الثالث عشر. وعند رجوع الموارنة الى كسروان وجدوا آثار كنائسهم التي خربت في حملة المماليك على كسروان سنة ١٣٠٥، فكنيسة مار يوحنا في بجرصاف، والسيدة في حراجل، وكثير غيرها من الكنائس والاديرة هي مبنية على انقاض الكنائس التي هدمت اثناء تلك الحملة العظيمة. فاختلاط الموارنة بالدروز يرجع الى ما قبل القرن السادس عشر، فيرجع بالواقع الى القرن الثاني عشر للمسيح.

اما المنطقة التي مثلت دوراً هاماً في لبنان في عصر المماليك فهي بلاد الغرب. ان الامراء البحتريين المعروفين بامراء الغرب قد توصلوا، بسياستهم اللينة، وادارتهم المرنة لحفظ رؤوسهم، وللمحافظة على اقطاعاتهم، وان يضموا اليها مدينة بيروت نفسها، ويتخذونها عاصمة لبلادهم. فخوفاً من الافرنج المقيمين في قبرس ورودس قد كلف المماليك امراء الغرب المحافظة على السواحل اللبنانية من بيروت الى صيدا. فكان امراء الغرب يتناوبون المحافظة في كلتا المدينتين مع تسعين فارساً قسموهم ثلاثة اقسام جعلوهم ابداً يقيم ثلثون منهم شهراً ثم يعقبهم بدل اخر بالمناوبة، وكانت مهمتهم الاولى ان ينبهوا دمشق باسرع ما يمكن عما يجري في البحر تجاههم، واتخذوا لهذه الغاية النار يشعلونها في اماكن معينة حيث كان يرتفع اللهيب في الليل والدخان في النهار «فكانوا يشعلون النار في ظاهر بيروت فتجاوبها نار في راس بيروت العتيقة ومنه الى جبل بوارش ومنه الى جبل بيوس ومنها الى جبل الصالحية ومنه الى قلعة دمشق. النار للحوادث في الليل وحمام البطاق للحوادث في النهار. والبريد للأخبار»[1].

١) صالح بن يحيى، ص ٣٩ و٤٠

وقد شجع الامراء البحتريون في القرن الخامس عشر الزراعة والتجارة ، وفرضوا حمايتهم على كل مركب تجاري يدخل مرفأ بيروت حيث كان لدول اوربة بها قناصل . وكان يزدحم في هذا المرفأ مراكب قبرس والبندقية وجنوى وقطالونه وكل دول اوربة البحرية . قال صالح ما حرفيته : « ثم بعد ذلك صار بعض مراكب الافرنج تتردد اليها بالمتاجرة قليلاً قليلاً وكانت مراكب البنادقة تحضر الى قبرس وكان صاحب قبرس يرسل بضائعهم في شبقين (سفينتين) كانت له الى بيروت نقله من بعد اخرى وكان للقبارسة كنس ببيروت وجماعة تجار ساكنين ولهم خانات وحمامين . ثم بطل ذلك وتكاثر حضور مراكب طوائف الفرنج »[1] وفي ايام امير الغرب صدقة في اواسط القرن الخامس عشر امتد حكم الامراء البحتريين شمالاً الى طرابلس وجنوباً الى صفد[2] .

امـا لبنان الشمالي فكان يعيش في القرن الرابع عشر تحت نظام الضغط والارهاق،موجساً ان يحل به ما حل بجاره كسروان . وكان بطريرك الموارنة في ذلك العصر الزعيم المدني والديني الوحيد لشعبه بكامله . لكنه لم يتمكن من السكن في مركز ثابت ، فاقام في القرن الرابع عشر تارة في يانوح ، وحيناً في ميفوق ، وطوراً في كفرحي ، وكثيراً ما كان ينتقل هارباً من قرية الى اخرى ، واحياناً كان يلتجئ الى المغاور والكهوف[3] .

وكان الشعب الماروني يشترك مع الاكليروس بانتخاب البطريرك . وكل شخص كان عليه ان يدفع له العشر . وكان يتحتم على المقدمين الموارنة قبل القيام بوظائفهم ان يحصلوا على درجة شدياق ليحق لهم التقدم على العامة . وان حق الحرم الذي يتمتع به البطريرك كان يقضي على المحروم عندئذ بالنفي وبمصادرة املاكه غير المنقولة .

ومن الحوادث الغريبة هو انه ، في سنة ١٣٨٨ ، وصل الى بشري متنكراً ومتدروشاً سلطان المماليك ، الظاهر برقوق . ونرجح انه اتى ملتجئاً اليها من وجه

١) صالح بن يحيى ، ص ٣٩ و ٤٠ ٢) صالح بن يحيى ، ص ٢٢١
٣) Mgr. Dib, p. 156

الامير منطاش الثائر عليه . فتلقاه زعيم فتى يدعى الشدياق يعقوب ابن ايوب ، وعامله حسبما تقضيه واجبات الضيافة اللبنانية ، وزار معه قاديشا ودير قنوبين .

وبعد ان انتصر نهائياً على السلطان حاجي بن شعبان ، اخر سلاطين المماليك الاتراك المعروفين بالبحريين ، وقبل ان يذهب الى الكرك في شرقي الاردن ، اظهر السلطان الظاهر برقوق ، مؤسس دولة المماليك البرجيين الشراكسة ، نفسه لمضيفه . واقامه مقدماً على الموارنة ، وكتب له بذلك صحيفة من نحاس . واعطى رئيس دير قنوبين خطاً اعفى بموجبه ديره من الاموال الاميرية ، وجعل له التقدم على جميع اديرة لبنان[1] . فصداقة المقدم يعقوب ابن ايوب للسلطان ، واستقلاله عن نواب سورية ، مكّناه من حكم لبنان حكماً مطلقاً مدة اثنتين وستين سنة . ولقد ترك الحكم من بعده لاولاده الذين حافظوا عليه الى بعد سقوط دولة المماليك . فان المقدمين آل ايوب يعرفون ايضاً بمقدمي بشراي وقد حكموا حكماً عادلاً ، وتمتع لبنان الشمالي بايامهم في القرن الخامس عشر ، بسلم ورخاء وراحة حسده عليها جيرانه[2] . فتمكن الموارنة بهذا العصر من تضميد جروحهم ومن تعمير بلادهم والتعويض جزئياً عما لحقهم من الخراب في القرن السابق . وقد اتخذ البطريرك الماروني دير قنوبين مركزاً له في بدء القرن الخامس عشر بالقرب من المقدمين آل ايوب العادلين .

ما هي المميزات الخاصة بالحكم الاقطاعي في لبنان في عهد المماليك ؟

ان لبنان كان يتمتع ، في هذا العهد ، بامتيازات ضمنت له استقلاله الداخلي استقلالاً فعلياً . ان الاقطاع في لبنان يخوّل صاحبه حق الاستغلال والتصرف والملكية ، فكان اقطاعاً بالمعنى الفرنجي الصحيح . فلم يكن هبةً من سلاطين المماليك . كان السلطان بمشوره ، يثبت الامراء والمقدمين اللبنانيين في اقطاعاتهم الموروثة . اما في الممالك السورية والمصرية فلم يكن الاقطاع يخول صاحبه الا حق الاستغلال . وكان يمنح لأجل معين او — وهذا من النوادر — لمدة حياة صاحبه . لكنه لم يكن ينتقل في حال من الاحوال الى ورثته .

١) الدويهي ، ص ١٢٠ ٢) الدويهي ، ص ٤٦

في لبنان الاقطاع او المقاطعة هي ملك لصاحبها تنتقل بعد وفاته لورثته . وهكذا نرى ان امراء الغرب والمعنيين والشهابيين والمقدمين آل ايوب اورثوا مقاطعاتهم ومناطقهم بكاملها لورثتهم .

وعند عدم وجود الورثة الذكور ترث الابنة اقطاع والدها بكامله . ففي هذه الحال ايضاً لا يرجع الاقطاع الى السلطان ومثلاً على ذلك هو انه توفي في سنة ١٣٧٥ مقدم العاقوره غزال القيسي ، ولم يخلف ولداً ذكراً ، فانتقل ارثه واقطاعه لابنته زوجة الشدياق جرجس الملقب بالدحداح ، عميد المشايخ الدحادحة في لبنان .[1] وهذه القاعدة هي مطردة فحكم لبنان بكامله قد انتقل من المعنيين الى الشهابيين بواسطة ابنة الامير احمد معن والدة الامير حيدر شهاب .

ومن المرجح انه في سورية ومصر كان الفلاحون عبيد اسيادهم .

اما في لبنان فكانوا بالأغلب شركاءهم فانهم ، وان لم يكن لهم حقوق سياسية ، كانوا يتمتعون بجميع الحقوق المدنية ، ولهم ان يختاروا المقاطعة التي يريدونها ، وان يشاركوا الامير او المقدم الذي يختارونه . وكان الجيش اللبناني في ذلك الحين مؤلفاً من الفلاحين ومن اسيادهم فقط .

في خارج لبنان كان النائب واصحاب الاقطاعات موظفين عند السلاطين المماليك وخاضعين لارادتهم . اما في لبنان فكان اصحاب المقاطعات حلفاءهم مستقلين عنهم في بلادهم ، يحق لهم ان يرفضوا الحرب خارج لبنان اذا دعاهم المماليك اليها ، ففي سنة ١٣٢٢ طلب الملك عماد الدين من الامراء الشهابيين ملاقاته لحصار الكرك . فاعتذر رئيسهم الامير حسين وامتنع عن الذهاب .[2]

في مصر وسورية كان يجبي الخراج والضرائب الموظفون الاداريون ، وينفق على رؤساء الجيوش وعلى العسكر ، وما فضل عنهم يذهب الى بيت المال . اما في لبنان فكان اصحاب المقاطعات غير خاضعين لهذا النظام . فكانوا اما يدفعون مبلغاً سنوياً ، واما يقومون بانفسهم بخدمات معينة لقاء اعفائهم من ذلك كاملاً .

---

١) الشيخ طنوس الشدياق : تاريخ الاعيان ، ص ١٠٦

٢) الشيخ طنوس الشدياق ، ص ٨٤

الغرب الذين تعهدوا بحراسة السواحل لقاء ما لديهم من الاقطاعات .

خلال القرنين الرابع عشر والخامس عشر اشتدّت عرى المودة بين جميع سكان لبنان ، لاسيما بين الدروز والموارنة ، واصبحت منذ سنة ١٣٠٥ علاقات حبية ، وكانت الثقة فيما بينهم متبادلة .

فكان الموارنة والدروز خاضعين لعادات واحدة في المسائل المدنية ، حتى وفي الاحوال الشخصية . الدروز كالموارنة لا يتزوجون الا بامرأة واحدة . وقوانين الوصية والارث كانت واحدة عند الطائفتين . نورد على ذلك مثلاً حرية الوصية وحق الانسان ان يوصي بجزء او بجميع املاكه لاحد ورثته دون الاخرين ، وقانون حرمان البنات من ارث ابائهم مع وجود الاخوة ، وقانون حق البنات بكامل ارث والدهم عند فقدان الورثة الذكور .

كان لهم جميعاً هدف وطني واحد ، يرمون من ورائه الى استقلال لبنان استقلالاً كاملاً ، والى المحافظة على تقاليده محافظة تامة .

ان اللبنانيين في ذلك العصر على الرغم من انكسارهم ومحاصرتهم في جبالهم وعزلهم عن اوربة والافرنج ، قد حفظوا خلفائهم القدماء ذكرى لم تقوَ على الغائها السنون العديدة فلم يقنطوا قط من مشاهدتهم والاتصال بهم ، وكانوا يترقبون كل الفرص لتجديد معاهداتهم . ولا عجب اذا رأينا النواب الدروز والموارنة يغادرون لبنان معاً الى رومة نفسها في سنة ١٤٤١ ، ويطلبون من البابا ، ممثل اوربة والفرنج جميعاً في ذلك العهد ، ان يجدد مع بلادهم العلاقات الدبلوماسية . وقد اجاب الحبر الاعظم طلبهم ، وانشأ في سنة ١٤٤٤ مفوضية رسولية للموارنة والدروز[1] .

وعلينا ان نعترف اخيراً ان الذي مهّد السبيل لامير لبنان ، فخر الدين المعني الكبير ، ومكنه من تأسيس لبنان الحديث ، وتحقيق برنامجه الوطني بكامله ، هو اتحاد اللبنانيين قاطبة اتحاداً كاملاً ، ولاسيما صداقة الدروز والموارنة صداقة متينة حقيقية وفية لا غشّ فيها على الاطلاق .

---

1) Mgr. Dib, p. 222

الأدب وتطوّره في جبل عامل*

بقلم الشيخ علي الزين

توطئة

الحق لا يعرف صداقةً ولا عداوة . ولذا كان على الباحث النزيه ان يتحلّل ، في ابحاثه واحكامه ، من اثر العواطف على نفسه ، ليخلص من ذلك للحق والجمال الذي ينشده ، ويرضي وجدانه وادبه ، وينصف صديقه وعدوّه ؛ والّا كان مغرضاً في احكامه ، شاكّاً في مثله العليا . وانني يوازع من هذه النية ، وبدافع من هذا الاعتقاد ، اتوّجه للبحث عن تطور الادب العاملي متحتّماً لابداء رأيي في ذلك ، لا اخاف في اطراء ما يستحق الاطراء منه أن أتهم في انصافي وتجرّدي من عواطف الصداقة والمودة ، ولا اخشى في نقد ما يستحق النقد منه ان يُشكّ في اخلاصي ونزاهتي من شوائب الجهل والضغينة ؛ كما انني لا ادّعي العصمة في احكامي ولا الإحاطة في علمي واختباري .

❊

« على شاطئ هذا الابيض ، وامام مجد التاريخ الماثل في انقاض صيدا وصور القديمتين ، نهضت بقعة صغيرة منفردة من بقاع الشام قد نظمها الله آكاماً متماسكة تتسامى الى العلاء رويداً رويداً كلما امعنت في الابتعاد عن الشاطئ نحو مطلع الشمس ، تلك هي جبال عاملة التي يعرفها الناس باسم جبل عامل » .

وجبل عامل هذا العربي الصريح في نسبه ، والشيعي القديم في ولائه لاهل بيت الرسول ، لم يكن له فيما مضى وجود سياسي مستقل ، إلا في بعض

* دراسة قُدّمت الى معهد الآداب الشرقية في جامعة القديس يوسف (فرع الادب العربي) .

العهود الاقطاعية ، ليكون له من ذلك تاريخ مستقيم الحدود عالي الدعائم يجوز للمعتدّ بوجدانه منا ان يعوّل عليه ويطمئن الى فحواه .

وانما كل ما يمكننا ان نفخر به من السياسة في ذلك العهد الاقطاعي المظلم ان ساستنا استطاعوا ، اثناء تلك الفوضى الهدامة والعدوان الغاشم ، ان يدافعوا عن كيانهم في كثير من المواقف السلبية ، بما تهيأ لهم من تيقّظ روح النجدة والحمية في امتهم المضطهدة ، وان ينقذوا بلادهم وأعراضهم من خطر النهب والقتل ، وما الى ذلك من انواع العسف والتدمير .

اما ان ساستنا استطاعوا ان يسيطروا على من حولهم من البلاد والمقاطعات المناهضة لهم ، او حاولوا ان يفرضوا ارادتهم على من سواهم من الحكام والجيران ، كما كان يفعل ارباب الحول والطول من السادة والقادة ، فذلك شيء لم يكن له في تاريخهم أثر يذكر او شاهد يؤثر من ايامهم المعدودة ومواقفهم المشهودة ، وإلّا لما كانوا في عنفوان يقظتهم تخلوا عن صيدا — وهي حاضرة بلادهم — للشيخ ظاهر العُمَر ، وهو انما راضَ جامحها بقوتهم واحتلّ منيعها برجالهم يوم أجلوا عنها الوالي درويش باشا ، وهزموا جند الامير يوسف شهاب .

ولكن التاريخ العاملي المجيد الذي يحقّ لنا ان نفاخر به وان نطاول عواصم البلاد السورية والعربية اجمع في تلك الفترة التي تخلف بها كل علم وادب ، وانضوت كل ثقافة وحضارة في دنيا العرب والاسلام ، هو تاريخهم العلمي والادبي الحافل بروائع الاخيلة والافكار والاساليب البيانية .

مجمل الحالة الادبية قبل الجزار

واذا كان من الصعب على الباحثين اليوم تقويم هذا التاريخ وتوضيح حدوده ومعالمه بغير ان يوزعوا مجراه ويقسموا فصوله الى عهدين : العهد الذي تقدّم حملة احمد باشا الجزار (سنة ١١٩٥هـ=١٧٨١) ، والعهد الذي تلاها واستمرّ الى هذه الساعة . فان العهد الذي تقدّم حملة الجزّار لا يمكننا من التوسع في تفصيل ادواره وتحديد شخصياته وطبقاته على ما يجب ، لبعد العهد ، وقلّة المصادر الكافية ، واندثار الكتب العاملية في زعازع تلك الغارة المشؤومة ، إلا ما ندر من الكتب التي سلمت

من النيران ، وتعدّت جبل عامل في عصرها الى غيره من البلدان الشيعية ، كاللمعة، والمدارك ، والمكاسب،والمعالم والوسائل، وأدب المفيد والمستفيد، وأمل الآمل ، والخلاصة ، والصدية ، والكشكول ، والمخلاة . وما الى ذلك من نفائس علمية وادبية لا تزال الى يومنا هذا أوثق مصدر واعذب مورد لطلّاب العلم والادب في مدارس الشيعة ، وفي سائر معاهدها العلمية على اختلاف اللغات وتنوّع الامصار والبلدان .

وقد يكون في هذا النموذج من نسيب الشيخ محمد بن محمود العاملي المتوفى سنة ١٠٩٠ هجرية (١٦٧٩) .

قف بالمنازل ، حيث اوقفك الهوى ، وكل البكاء الى المام العينِ ؛
اني غسلت من الدموع اناملي ، ومسحت من اثر البكاء كفوفي .
وقفت بي الوجناء بين طلولهم ؛ لولا مكان الريب ، طال وقوفي ؛
ارتاد في عرصاتهنّ كأنني طيف الم بناظرٍ مطروفِ ؛
فصمتنَ حتى لا يجبنَ مسائلي ، وعمينَ حتى لا يرينَ عكوفي .

وفي هذا المثل من حنين الشيخ ابرهيم يحيي الى عاملة ، وقد طرح به الحوف من فتك الجزار الى دمشق الشام .

من لي بردّ مواسم اللذاتِ ، والعيش بين فتى وبين فتاة ،
ورجوع ايام تمضينَ بعامل بين الجبال الشمّ والهضباتِ ،
والشمل مجتمع ، واخوان الصفا احنى من الآباء والأمّاتِ ،
والروض افيح ، والجناب ممنّع ، والورد صافٍ ، والزمان مُواتي ؛
اذ لا ترى الّا كريمًا كفه ، والوجه عين حيًا وعين حياةِ ،
تختال في المثنى الرحيب ضيوفه ان الكرام رحيبة الساحاتِ ؛
او عالما حبرًا ، اذا خضخضته حشد المحيط عليك بالغمراتِ ،
واذا اقتبست النور من مشكاته ، اهدى اليك البدر في الظلماتِ ؛
او شاعرا ذرب اللسان تخاله قحطًا ترعرع في الزمان الباقي ؛
يأتي بكل غريبة وحشيّة نشأت مع الآرام في الفلواتِ .
ويصوغ كل بديعة حضريّة مصقولة الجنبات كالمرآةِ .
لهفي على تلك الديار واهلها ، لو كان تنفع لهفتي لهفاتي !

. . .

خطب دعاني للخروج من الحمى فخرجت بعد تلوّمٍ وأناةِ ،
وتركته خوفَ الهوان ، وربما تُرك السير مخافة الهلكاتِ .

قد يكون في شعر هذين الشاعرين ، وفي ديوان عبد المحسن الصوري ، وديوان الشيخ ابرهيم الحاريصي ، وفي الكشكول لبهاء الدين العاملي ، او فيما ورد في كتاب سلافة العصر لابن معصوم من آثار بعض ادبائهم وتراجم بعض علمائهم ، ما يكفي لتمثيل أدبهم وثقافتهم في تلك العصور الخالية .

لذلك نجتزئ عن الشرح والتفصيل باجمال الاشارة الى هذه الآثار القيّمة ، والى ما بقي من اطلال المدارس في ضواحي القرى العاملية ، فهي خير شاهد على ما كان للعامليين من امتياز علمي وادبي ، او على مقدار تفوقهم — مع ضعف حالهم الاقتصادي واضطهادهم السياسي — في ذلك العهد القاتم . ولعل في مطالعة كتاب « امل الآمل في علماء جبل عامل » ، طبع ايران ، وما يعدده هناك من علمائهم ومؤلفاتهم ما قد يزيد القارئ استبصاراً بعظمة جهود العامليين الأول وباتساع ثروتهم الفكرية ، وخصوصاً في العلوم الدينية .

الادوار الثلاثة

هذا واما العهد الذي يلي حملة الجزار فهو العهد الذي يمكنك ، اذا تدرّجت مع تاريخ ادبهم ، وتتبعت مظاهر الحركة الفكرية في هذه الحقبة منه ، ان تقسم حياة الادب فيه الى ثلاثة ادوار . دور الإحياء والبعث ، دور التطوّر والانتقال ، دور التجديد والترف الفني .

دور الاحياء والبعث

عندما استيقظ العامليّون من غشيتهم على اثر تلك الصدمة العنيفة ، ورأوا ما قد اصاب جامعتهم من تشتيت ، وما نزل بساحتهم من بلاء ، وحاق بهم من ضعف وفقر ، وما قد مُنوا به من فقد علمائهم وادبائهم وقادتهم نفياً وقتلاً وتشريداً ، ومن اندثار مكاتبهم وتلاشي آثارهم حرقاً ونهباً وتداعياً بيد البلى[1] ، راعهم هول الموقف واكظهم بعد الشقة ما بين حاضرهم وماضيهم ،

---

١) يُروى أن مكتبة آل خاتون في « جُوَيّا » – وكانت تشتمل على خمسة آلاف مجلد – قد ذهبت كلها طعمةً للنار .

فتوائبت لذلك بقايا العواطف المكبوتة جزعاً وخوفاً ، وشظايا القلوب المتقدة غيرة وحمية ، وهبّ الجميع يعملون على توحيد الشمل ، ورأب الصدع ، وترميم ما درس من اطلال ، واحياء ما سلف من عهود علمية وادبية . وكان لهذا الاتجاه صداه فيما بعد ، واثره في تأسيس مدرسة الكوثرية ، ثم مدرسة جباع ، ثم مدرسة حنويه ، ثم مدرسة بنت جبيل ، ثم مدرسة النبطية ، ثم مدارس انصار ، وشقراء ، وعيتا .

وكان لهذه المدارس ، مع تعاقب الرحلات العلمية الى النجف ، وتأثر المهاجرين منهم بالثقافات النجفية والآداب العراقية ، نتائجها القيمة في توجيه الافكار نحو الحياة العلمية ، وعملها المؤثر في احياء الروح الادبية ، وتوطيد الأسس لهذه النهضة المباركة ، التي قام بها اولئك اللامعون من ادباء هذا الدور ، وعلماء ذلك الجيل ، كالشيخ علي زيدان ، والشيخ ابراهيم صادق ، والشيخ علي السبيتي ، والشيخ عبدالله نعمة ، والشيخ محمد علي عز الدين ، والشيخ موسى شراره ، والسيد محمد علي ابراهيم ، والسيد حسن يوسف ، والشيخ محمد سليمان ، والشيخ محمد حسين شمس الدين ، والشيخ موسى مغنية ، ممن رفعوا لواء النهضة العلمية والادبية في هذه البلاد ، وأحيوا عهداً زاهراً تغلبوا فيه على مقتضى العوامل الهدامة التي اوشكت ان تجتاح اللغة والعلوم والآداب العربية في مثل بيئتهم وفي مثل طائفتهم . ولو انه تسنّى لهم ما قد تسنى لغيرهم في هذا العصر من الاتصال بمثل معاهد اليسوعيين والاميركان ، واستخدام مطابعهم ومكاتبهم وتنوّع ثقافتهم ، الى كل ما يغذي المطامح العلمية والفنية ، لكان لهم في عالم النهضة الفكرية والادبية اثر غير هذا الأثر وشأن غير هذا الشأن . وبرهاننا على صحة هذا الزعم نبوغ السيدة زينب فواز العاملية ، صاحبة كتاب الدرّ المنثور ورواية حسن العواقب ، عندما ذهبت الى مصر واتصلت بمثل هذه البيئات العلمية ، ثم نبوغ حسن كامل صباح مؤخراً في دنيا العلم والاختراع ، عندما تهيأ له من معاهد اميركة ومختبراتها ما ساعده على تحقيق احلامه واختراعاته .

ما يمتاز به الادب في هذا الدور

اما الشعر في هذا الدور فانه قد أدّى رسالته كاملة ، او كالكاملة ، لا يشوبها غير اختلاف الغرض من الشعر اليوم عن الغرض منه فيما قبل ؛ اذ لم يكن همّ الشاعر وغايته من نظم الشعر الا التقليد والمحاكاة لمن تقدمه من اعلام الشعر في الفكر والخيال والاسلوب ، واذ كان الشاعر اذا اراد ان يمدح او يذم او يتغزل او ان يصوّر افكاره ، ويعبر عن عواطفه على تلونها ، لا بد له من امثلة شعرية يحتذيها ، وصور بارعة يعكسها ويولّد منها ابياته وقصائده ، ويؤلف انغامه واناشيده . فاذا اراد مثلاً ان يرثي ، نظر أولاً الى من يتأثره من المتقدمين كيف كان يرثي ، وبأي اسلوب ، فاذا رآه يبتدئ بالتفجع والتهويل وتعظيم المصاب ، ثم يتخلص الى مآثر الفقيد ومحلّه من قومه ، ثم إلى التعزية ببقاء آله وذويه ، وبما يتوسمه بهم من برّ ونجابة ، ابتدأ صاحبنا وتخلّص وانتهى على هذا النحو . واذا رآه يبتدئ بالحكمة والموعظة ، وينتهي بالترحم والاستغفار للفقيد والاستسقاء لجدثه ، كان ذلك كذلك حذو النعل بالنعل . وهكذا كانوا في أي موضوع ، وفي أيّة مناسبة ينظمون بها ، لا بد لهم من دليل يرشدهم وقائد يقودهم الى الاسلوب والخيال الذي يختارونه لعرض افكارهم وإظهار مجاملاتهم وعواطفهم . وانما الجواد الجواد منهم من كان يستطيع ان يجري في مصاف قادته وادلائه ، او كان يوسعه ان يسبقهم ، او يستقل عنهم في بيت او ابيات يختلسها من اختلاف المواضيع والظروف وتفاوت الاذواق والافكار .

الادلة على ان الغرض من الشعر هو التقليد

ولست في حاجة الى اقامة الدليل على مثل هذا الزعم . فالادلّة كثيرة متنوّعة . ونظرة بسيطة الى الآثار الادبية ، الباقية كدواوين آل يحيى ، وآل فضل الله ، وآل مروّه ، وآل شمس الدين ، ثم نظرة اخرى الى آثار من تقدمهم كأبي تمام ، والبحتري ، والمتنبي ، والرضي ، وشعراء الاغاني ، ومعاهد التنصيص ، والسلافة ، يتضح لك واقع الامر ، ثم ينكشف الغطاء عن تلك الصلة القوية والتشابه القوي بين الاساليب وبين الاخيلة والصور ، وربما كنت

على شيء من الحق اذا قلت بين الكثير من مفردات المعاني والالفاظ حتى في المواضيع الشعرية الجديدة التي لم يطرقها غيرهم من المتقدمين .

النماذج الشعرية

واليك شاهدا على ما اقول هذه القطعة الشعرية لشاعر كبير من شعرائهم البلقين ، اراد ان يعلن براعته في المواضيع الجديدة ، ويصف القطار ، فاذا به يصف الناقة .

تتجارى والفكر في أمد السير ، فتحتاز غاية الافكار ،
مشقت للحديد خطين ، واسات فحاطت صحاصحاً بصحاري ،
نزعتها رماقها أيّ سهم مرّ يغلي ، مفوّق الاوتار ،
مارقاً في حشاشة البيد ، تكبو دلّما عنه لمحة الابصار .
منت برّ لا قارض وعران ، هي بكر من اعظم الابكار !
نشأت ذات صبوة وغرام بعناق الفلا ووصل القفار
واستشاطت تيظاً وزفيراً وسمت بالصدى فضا الاقطار .

فانظر اليها ، على ما بها من براعة السبك ، ومتانة التركيب ، وصفاء الديباجة ، هل ترى ، بعد تجريدها من ذلك العنوان ، او تحريرها من تلك الجملة « مشقت للحديد خطين » ، غير وصف عامّ من اوصاف الناقة ، على ما كان يصفها به المتقدمون من أعراب البادية والضاربين على وتيرتهم من المتأخرين !

ثم انظر الى هذه القطعة الثانية التي اراد بها وصف الباخرة :

كلما زجّها بجذب ودفع مارجٌ في فؤادها من نار ،
فتحت للخضمّ عيناً ، ومرّت بين اجفانها خيال ساري .
فخر اليمّ في جماجم صدر فترى الماء حولها كالسوار ،
كلما اتلعت مناحير موج غرضها بكلكل بتّار .
واذا الريح جمّدت وفرات النسر ، هبّت تغلي جمود الغمار .
تتخطى مناكب اللجج الشمّ ، على طولها ، بأيد قصار !
هي ، عجزاً ، قطاً ! وعُنقاً ، نعامٌ ! وجناحاً ، فيجٌ ، وصوتاً ، قاري !
بنت بحر تخلقت من سجاياه بخلقي خلاعة ووقار !
فهي ارسى ، اذا رسى ، من نبير ، ليس يدري جرت ام الماء جاري !
وأوانا تختال تيهاً ورقصاً ، وفق تصفيق موجه التيّار ،
فاذا صوّبت تغُصّ لتخوم الارض ، او صعّدت تحُكّ السواري .

افلا ترى ، وانت تقرأ هذه الابيات ، ان هذه المعاني التي حشدها هي بنسبتها للناقة أروع واصدق منها بنسبتها للفلك ، وخصوصاً اذا جاز لنا ان نبدل هذه الالفاظ التي حوّرت بها معاني الناقة لتكون وصفاً للفلك او جاز لنا ان نضع:

« اروعٌ من حداتها الابرار » مكان « مارجٌ في فؤادها من نار » في البيت الاول .

وان نضع لفظة « السراب » مكان « اخضمّ » في البيت الثاني .

و« الافق » مكان « اليمّ » و« الآل » مكان « الماء » في البيت الثالث .

و« الحقف » مكان « الموج » و« برخدها » مكان « بكلكل » في البيت الرابع .

و« القفر » مكان « النمر » في البيت الخامس .

و« القنن » مكان « اللجج » في البيت السادس .

و« البر » مكان « البحر » في البيت الثامن .

و« النقع » مكان « الماء » في البيت التاسع .

و« شيحه والغار » مكان « موجه التيار » في البيت العاشر .

ثم ما لفظ « اتلعت » وما كلمة « المحير » وما كلمة « النحر » وما كلمة « الكلكل » في قوله :

كلما أتلعت مناحير موج ، غرقا بكلكل بتار

وهل هي الا من خصائص الناقة . . . وكذلك « تتخطى بأيدٍ قصار » في قوله :

تتخطى مناكب اللجج الشمّ ، على طولها ، بايد قصار

وكذلك الزجّ والجذب والدفع في قوله « كلما زجها بجذب ودفع » .

ثم التيه والرقص والاختيال في قوله « وأوانا تختال تيهاً ورقصاً » .

وعلى هذا النحو يستطيع الباحث المدقق ان يمضي في استعراض هذه القصيدة الرائعة من اولها الى آخرها ، فلا يجد فيها اثراً للحرية والاستقلال ، الا بما شذّ من ابيات قليلة افترضها على الشاعر افتراضاً اختلاف الموضوع وتغاير الظروف ، ولذلك لم يكن فيها كشاعر ملهم متيقظ الفكر ، متوثب الخيال ، وانما كان كمحدّث عادي ينقل اليك ما يراه بايسر صوره وابسط مظاهره ، او يحمل عليه

صوراً متكلفة معنفة لا يستسيغها الذوق الفني ، ولا تقرّها طبيعة الموضوع والحقيقة المرعية في الخيال . ثم بعد هذا كله ، سَلْ نفسك عن السبب الاول والعلة الوحيدة في ذلك ما هي . . . أنقص في فطرة الشاعر ام ضعف في ملكاته الفنية . . . ام قصور في لغته وبيانه . . . ام هو محض التقليد . . . او سل بيئته العامة والخاصة وثقافته العاملية والنجفية وما فطر عليه ابناء ذلك الجيل من تقديس الاجداد والتقيد بامثال قولهم « هل غادر الشعراء من متردم » و« هل ترك الاول للآخر شيئاً » ، تجبك هذه كلها مختلفة مؤتلفة بافصح بيان ، واصدق حجة ، انه التقليد والتقليد الطبيعي في هذه الطبقة من شعرائنا .

التخميس والمعارضة والتشطير

ومما يؤكد لنا ذلك الزعم ما كانوا عليه من افتنان بالتخميس ، والتشطير ، والمعارضة ، وما اشبه ذلك من الاساليب التي يدور بها الناظم حول غيره من الشعراء ، ويتأثر خطاه خطوة خطوة . فقد كان الشاعر منهم الى الامس القريب يترقب فرصةً للنظم بظهور قصيدة او بالعثور على ابيات تثير إعجابه او تبعث نقمته ليشطرها او يخمسها او يعارضها ، وما عهدنا بالقصيدة الافريقية :

مهلا ، على رسلك ، حادي الأينق ، ولا تكلفها بما لم تطق !

او بخالية بطرس كرامه :

امن خدّها الورديّ أفتنك الخالُ ، فسحّ من الاجفان مدمعك الخالُ !

او بتوشحات السيد محمد سعيد حبوبي ، او بقصيدة ابي الحسن التهامي .

يا ليل الصبّ متى غده؟ وقيام الساعة موعده !

ببعيد ، وقد تسابق في معارضتها اكثر من شاعر من شعرائنا الكبار كالشيخ ابراهيم صادق ، والشيخ محمد حسين شمس الدين ، والشيخ عبد الحسين صادق ، والسيد عبد الحسين نور الدين .

طرائقهم في الجدل والنقد

وقد يكون اشد تأكيداً واوضح دلالة على مذاهب الادباء في ذلك العهد طرائقهم في الجدل ، وتمييز صحيح الشعر من فاسده ، تلك الطرائق التي اوشكت

ان تنتهي في قولها الفصل إلى المقارنة بين قديم الشعر وحديثه ، فما كان له مبرر ومشبه من القديم اقروه وصوبوه ، وما لم يكن له شيء من هذه المبررات شكوا في صوابه او لجّ بهم الجمود الى طرحه وانتباذه .

واليك شاهداً على ذلك ، ما يرويه الثقاة من اختلاف العلامتين السيد علي محمود الامين والشيخ عبد الحسين صادق ، في مأتم العلامة السيد محمد نور الدين ، على بيت من الشعر يدعو بـه الشاعر آل الفقيد ان ينكسوا الهام وينفضوا الاكف يأساً من المجد والفخار بعد فقيدهم ، ومن ان الحجة المعتبرة والكلمة المسموعة بين ذلك الحفل المكتظ بالأفاضل من اهل العلم والادب انما كانت للذي استطاع ان يستشهد على جواز ذلك المعنى وصحته من الشعر القديم بمثل قول مهيار رائياً ومعرضاً :

أقريشُ ، لا لفـ أراكِ ولا يدٍ ؛ فتواكلي ! غاض الندى ، وحلى الدى !
خولـت فانتفي باوقصَ ، واسألي مَن بزّ طهرك وانظري من ارمدِ ،
وعي الذحول فلستِ رائـد حاجة تقضى بطـرور ولا بمنـدِ ،
خـلّاك ذو الحسبين انقـاضاً ، متى تجـذب على ظهر المـذلة تنقدِ .
قـمر الدنا ، اضحت سماؤك بعده ارضاً تداس بحـائر وبمهتـدي ؛
فاذا تشادقت الخصوم ، فلجلجي ؛ واذا تصادمت الكماة ، فمرّدي .

اما الاعتداد بالذوق الفني ، ومراعاة المقام ، وانه مقام تعزية ورفق وتكريم لا يليق به من شاعر حساس ان يتعرض للمعزّى من آل الفقيد بما يضعف رجاءهم ويقلّل من هيبتهم ويجردهم من كل كفاءة ، بدلاً من ان يخلق لهم بخياله جواً فسيحاً واسعاً من الاحلام والاماني المنعشة ، ومحلاً سامياً مرموقاً من الثقة بمستقبلهم والاطمئنان الى حزمهم ونشاطهم ، اما ذلك وامثال ذلك فلم يكن له من نفوس الحاضرين اي عناية واي التفات .

ابلغ عوامل التقليد

وربما كان من اقوى البواعث على التزام هذه الخطة التقليدية ان اصحاب الكفاءات والمواهب الفنية منهم لم يتهيأ لهم ان يتخذوا الشعر والادب غاية لذاتها او ينصرفوا بهما الى المواضيع الفنية البعيدة عن سلطان العرف والتقاليد

الجائرة ، ويتكلوا فيما ينشرون على افكارهم وعواطفهم ويخلصوا لها في شعرهم وبيانهم . وانما كانوا مضطرين بحكم الظروف السياسية والتقاليد الثقافية الى مراعاة الشائع والمألوف من فكرة وعرف واسلوب ، ثم الى جعل الشعر والأدب وسيلة لتحقيق اغراضهم الاجتماعية وأداة مصطنعة لقضاء حاجاتهم الضرورية او رفع المسؤولية عنهم في الحفلات والمناسبات والمجاملات الوقتية .

الخصائص المذهبية في شعرهم

ثم اذا كان هنالك شيء آخر يميزهم عن غيرهم من ادباء سورية ولبنان في هذا الدور فهو تأثرهم الى حد بعيد بكل ما له صلة وثيقة بتاريخ المذهب الشيعي ، اذ قلما تجد لهم مجموعة ادبية او ديوان شعر قد خلا من وحي العواطف الشيعية المحتدمة ، عواطف الحب لآل بيت الرسول ، او عواطف الحزن والرثاء لما ألمّ بهم من حيف وظلم ، او عواطف الحماسة والثورة على مغتصبي حقوقهم ومضطهديهم من الساسة ، مع التعمق في الاستدلال على صواب الخصائص المذهبية وعلى خطأ مفنديهم . وانه ، وان كان في ذلك شيء من التقليد لشعراء الشيعة الاولين كالكميت ، ودعبل ، وابي تمام ، وابن الرومي ، او الرضيّ ، ومهيار ، او ابي فراس وامثاله ، فليس في الامر من شكّ في انه كان يمثل اصدق عاطفة منهم واقوى عقيدة في نفوسهم . ولعلّ اصحّ نموذج لهذا الادب ديوان الشيخ ابراهيم صادق ، والقصيدة الغديرية للشيخ محمد حسين شمس الدين .

۞

ولكنه على ايّ حال يمكننا ان نقول ان شعراءنا المتقدمين ، بذلك اللحاظ وبذلك القياس ، قد أدوا رسالتهم محكمة الاصول متنوعة الفروع ، واخذوا بحظهم الارفى من احياء الادب العربي القديم والاحتفاظ بمذاهبه واساليبه وجماله البدوي التليد . ولعلّ اصدق نموذج لأدبهم وشعرهم هذه القطعة من شعر الشيخ محمد حسين شمس الدين .

على الدار من سلمى بذي الأثل ، سلّموا ! وهل تنطق العمياء او تتكلّمُ !
قفوا بمغانيها قليلاً ، لعلّني أداوي الحشا من زفرة تتضرّمُ .

دعوني اجيل الطرف في عرصاتها قذيًا ، وفي آياتها اترسمُ ؟
اناشدها عنهم ، متى عنك فوّضوا ! وفي أيّ وادٍ بعدك اليوم حيّروا ؟
وشُعثٌ على الاكوار ، خمصٌ من الطوى ، سروا يجبطون السير ، والليل مبهمُ ،
خفافٌ على الاقتاب ، إلّا حلومهم : وان وقذتهم نسة السير ، هوّموا .
ينصّون في الليل البهيم قلائصاً لها ، من ذميل السير ، ورد ومطعمُ ؟
اذا ركبوا ، طارت بهم عزماتهم ؛ وان قارعوا ، فالحمد كسبٌ ومغنمُ ،
مذاويد لا عفوا لروع حلومهم ، وان عرموا يوماً على الروع صبروا ؛
وكلٌّ له في ذروة النجم غاية ، على اهم في ظلمة الليل انجمُ .
يُسبّح عن احقابه سنة الكرى ويغضي على الملات ، والناس نومُ .

حالة النثر الفني

واما النثر الفني فقد كان ضعيفاً متخلفاً ، يسهب في العبارة ولا يفصح ، ويجمل في الاشارة ولا يبين ، ويكثر من الجمل المترادفة والاستطرادات البعيدة بدون نظام ، ولغير مناسبة قوية توجب ذلك سوى الحرص على رصف الالفاظ والاستفاضة من معاني البديع وسوى المبالغة في الوصف والتهويل والاسهاب بما لا يمثل شعور الكتاب وآراء المنشئين ، وانما يمثل تكلفهم او تملقهم ورغبتهم في ارضاء المخاطبين وتقليد المتقدمين كما يبدو من بعض الرسائل المخطوطة ، ومن كتاب « الجوهر المجرّد » للشيخ علي السديتي في شرح قصيدة علي بك الاسعد ، ومن خطبة الشيخ محمد علي خاتون في تأبين الزعيم حمد البك . ولعلّ الاغراق في التسجيع والترصيع والجناس والطباق الى غير ذلك من المحسنات البديعية اظهر مميّزات هذا النثر .

واليك هذه الجملة النثرية للأديب الفاضل الشيخ علي السديتي من مقدّمة كتابه في شرح قصيدة الزعيم المومى اليه ، نموذجاً لنثرهم :

« ان الادب مهما خمدت ناره ، ونبت شناره ، وسدلت أستاره ، حتى تشابه ليله ونهاره ، فما زال علماً قد رفع مناره ، وجلّ اعتباره وحمدت آثاره ، ومدحت سماره وكملت اثاره ، وتعالى مقداره ، سيما ان شفع بالتاريخ نكاته ، ومزجت بالنابر اشاراته ، ووشحت بالوقائع فقراته ، ورصعت بالفرائد اياته وبالغرائب اشتاته ، وتحلّت بالعقود المنظومة لَبّاته . ولكم حاولت منه ابراز بدره وكشف سجاف خدره ، فاراني كالقزح يروم غوصاً فيقع ، او كالكسير يشتدّ لحاقاً فيجرح ، فأغضي جفني ارتماساً واجرع ريقي اغتماساً ، فكم مودة طرحتها من غزيق المتاعث ، وفريدة نبذتها بذ يمين الحادث ، وجوهرة جانبتها محاسبة

الطامث ، حتى علقت كفي بالدر النضيد والعقد الفريد والجوهر المنظوم بسلك القصيد ، الكلمة التي كادت ان تكون معجزة الايام وكتر الماضر للايتام ، لا جرم ان ناظمها ملك الفصاحة فاعتها ، وجمع مكارم المحامد فاطنها ، فاذا ترى نسيبها ارق من نسيم الصبا ، وألين من عطور زهر الربى ، وأزكى أرجاً من قيصوم القطيف ، وابعد مراماً من دعوى الشريف ، حتى اذا برقت بالافتخار رواعدها ، وتالت بالايام الغابرة جدائدها ، امطرت المزن ورعدت ، وانتضت السيوف وللسرّان قصفت ، فأنت فيها ما بين روض اريض ، وزهر غضيض ، ومنعة صياص وشدة دلاص ، وان حدّثت عما مضى حاكت بالفحول غدر ، والاسود تكشر ، والسهري يثور ، والهندي يصور ، والبارود يرعد ، والنار تحرق ، والفرسان تدعي والشجعان تتكنى ، وبوادر الخيل تخطر ، وبواتر الشوس تقطر ، بينا انت في غض ناعم ، وطير ناغم ورذاذ ساحم ».

فهل ترى فيها من اثر البيان غير ما تراه من سجع متكلف واغراق زائد يبعد القارئ الحصيف عن الايمان بصحة المعنى وصدق الوصف ، ولا سيما اذا اطلع على اصل القصيدة المشروحة وعرف ان المختار منها لا يسمو عما تتضمنه قصص الزير وتغريبة بني هلال من شعر ركيك الاسلوب ، سطحي المعنى ، لا يدلّ على اكثر من كون صاحبه سامياً في فطرته ، بسيطاً في معارفه ، متأخراً في نظمه عن درجة اولئك المعاصرين له من نوابغ الطائفة وشعرائها ، كما يبدو لك في هذه القطعة المختارة من تلك القصيدة المعنية في الشرح والتفسير :

نموذج من فخرها وحماستها :

سموت بآباء كرام ، شعارها ... بناء المعالي حيث كيوان ساطعُ ؟
لهم شرف يسمو على هامة السُّهى ، ... ومجدهمُ فوق المجرّة طالعُ .
همُ القوم من عليا نزار ، وطغلهم ... تمائم البيض الرقاق القواطعُ ؟
همُ مهدوا من عامل كلَّ صعبة ، ... وهم شيدوها ، والرماح شوارعُ ؟
وهم ورثوها بالصوارم والقنا ، ... وفي همم تندكُّ منها القوارعُ ؟
وهم لذوي الآمال كعبة آملٍ ، ... وعند لقا الأعدا ، رياح زعازعُ ؟
وهم في الوغى آساد كلّ كريهةٍ ، ... وفي السلم بالجدوى غيوث هوامعُ ؟
وايامهم من عهد عاد شهيرة ، ... وفي كل عصرٍ هم بدور طوالعُ .
مناقب لا تحصى لهم ، ومآثر ... شذا عرفها في الهند والصين ضائعُ ؟
دعوا ذمم العلياء بالهمم التي ... اليها جميع العالمين خوافعُ .
وكم شامخ العرنين اضحى مذللا ... لدينا ، وكأس الذلّ والخسف جارعُ :
تروّي القنا في يوم معترك القنا ، ... وبثارنا في هامة العدّ راكعُ

ألم تعلم الاقوام اني فتى الوغى ، وبدر ، اذا ما اظلم الخطب ، طالعُ !
واني من القوم الكرام ذوي العلى لبوت قراع ما لهم مَن يقارعُ !
وان دافعتهم من زمان صروفه ، يعاضدهم عون من الله دافعُ .
وفي جبهة الايام ، خطت مآثر لنا سطّرتها في الدهور الوقائعُ !
وان نحن فاخرنا بآثار مجدنا ، فليس لنا عند الفخار منازعُ .

حالة التأليف

واما التأليف فانه قلّما كان يتعدى الجمع بدون نظام ولا تبويب ولا موازنة كما ترى في كتاب « سوق المعادن » للشيخ محمد علي عز الدين ، او تلخيص المطوّلات كما يبدو من منظومة الشيخ موسى شراره في اصول الفقه ، او شرح المتون كما نجد في كتاب « مقصد الطالب » في شرح شافية ابن الحاجب للشيخ محمد سليمان الزين .

دور التطوّر والانتقال

لم يكن هنالك من سبيل لحرية الرأي والشعور الشخصي ، او للتغلب على المصطلحات العرفية والاعتبارات الرسمية ، اثناء تحكّم الفوضى ، وتمرّد الحكم الاقطاعي وما شاكله في البلاد العاملية . وقد ساعدت مع التعصب الاعمى روح الارستقراطية الفظّة في كل طبقة من الطبقات . لتؤاخذ اولئك العلماء والادباء اذا ما وقفت افكارهم وقرائحهم عند اساليب المتقدّمين في التفكير او في التعبير عن العواطف التي كادت تستفزهم وتحرّك ألسنتهم في القول ، او اذا اقتصروا في الشعر على المدح والرثاء والتهنئة او ما يشبه ذلك من الاغراض ، أوَ لم يكن الاستقلال في الرأي والعاطفة ، والتجرّد في النظر والحسّ الذاتي الى ما وراء المأثور من اقوال واساليب وعادات وتقاليد مرعية — يومئذ — اشبه بالجنون المطلق ، او بالخروج على كلّ نظام عرفي او شرعي يوجب الهزء والسخرية من صاحبه او يقضي عليه بالحرمان من كل حقّ محترم في الحياة ؟ فاذا اضفنا الى ذلك كله ما كان من تقاعس الثقافة العامة ، واعتزال الطوائف والبلاد بعضها عن بعض بموجب الفوضى في النظام ، وتضعضع الامن ، وعسر المواصلات ؛ فهل يعترينا شكّ في ان اوّل باعث على التطوّر والتجديد كان بطبيعته

حافزاً للهمم ، ومطلقاً للحس والشعور والارادة الذاتية ، هو تضعضع الحكم الاقطاعي ، وتعديل النظام الاداري ، وتيسير المواصلات ، مما مهد السبيل للحرية والامن ، وفتح الباب على مصراعيه لاختلاط الناس بالناس وللاطلاع على ما وراء المخطوطات من عوالم فكرية ومناح اجتماعية ومظاهر طبيعية . . . حتى صح لكل متفائل حُرّ الضمير أن يتمثل بقول الشبيبي :

مضى زمانٌ قولك الحق به إثم ، وقول الإثم حقٌ مفترضْ :
واليوم هذا قولنا ، فمن مضى ؟ وهذه ألفاظنا ، فمن اعترضْ ؟

العامل الثاني على التطوّر

ذلك ، في اعتقادي ، هو العامل الاول على التوسع في النظر والتقدم في البحث نحو الجديد ، اما العامل الثاني فقد بدأت طلائعه تنتشر بانتشار الصحف العلمية والادبية « كالمقتطف » و « الهلال » و « المنار » ، وما شاكلها نزعة ولهجة من المؤلفات الجديدة بين ايدي الطلاب والادباء العاملين ، ثم ما زال اثر ذلك ينمو ويشتدّ في اعماق القلوب الحاسة بفضل التوسع في البحث ، والاقبال على المطالعة الى ان اخذت الحماسة للتجدد والاصلاح بيد الحاج علي الزين مأخذها للعمل على اصدار مجلة « العرفان » وتحصيل امتياز قانوني باسمه من الحكومة العثمانية سنة ١٩٠٩م . ثم تولى تحريرها نجله الاكبر ، الاستاذ الشيخ احمد عارف الزين ، وآزره على ذلك العمل الجليل الاستاذان الكبيران الشيخ احمد رضا والشيخ سليمان ظاهر موازرة بليغة ، فكان لهذه العوامل المجتمعة ، ولهذه الجهود المتضافرة ، ولهؤلاء الاقطاب النابهين ، مع من تأثر بنزعتهم على نحو من الموافقة كالشيخ أسد الله صفا ، والشيخ محمد علي حوماني ، وعلى نحو من المخالفة كالعلامة الشيخ عبد الحسين صادق ، والعلامة السيد عبد الحسين شرف الدين ، اكبر الاثر في تطور الحركة الفكرية هذا التطور السريع ، وفي ترويج الدعوة الى التجديد في الادب والتحرر من نير التقليد في التفكير والعمل ، وان ظلّ هؤلاء السادة — بموجب الثقافة والنشأة الاولى ، وبحكم الاعتبارات والظروف الاقليمية الضاغطة — محافظين على جانب من اساليب التخيّل والتفكير والتعبير

القديمة لم يستطيعوا ان يتحللوا من اثر المحفوظات ، وحكم العبارات المأثورة في عهد الشباب ، على ما تداولوه في نظمهم ونثرهم من موضوعات جديدة ، وعلى ما استقلوا به من ملاحظات وآراء طريفة . فهم ما انفكوا في التعبير عن افكارهم المستوحاة من صميم الحياة العصرية يتوجهون في تركيز اساليبهم واخيلتهم ، وفي انتزاع تشابيههم وامثلتهم واستعاراتهم ، الى الماضي البعيد اكثر مما يتوجهون في ذلك الى الحاضر القريب .

ما يمتاز به الادب في هذا الدور

اما الشعر فهو كشعر اولئك المخضرمين الذين شبوا على ممارسة القديم من علوم اللغة وآدابها ، ودرجوا على احترام الاوضاع المألوفة والتقاليد المتبعة ، ثم تأثروا بعد ذلك بالجديد من الافكار والمواضيع ، وبالطريف من الاساليب والصور البيانية الخالصة من زخرف البديع وفضول اللفظ . فلذا يبدو عليه روعة القديم باساليبه وقوالبه ، وطرافة الجديد في مواضيعه واغراضه ، يزخر بكل ما يحملنا على احترامه وتقديره من حكمة بالغة ، ورأي سديد ، وقول فصل .

ثم هو ، في المناسبات الوقتية والموضوعات القديمة كالمدح والرثاء والنسيب وما اشبه ذلك ، لا يختلف عن شعر المتقدمين في جزالة اللفظ وفخامة المعنى ، والالتزام بكل ما التزموا به من تمهيد المقدمات ، والتخلص الى الغرض ، ثم الى الخاتمة ، مع مراعاة بعض المعاني والجمل التقليدية ، وفي ديوان « الذخيرة » للشيخ سليمان ظاهر ، وديوان الحوماني النماذج المتعددة لهذا الشعر .

واما في السياسة والوصف وتصوير بعض الظروف والحالات الاجتماعية ، فهو عالمٌ مستقل يمثل الشخصية الادبية والسياسية والفكرية لهذه الطبقة المخضرمة اصدق تمثيل بما يتجلى فيه من رائع البيان ، وسداد المنطق ، وصدق الوصف ، وخصوصاً في قصائد الشيخ سليمان كقصيدته إلى « ولسن » ، وقصيدته في وصف الربيع ، وقصيدته في قلعة بعلبك ، الى كثير من امثالها ، ولئن طغى سلطان الفكر على العاطفة في هذه القصائد كلها ، فذلك لأن الموقف موقف اتزان وتفكير واعتبار لا موقف تدله وهيام وبث ، وخصوصاً من الشيوخ ؟

وهذا نموذج من قصيدة الشيخ سليمان في قلعة بعلبك :

وقفتُ ، ولي عن الدنيا ذهولُ ، وما اودى براحلتي الدميلُ ؟
على عجماء صامتة النواحي والمح نطقها الصمتُ العليل ،
مشت حقب عليها اثر حقب ، وجيلٌ حولها اودى ، وجيلُ ؟
وفي حناتها كم قُلَّ جبترٌ ، وحُطّم ذابلٌ ، ونبا صقيلُ !
ولكن صابرت نوب الليالي ، ولم يرزح بها عبء ثقيلُ ؟
ولم تذعب بجدتها الرزايا ، ولم يسمج لها وجهٌ جميلُ .
روت خبر الخلود ، وكم عليه بها قد قام منتصباً دليلُ ،
دُماها سافرات عن وجوه ، وما أخفى خباها سدولُ .
مسائيَ بعلبكٌ ، لأنتِ سرٌّ ، وليس لك اسدًا وصولُ ؟
اليك الباحثون مشوا ظماء ، وآبوا ، والغليل هو الغليلُ ،
وما بك من تماثيل ونقش وأعمدة فأدمغةٌ نسيلُ ؟
هياكل ، والقرائح من قديم على جنباتها اسدًا مثولُ ؟
معابد للنوابت والجواري وما أفلت ، وتلك لها افولُ .
تودُّ لو ادّنى منها لسامي هياكلها على تقف تزولُ ؟
ترى فيها الدوالي قد نتها الى كرمية المثلد الاصول .

مواضع الشك والتساؤل

ولعل الشيء الذي اصبح موضعاً للشك والتساؤل هو هذا « الغزل الصوفي » الذي انتهى اليه فن الحوماني في ديوانه الماثل للطبع « حرًّا » . فانه ، على ما فيه من جزالة وعذوبة لفظية ، لا يشعرك وانت تقرأه ، بشيء سوى الشهوة العابثة التي تذوي لها العيون وتحمرّ الشفاه ، اما ان يشعرك بهذه العاطفة الوجدانية الملتهبة وهذا الفناء في جانب المحبوب ، كما يشعرك صادق الشعر الوجداني في كل لغة وفي كل ادب وخصوصاً الادب العربي ، فهذا مما لا سبيل اليه !

الفلسفة المعقّدة

ثم اذا كان هناك شيء آخر في هذا الغزل الحديث يعرف الحوماني ، فهو هذه الفلسفة المتكلفة او هذه الفذلكة « المعقّدة » في تعطيط تلك المعاني الغزلية القديمة التي كان يتجنّى بثها على القرّاء ويتيه اعجاباً في ديوانه الاول ، ثم اصبح ، من جرّاء النقد الصريح ، يتورّع من اتسامها باسمه ، فان هذه الفذلكة قد جنت على

هذا الغزل جناية كبرى وجاءت اكثر مقاطعه جسماً بلا روح او لفظاً بلا معنى ، كما تركت السامع يتيه في ظلمة داجية من الابهام والغموض لا يهتدي الى كثير من مذاهب الشاعر واغراضه ولا يقف على شيء من المنطق المقنع والصور المؤثرة .

التسامح في الوحدة والانسجام

هذا وقبل ان انهي الكلام عن الشعر في هذه الطبقة ارى من الواجب عليَّ ان ألفت النظر الى هذا التسامح من شعرائها بما كان يتسامح به المتقدمون من انسجام الصور الشعرية وتوسيع الفراغ بين ابيات القطعة الواحدة . ثم الى هذا التفريط بما كانوا يفرطون به من وحدة الموضوع والغرض كما يتضح لك من شعر الشيخ سليمان في بعض قصائده ، ومن اغلب شعر الحوماني ، وخصوصاً في قصائده الكبيرة كتلك السينية التي انفق — على قوله — نصف عام في تأليف صورها وتنقيحها ثم نشرها مع سينيتي البحتري وشوقي ، وجعل جائزة سنية للفائز بتحليل القصائد الثلاث والمقارنة بينها .

فان هذا التسامح وهذا التفريط يشوّش على القارئ انتباهه ، ويضلل شعوره ويصرفه عن متابعة القراءة . وليت شعري كيف يستطيع الشاعر ان يؤثر في ذهن القارئ اذا لم يسلك به في مجرى منطقي مستقيم ، ويقوده في سياق معين ، ويرسم امامه وحدة فنية بدون ما تعقيد او غموض او اضطراب . واذا كان لشاعر الفطرة في محصور البداوة والجهل عذره من الاكتفاء بتداعي الافكار والخواطر ووحدة الباعث للذكريات عن وحدة الموضوع والغرض ، فما عذر شاعر القرن العشرين في عصر النور والثقافة والترف العقلي . . . وقد مهدت له المقاييس الفنية والابحاث الادبية الطريق السوي الى مثله الأعلى ؟

نموذج من سينية الحوماني :

رُبَّما انضج التجارب درسي لثلاثين من سِنيَّ وخمسِ
ولقد تكشف الغطاء لبومي ، عن مآتي غدي ، بصيرةُ أمسي
قد لفظت الحياة يشقى بها المرءُ وتثرى منها يدا كل جبسِ
ايها ذا الأديب ، صفْك صفّي تحت احداثها ، ودرسك درسي الخ . . .

واذا كنت ممن يحبّ ان يجهد فكره وشعوره بدون ان ينتهي الى معرفة موضوع القصيدة وغرض الشاعر من نظمها ، فاستمرّ على قراءتها من البداية الى النهاية ، وامعن النظر في ضبط السياق ، او في توحيد الفكرة والموضوع ، او في ترتيب الصور والمعاني الشعرية على نسق منطقي متسلسل في مجراه نحو غاية واحدة ، فانك تضطرب وتضطرب اثناء ذلك بين ان يكون غرض الشاعر من نظمها ان يصور لنا الخطط التي يجب ان نتمشى عليها في بناء المستقبل كما يهيئك مطلع القصيدة هذا :

رُبَّما انضج التجارب درب للثلاثين من سني وعمري
ولقد تكشف الغطاء نيوس ، عن مآتي غدي ، بصيرةُ امسي

او ان يصور لنا « زهده » في الحياة كما يعدّك البيت الثالث الى استقبال مثل هذه الصور :

قد لفظت الحياة يشقى بها الحرّ ونثرى منها بدا كل جبس

ولكن بينما انت تتوقع منه هذا المذهب او ذاك ، اذا به يقول :

كم اطوف البلاد شرقاً وغرباً فوق ظهرين من سفين وعنس
أيّ جد يغريه بي ، أيّ عزّ تترامى اليه اية نفس

فتتوسّم بانه سيحدثك عن اسرار عظمته ، وعن الجهود التي بذلها في بناء هذه العظمة . فاذا هو يميل بك الى انتقاص اوضاع الشام والعراق بقوله :

فاذا القول فيها دارُ ملك ، واذا الفعل ثمّ دارةُ فلس ،
لا يغرّنك في الشآم رجالٌ موّهوا بالرياء وجه الفرنسي

ثم بينما تحسبه يريد ان يترسل في المحاسبة ، بعد ان اجهده البثّ ، كما يتراءى لك من قوله :

هتي همتي ، فقيّا نواحي في طلاب العلى ، ونقيّ نفسي
أحرقوني بعد الممات ، اذا لم يُبْنَ من دارة الكواكب رمسي

اذا به يقول بعد ذلك ، وبدون فاصل :

اتحذى إصلاح شعبي ، ولمّا تعدُ كفّاي لعبة المتحسي ،
لِمَ لَمْ يسمعوا ، وهم غير صمّ ؟ ، لِمَ لَمْ ينطقوا ، وهم غير خرس ؟

ثم يعود على اثر ذلك الى البثّ والشكوى بمثل قوله :

فاعجبوا للاديب ، وهو اديب ، واردًا في حياته ورد خمس !

وبينا تسمعه يندد بالاصدقاء بمثل قوله :

لا ألوم الصديق ان ينساني سالفات العهود ، فالبعد يُنسي

اذا به يطفر لمهاجمة الملوك فيقول :

شرُّ ما في الانام نعمى مليك ، هي في شعبه عمارة بؤس

ثم لا تكاد تمضي الى قوله :

قل لمن حاول الزعامة فينا ، بعدا نائل وشدة بأس !
اخفقت بعدكم شجاعة عمرو ، وندى حاتم ، وحكمة قس

حتى تراه يعقب على هذا الكلام بما لا يلتئم معه في مساق او محوى :

أفأستعرض الحياة شُويْرِكَ ، وهي لندن ، وغوطة دمشق ؟
ما الذي تبلغ البراعة في عدّ انسها ، وهي في انامل خمس !

وهكذا تراه يدور بك ويمضي في تنقلاته من فكرة الى فكرة ، ومن جوّ الى جو بغير ما علاقة او مناسبة قوية تقتضي الانتقال ، وتحفظ السياق ، وتجدد الغرض ، وتصون الوحدة الفنية ، وتستدرج الحسّ والشعور والفكر الى التأثر بما تأثر به شعرنا ، او الى الاقتناع بما ذهب اليه من غاية وقصد .

ولعلّ الذي طوّح بالشاعر الى هذا الاضطراب والتكلف في اقحام الصور والامثال ، والى هذا التفكك والغموض ، هو ما كان شائعًا في عرف المخضرمين من الامتداح بالتعمق وطول النفس . فقد كانوا لاجل ذلك يسترسلون في القصيدة الواحدة لإثبات كل ما يسنح لهم من خواطر ، ولعرض كل ما يستطردون اليه من صور او ينتهون اليه من خيال ، من دون ان يحتاطوا في ذلك لما يناسب الغرض والمقام ويطابق الامكان والواقع ، او يحفظ الوحدة ويضبط السياق ، ويرضي الذوق والمثل الاعلى في الفن والجمال .

حالة النثر الفني

واما نثرهم فقد ابتدأوا فيه على طريقة الخوارزمي المسجوعة كما يبدو من بعض رسائلهم القديمة ، ثم تطوّر بتطور الحياة الثقافية ، وتطوّر الافكار

والاذواق الادبية حتى استقرّ على هذا النمط الخاص الذي يراعى فيه الترتيب والقياس وتحرير العبارة من الحشو والفضول ، ووضعها بطريقة تناسب الغرض والمقام في سهولتها وإيجازها او قوتها وتبسطها ، من غير ما تأنق في الوشي او تدقيق في الصياغة ؛ ذلك بأن اكثر الموضوعات التي مارسوها هي مواضيع علمية لا تقتضيهم باكثر مما يقتضيه البحث العلمي من ترسّل وصفاء.وهو في جملته بليغ الأداء ، واضح القصد ، خالص من شوائب الغرابة والابتذال .

ولعل هذه الخصائص مع ما يكتنفها من صحة اللغة واتساق الالفاظ وشرف العبارة الى هدوء العاطفة ودماثة اللهجة ، اظهر ما يمتاز به نظمهم ونثرهم ، وهـذا نموذج من نثرهم مأخوذ من مقـال « التقيّة » للاستاذ الشيخ احمد رضا :

« فطر المرء على حب المصلحة ودفع المفسدة وتأصلت فيه محبة الذات فهو يجتهد لحفظ كيانه وبقاء ذاته وترقية شأنه . وقد اختلفت اهواء الناس وميولهم فتفرقوا احزاباً ومذاهب تضاربت غاياتها واختلفت مقاصدها ثم لعبت السياسة دورها فزادت الشقة بعداً واتسعت مسافة الخلف بين الفرق فكانت تتنازع السلطة والمقام ولكنها العزة للكاثر والحق للقوة ، فسعى كل فريق لإفناء القوة في حزبه وحرص على الكثرة في قومه لينال بذلك الرفعة والمقام الأعلى ويستأثر بكرسي السلطة ويتسنى له نشر مبدأه ، واصبح كل ذي غاية يحاول جرّ الناس اليها ليسعف في الوصول اليها حتى اذا علا شأنه واستضعفت القوة المناوئة له مال على سلطانها ليستمرئ عيشه هنيئاً بلا منازع . وحيث رأت الفئة المغلوبة على امرها ضعفها عن المقاومة كتمت امرها واسرت دعوتها واتفقت عدوها الى يوم يساعدها الحال فتظهر . هذه هي التقية .

ان التمسك بحبال التكتم للفئة المستضعفة في مكان كثرت عليها فيه العيون وعظمت المراقبة وكبر الكلل ، هو امر طبيعي لما تؤيده العادة ويقبله العقل لتحفظ به كيانها حتى تجمع اليها امرها وتصدع يوم ترى مندوحة بما تؤمر .

ان الفئة الغالبة اذا استبدت بجو الفئة المغلوبة وجردت سيف سطوتها وسيطرتها من غير انصاف ترجع اليه ولا عدل يكنفها ولم تكن الفئة المغلوبة لمت شعثها ولا تمّ لها تأسيس كيانها ، اذا كان الامر كذلك — وظهرت هذه الفئة المغلوبة في حالها هذه كان ظهورها نعم الظهير للغالبة عليها وكان ذلك الظهور مسعفاً للمستبدة بمرفة المناوئ فتصفيها قتلاً حتى تأتي على آخر ابنائها الا من اعتصم بجبل التقية منهم وتكون حينئذ تلك الفئة المغلوبة قد هدمت كيانها بيدها وعُدّ في عرف السياسة ظهورها هذا ثورةً لا تحمد عليه .

لو أعلن أولو الحق حقهم غير متصنعين بجبل التقية حيث يعد عليهم الاستبداد جناحه وليس لهم قوة المغالبة والدفاع ، لوضعوا سيف المستبد على رقابهم ودعوه الى قتلهم فاذا اقدام ذهب

حقهم شهيد تصوّرهم حق بعض اثرهم وكان عملهم هذا وان كان نصرة للحق ولكنه من حيث المآل خذلانا له . »

وجهتهم في الاصلاح والتجديد

على انك ترى مما يكتبونه او ينظمونه ان وجهتهم الى الاصلاح السياسي ، والتجدّد الاجتماعي اكثر منها الى الاصلاح والتجدّد الأدبي ، وان المتتبع لآثارهم البيانية لا ينتهي الى مقال ادبي ينتقدون فيه الاساليب العقيمة والاوضاع المزيفة من حيث يوضحون الخطط القويمة ، ويمحصون المقاييس الصحيحة ، التي يجب ان تتبع وتراعى في النظم والنثر ، ما خلا مقالاً قديماً للشيخ سليمان ظاهر في « آداب اللغة العربية »[1] حاول فيه شيئاً من هذا ولكنه لم يتعدَّ فيه مذاهب المتقدمين كابن قتيبة وابن خلدون ، ولا اعتمد على غير النقل والاستشهاد بالاقوال المأثورة ، ثم بعض مقالات لسواه لم يتعرضوا فيها لغير السرقات الشعرية ولما اختل من اوزان وقوافٍ ، او شذ عن القياس من تراكيب او ثقل على السمع من ألفاظ وجمل . اما الفكرة ، واما بقية العناصر الذاتية للادب من عاطفة وخيال ومنطق ، فلا ترى لها في محاولاتهم من الاهتمام ما يوضح معالمها ويصلح دخائلها بنظرة تحليلية او وثبة انتقادية .

عذرهم في التجدّد الادبي

وقد يكون عذرهم في ذلك ان التطور الاجتماعي في كل زمان او مكان يتقدم التطور الادبي ، وان التجدد الادبي في ايام نهضتهم لم يكن له معالم واضحة ومناهج مستقيمة ليتقووا بها على ضعف المقاييس القديمة ، فقد كان طلابه الى عهد قريب في مصر وسورية والعراق يضطربون في تحديد المراد منه أهو في ترخيم الالفاظ وترقيق الاساليب وتنويع الاوزان والقوافي ، او في وصف الرياض والمناظر الطبيعية ، او في تصوير الحوادث السياسية وضرب الامثال

---

(١) العرفان ، المجلد الخامس ، سنة ١٩١٣

وفلسفة العبر واستنهاض الامة وانتقاد اوضاعها الاجتماعية ، او في وصف المخترعات العصرية واستبدال المواضيع القديمة بموضوعات جديدة ، الى غير ذلك من مقاصد وافتراضات بعيدة عما يقتضيه التجديد في جوهره وحقيقته ، فان الترخيم والترقيق وتنويع الاوزان والقوافي ، وتغيير المواضيع لا يجدي شيئاً في تطور الادب ، اذا لم تستقل الافكار وتتجرد الأخيلة وتنسجم الصور وتصدق العاطفة والشعور ويخلص البيان بطبيعته من اعتساف الحذلقة والاغراب ، والا كان التطور للتقليد لا للأدب في جوهره وحقيقته .

اثرهم في النهضة العاملية

وعلى كلٍ فحسبهم اثرًا وفخرًا أن كانوا اول من ارضى القديم وانصف الجديد ، ثم اول من تشجع وعمل في هذه « البيئة » على تحرير الكتابة من قيود الصناعة اللفظية التي شب عليها الجميع فاحسنوا الاسترسال بها على مقتضى السليقة والطبع بعد ان غلبها السجع وغلب عليها التعمل ، وأن كانت لهم هذه اليد الطولى في تطور الحركة الفكرية والأدبية والاجتماعية والسياسية ، والاخذ بيد كل من اخلص لمستقبل امته ونهضة بلاده .

التأليف والمؤلفات في هذا الدور

اما التأليف في هذا الدور فانه قد كثر ، وكثر المتطفلون عليه ، وخصوصاً في المواضيع الدينية والتاريخية ، ولكنه على كل حال لم يزل يضطرب في وضعه ومنطقه بين الاساليب القديمة والحديثة لتغلب المؤلفين الذين انقطعوا في دراستهم للقديم ، واحتذوا في التأليف طريقة من سبقهم على المؤلفين الذين تأثروا بالاساليب الجديدة وساروا على قبس من نورها .

ولا ابالغ اذا قلت ان أنفس كتاب في موضوعه وفائدته واستقصائه يمثل الفئة الاولى خير تمثيل هو كتاب « اعيان الشيعة » للعلامة السيد محسن الامين ، وقد طبع منه للآن ١١ مجلدًا نهج فيه مؤلفه نهج ابن خلكان في « وفيات الاعيان » ، بعد ان قدمه بنبذة عن احوال الشيعة وخالص اعتقاداتهم .

واما ما يمثل الفئة الثانية ويتفق مع تطورها الفكري والادبي فان اكثره

الى الآن لم يتهيأ له النشر لنطلع عليه الاطلاع الذي يبيح لنا الحكم عليه ، والموازنة بينه وبين غيره من الكتب ، ولعل انفس ما عرفته من هذه المؤلفات هو :

« متن اللغة »[1] للشيخ احمد رضا ، عضو المجمع العلمي العربي في دمشق ، وهو قاموس عام شامل بالغ فيه المؤلف في اختيار المصادر الموثوقة ، وفي ترتيب مواده وفي إضافة كل ما قرره المجمع العلمي في دمشق والمجمع الملكي في مصر من اوضاع جديدة وألفاظ حديثة واصطلاحات مفيدة ، كما انه تأنق في الاشارة الى المعاني العامية بعد ان وفّى المعاني الفصيحة حقها ثم لم يهمل التفرقة بين صيغة اللفظ باللغة الفصحى وبين صيغته في العامية اذا كان مستعملاً بها .

« معجم قرى جبل عامل »[2] للشيخ سليمان ظاهر ، عضو المجمع العلمي العربي في دمشق ، وهو عبارة عن تاريخ عام لجبل عامل ، قد رتب على حسب اسماء القرى والحواضر العاملية ، فشرح عند اسم القرية كل ما اتصل بها من حوادث سياسية وادبية وعمرانية ، مع اشارة فصيحة الى الأسر والأعلام الذين نشأوا فيها ثم الى ما خلفوه من اثر صالح . ولعل هذا الاسلوب في جمع أشتات هذا التاريخ المبعثر هو خير اسلوب لضبط اصوله وترتيب فروعه على نسق مستقيم يشوق القارئ الى استقصاء صفحاته .

« الشيعة في التاريخ »[3] للعلامة الشيخ محمد حسين الزين ، وهو بحث ضافٍ نزيه عن فرق الشيعة وعقائدهم ومواقفهم الشهيرة ، مع تراجم رجالهم وشرح وافٍ لاسباب تشيعهم من بدء نشأتهم الى اليوم .

---

١) خط
٢) خط
٣) طبع في صيدا سنة ١٩٣٨

دور التجديد والترف الفني

ويمكننا بكل اطمئنان ان نذهب الى ان هذا الدور قام على أسّ من الثقة باولئك الاقطاب ، وعلى ركن من التقدير لما كانوا ينثرونه هم وزملاؤهم من موازري مجلة « العرفان » علمياً وادبياً كالشبيبي ، والشرقي ، والجواهري ، وبدوي الجبل ، فقد كان لهذه الثقة ولهذا التقدير اثر كبير في بعث الناشئة على التعليم الحديث في المدارس العالية ، وفي حمل الشباب المتأدبين على تتبع كل جديد من الكتب المؤلفة والمترجمة ومن الصحف العلمية والادبية ، وعلى التشبع من ابحاث قادة الفكر ومحاولة التجرّد في الرأي والذوق الشخصي من كلّ تقليد ومحاكاة ، كما انه كان لانتشار الصحف اثره الفعّال في تجاوب افكار النابهين وفي تيقّظ شعورهم وتلطيف اذواقهم ، وانطلاق اخيلتهم ، وإذكاء روح النهضة والطموح الى الحياة الحرّة والاستقلال بكل معنى من معانيه الشخصية والاجتماعية.

الطبقات الثلاث

وباستطاعة الباحث اذا توسّع في نظره لهذه الكتل الادبية التي تتألف من هؤلاء الشباب الذين تثقفوا بثقافة عربية خالصة ، وهؤلاء الذين تثقفوا بثقافة غربية مشوبة ، واولئك الذين شبوا على التأثر بهؤلاء وهؤلاء ، باستطاعته ان يقسم ادباء هذا الدور — دور الشباب — إلى طبقات ثلاث.

الطبقة الاولى

١ — طبقة تعتمد في ادبها على الفطرة السليمة ، ثم على ثقافة تجفيف كل ما تيسره للطالب الطموح دراسة الآداب العربية والعلوم الاسلامية على الطريقة القديمة ، ثم الإلمام بالصحف والكتب الادبية الحديثة التي ألفها وترجمها ادباء العرب في مصر وسورية والعراق واميركة ، ثم الاتصال بالطبقات الممتازة في طموحها ونظرها الى الحياة . وان في درس آثار النابهين من ادباء هذه الطبقة كالاساتذة حسين مروّة ، هاشم محسن الامين ، صدر الدين شرف الدين ، ما يوضح خصائصها الادبية ويزيد القارئ استبصاراً بميزات الباقين.

الخصائص الفنية

وقد يكون اظهر ما تمتاز به من خصائص بيانية حرصها على صدق التعبير وانتزاع الصور مما تتأثر به النفس من حياة واجواء ومشاهد ومواضيع ، ثم مبالغتها في توقي الغامض والمبتذل من الألفاظ والتراكيب ، وفي إيثار القوة والرصانة ما وجدت الى ذلك سبيلاً . فهي ، مع تجددها وتأثرها باساليب التفكير الحديثة ، ومعالجتها لكثير من الموضوعات والنواحي الادبية على وجوه لم تكن معروفة عند من تقدمها من الادباء العاملين ، ما برحت تتأنق في صياغة عباراتها اكثر مما تتعمق في نحت معانيها ، وربما كانت في إحكام الاسلوب ابرع منها في إحكام الفكرة واستقصائها من سائر وجوهها شرحاً وتعليلاً ، اللهم ما خلا بعض الافراد في بعض المواضيع التي وفقوا فيها الى الكمال من سائر وجوهه ولذا جاء ادبهم — في ارفع مصاديقه — مطرد السلك ، محكم السبك ، سائغ الصور ، بعيد الغور ، لا يشوبه ضعف ولا قلق ولا افتعال .

اثرهم في النهضة الادبية

على ان الانصاف يوجب علينا - قبل ان نتجاوز الحكم على ادب هذه الطبقة — ان نصرّح بان افرادها ومن تأثر بنزعتهم من الشباب قد كانوا بدورهم أوسع اثراً من غيرهم في تطوّر الحركة الفكرية وتحوير الاساليب البيانية واشد اقداماً على مجابهة الاوضاع الرجعية ومحاربة العناصر الضارّة والتقاليد العقيمة . ذلك بان اكثر ابناء هذه الطبقة قد نشأ في احضان الارستقراطية نشأة رجعية فكان لهم من تاريخهم الارستقراطي ما يزيدهم جرأة وصراحة في اعلان فكرتهم وفي المدافعة عن مبادئهم ، وكان لهم من حرمة أسرهم ومن مكانتها في الاوساط الشعبية ما يحصّنهم من هوس المغرورين وصلف المفتونين بمنزلتهم الاجتماعية من العلماء والزعماء والادباء الجامدين ، ثم كان لانتقادهم وثورتهم على ما نشأوا عليه من افكار عقيمة وتقاليد رجعية ابلغ الاثر في إفحام المتعصبين للتقاليد البالية وخذلان المحافظين على الاوضاع الرجعية وفي تشجيع الناشئين نشأة جديدة والمتحفزين للحياة الحرّة في هذه البيئة المنكودة الطالع ، أضف الى هذا كله ، ان الظروف بتطوراتها السياسية والاجتماعية والدفاعية جاءت

كلها معبرة لمطامحهم مؤيدة لنزعاتهم .

الطبقة الثانية

٢ — وطبقة قد اخذت عليها الثقافة الحديثة كل باب وكل سبيل حتى اصبحت وليس لها من الايمان بتراثها الادبي ما يحملها على احترام القديم او تأثر وجهته ، وانما غلبها الاكبار للآداب الاوربية من افرنسية وانكليزية ، واستبد بها التأثر باساليبهم في التخيل والتفكير والتعبير الى حد اوشك افرادها — اولا ان يمكهم التعصب لتاريخهم ولقوميتهم ويروض ألسنتهم الاتصال بالخاصة من اصحاب اللغة الفصحى والاسلوب الرصين — ان يضطرب معه بيانهم وتلتوي اساليبهم وتكون لغتهم اقرب الى اللغات العامية والاعجمية — في ارتباك العبارة ، وابتذال الالفاظ ، وتشويش الصور ، والتباس المعاني — منها الى العربية الفصحى ، وذلك لاضطراب ملكاتهم الادبية وعقائدهم الفنية بين اللغات والثقافات والآداب المختلفة الاساليب والاتجاهات والخصائص .

مذاهبهم الادبية

اما مذهبهم في الحياة الفنية فانه — اذا استثنينا منهم الاستاذ كامل مروة والسيدة وداد سكاكيني — يظهر بميلهم الطبيعي الى رسم شتى العواطف والآراء الادبية وتصوير مختلف الاهواء والازمات النفسية ، ثم يتجلى بقلة اهتمامهم لتطور النزعات القومية ، والمشاكل السياسية ، والاوضاع الاجتماعية التي باتت الشغل الشاغل للجمهور . ونظرة شاملة لآثار اللامعين فيهم كالسيد عبد اللطيف شرارة ، والسيد خليل هنداوي ، والآنسة عزيزة الزين ، تردك واثقاً مطمئناً الى هذا الزعم الذي أزعم .

الخصائص الفنية

ولعلّ اظهر ما تمتاز به هذه الطبقة من خصائص هو الدقة والاناقة في تلوين الصور وتنويع الاخيلة وترويض المعاني الغريبة ، ولهذا تبدو افكارهم واخيلتهم بالجملة اطرف وادقّ واروع من لغتهم وبيانهم ، مما يجوز القول بان معانيهم تزين ألفاظهم ، اللهمّ الا من شذّ من الافراد بممارستهم للآثار العربية

البليغة الاساوب الفصحية اللفظ حتى صحّت لغتهم واعتدلت اساليبهم وسما بيانهم في اروع مظاهره وادق مناحيه عن الابتذال والتعقيد والتنافر ، واصبحوا مناط الامل والرجاء في تقدم النهضة الفكرية وقيادة الناشئة الادبية الى هدفها الاسمى بما اتقنوه من لغات مختلفة وأوتوه من ثقافات متنوعة تساعدهم على التوليد والتطور، وتوفر لهم اسباب الخلق والابداع في كل نوع من انواع الادب. فان الثقافة البسيطة قد اصبحت اليوم لا تستطيع ، في بناء النهضة المتيدة ، ان تنير الطريق لحرية التفكير ، وتمهد السبيل لتجديد الحياة الفنية وتقديم الغذاء الكافي والمثال الصالح للاجيال المقبلة .

الطبقة الثالثة

٣ ــ وطبقة كُلّ ما تعتمد عليه في ادبها هو الفطرة السامية والذوق السليم والاحساس المرهف . واما ثقافتها فهي من الإلمام بما يحدث في البيئة ، ويشيع في المجتمعات ، ويُذاع في الصحف السيارة من آراء وافكار ومذاهب ادبية وسياسية واجتماعية . ولئن تهيأ لغيرها من الادباء أن يجددوا باشراق من التعليم العالي ووحي من الثقافة الاوربية فان ابناء هذه الطبقة لم يكن لهم مما يوقظ شعورهم ويلطف اذواقهم ويتوجه بهم هذا الاتجاه الطريف الذي ارتفع بأدبهم الحيّ عن مستوى الآداب الرجعيّة ، غير ظروف بيئتهم وعوامل مجتمعهم وغير ملابساتهم واختياراتهم الخاصة .

ولا نبالغ اذا قلنا ان ألمع شخصيات هذه الطبقة هم السادة الشعراء عبد الحسين عبد الله ، موسى الزين شراره ، نور الدين بدر الدين.

خصائصهم الفنية

ولعلّ اظهر ما يميّز ادبهم من خصائص فنية هو الوضوح، والصدق، والصراحة ، والجاذبية ، وان افكارهم واخيلتهم اشبه بلغتهم واساليبهم البيانية ، فكل منها طبيعي يساير « الدارج » والشائع في النوادي والمجتمعات الخاصة والعامة ، ليس فيها سوى السهولة المألوفة للجميع . فلا هي مبتذلة فتندّ عن ذوق الخاصة ولا هي من العمق بحيث ترتفع عن طرق العامة في الفهم والادراك ، وقد يكون

شعرها بما فيه من نقد صريح وسخرية لاذعة وترسل جريء في وصف كل ما يتأثرون به من شؤون قومية او نفسية — اصدق صورة للحياة الاجتماعية في هذا الجيل وفي هذا العصر وفي هذه البيئة ، ثم اوثق شاهد على تطور الشعور وثورة الفكر . ودونك هذه المقطوعة من شعر موسى الزين شراره :

حسبت عاملَ في بلواه منفردًا ، اذ حرّم الشيخُ فيه رؤيةَ الصحفِ ،
حتى سمعت ، وبعض الصحب أكّد لي بأنّ ذلك مأخوذ عن التجفِ ،
عجبت من لجنة الآثار كيف سمت عن عرض اشياخنا في معرض التحفِ !

اتحاد العناصر الذاتية في الشعر والنثر

هذا ونظرًا لأن الشعر والنثر الفني لا يختلفان في رأي الاكثرية من ادباء هذا الدور إلّا بالوزن والقافية ، واما باقي العناصر الذاتية للأدب من عاطفة وخيال ومنطق فانها انما تتفاوت — قلة وكثرة وقوة وضعفاً في الشعر والنثر — بتفاوت الموضوعات والمناسبات والحالات النفسية التي تسيطر على الاديب اثناء العمل الفني لا بتفاوت نوع الكلام بين الشعر والنثر ، ونظرًا لذلك اجملنا القول عن خصائص الشعر والنثر عند الكلام على اديبهم واكتفينا من الشواهد بالميزات الفنية له بنوع واحد من الشعر والنثر .

التأليف في هذا الدور

اما التأليف في هذا الدور فانه إلى الآن لم يعدُ ان يكون من هذه الكتب المجموعة من المقالات المختلفة الموضوع والغرض باختلاف الظروف والحالات التي اوحت بها وأملتها على قلم الكاتب ، او من هذه الدواوين المؤلفة من القصائد والمقطعات الشعرية . وهذا النوع من التأليف لا يختلف في جملته عن ادب القصيدة والمقال وقد فصلنا القول فيه .

اما التأليف بمعناه الخاص وكما يتطلبه الذوق الارستقراطي المترف في منطقه وتفكيره فانه — اذا استثنينا كتاب « نحن في افريقيا » للاستاذ مردّه ، وبعض الكتب المدرسية ككتاب « الانشاء بالمثل » للاستاذ كمال بيضاوي — الى الآن لم تتهيأ له اسبابه ومؤهلاته بين ادباء هذا الدور وشبابه المثقف ، او

انه لم يصلنا منه ما يمثل النماذج العالية التي تشجعنا على اجهاد الفكر في الدرس والموازنة وتخولنا اطلاق الحكم النهائي .

القصة في الادب العاملي

ما انفك العامليون الى الامس القريب يعتبرون القصة ملهاة عامية او نوعاً من الادب المنحط لا يليق بالطبقة الارستقراطية في علمها وادبها ان تعنى فيه عنايتها في القصائد والمقالات ، ولئن هم مارسوا فنّ المقامات – وهو مما يمتّ الى القصص باقرب الاسباب – فلأن لغته غير لغة القصص ولان غرضهم منه غير الغرض منها .

بيد ان تيّار النهضة الادبية في هذا العصر دفع بالطامحين من شبابنا وخصوصاً هؤلاء المتحمسين للآداب الاوربية ، وهؤلاء الذين تأثروا بهذا الجوّ القصصي الممتع الذي خلقته جريدة « المكشوف» البيروتية ، وجريدة « الهاتف » النجفية ، ومجلة « الرواية » المصرية ، الى محاولات جريئة موفقة في عالم القصص كان لها وقعها في النفوس واثرها في توجيه الانظار نحو القصص وفي اقبال المتأدبين على قراءته وممارسته حتى تطوّر تطوراً محسوساً واصبح له بينهم مذاهب مختلفة واساليب متفاوتة .

مآخذ القصص العاملي

ولكنه مهما بالغنا في شأن هذا التطوّر فان القصص العاملي الى الآن لم يتسنّ له ان يتحرّر من شوائب التقليد والمحاكاة ولم يتهيأ لهُواته من المرونة والاطلاع او التخصص الثقافي ما يكفي لابرازه فنّاً كاملاً له متخصصاته ومميزاته الفنية بين القصص العربي المعاصر ، وله اثره ومنزلته المرموقة في نفوس الجمهور .

ولذا ترى اكثر قصصهم لم تسلم مما أُخذ به بعض القصص اللبناني ، من ضعف اللون المحلي ، او ضعف العقد ، او الحشو .

فان اللون المحلي الذي يزيد في اطمئنان القارئ ويضاعف تأثره لا تكاد تشعر به، وانت تقرأ بعض هذه القصص العاملية، اذ لا ترى اثراً بيّناً لهذه الخصائص الشرقية ولهذه التقاليد والآداب العربية التي تلامس حياتنا اليومية وتتصل بكل

ما تباشره من قول وفعل ، وانما تخال نفسك في اثناء قراءتها انك في بيئة غريبة عما نشأت فيه من اجواء وعادات واعتبارات فلا هي غربية خالصة ولا هي شرقية صريحة .

وكذلك العقدة المناسبة المعقولة التي تبرز الفكرة وتزيد في التشويق والتلذذ وتتأنق في تشخيص ابطال القصة ، فانها الى الآن قلما تتوفر الا للقليل من القصص العاملية .

ثم ان حرص بعض كتابنا على الاستطراد لوصف كل ما يمرون به من حالات ومناظر واشخاص ، كثيراً ما جرّهم الى فضول الحديث وحشو الصور التابعة عن كل ما يقتضيه سياق القصة من تسلسل الحوار واتساق الوصف وايجاز القول مما يضلل ذهن القارئ ويخمد حميته .

موضوعات القصص العاملي

اما موضوعات قصصهم فاكثر ما نراها منتزعة من صميم حياتهم الشخصية، والاجتماعية ، والثقافية ، والفنية ، كما ترى في قصة « ايم » لهاشم محسن الامين وقصة « الاعمى » لهاشم حسن الامين ، وقصة « بين الحماة والكنة » لوداد سكاكيني ، وقصة « اديب » لحسين مروة ، وقصة « القلم الوديع » لمحمد شرارة ، وقصة « ضباب » لعبد اللطيف شرارة . وقصة « ابي » لصدر الدين شرف الدين وهذه القصص او المقالات القصصية هي من ابلغ ما قرأته لهم في هذا الباب .

اغراض القصص العاملي

واما اغراضهم وغاياتهم من ذلك فهي قلما تتعدى تصوير الجمال الفني ترويحاً للنفس من اعباء الشعور المكبوت والاحساس الممض . بيد انهم حين يتوفقون في تصوير ذلك ويحكمون فنّ قصصهم يصلون الى ما قد يرمي اليه غيرهم من الاغراض الاجتماعية والغايات الانسانية ، لأنهم قلما يتأثرون بموضوع قصصي إلا لأنه شاذ بآله عن المثل العليا او موافق لها ، ومتى هم برعوا في تصوير هذا الشاذ بشذوذه او افلحوا في رسم هذا الموافق للمثل العليا بكل ما له من مشخصات مغرية فقد تمكنوا من ابلاغ رسالتهم في تقريب هذا المثل من

نفوس القراء او تبعيده.

واما الاسلوب فهو لا يختلف عن اسلوب الكاتب في مقالاته ، الّا في التزام السهولة والرقة في ألفاظه ومراعاة السلاسة والبساطة في تراكيبه.

الاعتداد بالجيل المقبل

ذلك هو رأيي الخاص في ادب هذه الطبقات الثلاث ، وهذه هي الصورة الموجزة لخصائص الادب في هذا الدور الاخير ، فاذا لم يتأكد منها ان ادباء الشباب قد ادّوا رسالتهم ووصلوا الى المرتبة التي يطمحون اليها او الى الغاية التي يتمنونها على غيرهم من الادباء حين يفندون رأيه وينتقدون ادبه ، فعذرهم في ذلك ايضاً ان التطوّر الاجتماعي والثقافي في بيآتهم التي شبوا فيها وتأثروا بآدابها وتقاليدها واجوائها ، لم يبلغ بعد مداه ولم يصل من الحرية واليسر والرقي الى الحد الذي يؤهل الناهضين من ابنائه ويساعد الطامحين من شبابه على تحقيق اقصى مطامحهم في العلم والادب والحياة الحرّة ، وعساهم — بما يبدو من اقبال الناشئة على التعليم العالي ومن تنافس الزعماء والعلماء والادباء والشباب المثقف في انشاء المدارس الحديثة ، وفتح الغرف المجانية للمطالعة ، ومن تعاون الطبقات الشعبية والجمعيات المنظمة على نشر العلم وتعميم الاصلاح في الحواضر والقرى ، ثم توالي الهجرات العلمية والاقتصادية الى اميركة واوربة ، والعراق وافريقية ، وتأثر المهاجرين بما يتصلون به هناك من بيئات متمدنة ومجتمعات راقية وحياة حرّة تشعرهم بقيمة الحرية وتحفزهم للعلم والعمل الصالح والسير قدماً الى الأمام — عساهم بمثل هذه العوامل والاسباب يبلغون اقصى أمانيهم وقصارى غاياتهم من السموّ والتقدم على يد الجيل المقبل . فان مثل هذه المساعي الحميدة وهذه الجهود الصالحة التي اصبحت محلاً للتنافس والمسابقة من الزعماء والعلماء والادباء والمهاجرين . وان كانت ضئيلة فاترة بالنسبة لما يتطلبه هذا العصر وهذه البيئة من عوامل الاصلاح ووسائل النهضة وحرارة المسعى . . . لأجلّ من ان تذهب هدراً ولا يجري مفعولها في مثل هذا الجيل الناشئ الذي يتوقد ذكاء ويلتهب غيرة وحماسة لكل جميل صالح ولكل جديد نافع في الحياة.

مَظاهِرُ الأَدَب في جَبَلِ الدُّروز *

بقلم سعيد ابو الحسن (السويداء)

مقدمة عامة

كان الشعر لينطفئ بانطفاء اللغة الفصحى . فالشعر العربي كان مزدهرا في الجاهليّة يوم كانت لكل قبيلة من قبائل العرب لغتها الخاصة ، قبل أن توحّد الاسواقُ ، ثمّ القرآن ، هذه اللغة ، فتحلّ محلّها جميعاً لغة قريش التي ظلّت لغة العرب حتى نهاية ملكهم وتفرّقهم طوائف واقاليم متعدّدة يعيش كل منها عيشة خاصّة ، في ظل حكم اجنبي ، على الغالب .

وإن تكن العربية الفصحى قد لجأت في عهد التفكك هذا الى الزوايا والأديرة والكتاتيب ، فإنّ الشعر قد لجأ — وأولى أن يقال عاد — الى قبائل العرب البادية والحاضرة ، الى عشائر الجزيرة العربية والبادية السورية ، والى اهالي القرى في سورية الطبيعية كلها . وكان من الطبيعي ان يكون هذا الشعر بلغة القبائل العاميّة : لبعد عهدهم عن التكلم باللغة العربية الفصحى من جهة ، او لتأخر الحالة العلمية بينهم من الجهة الأخرى . فهم كأهل الجاهلية ، ينظمون الشعر باللغة التي يتكلمونها . وما كان هذا ليضير الشعر من حيث هو شعر ، وان يكن قد اضرّ بلغته من حيث هي لغة فصحى موحّدة شاملة لاقطار العرب جميعها . فعادت الحياة الشعرية بين القبائل العربية — والبادية منها او القريبة من البادية بنوع خاص — الى سالف ازدهارها . واذا بنا نرى لكل قبيلة شاعرها (او شعراءها) يذود عن حياضها مهاجماً او مدافعاً يذكر مفاخرها ، ويترنم بحوادث الغرام فيها ، ويذكي نار الحمية في شبانها ، ويدعو الى التمسك بالفضائل العربية المشهورة كافة افرادها . واذا بنا نرى عهداً حافلاً بأجود الشعر ،

* دراسة قُدّمت الى معهد الآداب الشرقية في جامعة القديس يوسف (فرع الادب العربي) .

قريباً الى النفوس بملامسته حساسيتها الطبيعية ، بعيداً عن الصنعة التي كثيراً ما يفرضها العلم فرضاً حتى على فريق من الشعراء الطبيعيين الذين تستبدّ فيهم قوانين سيبويه وقواعد الخليل ، فتخرج بهم عن حقيقة الشعر التي هي الطبيعية والسذاجة والفطرة قبل كلّ شيء . اذ من النادر ان نرى ، في زماننا هذا ، ملكة اللغة الفصحى تصبح من القوّة بحيث تزحزح ملكة اللغة التي يتكلمها الشاعر حتى يصحّ ان يُقال انها هي لغته الطبيعية ، يتكلمها دون ان يعمل الفكر في قواعدها وقوانينها . إن هذا كان صحيحاً حتى اواخر العصور العباسية ، لأنّ العرب والمستعربين كانوا يتوارثون اللغة الفصحى بالتكلم والتعلم ، فهي لغتهم التي بها يتفاهمون والتي بها يكتبون .

وقد تعود هذه الحال اذا استطاع العرب ان يوحدوا ثقافتهم وبرامجهم التعليمية ، ويتدرجوا نحو توحيد اللغة — لغة الكلام ولغة الكتاب — في كافة اقطارهم ، بحكم اضطرارهم الى التفاهم بلغة واحدة تحل محل لغاتهم المختلفة التي يصعب تفاهم الكل بواحدة منها . وهذه اللغة الموحدة لن تكون الّا العربية الفصحى .

ولكن هذا لن يتم في وقت قريب لقوة الملكة العامية في نفوس العرب اليوم ، واختلاف طرق معيشتهم باختلاف اقطارهم والدول التي سيطرت على هذه الأقطار . وقد اطلعت على كثير من شعر العرب بلغتهم العامية فوجدته لا يقل خصباً وجودة عن شعر العرب بلغتهم المضرية ، وان يكن لا يخضع لقواعد النحو والصرف . فالنحو والصرف شيء والبلاغة شيء آخر . اعني ان الكلام يمكن ان يكون بليغاً ، يمكن ان يعبر عن الفكر اجمل تعبير دون ان يكون الفاعل فيه مرفوعاً والمفعول به منصوباً . وهذا رأي قال به ابن خلدون في مقدمته ، وهو رأي مصيب .

سمعت قصائد تصف معارك عرب آل سعود مع عرب ابن الرشيد ، فوجدتها لا تقلّ جمالاً عن وصف المعارك في الشعر الجاهلي او الاسلامي . وهي متينة السبك موحّدة الموضوع كأحسن قصائدنا الفصحى . وكذلك القول عن سائر انواع الشعر العامي البدوي . فهو شعر البادية جميل كلّه ايّاً كانت القبائل او

المناطق التي قيل فيها . ولو كان لي ان اجمع ما قاله عرب البادية بوصف القهوة ومفعولها ، او وصف الحب والكرم وما الى ذلك ، لاجتمع لي من كل نوع ديوان ضخم كله من الشعر الجيد .

وكان في نية الله ان ينقل قسماً من الدروز ، الذين يفتخرون بنسبهم العربي اليماني — على الغالب — الى جبل حوران فيحتكوا باهل البادية ويخالطوهم في سلم او حرب ، ويحكموا عاداتهم العشائرية ، ويرووا اشعارهم ، ويسردوا قصصهم الجميل ، وينظموا الشعر على طريقتهم فيوجدوا لنا في هذا الجبل شعراً جميلاً يعبّر عن آلامنا ، وآمالنا ، ويذكر فضل الزمان علينا او ظلمه اياناً ، ويؤرّخ جهادنا الطويل في سبيل البقاء والكرامة . — شعراً يزخر بالأنفة والاباء ، بالشجاعة والكرم ، بالوفاء وصدق العاطفة ، بسلامة النية ، والتعلّق بالجوهري الجوهري من الحياة . حتّى ليحق لنا ان نفتخر باننا خلقنا في هذه البقعة من الأرض حياةً عربية خالصة بشعرها وفضائلها وعاداتها وكلامها ، حتى لا يستطيع احد أن ينكر علينا اننا قمنا باكثر من واجبنا في المحافظة على عادات قومنا وآدابهم واخلاقهم، وكنّا اول من اعاد الصلة والتعارف فالتعاطف بين بدوهم وحضرهم ، ومهّدنا اكثر من سوانا لعودتهم الى الحياة الحرّة عن جدارة وفهم لحقيقة الحرّيّة .

١ً توطئة

كان تجمّع الدروز في لبنان ، والتفاف كل عائلة من عائلاتهم حول رئيسها ، واتفاق الكلمة بين رؤساء العائلات ، سبباً لقوّتهم ومناعة جانبهم . وكانت هذه القوّة مجلبة شرّ لهم : فلم ينجوا من اضطهاد المماليك اياهم ، وتدميرهم منازلهم ، واتلافهم اغراسهم ، حتى جاءهم اضطهاد العثمانيين وعسفهم. واصبح لبنان يضيق بهم على وسعه ، واصبحوا يفكّرون في تركه واللجوء الى وطن سواه يبنونه كما بنوه ويبنون فيه ما جرّته عليهم العظمةُ من الشرور والويلات . فهاجر قسمٌ منهم في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الى حاصبيا وراشيا وغوطة دمشق ، وأسسوا في هذه البلاد خلايا درزيّة ما لبثت ان نمت وكوّنت مجموعات

ذات شأن لا يقلّ عن شأنها في المتن والغرب والشوف .

ثم جاء القرن السابع عشر ، وكان الاضطهاد العثماني قد بلغ الذروة ، وكان الخلاف العائلي الداخلي قد استفحل امره فهاجر قسمٌ من الدروز بقيادة الامير علاء الدين المعني واستوطنوا القسم الغربي الشمالي من جبل حوران من ازرع الى نجران . وما زالوا يوسعون دائرتهم في موطنهم الجديد هذا ، حتى عمروا كل قراه من السهل الحوراني غرباً ، حتى الصحراء شرقاً ومن الجيّانة جنوباً ، حتى مشارف دمشق شمالاً . وشاءت الظروف ان تقع في لبنان حوادث الـ ١٨٤٥ والـ ١٨٦٠ المشؤومة فنزحت طائفة جديدة من العائلات الدرزية واتخذت جبل حوران مسكناً لها ، نازلةً بين اهله على الرحب والسعة . وكانت مجاعة الحرب الكبرى — وكان جبل حوران قد طوّعت ايدي الدروز العاملة عواصي ارضه وصيّرته ينبوع خيرات لا ينضب . فلجأ دروز لبنانيون الى حوران مرةً اخيرة ولم يعد ، الى لبنان ، بعد الحرب ، إلّا قسم منهم وبقي الآخرون في الجبل متخذينه وطناً نهائياً لهم . — وكانت سهولة المواصلات بعد الحرب سبباً في وصول موجات جديدة من الدروز اللبنانيين حتى اصبحت الجالية الدرزية اللبنانية في السويداء وفيرة العدد ، تقبض بيدها على قسم من مرافق المدينة ومتاجر البلد .

ولا يعتقدنّ أحد أن كل هذا الانتقال والاستقرار حصل بسهولة . ذلك ان هذا الجبل الغني سابقاً باحراجه ومراعيه وينابيعه ، الغني بمناخه المعتدل وجوّه الجميل ، كان مصيفاً لعربان البادية تأتيه مواشيهم في القيظ ولا ترحل عنه إلّا في اواخر الخريف . وكان من الطبيعي أن يقاوم هؤلاء البدو استيطان الدروز في الجبل فحصلت حروب كثيرة ووقعت سلسلة طويلة من المعارك في سبيل البقاء ، انتهت بانتصار الدروز بعد ان سقوا ارض الجبل بدمائهم مثلما سقوها بعرق ابدانهم ليحصلوا منه على لقمتهم ويتفيّأوا من سمائه خيمةً تحميهم من عوادي الدهر وظلم الظالمين . وتألّب على الدروز في وطنهم الجديد هذا كلُّ غازٍ طامعٍ في الاستيلاء على سورية واخضاع السوريين . فحاربهم ابراهيم باشا المصري ، وكانوا إذ ذاك قبضةً من الابطال لا يُعبأ بها ، فحاربوه وانتصروا عليه وقتلوا

من قوّاده وجنده عدداً لم يقتل مثله في المعارك التي دارت بين الباشا الفاتح والسلطان العثماني . وحاربهم العثمانيون مرّات عديدة فحاربوهم ايضاً ، وصارت كل بلدة في الجبل لها معركة تُعرف بها ، وكل زاوية من زوايا الجبل مثوىً لعددٍ من بنيه الابطال بازاء المقابر الطويلة العريضة يرقد فيها جيشٌ لجب من اعداء الجبل المغيرين.

وهكذا كان الجبل الصغير بساحته وعدد سكّانه غنياً بالذكريات المجيدة ، غنياً بالملاحم المشؤومة ، بالليالي السود والبيض ، بالانتصارات والمجازر ، بآثار العمران الناطقة بكرومه وحقوله وبساتينه ، وآثار الدمار الماثلة في احراجه المندثرة وينابيعه المغوّرة.

وكان على الدروز ان يكونوا على جانب عظيم من اليقظة لا ينام الرجل منهم إلّا وسيفه تحت وسادته خوفاً من مفاجأة العدو على حد قول شاعرهم الاكبر شبلي بك الاطرش :

عالسّين : سيفك لا يفارق وسادتك وخليك حرز من الرجال حريص

وكان عليهم ان يحيوا ليالي ساهرة حافلة صيفاً وشتاء منتظرين صوت المستنجد - لا يذهب الفلّاح منهم الى حقله إلّا وسلاحه في كتفه . فلا امان ولا راحة ولا ضمانة لهؤلاء القوم إلّا قوّتهم . وكيف يعملون على تغذية هذه القوّة وما تتطلّبه من حماسة واستمرار إن لم يلجأوا الى الاغاني ، والاهازيج ، ولعب الرباب ، وابتكار وسائل اللهو القويّ ، لهو الابطال في فترات الاستراحة القليلة الكائنة بين المعركة والمعركة : فكان لنا الشعر الحماسي ، تاريخ حروبنا ، ومذيع اخبارنا ، ووسيلة دعايتنا ، ورمز تفوّقنا.

وكان الاتراك ، عندما يظفرون ، يحاولون قتل روح الحرّية والتمرّد فينا الى الابد . فكانوا يشنقون البعض ، وينفون البعض الآخر ، ويعذّبون من بقي.

وكان المنفيّون منا يحنّون الى هذه البقعة من الارض بشعرٍ رقيق يدلّ على مبلغ تعلقهم ببلدٍ غذّوه بدمائهم ومزجوا ارضه بروح نشاطهم واجتهادهم وجهادهم ، فاصبح لهم قبلة يوجّهون اليها افكارهم وقلوبهم وارواحهم : فكان لنا شعر الحنين والفراق.

وفي ساعات اليأس التي تتلو الانكسار ، او تسبق وصول الجيوش الزاحفة ، كان القوم يجلسون للمذاكرة فتتلاطم السنتهم بالاخلاقيات والمواعظ : فكان لنا الشعر الأخلاقي.

وكان الناس بعد الانتصارات الرائعة ، وفي فترات الراحة المستحقة ، يذكرون ما للقلب من واجبات يقضونها ، ويميلون الى اخذ قسطهم من متع الحياة البريئة : فكان لنا الشعر الغرامي.

وكانت الحروب والمشقات تظهر افعال عددٍ من الابطال في كل فترة من فترات الحياة في الجبل ، فتثير الاعجاب في نفوس المواطنين ، وتدفعهم الى تمجيد هؤلاء الابطال : فكان لنا الشعر المدحي.

وكانت هذه الحروب نفسها تفجع الناس كل يوم بعزيز جديد ، فيبكونه رجالًا ونساء . والرجال لا يريدون ان يجعلوا للضعف والحزن محلًا في نفوسهم ولا للموت قيمة في نظرهم ، فلا يذكرون الميت إلّا قليلًا ، تاركين امر الحزن للنساء وحدهنّ : فكان لنا الشعر الرثائي ، وخاصة الندب والنواح النسائيان.

واشترك الدروز بالحركة العربية وكانوا في طليعة الجيش الفيصلي عند دخوله الى دمشق واشتغلوا بالسياسة السورية والعربية بعد الحرب : فكان لنا الشعر السياسي.

ثم كان الإحتلال، وكان تقلب الأحكام والسلطات، وعمّ فساد الاخلاق جميع الناس إلّا أقلهم ، وظهر على مسرح الحياة العامة في الجبل وجوه جديدة وطغت موجة السعاية والوشاية والتجسس فلم ينجُ من غمرتها إلّا نفر قليل جدًا : فكان لنا الشعر الانتقادي ، او الاجتماعي .

وكانت الثورة ، ثورة الـ١٩٢٥ ، فاحدثت الى جانب الشعر الحماسي المعروف قبلًا بما فيه من وصف المعارك وذكر المفاخر ومدح الابطال ، شعرًا جديدًا ذا مرام سياسية عامة .

وما ان انتهت الثورة حتى عاد المتجسسون الى تجسسهم واصحاب المطامع الى مطامعهم ، فكان الشعراء لا يستطيعون ان يبوحوا بما في ضمائرهم ، وإن هم قالوا شعرًا قالوه تلميحًا : فصار فيه شيء من الرموز والتعقيد . — وانصرف اكثر

الشعراء الى الغزل. واصبحوا ينتبهون الى ما يجري في القرى من حوادث فيصفونها بشعر بسيط فيه نكتة وفكاهة وفيه انتقاد لاذع وتهكم مرّ.

❁

قبل ان انهي هذه التوطئة اريد ان الفت النظر الى شيوع الشعر بين ابناء الجبل عموماً . فكل جبليّ شاعر في وقت من اوقاتـه إن لم يكن بالطبع فبالمحاكاة . ولكن لم يشتهر من الشعراء — مع كثرة عدد المشهورين منهم — إلّا الذين اتاحت لهم سعة الرزق والراحة وقتاً كافياً ، وجوّاً ملائماً لنظم الشعر كلما دعت اليه الحاجة أوْ دفع اليه الوحي .

ولما كانت سعة الرزق والراحة لا تتوافران إلّا لاصحاب الاملاك الواسعة الـذين يكلون امر اشغالهم لـواهم ، ولا يهتمون بسوى استقبال الضيوف والزائرين وحضور الاجتماعات ، والاهتمام بالامور العامة دون الشؤون البيتية ، لذلك كان عدد الشعراء من شيوخ القرى ، بالنسبة الى عددهم ، اكبر من عدد شعراء العامة . لأن هؤلاء كان عليهم ان يكدحوا في هذا البلد المستحدث لتحويل اراضيه البور الى حقول كثيرة الخصب إن لحسابهم الخاص وإن لحساب شيوخهم . كان لهم من مكافحة الفقر وبذل الجهود الجبّارة في سبيل الرغيف شاغلٌ كافٍ عن الشعر والغناء ، وان يكن هذا الشاغل عاجزاً من منعهم من الاشتراك بكل المعارك والاتيان باعمال جبّارة في حقـل البطولة والدفاع عن الوطن . حتى نظموا في هذا الجبل قصيدة رائعة بل ملحمة كبرى سطورها كرومنا وحقولنا ومتاجرنا ومحترفاتنا ، وكلّ ما يؤمّن الحياة والرغد لحاضرنا ومستقبلنا . واما حبرها فنجيع الافئدة وعرق الجباه .

القسم الاول : ما هو الشعر الجبلي ؟

لن اتكلم عن مظاهر الادب عامة والشعر خاصة في جبل حوران قبل نزوح الدروز اليه . ذلك ان هذا الادب يدخل في عصور الادب العربي عامة يزدهر بازدهاره وينحطّ بانحطاطه ، دون ان تكون له مزايا خاصة به تميزه من سواه . غير ان هناك فائدة واحدة نجنيها من ذكرنا بعض من مرّوا بهذا الجبل

او سكنوا فيه او ذكروه في شعرهم للدلالة على اهمية مركز جبلنا الجغرافي وكونه نقطة الاتصال بين الصحراء العربية والشام : فهو اول ما تقع عليه العين من البلاد المعمورة شمالي جزيرة العرب. ولذلك كان اهله يتصفون بصفات اهل الشام من وجوه عديدة من حيث طُرُق المعيشة ، وترتيب المنازل ، والاعتناء بالزراعة ، يُضاف اليها بعض صفات البدو اهل الصحراء : من الاهتمام بحوادث البادية ، والعناية بتربية الماشية ، والاكثار من التحدث بماضي العرب وحاضرهم ومستقبلهم ، واتقان جميع اللهجات العربية الحاضرة منها والبادية ؛ والاختلاط باهل المدن واهل الصحراء في آن واحد ، والاتجار مع هؤلاء واولئك ايضاً . ولذلك كان الادب الحوراني يجمع الى رقة الادب الشامي وشمول مواضيعه ، خشونة الاسلوب البدوي ، وصراحة اللهجة البدوية ، وصدق العاطفة البدوية . فكما تهبُّ على الجبل رياح البحر المتوسط من وراء جبل الشيخ ، او جبل الكرمل ، او جبال عجلون ، كذلك تلفحه الرياح الصحراوية الجافة القاسية ، فترى كروم العنب في الجبل تجاور منابت الشيح والقيصوم ، وترى مواشي الجبل تقضي الشتاء في البادية والصيف في اعالي الجبل وسفوحه ، وطيور الجبل فيها الحساسين والحجل . الى جانب القطا والحبارى . والذئب والضبع الى جانب الغزال واليربوع.

مرّ امرؤ القيس وصاحبه بجبل حوران ، وهما ذاهبان الى قيصر بدليل قوله :

ولمّا بدت حوران ، والآل دونها ، رأيت فلم تنظر بعينك منظرا

وقد جاء النابغة الذبياني حوران مرات عديدة يقيم بين الغساسنة ، يهلهل فيهم شعره ، وينال محبتهم وكرمهم .

وجرير جاء حوران ايضاً فذكر « الصفاة التي شرقيّ حورانا » وذكر « اذرعات » وسواهما .

وكان في العصور الاسلامية شعراء حورانيون من جبل حوران اشهرهم : محمد بن ميّاس العرماني ، من بلدتي عرمان ؛ والقاضي الصرخدي من صرخد (وهي اليوم صلخد) — والشاعر المثاني من مثان — (وهي اليوم آمثان) — ونجم الدين القمراوي من قمراء — (وهي اليوم قميرة) — ولكن هؤلاء الشعراء

لا يعنينا امرهم كما اسلفنا لبعد الشقة بيننا وبينهم من جهة ، ولكون حوران في وقتهم لم تكن له شخصية خاصة ليدرس ادبه على حدة . وكذلك القول عن الشعراء من آل شهاب ، اصحاب شهبا او مدينة « فيليبوس العربي » وهو الجبلي الذي جلس على عرش روما ، كما هو معروف لدى العموم . لن اتكلّم عن الشعر الجبلي او الأدب الجبلي قبل نزوح الدروز اليه للأسباب التي ذكرت .

على انني من جهة اخرى لن اقتصر في هـذا الدرس الموجز على الشعراء الدروز . فانمـا انا ادرس شعراً وادباً نبتا ونميا في ارض هذا الجبل سواء أكان الشاعر او الاديب درزياً ام سنياً ام مسيحياً . المهم ان يكون هذا الأديب او الشاعر من ابناء الجبل ، لا ان يكون من ابناء الطائفة الدرزية .

واني في هـذا لا افعل إلا ما يفعله ابن صحراء العرب عندما يطلق اسم « الجبلي » على البدوي والحضري من اهل الجبل على السواء . « فالجبلي » هو الدرزي والسني والمسيحي ، هو ساكن القرى الجبلية في الأعالي والسفوح او ساكن الخيام في سهول الجبل وبطاحه .

عَرُوض الشعر الجبلي ، لغته ، بحوره ، تعبيره

جرت العادة ان يُدرس الأدب من جهة المعنى اولاً ، ومن جهة المبنى ثانياً . غير أن هذه الطريقة المدرسيَّة ، وان كانت لهـا محاسن جمة من حيث التنظيم والترتيب ، وتقديم الأهم على المهم ، لا يمكن اتباعها في جميع الابحاث الأدبية على الاطلاق ، وخاصة في بحث كالذي نحن بصدده يتناول لوناً خاصاً من الأدب الشعبي له لغته الخاصة واوزانه الخاصة وتعابيره الخاصة . وكما ان لكل شيء بابه كذلك باب شعرنا الجبلي مبناه . ولا يمكن لأحد ان يطمع بمعرفة حقيقة هذا الشعر ، إن هو لم يبدأ بفهم مظهره ، بفهم عَرُوضه الخاص ، ولغته الخاصة ، واوزانه الخاصة .

عندما جاء الدروز الجبل وجدوا فيه قبائل بدوية شتى لهـا شعرها واصطلاحاتها ، ووجدوا اهل السهل الحوراني ولهم شعرٌ كشعر الاعراب ينظمونه بالأوزان نفسها واللغة نفسها . وإذا عرفنا ان اول شعر قاله الدروز في الجبل

الجديد كان موجّهاً اما الى البدو ، وإما الى الحورانيين الاصليين في اغراض شتى : كالاستشارة ، والمعاتبة ، والتهديد ، والتفاخر وما اشبه ؛ كان من البديهي انهم استعملوا طريقة البدو والحورانيين نفسها عملاً بالحكمة البسيطة القائلة : « كلّم الناس بما يفهمون » . ومن البديهي ايضاً ان هذا الشعر — وكل آثار ادباء الجبل شعر حتى السنوات الاخيرة — ما كان مُعدّاً ليُقرأ بل ليُغنّى ، هو شعرٌ للغناء ، للموسيقى قبل كل شيء . فعبثاً نحاول ان نفهمه ونتذوّق ما فيه من متعة ، إذا نحن اكتفينا بمطالعته . عبثاً نحاول استشفاف الروح الجبلية الشاعرة من خلال السطور المخطوطة . يجب علينا ان نحضر بين الجبليين في سهراتهم الحافلة ، وقد صمت جميع الحضور ، مصغين الى المغنّي يوقّع الحانه على الرباب ، وصوته ينعش ارواح الحاضرين بما يغنّيه من القصائد الجبلية البديعة . هذا هو « الشاعر » بعرف الجبليين . ويندر ان نجد شاعراً لا يحسن التوقيع على الرباب كما ان اكثر المجيدين التوقيع على الرباب من « الشعّار » . لذلك عمّت لفظة « الشاعر » الذين ينظمون الشعر بالفعل ، والذين يضربون على الرباب سواء أكانوا من الشعراء الموسيقيين ام من الموسيقيين فحسب . وهذا طبيعي في مجتمع يفتقر الى العلم — الى القراءة قبل كل شيء — فالشعر يُحفظ ويُلقى ويُتناقل ويُروى ، وقلما يُكتب . او هو يُكتب للحفظ فقط ، لا للنشر . أمّا اللحن الغنائي الشائع فهو اللحن الحورانيُّ المعروف منذ القديم ، بدلالة ما اورده ابن خلدون في مقدّمته إذ قال ، في معرض كلامه على الشعر العامي المعروف في عصره : « واهل المشرق من العرب يسمّون هذا النوع من الشعر بالبدوي ، وربما يلحّنون فيه الحاناً بسيطة لا على طريقة الصناعة الموسيقية ثمّ يغنّون به ويسمّون الغناء به باسم الحوراني نسبةً الى حوران من اطارف العراق والشام وهي من منازل العرب البادية ومساكنهم الى هذا العهد . » — اه .

ولسنا بحاجة الى القول ان هذا الشعر منظوم بلغة العامة ، بلغة اهل الجبل — جبل حوران — اي بلغة دروز لبنان مع بعض التجدّد فيها بسبب تأثير اللهجات المختلفة التي عرفها اهل الجبل عند جيرانهم البدو واهل السهل الحوراني . كانت هذه اللغة في بادئ امرها بسيطة طبيعية لا تكلّف ولا صنعة فيها ،

شأن شعراء البدو الذين لا يختلف كلامهم الشعريّ عن كلامهم العادي . ولكن هذه اللغة — مع الاسف — قد دخل عليها التكلف فيما بعد ، فاصبح لدينا شعراء عاميون يحتاج قارئهم ، وهو المتكلم لغتهم ، الى اجهاد نفسه وكدّ ذهنه لفهم لغتهم المعقّدة المصطنعة. وقد لا يحجمون عن اختراع كلمة من عندهم ، ونسبتها الى بدويّ بعيد مجهول فتصبح مقبولة متداولة. وهم يكثرون من استعمال الجناس خاصة في القوافي ، وفي بعض الفنون الشعرية التي سيأتي ذكرها حتى لتراهم يتسابقون الى ايراد اكبر عدد ممكن من الجناسات للفظة الواحدة في القصيدة الواحدة ، حتى لتأتي اللفظة بضع عشرة مرّة ، وكل مرّة بمعنى مختلف عن سائر معانيها. وفي هذا فوائد كثيرة لا تنكر ، ودلالة على براعة وذكاء يستحقان الاعجاب ، ولكنّ في هذا ، قبل كل شيء ، خروجاً عن نطاق الشعر العامي المطبوع ، شعر السليقة الفيّاض الذي عرفه شعراؤنا المتقدّمون بوجه الاجمال. والكلمة العامية لا تأتي متحرّكة ابدًا - بل هي ، مبدئيًا ، ساكنة ، إلا فيما ندر . وهذا الخروج عن القاعدة يُعد شذوذًا لأن تحريك آخر الكلمة يتعمّده الشاعر إما لتقويم الوزن واما لتقليد الشعر الفصيح. وهذا التقليد اضرّ كثيرًا بشعرنا العامّي. إذ صيّره عند بعض الشعراء هجيناً يُشكّ في نسبه: فلا هو فصيح ولا هو عامّي . بل هو بين بين. وسوف نأتي ببعض امثلة من هذا النوع الخليط عند كلامنا على الشعراء .

❁

امّا بحور هذا الشعر العامي فكثيرة. وامّا تساوي عدد بحور الشعر الفصيح إن لم تكثرها. وكل بحرٍ من البحور العامة مشتقٌ من بحرٍ من البحور الفصيحة — ما عدا حركات الاعراب — :

فالشروقي عندنا يلائم الطويل مثل :

بَرْقي لَمَعْ عَجِلْ المَطَرْ ، يَوْمْ بْنَا . نَخْمَ الغروعْ وفاضْ يَمّ الشنايا

امّا القصيد فيأتي على ثلاثة اوزان : الاول كالطويل مثل :

عَفَا اللهْ عَنْ قلبٍ تَخذّا الهمّ قسمةْ ونفسٍ أبتْ عنْ مطلبِ النّاسْ زاهدَه

والثاني كالرجز مثل :

أَوّلْ كَلامي احمدُ الربّ العَلِي القادر المبود مولانا الأَزَلْ

والثالث كالوافر مثل :

قلت لها : ألا يا زهرْ ، قرّي أنا بملك ، انا ذيب الشليّهْ
لناخذ عن سداد الشيخ عشره ، وناخذ عن سداد الشب ميّهْ

و« الفنّ » يتفق مع الكامل الساكن التاء المحذوف الضرب :

البارحهْ من واهجيْ قلت آها البينْ وجدّى والسهرْ اعماها
عتارْ من غزلْ الزمانْ وفتلهْ والجوف من شب الزفير حناها

و« الجوفيّ » على وزن الرّمل :

الدّروز ألسا جيمْ واحدْ بليدْ يطحون الصدْ ونْ علقْ الحداهْ

و« المَثَنّى » او « المصلوع » كالرجز مثل :

يا جبلْ هالشيخ ، ياما ارقمكْ الله يبتلكْ صواعقْ تقلمكْ

و« القرّادي » كمجزوء الخفيف مثل :

يا مولانا ، لا تنهمْ عسوريًا لا تنتمْ
بالليل طبختو للسمْ اصبحتو فيه مقتولينْ

و« حداء » الفرسان كمجزوء الرجز مثل :

يا صلخدْ ، يا ركنْ الطوبيْ حرمتْ عليكمْ يا حمدْ
حرمتْ عليك سكوتها ما طول البغلة ما تلدْ

و« الهجيني » او غناء الهجانة كاحد انواع الكامل مثل :

عرجة دلولك ما هي سجه مَيْر انت بالذلّ راضي بهْ [1]

و« الموشح » كاحد انواع الكامل ايضاً :

يا عبد هالمسرور ما احلاك امأ على المنظام زاد بلاك
شو كان ينكدْ على المبود لو كان بالافراح شاركناك

اما قصيدة « السحجة » فعلى وزن مجزوء الرّجز مثل :

يا ولد وبي الشيبهْ واكربْ زهايكْ فوقيهْ
وانْ كنكْ ناوي لك نيهْ يا شرق القرّا الذبلاني .

---

١) مَيْر : ما غير

وهناك اوزان اخرى فرعية لا يكثر النظم عليها ولذلك فانني لا اتطرق لذكرها ، خوفاً من الإطالة .

سبق لي أن قلت أن هذا الشعر الجبلي وُضع للغناء لا للنشر ولا للمطالعة ، ولذلك لا يخلو من فائدة ان اذكر الحالات او المناسبات التي يُغنّى بها كل نوع من الانواع التي مرّت بنا :

أمّا « الشروقي » — ويدل اسمه على انه لعرب الشرق — والوزن الأول من اوزان « القصيد » فيُتغنّى بها في السهرات الحافلة ، في المضافات ، يرافقها الرباب : ففيها الهدوء ، وفيها الطول ، وفيها كل ما يلزم لتمضية الوقت بصورة فنية لذيذة . وفيها من طول النَّفَس والتعمق في المعاني ما يدفع الى التفكير والتأمل والانطواء على الذات . ولذلك كانت اهمّ المواضيع وارفع المعاني واكثر الافكار رصانةً ووقاراً تُنظم على هذين الوزنين . وتتخلل الغناء بها فترات من العتابا — على الرباب ايضاً — للترويح عن الذهن واعداده لاستماع موضوع جديد . وإني حضرت سهرات كثيرة من هذه السهرات الخالدة التي تتجسّد فيها حياة الشعب باجمعها ، فما كنت اشعر بانتصاف الليل ولا باقتراب الصباح . بل كان الوقت يمرّ ، لشدّة النشوة ، بسرعة هائلة . ولا تنقضي السهرة إلا وتترك وراءها شوقاً ملحاحاً الى سهرةٍ جديدة امتع واطول .

اما « الهجيني » و« الحداء » فامرهما معروف ، وهما لغناء الفرسان والهجّانة . وقد يتغنّى الفارس « بالهجيني » والهجّان « بالحداء » . وليس اجمل من كوكبة من الفرسان تخبُّ وتحدو في سفحٍ من سفوح هذا الجبل او سهلٍ من سهوله .

امـا « الفنّ » فيُسمّى كذلك . امّا لشدّة اعتناء قائله بالصناعة الشعريّة ، وسبك الالفاظ والتفنّن بالمعاني ، والحرص على الجناسات الصعبة المتعدّدة ؛ وإمّا لأنهم عندما يغنّون هذا النوع من الشعر « يَفِنُّون » اي يدورون دائماً ، وهم صف واحد يغنّي الذي في رأسه على اليمين ، ويجيب الباقون وهم اربعة او خمسة ، ويدورون بتمهّل واتّزان بشكل شعاع دائرة مركزها آخر وجل بالصف ومحيطها الرأس الذي يغنّي . وفي هذا النوع من الغناء لازمة هي اوّل مقطع من القصيدة .

فعندما ينتهي بيت من الابيات التي يغنيها الرأس بقافية اللازمة ، فالذين معه يكتفون بترديد اللازمة فقط . وإذا كانت قافيته مختلفة ردّدوا بعده ما يقول: وهكذا دواليك . واكثر ما يستعمل هذا الغناء في الاعراس وسائر الافراح لكثرة ذكر الحبّ فيه وبعده عن التشاؤم والحزن ، إلّا فيما ندر .

وامّا « الجوفي » او « الجوفيّة » فهو لحن مأخوذ عن اهل الجوف في شمالي جزيرة العرب . وهذا اللحن حماسيّ حربي للغاية . فقبل ان تمشي البيارق الى الحرب ، او الى ايّ امرٍ آخر مهمّ ، يصطفّ اكبر عدد ممكن من الشبّان — وقد يبلغون المئات — بشكل دائرة كبرى ، فيغنّي بعضهم ويجيب الباقون دفعة واحدة حتى كأنّ القرية تقوم وتقعد ، وكأنّ الارض تهتزّ حماسةً ، وكأن النشاط يتفجّر من الجماد . وكلما وصل شاب جديد ، كان متأخرًا يتأهب للسفر ، اخذ مكانه بين اثنين من الصّافين وشاركهم الغناء حتى السفر . وهم يرافقون اللحن بنقل الخطى نقلًا متوازناً ، وتتحرّك الدائرة على نفسها بتمهّل ، وتزيد الحماسة شيئاً فشيئاً وإذا بالكفوف تصطفق ، وبالأرجل تعلو وتهبط ، وبالشبان يرقصون — وهم ممسكون بعضهم بايدي البعض الآخر — رقصة الحرب الرائعة ، وبالعيارات النارية تنطلق في الفضاء .

واذا ما سار البيرق ، واصطفوا وراء حامله عشرات عشرات ، اخذ صفّان او ثلاثة يغنّون الحداء ، ومثلهم يغنّون « الجوفيّة » ، ومثلهم « الهجيني » ، وكل فريق يرقص الرقصة الملائمة للحنه . واللاعبون بالسيوف يتقدّمونهم ، وامام الكل لاعب « المجوز » وهو قصبة مزدوجة تُخرج الحانًا جيّاشة جميلة . وهكذا حتى لا تصل الجموع الى ساحة المعركة إلّا وهي نشوى لا تهتها كثرة الجيوش المعادية وقلّتها ، ولا تقف قبل ان تتوسّط صفوف الاعداء وتهزمهم او تبيد .

قلت انّا إذا خرجنا من هذا الجوّ الجبلي الخاصّ ، لا يمكننا ان نفهم الشعر الجبلي فهماً صحيحاً . فانت إذا قرأت مثلًا هذا البيت :

إنْ قتلتو يا النشامه ، الموت سنّه وإنْ سلمتو سالمين من الشّانه

لا تجد فيه شاعريّة فائقة الحدّ ، بل هو ساذج كل السذاجة إذ يؤكد لهؤلاء الشجعان انهم إذا ماتوا قتلًا فالموت سنة ، وإذا سلموا فهم سالمون من

الشهامة . لكنّ رأيك فيه بتغيّر ، ولا شكّ ، إذا سمعت جمعاً من الشبّان يغنّون وراء بيرقهم ، ويردّدونه نحو العشر مرّات بلحنه الخاص ، عرفت سرّ شجاعة هؤلاء الشبّان واستهزائهم بالموت وتفضيلهم اياه على الحياة في الجبن والشهامة . ومثل هذا القول عن الابيات القليلة التالية ، والغناء بها من اكثر ما سمعت إثارةً للحماسة والانفعال :

قُمْ ، يا خوينا !
شدّ الركايب والمسير جانا
قم ، يا خوينا !
موزر يدّينا
ضربو عطايب يومَ الكواني[1]
موزر يدّينا !
واليا رمينا
شبّ طويل وعاهلو عالي
واليا رمينا ! الخ . . .

وددت لو اكون موسيقيّاً لأضبط هذه الالحان كتابةً ، إذنْ لكان لهذا البحث قيمة اكمل وفائدة اتمّ . ولكن ما لي وللتمنّي ما دامت محاسن شعرنا الجبلي كثيرة اجتهد في تبيانها فيما يلي ، ما دمت لا استطيع ايصال موسيقى هذا الشعر الى اذني القارئ . ولكن لنبيّن قبل ذلك ما هي الآثار الشعريّة التي بين يدينا والى ايّ عهدٍ يرقى اقدمها .

المجموعات الشعرية

إن اقدم ما وصل الينا من الشعر الجبلي يرقى الى اوائل القرن التاسع عشر . وهذا لا يعني ان اهل الجبل لم يقولوا شعراً قبل هذا التاريخ . ولكن طريقة توارث هذا الشعر ، وقلّة من يعرفون الكتابة في بلادنا هذه قبل ذاك العهد غمرت ما تقدّم القرن الماضي من الشعر بالنسيان ، فلم نعد نعرف عنه شيئاً واضحاً اكيدًا . لذلك كان اقدم الشعر الجبلي المعروف اليوم هو شعر اسعد نصّار ،

---

١) الكواني : جمع كون وهو المعركة

والشيخ ابي علي الحنّاوي . وهذان الشاعران شهدا فتوحات ابراهيم باشا المصري . واسعد نصّار اقدمهما تاريخاً وله قصائد قويّة يردّ بها على شيوخ القبائل المعادية للدروز ، الى جانب الغزل الرقيق ، الـذي سيأتي ذكره في محلّه . اما ابو علي الحنّاوي فله قصيدة رائعة يصف بها حرب اللّجاه التي دارت بين جيش ابراهيم باشا المصري والدروز . وهذا الشاعر لم يمنعه من قول الشعر كونهُ رجلَ دين ، فقد اجاد في ملحمته هذه كلَّ الإجادة . اما شعر هذين فقد وصل الينا في « دفاتر » خطّية محفوظة لدى آلهم حتى ايامنا هذه ، وقد اثبت بعضها عبدالله النجار ، مـدير معارف جبل الدروز الاسبق ، في كتابه : « بنو معروف » الذي نُشِر قبيل ثورة الـ١٩٢٥ .

وجاء بعدهما شبلي بك الاطرش ، واحمـد البحصاص ، وعبدالله كمال ، واسماعيل العبدالله ، وهزاع الحلبي ، ومنصور عزام ، وهزاع شرف ، وحمد الخطيب ، وقد عاشوا في النصف الاخير من القرن المـاضي وفي اوائل القرن الحالي . وقد وصل الينا شعرهم في « دفاتر » مخطوطة ايضاً . غير ان شعر شبلي بك الاطرش قد جُمع وطُبع في ديوان عنوانه : « ديوان شاعر الجبل في الشروقي والزجل » وذلك في سنة ١٩٣٦ ، بعناية الشاب يوسف محمد ابو راس .

كذلك طُبع سنة ١٩٣٨ ديوان منصور عزام ــ الذي عاصر شبلي ومات من سنتين او ثلاث ــ بعنوان : « نشر الخزام في ديوان منصور عزام » بعناية ولديه السيّدين فريد ويوسف .

كـ طُبع قسمٌ من شعر علي عبيد في مجموعة عنوانها : « ربابة الثورة » ظهرت سنة الـ ١٩٤١ ، وهي تحتوي ، مع شعره ، على شعر بعض رفاقه . وذلك بعناية ولده الشاب السيد سلامه عبيد . وعلي عبيد هذا من الشعراء الاحياء . وقد علمت ان هناك من يهتم اليوم بجمع شعر اسماعيل العبدالله ، معاصر شبلي ، تمهيداً لطبعه في ديوان . وهذا ــ إن صحّ ــ سيكون له شأنٌ يُذكر بالنظر الى تفوّق اسماعيل المذكور وعمقه الذي لا يدانيه احد ، وإن فاقه الكثيرون وخاصة شبلي الاطرش من حيث الجزالة ، وطول النفس ، والسهولة والطبيعة .

اما الشعراء الاحياء الباقون فلم يُطبع شعرُ احدٍ منهم في ديوان ، ولعلّهم يفكّرون في ذلك . وانك لتجد مخطوطات شعريّة كثيرة عند ابناء الجبل . فكلّهم يتذوّق الشعر ويعتني بحفظه . وكلّهم يروي آلاف الابيات منه يتمثّل بها ويطيّب بها احاديثه عند الحاجة .

القسم الثاني : صفات اقدم ما وصل الينا من الشعر الجبليّ

اما اقدم الشعراء عندنا ، واخصّ بالذكر منهم اسعد نصّار ، والشيخ ابا علي الحنّاوي ، فكانوا لا يزالون يجهلون مذلّة النفي والانكسار . ولذلك كانوا في شعرهم يفتخرون او يهدّدون او يصفون . ولكنّهم لا يشكون ولا يبكون . يفتخرون بالشجاعة ، والإيمان بالله الواحد ، وعلوّ الهمم ، والعفّة ، وكافّة مظاهر الرجولة . كما يفتخرون بذكر المعارك التي اباوا فيها البلاء الحسن ، وعدد الجنود الذين قتلوهم ، والخيول التي ركبوها ، الى ما هنالك من صفات يراها الرّجل سامية لمجرّد دلالتها على القوّة والتفوّق والترفّع . من ذلك ما قاله ابو علي الحنّاوي بعدد الحرب بين الدروز والجيش المصري :

اوّل فتوح الحرب ، ذبح البعيلي ، أخذنا خمسية حصان ، فرد خار
وكم بطلٍ منّا خلاوي إذا لكد(١ على الجمع يدعي للجيوش دمّار
يفعل جم ما يفعل الذيب بالغنم بضرب اليماني الصارم البتّار
وشبابنا بارودهم ، في كفوفهم ، زلازل : وفي المتراس هجمة نار
وكم طبّجي(٢ خلّوه مدحي على العجل، وخلّو الآيات الملوك دثار
افخر نسبٌ في الارض تلقى نسبنا متجنّبين العار والمعيار
ترى جدّنا «النعمان» خلفة سما تم ، ومنّا حماة الدين والأنصار

. . .

من بعد ذا ، ابراهيم جرّدْ علينا يَبْغي الحرايب – عسكرًا جرار
دخل اللجاه ، زحفًا بجيش عرمرم ، وغنا قلابل ، والعدوّ كثّار
نطحناه ، تناخى ، بقوّة بأسنا ، وصارت معاركْ ، والفرنجي ثارْ
صحنا كما غدر سباع كواسرْ على القومْ بالبلطاتْ والبتّارْ

---

١) لكد : هجم .
٢) طبّجي : مدفعي .

ذبحنا الوزير وكل ضبّاط عسكرو ، وثلثين جيشو راح قصف مار
اخذنا المدافع والجباخان والزخر ، والذبح لا يُحصى له مقدار
فهذي قلعتنا ، وهذي لجاننا ، وتربة عدانا ، من دخلها حار
ستين الف اللي انذبح من عساكرو ، ووافق ، وصالحنا ، وفات الثار !

والقصيدة طويلة جدًّا لا مجال لايرادها كلها في بحثنا هذا .

ومن ذلك ما قاله اسعد نصّار يفتخر على الشيخ افندي التيّار زعيم قبيلة « ولدْ عَلي » ويتهدّده :

حنّا ، بني معروف ، نحمي الجارْ لو جارْ ، نتقى المزنّد فتيلك ماندارية (١)
وسيوفنا الحدب تفري كل زنّار ، وحرابنا لو صدّت بالدم نجليه
ما تذكر يوم مردك والذي صار ويوم الجنيته ، يا فندي انت ناسيه !

وقد يبدو غريباً لأوّل وهلة أن نقول إن هـذا الشاعر اسعد نصّار كان شديد الحبّ عنيفه ، مع شجاعته الفائقة ، وروح البطولة التي فيه. ولكنّ هذا ليس غريباً البتّة إذا نحن علمنا أنّ الحب والشجاعة ما هما إلا مظهران للبطولة ، مظهران للكرم السامي الذي يدفع صاحبه الى بذل روحه في الحرب ، وبذل قلبه في الحبّ. ولنا في تاريخ آداب الامم امثلة كثيرة على ذلك. قال اسعد نصّار متغزّلا ، وكان قد نزح من راشيّا الى جبل حوران ، تاركاً فيها حبيبةً له حال بينه وبين رؤياها ، كما توهم ، جبل الشيخ :

فوق الجبل ، يا ريح ، سافر بالعَجَلْ ، قرّبْ عليكْ بعيد خطوات المجال
نجمي غطس في برج عالي واختفى ، وطلّ ونفذ من خلف ظهرك ، يا جبل
نجمي غطس في برج عالي واختفى ضب الظلام الاسودْ حين اتو لنا ،
يا هالجبل ، اشفق عليّ من الجفا ، بس حيّدلك اشاره عالشمال !
بس حيّدلك اشاره لاتشمو ، اللي حياة الروح موجوعا صمو
بحياة من كوّن ترابك وارفعوا ، يا هل جبل ، لا تريد نيراني شمال !
يا هل جبل ، لا تريد نيراني لهاب ، قادر الله ينفتح لي فيك باب ،
لدعي عليك بالريح مع كثر السحاب حتى خلال المرج منّكْ تنسمل
حتى خلال المرج منّكْ تنتلي ، الله يسلّط لكْ رياح وزازلي
يا هل الجبل ، عالبحر ريتك تنتلي حتى يقولوا : كان بالماضي جبل !

(١) المزنّد اسم البندقية تطلق مقدح الزناد . والفتيل اسم بندقية تطلق باشمال الفتيل .

وتزيد عاطفته عنفاً فيخاطب الجبل قائلاً :

يا جبل هالشيخ ، عالي ما أرفعك ! الله يسلّط لك رواعق تقلعك

هكذا كان شعرنا القديم جدًّا ، وهو من اوائل القرن التاسع عشر ، كلّه صفاء ، وصدق عاطفة ، وسهولة تعبير ، وطبيعة تشيع فيه روح السمو في العاطفة والترفع في الاخلاق ، ويهيمن عليه جوّ من العفاف وصفاء الذهن سوف نراه يقوى ويتسع في عهد شبلي بك الاطرش ومعاصريه ، مع اجواء اخرى قاتمة سنجتهد الآن في تبيانها .

القسم الثالث : شعر العهد العثماني

كان لانتصارات الدروز المتعدّدة على جيش ابراهيم باشا المصري اثرٌ بعيد جعل للجبل الجديد ذكرًا ، وادخله في عداد المناطق التي تهتمّ بها السلطات العليا — الباب العالي إذ ذاك — فصارت توجّه اليه الحملات العسكرية قصد اخضاعه ، فيقاومها وينتصر عليها حيناً ، فيجمع من فلولها الاسلحة الجديدة والأعتدة الوافرة . ثم تعيد الكرّة عليه فتخضعه وتنتقم من قادة العصيان فيه بالقتل والسجن والنفي وبانواعٍ من العذاب لا تحصى : من الضرب الشديد ، والكيّ بالحدائد المحميّة ، وما الى ذلك من ضروب التعذيب. فكانت بين الدروز والاتراك سلسلة من الحروب يقع في كلٍّ منها جملة معارك يقوم فيها الدروز ، وهم لا يتجاوز عدّ محاربيهم الالف إذ ذاك ، بضروب من البطولة والتفوّق لا ينكرها اعداؤهم انفسهم . وكانت الدولة العثمانية تكثر من نفي رجالهم الى اقطار السلطنة النائية : الى طرابلس الغرب ، وكريت ، ورودس ، والروملي ، وسواها .

فتقوم بين المنفيّين وذويهم في الجبل خطوط متّصلة من المراسلات يضمّنونها كل ما في قلوبهم من نقمة او حرقة ، او يأس ، او رجاء ، او حنين ؛ او دعوة الى الانتقاض ، او تحذير من غدر الاتراك . وكانت هذه المراسلات شعرية على الغالب ؛ فكان لنا اجمل الشعر واصدقه واعمقه. وكان لنا شعراء كثيرون اشهرهم شبلي بك الاطرش ، واسماعيل العبدالله ، وهما من الدرجة الاولى . ثم محمد

الجرمقاني ، وهزاع الحلبي ، وحمد الخطيب ، وسواهم من المقلدين. ولا يسعنا إلّا الاتيان ببعض الملاحظات العامّة الشاملة لهذا النوع من الشعر باجمعه.

هو رسائل شعريّة : إذن يجب على الشاعر أن ينتخب له رسولًا شجاعاً عالماً باخلاق اهل البلاد التي يجتازها ، جَلودًا على السفر في الليالي ، وان تُعَدَّ له مطيّة تتجلّى باجمل الصفات كالسرعة ، وقوّة الاستمرار ، والصبر على التعب والعطش والجوع والحرّ والبرد ، وعليها عدّة تامّة من رحلها وخرجها وما يحتاج اليه الرسول من الزاد. وبعد ان يصف الشاعر كل هذا ، ويدلّ رسوله على الدرب ، ويوصله الى المكان المقصود ، يقول للمرسل اليهم ما يريد ان يقوله بسرعة وايجاز ، او بتطويل حسب الغرض المقصود. على ان اعداد الرسول وتسفيره قد يتجاوز في اتساعه القسم الآخر من القصيدة. وينهي الشاعر القصيدة بالصلاة على النبي ، او بالتماس شيء من الله . وقد تكون المطيّة ذلولًا او فرساً او سفينة ، او الريح مثلًا ، وقد لا يكتفي الشاعر بمطيّة واحدة بل « يشدّ » عدّة مطايا او « ركاب » كما يقول : يصف كل واحدة منها اين تقيظ ، واين تربع ، ومن اين اصلها ، وما هو لباسها . وهكذا كان لنا قصيدة العشر ركاب لشبلي بك الاطرش ، وقصيدة العشر ركاب لاسماعيل العبدالله وسواهما . على ان هذين الشاعرين هما السابقان وخاصّة شبلي. وبقية الشعراء ما جاؤوا في « شدّ الركاب » إلا ببعض صفات هذين الشاعرين مقلّدين مقتبسين ، واحياناً سارقين .

شبلي الاطرش واسماعيل العبدالله :

ولا يخلو من فائدة ايراد مثالين على « شدّ الركاب » احدهما لشبلي بك الاطرش ، والثاني لاسماعيل العبدالله . قال شبلي بك بقصيدته المعروفة « بالعشر ركاب » :

فاض الغرامي ، يوم شفتو بمنامي ، والدمع عامي ، والشظا في عظامي ،
من كثر ما بي ، يا ربع ، واعذابي ! رَضّح شَبابي بالمفارق رهامي .
من عقب ذا ، شدّيت عشرة سراحيب اليامشوا ذوعاضم كالدواليب ،
اسرع من اللّي يقطعوا الدوّ تذيب من غير طولـه مثل رف الحمامي .
– الأوّل من خاص ركب اللحاوي ، وشدادها ما كلّفوا كل غاوي ،

تامن عليها ، لو مشت بالحلاوي ، بس انت جوّد حبلها والرماي .
– والثانيه خزّينها من التياها ، يا ذكرت الله يوم غاروا تواها ،
اسرع من الدولاب مدّت خطاها ، من خلفته ما وقّفت للمامي .

وهذا الى ان يصف الرابعة فيقول عن سرعتها :

الباشت غدوه من أرض المدينه تلفي دمشق الشام ، قبل الظلامي

الى ان يصف العشر ركاب ويلبسها من اشدّة القصيم والخراج والاسلحة مع الزاد للمسافرين ، ويوصيهم بما يلي :

يأهل الركاب ، ركابكم ولقوم ، فوق الركاب رواحكم ودّعوم ،
اما الديار اللّي تبو تهجوم ، بيهم تراك ، وبعد بيهم روامي ،
من أزمير مدّوا طالبين المراويح ، اوّل نهار خذوا عليهن مشاويح ،
اليا زرفلوا مثل النعام المدايح ، يحدوح في عمر الظلامات عامي .
في وقم عشره اتقرا الترك تلفون ، اصحا تقولوا ركابنا اليوم تلذّون ،
يا ربعنا ، في لقاهم ، ما تعرفون ، والضيف مالو تي وطنهم كرامي .
عا أدّنا من عقب تسمه لغنّي ، ومن القفل صاروا صراصيع جنّي ،
يا أهل الركاب ، تولّوا الشرق عنّي ، خذوا يمين توقّموا للملامي .
عاديار بكر وماردين بقفاها ، عا حلب الشهبا وهلّي وراها ،
حماه وحمص اصحوا تياتوا حدّاها ، عا جلّق الفيحاء تلقّوا السّلامي .
يا هيه ، يا لّلي فوق عشرة ركايب ، تقهقرولي فرق عالي التجايب ،
الدرب عا غبها وهكّ الشطايب ، على الجميدي ، على يار الحمامي .
هونيك تلقوا ديرة العزّ ، يا طروش ، علمي جم صلفين في ساعة الهوش ،
كرام اللحى ، ذبّاحة الخيل وكبوش ، بعوج المناسف فوقها السّمن عامي .
يأهل الركاب ، ركابكم ريّضوهن بوجه المقاعد وركابكن نوّخوهن ،
فضّوا الكتاب الباعثوا سلّموهن ، هم يفهموا مضمون فحوى كلامي .
الكل منّا يليس غيّب سعدنا لامّا اندهكنا يا لربع وأنسدنا !
حنّا الذي جوّا البحوره ابعدنا ، يا جواد ما ردها شاقي وملامي .

. . .

البعض منّا بالربع عسكريّه ، والبعض في رودس بماله زريّه .
والبعض مثل حوالنا هالرّديّه ، وانتو حكمكم بعد قطعة نظّامي !

وهكذا الى ان ينهي القصيدة بقوله :

صلّوا على المختار سيد المخالق ، يشفع لنا يوم ازدحام الخلايق ،
وبساعة ينشف جا الجسم والريق ، ساعة حشر يوم تقوم القيامي .

ولنعرض الآن قصيدة اسماعيل العبدالله المنظومة على هذا النمط للمقابلة واستزادة المعلومات عن هذا النوع من الشعر الترسلي ؟ مع العلم ان شبلي اشتهر في الشعر ابتداء من سنة ممدوح باشا ، اى سنة ١٣١٤ هجرية (١٨٩٦ م.) ، وتوفي سنة ١٩٠٤ ميلادية ، بينا اشتهر اسماعيل بالشعر سنة سامي باشا الفاروقي ١٩١١-١٩١٢ م. وتوفي بعد ذلك . فالأسبقية إذن لشبلي .

قال اسماعيل :

من كثر همّي ، يردف الموج بنّي ، اشرب بنّي ، وأنصف الدمع دمّي ،
جرحي مزمّي بالمعاليق دمّي ، والشيب همّي مفرق النحر والراس .
من عقب ذا تدّيت عنره عرايد ، حبلًا يزعّن الحديد المبايد ،
ان دوجن واقفين حقيق عراقيد شي نذان ايّام للهجن مرواس .
— الأوله ما دنّيت لنعاليق حمره ذعاره من طوال الساحيق ،
مثل الشرد ان جنّوه الدفافيق عيّت تواطق هاديّ الهضل ووناس .
مرباعها نزّ أقصى التواصف اليامان ، والفيظ من بصرى لياغيل بوسان ،
ما لاغـه بديرة النور ذبّان مشحاه حوران العذا روس الطماس .

وهكذا لكل ذلول اربعة ابيات من الشعر حتى يشدّ العشرة وكايب ، واذا به طوّف بلاد العرب وذكر مراعيها ومياهها وواحاتها المشهورة مما دفع الأمير عبدالله ، امير شرق الاردن — على ما سمعت — ان يقول لدى اطلاعه على هذه القصيدة : « إن هذا الشاعر يعرف عن بلاد العرب اكثر من ايّ بدويّ » وبعد ان يهيّئ للراكبين سلاحهم وزادهم ويطمئنهم الى ان السفر لن يكون طويلًا بقوله :

ما من بعيد ، الدرب مسرّى ومصباح

لانه كان مسجونًا في دمشق — ويقول :

مدّوا من الفيحا اذان الغيابي ترشدوا ، واخذوا معاني كتابي ،
اين « براق » ادعوا يسوم الركابي من دون « شفّا » لا تقلّون بناس .
اقصى معنّاكم لعرمان ومتان ، ماني نخمّنهم شبابًا وشيبان ،
علي جم يتعابك الكون عيّان إن كان ما راس البنا هدّم الساس .

ثم يخاطب الدروز قائلاً :

يا دروز ، كار جدودكم كان تبنوه بالسيف الحق المثولث يعضّوه ،
واللي مدوّر غرّة الربع ، خلّوه لا بد ما يعقب من الغلب نكاس .
واللي مدور يا ربع « كان ما كان » عوايد الدنيا فوايد وخسران ،
لو كل واحد منكم صار سلطان ، ما هي شريفه ، والرقاقه بحباس !
كبّ الرّنق لا صار بذّو جماله ، واللي بضيقه ما تبيّن فعاله ،
اللّبوة اللي ما تذرّي شباله ما ظنّي تدرك عشاها من باس .

. . .

وشيوخنا ناموا على موقد النار ، مثل الارامل بندبوا دمنة الدار ،
ما منهم اللي خاف من مهرّج النار ، وسعودنا في لجّة البحر طمّاس .
يا الله تفرجها علينا على حال بجاه النبي من دبرة الظلم غتال ،
تفتح لنا بابًا على الفرج مقفال وتفك عنّا لولب العكس وغاس .
واختم كلامي بالصّلا والسلامي عالمصطفى المختار نور الظلامي ،
يا الله ، يا معبود ، تحسن ختامي ، واطلب شفاعه من وساويس حنّاس !

وهكذا تتوالى القصائد على طريقة واحدة وتختم كل واحدة منها كما تختم الأخرى . غير ان اسماعيل العبدالله كان معاصرًا لشبلي في آخر ايامه لا في اوّلها . فيكون شبلي اسبق الى ابتكار طريقة « الركاب » ، وإن يكن اسماعيل العبدالله يساويه بجمال النظم وقد يفوقه متانةً وعمقًا وموسيقى ، ولكنه يقصر عنه سهولةً وخصبًا وتفاؤلًا . فشبلي الاطرش متفائل في اكثر شعره . اما اسماعيل العبدالله فمتشائم دائمًا . ولعل هذا التشاؤم هو الذي منح شعره صفة العمق التي يمتاز بها من شعر سائر اهل الجبل . فشبلي ، اذا تألم ، نسب كل ما يصيبه الى الاتراك . ولما كان يعتقد ان الاتراك من طبعهم الخيانة اصبح يحذر منهم ولا يستغرب عملهم . اما اسماعيل ، وإن يكن سجين الاتراك ، فلا يعزو همومه ومصائبه إلّا الى قلّة الاصحاب وعدم اعتناء اهل الجبل بخلاصه من سجنه . وهو مولود ليشقى ويتعذّب ويبخلون عليه بالموت حتى يشمن :

من مبتدا عمري حياتي رديّه والموت عيّوا ، لا يبيّعوه بشان

وانت ، وان سمعت شبلي يشكو ، فلا تشعر بقوّة الالم . انما تشعر بشموله ودوامه . امّا قوّة الالم فتشعر بها عندما تقرأ شعر اسماعيل العبدالله ، فهو يجلب لك

اليأس ، ويصل تراً الى قرارة نفسك حتى ترثي له وتحنو عليه . ولكنك لا تشعر انّ شبلي بحاجة الى رثائك وحنوك فهو اقوى من هذا . ولعل مكانته كزعيم للجبل كانت تمنحه الغلبة على الضعف والتفوّق على كل الآلام . فبينا ترى اسماعيل العبدالله يقول :

أنا علّتي عيّت على الطبّ والدّوا ، ابى ان يعالجها جميع طبيب
فلا المثل يفرجها ، ولا حاوي العرب ، إلا بروحي ما هنيت تطيب
امضّي خاري عايب العقل ، طاينر ، وأنْ نمت ، نومي مثل نوم صريب
ولا من يواسيني ، ولا لي جلاده ، امضّي الليالي بالفكار هذيب
ميلا غذّبني ، وميلا ولابني ودينني حرمني كل شوق حبيب
مسجون في رقّ المهاني بذلّه ، مربوط ممكون الحبال قضيب
البين عاندني ، وكسّر حواغمي ، ولالي يرجو السّالمين نصيب
اللّي جزوا البحرين ، واللّي بأسرها وديارها صارت مقام غيب

. . .

افهم ، ترى الرجل سعدًا وساعده ، من قبل . يرضع بالدّيود حليب
إن طاب سعدك ما يكيدك عدوّك ، تايب تقضي والشوع نعيب
ما عمر قالوا السهر يجلب بلاوي ، ولا فاد منع اللايذات رقيب

أو ، في قصيدة ثانية :

هنّا لمّاني مزع القلب حرّه ، حرّ العلاق برايب السمّ حرّه
ناب الفرحة اللي قديمًا بحرّه سكّر ، وفتحلي من الياس ببان
يا ناس كيف الراي شيرو عليّ ضاقت بوجهي ، يا جواد الفضيّه
من مبتدا عمري حياتي رديّه ، والموت عيّوا لا يبيعوه بشان

. . .

ميلة(١) رماني بالمخاطير مفروح ، مهتوك ستري ، لو تواريت ، مفضوح
والله لشي طنق الإيدين لاسوح ، لكن شوّدني عن الدّوج سجّان
واليد كمّنت ما وارتني بقاعه ، من دون خاق الله ، حرمت الشفاعه
والروح ما خصّص شركها نزّاعه ، أشركتْ كان يردّني الأس يقان
واليوم ، في هالدّور هذا ، حسابي من خلقتي يجمع مصابي كتابي
ما عفوني كفير يعذّبْ عذابي من مبتدا الدنيا وما بعد وذ الآن
إن جيت أعدّ هموم قلبي وحسرات مصايبًا خايع عددها مثالات
الدّار سابت ، والمواريث عورات ، وانا هكيمًا واجبًا تنّ وحساب !

---

(١) الدهر

إذا بنا نرى شبلي يصف حزنه بشيء من السخاء والقوّة ، وإن كان حزنه لا يقلّ عن حزن اسماعيل :

قال شبلي ، وقد نُعي اليه اولاد خاله ، من قصيدة طويلة مؤلفة من مئة وعشرة ابيات :

وهمّي جبال الشام تعجز تشيله ! أيا قلب ، من مرّ الفراق ارتاح
ايا قلب ، من مرّ الزمان الذي عدا علينا شراب من الصديد قداح
الله يغون الدهر ما أردى سوالفه ! يسقيك من عقب الزلال محاح
يسقيك كاس الهم والغم والظما مَن آمن الايّام لا يرتاح

. . .

ولا ظنّتي من نسل حوّا وآدم فيها رحل صاحب شيّم مرتاح
ما غير ودّع واترك الهم ، واتّعظ واللي ترك كل الامور ارتاح

أرأيت كيف عزّى نفسه بعد هذا الحزن والهم والحرقة ؟ أرأيت كيف يريد الّا يكترث لجميع هذا بعد ان وصف آلامه وحزنه بما يزيد على المئة بيت ؟ وهو قد اعتنى بشدّ عدّة ركاب باول القصيدة واعدّ لها كل ما يلزم من متطلبات السفر — أليس هذا فعل الملوك إذ يهتمون بترتيب حفلات الدفن الرائعة عندما يفقدون واحداً من ذويهم مهما بلغت درجة حزنهم ؟

واسمعه يتذكّر :

كنّا بحوران الذيّه بلادنا ، هدولاك ايام وذول ايّام ؟
هذولاك ايّام السعاده مع اهـ وهدول ليالي مظلمات اقتام
نصبر ، وعند الله تدابير حالنا الحرج مع طول الصبر يلتام
ترى الصبر عند الضيق انفع من الدوا وعند القضا كل الهموم احلام !

واسمعه يحنّ الى بلاده

وجواي اشوف صفيّح وشبيح وقميص (١) رحوى اليهودي ، وغير بعدين باقي

. . .

يا الله ، بجاه النبي هود وادريس . يا حيّ ، يا معبود ، تسمع اصواتي
تفكّنا من محضر السوء وأنيس . من قوم ما تفهم كلامي ولغاتي
يا طالبي ، يا غالب الكل ، يا حيس ، يا عيسى ألطم الرجم الرفاتي

---

(١) تلال في جبل الدروز .

تظهر سعدنا ، بعد ما أحنا مطاميس ، في بحر قوم عهودهم خاياني
من يأمن الثيان ، وايًا النواويس ، ياكل كفوفه من الندم والشاني
من بعدها ، يا ثور ، يا حمار ، يا تيس ، تأمن عهود المتاينين البناة
لو صار من قبل ما خلق لوط والعيس ، يقولوا الاتراك عهودهم خاياني
دولة تخوّن متاملين التلابيس ، ولا دين بينهم عن الفاحشاني
باعوا الثغر للروم باربع نواحيس ، دكّو قلاع المانه الثابياني
مثل الافاعي ليّنين التلاميس ، والسم بأنيابهم كاويباني
حلوين في صفّ الحكي والتلابيس ، مثل السراب اليا رآه الظماني
يا رب ، لا تجعل حياتي نناعيس ، من بعد دكّ حصوفا الطابلات
يا الله ، نطلبك الفرج والمخاليص ، بجاه النبي اللّي شرّف الكاينات

ثم تراه ، بعد ان يحنّ الى داره ويصف مصابها وماضيها العظيم بقصيدة رائعة ، لا يقطع الرجاء من العودة اليها بل يصيح عن لسان الدار :

ردّت عليّ الدار ، تبكي من النيا ، وتقول هذا البعد مانيش رايده
والله ما كان الفراق بخاطري اما الدهر خوّان ، هذي عوايده!
وان خيّروني بالمخاليق كلّها ، ما نيش عن حبّ المحبّين حايده
واللّي رجوت اليوم ارجوه باكر واذا جرى لا بدّ تجري موارده
ونغطي بثوب التايبين من اهلنا ، ونشخّص الغربه مثل فصل عايده
واختم كلامي بالصلاة على النبي المصطفى حجّت اليه النجايده .

ومهما بلغ حزنه والمه في الأسر لا يصل اليه خبرٌ يُسرّه من الجبل حتى يصرخ والفرح ملء قلبه :

قلبي على فقد المحبّين ولهان ، واحرّ كبدي من الملوم التوالي!
وهي سمك من يوم فارقت حوران ، وعيني بديران الرفاقه المتوالي

. . .

وانا تحرّى الملم ، والقلب حزنان ، وارجى الفرج من ربّ خلّاق عالي
جانا خبر من يمّ صلخد وهرمان ، نسمين يا وجوه الذياب المشّالي!
عيدو افندي شارب المسر سكران ، جاهم جادر مثل فحل الجمالي ،
يطلب سباع البرّ بنّا ودخّان ، ويريدهم مثل النجر للحوالي
جوه النشاما ، وبعد لليوم ما بان ، هدّوا عليه قصور شمّخ عوالي
وللحين تحت الردم من غير دفّان ، مع مشرف آغا لا جهنم يوالي!

. . .

صاحوا عليهم ، واطرب كل سكران ، واقفوا مثل غيم حدّاه الشمالي

الفين من حمر الطرابيش سفسان ، « بيون » ذبحوا من الفروم البالي
ضبع الكوبرس عازمو ضبع حبران ، وصار اللحم « بيون » مثل الثلالي

. . .

من قبل ربع ينطحوا الفدّ بطمان ، صلفين يوم الحرب ، يوم القتالي
ببلاد سوريا بلا شك فرسان ، من عجرهم اياك ان تحمد رجالي !

. . .

وقد اجاد شعراؤنا بتشبيه هذه المطيّة السريعة فشبّهوها بطير النعام ، وشبّهوها بالريح وشبّها شبلي بالقطاة قائلاً :

تشبه قطاةً حاملي الماء بانها تعي فروحاً بالحساد صار !

وقد استوفوا جميع صفاتها الحسنة من تراصّ اللحم وجمال الخطى ، وقوّة الاحتمال . ولكن شبلي يمتاز من الجميع بهذا الحنين الى داره وبلاده ، هذا الحنين الشائع في شعره يكسبه رونقاً وطلاوةً ويمنحهُ قوّة الانتشار والذيوع حتى اصبح شعره يُنشد — في كل ليلة — في كل قرية من قرى الجبل . واصبح بين شعراء الجبل كالمتنبي بين شعراء العرب ، وغر العدوان بين شعراء البلقاء . فحكمه وامثاله على كل لسان وفي كل مناسبة ، لأنّه لم يترك موضوعاً يهمّ النفس الشعبيّة إلّا طرقه واجاد في كل المواضيع .

وله قصيدة سينيّة — وان تكن بعض قوافيها صادية — تُدعى «الألفيّة» في لغة الشعب عندنا : لانها تبتدئ بالألف وتنتهي بالياء وعلى كل حرف ينظم الشاعر بيتين او اكثر كلٌّ منها يبتدئ غالباً بالحرف الهجائي نفسه . وقد لخّص المذهب الاخلاقي الجبلي بهذه القصيدة . لذلك راينا ان نوردها كلّها لمعرفة هذا المذهب ، وقدره حقّ قدره . فهو ولا شك سامٍ قد يغيّر رأي من يجهل اهل الجبل فيهم ويطلع الناس على ما عندهم من المحافظة على اسمى اخلاق العرب واكثرها عملاً على شهرتهم وعلوّ مكانتهم :

الألف : الّفت المالي لطالبه : من خاض بحرًا بالمخاض وغيص
يا سامعين القول ، اصغوا لقصتي وشوفوا معانيها مع التشخيص :
البآ : بُرّك لا تبطّل لبذله ، واضب لبنّك دوم بالتحميس ،
درب البخل يا صاح عارٌ على الفتى من غير ما يقولوا فلان خسيس .
التآ : لا تآمن على المال خاين ، لو تحلّفوا ، عندو اليمين رخيص

رديّ المصايل ما ينير طريقتو ، والطبع تحت الروح بالتخصيص .
الثآ : ثبّت لفظ فمك من الزلل ، واحذر من الترويد والتنفيص ،
لا شك درب الكذب عارٌ على الفتى ، من خاس حكيو ، بالرجال يخيس .
الجيم : جارك لا تجافيه وتجحدو ، ولا يجحد الجيران غير ابليس ؛
وصّى النبي بالجار من دور آدم ، وحيا كلام الناغمين نفيس .
الحآ : حيي الضيف ، إن جاك زاير ، واضحك بوجهه ولا تكون عبيس ،
الاجواد مثل الرّوض يزهو على الندى ، والانذال صمّانة عل ويبيس
الخآ : خلّي الناس تذكر حسايلك بالخير ما هو في كلام بخيس ،
عرض الفتى مثل الغزاز ، إذا انشمر ، فاحرص على عرضك من التدنيس .
الدال : داري الناس تأمن شرورهم ، خذ ما أستطعت من الانام جليس
منهم اسد رئبال يرضيك بالعطا ، ومنهم حمار ، وبعد فيهم نيس
الذال : ذلّ النفس فُ وحده يخصّص ذنوبك في غدٍ تمحيص
النفس مثل النار ، لو هبّها الهوا بتشعّل الاخضر مع اليبيس
الرآ : راح العمر ولّى مع الصبا ، وعيش الفتى عقب الشباب تنيص
يا حلو أيّام الصبا ، يا رفاقتي ، فيها غوّندات البكار تقيس .
الزّاي : زوّدها من الخير ، واجتنب ، واحرص على نفسك من التلبيس
ولو تثير عليك بالخير ، يا فتى ، قالهمّ متلبّس جا تلبيس .
السين : سيفك لا يفارق وسادتك ، خلّيك فرز من الرجال حريص
ترى عدوّك ما يخلّي عداوتو ، بالليل يسري ، وبالنهار يئيس .
الشين : اهل الشور تمسر بلادهم ، ويخرب بلاد العامري التخيص
حنّا الذي من يوم كثرت شوارنا ، رحنا قطايع ، والمليح حبيس
الصّاد : صون السرّ عن سائر الملا ، وخلّي مخاضك عالرجال وغيص
لا تآمن الندّار بالناس تندم مثل الحصيني دايمًا بلّيص .
الضاد : ضليلين العقول المُعاره عمرك بمشرعم بروح تنيص
ما يعرفون الطوط اصلُه ، من البصل ولا يعرفوا الجمعه من الخميس .
الطّا : طُبّ الجسم في قلّة الأكل ، وطُبّ النفوس الحفظ والتدريس ،
والله يحصي للخلايق اعمالهم ، وما أظنّ ميزان الحساب يخيس .
الظا : لا تظلم ترى الله يظلمك ، وبعد الصّعود يحدّرك تنكيس
خيار الفتى جزّام عزّام عالصّبي ، غفّار زلّات الصديق ، انيس .
العين : عادات الكرام التّفايل يعطوا الكحيله ، والمهر ، والسّيس ،
امّا رديّ الحال يظهر عينه لو خيّطولو فروتو بمصيص .
والغين : غربتنا برودس وغيرها ، وباكريت جوّات البحور تنيص .
عسى الله يفرجها ، ونرجع جميعنا ، ولّا درب عا ربّ العباد وغيص !

الفا : فيهم مثل «أجوَدْ» بالعطا ، وان شاف طالب حلّ باب الكيس ،
وفيهم سرابًا بزيزتًا سمهداني شاطر بكثر الحكي والتسليس .
القاف : قلنا الصبر يشفي من الملل ، صبرنا كما تصبر سوادي العبس ،
رجا بأن الله يجمع شملنا ويردّنا عابلادنا تنكيس .
الكاف : كون بقسمة الله راضي ، رزقك من الدنيا كفن وقميص ،
لوان قلك الف مليون من الذهب ، لا بدّ تسكن باللحود رميس .
اللام : لمّ الشمل ما بين الملا ، وخلّيك سيّد عالجميع رئيس ،
من يأمن الدنيا يذوق غبوغها ، يرى الصبح ظلمه بالسواد دميس .
الميم : من لا يتّقي الله بندم ، انظر الى يعقوب اخوه العيس .
النون جاب اليدو دربو على الشفا ويعقوب جاب اتنشر سبط نفيس
الثون : نار الوجد تكوي ضمايري من الشوق ، عذّاني لسبع قريص ،
ان كنت انا يقظان ، اراعي خيالهم ، وان غفت ، اشوفهم بالمنام هديس .
الها : هداك الله ! خذلي رسالتي على ظهر سلطان الطيور حصيص
نمرّ على شيل الرسايل بجرّب من عهد سيّدنا الامام ادريس .
الواو : ودّيها على دبرة اهلنا ، وصّي الجميع ، اصحا الكلام يخيس :
من يأمن الاتراك يصبح مثالنا : بالليل يذرع ، وبالنّهار يغيس !
اليا : يهودي من يأمن لتركي ، بلا شك الترك جنس غيس !
صلّو على من شرّف الارض ذكره محمّد المختار ، واخزوا الميس ! »

واذا اراد الجليّون ان ينشدوا الشعر في الحنين الى الوطن ، او في الفخر بالإنتصارات الماضية والتفوّق على جميع الخصوم ، فشعر شبلي امامهم يقدّم لهم ما يريدون في كلّ فنّ . ولعلّ ايرادنا بعض امثلة من حنينه الى داره يقوم برهاناً على صدق عاطفته ، وخلوّ سليقته من كل تكلّف . قال شبلي ، وهو في منفاه :

يا دار ، قلبي ، دايم الدوم يطريك ، وان غفت ، اشوفك بالمراحيس ، يا دار
يا دار ، ما ظنيت عالعمر نجزيك ، لكن حكم الله على الخلق مسار .
يا دار ، رحنا بالممالك تشاريك ، ما تندينا في تناويح وشمار !
يا كبر همّي ، ان كان غيري مراعيك ، وحنا بعيس انزوم جوّات البحار
وانا تذكّر شوفة ، لا جواريك ، اللي لميع خدودهن مثل الاقمار
يا حلو لمّات الرفاقا بملاليك ، والبنّ يرهى ، والفناجين دوّار
يا دار ، كنت من القبايل محذّيك ؛ ولاني بحال اللي على الخرب مسار
لعبوا بك العيّان ، واهل التحاريك ، لاما غديت للمخاليق مسار
يا دار ، كانوا يتحروكي المهاليك ، وكنت مزار ، ودايم الدوم تتزار

كم من امير وبك ياما احتمى بك ! من ديرة ابن سعود لبلاد سنجار
سطّام ابن شعلان حانا احتمى بيك يومن لفى من ذيفة الحمر ، فرّار
من قبل «فيصل» «وابن دوخي» وذوليك، امل الشمال اللي على الخيل شطّار
ما عمر طوط الروم خوّف امالك ، ولا يوم بقي في مواحيس وفكار
كثّرت شوخك ، كان ربّك بمازيك ، سلّط عليك الترك صلفين الاشوار
عفناك ، ولو ان النفل يسالك ، من يوم شاح البك ابو سيف جرّار !

وهنا نصل الى نقطة حساسة من شعر شبلي . فهو يكره حكم الرّعاع كرهاً شديداً . هو الذي شجّع الحركة الشعبية في الجبل ، فأثار الفلاحين يطالبون بتثبيت الملكية . ولكن هؤلاء لم يكادوا ينالون هذا المطلب حتى اصبحوا خطراً يهدّد بالفوضى وينذر بالقتل والتدمير . هم كالسيل الجارف لا يعرف حدوداً ينتهي عندها . لذلك ندم شبلي على ما كان من امره وامرهم ، وراح يصفهم ، ويهجوهم بقصائد مريرة يذكر فيها تسابقهم الى السيادة ، دون ان يكونوا اهلاً لها ، وتفشي الجهل والعماية فيهم الى حدّ بعيد .

❁

واشتهر شبلي بالغزل كاشتهاره في سائر مواضيع الشعر ، كيف لا وهو ربيب النعمة والترف ، رقيق الشعور ، مرهف الحسّ ، بعيد مذاهب البصر والفكر ، قويّ العاطفة ، كريمٌ ، شجاع . والكل يعرف ما لهذه الصفات من متين الصلة بالحب ، ولا سيّما إذا اجتمعت في شاعرٍ يرى الدنيا من خلال شعره ، شاعر شامل الشاعريّة يهلهل الشعر كالكلام العاديّ حتى لقد قيل أنّه كان يُملي على عدّة كتّابٍ عدّةَ قصائدَ مختلفة ، في آنٍ واحد ، بمواضيع مختلفة .

ونحن نورد الآن مثالاً واحداً من غزله لتبيان طول باعه في هذا الباب ؛ مع ما كان عليه من الشجاعة والميل الى الحرب . ونرى في هذا المثال تنوّع الاوزان وتعدّد الألحان مما لا نجده في سائر شعره :

من الجبل المحرد ، للشوفين ، لبلاد غزّة مصر ، الى عمّان
يا من خبر ، يا ناس ، قولوا لي شبلي ابتلى في حبّهم انسان
يا من خبر ، يا ناس ، قولوا لي ياأهل الهوى حيبوا عاسؤولي
من هجرهم شبّت مفعولي ،

كأني قريص الداب ، والـروح بالترقـا ،
لحمي وجسمي ذاب ، من لوعـة الفرقـا .
من الهمّ راسي شاب ، والقلب في حرقا
يا بو عيون هداب ، والـدقّـة الزرقـا !
يا شين شوف الروح سلولي ، من هجركم ، يا قايد النزلان

من هجركم يا قايـد العاني شوف كيف الروح ولهاني
خـايف انك بس تـسلاني
يا بو عيون ملاح ، وتطـول غرتنـا
ريقك عسل سـاح ، هـذي مصيبتنـا !
محبوب قلبك سـاح من عظـم فرقتنـا
يا حيف عقلي راح ! يـا ربتنـا متنا
من قبل هـذا الحال يشاني ، برتـاح قلب العاشق الولهـان

برتـاح قلب العاشق المحروق يا زين ، يا حلو النبا والذوق
عزّي لمن في حبّكم مشتوق
بين السـما والارض ، والريح يلعب فيـه
لو ان عليّي فرض كان الأمل تقضيه ؟
لكن اجت بالعرض ما حيلتي يا هيه !
حبّـك حرمني الغمض قلـب الشقي يلقيـه
انت ، يا محبوب ، يا مـدقوق عالخدّ الابيض الاحمر الريّان

عالخدّ والزندين الك دقّا شفتهم بالبين من حقّا
يا حلو ما بتشفّلك شقّا
وتشوف حالي كيف مضـى بفرقتـكم
ميتين الف ، يا حيف ! ماكبّر مصيبتكم !
حارم عليّ الكيف بايّام غيبتكم
قلنا غدا بالصيف بلكي نلاقيكم
وتشوف ردعة خدّك الزرقا يا بدر بازل ، يا قمر نيسان

يا قمر يا بدر ، يا عالي غير شخصك ما انا يبالي
ان خيّروني انت راسمالي
من دون كل الغيد ما لي وليف سواك
يا حلو ما بتغيـد قلبًا بلي جواك

يا اظرف من الصيّد بكثير ، ما احلاك !
ما قال عمر وزيد كان المثل ربّاك
ياما هفا هالدرب جمّالي ابن « الوشاحي » وين راح « سنان » !

ابن الوشاحي في هواهم راح مجنون ليلى في البراري ساح
مشوقهم ما لو قلب مرتاح !
لكن نهى من قبل عنهم جميع الناس
غير ان عقلي هبل حتى شربت الكاس
يا بو عيون الذّبل ومضنّدي شاس
لا د الغرب والقبل ولا في الخد والراس
مثلك ربي من قبل عيد ملاح ولا من بعد تحلّف اسوار

ولا من بعد شولّد البدايات ولا ببلاد الروم كرجيّات
لكي عند رضوان حوريّات !
مثلك عسو هالوسق يا بو حصر معزول
ماحلا بياض العنق من فوق حلو الزّول !
عدّي صريب تفنق من هجركم مطول
محلا القتل والشنق ولا فراقك حول !
يا بو خدود ظراف ورديّات وخود طلع التين والرمّان

وخود طلع التين والتفاح ، مشوقهم قدّيش جاح وناح !
ياما هفي بالهجر ياما راح
من قبل ناس كثير ماتوا بحرضهم !
من الهم والتشجير كبرت مصيبتهم
يشدا رفيف الطير قلبي بنيبتهم
يا ناس ، لا التدبير تنشوف طاقتهم ؟
ونشاهده ، ونشرب ماء الراح ونبوس فمّو خاتم سليمان !

❁

ونحن اذا تركنا شبلي واسماعيل العبدالله لنتكلّم عن الشعراء الذين عاصروا شبلي ، وكانت بينه وبينهم مراسلات شعرية فقلّدوه في الكثير من شعره ، وإن يكن هذا التقليد كان عفويًا تنجرّ اليه سليقة هؤلاء الشعراء من تلقاء ذاتها تحت تأثير المؤثرات نفسها ، مستوحين الجوّ نفسه ، متحرّكين في الدائرة

نفسها — إذا نحن فعلنا ذلك وجدنا شعرهم يشبه شعره من وجوه عديدة : فهم بالنسبة اليه كاتباع المذهب الشعري الواحد . وإذا انت درست آثار زعيم المذهب او المدرسة ، فكانك أتيت على شعر رفاقه جميعاً .

ومن هؤلاء الشعراء نكتفي — بعد ان ذكرنا اسماعيل العبدالله — بذكر هزّاع عز الدين الحلبي ، وهزاع شرف ، ومحمد الجرمقاني ، وحمد الخطيب ، ومنصور عزّام. فشعر هؤلاء فيضٌ من شعر شبلي الاطرش ، وهم وابأه كنجوم الثريا الواحدة ، وإن يكن هو اشدّهـا لمعاناً ، واعظمها حجماً ، وابعدها في الإنارة مدًى .

غير انه لا بدّ لنا من كلمة نقولها عن هزّاع عزّ الدين، واخرى اوسع عن منصور عزّام.

فهزّاع عز الدين الحلبي شاعر شهيد شنقتـه الحكومة العثمانية ، على اثر الحوادث التي جرت بينها وبـين الدروز سنة ١٩١٢ المعروفة بحوادث سامي باشا . وقد شنقت الى جانبه عـدّة اشخاص من زعماء الجبل . ومن قصائده المشهورة قصيدته اللاميّة التي يصف فيها حرب اهل الجبل مع عرب الضمير . وفيها من القوّة وموافقة الحال ما ينمّ على شاعريّة صحيحة ، ومعرفة تامة بقيم الالفاظ إذا وُضعت مواضعها .وهذه بضعة ابيات من مطلعها :

أوّل كلامي نحمد الرّب العلي ، القادر المعبود ، مولانا الأزل
والشكر للهادي الأمين الافضلي خاتم جميع الرسل ، واكرم من بذل
من بعد ذا قال الأديب مرتّلي ابيات صحّ ، ولاجا هرج الزلل
قم يا قلم اخدم يدي رعجّلي ، فوق الطلاحي جدّ لا تشكي الملل
واكتب قواني من معاني مجمّلي ، واغنب رسولاً يقطع الدّوّ ، ويصل.

منصور عزّام

واما منصور عزام الشاعر الشيخ،الذي لم يمت إلّا بعد سنة ١٩٣٨،فيجدر بنا ان نقف عنده وقتاً.هو صاحب الديوان المطبوع سنة ١٩٣٨ . وهو خصمٌ نظم في مواضيع كثيرة كشبلي ، فمدح هذا الاخير ورثاه . وهو ، وإن لم يكن قد سُجِنَ وعُذّب كشبلي في سجن مادي منظور ، فقد كان يشعر انّه في سجن

معنويّ بين اناس لا يفهمونه . وقد جرّه هذا الى طرق مواضيع لاصقة بنفس الشعب وعاداته وطرق معيشته فاجاد فيها ، وكان مبتكرًا . فهو يصف لك سهرة الفلّاحين ، وهم يتحدّثون بما يتعلّق باشغالهم الزّراعيّة اليوميّة وهموم عيشهم ومشاكل حياتهم . ثمّ يصف لك قلّة الاصدقاء وعقوق من عرفهم منهم وصعوبة التفاهم واياهم. وهو يقدّم النصائح لولده فريد ، وقد تعب على تعليمه وتثقيفه ، فيخطّ له الطريق التي يريد ان ينتهجها في حياته كلّها ويستوحي الاخلاق السّامية ، التي يرسمها ، من الدين ، واصطلاحات المجتمع ، والاختبار الشخصي. وهو يقلل من وصف الركاب ، لأن اكثر شعره في غير المراسلة ، وهو كثير الميل الى التعليم والتأديب حتى ليصحّ ان يقام له مذهبٌ اخلاقي تام بازاء المذهب الذي عرفناه لشبلي. وهو ينوّع اوزان الشعر اكثر من شبلي. كل ذلك باسلوب متين وموسيقى صحيحة الأوزان مؤثّرة الوقع . لا يؤخذ على شعره شيء من الرّكاكة او الإسفاف .

وإن يكن شبلي شاعر البديهة والطبيعة ، فمنصور عزّام شاعر الصنعة الشعريّة ، الشاعر العامي الميّال الى الكتابة العربيّة الفصحى . وقد اخذ بشعره — من حيث أنّه شعرٌ عامّي — ميله الى الفصحى وتعمّده الالفاظ المنوّنة والمتحرّكة ، على ما في ذلك من الاخطاء النحويّة ، ضررًا كبيرًا لا يعذر منصور عزّام عليه ، ويجعلنا نتمنّى لو ابتعد عن مثل هذا التقعّر غير المستحسن . لكن هذا لا يمنع كون منصور عزام شاعرًا كبيرًا لا يضير به ان نقابله بشبلي وباسماعيل العبدالله . فهو شاعرٌ مثلها ، وشعره منتشرٌ كشعر شبلي واكثر من شعر اسماعيل . وهو اقرب الى حياة الشعب من الاثنين . يلامس بشعره اوتار قلوب اكثر عددًا ممّا يلامس شعر زميليه ، ولاسيّما بما عنده من الحكم والتعاليم التي سهّلت حفظ شعره وساعدت على انتشاره والتمثّل به بين كافّة الطبقات . فمن تعاليمه قوله :

اوصيك لا تمشي بليل وريبه ، مالك ومال مسافر الليل والريب
إيّاك تشهد زور لو هي غصيبه ، الله لا يرضى بزور وتلاعيب
لا تستغيب الناس في كل غيبه ، يدريك علّام الخفيّات والغيب
لا ترافق الشينين اهل الغريبه ، حذراك منهم رفقة الصاب للذيب

وله يخاطب ولده فريد :

اكرب عنان النفس لا ترخيها ، من خوف تتكردس ، انت واياها
اياك ، ثم اياك ، عرض الناقل ، يرميك في نار شديد لظاها
لا تدعي الشبان يدخل بيتك ، حسود نبع الكبريا مشاها
اوصيك دار الذل لا تسكنها ، لو انها بمارج طباق بناها

وله من ألفية :

الشين : شرساً ذو ضماير يناحها سوايد فيها تكمن مزاجها
لا تطمعن في نجاحك علاجها ، ذر ياساً من تحرق واعوجاجها
وعليك تعديل القوام غصون

الغين : غمت من أتته غوائلا وأكرم فقيرا ، كان إذ ذاك سائلا
لا غرو أن العمر كالظل زائلا ولا تقول فلان ذو ماس طائلا ،
فيأتيه من سعد الحياة منون

وقال من قصيدة ترينا اسلوبه الخاص بالنظم :

قال ناشيها ، بقرطاس غيق ، ميم نون وصاد واو راء تلاه
خاض فكري ببحر صافي عميق ، يا لَهُ أجاج ما اوسع مداه !
فيه مطموس الفكر يخبط غريق ، حاذق الأفكار يسبح في مياه
كل تنبل طلطحي لبيب خليق يفهم امرمور ويداري سواه
او يروم الشبه بالناهي يحيق لا ينال ، ولا يجوز الاشتباه
قال : قامة مبس بقدّ رشيق ، قلت من اس انزشاقه والخلاه
صوت مطرب لا يعادله ضيق ، والسيطرى لا تعادله قناه
أين رائحة الكريهة من الفتيق ! مسك فايح او عبيره في شذاه
هذا هو بحر الذكا ، لا هو عقيق ، خلّ رجلاً لا يردهُ من حياه
عمت فيه ، ولا شربت إلّا الرحيق واشتفى منه غليلي من ضماه
بالتصور طالما ذهني يحيق يا خليلي ، هات ماواني الدواه
هيّي لي قرطاس ، عنّي لا تعيق ، تكتب رموزاً لفاهم ما خفاه
كل ما جاريا ثابت حقيق انّا عارف به من ابتداه
وأنْ أتانا ملق يتظاهر صديق ، كن متلوّن انا عارف هواه
بالحضور يكون كأنه شفيق ، وهو مكمن مثل صلّ في خباه
في نجاحي وانشراحي كالشفيق ، بالملازم سعد واعطاني فتاه
وان تكلّف في بلول الفم ريق ، بعدها بجنب خدامات الوفاه
وان تنتل من حويق لحويق ، مستوي الحال ، ما يُرجى جناه

كم يقول ، وكم يذوق ولا يذيق وان تفوّهت الفرينه ، مدّ فاه
يترك الصاحب ويجنح للرفيق خبّروا فيها خبرين الرُواه
يا لها في من زفير وشهيق ، آه من كيد النسا والفوز آه

الى ان يختمها بقوله :

يا إلهي ، نجني من كل ضيق واستمع من عبدك الخاطي دعاه !

وله قصيدة يعدّد فيها اصناف البشر من العابد الضعيف يعبد الله ، الى الطمّاع عابد القروش ، الى المتواضع فالمتكبّر ، فالذكي ، فلطيف المعاشرة ، فالذي طبعه كِلابي فهو « ناهش ومنهوش » ؛ الى ان يقول — بعد ان يكون حذّر القارئ من النساء كعادته في اكثر قصائده مما يدلُّ على سوء ظنه فيهنَّ :

كم قلت ! وكم وصيت ! راحت وصيّتي مثل العنا عند الذي مطروش
يعدي تعالم الحديثين حفظهم ، وهيهات ترسخ في عقول هروش
حقاً جليس السوء تفوت بالحشا ، لو كان جالس في قصر مفروش
مريت اجدّ السير الحق رفاقتي اصبحت تختار الفكر ، مدهوش
غاني زماني عن اوطاني وخلّتي على دوّ خالي ليس فيه طروش
سوى الثعلبي والذيب والدب والضبع ، خاب الطلب واصبحت بين وحوش

واذا عرفنا ان منصور عزّام من الشعراء الجبليين المخضرمين اي الذين شهدوا العهد التركي فالحرب الكبرى فالعهد الجديد ، عرفنا قيمته كشاعر صلة بين القديم والحديث . وإن نحن وضعناه بين القدماء بدلًا منه بين المعاصرين فلأنه الى القديم اقرب منه الى الحديث ولأنه ، وان توفي منذ عهد قريب جدًا ، فانه عمّر نحو الثمانين سنة عاش اكثرها في عهد شعرائنا الاقدمين .

وليس هذا شأن الشاعر صالح عمار ابو الحسن الذي سندرسه بين المعاصرين ، وإن يكن عاش قليلًا مع القدماء . ذلك ان هذا الشاعر المشهور اشتهر خاصّة في العهد الجديد ، بعد العهد العثماني ، وإن يكن قد قال الشعر في ذلك العهد ، اي حوالي سنة ١٩١٠ - ١٩١١ — وكذلك القول عن فندي عزّام وغيره من الشعراء المسنّين .

اما الآن وقد عرفنا شيئاً عن صفات الشعر الجبلي في الحقبة المتدّة من مطلع القرن التاسع عشر حتى اوائل القرن العشرين . ورأينا ما في هذا الشعر

من الطبيعة ، والبساطة ، والخصب ، وصدق العاطفة ، وانّ اكثره من الرسائل الشعرية التي يرافقها ، بحكم الطبع ، اعداد لوازم السفر والمسافرين وتفنّن الشعراء في كلّ ذلك ، مع ما لهم من الأساليب لنظم هذا النوع من الشعر الترسّلي ؛ فقد اصبح بامكاننا ان نقلب الصفحة ونبدأ بدرس الشعر الحديث او المعاصر مقدّمين لهذا الدرس بوصف عام لتطوّره مع الايام تحت تأثير الحوادث السياسية ، والاجتماعية ، والفكرية ، حتى وصل الى مرحلته الأخيرة هذه ، وهي مرحلة انتقال من الأدب العامّي الى الأدب الفصيح ؛ بل قل مرحلة الازدواج يعيش فيها الشعر العامي القديم العهد الى جانب الأدب الفصيح الفتيّ — ذاك يحاول ان يتجدّد ليحيا ، وهذا يجتهد في ان يكون قويًا ليطاول ويتغلّب شأنَ جميع الاشياء في تنازع البقاء.

القسم الرابع

الشعر الجبلي الحديث

ما إن انتهت آخر حرب للدروز مع الدولة العثمانية حتى اشتبكت هذه بحربها مع ايطالية في طرابلس الغرب ، فأخذ الشعراء — شعراء الفصحى — كحافظ ابراهيم ، وولي الدين يكن مثلًا ، ينعون على الطليان اكتساحهم لبلد عربي ، وان يكونوا قد انتزعوه من العثمانيين ، فمنهم من يناصر العرب الطرابلسيين لأنهم عرب ، ومنهم من يناصر الدولة العثمانية ، لأنها شرقية اسلامية ، ضد دولة غربيّة مسيحيّة . أخذ الأدب العربيّ عامّة والشعر بنوع خاص يميل الى التحدّث بالمسائل السياسيّة فلا يكتفي بوصف الحرب لغاية الوصف وحدها ، ولا يتكلّم عن الامّة العربيّة والشرق وما الى ذلك من المواضيع التي اخذت تشيع على السنة الكتّاب والشعراء إلّا ليبدي رأيًا ، ويسنّ شريعة ، ويدافع عن مبدإ ، إلّا ليوجّه.

واخذ الشعر الجبلي — واهل الجبل مفطورون على حب العظمة في حرّية وسيادة — يقوم بقسطه في هذه المعركة القوميّة الكبرى . واصبح يصطبغ

بصبغة سياسية عامة طغت عليه ووجّهته توجيهاً اخيراً : فاصبح يسجل الحوادث، ويمهد لها ، شأنه شأن الصحافة . وجاءت الحرب الكبرى فاذا بالشعر تنطفئ جذوته ، إلّا فيما ندر ، وإذا باهل الجبل يعملون على الاستفادة من هذه الحرب بقدر ما يستطيعون : بلدهم خصب التربة يكرم حين تبخل السنون ، ويزهو حين تربد الآفاق . والبلاد حواليهم في محل ومجاعة فهم يبيعون الحبوب الى الاغنياء باثمان رابحة ، ويفتحون ابوابهم واسعة للفقراء اللاجئين من كافة الانحاء السورية ، غير مميّزين الدرزي من السني من المسيحي . كانوا القناة التي تسيل ، مصدرها اموال الاغنياء ومصبّها العائلات الفقيرة التي اراد لها الحظ ان تلجأ الى الجبل . فهم يبدون كاحذق التجار في معاملاتهم مع الاغنياء الرأسماليين ، وكاسخى الكرماء في معاملاتهم مع اخوانهم المعوزين . كانوا جميعهم يمثلون هذا الدور النبيل من اصغر الفلاحين الى اكبر الشيوخ . ومن الانصاف ان نسجّل هنا لدار شبلي الاطرش — وكان فيها المرحوم الأمير سليم الاطرش — مأثرة جليلة لم نستطع قدرها حق قدرها إلّا عندما شهدنا حربنا الحاضرة هذه ، ورأينا مدى ما يقاسيه الشعب من ألم وحرمان وتعرّض للمخاطر . وهذه المأثرة هي تقديمها الطعام يومياً — طيلة مدة الحرب — في ساعات معينة من النهار ، داعية اليه كلّ جائع في البلدة سواء أكان فيها من قبل ، ام قاده اليها ما سمعه عن هذه العادة الجميلة .

شغل اهل الجبل اهتمامهم بمشاكل الحرب عن الشعر — ولكن الى حين — فانهم ما ان علموا بمقدّمات الثورة العربية حتى اخذوا يرسلون الوفود لمفاوضة قادتها ، واخصّهم المرحوم الملك فيصل ، والاتفاق معهم على الاشتراك في هذه الثورة . وقد طالما حاربوا الدولة العثمانية وحدهم ، وها هم اليوم يجدون انفسهم امام جيش عربيّ يحارب اعداءهم المزمنين بفكرة قومية استقلالية ، فكيف لا ينضمّون اليه ؟ بل كيف لا يكونون في طليعته ؟ ذهبوا الى الصحراء واشتركوا في الحملة العربيّة تحت امرة المرحوم فيصل وما رموا السلاح من ايديهم حتى دخلت الجيوش العربيّة المظفّرة دمشق ، وكان فرسان الدروز في مقدّمتها . ورفعوا العلم العربيّ في مدينة الامويين وعادوا ثملين بخمرة هذا الفتح المبين .

وإذ ذاك بـدأوا يحنون الى الشعر ؛ بدأوا يعودون اليه الفترة بعد الفترة . فكان شعرهم هذا شعر ذكرى ، وفخر ، وغزل ، شعر من وضع رأسه — الى حين — على اكاليل الغار ، فنام وهو لا يعرف شيئاً عما تخبئه لـه الاقدار . . .

ثم توالت الاحداث على الجبل ، واهمها تلك الثورة الدرزية التي عرف تفاصيلها الخاصّ والعام ، فكانت من ملهمات شعرائنا ، وكان لنا شعر حماسيّ يُثير الناس ، وشعرٌ حربي يصف معاركنا وانتصاراتنا الجديدة ؛ وفيه ، طبعاً ، تجديد كثير ، بالنظر الى ما كان عليه ان يصفه من الأسلحة الجديـدة كالطائرات والدبّابات والرشّاشات وما اليها . ثم كان لنا شعر الصحراء الجميل ، وكان لنا عهد جديد للشعر الترسّلي يدوم نظمه عشر سنوات على خط دائم بين الصحراء والجبل . وفي هذا الشعر لوم الذين القوا السلاح قبل الاوان ، وهجاء الذين حملوا السلاح ، ضدّ اخوانهم ، طمعاً بالمال ؛ والحنين الى الجبل ، والأمل بالرجوع اليه يوماً .

وكان هناك شعراء ينظمون الشعر الغزلي ، وقـد اطلعوا على شعر رشيد نخله وسواه من شعراء الزجل في لبنان ؛ فحصل في شعرنا تجدّد مال به الى الرقّة والطلاوة .

وكان هناك شعراء لم يعد امامهم مجال لنظم الشعر السياسي ، فاخذوا ينظمون الشعر الأخلاقي ، او الاجتماعي ، فيذكرون منافع التدخين ، ومضارّه ويتجاوبون . ثم تحدث حادثة في قرية فيصفونها ويتغنّى بها المغنون فتنتشر في كافة انحاء الجبل وتصبح حديث الخاص والعام . واخذ الرمز يتسرّب الى شعرنا .

وسمح الوقت والهدوء بابتكار اساليب غزليـة جديدة فيها ما يسمّونه «عروس شعر» ، اي امرأة يرسلها الشاعر الى بلاد عديدة ، او رجال مشهورين ، في بلاد مختلفة ، فلا تقبل ببلدٍ لها مسكناً ولا بزعيم لها زوجاً ، بل ترجع الى الجبل لتختار منه احد وجهائه . ثم يموت احد زعماء العرب فيرثونه ، وتثور فلسطين فيؤازرونها في نضالها ، ويموت الملك فيصل فيرثونه ، ويضعون رجاءهم في غازي ، ثم يموت هذا ، فيقطعون الرجاء ويبكون بدموع حرّى في قصائد ممتازة .

وتنشر في هذه الفترة بعض الدواوين ، واشهرها ديوان شبلي الاطرش ، ومنصور عزّام ، فيطّلع الناس على شعرهم مكتوباً بعد ان حفظوه حفظاً . ويُطبع ديوان جديد لعلي عبيد وبعض رفاقه اسمه : « ربابة الثورة » وفيه نماذج رائعة لكل ما ذكرناه من انواع الشعر الجبلي الحديث . وفيه مقدمة بقلم السيد سلامه بن علي عبيد ، صاحب الديوان . ولهذه المقدّمة قيمة لأنها تأليف شاعر شاب بالعربيّة الفصحى يقدّم لشعر والده الشيخ الزجلي .

ونحن إذ نعرض لهذه الفترة الممتدّة من اوّل القرن العشرين حتى يومنا هذا سوف نجتهد بنوعٍ خاص في رسم معالم التطوّر الشعري عندنا وذكر ما طرأ عليه من تجدّد ، وتبيان صفات بعض الشعراء الأحياء ، دارسين ثلاثة شعراء درساً مطوّلاً بعض الشيء . وهؤلاء الشعراء هم :

صالح عمار ابو الحسن المعروف بـ« عمار » ، وهو شاعر شعبي شعره كثير الانتشار .

وسليمان عبدي الاطرش ، شاعر الغزل والموسيقى بلا منازع .

وعلي عبيد ، شاعر السياسة الجبليّة والعربية .

صالح عمار ابو الحسن

هو شاعر الثورة ، ومسجّل كافة معاركها ومحتسب رجالها . وهو يُعرف في الجبل بـ« عمار » .

إن « عمار » شاعر شامل نظم في كلّ فنون الشعر : نظم في المديح ، والرثاء ، والهجاء ، والغزل ، والترسّل ، والفخر ، ووصف المعارك . ولكنك لا تكتشف شاعريّته القويّة وموسيقاه الفنية إلّا في وصف المعارك . وهو شجاع خاض غمار معارك الثورة باجمعها ؛ فهو إن وصفها ، فإنما يصف ما شاهده بامّ عينه لا ما سمع به . تُفتتح الثورة في عرمان فيصرخ :

عرمان مفتاح الخرايب وكادي صارت فرج ليشتهون النهيبا !(١
شيوخها وشبّانها والاولادي ضربانهم يوم المهاوي عطيبا

١) نهيب الارواح طيباً

وتتوالى المعارك : من معركة الكفر ، الى معركة المزرعه ، الى معارك عرى ، والمجيمر ، والسويداء ، والمسيفره ، وام الرمان ، وابو زريق .

يا راكباً من عندنا هبزعيّة مثل الظبي بروس النّفل تتاش
ما عدّ من عندي على الرحب ، والصفا تلقى على « الأزرق » قبل خب الادغاش
سلّم على الباشا ، وخبّر عطوفتو ، واحكي الصحيح ولا تكون غشّاش
كون جرى بأبوزريق ما ينحكى ، بو العقل من رزم المدافع طاش
جرّد علينا جنود بصرى ، وصلخد ، بكل المراكز جندي ما خلّاش
خمسين رمكه راحت بكرم واحد من فعل اللّي سد ما ادّاش
صدنا كما تصد سباع الكواسر حاطوا ننا وعياً « علي » ينحاش
لو بعد نصد ربع ساعه ومثلها ما كان واحد من رحالك عاش

ويعرّض بفريق من الثوّار لم يسرع الى النجدة فيقول :

(بفيصا) ربعاً كثار وفوارس لكن جمعهم عالحرب ما اجاش
ما هو سبب تأخيرهم يا رفاقه ؟ بنهار ريح ، وقال ما سمعناش
دَوحُ المعدّل مثل كفي المغامر سمع الرّمي من كان بالوشّاش
البعض منهم كان بالنوم غارق ، والبعض منهم دايري عجحاش

حجّتهم بعدم المجيء واهية فصوت البارود كان شديداً حتى أن من كان بالوشّاش — وهو تلّ يقع في الصحراء — كان يستطيع ان يسمعه . ولكن :

اللّي حضر بالكون متّا كفاهم ، ربعك ذياب وعاديا بكباش

وشعر « عمّار » الحربي له قيمة غنائية كبرى فجموع المتحاربين لا تتغنّى بغيره الّا نادراً . وسهولته ، وكثرة الامثال والحكم فيه ، جعلته ينتشر في الجبل انتشاراً كبيراً . ولا اظنّ أنّ في الجبل شعراً عمّت معرفته ، والتغنّي به ، سائر طبقات الشعب — بعد شعر شبلي — كشعر عمار . ففي كل مجلس وفي كل عرس او حفلة ترى المغنّين يتناشدونه ويردّدون اسم صاحبه . حتّى ان عمار يعد من يصمد في الحرب حتى النهاية بانّه يربح من شعره — وهي اكبر مكافأة يمكن ان يطمع فيها شجاع :

واللّي يصمد للتالي يربح من قصيد عمار

ومعنى ذلك ان اسمه (اي اسم من يربح هذا القصيد) سينتشر مع هذا الشعر ويشتهر بشهرته ، وكفى ذلك الجبلي فخرًا ان يعرفه اصغر انسان في اصغر قرية من قرى الجبل.

وعمار يجيد كافة انواع الشعر من الشروقي ، الى القصيد ، الى الفن ، الى المطلوع ، والمغنى . وعمار يمثل في عالم الشعر دورًا لا يمثله سواه . وهو يعرف قيمة نفسه ويحرص على الاحتفاظ بمكانته . وهو اول عهده بالشعر كان جنديًا اجباريًا في الجيش العثماني ، في جهات الروملي . وكانت العصابات البلغارية تعيث في المملكة العثمانية فسادًا كلما أتيح لها ذلك — قبل الحرب الكبرى — وكان صالح عمار في دورية مع بضعة جنود اتراك وارناووط ، واذا بهم يصادفون الكابيتان مارشان وعصابته ويشتبكون معهم بمعركة فيهرب رفاق صالح ويأبى هو أن يهرب « لأنه عربي » ، كما قال لي . بقي وحده واخذ يحارب العصابة برباطة جأش فائقة الحد ولم ينثنِ حتى قتل الكابيتان واربعة من جنوده وشتت شمل الباقين . وذهب الى الجثث فاخذ سلاح القتلى وملابس الكابيتان وعاد الى مركزه فطلبه المشير لمقابلته ورقاه الى رتبة جاويش ، ومنحه مكافأة مالية كبيرة ونشر اسمه في الجرائد والنوادي فأرسل الى أخيه قصيدة يلمح فيها الى هذا بقوله :

راحون خمسة كبيرهم شيخ بلنار من فعل اخو عمرا يوم الكواني
كل الحكومة تعارت والكومندار وقولة « عفارم » بالجرايد كتّاني

وهكذا فان اولى قصائده كانت لوصف معركة وكانت شهرته بوصفه المعارك . وهذه الشهرة هي التي حملت كل من يحتاج الى جواب على قصيدة ان يطلب الى عمار نظم هذا الجواب . فإذا جاءت الامير حسن الاطرش قصيدة من زيد الاطرش يقول له فيها :

يا حسن ، وحدي عامزة بلادنا ، كتّا جا غني حلاها وطيبها
لعبوا جا اهل المقاصد بغيشهم ، لمّا تداعت ، والعدو قد وطي جا
لوعي جذا شعلي ، ماشر غيرهم ، عُنّ سابيها ومنهم نكيبها
ومنهم اعادة مجدها لو تاقدوا ، لكن يوم رتادها جو نكيبها
لاما غدت رمّته من الضيم تاويه ، واللي تداعى بمجدها قد نسي جا

دَعْه حالةً ، يا خوي ، ما هي بشغنا دار المهانه ، والنبي ، قد نسيها
لا صار ما فيها تذّي دخيلنا للموت كان نوردها ونحطي جا
لا صار ما حنّا حرارًا بقولنا حارم علينا نجيبها ونغطي جا

. . .

وان عاضبت ما هي على البال طاربا بُعدًا ولا رفقة اسافل شبيها

يكلّف الامير حسن صالح عمار بالإجابة عنه فيقول عمار قصيدةً منها :

يا زيد ! همّي زاد ، والمدّ انتلا من لابة ، يا زيد ، دنّت رقابها
من قولتك ، يا زيد ، كانوا حدودنا الدنيا دوار ، وسعد جدّك رق جا
ذولاك اياماً ، وهذي بدالها ، انظر بني عثمان كيف انقلابها
دنياك ما دامت لكسرى وقيصر كم واحد ، يا زيد ، اللّي انتلى صا !
يا زيد ما ظني علينا ملامه بالدم خضّبنا المنادي وغلابها
ألمان سلطان الحرابب جيبها ما تطّمن يا زيد ليش انقلابها ؟
كلّت سواعدنا من الطعن بالعدا ، وجثاثهم ملّوا الرّوابي وترابها
منا انفقد ، يا زيد ، الفين فارس وبلادنا بالدم حشّوا ترابها
تبكي عيوني ، ودمها بنّ ثوبي ، ما طال ما العليا معزّل غيابها
لولا احتكار المال ، يا زيد ، والطمع بلادنا خد كان عزّك زهاها
وعيال تقوى بالمخوس واتهم لا ما غدوا بالبرّ يثمروا ذهابها
يا زيد ، ما حنّوا من حمه بنجهد بنفاتهم ، يا زيد ، سدّوا طوابها
ما واعهم غير اللي نحوم بالسا كم من نسا واطفال اللي طوابها
لوم المصيبه عاصبه مصيبه ، ثومك على اللي للكاتب جابها
هي سباب الشرّ والمرك والفتن اوراق سوري اليوم ملّوا جيابها
لعبوا بها العلّ ماحصب والمون دون الإراده هم صاروا اسبابها
صاروا بواليساً عينا سلا حنا من عقب ما كسبوا ذخاير سبابها
دهر المتنا ، يا زيد ، كسّر جواحي على صفر شلّع ضروسي غرابها
عتار انا ، يا خوي ، من حور ما جرى على مناصب قيس يتمي غرابها
لو كان جمع العسّ طيون بالوغا ما ظنّي يا زيد إنّا نهابها
ثوره شريفه ترفع الشان ، يا فتى ، لكن عطّل عالقضيّه تهابها .

ثم يرى تكالب الناس على المال والرشوة والوظائف وما اليها فيصف الناس بقصيدة رائعة فيها نقدٌ مُرّ وتهكم مؤلم على ضعاف النفوس ولئام الطباع ، فيقول :

غنّى الذي وضح شهامته من العنا ، ينظم على حرف الزمان خطاب
يالله ، يا لي عالم السرّ واخفا ، تفتح لنا من بحر جودك باب
لا تموّزنا ، يا ربّ ، لباب غيرك بجاه النبي والأربع الأقطاب

سبحان ربّ ضاقَ السّتر عالمنا يا ما خلق بين الأنام عجاب!

. . .

وفيهم بخيل وحاير المال والغنا عالفرش يعمل بيتْ ألف حساب
مثل اليهودي داخلْ دون خارج مالّا بلا بذلٍ سمين كذاب

. . .

وفيهم قليل الحق ، اصحا تشابكو ، قضبْ البُطل من يوم شبّ – وشاب
ما يعرف الحق الذي اذ انزلوا حق ويأكل اجرة التعّاب

الى ما هنالك من وصف السارق والكاذب وشاهد الزور الذي يبيّضْ اليمين على الطريق قبل الوصول الى المحكمة.

اما غزله فيتجلّى في قصائده الفنية وهو لا يخرج عن مصطلحات بقية الشعراء في الوصف لحسن القوام ، وبيض الخدود ، وسود العيون ، وطيب الأصل ، والرائحة . . . الخ.

وهو في رثائه يكثر من الأسف ، وتعداد محاسن الفقيد التي تنحصر عنده في الشجاعة ، والكرم ، والوفاء : يستشهد من اقاربنا عشرون شابًا في الثورة ، فيرثيهم رثاء صادقاً وتصبح قصيدته نَدْبَةً تندبها نساؤنا في المآتم . وهو ذو قصائد بارعة يرسل فيها عروس شعره تجول في البلاد فيصف لها كلّ زعيم وهي لا ترضى . ووصفه هذا مؤلم يصيب المرمى : فمن الجبان الى الخائن ، الى الذليل ، الى البخيل ، الى الذي صورته لا طعم لها ولا لون ، ثم يعيدها الى سلطان باشا فترضى وذلك بقوله :

قُلتُ لها، يا مستوره ، يا غندوره انمي عفيد الثوره الباشا سلطان
قالت : هذا مطلوبي عرفت الذوبي وهذا اقصى مرغوبي شيخ الشيخان

. . . فتحط العروس رحالها وتستريح . وعلى ذكر عروس الشعر هذه نقول إنّ من الذين اقتبسوا هذا النوع من عمار واجادوا فيها الشاب محمّد ناصر الدين الذي ارسل عروس شعره تجوب اقطار الدنيا دولةً دولة فلا ترضى بأحدٍ بل تعود الى الدروز ، لانها ترى فيهم صفات لا تجدها في سواهم ومن بعض ما في هذه القصيدة :

شو قلتِ عن روسيا فيها سالين الرعيم ،
حزب الشيوعي فيا ازود من بحرٍ عميم ؟

قالت : ما هوّي ليّاً قائد الجيش الأحمر
المايا كتبك وازي شوفي زود الطيّارات
هتلر زعيم النازي يخصّملك سيّارات
قالت : لو انّو جازي ما ربدو هذا جبّار

. . .

موسوليني إن كان لك ذوق هُرّي زعيم الطليان
اجليه صاحب مشوق دوماً عاطول الزّمان
قالت : لي عن اهل البَوْق[1] جَنّب هذولي مقرّر

جمهوريّة افرنسيس إن كان ردّي حكومتنا
يا عيبي على باريس ما هي مثل ديرتنا
قالت : لُبران الرّئيس أمرْ والبحر تكرّر

. . . الى ان يأتي على جميع دول الارض فلا ترضى فتاته فيقول لها اخيراً :

مين بدّك انت ، يا « فوز » ؟ مين بدّك يا بنت الناس ؟
بتمني بدّك لدروز شعب حكواس فرّاس
للشجاعه مالك عوز يضربوا العدا بالراس
بواسل وثقال الروز من قديم الهم اساس
قالت : والله ، لا حُوز فيهم وان الله قدّر

جبل الدروز يا ناس ضاقته احسن فتاة
ام الذهب على الراس ، اجمل من كلّ البنات
حتّا من زمان إلياس شُبّنا اهل الرّايات
اختها بخلّق الناس حاصي اعمال البَشَر !

وصالح عمار كما قدّمت شاعر شعبي لا يترك موضوعاً إلّا طرقه . اجبره الزمان مرّة على العمل في « ابو زريق » مرابعاً — اي مزارعاً يقاسم على الربع — فيحدث له ما يغضبه من سلوك اهل القرية فيقول من نوع « الفنّ » قصيدة مطلعها :

صاحي لدهرك ، يا لمرابع ، صاحي لا تسكن ببوزريق انا النصّاحي

يمدّد فيها الاسباب التي جعلته يتركها ويدعي عليها بالدّمار فتنتشر قصيدة عمار ويكره المرابعون « ابو زريق » كرهاً شديداً ، ولا يرضى بالعمل فيها إلّا رجلٌ

(١) الخيانة

يعجز عن العمل خارجها . وهكذا نرى هذا الشاعر — ونتمنى عليه ان يعنى بنشر شعره في ديوان — يؤرخ في شعره جميع الحوادث في نحو نصف قرن ، وسوف يكون شعره مصدرًا مهمًا من مصادر التاريخ عن هذه المنطقة في هذا النصف الأول من القرن العشرين.

وكذلك القول عن سعيد عز الدين الحلبي صاحب الملاحم الكثيرة القوية المتصفة بصدق العاطفة وصراحة اللهجة وطول النفس .

علي عبيد

واذا كان لنا شعراء كسعيد عز الدين يسجلون تاريخنا الحربي ، فإن لنا شاعرًا يسجل تاريخنا السياسي . وهذا الشاعر هو علي عبيد صاحب « ربابة الثورة » التي جئنا على ذكرها . فعلي عبيد هو الذي يذكر لنا كيف تطورت السياسة الجبلية منذ الحرب الكبرى حتى يومنا هذا . ومن الغريب ان الشعراء كلهم يعرفون انه شاعر السياسة . ولذلك تراهم يكتبون اليه بمواضيع سياسية . فهلال عز الدين ، وحسيب ذبيان ، وقاسم ابو خير ، وعلي الملحم ، وسواهم يبعثون اليه بقصائد سياسية يُبدون فيها آراءهم ويسألونه رأيه . وهو يجيب الكل بما تقتضي الحال . وهو حاكم صلح السويداء ، قبل الثورة . وهو من وجهاء هذه المدينة . لذلك كان يستطيع ان يطلع على مجرى الحياة السياسية اكثر من سواه ، ولذلك رأيناه يتنبأ بنشوب الثورة في اجوبته على قصائد هلال عز الدين . وهو يرافق الثوار الى الازرق ، ثم الى النبك ، في الحجاز فيتولى مهمة تشجيعهم كلما احس منهم ببعض اليأس . وهو يؤرخ الأعياد فينظم قصيدة بمناسبة عيد الاضحى كل سنة يذكر فيها كل ما يجيش في خاطره من الذكريات والافكار والآمال كقوله بالعيد التاسع (لهجرة الثوار) :

العيد مقبل ، ما لنا بيه حاجه ... العيد للي في وطنهم عزيزين
وش عيدنا والذُلّ خيّم رواجه(١ ... ماذا نجاوب لجموع المعيدين
العيد حق العيد يوم اللجاجه ، ... بين الطراد وتحت سود الدخاخين
هذاك يوم العيد ، يوم الملاجه(٢ ، ... إمّا نحوز المجد والّا شهيدين

١) رواقه . ٢) الملاقاة .

هادمها ، ولَنْه بعد حين
بحكم الله ربّاً مَعبُودين
الدّماس النور لازم ترى بيين
اليباس تمرد كلّه بساتين
ـ زرع الخير عند الرديين
طّع ودُو سيوف شطيرين
النبي المختار خير النبيين

اوضات السورية عام ١٩٣٦ حتى
. والمهرجانات الى ان يعودوا الى
ف آلام الفلاح وفوضى التوظيف.

طرش

تستطلع التغلّب على فرح الشاعر
دائمة : ابتسامة السخريّة .وعدم
من الدرجة الاولى . بل هو اكبر
ياة من ملذّات ويدعو الى الاقتداء
ثاره بشعرٍ باسمٍ منيرٍ لا يجد الحزن
لجيل . يُنطق الرّباب — وهي على
البيانو ويتغنّى — اكثر ما يتغنّى —
ر صافٍ لا تشوبه شائبة . يُريك
به قصيدته ، فتحسّ جميع ما احسّ
يب دعوته ، لولا انّك — عندما
شوب الى رشدك ، فتتابع طريقك
ما اجمل شعره فهو الغزلي وفيه من

« الوحده » دروزه والشوام
ت باريس شافت زينها
لكس اللّي مشمّع بالنام
حد ، مع ليمو ، في ورود !
عالمتين كريش النام !

اع الشاعر عن عالم الأرضيّات ،
شيء هناك مستصغرًا كلّ شيء غير
لب شيئاً يجب أن يُستر . فالحب
. أن « يخلعوا عذارهم » في الحب
اتمًا الى التعابير والصور والألوان
لخلّاب . ونحن نورد فيما يلي مثالًا
كر فيه :

اعه مع حبيبي خوش بوش
س المسالك بطريقي والمروش
ف كل الكون تحتي كسكما
كُنّ محسي بالسّما بمسل عشوش !
السّما ما في عليهم شي حرام
رد والريحان حتى المردكوش
شي حرى : عندي يصير سخرا
ستحي منهم ، وهم ما يسألوش
وحبيبي عن العواذل نتحي
خالي ما في كلّ روش
ع ديرك المرش حولينا تصيح
اغو ، يباركو ، ما يزعلوش
ت في عالدني : حلو حابب حلو
ـ الذي ما يفهموا ما يقبلوش ! الخ . .

الغزلي بل يمازجان كل شعره على
ان ، وتلمسها خاصة باوزان شعره

تنوّع الأوزان وتعدّد الألحان ما يشهد بحسن ذوق الشاعر الموسيقي. فهو صاحب « المطاليع » الكثيرة والمقطعات التي يندر وجودها عند سواه من شعراء الجيل. ومالي اصف شعره بالكلام العاجز عن استيعاب جميع صفاته وجمالاته، وباستطاعتي ان اورد هنا « مطلوعاً » واحداً يبيّن بنفسه عمّا عند قائله من شاعريّة قويّة ونَفَس طويل وطبيعيّة عريقة لا أثرَ فيها للتكلّف او الصنعة :

إن كان عندك مثل ما عندي غرام طاب كيفي عيالي ، يا سَلام
كنت يحمل مترلي فوق النحوم ، وكنت بتمشّى على ظهر الغمام
كنت بتمشّى وبيني مترلي فوق ظهر سهل بيفي مثالي
دوم عنّي « ميجنا » « وهويدّلي » وشوف كل الكون ضحك وابتسام
وشوف كل الكون ازهار وربيع ، والليالي العزّ ، والعصر البديع
عز مدقوق السما ، عالي ، رفيع فوق موج الراديو وفوق الانام
فوق موجات السواني والرياح ، تسكر رباب الهوى ، من دون واح
شو على بالي بفي ! وزين الملاح لو حصلّي طاب كيفي والسلام !
لو حصل لي صار بيني وبينهم ، حب متبادل سوى انيتهم
هم على ديني ، وأنا عادينهم ، يا بتعبد ربّنا يمّا الصنم !
يا بتعبد خالق الدنيا سوى ، يا بنفصهم عن دين الهوى
يا بنجعلها عطش ، يا إرتوا ، يا بناكل ، يا نجعلها صيام
يا بناكل كلّنا ، يمّا نجوع ، يا سكن بقصر يمّا نجوع
يا بنترل يا بنتملّا طلوع ، يا نحيا تنبتنا ، يمّا عدام !
يا بنحيا عالمحبّة تنبتنا ، يا نفسهم خرد تكبي عينا
اتّفقنا بالغرام ودينا ، لا جدال ولا نزاع ولا خصام !
لا جدال ، ولا نزاع ، ولا عنا ، هيك لازم هو يكون وكون أنا
المحبّي ما يلذّ الها المجنّا ، غير ما المحبوب كالبدر التمام
غير ما المحبوب آيه من الجمال شو نا نفع المحبّي والوصال
بجميع الصيد ما مثل الغزال ، او قمر شق الكواكب والظلام
أو قمر نور الكواكب وقمرو ، لي وليف ما اظرفو ما اسكرو
مثل حسنو ما حكوا ولا خمّروا وان وصفتو ما بجيبو بالكلام !
وإن وصفت عيون سود بهدّلي نعسات وذابلات مكحرلي
والجبين اللي بدّا يسبي سبي والحواجب بون كخط القلام
والحواجب مثل نون مخطّطا مليح ما ناويس ترسل مضبطا
قدّ ما تكون الأمور محربنا كلّ مشكل حلّ لو طبّت قوام
كل مشكل مع جناب اكبر وزير ما بقى « للوفد » من امر عسير

حلّ مشكالها وأمر : دقّ النفير نالت « الوحده » دروزه والشوام
نالت « الوحده » كرامة عينها ، تأثّرت باريس شافت زينها
بين منحرها وبين جبينها ألف لكس اللّي مشمّع بالتمام
الف لكس من الوجابن والمدود كل واحد ، مع ليمو ، في ورود !
والسوالف ، والكذيلا ، والجمود عفّ عالمتين كريش النعام !

إنّ غرام سليمان عبدي ينتهي دائماً بارتفاع الشاعر عن عالم الأرضيّات ، وتركه العالم الصغير الى عالم النجوم والخلد ، يتمنّى هناك مستصغراً كلّ شيء غير حبّه ولذّته الفائقة الوصف . وهو لا يرى في الحب شيئاً يجب أن يُستر . فالحب مباح وعلى المحبّين ألّا يخجلوا به ابداً . . . يجب أن « يخلعوا عذارهم » في الحب على مذهب ابن الفارض ! وسليمان يُوفّق دائماً الى التعابير والصور والألوان والانغام الملائمة لوصف هذا الجوّ الملائكي الخلّاب . ونحن نورد فيما يلي مثالاً من شعره الغزليّ يدلّ على مذهبه الخاص المبتكر فيه :

الله على عُذّالنا ! ما يسمحوش إلي ساعه مع حبيبي خوش بوش
حتى معو اصعد على سابع سما ودوس المسالك بطريقي والمروش
حتى معو اصعد على سابع سما وشوف كل الكون تحتي كسكما
ما يصير عليي رقيب ولا حما ويكُنّ نحسي بالسما بمعل عشوش !
بكل نجمي عشّ نعمل للغرام ، اهل السما ما في عليهم شي حرام
وتضلّل بضل البنفسج والخزام ، والورد والريحان حتى المردكوش
والورد والريحان فوق اللي سرى كل شي جرى : عندي يصير مسخرا
ونشوف ملايكة السما حب اشكرا ، ما نستحي منهم ، وهم ما يسألوش
ما نستحي ، من ايش بدنا نستحي ! أنا وحبيبي عن العواذل ننتحي
بين السما والارض صرت مشوشحي بجوّ خالي ما في كلّ روش
بجوّ خالي من عواذلنا ، فسيح ، نسمع ديوك العرش حولنا تصيح
ونشوف سيّدنا محمد ، والمسيح ، يساعو ، يباركو ، ما يزعلوش
يساعوا ، يباركوا ، ما يزعلوا ، حيث في هالدني : حلو حابب حلو
كل الملاح المنصفين يقبلوا غير الذي ما يفهموا ما يقبلوش ! الخ . .

ولا يقتصر تفاؤله وفرحه على شعره الغزلي بل يمازجان كل شعره على الاطلاق . فانت تلمسها في وصفه جبل حوران ، وتلمسها خاصة باوزان شعره وكلامه ونوع تعابيره وقوافيه :

الله يعزّك يا جبل حوراني ! يا منبت الأبطال والفرساني

كل الشجاعه والكرم جبلك حُبيّت ، يا شامة عرب بناني
حُبيّت ، يا عالي الذرى ، يا شامه يا سُور اوطان المنى والشامه
كل الملق تتقلّدك بالشّامه ، وانت الذهب مسبوك بالميزاني !
انت الذهب ، يا معلي ، متقودي والّلي تقلّد سطوتك متقودي
ياما هدوا ليك العرب من قودي تا يحشموا بعالي الذرى الفوقاني
تا يحتسوا ، يا معلي ، بركانك يا ويل خدّك ، لو شعل بُركانك
ياما تأمّن عتب بركانك لو كان عاداه الأنس والجاني
لو كان عاداه عدوّه عيّاً ويشوف باسك في كلامو عيّاً
انت المعلّى : بالشرف مُوعيّاً مالك على وجه البسيطه ثاني
مالك على وجه البسيطه نَدّي ، ومن سمتك فاح العطر والنّدّي
ان رضيت ، يعف المَطَر والندّي ، ويوم ترعل تشعل النيراني
لو ان ترعل عالبحر ينوري ، حتى النجم لغارتك ينوري
تعرف مواضيك الترك ينوري شهدون باسك ، والدما غدراني
شافوا مواضيك العرر ، وحجولي ، حامي ذراه سوارها وحجولي
ما كان صيدك بالزمان حجولي ، غير الذين يُلبّسوا التيجاني
غير العراضي ومرتبك منصوره في غيرك بلاد الشرق مَنْ صوره ؟
ربّك ودع فيك العلى مِنْ سوره فتح المبين بآية القرآني
فتحاً على كل الطوايف عالي ، برجك منيع ودوم ذلّ العالي
بين العرب بتكون عال العالي ، وجدّك ترى ماء السما النّماني
ماء السّما لا يا مُعلّى ، جدّك كان القديم ، واليوم افضل جدّك
نجم المعالي والمفاخر جدّك حتى غدا في قمّتك ابراني !

وشعر سليمان كثير الشيوع سريع الانتشار ، لأنه يهزّ اوتارًا في قلب الجبلي لا تقلّ حساسية عن اوتار الشجاعة والرجولة ألا وهي اوتار الحب والمَرَح . وقد فتح في الشعر الجبلي باباً جديدًا — بل لعلّه جديد في الشعر العربي ايضاً — الا وهو باب « الشعر التبغي » .

فهو يجيد وصف مضارّ التبغ كما يجيد وصف منافعه ، وهو يدخّن بكثرة مع ذلك . ولا يقتصر في ذكر منافع التدخين المادّية — وهي قليلة — بل يصف خاصّةً مفعوله المعنوي الالهامي . وقد اثار وصفه التبغ ودعوته الى التدخين حرباً شعريّة سنوردها بجملتها لما هي عليه من الطرافة والابتكار ، وللدلالة على ان الجبل الشاعر لم يَغفل شعراؤه عن ايّ موضوع ، ولم يقصروا

في اي نوع من انواع الشعر ، بل سبقوا في الكثير منها كثيراً من شعراء الفصحى . كان سليمان عبدي الاطرش يُدخّن ، ثم اراد ان يمتنع عن التدخين فوصف مضاره بالقصيدة التالية :

اوّل عذابك حرقة النار لايدك ، وتاني عذابك تخشتو مع وريدك
وثالث عذابك ينقصك ما يزيدك ، ورابع عذابك بالعمر ما يفيدك
وخامس عذابك خم حلقك والضراس ، وسادس عذابك يعلمك باش قحاح

التتن ، يا ممسي الغاب ، ما بسليك يحرق عظامك ، والدخاخين تسيك
ويمرّ كيدك بالصدا والتواعيك ، ويدعي بزلاعيك مثل صيحة الديك
خمسين قرشاي ، وثمانين كنّاس ، ما نظفوا صدرك من بحوح وكلاح

عاده قبيحه تدعي الرّجل عملوك ، صفرا سنونه ، بحبث النم وحنوك
كالمشحره اللي تصبغ السقف وفكوك نطل احواله وصوته يصير مدكوك
وبالليل تسمع لشخيره والانفاس يغلي ولا يحكي مثل صوت ضبّاح

الياحكي بالناس ، بان الحكي جرش ولشوا غلاءً صار صوته كما الهرش
هذا الذي يعادتو يشبه الوحش لو كان يملك من جميع الرزق قرش
يه اشترى دخّان ، واصبح بالفلاس ، وخلّا عيالو بجوعهم لعلم ونواح

انا انصحك ، يا صاحبي ، بطّل التبغ ، وارتاح من صبغة سنونك مع الصبغ
وريّح عبابك من حريقات مع دبغ ، وريّح كفوفك من تلا اللّف والمزغ
وكافيك ترهق روح ربك والجلاس ، طاوع كلامي ، واترك التبغ ، وارتاح .

ثم كان ان ندم الشاعر على تركه التبغ ، وحنّ الى التدخين ، فاراد ان يبرّر هذا الحنين وهذه الرجعة بقوله :

قلبي تمنى اشتري اليوم باكيت ، تركي أهالي والسكابر مذهّب
اليا فتحته ، وريحة العطر شمّيت ، يطرب دليلك قبل ما تصير تشرّب
طول السكاره ، وولّعه بعود كبريت ، وان ولّعت من قبل ماتذيب تطرب
فحّت بريحه فايحه عطّر البيت ، والّا كما عودٍ من الندّ واطيب
لوان حبيبك عتب الفراق لاقيت بوس السيكاره مثل بوسه واطيب !
لوان سيكاره بداخل القبر حطّيت يضحي القبر يشبه لقصر مرتّب
شربه لذيذ يشتّت الهم تشتيت كنّك مريض : هذا دواك المجرّب
والما شرب دخّان عدّه كما الميت واللي شرب : لو كان شايب رجع شبّ
قُل للذي بطّل يدخن سيكاريت ضيّعت لذّاتك بالعمر ! تضرب !

ولكن كلام الشعراء لا يمرّ بلا تعليق . فقصيدة الشاعر الاولى ما تزال حاضرة في الأذهان، وقد اطلع عليها كل شاعر، فكيف يرضون بان يَرَوا الفرصة تسنح دون ان ينتهزوها ويعيبوا على الشاعر تغيير رأيه بهذه السهولة ؟ لا . لن يتركوه ، ها هو صياح الاطرش ، ابن عمّ الشاعر ، يجيبه بقوله :

يالي تغنى بآخر السمر باكيت ... تركي اهالي والكبار مذهّب
يا صاحبي ، عذاب نفسك غنّيت ... من غنى شربه كود نفسك تعذّب
حتى جليسك ما طرب ، يوم عنّيت ... لو كان ذليله حين يلقاك يطرب
التتن يبكت ناصح الجسم تبكيت ، ... ينحل عظامه ، والمعاليق تخرب
يا حبه، وان كنتك عشرة تشافيت ... لا تك عقلك من دماغك تذهب
بآخر زمانك كود تغدي كما الميت ... تسمل ، ونارًا بحواسك تلهب
ان طحت شوري قول : «عنّه استغنيت» ... اترك حباله ولا بحبّه تتضبّب
اصحك حيث اني بشربه تمانيت ... شربه مضرّ ، ولا تجرّب مجرّب

وينبري له هلال عز الدين فيجيبه ايضاً :

يا حبه ، يامن تشتهي شرب باكيت ... دخّان يفري النفس لثر مذهّب
عطره مغطري سمّ بحشاك غنّيت ، ... توحس آثاره بعد ما تصير تشرب
تشرب ابا وشتها جود كبريت ، ... وحراق كبدك من لظى النار اقرب
عطره وريحه ودّها داخل البيت ، ... لنّه كما حُصن البطيّك يخرّب
سمّه ولسمّه وطها ان كان حسّيت ... لذّه عراقيها كما السمّ واعطب
وان سيكاره شف الفاه ذبّيت ... فحّت انفاسك ريحة الغير ، واكرب
شربه وقرّته يدعي الحيّ كاليت ... داء يفتّ الكبد كم عقرب
اقبح طريقه للجسم كان سوّيت ، ... صدرك وعاء دخّان منشان تطرب !
صبه على قلبك ، كن الغير حطّيت ، ... يبقى سناها وسط الانجاد تجرب
قحّه وتجّه وتالي الليل عوّيت ، ... خسران عمرك دون ما شي تكسب
وان نفسك عن هوى التتن عفّيت ، ... ما كان ظهرك آخر السمر احدب
اسير نفسك لأحقر الناس دنّيت ... شحّاذ كنّه ما كلّا الزاد يكلّب .
قل لذي ينقاد للتتن : ولّيت ! ... أدبر زمانك ، وانت مملوك ؟ تضرب !
لو ان تقابل حاكم العدل يا ليت ! ... حكم على من يشرب التبغ : اجذب .

ولكن سليمان لا ينكسر وعنده من اساليب الشعر ما يؤمّن له الغلبة على اخصامه . ها هو يجيب على الاجوبة ويزداد بالتبغ شغفاً وامياً بوصفهم السمال (القحّة) وما اليه عرض الحائط قائلاً : (يخاطب هلال عز الدين)

يا شيخ امو متعب ، ظلت وتعذّبت ورحتو تسبّوا الملكم حتّ ينسبّ
لابا عجب كيف ان تجرّأت ورضيت تدوس المَبيق ، وتخلي المسك ينكبّ
لازم بانك ، يا فتى ، تكون داريت ناسًا من الجنسين ، يا شيخ ، تشرب
جنس الاول طيّب الفال والصيت اهل الرياسه ، وللسياسات تُنسب
« كون »[1] الذكي لولا بدخن سيكاريت ، ما كان لامراض الجبل ، يوم ، طبّب
وكثار غيرُه يا فتى ، ان كان عذّبت ، كرام اللحي ومع كل سيف مشطّب
والجنس الاخر يا فتى الحود آسيت عيون المَها هَلي كما الورد واطيب
حطّوا الزمرّد عالصدور ويواقيت وخود تفاح الصدر ثَوْ قَبقَب
لو يَمسّوها عالمباسم وراعيت هَكْ الصباح اللي الكارات تنصب
حوي عليك تكون مغرم ، وجنّيت يوم تشوف النور والنار تلهب
وما عرفت خدّه من سَنّا النار ، يا ليت ، أيّا لميع بين الاثنين اعذب
ماعجل كبرت وعادك الدهر ونسيت هَكْ الليالي اللي قضيتْه وانت شَبّ
ياما بدهبها وشربها فرحت وغويت ! وياما سلبتْها اللامة كنت تطرب !
ياما سكرت ! وعادك الفكر وصحيت والليل داجي وريح غربي عَذري هَبّ !
ونجوم في كبد السما ان كان كذّبت تلمع كما نور السكاره وتشهب
اشرب وافتخ ، يا فتى ، عالعناريت ولّت ، ومع كل الشياطين تذهب
الكيف اصبح باليمن ، وانت اسيت بقطب الشمالي ملوّع الفكر والقلب
يا شيخ ، خذلك صومه ودشّر البيت ولا عدت لحيّ الفنادير تقرب
وادعي لنا ، يا شيخ ، عالركن والنيت ربّك كريم يسامح العبد لا ذنب !

فاجابه هلال عزّ الدين بقصيدة اشار فيها الى نهي سليمان الاطرش عن التبغ ومناقضته نفسه قائلًا :

يا بو حسن ، ما قطّ عمري تعذّبت وسبّيت من هو ما به شيء ينسبّ
ما هو عجب لو اتي اليوم جرّيت سيفًا على جيش الظلم حتى ينصبّ
اما العجب تشبيهكم سلك باليت للتبغ ، حين تشمّه الناس ينكبّ
اوجست ، انا المظلوم وان كان واريت شبّاً على الجنسين نارًا تلهّب
ان كنت مغرم بالطف الجنس وغويت ما لاق لي تلبيس ضيه جلد ضبّ
« كون » الحكيم اللي يدخن سيكاريت خالف نظام الطب من ذاك اغرب
« لقمان » مع ما بينهم من تفاويت ما قال في علمه عن التبغ يُشرّب
ست السما بلقيس وان كان عنّيت ! ام المسيح ، وعايشه ام يعرب

---

١) هو طبيب جرّاح كان رئيس الصحة والاسعاف العام بالجبل مدة طويلة واشتهر بمهارته الجراحية شهرة فائقة ، وكانت السيكارة لا تفارق شفتيه .

ما شرعوا للجنس، وان كان راعيت ... مكتاجم ان الأنامل تخضب
بصبغة تشداك دم العفاريت ... وكبده على نار المجامر يعذّب
كم غيدة قالت برايك تحدّيت ... عيد طعم سلسالهن شهد واعذب
الكيف ما هو شرب دخّان تعنيت ... وضي على عكس الجسم دوم تغلب
إن كنت للجنسين بالقلب ودّيت ... انصح لهم عن صالح الجسم يخرب
ما انتَ هَلّي اول الناس تنّيت ... غاره على التنباك بعدّ احدب ؟
بصفحة التاريخ سجّلت ، يا ليت ... ما ناصرك مَن كان للحقّ اقرب
مع اوليا الشيطان حقًّا تباريت ، ... والنصر كان بجانبك وانت تطرب
ما راع من قولك عن البال، وسيت ... بت من الابيات شعرك وانت شبّ
مالي اراك اليوم عن ذاك تنّيت ، ... وبلحّة غرام التتن انت تندّب
ما عدت تذكر ما ذكرته لنا ميت ؟ ... وتنصح لنا بصومعه نروح نكبّ
وندعي لكم مداخل الركن والبيت ... ان الإله يتوق نفسك الى الطب
وقلبك يوالي من له الحيّ والميت ... خالق جميع الناس عالكون هو ربّ

وقد اطّلع السيد سلامه كرباج على هذه المحاورة الشعرية اللطيفة فانتصر لسليمان الاطرش وراح يكتب الى هلال عز الدين قائلًا :

البارحه ، ما طبّق الحجر بناس ... حيثه ذهبن ويودع القلب ما دلّ
يا هلال ، ثاري فكركم خربط الراس ... قدرك رقيعًا والمنا يك ما زلّ
يا صاحبي ، اودعت بالقلب هوجاس ... من قولتك ان التبغ آخرو يعلّ
لا صار ما تطرب الى التتن : تعناس ... ولا ينجلي عنّك ترى همّ مع غلّ
افسدت اللّي خالطن بكل متراس ... عشرين عامًا ، يا بو متعب، ولا كلّ
تطرب اليا شربت التتن حدّ يحاس ... بمرنوقة بعد الغلي ماءها زلّ
ثاري التتن، ياشيخ، تطرب له الناس ، ... عندك سكاير مبرمه وزاد في حلّ
إن طمتني، يا هلال، لو شربت لاباس، ... لو تمضغ الدخّان عنك التنّا قلّ
لا تمتني ، يا صاحبي ، بابيض الكاس ... بساعة يدعي ، ترى ، العقل مختل
هذا النبي ينهاه من دور عيّاس ، ... إن اتّبعته دعيت للتتن محتل
دخّن اليا صرت بتنا ويك وسواس ... يفرج لك الله بساعة ما جا ذلّ
اليا صرت ترسم بالقلم فوق قرطاس ... دخّن سيكاره تشوف للقاف ينهلّ
ولا هو من اللّي يودعك فوق مقباس[1] ... اليا شربته للملا ما تذمّل !
يا هلال ، لاقيت التتن هو عيّاس ، ... ولا صرت وحدك هو ترى الكلّ بالكلّ
واللي رميته ما يطابق بالمراس ... حذراك عنّه صوبجي ما يبطل
ماني من اللي يشرب التتن بخلاس ... ولاني من اللّي عالدخّاخين ينصلّ .

١) المسر .

فيجيبه هلال بقصيدة اخيرة ينوّه فيها بسيطرة عقله على عاطفته وعدم اكتراثه لأقوال المتهمين والمتهجنين ويختتمها بهذه الحكمة التسليمية حساً للنزاع :

لمّاد مآني للمخالين سوّاس ربّك حسيب الناس والكلّ بالكلّ

وهكذا تنتهي هذه المحاورة الجميلة سنة ١٩٤٠، اي في اثناء هذه الحرب الصّاعقة . مما يدلّ على ان هذه الحرب لم تؤثّر في سير الحركة الأدبية الشعرية عندنا ، إلّا عند شعراء السياسة الذين تركوا الشعر الى حين ، وراحوا يبحثون عن طرق التقدم والثراء شأنهم في ذلك شأن الانتهازيين في الدنيا .

التقليد والتكلّف في شعرنا الحديث

كنت ، في احد فصول هذا البحث ، قد اشرت الى ان شعرنا الحديث قد دخله شيء كثير من التقليد والتكلّف . ذلك ان شعراءنا الأحياء ، والمجاهدين الذين نزحوا الى الصحراء بنوع خاص ، صاروا ينظمون الشعر بمناسبة وبغير مناسبة . فيأتي شعرهم خالياً من أيّة نفحة شعريّة صادقة ينحصر في نظم ركيك ، سخيف ، فاتر ، تافه .

ولو انه خضع لمرّ الزمن وصقله لما وصل الينا منه إلّا جزء يسير جداً . واكثر هذا الشعر الانحطاطي رسائل متبادلة بين من هم شعراء ومن هم غير شعراء : فيأتي وصف الركاب والرسل والرسائل تقليدياً بحتاً ، هو صورة مشوّهة لما يقابله من شعرنا القديم والمتوسّط . فالجناسات تتكرّر ، من غير ذوق ، والتعابير تتقعّر من غير حاجة ، والافكار تغدو صبيانية ساذجة . ونحن اذا استثنينا بعض القصائد المنظومة بغير مواضيع الترسّل والمدح لا نجد شعراً يستحقّ البقاء في شعر فترة الاضطراب والانتقال التي عقبت الثورة . والاستثناء الذي ذكرناه يشتمل على كثير من القصائد ، والحمد لله . فلدينا قصيدة نظمها عدة شعراء من آل الاطرش دفعة واحدة وهم في النبك : فنظم كل واحدٍ منهم مقطعاً منها بمناسبة يوم ريح تلته ليلة كلها دخان وضيق ومطلعها :

ضاري عجاج وزاد بالليل دخان وعيني على الحالين ترشح دماعه

ـــ وهناك حتى في عالم الجناسات بعض ومضات من الشعر في شعر نجم العبّاس ، وسليم الدبيسي ، وعلي عبيد ، وزيد الاطرش ، وصالح عمار ، وهلال عز الدين وغيرهم ؛ وكثيرٌ من الشعر في شعر البدو الجليين واخص منهم بالذكر : سردي ابو سَتاحه ، وسالم الخضير من قبيلة المساعيد ، وابو حرب السردي من قبيلة السردية ، وعكيب العمّار من قبيلة الحَسَن ، وصبيح السرّاح من قبيلة السرعان .

الندب والنواح النسائيان

قلت ان البكاء على الميت يُترك امره عندنا للنساء . فهؤلاء يتغنّينَ بنوعين من الشعر الرثائي هما : « الندب » و« النواح » .

والندب والنواح يختلفان في الوزن واللحن فقط : فالندب يكون على الحان متعدّدة كالشعر اكثرها على وزن :

مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن

غير ان التغني بالندب تنوّع النساء الحانه تنويعاً كثيرًا يقل فيه الذوق ويكثر التقليد .

والنواح يكون على ما يشبه العتابا مع اضافة البكاء الضروري عند تلحينه والتغنّي به . وهذا الشعر كلّه لا جمال ولا طلاوة فيه إذا انت قرأته . وإن يكن لا يخلو من بعض الجمال الموسيقي اذا انت سمعته . وعلى ذكر العتابا نقول ان كثيرين من شعراء الجبل اجادوها في معرض البديهة اي بوصف حالة عارضة . ولشبلي الاطرش ، واولاد الفهد ، واختهم ، فيها جولات موفقة . ونحن نورد بيتاً لعلي نفّاع يدلّ على قوّة البديهة هذه .

وهو تاجرٌ شاب دخلت دكانه فتاة لتشتري فنادته بقولها « يا عم » فقال :

عيدك شوف ، يا ربّي عملهن بعزّ صباي نادوني : عم الهن
بجاه المصطفى ترسل عمى الهن لما يحقّروا المشيب من الشباب !

اما الآن وقد عرضنا لأهم نواحي الشعر الجبلي العامّي ، ورأينا ما فيه من صفات ، فلا بُدّ لنا من كلمة نقولها في الشعر الفصيح والنثر الفنّي وإن يكونا لا يزالان في المهد .

القسم الخامس

الشعر الفصيح والنثر الفني في الجبل

منذ عشر سنوات فقط ، بدأنا نرى في الجبل من حين الى حين مقالة صحفيّة منثورة على شيء من الجمال والفنّ قليل . هي مقالات صحفية سياسية على الغالب ، مقالات مناسبات لا تكوّن ادباً بالمعنى الصحيح . قد يكون هناك مقالات مخطوطة كثيرة ، ولكن هذه المقالات لا تدخل ميدان البحث والنقد إلا متى نشرت . ولعلّي لا اغالي اذا نفيت وجود مثل هذه المقالات بالاطلاق .

فشابنا يكتفي من الثقافة بجمع المعلومات من غير هضم ، ولا ينهي دروسه الثانوية او التكميلية على الغالب حتى يندفع وراء الكسب وينسى الكتب والكتابة . والنزعة السياسيّة التكسُّبيّة تسيطر على فكر شبابنا سيطرةً مخيفة . لن تكون لنا مؤلفات ادبية حتى ولا مقالات ذات قيمة إلّا بعد زمن طويل . اسجّل هذا آسفاً وانتقل الى تسجيل مثله تقريباً عن الشعر الفصيح :

سلامه عبيد

عندنا شاعر واحد ، اطّلع على سير الحركة الشعرية الحديثة في لبنان فسورية ، ونظم بضع قصائد تدلّ على شاعريّة صحيحة ، وهذا الشاعر هو الاستاذ سلامه عبيد ابن الشاعر الزجلي علي عبيد . ولا تغتر بقيمة شعره قلّته . فهو لا يأتينا بغير الجيّد منه . لأنه لا ينظم الشعر إلّا للشعر . وانت لو رأيته لَمَا شككت بانه شاعر لما هو فيه من النحول ورخامة الصوت . وهو لم يترك المدرسة إلّا من سنتين منح ذاته بعدهما للتعليم ، وهو من العنصر الطيّب النادر في معارف الجبل . كان في مدارس دمشق اوّلًا ثم انتقل الى الجامعة الوطنيّة في عاليه فاخذ يحنّ الى بردى ويعزي نفسه بجمال لبنان الساحر فقال بعنوان : « ليتني انسى ! »

« ليتني انسى ! ولكن كيف لا اذكر الشام وسحر الربوتين ؟
واحاديث اضوى ربّاتها وتثنّي بردى والضفتين ؟

فإذا ما الليل أرخى ستره وتلاشى كلُّ صوتٍ واندثر
وغادى البدرُ في جوف السَّما ، ورنا النجم بخوفٍ وحذر
وإذا ما النهر ما بين الحشى ردَّد الآهات ، والناب اقشعر
وتمشَّت نشوةٌ محرومةٌ في عروق الليل ، واحلولى السَّمر
اذكر الماضي وابكي بردى ، وشذا الوادي ، واحلام السَّحَر
وزمانًا ، كأنَّما الليل هنا ، هيَّجت ذكراه دمعي فانهمر

. . .

قيل في العود عزاءٌ يُرتجى فليرنِّم ، ولتشنِّف سمعي
ولتشعشع انة المنفود ، في حلكة الليل ، كذوب الادمع
علّها تبث في جفني الكرى بات الشهبُ ولمّا أهجع
فتلظّى القلب ، لمّا لثمت انة الكروم برفقٍ أضلعي
لحن العود وأبدى عجزه ، وانثنى يبكي على الماضي معي
عذّبتني ذكرياتٌ حلوةٌ واستبدّت بفؤادي الموجع

. . .

يا ربى لبنان ، رفقًا وارحمي وابعثي في خافقي نور الهدى
بعد ما ودّعتُ عهدًا طيّبًا لم يزل في خاطري منه صدى
عصف البين باحلامي ، فلا بسمةٌ رفّت ولا عودٌ شدا
جئت ، يا لبنان ، انسى ما مضى فإذا بي قد تناسيت صدا
وإذا بي زهرة مهجورةٌ لم تزل تصغو الى ذوب الندى
إنْ تكن تنسي روابي كوثرٍ كيف تنسيني روابي بردى ؟

. . .

كفكف الدمع ، فقد هيّجت في هدأة الليل النجوم السامرات
وابتسمْ للزهر ، وامرحْ في الربى بين الحان المياه الشادياتِ
وابعث الآلام شعرًا مُلهمًا في الليالي الصافيات الساحرات
ودَعِ الماضي وذكراه ، وكن بسمةً ربّا على ثغر الحياة
كيف تبكي ، والمنى مسولةٌ ، رفرفت فوق الروابي الزاهرات
انت في لبنان ، في مهد الهنا فلمَ الحزنُ وذرف العَبَرات

. . .

إن تكن ودّعت وادي بردى واحاديث الهوى والمنتجع
فهنا لبنان في روعته جنّة الدنيا ، ويحنو الخافقين .

ثم تراه يدعو بسمة الأمل الى العودة بقصيدة رائعة عنوانها : « عودي ! » يقول فيها :

عودي مع الأطيار ، عودي ، يا بسمة الأمل الشرود
كادت تذوب حشاشتي ، وتقطعت اوتار عودي

. . .

نثر الشباب على جبين الأرض احلاماً وسحرا
فتثاءبت ، وتمايلت ، واستيقظت تختالُ كبرا
لبست لجين البدر واتخذت من الأزهار عطرا
فترنمت زُمر الطيور ورفرفت في الجوّ ، تترى
وتراقصت بين الربى وعلى غصون الدوح ، سكرى
عادت تذيب الحبّ والإلهام في الأجواء شعرا
عودي مع الأطيار عودي !

مات الشتاء ، وعادت الأنهار تجري في الربيع
رقراقةً تنساب في الوادي وفي السهل الوسيع
فيثارةً جرى على الخاطر اغفى الفظيع
والشهبُ راحت تستجمُّ بمائها العذب السريع
حاكت لأعطاف الحصى ثوباً من الخزّ البديع
فتنفست روح الشبيبة ، بعد ويلات الصقيع
عودي مع الانهار عودي !

رشفت شفاه الغاب من ثغر الصباح لماهُ رشفا
فترنمت نشوى ، وداعبها النسيم فكان عزفا
وتلألأ الطلُّ المذاب على كؤوس الزهر صرفا
والنرجس الوسنان ، بين شقائق النعمان ، أغفى
فتململ الوردُ الحسودُ وانعم الأجواء عرفا
عادت زهور الروض فازدادت بها الارجاء لطفا
عودي مع الأزهار عودي !

أوَ تذكرين الغاب في تلك الليالي الماديات
والبدرَ يبدو في السما بين النجوم السافرات
وشذا المزاهر كلما هبت عليه الساريات
وصدى لحُون العندليب على الغصون الباسمات
وتمايل النزّار في ذوب المياه الشاديات
عادت فلِمَ لا ترجعين ، وانت اكبر الحياة !
عاد الربيع ، ولم تعودي ، يا بسمةَ الأملِ الشرود
كادت تذوب حشاشتي وتقطعت اوتارُ عودي

وليس سلامه عبيد اقلّ بشاعرية عندما يخاطب الوان العَلَم السوري الاربعة. فمنها يقوله للون الابيض :

انت فينا نعمةٌ من فخارٍ يوم رفرفتَ في يمين أُميّه
تحمل الجحفل المضمّ الى النصر وللسيف غضبةٌ مضريّه
فعلى الافق من حواشيك نورٌ وعلى الارض حلّةٌ سندسيّه
فإذا الشرق عزمةٌ ومضاءٌ وإذا الغرب حنّةٌ عربيّه
ذكر القوم إن تناسوا زمانًا حملوا فيه مشعل العبقريّه
وابعث العزم في الشباب فمارٌ أن يليوا وارضهم سوريّه

ـــ وللّون الاسود :

أيها المتفاق عزًّا اننا لم نزل نصفو الى المهد السعيد
والذي يحمل براس الحدى زمنًا يأبى محاراة العبيد

ـــ وللّون الاحمر راية الثورة العربية الكبرى :

رايةَ الاحرار إنّا انّهُ لا تعليق الذلّ يسري في حماها
في ظلام اللحد تنفو حُرّةً وتعاف النوم مرًّا مقلتاها

ـــ وللّون الأخضر راية الأمل :

من فنون الربيع ألبستَ بُردا عاطرَ النشر مستحيًا مندّى
املٌ ينعش النفوس ويذكي في الحنايا عزمًا حميًّا ووجدا
كلُّ ما في الشباب من وثبة الفكر وحبّ التجديد توبًا وعهدا
ماثلٌ فيك : فاخلع التام البالي وبدّل بالشوك فلًّا ووردا
فحرامٌ ان يغمر الجهلُ ارضًا عرفتها العلوم إمًّا ومهدا
واطلب العيش في ظلال المواضي فالمواضي ، من اجود القول ، اجدى
والقويُّ القويُّ يسيح في الجوّ طليقًا مستنسرًا مستبدًّا
والذي يعشق الحياةَ أنوفًا في طريق ، وَعْرِ المسالك ، جَدّا

هذا بعض شعر سلامه عبيد الشاب. ولي فيه املٌ لا يقل عن الأمل الذي يراه في الأخضر من العلم السوري. ومن عرف كيف يتغذّى بقوّة الجيل وطهره وبعده عن ترّهات الحياة عرف ولا شك كيف يجود بالشعر الصافي يزخرُ قوّةً واملًا وشبابًا .

علي سيف الدين القنطار

وعندنا شاعرٌ مُخضرم هو صديقي علي سيف الدين القنطار ، الذي كان له الفضل في كثير من المعلومات التي جمعتها عن شعرنا العامي ، وشعرائنا الاقدمين والمعاصرين. وهو مخضرم لأنّه ينظم الشعر الزجلي والشعر الفصيح في آنٍ واحد. وهو يميل الى الشعر الحكمي فيصف في قصيدة له زجليّة انواع الرجال وينعى عليهم عدم وفائهم وتسابقهم الى المنافع الخاصّة ، تاركين المنافع العامّة مهملة ناقة ؛ مع شعرٍ كثير سمعته ينشدني اياه فتبيّنت صفاته العامّة وهي : قوّة الرجولة ، والجوّ العبوس ، والتشاؤم المطلق . وهو في شعره الفصيح ينظم على طريقة الأقدمين من حيث جودة اللغة وعدم التجديد في الأوزان وطرق التعبير — ولكنه يطرق مواضيع جديدة كالحرب الحديثة ومطامع قادة الشعوب وما الى ذلك. وهو على كلّ حال ، لا يزال شاباً. وقد يطلّ علينا يوماً بديوان له جامع لشعره العامي والفصيح معاً — فالشعر شعر لا فرق بين الفصيح منه والعامي والمنظوم منه والمنثور . واني موردٌ من شعره مثالين احدهما باللغة العامية والثاني باللغة الفصحى : وأثر الفصحى في شعره العامي ظاهر بعض الظهور :

افكر بحال الناس من كل الانواع وارعى جم من دون سابق وجذاب
اشوفهم بقالهم يشبهوا ذئاب منتره جدوم ولبوس وزرار :
هذا لاجل الناي فايت ذيبه وهذاك ، عند القصد ، سابق صديقه
الاول مطعون شرق بريقه ، واخوه طاعن لاجل غايات واسرار
والبعض باقي بلون صاحب وحبيب لكن عدو ومختفي تحت جلباب
بتعليك هرجاً مثل سكر وحلاب واحال حبه لمها بجلب اخطار

. . .

يا ويل ناس تاهوا الغدر والبوق وتعاونوا عامرتة الصدق وحقوق
صار البطل يمينهم حلّ معشوق متنا بينه ، وماخذين الكذب كار
الدين ماد وما نفاه صرات ، والكفر زاد وصار يوحد مع الذات
ما ظنني ناقص صعا بعد هيهات طيرًا جدي بعد ما تنفر وطار

. . .

اللي ترعم صار بالمال مرزع مرّه يجيه برفق مرات غداع
ماضي على الثروات من قبل ما ملّ وعيب على اللي بالرخص برفع اسعار

واضحى الفقير عالة الذل مسام من حاصر. مني الشر والشر من عام
ما لو خوباً الملا راعي ذمام ولا لو صديقاً يحفظ العهد وحوار

. . .

واللي يريد الكيف يحذر من الناس ، يصدف ويبعد عن طنابير واجراس
ياخذ من اللي حنة الصدق لبأس يسام من كباة المذلات وعثار
وان ما لقى خلاً نصوحاً يخله من عد ما يعرف مناحيه كلّه
حيث الكريم اخر ما يطيق ذله ولا يرتضي بيرفقة تجلب العار

وله في الشعر الفصيح من قصيدة :

وليس وقوفي من زهوق ، وانما وقفتُ وقوف الناقد المتألم
فما راعني الا تخنث فتية ، وازياء سوها سبيل التقدم
توغل فيها ما استطاع مفاخراً فتانا ، واضحى تابعاً كلّ محرم
براقص رباتِ التهتك عارياً فتحذبه كالمنطيس المتوّم
وتسلبه عقلاً ومالاً ومنصباً فيصبحُ منها معدماً أيّ معدم

. . .

يقولون لي ان التمدن واجبٌ فهيا عليه نعتمد ، نتقدم !
وهيا انتظم ، ان شئت ، بين صفوفنا فنرقيك اسباب الملاء بسلم
وسر نحو باحاتِ المغاني مبسما فنيها تجد نهج الرقي الميسم
هناك تجد سر الحياة مجسماً ، وناهيك من سر الحياة المجسم !
اوانس تلقاها تمادى جميلة تميس باثواب الغوى والتتم
تميل على اهل الغرام بجيدها فتنزل منهم بين غرٍ ومعمم
هناك ارخن في منهج الرقص ترتقي الثريا فلا تسمو اذا لم تتمم

. . .

فيا شبنا الراقي كفاك تقدما ! وقدك فقد افرطتَ في ذا التقدم !
فهلا تقدمنا بنير خلاعةٍ وهلا اكتسبنا غيرَ وزرٍ وماثم !
يقولون هذا العصر عصرُ تمدنٍ وعلمٍ وادابٍ ونجحٍ عمّمِ
فان كان بالعلم الخلاعةُ والغوى فلا بارك الرحمنُ في ذا التعلمِ !
وان كان باهمال الاكيدِ رقينا ، فيا جهلُ ،عسكر في الربوع وخيّمِ !

الخاتمة

مستقبل الادب في الجبل

ليتني استطيع ان انهي كلامي عند هذا الحد فلا اعرض لمستقبل الأدب عندنا بقليل ولا بكثير . ذلك اني لا اعرف الخداع ولا احبُّ التمويه . اني لا اجد في الحاضر الذي امامي ما ينبئ بنهضة ادبية قريبة في الجبل . أو يكون اشتغالي وحدي بالأدب دليلًا على نهضة ادبيَّة ؟ أو يكون اقبال الناس على مطالعة الصحف اليومية دليلًا على نهضةٍ ادبيَّة ؟ كلَّا لا هذا ولا ذاك . فاليد الواحدة لا تصفق والكاتب الواحد يستطيع ان يهيئ جوًّا ادبيًّا للمستقبل البعيد ولكنَّه لا يستطيع ان يخلق حياة ادبية شاملة في بلدٍ ما . فالإقبال على مطالعة الكتب الأدبية عندنا يكاد يكون منعدمًا ، وإن هو وُجد فيكون على الاقاصيص الغرامية التافهة ولا يتعدَّاها إلَّا الى مؤلَّفات المنفلوطي وجرجي زيدان وما علمت ان هذه بامكانها ان تخلق جيلًا من الادباء . واذا ذكرت الى جانب ذلك عدم اكتراث الشباب عندنا — ولا ثقافة في الشباب — للحركة الأدبية في البلاد العربية ، وعدم اهتمامهم من الحياة إلَّا بناحيتها المادِّية الصرفة ، وتكالبهم على الوظائف الرسمية التي تبعدهم عن جهاد الحياة وعصاميتها — وجهاد الحياة وعصاميتها شرطان اساسيَّان في تكوين روح الخلق والابداع في الأدباء — إذا ذكرت هـذا اصبح عندي شبه يقين باننا لا نزال بعيدين من النهضة الأدبية بالمعنى الصحيح . واريد ان اذكر الى جانب هذا ، بل فوق هذا ، وقبل هذا ، أنَّ حالة التجرُّد لا تزال تنقص اخواني الشبَّان في الجبل . فما علمت واحدًا منهم يستطيع ان يتغلَّب على عصبيَّته الأسريَّة فيخرج من نطاق الحياة العائليَّة الضيِّق الى نطاق شعبي فسيح يستمدُّ منه الوحي ومادَّةً لأدبه ان كان عنده شيء من ذلك . فكيف تريد ان يكون لنا ادباء في شبيبة تعيش في مدارس بيروت ودمشق بجسمها وعقليَّتها الدرسيَّة فقط : فلا تتعلَّم فوق البرنامج الموصل الى الشهادة الملعونة شيئًا . وتبقى روحها غارقة في بحر العنعنات العائليَّة

والطائفية والحزبية القروية التي تقتل الأدب والرجولة والطموح في نفوس الناس اجمعين ؟

كيف تريد ان يكون لنا ادباء في شبيبة تتقاتل على الألقاب والمراتب ، وحق الدخول الى البيوت ، ووضع التوقيع في الأوراق بالدرجة الموروثة ، وهي لا تزال على مقاعد الدرس تجمع المعلومات عن ڤولتر وروسو ومونتسكيو والمتنبي وابي فراس وشوقي وسواهم ؟ فاذا كانت هذه الشبيبة لم تفد من درسها ، وهي بعد في مواطن الدرس بعيدة بعض الشيء عن الحياة الجبلية الخاصة ، فكيف بها بعد ان تعود لتنغمس في هذه الحياة حتى آذانها ؟

ولكني ما تعودت ان استسلم لليأس كل هذا الاستسلام. وما زال عندي موضع لأمل واحد بانقلاب اجتماعي قريب يبدل ، بحياتنا الحاضرة القشورية ، حياة جوهرية جديدة يتفجر الأدب من جوانبها تدفق البطولة والخصب والشباب والطموح من جوانب هذا الجبل الذي تكسو سواده خضرة الربيع الشاملة كل عام لتذكيرنا انه لا يزال ينبوعاً للقوة والأمل والتجدد .

فهارس المشرق العامّة

تتناول

المجلّدات الاربعين

١٨٩٨ - ١٩٤٢

فهرس اول
باسماء المؤلفين

يتناول هذا الفهرس اسماء كتّاب المشرق جميعهم سواء أكانوا من اصحاب الابحاث ، او كاتبي الشذرات ، او المجيبين عن الاسئلة ، او ناشري المخطوطات القديمة ، دون نقد الكتب الجديدة وواصفيها ، الّا اذا كان النقد ظاهرًا بشكل مقالة او بحث مستقلّ.

ا

آدم (المطران جرمانوس) : درس الانجيل وفوائده ٣٠ : ٦١٩

الآلوسي (محمود شكري) : اسواق العرب ايام الجاهلية ١ : ٨٦٥ – مزايا لغة العرب ١٠٢٤ – الميسر عند العرب ١٠٦٦ – نبذة من كتاب مبادئ اللغة لابي عبدالله محمد الاسكافي ٣ : ٤٩٨ – تعريفه لكتاب « تنقيح المناظر لأولي الابصار والبصائر » ٤ : ٣٢٧ – احد عشر سؤالًا يقترحها على قراء المشرق تتعلق بوضع حروف الهجاء العربية وترتيبها ٢٨٦ – المدرسة المستنصريّة ٥ : ٦٦١

ابرهينا (القس ادّي صليبا الكلداني) : قدّم ليترجية الكلدان ٢ : ٦٨٤ – متيع النفط في باباكركور ٣ : ١١٧ – الدراعي لغنى اللغة العربية ٧٣١ – طائفة الكلدان الكاثوليك ٨١٧ ، ٨٧٨ – نبذة تاريخية في بعض مشاهير طائفة الكلدان الكاثوليكية ٤ : ٨٤٧ – الصلوات القانونية في الكنيسة الكلدانية ٥ : ٧٣٠

ابن اسحق (حنين) : مقالة في الضوء وحقيقته نقلًا عن كتب ارسطوطاليس ٢ : ١١٠٥

ابن الافرنجية : المجموع المنتظم ٢ : ٤٩١

ابن الحديثي (فطرك المشرق الياس الثالث المعروف بابي حليم) : ترجام يقال في اول احد من الصوم المقدس ٣ : ٢١٨ – عزاء لجنّاز العلماء ٩٦٩ – ترجام الشهداء الاربعين ٥ : ٢٥٧ – خطبته الوعظيّة ١٠ : ٢٥٨ – خطبة في راس العام ٢٠ : ٥٥ – ترجام القيامة المقدسة ٢١ : ٢٤٨

ابن دريد : منظوماته في المدود والمقصور ١٩ : ٦٤

ابن سينا (الشيخ الرئيس) : رسالة الطير ٤ : ٨٨٢ – اثر مجهول ٩ : ١٦٧ ، ١٠٣٧ ، ١٠٧٢ – رسالة في معرفة النفس الناطقة واحوالها ٣٢ : ٢٢١

ابن شاكر (بنو موسى) : رسالتهم في الآلة التي ترّمر بنفسها ٩ : ٤٤٤

ابن شداد (عز الدين) : الاعلاق الخطيرة ٣٣ : ١٦١

ابن عبد القدوس (صالح) : قصته مع راهب الصين ٢٤ : ٢٧٤

ابن العبري (ابو الفرج غريغوريوس) : النفس البشرية ١ : ٧٤٥ ، ٨٢٨ ، ٩٢٤ ، ١٠٨٤ ، ١١١٢ – الاحاديث المطربة ٢٠ : ٧٠٩ ، ٧٦٧

ابن عديّ (الشيخ يحيى) : مقالته في التوحيد والتثليث ٥ : ٢٦٨

ابن عساكر : كنائس النصارى في دمشق عند الفتح الاسلامي ١٤ : ٨٠٠
ابن العسال (اسعد ابو الفرج هبة الله) : مقالة في المنطق ٧ : ٨١١ ؛ ١٠٧٣
ابن عيسى (علي) : كتاب العمل بالاصطرلاب ١٦ : ٢٩
ابن الفارض : ابيات مجهولة ٥ : ٢٧٩
ابن الفضل (عبدالله الانطاكي) : مبسر في عيد الفصح منسوب الى القديس يوحنا فم الذهب ١٩ : ٢٤٥
ابن الكزبر (القس ايليا) : روايته لاخبار الكثلكة في ماردين ١٢ : ٥٨٩ ؛ ٧٣٢ : ٨٣٥ ؛ ٨٩٠
ابن لوقا (قسطا) : رسالته في الفرق بين الروح والنفس ١٤ : ٩٤
ابن ماري : المقامات النصرانية ٣ : ٥٩١
ابن المرزبان (ابو بكر عليّ بن احمد) : كتابه فضائل الكلاب على كثير ممّن لبس الثياب ١٢ : ٥١٥
ابن مسكويه (احمد بن محمد) : تعريبه لوصية فيثاغورس الذهبية ٤ : ٦٠٤ – وصايا افلاطون لارسطو وارسطو للاسكندر ٢١ : ٧٥٨
ابن المعتز : وصف الرهبان ٢٧ : ٦٠٧
ابن مؤمل (الشيخ عفيف) : رسالة لاهوتية تاريخية على مذهب النصارى ٢٠ : ٩١١
ابناء موسى : راجع ابن شاكر
ابو البركات (ابن كبّر) : خطبة لخميس الاسرار ١٩ : ٢٤١
ابو خاطر (يوسف) : المهاجرة واضرارها ٢٢ : ٧٢٨
ابو رزق (سليم) : تحية الصليب ١٥ : ٢١٧ – من المهد الى اللحد ٢٥٧ – مريم العذراء ازاء الصليب ١٦ : ٢١٤ – على ضريح لويس فويليو ٨١٣
ابو رزق (المعلم منصور) : قصر بيت الدين ١٥ : ٧٩٣
ابو زيد (سعيد بن اوس الانصاري) : كتاب الهمز ١٣ : ٦٦٥ ؛ ٧٥٠ ؛ ٨٤٣ ؛ ٩٠٧
ابو سليمان (الاخ مبارك) : مشكل رياضي ٤ : ٤٣
ابو سليمان (المعلم يوسف) : الشهامة في حب الوطن ٣ : ٩٩٣ – الشهامة في حب العرب ١٠٣٣ ؛ ١٠٩١ – تحية السنة الفضية للكلية اليسوعية ٤ : ٩٣ – موشح في مدح العذراء ١٠ : ٤٧٧
ابو قرة (الفيلسوف ثاودورس) : مبسر في صحة الدين المسيحي ٦ : ٦٢٢ ؛ ٦٩٣ ؛ ٨٠ – ميمره في وجود الخالق والدين القويم ١٥ : ٧٥٧
ابو ناضر (نعمان) : رحلة الى معادي الخيري ١٦ : ٩٢٤
ابو هنا (الخوري نقولا) : تاريخ لسنة المشرق الرابعة عشرة ١٤ : ١
ابي المطار (الشماس انطون ابن الشيخ امين طوريني) : اصل الامراء والمشايخ في لبنان ٤ : ٧٦٩ ؛ ٨٣٠
ابي الروس (الدكتور اسبيريدون) : خطر الكلوروفورم ٢ : ٧٧٥ – الموازنة بين الكلوروفورم والايثير ٨٧٥ – البصر وبعض عيوبه ٣ : ٢٧٣
ابي طالب (الامام عليّ بن) : نخبة من حكمه ٥ : ١٠
ابي عرب (ج . عون) : تعليم اصول الشرب ١ : ٧٩٩
ابي عز الدين (محمد) : شهيد العلم ٢ : ٥٢٦ ؛ ٥٩٠
ابي ناضر (شاكر) : ليلة الاهوال ٣ : ٧٥٢ ؛ ٨٠٨ ؛ ٨٥٤ : ٩٠٦ ، ٩٤٩

ايلا (الاب شرل اليسوعي) : عضوٌ في سخاء ٥ : ٧٧٧ – ابن وائل ١٥ : ٢٥١ ؛ ٣٨٠ ؛ ٤١٤ – رسالتان للسيد جرمانوس فرحات في رسوم وعوائد الرهبانية اللبنانية ورسوم الكمال ١٦ : ٨٣١ – الف ليلة وليلتان ٩٣٧ – الدّين القويم ١٧ : ٣٠ – حوادث زواجية ٧٩ – اوهام المتلبين في الوحي الالهي ١١٧ ؛ ٢٨٩ – الوحي الالهي ، نظر في امكانه وضرورته ٤٣٦ ؛ ٥١١ ؛ ٦٠٨ – البيّنات الكتابية في انبثاق الروح القدس من الآب والابن معاً ٤٦٥ – المنطق الحديث ٢٧ : ١٦١ – الغرائب النفسية بازاء الروحانية الزائفة والروحانية الحقة ٤٠١ – هل من نزاع بين علمي الطبيعة وما وراءها ٧٣١ – صفي القلب الاقدس ورسوله ، نبذة في سيرة الاب كلود دي لاكولومبيار اليسوعي ٢٨ : ١٦١ ؛ ٢٦٥ – نفسية السلطة الشخصية : لمة انتقادية في كتابين حديثين ٢٨ : ١ ؛ ٨٩ – الزواج ٣٠ : ١١٢ ؛ ٢٠١ ؛ ٢٥٢ ؛ ٢٤٧ ؛ ٤٢٤ ؛ ٥١٢ ؛ ٥٨٦

ايلا (قيصر) : الله والخاطي ٧ : ٢٥٦

الاخطل : نسخة جديدة من شعره ٧ : ٤٧٥

ادّه (الاب خليل اليسوعي) : نبذة في المغاير ٢ : ٩٨٦ – الباء العامية في المضارع ٣ : ٤٧٧ – الايقاع في الشعر العربي ٩٣٦ ؛ ١٠٣٦ ؛ ١٠٨٣ – مانع قرابة مبطل الزواج ٧ : ٧٣٦ – مقالة في المنطق لاسد ابي الفرج هبة الله بن العسال ٨١١ ؛ ١٠٧٣ – نظر في الشعر ٨٢٠ – ترجمة بعض كلمات فرنسية ٨٢٣ – الياذة هوميروس ، نبذة في تعريبها الحديث ٨٦٥ ؛ ٩١١ ؛ ١١١٨ ؛ ١١٢٨ – خنق الشرانق بالبرد الصناعي – اصل لفظة كرشوني ، الروضة ٨٧٦ – الوفاق بين الايمان والعقل ٨ : ٦٠٠ – الغربان الذي قدمه كاهن روحي كاثوليكي ٥ : ٦١٥ – الحكومة الدستورية ١١ : ٦٤٣ – المدارس والهيئة الاجتماعية ٦٩٣ – سلطة البابا الزمنية ٧١٤ – اصول البلاغة عند العرب ٧٠٦ ؛ ٨٤٥ – مجلة الكلمة والقديس اغناطيوس لويُلا ٧٣٠

ا . ر : المناولة المتواترة اليومية – قانونية الاسفار المقدسة ١٢ : ٨٠٠ – المدارس اللادينية – المناولة الروحية ٨٧٩

اراكليان (بدروس) : الطريد الارمني ونجاته من الاتراك ١٩ : ٢٧٥

الاربلي (الشيخ شمس الدين محمد) : جواهر النظام في معرفة الانغام ١٦ : ٨٩٥

ارسطوطاليس : في الضوء وحقيقته ٢ : ١١٠٥ – مقالة في التدبير ٦ : ٢١٦ – رسالته في تدبير المنزل ١٩ : ٢٥٧ – وصاياه للاسكندر ٢١ : ٧٦٠

ارسلان (الامير امين) : الحقوق الدولية في الحرب ١٥ : ٢٤١

ارسلان (الامير شكيب) : الاعلام العربية باللغات الاجنبية ١ : ٨٧١ – اتساع التأليف في الاسلام ٢ : ١٩٣ – فوائد لغوية ٦٥ : ١٠ – بقيمة ابن المقفع ٣ : ٥٧ – فوائد لغوية ١٢٣

ارلندي (يسوعي) : إرلندة ورسولها ٦ : ٢١٨

ارملة (الخوري اسحاق السرياني الكاثوليكي) : سيرة يوليان الشيخ الناسك ١٠ : ١١٥ – سرياني ملكي ، وهو يوحنا موديانا مطران ماردين المتوفى الرهاوي ١٠ : ١٩٦ – المفريان باسيليوس اسحق جُبّير الموصلي ١١ : ٢٨٦ – السيد اثناسيوس سفر العطار الماردينيّ ٥٦٣ – اسحق مطران نينوى ١٢ : ٣١٥ – لمة تاريخيّة في اديار ماردين ٧٦٠

– سياحة في طور عبدين ١٦ : ٥٦١ ؛ ٦٦٢ ؛ ٧٣٩ ؛ ٨٣٥ – التذكار الخمسيني لوفاة السيد اغناطيوس انطون سحيري ١٧ : ٤٠١ – طرفة من اخبار دير الشرفة ١٨ : ٥٧٩ – في البطريركية الانطاكية ٢١ : ٤٩٤ ؛ ٥٨٩ ؛ ٦٦٠ – جنائلة المشرق ومقارنة السريان ٢٢ : ١٨٢ ؛ ٢٧٣ ، ٣٦٤ ؛ ٤١٧ ؛ ٥١٩ ؛ ٦٠٤ – صورة ايمان السيد اغناطيوس متى طريرك السريان اليعاقبة (١٧٨٢–١٨١٧) ١٠٠٢ – السريان في القطر المصري ٢٣ : ٢٨٢ ؛ ٢٨٤ ؛ ٤٤٨ ؛ ٥٢٦ ؛ ٥٧٤ ؛ ٧٤١ ؛ ٨١٠ – الطائفة السريانيّة والقنصليّة الفرنساوية في بغداد ٢٤ : ٩١ – قصة صالح ابن عبد القدوس مع راهب الصين ٢٧٤ ؛ ٢٢٤ – الرتب الكهنوتية في الطائفتين المارونية والسريانية ٣٠ : ١٦١ ؛ ٢٩٧ ؛ ٣٦٥ ؛ ٩٢٣ ؛ ٥٣٠ ؛ ٧٤٤ ؛ ٨٤٨ – الرهبنة البندكتية في فلسطين ٤٠١ – اخبار سفر المونسنيور فرنسيس بيكيت الى بلاد ارمينية والعجم (١٦٨١–١٦٨٦) ، للسيد اثناسيوس سفر العطار السرياني اسقف ماردين ٣٢ : ١٠٩ ؛ ٢٨٣ ؛ ٤٤١ ؛ ٥٩٣ – الملكيون : بطريركيتهم الانطاكية ، ولغتهم الوطنية والطقسية ٣٤ : ٢٧ ؛ ٢١١ ؛ ٣٦١ ؛ ٤٩٧ – اسماء القرى اللبنانية السريانية ٣٧ : ٢٨٧ – الطقوس السريانية الملكيّة ومكتبة بكركي البطريركية ٣٨ : ٤١ – القرى السريانية في مدن سورية ١٧٥ – السريان والملكيون ٣٩ : ٢٥٥

ارميا (القس داود مقدسيلو) : قصيدة السؤال مصلحة ٩ : ٦٧٤

اسحاق بن حنين : ترجمته لوصيّة افلاطون في تأديب الاحداث ٩ : ٦٧٧

اسقانسكي (الاب لادسلاس اليسوعي) : معادن طورسينا ٩ : ١٠٦٢ ؛ ١١٢١

اسطفان (حبيب جرجس) : باشة التفاح ، او النخوة في اليابان ٨ : ١١٤٠ – وصف لكنيسة القديس بطرس في رومة ٩ : ٨٧ – الله والعقل والحياة ١٣ : ٢٩١ – بيني وبين يسوع ١٥ : ٩٥٦

اسطفان (الشماس منصور) : يا بتول ١٦ : ٤٧٥

اسكاربوس (توفيق) : منتخب النافع ، ونص تعليقين بآخره في الفرق الاسلامية ٢٢ : ٩٧٨

الاسكافي (ابو عبد الله محمد) : نبذة من كتابه مبادئ اللغة ٣ : ٤٩٨

الأشلوحي (سليمان) : زجليته على خراب طرابلس واخذها من يد الصليبيين ١٤ : ٤٣٣

اصفر (سليم) : تنسيق المُزْدَرَعات ١ : ١٧٤ ؛ ١٩٣ – الفيلوكسيرة او دودة الكرم ٢٩٥ ؛ ٣٤٣ – علّة القرن الاحمر في دود القز ٩٧٤ – حفظ العنب ١١٣٧ – الزراعة السورية في الزمن القديم وفي ايامنا ٢ : ١٦٨ – بزر دود القز ٢٢٠ – الاشجار والغابات في سورية ٧٣١ – التربة الزراعيّة ٣ : ٧١ – المواد الكلسية في التربة الزراعيّة ٢٠١ – المالوش ٢٩٣ – تنظيم التربة الزراعية وتحليلها ٥٣٦ – اغتذاء النبات ، اصل المادّة النباتية ٩٦١ – الماء المناسب لحلّ الحرير – الطرائق لكرّ الحرير ٤ : ٢٨٦ – شجرة القشطة ٤١٤ – مصفاة لصفّق زيت الزيتون ٦٨١

اصفر (الدكتور نجيب) : اللّبن ٢ : ٥٥٨ – العلاج بالكهرباء ٤ : ٤٣٣ ؛ ٨٠١

الاصمعيّ (ابو سعيد) : كتاب الدارات ١ : ٢٤ – كتاب النبات والشجر ٤٠٦ ؛ ٤٥٨ ؛ ٥١٠ ؛ ٦٤٣ ؛ ٧٥٠ ؛ ٨٧٤ ؛ ١٠٢٩ ؛ ١٠٧٣ – كتاب النّخل والكَرْم ٥ : ٨٨٣ ؛ ٩٧٦ ؛ ١٠٩١

الاصمعي (محمد عبد الجواد) : قامة نابوليون المزعومة على المقطم ٣٥ : ٨٤١ .
افرام (الشماس) : وصف طورسينا وابنيته ٩ : ٧٣٦ ؛ ٧٩٤
افلاطون : وصيته في تأديب الأحداث ٩ : ٦٧٧ – وصاياه لارسطو ٢١ : ٧٥٨
الاقريطشي (القديس اندراوس) : ميمر مفقود في نياح والدة الله ٧ : ٤١٣
الكسندريان (المرنسنيور) : الابرشية الارمنية في ماردين ١٠ : ٥٠٢
الكسيس (الاخ) : المآثر الجغرافية في سنة ١٨٩٧ ١ : ١٥٨
الوسي (الخوري حدعون) : نبذة في نسبة ليتورجيّة القديس يعقوب اليوم ٨ : ٦٧٧
ألوف (الخوري ميخائيل) : عيد انتقال العذراء ١ : ٩٢٥
الوف (ميخائيل موسى) : قلعة بعلبك وحفريات الالمان فيها ٧ : ٩٧ ؛ ١٥٥ – الطرق في بعلبك وضواحيها ١٠ : ٢٤ – آلهة بعلبك الثلاثة والادلة عليها ١٥٨
اليان (القس جرجس السرياني الكاثوليكي) : احوال الآخرة في عرف النصارى الاولين ٣١ : ٨٠١ – حاضرة سان باولو في البرازيل ٣٤ : ٦٨٧
أنسلم (الاب لويس دي اليسوعي) : التليفون وملحقاته ٤ : ١٩٣ ؛ ٢٤٧ – صفحة من تاريخ فرنسا ٤٥١ – نيل الآمال في الرحلة الى قطب الشمال ٥١٣ – نزهة القلوب في الرحلة الى قطب الجنوب ٦٢٥ – المناور ١٠٤٣ – الفوتوغرافية او التصوير الشمسي ٥ : ٢٦٣ ؛ ٤٥٩ ؛ ٧٥٣ ؛ ١٠٢٦ – ما هي افضل المركبات المستعملة في التصوير الشمسي ٧ : ١٩٣ – الاشعة الخضراء ٨ : ٣١ – بور ارثور ٤٦ – زيت البترول ومواطنه ١٠٢٩ – اوقيانية ومتملكوها ٩ : ٦٥٣
الانسي (محمد سليم) : شفا عمر ٨ : ١٠٢٣
الانصاري (ابو زيد سعيد ابن اوس) : كتاب اللّبأ واللّبن ٣ : ١٦٦ – كتاب المطر ٨ : ١٦٣ ؛ ٢٠٩ ؛ ٢٦٥
الانصاري (محمد بن ابراهيم بن ساعد) : كتابه نخب الذخائر في احوال الجواهر ١١ : ٧٥١
اوتفاج (الاب يوسف اليسوعي) : التوراة وحثث القراءة المحنّطة في متحف الحيره ١ : ٨٨
اودين (الاب ارمند) : مسألة الشر ٢٩ : ٦١ – في سماح الله بحدوث الشر الادبي ٢٢١ – في قداسة الكنيسة ٤٩٢ ؛ ٦٦٦ – في اتحاد الكنائس ٨٠١ – في تربية الارادة ١١١ – في أحكام الكنيسة بالاستبداد ٣٠ : ٢٤١ – طيمنا يسوع المسيح ٣١ : ٦٦٧
الاورشليمي (القديس كيرلس) : ميمر في عيد ختانة الرب ١٧ : ٤٣
أوفورد (الدكتور يوسف) : اكتشاف صنيحة سمارية ٧ : ٩٠٨ – وحدة الآلهة رشف وافولون ورمّان ٨ : ١٤ – الاله نسكو او نسروك وعبادته في السنة ١٢٧٠ قبل المسيح ٢٧٥ – شرح الآية (مَنَا تَفِلْ فَرِسْ) ٨٥١ – اعلام الاسفار المقدسة وكتابات مريثة المدفنية ١٠٠٦ – بعض اكتشافات اثريّة والعهد القديم ٩ : ٤٧٥ – الاكتشافات الاشوريّة والعهد القديم ٧٥١ – الشواهد المدرسيّة في الاسفار الالهيّة ١٠٠٠ – العهد القديم والاكتشافات الأشوريّة في بابل والعجم ١٠ : ١٢٧ – العاديات البابليّة والاسفار القدسيّة ١٠ : ٢٢٧ – في وحدة عشتروت او عشترت والسيارة الزهرة ٦٠٢ – التوحيد في بني اسرائيل وجمع

التفخيم في الكتابات السامية ١١٠٥
اوهان (الاخ اودوريكس الحلبي الفرنسيسي) : مسألة رياضية ٢ : ٥٢٦
ايليا (مطران نصيبين) : رسالة في وحدانية الخالق وتثليث اقانيمه ٦ : ١١١ – نعيم الآخرة ١٠ : ٤٤٦ – مجالسه ٢٠ : ٢٢ ؛ ١١٢ ؛ ٢٦٧ ؛ ٢٦٦ ؛ ٤٢٥
ايليا الثالث (راجع ابن الحديثي)
ايوب (الخوري توما السرياني الحلبي) : المنتخب من امثال حلب ١٠ : ٨٢٧ ؛ ٨٧٤ ؛ ٩٢٥

ب

ب. (الاخ الراهب الماروني اللبناني) : نخبة من الارز ١١ : ٨٢٧
ب. (ا. م.) : الاخ ساروفيم فكتور (١٨٧٩–١٩٣٣) ٢٩ : ٥٢٠ ؛ ٦٧٣ ؛ ٧٧٥ ؛ ٨٦٠
باخوس (سمان جبرائيل) : مسألة حسابية يطلب حلها ٤ : ٨١٥
باخوس (نجيب فارس الغزيري) : غزير ، موقعها وابنيتها القديمة ٣ : ٢٠٨ – ترجمة يوسف حبيب باخوس ٥ : ٤٥٢ ؛ ٤٩٧
باخوس (يوسف حبيب) : حكمة النفس ٣ : ٢٢٢ – الربيع في باريس ٢٤٨ – دمار بومباي ٤٦١
بارودي (الصيدلي مراد) : ملحوظات على مثلث قطرب ١٢ : ٨٤٦ – عود على مثلث قطرب ١٣ : ١٥٨
باز (انطوان) : التنوير الكهربائي ٢٦ : ٢٤٤ – الكهرباء ومستقبلها في لبنان ٤١٥ : ٥١٢ – التلبيس الكهربائي ٥٩٧ – اللاسلكية ٧٣٦ ؛ ٨١٤ – الهواء مصدر القوة ٢٧ : ٤٠ ؛ ١١٩ – فوائد التحريج ٤١٦ ؛ ٥١٧ – بدائع التلفون ٢٨ : ٦ ؛ ٩٥ – التنوير والفن ٢٢٩ – رفع المياه ٤٨٧ ؛ ٦٦٧ – حرارة البحار مصدر القوّة ٢٤ – السينتو اللبناني ٤٤١ ؛ ٥٢٦ – الشاري الكهربائي : ٨٤٧ – صناعة الحجر في لبنان ٣٠ : ٢٤٨ – كهرباء القاديشا ٢٥٣ ؛ ٤٤٤ – الحراثة الكهربائية ٣١ : ٣٠ – الاشعة المجهولة ٤٢٢ ؛ ٤٩٧
باز (الدكتور حرحس) : الشيخ سليم باز ، الفقيه المشترع الكبير ٢٠ : ٩٢٨
باز (القانوني سليم) : ماذا يراد بلفظة «الاجارتين» ما معنى «الغراحومة» – ماذا تعني لفظة «بم» ٣ : ٦٢٢
باشا (الخوري قسطنطين) : ميمر في صحة الدين المسيحي ، لثاودورس ابي قرّة اسقف حرّان ٦ : ٦٢٢ ؛ ٦٩٣ ؛ ٨٠٠ – مُلحق لسلسلة مطارنة صور ٩ : ٦٢٠ – عبدالله بن الفضل الانطاكي ٨٨٦ ؛ ٩٤٤ – مطارنة بطلبك ١٢ : ٤٠٨ – سلسلة اساقفة صيدنايا ١٣ : ٧١٥ – البيّنة القاطعة في صاحب الدلالة اللامعة ١٦ : ١٠٢ ؛ ٢٩٤ – رسالة قديمة من كاتب مطران الروم في اللاذقية الى البابا اكليمنضوس الحادي عشر ٢٧ : ١٨٧ – رسالة قديمة من رهبان دير البلمند الى رومية ٢٨ : ٣١٥ – جريدة توزيع مال خراج لبنان الاميري في عهد الامير بشير الشهابي ٣٣ : ٢٢١ – جريدة توزيع مال خراج لبنان الاميري : جواب وايضاح ٣٦ : ١٢١
البحتري : نخبة من ديوانه ٣ : ١٠٩٥
البخاش (نعوم) : اخبار حلب وحوادثها من السنة (١٨٥٥–١٨٦٥) ٣٥ : ٤٠١ ؛ ٥٢٥ ؛ ٣٦ : ١٠٨ ؛ ٢٢٥ ؛ ٤٧٢ ؛ ٣٧ : ٣٩ ؛ ١٩٩ ؛ ٤٧٩

البربير (الشيخ احمد) : مقطعات شعرية ٦ : ٢٩٦
بريه (الاب مرقس) : المارتينيك ، مصاحا وتاريخها ٥ : ٥٢٩
بركات (الدكتور فيليب) : كيف يضمر السان ١ : ٢١٤ – العلاج بالنور ٢٨٥ – من يموت فجأة ؟ ٩٨٠ – الطاعون ٢ : ٤٤٧ – الصوم والطب ٣ : ٢٤٦ – البخر ٩٢٠ – الصداع او وجع الراس ٦ : ٢١٢ – الكتام او الغيض ٥ : ٥٩ – نوم القائلة ١٠ : ١٥٤
بركات (ملحم) : رثاء على قبر الشهداء ٢٠ : ٥٨٤
برلسينا (البطريرك لويس) : باقة رياحين لملكة فلسطين ٢٥ : ٨٧٦
برلوني (الاب ب اليسوعي) : مرصد كسارا في لبنان ٢٢ : ٥٧٧
بروس (الاب اريك اليسوعي) : حول مؤتمر المستشرقين السابع عشر في اكسفرد ٢٦ : ٨٥١
برون (لويس دي) القضاء في الاسلام ٢٠ : ٨٩٨
بزرجمهر : حكم ٦ : ٢٠٥ ؛ ٢٥٠
البستاني (ادوار) : موت العصافير ٢٧ : ٧٧٦
البستاني (المطران اغوسطين) : البطريرك بولس مسعد ٢٨ : ٧٢١
البستاني (بطرس) : الموشحات الاندلسية ٣٣ : ٢٦٨
البستاني (الخوري بطرس) : ختام اليوبيل القسطنطيني وانتصار الصليب ١٦ : ٩٠٩ – يا جنة الطباء ٢٣ : ٢٥٢ – بحث في الفلسفة اللغوية ٢٧ : ٦٢٤ – في شوائب المعاجم ٢٩ : ٦٨٢
البستاني (الخوري رفائيل) : الدرة النفيسة في مآثر الكنيسة ١١ : ٨٩٩ – قطرة مداد بمناسبة عيد الميلاد ١٣ : ٥٩ – كلمة في البر وعمّاله ٤٦٧ – سفينة بطرس ٤٩٢ – سبحان الله في خلائقه ٨١٤ – شرف الكهنوت ٩٢٦ – هل من دواء ١٦ : ٨٨ – نظرة في تقلب الحالات وحكمة تفاوتها والتفاتة الى اليائس ٢٢٠ – كلمة في لبنان ٥٢١ – لا حول ولا . . . ١٥ : ٤٦ – خشية عجيبة ١٦ : ٢٨٩ – وقفة بين الناصرة وبيت لحم ١٩ : ٢٩ – قلب يسوع في صدر لبنان ٤٧٢ – ذكرى اليسة ٨٧٤ – دمعة فابقسامة ٢٠ : ٢٤٥
البستاني (سليم) : من اعلى منارة بيروت ١٥ : ٦١ – على ضريح لويس فوبليو ١٦ : ٨١٢
البستاني (فؤاد افرام) : جزيرة مسالطة وآثارها القديمة ٢١ : ٨٦٢ – بين المشرق والسائح : انتقاد اول ٦١ – كتابي ٢٢ : ٢٨١ – اخلاق ومشاهد ٤٥٧ – اوراق الخريف المتناثرة ٨٦١ – الارزة والسنبلة ٢٣ : ٥٩ – كاهن الله ٤٣٧ – سليمان البستاني ٧٧٨ ؛ ٨٢٤ ؛ ٩٠٨ – الشعر العصري ٢٥ : ٤٥٣ ؛ ٦٢٢ ؛ ٦٧٢ – ابو الطيب المتنبي (٩١٥–٩٦٥) ٨٣٠ ؛ ٩٠٠ ؛ ٢٦ : ٥١ – الفارابي وتوماس موروس ٢٦ : ٢٦ – تأثير الاب شيخو في تاريخ الآداب العربية ٨٤ – ابو فراس الحمداني (٩٣٢–٩٣٨) ٢٦٥ – القفص المهجور ٢٧٥ – بين المعرّي والخيّام : فكرة الموت ومصير الاجساد ٤٤١ – الجاحظ ٥٢٢ ؛ ٦٦٢ – لماذا ؟ ٦٨٢ ؛ ٧٨٠ ؛ ٨٦١ ؛ ٩٤٤ ؛ ٢٧ : ٥٨ ؛ ١٤١ ؛ ٢٢٠ ؛ ٢٩٩ ؛ ٢٨١ ؛ ٤٥٦ ؛ ٥٤٢ ؛ ٦٩٢ ؛ ٧٨٢ ؛ ٨٥٨ ؛ ٩٤٠ – هل من حرب مقبلة في الباسيفيكي ٧٦٠ – الشيخ ناصيف اليازجي (١٨٠٠–١٨٧١) ٨٢٤ ؛ ٩٢٢ – كتب في الآداب العربية ٨٦٦ – مقابلة الآداب ٢٧ : ٣١ ؛ ١٠٦ ؛ ٢٠٠ ؛ ٥٦٢ – القلق عما وراء

– بدائع التلفون ٢٨ : ٦ ؛ ١٥ – التنوير
والفن ٢٢٩ – رفع المياه ٤٨٧ ؛ ٦٦٧ –
– حرارة البحار مصدر القوّة ٢٤ –
البستو اللبناني ٤٤١ ؛ ٥٢٦ – الشاري
الكهربائي : ٨٤٧ – صناعة الحجر في لبنان
٣٠ : ٢٤٨ – كهرباء القاديشا ٢٥٣ ؛ ٤٤٤
– الحراثة الكهربائية ٣١ : ٣٠٠ – الاشعة
المجهولة ٤٢٢ ؛ ٤٩٧
باز (الدكتور جرجس) : الشيخ سليم باز ،
الفقيه المشترع الكبير ٣٠ : ٢٢٨
باز (القانوني سليم) : ماذا يراد بلفظة
«الاجارتين» ما معنى «القراحومة» – ماذا
تعني لفظة «م» ٣ : ٦٢٢
باشا (الخوري قسطنطين) : ميمر في صحة
الدين المسيحي ، لثاودورس ابي قرّة
اسقف حرّان ٦ : ٦٢٣ ؛ ٦٩٣ ؛ ٨٠٠ –
مُلحق لسلسلة مطارنة صور ٩ : ٦٢٠ –
عبدالله بن الفضل الانطاكي ٨٨٦ ؛ ٩٤٤ –
مطارنة بعلبك ١٢ : ٤٠٨ – سلسلة اساقفة
صيدنايا ١٣ : ٧١٥ – البيّنة القاطعة في
صاحب الدلالة اللامعة ١٦ : ١٠٢ ؛ ٢٩٤ –
رسالة قديمة من كاتب مطران الروم في
اللاذقية الى البابا اكليمنضوس الحادي عشر
٢٧ : ١٨٧ – رسالة قديمة من رهبان دير
البلمند الى رومية ٢٨ : ٢١٥ – جريدة
توزيع مال خراج لبنان الاميري في عهد
الامير بشير الشهابي ٣٣ : ٣٢١ – جريدة
توزيع مال خراج لبنان الاميري : جواب
وايضاح ٣٦ : ١٢١
البحتري : نخبة من ديوانه ٣ : ١٠٩٥
البخاش (نعوم) : اخبار حلب وحوادثها من
السنة (١٨٥٥–١٨٦٥) ٣٥ : ٤٠١ ؛ ٥٢٥ ؛
٣٦ : ١٠٨ ؛ ٢٢٥ ؛ ٤٧٢ ؛ ٣٧ : ٢٩ ؛ ١٩٩ ؛
٤٧٩

حَلّ مشكلها وأمر : دَنّ التنبر
نالت « الوحده » كرامة عينها ،
بين منحرها وبين جبينها
الف لكس من الوجاين والمدود
والسوالف ، والكذيلا ، والجمود

إنّ غرام سليمان عبدي ينتهي
وتركه العالم الصغير الى عالم النجوم وا
حبّه ولذّته الفائقة الوصف . وهو لا ي
مباح وعلى المحبّين ألّا يخجلوا به ابدًا
على مذهب ابن الفارض ا وسليمان
والانغام الملائمة لوصف هذا الجوّ الملا
من سفره الغزليّ يدلّ على مذهبه الخ

الله على عُذّالنا! ما يسحوش
حتى معو اصمد على ساج س
حتى معو اصمد على ساج س
ما يصبر عَلي رقيب ولا ح
بكل تجمي عشّ نسل للغرام
وتضلّل بْضل البنفسج والخزام
والورد والريحان فوق اللي سَرَ
ونشوف ملايكة السما حُب اشكرا
ما نستحي ، من ايش بدنا نستحي
بين السما والارض صرت مشوشح
بجوّ خالي من عواذلنا ، فسيح
ونشوف سيّدنا محمد ، والمسيح
يباعوا ، يباركوا ، ما يزعلوا
كل الملاح المنصفين يقبل

ولا يقتصر تفاؤله وفرحه على
الاطلاق . فانت تلمسها في وصفه ج
وكلامه ونوع تعابيره وقوافيه :

الله يزكّ يا جبل حوراني

البشلاني (الخوري اسطفان) : حادثة اسقف ٧ : ٥٧٥ – مأوى البرص في اليابان ٧ : ٦٢٩ – العواطف الشريفة ١٣ : ٥١٦ – تنصّر الامير عبدالله اللمي ١٩ : ٣٧١
بشوري (القس باسيل) : رسالة للبطريرك ميخائيل جروه السرياني في اثبات عقيدة المطهر ٢٢ : ٨٩٠
بطارخ (القس ايلياس الرومي الملكي) : نشره رسالة لاهوتية تاريخية على مذاهب النصارى للشيخ عفيف بن مؤمل ٢٠ : ٦١١
بلاشير (رجيس) : نقد نقاد المتنبي ٣٠ : ٥٧٥
بلمبوا (الاب يوسف اليسوعي) : ما هو رأينا في الشماع المحرق ٢٢ : ٤٩٥ – التليفونية اللاسلكية في سورية ولبنان ٢٣ : ٥٦٨ – تسعير القوة الكهربائية ٢٩ : ٥٢٢
البلوي (يوسف بن محمد) : مأثرة برمكية ٢ : ٥٤٤
بليبل (الاب لويس اللبناني) : يومية السيد يوسف سمعان السمعاني ٢٥ : ٤٥٤ ؛ ٥٠٢ ؛ ٥٦٩ – تبرير النصارى مما نسب اليهم في حوادث سنة ١٨٦٠ ٢٦ : ٦٢١ – تربية دود الحرير ٢٨ : ٣٣٠ ؛ ٤٤٤
بليط (الورتيت بولس الارمني الكاثوليكي) : الابرشيّة الارمنيّة الكاثوليكيّة في حلب ٩ : ٢٧٥ ؛ ٣٦١ ؛ ٤٥٩
بليناي (الاب فزدويك دي اليسوعي) : الاثير او الفلك العالي ٦ : ٣٦٧
بنديكتوس (البابا الرابع عشر) : ثلاث براءات بخصوص المجمع اللبناني ٢٥ : ٤٢٣
بودي (الاب توما) : سيرة الحبر الطيب الذكر عبدالله قراعلي الماروني الحلبي ١٠ : ٦٢٥ ؛ ٦٩٥ ؛ ٧٣٠ ؛ ٧٩٨
بورجيه (بول) : القيامة ، حكاية ام ثكلى ٢٨ : ٢٩٩ ؛ ٣٧١
بوشار (الاب بطرس اليسوعي) : الشاعرة صافو وفقدان دواوينها ٢٤ : ٣٥
بوغوليوبسكي (الكسيس) : رحلة السائح الروسي دانيال الى الاراضي المقدسة في اول عهد الصليبيين ٢٤ : ٦٤١ – آخر مظهر لسياسة روسية الدينية في الشرق الادنى (١٨٩٥–١٩١٤) ٣٣ : ٥٧٤
بوفيه (الاب فردريك اليسوعي) : قدوة الدارسين ٩ : ٩٨٤ ؛ ١٠٧٦
بولموا (الاب لويس) : الناعون الدتّلي ٢ : ٥٢٢ ؛ ٦٠٠
بونتيل (الاب كريستوف ده اليسوعي) : خطابه في التذكار المئوي لتجديد رسالة الآباء اليسوعيين في لبنان وسورية ٢٩ : ٨٨١ – في التجديد الاجتماعي في لبنان ٣٨ : ٩٦ – بعد ٤٠٠ سنة (١٥٤٠ – ١٩٤٠) ٢٠٥
بويج (الاب موريس اليسوعي) : عرض المياه التابعة للبرّ ٨ : ٥٨٠
بويسون (الكونت دومنيل دو) : استحكامات بيروت وغصيناتها القديمة ٢٠ : ٥٧١
بويه (شرل) : الكاهن او المقام شريف ٢٤ : ٣٠١ ؛ ٣٧٦ ؛ ٤٤٧
البيروني (ابو ريحان محمد بن احمد) : كلندار الكنيسة الانطاكيّة في القرن الحادي عشر : ٥ : ٣ ؛ ٦٣ – فصل في بيان حساب الفصح ٢٤٤ – رسالته في السدس الفخري ١١ : ٦٨
بيطار (ميشل) : حله للغز الوارد في الصفحة ٢٣٥ ٤ : ٢٧٩ – اكليل غسار ٦ : ٦٣٦ – الاشباح في الافراح ٧ : ٢٨ – المعاهد الصحية أو مستشفيات السل في اوربة ٢٥ : ٦٦٠
بيلون (الاديب و.) : اقاصيص قبائل ١٠ : ٦١٣

يم (مختار) : له نبذة في الاجانب ١٥ : ١٥٨
بيوس العاشر : رسالة قداسته العامة الى الاكليروس والشعب الفرنسي ٩ : ٢٤١ – منشوره للفرنسويين ١٠ : ١٧ – براءته في جواز مناولة القربان الاقدس في الطقسين ١٥ : ٨٨١
بارون (الاب بطرس) : الرخصة في الزواج بين اولاد الاعمام ٥ : ٢٨٨
باربزو (الاب حنا) : انفراك الكهنة بالتقديس ١ : ١٧٦ – بركة الضب في الكنائس الشرقية ٢ : ٨٩١
بتيكوه (الاب طرس اليسوعي) : رحلته الى قنوبين في جبل لبنان سنة ١٧٢١ ٢٩ : ١٧١ ؛ ٢٩٢
بروكتور (مغري) : الحروف العبرانية واشتقاقها ٨ : ٨٨
بهلوان (جان) : نظر في الميزان التجاري ٤ : ٢٠٠ – تعريب الفاظ تجارية ٤٢٨ – التبادل ومنافعه ٦٢٧ – مثال البلجيك في نجاح الكاثوليك ٨٤٤
بوريار (الاب لاون الحلبي الفرنسيسكاني) : مدينة اورشليم،هل هي وسط الارض؟ ٢ : ٤
بيترس (الاب بولس اليسوعي) : قصة القديس ديونيسيوس الاريوباغي ورسالته الى ابولوفانيس ١٢ : ١١٨ – ترجمة قديمة لسيرة القديس افتيميوس ٢٤٤ – آراء وملاحظات في عمل الحياة الرهبانية القديمة على التقريب بين الكنائس والشعوب الشرقية ٣٤ : ٢٢١

ت

ت. (الاب س. اليسوعي) : يمين العلي ٦ : ٢٥ ؛ ٧٤ ؛ ١٢٤ ؛ ٢٢١ ؛ ٢٧٥ ؛ ٢٢٦ ؛ ٢٧٤ ؛ ٤٢٢ ؛ ٥١٧ ؛ ٥٦٦ ؛ ٦١٢ : ٦٥٩ ؛ ٧٠٨ ؛ ٧٥٨ ؛ ٨٠٩ ؛ ٨٥٢ : ٩٠٢ ؛ ٩٤٩ ؛ ٩٩٦ ؛ ١٠٣٧ ؛ ١٠٩٤ ؛ ١١١٤ – الاكتشافات الحثية ٩ : ١١٢٦
تاتي (الاب يوسف) : الفرائد اللبنانية ٢ : ٢٤ ؛ ٥١٠ ؛ ٦٧٧ ؛ ١٠٦٨ ؛ ٣ : ٥٨٦ ؛ ٤ : ٢٠٨ ؛ ٥٦٠
تاميزيه (الاب ميخائيل اليسوعي) : الرتبة البطريركية : نبذة في اصلها وتاريخها وحقوقها ٥ : ٤٢٢ : ٥٨٨ ؛ ٦٢٧
التحومي (سليم ايوب) : قلوب الامهات ٨ : ٤٠٩ – موشح الغريب التائه ٤٩٤
الترك (نيقولا) : ارجوزة في وصف الطاعون ٢ : ٦٢٧
تريبوله (الاب جرجس اليسوعي) : لاون الثالث عشر والهيئة الاجتماعية ٥ : ٢٢٥
تريسيرا (الاب فيلكس الاسباني) : اسبانية في الزمن الحاضر ٣٠ : ٦٦٤ – صوفية ابن العربي ٣١ : ١٢٩
تقي الدين (الشيخ احمد) : منارة الدين ١٢ : ١٥٧ – النور والظلمة ٢١٧ – حرية الاقلام ٢٩٧ – نفثات الشكوى ٤٧٧ – العصر الجديد ٥٥٦ – الامير محمد ارسلان ٧١٥ – المعارض الوطنية ٨٢١ – الى ولدي الصغير ١٣ : ٨١٦ – تحت الثلج ١٤ : ٢٥٩
التكريتي (الشيخ ابو نصر يحيى بن جرير) : مقالته في صلب السيد المسيح ١٦ : ٢٤١
توتل (جوزف) : دير الزور والحالة الاقتصادية ٢٩ : ٨٩٧ – حوادث دير الزور في زمن الحرب ٢٠ : ٥٦٢
توتل (الاب فرديناند اليسوعي) : الدعوات في مزامير داود ١٩ : ٦٧٠ – رسول الصحراء ، الاب شرل دي فوكو ٢٠ : ١٩١ – رحلة رسولية في بلاد الجليل الاعلى

٣١ : ٦٦٢ ؛ ٧٣٧ – رحلة رسولية الى بلاد الجليل ٣٢ : ٨١٠ ؛ ٨٧٥ ؛ ٩٥٤ – التذكار المئوي السادس عشر للمجمع المسكوني النيقوي الاوّل ٣٣ : ٤٨١ – سياحة رسولية في بلاد حوران ٨٤٩ ؛ ٩٣٠ – مذهب التقمّص ٣٤ : ٤٣٤ – محرّكات الطيّارات الحديثة ٤٨١ – تحت المياه ٥٧٥ – حياة الرسالات الكاثوليكية ٣٤ : ٨٥٢ ؛ ٣٥ : ١٥ – الاضطهاد الديني في المكسيك ١٦١ – تذكار السنة العاشرة للثورة الروسية (١٩١٧–١٩٢٧) لفلاديمير دلكتورسكي ٢٧٥ – حوادث الصين ٤٠١ – مصيف حمانا ٥٨٦ – كتاب الصلوات وحركة التطور في الكنيسة الانكليكانية ٦٤١ – هل الاديان منتشرة بين جميع الشعوب ٧٦٤ – الذهب في العالم ٧١٩ – مزاحمة السيارات للخط الحديدي ٧٩٦ – التذكار المئوي الثالث لميلاد بوسوته (١٦٢٧–١٩٢٧) ٨٨١ – نظرة في العام ١٩٢٧ ٣٦ : ١٨ – اسباب الفتن والاضطهاد في المكسيك ١٠٩ – الدكتور طه حسين ونظراته في الادب العربي وتدريسه ١٩٥ – الجامعة المصرية الجديدة ٢٨٤ – مقتاة الملكين ٢٠٣ – مشهد من مشاهد السياسة على عهد الدولة الاموية ٥٠٤ – من رمضاء مكة الى مصيف الطائف ٦٥٠ – مرافق التعليم عند العرب ٧٥٣ – البترول في سورية ولبنان ٣٧ : ١٠٤ – الفاشاني الاسلامي القديم ٣٧٣ – شفاء الاولاد الصغار في روسية ٦٤٦ – دير البلمند ٧٤٨ – كتاب البرهان ٩١٤ – غاية الادب للنويري ٣٨ : ١٢٢ – الاشوريون او النساطرة ٥٠٩ – الثورة العربية في الحرب الكبرى ٦٤٨ – القاتل ٦٧٥ – السجون ونظام التأديب ١٧٢ ؛ ٨٤٠ ؛ ٩٠٥ – حي ابن بطّان وفلسفة ابن طفيل ٣٩ : ٤٢ ؛ ١٠٨ ؛ ١٨٩ – رحلة من حلب الى الصالحية ٤٢٤ – عروس الصحراء دير الزور ٥١٤ – دير الزور الحديثة ٦٥٧ ؛ ٧٤٥ – وفادة البطريرك يوسف العاقوري الى مدينة رومية ٨٢٢ – ابن رشد و«تهافت التهافت» ٣٠ : ٢٢ – كتاب عيون الاخبار لابن قتيبة ٤٥٨ – المطران نعمة الله ابي كرم ومؤلّفاته ٦١٢ – الطقوس والطوائف في الكنائس الشرقية ٧٢١ ؛ ٦٠٤ – عمارة الراهب والعين الزرقاء ٣٩ : ٦٤٢ – جرمانوس قرحات ، العامل في خدمة النفوس ٣٢ : ٢٦١ – علم قراءة القرآن وفهرس مخطوطاته – الاصلاح اللغوي في تركية – فهارس صبح الاعشى للقلقشندي ٣٣ : ١١٩ – اغناطيوس غويدي ، المستشرق الايطالي الكبير ١٨٤٤–١٩٣٥ ٤٤٥ – زيارة الى قلعة المرقب ٥٢٨ – مجلة مجمع اللغة العربية الملكي ٦٠٤ – معرض دمشق سنة ١٩٢٦ ٣٤ : ٩٢٥ – الاب هنري لامنس ٣٥ : ١٦١ – نشره اخبار حلب وحوادثها من السنة ١٨٥٥–١٨٦٥ ، اخذًا عن يوميّة تسوم البخاش ٤٠١ ؛ ٥٢٥ ؛ ٣٦ : ١٠٨ ؛ ٢٢٥ ؛ ٤٧٣ ؛ ٣٧ : ٢٩ ؛ ١٩٩ ؛ ٤٧٩ – نشره اولياء حلب في منظومة الشيخ وفاء ٣٨ : ٢٢١ – الشيخ محمد ابو الوفاء الرفاعي (١٧٦٥–١٨٤٧) ٣٩ : ١٦٤ تورنان (الاب شرل اوزياس) : لاهوت السيد المسيح في آلامه ٧ : ٢٤١ – بلاد الذهب : الالسكا والليوكن ٩٢٢ ؛ ٩٥٠ – درس العقائد المسيحية ٨ : ٤٨٥ – معبد سيّدة التعزية في تناتل ١٣ : ٦٤١

تورنيز (الاب فوتيس اليسوعي) : الكنيسة

الشرقية الاورثذكسية ١١ : ٢٢١ – تاريخ جديد للكنيسة الارمنية ١٤ : ٤٥٨ – النهضة الكاثوليكية في حلب والرسالات الفرنسوية في القرن السابع عشر ١٥ : ٦٤١ ؛ ٨٥٩ ؛ ٩٢٠ – صديق للمسلة ٢٣ : ٧٠٢

توبار (الاب كاثيار اليسوعي) : الراديوم وخواصه ١٢ : ٢٦٨

تيان (امبل) : جمعية الامم ١٨ : ٧٥٤

تيمور (احمد باشا) : استدراك عن رسالتين ١١ : ٩٥١ – الرسالة الحرفية ٢٢ : ١٥٨

ث

ثابت (حبيب) : ايها الطفل ١٥ : ٢

ثابت (القس مبارك) : اصل حروف القسم وياء المتكلم واللام الجارّة ١٤ : ٢٨٠ – التذكار المئوي للمرسلين المازريين في دمشق ٢٧ : ٦٠٨ ؛ ٧٦٥

ثابت (يوسف غنّام) : السيوف الشرقية القديمة وتحليتها بالجوهر ٣ : ٥٧٧ – في سرّ صناعة الجوهر ٧٠٠ – الاسلحة النارية في الشرق ٨٧٠ – اسلحة الصيد ١٠٣٨ – في البناء وصناعتها ١٤ : ٧٨٤ – صناعة النجارة في المشرق ٥ : ٨٦ ؛ ٦١٥

الثعالبي (ابو منصور) : كتاب مكارم الاخلاق ٣ : ٦٨ – نبذة من كتابه : ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ٣ : ٥٥٢

ج

ج . (ي احد اخوة المدارس المسيحية) : الطوباوي سالومون (١٧٢٥–١٧٩٢) ٢٥ : ٣٣١

جباره (الاب الياس اليسوعي) : لغز يطلب حله نظماً ١٤ : ٢٢٥ – خواطر في النيل وفيضانه ٦١٧ – ازدهار الديانة الكاثوليكية في انكلترة ٥ : ٧٢١ : ٨٧٦ ؛ ١٠٦٥ ؛ ١١٢٦ – بحث في اصل النطق ٦ : ٢١ – المدائح الدمشقية في المزايا المريمية ٧ : ٧٢٧

جباره (حليل) : في امكان المشاتر النصف الرُّحل ٣٧ : ١٠٢

جبور (جبرائيل) : ابن عبد ربه وعقده ٥ ٣٠ : ٦١٨ ؛ ٨٠٨ ؛ ٩٠٨ ؛ ٣١ : ٢٦ ؛ ٩١ ؛ ١٧٧ ؛ ٢٤٨ ؛ ٢٢٧ ؛ ٤١٨ ؛ ٥٠٤ ؛ ٥٨٤ ؛ ٧٥٨ – مواسم الحجاز وتحليلها سل اللهو في العصر الاموي ٣٣ : ٤٥ – نسب عمر بن ابي ربيعة ٣٤ : ٨٤

جيليوف (سرجيوس) : هل كان المسيح نجّارًا ٣٥ : ٢٤٤

الجرجاني (السيد الشريف) : رسالته الحرفية ٢٢ : ١٠

جرجي (القس عبد الاحد السرياني) : المحبة ودواعيها ٢ : ٨٣٦ – الدين والعقل ١١١٨

جرداق (منصور حنا) : العلم والدين ٢٨ : ٤١٠

جروه (البطريرك اغناطيوس) : اثر قديم (رسالة وجهها الى طائفته) ١٨ : ٢٩٧

جروه (البطريرك ميخائيل السرياني) : رسالته في اثبات عقيدة الطهر ٢٢ : ٨٦٠

الجزّار (احمد باشا) : تقليده الحكم على الشوف للامير يوسف الشهابي ١٣ : ٢١٨ – صورة بيورلدي الى مشايخ الدروز ٢٦ : ٢٣١

جمجع (الخوري اغناطيوس) : بشرّي مدينة المقدمين : معلومات ومستندات ٣٠ : ٤٦٤ ؛ ٥٢٨ ؛ ٦٨٥ ؛ ٧٧١

جق (الاب تيموثاوس) : دير ميلاد السيدة في راس بعلبك ٩ : ٥٢٣ – الرهبانية الباسيلية الفانونية الحلبية الشويرية ١٦٩٦–١٩٠٦ ٨٩١ – الرهبانية الباسيلية الفانونية الحلبية

١٠ : ١٧٠ – الرسالة الزاخرية في امتناع اكل اللحوم للرهبانيات الشرقية ٨٧٩ ؛ ٩٢٩ ؛ ٩٧١ – الاحكام النهائية في القطاعات الرهبانية ١٠٧٢

جلابرت (الاب لويس اليسوعي) : شهيدان سوريان ٥ : ١٤٥ – نظر في اخص العاديات المكتشفة آخرًا في سورية ٦ : ١٧٩ ؛ ٢٠٨ الرئاسة البطرسية في دياميس رومية ٥٧٧ – التمثال المكتشف حديثًا في جبيل ٦ : ٩٢٢ – عاديات سورية المكتشفة حديثًا ٧ : ١٨٠ ؛ ٢٢٥ ؛ ٢٧٢ – اصل صورة المصلوب في الشرق ٢٩٣ – الفينيقيون واوديسة هوميروس ٨ : ٢٢٤ – العاديات السورية في العام الماضي ٢٧٠ ؛ ٢٧ – كتابة جديدة في بعلبك ٢١٢ – السكة الرومانية من مادبا الى عقبة ٤٥٧ – شركة صلاحية قديمة في بيروت ٦١٧ ؛ ٧٠٦ – خزنة فرعون في بترا ٦٦٥ – ترويز العاديات ٩ : ٩٧ – ترويزات شهيرة لبعض العاديات ٢١٧ – المسوخ عند اليونان والرومان ٦٠٨ – آثار البهنا المكتشفة حديثًا ٦٦٨ – البردي والآثار المخطوطة عليه ٨٥١ – تاريخ التجارة في الاجيال الغابرة ١٠٠٥ – الاكتشافات البردية ١٠ : ١٤٥ – المتاحف واصلها ٤٢٢

الجميل (الحكيم امين) : ترقيع السكان بتقليل المولدات ٦ : ١٧٢ – مقالة لبنان ، للمهندس اميل خاشو ١٠ : ٤٢٠ – الرأي العام في عثرات الاقلام ٢٠ : ٤٩٥ – كيف يجب ان اقضي يومي : فوائد صحية اخلاقية اجتماعية ٢١ : ٦١١ – في غياب الطبيب ٢٣ : ٦٠٦ – العملية القيصرية ورأي المجلة الطبية فيها ٢٤ : ١٩٤ – الجدري ٢٦ : ١٨٥ – سطوم واقي من شر داء ٧٦٦ – الري ٩١٢ – الطب في البلاد من مئة سنة ٢٧ : ٢٨٨ ؛ ٢٦٠ – احدث الافات للنفوس والاجسام ٢٩ : ٦٠٦ – الصحة في البلاد ٣٠ : ٢٢٢ – الصحة والطب في الكتاب المقدس ٣٠ : ٤٨٩ ؛ ٦٢٠

جميل (الشيخ انطون يوسف) : الولايات المتحدة وترعة بناما ٧ : ١٤٥ – امثال العوام في الشهور وفصول العام ٨ : ٦٦٤ ؛ ٦٨٧ (ملحق) ٨٦٥ – تاريخ حفلات توزيع الجوائز ٩ : ٧١٧

الجميل (الشيخ يوسف) : زراعة التبغ التركي في لبنان ١٦ : ٤٥ ؛ ١١٧ ؛ ٢٧٦ ؛ ٢٤٩ ؛ ٥١٢ ؛ ٨٧٢

جوفروا (اوغست) : البرتقال : زراعته وآفاته ١٣ : ٢٧٠ ؛ ٥٢١

جوليان (الاب ميشال اليسوعي) : آثار النصرانية في هياكل مصر الوثنية ٤ : ٢٢٧ – اديرة مصر الاولى للقديس باخوميوس ٥٧٦ ؛ ٦٥٢ – سياحة حديثة في الصعيد للبحث عن الآثار المسيحية القديمة ١٠٥٧ – قصر الشمع او بابل مصر ٥ : ١٤٥ – بعض اديار مصر القديمة ٦ : ١٤٥ ؛ ٢٢٢ ؛ ٢٦٥

جوون (الاب بولس اليسوعي) : الآثار المصرية في سنة ١٨٩٨ ، ١ : ٥٧٧ – آثار حمص القديمة ٧٦٩ – نظر في محاسن حلب وآثارها ٢ : ١٤ ؛ ١١٦ – قلعة سمعان ٢٩٩ – المشاهد القثانة في رحلة الى الاستانة ٩٦١ ؛ ١٠٢٧ – امل لفظة انطوش ١١٢٤ – مقام يوسف البار بين الاولياء الاطهار ٤ : ٢٢٩

جيانيني (القاصد الرسولي فريديانو) : رسالة رعائية في الحكومة الدستورية ١١ : ٧٢٢

حبيب (ه.ا.ر.) : طه حسين ٢٨ : ٢٥٩ – القصص والحكايات المصرية ٣١ : ٦٨٩
حبر (مرتن) : الذهب في مناجمه وخاصة في سورية ٣٠ : ١٩٣ ؛ ٢٦٦
حبرون (نويل) : نصب يحيى كنيسة في دمشق ١٣ : ٧١

ح

ح (م. اللبناني) : صحيفة من تاريخ لبنان في القرن التاسع عشر ٣١ : ٨١٨ – اوهام تقويم غوطا ٢٣ : ١٦٠
حاتم (انور) : شهود العيان على فتح الصليبيين انطاكية ٣٢ : ١٧٩
حاج (الاب اثناسيوس ق.ب.) : صفحة من تاريخ الرهبانية الباسيلية الشويرية ٢٨ : ٧٤٤ ؛ ٨٢٧ ؛ ٩١٤ ؛ ٣٩ : ٤٦ – البطريركية الانطاكية بين الاتحاد والانفصال ٣١ : ٢٤١ ؛ ٢٥١ – اعاجيب النقد الحديث ٩٣٧
الحاج (الدكتور الياس) : البُطاحيّ والبعوض ٤ : ٢٤١ – الميكروب : تاريخه واحواله ٦١١ – ترقي العلاج بالكهرباء ١٠ : ١٠٤٦ – كلمة في تاريخ اشعة رونتجن ومنافعها ١٦ : ٥١٦
الحاج (الدكتور سليمان) : لمحة صحية عن بلاد بشاره وما يجاورها ١٢ : ٢٥٤
الخايك (الخوري الياس) : ايُّها الدين ١٤ : ١٧٢ – صادق الشعر في الام البكر ٢٩٨ – شهيد سرّ الاعتراف ١٦ : ٢٠٩
حبيقه (المنسنيور بطرس) : الجسد والروح ٩ : ٢٠٢ – نفثات الاسحار في سيّدة ابار ١٢ : ٣٩٦ – محفل صنين ١٥ : ٢٢٨ – تنصّر الامراء اللمعيين الشيعيين ١٨ : ٦٣٧
حبيقه (غبيب) : الانتقاد ١ : ٦٧ ؛ ١٧١ – فنّ التمثيل ٢ : ٢٠ ؛ ٧١ ؛ ١٥٦ ؛ ٢٥٠ ؛ ٣٤١ ؛ ٥٠١
حبيقة (القس يوسف البكنتاوي اللبناني) : دوائر السريانية في لبنان وسورية ٤ : ١٣٠ – الدوائر السريانية في لبنان وسورية ٣٧ : ٢٨٩ – اسماء القرى اللبنانية السريانية ٢٨٧
حبيش (الشيخ منصور مسعود) : دفنة، حالتها الحاضرة وآثارها الغابرة ٦ : ٩٩٣
الحداري (الاب ويس الديراني) : الاب لورنسيوس الحيري الديراني ٢٨ : ٨٥٠ ؛ ٩٢٢
حرفوش (الخوري ابراهيم) : عيد البشارة ٤ : ٢٧٢ – الاديار القديمة في كسروان ٥ : ١٨٢ ؛ ٢٦٩ ؛ ٢٩٨ ؛ ٥٤٩ ؛ ٦٨٦ ؛ ٨٩٢ ؛ ١٠٣٨ ؛ ٦ : ١١٦ ؛ ٤٤٨ ؛ ٥٩٣ ؛ ٧٨١ ؛ ٧ : ٢١٢ ؛ ٨ : ٦٧ ؛ ٢٤٧ ؛ ٧٥٢ – مجمع دير حراش والمجامع المارونية ٨٨٨ – رتبة ذرّ الرماد ٨ : ٢٥٥ – كتاب دليل الطقسيات المارونية ٩ : ٢٥٢ ؛ ٤٣٠ – سياحة اسقفية الى بلاد بشارة ١٠ : ٨١٧ ؛ ٨٩٧ ؛ ٩٤٩ ؛ ٩٨١ ؛ ١٠٢٢ ؛ ١١٢٥ – سياحة في اقليمي المروب والشوف ١٤ : ١٩٠ – نشره زجلية على خراب طرابلس واخذها من يد الصليبيين لسليمان الاشلوحي ١٤ : ٤٢٢ – كتاب اعمال الرسل اي الابركسيس ١٥ : ٢١ – مكتبة طائفتنا المارونية في مدينة حلب المحميّة ١٧ : ٢١ ؛ ٨٩ ؛ ٢٥٤ – ٥٩٩ ؛ ٧٦٢
حسين (الشيخ فدا) : عود على بدء ١٥ : ٩١٣
الحسيني (نور الدين بن نعمة الله الجزائري) : رسالة في المؤثثات الساعيّة ١٠ : ١٨٤
حكيم (جورج) : المساومة ٣٨ : ٨٢
الحكيم (المطران مكسيموس) : رسالته الى الاخوية الكاثوليكية ١٦ : ٢٤٥
حلاق (بطرس انطون) : مسألة رياضية ٢ : ٥٢٦

حنين (ادوار ابراهيم) : بكاء ، وشعر ، ونقد ٣٢ : ٢٣٥ – شوقي على المسرح ٥٦٣ ؛ ٣٣ : ٦٨ ؛ ٢٧٣ ؛ ٢٩٤ ؛ ٤٢٧
حواء (شكري) : سؤال حسابي ٢ : ٧٦٦
حُوَيْس (الخوري ميخائيل الماروني) : تنوع : موقعها وآثارها ٢ : ٢٤٨ – انتقاد على الكلم اليونانية في اللغة العربية ٤ : ٧٣ ؛ ٢١٤ – الدخيل في اللغة العربية ٢٩٣
الحويك (البطريرك الياس) : رسالته الى مدير مجلة المشرق ١٧ : ١٦١

خ

خ (ن) : وراثة امرأة ارملة من زوجها الثاني ٢٣ : ٥٦٠
الخازن (الشيخ شاهين) : اوقاف العائلة الخازنية على الطوائف اللاجئة الى لبنان ٤ : ٩٧٣ – اوقاف العائلة الخازنية على ذاتها ٥ : ١١٥
الخازن (الشيخ فريد) : رسالة فرنسيس الصليبي الى نوفل الخازن ١٠ : ٢٨٦
الخازن (الخوري لويس) : القضاء الماروني وعلاقته بالشرع الروماني ٢٧ : ٦٣١ – دستور القضاء ٢٨ : ٢٢٦ – فخر الدين الثاني وعلاقته بدول الغرب ٣٥ : ٢٥٦ – مواصلات الموارنة مع رومية ٣٦ : ٥١٢
خاشو (المهندس اميل) : لبنان : نظر في اشغاله العمومية وزراعته ومستقبله الاقتصادي ١٠ : ١٩٣ ؛ ٢٧٨ ؛ ٢١٩ ؛ ٢٧٢ ؛ ٢٩٤ – لائحة للاصطياف في لبنان ٢٣ : ٥٢٣
خاطر (حلد) : الامثال والاباطير اللبنانية المختصة باشهر السنة الشمسية ٣١ : ٤٥ ؛ ١٢٤ ؛ ٢٠٣ ؛ ٢٦٦ ؛ ٢٨١ ؛ ٤٥٩ ؛ ٥٢٤ ؛ ٦٤٨ ؛ ٧٥٤
خالد (امين) : الجوهر الفرد في ادب جبران خليل جبران ٣٠ : ٤٢٥ ؛ ٥٢٢ ؛ ٦٥٨ ؛ ٧٥٢ – يسوع الانجيل ويسوع جبران ٣١ : ٨ ؛ ١٩٧ ؛ ٢٧٨ – السلافة او آخر ما كتبه جبران خليل جبران ٣١ : ٢٢٠
الخُجَنْدي : رسالته في الميل وعرض البلد ١١ : ٦٠
خِدْر (القس الكلداني) : رحلته من الموصل الى رومية ١٣ : ٥٨١ ؛ ٦٥٦ ؛ ٧٢٥ ؛ ٨٢٥
خزام (شحاته) : الطحال ووظائفه ٣ : ٧٩٤ – السمك الكهربائي وكهربائية الحيوان ٥ : ٢٨٩ ؛ ٣٤٨ – الفاكهة عموماً والعنب خصوصاً ٦ : ٧٤٥
خشاب (انطون) : البارون فيكتور فون روزن المستشرق الروسي العلامة الشهير ١١ : ١٧١
الخضري (حبيب) : اصلاح اللغة ٣ : ٧٧١ – تخطئته لقول «الضياء» في كلمة «الفطحل» ٤ : ٢٢٣ – كمران والصليف والحُدَيدة ٥٩٣ – عيسى ٥ : ٢٤٨
خلف (المحامي نجيب) : قطرة على غصن ٢٢ ٩١٥ – مرثاة دينية ٢٤ : ٦٣٦
خليل (الخوراسقف لويس) : المجمع اللبناني : الذكرى المئوية الثانية لعقده ١٧٣٦–١٩٣٦ ٣٤ : ١١٩ – الدباطرون في طبعته الجديدة ٢٦٩ – بيان حقيقة ٤٤٧
خليل (الاب يوسف اليسوعي) : التعبُّد للبتول والرسالات اللاتينية في الشرق ٧ : ٤٢٤ – مرسيلية وجنوة ٩١٩ – اهمُّ الحوادث في السنة الغابرة ٨ : ١ ؛ ٧٢ – حقيقة النفران – اشارة الصليب المقدس ٩ : ٩١٨ – المطرية وآثارها المسيحيَّة ١٠٥٢ ؛ ١٠٨٦ – قِدَم الانسان ١٠ : ٤٩ – الاعتراف في اوائل النصرانية ٦٤١ – الحرب ١٧ : ٧٠١
الخوري (انيس م.ع.) : نشوء الموازين العربية ١٢ : ٢٨١

الخوري (بشاره خليل) : خادم امين ١١ : ٦٧٦
خوري (بطرس) : الطقس اليوناني في رومية ٢ : ٤٩٨
الخوري (الدكتور شاكر) : الكحل ١ : ٢٠٦ – الأمراض العينية المسبّبة عن امراض الاسنان ٤ : ٥٨٧ – منتخبات من ديوانه ٥ : ٥٤٣ – التدخين ٩ : ١٣٤
الخوري (الدكتور كامل سليمان) : وافدنا الدفتيريا والحصبة في حمص ١ : ٥٩٣ ؛ ٦٤٧ – الأرق واسبابه ومعالجته ١٥ : ٥٢٦ – استعمال المنقطات في الطبّ ٦١١ – معالجة طنين الاذنين ٦٥٥ – سراية الندرن اي السل بالعرق ٧٩٥
الخوري (المطران عبدالله) : شهيدا لبنان : الشيخ فيليب والشيخ فريد قمدان الخازن ١٩ : ٤٠١ – صفحة تاريخية من ايام الحرب ٢٠ : ٢٦٣ – البطريرك الماروني وجمال باشا ابان الحرب ٢٢ : ١٦١
خوري (وجيه) : القضاء في لبنان على عهد الحكم الاقطاعي ٣١ : ٨١ ؛ ٢٦٢ ؛ ٢٥٧ – حول « القوانين الفردية » عند الطائفة المارونية في زمن الامراء الشهابيين ٣٢ : ٢٠١
الخوري (الشماس يوحنا العنداري) : حله للنز ٤ : ٣٧٨
الخوري (الاب يوسف) : المجل اللبناني ١٦ : ٢٧١
الخوري (يوسف جرجس) : من المهد الى اللحد ١٥ : ٣٦٠
خياط (الاخت كليستين) : حوادث عين ابل ١٨ : ٧٧٩
خير (عبدالله بك رزق الله) : تبكي بك الفصحى رفيع عمادها ٢٧ : ١٠١
خيرالله (امين ظاهر) : وصف مكتبة نفيسة ١٣ : ٢

خيكي (ابراهيم) : مديحيته ١٢ : ٣٢٧

د

د. (الاب ه. اليسوعي) : الكتبة والتمدن الروماني ١٧ : ٢١٨
داعر (الاب ليباوس) : كشف الغطاء عن المحابس والحبساء ٢١ : ١٣٠
دافيه (الاب اوغست اليسوعي) : المدرب الاقصى ٩ : ٢٩
داكروز (الاب انطون اليسوعي) : كريستوفان ابن الكشافة فاسكو دي غاما ٢٣ : ٩٠٣
دامسطيوس : رسالته في السياسة ١٨ : ٨٨١
داود (المطران اقليمس) : اللغة الشائعة في سورية قبل الهجرة ١ : ٨٤٣
الدبس (المطران يوسف ، مطران بيروت الماروني) : المرّدة والموارنة ٥ : ٩١٤ – ليس الجراجمة المرّدة ٦ : ٤٠٤
الدحداح (الشيخ ادوار) التقابات والإضراب ١٨ : ٥١٥ : ٦١٤
الدحداح (الكُنت رشيد) : قصيدة في مدح باي تونس ٥ : ١٥٥
الدحداح (الشيخ سلوم) : رحلة الامير بشير الاولى الى مصر ١٨ : ٦٨٧ ؛ ٧٣٢ ؛ ٨٨٩
الدحداح (الشيخ سليم) : الكونت رشيد الدحداح واسرته ٤ : ٣٨٥ ؛ ٤٥٦ ؛ ٤٨٩ – الابرشيات المارونيّة وسلسلة اساقفتها ٧ : ٦٤١ ؛ ٧٤٨ ؛ ١٠٣٢ ؛ ١٠٩٩ ؛ ٨ : ١٥١ ؛ ٣٤٧ ؛ ٤٠١ – الجمهورية الفرنسوية الثالثة ورؤساؤها ١٨ : ٢٢٤ – تنصّر الامراء الشهابيين واللمعيين في لبنان ٥٤٣ – نشره رحلة الامير بشير الاول الى مصر للشيخ سلوم الدحداح ٦٨٧ ؛ ٧٣٢ ؛ ٨٨٩ – لبنان الكبير وسورية : الانتداب والاستقلال ٢١ : ٤٥٤ – لبنان الكبير ومتصرفية لبنان

القديمة ٥٧٧ – العرفان وتلامذة اليسوعيين ٩٢٩ – تأليفان جديدان في تاريخ سورية ٢٢ : ٢٠٠ – الامير بشير الكبير المعروف بالمالطي ٥٦١ ؛ ٦٩٦ – العائلة اللبنانية ٢٧ : ٤٩١ ؛ ٥٨٧ – الجزائر في مائة سنة ١٨٣٠–١٩٣٠ ٢٨ : ٥٢٣ – التذكار المئوي لتحديد رسالة الاباء اليسوعيين في سورية ولبنان ٢٩ : ٨٢٧ – انتخاب بطاركة الموارنة ٣٠ : ٩٢ – انتخاب بطريرك ماروني في القرن التاسع عشر وتدخل فرنسة في ذلك ١٧٠ ؛ ٢٥٨ – التذكارات القرنية في سنة ١٩٣٢ الحالية ٦٥٣ – التذكارات القرنية اللبنانية في سنة ١٩٣٣ ٣١ : ١٨٧ – التذكارات القرنية اللبنانية ٤٧٠ – التذكارات القرنية ٨٧٠

الدحداح (نجيب سليم) : جريدة توزيع مال خراج لبنان الاميري في عهد الامير بشير الشهابي ٣٣ : ٦١٢ – جريدة توزيع مال خراج لبنان الاميري ، عود على بدء ٣٦ : ٢٧٨ – لبنان الكبير في التاريخ ٥٥٥ – ذكرى النفي الى مالطة ١٨٤٠–١٩٤٠ ٣٩ : ٢٥

دحداح (الخوري يوسف المرسل الماروني) : الكنيسة الكاثوليكية في اوستراليا ٩ : ٤٦

درستويه (ابن) : كتاب الكتّاب ١٨ : ٢٥ ؛ ١٢٨ ؛ ١٧١ ؛ ٣٤٩ ؛ ٥٠٣ ؛ ٥٧١ ؛ ٦٦٤ ؛ ٩١٦ ؛ ٩٩٣

الدرعوني (الدكتور حبيب) : داء السل وانتشاره في سورية ١ : ١١٩ ؛ ١٥٠ رأي في توليد الاتيتوكسين ٣ : ٦٤٧ – تدبير الصحة في بيروت ٤ : ٢٨٩ ؛ ٤١١ ؛ ٥٢٦ ؛ ٧٠٠ – حلمه للنز ٣٧٨ – لغز في الكهرباء ٤٣٠ – مدة حياة الانسان ٥ : ٩٨٤ – الحمراء في بيروت ٩ : ٥٠٥ – الخُلق والمشية ٦٠٠ – الرياس ١٠ : ٢٥٢ ؛ ٨٢٤ – الأنفيلكسيا او عكس المناعة ١٥ : ١٢٢ – المناعة ١٦ : ٢٥١

دريان (الخوري لويس الماروني) احفظ عنيفك ١٦ : ١٤

دريان (المطران يوسف رئيس اساقفة طرسوس) : اصل لفظة كرشوني ٧ : ٧٨٥

الدمشقي (ميخائيل) : تاريخ حوادث الشام ولبنان من السنة ١١٧٩ الى ١٢٥٧ هـ (١٧٨٢–١٨٤١) ١٥ : ٤٩ ؛ ١٠٢ ؛ ١٧٩ ؛ ٢٨٧ ؛ ٣٦٣ ؛ ٤٩٤ ؛ ٥٧٧ ؛ ٦٨٨ ؛ ٧٤٥ ، ٨١٣

الدمنهوري (احمد) : اثر في علم استنباط المياه ١٣ : ٢٤

دموس (حليم) : موت الصافير ٢٧ : ٧٧٥

دلفال (نيافة الكردينال مري) : رسالته الى مدير مجلة المشرق ١٢ : ١

دلكتورسكي (فلاديمير) : تذكار السنة العاشرة للثورة الروسية (١٩١٧–١٩٢٧) ٢٥ : ٢٧٥

دهان (الخوري نقولا) : نبذة تاريخية في مدرسة القديسة حنة الاكليركية ١٠ : ٨٦٥

دوجو (الكونت) : تأمين الحياة ١٣ : ٧٢١

دوران (الاب الفرد اليسوعي) : انجيل يوحنا الحبيب والشواهد القديمة في سمته التاريخية ١٠ : ١٠٥٧ – رحلة السيد المسيح الى فينيقية والمدن العشر ١١ : ٨١

دورفو (الاب ريته) : روحانية النفس ١٦ : ٩٤٤

دوريفال (الاب اليسوعي) : فاجعة مسينة ١٢ : ٦٧

دوغو (الاب ا. اليسوعي) : رسول الاتحاد بين الكنيستين ١٦ : ٤٤٦

دوكوشو (غستون) : تاريخ الحرير في بلاد الشام ١٥ : ٢٨٠ ؛ ٣٧٤

دومط (الاب اسطفان الدرمينيكي) : لمحة تاريخية عن مشهد القديس استفانس في

اورشيم ١٤ : ١٨
دونكل (الاب قرنسيس اللازري) : الادهيمية (الهيدمية) او مغارة ارميا النبي ١٤ : ١٢٢
الدويهي (البطريرك اسطفان) : سلسلة بطاركة الطائفة المارونية ١ : ٢٤٧ ؛ ٢٠٨ ؛ ٢٤٧ ؛ ٣٩٠ – تاريخه للمدرسة المارونية في رومية ٢١ : ٢٠٩ ، ٢٧٠
دبريب (الاب راول اليسوعي) : مدافن برج حمود وسنّ الفيل ١٣ : ٢٢١
الديربي (عبدالعزيز) : شرحان على مثلثات قطرب ١٢ : ٦٨٥
ديلافين (الشاعر الفرنسي كازيمير) : موت جان دَرْك ٤ : ٦٣٤
ديلنسفر (الاب يوسف) : إرْعَ حراني إرْعَ تاجي ١١ : ٨٢٢ – مشكلان كتابيان ١٥ : ٦٤٠

ر

ر. (ل) : لفظة « réglisse » الافرنسية ٧ : ١١٦٢
ر.م. كتابة يونانية في لحف جبل صنين ٢٤ : ٨٨٠
الرازي : كتابه الطبي « الفصول » ٤ : ٥٤٢ – كتابه برء الساعة ٦ : ٢٩٥
الراسي (ميخائيل عبدالله) : سئال العفاف في رواية جنفياف ١٩ : ٦٥٣
راغوس (الدوق دي) : النواقيس في لبنان ٣٠ : ٦٩٩
الراهب (بولس اسقف صيداء الانطاكي) : خلاصة معتقد النصارى في التوحيد والاتحاد ١ : ٨٤٠ – رسالة عقلية في وجود الباري تعالى وكمالاته واقانيمه ٤ : ٩٦١ ؛ ١٠٢٢ – ثلاث مقالات فلسفية ٧ : ٢٧٣ – مقالة في الفرق المتفارقة بين النصارى ٢ : ٧٠٢ – شرح العقيدة النصرانية ٨ : ٥٥٢ ؛ ٥٨٩ – رسالته في الرد على الاراسيس ٧٣٣
راي (الاب يوحنا اليسوعي) : رئاسة الاحبار الرومانيين على كنائس الشرق في القرن الاول للنصرانية ٣ : ٢ – رئاسة الاحبار الرومانيين على كنائس الشرق في القرن الثاني للنصرانية ٤٤٢ – رئاسة الاحبار الرومانيين على كنائس الشرق في القرن الثالث للنصرانية ٤ : ٨٠٧
رباط (الاب انطون اليسوعي) : ساعة شبح البلد ٥ : ٨٤٥ ؛ ٨٩٨ – الاثار الشرقية في مكاتب باريس ٦ : ٨٥ ؛ ٥٠١ – الطوائف الشرقية وبدعة الكلوينيين ٩٧١ ؛ ٧ : ٧٦٦ ؛ ٧٩٥ – امير مراكش والبابا اينوشنسيوس الرابع ١١٠٩ – اهمّ الحوادث في سنة ١٩٠٣ ٧ : ١١١ – البابا اقليمنتوس الثامن وبطريرك الاقباط جبرائيل ٨٥٢ ؛ ٨٨١ ؛ ٩٥٥ – نشره ميمر للقديس يوحنا فم الذهب في ميلاد الرب نقلاً عن نسختين مخطوطتين ٨ : ٣٤ – نشر رحلة اول سائح شرقي الى اميركة (١٦٦٨–١٦٨٣) ٨٢١ ؛ ٨٧٥ ؛ ٩٢١ ؛ ٩٧٤ ؛ ١٠٢٢ ؛ ١٠٨٠ ؛ ١١١٨ – شفا عمر (ملحق) ١٠٢٥ – بدرو الاقريطشي احد فاتحي البيرو ٩ : ١٥ – الاثار النصرانية في اميركة المتوسطة والجنوبية ٧٣ – الوسامات والانواط الحربية ٢٨٩ – نشره رسالة وجهاء الروم الطرابلسيين الى البابا غريغوريوس الثالث عشر ٣٥٧ – اثر جديد لاوّل رحّالة شرقي الى اميركة ٤٧٠ – – أثر جديد لنبريال الثامن بطريرك الاقباط ١٠ : ٥٢٤ – سيرة الحبر الطيّب الذكر عبدالله قراعلي الماروني الحلبي لتلميذه الاب توما البودي ٦٢٥ ؛ ٦٩٥ ؛ ٧٣٠ ؛ ٧٩٨ – الكتاب المقدس والكتبة الارثوذكسية

١٢ : ٨٠١ – خواطر في رأس السنة ١٣ : ١ الرشيد والبرامكة ٨ ؛ ١٠٠ ؛ ١٩١ ؛ ٢٥٢ ؛ ٢٤٤ ؛ ٤١٨ ؛ ٤٩٨ – عماد الهراطقة ومحلّة الكلمة الارثوذكسية ٨٩ – محلّة النعمة والاسفار المنزلة ٢٧٦ – قانونية الاسفار الثانية ٤٢٦ ؛ ٦٦٨ – السرّ المقدس ٥٦٧ – عالم يوناني مجهول ٧٢٢ – فوائد الورق ٨٢٢ – النارجيل او جوز الهند ٨٩٥ – المهاجر السوري ٩٢٦–يوحنا مرمقون ١٤ : ١٦٠– تجربة ابليس للمحاص ٢٠٥–الانجيل الشريف ٢٤١ ؛ ٢٢٢ ؛ ٤١٢ ؛ ٥٩٥ ؛ ٦٩٢ ؛ ٦١ – الخائن يوداس – فرّيز الشهيد ٢١٩ – ولاية الكنيسة وحقوق صاحب الولاية ٢٢٠ – المواليد والوفيات في باريس ٤١١ – التذكار المثوي للعلامة له فرّيه ٤٧٨ – العلاقات بين الشرق والغرب ٥٤٨ – محادثات فلسفيّة في آداب الحريّة ١٧ : ٣٠١ ؛ ٣٧٦ ؛ ٥٢١ ؛ ٦٧٩

ربّاني (المتروفسقفوس يوسف) : كرسي انطاكية والقديس بطرس الرسول ٣٤ : ٤٣٤

وبول (الشاعر الفرنسي) الملاك والطفل ٧ : ١٠٨٠

الرّجي (الخوري ميخائيل) : سفر المزامير بالسريانية ٣٣ : ٢٢٧ – في الطقس الماروني ٣٣ : ٤٨١ – حول « الشواذ الخلبية » في الطقس الماروني ٣٤ : ١٢٥

رحماني (البطريرك اغناطيوس الاول بطريرك السريان الكاثوليك) : كتاب عهد ربنا ٢ : ٤٩

رحماني (الفس حنا) : غفران الامير ٢١ : ٢٢١ ؛ ٢٨٠ ؛ ٢٥٠

رزق (سالم خليل) : الاوائل في اللغة ٢٨ : ١٨١ ؛ ٢٧٤ – الاواخر في اللغة ٦٠٤ – الطول في اللغة ٢٩ : ٥٧٧ ؛ ٧٣٧

رزق الله (ميلاد) من تاريخ لبنان المعاصر : سمان اللبكي وابنه غطاس ٣٥ : ٥٦١

رستم (الدكتور اسد) : الامير حيدر الشهابي وتاريخه ٣١ : ٢٨٢ ؛ ٢٦٦ – الشيخ احمد الغرّ والقضاء في بيروت قبل مئة عام ٤٠١ – تاريخ فخر الدين الثاني لكاتبه احمد الخالدي الصفدي ٣٤ : ١٠٤ – صفحة جديدة من تاريخ الثورة الدرزية ١٨٣٤–١٨٣٨ ٣٥ : ٤٧٥ – الاسلوب العلمي والتاريخ ٣٧ : ٦٢

رستم (الشاعر اسعد) : خنازنا عي قفنير ١٠ : ٧٥٥

ر . ش . (احد الاباء اليسوعيين) : ترقي علم الاجسام المشعّة ١٨ : ٥٤

الرشاوي (الخوري مبارك) : رحل الخير المرحوم صالح نعمة ١٨ : ٤٣٥

رعد (بشاره ابراهيم) : الامل ١٤ : ٤٣٧

رعد (الخوري حنا الغزيري) : اثران في مدح فرنسة ١٨ : ٧٤٩

رعد (الصيدلي عبدالله مخائيل) : من جبوتي الى دويداوا ٦ : ٤٦٣ – من دريداوا الى هرر ٧٥٥ – غرابة كنائس الاحباش ٧٩٣ – الصومال والدركدك ٨٤٩ – طرفة في تاريخ الكنيسة بالحبشة ٩١٣ ؛ ٩٧٤ – الكي ٧ : ١٩٠ – رحلة علميّة من اديس ابابا الى النيل عن طريق بحيرة رودلف ٢٥٣ ؛ ٤٥٨ ؛ ٥٧٠ – الكاشو ٧٤٥ – عيد الصليب في الحبشة ١٠١٩ – بحث في اللغات الحبشية ٨ : ١٠ ؛ ٣١٤ – سويسرة افريقية او بلاد منليك ٤٣٧ ؛ ٥٩٤ ؛ ٦٥٩ ؛ ٨٢٤ ؛ ٨٩٤ ؛ ١٠٦٥ – ديانة الكالّا ٩ : ٤٠٥ ؛ ٥٠٠ ؛ ٥٦٠ ؛ ٧٣١ – رحلتي الى الشوا ٨٣٣ ؛ ٨٨١ ؛ ٩٢٤ ؛ ١٠٣٣ ؛ ١١٣٣ – عاصمة الحبش ١٠ : ٨٩ – ديرا ليبانوس او دير قدم في

الحبشة ١٠ : ٧٦٩ ؛ ١١ : ٩٣ – الطب في الحبشة ٨٩٣ – عوائد الحبش ١٢ : ٢٥ ؛ ٩٧ – مصالح دول اوربة على ساحلَي البحر الاحمر ٧٧١ ؛ ٦٠٦ – الكلندار الحبشي ١٤ : ٤٢٨ ؛ ٤٩٣ – حكومة الماش ٦٥٨ ؛ ٧٦١ ؛ ٨٦٤ ؛ ٩٤٠ – صفحة من التاريخ الحبشي والنوبي ١٥ : ١١٥

رغ (الاب ل . اليسوعي) بطرس الرسول في رومية ٩ : ٦١١

روزانوف (الكاتب الروسي) : شهادته في الكنيسة الرومانية ٥ : ٧٦٦

روش (الاب يوحنا اليسوعي) : فاجعة مسّينة ١٢ : ٦٧

روشه (الاب اندراوس اليسوعي) : العلوم في السنة ١٩٠٧ ١١ : ٢٤١ – تحليل المياه اللبنانية ٤٨١

ووفايل (الخوري بطرس الماروني) : الجاسوسية في الحرب الكبرى ٢٥ : ٢٥٧ – بين الكلدان والموارنة ٢٦ : ١٠٠ – ارز لبنان في هيكل سليمان ٤٩٦ ؛ ٥٧١ – الاستقلال المدني في الكنائس الشرقية الكاثوليكية ٢٧ : ٩٠٩ ؛ ٢٨ : ٤٤ – دلبتا ٢٩ : ١٠٠ ؛ ١٨٠ ؛ ٣٦٥ ؛ ٣٥٦ ؛ ٤٤٦ ؛ ٥٠٥ ؛ ٦٤٧ ؛ ٧٦٨ ؛ ٨٢٢ – من مظاهر البسالة النسوية ٣١ : ١٠٢ – دور الموارنة في ارتداد الكنائس الشرقية ٣٥ : ٢٢٩

روفيه (الدكتور جول) : وزن قديم لمدينة بيروت ١ : ١٧ – مدفن بيروت الفينيقي ٩٣ – آثار بيروت القديمة ٤٢٨

رولان (الاب عمانويل اليسوعي) : نظر عام في احوال الكنيسة القبطيّة غير الكاثوليكية ٢٤ : ٥٠ – تطويب شهداء كنّدا اليسوعيين ١٧٧ ؛ – المسيح الملك ٢٤١ – المئة السابعة لوفاة القديس فرنسيس الاسيزي ٧٢١ – الحكم الفصل في الوفاق بين الايمان والعقل ٣٥ : ٥٢ – تطويب شهداء الثورة الفرنسوية سنة ١٧٩٢ ١٤٥ – تذكار نابغة الطب الحكيم لانثاك (١٧٨١ – ١٨٢٦) ١٨٥

الروم الملكيون (لاحد كهنتهم) : الطقوس الشرقية والكنيسة الكاثوليكية ١٢ : ٥٠٧

رميلّا (نيافة الكردينال) : رقيمه لمدير مجلة المشرق ٥ : ٩١٣

رميا (الاب دميان) : العاقورة في التاريخ : حول كتاب حديد ٣٠ : ٨٤٣

رونرفال (الاب سبستيان اليسوعي) : النيازك ونجم المجوس ١ : ٤٩ – زينب (الزبّاء) ملكة تدمر ٤٢٣ ؛ ٤١٣ ؛ ٥٢٧ ؛ ٥٨٨ ؛ ٦٢٧ ؛ ٦٨٦ ؛ ٧٣١ ؛ ٨٢٣ ؛ ٩١٨ ؛ ٩٨٧ ؛ ١٠٣١ ؛ ١٠٥٧ – مدينة ينسب بناؤها الى الفينيقيين ، جسر في الصين ، بيوت شيّدها الاميركيون ، ابنية يتفاخر ببناها جماعة المامون ٥٧١ – الذراع القاسي ، الدرهم في القرن الرابع عشر ، نسبة الاموي ٥٧٤ – اصل كلمة زنديق ٦٨١ – اخبار علميّة : نظّارة معرض باريس – كرة عظيمة ٧٨٧ – النمنع ٨١٢ – لا قيس ولا ثاوفيل ٣ : ٤٥١ – نظرٌ في اهمية مطالعة تآليف الاباء القديسين والتصانيف المسيحيّة القديمة ٧٨١ – قراءة بعض الكتابات الشرقية وتفسيرها ٣ : ٢٢ ؛ ١٥٧ ؛ ٢٥٨ ؛ ٢٢٣ ؛ ٤١٩ ؛ ٥١٤ ؛ ٧٣٧ ؛ ٨٢٨ – البحث الصحيح في ذخائر آلام السيد المسيح ٣ : ٢٣٧ – اشتقاق الحروف العبرانيّة ٨ : ١٢٦ – نشره اقدم وصف لآثار دير القلمة ١٥٨ ؛ ٢٣٠ – اول كتابة فينيقية مكتشفة في مالطة ٢٢٥ – اكتشاف مدارج برديّة ارامية في مصر ١٠ : ٦٧٢ – كتابات شرقية جديدة مكتوبة على البرديّ ومكتشفة في مصر ١١ : ٥١ ؛ ١١٨ – اكتشاف اثر فينيقي ١٦٤ – كتابة آرامية

لذكر صاحب حماة وامتر ٢٠٢ – كتابات قبرس الفينيقية ١٢ : ٢٨٦ – كتابتا قبرس الفينيقيتان ٦٨٣ – تمثال جوبتير (المشتري) البلبكي في السخنه ١٤ : ٢٠٧ – تاريخ قصر الخضر ١٥ : ٥٠٩ – تمثال حديد معدني لجوبتير (المشتري) البلبكي ١٦ : ٥٢٢ – اثر مدفن سوري قديم ٨٢٢ – وصف بعض الماديات السورية ٢١ : ٢٨

روتزفال (الاب لويس اليسوعي) : الرسالة الشهابية في الصناعة الموسيقية للدكتور ميخائيل شاقة ٢ : ١٤٦ ؛ ٢١٨ ؛ ٢٦٦ ؛ ٤٠٨ ؛ ٥٦١ ؛ ٦٢٩ ؛ ٧٢٦ ؛ ٨٨٣ ؛ ٩٢٨ ؛ ١٨ ١ ؛ ١٠٧٢ – سياحة حديثة في صحة بشراي ٣ : ٩٤٣ ؛ ٩٧٤ – المخيلة وتواصل الافكار ١ ٠٦ – في الحواس الباطنة عموماً وفي الحس المشترك خصوصاً ٤ : ٥٢٩ – في الخيال ٧٢٧ – في الحافظة ٩١٢ – المقتطف ووزن الفكر ٩٥٦ – في الراهنة والغريزة ١١٠٥ – نفس الحيوان ٥ : ٤٨ – التنوع الصناعي (الهيتوترم) والادب ٧ : ١١٢١ – لمحة في حوادث العام المنصرم ١١ : ٤٢ ؛ ١٢٦ – الدين والدنيا في عام ١٩٠٨ ١٢ : ٤٨ ؛ ١٢٨ – السنة الاولى للدستور العثماني ٥٦١ – ما هنالك : زيارة حديثة لقصر يلديز الشهير ٨٨١ – نظر عام في اخص حوادث العام ١٣ : ٥١ ؛ ١١٩ – ترقي العلوم في السنة ١٩٠٩ ٢٠٢ – الكليات الكاثوليكية في العصور ٤٠١ – صدق المقال في ثورة البرتغال ٨٨١ – نظر في احوال العام المنصرم ١٦ : ٣ ؛ ١٢٨ – عدد حروف الهجاء ١٦٠ – الحركة العلمية في السنة المنقضية بلبنان ملحق في ترعة بناما : ماضيها وحاضرها ١٦١ – يوبيل كلية اثينا ومؤتمر المستشرقين ١٥ : ٤٠١ – وزن فعول في العربية ٩٤٦ – وقائع العام المنصرم ١٦ : ١٧ ؛ ١١٥ – الشاهد العيان على احوال البلقان ٥٢٦ ؛ ٦٠١ – نظر عام في وقائع العام ١٧ : ١ – حركة العلم في العام المنصرم ١٦١ – المئة الاولى لانبعاث الرهبانية اليسوعية ٤٨١ – الشواهد الصادقة في افواه الملحدين والزنادقة ٢٦ : ٥٢١ ؛ ٦٦٨

روتزفال (القنصل فرديننذ) : الاسقف الطريد : صفحة من تاريخ الكثلكة في الاستانة ١٩ : ٧٧٠

رنكين (جورج) : تاريخ تتويج الملك جورج الخامس في الهند ١٥ : ١٥٨

الرياشي (قبلان) : الحكمة العبرية ٢٢ : ٤١٢

ريفو (الاب اميل اليسوعي) : السفر المحب الى بلاد الذهب ١ : ٦ ٨ ؛ ٨٥٣ ؛ ٩٠٣ ؛ ٩٥٠ ؛ ٩٩٩ ؛ ١٠٤٦ ؛ ١٠٩٤ ؛ ٢ : ٢٧ ؛ ٨٥ ؛ ١٧٧ ؛ ٢٣٣ ؛ ٢٨٠ ؛ ٣٣٥ ؛ ٣٧٥ ؛ ٤٣٣ ؛ ٤٧٠ ؛ ٥٣٠ ؛ ٥٦٧ ؛ ٦١٧ ؛ ٦٦٣ ؛ ٧١٣ ؛ ٧٦١ ؛ ٨٠٩ ؛ ٨٥٦ ؛ ٩٠٣ ؛ ٩٥٠ ؛ ٩٩٩ ؛ ١٠٤٨ ؛ ١٠٩٥ ؛ ٣ : ٢٩ ؛ ٨٥ ؛ ١٣٣ ؛ ١٨٠ ؛ ٢٣٠ ؛ ٢٧٩ ؛ ٣٢٥ ؛ ٣٧٠ ؛ ٤٣٣ – يوحنا فم الذهب ورئاسة بطرس وخلفائه على الكنيسة الجامعة ٥ : ٧٦ ؛ ١٣٣ – ادوات طبية جديدة لتوفير نسخ المخطوطات والرسوم ٨ : ٦٩٧ – الالعاب الرياضية في المدارس النصرانية ٩ : ٣٨ – المستشفى الطبي الفرنسوي الجديد ٢١ : ٤٨١

ريكادونا (الاب اليسوعي) : بيروت قبل مائة سنة ٣٠ : ٢١

ز

زاده (الشيخ محمد بن حسين عطار) : بلوغ المطلوب في فن التبره والطوب ٥ : ٤٩ ؛ ١٧٨

زرعة (عيسى بن ابي) : مقالة في التدبير

لارسطوطاليس ٦ : ٢١٦
زؤوفن (الاب غدفريد اليسوعي) : الظرّان او الطور الحجري في فينيقية ١ : ٩٧ ؛ ٣٥٣ – الادلة المثبتة دوران الارض ٣٦٤ – نظر في ترقي العلوم ٣١٧ ؛ ٥٩٧ – ارتفاع ساحل البحر في بيروت ٣٩٦ – ارتفاع ساحل سوريّة ٥٥٣ – الهواء الجوّي وميزان ضغطه (البارومتر) ٨١٧ ؛ ٨٩٣ – تحويل الهواء الى مائع سيّال ١١٢١ – المسافة المقررة لبعد الشمس عن الكرة الارضية ، السبب لاتجاه الابرة المغناطيسية الى الشمال ٤٢١ – الحَفريّات والمستحجرات ٦ : ٢٧٩
زهر (الفس عبدالمسيح) : هل اللغة العربيّة غنيّة ٢٦ : ٢٢٢ ؛ ٤٥١ – انتقاد على الناقدين ٦٢٣ – عمر الارض الماضي والباقي ، هرمها وموتها ٨٩٦ – قشرة الارض والانفجارات ٢٧ : ٤١٦ – السفر الى الكواكب السيارة ١٧٦ – وحدة النوع البشري ٢٤٧ – قدم الانسان ٤٢٢ – قبر راحيل ٦٢٢ – الاتلنتيد ونكبتها ٧٢٧ – حياة الشمس وموتها ٨٢٢ – سر الحياة ٢٨ : ٨١ – الحياة في الاجرام السماوية ٢٤١ – وفرة الذهب والترف في القديم ٤٢٢ – القديس يوحنا فم الذهب وثورة انطاكية ٤٨١ ؛ ٦٠٩ – سر هرم الملك خوفو ٦٥٩ – حول صناعة النجوم ٨٩٨ – العلم الحقيقي يثبت وجود الله ٢٩ : ٢٠٥ ؛ ٢٥٠ – عبرة للنظار في نظام الكون ٤٠١
الزيّات (حبيب) : الكرسي الرسولي والطقس اليوناني ٢ : ٢٨٩ – مكتبة دير ميدنايا ٥٨٦ – مقدمة كتاب رحلة البطريرك مكاريوس الى البلاد المسيحية للشماس بولس الزعيم المعروف بالحلبي ٥ : ١٠٠٩ – التشيّع لمعاوية ٢٦ : ٤١٠ – النساء الفرنجيات في انطاكية وعزاز في عهد الصليبيين ٢٧ : ٥٧١ – دور البطيخ ببغداد في عهد العباسيين ٧٦١ – المستطاب من اخبار القبقاب في دمشق ومصر ٨١٨ – نصرانية الحارث بن كعب ٢٨ : ٤١ – نخبة من سفرة البطريرك مكاريوس الحلبي بقلم ولده الشماس بولس ٣٠ : ٥٦١ – هل كان البطريرك مكاريوس كاثوليكيًّا ٨٨١ – المجازفة بالارقام في التاريخ ٣١ : ١٦١ – – أيمان النصارى الملكانيين ٣٢ : ١٢ – الملكيون المشارقة ٢٧٣ – مزاعم المؤرخين العباسيين في وصف شره الخليفة سليمان بن عبد الملك الاموي ٢٦٢ – الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب ٥٠٤ – الديارات النصرانية في الاسلام ٣٦ : ٢٩١ – من الخزانة الشرقية : أثر أنف ٣٥ : ١٣ – دير رمّانين ٢٢ – دير صليبا ٢٤ – تفاح دمشق ٢٩ حارات دمشق القديمة ٢٢ – الاعتراف بالقبائح والذنوب عند الصوفية ٢٦ – الفِرَق والبدَع في بغداد ٢٧ – هل كان القس ابن كَبَر شاعرًا ايضًا ؟ ١٧٧ – الفيفاء وصناعها قديمًا ٢٣٩ – أمهات اشراف المسلمين النصرانيات ٢٥٢ – دير قزمان ٢٦١ – دير حَنَيْنا ٢٦٣ – مشمش دمشق ٢٦٥ – كتاب الطباخة ٢٧٠ – خبز الارز ٢٧٧ – خبز الابازير ٢٨١ – دهن النارجيل ٢٨٢ – كتاب الحسبة ٢٨٤ – الصيارفة في الاسلام ٤٩١ – دراهم الكاغد ٤٩٧ – مطالعة الدفاتر والكتب واللهو بالالعاب في المجتمعات قديمًا ٤٩٩ – الخرافات الموضوعة على عجائب حمص ٣٦ : ١٨ – خطايا الروم الملكيين بحلب ٣٣ – ايام السبوت بدمشق في عهد العبّاسيين ٤١ – دير يُوَنّي بظاهر دمشق ٤٧ – دير مَرْحنّا

بصر ٤٩ – احتيال الملوك الايوبيين ٥٢ – لقب القاضي في دولة المماليك ٥٧ – الفراصية الدمشقية وشهرة الخلفاء الفاطميين ٦٠ – الفواكه المكتوبة او المصورة في الشرق ٦٣ – خانات دمشق القديمة ٦٦ – اليهود في الخلافة العباسية ١٤٩ – دور الفخار في الاسلام ١٧٤ – الزنبيل او المصاد قديماً ١٧٨ – المُبَيْنات ١٨ – شهداء النصرانية في الاسلام ٤٥٩ – اللعنات والحروم ٤٦٦ – لُعَب الثياب ٤٦٩ – المشحب ٤٧ – شهداء الشجاعة ٣٧ : ١٣ – نزهة الرفاق عن شرح حال الاسواق بدمشق ١٨ – آداب المائدة في الاسلام ١٦٢ – خرا اباما وفرفار بدمشق ١٧٠ – دير مار جرجس في بلودان ١٧٣ – دراقن دمشق ١٧٧ – دفاتر الخزائن : معلوم وزراء دمشق في الدولة التركية المصرية ، التوقيع الشريف لامين الدين القبطي بنظر النظار بدمشق ٢١ : ٨٤٤ ؛ ٩٠٦ – المفصّى لتقي الدين المقريزي والتاريخ القصصي او الفكاهي ٣٥ : ١٨٠ – احمد بن محمد ابو الفرج بن كشاجم ١٨٢ – محمد بن ابي بكر المعروف بابن محمدود ، محمد بن بركات السعيدي ١٨٣ – محمد بن عبيدالله الكاتب ، القاضي محمد بن عثمان الثقفي ١٨٧ – قاضي القضاة شمس الدين بن الحريري ١٩١ – عماد الدين الكاتب الاصفهاني ١٩٢ – كمال الدين الدميري ١٩٤ – الشيخ نجم الدين ابو البركات المنبوشاني الصوفي ١٩٥ – القاضي محمد بن مسروق الكندي الاعور قاضي مصر ١٩٧ – محمد بن يزيد ابو العباس المبرّد ١٩٩ – كتاب ادب الوزراء لاحمد ابن جعفر بن شاذان ٥٠١ – ارجوزة نميس ٣٦ : ١٨١ – الجزء الثاني من ترسّل الصاحب ضياء الدين بن الاثير ٣٧ : ٤٥٥ – لغة الحضارة : التحايا ٣٥ : ٢٠٢ – التطعيم والتكفيت ٨ ٥ – المحلة او العربة ٤٤٧ – نزل بساحله ٤٥٠ – الوفر بمعنى الثلج ، البيع سيفَ المواني ٤٥١ – تفسير المراكب ٤٥٢ – الخزازة والجزاز ٤٥٣ – باب التنبيه والاشراف : تاريخ الشام للخوري ميخائيل برلك ٣٥ : ٢ – تاريخ ابن الفرات ٢١٧ – كتاب جامع التواريخ المسمى بشوار المحاضرة واخبار المذاكرة ٥١١ – ديوان ابن الساعاتي ٣٧ : ٤٦٨ – كتاب انساب الاشراف ٣٨ : ١٩٩ زيادة (الخوري الياس) : الباء العامية في المضارع ٣ : ٤٧٧

زين (بولس) : تاريخان للطيب الذكر المطران يوسف الدبس ١٠ : ١٠٠٧

س

س . (الاب ر . اليسوعي) : المثل بالمثل ١١ : ٥١١

سارة (الاب بطرس) : باقة الازهار لسيدة ابار ٧ : ٤٩٥ – زنبقة ابار ١٠ : ٤٣٠ – ابن الشكلي ١٦ : ١١ – حبيس فرنسوي في لبنان : المسيو فرنسوا دي شطويل (١٦٣٣–١٦٣٤) ٢٠ : ٥٧١ ؛ ٦٤٩ – الطيب الاثر الاب مبارك المتيني اللبناني ٨٥٣ – الرسول الطاني : فيليبرت ڤرو (١٨٢٩ – ١٩٠٥) ٢١ : ٧٦٣ – الكشافة ٢٢ : ٢٨٣ – ترجمة السيد فرنسوا بيكه ٢٣ : ٩٤ ؛ ١٧٨ ؛ ٢٥٣ ؛ ٢٥٥ – من لبنان الى رومية : رحلة الاب اغناطيوس التنوري رئيس الرهبانية اللبنانية العام ٢٤ : ٨١ – لمحة تاريخية في دير سيدة المعونات ٢٥ : ١٢٢ ؛ ١٧٨ – دير كفيفان ٢٦ : ٨٨٧ – الرهبانية والعلم ٣٠ : ٢٢١

سارة (حنا البتروني) : الى التراب تعود ٩ : ٢٨٠

السبسطي (القديس بطرس) : نبذة من مؤلفه «كتاب البرهان» ٥ : ٤٨١

السبعلاني (الخوري جرجس) : نبذة في تاريخ جزيرة مالطة ٨ : ٥٤٥

السبعلي (الخوري يوحنا) : فخر الاحفاد بآثر الاجداد : من لبناني الى اللبنانيين ٢٢ : ١٣٦

سردي (الخوري اوغوستينوس) : الطير القواطع ١٣ : ٦٣٦

سركيس (اغناطيوس ق.ب.) : لامرتين في لبنان وسورية تموز ١٨٣٢ – نيسان ١٨٣٣ ٣١ : ٢٧٠ ؛ ٢٧٢ ؛ ٤٢٩ ؛ ٥٢٦ ؛ ٦٠٧

سركيس (جرجي يوسف اليان) : سياحة في سويسره ١٢ : ١٠٩ ؛ ٢٧٦

سركيس (الخورفسقفوس ميخائيل اليان السرياني) : الذكرى الذهبية لاول قداس في كنيسة بيروت السريانية ١٨٨٣–١٩٣٣ ٣١ : ٧٧٩ ؛ ٨٠٩

سركيس (يوسف ليان) : اثر تاريخي قديم للواقدي ١٠ : ٦٣٦ – ترجمة عربية قديمة من الانجيل الطاهر ١١ : ٦٠٢ – الجمعية المشرقية في بيروت ١٢ : ٢٢ – آثار عربية في دمشق ٢٠ : ٨٦٣

السرياني (مار اسحاق) : ميمر في عيد بشارة العذراء ١٧ : ٢٧٣

سعد (يوسف بطرس) : نجم المجوس في لبنان ٢١ : ٣٥ – صدقة الميلاد ٢٢ : ٤٧

السعدي (سلامة بن جندل) : ديوانه ١٣ : ١٧١

سعيد (محمد باشا) : رحلته الى باريس ١٧ : ١٠١ ؛ ١٧٦ ؛ ٢٥١

سلمان (الخوري بولس) : العقائد المسيحية في الدياميس الرومانية ١٥ : ٥٦١ – ربة بني عمون ١٦ : ٢١٢ ؛ ٨١٠ – كنيسة انطاكية على عهد الرسل ٨١٤ – الشعر العربي في شرقي الاردن ١٧ : ٢٦٢ ؛ ٢٢٢ – منتخبات من شعراء العصر في شرقي الاردن ٤٩٦ – القاضي البدوي في شرقي الاردن ٥٧٥ ؛ ٦٦١ – الحقوق البدوية في شرقي الاردن ١٨ : ٦٦ ؛ ١٨٤ ؛ ٢٥٦ – اللاهوت البدوي في شرقي الاردن ٤١٢ – الارواح في شرقي الاردن ٥٦١ ؛ ٦٥٥ – المزارات في شرقي الاردن ٩٠٠ – الذبيحة في شرقي الاردن ١٩ : ٢١

سلوب (الدكتور توفيق) : لمحة في المعالجة بالوسائط الطبيعية او الفيسكوتيراپيا ١٢ : ٥٦٩ – صناعة الطوب والقرميد ١٣ : ٧٤٧ – مشروع المصحات في لبنان ٢٥ : ٥٢٦ سياحه (ميشل الياس) : حله للنز ٤ : ٣٧٨ – التجارة الالمانية في بلاد الدولة العلية ٦ : ٥٩٨ – التراسل الكهربائي ١٠٢٢ – ترقي التواصل بسرعة التراسل ٨١٧ – البورصة ومضارباتها ٧ : ٢٣٦ – العاب القمار ٦٧٠ – طوابع البريد ٧١٩ ؛ ٧٦١ – اسرار النجاح في عالم التجارة ٩٦٨ – آفة القطن المصري ٨ : ٤٥٣ – الاصطياف في لبنان ٥٨١ – زراعة النخيل ٩ : ٤٢٢ – زراعة قصب السكر ١٠ : ٦٥٦

سماحة (الخوري يوسف ق.ب.) : نصيحة الزهور ١٥ : ٦٦٩ – زهرة الحياة ٩١٨

السمعاني (المنسنيور يوسف) : رسالته الى كهنة الرعايا وابناء الرعايا ٢٥ : ٢٧٧

السموءل : ديوانه ١٢ : ١٦١

سنان (الاخ ديدكوس الفرنسيسي الحلبي) : مسألة حسابية ٣ : ٩٢

سوانيون (الاب فليكس اليسوعي) : الوهم في نظرية التطور ٣٠ : ٣٦

السوداء (منصور) : أصل الحياة ١٦ : ٥٢٧
السوداء (يوسف) : حله للغز ٦ : ٣٧٩ – الموكبان ٦ : ٦٣٠ – قصيدته في احد الاعظم يوس العاشر ١١ : ٤٧٨
سوفاجيه (جان) : دمشق الشام : لمحة تاريخية منذ العصور القديمة حتى العصر الحاضر ٣٦ : ١٦١
سومه (الشاعر الترسي اسكندر) : الفتاة المسكينة ٦ : ٥٦٩
سيت (عبد الستار) : الاوضاع السوفية لدى فلاسفة العرب ٣٣ : ٣٩٦
سينور (الكونت لويس فيليب دي) : المركة الهوائية الاولى في باريس ١٩ : ٨٦٤
السيناوي (القديس اسطاسيوس) : ميمره المفقود في يوم الجمعة العظيمة ١٥ : ٢٦٤

ش

ش. (ا.) : كيف اسى الموت اعمى ! ٣١ : ١٤٨
ش. (الاب ر. اليسوعي) : مدافع البرد ٦ : ٨٢٨ – الزئبق معادنه وخواصه ٨٨٧ – التيلوتغراف او ناقل الكتابة ٩٩٣ – توجيه المناطيد ٥ : ٤١ – الاجسام المشعة وعنصر الراديوم ١٣٣ – الكسيلوغراف ٤٠٥ – فاعل الصفة وعامل الفاعل ٧ : ٧٨٤
شاذان (احمد بن جعفر بن) : كتاب ادب الوزراء ٣٥ : ٥٠١
شار (عبدالله رزق الله) : التجارة : نبذة في اصلها وتاريخها ٢ : ١٦١ – نبذة في اهمية التجارة ومسهلاتها ٤١٥ – الوسائط التجارية المخصوصة ٥٤١ آفات التجارة ٦٥٥ – الحرب ومؤتمر السلم ٧٠٦ ؛ ٧٤٤ – تقسيم التجارة ٨٧٣ – الحركة التجارية في المملكة العثمانية ٩٧٣ – وسائلنا التجارية ١٠٣٨ ؛ ١١١٣ – الزلازل ٣ : ٤٦٣ ؛ ٦٥٠
شارون (الاب كيرلس الرومي الملكي) : المجمع الانطاكي السادس للروم الملكيين ٨ : ٥٨ ؛ ١١١ – اسقفية الروم الكاثوليك في بيروت ١٩٣ – انشاء مدرسة عين تراز ٥٠٨ – اعمال مجمع عين تراز ٧٣٩ ؛ ٨٠٠ – ثلاثة مجامع للروم الملكيين الكاثوليك ٩ : ١١٣ – سلسلة مطارنة كرسي صور ٢٠٦ ؛ ٤١ – مجمع دير المخلص سنة ١٧٩٠ ، ٩٣٩ ، ٩٧٣ ؛ ١٠٢٨ ، ١٠٩١ – الاسقفيات الموطة بكرسي صور ١٠ : ٢٤٦ ؛ ٢٤٦ ؛ ٤٠١ – سلسلة مطارنة كرسي حلب ١١ : ٥٣٦ – سلسلة اساقفة دمشق الملكيين ١٢ : ٩١٣ – سلسلة اساقفة الملكيين ١٣ : ٢٢٨ ؛ ٥٧٥
شان (الاب موريس اليسوعي) : اكتشاف اليسوعيين للنيل الازرق ٩ : ١٤٥ – دار مريم العذراء ، الدار التي حلّ فيها الروح القدس على التلاميذ ١١ : ١ ، ٨
الشابي (القس سمعان) : موريق وموريقيان ٧ : ٣٩٠
شبلي (القس انطونيوس اللبناني) : الاب شربل حبيس عنّايا القديس ٢٠ : ٢٨٩ – نبذة في حياة الطيب الأثر الاب مارون ابطو الراهب اللبناني ٢٣ : ٥٩ – رحلة الى شمالي لبنان ٢٤ : ٤٦٦ ؛ ٥٦٧ ؛ ٦٤٩ ؛ ٧٣٩ – رسالة للسمعاني الى كهنة الرعايا وابناء الرعايا ٢٥ : ٢٧٧ – اثران آخران للسمعاني ٣٤٧ – جولة في كسروان ٤١٤ ؛ ٦١٦ ؛ ٦٩٣ ؛ ٧٤٥ ؛ ٨٥٥ ؛ ٩١٩ ؛ ٢٦ : ٥٨ ؛ ١٢٨ ؛ ٤٥٦ ؛ ٦٤٤ ؛ ٩١٧ ؛ ٢٧ : ١٩٣ – نشره نبذة من تاريخ لبنان في القرن السابع عشر للخوري عون كامل بن نجيم من غوسطا ٢٥ : ٨١٠ – دير سيدة طاميش ٢٧ : ٥٠٤

٦٠٤ ؛ ٣٨ : ١١١ ؛ ٢١٧ ؛ ٢٦٢ – نبذة تاريخية في تنصّر بعض الامراء اللمعيين ٤٣١ ؛ ٤٩٦ – حسن علوان الدرزيّة او الاخت مسيحية الراهبة اللبنانية ٦١٥ ؛ ٧٦٣ – رحلة الاب پيكوه اليسوعي الى قنوبين في جبل لبنان ٣٩ : ١٧١ ؛ ٢٩٢ – بيان عن وقف كنيسة القديسة تقلا في حردين ٣٠ : ٦٨٠ – الرهبانيّة اللبنانية المارونيّة ٨٠١ ؛ ٩٢٠ – النسك والنسّاك في لبنان ٣١ : ١٦٨ ؛ ٤٤٦ – نجمتان صغيرتان عطوفتان ٥٢٧ – الرهبان واعمال الرسالة ٦٥٤ – الزراعة والصناعة بين الرهبان ٨٦١

شبلي (المطران بطرس رئيس اساقفة بيروت) كتاب الشرطونية المارونية للبطريرك اسطفان الدويهي ٣ : ٦٤٠ – لمعة في اصل تاريخ المسكوكات ٣ : ١٤٥ – عيسى الخزار ١٠ : ٩٥ – منشوره في تقبيح اعمال الشيعة الماسونية ١٤ : ٣١٦

شبلي (الاديب ميشال) : العقوبة عند البدو في سوريا ١٨ : ٤٥٥

شهان (الاب الصعودي) : الروم الكاثوليك في الولايات المتحدة ١٣ : ٨٧٧

شحيبر (انطون بك) : مسألة فقهية ٤ : ١٩١ حله للغز ٤ : ٢٧٨ – الحجر الشرعي ١٦ : ٢٢٦

شخت (الدكتور يوسف) : في تاريخ الفقه الاسلامي ٣٣ : ٢٦٢ ؛ ٢٦١ ؛ ٥٤٧

الشدراوي (المطران اسحق) : رحلته الى فرنسة سنة ١٦٦٠ ٢ : ٩٢٩

شرابيه (الدكتور يوسف) : الظواهر الطبيعية والكهرباء ١٦ : ٤٣١

الشرتوني (المعلم رشيد) : الموارنة في اورشليم في القرن الخامس عشر ١ : ٩٣ – نشر سلسلة بطاركة الطائفة المارونية للبطريرك اسطفان الدويهي ٢٤٧ ؛ ٣٠٨ ؛ ٣٤٧ ؛ ٣٥٣ ؛ ٣٩٠ – مجلة الضياء ولغة الجرائد ٢ : ٧٩٤ ؛ ١٠٥٧ – المجمع اللبناني ٤ : ٤٨١ – مجادلة لغوية ٥ : ٢٢٢ ؛ ٢٧٢ ؛ ٤١١ ؛ ٤٧٣ – مجمع ضيعة موسى ٧ : ٦٨٩ – مجمان مارونيان ٨٠٢ – المجامع المارونية : مجمع غوسطا : ٨ : ٤٤٦ ؛ ٥٥٨ ؛ ٦٠١

الشرتوني (سعيد) : الصحف السيّارة والمجتمع الانساني ٢ : ٥٨ – ابو العلاء المعرّي ٤ : ١٠٦٦ – توجيه الانظار الى عوامل الافكار ١٣ : ٨٩٨

الشرتوني (محبوب المنوري) : موت بيّار ٦ : ٤٥٨ – دخول بطرس الرسول الى رومية ٥٨٦ – اين مفرّك يا قلبي ٧ : ١٤٢ – تسبحة العذراء ٤٤٨ – إلهة الوعد ٨ : ٥٦٤ – آلام المسيح ٩ : ٢٤٦

شرفوالبو (الاب لويس اليسوعي) : خلود النفس ١٠ : ٤٢٢ ؛ ٥١٢

شرل (الاب لويس اليسوعي) : صفحة منسية من تاريخ تونس (١٥٥٠) ١٩ : ٢١٥ – سلطان يسوعي : المولى محمّد العبّاس ٢٢٠

شرمو (الاب فرنسيس اليسوعي) : المدارس الداخلية او الخارجية ايها افضل ١٦ : ٨٨١

شريف (حكمت) : الحروب امس واليوم ٧ : ٦٦١ – الأثر المنسوب الى الغزالي ١٠ : ٦٧٠

شفيق (احمد باشا) : دير سينا وكنيسته ٢٦ : ٣٤

شفراي (الاب كلود اليسوعي) : وردة نقية في حديقة الكنيسة او ترجمة القديسة ترازية الطفل يسوع ٢٣ : ٦٤١

شنير (شاكر) : الطواف بالقربان الاقدس ٩ : ٥٧١
شلحت (المورفسقفوس جرجس) : نبذة من كتاب « الباكورة » ٢ : ٨٢٢ – نبذة في مصدر العلم ومحوره ٣ : ٦٩ – الطراز المعلّم في مديح مريم ٧ : ١٠٨٣ – الفنون الجميلة والكنيسة ١٠ : ٩٨١ ؛ ١٠٢٦ ؛ ١٠٩٤
شهوب (الخوري يوحنا) : روضة الاذهان وفاكهة الجنان ١٣ : ١٥٩
شومبرجيه (دانيال) : حفريات قصر الخنزير العربي ٣٦ : ٤١٩
شاس (سامي) : التعليم الابتدائي في لبنان كما يريد ان يكون ٣٩ : ٢٦٥
شالي (بشاره) : ثاوفيل س توما الماروني ٢ : ٢٥٦
الشالي (الخوري بشاره) : اطيب مثال في ترجمة المطران جرمانوس الشالي ٥ : ٨٥٠
شمون (اسقف بيت أرشم) : شهداء نجران ٣١ : ٢٢١
شيتس (الاب ادنست اللعازري) : كواسر فلسطين النهاريّة ١٦ : ٩٠١
شيّل (فكتور) : وداع المرسل لأمه ٦ : ١٢١
شهاب (الامير موريس) : تطاحن الدول في القرن الرابع عشر قبل المسيح ٢٦ : ٨٤٣ – الاسكندر الكبير في صيدا ٢٧ : ٢٢٧ – النزاع على قادش بين المصريين والحثيين ٩٠٠ – الفينيقيون وجيرانهم ٢٨ : ٥١ ؛ ١٢٥ ؛ ١٩٤ – نواويس الرضاص ٢٩٠ – ربله وآخر ايام اورشليم ٣٩ : ٤١٩ ؛ ٤٨٦ – قبر الامير بشير ٣٠ : ٥٤ – الفنيقيون بين الفرس واليونان ٣٢ : ٢٩٣ – المؤسسات الفنيقية الاولى ٥٤٠ – عادات وتقاليد رومانية : الحمامات ، المآدب ، المسارح والملاعب ٣٥ : ٢٢١ – كنز جديد من مجوهرات قديمة ٣٧ : ١٤٥ – دار الآثار اللبنانية في بيروت ٣٩ : ٥٩ ؛ ١٤٠
الشهابي (الامير محمد فؤاد بك) : تربية دود الحرير ١١ : ١٨٠
شهران (الخوري الياس) : رسالته في نور القبر المقدس ١٢ : ٢١٦
شوشا (الاب مرسال اليسوعي) : ملكوت السماوات ومعناها في انجيل متى ٤ : ٨٩٢
شوعانس (الاب شرل اليسوعي) : مشروب البيرة او الجعة ١٢ : ٤٠١
شيانكيافتش (الرداني البولوني هنري) : على طريق الجلجلة ٢٤ : ٣٥٩
شيحا (حبيب البغدادي) : البيطرة عند الاعراب ١ : ٦٨٤ ؛ ٩٤٢
شيحا (ميشال) : المبادئ الاخلاقية والمكاسب في لبنان ٣٨ : ٦٥
شيخو (الاب لويس اليسوعي) : مقدمة مع اهداء الشكر لاولي الامر ١ : ١ – الوطنية ٢٠ – تعليقه على كتاب الدارات للاصمعي ٢٤ – كتاب تاريخ بيروت واخبار الامراء البحتريين من بني القرب لصالح بن يحيى ٢٢ ؛ ٨٢ ؛ ١٢٩ ؛ ١٦٦ ؛ ٢٢٢ ؛ ٢٧٣ ؛ ٢٢٢ ؛ ٢٧٠ ؛ ٤١٨ ؛ ٤٦٥ ؛ ٥١٥ ؛ ٥٦٤ ؛ ٦١٢ ؛ ٦٥٨ ؛ ٧٠٥ ؛ ٧٥٢ ؛ ٢ ؛ ٨ ؛ ٨٤٧ ؛ ٨٩٩ ؛ ٩٤٦ ؛ ٩٥٥ ؛ ١٠٤٣ ؛ ١٠٩٢ ؛ ٢ : ٢٩ ؛ ٧٤ ؛ ١٢٣ ؛ ١٧٣ ؛ ٢٢٠ ؛ ٢٧٤ ؛ ٢٧٢ ؛ ٤٢١ ؛ ٤٦٦ ؛ ٥١٦ ؛ ٥٥٢ ؛ ٦١٤ ؛ ٦٥٩ ؛ ٦٩٧ ؛ ٧٥٥ ؛ ٨٠٤ ؛ ٨٤٧ ؛ ٨٩٤ ؛ ٩٤٦ ؛ ١٠٢٢ ؛ ١١٢٢ – عيد حبل العذراء ، نشر الكتاب المقدس ، عادة البغرينة او الصباحية ١ : ٤٧ – الطاولات الدائرة ٦٢ – ابيات زهدية قالها الخوري نيقولا الصائغ ١٠٧ – المرض بُريّت ١٤٢ – مجلة الهلال

والنفس البشرية ١٥٤ – مجيء المسيح الى بيروت ، كتاب ابن عساكر ، بعثة الآباء الدومينيكان في «بترا» ١١١ – الدين والشياطين ، القديس اوغسطينوس ، الاسقف جبرائيل الكلداني – عادة استقبال الراهب ٢٢٨ – معنى اسم البرمكي ٢٨٥ – غريغوريوس ابو الفرج المعروف بابن العبري ٢٨٩ ؛ ٢٦٥ ؛ ٤١٢ ؛ ٤٤٩ ؛ ٥٥٥ ؛ ٥٥٥ ؛ ٦٠٥ – اكتشاف كتب خطية في مصر ٢٢٢ – يوم ميلاد المسيح ٢٢٢ – الاسرة المتاطية ، سبب تقديم اللاتين لرتبة عيد القيامة صباح سبت النور ، صبغ البيض في الفصح ٢٨٢ – هل يعرف اصحاب المشرق كتباً عن اعوال البرامكة واعمالهم ، الفخري ٤٧٨ – المعجمات السريانية ، زهر الآلام ، قامة الانسان ٦٣٢ – من هم السكان ، القديس يوحنا الدمشقي ولغته ، يوسيفوس وتآليفه ، توجع العذراء مريم على فقد المسيح ، هوراس ٦٦٩ – درس العربية ٦٩٩ – اسماء السفن في العراق ، سد الاسكندر في بلاد جوج وماجوج ، تغيير لون الورد ، عمر العالم ٧١٨ – معدن اصفر براق كالذهب ، صور البروج السماوية ٧٦٧ – نشره مقالة ابن العبري : النفس البشرية ٧٤٥ ؛ ٨٣٨ ؛ ٩٢٤ ؛ ١٠٨٤ ؛ ١١١٣ – سيارة جديدة ، نبات الالب في باريس ، كتابة الاسماء الجغرافية في اللغة العربية ٨١١ – نشره خلاصة معتقد النصارى في التوحيد والاتحاد لبولس الراهب اسقف صيداء الانطاكي ٨٤٠ – نقل الكتاب المقدس الى العربية ، الشاعر المطبوع ، سبب تقصيف الشعر ، مرض الربو وعلاجه ٩١٠ – وقت بزوغ الشمس وغروبها ، ترجمة هوميروس وشيشرون وديموستين ، صفة الجبل او الشاطئ اذا انحدر عمودياً ، سهل سافيلا ، لفظة «Asphalte» ، افتتاح المكاتبات ، الاصابة بالعين ٩٥٨ – رأي المتطف في المثل العشري ١٠٠٩ – الالفاظ المنحوتة في العربية ١٢٧ – الخط العبراني ، كاتب تاريخ الكون والامم ، علماء اليعاقبة ، اسم آخر مقارين اليعاقبة ، المذهب اليعقوبي ، نصارى ملبار ١٠٥٤ – من بني اسرائيل ١٠٧٨ – مؤتمر دولي لصيانة الكتب الخطية القديمة ، اكتشافات في المعجم – مطر من الهواء في رومانية ، تدوين اللغة العامية ، السحر والطلسمات ١١٠٠ – اللوح الذي علقه بيلاطس على الصليب ، اصل لفظة «كوفية» ، اصل قول العامة «اصطفل» و «ما بيسايل» ١١٠٢ – عيد القديسة بربارة في سورية ١١٢١ – حرير جديد ، النوتي ١١٢٥ – السنة الاولى للمشرق ٢ : ١ – اسماء اللغات السامية – اللغات الطقسية ٤٧ – ثلاث قداسات في عيد الميلاد – عدم ذكر جهنم ، استحسان الله لليوم الثاني من التكوين ٩٥ – اخبار علمية ١٢٨ ؛ ٨٧٩ – هل يقوم الشرف بلا دين ، الطوفان ، العلائق بين اميركة وبقية العالم ، النصرانية في اميركة قبل كريستوف كولومب ، مقرل القديس يوحنا الدمشقي وتآليفه ٢٨٦ – ما يفيدنا التاريخ عن بنطيوس بيلاطس البنطي ٢٣٩ – نشره لعهدين أعطيا لبطاركة كرسي المشرق الكلدان ٢٤٩ – الجراد في سورية ٢٦٥ – لغة المسيح في تبريك الخبز والخمر ، ما هي علل الرياح ، علم نفوس الموتى ، مزية العلماء في السماء ، يوم ميلاد المسيح ٢٨٢ – تنصر عرب البادية ، توجيه المريض نحو المشرق ، بتولية العذراء مريم وخطيبها القديس يوسف ٤٢٠ – شاعر حلبي مجهول ٤٤٣ – البابا ليباريوس والقديس اثناسيوس

٤٤٠ – كتاب سلّم الفضائل ٤٧٩ – المجموع المنتظم لابن الافرغية ٤٩١ – قصيدة ابن عمّار ، قصيدة اللوزياد ، مطران من عائلة المتوري على بيروت ٥٣٧ – لمة الجرائد ، الاشتراك في ثوب الحبل بلا دنس ، ربح الغفرانات ، فن بناء الكنائس الشرقية ٥٧٥ – التعبد لقلب يسوع الاقدس في الشرق ٥١٧ – ما الفرق بين اللغة الاشورية والبابلية ، اللغة الشائعة على عهد المسيح ، السريانية والعبرانية ، صور الموتى في الكنائس ، اسم الكردينال ٦٢٢ – نشره للشاعر بقولا الترك ارجوزة في وصف الطاعون ٦٢٧ – حرق مكتبة الاسكندرية ، تسمية ايام الاسبوع ، احسن طريقة لحفظ الكتب ، مدينة في وادي فيران ، اصل نبع النيل ٦٦٩ – المعلم الياس ادّه الشاعر ٦٦٣ ؛ ٧٣٦ – ما اصل اسم الكلدان ، الزيادة في الصلاة الربية ٧١٦ – القوى العاقلة في الحيوان ٧٥٢ – منارة الساعة العربية في بيروت ٧٦٩ – النحل وجناها ٧٩١ – نبذة في الليتورجية القبطية الحديثة والقديمة ٨١٧ – ما هو نبات الزيّه – دواء المالوش او الحالوت ٨٦٢ – عقل الحيوان ٨٩٩ – الاختلاف بين الكنيستين اليونانية واللاتينية ، كيف امكن المسيح ان يخاف من الموت ، صوم نينوى في بعض الكنائس ، انقطاع الروم عن اللحم في قطع راس يوحنا المعمدان ٩١٠ – اول مجمع لكنيسة القبط الكاثوليك ٩٢٤ – رحلة المطران اسحق الشدواوي الى فرنسة سنة ١٦٦٠ ٩٣٩ – سليلة بني سلامة ، حفلة العرس في كنيسة الروم – كيف تحيا الاسماك ٩٥٨ – فتوى المتنطف في الضمير ٩٩٣ – انقطاع خليل بك السعد عن الجواب ٩٩٦ – قتلة مجاني الادب ٩٩٨ – طربركيان انطاكيان من بطاركة الروم ، البارود ١٠٠٧ – البوبرس وبلاد الترانسفال ١٠٠٩ – اسكندر ذي القرنين ، اسماء دير القمر وبيت الدين ودمشق الشام ١١٠٣ – في الضوء وحقيقته لحنين بن اسحق ١١٠٥ – عائلة بني سلامه ، ما الدواء للدجاج المنقطع عن البيض ، وقاية المنطقة من السوس ١١٣٥ – سنة حديدة ١٠٣ – ميخائيل البحري الرومي الملكي الشاعر واولاده ٩ – نشره كتاب مكارم الاخلاق لابي منصور الثعالبي ٣٨ – بدء القرن العشرين ، حضور صموئيل النبي ٤٧ طائفة الارمن الكاثوليك ٤٩ ؛ ١٥٠ – تاريخ فنّ الطباعة في المشرق ٧٨ ؛ ١٧٤ ؛ ٢٥١ ؛ ٣٥٥ ؛ ٥٠١ ؛ ٧٠٦ ؛ ٨٠٤ ؛ ٨٣٩ ؛ ٩٩٨ ؛ ١٠٣٠ ؛ ٨٦٠٤ ؛ ٣٢٤ ؛ ٣١٩ ؛ ٤٧١ ؛ ٥٢٠ ؛ ٨٧٧ ؛ ٥ : ٦٩ ؛ ٤٢٣ ؛ ٨٤٠ – رجل الخير المرحوم بشاره المتوري ٣ : ٩٧ – الفناعة ، قول متى في المسيح ١٤٣ – نشره كتاب اللبأ واللبن لابي زيد سعيد بن اوس الانصاري ١٦٦ – القشاوم بعدد ١٣ عند العرب ، السنة على عهد آدم ١٩١ – كتاب الذهب او الفرن المتوي للجمعية العلمية المصرية ١٩٣ – ملحق تاريخي لنزير ٢١٤ – ايقاد النار في لبنان ، ما أصل الالفاظ زُلا وبسلّي وقديش ، عدم كبس شباط ، قص شعر المحكوم عليهم بالموت ، يوم ميلاد المسيح ٣٢٨ – اسم يسوع على قلب اغناطيوس الشهيد ٣٨٧ – تناقض الدين والعلم ٣٠٣ – ما هو الدواء للامراض العصبية ، اصابة العين ، تقديس الاحد بدلاً من السبت ، ما هو سبب الكلَب وكيف شفاؤه ، افضل تفسير على العهد الجديد ، ايّ صورة توضع فوق الكرسي الاسقفي ،

طبع بعض الكتب المقطيّة ٢٢٢ – سيدة المنطرة ، هل دخل يسوع صيداء ، شلدبير ام كلوتير ٢٨٢ – الشاعر صراف الطرابلسي الحلبي ٢٩٧ – كشف الشبهات عن بعض المنفدات ٤٠٩ – رحلة حديثة الى بلاد عكّار ٤٥٢ – مؤتمر الآثار النصرانية في رومية ، مجتمع طبي ، اكتشاف كتابة عربية قديمة ، شهادة تاودوريطس في يعروب أحي أرب ٤٧٦ – الضوضاء عند خسوف القمر ، معنى « سيّد » عمر الثاني ، لفظة « Ziggourat » ، شجرة الصنوبر ، العنكبوت ٤٧٨ – حل الفكاهة الرياضية للخوري جبرائيل زرق مرهج ، دمشق والسابيون ، كسوف الشمس الاخير ، دير حنوش ، الفرد والمقتطف ٥٧٠ – ايضاح بعض المشاكل الدينية ٥٠٨ – عادة الرشاش في عيد الصعود ، عدد الناطقين بالضاد ، صلاة التبشير بدلاً من « افرحي يا ملكة السماء » ، كتب عربية عن الوهابيين مطبوعات شرقية ٥٢٦–الفتاة المفقودة ٥٦٣ ٦١٦ ؛ ٦٦٣ – ما معنى اسم بروتستانت ، قُتل زيد ، زيار او وقاء ، يوم الدينونة اصطناع المسيرة ٥٧٤ – الخوري الشاعر ارسانيوس الفاخوري ٦٠٦ – معرض باريس وآثاره الشرقيّة ٦٢٥ – ترجمة اوسابيوس المؤرخ ، ابن ناعمة الحمصي ٦٧١ التبنيج الجزئي ، وصفات لقتل البق عن كتاب علم الفلاحة للشيخ عبدالغني النابلسي ، جوابه للخوري امبروسيوس صرايا ٧١٧ – الصين والمسألة الصينية ٧٤٣ ؛ ٨٤٥ – المقتطف والتوراة ٨٠٠ – كتاب في اسماء الاعلام ، كلام التقديس بصوت منخفض ، الكاهن اللاتيني وكسر الجوهرة ، تناول الجسد والدم دفعة واحدة ٧٦٦ – هلال اصغر من الهلال الاعتيادي ، ترجمة مار عبدا ٨١٥ – حكمة آدم وحواء ، سر الاعتراف في العهد القديم ، ما هي الكراسي المقاضة لرئيس اساقفة حوران ٨٦٣ – القضاء والقدر ٨٩٦ – بعثة علماء الالمان في بعلبك ، حل اللغز التاريخي الوارد في الصفحة ٨٥٩ ٩١٠ – اخبار ميخائيل لطي وهلال بن ابي هلال الحمصي ٩١١ – التذكار المئوي لوفاة السيد الذكر اغناطيوس ميخائيل جروه ٩١٢ – الطعمة اليسوعية أهي رهبانية ، شركات الوردية والاثواب المقدسة ، صلاة : « ها انا احتقر » ٩٥٨ – نشره عزاء لجاز العلماء من تأليف مار الياً الثالث المعروف بابي الحليم ٩٦٩ – ردٌّ من الشوير ، سؤالنا للمنار ، حل اللغز التاريخي الوارد في الصفحة ٨٥٩ ، ملاحظاتنا على فصل اسرار طفولية المسيح ومياه ١٠٠٥ – القديس اوغسطينوس ، اعصار اللغة العربية ، ملكيصادق ونسبه ، حمامة نوح ١٠٠٦ – شهيد الدين في بلاد الصين ١٠٤٥ – صلوات عجيبة المفاعيل ١٠٥٥ – ديوان حماسة البحتري ١٠٩٥ – استثناء النص جرجس منتس ص ١٠٥٥ ، قداس يشترك فيه اربعة كهنة ، مبشر سليمان وارض داود ، العطش وجزة البشاع الجديدة ، ولاية فينيقية لبنان ١١٠٣–آدم ابو البشر ١١٢٠ – سبب تقديم سحر السبت ١١٣٥ – سنتنا الرابعة ، يوبيل كليّتنا القضي ٤ : ١ – الخط العربي : نخبة من كتاب صبح الاعشى في كتابة الانشاء للقلقشندي ١٤ ؛ ٢٧٨ ؛ ٧٤٥ ٥ : ٧٤٦ ؛ ٦ : ٩٤١ ؛ ٧ : ١٧٥ – تثليث الذبيحة عند اللاتين ، ماذا يذكر التاريخ عن ملكة سبا ٤ : ٤٧ – توزيع سرّي التوبة والقربان ، بدء السنة ، خسوف القمر ،

كسوف الشمس ، بدء الساعة الفرنجية ٩٤
نسخ عربية قديمة في الشرق من الانجيل
الطاهر ٩٧ – ترقي فنّ المناطيد ١٠٩ –
تأبين المتوفين في الكنيسة ، زمان يحيى بن
سعيد الانطاكي ، صيدنايا وصورتها العجائبية
١٤٢ – سكّان المرّيخ ١٧٣ – البوبيل
الجديد ١٧٩ – حروف القسم ، ياء الضمير
اللام الجارّة ، لفظة « بشخانة » ، لفظة
« قرطجنة » ، قوس قزح ٢٢٩ – سليمان
بن الحسن الغزّي ، آية لوقا ، معنى كلمة
« كَلَش » ٢٨٧ – رد السهم ٢٢٢ – قمر
المرّيخ ٢٣٤ – معنى آية سفر التكوين في
النسخة السريانية ٢٣٥ – القاهل الديني
٢٧٣ – النور في قبر المسيح ، اميركا قبل
كريستوف ، عصا هارون ، لفظة شلوق
٢٨٣ – توحيد الحسابين في بدء القرن
العشرين ٤٢٢ – الصليب على حذاء البابا ،
الشمع العسلي ٤٣١ – اكرم مثال في
القديس يوحنا دي لاسال ٤٦٥ – ما هي
الكتب الغربية والشرقية التي ورد فيها
تاريخ الروم الملكيين ٤٧٩ – ربح النفارين
في الشهر المريمي – الزيارات للكنائس ،
الصلوات القانونية ، كلمة « فيدوس » ،
لفظة « قارة » ٥٢٧ – ظاهرة جوية ،
ترجمة الانجيل لعبد الله زاخر ، نصرانية
امية ابن ابي الصلت ٥٧٣ – ابو الفرج ،
القديس ماروثا ، كتاب المعاني والبيان
للمطران فرحات ، ما اصل السلام عليك ،
الجثث المحنّطة ، اقوال الكتّاب في سفر
الخروج ٥٧٤ – وصية فيثاغورس الذهبية
٦٠٤ – كتاب مستطرف المستظرف ، سرّا
الشيت ومسحة المرضى ٦٢٢ – رسالة ابي
نصر الفارابي في السياسة ٦٤٨ ، ٦٨٩ –
الثلاثون الفضة ، سريانية الروم الكاثوليك ،
ابناء الملوك من عهد قورش ٦٧٠ – هل
يُلفظ حرف الصاد ، ما هي تآليف يوحنا
الدمشقي ، رهبان الهيكل ٧٦٧ – تأثير
السيارات في ارضنا ، هل للنسر منازل ،
اعمار الآباء الاولين ٨١٥ – سيدة النجاة :
بدء في تاريخها ومعجزاتها ٨١٧ – اصل
الامراء والمشايخ في لبنان للشماس انطون
ابن الشيخ ابي المطار العين طوريني ٧٦٩ ؛
٨٢٠ – آلة لاصعاد الماء ، الماء في قلب
الارض ، اصل كلمة « الدويدارية » ،
اصل « الكيرياليسون » ٨٦٢ – فقيد الطباعة
٨٦٥ – رسالتا العلير للرئيس ابن سينا
وللشيخ الامام محمد الغزالي ٨٨٢ ؛ ٩١٨
– الزيجة المدنية ، عقاب قاين ٩١١ –
حنانيا منيّر : شعره وتاريخه ٩٦٩ – نظم
كليله ودمنه ٩٧٨ – نشره رسالة عقلية
في وجود الباري تعالى وكمالاته واقانيم
ابولس الراهب اسقف سيدا الانطاكي
الملكي ٩٦١ ؛ ١٠٢٢ – تكريس الكاس ،
بلّة العشاء ، تاريخ الامة المارونية ١٠٧
– الكثلكة في القرن التاسع عشر ١٠٠٩ ؛
١٠٨٧ – اوفق كلمة لتعريب اللفظة
الفرنسية « Manie » ، دخول النداء على
الاعلام ١٠٥٥ – تبرئة ابي العلاء من وصمة
الكفر الشنعاء ١٠٦٨ – نشره رتبة قديمة
لشرطونية الاسقف والمطران عند الروم
الملكيين ١١٣٦ – سنتنا الخامسة ١٢٠٥ –
نشره كلندار الكنيسة الانطاكية في القرن
الحادي عشر لابي ريحان محمد بن احمد
البيروني ٢٠ ؛ ٦٢ – حكم الامام علي بن
ابي طالب ١٠ – المئة الثانية لانشاء الرهبانية
المكيتارية ٣٢ – ابو العلاء المعرّي ،
مخطوطات الجامع الاموي ، عناصر جديدة
في الهواء ٤٧ – الشمع العسلي في القداس ،

فصل اليمين على الشمال، الاتجاه الى الشرق، التمدن الغربي، اعراض غريبة في رؤوس الاهلة ٦٨ – خزائن الكتب في دمشق وضواحيها ٩٧ – ردّ التهم، مطبعة البلسند اعادات ١٤٣ – اصل مكيتار، يونان الذي ١٤٤ – الشيفتسان ١٧٤ – اوريجانوس واللغة السريانية، شجرة معرفة الخير والشر، هل يقبل الله الندم، خروج بني اسرائيل من مصر ١٩١ – لاون الثالث عشر والشرق ١٩٥ – شهادات لمشاهير العرب في رئاسة بطرس وخلفائه ٢١٧ – ترجمة الشهداء الاربعين لفطرك المشرق الياس الثالث ابن الحديثي المعروف بابي حليم ٢٥٧ – مخطوطات عربية في الالفاظ الكتابية ٢٧٨ – المصباح الناطق، الصلّع وسببه، مطبعة البلسند، اصل الروم الملكيين ٢٨٦ – ابليا النصيبي وكتاب دفع الهم ٣٢٧ – مقالة للشيخ يحيى ابن عديّ في التوحيد والتثليث ٣٦٨ – اصل البيروتي، غفران المذبح الانعامي؛ اشفى بمعنى شفى، امكنف بمعنى تكنف، لفظ الضمة والكسرة ٣٨٣ – لفظة «تراق» اجار و«ادهار»، حذف ان بعد فعل القسم ٤٢٢ – اقدم التصاوير ٥٠٣ – المستشفيات في المغرب ٥٠٧ – ما هي قوانين اشتراك الكهنة بالتقديس، من هو اوريانا ٥٢٨ – كفن السيد المسيح في مدينة تورين ٥٥٧ – تعاليم الجزويت الخفية، بطلان الزواج ٥٧٦ – فهارس بعض المطبوعات، شفاعة العذراء مريم، القداس على مذابح طقوس مختلفة ٦٢٢ – التُجح الضامن غبطة السيد البطريرك كيرلس الثامن ٦٢٥ – «لستانة»، الهاء في «امّهات»، «الحوبنا»، «رجّال»، هيرودس ٦٧٣ – مسائل طقسية ٧٣٠ – عجائب الدنيا السبع، لغز كريت، الالفاظ الدارجة: مشوار وكويّس وشوب ٧٦٨ – المناحم المدنيّة في الدولة العليّة ٧٦٩ – ما هي اقدم كتابة عربية، دود الفز، امة آدم وحوّاء ٨١٥ – في السلطة الحاكمة ٨١٧ – نشرة النصوص الحكمية: مجموعة من أقاويل ائمة الفلاسفة ٨٢١ – شق كفن الميت، سيّافارقين وموقعها، حجر الزاوية، لفظة «هلمّ» ٨٦٤ – من رياق الى حماة ٩٠٤، ٩٥١ – رائحة التربة عند الاسحار ٩٠٢ – اللغة العربية في مدرستنا الكلية ٩٣٣ – ما هو اصل العيد، العادة خامس طبعة ٩٦٠ – مطران سلفكية، كتاب مارقيريانوس، معجزات القديس انطونيوس ١٠٠٨ – الاسقف السوري ١٠٤٨ – المعارين المتعلقة بالصليبان، حفظ البيض، اقدم مجلة علمية ١٠٥٦ – المتلس: اخباره وشعره ١٠٥٧: ٦: ٣٨؛ ٥١٠؛ ٧: ٧٢٤؛ ٧٧٣ – كم سنتيمترًا تساوي الذراع، كيف تخلو مياه المطر، المدم البيعة في بيروت غير الكاثوليك، دوائر القمر، سبب الطنين في الآذان ٥: ٤: ١١٠ – رواية بعض ابيات ١١٢٥ – عامنا الجديد ١: ٦ – الكنيسة والعلوم الفلكيّة ١٥ – بعض الابيات؛ بحرها وتقطيعها، اسم «امسوان»، الانصاب وعبادتها ٤٨ – نظر في اهمّ حوادث السنة المنصرمة ٧٩؛ ١٢٢ – سر التوبة، القداسات الثلاثة، كهنة الطقس الشرقي، رسائل القديس بولس، طول الذراع التجاري، الفخارين وربحها ٩٥ – ترجمة المتوري نيقولاوس الصائغ ٩٧ – ملاحظة في انتقاق «السجنجل» ١٥٧ – مستحجرات من ذوات الثدي، تابوت العهد وما كان يحتويه، القديس سمعان العمودي ١٩١ – ختام البوبيل البابوي ١٩٣ – حكم

بُزُرْجُمِهِر ٢٠٥ ؛ ٢٥٠ – مركّب لتطعيم الاشجار ، شروحات افرنسية ، اسم الله ، ابن خواجه زاده ، رسالة ابن عطاء ٢٤٠ –الأسرة النبيلة او خلاصة اخبار بيت ابيلا ٢٥٤ – تذكار المئة السادسة عشرة لاستشهاد القديس جرجس ٢٨٥ – عدد الارمن الكاثوليك والروم الكاثوليك، عدد الجرائد العربية ، الزواج بامرأة الاخ المتوفى ، اسم امرأة قائين ، شرح بيت ٤٣١ – هلال الصابئ وتآليفه ، طرف من كتابه «تاريخ الوزراء» ٤٦٦ : ٦٤٩ – شمع باريزي ، معرفة الابرار ٤٨٠ – الشمع المسلي في القداس ، الروح القدس واعماله ٥٢٨ – دعاء جديد في طلبة العذراء ، وصفات كتاب بر. الساعة ، الشاعر ديك الجن ٥٧٦ – اصل المثل «اذكر الذيب وهيّ القضيب» الثالوث الاقدس ، توزيع القربان للاطفال ٦٣٤ – يوم البدر ، عيد الفصح مع اليهود ٦٧٢ – وفاة قداسة البابا لاون الثالث عشر ٦٧٣ – السَّلَف والمَخَلَّف ٦٧٨ ؛ ٧٢٧ – المطيئة والنجاشي ، عبارتان افرنسيتان ، اسماء الاسبوع ٧١٩ – تتويج الاحبار الرومانيين ٧٣٩ – المدرسة الكلية ، الرتب الكرديناليّة ، الترتيب بين البطاركة ، القديس الذي تنبأ عن البابوات ، الحاجب البابوي ٧٦٧ – ابن هو اكبر الاجراس ، «وهو يسحق رأسك» ٨١٦ – قديس رومي جديد ، اصل صورة العذراء ، العذراء مع اخوة يسوع ٨٦٣ – اواخر الاقوال لمشاهير الرجال ٨٩٧ – تأثير القمر في قطع الشجر ، برودة مياه العيون وحرارتها ، اسم «الغزالي» ٩١٢ – مشكل كتابي ٩٢٣ – المقتطف والبابويّة ٩٤٥ – الصلوات المفروضة من لاون ١٣ ، «بلا امتنان» ، اسماء الشهور المسيحية ، ما معنى «كأن على رؤوسهم الطير» ، من هو بكر ابن النطّاح ٩٦٠ – في التاريخ الشعري وتواريخ المنشور يوسف العلم ٩٨٦ – الفلّاح، المسكين، الثلث والتطليق، الزوراء، الغفران المعلّق على ثوب سيدة الكرمل ١٠٠٨ – النفس وادراكها ومواهبها الخ ، دواء لداء اشجار الدراق والليمون ، لبس البدلة ، اشتقاق كلمة اقليم ، ابرد من عضرس ، شروط غفران التيشير ١٠٥٦ الآداب العربيّة في عهد الجاهليّة ١٠٥٧ – يوبيل مطبعتنا الذهبي ١١٠٥ – اناجيل متى ومرقس ولوقا ويوحنا ، كيف اضطربت العذراء مريم ، بيت صيداء ، ثوب الحبل بلا دنس وثوب الكرمل ١١٢٦ – عامنا السابع ١:٧ – المخطوطات العربيّة في خزانة كليتنا ٢٣ ؛ ٧٣ ؛ ١٢٢ ؛ ٢٧٦ ؛ ٣٣١ ؛ ٤٨٧ ؛ ٦٧٦ ؛ ١٠٦٦ ؛ ٤٣٣:٨ ؛ ٤٧١ ؛ ٥٦٨ ؛ ٧١١ ؛ ١٠٥١ ؛ ٢٧٤:٩ ؛ ٦٤٧ ؛ ٧١٣ ؛ ٧٥٥ – قس بن ساعدة ، قول ابن جبير في وصف عاصفة ، مدينة «بلميراس» ٧ : ٤٨ – القديس ايفيطس الحمصي ٩٦ – رواية بيت رؤبة وشرحه، بند الاثواب المقدسة ، راحاب وراعوت ١٤٤ كيف التوفيق بين آيتين وردتا في سفر الاعمال ١٩٣ = التوحيد والوحي ٢٣٠ – لاي سبب يدعى الرسل بالحواريين ، فتوى في الزواج الشرعي ، العرّاب والعرّابة ، موريق وموريقيان ، يوستيانس الاخرم ٢٤٠ – اولاد القديس يوسف ، قسطا بن لوقا ، الصائم الشرقي ٢٩٣ – سمكة غريبة الشكل ، تعريب الفاظ فلسفية ، اقدم صورة لمار يوحنا مارون ، الملابس العربية في الكنيسة المارونية ٣٤٣ – نشره ثلاث

مقالات فلسفية لبولس الراهب اسقف صيداء ٣٧٣ – شعراء النصرانية ، اللغة الحميرية ، لغة حضرموت ، كليات ابي البقاء ، تاريخ القديس انيفطوس ٣٩٣ – عقيدة الحبل بلا دنس في الكنائس الشرقية ٣٩٥ – لفظة التبتل ٤٤٨ – تقسيم الوصايا ، محللات التصوير الشمسي ٤٩٦ – رقبة الميّات ، المشموذون والمشموذات، الحساب الشرقي والغربي،سر التثبيت ٥٤٤ – العذراء مريم في الشعر العربي ٤١٩ – شرح كتابة تل المتسلم ٤٦٩ – الأحداث الكتابية في شعراء الجاهلية ٥٣٠ : ٥٥٩ – البابة حنّة ، قتل النمل ٥٩٢ – الريح الحائر ، من هما اوليان وهيلودورس الحمصيان ٦٤٠ – التشابيه النصرانية في شعراء الجاهلية ٦١٨ ؛ ٦٤٧ – اصل لفظة الكرشوني ، المجبنة تبعد الافاعي ، النسبة بين السطح والبئر ٦٨٨ – مقالة لبولس الراهب اسقف صيداء في الفرق المتمارقة بين النصارى ٧٠٢ – سيلان ومدغشكار واليابان ٩٢٨ – احتجاج ٩٨٥ – رحلة خليل صبّاغ الى طورسينا ٩٥٨ ؛ ١٠٠٣ – التكفير ٩٧٥ – الارواح النجسة والشياطين ، اصل لفظة «النسمة» ، يخرب زوقك ٩٨٦ – المئة الثالثة عشرة لوفاة البابا غريغوريوس الكبير ٩٨٧ – محبوب بن قسطنطين المنبجي وتاريخه، تآليف المسعودي ١٠٣٤ – سياحة حديثة الى جهات اوربة ١٠٥٧ ؛ ١١١٣ ؛ ١١٥٣ – «ام ولد» و«ام بنين» ، جبّة بشري ، اصل لفظة «الاغريبية» ١٠٨٣ – مريم العذراء في الشعر العامي ١٠٨٧ – ما هو «الكنتاس» ١١٣٠ – مستشرق يسوعي: الاب يوحنا بلو (١٨٣٣–١٩٠٤) ١١٤٤ – ميخائيل الصبّاغ واسرته ٢٤:٨ – البشرية ، عيد القديسة بربارة ، مسائل طقسية وكتابية ، توزيع الاسرار ، قوانين مجمع الشرفة ٤٨ – الاباجرة ولمة بلادهم ، توفيق بين آيتين كتابيتين ، المث واتلافه ٩٦ – الشمع العسلي ، العرّاب والعرّابة ، زواج الكاثوليكي ؛ عمر البتول ، الجن ، مخترع الساعات ، الكنسة ١٤٣ – نشره كتاب المطر لابي زيد سعيد بن اوس الانصاري ١٦٢ ؛ ٢٠٩ ؛ ٢٦٥ – توزيع القربان على الشكلين ، ازالة البق ، مار اسيا ١٩١ – اسقفية الروم الكاثوليك في بيروت ١٩٣ – معجزة احالة الماء خمرًا ، «ما لي ولك ايتها المرأة» ٢٤٠ – حمية لاسباب الطرب في نوادر العرب ٢٧٦ ؛ ٤٦٧ – عنوان درب الصليب ٢٨٨ – ابقاء الورد طول السنة ٣٢٦ – احد الشمنين ورتبه ٣٣٧ – النفق الجديد بين ايطالية وسويسرة ٣٦٤–الاضواء الفسفورية، مقام القديس انطونيوس بقرب الحدث ، بطريركية المدائن ، اصل الكلدان ٣٨٤ – تيرون واماسيا وسردا ، الاعمال العاجلة ، التدخين في الصوم ، حلق اللحية ٤٣٦ – نشره خبر ايقونة صيدنايا العجيبة ٤٦١ – الاكليل، البولنديون ٤٨٤ – شهيدا الحبشة ٥١٣ – القديس غريغوريوس النيروني ، الشماس مارون الاباني اللبناني ، الماء في حروف الزيادة ، شرح بيت من عينية ابن سينا ٥٢٣ – نشره شرح العقيدة النصرانية لبولس الراهب اسقف صيداء الانطاكي ٥٥٣ ، ٥٨٩ – اسم مدينة عكا بالافرنسية ، داء الصرعى في رؤوس الاهلة ، الاقرار بالخطايا امام الكاهن ٥٧٩ – اللغة المالطية ، ناظم الياذة هوميرس ، الصلاة والنذور في كنائس غير كاثوليكية ٦٢٨ – نشره مدينة رجل الله ٦٥٠ – حقوق ولاية الاوقاف ،

لغة نوح على حفيده كنعان ٦٧٦ – اخص المطبوعات العربية في اوربة ٧٢٤ – اختراعات علميّة في النصف الاول من السنة الجارية ٧٢٥ – نشره رسالة لبولس الراهب في الرد على الاراسيرة ٧٣٢ – نظر في كتاب الفرج بعد الشدّة ٧٥٧ ؛ ٧٨١ – قدوة الكهنوت ٧٩٠ – احسن طريقة لغسل اوعية الماء الزجاجية ، امكان تحويل الكربون الى الماس صناعي ٨٢٠ – عيد الصليب ٨٥٤ – حدث عن الامر ولا حرج ، «فلان المذكور» و«فلان الموما اليه» ، التاء في «اولة مبارح» ، تمييز الانسان للخير والشر ، العرابات عند الكاثوليك ٨٦٧ – نشره كلندار قديم للكنيسة المارونية ٨٦٩ – من حماة الى حلب ٩١٧ – مردكية امرئ القيس الشاعر الجاهلي ٩٩٨ – ما هي الدولة الميلاميّة ١٠١٣ – هرماس الكاتب النصراني ، الطلاق عند المسيحيين ، قضيب الصاعقة ١٠٦٠ – اصل لفظتين مالطيتين في العربية ، السماء الثالثة ١١١٣ – «كائناً ما كان» ، ديناد مار بطرس ، الاحاييش ، المقلاع ، معاوية ، على رسلك ١١٥١ – ثلاث مقالات عربيّة في الآلات المنسة ٩ : ١٨ – نظر في تاريخ السنة المنصرمة ٣٦ ؛ ١٣٠ – لغة البشر قبل الطوفان ، تسمية الحركات السريانية ٤٨ – شهداء الدين المسيحي في المجر ٤٩ – النار في هيكل سليمان ، صورة العذراء في صيدنايا ، «ذهبوا ايدي سبا» ٩٦ – استماع الاعتراف عند الطوائف الشرقية ، عبادة درب الصليب ١٤٤ – صوم نينوى في الكنائس الشرقية ١٧١ – صواب الراي في دعوى غليلاي ١٧٨ – مسائل طقسية ، التوراة واسفارها وكتبها ١٩٣ – ديناد القديس بطرس ٢٢٦ – الجمل والمجين ٢٤٠ – تعريف كتاب الافصاح ٢٢٥ – حطيئة الملائكة ، كلمة افرنج ، جمع دير ودار ، كتاب المحتضرين ٢٢٥ – قيامة المسيح في الاديات النصرانية ٢٢٧ – كتاب دليل الطقسيات المارونية للخوري حرفوش المرسل اللبناني ٢٥٢ ؛ ٤٣٠ – بورام ، الاحلام والجولان في النوم ، المسيات العربية المستحدثة ٢٨٣ اسئلة لاهوتية عن حسد المسيح وعن النعمة الفعّالة ٤٢٢ – نظر في اكتشاف عربي لأثر قديم عجيب ٤٣٩ – الآلة التي ترمّر نفسها صنعة بني موسى بن شاكر ٤٤٤ – النذور للكنائس غير الكاثوليكية ، بدء انجيل يوحنا ، كل سنة مائة قداس ٤٨٤ – صبح الاعشى للقلقشندي ٥١٥ – عيد النصرة وتعاليمه ٥٢٢ – من هو المتوقس ، اعزّ طوابع البريد واغلاها ٥٢٢ – نشره الطواف بالقربان الاقدس لشاكر شفير ٥٧١ – وصفه لكتاب المرج النضر والارج العطر ٥٨١ – الآنية الصينية والخزفية في البلاد الشرقيّة ٥١٥ – الخطايا المضادّة الروح القدس ٦٢٨ – الآداب العربيّة في الشباب ٦٢٩ ؛ ٦٩١ – اختيار ، شروال ، مصاري ، الوثّانيّة في عكار ٦٧٦ – اليأ النبي ٧٠٧ – التناول المتواتر ، صلاة مار انطونيوس ، تاريخ الشهداء ، تاريخ العالم ، تاريخ الاسكندر ٧٢٢ – نشره وصف طورسينا وابنيته لافرام (الشماس) ٧٢٦ ؛ ٧٩٤ – ابن التلميذ الطبيب الشاعر ٧٦٢ ؛ ٧٨١ – الرشم والعباد ، دستور الايمان ٧٧٣ – زواج الاكليروس ٨٠٠ – معرض خطوط عربيّة قديمة ٨١١ – شجرة الحياة ٨٢٢ – ملحق في «كتاب الكرمليين في لغات الشرقيين» ٨٤٢ – قدس الأقداس وذخائره ٨٤٤ –

معدل حياة المتزوجين والاعزاب ، يوستنيانوس الثاني والموارنة ٨٧٠ – عبدالله ابن الفضل ٨٨٦ ؛ ٩٤٤ – رحلة الى طرف بادية تدمر ٩٥٢ ؛ ٩٩١ ؛ ١٠٤٢ – مادوم وعمورة ، امرأة لوط ، بعض عبارات الانجيل المقدس ١٦٦ – خلاص الملائكة ، دامة العليا ١٠١٤ – الف ليلة وليلة ، آية بولس للمعرانيين ١٠٦١ – القوّال عيسى المزاو ١٠٩٨ – الحقّ الكنسيّ الشرقي ١١٠٤ – والدة ابراهيم الخليل ١١١٠ – رسول الهند واليابان ١١١١ – شرح آية بولس الرسول ، سبب الرعد ١١٤٢ – احسن ما سُمع ١٠ : ١٣ – اثر جديد لمار افرام السرياني ٢٣ – لاهوت المسيح ٤٨ – نشره المُكحلة : رسالة لابي محمد عبد الله الصقلي ٧٥ – دواء الأرق ، انتخاب البابا ، شريعة الصوم ، عدد كاثوليك الشرق ٩٦ هاتّة مائة ١٣٥ – قائمة المخطوطات الشرقيّة في ليبسيك ١٣٨ – اسم دفرون ، المسيح في الهند ، ابو النيلان وطلحة ١٤٤ – شاهد عياني في الصيد الرهباني ١٧٧ – تعريب التوراة ، حروف مطبعتنا ١٩١ – آداب اللغة الفارسيّة ٢١٩ – فصول صحيّة لتدبير الاحداث ٢٢٨ – استقبال الراهب ، شرح آية من المزامير ٢٤٠ – الآداب العربية في القرن التاسع عشر ٢٤١ ؛ ٣٧٦ ؛ ٤٠٨ ؛ ٤٦٩ ؛ ٥١٠ ؛ ٥٦٤ ؛ ٦٠٧ ؛ ٦٦٢ ؛ ٨٠٥ ؛ ٨٥١ ؛ ٩٤٣ ؛ ١٠٣٩ ؛ ١٠٦٦ ؛ ١١ : ١٤٤ ؛ ٢١١ ؛ ٢٧٣ ؛ ٣٧٩ ؛ ٤٥٣ ؛ الجزء الثاني ٧٧٤ ؛ ٨٥٣ ؛ ٩٤٤ ؛ ١٢ : ٥٩ ؛ ٢٢١ ؛ ٣٦٦ ؛ ٤٦١ ؛ ٥٤٠ ؛ ٦٢٣ ؛ ٧٤٨ ؛ ٨٥٨ ؛ ٩٢٠ ؛ ١٣ : ٦٢ ؛ ١٢٧ ؛ ٢١٦ ؛ ٢٦٣ – نشره خطبة وعظيّة للبطريرك ايليا الثالث ابن الحدّيثي المعروف بابي حليم ١٠ : ٢٥٨ أثران لارسطو الفيلسوف في العربيّة ٢٧٣ ؛ ٣١١ – شرح الفاظ طبيّة ٣٨٨ – جمة الآلام في الكنائس الشرقية ٣٨٩ – نصيب الورثة ، استخراج عيد الفصح ، منح البركة ٣٣٦ – نذور المترهبين ، المناولة الاولى ٣٨٤ – اثر جديد لأعمال القديس جرجس الشهيد ٤١٤ – زيت المرعر ، الزوان ، اكل الكبريت ، حضور القداس ، الملّامة غليلاي ، يوم الدينونة ، الاعتراف ٤٢٢ – الخمر المطبوخ ، الخمر اللبناني ، تواريخ المغرب والاندلس ومصر ٤٨٠ – نصرانية غسّان ٥١٩ ؛ ٥٥٤ – نشره رحلة ابرهيم الحكيم الحلبي الى مصر ٥٥٩ ؛ ٥٨١ ؛ ٧٠٨ – موقع كفرعاقب ، الادعياء ، عقاب لبنان ٥٧٦ – أثر ضائع للامام الغزالي ٦٠٦ – الانوار في بيرمون عيد مار يوحنا ، خلقة الملائكة وسقوط الشياطين ، من دوّن اول الجميع خلقتهم وسقوطهم ٦٢٢ – القديس اوتيليوس او اوتل ٦٧١ – اسقف ماروني لمكار ، اصل موارنة عكار ، علماء الموارنة ، مغارة مار مارون ٧٣٠ – الآثار الخطيّة لتاريخ الكنائس الشرقيّة ٧٤٥ – نشرة علميّة ٧٥٦ – لبس السواد في الحداد ، لغة السيد المسيح ٨١٦ – الزواج السري ، زواج الشرقي بابنة لاتينية ، الزواج لدى الحاكم المدني ، هلاك الولد غير المسمّد ٧٦٨ – تاريخ ديوان الاسلام لمحمد الغزي ٩٠١ – الغساسنة وحوران ٩١٢ – الأضاليل المصريّة والكرمي الرسولي ٩١٣ – كتاب غاية الرتبة في طلب الحسبة ٩٦١ ؛ ١٠٧٩ – التبر المكنوز ، شجرة الساج ، جثة الفرعون ١٠٠٨ – الزواج المسيحي ١٠٠٩ ، ١٠٨٦ – اصل لفظة اقنوم ، « اريد رحمة لا ذبيحة » ، شجر الزيزفون ١٠٥٦ –

عدد تلاميذ الرب ، التنوم ايكون طبيعياً وهل يجوز استعماله ١١٠٤ – الركوسية وبدعة المشيئة الواحدة ١١٢٠ – متى اخذ بطاركة الملكيين يسكنون دمشق ، كتاب الدر المنظوم ومؤلفه ، عيد الحبل بلا دنس ١١٣٦ – التذكار المتوي لوفاة الفم الذهبي ١١:١١ – نشره رسالة المُجَنْدي في المَيْل وعَرْض البَلَد ٦٠ – نجاة النفوس المطهرية ، فسفورية مياه البحر ، مدينة المنساء ٧٩ – مسائل كتابية ١٥٩ – التهنئة بالاسقف الجديد ١٦١ – الاناجيل القانونية واناجيل الزور ١٩٤ – استحالة الخبز الى جسد المسيح ، اسفار مفقودة من العهد القديم ٢٣٩ – نشره رواية الفتية التوّابون ٢٦ – نشره رسالة في الحروف العربية ٢٦٥ – قاعدة السنة التي مات فيها المسيح ، زمن المسيح في قبره ، جغرافية الادريسي ، الصلاة الموجودة في القبر المقدس ٣١٩ – بوبيل سيّدة لورد وتدشين تمثال مريم العذراء في لبنان ٣٢١ – مشكلان كتابيان ، المطبوعات العربية عن سيدة لورد ، مفعول الجهل ٤٠١ – التماثيل والدُّمى في العبادة المسيحية ٤١٨ – نظر انتقادي في المطبوعات المصرية ٤٣٠ – نشره كتاب الرَّحْل والمترل ٤٤٠ – مانع القرابة الروحية والقرابة الدموية في سر الزيجة ، حكم بيلاطوس البنطي على المسيح ٤٨٢ – نشره شرح مثلّثات قطرب ٥١٦ – عجائب تيت ٥٢٢ – آثار تاريخية للسريان ٥٤٥ – اكل النصارى للحم الخنزير ، السنة المالية ٥٦٢ – تاريخ دمشق لابن القلانسي ٦١٨ – مختصر نزهة المشتاق للادريسي ، تاريخ الطباعة الارمنية ، اصل بعض الالفاظ الاعجمية ، المطران عبد الله قراعلي ، الروايات التشخيصية الادبية ٦٣٩ – اسماء السلاطين والملوك ، مطاركة اللاتين في انطاكية ، لفظة ذبيحا ٧٢٢ – مؤتمران علميّان ٧٣٧ – نشره كتاب نُخب الذخائر في احوال الجواهر ٧٥١ – الالفاظ السحرية ٧٨٧ ؛ ٨٦٣ ؛ ٩٣٣ ؛ ١٢ : ١٤٤ ؛ ٢٠٥ – امراء الصليبيين في طرابلس ، الجمعية الماسونية ١١ : ٨٠٣ – بوبيلا الحبر الاعظم الكهنوتي والاسقفي ٨٠٤ – يوس العاشر ومرصد الفاتيكان ٨١٩ – نشره رسالة في الخوف من الموت ٨٣٩ – تهيب ام تهوب ، الغرامات الممنوحة لمن يحضر الذبيحة الالهية ، كتاب الارشاد ، تعريب آية القديس بولس ٨٨١ – ملحق في ترجمة الانجيل لعبد يشوع الصوباوي ٩٠٧ – عاقبة الطمع الندامة ٩١٠ – مؤتمران دينيّان في عاصمة الانكليز ٩١٧ – الآثار المكتشفة في قبة الجامع الاموي ، اسماء التلاميذ الاثنين والسبعين ١٦١ – لمحة تاريخية في النصادة الرسولية في سوريا ٢ : ١٢ – ملحق في الجمعية المشرقية في بيروت ٣٨ – الياقوت الصناعي ، معمودية الحواريين والعذراء ٨٠ – الحماسة الدستورية ٨١ – نشره ديوان السموءل ١٦١ – المختار في كشف الاسرار لزين الدين عبد الرحيم الجوبريّ الدمشقي ١٨٦ ؛ ٢٩١ ؛ ٣٦٩ ؛ ٤٥٦ – في التثليث ٢٣٩ – ميمران للقديس يوحنا فم الذهب ٢٤١ – ملحق في اعمال القديس يوحنا فم الذهب المخطوطة ٢٤٩ – استطراد في نقد انتقاد ٢٧٨ – آلام البتول وموتها ، الشاهد الناكر تأدية شهادته ، عالم الاموات ٣١٩ – الطيّبة الذكر جان درك البكر ٣٢١ – نشره بديبة ابراهيم خيكي ٣٣٧ – مطرة نيسان ، لقام الشرقيين لواجباتهم الدينيّة في البلاد الاجنبيّة ٤٠٠ – الفتاوى الامركية

في المعتقدات الدينية ٤٢٥ – رسالتا المقريزي، العمدة في الجراحة ، الاستشهاد وشرطة ، فائض الفائض ٤٨٠ – التواريخ النصرانية في العربية ٤٨١ – نشره كتاب فضائل الكلاب على كثير ممّن لبس الثياب لابي بكر عليّ بن احمد الشهير بابن المرزبان ٥١٥ – اهلاك الهوامّ والحشرات ، المشموذ المدّعي الكهنوت ٥٦٠ – نشره لرواية القس ايليا ابن الكزبر عن الكثلكة في ماردين ٥٨٩ ؛ ٦٦٥ ؛ ٧٣٢ ؛ ٨٢٥ ؛ ٨٩٠ – بايزيد الثاني والبابا ايثوشيوس الثامن ٦٠٤ – عهود بني الاسلام والخلفاء الراشدين للنصارى ٦٠٩ ؛ ٦٧٤ – السدفن الكنسي ٦٤٠ – منظومات الوقائع الدستوريّة ٦٤١ – شرحان على مثلثات قطرب لعبد العزيز الديريني ٦٨٥ – رسالتان للبطريرك كيرلس طاناس ٧٠٦ – السر المصون في شيعة الفرّسون ٧٢١ ؛ ٨٦٦ ؛ ٩٢٢ ؛ ١٣ : ٢٢؛ ١٤٩ ؛ ٢٢٥ ؛ ٢٨٣ ؛ ٣٥٧ ؛ ٤٥٥ ؛ ٥٢٨ ؛ ٥٩٣ ؛ ٦٧٦ ؛ ٧٥٧ ؛ ٨٥٠ ؛ ٩٢١ ؛ ١٤ : ٥٧ ؛ ٢١٣ ؛ ٢٨٠ ؛ ٢٧٥ ؛ ٤٢٩ ؛ ٥٢٦ ؛ ٦٠٦ ؛ ٦٨٣ – كتاب مفتوح الى تلميذي الفريد الصغير ١٢ : ٧١٦ – من هو الاب هيلدي بران، جحى ٧٢٠ – كوبرنيك وكتابه في دوران الارض ، تفسير آية الانجيل عن الخطايا المضادّة للروح القدس ٩٦٠ – علم استنباط المياه لاحمد الدمنهوري ١٣ : ٢٤ – عمارة طقس غير الطقس الاصلي ، العقل وقيامة الاجساد ، آية يوحنّا على الشهود الثلثة ٨٠ – اولياء الله في لبنان ٨١ ؛ ٣٠٢ ؛ ٤٤٧ ؛ ٦٠٥ ؛ ٧٧٥ – رد على جريدة الحرية ١٥٨ – حريق مكتبة الاسكندرية ، اصل المسايح ١٦٠ – نشره ديوان سلامة بن جندل السعدي ١٧١ – كيف تصنع الطرابيش، ربح النفارين ٢٤٠ – حقوق الاساقفة ورؤساء الرهبان بخصوص ربط الرهبان ، الصوم عند الشرقيين وشروطه ٢٢٠ – الرصافيّات والريحانيّات ٢٧٩ – تحفة لشركة مار منصور في بويلها الذهبي (١٨٦٠–١٩١٠) ٤٦٦ – كتاب الوساطة ، اشتراك الكاثوليك بالدينيات مع غير الكاثوليك ٤٨٠ – شركة مار منصور دي بول ٤٨١ – حماسة البحتري ٥٣٧ – الوهبة الرجل الاسرائيلي ٥٤٦ – التناصل المتايون في اميركة ، زواج الكهنة ، الملك ادوار السابع والماسونية ٥٦٠ – نشره رحلة القس حدر الكلداني من الموصل الى رومية ٥٨١ ؛ ٦٥٦ ؛ ٧٣٥ ؛ ٨٣٥ – المدارس العلمانية والاديان ٦٢٠ – ابن توفيت السيدة البتول ٦٢٦ – كنيسة قديمة في جبل الزيتون ، حبيب بن جريز مطران الموصل ٦٤٠ – لا يمكن ولا يجوز ان تكون المدارس علمانيةً بلا دين ٦٩٠ – نشره كتاب العز لابي زيد سعيد بن اوس الانصاري ٦٩٥ ؛ ٧٥٠ ؛ ٨٤٢ ؛ ٩٠٧ – نقد الريحانيات ٧٠٢٠ – اطول الحيوانات عمرًا ، عدد اليهود في العالم ٧٣٠ – النصرانية وآداجا بين عرب الجاهلية ٧٨١ ؛ ٨٦٥ ؛ ٩٤٤ ؛ ١٤ : ١٤٦ ؛ ٢٢٥ ؛ ٤٦٥ ؛ ٥٠٣ ؛ ٦٣٠ ؛ ٨٠٤ ؛ ٨٨٦ ؛ ٩٦١ ؛ ١٥ : ٦٧ ؛ ١٤٥ ؛ ٢١٣ ؛ ٣٠٧ ؛ ٤٥٠ ؛ ٥٤٣ ؛ ٦٢٧ ؛ ٧٠٠ ؛ ٧٧٤ ؛ ٨٤٣ ؛ ٩٢١ ؛ ١٦ : ٦٦ ؛ ٢٢٥ ؛ ٢٩٣ ؛ ٤٢٦ ؛ ٥٠٥ ؛ ٥٩١ ؛ ٦٧٥ ؛ ٧٧٣ ؛ ٨٥٥ ؛ ٩١٩ ؛ ١٧ : ٧٠ ؛ ١٢٩ ؛ ٢١٠ ؛ ٢٧٨ ؛ ٢٤٣ ؛ ٤٣٠ ؛ ٥٤٠ ؛ ٦٢١ ؛ ١٨ : ١٤٩ ؛ ٢٢٥ ؛ ٢٦٩ ؛ ٢٧٧ ؛ ٥٢٩ ؛ ٦٠٧ ؛ ٦٩٨ ؛ ٧٨٩ ؛ ٩٤٦ ؛ ١٠٠٧ ؛ ١٩ : ٥٥ ؛ ١٤٦ ؛ ٢٢٦ ؛ ٣٠٣ ؛ ٣٨٥ ؛ ٤٦٠

٦١٨ ؛ ٧٠٥ ؛ ٧٧٨ ؛ ٨٤٦ ؛ ٩٢٩ – الكتاب المقدس وذكره للاعمال السيئة ، الرهبان والاصلاحات ، الحساب النريفوري عند الكلدان ١٣ : ٨٠٠ – فتوح الصين لرائد العلم وبطل الدين ٨٠١ ؛ ٩١٥ – الاب يوحنا بنطاس ، الاعمال المجرية في الماسونية ٨٨٠ – فضل الجهة اليمنى على اليسرى ، التآليف الماسونية ، الشرق الاعظم ٩٦٠ – افتون التنلي ، الحماة ، الجذام والبرص ، الانبجانيّة ، الديباج الخسرواني ، حسنة قداسين في يوم واحد ١٤ : ٨٠ – سير للقديس كيرلس الاورشليمي في دخول المسيح الى الهيكل ٨١ – نشره رسالة في الفرق بين الروح والنفس افسطا بن لوقا ٩٤ – منبج وصنائعها ، المناكب والعرفاء ، السريان القدماء وقضية الاستحالة ٢٤٠ – العلوم العربيّة وحريق مكتبة الاسكندرية ٢٩٩ ؛ ٢٨٨ – وقفة عند قبر المسيح ٢٢١ – المدارس الدوارس ٢٦١ – تقديس الكاهن الخاطئ ، تألم المسيح ، مؤلف كتاب مكتبة الاسكوريال ، زواج المهلهل ومجلة الهلال ٢٩٩ – مدينة السامرة وحفرياتها الحديثة ٤٠١ – افتتاح المتحف على نقد الشرق ٤٥٤ – ذبيحتان على مذبح واحد ، شرح مثل دارج ، ضبط اسم ابن «الرقاع» المؤرخ المتي ؛ كان يتمسّن في نسبه ٤٧٩ – ملحق للكلندار الحبشي ٥٠٠ – من هو الكاهن الماروني ٥٦٠ – مثل انجيلي او وكيل الظلم ٥٦١ – نشره كتاب طبقات الامم للقاضي ابي القاسم صاعد بن احمد بن صاعد الاندلسي ٥٦٦ ؛ ٦٦٤ ؛ ٧٥٢ ؛ ٨٤٣ ؛ ٩٢٤ – تاريخ آداب اللغة العربيّة ٥٨٣ – رقيم الحبر الاعظم في اعياد البطالة والكنائس الشرقية ، اكتشاف الورق في الصين ٦٤٠ – افتيموس صبي مطران صيدا منشئ الرهبانية المخلصيّة ٦٤١ – مولد جمهورية البرتغال الماسونية ٧٠٤ – جنديٌّ مسيحيّ ٧٧٩ – الاسطول العثماني ٧٩٢ – كنائس النصارى في دمشق عند الفتح الاسلامي ٨٠٠ – ثبات الجمعية البشرية ، ميخائيل الشامي ، القصيد الماسوني ٨٢٠ – نبأ عن دار الحرب بوصف طرابلس الغرب ٨٢١ – اسرار الحياة الآخرة في العهد العتيق ٨٧٨ – الرواح بابنة الاخت ، قرية علبون والشاعر ابن علبون ، مجلة الكلمة ومراعيها ٩٠٠ – عين الصحة او مياه فالوغا المعدنية ٩٠١ – شطط الصحافة : خطاب الى كل عاقل منصف ٩٥٢ – حوادث العام المدبر ١٥ : ٤ ؛ ١٢٦ – الاوقاف الكنسيّة ٨٠ – من بيروت الى الهند ٨١ ؛ ٢٠١ ؛ ٢٩٨ ؛ ٦١٥ ؛ ٧٠٦ ؛ ٧٨٠ ؛ ٨٤٦ ؛ ٩٣٩ ؛ ١٦ : ٥٧ ؛ ١٤٣ ؛ ١٧٨ ؛ ٢٥٦ ؛ ٣٦٤ – مرآة الحسناء : ملحق بديوان فرنسيس مرّاش ١٥ : ٩٤ – ملحق بصفحة من التاريخ الحبشي والنوبي ١١٩ – شدياق ، فيفاء ، الالكحول ١٦٠ – رسولا الخير العام في مدينة السلام ١٦١ – كلمة في مجلة الكلمة ٢١٩ – من هم الحثيون ؟ ، كرسي مار بطرس في انطاكية ، الكاهن الكاثوليكي في جناز غير الكاثوليك ٢٤٠ – الترقي العلمي في العام المدبر ٢٢٦ – نشره سير مفقود للقديس انطاسيوس السيناوي في يوم الجمعة العظيمة ٢٦٤ – معنى الشعار IHS ، مؤتمرات المستشرقين ، معنى الكتابة الموجودة على باب الدركة ٢٣٠ – المقلاصة الماسونية ٢٣٦ – البابا سلفستروس الثاني والعرب ، جغرافية الادريسي ٢٩٩ – مصرع جبار البحار ٤٣٥ – العقائد الوثنية في الديانة النصرانية ٤٣٢ ؛ ٥٢٩ – الذكر

المخلَّد في سيرة السيد جرمانوس معقَّد ٤٥٦ – وزن فَعِلَ يَفْعَلُ، الغارة، دخول المسلم في الماسونيَّة، بترو نيلّا ابنة القديس بطرس، المتنصر حديثاً ٤٧٩ – كتاب معالم الكتابة، من هو سنان باشا، صورة المصلوب على الهيكل ٥٦٠ – تاريخ آداب اللغة العربية ٥٩٧ – صورة المصلوب على الهيكل ٦٤٠ – نشره صورة ايمان الكاثوليكيين من طائفة الروم ٦٥٧ – شركة انتشار الايمان ومنشئتها المكرَّمة ماري پولين جاريكو ٦٧٣ – عمود نسب السيد المسيح، الابقونة القائمة مقام ثوب الكرمل ٧١٩ – الملائكة بازاء العلم والدين ٧٣١ – مقالتان قديمتان في قوس قزح ٧٣٦ – سيمر لتادرس ابي قرّة في وجود الخالق والدين القويم ٧٥٧ ؛ ٨٣٥ – حسنة القداس وثمرها، اجران الماء المقدس وانتشار الامراض ٨٠٠ – البانية ٨٠١ – تثبيت القديسين في البيعة، المجلّدان الرابع والخامس من الكنز الثمين، ابقاء اشكال القربان اكثر من خمسة عشر يوماً، كيوركيس آدم ٨٧٩ – المناولة الحرَّة في الكنيسة الكاثوليكية ٨٨٨ – غرائب جماعات المناجين للارواح، تاريخ ميلاد السيد المسيح وميلاد العذراء ٩٦٠ – عادات الانام في رؤوس الاعوام ١٦ : ١ – نشره كتاب السل بالاصطرلاب لعليّ بن عيسى ٣٩ – يحيى النحوي، من هو ومتى كان؟ ٤٧ – صورة حيوان شبيه بالانسان، قراءة الروايات الملاعية المحرَّمة، من هو «ارسطاطاليس بن نيقوماخوس الجهراشيّ» ٨٠ – البرهان الصريح في اثبات الوهية المسيح ٨١ ؛ ١٩٧ ؛ ٢٧٨ ؛ ٤٥٩ ؛ ٥٤٥ ؛ ٦١٩ ؛ ٦٩٦ ؛ ٧٨٠ ؛ ٨٦٤ ؛ ٩٤١ – قصة ارشليدوس الحبيس ٩٢ – متى كانت وفاة جمال الدين علي بن يوسف الشهير بابن القفطي، بركة البيوت بالماء، الصوم الكبير ١٦٠ – النار العجيبة في الفجر المقدَّس ١٨٨ – مناولة الشعب في الطقس الماروني، المناولة الفصحية ٢٤٠ – نشره مقالة في صلب السيد المسيح للشيخ ابي نصر يحيى بن جرير التكريتي ٢٤١ – بيان لأبن ابي حُجَّة، ابيات على قبر، سلالة رومانوف ٢٢٠ – يوبيل اخوية المملة البيروتية ٢٢١ – قدم الانسان، صلوات القداس، اغطية المذبح ٤٠٠ – نشره موشح في القلب الاقدس للمطران جرمانوس فرحات ٤١٧ – القديس البانوس، ارجوزة المجاّج، كتاب صنعة الكاتب ٤٨٠ – دانيال بن الحطّاب، داود بن بولس، سيمر في الاشجار والنبات، حقائق التنزيل ودقائق التأويل، بريطانية العظمى ٥٦٠ – الشرقيون في انتخاب البابوات وفي مصفّ الكرادلة، امتياز بطاركة انطاكية ٦٤٠ – العاديات الكتابية في القرون الاولى للنصرانية ٦٤١ – القديس اوغستينوس شفيع المذهب الدروزي ٦٨٧ – الذخائر المقدسة في عنق المنازعين، زياح القربان بحضور جثة الميت، حنّا بن عيسى الصددي اليعقوبي، تأثير الجنون في النسل ٧٣٠ – النصرانية بين قدماء الاتراك والمغول ٧٥٤ – زواج مدني بين اورثذكسيين – نقل الاعياد غير المبطلة، اصل الروم الكاثوليك والارثذكسيين، سلسلة بطاركة انطاكية الملكيين ٨٠٠ – تذكار مولد لويس ڤويليو بطل الصحافة الكاثوليكية في فرنسة ٨٠١ – من هو معرّب كتاب السياسة في الرئاسة لارسطو، كتب القديس يوحنا الدمشقي، تآليف يوحنا بن بطريق

٨٨٠ – نثره جواهر النظام في معرفة الأنغام للشيخ شمس الدين محمد الاربلي ٨٩٥ – ساو للاب في الجوهر ، شرح آية متى ٩٦٠ – نثره ميسر في عيد ختانة الرب للقديس كيرلس الاورشليمي ١٧ : ٤٣ – اصل يلاطس البنطي ٧٩ – نثره رحلة محمد سعيد باشا الى باريس ١٠١ ؛ ١٧٦ ؛ ٢٥١ – المقلاصة الفلسفية للقديس توما الاكويني ١٤٤ – آية من سفر ايوب ، المطران يوحنا عضم ، تلوّن وتشعشع النجوم ، دخول الشمس الابراج ١٦٠ – الطبران في لسان الشعر ٢٢٣ – اسماء الارملة ، فتح المكاتيب ٢٤٠ – نثره ميمر لمار اسحاق السرياني في عيد بشارة العذراء ٢٧٣ – الطهارة النصرانية ٣٠٥ – الطائفة المارونية والرهبانية اليسوعية في القرن السادس عشر والسابع عشر ٣٢١ ؛ ٤٤٥ ؛ ٧٥٤ ؛ ١٨ : ٦٥ ؛ ٣٠٠ ؛ ٦٧٥ ؛ ١٦٩ ؛ ١٩ : ١٣٨ ؛ ٢٩٣ ؛ ٦٣٥ ؛ ٧٥٨ ؛ ٢٠ : ٧٨٠ ؛ ١٠٥٣ ؛ ٢١ : ٧٠١ – العالقة ١٧ : ٤٠٠ – الغاية تقدس الواسطة ٤٢٣ – الدولتان التركمانيتان ٤٨٠ – المقتطف والتوليد الذاتي ٥٤٨ – قبر المطران ايليا هرمز حبيب اسمر ، اللغة الحميرية وجموعها المكسرة وحركاتها الاعرابية ، التنوع الصناعي والادب ٥٦٠ – مئة سنة في خدمة الدين والهيئة الاجتماعية ٥٦١ – اثر عربي بخصوص الرهبانية اليسوعية ٥٨٩ – تحريف الانجيل ، خلاص الذين لم تبلغهم الدعوة النصرانية ، اقمار السيارات ، الهلال ٦٤٠ – الرهبانية اليسوعية ورسالاتها الاجنبية في القرن الاخير ٦٤٥ – نحن والمقتطف ٦٩٥ – البارجة واصلها ، القديس بسوكال ٧٣٠ – الحوب تتمة او نعمة ؟ ٧٣٤ – اسم يلاطس البنطي ، اسم البابا الجديد وشعاره ٧٩٨ – اعظم طامة في الحرب العامة ١٨ : ٤ ؛ ١٢٥ ؛ ٢٨٨ ؛ ٤٦٤ ؛ ٦٢٨ – حول جزيرة العرب ٣٤ ؛ ١٠٧ ؛ ١٧٨ ؛ ٢٨٢ ؛ ٣٣٣ ؛ ٤٢٥ ؛ ٥٣٤ ؛ ٦٣١ – نثره كتاب الكتّاب لابن درستويه ٣٥ ؛ ١٢٨ ؛ ١٧١ ؛ ٢٤٩ ؛ ٥٠٣ ؛ ٥٧١ ؛ ٦٦٤ ؛ ٩١٦ ؛ ٩٩٣ – مؤتمر سورية في مرسيلية ٤١ – البلشفيون : اصلهم ومبادئهم واعمالهم ٤٧ – اصل تاريخ البلاد المسيحي ، النور والشمس ٨٠ – مناعي آل الوطن في اثناء الحرب ٨١ ؛ ٢٨٣ ؛ ٤٤١ – اصل الفاظ : صباحي ، سراي ، زواف ، طربوش ، تسمية المحافل الماسونية ، علاقة الحبر الاعظم لشعره ، رسالة لنتيلوس ١٦٠ – الرتبة الكردينالية والكرادلة الشرقيون ١٦١ – الثلج في بيروت وسواحل لبنان ٢٠٠ – مساحة سورية واصدق احصاءات سكانها ، الامتيازات المسموح بها لاصحاب الرتب الشرفية الممنوحة من الحبر الاعظم ٢٤٠ – انتصار الصليب ٢٤١ – اثر قديم للبطريرك اغناطيوس جروه ٢٩٧ – ثلاث زهرات نتنية في حديقة الكنيسة ٤٠١ – ترشيش وطرسوس وطرطوس ، الجمة وقدمها ٤٨٠ – الآداب العربية منذ نشوب الحرب العمومية ٤٨١ – البطريرك نوح اللبناني ، يوحنا مرمون الماروني ٥٦٠ – شذرات تاريخية من صحائف منية ٥٩٦ – التوحيد والتثليث ، اصل غاز البترول ٦٤٠ – تسديد الديون ، دير قوبل ٧٣٠ – أتران للشاعر الغزيري الخوري حنا رعد في مدح فرنسة ٧٤٩ – الصهيونية : ماضيها ، حاضرها ومستقبلها ٧٦٨ – ضرب الاروام لمدينة بيروت ، مدرسة الطب المصرية في قصر العين ،

القربانة المطبوعة ٧٩٩ – نشره رسالة دامسطيوس في السيامة ٨٨١ – عيد جميع القديسين ٩٢٧ – آطنة ومرسين ، رسالة تهذيب الاخلاق ٦٦٠ – القديس ايرونيموس والشرق ٩٦١ – شوارع بيروت واسماؤها الجديدة ١٠٢٥ – رومانية وسكانها وخواطرها ، حزقيال اوريكوتشايا المستشرق الكولومي ، بزر العنب والزبيب ١٠٤ – تواريخ العالم وروزماناته ١٩ : ١ نشره منظومات في المسدود والمقصور لابن دريد ٦٤ – العرب والابرة المغنطيسية ٨٠ – احوال الكنيسة في العام المنصرم ٨١ – ترجمة يوسف الاول بطريرك الكلدان (١٦٨١ – ١٧٠٧) لباسيليوس عبد الاحد مطران آمد ١٢٤ – تاريخ دير المخلص ، اسئلة كتابية ، ميتة اللورد ماك سويني ١٦٠ – نشره كتاب تدبير المنزل لغريس ؟ ١٦١ – التذكار المئوي لحماية القديس يوسف (١٨٧٠ – ١٩٣٠) ١٨٧ – العلوم في السنة المنصرمة ١٩٣ – الرسالة الفرنسية وشهداؤها في الولاية الحلبية ٢٠٦ – نشره خطبة خبيس الاسرار بقلم انس شمس الرئاسة ابي البركات ابن كبر ٢٤١ – نشره ميمر في عيد الفصح منسوب الى القديس يوحنا فم الذهب تعريب عبدالله بن الفضل الانطاكي ٢٤٥ – شهيدات المحبة في ثورة فرنسة الكبرى ٢٦٣ – اسئلة طقسية ، تنظيف الزجاج ، وقوع عيد البشارة في يوم جمعة الآلام ٣٢٠ – تكريس لبنان الكبير والطائفة المارونية لقلب يسوع الاقدس ٣٢١ – اثر قديم للملك بوستيان في بيروت ٣٢٩ – نشره المحاورة الدينية بين الخليفة المهدي وطيماثاوس الجاثليق ٣٥٩ ؛ ٤٠٨ – الغزالي ورأيه في النفس ، ثولتير ورحلته الى سورية ، الشيخ صالح النزي ٤٠٠ – التعليم الاجباري ٤٣٥ – المعارض والاسواق ٤٤٤ – نشره مديح قديم لمار افرام وضعه القديس غريغوريوس اسقف نيس ٤٥٣ ؛ ٥٠٦ الوقائع الماسونية ٤٧٧ نشره كشف الظنون عن حال الفرمسون لمحمد علي بن علي بن محمد عز الدين الشامي العاملي ٤٨٦ – البدلة الشرقية في الطقس الماروني ، تأخر الفصح عند الروم في السنة الحالية ٤٧٦ – معرض بيروت ٥٢٧ – المتنصرون من الكاثوليك الى الشيعة الماسونية ، تشير القديس توما في بلاد الصين ٥٥٦ – المئة الثالثة لوفاة يوحنا جليلين ٥٥٧ – الشوكولاتا واصلها ٦٤٠ – المئة السابعة لوفاة القديس دومينيك ٦٨٨ – قصة سليمان بن داود في قصر عاد بن شدّاد ٦٩٥ ؛ ٧٣٣ – سفر المستقيم ، آية وقوف الشمس ، النظر الى الشمس في طرفي النهار وفي الظهيرة ، وجود النور والحرارة ٧٣٠ – رحلة حديثة الى الشهباء ٧٥٠ – الانتحار ٧٨٤ – اثران عربيان للاحبار الرومانيين في الماسونية ٨٠١ – خرافة البابا حنة ٨٥٤ – المشاريع الكاثوليكية في حلب ٨٤٣ – نشره المركبة الهوائية الاولى في باريس للكونت لويس فيليب دي سيغور ٨٦٤ – شهيد الاستانة الكاهن غوميداس الارمني الكاثوليكي ٨٣٨ – شجرة العنّبة وثمرها ، المطران جرجس بيانيّن ٨٨٠ – التذكار المئوي الرابع لوفاة لاون العاشر ٨٨١ – قصة أفيفيا الحكيمة وسليمان الحكيم ٩٠٣ – صور السيد المسيح مصلوباً ، صور درب الصليب ، الصلب بالربط او بالمسامير ، كسر ساقي اللصين ، ابرهيم الخليل وتشييده

لمدينة حلب ٩٦٠ – نظر عام في وقائع العام ٢٠ : ٦ – مجالس ايليا مطران نصيبين ٢٢ ؛ ١١٢ ؛ ٢٦٧ ؛ ٢٦٦ ؛ ٤٣٥ – خطبة في رأس العام للجاثليق الياً الثالث المعروف بابي الحلم ابن الحديثي ٥٥ – المخطوطات العربية للكتبة النصرانية ٥٨ ؛ ١٢٢ ؛ ٢٨٠ ؛ ٢٧٧ ؛ ٤٤٢ ؛ ٥٢٥ ؛ ٦٤٢ ؛ ٧١٨ ؛ ٧٩٧ ؛ ٨٤٥ ؛ ٩٥٨ ؛ ١٠٠٧ ؛ ٢١ : ١٥ ؛ ١٢٢ ؛ ١٩١ ؛ ٢٩١ ؛ ٢٦٧ ؛ ٤٢٨ ؛ ٥٠٨ ؛ ٦٠٥ ؛ ٦٧٢ ؛ ٧٤٨ ؛ ٨٢٥ ؛ ٩٢٠ ؛ ٢٢ : ٢٠ ؛ ٨٧ ؛ ٢١٨ ؛ ٢٦٥ ؛ ٢٥١ ؛ ٥٢٦ – فوز رسول السلام في عاصمة الاسلام ٢٠ : ٦٥ – الاختلاف في تعريب احدى آيات سفر تثنية الاشتراع ، مناجاة سيدنا عيسى ، الشيعة البابيّة او البهائية ٨٠ – خطب جسيم ٨١ – الوقائع الدينية في السنة ١٩٢١ ٨٥ – تقائض جرير والأخطل ١٤٤ – الرسالة المنسوبة الى القديس سرجيوس ، تسمية سر النطاس بالعماد ، دخول الطوائف الشرقية في مصف الكرادلة ١٦٠ – انت الصخرة ٢٤١ – نظر اجمالي في ترقي العلوم سنة ١٩٢١ ٢٩٧ – حقوق الاولاد الابكار ، البروتستانت : اسمهم وزعيمهم ، اسئلة طقسية ٣٢٠ – المئة الثالثة لتثبيت قداسة اغناطيوس دي لويلا وفرنسيس كساريوس ٣٥١ – تنين القديس جرجس ٣٨٦ – الدول الكاثوليكية وعلاقاتها بانتخاب البابوات – اغناطيوس مطران نابلس الماروني – المطران اسحاق الدبيّة ، حلب : اسمها وقدم عهدها ٤٠٠ – مئة سنة في خدمة الرسالات ٤٥٩ – اكتشاف المياه في قلب الارض ، اسم البابا : اصله ومعناه ٤٨٠ – العيد القرني الثالث لانشاء مجمع انتشار الايمان ٤٨١ – شرح آيات كتابية ، تطواف احداث قبرس بالأكاليل في اول ايار الشرقي ، القديس ابون ٥٨٨ – التذكار المئوي للجمعية الاسيوية الفرنسوية ٦١٢ – تاريخ شهداء الروم الكاثوليك في حلب ، مذهب انشتين ، الجواهر الفردة ٦٧٠ – نشره مديحة تلاميذ رومية للقس الياس الغزيري ٧٢٤ – هل يحتمل ان يغيّر الروس ارثوذكسيتهم ؟ ٧٢٢ – نشره الاحاديث المطربة لابن العبري ٧٠٩ ؛ ٧٦٧ – النعم الممنوحة للكاهن الجديد ، البركة بالصور ، تلامذة مار مارون ، اصل لفظة صفية ٧٥ – القديس زخيا وعيده ، دير الزور وسنجقها ، بوذا منشئ الشيعة البوذية في الهند ٨٢٠ – صناعة الحرير في دمشق ٨٦٥ – الاورثذكسيّة والانكليكانيّة ٨٦٨ – نشره رسالة قديمة منسوبة الى افلاطون ٨٨٤ – السبحة وكبار الرجال ٨٩٢ – سن الفيل والفيلة في سورية ، حمل الله ٩١٠ – اثر جديد لقدماء النصارى في الصين ٩٢٩ – تذكار الموتى في الكنائس الشرقية ٩٧٣ – ابن سيرون ، ابن سباط ، تسديد الديون ٩٩٠ – الاب جيروم سكّري ، تاريخ كلدو واشور ، استشهاد القديسة بربارة في بيروت ١٠٧٠ – الوسائل لترقية اللغة العربية ١٠٤٣ – اصوات الكون في اول العام ٢١ : ١ – شعراء النصرانية بعد الاسلام ٢٩ ؛ ٩٩ ؛ ١٨٢ ؛ ٢٦٢ ؛ ٢٨٤ ؛ ٤٤٦ ؛ ٥٣٦ ؛ ٦٢٥ ؛ ٦٨٧ ؛ ٧٧٨ ؛ ٨٥٢ ؛ ٢٢ : ٥٢ ؛ ١١٥ ؛ ١٧٣ ؛ ٢٩٨ ؛ ٣٧٢ ؛ ٤٤٩ ؛ ٥٢٨ ؛ ٦١٤ ؛ ٧١٩ ؛ ٩١٨ ؛ ٩٦٦ ؛ ٢٣ : ٢٤ ؛ ١٠٧ ؛ ٢١٧ ؛ ٢٧٤ ؛ ٤٣٩ ؛ ٤٩٨ ؛ ٥٩٤ ؛ ٦٥٦ ؛ ٧٦٤ ؛ ٨٤٤ ؛ ٨٩٣ ؛ ٣٠ : ٢٧ ؛ ٩١ ؛ ١٨٦ ؛ ٢٥١ ؛ ٢٣٩ ؛ ٤١٧ ؛ ٤٥٨ ؛ ٥٣٠ ؛ ٦٦٠ ؛ ٧٣١ ؛ ٢٥ : ٤١ ؛ ٩٧ ؛ ١٧٠ ؛ ٢٦٦ ؛ ٢٢٥ ؛

٤٤٥ ؛ ٥١٧ ؛ ٥٩٨ ؛ ٦٥٠ ؛ ٧٥٤ ؛ ٨٤٧ ؛ ٩١٠ – الدنيا والدين في السنة الثانية والعشرين ٤٧٠٢١ – يوبيل قفي ذهبي ، احمد الليودي وابن طولون ٧٦ – المستعمرات الالمانية المفقودة ، مسائل زواجية ، ايام الخليفة قبل تكوين الشمس ٨٠ – نشره صورة صك وصية البطريرك مكسيموس مظلوم الاخيرة ٩٣ – مخطوطان عربيان من اسفار العهد العتيق ١٤١ – يشوع بن حوزدق ، الفطير عند الموارنة ، المحافل الماسونية في بيروت ١٦٠ – الصليب قوة الله ١٦١ – الام الثكلى وسيدة النجاة ٢١٦ – مدينة ليوتوبوليس ، تنقيط الياء العربية ، العقل الظاهري والعقل الباطني ٢٤٠ – نشره ترجام القيامة المقدسة للجاثليق ايليا الثالث المعروف بابي الحلم بن الحديثي ٢٤٨ – اثر جليل للبطريرك اسطفانوس الدويهي : تاريخ المدرسة المارونية في رومية ٢٠٩ ؛ ٢٧٠ – عاديات سورية ومصر المكتشفة حديثاً ٢٧٥ ؛ ٤٦٣ – تاريخ الشيعة الماسونية ، من هو سنكنياثون ، وحي القديسة جرترودة وصلاتها ٤٠٠ – تطويب العبد الامين الكردينال بلرمين ٤٠١ – اثر جديد لشاعر العراق ٤٢٨ – قاموس العوام لحليم افندي دموس ٤٢٢ – جناز البتولات في الطقس الماروني ، شمسة ملكة العرب ، ابن الخلق والخزالي ٤٨٠ – يدائع جبران خليل جبران وطرائفه ٤٨٧ – الكذب بضاعة الفرسون ٥٢١ – المجاعة الحاصلة مدة سبع سنين في مصر على عهد يوسف ، مولد سبتيموس سابيرس ، اسم القيصر كركلا ٥٦٠ – البابا اكليمنضوس الرابع عشر والنساء الرهبانية اليسوعية ٥٦١ – اسم الاندلس ، السيد المسيح في ميلاده ، سبب اماله يوحنا في سجنه وموته ٦٢٩ – يوبيل الستة السبعين في خدمة الوطن والدين : خلاصة تاريخ واعمال راهبات القلبين الاقدسين ٦٤١ – الأسد الشكور ٧٠٧ – تعليق نعل الفرس في اعالي البيوت ، كتاب السقراطية ، الشمس وقربها من الارض في الشتاء ٧٣٠ – محاضرة في حمص ومآثرها ٧٣١ – نشره وصايا افلاطون لارسطو وارسطو للاسكندر ٧٥٨ – الكتب العربية القديمة في المثيل ، المحافل الماسونية في بيروت ٨٠٠ – درس اللاتينية في المدارس الفرنسوية ، عيد فتح المسئيل في ١٤ تموز ٨٨٠ – منارتا الكنيسة الجامعة : القديسان توما الاكويني وفرنسيس دي سال ٨٨١ – الكنيسة الكاثوليكية بازاء ديوان التفتيش ٩٢٢ – كلمة لوتاروس في التحريض على المطيئة بزيادة الايمان ، تكوين البحار وسبب ملح مياهها ، حُبَيْش بن الاصم والاسرة الحبيشية ٩٦٠ – ميمر في عيد ختانة الرب منسوب الى القديس كيرلس رئيس اساقفة اورشليم ٢٢ : ١ نشره الرسالة الحرفية للسيد الشريف الجرجاني ١٠ – حفلة ادبية في الكلية اليسوعية في تعزيز اللغة العربية ٣٩ – النقود الازونية ، اصل طلبة العذراء ، نصرانية داود الانطاكي ٨٠ – علاج الكَلَب عند قدماء العرب ١٢٦ – احوال الدين في السنة الثالثة والعشرين ١٣١ – الكتب المحرَّمة ، الرقص المختلط ، الامم السكونية واللاتينية ١٦٠ – رجل الفضل وضحية الجور المرحوم جبرائيل غرغور ٢٠٦ – الوسائط لإهلاك الخُلد ، كتب زراعة الخضر ، تآليف غوستاف لوبون ، منح الحلّة لمن يساوي بين الكنائس والبروتستانية ٢٤٠ – نصير الكنيسة والدين

الطوبوي الكردينال روبرتس بلرمين ٢٤١ – المجمع العلمي العربي في دمشق ٢٤٨ – الصلاة التي تتلى في آخر القداس ، التاريخ المعرب من البطريرك مكاريوس ، رجوع المنفصلين الى الكنيسة الكاثوليكية ٢٢٠ – جبيل : تاريخها ، أديارها ، آثارها ٢٢١ – نظر في ترقي العلوم (١٩٢٣ – ١٩٢٤) ٢٨١ ؛ ٤٦٥ – الرهبانيات في الانجيل والتاريخ القديم ، النور في قبر المسيح يوم سبت جمعة الآلام ، اقامية ومدينة حماة ، الشاء في ذات وذوات ، صحاح الجوهري ٢٩٩ – نظر في الطرفة النقية من تاريخ الكنيسة المسيحية ٤٠١ – سر القربان في الكنائس الشرقية ٤٢٧ – القديسان آجيا وصوفيا ، حدود لبنان الكبير وعدد اهل سناجقه ، حقيقة قطعة سريانية ٤٨٠ – جولة في الدولة العلوية ٤٨١ – الراهب افرام البرصومي والكرسي الاسكندري ٥١١ – المدن الزائد عدد سكانها على المليون ، اول طبعة للمزامير العربية ، جواب على «حقيقة قطعة سريانية» ٥٦٠ – شهداء المجمع الخلقيدوني في التاريخ ٥٩٨ – الريحانيات المنتخبة ٦٣٣ – الكنيسة الجيورجية والارمنية ، الطبيب عيسى البغدادي ، الطريقة الماسونية الاسكتلندية ٦٤٠ – شهيد الوحدة الكنسية في الاقطار الصقلية ٦٨١ – صدى مذبحة القديس برثلماوس ٧٠٣ – لا تناقض في التوحيد والتثليث ٧٢٧ – التقديس في الآحاد والاعياد والاصوام ، اسماء قداس ثلاثة كهنة ، ذكر العذراء مريم في رسائل القديس بولس ، قانون المجمع النيقاوي ، ازالة المادة الدهنية من العظم ، تفضيل المرء الموت على قطع رجله ، مظالم القرون الوسطى ٧٥٩ – مفاخر دمشق المسيحية ٧٦١ – ثمرات الاوراق : فكاهات العرب ٧٧٧ – الايمان ناقل الجبال ٨٠٣ – الشاعر صالح بن عبد القدوس ٨١٦ – ذات الصليب ، اصل اسم ايلول ومعناه ، زمن بطلان الكتابتين الهيروغليفية والمسمارية ، اسم فيبيقة ٨٤٠ – يوبيل الجامعة الرومانية الغريغورية ٨٤١ – ابن تيمية والوهابيون ٩٠٥ – اصل عيد جميع القديسين ومعناه ، الافادة من وحي الاسرار الفائقة العقل ، الاشتراك في الطقوس ٩٤٠ – الغفران وحقيقة معناه في الكنيسة ٩٤١ – عامل نشيط في كرم الرب : الاب ادوار ميشال اليسوعي ٩٨٣ – القديسة بربارة الشهيدة ، قوس قزح كآية لنوح ، مشكل في خدمة القداس المارونية المطبوعة في حلب ، الكاروبيم في الكتاب المقدس ١٠٢٠ – مفكرات السنة الشمسية لاهل الكرة الارضية ٢٣ : ١ – بيروت : تاريخها وآثارها ٥٤ ؛ ١٢٥ ؛ ١٩٤ ؛ ٢٩٣ ؛ ٣٧٢ ؛ ٤٥٨ ؛ ٥١٧ ؛ ٦١٨ ؛ ٦٦٨ ؛ ٧٧٤ ؛ ٨٦٤ ؛ ٩٤٤ ؛ ٣٩ : ٤٣ ؛ ١١٤ ؛ ٢١٤ ؛ ٢٦٧ ؛ ٣٦١ ؛ ٤٦١ ؛ ٤٨٩ ؛ ٥٦٠ ؛ ٧٥٧ – الآداب العربية في الربع الاول من القرن العشرين ٢٣ : ٦٣ ؛ ٢٢٥ ؛ ٣٠٤ ؛ ٣٧٧ ؛ ٤٦٤ ؛ ٧٥٥ ؛ ٨١٨ ؛ ٣٩ : ٦٥ ؛ ١٤٤ ؛ ٢٢٣ ؛ ٢٩١ ؛ ٣٧٠ ؛ ٤٣٩ ؛ ٤٩٨ ؛ ٥٨٣ ؛ ٦٧٦ ؛ ٧٧٧ ؛ ٨٥٩ ؛ ٢٥ : ٥٨ ؛ ١١٣ ؛ ١٩٣ ؛ ٣٠٣ ؛ ٣٨١ ؛ ٤٢٣ ؛ ٥٣٦ ؛ ٧٠٤ ؛ ٧٧٦ ؛ ٨٥٩ ؛ ٩٤١ – مصادر على فمّال وفمّيل وتفمّال ، صورة سر القربان في القداس ، تعريف بعض المخطوطات العربية ، الإضرار في الانجيل وصلاحيته ، ازواج المتردد في المجتمع البشري ٢٣ : ٧٨ – نظر عام في سابق العام ٨١ ؛ ٢٠٥ – المذهب السيلفي

وصاحب ، الكاتب المجري مُنقّر ، الرافضة الكسر وانيّون ١٦٠ – حقوق اللغة العامية بازاء اللغة الفصيحة ١٦١ – كلمة مرفع ، بدء الصوم عند الشرقيين والغربيين ، اسم بوذا ، معجم ما استعجم ، الدوائر السريانية ، القديسة صوفيا ، تدمر وذكرها في الكتاب المقدس ٢٢٩ – روايات مؤرخي العرب في صوم النصارى وفصحهم ٢٤١ ، قصيدة في مدح ابراهيم باشا المصري ٢٩٩ – وجود شيء من لا شيء على رأي المقتطف ، آية زكريا مسوبة لارميا النبي في انجيل متى ٣٢٠ – يوبيل كليّة مار يوسف الذهبي ٣٢١ – الرسالة اليسوعية في بيروت ، الشماس والشدياق ٤٠٠ – صدى يوبيل كليّة القديس يوسف الذهبي ٤١٠ – القوانين الحربيّة عند العرب ، من هو علي بن زيز النصراني ٤٨٠ – البابا ليباريوس ، البابا حنة ، بطرس الرسول في رومية ، ردّ على القس منسّى يوحنا ٥٤٥ – القديس ريته ٥٦٠ – اسم القديس اليأ ومقامه ، رابع المستحيلات ، الناطنون بالضاد ، اصل لفظة قانون ، قاموس عربي سرياني ٦٤٠ – وضع اليد تحت الفخذ في الاستحلاف ، عيبة ابي زيد ، اعجوبة نقل الجبل في مصر ، ابو الرقمق ٧٢٠ – تاريخ جديد لمدرسة بيروت الفقهية الرومانية ٧٢١ – الحكم على المسيح لبيلاطس البنطي ، وصف المسيح ليوليوس يوستوس ، كتاب المحاسن والمساوئ للبيهقي ٨٠٠ – شفاعة القديسين لحماية المؤمنين ٨٠١ – اغنى بلاد العالم بمناجم الذهب ، كتاب مؤنس الوحيد للثعالبي ، تراجم الشعراء ، القبعة على رؤوس العرب والاتراك ٨٨٠ – القبعة على رؤوس الاتراك والعرب ٩٢٦ – ترجمة ثاوفيل الماروني لالياذة هوميروس في السريانية ٩٦٠ – ذكرى وعبرة للانام في راس العام ١٠٣٤ – الدنيا والدين في عام خمسة وعشرين ٥٨ ؛ ١٣٩ – عهد عمر والهدية ، لفظة الشعر في شعر الحجّاج ، عيد الجبل بلا دنس في ٩ ك١ عند الروم الكاثوليك ٨٠ – حمورابي ملك بابل ١٢٢ – ديوان ابن الساعاتي ، التآليف في تاريخ الدروز وغيرهم ١٦٠ – القديس بطرس كانيزيوس ملفان الكنيسة ١٦١ – الاله العربي مناف ١٩٧ – الشهور العربية ومعناها ، انقلاب لبيب الرياشي على الماسونية ، شرح الآية الثانية عشرة من المزمور الثاني ٢٤٠ – نظر عام في الاكتشافات العلميّة الحديثة ٢٩٧ – مراسلات تل العمارنة ، الجوغي وعجائب اعمالهم ، صحّة الاناجيل المقدّسة ٣٣٠ – المقتطف ومذهب النشوء والعلماء اليسوعيون ٣٣١ – نشره صورة يورلدي من احمد باشا الجزّار الى مشايخ الدروز ٣٣١ – سيرامبس ، المتكلّمون بالالمانية ، اول كتاب طبع على الحروف ٤٠٠ – يوبيل مدرسة الحكمة الذهبي ٤٠١ – الدين والوطن للجميع ٤٧٥ – نصارى مار توما في الهند ، الرضى المتبادل في سرّ الزواج ، عدم صلاح الكاثوليك بقراءة التوراة البروتستانية ٤٨٠ – الرتبة التفضيلية للدول الاوربية في الشرق ، اوض الكلاب ، الترجمة السبعينية ٥٣٠ – اللغة الارامية واقدم آثارها ، الزمن المعروف بصدر الاسلام ٦٤٠ – مولد مريم العذراء في تقليد الاسلام ٦٨٢ – نابغة في التاريخ عمر ابو نصر ٦٩٨ – زاهية او ضحيّة الازياء ٧٨٥ ، ٨٤٨ ؛ ٩٠٩ – وداعة الحمام ، الشيبة والشجم ، الطريقة الشاذلية ٨٠٠ – نشره نبذة مختصرة في حوادث لبنان والشام (١٨٤٠–١٨٦٢)

لاحد القسوس المسيحيين ٨٠١ ؛ ٩١٥ – القديس مبارك الانياني، اسم القديس فرنسيس في العماد ٨٨٠ – الحفلات اليوبيلية بتثبيت القديسين لويس غونزاغا واستانسلاوس كوستكا من الرهبانية اليسوعية ٨٨١ – الصلاة الى الروح القدس ، الذروة واصلها ، القديس ماروتا وتآليفه ٩٦٠ – نظر عام في احوال العام ٣٥ : ١ : ١٣٥ – العلم البابوي، تاريخ البابوات ، كتلكة الاميرة استريد، معرفة المتفلوطي بالفرنسوية ٨٠ – اليهودي التائه ، نصرانية الشاعر ابي تمام ، الاكل والشرب في السماء ١٦٠ – نظر في حركة العلم السنوية ٢١٠ – انجيل للقديس بطرس، القرآن واقواله عن الكفار والمشركين ، تآليف يحيى بن عدي ٢٤٠ – تصميم الاصطباف في لبنان ٢٨٩ – قصر ابن وردان ، خرائب اندرين ، تقرير بيلاطس عن السيد المسيح ٣٣٠ – الاخويات المريمية في الشرق ٣٣١ – نشره زجلية ايفونة صيدنايا العجيبة ليوحنا عيسى عويسات ٣٥٤ – المدرسة الكلية والمدرسة الجامعة ، اول ظهور الاوراق المالية ، من هو المقوقس ٤٠٠ – سر القربان في الآثار المرية ٤٠٨ – نشره ثلاث براءات للبابا بنديكتوس الرابع عشر بخصوص المجمع اللبناني ٤٢٣ – الطوبوية جان اتيد طوره منشئة راهبات محبة بيزانسون ٤٥٩ – تسمية الفاطرة بالشوالحة، النسبة بين الآراميين والادوميين، انارة المسيح بالنور الكهربائي ، قبول حسنة القداس من غير كاثوليكي ، جمعية الرسالات الاجنبية ٤٨٠ – طبع مخطوطات نادرة ، الروايات التمثيلية التي يمكن تشخيصها في المدارس ٥٦٠ – الارشمندريت فوتيوس ورسائل البروفنسيال ٥٦١ – الزلازل : اسبابها وقوانينها وعلاماتها ، الروايات المسكن تمثيلها في النوادي الكاثوليكية ٦٤٠ – اول تاريخ لبيروت ولبنان ٦٨٦ – جلالة الملك فؤاد في رومية، يوبيل جامعة انسبروك في النمسة ، رد الارشمندريت فوتيوس، زعم باطل لمجلة الهلال في انتشار الاديان بين كل الشعوب، مصدر النور الليلي ، امراب باريس ، سناج مداخن لندن ، في اعالي جبال سويسرة ، الاعياد اليوبيلية لتذكار المصور روبنس ٧١٧ – زواج الكردينال تفولا فوسوا دوقة لورين ، ورق الكتابة وشيوعه عند العرب ٧٢٠ – العين الباصرة لروائع القاهرة ٧٢١ – نشره وصية عبد الملك بن صالح لابنه قبل وفاته ٧٢٨ – ايزندا مركز اسقفية شرفية، الشهيد دمتيوس او دمنوس ، افضل تأليف لتعليم اللاهوت الادبي والنظري والمدني ٨٠٠ – اثر قريد لليطريرك مكسيموس مظلوم ٨٠١ – نظر عام في الكتلكة ومعتقداتها ٨٢١ – ايزندا وموقعها ، اصل كلمة Dingue ، دير حرملة ، البرديوط واسمه ومعناه ٨٨٠ – زيارتنا لآثار توت عنخ امون ٨٩٣ – عمل المشرق في ربع قرن ٩٢٥ – ابو الحسن هبة بن سعد ، موسكو اسمها وتاريخها ، تاريخ بعض المشاهير والملك زرادخت ٩٦٠ – رؤيا سمعان الشيخ ٣٦ : ٥

شير (المطران ادي) : نظر اقتصادي في حكايات بعض شهداء الفرس ١٥ : ٥٠٣

ص

ص . (س.) : الضيافة عند العرب ٦ : ٦٠٣

الصابئ (هلال بن المحسن) : ترجمته وتآليفه وطرف من كتابه «تاريخ الوزراء» ٦ :

٤٦٦ ؛ ٦٤٩
صاعد (القاضي ابو القاسم الاندلسي) : كتابه طبقات الامم ١٤ : ٥٦٦ ؛ ٦٦٤ ؛ ٧٥٣ ؛ ٨٤٣ ؛ ٩٢٤
صالح بن عبدالقدوس (راجع ابن عبدالقدوس)
صالح (عبد الملك بن) : وصيته لابنه قبل وفاته ٢٥ : ٧٢٨
صالح بن يحيى : كتاب تاريخ بيروت واخبار الامراء البحتريين من بني العرب ١ : ٢٢ ؛ ٨٣ ؛ ١٢٩ ؛ ١٦٦ ؛ ٢٢٢ ؛ ٢٧٣ ؛ ٢٢٢ ؛ ٣٧٠ ؛ ٤١٨ ؛ ٤٦٥ ؛ ٥١٥ ؛ ٥٦٤ ؛ ٦١٣ ؛ ٦٥٨ ؛ ٧٠٥ ؛ ٧٥٣ ؛ ٨٠٣ ؛ ٨٤٧ ؛ ٨٩٩ ؛ ٩٤٦ ؛ ٩٩٥ ؛ ١٠٤٢ ؛ ١٠٦٢ ؛ ٢ : ٢٩ ؛ ٧٤ ؛ ١٢٣ ؛ ١٧٣ ؛ ٢٢٠ ؛ ٢٧٤ ؛ ٢٧٣ ؛ ٤٢١ ؛ ٤٦٦ ؛ ٥١٦ ؛ ٥٥٢ ؛ ٦١٤ ؛ ٦٥٩ ؛ ٦٦٧ ؛ ٧٥٥ ؛ ٨٠٤ ؛ ٨٤٧ ؛ ٨٩٤ ؛ ٩٤٦ ؛ ١٠٢٢ ؛ ١١٢٢
صالحاني (الاب انطون اليسوعي) : استعمال القطير والمحبر ١ : ٧٧ ؛ ١٠٨ — « ختاء مغرب » ٢٠٣ — سبب انقطاع نبع نهر بيروت ٢٣٧ — صيام يومي السبت والاحد، السنة ١٩٠٠ كنيسة ام لا ٢٨٦ — الشمس والارض ٤ : ٩٥٩ — نسخة جديدة مخطوطة من ديوان الاخطل ٦ : ٤٢٢ — نسخة جديدة من شعر الاخطل ٧ : ٤٧٥ — نقائض الاخطل وجرير ٨ : ٩٧ — الطلاق عند المسيحيين ١٠١٢ ؛ ١٠٧١ ؛ ١١٢٩ — قبل الولادة وبعد الموت ٩ : ١ ؛ ١٠١٥ ؛ ١٠ : ٦٤ ؛ ٢٦٤ — ايضاح مسألة في العماد ١٦١ ؛ ٢٠٤ — نقائض جرير والفرزدق ١٠ : ٦٢٥ ؛ ١٣ : ٩٦ — ملحوظات على مثلث قطرب ١٢ : ٨٥٠ — مثل الجرذان والمرّ ١٤ : ٥١٠ — الاخطل ومَصقَلة بن هُبَيرة ٨٢٢ — ديوانان جديدان لعَبيد بن الابرص وعامر الطُفَيل ١٧ : ٢٤١ — ديوان عمرو بن قميئة ١٨ : ١١٨ — التنبيه على اوهام ابي علي في اماليه ١٩١ — رئاسة القديس بطرس ٢٢٢ — الموافقة بين متى ولوقا في روايتها نسب يسوع المسيح ٤٣٠ — اصلاح غلط في « نقائض جرير والاخطل » ٢١ : ٧٧ — انبثاق الروح القدس من الآب والابن ٢٢١ — نشره المقامة الاورشليمية لاحد تلامذة البيان في كلية القديس يوسف ٥٧٤ — المقتطف والنفس الروحية ٢٢ : ١٧١ — خطر حسم او اللغة العامية ٢٣ : ١٢١ — الدين المسيحي والترقي المدني ٢٦ : ١٦١ — حادث ديني خطير في الكنيسة الانكليكانية ٢٤١ — كتاب الاغاني وطبعته الجديدة ٢٩٠ — رسائل الحمر الاعظم واتحاد الكنائس ٢٢١ — نسب السيد المسيح ، لا تناقض في الاناجيل ٤٨١ ؛ ٥٦١ — اخوة وأخوات يسوع ٧٢١ ؛ ٨٠١ — طفيل النَنَوي والتِرمَاح الطائي ٧٦٩ — أأبيانار ام أجيسَلِك ٨٨١ — كنف الشمس وتأثيرها ٢٧ : ٢٢ — اسمان القيرواني ام الكيريني ٩١ — كتابان في الخيل ١٨٩ — رسل المسيح الاثنا عشر ٢٤٢ — مرقس صاحب الانجيل الثاني ٥٦١ — غرائب الارقام الهندية ٢٨ : ٢٤ ؛ ١٧٦ — تعليم الرسل الاثني عشر ٢٩ : ١ ؛ ٩٢ — متى صاحب الانجيل الاول ٥٦١ — لوقا صاحب الانجيل الثالث ٣٠ : ١ ؛ ١٢٠ — نسخة خطية من شعر الاخطل وجدت مؤخرًا في طهران ٣٥ : ٢٢٩
صائغ (القس سليمان الكلداني) : رحلة حديثة الى الشيخ عادي والربّان هرمزد ٢٠ : ٨٣١ — في قرى نينوى ٢١ : ٤١٤ — فقيد العلم السيد ادي شير مطران سعرت الطيب الذكر ٢٣ : ٢٦

الصائغ (الخوري نقولا) : ابيات زهدية ١ : ١٠٧
صائغيان (الاب ديرنرسيس البغدادي) : عيد التجلي في الكنيسة الارمنية ٥ : ٧٠٦
– ترجمة السيد المفضال دير ارسين ايدنيان ٦ : ٢٤ – هل الدهن بالزيت بدعة . . . ٩٤ – عيد انتقال العذراء في الكنيسة الارمنية ٧٥٣ – اللغة الارمنية ٨ : ٨٠٧
صبّاغ (حليل) : رحلته الى طورسينا ٧ : ٩٥٨ ؛ ١٠٠٣
صبّاغ (نجيب) : اواخر الاقوال لمشاهير الرجال ٦ : ٨٩٧
صبرا (وديع) : الموسيقى الشرقية ٢٧ : ١٧ ؛ ٩٦ ؛ ١٩٦
صدقه (نجيب) : السلطة الابوية في الشرع الاسلامي ٣٦ : ٩٣ ؛ ١٩٧ ؛ ٤٣٩
صعب (ادوار) : بين المشرق والسائح : انتقاد ثانٍ ٢١ : ٩١٤
صفا (المحامي اسكندر) : حرش مشاع باع بعضهم جزءا من اشجاره . . . ٣ : ٤٢١
صفا (القانوني جرجس) : كتبي المخطوطة ٥ : ١٦٠ ؛ ٥٢٠ – تعريف بعض مخطوطات مكتبتي ١٦ : ١٦٨ ؛ ٢٦٧ ؛ ٤٢٥ ؛ ٥٧٨ – الشطرنج : فوائد في اصله وحكمته ١٩ : ٨٢٥ – كتاب الشفعة من الجامع الكبير في الشروط ٢٨ : ٧٣٤
صفير (الخوري بطرس فرج) : الانجيل والسلم العام ١٨ : ٢١٨ – الكنيسة ومناهضة الحروب ٥٢٤ – ذكرى لوفاة نابوليون الاوّل ١٩ : ٩١٦ – سرّ الامير ٢٠ : ٤٤
صفير (يوسف) : نشره لتقليد اعطاء الجزار على الشوف للامير يوسف الشهابي ١٣ : ٢١٨
صقر (القس مبارك الانطوني) : الصرصر في لبنان ١٠ : ٥٨٦ – مقابلة بين المسورية المسيحية والعماد الماسوني ٣٤ : ٢٢٠
الصقلّي (ابو محمد عبد الله) : رسالته في المكحلة ١٠ : ٧٥
صليبا (الاب برتلماوس ق . ب .) : الدين ومناهضوه ١٤ : ٤٧٦
صابوا (الشماس داود الكلداني) : مراسير القديس بوناونتورا ١١ : ٢٩٨ – اللغة العربية والحركات ٥٧٠
صوايا (نعيم) : الباء العامية في المضارع ٣ : ٤١٧ – صدى الوطنية ٥ : ٣٢٣
صوما (الصيدلي بولس) : الشمع ١٢ : ٥٢٤
صيداوي (الافوكاتي ايلي) : متسوّلة اسكندرانية في لبنان ٢١ : ٥٥٨

ض

ضاهر (يوسف) : السوريون في البرازيل ١ : ١١٠٥ – المالية العثمانية ٥ : ٥٩٧

ط

طاناس (البطريرك كيرلس) : رسالتان وجهها الى لويس الخامس عشر وابنه الدلفين ١٢ : ٧٠٦
طحيني (اسكندر) : الامير والفراشة ٤ : ٦٠٨ – ذكر الابطال في حرب الترنسفال ٦ : ٥٦٣ – الألماس : تاريخه ومعادنه الافريقية ٨٦٥ – شلّالات فكتوريا ٧ : ١٠١٣ – كبيرة الالماس او يتيمة كولينان ٨ : ٣٨٥ – معادن الرند الذهبية والتعدين في الترنسفال وافريقية الجنوبية ١١ : ٤٠٣ ؛ ٥٠١ – معادن الترنسفال غير الذهبية ٥٩٤
طعمه (الخوري بولس) : صناعة السجاد في عكار وازمير ٦ : ٨٨٥
طنوس (الاب انطاطيوس اللبناني) : الامير

دي جوانثيل في شمالي لبنان ٣٣ : ٩٣ –
جبرائيل الصهيوني (١٥٧٧-١٦٦٨) ٣٨ : ٢٥٣
طنوس (الخوري يوحنا) : الاسد الراعي ٥ :
٣٣٢ – كلّكِ جميلة وليس فيكِ عيب
٧ : ٤٤١ – الاسقف الصالح ١٦٣ – عزاء
وهناء ٣٠ : ٩٩
طوبيا (الشماس عبد يشوع الموصلي) : ترجمة
حياة وتآليف القس بطرس سعري الكلداني
٢١ : ٦٥٧
طوران (الاب اسكندر) : النحل ١٥ : ٢٥ ؛
١٩٠ – العسل ٥٩٠ – عجائب الخلايا في
النبات والحيوان ١٦ : ١٦١ ؛ ٢٥٠ –
عنصر الكربون ٤٨١ – الولادة في الحيوان
١٧ : ٥٨ ؛ ١٢٦ – تكوين البيضة في
الحيوان ١٩٣ – تجنيس نسل البيضة في
الهوام ٢٩٧ – التوليد المفرد في الحشرات
٣٨٥ – فوائد الحشرات ٤٥٨ – الحياة
الحيوانية على وجه الكرة الارضية ٥٢١ –
المشاعر في الحيوانات ٥٩٣ ؛ ٦٧٣ –
الوهم في الحيوان ٧٤١ – الوهم في الحيوانات
والحشرات وحيها الغريزي لنسلها ١٨ : ١٦ –
ضلال الوهم في الحيوانات والحشرات ٢٠٥
– الحشرات الجراحة ٢٥٩ – الحشرات
المتطفلة ٤٩٥ – مقاتلة الحشرات الضارّة
بالزراعة ٩٤١ ؛ ٩٦٨ – الحيوانات الداجنة
وتربيتها ١٩ : ١١٤ – العنكبوت ٣٣٨ –
المذهب الدروينى واصل الانسان ٦٠٦ ؛
٦٥٩ ؛ ٧٣٩ ؛ ٨١٤ ؛ ٩٠٨ – اصول
التاريخ البشري وسوابقه ٢٠ : ٦٧١ ؛ ٨٠٥
– السونة حشرة الغلّات في البقاع ٢٣ :
٦٢٥ – الاب غدفريد زمّوقن ٢٦ : ٧٧٧

ظ

ظاهر (الياس تقولا) : عصر الرشاد ١٣ : ٦٢٥

ع

العاملي (محمّد علي عزّ الدين) : كشف الظنون
عن حال الفرمسون ١٩ : ٤٨٦
عبد الاحد (باسيليوس) مطران آمد : ترجمة
يوسف الاوّل بطريرك الكلدان (١٦٨١–
١٧٠٧) ١٩ : ١٢٤
عبد النور (جرجي) : اعماق البحار ٨ : ٢٤٥
– القمح ٤٧٧
عرب (الدكتور اميل) : شواعري في مدينة
النور ١٥ : ٦٠١
عرب (انطون) : الحنّاء ١ : ٩١٣ – تاريخ
فنّ الصيدلة في المشرق ٢ : ٨١
عريس (الاب بولس) : الاعياد الأرمنية ١٧ :
٤٨
عزّو (القس بطرس الكلداني البغدادي) :
اللغوف الهندية ٤ : ٤٥ ؛
عزّو (القس يوحنا) : رسالة البطريرك
اغناطيوس نعمة الله السرياني (١٥٧٩ م)
٣١ : ٦١٣ ؛ ٧٣٠ ؛ ٨٣١
عزيز (القس بطرس) : اشرف النبوّات
المريمية ٣ : ١١٠٥ – دوام البتولية المريمية
٤ : ٥٠١ – سرّ الافخارستيّة في العاديات
المسيحيّة ٦٧٣ – الكرسي الرسولي وطائفة
الكلدان ٥ : ١١١٥ – الطائفة الكلدانيّة
والكنيسة الرومانيّة ٦ : ٤٩٣ – قدمية
الكلدان في حلب ٦٥٥ – مار مهدرشا :
ترجمته وتآليفه ٨٤٤ – المجوس ٧ : ١٢ –
كتاب لنسطور ٨٤٩ – مجموعة السنهادوسات
الكلدانيّة ٥١٧ – الكلدان الناطرة في
الصين ١٠٣٥ – يعقوب السروجي ٩ : ٨٧١
– أكرام الصليب والصور عند الناطرة
١٠ : ٨٤٤ – سير لاسحق النينوي في
أكرام الصليب ١٢ : ٨٥٢

عزيز (الخس بولس) : بيت لحم وداود الثاني ٤ : ١٣٠
عزيز (حنا) : اقاعي الفردوس ٣٦ : ٥٠٩
عصام : عذراء اورشليم ١٧ : ٣٩٦ – الجناح المحطوم ٥٥٦
العطار (السيد اثناسيوس سفر السرياني) : اخبار سفر المونسنيور فرنسيس بيكيت الى بلاد ارمينية والعجم (١٦٨١–١٦٨٤) ٣٢ : ١٠٩ ؛ ٢٨٢ ؛ ٤٤١ ؛ ٥٩٢
عطيه (جرجي) : الى الند ٣ : ١١١ – الباء العاميّة في المضارع ٤١٨ – الاحلام ٤٤٨
عطيّه (نقولا) : امراض الذاكرة ٣١ : ٦٢٤
عقل (الخوري بطرس الماروني) : عقيدة المطهر عند الكاثوليك ٧ : ١٠٥١
عقل (سعيد) : في الشعر : خواطر ونماذج ٣٣ : ٢١ – بنت يفتاح : مأساة شعرية ذات فصلين ٣٢٤ – الشعر اللبناني باللغة الفرنسوية ٢٨١ – فخر الدين (١٦٣٥–١٩٣٥) ٥٢٢ – الطيور الغريبة ٣٤ : ٣١٠ – المرسح ٣٥ : ٤١ – شعر يوسف غصوب ٣٩١ – ابعاد مشرقية ٣٩ : ١٥٩
عقل (وديع شديد) : بوق من المشرق ينفخ الى المغرب ٥ : ٢٧٨
العلم (المنسنيور يوسف) : في اعمار الآباء الاوّلين ٤ : ١٥٣ – حله للنز الوارد في الصفحة ٣٣٥ : ٤٣٠ – حله للنز الوارد في الصفحة ٣٥٠ : ٤٧٩ – الالفة البشريّة ٥ : ٦٥٤ – تباين الحظوظ بين الناس ٧٩٣ – تواريخه الشعرية ٦ : ٤٨٦ – حمامة المشرق ٣ : ٧ – حثّة المشرق بعامه السابع ٩٤ – توبة داود ١٥٣ – الصوم ٢٠٤ – قصيدة في قيامة ربّنا وفادينا يسوع المسيح ٨ : ٤٣٠ – تاريخ فقيد الملّة المارونية ١٠ : ١١٠٣ – تحية الشرق بالمكتب الفرنساوي الجديد ١٥ : ٣٩٧ – تذكار المسيحيين للملك قسطنطين ١٧ : ١٥٦
علوان (الاب يوسف اللازري) : الطوباوي حبري ميكائيل الشهيد الحلبي اللازري (١٧٩١–١٨٥٥) ٢٥ : ٢٤١ – شهيدا الثورة الفرنسوية من جمعية كهنة الرسالة المعروفين باللازريين ٢٥٩ – بيان حقيقة ٣٦ : ٢٧٧
علي بن ابي طالب (راجع : ابي طالب)
العمشيتي (الخوري يوسف) : المهاجرة : منافعها ومضارّها ١٤ : ٢٤٤ – خلاصة الثناء لسيدة السماء ٧١٨ – المذاهب المستحدثة لفلاسفة الاعصر المتأخرة ١٩ : ٥١٧ – الايمان والعلم أخوان لا يختلفان ٢١ : ٨١ – دخول بطرس الرسول الى رومية ٥٤٤ – الاميران الاسيران ٣٤ : ٧٦٢ ؛ ٨٣٠ ؛ ٢٥ : ٣٥ – ترجمة المونسنيور انطون مرقس ٢٦ : ٢٧ – الزهرة التركية في الحديقة الرهبانية ٢٨ : ١١٨ ؛ ٢٠٣ – عادة التنوير في عيد القديس يوحنا المعمدان ٤٥٩ – البطريرك ارميا العمشيتي ٢٩ : ٣٦٤ ؛ ٤٥٤ – كنيسة شامات : صفحات تاريخية اثرية ٦٣٣ ؛ ٧٥٢
عواد (ابراهيم) : حالة لبنان الاقتصادية في سنة ١٩٣١ ٣٠ : ١٢٨
عواد (توفيق) : الشعر العامي ٢٨ : ٤٢٦ ؛ ٥٠١
عواد (حبيب) : القلب الجريح فوق الضريح ١٩ : ٧٩٦
عواد (الخوري منصور) : رومية : لمحة شعرية في وصف رومة العظمى ١٧ : ٦٨٨ ؛ ٧٧٥ – مجاراة تسبحة الموتى اللاتينية ٣١ : ٨١٣ – الاخوة الثلاثة شهداء دمشق الموارنة ٢٥ : ٤٨١ – البطريرك اللبناني الياس بطرس الحويك (١٨٤٣–١٩٣١) ٣٠ : ٨١ ؛ ١٨٦ ؛ ٣٧٣ ؛ ٥٠٣ ؛ ٦٤٠ ؛ ٨٥٦ ؛ ٩٢٤

عوّاد (ميخائيل) : دير قُنّى ٣٧ : ١٨٠
عويسات (يوحنا عيسى) : زجليته في ايقونة صيدنايا العجيبة ٣٥ : ٢٥٤
عيد (الشماس يوسف) : كتابة الاسقف ابرقيوس او ملكة العاديات النصرانية ٣٠ : ١٢٤
عيسى (يوسف القدمي) : سؤال حسابي ٣ : ٧٦٧

غ

غ (الخوري ا.م.) : الكنيسة بازاء اعدائها ١٦ : ٧٢
غ (ي.) : تجسُّد المسيح ٥ : ٦٧٢
الغافي (ابو جعفر احمد بن مشيد) : منتخب واحسن تعليقين في الفرق الاسلامية ٣٢ : ٩٧٨
غالب (الخوري بطرس) : كاهن فاضل عالم : الخوري بطرس المكرزل (١٨٣٨-١٨٨٨) ٢٠ : ١٠٥٢ – نوابغ المدرسة المارونية الاولى ٣٣ : ١٧ ؛ ١٠٠ ؛ ٢٤١ ؛ ٤٣٨ ؛ ٤٩٧ ؛ ٥٨٦ ؛ ٧٠٨ ؛ ٣٣ : ٤٢٠ ؛ ٥٠٦ – نشأة الديانة المسيحية في لبنان ٣٦ : ١٨٩ ؛ ٢٥٩ ؛ ٣٥٩ – قداسة الحبر الاعظم بيوس الحادي عشر ويوبيله الذهبي الكهنوتي ٢٤١ ؛ ٣٣١ – الاب لويان كاتن (١٨٥١-١٩٣٩) ٥٢٥ – الحياة النسكية في لبنان ٦٥٣؛٧٤٤؛٨٣١ – السيد فريديانو جيانيني ٢٧ : ٨٨١ – ابراهيم الحاقلي او الحاقلاني (١٥٩٤؟ – ١٦٦٤) ٢٨ : ١٨٦ ؛ ٢٥٠ ؛ ٢٤٣ – تعريف عن حكم جبل كسروان ٥٨٨ – الاحوال الشخصية ٨٣١ ؛ ٨٩١ ؛ ٢٩ : ٢٥ ؛ ١٢٢ ؛ ٢١١
غانم (ابراهيم ابي سمرا) : جبيل وبلاد جبيل ٣٦ : ٤٤١ (٤٨١) – كتاب تقسيم المواريث للاستاذ امين بك السعد ٩٤٠ – المصريون في لبنان وسورية قبل مائة سنة ٣٠ : ٢٥٨ ؛ ٤٥٠ ؛ ٤٦٢
غانم (خليل) : العسل ١٢ : ٥٧٤
غانم (الاب سليمان اليسوعي) : المختار من امثال عكّار ٩ : ٥٥٥ – المناديات الدمشقية في الاثار الشامية ١٣ : ٢٢٨؛ ٤١٣ ؛ ٦١٥؛ ٧٤٤
غبريال الثامن بطريرك الاقباط : اثر جديد ١٠ : ٥٢٤
غرانجه (ده) : تقريره عن بلادنا في القرن الثامن عشر ٢٨ : ٥٧٨
غرد (الاب يوسف اليسوعي) : قيامة المسيح ٦ : ٢٢٧ ؛ ٤١٣
غرفيني (الدكتور اوجانيو) : وحدة اصل اللغات كما اثبتها العلامة الايطالي ألفريد تُرُمباتي ٨ : ٣٨٩
الغريّب (الاب يوسف اليسوعي) : مستشرق اميركي يسوعي : الاب ولتردرام ٢٠ : ٤٦٤
غريبه (جوزف وحيد) : توبة الآبق ٢٠ : ٤٥٣ ؛ ٥٠١
غريغوريوس (القديس اسقف نيس) : مديح قديم لمار افرام ١٩ : ٤٥٢ ؛ ٥٠٦
الغزالي (الشيخ الامام) : رسالة الطير ٦ : ٦١٨
الغزيري (القس الياس) : مديحة تلاميذ روبة ٢٠ : ٧٣٤
الغسطاوي (القس بولس اللبناني) : الموازنة في ليفرنو ٣ : ٢٦٦
غصن (الخوري ماورن) : الحمامة والفرد ١١ : ٧٦ – حفلة توزيع الجوائز ١٣ : ٥٦١ – ليلة الدماء ١٤ : ١٠٩ – نشيد المدارس ١٩ : ١٥٧ – ذكرى ميلاد الرب ٢٠ : ٤ – ليلة الميلاد الاولى ٢٢ : ٩٩٣ – كونولنكو او عجائب العناية الالهية ٢٣ : ٦
غصوب (الاديب يوسف) : سيدة لبنان ١٢ :

٥٥٤ – موت الكافر ١٤ : ٥٥٧ – وداع الأم لابنها المهاجر ١٥ : ٤٤٦ – بين عصرين ١٨ : ٤ – خواطر في الموسيقى ٢٢ : ١٤٥ – الشعراء ٢٦ : ٣٨١ – نور الفؤاد ٢٧ : ٧ – موت العصافير ٧٧٦ – اصلاح الابحدية العربية ٢٨ : ٢٩ – يقظة الفن في لبنان ٢٩ : ٨٥ – تيهاي ! ٦٨٢ ؛ ٧٨ – الفقة ٣٠ : ٢٨٣ – طاغية القرية ٣١ : ٦٢ ؛ ١٢٩ ؛ ٢١٥ ؛ ٢٠١ – المبتذلات ٩٠٧ – نداء ٣٤ : ٢ – الشعر ٣٥ : ٥٢

طبوبي (يوسف) : المقامة الحيرامية : ٥ عس نجس ٤ ٣٢ : ٥٠٩ – الشهيد سئل ٣٥ : ٦٢٨ – عيد الصليب في ربى لبنان ١٧٢

العمراوي (محمد احمد) : الذوقان الشخصي والمكتسب وتأثيرها في الادب وتاريخه ٢٧ : ٤٤٢

غنيمة (رزق الله البغدادي) : برديصان وبدعته ١٨ : ٩٧٧

غنيمة (يوسف) : الترحب بالمولود عند براهمة الهنود ٧ : ٦٠٣ – كتاب اصول الدين لعبد يشوع مطران نصيبين ٩٩٨ – الرؤيا ٨ : ١٦٩ – دخول القهوة الى اوربة ٧٧٠ – نبذة فكاهية في الخرافات العامية ٩٥٥ – بختيشوع الطبيب النسطوري وأسرته ١٠٩٧ – صوم نينوى في الكنائس الشرقية ٩ : ١٧١ – الاشغال العامية في البلاد العراقية ٢٩٧ – نخل العراق وثمره ١٠ : ٤٨١ – الزراعة في العراق ١١ : ٦٠٤ – قبر عزرا الكاتب ١٩ : ٤١٨ – العلم في الحيرة ٣٠ : ٥٧٥ ؛ ٧٢٧ ؛ ٨٢٣ – المناذرة ملوك الحيرة : قرن ونيف من تاريخهم ٨٩٤ ؛ ٣١ : ١٣

غوتي (نيافة الكردينال) : رسالته الى مدير المجلة (المشرق) ١٢ : ٢

غردار (الاب يوسف اليسوعي) : معبد سيدة القلعة في بلاد عكار ٣ : ٥٩٩

ف

فار (الاب الفرنسي اليسوعي) : العام المحسون لاختراع التلغراف ٥ : ١٦٧

الفاخوري (الخوري ارسانيوس) : وسيكون قبره مجدًا ٣ : ٣٦٣ – بدعية في الطقس يسوع ٤ : ٢٦ – لحميس الاسرار ٢٠ : ٢٨٤

الفاخوري (يوسف) : اصلاح اللغة ٣ : ٧٦٤ – اصل حروف القسم وباء المتكلم واللام الجارة ٤ : ٢٨١ – التربيع في المشرق ٤٢٨ – من الحروم الى الصرود ٥ : ٥٨٣ – الكوليرا او الهواء الاصفر في الشام ٦ : ١٤٠ – ربة شهر ايار ٤٠٢ – ايات نبيهة ٤٧٨ – صدى المشرق ١١ : ٨١٧ – الصفح عن القاتل ١٦ : ٩٥٧

الفارابي (ابي نصر) : رسالته في السياسة ٤ : ٦٤٨ ؛ ٦٨٦

فارس (فليكس) : السعادة والعواطف ٩ : ٢٦٦ – وقفة في قلعة بعلبك ٧٧٥ ؛ ٨٥٨ – مناجاة النفس ١١٤٢ – العزاء بالصليب ١١ : ٧٨

فارس (الخوري يوسف) : قابلية العرب للفلسفة ٣٠ : ٤٢ – الترجمة والمترجمون ٢٨٢

فاثيار (السيد اللازري اسقف باكين) : حصار المرسلين في دار اسقفية باكين ٤ : ٢٠ ؛ ٦٢ ؛ ١١١

فتّال (خليل) : نظر في حركة دمشق التجارية سنة ١٩١٢ ١٧ : ٢٦٢

فرّا (باسيل) : لغز رياضي ١ : ١٠٠٧

فرحات (القس اسطفان) : مشاهدات وتأملات ٣٠ : ٥٧ ؛ ٢٢٤ ؛ ٦٦١ – حول تحديد الشعر ٣١ : ٩٢١

فرحات (المطران جرمانوس) : تاريخ دير مار انطونيوس الملقب بقزحيا : نبذة من تاريخه المخطوط ٤ : ٣٦١ ؛ ٨٧٣ – قصيدة ضائعة له ٧ : ٣٨٨ – موشح في القلب الاقدس ١٦ : ٤١٧ – رسالتان في رسوم وعوائد الرهبانية اللبنانية ورسوم الكمال ٧٢١

فريحه (حبيب البشعلاني) : رحلة مهاجر لبناني من بيروت الى البرازيل ١٤ : ٣٦٠

فضل (الخوري عمنوئيل) : قيمة الحياة ٩ : ٦٠٦ ؛ ٩٢٨ – من بورت سعيد الى جوهنسبورج ١٠ : ٢٥٥

فم الذهب (القديس يوحنا) : ميمر في عيد الفصح ١٩ : ٢٤٥ – اثر عربي قديم ٥٨٠

الفندي (محمد ثابت) : نشره رسالة لابن سينا في معرفة النفس الناطقة واحوالها ٣٢ : ٣٢١

فنك (الاب ليوبلد اليسوعي) : من هو البابا الجديد ؟ ١٧ : ٧٢٧ – امام الاحبار قداسة البابا بيوس الحادي عشر ٢٠ : ٣٢١

فؤاد (الاب لويس اليسوعي) : ملاك الرحمة ١٠ : ٢١٤ ؛ ٣٦٠ – سلامة النية ٤٤٩ – مثال البر ٥٥٠ – زلة الشبيبة ٧٠٠

فواز (السيدة زينب) : إكرام كاتبة سلسلة للقديسة جان دارك ١٩ : ١٠٨

فيثاغورس : وصيته الذهبية ٤ : ٦٠٤

فان دن هوفن (الاب الفونس اليسوعي) : موافقة بين آيتين متناقضتين في الانجيل ١ : ٢٥٥ – الحية ٥٢٦

فراجيل (الاب بطرس دي اليسوعي) : منافع مصر ومعادنها ٥ : ٩٩٤ ؛ ١٠٤٢ ؛ ١٠٧١ ؛ ١١٢٩ – اسداد النيل الجديدة ٦ : ١ ؛ ٦٧ – الفلكي اليسوعي انجلويسكي ١٦١ – الألماس الصناعي ١٠٧٣ – التصاوير النورية المكبرة ١١٣١ – العلوم في السنة المنصرمة ٧ : ١٨ ؛ ٧٩ ؛ ١٣٣ – العرب والعلوم الميكانيكية في مدرسة الاسكندرية ٢٦٥ – اكتشاف اشعة جديدة ٢٠٢ ؛ ٣٧٩ – اكتشافات حديثة عن طبيعة المادة وتركيبها ٤٨٣ – اتقاء الامراض الوبائية ٥٢٢ ؛ ٦٠٨ – الترقي العلمي في السنة ١٩٠٤ ٨ : ٢١٤ ؛ ٣٥٠ – أقيسة جرم الكرة الارضية ٦٢٩ – اكتشاف كلف الشمس ٩ : ٢٥٥ – الترامواي الكهربائي ٧٢٥ – مرصد سونبرست ٨٩٩ – رسالة في اكتشاف مواسأن للماس الصناعي ١٠ : ٦٧١ – الكلب ١٦ : ٩١٣ – المؤتمر الطبي الدولي في مصر ٢٧ : ٢٠٤

فرنه (الاب جوزف اليسوعي) : مقياس مائي لتدوين ثقل الهواء ٢٤ : ٨٢٥ – ما هو اصل البترول ٢٥ : ٦٠٨ – ترقي العلوم في سنة ١٩٢٧ ٢٦ : ١٢١ ؛ ٢١٣ ؛ ٢٨٨ – الاوتوجير ٢٧ : ٢٠٩

فياله (الاب اسكندر دي اليسوعي) : فلسفة ادبية بلا دين ٧ : ٨٣٤

فيت (غاستون) : اصول الجمال في الفن الاسلامي ٣٤ : ٤٨١

ق

القبجاقي (بيلك) : قوله في الابرة المغنطيسية ١٩ : ٨٠

قرألي (الخوري بولس) : ارتفاع الصليب : ميمر منسوب الى القديس كيرلس اسقف اورشليم ٣١ : ٥٧٤ ؛ ٧٤٣ ؛ ٨٣٦ ؛ ٨٩٣ ؛ ٣٢ : ٢٧ ؛ ٢١٢ ؛ ٢٦٧ ؛ ٥١٠ – فخر الدين المعني الثاني ودولة تسكانا ٣٥ : ٥٢٦

القرداحي (شكري) : التعليم الابتدائي في

لبنان كما هو ٣٩ : ٣٨٠ – المحبة وتأثيرها في الحقوق ٢٢٧
قرم (شارل) : الارز ٣٦ : ٢٢ – صوت لبنان في مؤتمر البحر المتوسط ٩٤ – بطلبك ٢٤٥
قرياقوزه (القس ج.) : ملاحظة على لفظة صفراغون ٣ : ٩٥٧
قزح (بطرس) : صدى الفؤاد ٧ : ٥٩١
قزح (توفيق) : دار العاديات المصرية الجديدة ٥ : ١١٠٥
قسطا بن لوقا (راجع : ابن لوقا)
قصّار (بشير) : الاب لويس شيخو ٢٦ : ٨١
القلاعي (جبرائيل) : مناحته على رفيقه الاب يوحنا الفريق ١٨ : ٢٥٠
القلقشندي : شمار المالك الاسلامية ٣ : ٢١٠ – وصف الصين ٦ : ٤٠٦ ؛ ٤٤٦ – الخطط العربي ٦ : ١٤ ؛ ٢٧٨ ؛ ٧٤٥ ؛ ٥ : ٧٤٦ ؛ ٦ : ٩٤١ ؛ ٧ : ١٧٥ – المكاتبة الرسمية بين الاحبار الرومانيين وملوك مصر ٥ : ٢٠٦ – كتابه صبح الاعشى ٩ : ٥١٥
القلقيلي (الشيخ محمد المصري) : انتقاده على كتابات الشيخ يوسف النبهاني ١٥ : ٤٧٤
قوزيان (القس يوحنا) : تعريفه لانجيل مخطوط قديم ٦ : ٥٧٤

ك

ك (ا. اليسوعي) : الكتاب الابيض ١٣ : ٤٣ ؛ ٢٠٧
كابلّو (الاب جان اليسوعي) : البعثة البابوية الى البلاد السوفياتية ٣٣ : ٤٤ ؛ ١٤٤ ؛ ٢٠٠ – رسالة الحبر الروماني ٣٧ : ٤٣٥
كاتب (الارشمندريت الكسيوس) : ناوفيطوس مطران صيدنايا ٣ : ١٠٦٨ – كنيسة سيدة السقيفة ٦ : ٥٦٦
كبرال (الاب لويس اليسوعي) : الى الامة البرتغالية : احتجاج اليسوعيين المنفيين من وطنهم ١٤ : ٣٧
كبهارت (اميل) : شاهد القيامة في دياميس رومية ١٥ : ٢٢١
كتسفليس (حول) : الاسبان والاميركان ١ : ٧٣٦
كرامة (الشاعر بطرس) : مناظرة الشارجيلة والطيون ٣ : ١١١٥
كرتشقوفسكي (اغناطيوس الروسي) : نشره قصة اعجوبة لرئيس الملائكة ميخائيل في ارض فلسطين ١٣ : ٤٤٩ – المخطوطات العربية لكنيسة النصرانية في المكاتب البطرسبرجية ٣٣ : ٦٧٣ – الروايات التاريخية في الادب المصري ٢٨ : ٨٦٣
كريمكي (المستشرق اغاتنجلوس) : لفظ الجيم العربية ١ : ٤٨٧
كرم (جرجي الخوري) : قصيدة قنشة ٥ : ٢٧٧
الكرملي (الاب انستاس) : عنقاء مغرب ١ : ١٩٩ – الحُسبة ٢٥٣ – معنى اسم البرمكي ٢٨٤ – الرخّ والعنقاء ٢٧٩ معنى كلمة الجروخ ٤٣٩ – نظر في بعض المعرّبات ٤٤٠ – الجكير او الجُقّير ٥٢٢ – الصُلّيب ٦٧٣ – فوائد لغوية ٨٢٣ – فائدة في اسواق العرب ٨٧٠ – شجرة الفردوس الارضي ١٠٢٠ – اليزيدية ٣ : ٢٢ ؛ ١٥١ ؛ ٢٠٦ ؛ ٢٩٥ ؛ ٥٤٧ ؛ ٦٥١ ؛ ٧٣١ ؛ ٨٣٠ – الكفل ٦١ – الكلم اليونانية في اللغة العربية ٢٤٥ ؛ ٤٨٦ ؛ ٨٤٠ ؛ ٩٢٣ ؛ ١٠٤٦ ؛ ٣ : ٦٣ ؛ ٢١٨ ؛ ٦ : ٣٥٢ – العُقد ١١٩ ؛ ١٦٩ – اللّان والبُرّجان ٢٠٤ – أوجه الإعراب عند العرب والأعراب ٢٩١ ؛ ٤٢٣ – الباء العامّية في المضارع ٤١٥ –

معنى لفظة كسيم ٤٧٧ – الصابئة او المندائية ٤٨٦ ؛ ٦٨٠ ؛ ٧٧٧ ؛ ٦ : ٤٠٠ ؛ ٥٥٠ ؛ ٦٨٤ ؛ ٧٧٦ ؛ ٩٣٤ ؛ ١١٢١ ؛ ٥ : ٢٠٧ ؛ ٢٩٣ ؛ ٤٨٨ – ثمار القلوب في المضاف والمنسوب للثعالبي ٥٥٣ – المقامات النصرانية لابن ماري ٣ : ٥٩١ – الالات الروحانية ٦٢٢ – اصل ثوب سيدة جبل الكرمل ٦٢٣ – خميس العهود او خميس الرشائش ٦٦٨ – الصفراغونُ والبلّحُ ٧٢٢ – الطائر المنفّق على اطلال العراق ٨٦٥ ؛ ٦ : ٢٠٧ – حلُّ مُعقّدات ١٧٠ ؛ ١٩٨ – تعريف لكتاب محمد بن عبد الحميد اللاذقي في الموسيقى ٤٧٦ – فتاوي الضياء واوهامه اللغوية ٥ : ٥١٦ – نظرٌ في الانتقاد على الكلم اليونانية في اللغة العربية ٥٢٦ – تفكهة الاذهان في تعريف ثلاثة اديان ٥٧٧ – اصل رهبانية الكرمل ومآثرها للعذراء مثال القداسة الاكمل ٦٢٢ – سلوان الاسرى في ايران كسرى ٦٧٢ ؛ ٧٤٠ ؛ ٧٨٠ ؛ ٨٣٤ – سفير كرملي حاف ٧٠٧ – إطلاع الحَضَر على أطلاع الثوّر ٨٦٥ ؛ ٩٢٢ ؛ ٩٦٦ ؛ ١٠٣١ ؛ ١٠٧٧ – السَّنْدَل ٦ : ٩ – الدّاوُدة او الدّاوُديون ٦٠ – السجنجل ١٥٥ – وَشْن او إشان الأعواد ، الإيطوريّون ١٨٩ – الدليل المبين في اغة اللغة من الاقدمين والمحدثين ٢١٢ – بني ساسان هم الثور بعينهم ٢٨٨ – المَرَدة او الجراجمة ٣٠١ – جيدور وايطور ٣٨٢ – نواح الورقاء في نواحي الوَرْكاء ٤٥٤ – اقدم شعر عند العرب ٤٨٩ – اللغات واللثغات ٥٢٩ ؛ ٥٨٩ – الرّكوسية ٥٧٤ ؛ ٩٢٨ – التدريب على التعريب ٦٤٤ – الاجنحة الصناعية والطيران ٧٦٥ – قواعد التعريب ٧٩٤ ؛ ٨٣٥ – دقائق التعريب ١٠٢٨ ؛ ١٠٧٧ – الخزاعل والخَزْعة او خُزاعة الحالية ٧ : ٥ ؛ ٥٩ ؛ ١٢٨ : ١٦٣ ؛ ٢٠٦ – الفتوس او المكوس واداة التعريف في العربية ٣٢٩ – العرب او السَّرحيّون ٢٤٠ – الخيل العراب عند العَرَب والأعراب ٣٤٥ – الكُوَيت ٤٤٩ ؛ ٥٠٧ – النبر او المدُّ والقصرُ ٧٠٩ – السدّر والقرّق ومرادفاتها ٨ : ٢٠٤ – حالة بغداد التجارية والزراعية للسنة المالية ١٩٠٣ – ١٩٠٤ ٨ : ٢٤١ – تيودوروس ابو قرّة او ابو عزّة ٢٢٢ – اصل التنوين عند العرب ٢٨٩ – المرقوسيّة والركوسيّة ٥٠٤ – الحب الصادق ٥٨٦ – الترنيني او الترنينة ٦٧٤ – معاني الجربال والزرّجون وأصلها ٧٠٣ – بقايا التغالبة في العراق ٧٧٣ – اشتقاق اسم الدوبدار والدويدارية ٨٢٠ – دين امرئ القيس الشاعر الجاهلي ٨٨٦ ؛ ٩٤٩ – الدَّوْطة او المنبَّى ٨٤٠ – الحيوانات السائمة في الجزيرة والعراق وما جاورها ٩٨٣ – المرْقع : اصله وشيوعه عند جميع الامم ٩ : ١٩٣ – كُتّاب الكرمليين في لغات الشرقيين ٨٣١ – الخياطة ١٠ : ١٢٤ – السنّ او آثار قصر الخلد وبقايا قصور البرامكة ٣٠٠ – اول متحفٍ للهوام والحشرات انشاؤها عربي ٣٤٣ – مدارس الزَّوْراء في عهد الخلفاء ٣٨٥ ؛ ٤٤٠ – دير الزَّوْر : اسماؤها ومعانيها حديثًا وقديمًا ٤٨٨ – المَرْبَانيّة أو البَرْبَرانيّة ٥٤٦ – التنين او الاعصار ٥٩٠ – غرق بغداد ٦٥١ ؛ ٧٣٧ – اشتقاق اسم القرامطة ٨٥٦ – معنى حلب الشهباء ٩٦٨ – اللغة العربية في طور النشوء والتكوّن ١١ : ٢١ ؛ ١٩ صلبوت بَلِنْسيه او صَلبوت بيروت ٢٥٤ – هاء التعريف عند العبريين ٢٥٧ – السِّلّى

أو السيلي او بلاد السرّق ٣٥٥ – معاهد بغداد السوسية عند سقوطها الاول ٣٩٦ – خصائص الموازين العربيّة واصل كيفية نشوئها ٤٨٢ – اثر عربي نفيس ٨٨٣ – الأبدال ١٢ : ١٩٤ الزُبزَب او الشُبشَة او عناق الارض ١٣ : ٨١٨

الكرملي (الاب ماري جوزف) : حيفا : ماضيها ومستقبلها ٧ : ٦٨

كرنكو (المستشرق فريتس) : نشره ديوان الشاعرين الكبيرين عمرو بن كلثوم التغلبي والحارث بن الحلّزة اليشكري ٢٠ : ٥٦١ ؛ ٦٩٣

كرولّا (يوسف) : شرح الباء العاميّة في المضارع ٣ : ٤٧٧

كسائيه (الدكتور فرنتس) : الصهيونية وغاياتها ٢٣ : ١١٧

الكفري (الاب نعمة الله) : تاريخ دير مار انطونيوس الملقّب بقزحيا : نبذة تاريخية من تاريخ مخطوط للطيب الذكر المطران جرمانوس فرحات ٤ : ٢٦١ ؛ ٨٧٣ – زهرة لبنان في ترجمة راهب كفيفان ٥ : ٦٠٥

كلزي (الخوري لاونديوس) : اثر عربي قديم للقديس يوحنا فم الذهب ١٩ : ٥٨٠

كلنبانان (الاب يوسف اليسوعي) : آفة الاشجار المثمرة ١٥ : ٦٠

كليس (الاخ يوسف) : بحيرة لوط والمدن الخمس ٤ : ٢٥٠ – نبذة تاريخية في عيد القربان الطاهر ٥ : ٤٤٦

كميد (ميشال سليم) : اميّة بن ابي الصلت ٢٦ : ٤٨٦ ؛ ٦٣٦ – الاعشى الاكبر (٦٢٢ او ٦٢٩ م) ٨٠٩ ؛ ٩٠٨ – مذكرات جوانثيل ٢٧ : ١٦٦ ؛ ٢٦٣ – قسّ بن ساعدة ٥١٠ – في مدينة العذراء : زيارة مؤمن ٢٨ : ٥٠٠ ، ٥١٠

كنانشي (عبد الله) : ركب الهواء ١٧ : ٥٥٨

كندامين (الاب البار اليسوعي) : آباء الكنيسة وشيع المراطقة ٢ : ٢٤١

كوبا (اندراوس المطراني) : من بوردو الى مواياكيل ١١ : ٤٦٥

كوبل (الاب اليسوعي) : نغمة عربية ٢٩ : ٨٧١

كوبه (فرنسوا الشاعر الفرنسي) : الوردات الثلاث ٩ : ٤٢٩

كوبيه (الاب فكتور دي اليسوعي) : فنّ الملاحة في الشرق ١ : ٢١٧

كولنجت (الاب موريس اليسوعي) : مباحثة علمية في اهم اكتشافات سنة ١٨٩٧ ١ : ٥ – التنوير ١٧٩ ؛ ٢٤١ ؛ ٤٥٢ ؛ ٥٠٠ ؛ ٦٩٤ – فن البناء في آخر القرن التاسع عشر ٢ : ٦٦ – الفن الفوّاصة ٤٣٣ – ترقّي التلغراف بدون سلك ٦١٣ – الفوتوغراف او آلة النطق ١٠٨٣ – المجلات المتحركة او الارتوموبيل ٣ : ٢٢ – الصاعقة والقضيب الواقي منها ١٢٦ – اصول الحساب السنوي ٢٢٥ – علم النجوم على عهد الخلفاء ٦٧٣ ؛ ٨٢٢ ؛ ٩٨٢ ؛ ١١١٩ – نابولي وبمباي ١٠٥٧ – الطب في عهد الخلفاء وكتاب الفصول للرازي ٤ : ٥٤٣ – المخطوطات الطبية في مكتبة كليتا الشرقيّة ٧٣١ ؛ ٧٩٠ – بلوغ المطلوب في فنّ التبرة والطوب للشيخ محمد بن حسين عطّار زاده ٥ : ٤٩ ؛ ١٧٨ – لاون الثالث عشر والعلوم ٢٣٤ – النصح : تاريخه وبيان حسابه ٢٣٦ ٢٤٤ – الآلة التي ترمّر بنفسها ٩ : ٤٥٧ – البراكين والزلازل ٤٨٥ – الري الصيفي في مصر الوسطى ٥٦١ – المرس الفضي للكتب الفرنسوي الطبي ١١ : ٢٤١

كونيغ (الدكتور): امراض عيون الاطفال وصحتها ٨ : ١٧ ؛ ١٥٤ ؛ ١١٤٢ – بصر الحيوان البحري في اعماق البحار ١٠ : ٨٧ ؛ ٢٠٤
كوبنو (لوسيان): القلق عما وراء الطبيعة ٢٧ : ١٢٦
كبّال (توما): الباء العامّيّة في المصارع ٣ : ٥٥٨ – برتقال صيداء ٦ : ٢٨٩ – المركة التجاريّة في صيداء ٨ : ٢٢٧ – الانكدوبا ٤٦٨ – اهمية التجارة في مدينة صيدا ٩ : ١٥٧ – تجارة صيدا وزراعتها وصناعتها ١١ : ١٧٤
كراف (الخوري جرجس): اثر نصراني قديم او ترجمة مار ابراميوس القديس بالعربية ٨ : ٢٥٨ – نشره اجتماع الاهل بعد شتات الشمل ١٢ : ٦٩٥
كيك (الدكتور بطرس): سلحفاة بيروت البحرية ٤ : ٦٠ – كتاب برء الساعة لمحمد بن زكريا الرازي ٦ : ٢٦٥ – شذرات في اصل القهوة ٦٨٥ – الحلواء ٨٢٩ – دواء قديم او الحامض التملي ٧ : ٥٥٣ – نخبة ثانية من كتاب غاية الرتبة في طلب الحسبة ١١ : ٥٨٠
كيرلّس (القديس الاورشليمي): ميسره في دخول السيد المسيح الى الهيكل ١٤ : ٨١
كيرلّوس (الخوري جبرائيل): تاريخ شهداء الصين ٤ : ٢٢٨ – الحياكة ومواد‌ها واتقانها في زوق ميكائيل ٤٤١

ل

ل. (الاب ي. اليسوعي): نشره ميسر مفقود في نياح والدة الله للقديس اندراوس الاقريطشي ٧ : ٤١٢
لابربار (الاب ايف دي اليسوعي): بولس الرسول وشهادته على قيامة السيد المسيح ٨ : ٤١٢
لاپيار (الاب بولس بوثيه اليسوعي): الدم: تركيبه وخواصه ١٠ : ٢٠٨ ؛ ٢٠٥ ؛ ٤٦٣ – حمى مالطة ١٣ : ١٢١
لاروه (الاب دي اليسوعي): الدياميس الرومانية ١٣ : ١٦١
لاسوس (جان): توطئة لدرس الفن المسيحي في سورية في القرنين الخامس والسادس ٣٢ : ١٦١
لافلي (الاب فلوران اليسوعي): هاسيا والقديس كيرلّس ١٣ : ١٤٤ – التذكار المئوي لتحرير الكنيسة على يد قسطنطين الكبير ١٦ : ٤٠١
لافونتين (الشاعر الفرنسي): مثل ٤ : ٨٦١
لافي (ج دلّافيدا): كارلو الفونسو نلّينو (١٨٧٢–١٩٣٨) ٣٨ : ٢٠٦
لامنس (الاب هنري اليسوعي): الاخ (فرا) غريغون رجل لبنان في القرن الخامس عشر ١ : ١١ ؛ ٥٦ ؛ ١٢٢ ؛ ١٤٥ – خريدة لبنان ٢٩ ؛ ٨٧ ؛ ١٢٢ ؛ ١٨٥ ؛ ٢٣٠ ؛ ٢٧٩ ؛ ٢٢٦ – الموارنة في اورشليم في القرن الخامس عشر ٩٣ – الآبار المعروفة بالارتوازية، من اي جنس كان المجوس، السيانوغراف، سبب اخذ ١ ك٢ راس العام الجديد، ما صنّفه الاوربّيون عن شمالي سورية ٩٥ ؛ ١٤٠ – لفظ الحيم عند العرب ١١٦ – هيأ على درس تاريخ بلادنا ٢٦١ – الزلازل في سورية ٢٠٣ ، ٢٢٧ – ما هو اصل تسمية العرب ليسوع المسيح باسم عيسى ٢٢٤ – رواية الشيفتين ٢٧٦ ؛ ٤٢٥ ؛ ٤٧٠ ؛ ٥١٩ ؛ ٥٦٨ ؛ ٦١٥ ؛ ٦٦١ ؛ ٧٠١ ؛ ٧٥٧ – نظر في بعض المعرّبات ٤٤٠ – كرلوس الكبير وهارون الرشيد ٤٧٨

– اقدم اثر لبني غسان او اخربة المُشَتّى ٤٨١ ؛ ٦٣٠ – لفظ الجيم العربية ٤٩٣ – جبال المقاطيس ٥٢٣ – التلمود ٥٢٧ – ترقي فنّ الحرب ٥٢٩ – اللغة التي كانت جارية في مصر ، اخو مرقيان الملك ٥٧٥ – جبال الألب ولبنان ٧٢١ – ذكر كرلس الكبير ملك فرنسة في الف ليلة وليلة ٧٤٤ – فوائد لغوية ٨٣٣ – غابة الصنوبر في بيروت ٩٢٩ – تسريح الابصار في ما يحتوي لبنان من الآثار ١٠١٥ ؛ ١٠٨٧ ؛ ٢ : ٥٤ ؛ ١٢٢ ؛ ٢١٤ ؛ ٢١٤ ؛ ٤٢٧ ؛ ٥٠٧ ؛ ٥٦٥ ؛ ٧٠١ ؛ ٧٧٧ ؛ ١٠٢٦ ؛ ١١٢١ ؛ ٣ : ٦٠ ؛ ٢٨٩ ؛ ٢٤٦ ؛ ٥٤١ ؛ ٧٨٥ ؛ ١٠١٨ ؛ ١٠٧٢ ؛ ١١١٥ ؛ ٤ : ١٥٦ ؛ ٢٦١ ؛ ٣٠٠ ؛ ٥٣٨ ؛ ٦٤٥ ؛ ٧٢٨ ؛ ٦٠٤ ؛ ٩٣٠ ؛ ٥ : ٢١ ؛ ١٠٦ ؛ ٢٦١ ؛ ٤٤٠ ؛ ٥٦٥ ؛ ٥٤٨ ؛ ٦٤٠ ؛ ٧٥٩ ؛ ٨٠٤ ؛ ٨٢٤ ؛ ١١٢٢ ؛ ٦ : ١٣٠ ؛ ١٦٧ ؛ ٧٠٢ – زيارة ملوك هوهنزلرن للاراضي المقدسة ١ : ١٠٥٠ – بعض شطوط المقتطف ١١٠٢ – الموارنة في جونيه ٢ : ٤٥ – المطبوعات في آخر سنة ١٨٩٨ ١٠٤ – طرفة تقرأ في بدء الصيام ١٦٦ – الشقيف المنيع ، لغة اهل فلسطين ، الكتاب الاصفر والكتاب الازرق ٢٢٩ – قيس الماروني او اقدم تاريخ للكتبة الموارنة ٢٦٥ – اثر اوغسطس قيصر ٣٣٤ – ذكر مستنقعات عميق في تواريخ الغرب ، قطع راس يوحنا المعمدان في مكاور ٤٢٩ – اليهودي التائه ٤٩٦ – درع الرئاسة (الباليوم) ٦٢٥ – العرب في اواسط افريقية ٦٨٧ – اللحية والشعر في الكنيسة الشرقيّة ٨٥٢ – سياحة في بلاد البترون ٨٦٥ – الزلازل في بيروت ٩٧٠ – طوبانيا القرون المتوسطة ، السهل الواقع في لحف جبلي عيال وجرزيم ، ميروقالام ، بحيرة فيالا – السويل او السويلة او السيل ١٠٥٥ – يهود فلسطين ومستعمراتهم ١٠٨٨ – لماذا خلق الله الانسان ، الآن عرفت انك مشتق فه ، بيتان لعديّ بن زيد ، ال التعريف في اللغة العبرانية ، نهر اليرموك ، افسيديا ، نهر يبّوق ، نهر ارنون ٣ : ٩٣ – مرج ابن عامر ، بحر الغلزم ، وادي الاردن ، عين الدوك ، وادي الكالت او الكَلْت ١٤٣ – الروم الملكيون : نبذة في اصلهم وجنسيتهم ٢٦٧ – هل ملك بنو غسان دمشق الشام ؟ ٤٣٨ – دمشق واسماؤها القديمة ٦٥٨ – اشتقاق لفظة فسفيّة في العربية ٦٦٩ – جغرافية سوريا وفلسطين ٧٥٠ – آراء الادباء في باء المضارعة العاميّة ٩٨٧ – تاريخ انتشار النصرانية في حمص ، موقع دير القديس سمعان ١٠٠٦ – رتبة عامي القديس بطرس ١١٢٥ – حبيس بحيرة قدس ٤ : ١٧ ؛ ٧٩ ؛ ١٢٥ ؛ ١٦٣ ؛ ٢١٨ ؛ ٢٦٦ ؛ ٢١٣ ؛ ٣٦٨ ؛ ٤١٧ ؛ ٤٦١ ؛ ٥ ٨ ؛ ٥٥٥ ؛ ٥٩٥ ؛ ٦٦٣ ؛ ٧١٠ ؛ ٧٥٧ ؛ ٧٩٦ ؛ ٨٣٨ ؛ ٨٩٩ ؛ ٩٤٧ ؛ ٩٩٥ ؛ ١٠٣٣ ؛ ١٠٩٧ ؛ ٥ : ٣٧ ؛ ٨٣ ؛ ١٢٨ ؛ ١٨٦ ؛ ٢٧٣ ؛ ٢١٨ ؛ ٢٥٥ ؛ ٤١٠ – كتابات حمص اليونانية ، موقع المدن : مافريكو او غافيشون وفاناثالو وارمانيا او ارمينية ٤ : ٤٦ – الصفا : براكيه وكتاباته ٢٢٥ – وصف الصين للقلقشندي ٤٠٦ ؛ ٤٤٦ – تخطئته لبعض ما جاء في مقالة لجرجي يني « تاريخ آل معن والشوف » نشرها في المقتطف ٤٧٥ – الاعلام الاجنبيّة في اللغة العربيّة ٧٧٥ – درس العربية في اوربّة في القرن السادس عشر ١٠٣٦ ؛ ١١١٥ – القديس يوحنا فم الذهب واللغات الشرقية

٨١ ١ – ما هي «بلبناس» ١٠٥٥ – شرح بعض مشاكل عن مقالة القديس يوحنا في الذهب ١١٢٥ – مَن هو تريفون ، فاسيليدا، جدول كريت ٥ : ٤٨ – المكاتبة الرسمية بين الاحبار الرومانيين وملوك مصر نقلاً عن القلقشندي ٦ ٢ – لاون الثالث عشر والدون ٢١٠ – سكّة بغداد الحديديّة ٢٤١ – اشهر مثايات واحة اريحا ، كارثا ، جرافة ، البطيحة ٢٨٨ – منافع السكّة الحديديّة ٢١١ – فوركالاكير ٩١٢ – بحث حفراني في سيرة القديس مارون الناسك ٩ : ٢٤١ ؛ ٢٤٧ ؛ ٥٤٥ ؛ ٦٠٦ ؛ – خواطر في بعض بلاد الشام القديمة ٢٥٦ – الاباط ٢٨٤ – لبس الجراجمة المردة ٤١٢ – شيعة الركوسيّة ١٧٧ – الحَرّة او بقعة من بادية الشام ٨٧٨ – رسم خرائط لبنان ١٠٩٠ ؛ ١١٢٦ – لبنان : بحث في أغاريده وأغواره ٧ : ١٧٠ ؛ ٢١٩ – مياه لبنان ورسم مجاريها ٢٣٠ ؛ ٢٦١ – رسم المجاري النهريّة في لبنان ٤٦٢ ؛ ٥١٢ – مياه لبنان البحريّة ٥٩٥ ؛ ٦٦٢ – السواحل اللبنانية ٩٣٩ – لمحة اقتصاديّة في مجاري المياه اللبنانيّة ١٠٤٣ ؛ ١١٠٦ – الاحوال الجويّة في لبنان ٨ : ٧ – الفلاحة والاحراج اللبنانية ١٣٠ ؛ ١٧٧ – ما فقد في لبنان من قديم الحيوان ٥٢٢ ؛ ٦٤٢ – المعادن في لبنان ٨٤٣ ؛ ٨٩١ ؛ ٩٤٢ – معادن لبنان القديمة ٩٩١ – النتائج التاريخية من درس اعلام الاماكن اللبنانية ٩ : ٧ ؛ ٨١ ؛ ١٠٦ ؛ ١٥٢ – رجال الاربعين ، كرسف، دلفي ، عرطوز ، المتاولة في البقاع ٢٨٨ – تجارة سواحل سوريّة في الاجيال المتوسّطة ٩١٦ – التجارة في القرن التاسع عشر ١٠ : ٣٠ – المذاكرات الجغرافيّة في الاقطار السوريّة ١٠٥ ؛ ١٦١ ؛ ٢٦٥ ؛ ٤٥٨ – تفاح ودير ازور ٤٩١ – كتبة العرب وجغرافية سورية ٥٣٩ – عجائب بلاد مؤاب ٥٧٧ – المقدسي وجغرافية سوريّة في القرن العاشر للميلاد ٦٨٣ – بلاد سوريّة في القرن الثاني عشر وفقاً لرواية ابن جبير ٧٨٧ – البادية والحيرة في عهد بني اميّة ١١ : ٧٦٥ – الكتابات العربية في جبل الطور ١٢ : ٦١٨ – العلائق الاولى بين فرنسة وسورية ١٩ : ٤٩ – الصليبيّون ومكتبة طرابلس الشام ٣٠ : ١٧ – الانتقاد والدروس التاريخية في سوريّة ٩٦٤ – انتصار العرفان للوطنية والتاريخ ٢١ : ٨٥د – قصائد الخليفة يزيد بن معاوية ٢٢ : ١٩٢ – خطط الشام ٢٣ : ٥٦١ – قاسيون والخرافات ٢٤ : ٩٢٨ – تاريخ الدولة الاموية في الشام ٢٥ : ٢٠٧ – المسألة السورية ٢٨٦ – مؤتمر بال الصهيوني ٢٦ : ١٢ – مسألة الابجدية في اللغات التركية ١٣٠ – الاب شيخو والتاريخ ٢٠٤ – بلاد الافغان وملكها الشاب ٢٥٣ – ابن سعود والوهابيّون ٢٣٧ – نداء اسلامي لتحرير المرأة ٢٦٦ – هباً على درس تاريخ بلادنا ٤٣٧ – كتر اليسوعيين، سؤالان وجوابان ٤٧٦ – ابن سعود ايضاً وايضاً : كتاب جديد للريحاني ٥٢٥ – سورية وطريق الهند ٥٧٧ – نكبة النكبات : امين الريحاني مؤلف تاريخ سورية ٦٣١ – لغة مسلمي الاندلس ٩٠٢ – رئيس الولايات المتحدة الجديد ٢٧ : ٢٦ – جيراننا في الشرق الادنى ١١٥ ؛ ٢٩ : ١٧٦ – مكة الحديثة كما وصفها كتاب جديد ٢٧ : ٢٥٤ – المشكلة الرومانية : تاريخ الخلاف ، حلّ الخلاف ٢٨٢ ؛ ٢٥٤ – سوريا ولبنان : قدم

اسيها ٤٢٢ – المطران بطرس شبلي (١٨٧١–١٩١٧) : ٦١٦ – دولة المماليك ٦٦٢ – خزائن الكتب العربية وخراجها ٧٢٩ – الاحصاء في تركية الكمالية : كيف تمّ في يوم واحد ؟ ٨١٦ – بلاد البلجيك في مئة سنة (١٨٣٠–١٩٣٠) ٢٨ : ٥٢٢ – اول مسافر اوربي في مكة ٦٢٦ – نظرة في حاضر الاسلام ٧٢٩ ؛ ٨٢٦ – دولة جديدة في قلب جزيرة العرب ٢٩ : ١٨ – – خواطر ونصائح الى اللبنانيين من لبناني وطني ١١٦ – بلاد العرب السعيدة ٢٥٨ – السوريون في فرنسة في القرنين السادس والسابع للمسيح ٢٤١ ؛ ٤٢٢ – اسرة القديس يوحنا الدمشقي ٤٨١ – انطاكية والسياحة ٥٩٩ – الحيل والمخارج في الفقه الاسلامي ٦٤١ – الحالة الدينية في بلاد العرب قبل الاسلام ٨١٥ – كيف صارت دمشق عاصمة ٨٩٢ – سورية في زمن الفتح العربي ٣٠ : ١٠ – نفسية البدر قبل الاسلام ١٠١ – لماذا افتتح العرب سورية ١٧٨ – فتح العرب سورية والجيش البيزنطي ٢٢٧ – الفرنسويون في سورية في القرنين السادس والسابع للمسيح ٤١٧ ؛ ٤٨١ – المناصر الفارسية في لبنان ٦٢٢ ؛ ٧٧٢ – الفقه الاسلامي ٣١ : ٢٢ ؛ ١١٦ ؛ ٢٠٨ ؛ ٢٨٩ ؛ ٤٥٢ – الحياة في بيروت قبل الاسلام ٤٨١ ؛ ٦٦١ – الحياة في بيروت على عهد الصليبيين ٧٢١ ؛ ٨٥٢ ؛ ٩٢١ – حالة الاسلام في القرن الرابع للهجرة ٣٢ : ١ – الحلم عند العرب : محاولات في تحديده ٤٨١ – الثأر عند العرب وصفته الدينية ٣٣ : ١ ؛ ٤٢٨ ؛ ٥٥٧ – الاحابيش والنظام العسكري في مكة ٣٤ : ١ ؛ ٥٢٧ – النصارى في مكة قبل الهجرة ٣٥ : ٦٩ ؛ ٢٦٤ – الحجارة المؤلهة وعبادتها عند العرب الجاهليين ٣٦ : ١ ؛ ٣٧ : ٨٢ ؛ ٢١٧ ؛ ٣٨ : ١٦ – دور العلم وبيوت الحكمة ١٢٩ – المساجد والمشاعر في العصر الجاهلي ٣٩ : ٢٥ ؛ ٢٤٥ ؛ ٣٨٢

لانفرسن (الاب فرنان دي اليسوعي) : ذكرى المجمع الفلورنتيني (١٤٣٩–١٩٣٩) ٣٧ : ٤١٤

اللبودي (احمد بن خليل) : اخبار الاخيار بما وجد على القبور من الاشعار ٢٠ : ١٠٢٥

لماوري (احد الآباء اللازريين) : مدرسة عين طورا : نبذة في اصلها ٣ : ٤٨١ ؛ ٥٤٥ ؛ ٦٢٧ – تاريخ دير راهبات الزيارة ومدرستهن في عين طورا ٤ : ٤٠٤

لطفي (لطف الله) : ميكروب الحسّى الصفراء والمقتطف ٧ : ٥٨٢ – الفار والامراض العصبية ٨ : ١٠٧

لطفي باشا (وزير السلطان سليمان الكبير) : قانون بني عثمان ١٤ : ١٧٦

لنش (الاب ديونيس اليسوعي) : نبأ من جزائر الفيليبين ١٤ : ٥٤٠

لوبون (الاب ج. اليسوعي) : مرسل يسوعي الى الشرق : شهيد الثورة الفرنسوية ٢٥ : ٧٢١

لودي (الاب شارل) : الاعلاق الخطيرة لعز الدين بن شداد ٣٣ : ١٦١ – عز الدين بن شدّاد وقيمته التاريخية ٥٨٦

لوروا (المتوري لوسيان) : رحلة حديثة الى صان الحجر والمترلة ٦ : ٤٨١ ؛ ٥٥٥

لوريول (الاب اميدي اليسوعي) : في الروايات الخياليّة ١ : ٤٦٣ ؛ ٥٦١ ؛ ٦٥٣ – الفرسان الألمان في سوريّة ٩٦٩ – سفر حديث الى رومانية ٢ : ٧٧ ؛ ٢٢٤ – خليج البُسفور ورأي العلماء فيه ٣ : ٢٨٥ –

تاريخ الشهر المريخي ومعناه ٥ : ٢٨٥
لوسان (الاب شرل اليسوعي) : المضاربات التجارية ٨ : ١١١٢ – المرأة وتربية الولد ٩ : ٢٦٧
لوقنك (الاب جبرائيل) : نظر عام في احوال اليابان ٧ : ١٩٣ – كورية : بحث جغرافي وتاريخي ٢٥٨ – منشورية وما فيها ٢٦٥ – روسية : ارضها وسكانها ٤٩٧ – روسية : ماضياً وحاضراً ٧٥٥ ؛ ٧٩٠ – اسوح وروح ٨ : ١٠٨٨ – خلاصة تاريخ العام المنصرم ١٩ : ١١ – نهضة بولونية ٢٠ : ٢٦٠ – الصاعقة واسبابها ٢٩٧ – المئة الراسة لوفاة فاسكو دي غاما ٢٣ : ٢٦٤ – المؤتمر الجغرافي الدولي الحادي عشر في القاهرة ٤٠١ – الإبل في نظر ضابط افرنسي ٦٦٤ – التذكار المئوي لاحتلال الجزائر ١٨٣٠–١٩٣٠ ٢٨ : ٢٧١ – آخر مظهر لسياسة روسية الدينية في الشرق الادنى (١٨٩٥–١٩١٤) ٣٣ : ٥٧٤
ليفنكستون (الاب اليسوعي) : زوّار الليل ٦ : ١٥٨

م

م (الاب س. اليسوعي) : ذكر مولد الملحد ارنست رنان (١٨٢٣–١٨٩٢) ٢١ : ٢٠١؛ ٢٠٠ – طاقة زهور من حدائق العلم ٢٥٣ – الرَّدْيوفون او التلفون اللاسلكي ٢٤٣ – الديناميت : اصله وتركيبه ومنافعه ومضاره ٤٠٧
م (م. من الناصرة) : لنزان رياضيان ١ : ٨٦١
م (ن) : الاعلام في الجزائر ١١ : ٤٠١
ماترن (الاب بولس اليسوعي) : السوسن ٣ : ٤٦٠
ماريني (الدكتور ناپوليون) : البَلَسة او البلّامات ١ : ٥٤٦ – البراسير واكتشاف دواء جديد لها ٢ : ٣٠٥ ؛ ٣٠٢ – الفوز بالمراد في تعريف حبة بغداد ٤ : ٣٥٤ – ما ورثه اهل العراق عن الاشوريين والكلدانيين الشاق ٩٢٨ ؛ ٩٨٦ ؛ ١٠١٧ ؛ ١٠٧٣ – مآثر العراقيين ودوائر البابليين السابقين ٥ : ٦٤٦ ، ٦٨١ – لماذا لا يعيش الانسان مائة سنة ١٠٣ – الجولان في النوم ١١١٣ – هيت وبنابيعها المعدنية ٦ : ٤٤٠ – حية بغداد ٧ : ٦٥٣ ؛ ٦٩٣ – زيادة اوجاع المرضى في الليل وسبب ذلك ١١ : ٨٧٨
ماتون (الاب الكبير اليسوعي) : الثرْمومتر او مقياس الحرارة ٢ : ٢٦٩ ؛ ٢٥٨ – ميزان رطوبة الهواء او الهنرومتر ٩١٢ – مسألة رياضية ١٠٠٦ – قوس قزح ٣ : ٢٤١ ؛ ٢٩٩ – في اصل اللغة القبطية وتاريخها ٨٩١ – الجامع الازهر : نبذة في تاريخه وتعليمه ٤ : ٤٩ – اكتشافات أثرية في صدافن سقّارة ٥ : ٢٥١ – الكتب الليتورجيّة في الكتبة القبطيّة ٦ : ٥٢٦ – العاديّات المريّة في القطر المصري ١٠٤٤ – الفكوس او الفقوس ٧ : ٢٩٠ – هياكل مصر القديمة ٥٤٥ – اكتشافات حديثة في هليوپوليس ٨٥٩ – آثار ثيبة والصعيد ٨ : ١٤٥ ؛ ٢٢٨ ؛ ٢٢١ – رحلة الى نهر اليرموك وبلاد المدن العشر ٥٢١ ؛ ٥٤٠ – الحكمة المصرية في عهد الفراعنة ٤٦٥
مايلهاك (هنري) : اوهام الدارس بعد شهادة المدارس ١٨ : ٧٤٠
مبارك (الخوري بطرس) : اصل الدين فاسفياً ٦ : ٤٩

مبارك (الخوري نعمة الله) : الطقوس البيعية ١٢ : ٤٣٠
مبارك (القس) : محاورة سريانية بين الخاطئة والشيطان ١٩ : ٦٠١
المتلمس : ديوانه ٦ : ٣٨ ؛ ٥١٠ ؛ ٧ : ٧٣٤ ؛ ٧٧٣
مجاسون (الاب اليسوعي) : حركة السيارات ١٢ : ١٦٠ – غاية المناء بفتح مملكة الهواء ١٥ : ٤٨١
مخزوق (القس قرياقوس) : حال الخلف بازاء من سلف ٢ : ٩٧ ؛ ٢٥٧
مدوّر (يوسف) : خواطر معيّف في لبنان ٢١ : ٨٩٨ – اسبوع الآلام المقدس في الكنيستين السريانية والمارونية ٢٢ : ٣٥٣ – معرض الرسالات الكاثوليكية في الفاتيكان ٢٣ : ٨٨١ – مدرسة القديس يوسف السريانية المارونية في القاهرة ٢٦ : ٢٢٤
مرتا (الخوري يوحنا المرسل الرسولي) : في ان جمع فَعْل على افعال قياسيٌّ مطّرد ٢ : ٩٧٧ – شهادات عربية في المزارات الفلسطينيّة ٥ : ٤٨١ – فوائد صرفية ونحوية ٨ : ٦٤٧ – اقحام بعض الأسماء في الكلام ٧٤٦ – مستدركات وفوائد صرفيّة نحويّة لغويّة ٩ : ٦٥ ؛ ٢٦٣ ؛ ٣٠٢ ؛ ٤٠٠ – ابحاث لغويّة ٥٥١ – مذاهب العرب المسلمين في مدفن النبي داود وابنه سليمان الحكيم ١٢ : ٨٩٧ – تداخل اللغتين في الفعل الثلاثي ١٥ : ٥٢٢
مراد (فريد) : خواطر واحلام في راس العام ٢٠ : ١
مراد (يوسف) : وداع القرن التاسع عشر وترحيب بالقرن العشرين ٦ : ٤٩٨
مرّاش (فرنسيس) : ملحق بديوانه ١٥ : ٩٤
مرقص (ادوار) : بشأن قواعد العربيّة ٣٧ : ١ – تأملات ٣٩ : ٣٩٩
مرمرجي (الاب ا. س. الدومنيكي) : النوابغ او كبار الرجال ١٨ : ٢٦٦ – الالسنيّة السامية واللحم والنعم ٢٦ : ٩٣ – وقفة باطلال بابل ١٧٨ ؛ ٢٧٥ ؛ ٢٥٤ – الدين وقوام الألفة الاجتماعيّة ٤٠١ – اناء ام مَاء ؟ او علامة التأنيث في اللغات السامية ٤٣٦ – الدين والحرية ٥٨٤ – نظرة في تاريخ يافا ٧٣٩ ؛ ٨٣٦ – الدين والروح العصري ٢٧ : ٧ – أمالي السنيّة ٨١ ؛ ١٨٣ ؛ ٢٣٠ ؛ ٤٠٩ ؛ ٥٧٥ – نفوذ السيد المسيح في حياتنا الادبية ٤٨١ – نفوذ السيد المسيح في حياتنا الاجتماعية ٨٠١ – اصل كلمة القصح وابن بشكوال ٢٨ : ١٢ ؛ ١٠٤ – نفوذ السيّد المسيح في حياتنا الدينيّة ٣٣١ – ضرورة النعمة ٥٦١ – ينبوع النعمة ٨٠١ – مفاعيل النعمة وموقفنا تجاهها ٨٨١ – اصل كلمة « هيكل » ٢٩ : ٨١ – اصل كلمة « الداويّة » ٢٤١ – طريقة في العلم مصيبة ٣٣٣ – كلمة « توراة » ٤١١ ؛ ٤٩٨ – بيان وانتقاد ٥٨٨ – الخربات الاميركية في بيان ٧٣١ ؛ ٨٠٨
مرهج (الخوري جبرايل رزق) : حل لغز رياضي وارد في ص ١٠٠٧ ١ : ١٠٥٢ – سؤال رياضي ٣ : ٤٦ – حل مشكلين رياضيين ٤٧٨ ؛ ٦٦٩ – مسألة رياضية ٦٣٣ – حل مسألتين حسابيتين ٨٥٩ – حل مسألة حسابية ٣ : ١٤١ – الباء العامّة في المضارع ٥٥٨ – فكاهة رياضية ٤٧٦ – اضغاث احلام في اول العام ٤ : ١١ – حل لغز هندسي ٩٣ – حل لغز رياضي ١٣٩ – ٤٧٨ – حل مسألة حسابية ٨٥٩ – سؤال

رياضي ٩ : ٤٢١
مرهج (الخوري رزق الله) : حل اللغز الثاني الوارد في ص ٨٦١ : ١ : ٦٥٧
مروّه (كامل) : اللبنانيون في افريقية ٣٧ : ٢
المسابكي (ابراهيم يوسف) : حلّ لغز ١١ : ٨٨٠
مسابكي (الياس) : قصيدة عاتبة في الملاء ووقوف الحال ١٦ : ٣٥٩ – غن والتقليد قالى ابن المصير ٦٣٦ – مجلس البلدية في دمشق ١٨ : ٦٧١
مسعد (الاب بولس الراهب الحلبي اللبناني) : المجمع الماروني المنعقد سنة ١٥٨٠ ٣٦ : ٤١٥ – ميخائيل الغزيري ٦٠١ – العناية الالهية في نظر المعلم الثالث ٣٥ : ١٢٢ – الشيخ عيسى حماده المتوالي ٣٨ : ٢٢
مشاقة (الدكتور ميخائيل) : الرسالة الشهابية في الصناعة الموسيقية ٢ : ١٤٦ ؛ ٢١٨ ؛ ٢٩٦ ؛ ٤٠٨ ؛ ٥٦١ ؛ ٦٢٩ ؛ ٧٢٦ ؛ ٨٨٢ ؛ ٩٢٨ ؛ ١٠١٨ ؛ ١٠٧٣
مشحور (امين) : تعريبه لايات فرنسية نظماً ٧ : ٦٨٧ – ابن الاسى ورجل الغد ١٠ : ٧١٤ – الذكرى فوق ربى لبنان ٧٥٢ – حفلة عرس في عشائر الشركس ١١ : ١٣
مشحور (حبيب يوسف الحلبي) : القصب وصناعته في حلب ٤ : ٧٥١
مشحور (يوسف) : حادثة المرتينيك ٥ : ٧٦٥
مشلاني (نجيب) : سوء العاقبة ٥ : ٤٦٨ – الالتقاء الفاجع ٥٦٩ – عواقب الطمع ٦٦٤ – الندامة ٧ : ٨٧
مصري (حلمي) : حله للغز الوارد في الصفحة ٣٣٥ ٤ : ٢٧٩ – الصليب فوق الضريح ٥ : ٣٠٤ – السلّم ٨ : ٤٤٣ – على قبر فلتير ٩ : ١٠٦١ – نابوليون في جزيرة سنت هيلانة ١٠ : ٢٢٨
مظلوم (البطريرك مكسيموس) : اتحاد طائفة الروم الكاثوليك المكيين بوحدة الايمان مع كنيسة رومة ٢ : ٣٨٥ – صورة ملك وصيته الاخيرة ٢١ : ٩٢ – له اثر فريد في بيان سبب انشقاق الكنيسة الشرقية عن الكنيسة الرومانية ٢٥ : ٨٠١
مفلح (المطران جرمانوس مطران اللاذقية) : العلم المقيقي ٢ : ٥٣٩ – الكاهن والمريض ٦٨٩ – الدين المسيحي ماراه العالم الرقي ٣ : ٦٨٥ – شرح اسرار طقوسية المسيح وصباه ٩٢
المعلّم (ميخائيل) : حل لغز ١ : ٩٠٩
المعلوف (الياس حسون) : اثر قديم لبطريرك مكاريوس ابن الزعيم ٣١ : ٩١١
المعلوف (الياس) : تسبيع الدائرة وتتسيعها ٦ : ٥٢٦
المعلوف (عيسى اسكندر) : حلّه للغز ٦ : ٢٧٨ – مقتل اطفال بيت لحم ٥ : ٢٠٠ – الموسيقى والغناء عند العرب ٧ : ٨٤٢ ؛ ٩٠١ – الصناعة في لبنان وسكب الاجراس ٨ : ٢٢٣ – مناظرة المرقب (التلسكوب) والمجهر (المكرسكوب) ٢٥٧ – موت أبشالوم ٦١٥ – ناصيف المعلوف وأسرته ٧٧٣ ؛ ٨٤٧ ؛ ٩٠٥ ؛ ١٠٤٥ – كتاب الافصاح ٩ : ٢٢٤ – الخوري جرجس عيسى اللبناني ٤٩٤ ؛ ٥٤١ – نخبة من ديوان ابراهيم الحكيم الحلبي ١٠ : ٨٢٢ ؛ ٨٩٠ ؛ ١٠١٧ ؛ ١١١٠ – نفثة المشرق ١١ : ٧٥ – نثره نخبة من امثال النفس حنانيا المنيّر ١٢ : ٤١ ؛ ١٠٢ ؛ ٢٦١ ؛ ٢٥٩ ؛ ٤٢٧ – الشيخ طاهر الجزائري الدمشقي ١٨ : ١٤٤ – زجلية في وصف الغلاء والجوع والضيق بعد مائة وثلاثين سنة ٢٢٨ – تنصّر الامراء الشهابيين واللمعيين في لبنان ٥٤٢ – رسالة تدبير المنزل لارسطو ١٩ : ٢٥٧ – قصر اسعد

باشا العظم في دمشق ٢٤ : ٥ – تاريخ الشيخ ظاهر العمر الزيداني ٥٢٩ – كتاب التمييز في المحاضرات : مخطوط للامير حسين ابن الامير فخر الدين المعني ٢٧ : ٨١١ – تواريخ الامبراطور نابوليون بونابرت باللغة العربية ٢٨١ – لبنان في عهد الامير فخر الدين منذ ثلثمائة سنة (١٥٩٥–١٦٣٥) ٣٠ : ٦٠٣ ؛ ٧٢١ ؛ ٨٣٠ – القضاء في لبنان زمن الامراء الشهابيين ٣١ : ٥٦٧ ؛ ٧٢٨ ؛ ٨١٧ ؛ ٨٨٨

المعلوف (الاب لويس اليسوعي) : المبارزة ١ : ٢٦٦ – نظر عقلي في لزوم الدين ٦٦١ – نظر عقلي في الوحي ٢ : ١٠٦ ؛ ١٩٨ – ما هي المعجزات؟ ٣ : ٤٨٦ – امكان المعجزات ٧٢٥ – مؤلف كتاب دفع الهم ٥ : ٧٢٧ – نشر رسالة في وحدانية الخالق وتثليث اقانيمه تأليف ايليا مطران نصيبين ٦ : ١١١ – اقدم المخطوطات النصرانية العربية ١٠١١ – اثر مجهول لابن سينا ٩ : ٤٦٧ ؛ ١٠٢٧ ؛ ١٠٧٣ – حوادث السنة الثائرة ١٠ : ١ ؛ ٥٨ ؛ ١١١ – نشره مقالة نعيم الآخرة لايليا مطران نصيبين ٤٤٦ – المجامع والدواوين والدوائر الرومانية ١٣ : ٦٥٠ – نشره تاريخ حوادث الشام ولبنان من السنة ١١٧٩ الى ١٢٥٧ هـ (١٧٨٣–١٨٤١) تأليف ميخائيل الدمشقي ١٥ : ٤٩ ؛ ١٠٢ ؛ ١٧٩ ؛ ٢٨٧ ؛ ٣٦٣ ؛ ٤٩٤ ؛ ٥٧٧ ؛ ٦٨٨ ؛ ٧٤٥ ؛ ٨١٣

معوض (ابرهيم) : نظر اجمالي في متحف بيروت اللبناني الاثري ٢٤ : ٤٠٨

مقروماتيس (قسطنطين) : مركز الولايات المتحدة الاقتصادي ١٤ : ٧٢١

المقدسي (حبيب الله) : قصة اسكندر ذي القرنين والقرآن ٣٥ : ٨

المقدسي (عبد المسيح) : نقل الكتب المقدسة الى العربية قبل الاسلام ٣١ : ١

المقريزي (الامام تقي الدين) : قوله في الابرة المغنطيسية ١٩ : ٨٠ – المقفى ٣٥ : ١٨٠

ملاط (شبلي) : اغاني أسرى البوير في جزيرة القديسة هيلانة ٥ : ٤١٧

ملحة (المتوري لويس الماروني) : وصف آثار كوم الشقافة ١١ : ٢٦٢ – رحلة أثرية الى الأقصر وأسوان ١٣ : ٢٤١ – مرحلة الاسرائيليين الاولى بعد عبورهم البحر الاحمر ١٤ : ٢٥٦ – سياحة اثرية ٢٢ : ٥ ٢ – مدينة كاوب القديمة ٢٤ : ٨٩٩ – اين وعتى ترجمت التوراة اليونانية «السبعينية» ٢٨ : ٤٠١

ملحمه (اسعد) : الحديقة النباتية في مدرسة الطب الفرنسوية ١٦ : ٢٧٧

ملكونيان (الدكتور بلترار) : الروماتسم او داء المفاصل ٣ : ٢٦٤

منسى (الاب يوسف اليسوعي) : السبريتسم او مناجاة الارواح ١٩ : ٢٧٨ ؛ ٣٥٢ – خطة حديثة لتهذيب الناشئة ٢٢ : ٩١٧

منش (القس جرجس الحلبي) : استفتاء عن كاثوليكية اسحق اسقف نينوى ٣ : ١٠٥٥ – مطالب في بحث المطالب ٣ : ١٠٧٧ – ناوفيطوس مطران صيدنايا ٩ : ٥٧٣ – القس يوسف كلداني الحلبي الماروني ١٣١ – نعمة ابن المتوري توما الحلبي الشاعر الثائر ٥ : ٢٩٦ – القس عبد المسيح ليان الحلبي ٧٨٦ – مؤلف كتاب دفع الهم ٩٤٠ – المتوري بطرس الثولوي الفيلسوف الشهير ٧٦٦ – موازنة حلب الشهباء ٦ : ٢٥٩ – المستطرفات المستظرفات في حياة السيد جرمانوس فرحات ٧ : ٤٩ ؛ ١٠٥ ؛ ٢١٠ – تركة السيد جرمانوس فرحات

٣٥٤ – طريقة العاد عند الموارنة ١١٦٣ – رتبة ذر الرماد عند الموارنة ١٠ : ١٨٩ – المناهج في وصف المباهج ٧٣١ ؛ ٧٧٤ – ملاحظة على دبرا ليباوس ١١١ – الترجمة الحرفية السريانية ١١ : ٢٠٦ – موريق وموريقيان ٣١٧ – القديس توما وخلاصته اللاهوتية ٣٦٦ – حلب الشهباء ومجلة المقتبس ١٥ : ٣٥٠ – مؤلف الدلالة اللامعة ٥٧٣ – نشره رسالة مكسيموس الحكيم ١٦ : ٣٤٥ – كهنة حلب الموارنة في الاعصر الاخيرة ١٧ : ٦٥ – القس بولس بليط ١٧ : ٨١

منبر (القس حنانيا الراهب الشويري) : نبذة من تاريخه عن مباني بيروت القديمة ٤ : ٤٣٨ – نخبة من امثاله ١٢ : ٤١ ؛ ١٠٣ ؛ ٢٦١ ؛ ٢٥٩ ؛ ٤٣٧

موترد (الاب بولس اليسوعي) : سنة الفداء ٣١ : ٥٦١

موترد (الاب رينه اليسوعي) : كتاب حديث في شيولوجيا ومصر ١٠ : ٨١ – انطوان وكليوباطرة ٥٤١ – الصليب في عاديات رومية وسورية ١١ : ٢٩١ – اثر قديم للملك يوستنيان في بيروت ١٩ : ٢٣٩ – آثار قديمة في سراب ٨٥٩ – مسالة الرومان لسورية ودفاعهم عنها ٢٠ : ٢٧٣ – وصف بعض العاديات السورية ٢١ : ٣٨ – كتابة قدس فتاني اليونانية ٦٢٢ – معبد مدفني قديم في حمص ٢١ : ٩٤٥ – الفينيقيون ومصر : مقتطف من محاضرة الاستاذ بيار موتيه ٢٢ : ٨١ – هيكل الزهرة في بيروت الرومانية ١٩٥ – عبادة آلهة سوريين في قرطبة ٢٣٧ – حفلة زواج الاله جوبيتر في هيكل دمشق ٢٣ : ٤٢٤ – رحلة الى جبل الشيخ ٧٣٣ – تاريخ مدفن عبراني في بيروت ٢٤ : ١٣٠ – الاثر المدفني العبراني في بيروت ٣١٦ – الاحوال الاقتصادية في سورية الرومانية ٢٥ : ٢٩٥ – الاسكندر الكبير في سورية وفينيقية ٣٢ : ١٧ – جولة في الآثار السورية في العهد المسيحي، وفي اوائل العهد الاسلامي ٥٨١ – الفن المسيحي في سورية وفن الامويين ٣٥ : ٩٧ – جوبيتر البعلبكي ٤٦٥ – الامبراطورية الفارثية وروما ٣٨ : ١ – فسيفساء أنطاكية ٣٩ : ١ – الارض والاعمال الزراعية في لبنان وسورية على العهد اليوناني – الروماني ٢٢٥

الموصلي (الخوري الياس) : سياحته الى اميركة (١٦٦٨–١٦٨٣) ٨ : ٨٢١ ؛ ٨٧٥ ؛ ١٢١ ؛ ٩٧٤ ؛ ١٠٢٢ ؛ ١٠٨٠ ؛ ١١١٨

موصيل (الاب الدكتور لويس) : آثار قديمة للنصرانية في غزة وضواحيها ١ : ٢١١ – رحلة حديثة الى بلاد البادية ٦٢٥

موتيه (بيار) : الفينيقيون ومصر : مقتطف من محاضرته ٢٢ : ٨

مونجان (الاب يوسف اليسوعي) : الشكر ١٢ : ١٧٩ – مآثر البابا بندكتوس الخامس عشر الى الشرق ١٨ : ٦٠ – بيت شعر، غفرانات ثوب العذراء والوردية، اعتراف المتناول كل يوم ١٩ : ٢٤٠ – السبيريتيسم او مناجاة الارواح ٢٧٨ ؛ ٣٥٢ – الكاهن موزع حسنات القداسات المخدوع ٦٤٠ – الطقوس والطوائف في الكنائس الشرقية ٣٠ : ٧٢١ ؛ ٦٠٤

ميانس (فرنان) : حفريات افامية ٣٤ : ٧٦

ن

النابلسي (الشيخ عبد الغني) : وصفات لقتل البق ٣ : ٧١٨ – طرد النمل عن الشجر ٧١٩

نادر (الاب يوسف الانطوني) : انتصار الكنيسة في المجمع الافسسي سنة ٤٣١ ٢٩ : ٦١٢ ؛ ٧٣٩ – تأييد رئاسة الحبر الاعظم العامة ٩٢٦ – اين ابتدأ الاب جبرائيل دنبو (١٧٧٤–١٨٣٢) ٣١ : ٨٠١

ناصر الدين (شاه العجم) : نبذة من رحلته الى اوربة سنة ١٨٧٣ ٢١ : ٥

الناصري (عبد الله) : تعزيز اللغة العربية في البلاد الفرنسوية ٣٠ : ٢٤٧

نعيم (الخوري عون كامل) : نبذة من تاريخ لبنان في القرن السابع عشر ٢٥ : ٨١

نقله (الاب رفائيل اليسوعي) : تجديد فن الجراحة على يد الدكتور كارل ١٨ : ٤٣٩ – ترقي العلوم منذ نشوب الحرب ٦٤١ – معابر القطارات ٩٣٤ – كيف يقرأ ويكتب العميان ١٠١٢ – احدث الطرق لقياس بُعد النجوم عن الارض ١٩ : ٤٤ – انشاء مكتبة كاثوليكية ٩٨ – قوة محركة جديدة : الفحم الاحمر ١٨١ – اعظم اكتشاف جراحي في الجيل العشرين ٢٥١ – التذكار الخمسيني لافتتاح قناة السويس ٢٩٠ – الآلة الناسخة ٣٤٨ – اعظم اكتشاف علمي من غرة الجيل العشرين حتى اليوم ٣٩٨ – نقل الصور الشمسية بالمجرى الكهربائي ومشكل الترابي عن بعد ٤٣٤ – مسألة البترول ٤٦٥ – نظرة الى بعض عجائب قعر المحيط ٥٢٥ – الكليات الكاثوليكية في الولايات المتحدة ٥٥٢ – لنزان في المريخ ٥٩١ – ادوار حياة النجوم ٦٤١ – نقل المسافرين والبريد بالطيارات ٧٣١ – التصوير الشمسي الملوّن ٨٠٨ – عين التوأمات او البرنسكوب ٨٩٧ – الحركة الكاثوليكية في البرازيل ٢٠ : ٣٧ – معجزة فلكية حديثة ٢٤٧ – من القصر الملكي الى دير الكرمل ٤٠١ – المدافع البعيدة المرمى ٥١٢ – الثانية الفتاة او جمعية الطلبة الكاثوليك بالمدارس العليا الالمانية ٦٣٦ – عجائب التلفون اللاسلكي في الولايات المتحدة ٦٨٤ – اختراع عجيب ٧٤٧ – فن تهذيب الذاكرة ٧٨١ ؛ ٨٧٥ – المدع الحربية في الحرب الكونية ١٠١٢ – نبذة من رحلة شاه العجم ناصر الدين شاه الى اوربة سنة ١٨٧٣ ٢١ : ٥ – رقي العلوم في العام الماضي ١١٠ – قذائف الارض والسماء ١٧ – الاب برنردوس فون اليسوعي الانكليزي ٥١٥ – الجليد الاصطناعي ٦٠٠ – نفق تحت نهر السين ٦٨٢ – آفات السيول وطرق علاجها ٢٢ : ٥ – اهتداء كاتبة روسية ارثذكسية الى الكثلكة ٧٨١ – الحركة الكاثوليكية في العالم ٢٦ : ٢٤٤

نرسيس : كتاب تدبير المقرل ١٩ : ١٦١

نصر (خليل يوحنا) : حلّه للغز الوارد في السدنة ٣٣٥ ٤ : ٢٠٩

نصر الله (اسعد) : التذكار المئوي للرابطة الادبية الفرنسوية (١٨٣٠–١٨٥٠) ٢٨ : ٥٧١ – الفن والاخلاق ٨١١

نصر الله (نصر الله) : التذكار المئوي للرابطة الادبية الفرنسوية (١٨٣٠–١٨٥٠) ٢٨ : ٥٧١ – الفن والاخلاق ٨١١ – الصوم الاربعيني في القرن الرابع في الشرق والغرب ٣٠ : ١٦ ؛ ١٣٩ ؛ ٢١٧

نصري (القس خرس الكلداني) : طائفة الكلدان الكاثوليك ٣ : ٨١٧ ؛ ٨٧٨ – نبذة تاريخية في بعض مشاهير طائفة الكلدان الكاثوليكية ٤ : ٨٤٧ – لمحة في الأبرشيات الكلدانية وسلسلة اساقفتها ٩ : ٦٣٦ ؛ ٦٨٣ ؛ ٧٤٤ – عيد الذبح ١٠ : ٤

٧١ – اصل الناظرة الحاليين واحوالهم الدينية والمدنية ١٦ : ٤٩١
نقاش (الشاعر نيقولا) : نشيد لجمعية مار منصور دي بول ٥ : ٦٣١
نقاش (الفرد) : خطابه في حفلة تدشين نصب الاب كاتن ٢٩ : ٨٨٨
نكر (الدكتور هنري) : الجُدَرِيُّ ١ : ٧٠ – القوانين الصحية في الندوات المدرسية ٢ : ٣٣٧ ؛ ٣٩١ ؛ ٤٨١ ، ٦٣٣ – وصايا صحية لاتقاء الجُدَرِيّ ٧ : ٢٩ – الاغذية في سوريّة ٨ : ٨٣ ؛ ١٢٠ ؛ ٢٩٦ ؛ ٣٥٩ ؛ ٦٩٣ ؛ ٩ : ١٢٠ ؛ ٢١٣ ؛ ٢١٥ ؛ ٣٤٨ – العرس الفني للكتب الفرنسوي الطبي ١١ : ٣٤١
نمرا (فريد فارس) : الدرّاجة ١٥ : ٩٠٧ – الصاعقة ١٦ : ٣٠٠
نوري (المطران اثناسيوس اغناطيوس) : استهاض الهمّة من احد السادة الأئمّة ٢ : ١٤٥ – الخابور ٢٦ : ٥٠٣ – ملاحظات على المقالة في دير الزور ٢٩ : ٩٠٩
نوري (عبد الكريم) : دير الزّور ١٠ : ٣٨
نيرون (الاب شرل اليسوعي) : الذهب في البحر واستخراجه منه ٨ : ١٠٦١ – العلوم في السنة ١٩٠٥ ٩ : ٥٩ ؛ ٢٢٢ ؛ ٢٢٠ – المستشفى الطبي الفرنسوي الجديد ٢١ : ٤٨١
نيرون (الاب غوستاف اليسوعي) : تنازع الاسقفية في انطاكية (٣٦٣ – ٣٩٣) ٢٦ : ٦٠٨ ؛ ٧٤٦
نيقولا (نقولا باپا) : المنّة السابعة لانشاء رهبانية مار فرنسيس الثالثة ١٩ : ٥٣٨
النينوي (اسحق) : ميسر في اكرام الصليب ١٣ : ٨٥٢

ه

هي (الشماس انطون) : الدرّة الثمينة في صلوات الكنيسة البيزنطية ٣١ : ٨٨١
هرتن (المستشرق هرتين) : الكتبخانات ١ : ٥٤٢ – مقالة في اهميّة جمع خواصّ الكلام الدارج ٧٩٠
هرتو (الاب جاك اليسوعي) : التابعة لريس پاسطور ١٤ : ٥١ – الفن المستحدثه للحرب البحريّة ١٦ : ١٣٥ – مريم اخت لعازر ومريم المجدلية والخاطئة التائبة ٦١٠
هفنر (الدكتور اوغست) : كتاب الدارات للاصمعي ١ : ٢٤ – كتاب النبات والشجر للاصمعي ٤٠٦ ؛ ٤٥٨ ؛ ٥١٠ ؛ ٦٤٣ ؛ ٧٥٠ ؛ ٨٧٤ ؛ ١٠٢٩ ؛ ١٠٧٢ – كتاب النخل والكرم للاصمعي ٥ : ٨٨٣ ؛ ٩٧٦ ؛ ١٠٩١
هودتش (الدكتور توما) : اثر يونانيّ في خزانة القصر السلطاني ١١ : ٢٨
هوغو (فكتور الشاعر الفرنسوي) : موسى على النيل ٦ : ٢٧١ – الضمير او عين الله ٧ : ٥٦ – الصلاة الشاملة ٨ : ٢٧٩
هوفلين (پول) : مدرسة الحقوق الرومانية في بيروت ١٦ : ٩٢٧

و

وفاء (الشيخ) : منظومته في اوليا حلب ٣٨ : ٢٢١

ي

ي . (الاب اليسوعي) : العذراء مريم في لبنان ١١ : ٦٦٥
اليازجي (الشيخ ناصيف) : الحجر الكريم في اصول الطب القديم : ارجوزة طبية مشروحة

٣١ : ٦٧٦ ؛ ٧٧١ ؛ ٨٣٤
يحيى بن عديّ (راجع ابن عديّ)
يسوعي (احد الآباء) : نظر في سياسة الشام المنصرم ٢٢ : ٦٠ ؛ ٩٥ – تطوب شهيدَي القربان الاقدس : اليسوعيين جاك سالس وغليوم سوغوش ٢٥ : ٢١٦
يسوعيون : نشرة كتابيّة في تعريف بعض المطبوعات المستحدثة ٩ : ٤١٦ ؛ ٤٦٥ ؛ ١٠ : ٢٢٢ – نشرة اثرية في تعريف بعض المطبوعات المستحدثة ٩ : ٥١١ ؛ ٥٦٥ – نشرة كتابيّة ودينيّة ٦٦٠ ؛ ٧٠٠ – نشرة انتقادية لتآليف حديدة في التاريخ الكنسي ١٠ : ٤٩٢
يكن (ولي الدين) : قوله في المروءة الفرنسويّة ١٥ : ١٥٩
يوحنا (القديس فم الذهب) : ميمر في ميلاد الرب ٨ : ٢٤ – ميمران في خميس جمعة الآلام وعيد الفصح المجيد ١٣ : ٢٤١
يورگنسين (الكاتب الدانيمركي) : المحيط الملوى ! ٢٩ : ٢٧٢
يوسقيان (المطران بطرس) : النسيميّ الشهيد الحليّ ١٨ : ٧٠٦
يونس (عبد المجيد) : رسالته في شعوذة يوسف الحاج ٢٢ : ١٥٩
يني (حرحي) : النهضة الادبية في طرابلس ٢٥ : ٢٧١

ملحق

ابو الحسن (سعيد) : مظاهر الادب في جبل الدروز ٤٠ : ٦١
انزين (علي) : الادب وتطوره في جبل عامل ٤٠ : ٢٩
عواد (ابراهيم) : لبنان في عبد الماليك ٤٠ : ١

نختم بهذا المجلّد مجموعة « المشرق » لاربعين سنة قضاها في خدمة لبنان وسائر البلاد الشرقية ديناً ، ولغةً ، وتاريخاً ، وثقافةً عامة.

ظهر اول جزء منه في كانون الثاني ١٨٩٨ بادارة المرحوم الاب لويس شيخو اليسوعي ، الذي ثابر على الاشراف عليه حتى وفاته في السابع من كانون الاول ١٩٢٧ ، بعد ان انهى فهرس المجلّد الخامس والعشرين ، محتفلاً بعيده الفضي.

ومن ثمّ عُهد بادارته الى المرحوم الاب هنري لامنس اليسوعي ، وعُهد بامانة التحرير الى الاستاذ فؤاد افرام البستاني . فسارا به شهرياً حتى آخر السنة ١٩٣٣ .

وفي السنة ١٩٣٤ عُين مديراً للمشرق الاب رينه موترد اليسوعي ، وظلّ الاستاذ البستاني سكرتيراً للتحرير ، كما ظلّ الاشراف الاعلى للاب لامنس حتى وفاته في ٢٣ نيسان ١٩٣٧ . وقد أُجري بعض التعديل في موعد صدور المجلّة فغدت تصدر اربع مرات في السنة ، بعد ان كانت شهرية .

وبين السنة ١٩٣٩ والسنة ١٩٤٢ عُهد بادارته الى الاب روبر شدياق اليسوعي ، يعاونه امين السرّ نفسه ، وظلّ المشرق على النسق السابق في الصدور .

وفي السنة ١٩٤٢ ، عاد الى ادارته الاب رينه موترد ، فتعاون وامين السرّ نفسه على اصدار هذا المجلّد الاخير ، مُودِّعَين به القرّاء الكرام ، واعدَينهم بإرسال القسم الاخير من الفهارس الواسعة ، فورَ خروجه من المطبعة.

AL - MACHRIQ

Revue Catholique Orientale Mensuelle

SCIENCES—LETTRES—ARTS

Sous la direction des Pères de la Cie de Jésus

UNIVERSITÉ St JOSEPH

Trente neuvième année

1941

BEYROUTH
Imprimerie Catholique
1941

TABLE DES SOMMAIRES

XXXIXe ANNÉE, 1941

JANVIER-MARS

Les mosaïques d'Antioche, (*illustré*). (p. 1). *P. René Mouterde, S. J.*

La Mission du Liban, d'après *La Montagne inspirée*. (p. 21). *Mr Saïd Akl.*

Les Sanctuaires préislamites : I. (p. 25). ✝ *P. H. Lammens, S. J*

Le centenaire de l'Exil à Malte (1840-1940) (p. 35). *Mr Naqib Saadah.*

Orientalistes disparus II. David-Samuel Margoliouth (1858-1940). (p. 51).

Le Musée National de Beyrouth. I (*illustré*). (p. 59). *Émir Maurice Chehab.*

Le Style Oral chez les Arabes préislamiques : I. (p. 75). *Mr F.-E. Boustany.*

Institut des Lettres Orientales : Ier trimestre de l'année (1940-1941). (p. 88).

Bibliographie (p. 93).

AVRIL-JUIN

Henri Bergson. (p. 113). *Dr Charles Malek.*

La Question Sociale et le Progrès Industriel. (p. 120). *Abbé Joseph Germanet*

Le Musée National de Beyrouth : II (*illustré*). (p. 140). *Émir Maurice Chehab*

Poèmes (p. 159). *Mr Saïd Akl.*

Les Saints Musulmans d'Alep : II, Biographie de l'auteur. Cheikh Wafa. (p. 164). *P. F. Taoutel, S. J.*

Le Style Oral chez les Arabes préislamiques : II (p. 185). *M^r. F.-E. Boustany*

Bibliographie (p. 208).

JUILLET-SEPTEMBRE

La terre et les travaux agricoles au Liban et en Syrie à l'époque gréco-romaine. (*illustré*). (p. 225). *P. R. Mouterde, S. J.*

Les sanctuaires préislamites: II. (p. 245). † *P. Lammens, S.J.*

2e SEMAINE SOCIALE DE BEYROUTH

L'école et l'Éducation Nationale. (p. 263).

L'enseignement primaire tel qu'il voudrait être. (p. 265). *Me S. Shammas.*

L'enseignement primaire tel qu'il est. (p. 280). *Me C. Cardahi.*

Maîtres, Manuels, Programmes. (p. 296). *Me F.-E. Boustany.*

Manifestations culturelles au Liban. (p. 309). . . .

Institut des Lettres Orientales. (p. 321).

Nouveaux manuscrits de la Bibliothèque Orientale. (p. 325). *F. T.*

Bibliographie (p. 329).

OCTOBRE-DECEMBRE

La charité et son influence sur le droit. (p. 337). *Me C. Cardahi.*

Syriens et Melkites. (p. 355). *Abbé I. Armalé.*

Les sanctuaires préislamites. III. (p. 383). † *P. Lammens, S.J.*

Méditations ! (p. 399). *Me Edward Morcos.*

La proclamation de l'Indépendance en Syrie et au Liban. (p. 403). . . .

Bibliographie. (421).

Tables du Machriq pour 1941. (426)

المشرق

السنة الخامسة والاربعون : كانون الثاني - اذار ١٩٤٧

فنّ الطبخ وإصلاح الأطعمة

في الاسلام

بقلم حبيب زيات

لما احتلّ العرب الشام ومصر والعراق لم يكونوا يدرون من اساليب معالجة المآكل الأ ما كان اسهل متناولًا واعجل في سدّ الجوع واقرب الى الفطرة ، كخلط البرّ والشعير والدقيق والسويق والثريد والحساء باللبن الحليب والأقِط والجبن والسمن والشحم والتمر ، وشيّ اللحوم على الجمر او انضاجها في القدور على الاثافيّ ، والاغتذاء بالكمأة النيئة وبعض الاعشاب والجذور التي تنبتها الارض عفوًا في الربيع . وفي كتب اللغة تعداد هذه الاطعمة الساذجة او الخشنة من امثال السخينة والعكيسة والربيكة والمضيرة ، مما لا يحسن في كل ذوق ولا يسوغ في كل حلق . ومن اطرف وصف وقفنا عليه لمآكل الاعراب ما حدّث به الاصمعي قال :[1]

١) معجم البلدان لياقوت طبعة (اروبة) ٣ : ٤٧٣ ؛ والمحاسن والمساوئ للبيهقي ١ : ٢٢٥

« قال بعض المشيخة : لقيت اعرابياً فقلت ممن الرجل ؟ قال : من بني اسد فقلت : من اين اقبلت ؟ قال : من هذه البادية . . . قلت : وما طعامكم ؟ قال : بخ بخ عيشنا والله عيش تملّ جاذبه وطعامنا اطيب طعام واهنؤه وامرؤه : الفث[1] والهبيد[2] والقطس[3] والعنكث[4] والصلب[5] والعلهز[6] والذآنين[7] والطراثيث[8] والمراجين[9] والحنتلة[10] والضباب واليرابيع والقنافذ والحيّات . وربنا والله اكلنا القدّ واشتوينا الجلد ، فما ارى ان احداً احسن منا عيشاً ولا ارخى بالاً ولا اخصب حالاً . فالحمد لله على ما بسط علينا من النعمة ورزق من حسن الدعة . اوَما سمعت ما يقول قائلنا :

اذا ما اصبنا كل يوم مُذيقةً وخمس مُغيرات صمار كوانز
فنحن ملوك الناس شرقاً ومغرباً ونحن اسود الناس عند الهزاهز
وكم متمنٍ عيشنا لا ينالـه ولو ناله اضحى به جدّ فائز

ولكن لما قدم العرب بعد الاسلام على شعوب واقوام غُذوا بلبان الحضارة ونشأوا على لين من العيش ومعرفة بمرافقه مدة قرون متوالية في ظل دولتي الروم والفرس ، قلّدوهم تدريجاً في مآكلهم ومشاربهم وشاركوهم في التنعم بلذات المائدة والاستمتاع بطيبات الحياة . ولا تزال الى اليوم قواعد الطبخ الرومي والفارسي شائعة شاملة اكثر المدن الشرقية . ومن تفرّغ لاستقراء الالفاظ

١) الفثّ : نبت له حب اسود يختبز ويؤكل في الجدب ويكون خبزه غليظاً كخبز الملة .

٢) الهبيد : حب الحنظل تأخذه الاعراب وهو يابس فتنقعه في الماء عدة ايام ثم يطبخ ويؤكل

٣) القطس : حب الآس .

٤) العنكث : شجرة يسحجها الضب بذنبه حتى تتحات ثم ياكلها .

٥) الصلب : ان تجمع العظام وتطبخ حتى يستخرج دهنها ويؤتدم به .

٦) العلهز : دم القراد والوبر يُلبك ويشوى ويؤكل في الجدب . وقال آخرون : العلهز دم يابس يدق مع اوبار الابل في المجاعات .

٧) الذآنين : جمع ذأنون وهو نبت اسمر مدملك لا ورق له لازق به .

٨) الطرثوث : نبت يؤكل برنفع كالدرقة الملفوفة .

٩) المراجين : نوع من الكمأة قدر شبر وهو طيب ما دام غضاً ينبت كالفُطر يشبه النفع .

١٠) الحنتلة : جمع حنتل وهو ولد الضب .

الاعجمية التي نطقت بها ألسنة الطهاة والشعراء والادباء في عهد العباسيين والفاطميين كالبزماورد والبندود والنمكود والسنبوسج والطباهج والزيرباج والكردناج والسكباج والفالوذج واللوزينج والخشكنانج وسائر الالفاظ التي ألحقت بها الجيم ، يتضح له غلبة الفن الفارسي على الموائد العباسية ، منذ ايام البرامكة خصوصاً . وفي « كتاب الطبخ واصلاح الاغذية المأكولات » لابي محمد المظفر بن نصر بن سيار الوراق ، المحفوظ بنقص قليل في خزانة اكسفرد ، طائفة كافية من هذه المستعارات يجدر باللغوي اليوم ان يتنبه لها لادراجها في محلها في ديوان تكملة المعاجم العربية الذي تشتد الحاجة اليه لكشف الغامض والدخيل من الفاظ الحضارة .

وقد فاتنا كل ما كتب وقيل عن الامويين في الصدر الاول ، فلا سبيل اليوم لمعرفة شيء يذكر من معيشتهم وتنقلهم بين القصور والبوادي ، ولا كيف كانوا يتنعمون في خلواتهم ومجالسهم ودعواتهم وموائدهم . ولا شك انهم اخذوا بنصيب وافر من الرسوم والآداب التي ورثوها عن المملكتين الرومية والفارسية . ويظهر انهم آثروا في الغالب اتباع الفن الرومي في معالجة البقول واللحوم ، واختاروا تناول البوارد والحلويات على الطرائق الفارسية ، وهو ما يستدل عليه من قول الاصمعي : اختصم رومي وفارسي في الطعام فحكما بينهما شيخاً اكل طعام الخلفاء . فقال : اما الرومي فذهب بالحشو والاحشاء ، واما الفارسي فذهب بالبارد والحلواء[1] .

وقد اضاف الخلفاء العباسيون ورجالهم الى هذه التقاليد الاعجمية في المطاعم والمشارب صفات اخرى والواناً شتى وضعها لهم طهاتهم واطباؤهم وشرابيوهم . وفي كتاب ابن سيار الوراق المشار اليه آنفاً قسم صالح منها عُمل للمهدي والرشيد وابراهيم بن المهدي والامين والمأمون والمعتصم والواثق والمتوكل والمعتمد والمعتضد والمكتفي من الخلفاء ، وليحيى بن خالد البرمكي من الوزراء ، ولاسحق بن ابرهيم الموصلي وابن دهقانة من المغنين والندماء . ومن هذه الصفات والشهوات يتضح

---

١) عيون الاخبار لابن قتيبة ٣ : ٢٠٤

ما احدثه عصر العباسيين من طرائف الطهاة والشرابيين والندماء ؛ وما للكتاب المذكور من القيمة والمكانة في تاريخ فنّ الطبخ الاسلامي ، والفائدة الجلّى في تعريف لغة الطباخة واوضاعها ومصطلحاتها التي اغفلتها المعاجم . وفيه ايضاً دليل بيّن على شدة انتشار هذا الفنّ بين طبقات الامة وألفة الناس له حتى حذق فيه الخلفاء والوزراء والندماء والمغنون والتجار والملاحون وسائر العامة . والناس ، كما قيل ، على دين الملوك . وسنفيض في آخر هذه المقالة في وصف هذا الكتاب في ختام ما وقفنا عليه من اسماء المؤلفات الموضوعة في الطبخ عموماً .

وقد ادرك الخلفاء العباسيون وندماؤهم ما لفن الطبخ من الفضيلة والاثر الحميد في تعديل الامزجة واصلاح الاجسام والاستمتاع بلذاذ الذوق ، فصرفوا اليه نصيباً من عنايتهم وراضوا نفوسهم عليه تظرّفاً وتطرّباً . وكانوا يتلهون بمعالجة بعض الاطعمة في مجالسهم والتناظر فيها لدى الخبراء لمعرفة المجيد المبرّز فيها . ومن ذلك ما حكاه الشابشتي في كلامه على دير الشياطين وتردّد عبادة اليه وكان عبادة هذا مخنّثاً من اطيب الناس واخفهم روحاً . كان ابوه من طباخي المأمون وكان معه فخرج حاذقاً بالطبيخ . ثم مات ابوه فتخنث وصار رأساً في المهارة والحلاعة . قال الشابشتي :

« جلس المأمون في بعض الايام وامر بان تحضر اللحوم والحيوان وما تحتاج « اليه من آلة الطبخ . وقال للندماء ليطبخ كل واحد منكم قدراً . وطبخ هو ايضاً « قدراً . وطبخ اخوه ابو اسحق قدراً . ففاحت لها روائح غلبت على روائح قدورهم « طيباً وعطرية فعجبوا من ذلك وعبادة حاضر فحسده فقال : ان اردت ان « تزيد في طيب قدرك فصُبّ فيها سُكرّجة[1] كامخ . فاخذ سكرّجة كامخ كبيرة

---

١) السكرجة في كتب اللغة هي الصحفة . ويظهر انها وردت بهذا المعنى في الحديث وانما يراد بها هنا الآنية التي توضع فيها انواع الكامخ اي التوابل والابزار والافاويه والملح والاصباغ . قال الجواليقي : فارسية معربة وترجمتها مقرّب الخل (المعرّب ٢٠) فيكون اصل وضعها للخلّ ثم اتسعت لكل ما يؤتدم به . ويشبهها في ذلك اللفظة الفرنسية huilier كانت قبلاً اداة للزيت ثم جعل فيها معه الخل والخردل والملح وما اشبه . وبقي عليها اسمها الاول . ولابن المعتز ابيات وصف فيها سلّة سكارج جمعت اشهر الكوامخ في ايامه نقلها المسعودي في مروج الذهب (بهامش الكامل لابن الاثير ١٠ : ١٩٥ – ١٩٦) فلتراجع .

« وصبّها في القدر . فساعة صبّ السكرجة فاحت لها روائح منتنة فقال المأمون : « ويلكم ما هذه الروائح المنتنة فقال عبادة : رائحة قدر اخيك الطبّاخ . قال : « ماذا طرحت فيها حتى عادت بعد الطيب الى هذه الرائحة ؟ فقال سكرجة كامخ « كبر اشار بها عبادة . فقال : اما علمت انك اذا ادخلت جسماً ميتاً على جسم حي « افسده ؟ فحقدها المعتصم على عبادة . فلما ولي المعتصم امر بقتله . ثم قال : ما لهذا « الكلب من القدر ؟ ما يُقتل ولكن انفوهُ فنُفي . »[1]

ومن ذلك ايضاً ما رواه المسعودي قال :

« يُحكى ان المأمون امر بعض خواصه من خدمه ان يخرج فلا يرى احداً « في الطريق الا اتى به كائناً من كان من رفيع او خسيس . فاتاه برجل من العامة « فدخل وعنده المعتصم اخوه ويحيى بن اكثم ومحمد بن عمر الرومي . وقد طبخ « كل واحد منهم قدراً . فقال محمد بن ابراهيم الطاهري : هؤلاء من خواص « امير المؤمنين فأجبهم عما يسألون . فقال المأمون : الى اين خرجت في هذا الوقت « وقد بقي عليك من الليل ثلاث ساعات . فقال : غرّني القمر وتممت تكبيراً فلم « اشك انه اذان فقال له المأمون : اجلس فجلس . فقال له المأمون : قد طبخ كل « واحد منا قدراً هوذا يُقدَّم اليك من كل واحد منها قدر فأخبِرْ عن فضائلها « وما ترى من طيبها فقال : هاتوا . فقدمت في طبق كبير كلها موضوعة عليه « لا يميّز بينها . ولكل واحدة ممن طبخها علامة . فبدأ فذاق قدراً طبخها المأمون « فقال : زِدْ . واكل منها ثلاث لقمات وقال : واما هذه فكأنها مسكة وطباخها « حكيم نظيف ظريف . ثم ذاق قدر المعتصم فقال : هذه والله فكأنها والاولى « من يد واحدة خرجتا وبحكمة طُبختا . ثم ذاق قدر عمر وقال : هذه قدر « طباخ ابن طباخ اجاد ما احكمه . ثم ذاق قدر يحيى بن اكثم فاعرض بوجهه « وقال : شِهْ هذه والله جعل طباخيا فيها مكان بَعَلها . . . فضحك القوم « ووصله المأمون باربعة آلاف دينار[2] . وقسط له على اصحاب القدور وقال : اياك

---

١) كتاب الديارات ٨٠ – ٨١

٢) يصعب جداً التصديق ان المأمون اسرف هذا الاسراف في مكافأة عامي على حكمه في الطبيخ . والارجح ان يكون الاصل « اربعة الآف درهم » وكثيراً ما ترد الدنانير في

« ان تعود الى الخروج في مثل هذا الوقت مرة اخرى فقال : لا اعدمكم الله « الطبيخ ولا اعدمني الخروج . »[1]

وجرى المعتصم على سنن اخيه المأمون في العناية بهذا الفن والمثادمة عليه والتحكيم فيه ، وهو ما اشار اليه المسعودي فقال :

« ذُكر ان المعتصم كان بالجوسق[2] يوماً مع ندمائه وقد عزم على الاصطباح « وامر كل واحد منهم ان يطبخ قدراً . . ودخل ابو عبدالله بن ابي دواد فما « هو الا ان سلم وجلس وتكلم حتى اسفر وجه المعتصم وضحكت اليه جوارحه . « ثم قال له : يا ابا عبد الله قد طبخ كل واحد من هؤلاء قدراً وقد جعلناك « حكماً في طبخها . قال : فلتحضر ثم آكل ثم احكم بحكم بعلم . فحملت اليه « القدور ووضعت بين يديه فجعل يأكل من اول قدر اكلاً تاماً فقال له المعتصم : « هذا ظلم قال : وكيف ذلك ؟ قال : لاني اراك قد امعنت في هذا اللون وستحكم « لصاحبه . قال : يا امير المؤمنين عليّ ان آكل من هذه القدور كلها كما اكلت « من هذا القدر . فتبسم له المعتصم وقال له : شأنك اذاً . فاكل كما قال . ثم قال : « اما هذه فقد احسن طابخها اذ اكثر فلفلها واقلّ كمونها . واما هذه فقد اجاد « طابخها اذ اكثر خلّها واقل زيتها . واما هذه فقد طيّبها طابخها باعتدال توابلها . « واما هذه فقد حذق من عملها بقلة مائها وكثرة مرثها حتى وصف القدور « بصفات سرّ اهلها بها . ثم اكل مع القوم كما اكلوا انظف اكل واحسنه[3] » .

وكان قبل المأمون والمعتصم عنهما ابرهيم بن المهدي عارفاً بقواعد الطبخ وله فيه مؤلف خاص ونسخ شتى من الصفات الواردة في كتاب ابن سيار . ولما زاحم المأمون على الخلافة وطلب حثيثاً اختفى في بيت اسود حجام وحكى بعد العفو عنه خبر اختفائه فقال :

« خرج الاسود ومعه طبق عليه جميع ما يُحتاج اليه من خبز ولحم وقدر

المكابات والاعطية في موضع الدراهم حباً بالتعظيم والاطناب .

١) مروج الذهب ٩ : ١٨ — ١٩

٢) الجوسق اسم احد قصور المعتصم في سامرّا .

٣) مروج الذهب ٩ : ١١٧ — ١١٨

« جديدة وآلتها وجرّة نظيفة وكيزان نظاف كل ذلك جديد. وقال لي : جعلني « الله فداك اني حجّام واني اعلم انك تتقذّر ما اتولاه فشأنك بما لم تقع عليه يدي. « وكانت بي حاجة شديدة الى الطعام فقمت فطبخت لنفسي قدرًا لا اذكر اني « اكلت اطيب منها »[1].

وكان البرامكة ايضاً لا يجهلون فن الطبخ. ولما حُبس يحيى والفضل كتب الموكّل بهما الى الرشيد اني سمعتهما يضحكان ضحكاً مفرطاً جدًا. فوجّه الرشيد يستعلم ذلك فقالا : « اشتهينا سكباجاً فاحتلنا في شرا اللحم ثم احتلنا في القدر والخلّ حتى اذا وصل جميع ذلك الينا وفرغنا من طبخها واحكمناها ذهب الفضل لينزلها فسقط اسفلها فوقع علينا الضحك »[2].

ومن هذه الحكايات وامثالها ، مع ما دخلها دون ريب من تزويق السمّار ومبالغات الرواة ، يتبين جليًا ان فنّ الطبخ كان بالغاً أوْجه في ايام العباسيين معروفاً حق المعرفة عند الخاصة والعامة ، سائدًا في القصور والدور والبيوت والاسواق تحكّم فيه الوزراء وعابرو الطريق لاقبال الناس عموماً على طيب المآكل والمشارب ، ولذلك كثر سواد المترفين والمتأنقين وازداد عدد الأكلة الشرهين. كأشباه ابن دهقانة القائل : « قد اكلت حتى زَمِنت واريد آكل حتى اموت. »[3]

وكانت الخلفاء تجزل مكافأة من جوّد الطبخ واحسن مذاقه حيث كان ومما رواه المسعودي في هذا المعنى ما نقله عن الفتح بن خاقان قال :

« بصر المتوكّل بسفينة مشدودة بالقرب من شاطئ الخليج وملّاح بين يديه قدر كبيرة يُطبخ فيها سكباج من لحم بقر وقد فاحت روائحها فقال : يا فتح رائحة قدر سكباج والله ، ويحك اما ترى ما اطيب رائحتها ؟ عليّ بها على حالها . فبادر الفراشون فانتزعوها من ايدي الملّاحين . فلما عاين الملّاحون اصحاب السفينة ما فُعل بهم ذهبت نفوسهم فرَقاً وخوفاً . وجاؤوا المتوكل بالقدر تفور كيتها . فوضعت بين ايدينا . فاستطاب ريحها واستحسن لونها ودعا برغيف فكسر

١) مروج الذهب ٩ : ٣٧ – ٣٨
٢) كتاب الوزراء والكتاب للجهشياري ٣٠٦
٣) كتاب الديارات للشابشتي ، نسخة برلين ، ٩

منه كسرة ودفعها اليّ واخذ منه مثلها. واكل كل واحد منا ثلاث لقم. واقبل الندماء والمغنون فجعل يلقم كل واحد منهم لقمة من القدر. واقبل الطعام ووضعت الموائد. فلما فرغ من اكله امر بتلك القدر ففرغت وغسلت بين يديه. وامر ان تملأ دراهم. فجيء ببدرة ففرغت فيها ففضل من الدراهم مقدار الفي درهم فقال لخادم كان بين يديه: خذ هذه القدر فامض بها حتى تدفعها الى من طبخها. وما فضل من هذه البدرة من الدراهم هو هبة له على تجويده طبخها. فكان المتوكل كثيراً ما يقول اذا ذكر قدر الملّاح ما اكلت احسن من سكباج اصحاب السفينة في ذلك اليوم.»[1]

ولا نعلم لاحد الشعراء والادباء وصفاً لموائد الخلفاء وولائمهم لنقف منه على مقدار ما كان يُقدَّم عليها من الاطعمة والاشربة وتعداد ما كان يتتابع فيها من الالوان وانواع الحلواء. ويظهر ان العادة كانت جارية باستنهار الخليفة في ما كان يُهيَّأ لمن تقدمه من اللحوم والبقول والاخبصة والثمار في كل يوم ليرى فيها رأيه. ولما انتهت الخلافة الى القاهر بالله «عُرضت عليه صنوف الالوان والحلواء والفواكه التي كانت توضع بين ايدي الخلفاء كل يوم. فاستكثرها وقال في الفاكهة: بكم تباع هذه كل يوم؟ فقيل له: بثلاثين ديناراً فقال: تقتصر من ذلك على دينار واحد، ومن الطعام على اثني عشر لوناً. وكان يُصلح لغيره كل يوم ثلثون لوناً من حلواء. فاقتصر على الكافي له»[2].

واذا كان القاهر بالله قد قنع من الاطعمة باثني عشر لوناً فكم كانت يا ترى الالوان التي كان يطلبها من سبقه من الخلفاء منذ ايام السفّاح؟[3] وهل يُعدّ بعد ذلك من الغريب ان يُتّهم بعض الخلفاء بالنَّهَم والبطنة ازاء هذا الفضول

١) مروج الذهب ٩: ١٢٠ – ١٢١

٢) صلة تاريخ الطبري لعريب ٢٨١

٣) ذكر المسعودي في جملة اخبار المهتدي بالله ان الخلفاء قبله كانت تنفق على موائدها كل يوم عشرة آلاف درهم فازال ذلك وحمل مائدته وسائر مؤنه في كل يوم نحو مائة درهم (مروج الذهب ٩: ٢٢٤) ويبعد جداً ان تكون مائة درهم كافية لمثل حاجات الخليفة ومؤنة مائدته وخدمه فلا شك ان في العدد المذكور تحريفاً او مبالغة في النقص رغبة في سيرة الزهد والتقشف المهتدي بالله.

الطائل من الأطايب الحافلة ؟ وقد زعم القصّاص والمخرّفون ان معاوية كان يقول: « يا غلام ارفعْ فوالله ما شبعت ولكن مللت »[1] وحكوا ما شاؤوا في شره الخليفة سليمان بن عبد الملك وغيره من رجال بني امية.

ومن الخلفاء الذين كانوا معجبين بشهوات المائدة واستماع ما قيل فيها من الاوصاف والاشعار المستكفي بالله . نقل المسعودي عنه انه: « قال لندمائه في بعض الايام : قد اشتهيت ان نجتمع في مكان كذا وكذا فنتذاكر انواع الاطعمة وما قال الناس في ذلك منظوماً. فاتفق معهم على ذلك. فلما كان اليوم الذي حضر اقبل المستكفي فقال: هاتوا ما الذي اعدّه كل واحد منكم. فقال واحد : قد حضرني يا أمير المؤمنين ابيات لابن المعتز يصف سلّة سكارج كوامخ (وانشد ١٥ بيتاً) قال المستكفي : تُحضر هذه الجونة بعينها على هذا الوصف. وهاتوا فليس نأكل اليوم الّا ما تصفون. فقال آخر من الجلساء: يا أمير المؤمنين لمحمود بن الحسين الكاتب المعروف بكشاجم في صفة سلّة بوارد (٢٤ بيتاً) فقال المستكفي: احسنت واحسن القائل في ما وصف. ثم امر باحضار كلّ ما يجري وصفه مما يمكن احضاره. ثم قال هاتوا من معه شيء في هذا المعنى ؟ فقال آخر : في هذا المعنى لابن الرومي في صفة وسط (١٧ بيتاً) وقال آخر: يا امير المؤمنين لاسحق بن ابراهيم الموصلي في صفة سبنوسج (١٥ بيتاً) فقال آخر لمحمود بن الحسين بن السندي كشاجم الكاتب في وسط هليون (١٢ بيتاً) فلما فرغ منها قال له المستكفي : هذا مما يتعذّر وجوده في هذا الوقت بهذا الوصف في هذا البلد ؛ الّا ان نكتب الى الاخشيد محمد بن طغج يحمل الينا من ذلك من العبر من دمشق فانشدونا في ما يمكن وجوده . قال آخر: يا امير المؤمنين لمحمد الوزير المعروف بالحافظ الدمشقي في صفة ارزيّة (٥ ابيات) فقال آخر : يا امير المؤمنين أنشدت لبعض المتأخرين في هريسة (١٦ بيتاً) وقال آخر : يا امير المؤمنين لبعض المتأخرين في صفة المضيرة (١١ بيتاً) فقال آخر: يا امير المؤمنين لمحمود بن الحسين في صفة جوذابة (٩ ابيات) وقال آخر:

---

١) الفخري في الآداب السلطانية لابن الطقطقي ، مطبعة الموسوعات ، ٦٨

يا امير المؤمنين معي لبعض المحدثين في صفة جوذابة اخرى (٦ ابيات) وقال آخر : يا امير المؤمنين لمحمود بن الحسين كشاجم في صفة قطائف (٧ ابيات)[1].

على ان مثل هذه العناية بالموائد لم تكن لتنسي الخلفاء ان الداء اكثر ما يكون من الطعام او الشراب . ولذلك كانوا يَكلون الى اطبائهم الاشراف على ما يقدّم لهم من الاطعمة وتنحية ما لا يوافق امزجتهم او يسبب لهم مضرّة. وربما أُلفت لهم المؤلفات الخاصة في الطبيخ كالذي وُضع للمعتضد بالله ، كما سيجيء. وقد سبق معاوية كل الخلفاء في استحضار طبيب له على مائدته والاصغاء الى نصائحه روى ليث الدين احمد بن عيسى بن ابي الفتح السمرقندي باسناده الى العتبي قال :

« حجّ معاوية وكان عامله على المدينة مروان بن الحكم فلما قدم المدينة « هيّأ له مروان طعاماً فاكثره وجوّده فلما حضر الغداء جاء متطبب نصراني « لمعاوية فوقف . فجعل اذا مرّ لون قال: كُلْ يا امير المؤمنين من هذا . واذا « أُتي بلون ظنّ انه لا يوافقه قال : لا تأكل من هذا. ثم اقبل زنجيان مؤتزران « بريطتين بيضاوين يدخلان بجفنة لها اربع حلقات مترعة حَيساً. فلما رآها معاوية « استشرف لها وحسر عن ذراعيه فقال الطبيب : اي شيء تريد يا امير المؤمنين « قال : اريد والله أُواقع ما ترى قال: امزّق ثيابي . قال: ولو مزّقت بطنك . « فجعل يدبدب مثل دبدب البعير ويقذف في جوفه حتى اذا نهل قال: يامروان ما « حيسكم هذا ؟ قال يا امير المؤمنين عجوة نامية وأَقِطَة مُزينة وسمنة جُهينة « قال هذه اشفية جُمعت ، لا كما يقول هذا النصراني »[2].

وكان الرشيد يوجب على طبيبه حضور طعامه. قيل ان الموائد قدمت بين يديه في بعض الايام ، وطبيبه جبرئيل بن بختيشوع غائب. قال ابو سلمة « فامرني الرشيد بطلب جبرئيل ليحضر اكله على عادته في ذلك فلم ادع منزلاً من منازل الولد ومن كان يدخل اليه جبرئيل من الحُرَم الا طلبته فيه ولم اقع له على اثر .

١) مروج الذهب ١٠ : ١٩٥ — ٢٠٢

٢) كتاب تلخيص مجمع الآداب في معجم الالقاب، لكمال الدين بن الفوطي، طبعة الهند، سنة ١٣٥٩ (١٩٤٠) ص ١٨ — ١٩

فاعلمت امير المؤمنين بذلك. فطفق يلعنه ويقذفه، اذ دخل عليه جبرئيل.»[١]

وكان الامين نظير الرشيد لا يأكل ولا يشرب الا باذن جبرئيل بن بختيشوع[٢] وخدم يوحنّا بن ماسويه المأمون والمعتصم والواثق والمتوكل قال سليمان بن حسّان: «كان ملوك بني هاشم لا يتناولون شيئاً من اطعمتهم الا بحضرة يوحنا بن ماسويه. وكان يقف على رؤوسهم ومعه العراني بالجوارشات المسخنة الطابخة المقوية للحرارة الغريزية في الشتاء. وفي الصيف بالاشربة الباردة الطابخة المقوية والماجين.»[٣]

واقتدى بالخلفاء الملوك والامراء حتى قلّ من لم يكن له طبيب مشارف على المائدة «وفي سنة عشر ومائتين (٨٢٥م) كان عبدالله بن طاهر بدمشق واتفق في اليوم وفاة الحكم بن ابي الحكم الدمشقي الطبيب فطلب عبدالله متطبّبيه في وقت غدائه فلم يصب احداً منهم فسأل عنهم فأخبر بوفاة الحكم وحضورهم جنازته. فعاتب عبدالله متطبيه ايوب بعد انصرافه على تركه حضور طعامه فاعتذر ايوب بوفاة الحكم واعلمه... انه عُمّر مائة سنة وخمس سنين.»[٤]

ومشى على هذه الخطّة امراء المغرب فكان الطبيب اسحق بن عمران يشاهد اكل زيادة الله بن الاغلب امير افريقية «فيقول له كُل هذا ودع هذا»[٥] وقد لا تخلو بعض الاخبار المنقولة في هذا الباب من بعض المبالغة كالتي وردت عن سيف الدولة في ترجمة الطبيب عيسى الرقّي قال عبيدالله بن جبرئيل: حدثني من اثق به ان سيف الدولة كان اذا اكل الطعام حضر على مائدته اربعة وعشرون طبيباً. قال وكان فيهم من يأخذ رزقين لاجل تعاطيه علمين ومن يأخذ ثلاثة لتعاطيه ثلاثة علوم. وكان من جملتهم عيسى الرقي المعروف بالتفليسي... كان يأخذ اربعة ارزاق رزقاً بسبب الطب ورزقاً بسبب النقل ورزقين آخرين بسبب علمين آخرين.»[٦] ومن شقاء العلم ان تفوتنا معرفة ما كان يأخذه الاطباء الثلاثة

١) عيون الانباء لابن ابي اصيبعة ٢ : ٢٤

٢) إخبار العلماء باخبار الحكماء للقفطي، مطبعة السعادة، ٦٨

٣) عيون الانباء لابن ابي اصيبعة ١ : ١٢٨، واخبار العلماء ٢٤٩

٤) اخبار العلماء ١٢٢

٥) عيون الانباء ٢ : ٢٦

٦) عيون الانباء ٢ : ١٤٠

والعشرون الباقون من الارزاق على ما كانوا يتعاطونه في خدمة سيف الدولة من الفنون والعلوم في ما عدا الطب. وهذه مأثرة لسيف الدولة لم ينبه عليها احد من الشعراء بحضرته ولم يشر اليها فيما بلغنا احد ممن اشاد بامارته ودوّن اخباره وسيرته . وفي كتاب اخبار العلماء للقفطي ان عيسى الرقي كان يعرف باسم التفليسي لا التفليسي، وانه كان يأخذ ثلاثة ارزاق لا اربعة، رزقاً للنقل من السرياني الى العربي ورزقين آخرين بسبب علمين آخرين (ص ١٦٦) ويبعد جداً ان لا يكون في جملة هذه العلوم النقل من اليوناني.

ولا ريب ان كل الملوك والامراء الذين زاحموا العباسيين واقتطعوا معظم املاكهم قلدوهم في آيين موائدهم وكان عضد الدولة فناخسره بويه اذا حضر الوقت الذي رسمه بالاكل فيه استدعاه فاصاب منه وطبيب النوبة قائم على رأسه وهو يسأله عن شيء شيء من منافع الاغذية ومضارها[1].

ومن النوادر التي تجدر بالذكر هنا وتوضح كيف تقدّم كافور عند الاخشيد واستولى اخيراً على امارة مصر ما حكاه ابو الفرج البالسي[2] طبيب الاخشيد قال:

« اشتهى الاخشيد بَقَرِيّة فعملت له وكان رسمي اذا قدّمت المائدة اليه
« ان اقف في طريق الطعام فاشرف على كل لون يُقدّم فأردّ ما أرى رده واصلح
« ما اراه وارسله اليه فجاؤوا ذلك اليوم بالبقرية فكشفتها وازلت منها ما يصلح
« ازالته . فاخذها كافور بيده وادخلها اليه ولم يكن رسمه ان يحمل طعاماً . فلما
« خرج قلت له: ما يزيدك الله الا رفعة فقال لي: كانت شهوة مولاي لها قوية
« فاحببت ان ادخل انا بها فلما رفعت المائدة دخلت اليه وسألته عن اكله فقال
« لي : كانت البقرية طيبة واكلتها شهوة فايش اعجب ما كان فيها ! قلت:
« يقول الاخشيد ايده الله قال : حملُ كافور لها وحياتك يا ابا الفرج لا جلس

---

١) ذيل تجارب الامم، لظهير الدين الروذراوري ، ٦١، والمنتظم ، لابن الجوزي ، طبعة حيدر اباد ، ٧ : ١١٥

٢) في الاصل المطبوع « الباسي » ولا شك انه هو هو البالسي الذي ذكره ابن ابي أصيبعة في جملة الاطباء المصريين ، وورد في مكان اسمه وكنيته بياض في النسخة المطبوعة، وذكر عنه انه ألف لكافور كتاب التكميل في الادوية المفردة (عيون الانباء ٣ : ٨٦)

« في هذا المجلس غيره ولا اخذ هذا المال سواه. »[1]

ولا بأس ان نضم الى هذه النادرة ملحة اخرى تعلل ايضاً نجاح كافور وتشرح كيف توصل الى مرضاة مولاه بخدمة شهواته على المائدة، والكلام هنا على منزلة فنّ الطبخ قديماً وفي الاستطراد الى هذه النكتة اشارة الى بعض الالوان المصرية التي تدخل في ابواب هذا الفن، وهي ما حدّث به كافور قال:

« ركب الاخشيد ثم قال لي : ارجع فقل لهم يصلحون المائدة ويكون « اول ما يقدّمونه حمّاضية. قال كافور: فجئت الى صاحب المائدة فقلت له: اول « ما تقدم حمّاضية فقال: والله ما اصلحت حماضية فقلت: انا لله عز وجل فقال: « كم عليك واصلح لك الساعة حماضية ؟ قلت: مائة دينار. قال: فاجمع لي كل اترج « عندك. فجمعناه واستخرج الحماض فالقاه في الحصرمية وطرح فيها ماء الورد « والمسك والأفاويه. فلما جاء الاخشيد قدمتها اليه فاكل منها واكثر وقال: « طيبة والله فقلت: هي والله تقوم عليّ مائة دينار. فقال: كيف ؟ فحدثته فقال: « ايتوني بالطباخ فقال: تأخذ من غلامي مائة دينار ؟ رُدّها فردها فاعطاها « غلاماً وقال له: ادفعها الى الطوّاف[2] الذي يطالبنا. قال فقلت للاخشيد: « فانت اخذت المائة. »[3]

وقد فات المؤرخين وصف موائد الخلفاء الفاطميين، ولم ينقل عن احد منهم انه جارى الهاشميين في احسان فن الطبخ علماً او عملاً ولم يتميّز به فيما نعلم احد ممن خلفهم على ملك مصر من الايوبيين والمماليك سوى الملك الصالح صلاح الدين ابن الملك الناصر محمد. قال المقريزي في اخبار سنة ٧٥٥/١٣٥٤:

« عمل السلطان الملك الصالح لخوندقطلو ملك امّه مهماً طبخ فيه الطعام « بيده... شدّ في وسطه فوطة ووقف فطبخ الطعام في هذا المهمّ بنفسه ومدّ « السماط بين يديها بنفسه. »[4]

١) المغرب في حُلى المغرب ٣٦

٢) في الاصل المطبوع « الى الطوائف » وهو غلط ظاهر.

٣) المغرب ٣٢

٤) السلوك في اخبار الملوك. خزانة باريس ١٧٢٧ ص ١٨ والمهمّ هنا لفظة مولّدة بمعنى الصنيع والدعوة

وقد تضافرت الدلائل على ان فنّ الطبخ كان شائعاً في عهد الفاطميين وله من الاعتبار والشأن ما لا يقلّ عما كان له في العراق، لكثرة المواسم والاعياد التي كان يُحتفل بها في مصر ويجلس فيها الخلفاء للناس وتُمدّ لهم فيها غرائب الاسمطة ونوادر الاطعمة. واشتهرت قصور الفاطميين بكثرة من تعلم فيها من الجواري الطباخات «ولهنّ في الطبخ صناعة عجيبة ورئاسة متقدمة»[1]. ولعل مصر فاقت بغداد ايضاً بمن انجب فيها وخرج منها من حذاق الطباخين والطباخات حتى استفاض لها في الشرق شهرة مترامية. وحسبك ان نصر الدولة احمد بن مروان الكردي، صاحب ديار بكر الذي مات سنة ٤٥٣/١٠٦١، بعد ان قضى ايامه ولياليه في طلب اللذة والنعيم وكانت «تزيد قيمة آلات مجلسه على مائتي الف دينار»[2]، لما اراد ان يبلغ طهاته اقصى الغاية في اجادة الطبخ لم يفكر في بغداد وهي اقرب اليه بل «ارسل طبّاخيه الى مصر ليتعلموا انواع الاطعمة.»[3] وكان للجواري الطبّاخات خصوصاً القدح المعلّى في الإتقان والإبداع حتى تنافس الناس فيهنّ وحرصوا على الاستكثار منهنّ ودخلن في جملة هدايا الملوك والسلاطين. ففي سنة ٦٦١/١٢٦٢ جهز الملك الظاهر بيبرس رسل بركة قان وارسل معهم هدية سنيّة جليلة المقدار ... فيها خدام حبش وجواري «طبّاخات»[4] ولذلك كان عشّاق المائدة في الشرق لا يرغبون في غير الجواري المصريات، حتى الفرنج انفسهم ولعلّ بعض النساء الصليبيات اخذن عنهنّ اسرار الطبخ المصري في جملة ما اخذنه من تقاليد الحضارة الشرقية وازيائها. وقد اتفق يوماً للامير اسامة بن منقذ ان يمرّ بانطاكية ويحضر مائدة احد الفرسان فيها ووصفها بقوله:

«جئنا الى دار فارس من الفرسان العتق الذين خرجوا في اول خروج «الافرنج وقد اعتفى من الديوان والخدمة وله بانطاكية ملك يعيش منه «فاحضر مائدة حسنة في غاية النظافة والجودة ورآني متوقفاً عن الاكل فقال:

---

١) الخطط للمقريزي، مطبعة النيل، ٢: ١٨٦

٢ و ٣ روضة المناظر لابي الوليد محمد بن الشحنة، بهامش الكامل لابن الاثير، ١٢: ١٩–٢٠

٤) ذيل اليونيني على مرآة الزمان، خزانة أكسفرد Poc. 132 f° 7a

« كل طيب النفس فانا ما آكل من طعام الافرنج ولي طباخات مصريات ما « آكل الا من طبيخهن ولا يدخل داري لحم خنزير. »[1]

وكانت الجواري الطباخات بمصر تعد بالمئات في بيوت الوزراء والاغنياء. وممن عرف بالاستكثار منهن لتناهيه في طلب الاطعمة الفاخرة الوزير الصاحب فخر الدين ماجد بن خصيب، قال المقريزي: اخبرني الوزير الصاحب تقي الدين ابن ابي شاكر انه كان في دارهم من جواري الخصيب جاريتان تحسن كل واحدة منهما ثمانين لوناً من التقالي سوى بقية الوان الطعام وبلغت عدة جواريه سبعمائة جارية[2] وهو لا يكاد يصدق. وكفى بمثل هذا الاحسان والتفنن فخراً للطبيخ المصري، لولا ما انتابه من ضياع علومه دون ان يقيض لها من يجمع انواعها وصفاتها ويخلدها في بطون الاوراق على نحو ما فعل نصر بن سيار الوراق في مآكل الخلفاء العباسيين.

وقد بقي في مصر في ايام الملك الاشرف بن الملك العادل بقية من جواري الخلفاء الفاطميين. قال مؤلف كتاب الوصلة الى الحبيب في وصف الطيبات والطيب « صفة كعك حافظية كانت تعمله الحافظية جارية جدي الملك العادل » وقال في كلامه على الكباد والمخلل المراكبي: نقلته من دار السلطان الملك الكامل من جواري الخلفاء القصوريات (دار الكتب المصرية رقم ٧٤ علوم صناعية ص ٥٦و٦٧).

ولذلك يجب ان يعد من اكبر الارزاء في تاريخ موائد مصر فقدان « كتاب الطعام والادام في صفة الوان الطعام وما يقدم على الخوان » في الف وخمسمائة ورقة لابي عبدالله محمد المسبحي[3] لما اودعه فيه دون ريب من الفوائد والنوادر كعادته في ما صنفه او جمعه من كتبه. ومن المصنفات التي تعادله في استحقاق التحسر على ضياعها لقلة عناية الوراقين بتوفير نسخها « كتاب اخبار الزمان للمسعودي» وفيه « ذكر صنوف الشراب والاستعمال لانواع النقل اذا وضع

١) كتاب الاعتبار ١٠٣ – ١٠٤

٢) السلوك للمقريزي، باريس ١٧٢٧، ص ٢٤

٣) المغرب في حلى المغرب ٤٨

في المناقل والاطباق ووصف جميل للذات الطبيخ مما يحتاج التابع الى معرفته والاريب الى تيمته من المتولدات في معرفة الالوان ومقادير التوابل والابزار وانواع المحادثات وغسل اليدين بحضرة الرئيس والمقام عن مجلسه وادارات الكاسات . . . وما قيل في الاكثار والاقلال من الشراب وما ورد في ذلك من الاخبار »[1]. وكل من عرف فضل المسعودي وطالع تصانيفه ووقف على نوادره وكثرة محفوظه وسعة رواياته وحسن اختياره وطيب احاديثه واستطراداته يدرك مقدار الخسارة التي لحقت تاريخ الحضارة الشرقية بضياع كثير من كتبه.

وفي كتاب التذكرة لابن حمدون في الباب السادس والاربعين : « اخبار الاطعمة وقوتها » ولها نظائر واشباه في كتب الادب. ومما يدخل في معناها وان لم يكن مقتصراً على فنون الطبخ، كتاب « الوصلة الى الحبيب في وصف الطيبات والطيب » لابن اخي الملك الاشرف ومنه نسخة في المكتبة الملكية المصرية واخرى في الخزانة الظاهرية بدمشق.

وهذه اسماء ما وقفنا عليه من اسماء المصنفات القديمة في الطبيخ تلقطناها من كتب التراجم والوفيات وكتابي الفهرست وكشف الظنون :

- كتاب الطبيخ لابرهيم بن المهدي (الفهرست لابن النديم، طبعة مصر، ٤٤٠)
- كتاب الطبيخ او كتاب إصلاح الاغذية لابن ماسويه (الفهرست ٤٤٠)
- كتاب الطبيخ لابرهيم بن العباس الصولي 〃 ٤٤٠)
- كتاب الطبيخ لعلي بن يحيى المنجم 〃 ٤٤٠)
- كتاب الطبيخ لجحظة 〃 ٤٤٠)
- كتاب السكباج له ايضاً 〃 ٤٤٠)
- كتاب الطبيخ لاحمد بن الطيب السرخسي الفه للمعتضد وضعه على الشهور والايام 〃 ٤٤٠)
- كتاب الطبيخ للحارث بن بُسْخَرّ 〃 ٤٤٠)
- كتاب الطبيخ لنطاحة ابي علي احمد بن اسماعيل بن الخصيب الانباري 〃 ١٨٠)

١) مروج الذهب ١٠ : ٢٨ – ٢٩

– كتاب الطبيخ ليحيى بن ابي منصور الموصلي (الفهرست طبعة اوربة ص٣٢٣)
– كتاب الطبيخ للرازي (〃 〃 ص٣١٧)
– كتاب اطعمة المرضى له ايضاً (〃 〃 ص٣١٧)
– كتاب الطبيخ لاحمد بن يوسف المعروف بابن الداية (ارشاد الاريب ٢ : ١٦٠)
– كتاب البذيخ على كتب الطبيخ مجلد على اربعين باباً كلها في طبخ انواع الاطعمة وقواعدها (كشف الظنون ١ : ١٩٣)
– كتاب المُغرّي في الطبيخ ألّفهُ موسى بن العاذر الطبيب للمعزّ لدين الله الفاطمي (عيون الانباء لابن ابي اصيبعة ٢ : ٨٦)
– كتاب كنز الفوائد في تنويع الموائد مجهول المؤلف
(رقم ١٨ علوم معاشية في المكتبة الملكية المصرية)
– رسالة في انواع الاطعمة وكيفية طبخها للشيخ تاج الدين بن زكريا بن سلطان الهندي النقشبندي (كشف الظنون ١ : ٥٤٢)
– كتاب وصف الاطعمة المعتادة ولا يعلم مؤلفه وهو في وصف المآكل والالوان في عهد المماليك ومنه نسختان بالتصوير الشمسي
(رقم ٥١ و٥٢ في المكتبة الملكية المصرية)
وجاء فيه ذكر القاضي محيي الدين البيلقاني(ص١٤٥) . وقال في آخره هذا ما وقع عليه اختياري في هذا الكتاب (ص٢٦٥)يتلوه ما يأكله المرضى والرهبان والنصارى في الصيام من كتاب ابن عبدون(ص٢٦٦–٢٦٩)
– الفية الطعام نظمها الشيخ عامر الانبوطي من شعراء مصر، في القرن الثاني عشر ، معارضاً بها الفية ابن مالك ، واولها :

يقول عامر هو الانبوطي احمد ربي لست بالفنوط
راستعين الله في الفيّة مقاصد الاكل بها محوية

(مقالة لاحمد باشا تيمور ، مجلة المجمع العربي ٦ : ٢٥١)
– رسالة كيمياء الطبائخ ليعقوب الكندي ذكر فيها الوان لحم تطبخ بغير لحم وقلايا كبود من غير كبرد ومخ من غير مخ ونقانق وطرزين من غير لحم وعجة من غير بيض وجوذاب من غير ارز وحلاوة من غير عسل ولا سكر والوان كثيرة من غير عناصر يطول شرحها لا يهتدي اليها

الطباخون[1] وهو العلم المعروف بعلم المزوّرات .

واما الكتب المطبوعة فلم نقف منها الا على كتاب واحد وهو :

– كتاب الطبيخ لمحمد بن الكريم الكاتب البغدادي ، طبع في الموصل سنة ١٩٣٤ ، بعناية الدكتور داود الجلبي .

ووقعت الينا بدمشق كراسة في خمس صفحات ونصف صفحة فيها :

– كتاب الطباخة لجمال الدين يوسف بن عبد الهادي الصالحي الدمشقي المتوفى سنة ٩٠٩/١٥٠٣ ، نشرناه سنة ١٩٣٧ في الجزء الثاني من الخزانة الشرقية (ص ١١٢ – ١١٨) مرتباً على حروف المعجم وفيه اوصاف مآكل طبقة خاصة من اهل دمشق في القرن العاشر للهجرة.

وفي دواوين الشعراء العباسيين قصائد ومقطعات شتى في اوصاف الاطعمة والالوان ، كالتي نقلها المسعودي في مروج الذهب في اخبار المستكفي بالله وقد سبقت الاشارة اليها. وما عدا المؤلفات الخاصة التي سردناها آنفاً ، توجد فصول ومقالات وابواب شتى في كتب الطب القديم تبحث في علم الاطعمة والمزوّرات من فروع علم الطب ، وتذكر احياناً تراكيب الاطعمة بالاجمال من اللحوم والاسماك والبقول والحبوب والفواكه وما لها من الخواص والمنافع والمضار ، اذا تتبعها المؤرخ يقف فيها على صفات ووصايا تصلح للسليم وللعليل ، ويجدر ان تدرج في سلك الالوان النافعة للابدان ، وقل ان يخلو منها كتاب طب مجموع فضلاً عما فيها من اسماء قديمة لبعض البقول والحبوب والاثمار التي كان يغتذى بها قبلاً وفي مراجعتها ودرسها فائدة للنباتي والزارع. ومن امثال هذه المصنفات الطبية القديمة استخرج ابن سيّار الوراق بعض ما استوعبه في كتابه من الاطعمة والاشربة.

وقد سبق القول ان هذا السفر الفذّ محفوظ في خزانة اكسفرد . ولا نعلم ان احداً نبه على ما له من قدر ونفاسة. ولا يكاد يشوبه الا سقوط جانب من اوراقه ، وهي بعض الباب الاول ، وبعض الباب الحادي والثلثين والمائة ، وكل الباب الثاني والثلثين والمائة . وبسقوط ختامه غاب عنا تاريخ انجازه او

---

١) معالم القربة في احكام الحسبة لابن الاخوة ١٠٧

نسخه فلا ندري منها شيئاً. وعلى كل حال يتبين من نوع القلم المخطوط به انه قديم وربما لم يتأخر كثيراً عن زمن مؤلفه على جهلنا به؛ وقد اعيانا البحث عنه فلم نهتد الى اشارة او ترجمة له فيما تناولته يدنا من مطبوع او مخطوط. ومن حسن التوفيق ان الحزوم التي فيه لم تكن تشتمل على شيء من صفات المطاعم والمشارب فهي كاملة مستوفاة، وبسلامتها سلم جوهر الكتاب. وقد عددنا صحائفه الباقية فاذا هي ١٦٨ في كل صفحة منها ١٩ سطراً. وكثيراً ما ترد الكلمات فيها غير معجمة او غير تامة الاعجام، فلا بد للقارئ، فضلاً عن العلم، ان يكون له بعض الالمام باللغة الفارسية والألفة بمصطلحات كتب الطب وحفظ الصحة لادراك معنى ما يمر به من بعض الالفاظ والمسميات التي لم ينبه عليها في كتب المولّد والدخيل ولم يرد لها تفسير في احد المعاجم. وعندنا ان هذا الدرس والاستطلاع يفوق بجدّته وعائدته لذة المتشهي لغرائب الاطعمة السلطانية لما يجد فيه من المعونة على استقراء لغة الطباخة، وهي جزء من لغة الحضارة بعد الاسلام التي اخلّ اللغويون بتقييد اوابدها وشواردها والاشارة الى مدلولاتها وحقائقها. ويمكننا اليوم ان نستدرك ما فاتنا من لغة الطبيخ ومفرداته بمطالعة هذا التأليف الفريد الجامع لكل ما كان يؤكل ويشرب منذ الصدر الاول للاسلام في قصور الخلفاء والوزراء والرؤساء ومنازل الاوساط والعامة من ضروب الاغذية حتى « ما يأكل النصارى من الطعام المزوّر في الصيام ». وهو ما يضاعف الرجاء في طبعه وخدمة الفن الشرقي بنشر فرائده، اذا نشط لها بعض المتأدّبين او الوراقين رغبة في احياء مآثر السلف وقد اعترف بها بعض مؤلفي الفرنج في علم الطبخ فقال ان هذا الفن كالتمدن قد جاءنا من الشرق.

وقد رأينا حبّاً بالتنويه بهذا الكتاب والتشويق اليه ان ننقل هنا نص مقدمته وسياقة ابوابه بالحرف، مع ما ينقص لذة مطالعتها من الملل والسآمة، لاستكثار المؤلف من السجع السخيف في غير محله. قال بلفظه ورسمه :

« الحمد لله الواحد القهار الملك الجبار المحتجب عن الابصار خالق الليل والنهار والفلك الدوار المحيي للبلاد والعباد والمنفرد عن الاضداد المتنزّه عن

الصاحبة والاولاد ولا حول ولا قوة الا به وهو العلي العظيم الغفور الرحيم وصلى الله على محمد المنتجب وامته المنتجبين وسلم عليهم اجمعين

سألت اطال الله بقاك ان ازلف لك كتاباً اجمع لك فيه الواناً من الاطعمة المصنوعة للملوك والخلفاء والسادة الرؤساء وقد عملت اطال الله بقاك كتابا شريفا ومجموعاً ظريفا مشتملاً على منافع الابدان ودافعاً لمضار الالوان يجمع كل الالوان المشوية والمطبوخة من اللحوم المسوطة والمسلوخة وجميع البوارد من الاطيار والاسماك من الانهار بعد ان تصفحت ايدك الله كتب الفلاسفة القدماء وحكايات المتكلمين الحكماء فوجدتها بعيدة الامد كثيرة العدد وعلمت ان الكثير من الخطاب يضجرك وان اليسير من الصفات يقنعك فعمدت الى الجمهور من خاصة الاشياء فانتزعته والى الصحيح من الطبيخ فاثبتهُ وألغيت الاكثار من الخاصيات والاطناب في الصفات بعد الاستيفاء للمعنى المشار اليه والقصد المعول عليه واغنيتك عن النظر في الكتب المؤلفة للقدماء الفلاسفة في اصلاح الاغذية من المأكولات المقوية وعن النظر في الكتب المصنفة وعمل الاشربة الملطفة (٥٠ و ٤٠) وعن النظر في الكتب المتخذة في عمل الاشربة والانبذة وعن النظر في المجموعات من الجوارشنات والمعجونات وابتدأت في اول هذا الكتاب بعلل الطبيخ وما يكون فساده ووصفت بعد ذلك صلاحه والآلة المتخذة له وتكون صلاحها والآلة التي تفسد وتغير وما يطيب القدر ويعيقها من الابازير التي لا بد منها وما يذهب الاحتراقات والزهومات وذكرت ما يصلح لاصحاب الطبائع والمزاجات من الوان الطبيخ المصنوعات وقوى الاغذية وذكرت قوى اللحم من سائر الحيوان واصناف الطير وقوى اعضاء الحيوان بعد ذلك ووصفت تركيب الالوان المطبوخة والمشوية والمكبية والمقلوة وطبائعها في انفسها وخصائص الحلوى وطبع كل نوع منها وذكرت اصناف السمك واتبعته بانواع البيض وذكرت طبائع الحبوب واجزاءها وخصائصها وتركيباتها واحوال الخبز المخبوز والسويق المشروب وذكرت طبائع البقول الملقاة في القدور والموضوعة على الموائد وذكرت طبائع الالبان ومنافعها للابدان وما يعمل منها من حليب وحامض

ورائب ومخيض وذكرت الابازير اليابسة التي يطيّب بها الطبيخ وما يلقى في القدور من الطيب وما يلقى فيها من الفواكه وخاصية الخردل وعمل الخل المنصل وتطييب الملح وصنعته وخاصية البزماوردات واصناف اللقانق والمحشّرات ووصف خصائص الكواميخ والمخلّلات واصناف الزيتون وخاصية الصباغات وذكرت بعد ذلك ما يؤكل من الفواكه قبل الطعام وتدبير المطعم والحركة قبل الطعام ودفع ضرر الاغذية اذا وجدت بالادوية وذكرت بعد ذلك صنعة البوارد من الطير والمطجّنات والبوارد من السمك وعمل الصباغات والمقور من السمك والطيور وصنعة انواع الالبان وعمل الكواميخ والأجبان وصنعة الصلايق واسماءها والبوارد من البقول واللحان والصلاقات من الاطراف وترتيب الالوان على طبقاتها حلوها وحامضها وباردها وحارّها وما يقدم منها اولاً اولاً والحلوى بعد الطعام وشرب على الموائد وفي المدام ومنفعته ومضرته للاجسام وتدبير المشروب وطبائع الفقّاع وصنعته والشراب المسكر وخاصيته ودفع ضرره اذا وجد له ضرر والشراب غير المسكر وصنعته والمعجون ومنفعته والعسل الساذج والزبيق المعالج وختمت هذا الكتاب بوصف ما يغسل به اليد من المحلب والأشنان ومنفعته ومضرته للفم وللاسنان وخاصية الاذخر والسعد والبنك المخيّر وعمل المحلب وتحميص البنك والادب في غسل اليدين من الغمر قبل الطعام اذا حضر وتدبير النوم بعد الطعام وذكر منافعه للاجسام وجعلت ذلك ابواباً معروفة وفصولاً موصوفة لتتم الفائدة وتكمل المعرفة وارجو ان يكون موفياً على طلبتك وغير مقصّر عن محبتك ولم أخلِ كل باب من ابوابه من خبر غابر وشعر سائر يشبه ما قدمنا وصفه وابتدأنا بذكره والله الموفق للرشاد والمؤيد بالسداد ولا قوة إلا بالله العظيم

ترجمة ابواب الكتاب

ا فساد الطبيخ وتقديره وزهومته وتغييره
ب ما يتخذه الطباخون من الادوات للطبخ والخلّ وللاحباز المخبوزات
ح ما يطيب القدر من الابزار والعطر
د مذاقة الطاهي للالوان والمشاهي للّون المُتناهي
ه ما يدهب الاحتراقات من القُدُر المطبوخات
و ما يوافق الشباب والشيوخ من الوان الطبيخ
ز الاقتداء في قوى الغذاء
ح قويّ اللحم من سائر الحيوان وما ينفع منه للانسان
ط قويّ الاعضاء والاطراف وسائر البطون والاحواف
ي تركيب الاعضاء المطبوخة والمقلوّة والمشويّة وطبائعها وصنائعها
يا في طبائع الاسماك وصفة صيدها بالشباك
يب طبع بيض الدجاج والبط والدرّاج
يج طبع الحبوب والخبز من الحنطة والارز
يد طبائع بقل الزمان الملقى في سائر الالوان
يه طبائع الالبان وما يعمل منها في الاجبان
يو في منافع الالبان لضرر الابدان
يز طبائع الادهان المستعملة في الالوان
يح طبائع الاتارير المطيّبة للقدور
يط ما يلقى في القدور من الطيب المشهور
ك في طبائع ما يلقى في القدور من الفواكه والتمور
كا ذكر عمل الخلّ وتطييب الملح للاكل
كب طبع الوارد من الطعام البارد
كج ذكر الاحتياط في عمل البزماورد والاوساط
كد طبع الصباغات للاسماك الطرية والمملوحات
كه طبع الكواميخ من كل فن والزياتين والمخلّلات
كو ما يوكل في الصيف والشتا ويبدا به من الفواكه قبل الغذا
كز تدبير الماكول في اوقات الفصول
كح ما يوافق المعدة العليلة من الاطعمة الماكولة
كط الحركة قبل الطعام والرياضة للاجسام
ل في دفع ضرر الغذا اذا تُخُوّف منه الاذى

لا البوارد من الاطيار من قبل الطعام الحار
لب عمل المطجّنات من الطيور المسمّنات
لج صنعة البوارد من السمك الطري ومن المالح البحري
لد صنعة الصباغات للاسماك المشويّات
له صنعة الصباغات للفراريج الكردناجات
لو صنعة المباعر المحشوّات واللفانق والسنبوسجات
لز صنعة المعفور من السمك والطيور
لح عمل المردل اللطيف والحادّ الحرّيف
لط عمل الالبان والشواريز والاجبان
م عمل الكواميخ والمخلّلات والزياتين والصحناياات
ما الاهلام المعمول من لحوم الضان والعجول
مب عمل البوارد من اللحمان من الوحش والضان
مج صنعة الصلايق وانواعه واسمائه وطباعه
مد صنعة الصلاقات من اطراف الجدا والخراف
مه صنعة البوارد من البقول وعملها من اطراف الاصول
مو ما ياكل النصارى من الطعام المزوّرة في الصيام
مز عمل الخل والزيوت بالثريد والخبز المفتوت
مح عمل الماء بالملح والصباغ بالمردل الفج
مط عمل السكباجات والثرائد والمليّقات
ن عمل الهرايس والأرزّيات والخيطيات
نا عمل الارزيات الملبّنات الساذجات
نب عمل الخيطيات الملبّنات
نج عمل الاسباغيات والكرنبيات
ند عمل الفجليات والثلجميات
نه عمل المخلوطات من الارزّيات واللوبيانيات
نو عمل الديكريكات والسواذج الكوفيات
نز عمل الزبرباجات والابراهيميات
نح عمل الحمّاضيات والرمانيات
نط عمل الاسفيذباجات الصفديات والمخضّرات
س عمل البقلات السواذج والمربيات
سا عمل الثريد المفتوت بماء الحمص والباقلى المنبوت
سب عمل الحصريات والبستانيات
سج عمل الكشكيات الموصليات والبابكيات
سد عمل العدسيات الصفر والجلبليات

سه عمل اللوبياتيات والجلبانيات
سو عمل الطفشيل من الحبوب والبقول
سز عمل الناربانجات الحلوات والمحمضات
سح عمل السماقيات والمزونيات
سط عمل المضابر المعقودات والمضابر النطفيات
ع عمل المصليات والتنبريسيات
عا عمل المشوقات والترجسيات
عب عمل الباطيات من الاطيار المطبوخات
عج عمل الترجسيات الصيفيات والشتويات
عد عمل المنسومات السواذج والمخللات
عه عمل الملهوحات من اللحوم المحلات
عو عمل البصليات والماشميات
عز عمل الجزوريات والبنيات
عح عمل المقلوبات واللحوم المدقوقات
عط عمل العجج المدورات والمخلوطات
ف عمل الانجذانيات والكسرويات
فا عمل اللخشات المتخذات بالصباغات والرخبنيات
فب عمل الجلين بالدجاج واللحم السمين
فج عمل الثرائد الشاميات والثرائد الملبقات
فد عمل الفلايا باللحوم والألايا
فه عمل الكشتانيات الطيبات والمسربات
فو عمل الطباهجات الرطبات واليابسات
فز صفة الشوى في التنور وشيّ اللحم في القدور
فح في شيّ الجدا والخراف المحشوة الاجواف
فط شيّ الشرايح من اللحم الطري والمالح
ص الكردباج على النار من لحوم الاطيار
صا صفة التنوريات والقُدُر المنسومات
صب الجوذابات تحت الشوا السواذج وبالحلوى
صج عمل الفالوذجات المعقودات والمطكات
صد عمل الخبيص الرطب بالسمن والزيت العذب
صه عمل الخبيص من المشمش ومن التفاح والجزر
صو عمل الخبيص بالجوز والسكر واللوز المقشر
صز عمل الخبيص المفتوت بغير نار الملتوت
صط (كذا) عمل السحيات والمليّات

ق عمل اللوزينق اليابس والمفرّق
قا عمل الزلابيات السواذج والمشبكات
قب عمل الشكنانج والابواسحاقي والمعرّج
قج عمل القطايف بالسكر واللوز والجوز والصنوبر
قد عمل الترابين على الحلوا والتحاسين
قد (كذا) عمل الطرايف من انواع التاطف
قه ما يتغذى به العليل الجسم من الامراق واللحم

انقضى ذكر الطبيخ والحلوا ويليه ما يعمل للذوا

قو ما يتغذى به المعلول من مزورات البقول
قز ما يوافق اصحاب النزلات من الاحساء والحريرات
قح عمل الامراق من الحبوب للعليل المكروب
قط ما يتغذى به اصحاب اليرقان من الشبوط والبيان

ذكر المشروب

ق تدبير الماء المشروب المزمّل وبالثلج المضروب
قا خاصية الماء المبرّد بالهواء
قب ذكر الانتفاع بشرب الفقّاع
قج عمل الفقاع المختار الساذج وبالابزار
قد طبع الانبذة والاشربة المتخذة
قه في دفع ضرر الشراب للجسم ذي الاضطراب
قو الشراب غير المسكر وطبع الساذج المبزّر
قز عمل الاشربة من الالبان من الابل والبقر والضان
قح عمل الاشربة المطفية للحرارة الملهبة
قط عمل الاشربة من الدادي وعصير الاعناب
قك عمل الانبذة العسلية والانبذة الزبيبية
قكا عمل النبيذ من السكر والفانيذ
قكب عمل الاشربة من القرع والجزر والراسن وقضبان الكبر
قكج عمل الاشربة من الفواكه الرطبة
قكد عمل المَيبة من الاشربة المطيّبة
قكه عمل المريات من الربوب والجوارشنات
قكو عمل الارباب من الثمار المجتناة من الاشجار
قكز طبع ما يغسل به اليد من الاشنان والسمد

فكح طبع الحلال وعمله من الصفصاف وعيدان الخلاف
فكط عمل الاشنان والمحلب وتحميص البنك المطيب
قل الادب في غسل اليد قبل الطعام وبعد
قلا الادب في اكل الصلوك مع الرؤساء والملوك
قلب النوم ومنفعته للاجسام وتدبيره بعد الطعام
فذلك مائة واثنان وثلاثون بابا
تمت ترجمة ابواب الكتاب بحمد الله ومنه

ومن مطالعة هذه الابواب وحدها تتبين قيمة هذا الكتاب الشامل كل ما يتعلق باوصاف الاطعمة والاشربة بين علم وعمل ووصف وصناعة وطب وعلاج وصحة وتدبير ولهجة ولغة ، على ما تخلل هذه اللغة من بعض اللحن والالفاظ العامية ، فهو من خير ما وضع في تعريف فن الطبيخ وتاريخ الموائد وآدابها وملاذها في الاسلام

الاسكندرية في اواخر القرن الثاني للمسيح [1]

بقلم الاب كلود موندزير اليسوعي
استاذ العلوم التاريخية في جامعات ليون الكاثوليكية

الاخلاق والحياة الاجتماعية في الاسكندرية على عهد الرومان

انا نشهد اليوم في الشرق ، كما نشهد في الغرب ، تطوراً في المدنيات سريعاً ومن نواح اخرى فاجعاً ، بحيث لا يسوغ لنا صرف نظر اي كان ، لا سيما النخبة المثقفة ، عنه الى الاهتمام بابحاث عقيمة ، او بتأمل الماضي تأملاً نظرياً لا ثمرة منه ، ولكن ألسنا على يقين من ان هذا الماضي يحمل في طياته قلقاً يشبه ما نحن فيه ، ومبادئ لا تزال خصبة ، وحافزاً لنا فعالاً في ما نواجه من مهام . ولولا هذا الامل لما باشرنا هذا البحث عن الاسكندرية في القرن الثاني .

وفي النظر الى هذه الحقبة من الزمن عبرة فريدة : فما هو بالزمن الذي شهد ظهور المسيحية ، بل هو ذاك الذي انبثقت فيه ونمت شيئاً فشيئاً ، بفضل جهد بعض الرجال ، والاحتكاك بالثقافة اليونانية كما تكيفت في الاسكندرية ، عهد الامبراطورية الرومانية ، تلك المدنية المسيحية التي عاش عليها شعوب البحر المتوسط الى يومنا هذا ، وعلى الاخص تلك المدنية المسيحية الشرقية التي بلغت اوجها في بيزنطية ، ثم تنحت او توارى بعضها في وجه التمدن الاسلامي فيما بعد ، ولكنها لم تتلاشَ تماماً البتة . وسيتناول بحثنا مدينة الاسكندرية ، عاصمة العقل والروح ، في القرن الثاني للمسيح ، وفي قلب الامبراطورية الرومانية يومَ كانت هذه الامبراطورية لا تزال باسطة جناحيها من اعمدة هرقل الى نهر الفرات . في تلك المدينة وفي ذلك العهد ، كان نخبة من رجال الفكر

[1] عن محاضرتين ألقيتا في « معهد الآداب الشرقية » باللغة الفرنسية ، وستصدر هذه الابحاث في كتاب على حدة .

يتساءلون بكل وضوح فيما اذا كانت المسيحية لا تناهض مجرى الحياة ، فردية كانت ام مدنية ، ام بشرية ، وفيما اذا كانت لا تحد من جهاذ الانسان ، اقتصادياً كان ام فكرياً، ام فنياً ، وفيما اذا كانت تتجه الى الجميع دون ما التفات الى الفروق السياسية او الاجتماعية او العنصرية ، وفيما اذا كان الاتفاق قائماً بين كتابها بحرفه ورسالتها بروحها ، وفيما اذا كانت تقيم للانسان مركزاً في الكون ، وفيما اذا كانت البشرية ، في هذا الكون ، عندهـا ، كلاً متسقاً او غباراً من الافراد ، وفيما اذا كان لدين المسيح ان ينهج السبيل لكل مسعى في الحياة ام عليه ان يلزم ناحية منها حياً خفياً .

يوم اخذت المشكلة المسيحية تفرض ذاتها على الجميع ، كان لا بد من معرفة بل تقرير ما اذا كانت المسيحية ، كما شكاها موريس كروازيه ، احد كبار مؤرخي الثقافة اليونانية ، « تضع عقل الانسان وفكره ناحية تفوق طبعه عاملة على ملاشاة كل ما كان انسانياً » ام اذا كانت ، وفقاً لرأي مؤرخين مرموقي المكانة من امثال كيمون ، قادرة على خلق ثقافة انسانية جديدة ، وبنوع خاص على تسهيل النهضات الوطنية كتحرير لغة ، واحياء ادب او فن جديد ، مما لا بد منه لقيام مدنية ، ويمكنها ان تزيد ، احياء طقوس محلية كالقبطي والسرياني والبيزنطي.

ولن ننصرف في بحثنا هذا الى اللاهوت ولا الى الفلسفة ، وحسبنا ان نتوقف حيناً على صفحات من تاريخ الفكر والاخلاق ، من خلال كاتب هو اكليمنضوس الاسكندري ، جمع الفن الى العلم ، من ناحية الادب ، وكان ، من ناحية الفكر ، في زمنه ، مجدداً جريئاً ، حريصاً على حقوق التفكير الشخصي حتى في موضوع الدين ، ولكن على ذكاء وثقافة حالا بينه وبين الاعراض عن ماض مجيد ؛ ومن خلال اثار تمدّ من اسس الفكر المسيحي الشرقي . وقد ذكر رادماخر، المؤلف الالماني المعاصر،ان اكليمنضوس هو اول من بحث في قضية الثقافة الانسانية المسيحية ، ونظر اليها من كل نواحيها وبما تستحقه من اهمية واول من حاول حلها . ورأى لاهوتي انكليكاني ان هذه الآثار،هي اول حلقة من سلسلة لاهوت الكنيسة الشرقية ،وما أحجم عن تلقيب صاحبها « بابي جميع المتصوفين ».

وبعد ، فقد حان لنا ان نلج الموضوع . وسنقتصر في هذا البحث الاول على البيئة الاسكندرية ، في اواخر القرن الثاني للمسيح ، فندرس حالتها الاقتصادية والسياسية ، الاجتماعية والبشرية ، الفكرية والدينية، مما يمهد لنا السبيل الى استعراض بعض قضايا عمرانية في ابحاثنا المقبلة.

ان نحن شئنا ان نطلع على ما كانت عليه مدينة الاسكندرية ، في آخر القرن الثاني ، فلا بد لنا من الرجوع الى التاريخ . بناها الاسكندر ، لخمسة قرون خلت من العهد الذي ندرس ، على الارض القائمة على مصب النيل ، بين الشط وجزيرة فاروس وبحيرة ماريوتيس ، وفقاً لرسوم وضعها المهندس دينوقراطس. وما لبثت المدينة ان قامت ونمت ، بشوارعها المتوازية المتعارضة، واحيائها المحددة ، على مثل تلك المدنية اليونانية القائمة بالترتيب والتحليل والتنظيم . . . المستقلة ماضياً حافلاً بالفن والادب والسياسة والاجتماع ، المستغنية بما لديها من خيرات عن خلق الجديد .

ثم مات الاسكندر فانتقلت المدينة الى يد البطالسة ومنها الى يد قيصر (سنة ٣٠ ق م) واصبحت ، في مطلع عهد المسيحية ، المدينة الثانية في العالم الروماني ، تنافس عاصمته روما. واصبح لها مرفأ عظيم ، وفقاً لما ذكره المؤرخ سترابون ، منه تتجه الى روما مقادير من القمح (مقدار ثلث استهلاكها) ومنتوجات المدينة من البردي والزجاج والاقمشة وبضائع اخرى تمر فيها كالجلود ، والبخور، واطياب بلاد العرب، وأفاويه الهند. ومع هذه البضائع كانت تسافر كذلك ، دون ما رقيب ، الوان من الاخبار والحكايات والعقائد الغريبة .

ولم يكن شعب الاسكندرية اكثر تجانساً من البضائع التي تمر فيها ، فانك تلتقي فيها الى جانب العناصر الثلاثة الهامة من يونان ويهود ومصريين ، عدداً كثيراً من سكان شواطئ المتوسط ، من الافريقي ، الى العربي ، الى الفارسي ، الى الهندي ، الى المرسيلي، الى الاسباني ، الى غير هؤلاء جميعاً من المسافرين والمهاجرين ، فتبدو لك المدينة ملتقى سبل البشرية ، ولحمة بين عالمين ما التقيا في غيرها الا على تجاهل او تخاصم تفصل بينهما حواجز الطبيعة (من جبال وبحار وفيافٍ) او حواجز اقامتها يد الانسان وقامت بحراستها جنود لا

تضمر الا العداء لما يبدو على افقها.

واما عدد سكانها ، فلا شك في انه لم يبلغ عدد سكان روما ، وان فاق عدد سكان انطاكية . وربما قدره البعض بالمليون ولكنه ، على رأي اكثر المؤرخين ، لم يكن يربي على الخمسمائة الف ، وهو عدد ليس باليسير في العصور القديمة . بين هؤلاء السكان التاجر ، والصانع البحري ، والموظف الروماني ، والطالب ، ورجل الثقافة ، وبينهم عدد وافر من الاغنياء (اليونان خاصة) يقوم بخدمتهم العبيد من كل امة ، وبينهم رجال العمل ، في المؤسسات ، من الوطنيين خاصة .

وكان اليهود وافري العدد يشغلون اثنين من احياء المدينة الخمسة ، ويؤلفون ، على ازدراء الرومان واليونان لهم ، طائفة قوية لها نظامها الخاص بما فيه حاكمها (وقد تقلد هذا المنصب احد اخوة فيلون الفيلسوف) ومجالسها وامتيازاتها وجنسيتها ، كما كان لليونان جنسيتهم . بل ان الاسكندرية اصبحت بعد خراب اورشليم (سنة ٧٠) عاصمة اسرائيل المشتت ، ويهودها كانوا قوماً كثيري الحركة ، ميالين الى الفتن بل الى الثورات ، مما حمل السلطة والجيش المحتل على مجابهتهم بالشدة ، ولكنهم ، على كل حال ، كانوا يؤلفون عنصراً متميزاً ، منفصلاً عن عامة السكان بقدر ما كان متعلقاً بناموسه وتقاليده .

اما اليونان ، سواء بينهم المتنقلون والمقيمون — وقد مضى على بعض اسرهم اجيال في المدينة — فكانوا يعتبرون انفسهم في الاسكندرية السكان الاصيلين . فباني الاسكندرية يكاد يكون هلينياً ، وبفضل صناعتهم قامت المدينة . وكانوا يقطنون ، متفاخرين ، حياً خاصاً في المدينة : البروكيوم ، وان لم يعد للفظة « البرابرة » على لسانهم ما كان لها من معنى التحقير على لسان قدمائهم اذا عنوا بها الفرس . بسعيهم قامت المؤسسات التجارية والصناعية ، ومنهم كانت تتألف طبقة « البورجوازيين » التي تميزت بها المدن اليونانية .

وكما كان الاسكندريون رجال عمل في التجارة والصناعة ، كانوا كذلك هواة ملاهٍ ولذائذ : من سباق الخيل ، الى الموسيقى ، الى الرقص ، الى غير ذلك من اللذات الاحط قدراً والاقرب متناولاً ، والتي عرفت عند المؤرخين

من امثال كوينتليانوس « بلذات الاسكندرية » . ولم تكن تنقصهم في ملاهيهم خفة الروح، ولا الميل الى التهكم، وما نجا من لسانهم لا عمال الرومان ولا الامبراطور نفسه. لكن هذه النزعة ، وان مستقبحة اذا لم تقف عند حد ، انما تنمّ عن تيقظ الى النقد ورغبة في التفكير الشخصي ، كانا مؤاتيين لتآلف الفلسفة اليونانية والمسيحية في بيئة ثقافتها غنية.

وفيما ابسط امامكم ميل الاسكندريين الى الموسيقى والرقص ، اودّ بهذه المناسبة ، ان الفت نظر الطلاب الى مقال ظهر ، خلال السنوات الاخيرة ، في مجلة خاصة بدرس اللغات . فلقد تحدث فيه الاستاذ كولار Collart (وقد توفي من مدة قريبة) عن الطرب واللهو ومحترفي الرقص في الاقاليم بمصر الرومانية . وتنهض التفاصيل الرائعة التي أدلى بها دليلًا ساطعاً على ولع المصريين في العهد الاغريقي بالمشاهد التمثيلية، ولا سيما بالموسيقى والرقص، وان ما يقوله عن الاقاليم يصح تطبيقه على العاصمة ، كما يؤكد الكاتب ذاته.

ولا تسل عن كثرة « الزمّارين » في مصر. فقد كانت في اغلب الاحيان القرية الواحدة تزخر بعدد وافر منهم حتى ان بعضهم غدوا اساتذة لامعين مثل جوليوس ايروس الذي عاش في الاسكندرية في اوائل القرن الاول للميلاد . وكثيراً ما عهد اليه في تدريب تلاميذ حتى يجيدوا هذا الفن اجادة تامة .

من الناحية السياسية حسبنا ان نقول ان حكومة الرومان قد توصلت ، بعد حكومة « البطالسة » التي دب فيها روح الانحطاط ، الى ان تعيد ، على الاقل خلال القرنين الاولين او القرون الثلاثة الاولى ، النظام والادارة الحسنة يؤازرها دون شك جيش دائم يقيم قسم كبير منه في الاسكندرية ويحط احياناً من انفة السكان الوطنية.

سوف يتاح لنا ، في المحاضرة المقبلة ، ان نضرب امثلة حسية عن الغنى والبذخ اللذين اتسمت بهما حياة الطبقة البورجوازية باسرها في الاسكندرية . والآن اريد ان أدلل على الاختمار العقلي والروحي الذي نشأ بآنٍ واحد في هذه المدينة مع نشاط التجار وحركة المسافرين وحيا اللذات . وقد كانت الاسكندرية تضيف جميع العابرين ، كما انها كانت ترحب بجميع الاديان ، أأتت

من رومة او من العجم ، من الهند او آسيا الصغرى ، أكانت قديمة مثل ديانة المصريين او اليهود ، او حديثة مثل الدين المسيحي.

بالقرب من المرفأ كان البحارة يترددون الى هيكل الاله اليوناني «بوسيدون» بينما كان اليهود انفسهم في المدينة ينظرون باعجاب الى اله «سيزاريوم» وهو مقدس انشئ ، تحت تأثير النفوذ الروماني ، تكريماً لرئيس السلالة المؤلهة . وقد تمتع بشهرة عالمية هيكل الاله « سيرابيس » وبعد ان دمر عام ١٨١ من جراء حريق شب فيه ، لم يلبث ان أعيد بناؤه . ويقول بلوتارك عن هذا الاله انه اله مشترك بين الجميع . وكان ، كل عام ، التطواف بالاله ادونيس ، هذا الاله الجميل الآتي من شواطئ الفينيقيين (جبيل وصيدا) والمتمتع بشعبية كبرى في الاسكندرية ، يجتذب لدى مروره بالشوارع جماهير من البلهاء على درجات من التقوى متفاوتة.

وكانت الاديان ذات الشعائر الرمزية تجمع في فرق تختلف عدّا المشتركين في الاسرار من مختلف الطبقات والاعمار والمناشئ . وعلى جوانب الهياكل والمقادس كان المشعوذون والسحرة والمخرقون يستوقفون انظار الطفيليين والمؤمنين بالشعوذات . وقد أتيح للاغريق المثقفين المجدّين ان يصغوا الى مرشدين مخلصين امثال كثير من فلاسفة ذلك العصر ، أو ان يعجبوا ، وعلى شفاههم ابتسامة فيها شيء من الشك ، بخطب رنانة يلقيها معلمون مغالطون يدعون الفلسفة لكنهم لم يكونوا سوى معلمي بيان.

ومما تجدر الاشارة اليه ان الدين اليهودي قد توصل في الاسكندرية الى تحطيم حواجز اختبأ وراءها حقبة من الزمن . ففي هذه المدينة ترجم الـ ٧٢ يهودياً ، في القرن الثاني قبل المسيح ، التوراة الى اليونانية . وفي القرن الاول للميلاد طبق فيلون على الكتاب المقدس اساليب التفسير « الرواقي » وحاول التوفيق بين الفلسفة اليونانية واللاهوت اليهودي.

❁

لقد كان لجميع العلوم اختصاصيون فيها، واضحت مدينة الاسكندرية دون منازع في هذا الحقل . ولم يقتصر الاهتمام على الدراسات اللغوية بل تعداها الى

العلوم القياسية كالرياضيات وعلم الفلك. وفي القرن الثاني هذا، كتب « بطليموس » جغرافيته وجمع ايضاً معهد الطب رهطاً من الطلاب كان « جالينوس » الشهير احدهم. حتى ان كثيرين قد اموا الاسكندرية، ملتقى العلماء والوسط الغني بالمستندات والكتب التي يمكن الاطلاع عليها في مكتبتي المدينة الشهيرتين، ان لم يكن في طلب العلم فعلى الاقل للاقامة فيها مرة في الحياة.

كانت الاسكندرية، في الامبراطورية، عاصمة الثقافة الكبرى حتى انها تفوقت على رومة حيث سادت الحياة السياسية كل شيء مدة طويلة من الزمن، وحيث بدا غالباً النشاط الفكري المتزه كغريب عابر، كما تفوقت على اثينة حيث عجزت جهود الامبراطرة امثال ادريان ومارك اوريل عن ان تعيد اليها ازدهار القرون الخوالي، الامر الذي لم يحل دون اهتمام الكثيرين من سكان الاسكندرية بعلم التنجيم. لكنه من المحقق ان نظرتهم اليه اختلفت عن نظرتنا اليوم، فقد كان هذا العلم مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً اما بالعلم في معناه الحصري واما بالدين. وحسبنا ان نذكر مؤلفات افلاطون الاخيرة حيث يحتل علم التنجيم مكانه (الشرائع والابينوميس وهما تأليفان لا يشك احد تقريباً في صحتهما) لنتبين كيف كانوا يعنون بهذا العلم، عناية جدية.

بالرغم من ان المجتمع الاسكندري قد انقسم، شأن المجتمعات في جميع المدن الكبرى، الى اندية منفصلة: محيط الموظفين الرومانيين ومحيط الطبقة المثقفة ومحيط رجال الاعمال المتاجرين بالمال وصغار التجار. . الخ، فقد بدا في حياته الاجمالية متسماً بطوابع اخلاقية وروحية، هي طوابع عالم البحر المتوسط يومذاك.

اول هذه الطوابع ان الاسكندرية مزيج من كل الشعوب. ولقد تبين ان موت مارك اوريل (١٨٠) سجل نهاية عهد. فبالرغم من ايمانه « الرواقي » وقلة شغفه بحياة البلاط وعدم اهتمامه بالحياة الاجتماعية والسياسية، او بالنشاط الاقتصادي، فان هذا الامبراطور الفيلسوف كان قائد امبراطورية من اول طراز ألم يحتفظ بكل التقاليد الماضية، ألم يدافع عن الامبراطورية ووحدتها، عن الدولة وسلطتها، وعن الدين الوطني؟ لكن كل شيء تغير بسرعة على عهد

الامبراطورين كومود وساويروس . فاخذ مجلس الشيوخ يفقد نفوذه شيئاً فشيئاً واخذت مكانة الدين الرسمي تتضاءل رويداً رويداً . وأجيز لسكان الاقاليم الاشتراك في كل الوظائف أكان في الجيش أم في الادارة . وقد اصبح كل فرد يتمتع بحرية التنقل . هذا يسافر لتتميم اشغاله، وذاك في طلب الثقافة والتهذيب، وآخر للذة في النفس . حتى اصبح كل شخص من الفرات حتى التاميز « مواطن العالم » ؛ والكل يستفيدون من منافع هذه الامبراطورية المنظمة دون ما حماسة ودون ما امتنان . وفي كل مكان طغت الثقافة اليونانية على الثقافة الاصلية او الوطنية ، وقلت العناية بالاضطلاع بالاعباء العامة كما قل الاندفاع في سبيل خدمة الدولة ، مما جعل انعدام الروح المدنية الذي اتهم به المسيحيون يعم الجميع ولكن لاسباب تختلف عن اسباب المسيحيين .

ولا ريب في ان هذه الروح الاممية cosmopolite في الحياة العامة تماشي وفكرة التوفيق بين الآراء المتباينة والاختيار بين المذاهب الفضلى . قد يحسبون هذا التوفيق شيئاً من اللامبالاة انما يخفي قلقاً روحياً حقيقياً . فمن المعلوم ان الاستعمار الروماني حافظ على السلم والنظام في العالم المتوسط méditerranéen ، لكنه لم يحل دون تسرب التشاؤم الى النفوس . ولنا دليل مؤثر على ذلك ما ورد في يوميات رجل كان في زمانه اعظم الرومانيين ، عنينا به مارك اوريل الذي اثار الاعجاب بجهوده في سبيل صفاء الاخلاق ، وبثقته بالآلهة وباستسلامه لشريعة الكون ، وباهتمامه بان يتمم قبل كل شيء مهمته كقائد تتميماً يتحلى بالاخلاص والدقة .

❁

في ذلك الوقت بقي للوثنية بعض الاثر واذا كان ما بدا فيها من مظاهر خارجية متوقداً — الى حد كبير — على العادة والتطبع ، فانها انطوت احياناً على شعور ديني حقيقي . ولنا على ذلك امثلة عديدة :

على انه لا بد من الاعتراف بان الوثنية لم تعد ترضي النفوس . وقد اخذ بعض الفلاسفة (من اتباع الافلاطونية المستحدثة والرواقية) ينافسونها منافسة خفية بين الطبقة الراقية المثقفة . فوجد الناس من مختلف البيئات والطبقات ، في

الاديان ذات المظاهر الرمزية على الاخص ، ضمانة حسية وعاطفية لخلاص الفرد وخلود النفس ، وهي ضمانة مبنية على الايمان ، وجدوا فيها تنبؤاً بخلص وتقرباً من الاله . فلم يتراجعوا عن البحث في السر ، لا بل فتشوا عنه ، اذ هناك اشراكات في الاسرار ممكنة . وغدت الكتابة الشهيرة التالية المحفورة على هيكل ايزيس تستهوي متعبدين عديدين: « انا من كان ، أو من يكون ، أو من سيكون الى الابد ولم يدرك بشري حقيقة امري . »

في هذا المجتمع الاسكندري بدا كل شيء ناقصاً ، وقتياً ، غير مستقر ، فكثرت الآراء وخفت الاعتقادات وتعددت المشاريع وقلت التحقيقات وارتسمت خطوط تشاؤم بلغ احياناً حد اليأس . ولقد رسم في القرن الثاني للميلاد فيلون اليهودي صورة سوداء للاجتماعات الثقافية في الاسكندرية ، اذ قال :

« كل يوم تزدحم بالناس الامكنة حيث تلقى الاحاديث فيبدأ الفلاسفة بالتكلم عن الفضيلة وقتاً طويلاً دون ما توقف . لكن المستمعين يفكرون في المراكب والاعمال والواردات والاملاك والمداخيل . بينما يحلم آخرون بالمعالي وبالمراتب السياسية او المدنية ، وبالفوز في مهنهم او في الفنون ، ويفكر آخرون في ملذاتهم الجسدية . واذا قدر للبعض ان يصغوا وقتاً ضئيلاً الى الحديث فانهم ينسون الدرس حالما ينصرفون . »

« لم يكن فيهم رغبة عميقة في التثقف . فبعد ان يستمعوا الى الخطب لا يتكبون على التأمل الشخصي للعمل بموجب ما قيل لهم . »

❁

بقي علينا ان نقول شيئاً عن المسيحية في الشكل الذي بدت عليه يومذاك في مدينة الاسكندرية ، عندما جابهت محيطاً اغريقياً يدلف الى الزوال .

ان هذا الملتقى بين الدين المسيحي والمدنية الاغريقية ليس بامر جديد في آخر القرن الثاني . فما زلنا نذكر خطاب القديس بولس في محكمة أثينة ، وهو خطاب تجلى فيه باجلى المظاهر طموح المسيحية الناشئ وجهودها لتفهم ما عند اليونانيين الوثنيين من عاطفة دينية . ما زلنا نذكر ان انطاكية كانت مدينة يونانية على غاية الازدهار ، ووسطاً ثقافياً ملحوظاً غير انها لم تتمتع يوماً ،

من هذا القبيل ، بمكانة الاسكندرية كما انها لم تصبح عاصمة مسيحية الا بعد زوال مزاحمتها .

وليس بخاف ان الاسكندرية كانت اول مدينة كبرى تنصر فيها عدد غير يسير من الاغنياء ، من الذين يهيمنون على الحياة الاقتصادية في البلاد ، ومن المثقفين ، هؤلاء الذين يضعون المبادئ ويقلبون الاوضاع . على ان دخولهم جميعاً الى حضن الكنيسة أثار – بشكل يفوق حدّه ما أثاره في آسية الصغرى وكورنثية حتى رومة اهتداء كثيرين من الطبقة المسكينة ، من الصناعيين والعبيد – مسألة قيم التمدن الاغريقي باسرها ، منذ استثمار وامتلاك الخيرات المادية حتى سلطة الفلسفة وحتى العقل الساعي وراء الحكمة ، ومسألة نظرية العالم والبشرية ، وامكانية المحاولة للتقرب من غير المنظور ، من الاله ذاته ، بواسطة الفكر او الصلاة .

ومهما كانت مصادر الدين المسيحي في الاسكندرية ، حيث اكتنفته الاسرار اكثر من سائر الامكنة ، فمن الاكيد انه لم يلبث ان توطدت معالمه في هذه المدينة . يشهد على ذلك انتشار الانجيل على مدى واسع . فضلاً عن ان الاسكندرية شهدت في آخر القرن الثاني قيام اسقفية تولى أمرها المطران ديمتريوس .

لا بد من التساؤل ، والحالة هذه ، عن الدور الذي اضطلعت به في هذه الكنيسة الكاثوليكية مدرسة الاسكندرية الشهيرة ، اذ كان من المسلّم به حتى السنوات الاخيرة ، كما ورد في كتب التاريخ بناء على الصيغ التقليدية ، انها اتخذت شكل كلية يرعاها رسمياً اسقف الاسكندرية . ولقد عقد السيد باردي فصلين حدد فيهما بدقة ما يمكن الجزم به وليس هو مجرد افتراض ، قائلاً : ان كان ثمة قبل اوريجينوس (Origène) مدرسة مسيحية فانها لم تكن سوى معهد الدروس يتردد اليه طلاب التنصير . ولا شيء يدل على ان الفيلسوفين بانتين وكليمنت علّما فيه . وجل ما يمكن قوله انهما ألقيا تعاليمهما في نادٍ خاص جمع فريقاً من المثقفين ، مسيحيين كانوا أم وثنيين ، وتناول البحث فيه المسائل الدينية البحتة والقضايا الفلسفية الصرفة ، والادب اليوناني والعلوم

يتضح مما تقدم ان الكنيسة الكاثوليكية استقرت حينئذ في العالم اليوناني

الروماني واقعاً ثابتاً وحقيقة حية ويوسعنا ان نتخذ من هذا الزمن نقطة لتشعب مجاري الفكر المسيحي ولكنيسة مصر اهمية خاصة في هذا التطور لانها تبدو خلافاً لما كانت عليه آسية وانطاكية نفسها ، مستقلة كل الاستقلال عن اليهودية رغم كثرة السكان اليهود فيها.

واني، حين ارسيت في الاسكندرية، ذكرت اولئك المفكرين الذين كانوا يحيطون بهذه المدينة بعد ان يجوبوا عالمهم المعروف اذ ذاك ، من أمثال اكليمنضوس الاسكندري وكثيرين سواه، متصلين بعلمين عديدين في طريقهم الى المعلم الاسمى الذي لا يلقاه الانسان سوى مرة في الحياة ، وفيه تجد النفس الحق الكامل :

وكان في الاسكندرية حشد زاخر من الافلاطونيين والمغالطين والغنوستيين وكلهم نصارى يفكرون في ايمانهم ويتساءلون شتى الاسئلة: اين قاعدة الايمان ؟ ما جوهر رسالة الكنيسة ؟ كيف نقرأ الكتاب المقدس ونحل متعارضاته اللفظية ونختار بين التأويلات المتباينة ؟ هل نهرب من العالم او نخرج منه ؟ هل على المسيحي ان يتخلى عن الفن ويزهد بالثقافة والفلسفة ؟ هل يجب عليه ان يترك كل خيرات الارض ويحتقر الغنى ؟ هل التبتل افضل من الزواج ؟

وهناك سؤال هام : هل الكنيسة واحدة موحدة ؟ أليس من تفاوت بين المؤمنين ؟ أليس فيها — كما في سواها — خاصة وعامة ؟ هل يستطيع الجميع ، دون استعداد ملائم ، التوصل إلى معرفة الله ؟

وكانت كل هذه الاسئلة تدفعهم الى الجدل، والى نقد القيم اليونانية الموروثة، والحكم على التقاليد الاجتماعية والثقافية والروحية. وان هذا النزاع بين التراث اليوناني والايمان المسيحي قد كان أعنف نزاع عرفه الضمير في ذاك الزمن.

واول مسيحي تعرض لكل هذه المعضلات وجابهها بجرأة كبيرة وحرية في التفكير وثقة بالايمان هو اكليمنضوس الاسكندري، شاهد زمانه وممثل معاصريه. اهتدى اكليمنضوس الى النصرانية، وهو عقل ناضج ، مطلع على فلسفة عصره وعلومه وادبه وفنه ، منفتح الى كل ما هو بشري ، واذا به يقضي قسماً صالحاً من حياته في الاسكندرية محادثاً ، مؤلفاً ، معبراً عن العقائد المسيحية بلغة فلسفية ، مفسراً الكتاب المقدس ، هادياً الى طيب الاخلاق

ابتعاد اغنياء الاسكندرية عن المبادئ الانجيلية في احكام اكليمنضوس الاسكندري

سبق لنا ان عرضنا ما كانت عليه بيئة الاسكندرية في اواخر القرن الثاني للمسيح من التمازج والحيوية. في هذا الخليط من الناس المختلفي العرق واللغة والثقافة والدين ، كانت فئة تتميز عن غيرها ثقافة ونجبوحة عيش ، هذه الفئة هي فئة البرجوازيين التي اظهر روستف تزف في مؤلفه « تاريخ العالم اليوناني الاجتماعي والاقتصادي » (١٩٤١) ما كان لها من اهمية . الى هذه الفئة توجه اكليمنضوس الاسكندري في القسم الاوفر من مؤلفاته وقد تطرق فيها الى البحث في «اي هو الغني الذي يمكنه ان يخلص» وفقاً لمقتضيات الآداب المسيحية؛ كما انه بحث بدقة متناهية في مؤلفه « المعلم » في حياة الترف التي لم تكن بمتناول غير الاغنياء . ويبدو من بحثه هذا انه يحاول الجواب عن سؤال عملي يتساءله المسيحيون وكل طالب ارتداد . وعندنا ان جوابه لا يتوقف عند حل حادث ضمير فحسب، بل يتعداه الى حل مشكلة تمدن كانت قائمة في الاسكندرية في ذلك العهد .

وفي الواقع لو حلّ كاتبنا هذه المشكلة ، كما حلها في ما بعد الآباء المتوحدون، ولو ان الكنيسة اعلنت عدم الاتفاق بين السعي البشري وما يثمر من جني مادي والحياة المسيحية ، لما قامت تلك المدنية التي اصبحت فيما بعد مدنية بيزنطية . وسنرى ان هذه المشكلة التي تهمّ الدين والمدنية في وقت واحد لا تنحصر في ما تثمر التجارة والصناعة من خيرات ، بل تتعداها الى خيرات الروح والعلم والفن. وهنا ايضاً لا بد من التساؤل عما اذا كانت المسيحية تفرض على اتباعها الاعراض عن افلاطون وارسطو ومدنية اليونان من قديمة وحديثة وتجاهلها ونسيانها .

قد تبين لنا سابقاً ان معاصري اكليمنضوس كانوا يواجهون مشكلة ناتجة من غناهم وما تفرضه روح الفقر المسيحية. وحسبي اليوم ان اذكر بعض مظاهر هذا الغنى من ترف ورخاء ، واني استخلص ملاحظاتي هذه من مؤلف اكليمنضوس « المعلم » ، غير مدخل عليها الا بعض الترتيب .

غرف النوم

خذ مثلاً غرفة النوم،فان انت دخلتها وجدتها مفروشة بالسجاد الارجواني او غيره،ووجدت فيها الاسرّة قائمة على اعمدة من فضة ومزينة بالعاج والصدف ومغطاة باغطية موشاة بالذهب ، وفيها وسادات من الريش الناعم حتى كأنّ النائم يغرق فيها او بالاحرى يدفن («الملم» ٢ : ٣،٩)

الحمامات

ولك في الحمامات مثل آخر ، فان بناءها لا ينقصه الفنّ ولا الدقة. تفصل بين الغرفة والغرفة حواجز شفافة غير ثابتة مغطاة بقماش ناعم، وفيها مقاعد من ذهب وفضة وآنية متعددة من المعدن عينه،حتى ان آلات تسخين الماء كانت من ذهب. واننا بغنى عن الاشارة الى ما كان يحدث في هذا الجوّ المترف من امور يشمئزّ منها الخلق السليم،ذكرها كاتبنا وندّد بها وتركها لنا شاهداً على ما بلغ اليه مجتمع الاسكندرية من ترف ورخاء .

الازياء والزين عند النساء

اما بشأن الازياء والزين فلكاتبنا أوصاف عدة نقتطف منها الترر اليسير قال :

لم يكن النساء ولا الرجال يحجمون عن استعمال الشعور المستعارة وكانوا يأتون بالشعر من الهند،ونحن نعلم ان دخوله الى اراضي الامبراطورية كان مثقلاً بالرسوم. وكانت النساء يضعن على رؤوسهنّ من هذه الشعور ابنية واهية يدعمنها بالدبابيس والامشاط (من ذهب وعاج وفضة) ولا يفوتهنّ ان يغرسن فيها الازاهير ، وكثيراً ما كان حرصهن على سلامة هذه الابنية يمنعهن من النوم ...

واليك واحدة من هؤلاء. انها آتية وها هي تقترب وتمر . كلّا لم تمرّ بل قد توقفت لتنشف ، ها هي انظر اليها متبرجة ممشطة مشوقة . انها معجبة بذاتها ولا شغل لها الا ان تتهندم وتتطيب، وتشد خصرها. وانك لترى هؤلاء النسات مشغولات منذ الصبح بالتضييق والتمشيط والدهن ، وتحت هذه الاطباق السامة تذبل بشرتهنّ ويتسمم بدنهنّ وتذوي زهرة جمالهنّ وتفنى. ولو

كانت الخسارة لا تصيب الا الحال لهان الامر ولكنها كثيراً ما تقضي على الصحة ايضاً . . .

ولا تفوتهن وسيلة للخدعة . فالقصيرات ينتعلن النعال العالية من الفلين . والطويلات يقتصرن على النعال الرقيقة ويحنين الرأس اذا ما سرن حتى لا يلفت النظر طول قامتهن المفرط . . . شقراء الحاجب اسوده بالكحل وسوداؤه تبيضه بالاسفيداج . . . جميلة الاسنان لا تنقطع عن الضحك وان محزونة . . .

داء التجمل في الرجال ايضاً

هؤلاء نساؤهن ، ولا عجب . ولكن الداء فتك بالرجال ايضاً فانهم ينصرفون الى التزين مما يدل على فساد القلوب . فهم باهتمامهم بشعورهم اشبه شيء بالعبيد والدعيرات ، مثل . افواههم ملك ، وابدانهم مضمخة بالطيوب . وقاق الثياب تائهون مدى النهار في الشوارع ، فيخورون برخائهم تفوق وقاحة اعمالهم سوء صيتهم كما ان سخفهم يفوق شرهم . وبسببهم ضاقت مدننا بعمال بؤساء لا فائدة منهم منصرفين دوماً الى نتف شعورهم وتسيد ابدانهم وتضميخها بالطيب ، وبسببهم ايضاً قامت في مدننا هذه الحوانيت العديدة المفتوحة ليل نهار ينصرف اصحابها الى هذه التجارة البخسة ، وسرعان ما يفتنون . وان هؤلاء الناس يظنون انهم يستطيعون ان ينزعوا عن ذواتهم الشيخوخة كما تسلخ الحية قشرتها عنها . وانهم يجددون شبابهم بخضب شعورهم . ولكن ان وسعهم تغيير لون هذه الشعور فهل يسعهم منع التجعد عن جباههم او منع الزمن عن ان يأتيهم بالموت .

تحدثت عن هؤلاء وسميتهم رجالا ، واحرى بي ان اسميهم نساء اذ لم يعد فيهم شيء من الرجولة لا في الثياب الرقاق التي يلبسونها ولا في الصوت الناعم الذي يتكلفون .

كان لباسهم يلفت النظر بفخامته : اقمشة حريرية تزينها رسوم الزهور والحيوان والنبات ، الوانها فاقعة ، وحياكتها دقيقة رقيقة .

وكان هذا اللباس اما فضفاضاً طويلاً للتبختر واما قصيراً للغواية ، حتى نعالهم — نعال النساء خاصة — كانت موشاة بالذهب ومسمرة بمسامير من

المعدن عينه ومطبوعاً عليها احياناً رسم العناق .. كل هذا الى انواع شتى من الحلى : عقود واساور وحلق من اللؤلؤ والحجارة الكريمة.

مهازل مسارحهم

وكان هؤلاء الناس يهوون مشاهد المسارح تمثل عليها المهازل المشهورة بخفتها وسماجتها ، الى المراقص ، الى سباق الخيل ، وهو لذة الجماهير ينقسم فيه الاسكندريون احزاباً انقسام الناس اليوم احزاباً سياسية.

ولم تكن تخلو مسارحهم من مشاهد الصراع اما بين المتصارعين ، واما بين هؤلاء والحيوانات .

موائد مآكلهم

ولم تكن موائدهم اقل ترفاً من سائر غرفهم . اثاثها من طراز الاثاث الذي كانوا يزينون به غرف النوم ومآكلهم لم تكن لتقل عن مآكلنا اليوم دقة واعتناء ، لو كان عندهم برادات او لو كان لديهم ما لدينا من وسائل النقل . وما عدا ذلك فقد كان لهم جيش من الخدم الاختصاصيين ، هذا للحوم وذاك للحلوى وآخر للشراب . يأتون بالاسماك من شواطئ صقلية ومن ابعد منها ، ويأتون بالخمور من جزيرة لسبوس وغيرها من جزر اليونان ونواحي ايطالية .

هوادج النساء وملاهيهن

ومن مظاهر ترفهم ان نساءهم كانت تنتقل في شبه هوادج على اكتاف العبيد، وان منازلهم كانت تغص بما يربون فيها من العصافير الهندية والطواويس الفارسية والكلاب المالطية، وربما اقتنى بعض السيدات مسخاً بشرياً للتلهي به والضحك منه بالنظر الى شكله المشوه وسحنته البشعة وحركاته البذيئة.

◎

وسط هذه البيئة من البذخ والغنى وجد الدين المسيحي أناساً يؤمنون به ويسترشدون بنوره . وكثيراً ما كان وعاظ غُيُر ومتصلبون في آرائهم يكررون — على طريقتهم — تنبيهات المسيح الصارمة الموجهة الى اغنياء الارض .

المنقولات والعطور في نظر اكليمنضوس

قال اكليمنضوس في حديثه عن المنقولات الكمالية :

« يجب على تلاميذ المسيح الا يميلوا اليها والا يشتهوها . لكن استخدامها ليس بمحظور على مقتنيها، شريطة ان لا يهيموا بها الى درجة تسبب لهم الحزن عند فقدانها ، لان هذه الاشياء لا يسعها ان تحقق السعادة . »

ونلمس الاعتدال ذاته في حكمه على العطور اذ يقول ، بعد ان يعرض عرضاً رائعاً تنوعها واحاءها وتركيبها وكيفية استعمالها في الاسكندرية يومذاك :

« علينا ان لا نبتعد عن العطور ابتعادنا عن النسور او الخنافس التي يقتلها — كما يقال — قليل من عطر الورد . ومن الواضح ان النساء يجوز لهن الانتفاع بها ، على ان تكون الكمية ضئيلة والرائحة خفيفة لان الاكثار منها معناه ان تتسرب الى الاحياء عادة تحنيط الموتى .

« أليس الزيت المضر بالنحل وبسائر الحشرات نافعاً للرجال ؟ فهو يستحث همتهم ويلين عضلاتهم ويزيدهم في الالعاب الحربية سرعة وقوة . اما العطور فانها تثير في الانسان التراخي والخمول لذلك بعد ان نقصي عن موائدنا المآكل المفسدة للذوق ، علينا ان لا نجيز لانفسنا استخدام شيء يثير فينا مرآه او رائحته شيئاً من الحس الشهواني مخافة ان يتسرب الى نفسنا بواسطة هذا الحس نهم قد ابتعدنا عنه . . . »

وفيما نحن نشجب الملذات المضرة بالحياة ، يبدو مهماً ان نبحث ما اذا كان بوسعنا ان نستخلص منفعة ما من استخدام العطور .

لا شك في ان ثمة عطوراً لا تثير في النفس التراخي ، ولا تدعو الى ارتكاب المنكرات ، ولا يتنافى استخدامها باعتدال مع محبة القناعة . فانها تقوي الدماغ والمعدة وتلين الاعصاب وتنفع ضد امراض مختلفة . اذاً يجب استعمالها لانعاش القوى المتراخية ولمحاربة الخمول والضجر .

وقد تكون انجع وسيلة لاستخدام العطور ، كما قال شاعر هزلي ، ان نضمخ بها ايدينا التي تنقل الى الدماغ رائحة العطر المفيدة ، ولا يخفى ان

هناك فرقا عظيما بين الاكثار منها والتضمخ البسيط بها، فالاول من خصائص المخنثين ، والثاني نافع للصحة في اغلب الاحيان.

رأيه في استخدام الحمامات

لقد كان اكليمنضوس قاسياً في موقفه من الافراط في استخدام الحمامات. ويبدو اكيداً ان هناك دواعي حقيقية عديدة اوجبت عليه ذلك الموقف في الاسكندرية ، غير انه لم يحرم الحمامات تحريماً تاماً . فقد قال ان اسباب الاستحمام اربعة : النظافة والابتراد والصحة واللذة ، فلم يحرم سوى السبب الاخير ، باعتباره فقط لذة جسدية صرفة.

رأيه في التمارين الرياضية

بقي ان نعلم رأي اكليمنضوس في التمارين الرياضية. انه يسمح بها مع تمييز بين الرجال والنساء . فهو على كل يعتبرها عملاً مفيداً للرجال، فيما اذا كان هدفها الوحيد تنمية القوى وصيانة الصحة.

التوفيق في الفن بين تعاليم الانجيل والعادات الموروثة عن الوثنية

أود قبل نهاية هذا الدرس ان استخلص لكم من النصوص والحوادث التي عرضتها لديكم بعض الافكار :

أولها ان للاخلاق دوراً تضطلع به في مدنية من المدنيات . فقد كان محور المشكلة التي أثارها في الاسكندرية كثيرون من الاغنياء المسيحيين او المسيحيين الاغنياء ، التوفيق بين تعاليم الانجيل والعادات والنظم المستمدة من التعاليم الوثنية.

ذلك ما تناوله اكليمنضوس في مباحثه وتفسيراته . وهذا بعض ما قاله بهذا الموضوع :

« جعلنا الله بنعمته لا نقول : في مستهل كلامنا ، شيئاً لا يكون مفعماً ادباً وحقيقة او لا يكون نافعاً لخلاص اخواننا . فالاله الذي يعطي المحتاجين ويرشد الذين يبغون تدبر مصالحهم هو عينه ذو الكلمات المقولة بشأن

الاغنياء ، والتي اذا شرحت بعضها ببعض ، تقود الى حل امين فسأعيدها عليكم اذاً واشرح لكم بثقة تلك الآيات الانجيلية التي طالما اقلقتكم لان جهلكم أو ضعفكم عجز عن تفهمها :

جاء في انجيل مرقس (١٠ : ١٧—٣١) :

« وبينما هو يتقدم في الطريق الامة اسرع اليه رجل وجثا على ركبته امامه وقال له :

ايها المعلم الصالح : ماذا اعمل لارث الحياة الابدية ؟ فاجابه يسوع : لماذا تدعوني الصالح ؟ انه لا صالح الا الله وحده . تعلم الوصايا : لا تزن ، لا تقتل ، لا تسرق ، لا تشهد بالزور ، لا تخدع ، اكرم اباك وامك .

فاجاب الشاب وقال له : « هذا كله حفظته منذ صباي »

ونظر اليه يسوع وأحبه وقال له : « واحدة تنقصك بعد ؟ اذهب وبع كل ما لك واعطه للمحتاجين ، فيكون لك كنز في السماء ، ثم تعال واتبعني . »

فحزن الشاب لهذا الكلام ومضى كئيباً لانه كان ذا مال كثير ونظر يسوع حوله وقال لتلاميذه : كم يصعب على ذوي الاموال ان يدخلوا ملكوت الله . فتعجب التلاميذ لهذا الكلام ، غير ان يسوع اجابهم قائلاً : يابني : يصعب جداً على المتكلين على الاموال ان يدخلوا ملكوت الله . فازداد التلاميذ دهشاً قائلين : « من يستطيع اذن ان يخلص ؟! »

« من يستطيع ان يخلص »

اخذ اكليمنضوس هذه الكلمات من الانجيل وجعلها عنواناً لعظة موضوعها : « اي غني يخلص ؟ » او بالاحرى : « هل يستطيع الغني ان يخلص ؟ »

كان اكليمنضوس يعرف ان هذه المسألة تقلق بال الكثيرين من اصدقائه المستمعين الذين يؤمون مجلسه . انهم رجالاً ونساء ، يرغبون في المسير نحو المسيح وقد جدوا في هذا السبيل ، ولكنهم ترددوا عند سماعهم في الوعظ وجوب ترك كل شيء يملكون بحيث يصبحون مادياً في صف هؤلاء اصحاب الحرف الصغيرة وفي مستوى العمال الفقراء من حمالين وبحارة ، يعملون في المرافئ ، اولئك الذين يعيشون من لا شيء وغالباً ما تعولهم صدقة الكنيسة .

وعلى ذلك يتوجه اكليمنضوس الى مستمعيه بعطف كبير ، سنلاحظه اكثر من مرة في الطريقة التي يطرق بها موضوعه. غير ان هذا العطف لا يمنع الصرامة وها كه يبدأ عظته فيقول : « اي غني يخلص ؟ »

الله خالق كل شيء فكل شيء ملكه وله

انكم ولا شك لاحظتم ، في هذه الاسطر ، كيف تتجلى على الفور الفكرة النظرية التي ترسم موقف اكليمنضوس من الغنى . . . ان الاله هو الذي خلق كل شيء ، فكل شيء هو ملكه. واليه يجب ان يرجع كل شيء . .

ومن ثم كان كل ما نملك عطية منه واذا ما نلنا عطاياه فلسنا نقدر ان نستعملها على هوانا ولا سبيل الى الاعجاب بانفسنا اذا حظينا بها . . . وهنا يبدو خاصة الخطر الذي يحدثه الغنى : فانه يغري الانسان ويشكل سبب كبريائه .

نعم ان مبدأ دينياً يعمل هنا — لكن هذا المبدأ يوحي واقعاً بالانسانية ، والانسانية أيا كان وحيها ليست سوى وقفة للانسان في وجه الحياة اعني انها عنصر اساسي في تكوين الحضارة

ذم المدح للاغنياء

وتابع اكليمنضوس عظته فقال : بنظري انه لاكثر انسانية ان نصلي من اجل الاغنياء ونعيدهم الى امتلاك الحقيقة من ان نطنب في مديحهم لشر اقترفوه .

« هذه هي ، على ما يظهر لي ، ميزة الانسانية المسيحية او الحضارة المسيحية ، اذا بقيتا على اصلها . فجل مرماهما ان تكونا انسانيتين وتساعدا الانسان على وجود الحقيقة في ما يعنيه العمل بموجبها . »

اما الذين يغدقون الالقاب والمدائح على الاغنياء فيجب على ما اظن ان يُعتبروا ليس كالساقطين والادنياء فحسب — اذ هم يتظاهرون ، على أمل المكافأة ، بالاهتمام بمن لا يستحقونه — بل ان يُعتبروا ايضاً كالزنادقة والخونة .

زنادقة : لانهم يهملون الشكر والمديح للاله الواحد ذي الصلاح والكمال الذي « منه كل شيء كان ، واليه كل شيء يعود » ويخصون سمات المجد والشرف ،

المحفوظة لله وحده ، باناس تمرغوا بالرذيلة والشقاء. وقد اصبحوا مهدّدين بدينونة الله.

خونة : لان المال هو كاف بحد ذاته لان يضعف ويفسد نفس مالكه ومقتنيه. وفوق ذلك يأتي المداهنون الملاقون ويُلقون التشويش في عقول الاغنياء. اذ يهيجون فيهم لذة المديح الفارغة ويحملونهم على احتقار كل شيء ما عدا الثروة ، فيتوهم هؤلاء انها تجلب لهم الاحترام والاعتبار ولذلك يجمعون ، كما يقال ، ناراً على نار ويصبّون كبرياء على كبرياء. ويضيفون عبئاً على ثروتهم: جسم ثقيل على حمل اثقل منه.

مع انه كان الافضل ان يجردوا ثروتهم مما يشينها ويخلصوها مما يؤذيها (كمن مرض ثقيل مميت) لان « من اتضع ارتفع » ، حسب قول الانجيل.

وعوضاً عن ان نطرئ الاغنياء ونمدحهم على عمل الشر، يجب علينا من قبيل الانسانية ان نساعدهم بكل الوسائط الممكنة على عمل خلاصهم اذ من جهة نبتهل الى الله ان يسبغ النعم على ابنائه بفرح واستمرار.

ومن جهة ثانية فاننا اذ نهتم ونعتني بنفوسهم باقوالنا ومثلنا، معتمدين على رحمة الله ونعمته نرشدهم ونقودهم الى امتلاك الحقيقة لان من يحصل عليها ويُشرّف بالاعمال الصالحة هو الوحيد الذي يحصل على جزاء الحياة الابدية.

ولكن الصلاة تستدعي نفساً كريمة لتظل ممتلئة قوة وثباتاً الى آخر يوم من الحياة. وحياة الانسان يلزمها ايضاً استعدادات صالحة وطاعة كاملة لوصايا المخلص.

لذلك فالسبب الذي يجعل الخلاص اكثر صعوبة على الاغنياء من الفقراء ليس بالسبب البسيط.

— وها انك ترى البعض قد عبّروا باقتضاب وبشكل سطحي عن كلام السيد المسيح القائل : « انه لاسهل على الجمل ان يدخل في ثقب الابرة من ان يدخل غني ملكوت السموات » ، فخمد نشاطهم ويئسوا من الحياة كأنّ الفوز بها ليس بالواجب عليهم. واذا استسلموا للعالم وتعلقوا بالحياة الدنيا ، كأنه لم يترك لهم غيرها ، ابتعدوا اكثر فاكثر عن الطريق التي توصل الى السماء ،

دون ان يهتموا بمعرفة الى اي الاغنياء يوجه السيد المسيح كلامه ، ولا كيف يصبح المستحيل على الطبع البشري ممكناً على الانسان بواسطة نعمة الله .

— والبعض الآخر قد فهموا هذه الجملة وعبروا عنها باسلوب موافق صحيح، لكنهم اهملوا الاعمال التي تؤدي الى الخلاص ولم يستعملوا ما هو ضروري للحصول على آمالهم واهدافهم .

واني في كلا الحالين اتحدث عن الاغنياء الذين لهم ايمان وطيد بقوة المخلص الفادي وفوزه الباهر تاركاً الذين لا يفتشون عن الحقيقة وشأنهم .

خبر الشاب الغني في الانجيل

ويقرأ اكليمنضوس على سامعيه صفحة الانجيل التي تتضمن خبر الشاب الغني ويردفها بهذا الاعتبار :

ان هذا الخبر الذي نجده في انجيل القديس مرقس نجده ايضاً عند باقي الانجيليين — قد يكون هناك بعض التباين — ولكن هذا التباين لا يفقد الكلام شيئاً من معناه .

اننا نعلم يقيناً ان مخلص العالم لم يكلم البشر حسب الروح البشرية فقط، ولكنه بطن تعاليمه بحكمة مقدسة وبتصون . فلا نأخذن خطبه بالحرف ولا نشرحها حسب افكارنا الجسدية . بل لنجتهد في ان نتفهم معناها المحجوب بالدرس المجد المتواصل .

لسنا نريد ان نعطيكم هنا تحليلاً للفظة بكاملها، بالرغم من انها تتطلب في كل سطر ملاحظات شائقة . يكفينا في الموضوع ان نقرأ هذه الصفحة المهمة حيث يشرح المؤلف مقطع الانجيل الاكثر قلقاً للبال ، ويرسم جلياً الجواب الذي يحمله الى مستمعيه .

فما الذي جعل الشاب يهرب وما الذي ابعده عن المعلم وقد دنا منه يستجدي المعونة ؟

ما الذي جعله يفقد الرجاء والحياة وقيمة الاعمال المبررة كلها التي كان قد صنعها ليكتسبها ؟

هو هذا الكلام : « بع كل مقتناك » ولكن ما معنى هذا الكلام ؟

انه لا يعني ما يدل ظاهر الكلام عليه : تجرّد عن كل عناك ، اطرحه بعيداً عنك ، فليس هنا المعنى الحقيقي . ولكن اقلعوا من نفوسكم الاحكام الباطلة التي ترتأونها في الغنى ، واقلعوا عن هذا الجرح المخجل الذي هو البخل ...

فما الجديد في كلمة المخلص هذه ... اقلعوا عن رذائلكم . اقلعوها من انفسكم ، اطرحوها بعيداً عنكم . فهذه وصيته،وهذا تعليمه الخليقان بالمؤمنين وبشخصه .

حيث تكون كنوزكم ..

ان كثرة آثامنا هي التي تقضي علينا ولا نجاة لنا الا في اتلافها . لذلك يجب علينا ان نجرد انفسنا ونعريها من الاثم لنسمع هذه الكلمات المعزية التي فاه بها المخلص : « هلموا واتبعوني ، فطريق الخلاص يفتح لطهارة القلب ، ويغلق لعدم الطهارة ، وعدم الطهارة هذا ليس قط في غناكم ولكنه كله قائم في هواكم ، في لهيب شهواتكم المتأجج . لانكم اذا كنتم اغنياء وتقرون بان ذهبكم وفضتكم وبيوتكم هي من كرم الله فترجعونها ، في شخص اخوتكم،لله الذي وهبكم اياها ، اذا كنتم تقرون بانها متعة غيركم اكثر مما هي متعتكم،اذا كنتم ترتفعون فوق اقتنائها بقوة عقلكم فتأمرونها بدلاً من ان تطيعوها ، اذا كنتم لا تنكمشون على عواطفكم الانانية فتحصنون ضمنها بل تستخدمون غناكم للعمل الالهي في سبيل خلاصكم ، اذا كنتم وقت الضرورة تتجردون من كنوزكم وتحتملون الفقر الناتج عن ذلك محتفظين بذاك الامان وذاك الفرح الصافي الثابت اللذين نعمتم بهما وسط ثرواتكم ، كنتم ممن يطوبهم السيد المسيح ويدعوهم فقراء بالروح ، وورثاء اكيدين لملكوت السماوات الذي ما كنتم تدخلونه لو نبذتم عبء غناكم لعجزكم عن حملانه .

فالرجل المنعمة نفسه من عاطفة الغني الدنسة المغلق قلبه عن روح الله لامتلائه ذهباً وتراباً،والرجل الذي يجهد ابدا النفس والجسد في اكثار خيراته الى ما لا حد له ،—انسان كهذا عبد يقوده العالم ، عبد منحن نحو الارض التي

خرج منها والتي اليها سيعود كيف يمكنه ان يلتهب شوقاً الى امتلاك الله ؟ انسان ينزع قلبه من صدره ويحل مكانه معدناً بارداً . كلّا ! انه بكليته مقيد بحب غناه الاثيم وفيه سيجده الله : « لانه حيث تكون كنوزكم فهناك ايضاً قلوبكم »

ينبغي لنا ان نعتبر ، باجماع رأي المفسرين ، ان اكليمنضوس قد انخدع بنكرانه المعنى الحقيقي ، المادي المكتمل الوضوح لكلمات السيد المسيح : « بع كل مالك » ، وهو ذاته يرضى بهذا المعنى في مقطع آخر من مؤلفاته . الا اننا نبادر الى القول انه قد اصاب تماماً في الحاحه على روح هذه الدعوة ، التي يكون معناها الروحي العميق المطبق على كل انسان ليس باقل وضوحاً : لنكن متجردين ، على الاقل ، بالروح عن الغنى ، بنوع ان هذا القلب يظل متواضعاً بسيطاً رؤوفاً سخياً نحو القريب بقدر ما يجب عليه ان يكون ، اعني حسب روح الانجيل دون ما قياس ولا حساب .

هذا ايضاً واضح جد الوضوح في هذا المقطع الاخر من عظاته

ان اكليمنضوس اعطى الخطوط الاولى لواجب المحبة الاخوية لكل مسيحي ، لذلك الواجب الناتج من الاعتقاد بحقيقة الثالوث والفداء ، وهذا من الاهمية بمكان وان هناك المبدأ الروحي الثاني ينتج منه موقف اكليمنضوس العملي بالنظر الى الخيرات الارضية .

محبة الله فوق محبة المال

ان الله هو ذاته محبة والمحبة هي التي اظهرته لنا .

ان الاب في محبته صار امرأة . والبرهان المحسوس هو كونه ولد ذاته من ذاته والثمرة التي اثمرها هي المحبة .

ولهذا السبب نزل الابن على الارض واتخذ جسداً وذاق بارادته حالة الطبيعة البشرية ، كيما يقاس ضعفنا ، نحن الذين احبنا ، مع عظمة قوته الذاتية .

وحين قدم ذاته ذبيحة لاجل افتدائنا أبقى لنا وصية جديدة : « اعطيكم محبتي » ولكن ما هي هذه المحبة ؟ وما هي عظمتها ؟

اعطى كلا منا حياته التي توازي حياة البشرية جمعاء . وهو يطلب الينا عوضاً عنها تقدمة حياتنا بعضنا لبعض . فان كانت حياتنا لاخوتنا ، وان قطعنا عهداً مع المخلص أفنضبط خيرات هذا العالم الشقية الغريبة التي لا نحسن ضبطها حباً للاقتصاد ؟ ايحرم الواحد الاخر خيوراً قد تلتهمها النيران في القريب العاجل ؟

اليك من يوحنا عبارة الهية موحاة حقاً : « من لا يحب اخاه فهو قاتل » ، وسليل قايين وخليقة الشيطان ، لا يعرف قلب الله ولا يعرف رجاء الكاملين ، هو عاجز عن الايلاد والخلق ، ليس غصناً من الكرمة السماوية الابدية ، هو مقطوع وعليه ان ينتظر النار الشديدة الاضطرام .

اما انت فتعلم طريق الكمال التي يعرضها علينا بولس الرسول لبلوغ الخلاص .

المحبة لا تلتمس ما هو لها ، ولكنها ، بعكس ذلك ، تغمر اخاها وإليه تندفع شوقاً ولاجله تمتلىء جنوناً متزناً . المحبة تسدل ستاراً على كثرة الخطايا . المحبة الكاملة تشجب الخوف ، لا تتباهى ولا تنتفخ ، ولا تفرح بالظلم بل تفرح بالحق ، وتعذر كل شيء ، وتصدق كل شيء ، وترجو كل شيء ، وتصبر على كل شيء . المحبة لا تسقط ابداً ، اما النبوآت فستبطل ، والالسنة ستزول ، والشقاء سيبقى والذي يثبت الان هو الايمان والرجاء والمحبة . هذه الثلاثة اعظمها المحبة . وذلك حق . لان الايمان يبطل عندما نرى الله وجهاً لوجه . والرجاء يبطل عندما يملك موضوعه . اما المحبة فهي جزء مكمل للكل وتتأجج اكثر فاكثر عند بلوغها الكمال بالذات . ان كل من يغذي نفسه بهذا يمكنه بازدياد محبته وتوبته الصادقة ان يكفر عن خطاياه ، وان كان قد حبل به بالخطيئة واتى كثيراً من الاعمال المحرمة .

الجمال جمال الروح لا المادة

ان النساء اللواتي يصرفن همهن في تجميلهن الخارجي فقط لا يشعرن بانه فيما يزين جسدهن تظل نفوسهن مهملة ، شنيعة عقيمة .

تلك هي هياكل المصريين : ان غابة مقدسة ، واروقة طويلة ، ودهاليز رحيبة توصلك اليها ، واعمدة لا تحصى تحمل القبة العالية ، والجدران المغطاة

بالاحجار الكريمة والرسوم الفنية ترسل في كل الجهات ضياء يبهر نظرك. وهذه العظمة لا ينقصها شيء . ففي كل مكان فضة وفي كل مكان عاج . وتتعجبون حقاً كيف ان الهند والحبشة تتمكنان من تحصيل غنى يكفي لهذه الحاجة . غير ان بيت المقدس ما زال بعد محجوباً عن الانظار تخفيه احجبة طويلة من الارجوان مغشاة بالذهب والحجارة الكريمة . فاذا اخذ منك هذا المنظر العظيم مأخذه وحلمت في منظر اعظم ، وتقدمت وسألت ان ترى وجه الاله الذي من اجله بني هذا الهيكل الفخم، واذا حضر احد الكهنة «مقربي الذبائح» الذين يقطنون الهيكل ، رأيته شيخاً جليلاً رصيناً يرفع حجاب المقدس ، منشداً الاناشيد الروحية كما لو انه سيريك الهاً . ولكن عاطفة مرة تعقب في نفسك الاعجاب المغلوط . فهذا الاله الجبار الذي تطلبه ، وهذا المثال العظيم الذي تسرع لرؤياه ، انما هو هر ، هو تمساح ، هو حية او مسخ شنيع. لا اقول انه ليس اهلاً لسكنى هيكل ، بل ان مسكنه الوحيد يجب ان يكون في ظلمة الكهوف او في اوحال مستنقع وسخ . فاله المصريين مسخ يتمرغ على طنافس من ارجوان . اليست هنا صورة تلك النساء اللابسات الذهب اللواتي لا يعرفن الملل في تفكيك ضفائر شعرهن ، والخدود تبرق تصنعاً وحواجب العينين مطلية بالالوان المفتعلة ، فانهن يستعملن في تزيين جسدهن وفتن الانظار الفن المغشوش الخداع الذي يستعمله المصريون لجلب العباد للمسخ الذي يدعونه الههم . فلو رفعتم حجاب هذا الهيكل وخرقت عيونكم حجاب هذه الثياب الارجوانية ، هذه الحلى ، هذا التصنع ، هذه الالوان التي تمشيها وتملأها ، لو حرصنا على الدخول الى نفوسهن املاً منا في ان نجد جمالاً حقيقياً يكون صدى لهذه الازياء ، انا اعلم ان ما نجده سننفر منه ونقبحه . وهذا الهيكل العظيم المدنس لا تسكن فيه صورة الله .

انكم عبثاً تفتشون عنها لان روح الكبرياء والخلاعة قد حلت محلها فاصبحت شبيهة بالبهيمة الدنسة المزينة بزينة بهية، تلك التي كانت مصر ترفعها على مذابحها .

مظاهر النشاط الادبي

لمحة نقدية

بقلم فؤاد افرام البستاني

عموميات

ينقضي الموسم ، ولا ينقضي جناه . ويفنى النغم ، ويظلّ صداه العذب على تردّد في آذان المعجبين .

ذكرت هذا ، وقد تناولت مؤخراً عن دمشق كتاب « اوج التحرّي عن حيثية ابي العلاء المعرّي » ليوسف البديعي ، فكان حلقةً اخيرة من تلك السلسلة العلائية المتتابعة منذ ان احتفل ادباء العربية ، سنة ١٩٤٤ ، بمرور الف سنة على مولد ضرير المعرّة . فظهر فيها السفر الاول من آثار ابي العلاء المعرّي ، بعنوان « تعريف القدماء بابي العلاء » ، مطبوعاً في القاهرة سنة ١٩٤٤ ، باشراف الدكتور طه حسين ؛ ثم « رسالة الملائكة » للمعرّي بتحقيق محمد سليم الجندي ، في مطبوعات المجمع العلمي بدمشق سنة ١٩٤٤ ؛ ثم « المهرجان الالفي لابي العلاء المعرّي » في المطبوعات نفسها ، سنة ١٩٤٥ ، جمع وصف المهرجان الذي اقامه المجمع العلمي الدمشقي ، وما قيل فيه من القصائد والخطب . ثم عدد من الرسائل والابحاث لعلّ اطرفها « زوبعة الدهور » لمارون عبود في منشورات « المكشوف » ، بيروت ، ١٩٤٥ . واخيراً هذا الكتاب الذي خصّه يوسف البديعي ، من ادباء القرن السابع عشر ، بـ « رهن المحبسين »[1] ، أخرجه في مجموعة النصوص الشرقية من منشورات المعهد الفرنسي بدمشق ، الاستاذ ابراهيم الكيلاني ، اخذاً عن مخطوطة فريدة في المكتبة الظاهرية ، وصفها واشار

---

١) أوج التحرّي عن حيثية ابي العلاء المعرّي . تأليف يوسف البديعي . نشره ابراهيم الكيلاني في منشورات المعهد الافرنسي بدمشق : مجموعة النصوص الشرقية : الجزء الرابع ، دمشق ، ١٩٤٦ ، ص ٢٢ + ١٧٦ بقطع وسط .

الى ميزات كاتبها في اسلوبه وانشائه.

وقد قدّم عليه الاستاذ سليم الجندي مقدمة جامعة لخص فيها مضامين الكتاب ، مدوناً ما يستنتج منها عن ابي العلاء من انه « ذكيٌ تقيٌ أبيٌ شاعرٌ عالمٌ زاهدٌ . . . » (ص : ج) ، آخذاً على البديعي اعراضه عن « البحث عن نفسية الشاعر وفلسفته واغراضه في شعره ودرجة ثقافته الواسعة ومصادرها وعلاقة آثاره بحياته العلمية والعملية وعن آرائه في الحياة والمذاهب والنحل والنسل والمرأة وما شاكل ذلك . . . » ، نافياً ما يذكره البديعي من ان ابا العلاء رحل الى طرابلس وانطاكية واللاذقية ، حاملاً على من اقرّ صحة هذه الرحلات ، مثبتاً رحلته الى بغداد فقط .

على ان ابرز ما يهمّ الاستاذ الجندي هو ان يعيد ابا العلاء الى حظيرة الايمان ، فيشكر للبديعي انه «احسن الانتصار لابي العلاء ووفق في الدفاع عنه» ويشدّد النكير على من رماه بالزندقة والكفر والالحاد والتعطيل والسحر (كذا) ومعارضة القرآن ، والاستخفاف بالنبوات . ولم يكن ذلك الا حسداً وسوء ظن ، ولله ابو الطيب حيث يقول : اذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه (ص : ك .)

ويرى الاستاذ ان الذي وصل الينا من آثار ابي العلاء « مغمور بالشعور الديني طافح بالادلة على ايمان ابي العلاء وصحة عقيدته . وليس ما زُعم انه عارض به القرآن من المعارضة في شيء . انما هو تمجيدٌ لله ! » (ص : ك .)

واما ما في اللزوميات من ابيات لا تتفق وصحة العقيدة ودوام التقوى — ولا ننسَ «ان ابا العلاء كان يصوم الدهر ولم يفارق الصلاة حتى فارقته الحياة» — فهو مدسوس على الشاعر ، دون شك « فلا يؤاخذ به » . وهكذا ينتهي ابو العلاء ، بعد تطوافه بين العقائد المتباينة مدة الف سنة ، الى راحة الجنة « التي وُعد بها المتقون » . فتتحقق له على اكمل وجه ، « رسالة الغفران » التي لم يأتِ على ذكرها الاستاذ الجندي في تخريج ما قد يشكك فيه من آثار المعرّي . ولعله يعتبرها من الاعمال التقوية التي يقصد بها تمجيد الله !

الا انّ هناك بيتاً واحداً يقضّ مضجع الاستاذ في « تطويبه » المعرّي ، وهو قوله :

تحطّنا الايام حتى كأننا زجاج ولكن لا يعاد لنا سبكُ

بيد ان تأويله في متناول اليد ، اذا « لم نضف اليه المكابرة والتمرد » « لانه يريد لا يعاد لنا سبك في الدنيا لا في الاخرة ، لان الزجاج لا يعاد سبكه فيها » (ص : ل)

قلنا : أوَ لا يرى الاستاذ الجندي ، بعد كل هذا ، ان ابا العلاء جدير « بالترضية » نكفّر بها عما نعته به السلف حسداً وافتراء من نعوت الكفر والالحاد و « الخمرنة » — كما في قول ياقوت — فنعوّد الناشئة ، اذا ما ذكرت اسمه ، ان تردفه بالقول « رضي الله عنه ونفعنا بعلمه وتقواه » !

ولنعد الى البديعي فنجد ان اثره جليل القيمة ، على ضعف تأليفه ، وتفاوت اسلوبه . وهو في عصر زال فيه الابتكار[1] ، وتكاثفت ظلمات الانحطاط ، ولم يبقَ للمؤلف الا الاختيار والجمع . وقد جمع البديعي عن ابي العلاء فاوعى ، وذكر معلومات دقيقة عن حياته ومآتيه ، ونماذج صالحة من آثاره الشعرية والنثرية ، منها المعروف المتداول ، ومنها النادر النفيس ، ومنها غير المعروف في زمننا ككتاب « الالغاز » اورد منه للمؤلف اثنين وعشرين بيتاً في النعامة والنجم والثريا والكعبة . . . فكان له فضل الدلالة عليه ، وللاستاذ الكيلاني فضل اخراجه بالطبع ، وخدمته خدمة نقدية بالغة في التقديم والتعليق والتحشية والعرض والفهرسة .

محاضرات

ومن محصولات سورية في هذه الايام ثلاث محاضرات القاها ، في حلب ، الاب متوديوس زهيراتي[2] ، امين سر المدارس الكاثوليكية السورية ، حول مشكلة التعليم الخاص في سورية .

جال في الاولى منها في حقوق المدارس الخاصة وواجباتها تجاه الحكومة . وانتقد في الثانية البرامج والكتب الجديدة . وخصّ الثالثة بالتعليم الحرّ في

١) توفي البديعي سنة ١٦٦٣

٢) لجنة المدارس الكاثوليكية السورية ، حلب ، ٥٤ ص . متوسطة ، مطبعة القديس بولس ، حريصا ، ١٩٦٢ .

العالم المتمدن . ألقيت هذه المحاضرات في حقبة يضطرب فيها العالم السوري في تطبيق برامج جديدة اقلّ ما يقال فيها انها جاءت ثمرة التسرّع والاندفاع ، فظهر منذ السنة الاولى، ان نتائج تطبيقها لا تبعث على الاطمئنان الى مستقبل الثقافة السورية .

اما التعليم الحرّ فقد ضمنه الدستور السوري ضمانته حرية الاديان . على انّ واقع الحال كثيراً ما يقسر النصوص على اطاعة الرغبات والشهوات ، ولاسيما عندما تطغى الفكرة الخاطئة بجعل الفرد في سبيل الدولة ، وما كانت الدولة ولا غيرها من المؤسسات الاجتماعية والسياسية والادارية الا ادوات ووسائل غايتها القصوى مساعدة الانسان في استكمال انسانيته .

نستفيد من المحاضرات الثلاث معلومات قيمة عن التعليم في سورية خاصاً وعاماً ، كما نستفيد عناصر وافرة للمقابلة بين التعليم الحرّ في سورية اليوم ، وفي غيرها من بلاد الله على عصور متفاوتة ، كهولندة وانكلترة ، واقتراحات وجيهة في ما يجب عمله للوصول الى المساواة بين التعليم الرسمي والتعليم الخاص.»

كل ذلك معروض باسلوب واضح واعٍ، مستند الى بعد نظر في الاستنتاج ، وجرأة بصيرة في عرض المشاكل ونقدها ، وعمق في المناظرة والمناقشة . وهو ما يجعل المحاضرات تتجاوز في فائدتها وواقعيتها حدود الدولة السورية ، واحرِ بجميع المشتغلين في اعداد مناهج التربية ودرس البرامج التعليمية في دول الشرق الادنى ان يطلعوا عليها ويقتبسوا منها اشياء واشياء.

وما دمنا في فنّ المحاضرات ، فلنشر الى المجموعة الثانية من « محاضرات الندوة اللبنانية» الظاهرة مؤخراً في بيروت[1] . والندوة اللبنانية مؤسسة ثقافية انشأها في بيروت الاستاذ ميشال اسمر،وقصد في انشائها تمكين المثقف البيروتي من السماع الى اشهر رجال العلم والادب في لبنان يحاضرون ، كل في موضوع اختصاصه، على دور السنة. وقد نظم سلسلته الاولى من خمس واربعين محاضرة في اهمّ مظاهر الادب والفن والتاريخ والاجتماعيات ، مع النظر في دساتير البلاد

(١) المطبعة الكاثوليكية ، ١٩٤٧ ، في ٨٦ صفحة متوسطة .

العربية المجاورة . وارصد هذه الشرة لتعميم اهم المحاضرات ، مظهراً منها حتى اليوم مجموعتين تناولت الاولى ثلاث محاضرات موضوعاتها : « رسالتي كنائب » للاستاذ كمال جنبلاط ، « لبنان في ما قبل التاريخ » لكاتب هذه السطور ، و« الحركة اللغوية في لبنان في الصدر الاول من القرن العشرين » للاستاذ امين نخله . وخصت الشرة الثانية ، باربع محاضرات واحدة منها بالفرنسية للرئيس الفرد نقاش ، جال فيها جولة جد موفقة في « المشكلة الدستورية في لبنان » . وثلاث بالعربية موضوعاتها « الابجدية الفنيقية وانتشارها » للامير موريس شهاب ، و« الصحافة في لبنان في مطلع القرن العشرين » للشيخ فؤاد حبيش ، و « القصة والتمثيل في لبنان في مطلع القرن العشرين » للاستاذ رئيف خوري .

دقق الامير موريس شهاب في الفرق بين الكتابة الابجدية وما كان معروفاً قبلها من كتابات تصويرية ومسمارية كانت قاصرة عن التعبير عن المعقولات ، عاجزة عن كل عمل تجريدي من شأنه ان يقود الى العلم الصحيح المبني على التعميمات فعلى النواميس العامة . « لذلك اقدم الفنيقي على ما لم يجرؤ ان يقدم عليه غيره . أقدم كالكيماوي على تحليل نبرات الصوت ، فاتخذ منها ابسط مركباتها وانشأ رموزاً لهذه المركبات ، حصرها في اثنتين وعشرين نبرة لا غير ، فعبر عن كل ما في اللغة من الرنات . ومما يثبت لنا حسن الطريقة الفنيقية هو ان هذا العدد بقي على ما كان عليه منذ آلاف السنين . فلم ترَ الانسانية من حاجة الى زيادته . ولم يضف اليه ، رغم مرور الازمان وتعدد لغات الشعوب التي اقتبست الابجدية الفنيقية ، سوى عدد قليل من الاحرف لا يتجاوز اصابع اليد »

وتتبع الامير المحاضر انتشار هذه الابجدية في العالم الغربي اولاً من الشواطئ الفنيقية الى بلاد اليونان والطرواديين ، الى سواحل افريقية الشمالية ، الى صقلية وايطالية ، الى البالبار واسبانية ، الى ما وراء الهرقليات . وتتبعها شرقاً الى مملكتي اسرائيل ويهوذا في فلسطين ، الى مملكة ارام في دمشق وما وراءها . وهكذا « نرى الابجدية الفنيقية في القرن التاسع قبل الميلاد منتشرة من شواطىء البحر الاطلسي الى ضفاف الفرات وحدود البادية . »

فندرك « ما للفنيقيين من فضل على العالم » .

اما نصيب الصحافة فكان بحثاً طريفاً لصاحب «المكشوف» عرض فيه لتاريخ الصحافة، وتحديد ما كانت عليه عندما كانت اداة ثقافة نافعة؛ وما صارت اليه في عصرنا، عصر السرعة ، حتى صح فيها وصف ادريان هبرار، احد اصحاب جريدة « الطان » ، اذ قال : « يجب ان يُفكَّر فيها وتُكتب وتُنضد وتطبع وتقرأ ويُحفظ مضمونها ويُنسى في النهار نفسه » . وتناول المحاضر المراقبة على الصحف بالتهكم اللاذع كما تناول التعطيل الاداري بالشجب الحاسم ،خاتماً بقول دجيفرسن: «نفضل لبلادنا صحافة بلا حكومة على حكومة بلا صحافة . »[1]

منشورات تعليمية

ومما يلحظه مراقب النشاط الادبي في لبنان اليوم اقبالٌ واسع على نشر الكتب التعليمية، من الدروس الابتدائية حتى الفلسفية. وآخر ما وصلنا من ذلك « اخوان الصفا. »[2] وهو « درس تحليلي لفلسفتهم مذيّل بمنتخبات من رسائلهم » من قلم الاب يوحنا الفاخوري اليسوعي ، استاذ الاداب والفلسفة العربية في المدرسة اليسوعية في حريصا . وقد وفق المؤلف ، والحق يقال، الى اظهار الميزات الخاصة بهذه الفلسفة الانتخابية التي كان تأثيرها العملي في

---

١) بعد كتابة ما تقدم ، ظهرت النشرتان الثالثة والرابعة من «محاضرات الندوة» وقد تضمنتا :

النشرة الثالثة : ثلاث محاضرات (٧٨ ص . متوسطة) :

الاساس الفلسفي واللاهوتي المحتوم في ضمة لبنانية ، للاستاذ سعيد عقل .

تاريخ المملكة العربية السعودية واوضاعها الدستورية ، للاستاذ يوسف بزبك .

تاريخ الحضارة الفنيقية واشعاعها ، للسيد عزيز غازي (بالفرنسوية) .

النشرة الرابعة : ثلاث محاضرات (٥٢ ص . متوسطة) :

فلسطين في معترك السياسة العالمية ، للاستاذ نجيب صدقه .

الشعر في لبنان في مطلع القرن العشرين ، للاستاذ صلاح لبكي .

لبنان في مهب مقدراته ، للاستاذ شارل عمون (بالفرنسوية) .

٢) سلسلة « فلاسفة العرب » : ٢ ، مطبعة القديس بولس ، حريصا ، ١٩٤٧ ، في ٤٦ ص . متوسطة .

تعميم عادة التفكير اوفر من قيمتها الفكرية الاصلية ، بعد ان قدّم كلمة في ماهية الجمعية وغايتها ومرامي اعضائها ، وعدد رسائلها وانتشارها ، وموضوعها ومضامينها ، ومصادرها المتنوعة ، وفق في ذلك لاستناده الى اسلوب علمي صحيح في الدرس والمناقشة، ولاستقائه المواد من مظانها الاصلية، اي الرسائل نفسها ، لا مما قيل فيها وحولها ، فجاء عمله مفيداً نافعاً .

وكان بودنا ان نقول القول نفسه عن عدد من النشرات التعليمية في مختلف المواد تظهر حيناً بعد حين . الا انها في مجملها بعيدة عن الروح التعليمية والاسلوب التربوي ، لما يعوزها من تحقيق علمي، وتدقيق في البحث ، وتحفظ في الاحكام ، ولما يشوبها على الغالب من اندفاع صحفي خطابي .

ذكريات

رحم الله من قال :

« والذكريات صدى السنين الحاكي ! »

فلنسمع اذاً لغتنا العربية ترجع اليوم صدى مائة من هذه السنين تحكي تطوراتها ، منذ مولد امامها الاكبر ، وابنها الابرّ ، وخادمها الغيور ، الساهر بعين يقظى على حفظها وانمائها ، ورعايتها في السير نحو التعبير العصري الى جنب لغات الثقافة الانسانية ، الا وهو ابراهيم بن الشيخ ناصيف اليازجي . ولد الشيخ في بيروت في الثاني من اذار سنة ١٨١٧ . وما هو ان دخلت السنة الحالية حتى اخذت الاوساط الادبية في لبنان ، وخارج لبنان ، تتحفز للاحتفال بالذكرى المئوية استعادةً لشخصية اليازجي الكبيرة ، واعتباراً باثره البعيد في نهضتنا الحديثة . وكان من نصيب مجلة « المسرة» الصادرة في جريصا ، ان تكون السابقة الى نشر بعض الدروس اليازجية في عدد ممتاز ظهر في ايار ، خاصاً بذكرى الشيخ[1] ، محتوياً على عشرة ابحاث في حياته ، وفي مختلف مظاهر نشاطه العلمي واللغوي، وعلى قصيدتين عاطفيتين ، وشذرات من اقواله وآرائه .

اما الابحاث فقد بدأت بوصف سريع لكاتب هذه السطور ، ألمّ فيه

---

١) مطبعة القديس بولس ، جريصا ، لبنان ، ٨٠ ص. متوسطة .

بمظاهر النهضة اللبنانية في منتصف القرن الماضي ، زمن نشأة الشيخ ابراهيم ، اذ كان لبنان باسره يختمر بنهضة فكرية شاملة ، في مدنه وقراه ، في مدارسه وديورته ، في مطابعه وانديته وبيوت معلميه . فتتعدّد مراكز الاشعاع الثقافي في بيروت خاصة ، من زقاق البلاط ، وفيه منزل الشيخ ناصيف اليازجي ومدرسة المعلم بطرس البستاني ، ومقرّ الارسالية الاميركية ، الى حيّ الصيفي ، وفيه مقرّ الرسالة اليسوعية الاولى ، ومركز مطبعتهم ، الى حيّ مار مارون ، وفيه منزل مارون النقاش ، والد المسرح العربي . وتتكاثر الكتب المنشورة في جميع مناحي الفكر ، من اللاهوت والفلسفة الى انواع العلم الحديث ، الى اللغة في قواعدها وفنونها ، الى الشعر والادب ، الى القصص والروايات . في هذا الجوّ العابق بالشعر المتسامي ، المختمر بالتأمل المتتابع والتفكير الرصين ، المشعّ ببوارق البراهين في المجادلات ، نشأ ابراهيم بن ناصيف بن عبدالله اليازجي .

اما اصل اسرته ، فقد تولى الاستاذ عيسى اسكندر المعلوف مهمّة الجلاء عنه . فجزم بانها حورانية المنشأ ، تفرّق افرادها في جهات حمص ، وحصن الاكراد ، وامّ فريق منهم لبنان في اواخر القرن السابع عشر ، ونزلوا الساحل الغربي من الشويفات الى كفرشيما الى بطشيه . وفي لبنان انتقلوا من المذهب الارثوذكسي الى الكاثوليكي . وظلوا عليه . واما اخلاق الشيخ وصفاته فقد ألمّ ببعضها الاستاذ المعلوف نفسه ، وتوسع في البعض الآخر الثيكونت فيليب دي طرازي مستعيداً « ذكرياته اليازجية » منذ ٧٦ سنة ، بادئاً بأتم الشيخ ناصيف سنة ١٨٧١ ، والثيكونت ، اذ ذاك على مقاعد المدرسة ، يشارك سائر التلامذة في تشييع الراحل الكبير ، « وكلٌّ منهم يحمل بين يديه كتاباً من تآليف الشيخ » ؛ منتقلاً الى ذكر اساتذته من الاسرة اليازجية ، خاصاً الشيخ ابراهيم بمعلومات عن مواهبه التصويرية الفنية ، عارضاً ثلاث لوحات بريشته صور في الاولى نفسه ، وهو جالس امام المرآة ، وفي الثانية اخته الشاعرة وردة ، وفي الثالثة الدكتور يوسف الجلخ . واللوحات الثلاث في معرض دار الكتب الكبرى في بيروت . ويزور الثيكونت الشيخ ابراهيم في مصيفه ، فيصف لنا قرية « شويت » الهادئة ، البعيدة عن صخب المصايف ، وضجيج المدن . ويمثل

لنا الشيخ ، وقد فوجئ احد الايام « مفاجأة عذبة » بزيارة عدد من اصدقائه ومريديه منهم الشيكونت،والشيخ ابراهيم الحوراني ، والشيخ عبدالله البستاني ، والشيخ اسكندر العازار ، والدكتور اسكندر البارودي ، والاستاذان جبور سعد وحبيب الجارة ، فيستقبلهم في فناء بيته المظلل باشجار السنديان والصنوبر « حيث كان يدخن النارجيلة ويتناول الطعام » .

ويخصّ الاستاذ عارف بك نكد قسماً من بحثه باخلاق اليازجي مفصلاً بعض خلاله . واذا به ، كما يظهر من ابحاث الاساتذة الثلاثة المذكورين ، على كثير من « الشمم والاباء ، وعزّة النفس ، والاخلاص لصحابته وذوي قرابته . » يترفع عن اكبر المناصب في زمنه وبيئته . « على ان الشيخ كان في انتقاداته ومناظراته شديداً عنيفاً ، حتى كان يتعدّاها احياناً الى المباترات والمطاعن الشخصية . وهو مما يؤخذ على مثله كثيراً . وحمله هذا الاباء على مخاصمة كثيرين ، مخاصمة كان في غنى عنها . وكان ، الى جانب ذلك ، حلو الحديث ، لطيف المعشر ، ظريف النكتة » ، مخلصاً في كل ما يعمل ، مندفعاً في اتقان كل ما يباشر . وعلى الجملة يرى الكاتب ان « عظمة اليازجي في انه صاحب رسالة آمن بها ، فأعطاها نفسه ، ووقف لها حياته ، عاملاً مخلصاً ، غير متغير ولا مبدل ، كذلك كان في الشام ايام شبابه ، وكذلك كان في مصر ايام كهولته ، وهو رجل ما استهوته المناصب وقد عُرضت عليه ، ولا هفت نفسه الى ثروة وقد امكنته الايام منها . »

وقد تجلّى نشاط اليازجي في اللغة اولاً . وهو ما اشار اليه الاستاذ النكدي في المقال نفسه ، دالاً على ان الشيخ اصاب موضع الداء في تشخيصه مرض العربية ، واحسن وصف الدواء . اما الداء فادعى مظاهره الى القلق والايجاس هذا التفاوت الذي نراه بين لغة الكتابة ولغة التخاطب حتى اصبحت اللغة اليوم وكأنها « لغة قوم آخرين ، لذهابها عن الالسنة من عهد عبيد ، وايداعها بين الواح من المصاحف لا تبدي ولا تعيد ... وان اللفظ انما وضع ليكون مسموعاً لا منظوراً ، واشخاصه انما هي الاصوات الناطقة لا الرسوم الصامتة . فكيف يتأتى لهذه المناجيات السرية ان تتغلب على المناغيات

الجهرية ، مع تواترها على حواسه : في المعاشرات اليومية ، والمحادثات البيتية . . .

« قلنا وبهذا يتميز كتاب الاعاجم على كتابنا . فان الكاتب منهم لا يتكلف في الالفاظ والتراكيب صوراً غير ما يجري به لسانه في المخاطبات المألوفة . فالمترسل منهم والخطيب والكاتب والامي والشيخ والغلام ، له لغة واحدة لا تتفاوت الا في المعاني ووجوه الخطاب وسائر القوالب اللفظية واحدة لا تتغير الا على جهة التأنق وطلب الايجاز والاطناب . . . .

« واين ذلك من حال الكتاب في لغتنا . . . حتى ان الكاتب منا بهذه اللغة لا يكاد يتميز عن الاجنبي فيها ، لبعدها عن لهجته ، وتناوله اياها بعد استحكام اللغة العامية منه ، وتمرز ملكتها فيه . »

واما الدواء فيراه الشيخ في تأليف لجنة من ذوي البصائر السليمة ، والعلم الصحيح ، تتولى كتب النحو بمثل ما فعل مؤلفو مجلة الاحكام العدلية في الكتب الشرعية ، فيختارون من كل قاعدة اصح الاقوال فيها وامثلها ، لتكون مرجعاً لطلاب هذه الصناعة ، وتنبذ بقية الاقوال الساقطة والمذاهب المرجوحة » . ويفعل كذلك بكتب متن اللغة . . .

هذا وصف العلاج ، وقد مر عليه نصف قرن ، ولم يتكلف احد تطبيقه . . .

اللهم ما كان من مساع للشيخ نفسه في تقويم المعوج من لغة الجرائد ، واصلاح الفاسد من تعابير الكتّاب ، مما افاض بذكره الاب يوحنا الفاخوري في درس سماه « الشيخ ابراهيم اليازجي إمام اللغة العربية » ومثّل فيه على تدقيق الشيخ في اصول اللغة ومدلولات صيغها وتسلسل المعاني في مشتقاتها ، مع التلميح الى ما اثارته دقة الشيخ وتشدده من مناظرات جمعت بين حسن المناقشة وسوء المهاترة .

وقد كان لصاحب البحث جولة سريعة في اسلوب الشيخ لم يتوسع فيها لانصرافه الى تحديد قيمته اللغوية . واسلوب الشيخ ، كما لا يخفى ، اس شهرته الانشائية ، واروع ما ترك من اثر في الادب العربي . ونحن لا نخال كاتباً عربياً منذ عهد ابن المقفع وبديع الزمان ادرك ما ادركه الشيخ من سر اللفظة المفردة في مجموع الجملة[1] . . .

---

١) راجع بحثنا في ذكرى الشيخ ابراهيم اليازجي في « البشير » ، ٢٨ شباط ١٩٤٧ .

ومما لفت نظرنا ، في هذا العدد الممتاز ، كلمة لخليل بك مطران حدّد فيها بايجاز بليغ فنّ اليازجي في جميع مآتيه ، فدعاه « مذهب الاتقان » . وكأنه اتمّ بهذا الدرس ما اشار اليه الاستاذ المعلوف ، في بحثه المذكور سابقاً ، من ميل الشيخ ميلاً طبيعياً الى الفنون الرفيعة كالموسيقى والشعر ، والتصوير ، والنحت ، وعلى الجملة الى كل ما يخرج الفكرة والعاطفة بالتمثيل الحسي الجميل . وهذا الميل لا يفرض الاختراع والابداع ، ولا يعتمد على السرعة والارتجال . ولهذا كان الشيخ « لا يخلق جديداً ولكنه يتقن ما يصنعه الى حدّ انك تعزوه اليه وتعرفه بطابعه . ولهذا لم ينظم مرتجلاً ، ولم يكتب الا محتفلاً . »

ثم نبذة للاستاذ جبران النحاس دعاها « الشيخ ابراهيم اليازجي وشعر ابي الطيب وطلوع الكواكب » اظهر فيها معرفة الشيخ بموعد طلوع السماك — والشيخ من علماء الفلك — وتطبيقه ذلك في شرح بيت المتنبي :

اذا سِرنا وفي تشرين خمسٌ رأوني قبل ان يَرَوُا السِماكا

شرحاً خالف فيه سائر الشرّاح لانهم لم ينتبهوا للمقصود بطلوع الكواكب .

وشاء الاستاذ انيس الخوري المقدسي ان يجعل من « اليازجي الشاب شاعراً قومياً » فوجد في شعره ابياتاً تدلّ على ذلك . الا انه « لم يدرِ تماماً متى أقلع عن السياسة وحصر جهوده في اللغة والادب . »

وخُتمت ابحاث المجلة بمقال اجمالي في « جهاد الشيخ ابراهيم اليازجي » للاستاذ ابي بكر الشدري ، وبمعلومات مفيدة في وفاة الشيخ وجنازته ، ونقل رفاته ، ونصب تمثاله ، وبثبت يكاد يكون كاملاً جمعه الاستاذ يوسف اسعد داغر في المصادر والمراجع لليازجيين في الادب العربي . اما القصيدتان فاولاهما للدكتور عبد المسيح محفوظ ضمّن فيها اشهر آثار اليازجي ، والثانية للاستاذ بديع فارس القارح ذرف فيها دمعةً عن كفرشيما بداعي الذكرى المئوية .

هذا عرض سطحي لمضامين العدد الممتاز الذي خصّ بالذكرى اليازجية . ولا يخفى ان كل ناحية من نواحي نشاط الشيخ تتطلب عدداً برأسه من الدرس والتمحيص . وقد اطلنا في هذا البحث لعلنا ندفع ادباءنا الى بذل

شيء من جهودهم هذه السنة في الابحاث اليازجية . ونحن على يقين ان الحكومة اللبنانية ستقيم اسبوع دراسات تتناول الشيخ ابراهيم معلماً ، ولغوياً، ومنشئاً ، ومعرّباً لترجمة الكتاب المقدس ، وشاعراً ، على مقياس الشعر في مطلع القرن العشرين ، وذا مشاركة في مختلف العلوم جعلت منه صاحب اثر باق في نهضتنا الحاضرة . وليس بعيداً ان تجمع هذه الدراسات في مجلد واحد يدوّن اعتراف الحفدة بفضل السلف الصالح .

ومن الذكريات الادبية التي يجدر بنا احياؤها، هذه السنة ،ذكرى مئوية اخرى لظهور اول جمعية علمية في الشرق المعاصر . هي « الجمعية السورية » التي انشئت في بيروت ، سنة ١٨٤٧، على يد المعلم بطرس البستاني والشيخ ناصيف اليازجي وبمساعدة المرسلين الاميركان ولاسيما الدكتور عالي سميث .

وتحتفل بيروت كذلك بذكرى مرور مائتي سنة على مولد شاعرها في القرن الثامن عشر واوائل التاسع عشر، عنينا به السيد احمد العريبر .

وهناك ذكرى الخمسين سنة على وفاة جمال الدين الافغاني، من رجال النهضة السياسية والاجتماعية . وذكرى الخمسين كذلك على وفاة امين الشميّل،صاحب المباحث الاشتراعية النفيسة ، ومؤسس اول مجلة قضائية في اللغة العربية .

قدّرنا الله على احياء ذكراهم خالدةً ، وعلى الاقتداء بهم في العمل الدائب والجهاد المخلص .

ظرفيات

ومن الاعداد « الممتازة» الظاهرة حديثاً عدد اصدرته مجلة « الهلال » في شهر حزيران . اما امتياز « المسرة » فكان احتفاء بالذكرى المئوية الاولى لمولد الشيخ ابراهيم اليازجي ، كما قلنا . واما امتياز « الهلال » فلا ندرك له سبباً ، الّا ان يكون الرغبة في توجيه مصر « الى الامام ! » وفقاً للخطاب الوطني الذي افتتح به العدد رئيس التحرير احمد زكي بك ، ونظمه في مقطعات اربع خليل مطران ، والعوضي الوكيل ، واحمد الزين ، وحسن كامل الصيرفي . ولعل الشعار المذكور كان الدافع في تنظيم تلك

السلسلة من الآراء في عالم الغيب « كفتيات مصر بعد جيل» للسيدة امينة السعيد، و «المازني بعد عشرين سنة » للمازني نفسه ، و« اخلاق جديدة في عالم جديد » لاحمد امين ، وعاصمة الشرق العربي ، اي القاهرة ، كيف تكون غدا ؟ للاستاذ كمال اسماعيل ، ومساكن « المستقبل» عن مجلة « اميركان ويكلي »؛ و« وصايا الجيل الجديد » للاستاذ عباس محمود العقاد ، وافكه الافاكيه في موضوع الغيب هذا « الانسان بعد آلاف الاعوام » المنقولة عن مجلة « سينس دَيجست » . يتخلل ذلك مقتطفات من الصحف الاجنبيـة ، ومقاطع لبعض كبار الكتاب،واحصائيات مصورة، وصور«ملونة لكواكب الغد» .—وليست الكواكب هنا من عالم الفلك ، على رغم انتظامها بالهلال ، انما هي من عالم هوليود — وقصص ، وحكايات ،واحاجي،وحزازير، واكتشافات بهيجة،كذلك الطعام العجيب الذي « يتغذى به المُلخ» « فيصبح الاغنياء اذكياء» ، وغير ذلك من الفكاهات والنوادر التي يطّلع عليها الصديق المجامل، فيقول قول الاستاذ عباس محمود العقاد :« الهلال يُيسّر المعارف ولا يبتذلها » ، ويمعن فيها الناقد البصير فيقول : رحم الله جرجي زيدان !

ومن الابحاث الهلالية، في هذا العدد ، موضوع يدعو الى التأمل والاهتمام الرصين ، وهو ترجمة القرآن . هل تصحّ هذه الترجمة ، وما هي شروطها ؟ وهل تكون حرفيةً ام معنوية ام تفسيرية ؟

وهل يجوز ان يبقى كتاب كالقرآن ، يستند اليه مئات الملايين في حياتهم الدينية والاجتماعية ، ولا ترجمة قانونية له في اللغات الاجنبية ؟

كلها اسئلة تحمل على التفكير والمقايسة بين ملكات اللغات المختلفة ، وتقدير ما قد ينقص من روعة الاثر بنقله ، وهل يعدل هذا النقص الممكن حرمان الفائدة من ترجمة الكتاب؟ كان منتظرًا من«الهلال» ، وقد عمد لمثل هذا الموضوع الخطير ، ان يفيه حقه من جميع الجهات . الا انه طرح السؤال على مَن لا يعرف الا اللغة العربية ، وهو الشيخ محمد عبد اللطيف دراز ، مدير عام الازهر الشريف ، فكان من حسن ادبه ان اعتذر بلطف عن الكلام في صلب الموضوع ، واخذ يحدّد لغوياً كلمة الترجمـة ، ويحكم حكماً عاماً

بانه « اذا كان المعنى قريباً من الاصل كانت ترجمته صحيحة ، وان لم يكن قريباً من الاصل كان كلاما لغواً ، وكانت ترجمته فاسدة . » (كذا !)

❁

ومن المنشورات الظرفية مجموعة خطب ومقالات عاطفية القاها وكتبها في مناسبات مختلفة الاستاذ نبيه امين فارس ، ونشرتها له «دار العلم للملايين» في بيروت ، بعنوان « العرب الاحياء »[1] . والكتاب لطيف المظهر ، خفيف المحضر ، يكاد يكفي الابتدائيين في تغذية بعض العواطف . الا ان الباحث الجادّ لا يسعه الا تحقق الضعف التاريخي والاضطراب العلمي في فرضيات المؤلف ، والتعامي عن وقائع الامور ، وذاك الميل الساذج الى فرض التاريخ كما يريده الكاتب لا كما كان في الحقيقة .

❁

وفي بيروت مجلة اسمها « صوت المرأة » تنشرها جامعة نساء لبنان ، وتحاول ان تجمع فيها ، في مظهر أنيق ، ما يؤول الى تسلية المرأة وافادتها . بيد ان كثرة المقالات « الرجالية » فيها دفعت بعضهم الى استحسان هذا « الحسّ » فقالوا ان نغم المجلة اقرب الى « صوت الرجل » منه الى « صوت المرأة » . وكأنهم تجاوزوا الحكم الى القول ان « ليس في لبنان اديبات » . فقامت المجلة تردّ عليهم في مطلع عددها الاخير . ونشر رئيس تحريرها — وهو رجل — صفحةً قال فيها « ليس في لبنان ادباء » . وهكذا خلت الساحة من المتبارزين !

استنتاجات

ان يكن صحيحاً القول المأثور : « وصاحب البيت ادرى بالذي فيه » . فقد يكون صحيحاً كذلك ان المراقب عن بعد ، وان غريباً ، يتناول بلمحاته الفسيحة ، ونظراته العميقة ، من شمول البحث ودقة الدرس ما قد يفوت صاحب البيت نفسه . هي حالة بعض المستشرقين في درس شؤوننا ، اذا ما خلصت منهم النية ، وصحت المعرفة ، واستقام الحكم . وقد لا نعدم في كلامنا اليوم ، امثلة على ابحاث هؤلاء العلماء نذكرها نشراً لفضلها ، ودلالةً

١) ١١٢ صفحة صغيرة ، بيروت ، ١٩٤٧ .

لني قومنا على بعض مظان في شؤون تهمهم وتفيدهم.

ونبدأ بالاشارة الى كتاب في المدخل الى اللاهوت الاسلامي (*Introduction à la théologie musulmane*) يعده لويس غارديه (L. Gardet) بمعاونة الاستاذ قنواتي . وقد اقتطع منه نحو الثلاثين صفحة نشرها في مجلة « ديار الاسلام » (*En Terre d'Islam*) الصادرة في ليون ، اربعة اجزاء في السنة . والمقال يقع في اول الجزء الاول من سنتها الحاضرة [1] . اما موضوعه فأدلة النقل وادلة العقل في اللاهوت الاسلامي ، تناول فيه الباحث المذاهب الكلامية التي نشأت في الاسلام منذ عهد المعتزلة الى الاشعرية والماتريدية ، وما اثرته في الاولى نظريات القاضي الباقلاني ، الى رد الفعل الحادث على اثر انتشار الآراء الفلسفية على يد الفارابي وابن سينا ، الى بناء الغزالي ، الى مؤلفات الرازي والتفتازاني والجرجاني ، حتى ينهي الطواف برسالة التوحيد للشيخ محمد عبده . يدقق في كل ذلك مستخرجاً التحديدات والشروح في علمي التفسير والكلام ، مناقشاً قيمة الاحاديث ، معدداً المبادئ الصالحة في استخدام الاحاديث مصادر للتفسير او اصولاً للفقه ، مشيراً الى قيمة « الخبر » ، والى نصيب الاجماع من اصول الفقه ، منتهياً « بالعقل » ودوره في اقرار النظر والقياس والرأي والعُرف . كل هذا في اسلوب سهل واضح طالما عوّدناه غارديه في ابحاثه عن الغزالي خاصة ، وتساوق العقل والايمان في فكرته .

ولا نشك في ان مريدي هذه الابحاث الفلسفية اللاهوتية يسرّون اذا اعلناهم بقرب ظهور المجلد الثالث من كتاب ابن رشد في « تفسير ما بعد الطبيعة لارسطو » الذي يُعنى باخراجه في المطبعة الكاثوليكية ، على اتمّ ما يمكن من التدقيق العلمي والتجهيز النقدي ، الاب موريس بويج اليسوعي (M. Bouyges) ، اشهر من يُذكر اليوم في نشر نصوص الفلسفة الاسلامية ، وذلك منذ السنة ١٩٣٨ ، وفيها اصدر الجزء الاول في ٥٠٤ صفحات ،

(١) Louis Gardet, *Arguments d'autorité et arguments rationnels en théologie musulmane.* — *En Terre d'Islam*, 3e série, n° 37. 1947, 1er trimestre, p. 3-29

ثم اصدر الجزء الثاني سنة ١٩٤٢ في ٨١٤ صفحة، واخيرا هذا الجزء الثالث في نحو الالف صفحة ، مشتملا على الفهارس الواسعة ، والمقابلات بين جميع الروايات في المخطوطات المختلفة ، مع الاشارات الى الترجمة العربية الاصلية التي استند اليها ابن رشد في شرحه ، والى ما يقابلها من نص ارسطو . يظهر ذلك لاول مرة ، فينيل الاختصاصيين بهذه الموضوعات مادة من اصح المواد واضبطها اخراجاً ، ويلقي على عمل ابن رشد ضوءا جديداً يزيد في قيمة ذلك الذي عرفه الغرب باجمعه، في القرون الوسطى ، باسم « الشارح » على الاطلاق.

نضيف الى هذه الابحاث درساً عميقاً للدكتور زويمر الشهير في مجلة « العالم الاسلامي » (*The Moslem World*) اسماه « الله الاسلام والاله الموحى بيسوع المسيح . »[1] تتبع فيه فكرة التوحيد في نظر المسلمين من النصوص القرآنية حتى الاحاديث، حتى التفاسير المتأخرة .

۞

ولا ينحصر النشاط الاستشراقي الحاضر في عرض العقائد اللاهوتية او نشر النصوص الفلسفية ، انما هو يتناول جميع مظاهر الحياة الشرقية دينية كانت او ادبية او اجتماعية . ومن اهم المجموعات الحديثة في تسهيل معرفة الشرق الاسلامي خاصة مجموعتان انشئتا في باريس :

الاولى برعاية «معهد الدروس الاسلامية» في جامعة باريس وعنوانها «التمهيد الى فهم الاسلام » (*Initiation à l'Islam*) ظهر فيما حتى اليوم خمسة مجلدات :

١ً — المدخل الى تاريخ الشرق الاسلامي ، بقلم جان سوفاجيه .

٢ً — محمد : حياته وعقيدته ، منقولاً الى الفرنسوية عن كتاب تور اندريه (Tor Andrae) بقلم جان غودفروى دي مومبين (J. Gaudefroy-Demombynes)

٣ً — تاريخ الترك في آسية الوسطى منقولاً الى الفرنسوية عن تأليف بارتولد (W. Barthold) بقلم السيدة دونسكيس (Mme M. Donskis)

٤ً — المدخل الى درس تطور اللغات السامية ، بقلم الاب هنري فليش اليسوعي (P. H. Fleisch)

(١ Dr S. M. Zwemer, *The Allah of Islam and the God revealed in Jesus Christ.* — *The Moslem World*, october 1946.

واخيراً « مؤرخو العرب »[1] : صفحات مختارة ترجمها وعلق عليها جان سوفاجيه . وهي تتناول ٣٢ نصاً لاربعة وعشرين مؤرخاً من العصر العباسي الاول الى آخر عهد المماليك في مصر ، فتصوّر حياة البلاط ، واخلاق الخلفاء والامراء في اوقات جدّهم وساعات لهوهم وعبثهم ، ومآسي القصور ، واحوال الجنود، وتنظيم الادارات ، ووصف الولايات والامصار ، والحواضر ، والجوامع . وتنبغي الاشارة الى ان المؤلف لم يجهد فكره في اختيار اروع النصوص تأليفاً وارشقها اسلوباً . بل كان رائده العلم لا الادب فمثل مختلف الاساليب، وشتى الطرق . وقدم على كل نص درساً موجزاً كافياً في حياة المؤرخ ، وتحديد طريقته ، وقدر قيمته .

والمجموعة الثانية تنشر بادارة ليفي—بروفنسال (E. Lévi-Provençal) الاستاذ في السوربون . عنوانها «اسلام الامس واليوم» (*Islam d'hier et d'aujourd'hui*) وغايتها ان تعرض للاختصاصيين ، ولغير الاختصاصيين ، سلسلة من الابحاث الرصينة في العالم الاسلامي : ماضيه وحاضره : في الادب والتاريخ والمجتمع، وتطوّر الفكر، يقوم بتدوينها جماعة من كبار علماء الإسلاميات في فرنسة . ويظهر منها قريباً ، ان لم يكن قد ظهر : « المدنية العربية في اسبانية » ، و « اشبيلية الاسلامية » للاستاذ ليفي—بروفنسال نفسه .

وقد تناولنا مؤخراً في المجموعة نفسها ، الجزء الاول من كتاب المستشرق بلاشير في ترجمة القرآن الى الفرنسوية[2] ، في اكثر من ثلثمائة صفحة مخصصة للمقدمة وحدها . والحق يقال انه لجهدٌ جدير بكل تقدير يبذله الاستاذ بلاشير في درس المصحف درساً تاريخياً ، بادئاً بتحديد الموضوع ، معدداً الاسانيد التي من شأنها ان تفيدنا في درسه وشرحه ، منتقلاً الى بحث الكتابة والخطّ في الجزيرة العربية في فجر الاسلام ، مشيراً الى كتبة النبي ، والى ما كان

(١ J. Sauvaget, *Historiens arabes*, pages choisies traduites et présentées, 1 In.8°, 192 pp., Librairie d'Amérique et d'Orient, Adrien Maisonneuve, Paris, 1946.

(٢ R. Blachère, *Le Coran*. Traduction selon un essai de reclassement des sourates. Introduction. 1 vol. in-12, LIX + 273 pp., Librairie orientale et américaine. Paris, 1947.

يكتنف الكتابة في ذاك الزمن من نقائص فنية تجعل المستند الاساسي لحفظ الاثار انما هي الذاكرة .

وينتقل الى البحث في هل جُمع القرآن في حياة النبي ، فيناقش عنوان فصل من فصول ابن سعد : « ذكرُ من جمع القرآن على عهد رسول الله » فيشير الى ان «الجمع» هنا لا يفيد ضرورةً ما نفهمه اليوم من تدوين الاثر كله بالكتابة . انما معناه الارجح ان يكون الحفظ عن ظهر القلب ، فيكون معنى الفصل : « ذكر من كان يحفظ القرآن باجمعه على عهد رسول الله » . ويشير الى فرضية المستشرق كازانوفا المعلل عدم جمع القرآن في عهد النبي بانتظار المسلمين الاولين قيام الساعة قريباً .

ثم ينتقل الى ذكر المجموعات الاولى،فالى محاولة ابي بكر، فالى مصحف عثمان، مدققاً في خصائصه متتبعاً انتشاره ، ذاكراً ما أُدخل عليه من التحسينات الخطية كالإعجام وعلامات الاعراب لمزيد الضبط، وتلافي الاشكال والالتباس. وكان طبيعياً ان يقوده هذا الموضوع الى درس القراءات المختلفة فخصّ بها بحثاً واسعاً درس فيه ميزات القراء السبعة ، والعشرة ، والاربعة عشر ، مشيراً الى افضلية السبعة الاولين.

وتطرّق من ذلك الى وصف المصحف في حالته الحاضرة من حيث الاقسام، سوراً وآيات ، ومن حيث بعض الاصطلاحات الاملائية والإعرابية ، ثم من حيث الانشاء .

وبعد ان يذكر ما يقوله المعتزلة والخوارج في مصحف عثمان ، وموقف الشيعة منه ، ينتقل في فصل اخير واسع الى مصادر الدروس الاستشراقية في علوم القرآن : منها ما يؤخذ من علم القراءات ، ومنها ما ينيله علم التفسير ، فيتضافر العلمان على تسهيل فهم النصوص القرآنية . وينتهي بذكر الاساليب التي سار عليها بعض العلماء من المستشرقين في تأريخ السور والآيات مستندين احياناً الى « اسباب النزول » والى نظرية « الناسخ والمنسوخ » ، مستنتجين احياناً اخرى تاريخية النصّ مما يحمله من تلميحات واشارات الى بعض الاحداث السابقة او المعاصرة . وهكذا تمكن موير (Muir) وسبرنغر (Sprenger)

الانكليزيان ، وويل (Weil) ونولدكه (Nöldeke) وشوالي (Schwally) الالمانيون من محاولات تأريخية في ترتيب السور والآيات ، استفاد بلاشير من جميعها ، واضاف اليها ملاحظات خاصة . فرتب اقسام المصحف على اقرب ما يمكن من التسلسل التاريخي ، ثم قام بنقلها الى الفرنسوية نقلاً كلّفه الجهد البالغ والعمل الدائب .

وسيخرج النقل قريباً في مجلّدين يردفهما بمجلّد خاصّ بالتعليقات والملاحظات . فيكون عمله ، في المجلدات الاربعة ، افضل أثر يظهر في القرآن بلغة اجنبية .

۞

ولم تُعدم الحياة البدوية نصيباً في ابحاث المستشرقين الاخيرة فقد حمل الينا بريد هولندة ما دلّنا على ان الحركة الاستشراقية لم تتوقف فيها حتى في اشد ازمنة الحرب حرجاً ، فصدر في ليدن الجزء الاول من كتاب نفيس للاب هننغر (Henninger) الالماني[1] في موضوع العائلة الاصيلة في البيئة البدوية ، خصّه بجمع المعلومات والوثائق والنصوص المتعلقة بالحياة البدوية في عصرنا ، راقياً منها الى العصور السابقة التي تقوده الى درس حالة العائلة الاصيلة في الشعوب السامية . على انه يحصر تحرياته ، في هذا المجلد ، بالبدو الرّحل من رعاة الابل ، ورعاة الغنم ، الضاربين في بلاد العرب وما جاورها من العراق وشرقي الاردن ، اولئك البدو الذين اخذت تتكاثر المعلومات عن طرق معيشتهم منذ رحلة نيبوهر (Niebuhr) في اواسط القرن الثامن عشر (١٧٦١—١٧٦٥) الى اليوم . حتى ان المؤلف امكنه ان يستغل ٥٥٣ مصدراً ، فيوضح كثيراً من النقاط الغامضة في حياتهم العائلية والقبلية والاجتماعية والاخلاقية والقضائية في السلم والحرب ، والحلّ والترحال . على ان هناك نقاطاً كثيرة لا تزال بحاجة الى حلّ او ايضاح . من ذلك ما يتعلق باثر المرأة في المجتمع البدوي ، وهل يمكن الدفاع عن زعم القائلين بحق « الام » ، منذ ان اعلن ولكن (Wilken) نظريته بسيادة « الامومة » في المجتمع البدوي الاصيل ! ؟

---

(١) Dr Josef Henninger, s. v. d., *Die Familie bei den heutigen Beduinen Arabiens und seiner Randgebiete. Ein Beitrag zur Frage der ursprünglichen Familienform der Semiten.* VIII + 188 pp., 1 carte. E. J. Brill, Leyden, 1943.

ومن الابحاث في الشؤون البدوية درس الاب دي دنثيل (P. de Dainville) في مجلة «العالم الاستعماري المصور» (*Le Monde Colonial illustré*, N° 209, oct. 1946) بعنوان « على ضفة الفرات » لخص فيه اهم تحققات الاب شارل اليسوعي واستنتاجاته المدونة في كتابين مهمين خص الاول منها بدرس حياة القبائل رعاة الغنم في منطقة الفرات الاوسط ، والثاني بمحاولات تحضير البدو بين الفرات والبليخ[1] . ولا يخفى ما تنتج هذه المحاولات من ارتفاع في مستوى المجتمع السوري عامة .

❁

وتكاد افريقية تحتل القسم الاوفر من النشاط الاستشراقي في يومنا ، فتتوالى الكتب والابحاث في مراكش ، وسائر المغرب ، والصحراء ، والسودان .

من ذلك كتاب قيم ظهر في الدار البيضاء . وشاء تواضع المؤلف ، القومندان روبر أسبينيون (Aspinion) ان يسميه « مساهمة في درس الحق العُرفي البربري المراكشي »[2] . وهو في الحقيقة مجموعة ثمينة لاختبارات المؤلف في حياة ليست بالقصيرة قضاها بين قبائل زيانة في جبال مراكش ، فدرس عاداتهم ، واهتم خاصة باساليبهم القضائية في الفصل بين الخلافات على طريقة العرف والعادة الجارية منذ الاحقاب الطويلة . فاولانا فكرة واضحة عن مدلول العدل ومظهر القضاء في تلك المنطقة ؛ واولى ارباب الاختصاص بالشؤون الشرعية والقضائية مجموعة من المستندات ذات قيمة لا يستهان بها .

وهناك كتاب لهنري بوردو نشره في باريس بعنوان « وجه مراكش »[3] . وليس هنري بوردو مستشرقاً ولا دارساً مطلعاً الاطلاع الكافي على حياة الشرق

(١ H. Charles, s. j., *Tribus moutonnières du Moyen-Euphrate.* — *La sédentarisation entre Euphrate et Balih.*

(٢ C^t Robert Aspinion, *Contribution à l'étude du droit coutumier berbère marocain.* In-8°, 303 pp. Ed. A. Moynier, Casablanca, 1946.

(٣ Henry Bordeaux, *Le visage du Maroc.* In-8°, 310 pp., Colbert, Paris, 1945.

وشؤونه . الا انه كاتبٌ لبق ، وراوية لطيف السرد ، شائق الاسلوب . شاء ان يظهر فضل فرنسة على النهضة المراكشية . فاظهره الى ما وراء الحد . حتى تجاهل كل المشاكل الحاضرة التي يثيرهـا الحكم الاستعماري . فكان كتابه متفاوت القيمة ، بعيداً في الجملة عن الواقع الحالي .

اما الصحراء فكان من نصيبها كتاب جميل لجوزف تيرول (Therol) دعاه « شهداء الرمال »[1] احياء لذكرى من قضى في سبيل الانسانية والواجب في تلك الصحاري الافريقية اما قتلاً ، واما تشريداً ، واما بالكوارث الطبيعية المختلفة . فوصفهم وصور مصارعهم باسلوب جذاب ، منذ عهد الآباء البيض في ما بين السنة ١٨٧٦ والسنة ١٨٨١ ، الى فلاتير (Flatters) ورفاقه في سنة ١٨٨١ ؛ الى المركيز دي موريه (Mores) (١٨٩٦) الى الاب شارل دي فوكو الشهير (de Foucauld) (١٩١٦) الى الجنرال لابيرين (Laperrine) (١٩٢٠) ، مشيراً الى ما نتج من تضحياتهم من خير شمل سكان تلك الصحاري ختماً بالقول المأثور : « ان حبة الحنطة ان لم تقع في الارض وتمت لا تأتي بثمار كثيرة » .

وينبغي ان نشير ، في كلامنا على افريقية الشمالية ، الى درس شامل نشره جاك لوفرانك (Lefranc) في مجلة « الكاهنة » (*La Kahena* n° 5, 1er semestre 1946) الصادرة في تونس وصف فيه تطور الحركة العقلية في تلك البلاد بين الحربين العامتين ، مهتماً خاصة بمظهرها الادبي .

واما السودان فآخر ما وقفنا عليه بشأنه بحث جامع لروت ماك كريري (Ruth Maac Creery) عنوانه « المسلمون والوثنيون في السودان الانكلو-المصري » ظهر في مجلة « العالم الاسلامي » السابقة الذكر (*The Moslem World*, July 1946.) ، وتناول تحديد بلاد السودان والفروق البارزة بين جنوبيها وشماليها في الدين والعادات والاخلاق .

❁

ولم يفت اميركة الاهتمام المتابع بشؤون الشرق . فقد انشأت مؤسسة

---

[1] Joseph Therol, *Martyrs des Sables*. In-12, 288 pp., 1 carte. Publications Techniques et Artistiques, Paris.

الشرق الاوسط في واشنطن مجلة جديدة دعتها « مجلة الشرق الاوسط » (The Middle East Journal) تحمل الى قرائها كل ثلاثة اشهر اهم ما تفيدهم معرفته من شؤون الشرق ومشاكله .

وكذلك جاءنا عن اسبانية ان مجلة «الاندلس» الاستشراقية الشهيرة في مدريد استأنفت صدورها بادارة الاستاذ غرسيا غومس (Garcia Gomez) الذي مرّ مؤخراً في بيروت .

۞

وقد كان بودنا ان نتوسع في التعليق على بحث طويل نشره في « ديار الاسلام » بيير روندو (Pierre Rondot) الاختصاصي بالسياسة الشرقية ولاسيما ما تعلق منها بمشاكل الاقليات ، وخصه بالباكستان . الا اننا نكتفي الآن بالاشارة الى ان لفظة باكستان لم تعرف بها منطقة ما من مناطق الهند . فهي ليست من الاسماء الجغرافية . انما هي كلمة اصطلاحية مشتقة منحوتة من اسماء خمس مقاطعات هندية ذات اكثرية اسلامية وهي : بنجاب ، وافغانية ، وكشمير ، والسند ، وبلوخستان . أخذ حرف الباء من الاولى ، والالف من الثانية ، والكاف من الثالثة ، والسين من الرابعة ، وألف بينها بختومة « بتان » الخامسة فقيل «باكستان» . واما عدد المسلمين في مجموع المقاطعات الخمس فيبلغ ٥٧،٧٠٠،٠٠٠ على مجموع من السكان يبلغ ٩٥ مليوناً . واما مستقبل هذه الدولة ففي ذمة الغيب . على ان ذوي النظر في الشؤون السياسية الشرقية يوجسون ، اذا ما تحققت الباكستان دولةً مستقلةً ، ان ينحرف محور السياسة الاسلامية من الشرق الادنى الى الشرق الاقصى .

۞

ويؤلمنا في آخر هذا البحث الخاص بنشاط المستشرقين الحاضر ان نشير الى الخسارة الجسيمة التي مُنيناها الاستشراق بوفاة جاك ويلرس (Wieulersse) في الاربعين من سنيه . عرفناه في بيروت مهتماً بالدروس الشرقية على مختلف انواعها ، راغباً في الرحلات الاستكشافية ، مرتاداً كثيراً من مناطق افريقية فآسية ، ناشراً عدداً من الابحاث القيمة مثل « السودان والبيضان » (١٩٣١) « افريقية السوداء » (١٩٣٣) « بلاد العلويين » (١٩٤١) « نهر العاصي » (١٩٤١) « فلاحو سورية والشرق الادنى » (١٩٤٦) . رحمه الله رحمة واسعة !

الفنّ القصصي اللبناني

في القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين *

بقلم فيكتور كلارجي كرم (كبوغرافيّ · البرازيل)

في هذه المقدمة المقتضبة التي توجّه دراسة اولى في الفن القصصي في لبنان، ولا ادّعي ان تكون دراسة مثلى، ان احدّد اولًا المدة التي يقتصر عليها بحثي في نشوء هذا الفن وتطوره عندنا. ذلك ان للسنة شأنًا في دراسة الادب لا من حيث هي سنة بايامها وساعاتها بل من حيث مولداتها كحوادث لها تأثيراتها المختلفة في نواحٍ عدة. وعبثًا احاول ان احدّد هذه المدة بالضبط، ذلك من شأن التاريخ؛ انما هي تمتد من اوائل القرن التاسع عشر حتى ثلث القرن العشرين.

واما الناحية الثانية، وهي اكثر اهمية، فهي الناحية الفنية وبها اجتهد ان اضع على بساط البحث المقاييس الفنية المعروفة لوضع مختلف انواع القصة، وما كان نصيب ادبائنا منها.

لقد اتسع المجال في هذه السنين الاخيرة للكثيرين من ادبائنا، وصفا جوّ النهضة الجديدة لهم، فرأيتهم يتهافتون دون شبع على كتابة القصص والروايات، فتسابقهم انت الى قراءة ما يضعون، وفيك شوق غامض لأن تقع، في مؤلفاتهم،

---

*) اهم مصادر البحث :

Short Story Classics. *Introduction: The Spirit of the Short Story.*

Vincent, *Les genres littéraires.*

Domecq, *Littérature et textes littéraires.*

Brander Mathews, *The philosophy of the Short Story.*

آراء لبعض ادباء الفرنجة وردت في مقدمات كتبهم

مقالات في جريدة « المكشوف » سنة ١٩٣٧

الحكايات والقصص والروايات المدروسة .

على لوحات وصور من تاريخ امتك الخالد يحملها اول شراع عبر الابيض المتوسط ، وتنتصب من خلال هذه الصور عظمة قرطاجة بما فيها من جلال ؛ كنت تود فيما لو بنيت هذه الروايات والقصص على نقد المجتمع ودرس حالاته ومعالجة مشاكله الواقعية . وتخيب امالك عندما ترى ان هذا الادب العربي الجديد ، الذي طالما ساهم في انشائه وتكييفه بلدك لبنان ، يخونك في ناحية هامة من نواحيه ، وترى ان اكثر اولئك المؤلفين قد اقتصرت اعمالهم على سرد بعض الاقاصيص والاخبار ، وان رواياتهم وقصصهم ليست الا عناوين ضخمة لمؤلفات تحتوي كل ما سمعت عن الفن وعدم الفن ، عن الترتيب وقلته ، عن القصص والحكاية في مواضيع شتى ، من دقة في الوصف الواقعي وغرق في الخيال ، من امعان في دروس اجتماعية وتاريخية ، ومواضيع متفاوتة متباعدة لا صلة بينها ولا تقارب .

والقصة ، وان كانت من اكثر الالفاظ شيوعاً في هذه المدة التي ذكرت ، فهي صعبة غامضة ، تتأتى سهولة استعمالها عن عدم التفريق بين الاعتبارات الفنية ، والتي كلما طبقتها في موقف من المواقف ، وجدت نفسك امام نوع جديد يختلف كل الاختلاف بالوانه الفنية عن النوع الآخر . ومع اننا نرجع بجبرن الى مصادر اجنبية ، فرنسية واميركية ، لتحديدها ، فلا بد لنا من ان نفتش عن المعاني اللغوية التي نُرجع اليها مصدر انبعاث مفردات . « الرواية » و« القصة » وغيرهما في قواميس اللغة ، وما هي التطورات المعنوية التي حقت بهذه الالفاظ حتى قام على انقاضها فنون ادبية مبدئية في اصولها ووضعها .

◘

ورد فعل «قصّ» في قواميس اللغة بمعنى « تبع » فنقول : « قص فلان فلاناً » اي تبعه خطوة خطوة ، وقصّ الخبرَ أعلمه وحدث به وذكره شيئاً بعد شيء . ولم تدلّ اللفظة على ما يقرب من المعنى الذي نقصده اليوم إلّا في ايام الفتنة بين عثمان وعلي .

واتى « روى » بمعنى نقل الحديث وحمله . وكانت اكثر ما تستعمل للشعر . فتكون الرواية فناً لنقل الشعر فانشاده .

غير ان هذه المعاني لم تثبت ، وكثيراً ما اختلفت في استعمالها . فقد اختصت

«القصة» في عهد العباسيين بالفن الديني . وهوذا ابن النديم في «الفهرست» لا يأتي على ذكرها بل يستبدل بها مفردات كحكاية وخبر وحديث . واصبحت «الرواية» فناً لنقل الاخبار والنوادر قصد تسلية المجتمع . وقد لحق هذا التطور معاني المفردات منذ وجودها حتى قام على انقاضها فنون ادبية معروفة برضعها واساليبها . غير ان الادب العربي القديم ظلّ مفتقرًا لمثل هذه الفنون على الرغم من كثرة المحاولات في النقل والترجمة .

والقصة كما نعرفها اليوم، مع ما لحقها من التحوير والتعبير مدة قرن ونيف، هي «سرد حادثة قوية بشكل فني ينتج تأثيرًا واحدًا معيناً في نفس القارئ» وهي تتنافى بتحديدها ووضعها مع القصة القديمة . وما القصة القديمة الا مجموعة حوادث واخبار شائعة وجميلة تطرق في القارئ اوتاره الحساسة المختلفة ، وكأنّ كل واحد منها يتجود وترًا معيناً ، فيبكي القارئ ثم يفرح ، ويغضب ثم يحزن ، وينتهي من القصة ، وكأنه لم يقرأ شيئاً اذ يرى نفسه متشابكة في عواطفها واحساساتها لا يميّز ايّ تلك الاخبار والحوادث كانت اشد وقعاً وتأثيرًا .

وجرت القصة على هذا الطراز مدةً طويلةً . وقد حاول البعض تغيير اساليبهم واختيار حوادثهم ، وكانت محاولاتهم جريئة ، الا انها لم تغيّر المجرى الثابت . ولعلهم وصلوا حين قام «ادغر آلن پو» يعالج القصة معالجة فنية حديثة في مقالاته ومقدمات كتبه ووضع دستور القصة سنة ١٨٤٣ ، ومن ثم كان له اكبر تأثير في الاتجاه الجديد الذي عرفه الادب القصصي .

ذكر «ادغر پو» نظريته الاساسية في بناء القصة قال : «يكتب اديب قصة . فاذا كان حكيماً فهو لا يكيّف افكاره لتتناسب مع حوادثه ، ولكنه ينصرف اولًا الى اختيار تأثير واحد معيّن يريد اثارته في نفس القارئ ، ثم يعود من بعدها الى الحوادث، فيخترع منها ما يوافق غايته ويرتبها باقوى الاساليب على ابراز ذلك التأثير المطلوب . فاذا لم يكن في الجملة الاولى ما يساعد على ابراز ذلك التأثير فقد فشل الكاتب في اول خطوة من خطواته . كذلك يجب ان لا يكون في هيكل القصة الانشائي كلمة واحدة لا ترمي مباشرة او غير مباشرة الى ذلك الهدف المرسوم» .

فتحديد « پو » للقصة يظهر لنا الفرق الذي شرحناه بين القصة القديمة والحديثة ، وان هذه خضعت لركنين جديدين اولهما « اختيار تأثير واحد معين » ثم اختراع الحوادث وترتيبها لابراز ذلك التأثير المطلوب. ولكن « ادغر پو » يجعل نطاق العمل اكثر ضيقاً وصعوبةً اذا ما درس الاسلوب الانشائي فيقول: « يجب ان لا يكون في هيكل القصة الانشائي كلمة واحدة لا ترمي مباشرة او غير مباشرة الى ذلك الهدف المرسوم » . فيتضح لنا عدم الاقبال او بالاحرى قلته على كتابة القصة ، اللهم في فنها الحديث، خاصة و« پو » يقطع امل الكاتب ، في مقدمة نقده هذا،اذا لم ينجح في جملته الاولى على ابراز التأثير الواحد المطلوب.

وكان عصر «پو» عصر خيال بعد اثره في الادب العالمي، وهو اعمر القصصيين الذين برعوا في فنون الاختراع ، وعرفوا كيف يسخرون خيالهم لادبهم . ثم تفتحت الاعين على نوع جديد في كتابة القصة ، وهو الادب الواقعي، وترك« پو » مجالاً واسعاً بعد موته لمن استطاع ما قد وضعه لأدب القصة الجديدة.

واتى « غي دي موپاسان» فاتخذ مبادئ « پو » دستوراً ، غير انه مال بادبه نحو الحقيقة ، فصوّر واقعية الحياة في اكثر مظاهرها ، وترك الخيال لأويقات الحلم اللذيذ .

وقد يعجب القارئ للتطويل الذي الحقت بدرس القصة كنوع وحيد من انواع الفن القصصي ، ولم اعر انتباهي لغيرها ، مع ان للرواية منزلة قيمة في الادب . فلست بمعتذر عن هذا ، مع اني سأحاول البحث في سائر الفنون القصصية. الا ان لي رأياً في ذلك ربما كنت فيه مصيباً ، وهو ان الفن اللبناني القصصي ، الذي ندرس ، لم يصل الى ارقى درجات الفن في انواعه المختلفة ، على الرغم من تقدمه المحسوس، وان الادب الروائي وان وقفنا فيه على محاولات عديدة ، فهو لا يسترعي انظارنا بقدر ما فعلته القصة لكثرة انتشارها ان في ادب القصصيين او في مطالعات القراء.

ولقد يجوز لنا الان ان نلمّ بالفروق التي تجعل في فن القصصي انواعاً يختلف بعضها عن بعض بحوادثها ، واشخاصها ، وحجمها . فالقصة ، وقد قلنا انها سرد حادثة قوية ، تترك في نفس القارئ تأثيراً معيناً ، كان من شروطها الاساسية

اذن الا تطول لئلا يقطع سبيل المطالع حادث آخر او وصف على الهامش ، و تعليق يخرج عن نطاق البحث . وان اجاز الكاتب نفسه شيئاً من هذا فهو امين من براعة فنه وحذقه في القصص حتى يضيق المجال على مخيلة القارئ. لئلا تشرد. ويصعب التحديد المادي بالضبط . غير ان الرأي السائد هو الا تتجاوز القصة الثاني الصفحات .

اما الرواية فقد تختلف عن القصة في اوضاعها الفنية خاصة ، وان الوقت فيها يترك للكاتب حريته في التطويل والشرح والرد. فبينما نرى القصة تنحصر في حادثة لها تأثيرها الواحد المعين ، نرى الرواية تتسع لكثرة الحوادث ، فيتعدد اشخاصها ، وينتقلون من مكان الى مكان بل من بلد الى بلد . وبهذه تصور لك القصة زاوية من زوايا النفس البشرية في شخص لا تلمح الا بصيصاً من حاله ومعتقده وعواطفه الدقيقة ، ترى الرواية تبسط لك المجتمع فتدرس معتقداته ومبادئه ونظاماته وتجعل لك رسوماً تتجلى في شخصية بارزة يفضل لك الروائي سفر تكوينها مع تأثير المجتمع،ونشأتها مع مساعدة الظروف . هذا ما يجعل الرواية نوعاً مخالفاً للقصة ،توضع قصد التسلية الطويلة في تشابك حوادثها وكثرة اشخاصها . على انها وان تعددت الحوادث والفصول ، فلا بدّ لهذه الا ان تزدحم حول نقطة موضعية هامة تلخص لنا المأساة . ويرى بعض الكتاب والنقدة ان الفرق الاساسي بين القصة والرواية فرق « طول وعرض » وان الرواية ليست الا قصة مضخمة ، وهذا ما يدفع قسماً منهم لاستعمال الكلمتين دون تفرقة ، فتراهم يعنونون قصصهم بروايات ورواياتهم قصصاً . غير اني بعد درس مختلف الفروق بين الانواع القصصية ارى مبرراً لهذه التسمية في المعاني اللغوية وحدها ، بصرف النظر عن الظروف الفنية . فمعنى الفعل « قص » وهو التتبع شيئاً بعد شيء يدلنا على القص وعدم المزاولة . اما الرواية وهي نقل الشعر والخبر فتطول ما طالت القصيدة او مهما وسعت مخيلة الراوية للنقل والاخبار .

□

وليس هذان النوعان بوحيدين في الفن القصصي بل ان الواحد منهما ، اذا اختلفت فيه العوامل ، قد يولد نوعاً جديداً لا بل انواعاً . فالحكاية ليست

الا درجة جديدة في التأليف الروائي . وقد تكون بوضعها اقرب الى الرواية منها الى القصة ، انما تختلف عنها بعدم تساعها ، اذ يصعب عليها ان تضم جميع الآفاق التي تجمعها الرواية في تعداد الحوادث ، ووصف اماكنها ، ودرس نفسانية الاشخاص درساً بسيكولوجياً . وقد يتسع المجال فيها لتدوين الخرافات، وخلق الحوادث الوهمية ، والابتعاد عن الحقيقة والواقع .

ويتسع الفن القصصي اكثر فاكثر ليخلق لنا انواعاً جديدة لها اوضاعها واساليبها الخاصة ، فنرى الى جانب القصة الاقصوصة ، والى جانب الرواية والحكاية ، الاخبار ، والنوادر ، والاحاديث ، والاساطير ، والامثال ، وغيرها . وقد فقد ادبنا الحديث اكثر هذه الانواع فلا مجال لدرسها ، اذ لا فائدة فعلية لنا منها . غير ان الاقصوصة،وقد عندت لها طريقاً خاصاً، يجوز ان نتكلم عنها ولو قليلاً . يدلنا اسمها على انها تشابه القصة في اكثر مظاهرها الا ان الكاتب قد يبتعد عن هدف القصة الاصلي ، ذلك الحادث الواحد المعين الذي سبق ان تكلمنا عنه ، ويتعلق بدرس فكرة فلسفية او اقرار مبدأ ادبي أو اجتماعي ، واذا ما وصل الى ما يرمي اليه اكتفى بما قد وضعه واصبح ما تبقى قشوراً في وضع قطعته . والاقصوصة من الانواع المستحسنة في الادب القصصي لسهولة وضعها الفني .

هذه هي اقسام الفن القصصي الرئيسية ، وقد نسعى لتطبيق اصولها في الروايات والقصص التي ندرس . غير ان الاتجاهات الاخيرة القيمة التي ظهرت في الادب الحديث تستغرب القيود والسلاسل التي يضعها علماء الادب ، ان صح التعبير ، اذ تحدد مجال الاختراع والخلق وتحصر العبقرية ، وما للعبقرية ان تنحصر . ولكن هناك اصولاً مبدئية يجب ان نقرها ، فكما اننا لا نسمي النثر الجميل مهما تسامت بلاغته « شعراً » ، لا نقدر ان نسمي سرد الحادثة القديمة المؤثرة « رواية » ، ولا المجلد الضخم المتتابعة فصوله « قصة » .

□

في كل يوم من ايام حياتنا حادث يجعل منه التاريخ له مادة . وفي كل يوم من حياة الامة حوادث يستغلها المؤرخ والاديب معاً لتكون لهما ينبوعاً .

وبينما ترى المؤرخ يبحث في مسببات الحادث وعلله ، في تطوراته والنتائج التي ادّت اليها هذه التطورات ، يبحثها على ضوء الطرق الحديثة في علم التاريخ ، ترى الاديب يتصوّر الحادث بشكل يناسب روايته واشخاصه ، على انه ، وفي هذا يخفق اكثر الادباء المؤرخين ، يحفظ للمادة صفحة حدوثها ويكون التحوير على هامش الحوادث لا في اصولها .

والتاريخ الم يكوّن والادب وحدة قائمة في الرواية ، وإلمّ تلحقه ريشة الكاتب تعبّر عن الفن والذوق ، يبقى جافاً بعيداً عن كل صلة بنفس القارىء والاديب معاً . فالرواية ، اذا مسّت الى التاريخ بصلة ، فلكي تغيّر مواضيعها العادية المبتذلة . ولقد تتشعب آراء الروائيين في انتقاء القصد وانتهاج الاسلوب فمنهم من يوضح حقبة من تاريخ بلاده كانت غامضة لا بل مجهولة ، كما فعل فؤاد افرام البستاني في ادبه الروائي ، ومنهم من يخلّد عهداً كانت به امّته تفرض على العالم سيطرتها وتسجل مدنية لا تموت . اما ان يُدسّ التاريخ في كتب الادب على طريقته العلمية الجافة ليكوّن فصولاً على حدة ، يكون بها المؤلف مدرّساً او باحثاً ، فلقد يسأم المطالع قراءته ، ويفتش عنه لا في القصة والرواية بل في النصوص الاصلية او في كتب التاريخ .

هذا الفن في تكييف التاريخ ادباً ينقص ادبنا الروائي التاريخي ، ولو راجعنا اكثر المؤلفات في القرنين الاخيرين ، لما عثرنا على شيء منه الا في «لماذا» لفؤاد افرام البستاني ، على الرغم من كثرة المحاولات .

سليم البستاني

ولقد بدأت هذه المحاولات مع سليم البستاني يكتب في مجلة «الجنان» روايات متسلسلة منها تاريخية ومنها اجتماعية . وما «زنوبيا» الا احدى رواياته التاريخية الهامة . تدور حوادثها بين بادية تدمر وروما . يقدمها لنا الكاتب بتفصيل حالة الرومانيين في امبراطوريتهم الواسعة الارجاء ، ثم ينتقل الى تمداد حروبهم وتفصيل المعارك ، حتى يصل الى اصطدامهم بالفرس وكيف رجحت كفة الميزان بدخول ملكة تدمر الحرب . وتتسع آفاق الرواية لمجرى جديد . وكأني بالكاتب يشعر نقصاً فيها ، فيربط حوادثها بالحب ، اذ يخلق لابنة زنوبيا شاباً من اعرق الانساب الرومانية

يهرب من رومة ويدخل في خدمة والدتها . وهنا تبدأ العقدة ، اميرة تدمر تعشق رومانياً ومصالح البلدين على خلاف ، الا انهما يبقيان وفيين على العهد حتى يلتقيا في رومة .

رواية ضخمة طويلة ، ملأى بالحوادث المختلفة . الا انها تدور حول موضوع واحد ، مملكة زنوبيا . جميل ان نقع على هذا التناسق مع من بدأ فن الرواية ، واجمل منه ان نرى التاريخ ينسل بين هذه الحوادث دون صعوبة ، بينما نقع فيما بعد على روايات تنقسم في فصولها ، وكأن واحدها غريب عن الثاني ، يؤلف وحدة تاريخية قائمة بذاتها جمعها المؤلف ليجعل منها مجلداً ضخماً . ومهما يكن من امر فاننا نغالي اذا قلنا ان سليم البستاني بلغ شأواً بعيداً في كتابة الرواية . فهو اول من تجرأ على محاولة من هذا النوع . غير ان محاولته ظلت بعيدة عما يسمونه الفن الروائي . تراه ينتقل ابان الوصف مثلاً الى شرح بعض المادات السيئة فيستطرد على اثر كلمة او فكرة عرضت له ، فيترك الحادث الاولي ويلتحق بكلمته او فكرته .

يتكلم عن الحب في « الهيام في جنان الشام » واذا ما وصل الى حلّ نهائي كانت الشهوة مسببة اولى لهذا الحب ، فيفضل محبة النفس عليه . واذا ما وصف الشجاعة في الحروب قال في الفروسية انسلاخ عن السجية الانسانية ، فمثل هذه الشروح الاضافية الخاوية لا معنى لها في سياق بحثه الروائي .

اما الاشخاص فقد لا تتبين فيهم الا مظاهرهم الخارجية العامة ، وقلما درس المؤلف نفسيتهم .

الا اني عجبت لامر رأيته غريباً وهو انه اذا اشتدت الحالة النفسانية في الرواية ، وانتظرت من المؤلف تحليلاً للعوامل الفعّالة وتأثيراتها في انفس اشخاصها ، سمعتهم ينطقون بالشعر ، وينظمون القصائد الطوال . فيضحك القارىء ثم يذكر ان المؤلف شاعر ينظم في ساعات انفعالات نفسه وينسب شعره لاشخاص روايته . ومع هذا كله فضل البستاني على الادب الكبير . فهو اول من تجرأ على محاولة روائية كما قلت ، ونجح ان لم يكن كل النجاح ، الا انه حطم سداً منيعاً ومهد السبيل لمن اتى بعده .

جرجي زيدان

على ان كثيرين لم يستفيدوا من هذا التمهيد، وكادت لامبالاتهم تسبب تهشيم الرواية التاريخية . وليست « فتاة غسان » و« ارمانوسة المصرية » و« المملوك الشارد » الا شواهد لما قلنا ونقول . وشاءت الظروف ان تعيش هذه المجلدات فتهافت على قراءتها جمهور غفير وقع على تاريخ الاسلام فيها ، فقالوا عنها « روايات تاريخية » واني لا الوم المؤلف على ما كتب فربما كانت له اعذاره، انما اعدّ نفسي بعيداً عن فهم الفنون الادبية اذا اخذت بهذا القول . فليس التاريخ من صنعنا لنهشمه ، وليست الرواية بضاعة « نفبركها » نحن لنتصرف بها كما نشاء . ولقد دوّن جرجي زيدان قسماً من تاريخ الاسلام في سلسلة روايات مختلفة ، وخص كلاً منها بحقبة معينة من هذا التاريخ . وكانت هذه الحقبات ملأى بالحوادث والاضطرابات ، ملأى بعظمة امة جديدة تفيق على دين جديد ، فتكتسح ما جاورها من الممالك والدول ، وتمد يدها لافريقية فتسيطر ، وتهاجم اوربة فتبني لها مقراً حصنته اربعمائة سنة تقريباً . سيطرة دين ، عظمة امة ، شجاعة اقوام ، مدنية علوم فادب ، جمها الكاتب لتكون له مادة لروايات ضخمة ؛ فلم ينجح الا بتدوين الحوادث وسردها . ولو انتقينا واحدة من هذه الروايات ودرسناها درساً رصيناً شاملاً لاتى نقدنا اكثر وضوحاً يرتكز على اسس ثابتة .

« فتاة غسان » مجلد ضخم يناهز في حجمه الاربعماية صفحة ، يحتوي على غرام وتاريخ ، ويقول المؤلف « انه يشرح حال الاسلام من اول ظهوره الى فتوح العراق والشام مع بسط عوائد العرب في آخر جاهليتهم واول اسلامهم ووصف اخلاقهم وازيائهم وسائر احوالهم » يقدم الكتاب بدرس مسهب عن بني غسان وبني لخم ، وعن علاقات هؤلاء بالفرس ، واولئك بالروم . وانه في سنة ٦٢٩ حكم الغسانيين ملكان جبلة بن الايهم يقيم في البلقاء ، والحارث ابن ابي شمر ومقامه بصرى .

هند ، ابنة جبلة وبطلة الرواية ، تحضر سباق خيل مع ابيها فتتقابل وفتى اسمه حماد وتهيم به . يلتقيان مراراً ويتعاهدان على الزواج على الرغم من انها لم تعرف بعد نسب حماد . الا انه يسكن مع ابيه وخدمه قصراً مجاوراً

قصر جبلة . يطلب ثعلبة بن الحارث يد هند ابنة عمه ، ويدفعه حسده لان يغدر بجهاد ويضطهد اباه. وتتسع عقدة الرواية هنا ليجعل المؤلف حماداً منذوراً نذير بجيراء لا يقارب امرأة ولا يشرب مسكراً الا بعد الحادية والعشرين ، وقد اطلع على سر من اسرار حياته.

هند مريضة ترفض الزواج من ابن عمها . حماد مبعد الى الحجاز يفتش عن قرطي مارية ، فيرجع صفر اليدين ، فيلقى والده وقد ساقه الجند الى حضرة هرقل . يطلع حماد على السر فيقع في ارتباك وحيرة غير ان الحوادث لم تشدد بوفاء النذر . وتطول الشروح ، وتتعدد الحوادث ، فيلتقي حماد بهند في دير هند بالمدائن ويتزوجان.

يتخلل كل هذه الفصول معلومات تاريخية هامة عن نشأة الاسلام وحروبه في اول انتشاره . ولكل من هذه الفصول صلة بهند وحماد غير انها لا تمتزج بعلاقاتها لتكون معها وحدة تامة في الرواية . وكأن الكاتب قد ادخل التاريخ عمداً في روايته ليمنونها بالتاريخية،لا ليجعل منها مؤلفاً لذيذاً فيه شيء من فن الوضع الروائي ، ولا اقول اشياء ، يرتاح القارئ لمطالعته . لقد اطلع على هذا التاريخ الملي، بالاحداث فاراد ان يظهر لنا معارفه يدونها في مؤلفات ضخمة يجعل منها روايات ، فتراه مثلاً يعيد حديث ابي سفيان عن دعوة النبي محمد في حضرة هرقل ، ويزيد في الشرح والتطويل حتى يظهر لنا اصطناع الحديث وعلاقته الواهية بسياق البحث الروائي .

يذكر الكعبة ويفصل اهميتها ، والى من ينتسب الذين يقومون بخدمتها ، وكأني بهرقل يضجر من طول المقدمة فيكلم اعوانه ، ثم يقول لقد اكتفينا من هذا فأخبرنا عن محمد . وتجتمع هذه المعلومات التاريخية لتكون جبهات منيعة في « فتاة غسان » .فاذا ما نسيت التاريخ في فصول عدة وتخيلت حماداً وهنداً حبيبين يلتقيان بعد بعاد اليم ومصاعب جمة ، تصطدم باحدى الجبهات التاريخية ، تزاف قسماً على حدة ينفصل كل الانفصال عن الرواية . فلو شئت ان تحذف هذه المقاطع باكثريتها الساحقة لقدّر لك ذلك ، وعجزنا عن تسمية « فتاة غسان » رواية تاريخية ، وقد لا يبقى فيها الا الغرام وبعض الاحداث

الاعتيادية. وكيف نتسامح في نعتنا مؤلفات جرجي زيدان بروايات ، والرواية الصحيحة الكاملة فنياً وحدة قائمة بذاتها لو حذفت منها جزءاً رأيتها تنهار ، او اهملت فصلاً شعرت بالفراغ الذي يحدثه اهمال هذه الصفحات القليلة . وغريب الا يأتي هذا الفصل بين حوادث الرواية عرضاً بل يتعرض له الكاتب عمداً فيقول : « نترك عبدالله هنا ، مثلاً ، انرى ما حلّ بجهاد الخ . »

اما اشخاص الرواية فلقد يتناسبون مع حوادثها ووضعها الفني ، وهم صور جامدة لا حياة فيهم ولا حراك. ومهما تطلعتُ اليهم عن كثب ، ومهما راجعت تأثيراتهم النفسانية ، فلا اقع على شيء يذكر حتى في وصف بطلة الرواية هند ، في احرج المواقف واشدها تأثيراً اذا ما اهتاجت عواطفها وذكرت حبيبها حماداً وما يحف به من اخطار ، لا ترى غير دمعة تترقرق وجسم ينحل.

فالرواية التي تخلو من الفن في تناسق حوادثها لتأتي وحدة كاملة لا يجوز في فصولها حذف او انقاص ، والرواية التي تخلو من دروس نفسانية لاشخاصها حتى في اشد مواقفهم عاطفة وقوة ، كيف لنا ان نسميها « رواية ». والتاريخ ، ان لم يكيّف بريشة كاتب فنان بارع ، وألف فصولاً مستقلة لا صلة وثيقة لها بموضوع الكتاب ، لماذا نقرأه في « فتاة غسان » وقد نسأمه لما فيه من نقص وتحريف ، ولا نفتش عنه في النصوص الاصلية . وكيف نجرّم الادب العربي بعد مائة سنة مثلاً ان لم يخلّد لنا مثل هذه الروايات ليجعلها في مصف المؤلفات الشهيرة ، وما فيها ما يفسح للخلود مجالاً الا انها كتبت بالعربية ، وحبذا . . . او كيف نريد ان نعتبر ادبنا هذا ادباً عالمياً ان خلد محاولات ناقصة كهذه.

فؤاد افرام البستاني اما التاريخ في ادب فؤاد افرام البستاني فهو مثال للوضع الفني في هذا النوع ، ان في روايته « لماذا » او في حكاياته ، ولو سماها روايات « على عهد الامير » . ولو درسنا « لماذا » كغيرها من المؤلفات ، لتبينا فروقاً كثيرة تبعدها عن روايات جرجي زيدان مثلاً ، في المتسع الفني البعيد . ورب معارض يقول ان اتصالنا الوثيق بالآداب الغربية في هذه السنين الاخيرة جعل ادباءنا في

تيار ثقافي عالمي يطلعون بواسطته على اصول الفن الروائي وينجحون في كتابة الرواية اكثر من ذي قبل . غير ان الرواية ، ربما قد يجهل اصول كتابتها مؤلف وتأتي متعة فنية رائعة تسلب القارئ حواسه ، فيكون الكاتب قد طبق هذه الاصول لا لانه درسها وطالعها ، بل عقل انه كتب ليُقرأ لا ليقرأ. ثم ان الاتصال القائم بين اداب العالم ربما سمح في الماضي لمن اراد تفهم اصول كتابة الرواية او القصة على اختلاف انواعها خاصة، والرواية ليست من مولدات القرن العشرين . واتصال البستاني بادب الغرب ودرس نقاط ارتكازه الفنية جعل روايته «لماذا» من اقرب المؤلفات اللبنانية التاريخية للوضع الفني في تناسق فصولها واظهار نفسيات اشخاصها ، وخلق جو موضعي لها.

تنتصب امام عينيك صورة مهيبة لاشجار الشربين القليلة ، وقد بقيت في اعالي دير القمر أثرًا من غابة عادية . تنتصب هذه الصورة واضحة كل الوضوح باغصان الاشجار ولونها، بجذوعها، وثمارها وجذورها،اذا ما قرأت الفصل الاول من رواية «لماذا» ، اذ ان المؤلف يسيطر على مخيلة القارئ منذ الفصل الاول ليجعلها تتصور كل ما يريد ، تسوقها براعة في دقة الوصف والتصوير.

وبعد ان يصف قصر الشيخ قمدان بو غانم يتسلل شيئاً فشيئاً بواسطة حديث يدور بين الشيخ والمعلم نقولا الترك عن صعوبات الحكم في عهد الامير حتى يصل الى حوادث سنة١٧٩٣ . وما اجمل هذا الانتقال عند الاستاذ البستاني، وغيره كثير في روايته ، تجعل منها وحدة تامة ، وهذا شيء لم نشهده فيما سبق لنا درسه . كنا ننتقل من فصل الى آخر ، ننتقل من فصل يكون كتلة تاريخية ، الى ثان يعنى بالوصف ، والى آخر بالغراميات . ولم نكن لنشعر بهذا الانتقال المفاجئ فحسب بل يتحدانا الكاتب بجرأة ويختلق الحواجز والفواصل ليقول : « نترك فلاناً هنا ونرى ماذا حلّ بفلان . » اما « لماذا » ففيها ، عدا وحدة واحدة في الحوادث ، وصف شامل ، وتاريخ وحب ، يجمعها جو ودي لا تفاوت ولا حواجز ، فتنتقل من دير القمر الى عكا مع فرحات تماشيه وعاشيك تحادثه ويحادثك ، حتى تصل الى سجن غانم ، ولا تشعر ببعد الشقة وصعوبة السير ، واذا بدأ فرحات اخلاء جعشه سمعت اخبار لبنان وما فيه ،

سمت عن الامير والحروب والسياسة وعن بدور حبيبة غانم.

ولا عجب ان اطلت البحث في مؤلف وجدنا فيه اشياء جديدة لا عهد لنا بها من قبل في روايات الادب اللبناني. «فلماذا» رواية تامة بكل ما في الكلمة من معانٍ، جمعت الى التناسق في فصولها والوحدة في احداثها، لوناً لبنانياً خالصاً او ما يسمونه بالافرنسية couleur locale لوحات زيتية تعرض لنا الجبل اللبناني، صور رائعة للباروك والسهل، لبعدران ودير القمر، جحافل تخالها امامك تقطع اودية الشوف لتتصل بالسهل. ولم يكتفِ بوصف الارض اللبنانية، انما تعداها الى عرض عاداتنا ودرس اخلاقنا لمائة سنة خلت، فيشعر القارئ انه في جو لبناني عاشه ويعيشه، وان هذا العالم الذي يظهر له ليس بالخيالي البعيد ولا بالمختلق. ولا بد للقارئ من ان يرى كما رأيت في «لماذا» رواية تمثيلية، تنسق فصولها براعة ودقة في الوصف بحيث لا يخامره شك في صحة تصوير المشاهد.

ويستحسن المطالع في «لماذا»، غير ما ذكرت، تحليلات نفسانية عني الكاتب بعرضها كل العناية. وتقف عين الناقد عند بعض المقاطع وهي تشابه صورةً وروعةً أحسن المواقف في الروايات الغربية. غانم في قلعته، وقد نقل اليه فرحات ما آلمه واثر به. تمر به ساعات طويلة فيصور لك الكاتب انفعالاته النفسية العديدة، واجمل ما تقع عليه اشتراك في الوصف بين حالات غانم والطبيعة ... وكثيراً ما نمرّ بمثل هذه التحليلات، وكثيراً ما نقول: «لماذ» فاتحة عهد جديد لا في نشأة الرواية بل في تطوراتها الفنية وايصالها الى احدى درجات الفن العالية.

وجميل ان نرى لغة «لماذا» تناسب احداث الرواية في وضعها، فحيناً تعلو الى اعلى درجات الادب الخالص، وحيناً تجاري الحياة في عاميتها. وهكذا نرى «لماذا» اولى الروايات اللبنانية تمت فيها شروط الرواية الفنية، درست جزءاً من تاريخ لبنان، وعرضت قسماً من عادات واخلاق سكانه. والرواية اذا استندت الى وضع فني صحيح ودروس تاريخية واخلاقية ثابتة عاشت، لا لبرهة تساعدها فيها احوال ملائمة، بل لمئات السنين.

والتاريخ الذي استخدمه فؤاد افرام البستاني في «لماذا» دوّن قسماً منه على شكل حكايات صغيرة جمعها في كتاب «على عهد الامير» . ولقد نجح في الوصول الى الهدف الذي عيّنه اذ « فتح نافذة صغيرة على شخصية ذلك الرجل العظيم.»

ولا بدع ان اجمع اشهر ادباء العصر على مدح هذه المجموعة ، لان البستاني — وكان حديث السن بعد — فتح سبيلاً واسعاً في ادبنا الناشئ واظهر للملأ ، كما قال في مقدمته : « ان في كل مقصورة من مقاصير بيت الدين رواية . . . »

ففي الكتاب وصف لاخلاق اللبنانيين ، ووصف لتقاليدهم وعاداتهم . فيه تصوير حي لحياة الامير بشير ، لديوانه وحاشيته . والحياة في هذا التصوير دفعتنا ان نحسب انفسنا امام قصر بيت الدين نسمع محاكمات الامير ، عادلة ام ظالمة ، نراه غاضباً وراضياً ، اميناً على العهد (كمحكمة المير) وعادلاً مستبداً (بشر القاتل بالقتل) . فشخصية الامير وحدها كانت تربط الكتاب بالتاريخ . على انني لم ادرك لماذا سمّى المؤلف مجموعته «روايات» ؟ او لم يكن اسم « الحكايات » اقرب لنعت هذا النوع من الفن القصصي ؟

◘

ومع ان الناحية التاريخية كانت اكثر نواحي ادب اللبنانيين اهمية في هذين القرنين الاخيرين ، فلقد لفت بعضهم انظاره الى المجتمع لينتقد اوضاعه البالية ، وعاداته القديمة ، فافتقرت مؤلفاتهم ، لا اقول الى وصف تلك الاوضاع والثورة على العادات ، انما الى اصلاح اجتماعي حقيقي له اسسه ومبادئه وتطوراته . وكما لا يكون الاديب ذلك المؤرخ الذي شرحنا شيئاً عنه ، فما هو ايضاً بواعظ مبشر ينقل آيات دينية ويدعو الناس للتوبة لئلا تصيبهم الدينونة . ولكن للقصة او الرواية الاجتماعية اثراً لا يضاهيه اثر الكرز والتبشير.

هكذا كان رأي سعيد البستاني عندما كتب « ذات الخدر » . والمجتمع فسيح واسع ترى فيه انعكاسات ميول الناس على اختلافها . محاولات في السياسة من ديمقراطية وفردية ؛ محاولات في العائلة وتطوراتها ، ومحاولات في حياة الفرد . غير ان الادب اللبناني يفتقر الى قسم من هذه الانواع . وعلى الرغم من ان بعض

ادبائنا عملوا في هذا الحقل فلا اراهم الا مقصرين . كثيرون هم الذين كتبوا رواياتهم وقصصهم ؛ وجهدوا في تطبيقها على مغامرات وعواطف كل فرد . وقليلون هم الذين تعدوا حدود الفردية ليصلوا الى العائلة ، فيثوروا على القديم في التربية والزواج . واقلّ منهم هم الذين درسوا حياة المجتمع في الامة ، درسوا فيها العقيدة والواجب واساس الحكم ، وتعمدوا في مؤلفاتهم نشر هذه الآراء المصلحة . ومهما يكن من أمر ، فلا بدّ لنا الا ان نلمّ بالاجتماعيات التي اثرت في ادبنا ولو ضئيلة .

سعيد البستاني والمؤلف الوحيد الذي اتخذ له هدفاً معيناً ، ودرس زاوية من المجتمع ، ونقد كل ما فيها من سيئات هو سعيد البستاني . فلقد تكلم في روايته عن اقطاعيّ مصريّ اجبره تقدمه في السن الى ترك وظيفته والرجوع الى « عزبته » يؤمن زرع اراضيه وحراستها . يتزوج من احدى فتيات قصر ، نازك ، على كون جمالها وشبابها لا يتناسبان مع اخلاقه الشرسة وشيخوخته الكئيبة ، فتحب فتى في مقتبل العمر اسمه امين . ويكون في خدمة نازك فتاة نضرة اسمها صديقة تعلق بشاب يوافيها الى حديقة القصر فيلتقيان . تتشعب الحوادث ههنا ، امين مبعد ، وبهرام على خلاف مع زوجته فيمرض ويموت . ثم يأتي أمين ويذلل عقبات كثيرة ليتزوج من نازك الا انها تلاحظ تقارباً خلقياً بينهما . ثم ترى شامة سوداء على كتفه فتعرفه اخاها وتنتحر .

رواية ملأى بالحوادث الشائقة والمواقف العاطفية المستحبة . الا ان حبكها ليس بالفني ولا بالمقبول . وكأنّ الكاتب عارف بتقصيره فيقر بما له وما عليه في مقدمة روايته ويقول « بانها لا تجيء من سائر الوجوه مثل روايات الغربيين » . وهذا التقصير الفني ابعد من ان يعذر عليه البستاني لان قوله في المقدمة يشهد بانه عارف باصول الرواية عند الغربيين فكان عليه ان يختار بين اثنتين : اما ان تأتي روايته كرواياتهم ، واما الّا يكتب .

ولو لم يفز بنبالة القصد ، على حد قوله ، لكانت « ذات الخدر » رواية اعتيادية كغيرها من التي درسنا ، فيها عدا الضعف الفني انتقالات مفاجئة ،

واستطرادات كثيرة ، واوصاف ضئيلة لحالات الاشخاص النفسية . هذه كلها تصغر قيمة القصد الذي اراده الكاتب ، فالرواية لا تعيش بمادتها فقط ، ولا تحيا بالتاريخ او الاجتماع او الحب الذي تحتويه ، انما تحيا من حيث هي رواية تكوّن متعة فنية شائقة، بكل ما فيها من حوادث واوصاف ووضع واسلوب .

جبران خليل جبران

وان يكن سعيد البستاني اول من اتخذ له هدفاً اجتماعياً معيناً جعله محور رواياتـه ، فغيره تأثر بالاوضاع الفاسدة في لبنان وقام يحاربها باسلوب قصصي جديد ، يتخذ له الواقع اساساً يدعمه بالخيال ليظهرها صوراً تنعكس عليها نواحي هذا المجتمع الفاسد في نظره ، بعقائده وعاداته . ولربما وجدنا بعض الشبه بين قسم من اقاصيص هذا الكاتب ، وهو جبران ، وبين «ذات الخدر» . ولم يكتف جبران بهذه الناحية الاجتماعية بل تعداها الى كثير غيرها جعلها محور حكاياته واقاصيصه . فتشهد في مؤلفاته ثورات العاطفة والحرية والنفس الطموح ، ثورة على رجال الـدين ، ثورة على الاغنياء الاقطاعيين ، ثورة على التقاليد العمياء ، ولربما جمعها كلها في حكاية واحدة كما في « خليل الكافر » .

ولو نفذنا الى اعماق نفس جبران من خلال مؤلفاته لشعرنا ان تلك العاطفة المتأججة ، هي التي تساعده على درس اوضاع المجتمع . فما جبران بالمفكر الاقتصادي او السياسي ، وما هو بالعالم يبحث عن اسباب التطورات الاجتماعية وما تصل اليه ، انما هو شاعر ، يستند الى عاطفته واسلوبه الجديد . فاذا ما وقف خليل الكافر ليخطب في اهالي القرية فعاطفة جامحة واسلوب قوي ، واذا ما تكلمت مرتا البانية فعاطفة اشد جموحاً . على انه لم يظهر حقيقـة هذه الاوضاع التي درس ، بل ضخّمها وغالى في وضعها ، فاصبحت ضرباً من الخيال . فرجال الدين عنده لصوص يسرقون اموال الفقراء ، يتنعمون على الخزّ والديباج ، ياكلون اللحوم ويشربون الخمر ، وينام غيرهم على القش ويقضم فتـات الخبز اليابس - اموال الدير واراضيه ملك الفقراء المساكين ، والدير مأوى لهم ومساعد . فاين هذه الافكار والعقائد من عصر يقتسم السيطرة فيه كاهن القرية واغنى اهاليها . اين هذه العقائد من يوم كان الكاهن فيه سيد الامر والنهي ، فلِمَ

العطاء والرحمة ، ولمَ لا يبني لنفسه ملكاً على اساس الدين . هذا ما اراد ان يحاربه جبران غير انه تطرف في البحث والتطويل حتى اظهر رجال الدين شياطين يسرقون ويتنعمون ويتلذذون على حساب الدير والدين ، يمدون ايديهم الى جيوب المؤمنين ويقيمون الهياكل على قبورهم . فهذا التطرف جعلنا نفتش عن سبب قوي لثورة جبران خارجاً عن محبته للحرية وطموح نفسه ونفورها من الاوضاع القائمة .

ولربما تأثر جبران في سبك افكاره بالرومنطقيين كما تأثر في اسلوبه ، فاتخذ له بصيصاً من الحقيقة واضحاً وفسح المجال واسعاً لخياله . وقد نقع على بعض اقاصيصه فلا نراها الا خيالية بحتة ، لا تصوّر من الحياة ناحيـة ، ولا تتصل بالواقع بصلة . هنا تتعرى القصة فنلمس اشخاصاً خلقهم جبران وجعلهم يمثلون هذا الدور ، او ذاك ليتكلم بالسنتهم ويبثّ في الناس ما يختلج به صدره . فعلي الحسيني ، في « رماد الاجيال والنار الخالدة » راعي غنم في سهول بعلبك لا يعرف كيف يهمس اناته في اذان الدجى ، ويحب ويجهل من يحب ، فيوجه كلامه لاطياف الخلود لتنبئه عن عاطفته . هذا ما يجعلنا نشك في اقتراب جبران من حقيقة المجتمع اللبناني ، وله خيال بعيد الاطراف بعيد المنال .

ومهما يكن من امر فأثر جبران باقٍ ، ربما لا يخلد بالفن القصصي ، وهو ضعيف عنده ، انما يبقى باسلوبه الجديد وطريقته الفنية المبتكرة . اما القصة فانا واثق كل الثقة ان جبران لم يعرف اصولها ولم يفتش عنها ، ولم يلتفت الى الحكاية والاقصوصة في اوضاعها الفنية ، انما كتب فكانت بعض كتاباته حكايات واقاصيص تؤدي الرسالة التي ارادها فتركها تخلد بافكاره العاصية الجديدة ترتدي اسلوباً جديداً مستحباً .

◘

طرقنا في درسنا الى هنا ناحيتين من اهم نواحي الادب القصصي اللبناني ، وشعرنا في سياق هذا البحث بروابط وثيقة تجمع التاريخ والاجتماع فمررنا بها غير مطولين . ونصطدم بعد ذلك بصدمة قوية ترجعنا الى المقدمة فنقول ان ادبنا هذا يفتقر الى مدارس او مذاهب تجمع بين ادبائنا ليوجهوا آراءهم

وافكارهم واساليبهم نحو هدف واحد ، فيهون على الناقد درس مؤلفاتهم او بالاحرى درس مذهبهم الواحد . فالادب الفرنسي مثلاً عرف الرواية التاريخيّة والوصفيّة والنفسانيّة ، ثم الخياليّة والواقعيّة الى ما هناك من انواع مختلفة . اما في لبنان فقد رأينا من اتخذ التاريخ مادة لاحدى رواياته ثم مال في رواية اخرى الى درس المجتمع ، وسنرى احدهم يعلو مع الخيال فيبدع ثم يماشي الحياة فيتتبع دقائقها فيصعب علينا تعيين الكاتب في مكانه من المذاهب والمدارس . على ان هذا التنوّع قد يكون اقرب الى الحياة .

فرح انطون ولكن لا البث ان اشهد محاولة جدّ جميلة في فن الرواية ، مع ما فيها من السيئات طبعاً ، اجتهد ان اضعها في مصف الروايات التاريخية فارانها تميل باتجاهها للاجتماع ، وان اقول عنها اجتماعية فاذا فيها ، عدا الاجتماع ، دروس دينية وبسيكولوجية وفيزيولوجية . هذه الرواية هي « اورشليم الجديدة » لفرح انطون . ولما رجعت الى مقدمتها ، وجدت الكاتب ينبهنا الى هذه الناحية ويقول انه عمل جهده لجمع هذه الدروس المختلفة والمتباعدة في انواعها ؛ وهذه النواحي المختلفة التي طرقها فرح انطون هيأت لروايته جوًّا فسيحاً تملأه حوادث هامة لا احداث صغيرة تافهة . فلم تجعل منها رواية معركة يتضارب فيها جيشان ، ولا واقعة غرام بين ايليا واستير ، بل جمعت فيهـا كل شيء . فهي فتح العرب لبيت المقدس ومعاهدة الروم على يد عمر ، وهي هجوم المسلمين على كعبة الدين المسيحي ، هي ثورة الدين الجامحة . وفيها ، عدا هذا كله ، عاطفة رأيتهـا غريبة في نوعها يصفها بعضهم بانها حب اعمى قلبي استير وايليا . ولكنه ليس بالحب العادي ، انما هو عاطفة عالمين مختلفين يفرقهما دينان ، دين موسى ودين المسيح . على ان الروح اليهودية ظهرت اجلى واكثر حقدًا اذ رفضت استير الزواج من ايليـا ، مع انها احبته حتى الموت ، لقد رفضت لانها يهودية تتملّق بدينها وتخاف محيطها واهلها . وقد كتبت في « كتاب يومياتها » : « فقد اضيف الى الاسوار التي بيني وبينه سورًا جديدًا لا يهدم ابدًا . هو مسيحي وانا اسرائيلية . فاقترانى به يكون عارًا عـليَّ عند قومي . بـل انا نفسي لا ارضاه لنفسي لانني لا اقدر ان انسى مصائب امتي واحالف اعداءها عليها » .

هذا هو صوت شعب بأسره وليس بصوت استير ، هذه هي الاسرائيلية تتكلم وليست حبيبة ايليا . ولقد نجح الكاتب نجاحاً تاماً في ابراز ذلك الحقد الذي يكنه هذا الشعب لغيره اذ انه وجد لاستير عذراً اجتماعياً لرفضها الزواج وهو العار عند قومها ، ولكنه استدرك ليثبت ان هذا الحقد اصيل في نفسها لا تساه ، وكيف تسى مصائب امتها وهي مصائبها . ههنا ينفسح المجال لفرح انطون فيظهر لنا حقيقة المجتمع لا بوصفه او تصويره انما بواسطة اشخاص روايته . تسمعهم يتكلمون كاستير بالسن امهم ومحيطهم ، يكهربون عواطفهم بعواطف المجتمع ، فتتبين ، وانت مع ارميا او مع الراهب ، احوال رؤساء الدين المسيحي ، ومع استير صورة المجتمع الاسرائيلي . ولربما احتاجت هذه المجتمعات اصلاحاً عن طريق الدين فترى الكاتب ينبري لها بلسان اشخاصه كما ذكرنا ، واصلاحاته معقولة ناتجة عن اختبارات فنية اجتماعية ، لا عن دروس عقلية وهمية . فالدين عنده ليس بالمسيحي او الاسلامي او اليهودي انما هو دين « الرفق والمحبة والصفح » ، والكافر عنده ليس بالرجل الذي يجحد لاهوت المسيح ويعمل بوصاياه ، انما ذلك الذي قد يعتقد به ولا يعمل بوصاياه .

ولم تكفِ المادة لتجعل من « اورشليم الجديدة » مؤلفاً قيماً انما أوجد لها فرح انطون اطاراً ثابتاً كانت به اقرب المحاولات القديمة من الفن الروائي . فقد لا تشعر بتلك الانتقالات السريعة والاستطرادات الخالية الا قليلاً ، وعلى الرغم من بعض التطويل والشرح (خطبة على الجبل) و(حديث الشيخ سليمان) تشعر بوحدة في الرواية . غير ان التوازن الفني مفقود ، فتارة يتخلل صفحات عديدة معنى واحد مكرر ، واخرى تجهد نفسك لتفرق بين الافكار والآراء المتراكمة في الصفحة الواحدة ، وطوراً يبدأ الكاتب مناقشة دينية (ايليا واستير) ترتكز على التفكير والتعقل ، ثم يترك العقل جانباً ويتحدى العاطفة فيقتنعان ويتحابان . فهذا ما جعلنا نقول ان اورشليم الجديدة لم تكن غير محاولة في الفن الروائي ، انما اقربها .

❁

وكأني بالظروف شاءت ان تجمع على حدة الادباء الاقدمين ، نوعاً ما ، الا واحداً منهم ، فررنا بانواع مختلفة درسنا فيها افكارهم وعقائدهم واساليبهم .

وتركت لنا هذه الظروف قسماً من ادبائنا المعاصرين يؤلفون جبهة متأخرة يستقل الواحد عن الاخر استقلالاً تاماً ، ولكن جمعتهم اواصر ربما كان لها الاثر الواحد في ادبهم على اختلاف ابوابه ونواحيه . ظهرت عندهم نهضة في الفكر والفن والاسلوب ؛ تراءت الحياة لبعضهم فصوّرها كما هي ، واجتهد غيره في تكييفها ليصعد من عالم المادة والحقيقة الى عالم الخيال والتصور . وعلى الرغم من هذا التضارب في الاسلوب فقد عملوا جهدهم على ان يقتربوا من الحقيقة الفنية في القصة او الرواية وفتشوا عنها لا في رؤوسهم فقط بل درسوها في مؤلفات اشهر قصاصي الافرنج .

وتفرّع هذا الاثر الى ان اصاب محتويات الرواية في موضوعها واشخاصها فمالوا بها نحو الوضع الرومانطيقي ، فكأني بنا اليوم نقطع في ادبنا الروائي مرحلة تشابه مرحلة « الرومانتيزم » في الادب الفرنسي . فأثر الشخصية او الفردية ، وتصوير العاشق هزيلاً اصفر في حالة نفسانية غريبة ، حبه غامض ساكت ، كل هذه جلية في قصص تقي الدين وعواد واحمد مكي ، لا سيما وهم الذين اعترفوا بان هذه القصص ، وان فقدت شيئاً من قيمتها الاجتماعية ، فانما هي قصص خاصة بفرد تحمل في حوادثها اطيب الذكريات .

خليل تقي الدين

وها هو تقي الدين يقول في مقدمة « عشر قصص » : « انا اكتب القصة لاصوّر الحياة كما تراها عيناي لا عينا غيري . » ثم ينهي مقدمته بقوله : « واذا خلت هذه الصفحات القصيرة من كل شيء فهي لا تخلو من ميزة واحدة تجعلها حبيبة اليّ وهي انها قطعة من قلبي » . وهكذا يظهر تأثير الفردية لا في اشخاص الرواية فقط انما في تصريحات المؤلف حتى انه لا يرى في الناس الا اشخاصاً يجب عليهم ان يأكلوا ما هو يمضغ . والحقيقة غير هذه فقلب خليل تقي الدين ليس بقلوب الناس ، والحياة التي رآها بعينيه وصورها ليست المجتمع ، انما رآها من خلال قلبه واراد ان تكون كما رآها .

ـ قال احدهم : خليل تقي الدين زعيم المدرسة التصويرية ولا ارى مسوّغاً لهذه التسمية ، وقد تتحقق عدم وجود تلك المدرسة . وغريبٌ ان يقال عنه

زعيماً ، وما من احد ليتزعم عليه ، وان يذكر نوع مدرسة ما من اديب قد انضمّ اليها . انما تنبهت لامر وهو ان خليل تقي الدين ، وقد جعل قصصه ترتكز على الوصف والتصوير ، تعلّق بهذه المظاهر وانكر حقيقة القصة الفنية حتى تجده يقول في مقدمة « عشر قصص » : « ولكنني اذا ما عدت الى نفسي رأيت الحقيقة تنكر هذه الحوادث والعقد والحلول لانها امور متكلفة يجيء بها الكاتب ليتلهى بها السذج من القراء ويضحي في سبيل ذلك بجوهر القصة وهو عرض الصفحة من صفحات الحياة في الشكل السهل الواضح الذي تبدو فيه » . وجوهر القصة عند خليل تقي الدين الوصف والتصوير كما قال في احدى محاضراته : « والحادثة في القصة الحديثة ليست الا عرضاً ، اما الجوهر فهو ما يقصد اليه الكاتب من وصف وتصوير » . واعجب بعد هذا ، كيف يجرؤ الكاتب ويقول بانه يصوّر الحياة . وهي التي تضم الكذب والخداع والخيانة والصدق والوفاء والاخلاص ، كيف به يمثل كل هذا في قصصه ويدعي بانها تأتي سهلة واضحة وان غيره ، من يسجل في قصصه كل هذا ، يكتب للسذج من القراء . وانا لا اناقش الاديب نظريته في القصة هنا ، انما جرت في امري لهذا الخلط في مقدمة كتابه ، وعدت الى نفسي لارى الحقيقة ، كما فعل هو ، بعد قراءة قصصه فوقعت على تناقض صريح ما بين المقدمة والقصص . شعرت بانه اراد ان يبتدع فكرة خاصة به ففعل في مقدمته وذكرها في محاضراته ، ولكنه لم يطبقها في قصصه . اراد ان يقولوا فيما بعد ، خليل تقي الدين أوجد المدرسة التصويرية ، انما اوجدها بالقول لا بالفعل . وتثبت ما نقول اذا ما درسنا قصتين من قصصه وهما « فارس الشامي » و« جحيم امرأة »

و« فارس الشامي » في رأيي اقرب قصة لمبدأ خليل تقي الدين الذي تكلمنا عنه من حيث دقة الوصف والتصوير . ولا بد ، وانت تقرأها ، ان تشهد صوراً بعيدة تتبين اشخاصها بكل ما فيهم ، بالبستهم وحركاتهم حتى في كلامهم .

في كل سبت يحمل سليم البوسطجي البريد الى اهالي القرية ، فيصوّر لك الكاتب صبية يتراكضون لملاقاته فيتزاحمون على من يمسك زمام البغلة ، وامهات ينتظرن عودة اولادهن وفتيات تدوم العريس المنتظر من بلاد بعيدة كثيرة

الاسماء عرفوها باسم « اميركا » . ويعيّد اهالي القرية كلما حمل لهم ساعي البريد خبراً مفرحاً فيشترك وبغلته في افراح العيد .

كان ذلك اليوم يوماً مشهوداً فتهافت جميع اهالي القرية لتهنئة ام فارس وبينهم المعلم ملحم ليمثل دوره البديع في القصة ، ليقرأ الرسالة ويخبر الوالدة المسكينة بوصول ابنها عن قريب . وبعد مدة كان فارس في بيروت يعانق اقاربه واصحابه ويتجه واياهم نحو القرية حيث العراضات ورائحة البارود والدبكة والرقص والسكر .

الى هنا نقع على تصوير رائع وصبغة فنية محلية نود لو تكون في مؤلفات كل اديب لبناني . ولم يكتف الكاتب بوصف الحوادث وتصويرها تصويراً دقيقاً ، انما تنبه لاستعمال المفردات القروية فزادت القصة روعة وجمالاً ، وصبغتها صبغة محلية لبنانية . فكلمات مثل الحلوينه ، والمصطبة ، والثياب ، وكتر خيرك يا ربي ، جعلت اسلوب القصة . ولكننا نشعر بان هذا القسم ، على الرغم من طوله ، لا يزال مقدمة لشيء ننتظره . ولو توقفنا عند هذا الحد لرأينا في « فارس الشامي » قطعة انشاء وصفية ، لا قصة من قصص تقي الدين . وتبتدئ القصة فنياً عندما وضعت العقدة ، وقد بدأت ام فارس بالتفتيش عن عروس لابنها . واذا ما لاقتها فاجأته بالخبر فرفض ، ولكنه نزل فيما بعد عند ارادتها فتزوج من ادما مرعي . واذا بالنهاية تسفر عن مصرع الوالدة وسفر فارس وانتظار الزوجة الابدي .

لولا هذا القسم الاخير لما كان « لفارس الشامي » تلك الروعة القصصية ، ولما قلنا عنها بانها قصة ، ولو نقصها شيء هام يدعو لان تكون العقدة في البدء فتدرك قمة التأثير في النهاية . ولكننا نترك هذا البحث ههنا ، لنبرهن للمؤلف بان العقدة التي انكر وجدت في مؤلفاته على الرغم منه ، ان في البدء او النهاية وانه لولا هذه العقدة والحوادث التي نعتها بالقشور لكانت قصصه فارغة لا مغزى لها ولا أثر ، وان بلغت ذروة الفن في الوصف والتصوير .

وننتقل الآن الى « جحيم امرأة » ليكون نقدنا اكثر ثباتاً ودقة . وكنا نشك ان نجد في القصة الاولى التي درسنا حادثاً تدور حوله القصة لولا المقاطع

الاخيرة . اما « جحيم امرأة » فكلها قشرة على حد قول المؤلف واما الجوهر فقد ذاب نوعا ما ، ذلك الجوهر الذي اتخذه تقي الدين مبدأ وكان خيالياً .

« . . . » علالين ثم نقط ثلاث . سليم شاب يشغل منصباً في شركة نفط كبيرة ، احب امرأة متزوجة . في الصفحة الاولى ، تظهر لك فعلية الموضوع ، امرأة متزوجة ربطها الحب بشاب ، جلسا يتحادثان هناك على صخرة كبيرة تطل على البحر : « وان اقلع عن هواي الا يوم يجف الدم في عروقي ويقف خفقان قلبي . . . » فاذا بالنقط الثلاث تنبهك لانتظار الحادث الذي اراد الكاتب ان يزيد تأثيره بالشكل الذي اظهره ، واذا بك تشعر بالثقل الذي يراده ويك ذلك التصريح ، وانت لم تقرأ بعد الا صفحة اولى ، ولم تقع ولا على وصف هام ، فتذكر قول الكاتب ان الجوهر في القصة هو الوصف والتصوير . وهل يريد خليل تقي الدين عقدة اقوى من هذه لتكون محور تأليفه ، عقدة ابعد اثرا واشد ألما من التي وجدت في « جحيم امرأة » ، ليرجع عن قوله . وكيف بنا نقول بعد ذلك ان الوصف والتصوير هما العنصران الاساسيان في وضع القصة ، واديبنا لم يطبق نظريته مع انه اراد ان يبتدعها ؛ وكانت عقدة قصته في الصفحة الاولى من « جحيم امرأة » .

ورب قائل يدعي باننا انتقينا قصتين تلائمان في وضعهما ذلك النقد الذي جئنا به ، غير اننا لو بحثنا في كل قصة من كتاب « عشر قصص » عن العقدة التي اهملها الكاتب ، لا بل انكرها ، لرأيناها تتمثل في سياق البحث ، لا في الحوادث فقط ، انما في اشخاص تقي الدين انفسهم . فشخصية « ساره العانس » قصة كاملة ، لا بل رواية .

وكأني بخليل تقي الدين اراد ان يتسامى عن كل هذا ليفتح طريقاً جديدة في تاريخ قصتنا الحديث ، فنردّ عليه بقول مارون عبود : « انه لا يستطيع ، وهو لم يكتب الا تسع قصص ، ان يضع قانوناً صارماً للقصة والقصصيين » ، وهو نفسه لم يطبق هذا القانون . ولا نعجب فيما بعد اذا لم نقع في « الاعدام » على تحديد فني للانواع التي ذكرنا سابقاً وانتقدنا وضعها في « عشر قصص » ، اذ ان الكاتب قد تملص منها وادعى فسادها .

غير اننا مهما تمادينا في نقد الوضع الفني في كتابات خليل تقي الدين ، فلا نعدم فيها صبغة محلية رائعة حببتها الى قلب المطالع ؛ فبدت قصصه على ما فيها من نقص في درس اخلاق بعض الاشخاص ، وسبر نفسياتهم ، وعلى ما في بعضها من خروج عن وضع القصة الفنية ، شائقة في قراءتها ، جميلة في تصاويرها المحلية الناتئة ، سهلة باسلوبها الطري الناعم .

□

توفيق يوسف عواد وتنوعت مظاهر الفن القصصي ، فولد في السنين الاخيرة نوع تصوري جميل ، الى جانب الذي عمل في حقله تقي الدين وقالوا انه تصويري . هو ما يظهر في قصص توفيق عواد وفي روايته « الرغيف » . وقد كان لاديبنا رأي خاص في كتابة القصة ؛ كما كان لغيره طبعاً ، اراد ان يظهره في كتاباته الاولى ثم انكره عندما كتب الرغيف . كان توفيق عواد يعتقد ، بادئ ذي بدء ، ان كل ما خطته يد فنان وكان للقصص فيه نصيب يحمل اسم قصة . ولكن ما لبثنا ان رأينا « دار المكشوف » تصدر « رغيف » عواد حاملاً تحت عنوانه كلمة رواية . ففكرت ، وربما كنت على حق ، ان الكاتب تراجع عن رأيه السابق واقرّ بمختلف انواع الفن القصصي فقال ان هناك رواية ولعله يقول في ما بعد بوجود الحكاية والاقصوصة وغيرهما . . . وعلى كل فقد كتب قصصاً ورواية نجتهد في درس بعضها .

جمع توفيق عواد تسعاً من قصصه في كتاب اطلق عليه اسم احداها « قميص الصوف » . ونتعهد افضلية الكاتب فندرس هذه القصة ، على ما فيها من نقص بيّن ، لنقابلها فيما بعد باحدى قصص الكتاب « كبية » مثلاً .

امٌ ارملة تنتظر وصول وحيدها مساء عيد الفصح فتعمل على ترتيب المنزل وتذبح له ديك دجاجاتها . يصل مع زوجته عند الساعة الثامنة مساء . فيقضيان السهرة مع العجوز الى ان يسمعوا دقات الجرس فيهبون مسرعين ليرتدوا اثوابهم ويتوجهوا نحو الكنيسة . حوادث خلاف بسيطة بين الام والكنة ، تتخلل هذه المقاطع ، فاذا بها سرد سريع لا تكوّن عنصراً قوياً في القصة . وينبلج الصبح ، فتطلب زوجة امين ان يرجعا الى بيروت ، واذا بالام تهدي الى ابنها قميصاً من

شغل يدها ، ليكون هذا القميص عزاءاً لقصة عواد . راجعت القصة مرتين وثلاثاً لاقع على حادث هام يملك حواسي فلم اجد الا ما تبعثر هنا وهناك من خلاف بين الام والكنة واوصاف متشردة ربما لم يكن لها علاقة جدية بالموضوع . وبحثت عن تسمية القصة « بقميص الصوف » فرأيت البحث عبثاً ، فرجعت عندئذ الى نفسي وذكرت محاضرة الكاتب في الفن القصصي واذا به على خلاف معنا على وضع القصة الفني ، واذا بالحوادث تكوّن عقداً متفرقة ضاع بها اثر «تكورزات الصوف» وضاعت معها القصة .

قلنا في المقدمة ان القصة اذا فقدت حادثاً هاماً بليغ الاثر لم تكن بالقصة خاصة اذا لم تتجه الاوصاف والحوادث التي تأتي على الهامش نحو ذلك الاثر الذي يريد الكاتب احياءه في نفس القارئ. فلو كانت قميص الصوف محور قصة عواد لتوجب عليه ان يأتي على ذكره في بدء قصته وان يوجه حوادث الخلاف بطريقة ما نحو الموضوع ليجعل القارئ فيما بعد يتناسى هذا حتى يفاجئه بالخاتمة فيكون لها الاثر الفعال في نفس المطالع . وعلى الرغم من طول القصة لم ارَ الكاتب موفقاً لا في اوصافة ولا في تصوير الاشخاص . لقد اضاع وقته في وصف انتظار الام مثلاً ، وترك ما هو اساسي في موضوعه كدرس اخلاق الام والكنة ليظهر اصل الخلاف بينهما . واذا ما اتى على وصف اخلاق ام امين البسها حلتين متناقضتين لا تتناسبان مع وضع القصة : في البدء ، ام امين ، ام عجوز يملك اعصاب القارئ حبها الاموي ويهزه ، ثم يظهرها الكاتب بمظاهر شهوة قتالة تحرمها النوم طوال ليلتها ، ويا ليت ، بل تدفعها لأن تترك غرفتها وتذهب الى حيث ينام الزوجان لتتحقق فيما اذا كان ولدها نائماً بقرب زوجته ، تتحقق هذا على ضوء البروق . . . هذا التناقض في اظهار اشخاص عواد في « قميص الصوف » خفف من اثر قصته فخابت آمالنا ، لو لم نقع على غيرها فنجد فيها ما اردنا بل ما يريد الفن القصصي .

رفرف توفيق عوّاد صغيراً حول عش قصته الصغير . وسرعان ما انفسح له المجال ليرى الكون بكل ما فيه ويشعر ان هذا الكون ملكه وخاصته . يجول بخياله الدنيا ليرى فيها العجائب ويتنقل في قصصه بين طبقات المجتمع على

اختلافها ، فتراه مع الاولاد يستشهدون الكلاب في بحرصاف ، وتراه في الاندية يجرع الخمرة بين دلال راقصة وغنج اخرى ، وتراه بين مظاهر الحياة جماء . وفتش توفيق الاديب في كل هذه المراحل عن حوادث استهوته وتركت في اعماقه اثرًا بليغاً ، فلم يقع الا على عهد يريد ان ينساه لولا ذكريات الجوع والمشقة ، الا على برهة تحبس عليه انفاسه لو مرت بمخيلته ليتصور توفيقاً الصغير واقفاً بالقرب من والديه « يرفع انفه حيناً بسؤال الى والده ويشير باصبعه حيناً ويصفق مسرورًا حيناً آخر » . يصفق لجنود يدخلون لبنان دخول الفاتحين سنة ١٩١٤ لا لان لبنان بلد عدوّ ، بل لان فيه طموحاً للحرية والاستقلال ، يصفق لقوم حرموا كل لبناني رغيف الخبز فجاع وحرموا البلاد رغيف الحرية فجاعت ايضاً . وكأني بالاديب قد جمع بين أثر جوع لا يزال يذكره وجوع قد استفاق عليه الآن فراح يدوّن حوادث روايته «الرغيف» .

والرغيف رواية ذات مدخل وخمسة فصول : التربة ، البذر ، الغيث ، السنابل ، والحصاد . ولكل من هذه الفصول قيمة معنوية لم يأت الكاتب على تسميتها حباً بمفرداتها انما جعل منها عناوين حية لروايته . ويدور الموضوع حول حوادث الحرب الكبرى في لبنان وبعض الاقطار العربية المجاورة على ان المسرح الاولي ساقية وادي المسك في بحرصاف .

رواية ملأى بالحوادث الشائقة المنتقاة ولا ارى توفيق عواد غير واقع على موضوع يأخذ بلباب القارئ اللبناني فيرى فيه صورًا حية لامة اشتاقت افواه ابنائها الى رغيف من الخبز تمضغه أسنانهم ، ونفوسهم الى رغيف الحرية ؛ ويشهد القارئ العربي بدء حياته القومية يوم استشهد الابطال على الاعواد وفي ساحات الحرب .

والرغيف رواية جمعت في عرضها الفني اكثر العوامل الاساسية التي جعلت منها اقرب المحاولات الروائية في فننا القصصي الحديث . حوادث عديدة ومختلفة تتقارب وتتجانس لتكوّن وحدة في الظهور فكأنها تتجه في كل فصل نحو عنوان الفصل ، وتتجه ايضاً هذه كلها نحو موضوع الرواية : الرغيف فالترتيب القائم بين التربة والبذار والغيث . . . ينتقلك من مرحلة الى أخرى فتتصل هذه

بالاولى وتهيء مجالاً لغيرها ، فتمدو ، وتمدو الى ان تصل الى النهاية ، الى حيث السنابل الناضجة فالحصاد .

هذا من حيث التنسيق الانشائي ، اما من حيث مادة هذه الفصول فقد ابدع الكاتب في تصوير الحوادث لوحات ترى فيها الحقيقة الواقعة حتى ولو كانت بعيدة عن دقة الوصف في اظهار النتوءات الفنية ، فكأنك امام شريط سينمائي تتابع مناظره لا بعينيك فقط بل بفؤادك وكل جوارحك ، فتنقبض اعصابك اذا ما مرت تلك الصور المرعبة التي مسحها الكاتب مسحة خيالية فنية فترى جماعات الحرب الكبرى ابناء وطنك ، جياعاً يفتشون عن حبات الشعير بين روث خيل الاتراك ، وترى ورده كسار في قبو منزلها ملقاة بقرب ابي زيد تقضم ساقه وتأكل من لحمه ميتاً ، ولطالما أكل منها حياً .

وتنتقل من مجال الرعب والاشمئزاز الى ناحية الكفاح ، فتسمع اصوات الاحرار ينادون بالحرية فكأن اعصابك قد بدأت تهدأ ، وكأن بالكاتب قد هيأ مجال الانتقام : وهنا تتحقق مقدرة الكاتب في ايحاء الصور واستعجال المشاهد واستفزاز عواطفك لتتكلم عن اشخاص الرواية او تدافع عنهم وكأني بك تجاوب عن سامي عندما ردّ على رئيس دائرة التحقيق في عاليه بقوله : « انت كلب » .

ولا اريد ان يكون بحثي عرض الرواية الفني اكثر طولاً انما كنت اود لو اكتفى عواد بلبنان مسرحاً لروايته ، لكان العرض اكثر تماسكاً وترابطاً ، ذلك ان الانتقال بين لبنان والبادية قسم الرواية قسمين فظهرت حوادث الثورة العربية العامة ثانوية في قصص الرغيف . ولو شئت ان تراجع الفصول الثلاثة الاولى لشعرت بانها متماسكة حتى اذا ما نضجت السنابل وحان الحصاد بعدت الشقة وانقسم المسرح الى قسمين بعيدين عن الوحدة التي طالما جمعت حوادث الرواية . ولعلّ في هذا الانفصال اثراً واضحاً لخيال عواد الخصب . فعدا عن انه يختلق مواقف لا تحدث الا في مخيلته وعلى صفحات الكتاب ، فهو يعتمد الى حدّ اقصى على ذكاء القارئ وقوة خياله .

اما نوع الرواية الفني فهو اقرب الى التصوير منه الى التحليل. وقد لا نعيب على المؤلف قلة التحاليل النفسانية لانه خلطها عند الحاجة بالتصوير الفني عندما وصف لنا زينة في عاليه بجيرتها وقلقها وهي الغريبة بتلك الديار الملأى باعين الاعداء المترصدة وايدي الحاسرة الممتهنين . ونرجع هنا لنذكر من جديد صفة الايحاء عند المؤلف وقد يطلب من مطالعه مساعدة في ان يتخيل صور اشخاصه اذا ما قرأ اعمالهم .

ونختم القول بانه لو كانت لغة الرواية اكثر نقاوة لزادت قيمتها الادبية واحتلت مركزاً مرموقاً في المحاولات الروائية .

□

احمد مكي

واذا ما تابعنا بحثنا في سلسلة المدارس الادبية التي عرفناها في هذه الحقبة الاخيرة ، نقع على مذهب جديد في الادب القصصي الحديث ، وعلى نوع جرب ان يقوم باعبائه فتى في مقتبل العمر ، على نوع تلتبس رمزيته بالغموض ، حمل لواءه احمد مكي ، ونشره في كتابين : « ليلة القدر » « والنداء البعيد » .

الاول مجموعة فصول ، اما الثاني فرواية . قلت مجموعة فصول ولم اقل قصصاً او اقاصيص لان « ليلة القدر » ، و« العاصفة » ، و« السراب » ، لم تستوف ما هو مشترط في وضع القصة فنياً . ونرجع مرة اخيرة الى محور البحث فنطالب احمد مكي بمبدأ التأثير الهام والاخراج الفني الصحيح علّه يظهرهما لنا في «ليلة القدر» و«العاصفة» دون ان يكون بنفسه احمد مكي .

ليلة القدر : راهب وحوريتان ، مقاطع غزل وغموض . . . الخ .

العاصفة : بحر ، نزهة سلفيا وأحليا ، هياج الماء يطغي على الفار فيفترقان .

حرت في امري فلم اجد حلاً ، لو لم اقع على احد اعداد مجلة « المكشوف » فارى فيها عنواناً : « ليلة القدر بين مؤلفها ونعيمه والريحاني » . وضمّ المقال اموراً كان على الاديب ان يذكرها في مقدمة كتابه « والتي اذا جرّد منها بات خلواً من اي ميزة ادبية » .

قال : « ان غاية الكتاب القصوى ليست الفن » .

وقال ايضاً: « اني اجيبكم اني لم ألتزم الاصول المفروضة على كاتب القطعة المسرحية ولا الاصول المفروضة على كاتب القصة الواقعية ولا اية اصول مفروضة على كاتب ايّ نوع ادبي . اني لم التزم اصولاً لاني لا اعرف تلك الاصول.»

فتحققت ان لا قيمة لهذا الكتاب اذا تعرى من الاحوال الشخصية والتأثيرات الغامضة التي اعترت المؤلف في برهة ما من حياته ، فتراجعت ، وما النفع من دراسته ما زال يبعد كل البعد عما اريد ، لا بل عما يتطلب بحثنا في اصول الفن القصصي . فتركته الى حين سمعنا نداء المؤلف من جديد « نداءه البعيد ».

والنداء البعيد رواية اتخذت لها مسرحاً صوفر حيث التقى سليم بفتاة افرنسية فتحابا ، وتعاهدا على الزواج . غير ان دين كل واحد منهما حاجز في سبيل ما اراد . يلتقيان في بيروت بعد انقضاء فصل الصيف ، وعلى الرغم من كثرة الحواجز تبقى سلفيت امينة على ما قطعت من عهود حتى ينكشف سرها فتجبرها خالتها على السفر الى فرنسا ، الى حيث التعاسة والشقاء بقرب والدين لا يتفقان ابداً ، وأخ مريض واخت تعيسة.

يقول بعضهم ان الكاتب قد حاول حلّ احدى العقد الاجتماعية الهامة ، ويقول آخرون انه لم يرَ في هذا الحادث الا موضوعاً لروايته ، ولم يمرّ بالفكرة الا عرضاً وعلى سبيل الطرافة . ومهما يكن من أمر ، فالرواية في وضعها القصصي تنم باخبار حبيبين لم تطل احلامها ، وتعرض مشكلة اجتماعية بعيدة الاثر في حياة امتنا . ولعل عرض هذه المشكلة قد جعل للرواية موضوعاً لم يطرقه احد في ادبنا الروائي باسلوب احمد مكي . فحب سلفيت لسليم شيء طبيعي اعتيادي مهما فكر الكاتب بتنميقه وترويقه ؛ غير ان الناحية التي انحرفت « بالنداء البعيد » نحو الطرافة هي تلك الحواجز التي منعت حبيبين من الزواج ، منعتهما باسم الدين.

جميل ان نرى هذه الجرأة من احمد مكي يعالج اكثر الامراض الاجتماعية صعوبة ، وجميلة هي الطريق التي عالج بها المؤلف ذلك المرض القتال .. خلاف بين فضيلتين من الشعب ، خلاف بين الافراد ثم بين حبيبين ؛ ولم يرتكز هذا

الخلاف في اساسه على موازين عقلية او منطقية ، انما ارتكز على عقائد وتقاليد وعادات يتمسك بها طرفان يمثلان في الرواية اهل سلفيت ومحيطها من جهة ، واهل سليم ومحيطه من جهة اخرى.

وان قيام الخلاف على مثل هذا الشكل لا دواء له الا العاطفة . وقد عرف احمد مكي كيف ينال القارئ ، مسيحياً ام مسلماً ، يناله من ناحية قلبه . فالمؤلف ، لم يعالج قضيته بواسطة العلم ولم يستعن بالفلسفة والمنطق ، انما فعل بواسطة قلب رقيق وشعور ناعم . ولا شك في ان اثر « النداء البعيد » اكثر عمقاً من الخطب السياسية والدروس الثقافية.

غير اني كلما قربت من نهاية الكتاب شعرت بانقباض يحز قلبي ، لا لان سلفيت لم تتزوج من سليم ، بل لاني رأيت الكاتب يخفق او يريد ان يخفق في حل مشكلته ، وكنت اشك بانه يصل الى هذه النهاية . فكما ان سليماً لم يتملص من محيطه فيحطم قيوده ويكسر اغلال الدعاية للبغض ، هكذا احمد مكي ولعله خاف من ان ينادي بالحقيقة جهراً فيرمونه بالزندقة ، مع انه مؤمن بهذه الحقيقة وقد رآها ساطعة كالنور.

ولو تركنا العاطفة الوطنية على حدة وجئنا نبحث خاتمة الرواية من حيث الفن فقط ، لقلنا بان موضوع الكتاب « النداء البعيد » يتطلب نهاية اتفاق بين سلفيت وسليم يكسران بواسطته اغلالاً عتيقة ، وان لم يسفر هذا الاتفاق عن زواج. كان على الكاتب ان يسيرهما في سياق الرواية ويجعلهما يعتقدان بما يعتقد ولا يتأثران بافكار محيطهما وعقائد اهلهما السامة . فاذا اراد الكاتب بمعنى « النداء البعيد » ؟ اليس ذلك الصوت الذي ترهف لسماعه كل اذن حساسة ، اليس ذلك الصوت الذي يرتفع من اعماق كل مسلم ومسيحي مفكر يهمس كلمات التضامن والابتعاد عن تلك العادات المتفشية . وقد نتصور المنادي بعيداً فيكاد صوته يصل الينا ، الا انه يقرب شيئاً فشيئاً ويعلو صدى النداء .

الا يعني الموضوع كل هذا ، ومع ان الكاتب من المبشرين بكل حركة قومية كان عليه ان يمثل شيئاً من هذا في روايته حتى ولو ابتعد عن حقيقة الامر ، عفواً عن حقيقة المجتمع المقلد ، لا عن حقيقة الامر.

ولو جئنا الآن ندرس «النداء البعيد» من حيث وضعها الفني الروائي، وقد تمت فيها اكثر شروط الرواية، كانت بموضوعها الطريف مؤلفاً جديداً نصفه بين المحاولات التي نجحت في ادبنا الحديث. ولعلّ الكاتب قد درس اصول الفن القصصي فتناسى ما ذكر في ردّه على نعيمه والريحاني. ففي «النداء البعيد» حوادث منتقاة جعلت من الرواية كتاباً يطالعه المرء دون اي ملل او توانٍ، ولربما رجع هذا الفضل الى اسلوب الكاتب الجديد. فعدا ذلك التناسق الذي ظهر في الفصل الاول، يحتوي الثاني على رسائل ومذكرات، غير انها تتابع في وصفها وترتيبها الحوادث الاولى، لا بل تكملها دون اي انتقال او مفاجأة. ونحن نتابع ما جرى بين سليم وسلفيت دون ان يقص الكاتب علينا شيئاً، بل ندفع الى ذلك بمجرد قراءة رسائل سلفيت ومذكراتها.

وفي الرواية، غير تلك الناحية الفنية في وضع الحوادث وتنسيقها، صور رائعة سمت ببعض المقاطع الى اعلى درجات الادب الراقي. ولعل العاطفة الرقيقة التي بثها الكاتب ما بين سطور الرواية جعلت من المناظر التي وصف، صوراً حية، فكأنك تسمع في وادي حسانا موسيقى علوية، او ترى خلال الضباب الزاحف نحو صوفر اخيلة تتراقص وتتراكض. ولم تكن تصاوير المناظر الطبيعية وحيدة من نوعها في الرواية، انما ظهرت سلفيت من خلال سطر واحد عندما قال: «يحبها الرجال لكل ما فيها ويتمنونها بكل ما فيهم». على انه لم يتمادَ في اظهار شخصيتي سلفيت وسليم على النطاق التي تتطلبه الرواية ذلك انهما يمثلان دوراً مزدوجاً: واحداً يتحابان به ويتعانقان، وآخر اجتماعياً سيطر في جوه ميعان وخوف.

وعلى كل «فالنداء البعيد» اظهر لنا ناحية مضطربة من المجتمع ان لم يكن ببحث منطقي فباسلوب روائي، حالة كثيرين امثال سلفيت وسليم تحول دون سعادتهم تقاليد متوارثة يفيد بحثها ومناقشتها.

□

ولو قلنا الآن باننا اشرفنا على نهاية البحث، لاعترض كثيرون بقولهم انهم لم يقعوا على دروس وابحاث تامة في ما كتب ادباؤنا في هذين القرنين الاخيرين.

على انه ، وقد طال البحث ، فقد كان من المستحيل الا ان تنحصر دروسنا في نماذج قليلة كما فعلنا . وقد أهملنا بعض المؤلفات التي تبعد بعضها عن الفن في كتابة القصة ويظهر البعض الاخر اعتيادياً مبتذلاً.

لقد اهملنا درس كتاب « كان ما كان » لمخائيل نعيمه ، على كونه من ادبائنا الكبار وله فضل بالغ بانه اول من كتب ، مع جبران ، في الفن القصصي العصري ، وحاول بعث هذه الناحية لما كان ادباؤنا الحاليون بعد في احلام الطفولة وامال الشباب . الا اننا رأينا في قصصه ، ما رأيناه في قصص جبران ، من الضعف الفني في التأليف ، ومن الانصراف عن الاخذ باصول هذا النوع الادبي . وان نكن قد خصصنا جبران ببعض البحث فلأننا شعرنا ، في محاولاته القصصية ، بتأثير قوي يبثه من خلال سطوره ، في نفس القارئ باسلوب جديد لم يعرفه الادب الحديث من قبله.

❁

ولا بد من كلمة وجيزة ننهي بها هذا البحث متفائلين بتقدم انواع القصص في ادبنا كلما ازداد احتكاك ادبائنا باصول هذا الفن عن طريق الادب الغربي.

ولا يخفى اننا ، مع كل الجهد الذي بذله كتابنا ، لا نزال في طور المحاولات ، محاولات يقرب بعضها من الكمال الفني . فروايات «لماذا» و«الرغيف» و « النداء البعيد » ، وقصص مثل «توما» ، وحكايات مثل « على عهد الامير » لجديرة بان تقدر قدرها الكافي ، لانها احتفظت باكثر شروط القصة الاساسية في عهد انبثاق القصة في الادب اللبناني.

ولا شك ان هذه البوادر تبشر بمستقبل زاهر للفن القصصي وتفتح باب الامل لادباء حاولوا الكتابة في مختلف الفنون القصصية ، فتكلل مؤلفاتهم بالظفر ، وينتهون حقاً الى وضع ما نسميه « رواية » او « قصة » او « حكاية » تختلف الواحدة عن الاخرى بكل ما فيها في الوضع والاخراج.

ثياب الوشي

بقلم حبيب زيات

لو قُدّر للحضارة العربية من يروي اخبار صناعاتها وفنونها التي تلقّتها مَهرَة الصناع البلديين في الشام ومصر والعراق عن حذّاق الروم والفرس ، لكان لنا في وصف بدائع النسيج وحده ما يجدر ان يُخطّ باقلام الفخر على صفحات الدهر . وقد بلغت منسوجات الشرق اقصى غايات الشهرة في الغرب واقبل الملوك والاغنياء ورجال الدين على اقتنائها والمباهاة بها والتجمل بمحاسنها ، حتى ندر في القرون الوسطى في اوربة ان لا تكون خزانة من خزائن القصور والبِيَع والاديار مزدانة ببعض طرائفها ، ولا تزال منها الى اليوم بقية محفوظة بغاية الحرص والاعجاب في بعض اصونة ذخائر المدن والكنائس في فرنسة .

ومن هذه المنسوجات الفائقة التي افتنّ العمال قديماً في حياكتها وتلوينها ثياب الوشي ، وقد سبقت الاسلام . ولما افتتح عمرو بن العاص مصر وجد القوم يتجملون بالوشي ، فبادر الى الاقتداء بهم . وقد وصفه بعض من رآه وسمعه يخطب على المنبر فقال : « رأيت رجلاً ربعة قصد القامة وافر الهامة ادعج ابلج عليه ثياب موشّيَة كأن به العقيان »[1] . ولسوء الحظ لم ينتهِ الينا اقل وصف للوشي قبل الفتح او بعده سوى كلمات وجيزة بدرت عَرَضاً من افواه الشعراء والكتاب كقول ياقوت : « الوشي نوع من الثياب المنسوجة من الابريسم »[2] . وفي هذا التفسير من القصور والغموض ما لا يزيد علماً ولا يكشف سرّاً . وفي كتب اللغة آثار ضئيلة من اوصاف الوشي منها « المضرَّس » لنوع فيه صور كأنها اضراس ، « والمضلَّع » للمنقوش بمثل الضلع ، « والمخلَّب » للكثير التلوين ، « والكذّابة » لثوب يُنقش بالوان الصبغ كأنه موشيّ . قال اسحق الموصلي وقد سأله المأمون عن مخارق وعلّوية من المغنيين : « ما هما عند القديم الا مثل الكذّابة عند الوشي الاسكندراني »[3]

١) فتوح مصر واخبارها لابن عبد الحكم ١٤٠

٢) ارشاد الاريب ٧ : ٤٢٥

٣) السادس من كتاب بغداد لابن طيفور ٢٢٦

ويقال للصانع الذي يشي الثوب الواناً « المُشمج »[1].

ومن هذه اللمع يتحصل ان الوشي كما يدل عليه لفظه كان كثير الالوان ولذلك قال المعتمد لعبدالله بن خرداذبه ، وقد وصف لـه العود والملاهي : « كلامك كمثل الثوب الموشيّ يجتمع فيه الاحمر والاصفر والاخضر وسائر الالوان »[2]. واكثر ما كانت تنقش فيه اشكال الازهار والرياحين ، وهو ما اشار اليه عبدالله بن المعتز بقوله :

وعلى الارض اخضرار واصفرار واحمرار
فكأن الارض وشي بالغت فيه التجار
نقشه آس ونسر ين وورد وجلنار[3]

ونظيره قول كشاجم في دير يوحنا :

وكأن المنثور حلة وشي مثلما ما حوت تخوت التجار
في طراز الربيع حبكت ولكن نمّقت وشيها يد الامطار
اقحوان وسوسن حسن النو ر وشيح منمنم وجلنار[4]

ولا يخفى جمال مثل هذه الاثواب التي اجتمعت فيها محاسن الطبيعة وزخارفها وتُلد فيها اجمل النباتات والازهار. فلا بدع اذا افتتن بها الامويون وولعوا باتخاذ كل البستهم منها ، فتعددت اعمال الوشي في ايامهم ، وانتشرت في المدن والامصار ، وكثر الاقبال عليها بين الناس على اختلاف طبقاتهم ومراتبهم. ويظهر ان احسن الوشي كان وشي الاسكندرية ، ولا عجب فان هذه المدينة اشتهرت قديماً بكثير من منسوجاتها الفائقة حتى كانت تحمل منها الى كل الامصار وكان وشيها يضرب به المثل في الحسن والاتقان . قال اسحق بن ابرهيم الموصلي : قلت في ليلة من الليالي (بيتين من الشعر ذكرها) فلما اصبحت انشدتها الاصمعي فقال : هذا الديباج الخسروانى هذا الوشي الاسكندراني[5] . ويستدل من رواية

---

١) معاجم اللغة كاللسان والتاج واساس البلاغة .
٢) مروج الذهب هامش الكامل ١٠ : ٢٤
٣) الاغاني ٩ : ١٤٥
٤) الديارات للشابشتي خزانة برلين ١١٢
٥) الاغاني ٥ : ٧٥ – ٧٦

السيوطي ان وشي الكوفة كان يضارع وشي الاسكندرية ، اذا كان لا يفوقه وهو قوله : بالاسكندرية يعمل الوشي الذي يقوم مقام وشي الكوفة[1] . ومما يشهد بتعدد معامل الوشي بالكوفة وجلالة التجارة به فيها انه لما ذهب ابو طاهر القرمطي الكوفة سنة ٣١٢/٩٢٤ « كان في جملة ما حمل اربعة آلاف ثوب وشي »[2] . ولما عدد ابن الفقيه خصائص البلاد ذكر بينها الوشي الكوفي.[3]

ويبعد جداً ان لا تكون دمياط ودبيق وشطا وتنيس المدن التي اشتهرت بثيابها ومنسوجاتها الفائقة قد شاركت الاسكندرية في صناعة الوشي . وقد نص ابن واضح على تنيس فقال : « مدينة قديمة تعمل بها الثياب الرفيعة الصفاق والرقاق من الدبيقي والقصب والبرود والمخمل والوشي واصناف الثياب »[4]

ولليمن منزلة عليّة في فنون الحياكة . وامتازت صنعاء فيها بصناعة الوشي حتى ضرب بها الامثال في الغرب فقال الاديب ابو عمرو احمد بن دراج القسطلي من قصيدة له في منذر بن يحيى وورود صاعد اللغوي :

واهدت لهُ بغداد ديوان علمها هدية من والى وتحفة من حيّا
فكانت كمن حيّا الرياض بزهرها واهدى الى صنعاء من نسجها وشيا[5]

وقال بعضهم في وصف مدائحه :

شغلتك عن حسن السماع مدائح حسنت فما تنفك تطرب سامعا
جاءتك مثل بدائع الوشي الذي ما زال في صنعاء ينمى صانعا[6]

ومن المدن الفارسية التي ينسب اليها الوشي فسا وبها « طراز الوشي المرتفع الذي ليس بسائر الآفاق كهو اذا كان مذهباً[7] واذا كان ساذجاً فكالذي بجرم واصبهان . »[8] وللعماد الاصبهاني في وصف الابله البغدادي الشاعر : « عذب اللفظ

---

١) حسن المحاضرة ٢ : ١٩٣
٢) تجارب الامم لابن مسكويه ، طبعة مصر ، ٥ : ١٤٦
٣) كتاب البلدان لابن الفقيه ٥٠
٤) كتاب البلدان لابن واضح اليعقوبي ، طبعة ليدن ، ١٣٦
٥) الذخيرة لابن بسام ١ : ٥٥
٦) احسن ما سمعت للثعالبي ، طبعة مصر ، ٤٤ — ٤٥
٧) المسالك والممالك لابن حوقل ٢١٣
٨) مسالك الممالك للاصطخري ١٥٣ و ١٦٦

ارق من النسيم السحري واحسن من الوشي النستري »[1]

واشهر من كان مغرى بثياب الوشي من الامويين لا يؤثر ان تقع عينه على غيرها بين اهله وبطانته وحاشيته وخدمه سليمان بن عبد الملك الخليفة الشاب ، كما كان يدعو نفسه ، قال المسعودي :

« كان سليمان بن عبد الملك يلبس الثياب الرقاق وثياب الوشي وفي ايامه عمل الوشي الجيد باليمن والكوفة والاسكندرية ولبس الناس جميعاً الوشي جباباً واردية وسراويل وعمائم وقلانس وكان لا يدخل عليه رجل من اهل بيته الا في الوشي وكذلك عماله واصحابه ومن في داره وكان لباسه في ركوبه وجلوسه وعلى المنبر وكان لا يدخل عليه احد من خدمه الا في الوشي حتى الطباخ فانه كان يدخل اليه في صدرة وشي وعلى راسه طويلة وشي وامر ان يكفّن في ثياب الوشي المثقلة ».[2] واقتدى به امير مصر احمد بن طولون فكُفِّن في الوشي.[3] وجوهر القائد « فكُفِّن في سبعين ثوباً ما بين مثقل ووشي مذهب »[4] وفعل كذلك وزير المعز لدين الله يعقوب بن كلس « فكُفن في خمسين ثوباً من وشي وشرب دبيقي منها ثلاثون منسوجة بالذهب »[5].

وجرى الوليد بن يزيد على نمط سليمان فكان يتشح دائماً بثياب الوشي . ولما غنّاه مرة عطرد بعد اشخاصه من المدينة قال عطرد : « فوالله ما اقمته حتى شق حلة وشي كانت عليه لا ادري كم قيمتها فتجرد منها كما ولدته امه

---

١) وفيات الاعيان لابن خلكان ، طبعة مصر ، ٢ : ٢٥

٢) مروج الذهب ٧ : ١٠٨ — ١٠٩ ويراد بثياب الوشي المثقلة « المنسوجة بالذهب » وهذه اللفظة لم ترد بهذا المعنى في المعاجم وهو ما فسّرها به المقريزي في الخطط (٣ : ١٠) ومما يؤيد هذا التفسير قول ابن مسكويه : « خلع عليه خلع متادمة وكانت مثقلة بالذهب » (تجارب الامم ٥ : ٨٥) ولا شك انها مأخوذة من قولهم: « كل شيء نفيس مصون فهو ثقل . » وفي الاغاني : « ثبّت ما في الخزانة من الثياب المثقلة الاسكندرانية والهاشمية » (٩ : ٦٧) وفيه ايضاً : « رأى المعتز وعليه وشي مثقل وجوهر » (٢١ : ٦٧) وفي الديارات للشابشتي : « جلس على سرير الذهب وعليه ثياب الوشي المثقلة » (١٦٩)

٣) سيرة احمد بن طولون للبلوي ، دار الكتب الظاهرية بدمشق ، رقم ٢٤٣

٤) الخطط ٢ : ٢٠٧

٥) الخطط ٣ : ١٠

والقاها نصفين . . . وان كان من غد جاءني رسوله في مثل هذا الوقت فاحضرني فلما دخلت عليه قال لي : يا عطرد غنني :

ايذهب عمري هكذا لم أنل بها ... على تنفي قرح قلبي من الوجد

فغنيته اياه فشق حلة وشي كانت تلتمع عليه بالذهب التماعاً احتقرت والله الاولى عندها ثم القى نفسه في البركة . . . واخذت الحلة فوالله ما قال لي احد دَعْها »[1] وغنى ابو كامل الوليد بن يزيد ذات يوم « فطرب الوليد وخلع عليه حتى قُلنسية وشي مذهبة كانت على رأسه فكان ابو كامل يصونها ولا يلبسها الا من عيد الى عيد .»[2] وحدث حكم الوادي من المغنين ايضاً قال: « ادخلني عمر الوادي على الوليد بن يزيد وهو على حمار وعليه جبة وشي وخف وشي»[3] وكان الوشي في ايام الامويين يخلع على النساء في مجالسهن وعلى الوصفاء . ولما جيء بنصيب الشاعر الى الامير عبد العزيز بن مروان وهو وصيف نوبي ابن نوبيين، قال عبد العزيز: « قوّموا هذا الغلام. فقالوا عشرة عشرون ديناراً فقال: « ردّوه فاخرجوه ثم ردّوه في جبة وشي ورداء وشي »[4]. « ودعت عائشة بنت طلحة يوماً نسوة من قريش فلما جئنها اجلستهن في مجلس قد نُضِّد فيه الريحان والفواكه والطيب والمجامر وخلعت على كل امرأة منهن خلعة من الوشي والخز ونحو ذلك »[5].

وتتابع الامويون على مثل هذا الشغف بالوشي حتى اذا قتل السفاح من قتل منهم « امر بهم وجرّ بارجلهم فألقوا على الطريق وان عليهم لسراويلات الوشي والكلاب تجرّ بارجلهم»[6].

وما لبث العباسيون ان اتتنوا بهم في التأنق والتجمل بالثياب فكان السفاح اول من لبس الوشي منهم. واراد يوماً ان يستشير ابن هبيرة المخزومي

---

١) الاغاني ٣ : ٩٨ – ٩٩

٢) الاغاني ٦ : ١٤٤

٣) الاغاني ٦ : ٦٥

٤) الاغاني ١ : ١٢٢

٥) نهاية الارب للنويري ٤ : ٢٦٩

٦) الاغاني ٤ : ٩٥

في من يوليه العهد من بعده فاستدعاه الى مجلسه قال ابن هبيرة : « رفع الستر ودخل وثبتُ في مجلسي فاقام مليًا ثم خرج في ثوبي وشي ورداء وجبة فما رأيت احسن منه ومما عليه .»[1] ولا شك ان المنصور لم يقتدِ به في لباس الوشي لانه فيما قيل « كان يلبس الخشن وربما رقع قميصه.»[2] وعاقب مرة احد كتابه وهو محمد بن جميل وامر ببطحه « فلحظ سراويله فاذا هو كتان فانكر ذلك انكارًا شديدًا وامر به فبطح وضربه خمس عشرة درة ، وقال : هذا جزاؤك على سوء اختيارك في لبس هذا السراويل فلا تعاود »[3].

وفي زمان المهدي والهادي عمّ لبس الوشي الرجال والنساء وكان الشاعر سلم الخاسر «يأتي باب المهدي على برذون قيمته عشرة آلاف درهم ولباسه الخز والوشي . »[4] ووصف ابو نواس جارية رآها بباب اسماء بنت المهدي فقال : « خرجت وعليها قباء وشي منسوج بالذهب وسراويل وشي اخضر منسوج بالذهب »[5] ولابي العتاهية في جواري المهدي بعد موته :

رُحنَ في الوشي واقبلنَ عليهن المسوح[6]

وازداد الوشي انتشارًا في خلافة الرشيد .ولما اعرس بزبيدة « كان يخلع على الناس خلع الوشي المنسوجة . . . واحضر نساء بني هاشم وكان يدفع الى كل واحدة منهن كيساً فيه دنانير وكيساً فيه دراهم وصينية كبيرة فضة فيها طيب ويخلع عليها خلعة وشي مثقل . »[7] وكان شديد الكلف بالوشي قيل انه « هب ليلة من نومه فدعا بجمار كان يركبه في القصر اسود قريب من الارض فركب وخرج في دراعة وشي متلثماً بعمامة وشي ملتحفاً بازار وشي.»[8] ولما توفي كان في جملة ما خلفه « من الحلل الموشية اليمانية وغيرها المنسوجة بالذهب الف وثمانمائة

١) مروج الذهب ٨ : ٢٦
٢) الفخري لابن طقطق ، طبعة مصر ، ١٤١
٣) كتاب الوزراء والكتاب للجهشياري ١٥٣
٤) الوافي بالوفيات للصفدي ، خزانة باريس ٢٠٦٥ ، ص ٢٥٠
٥) اخبار ابي نواس لابن منظور ١٦٦ — ١٦٧
٦) الفخري ١٦٣
٧) الديارات للشابشتي ٦٧
٨) الاغاني ٥ : ٣٠

حلة .»[1] وكفى بهذا القدر دليلًا على رواج صناعة الوشي في ايامه.

وكانت زبيدة مثله معجبة بهذا النسيج الباهر ، وصنع لها الرفيع منه « حتى بلغ الثوب من الوشي الذي اتخذ لها خمسين الف دينار.»[2] وهو ما لا يكاد يصدق لكثرة ما دخل فيه من الذهب . ونشأ ابنها الامين على مثل هذا الولع بالوشي المثقل . حدّث الاصبهاني انه طرب يوماً لصوت غنّاه اياه مخارق ، فخلع عليه « جبة وشي كانت عليه مذهبة ودراعة مثلها وعمامة مثلها تكاد تعشي البصر من كثرة الذهب »[3]. ثم بدا له فرقص قصعةً مصليّةً امر باحضارها بين يديه فوقعت في حجر مخارق وسال وَدَكُها على الخلعة حتى نفذ الى جلده . قال مخارق: «فلما رجعت الى منزلي جمعت كل صانع حاذق فجهدوا في إخراج ذلك الاثر منها فلم يخرج ولم انتفع بها حتى احرقتها واخذت ذهبها . »[3]

ولما جلس المتوكل في قصره المعروف بالبرج سنة ٢٣٩/٨٥٣ « جلس على السرير الذهب وعليه ثياب الوشي المثقلة ، وامر الّا يدخل عليه احد الا في ثياب وشي منسوجة او ديباج ظاهر »[4] . وكان يلبس الوشي المثقل في ايام النيروز وهو ينظر الى اصحاب السماجة اي المساخر يلعبون بين يديه[5] .

ولم يكن الوشي لباساً وزينة للنساء والرجال فقط ، بل كان تُجمَّل به الجدران والاروقة في القصور والدور ولا سيما قصور الخلفاء . ومما حفظ من وصف دار الواثق بالله ، قول محمد بن الحارث بن بَسْخَتَر : افضيت الى دار مفروشة الصحن ملبّسة الحيطان بالوشي المنسوج بالذهب، ثم افضيت الى رواق ارضه وحيطانه ملبسة كذلك .[5]

ومن البديهي ان تكون المدن التي اشتهرت بصناعة الوشي ، هي اكثر استعمالًا له . وفي الدولة الطولونية كانت الجواري المغنيات :

---

١) لطائف المعارف للثعالبي، طبعة ليدن، ٧٢

٢) مروج الذهب ١٠ : ١٤٤

٣) الاغاني ٢١ : ٢٣٩ – ٢٤٠

٤) الديارات للشابشتي ٦٩

٥) « « ١٥

يتبخترن في الحرير وفي الوشي والحبر[1]

كما قيل في رثائهن ، ولاحمد بن اسحق الجفر في رثاء ولد احمد بن طولون :

ابن ذاك الخز المضاعف والوشي وما استخلصوا من الكتان[2]

ومثله لاسمعيل بن ابي هاشم :

واين ثياب الخز والوشي والحلى وارباجها ام اين تلك المطابخ[3]

وفي اعياد الخلفاء الفاطميين ، كانت الخيل تقاد وعليها الوشي ، كما قال عمارة اليمني :

والخيل تعرض في وشي وفي نيق مثل العرائس في حلي وفي حلل[4]

ولا حاجة الى القول ان اثمان ثياب الوشي كانت تختلف باختلاف اسعار الحرير ومقدار دخول الذهب في نسيجها، وقلّ جداً ان يُشار الى شيء منها، وربما بلغ الجبة منها للخاصة الف دينار . روى ابن ابي اصيبعة نكتة عن بختيشوع ابن جبرئيل يجدر ذكرها في هذا الصدد قال :

« كان المعتز بالله قد اعتلّ في ايام المتوكل علة من حرارة امتنع معها من اخذ شيء من الادوية والاغذية ، فشقّ ذلك على المتوكل كثيراً واغتم به ، وصار اليه بختيشوع والاطباء عنده وهو على حاله في الامتناع، فمازحه وحادثه ، فادخل المعتز يده في كم جبة وشي بإن مثقلة كانت على بختيشوع وقال : ما احسن هذا الثوب ، فقال بختيشوع : يا سيدي ما له والله نظير في الحسن وثمنه عليّ الف دينار ، فكُل لي تفاحتين وخذ الجبة ، فدعا بتفاح فاكل اثنتين ، ثم قال له : تحتاج يا سيدي الجبة الى ثوب يكون معها ، وعندي ثوب هو اخ لها، فاشرب لي شربة سكنجبين وخذه،فشرب شربة سكنجبين ووافق ذلك اندفاع طبيعته. فبرأ المعتز واخذ الجبة والثوب وصلح من مرضه ، فكان المتوكل يشكر هذا الفعل ابداً لبختيشوع . »[5]

١) الخطط ٢ : ١٢٢
٢) « ٢ : ١٢١
٣) تكملة ديوان عمارة اليمني ٦١٤
٤) عيون الانباء ١ : ١٤١ — ١٤٢

ولا بأس ان نلحق هذه الملحة باخرى ورد فيها ايضا اشارة الى ثمن ثوبين من ثياب الوشي : « ذكر الشاه بن ميكال ان بعض البزّازين عرض على محمد ابن عبد الله بن طاهر ثوبي وشي فعرفهما وعلم انهما من ثيابه ، فاحضر ابرهيم ابن هارون النصراني قهرمانه ، فامره ان يحضر الثوبين اللذين صفتهما كيت وكيت فذكر انه لا يعرفهما وانه رجع الى الاحصاء فلم يجدهما فيه ، ورجع الى الديوان فوجدهما ثابتين فيه ، وكانا ابتيعا بالف وخمس مائة دينار . فسألت عن الخبر ، فأُخبرت ان الكاتب في الخزانة اباعهما واسقط من الاحصاء عددهما . فامر بحبس الكاتب وقال لابرهيم ويلك تستكتب من يقدم هذا الاقدام ؟ فحلف انه ما وقف على مثل هذه الحال منه ، ولا عرف له مثل هذه الزلّة . فقال : ان كان الامر كذلك فليُطلق وامر له بخمس مائة دينار ، وقال له : تعفّف بهذه ، فاني اظن الحلّة حملتك على ذلك ، وردّ الثوبين على التاجر واطلقه . »[1]

ولا يُدرى متى بدأت صناعة الوشي بالضعف والانحطاط ، وهل سلم منها شيء بعد اجتياح التتر العراق والشام ، ونقل تيمور احسن الصناع وحذّاق الفنون الى سمرقند . ولم يُشر احد من المؤرخين المصريين الى الوقت الذي اخذت فيه بالتناقص والتلاشي من الاسكندرية خصوصاً وسائر المدن الصناعية عموماً ، ومن الشقاء والخسران ان لا تكون حُفظت لنا صُوَر من افانين الوشي وازياء لابسيه ، حين كان احدهم يتّشح به من قرنه الى قدمه بين قلنسوة وعمامة وجبة ورداء ودراعة وقباء وسراويل وخف ، وقد اجتمعت فيه ضروب الاصباغ والالوان كأنه قوس قزح على الارض ، او قطعة من قطع الروض .

ويقال لصانع الوشي وبائعه وشّاء ، وممن عُرف به من اهل الادب ابو يزيد الفارسي الفسوي ، ذكره ياقوت في ارشاد الاريب (٧ : ٢٢٥) ، وجماعة من المحدّثين اشار اليهم السمعاني في كتاب الانساب (ص٥٨٤) ، واشتهر بهذه النسبة ابو الطيب محمد بن احمد بن اسحق الاعرابي الوشّاء احد الادباء

---

١) الديارات للشابشتي ٥١

الظرفاء ، عدد ابن النديم مصنفاته[1] ، وبينها كتاب الموشى المطبوع في ليدن ومصر

ولا شك ان الوشي كان معروفاً مشتهرا في المغرب شهرته في المشرق . ومن البلاد التي برّز اهلها وفاقوا غيرهم في صناعته مدينة مالقة ، قيل ان « فيها من ضروب الوشي العجائب ، ويصنع فيها الفخار المذهب والزجاج. »[2]

---

١) الفهرست ١٢٦

٢) مجلد من كتاب المغرب في حلى المغرب (رقم ١٠٣ م تاريخ) في دار الكتب المصرية ، ص ١٥

معرض الفنون الجميلة

في المتحف اللبناني

بقلم رشدي معلوف

اكون معتدلاً في تفاؤلي اذا قلت ان النهضة التصويرية التي تتجلى طلائعها اليوم في لبنان ، بالغة ، ولا شك ، في السنوات القليلة المقبلة ، مستوى النهضات الفنية . ففي التصوير وحده ، دون سائر الفنون ، نسير اليوم على طريقة علمية تقدمية تتفق مع روح العصر . وامكانياتنا الطبيعية وافرة والحمد لله . فالتنوع في طبيعة ارضنا ، من اختلاف الوان واشكال وابعاد ، والتنوع في حياتنا ، وكذلك التنوع في مجاري ثقافتنا ، تضاف اليها مواهبنا الجمالية ، واستعدادنا للعمل الدقيق ، واخذنا الاصول عن مصادرها في الغرب ، كل ذلك لما يدعوني الى القول بان النهضة تبشر بالخير . . .

ولقد اتى المعرض الذي اقامته وزارة الفنون الجميلة للتصوير اللبناني في المتحف اللبناني دليلاً على صحة ما اقول ، فالمصورون اللبنانيون العارضون فيه ، من احياء واموات ، يمكن اعتبارهم مصورين اوربيين ، ومعاصرين ايضاً ، مع طابع لبناني واضح .

واذا كان داود القرم لم يؤم اوربة لدرس التصوير على اصوله الا من نحو قرن ، فذلك لا يعني اننا متأخرون عن النهضة التي وجدت في اوربة اربعة قرون . . . لان ما يمكن ان يأخذه طالب الفن اليوم من معاهد التصوير الاوربية هو خلاصة ما اعطته النهضة من تحسينات في علم الفن . فاستعمال الالوان وفهم طبيعتها ، والتخطيط ، وعلم التشريح ، وعلاقة الشكل بالمعنى ، لم تكن عند ليوناردو دافنسي ، على فضله في اكتشاف اكثرها ، ولا عند رافائيل وميكال انجلو ، على فضلهما ايضاً في اكتشاف بعضها ، لم تكن اوضح ولا ارسخ مما هي عند داود القرم او عند خليل الصليبي . . .

ولعله من حسن الحظ للدول الناشئة وللنهضات التي لا تزال في طفولتها ، ان تكون هنالك حقول للفن ما برحت في طور تطورها ، كالتصوير مثلاً ، لكي يتسنى لها ان تشعر انها تسير مع سواها على قدم المساواة . . . ولعله من حسن الحظ ايضاً ان نكون قد تأخرنا قليلاً عن اوربة في عاشاة النهضة التصويرية لكي لا نسرع في السير اكثر مما يجب ان نسرع ، فنبلغ من التطرف في التطور ما بلغته اوربة في الحقبة الاخيرة بين الحربين ، فانقطعت عن الكلاسيكية ، وانقطعت عن الواقع وعن الخيال الصحيح ايضاً ، وكادت تنقطع عن الجمال ، لولا بقية باقية في نفوس فنانيها من غاية الفن الوحيدة التي هي خلق الجمال الانساني . . اما لبنان ، فلم ينقطع يوماً عن الكلاسيكية ، ولقد استطاع ، رغم المغريات بعد الحربين ، ورغم احتكاكه بذلك التطرف السهل الكثير الاغراء ، ان يحافظ على تعلقه بالكلاسيكية ، وان لا ينحرف عنها ، وان لا يضيع غاية الفن . وذلك يعود لاسباب لا مجال لتعدادها الآن ، الا ان الهام هو اقرار نتائجها ، واقرار ما يمكن ان يترتب على نتائجها من مجد . فانا اعتقد ان لبنان هو البقعة الوحيدة المؤهلة في هذه الفترة من جنون الارض ، للمحافظة على التراث التصويري كما ارادته سنة التطور . ويكون شأنه في ذلك شأن الاديرة في حفظ الفلسفة في القرون الوسطى ، ويكون فضله على العالم فضل اولئك الرهبان .

هذا استطراد ، فلأعد الى موضوعي ، الى المعرض الذي اقيم في هذا الشهر ، فعرض فيه احد عشر فناناً لبنانياً ، مثلوا تطور الفن اللبناني منذ ان اصبح فناً الى اليوم . . .

ولا ادري اذا كان من المستحسن ، او من المفيد ، ان اتبسط في الكلام عن الصور التي عرضت ، والحديث عنها لا يجدي الا وسط المعرض ، عندما يكون باستطاعة القارئ ان يطبق نظريات التقدير والنقد على اشياء محسوسة ، يستطيع هو ايضاً ان يساهم برأيه فيها ، فيكون التفاعل بين الناقد والمتذوق اجدى لمصلحتها ومصلحة الفنان ايضاً . . .

ولكن ذلك لا يمنعني من الادلاء برأي يتعلق بالفنانين انفسهم ، قد يساعد

القارئ في تكوين فكرة واضحة الى حد ما عن المستوى الفني في لبنان ، كما قد يساعده على تذوق الصور بعد ان يكون قد استحصل على مفتاح جديد للتذوق هو معرفة صاحبها :

داود القرم

فداود القرم وهو اقدم الفنانين اللبنانيين الذين تعلموا الفن على اصوله في اوساط الفن الاوروبية ، مصور كلاسيكي الى ابعد حدود المحافظة على التراث ، جمع بين محاولات ليوناردو دافنشي لتجسيد المعنى ، ومحاولات رمبرانت لتجسيد الروح ، مع مراعاة للقواعد الثابتة في الخطين ، وفي فنه صلابة سببية حلوة الى ثروة « النهضة » .

خليل الصليبي

وخليل الصليبي ، على تشبثه هو ايضا بالكلاسيكية ، يتعمق بالاخراج ، قد حاول الخروج الى الجدة في الموضوع ، مع تشديد على استهداف الجمال والتأثير ، باللون حينا وبالموضوع احيانا ، فوفق بخلق طابع خاص يميز انتاجه عن انتاج سواه .

جبران خليل جبران

اما جبران فنوعه في الفن اوسع من ان اشمله في بحث موجز اراعي في تقسيمه النسب بين فنان وفنان . فدنيا جبران دنيا خاصة ، غنية بكل شيء ، وخاصة بالتأثير الجمالي السامي الذي تتركه عند متذوقيه ، دون ان يستطيعوا ادراك الاسباب التي ادت الى ذلك التأثير فلقد عاش الجمال الى حد جعل جو تصويره فوق مستوى اجواء الفن العادية . تضاف الى ذلك حذاقة في الاخراج يستغرب الناقد ان يكون جبران قد اعارها ذاك الاهتمام ! بيد ان الناقد لا يستطيع الا ان يقف عند ذلك التعدد في مجاري التأثير ، بين ثقافة غنية ، ومواهب متنوعة ، وحياة صاخبة ، تعمل كلها معاً ، ومع غيرها ايضاً ، في اخراج مبتكر مليء ، على خلق الجو الجبراني العالمي الساحر .

حبيب سرور

وعندما نصل الى حبيب سرور ، نجابه كلاسيكية في الاخراج ، لو ساندتها في الموضوع قوة من نوعها ، لجعلت لنا من حبيب سرور قمة عالمية في فن التصوير . ولكن هذا الفنان قد فاته ، على ما يلوح لي ، امر الغاية الجمالية القصوى من الفن ! فتفنن اكثر مما ستحسن

شباع الشوق الانساني الى الجمال

مطاروف فاضل

وبيكاروف فاضل ، المصور الشاعر ، امكانيات لا يعرف مداها غير محبيه ، وانا منهم ، فلقد كانت لهذا الشاب نفس حساسة متفتحة عاقلة متواضعة تحمل للتصوير اجمل الوعود ! وفي المحاولات القليلة ، التي سمح بها عمره القصير، تدليل على ما اقول .

يوسف الحويك

وعند الاحياء من الفنانين ، امدّ الله باعمارهم ، يزيد من التفاؤل . فيوسف الحويك ، النحات اللبناني الوحيد ، اذا عدينا المحترفين ، كرّس نفسه للجمال ، وحمل صخور لبنان جلالاته ومعانيه وساهم في تهذيب الذوق الفني مساهمة فعالة ، بيد انه عاد يتوخى العزلة بعد ان يئس وكاد من بلوغ الكمال في تهذيب الذوق العام واذا فاخرنا بنتاجه فنحن انما نفاخر بفنان لبناني عالمي ، على تجنبه التسطح في التأليف .

عمر الانسي

وعمر الانسي فنان جمالي جرىء، يرى ما لا يراه العاديون، فيخرجه، فاذا بالذي يراه اجمل مما يراه العاديون ! مؤلف في تركيب الصورة واستعمال الالوان ، يجمع بين عدم التطرف في الخروج على الكلاسيكية ، وبين مافي جدة الحديثين من حسنات . طابعه معروف ، انسي في الاخراج ، لبناني في الموضوع ! فاذا عدّ بين القيم اللبنانية فلم يمدح الا بالواقع الذي فيه .

قيصر الجميل

وكذلك الشيخ قيصر الجميل، فهو المؤلف في الجمال وفي المعنى ، خياله الشعري في خدمة ريشته والوانه،وتفكيره الفلسفي ايضاً ، والوطني بصورة خاصة ، لا يلتفت الى الوراء الا بنسبة ما فيه من حافز للوثوب . في كلاسيكيته انطلاق كلاسيكي ؛ وهو يحمل على كتفيه هم التوجيه الجمالي في البلاد ، وهمّ كل توجيه للبلاد فيه ذرة من الخير الانساني .

صليبا الدويهي

وصليبا الدويهي ، باني لبنان حقاً فوق حق ، طابعه كلاسيكي لبناني جمالي ، انيق في الرائه ، انيق في اختيار موضوعه . عرف كيف يجمع بين قداسة لبنان وجمال ارضه ومعانيه ، وتمت مجموعة التاجه لبنانا يمجد لبنان .

مصطفى فروخ

ومصطفى فروخ ، وقد راعيت الابجدية في ترتيب الاسماء ، يجيء في آخر الابحاث خاتمة صيغة . اختص [illegible] من [illegible] تلمسه [illegible] ذكاء [illegible] الريشة [illegible] الكلاسيكية [illegible] من مستوى [illegible] في [illegible] النفس ، فكان النهضة [illegible] تقوم على [illegible] لكي يجوز الارتفاع ، دون [illegible] او الخطر ، فعسى ان يكون [illegible] معرض الذي قدمته [illegible] وزارة الفنون الجميلة صورة صادقة للتقدم الذي نتمنى ! وبدء الجد في لبنان ترميم لا بناء ..

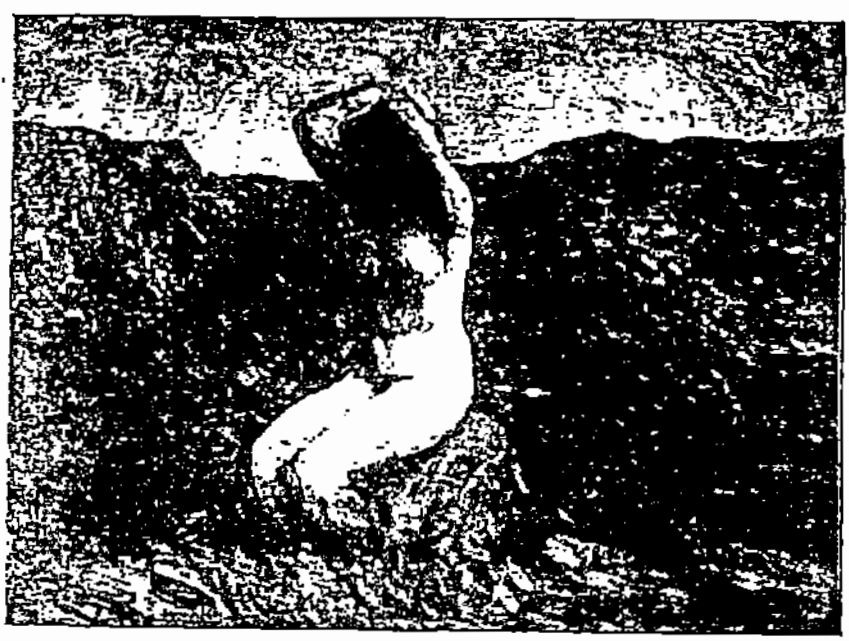

لوحة [illegible] خليل حاوي

داود القرم

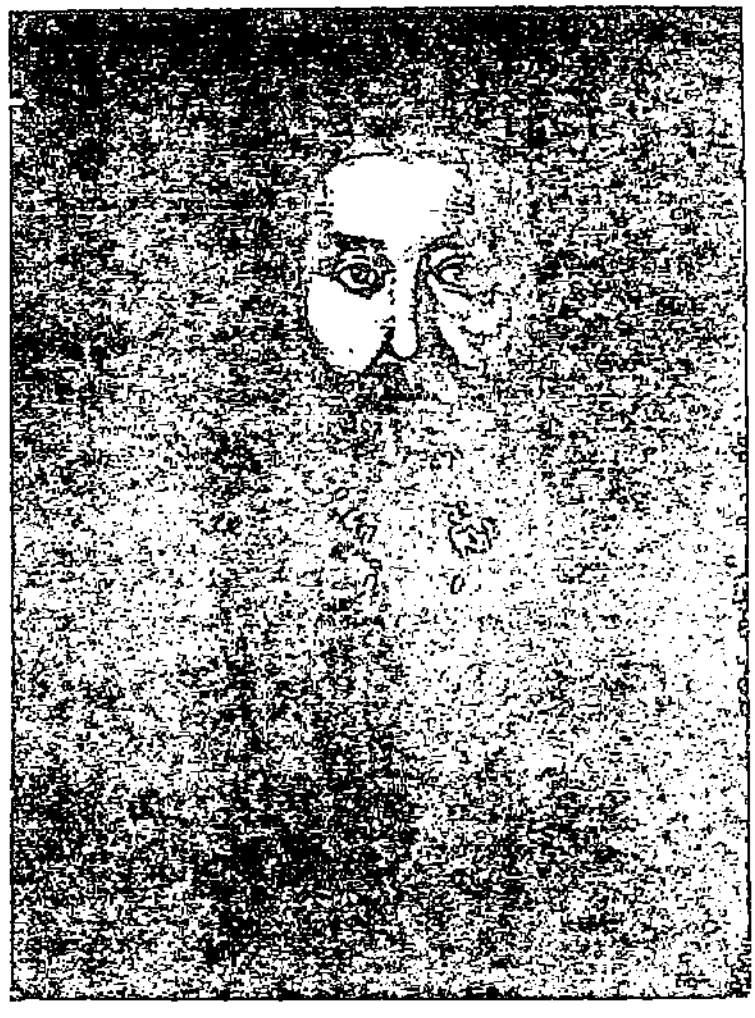

صورة البطريرك الحبيشي
لرسام داود القرم وهي
في الصريفة الموروثة
في دمشق

لبنانية حول سنة ١٨٦٠

داود الفرم

امسيس يرحنا ارحو
ينظر الى المصلوب او «الايقونة»

صورة راهب او «الرحانة»

داود الفرم

صورة [illegible] للمنجم
المطهرية [illegible]
الادوار

[illegible]
[illegible] شيخ [illegible] المنجم

جبران خليل جبران

حسناء ذات الشعر الأشقر

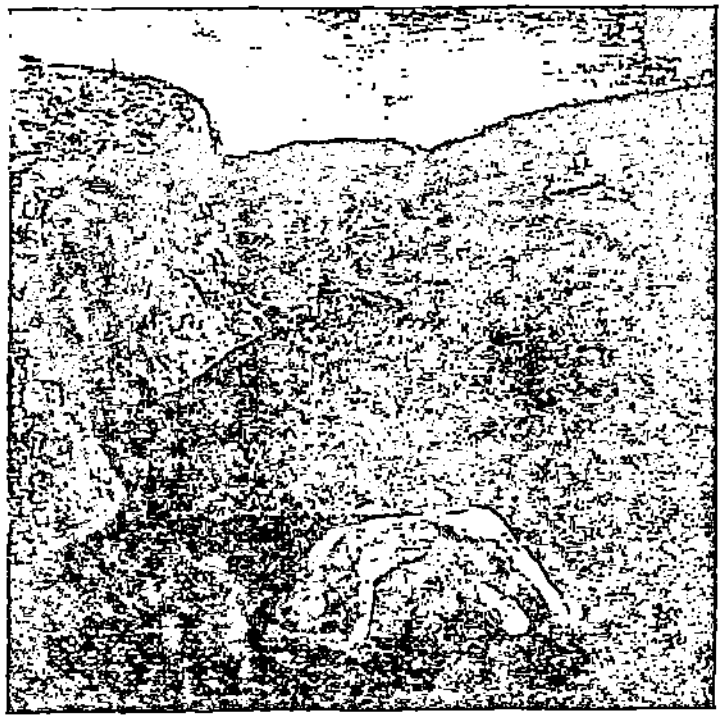

طبيعة هادئة

معروف فاضل

رسم دانه والى جانبه « بيروت من نافذتي »

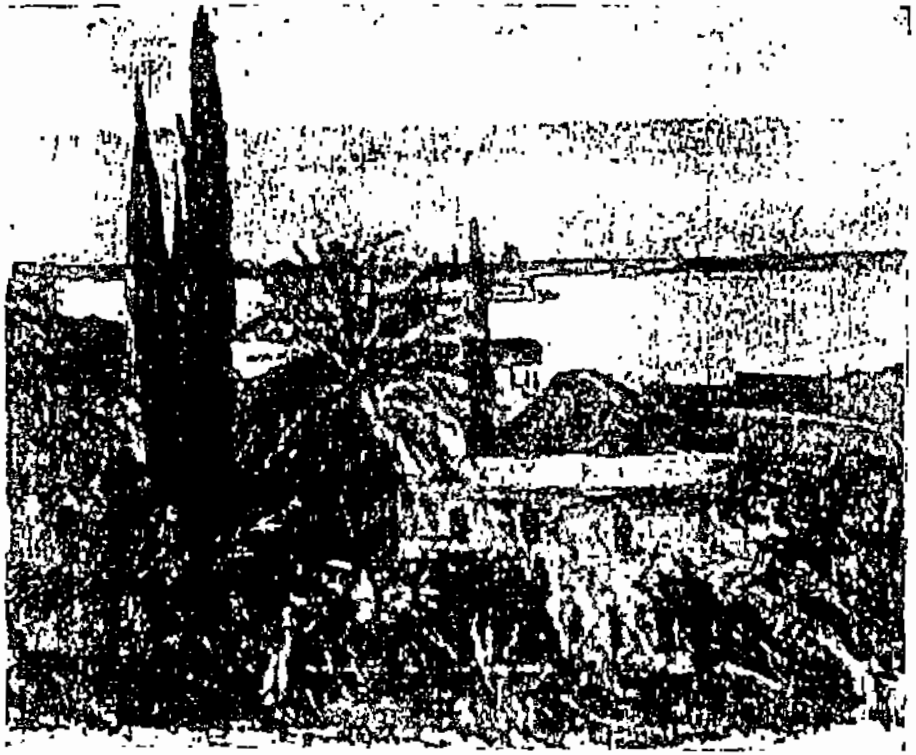

منظر الفنون حديثة في المتحف اللبناني

خليل الصليبي

والبناء من الشعب

« راحة »

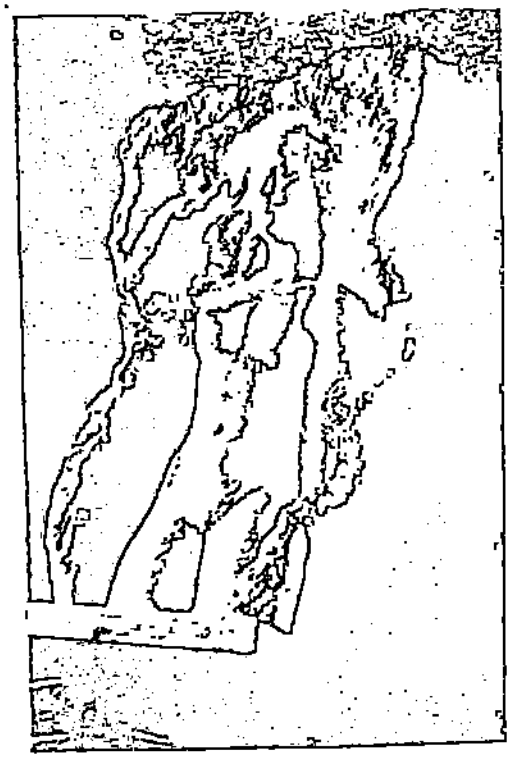

سنحة

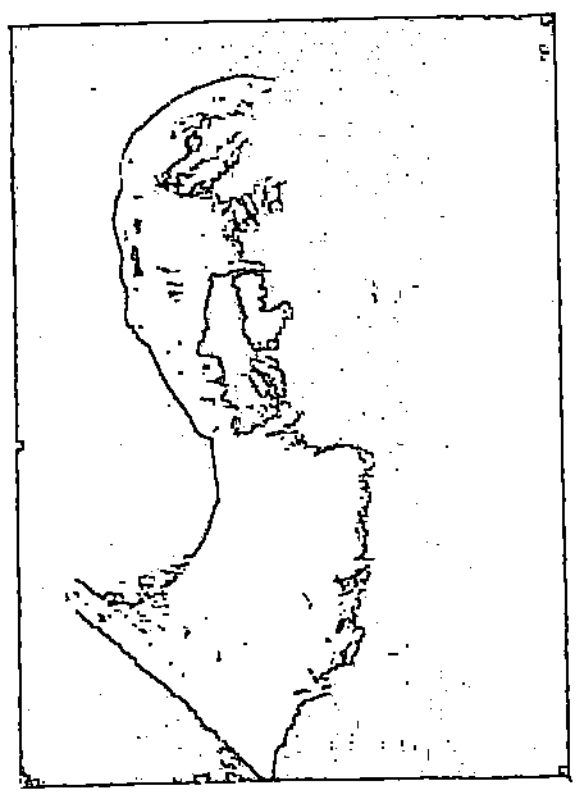

الحويك

يوسف

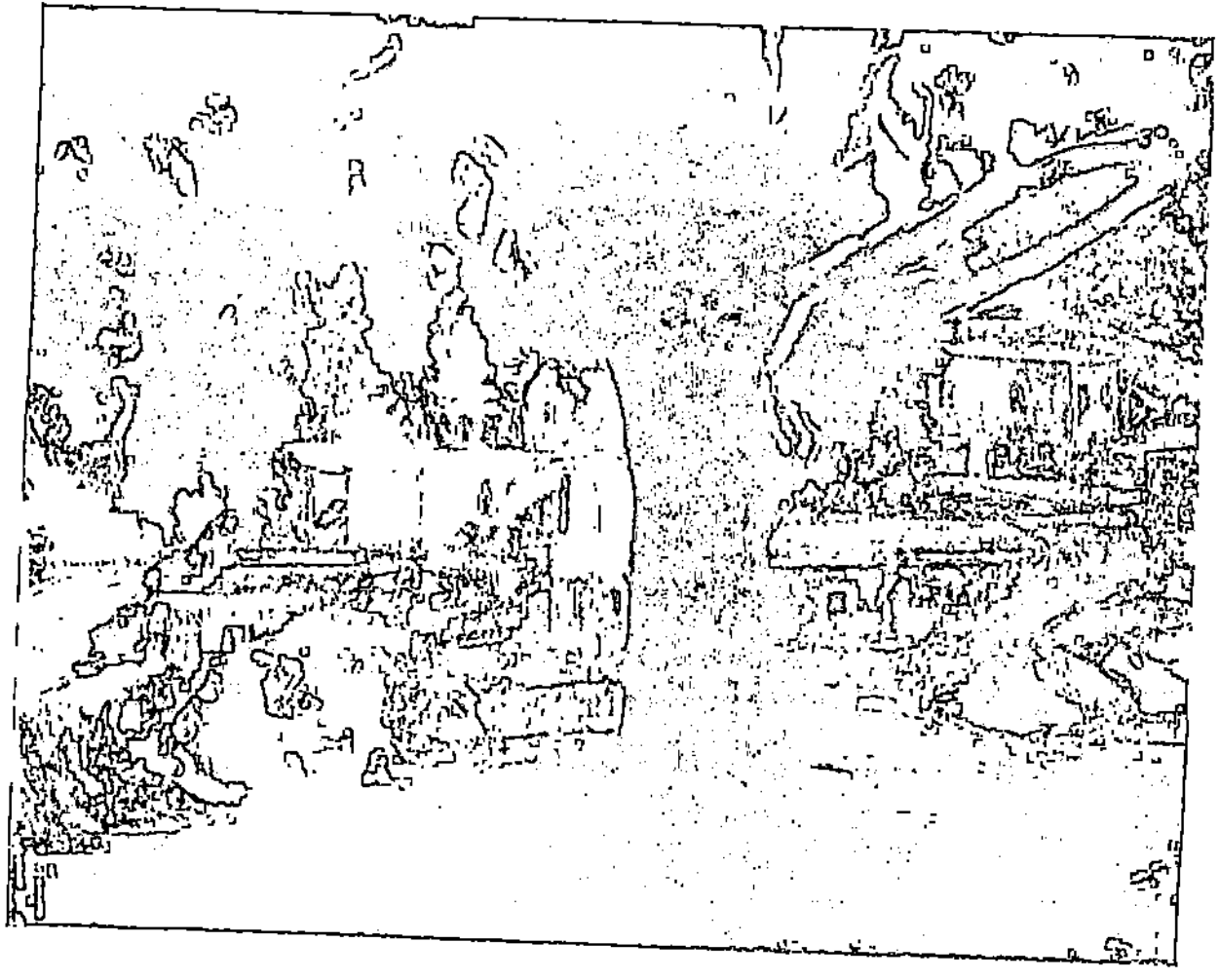

عين زحلتا

عمر انسي

شيخ مسن من حوران

شوبات

قبضة الحبل

قبعة الجبل

صليبا الدويهي

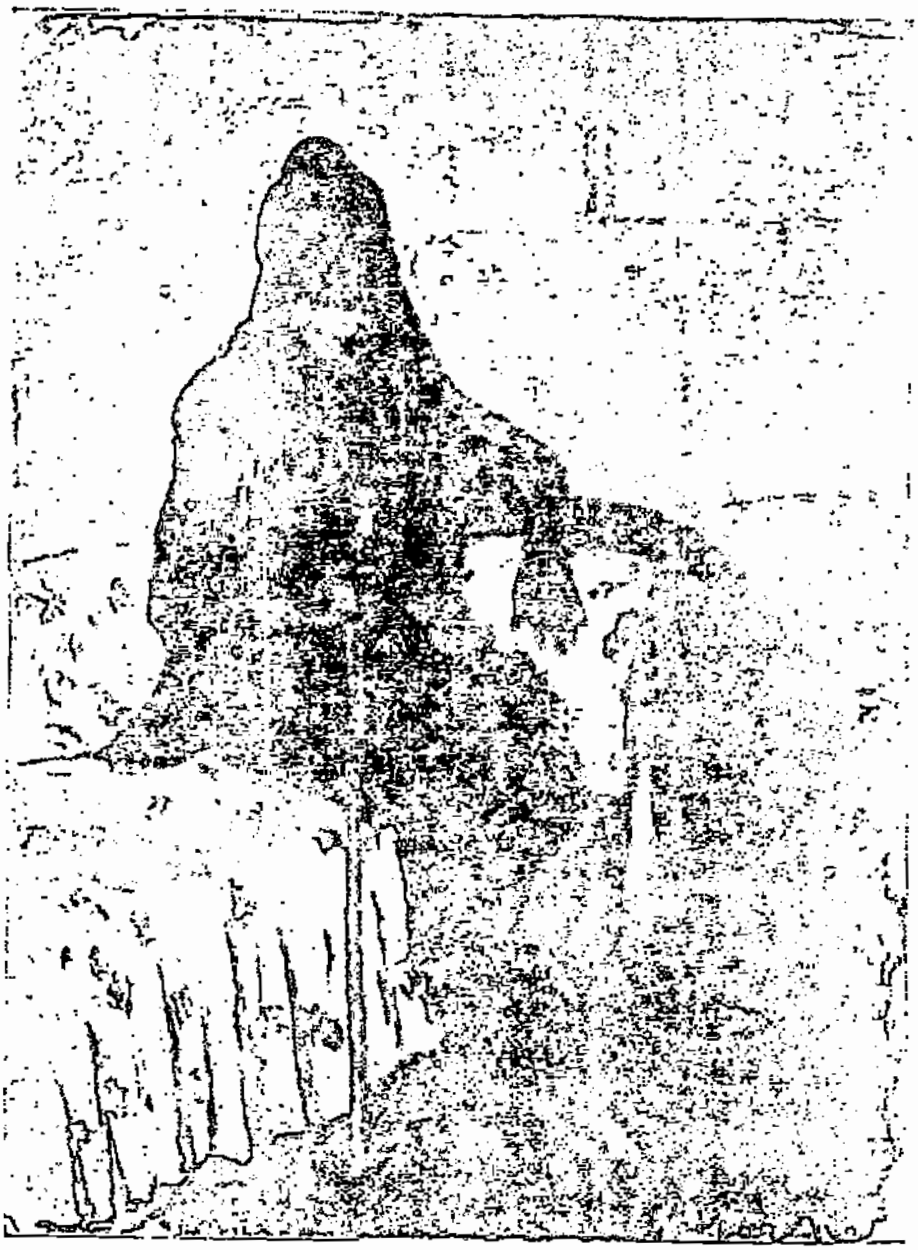

البدور

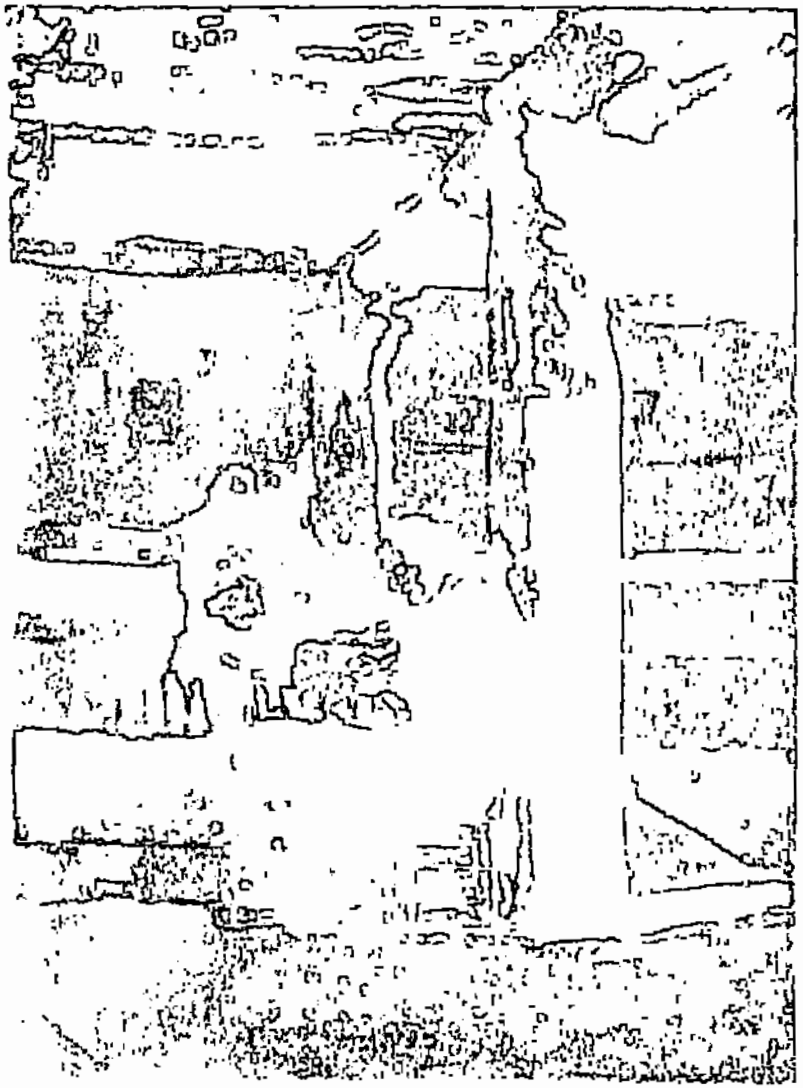

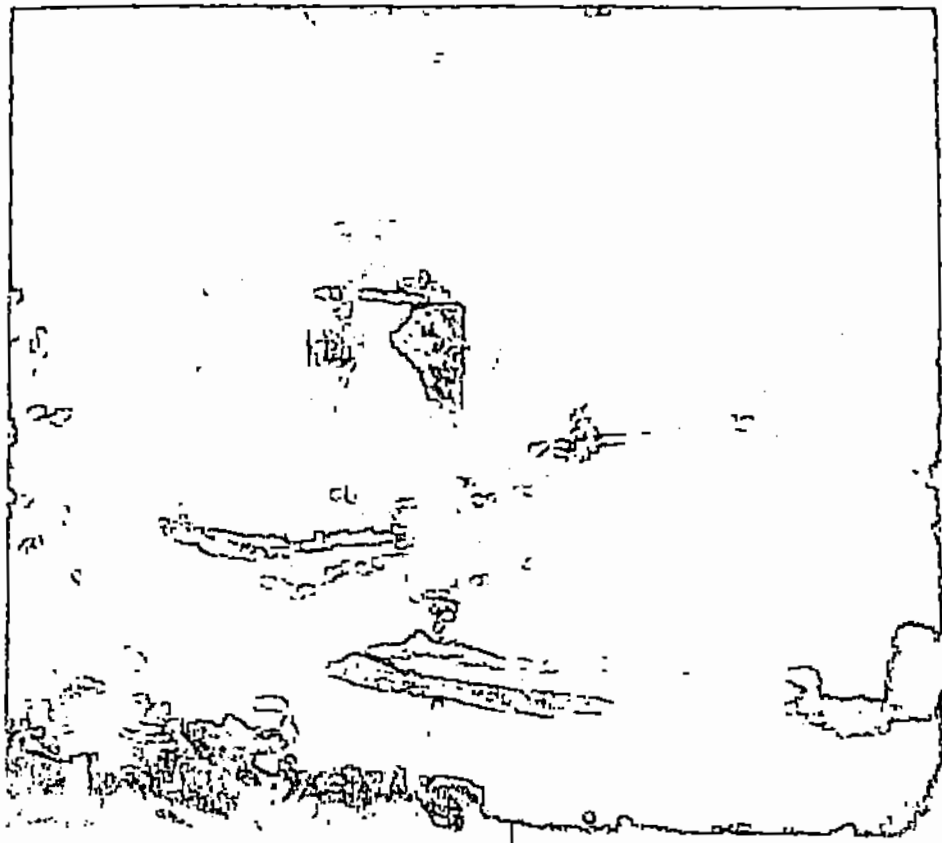

حليا الدوبري

عين سير و قرية غيك السوف

مصطفى فروخ

ابو جرجس من بكفيا

ثياب الشرْب

بقلم حبيب زيات

لم ينتهِ الينا من اسماء المنسوجات الرفيعة التي كانت تصنع في الشام ومصر والعراق واليمن وبلاد فارس ، ويتجمّل بها الملوك والرؤساء والاغنياء ، الّا الفاظ معدودة اغفلت المعاجم اكثرها ، وقلّ من تعرّض لذكرها ، كالشَرب، انفرد الثعالبي بتفسيره ، ونصّ على انهُ ما رقّ من الكتان[1] . واكثر ما كان يعمل بمصر لتوفّر زراعة الكتان فيها ، ومن مدنها التي اختُصّت به الاسكندرية ودمياط ودبيق وتنيس وشطا وأبوان ، وابوان هذه « مدينة كانت قرب دمياط كان اهلها نصارى ويعمل فيها الشرب الفائق فينسب اليها فيقال له بونيّ على غير لفظه »[2] . واشتهرت به ايضاً عدن في اليمن حتى « كانت شروبها تُفضّل على القصب . »[3]

ويعرف من الشرب نوعان ابيض وملوّن ، وكان يكون ساذجاً او مُذهباً ويُطرّز بمثله فتتضاعف قيمته جداً ، ويدخل احياناً في طرازه الحرير والغزل ، وقد اشتهرت به الاسكندرية خاصة شهرة طائرة في كل الامصار كشهرة اكثر ما كان يُحاك فيها قديماً . قال المقريزي : « الثياب المنسوجة بالاسكندرية لا نظير لها وتحمل الى اقطار الارض ، وفي ثياب الاسكندرية ما يباع الكتان منه اذا عُمل ثياباً يقال لها الشرب كل زنة درهم بدرهم فضة، وما يدخل في الطرز فيباع بنظير وزنه مرات عديدة »[4] . ومن احسن ما عثرنا عليه من وصف الشَرب قول شهاب الدين العمري :

« اراني خواجا جمال الدين الفاخوري مقاطع شرب ابيض من الصنف المدرش استعملها بالاسكندرية على ان يقدمها للسلطان ابي سعيد كأنها جناح

---

١) فقه اللغة ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ٢٤٣

٢) معجم البلدان ١ : ١٠١

٣) احسن التقاسيم للبشاري المقدسي ٩٨

٤) الخطط ١ : ٢٦٣

الزنبور لا اظن انه يعادلها في الدنيا قماش . قال انه استعملها ويقوم عليه كل مقطع منها ساذجاً بسبعمائة درهم وَرِقاً ويقوم طرزه وهو ساذج بمثل ذلك فتقوم جملة المقطع الواحد بالف واربعمائة درهم ورقاً وهما سبع مائة درهم نقرة ليس فيه الا الكتان وما فُتل من الحرير في طرزه . على انه لا يكون غالب الطرز الا من الكتان فان الابيض منه لا يكون من الحرير ابداً ومنه تكون الكتابة وهي جلّ الطراز . وقال لي ان الكتان يباع الدرهم منه باكثر منه . واما ما يدخل في الطرز فيباع نظير وزنه مرات عديدة . قلت وهذا الشرب هو الذي تفوق به الاسكندرية البلاد اكثر من بقية ما يعمل فيها من القماش على اختلاف اجناسه وانواعه . »[1]

ومن اغرب ما كان يُعتقد فيه بدمياط ما رواه ياقوت عن الحسن بن محمد المهلبي قال : من ظريف امر دمياط في قبليها على الخليج مستعمل فيه غُرَف تعرف بالمعامل يستأجرها الحاكة لعمل ثياب الشرب فلا تكاد تنجب الا بها فان عُمل بها ثوب وبقي منه شبر ونقل الى غير هذه المعامل علم بذلك السمسار المبتاع للثوب فينقص من ثمنه لاختلاف جوهر الثوب عليه . »[2]

واغلب ما كان يتخذ من الشرب ، فيما وقفنا عليه ، الاقمصة والمناديل والعمائم الفاخرة والمعاجر وقوارات الصوالي والاكفان ، وفي المغرب عصائب للنساء تسمى من اجله « شربيّة »[3] . وكان « يعمل في شطا الشرب الرفيع الذي تبلغ قيمة الثوب منه ثلاثمائة درهم ولا ذهب فيه »[4] . واشتهرت دبيق من قرى دمياط بالعمائم الشرب الملونة « وكانت العمائم الشرب المذهبة تعمل بها ويكون طول كل عمامة منها مائة ذراع وفيها رقمات منسوجة بالذهب فتبلغ العمامة من الذهب خمسمائة دينار سوى الحرير والغزل . وحدثت هذه العمائم وغيرها في ايام العزيز بالله بن المعز سنة خمس وستين وثلاثمائة الى ان مات في

١) الثالث من مسالك الابصار ، باريس ٢٣٢٥ ، ص ١٦٢ – ١٦٣

٢) معجم البلدان ٢ : ٦٠٣

٣) Dozy : *Dictionnaire des noms des vêtements chez les Arabes*, p. 219

٤) عجائب المخلوقات للقزويني ، طبعة وستنفلد ، ١٣٩

شعبان سنة ست وثمانين وثلثمائة »[1] . ولما مات برجوان الخادم وكان خصياً ابيض ربي في دار العزيز بالله « وجد الحاكم في تركته مائة منديل يعني عمامة كلها شروب ملونة معممة على مائة شاشية »[2] .

وقد يعجب جداً من طول العمامة مائة ذراع ، ولكن اذا تُذُكر ان الشرب كان احياناً برقة جناح الزنبور ، كما تقدم من وصف شهاب الدين العمري ، لا تكون العمامة منه اشد هولاً من عمائم بعض القضاة التي كانت تملأ صدر المحراب . وقد تناقص هذا الطول حين كان عمارة اليمني الشاعر بمصر ، ولما زار علي بن الربد لوداعه صادف عنده رسولاً له « كان بدمياط يستعمل شروباً قال : فدفع لي لما وصل اليه في تلك الساعة شقة خزاني ولفافة وتلثيمة طولها ثلاثون ذراعاً رقم الجميع نسجة واحدة »[3] يريد بالتلثيمة العمامة التي يردها الرجل على انفه ويتلثم بها . ولعمارة قصيدة مدح بها محمد بن شمس الخلافة وهو بدمياط ، واستهدى منه عمامة شرب جديدة وكتب له فيها :

فأنفذ لي باطول من حسابي اذا أُحضرتُ في يوم القيامه
ولا تكُ يا خطير فدتك نفسي قديمةَ مدّةٍ لحقت قُدامه
وأرسلها وختم الشرب فيها كخودٍ فوق وجنتها عرامه
كأن بياضها وجهٌ نقيٌّ وحسن الرقم فوق الخد شامه[4]

وقوله ارسلها والختم فيها اشارة الى خاتم الشرب والدبيقي الذي كان يضعه عامل الديوان على كل المقاطع بعد اداء المكس . وقد عدّ المقريزي في جملة مكوس مصر الف وخمسمائة دينار كانت تتحصل منه[5] . ومن الشرب ايضاً معاجر كانت تُعلّق على الرماح ذكرها المقريزي في الخطط فقال :

« وفي العشر الاخير من ذي الحجة في كل سنة ينتصب كل من المستخدمين بالاماكن لاخراج آلات الموكب من الاسلحة وغيرها . . . ثم يخرج

١) الخطط للمقريزي ١ : ٣٦٥
٢) « « ٣ : ٥
٣) النكت العصرية لعمارة ١٤٩
٤) « « « ١٣٩
٥) الخطط ١ : ١٦٨

من خزانة التجمل وهي من حقوق خزائن السلاح القصب الفضة برسم تشريف الوزراء والامراء ... وهي رماح ملبسة بانابيب الفضة المنقوشة بالذهب الا ذراعين منها فيشد في ذلك الخالي من الانابيب عدة من المعاجر الشرب الملونة ويترك اطرافها المرقومة مسبلة كالصناجق »[1]

« وفي يوم فتح الخليج ... صار يستعمل في الطراز ... برسم تغطية الصواني عدة من عراضي دبيقي ثم قوارات شرب تكون من تحت العراضي على الصواني مفتح كل قوارة منهن اربعة اشبار ... ولقد بيعت عدة من القوارات الشرب فسارع التجار العراقيون الى شرائها ونهاية ما بلغ ثمن كل واحدة منهن ستة عشر ديناراً . »[2]

وممن كفن بثياب الشرب الوزير يعقوب بن كلس واختير له منه ما كان مذهباً من عمل دبيق .[3]

ونظراً لرقة الشرب ونعومته كانت العرائس تؤثره للجلاء ، ومن الابيات الشاهدة بذلك قول عبد الصمد بن المعذل :

ثم اجلوك كالعروس على الشر ب بخادي في مجلد مصقول[4]

ومنه اخذ شرف الدين بن حبيب في مجلد له سماه الشذور وجمع فيه مقطعات شعره ، قوله في تاجر :

يا حسنه حين يجلى بالشرب فوق السرير[5]

ولا ريب انه كان يعمل منه نوع خاص كانت تلبسه العساكر من الامراء وغيرهم في دولة المماليك ، وهو ما اشار اليه المقريزي بقوله : « كانت العساكر من الامراء وغيرهم تلبس النوع من الكمخا والمخمل والاسكندراني والشرب ... »[6] ومن ارغب الناس في الشرب اهل العراق لقول البشاوي

---

١) الخطط ٢ : ٢١٥

٢) « ٢ : ٢٥٦

٣) « ٣ : ١٠

٤) الاغاني ١٢ : ٦٧

٥) تذكرة النبيه في ايام المنصور وبنيه ، بريتش موزيوم Add. 7335 f° 223

٦) الخطط ٣ : ٢٥٢

المقدسي: « اقليم العراق من رسومهم التجمل والتطيلس... ولبس الشروب »[١]
ومنها « طيلسان شرب اسود وهو الذي يسمى بالمغرب الإحرام »[٢]

وكان في مصر قيسارية تدعى قيسارية الشرب بشارع القاهرة تجاه قيسارية جركس[٣]، وكان بدمشق ايضاً قيسارية شرب، ومن تجارها المذكورين علاء الدين علي بن بدر الدين الاربلي سمسار التجار البغداديين توفي سنة ٧١٧ / ١٣١٧.[٤]

---

١) احسن التقاسيم ٤٨
٢) رحلة ابن جبير ٥٠
٣) الخطط ٣ : ١٤٠
٤) تالي وفيات الاعيان لفضل الله الصفاعي، باريس ٢٠٦١، ص ٨٤

معهد الآداب الشرقية

بدأ المعهد منذ السنة ١٩٤٦ – ١٩٤٧ باعداد الطلّاب الى امتحانات الليسانس الرسمية في الادب ، مع احتفاظه بامتحاناته الخاصة المؤهلة الى نيل شهادات الدبلوم في مختلف فروع الآداب الشرقية. فكان عليه ان يقسم منهاجه قسمين ، يُفصّل في الاول منها موادّ شهادات الليسانس ، وفي الثاني موادّ التعليم العامة :

منهج شهادات الليسانس

١ ــ التاريخ والاثريّات في سورية وفنيقية

ا – الثقافة الهيلينية في سورية وفنيقية

ب – الجيش الروماني في سورية

ج – الامبراطرة السوريّون

د – المسيحية في سورية حتى الفتح العربي (٦٣٦)

٢ ــ درس اللغة العربية

المؤلفون

ا – سيبويه : الكتاب (طبعة القاهرة)

ب – السيوطي : المزهر (طبعة القاهرة في مجلدين)

الموضوعات

سؤال عام في الفراماطيق والعروض في العربية الفصحى ، وفي خصائص اللهجات السورية – اللبنانية

٣ ــ الادب العربي

المؤلفون

النابغة الذبياني (الروائع ، بيروت ، ١٩٣١)

سيرة ابن هشام (طبعة وستنفلد او طبعة القاهرة)

المسعودي : مروج الذهب (طبعة باريس او طبعة القاهرة)

الغزالي : المنقذ من الضلال (طبعة باريس او طبعة القاهرة او طبعة دمشق)
ابن خلدون : المقدّمة (الفصول المتعلّقة بالفقه) (طبعة باريس او طبعة القاهرة)
الجاحظ : كتاب الحيوان (الروائع ، بيروت ١٩٤٢)
المتنبي : الديوان (الروائع ، بيروت ، ١٩٣٧)
سليمان البستاني : تعريب الالياذة (طبعة مصر)

الموضوعات

ا — فنون الشعر الجاهلي.
ب — التاريخ على عهد العباسيين. اصوله. اهم المؤرّخين، اساليبهم وقيمتهم.
ج — اصول الفقه.
د — « الادب » : تحديده ، اصوله . مركزه في الآداب العربية والحياة الاجتماعية على عهد العباسيين.
ه — النقد الادبي والادب العربي المعاصر.

٤ — الدروس العملية

الموضوعات

سؤالان — احدهما باللغة الفرنسوية ، والثاني باللغة العربية الفصحى في احد الموضوعات التالية :

ا — جغرافية سورية الوسطى
ب — درس مدينة كبيرة من مدن الشرق الادنى : القاهرة، دمشق، حلب
ج — البدو
د — الفنون الاسلامية الصغرى

منهج التعاليم

١ — اللغات والآداب السامية[1]

ا — اللغة العربية

دروس وتمارين عملية للاب فليش

١) دروس اللغة العبرية واللغة السريانية ؛ يلقيها الاب بولس موترد اليسوعي ، في المعهد الاكليريكي

ب – الادب العربي

١٥ محاضرة للاستاذ فؤاد افرام البستاني:

الفنون الادبية في عصر النهضة

ج – تاريخ الفلسفة العربية

١٥ محاضرة للاستاذ خليل الجر :

مصادر تاريخ الفلسفة العربية

٢ ــ تاريخ شعوب الشرق الادنى

ا – تاريخ سورية وفنيقية قبل عهد الاسكندر

دروس وتمارين للامير موريس شهاب

ب – تاريخ سورية وفنيقية وآثارهما في العهد اليوناني – الروماني

دروس وتمارين للاب رينه موترد اليسوعي

ج – عناصر لدرس علم الاجتماع الاسلامي

١٥ محاضرة للاستاذ حسن قبلان :

تاريخ الحضارة العربية

دروس للاستاذ فؤاد افرام البستاني :

١ – المصادر

٢ – التطور السياسي والثقافي في الشرق الادنى

٣ – التطور السياسي في افريقية الشمالية ؛ للاب دالثرني اليسوعي

٣ ــ اللغة والآداب الارمنية

دروس وتمارين للاب ميصريان اليسوعي

المشرق

السنة الحادية والاربعون — نيسان - حزيران ١٩٤٧

الجوالي

او جزية رؤوس النصارى في الاسلام

بقلم حبيب زيات

الجوالي جمع جالية اي الجماعة النازحة عن منازلها واوطانها وأُريد بها في الاصل ، فيما قيل ، اهل الذمة الذين جلوا عن جزيرة العرب ولكن فيما بعد تناول هذا الاسم في الاصطلاح كل النصارى واليهود والمجوس والصابئة ولو لم يكونوا أُجلوا عن اوطانهم. وكانت الدواوين السلطانية تطلق اسم « جزيـة الجوالي » على الخراج الذي كان يستوفى عن رقاب الذميين ثم أُسقط في الاستعمال اسم المضاف وُنزّل المضاف اليـه في مكانه وعُرفت الجزية باسم « الجوالي » ، الا فيما خص نصارى بني تغلب فانهم ابوا ان يدفعوا الجزية « كجزية الاعلاج »[1] فسمي ما يؤخذ منهم « صدقات ». وورد اسم الجوالي بمعنى جزية اهل الذمة في كتاب الخراج للقاضي ابي يوسف

١) فتوح البلدان للبلاذري ، طبعة اوروبة ، ١ : ١٨٢

يعقوب الذي وضعه للخليفة هرون الرشيد[1] . ومع ذلك فعند الخفاجي انه غير عربي[2] .

وكان للجوالي ناظر من جهة السلطان يتولى تحصيل ما يستحق منها كل سنة ويتبعه في مصر « مباشرون من شادّ وعامل وشهود وتحت يده حاشر لليهود وحاشر للنصارى يعرف ارباب الاسماء الواردة في الديوان ومن ينضم اليهم ممن يبلغ في كل عام يُعبّر عنهم بالنش. ومن يقدم الى الحاضرة من البلاد الخارجة عنها ويعبّر عنهم بالطارئ ومن يهتدي او يموت ممن اسمه وارد في الديوان ويملي على كتاب الديوان ما يتجدد من ذلك »[3] .

وهذه نسخة توقيع بشدّ الجوالي بدمشق من انشاء ابن نباتة باسجاعها وفضولها وشقشقة الفاظها وقلة محصولها :

« رُسم بالامر الشريف – لا زالت سعود اوامره واضحة الادلة نافذة الحكم في كل ملّة قائمة لقصب البلاد بالعدل مقام السحب المستهلّة – ان يُرتّب فلان في شد الجوالي بدمشق المحروسة لما ظهر من نجابته واشتهر من حزمه ومهابته وبدا من همه العوالي وعزائمه التي تجلو صدأ الهمم بالجوالي واذا قيل لحاسده : له ولايه إمرة الخيل قال : والجوى لي رانه الكافي الذي اذا استُنهض كانت عزائمه شابّة ونفحات ذكره الجميل هابّة ونجل الهمام الذي اشهد على كفاءته النهار وعلى تعبّده الليل واعدّ لمصالح الاسلام ما استطاع من قوة ومن رباط الخيل وان مرباه لجميل ومنشأه في منازل الخيل دليل .

« فليباشر هذه الوظيفة المباركة بعزم ينشر علمها ويقرّر على السداد احوالها ويستخلص الحق من اهل الاعتقاد الباطل ويستخرج الوفر من اهل الجلد الاطل فلا نصراني الا وهو يتضرع تحت الزرقاء من باسه ولا يهوديّ الا وهو يشكو الصفراء في راسه ولا سامري الا والنار الحمراء مُطلّة على انفاسه[4] حتى تكون اوصاف شدّه مَتلُوّة وعزائمه في الجوالي مجلوّة وهمّه جارية على إيلافها ومألوفها بجزمة لاقلام الحساب والدراهم على حروفها صحيحة الوزن غير منهوك آخذة الدينار من وازنه كالمأخوذ منه مصكوك شدًّا تنعقد على اختياره المناصر وكما ان للاسلام منه قوّة فليكن للوظائف الدينية منه ناصر »[5]

---

١) طبقة مصر ، ص ٣

٢) شفاء الغليل ٧٧

٣) صبح الاعشى للقلقشندي ٣ : ٤٦٣

٤) ورّى بقوله الزرقاء والصفراء والحمراء الى الوان عمائم كل من اهل الذمة الثلاث كما كانت موجبة عليهم في دولة المماليك .

٥) صبح الاعشى ١٢ : ٢١٠-٢١١

وفي كتاب اعيان العصر للصفدي نسخة توقيع بنظر الجوالي كتبه عن السلطان الملك الصالح اسمعيل ، سنة ٧٤٥/١٣٤٤ ، جاء فيه : « لا يدخل الحول على ذمّي الا جاء اليه من يطلب الجاليه واحاط به الذل الذي يقول معه: ما اغنى عني ماليه وتجددت له حالة حالكة وحالة الاسلام جاليه على ان اهل الذمة في الذلة ماهرون وتمام المصيبة انهم يعطون الجزية عن يد وهم صاغرون »[1]

وكانت الجوالي تُستخرج بمصر مسانهةً في اول المحرم ثم صارت تستخرج في ايام من ذي الحجة[2] او في رمضان . ويظهر ان استخراجها كان اولًا في هذا الشهر. قال المقريزي : سنة ٦٨٢ (١٢٨٣ م) استخرجت الجوالي من الذمة في اول المحرم وكانت العادة ان تستخرج في شهر رمضان فأُخر استخراجها الى المحرم رفقاً بهم[3]. وكانوا يرون وجوبها مشاهرة حتى اذا اسلم الذمي او مات لزمه منها بمقدار ما مضى من السنة قبل اسلامه او وفاته[4] . وهي تجب على الرجال البالغين دون النساء والصبيان والعبيد والمجانين[5]. ولا تؤخذ من المسكين الذي يُتصدّق عليه[6] .ومن غاب عن البلد من اهل الذمة غيبة طويلة وكان له فيها دار أُخذ من اجرتها ما عليه[5].

وكان الرهبان في الديارات والقلالي والصوامع يُعدّون من جملة الفقراء والمساكين الذين يُتصدّق عليهم ويعفون في الغالب من اداء الجزيّة. واول جزية أُخذت من الرهبان بمصر كانت في ايام الامير عبد العزيز بن مروان (٦٨٤—٧٠٥) امر باحصاء الرهبان وأُخذت منهم الجزية عن كل راهب دينار[7]. وفي إمارة احمد بن طولون طالب ابن مدبّر ، صاحب الخراج ، رهبان دير القُصَير الملكيّين بجزية رؤوسهم، فشكوا امرهم الى احمد بن طولون، وكان كثيرًا ما

١) اعيان العصر ، دار الكتب المصرية ، رقم ١٠٩١ تاريخ ، ج ٧ ص ٢٢٠
٢) صبح الاعشى ٣ : ٤٦٣
٣) السلوك للمقريزي ، باريس ، ١٧٢٦ ، ص ٢١٦
٤) الخطط ، مطبعة النيل ، ١ : ١٧٢
٥) قوانين الدواوين لابن مماتي ، خزانة بريتيش موزيوم Or. 3120, f° 12
٦) كتاب الخراج للقاضي ابي يوسف يعقوب ، طبعة مصر ، ١٤٦
٧) الخطط للمقريزي ، مطبعة النيل ، ٤ : ٢٩٤

يطرق الدير ويخلو في بعض القلالي يسكر ، وقالوا له ان الجزية أسقطت عن امثالهم على مرّ السنين ، فوقع اليه بخطه توقيعاً فاخذ التوقيع منهم وبلغ لهم فوق ما يحبون[1] . ولما صار علي بن عيسى الى مصر ليكشف احوالها سنة ٣١٣/ ٩٢٥ « اخذ الرهبان والاساقفة وطلب منهم الجزية من جميع الرهبان والضعفاء والمساكين ومن جميع الديارات التي باسفل ارض الصعيد ومن الاساقفة والرهبان الذين في دير مينا فخرج من الرهبان اناس الى العراق واستغاثوا بالمقتدر فكتب لهم الّا يؤخذ منهم جزية وان تجري امورهم على ما كانت قديماً »[2] وقد اوصى غير مرة الخلفاء العباسيون ان لا تؤخذ «من النساء ولا ممن لم يبلغ الحلم من الرجال ولا من ذي سنّ عالية ولا من ذي علة بادية ولا فقير معدم ولا راهب متبتّل.»[3] وفعل مثل ذلك بعض الملوك الايوبيين. وفي سنة ٥٨٩/ ١١٩٣ كتب الملك الافضل ابن صلاح الدين في تقليد بولاية دمشق :

« من الرعية الذين تحت يدك اهل الذمة وهم قوم سكنوا بين اظهر المسلمين سكنى الاذلال وبذلوا الجزية فعصموا بها مباح الدماء والاموال فعليك ان تلي عليهم ظل المعدلة ... ومن احسان السيرة فيهم الّا تطلب الجزية من راهب انقطع في صومعته ولا من شيخ حال الضعف بينه وبين الانتفاع به كما حال بينه وبين منفعته»[4].

واول ما فُرضت الجزية في الاسلام كانت « على الموسر ثمانية واربعين درهماً وعلى الوسط اربعة وعشرين وعلى المحتاج الحراث العامل بيده اثني عشر درهماً.»[5] واختلف بعد ذلك مقدارها في كل دولة . فكانت في زمان مؤلف « قوانين الدواوين » (١١٤٩—١٢٠٩م) على ثلاث طبقات — تُستأدى في مصر والاسكندرية واخميم — : عُليا وهي اربعة دنانير وسدس عن كل

١) سيرة احمد بن طولون لابي محمد عبدالله بن محمد المدني البلوي دار الكتب الظاهرية بدمشق ، رقم ٢٦٢ دون ارقام .
٢) تاريخ سعيد بن بطريق ٢ : ٨٣، والخطط للمقريزي ٢ : ٤٩٤ – ٤٩٥، طبعة بولاق.
٣) صبح الاعشى للقلقشندي ١٠ : ٣٨
٤) الثاني من ترسل الصاحب ضياء الدين بن الاثير (الخزانة الشرقية ٣ : ١٦٦)
٥) كتاب الخراج ١٤٦

رأس في كل سنة،ووسطى وهي ديناران وقيراطان،وسفلى وهي دينار واحد وثلث وربع دينار وحبّتان من دينار وأُضيف الى جزية كل شخص درهمان وربع عن رسم الشادّ والمباشرين. قال القلقشندي بعد ان نقل ما تقدم: «اما الآن ٨١٤/١٤١١ فقد نقصت حتى صار اعلاها خمسة وعشرين درهماً وادناها عشرة دراهم ولكنها تُستأدى معجّلة في شهر رمضان.»[1] وقل محصولها حتى بلغ في هذه السنة الف وخمسمائة دينار.[1] ولذلك جُمع اليهود والنصارى في شهر رمضان سنة ٨١٥/١٤١٣ «وحضر الشيخ زين الدين ابو هريرة بن النقاش خطيب الجامع الطولوني وشمس الدين محمد بن التبّاني قاضي العسكر وصدر الدين احمد بن العجمي محتسب القاهرة وكتبت اسماؤهم لتؤخذ منهم الجزية بحسب قدرتهم وعلى قدر احوالهم فانهم لا يزنون الجزية الا مصالحة عن الجميع بمبلغ بضعة وثلاثين الف درهم في السنة. فقام الجماعة المذكورون مع السلطان في ان يؤخذ من كل واحد من الذمة بمفرده ان كان غنياً أُخذ منه اربعة دنانير وان كان متوسط الحال فيؤخذ منه ديناران وان كان فقيراً اخذ منه دينار.»[2] وهو مذهب الشافعي فيما قيل «لا يجوز ان يُنقص احد من اهل هذه الطبقات الثلاث عن هذه المقادير ولا تقدير لاكثر الجزية فانه لو طالب الامام او نائبه اضعاف ذلك جاز حتى لو امتنعوا من اداء الزيادة كانوا ناقضين العهد»[4].

ولذلك كان بعض الملوك والوزراء والنظّار يشتطّون ما شاؤوا في اقتضاء الجوالي حتى اخذها الملك الظاهر بيبرس مضاعفة احياناً[5] وفي سنة ٦٥٠/١٢٥٢ اخذ الوزير الاسعد شرف الدين بن هبة الله بن صاعد بن وهيب الفائزي — وهو اسلمي من اصل نصراني — الجوالي مضاعفة من الذمة.[6] وفي

١) صبح الاعشى ٣: ٤٦٢

٢) الثاني من انباء الغمر لابن حجر العسقلاني، باريس ١٦٠٢، ص ٢٢

٣) السلوك للمقريزي، بريتيش موزيوم Or. 2902 f. 11 b

٤) الحوادث الجامعة لابن الفوطي، الخزانة التيمورية رقم ١٣٨٣، ص ٢-٤

٥) السلوك للمقريزي، باريس ١٢٢٦، ص ١٦٤

٦) « « « « ص ١٢٠

سنة ٦٩٥ / ١٢٩٥ الزموا اهل الذمة باداء الجزية من اربعين سنة منذ قتل الخليفة الامام المستعصم[١] . وفي سنة ٧٤٢ / ١٣٤١ شرع الفخري النائب بدمشق في تحصيل الاموال لتجهيز طلب السلطان واستخرج من اليهود والنصارى جوالي ثلاث سنين معجّلة[٢] . وكان قبل ذلك قد أضيف الى كل جالية دينار يؤخذ من كل ذمي بحجة نفقة الاجناد فيما عدا ما يغرمه للباشرين والاعوان وهي المظلمة التي ازالها الملك المنصور سيف الدين قلاوون[٣] . ولكنها ما كادت تبطل حتى نشأ غيرها . وفي سنة ٧٦٠ / ١٣٥٩ في جمادى الاولى « رسم السلطان للنصارى واليهود باجرائهم على عادتهم في ايام الملك الناصر وذلك في امر جزيتهم ومواريثهم وابطال ما احدثه عليهم ضياء الدين يوسف ابن الخطيب »[٤] .

ومن هذه المحدثات ما دُعي « شبه الجالية »، كان يؤخذ من اهل البرلس وشورى والبلطيم وهو في كل سنة مبلغ ستين الف درهم ابطله الملك الظاهر برقوق في جملة المكوس التي اسقطها في ولايته[٥] . وفي سنة ٨١٦ / ١٤١٣ ولّى السلطان الملك المؤيد شيخ رجلًا جباية الاموال فكثر الاستقصاء عن الذمة والكدّ في الاستخراج منهم فبلغت الجوالي احد عشر الف دينار سوى ما غُرم للاعوان وهو قدر كثير[٦] . وكان ارتفاع الجوالي قبلًا عشرة اضعاف هذه القيمة . روى القاضي الفاضل انها بلغت سنة ٥٨٧ / ١١٩١ مائة وثلاثين الف دينار[٧] . فانحطت هذا الانحطاط الفاحش لشدة المظالم في دولة المماليك ، وضعف النصارى بكثرة من أُكره منهم على الاسلام . وفي سيرة الملك الظاهر

١) تاريخ الجزري، باريس ٦٧٣٩، ص ١٧٤

٢) ذيل ابن قاضي شهبة، باريس ١٥٩٨، ص ٢٢

٣) الخطط ١ : ١٧١

٤) النهج السديد لابن الفضل بن ابي الفضائل، اكسفرد M. S. Sale 58, f° 212 a

٥) تاريخ ابن الفرات، المطبعة الاميركانية بيروت ٩ : ج ١ : ٨٥ ؛ وفي النجوم الزاهرة انه أُعيد سنة ٨٦٧ في سلطنة الملك الظاهر جقمق ، ٥ : ٤٣١، طبعة ليدن .

٦) الخطط ١ : ١٧٢

٧) « ١ : ١٧٢ كذا ورد في الصفحة المذكورة وفي الصفحة التالية ١٧٥ قبل ثلاثون الف فقط .

بيبرس للقاضي محيي الدين بن عبد الظاهر ان الناس قد هلكوا من الظلم وكثرة المكوس والضرائب عموماً والجوالي المعجلة قال : « ونفذت الاموال للرقاصين والموانية واصحاب الارباع »[1] .

وكان بعض الملوك والنواب وكثيرون من القضاة واهل العلم ورجال الدين يعتقدون حِلّ مال الجوالي وطيبه ونزاهته عن كل شبهة واثم،ولا يؤثرون غيره للانفاق على نفوسهم،ويحرصون كل الحرص على قبض جواريهم ووظائفهم من المتحصل منه. ولما زار تاج الدولة تتش بن الب ارسلان نصرَ بن ابراهيم المقدسي المتوفى سنة ٤٩٠ / ١٠٩٧ سأله عن احلّ الاموال السلطانية فقال : « اموال الجزية. »[2] ومن كتاب للملك الافضل بن صلاح الدين بتقليد ولاية دمشق سنة ٥٨٩ / ١١٩٣ في كلامه على جزية اهل الذمة : « هذا المقدار من هذا الوجه قد يورك في ديناره ودرهمه وخير ما صرفه المرء المسلم في ملبسه ومطعمه فليفرّق في الصدقة التي تزيده طيبا ولا تجعل له في الحسنات مثلاً ولا ضريباً »[3] .

واشهر من عاش كل ايامه من المرتب له على مال الجوالي الملك العادل نور الدين بن زنكي. حكى ابو شامة انه كان له «برسم نفقة الخاص في كل شهر من جزية اهل الذمة مبلغ الفي قرطيس[4] يصرفه في كسوته ونفقته وحوائجه حتى اجرة خياطه وجامكية طباخه ويستفضل منه ما كان يتصدق به في آخر الشهر»[5] . ونظيره الملك الرحيم اتابك طغرل الظاهري بحلب كان لا يأكل الا مما يُبتاع له من مال الجوالي فقط[6] . ولذلك احتفظ بعض الملوك بجباية هذه الجبهة واقاموا لها ديواناً مفرداً مستقلاً . وبقيت في مصر كذلك الى سنة ، ٧١٥ / ١٣١٥ فأُخرجت من الخاص وفُرّقت في البلاد[7] . وكان ما

١) خزانة بريتش موزيوم Add, 23331, f° 18 a

٢) معجم البلدان لياقوت ، طبعة اوربة، ٦ : ٦٠١

٣) الثاني من ترسل الصاحب ضياء الدين بن الاثير (الخزانة الشرقية ٢ : ١٦٦)

٤) القرطيس ست فلوس عدداً ، وكان الناس يتعاملون بها بالشام عن كل درهم اربعة وعشرون قرطيساً فابطلها السلطان الناصر سنة ٧٢١ / ١٣٢١

٥) عيون الروضتين في اخبار الدولتين ، بريتش موزيوم Or. 1537, f° 39b

٦) ارشاد الاريب لياقوت ٥ : ٤٩٣

٧) السلوك للمقريزي ، خزانة الفاتيكان رقم ٧٥٩، ص ٤٧

يتحصل منها « يُحمل منه قدر معيّن في كل سنة لبيت المال وباقي ذلك عليه مرتبون من القضاة واهل العلم والديانة يوزّع عليهم على قدر المتحصل.»[1] حتى اذا تولى النشو القبطي الاسلمي خزانة الملك الناصر محمد بن قلاوون واحبّ التقرب من رضاه بتوفير الاموال « كان اول ما بدأ به... ان امر مباشري الجوالي بقطع ما عليها من المرتبات من جوامك القضاة والشهود ومشايخ العلم ونحوهم وكتب الى جميع الاعمال بحمل مال الجوالي لخزانة الخاص ومن تعجّل منها شيئاً يستعاد منه فجمع من ذلك مالاً كبيراً »[2] وبقيت الحال كذلك الى ان قُبض عليه سنة ٧٤٠ / ١٣٣٩ .

وجرى الاتراك العثمانيون على هذه الخطة في اطلاق ارزاق بعض القضاة والعلماء من اموال الجوالي ، منهم « محمد بن حمزة كمال الدين مفتي دمشق لما دخل ابراهيم باشا الوزير الاعظم الى دمشق في سنة ٩٣١ (١٥٢٤—١٥٢٥م) رتب له في مال الجوالي بدمشق ثلاثين عثمانياً .»[3] ومحمد الكفرسوسي ... رتب له عشرين عثمانياً كل يوم[4] . وفي حدود سنة ١٠٦٠(١٦٥٠م) سعى احد كتاب خزينة الشام اسكندر بن يوسف بن اسحق الرومي الاصل الدمشقي وتعاضد هو والدفتري وبعض الكتاب على قطع ارزاق العلماء والصلحاء بدمشق من جوالي السلطان « وعرضوا ما ابرموه على الوزير فجرت المقادير على وفق ما احكموه من الرأي الفاسد وقُطع من الناس شيء كثير وبسبب ذلك ضعفت قوة العلماء بالشام واستولى عليهم الفقر »[5] .

ويؤخذ من رواية المقريزي انهم لما افردوا جوالي الذمة من ديوان الخاص سنة ٧١٥ / ١٣١٥ وفرّقوها في البلاد التي اقطعت للامراء والاجناد قلّ متحصلها كثيراً، لان النصارى كانوا مجتمعين في ديوان واحد بمصر فصار نصارى كل بلد يدفعون جاليتهم الى مُقطَع تلك الضيعة فاتسع مجالهم وصاروا يتنقلون

١) صبح الاعشى ٥ : ٤٦٢
٢) السلوك للمقريزي، خزانة باريس رقم ١٧٢٦، ص ٤٧٥
٣) الكواكب السائرة للغزي، خزانة الجامعة الاميركية ببيروت، ص٢١ Ms 92002G4
٤) الكواكب السائرة للغزي ، ص٣٧
٥) خلاصة الاثر للمحبي ١ : ٤٠٢

في القرى ولا يدفعون من جزيتهم الا ما يريدون[1] . قال النويري : « اخبرني بعض العدول الثقات شهود دواوين الامراء انهم يستأدون الجالية من النصراني اربعة دراهم ونحوها وكانت قبل ذلك ستة وخمسين درهماً ولما كانت الجوالي جارية في خاص السلطان كانت الحشّار تسافر الى سائر البلاد ويستأدونها منسوبة الى جهاتها واذا وُجد نصراني في ثغر دمياط وهو من اهل اسوان او من اهل حلب او عكس ذلك أخذت منه الجزية في البلد الذي يوجد به ويكتب المباشرون بها وصولًا فيقيد له ببلده »[2] . ولكن لم تلبث الجوالي ان عادت الى ما كانت عليه قبلًا وقد تقدم من شهادة المقريزي انها تقرّرت سنة ٨١٥/١٤١٣ بين دينار واربعة دنانير .

وفي شهر شوال سنة ٨١٧/١٤١٤ أُلزم اليهود بمبلغ الفي مثقال من الذهب وأُلزم النصارى بثمانية عشر الف مثقال تتمة عشرين الف مثقال وذلك في نظير تفاوت ما كانوا يقومون به فيما مضى من الجزية وتولى استخراج ذلك منهم زين الدين بن قاسم البشتكي المعروف بسيدي قاسم[3] .

وكانت الجوالي في بغداد تجبى في شهر ربيع الاول قبل ان تكون في المحرم، ويلحق اهل الذمة في جبايتها مثل العسف والمغارم التي كانوا يتحملونها في مصر . قال الصولي : « سنة ٣٣٢ (٩٤٣ م) فتحت الجوالي في شهر ربيع الاول فلحق اهل الذمة خبط عظيم وظلم قبيح . »[4] وفي سنة ٣٦٦/٩٧٧ عهد الخليفة الطائع لله الى فخر الدولة بن بويه « ان يتخيّر عمّاله على الاعشار والخراج والضياع والجهبذة والصدقات والجوالي من اهل الظلف والنزاهة . . . ويأمر جُباة جماجم اهل الذمة ان يأخذوا منهم الجزية في المحرم من كل سنة بحسب منازلهم في الاحوال وذات ايديهم في الاموال وعلى الطبقات المطبّقة فيها والحدود المعهودة لها »[5] .

---

١) الخطط للمقريزي ١ : ١٤٥

٢) غاية الارب للنويري خزانة لبدن Arab 2 O. Gaul 71b

٣) السلوك ، بريتيش موزيوم Or. 2902, f° 20

٤) كتاب الاوراق ٢٥١

٥) صبح الاعشى ١٠ : ٢٨

وكانت العادة في بغداد ان يحمل ما يحصل من الجوالي الى الخلفاء لا تعارضهم فيها الملوك[1] . ولكن في سنة ٤٣٤/١٠٤٢ افتتحت الجوالي في المحرم بامر الخليفة القائم بامر الله فانفذ جلال الدولة ملك العراق « من منع اصحاب الخليفة واخذ ما استخرج منها واقام من يتولى جبايتها فشقّ ذلك على الخليفة وترددت منه مراسلات فلم تنفع . فاظهر العزم على مفارقة البلد وامر باصلاح الطيار والزبازب وروسل وجوه الاطراف والقضاة والاعيان بالتأهب للخروج في الصحبة ... وفي سنة ٤٣٥ (١٠٤٣ م) رُدّت الجوالي الى وكلاء الخدمة »[2] .

ومن اهم الجوالي سنة (٦٢٦/١٢٢٨ — ١٢٢٩ م) عزل ناظر ديوانها محيي الدين يوسف بن الجوزي وترتب محيي الدين محمد بن فضلان في مكانه « وتقدّم اليه باعتماد الشرع في اخذ الجزية فزاد على من عليه دون الدينار وفي غرة المحرم سنة ٦٢٧ — ١٢٣٠ م جلس في ديوان الجوالي واستوفى الجزية من اهل الذمة فكان احدهم يقف بين يديه الى ان توزن جزيته ويكتب له رُوز (وصول) وهو صاغر فلقوا من ذلك شدة . وكان ابو علي بن المسيحي رئيس الطب له اختصاص ودخول في دار الخليفة فاظهر المرض والاعتذار وسأل ان تؤخذ جزيته من يد ولده فلم يقبل منه فحضر وادّاها » وكتب محمد بن فضلان رقعة طويلة الى الخليفة الناصر لدين الله يحرّضه فيها على اهل الذمة وبعد ان بالغ في الوقيعة فيهم قال له : من حكم الشرع انه اذا اخذت الجزية منهم وهو قائم والآخذ قاعد يضعها في كفه ليتناولها المسلم من وسط كفه تكون يد المسلم العليا ويد الذمي هي السفلى ثم يمد بلحيته ويضرب في لهازمه ويقول له : « أدِّ حق الله يا عدو الله يا كافر » فلما وقف الخليفة على رقعته لم يُعد عنها جواباً[3] .

ولم يتفق لاحد من المؤرخين احصاء النصارى مرة في احدى المدن او

١) الكامل لابن الاثير ٩ : ١٧٧

٢) مجلد من تاريخ الاسلام للذهبي ، بريتيش موزيوم Or. 49, f° 21b

٣) الحوادث الجامعة لابن الفوطي ، الخزانة التيمورية ص ٣-٤ و٤٣-٤٧

الممالك الاسلامية لنعلم، ولو تخميناً، مقدار ما كانوا يؤدّونه وحدهم دون اليهود من جزية الجماجم، كما كانوا يقولون . وغاية ما وقفنا عليه من الاشارات الى ارتفاع جوالي اهل الذمة في اوقات متفرقة ما يأتي :

٣٠٠٠٠ دينار في مصر سنة ٥٨٧ (١١٩١ م) نقلاً عن القاضي الفاضل وزير السلطان صلاح الدين الايوبي[١]

١٥٠٠ دينار في مصر سنة ٨١٤ (١٤١١م) نقلاً عن ابن حجر العسقلاني[٢]

١١٤٠٠ « « « ٨١٦ (١٤١٣م) نقلاً عن المقريزي[١]

١٨٠٠٠ « « « ٨٨٧ (١٤١٤م) « « « [٢]

١٠٠٠٠٠ درهم في قصبة حلب سنة ٦٠٩ (١٢١٢ م) نقلاً عن ابن الشحنة وابن شداد[٤]

١٥٠٠٠ درهم في حرّان وفي الرقة، في النصف الثاني من القرن السابع للهجرة، نقلاً عن ابن شداد في الاعلاق الخطيرة[٥] .

٥٠٠٠ دينار في نصيبين . قال ابن حوقل : « رُفع لها من الجماجم عن جواليها ولوازمها مع الزيادات فيها خمسة آلاف دينار[٦] » .

ولا شك ان مقدار الجوالي كان يختلف كثيراً باختلاف قيمة النقود واشتداد المظالم على النصارى « وكثرة اظهارهم للاسلام في الحوادث التي مرت بهم »[٧] . ولما استولى الاتراك العثمانيون على مصر والشام وزاد عسف الولاة لمن تحت ايديهم من الذميين كانت شدة وطأة الجزية وعنف استخراجها وتعدد المغارم والخسائر التي تصحبها دائماً هي الباعث الاكبر لانتحال كثيرين

١) الخطط ١ : ١٧٥

٢) انباء الغمر ، باريس ١٦٠٣ ص ٢٢ ، كذا ورد فيها هذا العدد ولا ريب انه غير صحيح للفرق الفاحش بينه وبين متحصّل سنتي ٨١٦ و٨١٧ مع قرب الزمانين .

٣) السلوك، بريتش موزيوم Or. 2902 f° 20 a

٤) الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب ، بيروت ١٤٨

٥) *Revue des Etudes Islamiques*, 1934 (C. Cahen), pp. 111 et 112 وقد وهم بترجمة الجوالي : taxe des étrangers

٦) المسالك والممالك ، طبعة ليدن ١٤٢

٧) رحلة البطريرك مكاريوس ، باريس ٦٠١٦ ، الورقة ١٠ و ٢١

منهم الاسلام. وقد شهد الشماس بولس الحلبي في رحلة والده البطريرك مكاريوس الزعيم ان اهل غزة خصوصاً كانوا يخرجون من دينهم افواجاً لعجزهم عن تأدية ما كان يطلب منهم، حتى لم يبقَ في زمانه اكثر من ثلاثين نفساً من الرجال البالغين في حين ان الجزية المقررة عليهم كانت «مائة وخمسين اسماً» وهم يُحتلون جزية من اسلم منهم قال: «وفي هذه السنة (٧١٥٨ لآدم = ١٦٤٩م) بلغ خراج اهل الشام ثلاثة عشر غرشاً وكان في الشام جُباة خراج عتق كفرة اشرار لا يخافون الله»[1] وتتضح قيمة الغرش وقتئذ من حكاية الشماس بولس انه نصب في الدار البطريركية بدمشق عمودين من رخام على هيئة العُمُد الرومانية بمثل قواعدها كان يحار فيها عقل الناظر ولم يتكلف عليها سوى ثلاثين غرشاً فقط[2]. وبعد ان افاض في شرح مظالم الخراج وثقل تكاليفه وذكر وساطته ومساعي والده لتخفيفها قال انه تمكن من اسقاط جوالي اهل دمشق الى ٤٧٠ اسماً واهل بعلبك الى ٤٣ وكانوا اكثر من ١٥٠ ولكنهم فقراء جداً، وحطّ عن اهل قارة ومعرونية ١٥ اسماً، وعن اهل يبرود ٣٠، وعن اهل دير عطية ٣٥؛ وكان اهل كفربهم نحواً من ٢٠٠ في البلدة فكتبهم ٦٠ فقط. وكل هذه المدن والقرى من الروم الملكيين. وغرم على ذلك بضعة آلاف من الغروش بين هدايا ورُشى[3] ويستدل من كلامه ان الموسوم السلطاني يومئذ كان يوجب الخراج على القسوس والشمامسة ولكنه تلطف واجتهد باعفائهم منه.

وفي خزانة بريتيش موزيوم مخطوط رقم Add. 23483 مخروم من اوله تعطلت اكثر اوراقه بالرطوبة وطمست سطورها، وهو في معنى كتابة الدواوين وخراجها وحساباتها، وفيه فصول مهمة مفعمة من الفوائد والنوادر كالفصل في ذكر لُمع من احوال الطراز والصفحات في تفصيل مكس بعض البضائع المجلوبة. ومنها يمكن اقتباس عدة شروح واوصاف للجوالي تصلح لهذه المقالة ويُسدّ بها بعض ما فيها من الفراغ والنقص. وقد اعجلنا الوقت عن حل عويص هذا الكتاب، ولم نتمكن، والأسفاه، من نقل شيء عنه.

١) رحلة البطريرك مكاريوس، باريس ٦٠١٦ الورقة ١٠ و ٢١٠
٢) « « « « « ٢٠٥
٣) « « « « « ١٠ و ٢٠٩-٢١٠

خصائص بعلبك قديماً

في الصناعة والزراعة

من قابل بين ما كانت عليه مدينة الشمس في الازمنة السالفة وما آلت اليه حالتها اليوم في الصناعة والزراعة يتولاه العجب والاسف لانحطاط شأنها وتقلص ظلها وعدم انتفاع اهلها بما خصت به من طيب الهواء وعذوبة الماء وخصب التربة ورخص الاجور فيها وفي برّها. وهذه المزايا هي التي احلتها قديماً محلها بين المدن الصناعية والزراعية في الشام. ومما اشتهرت به شهرة فائقة واتسمت به تجارتها نسيج عرف باسم «البعلبكي» كان يحمل الى آفاق الشرق وتنفق به الاسواق لاقبال العامة والخاصة عليه، ولاسيما في البلاد المصرية. وكان ينشأ احياناً من قلة المجلوب منه او من احتكاره وارتفاع اسعاره شغب في الاسواق وتظلم من الجنود والعمال وذوي الحاجة والفقراء لاعتيادهم اياه وعده من الالبسة المباحة شرعاً. قال البدر العيني في حوادث سنة ٨٠٥ (١٤٠٢ م):

«في هذا الشهر (رجب) ارتفعت الاسعار جداً في انواع القماش فوصل الثوب البعلبكي الذي طوله ثلاثون ذراعاً الى اربعمئة درهم.»[1]

وروى ابن تغري بردي في اخبار جمادى الاولى سنة ٨٦٢ (١٤٥٨م):

«في يوم الاحد السابع عشر خاشنت المماليك الصاحب جمال الدين ناظر الجيش الخاص في اللفظ بسبب غلو سعر الثوب البعلبكي»[2]

واكثر ما كان يعمل من القطن وقليلاً من الصوف، يبلغ طول الثوب منه ثلاثين ذراعاً في عرض ذراع ونصف؛ ومنه صنف رفيع يعمل للملوك يكون ابيض في الصيف. قال ابن تغري بردي ايضاً في حوادث سنة ٨٦٢ (١٤٥٨م):

«في يوم الجمعة رابع عشر جمادى الآخرة لبس السلطان القماش الابيض

---

١) عقد الجمان في تاريخ اهل الزمان، باريس ١٥٤٤، ص ٦١

٢) النجوم الزاهرة، طبعة ليدن، ٧: ٥٠٠

البعلبكي المعدّ لايام الصيف على العادة في كل سنة »[1] وكان الملك الظاهر خشقدم لا يعجبه من البعلبكي الا ما تزيد قيمته على ثلاثين ديناراً[2] .

ومن اقبح ما دفع اليه الطمع في الاستئثار بارباح هذا الصنف واشباهه من الملبوس ان الملك الظاهر برسباي الذي حجر على اكثر انواع المتجر في ايامه رسم في شهر رجب سنة ٨٣٢ (١٤٢٩م) « ان يكون صنف البعلبكي والعاتكي والموصلي للسلطان لا يشتريه ممن يجلبه الى القاهرة ويبيعه في الناس الا هو »[3]

ومن هذه الاثواب الملوكية كانت تكون احياناً هدايا نواب دمشق للسلاطين ففي سنة ٧٩٩ (١٣٩٧ م) « وصل نائب الشام الى مصر . . . وارسل تقدمة الى السلطان عشرة مماليك . . . وخمسة وعشرون جملاً محملة نصافي وبعلبكي ونحو ثلاثين جملاً محملة فاكهة وحلاوة ومخلّلات وغير ذلك » .[4]

وفي تاريخ ابن اياس ان الحاكم بامر الله لما قتل وزيره الامير برجوان « احتاط على موجوده فوجد له الف سروال من البعلبكي العال وفي كل سروال نافجة مسك وتكة حرير ابيض »[5] . ولكن في خطط المقريزي ان الالف سروالاً كانت دبيقية[6] اي من نسيج كان يعمل في دبيق، بُليدة من اعمال مصر، كانت بين الفرَما وتنيس تنسب اليها الاثواب الدبيقية .

ولم يكن البعلبكي لباساً وجمالاً للاحياء فقط بل كان ايضاً ثوباً وصواناً للموتى ومن تذكر كثرة الطواعين في مصر وهلاك الالوف بها يتحقق المقدار الهائل من الاكفان التي كانت تتخذ منه غالباً لمواراة الموتى وما يعقب اشتداد الطلب عليها من ارتفاع الاسعار ورواج التجارة والجلب ، وفي ذلك ما لا يخفى من المنافع والارباح لبعلبك

ومما عرفت به ايضاً نوع من الاردية يسمّى الإحرام، وهو ثوب واسع لا اكمام

---

١) النجوم الزاهرة ٧ : ٥٠١

٢) « « ٧ : ٧٦٠

٣) السلوك لمعرفة دول الملوك للمقريزي، باريس ١٧٣٧ ، ص ٢٤١

٤) ذيل ابن قاضي شهبة ، باريس ١٥٩٩ ، ص ١٢

٥) تاريخ مصر لابن اياس ١ : ٥١

٦) الخطط ٣ : ٥

له ولا بطانة يتردى به الرجل. واكثر ما يلبسه اهل المغرب والاندلس. قال ابن بطوطة لما مرّ ببلدة قُسَنطينة في المغرب: «تلقانا حاكم المدينة وهو من الشرفاء فنظر الى ثيابي وقد لوّثها المطر فامر بغسلها في داره وكان الاحرام منها خَلَقاً فبعث مكانه احراماً بعلبكياً وصرّ في احد طرفيه دينارين من ذهب»[1]

ويظهر ان بعلبك عرفت ايضاً صناعة الزنانير والبنود القطنية واكثر ما كان يتخذها المماليك بمصر. روى المقريزي انه «كان من الرسم في الدولة التركية ان السلطان والامراء وسائر العساكر... تكون اوساطهم مشدودة ببنود من قطن بعلبكي مصبوغ عوضاً عن الحوائص»[2]

ولا يخفى ما تقتضيه كل هذه المصنوعات والارتفاعات من تعدد العمال ودربتهم على الحياكة وفنونها، وألفتهم اساليب التجارة والارتفاق، ولا شك ان بعلبك لم تنفرد بها بل شاركتها في الاهتمام بها واستبضاعها بلاد اخرى في الشام. وانما نسبت الى بعلبك خاصة لانها كانت السابقة الى طريقتها والتوفر عليها فاشتهرت بها وحدها. ولم نجد لاحد نصاً صريحاً على زراعة القطن في بعلبك وبرّها وقراها ويبعد جداً ان لا تكون تخصصت بها مع افتقارها الى القطن وشدة الطلب عليه وقتئذ لاوربة وعلى منسوجاتها منه لمصر. وقد شهد البشاري المقدسي، في القرن الرابع للهجرة، ان بعلبك مدينة قديمة فيها مزارع وعجائب[3]. ولكنه لم يفصّل شيئاً من هذه المزروعات، وكان القطن وقتئذ عاماً في حماة وحلب وطرابلس وبيروت، ومنه في برّ دمشق نوع قصير الساق، وكانت الحولة معدن الاقطان[4].

وعرفت بعلبك ايضاً، فيما عدا النسيج، «الدهان الفائق في الماعون مما يستحسن ويحمل منه الى كثير من البلاد.»[5] ويُراد بالماعون كل ما يُنتفع به من الآنية في البيت كالقدر والمركن والفأس والقدوم ونحوها. ومن آنية البيت والمائدة

---

١) رحلته ١: ٦ و٤٨

٢) الخطط ٣: ١٦٠، وتاريخ ابن اياس ١: ١٢٠

٣) احسن التقاسيم ١٦٠

٤) احسن التقاسيم ١٦٠

٥) نزهة النواظر لابي الفضل بن شحنة، مسوّدة بخطّه بالمكتبة الاحمدية بحلب.

الصحاف والملاعق الخشبية . وكان لاهل بعلبك صنعة خاصة بها شاهدها ابن بطوطة ووصفها بقوله : « ويُصنع بها اواني الخشب وملاعقه التي لا نظير لها في البلاد وهم يسمّون الصحاف بالدسوت وربما صنعوا الصحفة وصنعوا صحفة اخرى تسع في جوفها واخرى في جوفها الخ ان يبلغوا العشرة يُخيّل لرائيها انها صحفة واحدة. وكذلك الملاعق يصنعون منها عشرة واحدة في جوف واحدة ويصنعون لها غشاء من جلد ويمسكها الرجل في حزامه واذا حضر طعاماً مع اصحابه اخرج ذلك فيظن رائيه انها ملعقة واحدة ثم يخرج من جوفها تسعاً»[1] .

وكانت الاواني الخشبية المدهونة في بعلبك لا يكاد يخلو منها جهاز العرائس في الشام ومصر وغيرها. ويستدلّ على ذلك مما رواه المقريزي في اخبار زواج انوك ابن السلطان الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧٣٢ / ١٣٣٢ قال : « خرج شوارها من القصر وكان عدد الحمالين ثمانمائة حمال . . . النحاس الشامي اثنين وعشرين حمالاً والبعلبكي المدهون اثني عشر حمالاً»[2] .

واما المزروعات فاكثرها قديماً للاعناب روى البشاري المقدسي ان بعلبك كانت معدنها ولذلك اشتهرت بصناعة الدبس والملبن، وعدّ ياقوت الفرزل من قرى بقاع بعلبك وقال: يعمل بها الملبن المسمّى بجلد الفرس وهو من خصائصها[3] . ولما مرّ ابن بطوطة ببعلبك كان الملبن لا يزال معروفاً بها وصفه بقوله : « بها يصنع الدبس المنسوب اليها وهو نوع من الرُبّ يصنعونه من العنب ولهم تربة يضعونها فيه فيجمد وتكسر القلّة التي يكون بها فيبقى قطعة واحدة وتصنع منه الحلواء ويجعل فيها الفستق واللوز ويسمّون حلواءه بالملبن ويسمونها ايضاً بجلد الفرس.»[4]

وببعلبك اليوم بقية بقيت من الفواكه الكثيرة التي كانت فيها قبلاً ومنها اصناف اشتهرت خصوصاً بالنسبة اليها عدّ منها الصفدي في «تذكرته» والبدري

---

١) رحلته طبعة باريس، ١ : ١٨٧

٢) الخطط ٣ : ١١٠

٣) معجم البلدان ٣ : ٨٧٣

٤) رحلته ، مطبعة وادي النيل ، ١ : ٤٨

في «محاسن الشام»: المشمش البعلبكي والتين البعلبكي والكمثرى البعلبكي والقراصيا البعلبكية . وقد انقطعت القراصيا منها بعد ان كانت متوفرة فيها جدًا حتى قال ابن بطوطة ان «بعلبك بها من حبّ الملوك ما ليس في سواها»[1] واهل المغرب والاندلس يدعون القراصيا حب الملوك[2]. وروى فيه المقريّ قول بعضهم:

ودوح تدلّى اشطانه رعى الدهر من حسنه ما اشتهى
فما احمرّ منه فصوص العقيـ ـق وما اسودّ منه عيون المها[3]

ومن انواع التفاح التي زالت كذلك من بعلبك «التفاح اللبناني» ومن شهوده المحفوظة حجر أدمج منكساً في حائط الجامع الكبير الغربي ببعلبك من خارجه فيه كتابة سلطانية من عهد الملك الظاهر برقوق (١٣٦٤) جاء فيها: ان «ببعلبك تتفق فيها في كل سنة مظلمة ... وهو ان جماعة من البلّاصين يطوفون في كل سنة على البساتين يطلبون من اهلها التفاح اللبناني...»

وفيما عدا الدبس قال ياقوت: ببعلبك جبن وزيت ولبن ليس في الدنيا مثلها يضرب بها المثل . ونقل ابياتاً لاعرابي قال فيها في تشبيه البياض:

«او جبنةٌ من جبن بعلبك»[4].

ونقل ابن بطوطة ان بعلبك «كثيرة الالبان وتجلب منها الى دمشق»[1].

ولا ريب انه كان هناك زراعات وصناعات أخر لم يتفق لاحدٍ الاشارة اليها او لم نوفق للعثور عليها. وفي ما اوردناه منها تذكرة لقوم يعقلون.

---

١) رحلته ١ : ٤٨
٢) مفردات ابن البيطار ٤ : ٨
٣) نفح الطيب ٣ : ٢٤١
٤) معجم البلدان ١ : ٦٧٤

السرقين والسماد في الزراعة قديماً

لم يكن علم الفلاحة ومعاناة الارض من العلوم التي انصرفت اليها في الشرق انظار العلماء والمؤلفين ، فلم يقم في الاقطار الزراعية كالشام ومصر والعراق والاندلس من انقطع الى الدرس والبحث في علم الفلاحة وعُني باذاعة تجاربه واسراره الا فيما ندر وقلّ. ومن راجع كتابي الفهرست وكشف الظنون وهما كل ما وصل الينا من اسماء الكتب والفنون لا يكاد يجد فيهما الا بضعة مؤلفات تدل على قلة عناية القوم بتدوين تجارب الزراعة. ومن اشهر المصنفات فيها:

- كتاب الفلاحة النبطية لابن وحشية . وفي دار الكتب المصرية الجزء الاول منه رقم ٣٩ في ٣٥ ورقة ، كتب في ٢٢ رجب سنة ٩٩٥
- كتاب الفلاحة اليونانية لقسطا او قسطوس بن لوقا الرومي ، طبع في المطبعة الوهبية بمصر سنة ١٢٩٣ للهجرة
- كتاب الفلاحة للروم لعلي بن محمد بن سعد ، ذكره ابن النديم .
- كتاب الفلاحة لابن العوّام الاشبيلي . طبع في مجريط (مدريد) سنة ١٨٠٢ وفي مصر .
- كتاب الدر المنتقط من علم فلاحتي الروم والنبط تأليف محمد بن ابي بكر ابن ابي طالب الانصاري الصوفي الدمشقي المعروف بشيخ حطين رقم ٢١ في مكتبة الدار المصرية ، فيه لغاية الباب التاسع والعشرين ٦٤ ورقة .
- كتاب بغيـــة الفلاحين في الاشجار المثمرة والرياحين تصنيف السلطان الملك الافضل العباس ابن الملك المجاهد علي ابن الملك المؤيد داود ابن الملك المظفر يوسف ابن الملك المنصور عمر بن علي بن رسول . ناقص من آخره قليلًا . ذكر انه نقله واستخرجه من مطالعة الكتب المدونة في الفلاحات وسمّى منها الكتاب الموسوم بالاشارة في العمارة تصنيف والده، وكتاب ملح الملاحة في معرفة الفلاحة لجده الملك الاشرف . وفي دار الكتب المصرية نسخة من بغية الفلاحين رقم ١٥٥، في ١٦٤ ورقة فيه الى الباب السادس عشر . وفي خاتمته فوائد زراعية يمنية . ويظهر ان المؤلف توفي سنة ٧٧٨ للهجرة .

– كتاب الفلاحة المنتجة لطَيْبُغا الجركلمشي من نسخة حسنة في دار الكتب المصرية رقم ٢١٩ في ١١٨ ورقة،وفي خزانة باريس نسختان منه رقم ٢٨٠٧ و ٢٨٠٨ .

– كتاب الفلاحة لابي عبد الله محمد بن الحسين رقم ٤٧٤٦ في خزانة باريس.

– كتاب مفتاح الراحة في علم الفلاحة رقم ٢٣٧ في مكتبة الدار المصرية ، واوراقه ١٨٩ ، واكثره منقول عن كتاب الفلاحة النبطية لابن وحشية .

– كتاب جامع فرائد الملاحة في جوامع فوائد الفلاحة لرضي الدين الغزي رقم ١٣٤ في دار الكتب المصرية ، ١١٧ ورقة وفيه فوائد كثيرة.

– الفن الرابع في النبات والزراعة والفلاحة في تسعة ابواب من كتاب مباهج الفكر ومناهج العبر لجمال الدين محمد بن ابراهيم بن يحيى الوراق المعروف بالوطواط . ومنه ثلاث نسخ في دار الكتب المصرية احداها مصورة في ثلاثة مجلدات رقم٣٥٩. وهو ينقل عن ابن بصال في كتاب الفلاحة الرومية، وعن كتاب النبات لابي الخير الاندلسي؛ قال وهو غريب جداً لم اجد من رآه . وينقل احياناً عن كتاب ابن وحشية وكتاب الفلاحة المصرية.

– عَلَم الملاحة في علم الفلاحة للشيخ عبدالغني النابلسي ، طبع في مطبعة نهج الصواب بدمشق سنة ١٢٩٩، اختصره من كتاب الغزي المتوفى سنة٩٣٥ السابق الذكر .

– عمدة الصناعة في علم الزراعة لعبد القادر الخلاصي من القرن الثاني عشر.

وقد طالعنا كل ما وجدناه من هذه المؤلفات في دار الكتب المصرية فوجدنا كتاب ابن العوام اجودها واتمها واجدرها بالمراجعة والاعتبار . وقد استوفى فيه كل ما كان مألوفاً في زمانه من علاج الارضين وزراعة البقول والحبوب وغراس الاشجار وتربية الحيوانات والدواجن ، وروى كل ما يتعلق بهذه الابواب علماً وعملاً فهو خير ما يعتمد عليه في هذا الدرس وفيه فوائد وفرائد توضع عليها اليد وتعد ذخراً للزارع والاكّار .

ومعلوم ان الاسمدة التي هدت اليها الكيميا. ونبهت على خصائصها وفضائلها في انعاش الاتربة وتعويض ما تفقده من المواد والقوى في تغذية

النباتات وتشير الاشجار لم تكن معروفة في اروبة قبل القرنين الاخيرين فكان الأكرة ورجال الفلاحة لا يعرفون الا السرقين لاصلاح الارضين وازكاء الزروع ولذلك قال الخاركي :

لا اغرس الزهر الا في مُسَرْقَنةٍ والغرس اجود ما يأتي بسرقين (١

وقد فرّقت كتب اللغة بين السرقين والسماد فالسرقين هو الزبل والروث وحده. واما السماد فهو السرقين برمل وتراب. وجاء الدمال بمعناه وبمعنى السرقين يقال دمل الارض اذا اصلحها او سرقنها ومن مزاعمهم في التقاليد المروية عن محمد بن علي بن عبدالله ان « اول من دمل الارض اي القى فيها السماد داود عم »[٢]. وحكى الاصبهاني ان اول من جمع السماد بالبصرة وباعه هو عيسى بن سليمان بن علي العباسي من بيت الخلافة حينما كان امير البصرة « وكانت له محابس يحبس فيها البياح ويبيعه فقال فيه ابو الشمقمق :

اذا رُزق العباد فان عيسى له رزق من « أعجاز » العباد

فلما تزوج عيسى فاطمة بنت عمرو بن حفص قال محمد بن عُينية في ذلك:

افاطمَ قد زُوّجتِ عيسى فأبشري لديه بذلّ عاجل غير آجل
فانك قد زُوّجتِ من غير خيرة فتى من بني العباس ليس بعاقل
فان قلتِ من رهط النبي فانه وان كان حرّ الاصل عبد الثمائل...
رأيت ابا العباس يسمو بنفسه الى بيع بياحاته والمباقل(٣

ولم ترد لفظة البيّاح في المعجمات ولا في تكملة دوزي . وانما جاء البياحة شبكة الحوت، وبعد طويل البحث والتنقير وُفّقنا للعثور على الحديث الآتي في كتاب البخلاء للجاحظ قال :

« حدثني ابرهيم عبد العزيز قال : تغديت مع راشد الاعور فاتونا بجام فيه بياح سبخي الذي يقال له الدرّاج فجعلت آخذ الواحدة فاقطع رأسها ثم اعزله ثم اشقها باثنين من قبل بطنها فآخذ شوكة الصلب والاضلاع فاعزلها وارمي باقي بطنها وبطرف الذنب والجناح ثم اجمعها في لقمة واحدة وآكلها »[٣].

١) معجم البلدان ٢ : ٢٨٨
٢) الاعلاق النفيسة لابن رسته ١٦٨
٣) كتاب البخلاء ١٦٤

ولا شك ان هذا الوصف هو وصف سمك كان بالبصرة تجمع رُذالته ونُفايته وما يُرمى به من شوكه واضلاعه واطرافه وتحفظ في محابس لها حتى يغلب عليها العفن، فتُباع على البساتين كالسماد. ومن ثم تكون البياحات في حكاية الاصبهاني، المواقع التي يحبس فيها البياح والسماد. وهذا اقرب ما يبدو لنا في تفسير هذه الكلمة الغريبة.

وقد فاتنا لا محالة كثير من اختبارات الأكرة وارباب الضياع والبساتين وفنون علاجهم للارض وتنميتهم للبقول والازهار والاثمار. وتكفي مطالعة كتاب ابن العوام الآنف الذكر لمعرفة ما كان لبعض مصطلحاتهم وطرائقهم من الشأن والقيمة. ومن بعض الادلة عليها تنبههم الى ما في الدماء والابوال من القوة والدواء لاصلاح الارض لما فيها كما هو معلوم اليوم من الازوت والنترات فاشاروا بها لطب النباتات والمغروسات. قال ابن العوام: «وقد يُعالَج بعض ادواء النبات بدماء وابوال لان للدماء قوى عجيبة في انعاش بعض الشجر والنبات». [1] ولكن فاته ان ينبه على وجوب تجفيف الدم قبل استعماله.

وقد راجعنا مقالاتهم في انواع السرقين والمفاضلة بين ذرق الحمام وارواث الخيل والبغال والحمير واخثاء البقر والجواميس وابعار الغنم والضان والمعز، فاذا افضل الازبال عندهم ذرق الحمام واختلفوا في ما يتلوه في الجودة فقدم بعضهم زبل الحمير على روث الخيل ثم زبل الغنم ثم زبل البقر. ونقلوا عن قسطوس احد علماء الفلاحة، وهو قسطا بن لوقا، انه قال: «احسن زبل الطير ذرق الحمام فبحرارته يميت الاعشاب ثم زبل الحمير ثم زبل الغنم ثم زبل البقر وانفع الازبال العامة للنبات زبل الخيل والهراذين.» [2] وهذا الرأي هو الشائع اليوم في تفضيل روث الخيل للمزروعات عامة.

وهنالك سرقين آخر اشادوا بجودته واجمعوا على ايثاره والمغالاة فيه وهو ما نستميح القارئ اجمل العذر في التعريض به، وقد سبق الايماء اليه في بيت الشقق ويسمونه الروث الآدمي وزبل الناس. ومن غريب ما عُرف به ايضاً

---

١) كتاب الفلاحة لابن العوام، طبعة مدريد، ١٠٦

٢) « « « « « « ١٠٠

ولم نَرَهُ الا مرة واحدة اسم « قوسان » ، نقله ابن الاخوّة في كلامه على حُسبة الفاخرانيين والقصارين فقال : « يُشرط عليهم الا يَقدوا على الكوز بقوسان وهو روث الآدمي ولا بشيء من الازبال فانه نجس بل بالحلفاء والفيشة وهي قشر الارز وما اشبه »[1] .

ومن اشهر اسمائه ايضاً الغائط والنجو والعَذِرة . وانما الغائط المكان المطمئن وكانوا اذا ارادوا الخلاء ينحدرون الى الغيطان اي بطون الارض تستراً وانتباذاً . وكثر ورود الغائط في كلامهم فانتقل اسمه الى الحَدَث نفسه واشتقوا منه الفعل تغوَّط ، كما انتقل اسم الحش وهو في الاصل البستان الى بيت الخلاء لانهم اعتادوا ان يتبرزوا في البساتين .[2] واما النجو فهو الارتفاع من الارض وكان الرجل اذا خرج لقضاء الحاجة يتستر بنجوة فقالوا من ذلك ذهب ينجو كما قالوا ذهب يتغوط اذا ذهب الى الغائط لذلك الامر[3] . واما العَذِرة فهي فناء الدار وكانوا اذا قضوا حاجتهم القوها في الافنية فأُطلق اسم المحل على الحالّ .

وفي اخبارهم عن هذا السماد الآدمي من النكات والمضحكات وهُجَن العادات والحكايات الغريبة ما يدخل في اوصاف الحضارة وتاريخ الفلاحة ولذلك لم نتوقف عن رواية بعضها بعد اطراح ما لا يجمل ذكره واستبدال ما يقبح التصريح به من الفاظه المبتذلة الفاحشة :

وقد عدّه ابن العوام بعد ذرق الحمام في الجودة والامتحان الارض والمنابت كلها[4] . ووصف ايضاً كيف يُعمل به قبل الاستعمال له فقال : « ينبغي ان يجفف من رطوبته الاولى حتى يهكل جفافه ويسود ثم يجعل في الحفائر ويرش عليه الماء العذب ثانية ويحرَّك تحريكاً كثيراً ويخلط حتى يختلط ويجفَّف حتى يجف جفافاً جيداً ثم يُخلط به رماد »[5] .

١) معالم القربة في احكام الحسبة ، طبعة كمبريدج ، ٢٢٢
٢) النهاية في التعريض والكناية للثعالبي ٢٤-٢٥
٣) كتاب الحيوان للجاحظ ، طبعة مصر ١٣٢٣ ، ج ١ : ١٦٢-١٦٣
٤) كتاب الفلاحة لابن العوام ١٠٥
٥) « « « ١٠٥

وكان لاصحاب البساتين طلب عليه شديد وتنازع متواصل « فلا يعافون تسميد بقولهم قبل نجومها وتفتق بزورها ولا بعد انتشار ورقها وظهور موضع اللب منها حتى ربما ذروا عليها السماد ذراً ثم يرسل عليها الماء حتى يشرب موضع اللب قوى العذرة . بل من لهم بالعذرة وعلى انهم ما يصيبونها الا مغشوشة مفسدة وكذلك صنيعهم في الريحان فاما النخل فلو استطاعوا ان يطلوا بها الاجذاع طلياً لفعلوا . »[1]

ومما يدل على الاعتقاد الشائع في اثر هذا السماد البشري نكتة رواها البلاذري عن معاوية بن مروان وكان محنقاً قال: « مرّ بحقل وقد سمع اهل الشام يقولون لا يفلح حقل لا يرى « عجز » صاحبه فنزل واحدث . »[2] ومن اهزل الابيات التي قيلت في هذا المعنى ما رواه ابو الفرج الاصبهاني قال :

« اجتمع جعيفران الموسوس ومحمد بن بشير في بستان فنظر الى محمد بن بشير وقد انفرد ناحية ثم قام عن شيء عظيم خرج منه فقال جعيفران.

قد قلت لابن بشير لما رمى من عجانه
في الارض تلّ سماد علا على كثبانه
طوبى لصاحب ارض « خلوت » في بستانه[3]

وكانت البصرة فيما قيل اشهر اسواق السرقين واميرها كما سبق كان من يتجر به « وللحشوش فيها اثمان وافرة ولها فيما زعموا تجار يجمعونها . فاذا كثرت جمع عليها اصحاب البساتين ووقفهم تحت الريح لتحمل نتنها اليهم فانه كلما كانت انتن كان ثمنها اكثر ثم ينادي عليها فيتزايد الناس فيها وقد قصّ هذه القصة صريع الدلاء المصري . . . ولذلك ذمّ الشعراء البصرة واهلها فقال محمد بن خازم الباهلي (في صحاء البصري) .

يمتق « نجوه » كيما ينالي به عند المبايعة التجار[4]

ومن النوادر المروية عن البصرة « دخل فتى من اهل المدينة البصرة

١) كتاب الحيوان ١ : ١١٦
٢) انساب الاشراف ٥ : ١٦٤-١٦٥
٣) الاغاني ١٣ : ١٤٠-١٤١
٤) معجم البلدان ١ : ٦٤٧

فلما انصرف قال له اصحابه : كيف رأيت البصرة ؟ قال : خير بلاد الله للجائع والغريب والمفلس. اما الجائع فيأكل خبز الارز والصحناة فلا ينفق في شهر الا درهمين. واما الغريب فيتزوج بشق درهم. واما المحتاج فلا عليه غائلة ما بقيت له « عجزه يُحدث ويبيع »[1] .

واشبهت اصبهان البصرة في نفاق الحشوش فيها « فان قيمتها عندهم وافرة » قال ياقوت : حدثني بعض التجار قال : رأيت باصبهان رجلًا من الثُنّاء يطعم قوماً ويشرط عليهم ان يتبرّزوا في خربة له قال : ولقد اجترت به مرة وهو يخاصم رجلًا وهو يقول : كيف تستجيز ان تأكل طعامي وتفعل كذا عند غيري — ولا يكني — ولبعض الشعراء في ذم اصبهان واهلها ابيات قال فيها ان ليس للناظر في ارجاء اصبهان من نزهة تحيي القلوب غير اوقار العذرة[2] . ومن اقبح ما وُصف به ايضاً اهل اصبهان قول ابي القاسم البغدادي:

« يحملون « نجوهم » على رؤوسهم وعلى ظهور دوابهم الى بساتينهم فينتجسون به الانهار ويربّون به الثمار ويأكلونها . اي لعمري هو « نجوهم » منهم بدا واليهم يعود وهم احق به . بلدة حشوشها في المسابل وطرقها كالمزابل لا يوجد بها ذو كرم ولا نائل »[3] .

وعيبت مدينة توزر في افريقية « بان اهلها يبيعون ما يتحصّل في مراحيضهم من رجيع الناس يفخلون به بقولهم وبساتينهم ولكنهم لا يرغبون فيه الا اذا كان جافاً فيحملهم ذلك على عدم الاستنجاء في مراحيضهم ويخرج احدهم من بيته حتى يأتي القناة فيستنجي من مائها وربما اتخذ احدهم المراحيض على قارعة الطريق للواردين عليها ليأخذ ما يتحصل من ذلك ويبيعه . »[4] ولذلك قال الجاحظ : « من اكرم سادهم الابعار كلها والاخثاء اذا جفّت وما بين الثلط جافًا والخثاء وبين العذرة جافة ويابسة فرق »[5] .

---

١) معجم البلدان ١ : ٦٤٧
٢) « « ١ : ٢٩٤–٢٩٥
٣) حكاية ابي القاسم البغدادي ٢٢
٤) صبح الاعشى ٥ : ١٠٦
٥) كتاب الحيوان للجاحظ ١ : ١١٦

واقبح ما هنالك ما كان يجري في قابس « فان اكثر دورهم لا مذاهب فيها وانما يتبرزون في الافنية فلا يكاد احدهم يفرغ من قضاء حاجته الا وقد وقف عليه من يبتدر اخذ ما خرج منه لطعمة البساتين وربما اجتمع على ذلك النفر فيتشاحون فيه فيخص به من اراد منهم وكذلك نساؤهم لا يرين في ذلك حرجاً عليهن اذا سترت احداهن وجهها ولم يعلم من هي»[1].

واشد ما كان الطلب على السماد في بغداد حتى بعث الطمع بعض اصحاب الرباع على احتكار ما كان يلقى على الكساحة والمزابل قال بعضهم : نزلنا داراً بالكراء للكندي فكان في شرطه على السكان ان يكون له روث الدابة وبعر الشاة ونشوار الملوفة»[2].

ولابن السُتَيْر في بلنسية (Valence) وهي من اهم مغارس النارنج والبرتقال في اسبانية تطيف بها منها حدائق وبساتين مل. البصر :

بلنسية بلدة جنّة وفيها عيوب متى تُختَبَر
فخارجها زهر كله وداخلها بِرَكٌ من قَذَر[3]

ومن الغريب جدًّا ان يتنازع الناس الى هذا الحدّ القبيح اوقار الاقذار فهل كان سرقين الحيوانات دون الكفاية ؟ ولعل اقرب ما يعلّل به هذا الطلب الشديد ان الابعار والاخثاء كانت تجفّف وتُدخر للوقود ولاسيما في البلاد التي قلّت فيها الاحراج والغياض وتعدّدت الحمامات كما اشار اليه صاحب كتاب البخلاء حيث قال : « اما الفرث والبعر فحطب اذا جُفّف عجيب .»[4] ولا شك ان مثل هذه العادة كانت في الشرق معروفة شائعة منذ القدم ولا تزال متّبعة في القرى والجبال الى اليوم وقد المح اليها الشعراء، قال الهذلي :

وليلة يصطلي بالفرث جازرها يختصّ بالنَقَرى المُثرين داعيها[5]

وللاخطل في احدى نقائضه :

١) معجم البلدان ٤:٤
٢) عيون الاخبار لابن قتيبة ٣:٣٥٩
٣) معجم البلدان ١:٧٢٢
٤) كتاب البخلاء ٧٨
٥) كتاب الحيوان ٦:١٦٦

صُفر اللحى من وقود الأدخنات اذا ردّ الرفادَ وكفّ الحالب القِرَرُ

يقول هم صفر اللحى من الدخان والادخنات السرقين والرفاد قدح ضخم والقِرَر جمع قرة وهي البرد[1] .

وفيما عدا الوقود للاصطلاء كان السرقين تحمى به الحمامات واتانين المَلّال صانع خبز الملّة وتنانير الخبز[2] . ومن مآثر طاهر بن الحسين انه رأى يوماً في قصره ببغداد « دخاناً مرتفعاً كريه الرائحة فتأذّى به فسأل عنه فقيل له ان الجيران يخبزون بالبعر والسرجين فقال : ان هـذا من اللؤم ان نقيم بمكان يتكلف الجيران شراء الخبز ومعاناته اقصدوا الدور واكسروا التنانير واحصوا جميع من بها من رجل وامرأة وصبي واجروا على كل واحد منهم خبزه وجميع ما يحتاج اليه فسميت ايامه « الكفاية »[3] .

وعزم احد الخلفاء العباسيين على الشرب يوما واستنكف من رؤيـة الربيع واستنشاقه بين ازهار البستان فزيّنت له انفته ان يستعيض عنه بما لا يخطر الا في اذهان الملوك وهو ما رواه التنوخي قال :

« اراد المقتـدر الشرب على نرجس في بستان في صحن دار من صغار صحونه فقال بعض من يلي امر البستان : سبيل هذا النرجس ان يسمّد قبل شرب الخليفة عليه بايام فيحسن ويقوى فقال هو : ويلك يستعمل « الربيع » في شيء يحضرني واريد ان اشمه . قال : بهذا جرت العادة في كل ما يراد تقويته من المزروع فقال : وما العلّة ؟ قال : لان السماد يحييـه ويعينه على النبات والخروج قال : فنحن نحييـه بغير السماد . وتقدم فسحق من المسك بقدار ما احتاج اليه البستان من السماد وسمّد به وجلس يشرب عليه يومـه وليلته واصطبح من غده عليه فلما قام امر بنهبـه فانتهب البستانيون والخدم ذلك المسك كله من اصول النرجس واقتلعوه مع طينه حتى خلصوا المسك فصار البستان قاعاً صفصفاً وخرج من المال شيء عظيم كثير في ثمن ذلك المسك »[4] .

١) النقائض، طبعة بيروت، ١٦٥
٢) كتاب الحيوان ١ : ١١٦
٣) معجم البلدان ٢ : ٢٥٦
٤) نشوار المحاضرة ١ : ١٤٤

يوسف العفيف وامرأة فوطيفار

نشيد

للشاعر رومانوس المرتم

نقله عن اليونانية وعلق عليه

الاب بنوولاوس قادري قس

توطئة

نشيد طريف ومأساة طقسية رائعة للشاعر اللبناني باللغة اليونانية، رومانوس المرتم، الذي نعتوه بيندار الكنيسة وكنارة الروح وقيثارته الشجية الاوتار.

وُضع هذا النشيد ليوم الاثنين من اسبوع الآلام، وبه تحتفل الكنيسة البيزنطية بعيد يوسف العفيف وانتصاره على المرأة الساهرة.

طرق رومانوس هذا الموضوع التأريخي واستقى صفوته من سفر التكوين[1]. وقد نزع عنه حلته القصصية والبسه ثوباً من الشعر التمثيلي فأبرزه في قالب فني لا يقل روعة وجمالاً عن قصائد اكبر شعراء الانسانية[2].

سكب الشاعر في قصيدته هذه نبرات من الجمال الساحر ورسم فيها صوراً من الخيال الجري، الزاهر الذي تفرد به عن سائر الشعراء الدينيين في كل العصور. وقد مزق رومانوس بخياله الفني ضباب الوهم، وتطلع الى ما وراء الخيال اي الى الحقيقة الخالدة. ونظر الى تلك العين الازلية التي ترقب الكائنات بنظرتها الحادة المتغلغلة في اعماق الكون والضمير والساهرة ابدا على الخلائق.

---

١) سفر التكوين ٣٩ : ٦-٢١

٢) cf. Edmond Bowy, *Poètes et Mélodes*, p. 367

وكأني بالشاعر الافرنسي ڤيكتور هوغو يتلاقى مع رومانوس وروحه الرسامة وخياله المبدع على صعيد واحد : ذاك في قصيدة « الضمير » وهذا في نشيد « يوسف العفيف » ، على بعد اثني عشر قرناً .

ان روح الشاعر الملهم فوق الزمن والمكان فهي من تراث الازل المتجدد ابداً، وهي نصيب لجميع الاجيال التي تعشق الجمال والاتزان والمساوقة . فالجمال الشعري لا يختص بامة دون أخرى فهو جامع شامل لا يتعرف الى الانانية العمياء .

وان كان شعر رومانوس من تراث العصور البيزنطية المجيدة، فهو من التراث الشامل ولكن يحق للبنان ان يفاخر به القسطنطينية لان رومانوس تنشأ على تمتمات الطبيعة الحالمة الراقصة في لبنان، واخذ الموسيقى عن رقصة الامواج على شواطئ بيروت ، واستلهم الشعر من نفحات النسيم والارز في لبنان ، وتغذى بالخيال الواسع الازهر من افق لبنان الخلاب .

ولقد صوّر المرنم الكنسي في هذا النشيد كيف ينحط العهر الى دركات الذل والهوان ، ويسمو العفاف الى ذروة العظمة والبطولة . فمثل لنا الرذيلة باقبح الوانها ، والفضيلة بابهى مظاهرها . يتسلط الفجور على امرأة فوطيفار فيملك شعائرها ويتولى على جوارحها ، فيلهبها بلظى الشهوة الجامحة ونار الهوى الاثيم . وتتملق العفيف تارة بالتوسلات العذبة وبالوعود البراقة ، وطوراً بالوعيد واقصى التهديد لتستميله الى تحقيق رغبتها ، وهو ثابت الجنان امامها كالطود الراسخ لا يلين له عود ولا تثبط عزمه العواصف والرعود ، ولا تخلب لبه الاماني والوعود، فيفلت من يدها مستعيناً بنعمة ربه . وهذا ما عناه شاعر دير الصابغ نيقولاوس الصائغ اذ قال :

« ذرها . تشق قميصاً انت لابسه واهرب كيوسف يوماً فاز بالهرب » (١

ما اروع المشهد الذي يظهر الشاعر فيه الشيطان مقبلاً ليغري المرأة ويحرضها على خداع الفتى وقنصه، فيشير عليها ان تجمل محياها وتتضمخ بالاطياب،

١) ديوان الخوري نيقولاوس الصائغ ، بيروت ١٨٧٦ ، ص ٣٣

وتنور جيدها بالقلائد الذهبية ، وان تكون صنارة كما كانت حوا. في الماضي القديم .

وما اشدّ روعة المشهد الذي يمثل لنا فيه وقوف حكمين بين المتحاربين العفاف والهوى ، ومناصرة الملائكة ليوسف في اشتداد محنته ، وتأييد الابالسة لمرأة السوء في استغواء يوسف حتى اسفر الجهاد عن نصر العفاف وقهر البغاء . ذلك لان العفيف يضع نصب عينيه تلك العين الساهرة التي ترقب الخلائق طرًّا،فيستمد منها قوة في الوهن،ومددًا في المحنة،وتجلدًا في الجهاد،فيولي هاربًا من مكيدتها ويفلت من شراكها وهو على يقين بان امرأة السوء وهدة العطب وسم في كأس من الذهب وهي ايضًا :

« جميلة الوجه لكن لا جميل لها تأبى الجميل ولا تولي سوى الكوب »

وان العفاف زهرة تفتحت في السماء ففاح عبيرها في الارض فاعتنقتها الاجيال . فسبحان من يمدّ محبيها بالتأييد ويوليهم النعمة والغلبة وحسن المآل.

نشيد

يوسف العفيف وامرأة فوطيفار[1]

مقدمة[2]

١

ايها المخلّص ،
أهل الذين تبعوا
آلامك وقيامتك
ان يسجدوا
للعين الساهرة .

مقدمة

٢

تعالوا يا معشر الاخوة ،
الذين قطعوا
بجهاد رائع
مرحلة الصيام ،
وتاقوا بلهفة
الى بدء آلام الرب

نضارع جهود
يوسف العفيف
المقدسة ،
ونحن بخوف
من عقم التينة.
لنهدم بالرحمة

١) Pitra, *Analecta Sacra* , *Parisii* 1871, pp. 67-77

٢) لهذا النشيد مقدمتان .

٣) تشير الارقام، على الهامش ، الى ترتيب الابيات اليونانية.

لذة الاهواء ، نحرز من الملاء
حتى اذا ما بلغنا بشوق الغفران فالاطياب
عيد القيامة ، لان العين الساهرة
٢٠ ترقب الجميع .

٣

٢١ نحن الذين انضوينا ٣٥ بها تُقاد النفسُ
تحت لواء ملك كما بسلم ،
يهب جنوده ويُصعد بها
٢٥ ملكَ السماوات ، الى علوّ الحياة السماوية .
لنتسربلِ الفضيلة فتعلم الناس
عُدّةَ النفوس الراسخة ٤٠ الفطنة والشجاعة ،
لنحارب بها والعفة والعدل[1] .
٣٠ الخطيئة المدوة . لنتدرع بمثل هذه الأسلحة
كيف نفهم الفضيلة ؟ ٤٥ ونستمد نعمة المسيح ،
هي الحكمة ، فانه يولي محبيه
هي فن الفنون ، اكليل الظفر على الاعداء ،
وعلم العلوم . لان العين الساهرة
٥٠ ترقب الجميع .

٤

٥١ اذا رأيتم موافقاً سيرة يوسف
فلنرد على الملا لنفهم المجد السني

١) سفر الحكمة ٨ : ٧

الذي اتصف به
٥٥ هذا الحكيم ،
وهو قدوة حية
للجميع .
فلنبادر الى احراز
حياة عفيفة بالقناعة .
ان نار الحسد
٦٠ استفزت اخوة يوسف
فباعوه عبداً[1] .
وما استعبدته
الاهواء يوماً
فقد احرز الحكيم
نفساً حرّة ،
٦٥ وتسلّط على الشهوات الجسدية
ولم تضعضع ثباته

تملّقاتُ المرأة ،
بل أفلتَ
من ملاطفاتها .
لفظت المرأة
٧٠ كلمتها كالماصفة ،
وفيها سكبتِ المسكرَ
كالسيل ،
لتهدم بيت العفاف ،
ووعدته بغمرات
٧٥ الخير والإسعاد
واما يوسف النبيل
فكان بعفافه
كالطود الراسخ ،
٨٠ لان العين الساهرة
ترقب الجميع .

٥

٨٣ كان هذا العفيف
بالجسد مستعبداً ،
وبالروح حرًّا ؛
٨٥ ظهر في الحُلم ملكاً ،

وباليقظة عبداً يباع .
ومن كان يُظن عبداً
قد استعبد المستعبِد .
اكرمه السيد ،

١) سفر التكوين ٣٧ : ٢٧

٩٠ وتعشقته السيدة.
عاطفة السيد نبيلة ،
ونيّتها اثيمة .
أحبَّ الرجلُ يوسفَ
لعفافه
٩٥ وهامت المرأة بالعفيف
لمهرها.
ابهج السيدَ
صلاح سيرته ،
واستغواها
١٠٠ جمال وجهه .
سلّطه ذاك على بيته ،
وبذلت هذه
جسدها للفجور.
١٠٥ نظر اليها يوسف
بازدراء
وتمثل هول الدينونة ،
والعين الساهرة
١١٠ ترقب الجميع .

٦

١١١ امّال الهوى الاثيمُ
مجرى الامور
الى نقيضها :
١١٥ فتسلط العبد
على الاهواء والملذات
كسيد مطلق ،
وامست السيدة
١٢٠ للخطيئة عبدة ،
فمن اقترف الخطيئة
كان لها اسيرًا ،
واعتد يوسفُ
١٢٥ امور الدنيا كالمنام ،
وجذبتِ المرأةُ
اليها العفيفَ
بُغيةَ استغوائه ،
١٣٠ فخاب ظنُّها .
رَمت نفسها
بنصال من نار .
وكما كان محيًّا يوسف
يشعّ جمالًا ،

١٣٥ كان قلب هذه
يحلولق كالليل التام .
وكما استلذت هي
نيران الهوى
١٤٠ أطفأ هو بعفته
نارًا لا تطفأ ،
لان العين الساهرة
ترقب الجميع .

٧

حين تسلّط
اظلم رشدها ،
١٤٥ جنونُ اللذة
ولم يخف عشقها
على قلب المصرية
١٥٥ ولا مرارتها
جرحه جرحاً خفيًّا ،
من حضور يوسف ؟
لقد رضيت
وكانت تتحرّق
١٥٠ جروحاً ثخينة ،
من غيابه اشد التحرّق .
ولحمقها ظنّت الغبيّة
ولما انتصب امامها
آثار الجروح لذة .
١٧٠ تعلقته بالكلام العذب ،
١٥٥ تناولت بناظرها
مجتهدةً ان تنزع
من كنانة العفيف
منه الشجاعة .
سهاماً جرحت قلبها ،
اما العفيف فكان
حين ظنت الشقية
يسعى الى صدّها .
١٦٠ ان الجرح لذة .
١٧٥ عن قصدها الأثيم ،
فالهيام الذي لا يُغلب
لان العين الساهرة
ترقب الجميع .

٨

ها قد أقبل الشيطان ، وألبسي كلَّ ثوبٍ
متقنّعاً بقناع الزنى ، غالي الثمن .
١٨٠ ليؤازر المصرية ١٩٥ تضمّخي بالاطياب الفوّاحة
فقال لها : فتسترخي قوى الشباب ،
تشجعي ، يا امرأة ، لانهم سوف يخوضون
كوني صنارة مغوية ، معارك حامية الوطيس .
١٨٥ كصنارة الماضي القديم . يزفّ هو اليك العفاف ،
اعدّي الطعم ، ٢٠٠ فزفي انت اليه الفجور !
واقنعي الفتى ، حذارِ ان تُغلبي
وجمّلي محيّاك ، فنسخر منك !
وتضمّخي بالعطور انه سيقول لك :
١٩٠ بكل حذق ؛ لن افعل ما تريدين ،
ونوّري جيدّاك لان العين الساهرة
بالاطواق الذهبية ، ٢٠٥ ترقب الجميع .

٩

٢٠٦ رأى العفيف امامه هارباً منها ؛
منظراً غير عفيف ، كانها الافعوان المتخفّي .
فابتعد نافراً منه . واذ عزّ على الشقيّة
رأى وجهاً بهيّاً ٢١٥ امتهان الشريف لها ،
٢١٠ فادرك مرامها الخداع ، نضت نقابَ الحيا عنها
فأفلت مسرعاً ، وقد برزت له بوجه

من الفحشاء منتقب .
الا انها استدعت اليها
٢٢٠ امرأة لعوباً لتلاطفه ،
ثم عرضت نفسها ،
باساليب الخداع .
وكان لسانها مرهفاً
احدّ من السيف مضاء ،
فتمسكت بقميصه
٢٢٥ بُغية الاثم ،

وخاتلته بفنونها الخدّاعة ،
فما استطاعت التغلّب
على رشده ؛
٢٣٠ وكان يردّد القول:
ان افعل الأثم الفظيع ،
واني ابغض
المعاصي على الدوام؛
لان العين الساهرة
٢٣٥ ترقب الجميع .

١٠

٢٣٦ يا لمنتهى الجنون !
جنون المرأة
الذي لا يُغلب ،
اذ تلهّبت بالنار
٢٤٠ هُياماً بيوسف !
رأته غير مكترث
لتملقاتها ،
وغير خاضع
لاهواء الشباب ،
٢٤٥ فصرخت به :
انت عبدي المُشترى ،

اجل باعوك لي
لكي تتعبّد لي ؛
٢٥٠ وانا اقمتك سيّداً
على كل بيتي ،
فكن انت سيّداً
عليّ ، انا السيّدة .
انا لا احسبني ذليلة
٢٥٥ اذا تذللت لك ،
اذ لا فرق
بين السيادة والاستعباد ،
ونعرف نحن ان آدم

ابو الاباء جميعاً ؛ ٢٦٥ لا تخشَ اتيان الاثم ،
وان حوّاء ولا تُذعن لقول
٢٦٠ امّ الامهات. من يقول :
فنحن كلنا متشابهون ان العين الساهرة
لاشتراكنا في طبيعة واحدة. ٢٧٠ ترقب الجميع .

١١

٢٧١ لما وقفتُ وسأكافئك
على اخلاقك المتّزنة بالمواهب الوفيرة ،
آثرتُك على منهضةً اياك
رفاقك العبيد ، الى مستوى حياتي ،
٢٧٥ لانك احرزتَ ٢٩٠ فتصبح حرًّا
الوقارَ في عينيك وأوافيك بلهفة ،
وفي شفتيك ولن تظلّ عبدا ،
ـ كما احبّ ـ اذا اقبلت اليّ بعطف .
وحزتَ كل شعور سامٍ وان لم تصدقني
٢٨٠ ـ كما اريد ـ ٢٩٥ تعرضت بعدل
هلمّ استمع نداني للنوائب والفواجع ،
فابدي لك مرامي : وانا اقيّدك ،
اني أنثر يا عزيزي ،
عليك الخيرات ، بالسلاسل .
٢٨٥ ان صدقتني ، ٣٠٠ وادفع بك الى خلصي .

فلا تسعَ اذن فيما تعتقد
الى حتفك بظلفك . ان العين الساهرة
وانت على غير حقّ ٣٠٥ ترقب الجميع .

١٢

٣٠٦ أنهت المرأة وعيدها، ايها المتمرّد ؟
وما استطاعت قد حان الوقت
ان تدكّ البرج المنيع لأتمتع بلذة شهوتي ،
بتمليقاتها . فليس هنا احد
٣١٠ فظلّ هداه نيّرًا من رجالي .
حافظاً مجد العفاف بهيًا . ٣١٥ ولا يصدّني شيء
ابصر تلك الغبيّة عن اتمام رغبتي .
تترصده هنا وهناك ، رشقته بسهام نارية ،
وتبعد عن المنزل ذا احرقته .
٣١٥ جميع الخدم. وقد تخلص منها ،
ولما انفردت به ، ٣٢٠ ووجهه يشعّ بالعفاف ،
كلمته على حِدة ويطفئ لهيب شوقها
وقالت : بقوله :
٣٢٠ حتّام أحتملك ان العين الساهرة
٣٢٥ ترقب الجميع.

١٣

٣٣٠ قالت المرأة لخداع الفتى.
الحمقاء هذا واذ ذاك اقتحم

٣٦٠ المجاهدُ الصنديد وراودته عن نفسه.
ميدانَ التجارب ، ٣٥٠ فانتصر الشريف
ليقاوم العدوَّ المحتال. على عدوّته المحتالة.
فوقف حَكَمَان وكانت الملائكة
بين المتحاربَين: تناصر العفيف،
العفاف يؤيّد يوسف ، والشياطين
والفجور يستفزّ المرأة. ٣٥٥ تناصر المرأة .
٣٦٥ فانتصب العفيف المجاهد والرب ناظر من العلاء
ازاء الفاجرة ، ليتوّج الظافر
والعاهرة تحدّق اليه باكليل النصر ،
وتداعبه ، لانّ العين الساهرة
٣٦٠ ترقب الجميع .

١٤

٣٦١ واستأنف يوسف والقلم ان يفسدا
كلام الطهر ، ٣٧٠ الاخلاق النبيلة ،
وهتف بالمرأة العاهر : وكما ان الضباب
انا عبدك المبيع ، اذا حجب الفضاء
٣٦٥ اقاسي هذا الظلم حسدًا ، لا ينقص
ولو كنت مبيعاً بالجسد ، من بهاء الشمس ؛
فانا حرّ بروحي. ٣٧٥ وكما ان السحاب يتبدّد
انه ليعسر على اللسان حين تسوقه الرياح ،

وبعد ذلك تضي٠ لاني أنِفتُ الاستعباد
الشمس ببهاء ؛ ٣٨٥ للاهواء المخجلة ٠
هكذا ستزول هذا ما تنبّأ به عني
٣٨٠ عبوديّتي هذه ، من قبلُ
وتشرق حريّتي ، مَن وحده يعرف الخفايا ٠
فاسود على اصقاع ان الدين الساهرة
مصر كلها ، ٣٩٠ ترقب الجميع٠

١٥

٣٩١ سمعت المرأة الفتى ووُجدتَ بغير عيب
يخاطبها بتلك اللهجة ، ٤٠٥ في تصرّفاتك كلها ،
فعمدت الى تمليقه ولم تسئ الى
فقالت : رفاقك في العبودية،
٣٩٥ انت ما تخلّقتَ فانت اذن
باخلاق العبيد يوماً ؛ ٤١٠ من ابناء النبل
وقد عرفت ذلك والشهامة ٠
من مزاياك٠ وستأتي اليّ
فانا على يقين فانثر عليك
٤٠٠ من هذا ؛ ٤١٥ خيراتي الكثيرة٠
واشهد لك وبأمري تخضع لك
بانك تقوم بلاد مصر ٠
بمهمة الاشراف٠ فاقبلني انا سيدتك ،

اسيرة هواك . ولا تعذّبني ،
٤٢٠ اقبلني ، بقولك من جديد :
لنتمتع بفرح متبادل . ان العين الساهرة
٤٢٥ ترقب الجميع .

١٦

استمعَ يوسف فلا ألينُ
الى خطاب الفاجرة لشهوات الجسد ووثباته،
فقال : ٤٤٠ بل اضبطها بالعفاف ،
لَحقٌ ما تقولين . وحتى الساعة
اني فرع دوحة صالحة ؛ لا ازال طاهرًا
٤٣٠ لكني اراك من اثم كهذا ،
فاقدة الحجى ، ٤٤٥ فلا ادنّس جسدي
ولذا اهرب بالعهر ،
من الحياة معك . ثمن الآثام الثقيلة
واذا ما فقد المرء ان يتعدّى الانسان
عقله ، ٤٥٠ على زوجة ذات بعل ،
٤٣٥ قضى حياته واكثر فظاعةً عندي
خاضعا للاهواء ، ان ادنس مضجع سيدي،
كالبهائم . لان العين الساهرة
٤٦٠ ترقب الجميع .

١٧

اجابت المرأة فحتى الان
العفيفَ : نست ملومة ،
اسمع ، يا فتى ، وقربني ، كما قلتَ ،
تكروجي - كما تعلم - يشق بي .
٤٦٥ خاضع لارادتي ، ٤٨٠ فلا عين هنا ترقبنا ؟
وطوع يدي كلَ حين ، فلمَ تنفر مني ،
وانا قادرة ولا تجيب الى مطلبي ؟
على الاساءة اليك ، اما تأخذ بعين الاعتبار
اذا قدمتك اليه ٤٨٥ رغبتي ؟
٤٧٠ من جديد .. فها هي الجدران
ان له فيك آماً لا حسنة تسترنا من كل جهة ،
لمعرفته السابقة بك. وتظللنا القباب من فوق ،
وهو ايضاً يحبني ٤٩٠ فلا تخف
كما يحترمك ، اذا فكرت
٤٧٥ اذ اني متعقلة. ان العين الساهرة

ترقب الجميع .

١٨

اجتهد العفيف كما اشارت حواء
٤٩٥ ان يردع تلك الشقية ، ٥٠٠ به على آدم !
فأردف يقول : اغربي عني !
لا تشيري علي بالاثم ، فلن آكلَ من شجرة

فيها الموت الزؤام !
٥٠٥ فقر دومي العفاف
ينبت الطيّبات.
وايّ شيء
اطيب من العفاف ؟
٥١٠ فالذين يحافظون عليه
يتلألأون مشرقين
كالملائكة .
ولو كان سكان
٥١٥ هذا البيت
لا يرون عملنا وهم بشر ،
فالبشر لا يدركون الخفايا.

الّا ان ضميري
٥٢٠ يحكم عليّ :
لا تعتقدي اني
اقترف اثماً كهذا .
واذا لم يكن من رقيب
ليوبّخ الزاني ،
٥٢٥ فديّاني لا يحتاج
الى برهان ثابت .
فاني ارهبه على الدوام ،
واهرب من ملذات
الحياة الاثيمة ،
لان العين الساهرة
٥٣٠ ترقب الجميع .

١٩

٥٣١ واذا جاريتكِ
على فكرتكِ
بان السجوف تظلّنا ؛
نحن الخطأة ،
٥٣٥ ولا عين هناك
ترقب ما تريدين
ان تصنعي من الاثم ،
فاخبريني ، يا وقاح!

اين نهرب
٥٤٠ ممن يسبر الخفايا ؟
واذا كان رجلك غائباً ،
فديّاني ليس بغائب !
وان لم يرني
صاحب السرير ،
٥٤٥ فعالم الخفايا يراني .
فكيف نفلت ممن

يسبر القلوب والكلى ؟ لا تخفي الزناة
فالسماء تغضب علينا ، عن عالم السرّ والعلن .
وعبثاً نستسلم ٥٥٥ فكلّ شيء
٥٥٠ الى الجدران ، عارٍ ومكشوف لديه.
فهي لا تقينا من الدينونة. انا لا آتي الشر امام الرب ،
فالقباب السماوية لان العين الساهرة
٥٦٠ ترقب الجميع .

٢٠

٥٦١ اشتعلت المرأة وقالت النعمة من الملاء :
الحمقاء غضباً ٥٧٥ اسهر معي !
من هذا الكلام ، لقد قُهر ابليسُ
ووثبت الى العفيف، والمرأةُ معا ،
٥٦٥ وتمسكت بردائه ، وطوّقتِ النعمةُ
وجذبته اليها بشدة جيدَ يوسف
وهي قائلة : ٥٨٠ ببهاء العفاف
استمع لي ، يا حبيبي ، المجدد الاشراق ،
وهلمّ الى سريري ! وقدم الطهرُ ليوسف
٥٧٠ لقد ساء فأل المصرية ، ممتلكات المرأة ،
وناصرت النعمةُ العفيف. وقال له :
هتفت المصرية من جديد: لقد شقّت قميصك ،
هلمّ الى سريري !

ولكنها لم تدنس عرضك، وثوبَ عدم الفساد
٥٨٥ ولا جسدك العفيف! من يد واضع الجهاد،
لقد نال المجاهدُ لان العين الساهرة
اكليلَ الظفر، ٥٩٠ ترقب الجميع.

المدرسة اللبنانية

في ظلال المعابد والاشجار

تاريخها وتقاليدها ، واساليبها في التربية والتعليم

في خلال القرن التاسع عشر

بقلم حامد خاطر

توطئة

صحا نباهي به نحن معشر اللبنانيين أنّ اسلافنا الفنيقيين الذين توطنوا قديماً ارضاً نتوطنها نحن الآن ، والذين ما زال يعيش حتى الآن فيما بيننا فئات من ذراريهم واحفادهم ، كانوا اول من اتحفوا العلم بما لا قوام له بدونه ، الا وهو « حروف الهجاء » المعدودة فيه بمقام الركن من البناء تقوم عليه جدرانه ويبرز هيكله عالياً مشمخراً .

تلك العبقرية التي كانت للسلف ما زالت تظهر في الخلف على توالي الدهور . فقد اعطى اللبنانيون الدليل عليها حقبة بعد اخرى ، اذ انهم برزوا ويبرزون امس واليوم في مضمار المعارف والمقدرة الخاصة على تحصيل اللغات وتفهم قواعدها واستعمال مزاولتها كتابة وحديثاً ، على تعدد لهجاتها وتباين اصولها . فقد ظهر منهم في القديم علماء اعلام خلفوا التآليف القيمة في الفنيقية واليونانية واللاتينية والسريانية ، الى ان جاء العرب فاقبلوا على اتقان لغتهم ومشوا في طليعة العاملين على احيائها . ثم اختلطوا بعد ذلك بالامم الغربية من ايطاليين وفرنسيس وانكليز والمان واميركيين فجاروهم في حذق لغاتهم ووضع المصنفات الحسنة فيها ، مما اعلى قدرهم في عالم الثقافة وجعلهم على قلة عددهم من اهم رسل العلم والحضارة في العصور .

أطوار المدرسة في لبنان

ولقد مرت على المدرسة في لبنان اطوار عدة تقلبت فيها بين الخمول طوراً، والازدهار تارةً . فكانت تزدهر في ايام السلم وعلى عهد صلحاء الحكام، وتخمل حين تنشب الحروب وتكثر الاضطرابات، فينصرف الناس عنها الى الاهتمام بسلامة رؤوسهم ووقاية ارواحهم.

ويُستنتج مما خلفه الفنيقيون من الكتابات ان ناشئتهم كانت تتعلم لغتهم وتتخرج في آدابها في مدارس عامة كان يدرّس فيها اساتذة من مواطنيهم، وبالارجح من كهنتهم.

وفي العهد الروماني، ازهرت العلوم وتوافرت المدارس واشتهر منها مدرسة الفقه في بيروت، ومدرسة الآداب في جبيل، ومدرسة الفلسفة في صور.

وبعد انتشار النصرانية اخذ رجال الدين يعلّمون العلم مع اصول الدين في اديارهم ومعابدهم. ولكن الحروب لم تلبث ان اخذت تدور رحاها فطمست آثار العلوم زمناً، الى ان جاء الصليبيون فعادت الى بعض الانتعاش. لكنها لم تلبث ان رجعت الى الخمول في عهد المماليك وصدر العهد العثماني، حتى اذا فتحت ابواب معاهد رومية في وجه الناشئة المارونية، أخذ العائدون منها ينشرون في لبنان ما اقتبسوه من معارف. ولمّا طلع القرن التاسع عشر، أصبح حال المدارس على ما نحن واصفوه في مقالنا هذا الذي خصصناه بايضاح حالتها ونظمها وتقاليدها في هذا القرن.

المدرسة بين الامراء ورجال الدين

كانت المدرسة اللبنانية، في اوائل القرن الماضي، تكاد تنحصر بالمعابد والاديار. وكان العلم يكاد يختصّ ببعض الأسر يتدارسه افرادها بعضهم على بعض ويستخدمونه في مراسلات ذوي الاقطاع، خاصة الامراء، وضبط حساباتهم، وخدمة اغراضهم.

اما هؤلاء فكانوا يغضون عنه ازدهاءً بعدم حاجتهم اليه، اعتبارَ ان نصيبهم

من الحياة انما هو تعلم فنون الفروسية والتروّض على مجالدة الابطال في ساحات القتال واتقان انواع الصيد. ولم يكن لبناتهم ان يفكرن في تحصيله لان البنت وجدت في نظرهم لخدمة المنزل وتربية العيلة، لا « لتقعد في الديوان »

ومن اغرب ما حدثني به بعض الشيوخ ان الاقطاعيين من الامراء والمشايخ كانوا، في القديم، يعتبرون ان من العار عليهم — وهم ارباب السيف — التنازل الى احتراف حرفة الكتاب والمعلمين من ارباب القلم ، لان مقامهم هم ارفع من ان يتدنى الى مقام اولئك الذين كانوا وقوفاً بابوابهم لخدمة مصالحهم والائتمار باوامرهم ، وان من العيب القول عن بناتهم انهنّ يعرفن الكتابة لئلا يُظن بهنّ استخدامها في ما قد يحيد بهنّ عن جادّة الشرف والنبل.

على ان كثرة احتكاكهم بالفرنجة لم تلبث ان حولتهم عن تلك الفكرة الخاطئة ودفعت باللبنانيين عامةً الى الاقبال على انشاء المدارس لتعليم اولادهم ذكوراً واناثاً . وكان في مقدمة القائمين بنشر هذه الحركة المباركة في البلاد الاساقفة والكهنة والرهبان والمرسلون.

مدارس «تحت السنديانة»

وقد أُنشئت في صدر القرن الفائت الى جانب المدارس التي كادت تكون كلها اديارًا رهبانية مثل عين ورقة ، وعين تراز ، ومار يوحنا مازون ، والرومية، ومار عبدا هرهريا ، وعينطورا ، وريفون الخ . . . مدارس اخرى صغيرة في القرى ، عهد بالتعليم فيها في الغالب الى كهنة الرعايا ، او الى بعض مشايخ الخلوات والقائمين على المعابد من مختلف الطوائف ، وربما سُلّم بعضها الى نفر من العالميين . واكثر ما كان يؤخذ هؤلاء من ذوي العاهات والمشوّهين ممن كانوا لا يقوون على الارتزاق من عمل آخر يقتضي نصباً .

هذه المدارس جعل مكانها ، في ايام المطر والبرد، الكنيسة او الجامع او الخلوة او الكنيس ، وفي ايام الصيف ، ما يقوم الى جانب هذه المعابد عادةً من سنديانة او جوزة او بلوطة «ملولة». لذلك اطلق عليها اصطلاحاً، ومن باب التهكم، اسم «مدارس تحت السنديانة.» ولم يكن لطلاب تلك المدارس مقاعد ولا مناضد

تنبيه هام

وقع سهوٌ في ترقيم صفحات الملازم الثلاث الاولى من هذا العدد (من ص ١ الى ٤٨) وحقها ان تكون من ص ١٤٥ الى ١٩٢ . فالمرجو من القرّاء الكرام ان يتولّوا التصحيح بانفسهم .

لجلوسهم ، بل كانوا يفترشون فيها الحضيض على مدماك من الحجارة او على قطع من الخوص او الحصير صيفاً ، ومن جلود الاغنام شتاء . وهذه القطع لم تكن للمدرسة ولكن كان كل من الطلاب يأتي بواحدة منها لنفسه من منزله .

اول عهد الولد في مدرسة القرية

اللوحة والمدلّ

كان الولد في الحيّ او القرية ، اذا بلغ الخامسة او السادسة من عمره ، أرسل الى المدرسة ، او قادته اليها امه لاول مرة بعد ان تتملقه بحلوان ، واوصت به المعلم فيرحب به هذا ملاطفاً . ويتركه الى ان يستأنس ويطمئن ، فيكتب له حروف الهجاء على ورقة او قطعة من مقوّى « كرتون » يُثبتها في شقّ عود بارز من الوراء لتستند اليه فلا تلتوي او تنكسر ، ثم يُحدّد له عود ليدلّ به على الحروف حرفاً حرفاً عند قراءتها وتبيُّن نقطها وحركاتها ومواضعها وهو المسمّى بـ «المدلّ». اما العود حامل الورقة فيستعمل لها بمثابة مقبض تمسك به فتظل نظيفة وتوقى من التمزق.

وقد تُكتب له تلك الحروف على لوحة من خشب ، بعد صقلها بالنحت ، وثقبها من طرفها فتُناط بمنقبٍ بخيط فلا تضيع الى ان يحفظ ما فيها.

الابجدية الفينيقية وبعض الآيات والصلوات

ومن ثم تُكتب له ، على الاسلوب نفسه ، الحروف-الابجدية-الموروثة عن الفنيقيين المؤلفة من كلمات « ابجد . هوز . حطي . كلمن . سعفص . قرشت . ثخذ . ضظغ » فيقرأها الصغير تهجئةً ودرجاً او « كرجاً » الى ان يحذقها ، ثم ينقل الى بعض الصلوات والآيات . من ذلك ان الكهنة في الجهة التي نشأنا فيها من مقاطعة الشوف كانوا ، في عهد حداثتنا ، ينقلون الولد من الابجدية الى

آية التقديس : « قدوسٌ الله . قدوسٌ القوي . قدوسٌ الذي لا يموت . ارحمنا يا رب ارحمنا . وهلمّ لاغاثتنا . » ثم يعلمونه بعد ذلك : « ابانا » و « السلام » و«نؤمن» قانون الايمان ، وبختامها يختم الطور الاول من علمه .

تعليم قراءة « الكرج » ، والخط ، والحساب

وبعد هذه المرحلة الاولى من الدراسة يُحوّل الولد عند المسيحيين الى كتاب المزامير المفتتح بكلمة « طوبى للرجل » . لذلك كان الاولاد عهدئذٍ يباهون بانهم بلغوا في علمهم الى « الطوبى » ،او بانهم تعلموا « الطوبى » اي سفر الزبور لداود . فيبدأه التلميذ تهجئةً حتى اذا امعن فيه اقتصر على قراءة الدرج صرفاً ، وعندئذٍ يُضاف له التعليم المسيحي الصغير المبتدئ بسؤال «امسيحي انت؟ والله كم واحد؟» وقد شاعت عند اللبنانيين،حول الجواب على هذين السؤالين،طرائف مضحكة . ويحوّل الولد عند المسلمين الى القرآن ويبدأ بالبسملة والحمدلة تهجئةً ثم درجاً الى ان يحذق بضع صفحات فيكتفى له بالدرج وحده .

بعد ذلك يُعطى الاولاد الواحاً واقلاماً حجرية سوداء يمرّنون فيها على كتابة الارقام الحسابية ومراتبها ، والقواعد الاربع وجداولها ، وعلى رسم حروف الهجاء تخينة مفردة فرفيعة مجموعة . وقد كانت للالواح اطارات خشبية تثقب الخشبة العليا منها ويمرّ بثقبها خيط يحمل القلم مع اسفنجة تُمحى بها المخطوطات لاستبدالها باخرى . ولا يخفى كم كان في استخدام تلك الاداة الكتابية لصغار الطلاب من اقتصاد في اثمان الورق والدفاتر والريش التي طالما يشكو منها الآباء في هذا العهد .

وبعد ان يمرّ على الولد عهد يجيد فيه الخطّ والحساب على اللوح الحجري، ينقل الى مزاولتهما على الورق باقلام الغزار والحبر على الوجه التالي :

ادوات الكتابة

كان « فكّ الاسم وتعليقه » في تلك الايام عند اللبنانيين بمثابة شهادة « السرتفيكا والبريفه » عند لبناني اليوم ، فكان الاب اذا جاءه ابنه ذات يوم يطلب منه ادوات للكتابة ، يمتلئ قلبه فرحاً ويبادر الى اتيانه بالمطلوب .

الورق

فكان الورق من « العبّادي » الابيض الصفيق، وكان «الماعون» منه يؤلّف من مئة طلحية عشرها « كفّ » والطلحية الواحدة تطوى مربعة فتصير ذات ثماني صفحات او اطباق ، فاذا جمعت بضع طلحيات بخيط ألفت دفترًا كان يقدم للاستاذ ، فيسطر في راس كل صفحة منه « قاعدة » من خطّه في سطر واحد يضرب تحته خطًّا أفقيًّا ، فيحذو التلميذ بعده حذوَ القاعدة في سطور متكررة الى ان يختم الصفحة ، وعندئذٍ يعرضها على الاستاذ ليراها ويصلح المغلوط من حروفها ، وينبهه الى تقويم المعوجّ من سطورها ومجانبة تلطيخ الصفحة بالوسخ وبقع الحبر. وكثيرًا ما كان المعلم ياخذ انامل الولد المبتدئ بيده ويجري بها على القرطاس ليفقهه في كيف يكوّر المدوّرات ، ويعدّ المستطيلات من الحروف ، ويرصفها رصفًا قويًا الواحد في حضن الاخر.

القاعدة

واعتاد الاساتذة ان يختاروا لنصّ القاعدة إمّا صورة مكتوب مما كان متعارفًا في تلك الايام : « جناب الاجل الامجد كريم الشيم سنيّ الهمم — غب افتقاد خاطركم والاستفحاص عن غالي سلامتكم . . . الخ » ؛ وإمّا صورة سند دين« كمبيالة»: «غب مرور سنة كاملة تمر من تاريخه ادناه ادفع لامر فلان المبلغ المرقوم اعلاه » ؛ وإمّا صورة صك بيع : « سبب تحريره انه قد حضر مجلس عقده فلان الفلاني وباع من الحاضر معه فلان الخ . » فيتخذ التلميذ من هذه الصور واشباهها وسيلة لاتقان خطه وفي الوقت نفسه لتعلم اهم ما قد يحتاج اليه لتدبير شؤونه البيتية في قابل ايامه.

الدواة والمحبرة

كانت الدواة لذلك العصر تؤخذ اما من الزجاج ، واما من الخزف الاصفر او الابيض ، واما من النحاس ، وهذه الاخيرة كانت اكثر استعمالًا من غيرها لصبرها على البقاء وسلامتها من الكسر بين ايدي الصغار . وكانت تؤلف عادةً من قناة مستطيلة مجوفة ذات باب تحفظ فيها الاقلام من القصب او القزّار ، ومن مستودع للحبر منوط بها عند راسها من جهة الباب يدعى « قبجة » او« كجة »

باب ايضاً توضع فيها « الليقة » من قطن او حرير منفوش تتشرّب الحبر فلا يُراق على الارض. وكانت الدواة النحاسية هذه تحمل مدسوسة قناتها في الزنار فيباهى بها على انها شعار العلماء والمثقفين.

اما الاقلام فتُبرى بان تحدّد من جانب واحد يشقّ في الوسط فيشرب شقها الحبر، ويُقطّ راسها قطاً مائلاً رفيعاً او ثخيناً حسب الطلب. وقد قال الشاعر في القصبة التي تؤخذ منها الاقلام :

ويحاً لرزق الكتبة ويحاً لـه ما اصعبهْ
ويحاً لرزق يُرتجى من شقّ تلك القصبهْ

الحبر

كان الحبر الواناً كما هو اليوم . فالاسود للمتون والكتابات الرسمية المعدّة للحفظ او التقديم للحكام والرؤساء وذوي المقامات ، ويؤخذ غالباً من السناج بعد ان يُضاف اليه قليل من السكر والصمغ العربي ليظهر لماعاً زاهياً ، اما الحبر الملوّن فكانوا يستخرجونه من بعض الاعشاب ، او يشترونه جامداً او محلولاً من سوق العطّارين. ولم يكن يُستعمل الا لعناوين الكتب المنسوخة او رؤوس ابوابها او في الكتابات غير الرسمية مثل رسائل الاهل والاصدقاء والتعليقات الشخصية.

المرملة

المرملة وعاء للرمل ، كانوا يأخذونها من الخزف او الصفيح ، وفي غطاها الاعلى ثقوب يرشّ منها الرمل الناعم الطبيعي او الملوّن على الكتابة الطرية فينشفها مستعاضاً بـه عن الورق « النشّاش » المستعمل اليوم . ومنهم من كان ينشف كتابته اما بالنار او الشمس واما بالرماد او التراب الناعم يرشّها بانامله بدلاً من الرمل.

طريقة التدريس

في القرى المسيحية كان الطلبة يجتمعون صباحاً في الكنيسة لسماع القداس وخدمة الكاهن ، ومنها يخرجون في صفّ او صفين سكوتاً مطرقي الرؤوس مكتوفي الايدي الى مكان المدرسة حيث تبتدئ الدروس وتختم بالصلاة ، وتجري باصوات مرتفعة تؤلف منها جلبة تصمّ الآذان . ومن كان اصبر على مداومة

الدرس بالصوت العالي كان عمله اوفر دلالة على اجتهاده، واشدّ اثرًا في كسب عطف المعلم ونيل المكافأة منه من ايقونة او صورة او سماع كلمة ثناء مثل «براڤو» او «عفارم»، واذا سكتت الجلبة وخفتت الاصوات، صاح المعلم بطلبته مصفقاً وهزّ لهم القضيب مهدّدًا.

ومتى حان زمن التسميع، تقدم الطلاب صفوفاً او فرادى من المعلم فتلوا عليه امثولاتهم. فينقل «الحافظين» منهم الى سواها، ويأمر غيرهم بمراجعتها ادوارًا معدودة او يؤجلهم فيها الى تسميع آخر. وربما عهد الى الطلبة الاقوياء بتدريس الضعفاء فيوفر عن نفسه بعض العناء. وقبل الظهر يطلب اليهم «ان يعملوا» «هوشة القلّة» اي مظاهرة الانصراف. وتكون في الغالب دراسة الصلوات والتعليم المسيحي. ومتى لامس نور الشمس حائط الكنيسة الغربي يكون الظهر قد حلّ موعده، وحان زمن الانصراف الى الغداء. فاذا تأخر الاستاذ عن صرفهم صاحوا كلهم بصوت واحد: «يا معلم حلّنا والّا منهرب كلنا» فيجيب آخرون ويكونون عادة من المجتهدين: «يا اولاد ما بحلكم والعصا تلتكم»

وبعد الظهر تجري الدروس على هذه الوتيرة الى ما قبل الغياب بساعة فينصرف الطلبة الى منازلهم بعد ان يسمعهم الاستاذ عظة صغيرة يأمرهم فيها بان يحافظوا على نظام الصف في الطريق ويكونوا عاقلين في المنزل مطيعين لوالديهم محبين لاخوتهم الخ...

ختام الدروس

كان الولد عند الموارنة اذا ختم درسه بالعربية، نُقل الى السريانية ليساعد الكهنة في الكنيسة بالصلوات الطقسية، لا سيما بالوقوف معهم الى جانب المقرأة «القرّاية». وهو مما اعتادوا المفاخرة به وربما علم طلبتهم الخط بالسريانية للاشتغال بنسخ الكتب البيعية الذي كان لمزاوليه مورد رزق ذا بال.

ولقد كان «لختم العلم» في مدرسة القرية طريقة من الاعلان يمكن عدّها بمثابة الشهادات التي تمنح الآن من جانب المدرسة او الحكومة. كان المعلم اذا اعتبر التلميذ منجزًا القدر من العلم الذي يدرسه في مدرسته، أبلغ الامر الى اهله

مع نفر من اترابه بصورة « بشرى غير عادية » فيوثق هؤلاء رفيقهم الخاتم علمه بزنار ، او بقطعة حبل صغيرة « مرسه » ويقودونه بزفة الى منزل والديه حتى اذا دخلوه صاحوا بملء افواههم : « يا من يعمل معنا معروف ويفك هالمكتوف » فيستقبلهم الاهل بالفرح ويبادرون الى فك وثاق الولد ، وهم يغمرونه بالقبلات والتهاني . ثم يوزعون حلوان الختم او فكاكه على اترابه من مال او نقل ، ويبعثون بالهدايا الى الاستاذ من دراهم او حلويات او القشة ، ويدعونه الى وليمة تكريمية يقيمونها له في منزلهم .

ختم الله على قلوبهم

اما عند المحمديين فقد كان الاصطلاح ان الطالب متى انهى سورة آل عمران فقد ختم القرآن وبختامه تكون خاتمة علمه . وعندئذ يومئ الاستاذ الى نفر من رفقائه ان يقفوا وراءه ، وهو يتلو السورة ، فاذا بلغ فيها الى الآية القائلة : « ختم الله على قلوبهم » خطفوا له طربوشه او عراقيته عن رأسه واسرعوا في العدو الى منزل والديه وهم يصيحون ماديّن اصواتهم : « ختم ! ختم ! » فيبشروهما بالختمة وينالوا منهما الحلوان ، وهو في الغالب ملء الطربوش ملبساً او قضامي او غيرهما من انواع النقل فيأكلون منه ويحملون الباقي الى رفاقهم . وعند المساء يدعى الاستاذ الى العشاء في بيت التلميذ ويقدم له البخشيش او الحلوينة .

وبعد هذا الختم يترك التلميذ المدرسة لتعلم صنعة او لمساعدة والديه في كسب رزقهما بما يزاولان من اعمال .

اجرة المعلم

لم يكن لمعلمي المدارس القروية في القرن الفائت مرتبات محدودة ، وانما كان ذلك يترك للعرف المحلي ولسخاء الاهلين وللقيمة الشرائية للنقد . اما ما كنت اسمعه في طفولتي من شيوخ ناحيتنا عن هذا الامر فخلاصته : ان الآباء كانوا يؤدّون للمعلم عن ولدهم اجراً شهرياً قدره بشلك واحد (ثلاثة غروش تركية) في السنة الاولى ، وبشلكين في السنة الثانية ، وثلاثة بشالك في السنة الثالثة فما

بعد ، هذا فضلاً عن هدايا الاعياد والمواسم وتقادم السبتية (اي تقدمة يوم السبت) آخر الاسبوع ، وتكون عادة من الخبز والبيض والالبان . اما هدايا المواسم فتكون شيئاً من الغلال عند جنيها كاكليلة من الفيالج عند قطاف موسم الحرير ، وقدر من الزيت او الدبس او الزبيب او التين الناشف او غير ذلك من موارد الارض والماشية عند حصولها .

العقوبات

كان الاساتذة في ذلك العهد يعاقبون المذنبين من طلبتهم بالضرب بدليل القول المأثور عن ألسنة الطلبة مما يجري الآن مجرى المثل للدلالة على حلول الضنك محل الرخاء : « راح العيد وفرحاته وإجا المعلم وقتلاته »

وكان الاهلون لا يتذمرون من ذلك الضرب بدليل العبارة المأثورة كانت تقولها الام للاستاذ حين تأتيه بولدها الى المدرسة : « اللحم لك والعظم لي » ومعناه اذا كسل ابني او اذنب فاضربه الى ان ينتثر لحمه فلا يبقى منه الا العظم . وما من ريب في ان ذلك ناجم عن رغبتهم في التهذيب مما كانوا لا يرون اليه سبيلاً الا بالضرب عملاً بقول الكتاب : « من احب ولده فليهيئ له القضبان حزماً حزماً . »

بيد ان حضّ الاستاذ على نثر لحمان الولد عقاباً لم يكن المقصود منه الا ارهابه لئلا يطمعه الحنان فيكسل ويمشي في غير الطريق السوي . ولكن العاطفة الوالدية لم تكن في الواقع لتوافق على اية قساوة غير مألوفة يعامل بها الولد جرياً على ما جاء في قول الشاعر :

ادعو على ابني وقلبي يقول يا ربّ لا لا

الركوع والزرب

وعادة المعلمين لتلك الايام في انزال العقوبات دعوة الولد الى الركوع على ركبتيه ، او على ركبة واحدة على الحضيض . وفي حال كبر الجرم ، على شيء من الحصى ؛ وزربه وقت اللعب او حين يذهب رفاقه لتناول الغداء ، واشعار اهله بزربه ليحملوا اليه غداءه الى المدرسة ، والزامه بحفظ الدرس او كتابة

الفرض اللذين اهملها او لم يتقنها ، او اعطاؤه درساً جديداً يحفظه او ينسخه في زربه .

المجلدة والطبشة والفلق

تؤلف المجلدة من حبل او جلد مجدول يُجلد بها الولد على كفيه او ظهره ، وينوب عنها غالباً القضيب من التوت والسنديان والورد ، او الطبشة يضرب بها الولد ضربات عددها على قدر جرمه . وقد يصفع على وجهه او قذاله ، وتُفرك اذناه او «تشمطان» اي يشدّ بهما .

اما الفلق فهو كناية عن عصا طويلة انيط حبل بطرفيها فيمسك بها ولدان بامر المعلم ويدخلان رجلي المذنب في داخل الحبل ، ويديران العصا فيلتفّ الحبل على الرجلين ويقيدهما . ثم يرفعها الولدان بطرفي العصا الى اعلى . ومن ثم يهوي المعلم ضرباً بالقضيب او الطبشة عليها ضربات معدودة .

وقد بطل الآن قصاص الضرب بانواعه في المدارس اللبنانية . واكتفي في العقوبات بحبس الولد والزامه بدرس بعض الامثولات او بكتابة عدد معين من السطور ، وباعطائه علامات تتناسب مع مسلكه ومقدار شغله وتعيين مقامه في الصف ، وهو الاجدى والاصلح .

صناعة الخزف في بيت شباب

درس اجتماعي للاب موريس دي فنويل اليسوعي

تعريب الاب نوئل اليسوعي

يمتّ الخزّافون كلهم في بيت شباب[1] الى اسرة واحدة اخذت اسمها من صناعتها فدعيت ببيت الفاخوري . ويتبين مما تناقلته الالسن ان اصل هذا البيت من صيدا ، ولم يزل منه في هذه المدينة حتى اليوم فئة من الخزافين تحمل اسم « فاخوري » وهم مسلمون ونصارى . ومنه ايضاً فرع في بتغرين من اعمال المتن افراده من الطائفة الارثوذكسية .

ويبدو ان هؤلاء حين رأوا ان الريح الشمالية في بتغرين تحول دون اذكاء النيران في ما كانوا يبنونه من الاتاتين ولا تساعدهم كما كانوا يشتهون ، عوّلوا على الانتقال منها . وكان اول الراحلين فئة قدمت منذ مئتي سنة تقريباً الى بيت شباب وحلّت في اعاليها في مكان دعي « الفاخورة » وهو ما زال حتى اليوم يحمل هذا الاسم ولكنهم لم يستقروا فيه طويلاً لان الريح الشمالية في الشتاء الجأتهم الى اتخاذ مكان آخر في الوادي القريب اقل تعرضاً لتلك الريح وما زالوا هناك حتى اليوم . وكل آل الفاخوري في بيت شباب من الطائفة المارونية .

وهناك تقليد آخر يتناقله آل فاخوري مآله ان اصل اسرتهم من بعلبك من طائفة الروم الارثوذكس رحلوا عنها اولاً الى بتغرين ثم تفرعوا منها فرعين : الاول هبط بيروت حيث اعتنق الاسلامية ، ويقيم اكثر ابناء هذا الفرع في محلة

---

١) بيت شباب بلدة كل اهلها موارنة عدد المقيمين فيها نحو ٣٫٨٠٠ وقد هاجر منها نحو ٤٠٠٠ واكثر هؤلاء قصدوا الى افريقية الغربية التابعة لفرنسة واشتالهم هناك في ازدهار . وفي البلدة صناعات اخرى غير الخزف منها مقاهز الاجتراس لبيت شباع ، ومصانع الحديد لبيت الحداد ، ومعامل الحياكة لآل حايك .

الكورنيش بالقرب من الحمامات العسكرية . والثاني رحل افراده الى صيدا وهناك اسلموا ايضاً . ورحل بعضهم الاخر الى بيت شباب كما قدمنا فاقاموا اولاً في اعلاها ثم هبطوا واديها . والله اعلم[1] .

ولنعد الى آل فاخوري الذين في بيت شباب موضوع مقالنا هذا . فان هؤلاء يتعاطون من نحو ثلاثين سنة صنعة الفخار ، وقد اسسوا لها نحو عشرين مصنعاً في بلدتهم كانوا يطبخون في كل منها طبختين الى ثلاث في كل موسم . اما اليوم فليس في بيت شباب الا سبع اسر تتعاطى هذه المهنة في خمسة مصانع . ويلاحظ ان الذين تخلوا عن هذه المهنة ما زالوا يحنون اليها لانهم شربوا حبها مع الحليب . وقد اخبرنا احد هؤلاء قال : في ايام طفولتي كنت اذهب مع اخوتي فننقل الطين من حوض التصويل لنصنع منه دمى صغيرة كنا نشويها في اتون صغير خاص بنيناه بايدينا على مثال مصغر لاتاتين المصانع الكبيرة .

وفي ايامنا هاجر الى افريقية ثلاثة أرباع هذه الاسرة .

التراب

التراب اهم ما يهتم به الخزّاف لانه المادة الاساسية في الخزف . فآل فاخوري في بيت شباب يبيتون ما يلزمهم منه من تراب البلدة نفسها فترى الخزافين منهم غالباً ما يجولون في البلدة يتفحصون ثراها كانهم يبحثون عن الحلازين وما مطلبهم الا تربة الخزف فاذا ما وجدوها في ملك احدهم ابتاعوا منها بضعة امتار مربعة وباشروا الحفر فيها الى ان يجدوا العرق الصالح للاستثمار .

والتراب الصالح للخزف نوعان : احمر وهو « الدلنان » ، وابيض وهو « الحوّارى » ، وقد يمزج الاحمر بشيء من الابيض لصنع الجرار والتعارات الراشحة التي يبرد الماء فيها صيفاً . اذ قد تبين بالاختبار ان التراب الخزفي الابيض هو وحده الصالح لصنع الآنية الحافظة الماء بارداً في الصيف . ويجبل التراب احياناً بماء البحر لاغراض يقصدها الخزافون لذلك قالوا في امثالهم : « كل فخار ولو ترابو » .

---

١) ليس لهذا التقليد مستند ثابت يجمع آل فاخوري من مختلف الطوائف في اصل واحد . وانما هو ، على ما لاحظنا ، من باب الحدس والتخمين .

التصويل

بعد استخراج التراب ينقل احمالاً الى احواض التصويل أو المصاول. وهذه تحفر في الارض ثلاثة ثلاثة احدها بجانب الآخر. ولكل اسرة مصاولها المثلثة وكلها في اسفل البلدة يتصل بعضها ببعض في الموضع الوحيد الموافق لها بسبب مجاورته لساقية ماء تسيل في تلك المحلة (الرسم ١).

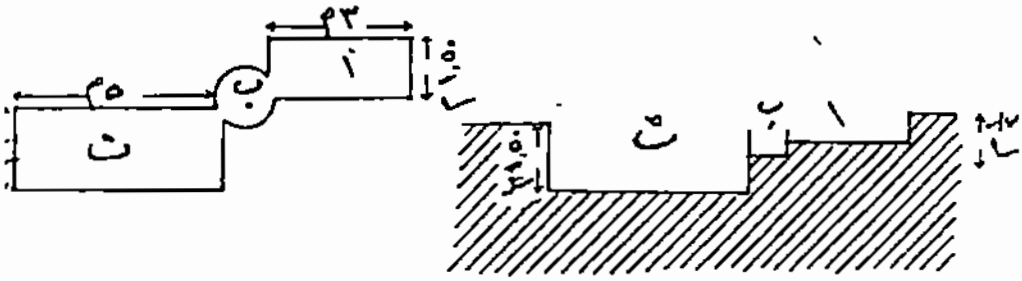

الرسم ١ – قطع و مسطّح الارقام تقريبية وتختلف باختلاف الاحواض

في المصول الاول (ا) :

يطرح التراب وتضاف اليه حاجته من الماء ثم يقبل على عركه بجرفة طوال يوم كامل ، وبعد ذلك ينقى من كل حصاة ويداف الى ان يمتزج بعضه ببعض على شكل يقرب من اللبن الخاثر واخيراً ينقل الى

المصول الثاني (ب) :

وفي هذا المصول يعنى بتصفيته وتمحيصه من كل جسم غريب بحيث يصبح خالياً من كل كدرة ثم يحول الى

المصول الثالث (ت) :

وفي هذا المصول يترك الى ان يرسب في القعر وعندئذ يرفع الماء عن وجهه بالسطول والراسب يصبح صالحاً للعمل. على ان كميته ان لم تكن كافية اضافوا اليه جبلة ثانية فثالثة من التراب على النحو المشروع به آنفاً، الى ان يصير ما في الحوض الثالث كافياً للعمل طوال السنة او الموسم فيؤخذ بنقله « تاميل تاميل » على قدر الحاجة في كل طبخة في « نقالات » من خشب تحملها الدواب. وكان

العمال انفسهم من قبل يحملون « التماميل » كلهـا الى المصل ويضعونها في غرفة ذات درجة محدودة من البرودة والرطوبة .

العجن

يؤخذ القدر اللازم من « التماميل » ويداس اولاً بالارجل وهو ما يسميه الخزافون « الدوسة » فيقول المعلم لصانعه : « دوس دوسة » ومن ثم يعجن او « يعرك » بالايدي وهذا « العرك » ضروري لان اليد الطف حساً من الرجل وهي تشعر بادق الحصى الباقية في « التماميل » بعد التصويل فتنتزعها على انها لو بقيت اضرّت كثيراً بالفخار بل اتلفته لانها حيث تبقى تحدث ثقباً . وقد يستعملون عند العرك قليلاً من الرمل الناعم منعاً لعلوق العجين بالاصابع بسبب لزوجته او بالبلاطة التي يعجن عليها .

انواع الخزف

يكاد خزافو بيت شباب لا يفوتهم صنع شيء من انواع الخزف فانهم ماعدا آنية الزهر والصحاف والكؤوس يصنعون الجرار والدنان (الدغاير) على اختلاف انواعها وحجومها .

واكبر هذه المصنوعات :

الخابية : جمها خوابي علوها ٩٠ سنتيمتراً وسعتها نحو ٦٠ رطلاً تصلح لحفظ الحبوب والزيتون وغير ذلك (راجع الرسم ٣)

الرباعية : تسمى ايضاً « الثلاثية » تسع من ٢٥ الى ٣٠ رطلاً (ربع او ثلث قنطار) .

ثم الجرار المتفاوتة الحجم منها :

الدكوجه (جمها دكاكيج) : تستعمل في البيوت لحفظ الزيت والخمر والعرق وغير ذلك من السوائل (الرسم ٢) .

الخارج : يسع ١٠ ارطال

المزنز : « ٦ «

الوسط : « ٤ «

الصغير : رطل ونصف الرطل .

ويسمون هذه المجموعة المكونة من المزّر والوسط والصغير «المدّ» .

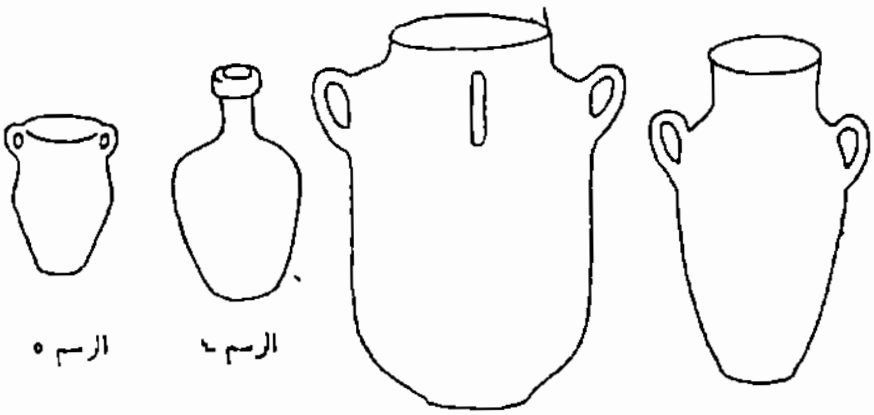

الرسم ٥ الرسم ٤ الرسم ٣ الرسم ٢

وهناك الآنية المجوّفة منها :

المعجن : وهو اناء واسع يعجن فيه الدقيق ويحفظ الخبز .

القرخ : يشابه المعجن في شكله ولكنه اصغر منه حجماً .

المعيجنة : هي من الشكل السابق ولكنها اكثر منه صغراً .

جرن البطاطا : وعاء عمودي الجوانب .

المخرّز : يستعمل لحفظ الخمر والعرق (رسم ٤)

المحلوب : يستعمل لحفظ الحليب واللبن الخاثر (رسم ٥)

الصحفية : نوع من الصحون .

البرنيّة : نوع من الدكاكيج لاعنق لها ، ذات ثلاث او اربع آذان تناط بها في السقف أو الجدار واكثر ما يحفظ فيها السمن والقورما والعسل .

كيف يصنعون آنية الفخار

تصنع القطع الصغيرة بالدولاب وهو مؤلف من قضيب عمودي اثبت طرفه الاسفل في رحى يديرها الخزاف برجله . اما طرفه الاعلى فيحمل رحى اخرى

توضع عليها المواد المراد صنعها خزفاً (راجع الرسم ٦ في (الف) . اما في (باء) فقد وضع الخزاف على سطح الرحى قالباً من طين الخزف مغطى بخرق وشكله يماثل شكل كعب الجرة فيحفظ المادة من الانخلاع وقت صنعها)

يضع الخزاف على الدولاب « المزّاية » وهي قطعة من طين شكلها مخروطي في اعلاها الشيء المراد صنعه ، فاذا انتهى منه قطعه بخيط من اسفله عن باقي الطين وباشر صنع غيره . وهكذا دواليك الى ان يأتي على الطينة باسرها .

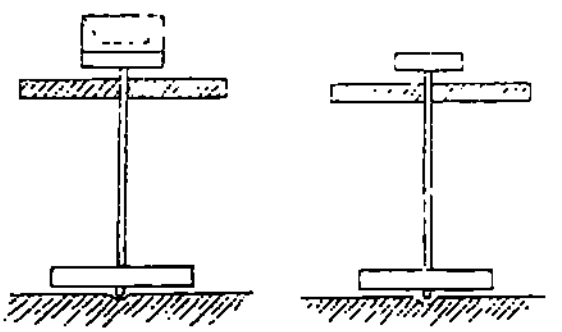

(ب) رسم ٦ (ا)

اما في صنع الجرار فيصنع « الكعب » اولاً وينشّف بضع ساعات . ثم تعد لجوانبها قطع اسطوانية من الطين كل منها بطول متر تسمى « الدوّار » . فاذا شاء المعلم العمل قال لصانعه : « ولّف الدوّار » ومتى قُدّم له أسنَدَ احد طرفيه الى كتفه واحكم لصق الطرف الاخر بكعب الجرّة بعد ترقيقه بادارته بيديه فينساب بين اصابعه كالافعوان ويأخذ الدولاب يدور وبطن الجرة يتكون مرتفعاً شيئاً فشيئاً الى ان يتكامل . وعندئذٍ يجف بعض الجفاف (الجرار العادية تكفيها الاسطوانة الواحدة . اما الجرار والآنية الكبيرة فقد تتطلب عدداً غير قليل من الاسطوانات) .

وبعد الجفاف يؤخذ « بتخبيطها » اي ترقيقها وتجليسها ، وذلك بان يأخذ غلام الفاخوري بيده قطعة خشب تسمى « الكفّ » وهي تشبه الحجارة الملساء المأخوذة عن شاطىء البحر او ضفاف النهر فيضمها بيسراه في داخل الجرّة ويباشر

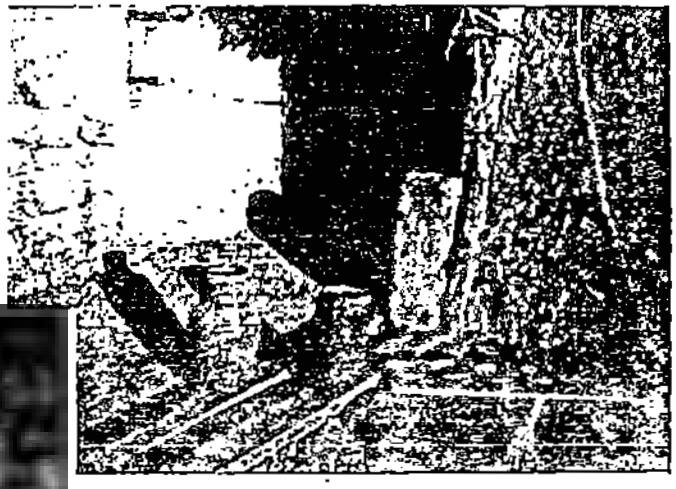

صورة ١ اطوار العمل في الخزف
- الكعوب
- الجوانب المهيأة للتنـ
- الدكوجة وقد ك

صورة ٢ – العمل على الدولاب
يحرك الخزاف الرحى برجله حافية

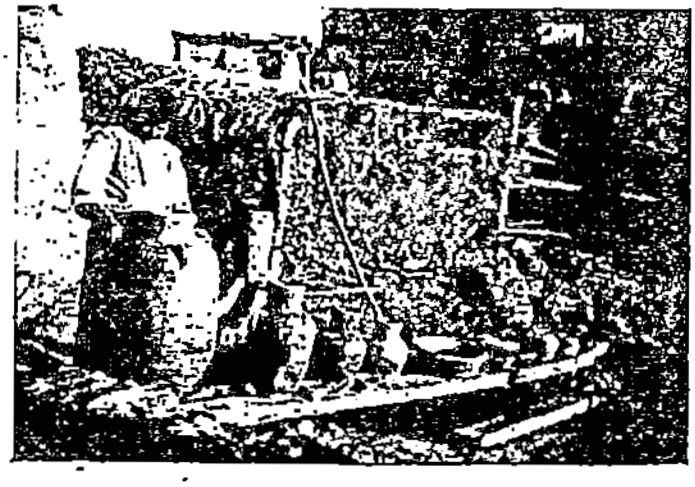

صورة ٣ – بعض انواع
الخزاف يستند الى الحائط .
ايضاً العد اي مجموعة من
والوسط والصغير

(تصوير عبد الله ابي هـ

بيمناه خبط بطنها من الخارج مرفقاً جوانبهـا بواسطة «المخباط» ، عاملاً على نفخها وتسويتها ووضعهـا في الشكل الهندسي الموافق لها .

اما في تركيب العنق او «البوز» فيستعمل الخزاف من الطين قطعاً كالتي استعملها في تركيب الكعب. وذلك بان يضع الجرة على الدولاب ويصل ببطنها قطعة الطين المختصة بالبوز ويلفّهـا محكماً وصلها وتجليسها بيده الى ان يتمها ويختمها بحرف منتفخ قليلاً عند فمها ، فيقال انه « عرّى البوز »

ويعمد اخيرًا الى « تركيب الاذنين » من قطع خاصة (قطع دَينين) يعينها معاونه بصورة كتل كروية يمدهـا باصبعه ويلفها عليها ثم يلصق طرفهـا الواحد ببطن الجرّة والطرف الآخر بعنقها. وعند العامة في لبنان مثل مأخوذ من صنع هذه الآذان وهو : « كيف ما راد الفاخوري بيدير دينة الجرة . »

وعلى هذا النحو تكمل الجرّة الكثيرة الاستعمال في لبنان ، وذلك بعد ان يستغرق صنعها نحو اليومين بين عمل وراحة[1] .

التنشيف

يجب ان يتم «التنشيف» وئيدًا في موضع معتدل البرودة. وكان اهل القرية اذا اشتدّ الحرّ في الصيف جاؤوا الى مصانع الفخارين ينشدون عندهم الهواء البارد. ولولا برودة الهواء لتشقق الخزف لذلك تراهم يتفحصون المصنوعات غالباً ويقلبونهـا من جانب الى آخر حتى لا تتم نشوفة هذا قبل ذاك فيقع التشقيق ويتلف الخزف . وتبقى القطع معروضة للنشوفة عـلى هذا النحو شهرًا ثم تنقل الى الفرن وتشوى .

---

١) بعد صنع القطع الفخارية ، توضع على اعمدة متفاوتة العلو يسمى كل منها « المرزة » ويعنى بان يكون سطح « المرزة » جالساً جلوساً افقياً لا ميلان فيه حتى تكون اكعاب القطع مستوية استواء تامًا لا يشوّه اوضاعها اعتلاء. ولتأكد من افقية الاعمدة يصبّون عليها نقطاً من الماء فاذا لم تتحوّل الى احدى الجهات كان ستواها وفق المطلوب .

الشيّ

الفرن او «الهردوشة» تبنى من الحجر. وفيها غرفتان الواحدة فوق الاخرى وبينهما رقبة معقودة من لبن مفتوحة لمرور اللهيب. والخزاف يضع اللبن ويدس منه قطعاً في الاتون كل مرة يتهيأ للشيّ. ويبقي قسماً آخر محفوظاً عنده لاستعماله بدلاً مما يتلف من لبنه في النار.

يضعون في الغرفة العليا القطع الضخمة المحتاجة الى كثير من الحرارة اما القطع الصغرى فتوضع في النصف الابعد من الغرفة السفلى. وقد يضعون بينها وبين النار حاجزاً من حجر ليخففوا عنها شدّة الحرّ. وكثيراً ما يتحول هذا الحاجز الحجري الى كلس من كثرة الحرارة فينتفع بما يباع منه. اما الحجارة القريبة من محل الوقود فتنتقى من النوع الناري الذي لا تؤثر فيه الحرارة. وهذا المكان يدعونه «بيت النار»

ويبتدئون عادةً بنار خفيفة ثم يسعّرونها شيئاً فشيئاً الى ان ترتفع حرارتها الى درجة جدّ عالية.

واذا أساؤوا استعمال النار فسد الشيّ وتعطل الخزف المشويّ فخرج اماً نيئاً او كان سريع العطب كثير الشقوق.

ولا بدّ من توجيه الاتون الى مهب الريح لتركية ناره. على انه لا بدّ في ذلك من مجانبة التمادي والافراط وملازمة الاعتدال بحيث تضرم النيران على القدر اللازم فالزيادة تضر تماماً كالنقصان. وقد رأينا ان المحال المعرضة لريح الشمال لا تصلح لبناء الاتاتين، واكثر ما شاهدنا منها في بيت شباب جعل في دربة من شدّة الريح ووجّه الى الجهتين الجنوبية والغربية فيأتيه الهواء اللازم له من هتين الجهتين.

والاتاتين المبنية هناك تستند كل ظهورها الى منحدرات ارضية. وقد جعلت بيوت نيرانها في حفر عميقة وفوقها غرف الشيّ على مستوى الارض تماماً. وتبلغ

غرف الشيّ في الافران الكبرى نحوًا من ٧ امتار في ٥ وفي ٤ علوًا.

الرسم ٧

(١) قطع الجهة الامامية

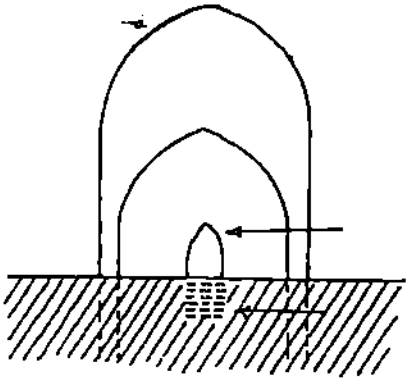

(٢) قطع الجهة الخلفية

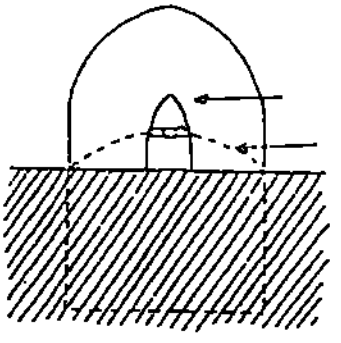

وتكون مدة الشيّ الاولى اطول منها في غيرها لان فيها يتبخّر ما في جدران الاتون وما في المواد المشوية من رطوبة . ولذلك تسمّى «مدة التبخير» وهي تستغرق نحوًا من ١٥ يومًا تستهلك من الحطب زهاء ٢٥ الى ٣٠ قنطارًا . اما مدة الشيّ الثاني فنحو سبعة ايام وتستهلك زهاء ٢٠ قنطارًا من الحطب . والمدة المقتضاة للشي الثالث اقل من سبعة ايام ويكفيها من الحطب زهاء ١٢ قنطارًا . اما ما يسمه الاتون من القطع الخزفية ، فيما اذا كان حجمه كبيرًا ، فلا يقل عن الف قطعة.

(٣) قطع الجانب

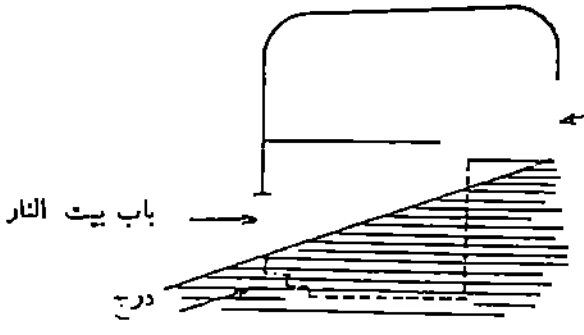

صورة ٤ : المصول

صورة ٥ : مدخل الاتون في الواجهة . لقد تمّ الشيّ فيرمي الصانع التراب على النار بالرفش ليطفي بقايا اللهيب

صورة ٦ مدخل الاتون عند الوراء . وقد عزّل من الحجر والطيّون . تظهر فيه الانية الخزفية مكتملة .

(تصوير عبدالله الي هيلا)

كيف يشوى الخزف :

قبل ايقاد الاتون يغلق بابه الواقع الى الوراء بركام من الحجارة ويحكم سدّ ما بينها بالنبات المعروف «بالطيّون». وعندما يمتد اللهيب الى جرف الاتون كله يملق بالطيون ويحرقه ولا يحصل ذلك الا في نحو اليوم الخامس فيقال : « دفقت النار » . وعندئذٍ يبادرون الى نزع الحجارة من الباب فيمرّ منه الهواء. واذا رأوا ان عملية الشيّ ناجحة رددوا كلمتهم الاصطلاحية «صافحت» اي ان الطبخة قد صحّت وسلمت واصبحت مضمونة. وبعد ذلك يرفعون من سائر الابواب ما كانت تسدّ به ، فتمر فيها الريح دون ما مانع ويحركون النيران « بالدكش » وهو عصا طويلة ذات اصابع وقد يستعملونها لرفع القطع الساخنة فلا تسدّ المخارج. ولا بدّ من انقضاء يومين يبرد فيهما الاتون فيتمكنون من افراغه .

ويتصلب الفخار بعد شيّه تصلباً قوياً فيصبح « مثل النحاس » واذا احتاج المعلم عند تنظيم الاتون الى تثبيت حجرين وضع ما بينهما قطعة من الخزف تدعى « دحاً ». اجل ان الخزف سريع العطب لا يحمل صدمة ولكنه يصبر على التكتل في اثناء النقل ولا يتكسر. ومن امثالهم في ذلك : « حمل قنطار ولا تدق مسمار» :

ويكسب الخزف بعد شيّه لوناً اسمر ضارباً الى الحمرة دون ما تلوين بالبرنيش.

البيع

يتوافد التجار في الصيف على الفواخرة لابتياع آنية الخزف وتكون صفقاتهم متناسبة مع محصول العام. والصفقات الحسنة تعقد مع اصحاب المحاصيل الحسنة.

يحكى ان التجار عندما كانوا يخلزن ما يبتاعونه من الخزف على البغال والحمير كان الشتاء ينقضي او يكاد قبل ان تنفد محاصيل الفخار من مستودعاتها.

اما في ايامنا هذه فسيارات الشحن تذهب بها الى الاسواق قبل نهاية ايلول.

موسم هذه الصناعة ومبرراتها

ترتبط شروط صنع الفخار باحوال موسمه: يبدأون التصويل في الربيع ايام الصوم. وان تأخروا عن هذا الموعد نضب ماء الساقية المعول عليه في تصويل الاتربة بالاحواض. وان بكروا والماء شديد البرودة تعذر عليهم احتمال العمل في جبل التراب النهار بطوله وهم حفاة الارجل.. وينتهي التصويل في منتصف ايار وفي اواخر آب يكون الفخار جاهزاً للبيع. وزبدة القول ان هذا العمل لا يمكن انجازه الا في الصيف كي لا يتأذى العمال من شدة البرد. وهم يعالجون الفخار الرطب في الشتاء. فضلاً عن ان التنشيف لا يمكن اتمامه في غير الصيف وذلك بتعريضه للهواء الطلق تحت سقف خيمة من ورق الاشجار مما لا يتيسر حصوله في ايام الشتاء الممطرة.

واعلم ان الفواخرة ما كانوا يبتدئون اعمالهم قبل منتصف تموز ريثما يكون الفخار قد نشف. اما في ايامنا فقد يحفظون تراب الخزف من العام السابق ليستطيعوا الابتداء بشيء قبل موسم الحرير.

وزد على ذلك ان موسم الحرير من تربية الدود وقطاف الفيالج ما كان ليتم قبل الربيع. وكان اذ ذاك في بيت شباب ثمانية او تسعة معامل للحرير وجميع آل الفاخوري كانوا يربون دود الحرير فتشغلهم تربيتها عن غيرها من الاعمال. ولما وقع الحرير في ازمته المعروفة اهملوه وعمدوا الى العناية بالماشية اخصها البقر فكان لكل اسرة في القرية بقرة او بقرتان، كما انهم انصرفوا الى العمل في كرومهم.

هل من سبيل الى تحسين صناعة الفخار واساليبها

هذا سؤال يجيب عليه الفخارون قائلين ليس باستطاعتنا ان نأتي بغير ما تعلمناه من اجدادنا. بيد ان بعضهم غطوا سقف الاتون في الشتاء بالتوتياء ليمنعوا عنه المطر، فاقتصدوا بذلك نحو خمسة قناطير من الوقود في الشيء الاول.

ولو عمد بعضهم الى استعمال المحرك الميكانيكي في تشغيل الدولاب لهوّنوا العمل كثيراً على انفسهم ، كما انهم لو سخنوا الماء اللازم للجبل لتمكنوا من صنع الفخار طوال السنة وزادوا في كمية الانتاج. اجل ان ذلك يتطلب نفقات كبيرة ورؤوس اموال وافرة ولكن مهنة الفخار البيتية تتحول عندئذٍ الى صناعة فنية ذات طابع تجاري .

ومهما يكن من امر فان هذه الصناعة البيتية الخالصة تحتاج الى تضافر الايدي في انهاضها . فالعامل الواحد لا يستطيع القيام بالاعمال المطلوبة كلها في الزمان المحدود ، فهو يستعين بآل بيته جميعاً ، واذا احتاج الى معاون غريب استعان باحد افراد اسرة الفاخوري لان « سر المهنة عندهم بالدم . »

قد يصعب اتقان صنع الفخار قبل ان تمر خمس سنوات على المتعلم. في السنة الاولى يُفرض عليه اداء مبلغ من المال لمعلمه اجرة تعليمه . وفي السنة الثانية يشتغل معه دون ما اجرة البتة وفي السنة الثالثة يبتدئ بالربح لنفسه . واذا انتهت مدة تعليمه بعد ذلك افترق عن معلمه ليشتغل منفرداً عنه او شاركه بالعمل وقاسمه مناصفةً ارباحه . ويشكو بعض الشيوخ من ان الشباب لا يرغبون بعد في تعلم هذه المهنة .

ومن ثم فالتعاون يكاد يكون مفقوداً تماماً بين مصانع الفخار اذ ان كلًّا منها يعمل لذاته وله مصاوله ومعداته . وقد يجتمع الفخارون في مستهل الموسم لا للتعاون بالعمل بل لاقرار اسعار البيع والاتفاق على عدد الاتاتين التي يشوون فيها الفخار وما يكون لكل واحد منهم من المحصول (لئلا يطغى الفخار على السوق فتهبط اسعاره). واذا كان لديهم قطع باقية من العام السابق حسبوا حسابها عند عدّ القطع المنوي صنعها ووزعوا هذا العدد على المصانع وفقاً لاهمية كل منها. واليك المثال على ذلك: في هذه السنة يشتغل كل من الخزافين التالية اسماؤهم:

نعوم معه ابنه وشريك واحد وعاملان ، له الحق باربعة اتاتين .

نقولا ومعه عاملان ، له الحق بثلاثة اتاتين .

نخله معه شريك واحد وعامل واحد : اتون ونصف اتون .

نعمة الله ومعه عامل واحد : اتون ونصف اتون .

الحاج ومعه شريك واحد : اتونان .

وقد يلجئ شيّ الخزف اصحاب المعامل الى تبادل المعونة ذلك اذ ليس في الوقت الحاضر للعامل الخمسة الا اربعة اتاتين ، ولانه قد يحدث في آخر الموسم ان يحتاج الخزفيون الى طبخة واحدة لبقايا القطع التي لم تشرّ تفادياً من اشعال اتون كبير لا سبيل الى املائه بالمطبوخات . عندئذٍ يتفقون على شيّها في اتون موافق يعملون كلهم فيه ويشتركون في تقديم ما يلزمه من الوقود والحاجات .

ولم تدوّن لهذه الصنعة اغانٍ عامية . ولم نسمع لها امثالاً دارجة غير التي قدمنا ذكرها في سياق مقالنا هذا[1] .

وقد جاء الكتاب المقدس مزاراً على ذكر هذه الصنعة ، من ذلك : وصفه الخزاف جالساً على عمله يدير دولابه برجليه (ابن سيراخ ٣٨ : ٣٢) وهكذا تصوره لنا النقوش المصرية القديمة . اما عندنا فالعامل في الخزف يشتغل واقفاً على رجل واحدة وبالرجل الاخرى يحرك الدولاب وعمله يتطلب نعومة الاصابع وخفتها لان الاناء لا يحتمل الشيّ ما لم يتقن عمل التحويل وعرك الطين او لم تكن درجة الرطوبة او اليبوسة كما يجب ان تكون .

وقد قال ابن سيراخ في هذا المعنى :

« آنية الخزف تختبر بالاتون والانسان يمتحن بحديثه » (٢٧ : ٦)

*

هذه هي كما رأيناها بعيننا احدى الصناعات القديمة التي توارثتها البشرية عن الاقدمين .

ويمكننا خلال الكلام عليها ان نفقه ما جاء فيها من الآيات في الكتاب المقدس سواء في سفر التكوين ، في خبر خلق الانسان من طين الارض ام

---

١) افادنا الاستاذ خد خاطر ان في لبنان حول هذا الموضوع امثالاً عامية دارجة غير المذكورة في المقال منها قولهم : فخار يكسّر فخار . مثل الفواخره لا دنيا ولا آخره . لولا الكاسوره ما كانت الفاخوره . وكان مرة احد الزجالين يساجل زجالاً من معاصر الفخار المعروفة بمعاصر الشوف فانشده البيت التالي :

ابن المعاصر قد ما يكبر بيضلّ اصله برّد فاخوري

في رسالة القديس بولس التي يتحدث فيها الى الرومانيين (٩ : ١٩ – ٢١) عن الخزّاف الذي له سلطان على الطين ليبين في ذلك قدرة الله المطلقة وهو في ذلك يتصدى لكلام ارميا النبيّ القائل :

« الكلمة التي كانت الى ارميا من لدن الرب قائلًا :

« قم وانزل الى بيت الخزاف فاذا هو يعمل على الرحوين وهناك اسمعك كلامي .

« فنزلت الى بيت الخزاف فاذ هو يعمل عملًا على الرحوين ففسد الاناء الذي كان الخزاف يصنعه من الطين في يده .

« فعاد وصنعه اناء آخر كما حسن في عيني الفخاري ان يصنعه فكانت كلمة الرب اليّ قائلًا :

« اما استطيع ان اصنع بكم كهذا الخزاف يا آل اسرائيل؟ (ارميا ١٨ : ١ – ٦) ».[1]

حاشية للمعرب

جاء في كتاب « معالم القربة في احكام الحسبة » تأليف ابن الاخوة فصلان طريفان عن الموضوع الذي نحن في صدده نرويهما لما فيهما من فكاهة وافادة (راجع وصف الكتاب في آخر هذا العدد) قال :

الباب الخامس والخمسون

في الحسبة على باعة قدور الخزف والكيزان

يؤخذ على باعة قدور الخزف والكيزان والاواني بانهم لا يطلون ما كان مثقوباً منها او مشقوقاً بالجبس المعجون بالشحم وبياض البيض والخزف الاحمر المسحوق ويبيعونه على انه سالم فاذا وجد عند احدٍ منهم خزفٌ على هذه الصفة فادبه ليكون رادعاً لغيره .

---

١) نشكر للسيدين البر وويلسون فاخوري كل التعليقات التي تفضلا بها علينا ، وجميع الخزافين الذين اتونا بالجواب على اسئلتنا بكل طيبة خاطر .

الباب السادس والخمسون

في الحسبة على الفاخرانيين والفخارين

ينبغي ان يعرّف عليهم رجل ثقة بصير بعملهم وتدليسهم ويشترط عليهم الا يعملوا الزبادي الا من الحجر المطحون ولا يعملوا من الرمل الا ما كان خرجياً المتخذ لولائم الافراح وان تكون الزبدية معتدلة وان تكون قالب العادة وان تكون كاملة الدهن وان يعمل في صباغ الزبادي القلي الازرق والتوبغان والمغنيز ولا يعرضوه بالنيلة والشركس وان يكون شيأ تاماً لئلا يوضع فيها الطعام وتشال فتتفتت في يد الآخذ او المعطي واذا ظهر من الكوز شيء معيب افردوه وباعوه لغير الطعام ولا يداوره ويدلسوا به على المشتري ويشترط عليهم ايضاً الا يقدوا عليه بقوسان وهو روث الادمي ولا بشيء من الارباك فانه نجس بل بالحلفاء والقيشة وهو قشر الارز وماء الزبدة . ويشترط على باعة الغضار الا يباع غضار الكوز الا مفرداً من غضار التنور ولا يخلط كوز بتنور الا ما كان متقارباً ويعينه المشتري وعلى الفخاري اذا جاءه الزبون ليشتري منه مائة جام الا يقتصر على انه يريه جاماً واحداً ويبيعه من هذه العين ثم يعطيه من غيرها وهذا تدليس لا بد ان يعين له المبيع بكماله ويعاقده عليه ويشترط على الحمالين معاونة الزبون من الغرباء وغيرهم وان يستوفوا لهم حقوقهم على ما تقدم ذكره من الاصباغ وقلع المعيب وعدة ما يشتريه :

(ص ٢٢٢—٢٢٤)

لمحة في حياة الانسان الاول

في العصر الظرّاني القديم

حفريات كسارعقيل[1] فوق انطلياس

بقلم الاب ج. فرانكلين يونغ اليسوعي
من جامعة فوردام (نيويورك)

في هذا العصر الجديد بلغت العلوم الطبيعية شأواً بعيداً من الرقي مثبتةً ان في طوقها حلّ العديد من المشاكل، الّا ما كان منها بوجه خاص منوطاً بالشؤون البشرية في العصور الاولى . وهناك مجموعة علوم تختص بهذا الموضوع الذي يظهر قليل الفائدة بعيد التطبيق عملياً . وهذه المجموعة يمكن حصرها تحت عنوان واحد هو : « درس الآثار البشرية القديمة » او تحت عنوان آخر اقرب للفهم وهو: « علم الانسان الاول » . بذلك يمكننا العود الى ما كان عليه الانسان في العصر السابق للتاريخ المكتوب بزمن مديد من مثل كيف كان يعيش، وماذا كانت ادوات العمل التي اوجدها للاستعانة بها في معيشته ، وانواع المآكل التي كان يتغذى بها ، واية بيئة اقليمية كانت تلائم نموّه ، وما هي المدة المفترضة لعدد سني حياته .

كل هذه الشؤون تختصّ بدراسة الانسان الاول ، وهي بعيدة عن شؤون العالم الحديث ، وتطوّر السياسة فيه ، ونفوذ شعوبه وبقيّ تاريخه . بيدَ ان عالمنا هذا الحالي قد أُسس على ذلك الماضي البعيد المكتنف بالغموض والنسيان ، الشبيه بجزيرة في عرض البحر راسخة في عمق المياه على صخر من مرجان متوارٍ عن الانظار .

---

١) تبعد كسار عقيل عن نهر بيروت عشرة كيلومترات على الطريق العامة ، وثلاثة كيلومترات تقريباً خطاً مستقيماً عن شاطىء البحر القريب من انطلياس . اما المأوى الصخري فهو قسم من الصخور الطباشيرية العالية التابعة للمنطقة الجيولوجية المعروفة بالجوراسيك . وترتفع اعلى نقطة من مكان الحفريات ٧٥ متراً فوق سطح البحر (راجع الرسم ١)

ذلك العصر عصر البشرية الاول المترامي في بعده ، المتناهي في طول مداه ، لا يتناوله الطالب في عهد دراسته الا لماماً ، وبالمساع خاطف ؛ كذلك الرجال المثقفون فانهم لا يفقهون تماماً ما هي الوسائل المنطقية المستعملة لتمكين العلماء من البلوغ الى نتائج ثابتة تتعلق بحياة الانسان الاول واذا ما قرأوا في المجلات والصحف بعض معلومات حول كيان الانسان في العصر الظرّاني استحال عليهم الحكم في ما لهذه المعلومات من قيمة صحيحة ، وغرب عن اذهانهم الاساس الذي يرتكز عليه ما فيها من اخبار . وزبدة القول ان الثقة في مثل هذه المعلومات الصحفية كثيراً ما تكون في غير محلها ، لان قوامها في الاغلب قليل من الحقائق الثابتة ، وكثير من الاعتبارات الوهمية .

في هذا المقال ، ولئن كنت شاعراً بعجزي عن تبيان المعلومات الكاملة الممكن القاؤها في سلسلة من الدراسات ، فقد قصدت الجواب عن بعض الاسئلة العامة المتعلقة بالطريقة المتبعة في درس العصر الحجري للانسان .

اني لعالم تماماً ان هذه الاسئلة هي في ذهن كثيرين من المثقفين ، لانهم كثيراً ما طرحوها عليّ . وحسبي في الجواب ان اظهر الاسلوب الذي يستعمله الدارسون لولوج باب هذه الدراسة . وعلى ذلك سأتخذ حفرياتنا في كارعقيل ، في وادي انطلياس ، مثالاً اول لذلك الاسلوب ، متقدماً بكثير من التفاصيل المعلومات الوافية عن الحفريات التي قمنا بها في هذا المكان ، وعن النتائج التي توصلنا الى التثبت منها . فهذا على ظني يناسب القراء اللبنانيين لما يكسبهم اياه من الاحاطة الوافية العميقة بعمل يقع في داخل حدود بلادهم ، وعائد على ما نطمح الى كشف النقاب عن تاريخها القديم ، وكيف كانت الحياة البشرية فيها لعدة آلاف خلت من السنين . وهو في الوقت نفسه يؤدي الى رفعة قدر الوطن اللبناني وزيادة مجده .

السؤال الاول

اول سؤال يطرأ على فكر كل انسان يتصل باحد اولئك العلماء هو التالي : « كيف استدللتم على وجوب الحفر في هذا المكان ؟ »

هذا سؤال جوهري يدل على ذكاء اذ يبدو جلياً اننا لم نأت للحفر في هذا المكان الا وقد توافرت لدينا الادلة على ان حفرياته ستكون ذات ثمرة ، كما هو البديهي ان المرء لا يقوم على الحفر في مكان دون ما ادلة حسية تحمله على ذلك . ولمباشرة الحفريات في محلة كسارعقيل قصة طريفة خاصة نرويها فتكون بمثابة جواب عن السؤال المتقدم :

من نحو بضع سنين كان احد الناس يطوف الاراضي اللبنانية باحثاً عن الكنوز المخفية التي طالما رددت الالسن الاساطير عن وجودها بكثرة في مغاور الجبل اللبناني . وفي طوافه وصل الى وادي انطلياس فذكروا له ان هناك مغارة[1] يتناقل عنها الرواة ان جيشاً دخلها بكامل معداته فسدت عليه ، وان مذخرات ذلك الجيش ما زالت مدفونة معه بانتظار من يأتي من النقابين فيظهرها للنور . ولهذه الاسطورة على ما اظن اساس تاريخي يلمع الى قتل فئة من المسيحيين في مغارة انطلياس[2] . فهذا المنقب عن الكنوز بحث عن المغارة واهتدى اليها ، ولكنه وجدها خاوية خالية من اي كنز . على انه لاحظ ان فوق مدخلها نوعاً من الحجارة المتراصة على شكل مماثل لما وجده منها في مكان آخر من الوادي[3] ، فقاده ذلك الى الظن ان في هذا المكان الآخر مغارة ثانية

---

١) اكتشفت في هذه المغارة ادوات ظرآنية عديدة جديرة بالذكر (راجع بخصوصها كتاب الاب غودفروى زيمون اليسوعي المنون : G. Zumoffem, *Note sur la découverte de l'homme Quaternaire de la Grotte d'Antélias au Liban*, Beyrouth, 1893 ; - *La Phénicie avant Les Phéniciens*, Beyrouth, 1900

٢) جاء في تاريخ الدويهي ، المطبوع في بيروت سنة ١٨٩٠ ، صفحة ١٥٣ بشان هذه المغارة ما يلي : « ان عشرة امراء من امراء لبنان هربوا سنة ١٣٠٧ (عند نكبة كسروان المشهورة) بحريمهم واولادهم من نائب دمشق اقوش الافرم واحتموا في غار غربي كسروان يعرف بمغارة نيبه فوق انطلياس بالقرب من مغارة البلانه فدافعوا عن نفوسهم ولم يقدر الجيش ان ينال منهم ثم بذلوا لهم الامان فلم يخرجوا فامر نائب دمشق بان يبنوا على الغار سداً من الحجر والكلس وهالوا عليه تلاً من التراب وجعلوا الامير قطلو بك حارساً عليهم مدة اربعين يوماً حتى هلكوا جميعاً داخل الغار . »

٣) هذا الشكل المتراص من الحجارة اثرت فيه عوامل الفناء تحت سطح الارض فاكلت من الحجر الطباشيري ما هو اقل مناعة . اما ترتيب الحجارة المنوه بها على الشكل الذي وجدت عليه فعائد الى تاريخ اكثر حداثة .

الرسم ١ – منظر عام لمنطقة كسار عقيل مأخوذ من الشرق ويبدو في وسط الصورة المنزل الخشبي الذي بنته البعثة لسكنها ، وعلى يمينه الصخرة العالية التي كانت تكوّن المأوى الصخري والتي أُجريت تحتها الحفريات .

من نوع المغارة الاولى . وقد حمله الظن على الشروع في الحفر في النقطة المذكورة ، وهي المدعوة بكسارعقيل فتوصل بحفره الى كشف جدار يدعى في اصطلاح الاثريين : « المأوى المظلل بالصخر » (Abri sous roche) ، وواصل الحفر متعمقاً الى ان مرّ به الاستاذ داي[1] ، مدرس علم طبقات الارض (الجيولوجيا) في الجامعة الاميركية ببيروت ، فشاهد الادوات الحجرية والعظام المتحجرة التي كانت تنقل مع التراب والحجارة من الحفائر ، وبالرغم من انه لم يكن اختصاصياً في علم تاريخ الانسان الاول فقد تنبه الى خطورة هذه المكشوفات ، وحاول ان يقنع الباحث عن الكنوز بان لا امل بالعثور على كنز ذهبي تحت مثل هذه المظاهر العريقة الواجمة الى عهد لم يكن للانسان فيه ان يعرف بعد شيئاً مما يختص بالمعادن . ولكن بحاثتنا هذا قرر مواصلة الحفر لان ملاحظة الاستاذ لم تقنعه وتثبط عزيمته ، بل زادته املاً بالعثور على ما يهوى . واستطرد الانكباب على العمل الى ان بلغ في حفره الى عمق ١٥ متراً . اما الاستاذ داي فحمل معه بعض مساطر من هذه الادوات الحجرية ، والعظام الحيوانية ، وبعث بها الى اوربة لتفحص هناك بواسطة الخبراء الاختصاصيين وعلى هذا النحو دخلت محلة كسار عقيل في عالم العلم .

اما المنقب عن الكنوز فلم يطل به الامر حتى اوقف العمل ، فاستعاد كسار عقيل هدوءه كما كان بالامس فما قبل منذ آلاف من السنين . وظلّ هذا الهدوء لا يقلقه مقلق الا من مدة غير بعيدة ، فلقد جاء في سنة ١٩٢٦ ، بعض العلماء الفرنسيين فقاموا ببعض حفريات سطحية[2] . وفي سنة ١٩٣٧ قدم الاب جوزف دوهرتي (Doherty) اليسوعي ، من جامعة برسطن (بوسطن كولدج) في ولاية ماساشوزت في الولايات المتحدة الاميركية ، باحثاً عما كان مجدياً من الحفريات . فقيل له انه قد يجد في كسار عقيل ما يحقق رغبته . تلك كانت نصيحة العلامة

(١ F. Day, *The rock Shelter of Kâr 'Akil*. American University of Beirut, Special Report, 1924.

(٢ Delcourt, *Observations sur l'Abri de Kâr 'Akil (près Antélias, Liban)*, *Bulletin de la Société de Préhistoire Française*. Volume 24, 1927, pages 56-61 ; E. Passemard, *Mission en Syrie et au Liban*, ib., pages 70-72.

الرسم ٢ – منظر للحفريات في عام ١٩٣٨، حينما اكتشف الهيكل البشري الذي سميناه «إكبرت» وتراه في محله على جانب الجدار الصخري في اسفل الرسم من جهة اليمين – واما الثقب الاسود الذي يبدو في اعلى الرسم فهو راجع الى حفر البحاثة عن الكنوز . وعلى الشمال في اعلى الصورة ايضاً صخرة بيضاء اللون وهي تدل على المنطقة الجيولوجية على عمق ١٠ امتار، ووجودها يُثبت لنا ان الهيكل المكتشف بقي محفوظاً في محله الذي دفن فيه

الفرنسي المشهور الاب هنري بروبل في باريس ، المعروف في عالم المباحث العائدة الى ادوات العمل التي كانت للانسان في عصور ما قبل التاريخ . وكان الاب بروبل هذا يعلم كل العلم ما للبنان مع شأن خطير في هذا الامر وان في كسار عقيل ادوات ظرانية . فحضر الاب دوهرتي ، ومعه الاب جورج ماهان (Mahan) اليسوعي ، والاب جوزف مورفي (Murphy) الملحقان كلاهما بالمعهد البابوي للتوراة في القدس ، وشرعوا جميعاً في الحفر . ولحق بهم في الدورة الثانية من الحفريات كاتب هذه السطور الاب يونغ (Ewing). وفي هذه السنة الجارية ١٩٤٧ خفّ العمل ولم يبقَ من العلماء الا الاب دوهرتي والاب يونغ والاب مورفي اليسوعيون ، والاستاذ هربرت رَيت (Wright) من جامعة مينوسوتا (Minnesota) في مينيابوليس التابعة الولايات المتحدة الاميركية .

ان الطريق المؤدي الى الكشوف المثمرة ليس دائماً بالطريق الواسع السهل ، على ان هناك دلائل عامة تمكن من تخمين احتمالات توصل الى الاماكن المحتوية على العاديات ، والطرائق العامة للبحث تهدي الى مثل هذه النتائج منها اعتبارات راجعة الى الحسّ العام كوجود الماء اللازم لحياة الناس الاولين ، ثم ان المغاور والمآوي المظللة بالصخور تستحق دائماً ان تكون موضوعاً للبحث . اما فيما يخص الرجل الاول الذي عاش في وسط العهد البلايستوساني (Pléistocène)[1] فالمغاور لا خطورة كبيرة لها لان اكثر محتوياتها ظهر مثلها في الاماكن المفتوحة ، او الاماكن التي كانت مفتوحة في ذلك العهد قبل ان تطمرها الاتربة والحجارة . ولمثل هذه الكشوف حفر وآبار مثل التي عرفت على ضفاف نهر التيمس قرب لندن[2] او يبحث عنها على ضفاف الانهر التي تنحدر تدريجياً

١) عهد البلايستوساني هو المعتبر اقدم عهد بشري ، ويدعى ايضاً العهد الثلجي ، وهو آخر الاطوار الجيولوجية قبل عهد الهولوساني المعاصر للانسان . ويقسم العهد البلايستوساني هذا في اوربة الى اربعة اطوار مناسبة لاطوار التثلج وفي غير اوربة ، حيث لم تستعمل طريقة الحساب التاريخي الاوربية كما في بلاد الصين ، يقسم هذا العهد اصطلاحاً الى حديث ومتوسط وقديم .

٢) وقد وجد هناك قطعة من الجمجمة المشهورة المسماة باسم مكتشفها «سوانسكوم مان» «Swanscombe Man» راجع Report on the Swanscombe Skull, *Journal of the Royal Anthropological Institute*, London, Volume 68 , 1938, p. 18-98.

الرسم ٣ – صورة مكبرة للقسم الايمن من اسفل الرسم السابق، وهو يظهر الهيكل البشري في محله كما عثر عليه تحت الجدار الصخري.

الرسم ٤ – لوحة «الشيستو» التي صُبَّت على الهيكل البشري لحفظه في اثناء الحرب، وترى العمال يعملون تحت ادارة الاب «.. رفي» لقطع القطعة بكاملها من الصخرة المجاورة.

وتسحل الاتربة من الشاطئين[1] كذلك المناطق الصحراوية فان رياحها تثير الرمال والحصى فتكشف المخابئ .

لكن من البديهي ان البحث يجب قصره على المناطق التي كانت موافقة لاعاشة الرجل في العصور القديمة[2] . وهناك مصادر بحث غريبة تفيد احياناً كثيرة العلماء البحاثين على مثال ما وقع للعلامة الاستاذ فون كونيكسفالد (Von Kœnigswald) الالماني الذي وجد في بعض الصيدليات الصينية عظاماً واسناناً جيولوجية عريقة في القدم جيء بها الى الصيدلية لتسحق ويستعمل مسحوقها في تركيب بعض العقاقير الطبية . ولدى فحص هذه العظام والاسنان توصل الاستاذ كونيكسفالد الى كشف الاسنان المشهورة الان بنسبتها الى الرجل الاول المعروف في عالم العلم باسم Gigantipithecus[3] . فالكشوف التي يعثر عليها في مثل هذه الطرق تكون ذات خطورة مختلفة ، وزانا هنا في حاجة الى شرح الواقع الاساسي الذي حملنا على اعتماد الحفر في محلة كسار عقيل . هذا الواقع نسميه دافع القرينة ، فبعرضه وبتمحيص الطريقة الاثرية التي استعملناها في كسار عقيل ، تتبين الاصول العلمية التي حفزتنا واسس النقد الفني التي قادت خطواتنا الى هذا الاكتشاف .

---

١) الاكتشافات القيمة للهياكل البشرية التي عثر عليها على ضفاف الانهر تشمل الهيكل البشري المعروف باسم بيتكانتروبوس (Pithecanthropus) للعالم ديبوا (Dubois) ؛ وفي عهد احدث قطعة المكانتروبوس(Meganthropus)الموصوفة في كتاب: F. Weidenreich's *Giant Early Man from Java and South China Anthropological Papers of the American Museum of Natural History*, New York, Volume 40, Part 1, 1945.

٢) العاديات الجميلة العائدة الى العصر الظراني الحديث النيولوتيك (Néolithique) كشفت في الفيوم بمصر في منطقة هي الان صحراوية G. Caton-Thompson and E. W. Gardner, *The Desert Fayum*, London, 1934 ; S. A. Huzayin, *The place of Egypt in Prehistory*, Cairo, 1941

٣) راجع وصفه في كتاب : F. Weidenreich, *Giant Early Man From Java and South China, Anthropological Papers of the American Museum of Natural History*, New-York, Volume 40, Part I, 1945.

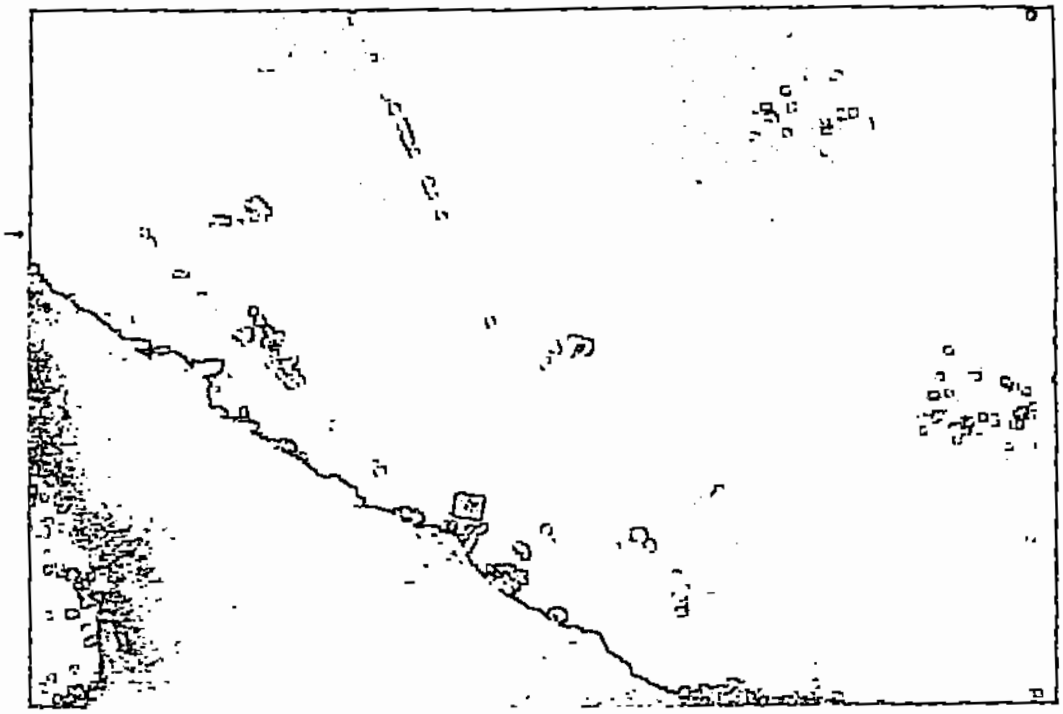

الرسم ٥ – حالة الحفريات في تموز ١٩٤٢ ، وقد بلغت الى الصخرة الاساسية على عمق ٢٣ متراً .

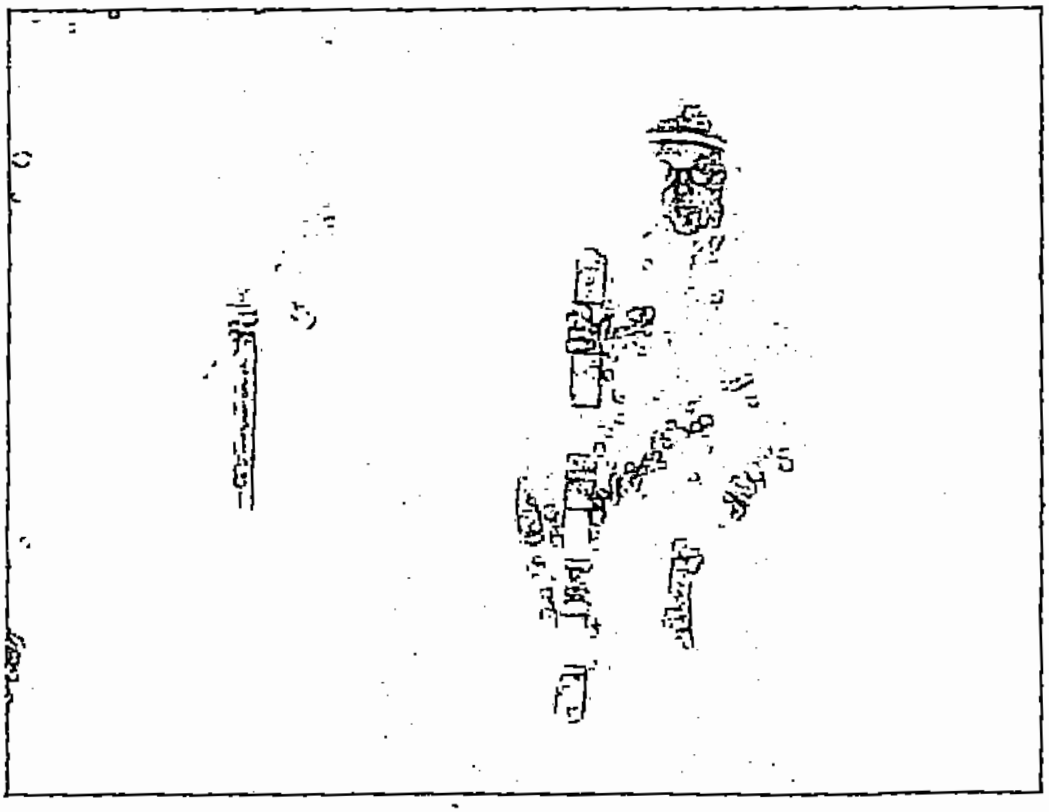

الرسم ٦ – صورة الاب بورنغ من جامعة برستون ، والى جانبه رئيس عمال اللبناني .

معنى القرية المحلية

من زمن طويل جدًا اوى الرجل الاول الى هـذا المأوى المظلل بالصخر المعروف الآن بكسار عقيل . وهناك تحت هذه المظلة الصخرية سكن واشعل ناره لشيّ لحوم الحيوانات التي كان يقتنصها ويأتي بها الى مأواه هذا . وبعد اكل هذه اللحوم كان يكسر العظام المستطيلة ويستخرج ما فيها من نخاعات جامدة وسائلة ، وكان يأتي ايضاً بحجر من الصوّان قطعه من احد الصخور القريبة واقبل على نحته ببراعة ليجعل منه اسلحة وادوات ظرانية كالرؤوس للحراب والسهام ، وكالمقاشط لنحت قوائم الحراب الخشبية وصقلها ، كذلك لكشط اللحوم اللاحقة بالجلود ، والسكاكين لقطع مختلف الحاجات المعاشية ، والازاميل لكسر العظام ولنقش الرسوم في القطع العظمية والحجرية .

ان الرجل الاول كان يصنع هذه الادوات وغيرهـا من الصوان بفضل خصائص هذا الحجر المعروفة ، فانه بسبب صلابته يحفظ حدّه طويلًا دون ما انثلام ، وهو في الوقت نفسه قابل للتكييف طبقاً للمطلوب .

فهذه الادوات ، مع الشظايا المتناثرة من الحجر الصواني عند صنعها ، كانت تقع في الارض فتأتي الوحول والاقذار المنقولة بالارجـل ، والغبار الذي يثيره الهواء ، فتغطيها . كذلك كانت قطـع من الصخور المظللة للمأوى تتساقط وتنضم الى تلك الشظايا فتؤلف كلها طبقة على شكل بساط ممتد على الحضيض الحجري .[1] وبعد مرور زمن كانت الطريقة التي تصنع بموجبها الادوات الظرانية اخذت تتطور ومع تقلب الهواء الذي كان يهب شديدًا في بعض الاحيـان كانت الحجارة تتساقط من سقف المأوى تارةً كثيرة وطورًا قليلة ؛ كذلك كانت اجناس الحيوانات القاطنة هناك تتبدل على توالي الاجيال . فكل تلك التطوّرات تظهر آثارها في هذه الانقاض المفروشة طبقة فوق طبقة في تلك المحلة

---

١) راجع ما كتب عن خاصة الصوان والطرق المستعملة لصنع الادوات منه في الخبر الاول من كتاب M. C. Burkitt's . *The old stone Age* Cambridge, 1933

مُشابهةً في شكلها ركاماً من السجاجيد كما تبدو في مخزن من مخازن تجار اليوم، منها الصفيق والرفيع الناعم والخشن، وقد رضت بعضها فوق بعض. ومن البديهي ان السجادة السفلى فرشت اولا والعليا هي المفروشة اخيراً. ذلك ما يريده العلماء تماماً حين يذكرون ناموس تراصف العاديات. هو اعتبار بسيط، ولكنه اساس وصفي لكل طريقة تتبع في الاعمال الحفرية. فمن الواضح اذن اننا متى قمنا بالحفر بطريقة علمية في مكان، وغايتنا التوصل الى رسم صورة جديدة لتاريخ الرجل الاول، يترتب علينا الا نحفر دون ما تمييز فنخلط بين العاديات التي نعثر عليها على اختلاف طبقاتها. فغايتنا من هذا البحث ان نتأكد بالتدقيق اي شكل من الادوات الظرانية المكشوفة سبق الشكل الآخر. واي نوع من الحيوانات ظهر في زمن معين، واي نوع تبعه. فلذلك كل اهمية هذه العاديات من حجارة او عظام سواء كانت تابعة لحيوان او لآدمي هي محصورة في عين العالم الاثري بمعرفة الطبقة الارضية التي وُجدت فيها، والمكان الذي استُخرجت منه، وما اذا كان لها شأن ملحوظ من جهتي الفن والطرافة، « القرينة المحلية » او « القرينة المصدر »

الحفر العملي

قبل مباشرة الحفر يدرس العالم بقعة الارض التي يريد العمل فيها بكل ما أوتي من خبرة وعلم سابق، ثم متى اتمّ تحديد النقطة التي ينوي العمل فيها باشر قسمتها الى مربعات مرقومة باعداد، لكل مربع عدده، حتى يمكنه العود اليه في قابل الحين، فينسب كل اثر الى مصدره « الدقيق ». ففي كسار عقيل قسمنا البقعة الى مربعات عرض كل منها متران، باعتبار ان هذا الحجم موافق لغرضنا. وقد تكون هذه المربعات اكبر مما فعلنا كما جرى الامر في جبيل حيث كانت البقعة اوفر اتساعاً، فكانت المربعات يؤلف كل منها من عشرة امتار ولدى العثور على شيء ذي خطورة عظمى كان موقعه يحدّد باوفر دقة. ومن البديهي ان تجاور المواد الاثرية يجب ان يدوّن لان ذلك كثيراً ما يساعد على كشف بعض الغوامض، مثال ذلك العقد الذي وجد مؤخراً في كسار عقيل فان سلكه

كان قد فني ، ولكن الحبات بقيت منظومة بعضها الى جانب بعض ، فلو لم يشر عند اخذها الى الترتيب الذي وجدت عليه ، ويؤخذ رسمها شمسياً لاستحال اعادتها الى الشكل الذي ظهرت عليه في موقعها.

كذلك اذا وجدنا حجرًا مستديرًا ملوناً بلون المغرة الحمراء ، فمن المحتمل ان يكون قد استعمل لسحق هذه المادة فبقي لونها عليه . واذا كان هذا الحجر المستدير موضوعاً فوق حجر آخر او الى جانب حجر مربع اجوف فيكون ذلك الاحتمال حقيقةً لا شك فيهـا . فمثل هذه الاوصاف الدقيقة المتواصلة يستنتج منها العالم البحاثة كثيرًا من المعلومات . والصبر هو الصفة الاولى الواجب عليه الاتصاف بها في هذا العلم كما في غيره من العلوم ، وهي كثيرة.

بعد البحث عن القرائن السطحية ينتقل العالم الى القرائن العمودية . ويتحتم عليه ان يقدّر في الحفر الى اي عمق تعود مختلف طبقات العاديات . ولربما وصل الى مرغوبه باكثر سهولة فيما اذا باشر الحفريات من جانب بدلًا من ان ينزل فيها عموديًا،ولذلك فانه يباشر الحفر الى جانب البقعة كيما يسهل عليه فحص طبقاتها ، ويتمكن من النظر اليها كما ينظر من جانب الى ركام السجاجيد المرصوفة . ولم يكن من حاجة في كسارعقيل الى مثل هذه الطريقة بسبب وجود البئر الفرعية التي حفرها الباحث عن الكنوز في هذا الموضع . والذي ظهر ان هذه الطبقات المتراصة لم تكن في ترتيب منظم كركام السجاجيد ، لان في ارضها صعودًا وهبوطًا مناسبين لتموجات الارض عنـد سطحها او لاختلاف اذواق الرجل الاول في اختيار منزله.

زد على ذلك ان في كسارعقيل طبقات ارضية كثيرًا ما كانت مطمورة بالرماد الناتج عن نيران كانت تشعل في تلك المحلة ، وتترك الى ان تنطفئ وئيدًا من ذات نفسها . كل ذلك لا يفوت الحفّارين لانهم يكونون عادة من ذوي المران ، ويتمّون اعمالهم تحت اشراف عالم اثري فتراهم يميزون من عند انفسهم بين طبقات العاديات الارضية المختلفة،كما في اعلاه ، ويتمون بكل امانة وتدقيق تصاميم المربعات .

والجدير هنا بالذكر اننا توفقنا كثيرًا في اختيار العمال الذين يقومون بالحفر

في كسارعقيل فانهم من اللبنانيين المهرة الاذكياء . وكثيراً ما اثنيت عليهم في احاديثي وكتاباتي مبدياً الارتياح الى دقتهم ونشاطهم وبراعتهم .

فالحفارون يضعون الادوات الظرانية والعظام التي ينقلونها في اكياس من الورق . وترقم على كل كيس علامة المربع والطبقة الترابية وتاريخ اليوم ، وغير ذلك من المعلومات الاخرى المفيدة بهذا الصدد .

وكل ما يحفر من الارض يجمع ويعبأ في قفف ويرفع الى سطح الارض حيث يجري فحصه غربلةً . والغربلة تكون بفرز التراب والاقذار وتنقية القطع الصوانية والعظمية مهما دق حجمها ، ووضعها في اكياس مرقومة تماثل بارقامها اكياس الحفارين . ويكتسب المغربلون بالمزاولة مهارة جلّى في ملاحظة ما يعثرون عليه بين التراب من قطع الاسنان والصوان المتناهية في دقتها .

وفي اغلب الاحيان يرى ضرورياً تنظيف هذه القطع من الاتربة اللاصقة بها قبل ان تعرض للدرس . ويكفي لذلك عادة حامض الهيدروكلوريك (acide chlorhydrique) ممزوجاً بالماء ، والّا فيلجأ الى الكشط ، واحياناً يكون الكشط ضرورياً ويجري بمكشط غليظ على مثال السكين .

ويجري الفرز الاولي في القطع الظرانية والعظام . اما الكسر الصغيرة والقطع المكتنفة بالابهام فتحصى بالعدد وتطرح خارجاً . ويمكننا عدد مجموع القطع المحفوظة والمطروحة في كل مربع من تخمين كثافة السكان الأقدمين في كسارعقيل ، في كل زمن من الازمنة الغابرة . وهذه على ما اعلم الحفريات الاولى التي تستعمل فيها مثل هذه الطريقة .

اما الدرس الاخير للقطع المفروزة فينبغي ان يجري في متحف كبير او في احدى الجامعات حيث المجموعات الواسعة من العظام والموادّ الظرانية المجموعة من مناطق اخرى مختلفة ، فيقابل ضرورة فيما بينها وتستخرج من هذه المقابلة النتائج العلمية ، اذ لا يمكن ان يجمع في كتاب كل التفاصيل لكل من النواحي والاجناس والادوات والبقايا الحيوانية التي يُعثر عليها .

اما كسارعقيل فعلاوة على ما فيه من ملايين القطع تراه مسرحاً لمشاكل اخرى خاصة ، احداها الهيكلان البشريان المكتشفان على عمق ١١ و١٢ متراً .

فاننا عند بلوغنا الى هذا العمق في مربع قريب من جدار المأوى المظلل بالصخر شاهدنا عددًا من الحجارة المستغربة الوضع. فهي حجارة منمة بتأثير مرور المياه عليها ، مما يدلّ على انها مأخوذة بايدٍ بشرية من مجرى النهر القريب ، فاخذنا لها صورًا شمسية ودونّا بشأنها ملحوظة خاصة أشرنا فيها الى جمعها مباشرة من جدار المأوى. ولقد كانت هذه الحجارة ملتحمة بعضها ببعض كما لو كانت طينت بالسيمنتو . وقد تم ذلك الالتحام بما تسرب اليها على طوال الاجيال من المياه المعدنية الحاملة بالخصوص مركبات الكلسيوم (كربونات الكلسيوم) التي اكتسبتها بمرورها على صخور المأوى الكلسية . فشرعنا برفع هذا الركام من الحجارة واحدًا بعد آخر حتى انتهينا الى هيكلين بشريين احدهما اوضح شكلاً[1]. وقد سلم راسه لانه على ما يظهر كان محفوظاً تحت بلاطة يسندها من الجانبين حجران. ولكن هذه البلاطة سقطت لسببٍ لا نعرفه فشوهت جانباً من جمجمته تشويهاً بسيطاً لحسن الحظ.

ولما رفعت كل هذه الحجارة من المدفن تبين لنا ان القسم الاكبر من هذين الهيكلين قد تحجر . والتصق كلاهما بالارض التي دفنا فيها بعامل المياه الكلسية المشروح عنها آنفاً.

وهذا المزيج المتحجر من التراب والحجارة والعظام الذى يظهر عادة في الحفريات يسمى باصطلاح الاثريين برَتشيا (Breccia) . وهذا حيثما وجد في هذا المحل او في اسفل المأوى او غيره من المواقع يكون مشكلة خاصة لارباب الحفريات.

ولمّا كان هذا الهيكل العظمي لاصقاً بما حوله من الصخور فلم يكن من المتيسر رفعه بسهولة من موضعه . وعلى ذلك كان لا بد من ان يقطع الصخر حول المدفن كله ليسهل رفع هذا المدفن قطعة واحدة. ويرجأ عمل فصل الهيكل الدقيق ريثما ينقل الحجر برمته الى المختبر . اما في غير ذلك من المدافن فلا

١) اطلقنا على هذا الهيكل البشري الاكثر وضوحاً اسم « اكبرت » (Egbert) ، فاصبح معروفاً بين الاطباء . وقد فضلناه بسبب ايجازه على غيره من الاسماء اللاتينية التي اعتاد العلماء اطلاقها على ما يكتشفون من الهياكل البشرية وكل منها مستاء في الطول والتعقد .

صعوبة في رفع العظام من الارض التي وُجدت فيها.

وعلى ذلك فلا بد من تحقيق عدة شروط لحفظ الهيكل من كل ما يضره. من ذلك صيانته، حال كشفه، من تأثير الهواء، ونتائج تقلب الطقس بين النشوفة والرطوبة، فان تعريضه للهواء يعمل على افساده ويسبب له التحلل والتفتت.

اما البقايا البشرية العائدة الى العصور القديمة الاولية مثل العصر البلايستوسانى الاوسط فقلما يعثر على هيكل كامل منها، فنكتفي عادة بعظم واحد او بكسرة منه لدراسة مثل هذه البقايا. وهذه الدراسة تستوجب علماً واسعاً وخبرة طويلة في علم التشريح.

بقي علينا ان نثبت بالتدقيق ما هي العصور العائدة اليها كشوفنا في كسار عقيل، على ان بحثنا هذا ليس نهائياً بل من الممكن تعديله فيما بعد[1]، لاننا لا ننجز الحفريات تماماً ولا نقوم على الخصوص بدرس النموذجات التي استخرجناها دراسة مستوعبة لان مثل هذه الدراسة تتطلب سنين عديدة.

كسار عقيل في ما قبل التاريخ

لا يخفى ان العلم المختص بالادوات الظرانية وغيرها مما صنعه الانسان قبل فجر التاريخ المخطوط، يسمى «علم ما قبل التاريخ» وهذا العلم يقسم الزمن الى عصور عديدة طويلة المدى اخصها العصر الذي عاش فيه الانسان على الارض قبل استنباط الكتابة. فالعصر الاول والاطول من هذه العصور، هو المعروف بالعصر الظراني القديم او الباليولتيك، ويليه العصر الظراني المتوسط او المزولتيك ثم العصر الظراني الحديث او النيولتيك.

وبعد هذه العصور الحجرية تأتي عصور اكتشاف المعادن ولكن ليس من شأننا هنا الاهتمام بهذه العصور الاحدث عهداً.

---

١) قد اشار كاتب هذه السطور الى كل ذلك في مقال آخر نشره في مجلة انكليزية عنوانه: *Preliminary, Note on the Excavations at the Palaeolithic Site of Ksar 'Akil, (Republic of Lebanon), Antiquity*, London, December 1946.

ولكنه زاد هنا النتائج الجديدة التي اسفرت عنها الحفريات الجديدة في السنة ١٩٤٧

اما العصر الظراني القديم او الباليولتيك[1] فيقسم بدوره الى ثلاثة اطوار: حديث ومتوسط وقديم . واذا عدنا الى الادوات الظرانية الظاهرة في كسار عقيل وجدنا انها عائدة الى كلا القسمين : القسم الابعد من الطور المتوسط ، والاحداث من الطور القديم الباليولتيكي.

وقد غلب على مثل هذه الادوات في الاصطلاح الاثري اسم المكان او الامكنة الاولى التي وجدت فيها بكثرة مثل: لفالوا ، وموستيه ، واورينياك ، (Levallois, Moustier, Aurignac).

ومن خصائص الصناعة الشربة في هذه الاطوار انها كانت سطحية ، اي ان اكثر الادوات المعاشية كانت تصنع من قطع مصفحة من الحجارة الصوانية . وطريقة صنعها انها كانت تقطع من الصخرة العريضة الاصلية وفق المطلوب ثم تنحت مصقولة اما من قبل ذلك فكانت هذه الادوات تنحت على القطعة الاصلية نفسها ، فتأتي بشكل في غاية الثقل والضخامة . وقد سميت بالفرنسية (coup de poing) اي ضربة اللكمة او الضربة بجمع الكف ، اشارة الى شكلها الضخم المستدير كاللكمة .

الطور الظراني المعروف باسم موستيه Moustier[2]

كان الاقوام الذين اشتغلوا بالظران في هذا الطور يفصلون القطع المصفحة من اصل صخرة صوانية وينحتونها بمهارة من جهتها العليا . والادوات المنحوتة على هذا النحو سهلة التمييز عن غيرها ، نخص منها بالذكر الكواشط المرققة بطولها من طرف واحد كحد السكين ، ثم المخارز والاسطوانات الصغيرة

---

١) ربما كان احسن توطئة لدرس العصر الحجري القديم او الباليولتيك كتاب بيركيتر M. C. Burkitt's, *The Old Stone Age*, Cambridge, 1933 وان كان يحتاج الى قليل من التعديل طبقاً للاكتشافات الحديثة . ونخص بالذكر من المؤلفات المشتملة على هذا العلم كتاب :

A. Vayson de Pradenne, *La Préhistoire*, Paris, 1940.

٢) موستيه (Moustier) اسم بلدة من اعمال فرنسة قريبة من (Les Eyzies)

الغليظة الشكل وكان هؤلاء الاقوام من الجنس البشرى المنتمي الى الرجل المعروف بالنياندرتالي (Homme Néandertal)[1].

اما الاقوام الذين اتبعوا في اعمالهم الظرانية طريقة Levallois[2] فقد كانوا ينحتون القطعة المراد صنعها في الصخر نفسه ، حتى اذا كملت واصبحت صالحة للعمل فصلوها عنه بضربة فنية واحدة. والجدير بالذكر انهم كانوا يجيدون نحت اعقاب هذه الادوات قبل ان يضربوها الضربة الفاصلة الاخيرة ، لانها بعد فصلها تصبح غير محتاجة لاي صقل او نحت .

وان اقدم ما عثرنا عليه في كسار عقيل من الصناعات البشرية يعود الى خليط من هتين الطريقتين السابق وصفها ، لذلك سميت هذه الصناعة هنا ، كما سميت في جبل الكرمل[3] بهذا الاسم المركب Levalloiso - Mousterien وادوات هذه المجموعة كبيرة الشكل مكونة بالعموم من قطع مصفحة غليظة . ويلاحظ هنا ان ادوات هذه الصناعة كانت في عهدها الاقدام اصغر حجماً مما آلت اليه بعد حين في طور احدث .

وطالت المدة التي بقيت فيها هذه الصناعة اجيالاً . ومما هو جدير بالذكر العثور على طور انتقال من هذه الطريقة الى طريقة اخرى تعرف بالطور الاورينياكي « Aurignac » .

---

١) وقد وصفه الاستاذ بول في كتابه المعتبر مستنداً حقيقاً بالثقة لدى العلماء : Boule, *l'Homme Fossile* وهو المنشور لاول مرة في سنة ١٩٢٣ ، وقد اعيد طبعه مرة اخرى احدث عهداً .

٢) اسم منطقة في احدى ضواحي باريس وجدت فيها هذه الصناعة لاول مرة فاطلق اسمها عليها .

٣) D. A. E. Garrod and D. M. A. Bate, *The Stone Age of Mount Carmel*, Volume 1, Oxford, 1937.

طريقة اوريناك[1]

اننا نطلق هذا الاسم بالعموم على الطور التابع للطور الذي سبق لنا وصفه في اكتشافاتنا بكسار عقيل، وهو قسمان ويتميز بالخصوص بصناعة الشفار الحجرية لكثرة ما يعثر في الحفريات العائد عهدها اليه على ادوات شبيهة بشفار السكاكين . كذلك يتميز عقده المتوسط على وجه خاص بما تخلّف منه من اصناف الكراشط المتقنة الصناعة ، ومن الازاميل المستعملة للنحت . فلهذه الازاميل رؤوس تشبه مفكات البراغي وكان الاهلون في ذاك الوقت يستعملونها ، ولا شك ، في فلق العظام الحيوانية لاستخراج ما فيها من النخاعات . وكانوا ايضاً يفصلون بها قطعاً دقيقة من العظام الكبيرة ليحولوها الى ادوات منزلية تستعمل في مختلف الاغراض المعاشية كالمخارز والابر وما شاكل . وكانوا ايضاً ينقشون بها على جدران المغاور الرسوم والتصاوير .

ونرى الان ان في استطاعتنا تسمية نوع الصناعات المكتشفة في كسار عقيل باسمها الصحيح الذي يجوز بعدئذ نسبته الى الصناعات المماثلة التي تظهر في حفريات اخرى ، ولا يعني ذلك اننا لا نعثر على بعض الاستثناءات الجلية حين نقابل ما بين نموذجات هذه الصناعات . فهذه الفروق ستبدو باكثر جلاء عند انتهاء دراستنا في نشرتنا الاخيرة عنها، ويمكننا منذ الان لفت الانظار الى بعض نقاطها المفيدة .

فالادوات الراجعة الى شكل واحد والتي تؤلف طريقة خاصة من الصناعة القديمة ، تجمع على الطريقة نفسها التي يجري عليها علماء الحيوان في تقسيم عائلاته واجناسه وانواعه ، وذلك بالاستناد الى المشابهات الظاهرة ما بينها . ولذلك حين نتمكن في عملنا من تمييز شكل من الادوات يصبح من السهل علينا فرز ما يشبهه من الارض ونسبته اليه ، بان نعلم ان هذا او ذاك الشكل من الصناعة موجود في بقعة كذا من الارض . ومثل هذه الادوات تستعمل في المتاحف كنموذجات لكل شكل من الاشكال . وعلى هذا تقتصر فائدتنا من كشف مثل هذا الشكل في احد الحقول . كذلك يمكن القول ان كشف شكل معيّن من الادوات الظرّانية في طبقة من طبقات الحفريات لا

١) اوريناك Aurignac اسم بلدة قرب سان غردنس (S'Gaudens) في جبال البيرنه بفرنسة .

يعتبر كافياً للاستدلال على الزمن[1] الذي يعود اليه ذلك الشكل. اذ قد يصح ان تبقى احدى طرق الصناعة للادوات في مكان ما دهراً طويلاً في حين تكون هي نفسها قد تقدمت وتبدلت بغيرها من الطرق في مكان آخر. مثال ذلك في ايامنا احتمال وجود البنادق القديمة ذات الزناد الصواني (ابو فتيل) في وسط افريقية حتى الان، في حين ليس من يجهل ان هذه البنادق قد تبدلت منذ زمن طويل في اوربة والشرق الادنى.

ولكي نمثل من جديد حياة الانسان القديم اشرنا الى خطورة القرائن المصدرية في هذا الامر، ذلك لاننا بدون هذه القرائن لا يمكننا البتة ان نصل الى الترتيب التاريخي. تصوّر مثلاً ماذا يكون العلم من دقة فيما اذا كان المؤرخ لا يعلم عن بعض الوقائع التاريخية في شرقنا هذا الا انها حصلت منذ وقت قديم دون معرفته ايها سبق الآخر واي حدث منها كان ذا تأثير في غيره.

فالترتيب التاريخي الذي نحدّده في كل من حفرياتنا هو ترتيب نسبي مكاني. اعني اننا نعلم او نحدد ترتيب الحوادث وسياقها الواحد بعد الاخر كصناعة الادوات مثلاً في كل حفرية من الحفريات على حدة. ولا يمكننا الاستدلال من ذلك على مدى الزمن الذي بقي فيه ذلك الشكل من الادوات الصناعية منتشراً في جميع المناطق بل في المنطقة التي نعمل فيها. وهذا يجعل المقابلة بين مختلف المناطق امراً ضرورياً. مع ذلك اذا تيسّر لنا كشف حادث جيولوجي جرى في زمن واحد ضمن منطقة واحدة معينة وامكننا قياس زمنه الجيولوجي بالسنين نكون قد توصلنا الى تحديد تاريخي شبه راهن لارتكازه على شواهد جيولوجية. فلا يمكن القول بترتيب تاريخي جازم الا اذا امكن ضبطه تماماً بمقاييس السنين.

---

١) وقد قسّم العالم غارود D. A. E. Garrod, *the Upper Paleolithic in the Light of Recent Discovery*, Proceedings of the Prehistoric Society of London, Vol. IV 1938, pages 1-36 العصر الاوريناسي القديم الى ثلاثة اطوار: الحديث منه ودعاه Chatelperronien والمتوسط واحتفظ له باسم الاوريناسي القديم، والقديم فسماه Gravetien وهي اسماء منسوبة الى امكنة أجريت فيها حفريات مثمرة. واما في كسار عقيل فتعود حفرياتنا الى Chatelperronien فقط، ولكننا استعملنا كلمة Aurignacien وهي كافية لغايتنا.

وعلى كلّ فلا يحق لنا الجزم بان هـذه الصناعة او تلك انتقلت من هذه الناحية الى غيرها ، الا اذا تأكدنا تعيين المنطقة التي ظهرت فيها بادئ ذي بدء. وكيف تنقلت بعد ذلك وهذه لعمري نقطة اساسية لان تمثيـل تتابع الصناعات وتطوّرها في منطقة معينة هو ذو خطورة كبرى لمؤرخ العاديات ، بل هو من اختصاصيّات علمه . ولكنه يحتاج الى كثير غير ذلك ، اذ من النادر ان تكون اداة من الادوات ، وطريقة من الطرق ، او فكرة من الافكار ، قد تطورت في مناطق مختلفة مع استقلال احداها عن الاخرى . والذي حصل في اغلب الاحوال هو ان الجديد الذي استنبط في مركز ما كان يمتد وينتقل الى غيره الآهل بالاقوام المجاورة . وهؤلاء الجيران كانوا بدورهم ينقلونـه الى سواهم بعد ان يدخلوا عليه بعض التعديل والتحسين[1]. فمعرفة مثل هذه العلاقات المتبادلة بين مختلف المناطق والشعوب هي غاية الباحثين عن حوادث مـا قبل التاريخ ، كما ان مؤرخ الرجل العصري لا يكتفي بسرد كل حادث من الحوادث باطناب وتدقيق ، بل يسعى وراء كشف المؤثرات الاجتماعية ، ويتناول ببحثـه العلاقات المتبادلة بين الدول والجماعات ، مبيناً تسلسلها بعضها من بعض وماذا كانت عللها الاولية ونتائجها الاخيرة.

ولنعد اخيراً الى موضوع الادوات المستخرجـة من كسارعقيل فنرى من واجبنا القول اننا اكتشفنا بين الادوات العائدة الى طور الاورينياسيان مخـارز من العظم كانت ، على بساطتها ، بوادر لما تبعها من اشياء كثيرة الخطورة تفوقها اتقاناً وجمالاً بالنسبة الى مثيلاتها من مكتشفات الطور الباليوليتيكي (اي الظرّاني القديم) المكتشفة في اوربة.

في هذا الطور نفسه ، استخرجت الحجـارة المستديرة التي كانت تستعمل لسحق المادة الترابية الحمراء المعروفة بالمغرة ، ولا يُحتمل ان تكون هذه المادة الحمراء قد استعملت لغير التجميل ، وذلك بطلي بشرة الوجه بها كما لا يزال دارجاً حتى الان عند بعض الشعوب الابتدائية . ولسوء الحظّ لم نجد شيئاً من

---

١) راجع الدرس القيّم الذي كتبه الاستاذ كروبر عن مثل هذا الانتشار في كتابه المسمى «انتروبولوجي» A. Kroeber, *Anthropology*, New-York, 1932 .

الآثار الفنية في كسار عقيل . اما في اوربة فتخصّ هذه الاثار بالطور الاخر من العصر الباليولتيكي القديم والتصاوير والرسوم المستخرجة هناك وجدت في اعماق المغاور .

درس العظام الاثرية في كسار عقيل

لا تشكل العظام الاثرية المستخرجة من كسار عقيل القسم الاهم من العاديات التي عُثر عليها في ارضه . ولكن دراستها ذات فائدة جزيلة .

فهناك مظهران خطيران للحياة الحيوانية القديمة في بلادنا يسترعيان النظر . الاول عثورنا على عدد ليس بقليل يناهز الالوف من اصداف الحلزون الصغير ، اي البزّاق[1] ، في عمق يهبط قليلًا عن الطبقة التي وجد فيها الهيكلان البشريان . ثم انقطعت هذه الاصداف بصورة فجائية جازمة . والذي يُرجح في تفسير ذلك ان شعوب الطور الاورينياسي في انطليـاس كانوا يتغذّون بالبزاق بكثرة بينما كان غيرهم من الشعوب ، ومنهم النياندرتال العائدين الى طور «ليڤالوا موستريان» لا يعرفون هذه العادة اي عادة التغذي بالبزاق .

فوجود هذه الاصداف يؤدي الى نتائج ذات اهمية في ترتيب ازمنة الصناعات في كسار عقيل . وهكذا ينال البزّاق الحقير اهمية خطيرة في العصور السابقة للتاريخ .

المظهر الثاني ، الذي يفوق المظهر الاول خطورة ، هو التغير الكبير الذي نشهده حالًا في الحفريات على عمق ١٦ مترًا ، اذ عثرنا هناك على بقايا عظام الحيوان المعروف بوحيد القرن مع غيره من عظام حيوانات تصعب معرفتها[2] ، تصور الفرق بين ما كان عليه لبنان سابقًا وكيف اصبح الان خصوصاً في اثناء الصيف ،

١) هذه الاصداف مكوّنة خاصة من جنس الهليكس (Helix) وهو جنس من الحلزون يشابه تمامًا جنس البزاق الذي ناكله نحن اليوم . وهناك عدد كبير من جنس الپاتلا (Patella) والتروكوس (Trochus) وكلاهما من الجنس الآتي عن شاطىء البحر .

٢) هذا الحيوان الوحيد القرن الذي اسمته مس بيت Bate في حفريات جبل الكرمل باسم : Rhinoceros cf. hemitocchus يختلف في كل حال عن وحيد القرن البارد المكتشف في اوربا في العهد البليوستوسيني . واما غيره من الحيوانات المكتشفة معه في كسار عقيل فهي الضبع الكبيرة Hyana crocuta والجاموس Bubalus وعدد كبير من الحيوانات الصغيرة مثل Arvicolinae و Cricetinae

الفصل الحار الناشف ، فان هذه الحيوانات الوحيدة القرن لو كانت لا تزال باقية لما استطاعت العيش الان في منطقة انطلياس . واننا نعلم من الابحاث التي اجريت في مناطق اخرى اننا في ابتداء الطور الاخير للعصر الثلجي في اوربة نجد تغييراً عاماً في جنس الحيوانات[1] التي كانت تقطن هناك ، ونشاهد ما يماثل ذلك في جوار جبل الكرمل[2] . وهذا يساعدنا على وصل طبقات حفرياتنا بطبقات سائر المناطق التي كانت عرضة لمثل هذا التغيير . وسنعود الى متابعة هذا البحث في موضع آخر .

ونتذكر الآن ان البقايا العظمية التي عُثر عليها في كهار عقيل تعود الى الحيوانات التي تؤكل ، اعني الحيوانات التي كان الانسان القديم يصطادها ثم ينقلها الى منزله للاقتيات بلحمها .

وهنا عامل جديد يحدو الى التمييز بان ميل السكان في هذه المنطقة الى الطعام كان يتراوح بين البزاق ولحوم الحيوانات مع ذلك يمكننا التاكيد ان الحيوانات التي يُعثر على بقاياها بكثرة في احدى طبقات حفرياتنا كانت تقطن بكثرة في هذه المنطقة في ذاك الزمان . وبعض تلك الحيوانات كالايائل مثلاً تفضل المناخ الرطب حيث الجبال والاودية المغطاة بالغابات . اما غيرها مثل الغزلان فتفضل الصحارى والبراري[3] . فبامكاننا اذن ان نحصي بقايا هذه العظام الحيوانية فنستنتج من تغلب جنس منها على آخر كيف كانت حالة المناخ في

---

١) راجع : F. E. Zeuner, *Dating the Past*, London, 1946, p. 229

٢) راجع : F. E. Zeuner, *op. cit.* ; and D.A.E. Garrod and D.M.A. Bate, *The Stone Age of Mount Carmel*, Vol. 1, Oxford, 1937, p. 155 155

٣) ومما عثرنا عليه كثيراً في حفرياتنا بقايا الايائل Dama mesopotamica كذلك الايل الاحمر المعروف باسم Capreolus capreolus والمعزى Capra sp. . فهذان الاخيران مع الغزال Gazella sp. يكثر عددها في الطبقات الحفرية الاحدث عهداً . واما الخنزير البري Sus scrofa والبقر فيكثر عددها كلما عمقنا في الحفر وابتعدنا عن التاريخ ، واما غير ذلك من الحيوانات فيعثر عليها بصورة نادرة مثل عظام الدب الاسمر الصغير Ursus arctos ، ومن عائد الى فهد Panthera pardus. كذلك العظام العائدة الى الثعلب Vulpes sp. .

ذلك الوقت . وهذا العمل قد أُجري بنجاح باهر في حفريات جبل الكرمل[1] واملنا ان نخصص مثل هذا الدرس بالحيوانات المكتشفة في كهار عقيل ، وان نستنتج منها حقائق علمية ثابتة ، واخص هذه الحيوانات عدد كبير من الايائل والمعزى والغزلان والخنزير البري والبقر ، وعدد قليل من الدب الاسمر والثعلب والجاموس والضبع من الجنس الضخم الخ...

والجدير بالذكر اننا لم نجد في كهار عقيل اثرًا للسمك . ويستنتج من ذلك — الّا اذا ظهر ما يفيد الخلاف — ان سكان كهار عقيل الاقدمين لم يكونوا من الصيادين ، ولا من اكلة السمك ، الا اذا كانوا ياكلون السمك على شاطئ البحر دون ان ياتوا به الى منازلهم في النقطة الجاري الحفر فيها. وهذا الامر يبدو لنا غريباً لانهم لم يتأخروا عن نقل الاصداف البحرية اليها ، فكيف اغضوا عن نقل الاسماك.

ومعلومٌ ان العلماء اهتدوا في الازمان المتأخرة الى طريقة جديدة لفحص مثل هذه الشؤون تكاد لا تعدو الحقيقة وقد اسموها « طريقة فحص الطلع » (والطلع هو الغبار الذي تلقح به الازهار بعضها من بعض).

هذا الطلع الواقع في الارض من النبات والاشجار منذ آلاف السنين يفحص ويحدّد به جنس الاشجار الذي كان ينشره في ذلك العهد ، وتحدد ايضاً كثافتها بطريقة ذات حساب يكاد لا يختلف عن الحساب المستعمَل اليوم في فحص الدم في مخابر مستشفياتنا[2].

هذه الطريقة افادتنا كثيرًا في مكتشفات شمالي اوربة، وربما تكون ايضاً ذات فائدة في مكتشفات كهار عقيل . ولكن الاحوال هنا لم تكن تساعد على حفظ الطلع ، كما كانت تساعد في اقطار اوربة الشمالية ، ولا يسعنا الا انتظار نتيجة الفحص الجاري الآن حتى يمكننا الحكم.

(١ D. A. E. Garrod and D. M. A. Bate, *The Stone Age of Mount Carmel*, Vol. 1, p. 141 - 2.

(٢ G. Erdman, *An Introduction to Pollen Analysis*, Waltham, Mass., 1943

البقايا البشرية في كهف عفيل

سبق لنا ان تحدثنا عن كشف الهيكلين البشريين في مكان لا اثر فيه لمدفن خاص لهما . فانهما وُجدا في ارض تحولت الى حجر بفعول تسرّب المياه الكلسية اليها . واذ كنا حتى الآن لم نتمكن من فصلهما عن موقعهما الحجري، كان من المتعذر علينا ان نثبت شيئاً عنهما سوى القول انهما وجدا. ومع ذلك، بما ان جمجمة واحدة منهما وجدت خارجة في قسم منها عن المنطقة الحجرية، فهذه يمكننا أن نبدي بشأنها بعض الملحوظات[1] .

هذه الجمجمة لفتى كان حين وفاته في نحو الثامنة من عمره، نستنتج ذلك من حالة اسنانه، فان العمر المتوسط للاسنان عند فتيان هذا العصر معروف . ويجوز لنا القول ان هذا العمر لم يتغيّر كثيراً عن عمر الفتيان في تلك العهود العريقة في القدم . اما القحف الدماغي فيه فيشابه تماماً في الحجم والشكل وكثافة العظم الاقحاف امثاله في انسان هذا العصر .

والهيكل يعود الى شكل الرجل المعروف عند العلماء الاثريين باسم « الرجل العاقل » (Homo Sapiens)، اما اسنانه فاكبر مما توجد عادة عند امثاله من الاطفال المعاصرين وفي فكه الاسفل شيء من الغلاظة، وخداه مهما دققت في البحث يظهران غير موجودين . كذلك لم نعثر على الانحدار الخلفي الذي يلاحظ في قمة الوجنة في جنس الانسان النياندرتالي، وانما وجنته قائمة بصورة عمودية مع استواء كالصفحة . وهذا لا ريب من اخصّ ملامح الاقدمين، على انه يوجد بعض الاوقات حتى بين افراد عصرنا الحالي.[2]

وبما ان هذين الهيكلين يعودان الى صدر الطور البشري الاورينياسي

---

١) راجع ما كتبه المؤلف عن ذلك في مقاله : Aurignacian Man in Syria (Abstract), *American Journal of Physical Anthropology*, New Series, Volume 4, 1946, pages 252 - 3.

٢) تجد امثال ذلك الشكل عند اهالي كاليدونيا الجديدة New - Caledonia وقد خصص له الاستاذ سارازن درساً في كتابه :

F. Sarasin, *Atlas zur Anthropologie der Neu - Caledonier und Loyalty - Insulaner*, Berlin, 1922.

مباشرةً بعد الطور لقالوا موستيه ، الذي يمت بالصلة الى اقوام النياندرتال ، وبما ان هناك مظاهر واضحة لمتابعة الصناعة العائدة الى طور لقالوا — موستيه في الطور الاورينياسي ، فينجم عن ذلك ان لهذه البقايا المكتشفة عندنا خطورة عظمى . ومن المحتمل ان نجد هناك ايضاً اختلاطاً في شكل الانسان في ذلك العهد ، كما وجد هذا الاختلاط في عصر اكثر قدماً في حفريات جبل الكرمل.[1] وعلى كل فلهذين الهيكلين خطورة كبرى لانهما اول الموجود من نوعهما من العصر الاورينياسي في الشرق الادنى .

جيولوجية كارعقيل[2]

لقد ميّزنا عدة طبقات جيولوجية في ارض كار عقيل : منها ما يعرف بلونه الاحمر ، ومنها بصلابته الدلفانية ، ومنها برمله ، ومنها بحصاه . ولا نذكر هذه التفاصيل رغبةً منا في معالجة علم الجيولوجية ، ولكن لان الاوضاع الجيولوجية تستطيع ان تساعدنا ، وهي في الواقع تساعدنا على فهم الاحوال الجوية خاصة ، التي تقلب فيها تاريخ الانسان القديم في كار عقيل . ولا سيما لانها تمكننا من وضع اركان الترتيب التاريخي المعروف « بالكرونولوجية » او علم تقويم الازمنة .

واننا مع غض النظر عن الظاهرات الجيولوجية المفيدة بذاتها ، وان تكن غير مهمة ، لا يسعنا الا الاشارة الا ثلاث كتل او مناطق ارضية ، وهي جوهرية فيما يخص معارفنا الحالية للترتيب التاريخي (الكرونولوجية) في كار عقيل .

وزبدة القول ان تلك المناطق هي عبارة عن طبقة او طبقتين من الدلفان

---

١) راجع : A. Keith and T. Mc. Cown, *The Stone Age of Mount Carmel*, Volume 11, Oxford, 1939

٢) وجه الاستاذ هربرت رايت (Herbert E. Wright) العالم الجيولوجي التابع لبعثتنا العلمية الجيولوجية الينا بعض الملاحظات قال فيها : ان الركامات المكتشفة في كار عقيل ترجع باجمعها الى العصر الثلجي الاخير . ويتطلب هذا الرأي بحثاً اوسع ومقابلات مع القرائن للتوصل الى نتيجة ثابتة لتقدير الزمن الجيولوجي في المنطقة المجاورة لكار عقيل .

اللزج ، والحصى الصغيرة الخشنة وتحتها بساط من الدلفان الاحمر الصافي صفاء يكاد يكون تامًا.

وهذه المناطق تمثل «الاطوار المطيرة» . وذلك يحتاج الى بعض الايضاح.

في شمالي اوربة ، في زمن رسوب الطبقات التي ذكرناها ، ظهر راس جبل جليدي جبار ما لبث ان زحف من الشمال يتقدم مرةً وبحجم اخرى ، وفي حركاته هذه كانت العواصف الهوجاء تطوقه وتهب منه في ذهابه وايابه.

وفي غضونها على بعد الوف الاميال ، في لبنان ، كانت الانواء تتأثر بمفاعيل الراس الجليدي فتحدث الشرفة طورًا والرطوبة تارةً ، فسميت ايام الرطوبة تلك « الايام المطيرة » (Pluvial periods)[1]

فكل من التشكيلات الجيولوجية التي ذكرناها كانت تتكوّن في طور من « الاطوار المطيرة » . فاذا صح كلامنا هذا — وكل عالم جيولوجي يزور كسار عقيل يوافق على ان تشكيلاته الجيولوجية تمت في الطور الرطب — امكننا ان نربط بالاطوار المطيرة زحفات الجليد الثلاث التي حدثت في العهد الاقرب زمانًا منا ، ومن ثم تيسر لنا ان نطبق على الشرق الادنى نواميس ترتيب الازمنة الذي وضعه الاوربيون وطبقوه على مثل تلك الظاهرات التي وقعت في بلادهم في مثل العصر الذي نحن باحثوه الان في بلادنا .

وها نحن للمرة الاولى يمكننا التحقق باننا نستعمل الاصطلاحات التاريخية الجيولوجية ذاتها ، المستعملة على السواء في كسار عقيل في العهد الظراني الاول ، وفي اوربة في الامكنة المناسبة له قدماً . وان كل موضع في الشرق الادنى مجاور لكسار عقيل ، وله معه تناسب جيولوجي ، يتناسب واياه في رتبة واحدة على جدول الازمنة الجيولوجية التاريخية المعروف بجدول ترتيب الازمنة او الكرونولوجيا. هذا اهم ما يجب ان نسترعي اليه الانظار فيما خص كسارعقيل عند درسنا الانسان الاول .

---

١) نظن ان الحجارة الصغيرة في مناطق الحفريات الكبيرة وقعت من سقف المأوى الصخري تحت تأثير العوامل الطبيعية لا سيما الرطوبة الشديدة، ولربما ايضًا تأثير التبلور . واما اللون الاحمر فهو ناتج عن تحول الرواسب الكلسية في المكان نفسه ، فاضا بتحولها تركت المركبات الحديدية وغيرها من المواد في محلها ، فظهرت بهذا اللون الاحمر .

ترتيب الازمنة التاريخية لكسار عقيل

آتي استطيع تبيان العلاقات بين الجيولوجية وترتيب الازمنة في عاديات كسار عقيل ، وذلك على سبيل المحاولة والتخمين والترجيح ، مستنداً الى مختلف الادلة المأخوذة من المكان نفسه او من غيره من الامكنة . ان ترتيب الزمان بالضبط الكامل مع تاريخ السنين لامر جدّ عسير ، ومهما بذل فيه من عناء فلا يتعدى حدّ الافتراض . قال الاستاذ ف . ا . زوينر[1] ، من احدث العلماء عصراً : قد يكون بدأ عمران كسار عقيل من نحو ١٢٥٠٠٠ سنة ، وان اصبت في ظني كان الزمن الذي استغرقه عمر تلك الطبقات القائمة في كسار عقيل ، لا يقل عن الزمن الذي حدث فيه آخر تجمّد في شمالي اوربة .

ومع ذلك فان تقويم زوينر هذا عرضة للنقاش والجدل مع غيره من العلماء ، ولست ابغي الدخول واياهم في مناظرة حول هذا الموضوع في مقالي هذا .

وغاية ما اريد بحثه هنا انما هو تاريخ السنين النسبي ، وبوجه خاص الترتيب الزمني الجيولوجي مع مراعاة الوقت الذي برزت فيه الحيوانات الى عالم الحياة ، واعتبار ما يؤديه لنا علم ما وراء التاريخ وعلم الجيولوجية من معلومات وفوائد . فيغلب على ظني ان طبقاتنا هذه تكوّنت ردّاً لفعل الزحفات الثلاث التي حدثت في الطور الجليدي الاخير في اوربة .

فالزحفة الاولى او الابتدائية قد تكون حدثت عندما تشكلت طبقة كسار عقيل السفلى ، وموقعها في عمق ١٥ الى ١٦ متراً تحت سطح الارض .

اما الثانية فقد تاتي معاصرة للطبقة الواقعة على عمق ١٠ امتار .

وتكون الثالثة معاصرة للطبقة الواقعة على عمق متر و٥٠ سنتيمتراً[2] . ولم تأتِ بهذه الاقوال الا من باب الحدس والرجم اذ لا يسعنا التأكيد . كما انا نشكّ في ان مدة ما من الزمن انقضت بين زحف الجليد وحدوث «الطور المطير»

---

١) راجع : F.E. Zeuner, *Dating the Past*, London, 1945, e. g. page 145 and id., *The Pleistocene period*, London, 1944.

٢) حسب تقدير العالم زوينر Zeuner المذكور تعود هذه الطبقات الى ١١٥ الف سنة و٢٢ الف سنة و٢٢ الف سنة .

في لبنان ، وليس من يعرف كم كانت تلك المدة . ولكن ، ونحن في معالجة العهد الحجري القديم ، نفترض مقاييس الزمان فضفاضة على خلاف التاريخ المصري الذي يضبط الزمان محدداً بالسنين والشهور والايام . اما نحن ، معشر الباحثين عن حال الانسان القديم ، فلا بدّ لنا من الاكتفاء بتقويمنا الزمني على علاته ولو اضعنا منه الوف السنين . هذا ولا بد من ان نتحقق من اننا ندرس التطورات في نواحي الصناعة والفن المتصلة بالحياة الاجتماعية . وهذه تطلبت زماناً اكثر طولاً ، وقد تحركت بحركات ابطأ جداً مما حدث مع امثالها في عالمنا المصري . عهدئذٍ اي في العهد الظراني الاول لم يكن المذياع ، ولم تكن الطيارات ، مما يؤدّي الى سرعة التواصل في الافكار والى استعجال وقوع الحوادث .

ما نعرفه عن الانسان القديم

لقد بحثنا معيشة الانسان القديم والاساليب العلمية في درس بقاياه ، وامعنا النظر في كيفية الوقائع المختصة به وبتلك البقايا . ومن البديهي اننا كلما تقربنا بالزمان الى الانسان المصري اتسع المجال لاكتشافاتنا وتعليماتنا عن انسان العصر الحجري الاقدم ، وقلنا اننا نستطيع ان نعين له موضعاً ما ثابتاً في احد اطوار الزمان . ويمكننا بكل سهولة ان نقرر في ايّ جوّ عاش في مختلف اطوار حياته ، وان نعرف الكثير من اغذيته وقد تزداد معرفتنا مع تكاثر الحفريات بما كان لديه من آلات .

هذا وقد المعنا في بحثنا السابق حول موضوع التراب الحديدي ، الى عادات الشعوب غير المتمدنة ، وهي تساعدنا اليوم ، على ان نعرف اكيداً كيف كان الاقدمون يستخدمون بعض الاشياء والآلات وربما قدمت لنا الانثولوجية ، وهي علم عادات الانسان ، المادة اللازمة لابراز الحكم في هذه الامور تارةً عن يقين تامّ ، وطوراً على سبيل التكهن والتخمين .

ولقد تزداد حاجتنا الى التقيد بهذه القيود في ما نبحثه من الاحداث المتقاربة من عهد التاريخ المكتوب .

اما في العهد الحجري القديم فلا تزال اشياء كثيرة غير التي ذكرناها لا يعرف شيء من احوالها ، ويعتبرهـا العلماء سراً مغلقاً . وليس بين ايدينـا حتى الآن ما يفتح لنـا مغمضاتها او يظهر امامنا طريقة احتمالهـا حتى في الامس القريب منا .

وبينما انا اخطّ هذه الاسطر ، وجدنا في كسار عقيل قرني بقر لم يبقَ منها الا اصلاهما ، مع قطعة من جمجمة ملتصقة بكل منهما . وقـد وجد الواحد بجانب الاخر وكأنهما صنعا لغاية ما ، ولكن مهما قلت الآن عنهما فلا يعدو قولي ان يكون ضرباً من التكهن والتخمين .

وهناك اشياء لا يمكننا حلّ رموزها . واشياء اخر لم نعثر قط على اثر لها . مثال ذلك القول اليس من المستحيل ان يكون الانسان قضى الاطوار القديمة لتمدنه دون ان يفكر في صنع بضع آلات خشبية ، ولو قدرنا انه صنعها افما تكون مع مرور الايام قد بليت وعفا اثرها . واذا صح قولنا هذا في الاشياء المادية فكم يكون صحيحاً في الشؤون المعنويـة . مما لا نزال نجهل امره كالنظام الاجتماعي ، ومبادىء العدالة ، وطرق التفكير وغير ذلك .

تلك هي العناصر الهامة التي تبين الفرق الجوهري بين الانسان والحيوان غير الناطق .

ومع ذلك ، يمكننا بقليل من الحصافة وكثير من المعرفة ، ان نقتبس من درجة اتقان الشغل في الآلات بصيصاً من النور حول صناعة العامل ، وباستطاعتنا ، ونحن عائدون الى الازمنة السوالف ، ان نتكهن عن نشأة النظام الاجتماعي ، ونقابل بين البلاد الآهلة والبلاد غير الآهلة ، ومن ذلك نستنتج عقلياً ان الدفن عن سابق تصميم معناه بعض الاعتقاد بحياة اخرى بعد هذه الحياة الدنيا . وان آثار الانسان القديم تشهد مباشرة ببلوغه درجة من الصناعة والفن في محطة من الزمن يمكن الاشارة اليها . وان هذه الحالة ، على ما فيها من صناعة وفن ، لا تؤدي الى ادلة تستدعي اليقين فيما يختص بغير انواع من العادات ، لان تلك الآثار لم تمثل الا تمثيلاً ضئيلاً في مكتشفاتنا . والبرهان على ذلك ان بعض القبائل في يومنا هذا لم تبلغ بعد من الرقي الصناعي والفني

الا درجة حقيرة جدًا ، ومع ذلك فقد تموج فيها مجاري افكار سامية مثلًا فيما يخصّ طبيعة الله[1].

وان رجال العلم لا يجرأون على الاشادة بنظرياتهم فيما يخصّ الانسان الاول، كما لو كانت هذه النظريات ثابتة لا جدل في صحتها ، وهم يحجمون عن الخوض في بحث الامور العائدة الى ما وراء التاريخ ، فيتربصون ولا ينطقون الا بالفطنة، والعاقل يميز في ما يعرفه معرفة الترجيح او اليقين .

الختام

لكل حكاية مغزاها ولحكاية الانسان الاول مغزى . اتمنى للقراء ان يقدروا ما يقتضيه مثل هذا الدرس من دقة وتعب ، وان يتخطوا ذلك فينظروا بعين الاحترام الى الانسان الاول ، والى البقايا التي تشهد بصنع يده . فاذا برز شيء منها مثلًا في حفر اساس لبناء بيت ، اصبح من الواجب عليهم ابلاغ الامر حالًا الى دائرة الآثار مقدّمين لها المعلومات الكافية السريعة عن حالة الموضع وعمقه وطبيعة ارضه وتاريخ اليوم الذي حصل فيه الاكتشاف.

ان اثار الزمان الغابر لجديرة بان يحفظها الجيل الحاضر . انها لثمينة في نظر رجال العلم ، وثمينة بذاتها لا من حيث هي تحف من روائع المتاحف ولا من حيث تقديرها بالذهب الاصفر الرنان ، ولكن من حيث انها مواد يتسع بظهورها ميدان المعرفة عن الانسان القديم وتاريخه .

هذا وان البحث في الانسان بذاته ، بعد البحث في طبيعة الله وتدبيره ، لأغلى من ان تقدر قيمته.

---

١) راجع كتاب العلّامة الاب شميد عن ظهور اول تفكير بالله : Wilhelm Schmidt, *Die Ursprung des Gottesidee.*

وثائق تاريخية عن حلب

في القرن الثامن عشر

١) عدد السكان ٢) الغرامات ٣) التراجمة

بقلم الاب فردينان توتل اليسوعي

سيكون هذا المقال وما سيليه ، ان شاء الله ، فاتحة لسلسلة ثالثة تتبع ما نشرناه في المشرق (١٩٦٠-١٩٦١) وقد طبع على حدة في مجلدين الاول عن بومية البخاش والحوادث المتصلة بها في منتصف القرن التاسع عشر والثاني عن منظومة الشيخ ابي الوفاء الرفاعي في اولياء حلب المسلمين.

وسيتألف من هذه السلسلة الجديدة مجلد ثالث من « الوثائق » نرجو ان يستقبله الادباء وهموم القراء الكرام بالرضى والارتياح كالكتابين السابقين.

١) عدد سكان حلب في القرن الثامن عشر

ان العلامة سوفاجه الفرنسي في الكتاب الجليل الذي وضعه عن حلب[1] وساهمت بنشره الجمعية العلمية للنقوش والاداب سنة ١٩٤١ ابدى تدقيقاً لم يسبقه اليه غيره في وصف التطور الذي حدث في الشهباء ، منذ تأسيسها في القرن العشرين قبل المسيح الى منتصف القرن التاسع عشر بعده.

ليست غايتي ان اعرف الى القراء هذا المؤلف الخطير الا اني قرأت في الصفحة الـ ٢٣٨ من المجلد الاول منه حاشية (رقمها ٩٠٨) في عدد سكان المدينة في القرن الثامن عشر فاردت ان اقتطف منها اهمها واضيف اليه بعض تعليقات عثرت عليها في اثناء مطالعاتي في دار الكتب المارونية في حلب

1) J. Sauvaget, Directeur d'Etudes à l'Ecole Pratique des Hautes-Etudes, (Sorbonne):ALEP, Essai sur le développement d'une grande ville syrienne des origines au milieu du XIX° siècle, I° Volume : Texte, II° Volume : Album. Petit in f°. Paris, Geuthner, 1941 .

فيكون ذلك تكملةً لما حرره العلامة سوقاجه يتفكه به محبو المطالعة من اخواننا الشرقيين عامة ومن مواطنينا الحلبيين خاصةً .

قال : ذهب الرواد الاوروبيون شتى المذاهب في تقديرهم عدد سكان حلب فتضاربت اقوالهم وتباينت احصاءاتهم . وذكرت لائحة باسمائهم انتخبتُ منها اولئك الذين تكلموا في العهد الذي يهمنا امره وهي هذه :

دارفيو قنصل فرنسة في حلب سنة ١٦٧٩ قدر عدد سكانها استناداً على عدد المصابيح التي تضاء في بيوتها فكانت ١٣٣٦٠ مصباحاً .

شيلينجر في سفرة اليها سنة ١٧٢٧ قدّر سكانها بمئتي الف نسمة .

ميلر سنة ١٧٣٥ قدرهم بخمس مئة الف

اوتر سنة ١٧٤٨ عدّد البيوت الا الخانات والمدارس وغيرها فقدّرها باربعة عشر الف بيت .

ڤولنه سافر الى سورية ومصر سنة ١٧٨٣ و١٧٨٤ و ١٧٨٥ وكتب عن حلب فاحصى سكانها فكانوا مئة الف .

البارون دي طوط سنة ١٧٨٤ قدر عددهم بمئة وخمسين الفاً .

تايلور في رحلته الى الهند بطريق الصحراء الكبرى سنة ١٧٨٩ مرَّ بحلب وعدّ سكانها فكانوا سبعين الفاً .

ديفيزين قنصل انكلترة في حلب قدّر سكانها سنة ١٧٩٣ بستمئة وثلاثين الفاً .

روسل في كتابه عن تاريخ حلب الطبيعي المطبوع في لندن سنة ١٧٩٤ حسبهم مئتين وخمسة وثلاثين الفاً .

وختم العلامة سوقاجه كلامه فقال ان احصاء دارفيو دون غيره هو وحده حقيق بان يعتمد عليه .

واننا في اثناء مراجعتنا سجل الوفيات من ٢٦ ك ٢ سنة ١٧٣٣ الى ١٤ ك٢ سنة ١٧٦٤ المحفوظ في خزانة آثار الطائفة المارونية المذكورة سابقاً عثرنا على وثيقة باسم القس انطون صقر جاء فيها احصاء البلدة استناداً الى اربع حجج :

١ً : نسبة عدد ابناء الطوائف الى ما يترتب عليها من الضرائب.

٢ً : التقدير اخذاً عن اقوال الاوروبيين الموجودين في البلد آنذاك.

٣ً : تخمين عدد السكان من كمية الخبز او الطحين المطلوبة يومياً لاعاشتهم.

٤ً : المقابلة بين عدد الاموات نسبةً الى الاحياء في مختلف الطوائف على مدى السنة الواحدة.

فجاء الاحصاء مستنداً الى قواعد ثابتة تمكننا من تقدير سكان حلب في منتصف القرن الثامن عشر بثلاث مئة الف نسمة.

ولم نستطع ان نعرف من هو القس انطون صقر محرر الاحصاء. فلعله كان من الكهنة اللبنانيين الذين كانوا يأتون الى حلب لخدمة الرعية ولا يزال سجل الطائفة المارونية في حلب يحفظ اسماء عدد غير قليل منهم. وكان يدور بالنورية مع المطران جبرائيل حوشب لزيارة الرعية. وترك حسابات سنذكرها وهي غير مضبوطة. ولعل السبب في عدم ضبطها اما المؤلف ذاته[1] واما ناسخه واما طريقة توزيع التذاكر فان ذاك التوزيع لم يكن يجري بالنسبة الى الاحصاء على الاطلاق. كان يُضرب مثلاً على كل مئة شخص من ابناء الطائفة عدد خاص من التذاكر الملزمة بدفع المال الاميري المطلوب ولكن كان يتناول فقط من ابنائها القادرين على الدفع عن انفسهم وربما كلفوا الدفع عن غيرهم من الفقراء ومن ثم حصل التفاوت في التناسب بين عدد التذاكر وعدد ابناء الطائفة وبين القراريط المذكورة كما سترى. وليس في ذلك عظيم اهمية فيما يخص موضوعنا ما دامت النتيجة واضحة صحيحة. مثال ذلك مشكل حساب غلطت في عملياته ومع ذلك بلغت الى حله الصوابي. واليك الوثيقة على علاتها :

«يوجد بمدينة حلب نحو ثلاث كرات[2] وثلث من البشر منهم ثلاث كرات مسلمين ومنهم ثلاثين الف نصارى ومنهم اربعة آلاف يهود وايضاح ذلك هذا هو :

---

١) ان بعض الارقام يتبعها الكاتب بخط يشبه ذيل الهاء فسرناه بكلمة [تقريباً]

٢) الكرة : مئة الف

اولاً من خصوص عدة انفار النصارى في سنة ١١٥٣ هجرة الموافقة الى سنة ١٧٤٠ مسيحية ادعوا طايفة الموارنة على طايفة الروم امام حضرة احمد باشي الدوزكلي والي حلب وامام حضرة الملا حاكم الشريعة وقالوا بدعواهم ان الغرامات العرفية التي تنزل على النصارى القاطنين بحلب يوزعها طايفة الروم على طايفتنا باعتبار خمسة قراريط ونصف قيراط ويصير لنا بسبب ذلك غدر . ونريد الآن ان توزع الغرامات العرفية التي تنزل بعد اليوم على الاربع طوايف النصارى بحسب الروس [كذا وهو يريد عدد الاشخاص] فحكم لهم حضرة الوزير وحضرة الملا المحترمين بذلك وامروا ان يراجع دفتر الجزية لاجل اخذ عدد روس كل طايفة من الطوايف الاربعة ليبان ما يلحق كل طايفة منها باعتبار الروس فلحق طايفة الموارنة بعدد اعتبار روسهم بموجب دفتر الجزية قيراطان وثلثا قيراط لكون عدة روسهم باعتبار تذاكر الجزية تسماية تذكرة ولحق طايفة السريان بعدد اعتبار روسهم ثلاثة قراريط وثلث قيراط لكون عدة تذاكر جزيتهم الف ومايــة وثلاثون تذكرة . ولحق طايفــة الارمن باعتبار عدد روسهم ستة قراريط لكون عدة تذاكر جزيتهم الفين وثلاثون تذكرة . ولحق طايفة الروم بعدد اعتبار روسهم اثنا عشر قيراطاً لكون عدة تذاكر جزيتهم اربعة آلاف وستين تذكرة» .

من المعلوم ان رئيس كل طايفة يترتب عليه ان يؤدي عن طائفته المال المضروب بموجب عدد التذاكر . وهذه التذاكر توزع على ابناء الطائفة والغني منهم يؤدي المال عن الفقير .

«طايفة الموارنة قيراط عدد	٢	تذاكر عدد	٩٠٠ نفر	٣٠٠٠
طايفة السريان قيراط عدد	٣	تذاكر عدد	١١٣٠ نفر	٣٧٥٠
طايفة الارمن قيراط عدد	٦	تذاكر عدد	٢٠٣٠ نفر	٦٧٥٠
طايفة الروم قيراط عدد	١٣	تذاكر عدد	٤٠٦٠ نفر	١٣٥٠٠
	٢٤ قيراط		٨١١٠[1]	٢٧٠٠٠

« يكون لحق كل قيراط ثلاثماية وثمانية وثلاثين تذكرة ٣٣٨ [تقريباً]

١) الصواب ٨١٢٠

ثم انا الحقير القسيس انطون صقر تلك السنة عينها اي سنة ١٧٤٠ ضبط [يريد ضبطت] انفار الموارنة حين كنا دايرين بجمع النورية فطلعوا ثلاثة آلاف وثلاثة وثلاثين نفر منهم ذكورا الف وخماية وواحد ومنهم اناث الف وخماية واثنين وثلاثين نفر فيكون لحق كل قيراط من قراريط الموارنة الف وماية وخمسة وعشرين الف[1] .

« فعلى هذا القياس يكون السريان ثلاثة آلاف وسبماية وخمسين نفر . ويكونوا الارمن ستة آلاف وسبماية وخمسين نفر ويكونوا الروم ثلاثة عشر الف وخماية نفر .

الموارنة	انفار عدد	٣٠٠٠
السريان	انفار عدد	٣٧٥٠
الارمن	انفار عدد	٦٧٥٠
الروم	انفار عدد	١٣٥٠٠
		٢٧٠٠٠

« ويوجد ايضاً بحلب نصارى عربية منهم اناس مزوجين بحلب والباقي غرباء مسافرين[2] وهم خارجين عن حساب عدد النصارى الذين اخرجوه من دفتر الجزية وهو نحو ثلاثة آلاف نفر فيكون جملة النصارى الموجودين بحلب كبار وصغار رجال ونسا نحو ثلاثين الف .

« ثم نقول من خصوص عدد انفار اليهود فعلى موجب كلام وكلامهم انهم الف ومايتين واربعين تذكرة فعلى موجب حسابنا هذا يكونوا ثلاثة قراريط وثلثين قيراط ويكونوا اربعة آلاف وماية وثلاثين نفر لان بيلحق كل قيراط تذكرة ٣٣٨ [تقريباً ؟] وبيلحق كل قيراط انفار ١١٣٥ [تقريباً ؟] .

« ثم نقول من جهت عدة انفار المسلمين

« قد استدلينا على عدة انفار البشر الموجودين بمدينة حلب من ثلاثة اوجه

---

١) ١١٢٥٠٠٠ لم استطع ان اتبين صحة هذا العدد .

٢) قال كامل الغزي في نهر الذهب ٣ ، ص ٢٩٨ : في ١١٥٣ كانت القرالة من الانكليز في حلب فكان لهم فيها قنصل وعشرة تجار وقسيس وكاتب اسرار وطبيب .

« الوجه الاول وهو قد يوجد بحلب ناس من طايفة الافرنج معلمين بصناعة الهندسة وممارسين على تقدير عن البشر من بلادهم فقدروا البشر الموجودين بمدينة حلب انهم نحو ثلاث كرات وثلث .

والوجه الثاني هو قاطعية البلد من الحنطة لان قاطعية البلد كل يوم خمسين مكوك[1] حنطة والذي بياكلوا الخبز من السوق فهم اقل من ثلث البشر الموجودين بحلب. والباقي هم الذين اكثر من الثلثين الذي يتمونوا الحنطة فعلى هذا القياس تكون قاطعية البلد كل يوم مكوك ١٦٤ ماية واربعة وستين التي تكون شنبل ٢٦٢٤ وقدرنا كل شنبل ارطال ٢٤ فيكون طحين ارطال ٦٢٩٧٦ وحسبنا كل رطل طحين بيطلع رطل واربع اواق خبز فتكون جملة ارطال الخبز ٨٣٩٦٨ ثم قدرنا ان كل انسان بياكل كل يوم ثلاث اواق خبز فتكون جملة البشر على هذا الحساب انفار ٣٣٥٨٧٢ اي ثلاث كرات وخمسة وثلاثين الف وثمانماية واثنين وسبعين نفر . فهذا الحساب يكون زاد عن الثلاث كرات وثلث نفر ٢٥٣٩ .

« والوجه الثالث من عدد انفار موتى النصارى لان النصارى ثلاثين الف نفر مات منهم ١٥٨٧ فيكون مات منهم حساب خمسة بالماية والمسلمين مات منهم خمسة عشر الف وماية فاذا حسبنا موتاهم خمسة بالماية نظير ما مات من النصارى فتكون عدة الاحياء ثلاثة كرات تمام والله اعلم » .

ذكرنا اسماء الرواد الاوربيين وما ذهبوا اليه من المذاهب في تقديرهم عدد سكان حلب في القرن الثامن عشر ولم نأت على ذكر المؤرخين العرب في هذا الصدد . ولماذا ؟ – لان بني عثمان كانوا في ذلك العصر يحكمون سورية فلم يكن للناطقين بالضاد مكانتهم في عالم الحياة الاجتماعية والسياسية التي تمتعوا بها فيما بعد بفضل اليقظة الوطنية والوعي القومي . فضلاً عن ان احصاء السكان طبقاً لقواعد دقيقة لم يأخذ بالانتشار في العالم المتمدن الا منذ عهد غير بعيد عن عهدنا . فاول احصاء في دول المانية كان سنة ١٧٤٢ ، وفي اسوج سنة ١٧٤٨ ، وفي الدانمرك سنة ١٧٦٩ ، وفي

١) المكوك : مكيال يسع صاعاً ونصف صاع او نحو ذلك .

اسبانيـة سنة ١٧٨٧ . اما في انكلترة فبعد ان وضعوا التصميات للاحصاء العام سنة ١٧٥٣ لم ينفذوه بالواقع الا سنة ١٨٠١ . واخـذت من ثم سائر الدول تحصي سكانها وآخر من اتبع هذه الخطة من الدول في العالم المتمدن كانت تركية سنة ١٩٢٧ .

اما في سوريـة فكان آخر احصاء فيها في ٢٥ اذار الماضي ولم تظهر بعد نتائجه .

فيفيدنا ان نقابل بين عدد سكان حلب في القرن الثامن عشر وعددهم في عصرنا واليك احصاء سكان هذه المدينة في سنة ١٩٣٥ كما وصل الينا عن دائرة الاحصـاء وفي سنة ١٩٤٧ عن لسان محافظ حلب الامير مصطفى الشهابي (راجع جريدة التقدم الحلبية في ٢٢ ك ٢ ١٩٤٧) .

احصاء سكان مدينة حلب اخذاً عن السجلات الرسمية وكلها على التقريب

سنة ١٩٣٥	المسيحيون الكاثوليك	سنة ١٩٤٧
الروم الملكيون	١٠١٠٣	١٢٢٧٩
الارمن	٦٧٥٤	٧١٥٣
السريان	٥١٢٠	٦٢٨٤
الموارنة	٣١٥١	٢٨٣٨
الكلدان	١٨٥٢	
اللاتين	١٨٢٣	٢٢٥٣
المجموع	٢٨٨٠٣	

المسيحيون غير الكاثوليك

الارمن	٤٩١١٤	٦١٥٢٩
الروم الملكيون	٣٥٠١	٦٣٥٢
السريان	٤٤٨٣	٥٦٣٣
البروتستانت	١٩٨٦	
المجموع	٥٩٠٩٤	

مجموع المسيحيين	٨٧٨٨٧	١١٣١٣١
المسلمون	١٥٣١١٤	٢٠٩٢١٤
اليهود	٩٩٦١ ومعهم الكلدان	١٣٩٠٢
المجموعات	٢٥٠٩٦٠	٣٣٦٢٤٧

هذا واذا فطنا الى حركة انتقال السكان الى حلب من السنجق بعد انضمامه الى تركية ومن الجزيرة بعد وقوع حوادث سنة ١٩٤٥ لم نتعجب من التفاوت بين احصاءات سنة ١٩٣٥ وسنة ١٩٤٧

اما السبب في زيادة عدد الارمن غير الكاثوليك العظيمة فيما اذا قوبل بين احصائهم اليوم واحصائهم في منتصف القرن الثامن عشر كما قلنا فيظهر انه لم يك الا المذابح التي وقعت في ارمينية سنة ١٨٩٥ وسنة ١٩٠٨ وخاصة جلاؤهم عن الاناضول وقيليقية في ايام « سفر برلك » او في حرب ١٩١٤ — ١٩١٨

٢) الغرامات

بعيد كل البعد من فكرنا فيما اذا ما ذكرنا تظلم المسيحيين من حكامهم في ذلك العهد ان نلقي التبعة في اضطهادهم على العقلاء والصالحين من مواطنيهم الذين كانوا يشاطرونهم السراء والضراء في حياتهم .

وان ننسَ فلا ننسَ ما كان لحسن الجوار والتضامن بين الاهلين من الوسائل التي تقيهم شرور الساعة وما كان لآل العظم « السوريين » من الايادي البيضاء على بلادهم حين توليهم شؤونها كمحمد باشا العظم سنة ١١٧٧ هـ ١٧٦٣ م . فقد كان يتنكر ويتفقد احياء البلد ليلاً ليمنع الجور والفساد وهو الذي ابطل بدعة الدومان وهم جماعة كانوا يحتكرون اللحم ليبيعوه باغلى الاسعار . ولم تخلُ البلاد ولله الحمد تماماً من مثله . على ان عهد الباشاوات في تلك الايام كان غالباً عهد استبداد وطغيان مما لم تزل اقلام الكتبة والمؤرخين من عرب وعجم تتصدى لتبيانه .

كانت المناصب تعطى لا للذين يستحقونها دون غيرهم ولكن لمن كانوا يبتاعونها بالاصفر الرنان . حتى اذا فازوا بمرادهم وجلسوا على كرسي الحكم

اخذوا يسلبون الرعية اموالها ليعاضوا مما فقدوه بالوصول الى مناصبهم[1].

واذا ارتفعت اسعار الحاجيات واشتدت ازمة اللحم او الخبز لم يكن من النادر ان يتآمر الحاكم خفيةً مع الجزارين او الطحانين على ان يساعدهم في احتكار اللحم او الطحين تلقاء الاموال الطائلة التي يبتزها منهم . ومن ثم تحدث الاضطرابات « وتقوم البلد » ويهاجم الجياع دار الحكومة ويرتدون منها لنهب الاسواق فيضطرب حبل الامن وتشتعل الفتنة[2] . ويقع قتيل يغرم النصارى بدفع ديته فيما اذا كان وقوعه في حيهم او على مقربة منه . وربما دبت عقارب السعاية الى ما بين صفوفهم فيترافعون امام القضاة ويلجأ رؤساؤهم الروحيون الى التدخل في الامر مما يجر عليهم العذاب والسجن والاضطهاد والغرامات ومن ثم ترفع الشكاوي والدعاوي الى من كان باستطاعتهم التوسط بين الراعي الظالم والرعية التاعسة كالقناصل . فالقنصل كان غالباً من كبار التجار ذا مقام رفيع عند الباشا لانه كان بسعيه ونفوذه وحسن سياسته يساعد على تهدئة الخواطر واصلاح ذات البين . ومن الذين اشتهروا في تلك المهمة آنذاك اسرة بيت بيتشوتو القنصلية فقد كانوا تجاراً وصيارفة « يقضون الغرض » للباشا عند اللزوم ولا يفوتهم فرصة للاستفادة من رهن املاك الدولة وشرائها على حساب الباشا . واليهم والى غيرهم من القناصل كان المضطهدون يلجأون في ضيقتهم . وربما افادهم التجاؤهم الى بطريركهم وكان لهذا صوت مسموع ما وراء الحدود فيبلغ آذان الباب العالي عن طريق السفارات واليك صدى لتلك الاستغاثة في آثار الطائفة المارونية المذكورة في اضبارة المطران جبرائيل حوشب (رقم ٧٨) « نسخة تحرير ابناء الطائفة بحلب الى البطريرك طوبيا (الخازن) تاريخ ١١ تشرين الاول سنة ١٧٥٦ وفيه يصفون الاضطهاد اللاحق بهم من الحكومة وعدم امكان احد من الكهنة والعوام الذهاب اليه لان اسم لبنان مكروه ... من قبل حكام البلد الذين لم يزالوا فاتحين افواههم ليبتلعونا ...

١) راجع كامل الغزي ، نهر الذهب ٣ : ٢٨٥ وما بعدها . وكتاب سوقاجه المذكور عن حلب ص ١٩٣ وما بعدها .

٢) راجع كامل الغزي نهر الذهب ٣ : ٢٩٧ في كلامه عن قتل شيخ المدارائية .

« ... ونحن احيا ويسلبوا مالنا . ونحن ما بقينا قادرين على العطا مثلما كنتم تعرفونا خصوصاً اذا عرف الحاكم ان الكهنة متوجهين الى الجبل لعند بطركهم فيمسك علينا حجج كثيرة ولو كانت بغير حق . من الجملة اسم بطرك جديد يقول لنا اين فرمان . واسم الجبل مكروه عند حكام بلدنا . لان كلما غاب مسلماني يقولوا لنا ارسلتوه للجبل حتى ينتصر . ويا ما خسرنا اموال فوق طاقتنا بسبب هذه الكلمة . والشاهد لصحة قولنا هو امر اليهودي الذي فقد من حلب في الايام التي كان عندنا القس اغوسطينوس يازجي قدسكم والقس ارسانيوس شكري الحكيم . وكيف تهمونا بارساله الى الجبل وحبسوا مطراننا والقس ارسانيوس المذكور وبعض من الكهنة وجملة انفار من الطايفة مدة اثني عشر يوماً في الجزير . ولم يخلصوا الا بمبلغ عظيم من المال . فليسأل قدسكم القس اغوسطينوس المذكور فيخبركم بالجميع ومثله مرات كثيرة وهل يخفى سفر الكهنة عن الحكام فالعوانية كثيرون فلا تقاس بلادكم وحكامكم على بلادنا وحكامنا . انتم احرار مثل البلاد الافرنجية ونحن في الاسر والعبودية فلا يتعجب قدسكم من قولنا بان علينا اخطار عظيمة من توجه الكهنة نحو سيادتكم » .

واليك ما جاء في « اضبارة تحارير المطران جبرائيل حوشب » (ارتسم ١٧٣٢ توفي ١٧٦٢) .

« بيان مصاريف الذي انصرفت في زمان حضرة يعقوب باشا[1] . تحريراً في غرة شهر جماد الاول ١١٥٣ الى يوم طلوعه من حلب » اما تفاسير الالفاظ التركية فيها فقد اخذناها عن كتاب Barbier de Meynard الدرر العمانية في اللغة العثمانية — طبع في باريس ١٨٨٦ وهو قاموس تركي افرنسي راجع كل مادة بمادتها المرتبة طبقاً لترتيب الاحرف الهجائية .

---

١) لم نجد له ذكراً لا في غرر الذهب ولا في تاريخ السلطنة العثمانية لعامر . ولعل مدة اقامته في حلب لم ترد على الاشهر شأن الولاة العثمانيين في ذلك العهد

١

بارة غرش[1]	مادية[2] الاولاد كلفة الحج[3] والبيوردي[4]
١٥٠٠	الى الخزانة العامرة[5]
٢٧٥	الى الكاخية[6]
٥٠	الى المباشر[7]
٤٧٤	الى باش جاويش[8] وخرج[9] الباب
٤٠	الى ويس اغا
٣٠	الى الصراف
١٠	الى دويدار
١٥٠	الى الملا السابق[10]

١) وفي دفتر حجج ملكية وقف الطائفة المارونية جاء في سنة ١٧٨٠ ذكر حجة بيع دار في الصليبة بثلاثة غرش جديدة سلطانية فلا بد ان تكون الغروش السلطانية سعرها غير سعر هذه الغروش الفضية وقيمتها اربعون بارة الغرش . وكان سعره ٢١ سنتيماً ذهباً على التقريب (Encyclopédie de l'Islam II. p. 135)

٢) مادية لعله يريد بها المادة .

٣) كان مرور الحجاج في حلب يتطلب اعانات توزع على المكلفين .

٤) البيوردي او بيورلدي اسم كان يطلق سابقاً على الامر المطاع او الارادة السنية من جانب السلطان او الصدر الاعظم وقد اطلق بعد ذلك على البلاغات والتعليمات الصادرة من مدير دائرة الشرطة .

٥) الى خزنة او صندوق الباشا .

٦) الكاخية او الكخية او الكتخدا : من الفارسية ومعناها صاحب (خدا) البيت (كت) وهو النائب المفوض من قبل سيده في تدبير الامور .

٧) المباشر هو احد العمال في دوائر الحكومة – الحاكم .

٨) جاوش : الخادم في المحكمة . باش جاوش : كان سابقاً رئيس اورطة الانكشارية الخاصة .

٩) خرج : النفقة من المال للدخول .

١٠ : الملا : السيد

١٤٠	الى نايب وكاخية وخرج الباب
٧٠	وايضاً خرج باب المحكمة البراني
٢٥٠	الى خزينة دار الباشا
١٥٠	الى احمد افندي
٣٠١٣	
١٣٤	الى باش جوقه دار[1]
٣٧٤	الى القاضي لاجل قليط[2]
٣٧٤	الى كاخية القاضي
٣٢٤	الى الحاج عبدالله والي ترجمان والمحضر
٣٠٠	الى احمد افندي من يد نخمه
٣١٢٤	قتالة القاضي مع الكاخية
١٠٠	الى صراف الباشا
٣٧٤	الى كيخيه
٩٦٤٢	

٢

٠٠ س	مادية الزفراف مع دعوة المره
٢٥٠٠	الى خزنة الباشا
٣٥٠	الى الكاخية
٢٥٠	ايضاً الى الكاخية ده يك[3]
٢٧٥	خرج خزنة وخزينة دار
٥٠	الى قبجيلر كاهياسي[4]

١) باش جوقه دار : الاول بين خدمة السلطان وكان تحت امره اربعون خادماً. كان يمشي على يمين السلطان ويضع يده اليسرى على ظهر حصانه ويحمل بيده اليمنى كيساً من حرير فيه بابوج السلطان.

٢) قليط . جاء في الدرر : قليته وهي نوع من الطعام .

٣) ده يك ؟ قد يكون معناها من اجل الدية ؟

٤) قبجي مغلوط عن بكجي اي الحارس او البوّاب .

١٠٠	الى ديوان افندسي	
٥٠	الى مهر دار	صاحب الختم
٢٠	الى دويدار	صاحب الدواة
٥٠	الى ويس اغا	
٢٥	الى امين وترجمان	
١٥	الى عربي كاتب	
١٥	الى جوقة دار الكاخيه	
١١٥	الى مطرجي[1] الباشا	
٢٥٠	الى والي افندي	
١٥٠	الى كاخيه اغاسي	
٢٥	الى خزينة دار اغاسي	
١٠٠	الى جوقة دار اغاسي	
٣٠	الى اولاد القاضي	
٢٧٢	الى باش نايب	
١٥٠	ثمن ساعات عدد ٢	
١٣٢	الى جوقة دار القاضي	
٣٠٠	الى احمد افندي من يد نحمه	
٥٥	الى (؟) من يد نحمه	
٥	الى يسقيه[2]	
٤٠	الى الحاج عبدالله والمحضر والترجمان	
٢٧٢	الى معلم سلطان ثمن جوخ وشاش	
٥٢٨٩		

١) مطرجي او مطهرجي : حامل المطرة او السقا . والمطهرة كانت قنينة من جلد تملأ ماء وتحمل على الدابة في السفر ومنها المطرة اسم لوعاء للماء يحمله الجند في رقابهم .
٢) اليسقي او الياسقي : مأمور التنفيذ

٣

٠٠ س	مادية الراهب
٣٦٠٠	الى خزنة الباشا
٣٥٠	ده يك
١٥٠	الى ديوان افندسي
٢٥	الى سلام اغاسي
١٠٠	الى المباشر
٧٧٤	الى ويس اغا
١٥٣٤	خرج مفردات
٣٥٠	الى (؟)
٤٨٠٦ ـ	
٥٠٠	دعوة قسيس الذي مسكوه على بكره
٥٠٠	دعوة البندوق
٥٨٠٦ ـ	

٤

٠٠ س	مادية الحكيم الذي مات في دكانه
٢٥٠٠	الى خزنة الباشا
٢٥٠	ده يك الى الكاخيه الديه
٢٨٨٤	ده يك الده يك [لم يكتفوا باول دفعه ؟]
١٣٩*	خرج خزنه
٥٠٠	الى الكاخيه
٤٠٠	الى القاضي والنايب الذي سافروا
٦٥ ـ	الى باش جاويش
٩٢٤	الى ويس اغا ظاهر ومخفي
١٠	الى اولاده

٢٠	الى امين والترجمان
٢٥	الى عربي كاتب ١٥ وديوان افندى ١٠
٥٣٤	ثمن جوخ لويس اغا
٥٠	الى خزينة دار الكاخيه
١١٧	الى لطاخ رخت فهى الكاخيه (؟)
٢٧٧	الى ديوان افندي
٢٥	الى سلام اغاسي
١٠	الى الهردار (؟)
١٢٨	الى عثمان اغا الباش
١٣٩٧	الى صراف الباشا
٥	الى تابع الصراف
١٠٠	ليلة الذي سافر الكاخية مع الاجي في يد الكاخيه
١٥	الى اسبير تابع الخزينة دار
٢٣٧	مصاريف متفرقة
٤٩٨٢	

٥

مادية قتالة البسارنه[1] عند التترلار

١٥٠	الى الكاخيه
٢٥	الى ويس اغا
٤٨٧	خدم تفنكجيه وعيادية جواويش زلطين وخمسه
٥٦٤٤	

٠٠	الغرش ٤٠ باره
٥	ثمن غرش
١٠	ربع غرش
١٥	

١) البساونة جماعة بغي ذكرهم في حلب بالكمك البساراني – التاترلر حي في حلب (راجع ذكره في كتاب نهر الذهب للغزي ٣ ، ص ٢٢٦

الفرش يقسم الى ٨ اقسام

٥	الاول
١٠	الثاني
١٥	الثالث
٢٠	الرابع
٢٥	الخامس
٣٠	السادس
٣٥	السابع
٤٠	الثامن

٥٦	في يد ويس اغا
١١٥	في اجارة الصراف اليهودي
٣٨	الى عثمان اغا ثمن عبايه
١٤٥	مصاريف في يد مناحي متفرقة
٣٥٤	

٦

٠٠ س	جرم مادية رجم المحكمة
١٠٠٠	الى خزنة الباشا
١٠٠٠	الى الكاخيه
١٠٠	ده يك
١٠٠	الى خزينة دار الباشا
١٣٠	الى ديوان افندسي
١٦٢½	الى باش جاويش
٤٥	الى ويس اغا وامين ترجمان وعربي كاتب
٢٥ ٥ ١٥	
٢٨	الى محمد زغير واوضه باشي
١٠٠	الى ويس اغا طالب من كل طايفه وكيل
١٨	الى باش جاويش ثمن بزه (؟)

١١٥ خدمة تفنكشي باشا
٢٠ عبايه الى ويس اغا
١٨ ثمن جوخ الى مطرجي وسلام اغاسي
٢٠ الى سلاح دار وتوابعه
٢١ الى ويس اغا على دفعتين
٥٥ الى ديوان افندسي
٩٤٧ في يد الكاخيه لما رجع من وداع الالچي
٢٢٥٤ مصاريف هل ماده وخدمها .
٣١٥٣:

٧

٠٠ س ماديه لما جاب الاربع مطارين[1]
٤٠٠٠ الى خزنة الباشا
١٠٠٠ الى الكاخيه
٦٠٠ الى خزنة دار الباشا وخرج
١٥٠ قبجيلر كاهياسي
١٥٠ الى ديوان افندسي
٥٠ الى سلام اغاسي
١٠١٤ الى باش جاويش
١٠ الى جاويشيه
١٥٠ الى ويس اغا
٣٠ الى امين وترجمان
٢٥ الى عربي كاتبي
١٧٥ خدم جوقه دايرية الكاخيه
٣٠٠ الى خزينة دار الكاخيه
٤٠ الى محمد الزغير وخاله

١) نجد تفاصيل ذلك في دفتر اخوية التريتان الارمن في تاريخ ١١ كانون الاول سنة ١٧٥٧ وسننشره في المشرق ان شاء الله .

١٢٥٠	الى القاضي
٣٠٠	ايضاً خرجها
١٥٠	الى كاخية القاضي
٢٥	الى خزينة دار القاضي
٢٧٨	الى باش نايب
٠٠ س	دعوة بندوق الروم
٢٠٠٠	الى الخزنة
٧٠٠	الى الكاخيه
٥٠	الى ويس
٨٥٠	مصاريف
٣٦٠٠	
١١٥٠	دعوه ثاني بندوق
٢٥٠٠	من طايفة الروم لما قاموا يلموا دين الفرنجي
٧٢٥٠	

٨

٨٢٠٠	ماديتين تبن وشاشات وبشاكيش معها
١٥٤٥٠	
٥٨٠٦	مجموعات
٣٨٢٨	
٥٢٨٩	
٢١٨٠٧	
٥٥٠	
٥٣٧٣٠	

وقد تأتي بعض المجموعات في النصوص التي نشرناها مغلوطة باليسير وليس للغلط اهمية عظمى بالنسبة الى النتيجة وهي البرهان على ان حمل الغرامات كان ثقيلاً على الرعية الى ان تبلغ منها الروح التراقي فيضطر الكهنة الى بيع

آنية الكنيسة ليدفعوا بثمنها الاذى عنهم وعن رعاياهم .

ولك الحجة على ذلك فيما نسخناه من اضبارة المطران ارسانيوس شكري حكيم اروتين مطران الموارنة في حلب ١٧٦٢ الى ١٧٧٦ وهذا ما جاء فيها (الوثيقة ١٨):

بيع فضي الكنيسة

« بالنظر معنا في حال الطايفة التي عجزت وضعف حالها من كثرة دفع التكاليف العرفية والجرايم الثقيلة التي طرت عليها في هذه الايام الصعبة التي لم يرى مثلها قط فلاجل حفظ الكنيسة والطايفة من الغايلات المذكورة اعلاه وقد تحققت جدًا لدى الجميع وما عاد خلاص الا ببيع جانب من فضي الكنيسة جانب معين الموقوفة لها من المحسنين وبمشورتنا نحن وبمعرفة الجميل قد باع من الفضي المذكور وزن ١١٥٤٠ درهم وهذه دفعها جرماً لاجل خلاص الكنيسة من الغايلة المذكورة وقد حررنا هذه الوثيقة برضانا

١٧٨٠ ١١ ايلول كهنة الطائفة بحلب »

وجاء بعدها الوثيقة ٣٥ من دون تاريخ : « وجهاء الطائفة يطلبون مساعدة المطران ارسانيوس شكري . غير خاف من علم قدسكم ضيقة الهرب والخبا والحبس والضرب والتعطيل الحاصلين به نحن اولادكم اصغار طايفتكم هذا ما عدا تسكير الكنيسة وابطال الذبايح وخطايا الندم التي من شأنها ان تصدر من الضيق وعدم النظام . »

تلك كانت الاحوال في زمان كثرت مظالم حكامه واستبدادهم . ولست اخشى ان يلومني لائم فيما اذا كشفت عن جراحات قديمة ضمدها الزمان لان في المقابلة بين ايامنا وايام حوشب وارتين مدعاة للعبرة المفيدة .

٣) التراجمة

كانت الضرائب والغرامات تثقل وطأتها على الاهالي على اختلاف طوائفهم فصار الناس يلتمسون السبيل الى التهرب منها كل فيما يوفق اليه من الوسائط ، وكان للمسلمين اسياد واشراف يوالونهم وهؤلاء كانوا يتمتعون بالاعفاء من كثير من الضرائب . وكان للمسيحيين القناصل فمن وفق منهم الى الدخول في خدمتهم كترجمان او غير ذلك او من تمكن من اكتساب ودهم بسطوا حمايتهم عليه ووقوه اداء البلص والغرامات .

كان لكل قنصل ترجمان واحد في بادئ الامر واذ كان القنصل في الغالب لا يفقه لغة البلاد كان يضطر الاستعانة بترجمانه في تعاطي اشغاله مع الحكام ومع الاهالي . ولم يلبث عدد التراجمة ان زاد حتى صار لكل قنصل عدة رجال يخدمونه فيستفيد منهم جاهاً ويوسع بسعيهم دائرة اشغاله التجارية وكان القنصل في الوقت عينه ممثلاً لدولة اجنبية وتاجراً . وكان التراجمة يستفيدون من مكانتهم تحت حمايته فتأتيهم السلع من البلاد الاجنبية ولا يدفعون عنها نفقات المكوس شأن القناصل ولا يحاكمون في الدعاوي الا في محاكم القناصل ولا يكلفون اداء الضرائب كما يكلف غيرهم من مواطنيهم .

واذ كانت الغرامات كما رأيت سابقاً تفرض على الطوائف وكان الاغنياء فيها يؤدونها عن فقرائها كان انتماء بعض وجهاء الطوائف الى دولة من الدول الاجنبية في خدمة الدوائر القنصلية يحرم الطوائف من مساهمتهم في تأدية الاموال ويثقل عبئها على كاهل المكلفين بنسبة قلة عددهم ، ولنا في وثيقة نسختها عن اضبارة المطران حوشب وصف لهذه الحالة[1] .

طلب المطران الى اهل « الحماية » دفع ما يترتب عليهم من المال للطائفة وتأييد رؤساء المرسلين الاوروبيين لطلبه ولا يخفى ان لمصادقتهم على الامر اهميتها عند القناصل وهؤلاء بالغالب ينتسبون الى الطائفة اللاتينية فلا يسعهم الا ان يوافقوا المرسلين على الزامهم اهل «الحماية» والتراجمة بالقيام بواجبهم نحو طوائفهم . واليك الوثيقة المذكورة :

شهادة تاريخ ١٦ تشرين ١ سنة ١٧٥٨ ممضاة من رؤساء المرسلين بحلب على اجتماعهم عند المطران جبرائيل بخصوص اولاد الطائفة المنتمين الى الاجانب انهم ملتزمون بدفع الغرامة الموضوعة على الطائفة للحكومة .

« في اليوم السادس عشر من شهر تشرين الاول ١٧٥٨ قد [اجتمع الآباء] المكرمين مرسلين بيعة الله المقدسة القاطنين يومئذ بمدينة حلب جميعهم بطلب حضرة المطران جبرائيل حوشب لاجل تدبير ونظام طايفته المارونية حيث ان الكثيرين منهم ملتجيين الى حمايات متنوعه وتاركين ما يجب عليهم من

١) حاشية رقم ١٠٣ من اضبارة المطران جبرائيل حوشب في كنيسة آثار الطائفة المارونية بحلب .

المساعدة لقيام وثبات كنيستهم ومطرانهم وكهنتهم فبعد النظر والاطلاع على هذه الحوادث طبق رأي الجميع:

اولاً: بان يتوجه اثنان من الآباء المذكورين لحضرة قنصل فرنسا المكرم واثنان لحضرة قنصل البندقية الاكرم واثنان لحضرة الخواجا جرجس عايدة ويطلبوا منهم ان يلزموا كافة تراجمهم وحماياتهم وتوابعهم لان يحضروا في اليوم الثامن عشر من هـذا الشهر في دير حضرة الاباء المكرمين رهبان القدس حيث عقدت هذه الجمعية لكي ينبهوهم ويعرفوهم الواجب عليهم بل الالتزام الاضراري بقيـام كنيستهم ومطرانهم وكهنتهم ليس الاختياري فقط.

ثانياً: لكي يختار منهم بمعرفة حضرة المطران جبرائيل المشار اليه ثمانية انفار من كل صنف حماية يكونوا اصحاب (؟) واقرار (؟) ولهم وقوف في احوال الطائفة المذكورة بحسب الامكان لان يرتبوا عليهم وعلى بقيـة طايفتهم المارونية شيئاً معلوم في كل سنـة ويكونوا ملتزمين بدفع ما يترتب عليهم ويعطوه من غير تعلل ولا اهمال.

ثالثاً: ان اوجد بعض الناس مخالفين لهذا الاتفاق ولم يرتضوا بالذي ترتب عليهم ولذلك قاصصهم حضرة المطران جبرائيل المكرم قصاصاً كنائسياً ولو انه بالحرم اذا راه مناسباً لردعهم وردهم فلا يمكن ان احد من المرسلين المكرمين يتعارضه بذلك ولا يقبلوهم بنوع من الانواع الا بدون طاعتهم وخضوعهم لامر حضرة مطرانهم واثباتاً لذلك حرروا هـذه الوثيقة بخطوط اياديهم لاجل البيان في التاريخ المذكور.

التوقيع:

Raimondo di Matta di Terra Sta.
Federico di H. Wenceslao Carmelitano.
H. Cuisset, Sup. Jésuite.
Eleuhère Capucin et leurs religieux.

ريموندو دي متّا من ارسالية الاراضي المقدسة.
فيدريكو دي فنسيلاو الكرملي.
ه. كويسة رئيس اليسوعيين.
ألوثير الكبوشي وسائر رهبانهم.

ويظهر ان طلب المطران وتهديده التراجمة بالقصاص والحرم الكنسي لم تكن ليبلغ النتيجة المرغوب فيها الى مدى بعيد ونرى في اضبارة المطران ارسانيوس شكري خلف المطران حوشب تحت الرقم (٣٧) تحريرًا منه ومن كهنته (من دون تاريخ) «الى قنصل الفلمنك بخصوص التراجمين وما يلحقهم من الغرامة على «الكنيسة» طالباً مساعدته بملاحقتهم واجبارهم على دفع حسابهم وما يلحقهم في التحرير ذاته . وفي (الرقم ٤٤) بتاريخ ٢٧ نيسان ١٧٦٤ يتفق المطران ارسانيوس مع انطون البيطار ترجمان الفلمنك ويسلمه الوكالة ليقبض من اولاد طايفته التراجمين والاجانب ما يلحقهم من الغرامة بجانب الطائفة .» ويذكرها تحت الرقم (٤٥) فهي عشرة آلاف غرش. وهذا فيما يخص التراجمة الموارنة.

وفي سنة ١٢٠٨ هـ ١٧٩٣ يتدخل سليمان فيضي باشا بامر تخفيض عدد تراجمة قناصل الدول الاجنبية اجمالًا فيكتب الى الباب العالي بان عدد تراجمة القناصل في حلب بلغ نحو الف وخمسمائة وذلك لان الدولة اذنت لكل سفير في استانبول ولكل قنصل خارجاً عنها بترجمان واحد اعفته من تادية الاموال الاميرية .

وما لبث ان كثر طلب الاستخدام في دور القناصل وتكاثر عدد التراجمة فكنت ترى في ازقة حلب رجالًا كثيرين على رؤوسهم قلانس السمور وهي علامة التراجمة وقد بلغ عددهم على ما يقال في تلك المدينة الفاً وخمسمئة ترجمان واكثرهم توصلوا الى مهنتهم بالحيلة . وفي ذات يوم عينت الدولة مفتشاً يبحث عن حالهم فدعاهم اليه ليتأكد من هويتهم وحقوقهم فلم يجد بينهم الا ستة حقيقين بمنصبهم . فثبتهم فيه وحكم على الباقين بتأدية الاموال الاميرية المتأخرة عليهم . فدفعوا للكمركجي وللتحصيل دار خمسة آلاف ذهب وللوالي مثلها . . .[1]

ومن المعروف في ايامنا ان التراجمة اصبحوا كسائر السوريين متساوين بالحقوق والواجبات بعد الغاء الامتيازات الاجنبية .

---

١) راجع كامل الغزي : نهر الذهب ٢ ، ص ٣١١

مكتبة المشرق

ديوان ابن الساعاتي

عني بتحقيقه ونشره انيس المقدسي
استاذ الادب العربي في جامعة بيروت الاميركية

الجزء الثاني ١٣٨ صفحة

المطبعة الاميركانية . بيروت . آب سنة ١٩٣٩

نقد واستدراك بقلم حبيب زيات

تقدم لنا الكلام على الجزء الاول من هذا الديوان في « المشرق » (٣٧ [١٩٣٩] ٤٦٨ — ٤٧٨) ، و « الخزانة الشرقية » (٣ : ١٧٠ — ١٨٠) وقد انتهى الينا اخيرًا الجزء الثاني وهو الختام . فاقبلنا على تصفحه والنظر فيه ، فألفيناه حافلًا بالحواشي والشروح . ومرّ بنا في اثناء المطالعة مواضع كثيرة تستدعي البحث والاستدراك ، فاحببنا التنبيه على اهمّ ما فيها وفاء بحقوق العلم والنقد ، وفي الصفحة الاخيرة فهرس لاغلاط الطبع يتضمن اربعة منها فقط ، قال : « وهناك هفوات مطبعية لا تخفى على القارئ » وكان الاولى سردها جميعها لخفاء بعضها ، وقد عددنا منها ما يبلغ ١٥ غلطاً من اغلاط الضبط والشكل . وعثرنا على اوهام اخرى نرى من الفائدة الاشارة اليها . وقد قسمنا الكلام على هذا الجزء اجمالًا الى عدة اقسام نذكرها على التوالي :

اغلاط الطبع والسهو

ص.	س	الخطأ	الصواب
٧	١٦	كفٌ بلا زند	كفٌ
٧٤	١٠	وناقد ابريز المنال وزيفهُ	وزيفهِ
٨٠	٢	فاتمًا انساها حتى اماها	.اتمًا كما في الحاشية ١
١٠١	٤	ولستُ من معشر الاباء ولا الفضل اذا ما نصرتَ من خذلك	ولستَ .
١١٧	١٩	فيه اطلاؤه واللزوم	ايطاؤه بالياء
١٢١	١٧	زيارة ما خُصّت بعبّ	زيارة
١٨١	٩	لقد سرتُ فيها سيرة عمرية	سرتَ لقوله قبلًا تداركتَ عمرًا
١٨٥	٣	يوم الزقاق	الزقاق
٢٦٦	٦	تلقى الملامة فيكَ بالاباليا	فيك لقوله في البيت السابق : كم قد ركبتِ اليّ
٢٧٠	١٦	فالقناء بكفه	فالقناة
٢٧٠	١٩	كم جئتُ مادحه فاحسن صنعه رفدي ..	صنعُه بالضم فاعل احسن ورفدي مفعول به
٢٨١	١٦	جنة الخلد	جنة الخلد
٢٨٣	١٧	العبد (حاشية ٣)	العيد بالياء لقوله في المتن وقد صحّف العيد الانام
٢٩١	٧	والمعالي يحلل	خيال بالخاء كما في الحاشية
٣٠	١١	التاني – وفي فهرس الاغلاط التاني – التأى	التأى بالثاء
٣٥١	٩	وايّ ظل	وايّ
٣٥٨	١٥	وقاسوا بك الاشياهُ	الاشياءَ

اغلاط الضبط والشكل

٧٦	٣	نائية الطرح	الطَرْح بالفتح تخفيف الطَرَح اي المكان البعيد أُسكن للضرورة .
٧٦	٢٢	وليست باهلٍ للتاج وللفحّ	وللفَح بتشديد اللام بمعنى اللفاح والتاج .
٧٧	٣	والفاظ شعر ما تنحّلتَ ام درّ	تنحّل ادّعى ونسب لنفسه وهو ضد المراد والصواب تنخّلت بالخاء اي

ص.	س.	حاشية	الخطأ	الصواب
				اخترت .
٩٣	٨		أظنّ طليقاً والفؤاد مُدَلَّه وقيد لما حمّلتنيه من الثقل	الوقيد هو ما توقد به النار والصواب وقيذ بالذال المنقوطة وهو الشديد المرض المشرف على الموت .
١١٢	١	١	وتكاد تعرف في وجوه بنانها نيه الجمال وعزّة المتدلّل	وفي الحاشية« كذا الاصل والضمير يرجع الى القصيدة » وهو وهم غريب لا ندري كيف يصح منه تطبيق هذا البيت على القصيدة ،وانما يرجع الضمير الى الدار التي اشار اليها قبلاً بقوله : ولقد ابان عن المُلى بنيّة وفي عنوان القصيدة انما قيلت في وصف دار الامير نصير الدين جرام بظاهر المحلة . والمتدلل غلط واضح لانه لا عزّة لمن يتذلل ، والصواب المتدالل من الدلال .
١٦٢	١١		اي كأس من الجمال يصدّ الـ كأس عني ويمنع الظلم ظلما	والصواب كاسٍ فاعل من كسا يكسو اي متلبس بالجمال .
١٧٧	١٤		فاستجلها عذراء ايسر خُطبها ما عنّ خطب ان تصدّ وتصدفا	وليس في اللغة خُطب بضم الخاء ، والصواب خَطبها بالفتح اي ايسر شأنها وما يلقاه الخاطب لها ان تصدّه وتعرض عنه .
١٨٥	٣	٣	والليالي شديدة الألحاف	بدلاً من الإلحاف مصدر الحف اي الحّ .
٢٠١	٤		شجاع لا يُبَلّ له طعين	والصواب لا يُبِلّ او يَبِلّ اي لا يبرأ .
٢٠٨	٩		كم احتقبوا من مدحة تنهج الحِقبا	والصواب الحُقبا بضم الحاء بمعنى الدهر والسنين.
٢٢٨	٦		آليت ألفى خاضعاً لمدّحٍ	الاصل ألفى بالمجهول اي حلفت ان لا أوجد خاضعاً لمدّح غيرك .
٢٧٧	١		نشوان من خمر الشباب نِداؤه ما غار من بان المفيق وغاره	والاصل لا شك فَداؤه بفتح الفاء والمعنى ظاهر .
٢٨٠	٦		فكالهائم العطشان حُلّي عن ورد	بضم الحاء المنقوطة ، والصواب حُلِئ بالحاء المهملة والهمزة بآخره اي مُنع وطُرد عن الشرب .

ص	س.	حاشية	الخطأ	الصواب
٢٨٥	١٧		يفرّ الاعادي لينه دون سطوه	بنصب طعمه على المفعولية وضبط كذا الشهد يخفي طعمَهُ سَوْرةُ السمّ سَورةُ بفتح السين وضم التاء على انها فاعل يخفي . ومعنى السورة بالفتح الحدّة ، وهو خلاف مراد الشاعر كما يتبين لاول وهلة . يقول ان ما يظهره الممدوح من اللين والرفق يفرّ اعاديه فيخفى عليهم ما اتصف به من البأس والسطوة كما يُخفي طعمُ الشهد وحلاوتهُ ما كمن فيه من السمّ الزعاف ، ومن ثم يجب ان يُضبط العجز « كذا الشهد يُخفي طعمُهُ سُورةَ السمّ » بضم طعمه على انه فاعل يخفي ونصب سُورة على انها مفعول به وهي البقية والفضلة .
٢٨٦	١٩		ذوو الحسب الوضّاح والانف الشُمّ	بدلًا من الآنف بالمدّ والضم جمع أنف .
٣٠١	٥	٢	ألومًا بعدما قدمت حقود وماتت في القلوب لي الدخول	في الحاشية : « الدخول جمع دَخل وهو ما يداخل القلب من فساد وغيره » . وهذا الجمع لم يَرِد قول به لان فَعل بفتحتين لا يجمع على فعول ، والصواب ذحول بالذال المعجمة بمعنى الثأر والعداوة .
٣٠٩	٣		اذا انموعم الوادي فلا سال مُذنب	بفتح ميم مذنب . والصحة مِذنب بالكسر وهو مسيل الماء والجدول من الروضة .
٣٢٩	١١		عنّف الشوق بالمحبين	والمنقول عُنُف بضم النون .
٣٣٠	١٠		والمولّى من الشباب مولّى	والاصل ، دون ريب ، والمولّي اي ما فات .
٣٣٣	١٠		اي نظم وهبتهُ لذة الـ غمض قوافي من لذة الغمض احلى	والصواب ضم التاء من وهبته لان الساهر على النظم هو الشاعر لا الممدوح ويؤيد ذلك قوله في البيت السابق « لا عدت ساحيتك فادات فكرى » .
٣٣٩	١٩		ويُصيبك جوهره والنَرَنْدُ	والفِرَنْد بكسر الفاء والراء كما

ص . س . حاشية	الخطأ	الصواب
		في معجمات اللغة .
٢٤١ ٣	ونظمتها لجبين الملا	بتاء المخاطب ، والصواب ضمها لانها تاء المتكلم لقوله في البيت السابق « زففتُ اليك بنات النهى » .
٢٤٢ ١٨	وكأن سقي جيشاً كؤوس حمامه دهاقاً واطراف العوالي مجاديح	بنصب اطراف على انها مفعول ثان لسقى وهو غلط ظاهر . وقد اخل بتفسير مجاديح على جهل غالب القراء بها وكثيراً ما يتفق له شرح الجلي الواضح من الفاظ الديوان وإغفال الحوشي الغامض ولو راجع هذه المرة كتب اللغة لوقف على قولها « المجاديح انواء السماء » وتحقق مراد الشاعر ان اطراف الرماح هي الانواء التي تسقي الاعداء كؤوس الحمام فهي مرفوعة على انها مبتدأ وخبره مجاديح .
٢٤٤ ١ ١	فتى عزمه كفُّ الكتيبة خاطباً	وفي الحاشية : « لعلها كفّ » وهو تردّد غريب مع جلاء المعنى ووضوحه بادنى تأمل ، اي ان عزم الممدوح هو كفّ لخطبة الكتيبة وقيادها .
٢٤٥ ١	وكم لي من عذراء اجزلتُ مهرها فلا انا مغبون ولا انت مغصوح	ولا حاجة الى التنبيه على ان الذي يجزل مهر العذراء هو عادةً الممدوح ، فكان يجب ان تروى لفظة اجزلتُ بتاء المخاطب المفتوحة لا بتاء المتكلم المضمومة ، وقد حار الشارح غير مرة بين التائين .
٢٤٥ ٥	فثلك مذدور السماح بحبها وغيري معذول الطاعة منصوح	ولا معنى هنا لنعت « مذدور » والصواب « معذور » بالعين المهملة والذال المنقوطة . ألا يرى الاستاذ حرص الشاعر على مقابلة العذر بالعذل وان اللفظ عنده غالباً هو الذي يقود المعنى ؟
٢٤٧ ١٨	وبأي صبح وعى نجوم رماحه ما ضوّأت وبروقها لم تخطف	بناء تخطف للمجهول والبرق يكون عادة هو الخاطف ، ألا يذكر

ص. س.	حاشية	الخطأ	الصواب
			قول سورة البقرة : «يكاد البرق يخطف ابصارهم » فالصواب لم تخطفِ بالبناء للمعلوم .
٢٥٣	٨	عزم يقصّر عنه المتل والحِيلُ	والمتل هو الخداع وليس هو مراد الشاعر ، والاصل لا شك الحَيْل بالحاء والياء بمعنى القوة .
٢٦٧	٨–٩ ٥	ومن لي لو استطيع الشفاء بما حزبتُ من ثروة وصفد . واني كنتُ وعاش الفقيدْ فخُلِّد لو ان حياً خلد	والبيتان في رثاء ابنه وفي الحاشية : « ولعله يقصد واني كنت فداه اي مت » . ولو كان هذا قصده حقيقة لقال « واني متُّ » وهي اوضح وعلّها في الوزن واحد . وانما عنى لو كان هو الفقيد وعاش ابنه مكانه فيجب ضبط الصدر « واني كنتُ — وعاش الفقيدَ » بنصب الفقيد على انه خبر كنت ، وعاش جملة معترضة .
٢٧١	١٠ ٥	وبتُّ جنيب الحادثات يَقُدْنَني وقد كنت قطّاع الحبائل والشُكْل	وفي الحاشية : « الشُكل جمع شكل » ولا ندري في اي كتاب ورد الشكل بمعنى الشكال . وقد اتفق للشارح غير مرة اثبات ما ليس بثابت في دواوين اللغة من المفردات والجموع وتقدير ما لم ينصّ عليه احد من العلماء من معاني الالفاظ . وانما الشُكل في الحقيقة هو تخفيف الشُكُل بضمتين جمع شكال لما تربط به قوائم الدابة على الاطلاق لا قوائم الناقة وحدها كما في الحاشية .
٢٨٣	٩ ٥	والمَمْ جا فيها من اهلها لِمَم وانت خوذة اهل السهل والجبل	كذا بضبط لِمم بكسر اوله . وهذا الحرف هو جمع لِمّة للشعر المجاوز شحمة الاذن . ومراد الشاعر لَمَم بفتحتين وهو الجنون الخفيف وفسّر الخوذة بالتي يُتّقى بها الرأس من الهلاك وهي لفظة فارسية بمعنى المغفر

ص. س. حاشية	الخطأ	الصواب
		كان في موضعها في الاصل « عوزة » بالزاي فآثر عليها الشارح حدساً وتخميناً خوذة لانه لم يجدها بهذا الرسم في كتب اللغة ، فكيف لم يتنبه الى انها هي «العوذة» بالذال اي الرقية التي يُعوَّذ بها المجنون والمصروع ؟

تحريفات الرواة والناسخ

٧	١٠	٦	فالدوح يرقص والبروق بجوّها مثل الصوارم في الرقاب تشام	وفي الحاشية : «يظهر انه كان من عوائدهم ان تُشهر السيوف في موكب الزفاف» وهو وهم جرّ اليه التحريف، والاصل « في الرقاب تُشام ».
٤١	١٢	٨	وثنى حسودك بالدموع مفصّلا قبل الممات وفي الثياب مكفناً	وفي الحاشية : « التقاب (كذا) الملاك » . واللفظة محرفة والاصل «وفي التباب » بالتاء والباء .
٦٢	٦	٢	غيث جدًا فلا وزى بدر دجى فلا افل	قال : «لعله يريد بالفعل وزى تقبض بمعنى انكمش وتراجع » قلنا وزى في اللغة اجتمع فيكون من ثم قد دعا عليه بعدم الاجتماع والارجح ان اللفظة محرفة عن «ونى» بمعنى فتر وضعف يدعو لغيث جوده باتصال انسكاب وعدم التوقف والضعف .
١١٤	١٣	٥	تتر الهام فيك او نظم الـ حمد فخلْ في نظمها والنثر	والبيت في وصف السيوف القواضب . قال « كذا الاصل ولعله يستعمل خال بمعنى اختال» فيكون من ثم المعنى : « تكبّر وتبختر بمثل هذه الافعال من سيوفك القواضب » ومثل هذا القول والمعنى لا يجيء من ابن الساعاتي وهو قد وصف نفسه بانه « ملك المعاني رقة وتلطفاً »(ص١٢٧) ولا نشك ان هنالك تحريفاً من الناسخ

ص. س	حاشية	الخطأ	الصواب
		ـــ	
١٧٦	٣	٣ ذي السعي تلقاه مسيحاً للملى	وان الاصل «فقُلْ» اي قل ما تشاء في نظم السيوف ونثرها.
			قال: «كذا الاصل ولعله يعني انه يجي الملى كما يجي المسيح الموتى» قلنا مثل هذا التشبيه بعيد جداً عن سجية ابن الساعاتي، ولا ريب ان الاصل «مشيحاً» اسم فاعل من اشاح اي جدّ واجتهد.
٢٢٥	١٠	مهلاً عذولي بمطلوب العزاء له في كل يوم بإضرام الحشا سَجَن	وليس في اللغة سَجَن. وانما هي تحريف شَجَن وهو الهمّ والحزن.
٢٨٢	٣٤	١٤ هو الغيث ما احببتَ سلْهُ تفزْ به وان كنت موموق الغنى سائغ الورد	وفي الاصل «برموق» ظن انه تحريف موموق. والصحيح «مرموق الغنى» اي ظاهر النعمة.
٢٨٥	١٥	٧ هو الجَرَب المرهوب ان حارب المدى بآرائه وهو السلامة في السلم	قال في الحاشية: «لاحظ هنا تكلفه المستقبح تشبيه الممدوح بالجرب لرهبته». قلنا: سرعان ما حكم الاستاذ هذا الحكم الجائر على ابن الساعاتي، وهو ما يشف طبعاً عن سوء اعتقاده في ادبه وذوقه وهل رأى قط شاعراً او متشاعراً تصدّى لمقابلة ممدوحه بمثل هذا التشبيه السمج الشنيع؟ فكيف لم يخامره اقل شك في صحة اللفظة وامكان تحريفها وهو قد اعتاد اذا مرّ به حرف مبهم او معنى غامض ان يكثر من التخريج والتأويل ويردد «لعلّ ولعلّه» حتى في غير مواضع التعليل فكيف قضى هذه المرة قضاء مبرماً وأنى ولع صاحب الديوان بانواع البديع وهوسه الاخرق بتطلب الجناس والطباق والمقابلة في كل شطر من ابياته كلما استطاع اليها سبيلاً؟ وما كدنا نحن نلقي نظرة على العجز الوارد فيه لفظ السلامة حتى

ص. س. حاشية	الخطأ	الصواب
		رجح لدينا انه اراد مقابلتها بلفظ سابق في الصدر يكون بمعنى الملاك ، وهو لفظ المَرَب بالهاء المهملة الذي تمثل للاستاذ في جلد الجرب.
٢٩٥ ١٧	ثوّر الوجدَ غير ثورا وقلّت في يزيدٍ صبابة ان يزيدا	ولا يظهر على هذه الرواية فاعل « يزيدا » . والصحيح « لن تزيدا » اي الصبابة .
٢٠٤ ١١ ٤	وثناء اذاعهُ عرَضَ المـ ـالِ وعِرْض يُزري على المدليّ	قال : لعله يريد باذاعه جعله يفوح « قلنا لم يرد في اللغة فعل اذاع ولا نظن ان الشاعر اراد استعماله بهذه الصيغة والارجح ان الاصل « اباحه » وهو اقرب واشبه بلفظة العرض .
٢٠٧ ٩ ٦	ليس صدق الفعلين سرًّا وجهرًا لك حلو القولين جدًّا وهزلا	وفي الحاشية « كذا البيت » . ولا ريب ان الاصل «لك» بدلاً من «ليس» اي لك صدق الفعلين وحلو القولين .
٤٠٥ ٧	تُنظَم تعويذًا لما سُبَّح الدجى	«ينظم سُبَّح الدجى » والسُبَّح الحرز الاسود شبه به ساعات الليل والتعاويذ لا تخلو من الحرز .

ومما يدخل في هذا الباب ويُستدرك ايضاً على رواية الديوان اثبات البيت الآتي في القصيدة « خليليّ من عليا دمشق سُقيتما » وهو :

وما كل يوم لي بارضك حاجة وما كل يوم لي اليك رسول (ص ٣٧ س ١٣)

وهو ليس لابن الساعاتي استشهد به قديماً بديع الزمان الهمذاني في احدى رسائله (طبعة الجوائب ص ١٣) وهو من قصيدة ليزيد بن المنتشر المعروف بابن الطثرية ساقها ابو تمام في حماسته (٣ : ١٦١ – ١٦٣)

وفي القصيدة « باحت بنجدٍ وهوى غزلانها » (ص ١٣٣) ثلاثة ابيات رويت كما يأتي :

بكى الغمام فشدا قمريّها فرقصت زهوًا قدود باغها
من كل لدنٍ مائس في نوره كالصدة السمراء في سناغها
مسرح اخواني وتنسي حرة مذ خلفت تصبو الى اخواغها

ولا يتبيّن كيف يكون بكاء الفهم وشدو القمري وميسان قدود البان « مسرح اخوانه » ولا شك ان هنالك نقصاً في الرواية . وقد راجعنا هذه القصيدة على ما نقل منها في « عيون التواريخ » لابن شاكر الكتبي فاذا هنالك بيت ناقص يجيء بعد الثاني وهو :

واحزنَ نفسي لفراق وطن من قبل كم اذهب من احزانا

وبه يتضح معنى « مسرح الاخوان » وهو الوطن.

وينتظم في هذا السلك ايضاً إغفال عدة ابيات وردت متفرقة في كتب شتى منسوبة لابن الساعاتي وخلا منها الديوان المطبوع منها اربعة نقلها المقريزي في « الخطط » ، وذكر ان بهاء الدين ابا الحسن علي بن الساعاتي قالها يوم في كسر الخليج ، وهي :

ان يوم الخليج يوم من الحسن بديع المرئيّ والمسموع
كم لديه من ليث غاب صؤول ومهاة مثل الغزال المروع
وعلى السدّ عزّة قبل ان تسلكه ذلة المحب الخضوع
كسروا جسره هناك فحاكى كسر قلب يتلوه فيض دموع

(الخطط ، طبعة النيل ، ٣ : ٢٢٤-٢٢٥)

وروى النويري في « نهاية الارب » خمسة ابيات في الخمر نسبها لابن الساعاتي ولا ذكر لها في احد الجزئين المطبوعين وهي :

وليلة بات بدر التمّ ساقينا يدير في فلكٍ من شرجا شُهُبا
بكر اذا قُرعت بالماء كان بذا جداً وان كان في كاساتها لعبا
حمراء من خجل حتى اذا مُزجت لم تدر ما خجلاً تحمرّ ام غضبا
تريد بالبارد السلسال نجذوتها وما سمت بماء مُحدثٍ لعبا
تكسو الندم اذا ما ذاقها وضحاً حتى كأن شعاع الشمس قد شربا (٤ : ١٢٦)

وفي « الانتصار لواسطة عقد الامصار » لابن دقماق : قال علي بن رستم المعروف بابن الساعاتي :

انظر الى الروضة الغنّاء والنيل واسمع بدائع تشبيهي وتمثيلي
وانظر الى البحر مجموعاً ومفترقاً هناك اشبه شيء بالسراويل
والريح تطويه احياناً وينشره نسيمها بين تقريك وتعديل

وقال:

في روضة المقياس صوفية ... م بغية الخاطر والمنتهى
لهم على البحر اياد علت ... وشيخهم ذاك له المنتهى (ص ١١٦)

وهذه الابيات الخمسة ليست في الديوان المطبوع.

ولابن حجة في كتابه «تأهيل الغريب» المطبوع في ذيل «ثمرات الاوراق» ابيات في الغزل المحتمس اورد في جملتها لابن الساعاتي قوله:

يحوي قوام الرمح وهو مهفهف ... والسيف في وجناته توريد
فكأنما سمر الرماح معاطف ... والهام فوق صدورهن نهود (ص ٣٢٨)

قال ويعجبني قول ابن الساعاتي:

من معشر ويجل قدر علاته ... عن ان يقال لمثله من معشر
بيض الوجوه كأن زرق رماحهم ... مرّ يحل سواد قلب المعشر (ص ٣٧٠)

وهي مما يجب ان تضاف الى ملحق الديوان

وحكى الصفدي في كتابه «تحفة ذوي الالباب» انه لما توفي صلاح الدين الايوبي رثاه ابن الساعاتي بقصيدة طنانة كتبها لابنه العزيز اولها:

لئن كان ليل الحزن عمّت غياهبه ... فقد ناب عن بدر التمام كواكبه

ومنها:

هوى جبل الدين الحنيف وزعزعت ... بريح المنايا العاصفات مناكبه
واغمد سيف الله من كل صادق ... وسيم وكانت محرمات قواضبه
وما ابتسم البرق السماوي بعده ... ولكنه حلت عليه ذوائبه
وما اهتز عطف الدهر الا كآبة ... غداة نوى عنه اخوه وصاحبه

ومنها:

ولم يك فينا يوسف غير يوسف ... لكفّ زمان موبقات مشاغبه
عجبت له لم تثنه سطواته ... ولم تثنه اراؤه وتجاربه
ويتلاه المقدار لا هو دافع ... بوادره عنه ولا ذاك هائبه

(خزانة باريس رقم ٥٨٢٧، ص ١٤٦)

— وليس في الديوان اقل اشارة الى هذه المرثية.

المواضع التي اختلفت رواياتها وعدل عن الصحيح منها

تقدم لنا في نقد الجزء الاول من الديوان ان الاستاذ المقدسي كان، اذا مرّت به روايات مختلفة في النسخ التي بين يديه، يقع اختياره منها احياناً على الضعيف المرجوح، ويطرح الصحيح او الراجح. وقد تكرر منه نظائر هذه الاوهام في بضعة ابيات من هذا الجزء نذكر منها ما يأتي:

ص ٦٢ س ٦ شكرتُ من اخلاقهِ فصدّ عني واعتزل

ومن البديهي ان الصدود لا يكون بعد الشكر. وورد في نسختين في مكان شكرت «شكوت» من الشكوى والتظلم وهو ما اراده الشاعر على شرط ان يُصحّح ايضاً لفظة «اخلاقه» جمع خلق بلفظ «إخلافه» مصدر اخلف اي شكوت من قلة وفائهِ بالوعد

٢٢٩ – ١٤ غشّاها الافكار وهي بعيدة لقد غرّ الا بالقلوب لماها

والبيت في وصف «مهفهفة الاعطاف وَسْنى جفونها» فكيف تكون زيارتها غروراً للقلوب؟ فالرواية الصحيحة هي ما جاء في النسختين الاخريين «لقد عزّ» اي ندر وقلّ فمن الغرور العدول عنها الى «غرّ»

٢٤٣ – ٦ هو المُقفر المغني فعادات جوده ترين وغادات الغوادي مفاضح

وقد اشكل علينا معنى «غادات الغوادي» والغادية في اللغة هي السحابة تنشأ غدوة فكيف تضاف اليها المرأة الناعمة؟ وفي الاصل «عادات الغواني» وهو ما يترجح اثباته مع خفاء الرابط بين الشطرين ولا يمتنع ان تكون الرواية الاصلية «عادات الغوادي» يريد ان جوده اذا امطر كان وقعه جمالاً في حين ان مطر الغوادي يكون احياناً وبالاً وليس في المعنيين على كل حال كبير طائل لحرص الشاعر غالباً على تزويق اللفظ وتزيينه ولو اخلّ بالمعنى.

٢٤٨ – ٦ يا ايها الملك الذي ولّيتهُ قلبي ولاية حاكم متصرف
وجرى سواك من الملوك بلومه فحوّلت عن سبق مكان المنصف

ولا محل هنا للوم في سباق زعم من الملوك للاستيلاء على قلبه وادراكه بالاحسان والانصاف وفي الاصل «يرومه» اي يطلبه وهو المعنى الصحيح الظاهر بادنى روّية ومن الغرابة العدول عنه.

اوهام التأويل والتفسير

في هذا الجزء الثاني ، كما في الاول ، شرح ضافٍ يتناول تفسير الكلمات المفردة ومعاني بعض العبارات والابيات ، على غير افتقارها احياناً الى ايضاح وجلاء لقربها من كل فهم . وربما تكرّر تفسير اللفظة الواحدة عدّة مرار لغير داع . وكان الاولى ترتيب الالفاظ الغامضة في معجم خاص يُلحق بالديوان يرجع اليها القارئ عند الضرورة ، اجتناباً لكل تطويل وإملال . وكأنّ الصناعة غلبت على الشارح ، وهو استاذ الادب في الجامعة — ولكل امرئ من دهره ما تعوّدا — فظنّ ان القراء كالطلبة يحتاجون الى شرح غالب الالفاظ والتبسط في التنبيه على المعاني ، فأرسل نفسه على سجيّتها واكثر من التعليق والتحشية لغير حاجة . وربما اتفق له الاكتفاء بما يحضره من الجواب والمقاربة في توجيه الكلمة وتلخيص المراد بغير تكلف الرجوع الى امهات اللغة والاهتداء بادلّة القرائن ، وفي هذه الطريقة ما لا يخفى من التسامح وقلة الاحتفال بالعلم ، فضلاً عن استغباء القارئ والشكّ في فهمه وذكائه . فلا غرو اذا استرعت النظر واستدعت النقد والجدل ، وقد قيل : من الف فقد استهدف . ولو شئنا تتبع المواضع التي قصّر فيها الشرح او ضلّ ، لامتدّ بنا جدًا نفس الكلام واشتدّ سأم القارئ ، فلا بد من الاجتزاء بما لا يخلو الإلماع اليه والتمثيل به من الفائدة .

(ص ١٨ س ٦ ح ٤) كفَلَ يميل اليه ذو الكِفْل

وفي الحاشية « الكفل الضعف » ، كذا دون ضبط ولا تعيين . وقد يتوهم القارئ ان الضعف ضدّ القوّة . وهو مقتطع بغاية العجلة من قول المعجم : الكِفل الضعف من الاجر والاثم اي مثل مقداره . فايّ معنى ترى يُستخرج من هذا التفسير ؟ وقد فاته ان ذا الكفل هو المشار اليه في سورة « الانبياء » على اختلاف في تعيينه هل هو الياس ام يوشع ام زكرياء . انما ذكره ابن الساعاتي حباً بالجناس بين الكَفَل والكِفل وهو اكثر ما يحوم في شعره على تطلّب مثل هذه الشعوذة اللفظية ، ومراده ان النبي نفسه لو عاين هذا الردف لم يتمالك ان يهم به .

٢٦ — ١١ — ٨ فاذا احتبَتْ خطاؤها في محفل

قال : « احتبى جلس القرفصاء ويقصد هنا تراجعت او قعدت عن الكلام . » ولم ينقل احد ان احتبى هو مرادف قرفص . والاحتباء عندهم ان يشتمل الرجل بثوبه او يجمع بين ظهره وساقه بعمامة ونحوها ، واكثر ما يفعله الخطباء والرؤساء في الاندية اذا ارادوا الكلام او الجلوس للناس . وبمثله مدح ابن الساعاتي القاضي الفاضل وزير صلاح الدين حيث قال :

اذا ما الاجلّ السيد الفاضل احتبى ليوم حباء فالقَ ثملان والسحبا (ص ٢٠٨)

فمن الغريب جدًا بعد ذلك ان يفسّر الاحتباء – وهو فعل الخطباء – بتراجعهم وقعودهم عن الكلام اي بعكس المعنى تمامًا . ومن هذين المثالين المتقدمين تتبين العجلة التي خُطّ بها الشرح احيانًا قبل ان تنضجه نار الروية والتأمل .

(٣٢ – ١٧ – ٧ ثابت الآساس عادي البنا

قال في الحاشية : « لعله نسبته الى عادياء باني الابلق الفرد » ، واعاد هذه النسبة في تعليقه على بيتين آخرين وردت فيها هذه الصفة « عادي البناء » وهما ص ٤٦ س ٣٠ و ص ١٤٠ س ٢ ، ولا ندري كيف صحّ عنده في القياس بناء «عادي » في النسبة الى عادياء ولا افضى البنا يسرّ اختيار هذا الاسم للدلالة على القِدَم ومرّ به بعد ذلك البيت القائل :

ذو المجد الاصمّ والسنا البا دئ الاقدم والمحل التبعي الارفع (ص ٩٢ س ٤)

فعاد الى رشده وقال : « العادي نسبة الى عاد » وسبق له مثل هذا التعريف بعد تردّد وشكّ فيه في شرح بيت متقدم :

لاذوا بعاديّ السيادة لا كمُدانيه نبتوا مع النبل (ص ١٩ س ١٥)

فقال : « لعله لاذوا بذي سيادة قديمة عادية نسبة الى عاد » . فكيف لم يذكر هذين القولين في تعليقه على الابيات الثلاثة المذكورة آنفًا ولم يبادر الى تصحيح غلطه فيها ؟ وفي حواشي الديوان امثال ونظائر لهذا التناقض العجيب .

٦٩ – ٣،٤ – ٢ وبكاء الراووق اذ قهقه الإ بريق من حسن نغمة الاوتار
ساجد للصليب منه وما يعرف دين الصليب والزنار

قال : « لعله يقصد بالصليب هنا الودك او ما يتحلب من الابريق فيكون معنى البيت : ساجد لخمره وليس من اهل الصليب والزنار اي المسيحيين » كذا بالحرف الواحد واعجب ما فيه تفسيره الصليب بالودك اي دسم الشحم واللحم ، وافتراضه سجود الابريق لما يتحلّب منه ، فليفهم من استطاع او شاء . وليته سكت تمامًا عن مثل هذا التأويل السخيف ، وصان قلمه عن خطّ هذا التخليط الذي هو ادعى الى البكاء والقهقهة . وانما الصليب هو رسم النصرانية المعروف وقد نبّهنا في كتابنا « الصليب في الاسلام » على عادة خمّاري النصارى بخط

رسمه بالطين الاحمر على البواطي واواني الخمر والشراب (ص ١٥ و٦٥) وهي العادة التي كانت لم تزل متبعة بدمشق في اوائل هذا القرن بالتصليب على آنية ماء الورد المشهورة عندهم بالألفيّة. والمراد بقهقهة الابريق صوت اندفاق الشراب من فمه حين يخفضه الساقي لاملاء الكأس وهم يكنون احياناً عن هذه الإمالة والانحناء بالركوع، فجعل ابن الساعاتي هذا الركوع سجوداً لصليب الراووق كما يفعل النصارى في الكنائس امام الصلبوت.

١٠٨ – ٦ – ١ فلنا بالهوى حِمام و حِيّ ولنا من ندى يديك معاد

يضبط وحيّ بواو العطف وكسر الحاء من حِيّ بمعنى الحياة ولم يفسّر كيف يكون الهوى قضاء بالموت والحياة في آن واحد. والصواب حِمام وَحِيّ فعيل من الوحى والوحاء بمعنى الاسراع اي قضاء بالموت العَجل السريع.

١١٠ – ١٨ – ٦ فلو انه قصد المخطار لنازح لاصاب عين فصاده في الاكحل

قال في الحاشية: «كذا هذا البيت في الاصل وهو مبهم ولعل الخِطار جمع خَطَر اي السحاب اما الاكحل فعرق في اليد يُفصد ولعل معناه: لو انه قصد السحاب لمن لا ماء عنده لاصاب السحاب في اكحله ففصده فصداً». ولا حاجة الى التنبيه على ما في هذا الهذيان واستعارة الاكحل للسحاب من الغفلة والسخافة. ومن اقصى العجب تفسيره الخطر بالسحاب، وهو زعم لم يخطر قطّ على قلب لغوي فمن اي معدن جاء به؟ والخطب اهون جداً من ان يحتاج فيه الى استنباط او اختلاف، لان الخِطار مصدر خاطر كالرهان زنة ومعنى، ومقصود الشاعر ان الممدوح حديد البصر في القتال لو شاء المراهنة على إصابة نازح بعيد عنه في مقتله اي في الاكحل وهو المعروف بعرق الحياة لفعل ويؤيد هذا الوصف قوله في البيت السابق:

يُفضي الى السرّ الخفيّ فؤاده تحت السوابغ في ظلام الفسطل

١٢٣ – ١٩,١٨ – ٥ وجُلّ ذنبي عند تلك الشِيَع حبّ عتيقٍ والبَطين الاترعِ

قال: «كذا رواية هذا الشطر في الاصل يشير الى حبّه المعنى الكريم والبعيد الغامض على الغير». وهو تمحّل لغوي في تأويل العتيق بالقديم النفيس والبطين بالباطن الغامض، ولو كان هو مراد الشاعر لقال حب العتيق بلام التعريف كما

ادخلها على البطين. ولكن ما يفعل بصفة الانزع وهو في اللغة من انحسر الشعر عن جانبي جبهته ؟ وكيف لم تنبهه هذه اللفظة التي قُرنت بالبطين الى انه قد ضلّ الطريق ؟ وانما العتيق ، كما يعلمه من له مشاركة في التاريخ ، هو لقب ابي بكر اول الخلفاء الراشدين ، والبطين هو علي بن ابي طالب لانه كان معروفاً بعظم البطن وصلع الرأس ، فيكون من ثم مقصود ابن الساعاتي ان يقول انه سنّي وان ذنبه عند الشيعة ولاؤه للامامين المذكورين.

ومن هذا القول يتضح جيداً معنى الابيات الواردة في الصفحة ٣١٩ التي ارتجلها في جدال احد الشيعة في « تأخير الامام » واجابهُ بقوله :

انظن تأخير الامام نقيصة والنقص للاطراف لا الاشراف
زوج البتول ووالد السبطين والفادي النبيّ وبعل عبد مناف

وقد اشكل معناها على الشارح ولم يهتدِ اليه من ذكر البتول والسبطين اي فاطمة زوج علي بن ابي طالب والحسن والحسين ابني بنت الرسول.

٢٣٦-٥-٦ لم تزل في كل حال كفّهُ ضدم المال وللاعداء نبي

قال في الحاشية : « كذا ولعله يقصد تسرّح المال وتأسر الاعداء » . والأسر لا يعبّر عنهُ احد بالبناء . وانما اراد بالبناء مقابلة الهدم الذي كنى به عن الإنفاق لحرصه في معظم شعره على الاستكثار من فنون البديع كالمقابلة والطباق والجناس ، ومراده هنا ان الممدوح يهدم صرح امواله بما يبنيه من الحصون والمعاقل لدفع الاعداء .

٢٦٦-٣-١ ان عاد صبحي وهو ليل دامس فبما صحبت الليل صبحاً سرمدا

قال : « اي ان عاد صبحي ليلاً فلكثرة ما اصابني من الحوادث » وهو خلاف ما اشار اليه في العجز اي ان عاد صباحي اسود بعد فراق الاحبّة فطالما كان ليلي صباحاً بطيب لقائي لهم ونظري الى صباحة وجوههم .

٢٨٢-٥-٦ هو المُنتضي داعيهِ والمُنتضى الشبا وقد عزّ من يُدعى واعوز من يُعدي

وفي الحاشية : « كذا الاصل وانتصى بمعنى طال وارتفع » . وهو ما يدل على ان ضبط المنتضي بالضاد في المتن هو من غلط الطبع وان الصواب المنتصي بالصاد المهملة وتفسيره انتصى بمعنى طال وارتفع هو غلط ثانٍ لان كلا الفعلين

لازم لا يتعدى الى مفعول ثانٍ . والصواب انتصى اختار وروايتهُ المُنتضَى الثانية بالالف المقصورة على انه مفعولٌ هو غلط ثالث بدلًا من المنتضي بالياء بصيغة الفاعل يصف ممدوحه بانه يجيب مختارًا من يدعوه ويستلّ سيفه لنصرة مَن يستمديه .

٣٠٥-٧-٦ قدكَ لا لوم قد عجزتُ عن القو ل وان كنتُ ليس يُفرى فريّ

قال : « كذا الاصل وفي فريّ اضطراب في القافية والمعنى . ولعله يريد به لا احد مثلي » . قلنا ليس هنالك اضطراب وفي اساس البلاغة : « فلان يفري الفري اذا اتى بالعجب » فحقّ القافية ان ترسم فريّ بيائين بالاضافة الى ياء المتكلم اي عجزت عن القول وان كان لا يقدر احد ان يأتي باعجب مما أحسنه من الكلام .

٣٦٦-١١-٧ خلّني الشؤون وشأن إدرارٍ على دار حلت براتبين موظّفِ

قال : « اما لفظة موظّف فهي كذا في كل النسخ ولم نهتدِ الى المراد منها» قلنا هي صفة إدرار اي إدرار معيّن مقدَّر على دار الرقتين.

٣٥٠-٩-٦ لا في النفير اذن ولا في العير ممدود ولا في العقد والحلّ

وفي الحاشية : « قولهم لا في العير ولا في النفير مثل يضرب لمن لا يد لهُ في الامر » والصحيح ان المثل الذي يضرب بهذا المعنى هو قولهم لا ناقة له فيها ولا جمل . واما مثل « لا في العير ولا في النفير » فيضرب لمن لا يصلح لمهمّ وللرجل يُحطّ امره ويصغر قدره وشتان بين المعنيين.

٣٦٦-١-١ حتى صدقني يوم فقدي اخا ك واعقبتَه فأقتَ الأوَد

فسّره بقوله : « حرّ لوعتي على اخيك قوّس ظهري ثم جاءت مصيبتك فقوّمتهُ بحرارتها » ولا نفهم كيف ان حرَّ اللوعة الاولى يقوّس الظهر وحرّ اللوعة الثانية يقوّمه بعد ذلك بل هو اخلق ان يزيده تقوّساً وانحناء . والمعنى الصحيح ، ظاهر بادنى تأمل : ان ميلادك عقب اخيك كان عزاء لي وقواماً لأودي وكبتاً لاعدائي ولذلك اضاف في البيت التالي :

وامتُ ما فاتني منه فنيـك عمات العدى وحياة الحسد

٣٩٦-١-١ أمه من سلالة الزنج والرو مُ بشرها ترضيك اهلًا وسهلًا

قال : يشير هنا الى الدواة ويشبّه صفرتها بالروم وسواد حبرها بالزنج » . وهو تفسير لم يُرزق اقلّ حظ من الروية والتدبّر . والضمير في امه راجع الى القلم الذي نعته قبلًا بقوله :

ناطق وهو اخرس جب المنا لَ جزيلًا ويمنح الفول جزلا

ويعني بأمهِ الدواة . ومن اشد الغرابة ان توصف بالصفرة وقد صرّح في البيت التالي بقوله فيها :

فهي أخت الليل البهيم فقد نقّطها بالنجوم خبلًا ورجلا

اشارة الى انها كانت سوداء كالليل اي من الآبنوس مسقطة بالذهب الذي كنى عنه بالنجوم ولذلك قال انها من سلالة الزنج وقد عدّد المقريزي انواع الدُويّ في الدول المصرية وذكر بينها « المعمولة من الذهب والفضة والصندل والعود والآبنوس الزنجي والعاج . . . (الخطط ٢ : ٢٦٤) والآبنوس الزنجي هو الذي وصفه ابن الساعاتي ولذلك قال ان ام الدواة من سلالة الزنج فكيف تكون الدواة صفراء ؟ اما بنوها اي اقلامها فكانت كسائر الاقلام صفرًا ولذلك جعلها من الروم الذين كانوا يعرفون ببني الاصفر وليس للحبر ذكر في هذا الوصف كما توهم الشارح وهذه الابيات تقدمت على بعض اختلاف في الرواية في الجزء الاول من الديوان (ص ٢٣٠) فلا شك انها كانت مقتضبة من هذه القصيدة وهو ما كان ينبغي ان ينبّه عليه في الحاشية .

وقد ضربنا صفحاً عن كثير من الابيات التي غلب على شرحها الارتباك او الوهم وانما المهم قبل الشرح صحةُ المتن وحسن ضبطه وسلامته من الخلل والتحريف والنقص ، خلافاً للتفسير فانه فضلة او فضول يأخذ منه القارئ اللبيب او يدع ما شاء . وكان احرى بالاستاذ الاقتصار على شرح ما اعتاص فهمه حقيقة ، والتجاوز عن السهل الظاهر منه ، ولو فعل لصان قلمه وعلمه عن شبهات الزلل والتقصير في ما فرط منه سهوًا ، ولاذخر الوقت الذي اضاعه عبثاً في كتابة ما يُستغنى عنه للتوفر على اطالة الروية في شرح الغامض والمبهم من الالفاظ والمعاني التي توقف واحجم عنها حائرًا وَجِلًا وقوف من هابته اللجة فخاض في الساحل . ونحن نعلم ان بين هذه الالفاظ والمعاني المستغلقة ما لا

يضطلع احد بحلّ مشكله واماطة الحجاب عنه وتسديد ما تشوّه باقلام النساخ الا ابن الساعاتي نفسه لمعرفته بما كانت تعنيه هذه التعابير في زمانه اوّ ما اضمر فيها من الخواطر والرموز وقد سبق وحذّر من يأتي بعده من القرّاء والشرّاح ان يضلّوا في مجاهلها حيث قال بلسان العجب والخيلاء :

ان الفاظي التي يشهد الفضل لها انها الكوامل فضلا
ومعانيَ لو يسير اليها الفهم يوماً بغير هادٍ لضلّا

وفي هذا القول عذر كافٍ لكل من تعذّر عليه فهم بعض ابيات الديوان ولم يهتدِ الى حلّ كل الغازه ومعمّياته .

اوهام الاعلام

٣٣ – ٤ « عز الدين موشك » بالشين بدلًا من موسك بالسين المهملة وهو عز الدين بن جكو المتوفى سنة ١١٨٩/٥٨٥ احد امراء صلاح الدين الايوبي وموسك هو تصغير موسى كما قالوا جعفرك في جعفر .

٧٢ – ١٢ – ٥ رمى الله جيش الانكتار بروحه فيكفيه ما فيها من البرد والثقل

قال في الانكتار : « كذا الاصل والملحق » قلنا هذا الاسم عُرف به الانكليز في الحروب الصليبية واول ما سمع لا شك في تعريف ريشار ملك Angleterre والالف فيه ممالة بين الفتحة والكسرة ولذلك كان بعض الكتاب يرسمونه احياناً بالياء اي انكتير كما في كتاب الفتح القسي مثلًا لعماد الدين الاصبهاني وقد رواه ابن الساعاتي مرة بهذا الرسم في ثلاثة ابيات قالها في صلاح الدين اولها :

سلْ عنه قلب الانكتير فان في خفقانه ما شئت من انبائهِ

وفي الحاشية : «الانكتير اي الانكليز ولعل الانكتير والانكتار واحد » فكان الاولى به ان يستدرك تعليقه الاول ويصححه قبل الطبع .

٧٩ – ١٥ – ٣ « شقة الفسطاس » قال : شقة الفسطاس اي بعد مسافة مصر « ولم يذكر ما هو الفسطاس ولا اين ورد تعريفه وما تخال هذه اللفظة الا تحريف « الفسطاط » بمصر وهو الاشبه .

وفي عنوان هذه القصيدة « وكتب اليه يتشوقه ويتشوق دمشق » والضمير في اليه راجع الى ابي الحسن علي بن نظيف الذي قيلت فيه القصيدة السابقة (ص ٧٧) وهو سهو ظاهر والصحيح ان القصيدة المعنونة مع القصيدتين التاليتين: (معاليكَ اعلى ان يحيط بها الوصفُ) و (سَرَت بدر تمّ في سحاب من النقب) هي في ابي اليُمن تاج الدين الكندي لورود ثلاثة ابيات منها صُرّح فيها بكنيته واسمه وهي (يا ابا اليُمن وهل منقبة) و (ابا اليمن جادتك الغوادي وعرّصت) و (تجافت عن الكندي قلت لها حسبي) وقد عاق الشارح على هذا العجز الاخير « الكندي هو الممدوح (حاشية ١) فكيف لم يتنبه الى تصحيح العنوان مع معرفته ان كنية علي بن نظيف هي ابو الحسن وليس ابا اليمن.

٨١ – ١١ لذّ واديها بعيني مثلا شغفاً قلبي المتى شرفاها

كذا شغفاً بالتنوين بدلاً من شغفا شرفاها على لغة « اسرّوا النجوى الذين ظلموا » . وقال في تفسير : « شرفاها اي جبلاها والشرف المكان العالي » . وانما الشرفان هنا من متنزهات دمشق القديمة وهما الشرف القبلي والشرف الاعلى ، وقد ذكرهما ابن الساعاتي مرة اخرى بقوله:

والشرفين والمصلّى وذرى ربوتها والوهد من ميدانها (ص ١٣٤ س ٦)

وفي الحاشية : « ان هذه الاعلام اماكن معروفة بدمشق » فكيف لم يتذكر تفسيرهُ السابق ليصلحه ؟ وقد اتفق له غير مرة شروح مختلفة على اللفظ الواحد.

١٦٩–١٧–٦ واذا ما تلوتُ ايات وجدي ثمّ فاجعل منهنّ للسهم سهما

قال : « لعله يريد بالسهم الاولى ما اصابه من عيون الاحباب » (كذا) واغرب من هذا التفسير قوله في شرح البيت:

فالشرف الاعلى بتيه شرفاً والسهم سهم والهموم مقتل (٣٩٠ س ٥)

« السهم الكوكب المعروف بالرامي » وهو صنيع من يقتصر على تفسير الالفاظ المفردة بنقل ما ورد من معانيها في كتب اللغة ، بقطع النظر عن مناسبتها للمقام او انطباقها على مراد الشاعر . وقد وقع الشارح كثيراً في مثل هذا الذهول ، وليُنظر اي معنى يستخلص من ذكر الكوكب المعروف بالرامي في

جنب الهموم ومقتلها. ولكنه ما عتّم ان احسّ بما في تفسيره من البعد والمجازفة فقال على الاثر : « لعلّه اسم مكان » وقد ذكرنا في نقدنا للجزء الاول من الديوان تخليطه وخبطه في تفسير اسم السهم وان هذا العَلَمْ كان احد متنزهات دمشق القديمة المتصلة بارض الصالحية.

٢٠٠-٥-١ ولي قلب يهيج هواه غيد وقدماً كان يطربه الحيار

وفي الحاشية : «لعله يريد بالحيار جمع حير وهو البستان او الحيرة وهي الارض المخضرة وهو على كل حال غير واضح». قلنا يمتنع في القياس جمع حير او حيرة على حيار فكيف صح عنده هذا التقدير ؟ وانما الحيار صقع من برية قنسرين على يومين من حلب ذكره المتنبي في شعره وبه يتضح المعنى.

٢١١-١-١ «آمد بلدة قرب ديار بكر» وانما هي اليوم مدينة ديار بكر نفسها ولذلك يدعو الاتراك بلدة ديار بكر «قره اميد».

٢٩٤-١٤-٥ صاح لا تبكين زرودَ فما ابعد بعد الفراق منك زرودا

قال : « زرود علَم فتاة ». قلنا : استنوق الجمل. زرود ومال بطريق الحاج من الكوفة بين الثعلبية قدماً والخُزَيمة (معجم البلدان ٢ : ٩٢٨) وفيها قال مهيار :

وانه احنّ الى زرود وطينتي من غير ما جُبلت عليه زرود

واليها اشار صاحب الديوان بقوله فيما بعد :

طلّقتُ عادات الصبب ليلة أنسَت ليالي عالج وزرود (ص ٢٧٧)

٤٠٣-٨ « وقال ايضاً وكتب بها الى صفي الدين بن شَكَر » بفتحتين والصواب شُكْر بضم وسكون ، وهو وزير الملك العادل اخي صلاح الدين الايوبي ولابن عُنين في هجائه :

ضاع شعري وقلّ في الناس قدري من وقوفي باب اللئيم ابن شكر

(فوات الوفيات للكتبي ٢ : ٢٨١)

الالفاظ الدخيلة والمحدثة

كنّا ، في ختام كلامنا على الجزء الاول من هذا الديوان ، علّلنا الامل بان يطرفنا الاستاذ في ختامه بفصل وافٍ يعلّق فيه مما شاء علمه ونظره من التنبيهات والاستدراكات على لغة ابن الساعاتي وما تخلّلها من الاسماء المولّدة والصِيَغ الطارئة على القياس والافعال والمصادر التي نهج فيها منهجاً جديداً وتوسّع في تعديتها وتأويلها ، ليكون القرّاء على بصيرة من امرها وبيّنة من معناها وصحة استعماله او خطاءه فيها. وهي الخدمة التي سبق لمثلها المستشرقون الاعاجم في كل كتاب عربي توآرا طبعه ، واصطلحوا على إلحاقه بفهرس خاص لكل الالفاظ الواردة فيه بمعنى لم يُنبّه عليه في المعجمات العربية . ولا يغبي على احد ما في هذه التنبيهات والشروح من الفوائد والقيود المعينة على جمع تاريخ محيط باللغة في حضارتها وتطوّرها في كل قرن من القرون التي توالت عليها منذ الهجرة ، يستعين به الطالب لتفهّم آثار الشعراء والكتّاب والمؤلفين في عهد الخلافة العباسية في العراق ومصر الى انقراض دولة المماليك . وكل من عانى درس سجلّات هذه الحقبة بين مطبوع ومخطوط يعلم ما يعترض احياناً دون استيضاح بعض الفاظها وتعابيرها من الشبهات والمصاعب ، لاستغلاق مغزاها ومدلولها ، وهي لم ترد في كتاب موضوع لنظائرها واشباهها ، ولا عُني احد من المتقدمين بجمعها وتفسيرها لمن يأتي بعده . واول من تفطن لها حقيقة وتتبع شواهدها في كتابات العصور السابقة وعلّق عليها التعليقات الضافية المستشرق الفرنسي كاترمير في ترجمته تاريخ المماليك وتبعه الهولاندي دوزي فقيّد شواردها وجمع أوابدها في معجم حافل في مجلدين كبيرين دعاه « تكملة المعجمات العربية ». ومع كل ما استقراه واستوعبه منها لا تزال منها بقايا جمّة ودِمَن مبعثرة في مخطوطات الآداب الاسلامية الى قيام دولة الاتراك العثمانيين . فاذا أُريد متابعة التنقيب عنها وتوزّع مشاق استقرائها والاحاطة بها ، لا بد لكل من يتصدى في الشرق لنشر مؤلّف قديم لاحد الكتبة والمؤرخين او ديوان مجهول من دواوين اكابر الشعراء السابقين ، ان يتحرّى كل الالفاظ الطارئة والدخيلة والمولّدة التي تمرّ به اثناء

التمثيل مما خلت منه كتب اللغة ويبذل جهد الطاقة في تفسيرها والوقوف على معناها. فاما اليوم ، وقد اغفل الاستاذ المقدسي هذه الخدمة الجلّى وآثر التوسع في تأويل المعاني حتى في الابيات التي لا غموض فيها ، فحسبنا ان نجتزئ من الكلام على كل ما في ديوان ابن الساعاتي من مواضع النظر والاستدراك بالاشارة الى ستة الفاظ فقط دخيلة او محدثة وردت في اثناء الشعر، لما في التنبيه عليها من الفائدة ، وقد ضرب الشارح عنها صفحاً او لم يهتدِ الى الصواب فيها :

١ بَرْدَدَار

جاءت في البيت المذكور في الجزء الاول :

لا حاب سعياً برددار الدجى لحجبه عنا جنود الصباح (ص ١٠٨ س ١٤)

وهي من الالقاب السابقة لارباب المناصب في الدولة المصرية يكون صاحبها « في خدمة مباشري الديوان في الجملة متحدثاً على اعوانه والمتصرفين فيه . . . واصله « فرددار » بفاء في اوله وهو مركب من لفظين فارسيين احدهما « فردا » ومعناه الستارة والثاني « دار » ومعناه ممسك والمراد « ممسك الستارة » وكأنه في اول الوضع كان يقف بباب الستارة ثم نقل الى الديوان »[1] ، وشاع بعد ذلك استعماله في الاصطلاح بمعنى الحاجب والبواب وربما قيل احياناً « بردار » بدال واحدة تخفيفاً قال ابن النبيه :

انت يا ليل حاجبي فاحجب الصبح وكن انت يا دُجى بردارا

٢ قندس

كتب ابن الساعاتي الى بعض الاكابر وقد ارسل اليه خلعة :

مولاي قد جاءت اليّ الخلعة المقدسه
يصحبها الشربوش سبحان لطيف قندسه (٢ : ٧٢-٢-١)

قال الشارح : « قندس من القندسة وهي خشبة يستعملونها في بناء القناطر فيكون معناه سبحان من رفعه بالقندسة » . قلنا يا سبحان الله كيف يُعقل ان تحمل الخلعة يصحبها الشربوش — وهو قلنسوة طويلة — مرفوعاً بالقندسة اي

١) صبح الاعشى للقلقشندي ٥ : ٤٦٨ - ٤٦٩

بخشبة البنائين ؟ واي معنى لمثل هذا السخف يصلح ان ينظم شعرًا ويسبح الله من اجله ؟ افما كان الاولى الإغضاء عن هذه اللفظة والسكوت عنها كما سُكت عن الفاظ كثيرة في الديوان لم يُرَ لها وجه ولا تفسير ويُترك للقارئ حل مشكلها اذا وجد اليه سبيلًا ؟ والحقيقة ان « قندسه » فعل اشتُق من كلمة « قُندُس » وهو لفظ فارسي يكتب ايضاً بالزاي بآخره اي قندز لكلب الماء اورده غلطاً صاحب محيط المحيط براء بآخره . وكان يُتَّخذ من جلده قدة كالزيق يطوّق بها الشربوش فمعنى قندسته طوّقه بقدّة من جلد القندس . وقد اشار المقريزي الى القندس في صفته للطاقية في دولة المماليك فقال : « وجعلوا من اسفل العصابة المذكورة زيقاً من فرو المقرّض الاسود يقال له القندس في عرض نحو ثمن ذراع »[1] .

٣ طلب واطلاب

وردت لفظة اطلاب جمع طلب في ثلاثة ابيات وهي :

كتائبٌ كُتْبُهُ احيان يرسلها اطلاجا في طلاب الامر اسطار (٢ : ٢٦٢-٦)
قَبْل كتائبه سطور كتابه فكأنما اطلابه اسطاره (٢ : ٢٧٧-١١)
كم اثارت من قسطل فبرى من فوق اطلاجا ترابًا ورملا (٢ : ٢٩٥-١٤)

وفسر فيها الاطلاب بانها جمع طلب اي طالب قال : « ولعله يقصد ان سطور كتبه تطلب الاعداء كالجيوش » ومثل هذا المعنى الغريب لا يخطر في خاطر ابن الساعاتي وقوله جمع طِلب بالكسر غلط آخر . والصواب جمع طُلب بضم الطاء وهي لفظة دخيلة نشأت في دولة الاتراك والاكراد وفسرها المقريزي بقوله : « الطلب بلغة الغُزّ هو الامير المقدم الذي له علَمٌ معقود وبوق مضروب وعدة من مائتي فارس الى مائة فارس الى سبعين فارسًا »[2] . ثم أطلقت على فرقة الجيش ولا سيما في دولة الايوبيين ، ووردت كثيرًا باقلام مؤرخيهم كالكاتب عماد الدين الاصبهاني ، والقاضي بهاء الدين بن شداد . قال عماد الدين : « رتب السلطان ثمانية اطلاب من الابطال وكمّن بتلك الارجاء كماة الرجال

١) الخطط ٣ : ١٦١
٢) « ١ : ١٣١

وانتخب من كل طلب عشرين فارساً»[1] و « عطفت العساكر المنصورة طلّاباً لتلك الاطلاب »[2] ، و « سار السلطان باطلابه وابطاله »[3] وقال بهاء الدين : « كان صلاح الدين اذا اشتد الحرب .. يخرق العساكر من الميمنة الى الميسرة ويرتب الاطلاب »[4] و « كان يجول بفرسه من طلب الى طلب ويحث الناس على الجهاد »[5] واشتق الكتّاب فعلاً من هذه اللفظة فقالوا طلّب اذا رتب الاطلاب ، قال عماد الدين في كلامه على الصليبيين : « رتبوا الرجال وطلّبوا الفرسان»[6] . وقال الصاحب ضياء الدين بن الاثير : « لم يلبث خصومه ان ركبوا وطلّبوا وقصدوه»[7] .

٦ الصفار بمعنى الصفرة في اللون

ورد مضبوطاً بضم الصاد في البيت الآتي في وصف الدينار :

وأخافَ قلب العين حتى شابهُ ذاك الصُفار ليأمنوا ان يُخزَنا (٣ : ٤٦-١٣)

وهو بالضم داء بالبطن كالصفير . واما اذا أُريد به صفرة اللون كما في البيت المذكور فالصاد مفتوحة قياساً على ما جاء على وزن فُعال من الالوان كالبياض والسواد ، وهو بهذا الاستعمال مولّد عامي وقع فيه غير شاعر من المحدثين والمتأخرين كسبط ابن التعاويذي في وصف رقعة صفراء بقلم دقيق قال :

لا تنكرنَّ صفار قرطاسي اذا وافى اليك ورقةً المكتوب(٨)

ولمجير الدين بن تميم في وصف كأس المدام :

وما كان هذا لونها غير انها علاها لطول الانتظار صفار(٩)

---

١) الفتح القدسي ١٨٤
٢) « « ٢٠٢-٢٠٣
٣) « « ٢٥٣
٤) النوادر السلطانية ١٥
٥) « « ١٥٥
٦) الفتح القدسي ٢٠٣
٧) الثاني من ترسله ، في الخزانة الشرقية ٣ : ١٦٢
٨) ديوانه ص٥١
٩) خزانة الادب لابن حجة ٢٥٦

٥ اوّلة بمعنى اولى

وردت لابن الساعاتي في قوله :

فثانية مُرّها ما حلا واوّلة حرّها ما خمد (٣ : ٢٦٦-٦)

وفي الحاشية عليها : « كذا في كل النسخ وهو خلاف القياس واصلها آولة بمعنى سابقة من أول » ولم يذكر اين وجد أولَ بمعنى سبق . ومن الغريب الذي لا يُعقل صدور مثل هذا التسرع والطيش من قلم استاذ الادب في الجامعة ، ولديه امهات اللغة ودواوينها . وقد كان يكفيه ان يفتح اساس البلاغة ليقرأ فيه قول الزمخشري : « تقول جمل اوّل وناقة اوّلة اذا تقدما الابل »[1] ولو بحث ونقّب في كتابات المتقدمين لوجد ان ورود « اوّلة » في مكان « أولى » باقلام بعض الكتاب والمنشئين فضلًا عن الشعراء غير قليل ، ومنه قول القاضي التنوخي في كلامه على الجرايات التي اطلقها الوزير حامد بن العباس على البوابين في داره : « فقال له وكيل الدار : ان الجرايات لما تضاعفت جعلوا الاوّلة لعيادتهم في كل يوم وصاروا يجمعون الثانية عند القصّاب »[2] وقال ايضاً في اخباره عن الوزير ابي الحسن بن الفرات : « وضرب الدهر ضربه وولي الوزارة الاوّلة »[3] ومثله قول هلال الصابئ في حديثه عن مغنّيتين : « اجابت الثانية الاوّلة بجواب في وزن الصوت وقافيته ومعناه »[4] وقال ايضاً في موضع آخر : « يلقاه بعد يوم فيكون حاله معه مثل الحال الاوّلة »[5] ونظيره ايضاً قول ابن القلانسي : « فيها (سنة ٥٣٧) وردت الاخبار بظهور متملك الروم الى الثغور دفعة ثانية بعد اوّلة »[6] ، وممن استعملها كثيرًا أسامة بن منقذ في كتابه « الاعتبار »

---

١) اساس البلاغة ١ : ٣٥

٢) نشوار المحاضرة ١ : ١٥ ومثله ايضاً ص ٤١ و٤٢

٣) نشوار المحاضرة ١ : ٢٨

٤) تاريخ الوزراء ١٩٠

٥) تاريخ الوزراء ٢٧٨

٦) ذيل تاريخ دمشق ٢٧٦

٦ تلاف بمعنى تلف

جاءت هذه اللفظة في مطلع قصيدة في مدح الملك الافضل ابن صلاح الدين الايوبي :

ما على الركب من تلافي تلافي بين تلك النصون والاحقاف (٢:١٨٣-٤)

فعلق عليها الشارح : « اي من نداك قبل ان اتلف وتلاف للتلف ليست في كتب اللغة » (حاشية ٢) وفاته ان يذكر ان تلافي الاولى هي مصدر تلافى اي تدارك وان تلاف بمعنى تلف قد وردت كثيراً باقلام الكتاب والشعراء. كابن عُنَين في خطابه الملك المعظم عيسى ابن الملك العادل ابي بكر بن ايوب :

انظر اليَّ بعين مولًى لم يزل يولي الندى وتلافَ قبل تلافي(١

وجاءت ايضاً في ابيات للقاضي عبد الرحمن بن فرفور الدمشقي منها :

صابرته فالجسم مني لفَّ تجلدا والقلب مني مريض
فاذ ابى الا تلافي وقد احلني منه محل النقيض...
سلّمت للاقدار مسترعاً لباب مولى ذي عطاء عريض(٢

ومن الغريب الذي يجدر التنبيه عليه خاصة ان ابا العلاء المعري ، وما احد يجهل تضلعه من اللغة ورسوخ قدمه فيها ، قد استعمل كثيراً لفظة التلاف في النثر والنظم وأولع بايرادها بعد مصدر تلافى حباً بالجناس كقوله في رسالة الغفران : « لا تلافيَ بُعيد التلاف»(٣) وقوله في كتاب اللزوميات :

وهل ألُمُّ وداداً رُمَّ من شَعَثٍ وقد امحت تلافي في تلافيكا(٤

وله ايضاً :

تلافَ امرك من قبل التلاف به فغاية الناس في دنياهم التلف(٥

وقال ايضاً :

---

١) ثمرات الاوراق لابن حجة ٢٤
٢) نفح الطيب للمقري ١ : ٢٤٤
٣) رسالة الغفران ١٢٢
٤) اللزوميات ١٨٦
٥) اللزوميات ٢٩٠

تواطئت اليهود مع النصارى على قتل المسيح بلا اختلاف
وما اصطلحوا على ترك الدنايا بل اصطلحوا على شرب السلاف
تلافيناهم بالقول فيه فجاءهم التلافي بالتلاف(١)

وهي ترد كثيرًا في كتابات المولدين ويظهر انهم اجروها مجرى الهلاك والدمار والتباب والخسار ، وهي واردة كلها على وزن فعال بمعنى واحد . وقول الشارح « تلافي » اي من نداك قبل ان اتلف » هو تفسير ندر من القلم بغير ادنى روية ، واي محلّ للندى هنا وقد صرّح الشاعر انه يؤثر التلف والهلاك « بين الغصون والاحقاف » كناية عن القامات والارداف.

وفي الديوان عدة افعال ومصادر واسماء وصيغ وجموع انفرد ابن الساعاتي باتخاذها شذوذًا ، او اجراها مجرى القياس وحملها معنى لم ترد به او اخرجها عن مألوف اللغة واحكامها لضرورة في الوزن والقافية ، اشار الشارح قليلًا الى بعضها كالأرن للنشيط (٢ : ٢٢٨—١٠) والصَّيّن (٢ : ٤٧—١٣) وسؤدس فعول من ساس (٢ : ٥٠—١٠) وقضوب بمعنى قاضب اي قاطع (٢ : ١٨١—١) وغوم (٢ : ٢٤—١٨ و٢ : ١١٧—٩) ونتوج (٢ : ٢٨٧—٩) على ان ابن الساعاتي ليس اول من اشتقّ قياسيًا صيغة فعول للمبالغة من افعال لم تنقل فيها او لم تستقصَ وهي كثيرة لغيره من الشعراء والكتاب وفي إقرارها وإحلالها سعة وفائدة في اللغة ، ولكنه احدث معها صيغًا اخرى على غير اساس او مثال سابق كقوله : إباء مستأصر (٢ : ١٦٥ - ١٤) ومنهل مستأسن (٢ : ٢٧١—٨) ومُكبّد من أصيب بكبده بدلًا من مكبود (٢ : ١٢٨—٧) وموطىء زليل اي يُزَلّ فيه (٢ : ٢٩٩—٢٣) وروادف فُعْم كأنها جمع فعماء بمعنى ممتلئة وهي لم تنقل (٢ : ٣٧٩—٧) وليّان اي لين (٢ : ٤٧٩—٨) ومسيوف مفعول من سافَهُ ضربه بالسيف كما قالوا مديون من دان (٢ : ٣١٥—٨)

ومن الافعال التي تستدرك عليه : لهيت بدلًا من لهوت بالواو(١ : ٦٠—١٤) وعلق الحبلَ باسقاط باء الجر (١ : ١٧١—١٠) ونجوتِ من الاشجان قلبًا في مكان نجيتِ او انجيتِ (١ : ١٧٧—١٦) واملتمُ الشوق دمعي بغير على

١) اللزوميات ٢٩٦

(١: ١٨٢—٣) واختلف افتعـل من الخلف (١: ٢٣١—٢) «ولا نَبَتْ مصرُ ركابي عن مصر» في معنى باعد والفعل لازم (١: ٢٨٧—١٣) وشبّه في موضع شبّه بالتشديد (٢: ١٣١—١٤) ورفع السماء المِثْر اي ابلغه (٢: ٣٣٦—٦) واطغوغى افعوعل من الطغيان (٢: ٣٣٣—٣) وتـابقَ العلمَ (٢: ١٣٠—٧) ونائر الخُطى (٢: ١٧٩—١٣) وانصب جعله نصباً والفعل لازم واسمن بمعنى سمّن (٢: ٣٤٧—١٦) ونائل يتثجّج اي يفيض تفعل من ثجّ (٢: ٣٥٦—١٤) ويُبخته اي يسعده من البخت كلمة فارسية بمعنى الحظ (٢: ٣٩٠—٢)

ومن المصادر طعن خلاج (١: ١٥٣—٢) والابتياح من ابتاح وهو غير منقول (١: ٢١٩—٨) والخناعـة بدلاً من الخنوع (٢: ٢٥٨—١٢) وكراهاً في نقيض طوعاً وهو لم يرد في اللغة (٢: ٨١—٢)

وقد سكت الشارح عن كل هذه التجوزات والمخالفات فلم يُشر اليها بحرف واحد .

IBN AL-UKHUWWA: *The ma'ālim al-qurba fi ahkām al-ḥisba*. Edited by REUBEN LEVY. University Press, Cambridge, 1938, pp. 112+247, in 8°.

كتاب معالم القربة في احكام الحسبة

تأليف محمد بن احمد القرشي المعروف بابن الاخوة

عني بنقله وتصحيحه روبن لوي . مطبعة دار الفنون بكمبردج ١٩٣٧

النص العربي ٢٤٧ ص – والنص الانكليزي ١١٢ ص . ق . ٨

ان معلوماتنا قليلة عن شخصية المؤلف وقد توفي سنة ١٣٢٩ م (٧٢٩هـ). وضع هذا الكتاب لمساعدة المحتسب، وهو العميل المعهود اليه في الدولة بأمر مراقبة تطبيق الشرائع والقوانين وذلك في القرون الوسطى وما بعدها الى عهد غير بعيد منا .

واليك شيء من ابحاثه :

في الخمر والآلة المحرّمة (الباب ٣). في الحسبة على اهل الذمة (باب ٤). في الحسبة على اهل الجنائز (باب ٥). ثم يتناول الحسبة على مختلف اصحاب الحرف الغذائية من فرانين وجزارين وطباخين وقلايي سمك وقلايي زلابية وحلوانيين ولبانين وزرابين الخ. (باب ١١ الى ٢٨). والحسبة على مختلف اصحاب الصناعات من حياكين الى حريريين وقطانيين وكتانيين وصبّاغ واساكفة الخ. (من باب ٣٠ الى ٤٠) ثم الحسبة على سماسرة العبيد والجواري والدواب والدور (باب ٤١) وعلى الاطباء (باب ٤٥) ومؤدبي الصبيان (باب ٤٦) الى غير ذلك من مختلف الحرف الحرة والتجار وسائر الاشغال . فلا يترك عملاً الا حدد واجباته ونظامه وما يترتب على المحتسب من مناظرة وتدقيق فيه.

ولا يخفى ما لمثل هذا الكتاب من فوائد شتى للباحث عن الحياة الاجتماعية في الاسلام، وتنظيمها . فجاء احسن دليل واثبت حجة لما كانت عليه العادات والتقاليد في ذاك العهد. وقد نقل الناشر الى الانكليزية أهم ما ورد في تلك التنظيمات وذيل كتابه بفهرست لبعض الالفاظ التي تعسر فهمها . فاستحق الكتاب كل الثناء. وجاء في مكانه من سلسلة المنشورات الشرقية التي قامت بها جامعة كمبريج لاحياء ذكرى الاستاذ جيب الشهير .

Collection of Oriental Writors on Music — IV. Ancient Arabian Musical Instruments. As described by AL-MUFADDAL. IBN SALAMA...*Kitāb al-Malāhī*... Text... edited by JAMES ROBSON, M. A. —Notes by H. G. FARMER, Ph. D., M.A. The Civic Press, LTD. Glasgow 1938 pp. 19 + XXIII pl. in 4°

كتاب الملاهي

تأليف ابي طالب المفضل بن سلمه النحوي اللغوي

هذا الكتاب صوّره على المخطوط الوحيد الموجود في استانبول ، ونشره بصوره الاستاذ جيمس روبسون، مدرّس العربية في جامعة غلاسكو، وترجمه الى اللغة الانكليزية معلقاً عليه شروحات اضيف اليها غيرها من الحواشي المختصة بآلات الطرب بقلم هنري جورج فارمر . وطبعة الكتاب جميلة ممتازة على ورق صقيل بالقطع الكبير. ولم يطبع منه سوى ٢٢٥ نسخة؛ ولوحات الصور عددها ٢٣ تشمل صفحات المخطوط العربي (٤٤) اما ترجمتها بالانكليزية والتعليقات عليها فتستغرق ١٩ صفحة . قابلنا بين الاصل وترجمته فرأينا الامانة والموافقة بين لغة ولغة على صعوبة المشاكل التي تعتور تفسير المتن العربي وهو من القرن السادس عشر (التاسع من الهجرة) اما نسخته فهي جميلة واضحة بيد ياقوت المستعصمي خطاط الخليفة المستعصمي في بغداد، وكان المؤلف ابن سلمة قد تعلم على ابن العربي وثعلب وابن السكيت وكان مذهبه في النحو مذهب اهل الكوفة .

ولما كان الكثيرون من العرب يعتبرون آلات الموسيقى محرمة ، سوى الطبل والطنبورة للحاجة اليها بالحرب، خصّص المؤلف نحو ربع الكتاب لدحض زعمهم. ثم جاء في سياق الكلام على ذكر الآلات الموسيقية المستعملة عند العرب، وقد رأينا ان نذكرها عن الكتاب لما فيها من الافادة اللغوية والفقهية، محرّضين القراء على مراجعة مصادرها في الاصل. واليكها : الطبل ، العود، المعزف ، الطنبور ، المزمار ، القصبة ، الدف ، الكِران ، المزهر ، البرباط ، الموتّر ، المرطبة ، الدّربيج (كالدربكة) ، الونّ ، المشتق ، المزمر، الزمارة ، الناي ، المِران ، القصاب ، اليراع ، الزنبق ، الهنبقة ، الكنارة ، الكبر ، الكوبا ، المعزفة .

وجاء العود في مقدمة آلات الطرب وامهاتها. فروى فيه ابن سلمة حكاية بربرية وحشية تبكي وتدهش كأنه بها يصف وصفاً قصصياً واقعياً العواطف الثائرة في نفوس عشاق فن الغناء بين شفقة وقساوة وسمو وتزهد وقنوت وتشوق وافراح واتراح وحياة وموت قال : (ص١٧ من المخطوط ، لوحة IX)

« ذكر هشام بن الكلبي ان اول من عمل العود فضرب به رجل من بني قابيل ويقال قابين بن آدم يقال له لمك وكان عمر زماناً طويلاً ولم يكن يولد له فتزوج خمسين امرأة وتسرى بابتي سرية فولدت له جاريتان يقال لاحدهما صلاء وللاخرى بم ثم ولد له غلام قبل ان يموت بعشرين سنة واشتد فرحه فلما اتت على الغلام خمس سنين مات فجزع عليه جزعاً شديداً فاخذه فعلقه على شجرة فقال لا تذهب صورته عن عيني حتى يتقطع اشلاء او اموت فجعل لحمه يقع عن عظامه حتى بقيت الفخذ بالساق والقدم والاصابع فاخذ عوداً فشقه ورققه وجعل يؤلف بعضه على بعض فجعل صدره على صورة الفخذ والعنق على صورة الساق والابزيم على قدر القدم والملاوى كالاصابع وعلق عليه اوتاراً كالعروق ثم جعل يضربه ويبكي وينوح حتى عمي فكان اول من ناح وسمي الذي اتخذ عوداً لانه أتخذ من عود ».

ف . ت .

J. Georgescu : *Une enquête sur l'Union des Églises en Roumanie.*, Lyon, 1939 pp. 134 in 8°.

الاستفتاء في قضية اتحاد الكنائس في رومانية

ان السيد جورجسكو الروماني تصدى لرغائب الكثيرين من ابناء بلاده القائلين بواجب التماس الطريق للوحدة الدينية في بلاد رومانية لتعتز بها كما في وحدتها السياسية، ايام نشر هذا الكتاب ، فعرض قضيتها على الرأي العام وخاصةً على الرجالات المفكرين من الكاثوليك والارثوذكس، مستفتياً اياهم في الجواب على اربعة اسئلة يفيدنا الاطلاع عليها ، وعلى بعض الجوابات التي تلتها لما لها من الاهمية لمصلحة النفوس الابدية ، فضلاً عما يجده فيها المفكرون من بلادنا اللبنانية العزيزة ، وبالعموم في كل بلد من بلادنا الشرقية من تشابه

في الاحوال الدينية السياسية بيننا وبين رومانية ، واليك السؤالات :

١ً – الآن وقد تحققت الوحدة السياسية في رومانية أترى هل حان الوقت للتقارب الروحي بين الرومانيين في اعتناقهم ايماناً دينياً واحداً ؟

٢ً – كيف يكون اتجاه هذا التقارب ، في رأيك ؟ وايها الافضل : الاتجاه نحو الشرق اليوناني - السلافي او الاتجاه نحو الغرب اللاتيني ؟

٣ً – ايةً تكون ، في نظرك ، النتائج الدينية والادبية والاجتماعية والثقافية الصادرة عن هذا التقارب ؟

٤ً – اية هي ، في نظرك ، الموانع التي تحول دون ذلك التقارب وبأي وسائط نزيلها ؟

وجاء الجواب بقلم اربعين ممن ارسلت الاسئلة اليهم وكلها تنشد ضالتها الوحيدة وهي واجب اتحاد الجميع في الايمان الواحد واكثرها تدعو الى ذلك الايمان الموروث عن الجدود منذ القدم ، وعليه اتفق الشرق والغرب . وليس الاتحاد برومية والطاعة للاب الاقدس مما يحول دون استقلال البلاد التام .

ف. ت.

RITTER, *Ilahi-Name: die Gespräche des Königs mit seinen Sechs Söhnen*. Eine mystische Dichtung von FARIDDADDIN ATTAR. [*Bibliotheca Islamica. 12*]. HELLMUT, Deutsche morgenländische Gesellschaft. Kommissionsverlag F. A. Brockhaus Leipzig. pp. 439 + 15 + 28, 134 in8°.

آلهى نامه

از كفتار فريد الدين عطار . بتصحيح هـ. ريتر

النشريات الاسلامية الجزء ١٢ استانبول – مطبعة معارف ١٩٤٠ لجمعية المستشرقين الالمانية

هو الشاعر الفارسي الشهير ولد في نيسابور وعاش في القرن السابع الهجري (١٣ م) – اقام ١٣ عاماً في مشهد ، وقضى ٣٩ عاماً في جمع المؤلفات الصوفية شعراً ونثراً . لقب بالعطار لمهنته ببيع العقاقير . له مؤلفات عديدة .

قال عن نفسه انه نظم مـا اناف على المئتي الف بيت شعر . ومن روائع منتوجاته هذه الملحمة الالهية في احد وعشرين نشيداً . وفيها محاورة الملك مع ابنائه الستة. وقد راجعنا في فهرست الكتاب تفاصيل موادها فبدت لنا كموسوعة شعرية فنية ذكرتنا بالياذة هوميروس وشاهنامة الفردوسي . والفضل كل الفضل للعـلامة ريتر في التفتيش عن مخطوطاتها في امهـات المكاتب ، والعناية بالمقابلة بينها ، ونشرها على اساس متين مطلقاً عليهـا في كل صفحة مختلف القراءات مضيفاً اليها الفهارس المتنوعة ، خادمـاً الآداب الشرقية عامة والايرانية خاصة .

ف . ت .

حياة يسوع

للمطران جاورجيوس حكيم

٤٢٠ صفحة ق ١٦ – و١٠٦ صورة بالالوان – من منشورات دار السلام القاهرة ، ١٩٦٧ ، مطبعة حريصا (لبنان) – الثمن ليرة لبنانية

هو الكتاب النفيس الذي وضعه سيـادة المطران جاورجيوس حكيم ، متروبوليت عكا وحيفا والناصرة وسائر الجليل ، مزج فيه الاناجيل الاربعة في انجيل واحد بطريقة تاريخية فنية تسهل مطالعة الاناجيل،وتوضح بأجلى بيان حياة يسوع وتعاليمه وعجائبه حسب زمانها ومكانها .

وهذا الكتاب فتح جديد في اللغـة العربية ومأثرة جميلة قيمة من مآثر المؤلف الجليل . فندعو الجميع الى مطالعته فهي مفيدة ولذيذة وشائقة .

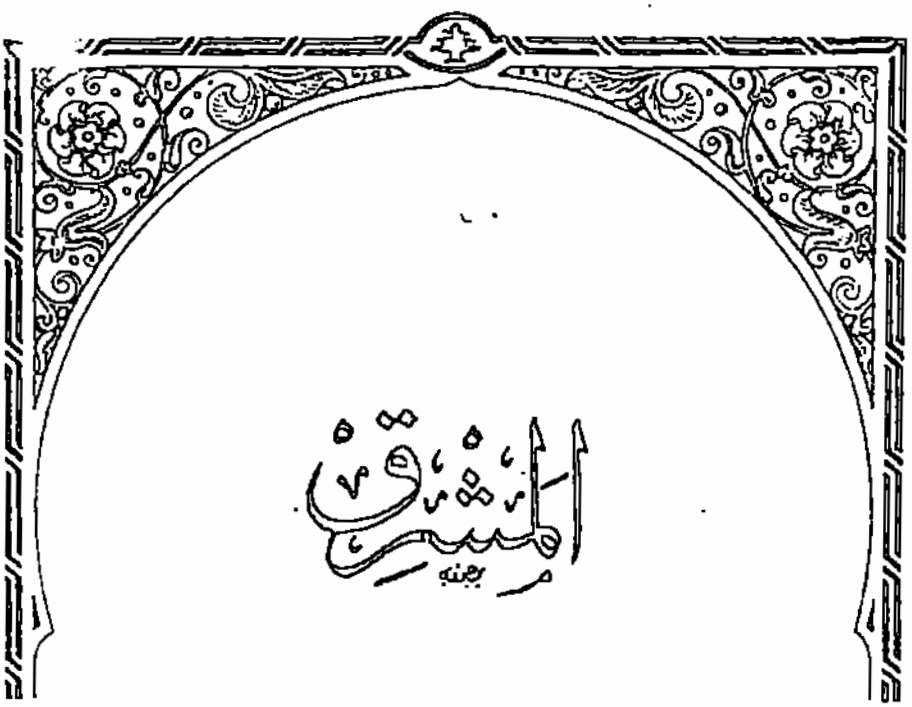

السنة الحادية والاربعون — تموز - ايلول ١٩٤٧

الوراقة والورّاقون

في الاسلام

عرف ابن خلدون الوراقة بقوله : « انها معاناة الكتب بالانتساخ والتجليد » وعرّف الورّاقين انهم « الذين يعانون انتساخ الكتب وتجليدها وتصحيحها »[1] وقال السمعاني : « الورّاق اسم من يكتب المصاحف وكتب الحديث وغيرها وقد يقال لمن يبيع الورق وهو الكاغد ببغداد الورّاق ايضاً »[2] وقد بحثنا كثيراً لنقف على اسماء الكتب المؤلفة في الوراقة ، فلم نظفر الا بكتاب واحد للشيخ عبد الرحمن

١) المقدمة ٣٣٥-٣٣٦

٢) الانساب للسمعاني

ابن احمد بن مسك السخاوي المتوفى سنة ١٠٢٥/١٦١٦ دعاه «تنويق النطاقة في علم الوراقة» وهو كتاب لم يبقَ لنا منه الا عنوانه وتذكاره.

وللجاحظ رسالة في مدح الورّاق واخرى في ذم الورّاقين[1]، كعادته في وصف الاضداد والمراوحة بين الذمّ والمدح تفنناً في الكلام او تماجناً وتطرّباً، كما وصفه المسعودي[2]. وقد فاتنا بضياع هاتين الرسالتين طرائف وفوائد جمة في نعت الوراقة والوراقين في زمانه لا نجد عنها غناء في كلام غيره من الواصفين والمصنفين. وكان يقضي كثيراً من اوقاته في سوق الورّاقين للنظر والمطالعة. وقد سبقه الى مدح الوراقة ابو زيد البلخي وله فيها رسالة اشار اليها ابن النديم[3]، وكتاب كتبه الى ابي بكر بن المستنير عاتباً ومنصفاً في ذمه المطين والورّاقين[4].

وفي تاريخ بغداد للخطيب اشارات الى صناعة التوريق يُدرك منها كيف كانت تمارس ويرتزق بها. «حدّث ابو القاسم بن بنت منيع قال: كنت اورّق فسألت جدي احمد بن منيع ان يمضي معي الى سعيد بن يحيى بن سعيد الاموي يسأله ان يعطيني الجزء الاول من المغازي عن ابيه عن ابن اسحق حتى اورّقه عليه فجاء معي وسأله فاعطاني الجزء الاول فاخذته وطفت به فاول ما بدأت بابي عبدالله بن مفلس وأريته الكتاب واعلمته اني اريد ان اقرأ المغازي على سعيد الاموي فدفع اليّ عشرين ديناراً وقال اكتب لي منه نسخة. ثم طفت به بقية يومي فلم ازل آخذ من عشرين ديناراً الى عشرة دنانير فاكثر واقل الى ان حصل معي في ذلك اليوم مائتا دينار فكتبت نسخاً لاصحابها بشيء يسير من ذلك وقرأتها لهم واستفضلت الباقي[5] وكانت وفاة ابن بنت منيع سنة ٣١٧/٩٢٩.

ومما يدل على رغبة القوم في الاصول الصحيحة وما عليها من السماعات انه

١) ارشاد الاريب ٦: ٧٨
٢) مروج الذهب ٨: ١٨ بهامش الكامل
٣) الفهرست، طبعة مصر، ١٩٩
٤) ارشاد الاريب ٦: ٧٥
٥) تاريخ بغداد ١٠: ١١٣-١١٤

كان عند احمد بن عبد الجبار العطاردي المتوفى سنة ٢٧٢ / ٨٨٥ نسخة من كتاب المغازي ليونس بن بكير « وكان احمد يلعب بالحمام الهدي فسئل ان يقرأ عليه فقال : لنا منذ سمعناه ما نظرت فيه ولكن هو في قماطر فيها كتب فاطلبوه قال : فقمت وطلبته فوجدته وعليه زرق الحمام واذا سماعه مع ابيه بالخط العتيق فسألته ان يدفعه اليّ ويجعل وراقته لي ففعل » .[1]

وربما افاد قوم بالتوريق ثروة طائلة : « حدّث عيسى بن احمد الهمذاني قال: قال لي ابو علي بن شهاب (العكبري) يوماً : أرني خطك فقد ذُكر لي انك سريعُ الكتابة فنظر فيه فلم يُرضِه ثم قال لي : كسبت في الوراقة خمسة وعشرين الف درهم راضيةً وكنت اشتري كاغداً بخمسة دراهم فاكتب فيه ديوان المتنبي في ثلاث ليالٍ وابيّضه بمائتي درهم واقلّه بمائة وخمسين درهماً وكذلك كتب الادب كانت مطلوبة قال الازهري : اخذ السلطان من تركة ابن شهاب ما قدره الف دينار سوى ما خلفه من الكروم والعقار[2] وكانت وفاة ابن شهاب في رجب سنة ٤٢٨/١٠٣٧ .

ومن الورّاقين القضاة الذين تحسّروا على ما فاتهم من ارباح الوراقة ، وتبرّموا بالقضاء ، ابو عبيد علي بن الحسين بن حرب البغدادي الفقيه الشافعي قاضي مصر من اهل المئة الرابعة . قال الذهبي في تاريخ الاسلام (ص ١١٨) قال الفقيه ابو بكر بن الحداد : سمعت ابا عبيد القاضي يقول : ما لي وللقضاء لو اقتصرت على الوراقة ما كان حظي بالردي وكان رزقه في الشهر مئة وعشرين ديناراً[3] .

ومع كل هذا الربح والانتفاع غلب على الشرق والغرب الاسلاميين التأفف والشكوى من الوراقة قالوا : « لكساد سوقها وخلوّ طريقها . »

ولاحد شعراء ادب الكتّاب للصولي

ادمى البكا جفنيَّ والمآقي وكثّلتُ ذا همّ وذا احتراقِ
ما ان ارى في الارض والآفاق ادنى ولا اشقى من الورّاقِ

---

١) تاريخ بغداد ٤: ٢٦٤-٢٦٥

٢) تاريخ بغداد ٧: ٢٢٩-٢٣٠ ؛ والمنتظم لابن الجوزي ٨: ٩٢

٣) كتاب الولاة والقضاة للكندي ٤٤٩

اذا انى في الفُسُص الاخلاق رأيته مُطْترة المشاق
يفرح بالاقلام والاوراق كفرحة الجندي بالارزاق(١)

وفي هذا المعنى لابي حاتم الورّاق من كُشْتَر احدى قرى نيسابور:

ان الوراقة حرفةٌ مذمومةٌ عروضةٌ عيشي بها زَمِنُ
ان عشتُ، عشتُ وليس لي أكل او متُّ، متُّ وليس لي كفنُ(٢)

وردّد مثل هذا الصدى عبدالله بن صارة الشنتريني من شعراء الاندلس، فقال في التبرّم من الوراقة، على بصره الثاقب بها:

اما الوراقة فهي انكد حرفة اوراقها وغاريها الحرمانُ
شبهت صاحبها بصاحب ابرةٍ تكسو العراة وجسمها عريانُ(٣)

وقال احمد بن عبدالله بن حبيب المعروف بابي هفّان: سألت وراقاً عن حاله فقال: عيشي اضيق من محبرة، وجسمي ارق من مسطرة، وجاهي، اوهى من الزجاج، وحظي اشد سواداً من الحفص اذا خلط بالزاج...

ان الوراقة والتفقه والتشاغل بالعلوم
اصل المذلّة والاضاقة والمهانة والهموم

ولآخر:

هربت من الوراقة ملءَ شوطي فردّني الزمان الى الوراقه
وترك المرء حرفته فراراً لامر ليس يدريه حماقه(٤)

ودعا ابو حيان التوحيدي الوراقة «حرفة الشوم» ووصف حالته، فقال: «لقد استولى عليّ الحُرف وتمكن مني نكد الزمان الى الحد الذي لا استرزق مع صحة نقلي وتقييد خطي وتزويق نسخي وسلامته من التصحيف والتحريف بمثل ما يسترزق به البليد الذي يمسخ النسخ ويفسخ الاصل والفرع وقصدت ابن عباد بامل فسيح وصدر رحيب فقدم لي رسائله في ثلاثين مجلدة على ان انسخها له فقلت ان نسخ مثلها يأتي على العمر والبصر... ثم اني قلت لبعض

١) ادب الكتاب ٩٥
٢) معجم البلدان ٤: ٣٧٨
٣) وفيات الاعيان لابن خلكان ١: ٢٢١؛ وقلائد العقيان ٢٦٠
٤) غرر الخصائص الواضحة وغُرر النقائص الفاضحة للوطواط ١٥٩-١٦٠

الناس في الدار مسترسلاً : انما توجهت من العراق الى هذا الباب وزاحمت منتجعي هذا الربيع لاتخلص من حرفة الشوم » . وقال في كتاب اخلاق الوزيرين من تصنيفه : « طلع ابن عباد عليّ يوماً وانا قاعد في كسر ايوان اكتب شيئاً قد كان كادني به فلما ابصرته قمت فصاح بحلق مشقوق : اقعد فالوراقون اخسّ من ان يقوموا لنا ».[1]

وحقّ لابي حيان ، على ما اشتهر به من سعة العلم وبلوغه الغاية من الفصاحة والبلاغة ، مع ما طبع عليه من الولع بالنقد واللذع ، ان يضجّ من نكد الوراقة اذا كانت قاصرة على رزق الكتبة من شق تلك القصبة ، كما قيل في ذم حرفة الادب .

وقد دعا بعض المحدثين طلب الحديث « صنعة المفاليس » في جوابه للمهدي[2] . وكذلك كانت صناعة الوراقة واليها كان يلجأ كل محروم طالب للقوت من النساخ وكل مبذّر مقامر نظير محمد بن سليمان بن قطرمش بن تركان شاه ابي نصر البغدادي المولد السمرقندي الاصل النحوي اللغوي الاديب « خلّف له والده اموالاً كثيرة فضيعها في القمار واللعب بالنرد حتى احتاج الى الوراقة فكان يرتّق بخطه المليح الصحيح » .[3]

ومن دفعته الحاجة الى الارتزاق من الوراقة السريّ الرفاء الشاعر المشهور « عدم القوت فضلاً من غيره فجلس يورق شعره ويبيعه ثم نسخ لغيره بالاجرة وركبه الدين ومات ببغداد على تلك الحال بعيد سنة ٣٦٠هـ[4] . ومن النسّاخ ايضاً المعدمين شيخ الاسكندرية تاج الدين علي بن احمد بن عبدالمحسن الحسيني الفراف » كان يرتّق بالوراقة فاذا حصل قوته لا يتجاوزه .»[5] وكمال الدين ابو علي الحسن المعروف بالقحدوة القرشي الكوفي الناسخ كتب الكثير

---

١) ارشاد الاريب ٥ : ٢٩٣ ، ٢٨٤ ، ٢٩٤

٢) حدث غياث بن ابرهيم قال : قال لي المهدي : ما صنعتك ، قلت : صنعة المفاليس قال : وما صنعة المفاليس ؟ قلت طلب الحديث (تاريخ بغداد ١٢ : ٢٢٤)

٣) بغية الوعاة للسيوطي ، طبعة سنة ١٣٢٦ ، ص ٤٧

٤) تاريخ بغداد ٩ : ١٩٤

٥) شذرات الذهب ٦ : ١١

لنفسه وتوريقاً للناس وقتل سنة ٦٨٩ / ١٢٩٠ . ونظيره محمد بن علي ابو الغنائم النرسي ويعرف بابي الكوفي كان يورق للناس بالاجرة[1] ، ومات سنة ٥١٠/١١١٦ .

واول ما بدأت الوراقة ببيع الاوراق والاقلام وانواع الحبر والمداد وخصوصاً بنسخ المصاحف ثم تناولت كتب الحديث وسائر العلوم الدينية والادبية وللصفدي في مليح وراق :

أحبّ وراقاً رآه عاذلي فقال هذا فتنة العشّاق
ولم يحاول في الغرام شططاً من طلب الوصل من الورّاق[2]

ونظيره قول يوسف بن لولو بدر الدين الدمشقي :

خليليّ جدّ الوجد واتصل الاسى وضاقت على المشتاق في قصده السبلُ
وقد اصبح القلب المعنّى كما ترى معنّى بوراق وما عنده وصلُ[3]

يريد بالوصل الدرج من الكاغد المعروف ايضاً بالفرخة ، ولا يخفى ما في هذه التورية من الحسن

واقدم الورّاقين في ما يظهر مالك بن دينار مولى أسامة بن لؤي بن غالب كان يكتب المصاحف باجرة[4] ، ومات سنة ١٣١ / ٧٤٨ .

وقد خفيت علينا اخبار الوراقة والورّاقين في ايام بني امية ، في جملة ما غاب عنا من اوصاف حضارة ذلك العصر ، الذي غلب عليه في اول عهده . تقليد الاوضاع والسنن الرومية وضاعت كل آثاره وذخائره ، ولم يسلم لنا من كل ما أُلف وقيل فيه الا برض من عدّ من الشعر الذي كان يومئذ بمثابة الجرائد اليوم ، تتمثل فيه اهم الاخبار والحوادث الادبية والسياسية والمعاشية . وغاية ما نعلمه ان ورّاقي الشعراء فيه كانوا الرواة الذين تخصصوا بحفظ قصائدهم وصحبوهم لانشادها احياناً بدلاً منهم في المجالس والمحافل فكانوا كالنسّاخ والنقلة لهم ، حتى اذا صارت الخلافة للعباسيين ، وكثر المصنفون والعلماء

١) تلخيص مجمع الآداب لابن الفوطي ، طبعة الهند ، ١٥٤
٢) تذكرة الصفدي ، دار الكتب المصرية ، (رقم ٤٣٠ ادب) ص ٥
٣) المنهل الصافي ، نسخة مصورة في الجامعة العربية في القدس ، ٨ : ٤٦٤
٤) الاعلاق النفيسة لابن رسته ٢١٦

والشعراء من الموالي والاعاجم خصوصاً واصبح منال الصحف يسيراً بعد شيوع صناعة الورق السمرقندي ، وانتقالها الى بغداد وما عقبها من انحطاط اثمان القراطيس من البردي ، اتسمت الوراقة بما جدّ لديها من المواد والمؤن ، وعمّ النسخ والنقل وجلس بعض العلماء والمؤلفين للاملاء على الوراقين ولذلك دعيت طائفة من هذه المؤلفات باسم « الامالي »

الامالي

الاملاء « هو ان يقعد عالم وحوله تلامذته بالمحابر والقراطيس ، فيتكلم العالم بما فتح الله عليه من العلم ، ويكتبه التلامذة فيصير كتاباً . »[1] واشتهر من هذه المصنفات أمالي ابن دريد ، وامالي ثعلب ، وامالي الزجاج ، وامالي الانباري ، وأمالي القالي ، وامالي ابي العلاء المعري في مئة كرّاسة ولم يتمها[2] ، وأمالي جحظة ، وقد فاتنا بضياعها اشهى اخبار الحضارة العباسية واطيب ملحها وطرائفها لحسن وصف جحظة كل ما مرّ به ويشهده من مجالس الغناء والطرب وفكاهات المنادمة ، كما يدلّ على ذلك ما رواه عنه ابو الفرج في كتاب الاغاني . وقد اشتهر برقة الوصف والتلطف في الغوص على غرائب المعاني حتى قيل فيه :

ورقّ الجوّ حتى قيل هذا عتابٌ بين جحظة والزمان .

واحرج من كان من المؤلفين للاملاء العلماء العميان ، وربما استوعب الاملاء عدة مجالس في عدة سنين . ولابي بكر بن الانباري كتاب المشكل في معاني القرآن املاه سنين كثيرة ولم يتمه[3] . واملى ايضاً اكثر مصنفاته وله غريب الحديث قيل انه خمس واربعون الف ورقة من حفظه[4] . ولابي السعادات ابن الشجري كتاب الامالي ، وهو اكبر تصانيفه وامتها املاه في اربعة وثمانين

---

١) كشف الظنون ، طبعة الاستانة ، ١ : ١٤٧

٢) « « « « ١ : ١٤٨

٣) ارشاد الاريب ٧ : ٧٦

٤) « « ٧ : ٢٥ و٧٤

مجلساً[1] . وربما اختلف لفظ الاملاء بالارتجال ، اذا تكرر القاؤه ، فتختلف لذلك نسخ الكتاب ، مثل كتاب الجمهرة لابن دريد قالوا املاه بفارس واملاه ببغداد من حفظه فزاد ونقص[2] . ولما قعد الفرّاء للاملاء ازدحم الناس على مجالسه وغصت بالقضاة والعلماء . روى ابن خلكان في وصفها عن الخطيب البغدادي فصلاً ممتعاً يُطلّع منه على ماكان يجري وقتئذٍ بين المؤلفين والوراقين وكيف كان الوراقون يختزنون احياناً المؤلفات ويحتكرونها حبًّا بالربح قال :

« ان الفرّاء لما اتصل بالمأمون امره ان يؤلف ما يجمع بـه اصول النحو وما سمع من العربية وامر ان يفرد بحجرة من حجر الدار ووكل به جواري وخدماً يقمن بما يحتاج اليه حتى لا يتعلق قلبه ولا تتشوق نفسه الى شيء حتى انهم كانوا يؤذّنونه باوقات الصلاة وسيّر اليه الورّاقين والزمه الامناء والمنفقين فكان يملي والوراقون يكتبون حتى صنف « الحدود » في سنتين وامر المأمون بكتبه بالخزائن . فبعد ان فرغ من ذلك خرج الى الناس وابتـدأ بكتاب « المعاني » قال الراوي : واردنا ان نعـدّ الناس الذين اجتمعوا لاملاء كتاب المعاني فلم نضبطهم فعددنا القضاة فكانوا ثمانين قاضياً . فلم يزل عليه حتى اتمه . ولما فرغ من كتاب المعاني خزنه الوراقون عن الناس ليكسبوا به وقالوا لا نخرجه الا لمن اراد ان ننسخه له على خمس اوراق بدرهم فشكا الناس الى الفرّاء فدعا الوراقين وقال لهم في ذلك فقالوا انما صحبناك لننتفع بك وكل ما صنفته فليس بالناس اليه حاجة ما بهم الى هذا الكتاب فدعنا نعيش به فقال : قاربوهم تنتفعوا وينتفعوا فأبوا عليه فقال : سأريكم وقـال للناس : اني مُملٍ كتاب معان اتم شرحاً وابسط قولاً من الذي امليت وجلس يملي فاملى «الحد» في مئة ورقة فجاء الوراقون اليه وقالوا : نحن نبلّغ الناس مـا يحبون فنسخوا كل عشر اوراق بدرهم » . (وفيات الاعيان ٢ : ٣٠١–٣٠٢)

ومن هذا الخبر الطريف يستدل على ان الوراقة في عهد العباسيين كانت تشبه الوراقة الآن وان اسواق الكتب كاسواق اليوم خلا ان النسخ كان يقوم مقام الطباعة ، واطماع التجارة في كل حال واحدة في كل عصر ومصر .

١) ارشاد الاريب ٧ : ٢٤٧ – ٢٤٨

٢) الفهرست ٦١

مجالس الاملاء والمستملون

كان الاملاء في اول امره لا يتجاوز منزل المحدث او المؤلف، ثم ازدادت الرغبة في السماع والكتابة فضاقت المنازل عن استيعاب الجموع فانتشروا حولها في ما جاور من الازقة والاحياء « وكان ابن الجمالي يملي بمجلسه فتمتلي السكة التي يملي فيها والطريق »[1] وغصت الدور والافنية ايضاً بالمستمعين، فانتقلت مجالس الاملاء الى الشوارع والرحاب . « ولما ورد جعفر الفريابي الى بغداد استُقبل بالطيارات والزبازب ووعد الناس الى شارع المنار ليسمعوا منه فحزر من حضر مجلسه لسماع الحديث فقيل نحو ثلاثين الفاً »[2] وكانت وفاته سنة ٣٠١ / ٩١٣

واكثر ما كانت هذه المجالس الجامعة لاملاء الحديث وربما بلغ عدد الحضور نيفاً ومئة الف كما سيجيء. فكان لا بد لاسماع هذا الحشد العظيم من منادين يتلقون الفاظ المحدث وينقلونها الى الملإ كالصدى ويقال لهم « المستملون » . ويختلف عددهم بحسب ازدياد المستمعين وانتشار الحلقات وبعد المسافات وكان للقاضي المحاملي « اربعة مستملين قال يوسف بن عمر القواس : حضرت مجلسه وكان له اربعة مستملين يستملون عليه وكنت لا اكتب في مجالس الاملاء الا ما اسمعه من لفظ المحدث فقمت قائماً لاني كنت بعيداً عن المحاملي بحيث لا اسمع لفظه فلما رآني الناس افرجوا لي واجازوني حتى جلست مع المحاملي على السرير[3] .

وفي سنة ٢٩٢/٩٠٥ مات ابرهيم بن عبدالله بن المهاجر، ابو مسلم البصري المعروف بالكجيّ وهو الذي مدحه البحتري بقوله :

هل تبدينَّ لي الايام عارفة لدى ابي مسلم الكجيّ او اسد

قال ابو بكر احمد بن جعفر بن مسلم : « لما قدم علينا ابو مسلم الكجي املى الحديث في رحبة عنان وكان في مجلسه سبعة مستملين يبلّغ كل

١) تاريخ بغداد ٣ : ٢٨

٢) المنتظم لابن الجوزي ٦ : ١٢٤

٣) تاريخ بغداد ١٦ : ٢٢٦

واحد منهم صاحبه الذي يليه وكتب الناس عنه قياماً بايديهم المحابر ثم مُسحت الرحبة وحسب من حضر بمحبرة فبلغ ذلك نيفاً واربعين الف محبرة سوى النظارة[1] وقد بالغوا احياناً في عدد المستملين حتى زعموا انهم كانوا في مجلس الفريابي ثلاثمائة وستة عشر[2] والمستمعون لهم ثلاثين الفاً فقط.

وممن حُزر مجلسه باكثر من مئة الف انسان ابو الحسن عاصم بن علي الواسطي، حدّث في بغداد، في مسجد الرصافة، كان يستملي عليه هرون الديك وهرون مكحلة... «قال عمرو بن حفص: وجّه المعتصم من يحزر مجلس عاصم بن علي في رحبة النخل التي في جامع الرصافة وكان عاصم بن علي يجلس على سطح المسقطات (المسقفات؟) وينتشر الناس في الرحبة وما يليها فيعظم الجمع جداً حتى سمعته يقول: «حدثنا الليث بن سعد» ويُستعاد فاعاد اربع عشرة مرة والناس لا يسمعون وكان هرون المستملي يركب نخلة معوجة ويستملي عليها فبلغ المعتصم كثرة الجمع فامر بحزرهم فوجه بقطاعي الغنم فحزروا المجلس عشرين ومئة الف»[3]

وربما حضر الخليفة نفسه احد هذه المجالس وراء ستر. وكان لسليمان بن حرب الواشجي البصري مجلس عند قصر المأمون «فبني له شبه منبر فصعد سليمان وحضر حوله جماعة من القواد وعليهم السواد والمأمون فوق قصره قد فتح باب القصر وقد أرسل ستر يشف وهو خلفه يكتب ما يُملي فسئل اول شيء «حديث حوشب بن عقل» فلعله قد قال: «حدثنا حوشب بن عقل» اكثر من عشر مرات وهم يقولون: لا نسمع حتى قالوا: ليس الرأي الا ان يحضر هرون المستملي فذهب جماعة فاحضروه» وكان صوته كالرعد فسكت المستملون كلهم واستملى هرون[4].

وهرون هذا هو في الارجح هرون بن سفيان بن راشد ابو سفيان المستملي المعروف بمكحلة[5]، وقد تقدم ذكره.

---

١) تاريخ بغداد ٦ : ١٢١ – ٢٢.
٢) المنتظم لابن الجوزي ٦ : ١٢٤
٣) تاريخ بغداد ١٣ : ٢٤٨
٤) « « ٩ : ٢٢
٥) « « ١٤ : ٢٤

وكان المستملون يقومون ايضاً بين ايدي القضاة في الجامع اذا احتاجوا الى المناداة بذنوب المتهمين في دينهم واستتابتهم . قال محمد بن عبد الرحمن الصيرفي « شهدت مسجد الجامع بالرصافة وقد اجتمع الناس وجلس قتيبة بن زياد للناس وأقيم بشر على صندوق من صناديق المصاحف عند باب الخدم وقام المستملیان ابو مسلم عبد الرحمن بن يونس مستملي ابن عيينة وهرون بن موسى مستملي يزيد بن هرون يذكران ان امير المؤمنين ابرهيم بن المهدي . امر قاضيه قتيبة بن زياد ان يستتيب بشر بن غياث المريسي من اشياء عددها فيها ذكر القرآن وغيره وانه تائب » .[1]

وكان في الاندلس امثال هذه المجالس الشرقية للاملاء. قال ابن بسام الشنتريني « اهل هذا الافق (الاندلس) ابوا الا متابعة اهل الشرق يرجعون الى اخبارهم المعتادة رجوع الحديث الى قتادة حتى لو نعق بتلك الآفاق غراب او طنّ باقصى الشام والعراق ذباب لجّوا على هذا صَنَماً وتلوا ذلك كتاباً محكماً[2]: ومن مقلديهم الفقيه ابو مروان عبد الملك الطبني رحل الى المشرق «ولما رجع الى قرطبة وجلس ليري ما احتقبه من العلوم اجتمع اليه في المجلس خلق عظيم فلما رأى تلك الكثرة وماله عندهم من الاثرة قال :

اني اذا حضرتني الف عجرة يكتبن حدثني طوراً واخبرني
نادت بعتوني الاقلام معلنة هذي المفاخر لا قبان من لبن[3]

وقد تقدم من خبر القراء ان الاملاء لم يكن مقتصراً على الحديث ، بل يتناول اصناف العلوم الدينية واللسانية . وقد حفظ لنا اسم مستملي يعقوب بن السكيت صاحب كتاب اصلاح المنطق وهو عبدالله بن محمد بن رستم ابو محمد اللغوي[4].

---

١) تاريخ بغداد ١٤ : ٢٦٤

٢) الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة ١ : ٢

٣) مطمح الانفس لابن خاقان ٥٠

٤) انباه الرواة القفطي ، دار الكتب المصرية (رقم ٢٥٧٩ تاريخ) المجلد ٤ ، الجزء ٤ ، ص ٢٩٤

اجرة النسخ

كانت اجرة النسخ تغلو وترخص وتختلف باختلاف الاقلام وحسنها وصحة النقل والضبط، وتزيد او تنقص بنسبة تغير قيم النقود وصرف الدنانير بالدراهم وربما غلت ايضاً بحسب سرعة النسخ او بطئه . ولما اراد الشافعي تحصيل كتب محمد بن الحسن جلس وجه قال : جئت الى منزلي ووجهت الى كاتبه بمئة دينار وقلت اجمع الوراقين الليلة على كتب محمد بن الحسن وانسخها لي فكتبت لي ووجه بها الي[1] . وربما اضطر الوراقون الى المبيت في منازل المؤلفين لتعجيل النسخ . ونُقل عن يعقوب بن شيبة السدوسي انه صنف مسندا وكان في منزله اربعون حافاً لمن يبيت عنده من الوراقين لتبييض المسند ونقله ولزمه على ما خرج من المسند عشرة آلاف دينار[2] . فكم كانت اوراق هذا المسند ؟ وكم كانت اجرة النسخ وقتئذ حتى اقتضت مثل هذا المبلغ الطائل ؟

ومرَّ بنا آنفاً في خبر الفراء ان اجرة خمس ورقات درهماً واحداً كانت تعدّ غالية في عهد المأمون . ولذلك اضطر الوراقون الى اضعاف الاوراق فنسخوا العشرة منها بدرهم واحد . وفي اواخر القرن الرابع للهجرة كان القاضي ابو سعيد السيرافي النحوي « لا يخرج الى مجلس الحكم ولا الى مجلس التدريس حتى ينسخ عشر ورقات يأخذ اجرتها عشرة دراهم تكون بقدر مؤونته ثم يخرج الى مجلسه[3] وكانت وفاته سنة ٣٦٨/٩٧٨ اي بعد موت الفراء بمئة واحدى وستين سنة ، ولم يكن الدينار في ايامه قد انحطت قيمته حتى بلغ صرفه دراهم اضعاف ما كان في ايام الفراء . ولا ريب انه كان يشتط في اجرة نسخه لمعرفته رغبة الناس في خطه وضبطه . وقد اتهمه بعض جلة الوراقين ببغداد بحبه الربح من غير وجهه اي بطريق الغش ، وزعموا انه كان « اذا اراد بيع كتاب استكتبه بعض تلامذته حرصاً على الطمع منه . . .

---

١) ارشاد الاريب ٦ : ٢٧٢

٢) تاريخ بغداد ١٤ : ٢٨١

٣) ارشاد الاريب ٣ : ٨٥

وكتب في آخره وان لم ينظر في حرف منه : « قال الحسن بن عبدالله : قد قرئ هذا الكتاب وصح » ليشترى باكثر من ثمن مثله»[1]. واذا كان هذا الذي عُرف به حقًّا، كان ابو الفرج الاصبهاني في سعة من العذر حين قال في هجائه :

لعن الله كل علم وغور وعروض يجيء من سيراف[1]

وفي النصف الثاني من القرن الثالث كانت اجرة النسخ قد بلغت ضعف ما كانت في ايام الفراء. قال ابو عبيد الله اليزيدي : كان ابو العباس الاحول (محمد بن الحسن بن دينار) يكتب لي مئة ورقة بعشرين درهماً[2]. ثم ارتفعت في اواخر القرن التالي الى دينارين اي نحو ثلاثين درهماً . ومن الوراقين المشهورين وقتئذ الكاتب ابو محمد عبيدالله بن ابي الجوع ، اثنى عليه ابن خلكان وقال : « كان شاعراً حلواً مقبولاً ونسخه في غاية الجودة وكان ينسخ كل خمسين ورقة بدينار وخطه مرغوب فيه »[3] . ولم يمرّ بنا في ما وفّقنا لمطالعته اقل اشارة الى اجور النسخ في العصور الاخيرة حتى سقوط الخلافة العباسية في القاهرة.

ومن الوراقين الذين كانوا يعيشون خصوصاً من النسخ وكسب ايديهم علي بن عبدالله ابو القاسم العلوي المعروف بابن الشبيه[4] ، ومحمد بن عبدالله الكرماني اللغوي كان يورّق بالاجرة ويرغب الناس في خطه[5] ، ومحمد بن احمد ابن عبد الباقي المعروف بابن الخاضبة الحافظ العام قال : كنت اورّق للناس واتفق على الاهل[6] ، ومحمد بن سليمان البغدادي النحوي اللغوي خلف له والده اموالاً كثيرة فضيّعها في القمار واللعب بالنرد حتى احتاج الى الوراقة ، فكان يورق بالاجرة بخطه المليح الصحيح المعتبر فكتب كثيراً من الكتب[7].

---

١) ارشاد الاريب ٣ : ١٠٥
٢) ارشاد الاريب ٦ : ٤٨٣
٣) وفيات الاعيان ، طبعة باريس ، ٧٢٦
٤) ارشاد الاريب ٥ : ٢٢٠
٥) الفهرست ١١٨
٦) ارشاد الاريب ٦ : ٢٢٦
٧) « « ٧ : ١٤٠

حسن الخط والضبط

كان لا بد لكل وراق لادراك النجاح في حرفته من جودة الخط والضبط في النقل والحذق والتزويق والتذهيب في كتابة المصاحف . واشتهر كثير من الوراقين بهذه الاوصاف كابي موسى الحامض كان معروفاً « بصحة الخط وحسن المذهب في الضبط »[1] ، ومحمد بن عبدالله الكرماني كان « مضطلعاً بعلم اللغة والنحو مليح الخط صحيح النقل »[2] ، واحمد بن محمد القرشي شهد ابن عساكر انه « صاحب الخط الحسن المشهور »[3] ، وابي محمد عبيدالله بن ابي الجوع الذي اثنى عليه ابن خلكان آنفاً وقال ان نسخه كان في غاية الجودة وخطه مرغوب فيه ؛ وكالسراج الوراق الطائر الصيت فان خطه « كان في غاية الحسن والقوة والاصالة »[4] ؛ وعلي بن احمد بن ابي دجانة المصري ابي الحسن « كان جيد الخط كثير الضبط الا انه مع ذلك لا يخلو خطه من السقط وان قل وهو من اهل مصر ومقامه ببغداد وبها كتب ونسخ الكثير »[5] ؛ والمحسن بن الحسين العبسي يعرف بابن كوجك وخطه مرغوب فيه يشبه خط الطبري »[6] .

ومن الوراقين الوافدين على الاندلس ظفر البغدادي سكن قرطبة ، وكان من رؤساء الوراقين المعروفين بالضبط وحسن الخط كعباس بن عمر الصقلي ويوسف البلوطي وطبقتهما[7] ، واشتهر بالخط المليح الرائق والضبط المتقن الفائق احمد بن محمد بن الحسن الخلال الاديب[8] .

---

١) الفهرست ١١٧
٢) « ١١٨
٣) ارشاد الاريب ٢ : ٧٨
٤) فوات الوفيات لابن شاكر ٢ : ٢٥
٥) ارشاد الاريب ٥ : ٨١
٦) « « ٦ : ٢٤٦
٧) نفح الطيب للمقري ٢ : ١٠٢
٨) ارشاد الاريب ٢ : ٨٨

ولبغداد شهرة بخطاطيها ووراقيها . ولذلك قال ابو مطهر الازدي في مناظرة اهل اصبهان : « هل ارى عندكم من ارباب الصناعات مثل من ارى ببغداد من الوراقين والخطاطين»[1].

الخط الوراقي

كان للوراقين لا محالة اقلام مختلفة حسب اختلاف المطلوب منهم ، ولكنهم اختصوا بنوع من الخط كان يعرف بالوراقي والمحقق والعراقي ، كما نبه عليه ابن النديم[2] ، ولم نقف على وصف له ، ويغلب على الظن انه كان بالقلم الجليل لا تساع رقعته وجلاء صفحاته وزيادة ما يقتضيه من الصحف ، وفي تعددها زيادة اجورهم واثمانهم ، وفي عكس ذلك كان للمحدثين قلم مختزل رقيق الحروف متراص تسهل معه مقاربة ما بين السطور وتوفير الورق والرق لغلائها في كل وقت ، وكان يسمى لذلك بالمقرمط وقد كتب به مرة الخليفة المعتز بالله فقال له علي بن حرب الطائي : اخذت يا امير المؤمنين في شؤم اصحاب الحديث فضحك المعتز[3]

ومن اوضح الشواهد على ما كان احياناً من الفروق بين خط الوراقين وخطوط المصنفين والعلماء ما ذكره ابن عساكر في ترجمة الحسين بن احمد النيسابوري الحافظ قال : افنى عمره في جمع المسند الكبير . . . وقع في خطه في الف وثلاثمائة جزء ولقد قلت على التحقيق انه يقع في خطوط الوراقين في اكثر من ثلاثة آلاف جزء . . . وكان مسند ابي بكر الصديق (رضه) بخط المترجم في بضعة عشر جزءا بعلله وشواهده . وكتبه الوراقون في نيف وستين جزءا[4]

---

١) حكاية ابي القاسم البغدادي ٢٤

٢) الفهرست ١٢

٣) تاريخ بغداد للخطيب ١١ : ٤١٩

٤) تهذيب ابن عساكر ٤ : ٣٥٢

وراقة المصاحف

اقتصر قوم من اشغال الوراقة على كتابة المصاحف . واول من كتبها في الصدر الاول من الموصوفين بحسن الخط خالد بن ابي الهياج كان مختصاً بكتابة المصاحف والشعر والاخبار للوليد بن عبد الملك . وكتب لعمر بن عبد العزيز مصحفاً تنوق فيه فاقبل عمر يقلبه ويستحسنه واستكثر ثمنه فرده عليه[1] . وفي ضدّ ذلك كتب شرف الدين المعروف بابن الوحيد صاحب الخط الفائق ختمة لبيبرس الجاشنكير في سبعة اجزاء بليقة ذهبية فاعطاه بيبرس رسم الليقة لا غير الف وستمائة دينار وقيل الف واربعمائة[2] .

وعدّ ابن النديم كتاب المصاحف وبدأ منهم بخشناء البصري ومهدي الكوفي في ايام الرشيد ، وحكى ان خشنام كانت آلاته ذراعاً مشقاً بالقلم وسرد على الاثر اسماء الوراقين الذين يكتبون المصاحف بالخط المحقق والمشق وما شاكل ذلك[3] .

وقد سار في الآفاق ذكر خطوط ابن مقلة وابن البواب وياقوت المستعصمي وغيرهم من المجيدين الذين بلغوا الغاية في الاتقان والابداع .

وفي كتاب الفهرست اسماء بعض المذهبين والمجلدين المصاحف وكان بعضهم في زمان ابن النديم[4] ، وذكر السمعاني ابا اسحق ابرهيم السلمي وانه كان وراق المصاحف[5] .

---

١) الفهرست ١٠
٢) المنهل الصافي ٦ : ١٦٧
٣) الفهرست ١٠
٤) « ١٤
٥) الانساب ٥٨٠

الوراقون المحدثون

كانوا هم الفئة الغالبة لاقبال الناس عموماً على السماع والحفظ . وقد اقتصر السمعاني على سياقة بعض مشاهيرهم وتعيين بعض وفياتهم ، وملأ الخطيب كتابه تاريخ بغداد بتعداد من عرف منهم ، وبعد ان قضينا الايام والليالي في جمع اسمائهم واخبارهم ، رأينا العدول عن نقلها تجنباً للتطويل والملل . ولم ينس الخطيب التنبيه على بعض المخلطين منهم نظير ابن الخفاف محمد بن الحسين بن ابي بكر قال : « غير ثقة لا اشك انه كان يركب الاحاديث ويضعها على من يرويها عنه ويختلق اسماء وانساباً عجيبة لقوم حدث عنهم وعندي منه من تلك الاباطيل اشياء . . . قال لي ابن الخفاف : احترق مرة سوق باب الطاق فاحترق من كتبي الف وثمانون منًا كلها سماعي[1] » وقد اعترف مرة البغداديين بقلة التخليط والكذب فقال : « اما اهل الكوفة واهل خراسان ايضاً فلهم من الاحاديث الموضوعة والاسانيد المصنوعة نسخ كثيرة وقلما يوجد بحمد الله في محدثي بغداد ما يوجد في غيرهم من الاشتهار بوضع الحديث والكذب في الرواية[2] .

الوراقون الرواة والاخباريون

ذكر ابن النديم ان عبدالله بن ابي سعد كان اخبارياً نسابة راوية للشعر وله من الكتب : كتاب العربية ، وكتاب الايمان والدعاء والدواهي ، وكتاب المدينة واخبارها ، وكتاب الشعراء ، وكتاب الالقاب[3] . وفي الاصل المطبوع ان اسمه ابن ابي سعيد ، والصواب سعد كما في الاغاني (١ : ٩٦ و٩٨) وفي ارشاد الاريب (٢ : ٣٨ ، و٥ : ١٨٨) وهو احد الوراقين المعروفين بالادب وسعة الحفظ والرواية الذي نقل عنهم ابو الفرج الاصبهاني بعض احاديثه

---

١) تاريخ بغداد ٣ : ٢٥٠

٢) تاريخ بغداد ١ : ٤٤

٣) الفهرست ١٥٨

ومسموعاته وملأ بها كتابه علماً وظرفاً . ومنهم ايضاً الفضل بن العباس[1] ، وعيسى بن يحيى[2] ، وابو محذورة[3] ، وغانم الوراق[4] ، وعلان الشعوبي[5] ، وعثمان الوراق[6] ، وعلي بن الحسين بن عبدالسميع المروزي[7] ، ومطير الوراق[8] ، وعبدالله بن عمر[9] ، وابرهيم بن محمد[10] ، وابن ابي المدور[11] ، ومن اكثرهم ذكراً واوسعهم حفظاً ورواية عيسى بن الحسين عددنا له ٣٨ رواية وحديثاً ، ولم نتقص في التتبع والاستيفاء .

ومن الرواة الذين اسند اليهم المسعودي بعض اخباره ، ابو الحسن محمد ابن علي الوراق الانطاكي المعروف بابن الفتوي الفقيه ، اجتمع به في انطاكية وانشده شعراً لعلي بن محمد بن بسام[12] .

الوراقون العلماء والنحاة والادباء

اشتهر منهم علي بن عيسى بن علي بن عبدالله الرماني ابو الحسن ، كان اماماً في العربية علامة في الادب ، في طبقة ابي علي الفارسي وابي سعيد السيرافي . اطنب ابو حيان التوحيدي في تقريظه فقال وقد ذكر العلماء الذين يفضلون الجاحظ : « ومنهم علي بن عيسى الرماني فانه لم يُرَ مثله قط علماً بالنحو وغزارة في الكلام وبصراً بالمقالات واستخراجاً للعويص وايضاحاً للمشكل

---

١) الاغاني ٥ : ٥٤
٢) « ١ : ١٤٤
٣) « ٧ : ٥٦
٤) « ٧ : ٦
٥) « ١١ : ١٧٢ ، و١٢ : ١٥٦
٦) « ١٢ : ٥
٧) « ١٢ : ١٧٦
٨) « ١٦ : ١٤٢
٩) « ١٧ : ٤٨
١٠) « ١٨ : ٤٧٠
١١) « ٢١ : ١٨٤
١٢) « مروج الذهب ١٠ : ٩٥ و١٠٤ و١٢٢

مع تأله وتنزه ودين يقين وفصاحة وعفافة ونزاهة »[1] مات سنة ٣٨٤ / ٩٩٤ وله عدة تصانيف.

وكان الحسن بن حامد بن علي بن مروان ابو عبدالله الوراق الحنبلي «مدرس اصحاب احمد وفقيههم في زمانه وكان له المصنفات العظيمة منها كتاب الجامع اربعمائة جزء يشتمل على اختلاف الفقهاء. وله مصنفات في اصول السنة واصول الفقه وكان معظماً في النفوس مقدماً عند السلطان والعامة[2] »

ومن النحاة المتبحرين بالنحو وعلله محمد بن عبدالله ابو الحسن الورّاق كان بغدادياً وصنف في النحو كتباً حساناً ومات سنة ٣٨١ / ٩٩١ .

وعُرف من الاندلسيين محمد بن حمدون الغافقي القرطبي الورّاق « سكن اشبيلية وعني بتقييد الفقه وكان حسن الخط ضابطاً »[3] وعلي بن عبدالله بن موسى بن طاهر الغناري السرقسطي « كان عارفاً بالنحو واللغة والادب بارع الخط حسن الوراقة جيد الشعر مات بوادي آش في حدود الاربعين وخمسمائة[4] .»

وعد كمال الدين ابو الحسن الشيباني القفطي في كتابه إنباه الرواة على أنباه النحاة في جملة علماء النحو : اسحق بن الجنيد البزّاز البصري الورّاق اللغوي صاحب ابي بكر بن دريد وصالحاً الورّاق النيسابوري ابا اسحق تلميذ ابي نصر اسمعيل بن حماد الجوهري صاحب الصحاح[5] .

ومن الوراقين النحاة ايضاً ابو الحسن محمد بن هبة الله[6] ، وابو جعفر محمد بن حاتم[7] ، ومحمد بن الحسن الاحول من العلماء باللغة والشعر ، وكان ناسخاً يورق لحنين بن اسحق في منقولاته[8] .

---

١) ارشاد الاريب ٥ : ٢٨٠ - ٢٨٢

٢) تاريخ بغداد ٧ : ٢٠٢

٣) بغية الوعاة للسيوطي ٢٩

٤) « « « ٢٤٠

٥) نسخة مصورة في دار الكتب المصرية (رقم ٢٥٧٩ تاريخ) مجلد ١ جزء ١ ، ص ١٩٦ ، ومجلد ٣ جزء ٣ ص ٢٦٣

٦) نزهة الالباء في طبقات الادباء ، طبعة مصر ١٢٩٤ ، ص ٤٢٨

٧) تاريخ بغداد ٢ : ٦ و ٩

٨) انباه الرواة مجلد ٢ ، جزء ١ ، ص ٦٤

ومن الوراقين الادباء ابو الحسن علي بن المغيرة الاثرم « كان صاحب كتب مصححة قد لقي بها العلماء وضبط ما ضمنها ومات سنة ٢٣٣ (٨٤٦م)» وله من الكتب : كتاب النوادر وكتاب غريب الحديث وحدث ابو مسحل عبد الوهاب قال . كان اسمعيل بن صبيح الكاتب قد اقدم ابا عبيدة من البصرة في ايام الرشيد الى بغداد واحضر الاثرم وهو يومئذ وراق وجعله في دار من دوره واغلق عليه الباب ودفع اليه كتب ابي عبيدة وامره بنسخها فكنت انا وجماعة من اصحابنا نصير الى الاثرم فيدفع لنا الكتاب والورق الابيض من عنده ويسألنا نسخه وتعجيله ويوافقنا على الوقت الذي نردّه اليه فكنا نفعل ذلك ، ويؤخذ من ستة ابيات نقلها عنه ياقوت انه توفي وقد تجاوز تسعين سنة من العمر[1] .

ومن اوسعهم علماً وابعدهم ذكرا ابو حيان التوحيدي ، وهو الذي دعا الوراقة « حرفة الشؤم » ، كما تقدم من لفظه ، وهو امام الوراقين ، اطال ياقوت في ترجمته وحكاية اخباره ووصفه بانه كان متفنناً في جميع العلوم من النحو واللغة والشعر والادب والفقه والكلام ، وانه فيلسوف الادباء واديب الفلاسفة ، فرد الدنيا لا نظير له ذكاء وفطنة وفصاحة ومكنة واسع الدراية والرواية قال : ولكنه مع ذلك كان سخيف اللسان قليل الرضى يتشكى صرف زمانه ويبكي في تصانيفه على حرمانه[2] . وقد سبق مثال من ذمه الصاحب بن عباد . واورد له ياقوت نظائر من كتابه اخلاق الوزيرين . وفاتنا بضياع هذا الكتاب وكتابه الآخر « المحاضرات والمناظرات » فوائد غريبة ونوادر يتيمة ومن وقف على كتبه : « الامتاع والمؤانسة » و« المقابسات » و« رسالة الصديق والصداقة » يدرك مقدار فضل الرجل وبعد غوره وله تصانيف كثيرة احرق جانباً وغسل جانباً آخر منها في آخر عمره قال : « لقلة جدواها وضناً بها على من لا يعرف قدرها بعد موته » واعتذر عن هذا الاثم

---

١) ارشاد الاريب ٥ : ٤٢١ ؛ ونزهة الالباء ٢١٩

٢) « « ٥ : ٢٨٠ – ٢٨١

بالتأسي بمن سبقه من الائمة والعلماء. ويؤخذ من كلام له انه كان حياً بعد سنة ٤٠٠ (١٠٠٩ م) وانه بلغ عمر التسعين[1].

ومن ادباء الورّاقين ومتقدميهم ابو حفص الاصبهاني كتب الى الصاحب ابن عباد رقعة يستميح بها حنطة قال له فيها: «حال عبد مولانا في الحنطة متخلفة وجرذان داره عنها منصرفة» فوقع على رقعته: «احسنت يا ابا حفص قولاً وسنحسن فعلاً فبشر جرذان دارك بالخصب وآمنها من الجدب فالحنطة تأتيك في الاسبوع ولست عن غيرها من النفقة بممنوع»[2].

ومنهم ابو الفتح بن الخرّاز، وابو بكر القنطري، وابو الحسين بن الخراساني، وهذان قال ياقوت «هما من جلّة اهل هذه الصنعة.»[3] ومنهم ايضاً ابو القاسم بن عقيل الوراق حدّث ان ابا جعفر الطبري قال لاصحابه: «أتنشطون لتفسير القرآن قالوا بكم يكون قدره قال: ثلاثون الف ورقة فقالوا: هذا مما يفني الاعمار قبل تمامه فاختصره في نحو ثلاثة آلاف ورقة ثم قال تنشطون لتاريخ العالم من آدم الى وقتنا؟ قالوا: كم قدره فذكر نحواً مما ذكره في التفسير فاجابوه بمثل ذلك فقال: انا لله ماتت الهمم فاختصره في نحو ما اختصر التفسير»[4]. ولعلّ اصحاب الطبري كانوا ورّاقيه ومنهم كان ايضاً في الارجح ابو القاسم بن حُبيش قال: «كان قد التمس مني ابو جعفر الطبري ان اجمع له كتب الناس في القياس فجمعت له نيفاً وثلاثين كتاباً فاقامت عنده مُديدة . . . فردّها علي وفيها علامات له بحمرة قد علم عليها[5].»

ومنهم ابو اسحق ابرهيم بن صالح، تلميذ الجوهري، ذكره الباخرزي في كتاب دمية القصر وانشد له بيتين في معنى دودة القزّ. وروى له ياقوت

---

١) ارشاد الاريب ٥ : ٢٨٨
٢) « « ٢ : ٢٢٦ – ٢٢٧
٣) « « ٣ : ١٠٥
٤) « « ٦ : ٤٢٥ – ٤٢٦
٥) « « ٦ : ٤٥٣

بيتين آخرين في الهجاء.[1] . وقال انه لما مات الجوهري ، بعد ان سمع منهُ كتاب الصحاح الى باب الضاد المعجمة ، بقي بقية الكتاب مسودة غير منقحة ولا مبيضة ، فبيّضه ابو اسحق ابرهيم بن صالح الوراق تلميذ الجوهري بعد موته فغلط فيه في عدة مواضع غلطاً فاحشاً[2]، ولا نعلم هل كان والده صالح هو الوراق الذي ذكر ابو حيّان التوحيدي انه كان في حضرة الصاحب بن عباد في جملة من الكتاب والندماء.[3] .

وقد تقدم ذكر ابن ابي الجوع وثناء ابن خلكان عليه لحلاوة شعره ومما يشهد ايضاً بتقدمه وتفوقه في الادب والعلم ما حكاه ابن خلكان في كلامه على الامير المختار عزّ الملك المعروف بالمسبحي ، الكاتب الحرّاني الاصل المصري المولد قال : « استزارابا محمد عبيد الله بن ابي الجوع الاديب الوراق الكاتب المشهور فعمل المسبحي هذه الابيات وانشده اياها على البديهة :

حللتَ فاحللت قلبي السرورَ وكاد لفرحته ان يطيرا
وامطر علمك سحب السماء ولولاك ما كان يوماً مطيرا
تضوّع نشرك لما وردت وعاد الظلام ضياءً منيرا[4]

ووصفه الصفدي فقال: « كان محققاً للنحو واللغة والبلاغة وقول الشعر جيد الخط مليح الضبط ومات بمصر سنة ٣٩٥ »[5] (١٠٠٤م)

وفي مقدمة الورّاقين وابعدهم صيتاً محمد بن اسحق النديم المعروف بالوراق ومن طالع كتابه الفهرست مع ما اعتوره من النقص واغلاط النسخ والطبع ، يعلم منزلته في العلم ورواية الاخبار والانساب والتراجم وسعة الاطلاع والحفظ ، وكانت وفاته سنة ٣٨٥/٩٩٥ ، ولا ندري هل نسج بعده احد على منواله في تعريف الكتب والمصنفين في انواع العلوم والفنون . واشتهر نظيره ياقوت الرومي الحموي بكتابيه « معجم البلدان » و « معجم الادباء » واربى عليه

١) ارشاد الاريب ١ : ٦٥
٢) « « ٢ : ٢٦٩
٣) « « ٥ : ٢٩٣
٤) وفيات الاعيان ٢٤٣
٥) بغية الوعاة للسيوطي

بخدمة التاريخ وتعريف البلدان . ومن الغريب جداً ان يكون مثل الوزير كمال الدين القفطي قد بخسه حقه وتنقصه كثيراً في إخباره عنه في كتابه المخطوط انباه الرواة مع ان ياقوت لم يقصر في الثناء عليه ووصفه بالرئاسة والعلم والفضل والافضال كل مرة اشار اليه فيها . ولا بد دفعاً للظلم وحباً للعدل والانصاف من نقل كلام القفطي بحرفه ليتضح تحامله واستخفافه بمؤلف معجم البلدان قال باختصار قليل :

« كان رحمه الله وعفا عنه رومي الجنس أسر صغيراً وابتاعه ببغداد رجل تاجر يعرف بعسكر الحموي وجعله في الكتّاب لينتفع به في ضبط تجارته . . . ولما كبر ياقوت هذا قرأ شيئاً يسيراً من النحو واللغة وشاء مولاه بالاسفار في متاجره فكان يتكرر الى كيش والشام ثم جرت بينهما نبرة اقتضتها الحال فعتقه وابعده عنه فاشتغل بالنسخ بالاجرة وحصل بالمطالعة فوائد اقتضاها فهمه على عسر كان في فهمه ومكابرة كانت في خلقه . . . وربما جعل بعض تجارته كتباً وكان ذلك سبب اجتماعي به . . . وتأملته في منظره ومخبره فتوسمت فيه اموراً لم يخلّ حدسي فيها وعلمت انه لا يصلح للعشرة وسافر من حلب وعاد اليها دفعة اخرى في شهور سنة ثلث عشرة وستمائة واحضر معه كتباً ذكر انها وديعة لغيره كان في بعضها الجيد وتوجه الى دمشق وكان شديد الانحراف عن علي بن ابي طالب (عم) . . . ولما دخل دمشق قعد في بعض اسواقها يناظر من يتعصب لعلي وجرى بينهما كلام ادّى الى ذكره علياً بما لم يسغ جارياً على عادته في ذلك فثار الناس عليه ثورة كادوا ان يقتلوه لما سمعوه منه وقدّر الله له السلامة فخرج عن دمشق منهزماً بعد طلب واليها المعتمد الموصلي وجاء الى حلب خائفاً يترقب وخرج عن حلب في العشر الاول والثاني من جمادى الآخرة سنة ثلث عشرة وستمائة ووصل الى الموصل متخفياً (كذا) من قوله وتوجه الى اربل وسلك منها الى خراسان وتحامى دخول بغداد لان المناظر له كان بغدادياً وخشي ان ينقل قوله فيطيح دمه واقام بخراسان يتجر في بلادها واستوطن مرو وخرج عنها الى نسا وسلك الى خوارزم في جيحون وصادفه وهو في خوارزم خروج التتار فانهزم بنفسه كبعثه

يوم الحشر من رمسه وقاسى من القلة والتعب وتشعث الحال ماكان يكلّ عن وصفه ووصل الى الموصل وقد تقطعت به الاسباب واعوزه دنيّ المآكل وخشن الثياب وتلوّم بالموصل مدة ثم وصل الى سنجار ومن سنجار الى حلب ولما وصل دخل عليّ في حالة يسوء منظرها ووصف من امره اموراً لا يسر مخبرها وقال قد القيت عصاي ببابك وخيّم املي بجانب جنابك فقلت في جوابه : اقاسمك العيش وسألت الله ان يرزقني الثبات على خلقه لا الطيش فان اخلاقه خلقة وطرايقه منخرقة . . . فاقام مشاركاً المعلوم باذلاً لـه كتب العلوم فلفق منها مجموعات لم يكملها ونسخ وباع في عدة سنين اقامها عندي محمول الكلفة بحكمة اقتضاها حالـه وسافر ببضاعة من الخام الى مصر فاربحته ربحاً قريباً وعاد بمعمول مصر فاربح فيـه واقام بالجنان ظاهر حلب فمرض ومات به في العشرين من شهر رمضان سنة ست وعشرين وستمائة رحمه الله »[1] .

ونحن لا نلوم كمال الدين لتضجره من سوء خلق ياقوت كما عابه به ولا من استثقاله ضيافته وعشرته ولكن ننكر عليه اشد الانكار نسبة عسر الفهم اليه ووصف كتبه بالتلفيق والمخرقة، وقد ذكر ياقوت انه جمعها واقتبس اكثر فوائدها من الخزائن ، التي طالعها في مرو ، وليس من الكتب التي وقف عليها في دار كمال الدين في حلب فهل يسوغ لنا ان نتهم مؤلف انباه الرواة بحسد ياقوت عليها . وما ندري اي كتبه يعني بالمجموعات التي لم يكملها فهل لم يقف على مؤلفاته « معجم البلدان » « ومعجم الادباء » و« المشترك » ؟ ام سكت عنها تعمداً وحقداً .

ومن فضلاء الوراقين وادبائهم سعد بن علي بن القاسم الانصاري الخطيري مؤلف « زينة الدهر وعصرة اهل العصر » المتوفى سنة ٥٦٨/١١٣٢[2] وسيأتي ذكره في مقدمة الوراقين الدلالين .

---

١) إنباه الرواة على أنباه النحاة مجلد ٣ ، جزء رابع ، ص ٢٦٢ – ٢٨٠

٢) ارشاد الاريب ٦ : ٢٢٢

الوراقون الكتبيون

اشتهر في العصور الاخيرة بعض الوراقين ببيع الكتب ، ولذلك كان يقال لهم الكتبيون ، ومنهم جمال الدين محمد بن ابرهيم بن يحيى المعروف بالوطواط ولد سنة ١٢٣٤/٦٣٢ . وله « غرر الخصائص الواضحة وغرر النقائص الفاضحة » المطبوع ، وكتاب «مباهج الفكر ومناهج العبر » المخطوط ومنه نسخة في خزانة بريتش موزيوم (Add. 7,483) ونسخ في دار الكتب المصرية (رقم ٣٢٤ و٣٥٩ و٤٢٠ علوم طبيعية) واحسنها رقم ٣٥٩ المصورة في ثلاثة مجلدات وفيها فوائد جمة ومقتبسات ممتعة ولا تعاب الا بتكلف السجع ، وهو العيب الذي كان غالباً في زمانه قال في مقدمته : وبعد فاني لم ازل من قبل ان يبلغ عمري الابدار ويصدني التكليف عن ركوب مطا الخطر في الايراد والاصدار متخذاً الوراقة صناعة وبضاعة ، معتمداً عليها في إخلاف ما اتلفه الاتقان والصناعة حتى سبقت في معرفتها من كان وجيهاً ورجاني في عوائد موائدها من ظل زمانا بنفسه يرتجيها وكنت قد وكلت بمراجعة الكتب قلباً وشغفت بها كلفاً وحباً[1] . . .

ومن الكتبيين النساخ محمد بن احمد القرشي الدمشقي ابو عبدالله شرف الدين كان خطه كثير السقم مع حسنه توفي سنة ٦٨٠ / ١٢٨١ وسيمر بنا قريباً ذكر ابن شمعون الكتبي في جملة الوراقين الشعراء .

واشتهر بدمشق محمد بن شاكر الداراني الدمشقي « كان فقيراً جداً ثم تعاطى التجارة في الكتب فرزق منها مالاً طائلاً»[2] وله فوات الوفيات المطبوع ، وكتاب عيون التواريخ المخطوط ، ومنه مجلدات بقلمه محفوظة في خزانة الفاتيكان والخزانة التيمورية في القاهرة ، واجزاء منسوخة في دار الكتب الظاهرية بدمشق والمكتبة الاحمدية في حلب . وفي خزانة باريس مجلد منه توسع فيه جداً في الكلام على دمشق ومصانعها ودورها القديمة وبعض خططها وروى كثيراً من الاشعار المقولة فيها نقل سوفير في المجلة الاسيوية في باريس صفحات منه الى الفرنسية والمجلد باسره حري بالنشر وكانت وفاة ابن شاكر سنة ١٣٦٢/٧٦٤ .

---

١) مباهج الفكر ، رقم ٣٥٩ ، دار الكتب المصرية ، ص ٢

٢) الدرر الكامنة لابن حجر العسقلاني ، طبعة حيدر اباد ، ٣ : ٤٥١

ومن كتبي القرن الثامن للهجرة شمس الدين محمد بن قاضي اليمن توفي بدمشق سنة ١٣١١/٧١١[1] وابو اسحق ابرهيم بن شمس الدين الفاشوشة اشتغل بالعربية والادب ومن شعره في المشمش اللوزي :

قد اتى سيدُ الفواكه في ثو ب نضارٍ والشهد منه يفور
يشبه العاشق المتيم حالاً اصفر اللون قلبه مكسور[2]

توفي سنة ١٣٣٢/٧٣٣ وتوفي بعده في رجب سنة ١٣٩٣/٧٩٥ احمد بن ابرهيم الكتبي الصالحي الحنفي كان مشاركاً في الفنون[3]

الوراقون القضاة

عُرف منهم محمد بن ابي الليث الاصمّ . ولي القضاء بمصر من قبل ابي اسحق المعتصم سنة ٢٢٦ (٨٤١—٨٤٠) « وكان قبل دخوله مصر ورّاقاً على باب الواقدي وكان فقيهاً بمذهب الكوفيين»[4] .

وفي سنة ١٠٠٨/٣٩٨ « استخلف مالك بن سعيد قاضي مصر حمزة بن علي الغلبوني وفوّض اليه جميع الامور . . .فرفع اليه جماعة عنه اموراً انكروها وبالغوا في ذلك . . وكتبوا محضراً اشتمل على عظائم . . . وكانت صورة المحضر بعد البسملة : هذا ما شهد به من يسمى في هذا الكتاب انهم يعرفون حمزة بن علي بن يعقوب الغلبوني الورّاق معرفة صحيحة»[5]

وفي سنة ١١٨٢/٥٧٨ « توفي ابو الحسن علي بن ابي المعالي المبارك وقيل احمد بن ابي الفضل بن ابي القاسم الورّاق الدارقزي المحوّلي الفقيه المعروف بابن غريبة ولد في منتصف رمضان سنة ٥٠٦ (١١١٣م) وسمع وتفقّه وولاه الوزير ابن هبيرة رفع المظالم وانقطع في آخر عمره بالمحوّل الى ان فلج ومات»[6]

ومن القضاة الورّاقين الزنوج « محيي الدين عبد القادر النجراوي كان اقدم

١) ثالي كتاب الاعيان للصفاعي ٢٠٦١ باريس ، ٦٦
٢) شذرات الذهب ٦ : ١٠٤
٣) « « ٦ : ٢٢٧ — ٢٢٨
٤) كتاب الولاة والقضاة للكندي ، ٤٤٩
٥) ذيل كتاب الولاة ٦٠٩ ، عن رفع الاصر ٤٢
٦) شذرات الذهب ٦ : ٢٦٤

الحنابلة بمصر واعرفهم بصناعة التوريق والقضاء والفقه وكان اسود اللون»[1].

الوراقون الشعراء

كان بكر بن خارجة الكوفي «ضيّق العيش مقتصراً على التكسب من الوراقة وصرف اكثر ما يكسبه الى النبيذ وكان طيب الشعر مليحاً مطبوعاً ماجناً قال محمد بن الحجاج: رأيت بكر بن خارجة يبكر كل يوم بقنينتين من الشراب الى خراب من خرابات الحيرة فلا يزال يشرب فيه على صوت هدهد كان يأوي ذلك الخراب الى ان يسكر ثم ينصرف وكان يتمشق ذلك الهدهد»[2]

وحرّم مرة بعض الامراء بالكوفة بيع الخمر على خمّاري الحيرة وركب فكسر نبيذهم فجاء بكر يشرب عندهم على عادته فرأى الخمر مصبوبة في الرحاب والطرق فبكى طويلاً وقال:

يا لقومي لما جنى السلطان ... لا يكونن لما اهان الهوانُ
قهوة في التراب من حاب الكر ... م عقار كأنها الزعفران
قهوة في مكان سوء لقد صا ... ف سعد السعود ذلك المكان
من كميت يبدي المزاج لها نو ... ر نظام والفصل منها جمان
فاذا ما اصطبحتها صغّرت في ... القدر تختالها هي الجرذان
كيف صبري عن بعض نفسي وهل ... يصبر عن بعض نفسه الانسان

ولبكر بن خارجة في عيسى بن ايليا[3] العبادي الصيرفي من اهل الحيرة قصيدة غزلية على نمط قصيدة مدرك بن علي الشيباني في عمرو بن يوحنا النسطوري، وقصيدة ابي نواس في عبد يشوع بن ماو سرجس منها قوله:

بمارت مريم وبدير زكّى ... ومن نومسا ودير الجاثليق
وبالانجيل يتلوه شيوخٌ ... من القسّان في البيت العتيق
وبالقربان وبالصلبان الا ... رثيت لقلبي الدنف المشوق
أجبرني صمت قبلك من هموم ... وأرشدني الى وجه الطريق
فقد ضاقت عليّ وجوه امري ... وانت المستجار من المضيق[4]

---

١) شذرات الذهب ٨ : ١٥٩

٢) الاغاني : ٢٠ : ٨٧ – ٨٨

٣) في الاغاني ان اسمه عيسى بن البراء ؛ وفي مسالك الابصار عشير بن ايلياء والصواب ما اثبتناه.

٤) معجم ما استعجم للبكري ٢٧١

وله فيه ايضاً قصيدة مزدوجة منها البيتان :

وتادن قلبي به معمودُ شبتنه الهجران والصدودُ
زنّاره في خصره معقود كأنه من كبدي مقدودُ

قال دعبل الشاعر : ما يعلم الله اني حسدت احداً قط ما حسدت بكراً على هذين البيتين[1] .

وكان لعمرو الوراق ديوان مجموع خمسون ورقة[2] وصفه الشابشتي فقال : كان عمرو هذا من الخلعاء المجّان المنهمكين في البطالة والخسارة والاستهتار بالمرد والتطرح في الديارات وله شعر كثير في المجون ووصف الخمر . وروى طائفة من اشعاره اغلبها في المجون نجتزئ بايراد الآتية منها لدلالتها على مذهبه قال :

ومدامة كرحيقة حمراء من ماء العنب
عاقرتها في فتية ليسوا على دين العرب
في معشر مهروا المجا نة في اللذاذة والطرب
جعلوا المجانة سترة للماذلين على الريب
تمضي الصلاة عليهم والسكر منهم في العصب
واذا مضت صلواتهم صلّوا جمادى في رجب[3]

وفي كتاب الاغاني ذكر عمر الوراق ، وهو ولا شك عمر بن عبد الملك الذي اشار اليه ياقوت في معجم البلدان . وكان عمر هذا في ايام ابي نواس ، حدّث يوسف بن الداية قال : كان ابو نواس والفضل الرقاشي جالسين فجاء عمر الوراق فقال : رأيت جارية خرجت من دار آل سليمان بن علي فما رأيت احسن منها هيفاء نجلاء زجّاء دعجاء كانها خوط بان او جدل عنان فخاطبتها فخاطبتني باحلى لفظ وافصح لسان واجمل خطاب فقال الرقاشي : قد والله عشقتها قال ابو نواس : أوَ تعرفها ؟ قال : لا ولكن بالصفة وانشأ يقول :

صفات وحسن اورثا الناس لوعة تضرم في احشاء قلب متيّم

---

١) الاغاني ٢٠ : ٨٧

٢) الفهرست ٢٢٢

٣) كتاب الديارات ٧٤ — ٧٥

تثلمها نفسي لعيني فانني عليها بطرف الناظر المتندم
ويحملني حبي لها فوق طاقتي من الشوق دأب الحائر المتقسم(١)

واورد ياقوت لعمر بن عبد الملك قوله في دير مار يوحنا الى جانب تكريت:

ارى قلبي قد حنّا الى دير مريحنّا
الى غيطانه الفيح الى بركته الفنّا
الى ظبي من الانس يصيد الانس والجنّا
الى غصن من الآس به قلبي قد جُنّا
الى احسن خلق الله ان قدّس او غنّى
فلما انبلج الصبح بزلنا بيننا دنّا
ولما دارت الكأس أدرنا بيننا لحنا
ولما هجع السمّار غنّينا وتعانقنا(٢)

ومن المجّان التائبين محمود بن حسن الورّاق البغدادي . حكى السمعاني انه اكثر القول في الزهد والآداب والحكم(٣) . ولا ندري كيف يتفق هذا الوصف بما رواه الشابشتي انه كان بينه وبين ابي الشبل البرجمي احد المتطرحين في الحانات والديارات « مودة وكانا لا يفترقان وذكر ابو الشبل قال : صرت انا ومحمود الوراق الى قطربل فدعونا الخمار فقلنا : ائتنا ببنت عشر قد انضجها الهجير فجاءنا بها فقلنا : اسقنا فسقانا فقلنا : اشرب واسقنا فقال : انا مسلم وكان يهودياً قد اسلم فقال لي محمود: قوم يكون الخمار عندهم مسلماً متحرجاً وهم عند الخمار كفّار أترى لله فيهم حاجة(٤) ومثل هذه الحكاية في الاغاني (١٣ : ٢٤) وفي آخرها اشارة الى ما ارتكبه كل من الصاحبين من الفسق والفحشاء . وروى السمعاني انه كان يتجر ايضاً ببيع الرقيق ومات في خلافة المعتصم « قيل ان المعتصم طلب جارية لمحمود الورّاق بسبعة آلاف دينار فامتنع محمود من بيعها فلما مات محمود اشتُريت للمعتصم من ميراث محمود بسبعمائة دينار فلما وصلت اليه قال : كيف رأيت تركتك حتى اشتريتك من سبعة

١) الاغاني ١٥ : ٣٦
٢) معجم البلدان ٣ : ١ ٧
٣) الانساب ٥٨
٤) الديارات ٣٠

الاف بسمهانة قالت: اجل اذا كان الخليفة ينتظر بشهواته المواريث فان سبعين ديناراً كثيرة في ثمني فضلاً عن سبهانة فاخجلته[1] .

ومن الغريب ان تتلاءم تجارة الرقيق بتجارة الوراقة ولعل لقب الوراق لمحمود كان اسماً فقط لا حرفة يرتزق بها او أنه بدأ بالوراقة وعرف بها ثم انتقل الى النخاسة ، وختم عمره بالزهد ونظم الحكم والاداب تكفيراً عن لهوه ومجونه . وامثال هؤلاء المجّان الذين ادركتهم التوبة على شفا القبر كثيرون في الاسلام . ولمحمود الوراق ابيات يُتمثل بها ذكرها النويري في نهاية الارب (٣ : ٨٨)

وروى له الخطيب في تاريخ بغداد الابيات الآتية قال انشدها لنفسه .

رجعت الى السفيه بفضل عقلي فكان الحلم عنه له لجاما
وظنّ بي السفاه فلم يعدني اسافهه وقلت له سلاما
فقام يجرّ رجليه ذليلا وقد كسب المذلة والملاما
وفضل الحلم ابلغ في سفيه واحرى ان تنال به انتقاما

حدّث ابو بكر الطالقاني عن ابيه قال : كنت جالساً عند محمود الوراق والناس يعزّونه عن جاريته نشو وكان قد أعطي بها آلافاً من الدنانير . واذا بعض المعزّين يكرر ذكر فضلها عنده ليحزنه ، ففطن له فانشأ يقول :

ومُنتصح يكرر ذكر نشو ليحدث لي بذكراها اكتئابا
اقول وعدّ ما كانت تساوي سخاءه الذي خلق الحسابا
عطيّته اذا اعطى سروراً وان اخذ الذي اعطى اثابا
فاي النعمتين اعمّ فضلاً واكرم في عواقبها ايابا
انعمته التي اهدت سروراً ام الاخرى التي اهدت ثوابا
بل الاخرى وان ترك بكرهٍ احق بصبر من صبر احتسابا

ولمحمود ايضاً :

كبر الكبير عن الادبْ ادب الكبير من التعبْ
حتى متى والى متى هذا التمادي في اللعبْ
والرزق ان لم تأتهِ لاتاك عفواً من كثبْ
ان غبت عنه لم يزم حتى يحركه السببْ[2]

---

١) الانساب ٥٨

٢) تاريخ بغداد ١٣ : ٨٨

ولمساور الوراق ديوان في خمسين ورقة[1] . ويظهر انه كان محروماً من حرفته لا يتبلغ بها ، ولذلك سأل ابن ليلى ان يشغله في جملة قوم كتبهم لعيسى ابن موسى فلم يفعل فانشأ يقول :

اراك تشير باهل الصلا ح هل لك في الشاعر المسام
كثير العيال قليل السؤال عفّ مطاعمه معدم
يقيم الصلاة ويؤتي الزكا ةَ وقد حلق العام بالموسم
واصبح والله في قومه وامسى وليس بذي درهم

فولّاه عيسى بن موسى عملاً ودفع اليه عهده فانكسر عليه الخراج فدُفع الى بُطين صاحب عذاب عيسى ليستأديه .

وقيل سمع مساور الوراق لغط اصحاب ابي حنيفه وصياحهم فانشأ يقول:

كنا من الدين قبل اليوم في سعةٍ حتى بلينا باصحاب المقاييس
قوم اذا اجتمعوا ضجوا كأنهم ثعالب بحثت بين النواويس

فبلغ ذلك ابا حنيفة واصحابه فشقّ عليهم وتوعدوه فقال ابياتاً ترضيهم وهي:

اذا ما الناس يوماً قايسونا بآبدة من الفتيا ظريفه
اتيناهم بقياس ظريفٍ مسببٍ من قياس ابي حنيفه
اذا سمع الفقيه بها وعاها واثبتها بحبرٍ في صحيفه

فبلغ ابا حنيفة فرضي . قال مساور : ثم دعينا الى وليمة بالكوفة في يوم شديد الحر فلم اجد لرجلي موضعاً من الزحام واذا ابو حنيفة في صدر البيت فلما رآني قال لي: يا مساور اليّ يامساور فجئته فاذا مكان واسع وقال لي : اجلس فجلست فقلت في نفسي نفعتني ابياتي اليوم . قال وكان اذا رآني بعد ذلك يقول لي: ههنا ههنا ويوسع لي الى جنبه ويقول: هذا من اهل الادب والفهم[2] » .

ولا يخفى ما في هذه النكتة من الملاحة والدلالة على الاخلاق والاوصاف في الحضارة العباسية .

---

١) الفهرست ٢٣٠
٢) الاغاني ١٦ : ١٦٧ – ١٦٦

وعُرف ايضاً من الوراقين الشعراء سهل بن ابرهيم من اهل القرن الثاني ، من ادباء القيروان ، اورد له ياقوت بيتين في حصار سوسة[1] . وعلي بن الحسين ابن علي العبدي « يعرف بابن كوجك الوراق كان اديبا فاضلا يورق بمصر وصنف كتباً منها كتاب الطنبوريين . ومدح سيف الدولة لما فتح الحدث ، وكان ابوه الحسين بن علي من اهل الادب والشعر[2] » وممن عرفوا بالمجون والنفاق ابو بكر الوراق التيمي الشاعر سيأتي ذكره في جملة ظرفاء الوراقين.

ومنهم ابو حاتم الوراق من قرية كشمر من نيسابور . وعبدالله بن صارة الشنتريني المتوفى في المرية بالاندلس سنة ١١٢٣/٥١٧ ، وقد تقدم لكل منهما بيتان في ذمّ الوراقة. وسيأتي ذكر علاّن الشعوبي الوراق الشاعر الذي انتصر لعبدالله بن طاهر ، ورد على محمد بن يزيد الحصني الاموي.

ومن اشهر الشعراء المحترفين الذين عُرفوا بلقب حرفتهم الاولى السري الرفّاء الموصلي « لما جاد شعره انتقل من حرفة الرفو الى حرفة الادب واشتغل بالوراقة[3] » ، « ونابذ الخالديين الموصليين وناصبها العداوة وادعى عليها سرقة شعره وشعر غيره وجعل يورق وينسخ ديوان شعر ابي الفتح كشاجم وهو اذ ذاك ريحان اهل الادب بتلك البلاد . . . وكان يدس في ما يكتبه من شعره احسن شعر الخالديين ليزيد في حجم ما ينسخه وينفق سوقه ويغلي سعره ويشنع بذلك على الخالديين ويغض منهما . ومن اوائل شعره وهو بالموصل في سوق البزازين يطرّز قوله لصديق له كتب اليه يسأله عن خبره :

يكفيك من جملة اخباري يسري من الحب وإعساري
في سوقة افضلهم مرتبة نقصاً ففضلي بينهم عاري
وكانت الابرة في ما مضى صانتة وجهي واشعاري
فاصبح الرزق بها ضيقاً كأنه من ثقبها جاري[4]

وقد اطال الثعالبي في الكلام على اشعاره ومآخذه ، وتكراراته وقلائده

١) معجم البلدان ٣ : ١٩٢ ؛ وارشاد الاريب ٤ : ٢٥٦
٢) ارشاد الاريب ٥ : ١٧٩
٣) « « ٦ : ٢٢٧
٤) يتيمة الدهر طبعة دمشق ١ : ٤٥ - ٤٥١

وغرر معانيه ، ودعواه سرقات الخالديين وغيرهما من شعره، واهاجيه للشعراء وغزلياته وتذكاراته وامداحه ومعاتباته ، وما اخرج له في الربيع وآثاره وازهاره والشراب ، وما يتصل به والاستزارة ونعت الآتها واوصاف له شتى استغرق فيها ٥٧ صفحة من كتاب اليتيمة (١ : ٤٥٠ – ٥٠٧). وذكر ياقوت ان السري توفي في بغداد سنة ٣٦٢/٩٧٢. وقال الخطيب : «آذاه الخالديان اذى شديداً وقطعا رسمه من سيف الدولة وغيره[1]».

ومن الشعراء الذين ماتوا وجداً وهياماً سعد الورّاق في الرها «كان دكانه مجلس كل اديب وكان حسن الادب والفهم يعمل شعراً رقيقاً»[2] ألف دكانه غلام نصراني تأدب فما لبث سعد ان أولع به ولما ترهب الغلام تبعه الى الدير ومات على بابه جنوناً وقد ساق ياقوت قصته واشعاره في كتابه ارشاد الاريب (٢ : ٢٢ – ٢٦) وحكيناها نحن في كتابنا الديارات النصرانية في الاسلام (٨١ – ٨٣) نقلاً عن عيون التواريخ لابن شاكر الكتبي وكتاب الديارات لابي الفرج الاصبهاني.

وفي المنهل الصافي لابن تغري بردي بيتان لسعد بن علي الوراق في صفة ساعٍ وهما :

وساعٍ سريع اذا ما عدا لقلبي سبى ولدمعي سفك
يسابق في الجري ريح الشما ل فيزري على دوران الفلك[3]

وهو دون ريب غير سعد الرهاوي المتقدم

وفي تاريخ بغداد للخطيب الابيات الآتية لعلي بن الحسن بن علي بن زكريا ابي القاسم ، الشاعر الورّاق :

سرور الدنوّ بحزن الزيال كذا الدهر يعقب حالا بحال
ومرّ الفراق بحلو المثاق وقبح الصدود بحسن الوصال
وطول البكاء لفقد الحبيب برؤية وجه بديع الجمال
تريد كمالاً ويأبى الزمان فيأتيك رغما بضد الكمال[4]

١) تاريخ بغداد ٩ : ١٩٤
٢) ارشاد الاريب ٢ : ٢٣
٣) المنهل الصافي ١ : ١٩٣
٤) تاريخ بغداد ١١ : ٢٨٤ – ٢٨٥

ومن الكتبيين المتأخرين شمس الدين ابرهيم بن ابي بكر بن عبد العزيز الجزري نسبته الى جزيرة ابن عمر ويُعرف بابن شمون « كان من الفضلاء المطلعين على العلوم واخبار العالم وتواريخ المتقدمين واجتمع له من الكتب في حانوته بدمشق شيء كثير ولما احترقت سوق اللبادين في الدولة المنصورية قلاوون احترق جميع ما كان في حانوته من الكتب ثم توجه بتجر الى الديار المصرية في الايام الكاملية فاتفق في ذلك وقت حضور المطربين في خدمة السلطان فغنت بعض النسوان :

يا ايها القمر المنير من جور حسنك من يجيري

فاعجب السلطان واطلق للمغنية آلات المجلس وكان في جملة المطربين بنت نوري فطلبت من يعمل ابياتاً في هذا الوزن فعرفها بعض اصحاب شمس الدين هذا به فسألته ذلك فعمل :

قسماً بديجور الشعور وبصبح إسفار الثغور
وبسحر حلو الما طف واللمى اسى سيري
ما للصوارم والقنا فعل الملاحظ في الصدور

فغنتها بنت نوري فاطلق لها السلطان المجلس . ثم عرض لشمس الدين المذكور مرض فنقلته الى دارها وخدمته الى ان عوفي وقالت له : كل ما في البيت من احسانك .

وله في شخص بدمشق :

قالوا به يبس وفرط قساوة فكأنه في الحالتين حديد
فاجبتهم كذباً ومينًا قلتم من اين يشبه طبعه الجلمود
ومياه جلّق كلها متحازة في بعضه فهو الفتى المحسود
الفاظه برد وصورة جسمه ثورا واما كذبه فيزيد(١)

واشهر المتأخرين عمر بن محمد بن سراج الدين الورّاق المصري، كان اشقر ازرق وفي ذلك يقول :

ومن رآني والحمار مركبي وزرقتي للروم عرق قد ضرب
قال وقد ابصر وجهي مقبلاً لا فارس الخيل ولا وجه العرب

١) تالي وفيات الاعيان للفضل ابن الصفاعي ، ٢٠٦١ باريس ، ١٥

واورد له ابن شاكر لطائف ومختارات لا يخلو بعضها من الفحش والقذر ، وهو العيب الذي لا يكاد يتبرأ منه شاعر في الغالب ، وشعره كثير جداً اثبت منه بخطه سبعة اجزاء كبار ملكها ابن شاكر وقال : لعل الاصل كان من حساب خمسة عشر مجلداً وكل مجلد يكون مجلدين فهذا الرجل اقل ما يكون ديوانه لو ترك جيده ورديئه في ثلثين مجلداً »[1].

وقد اكثر ذكر صناعته في شعره حتى قيل له : لولا لقبك وصناعتك لذهب نصف شعرك . وهو القائل :

يا خجلتي وصحائفي سود غدت وصحائف الابرار في اشراق
وموبخ لي في القيامة قائل أكذا تكون صحائف الورّاق[2]

وكانت وفاته بالقاهرة سنة ٦٩٥ / ١٢٩٦ .

أعراب الوراقين وظرفاؤهم

لم نجد الا اسم أعرابي واحد كان يعلم في البادية ويورق في الحضر وهو ابو مالك عمرو بن كركر[3].

ومن ظرفائهم ورّاق كان يقال له « سذاب » بلسم النبات المعروف بالفيجن وله ورق كالصعتر ، اجتاز به يوماً المبرّد صاحب الكامل وهو على باب داره، فقام اليه وسأله ان يسرّه بدخول منزله ومساعدته على ما حضر . فقال له المبرد ما عندك ؟ فقال : يا سيدي عندي انت وعليه انا يعني اللحم المبرد فضحك منه واجابه[4].

ومن خلماء القراء والوعاظ المتسترين بالوراقة عتيق بن محمد ابو بكر الوراق التيمي الشاعر . حكى ابن رشيق انه رآه في الجامع يقرأ الرقائق والمواعظ ويبكي تخشعاً ثم جاءه عشية ذلك اليوم في بيته فوجده في يده

---

١) فوات الوفيات ٢ : ١٣٥ – ١٣٩
٢) خزانة الادب لابن حجة الحموي ٢٤٤ – ٢٤٥
٣) الفهرست ٦٦
٤) النهاية في التعريض والكتابة للثعالبي ٢٩

طنبور وعن يمينه غلام مليح فقال له : ما ابعد بين حالتيك في مجلسيك فقال: ذلك بيت الله وهذا بيتي اصنع في كل منهما ما يليق بصاحبه. واورد له ابن شاكر قطعاً من شعره منها قوله :

كلما اذنب ابدى وجهه حجة فهو مليّ بالحجج
كيف لا يفرط في اجرامه من متى شاء من الذنب خرج(١)

الوراقون الدلالون وجماعو الطرائف

من اشهر من كان يعرف بالورّاق دلّال الكتب سعد بن علي بن القاسم الانصاري الحظيري صاحب كتاب زينة الدهر وعصرة اهل العصر الذي جعله ذيلاً على يتيمة الدهر للثعالبي ، وله كتاب لمح الملح ، ومنه نسخة في دار الكتب المصرية ، لم تتمكن من مطالعتها لاستئثار بعض غرف الدار بها. وله ايضاً ديوان شعر لا يهتدى اليه توفي في بغداد سنة ١١٧٢/٥٦٨ ومن لطائفه:

قل لمن عاب شامة لحبيبي دون فيه دع الملامة فيه
انما الشامة التي قلت عنها فصّ فيروزج بخاتم فيه(٢)

ومن الدلالين عبد الرحمن بن موسى بن عمر الناسخ ابن المناديلي ، كان حسن الخط نسخ كثيراً من الدواوين الشعرية ومات في جمادى الاخرة سنة ٧١٥ (١٣١٥م)[٣].

وكان خيران الورّاق احد الدلالين المقومين للكتب . ولما مات احمد بن ثعلب « خلف كتباً جليلة فاوصى الى علي بن محمد الكوفي احد اعيان تلاميذه وتقدم اليه في دفع كتبه الى ابي بكر احمد بن اسحاق القطربلي . فقال الزجاج للقاسم بن عبدالله(الوزير)هذه كتب جليلة فلا تفوتنك فاحضر خيران الوراق فقوّم ما يساوي عشرة دنانير بثلاثة فبلغت اقل من ثلثمائة دينار فاخذها القاسم بها[٤] » .

١) فوات الوفيات ٢ : ٢٧
٢) ارشاد الاريب ٦ : ٢٢٢ – ٢٢٣
٣) الدرر الكامنة لابن حجر ٢٤١ ،
٤) الارشاد الاريب ٢ : ١٤٤– ١٤٥

ومن الخزائن التي بيعت في الدلالة بابخس الاثمان تركة الطبيب الاسلمي اسعد ابن المطران . وفيها الوف كثيرة من الاجزاء الصغار بيعت في المناداة بثلاثة الاف درهم[1]. وفي ضد ذلك حكى يحيى بن عدي ان كتابين من شرح الاسكندر للسماع ولكتاب البرهان « عُرضا عليه بمئة وعشرين ديناراً قال : فمضيت لاحتال في الدنانير ثم عدت فاصبت القوم قد باعوا الشرحين في جملة كتب على رجل خرساني بثلاثة الاف دينار »[2].

ومما يحسن ذكره هنا ان ابن الخشاب المتوفى سنة ١١٧١/٥٦٧ كان اذا حضر سوق الكتب واراد شراء كتاب غافل الناس وقطع منه ورقة وقال انه مقطوع ليأخذه بثمن بخس[3].

ومن ورّاقي بغداد جماعي الطرائف والنوادر الورّاق المعروف بالطرطوسي اهدى ابا نصر سهل بن المرزبان مجلدة بخط السريّ الرفاء. فاستصحبها ابو نصر وانفذها الى نيسابور في جملة ما حصل عليه من طرائف الكتب[4].

ومن عُرف بالطرائفي الورّاق احمد بن يوسف بن ابي الزهر الحلبي ثم الدمشقي كان له حانوت بباب جيرون مات في ربيع الآخر سنة ٧٥٣[5] (١٣٥١ م).

وراقو الوزراء والعلماء

كان لبعض الوزراء ورجال الدولة والعلماء والمصنفين والاطباء ورّاقون ينشون اليهم وينسخون ما يُملون عليهم من المؤلفات والمقالات ، ويتولون تحصيل ما يريدونه وتجليد ما يحتاجون اليه من الكتب والاجزاء . وكان ورّاق الفضل بن يحيى بن خالد بن برمك والفضل بن الربيع احمد بن محمد بن

---

١) عيون الانباء لابن ابي اصيبعة ٢ : ١٧٨ — ١٧٩

٢) الفهرست ٣٥٤

٣) ارشاد الاريب ٦ : ٢٧٨

٤) يتيمة الدهر ١ : ٤٥٠ — ٤٥١

٥) الدرر الكامنة في اعيان المئة الثامنة لابن حجر ، طبعة حيدر اباد .

ايوب ابا جعفر[1] ؛ ووراق الجاحظ ابا القاسم عبد الوهاب بن عيسى بن عبد الوهاب بن ابي حيّة[2] . وورّق لابن عبدوس الجهشياري مؤلف تاريخ الوزراء والكتاب احمد بن احمد المعروف بابن اخي الشافعي[3] . وكان محمد ابن ابي حاتم النحوي وراق البخاري[4] ؛ وابو محمد ثابت بن ثابت عبد العزيز اللغوي وراق ابي عبيد[5] . وعدّ ابن النديم اثنين من وراقي المبرد وهما اسمعيل بن احمد بن الزجاجي وابراهيم بن محمد الشاسي[6] . وروى القفطي ان اسحق بن الجنيد البزّاز البصري الورّاق اللغوي كان يورّق لابن دريد ويأخذ عنه ويعرف بوراق ابن دريد[7] . وحكى ياقوت انه كان له ايضاً وراق يدعى علي بن احمد الدريدي واليه صارت كتب ابن دريد بعد موته[8] .

وورّق لداود بن علي بن خلف ابي سليمان الفقيه المعروف بالاصبهاني الحسينُ بن عبدالله بن شاكر ابو علي السمرقندي الورّاق؛[9] وابو عبدالله الورّاق المعروف بجوار[10] . وورّق لابن حنين بن اسحق المتطبب في منقولاته لعلوم الاوائل ابو العباس محمد بن الحسن بن دينار الاحول ، ذكره ابو بكر محمد بن الحسن الزبيدي وجعله في طبقة المبرد[11] وثعلب . وقد تقدم ذكر وراقي الفراء عرف منهم اثنان وهما سلمة وابو نصر[12] .

---

١) الانساب للسمعاني ٥٧٩ – ٥٨٠ ؛ وتاريخ بغداد ٤ : ٢٩٢ – ٢٩٦
٢) « « ٥٧٦ – ٥٨٠ ؛ « « ١١ : ٢٨ – ٢٩
٣) ارشاد الاريب ١ : ٨١
٤) تاريخ بغداد ٣ : ٧ و١٤
٥) بغية الوعاة للسيوطي ٢١٠
٦) الفهرست ٨٩
٧) انباه الرواة ١ : ١٦٦
٨) ارشاد الاريب ٥ : ٨١
٩) تاريخ بغداد ٨ : ٥٨ – ٥٩ و ٢٧٥
١٠) « « ٨ : ٢٧٥
١١) ارشاد الاريب ٦ : ٤٨٣ -
١٢) تاريخ بغداد ١٤ : ١٤٩ – ١٥٠

الوراقون مؤلفو الاسمار والخرافات

كان من الوراقين قوم احترفوا الوراقة تأدباً وتكسباً سبق وصف بعضهم بالعلم والفضل والسبق في حلبتي النثر والنظم . ولكن كان همّ معظمهم ربح الورق اي الدراهم المضروبة . ولذلك اقبلوا على الاتجار بكتب الاسمار والخرافات لشدة رواجها بين الناس ، كاقبال وراقي اليوم على نشر الروايات الخيالية في الغرب « وكانت الاسمار والخرافات مرغوباً بها جداً مشتهاة في ايام الخلفاء العباسيين ولا سيما في ايام المقتدر فصنف الوراقون منها وكذبوا وكان ممن يفتعل ذلك رجل يعرف بابن دلان واسمه احمد بن محمد بن دلان وآخر يعرف بابن عطار وجماعته ومنهم من كان يعمل الخرافات والاسمار على ألسنة الحيوان وغيره وهم سهل بن هرون وعلي بن داود والعتابي واحمد بن طاهر[1] » .

وكان اكثر ما يدخل في احاديث السمر اخبار العشاق والجانب المتظرفات عدّ ابن النديم طائفة كبيرة منها وذكر ايضاً اسماء عشّاق الانس فيما زعموا للجن وعشاق الجن للانس وسرد كتبهم ، ولكنه اغفل اخبار الفرسان والابطال فلم يشر الى شيء منها ، فهل لم يُعنَ احد في زمانه بجمع اوابدها وشواردها ؟ وقد عني الفرنج انفسهم بنقل اخبار « البطّال » في ايام الحروب الصليبية ؟ ولا يخفى ما في هذه الروايات التاريخية او الخيالية من اللهو والاختلاق والتظرّف والابتداع ، وقد عدمنا بضياعها فوائد جمة من اوصاف الحياة والحضارة والاخلاق الشرقية ، فضلاً عما يتخللها من الاوضاع المولدة والالفاظ الدخيلة في لغة العصور السابقة .

ومن هذه الموضوعات الخيالية بعض الاسفار والرحل ، وتعداد ما في البلدان النائية من الخوارق والغرائب الموهومة ، وما اشتهر فيها من خصائص الاودية والجبال ، ومزايا النباتات والاشجار ، وما زعموا في المسير اليها من الظلمات في البحار ، وما يتشعب فيها من البحيرات والانهار . وقد اشار المسعودي الى شيء من هذه الخرافات والاقاصيص فقال : زعم عمرو بن بحر

---

(١) الفهرست ٤٣٨

الجاحظ ان نهر مهران الذي هو نهر السند من النيل ويستدل على انه من النيل بوجود التماسيح فيه فلست ادري كيف وقع له هذا الدليل وذكر ذلك في كتابه المترجم بكتاب الامصار وهو كتاب في نهاية الثقافة لان الرجل لم يسلك البحار ولا يعرف المسالك وانما كان حاطب ليل ينقل من كتب الوراقين[1].

وللخطباء والكهان نصيب وافر في هذه الاسمار، وقد شهد الجاحظ ان لكلام خالد بن صفوان كتاباً يدور في الوراقين[2].

ولم تقف همة الوراقين والمخرّفين عند هذا الحد من الاستنباط والابتداع، بل عمدوا ايضاً الى النقل والتعريب، فاستخرجوا طائفة من كتب الروم والفرس والهنود ذكرها ابن النديم وحكى ان لابن عبدوس، مؤلف كتاب اخبار الوزراء والكتاب، كتاباً اختار فيه الف سمر من اسمار العرب والعجم والروم وغيرهم كل جزء قائم بذاته لا يعلق بغيره، واحضر المسامرين فاخذ عنهم احسن ما يعرفون ويحسنون، واختار من الكتب المصنفة في الاسمار والخرافات ما يحلو بنفسه، وكان فاضلاً فاجتمع له من ذلك اربع مئة ليلة وثمانون ليلة كل ليلة سمر تام يحتوي على خمسين ورقة واكثر، ثم عاجلته المنية قبل استيفاء ما في نفسه من تتميمه الف سمر[3]. وقد فاتتنا بفقدان هذا الكتاب فائدة مقابلته بكتاب الف ليلة وليلة، وهو نكرة من نكرات التأليف لا يعرف حظ الوراقين في جمعه واسماء من اشترك منهم في تحصيله وروايته.

وكانت الامثال تضرب قديماً في مبالغات الوراقين في دسّ ما لا يصدق من الاخبار والنوادر كحكايات السخاء والكرم التي اشتهرت عن البرامكة واجواد العرب، قيل: «حضر ابو العيناء يوماً مجلس بعض الوزراء فتفاوضوا حديث البرامكة وكرمهم وما كانوا عليه من الجود فقال الوزير لابي العيناء

---

١) مروج الذهب ٤ : ١٣٧

٢) البيان والتبيين، طبعة السندوبي ٣ : ٢٣٠

٣) الفهرست ٤٢٢

وكان قد بالغ في وصفهم وما كانوا عليه من البذل والافضال : قد اكثرت من ذكرهم ووصفك اياهم وانما هذا تصنيف الوراقين وكذب المؤلفين فقال له ابو العيناء : فلِمَ لا يكذب الوراقون عليك ايها الوزير[1] ونُقل مثل هذه الحكاية عن الملك العادل ابي بكر بن ايوب قال وقد جرى ذكر البرامكة وامثالهم ممن ذكر في حكايات الاجواد: « انما هذا كذب مختلق من الورّاقين والمؤرخين يقصدون بذلك ان يحركوا همم الملوك والاكابر للسخاء والبذل وتبذير الاموال فقال خضير (اشهر تساخر العادل وصاحب البستان المشهور قديماً عند الربوة بدمشق) ياخوند ولاي شيء ما يكذبون عليك »[2].

ويُتَّهم الورّاقون بدسّ بعض الاخبار في الكتب المنسوبة لاهل العلم ومحاكاة رواياتهم فيها ، ومن الكتب التاريخية الادبية المنسوبة لهم من هذا القبيل كتاب الاغاني الكبير المنسوب لاسحق بن ابرهيم الموصلي قال حماد ابنه : وضعه وراق لابي بعد وفاته . . . قال ابو الفرج الاصبهاني : اخبرني جحظة انه يعرف الورّاق الذي وضعه وكان يسمى سندي بن علي وحانوته في طاق الزبل وكان يورق لاسحق فاتفق هو وشريك له على وضعه[3].

ويلحق بهذا النمط ما كان يدخله بعض الرواة والعلماء في دواوين الشعراء من الابيات والقصائد الموضوعة التي كانوا يحاكون بها الشعر القديم ويملونها على الوراقين فينسخونها ويذيعونها فتحمل عنهم في الافاق ، كحماد الراوية ، وخلف الاحمر ، وابن الكلبي ممن افسدوا الشعر الجاهلي وزادوا فيه زيادة عالم بلغات العرب واشعارهم ومذاهب الشعراء ومعانيهم ، فاختلطت اشعار القدماء بحيث لا يكاد يتميز الصحيح منها[4] وقد سبق ان الرواة كانوا بمثابة الوراقين في الخلافة العباسية.

ومشى على هذه الخطة السري الرفاء الموصلي من الشعراء الذين احترفوا

---

١) وفيات الاعيان ، طبعة باريس ، ٧٠٨

٢) نفح الطيب ١ : ٤٦٤ — ٤٦٥

٣) ارشاد الاريب ٢ : ٢٢٤

٤) « « ٦ : ١٧٩ ؛ والاغاني ٥ : ١٧٣

الوراقة لاول عهدهم ، فكان ينسخ ديوان شعر كشاجم وكان به مغرى ويدس في ما كان يكتبه من احسن شعر الخالديين لعداوة كانت بينه وبينهما ليزيد في حجم ما ينسخه وينفق سوقه ويشنع بذلك على الخالديين[1] .

وفي كتب التاريخ والتراجم اشارات الى بعض المخلطين الذين تعمدوا وضع الاحاديث واختلقوا آلافاً منها فاشتبه الزور منها بالصحيح وسارت عنهم بين الناس، وكان منهم بعض الوراقين الذين ألفوا مثل هذا التدليس والاختراع. ونقل عن محمد بن ابي العوجاء انه «لما امر المنصور بضرب عنقه اعترف على نفسه بوضع اربعة الآف حديث يحل فيها الحرام ويحرم فيها الحلال ويصوم الناس يوم الفطر ويفطرهم في ايام الصيام[2] .

مذاهب الوراقين

لا نعلم الا قليلاً من مذاهب الوراقين وما ينتسبون اليه من الآراء والفِرَق في الدين والسياسة بين سنة وشيعة وزيدية وخوارج ومتكلمين وشعوبية ، ومن أهزل ما وقفنا عليه من اخبار الشيعة ما رواه ابن الجوزي قال :

« سنة ٣٧٧ / (٩٨٧ م) توفي علي بن محمد بن نصير بن عرفة ابو الحسن الثقفي الوراق ويعرف بابن لولو ولد سنة ٢٨١ قال التنوخي: حضرت عند ابي الحسن بن لولو مع ابي الحسن البيضاوي لنقرأ عليه وكان قد ذكر له عدد من يحضر السماع ودفعنا اليه دراهم كنا قد وافقناه عليها فرأى في جملتنا واحداً زائداً على العدد الذي ذكر له فامر باخراجه فجلس الرجل في الدهليز وجعل البيضاوي يقرأ ويرفع صوته ليسمع الرجل فقال له ابن لولو يا ابا الحسين أتماطي علي ؟ وانا بغدادي باب طاقي صاحب حديث شيعي ازرق كوسج ؟ ثم امر جارية ان تدق في الهاون أشناناً حتى لا يصل صوت البيضاوي بالقراءة الى الرجل »[3] .

---

١) ارشاد الاريب ٤ : ٢٢٧

٢) البداية والنهاية لابن كثير ١ : ١١٢

٣) المنتظم ٧ : ١٤٠

وكان عقدة والد ابي العباس زيدياً يورق بالكوفة ويعلم القرآن والادب وانما سمي عقدة لاجل تعقيده في الصرف وكان ورّاقاً جيد الخط . واراد ابنه ابو العباس ان ينتقل من الموضع الذي كان فيه الى موضع آخر ، فاستأجر من يحمل كتبه وشارط الحمالين ان يدفع لكل واحد منهم دانقاً لكل كرّة فوزن لهم اجورهم مئة درهم وكانت كتبه ست مئة حمل[1] .

ومن الخوارج مطر الوراق ، روى البلاذري انه كان مع العباس بن محمد ابن علي في غزاة كمخ[2] . وفي تاريخ الموصل لابي زكريا بن اياس الازدي ان في سنة ١٤٥ (٧٦٢ م) « اتى سعيد بن دعلج الخليفة المنصور بمطر الورّاق وبشير الدجال فقال المنصور لمطر : يا مطر نسيت الحرمة وطول الصحبة ؟ قال : نسيناها بنسيانك كتاب الله وسنة رسوله وتضييعك امور المسلمين قال : فتخرج علي مع من لم تؤنس منه رشداً ؟ فهذا خلاف مذهبك قال : لو خرج عليك الذر فانه اضعف الخلق لخرجت معهم حتى اؤدي ما افترض الله عليّ فيك قال : يا ابن حسنة الزانية قال : انك تعلم انها خير من سلامة (ام المنصور) ولولا انه قبيح بذي الشيبة السفه لاعلمتك ما تكره ولا تطيق ردّه قال : خذوه قال : ان بعد موقفك هذا موقفاً وان بعد اخذتك هذه اخذة فانظر لمن تكون العاقبة . قال فجزع المنصور من قوله جزعاً شديداً ظهر فيه ثم قتله »[3] .

وذكر المسعودي بين المتكلمين من فرق الاسلام الذين صنفوا كتباً في المقالات وغيرها من الردّ على المخالفين ابا عيسى محمد بن هرون الورّاق[4] . وقال انه نقض كتاب الجاحظ المعروف بكتاب العثمانية[5] ، ونقل قولاً لعمر بن عبيد في الامامة وقال : « هذا الذي حكيناه ذكره ابو عيسى محمد بن هرون الوراق

---

١) فتوح البلدان ، طبعة اروبة ، ١ : ١٨٥

٢) تاريخ بغداد ٥ : ١٨

٣) تاريخ الموصل ، رقم ٢٤٧٥ ، دار الكتب المصرية ، مجلد مصور فيه الجزء الثاني ص ١٦٦

٤) التنبيه والاشراف ٣٩٥ – ٣٩٦

٥) مروج الذهب ٨ : ٨

ببغداد في كتابه المعروف بكتاب المجالس وكانت وفاة ابي عيسى بالرملة سنة سبع واربعين ومئتين (٨٦١م) وله تصنيفات كثيرة منها كتابه في المقالات في الامامة»[1] وفي تاريخ ابن كثير «كان ابو عيسى الورّاق مصاحباً لابن الراوندي قبحهما الله فلما علم الناس بامرهما طلب السلطان ابا عيسى فأودع السجن حتى مات»[2].

ومن الشعوبيّين علّان بن حسن الورّاق واصله من الفرس وكان شاعرًا متعصباً للفرس «راوية عارفاً بالانساب والمثالب والمنافرات منقطعاً الى البرامكة ينسخ في بيت الحكمة للرشيد والمأمون والبرامكة عمل كتاب الميدان في المثالب الذي هتك فيه العرب واظهر مثالبها»[3] وبدأ منها بمثالب قريش، ولما عمل عبدالله بن طاهر قصيدته التي فخر فيها بقومه وبقتل ابيه طاهر بن الحسين الخليفة الامين وعارضه فيها محمد بن يزيد الحصني الاموي، وردّ عليها اقبح ردّ، انتصر علّان لعبدالله بن طاهر وعارض الحصني[4]، واظهر قصيدته وكتابه في مثالب العرب، واذاعها في مجالس بغداد دون اقلّ تهيب او تقيّة. ومثل هذه الجرأة من الشعوبيين على شتم العرب وانتقاص قريش بمسمع من قصر الخلافة ومنازل الهاشميين والطالبيين هي غريبة من غوامض ذلك العصر العباسي الذي عرفنا منه شيئاً وغابت عنا اشياء.

وكان لعلّان دكان في بغداد، بجوار باب الشام، يبيع فيه الكتب وينسخ وفيه فتى يعرف بالقيرزان يورق ايضاً. ومما يدل على سريرة علان وسلاطة قلمه ولسانه انه وصف لاحمد بن ابي خالد الاحول الذي تولى الوزارة للمأمون «فامر باحضاره وبان يستكتب له فاقام في داره فدخلها احمد بن خالد يوماً فقام له جميع من فيها غير علان الوراق فانه لم يقم له فقال احمد ما اسوأ ادب هذا الوراق وسمعه علان فقال: كيف أنسب انا الى سوء الادب ومني يُتعلم الاداب وانا معدنها ولِمَ اردت مني القيام لك ولم آتك مستميحاً لك ولا راغباً اليك ولا

١) مروج الذهب ٩ : ١٣٦
٢) البداية النهاية ١١ : ١١٣
٣) الفهرست ١٥٣ – ١٥٤
٤) ارشاد الاريب ٥ : ٦٦ – ٦٨

طالباً منك وانما رغبت اليّ في ان آتيك فاكتب عندك فجئتك لحاجتي الى ما آخذه من الاجرة وقد كنتُ بغير هذا اولى منك ثم حلف ايماناً مؤكدة الا يكتب بعد يومه حرفاً في منزل احد من خلق الله تعالى»[1].

وفي مثل هذا الجواب الوقاح من علان انتقام لابي حيان التوحيدي من ازدراء الصاحب بن عباد بالوراقين وادّعائه انهم اخسّ من ان يقوموا لذوي الاقدار كما سبق لنا حكايته.

وكان الخلفاء والحكام يحرّمون احياناً تداول بعض المصنفات التي يخشون فتنتها او سوء اثرها في الدين وفي سنة ٢٧٩/٨٩٢ «حُلّف الورّاقون ان لا يبيعوا كتب الكلام والجدل والفلسفة»[2] ولما قتل الحلاج «احضر الوراقون وأُحلفوا ان لا يبيعوا شيئاً من كتب الحلاج ولا يشتروها»[3].

سوق الوراقين

كانت سوق الوراقين في بغداد وغيرها من البلاد «مجالس العلماء والشعراء»[4]. ومن الشقاء ان لا يكون حفظ لنا وصف مما كان يجري فيها من المناظرات والمحاضرات، ويُتبادل فيها من اطايب الاحاديث والاشعار وطرائف الاقوال والافكار. وكان الجاحظ يكتري حوانيت الوراقين ويثبت فيها للنظر[5]، وقد تقدم ان دكان سعد الوراق في الرها كانت مجلس كل اديب يغشاها طلاب النصارى ويتردد اليها شعراء الشام ايضاً وديار مصر[6].

والى هذه السوق كان يتوجه كل راغب في نفائس الكتب ونوادر الاخبار، ولذلك اتهم محمد النوبختي ابا الفرج الاصبهاني مؤلف الاغاني بانه «اكذب الناس كان

١) ارشاد الاريب ٥ : ٦٦ – ٦٨
٢) الكامل لابن الاثير ٧ : ١٥٠
٣) تجارب الامم لابن مسكويه ٥ : ٨٣؛ والمنتظم لابن الجوزي ٥ : ١٤٣
٤) مناقب بغداد لابن الجوزي ٢٦
٥) الفهرست ١٦٩
٦) ارشاد الاريب ٦ : ٢٧٨

يدخل سوق الوراقين وهي عامرة واندكاكين مملوءة بالكتب فيشتري كثيراً من الصحف ويحملها الى بيته ثم تكون كل رواياته منها »[1]. ولا يخفى ما في هذا القول من الحسد وقلة الانصاف.

وكان المتنبي يكثر زيارة سوق الوراقين ومطالعة ما يقع فيها من احاسن المؤلفات ؛ اخبر وراق كان يجلس اليه قال : « ما رأيت احفظ من هذا الفتى ابن عبدان (المتنبي) كان اليوم عندي وقد احضر رجل كتاباً من كتب الاصمعي يكون نحو ثلاثين ورقة ليبيعه فاخذ ينظر فيه طويلاً فقال الرجل : ياهذا اريد بيعه وقد قطعتني عن ذلك فان كنت تريد حفظه من هذه المدة فبعيد . فقال ان كنت حفظته فما لي عليك ؟ قال أهب لك الكتاب قال الوراق فاخذت الدفتر من يده فاقبل يتلوه الى آخره ثم استلبهُ فجعله في كمه وقام فعلق به صاحبه وطالبه بالثمن فقال : ما الى ذلك سبيل قد وهبته لي فمنعناه منه وقلنا له انت شرطت على نفسك هذا للغلام فتركه عليه »[2].

وهذه الحكاية ، على غرابتها ، ليست الا بعضاً مما روي من عجائب الحفظ والذاكرة ، ولا تخلو من المبالغة التي لا تكاد تتبرأ منها رواية في الشرق.

ولمثل هذه الفوائد التي كانت تُجتنى من الجلوس في حوانيت الورّاقين وشهود مناداة الدلالين قال المهلّب لبنيه : يابنيّ لا يقعدنّ احد منكم في السوق فان كنتم لا بد فاعلين فالى زرّاد او سرّاج او ورّاق[3]

---

١) تاريخ بغداد ١١ : ٣٩٩

٢) تاريخ بغداد ٤ : ١٠٢

٣) عيون الاخبار لابن قتيبة ١٢٩

تحفة القادم

لابي عبدالله بن الأبار

(مقتضب)

نشرها

الفريد البستاني

استاذ الادب العربي في معهد الدروس المغربية (تطوان)

« مؤسسة الابحاث العربية – الاسبانية » مؤسسة علمية أنشئت سنة ١٩٣٨ ، ومركزها الرئيسي تطوان (المغرب) . يرعاها صاحب السمو الملكي الخليفة المعظم مولاي الحسن بن المهدي العلوي وفخامة المفوض السامي الاسباني بالمغرب الليتنان جنرال خوان خوسي اريكي باريلا .

يعمل فيها نخبة مختارة من العلماء والبحاثة والمستشرقين ويدير القسم العربي منها الاستاذ الاديب البحاثة الفريد البستاني . غايتها : تقوية الصلات الادبية والعلمية بين اسبانيا والشعوب العربية ونشر الثقافة الاندلسية والمخطوطات النفيسة وكل ما له صلة بتاريخ العرب بالاندلس من خلال الوثائق والآثار والمخطوطات . وقد قدمت هذه المؤسسة خدمات جلى للثقافة العربية بما نشرته من مخطوطات نفيسة وابحاث قيمة تاريخية وادبية واثرية ، ولا تزال تواصل عملها المفيد بنشاط في سبيل خدمة الثقافة العربية وتاريخ الاندلس . وهذا الاثر الذي تنشره اليوم ، هو من سلسلة مجموعات المؤسسة التي اعدتها للنشر في جدول اعمالها السنوي .

(المشرق)

وصف المخطوطة

اسم المخطوطة : تحفة القادم (مقتضب) .

المؤلف : أبو عبدالله ، محمد بن عبدالله بن الأبار – القُضاعي البلنسي – ولد في بلنسية سنة ٥٩٥ هـ . (١١٩٨ م) .

توفي في تونس سنة ٦٥٨ هـ . (١٢٥٩ م) .

المنتخب : ابو اسحاق ابراهيم بن محمد البلفيقي .

عدد صفحات المجلد ٧٩ ، وفي كل صفحة ٢٣ سطراً .

نوع الخط : مغربي مائل الى الاندلسي ، غير واضح ، اسماء الاعلام في الصدر كتبت بخط كبير .

تنتهي المخطوطة هكذا : « انتهى ما قيده ابو اسحق ابراهيم بن محمد ابن ابراهيم البلفيقي من كتاب تحفة القادم لابي عبدالله بن الأبار حسبما

اختار . ومن المنقول من خطـه : ونقلته وكمل بحمد الله تعالى وحسن عونه ، . . . وكان الفراغ من نسخه لخزانة السلطـان مولانا أمير المؤمنين ناصر الـدين الباسل الضرغـام المرتضى لايالة الاسلام ابو العباس المنصور الشريف الحسني أيد الله امره واعلامه واسعد لياليه وأيامه ، في ثالث عشر جمادى الاولى عام تسعين وتسعمائة (٩٩٠) بالحضرة البيضاء فاس حرسها الله».

وفي المخطوطة ايضاً نسخة مستقلة من « زاد المسافر » لابي بحر صفوان بن ادريس المرسي المتوفى سنة ٥٩٨هـ.(١٢٠١م). تبتدئ : «اما بعد الحمد لله . . . فهذه جملة علقتها من اشعار المولدين ممن ادركته بعمري ولحقـه اهل عصري ، ولم أتوخَّ التقديم فيه ولا التأخير . » اما المخطوطة التي نحن بصددها فتبتدئ :

«اسئل الله عوناً على حمده الفرض، وصوناً من الرفض، لما يشمر مضاعف القرض.

وبعد فهذا اقتضاب من بارع الاشعار، بل يانع الازهار، قصرته على أهل الاندلس بلدي ، وحصرته الى من سبق وفاته منهم مولدي ، ثم ألحقت بهم افراداً لحقهم شيوخ ذلك الاوان ، لاضاهي انموذج ابي علي بن رشيق في شعراء القيروان ، واضفت هؤلاء الطارئين على الجزيرة من الغرباء، وربأتُ به عما تضمنته تصانيف السابقين من الادباء . . . ولما عارضتُ به « زاد المسافر » سميته « تحفة القادم ».

يظهر جلياً مما تقدم ان ابن الآبار اراد بتأليفـه هذا ان يجمع في كتاب ما سها عنه مؤرخو الادب الاندلسي من آثار اعلامه ، واغفله من سبقه من الادباء ومن عاصره، ويعارض به صفوان بن ادريس المرسي صاحب « زاد المسافر » ، ويتحدى ابن رشيق في شعراء القيروان.

فاضـاف بعمله هـذا فصلاً قيماً الى تاريخ ادباء العرب في الغرب ، وفتح باباً جديداً في دراسات تاريخ الادب الاندلسي.

ثم جاء ابو اسحاق ابراهيم البلفيقي فاختار من «التحفة» ما اختار ونسخه لخزانة سلطان المغرب المنصور الشريف الحسني ، وسماه «المقتضب من تحفة القادم»

ونحن نقدمه لادباء العربية الامجاد عن نسخة مكتبة الاسكوريال ، ولا تخلو هذه النسخة من الاغلاط والهفوات والتصحيف . وقد اجتهدنا في تحقيقها ما امكن ، مع المحافظة على الاصل.

الفريد البستاني

تحفة القادم

مقتضب من كتاب تحفة القادم

من تأليف الشيخ الفقيه الجليل المحدث الكاتب الابرع
الحافل المسند الكامل الاوحد أبي عبد الله محمد بن
عبد الله بن أبي بكر بن عبد الله بن عبد الرحمن
ابن احمد بن ابي بكر بن الابّار القُضاعي
أكرمه الله تعالى بمنه حسبما اقتضاه
الاستعجال وترك اليه شغل البال
والله المستعان لا رب غيره

قال في الصدر : أسئل الله عوناً على حمده الفرض ، وصوناً من الرفض ، لما يثمر مضاعف القرض ، ومحمداً صلى عليه وعلى آله وصحبه الذين اشبهوا نجوم السماء في الارض ، صلاة تدخلني في زمرة الجنّة اذا اخرج بعث النار يوم العرض.

وبعد ، فهذا اقتضاب من بارع الاشعار ، بل يانع الازهار ، قصرته على اهل الاندلس ، بلدي ، وحصرته الى من سبق وفاتنه منهم مولدي ، ثم الحقت بهم افراداً لحقهم شيوخ ذلك الاوان ، لأضاهي انموذج أبي علي ابن رشيق في شعراء القيروان ، وأضفت هؤلاء الطارئين على الجزيرة من الغرباء ، وربأت به عما تضمنته تصانيف السابقين من الادباء. ليكون بريعانه وضيعته ابعد من خسرانه وضيعته . فجئت بجواهره لم يبتذل مصونها ، وبأزاهره لم تهتصر غصونها ، مسارعاً الى ما لهم من أبيات سائرة وآيات سافرة ، وشارعاً في تكميل عددهم مائة شاعر وشاعرة ، وجعلته باكورة ما بين يدي في هذا الفن ، والله المستعان ذو الطَّول والمن .

ولما عارضت زاد المسافر ، سميته تحفة القادم ، وحيته اسجاع الناثر ، اكتفاء بقوافي الناظم ، ناسياً من ذكر في ترجمته ابو بحر بن ادريس جامعه ،

وآتياً من روائع البديع ما يهتز له مبصره وسامعه ، كتشبيه لابن المعتز فاضح ، وتشبيب ازراؤه بالرضي واضح ، اعيا الاول وله السبق يوم الرهان ، وانسى الثاني ليلة الشفع وظبية البان ، الى فنون ذوات فنون من الآداب ، ساحرة للألباب ، وساحرة من الكلم اللباب . ثم قال : وهذا اوان الشروع ، في المراد بهذا المجموع فابتداء بالاول فالاول في الزمان ، وربما قدمت الاكبر بالمكان ، الا ان يعرض من النسيان ، ما هو موكل بالانسان

١ – أَبُو عَبْد الله محمّد بْن عَبْد الرّحمان بن خَلَصَة اللَّخْمِيُّ

من أهل بلنسية . وكان بها يدرس العربية والآداب . وأقرأ وقتاً بدانية . ثم انتقل الى المرية . وهنالك توفي سنة تسع عشرة وخمسمائة ، حكى ذلك ابن الصَّيْرفي ، وقيل سنة عشرين ، وقيل سنة احدى وعشرين .

ومن قوله في ابي العلاء بن زهر من قصيدة :

غدت عند امواه الغيوم الدّوافق تفيض بما تُوري زناد البوارق
أثارت جهات الشرق لمّا احتللته فكاد الرجا يجلو لنا وجهَ شارقِ
وكم زفرَتْ شوقاً بلنسيةُ المنى اليك ولكن رُبَّ حسناء طالقِ
ولو قُسمَت اخلاقُك الغُرُّ في الدنا لما صوّحت خضر الربى والحدايقِ

وله يخاطبه وقد استدعى منه كتاباً :

يا وزرًا تفصحُ الليالي بانه سرُّها اللُّبابُ
ومَن معانيه سافراتٌ والشمس من دونها نقابُ
حددتَ لي فامتثلتُ امرًا ها انا بالباب والكتابُ

قال : وينسب الى خَلَصَة ايضاً الاستاذ النحوي ابو عبدالله الضرير الداني . وليس من شرطنا ، لتقدّم وفاته في آخر المائة الخامسة ، ولانه ايضاً مذكور في كتاب الذخيرة لابن بسّام . وابو عبدالله محمد بن يوسف ابن خلصة المعافري الشاطبي احد الرواة عن ابي عمر بن عبد البر ، وليس بمحدود بين

الادباء ، قال الشيخ : واردت بهذا الانباء والانباه ، التفرقة بينهم خيفة الاشتباه .

٢ – أبو الصَّلت أميَّة بن عبد العزيز بن ابي الصَّلت

من أهل اشبيلية . وسكن المهدية . واتصل بأميرها يحيى بن تميم بن المعزّ الصنهاجي ، ثم بابنه عليّ بن يحيى ، وبعده بالحسن بن علي ، آخر ملوك الصنهاجيين بها . وتوفي في صدر ولايته سنة عشرين وخمسمائة او بعدها . وقيل توفي مع ابي عبدالله المازري في سنة ست وثلاثين ، والاول اصح . ومن خبره انه خرج من اشبيلية ابن عشرين سنة ، ولزم التعلّم بمصر عشرين سنة ، ثم اوطن المهدية عشرين سنة .

حُدّثت بهذا عن ابي عبدالله بن عبد الخالق الخطيب بها ، عن بعض من ادرك من شيوخها . وله تواليف عديدة في الطب ، وهو كان الغالب عليه ، وفي الادب والعروض والتاريخ . فمن مدائحه في يحيى بن تميم ، يصف فرساً له كان يسمى هلالاً لغرّة في جبهته هلالية الشكل

شهدتُ : لقد فات الجيادَ وبذّها ... جواده هذا من وراد ومن شقر
جواد تبدّت بين عينيه غرّة ... تريك هلال الفطر في غرّة الشهر
كأنّ الصباح الطلق قبّل وجهه ... وسالت على باقيه صافيةُ الخمر
كأنّك منه ، اذ جذبت عنانه ، ... على منكب الجوزاء او مفرق النسر
كأنّك ، اذ ارسلته فوق لجّه ، ... تدفعها ايدي الرياح الى الجبر
تدفقتما بحرين : جوداً وجودةً ... ومن اعجب الاشياء بحر على بحر

وله ايضاً فيه ، ويصف بعض مبانيه :

قم يا غلام ودع مخالسة الكرى ... لمهجّر يصف النّوى ومغلّس
ما رأيت النور يشرق بالندى ... والفجر ينصل من خضاب الحندس

والترب في ظلل الحديقة مرتقٍ والغصن من حلل الشبيبة مكتسٍ
والروض يبرز في قلائد لؤلؤ والارض ترفل في غلائل سندسٍ
لا تعدم الالحاظ كيف تصرفت وجنات ورد او لواحظ نرجسٍ

قال الشيخ ابو عبدالله من كلام في المباني السلطانية بعضها . فمن ذلك قوله :

وضاحة جلت الانوار ساحتها فأزمعت رحلة عن افقها السدفُ
كأنَّ رأد الضحى ، مما يغازلها عن الغزالة ، هيمانٌ بها كلفُ
تجمَّعت وهي أشتاتٌ محاسنها هذا القدير وهذي الروضة الأنفُ
يضاحك النورُ فيها النَّوْرَ من كثبٍ مهما بكت للغواني اعينٌ ذُرُفُ
خُضرٌ خمائلها زُرقٌ جداولها فالحسن مؤتلف فيها ومختلفُ
دوحٌ وظلٌّ يلذّ العيش بينهما هذا يرفُّ كما تهوى وذا يرفُ
يجري النسيم على ارجائها دنفاً وملؤه أرجٌ يشفى به الدنفُ
حاكَ الربيع لها من صوبه حبَرًا كأنها الحلل الافواف والصحفُ
غريرةٌ من بنات الروض ناعمة يثني معاطفها في السندس الترفُ
تندى اصائلها صفرًا غلائلها كأنَّ ماء نُضارٍ فوقها يكفُ

وله في المصنع المعروف بابي فهر :

نمت صعدًا في جدة غرفاته على[عمد منها](؟)استجاد لها الجدُّ
يخيّلن قامات وهنَّ عقائل سوى انها لا ناطقات ولا مُلدُ
قدود كساها ضافي الحسن عريها وامعن في تنعيمها النحتُ والقدُّ
تذكر جنات الخلود حدائقاً زواهر لا الزهراء منها ولا الخُلدُ
فاسحاره تهدي لها الطيب منبجٌ وآصاله تهدي الصبا نحوها نجدُ
اناف على شُمِّ القصور فلم تزل تنهّد وجدًا من قصور وتنهدُ

رحيب المغاني لا يضيق بوفده ولو ان اهل الارض كلهم وفدُ
تلاقى لديه النور والنُّور فانجلت تفاريقَ عن ساحاته الظلمُ الرُّبدُ

وسجن ابو الصَّلت بمصر فقال في ذلك :

عذيريَ من دهرٍ كأنّي وترتُه بباهر فضلي فاستقادَ به منّي
تعجّلني بالشيب قبل اوانه فجرّعني الدرديَّ من اول الدنِّ
وما مرَّ بي كالسجن فيه ملمَّةٌ وشرٌّ من السجن المصاحبُ في السجنِ
اظنُّ الليالي مبغياتي بحالةٍ تبدّل فيها حالتي هذه عنّي
والّا فما كانت لتبقى حشاشتي على طول ما القى من الضيم والغبنِ
وقالوا حديث السنّ يسمو الى العلى كأنَّ العلى وَقْفٌ على كِبَرِ السنِ
وما ضرّني سنّ الحداثة والصبى اذا لم يُضف خلقي الى النقص والأفنِ
فعام بلا دعوى ، ورأيٌ بلا هوى ووعد بلا خلف ، ومَنٌّ بلا مَنِّ
متى صفت الدنيا لحرّ فابتغي بها طيب عيشٍ او خلوصاً من الحزنِ
وهل هي الّا دارُ كل ملمَّة امضّ لاحشاء اللبيب من الطعنِ

وقال ابو الصَّلت :

تجري الامور على حكم القضاء وفي طيّ الحوادث محبوب ومكروهُ
فربما سرّني ما بتُّ احذره وربما ساءني ما بتُّ ارجوهُ

٣ — ابو العباس احمد بن محمد بن عبدالله بن ابراء التُّجيبي

من الجزيرة الخضراء . ومعدود في المجيدين من الشعراء ، له ديوان نظم ونثر كبير . وفارق وطنه وهو صغير ، منتزحاً الى الصحراء ، وممتدحاً لمن كان فيها حينئذٍ من الامراء . قال : واراه لم يعد الى داره ، كما لم يعد الحنين اليه في تأويبه وسراه . فمن قوله :

سقى وَاكِفُ القطر الجزيرةَ انني اليها ، وان جدّ الفراق ، لوامقُ
ديارًا بها فارقت عصر شبيبتي فيا حبّذا عصر الشباب المفارقُ
شباب شفى نفسي وودّع مسرعاً كما زار طيفٌ او تفوّجُ بارقُ
قضيتُ به حقّ الهوى واطعته فايامه في عين فكري حدائقُ

وقال بالقيروان ، وقد بلغه ان ابا الفضل يوسف بن النحوي ذمّ خطّ اهل الاندلس ، من قصيدة اولها :

تنسّمْ اريجاً لم يضع من لطائمِ وعرّج على ربع لميّة طاسمِ
ترحلتُ عن ارضي فافضت بي النوى لارض ذياب في ثياب ضراغمِ
فكم فيهم من عايب قمر الدجى ومستتر منهلّ قطر الغمائمِ
رمى معشري بالذمّ منطق يوسفٍ وحسن الثريّا مفحمٌ كل ذائمِ
ابا الفضل لا ترتب بانك من فمي سليم أفاعٍ لست منها بسالمِ
اراك سفاهاً عبت خطّ معاشر بهم تسفر الايام عن وجه باسمِ
فان يك فضلًا ما تشي يد كاتب فكل الملا فيما تشي يد راقمِ

وله من قصيدة يردّ فيها على ابي الفضل ، وقد بلغه انه ذم ابا عمر بن عبد البر :

معتوه قسطليةٍ ينفي رياضتنا ومن يردْ قنصَ العنقاء لم يصدِ
تفيضُ دون مناها نفس حاسدنا وكيف للغور يعلو ذروة السندِ
تعساً ليوسف ان منّاه خاطره لحاقنا وهل المرماض كالشدِ
باحث بذمّ ابن عبد البرّ قولته ان الحسود على المحسود ذو حردِ
كم يتعب النفس فيما ليس يبلغه والصبح يعظم عنها كل ذي لبدِ
لو حلّ ساحة قومي كان مطّرحاً كبهرج لحظه في عين منتقدِ
دعوى العلوم تحلّاها فاشبههم كما تشابه لفظ السعد والسعدِ

وتوفي ابوه وهو على حالة من الاغتراب والاضطراب فكتب الى اخيه مع نثر :

تبّت يد البين كم من مهجة عبثت بها وكم من فؤادٍ فهو منصدعُ
دنوّ ربعك اقصى ما اؤمله لكن منال الذي لم يقصَ ممتنعُ

وكان ابوه ابو بكر احد شيوخ ابي الفضل عياض رحمه الله . قال : انشدني ابو جعفر بن الدلال ببلنسية عن ابي الحجاج بن الشيخ سمعه منه بمالقة عن ابي طاهر السلفي سمعه منه بالاسكندرية ، قال : انشدني الامام ابو المظفر الاسروي لنفسه بهمذان :

وقصائد تحكي الرياض اضعتها في باخلٍ ضاعت به الاحبابُ
فاذا تناشدها الرواة وابصروا الممدوح ، قالوا : ساخر كذّابُ

٤ — ابو الحسين سليمان بن محمد السبادي

المعروف بابن الطرواة ، من اهل مالقة . امام العربية في عصره وصاحب التواليف المشهورة فيها ، فمن قوله في فقهاء مالقة :

اذا رأوا جملًا يأتي على بعد مدّوا اليه جميعاً كفَّ مقتنصِ
ان جئتهم فارغاً لزّوك في قرنٍ وان رأوا رشوة أفتوكَ بالرخصِ

وكانت وفاته في رمضان وقيل في شوال سنة ثمان وعشرين وخمسمائة .

٥ — ابو عمر احمد بن خليل الاقديّ

من أهل بلنسية . كان طبيباً اديباً شاعرًا صاحب افتنان ، ومقطعات حسان . وهو القائل :

ومذعورةٍ من حَليها قد ذعرتها بسلّةِ مطرور الغرار مهنّدِ
فما وَجدتْ للحزم الا التفاتة ترقرقها ما بين دمع واثمدِ
حكمتُ على الحاظها بعض حكمها فحسبك مني معتدٍ غير معتدِ

٦ – ابو القاسم خلف بن يوسف بن فرتون بن الأبرش النحوي

من اهل شنترين . تجول في بلاد الاندلس وغيرها معلماً بالعربية . توفي بقرطبة في ذي القعدة سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة . فمن قوله ، قال الشيخ : انشدنا ابو الربيع ابن سالم قال : انشدنا ابو القاسم بن سمجون قال : انشدنا ابو العباس احمد بن ابي القاسم بن الابرش لابيه :

لقد كنتُ اخشى ان تكون بحالة فقد وقع الأمر الذي كنت احذرُ
فلقِّن لساني ان لقيتك حجة فعند ارتحالي ان نسيت ساذكرُ

وله بالانشاد المذكور :

لو لم يكن لي آباءٌ اسود بهم ولم تثبّت كبار العُرب لي شرَفا
ولم انلْ عند ملك القصر منزلةً لكان في سيبويه الفخر لي وكفا

وزاد ابو الربيع بيتاً ثالثاً عن ابن حميد بالانشاد عن ابن الابرش كذلك ، وانشدنيه الفقيه ابو عبدالله : انشدنيه ابو الربيع :

فكيف علمٌ ومجدٌ قد جمعتهما وكل مُختلق في مثل ذا وقفا

وبالانشاد الاول له :

رأيت ثلاثة تحكي ثلاثاً اذا ما كنت في التشبيه تنصفْ
فتاج النيل منفعة وحسناً ، ومصرٌ شنترين ، وانت يوسفْ

وما احسن قول شيخنا ابي الحسن بن حريق في هذا المعنى وانشدنيه :

اصبحت تدمير مصراً شبهاً وابو موسى يوسف

٧ – ابو بكر محمد بن ابراهيم القُرشيُّ العامريُّ

الخطيب النحوي . من أهل شلب . واصله من مدينة باجه . اوصى ان يكتب على قبره :

لئن نفذ القدَرُ السابقُ بموتي كما حكم الخالقُ
فقد ماتَ والدنا آدم ومات محمدٌ الصادقُ
ومات الملوك واشياعهم ولم يبقَ من جمعهم ناطقُ
فقل للذي سرّه مهلكي تأهبْ فانك بي لاحِقُ

وللناس فيما يكتبون على القبور كثير مستجاد ، من ذلك قول ابي اسحق بن خفاجة :

خليليَّ هل من وقفة لتألم على جدثي او نظرة بترحم
خليليَّ هل بعد الردى وهل بعد بطن الارض دار مخيم
وانّا ، حيينا او رددنا ، لإخوةٌ فمن مرَّ بي من مسلم فليسلّم
وماذا عليه ان يقول محيياً ألا عِمْ صباحاً او يقول الا اسلم
وفاء لاشلاء كرمْنَ على البلا فماجَ عليها من رفاتٍ واعظم
يردد طورًا آهة الحزن عندها ويذرف طورًا دمعة المترحم

وقول ابي بكر عبد الرحمن بن محمد بن مغاور الكاتب :

ايها الواقع اعتبارًا بقبري اسمعنْ فيه قول عَظْمٍ رَميم
اودعوني بطن الضريح وخافوا من ذنوب كلومها باديم
قلت لا تجزعوا عليَّ فاني حسن الظن بالرؤوف الرحيم
واتركوني بها اكتسبتُ رهيناً غلق الرهن عند مولًى كريم

قال المؤلف : قال انشدنيها ابو الربيع بن سالم قال : انشدنا اولاهما ابو رحّال ابن غلبون برسية قال : انشدنا ابو اسحاق ، يعني ابن خفاجة لنفسه وذكرها ، قال ابو الربيع : وانشدنا الثانية قائلها على باب داره بشاطبة

٨ – ابو العباس احمد بن محمد الصنهاجي

ابن العريف الزاهد . من أهل المدينة . وليّ الحسبة ببلنسية . وقد اقرأ بسرقسطة . وبعد ذلك بعد صيته في العبادة . توفي سنة ست وثلاثين ودفن بمراكش وقيل انه سُمّ . وله اخبار انظرها في غير هذا الموضع . وله نثر ونظم . فما ذكر قوله :

قفا وقفة بين المحصّب والحمى نصافحْ باجفان العيون المغانيا
ولا تنسيا ان تسألا سمر الهوى متى باتَ من سُمر الاسنّة عاريا
فمهدي بـه والماء ينساب فوقه سماء وماء الورد ينساب واديا
كأنّ فؤادي في فم الليث كلما رايت سنا برق الحمى او رآنيا
اقـام على اطلالهم ضوء بارقٍ من الحسن لايبقى على الارض ساليا
سلام على الاحباب تحدوه لوحة من الشوق لم تفقد من البين حاديا

وقال :

تمشّى والعيون لـه سوامٍ وفي كل النفوس اليه حاجَه
وقـد مُلِئت غلائله شعاعاً كما مُلئت من الخمر الزجاجَه

وقال :

اذا نزلت بساحتـك الرزايا فلا تجزعْ لهـا جزع الصَّبيِّ
فـان لكل نازلة عَزاءً بمـا قد كان من فقد النَّبيِّ

٩ – أبو الحكم جعفر بن يحيى

المعروف بابن غتال . من أهل دانية ، ولسلفه بها نباهة ، وهو القائل : قـال الشيخ انشدنا ابو الحكم بن غتال ارتجالاً في غلام وسيم لسعته نحلة في شفته :

ان لسعت لمساءه نحلةٌ ولم تسعها رخصة في اللممْ
عذرتها اذ اخذت شهدها من شفة تشهد فيها لفمْ
لا غروَ في النحل ويُوحى لها ان تلثم الزهر اذا ما ابتسمْ

ودخل هو وابو بكر بن مغاور وصاحب لهما من الأدباء حمام بيار من جهات شاطبة ، فصادفوا هواء باردًا فقال ابن مغاور :

شرفت بحمام البوار بيار فدخانه تمشى به الابصار

وقال الآخر :

تروم تنعماً في دفئه يغشاك قرٌّ ما عليه قرار

وقال ابو الحكم :

لو انَّ لي فيه عصا موسى على آياتها ما فرَّ عني الفار

فقال ابن مغاور : هذا على انك ابن غتّال (وهو اسم الفرّ مصغّرًا باللسان العجمي .)

١٠ — أبو محمد عبدالله بن محمد بن الخلف الصدفي

من أهل بلنسية . ويعرف بابن علقمة ، وابوه الكاتب ابو عبدالله ، هو صاحب تاريخها . وكتب ابو محمد هذا للقاضي ابي الحسن بن عبد العزيز . وفيه يقول ابو العباس بن العريف الزاهد :

من عجب الدهر وآياته سُكَّرة تعزى الى علقمَهْ
خيف عليها العين من طيبها فهي باضداد الكنى معلمَهْ
بيّنة المعنى الذي فطنة لانها في اللفظ علق ومَهْ

ومن شعره يخاطب الاستاذ ابا عبدالله بن خلصة عقب ابلاله من مرض ارجف فيه بموته :

نعوذُ وقاك الله كلَّ ملمَّة وما هو نَعْيٌ بل مصحَّفه بغيُ
وينعٌ لزهر الجسم بعد ذبوله وبالضد من معناه يبدو لنا الشيُ
فهذا صحيح الزجر بادٍ دليله ولله فينا الحكم والأمر والنهيُ

فجاوبه ابن خَلَفَة بابيات منها :

لئن كنت منعياً فما الموت وصمةٌ لقد نعيت قبلي الرسالةَ والوحيُ
ليقهرْ عدوٌّ او ليظهرْ شماتةً فعمَّا قريبٍ يتبع الميتَ الحيُ

١١ — ابو القاسم احمد بن محمد بن وَرْد التميمي

من اهل المرية . قال الشيخ : سمعت ابا الربيع الكلاعي : سمعت ابا الخطاب بن الجميل : سمعت ابا موسى عيسى بن عمران يعني قاضي الجماعة يقول : لم يكن بالاندلس مثل ابي القاسم بن وَرْد ولا احاشي من الاقوام من احد . توفي سنة اربعين وخمسمائة . قال الشيخ : حدثني ابو الربيع ابن سالم بلفظه ثم بقراءتي عليه ، قال : حدثني ابو عبدالله بن ابي عمر هو ابن عياد عن ابيه قال : حدثني ابو بكر بن نجاح الواعظ قال : دخلنا على ابي القاسم بن ورد عايدين له في مرضه الذي توفي فيه ، فسألناه عن حاله ، فاستند ثم انشدنا لنفسه :

عشر الثمانينَ وعمرٌ طويلْ لم يبق للصحبة الّا قليلْ
لا تحسبوني ثاوياً بينكم فقد دنا الموتُ وحان الرحيلْ

١٢ — أبو الطاهر اسماعيل بن مسعود الخُشَنيُّ

ابن ابي رُكب من أهل جيان ، هو عم ابي ذر . قال المؤلف : انشدنا أبو الربيع عن ابي حميد : انشدنا ابو بكر بن مسعود لاخيه اسماعيل وحدثني

قال: حدثني ابو الربيع بلفظه قال: حدثني ابو الحسين بن زرقون ان اباه شيخنا رحمه الله حدثه قال: كنا يوماً بسبتة في جملة من الطلبة ومعنا ابو الطاهر اسماعيل ابن مسعود. وكان ابو الطاهر هذا اديباً شاعراً فاضلاً فمرّ بنا رجل صنع وفي يده محبرة ابنوس، وقد احتفل في عملها وتأنق في حليتها فاراناها وقال: ان هذه المحبرة أريد ان اقصد بها الى بعض الكبراء وارغب ان تتموا لي احتفالي فيها بان تصنعوا لي بينكم ابيات شعر ادفعها معها رجاء ان يكون ذلك انجع لغرضي منها، قال أبي: فاطرقنا نفكر في مطلبه وبدرنا ابو الطاهر فقال:

وافتك من عُدَد العلى زنجيّةٌ ... في حلّةٍ من حِليةٍ تتبختر
سوداء صفراء الحُلِي كأنها ... ليل تطرزه نجومٌ تزهر

فسرّ الرجل بها وسأل كتبها فكتبت له. وانفصل عنا شاكراً ما كان من اسعافه. فلم يغب عنا الّا يسيراً واذا به قد عاد الينا، وفي يده قلم نحاس مذهّب فقال لنا: وهذا مما اعددته للدفع مع هذه المحبرة وانسيت قبل ذكره لكم، فتفضلوا باكمال الصنيعة. فبدر ايضاً أبو الطاهر وقال:

حملت باصفر من نجار حُليها ... تخفيه احياناً وحيناً يظهر
خرصان الّا حين يرضع ثديها ... فتراه ينطق ما يشاء ويذكر

وحكي لي انّ أبا الطاهر هذا حضر مع جماعة من اصحاب فيهم ابو عبدالله ابن زرقون متنزهاً في بعض الاعوام. وفي عقب شعبان منه، فلما تماوا بالطعام قال أبو الطاهر لابن زرقون: أجز يا ابا عبد الله فقال:

حمدت لشعبان المبارك شيمة ... تسهّل عندي الجوع في رمضان
كما حمد الصبّ المتيم زورةً ... تحمّل فيها الهجر طول زمان

فقال ابو الطاهر:

دَعوها بشعبانيّة ولو انهم ... دعوها بشعبانيّة لشعبان (كذا!)

قال: وحدثني بهذه الحكاية شيخنا أبو الربيع وانشدني الابيات لابن زرقون قال : اكلة ، مكان شبعة .

١٣ ـ ابو بكر محمد بن ولّادٍ

من أهل شلطيش بغرب الاندلس . له:

نطوي سبوتاً وآحاداً وننشرها ونحن في الطيّ بين السبت والاحدِ
فعدّ ما شئت من سبتٍ ومن احدٍ حتى تصير مع المدخول في العددِ

وهذا كما قال ابو بكر بن دريد في رثاء ابي جعفر الطبري :

ما زلت تكتب في التاريخ مجتهداً حتى رأيتك في التاريخ مكتوبا

وكان لابن ولّادٍ هذا حفيد صغير يتعلم في الكتاب ، فتغدى معه ذات يوم ، وقد خبز منه قبلاً وفطنة فسأله اجازة قوله :

اكلنا الخبز مصبوغاً بزيتٍ

فقال الصبي:

غذاء نافعاً في وسط بيتٍ

ثم قال ابن ولّاد:

فلو شيء يردّ الميت حياً

فقال الصبي:

لكان الخبز يحيي كل ميتٍ

وله في علّة طاولته :

ملّني المائدات والموّادُ وجفاني الكرى فليلي سهادُ
قد الفت الفراش حولاً عليلاً وبكبدي من السقام كُبادُ
انّما الداء والدواء من الله وان كان للطبيب اجتهادُ

وله مما وجد بخطه بعد موته :

ارجوك يارب في سر وفي علن ... انّ الرجاء اليك اليوم يحملني
من ذا يؤنسني في القبر منفرداً ... ان لم تكن انت يامولاي تؤنسني
وسوف يضحك خل قد بكى جزعاً ... بعدي ويسلو الذي قد كان يندبني
ذنبي عظيم ومنك العفو ذو عظم ... فكيف يارب عن عفو تجنّبني
سميت نفسك رحماناً فقد وثقت ... نفسي بانك يا رحمان ترحمني

١٤ ــ ابو أسحاق بن ابراهيم بن محمد التُطَيلي الضرير

نشأ بقرطبة وسكن اشبيلية . وكان يعرف بالتُطَيلي الاصغر ، واشتهر بالشعر بعد ابي العباس التُطيلي الأعمى بزمان يسير ، وهو القائل من قصيدة يذكر فيها عماه :

يمشي الى وطء ما ينتاله قدما ... يهوي الى لمس ما يعدو عليه يدا
يمشي فتحسبه يقضي الصلاة خُطاً ... اذا استوى رافعاً من ركعة سجدا
تهوي به قدماه صولجي لعب ... تنزو السلام كرات عنها بددا
خالطْ لبني الدنيا مفارقهم ... قد غابَ عنه من الاشياء ما شهدا
شمس البصيرة أعيت كوكبي بصري ... كذا سنى النجم في شمس الضحى خمدا
ان نازع الدهرُ في ثنتين من عددي ... فواحد في ضلوعي يبهر العددا
يغني عن الشهب في اجفانه مقلاً ... من كانت الشمس في اضلاعه خلدا
من طال خلقاً نفى عن خلقه قِصرًا ... لا تقدر الجلد منه واقدر الجَلَدا

ومنها :

ان تجفُ حمص فتجفو غير ذي رحم ... تعصباً لبنيها فيه اذْ مَجُدا

وغاظها ان رأت إنجاب ومن رأى كرماً في ندّه حقدا
فان نَمَتْني وليدًا دار قرطبة وانكرتني وسنّي قد وفى رشدا
فعذرها ان امّ الليث ترضعه شبلًا وتمنع منه درّها اسدا

وله :

اتاك العذار على غِرّة وانت على غفلة فانتبهْ
وقد كنت تأبى زكاة الجمال فصار شجاعاً فطوّقت بهْ

وله :

ومعذّر رقّت له خمر الصبا حيث العذار حَبا بها المترقرقُ
ديباج حسن تاهَ غفلًا ناقصاً فاتمه علم الشباب المونقُ
وشكا الجمالُ مقيله في روضه فاظلّهُ آس العذار المشرقُ
عامت بماء الصقل شامة خدّه فغدا العذار زويرقًا لا يغرقُ
ان كان يمحو نقشه من وجهه فطُلى الغزال بمسكها تتعلقُ

وله من قصيدة يصف رمحاً :

واسمر يضحي في شعاع سنانه وان كان من خفق اللواء لفي ظلِ
حوى جرأة الاعراب من سمرة القنا وحاز دهاء الروم من زرقة النصلِ
علا نصله للشهب فانحطّ لدنه الى القضب عن فرع يحنّ الى الاصلِ
يقوّمه بأس الحديد الى الوغى فيعطفه لين القضيب الى الدّلِ

ومنها يصف سيفاً :

وابيض يحكي الموت فعلًا ودقة فلولا شعاع الصقل لم يبدُ عن نصلِ
يذيب بنار الصقل كل مفاضة فما تقع الغربان الّا على مهلِ
وقد عجّمت دود النوائب نصله فعضّت وما ابدت سوى اثر النملِ

وله يصف قلماً :

واعجم الصوت قد القت به العربُ اقل شيء لديه الشعر والخطبُ
يزهو البيان اذا ما شقّ مهوله واذ يقطُّ ففي افصاحه العجبُ

١٥ ــ ابو عبدالله محمد بن علي بن عطيّة الكاتب (رحمه الله)

من أهل بلنسية . ويعرف بابن الشوّاش . وكان أبرع اهل عصره خطاً ؛ والتنافس فيما يوجد من وراقته متصل الى اليوم . وله يخاطب ابا الحسن بن الزّقاق معترضاً ومختبراً من قصيدة طويلة :

يامهدياً قطعاً زالت معانيها الفاظها زينة الاسلاك للعنق
عند امتحان الفتى تبدو حقيقته أصدق دعوى اتى ام قول مختلق
والطّرف ليست ترى في القيد خبرته حتى يمرّ مع الفرسان في طلق
وقد بعثت بها غراء حالية تبغي جواب معانيها على نسق
فان تجاوب على ما قلتُ اقر انك معصوم من السرق

واولها :

يازائراً صدّه عن مضجعي أرقي والصبح يفترّ ثغراً في لمى الغسق

١٦ ــ ابو عبدالله محمد بن شبيه الاقليميّ

من اقليم غرناطة . ويلقب بالعقرب . وهو القائل يخاطب القاضي أبا محمد ابن سماك ؛ وقد حمل عليه في قضية فملّح ما شاء . افادني ذلك الحافظ ابو الربيع بن سالم وانشدنيه عن أبي جعفر بن حكم عنه :

لله حيٌّ يا أميمَ حواكِ وحمائمٌ فوق الغصون جواكِ

غنّين حتى خلتهنّ غنينني لغنائهنّ فنحت في مغناك
اذكرنني ما كنت قد انسيته لقديم هذا الدهر من شكواك
اشكو الزمان الى الزمان ومن شكا نكد الزمان الى الزمان فشاك
شكوايَ بالقاضي اليه وما أرى في الجوّ يشكو عقرب بسماك
يابن السّماك المستقلّ برمحه والعزل ترهب ذا السلاح الشاكِ
راعِ الجوار فبيننا في جوّنا حق السّرى والسير في الافلاكِ
وابسط لي الخلق المشوب ببسطه ظرف الكرام بعفة النُّساكِ
وانا اذكر لم يفت من لم يمت فدراكِ ثم دراك ثم دراكِ

وضبط اسم ابيه بالشين المعجمة المفتوحة والباء المكسورة بواحدة من اسفل بعدها ياء باثنتين.

١٧ — ابو محمد محارب بن محمد بن محارب

من أهل وادي آش . له يمدح القاضي ابا الفضل عياض اثناء مقامه من انشاية :

غدا سلس القياد لها نُواضُ وعمّ جميع لمّته البياضُ
واضحى القلب لا تصبيه هند ولا سلمى ولا الحدق المراضُ
ولا يشجيه طيب نسيم نجدٍ ولا تُسليه بالزهر الرياضُ
وان غنّى الحمام بغصن أيك فمن عضّ الزمان به عِضاضُ
وقائلة أتكرع في ثمادٍ وقد لاحت لدن يدها الحياضُ
الى كم ذا تقول الكلّ خطب مقالة من المّ بها المخاضُ
وتنقبض انقباض العيّ حتى اضرّ بكَ السكونُ والانقباضُ
ووَجدُ بني عياض بالمعالي مدى الدنيا حديثٌ يستفاضُ

اذا قصدوا اثاروا الجود بحرًا وسالوا بالمكارم ثم فاضوا
فقلت لها ومن منهم عياذي فقالت ذاك سيدهم عياضُ
يقارض من أساء بحسن صبرٍ وامر الدين والدنيا قراضُ
ففي الآداب جدول ماء مزن وفي الآراء بحر لا يخاضُ
ويبرم ما يروم فليس يخشى على امر، وابرمه، انتقاضُ
يهيم بكل مملوة وفضلٍ كما قد هام بالعليا مضاضُ
ومن تعلقَ حبال بني عياضٍ يداه فلا يضام ولا يهاض

وذكر من مناقب عياض ما اذكر منه متصلًا بالارشاد . فانشدنا الشيخ ابو عبد الله قال: انشدني ابو عبد الله محمد بن محمد بن عبد العزيز الشاطبي صاحبنا بحضرة تونس قال: انشدنا الامام تقي الدين ابو عمر بن الصلاح لنفسه في مشارق الانوار، وكان لا يغب مطالعته والاستفادة منه بعد تهوده لاسماع الحديث بالدار الاشرفيّة بدمشق:

مشارق انوار تبدّت بسبْتَةٍ وذا عجبٌ كون المشارق بالغربِ

وذكر الابيات التي اولها « ظلموا عياضا » ونسبها الى ابي عامر المالقي .

١٨ — ميمون الهواريّ

من اهل قرطبة واحد القادمين من فقهائها ونبهائها غزاة مع الامير تميم بن يوسف بن تاشفين ، والقاضي ابو الوليد بن رشد فيهم ، ومصرف حكمهم اليه . فنزلوا بظاهرها . فلقيهم ابو محمد بن أبي جعفر هنالك . ودار بينهم في مجتمعهم ذاك ما افضى الى التفضيل بين « لا اله الا الله » وبين « الحمد لله » فقلّب ابو الوليد « الهيْلَلة » وابو محمد « الحمدلة » . فقال ميمون هذا يخاطبه زارياً عليه وكتب بها اليه :

أعِد نظرًا فيما كتبت ولا تكن بغير سهام النضال مسارعا
فدونك تسليم العلوم لاهلها وحسبك منها ان تكون متابعا
اخلت ابن رُشد كالذين عهدتهم ومن دونه تلقى الهزبر المدافعا

فقال ابو جعفر بن وضّاح يراجعه عن ابن ابي جعفر:

لعمرك ما نبّهت مني نائماً ودونك فاسمعها اذا كنت سامعا
فلو سلمت تلك العلوم لاهلها لما كنت فيما تدعيه منازعا
ولو ضمّنا عند التناظر مجلسٌ سقيناك فيه السم لا شكّ ناقعا

١٩ – أبو زكرياء يحيى بن الجايزة

من أهل شريش . له ، وقد استأذن على قاضي بلده فحجب ، وقيل هو جالس مع ابي الاصبع بن غراب الفقيه ، فكتب اليه :

لعمر ابيك ما هذا صوابُ يكون وزيرك الأعلى الغرابُ
اذا نعب الغراب بدار قوم فيوشك ان يصاحبها الخرابُ

٢٠ – أبو الحسين محمد بن عُبيد الله بن الاصبَغ

القرشيّ الزرواني من أهل قرطبة . وسكن شاطبة . قال : اخبرنا به القاضي ابو سليمان بن حوط الله اذنًا ، قال : انشدني ابو جعفر احمد بن يوسف بن عيّاد ، قال : انشد أبي قال : انشدني ابو عبد الله الشاطبي لنفسه كذا قال ابو حوط الله في نسبه ، والصواب ما كتب قبل في نسبه وكنيته ومن خطّ ابن عيّاد نقلت ذلك .

تثنّت فاستراب الخيزرانُ وفاهت فاستذلّ الاقحوانُ

وابدت من تثنّيها فنوناً قلوب العاشقين لها مكانُ
وقالت لا يُباح بنا قتيل وليس لخائفٍ عندي أمانُ
ارى رضوان ملتمساً محلّي كأنّ الارض عاد بها الجنانُ
وقالت للغزالة حسن وجهي وثغري يجتنى منه الجمانُ
وقالت عبشميّ من قريشٍ ولا مالٌ يمين ولا زمانُ

٢١ – أبو مروان وليد بن اسماعيل بن صَبْرة الغافقيّ

من أهل دُورقة ، عمل سرقسطة بالثغر الشرقي . وكان فارساً اديباً ذا نظم ونثر ، له يفخر ، وكان القاضي ابو حفص بن عمر معجباً بشعره :

لعمر ابيك الخير انّي لكاتب ولكن صدور الدار عين القراطسُ
اخطّ بخطّي واشكل بالظُّبا فيقرؤهُ الاميُّ والليلُ دامسُ
لئن قالت الكتّاب انّيَ كاتبٌ لقد قالت الفرسان انّيَ فارسُ

قال الشيخ الفقيه ابو عبدالله : وسمعت ابا القاسم بن حسّان الكلبي بداره باشبيلية ، يحكي أن ابن صَبْرة هذا قصد ابا القاسم بن قَسي عند ثورته بقرب الاندلس ، فمرّ في طريقه بقوم انكروه وسمع بعضهم يقول : من هذا ؟ فقال يجاوبه بديهاً :

انّي امرؤ غافقيٌّ ليس لي حسبٌ الّا أقبّ وعسّال وقصّالُ
من آل صَبْرة قدماً قد سمعت بهم شُهبٌ اذا سئلوا اسدٌ اذا صالوا

قال : وانشدنا الحافظ أبو الربيع بن سالم وكتبته من خطه ، قال : وانشدنا ابو عبدالله محمد بن علي بن قايل قال : انشدنا وليد بن صبرة لنفسه مما يكتب في قوس :

تألفتُ من عظم وعود كأنّني هلالٌ وعند النزع بدر تمامِ

فبي تدرك الارواح يوم كريهة اذا بعدت عن ذابل وحسام
وان رَدّ عن روح حساماً وذابلاً دلاصٌ فما تستطيع رَدّ سهام
كأنّ سهامي لحظ عفراء في الوغى وكل كميّ عروة بن حزام

وذكره « ابن سعيد » بالسين بخطّ ابي الربيع ، ونقله عن ابن حسّان بالصاد . قال : وهكذا يوجد بخطه ، قال : وله ردّ على ابن غرسيّة قال : ولم اقف على تاريخ وفاته ولا على وفاة المذكورين قبله الى ابي القاسم بن وَرْد ، فان قدمت او اخرت فمن غير قصد .

٢٢ — أبو الجدّ خزرون البربريّ

من أهل اشبيلية . له من قصيدة في يحيى بن الحاج من امراء الملثمين

هذا النسيم يهزّ من زهر الرُّبى فَمُر الحمامة يا ان تندبا
أبكى اوارُ البرق مقلةَ ديمةٍ فاستضحكت ثغر الاقاحة أشنبا

وكتب في يوم طال الى احد الملثمين وقد مَطَله بما وصله به وكيل له يعرف بفلّوس :

يا مشبه اليوم الّا في تجهّمه أنت الملثم وَجدي في المفاليس
انا العقاب تدلّت من شواهقها فكيف تمسك رزقي كفُّ فلّوس

٢٣ — أبو جعفر أحمد بن ابراهيم بن سلام المعافريّ

من أهل شاطبة ، خال الحافظ أبي عمر بن عات ، توفي في حدود الخمسين وخمسمائة . له في الثلج :

ولم ارَ مثل الثلج في حسن منظرٍ تقرّ به عين وتشنؤه نفسُ
فنارٌ بلا نور يضيء له سَنى وقطرٌ بلا ماء يظلله اللمسُ

واصبح ثغر الارض يفترُّ ضاحكاً فقد ذاب خوفاً ان تقبّله الشمسُ

وله ارتجالاً في وسيم مرَّ به :

بنفسي وان منَّ الحبيب بنفسه ولم يبق بعضي للفراق على بعضِ
رَمى مقلتي واعتلَّ لي بجفونه وقد رنقت في عينه سنة الغمضِ
وابدى له الاعراض ليتاً موردًا فابصرت غضَّ الورد في السُّوسَن الغضِّ

٢٤ — أبو محمد عبد الله بن عُبيد الرحمن بن حجّاف المعافريُّ

من أهل بلنسية . وابوه مسمّى على التصغير ، قال : وهو والذي قبله مذكوران في التكملة . وكانت وفاة ابي محمد في صفر سنة احدى وخمسين وخمسمائة . ومن شعره ورواه ابو عمر بن عبّاد عنه :

هُنَّ البدور على الغصون الميّسِ طلعت فكان مغيبها في الانفسِ
يرفلن في حلل الحرير تأوُّدًا وقد انتقبن براقعًا من سندسِ
واذا مررنَ اثرن ما بي من هوى يا حسنهنَّ وحسن ذلك الملبسِ

٢٥ — أبو بكر محمد بن عيسى بن عبد الملك بن قُزْمان

من أهل قرطبة . وهو المنفرد بالابداع في طريقة الازجال ، وتوفي سنة اربع وخمسين وخمسمائة ، ومحمد بن سعد اذ ذاك محاصر قرطبة فمن قوله :

يا رُبَّ يوم زارني فيه مَن أطلع من غرّته كوكبا
ذو شفة لمياء معسولة يَنْشع من خدّيه ماء الصبا
قلت له : هبْ لي بها قبلة ، فقال لي مبتسماً : مرحبا
فذقت شيئاً لم اذُقْ مثله ، لله ما احلى وما اعذبا

اسعدني الله باسعاده يا شقوتي ! يا شقوتي ! لَوْ أبي

وله :

كثير المال تبذله فيبقى وقد يبقى من الذكر القليلُ
ومَن غرست يداه ثمار جود ففي ظلّ الثناء له مقيلُ

وله :

وعهدي بالشباب وحسن قدي حكى الف ابن مقلة في الكتابِ
فصرت اليوم منحنياً كأني افتش في التراب عَلى شبابي

وله :

يمسك الفارس رمحاً بيدٍ وانا امسك فيها قَصَبَهْ
فكلانا بطلٌ في حربه إنّ الاقلام رماح الكَتَبَهْ

وذُكِرَ له « خليليَّ ما لي بالتجلد حيلة » (الابيات المشهورة)

٢٦ – أبو العباس احمد بن حسن بن سيّد الجراويُّ (الاستاذ)

من أهل مالقة ، وليس بالمعلم . وكلاهما اقرأ الأدب والعربية . وتقدمت وفاة المالقي منهما . وقد ذكرتهما في التكملة ومن قوله :

وبين ضلوعي للصبابة لوعةٌ بحكم الهوى تقضي عليَّ ولا اقضي
جنى ناظري منها على القلب ما جنى فيا مَن رأى بعضاً يعين على بعض

٢٧ – أبو بكر بن سَكَن

من أهل شِلْبِ . لم اقف على اسمه . له من قصيدة يمدح :

اخجلتَ الشمس لدى الحملِ وسمَت قدماك عَلى زُحَلِ

وكشفت الشهب بنيّرة من سَهب ظبي بذرى الاسلِ

ومنها :

سجَدَت في الارض رؤوسهم بظبا الاسياف على عَجَلِ
لزموا تقبيل الاثلب اذ اخلوا يمناك منَ القبلِ
كحلت بمراود سمركم حدق الماذيّة كالمقلِ
وجنت راحات بنودكم لحفيظتكم ثمر القللِ

قال ولا احسن اشارةً ، ولا أبيَن عبارة ، لمن اراد الكلام على هذه العروض من قول شيخنا ابي الحسن علي بن محمد بن حريق في قصيدة فريدة انشدنيها وقرأتها عليه ، وكان ممدوحه بها قد قال له ، لما علم انّه ما استعمل في ذلك مقواه :

خذ في الاشعار على الخبب فقصورك عنه من العجبِ
هذا وبنو الآداب قضوا لك بالعلياء من الرتبِ

وله :

أبعدَ الشيب هوى وصبا كلّا لا لهوًا ولا لَعِبَا
ذَرَت الستون برادتها في منك عذارك فأشهبا

ومنها :

فخذي في شكر الكبرة ما جاء الاصباحُ وما ذهبا
فيها احرزتِ معارف ما ابليتِ لجدته الحقبا
والخمر اذا عتقت وصَفَتْ أغلى ثمناً منها عِنَبا
وبقية عمر المرء له ان كان بها صبًّا دربا
يبني فيها باثابته ما هدّمه ايام صَبَا
وينبه عين تقى هَجَعت ويعمّر بيت حجىً خربا

ويحبّر فيها الشعر على وزن هزج يُدعى الخَبَبا
وحشٍ في العرب منان له مجهول الاصل اذا نُسبا
سهل التقطيع ولكن لم يُنطق باريك به العَرَبا
زكرته فلم يضرب وتدًا في الحي ولم يمدد سببًا

وقال المؤلف من قصيدة يمدح الامير ابا زكرياء :

قامت بالحق خلافته يتقلّده ويقلّدهُ
واتى والدين الى تلفٍ فتلافى الدين يُجدّدهُ
ما اوقده العدوان غدا يطفيه العدلُ ويخمدهُ
وكأنّ عداه وصارمه ليلٌ والصبح يبدّدهُ
قبضت ايدي الكفار به لمّا بُسطت فيهم يَدهُ

ولابن سَكن في حبّ الملوك ، واحسن ما شاء :

ودوحٍ تهدّل اغصانه رعى الطرف من حسنه ما اشتهى
فما احمرّ منه فصوص العقيق وما اسود منه عيون المها

وكان يجلس انس على نهر شلب بالجسر . وتعرضت احدى الجواري لجواز الجسر ، فلما بصرت به سترت ما ظهر من محاسن وجهها فقال :

وعقيلةٍ لاحت بشاطئ نهرها كالشمس طالعة لدى آفاقها
فكأنها بلقيسُ وافت صرحها لو انها كشفت لنا عن ساقها

ثم لقي ابا بكر بن المنخل فانشده البيتين . فقال :

ما ضرّها وهي الجمال باسره لو انها زُفّت الى عُشاقها

٢٨ – أبو الوليد اسماعيل بن عمر الأستاذ

(المعروف بابن الشوّاش) من أهل شلب ، وفي طبقة ابي بكر بن المنخل وابي عمر بن حوفون . له في بيعة الامير بمراكش سنة سبع واربعين وخمسمائة

اهاب به داعي الحياة مثوّبا فبادره واستنجد الريح مركبا
وازمعَ يقتاد الهوى في مراده وينحو السحاب الخير حيث تسحبا
بحيث غمام السعد ينشأ حافلاً فيهمل دفاقاً وينهلّ صيّبا
وتنبعث الانوار من مطلع الرضى فتوضح للحيران نهجاً ومذهبا

وكان ابو الوليد هذا في القادمين من أهل بلده على سلا مهنئين بالبيعة المنعقدة ليلة العاشر من جمدى الاخيرة سنة ثمان وخمسين وخمسمائة .

٢٩ – أبو العبّاس أحمد بن عبد الرحمان بن الصفر الانصاري

اصله من سرقسطة . وخرج منها ابوه عبد الرحمن فسكن بلنسية ثم انتقل الى ألمريّة وبها ولد ابنه ابو العباس . وكان من اكابر الطلبة ، وَوَلي القضاء باشبيلية ، وتوفي بمراكش في جمادى الاولى سنة تسع وستين وخمسمائة . وهو القائل :

لله اخوانٌ تناءت دارُهم حفظوا الوداد على النّوى او خانوا
يهدي لنا طيبَ الثناء ودادُهم كالنّدِ يهدي الطيب وهو دخانُ

وله :

أرضِ العدوَّ بظاهر متصنّعٍ ان كنت مضطرًا الى استرضائهِ
كم من فتىً القى بوجه باسم وجوانحي تنقدُ من بغضائهِ

٣٠ – أبو محمد عبد الله بن محمد بن ابي رَوْح

من أهل الجزيرة الخضراء . ورحل عنها الى المشرق في سنة سبعين وخمسمائة او نحوها ولم يعد اليها . فقال يتشوقها ، انشدني ذلك له الاستاذ أبو عبدالله بن هشام وغيره :

اعلِّل يا خضراءُ نفسي بالمنى ... وأقنعُ ان هبّت رياحك بالشمِّ
اذا غبت عن عيني يغيب منامها ... وكيف ينامُ الليل ذو الوجد والهمِّ
تذكّرت من فيها ففاضت مدامعي ... فلله من فيها من الخال والعمِّ
احنُّ الى الخضراء في كلّ موطن ... حنين مشوق للعناق وللضمِّ
وما ذاك الّا انّ جسمي رضيعها ... ولا بدّ من شوق الرضيع الى الامِّ

وله :

اذا بلغت الحمى اووادي العسلِ ... فقف قليلًا به يا حاديَ الابلِ
وقل لقاتلتي ظلماً بلا قوَدٍ ... هلّا رحمت قتيل الأعين النجل

وفي هذا الوادي يقول الرُّصافيُّ :

كم بين شطّيكَ من ريٍّ لجانحة ... ذابت عليك صدى ياوادي العسلِ
وما دعاها الى وادٍ سواك ظمأ ... الّا تبلّين فيها فترة الكسلِ

٣١ – أبو الحسن علي بن ابراهيم بن سعد الخير الانصاري

الاستاذ ، من اهل بلنسية . وكان على تقدمه في العربية ، وتفننه في الاداب منسوباً ، الى غفلة تغلب عليه . وله رسائل بديعة وتواليف منها كتاب الحلل في شرح الجمل ، ابتدأه من حيث انتهى البطليوسيُّ ، وكتاب جذوة البيان وجريدة العقيان ، وكتاب القرط ، وغير ذلك . وتوفي باشبيلية في اوائل ربيع الاخير سنة احدى وسبعين وخمسمائة . قال : ومن شعره ونقلته من خطه :

الا سائل الركبان هل طَلَّ نعلمُ كما كان مطلول الاصائل سَجْسَجا
وهل وردوا ماء العذيب مناهلاً اذا صافحت كفُّ النسيم تأرَّجا
وعن مَرَجات الحي مالي ومالها تجدّد لي شوقاً اذا الركب عرّجا
وعن اثلات الجزع هل مال ظلّها وهل تخذت ريح الصبا فيه مدرجا
لئن ظمئت نفسي اليها فطال ما وردت بمغناهنَّ اشنب افلجا
بحيث يشقّ الستر عن ماء مبسم ارى باب صبري عنه ابهم مرتجا
ركبت الهوى عُزْيَ السراة وربّما ركبت الى الهيجاء ادهم مسرجا
فيا ربَّ يوم قد صليت بحرّه تراه بنار المرهفات مؤجّجا
غدوت وجفن الشمس بالنور ازرق فغادرته بالنقع أرمد أدعجا
سقيت العوالي بالنجيع فنوّرت بهاراً يرى عند الطعان بنفسجا

وله :

بابي من بني الملوك غريرٌ قد ترديت فيه برد التصابي
ضاعفت حسنه ضفيرة شعر هي منه طراز بُرد الشباب
تتلوّى على الرداء مراحاً كحباب ينساب فوق حباب

وله في هذا، وقد لبس ثوباً احمر وبعينيه رمد :

ومهفهف يجري بصفحة خدّه والماء من ماء الحياة عُبابُهُ
ما زال يهدي باللحاظ قلوبنا حتى تضرّج طرفه وثيابُهُ
فبدا بحمرة ذا وحمرة هذه كالسيف يدمي حدّه وحرابُهُ

وله في سحابة :

وساريةٍ سحبت ذيلها وهزّت على الافق اعطافها
تسلُّ البروق بارجائها كما سلت الزنجُ أسيافها

وله في رمانة مفتحة ، وانشدنيه له صاحب الاحكام ابو الحسن بن ابي الفتح :

وساكنة من ظلال الغصون بخدر تروقك أفنانه
تضاحك اترابها فيه لما غدا الجو تدمع اجفانه
كما فتح الليث فاه وقد تضرج بالدم اسنانه

وله في حفلة :

ومخضرة الارجاء قد طلها الندى وقابلها انفُ الصبا بتنفس
تبدت بها الغربان سطراً كما بدت ضفيرة شعر فوق بردة سندس

قال: وانشدنا له القاضي ابو الخطاب ، وللأستاذ في الحساب والفرائض ابو عبدالله بن نعمان البكري عنه يصف دولاباً :

لله دولاب يفيض بسلسل في روضة قد اينعت أفنانا
قد طارحته بها الحمائم شجوها فيجيبها ويرجع الألحانا
فكأنه دنفٌ يدور بمعهد يبكي ويسأل فيه عمن بانا
ضاقت مجاري طرفه عن دمعه فتفتحت اضلاعه أجفانا

٣٢ – أبو الحكم ابراهيم بن علي بن هَرَوْدَس الانصاريُّ

الكاتب . من أهل حصن سرشانة عمل المرية . وسكن مالقة . وتوفي بمراكش في الطاعون الواقع بها سنة اثنين وسبعين وخمسمائة . واخبرنا ابو القاسم ابن بقيّ قال : انشدنا الكاتب ابو الحكم بن هرودس لنفسه :

أإبراهيم ان الموت آتٍ وانت من الغواية في سُبات
رجاؤك مثل ظلّ الرمح طولاً وعمرك مثل ابهام القطاة

٣٣ – أبو الحسن علي بن زيد النجار الكاتب

من أهل اشبيلية . كتب للسلطان بعد وفاة ابي الحسن عبد الملك بن عياش سنة ثمان وستين وخمسمائة . وعاجلته منيته فتوفي بمراكش في الطاعون وفي صفر من سنة اثنتين وسبعين المذكورة قبل ، ومن قوله يرثي :

أما تشتفي منا صروف زماني وهلّا كفى الايام انّي فاني
وحسب المنايا ان خلعت شبيبتي ولولا حذاريها خلعت عناني
فغيّضت امواه الدموع بمقلتي واخمدت نيران الجوى بجناني
وزهت عن سمع الكران مسامعي وقدست عن بنت الدنان بناني
فاشرق عذري للنهى فعذرنني واظلم في عين الصبا فلحاني
ولم تقنع الايام حتى رمينني بعرض شمام او بركن ابان
فطار فؤاد البرق يحكي جوانحي وارسل عينيه الحيا فبكاني

ومنها :

بدا لي انّ الدهر ليس مصرّدًا كؤوس الردى ويشرب الالوان
وابصرت ما بين المصارع مصرعي سريعاً رماني الدهر او متوان

٣٤ – أبو عبد الله محمد بن غالب الرُّصافي

من رُصافة بلنسية . وسكن مالقة . وكان شاعر عصره مع النزاهة عن الانتجاع بشعره ، واقتصر على التعيش من صناعة ، وامداحه قليلة . وكان في قصائده كثيرًا ما يذكر شوقه الى معاهده ، فيأتي بما يعجب ويعجز ، وعرف بعزوف النفس فصار الاكابر يجزلون منحه ويخطبون مدحه وهو بصناعته مشتغل ، الى ان توفي بمالقة في رمضان سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة . فمن قوله في قصيدة يراجع ابا الحسن بن لبّال الشريشي بها :

منه :

على انني لا ارتضي الشعر خطةً ولو صيرت خضرا مسارحي الغبرا
كفى ضعة بالشعر ان لستُ جالباً اليّ بـه نفعاً ولا دافعاً ضرّا
يقول اناس لو رفعت قصيدة لادركت حتماً في الزمان بها أمرا
ومن دون هذا غيرةٌ جاهليةٌ وانْ هي لم تلزمْ فقد تلزم الحُرّا
الم يأتهم اني وأذت بحكمها بُنيات صدري قبل ان يترح الصَّدرا

وله :

لا تسل بعد يوسف عنّي ففؤادي مثلّمٌ كسلاحهْ
لو تأملت مقلتي يوم اودى خلتني باكياً ببعض جراحهْ

ومن قوله في نائم تحجب العرق على وجهه :

ومهفهف كالغصن الّا انه سلب التثنّي النومُ عن اثنائه
اضحى ينام وقد تحجّب خدّه عَرَقاً فقلت الورد رُشَّ بمائه

وقال وهي فيه :

وعشيّة لبستْ رداء شحوبها والجوُّ بالغيم الرقيق مقنَّعُ
بلغت بنا أمدَ السرور تألقاً والليل نحوَ فراقنا يتطلّعُ
فابلل بها رمق الغبوق فقد اتى من دون قرص الشمس ما يتوقّعُ
سقطت ولو يملك نديمُك ردَّها فوددت يا موسى لو انك يوشعُ

وله قصيدة يصف نهرًا نضب ماؤه :

فتوالت الاحال تنقصه حتى غدا كذؤابة النجم

وله يصف نهرًا ألقت عليه ظلها دوحةٌ :

ومُهدَّل الشَّطَين تحسب انه متسيّل من درّة لصفائهِ

فاءت عليه مَعَ العشيّة سرحةٌ صدِئت لفيئتها صفيحةُ مائهِ
فتراه أزرق في غلالة شمرة كالدّارع استلقى بظلّ لوائهِ

قال المؤلف رحمه الله: كثر التّولع بهذه الابيات عام احد واربعين وستمائة. فانشدني في ذلك لنفسه الخطيب ابو القاسم ابن معاوية اليحصبي صاحبنا واسمه كنيته ويكنى ابا الفضل:

ويوم عكفنا طوله نجتني المنى باعذب نهرٍ في ألذّ نهارِ
لدى ربوة غنّاء طيّبة الثّرى وذات معين سائحٍ وقرارِ
على رفرف خضرٍ بسطن لدَوْحه وردّينَ من امثالها بازارِ
فجدواه في سرحة الماء منصل ولكنه في الجزع عطف سوارِ
وامواجه ارداف غير مواكم تلثّمن بالآصال ريط نضارِ
اذا قابلته الشمس اذكاه نورها فبدّل منه الماء جذوة نارِ
تفيء عليه الدوح ظلّا مضاعفاً فيرجع منها بدره لسرارِ
كأنّ مكان الظّل صفحة وجنةٍ اطلّت عليها خضرة لعذارِ
اوالبكر حاذت بالسجنجل خدّها وقد سترت من بعضه بخمارِ

وقال المؤلف وانشدناه:

ونهر كما ذابت سبائك فضّةٍ حكى بحانيه انعطاف الاراقمِ
اذا الشفق استولى عليه احمراره تبدّى خضيباً مثل دامي الصوارمِ
وتحسبه سنّت عليه مفاضة لان هاب هبات الرياح النواسمِ
وتطلعه في دكنة بعد زرقة ظلال لادواح عليه نواعمِ
كما انفجر الفجر المطلّ على الدجى ومن دونه في الافق سُحْمُ الغمائمِ

وقال ايضاً وانشدناه:

سقياً لروض ردته رادّ الضحى وحمامه طرباً يناغي البلبلا

شتّى محاسنه ثمن زهر على نهر تسلّل كالحباب تسلّلا
وكأنّما حمي الربيع لقطفه فاستل منه يذود عنه منصلا
غربت به شمس الظهيرة لا تني احراق صفحته لهيباً مشعلا
حتى كساه الدوح من افيائه بردًا يمزّق بالاصائل هَلْهلا
فكأنّما لمع الظلال بمتنه قطع الدماء جمدنَ حين تحلّلا

٣٥ – أبو زيد عبد الرحمن السالميّ

من أهل استجة ذكر له :

تسلّيت عن عيسى بحب محمدٍ ولولا هدى الرحمن ما كنت اهتدي
وما عن منى قلبي سلوت وانما شريعة عيسى عُطّلت بمحمدِ

وهي عندي متصلة بالانشاد الى القائل من طريق الطيلسان

٣٦ – أبو جعفر عبدالله بن محمد بن جُرَج الكاتب

من اهل قرطبة ، ومن بيوتاتها النبيهة ، اصابهم من البيرة . وكانت وفاة ابي جعفر هذا سنة خمس وسبعين وخمسمائة ذكر له :

اما ذكاء فلم تصفرّ إذ جنحت

وهي عندنا منشدة ، عزا الطيلسان (الابيات الثلاثة) قال : وقد نسبت الى ابن القاسم اخيل بن ادريس الرندي كاتب ابن حمدين ولم يصح . قال واهتدم البيت الاول منها أبو عبدالله بن مرج الكحل فجاء به في آخر قطعة من حرّ كلامه انشدناها مرارًا وهي :

عرّج بمنعرج الكثيب الاعفرِ ، بين الفرات وبين شطّ الكوثرِ
ولتغتبقها قهوةً ذهبيةً من راحتي احوى المدامع احورِ

وعشيّة كم بتُّ ارقب وقتها سمحت بها الايام بعد تعذرِ
نلنا بها آمالنا في روضة مهدى لنا نسيم العنبرِ
والدهر من ندم يسقّه رأيه فيما صفا منه بغير تكدرِ
والورق تشدو والاراكة تنثني والشمس ترفل في قميص أصفرِ
والروض بين مذهب ومفضّض والزهر بين مدرهم ومدثّرِ
والنهر مرقوم الاباطح والربى بمصندل من زهره ومعصفرِ
فكأنّه وجهاتهُ محفوفة بالآس والنعمان خدّ معذّرِ
وكأنه وكأنّ خضرة شطّه سيف يُسلّ على بساط اخضرِ
وكأنّما ذاك الحباب فرنده . مهما طفا في صفحة كالجوهرِ
نهر يهيم بحسنه مَن لم يَهِمْ ويجيد فيه الشعر من لم يشعرِ
ما اصفرّ وجه الشمس عند غروبها الا لفرقة حسن ذاك المنظرِ

٣٧ – أبو الاصبغ عيسى بن محمد العَبْدَرِيُّ

المعروف بابن الواعظ من المرية . سكن ألش من اعمال مرسية . قال: وانشدني ابو الربيع ابن سالم : قال انشدني ابو القاسم ابن الحذا المرسي ، قال : انشدني ابو الاصبغ عيسى بن محمد بن عبدالله بن الواعظ العبدري لنفسه في سكناه بألش وكان اصله من المرية :

عدمت يا خمالي وجوهاً من الانسِ فها انا في الايام مستوحش النفسِ
بريت زماناً من حوادث امرضت وألشٌ لعمري اسلمتني الى النكسِ
اقمت بها كالسيف لازم جفنه وان كنت حيّاً مثل مَن دسّ في رمسِ
فاني بآدابي أتيت جزيرةً فعوقبت منها بالاقامة في حبسِ
وهل وحشة الانسان الّا بمثلها فصيح لسان بين ألسنة خُرسِ

شرَوْني رخيصاً ليس يَدرون قيمتي وقد تشترى الاعلاق بالثمن البخس

ومن شعره مما ذكره عنه ابو عبدالله بن عياد في مشيخة ابيه ابي عمر :

ان قيل في الصيف ريحان وفاكهة فالارض مغبرّة والجوُّ مَحرورُ
وان يكن في الخريف النخل مخترفاً فالارض مربدّة والجوُّ مأسورُ
وان يكن في الشتاء الغيث منسكباً فالارض مبتلة والجوّ مقرورُ
ما الدهر الا الربيع المستنير اذا اتى الربيع اتاك النَّوْرُ والنورُ
الارضُ سندسةٌ والجو لؤلؤةٌ والنور فيروزج والماء بلّورُ
من شمّ ريح تحيّات الرياض يقل لا المسكُ مسكٌ ولا الكافورُ كافورُ

وكتب ابو بكر ملك بن جميّر من أهل اريولة الى ابي الاصبغ هذا :

رحلت وانني من غير زادِ وما قدّمت شيئاً للمعادِ
ولكنّي وثقت بجود ربّي وهل يشقى المقلّ مع الجوادِ

فقال في معناه :

رحلت بغير زاد للمعادِ ولكنّي نزلت على جوادِ
ومن يرحلْ الى مولى كريمٍ فما يحتاج في سفر لزادِ

قال : ولابن شرف في هذا المعنى ، وانشدناه ابو الربيع عن ابن عبيدالله :

رحلت وكنت ما اعددت زاداً ولا قصّرتُ في قوت المقيمِ
فها انا ذا رحلتُ بغير زادٍ ولكنّي نزلت على كريمِ

وذكر ابيات المنصفي في هذا المعنى :

قالت ليَ النفسُ اتاك الرَّدى وانت في بحر الخطايا مقيمْ
وما دخرت الزاد قلتُ : اقصري هَل يحمل الزاد لدار الكريمْ
واخجلتي منه اذا جئته والعبد مطلوب بدينٍ قديمْ

وما ارى يطلبني قد درى انيَ محتاج اليه عديمْ
ولست محتاجاً الى شاهدٍ لان مولايَ بحالي عليمْ
وحكمه القاسط لا يقتضي هلاكَ مديانٍ بمال الغريمْ

هي من آخر كلامه متصلة بمشهد حمامه . وقد نظم الرئيس ، رحمه الله ، صاحب منورقة ابو عثمان سعيد بن حكم القرشي في هذا المعنى :

يا ربِّ انّي راحل والزاد ما منه عندي للرحيل عتادُ
والوقت عنه ضيقٌ ولديك ما يسع الورى طرًّا وأنت جوادُ

وله ايضاً :

حان قدومي على القديمِ ويحسن الظنُّ بالكريمِ
ان كان ذنبي عظيماً اضحى فاين منه عفوُ العظيمِ
حسبي انّي ارجو لديه فضل غنيّ على عديمِ

افسد في صدر البيت الثاني والثالث من حيث الوزن وقد وقع فيه جمهور من الشعراء . قال ابن عياد من شعره ما كتبه لابي بخطه ونقلته منه :

لا تصحَب السلطان في حالةٍ صاحبه ليث الشرى يركبُ
يهابهُ الناس لمركوبه وهو لما يركبُهُ أهيَبُ

٣٨ – أبو محمد عبد الله بن ابي بكر محمد بن ابراهيم بن المنخّل

من أهل يشلب . فمن قوله يمدح :

شرفُ الخلافة ان ملكت زمامَها وغدوتَ من عقب الإمام أمامَها
وافتكَ تبتدرُ الرضا اذ رمتها ولشدّ ما امتنعت على من رامها
طبعَ الاله لها حساماً صارماً يحمي جوانبها فكنت حُسامها
فعلى رماحك ان تشقّ جيوبها وعلى سيوفك ان تفلّق هامَها

وله مسلية عن هزيمة :

لا تكترث يا ابن الخليفة منذر أتيح فما يردُّ متاحُه
قد يكدر الماء القراح لعلّة ويعود صفوًا بعد ذاك قراحُهُ

٣٩ – أبو بكر محمد بن ابي بكر بن فرج بن سليمان

من أهل جيان . ويعرف بابن زِنْه ، بنونين الاولى مكسورة والثانية مشددة مفتوحة . له في اسود بقلنسوة حمراء :

واسود غربيب على انّ راسه به كُمّة كالبارق المتألّقِ
نظرت اليها من بعيد كأنها بقيةُ نارٍ فوق جذع محرّقِ

٤٠ – أبو محمد عبد الله بن يحيى الحَضْرَمِيُّ

الاستاذ . ابن صاحب الصلاة ، ويعرف بعبدون من اهل دانية . وسكن شاطبة ، وتوفي ببلنسية ، مستهلّ رجب سنة ثمان وسبعين وخمسمائة . فمن قوله في بغلة كتب بابن سعد المذكور :

ان تكسُ في السير بنت العَير بالملكِ فليس يدركها في ذاك من دركِ
عذر الملومة فيها انها حملت ما ليس يحمل غير الارض والفلكِ
الدهرُ والبحرُ والطَّودُ الاشمّ ذرى والبدر بدر الدجى والشمس في الملكِ

قال : هذا مأخوذ من قول ابن المعتزّ في رئيس سقط عن بغل :

لا ذنب عندي لابن العَير يوم وهت قواه من خَوَرٍ فيها ومن لينِ
حملتموهُ سوى ما كان يحمله فردَ البغال واصناف البراذينِ
الشمس والبدر والطود المنيف وليث الغاب والبحر والدنيا مع الدينِ

والشعراء في هذا ابيات نادرة وهو من تحسين القبيح ، منها قول ابي بكر ابن مجبر :

لا ذنب للطَّرْف ان زلّت قوائمُهُ وهضبة الحلم ابراهيم يجريها
وكيف يحمله طِرفٌ، وخَرْدَلةٌ من حلمه تزن الدنيا وما فيها

ولعبدون في رحلته عن شاطبة الى بلنسية ، وكان الرئيس ابو الحجاج يوسف بن سعد هو الذي نقله منها ، واستأدبه لبنيه ؛ لما كان عليه من التصاون والعدالة واباح له الإقراء ، فكان يعلمهم العربية بالقصر ، فاذا انفصل عنهم علّم الناس ايضاً بمسجد رحبة القاضي من بلنسية ، الى ان توفي في التاريخ المتقدم ذكره :

سارحل عن دار نَبَتْ بي ولم يقم بها احد في حين اقعدني الدهرُ
ففي الناس صحب ان جفاني صاحب وفي الارض قطر حامل ان نبا قطرُ
الم ترَ ان الماء بالجري ازرق وبالمكث في مستنقع القاع مصفرُّ
ورحلة اهل الفضل عن اهل بلدة شهيد بنقص فيهم ولها خسرُ
وشرُّ بلاد الله ما لم يكن بها معين على ان يستقرّ به الحُرُّ

وقال :

وعجّل شيبي ان ذا الفضل مُبتلى بدهرٍ غدا ذو النقص فيه مؤملا
ومن نكد الدنيا على الحُرّ ان يرى بها الحرّ يشقى واللئيم مُموّلا
متى ينعم المفترّ عيناً اذا اعتفى جواداً مُقلّا او غنياً مُبخلا

٤١ – ابو بكر محمد بن عبد الغني الفهريُّ

المعروف بابن الجنان ، من أهل جيار . وسكن مدينة فاس . له :

قالوا المشيب نجوم والشباب دُجىً لو يحسن القبح او لو يقبح الحسنُ
ما كان اغناك بالليل الذوائب عن نجوم شيبك ذي لو انصف الزمنُ

٤٢ – أبو الحكم عُبَيدالله بن علي بن غلِنْدُهْ الكاتب

من أهل سرقسطة . وسكن اشبيلية . وتوفي بمراكش سنة احدى وثمانين وخمسمائة ، وقد اسنّ . وكان يشارك في فنون من الطب والادب والاتقان لكل ما يحاول . وهو القائل :

يا خير من علق الفؤاد بحبّهِ وأجلّ من يسمو اليه الناظرُ
عجباً لانك ملء عينك نائم وانا كما يختار صدّك ساهرُ

وقال وهو من لزومياته :

تكثّر من الاخوان للظهر عدة فكثرة درّ العقد من شرف العقد
وعظّمْ صغير القوم وابدأ لحمّهِ فمن خنصري كفيك تبدأ بالعَقد

٤٣ – أبو بكر محمد بن عبد الملك بن طفيل القيسيّ

من أهل برشانة ، عمل المرية . وكان طبيباً اديباً . وكتب لوالي غرناطة وقتٍ . وتوفي بمراكش سنة احدى وثمانين وخمسمائة ، وحضر السلطان جنازته . ومن كلامه :

اتذكر اذ مسحت [لديك] دمعي وقد حلّ البكا فيها عُقُودَهْ
ذكرت بان ريقك ماء وَرْد فقابلت الحرارةَ بالبرودَهْ

وقال :

يقولون لي ظمياء اضحت عليلةً فقلت فما بالي بقيت اذا حياً
اتصبح شمسُ الارض كاسفة السنا ولا يعترى جسمي
اذا ما طوى عني السقامُ وصالها طوى الموت روحي في ملاءته طياً

وقال :

ألمّت وقد نام الرقيب وهوّما واسرت الى وادي العقيق من الحمى

وراحت الى نجد فراح منجّدًا ومرّت بنعمانٍ فاضحى منعمًا
وجرّت على ترب المحصّب ذيلها فما زال ذاك الترب نهباً مقسّما
تناقله ايدي الرجال لطيّة ويحمله الداريُّ ايّان يمّما
ولما رأت ان لا ظلام يجنّها وان سراها فيه لن يتكتّما
سرت عذبات الرّيط عن حرّ وجهها فأبدت شعاعاً يرجع الصبح مظلما
فكان تجلّيها حجاب جمالها كشمس الضحى يعشى بها الطرف كلّما

٤٤ — أبو الحسن علي بن احمد بن لبّال الاميُّ القاضي

من أهل شريش . توفي بها سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة ضحى يوم الثلاثاء الثاني لذي الحجة ودفن في اليوم المذكور . ومن قوله :

لما تقوّص مني الجسم عن كبرٍ وابيضّ ما كان مسودًا من الشعرِ
جعلت امشي كاني نصف دائرة تمشي على الارض او قوس بلا وتَرِ

وقال :

قوّس ظهري المشيب والكبَرُ والدهر ، يا عمرو ، كله عِبَرُ
كأنني والعصا تدبُّ معي قوسٌ لها وهيَ في يدي وَتَرُ

وقال :

ما كنت احسب قبل رؤية وجهه انّ البدورَ تدورُ في الأغصانِ
غازلته حتّى بدا لي شعره فحسبته درًا على مرجانِ
كم ليلة عانقته فكانّما عانقت من عطفيه غصن البانِ
يطفى ويلمب تحت عقد سواعدي كالمهر يلمب بين ثني عنانِ

٤٥ – أبو الحسن محمد بن محمد بن مَسْلَمة

من أهل اشبيلية . ودار سلفه قرطبة . وتوفي سنة خمس وثمانين وخمسمائة . له من قصيدة يمدح :

ما دارهم بمحيية اطلالُها فاستجر دمعك لن يفيد سؤالُها
اعيتك دارسة شطا بجديدها مرّ الجديد فاشكلت اشكالُها
والدار تلك وانما بك لوعة القاك في ليل الشكوك ظلالُها
يادار اعلى الشطّ من وادي القرى مطلت عليك من الغمام ثقالُها
وجرى عليك من الرياح نسيمها والالطفان جنوبها وشمالُها

وله في كير حداد :

ومنضّد فيه الرياح سواكنٌ فاذا تحرّك آذنت بهبوبِ
يطوي على زفراته كشحاً له عند التحرّك هيأة المكروبِ
والآبنوس الفحم ان عرضته اهدى له ما شئت من تذهيب
صدر المحبّ تخال منه معملاً ومتى تعطّله فخصر حبيبِ

٤٦ – أبو محمد عبد الله بن محمد بن ذِمّام – الكاتب –

من عمل مرسية ، وسكن مالقة . وكان في اول امره توجه الى مراكش وتعلق بخدمة ابي القمر هلال بن محمد بن مردنيش . ومن قوله في هلال المذكور :

ملكت الفضل يا نجل ابن سَعد فما لك في الاكارم من نظير
حُسامُك حاسم عَدْوَ الاعادي ومالك مُذْهِبٌ عدمَ الفقيرِ
ووجهك ان تبدّى في ظلامٍ تجلّى عن سَنَى قمرٍ منيرِ
لذا سمّاك من سمّى هلالاً لإشراق حُبيتَ به ونورِ

وكان هلال قد سأله ان يعارض اربعة من اشعار الغناء هذه القطعة أحدها، تركتها اختصاراً .

٤٧ ــ أبو بكر محمد بن محمد بن حارث اليَعْمَريّ

من اهل بلده . قال : انشدنا ابو عبد الله بن الصفار الضرير ، قال : انشدنا لنفسه يهجو ابن هَمشك :

هَمشك ضمّ من حرفين من هم ومن شكّ
فعين الدين والدنيا لإمرته اسىً تبكي

قال : وكان ابن همشك، واسمه ابراهيم بن احمد، عاتياً قاسياً . وهو رومي الأصل ، ملك في الفتنة جيان وسقورة ، وكثيراً من اعمال غرب الاندلس وصاهر ابن سعد وخالفه ، ثمّ انه صار الى الدعوة المهدية على يد الشيخ ابي حفص . رحمه الله .

٤٨ ــ أبو الحجّاج ابن يوسف بن عبد الله بن ايوب الفهريّ

من أهل دانية . وسكن بلنسية . وولي بها الاحكام . وكان له بعقد الروط استقلال . وتوفي في شعبان سنة اثنين وتسعين وخمسمائة ، قال : وانشدني ابو الربيع بن سالم قال : انشدني لنفسه :

ابى الله الّا ان افارق منزلاً يطالعني وجه المنى فيه سافرا
كأنّ على الاقدار الّا أُحلّه يميناً فما اغشاه الا مسافرا

٤٩ ــ أبو عمرو رضيّ بن رضي الكاتب

من اهل مالقة . فمن قوله :

ولما التقينا نسيت النَّسيب فقالت نسيبٌ نسي بي نسيباً

وحققت اني مغرى بها فقالت غريب غرى بي غريباً
كنتُ عن محب بغير اسمه فقالت منيبٌ منى بي منيباً

قال وحدثني ابو الحسين عُبيد الله بن محمد بن الموصلي بثغر بطليوس ان ابا عمرو هذا استشهد براية من نواحيها ، وهو اذ ذاك يتولى الكتابة لواليها بعد التسعين وخمسمائة .

٥٠ ـ أبو القاسم محمد بن علي الهَمْدَانيّ المعروف بالبراق

من أهل وادي آش . وخرج منها في الفتنة فسكن بلنسية ومرسية . وسمع الحديث بها ، ثم عاد الى بلده قبل التسعين وخمسمائة ، وبعد موت ابن سعد . توفي هنالك سنة ست وتسعين وخمسمائة . ومن قوله في وسيم يلبس اطهاراً وقاله ارتجالاً :

عاينته بين اطهار يزان بها ما بين مستتر منها ومنكشفِ
كأنه قمرٌ دارت به سحبٌ فالبعض منكشفٌ والبعض في سدَفِ

وقال :

قالوا: التحى وسلوا عنه. قلت لهم: لا يحسن الروضُ ما لم ينبت الزهرُ
هل التحى طرفه الساجي فاهجره أو هل ترحزح عن اجفانه الحورُ

٥١ – أبو محمد عبد المُنعِم بن محمد الخَزْرَاجيُّ

القاضي المعروف بابن الفرس ، من اهل غرناطة وبيوتاتها الاصلية . وذكر ما قاله الصيرفي في جده عبد الرحيم قال : وغاب عن الصيرفي من كان منهم بشارقة الاشراف من عمل بلنسية . وتوفي عبد المُنعِم رابع جمادى الأخيرة سنة سبع وتسعين وخمسمائة ومن قوله :

أأدعو فلا تأوي وانت قريب واشكو فلا تشكي وأنت طبيب
فهل شيب من تلك المصافاة مَشرَعٌ وهيل على ذاك الاخاء كثيبُ

وذكر بيتي ابي محمد في خامات الزرع ، ثم قال : انشدنا ابو الربيع بن سالم : انشدنا ابو عبدالله ابن زرقون : انشدنا ابو الفضل عياض لنفسه ارتجالا وقد نظر الى زرع يتخلل الشقر خضرته :

انظر الى الزرع وخاماته تحكي ، وقد ولت امام الرياح
كتيبة خضراء مهزومة شقائق النعمان فيها جراح

٥٢ – أبو بحر صفوان بن ادريس التجيبي الكاتب

من اهل مرسية . ومن نبيهات البيوتات بها . وهو من جمع تجويد الشعر الى تحبير النثر مع سداد المقصد وسلامة المعتقد . ومن تصانيفه كتاب بداهة المتحفز وعجالة المستوفز يشتمل على رسائله واشعاره وما خوطب به ، وراجع عنه ، وزاد المسافر وهو الذي عارضه الفقيه ابو عبدالله بهذا المجموع ، وتأليف في ادباء الاندلس لم يكمله ، قال : ومن اصحابنا من عثر على بعضه فحدث بكثرة ما حشر فيه من الفوائد . وتوفي مقتطاً لم يبلغ الاربعين سنة وثكله ابوه الخطيب ابو يحيى وهو تولى الصلاة عليه عند وفاته في شوال سنة ثمان وتسعين وخمسمائة . قال الفقيه ابو عبدالله : انشدني الاديب ابو محمد عبدالله بن علي الناقفي المرسي فقال : انشدني لنفسه :

أحمى الهوى قلبي وأوقد فهو على ان يموت أو قدّ
وباللوى شادنٌ عليه جيدُ غزال ووجه فرقد
علّله ريقه بخمر حتى انثنى طرفه فمربد
لا تعجبوا لانهزام صبري فجيش اجفانه مؤيد
انا له كالذي تمنى عبد نعم عبده وازيد
لهُ عليّ امتثال أمر ولي عليه الجفاء والصد
ان بسمت عينه لقتلي صلى فؤادي على محمد

قال وانشدنا الحافظ ابو الربيع بن سالم قال : انشدنا صاحبنا الاديب الكاتب ابو بحر لنفسه يتنزل ويصف ليلة انس :

يا حُسْنه والحسن بعض صفاتهِ والسحر مقصور على حركاتهِ
بدرًا لو انّ البدر قيل له اقترح أملًا ، لقال اكون من هالاتهِ
يعطي ارتياح الغصن غصناً حمل الصباح فكان من زهراتهِ
والخال ينقط في صفيحة خدّه ما خطّ حبر الصدغ من نوناتهِ
واذا هلال الافق قابل وجهه ابصرته كالشخص في مرآتهِ
عبثت بقلب عميده لحظاته يا رب لا تعتب عَلى لحظاتهِ
ركب المآثم في انتهاب نفوسنا فالله يجعلهنّ من حسناتهِ
ما زلت اخطب للزمان وصاله حتى دنا والبعد من عاداتهِ
فغفرت ذنب الدّهر فيه لليلة سترت عَلى ما كان من زلّاتهِ
غفل الزمان فقلت منه ندرة يا ليته لو دام في غفلاتهِ
ضاجعته والليل يذكي تحته نارين من نفسي ومن وجناتهِ
بتنا نشعشع والعفاف نديمنا خمرين من غزلي ومن كلماتهِ
فضممته ضمّ البخيل لماله احنو عليه من جميع جهاتهِ
اوثقته في ساعديّ لانه ظبيٌ خشيت عليه من فلتاتهِ
والقلب يدعو ان يصير مساعدًا ليفوز بالآمال في ضماته
حتى اذا هام الكرى بجفونه وامتدّ في عضدي طوع سناتهِ
عزم الغرام عليّ في تقبيله فنفضت ايدي الطوع من عزماتهِ
وابى عفافي ان اقبل ثغره والقلب مطويٌّ عَلى جمراتهِ
فاعجب لملتهب الجوانح غلّة يشكو الظما والماء في لهواتهِ

وذكر ابا بكر يحيى بن احمد بن بقي الاشبيلي في كلمته سبقه بهذا في القصيدة المشهورة :

بأبي غزال غازلته مقلتي بين العذيب وبين شطّيْ فارق

وله :

أعذاره رفقاً عليه فقد صدر الصبي غضبان عنك اسف
كيف انبريت لنون وجنته فمحوتها وكتبت لامَ الف
فكانها نهي لعاشقه لا تلتفت بدرًا جنى فكسف

وله في وسيم اثرت الشمس في وجنته :

ومعذَّم الوجَنات تحسب انه صبغت برودَ الورد في وجناتِهِ
مثل الجمال بخدّه متنبئاً فشهدت ان الخال من آياتهِ
فتوقدت احشاؤها من زفرة فبدا شعاع النار في مرآتِهِ

وله في آخر يومي نارنجا في ١٠ :

وشادن ذو غنج دلّه يروقنا طورًا وطورًا يروع
يقذف بالنارنج في بركةٍ كلاطخ بالدّم سود الدّروع
كأنها اكبادُ عشاقِه يتبعها في لجّ بحر الدموع

وله في نارنجة :

ربَّ نارنجة تأملت منها منظرًا رائعاً ونشأً غريبا
نشأت في القضيب وهي رمادٌ فغذاها الحيا فعادت لهيبا

وله في باكورة :

حيّتك ضاحكة بنيّة ايكة تهفو تحيّتنا بعطف النادي
لما دَرَتْ ان سوف تشكل ابها لبست بحكم الفقد ثوب حدادِ
تنشقّ عن لمع البياض كانها قلبي تبسم عن ثغور ودادِ

وله في أكول :

وصاحب لِيَ لا كانت طبائعه كانها سُحب بالسَّرط منهمرة
اذا احسَّ بأكول تقدّمه يكادُ يسبق فيه حلقه بصرَهْ

وله من مفردات الابيات :

بيني وبين ابي حمره عداوة الماء مَعَ النار

وله :

لو انه كان جزء فقهٍ لما عدا جامع العيوب

٥٣ – أبو بكر عبد الرحمن بن علي بن مسعَدة العامريُّ الكاتب

من أهل غرناطة . وولي الخطبة بجامع قصبتها . وكان من مشاهير الكتاب وتوفي عن سن عالية ، ودفن مستهل جمادى الاخيرة سنة ستمائة . فمن قوله مما كتب به الى يزيد بن صقلاب :

ابا بكر ودادُك من ضميري كرَقم محابر أعيا الصناعَا
وانسى ابن الرقاع وامّ سلمى فمالي لا اضمنه الرقاعَا
واكتم لوعتي حفظاً لشيبٍ لحى في الحبّ من كشف القناعَا
وحلّة واصل بالذات تبقى وبالاعراض لا تألو انقطاعَا
وان يك طيفك السّاري سهيلا قنعتُ به على البُعد اطلاعَا
وحسبي نفثةٌ في عقد سحر لحمسك تلأم النفس الشعاعَا
بقيتَ تتأكب القمرين حسناً وتعتقد الذوابل والبراعَا

ولابن صقلاب مراجعة له على هذا .

(له صلة)

النصوص الآثارية المتعلقة بدمشق

حمامات دمشق

نصوص ينشرها

صلاح الدين المنجد

رئيس ديوان مديرية الآثار العامة في سورية (دمشق)

تمهيد

اشتهرت دمشق بوفرة مياهها . فبردى الذي « ينقسم قبلها وبعدها ، يعم دورها وبساتينها ويسقي قُراها ومزارعها »[1] . وقد أشاد كثير ممن زارها بغزارة مائها حتى ذهب ابن جبير إلى أن « أرضها سئمت كثرة الماء فاشتاقت إلى الظمآء »[2] . وقد جعل ياقوت الحموي هذا الأمر من خصائصها فقال : « ومن خصائص دمشق التي لم أرَ في بلدٍ مثلها كثرة الأنهار بها ، وجريان الماء في قنواتها ؛ فقلّ أن تمرّ بحائطٍ إلا والماء يخرج منه في أنبوب إلى حوض يُشرب منه ، يستقي منه الوارد والصادر . وما رأيتُ بها مسجداً ولا مدرسة ولا خانقاهاً إلا والماء يجري فيه في بركة في صحن هذا المكان »[3] . وذلك لأن « الماء محكم عليها من جميع نواحيها بإتقان محكم »[4] . وهذه المياه تجري في الأرض ، حتى جعل شمس الدين الدمشقي تحت دمشق مدينة من متصرّفات المياه فقال : « وتحت الأرض مدينة أخرى من متصرّفات المياه والقُنى ، وجداول ومسارب

---

١) مسالك الابصار (طبعة القاهرة) ص ٨١

٢) رحلة ابن جبير (ط . اوروبة) ص ٢٦١

٣) معجم البلدان (ط . ليبزيغ) ٣ : ٥٩٠

٤) صبح الأعشى (ط . القاهرة) ٦ : ٩٣ ، وانظر ايضاً مدارس دمشق للاربلي (ط . دمشق) ص ١١

ومخازن وقنوات تحت الأرض كلها ؛ حتى لو حفر الإنسان اين ما حفر من أرضها وجد مجاري الماء تحته مشبكة طبقات ، يمنة ويسرة ، شيئاً فوق شيء »[1].

وقد جعلوا هذه المياه زينةً لها ، وفضلوها بها على غيرها. قال القلقشندي: « وحلب أجلّ بناء لعنايتهم بالحجر . ودمشق أزين وأكثر رونقاً لتحكم الماء على مدينتها وتسليطه على جميع نواحيها »[2].

هذه الغزارة في المياه كانت سبباً في وجود حماماتها. وقد كان أهل دمشق يفخرون بحماماتهم هذي منذ زمن الأمويين . فقد ذكروا أن الخليفة الوليد بن عبد الملك لما بنى مسجد دمشق الكبير قال: « رأيتكم يا أهل دمشق تفخرون على الناس بأربع خصال : تفخرون بمائكم وهوائكم وفاكهتكم وحماماتكم فأحببتُ ان يكون مسجدكم الخامسة . »[3]

« وقد اشتهرت هذه الحمامات في الشرق كله . وإنك لتجد بينها ما هو من روائع الفن الاسلامي »[4] بطراز عمارتها وريازتها ، وغنى زخارفها ونقوشها .

***

اول من تكلّم على هذه الحمامات ، فيما نعلم ، الحافظ ابن عساكر (٥٧١هـ)، فقد أفرد لها فصلاً في تاريخه الكبير عند كلامه على القُنى ثم خصّها ابن شدّاد (٦٨٤هـ) بفصل في « أعلاقه الخطيرة »[5]. ثم جاء ابو علي الحسن بن زفر الاربلي (٧٢٦هـ) فعدّد ما وجده منها في كتابه المسمّى « مدارس دمشق وربطها وجوامعها وحماماتها »[6]. ثم عقبه يوسف بن عبد الهادي (٩٠٩هـ) فالّف رسالة سماها « عدة الملثّات في تعداد الحمّامات » نقل فيها ما ذكره ابن شدّاد ،

---

١) غنية الدهر (ط. اوروبة) ص ١٩٣

٢) صبح الأعشى ٤ : ٩٣ .

٣) تاريخ مسجد دمشق (مخطوط في الظاهرية بدمشق)

٤) Sauvaget, *Rapport sur les Monuments Historiques de Damas*. p. 11, (Archives du S. A.)

٥) وقعت لنا ورقة من الاعلاق ، فيها من حمامات دمشق ، حمامات باب توما . وهي كما ذكرها الاربلي .

٦) نشره الاستاذ محمد دهمان بدمشق ، عام ١٩٤٧ .

والاربلي. وقد عدد ابن طولون وابن كنّان في كتابيهما « القلائد الجوهرية » ، و« المروج السندسية » ما وجداه في الصالحية وحدها من حمامات .

وآخر من افرد لحمامات دمشق كتاباً المهندسان الفرنسيان ايكوشار ولوكور[1] . وقد بحثا فيه عن الحمامات ، وأوصافها ، وآدابها[2] ، وكيف تعمل ، واسهبا بالكلام على بنائها وتخطيطها ، وطراز ريازتها[3] .

***

والمدقق فيما أورده هؤلاء المؤلفون من حمامات يلاحظ كثرة حمامات دمشق ، من جهة ، وتناقص عددها على مرّ العصور ، من جهة ثانية .

فلقد ذكر ابن عساكر ان فيها — الى سنة سبعين وخمسماية — سبعة وخمسين حماماً[4] ، سوى حمامات القرى . وذكر ابن شدّاد — وكان في القرن السابع — خمسة وثمانين[5] . وهو قريب من عدد حمامات القاهرة في العصر نفسه ، فقد ذكر ابن عبد الظاهر ان عدة حمامات القاهرة الى آخر سنة خمس وثمانين وستماية يقرب من ثمانين حماماً[6] . أما الاربلي فقد وجد في دمشق ، في القرن الثامن ، اربعة وسبعين حماماً[7] .

وقد سرد ايكوشار اسماء ستين حماماً وجدها عام ١٩٤٠[8] . أما ما بقي يعمل من الحمامات اليوم فهو ثمان وعشرون[9] .

***

---

١) M. Ecochard et C. Le Cœur, *Les Bains de Damas*. Beyrouth, 1942.

٢) لابن عبد الهادي كتاب اسمه «آداب الحمام وأحكامه» مخطوط في دار الكتب الظاهرية . وقد ذكرنا في الذيل الملحق ابوابه .

٣) في كتاب وقف لالا مصطفى باشا . وصف تام لحمام الراس ، جدير بأن يكون أنموذجاً لوصف كل حمام . انظر ص ١٥١

٤) انظر اسماء الحمامات ، ص ٤٠٥ – ٤٠٨ في هذا الجزء من « المشرق » .

٥) هذا العدد مأخوذ عن رسالة الاربلي .

٦) الخطط للمقريزي (بولاق ١٢٧٠هـ) ٢ : ٨٠

٧) مدارس دمشق . . . ص ١٩

٨) Ecochard, *Bains*... p. 55-57 (Partie Première)

٩) انظر ذيل هذا المقال ص ٤١٩

وقد لخّص عبد القادر بدران (١٢٧م) فصل حمامات دمشق ، (تاريخ ابن عساكر) فحذف بعضه ، واضاف بعض الحمامات الى بعض[1] ؛ مما افقده شأنه. فرأينا ان نعيد نشره تاماً من مخطوطة دمشق . اما كتاب الاربلي فقد حققه الاستاذ محمد دهمان ونشره . وها نحن نقدم الان فصل ابن عساكر ، ورسالة « عدة الملمات » لابن عبد الهادي . وقد ذيّلنا ذلك كله باسماء ما بقي من الحمامات بدمشق في ايامنا ليكون أتمّ وأدعى للفائدة ، كما ألحقنا بذلك وصفاً لكتاب «آداب الحمام وأحكامه» المحفوظ بدار الكتب الظاهرية.

١) مهذب ابن عساكر ١ : ٢٥٠

حمامات دمشق

من مخطوطة تاريخ دمشق لابن عساكر

(ورقة ١٧٨ ب – ١٧٩ آ . تاريخ رقم ١ مجلد ١)
دار الكتب الظاهرية .

وأما الحمامات :

١ فحمام القلعة المحروسة
٢ وحمام للقاضي عند باب الجابية .
٣ وحمام داخل القصّاعين .
٤ وحمام داخل درب الهاشميين المعروف بالجديد . كان قديماً ، فخرب وجدّده حسن الخادم .
٥ وحمام القُصَيْر .
٦ وحمام بيت الأمير جاروخ .
٧ وحمام الشريف العقيقي .
٨ وحمام الديوان لطيف .
٩ وحمام القلانسيّين عند القيسارية الفخرية .
١٠ وحمام الأكّافين الذي في سوق علي .
١١ وحمام نور الدين الجديد في سوق القمح .
١٢ وحمام ابن أبي نَصْر خلف سُوَيْقة الباب الصغير .
١٣ وحمام درب النخلة عند باب الصغير ، وقفه نور الدين رحمه الله .
١٤ وحمام الجُحَجي بقرب المقسلاط في درب الجُحَجي . خرب وصار دارًا لابن قوام .
١٥ وحمام سُوَيْد عند دار ابن مَنْزو .
١٦ وحمام يُعرف بالمؤيّد .
١٧ وحمام إلى جانبه يعرف بالسلارية .
١٨ وحمام خَفيف في درب خفيف بقرب باب الفراديس .

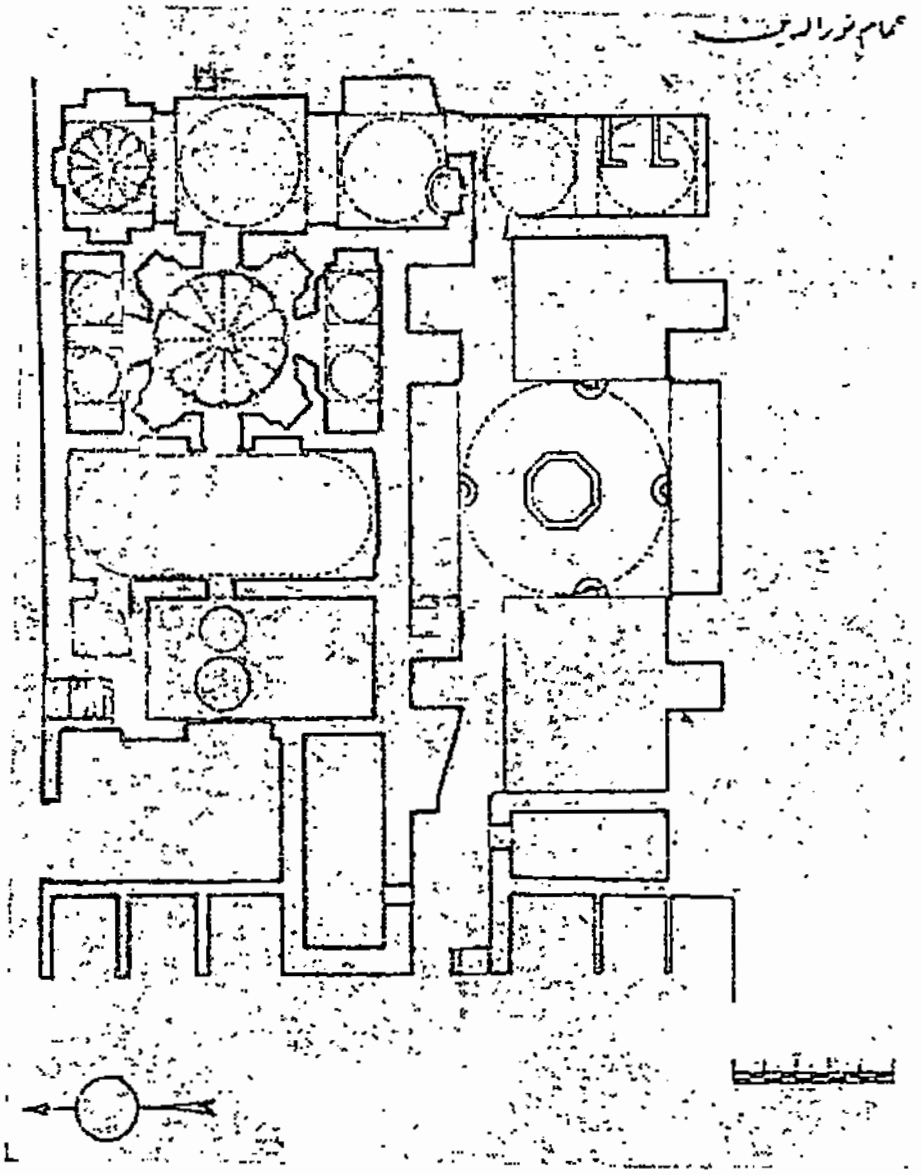

تخطيط حمام نور الدين بدمشق . (من مديرية الآثار العامة بدمشق)

وهو من أقدم الحمامات بدمشق بناه نور الدين محمود بن زنكي (-٥٦٩) بين سنة دخوله دمشق سنة ٥٥٤٩ وسنة بنائه المدرسة النورية الكبرى وهي ٥٥٦٧ . وجعل الحمام وقفاً لها .

ويقع بسوق البزورية (البزوريين ، أو سوق القمح قديماً) أعظم أسواق مدينة دمشق التجارية . وقد جُعل اليوم مخزناً ومحلاً للتجارة .

١٩ وحمام ابن كلى عند دار طَرْخان.
٢ وحمام النحاسين بقرب سقيفة كَرَوس على بير.
٢١ وحمام عنده يُعرف بابن القُطَيْطَة على بير أيضاً.
٢٢ وحمام دار الوزير المزْدَقاني صغير.
٢٣ وحمام الجُبْن في درب الجبن خلف الحدّادين.
٢٤ وحمام ابن ابي هشام في درب الحبّالين.
٢٥ وحمام (آخر ١٧٨ ب) التميمي في دار البطيخ تخرّب.
٢٦ وحمام في الحريميين خلف سوق المطرزيين على بير.
٢٧ وحمام المطرّزيين خلف قناة سوق الأحد.
٢٨ وحمام اللؤلؤة، كان قديماً يُعرف بحمام اليزيديّين، وكان لطيفاً على مدار فكُبِّر وسيقت له قناة. والمدارُ باقٍ إلى اليوم.
٢٩ وحمام ابن أبي الحديد عند منارة فَيْروز.
٣٠ وحمام العَلَويّ خلف طريق العلوي في كنيسة مريم.
٣١ وحمام درب الحَجَر. كان على بير فسيق له الماء.
٣٢ وحمام عند رأس قنطرة سنان.
٣٣ وحمام خطلبا بقرب كنيسة مريم.
٣٤ وحمام ابن عبادة بقرب جير قسام وسقيفة جناح.
٣٥ وحمام علي المنجنيقي عند الباب الشرقي.
٣٦ وحمام ابن صُصْرَى عند باب توما له قناة وبير.
٣٧ وحمام للشريف عند دار ابن بوري كان له قناة وله بير في الأرض.
٣٨ حمام الأسديين على باب الجابية.
٣٩، ٤٠ وحماما أبي المعالي ابن تميم في العُقَيْبة.
٤١ وحمام ابن قرقين بقرب حمامي ابن تميم.
٤٢ وحمام بناه ابن زاكي بقرب قبة طرخان.
٤٣ وحمام توماس بقرب الرحى البرمكيّة.
٤٤ وحمام عند عُوَيْنة القصّارين.

٤٥ وحمام يُعرف براهب الكلّاس في دار أم البنين.

٤٦ وحمام آخر بقرب عُوَينة الحمى.

٤٧ وحمام عند رأس بستان بكجور.

٤٨ وحمام آخر إلى جانبه.

٤٩، ٥٠ وحمامان عند عين كُشْتِكين خارج باب السلامة.

٥١ وحمام ابن مُعين الذي خارج باب توما بقرب السبع أنابيب.

٥٢ وحمام ابن صَدَقة في الثاغور خارج باب الصغير.

٥٣ وحمام ابن عادة في الثاغور أيضاً

٥٤ وحمام القصر بالنيرب الأسفل.

٥٥ وحمام ابن العفيف بوادي النيرب.

فبلغها سبعة وخمسون[1] حماماً سوى حمامات القرى (ورقة ١٧٩ آ).

(١) المذكور هنا خمسة وخمسون حماماً. فلعله سقط من الاصل اسم حمامين.

كتاب

عدّة الملمات في نعداد الحمامات

أجزتُ لأولادي روايته وكَتَبَ

يوسف بن عبد الهادي

مخطوط في دار الكتب الظاهرية . رقمه : عام ٥٣٥ ج . دشت . كتب بخط المؤلف في اواخر القرن التاسع الهجري . ثماني ورقات . مخروم من اطرافه . أبعاد الورقة : ١٩½×١٤ سم . في الورقة اربعة عشر سطرًا ، وقد تبلغ خمسة عشر سطرًا . في السطر عشر كلمات ، وقد تبلغ ثلاث عشرة كلمة .

انظر ترجمة يوسف عبد الهادي في شذرات الذهب (ط . القدسي بالقاهرة) ج ٨ ص٣٢ ؛ وانظر مقدمة اسعد طلس لكتاب مساجد دمشق (غار المقاصد في ذكر المساجد – ط . المعهد الفرنسي بدمشق) ص ٩–٤٩ . وانظر بروكلمن (تاريخ الادب العربي) ج ٢ ص١٠٧ . ومعظم تواليف ابن عبد الهادي محفوظة بخطه بدار الكتب الظاهرية بدمشق . وبعضها بمكاتب برلين وغوطا والسكوريال وباريس ، وحلب (انظر بروكلمن) . وقد نشر الاستاذ حبيب الزيات منها رسالة « الاعلامات على معرفة الحانات » (المتراثة الشرقية ، مجلة المشرق ٣٦ [١٩٣٨] ٦٤) .

بسم الله الرحمن الرحيم

وهو حسبي

الحمد لله على سائر الحالات ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ؛ اله تفرّد في الذات والصفات . وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله [وأ]صحابه في كل وقت من الأوقات وسلم تسليما . وبعد [فه]ذه نبذة يسيرة أذكر فيها حمامات دمشق والله أسألُ المعونة وهو حسبنا ونعم الوكيل .

الأول حمام الكتاني ذكره ابن شدّاد .

الثاني حمام جلم ذكره ابن شدّاد .

الثالث حمام عز الدين ذكره ابن شدّاد وأبو علي الاربلي وقال : داخل باب النصر .

الرابع حمام تيرك ذكره ابن شدّاد وأبو علي الاربلي .

الخامس حمام شركس ذكره ابن شدّاد وأبو علي الاربلي .

السادس حمام البيمارستان ذكره ابن شدّاد وأبو علي الاربلي .

السابع حمام قُميص ذكره ابن شدّاد وأبو علي الاربلي (١١آ) .

الثامن حمام العدل ذكره ابن شدّاد وأبو علي الاربلي .

التاسع حمام ست الشام ذكره ابن شدّاد وأبو علي الاربلي وقا[ل: حمام] تربة ام الصالح ويعرف بحمام ست الشام أيضاً .

العاشر حمام درب اللبان ذكره ابن شداد وأبو علي الاربلي .

الحادي عشر حمام الجوهري ذكره ابن شداد .

الثاني عشر حمام الشريف ذكره ابن شداد وأبو علي الا[ربلي] .

الثالث عشر حمام كريم الدين ذكره ابن شداد .

الرابع عشر حمام ابن يُمن ذكره ابن شداد وأبو علي الاربلي .

الخامس عشر حمام سوق علي ذكره ابن شداد وأبو علي الاربلي .

السادس عشر حمام نور الدين ذكره ابن شداد وأبو علي الاربلي . وزاد : بسوق الجزوريين . وذكر أن حمام البيمارستان يُقال له حمام نور الـ[دين] .

السابع عشر حمام قراجا ذكره ابن شداد وابو على الاربلي .

الثامن عشر حمام سويد ذكره ابن شداد وابو علي الاربلي .

التاسع عشر حمام عز الدين استاذ الدار ذكره ابن شداد وابو علي الاربلي .

العشرون حمام السلم ذكره ابن شداد وابو علي الاربلي .

الحادي والعشرون حمام الرحبة ذكره ابن شداد وابو علي الاربلي .

الثاني والعشرون حمام ابو (كذا) شامة ذكره ابن شدّاد .

الثالث والعشرون حمام الجبن ذكره ابن شدّاد وابو علي الاربلي .

الرابع والعشرون حمام العجج ذكره ابن شدّاد وابو علي الاربلي .

الخامس والعشرون حمام السنبوسك ذكره ابن شدّاد وابو علي الاربلي .

السادس والعشرون حمام البقل ذكره ابن شداد وأبو علي الاربلي.
[السا]بع والعشرون حمام حارة الخاطب ذكره ابن شداد وأبو علي الاربلي.
[الثام]ن والعشرون حمام العميد ذكره ابن شداد.
التاسع والعشرون حمام العسقلاني ذكره ابن شداد.
الثلاثون حمام قراجا أيضا ذكره ابن شداد.
الحادي والثلاثون حمام الزلاقة ذكره ابن شداد.
الثاني والثلاثون حمام الزيبق ذكره ابن شداد وأبو علي الاربلي.
الثالث والثلاثون حمام أبي الطيب ذكره ابن شداد والاربلي وقال: حمام ابن ابي الطيب ولعله اصوب.
الرابع والثلاثون حمام اللؤلؤة ذكره ابن شداد وأبو علي الاربلي.
[الخا]مس والثلاثون حمام الصوفي ذكره ابن شداد وأبو علي الاربلي.
السادس والثلاثون حمام خطلبا ذكره ابن شداد وأبو علي الاربلي.
[السابـ]ع والثلاثون حمام العلوي ذكره ابن شداد وأبو علي الاربلي.
الثامن والثلاثون حمام الفايز ذكره ابن شداد وأبو علي الاربلي.
التاسع والثلاثون حمام أسد الدين ذكره ابن شداد وأبو علي ا[لاربلي].
الأربعون حمام قاضي اليمن ذكره ابن شداد وأبو علي الاربلي.
الحادي والاربعون حمام كرجي ذكره ابن شداد وأبو علي الاربلي.
الثاني والاربعون حمام الغرز خليل ذكره ابن شداد وأبو علي الاربلي.
الثالث والاربعون حمام الزُرَيْزير ذكره ابن شداد و [ابو علي الاربلي]
الرابع والاربعون حمام الحريمين ذكره ابن شداد وابو علي [الاربلي].
الخامس والاربعون حمام المطرزيين ذكره ابن شداد.
السادس والاربعون حمام المرايس ذكره ابن شداد وابو علي الاربلي.
السابع والاربعون حمام الصوفي ذكره ابن شداد.
الثامن والاربعون حمام النيطون ذكره ابن شداد.
التاسع والاربعون حمام سعد الدين ذكره ابن شداد.

الخمسون حمام الدولاب ذكره ابن شداد.
الحادي والخمسون حمام الزنجاري ذكره ابن شداد.
الثاني والخمسون حمام درب العجم الكبير ذكره ابن شداد وابو علي الاربلي.
الثالث والخمسون حمام درب العجم الصغير ذكره ابن شداد وابو علي الاربلي.
الرابع والخمسون حمام أسامة ذكره ابن شداد وابو علي الاربلي.
الخامس والخمسون حمام الطاس ذكره ابن شداد وابو علي الاربلي.
[السا]دس والخمسون حمام الصحن ذكره ابن شداد وابو علي الاربلي.
[السابع والخمسون حمام المؤيد ذكره ابن شداد وابو علي الاربلي.
الثامن والخمسون حمام السلارية ذكره ابن شداد وابو علي الاربلي.
التاسع والخمسون حمام حبيب ذكره ابن شداد.
الستون حمام الملك الزاهر ذكره ابن شداد وابو علي الاربلي
الحادي والستون حمام السلطان ذكره ابن شداد وابو علي الاربلي.
[الثا]ني والستون حمام جاروخ ذكره ابن شداد وابو علي الاربلي.
[الثا]لث والستون حمام القصير ذكره ابن شداد وابو علي الاربلي.
[الرا]بع والستون حمام ابن موسك ذكره ابن شداد وابو علي الاربلي.
الخامس والستون حمام العقيقي ذكره ابن شداد وابو علي الاربلي.
السادس والستون حمام القاضي ذكره ابن شداد وابو علي الاربلي.
السابع والستون حمام الوزير ذكره ابن شداد وابو علي الاربلي.
الثامن والستون حمام القُطَيْطة ذكره ابن شداد وأبو علي الاربلي.
التاسع والستون حمام درب الشمارين ويُعرف بحمام صالح ذكره ابن شداد وأبو علي الاربلي.

الحمام السبعون حمام الكمالي ذكره ابن شداد.
الحادي والسبعون حمام الصفي بالزلاقة ذكره ابن شداد [وأبو علي] الاربلي.
الثاني والسبعون حمام جمال الدين الزومي ذكره ابن شداد.
الثالث والسبعون حمام ابي نصر ذكره ابن شداد وأبو علي الاربلي.
الرابع والسبعون حمام الاندر ذكره ابن شداد وأبو علي الاربلي.

الخامس والسبعون حمام القاضي الفاضل ذكره ابن شداد.
السادس والسبعون حمام حُدَيد ذكره ابن شداد وأبو علي الا[ربلي].
السابع والسبعون حمام الهيامي ذكره ابن شداد.
الثامن والسبعون حمام بدرب البهاء شمس يعرف بالهاشميين ذكره... خرب وجدده حسن الخادم. لم يُعرف.
التاسع والسبعون حمام الديوان لطيف ذكره ابن شداد.
الثمانون حمام سوق علي يعرف بالأكّافين ذكره ابن شداد.
الحادي والثمانون حمام درب النخلة عند باب الصغير ذكره ابن شداد.
الثاني والثمانون حمام الجُحي ذكر أنه خرب وصار دارًا تعرف... بن قوام ذكره ابن شداد.
الثالث والثمانون حمام التميمي بدار البطيخ خرب . وهو الآن [م]ساكن. ذكره ابن شداد.
الرابع والثمانون حمام طويل الى جانب كنيسة مريم ذكره ابن شداد.
الخامس والثمانون حمام عند رأس قنطرة سنان ذكره ابن شداد.
السادس والثمانون حمام القاضي المالكي بباب الفرج عَمَّره القاضي التلساني.
السابع والثمانون حمام الملّاني.
الثامن والثمانون حمام الكمالي ذكره أبو علي الاربلي.
التاسع والثمانون حمام الهاشمي ذكره أبو علي الاربلي.
التسعون حمام سعيد ذكره الاربلي.
الحادي والتسعون حمام رحيبة ذكره الاربلي.
الثاني والتسعون حمام آخر لسعيد ذكره الاربلي.
الثالث والتسعون حمام الزنجالي ذكره الاربلي.
الرابع والتسعون حمام خفيف ذكره الاربلي.
الخامس والتسعون حمام صاحب حمص ذكره الاربلي.
السادس والتسعون حمام العتيقي ذكره الاربلي.
السابع والتسعون حمام دار السعادة ذكره الاربلي.

الثامن والتسعون حمام اخر للشريف ذكره الاربلي.
التاسع والتسعون حمام درب اللبان ذكره الاربلي.
المائة حمام اخر للمارستان ذكره الاربلي.
الحادي حمام [بدر الدين بجا]رة[1] البلاطة ذكره الاربلي
الثاني حمام ..... ذكره الاربلي.
[2]

. ◘

وقد ذكر ابن عساكر في تاريخه الى سنة سبعين وخمسماية ان الحمامات الموجودة بدمشق وظواهرها سبعة وخمسون حماماً . وذكر ابو علي الاربلي ان الحمامات التي داخل دمشق اربعة وسبعون حماماً . وان التي بها وبما هو متصل بها من حواضرها مائة وسبعة وثلاثون حماماً. وذكر الاربلي ان بالمتصل بدمشق حمام ابن العديم والحمام الجديد.

[فا]صل في حمامات جهة القبلة

وفي جهة القبلة اربعة :
الاول حمام مستجد برأس ميدان الحصى ذكره ابن شداد.
الثاني حمام غازي ذكره ابن شداد.
الثالث حمام الريس ذكره ابن شداد.
[الرا]بع حمام الصدى (؟) ذكره ابن شداد.
وذكر الاربلي ان [بالقُبَيْ]بات حمام قديم وحمام جديد أنشأه الصاحب شمس الدين عبدالله.

[فصا]ل وفي الثاغور حمامان

الاول حمام ابن الشجري ذكره ابن شداد.
الثاني حمام اولاد ابن صاحب حمص ذكره ابن شداد . وعدّه الاربلي في حمامات دمشق .

---

١) الزيادة من الاربلي .
٢) بياض في الأصل .

فصل وبالقيبة عدة حمامات

الاول حمام الكحال ذكره ابن شداد.

الثاني حمام العوينة ذكره ابن شداد.

الثالث حمام دلدرم ذكره ابن شداد.

الرابع حمام الراهب ذكره ابن شداد.

الخامس حمام الشريف الزجاج ذكره ابن شداد.

السادس حمام الرشيد ذكره ابن شداد.

السابع حمام الصالح ذكره ابن شداد.

الثامن حمام قرقين ذكره ابن شداد

التاسع حمام الشجاع ذكره ابن شداد.

العاشر حمام اسرائيل ذكره ابن شداد.

الحادي عشر حمام العجمي ذكره ابن شداد.

الثاني عشر والثالث عشر حمامان لابن السرهنك ذكرهما ابن شداد.

فصل وبباب السلامة ثلاث حمامات.

الاول حمام القاضي محي الدين ذكره ابن شداد.

الثاني حمام ابن مُنجا ذكره ابن شداد.

الثالث حمام الوراقة ذكره ابن شداد.

فصل وبحكر السماق حمامات

الاول حمام الحسام ذكره ابن شداد.

الثاني حمام الصوفية ذكره ابن شداد.

الثالث حمام الميدان ذكره ابن شداد.

الرابع حمام الظاهرية ذكره ابن شداد.

فصل وبباب توما حمامات

[الا]ول حمام دايم ذكره ابن شداد.

[الثا]ني حمام دائر ذكره ابن شداد.

الثالث حمام الزنجاري ذكره ابن شداد.

فصل وبباب شرقي حمام واحدة لغلام ابن يمن جوار دير الجذمى ذكره ابن شداد.

فصل وبالقلعة حمامان.

فصل وذكر الاربلي ان بالسهم خمس حمامات :

الاول حمام حدّوثة.

الثاني حمام الاعسر.

الثالث حمام الزُعَيْفَرينة.

الرابع [حمام] القواس.

[وقد أنشأ الصاحب بهاء الدين بن عليم حماماً في بستانه][1]

فصل وبالصالحية حمامات

الاول حمام الركنية.

[الثا]اني حمام العلاني.

الثالث حمام الشبلية ذكره الاربلي.

الرابع حمام الكاس شرقي المدرسة.

الخامس حمام القاضي في راس سوق الفاكهة ذكره الاربلي.

السادس حمام الحاجب بناه الامير محمد بن مبارك حاجب دمشق.

السابع حمام الزهر ذكره الاربلي.

الثامن حمام الجورة عند البيمارستان ذكره الار[بلي].

التاسع حمام الحنفي عند بيت الباعوني.

العاشر حمام ابن الخواجا ابراهيم نحو بيته.

الحادي عشر حمام المقدم عند الجامع الجديد.

الثاني عشر حمام ابن العيني عند بيته.

الثالث عشر حمام العرايس.

الرابع عشر حمام العفيف.

الخامس عشر حمام عبد الباسط بالجسر.

---

١) الزيادة من الاربلي المطبوع.

السادس عشر حمام الزمرد

وقد ذكر الاربلي ان بجبل قاسيون اربعة عشر حماماً فذكر الاربعة المتقدّمة.

والخامس حمام المدفف

والسادس حمام الورد

والسابع حمام عبد الحميد

والثامن حمام دبوقا.

والتاسع حمام [خرنوبة][1].

[والعاشر] حمام الياسمين.

والحادي عشر حمام النحا[س القديمة][1].

وحمام اخرى جددها القرماني وتعرف [بحمام النحاس ايضاً . وحمام انشأه الصاحب بهاء الدين بن عليم ايضاً بجبل الصالحية وهو جبل قاسيون قريب من اليغمورية .

وحمام أنشأه أيدمر مملوك الصاحب عز الدين بن التلانسي على طريق الجسر الابيض بطريق][1] جبل قاسيون.

قال وبالنيرب حمام واحد وهو حمام العز المطرز.

فصل وبالمزّة حمامات

الاول حمام المسعودي ذكره الاربلي.

الثاني حمام العفيف ذكره الاربلي.

والثالث حمام الموافي وجددها فخر الدين اياس ذكره الاربلي.

فصل وببيت الآلهة وجوبر والعنابة حمامات

الاول . . . . . [2]

فصل وبكفرسوسيا حمام ذكره الاربلي.

فصل وبالربوة حمام

. . . . . .

---

١) الزيادة من الاربلي المطبوع.

٢) بياض في الاصل مقدار سطر.

فصل فيما فيه حمام من قرى الغوطة .

بالقابون الفوقاني حمامان.

بالقابون التحتاني حمامان.

وببرزه حمام.

وبزملكا حمام.

وبجرستا حمام.

وبجمورية حمام.

وبسقبا حمام.

وبكفربطنا حمام.

وبعين ثرما حمام.

وبمقربا حمام .

وبيلدا حمام.

وبجرمانا حمام.

وبكفرسوسيا حمام.

وبداريا حمام.

وبالمنيحة حمام.

قال الاربلي : وبين حرستا وأرزونة حمام واحد يُعرف بحمام مسيلة .

هذا اخر ما قدرنا على حصره من حمامات دمشق والحمدلله . وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم . وفرغ منه يوسف بن حسن بن عبدالهادي . والحمدلله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

ذيل

حمامات دمشق في زمننا

اما حمامات دمشق في زمننا فقد صدف الناس عنها وقلّت الرغبة فيها . واتخذت محالّ للصباغات والتجارات وخزن البضاعة . وسبب ذلك وجود الحمامات الخاصة المبنية على الطراز الاوروبي في الدور . فقلّ ان تجد دارًا حديثةً ليس فيها حمام ينصبّ فيها ماء الفيجة صافياً عذباً . وادخلت هذه الحمامات الخاصة في الدور القديمة ايضاً . وما بقي من الحمامات في المدينة يكاد يكون مقصوراً على العامة والطارئين على دمشق من المدن والقرى.

وهاك اسماء ما بقي من الحمامات :

حمام العفيف — في الصالحية ، على طريق المهاجرين . وقد كان بالقرب منه الى الشمال مسجد صغير فهدم في هذه الايام . ووسعت الطريق .

حمام المقدّم — في الصالحية ، على الطريق المؤدية الى المدرسة الجهاركسية والتربة الخاتونية .

حمام الحاجب — في الصالحية ، في جنوب المدرسة العمرية التي بُدئ بهدمها الآن لفتح الطريق ، مقابل المدرسة الحاجبيّة المتهدّمة . وفيه زخارف من الجصّ ، نادرة وجميلة .

وهذه الحمامات يأتيها ماؤها من نهر يزيد.

حمام الورد — بسويقة صاروجا .

حمام الجوزة — بسويقة صاروجا .

حمام العمري بالعقيبة ، مقابل جامع التوبة ، من الشمال .
حمام آمونة بالعُقَيبة ، في المزرعة ، في الجنوب الشرقي من مقبرة الدحداح .
حمام الخانجي بالعُقيبة .
وما هذه الحمامات من نهر تورا .

حمام القرماني عند سوق العتيق ، حيث تباع الخضراوات واللحوم والفاكهة شرق جامع يلبغا .
وما هذا الحمام من بانياس وتورا .

حمام الملك الظاهر وهو حمام العتيقي ، لصيق المدرسة الظاهرية الجوّانية .
حمام القيمرية بالقيمرية وهو يفتح ابوابه في شهور الشتاء .
حمام البكري بالقيمرية ، بالقرب من باب توما . بناه البكري لرجل اسمه ابو المواهب عام ١٠٢٦هـ .
وما هذه الحمامات من نهر بانياس .

حمام السلسلة في العمارة الجوّانية ، شرق المدرسة الاخنائية ، في الطريق الآخذة الى المدرسة الشريفية الحنبلية . وفيه زخارف صغيرة من الجص .

حمام الملكة في القنوات ، على الطريق الآخذة الى الميدان ، شمال جامع درويش باشا ، بين مدخل سوق الحميدية ومدخل سوق مدحت باشا . وفيه زخارف كثيرة غنية ، تشبه زخارف مسجد درويش باشا .

حمام القاضي في نزلة حمام القاضي
حمام السنانية بالقرب من مسجد سنان باشا ، نحو الجنوب . وفيه زخارف غنية متقنة .

حمام ركاب بالشاغور الجوّانية ، شمال الباب الصغير .
حمام الملك غرب الباب الشرقي ، بالقرب من رباط ابي البيان .

زاوية من المقرنصات

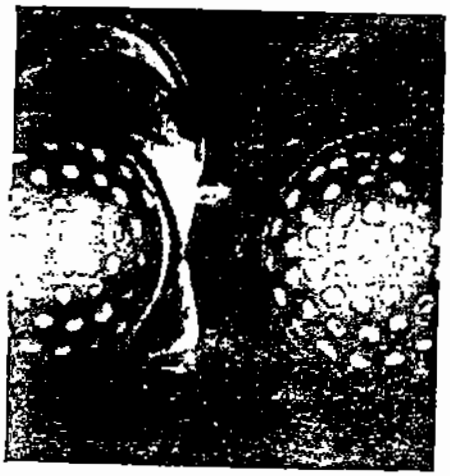

مقرنصات مأخوذة من الاسفل

مقصورة

هذه الصور من حمام التيروزي بدمشق بناها حاجب الحجاب بدمشق خليل التيروزي سنة ٨٦٥ هـ. وهي من اجمل حمامات دمشق. وكان يُكرى زمن بنائه، كل يوم بأكثر من اربعين درهماً.

(الصور من مديرية الآثار العامة بدمشق)

حمام الصفي — هو حمام الصفي بن شكر بالزلاقة شمال الباب الصغير.

حمام السروجي — خارج الباب الصغير.

حمام التيروزي — في محلة قبر عاتكة، وبجانبه مسجد التيروزي، وفيها قطع نفيسة من القاشاني.

حمام الزيني ويسمى حمام الزين ، وهو في السويقة ، وهي سكن المغاربة .

وماء هذه الحمامات من بانياس وقنوات .

حمام فتحي وهو حمام فتحي البدفتردار ، في الميدان زقاق الموصلي بني عام ١١٥٨ هـ . وفيه زخارف جصية بارزة في غاية الاتقان والجمال .

حمام الرفاعي في سوق الميدان، شرق مسجد منجك .

حمام العاقل في الحقلة .

وماء هذه الحمامات من الديراني وقنوات .

حمام الجديد في الميدان السلطاني ، بالقرب من المدرسة الرشيدية .

حمام الدرب في الميدان السلطاني .

حمام التوتة في الميدان السلطاني .

وماء هذه الحمامات من نهر الديراني .

فهذه ثمان وعشرون حماماً[1] .

---

١) انظر اسماء الحمامات التي أوردها ايكوشار في كتابه حمامات دمشق . وقايس بين ما عددناه وما ذكره .

M. Ecochard et C. Le Cœur, *Les Bains de Damas*. Première partie, p. 55-57.

وكذلك انظر قائمة المراجع التي استخدمها في بحثه عن الحمامات ، في القسم الثاني من الكتاب ص ٤٣١ .

ذيل ملحق

كتاب آداب الحمام واصلاحه

ليوسف بن عبد الهادي

مخطوط في دار الكتب الظاهرية بدمشق . عام ٦٥٦٩
خطه بخطه ، سنة ٨٨٥ هـ . ٩٥ ورقة ١٩×١٣ ، مخرومة الاول .
في الكتاب نقص بين الورقة ٣ – ٤ . وفيه نقص من الباب الرابع والسادس . ونقص بين الورقة ٨ – ٩ . وفيه نقصُ قسم من الباب السابع ، وجميع الباب الثامن . ونقص قسم من الباب الثالث والعشرين . ونقص بين الورقة ٣٣ – ٣٤ . ونقص بين الورقة ٧٨ – ٧٩ .

اما ابواب الكتاب فهي :

الورقة	الباب
١ ب	الباب الرابع في شروط بنائه وكيف يُبنى .
٤ ب	الباب السادس في دخوله للرجال .
٧ ب	الباب السابع في دخوله للنساء .
٩	الباب التاسع في شروط دخوله الطبيّة .
١٠	الباب العاشر في نفعه ومضرّته .
١٢	الباب الحادي عشر في كيفيّة دخوله ، والاوقات التي يدخل اليه فيها .
١٣	الباب الثاني عشر في الاوقات التي يُنهى عن دخوله فيها .
١٤	الباب الثالث عشر في حكم الايقاد فيه .
١٥ ب	الباب الرابع عشر في حكم مائه .
١٨	الباب الخامس عشر في حكم بيعه وشرائه .
٢٠ ب	الباب السادس عشر في حكم ميازره .
٢١ ب	الباب السابع عشر في حكم أجرته وكيوله وآلاته .
٢٢ ب	الباب الثامن عشر في حكم ارضه وبلاطه وبلاليعه .
٢٣	الباب التاسع عشر في حكم العورة فيه .

الورقة	الباب
٢٧ ب	الباب العشرون فيمن مدحه من السلف.
٢٨ ب	الباب الحادي والعشرون فيمن ذمّه من السلف ولم يدخله.
٢٩ ب	الباب الثاني والعشرون في الشك فيه.
٣٠	الباب الثالث والعشرون فيما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم فيه.
٣٤	الباب الرابع والعشرون في الصلاة فيه.
٤٢	الباب الخامس والعشرون في قراءة القرآن فيه.
٤٤	الباب السادس والعشرون في الذكر فيه.
٤٥	الباب السابع والعشرون في السلام فيه.
٤٦	الباب الثامن والعشرون فيما ذُكر من انه بيت الشيطان.
٤٨	الباب التاسع والعشرون فيما ذُكر من قذارته.
٤٩	الباب الثلاثون في النكاح فيه.
٥٠	الباب الحادي والثلاثون في الأذان فيه.
٥١	الباب الثاني والثلاثون في الحكم والقضاء والفُتيا فيه.
٥١ ب	الباب الثالث والثلاثون في الطلاء بالنورة فيه.
٥٣ ب	الباب الرابع والثلاثون في آدابه.
٥٤ ب	الباب الخامس والثلاثون في دخوله خلوة.
٥٦ ب	الباب السادس والثلاثون في النهي عن البول في المغتسل.
٥٨ ب	الباب السابع والثلاثون في الاكل فيه.
٥٩ ب	الباب الثامن والثلاثون في دخوله بعد الاكل وقبله.
٦٠ ب	الباب التاسع والثلاثون في الشرب فيه وبعده.
٦٣	الباب الاربعون في وقف الحمام.
٦٤	الباب الحادي والاربعون في اجرته.
٦٨	الباب الثاني والاربعون في الوصيّة به وحكمها.
٦٩	الباب الثالث والاربعون في الاسراف في مائه.
٧٢ ب	الباب الرابع والاربعون في انفع الحمامات وأرداها.

الورقة	الباب
٧٣ ب	الباب الخامس والاربعون في هل الاحمد فيه الهواء ام الماء.
٧٤	الباب السادس والاربعون فيمن دخله من الاعيان.
٧٥	الباب السابع والاربعون في تاطوره وحكم السرقة منه.
٧٧	الباب الثامن والاربعون في غسل الرجلين عند خروجه.
٧٩	الباب التاسع والاربعون فيما يقوله الرجل اذا دخله واذا خرج منه.
٨٤	الباب الخمسون في التدالك فيه والتغسل.
	وفيه ثلاثة فصول:
٨٤	الفصل الاول في التدالك.
٨٧	الفصل الثاني فيما يغتسل به.
٩٠	الفصل الثالث في فصول نافعة في احكام الحمام.
٩٠	فصل في دخول المحرم الحمام.
٩١	فصل في دخول الصائم الحمام.

تلك هي فصول الكتاب وابوابه، وهو يدل، في جملته، على مبلغ عناية السلف بالحمامات، واهتمامهم بأمرها.

تاريخ اسبانية
في عهدها الاسلامي

بحث انتقادي للاب اسطفان لاتور اليسوعي

تعريب الاب تونل اليسوعي

كنا في الماضي مدينين للعلامة دوزي (Dozy) الهولندي الكبير بالكثير من معارفنا عن التاريخ الاسباني الاسلامي ؛ واليوم لنا من ابحاث السيد لاڤي پروڤنسال في هذه الناحية ما يفتح امام وجوهنا آفاقاً لم نكن قد رأيناها ، ويكشف القناع عن موادّ كانت خافية علينا ، وقد ثبتت اوضاعها تثبيتاً لا شك في صحته ، وذلك في الكتاب الذي نشره العالم المذكور ، سنة ١٩٤٤ ، تحت اشراف المؤسسة الاثرية الفرنسية في القاهرة اعني به «تاريخ اسبانية في عهدها الاسلامي»[1] . والمجلد الاول منه يشمل السنين المنقضية من مطلع الفتح حتى انقراض الخلافة القرطبية (٧١٠ — ١٠٣١ م) .

ولم يقدم الاستاذ لاڤي پروڤنسال على هذا النشر الا بعد ان استمدّ له بجهود آتت ثمارها في عدة مؤلفات جديدة هي هذه :

— اسبانية الاسلامية في القرن العاشر .

— المدنية العربية في اسبانية .

— شبه جزيرة ايبرية في القرون الوسطى ، اخذاً عن كتاب الروض المعطار لابن عبد المؤمن الحميدي ، ليدن ، ١٩٣٨ ، ومن غير ذلك من المصادر التي كانت الى الامس القريب غير منشورة بعد كمجموعة « الكتابات الاثرية العربية في اسبانية » و « البقايا غير المطبوعة » والابحاث الاخرى المنشورة في

1) E. Lévi-Provençal, *Histoire de l'Espagne Musulmane*. t. 1 ; De la Conquête à la chute du Califat de Cordoue (710-1031 J. C.) [Etudes Historiques publiées par l'Institut Français d'Archéologie Orientale du Caire. V. 1.]

مجلات الاستشراق ، فضلاً عن طبعة جديدة لكتاب دوزي اصدرها لافي بروفنسال نفسه سنة ١٩٣٢ ، بعد ان اعاد النظر فيها بالدقة والتمحيص.

ويؤدّي بنا الكلام عن هذا الكتاب الى وصف اقسامه اولاً ، ثمّ الى البحث في قيمة موادّه:

قسم المؤلف كتابه جزئين : ١ً = الامارة . ٢ً = الخلافة.

ينقسم الجزء الاول – الامارة – اربعة فصول : ١ً الفتوحات ونشر الدين الاسلامي . ٢ً نشأة الامارة الاموية في قرطبة . ٣ً سلطنة عبد الرحمن الثاني (وفيها بلغت الدولة ذراها). ٤ً ازمة الإمارة من السنة ٨٥٢ الى السنة ٩١٢م.

اما الجزء الثاني فاليك فصوله : ١ً عبد الرحمن الثالث اميرًا وخليفة . ٢ً اسبانية على عهد الخلافة من ٩٦١ الى ١٠٠٨ ، مع سيادة بني عامر عليها . ٣ً انحطاط خلافة قرطبة وانقراضها (١٠٠٨ – ١٠٣١) .

وقد قدّم على التاريخ الذي تبسّط في كتابته لائحةً ذكر فيها المراجع التي رددها واستند اليها (مشيرًا باختصار الى مواطنها) في النصوص العربية واللاتينية مع ترجمتها وفي المؤلفات او المقالات العصرية ، عائدًا بالقارئ في اسفل الصفحات الى المصادر والكتب الحديثة مع ذكر المتن والصفحات المناسبة له في الترجمة عند الحصول عليها[1].

---

١) اننا لا نتردد في تعداد المصادر التي نشرت بعد ظهور مؤلف دوزي وقد استفاد منها لافي بروفنسال في تاريخه ، وهي معروفة واكثرها وصفه المستشرق غونزالس بالنسيا (González Palencia) في لائحة المراجع التي اضافها الى تاريخه الاسباني الاسلامي . وحسبنا الاشارة الى ما ظهر منها ، بعد السنة ١٩٣٢ ، اي بعد ان نشر لافي بروفنسال مؤلف دوزي المجدّدة طبعته . واليك اهمها :

– المقتبس لابن حيان وقد استفاد المؤلف من مخطوطته ، ولكن ما كتبه على مملكة عبدالله رجع فيه الى الجزء الذي نشره المرحوم الاب ملكيور انطونيا (Melcor Antuña) سنة ١٩٣٧ .

–الذخيرة لابن بسام . وفيها نشر جزء من تاريخ بني عامر لابن حيان ايضاً . اما الاجزاء الباقية فهي الآن قيد الإعداد.

– ابن الخطيب : ١ً الاعمال وقد نشر المؤلف جزءاً منه . ٢ً الاحاطة ، وقد استعمل من الكتاب مخطوطة الاسكوريال.

والكتاب الـذي نحن بصدده مزين بثمان لوحـات مصوّرة تصويرًا مبتكرًا . اضف اليها تسع خرائط جغرافية واربعة جداول للانساب وفهرسًا ابجديًا كاملًا . هذا وكل حدث او جزء يستحق الذكر قُدّم عليه بعرض للحالة ليس بالطويل المملّ ولا بالقصير المخلّ .

واذ نجتاز اقسام الكتاب الى الكلام على ميزاته الداخلية، ترانا مضطرين الى القول ان بين يدينا تاريخًا جهد صاحبه في تمحيصه حتى اخرجه الى الملأ كتابًا حيًا كاملًا متناسب الاوضاع ، وقد نظمت كل مادّة من مواده في موضعها ، بعد تقرير قيمتها ، بالرغم من كثرة عناصره وخطورتها وتباين مصادرها . واذا جرت المقابلة بين هذا التاريخ وتاريخ دوزي كان الاول (اي هذا) اكثر توازنًا في الاجزاء من الآخر الذي يسهب في بعض المواد ويوجز في بعضها الآخر . ولم يعرض المؤلف لتحرير الحوادث الّا وقد وطّأ لها عن ادراك وبصيرة ، مظهرًا تطوّرها مميّزًا عللها واسبابهـا ، متعمقًا في معرفة عوامل الاشخاص النفسيّة وطباعهم الخلقية . وهذه الحسنة يقدرها له العارفون ، لكثرة ما يُرى اليوم من اهمال بعض المراجع لهذه الناحية في المؤلفات التي تهم القراء المعـاصرين سواء أسكتت عنها ام ذكرتها لغايات في النفس .

كان دوزي قد تعرّف الى الكثير من تلك المراجع ، واستفاد منها ، شأن غيره ممن سار عـلى خطته . اما العلامة لاڤي بروڤنسال فقد اضاف الى ذلك الاستفادة من مصادر كانت لا تزال مجهولة حتى الى عشر سنين خلت ، او من كشفه عناصر جديدة في نصوص معروفة ، ولم يكن العلماء بعد قد اتملوا فيها الروّية ، ولا اهتموا بعرضها على محكّ النقد . من هذه المصادر ما كان بعض العلماء الاسبان والفرنسيون قد عنوا بنشرها اجابة لدعوة المؤلف الذي كان اول من وجهها اليهم في هذا المعنى .

اما اسلوب الكتاب فمن الانشاء القصصي اللذيذ اودعه مؤلفه ملاحظات مقتضبة قيمة على المصادر وحالتهـا وقيمتها والحوادث ومراميها . ولا عجب ،

— عدة اجزاء او بقايا تاريخية نشرها لاڤي بروڤنسال .

— مؤلفان لم يطبعا بعد ، ومنها مخطوطتان بيد المؤلف نفسه وهما : جمهرة الانساب لابن حزم ، وتاريخ الناصر لمؤلف مجهول .

والرجل معروف في عالم الادب وقد عالج التاريخ بنظرات فلسفية خاطفة ، فلم يألُ جهدًا في ابراز الحوادث بصورتها الصحيحة ، مستندًا في ذلك اما الى الحواشي واما الى كتاب دوزي فيما يرويه من حكايات طريفة ليس لها علاقة بالتاريخ ذاته. ونرى في الحواشي[1] التعليقات والتدقيقات والمناقشات فضلًا عن بعض الافتراضات — التي يظهر ان المؤلف قليل الميل اليها — خاصةً في ناحية تقويم الازمنة واسماء الامكنة والاعلام . ولا يسعنا الا الاشارة الى تضلع المؤلف من درس مواقع الامكنة في اسبانية الاسلامية فانه قد عرفها معرفة شاهد عيان.

ولا ريب في زيادة شوقنا لمطالعة كتابه حين تقع فيه تحت ملاحظنا صور فنية للاشخاص استصنعها المؤلف مصورين من المهرة بعد ان قدم لهم عنها المعلومات التاريخية .

---

١) وهناك من المستغربات ما يتخذه المؤلف وسيلة ليسرد الحوادث الطريفة او ليبين من مظاهر الحياة ما يزيد في دقة الحديث ، مثال ذلك تعداده التحف والهدايا التي قدمها احمد ابن شهيد ذو الوزارتين الى الخليفة الناصر . فقد تبين الى اي درجة من الغنى والثروة كان وصل في ذلك العهد لا العامل الاموي فحسب ، ولكن عظماء الاسر العربية النبيلة الكبرى ، وهذه لائحة تلك الهدايا: اهدى الوزير الى ملكه ٥٠٠ الف مثقال من الذهب نقودًا و ٤٠٠ اقة من سبائك الذهب ، و ٢٠٠ كيس من سبائك الفضة المقدرة قيمتها بـ ٤٥ الف دينار — كمية من عود الند الثمين المستعمل وقودًا للمجامر — مسك — كافور — ثلاثون قطعة من القماش الحرير المزركشة بالذهب — خمس حلل فاخرة ثمينة — عشر فراء سبع منها من جلد الثعلب الخراساني الابيض — سبع حلل من حرير عراقي — ٤٨ ثوبًا للملابس النهار — ١٠٠ ثوب للملابس الليل — مئة جلد سمور — ٦ خيم للمرادق — ٤٨ قطوعًا حريريًا مزركشًا بالذهب — ٤ آلاف اقة حرير منزول والف اقة من الحرير المزّ لمصانع الطراز الملوكية — ثلاثون بساط من الصوف — مئة سجادة للصلاة — ١٥ بساطًا من حرير — مئة شكة للايام الاحتفالية — الف ترس — مئة الف سهم — مئة حصان ١٥ منها اصيلة وخمسة بعددها وسروجها المدبّجة — خمسة الاف بغل من البغال الغالية الثمن — ستون عبدًا : اربعون من الذكور وعشرون من الاناث — كمية وافرة من الحجارة والخشب لبناء القصور — وهذه العادة اي ان يقدم الموالي لسيدهم الهدايا كانت شائعة دائمًا في الديار الاسلامية ، ولا يسعنا الا ان نجد علاقة ما بينها وبين النظام الذي نشأ بعد حين في شراء الوظائف بالمال .

اضف الى ذلك ان الخليفة نفسه كان يغمر رجال بطانته بالهدايا ويعطي بيد سخية التقادم للبعثات العديدة التي كانت تتوافد الى قرطبة عاصمة مملكته حينًا من اسبانية وآونة من افريقية او بيزنطية او غيرها من الممالك الاوربية .

وقد ينال هؤلاء الاشخاص في تلك الاوصاف من سرد الحوادث المتصلة بهم فوراً ما ينعكس عليهم فتظهر منها اخلاقهم ظهوراً يزداد وضوحاً كلما ازداد البحث عنهم عمقاً[1] . ولقد رأينا هذا الكلام يصح تماماً خاصةً في تاريخ

---

١) هاك صورة عبد الرحمن الثالث كما برزت من ريشة لافي بروفنسال : فهو مربوع القامة بل قصيرها وقد بدا قصره حتى على متن جواده . اما ما سوى ذلك من اوصافه فهو حسن الطلعة متناسب الملامح بعينين زرقاوين قاتمتين ، وشعر اصهب ضارب الى الحمرة ، وقد يصبغه بالاسود ليخفي لونه الاعجمي ، لانه ليس اموياً بل من صميم الاندلس ويجري في عروقه مزيج من دم اسيوي ودم اوربي .

كانت امه مزنة جارية من سبايا الافرنج وقيل انها غاسكونية ، كذلك كانت الاميرة اينيغة ابنة فرتون الاعور (Fortun le Borgne) جدة عبد الرحمن . وهذا كان في عنفوان شبابه الغض حين التي على كاهله حمل الخلافة الثقيل بعد موت جده عبدالله وهو يكاد لا يبلغ بعد سن الرشد . ولد عبد الرحمن هذا في ٧ كانون الثاني سنة ٨٩٢ (٢٢ رمضان ٢٧٧) قبل ان يُقتل ابوه بنحو ثلاثة اسابيع . وقد شبّ مزداناً بافضل مواهب العقل والقلب . فكان مثقفاً حليماً كريماً حصيفاً متبصراً في حقائق الامور ، شديد العزم والحزم ، لا تزعزعه الطوارئ مهما اشتدت . اضف الى ذلك طموحه الى العلاء وسعة نظره غير المألوفة عند العامة ، مما مكنه من بسط سيطرته على الفقهاء والادباء وكبار العمال في دولته . اما التديّن فلم يكن من الغلاة فيه ، وكانت مظاهر عبادته مدعاة لاجتذاب الاذهان اليه لا غير . وفي ما دون ذلك كان كثير التسامح بين الامراء من سلالته . ولسوف يشكر له المسيحيون واليهود ابداً ذلك التسامح لانه ادّى الى اصلاح حالهم في ايامه ، وعلى ذلك رأيناهم يقابلونه جميعاً بخلوص الولاء والامانة وعرفان الجميل مما كاد يجدره الى تولية احد المسيحيين المستعربين القضاء الاكبر في قرطبة لولا تظاهرة الفقهاء بالسخط عليه لو فعل . ولعلّ ذلك هو ما دفع بالقاضي السلام ابن عبد العزيز الى القول حين عرف بتحوّل عبد الرحمن عن فكرته تلك : « الحمد لله الذي جعلني في مصاف الذين يقولون : لا اله الّا الله » اي الذين يؤخذ القاضي الاكبر منهم .

وعلى تقدم عبد الرحمن في العمر ظل يفوق غيره من امراء المسلمين المعاصرين له بما كان يستشعره في ذاته من جلال الملك وهيبته وبما كان يبديه في مجالسه من التؤدة في الكلام واقامة الحجاب ووضع القوانين والانظمة للدخول على الخليفة ومخاطبته بالعظمة والاجة . فاذا جلس للناس في ديوانه خلته احد ملوك القسطنطينية من القياصرة – ولا تشبيه ارق للحقيقة من هذا التشبيه – على انه يتراخى عن ذلك التيه اذا ما اختلى الى اسرته في بيته ، فانه يتحدث اليهم عن بديهة ويضحك لمنادمه ويجاوبه ، ولا يستنكف عن استعمال اللغة الرومانية شأن اهل بطانته ، اذا ما اتخذها آلة للحديث المجرد عن الكلفة وتبادل المزاح .

وقد اتفق المؤرخون من العرب قاطبة على مدح هذا الامير وتقريظه عن كل نقد وذم . ذلك لما كان مزداناً به من المواهب النادرة التي ما كان مرور الايام الا ليزيدها لمعاناً ، وقد

المنصور حاجب ابي عامر المطاع الكلمة . لقد بلغ ذرى المجد بخطوات مشاها منذ نشأته من يوم لاحت على وجهه ملامح النجابة والطموح والفطنة والدهاء ، ولم يلبث ان تغلب في كل المواقع التي وقفت في طريق نجاحه . ولقد صدق المؤلف في تبيانه حصافة المنصور هذا والذكاء الذي عامل به الخليفة ، والفطنة والمداراة اللتين لم يتجرد منهما في اكثر مواقفه ، فضلاً عن تزويده ولده وخليفته بنصائح جد ثمينة ووصية سياسية لخصها المؤلف مستنداً الى ما كتبه عنها ابن حيان .

ولم ينسَ المنصور استغلال الظروف في سبيل مصلحته فرأيناه يؤدي الاحترام للخليفة المجرد من سلطته ، ويفتك باقرب المقربين اليه ، اذا ما لقي فيهم مانعاً يحول دون البلوغ الى مآربه . واحسن لافي بروفنسال في وصف سلوكه الطريق المعبدة في السياسة . فذكر تفوق الحاجب في حل المشاكل التي كانت تخلقها له الملكة الوالدة واسمها « صبح » وهي من اصل عربي جرماني ، وكانت تحامي عن المنصور . وانتبهت اخيراً الى الدور التمثيلي الذي الجأها اليه ابنها ، وفطنت الى الوسائل التي استعملها بلا تورع ليتخلص من المصحفي الوزير الاول بعد ان وفق الى التزوج من بنت قائده غالب ، وهي سابقاً زوجة ابن المصحفي ، وقد يعادي المنصور غالباً ذلك الجندي الصدوق سند الدولة والخادم الامين للخلافة ، لانه لم يستطع احتمال توبيخ ذلك القائد البالغ الثانين عاماً من عمره . وقد لام الحاجب على تنكيله بالدولة وكلاهما مدين لها بما ناله كل منهما من رفعة وعظمة . وان في عزله الحاجب والجلوس مكانه في مدينة سالم ، وسلبه اموالاً ما دفع غالباً الى الثورة والعصيان ، فسقط في الحرب وترك بعده المجال رحباً للمنصور وحده .

لقد روينا هذه الحوادث لا لنبين فقط اسلوب المؤلف في سرده الاخبار متواصلة بالرغم مما يتخللها من وقائع وثورات ، ولكن لنظهر فيها ايضاً انموذجاً

ظهرت فيه في مطلع ملكه ورافقته الى نهايته في خلال ما يناهز النصف قرن . ومع ذلك لم يتمكن هذا الامير في خلال تلك الآونة من اداء رسالته بتمامها .

هذه صفحة اخذناها بكمالها عن المؤلف لانها تبين باجلى بيان ما نحن في صدده من صفاته الكتابية : الغنى بالمواد ، وحسن الاختيار ، وحسن فهم اخلاق الاشخاص ، وحسن الذوق في الانشاء . وفي هذا كفاية .

لتلك الدسائس التي لم تكن مختصة ببلاط بغداد فحسب بل طفت بموجات متفاوتة على الخلافة القرطبية في طوال ايامها .

هذا وبعد ان تكلمنا عن اجزاء الكتاب واساليبه،لا نرى بداً من لفت النظر الى بعض صفات المؤلف في اسلوبه الانشائي التاريخي .

تلك امور كنا نوهنا بها فيما قلناه سابقاً ، ونزيد الآن انه اي المؤلف لم يهمل فائدة من فوائد الجغرافية وعلم الاثر وعلم الاقتصاد وما له علاقة بالثقافة العامة الا واتى على ذكرها مع المراجع المتصلة بها والتي ينعكس منها نور على المسائل التي بحثها . نعم انه اجل الكلام في المسائل الثقافية الى مجلد آخر لكنه لم يترك فرصة تسنح الا القى فيها نظرات على حياة البلاط الداخلية ، وعلى انتشار الثقافة العربية في اسبانية ، وعلى العلاقات الفكرية بينها وبين بيزنطية وغيرها ، ولم يثبت امراً الا دعمه بالوثائق الكاملة .

ولقد نوهنا بتضلعه من معرفة مواقع الامكنة ، فلم يذكرها الا بعد ان تفقدها بذاته وانعم الروية في آثارها ووثق منها . ذلك مما يمكنه من اعادة النظر فيما كتبه قبله علماء الاسبان او الاجانب عنها وتصليح آرائهم فيها ، وان كان المؤلف قد قبض على ناصية الموضوع فالفضل في ذلك لتمكنه من الاجادة في الكلام عنه الى ما شاء الله لولا اعتداله في التأليف – فلا يجازف في استعمال المصادر، وان يكن قد اكتشفها بذاته،بل يعرضها على محك الانتقاد مميزاً فيها النزعات سواء كانت مسيحية ام اسلامية . ولم يكترث لسكوت المؤرخين،ومعروف انهم في القرون الوسطى – كما في غيرها ايضاً – كانوا يهملون ذكر ما لا يروقهم من الامور واذا ما عنّ له ان يشك في حقيقة قضية جاء بالروايات المتنوعة، وربما اكتفى بان يؤدي معنى المصادر الجوهرية مع التلميح الى قلة ثقته في قيمة تأريخها للحوادث .

ان روح الانصاف في الكلام على العلاقات التاريخية بين الاسلام والمسيحية لم تكن سابقاً ، حتى في كبار العلماء المعاصرين، كما اصبحنا نريدها ان تكون اليوم . اما الاستاذ لاتي بروفنسال فهو بمنجاة من النقد في هذه الناحية، وشتان بين زمانه والزمان الذي كانوا ينعتون فيه الاسلام ونبيه بنعوت لا يرضاها العلم .

انه يعترف بنقائص المدنية الاموية ومجازفتها الفظيعة بحياة العباد . ولكنه ،

مع ذكره بطش الخلفاء وقساوتهم لم يهمل الاشادة بمحاسنهم وهذه كانت مع نقائصهم على طرفي نقيض ، واليك مثال ذلك : ان عبدالله بعد ان امر بقتل ابنه محمد ، شغف بحب ولد محمد نفسه ، وكان قد ابصر النور ، عشرين يوماً قبل مقتل ابيه، فولاه العرش بعده عوض اولاده . وهذا الطفل هو الذي عرف بعبد الرحمن الثالث الكبير ، وان في ذلك تفضيلاً آخر لامراء بني امية في الحلم والسياسة لم يغفل المؤلف عن ذكره . ومن فضل العلماء الاسبان واخصهم كوديرا (Codera) وريبيرا (Ribera) وأسين پالاثيوس (Asin Palacios) انهم اظهروا الاسلام في ثوب جذاب ، فسار لاڤي پروڤنسال واياهم في تلك الطريق . ثم انه اظهر تقوى الخليفة ، المرتدي مع ذلك ثوب الرياء والدهاء — ذلك التناقض الذي نراه مترادفاً على مدى التاريخ الى يومنا — ولم يفت المؤلف وصف كرم عبد الرحمن وغيرته على الثقافة ، والآداب ، والفنون .

وطالما توخى المؤلف انصاف الاسلام في حقوقه التاريخية ، فقام بذلك كلما اعانته المصادر التاريخية الصحيحة . واشاد بتسامح الاسلام الاسباني ، ولا سيما في كلامه على اضطهاد المسيحيين المستعربين اهل قرطبة .

وقد اتت مكتشفات التاريخ الحديثة عن تلك الايام شاهداً على حسن العلاقات التي كانت تربط المسلمين بالمسيحيين في اسبانية ، وكلما كانت ثقافة الناس عالية ابتعدوا عن التعصب الذميم . ومن الراهن ان الخلفاء كانوا يستخدمون المسيحيين واليهود ، ولا غاية لهم الا خير الدولة . ولفت لاڤي پروڤنسال النظر الى اصل بعض امراء قرطبة ممن كان في عروقهم مزيج من الدم العربي الجرماني او القاسكوني وكانت تظهر في ملامحهم ملامح جدودهم . ومنهم كانت صبح « ام ولد » الشهيرة المذكورة سابقاً ، ولم تكن الزوجة المسيحية الاولى ولا الاخيرة التي تزوجها امير قرطبة . وقد كان في بلاط عبد الرحمن الثالث رجل يهودي اسمه شبروت بن حصداي وكان شخصية بارزة ، عُهد اليه بمهمة لدى ملكة تودا في بلاد ناڤارا Toda de Navarra فمضى اليها ووفق الى تطبيب ابنها سانشو الكرازو Sancho el Craso والى رده الى الصحة والعافية .

ولا ننسى معاملة عبد الملك المظفر ابن عامر الاعظم ، كونت قسطيلية

سانشو غارسيا Sancho Garcia وملدو غونزالز Melnedo Gonzalez وهي الفونس الخامس ملك لاون القاصر ، وقد تحاكما اليه ، وهو امير قرطبة . فارسل اليهما قاضي المسيحيين المستعربين فقضى بينهما وحسم الخلاف في مصلحة لاون . واظهرت بعض المؤلفات الحديثة ان العرب كانوا قليلي الرغبة في ادخال المسيحيين في الاسلام ، لان اعتناق المسيحيين الدين المحمدي كان يعود على الدولة بالضرر الاقتصادي ، لان الجزية التي كان يؤديها اهل الذمة كانت تمنعهم تجربتهم الشخصية ، وان تكن تلك الحرية مقيدة ببعض القيود التي بلغت في بعض الظروف درجة جعلتها ممقوتة بنوع خاص . على ان تلك الازمة العصيبة لم تكن لتنسب اجمالا الى امراء قرطبة واستبدادهم .

روى لافي بروفنسال كتاباً ارسله لويس التقي الى مسيحيي قرطبة ومن خلاله ترى ان استياءهم من الدولة كان له في الغالب اسباب غير دينية . ولا عجب من جانب آخر ان لا يميز المسيحيون الخاضعون لنير الاجنبي بين العاطفة الوطنية والغيرة على دينهم في احتجاجاتهم على الدولة . وقد وفق المؤرخ لافي بروفنسال الى وصف تلك الحال عن انصاف واعتدال . فقد اعترف بالصفات العالية والتدين الحار والاستبسال في سبيل المبدأ التي وجدها في الفاروس (Alvarus) والوجيوس (Eulogius) وفلورا (Flora) وغيرهم ، لكنه لم يتحيز لان موقفهم الاستفزازي لم يكن موافقاً لرأي الاكليروس في مجمع قرطبة الذي عقد تزولاً على دعوة عبد الرحمن . وقد يكون من رأينا ان اسباب عدم موافقة المجمع على موقف المسيحيين المستعربين السياسي لامر لم تكشف مميزاته كشفاً تاماً . ومن الممكن ان تكون الكنيسة قد اتخذت موقفها الى جانب السلطة واختارت بين الشرين اقلهما . اذ لم يكن من جدوى في المقاومة . وان من عرف المزاج الاسباني وتذكر الحوادث الاخيرة في ايامنا هذه لا يسعه الا ان يقترح التحفظ في ابداء الحكم في هذا الموقف المسالم .

وان ما عرضنا لذكره على جناح السرعة يبين الاعتدال والتحفظ والنضج في المؤلف التاريخي الذي عنينا بوصفه ، فضلاً عما يظهر في مؤلفه من اصابة الهدف والتنزه عن التحيز . وهذا بين واضح في عدة ظروف اذا ما تكلم عن

بعض التقاليد العزيزة على الاسبان، والتي ساهمت في تكوين وجدانهم الوطني. واليك الامثلة على ذلك :

ان جهود كوفادونغا (Covadonga) لاستعادة البلاد التي فتحها العرب كانت موضوع تحليل لاثي بروفنسال : بعد ان وفق الى معرفة بعض التواريخ ودرس آراء الباحثين فيها والمدافعين عنها لم يحجم عن الاعتراف بصحتها التاريخية من غير ان يهتم جزيل الاهتمام بالتفاصيل التي جاءت فيها ملهاة لخيال العامة ومن غير ان يكترث لهدمها . وقد يقدر قيمتها اذ يقول : انه من الصواب ان تنجلي بجالي الفخامة في شبه الجزيرة الايبرية تلك الموقعة التي يختلط فيها التاريخ بالاساطير. وفيها اول ظهور العاطفة الوطنية في اسبانية المسيحية . وهي ايضاً علامة سابقة للجهود التي ستبذل لتحرير اراضي شبه الجزيرة ، والتي ستتواصل الى اواخر القرن الخامس عشر مع ما يتخللها من ازمات ومهادنات .

اما وقعة قلعة الـ . . . (Calatañazor) التي قتل فيها المنصور الطاغية بعد ان ابيد عسكره عن بكرة ابيه فليس لها الحق بذكر التاريخ لما فيها من تناقض في التواريخ المذكورة اخذاً عن المصدر المسيحي الوحيد الذي يذكر تلك الوقعة . وهذا ما قد اخذ المؤرخون الاسبان المعاصرون يعترفون به بعد الاستاذ رامون مينندس بيدال «Ramon Menéndez Pidal». وان لاثي بروفنسال قد يتجاوز الحد الذي بلغ اليه هذا العالم، وهو القائل في تلك المعركة انها جاءت على هامش الزمن التاريخي، وذهب يفتش عن اصلها الاسطوري في موقف الكونت سانشو غارسيا الذي حاز بعض الانتصارات فاتخذت الشاعرية القسطلية من ذكرها منوالاً نسجت عليه ملحمتها . فاجتاز المؤلف الى ابعد من ذلك وقال ان اسطورة قلعة الـ . . . اصلها المرجح انما هو في ذكر الهزيمة التي كاد يتكبدها المنصور في شهر تموز عام ١٠٠٠ اي لسنتين تقريباً قبل موته في مواقعته شرقيرا (Cervera) . وقال المؤلف: «بالرغم عن عاقبتها الوخيمة على المسيحية الاسبانية، باتت تلك الواقعة لزمان طويل رمزاً لقوة ارادة قسطيلية ولاون وناڤار في مقاومة خطر المهاجمة الاسبانية الاسلامية المحدق بها ، وذلك بفضل القائد الحزوم العامل الكونت القسطلي سانشو غارسيا». فلا عجب ان جاءت الاساطير بعدها

تشيد وتفاخر بذكر تلك المقاومة وتلون مع الايام وادّها بلون الحقيقة التاريخية . ولا يخفى علينا ان الكتبة الذين رووا الحادثة جاءوا بعد الواقعة بقرنين كما نبّه الى ذلك المؤلف . ومن جانب آخر قد تفيدنا الاشارة الى ان تقارب الموضعين الجغرافيين قد يكون سبباً لنشأة الاسطورة ، وليست قلعة ال . . . الا على بعد نحو ستين كيلو متراً من بينيا شرفيره (Peña Cervera) واهلها كانت على طريق رجوع القائد المسلم نحو ثغره الاقرب الى الحدود اعني مدينة سالم . وان هذه الرواية قد تكون انموذجاً لنقد المؤلف المدقق ولثقابة نظره التاريخي .

* * *

بعد ان وصفنا الكتاب الوصف السريع في هذه الصفحات ، نقول انه سيبقى الى زمان طويل التاريخ الذي لا يفوقه غيره فيما يخص القرون الاسلامية الاولى في اسبانية .

لقد كان كتاب دوزي على مدى القرن تقريباً دستوراً للباحثين في هذه الناحية ، وعلى الاخص بعد ان اعمل لاڤي بروڤنسال فيه النظر والروية وجدد طبعته .

لكن هذا التاريخ الذي نحن في صدده فاقه ، ولم يفقده حقه من تقديرنا لان اوضاعه الجوهرية لم تتغير بالدروس الحديثة كما قال لاڤي بروڤنسال وكما هو بيّن مثلاً في الكلام على ملك المنصور من (٩٨١ الى ١٠٠٢) . وسوف يبقى مؤلف دوزي مرجعاً لمعرفة التفاصيل او للتطوّر الذي لم يرَ لاڤي بروڤنسال رأيه في اقتضابه . ولكن لا بد من القول ان بنيان لاڤي بروڤنسال بعد ان ارتفع على مواد وافرة كان الكثير منها مجهولاً على ايام دوزي ، ظهر اكثر التحاماً في اجزائه وجاء بنتيجة جهد جهيد وعقل ثاقب لم يتمتع بمثله المؤلف الذي سبقه .

نختم هنا مقالنا بالاعراب عن تمنياتنا بان يكمل السيد لاڤي بروڤنسال مشروعه فيأتينا بصفحة جديدة تصور الدولة الاسبانية الاسلامية تصويراً تاماً بعد ان تبسط تبسطاً واسعاً في سرد اخبارها التاريخية .

شذرات

شر السرقات الادبية سرقات المعلمين

داء السرقة والانتحال في الادب العربي داء قديم شاع في الجاهلية وكان ضرباً من ضروب الغزو والاغارة التي طبعت عليها سليقة الاعراب حيثما حلوا في البدو والحضر. ومع ان طرفة عدّ «شرّ الناس من سرقا» في بيته المشهور، فقد خالفه راوي كتاب «الكشف على مساوئ شعر المتنبي» للصاحب ابن عباد وقال: «اما السرقة فما يعاب بها لاتفاق شعراء الجاهلية والاسلام عليها ولكن يعاب ان كان يأخذ من الشعراء المحدثين كالبحتري وغيره جلّ المعاني ثم يقول لا اعرفهم ولم اسمع بهم.» (ص ١١)

وقد دان بحلّ السرقة بعض المتأدبين الذين لا هم لهم الا تطلب الشهرة من اخصر طرقها فهم يؤثرون استلاب ما لغيرهم والتزين به لعجزهم عن البحث والدرس، واعتقادهم ان القراء لا يفطنون لمآخذهم وسرقاتهم. وكثيراً ما يأخذون المعنى واللفظ معاً، ويستعيرون الشواهد والحجج التي عانى المؤلف اشد المشقات في تطلبها والعثور عليها، فينقلونها بالحرف وينسبونها لانفسهم دون حياء. كأنهم هم الذين تنبهوا اليها وتوصلوا بصبرهم وجلدهم الى استثارة دفائنها. ومن هذا القبيل ما فعله المعلم شكري محمود احمد بدار المعلمين الابتدائية في بغداد في مقالتين له الاولى «في الخمرة النصرانية في العصر العباسي» والثانية في «ليلة الماشوش» نشرهما في «الرسالة» المصرية في عددي ١ و ٢٢ من شهر سبتمبر — ايلول الفائت، ونسخ اكثر ما ورد فيهما من كتاب «الديارات النصرانية في الاسلام» الذي نشرته مجلة «المشرق» عام ١٩٣٨ واستمد منه كل ما جاء فيهما من نظم ونثر، ولم يزد عليه الا ما قل كابيات ابن مغرب العيوني. وعمد الى كثير من اشعار الكتاب فحلها نثراً في وصف الخمرة والاديار ونقل بالحرف ما فيه من حاشية وتفسير، وخرس خرساً تاماً عن ذكر الاصل الذي استقى منه كل اوصافه دون خجل ولا حياء، كأن الكتاب لم يكن ولم يظهر للوجود

وكأنه اغترف من بحر علمه واستوحى من صدره كل هذه الاقوال والشروح التي جمعها مؤلف «الديارات» بشق النفس وطول المطالعة وتكرار المراجعة وكثرة التنقلات والنفقات في طوافه على خزائن الكتب في الغرب ، وهي التي اثارت حسد المعلم الاعرابي فوثب عليها واستاقها غنيمة باردة يفاخر بسلبها ويقرن بجلاها امام قرائه القرباء وتلامذته الاغبياء.

ومن هذه الغنائم والاسلاب ما ورد في كتاب «الديارات» من بعض اوصاف مخطوطات نادرة وقف عليها المؤلف في زياراته خزائن باريس والفاتيكان وليدن في هولاندة ونشر ما اقتبسه منها مع الاشارة الى مواقعها وصفحاتها وانفرد بالتنبيه عليها لاول مرة في «المشرق» و «الخزانة الشرقية» نظير كتاب «ادب الوزراء» لاحمد بن جعفر بن شاذان وكان منسياً في خزانة ليدن ولم يسبقه احد الى وصفه، ومثله ايضاً مجلد من شرح ديوان ابي نواس للاصبهاني في الفاتيكان، وهو الذي نقل منه ابيات ابي نواس في دير نهرازان وكان اول من دل على الدير والابيات وهي غير موجودة في ديوانه المطبوع. واهم من هذين المخطوطين كتاب «دستور المنجمين» لاحد الشيعة وفق جداً العثور عليه في باريس واهتدى في تضاعيفه الى احسن شهادة وردت قط للمسلمين في النصارى في اثناء الكلام على ليلة الماشوش. وقد اثارت هذه الشهادة اعجاب المستشرقين حتى اسف احدهم في بروكسل ان لا يكون مؤلف «الديارات» توسع في وصف هذا الكتاب الفذ الفريد وعرّفه تعريفاً وافياً لما له من الخطر والقدر. وقد اغار المعلم شكري وهو جالس على عرشه في بغداد ونهب كل الفوائد والفرائد التي استخرجها مؤلف «الديارات» من هذه المخطوطات وغيرها دون ان ينبس ببنت شفة الى اول من نفض الغبار عنها كأنه هو تكلف السفر الى رومة وباريس وليدن وظفر بخباياها وابرزها لعالم الضياء والعلم.

وفعل المعلم مثل ذلك بما جاء في «الديارات» من نقد واستدراك على بعض اراء الاب انستاس الكرملي ووضع يده الخرقاء عليها واستلحقها طمعاً بفضلها دون ان يعزوها لخطيبها الاول ليوهم القراء وتلامذته انها بنت فكره وبصيرته ووليدة ذكائه وفطنته.

ولم تقف صلابة وجه المعلم شكري محمود عند هذا الحد من السرقة والاحتيال بل اقدم ايضاً على اتهام كتاب «الديارات» بالتحريف في ما رواه من اصل شرح ديوان ابي نواس الاصبهاني حيث قال يعني ليلة الماشوش «والنصارى لا تعرف بذلك» فزعم ان الاصل : « والنصارى لا تعترف بذلك » ، وان هذا التحريف مقصود . فهل يا ترى رحل المعلم بنفسه الى باريس واطلع على الاصل المخطوط في خزانتها ليستجيز لنفسه مثل هذا الانتقاد والتصحيح واذا كان يدعي انه قرأ العبارة في نسخة وقف عليها في بغداد فذلك لا ينفي ابداً ان الاصل في نسخة باريس هو كما روى في كتاب «الديارات» وهو حجة عليه . والفرق على كل حال لا يتجاوز النقطتين وهو اهون من ان يحرف ويُخان فيه وكل يعلم ما في منهج «الديارات» من التدقيق والتوثق والتشدد في الضبط والامانة في النقل ونسبة كل قول الى قائله وموضعه ورقمه في كل خزانة فاية حاجة ترى كانت للمؤلف في ايثار «لا تُعرف» وهي في الاصل على « لا تَعترف» في زعم المعلم ، ولديه ما يغنيه عن التبديل ويكفيه كل احتجاج ودفاع من شهادات المسلمين انفسهم وهو قول كتاب « دستور المنجمين » لاحد الشيعة :

« واما الماشوش فهو من تخريجات السفهاء عليهم انها ليلة يجتمع فيها رجالهم ونساؤهم لطلب عيسى عليه السلام ثم يتهارجون كيف اتفق في الظلام ونعوذ بالله في التحريض على مُوالٍ او مُعادٍ وخاصة فرقة النصارى فيُرتهم — على فساد اعتقادهم — هي بلوغ النهاية في الصيانة والامانة والشفقة على الكافة . »

فاين هذا القول الصريح والمديح الباهر من الفرق الذي لا يؤبه له بين «لا تُعرف» و «لا تعترف» وقد نقل المعلم شكري من هذه الشهادة الرائعة التي تسد فم كل طاعن مغتاب وتلقمه الحجر كل ما احبّه من دعوى المهارجة واختلاط الرجال بالنساء ليوهم ان الشيعي لم يفه بشيء سواها واطرح عمداً وقصداً كل الثناء على النصارى الذي نفى به معرّة كل تهمة وافتراء عليهم . فمن المحرّف والمفسد يا ترى هل هو كتاب «الديارات» وقد روى بالحرف قول المسلمين بفساد اعتقاد النصارى ام معلم بغداد المتعصب الذي تحكم في نص الشهادة وخان كل ذمة وامانة في الرواية ولم يفطن انه بتخريجه الباطل قد زج نفسه

في جملة السفهاء الذين قضى عليهم «دستور المنجمين» قضاء مبرماً ووسم جباههم بالكذب والاختلاق ؟

ومما يدل دلالة قاطعة على سفاهة المعلم البغدادي وخبث نيته وما يكنّ صدره من الحقد والبغضاء انه تناول بيت جحظة في راهبات دير الملث الذي رواه ياقوت :

خفرات حتى اذا دارت الكأ س كشفن النحور والسيقانا

(ج ٢ : ٦٤١ طبعة اروبة)

فرفع منه لفظة الصلبان ووضع موضعها كلمة « السيقانا » جمع ساق ليتوصل بهذا التبديل الى نسبة الراهبات الى قلة الحياء والميل الى الفجور . ولم يقنع بمثل هذا التدليس والتزوير البذيء بل شاء ادبه ان يدعي ايضاً في آخر مقالة الماشوش «ان بعضهم — ولا يخفى على احد من هو بعضهم — اخبره ان النصارى في عيد رأس السنة في هذا العصر يطفئون الاضواء في منتصف تلك الليلة مدة من الزمن فلا يرد احد يده عن شيء من قبلة او غمزة او غير ذلك مما يسمح به الوقت . » ومن قرأ هذا الافتراء والهذيان الذي يستحق ان يدفع بالقدم لا بالقلم وتذكر القول المشهور « المسلم من سلم الناس من يده ولسانه » يتحقق ان المعلم شكري محمود ليس على شيء من الاسلام الصحيح وانه بقية من بقايا معلمي الاولاد المشهورين قديماً بالحماقة والسخافة . والعجب من مجلة «الرسالة» بمصر كيف سمحت بنشر مثل هذه الاقذار وهي تعلم ما قد تجره هذه الاساءة من التفرقة وتهييج النفوس في وقت نحن احوج فيه الى التقارب والتآلف والتناصف وكيف تقبل دار المعلمين ووزارة المعارف ببغداد وجود معلم اوعن يعلم الناشئة والاولاد وهم رجال المستقبل مثل هذا التعصب والظلم والسرقات الادبية بدلاً من ان يحبب اليهم التسامح والسلام والاعتراف بالفضل حيث كان ويرويهم البيت القائل :

وليس يعرف لي فضلي ولا ادبي الا امرؤ كان ذا فضل وذا ادب

وكل من طالع اشعار الشعراء المتطرفين في الديارات وانعم النظر في اوصافهم ورواياتهم يعلم ان كل ما زعموه من الاقوال والدعاوى وكل ما فتقت

لهم قرائحهم من المبالغات والتخيلات انما هو فن من فنون الشعر وضرب من ضروب الهزل والتفكهة يراد به الإغراب والإطراب فلا يجب ان يؤخذ على ظاهره ولا يُنزَّل منزلة الصدق وتمثيل الواقع .وقد نبّه على ذلك العلماء والنقّاد وقالوا ان الشعر اعذبه اكذبه «وانما اكثره خدعة محتالٍ وخلعة مختال جدّه تمويه وتخيل وهزله تدليه وتضليل» ومع ان المعلم شكري محمود قرأ مثل هذا التنبيه والتوجيه في كتاب « الديارات» الذي اوسعه نهباً وسلباً لم يشأ ان ينقاد للحق ويصون قلمه عن كل مغالطة وخداع بل تعمد التحامل على النصارى وإقرافهم بكل ما جاء في ظاهر اشعار الخلّاعة والمجون لينسب لرهبانهم وراهباتهم التهتك والبعد عن كل تصوّن وتعفف .فاذا جاز له مثل هذه المغالطات والتسليم بكل ما جاء في اشعار السكارى والمتطربين من هذيان وجنون صح لنا ان نعتقد صدق قول الخليفة بن يزيد :

فاخذنا قرباتهم ثم كفّر نا لصلبان ديرهم فكفرنا

وقول عبدالله بن العباس بن الفضل :

اقمت بالدير حتى صار لي وطنا من اجله ولبست المسح والصلبا

وقول الكندي المنبجي :

ولقد سلكت مع النصارى كل ما سلكوه غير القول بالثالوث
بتناول القربان والتكفير للصلبان والتسبيح بالعليوث

فهل يختار معلم بغداد تأثيم النصارى ولو بتكفير الخليفة وشعراء المسلمين اذا أخذ الشعر على ظاهره !

مكتبة المشرق

FRANCESCO GABRIELI, *Storia e civiltà musulmana*. Napoli, Riccardo Ricciardi, Editore, MCMXLVII, in-8°, pp. 307. 400 lires.

في التاريخ والمدنية الاسلامية

لا يسعنا تفصيل الكلام في مضامين هذا الكتاب ، لما فيها من تنوع . بيد ان اكثر ابحاثه كانت معروفة لدى المستشرقين ، ولدى جمهرة المثقفين من الذين تهمهم شؤون التاريخ والثقافة . فجمعها المؤلف الى شتى الدروس في تاريخ الاسلام السياسي والثقافي ومما يجدر بالذكر في هذا المجلد سلسلة ابحاث في الادب العربي المعاصر . ولا يخفى ان غبريالي من خير من يتذوق هذا الادب ولا سيما الشعر، وكفى بذكر منقولاته الى الايطالية عن القصاصين المصريين ، ولا سيما كتابه في « المنتخبات من آثار مي زيادة » شاهداً على ذلك . وفيه مقارنات بين الثقافة العربية والثقافة الاوربية ، كالبحث في « الف ليلة وليلة في الادب الغربي » و«الادب العربي والآداب الغربية » وعدد من الدروس في الآداب الاسبانية والايطالية في عهد السيادة الاسلامية ، و«المعري والمسرحية الالهية » . هذا الى تحليلات ، ونقود ، وترجمات عن الادب الفارسي (وتذوق الادب الفارسي من خصائص المؤلف) وتآليف في سير الاولياء المسلمين (الحسن البصري) ، وفي التراجم (لورانس ، كايتاني) وفي علاقات اليهود بالعرب من خلال التاريخ . كل ذلك يعرضه المؤلف في اسلوب انيق حافل بالرشاقة وافر الايحاء . وكل ذلك لا يخرج عن اختصاص غبريالي ولا ابحاثه العادية . ولهذا رأينا ان نلفت النظر الى بحث جديد في موضوعه وفي تاريخ تأليفه ، وعنوانه : «المسيحية والاسلام في العصر الجديد» . ولنشر اولاً الى ان المؤلف يترفع عن كل نزعة تعصبية على الاسلام ، كما كان لنا ان نتحقق ذلك في علاقاتنا الشخصية به . فهو يتناول موضوعه بكل تجرد ، بادئاً بتلخيص الفروق العقائدية ، بين الديانتين ، منتقلاً الى وصف موجز للمناظرات والمجادلات المتتابعة من الجانبين على كثير من

الحماسة وقليل من البصيرة مدة القرون الوسطى؛ حتى نصل الى عهد الاشراق فيبدأ النظر الى الاسلام بشيء من التفاؤل . على اننا نتحقق منذ القرن السابع عشر من الناحية المسيحية ، مثلاً على الرغبة في معرفة الخصم قبل محاربته : هو مثل مراتشي (Maracci) في طبعته للقرآن وترجمته الى اللغة اللاتينية مع الرد عليه بالطبع .

ثم يشير غبريالي الى البوادر السمحاء التي قام بها الاحبار الاعظمون في زمننا الاخير ، والى العمل العلمي المخلص الذي تقوم به عدة مؤسسات كنسية في روما ، فتولي الناشئة الاكليريكية نظرة موضوعية سمحاء على مشهد العالم الديني . ولا يسعنا الا تأييد هذا الحكم ، وقد حضرنا بنفسنا في « المعهد الشرقي » في روما ، دروس « الاسلاميات » التي يلقيها كاهن ممتاز هو المونسنيور مُلا التركي الاصل . وكان يتصف عرضه العقيدة الاسلامية ، فضلاً عن موضوعيته وتجرده ، بصفات شائقة محببة .

وينهي غبريالي عرضه البوادر المسيحية في تفهم الاسلام تفهماً صحيحاً بالاشارة الى التيارات العلمية المعاصرة المجردة يوماً فيوماً عن التحامل والتحيز ، وفي قمة هذه النزعة يرى المؤلف شخصيتين معروفتين بحبهما للاسلام هما أسين بالاثيوس وماسينيون .

وقبل ان ينتقل غبريالي الى الناحية الثانية فيحلل موقف الاسلام المعاصر من المسيحية ، يُقرّ بما تحدثه الحالة السياسية من أثر في هذا الموقف . ذلك ان « الخطر التركي » لم يبقَ منه الا الذكرى في نظر المسيحيين . بينما نرى الاسلام يعتقد دائماً بانه في حاجة الى الدفاع عن نفسه . على ان درس الحالة الراهنة يظهر ان ما كان يسمى « بالتعصب الاسلامي » قد يبدو على تضاؤل في المجال الديني ، سواء أكان ذلك نتيجة التمثل المطرد للعقلية الاوربية ، ام نتيجة فتور في العاطفة الدينية ، ام نتيجة النزعات العصرية في الاسلام الحالي . اما في الناحية الايجابية من حيث التفهم والاحترام ، والتنويه بالقيم الروحية الصحيحة على طريقة ماسينيون وأسين ، فلا يرى المؤلف ما يقابلها في الاسلام ، مبادلاً البوادر المسيحية السمحاء بمثلها . ويقول غبريالي إن الاسلام المعاصر تشرّب كثيراً من عناصر التقدم الاوربي ، الا انه لم يتعمق فيها حتى مجرى

الروحانية الذي كان يحييها في اول الامر على الاقل . ولنضف الى ذلك ان ما نتحققه اليوم من ميل متزايد، على كونه مبرّراً، الى التكتل في كتلة من البلاد العربية – الاسلامية لا يرمي الى تسهيل هذا التفهم .

هذه المحاولة المخلصة السخية يقوم بها الاستاذ غبريالي تفرض نتيجة نرى استخلاصها واجباً من مقابلة موضوعية مجردة بين الموقفين ، فتدل على تفوق روحاني في المسيحية سهل لها الوصول الى اعمق ينابيع المثالية المشتركة . وليُجز لنا ان نميز قليلاً بين المسيحية والغرب ، لانه ، وان تكن المسيحية في اس تقافتنا ، الا اننا نشعر ان الغرب « المسيحي » قد ابتعد عن اصله وعن مثاليته .

اما سائر الابحاث في المجلد الحاضر فاننا نشير الى اثنين منها الاول: أثر الاغاني الشعبية العربية في الغنائيات الرومانية ، وهو موضوع يناقشه غبريالي بتعمق وتوازن حتى يتخذ اخيراً الحل الايجابي الذي نشره ريبيرا (Ribera) واقره نهائياً مينندس بيدال (Menéndez Pidal) . والثاني يرمي الى اعادة حق الفردوسي الذي اجحف بقدره خطأً بعض النقاد المعاصرين ، فقام غبريالي ، باظهار ما تحفل به « الشاهنامه » من نفحة شعرية وعاطفة وطنية ، غير غافل عن الفروق بين هذا الاثر الشعري والملاحم المدرسية المعروفة . ا. ل.

R. Strothmann, *Die Geheimlehre Der Batiniten nach der apologie « Dogmatik des Hauses Muhammed » Von Muhammed ibn Al-Hasan Ad-Dailami.* [Bibliotheca Islamica. 11]. Deutsche Morgenlaendische Gesellschaft. Kommissionsverlag F. A. Brockhaus. Leipzig

بيان مذهب الباطنية وبطلانه

منقول من كتاب قواعد عقائد آل محمد تأليف محمد بن الحسن الديلمي

عني بتصحيحه و. شتروطمان . [النشريات الاسلامية لجمعية المستشرقين الالمانية : ١١]
استانبول : مطبعة الدولة ، ١٩٣٨ ص : يه + ١٢٨ في ٨ كبير

الباطنية فرق اشهرها الاسماعيلية او القرامطة . وخصومهم الزيدية ، وامامهم يحيى الذي حارب الاتراك واستولى على صنعاء عاصمة اليمن ، وحارب الاسماعيلية

وغنم الكثير من كتبهم وفيها الطعن في مذهب الزيدية . وكان احد علماء اليمن الزيدية الف كتاب « الحسام البتار في الرد على القرامطة الكفار » ولم ينجزه فجاء بعده في سنة ٧٠٧ هـ (١٣٠٧ م) محمد ابن الحسن الديلمي واتم الكتاب المذكور بتأليفه هذا وهو كتاب ردّ وجدل ، فلا بد من اعتبار هذا المبدأ للحكم في النتيجة ، وهي واضحة في الكتاب . فانه يسمي الاسماعيليين اباحيين وملاحدة وزنادقة (ص ٢٤) ويفضح فسقهم في ليلة الافاضة (ص ٨٧) ويقضي بوجوب قتلهم ، وبتحريم موالاتهم ودفنهم في مقابر المسلمين الخ . . . وقد ذيّل الناشر هذا الكتاب بفهارس وتعليقات كثيرة الفوائد وفتح الثقافة العربية العامة ناحيةً كان يجهلها الكثيرون . فله الشكر .

ف . ت .

AGHA MAHDI HUSAIN, *Le gouvernement du Sultanat de Delhi*. in 8°, 113 pp. Paris, Librairie Orientale et Américaine. 1936.

حكومة سلطنة دلهي

مضى احد عشر عاماً على ظهور هذا الكتاب . والفرصة لم تفت للكلام عنه ، لما فيه من المراجع التاريخية ، وما يناله من الاهتمام في أزمة الهند الحالية ، وتكوين دولة الباكستان الاسلامية وعاصمتها دلهي . من فوائد الكتاب الممتازة اللائحة التي نظمها في احد ذيوله عن سلاطين دلهي من مماليك وخلجيين واسياد ولودي ومغول وسور ثم مغول من سنة ١٢٠٦ الى ١٦٢٧ وغاية المؤلف البحث في احوال مملكة دلهي السياسية والاجتماعية ، وقد يؤاخذ على اقوال من قالوا ان الملوك الخلجيين جاروا في تطبيقهم شريعة القرآن في الهند (ص ١١) وقال (ص ٧١) ان سلاطين دلهي على اختلاف اصلهم ومعتقدهم وثقافتهم ولغتهم عن الهندوس ، ما لبثوا ان امتزجوا بهم وصاروا منهم وفيهم . على ان التنظيمات الحالية في الهند وتقسيماتها تدعونا الى اعادة النظر في صحة ما قيل عن التآلف بين العناصر المنسوب الفضل فيه الى علاء الدين محمد وخلفائه . وعرّف المؤلف الى القراء الافرنسيين رحلة ابن بطوطة الى الهند وغيره من المؤرخين الهنديين في القرن الرابع عشر . ف . ت .

Geschichte Ġazān-Ḫān's, aus dem *Ta'rīḫ-i- Mubārak-i-Ġāzānī des Rašīd Al-Dīn Faḍlallāh B. Imād Al-Dawla Abul-Ḫair.* Herausgegeben nach den Handschriften von Stambul, London, Paris und Wien, mit einer Einleitung, Kritischem Apparat und Indices. Von Karl Jahn. Leiden. (E. J. W. Gibb Memorial New Series, XIV). London, 1940.

كتاب تاريخ مبارك غازاني داستان غازان خان

تأليف رشيد الدين فضل الله بن عماد الدولة ابو الخير

سمي واهتمام وتصحيح اقل العباد كارل يان — ص : ب + ٣٨٧ + XIV

هو رشيد الدين الملقب بالطبيب المؤرخ الفارسي الكبير . ولد في همذان نحو ١٢٤٧ ، وتعاطى الطب على ايام اباغا خان (١٢٦٥–١٢٨٢) وتصدر الوزارة ، وخلف صدر الدين الزنجاني في وظيفة المؤرخ الشاهاني ، وبلغ عزه سنة ١٣٠٤ . رافق الشاه في حملته على بلاد الشام واحرز ثروة وافرة ، فانفق الكثير منها في المؤسسات الخيرية ، وخانته الايام فانحط عن عزه وخسر امواله ، وقتل مع ابنه سنة ١٣١٨ ، واشتهر اسمه في الشرق والغرب بمؤلفه الخالد المعروف بجامع التواريخ وبتاريخ مبارك غازاني . وها ان السيد كارل يان ، في معالجته تاريخ وثقافة دولة غازان الشاه المغولي الفارسي ، رأى انه لا بد له ، لبلوغ اربه في الالمام بهذا الموضوع العظيم ، من ان يعود الى درس اصوله في كتاب رشيد الدين ويهتم بطبع ما لم يطبع منه مراجعاً بخطوطاته في استنبول ولندن وباريس وفينة . وقد قسم رشيد الدين تاريخه ثلاثة اجزاء : الاول في حداثة غازان واسرته ؛ الثاني في شؤونه السياسية ؛ الثالث في اصلاحاته . وان هذا الجزء الثالث خطير تقدر قيمته بما يحويه من التعليمات عن ادارة غازان وتنظيماته في دوائر السياسة والاقتصاد وبما كان له من اثر بعيد في تطور شؤون الدولة في البلاد الاسلامية في الشرق الادنى . ذلك ما دفع الناشر الى نقله الى اللغة الالمانية بترجمة كاملة . اما الجزءان الاول والثاني منه فاقتصر على تلخيصهما برؤوس اقلام اشار الى مراجعها . وناهيك عما في الكتاب من حواش مفيدة وتعليقات قيمة وفهارس جعلته جديراً بان يحل محله في مجموعة جيب[1] .

ف . ت .

(١) راجع المشرق ١٣ [١٩١٠] ٥٥

ISLAM ANSIKLOPEDISI, Islam Alemi Coğrafya, Etnografya ve Piyografya Luğati. Maarif Vekilliginin Karari Ile Istanbul Universitesi Edebiyat Fakultesinde Kurulan Bir Heyet Tarafindan Tercume, Telif ve Nesredilmistir. I Cuz. Ab-Abdulkadir, 1940, Istanbul. Maarif Matbaasi.

دائرة المعارف الاسلامية

الجزء الاول : من اب الى عبد القادر

هي الموسوعة الاوروبية الشهيرة التي كانت قد باشرت تعريبها لجنة الترجمة والنشر في القاهرة ، ثم حذت حذوها لجنة التأليف والنشر في جامعة استانبول بامر وزارة المعارف ، ومساعدة اكاديمية العلوم الدولية .

لقد قابلنا بعض صفحات المتن الاوروبي بترجمته التركية في هذا الجزء الاول ، فاعجبنا بامانة الناقل بالرغم من المصاعب التي تحول دون التعبير عن الفكر الغربي بقالب شرقي . ويفيدنا في سياق الحديث الاشارة الى ما تكتسبه الثقافة التركية من اتخاذ الالفاظ الاجنبية على علاتها بلفظها الاعجمي ، اذا كان اللفظ خير اداة لتأدية المعنى وضبطه ، وقد سمت الكتاب انسيكلوبدية واحسنت بتسميته ما دام الاقدمون لم يفكروا في تأليف امثاله في اللغة التركية فلم يحتاجوا الى وضع اسم له .

ومما يجدر بالذكر ما تضمنته المقدمة من المام بتاريخ المستشرقين منذ ألكوين (٧٣٥-٨٠٤ م) في عهد شارلمان الى ايامنا ، ومن الكلام على المؤسسات الثقافية التي اثمرت ثمارها الشهية في بلاد الغرب المسيحي ، واخصها كلية فرنسة ومدرسة اللغات الشرقية الحية في باريس وقد خرج منها علماء كدي ساسي سنّوا مناهج الاستشراق في عواصم اوروبة ، في الناحيتين التركية والعربية .

واهل حكم « المقدمة » في تعرّض المستشرقين من اكليروس وعلمانيين لا يخلو من قصر في النظر ، اذ قال كاتبها ان دأب الاولين الدعاية الدينية والآخرين المصلحة السياسية . وقد يكون شيء من ذلك ، الا ان هذا لا يتنافى مع الطموح الى الغاية العليا ، وهي توسيع نطاق المعارف البشرية الداعية الى

تفاهم الامم وتوادّهم تحت راية العلم والثقافة التي تقرب بيننا جميعاً اذا ما قربتنا الى الله .

هذا وانا نشكر لناشري الانسيكلوبدية نشاطهم وغيرتهم ونتمنى لهم مواصلة اعمالهم الحميدة . س . ث .

EUGEN VROONEN, *Les noms de Personnes en Orient et spécialement en Egypte*. Noms musulmans: Arabes — Turcs. Noms Chrétiens : Arméniens — Coptes — Grecs — Libanais et Syriens. Maltais. Noms Israélites. In - 8°, XVI + 191 pp. Le Caire, Le Scribe Egyptien, 1946.

اعلام الاشخاص في الشرق

حاول المؤلف معالجة اسماء المسلمين والمسيحيين والاسرائيليين في الشرق الادنى ، في اصلها ومعانيها وانواعها واهميتها الاجتماعية ، مؤدياً به الدرس الى تحليل الاسماء في لغاتها الاعجمية ، مستعيناً بمن اشار اليهم في صدر كتابه من رجال ساعدوه في تعريف اسماء بني جنسهم . وان مادة هذا البحث الواسع الشبه بعشب امتلأت به الادغال فلا يتاح للمهتدي الى مسالكه فيها ان يرمي نظره بعيداً ويلمّ بلمحة البصر اطراف الافق . وما اصعب التبويب في هذه الانحاء ، لا سيما وان المؤلف لم يقتصر على درس الاسماء العربية ، وكل قسم منها جدير بان يستوعب التفتيش ، بل تناول بالكلام الاسماء المنتشرة في بلاد اليونان وتركية وسورية ولبنان ومصر ومالطة . ولا عجب ان تعثر به القدم فيشق اسم « اديب » العربي من اديباس اليوناني (ص ١٤٩) وقد يؤدي به تحرير الاسماء العربية بالابجدية الفرنسية من غير مراعاة اصول نقل الحروف الحلقية الى الالتباس بين ح وه وع فالى التباس في المعنى ، فيكتب نحول او نهول عوض نعل ، ولو راعى المؤلف اصول هذه الكتابة لما الجئ الى الاسهاب في التنبيه الى الفرق بين سبع وسابا (ص ١٤٦) وعواد وعوض . وقال عن خازن انه مبهم المعنى والخازن هو من يدخر المال للامير ولعل الخطأ سببه كتابة الاسم خازم (Khazem) .

وقال : ص ١٤١) ان الاسماء السورية واللبنانية كلها تقريباً عربية ولم ينطق الى مئات الاسماء المأخوذة من السنكسار والتي يتسمى بها المسيحيون والعربية فيها قليلة . وقال ان الفاتحين لم يتركوا اثراً وهذا قول فيه وجوه لنظرات متناقضة .

هذه ملاحظات ابديناها على امل ان تفيد المؤلف في طبعة ثانية لكتابه النادر مثله في الشرق ، الجم الفوائد في ايامنا ، وقد اخذ النظام الاجتماعي يتطور فيتمتع كل علم من الاعلام بميزاته الشخصية من غير الالتباس الذي ذكره المؤلف (ص ١٨٠) عن جريدة البصير ، والداعي اصلاحه الى وضع تشريع جديد في هذه الناحية . وهو يختم كتابه بسرد مشروع قانون يفرض على جميع المصريين ان يختاروا الى جنب اسمهم الفردي اسم اسرة يعمل على التمييز بين الافراد . ويكون شأنهم في ذلك شأن الاتراك منذ السنة ١٩٣٤ .

ف . ت .

LUCIEN RAMBOUT, *Les Kurdes et le droit.* | Collection «Rencontre» n° 24.] In-12, 160 p. Paris, Editions du Cerf. 1947. 81 fr.

الاكراد والحق

تحاول ثلاث من الدول ابتلاع تسعة ملايين من الفلاحين الموزعين على مساحة نصف مليون كيلومتر مربع ، تجمعهم وحدة اللغة ووعيهم القومي في تكوينهم اسرة روحية ذات اصل واحد . وكل دولة تسعى في تصغير شأن الاكراد ، كما لو كانت قلة العدد في الاحصاء تغير طبيعة المشكل السياسي والاجتماعي ، وليد القضية الكردية . جميلة لغة هذا الشعب وليس من يزكي نارها ، غنية بلادهم وهي منبع لثروة الدول ولا اهتمام فيها بفتح المدارس او انشاء الطرق او تأسيس المستشفيات . وقد عاش مؤلف هذا الكتاب في تلك البلاد منذ عشرين عاماً ، وهو جدير بان يخبرنا عما رآه من حالة هذا الشعب التاعس بين تركية والعراق وايران ، وتحت نفوذ دولة اوروبية عظيمة سخرت الطائرات وقاذفات القنابل في تأديب ما سموه العصاة واكثريتهم من

المسلمين وبينهم المسيحي واليزيدي . ولا مبرر لاضطهاده أعبد الشيطان او لم يعبد ! لولا ان هناك قضية البترول ومرافقه بين البحر الاسود وخليج فارس .

ف . ت .

JEAN-MOHAMMED ABD-EL-JALIL, O.F.M., *L'Islam et Nous*. [Collection « L'Église et le Monde », I]. In-16. 61 pp. Paris, Ed. du Cerf, 1947.

عن والاسلام

في نظر من يقدم من الغربيين الى ديار الاسلام موظفاً مقيماً او رحالة ماراً ، يظهر الاسلام مركباً غريباً ، فيبدو ، في آن واحد ، مفعماً بروح الايمان ، ومجرداً من الاسرار التي تقرب ، في غيره من الديانات ، الخالق من خلقه ، فتجعل بينهما الصلات الوثيقة . هو يؤمن بالله ، ولكنه لا يؤمن بالفائق الطبيعة . وهكذا فانه يظهر للمدققين من النصارى قريباً جداً من معتقدهم وفي الوقت نفسه بعيداً جداً عن هذا المعتقد .

في سبيل شرح هذا المركب الغريب ، وضع هذا الكتاب بادئاً مجموعة جديدة من الدروس الدينية عنوانها « الكنيسة والعالم » . اما المؤلف فهو حضرة الاب جان محمد عبد الجليل ، المولود في مراكش ، والذي اهتدى الى المسيحية في اثناء طلبه العلم في باريس ، ودخل منذئذ رهبنة القديس فرنسيس الاسيزي . فهو عارف بشؤون موضوعه ، وافر الاطلاع على عناصر درسه . وهو يكتب للمسيحيين حتى يدفعهم الى ان يتفهموا الاسلام تفهماً أتم ، فيدرسوا بتزيد اهتمام وعطف المشاكل العالقة بتطور الشعوب الاسلامية .

وقد تناول اولاً بهذه « النظرات والايحاءات » « العناصر الجوهرية التي تكوّن الاسلام » معنوناً فصوله الخمسة الاولى : « الاله الواحد الفائق السمو — الخلق — الوحي — الانبياء — القرآن » مقابلاً هذه العقائد بما يماثلها في الدين المسيحي مشيراً الى ان الاسلام في إظهاره تفوق الاله الواحد ، ينكر كل دور لوسيط الهي يأتي العالم بالنعمة .

ثم ينتقل الى وصف الحياة الدينية في الاسلام . واذا هي متصفة بالجلال والاحتفال . ولكنها قد تصبح ظاهرية ، آلية ، بسهولة . والاسلام لا يرى الا خطيئة واحدة غير قابلة للغفران هي خطيئة الشرك . فالله لا يغفر لمن يشرك معه غيره من الآلهة . اما ما سوى ذلك من الآثام فيغفره لمن يشاء . ويشير ، بعد ذلك ، الى القناعة في استخدام الخيرات ، الى الضيافة ، الى احترام العقود والاتفاقات ، الى الزكاة والمؤاساة ، التي يقوم بها كثير من المسلمين. اما العلاقات بين المؤمنين والله الواحد الفائق فليس لها الا موقف واحد هو « الاسلام » اي الخضوع المطلق . ولذا نرى الاسلام الرسمي ينفي كل امكانية — حتى من قبيل النعمة — ترمي الى معرفة الله والاتصال به بطريقة عميقة وثيقة . فيبقى النفس المسلمة محدودة في وحدتها وصغرها . ولا يخفى انه نشأ في الاسلام ، ردًا على هذا الموقف الرسمي ، وتحقيقاً للميل الانساني الطبيعي الى الحياة الداخلية ، كثير من النزعات الروحانية كونت الحركة الصوفية التي قادت الى انشاء الطرق الدينية ، ولكن بعضها انحرف عن سواء السبيل ، على ما هو معروف .

ولا يقرّ المؤمنون أية سلطة دينية عقائدية عليا من شأنها ان تفرض قرارها على الجميع فتحفظ وحدة العقيدة والعبادة . وليس من شروط كي يبقى الانسان في الجماعة الاسلامية ، الا ان يقرّ بعقيدة التوحيد ، مهما يكن من مخالفته سائر المؤمنين في كثير من النقاط الدينية . على ان الاسلام يلوذ دائماً بحدود الوحي والتقليد ليدفع كل تجديد خطر . ولكن هذا لا يمنعه من الاخذ ببعض المبادىء التجديدية كنظرية المصلح او المجدد الذي يرسله الله « في فجر كل قرن » من امثال الغزالي في مطلع القرن الثاني عشر والشيخ محمد عبده في مطلع القرن العشرين.

ولا يخفى ان الشعوب الاسلامية تهزها اليوم حركة مزدوجة تدفعها الى مزيد تعلق بالاسلام ، والى رغبة في التجدد الداخلي . وها ان العربية السعودية ترمي الى الجمع بين صلابة الاسلام الاصيل والتقدم الآلي العصري . وها ان « اكثر البلاد الاسلامية — ما عدا ايران — تنظر الى بلاد العرب من خلال

مصر .» وان النص الذي يستشهد به المؤلف من نشرة « الاتحاد المراكشي » الظاهرة سنة ١٩٣٧ ليطلعنا على مطاليب الاسلام الفتى . فهو يدافع عن نفسه دينياً ، كما يدافع سياسياً واقتصادياً ، ضد اوربة المادية المستضعفة ، ويرمي الى ان يوحد بواسطة الثقافة والمساعدة المتبادلة بين الشعوب العربية في حوض البحر المتوسط ، وقد تخلصت من كل نير اجنبي .

اما دور المسيحيين فينبغي ان يكون بمساعدة الميول الصحيحة البنائية من هذه النزعات المختلفة ، « تلك التي تهدف الى حياة روحية اوفر عمقاً ، والى فكرة في التوحيد اقل سذاجة ، والى حياة محبة وصداقة مشتركة مع الآخرين » (ص ٥٦)

Bishr Fares, *Une miniature nouvelle de l'Ecole de Bagdad datée 614 hég. ; 1217-8 figurant le prophète Muhammad.* [Extr. du Bull. de l'Institut d'Égypte, session 1945-1946].

صورة جديدة منسنة تمثل النبي العربي

يتفق مؤرخو الفن الاسلامي على انه لا يبدو محتملاً ان يكون التصوير قد جرّب في صدر الاسلام وفي القرون الاولى منه ، ان يمثل موضوعات من التاريخ الاسلامي المقدس . وهم لا يعرفون محاولات لتصوير النبي ترقى الى ما وراء القرن الثامن الهجري (الرابع عشر) وذلك في الفن الفارسي .

على ان الاستاذ بشر فارس وقف ، في المخطوطة رقم ٥٧٩ ادب من المكتبة الوطنية المصرية ، المتضمنة الجزء الحادي عشر من كتاب الاغاني ، على صورة منسنة ترقى الى القرن الثالث عشر المسيحي وتمثل اسقف نجران وعاقبها بين يدي النبي محمد . وتنتمي الصورة الى الطريقة المعروفة بالبغدادية . وان تكن اوجه الممثلين ، ولا سيما وجه النبي ووجه الملكين ، قد شوّهت بالتلطيخ والحك من قبل الثيّر على تحريم التصوير ، فان الصورة لم يغيّر شيء من وضعها الاصلي . وسينشر المكتشف درساً مطوّلاً للصورة في منشورات المعهد المصري .

ر . م .

قـدموس

لسعيد عقل

الطبعة الثانية ـ ١٢٦ ص. متوسطة ـ منشورات دار الفكر
بيروت ، ١٩٦٧ – الثمن : ٣٠٠ غ. ل.

في منتصف الالف الثاني قبل المسيح ، كان لأشتار ، ملك صيدون ، ابنةٌ بلغت شهرة كمالها مسمع زوش ، كبير آلهة اليونان . فكان من هم الإله الاعظم – ولآلهة اليونان هموم كما للبشر ! – ان يحصل على اوروب بنت أشتار .

وعذارى يوم من أيام الربيع ، كان عذارى البلاط يمرحن على الشاطئ الارجواني بين صيدون وصور ، وقد أمنَّ مفاجآت السماء للارض ؛ واذا بثور هائج يخرج مختالاً من احدى الغياض القريبة ، يخور وينمر متجهاً نحو سرب العذارى ، فيتبددن هائمات ، الا اوروب . حتى اذا دنا منها الثور خرّ راكعاً على ركبتيه ، وقد أبدلت عيناه بشرر المرح والاختيال ، صفاء الوداعة والطمأنينة . واذا بالاميرة تؤخذ بهذا التلطف ، فتركب رقبة الثور مستندةً الى قرنيه ، واذا بالثور يسرع نحو البحر فيخوض بها الموج حتى يغيبا ؛ واذا بالعذارى يذهبن مولولات الى قصر الملك أشتار .

ويكون لاوروب اخوة سبعة يرسلهم ابوهم في طلب وحيدته ، آمراً ألّا يرجع الواحد منهم الا بأخته . ويكون انبههم ذكراً ، واوفرهم حظاً بلقاء اوروب ، قدموس . فيتجه نحو الغرب ، فيصادف على ساحل البيوسي ذاك التنين الهائل فيقتله ، ويبذر اضراسه في الارض اليونانية ، فتنبت رجالاً من المردة يبنون ثيبة على انغام الموسيقى . وبفضله يعرف الغرب حروف الهجاء التي ابتدعها قومه قبيل ذاك العصر . اما اوروب فلا تعود ، ولكنها تخلّد ذكراها باسم الغرب أجمع الذي دُعي اوروب منذ ذلك الحين .

هذه خلاصة الاسطورة اليونانية التي لمت بها عبقرية الشاعر الفنان ، فولدت في المسرح قطعة لا يخجل الفن بأن ينعتها بالمأساة الحق ، وأخرجت في الشعر العربي رائعة طالما تاق الى مثلها ، ودوّنت في الوطنية اللبنانية وثيقة لها ما بعده .

اما المسرح العربي فيغتبط بأن عين لبنان لا تزال تكلأه . هو الذي خطا

خطواته الاولى في العاصمة اللبنانية – والذي تتحفز العاصمة اللبنانية اليوم الى الاحتفال بمرور مائة سنة على مولده – يرى نفسه متجهاً نحو النضج والكمال في الارض نفسها ، بعد ان تقاذفت به المقادير في أنحاء العالم .

قدموس مأساة . فلها من المأساة جلال القدم ، وكمال التعبير ، ووحدات الفن المسرحي المدرسي . اما جلال القدم – وعصرها اقدم من عصور المآسي اليونانية بمئات السنين – فقد افاد المؤلف ذلك الجو الحافل بالابعاد ، المضمخ بالاعلام العريقة ، المثير آفاقاً لا حدود لها تتأرجح ابداً بين الزمان والمكان . ومن حسنات القدم كذلك ان الشاعر تخلص من مشكل اللغة العالق ابداً بالمسرحيات العصرية ، فراجع كانت ، ام مهازىء ، ام مساخر سينمائية .

واما كمال التعبير فسنعود اليه في كلامنا عن الشعر في قدموس .

واما الوحدات فأولاها هذه الوحدة المتماسكة المتشابكة في العمل المسرحي . لم تبقَ قدموس تلك الاسطورة البسيطة ، بل تجسمت عملاً قوياً يتصارع فيه قطبا الحياة البشرية : القدر والسعي ، القدر السائد المسيطر ، والسعي البشري الدائب ، القدر الاعمى تمثله بلاد اليونان المستسلمة ، فهي

. . . تؤلههم كثراً ويودي بهم ، وبالعرش ، واحد ،
أمجلي عليهم ، ذلك الاعمى ، ولي الصبر ، رب الجلاميد .[1]

والسعي البصير تمثله صيدون رائدة البحار ، مستعمرة الجزر ، بانية المدنيات ، زارعة الحواضر في المجاهل ، حتى حق لها القول بلسان ابنها قدموس :

شأ تزلزل دنيا وشأ تبني دنيا[2]

وهي ، وان جابهها الغرب بضخامته وجبروته ، بحقده وشدة وطأته ، بذاك التنين الذي قال عنه زوش :

«أمرٌ من إنسان
مخلقٌ إن يبن فأظفارُ ليثٍ وجناحي نسرٍ على أفعوانِ . . .
ينفث النار من حديد لسانٍ ويفتّ الصخرَ الاصمَّ بنابه ،
إن ينفض جناحه يثن الوردُ ويسودّ زنبقٌ في شبابه ،
أو يدرْ طرفه يصبّ هجيراً في عليل الصبا ويمنحْ نارا ،

(١) ص ٢٦
(٢) ص ٤٥

راح اعمى عن الحقيقة يلتذ إن التذ ، جيفة ودمارا .»[1]

لاقته بالعزم الثابت ، والصدر الرحيب ، تنزع الغل وتأسو الجراح ، تغالب العداوة وتبقي على العدوّ المستقيد ، لا تقصد الحرب الا دفاعاً واباء .

هذا النزاع المزدوج يتغلغل في المأساة كلها ، فيدرك قدموس قمة مجده ساعياً فيقتل التنين ، ولكن القدر يغلبه على امته فتروح ضحية هذا المجد ، واذا به يختتم المأساة ، وقد اشار الأعمى الى قبر اوروب متشفياً ، وهتفت مرى شاخصةً الى اسوار تيبة تشيد ملك صيدونيا ، فيصيح قدموس :

فستنا من هداية وفتوح :

عمل الارض إن نشأ ، دون كدين : وعمي كريشة في الريح !»[2]

اما القلق المسرحي الفاجع – وهو السرّ في كل مأساة – فقائم على مصير قدموس لو تغلب عليه التنين ، وعلى مصير اوروب لو تغلب قدموس على التنين فقتله . والتنين حامي المليكة من غضب الإلاهات الغُيرُ اقامه لها زوش حارساً وقال لها : انت حيةٌ ما دام حياً . واوروب عارفةٌ بذلك وعارفةٌ ببطش اخيها ؛ فهي تتأرجح ابداً بين الامنيتين هالعةً من تحقق ايةٍ منها :

يا لسهمين لو حشا ، فأذلا في حواشا على عنفواني :

من يصبني أقل له عند قبري : «لم يا سهمُ أنت ! دون الثاني ؟ »[3]

واما وحدتا الزمان والمكان فقد انقادتا للمؤلف من نفسيهما ، فكانتا طبيعيتين . وذلك ان العمل الخارجي في موضع المأساة لم يعدُ تنفيذ العزم الداخلي نتيجة تلك الازمة القلقة ؛ وبالتالي فهو لا يحتاج الا الى المكان الواحد ، ولا يلزمه من الزمن الا الساعات المعدودات .

❁

ومن الحق أن نشير ، في درس الموضوع ، الى توفيقات المؤلف في العود بالاعلام الى أصلها السامي . فهو لا يقول اجينور مثلاً بل أيشتار ، ولا أنيبال بل هنيبعل ، ولا زوس بل زوش . وكذلك القول في الاعلام الجغرافية .

---

١) ص ٢٣–٢٤

٢) ص ١٢٥

٣) ص ٦٥

فحينما ادرك الاسم القديم ابدله بالحديث فقال: الالشيون لا الدردنيل ، وقال الهرقليات لا جبل طارق ، وعلى هذا قال: القيتريد ، وقبة ، وقيثيرية . . .

وليست هذه المظاهر من الهنات البسيطة . انما هي من كمال الفن في وضع القطعة موضعها من التاريخ . ولعل اهم ما في الامر انه لم يستعمل كلمة « فنيقية » مرة واحدة . ذلك ان « فنيقية » لفظ اجنبي متأخر . فمال عنه المؤلف الى كلمة « صيدون » ، اذا اراد تسمية المملكة ، والى كلمة « لبنان » ، الواردة في ملاحم اوغاريت ، اذا اراد ذكر الوطن .

❁

ويضيق هذا البحث عن تفصيل الصفات الشعرية في قدموس ، وهي تجعلها اروع ما نشر سعيد عقل حتى اليوم . فحسبنا الاشارة الى ان الفن المسرحي يستند فيها الى النفس الملحمي الرصين ، والنغم الغنائي الناعم . ليعد القارىء الى صلاة مرى ، مرضع قدموس واوروب (في المشهد السادس من الفصل الثالث)[1] ، وقد خافت كيد الاعمى ودسه ، وليفكر مخلصاً هل يرفع الى الله في اشد ازماته ، صلاة احنّ وارقّ ، واخلص ، وارفع بالخليقة الى الخالق ! وليعد الى وصف مرى اختطاف اوروب ؛ والى مناجاة اوروب لوطنها الاصيل ، والى ندبها مستقبلها امام مرى ، فيعود بمقاطع من اروع القصائد الغنائية في الشعر العربي .

اما اذا شاء القوة الملحمية في وصف المشاهد الحاسمة ، فليسمع وصف اوروب اخاها متقدماً لالتقاء التنين ، وأوله :

رَمقته عيني ، فيا بُؤس عيني ! يَقحم الموتَ ، عهدَه وهو قانصْ ،
يضحك الضحكة المُرّة كالسهم ويجري كرعدة في الفرائص .
حمّل الريحَ رَقّه ، فظننتُ الشطَّ يُصغي ، والبحرَ يعروه همدُ ،
والصباحَ المفوحَ في كَمِّ الامواج يلوذ ، كمن أطلَّ ويشدو[2]

وهذه مرى تصف ضربة قدموس ببيتين يدوّي صداهما في العصور :

هاج يكسوها العجاج ، فلم أبصر سوى السيف صاعقاً كالضمير ،

---

١) ص ١٠٦ – ١٠٨

٢) ص ٩٤ – ٩٥

والاساطير حول ضرته تولد في الصخر ، في الربى ، في الصور[1]

ولا يتسع بنا المجال لنقل قدموس بكاملها . فلننحدر من هذا الجو الشعري الى حضيض اللغة فنرى انها افادت اشياء على يد سعيد عقل . منها تلك المرونة في التعبير الشعري يتناول الصيغ جميعها ، ويهزأ بالقوالب المكرّسة ؛ ومنها جرأة في التعبير أهابت باحد شعراء الاقدمين فقال مرةً :

ما انت بالحكم الترضي حكومته . . .

فقامت عليه قيامة المتحكمين بالانصاح عن الفكر ، فنفوا متن الاسلوب الرسمي مثلَ هذه الجرأة . فلجأت صيغة " الترضي حكومته » الى التعبير الطبيعي العامي ، وظلّت في الاستعمال اليومي ، حتى جاء شاعر قدموس فاعادها الى مركزها قائلًا :

باركتك اليد الأهلت على الفقر ، عطاء فاطلّ الفقر حالي .
ألسحت ، نوّلَ الزمان ، على حصب بلادي بالغيث المحراث ،
آلة الخير بخاتمها تتحدّى ان نعنّ الدنى برزق بُغاث[2]

هذه نماذج متفرقة من نصيب الفن المسرحي والشعر العربي في قدموس . واما نصيب لبنان فهو كل شيء . وما هذه المأساة الا خلاصة المجد اللبناني القديم يجهر به قدموس امام المرّاف اليوناني الأعمى ، قبل ان يقاتل التنين ، وخلاصة العقلية اللبنانية تُعلنها اوربّ تارة ، ويرى طوراً في ابيات ينبغي ان تكونَ في قلب كل لبناني :

يصيح قدموس بأخته اولَ ما يلتقيان فينكرها :

لست منّا

فتقول اوربّ مستعطفة :

رحماك !

فيجيب :

رحمى لمن تنقض امجادها وتنسى الوداد ؟

---

١) ص ١٠٩
٢) ص ٣٠

اورب

يضقْ بي ؟ ورحمةٌ من بلادي تسعُ الارضَ حبّها والحادا ؟

قدموس

أبلاد عُقّت وطلّت على العهد ؟

اورب

بلادي انا ، ولبنان عهدُ !
ليس أرزا ، ولا جبالاً وماءً وطني الحبُّ ليس في الحبّ حقدُ ،
وهو نورٌ ولا يضلُّ : فكلٌّ ويدٌ تُدعُ الحالَ وعقلُ ،
لا تقل : «أمتي» ، وتسطو عليها نحن حارسُ العالمين وأهلُ .[1]

أوَلا تثبت هذه الابيات شخصية لبنان الخالدة ، المستمدة الحياة من إرث متطاول القدم ، واسع الآفاق في المستقبل ، تلك الشخصية التي دفعت المؤلف الى القول في مقدمته ، بل في « خلاصته اللبنانية » :

« سوف يكون لبنان ، بحكم إرثه ، هدياً لكل مستهدٍ ، ومدرسة حبّ لكل مبغض ، وسعةً لكل ابن حق ضاق به صغر الارض . »[2]

أولا تنهر هذه الابيات اصحاب الدعاوات الحصرية من ذوي النية الصالحة والغيرة الجاهلة الذين لا يذكرون ، اذا تكلموا عن لبنان ، وكثيراً ما يتكلمون عنه ، الا موطن الاصطياف والاشتاء ، ومصحّ ذوي العلل المتنوعة ، حتى يكاد العالم لا يعرف عنا سوى الجبال الشامخة ، والمناخ الجيّد ، والهواء العليل ، والماء السلسبيل .

بينا نرى لبنان بوجهه الصحيح في اشخاص هذه المأساة يحملون رسالة نيّرة هادية « هدتنا اليها ستة آلاف سنة من الصبر ، والفكر ، وامتهان المادة ، والكفران بالذات ، والتطلّع الى فوق ، والتريّث بالبادرة قبل وعي لكلّ رسالةً فذّة في العالم تخوّلنا لبنة العالم . »[3]

بقي ان نسأل : هل يجوز للشاعر المسرحي ، أن يدعو ، في مسرحيته ، لوطنٍ او لحزب او لفكرة ؟ او لم يخلق مسرح اصحاب الدعاوات في الغرب

١) ص ٨٦ – ٨٧
٢) ص ٢١
٣) ص ٢٢

والشرق ! بلى عندما تكون الدعوة ملحقة بالموضوع إلصاقاً ، وعندما تكون القطعة المسرحية مؤلفة في سبيل دعوة لا سند لها في التاريخ .

اما اذا كان الموضوع نفسه تاريخياً لا يتجاوز فيه المؤلف بيت التاريخ فليس هناك من افتئات على الحقيقة ، بل ليس هناك دعوة بالمعنى العصري .

انما هو تاريخ ، علقت به الاسطورة ، ومهرته العبقرية ، فتجسم في قدموس مفتخراً بحق :

تزرع المدن تزرع الفكر في الارض ، وغني في الفاتحين مثالا ،
وغداً تعرف الحضارة في صيدون أماً فتنحني إجلالا [1]

نذكر هذا ولا نخشى غيرة سائر المدن اللبنانية من صيدون ، على أمل ان تنال كل منها قدموسها .

❁

وخلاصة البحث أن الفن المسرحي يعود من قدموس بمأساة أصيلة ، ويعود الشعر العربي برائعة من اجل روائعه ، ويعود لبنان بدستور وطنيته البصيرة المدركة ، مطمئناً الى ان نسل القدامسة لم ينقرض !

ف . ا . ب .

كتاب نتيجة الاجتهاد في المهادنة والجهاد ،

تأليف : احمد بن المهدي الغزال — نشر : الفريد البستاني

منشورات مؤسسة الجنرال فرنكو للابحاث العربية – الاسبانية : السلسلة الاولى : رقم ٢ – تطوان (المغرب)

20 + ١٠٤ + 15 ص . كبيرة – مطابع الفنون المصورة ، المراكش (المغرب) ، ١٩٦١

مؤلف هذا الكتاب احمد بن المهدى الغزّال الحميري الاندلسي ، المتوفى سنة ١٧٧٧ ، كان كاتباً لمولاي محمد بن عبدالله سلطان المغرب في النصف الثاني من القرن الثامن عشر ، وسفيراً له لدى كارلس الثاني ملك اسبانيا ، في السنة ١٧٦٦ — ١٧٦٧ ، وكان الى ذلك اديباً شاعراً ومنشئاً خبيراً باساليب البلاغ

---

١) ص ٤٧

الموروثة وانواع النظم المتناقل . وقد ترك مؤلفات عدة نظماً ونثراً لعل اجدرها بالذكر ، وابقاها على الزمن ، هذا الكتاب الذي دوّن فيه ما وقف عليه في البلاد الاسبانية ، في اثناء سفارته ، من مرافق العمران ومراتع المدنية ، وما خبره من اخلاق الاسبان وعاداتهم ، وما شاهده من آثار العرب الباقية في تلك البلاد . واضاف الى كل ذلك ملاحظاته ، ومذكراته السياسية ، ونتيجة محادثاته مع كارلس الثالث ملك الاسبان

وظلّ الكتاب مخطوطاً في عدة نسخ منها المشوّه ومنها الناقص ، حتى وقف عليها الاستاذ الفريد البستاني فقارن بينها ، مستنداً خاصة الى مخطوطة مكتبة مدريد الاهلية وهي اسلمها ، وقارن ، وحقق ، وتتبع الوثائق والسجلات المتنوعة في موضوع سفارة المؤلف واحوال القطرين في زمنه . فامكنه ان يخرج هذه هذه الطبعة النفيسة ، مزدانةً بمقدمة واسعة في المؤلف وكتابه ، وبنبذة تاريخية في ترجمة مولاي محمد بن عبدالله ، وفي احوال المغرب ومظاهر الثقافة العربية في عهده ، وبجداول وفهارس تاريخية جغرافية ، مشروحة فيها الكلمات العويصة والدخيلة ، والالفاظ والمسميات الاعجمية ، والتعابير الوضعية المصطلح عليها بالمغرب ، مع نقل الاعلام الى ما يقابلها باللغة الاسبانية القشتالية . هذا الى رسوم وصور وخرائط متنوعة ، ومقدمة ضافية باللغة الاسبانية عرّفت الكتاب الى غير قرّاء العربية في الغرب واسبانية . واذا به دليل جديد على اجتهاد الناشر الاديب ، ومأثرة جليلة لمؤسسة الجنرال فرنكو .

كتاب مسائد الانمة

لمولاي محمد بن عبدالله — نشره الفريد البستاني

منشورات الجنرال فرنكو للابحاث العربية – الاسبانية : السلسلة الاولى : رقم ٣ –

تطوان (المغرب)

٤٥ + ١١٠ ص . كبيرة – مطابع الفنون المصوّرة ، المراتش (المغرب) ، ١٩٤١

المغرب ، السابق الذكر (١٧٥٧ — ١٧٩٠) جمع فيه من امهات كتب الشرح ما رآه مناسباً لبلده وبيئته ، وعرضه لفائدة ابناء رعيته ، سهل التعبير ، قريب المأخذ ، موجز الشرح ، صريحاً في القول والحكم . وكان ان وقف الاستاذ الفريد البستاني على النسخة الاصلية للكتاب ، المؤرخة بالسنة ١٧٨٨ ، والمهداة بأمر السلطان المؤلف الى خزانة الجامع الاكبر في تطوان ، والمحفوظة من ثم في مكتبة مدرسة لوقش . فدرسها ، وأصلح فيها ما افسدته الأرضة والمثة ، وضبطها بالشكل الكامل ، وقارن نصها بمستندات الائمة ، وشرح الكلمات العويصة فيها ، وذكر مصادر الآيات من سورها . وقدّم عليها بحثاً في حياة المؤلف وآثاره واعماله ، ومختصراً لتراجم السلاطين العلويين . وذيل الطبعة بجداول وفهارس ، ومعجم الاعلام الوارد ذكرهم في الكتاب وكلهم من علماء الفقه ، فترجم لهم باختصار واشار الى آثارهم ، فجاء هذا المعجم معلمة فقهية صغيرة . وجاء هذا الكتاب ينافس سابقه في حسن الطبع وجمال الشكل ودقة الإخراج .

مار يعقوب

للخوري اسحق ارملة السريالي

مطبعة المرسلين اللبنانيين ، جونية ، ١٩٦٦ — ٧٩ ص . متوسطة

هو بحث انتقادي تاريخي ديني عن مار يعقوب اسقف سروج الملفان (٤٥١ — ٥٢١) يستحق الاعتبار ، ويلفت انظار المستشرقين خصوصاً ممن تصدوا للكلام عن مار يعقوب ، وزعموا انه كان من القائلين بالطبيعة الواحدة ، مستندين الى رسائل تبودلت في زعمهم ما بين مار يعقوب وبعض المنوفيزيتيين . وقد استقرأ المؤلف ، الخوري اسحق ارملة ، تلك الرسائل رسالة فرسالة وقابلها مع نسخ اخرى ، وصرّح اخيراً بانها ليست من قلم مار يعقوب البتة .

ثم سرد بيّنات جمة تاريخية ، وذكر براهين شتى اقتطفها من ميامر مار يعقوب نفسه ، تصرّح بخلاف ما ورد في تلك الرسائل المزعومة . وبيّن ان يسطنيان الملك الذي نفى اساقفة المنوفيزيتيين قاطبة لم ينف معهم مار يعقوب

الملفان . وذكر كذلك ان اقدم مؤرخي السريان اليعاقبة لم يضعوا اسم مار يعقوب الى اساقفتهم ولم يحصره في صاف ملافنتهم . وختم بحثه الدقيق بنبذة محكمة عن حياة مار يعقوب ، وعن اعماله وتآليفه ، وهي باجمعها تؤيد عقيدته الكاثوليكية وتمنى ان تعود الكنيسة السريانية فتضم اسمه المبارك في كلنداريها الى اسماء سائر ملافنتها العظام .

اركان المجتمع الثلاثة : العيلة ، الوطن ، الدولة

تأليف الياس يوسف صقر

مطبعة المرسلين اللبنانيين ، جونية ١٩٤٧ — ١٩٧ ص . متوسطة

كتاب خطير الموضوع ، جمّ الفوائد ، قسمه صاحبه سبعة فصول خصّ الاربعة الاولى منها بالعيلة ومكانتها الاجتماعية والفلسفية ، وتاريخها وقوانينها قبل الثورة الفرنسية ، وبالزواج وتحديد المواليد والنظريات الخاصة بالموضوع كنظرية مالتوس ، ونقدها في رأي علماء الأخلاق . اما الفصل الخامس فموضوعه الوطن والوطنية ، والقومية ، والامّية . والفصلان الاخيران يتضمنان دروساً في الدولة ووظائفها العامة والخاصة ، والنظريات الفلسفية والاجتماعية والتاريخية المتصلة بهذه الشؤون ، وغير ذلك من الابحاث المفيدة .

وغنيّ عن البيان ان الكتاب اعلى نظرات وابعد مرامي من ان يوضع في ايدي تلامذة المدارس الابتدائية فهو يصلح مورداً لتلاميذ الصفوف العليا من التعليم الثانوي . ولكن لا بد لمعلمي المدارس الابتدائية ، فضلاً عن سائر المعلمين ، ان يطالعوه ويفقهوه ، حتى اذا خاطبوا الناشئة في هذه المواضيع الحيوية أمنوا عثرات الاضاليل .

اثر التشيّع في الادب العربي

تأليف محمد سيّد كيلاني

آخر ما ظهر في آثار لجنة النشر للجامعيين بالقاهرة كتاب لطيف الحجم للاستاذ محمد سيد كيلاني سماه « اثر التشيّع في الادب العربي » . يتناوله

المطالع فيصطدم اولاً بغلافه الثاني الذوق بما تجاور من الوانه المتنافرة كالاخضر الفاقع الى الازرق الرمادي الى الاحمر القرميدي ، وقد انتشرت على الازرق الرمادي لطخات بيض كونت عنوان الكتاب . وقد حرصنا على الاشارة الى الغلاف دلالةً على اهمية مراعاة الذوق السليم في مظهر منشوراتنا . فان للعين نصيباً في تذوق الاثر العقلي ، وحقاً في التمتع بالجمال ، ولا بدَّ من التساوق بين مضمون الكتاب ومظهره في السير نحو الكمال الفني . بيد ان مضمون الكتاب خير من غلافه . رتبه المؤلف على ابواب اربعة . تناول في الاول منها مشكلة الخلافة وفرق الشيعة فكان عمله بمثابة مقدمة للبحث . وخصَّ الباب الثاني بالنثر من خطابة وحديث وقصص ورسائل مبيناً اثر التشيع في كل ذلك ، ذاكراً بعض خطباء الشيعة ولا سيما الامام علي ، حتى اذا وصل الى الباب الثالث تتبع اثر التشيُّع في الشعر بادئاً بدرس صحة نسبته ، مزيفاً ما حُمل على علي وعلى ابي طالب قبله ، منتقلاً الى شعر الشيعة الثابت ، خاتماً بالترجمة لعشرة من شعراء الشيعة في الباب الرابع وهم : الكميت ، كُثيِّر ، العبلي ، السيد الحميري ، دِعبل الخزاعي ، ابن الرومي ، المفجع البصري ، الشريف الرضي ، مهيار الديلمي ، ابن هانئ الاندلسي .

ف . ا . ب .

تاريخ الشعب الاميركي

بقلم فرحات زياده وابراهيم فرنجي ، تحت اشراف فيليب حتي

مطبعة جامعة برنستون ١٩٤٦

المطبعة الاميركانية ، بيروت – ص ل + ٣٤٦ و ٢٤ لوحة تصويرية

هذا الكتاب جميل الظاهر والباطن ، حسن التجليد ، جلي الطبع ، مذيَّل بالصور العديدة والخرائط الواضحة ، لذيذ المطالعة ككتب الرحلات العلمية ، وكالقصص الروائية الجذابة .

ولا يسعنا المقام الا الاشارة الى مواده الوافرة ، الظاهرة في فهرس اعلامه المتضمن ثماني عشرة صفحة اقل ما يقال فيها انها مرجع منظم لدرس تاريخ وجغرافية الولايات المتحدة .

ف . ت .

دموع الوفاء بين الاشلاء والدماء

تأليف توفيق حسن الشرتوني

مطابع صادر ريحاني ، بيروت ، ١٩٤٧ — ص ١١١ متوسطة

رواية ادبية تعرض كثيراً من الفضائل باسلوب لطيف . فلا حرج على الطلاب في المدارس من قراءتها، على ما فيها من صفات الحب النبيل الشريف . وهو حب جندي لبناني كندي لابنة كندية كلاهما يستبسل في خدمة بلاده ايام الحرب العظمى الاخيرة فيظهران مثالين في التضحية والامانة المتبادلة . ف ت .

امثال الامم الاوربية

تأليف : لويس جوني شامبيون . تعريب محمد رضا

١٠٤ ص . قطع ١٢ — نشر الشيخ يوسف توما البستاني ، القاهرة ، ١٩٤٢

غاية المترجم ان يقدم « قراء العربية نخبة من الامثال الاوربية ليطلعوا عليها ويتدبروا معانيها ويقفوا على عادات الاوربيين وآرائهم وحكمهم على الاشياء ونظرهم في الحياة وخلاصة تجاربهم حتى لا يكون تفكيرهم قاصراً على الامثال العربية والمصرية المتداولة » والامثال في كل امة هي مرآة نفسيتها . ولا يخفى على احد ما في نقلها الى لغة أخرى من الصعوبة . ولهذا اقتصر المترجم على نقل ما سهل له منها . فجاء كتابه ، على ايجازه ، مفيداً كل الافادة لمن يجهل اللغات الاوربية .

—الاساس The fondation » Al-Assas. » تأليف دلال خليل صفدي—ديترويت—مشيغن وهو « طريقة مبتكرة لتدريس اللغة العربية » وضع لابناء اللغة الانكليزية

— فهرس نيل الارب في مكتبة العرب ١٩٤٢ لصاحبها الشيخ يوسف توما البستاني واولاده وهو فهرس السنة الخمسين من قائمة المطبوعات . قطع ١٢ ص . ٣٤٨

المشرق

السنة الحادية والاربعون — تشرين الاول — كانون الاول ١٩٤٧

ازياء الاكمام

وما كانت تصلح له في الملابس العربية

بقلم حبيب زيات

في كتاب المدخل لابن الحاج من الفقهاء المالكية آراء واحكام انكر في بعضها كثيراً مما كان جارياً في زمانه من العادات والمصطلحات والبدع. وهي اذا تأملها الباحث المتطلع الى معرفة احوال المتقدمين واوصاف معيشتهم في الحضارة الاسلامية لا تخلو من طُرَف ولُقَط قلّ ان توجد نظائر لها في كتب الاخبار والادب والتاريخ. ومما توسع بذكره من البدع المنهي عنها طول الاكمام واتساعها الخارق قال: « ألا ترى الى ما ورد عن عمر بن الخطاب (رضه) حين لبس ثوباً فوجد كمّه يزيد على اطراف اصابعه فطلب شيئاً يقطعه به فلم يجد فاخذ حجراً والقى كمه عليه ثم اخذ حجراً آخر فجعل يرضّه به حتى قطع ما فضل من اصابعه ثم تركه كذلك مدلى حتى خرجت الخيوط منه

وتدلّت فقيل له في خياطته. فقال رأيت رسول الله (صلعم) فعل بثوب كذلك ولم يَخِطْهُ بعد حتى تقطع الثوب.»[1]

ولا ندري هل كانت الاكمام قبل الهجرة بين البدو وفي ديار العرب مفرطة الطول وقد فاتنا علم معظم ما يتعلق بالملابس العربية واوصافها منذ الفتح. ولا شك انه طرأ عليها تدريجاً بمخالطة الاعاجم من اهل البلاد والروم والفرس كثير من التبديل والتعديل، ولكن لا سبيل ان نعرف متى بدأت هذه الاكمام بالطول والاتساع، ولم يرد في ما بين ايدينا من الاسفار القليلة الباقية اشارة اليها قبل العصر العباسي، وذهب المسعودي الى ان المستعين بالله هو اول من «احدث لبس الاكمام الواسعة ولم يكن يُعهد ذلك فجعل عرضها ثلاثة اشبار ونحو ذلك وصغر القلانس وكانت قبل ذلك طوالاً كاقباع القضاة[2]. وقد فاته ان يحكي لنا طول هذه الاكمام، ولا محالة انه زاد ايضاً لاعتقاد القوم في تلك الاعصار ان الزيادة في الطول والعرض ادعى الى الهيبة والتعظيم. ولذلك امر المنصور بتطويل القلانس في خلافته فكانت تُدعم بعيدان من داخلها حتى قيل فيها:

تراها على هام الرجال كأنها دنان يهود جُلِّلت بالبرانس[3]

وبلغ من اتساع الاكمام وطولها على التوالي انه لما ملك اليمن بعد ابيه المعزّ اسمعيل بن سيف الاسلام ظهير الدين بن نجم الدين بن ايوب «لبس ثياب الخلافة وعمل طول كل كم خمسة وعشرين شبراً في سعة ستة اشبار»[4] وهو ما لا يكاد يصدَّق لغرابته. ويظهر ان سعة الاكمام وطولها كانا يختلفان باختلاف الطبقات والمراتب فكان العلما. والقضاة واهل القرآن يؤثرون الازدياد منها حبًّا بالتهويل والتعظيم. ولما سأل الناس يواسط علي بن محمد بن دينار بعد موت ابي محمد عبدالله العلوي «ان يجلس لهم صدراً فيقرئهم امتنع وقال:

---

١) كتاب المدخل ١ : ١٠٦

٢) مروج الذهب، بهامش الكامل، ٩ : ٢١٤ – ٢١٥

٣) الاغاني، طبعة بولاق، ٩ : ١٢١

٤) الاول من السلوك للمقريزي، خزانة باريس ١٧٢٦، ص ٥٣

انا اتعمّم مدوّرة وكمّي ضيق وليست هذه حلية اهل القرآن »[1] .

ولم نقف الا مرة واحدة على وزن الكم في ما عدا طوله وعرضه . « حدث ابو الحسن بن حباب صاحب ابن الكرنبي قال اوصى ابن الكرنبي برقعته فوزنتُ فردَ كمّ من اكمامها فاذا فيه احد عشر رطلًا قال جعفر الخلدي: وكانت المرقعات تسمى في ذلك الوقت الكَبَل »[2].

وغلب على بعض القضاة حب التجمل بكبر العمامة وفحش الاكمام حتى سخر بهم اهل اللهو ممن يتعاطى عمل خيال الظل فكانوا « اذا عملوا الخيال بحضرة بعض العوام وغيرهم في بعض الاوقات يخرجون في اثناء لعبهم لعبة يسمونها « بابة القاضي » فيلبسون زيّه من كبر العمامة وسعة الاكمام وطولها وطول الطيلسان فيرقصون به ويذكرون عليه فواحش كثيرة وينسبونها اليه فيكثر ضحك من هناك ويسخرون به ويكثرون النقوط عليهم بسبب ذلك»[3].

وما زالت الاكمام تطول وتتسع حتى اصبحت كالاعدال تشتمل على كل ما شاء صاحبها حمله وستره . ومن المُلَح المرويّة في ذلك ما حكاه هبة الله ابن ابرهيم المهدي قال : حدثني عمي منصور بن المهدي انه كان عند ابي في يوم كانت عليه فيه نوبة لمحمد الامين . . . فدخلنا وكانت طريقنا على حجرة توضع فيها الملاهي فقال لي اخي : اذهب فاختر منها عودًا ترضاه وأصلحهُ غاية الاصلاح حتى لا نحتاج الى تغييره عند الضرب ففعلت وجعلته في كمي[4] . ومن أهزل ما رواه الجاحظ او تخيّله من غرائب البخلاء قول احدهم وقد عيب بكثرة مشيه واتساخ سراويله وتخرّق نعله في سبيل خمسة دراهم : « اني من لدن خروجي من منزلي الى ان اقرب من باب صاحبي فاغا تعلي في يدي وسراويلي في كمي »[5] .

ولا نخال وصفًا اوضح وادهش في تعداد عيوب الاكمام الواسعة من قول

---

١) ارشاد الاريب لياقوت ٥ : ٣٧٨

٢) تاريخ بغداد للخطيب ١٤ : ٤١٤

٣) كتاب المدخل ١ : ١٣١

٤) الاغاني ٩ : ٥٦

٥) كتاب البخلاء ١١٧

ابن الحاج ان الرجل « اذا جمع ركبتيه وهو قاعد او اضطجع ورفع ركبتيه فانه قد تنكشف العورة ايضاً لسعة كمه قال: وهذا بيّن مشاهد مرئيّ .»[1] وانكر على بعض اهل الترف والخيلاء المبالغة ايضاً في تطويلها باضافة ذيل لها من الحرير تزييناً لها كما يفعله بعض اهل العلم قال: « فتجد كمّ احدهم له سجاف من حرير نحو شبر.»[2] ولعلهم قلدوا في ذلك زيّ النساء . واذا اعتبرنا هذا الطول والاتساع المفرطين يتضح لنا ان ابن الحاج لم يبالغ بقوله: «ان كمّ بعض من ينسب الى العلم اليوم فيه اضاعة مال لانه قد يُفصّل من ذلك الكم ثوب لغيره»[3].

وليس لدينا اقلّ وصف لازياء اكمام النساء ولعلها لم تكن تتميز عن اكمام الرجال الا ببعض الزخرفة والتزويق والتطريز وقد انكر عليهن ابن الحاج « توسيع الاكمام التي احدثنها مع قصر الكم فانها اذا وضعت يدها ظهرت اعكانها ونهودها وغير ذلك وهذا من فعل من لا خير فيه من المتبرّجات»[4] وكانت المتظرّفة منهن اذا مشت أسبلت كمها تيهاً واختيالاً. قال ابن الساعاتي في تشبيه غصن البان :

وكأنّ غصن البان في اوراقه هيفاء خاطرة بكمّ مُسبَلِ[5]

وهذه المشية بالكم المُرخى كانت مشية الشطّار من الغلمان، ولذلك قال مروان الصغير في قصيدة له انشدها المتوكل على الله العباسي :

بيضاء خالط وجهها ورد فكيف لنا بشمّه
تمشي كما يمشي الغلام وكمّها مُرخىً ككمّه[6]

ولابي نواس في بعض المُرد من اهل الشطارة :

وكيف اخشاك يا من يصدّ صدّاً ويهجر
تمرّ مُسبلَ كمّ مهدّداً لي بخنجر[7]

١) كتاب المدخل ١ : ١٢١
٢) كتاب المدخل ١ : ١٢٠ – ١٢١
٣) كتاب المدخل ١ : ١٠٨
٤) كتاب المدخل ١ : ٢٠٢
٥) ديوانه ٢ : ١١٠
٦) ديوان ابي نواس، رواية الاصبهاني، خزانة باريس ٤٨٣٠، ص ٢٠١
٧) ديوان ابي نواس، باريس ٤٨٣٠، ص ٢١٩ – ٢٢٠

وللوزير ابي عامر بن شُهيد من شعراء الاندلس في غزله :

هبَّ من مرقده بنكرًا مُسبلًا للكم مرخيَّ الردا[1]

وفي عكس هؤلاء الشطّار كان اللصوص يقصّون من اكمامهم ليكونوا اخفّ يدًا في الطرّ والسرقة . ولما ولي عمر بن هبيرة العراق قال الفرزدق يخاطب الخليفة هشام بن عبد الملك :

أوليتَ العراق وساكنيه فزاريًا احذَّ يد القميص

« ويد القميص هو الكم والسارق يقصر كمه ويخففه ليكون اقدر على العمل »[2] .

ولما ملك المغرب ابو يوسف يعقوب بن عبد المؤمن من الموحّدين «امر ان يتميز اليهود الذين بالمغرب بلباس يختصون به دون غيرهم وذلك ثياب كحليّة واكمام مفرطة السعة تصل الى قريب من اقدامهم وبدلًا من العمائم كأوتات على اشنع صورة كأنها البراديع تبلغ الى تحت آذانهم »[3] .

وغنيّ عن القول ان الاسراف في سعة الاكمام وطولها وثقلها كان يزيد كثيرًا في وزنها وهي فارغة فكيف بها وهي ملأى مفعمة فكانت من ثم بمثابة الحمل للشاة وشغلًا شاغلًا للمصلّين . وربما غفل احدهم عن امساكها فتبدد ما فيها ولذلك عدّ ابن الحاج الخروج بالكم الخارق خروجًا عن السمت والوقار قال : « ولا يخفى على ذي بصيرة حالهم به كيف هو لخروجهم عن زيّ سائر الناس وتكلفهم في حمله ان تركوه مدلّى ثقُل عليهم في مشيهم فتقلّ مروءة احدهم بسببه فلا يقدر على المشي الكثير بسببه ولا يقدر على تعاطي قضاء الحوائج بسببه وان رفع يده به احتاج الى حمله وفي حمله كلفة وان كان يصلي ثقل عليه في صلاته سيما اذا كان ببطانة وتركه مدلّى وان رفع يده به كان حاملًا لثقل في صلاته فهو شغل في الصلاة »[4] .

ومن اغرب ما اتُّخذ الكمّ احيانًا للتهديد والضرب كالسوط نظرًا

١) نفح الطيب للمقري ٢ : ٢٢٣

٢) النهاية في التعريض والكناية للثعالبي ٢٢

٣) المعجب في اخبار المغرب للمراكشي ٢٢٢

٤) كتاب المدخل ١ : ١٠٩ – ١١٠

للينه وطوله وثقله. « ولما مات كثير عزة قال ابو جعفر محمد بن علي: افرجوا لي عن جنازة كثير لارفعها قال فجعلنا ندفع عنها النساء وجعل يضربهن محمد بن علي بكيته. »[1]

ولقرب مُتناوله من اليد كان الكم يستعمل كالمنديل لمسح الدموع وكالنقاب لتغطية الوجه وحجب النظر. ولابي الفرج احمد بن حنبل الهمداني في غلام جلس في اخريات الناس وتنقّب بكمه:

جلستُ في اخريات الناس يا قمري بخلاً عليّ بان ادوى من النظر
فصرت من فُرج الاشخاص تلمح لي كحاجب الشمس ناغى طرة الشجر
لم نقتنع بقناعي زحمةٍ ونوىً حتى نقبت بالاكمام عن بصري[2]

ولصاعد في تشبيه الوردة:

كعذراء اصرها مبصر فغطّت باكمامها رأسها[3]

وفي تعليق على مجموع احاديث شتى من مخطوطات باريس[4]:

لما بدت في ثياب من ملابسها خفيفة النسج لا يعيا بها النظرُ
خافت عيوناً فغطت وجهها خجلاً بكمها وعلاها الدلّ والخفر
فخلتُ اثوابها اللاتي بها استترت غيماً يضيء لنا من دونه القمر[4]

وربما تناول بعض الكتاب كمه لمسح ما نقط من الحبر على صحيفته. « حدّث ابو العيناء قال: كنت عند ابراهيم بن العباس وهو يكتب كتاباً فنقط من القلم نقطة مفسدة فمسحها بكمه. فتعجبت من ذلك فقال: « لا تعجب المال فرع والقلم اصل ومن هذا السواد جاءت هذه الثياب. »[5] وفي ضد هذه الاستهانة الغريبة كانت الاكمام هي التي تُقبَّل عند خدمة الرؤساء في موضع اليد او حبّاً بالاتضاع للقضاة ورجال الدين. قال ابن بطوطة وقد اعطاه سلطان ما وراء النهر فروة سمور كان طلبها منه لاجل البرد: « لما

---

١) الاغاني ٨ : ٤٣
٢) تتمة اليتيمة ١ : ١٥٦
٣) ارشاد الاريب ٤ : ١٠٥
٤) مخطوط رقم ٩٨٦ عُدّ غلطاً في الفهرست بين المخطوطات التركية.
٥) الاغاني ٩ : ٢٠ – ٢١

ذكرتها له اخذ اكمامي وجعل يقبلها بيده تواضعاً منه. »[1] ولعمارة اليمني في جفاء بعض كتاب الدواوين من الاقباط :

وما ضرَّ ارباب الدواوين انهم نصارى وان لم يؤمنوا بمحمد
وهـا نحن ان رمنا سلاماً عليهم دُفعنا عن الاكمام فضلاً عن اليد[2]

ومن هذا القبيل قول الاستاذ ابي الفرج بن هندو لبعض الرؤساء وقد انصبَّت الخمر على كمّه :

انصبَّت الخمر على كمّي ذلك منه كمّه خدمه
لو لم ترد خدمته بالتي قد فعلت ما خصّصت كمه[3]

وكانت بعض اكمام الغلمان تُطرَّز كاكمام النساء زخرفة وتزييناً ولصلاح الدين الصفدي في وصف مليح مطرّز الكم :

ومليح طراز كمّيه اضحى مثل خط العذار في حسن رقم
قال قلت الظباء مثلي وما عاز ظباء الفلا سوى طرز كمي[4]

ومن البديهي ان يحاول اهل الذمة تقليد المسلمين في ازيائهم ومصطلحاتهم وان يتخذوا نظيرهم الاكمام الخارقة والعمائم الهائلة خوفاً ان يتميزوا عنهم ويعرفوا فيهانوا . « وفي سنة ٨٢٢ (١٤١٩م) الزم المحتسب اليهود والنصارى بتضييق الاكمام وتصغير العمائم وبالغ في ذلك . »[5]

ولنذكر الآن بعض ما كان يجعل او يوضع في الكم مختار ما في تعداده فكاهة او فائدة ادبية واول ما كان يصلح الكم لامساك الدراهم قيل : « خرج طاهر بن الحسين لقتال عيسى بن ماهان فخرج وفي كمه دراهم يفرقها على الفقراء ثم سها واسبل كمه فتبدّدت فتطيّر . فقال له شاعر في ذلك :

هذا تفرّق جمعهم لا غيره وذهابه منا ذهاب الهمّ
شيء يكون الهمّ نصف حروفه لا خير في امساكه في الكمّ[6]

---

١) رحلته ١ : ٢٢٨
٢) تكملة شعر عمارة اليمني وترسلاته ، مطبعة شالون ، ٤٤١ :
٣) تتمة اليتيمة ١ : ١٣٨
٤) الحسن الصريح في مثلة مليح دار الكتب المصرية رقم ١٢٠ه ادب ص ٩
٥) الثاني من ابناء الغمر للعسقلاني، باريس ١٦٠٢، ص ٩٣
٦) كتاب الاذكياء لابن الجوزي ١١٢ — ١١٣

وحدّث عمرو بن بانة قال : « كنا في دار ام جعفر جماعة من الشعراء والمغنين فخرجت جارية لها وكمها مملوء دراهم ... فنثرتها في حجر العباس ابن الاحنف »[1].

ولما جلس المتوكل على الله لإعذار ابنه المعتز « احضر الامراء والقواد والندماء فاجلسوا على مراتبهم وجعل بين صوانيهم والبساط فرجة وجاء الفراشون بزبل قد غُشيت بأدم مملوءة دنانير ودراهم نصفين فصبّت في تلك الفُرَج حتى ارتفعت وقام الغلمان فوقها وامروا الناس عن الخليفة بالشرب وان يتنقل كل من شرب ثلث حفنات ما حملت يداه من ذلك المال فكان اذا اثقل الواحد منهم ما اجتمع في كمه اخرجه الى غلمانه فدفعه اليهم وعاد الى مجلسه »[2].

ولابي الحسين الجزار في وصف حاله :

ولا تغرنك منه جوخة فصّلها وهو عليها نادم
كم اعجبته نفسه فيها الى ان نقدت من كمه الدراهم[3]

وفي الاكمام كان يحمل العلماء والادباء والكتّاب والطلّاب الكتب والالواح للدرس والتقييد . ومن اغرب ما روي عن ابي دواد صاحب السنن انه كان له كم واسع وكم ضيق فقيل له في ذلك فقال : « الواسع للكتب والآخر لا يحتاج اليه . »[4] وكان الفتح بن خاقان يحضر لمجالسة المتوكل فاذا اراد القيام لحاجة اخرج كتاباً من كمه او خفه وقرأه من في مجلس المتوكل الى ان يعود من الخلاء[5].

ولجلال الدين ابن خطيب داريا من ابيات :

بُعداً لبُقّاري وفرجيّتي ومشيقي كالخائف المُبلس
وكمّي المدول مما به من كتب محفوظها قد نسي[6]

---

١) الاغاني ٨ : ٣٣ – ٣٤
٢) الديارات للشابشتي ٦٥
٣) المغرب لابن سعيد ١٢٦
٤) الخامس عشر من الوافي بالوفيات للصفدي، باريس ٢٠٦٥، ص ٤٦ ؛ وتاريخ بغداد للخطيب ٩ : ٥٨
٥) تحفة ذوي الالباب للصفدي ، باريس ٥٨٢٧، ص ٨٣
٦) روض الاداب للشهاب الحجازي ، خزانة بريتش موزيوم Add. 19489, f° 35

ولما دخل الشافعي العراق في خلافة هرون الرشيد قال: «فعند دخولي الباب تعلق بي غلام فلاطفني وقال ما اسمك فقلت محمد قال ابن من قلت ابن ادريس الشافعي فقال مطّلبي ؟ فقلت اجل فكتب ذلك في لوح كان في كمه وخلّى سبيلي»[1].

وفي الكم او الخفّ كانت تجمع ايضاً رقاع اصحاب الحوائج والمتظلمين وترفع الى الوزراء. حدّث علي بن الجنيد قال : كانت بيني وبين يحيى بن خالد مودة وأنس وكنت اعرض عليه الرقاع في الحوائج فكثرت رقاع الناس عندي واتصل شغله فقصدته يوماً وقلت له يا سيدي قد كثرت الرقاع وامتلا خفي وكمي فاما تطولتَ بالنظر فيها واما رددتُها»[2].

ولما جُليت بوران على المأمون نثر عليها حبًّا كبارًا كان في كمه (من الدرّ) فوقع على حصير ذهب كان تحته فقال لله درّ الحسن بن هاني حيث يقول :

كأنّ صغرى وكبرى من فواقعها حصباء درٍّ على ارض من الذهب[3]

وفي ضدّ ذلك كان المبخّرون في فتح الخليج بحجر يضعون الفحم في الاكمام للتبخير ذكر المقريزي ان «عدة المبخرين في المواكب ستة ثلاثة عن اليمين وثلاثة عن الشمال وكل منهم مشدود الوسط وفي كمه فحم برسم تعجيل المدخنة والمداخن فضة.»[4]

ومن المُلح الجديرة بالحفظ انه في سنة ٤٢١ (١٠٣٠م) «جرى بين معز الدولة ثمال وبين زوجته كلام فغضبت عليه وخرجت الى المحلة بظاهر حلب فامر ثمال ان يصاغ لها لالكة[5] من ذهب مرصعة بالجواهر فلما استوت اخذها في كمه وخرج»[6].

١) ثمرات الاوراق لابن حجة ١٧٢

٢) كتاب الوزراء والكتاب للجهشياري ٢٢٨

٣) الديارات للشابشتي ٦٧ – ٦٨

٤) الخطط ٢ : ٢٧٣ – ٢٧٤

٥) اللالكة لفظة فارسية يراد بها نوع من الاحذية ولم ترد في المعجمات وتجمع على لوالك وجاءت «لكالك» غلطاً في البيتين المقولين في ابن المرحّل المعروف بابن الوكيل وتشبيه بسوق اللبادين بدمشق :

وداد ابن الوكيل له شبيه بلبادين جلق في المسالك
فاوله حليٌّ ثم طيب وآخره زجاج مع لكالك

(فوات الوفيات للكتبي ٢ : ٢١٧).

٦) زبدة الحلب لابن العديم، باريس ١٩٦٦، ص ٦٢

وكان المشعوذون يعولون كثيراً على اكمامهم لستر حيلهم وتمويه مخارقهم « ذكر هلال بن المحسن ان رجلاً كان يقال له ابو العجب لم يُرَ مثله في ما كان يعمل من الشعبذة دخل يوما الى دار المقتدر بالله فرأى خادماً من خواصه يبكي على بلبل مات له فقال له : ما عليك ايها الاستاذ اذا احييتُه ؟ فقال ما تريد فاخذ البلبل الميت فادخله كمه وادخل رأسه واخرج بعد ساعة بلبلاً حياً فاجت الدار وعجب الحاضرون فاستدعاه علي بن عيسى (الوزير) وقال: والله ان لم تصدقني عن حقيقة الامر لاضربنَّ عنقك فقال: اني شاهدت الخادم يبكي على بلبله فطمعت بما آخذه منه فمضيت الى السوق وابتعت بلبلاً وخبأته في كمي وعدت الى الخادم فقلت ما قلت واخذت البلبل الميت وادخلت رأسه في كمي واكلته واخرجت الحي فلم يشك انهُ بلبله وهذا رأس الميت»[1].

ومن عوائدهم خاصة بمصر اذا حضروا الولائم والاسمطة في المواسم ان يحشوا في اكمامهم كل ما ينتهب من المأكولات بين جامد وسائل ورطب وجافّ من فضلات السماط وقد وصف المقريزي سماط العيد فقال: « وقُدمت جفان القطائف على الرسم مع الحلوى فجروا على عادتهم وملأوا اكمامهم »[2] ولما ذكر ركوب الخليفة في اول شهر رمضان قال : « وأحضرت جفان القطائف وجرار الجلّاب فاكلوا وملأوا اكمامهم . »[3]

ومن اغرب ما عيب حمله في الكم المفتاح « قال ابو نصر بن المرزبان: اربع تذهب بالمروّة . . . حمل المفتاح في الكم »[4]. وقد خفي علينا سبب هذا العيب.

واكثر ما كانت تتخذ اكمام النساء في الخلافة العباسية لحفظ الدراهم والطيب والريحان والزهر. وفي الاغاني : « كانت مُتيّم يعجبها البنفسج جداً فكان عندها آثر من كل ريحان وطيب حتى انها من شدة اعجابها لا يكاد يخلو من كمها الريحان ولا نراه الا كما قُطف في البستان . »[5]

وقد فاتنا كثير من اخبار الاكمام واوصافها في العراق من ازياء النساء بخلاف

---

١) كتاب الاذكياء لابن الجوزي ١٠٦

٢و٣) الخطط ٢ : ٢٢٤ – ٢٢٥ و٢٨٧

٤) برد الاكباد في الاعداد للثعالبي ، دار الكتب المصرية ، رقم ٣١٧ ادب

٥) الاغاني ٧ : ٢٦ – ٢٧

ازيائهن في مصر والشام أشير اليها غير مرة في تضاعيف المجموعات الادبية والمصنفات التاريخية ولكن شرحها يقتضي مقالة خاصة تتناول كل ملابسهن وضروب زينتهن وتبرجهن، وفيها كل غريب وعجيب . فحسبنا هنا ان لا نتجاوز التنبيه على سعة اكمامهن وطولها وقد افرطن فيها احياناً غاية الافراط حتى اضطر النواب والامراء الى منعها بالقوة والعنف . وكن يقلدن فيها غالباً الخوندات اي نساء الملوك والسلاطين وجواريهن . وفي سنة ٧٥٠ (١٣٤٩ م) احدث الخواتين نساء السلطان « قصاناً طوالاً تسحب اذيالها على الارض باكمام سعة الكم منها ثلاثة اذرع فاذا ارخته غطى رجلها . . . وتشبه نساء القاهرة بهن في ذلك حتى لم تبق امرأة الا وقميصها كذلك فقام الوزير بابطالها وطلب والي القاهرة ورسم له بقطع اكمام النساء واخذ ما عليهن . . . وبعث اعوانه الى بيوت ارباب الملهى فهجموا عليهن واخذوا ما عندهن من ذلك وكبس مناشر الغسالين ودكاكين البابية واخذ ما فيها من قصان النساء وقطعها ووكل بمالكه بالشوارع والطرقات فقطعوا اكمام النساء . . . »[1]

« وفي سنة ٧٧٠ (١٣٦٨ م) نودي بدمشق ان لا تلبس النساء الاكمام الطوال العراض ولا البز الحرير ولا سائر الثياب الثمينة ولا الاقبية القصار عن كتاب ورد بذلك من مصر »[2] .

« وفي سنة ٧٩٣ (١٣٩١ م) نودي بالقاهرة ان لا تلبس امرأة قميصاً واسعاً ولا يزيد على تفصيل القميص من اربعة عشر ذراعاً وكان النساء بالغن في سعة القصان حتى كان يفصل القميص الواحد من اثنين وتسعين ذراعاً من البندقي الذي عرضه ثلاثة اذرع ونصف فتكون مساحة القميص زيادة على ثلاثمائة وعشرين ذراعاً وفحش هذا حتى تشبه عوام النساء في اللبس بنساء الملوك والاعيان . »[3] « وفي ثاني ذي القعدة ارسل الامير كشبغا جماعة من المماليك والوشاقية فداروا الاسواق والقياسير والطرقات بالقاهرة وظواهرها فقطعوا اكمام النساء الواسعة بالسكاكين وحصل للنساء خوف عظيم لانهم كانوا

١) السلوك للمقريزي المجلد الاول، باريس ١٧٣٦ ، ص ٦٠١ – ٦٠٢

٢) ذيل ابن قاضي شهبة، باريس ١٥٩٨ ، ص ١٢٥

٣) السلوك المجلد الثاني ١٧٢٧ ، ص ٢٢٢

يأتون المرأة على غفلة ويمسكونها حتى يقطعوا كمها فامتنع النساء من لبس القمصان بالاكمام الواسعة وتفصيلها ولو تم ذلك لكان خيراً عظيماً ولكن عاد النساء الى ذلك بعد حضور السلطان من الشام »[1].

ومن هذه المقتطفات يستدلّ على ما لتاريخ ازياء النساء من الجدّة والطرافة والغرابة. ومن سوء حظ الادب والفنون ان لا يكون احد من المتقدمين تفطّن لما في كتابته وجمعه من الخطر والشأن والامتاع في تاريخ الحضارة الاسلامية في العراق ومصر والشام.

ويؤخذ من اقوال بعض الباحثين ان الاكمام الطويلة الواسعة كانت معروفة في الشرق وفي مملكة اشور وبابل ، ثم شاعت عند الروم البيزنطيين فكان القياصرة يلبسونها مُسبَلة تتدلّى الى الاقدام وكذلك نساؤهم كما تشهد بذلك بعض الصور المحفوظة وآخر من رُئي منهم مصوراً بهذا الزي الكسيوس الثالث قيصر طرابزندة (١٣٥٠ - ١٣٩٠ م) وكان لبعض رجال الدولة والاراخنة حق بلبس هذه الاكمام على شرط ان تبقى مرفوعة منوطة بالزنار في الظهر[2]. ونُقل عن اهل الصين انه كان من هيئاتهم في اللباس توسيع الاكمام وتطويل الذيول والمناطق[3].

ولا سبيل لنا اليوم لمعرفة الزمن الذي بطلت به الاكمام الواسعة العريضة التي كانت كالجوالق والاكياس وقام مقامها في الحب والستر الجيوب المعروفة اليوم التي تُشقّ في الاقبية والملابس. وقد اغفلت المعجمات التنبيه على المعنى المولّد من الجيب واقتصرت على معناه القديم اي الطوق المحيط بالعنق ويقال له ايضاً الجرّبان ويظهر ان اللفظة بمعناها المُحدَث كانت معروفة في زمن العباسيين ، وان لم يشر اليها احد من اللغويين والمنشئين ويدل على ذلك قول علية اخت الرشيد.

خبأتُ في شعري اسم الذي اردته كالمسك في الجيب[4]

ولبديع الزمان الهمذاني في احدى رسائله : « قليل في الجيب خير من كثير في الغيب »[5].

١) ذيل ابن قاضي شهبة، باريس ١٥٩٩، ص ٦٩

٢) J. Ebersolt, *Les Art somptuaires de Byzance*. Paris, 1923, p.122-124

٣) مباهج الفكر ومناهج العبر للوطواط ، دار الكتب المصرية رقم ٣٥٩ العلوم الطبيعية ، ج ٢ ص ٢٨٦

٤) الاغاني ٩ : ٨٥

٥) رسائله، طبعة الاستانة، ٤٣

لمة الحضارة

الفتوّة والفتيان والفتيانيّة

للفتوّة في الحضارة الاسلامية معانٍ متباينة ترجع الى طبيعة الفتاء اي الشباب، وما قد يصحبها من حسن الخلق وبذل المعروف[1]، والخوية والكرم[2]؛ او ما يغلب عليها من حب اللهو والقصف ومعاقرة الشراب والانقياد الى الشهوات، كما سيجيء. ولم نجد من اشار الى كلّ منها في كتب اللغة. واقتصرت مجلة لغة العرب في بغداد (٤/١٩٣٠، ص ٢٤١ - ٢٤٩) على شرح «طريقة الفتوّة» وسياقة اخبارها منذ شهرها الخليفة العباسي الناصر لدين الله في بدء القرن السابع للهجرة اي سنة ٦٠٧/١٢١٠، وجعل شعارها «شرب الكاس ولباس السراويل»، ودعا اليها من احب تشريفه من الملوك والامراء والرؤساء في زمانه. وفي زعمها ان لفظ الفتوة في معناها المذهبي مأخوذ من القول المشهور «لا فتى الا علي». وقد انكر ابن تيميّة هذه الطريقة المحدثة ووضع فيها رسالة دعاها «الكلام على بطلان الفتوة المصطلحة بين العوام وليس لها اصل متصل بعلي»[3]. ولم يشر احد الى الزمن الذي بدأت فيه هذه البدعة ولا اين نشأت قبلاً افي العراق ام مصر. وقد تقدمت خلافة الناصر بما قد يزيد على قرنين وربما اتخذت احياناً وسيلة او ستاراً للدعوة للفاطميين، وهو ما يُتحصّل من قول ابن الجوزي:

«سنة ٤٧٣ (١٠٨٠م) في ذي الحجة قُبض على انسان يعرف بابن الرسولي الخبّاز وعلى عبد القادر الهاشمي البزّاز وجماعة انتسبوا الى الفتوّة. وكان هذا

١) سُئل محمد ابو بكر البيهقي النيسابوري عن الفتوّة فقال: هي حسن الخلق وبذل المعروف (خزانة أكسفرد Hunt. 198 f° 209)

٢) اساس البلاغة للزمخشري، طبعة الدار، ٢: ١٨٤

٣) فوات الوفيات لابن شاكر الكتبي ٢: ٥٧

ابن الرسولي قد صنف في معنى الفتوة وفضائلها وقانونها وجعل عبد القادر المتقدم على من يدخل في الفتوة وان يكونوا تلامذته . وكتب لكل منهم منشوراً وقلده صقماً ولقب نفسه « كاتب الفتيان » وجعل ذلك طريقاً الى دعوات ومجتمعات تعود لمصلحته وكتب الى خادم لصاحب مصر بمدينة النبي يعرف بخالصة الملك ريحان الاسكندراني قد درّب نفسه لرئاسة الفتيان وصارت المكاتبات من جميع البلدان صادرة منه واليه والتعويل في هذا الفن وقف عليه.

« وعنّ لابن الرسولي ان جعل اجتماعهم بمسجد براثا وكان مسدود الباب مهجوراً ففتح بابه ونصب عليه باباً ورتّب فيه من يراعيه. فعرف ذلك اصحاب عبد الصمد[1] . فانكروه وشكوه الى الديوان وعظموا ما يكون منه وما يتفرع عنه وقالوا : ان هؤلاء القوم يدعون لصاحب مصر ويجعلون ذكر الفتوة عنواناً لجمع الكلمة على هذا الباطن . فطالع الوزير عميد الدولة بالحال فتقدم حينئذٍ بالقبض على ابن الرسولي وعبد القادر والكشف عن الحال . ووُجد لابن الرسولي في هذا المعنى كتب كثيرة وكتاب منه الى الخادم المتقدم ذكره فاستخلاه الوزير عميد الدولة وسأله عن الداخلين في هذا الجهل وطُلبوا فقُبض على من وجد منهم وهرب الباقون . وجعل الشحنة والوالي ذلك دليلاً الى الشنقصة[2] وقطع المصانعات عليهم . ونُهبت دورهم ثم أُخذت فتاوى الفقهاء عليهم بوجوب كفهم عن هذا الفساد. »[3]

وقلّ جداً من اشار الى هذا المعنى من الفتوة قبل القرن الخامس . ومن

---

١) ذكر ابن الجوزي « اصحاب عبد الصمد » فقال : « هم اصحاب المساجد » (المنتظم ٨ : ٢٥١ ، طبعة حيدراباد) ونقل من اخبارهم سنة ٥٠٤ ما يأتي : « في شهر رمضان تجدد للعوام المتدينين المتسمين باصحاب عبد الصمد الزام اهل الذمة بلبس الغيار » (٨ : ١٩٠) ويستدلّ من ذلك انهم كانوا فئة من العامة المتحمسين في الدين اجتمعوا على الامر بالمعروف كما كان يقال ، والنهي عن المنكر ، واحياء السنة واقامة رسوم الشرع ولم نقف على شيء من ترجمة زعيمهم عبد الصمد الذي انتسبوا اليه .

٢) الشنقصة لفظة مولدة مصدر شنقص الرجل الخبر اي استقصاه ، عرفت بها طائفة من الجند يقال لهم الشانقصة الواحد شنقاصي ، ويراد بها تتبع الاخبار والتسلط على الناس ومصادرتهم .

٣) المنتظم ٨ : ٣٢٧

تتبع كتب الاخبار والادب يجد ان المراد من الفتوة في اللغة واقوال الكتاب والشعراء كان بضدّ ذلك مرادفاً لمعنى الصبوة ، اي جهل الشباب من اتباع الاهواء والانصباب على اللذات ومعاقرة الشراب واستماع الغناء والميل الى الغزل والتحدث الى النساء . ولا بأس ان نتوسع قليلًا في ايراد الشواهد الدالة على هذا المعنى . واول ما نذكر منها قول الاعشى في احدى الروايتين :

وكأس شربت على لذّة وأخرى نداويت منها بها
لكي يعلم الناس اني امرؤ اتيت الفتوّة من بابها[1]

فجعل شرب الخمر باب الفتوّة .

وللجاحظ في كتابه طبقات المغنين : « وجدنا لكل دهر دولة للمغنين يحملون الغناء عنهم ويطارحون به فتيان زمانهم وجواري عصرهم وخُصصنا في ايامنا وزماننا بفتية اشراف وخلّان نظاف انتظم لهم من آلات الفتوّة واسباب المروءة ما كان محجوباً عن غيرهم . »[2]

ومن كلامه ايضاً : « نزع الى الفتوة بعد التوبة والى اخلاق الحداثة بعد الحنكة . »[3] ومن لم يشرب على الريق فهو « نَكِس في الفتوة »[4] وعدّ المبرّد الغناء من آلات الفتوّة في كلامه على خليلان الاموي فقال : « كان يتغنى ويرى ذاك زائداً في الفتوة . »[5]

ولما اشار المسعودي الى خلافة الوليد بن يزيد قال : « كان الوليد صاحب شراب وفتوّة ومجون »[6] فقرن الفتوة بالهزل والاستهتار .

وفي كتاب الاغاني : « كان العرجي صاحب غزل وفتوّة . »[7] وفي وصف دقاق المغنية « كانت مشهورة بالظرف والمجون والفتوة . »[8] وفي الكلام على

١) غاية الارب للنويري ٤ : ٢٠٥ وشرح المقامات للشريشي ١ : ٢٠٩
٢) طبقات المغنين بهامش الكامل للمبرد ١ : ١٢٤-١٢٥
٣) مختارات فصول الجاحظ ، خزانة بريتش موزيوم Or. 3138, f° 51
٤) كتاب البخلاء ، طبعة مصر ، ٨٣
٥) الكامل للمبرد ٢ : ٢٢
٦) مروج الذهب ، بهامش نفح الطيب ، ٢ : ٢٦١
٧) الاغاني ، طبعة بولاق ، ١ : ١٥٤
٨) الاغاني ١١ : ٤٨

عمرو الغزال : « كان ظريفاً اديباً نظيف الوجه واللباس معه كل ما يحتاج اليه من آلة الفتوّة. »[1] وفيه ايضاً : « قال رجل من اهل المدينة : ما ذُكر بيت حسّان بن ثابت :

أهرى حديث الندمان في فاق الصبح وصوت السامر الفرد

الّا عدت في الفتوّة كما كنت . »[2]

ولابي اسحق ابرهيم المعروف بالرقيق النديم في كلامه على والبة بن الحباب: «لو قلت انه سنّ الفتوّة وشرع المنادمة لقلت حقًّا . . . وكان لوالبة اخوان مثله في الفتوّة والظرف وادمان القصف . . . اما عبد الصمد بن المعذّل فسلك طريقة ابي نواس والحسين بن الضحاك فتوةً وظرفاً وإدماناً وشعرًا».[3] وجاء في ترجمة اسحق بن خلف المعروف بابن الطيب «كان رجلًا شأنه الفتوّة ومعاشرة الشطّار والتصيّد بالكلاب وايثار اصحاب الطنابير . . . ولم يزل على رسم الفتوّة وضرب الطنبور الى ان توفي في حدود الثلاثين ومائتين»[4]

وكانت بعض الحانات وبيوت الخمّارين معروفة بتردد اصحاب الفتوّة اليها مشهورة باجتماعهم فيها ولذلك قال القلقشندي في تعريفه ما كان كاتب الانشاء الشريف يحتاج اليه « ربما احتاج الى معرفة مصطلح الفتيان فيما يكتب به في دسكرة فتوّة ونحو ذلك »[5].

وهذه الشواهد صريحة في النصّ على معنى الفتوّة قديماً ، وانه كان يُراد بها رسم الشبان الازوال في الطيش والتلذّذ بطيّبات العيش ومنها يتضح ايضاً معنى « الفتيان » الصحيح في قول كتاب الاغاني في اخبار المغني الحيري حنين بن بلوع « كان حنين اذا حمل الرياحين الى بيوت الفتيان ومياسير اهل الكوفة واصحاب القيان والمتطرّبين . . . استحلّوه ». وقول حنين : « خرجت الى حمص فسألت عن

١) الاغاني ، طبعة بولاق ، ٢ : ٦٤

٢) الاغاني ، طبعة بولاق ، ١٦ : ١٨

٣) قطب السرور في وصف الخمور بريتش موزيوم Or. 3628, f° 46 b, 73 b

٤) فوات الوفيات للكتبي ١ : ١٢

٥) صبح الاعشى ١ : ١٤٦

الفتيان وابن يجتمعون فقيل لي: عليك بالحمامات فانهم يجتمعون بها اذا اصبحوا »[1] وما ندري كيف التبس مدلول هذه اللفظة على من فسّرها في مجلة لغة العرب او علّق عليها حاشية الاغاني في طبعة الدار حتى ظنّ كلاهما ان الفتيان هنا « طائفة يدينون بالفتوّة وخصال الرجولة وهم اشدّ الناس احتفالاً بالغرباء واسرع الى اطعام الطعام »[2] وان الفتوّة وهي « استجماع النعوت الكريمة والاخلاق القويمة والطباع السليمة كانت في زمن الامويين ».[3] فهل لم يكن يجد الفتيان وقتئذٍ لممارسة الاخلاق القويمة وخصال الرجولة الا الحمامات وبيوت اصحاب القيان والمتطربين ؟ وكيف التوى المعنى المراد مع دلالة القرينة عليه من ذكر اللهو والطرب والاستحمام ؟ ومع ذلك فلئلا تبقى شبهة في صحة الوجه اللغوي ننقل هنا بعض الشواهد ايضاً على معنى « الفتيان » قديماً قبل ان يُطلق على امثال « البنويّة والاخيّة » الذين ورد وصفهم في رحلة ابن جبير (طبعة ليدن ٢٨٠) وابن بطوطة (طبعة باريس ٢: ٢٦٠ — ٢٦٥) او يتناول احياناً معنى اللصوص كما ورد في ترجمة الفارابي في تاريخ الحكماء للبيهقي (طبعة دمشق ، ص ٣٣).

قال أوس بن حجر الأسدي يرثي فضالة بن كلدة:

ليبكِك الشرب والمدامة والفتيان طرًّا وطامع طمعا (٤

وقال محمد بن ادريس بن سليمان بن ابي حفصة : « قبر الاعشى بمنفوحة وانا رأيته فاذا اراد الفتيان ان يشربوا خرجوا الى قبره فشربوا عنده وصبّوا عنده فضلات الاقداح »[4].

وللحسن بن هانئ :

اذا كان يومي ليس يوم مدامة ولا يوم فتيان فما هو من عمري(٥

وله ايضاً :

يارب مجلس فتيان لهوت به والليل مستلئم في ثوب ظلماء(٦

١) الاغاني ، طبعة الدار ، ٢ : ٢٤٦

٢) الاغاني ، طبعة الدار ، ٢ : ٢٤٦ ، حاشية ٤

٣) لغة العرب ٤/١٩٣٠ ، ص ٢٤١ و٢٤٢

٤) الاغاني ٨ : ٨٦

٥) قطب السرور المذكور آنفاً ، ص ١٦٨

٦) اخبار ابي نواس لابن منظور ، ٢٢٩

ومن ابيات شواهد النحو :

وفتيانٍ على شرف جميعاً دلفت لهم بباطية هدور
فلا تشرب بلا لهوٍ لاني رأيت الخيل تشرب بالصفير(١)

ومن العقد الفريد لابن عبد ربه :

« قال عبدالله بن صفوان لعبدالله بن جعفر بن ابي طالب : ابا جعفر لقد صرت حجة لفتياننا علينا اذا نهيناهم عن الملاهي »(٢).

« كانت البغايا في الجاهلية لهنّ رايات يعرفن بها وينتحيها الفتيان »(٣).

« قال الاوقص المخزومي : قالت لي امي : اي بني انك خلقت في صورة لا تصلح معها لمجالسة الفتيان في بيوت القيان »(٤).

« قيل للحسن بن هانئ : ما السرور ؟ قال : مجالسة الفتيان في بيوت القيان ومنادمة الاخوان على قضب الريحان »(٥).

وغنيّ عن القول ان المراد بالفتيان في كل هذه الشواهد معناها اللغوي المشهور لا معناها المذهبي المحدَث، اي الشبان والغلمان الذين لا ارب لهم الا في الاستمتاع بالحياة وطيبها وتتبع اللذات من الشرب والغناء والغزل والتحدث الى النساء . ولذلك قيل « فتياني » لكل من نهج منهجهم من الرجال والكهول . قال الجاحظ : « ادركت رواة المسجديين والمربديين . . . ما يروي عندهم نسيب الاعراب الا حدث السن قد ابتدأ في طلب الشعر او فتياني متغزل »(٦).

ومن كانت هذه سبيله في التلذذ والتنعم والتقرب والتحبب كان في الغالب ارق اخلاقاً واطيب حديثاً ومذاقاً واشهر كياسة ولطفاً ولذلك نُسب الظرف الى الفتيان والفتاء الى الظرفاء فقيل « فتيانية الظرفاء » ومُدح بها المبرّد في قصيدة لاحمد بن عبد السلام قال فيها :

---

١) العقد الفريد ٣ : ١٩٩
٢) « « ٢ : ١٢٥
٣) « « ٣ : ٢
٤) « « ٣ : ١٩٣
٥) « « ٣ : ٢٢٦
٦) البيان والتبيين ، (طبعة سنة ١٣١١) ، ٢ : ١٦٤

جليس خلائف وغذيّ ملك واعلم من رأيت بكل أمر
وفتيانية الظرفاء فيه وأبّهة الكبير بغير كبر(١)

بقي من معاني الفتوّة ما حكاه ابو اسحق ابرهيم المعروف بالرقيق النديم قال: « دعا محمد بن عبدالله بن طاهر رجل من اصحابه دعوة احتفل فيها فلما حضر محمد طالبه بالطعام فطله ليتلاحق ويتكامل على ما احبه من الكثرة والاحتفال حتى تصرّم اكثر النهار ومسّ محمداً الجوع وتنغّص عليه يومه فشرب عنده اقداحاً وانصرف . . . »

(وسافر بعد ذلك محمد بن طاهر) «فشيّعه هذا الرجل فلما دنا منه ليودّعه قال له : ايأمر الامير بشيء ؟ قال: نعم اجعل طريقك في عودتك على محمد بن الحارث بن بسخنر فسلهُ ان يعلمك الفتوّة . فمضى حتى دخل على محمد بغتة وقال: بعثني الامير اليك لتعلمني الفتوّة . فضحك وقال : ياغلام هات ما حضر . فجيء بطبق كبير عليه ثلاثة ارغفة من انقاء الخبز وثلاث سكرجات سُري وخلّ وملح من اجود ما يتخذ من هذه الاصناف فابتدأ يأكل فجاءته فضلة باردة من مطبخه وتداركها الطبّاخ بطباهجة ثم وافاه من منزل حرمه فضلة اخرى واهدى اليه بعض غلمانه جام حلواء فانتظم له امر خفيف ظريف في زمان يسير بغير احتشام ولا انتظار الى ان ادرك الطعام واخذ في الشراب فقال له: اذا دعوت احداً من اخوانك فليكن هكذا عملك ولا تنتظر استكمال الطعام »(٢).

١) ارشاد الاريب لياقوت ٧ : ١٢٩
٢) قطب السرور Or. 3628, f° 30 b

اهميّة ومُهِمّ وصنيع

الاهميّة لفظة محدثة وردت في كتابات المتأخرين في القرنين الماضيين . ولعلها اول ما اتخذت في تعريب الكلمة الفرنسية importance . وكان يقال قديماً في معناها امر « ذو بال » اي يُبالى به ويُهتمّ به لقدره وعظمه ، وامر « ذو شأن » وهو كل ما جلّ وعظم من الامور والاحوال . قال عبد الملك بن عبد الحميد من ابيات في الهجاء :

الماء في دار عثمان لـه ثمن والخبز فيها له شان من الشان (١

ومن هذا الباب ايضاً قولهم امر ورجل « ذو خطر » اي له قدر ورفعة . قال قابوس بن وشمكير :

قل للذي بصروف الدهر عيّرنا هل عاند الدهر الا من له خطرُ (٢

وهو اخفّ وارشق من لفظ « الخطورة » التي ولع بهـا الكتّاب اليوم ، وهي لم ترد في كتابات احد من فحول المنشئين المتقدمين . والخطورة مصدر خطر الرجل صار خطيراً فلفظ « الخطر » اقعد في مكانها وادلّ على الاهمية ، واذا استعمل في معناها تعذّر جدًّا ان يلتبس بمعنـاه الآخر اي الخوف من العطب والاشراف على الهلاك .

وقد تحامى الكتّاب منذ سنوات استعمال لفظ « الاهمية » بعد شيوعهـا ورواجها ، وخفي علينا سبب اطّراحها هل هو لشك في توجيهها اللغوي ام لانكار نسبتها والحاق ياء المصدرية بها . ولا يبعد ان يكون اول جانٍ عليها المجمع العربي بدمشق ، حين عنّ له ان يستدرك على كتاب تذكرة الكاتب قولـه (التنبيه على اهم الغلطات) وعلّق عليه « ان اهمّ افعل تفضيل من فعل هته الامر اذا اقلقه واحزنه » (المجلة ، ١٩٢٤ ، ص ٢٦٠) ومثل هذا الانتقاد بلفظه وصورته تغرير للقراء وتضليل للآراء لان صفة اهم بمعناها المجازي كانت

١) وفيات الاعيان ٢ : ٤٦٠

٢) ارشاد الاريب لياقوت ٦ : ١٤٨

ذائعة متداولة منذ صدر الاسلام. قال الشابشتي: «كتب المأمون كتاباً بخطه الى عبد الله بن طاهر يُقسم عليه ان يحوّل مضربه من وجه بابك الى وجه خراسان فان خراسان اهم من المملكة كلها بعد الحضرة. فمضى لوجهه الى خراسان حتى وافى نيسابور وكتب الى المأمون: «اني وافيت نيسابور فوجدت حولها عشّ المارقة ووجدتها اهمّ الكُوَر والمهمّ ابدًا ابدى واولى» قال: فأعجب المأمون من الكتاب بهذه اللفظة ولم يزل الكتاب يتذاكرونها بينهم[1]». «قال ابو علي محمد بن العلاء الشجري: «لما تقلد عبيد الله بن سليمان الوزارة للمعتضد رفع عبيد الله بن عبد الله بن طاهر اليّ رقعة سألني عرضها على عبيد الله بن سليمان فكان فيها:

الى دهرنا اسافنا في نفوسنا واسعفنا في من نُجلّ ونُعظمُ
فقلت له نُماك فيهم أنسّها ودعْ امرنا ان المهمّ المقدّمُ[2]

وفي كتاب الوزراء والكتّاب للجهشياري «كان ابو العباس الطوسي يتعقّد في ختم الكتب فشكا يحيى بن خالد الى الرشيد تأخر الكتب فامره ان يكاتب العمال عن نفسه وامر كاتبه ان يكتب عنه في المهمّ» (ص ٢١٣.

والشواهد على هذا الاستعمال اكثر من ان تعدّ فحسبنا ما تقدم منها.

واما الحاق ياء المصدرية بافعل التفضيل فقديم ربما سبق الاسلام سمع منهم في النسبة الى اول كما في البيت:

قضى هرم يوم المريرة بينهم قضاء امرئ بالاوليّة عالم[3]

وللفرزدق في مدح زين العابدين:

ايّ الخلائق ليست في رقابهم لأوليّة هذا او له نعم...
من يعرف الله يعرف اوليّة ذا فالدين من بيت هذا نالهُ الامم[4]

ومثلها في كتب اللغة: الالهية والاريحية. وفي اصطلاح المتأخرين: الافضلية، والارجحية، والاغلبية، والاكثرية، والاقلية، وما اشبه فلا لوم ولا تثريب على من استعمل الاهمية اليوم.

١) كتاب الديارات: برلين، ٥٨ – ٥٩
٢) الديارات، ٤٨
٣) البيان والتبيين للجاحظ، المطبعة العلمية، ٤٧
٤) الاغاني، طبعة بولاق، ١٤: ٧٨

وللمُهِمّ في الدول المصرية معنى مُحدَث وهو اطلاق الكلمة على كل ما احتُفِل به من دعوة ووليمة واجتماع في الافراح والاحزان والمواكب والاعياد والاعمال السلطانية نذكر منها الشواهد الآتية بحسب تواريخها :

« في العشر من ذي الحجة سنة ٦٩٢ كان طهور السلطان الملك الناصر . . . وكان ذلك آخر فرح ومهمّ عمله الملك الاشرف »[1] .

« سنة ٧١٣ ندب السلطان الامير بدر الدين بن التركماني لعمل جسور الجيزة وقناطرها واستدعى المهندسين . . . وخرج العسكر جميعه والامراء بضافيهم للعمل في ذلك فكان مهماً عظيماً »[2] .

« سنة ٧١٦ مرضت زوجة الامير طغاي فعادها السلطان مراراً فلما ماتت نزل الامراء كلهم للصلاة عليها وعمل كريم الدين لها مهماً عظيماً »[3] .

« سنة ٧١٩ الملك المؤيد صاحب حماة . . . اركبه الملك الناصر في القاهرة بشعار الملك وآبهة السلطنة ومشى الامراء والناس في خدمته . . . وقام له القاضي كريم الدين لكل ما يحتاج اليه في ذلك المهمّ »[4] .

« سنة ٧٢١ ولد للسلطان من خوند طغاي ولد سماه انوك . . . فعمل السلطان عند ولادتها مهماً عظيماً للغاية »[5] .

« سنة ٧٣٢ كتب الى الامير تنكز نائب الشام ان يحضر ومعه نائب حماة لحضور مهمّ الامير انوك على بنت الامير بكتمر الساقي »[6] .

« سنة ٧٥٥ خرج السلطان الى ناحية سرياقوس على العادة ومعه والدته وحريمه وجميع الامراء . . . وعمل لخوند قطلوملك امه مهماً طبخ فيه الطعام بنفسه وكان مهمّ يخرج عن الحد في كثرة المصروف »[7] .

وهلم جرّاً وكان يقال قديماً في هذا المعنى « الصنيع » ورد في كلام الفصحاء

١) تاريخ حوادث الدهر وابنائه للجزري ، باريس ٦٧٣٩ ، ص ١٧٦
٢) السلوك للمقريزي ، خزانة الفاتيكان ٧٥٩ ، ص ٤٢
٣) الكتاب المذكور ، ص ٥٠
٤) فوات الوفيات للكتبي ١ : ٢٠
٥) السلوك للمقريزي ، خزانة الفاتيكان ٧٥٩ ، ص ٦١
٦) الكتاب المذكور ، خزانة الفاتيكان ٧٥٩ ، ص ٩١
٧) السلوك ، خزانة باريس ١٧٢٧ ، ص ١٨

من الكتاب والشعراء وهذه بعض الشواهد على استعماله نبدأ منها بقول ابي الفرج الاصبهاني :

« كان بعض ولاة الكوفة يذمّ الحيرة في ايام بني امية فقال له رجل من اهلها ... ادعُ ما شئت من لذات العيش فوالله لا اجوز بك الحيرة فيه قال : فاصنعْ لنا صنيماً واخرجْ من قولك »[1].

وفي مروج الذهب للمسعودي :

« بلغ المأمون خبر عشرة من الزنادقة ... فامر بحملهم اليه ... فلما جمعوا نظر اليهم طفيلي فقال : ما اجتمع هؤلاء الا لصنيع فدخل في وسطهم »[2].

وفي العقد الفريد لابن عبد ربّه :

« اقبل طفيلي الى صنيع فوجد باباً قد أُرتج ولا سبيل الى الوصول فسأل عن صاحب الصنيع » (٢ : ٢٧٧) .

وفي نفح الطيب للمقري :

« دخل القاهرة ابو الحسن بن سعيد صاحب كتاب المُغرب في حلى المغرب فصنع له ادباؤها صنيماً في ظاهرها » (١ : ٤٥١) .

« حُكي ان الناصر لدين الله لما اعذر لاولاد ابنه ابي مروان عبيد الله اتخذ لذلك صنيماً عظيماً بقصر الزهراء » (١ : ١٧٥) .

للوزير الجزيري من قصيدة :

وانى الصنيعُ فحين تم تمامه في السحر انشا رَدّه بتدفُّق

« وكان السبب في هذه الابيات ان المنصور صنع في ذلك الاوان صنيماً لتطهير ابنه عبد الرحمن وكان عام قحط ... فلما كان يوم ذلك الصنيع نشأت في السماء سحابة عمت الافق ثم اتى المطر الوابل » (١ : ٢٤٨) .

« قال ابن الاحمر : وانشد ابن زمرك في الصنيع المخصوص بعمنا الامير ابي عبدالله :

ولما دعوت الناس غير صنيعه اجابوا لهم من جانب الغور داعيا (٤ : ٢٠٢ و٢٠٧)

---

١) الاغاني ، طبعة الدار ، ٣ : ٢٥١

٢) هامش نفح الطيب ، ٣ : ٢٧٦

دفائن الخزائن

تذكرة ابن العديم

من اشهر ما عرف من المجاميع باسم « التذكرة » تذكرة ابن حمدون الكاتب البغدادي (٤٩٥ — ٥٩٢ = ١١٠١ — ١١٩٥) رتّبها على خمسين باباً طُبع منها الباب الثاني في الادب والسياسة في ستة فصول ، في مطبعة النهضة بالقاهرة ، سنة ١٣٤٥/١٩٢٧ . ولا تزال بقية الاجزاء مخطوطة متفرقة في الخزائن الشرقية والغربية ، وصفها كاتب چلبي بقوله : « انها مجموعة من احسن المجاميع جمع فيها التاريخ والادب والاشعار والنوادر »[1] . وتليها في الامتاع والاتساع تذكرة صلاح الدين الصفدي المتوفى سنة ٧٦٤ (١٣٦٢ م) ومنها اربعة مجلدات رقم ٤٢٠ (ادب) في دار الكتب المصرية . وفي كشف الظنون ان الاصل في ثلاثين مجلداً « جمع فيها نوادر الامثال والاشعار ولطائف الادبيات نظماً ونثراً »[2] . ولكن يستفاد من قول الصفدي نفسه في الاجازة الملحقة في آخر كتابه « الحسن الصريح في منة مليح » المخطوط بقلمه في دار الكتب المصرية (رقم ٥١٢٠ ادب) ان التذكرة بتاريخ ثالث شوال سنة خمسة واربعين وسبعمائة (١٣٤٥ م) كانت اربعة وعشرين مجلداً فقط . وقد طالعنا في الدار هذه المجلدات الاربعة ولم نجد ما يُحتفظ به منها سوى بعض ابيات في الجزءين الثالث عشر والرابع عشر . ولكن عثرنا في الجزء الثامن والاربعين على ارجوزة له جامعة كان نظمها قبلاً في ذكر من تولى امر دمشق من الخلفاء والملوك والنواب ودعاها « تحفة ذوي الالباب في من حكم بدمشق من الخلفاء والملوك والنواب » (ص ١٤٥ — ١٦٥) وهي تصلح لمعارضة النسختين الموجودتين من هذه الارجوزة في خزانتي باريس وبطرسبرج . وتليها في التذكرة « رسالة تشتمل على ذكر من ولي امرة دمشق المحروسة في الاسلام

١) كشف الظنون ، طبعة اروبة ، ٢٥٥—٢٥٦

٢) « « « « ٢٦٢

او دخلها من الخلفاء وغيرهم مرتبين على حروف المعجم» (ص ١٦٦ – ١٨٩) ولا نعرف لهذه الرسالة نسخة اخرى .

وقد اسعدنا التوفيق بالوقوف في دار الكتب المصرية ايضاً على نسخة مصوّرة عن الاصل بعنوان « تذكرة ابن العديم » بخط المؤلف ، كما يستدلّ من الورقة ١٧٦[1] . وهي في مجلد ضخم في ٤١٠ ورقات (رقم ٨٠٦٩ ادب) اوله الجزء الخامس وآخره الجزء السادس عشر فيكون الناقص منه اربعة اجزاء فقط . وابن العديم هو كمال الدين ابو حفص عمر بن هبة الله بن ابي جرادة العقيلي الحلبي المتوفى سنة ٦٦٠/١٢٦١ – ١٢٦٢ مؤلف كتاب « بغية الطلب في تاريخ حلب» . ومنه نسختان في خزانتي باريس وبريتيش موزيوم .

ولم نهتدِ الى من تكلم على تذكرة ابن العديم بين مؤلفي كتب التاريخ والتراجم والادبيات . ولعلّ إغفالها كان لندرة نسخها او انها بقيت مسودة للمصنف يدوّن فيها احسن ما قرأه في مطالعاته من الاخبار والنوادر والاشعار او سمعه من والده وشيوخه من الملح والطرائف . وهو كثيراً ما ينقل من خطوط الرواة بغاية الضبط والامانة . ولذلك اقبلنا على تصفح تذكرته بمزيد الانتباه والشوق ورغبنا عن كل خبر او شعر مبتذل كالمدح والغزل لا يتميز بظرف او جدّة وغرابة . وهذا ما وقع عليه اختيارنا العاجل في الاجزاء الاثني عشر الباقية من التذكرة نورده جزءاً جزءاً على التوالي ، على امل ان لا يخلو من فائدة وعائدة . واكثره أُنُفٌ لم يُستخرج او لم يشتهر شهرة كافية .

واول ما افتتح به ابن العديم كتابه بعض حماقات كانت تنسب في ايامه لاهل حمص ، وكنا نشرنا في « الخزانة الشرقية » في الجزء الثالث مقالة بعنوان : « الخرافات الموضوعة على مجاذيب حمص قديماً » (ص ١ – ١٤) فلا نتمالك اليوم من ان نضم اليها ما يجيء[2] قال ابن العديم :

١) اذا صحّ هذا الاستدلال يتبين ان خط ابن العديم لم يكن مقارباً لخط ابن هلال وابن مقلة كما زعموا .

٢) جاء ايضاً في كتاب جمع الجواهر في الملح والنوادر لابي اسحق الغيرواني : « قال علي بن عيسى الوزير : كان يبلغني عن اهل حمص تنقّل فاظن اكثره تشنيعاً حتى دخلتها فاذا برجل بين يدي حجّام وقد مصّ عنقه بمحجمتين لم أرَ اكبر منها وهو يشرط في وسط عنقه

— « قرأت بخط عبد المنعم بن الحسن بن اللعيبة الحلبي » :

حكى لي ابو غانم عشاير بن كامل من اهل معرة النعمان انه اجتاز بحمص سنة ثلث وخمسمائة وقد طهّر القاضي السديد جمال القضاة ابو الحسن علي بن هندي ابنة له وعبرت في سوق حمص راكبة على فرس على مخدة فوق السرج ومن خلفها راكب يمسكها وقدامها البوقات والطبول وغير ذلك مما يكون بين يدي المطهَّرين. فرأيت اثبات هذه النكتة وكنا بحمص فلتعتبر . وشاهدت هذا القاضي فوجدت رتبته تزيد على ما ذكره وحكاه اعاذه الله مما ابتلاه .

— ونقلت من خطه ايضاً :

دخلت الى حمص في شهر رمضان سنة سبع عشرة وخمسمائة وهي السنة التي نزل عليها فيها صاحب دمشق ورعى زروعها وخرب حصونها فحكى لي رجل يعرف بعبد الواحد ثقة من اهل حمص عند ملكها صمصام الدين ان احد اهلها لما نزل العسكر عليها واجفل الناس (ص ٢) واشتغلوا عن قماشهم الا ما خفّ منه كان في الليل يدور ومعه زقّ على دور الناس فيحمل من النبيذ ما وجده ويعود الى بيته فيصبّه في البير الى ان نقل ما يزيد على ثلثمائة خابية منه فلما رحل العسكر عنها وعاد الناس الى منازلهم وفقدوا النبيذ تحدث بعضهم مع بعض فهذا يقول أخذ لي من داري خمس خوابي نبيذ وهذا يقول اخذ لي ثلاث وهذا يقول اكثر وذاك اقل فقال ذلك السيد لجيرانه : عندي من النبيذ ما أبيعكم منه سنة لا تشغلوا قلوبكم وهو ممزوج فقالوا له : اننا نخاف عليه ان يحمض ويتغير لاجل مزاجه فأرنا منه شيئاً فاستقى لهم من البير بالدلو وحمله اليهم فشربوه فاذا هو ماء. فقالوا له : ما هذا ؟ فحدثهم فضحكوا منه . وقال لهم : تعبنا وافسدنا صومنا ولم نربح شيئاً .

فلما رآني اقبلت في موكب قال : من هذا ؟ فقال الحجام : هذا الوزير علي بن عيسى فقام والمحجمة في عنقه والدم يسيل على كتفيه وظهره وقال : السلام عليك ايش كان خبرك ايها الوزير ؟ قلت : خيراً وانصرفت فحلفت ان لا ادخل حمص ونزلت بظاهرها حتى انجزت ما اتيت فيه» (ص ٢٦١)

وفي حكاية ابي القاسم البغدادي :

حماقةٌ مني ومد كنتُ لي حماقة تمرض حمصيَّة (ص ١٢٧)

فتحققت ما ذكره الحافظ من فساد عقول اهل حمص وأضفتها الى خبر القاضي (ص ٣)

وقرأت بخطه :

وصل من حمص الحاجب ابرهيم رسولاً من مالكها الى حلب في شعبان سنة تسع عشرة وخمسمائة وصحبته بعض قضاتها فضيت اليه افتقده واقضي حقه وهو في دار الضيافة . فوجدته راكباً والقاضي في الدار فسلمت عليه وهنأته بالسلامة وسألته عن ولد لي خلفته بحمص ينوب عني في حفظ الاهراء بها فقال : هو على جملة السلامة في شغله كما تعرف فقلت : قد عرفت ذلك لكنه لا فائدة له ولا جامكية وهذا صعب شديد فقال : « قد عرفت ما هو عليهم » بإعراب فقلت : ما قلتَ يا مولاي القاضي ؟ فقال : قد عرفتَ ما هو عليهم ثانية . ففكرت فاذا هو يريد « ما هم عليه » ولا فرق عنده بين اللفظين . فرأيت ان أثبتها في التذكرة وأضيفها الى خبر القاضي السديد وطرز ابنته .

هذا ما نقلته من خط ابن اللعيبة . وحكى لي شيخ من اهلها يقال له الرضى اسماعيل بن عشاير شيخ حسن صدوق عن معلم بحمص يقال له العبث قال وكان معلمي وكان يُتهم ... (ص ٤) (وبعد هذه العبارة نقص لا يدرى مقداره) .

— قرأت على ظهر كتاب بخط بعض اهل الادب : انشدني ابو الفضل المعمر ابن الحسين الصائغ لبعض اهل العراق وقد ورد على سيف الدولة بلح هدية وانشده شعراً فيه :

قبول الهدية اكرومة ... وحاشى الامير يردّ الكرمْ
وان الملوك على قدرها ... لتقبل نشابة او قلمْ
واني اتيت ببدو الطعام ... وخالقه عندما يُختمْ
وهذا لعمرك جهد المقلّ ... لمن قد تمكن منه العدمْ (ص ٦)

الجزء السادس

— محمد بن بشير :

خلوتُ في البيت ارضى بالذي رضيت ... به المقادير لا شكوى ولا شغبُ
فردًا تحدثني الموتى وتنطق لي ... عن علم ما غاب عني عنهم الكتبُ
هم مؤنسون وألاف غنيت بهم ... فليس لي في انيس غيرهم ارَبُ

ق من حلماء لا جليسهم ولا عشيرهم للشر مرتقب
لا بادرات الادى يخشى رفيقهم ولا يلاقيه منهم منطق ذرب
ابقوا لنا حكماً تبقى منافعها اخرى الليالي على الايام والشعبوا
فايا ادب فيهم مددت يدي اليه فهو قريب من يدي كثب
ان شئت من محكم الآثار ترفعه الى النبي ثقات خبرة نجب
او شئت من عرب علماً باولهم في الجاهلية انبتني به العرب
حتى كأني قد شاهدت عصرهم وقد مضت دونهم من دهرهم حقب (ص٩)

— انبأني غير واحد من شيوخي عن ابي طاهر السلفي قال انشدني ابو الثناء حامد بن ثابت الغزي بالاسكندرية انشدني ابرهيم بن صدقة لابن معمة الحمصي في الديك:

يا ابن اقبال وائل والكرام الصيد من نخب قروم القروم
والامير الذي عليه امارات المعالي من حادث وقديم
قد مدحت الامير بالامس منثو راً وجئت الغداة بالمنظوم
فاستمع قصتي وفرّج باحسا نك ما بي من طارقات الهموم
لي ديك حضته وهو في البيضة من منصب كريم الجيم
ثم ربيته كتربية الطفل رضيعاً وعند حال الفطيم (ص١٤)
يأكل الفو كيف ما شاء من مالي كأكل الوصيّ مال اليتيم
وهو عندي في صورة الولد البرّ وفي صورة الشقيق الحميم
ابيض اللون افرق العر ف نظّار بعين كأنها عين ريم
وعلى نحره وشاحان من شذ ر جميع ولؤلؤ منظوم
رافع راية من الذهب المشرق يسمى بها كعبي الظليم
واذا ما مشى التبهّس مشي الطرق المنثني من الخرطوم
وسم الارض وسم طيّ كتاب بخواتيم كاتب مختوم
وله خنجران في قصب السا قين قد ركّبا لحفظ الحريم
وعليه من ريشه طيلسان صيغ من صنعة اللطيف الحكيم
وجميع الديوك تشهد في حمص له بالجلال والتعظيم
يتجاوزنَ بالصياح مشيرا ت اليه في ذلك التسليم (ص١٥)
واذا ما رأيته بين خمس من دجاجاته كبار الجسوم
قلت ملك يخدمنه فتيات يتهادينَ بين زنج وروم
وترى عرفه فتحسبه التا جَ على رأس كسروي كريم
ثاقب العلم بالمواقيت ليلاً ونهاراً وحاذق بالنجوم
وبحث الخبيران حولي على البرّ كبحث المدير كاس الندم
واذا قمتُ للصلاة دعوت الله بالعزّ والنعيم المقيم
لشريف ابي المعالي بن سيف الدو لة السيد الكريم الرحيم

وله ايضا الامير علي العهد في سالف الزمان القديم
انه آمن من السوء عندي غير يوم المنية المحتوم
وقد احتجت ان اضحي في العيد به حاجة الاديب العديم
وبناتي يقلن يا أبتانا انت في ذاك بين غدر ولوم (ص ١٦)
وتراهن حوله يتباكين بدمع افقده مسجوم
وعزيز سؤال من يفتديه فافده منا بذبح عظيم
تبقى في ذاك سنة لك يبني ذكرها ذكر كبش ابرهيم
عشت في العز ما دعا الله داع ابدا بين زمزم والحطيم

(وفي الهامش) : ونظير ذلك ما يحكى عن ابن الراوندي لما نادى الخليفة : كل من يضحي يربط ضحيته على بابه فربط على بابه ديكاً فمر الخليفة فرآه فسأل عن ذلك فقيل له لا يملك سواه فامر ان يربط الى جانبه كبشان فعمد ابن الراوندي الى الديك وربط رجليه ونزل عليه بعصاه فسئل عن ذلك فقال الذبيح فدي بكبش وهذا فدي بكبشين . فعد ذلك من ملحه . (ص ١٧)

قال عمرو بن بحر : جزت بباب بعض عدول بغداد وهو يخاصم جاريته ويقول لها : تركت قلنسوتي على قفص الفاختة حتى تخرا عليها . فقالت الجارية لم اعلم يا مولاي ان الفاختة تحولت فرارة فقال لها الشيخ : انت حرة ان اويت منزلي بعدها او لابيعنك بدرهم يا زنديقة . (ص ٣١)

الجزء السابع

— انشدنا ابو بحر صفوان بن ادريس لنفسه :

هذي البسيطة كاعب ابرادها حلل الربيع وحليها الازهار
وكأن هذا الجو فيها عاشق قد شفه التعذيب والإضرار
فاذا شكا فالقلب برق خافق واذا بكى فدموعه الامطار
فافرط ذلة ذا وعزة هذه يبكي الغمام ويبسم النوار (ص ٥١)

قيل ان الشيخ ابا بكر الرازي خرج الى سوق العطارين فاشترى سكراً فرآه احد اصحابه وهو ابن الركاب الرازي فوقف حذاءه حتى فرغ من شراء وشده في مئزره (ص ٥٨) مد يده ليأخذه فقال له الشيخ ابو بكر تريد منه شيئاً ؟ فقال لا ولكن احمله معك . فقال له : ما تحتاج فاني احمله انا في كمي وانشد :

لا ينقص الكامل من كماله ما جر من نفع الى عياله (ص ٥٩)

— للسابق بن ابي مهزول المعرّي مما نقلته من خطه :

حلب معهد الصبى والتصابي فسقاها الوسميّ ثم الوليّ
موطني بعد موطني فكأني لغرامي بحبها البحتريّ
بلدة هذّبت فاه زلال وهواء ردائه سابريّ
وطعام زاكٍ وراح سلاف ورياض بساطها عبقريّ
وظباء انيسة ودور ووجوه مشوقة وقُنيّ
فاديها كل الفنون وفيها ما اشتهاه الشرعيّ والفلسفيّ (ص ٧٣)

الجزء الثامن

— انشدني والدي رحمه الله لبعضهم :

لعمرك ان حفات الفتى اذا الدهر ساعده ساعدوا
وان حانه دهره اسلموه ولم يبقَ منهم له واحدْ
ولو كان يُعلم ان المريض يموت لما عاده عائدْ (ص ٩٤)

— انشدني بعض المصريين لابن افلح في خليفة عصره وقد وقع له توقيعاً (ص ٩٥) الى الوزير فلم يتلقّه بالقبول :

خليفة الله قد وقعت لي كرماً الى الوزير ولكن من يتمّمهُ ؟
فكل من جئتهُ بالصك ينبذه نبذ الحصاة كأن الصك يشتمهُ
فآهِ ان كان هذا قد علمتَ به وآهِ ان كان هذا لست تعلمهُ (ص ٩٦)

— نقلت بخط بعض المتقدمين عن ظهر كتاب :

كان والد الشيخ ابي عبدالله بن المنيّرة حائكاً اسمه يوسف فمضى الى بغداد وقرأ بها العلم وعاد الى كفرطاب فقعد يعلم الصبيان ويقرئ القرآن . وكان اذ ذاك بكفرطاب معلم يعرف بابن الأُصيلح وكان بينهما (ص ٩٧) من المباينة والمشاحنة كما جرت العادة ان يكون بين المعلمين . فعمل ابن الاصيلح هذه الابيات :

ايُّ عقلٍ لحائك في الانام لا ولو قيدَ غوره بزمامِ
نصفه نازل مع الجنّ في البير وباقيه قاعد من قيامِ

فبلغت يوسف فعمل فيه :

ما طار بين المثقفين اقل عقلاً من معلّمْ
ولقد دخلنا في الصنا عة من قريب ربّ سلّمْ (ص ٩٨)

— كان والدي رحمه الله قد اخبرني ان مرتضى الدولة لما قصده صالح بن مرداس تأهب له وجمع العسكر واهل حلب حتى اخرج معه اليهود والنصارى.

وان عسكر صالح وصل الى اطراف عسكر ابن لولو فسمعوا يهودياً يخاطب آخر وهو يقول له : والِكِ حُفيظة اطرُهْ واتأخرْ واياك يكرن خلفه آخر يطعنك بطعازه يُخرِّب بيتك الى الدواغيث (ص ١٠٢) وهذه الفاظ يستعملها اليهود فيما بينهم . قال فلما سمع اصحاب صالح ذلك طمعوا فيهم وقالوا : هؤلاء يهود وكبسوهم فقتلوا مقتلة عظيمة ولم يدخل البلد الا القليل .

قال لي والدي : بلغني ان بعض من سلم دخل حلب فنظرته امرأة من طاق دارها فقالت له : دُبير رجعت ؟ فقال لها : دُبير من لم يرجع (ص ١٠٣)

— سمعنا ابا العلاء بن ابي عبد الله بن ابي الندى ينشد لنفسه في صبي مملوك دخل المدرسة مع الاولاد عليه لباس اخضر . فاقترح عليه ان يعمل فيه شعراً فقال فيه بديهاً :

وموقف فاق الهلال جماله وقوامه ازرى بغصن البان
انكرته لما بدا في خضرة فاجاب تلك ملابس الاغصان (ص ١٠٤)

— لابي منصور الديلمي في ولده :

ديلموه وليس فيه من الديلم الا القبا مع الكلكات
فهو في مشيه فتى شرس الخلق وفي خلقه فتى الفتيات
ترسه حسنه وزُرينه عيناه فهو المات قبل الممات (ص ١١٣)

— ولابي محمد عبد المنعم بن سعيد وانشدنيها ولده في صاحب لحية :

له لحية يقضي بديع جمالها على من لها فيها بان يجلد الحدّا
وعهدي بها كانت عذاراً منعماً فمن اجل ذا قد صرت ارعى لها العهدا
وكم قائل في ساقه الشعر نابت وذلك مما يوجب الهجر والصدّا
فقلت له يا انقص الناس همةً واسخفهم رأياً واخطأهم قصدا
الم ترَ ان الغانيات تشبهاً جعلن مكان الشعر نقشاً وما اجدى (ص١٢٦)

الجزء التاسع

— اخبرني ابو الفضل بن سندي قال بلغني ان الناشئ الأحقي وكان من قرية الاحص انشد سيف الدولة بن حمدان قصيدة يمدحه بها ولم يكن عنده حينئذ مال فوعده بالجائزة اذا وصل اليه الحمل اظنه من البلاد الشرقية فخرج من (ص ١٦٢) بين يديه فوجد على باب داره كلاباً مريضة من كلاب الصيد

يذبح لها السخال عند الولادة وتطعم اياها فعاد الى سيف الدولة وانشده :

رأيت بباب داركم كلاباً مكرّمة يُغذّين السخالا
فهل في الارض اعذر من اديب يكون الكلب اصلح منه حالا

ثم خرج الى الاحصّ الى منزله . فاتفق ان جاء الحمل لسيف الدولة بعد مدة فضلّ في الليل بغل عليه مال مقداره عشرة آلاف دينار فجاء الى باب دار الناشئ وفيه قش فظن انه لص فخرج فوجده بغلاً فاخذ المال وطرد البغل ثم دخل الى حلب ودخل الى سيف الدولة وانشده ابياتاً منها :

ومن ظنّ ان الرزق يأتي بحيلة فقد كذبته نفسه وهو آثم
يقوت الفتى من لا ينام عن السرى وآخر يأتي رزقه وهو نائم (ص ١٦٢)

فقال له سيف الدولة : وصل البغل اليك يا ناشئ ؟ فقال نعم . فقال خذه جائزتك . فقيل لسيف الدولة : كيف علم الامير بذلك ؟ فقال : اين قوله : « يأتي رزقه وهو نائم » من قوله : « يكون الكلب اصلح منه حالاً »[1]

الجزء الحادي عشر

— قرأت بخط ابن منير ابن افلح البغدادي يقوله لدُبيس بن مزيد .

والله او كتب الامـا م لك الامان بماء زمزمْ (ص ٢٠٥)
والق محمد شافعاً من بعده عيسى بن مريمْ
ما كنت الا داخل الحمام اسوة من تقدم

(وفي الهامش) من عادة الخلفاء اذا غضبوا على الوزراء حبسوهم في الحمام (ص ٢٠٦)

— حدثني الشيخ ابو عبدالله محمد بن ابي سعد الحلبي قال : سمعت الشيخ ربيع بن محمود المارديني يقول :

جاء في بعض السنين حاج السرو قال ومن عادتهم انهم يخرجون متفرقين فمنهم من يخرج قبل رجب ومنهم من يخرج بعده فقدم منهم قفل في بعض السنين الى مكة . فخرجت معهم امرأة وهي حامل واخذت فروها وعصاها على كتفها وجرابها وركبتها على الكتف الاخرى . قال : فلما توسطوا الطريق

١) وردت هذه الحكاية في ياقوت في كلامه على « الاحصّ » وهي هنا اصح واتم .

ادركها الطلق في بعض الطريق فلجأت الى شجرة فوضعت ابناً وماتت ودفنوها وبقي الابن ليس له من يرضعه فافكروا في امره فلم يكن له حيلة فاخذوه ولفوه بالفرو الذي كان لامه وتركوه تحت الشجرة (ص ٢١٨) ومضوا فلما قضوا حجهم وعادوا اجتازوا بذلك المكان فقالوا : ههنا ماتت فلانة وههنا تركنا ولدها فهلموا لننظر ما كان منه فجاؤوا الى المكان الذي تركوه به فوجدوه حياً وعيناه تبصان وهو ملفوف على الحالة التي تركوه فعجبوا من امره وقالوا نحمله معنا فحملوه فالتفتوا عن قريب من ذلك المكان فرأوا ظبية قد تبعتهم وهي تمشي خلفهم فوضعوا الصغير على الطريق وابعدوا عنه فجاءت الظبية اليه وارضعته حتى شبع فجاؤوا اليه وحملوه وساروا والظبية خلفهم كلما احتاج الظبي الى الرضاع وضعوه لها وهي ترضعه هكذا مرحلة مرحلة الى ان وصلوا الى القرية التي كانوا منها فرجعت الظبية وتركتهم (ص ٢١٩)

الجزء الثاني عشر

— دخل لص على حميد بن علي الختاني (قرية من قرى المعرة يقال لها ختان) فسرقه (ص ٢٥٣) ولم يعلم الوالي فلما علم استدعاه وحبسه اذ لم يعلمه فعمل له هذه الابيات :

قل للامير ابن كثير الذي فاق الورى في العلم والعقلِ
وفارس الخيلين يوم الوغى ومغرس الاحسان والفضلِ
جرت امور ما سمعنا بها في زمن الانصاف والعدلِ
اللص في منزله آمن والحبس فيه صاحب الرحلِ
لو جاز هذا الحكم بين الورى لطولب المقتول بالقتلِ

فلما انشده اياها اطلقه (ص ٢٥٤)

الجزء الرابع عشر

— انشدني عز الدين علي بن محمد السرخسي البغدادي النحوي قال: رأيت ببغداد على ثوب اصفر : (ص ٣٨٥)

انظر الى لابسي وانظر اليَّ وكنْ من مثل ما حلَّ بي منه على حذرِ
هذا اصفراري براه الناظرون وما في القلب من حبه يخفى من النظرِ
اموت في خارة بالليل في كمد لولا انتظار وصال منه في السحرِ
اقول عُجباً اذا ما رام يلبسني ما كنت اطمع ان اعلو على القمرِ (ص٣١٦)

(وبالهامش) هذه الابيات للمبارك الدهان قال : طلبت مني حظية من حظايا الخليفة ان اصنع لها ابياتاً تكتبها على ثوب اصفر فقلت .

— نقلت من خطّ الشيخ الامام ابي منصور موهوب بن الخضر الجواليقي وانبأناه عنه شيخنا ابو اليمن الكندي انشدنا الشيخ الامام ابو زكريا يعني التبريزي قال : انشدنا الحكيم ابو علي الحسن بن عبد الرحمن الثقفي قال : انشدنا الشيخ ابو منصور عبد الملك اسماعيل الثعالبي لنفسه :

من كان ينفعه الادبْ وبُجلّه اعلى الرتبْ
فلقد خسرت عليه ما وُرّثت من امّ وابْ
كم ضيفةٍ كانت تصو نُ الوجه عن ذلّ الطلبْ
اتاتنا لا في القيا نِ ولا هوى بنت العنبْ
بل في الجوائح والحوا دثِ والعوارض والنُوَب
كم قلت لما بتنا وحصلت في اسر الكُرَب
ذهبت دجاجتنا التي كانت تبيض لنا الذهبْ

— ومن خطه وانشدنا يعني التبريزي قال انشدنيه ابن شبل لنفسه : (في الباذنجان)

وكأنما الباذنج سود حمائم اوكارها خيم الربيع المبكرِ
لفظت مناقرها الزبرجد سمساً فاستودعته حواصلاً من عنبرِ (ص٣٤٢)

الجزء الخامس عشر

— محمد بن عبدون السوسي الوراق له من قصيدة وذكر اشتياقه وحنينه الى وطنه اولها :

بالله يا جبل المسكر دع ريح الجنوب لطالما تسري
يا قصر طارق الذي طرقت احشاءَ منك بلابل الذكرِ
والله ما اقصرت عنكِ قلىً لكنني اقصرت بالقسرِ
يا برد ظلك بالاصيل ويا ربّاك عند فظاظة الدهرِ

منها في ذكر معشوق له هناك :

ولثتُ غرًا فاح عنبره من غير ما طيب ولا عطرِ
وضممت انفاسي عليه وقد اشفقت من نفسي الذي يسري
فكأنّ صدري لا ضلوع له وكأنّ قلبي بانَ عن صدري
لو استطاع سبحتُ من طرب شوقًا اليك (١ سواد ذا البحرِ
حتى اقبل جانبيك كما قبلت فيك مراشف البدرِ
وافيض اجفاني لديك كما فاضت عليك دماءها تذري (ص ٢٨٥)

الجزء السادس عشر

— انشد ملك النحاة لنفسه من ابيات يصف امرأة : (ملك النحاة ابو نزار الحسن بن ابي الحسن البغدادي)

جارية كلما خضعت لها قالت عدمتُ النحاة والشعرا
طويلة القد واللسان فما ادري أأهجو ام امدح القيصرا
احسن منها عندي مدقّقة(٢ ساذجة لوزها قد انتثرا
فاللبن الفارسي اضرسني والكشك في ذي الديار قد كثرا (ص ٢٩٥)

— قال ملك النحاة : للحيص بيص بيتان وددت لو باعنيهما بجميع شعري وهما :

١) الكاف في اليك راجعة الى القصر
٢) في كتاب الوصلة الى الحبيب في دار الكتب المصرية (رقم ٧٤ علوم صناعية) وصف للمدققات ص ١٥٠ — ١٥٢ .

سأرحل من بغداد في طلب الغنى الى بلدة يحنو على اميرها
الى بلدة فيها الكلاب بحالها كلاب وما رُدَّت اليها امورها (٢١٤-٢١٥)

قلنا ومن هذه المختارات التي لم نستقص فيها ولم نتجاوز فيها الحد الذي رسمناه لنفسنا يتضح بُعد ما بين تذكرتي ابن حمدون والصفدي وتذكرة ابن العديم . وهي خالية من كل تبويب وتنويع وترتيب كما في التذكرتين . وقد امتزجت فيها النقول والروايات امتزاج الطُرَف بالدرر في غير سلك ولا نظام فكان ابن العديم يتلقط منها ما يقع عليه استحسانه وما يسمح به زمانه على هيئته حباً بالتذكر بها والرجوع اليها عند الحاجة فما كان احقّه ان يسميها أسوة بالثعالبي : احسن ما قرأت وسمعت .

مع الكونت دي ڤولني

في لبنان وسورية

بقلم يوسف عصوب

صح الاسماء ما هو حافلٌ بالذكريات والصور مثقلٌ بالموحيات والعبر ، فلفظة الشرق تفتح ، بمجرد النُطق بها ، لاسيما في بُلدان الغرب ، آفاقاً واسعة تضطرب بالاساطير والحقائق ، وتموج بالالوان والانوار وتغُصُّ بالمبهمات ، فالشرق مطلع الشمس ، ومهد البشرية ، ومهبط الوحي ، وفجر الفلسفة ، وموطن المدنيات الغابرة والديانات البائدة والباقية . والشرق بابل وصور واورشليم وآتينا والاسكندرية ومكة ودمشق . والشرق سُقراط وافلاطون وهوميروس والفردوسي والغزالي وسليمان الحكيم والاسكندر والفراعنة . والشرق سميراميس والزبّاء وكليوبطرا . . . ومهما اعدّد فلن أبلُغ غاية مما تشتمل عليه هذه اللفظة الساحرة .

ومن الالفاظ ما يعبق فيه الطيب كشيراز ، وتغمُره الاساطير كبغداد ، ويفيض منه الجمال كلُبنان . فلا غرابة ، والحالة هذه ، ان يكون الشرق حُلُم الشعراء ومطمَع الفاتحين ومَطمَع الكتاب والمؤرخين ، وغاية الرحّالة والحُجّاج ؛ وان يكون ، منذ كان ، على صلة دائمة بالغرب تتسع او تضيق ، وتعظُم او تضؤل ، تبعاً للاحوال السياسية والدينية والتجارية . فالشرق والغرب ما فتئا يتعاوران مُلاءة الفضل ، ويتبادلان تيّارات الحضارة والثقافة ، فتارةً يكون فضل الشرق على الغرب وطوراً يكون الامر عكس ذلك . ومن العبث ان نُلم الان ولو الماماً خاطفاً ببعض ما بينهما من اواصر وثيقة قديمة او حديثة وما تقايضاه على مرّ الايام ، من مبادئ دينية ، ومذاهب فلسفية ، واطوار اجتماعية . فهذا لا يتيسر الا في المُجلدات الضخام والدروس الدقيقة . فجُلّ ما اطمح اليه مرافقة بعض الكتاب والشعراء الفرنسيين ، ولاسيما الكونت دي ڤولني ، في رحلاتهم الى الشرق ، وبالاخصّ الى لبنان .

كانت الديانة ، منذ عصور النصرانية الاولى من اوثق العُرى التي ربطت « غالية » باراضي الشرق المقدسة . وكان النصارى او المتنصرون يتوقون الى زيارة موطن المسيح والتبرك بالاماكن التي تجسّد فيها وترعرع وبشّر وصُلب ، والى لثم التراب الذي مسّته قدماه . فكانوا ، على بعد الشقة وخطر الطريق ووعورتها ، يقصدون الى فلسطين ، مدفوعين اليها بالعاطفة الدينية . ذكر هنري بوردو في كتابه « رحّالة الشرق » زائرًا امّ هذه البلاد في سنة ٣٣٣ للمسيح ، ودوّن رحلته في كتاب له قيمة تاريخية عظيمة .

وكثر عدد الزوّار والسيّاح . فاخذ ملوك الفرنج يهتمون بامرهم ، ويسهرون على راحتهم حتى ان شارلمان بنى لهم في القدس مأوى واسع الارجاء يتألف من اثني عشر منزلًا يلجأون اليه ويقيمون فيه ما شاؤوا ، واسس فيه مكتبة وشيّد له كنيسة ، ووقف عليه كرومًا ومزارع . وكانت الزيارات الدينية تصطبغ بصبغ مختلفة . فمنها ما كان يقوم به الزوّار تورعًا وعبادة ، ومنها ما كان تكفيرًا عن الخطايا والآثام ، ومنها ما كان يُفرض فرضًا على الملوك والامراء قصاصًا لهم وتكفيرًا عن بعض جناياتهم . ثم تكاثرت الاسفار ، وتكاثرت الاحاديث والاخبار عن الاراضي المقدسة ، وتولدت الاساطير والاقاصيص . وتدخلت في الامر الغيرة الدينية والمطامع السياسية فكانت الحروب الصليبية . واتسعت على اثرها الصلات بين الشرق والغرب على اختلاف انواعها وتوثقت زمنًا ثم تراخت الى ان كان عصر الانبعاث فعاود الغرب حنينه الى الشرق . ولم يكن باعثُ هذه المرة عاطفة دينية او مطمع سياسي بل رغبة ملحة في استيحاء فنه والاطلاع على علومه وفلسفته .

ولم يصبح الشرق مادةً للادب في فرنسة الّا في اواخر القرن الثامن عشر وكان قد ترجم القرآن وبعض المؤلفات العربية وعلى الخصوص الف ليلة وليلة . وطبعت بعض قصص شرقية لفولتير ، و« الرسائل الفارسية » لمونتسكيو ، وانتشرت التوراة باللغة الفرنسية . ووافق هذا كله ظهور المدرسة الرومانطيقيّة ، ومن خصائص هذه المدرسة طرقُ المواضيع الغريبة ، ومحاولةُ الدقّة في أداء الالوان المحلية . ولا يقتصر هذا التعبير على الالوان وحدها بل يتناول ايضًا

العادات والاخلاق والحالات النفسانية ، مما اهاب بالكتّاب والشعراء والعلماء الى السفر والتقرّب للعودة الى قرائهم بغنيمة غريبة عجيبة . ثم كانت حملة نابليون على مصر ، ووقعت الحرب اليونانية التركية . وظهرت «عبقرية النصرانية» لشاتوبريان ، و«المشرقيات» لفيكتور هوغو ، فتجدد التوقان الى الشرق ، وازداد الازدحام على مناهله ، والتهافت على مناجمه . فجاء علماء الآثار للكشف عن مخبآت الايام ، وبعث العصور الغابرة ، وجاءه علماء الاجتماع لدرس عادات اهله واخلاقهم وشرائعهم . وجاءه شعراء الرومانطيقية للتغني بجماله ، والانتشاء من الوانه وانواره . وجاءه المرسلون ليبشّروه بالدين ، ورسل السياسة ليُعدّوا طريق الهند ، وجاءه التجار والسيّاح والفاتحون . وتوالت القوافل وتعدّدت حتى اتصلت رؤوس بعضها باذناب البعض الآخر وباتت تلتقي في طريقها بقوافل الشرق الى الغرب . وكان للبنان القسط الاوفر والغنيمة الكبرى من هذا التواصل ، فاصبح على ما هو عليه الان من حضارة وثقافة وغنى ورفاهية ما كان ليحلم بها لو بقي في عُزلته مستقرّاً في عُقر داره .

ولكننا لا نتمثل بوضوح الطريق التي اجتزناها الا اذا طوينا العصور القهقرى ورجعنا ادراجنا الى اواخر القرن الثامن عشر ، وجُلنا جولة في الربوع اللبنانية والسورية برفقة احد الكتّاب الفرنسويين ، الكونت دي ڤولني ، الذي زار بلادنا في ذلك الزمن ، وكتب عنها كتاباً على جانب عظيم من الدقة والصراحة والتجرّد . غير انه قبل درس هذا الكتاب الذي هو حجر الزاوية في موضوعنا لا بدّ لنا ان نمرّ مرّاً سريعاً ببعض الشعراء والكتاب الذين اتوا لبنان واستلهموه وكتبوا عنه .

❁

قلنا ان الشرق اصبح في القرن التاسع عشر مادة ادبيّة راجت سوقها لندورتها واختلافها عن المألوف في البُلدان الاوربية . وكان اوّلَ من استغلّ هذه المادة شاتوبريان في «رحلته من باريس الى اورشليم» . وقد اوضح في اول كتابه الغاية من سفره الى الشرق بقوله : «انما جئت الشرق لافتش عن صور للشهداء» و«الشهداء» رواية مشهورة له يقصّ فيها حياة النصارى في اول عهدهم ، وما

كابدوه من اضطهاد وعذاب في سبيل دينهم.

وتبع شاتوبريان في هذه الطريق غوستاف فلوبير ، فقصد الى الشرق ليجمع مواد الملحمة القرطاجية « سلامبو » نشيد المدنية والعبقرية الفنيقية . غير ان رحلته لم تكن الّا مجموعة رؤوس اقلام وجُمَل مقتضبة يضبُط بها ما يراه في تجوّله من مشاهد واخلاق وعادات ضَبطَ المصور الشمسي فلا يفوته لون ولا يُخلّ بحركة . فكان يختلف في ذلك عن شاتوبريان الذي يُسهب في الوصف وينشيء قطعاً ادبية كاملة تستقلّ بنفسها .

ويختلف شاتوبريان عن لامرتين الذي جاء بعده . فان الشاعر الرومنطيقي لا يكتفي بان يؤدّي لنا صورة ما يرى بل يُكمّل هذه الصورة ويُضيف اليها ما يَحسبُه ناقصاً فيها ، مستدركاً بذلك ما تكون قد اغفلته الطبيعة . فان تكن المشاهد الطبيعية حالاتٍ نفسانية فان نفس لامرتين مرآةٌ تنعكس عنها العظمة والجلال والعواطف السامية . ولنا بوصفه الشهير لوادي حمّانا خيرُ شاهد على ما قدّمنا .

وهناك وصّاف آخر يختلف عنهم جميعاً هو جرارد دي نِرْفال . فهذا الشاعر اللطيف القريب الى القلب ، العائش ابدًا في عالم من الاحلام ، لا يدري هو نفسه ما نصيب الحقيقة وما نصيب الوهم في كتاباته . فقد يصف شيئاً لا وجود له ، وهو يعتقد انه حقيقة ؛ ويصف شيئاً موجودًا كأنه غير موجود . فهل عاش هذا الشاعر حياتين في عصرين مختلفين فخلط بينهما ؟ ولا يستبعد هذا فانه قد اعتنق يوماً مذهب التقمّص للاقتران بفتاة درزية وهميّة توهّم أنه يُحبّها . ومن الغريب ان بعض النقدة الفرنسويين يشكون برحلته الى الشرق ، وقد فتش موريس بارس وهنري بوردو عن أثر له في الاماكن الشرقية التي مرّ بها فلم يجداه .

ومن مشاهير الفرنسويين الذين زاروا الشرق في اواسط القرن التاسع عشر ارنست رينان . فانه جاء لبنان على رأس بعثة اثريّة للتنقيب في خرائب جبيل . فوجد الآثار وفقد الايمان . وما « حياة يسوع » في نظر علماء التاريخ والمحققين من النقاد الا رواية خيالية لا ترتكز في جوهرها على شيء راهن من الحقيقة .

ثم تكاثر روّاد الشرق وتباينت غاياتهم ومآربهم ، ولا سبيل الى عدّهم فهم كثر . غير أنه لا بد لنا من ذكر ميشو مؤرخ الحروب الصليبية ، ولوتي ،

الروائي الشهير، ولويس برتران. وهذا الاخير جاء بلادنا على اثر الانقلاب العثماني، وكان قد ازعجه واحرجه ما يقال عن الشرق وعن جماله وعظمته، فصمم على ازاحة الستار من هذه الاوهام، كما يقول، لتبدو الحقيقة عارية كما هي، فجاءت رحلته «بالسراب الشرقي». دوّن برتران في كتابه ملاحظات كثيرة عن اخلاق اهل الشرق وعن عاداتهم. وكان في بعض الاحيان سديد الرأي، ثاقب النظر، غير أنه بعيد عن القلب ينفرُ منه القارئ الشرقي ويتمعض. فلهجته ملأى بالكبرياء والغطرسة، وهو لا ينقطع، في المقابلة بين الشرق والغرب، عن التبجح «بحضارته» ونبل عنصره، ويكثر عند تكلمه عن الشرقيين من ذكر العبودية والخنوع والخيانة والغدر والرياء، كأنما هذه الصفات مقتصرة على الشرقيين دون سواهم من الناس.

هذا ولم ينضب معين الشرق، على تعدد الكتّاب والشعراء والباحثين والمؤرخين، بل ما زال موردًا عذباً يؤمّه المتعطشون الى الجمال، والمتشوّقون الى ادراك مبدأ الحياة الروحانية التي تفجّر ينبوعها في هذه الربوع الشرقية وشاع منها ولا يزال. وقد عُني موريس بارس عناء خاصاً بالتفتيش عن مصدر الفكرة الدينية، عن الشرارة الكامنة في الصوّانة، في القلب البشري، وعن كيفية انبجاسها من الصخر والهابها العالم؛ فلم يترك مزارًا في لبنان وسورية يأمل منه بلوغ غايته الّا زاره. وكأنه كان يطمع بان تتجلى له الالوهية كما تجلّت للقديس بولس على طريق دمشق، فانحنى بخشوع على ينابيع العبادات التي توالت على الشرق، وتوارث بعضها بعضاً، وسألها رشفةً من مائها الاول يَبلُّ بها غليله، فقضى ليلةً في وادي افقا يُنصت لاناشيد الباخوسيات وعربدتهن، وسأل الراهبة هندية عن سرّ تعبّدها وبحرانها، وشيخ الجبل عن سيطرته على اتباعه وطاعتهم العمياء له، وجلال الدين الرومي عن تصوّفه وزهده، واظهر رغبةً صادقة بان يحسّ الشرارة تلتهب في صدره. لكنه عاد وهو على عطشه.

وهنا يجدر بنا ان نرجع القهقرى الى اواخر القرن الثامن عشر، لنرى ما كانت عليه البلاد الشرقية ولبنان في ذلك الزمن.

وُلد ڤولني سنة ١٧٥٧. وبدأ رحلته الى الشرق سنة ١٧٨٣، اي في

السادسة والعشرين من عمره . على ان من يطالع كتابه يعجب ، على حداثة سنه ، من سعة اطلاعه ، وقوّة حجّته ، وسداد رأيه . ومما يحملنا على الثقة به والاعتماد عليه ، ما جاء في مقدّمة رحلته الى سورية ومصر ، اذ ذكر أنه ورث مبلغاً من المال لم يكن بالوافر فيستثمره ، ولا بالزهيد فيُهمله . وكان عندئذ في شرخ الشباب فأشار عليه بعض اصدقائه المخلصين بانفاقه في مواطن اللذة واللهو . غير أنه لم يُصغِ الى نصيحتهم . وفضل انفاقه في الاسفار التي تهذب العقل ، وتثقف الرأي ، واختار مصر وسورية لان هذين القطرين هما على حدّ قوله : « مصدرُ المبادئ التي نتشئ عليها ، ومنبعُ الافكار الدينية التي اثرت في اخلاقنا الخاصة والعامة ولا سيما في حالتنا الاجتماعية .

«فمن المفيد اذن ان نتعرف الى هذه الاقطار وان ندرس عاداتها وطبائع الامم التي نشأت فيها ، انرى الى اي حد حافظت هذه الامم عليها ، ونتبين اثر الاقليم او الحكم في تبدّلها او فسادها ونحكم على ما كانت عليه في ماضيها باطلاعنا على ما بقي منه في حاضرها »

ثم قال : « ينصرف معظم الرحّالة الى البحث عن الآثار القديمة ، مهملين الحالة الحاضرة . واذا مرّوا في بلد ، اسرعوا في اجتيازه فلا يتمكنون من معرفته معرفة كافية لضيق الوقت ولجهلهم لُغة الاهلين . فاللغة تساعد على تفهم روح القوم واخلاقهم . والزمن يغربل التأثرات الاولى وينقيها ويردّنا الى آراء هي اقرب الى الصواب والانصاف . وقد راعيتُ جانب الحقيقة ما استطعت واوصدت أذني دون داعيات الخيال ، على علمي بما لها من اثر لدى جمهرة كبيرة من القراء » .

ان هذه الخطة التي اختطها الكونت دي ڤولني لرحلته قد اتّبع خطوطها خطًا خطًا ، ولم يحد عنها في جميع ما كتب عن البلاد التي زارها .

فبعد ان ذكر الاحوال الطبيعية والجغرافية في مصر وسورية ، ووصفها وصفاً مسهباً شاملًا ، تناول الحالة السياسية والاجتماعية فيها فقال عن سورية ما مؤدّاه :

اكتسح السلطان سليم الاول البلاد السورية في اوائل القرن السادس عشر ، وطرد منها المماليك ، واستولى عليها بحد السيف فكان له فيها حقّ الفاتح يستعبد اهلها ، يستحيي من يشاء ويقتل من يشاء . واصبحت الارض

ومن عليها ملكاً له يتصرّف بها وبالعباد تصرّف المالك بعبده ، لا رأي فوق رأيه ، ولا شريعة الا هواه. وخبا في مهبّ هذه الريح السموم مَشعل الحضارة العربية الذي اضاء العالم وهداه عصوراً طوالاً فكأنْ لم تكن دمشق عاصمة الشرق ، ولم تكن بغداد منارة العلوم والاداب ، وساد الظلام والظلم جميع الاقطار العربية .

كان السلطان ظلّ الله على الارض بين شفتيه الموت والحياة ، واليه مرجع كل شيء ولم يكن بينه وبين رعيته الّا ما يكون بين الراعي والقطيع : الراعي الغُنم ، وعلى القطيع الغبن . غير أن هذا التشبيه ناقص من وجوه عديدة فالراعي يتعهد قطيعه ، ويُعنى به فيسوقه الى المرعى ويقيه غوائل القرّ والحرّ ، ويصونه من الضواري ويُجنّبه المهالك . اما السُلطان فلا همّ له الا جزّ صوفه والتغذي بلحمه ولبنه . ولعلّ عُذره ان القطيع عديد مترامي الاطراف يصعب عليه جمعه والسهر عليه بنفسه ، فقسّمه قِطعاناً وكَل بها الى أُجراء اطلق يدهم في شؤونها ، على ان يؤدّوا له إتاوة معيّنة .

ليس ما مثلناه بالراعي والقطيع من الصور البيانية بل هي الحقيقة بعينها . فان البلاد السورية كانت شبه مزرعة للسلطان يؤجرها ولاته ويُقيمهم فيها مقامه ، ويزوّدهم بسلطته المطلقة ، لا يُسألون عن سلوكهم فيها ، ولا عن ادارتهم ولا يطلب منهم الا دفعُ بدل الايجار . وكانت هذه المزرعة تقسم الى خمسة الوية : لواء حلب ، ولواء طرابلس ، ولواء دمشق ، ولواء عكا او صيدا ، ولواء فلسطين . وكان لبنان بحدوده الحالية داخلاً جغرافياً في لواءي صيدا وطرابلس . غير ان ادارته كانت مستقلة عنهما استقلالاً تاماً .

وكان الوالي او الباشا ، اي نائب السلطان ، يعين لسنة واحدة ، وفي لواء حلب لثلاثة اشهر . فاذا انتهت مدته طُرح ايجار اللواء بالمزاد العلني فازدحم المتنافسون في الباب العالي وتدخل المتنفذون ونشرت الرشوة حبائلها ، ففاز بالصفقة ذو اليد الطولى او « الطويلة » ، لا ذو الكفاءة والمقدرة ، وصدر الفرمان بتنصيبه . فجاء عاصمة لوائه واكبرُ همه ان يجمع اولاً ما انفقه في المزاد العلني ، وان يجمع ثانياً مبلغاً آخر لتجديد الكراء في اجله ، وان يجمع ثالثاً ما يتيسر جمعه للطوارئ . ولم

يكن هذا بالامر الصعب عليه ، وبيده جميع اعنة الحكم يتصرّف بها تصرفاً مطلقاً . فهو رئيس الادارة ، ورئيس المالية ، ورئيس الجند ، ورئيس الضابطة ، ورئيس العدلية ، لا يخرج من يده الّا القضاء الشرعي الذي كان مرتبطاً رأساً بقاضي القُضاة في الآستانة . وما كان على الوالي في مُزاولة الحكم ان يستشير سوى نفسه ، والنفس امارة بالسوء ، وما اصدق ما قال الشاعر :

والظلم من شيم النفوس ، فان تجد ذا عفّة ، فلعلّة لا يظلمُ

قلنا ان الوالي كان يعين لمدة سنة واحدة . فما كان عليه ان يضيّع هذا الوقت الثمين فيما لا طائل تحته ، بل عليه ان يبدأ استثماره حالَ وصوله الى مقرّ عمله . واوّل ما يتبادر الى ذهنه ممارسة سلطته الادارية في عزل الموظفين وتعيينهم ، فيفتح سوقاً للمزاد العلني درس اصولها وفروعها في عاصمة السلطنة ، ثم ينصرف الى تلزيم جباية الاموال الاميرية على الطريقة نفسها فيكثر في بابه المتزاحمون وحاملو الهدايا ، والواشون ، والمفسدون ، فيستغل كلّ هؤلاء استغلالاً مالياً ، وهؤلاء يستغلّون بدورهم من يتخذونهم لمؤازرتهم في جباية الاموال ، وهؤلاء يتحوّلون بكل ما في يدهم من سلطة وفي قلبهم من جشع على المكلفين ، ولا سيما الفلاحين منهم . وهكذا يتسلسل الظلم ويتضاعف بانحداره ككرة الثلج حتى يستقرّ بضخامته المرهقة على كاهل الشعب .

ولا تقف مداخيل الوالي القانونية عند هذا الحد . بل لديه ، عدا الرشوة والبلص ومصادرة الارزاق ، مرافق اخرى منها استيفاء مكوس الجمارك حيث يكون جمارك ، وضريبة الارث . واذا كان الوالي اميراً على الحجّ ، حقّ له ان يرث من يتوفاه الله في حجه ، ومن يتوفاهم الله في حجهم كثيرون ، فالطريق شاقة وعرة طويلة ، والامراض منتشرة ابداً ، واهل البادية في المرصاد ، يغتنمون كلّ فرصة تسنح للفتك بالحجاج والاعتداء عليهم . وهناك وسائل اخرى شتى لارسال الاغنياء من هذه الدار الفانية الى دار البقاء .

وكان الوالي يستغلّ على نفقته الاراضي التي يستصفيها ، ويحتكر بعض المرافق التجارية ، ويدين بالفائدة . واذا اعوزه المال فرض الضرائب على الاهالي . ذكر ثواني ان عبدي باشا ، والي حلب ، جمع في خمسة عشر شهراً اربعة ملايين

من ضريبة وضعها على اصحاب المهن حتى منظّفي الفلايين منهم.

فلا غرو، والحالة هذه، ان يجمع الولاة القناطير المقنطرة من المال؛ ولديهم ما لديهم من الوسائل والاساليب حتى ان ثروة الجزّار قد بلغت العشرة ملايين من الفرنكات الذهب. غير ان المال كالظلم مرتعه وخيم، وطالما كان سبباً لهلاك صاحبه. فان الباب العالي لم يكن ليغفل عن هذه الثروات الضخمة بل كان يتغاضى عنها زمناً، ويتريّث حتى تتراكم، والى ان يحين الوقت، وعندئذٍ تنقضّ الكارثة على الباشا انقضاض الصاعقة، فيُصبحُ يوماً، وفي بابه رسول من الآستانة يحمل اليه فرماناً بعزله او نفيه او خطّاً شريفاً بقطع راسه وحمل كنوزه وممتلكاته الى العاصمة، بحجة انه ظلم الرعية وسلب اموالها. غير ان هذه الاموال التي يُقتل الباشا او يُعزل بها لا تُردّ ابداً لاصحابها.

وقد يحتاط الوالي للامر لضُعف الثقة بينه وبين اسياده. فيبثّ جواسيسه في الآستانة ويتخذ له حُماة متنفذين يدافعون عنه ويُشعرونه بقرارات عزله او قتله، فيتلافى الامر بالرشوة، وان لم يستطع فبالهرب، كما حدث لاسعد باشا والي دمشق.

هذا الوالي الذي تقوم مهمته بالمحافظة على الامن في داخل البلاد، وحمايتها من الاعداء، واعداد اسباب الراحة والرفاهية للرعية؛ هذا الوالي وجُباته كانوا آفة البلاد الاولى. اما الآفة الثانية فارباب السيف وافراد الجُند. وهؤلاء كانوا طوائف، منهم من أهل البلاد، ومنهم غرباء. فمن سكان البلاد كانت الطائفة الانكشارية وهي تتألف من جنود لهم رؤساؤهم، ولهم ميزات كثيرة، ولهم نفوذ عظيم يتعاطون مهناً مختلفة ولا يُحشدون الا عند الحاجة اليهم لقمع فتنة، او ردّ عدوّ، او للثورة على الوالي. وكانت هذه الطائفة منظّمة تسود فيها الروح العسكرية. غير ان الفساد كان قد دبّ اليها، وكان الحكام يتعمدون اهمالها والتغافل عنها خوفاً منها واتقاء لشرّها، والاستعاضة عنها بجنود اجانب متطوّعة مرتزقة اكثرهم من التركمان والاكراد والمغاربة، يُجمعون من الشذّاذ وقاطعي الطرق واللصوص الذين تضيق بهم مواطنهم، فيلجأون الى الباشا لخدمته ومساعدته على ابناء البلاد. وكانوا على نوعين: مشاة وخيالة، يختلف عددهم

باختلاف الولاية ولا يتجاوزون جميعاً في الغالب الالف نفر في كل لواء . وكانوا يخدمون بمرتب زهيد قد لا يقبضونه ، فيستعيضون عنه بالتعدي على السكان في الدساكر والقرى والمزارع فيسلبونها وينهبونها ، وليس من يردعهم . فان الباشا يرى في سلوكهم هذا فائدة له إذ تتوفر عليه النفقة ، وربما قاسمهم ما سلبوه.

ولا عجب ، والحالة ما رأينا ، ان تعمّ الفوضى ويسود الخراب . ومما ذكر دي ثولني بهذا الصدد ان لواء حلب كان يعد ٣٢٠٠ قرية فلم يمض زمن يسير حتى تدنى عددها الى ٤٠٠ اما سكان هذه القرى فمن سلم منهم عاد الى صحرائه ، ان كان من الصحراء ، والّا التجأ الى الجبال يختفي ويعتصم فيها ، او فرّ الى المدن حيث يضيع في الجمع ويكون فيها آمن على نفسه وماله من اعتداء افراد الجند عليها.

فاذا كان الامر كذلك ، كان من العجب العُجاب ان تزدهر القرى وتحيا الاراضي ، وان ينصرف الفلّاح الى استغلال حقله واغناء ثروته ، وهو عرضة ابدًا للكوارث الطبيعية والبشرية . فاذا سلمت مزروعاته من الجراد والقحط والفيضان ، قاسمه اياها الجباة ، وما بقي منها تولى سلبه الجند او تكفل باتلافه البدو . ولو فرض أن الفلاح كان على شيء من الامن فما كان يزرع الا ما يكفيه مؤونته ومؤونة اهله ، ليقينه من فُقدان ما زاد على ذلك ، لان مظاهر الغنى تلفت نظر الحكام وتهيّج جشعهم فلا يقرّ لهم قرار حتى يُنزلوا الويل باصحابها ويستخلصوا اموالهم.

يقول دي ثولني إنه لاحظ في جوار طرابلس ان التوت في بعض البساتين قد شاخ ولم يبدل منه غيرهُ ، فحمله الفضول على ان يسأل بعضهم عن سبب هذا التهاون فاجابه فورًا : اذا غرس احدنا شجرًا ، قال الباشا في نفسه : هذا رجل غني . فيستقدمه ويطلب منه شيئاً من المال . فاذا انكر او ابى امر بجلده ، واذا اعطاه ما طلب امر ايضاً بجلده للحصول على مبلغ اوفر.

ولم تكن هذه المظالم تقتصر على الفلاحين دون سواهم . فاهل المدن معرّضون لها كالفلاحين . فمن كان منهم على شيء من الغنى عمل جهده في اخفائه وتظاهر بالمسكنة والفقر . فقلّ ان ترى بيوتاً فاخرة الا ما كان منها الولاة

والجكام والاغوات . اما المساكن الاخرى فظاهرها رثّ ، قليل النوافذ ، خالٍ من الهندسة . وقد يكون في داخلها بعض اسباب الراحة والرياش الثمين . قال دي ڤولني : سوّلت لاحد الاغنياء نفسه ان يبني له قصرًا . فما رآه الباشا حتى ارسل الى ربّ القصر يقول له : إنه يودّ لو زاره وتناول القهوة في بيته . فلما دخل البيت طابت له الاقامة فيه ولم يتخلّص منه صاحبنا الا بهدية « زهيدة » تبلغ عشرة آلاف ذهب ، على ان يعود لزيارته مرة ثانية .

وكأنّ هذه الآفات الثلاث : آفة الوالي ، وآفة الجباة ، وآفة الجند ، لم تكن كافيةً لازهاق الشعب . فهناك آفة اخرى قد تكون اشدّ وقعاً عليه ، الا وهي الفتن والحروب المتواصلة . فتارةً يثور الجند على الباشا لتهاونه في الانفاق عليهم ، وطورًا يشنّ البدو الغارة على اهالي الحضر لنهبهم وسلبهم ، او تُثير الحرب بين الولاة انفسهم تراحماً على لواء او انتقاماً من منافس او عدوّ او تحصيلًا لجزية أبى احدهم دفعها . وهكذا يظل الجُند يسرحون في البلاد عرضاً وطولًا يعيثون فيها فسادًا ويُلقون الرعب في قلوب الاهلين ، ويسوقون الطرش ، ويحرقون الزرع ، ويُتلفون الغرس ، ويهدمون البيوت ، فحيث يمرون لا يتركون الّا اطلالًا بالية خالية . ومن يخامره الشك في اقوال دي ڤولني ما عليه الا مراجعة تاريخ الامير حيدر الشهابي الذي يتكلم عن تلك الفترة من الزمن ليتأكد له صحة ما اورده الكاتب الفرنسوي . فان الغالب من المقاتلين ما استولى على قرية او مدينة الا احرقها ونهبها متبعاً في ذلك المثل العربي القائل : من غلب سلب ، ومن عزّ بزّ . وكانت الاضرار تكاد تنحصر في الاموال ، لأن المواقع ما كانت تُسفر الا عن قليل من الجرحى والقتلى . وكان الفريق المدحور يتبدد خاذلًا اميره غير ملتفت اليه ، وكيف لا يكون ذلك والجنود مأجورون غرباء لا يحاربون لغاية شريفة او مدافعة عن وطنهم ، بل سعياً وراء جرّ مكسب او مغنم .

اما الباب العالي فكان موقفه من هذه الحروب الاهلية موقف النظارة لا يتدخل فيها الا اذا كان خطرٌ على السلطنة ، وربما عاون احد الولاة على قرينه لوفر في غناه ، او ابسطة يده في الرشوة ، فليس من رائد غير المال ولا من مطمع الا نشر الفساد والتفرقة بين الرعية ، فتراه لا يُحجم في سبيل النهم

والمنفعة عن انزال النقمة بخير عمّاله واظهار الرضى لشرّ ولاته . فالجزّار ، وهو المنتصب السفّاح ، كاد يستولي على جميع البلاد السورية بالدسائس والعراطيل والقحة ، فانه اشترى لواء دمشق ، وجمع في يده الى هذا اللواء لواء عكا ولواء طرابلس ، وطمع في لواء حلب .

وقائل يقول : اما من مرجع للشعب يرفع اليه شكواه ويعرض عليه ظلامته ؟ أما من محاكم للنظر في دعاوى السلب والنهب والاغتيال ؟

لم يكن من مرجع في الجنايات والجنح الا الوالي هو الحاكم الفرد لا استئناف لحكمه ولا تمييز ، فاذا فصلَ في قضية نُفذ حُكمه في الحال . وليس من دور للعدل فالمحكمة حيث يكون الوالي . وقد يؤتى بالجاني الى الحاكم ، والحاكم في طريقه الى نزهة او الى صيد ، فيُصدر الحكم باعدامه ويأمر الجلادَ الذي لا يفارقه بتنفيذ الحكم فيمدّ الجاني عُنقه ويطيح الجلاد رأسه ، ويتابع الوالي طريقه الى النزهة او الى الصيد ، وينتهي الامر . وقد يتولى الحاكم تنفيذ الحكم بنفسه ، كما فعل الجزار اذ بقر بطن احد البنائين بضربة من فأسه .

وقد يَعهدُ الوالي بهذه السلطة الى عمال له ، فينبثون في المدن والقُرى ، ويتخذون لهم الجواسيس والوشاة ، ويكون مُعظم هؤلاء من الاشرار المفسدين الدسّاسين ، فيكثر الجور ، ويعم الظلم ، ويسود العرطيل والرشوة ، ولا سيما في محالّ التجارة حيث تفحص المكاييل والموازين ، ويعاقب على كل خلل فيها بخمسمائة جلدة وبعض الاحيان بالقتل .

ولم يكن من محاكم مستقلة الا المحاكم الشرعية . فان هذه المحاكم كانت مرتبطة رأساً بقاضي القُضاة او قاضي العسكر في الآستانة . وكانت ، على حد قول ڤولني ، على غاية من البساطة . فالقاضي يجلس للقضاء في بيت لا يحجبه به حاجب عن المتداعين ، ولا يقوم بينه وبينهم وسطاء ولا محامون ، فتقلّ النفقة ويُقتصد بالوقت . واذا كان القاضي نزيهاً عالماً بالشرع اقام ميزان العدل وانصف الناس وارضى الجميع . واذا كان جاهلاً غاشماً محباً المال ، اضطرب الامر واصبح ظلمه موازياً لظلم الحاكم متمماً له .

ولا نتكلم عن النظافة واسباب الراحة في المدن فانها كانت مفقودة ، ولا

عن العلم فان الجهل كان مخيماً على الربوع السورية. لا مدارس فيها ولا كتب ولا اطباء ولا مهندسين. وجلّ ما هناك بعض علماء في الشرع يُرشحون نفوسهم للقضاء.

اما الصناعة فكانت تستخدم ادوات مضى على اختراعها الوف من السنين. وكان القسم الاكبر من التجارة بيد الاجانب من فرنجة وارمن ويونان وما ذلك لزهد الاهلين بها او ترفعاً او ورَعاً، بل لاسباب اخرى. منها أن الباب العالي كان، لحكمة لا تدرك او لسهولة تحصيل المال، يُراعي جانب الاجنبي ويميزه على ابناء البلاد. فكان الاجنبي مثلاً يدفع عن بضاعته عند اخراجها من الجمرك ثلاثة بالمائة بينما الوطني يدفع سبعة او عشرة. وكان الاجنبي، اذا دفع الرسوم الجمركية أُعفي منها عند نقل بضاعته من بلد الى بلد. اما الوطني فكان يدفع عنها رسماً جديداً كلما نقلت. وكان الباب العالي يُوزّع على سفراء الدول، عند قدومهم الى العاصمة العثمانية براءات اي رُخصاً للمتاجرة. وكان السفراء يوزّعونها بدورهم مجاناً على رعاياهم. ثم سرت اليهم عدوى حب المال فاخذوا يبيعونها منهم بيعاً.

هذه صورة مصغرة عن حالة البلاد السورية في اواخر القرن الثامن عشر. ولا عجب ان تؤثر هذه الحالة في الاخلاق الاجتماعية والعادات فتظلم النفوس ويكثر القلق، وتذهب البشاشة من الوجوه، ويخفّ النشاط والسعي، وتضعف الثقة بالحكام، ويتظاهر الناس بالبؤس والفقر. وقد توهم بعضهم، ومنهم مونتسكيو، ان سبب هذا الكسل والتراخي في بُلدان الشرق هو إقليمها الحارّ. فرد عليهم دي ڤولني رداً طويلاً جاء فيه أن الظلم واضطراب الامن هما اصل كل هذا البلاء، وان الحرّ لو كان سبباً لقلة النشاط والحركة لما قامت دول الشرق القديمة التي دوّخت العالم ولما ازدهرت في قلب الصحراء مدينة تدمر العجيبة.

وكأنّ ڤولني اراد ان يقدم دليلاً قاطعاً على صحة رأيه، فشفع وصفه لسوريا بوصف منطقة من هذا الاقليم الحارّ، قائمة على البحر المتوسط، هي لبنان، فقال: ان قبساً ضئيلاً من نور الحرية والوطنية يغيّر وجه الارض.

كانت حدود لبنان في ذلك الزمن تتسع او تضيق، وفقاً لسطوة حكامه

وحنكتهم السياسية فتكون تارةً من صفد وعجلون الى بعلبك وتشمل بيروت. وتكون طوراً دون ذلك . على ان لبنان لم يكن في اي وقت من الأوقات خاضعاً خضوعاً تاماً لسلطان الاتراك ، وقد ظلّ مستقلاً في حُكمه لا تربطه بالباب العالي أية رابطة، حتى سنة ١٥٨٨ ، حيث تفاقم اعتداؤه على اراضي الدولة فجرّد عليه السلطان مراد الثالث جيشاً عظيماً لاذلاله ووضع حدّ لطغيان ابنائه الدروز والموارنة . فتمكن ابراهيم باشا ، القائد التركي ، بقوة جيشه وبذره بذور الشقاق والخلاف بين زعمائهم من ردّهم الى جبالهم وفرض الجزية عليهم. لكنهم ظلوا مستقلين في ادارة شؤونهم الداخلية لا يولّون عليهم الا منهم. وكانت هذه الجزية تعظم او تضؤل تبعاً للاحوال السياسية ولقوة شوكة الامير اللبناني او ضعفها. وقد يأبى الامير دفعها غير آبه لتهديد الباب العالي ووعيده ، وقد يُعلن عمالَه الحرب ويساجلهم القتال ويستولي على مدنهم واراضيهم . وكثيراً ما حاول عُمال الاتراك إقتحام الجبل فعادوا بخفّي حنين . وهل من حاجة لذكر ما قام به فخر الدين المعني من مآثر مجيدة واعمال جليلة ، كانت اكليلاً من الغار على جبين لبنان الناصع.

كان لبنان مؤلفاً من منطقتين: جبل الدروز ، وبلاد كسروان . وكانت حكومته ، على حدّ قول فولني ، حكومة غريبة الشكل فهي ملكية ارستوقراطية ديموقراطية في وقت واحد . فان رئيسها اميرٌ مطلق السلطة يرث الامارة عن ابيه ويورثها ابناءه ، او إخوته اذا لم يكن له ابناء ، واذا انقرض الذكور من الاسرة الحاكمة انتخب امراء البلاد ومشايخها واعيانها خلفاً له من أسرة اخرى عريقة في الحسب والنسب ذات حول وطول. وكان الامير يتصرف بشؤون رعيته تصرف الاب بشؤون بيته . فاذا كان حازماً عادلاً انقادت له البلاد وأطاعته طاعة عمياء . واذا كان ضعيف الرأي خائر العزيمة ، تراخت عنه وربما انقلبت عليه. غير أنه على تفرده بالحكم ما كان ليستبدّ برأيه ، ويستقل بادارته ، بل يُكثر من المشورة ويستطلع افكار ذوي الفضل والحنكة. ولا يبتّ في امر هام الا بعد ان يعقد مجالس عامة يشترك فيها وجوه البلاد ، وكل من له جرأة من أبناء الشعب . وكان يتحتم عليه عقدُ هذه المجالس اذا اراد زيادة

ضريبة الاموال الاميرية ، او اعلان حرب ، او عقد صلح . فهذه القضايا العمومية يبتّ فيها جميع سكان البلاد ، لان لها مساساً بكل فرد منهم ، ولان كل فرد من الشعب يغار على مصلحة الوطن غيرة الامير نفسه ، ويدافع عنه دفاعه عن بيته . ولم يكن للامير في ايام السلم جند نظامي من الاغراب كما هي الحالة في البلاد السورية ، بل كان جميع اهالي البلاد جنوده يلبون طلبه ويحشدون لاول إشارة منه . فاذا أعلنت الحرب ، صعد المنادون في المساء الى قمم الجبال في دير القمر وطرحوا الصوت صارخين في سكون الليل بملء حناجرهم : « الحرب . الحرب . تقلدوا البنادق والسيوف والرماح وامتطوا الخيل وهُبّوا الى دير القمر » فاذا سُمع هذا النداء الرهيب وردّدته اصداء الاودية ، صعد المنادون في القرى المجاورة الى اعالي التلال وردّدوه ، فلا يمضي بعض الزمن حتى ينتشر الخبر من اقصى الجبل الى اقصاه وتتألب الرجال من جميع الجهات متوافدة الى الدير : الامراء والمشايخ على خيولهم ، والاهالي على اقدامهم . وكانت الحرب متواصلة بين الجبل وجيرانه فكان ابناؤه يتمرسون بها ويصبرون صبر الابطال ، واذا كان سلم قضوا اوقاتهم بالتدرب عليها والتمرن على فنونها ، فكانوا من خيرة الفرسان والرماة وعلى جانب عظيم من الشجاعة والجرأة .

يقول دي ڤولني : لو اتيح لهؤلاء الجنود البواسل أن يُدرَّبوا تدريباً عسكرياً حديثاً ، وان يُجهَّزوا بالمعدات الحربية ، وان يكونوا تحت قيادة قواد ماهرين كما هي الحال في اوروبة ، لتفوّقوا تفوقاً بيّناً على الجيوش الاوروبية . فانهم على جرأة تقرب من التهوّر ، صليبو العود ، مفتولو الساعد ، صبورون على الشدائد ، اطوع لقائدهم من بنانه . ويذكر أنهم في سنة ١٧٨٤ قضوا ثلاثة اشهر منتشرين في الفلاة لا خيم ولا بيوت يأوون اليها ، وأنهم رغم قلة المؤن وخفة اللباس ، ورغم تعرّضهم للتقلبات الجوية ، لم ينل المرض والموت منهم اكثر مما ينالانه فيما لو كانوا في بيوتهم وقال : «ان هذه المدّة الطويلة التي قضوها على هذه الصفة في الحرب لا يقوى الفرنسيون ولا الانكليز على الثبات عليها مدة عشرة ايام .»

كان عدد سكان لبنان من دروز وموارنة يبلغ ما يقارب الـ ٢٢٥٠٠٠ نفس يحشد منهم في ايام الحرب ٧٥ الف جُندي كلهم صالح للقتال . وكان معدل عدد الاهالي في الفرسخ المربع ١١٠٠ نفس، اي ما يوازي في ذلك الحين نسبة المقاطعات الفرنسوية الاوفر سُكاناً والاكثر خصباً ، مع ان المنطقة اللبنانية مُعظمها من الجبال العالية الجرداء ، وما بقي منها فاراضٍ صخرية لا تصلح للزراعة او اراضٍ خفيفة التربة لا تخصب الا بفضل نشاط اللبنانيين وجلدهم . وقد بلغ بهم الحرص على احياء الزراعة شأوًا بعيدًا حتى انهم فتتوا الصخور وزرعوها .

هذا ولم يكن في لبنان شأن للصناعة والتجارة ، فما سبب هذه الكثرة في السكان ؟

لذلك اسباب عدة منها الامن والطمأنينة . فليس هنالك ظلم ولا بلص ، ولا جند اغراب يتعدّون على الارزاق والارواح ، ولا بدو يرعون الزرع عشباً . ومنها مُلكية الارض فكل لبناني ارضه له ، او كأنها له ، يتعهدها ويحييها ويأكل ثمرها وينام مرتاح البال على يقين من انه يورثها ابناءه بعد موته . ومنها أن الجبل كان ملجأ للفارين من وجه الظلم يأتون اليه معتصمين فيلقون معقلاً منيعاً وصدورًا رحبة ويكثر بهم عدد الاهالي ، وتقوى شوكتهم وتعظم هيبتهم في نفوس جيرانهم ، وتزيد بهم الجنود والايدي العاملة . كانت الاراضي فيما مضى اقطاعات للاسر الكبيرة ، ولم يكونوا يتمكنون من استغلالها ، فاخذوا يبيعونها ، حُبًّا لاحيائها ، من الفلاحين ، فتوزعت ، واصبح لكل فلاح ارضه يُعنى بها عناءه بابنائه ، ولم يكن عمله ابّان السلم الا الزراعة والتمرن على الاعمال الحربية ، وكان جميع ابناء البلاد ينصرفون اليها ، المشايخ منهم والعامة على حد سواء ، ولاسيما الرهبان والكهنة . وذكر ڤولني أنه كان في كل دير من اديار الجبل رهبان يتعاطون الخياطة والاسكفة والتجارة وما الى ذلك .

وكانت المساواة سائدة في لبنان حتى في توزيع الاموال الاميرية ، فلا يدفع احدهم الضريبة الا على نسبة ما يملك . وكانوا يتساوون ايضاً في اللبس . فلا يفرق بين الشيخ والفلّاح الا عباءة قد تكون مرقعة لا قيمة لها . وهنا

ينتقد ڤولني طريقة توزيع الارث في لبنان فيقول : يحق للبناني ان يورث احد ابنائه دون اخوته محافظةً على تُراث العائلة، مما ادّى الى وجود مشايخ وامراء لا يملكون الا القابهم ، يدعون امراء الزيتون .

ولم يكن في الحكومة اللبنانية قوانين جزائية او مدنية مكتوبة . بل كانوا يتمشون في ذلك على العرف والعادة . وكان الحاكم يعيّن القضاة . غير انه كان يحتفظ لنفسه بحق العفو او تنفيذ حُكم الاعدام.

وكان الدروز والنصارى على احسن ما يكون من الالفة والتساهل ، لا يتدخل بينهم الدين ، ولا تفرق بينهم الحزازات والاحن ، بل كانوا يداً واحدة على العدو الاجنبي ، حريصين على استقلالهم وراحتهم ، في جبرة بلادٍ سادتها وجنودها ليسوا منها يغمرها الاضطراب والارهاب والجور ، ولا معنى للوطنية فيها .

وكان الدروز يقطعون في جبالهم الاقطاعات للرهبان النصارى فيبنون فيها اديارهم ويمارسون فيها شعائرهم ، ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون . وكان مدبرو الامراء الدروز ومستشاروهم وكتابهم من النصارى لان هؤلاء كانوا اسبق من انصرف للعلم في تلك الايام بفضل المطابع التي انشأها الرهبان في لبنان ومنها مطبعة مار حنا الشوير . انشأها في اواخر القرن الثامن عشر رجل كان قد تتلمذ على اليسوعيين في حلب يدعى عبدالله زاخر . وُشي به للباب العالي فاصدر خطاً شريفاً بقتله ، ففرّ والتجأ الى دير مار حنا للرهبان الكاثوليك ، وكان اخوه رئيساً عليه ، فتعاونا على اعداد المطبعة . فرسم عبدالله حروفها وحفر أمهاتها واخذ في طبع الكتب بمؤازرة الرهبان . فكان اول ما طبع كتاب المزامير لداود النبي ، فاصبح هذا الكتاب مدرسياً يتعلّم به الاولاد القراءة[1] . وهكذا انتشر العلم في لبنان في جوّ مطمئن هادئ وما لبث ان انتشر منه الى الاقطار المجاورة .

وكان الدروز والموارنة ، اذا قابلوا بين حالتهم وحالة جيرانهم ، وجدوا فرقاً

---

(١) هذا ما دوّنه ڤولني من معلومات عن عبدالله زاخر ومطبعته ، تناولها في دير مار يوحنا نفسه ، وقد أقام بين رهبانه اياماً كثيرة . وقد يكون في تفاصيل روايته بعض الهنات الطفيفة ، الا انها لا تضير الفكرة العامّة .

عظيماً: هم احرار، وجيرانهم رازحون تحت نير الظلم والجور. هم مطمئنون، وجيرانهم في قلق دائم. هم يحكمون انفسهم بنفسهم، وجيرانهم حكامهم غرباء. هم جند البلاد يدافعون عنها ويفدونها باموالهم وارواحهم، وجيرانهم جنودهم موزعة من شذاذ الاقطار. هم في أمن، وجيرانهم في خوف. فتعظم عندهم نفوسهم، وتغلب فيهم الانفة والعزة، وتشرق وجوههم بالبشاشة والطلاقة، ويقل فيهم الخبث والسكينة، ويكثر النشاط والاقدام.

غير انهم كانوا في بيئتهم الضيقة مكتوفي الايدي، قصيري الباع، محفوفين بالخطر، معرضين للاعتداء والانتقام، لا عاصم الا جبلهم وجرأتهم، ولا حصن الا اتحادهم والفتهم، لا يتسع لهم مدى لمواهبهم ولا ينفتح لهم منفذ لانتشارهم.

فاذا قابلنا بين ما كانوا عليه اذ ذاك وما صاروا اليه اليوم وجدنا بوناً شاسعاً. واذا قابلنا بين حالة سورية في تلك الايام وحالتها الان، وجدنا البون اوسع. فما هي العوامل التي ساهمت في هذا التطور السعيد؟

أترانا لو تركنا وشأننا وظللنا منعزلين في هذا السور المبني بحجارة الجور والاستبداد أكنا تمكنا بنفوسنا من الانعتاق وبماشاة الامم الحية على طريق الرقي والعمران. قد يكون ذلك ممكناً لو كانت مقدراتنا بيدنا، ولو كنا على كلمة واحدة تنفخ في صدورنا روح الوطنية والغيرة على المصالح العمومية. اما، والحالة ما رأينا، فكان لا بدّ لنا من نجدة تأتينا من الخارج وتقشع عنا هذه الغيوم المتلبدة في سمائنا، وقد جاءتنا هذه النجدة على اشكال شتى لم يكن شعار جميعها المحبة والعاطفة الانسانية، بل كان رائد معظمها يرمي الى خلاف ذلك. فهناك المطامع الاستعمارية، والمنافسات السياسية والمنافع التجارية. على أنها، مهما تنوعت ومهما كان القصد منها، فان الذي اوجدته بيننا وبين الغرب قد اثمر ثماراً عاد خيرها علينا فأفدنا منها ولا نزال. وسواء اكان الاجانب اصدقاء، ام غير اصدقاء. فاننا باختلاطنا بهم قد تفتحت عيوننا على آفاق واسعة في جميع الحقول السياسية والادبية والوطنية والعلمية لم نكن لنحلم بها لولا هذا الاتصال. اما وعينا الحاضر الذي يدب الآن في صدر كل منا فاني اراه قد استيقظ من سباته العميق على دوي مدافع نابليون في عكا.

«الاكروستيش» او فن التوزيع

ودلالته على صحة نسبة كتاب الاكطوبخوس

لبوطنا الدمشقي

علم الاب نقولاوس قادري

ماهية « التوزيع »

ان كلمة « اكروستيش » (Acrostiche) مركبة من كلمتين يونانيتين : ἄκρος الدالة على حدّ او طرف. Στίχος الدالة على بيت من الشعر ، ويقابلها في العربية لفظة « توزيع » .

و« الاكروستيش » قصيد صغير يتألف من ابيات يوازي عددها عدد الحروف التي يتألف منها الاسم ، او بيت الشعر ، او موضوع القصيدة ؛ بنوع ان كل بيت من هذه الابيات يبتدئ بحرف اولي من حروف ذلك الاسم او ذاك البيت . واذا جمعتها بتتابع ونظام بانَ لك الاسم بكامله في اوائل ابيات القصيدة . واليك هذا التوزيع الافرنسي للملك لويس الرابع عشر :

L ouis est un héros sans peur et sans reproche :
O n désire le voir. Aussitôt qu'on l'approche,
U n sentiment d'amour enflamme tous les cœurs.
I l ne trouve chez nous que des adorateurs.
S on image est partout, excepté dans ma poche. (1.

Louis

على ان هذا الذوق الأدبي الفني وانتقاء المواضيع ، واستعمال « الاكروستيش »

1) cf. *Dict. d'Archéol. Chret. et de Liturgie*, t. I. p. 360.

2) cf. *Larousse*, au mot *acrostiche*.

في القصائد والاناشيد ، علامات قيمة تدل على الحالة الفكرية في عصر من العصور

فعلم الآثار والاثريات مصدر من مصادر علم النفس والاجتماع . ولقد احسن في ما قاله في هذا المعنى العلامة الافرنسي ليتره (Littré): « عندما نفكر في ارتباط المعاني في صفحة من صفحات الشعر ، ونهبط من فكرة الشعر الى فكرة السطر ، ومن فكرة السطر الى فكرة الرتبة ، ومن فكرة الرتبة الى فكرة العمل الذي به ثبت الشاعر وحدّد تلك النقاط التي تؤلف الرتبة ، فاننا نقف حقيقة على عمل العقل البشري الغريب والظاهر في جميع هذه الاصطلاحات غير المسلوكة والمجردة ».[1]

❁

« والاكروستيش » نوعان شعري وابجدي . فهذا تسلية لغوية ادبية قديمة العهد ، على ما يظهر لنا ، وذاك عمل فكري عميق يربط معاني الابيات بمباني الحروف ويدلّ على جهود الفكر في عصر من العصور

التوزيع الابجدي بسيط يتركب من الحروف الابجدية تدخل في اوائل ابيات القصيدة فيكون إمّا مقطعيًا وإمّا فرديًا.

فالتوزيع المقطعي على نوعين : إمّا ان يعاد الحرف في كل بيت من ابيات المقطع الواحد ، وامّا ان يكون لمقطع واحد حرف واحد يظهر في اول بيت من المقطع مرّة واحدة .

والتوزيع الفردي هو ما يظهر في كل بيت من النشيد مبتدئًا بأول حرف من الابجدية بأول بيت من القصيدة . وهكذا تتوارد الحروف الابجدية بتتابع ونظام في كل ابيات القصيدة حتى آخر حرف من حروف الابجدية .

واصل هذا التوزيع الابجدي في نوعيه يرجع الى العبرانيين الذين نظموا الشريعة شعرًا ، ودبّجوها بهذا الفن الطريف . وقد اخذ عنهم ذلك السريان ، والرومان ، واليونان ، والعرب وغيرهم.

والتوزيع الشعري هو ما كان موضوعه اسمًا او آية او بيتًا من الشعر او

1) Littré, *Dictionnaire de la Langue française*, t. I, p. 48, col. 3.

ابياتاً ، يوزع الشاعر هذه الحروف على ابيات القصيدة او مقاطعها صغيرة كانت او كبيرة.

واما نشأة هذا التوزيع الشعري فتعود بالاخص الى الشاعر اليوناني ابيكرم (Hipponax) الشاعر الهزلي وربيب القرن الخامس قبل المسيح (+ ١٥٠).

وقد اكّد سرّ هذه الالعاب الادبية الفكرية الكثير من الشعراء على ان التوزيع كان نوعاً من انواع الاحاجي التي استعملتها بنات البحر ليتكهّن بها للناس ويعرّفنهم المضمرات الغوامض.

التوزيع عند العبرانيين

ان آثار العبرانيين الشعرية حافلة بالاناشيد التي تبتدئ ابياتها بالحروف الابجدية العبرية ، والتي تهيمن عليها روح علوية طبعت في نفسية الشعب العبراني حبّ الشريعة الأزلية والوصايا الالهية . فاذا بها مكتوبة بالحروف الابجدية كطابع خصوصي للشعب المنتخب الذي أخذ على نفسه ان يسير في شريعة الربّ ويهذّ بها نهاراً وليلاً الى أن تكلّ عيناه من النظر الى اقوال الرب...

واول من تغنى بالحروف الابجدية كان داود النبي . فمن تصفح المزامير الشعرية باللغة العبرية وجد فيها ثمانية مزامير مختومة بخاتم التوزيع وهذه المزامير هي : ٩ و١٠ و٢٤ و٣٣ و١١٠ و١١١ و١١٨ و١٤٥ . وأضف الى هذه المزامير الثمانية الفصلَ الحادي والثلاثين من سفر الامثال ، ومراثي ارميا الا الفصل الاخير منها . كما يظهر ذلك في الترجمة العربية اليسوعية للكتاب التي وقف عليها الشيخ ابراهيم اليازجي واخرجتها المطبعة الكاثوليكية ؛ حيث نجد آيات المراثي مسبوقة بالحروف الابجدية العبرانية.

واذا سألنا ذواتنا لماذا استعمل الشعراء العبرانيون التوزيع الابجدي في اناشيدهم ، اجبنا ان ذلك كان أولاً لحفظ الاناشيد غيباً بسهولة ، لان تصدّر حروف الهجاء في اوائل الآيات يساعد مساعدة كبرى على التذكر السريع بأول كلمة من الآية.

وهنا لا بدّ من ملاحظة صغيرة وهي ان التوزيع في المزمور التاسع

والعاشر غير كامل . ولعلّ ذلك النقص ناتج من تقسيم هذين المزمورين الى اثنين بينما يدلّ الاصل على انهما مزمور واحد لانهما يتكملان بتوزيع واحد

واما المزمور المئة والثامن عشر ومطلعه : « طوبى للاذكياء في الطريق السائرين في الشريعة » فله توزيع مقطعي او دوري . وهو مقسوم الى اثنين وعشرين دورا ، وكل دور مؤلف من ثماني آيات تبتدئ بالحرف الواحد ثماني مرات « ولا يخفى ما في هذا الترتيب المنتظم من الملاءمة للنفس وما يلقيه من الطلاوة والبهجة على كُدة الكلام التعليمي المسرود في هذا المزمور فضلاً عما هنا من التخفيف على قوة الذاكرة »[1] .

وقد استعمل التوزيع صاحب سفر الأمثال . فنجد أثره في الفصل الحادي والثلاثين من الآية العاشرة حيث يبدأ « من يجد المرأة الفاضلة ان قيمتها فوق اللآلئ » فهذه الآية هي بمنزلة مطلع لقصيدة في مديح المرأة الفاضلة قد نظمت على حروف الهجاء ، وهي اثنتان وعشرون آية ، وكل آية منها مفتتحة بحرف من الحروف الابجدية العبرانية حسب ترتيبها .

واستعمل النبي ارميا التوزيع في مراثيه ، في الفصول الاربعة ، مع هذا الاختلاف البسيط بينها وهو ان الفصول الاول والثاني والرابع مؤلفة من توزيع فردي ، اي لكل آية حرف يبتدئ بها . واما في الفصل الثالث فكل حرف من الابجدية يفتتح ثلاث آيات متلازمة وهذا الفصل اكبر الفصول الأربعة في مراثي ارميا .

وربما كان هذا الاستعمال من النبي ارميا يقصد منه فاتخذ التوزيع كسد يحدّد ويقيّد به شعوره وألمه . ومهما تكن دواعي هذا الاستعمال ، فترتيب الحروف لا يضرّ ابدًا بالتعبير الطبيعي الشعري عما في النفس من العواطف ، فهو يماثل مجرى النهر الضيّق الذي يحدّد جري المياه وقد تتفجر عيون صافية وتتدفق بسرعة من بين الصخور التي تضم شواطئ النهر[2] .

---

١) راجع حاشية في الكتاب المقدّس على المزمور ١١٨ من الترجمة العربية المجلد الثاني ص ٨٤٦ ، عمود ٢ .

٢) L. Haneberg : *Histoire de la Révélation Biblique*, t. I, p. 353.

التوزيع عند السريان

وعرف السريان التوزيع العبراني . فتلقّفوه عن العبرانية ، لما رأوا فيه من التسلية الادبية ، والسهولة في حفظ الاناشيد والقصائد الدينية ونجد آثاراً لهذا الفن في الآداب المعرفية (Gnostiques) في الكتاب المعنون : كتاب آدم (Liber Adam) . فهناك اربعة مزامير مختومة بخاتم الابجدية المطّردة وكل مزمور مركب من اثنتين وعشرين آية تقابل حروف اللغة السريانية .

وقد ألف كثير من شعراء السريانية الكنسيين « مداريشهم » ومياسرهم على حروف الهجاء ليسهل حفظها غيباً . فالشاعران يعقوب الرّهاوي والقديس افرام السرياني تتبعا التوزيع في قصائدهما ولا تزال محفوظة في كتب « وشحيات » السريان والموارنة .

ونجد ايضاً اثراً للتوزيع الابجدي في ما نقله السريان عن الصلوات اليونانية الى السريانية ، كما في قانون عيد البشارة ليوحنا الدمشقي ، وقد صرّح بذلك احد علماء السريانية الخوري اسحق ارملة السرياني في مقالته : « السريان والملكيون » في مجلة المشرق الغراء قال :

« بيد ان السريان في نقلهم قانون العذراء الجليلة تأليف يوحنا المتوحد (الدمشقي) لم ينهجوا نهج سائر القوانين اليونانية التي ترجموها بل توسعوا في نقلها خصوصاً منذ الأودية الثامنة التي تقابلها في السريانية تسبيحة الفتيان في اتون بابل فنظموا عباراتها عبارة عبارة طبقاً للحروف السريانية الابجدية طرداً وعكساً أعني من الالف الى التاء ثم من التاء الى الالف حتى اصبح مجموعها ٤٤ عبارة ولم يضبطوا وزنها وفقاً للنظم السرياني »[1] .

اجل ان السريان في نقلهم قانون يوحنا الدمشقي الى لغتهم ارادوا ان يتقلدوه حتى في مباني القصيدة اليونانية الّا انهم اضطروا الى تخفيف عباراتها الاصلية من ٤٨ عبارة طرداً وعكساً الى ٤٤ لان حروف الابجدية السريانية اثنان وعشرون حرفاً بينما ان حروف اليونانية اربعة وعشرون حرفاً .

---

١) راجع مجلة « المشرق » ٣٩ [١٩٤١] ٢٦١ – ٢٦٢ .

وقد اطلعنا حضرة الخوري اسحق ارملة الموما اليه على ميمر للقديس افرام نظمه في آية داود النبي ܫܦܪܐ ܘܢܗܝܪܐ ܠܠܒܐ ܕܡܫܪܝܢ ܠܒܐ ܫܡܝܐ : « أشرق النور على الصديق والفرح على المستقيمي القلوب » (مز ٩٦ : ١١) على طريقة « التوزيع » مبتدئاً في كل بيت بحرف من احرف يسوع المسيح وهذا هو :

ܝ ـ ܫܦܪ ܡܢ ܕܡܫܝܚܐ ܘܢܗܝܪ ܠܒ
ܥܠ ܙܕܝܩܐ ܘܠܫܪܝܪܐ .
ܐܝܟ ܕܐܝܬ ܥܠ ܫܡܝܐ ܠܐ
ܡܢܘܢ ܕܒ ܡܢܘܢ ܠܐ ÷
ܝ ـ ܐܝܬ ܠܢ ܐܒܐ ܕܫܡܝܐ
ܡܢܘܢ ܡܫܬܠܝܢ ܘܫܪܝܐ .
ܫܦܪ ܘܢܗܝܪ ܠܒ ܥܠ ܫܪܝܪܐ
ܡܢܘܢ ܕܫܪܝܐ ܠܒܐ ÷
ܝ ـ ܡܫܝܚܐ ܐܝܬ ܠܢ ܠܐ
ܡܢܘܢ ܕܡܫܝܚܐ ܐܝܬ .
ܘܢܗܝܪ ܡܫܝܚܐ ܡܢܘܢ ܫܦܪ
ܡܢܘܢ ܕܢܗܝܪ ܠܒ ÷
ܝ ـ ܡܢܘܢ ܕܡܫܝܚܐ ܐܝܬ
ܥܠ ܡܫܝܚ ܫܦܪ ܕܐ :
ܡܫܝܚ ܐܝܬ ܠܢ ܡܢ ܫܡܝܐ
ܡܫܝܚ ܘܢܗܝܪ ܠܒ ÷
ܝ ـ ܡܫܝܚ ܫܦܪ ܡܢ ܫܡܝܐ
ܡܢܘܢ ܕܢܗܝܪ ܠܒ .
ܡܢ ܐܝܬ ܠܢ ܡܫܝܚܐ ܕܐ
ܡܢܘܢ ܕܢܗܝܪ ܠܒ ÷

م - ܡܠܟܐ ܕܐܒܐ ܕܚܝܐ ܘܩܐ
ܟܠܗܘܢ ܡܬܝܢ ܡܢܗܘܢ ܠܐܘܪܚܐ .
ܡܫܒܚܐ ܠܗ ܐܝܟ ܕܫܠܝܛ ܗܘܐ
ܕܡܫܒܚܐ ܠܗ ܠܥܠܡܐ ܥܠܡܐ ؛

ܢ - ܡܘܕܝܢܐ ܕܫܡܝܐ ܠܟܢܝܫܬܐ
ܕܡܠܟܐ ܡܫܝܚܐ ܕܚܝܐ ܘܩܐ .
ܕܡܫܒܚܐ ܘܡܩܕܫܐ ܕܡܠܟܘܬܗ ܪܒܬܐ
ܕܡܬܩܪܒ ܠܘܬ ܩܘܕܫܐ ؛

ܣ - ܡܪܝܡ ܕܐܝܟ ܐܡܐ ܕܡܫܝܚܐ
ܕܢܦܩܘ ܠܐܘܪܚܐ ܕܫܠܡܐ .
ܕܡܫܒܚܐ ܠܡܪܝܡ ܕܐܝܟ ܐܡܐ ܕܡܫܝܚܐ
ܕܠܐ ܢܬܒܛܠ ܡܢܗ ܫܘܡܐ ؛

ܥ - ܫܡܥܘܢ ܩܕܝܫܐ ܕܐܝܟ ܐܒܐ
ܕܚܝܐ ܘܩܐ ܕܐܝܟ ܐܒܐ ܕܡܫܝܚܐ .
ܕܡܫܒܚܐ ܠܫܡܥܘܢ ܩܕܝܫܐ ܕܐܝܟ ܐܒܐ
ܕܠܐ ܢܬܒܛܠ ܡܢܗ ܫܘܡܐ ؛

ܐ - ܐܝܬ ܡܘܕܝܬܐ ܠܡܫܝܚܐ
ܕܢܗܘܐ ܚܕܝܢ ܡܢܗܘܢ .
ܕܐܝܟ ܕܡܫܒܚܐ ܡܫܝܚܐ ܠܗ
ܕܡܫܒܚܐ ܠܥܠܡ ܥܠܡܐ ؛

عن كتاب الصلاة الفرضية حسب الطقس الكلداني (١ : ٢٥)

وهذه ترجمته الى العربية

ي : ان يسوع المسيح ربنا قد لاح لنا من حضن ابيه ،
أقبلَ فأخرجَنا من الظلمة ، وانارنا بضيائه البهي .
ا : بزغ النهار على البشر ، وانقشع سلطان الظلام ؛
لاح لنا نورٌ من نوره ، وانار عيوننا المظلمة .

ش : أشرق مجدهُ ضمن المسكونة ، وانار التخوم السفلية ،
اطفأ الموت ، واخزم الظلام ، وتحطمت ابواب الجحيم .
و : وانار البرايا باسرها ، وقد كانت مظلمة ، فيا ساف !
انبعث الموتى الراقدون في التراب ، وجدوا (الله) لاهم فازوا بالخلاص .
ع : أجرى الخلاص ، ومنحنا الحياة ، وصعد الى ابيه الى الملاء ؛
وسيأتي بمجده العظيم ، وينير ابصار الذين انتظروه .
م : ان ملكنا سيأتي بمجده العظيم ، فلنُضئ مصابيحنا ونخرج الى لقائه ؛
ولنبتهج به ، كما ابتهج بنا ، وهو يبهجنا بنوره البهيّ .
ش : فلنؤدِّ التسبيح لعظمته ، ولنشكر جميعنا لابيه العليّ .
اذ قد فاضت رحمته ، فارسله الينا ، وصنع لنا رجاء وخلاصاً .
ي : انّ يومه سيلوح بغتةً ، ويخرج قديسوه الى لقائه ،
وكل الذين اشتاقوا وتاقوا واستعدوا يضيئون مصابيحهم .
ح : يفرح الملائكة ، وجنود السماء ، بمجد الابرار والصدّيقين ،
ويضعون الاكاليل في رؤوسهم ، ويتغنون معاً في الاناشيد والتهاليل .
ا : يا اخوتي ، انهضوا واستعدّوا ، لنؤدي الشكر لملكنا ومخلصنا ،
لانه سيأتي بمجده ، ويبهجنا بنوره البهيّ في الملكوت .

التوزيع عند اللاتين

لقد شاع عند الرومان استعمال التوزيع الشعري ، قبل المسيح . وراج هذا الفن في تواريخ المدافن . وقد وجد في بعض الحفريات الاسبانية التي اشار اليها العالم دي رُسّي رقم[1] يحمل توزيعاً يرجع الى نحو سنة ٧٨٣ للمسيح . والتوزيع موزّع في اول القصيدة وفي اواخرها كما ترى :

T e moderante regor Deus sit mici vita Beat A
U t merear abitare locis tuus incola sci S
S pem capio fore quod egi veniabile ob ho C
E xadi libens et sit fatenti venia larg A
R eor malũ merui set tu bonus arviter anfe R
H eu ne cerna tretrũ quem vultu et voce minac I
E den in regione locatus sim florib'nd ho C
D eboret ne animâ mersam fornacib' ast U
O currat set tua mici gratia longa penni S

١) راجع Patr. Lat., t. XCIX, p. 1231

فاذا جمعت اوائل الابيات قرأت Tuserhedo واذا جمعت اواخرها قرأت التوزيع التالي Ascaricus فهذه القصيدة الصغيرة الفها اسكريس لتكتب على ضريح صديقه تزرهاد Tuserhède.

وألف القديس اغسطينوس ووزن مزموراً ابجدياً لمحاربة المراطقة الدوناتية (Donatistes)، وذلك نحو سنة ٣٩٣ وقد قسم هذا المزمور الى مقطوعات عديدة، واتبعها بلازمة بعد كل مقطوعة، وهذه هي اللازمة باللغة اللاتينية:

Omnes qui gaudetis de Pace, modo verum judicate.

وهذا المزمور مسجع بنبراته المتساوية ولكنه يخرج عن الاوزان الشعرية المدرسية المرتكزة على مقطع طويل وقصير... فهو بتقطيعاته الصوتية، ونبراته الموسيقية، شعر طريف واوزان جديدة. وقد لجأ اغسطينوس الشاعر الى هذه الطريقة الحديثة لئلا تفوت غاية النشيد التي هي ايصال الحقيقة اللاهوتية الى عقلية القراء الذين هم بنظر اغسطينوس من طبقة الشعب ليفهموا الحقيقة في بردتها السهلة والواضحة[1].

يفتتح اغسطينوس قصيدته بهذا المطلع في مقطوعته الاولى:

Abundantia Peccatorum solet fratres conturbare.

ويبتدئ في مقطوعته الثانية بالحرف الابجدي الثاني:

Bonus auditor fortasse quaerit, qui ruperunt rete?

وقد ادخلت الكنيسة اللاتينية في ترانيم عيد الميلاد والظهور اناشيد رائعة تحمل التوزيع الابجدي وهذه الاناشيد من نظم الشاعر الشهير ساديليوس (Sedulius) ومطلعها: A Solis ortus cardine...

وقد نظم ساديليوس الشاعر نشيد الميلاد هذا على الحروف الابجدية اللاتينية متوخياً في كل ذلك التسلية الفنية والسهولة في حفظ النشيد.

وتبعه في ذلك الشاعر اللاتيني فورتوناتوس (Fortunatus) في نشيد نظمه لاسقف بردقال، فاستهل مطلع قصيدته بهذا البيت الابجدي:

---

١) راجع مجموعة الآباء اللاتين لمين ج٥٨، عمود ٢٣

Agnoscat omne seaeculum.
Antistitem Leontium.
Burdegalense prœmium.
Dono supremo redditum. (١)

فاول حرف A يتصور اول مقطوعة من القصيدة ثم يتابع الشاعر في كل ابيات قصيدته التوزيع الابجدي ، الى آخر مقطوعة حيث ينتهي بحرف Z آخر حرف من الابجدية اللاتينية.

التوزيع عند اليونان

عرف الشعراء اليونان هذا النوع من البديع الشعري فاستحسنوه ، فراحوا يدبجون به حلل افكارهم وعواطفهم ، ولم يقفوا عند الحدّ البسيط من التوزيع بل تخطّوا الى ما ابعد ، فتفننوا بالتوزيع الشعري وتلاعبوا في الرموز واقدم توزيع حفظه التاريخ في النصرانية هو اكروستيش السمكة ΙΧΘΥΣ . لقد اتخذت الكنيسة في اول امرها هذا التوزيع دلالة على اسماء عروسها ورئيسها يسوع المسيح ، دلالةً على بنوّته الالهية وطبيعتيه الانسانية والالهية وهدياً لميزته الخصوصية وعمله في هذا الكون الذي تمّ بخلاص البشر .

واصل هذا الاختراع هو ان المسيحيين الأولين اتخذوا السمكة شعارًا لهم ودليلًا على ايمانهم بيسوع المخلص فكانوا يرسمونها على جدران بيوتهم وأوانيها ويحفرونها ويسكبونها سبائك فضية وذهبية ويعلقونها في عنقهم كشيء مقدس لان حروف اسم السمكة تحمل اوائل اسماء يسوع المسيح . ΙΧΘΥΣ فحرف I اي هو اول حرف كلمة يسوع ΙΗΣΟΥΣ وحرف خي Χ اول حرف من كلمة ΧΡΙΣΤΟΣ المسيح وحرف Θ ثيتا هو اول حرف من كلمة ΘΕΟΣ الله وايبسلن Υ هو اول حرف من كلمة ΥΙΟΣ ابن وحرف Σ سغما الاخير اول حرف من كلمة ΣΩΤΗΡ مخلص فكان مجموع الحروف في كلمة اخثيس ΙΧΘΥΣ يحتوي على اوائل اسماء متعددة ليسوع المسيح . وهنا ننقل الاكروستيش بلغته اليونانية مع ترجمته

١) راجع مجموعة الاباء اللاتين Migne 88, c. 182 . عاش فورتوناتوس هذا في الجيل السادس وسيم اسقفًا على مدينة بواتيه Poitiers وتوفي سنة ٦٠٠ .

لتدلّ على عبقرية المسيحيين وروحهم الشعرية التي سمت بالشعر الحيّ الوثاب نحو الحقيقة الازلية :

توزيع اوتن Pectorius d'Autun

Ἰχθὺς οὐρανίου θείου γένος ἄκρον σεμνῶν.
Χρῆσε, λαβὼν πηγὴν ἀμβροτον ἐν βροτέοις.
Θεσπεσίων ὑδάτων πηγὴν, ρόε, θελξιφρον ψυχὴν.
Ὕδασιν ἀενάοις πλουτοδότου σοφίης.
Σωτῆρος ἁγίου, μελιηδέα λάμβανε βρῶσιν.
Ἔσθε πινάων, ἰχθὺν ἔχων παλάμαις (1)

واليك ترجمتها بالعربية :

ايتها السُلالة الالهية المنحدرة من الاخثيس السماوي ،
اقبلي بباب مفعم بالاحترام حلوة الحياة بين اهل العناء .
جدّدي روحك ، يا حابلتي ، في المياه الالهية ،
بمجاري الحكمة الازلية التي تعطي الكنوز .
خذي الغذاء العامل من مخلص القديسين ،
كلي عند جوعك ، واشربي عند عطشك ،
فانت تحملين الاخثيس في راحتيك .

فالمسيحيون في القرنين الأول والثاني قد اتخذوا الاخثيس كلمة تعارف بينهم فرسموا صورتها على جدران بيوتهم ، ونقشوا حروفها على ضرائحهم فكانت لهم ميزة فارقة عن سواهم .

ثم ان الشعراء على مدى العصور قد تفننوا وتلاعبوا كثيرًا في الاكروستيش حتى ان واحدًا منهم كان يعرّض بقارئه ويقول له ان اسمي مكتوب امامك فاحسن قراءته . وآخر كان يقول اني اراهن اني اكتب اسمي بكل حروفه من دون ان يحسن احد قراءته (Caticulius) .

وهذا التلاعب اللفظي خطا خطوة كبرى مع الشعراء الكنسيين اليونان ، فاكثروا منه في اناشيدهم الدينية ، وتلاعبوا في فنه ايّ تلاعب وخلّدوا اسماءهم في قصائد عديدة لم تزل الى اليوم تحمل الى الاجيال المقبلة اسماءهم وبنات افكارهم .

1) Pierre Batiffol, *La littérature Grecque*. Paris, 1904, p. 113.

والكتب الطقسية اليونانية لا تزال شاهداً على اثارهم القيّمة التي ما برحت تسطع مشرقةً كاوزاة في مفرق الكنيسة البيزنطية.

والأثر الخالد الذي يعرفه الجميع «ابيات المديح» او ترنيمة الاكاثستون «Ἀκάθιστον» والتي ترنمها الكنيسة البيزنطية تمجيداً للعذراء مريم الوالدة في يوم الجمعة من خمسة اسابيع الصوم الاولى، هذا الاثر هو اربعة وعشرون مقطوعة على عدد حروف الابجدية اليونانية، وقد نظمها الشاعر الملهم والعبقري الخالد مرنم بيروت ومطرب الملوك بالقسطنطينية رومانس الذي ربط اجزاءها بسلسلة الابجدية كانها سلم يصعد بها رومانوس الى السماء حيث يستقي الوحي الازلي والالهام الصافي المتفجر من ينبوع العذراء الدائم الفيضان.

والبيت الاول من قصيدة رومانس يبتدئ بأول حرف من الابجدية وهذا مطلع القصيدة الخالدة[1]:

Ἄγγελος πρωτοστάτης...

والمقطوعة الثانية من القصيدة مطلعها يبتدئ بالحرف الثاني الابجدي:

Βλέπουσα ἡ ἁγία ἑαυτὴν ...

وهكذا بالاطراد تتابع الحروف الابجدية سيرها في اوائل المقطوعات الى الاخيرة ومطلعها بالحرف الابجدي:

Ὦ πανύμνητε μάτηρ...

ومن هذا النوع ايضاً قصيدة رومانس لتقدمة عيد الميلاد وهي من اروع القصائد التي جادت بها قريحة الشاعر ومطلعها: ايتها القوات السماوية سيري[2].

Αἱ Ἄγγελικαὶ προπορεύεσθε Δυνάμεις ...

والمقطوعة الثانية ومطلعها: لتقطر التلال حلاوة.

Βουνοὶ γλυκασμὸν στάξατε ἐάσατε...

وآخر مقطوعة من هذه القصيدة ومطلعها: ظهرت على الارض وترددت بين الانام

1) cf: Τριῳδίον ἐν Ῥώμῃ, 1879, p. 506-515

٢) راجع كتاب الميناون اليوناني لشهر كانون الاول، روما ١٨٨٩ ص ٥٦٤ و ٥٦٥ و ٥٧٧ و ٥٩٣ و ٦٠٩ و ٦٢٩

Ὀφθῆς ἐπὶ γῆς, καὶ βροτοῖς συναναστρέφῃ ...

وهناك قصائد عديدة في كتب الصلوات الفرضية ترتدي ثوب التوزيع الابجدي ، منها قانون المطاليبي، وقانون عيد البشارة للقديس يوحنا الدمشقي

والدمشقي تفنن اكثر من غيره بالحروف الابجدية وهذا التفنن يبين حتى في النشيد الواحد كما نرى في قانون عيد البشارة . بدأ الشاعر الموسيقي القصيدة باكروستيش ابجدي يسم المقطوعات حتى نهاية الأودية السابعة ، والقصيدة حوار لطيف عميق التفكير وبعيد المرمى في الافكار والتخيلات الشعرية وهذا الحوار يدور بين الملاك المبشر والعذراء مريم . والقصيدة من اروع قصائد الدمشقي ومطلعها بعد المقدمة : فليترنم نحوك ايتها السيدة[1] Λάβετε δὴ τὸν Δεσπότην.

والمقطوعة الثانية : اهتف اليك متحدثاً Βοῶ σοι γαληνιῶντα .

والمقطوعة الثالثة : اظهر لي ايها الملاك Ἐνωτίσω μοι, Ἄγγελε.

وهكذا بالاطراد الى اخر حرف حيث ينتهي في الأودية السابعة . وفي الثامنة يبدأ الشاعر الدمشقي بتوزيع جديد ولكن الحرف لا يشغل مقطوعة بل بيتاً واحداً . فينتهي التوزيع الابجدي بالاطراد في آخر الأودية الثامنة . وفي اول التاسعة يبدأ الشاعر توزيعاً ابجدياً ثالثاً فردياً ولكن عكساً اي يبدأ اول بيت بآخر حرف من الابجدية .

ونجد هذا التلاعب في غير قصائد . كما واننا نجد التوزيع الابجدي في كتاب الاكطوئخوس اي كتاب الثمانية الحان . وهذا الكتاب تستعمله الكنيسة البيزنطية في صلواتها الفرضية يوم الاحاد والاعياد على مدار السنة .

ففي صلوات الغروب في عشية الاحد يوجد توزيع ابجدي موزّع على الثمانية الالحان في قطع الابوستيخن وهذا عنوان القطع في الكتاب :

Ἕτερα στιχηρὰ κατὰ ἀλφάβητον.

استخيرات آخر على حروف الهجاء . وقد وزع الشاعر بلباقة ثلاث مقطوعات لكل لحن من الالحان الثمانية حتى يستقيم عدد الحروف الهجائية اليونانية .

---

١) راجع الميناون اليوناني لشهر آذار ، روما ١٨٨٩ ، ص ١٢٦

وهنا لا بدّ لنا ان نصرح بحقيقة جديدة واكتشاف فريد الا وهو وجود اسم يوحنا الدمشقي مؤلف كتاب الاكطوئخوس Ὀκτώηχος في صلب الكتاب وبنوع خفي.

كل يعلم ان هذا الشاعر القديس تغنى بامجاد قيامة المسيح وصلبه وامجاد امه العذراء . وقد خلّف للكنيسة اثرًا ما بعده اثر ودررًا غالية الثمن تتقلدها كلّ يوم ، وفي اعيادها الكبيرة ، وتجعلها قوتًا لابنائها يغذي انفس المتناولين منها ويحفظها للحياة الابدية . وقد جعلت الكنيسة البيزنطية هذه الصلوات المتحدرة من الملم الشرقي صوتها الخاص ، ولحنها المتجدّد ابدًا ، وصداها البعيد وصلاتها الصاعدة باستقامة الى عرش الحمل الظافر على الخطيئة والموت والعالم. ان اسم يوحنا الدمشقي موزع في كل الكتاب في الثمانية الالحان وقد توفقنا بعد البحث الطويل والدرس المتواصل الى الوقوف على هذه الحقيقة وهي ان كتاب الاكطوئخوس المنسوب الى الدمشقي هو حقيقة صنعة فكره ووليدة تأملاته .

لقد وزّع الدمشقي اوائل اسمه في تلك المقطعيات التي خصّصها بالعذراء الوالدة في ايوستيخن الغروب في الثمانية الالحان ، وقد توفق الى طبع اسمه بنوع خفي ظاهر .

اجل لم يرد يوحنا الدمشقي ان يصدر كتاب الاكطوئخوس بعنوان كبير يحمل الى الملأ اسمه وصورته ولم يكتب بأول كتابه : تأليف الاب يوحنا الدمشقي. لم يفعل ذلك لتواضعه . ولكنه عمد الى طريقة سرية علمية وشعرية يخلّد بها اسمه بنوع خفي على صفحات كتابه وفي صلب الصلوات والاناشيد وقد اتخذتها الكنيسة البيزنطية كدستور لصلواتها الفرضية . لقد طبعها الدمشقي بطابع اسمه الخاص كما طبع رومانس قصائده بخاتم اسمه الخاص فوزّع على مقطوعاته الشعرية حروف تلك الجملة او تلك الفقرة الخالدة Τοῦ Τεκνοῦ Παρθένου Ἰωάννου, ἡ Δαμασκηνοῦ, ἡ ἐμοῦ. وكل قصائد رومانس تحمل اسمه مع لقبه المتواضع او ما شاكله .

ان اسم الدمشقي موزع في كتاب يربو عدد صفحاته على السبع مئة

صفحة من القطع الكبير. وها انا اجمعها واقدمها في نصها اليوناني لتظهر حقيقة ما ينسبون ليوحنا الدمشقي من انه هو مؤلف الاكطوخوس[1].

في مقطوعة الثاوطوكيون للحن الاول صفحة ٤.

Ἴδοὺ πεπλήρωται ἡ τοῦ Ἡσαΐου προφητείας...

في مقطوعة الثاوطوكيون للحن الثاني صفحة ١٠١

Ὦ θαύματος καινοῦ πάντων τῶν πάλαι θαυμάτων...

في مقطوعة الثاوطوكيون للحن الثالث صفحة ١٨٧

Ἀσπόρως ἐκ θείου πνεύματος

في مقطوعة الثاوطوكيون للحن الرابع صفحة ٢٧٤

Νόμον παρελύσατο

في مقطوعة الثاوطوكيون للحن الخامس صفحة ٣٦٤

Νεὺς καὶ πύλη ὑπάρχεις...

في مقطوعة الثاوطوكيون للحن السادس صفحة ٤٥٢

Ὁ πόνους καὶ ἱδρῶτας μου...

في مقطوعة الثاوطوكيون للحن السابع صفحة ٥٣٥

Υἱὸς ἦν σὸν Δέσποινα σάτον...

في مقطوعة الثاوطوكيون للحن الثامن صفحة ٦١٨

Ἀνυμφεύτε παρθένε.

وهذا مجموع الحروف عمودياً بالخط المستقيم Ἰωάννου Λ. فالاسم الاول كامل، وهو في حال الاضافة، والاسم الثاني ناقص وهو اول حرف من كلمة Λίνος نشيد واذا ما جمعنا الكلمتين بان لنا ما معناه Ἰωάννου Λίνος نشيد يوحنا.

فهذا الابتكار الفني يظهر لنا صحة نسبة الاكطوخوس الصغير للقديس

1) راجع كتاب المعزي او الاكطوخوس الكبير، طبعة روما ١٨٨٥،
Ἡρακλητικὴ Ἤτοι Ὀκτώηχος ἡ μεγάλη.

يوحنا الدمشقي الذي كتب اسمه في صلب الكتاب ووزّع حروفه على مبنى الثانية الالحان التي نسقها ونظمها ، وتركها للكنيسة كتراث ثمين . ولعل الغد القريب يؤتينا بالاكتشافات الجديدة الكبيرة عن مؤلفات هذا القديس والشاعر الكبير ، والملفان المفوّه الذي عدّه لاون الثالث عشر ملفان الكنيسة الجامعة ، وهو يضيف اليوم مجداً الى مجد بانه شاعر الكنيسة الاوحد الذي نظم العذارى والرهبان اجواقاً اجواقاً ولقنهم الحاناً يسبحون ويرنمون للرب مدى الدهر .

والتوزيع اليوناني غني في موضوعاته . فهو إما ان يكون جملة او شعاراً ، او اسم علم ، او حكمة فلسفية او روحية ، او بيتاً من الشعر الايمبيكي Iambique ، او ابياتاً عديدة ، كما في قصائد الدمشقي لاعياد الميلاد والظهور والعنصرة .

والدمشقي المتلاعب في مباني القصائد لا يقف عند استعمال توزيع بسيط ، بل يتلاعب بفنه ومهارته بالتوزيع الشعري فيؤلف توزيعاً من التوزيع نفسه كما في قصيدة عيد العنصرة .

واليك عنوان القصيدة بالتوزيع :

Θεογενὲς Λόγε, πανυμνοπρόλογον πάλιν ἄλλον
Ἐκ μετεπουσίων ἄκρας ἐπιβολάς,
Ὅλα πυρὸς φλόγωσιν φέρον θεότητος ἄλλον.
Σῦμα τῆς φύσεως, καίγαρ ὑμνοπόλοις.

فالشاعر يوحنا لم يكتف بتوزيع بسيط واحد بل ألف توزيعاً شعرياً مركباً من اربعة ابيات . وكل حرف من هذه الاربعة الابيات وزّع على بيت من القصيدة الى آخر حرف . ثم لاحظ ان الشاعر صنع توزيعاً في التوزيع نفسه فكان توزيع الاربعة ابيات كلمة : الله Θεός وانما لنتعجب من براعة يوحنا الدمشقي[1] ، وشغل فكره في مباني القصائد التي كانت معرضاً لبنات افكاره ودليلاً الى الحقائق الازلية اللاهوتية التي تغنى بها وعلمها للكنيسة ، حتى يراجعها ابناؤها ويتعلموا الحقائق اللاهوتية بسهولة ووضوح ، في قالب بديع من الشعر العالي المدرسي .

1) cf. Krumbacher , *Geschichte der Byzantinischen Literatur*, 2e édition Munich, 1897, p. 674

وهنا نبدي ملاحظة ونقول : ان يوحنا الدمشقي وحده ، بين الشعراء الدينيين، نظم الشعر المدرسي في اناشيد خالدة ضمّت بين تقاطيعها قواعد الشعر الحديث الذي نظم عليه كل الشعراء اليونان الدينيين مثل رومانس المرنّم ، واندراوس الاقريطشي ، وقزما اسقف مايوما ، ويوسف كاتب التسابيح ، وتاودورس ناظم التريودي ، وغيرهم كثيرون .

التوزيع عند العرب

وادرك العرب هذا النوع من البديع الشعري ، فراحوا يستخدمونه في القصائد والابيات والمقالات النثرية في اوائلها واواسطها واواخرها كما في مربعة ابن دريد وهذه مقاطعها الاولى[1] .

ا

أ أبقيتَ لي سقماً يمازج عبرتي من ذا يلذُّ مع السقام بقاءَ أ
أ أشمتَّ بي الاعداءَ حين هجرتني حاشاك مما يُشمت الاعداءَ أ
أ أبكيتني حتى ظننتُ بانني سيصير عمري ما حييتُ بكاءَ أ
أ أخفي وأعلنُ باضطرارٍ إنني لا استطيع لما أجنّ خفاءَ أ

ب

ب بقلبي لذعٌ من هواك مبرّحٌ ثم دام ذاك اللذع ما عشتُ للقلب ب
ب بك استحسنت نفسي الصبابة والصبى وقد كنت قبل اليوم ازري على الصبّ ب
ب بذلتُ له الدمع الذي كنت صائناً لادناه الا في الجليل من الخطب ب
ب بُليتُ ببعض الحب والبعض موعدي مجاورةً بعد المنية في القرب ب

ت

ت تمنّيتُ المنيّة يوم قالوا غداً مجموع شملكم شتيتُ ت
ت تعيش صبابتي ويموت صبري ونفسي لا تعيش ولا تموتُ ت
ت ترآءى لي الأسى فصددت عنه فقال اليك انك لا تفوتُ ت
ت تكلم ماء عيني عن فؤادي وقلبي من سجيّته السكوتُ ت

وفي الخزانة الظاهرية في دمشق ، ضمن المجموع رقم ٥ من الابيات قصائد من نظم ابي الحسن علي بن محمد الاندلسي البزري نسج فيها على منوال

١) مجلة الضياء ٥ [١٩٠٢] ٢٧٧

ابن دريد في مربعته . غير انه جعلها عشرة عشرة بدلاً من اربعة ولذلك تعرف بالقصائد المعشرة .

وقد رأينا في خزانة المخطوطات للاستاذ العلّامة عيسى اسكندر المعلوف كتاباً عنوانه: «هذا مجموع غرائب صناعات الاشعار» وهذا الكتاب مخطوط بخط جميل وقديم بالحبرين الاسود والاحمر. وهو يقع في مجموعة من الشعر القديم في اكثر من ٥١٦ صفحة بقطع الربع وعلى هوامشه اشعار وابيات كثيرة. رأينا فيه بدائع من فنون الشعر منها التوزيع ، وما نظم على حروف المعجم او نثر، وفيه دوائر غريبة فنية ومربعات ومثمنات ومشجرات واشباهها فيخرج منها اشعار بديعة .

ولم يذكر فيها اسم جامعها او مؤلفها ولكن يستدلّ من خطوطها وورقها وتجليدها انها قديمة نادرة الوجود لان صاحب المكتبة المذكورة بحث طويلاً في قوائم وخزائن المكاتب الاوربية والشرقية فلم يعثر على نظير لها .

وفيها غير المنظومات الفصحى بعض موالياتٍ وازجالٍ وكلها تحتوي على هذه الفنون البديعة النادرة . ومن اغرب ما فيها اشعار ليس فيها حرف متصل واخرى ليس فيها حرف منفصل .

فانتخبنا من تلك الفنون العديدة بعض ما جاء عن «التوزيع» . فمنها ما هو موزّع على اوائل الحروف واخراها من حروف الهجاء اولها الف وآخرها الف ؛ ومنها ما هو موزّع بالكلمات والحروف . والكلمات الموزعة بالنسخة الخطية مكتوبة بالحبر الاحمر ونحن وضعناها بين هلالين لتطلع القراء عليها والكلمات الموزعة توجد باوائل الصدر والشطر .

توزيع بالكلمات :

«ان» الحبيب اتى بكاني زائرًا «فجل» الظلام الصد حين اتاني
«تجد» الهوان من الهوى يا عازلي «من لا» رأى حالي فلا يلحاني
«عيبًا» على الصبّ المحب سلوّهُ «عيب» الذي يجري وليس يُعاني

« فـد » الفؤاد فمذبي لا ثوى « فيـه » وشوقي نحوه اراني
« الجلّ لا » يرثي لعظم بليّتي « وعليّ » تبكي رحمة اخواني

فالكلمات الموزّعة هي بيت من الشعر :

ان تجد عيباً فسدّ الخللَ جلّ من لا عيب فيه وعلا

وربما تكون الكلمات الموزّعة في اثناء الابيات كما في قصيدة نثقل بعض ابياتها :

« القلب » من عبدك المسكين مقتبل والدمع من عينه في الخدّ ينهملُ
رامت « كالملك » الفظ الغليظ اذا شكا اليك فلا ترثي ولا تصلُ
فجسم عبدك بال « والجوارح » من فرط الغرام شـار الشوق تشتعلُ
والوجد في « جنده » وقف على كبدي فها انـا ابـدًا بالضّر مشتملُ

فيكون ما وزّعه الشاعر هذه العبارة :

« القلب كالملك والجوارح جنده. » وفي هذا المعنى اشياء كثيرة نكتفي منها بما مرّ.

ومن التوزيع ان يوزّع كل حرف على كل كلمة بالاطراد مثل الرسالة السينية للامام الحريري صاحب المقامات :

« بسم القدوس استفتح وباسماده استنهج سيرة سيدنا السيد النفيس سيد الرؤساء سيف السلاطين . . . واستشارت نفسه وبسق غرسه واتسق انسه. »

وقد وزع الكاتب الناثر حرفاً من الهجاء ، حرف السين ، في كل كلمة من الرسالة وهذا التوزيع نادر جداً مما لم يُنسج على منواله.

ومن التوزيع الغريب ما جاء في كتاب « شحذ القريحة في المقطعات البليغة الفصيحة » تأليف عيسى اسكندر المعلوف وهذا الكتاب مخطوط في نحو الفي صفحة في جزءين الاول في الشعر والشاعر والفنون الشعرية والثاني في معاني الاشعار منها قصيدة نادرة سماها ناظمها المجهول « الموصلات » وهي لا تقرأ حتى تصل اول كل كلمة بالتي بعدها على التوالي من اولها الى آخرها وهذا مثال قليل منها :

انا لشوق قلبي طما الما ورث جدي زعا
أيد لاشجان يسعفني أقسم لحب مثلي نما
أر حشاي وى أقدها لما رلا جودي دعا

فقراءة هذه الابيات هكذا :

انا الشوق لقلبي قطعا طالما اورث وحدي جزعا
زائد الاشجاني لا يسعفني بانع الحب لمثلي منما
نار احشائي حوى واقدها ألما لولا وجودي جدعا

وهذا النوع من التوزيع هو من نوادر القصائد والصناعة البديعية في الشعر .

ومن فنون الشعر في عصر الانحطاط قصائد « محبوكات الطرفين » وهي ان توزع الحروف في كلمات اذا قرأتها على التوالي في اوائل الابيات تخرج منها ابيات شعر وهي مشهورة بالقصائد التاريخية .

واول هذه القصائد قصيدة شاكر النحلاوي الدمشقي في مدح الشيخ عبد الغني النابلسي الدمشقي. ومن فنونها يبتدئ الشاعر ببيتين او اكثر من الشعر في كل شطر منها تاريخ بحروف المعجم للسنة التي نظمها ثم يوزع البيتين كل حرف منهما على بيت من الشعر وذلك البيت يشتمل على تاريخين ايضاً ، في الصدر تاريخ ، وفي الشطر تاريخ الى نهاية القصيدة.

وقد جاء بعد شاكر النحلاوي كثيرون ونظموا على هذا المثال قصائدهم التاريخية منها قصيدتا الشيخ ناصيف اليازجي . الاولى في ابراهيم باشا المصري لما فتح سوريا سنة ١٢٤٨ هجرية (١٨٣١) ، وهذه السنة موجودة في كل شطر من البيتين وفي القصيدة . وقد وزع الشاعر حروف البيتين على اوائل الابيات في القصيدة وهذان البيتان هما :

انت المليك وفي الاطلال برد لظى اطلال عكا ورفض الرعب والحذر
١٢٤٨ ١٢٤٨ ١٢٤٨ ١٢٤٨

كن بالفا اوج سعد ما به ضرر او غالباً لم يزل في اول الظفر (١)

(١) راجع ديوان الشيخ ناصيف اليازجي « النبذة الاولى » المطبعة الشرقية سنة ١٩٠٤ ص ٢٢.

واليك الان توزيع اول كلمة مثال على ذلك انت الخليل :

أ الزهر تبسم نورًا عن اقاحيها اذا بكى من سحاب الفجر باكيها
ن نور الاقاحي الذي ما بالحياء به من صحة وصفاء عزّ منشيها
ت تلك الربوع لليلى ابن مربعها عن قصده وسيوف الرب تحميها
أ ادماء تجني على الاكباد مصلية تبارك الله ما احلى تجنّيها
ل ليلى ولي شوقُ قيس في محبتها فشعره فجنون شابهُ فيها
خ خال لها عمّهُ وَرْدٌ بدا حرمًا في وجنةٍ حميت عن يدانيها
ي يقول قومي رويدًا قد سئمت هوًى فقلت مهلًا شفاءي من نواحيها
ل لعل صافي نسيم من خمائلها اتى يهبُّ على روحي فيشفيها

والثانية في السلطان عبد العزيز العثماني سنة ١٢٨٣ هجرية ضمن كل شطر منها تاريخًا لسنة ١٢٨٣ وافتتح صدورها بحروف يجتمع منها بيتان في كل منها اربعة تواريخ للسنة المذكورة وهما هذان :

قلبُ الخليفة . يقظان يجرّدهُ عما يعاف الرضى . من واجب النظر
مظفرٌ نائبٌ في ارض واقفةٍ مبارز غالب دنياه بالظفر(١)

واما القصيدة فهذه ابياتها الاولى :

ق قف بالمطايا على انجادِ ذي سَلَمٍ وقُل سلام على من دام في الحرمِ
ل لياء محجوبة عن مرسل بصرًا دامت على حجبها حتى على النسمِ
ب بارحتها فنزيل الشوق في كبدي أقام يحرقُ دمعًا رش كالمنمِ
ا اشكو الى الله ما ساورت في زمني في حبها من جيوش الشك والسقمِ
ل لقيت في العشق هولًا لا ألام به فذاك الصب قيد محكم اللزمِ
خ خودٌ من العرب فيها الشعب طاب لنا كما يطيب لحيٍ الطيبُ النغمِ
ل لعزّها الذلُّ صفوُ العز نحسبه والسُّم من يدها خير من الدسمِ
ي يحلو الضنى في هواها السحب فلي فيه الشفا كالشفا واللوم كالشممِ
ف فتانة بجمالٍ طيبُ مورده ما زال يحمي لعيد لاذ بالحرمِ
ت تبارك الله منشيها على مُلَحٍ تحلو وتحمي قلوب الناس كلهمِ . . .

وكذلك قصيدة ولده العلامة الشيخ ابراهيم اليازجي في اسماعيل باشا

(١) راجع ديوان ناصيف اليازجي « النبذة الثالثة » سنة ١٩٠٣ ، ص ٢٢ .

خديوي مصر وهي على هذا الاسلوب. ومن بعد اليازجيين نظم ملحم الشيل، وشاكر شقير، والشيخ خليل اليازجي وغيرهم قصائد على هذا الاسلوب وهي من غرائب التوزيعات المقيدة بالتاريخ.

ومن اغرب القصائد الجامعة بين التوزيع والتاريخ قصيدة الشيخ محمد قبادو التونسي مدح بها السلطان عبد المجيد العثماني سنة ١٢٧٦ هجرية ومما جاء في مطلعها قوله :

خير حام « محمد » عبر « العبيد » « حاط خيراً محرى » عبد المجيد
« حاطه » من عثار « حمد » برحف « منتج » حجد معرف رق « عود

فقراءة هذين البيتين ما خرج عن نطاق الهلالين

خير حام عبر عبد المجيد من عثار برحف حجد عود

ويخرج من هذه القصيدة الفنية مولدة فيها آلاف من التواريخ.
واليك الآن توزيعاً غريباً تاريخياً :

هو تاريخ بقلم شاكر شقير اللبناني يهنئ بزفاف خديجة هاشم شقيقة عباس باشا خديوي مصر الى الامير عباس حليم باشا في مصر وذلك سنة ١٣١٢ هجرية وسنة ١٨٩٥ مسيحية

وقد وزع الشاعر في كل شطر اسم عباس حليم وخديجة توفيق على الكلمات التي يصدر منها تاريخ في كل شطر يوازي :

ع ب ا س ح ل ي م
عادلت باهرة المحاسد سيد حرًا انصرفا يجوز مكرمًا
١٣١٢ ١٣١٢

خ د ي ج ه ت و ف ي ق
خط دعاك بعيد جدك هانئاً تمنأ وقدرك في يسارك قد
١٣١٢ ١٣١٢

وهكذا وزّع شاكر شقير أحرف عباس حليم وأحرف خديجة توفيق على اوائل كلمات البيتين.

ثم ان الاب يوحنا طانوس الشاعر الملهم نظم في هذا الاسلوب قصيدة عصماء وزّع عليها احرف كلمات «السلام لك يا مريم»[1] وجعل القصيدة خمسين بيتاً :

ا امدوا السلام وحيّوا ربة النعم صفوَ الملائك ام الله والأمم
ل لاحت بمالنا بالنور طالعة كنجمة الصبح لاحت في دجى الظلم
س سمّ الخطيئة لم يمسسك طهارتها فهي البريئة من اوزار إثمهم
ل لم يلحظ الله فيها شبهة شائبة او ظل بائقة او ريبة التهم
ا الآب كملها والابن جملها والروح كللها في اعظم العظم
م من قبل ما ولدت كانت مقدسة من فور تصويرها في حيز العدم
ل لما تبدت بنور الطهر ساطعة نادى الملائك من هذه بجهم
ك كالصبح مشرقة كالبدر مشرقة كالشمس مختارة تخفي ضيا النجم

ومن هذا النوع قصيدة الاستاذ عيسى اسكندر المعلوف نظمها في يوبيل البابا لاون الثالث عشر . وله قصائد عديدة على طريقة التوزيع الحرفي وفي الكلمات ايضاً . والتوزيع الغريب الفني هو الذي نظمه في تتويج نقولا الثاني امبراطور روسية قال :

(قيصر) موسكو (توجوه) بالهنا لذا (حرى) حقارة ما وصفنا
(دولة) عز (بديعة) الهنا فاليسن (بالرابع) عشر قدرنا
بمجد (روسيا) تباهت (موسكو) و(عشر) مرات تباهى الملك
جاد (نقولا) للبلاد (الظافرة) (من شهر) سعد بالهبات الغامرة
فالقيصر (الثاني) بدوام (فيها) ما هلّ (ايار) يمس تيها

طريقة استخراجها

فاقرأ عمودياً كلاماً جرى بين هلالين غدا مختصرا
ثم اعتبره بحساب الجمّل تجد بياناً في مصوغ الجمل
ثلاثة من التواريخ تزى اسلوجا في بابه مبتكرا
يوم الثلاثاء حرى التتويج لذاك تاريخي له تدبيج
عام ثاني مئة وألف وستة التسعين ختم الوصف.

---

(١) راجع المشرق (٧ [١٩٠٤]) ٤٤١ – ٤٤٣)

والفقرات التاريخية المستخرجة من بين الهلالين عمودياً هي ثلاثة اشارة الى يوم الثلاثاء وهو يوم التتويج :

١ : قيصر دولة روسيا نقولا الثاني
٤٠٠ ٤٤٠ ٢٧٧ ١٨٧ ٥٩٢ = ١٨٩٦

٢ : توجوه بمدينة موسكو العامرة فيها
٤٢٠ ٢ ٥ ١٢٢ ٧٤٢ ٩٦ = ١٨٩٦

٣ : جرى بالرابع عشر من شهر ايار
٢١٢ ٦ ٢ ٥٧٠ ٩٠ ٥ ٥ ٢١٢ = ١٨٩٦

ونكتفي بهذه الامثال الدالة على جهد وصبر ولا يخفى ان التوزيع كثيراً ما يوقف سياق العواطف فيقوم سداً لوضوح الافكار ووضوح المباني

تحفة القادم

لابي عبدالله بن الأبّار

(مقتضب)

نشرها

الفريد البستاني

استاذ الادب العربي في معهد الدروس المغربية (تطوان)

(تتمة)

٥٤ — أبو عبدالله محمد بن ابراهيم الجُمَيِّي

من أهل بلنسية . ويعرف بابن الشوّاش . لم اقف على تاريخ وفاته ، واراها قبل هذه المائة السابعة ، قال : انشدني ابو بكر محمد بن الحاج ابي عامر محمد ابن حسن الفهري قال : انشدني خالي لنفسه وكان يقول انه شهر بالنسبة الى خاله ابن الشوّاش المشهور ببراعة الخط :

وَرْدُ خدّيك قد ذبل بعذار بـه اشتمل
خالـه الحسن ارقاً جاء ينويه فاحتمل
بلغ الحاسد المنى وأرى الشامت الأمل

وله بديهةً في باكورة ورد ، بالانشاد ايضاً :

تمّ السرور بورد زان مجلسنا - فناب عن خدّ من اهوى ونفحتهِ
فاشربْ شبيهته وانعم بمشتبه لعلّ زورة ذا بُشرى بزورتهِ

٥٥ — أبو القاسم احمد بن ابراهيم بن نصَير

من أهل شوذر ، عمل جيان ، وسكن قرطبة . وتوفي بالقة رابع المحرم سنة اثنتين وستمائة . وكان من رجالات الاندلس ، له :

ايا هضبتَيْ مجدٍ ويا كوكبي سعد ويا رافدَيْ رِفد ويا صارمَي حدّ
عباثاً فقد أوْدى الحطيم ومكنت من الدهر في حوماته يد ذي حقدِ
وكيف واني وهو يسند منكما الى منعة تربي على الابلق الفردِ
فان يدعُ ياعثمان افرخ روعه وان يدعُ عبد الحق ايقن بالعضدِ
ينام رخيّ البال ملء جفونه ولو بات من بين الاساودِ والأسد

٥٦ — أبو الفضل عبد المُنعِم بن عمر الغسانيّ

يعرف بالجلياني . وجليانة من عمل وادي آش . رَحل من الاندلس الى المشرق ومدح الملك صلاح الدين ابا المظفر يوسف بن ايوب ، ومن قوله :

فأبخسُ شيء حكمة عند جاهل وأهونُ شخص فاضلٌ عند ظالم
فلو زفت الحسناء للذيب لم يكن يرى قُربها الا لقضم المعاصم

وله :

أؤمّل لقياكم وان شطّت النوى وازجر قرباً في مرور السوانح
ويذكي اشتياقي زند تذكار عهدكم وما الشوق الا بعض نار الجوانح

٥٧ – أبو علي حسن بن محمد بن علي الانصاري

من أهل مالقة . ويعرف بابن كسرى . وتوفي سنة ثلاث او اربع وستمائة ، ومن قوله :

إلاهيَ انت الله ركني وملجئي ... وما لي الى خلق سواك ركونُ
رأيتُ بني الايام عقبى سكونهم ... حراك ، ومن بعد الحراك سكونُ
رضى بالذي قدرت تسليم عالم ... فان الذي لا بدَّ منه يكونُ

قال : وانشدنا ابو الحسين بن السراج : انشدنا ابو علي بن كسرى عالقة لنفسه ارتجالاً في راقصة تسمى نزهة وتعرف بتخط الشوق :

تخطُّ يخطُّ الشوق في القلب شخصها ... ففي كلِّ ما تأتيه حسنٌ وتحسينُ
وليست تطيقُ الشين في حال نطقها ... فمن اجل بعد الشين باعدها الشينُ
اذا رقصت ابصرتَ كلَّ بديعة ... ترى الفاً حيناً وحيناً هي النونُ
فيا نزهة الابصار سميت نزهة ... لكي يوضح المعنى بيانٍ وتبيينُ

٥٨ – أبو عمران موسى بن حسين بن عمران الزاهر

يعرف بالميرتلي واصله من ثغر ميرتلة . وسكن اشبيلية . وتوفي سنة اربع وستمائة قال : انشدني ابو سليمان بن حوطالله قال : انشدني لنفسه من ابيات :

الى كمْ اقول ولا افعلُ ... وكمْ ذا أحوم ولا انزلُ
وازجر نفسي فلا ترعوي ... وأنصحُ نفسي فلا تقبلُ
وكم ذا اؤمل طول البقا ... واغفل والموت لا يغفلُ

٥٩ – أبو المعالي ماجد بن محفوظ بن مَرعى الشريف

من أهل بلنسية. ومن ولد طلحة بن عبدالله بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق ومن قوله :

ردِ المجرّة نهرًا ان ظمئت ولا تقنع ببرض من الآمال او ثَمَدِ
ولا تقل ليس لي ذات اسود فانْ هذا قياسٌ غير مُطردِ
هذا الفلانيُّ مُستقضًى بشاطبة وليس من حظه الاحكام في صدَدِ
لا غروَ ان يسمو الرذلُ الخيار كما يسمو على الماء ما يطفو من الزَبدِ
لا يرتضي خطة نيطت به احدٌ والصقر ليس بصيّاد مع الصَرَدِ
ما ضرّه وهو قاضٍ ان يلام وان ليسَ القضاء بمحبوب الى احدِ
حطّوه عن رتبة قدّمتموه لها من الحضيض وردّوا العَير للوتدِ

٦٠ – أبو عمر محمد بن عبد ربه الكاتب

سكن مالقة . وكتب لواليها المعروف بالمنذر . ثم ولي عمالة جيّان سنة اربع وستمائة ، وكتاه ابو بكر بن صقلاب في بعض ما خطب به ابا عبدالله وهو القائل :

تقضّى زماني بين عَتبٍ واعتابِ وجفّت دموعي بين سحٍ وتسكابِ
وطال بعيني ان ترى غير غادرٍ فأولى لعيني ان تكفّ واولى بي
الا ليت شعري هل أرى مثل فتية ذوي همم في المعلوات واحسابِ
اذا شئت ان تلقى فتى ليس دونهم فيمّم ابا بكر يزيد بن صقلابِ

وله ، ويروى لبعض الامراء :

بين الرياض وبين الجوّ مُعترك بيضٌ من البرق او سمر من السمُرِ
إن أوترت قوسها كفّ السماء رمت نبلًا من المزن في صافٍ من الغدرِ

فاعجب لحرب سجال لم تُثِر ضررًا نفعُ المحارب منها غاية الظفرِ
فتح الشقائق جرحاها ومنتهبا وشيُ الربيع وقتلاها من الشمرِ
لاجل هـذا اذا هبّت طلائعها تدرّع النهر واهتزّت قنا الشجرِ

٦١ – أبو جعفر احمد بن عبد الرحمن المعروف بابن شطرية

من أهل قرطبة واحد تلامذة الاستاذ ابي جعفر بن يحيى . وتوفي في حياته محتضرًا برسى قرطبة عند وصوله اليها من مراكش ، قاله لي ابو العباس احمد ابن علي القرطبي القاضي صاحبنا ، وانشدني له :

لقد ظلّمت يوم الوداع ظلومُ اما علمت ان الفراق اليمُ
وغادرت المشتاق لهفان سجود صحيحٌ ولكنّ العزاء سقيمُ

وله :

هلال سماء او غزال سمادةٍ الى خلدي يسمو وفيه يسيمُ

٦٢ – أبو عبدالله محمد بن طالب الكاتب

من أهل مالقة . وكتب لواليها ابي عامر بن حسّون، وصادف جمعاً من العرب في بعض متوجهاته ، فقتلوه ، رحمه الله . له من قصيدة يرثي ابا القاسم بن نُصَيْر :

أنصيرُ أم عن سماحٍ وجودْ نصير الى عدمٍ من وجودْ
لقد عدل الموت بين الورَى فاودى بسيدهم والمسودْ
فقيمَ العويل وعمَّ السلوّ وما للهديل وما للنشيدْ
وأين الغواني وأين الصريع وما شأن صخر وبنت الشريدْ
وكيف يسيغ لذيذ الورود مَن الموت منه كحبل الوريدْ

٦٣ – أبو العباس احمد بن يعيش بن شكيل الصوفي

من أهل شريش . واحد شعرائها الفحول مع نزاهة ومروءة . وله ديوان

شعر . توفي مقتولاً سنة خمس وستمائة . له في مقتل ابي قصبة الخارج بجزولة سنة ثمان وتسعين وخمسمائة ، من قصيدة اولها :

الله اطفأ ما اذكى ابو قَصَبَهْ من حربه وأزال السحر بالغلبهْ
أمر الخليفة وافاه على عَجَلٍ يدعوه للحقّ حتى ابتزّه كذِبَهْ
فمن اراد سؤالاً عن قضيّته فجملة الأمر ان الحقّ قد غلبهْ
لقد شفى النفس ان وافى بهامته صدر القناة مكان الصدر والرقبهْ
لما استمرّ جماحاً في ضلالته عادت عليه لجاماً تلكم القصبَهْ

وله :

الناس في السلم والمشاق بينهمُ في اعظم الحرب من اخبار من عشقوا
كم موقف للوغى صعب سلمتُ به حتى شهدت وَغىً انصارها الحدقُ

٦٤ – أبو الحسن مُطرّف بن مُطرِّف

من أهل غرناطة . له :

وكم مجبّنة هام الفؤاد بها قِدماً وصورتها من احسن الصورِ
كأنما البدر في تدويرها فاذا شُقّت على النصف كانت شقة القمر

وله :

وصَفوا سَهْلاً فقالوا حاطب والليل ليل
إنما العلم الثريا والفتى سهل سُهَيْل

وبلغ ذلك سهلاً فقال :

حسدوا سهلاً فقلنا إي لعمري حسدوهْ
صغّروا الاسمَ افتراءً وكبيراً وجدوهْ

وردّ عليه ابن مرح الكحل :

ان دعوني بسهيل فانا حقاً سُهَيْل
قد دهاكم من طلوعي يا بني الزنّاء وَيْل

ولابن مطرف وهي من غُرره :

سُنة سنّها قديماً جميل وأتى المحدثون مِثلي فزادوا

٦٥ – أبو القاسم عبد الرحمن بن عمر بن عُذره الانصاريُّ القاضي

من أهل الجزيرة الخضراء . صدر في نبهائها . وكان خطيباً مفوّهاً . توفي سنة ست وستمائة ، قال : حدثني ابن اخيه ابو القاسم عبد الرحمن بن ابي الحكم الكاتب انه وقف على قبر ابيه ابي حَفص ومعه اخواه ابو بكر محمد وابو الحكم عبد الرحيم فقال ابو القاسم :

يا أيها الواقف استغفرْ لمودعهِ ربّ العباد وربّ الجود والكرم

وقال ابو بكر :

واحذر هجوم المنايا واستعدّ لها وعُدّ نفسك إحدى هذه الرمم

وقال ابو الحكم :

ولا تغرّنك الدنيا وزينتها فكم ابادت وكم افنت من الأمم

قال : وهي طويلة ومنها :

واعلم بانك مسئولٌ ومرتهنٌ بما عَمِلتَ فخف من موقف النَّدم

٦٦ – أبو عبدالله محمد بن سَفَر الأديب

منسوب الى جدّه ، واصحابنا يكتبونه بالصاد ، وكان باشبيلية وهو من ناحية . له في المدّ والجزر بوادي اشبيلية ، وابدع فيما اخترع :

شقّ النسيم عليه جيب قميصه فانساب من شبّابه يطلب ثأره
وتضاحكت وزق الحمام بأيكها هزؤاً فضمّ من الحياء ازاره

٦٧ — ابو زيد عبد الرحمن المعروف بالنجاري

له :

قد صرت ارجو الله من بعد ما قد كنت ارجوك مع الله
يا لاهياً يلهو بكل الورى ما يغفل الله عن اللاهي

قال : وانشدني ابو الحجاج بن ابراهيم بتونس ، قال : وانشدني ابو زيد هذا وحكى انه خرج مع ابي بحر صفوان برسية يطوفان على ضفة نهرها فوقفا على الدولاب الملاصق للقصر فقال النجاري :

وباكية تبكي فيُسلي بكاؤها وما كل من يبكي اذا ما بكى يسلي

فقال ابو بحر :

كأنّ بكاها من سرور فدمعها يثير سروراً من جوانح ذي خبل

فقال النجاري :

فيا عجباً ينهلّ واكفُ دمعها سريعاً وان كانت تدور على رسل

فقال ابو بحر :

كذاك السحاب الغرّ ترسل دمعها سريعاً وتمشي في السماء على مَهل

فقال النجاري :

تسلسل منها الماء من كل جانب فخيلتها من عبرة الصبّ تستملي

فقال ابو بحر :

كأنّ السحاب الغرّ القت بسرها اليها فلم تكتم وضاقت على الحمل

٦٨ – أبو محمد عبد الله بن محمد بن عمّار البكريُّ

من أهل اشبيلية . ومن اقارب ابو عُبَيد البكري . وقدم على شرق الاندلس في اول هذه المائة السابعة ، وسمع منه سلفية بعض شعره شيخنا القاضي ابو الخطاب بن واجب ثم عاد الى بلده ، وبها توفي .

له يصف اشبيلية من قصيدة :

أجِلْ فديتك طرفاً في محاسنها ... تبصرْ وحقك منها آيةً عجبا
قطرٌ تكنّفه من جانبيه معاً ... مصانعٌ تحمل الانداء والّلهبا
زهر الوجود كانّ البدر جرّ على ... حيطانها البيض من انواره عذَبا
والنهر كالجوّ راقَ العين بهجته ... تهزّ منه الصّبا هنديةً قُضُبا
تراه من فضّة حيناً ذان طامَت ... عليه شمسُ الضُّحى ابصرته ذهبا
صفا وراقَ فلولا انّه نهرٌ ... اضحى سماء يرينا في الدُّجى شهبا
كانّما الجوّ مرآة به صقلت ... زرقاء تحسب فيها زهرها حَبَبا
ما روضةُ الحزنِ حلّى القطر لبّتها ... ومدّت الشمس في حافاتها طنُبا
يوماً بابهج مَرأى منه اذ رقصت ... قضب الحدائق في ارجائه طربا

وكان بينه وبين الخطيب ابي الربيع ابيات ، ووجه اليه الكتاب مخاطبة ومراجعة في استدعاء كتاب البلاذري . فجاوبه ابو الربيع بابيات ووجه اليه الكتاب . ومن ابيات ابي الربيع :

تبغي الحديث عن الألى درَجت على ... سمت العُلى آحادها وثُناها
طَوَت المنونُ حياتها لكنها ... حسن المساعي في الورى احياها
لبّيك داعي خلة مستدعياً ... سيرَ الكرام وقد سبقت مداها
لم يمدك التوفيق فيما رمته ... بل وافقتْ بك رميةٌ مرماها
سِيَر الاوائل خير ما استنطقته ... عن سنّة المجد التي ترعاها

نعم الجليس على نفار دفترٌ تعتام منه قبلةً ترضاها
لا مفشياً سرَّ الصديق ولو جفا ومتى يعاينْ خلّةً اخفاها
يدنو اذا ادنيته ومتى تشا اقصاءه قني الحيا وتناها
خذ كلما احببت علق مضنَّة حسب الاماني حسنه وكفاها

قال الشيخ أبو الربيع : وكان ابو محمد قد كتب المضنَّة في ابياته بظاء ثم تذكر ذلك بعد انفرادها فكتب اليَّ :

قل للفقيه ابي الربيع وقد جرى قلمي فاصبح بالصواب ضنينا
ابشر بفضلك ظاء كل مضنَّة شالته كفّي فاستحال ظنينا

فكتبتُ اليه :

حسّن باخوان الصفاء ظنونا ليس الصديق على الصديق ظنينا
ما دار في خلدي سوى غلط جرى حاشاك تلقي بالصواب ضنينا
ولقد بشرت مثال ظاء مضنَّة لما أتى بشرت ... الثونا

قال الفقيه ابو عبدالله : وانشدني ابو محمد عبدالله بن عبد الرحمن الازدي بتونس قال : انشدني ابو محمد بن عمّار بترسية في لابس ثوب اصفر :

نارٌ لقلبي نورٌ لعيني كلاهما قادني لحيني
البس للحسن ثوب تبرٍ يزين مرآه ايَّ زينِ
لا تنكروه فغير بدع قميص تبر على لجينِ

وله في صديق كان يداجيه :

ومُستبطنٍ حقداً وفي حركاته تصنّع مظلوم تدل بظالمِ
تصدّى لاياسي بحيلة فاتك ولاحظني خوفاً بطرف مسالمِ
تستّر من كشف العداوة جاهداً كما كنت في الروض دهم الأراقم

٦٩ – أبو الحسن علي بن احمد بن أبي قوة الازديُّ

من أهل دانية . سكن مراكش وبها توفي سنة ثمان وستمائة ، له من قصيدة يرثي ابا القاسم بن حُبَيْش :

لله نعشك يوم حُمّل انـه ... لجميع اشتات العلوم ضمينُ
فكأنّه موسى يناجي ربّـه ... وثناءه من بعده هـارونُ
هذي المنابر باكيات بعـده ... فلهـا عليه زفرة وانينُ
ولطال ما طربت به حتى ترى ... عيدانها قد عُدْنَ وهيَ غصونُ

٧٠ – أبو القاسم عبد الملك بن عبدالله بن بَدْرون الحضرميُّ

من أهل شلب . ويكنى ايضاً ابا الحسين . مؤلف « كمامة الزهر وصدفة الدرر » في شرح قصيدة ابي محمد بن عبدون اليافر الذي يرثي بها المتوكل وله :

ليَهْنِ الاعادي منك انّ سروجهم ... وان انعموا دون اللحود لحودُ
فان وضعوا كفّاً فسيفك ساعدٌ ... وان رفعوا راساً فرمحك جيدُ

٧١ – أبو اسحق ابراهيم بن محمد الذكواني الكاتميُّ

قال : وزادني عبدالله الصفّار انه سُلَيميٌّ ذكوانيٌّ من قرية من قرى السودان بكاتم تسمّى بَلْمة . وكاتم بلدٌ مما يلي صعيد مصر . وكان لونه غربيباً وامره غريباً . قدم على المغرب قبل الستمائة ، وسكن مراكش ، واقرأ بها الآداب . قال : وبلغني انّه دخل الاندلس ، وتوفي سنة ثمان او تسع وستمائة ومن قوله :

كم سائلٍ لِمَ لا تهجو فقلت له ... لانني لا أرى مَن خاف من هاجِ
لا يكره الذمّ الّا كلُّ ذي انف ... وليس لومُ لئـام الخلق منهاجي

وله يتعصب لبعض الالوان :

لا تشهدنَّ لغربيبٍ ولا يققٍ حتى تشاهد فضلاً غير مردودِ
بكلّ لون ينال الحرّ سُودَدَه مهما تجرّد من اخلاقه السُّودِ
والناس لفظ كلفظ العود مشترك لكن يرجح بين العود والعودِ
اما ترى المسك حقّ العاج يخبؤه والجصّ مطّرح فوق القراميدِ
ولم ينال ابن عمران بأدمته حين اصطفاه كليماً خير معبودِ

وأنشدني ابو القاسم بن عليم قال : انشدني ابو زيد الفازازيّ لابي اسحاق هذا ، اثر خروجه من عنده قد اتاه زائراً :

أفي الموت شكّ يا أخي وهو برهانْ وفيم هجوع الخلق والموتُ يقظانْ
أتسلو سلوّ الطير تلقط حبّها وفي الارض أشراك وفي الجوّ عقبانْ

٧٢ – أبو بكر محمد بن ثعلبة الكاتب

من أهل غرناطة . له ، قال : ونقلته من خطه :

حامت طيور رجائي وهي ظامئةٌ على شريعة قرب منك ترويها
فابدا لها العَذْب من لقياك انّ لها سجعاً بذكركمُ ما زال يغريها
ورشّ لها من جناح الفضل قادمةً يابنَ الكرام فقد هيضت خوافيها
راحت اليك ابا العبّاس مأربتي ترجو النجاحَ فلا تقطع ترجّيها
ولم تؤمّ سوى كفّيك من صنع هي القسيّ وانت اليوم باريها
وفي التداني الى نجواك ايّ منى فان منحت فليس المطل يعروها
سوّف بها أمل المشتاق منك رضًى فان جود العُلى بالوصل يرضيها
هذا ولا رغبة في نيل طائلة الّا بدايع من يمناك تهديها
أجلْ بنانيَ في مَجْنى ازاهرها فطال ما بتّ بالافكار أجنيها

وقد وجدتُ لمعنى العيش لفظ على فأيقنت بغيتي ان سوف تحويها
لا زلت تحيي لها من رَوْمها املاً أوْدَى ، وتبني عُلا هدّت مبانيها

٧٣ – أبو عبدالله محمد بن محمد بن سليمان الانصاريُّ الاستاذ

من أهل بلنسية . ويعرف بابن ابي البقاء . وأصله من سرقسطة . وتعلم كبيراً ، فبرع في العربية . وعلم بها ، واعتنى بتقييد الآثار . وكان شاعراً مجوّداً مقطعاً ومقصّداً ، وتوفي في سنة عشر وستمائة ومن قوله :

غير خافٍ على بصير الغرام ان يومَ الفراق يوم حِمام
عبرات تصدُّ عن نظراتٍ ونشيجٌ يحول دون كلامِ
ودماءٌ تراق باسم دموع ونفوس تودي بوَسْم سلامِ
شربت بعدك الليالي حياتي غير اوشالِ لوْعتي وسقامِ

وله . قال انشدنيها صهره ابو الحسن علي بن احمد المكناسي ، قال : انشدني لنفسه : قال لي ابو عبدالله حضر ابي بحر ليلة عرسية وبها جماعة من الطلبة ووجوه الناس ومعهم طالب بلنسي ، فتباسطوا الى ان عرضوا عليه ان ينشدهم فانشد هذه القصيدة ، فقال ابو بحر : ما تلون من كلام مهيار ، فقال له البلنسيُّ : ولا بدَّ هذا كلام مهيار ، فقال : هذا نفسه وهذا مترعه ، فقال له : هي للاستاذ ابن ابي البقاء . قال فخزي ابو بحر . . .

غِمتمْ عن ليالٍ حلف السير وطويتمْ غيرَ ما في مضمرِ
ودعا البين بجنح . . . دعوة البين سوى مصطبرِ
ليت شعري [هل] وجدتم بعدنا ما وجدنا من اليم الذكرِ
لوعةٌ نجدية تطرقنا وغرامٌ بابليٌّ يعتري
وهوى هيّج ما هيّجه من جوًى اضرم نار الفكرِ
كلما ابصرتُ شيئاً حسناً بعدكم اعملت غضَّ البصرِ

فعلى مَ اطرحتْ مودة لم تشنها وصمة من كدر
كان من حق الوفا ان تصرفوا قولة الواشي بحسن النظر
لا وَوجدي وغرامي في الهوى وخضوعي فهو احدى الكبر
ما نسينا سورة من عهدكم كيف تنسى محكمات السور
هل الى عودة خزوى سبب أو الى يانع ذاك السمر
وبودي لو وجدنا سبباً لارتجاع الفائتات الاخر
قد ذوت ريحانة العيش وهل يرجع النضرة ذاوي العمر
ونسيم كلما علّلنا صدّ عنا ... يوم السمر
ما على ظبي سقاني بمنى لو اراني مثلها في اقر
[ينقضي] العام ولا نلقاكم يا لقومي للضنين الموسر
وعلى هذا فلا عتبٌ على ما جنيتم فهو حكم القدر

وله :

سلوا فتيات الحي عني فربما عصيت التصافي او اضمت التكرما
تقول يشوق الحي بان خليطه ويهتاج ان غنى الحمام ورنما
ويسري الى الذلفاء والليل لابسٌ من النجم والظلماء ثوباً موشما
أيشغلني عن وابل البرق وعده وابتاع بالبرهان ظناً مرجما
ايا سائلي عن جل همي وهمتي ألم ترني بالمكرمات متيما
اذا لم ارشح للفضائل يافعاً فهل ادرك العلياء الا توهما
وهل يتعاطى ان يكون اخا العلى ووالدها من لا يكون لها ابنما
وما المجد الا كفك النفس عن هوى يلذ وان سوغت ثلباً وعلقما
ورميك جون الليل بالعيس انه اذا ناب خطبٌ فارض بالعيس اسهما

وذي رونق كالبرق لكنْ وعده صدوقٌ ووَعدُ البرق كذب وربّما
عفون ... كل عاسر وقلتُ له كن للمكارم سُلّما
وساء الاعادي اذ بكت شفراته وسرّ ولاة الود حين تبسّما

٧٤ – أبو محمد عبد البر بن فرسان الغسانيّ الكاتب

من أهل وادي آش . واخذ بالقة عن ابي القاسم السهيلي . ثم لحق بافريقية فكتب ليحيى بن اسحق بن غانية ، وحضر معه حروبه . وكان من رجالات وقته براعةً وشجاعة ، واصابته في بعض الوقائع جراحة انتقضت به ، فهلك منها سنة احدى عشرة وستمائة قبل وفاة مخدومه بأزيد من عشرين سنة ، فلم يعدْ عنده احد مثله بعد ذلك .

ومن قوله :

ندًى مخضلّا ذاك الجناح المتيّما وسقياً وان لم تشكُ يا ساجماً ظما
اعدْهنّ الحاناً على سمع معرب يطارح مرتاحاً على القضب مُعجما
فطر غير مقصوص الجناح مُرفّهاً مسوغ اشتات الحبوب منعّما
مخلّا وافراخاً بوكرك نوّما الا ليت افراخي معي كنّ نوّما

وقال :

اما يا ليل دمعك مستهلّ ووجهك كاشفٌ وحشاك خافقْ
أفارقك الانيسُ فراق إلف معاهده فقد يبكي المفارقْ
لطلت على مسهّدك المعنّى وبعض الطول للعادات خارقْ
وغابت انجمٌ لك زاهراتٌ وقد ظهرت مشيباً في المفارقْ
فيا ركب الدجى حثحثْ قليلاً لعلّ الفجر تطلعه المشارقْ

وقال :

بيض من مفرق تدوّي لحوض هول وخرق دوّ
وصيّر الليل منه صبحاً طلوع شمسي بكلّ جوّ

وقال :

كفى حزناً ان الزجاج صقيلة وانّ الشبا وهن الصدا بدمايه
وانّ بياذيق الجوانب فرزنت ولمْ يعدُ رُخُّ الدَّست بيت بنايه

وقال : قال انشدنيه الاستاذ ابو عبدالله محمد بن عبد الجبار قال : انشدنا لنفسه :

بين الحجاز وبين الغرب قاطعة من العواتق سدّت دونها الطّرقُ
عوفٌ وزُغب ودَبّاب وسالمها والهيبُون وروم البحر والغرَقُ

وله في صدر رسالة يخاطب بها عليلاً :

من لم يزُرْ بخطاه زارَ بقلبهِ مستنصراً لك في الملمّ بربّهِ
يدعو وقد يجدي الدعاء مجهّزاً في حرب انصار الخلوص وركبهِ
ياغائباً تاقت اليه محافلٌ كانت تألّم من زيارة غبّهِ
لادامَ هذا البعد بعد ولا اعتدى دهر عليك بموجع من خطبهِ
وتبا حسام ضنّ عزاك وملّتْ بيد الشفاء قواطعٌ من غربهِ

٧٥ — أبو الحسين عُبَيْد الله بن محمد بن جعفر السكونيّ

من أهل اشبيلية . وهو ابن عم الهيثم بن احمد الشاعر الاشبيلي له وقد دخل عليه بعض اصحابه بطبق ياسمين واخبره انه بعث في محبوبه فلم يصل اليه ووجّه ذلك الطبق مكانه فقال :

اشارَ الى اليأس من وصله وقد صحّ في خاطري منذ حينْ

ولوْ شاء ارسلها وردةً فدلّت على الورد للعاشقينْ
على انّ هذا وهذا معاً يدلّ على خدّه والجبينْ

وله في معذر تناول من يده اشعار الستة فلما نظر فيها ووقعت عينه على قصيدة امرىء القيس التي اولها « قفا نبكِ من ذكرى حبيبٍ وعرفان » قال يصفه مذيلاً باعجاز ابيات منها :

وذي صَلَف خطَّ العذار بخدّه كخطّ زبورٍ في عسيب يمانِ
فقلتُ له مستفهماً كُنه حاله لمن طلل أبصرته فشجاني
فقال ولم يملك عزاء لنفسه تمتّع من الدنيا فانّك فانِ
فما كان الّا برهة ورايته كتيس ظباء الحلب العدوانِ

قال ، وهذا من مليح التضمين ونبيل التذييل . وقد كان عند ابي بحر منه ما استحسن قال : وقد كان شيخنا ابو الربيع بن سالم كثيرًا ما ينشد مستملحاً قول ابي محمد بن عبدون ويقول : انشدنا القاضي ابو عبدالله بن زرقون عنه وكان صاحب انزال الدور ببطليوس قد عين له دارًا واهية البناء فكتب الى المتوكل ابي محمد بن الافطس :

أيا سامياً من جانبيه الى العُلى سموّ حَباب الماء حالًا على حالِ
لعبدك دارٌ حلّ فيها كانها ديار لسَلْمى عافيَات بذي خالِ
يقول لها لما رأى من دثورها الاعِمْ صباحاً ايها الطلل البالِ
فمُرْ صاحب الانزال فيها بفاصل فان الفتى مهدى وليس بفعّالِ

وله من ابيات :

فانت يا ولد الفخار انت كما تدعى ولكن سبق الراء للالف

٧٦ — أبو عمرو يزيد بن عبدالله بن أبي خالد اللخميُّ الكاتب

من أهل اشبيلية وصدر نبهائها وادبائها . والى سلفه يُنسب المقل

المعروف «بحجر ابن ابي خالد» . وتوفي بها سنة اثنتي عشرة وستمائة .
من قوله من قصيدة يهنئ بفتح ميورقة هي باجادة فائقة :

وغربان نِيمٍ قابلته فوارساً فأدبر لا يرجو له متيمّما
فكلّ كميٍّ في اللقاء مرجّح اذا كلح اليومُ العباسُ تبسّما
سحائب جون أرعدت بصليلها وابدت بروق البيض كالوشي معلما
ويا حسن ما تبدو خلال دُروعها أسنّتها تحكي السماء وانجما
وقد عانقت سمر الذوابل سمرها كما ضمّ روض الحزن غصنا وارقما
ويا للجوار المنشئات وحسنها طوائر بين الماء والجو عوّما
اذا نشرت في الجوّ اجنحة لها رأيتَ به روضاً ونوراً مُكمّما
وان لم تهجهُ الريح جاء مصافحاً فجدّت له كفاً خضيباً ومعصما
مجاديف كالحيّات مدّت رؤوسها على وجل في الماء كي تروي الظما
كما اسرعت عدّاً أنامِلُ حاسب بقبضٍ وبسْط يسبق العين والفما
هي الهدبُ في أجفان أكحل أوطف فهل صُبغت من عندم او بكت دما

قال ، واجاد ما اراد في هذا الوصف ، وان نظر الى قول ابي عبدالله بن الحداد يصف اسطول المعتصم بن صمادح :

سامَ صرف الردى بهام الاعادي ان سمت نحوهم لها اجيادُ
وتراءت بشرعها كميون دابها مثل شايفيها سهادُ
ذات هُدب من المجاديف حادٍ هُدب بادٍ لدمعه اسعادُ
حُمَمٌ فوقها من البيض نارٌ كل من ارسلت عليه رمادُ
ومن الخط في يدي كل ذمر الفاً خطّها على البحر صادُ

قال : وما احسن قول شيخنا أبي الحسن بن حريق في هذا المعنى من قصيدة انشدنيه :

وكأنها سكن الأراقم جوفها ... من عهد نوحٍ خشية الطوفانِ
فاذا رأينا الماء يطفح نضنضت ... من كل خرت حيّة بلسانِ

قال ولم يسبقهم بالاحسان ، وان كان سبقهم بالزمان ، علي بن محمد الاياديّ التونسيّ في قوله :

شرعوا جوانبها مجادف أتعبت ... شأوَ الرياح لها ولما تتعبِ
تنصاح من كتب كما نفر القَطَا ... طوراً وتجتمع اجتماع الرَّبربِ
والبحر يجمع بينها فكأنه ... ليل يقربُ عقرباً من عَقربِ

وله من هذه القصيدة الفريدة في ذكر الشراع :

ولها جَناحٌ يستعار يُطيرها ... طوع الرياح وراحةَ المتطربِ
يعلو بها حدب العباب مطاره ... في كل لجٍّ زاخرٍ مغلولبِ
يتنزل الملاحُ منه ذوابة ... لو رامَ يركبها القَطَا لم يركبِ
وكأنما رام استراقة مقعدٍ ... للسمع الا انه لم يسهبِ

وقال ابو عمر القسطليّ :

وجال الموج دون بغي سبيل ... يطير بهم الى الغول ابن ماء
اغرُّ له جناحٌ من صباحٍ ... يرفرف فوق جنح من مساء

اخذه ابو اسحق بن خفاجة فقال :

وجارية ركبت بها ظلاماً ... يطير من الصباح بها جناحُ

وللمؤلف في ذلك المعنى :

ياحبّذا من بنات الماء سابحة ... تَطفُو لما شبَّ أهل النار تُطفئه
تطيرها الريح غرباناً باجنحة ... حمائم البيض للاشراك ترزؤه
من كلّ ادهم لا يلقى به جرب ... فما لراكبه بالنار يهنؤه
يدعى عرابا وللاعجام سرعته ... وهو ابن ماء وللشاهين جُوْجُوْد

٧٧ – أبو القاسم محمد بن محمد بن نوح الغافقي

من أهل بلنسية ودار سلفه سرقسطة ، وتوفي مسروقاً بمراكش سنة اربع عشرة وستمائة . كتب اليه ابو بكر بن صقلاب وهو اذ ذاك يتولى قضاء المرية انشدنيها اخوه ابو الحسن:

يا ابا القاسم بن نوح بقلبي لدى ود رطبُ المكاسر لَدْنُ
فاذا اعرض المحب فاقبل واذا ما تنازح الخِلُّ فادْنُ
لقد احتازت المرية زُلْفاً غَبَطَتْها عليه تاسٌ ومدنُ
مشرفاً مشرفاً على كل فضلٍ لِيَ منه وللسيادة يُمْنُ
قلت اذ ساقها اليَّ هبات لم يطق حملها بوازل بُدْنُ
انا والله في جوار يزيد موردي كوثر وداريَ عدنُ

وانشدنا ايضاً اخوه ابو الحسن قال انشدنا لنفسه :

لا تغبطن كل موفود الغنى مشتملاً ملابس العظمه
يلمز لا بسبب الا بما يحويه من اكياسه المفعمه
فالله قد اخبر عن امثاله وقال في آياته المحكمه
يحسب ان ماله اخلده كلا لينبذن في الحطمه

٧٨ – أبو بكر محمد بن علي بن محمد بن عبد العزيز اللخمي الكاتب

من أهل اشبيلية . يعرف بابن المرخي وكان ابوه ابو الحكم كاتباً ، واما جده ابو بكر وباسمه سمي وبكنيته كني فنظير . . . ل عبد الله بن ابي الخصال في بلاغته وبيانه ، وبيتهم عريق في النباهة والكتابة قال : ولم ادرك ابا بكر المتأخر هذا وتوفي في سنة خمس عشرة وستمائة .

ومن قوله في قصيدة يخاطب بها استاذه ابا العباس سيد المعروف بالقص مماتباً . اولها .

سأهجر العلمَ لا بغضاً ولا كَلَا حتى يقال ارعوى عن حبّه وسَلا
ولا امرُ ببيت فيه مسكنه كي لا يَمَل شوقي حيثما مَثَلا
اذا ظمئت وكان العذب ممتنعاً فلست عن غير ذاك العذب معتزلا
اذا طردت قصياً عن حياضكم فان نفسي مما تكرهُ النَّهلا
قد كان عندي زعيمُ القوم عالمهم فاليوم عندي زعيم القوم مَن جَهلا
ما ان رأيت الذي يزداد معرفة الا يزيد انتقاصاً كلما كملا
وآية الصدق في قولي وتجربتي ان الجوادَ على الدلات ما وألا

وجاوبه ابو العباس بقصيدة على غير الرويّ مماتباً ، فجاوبه عنها أبو الحسن ابن يزيد بمثلها ، اذ امسك ابو بكر عن المجاوبة .

٧٩ – أبو جعفر أحمد بن عبد الرحمن اللخميّ الكاتب

من أهل قرطبة . ويعرف بالربضي لسكناه بالربض الشرقي منها ، كتب للولاة ثم قعد عن الخدمة ، والتزم عمارة أرضه متعيشاً من غلاتها الى ان توفي اول شوال سنة عشرة وستمائة وله في صباه ، وقد عوتب على شرب الخمر :

واتاني المدامة ما اريد بشربها صَافَ الرقيع ولا انهماك الكاهي
لم يبقَ من عصر الشباب وطيبه شيءٌ كنهد لم يحل الا هي
ان كنت اشربها لغير وفائها فتركتها للناس لا لله

٨٠ – أبو بكر يزيد بن محمد بن صِقلاب الكاتب

من اهل ألمرية . وعاملها بعد ابيه ابي عبد الله . وكان غزلاً ماجناً صاحب ابداع في قوافٍ واسجاع ، توفي سنة تسع عشرة وستمائة . له :

كَلِفَ القَصي لقد طالت شكاوته ولا طبيب بقرب الدار يشكيه
قد طارحته حمامُ الايك نغمتها حرفاً بحرفٍ فيحكيها وتحكيه

وساجلت عبرات السحب عبرته اذا تفيض فتبكيها وتبكيه

وله :

اذا عقدت كفٌ على ذي مروءة فانت الذي تثنى عليه الخناصرُ
وان اثنت الاعصار يوماً على امرىء فانت الذي تثني عليه الاعاصرُ

وله في طريقة التجنيس :

واخي فتنة اذار علينا من يديه ومقلتيه رحيقا
عابثته عيوننا فصبغنا درّ خديه بالعيون عقيقا
جعل الثقل لثمنا من شفيه فانتقلنا على المدامة ريقا
عتقت هذه وهذا عتيقٌ فشربنا على العتيق عتيقا
اسكر الثقل والشراب جميعاً وابى الكأس واللمى ان افيقا
كلما قلت قد صحوت قليلاً عُدت في حيرة الخمار غريقا
لم اكن شائع الطريقة لكن مذ تعشقته ركبت الطريقا
حكمتنا يدُ الهوى في القوافي فعزلنا من الرقيق رقيقا

قال وهذه القطعة انشدنيها قديماً بعض اصحابنا عنه .

٨١ — أبو عمرو محمد بن عُبيدالله بن غياث

من أهل شريش شاعر مطبوع ، توفي اول سنة تسع عشرة وستمائة . له :

نهنهْ دُموعك انّ البين قد ازفا واندُب ديارًا عليها الشوق قد عكفا
فارق حبيباً وان ساءتْك فرقته فما سما الدرُّ حتّى فارق الصَّدَفا

وله :

هذي الجفون لاي شيء تذرفُ ولعلّها دار الاحبّة تعرفُ
من اين تعرفها وقد عميت اسىً أقميصه القى عليها يوسفُ

٨٢ – ابو الحجاج يوسف بن طملوس

من أهل جزيرة شُقر ، من عمل بلنسية ، واحد اعلامها الاماثل واحد المحققين بعلوم الاوائل . توفي سنة عشرين وستمائة . ومن قوله :

لعمرك ما تلقى من الناس واحداً غدا قلبه مما ابتلينا به خلوا
كأنَّ الهوى حتمٌ علينا مقدَّرٌ فلا مُهجةٌ الا تذوب له شجوا
ألا صاحبٌ يلحى على الغيِّ صاحباً لقد عدم العُذَّال مذ عمَّت الشكوى

٨٣ – أبو الربيع سليمان بن احمد بن علي بن ابي غالب العَبْدَري الكاتب

من أهل دانية . سكن مراكش بعد تجوله ببلاد الاندلس . وكان جده علي وابوه احمد واخواه محمد ويحيى شعراء ، ولبيتهم نباهة . وولي ابو العباس منهم قضاء مالقة فامتحن في قصة الجزيري وقد خبب .... وقيل انه اطلق اخاه من السجن بمالقة بالف دينار رشوة فاسلم الى صاحب الشرطة ليضربه الف سوط فهلك قبل استيفائها وامر به فصلب بازاء جذع الجزيري سنة ست وثلاثين وخمسمائة . فمن قوله في شكوى الزمن :

اخي كُوفيت والبَلوَى ضروب تعمُّ وتارةً تأتي اختصاصا
تعالَ فخذ بحظك من همومي ودع اطلال هندٍ والعِراصا
وباكِ اخاك دنيا قد تولت ودهراً ينهك العمر انتقاصا
وما انهيتُ نفسي في المعالي ولا ادركتُ من ثاري قصاصا
فليت العيش اذ لم يقض محضاً رُزقت اذا انقضى منه الخلاصا

وله يصف ناراً

ولقد نعمت بنار فحمٍ اصبحت تختالُ بين معصفرٍ ومورَّدِ
الا بقايا كالدُّجى مسودَّة او مثل اصداغ الجواري الخُرَّدِ
فكأنما يبدو لعيني منها حبرٌ أريقَ على سبائك عسجدِ

٨٤ – أبو اسحاق ابراهيم بن عيسى بن اصبغ الأزديُّ

من أهل قرطبة. ومن بيوتاتها الاصيلة. ويعرفون ببني المناصف، وَوَلي ابو اسحاق هذا قضاء دانية، وصُرف عنها اول الفتنة المنبعثة بالاندلس صدر سنة إحدى وعشرين وستمائة، واسكن بلنسية اشهرًا ثم انتقل عنها. وولي بعد ذلك قضاء سجلماسة، الى ان توفي بها سنة سبع وعشرين وستمائة، قال في ترتيب حروف كتاب العين للخليل، وهو احسن ما قيل فيه على كثرته:

عذَّبني حلو هوىً خضته غوايةً قائدة كَرْبي
جالبة شوق ضلوعي صمت ساحرة زاجرة طَبّي
دَوْسيَّة تيمني ظَبْيها ذوب ثناياه رِضى لُبّي
ناولني فاه بلا مانعٍ ووجنة احسانها يُربي

٨٥ – أبو زيد عبد الرحمن بن يَخْلَفْتَن بن احمد الفازازيُّ

ولد بقرطبة. ونشأ بها وتجول في بلاد الاندلس والعدوة. وكتب هو واخوه لامراء المغرب، وبلغا الرتبة العالية. وكانا من مفاخر وقتهما. وابو عبد الله مقل من الشعر. وتوفي بقرطبة قاضيًا سنة احدى وعشرين وستمائة. واما ابو زيد فكثر كثيرًا، وشعره مدوَّن. وكانت وفاته بمراكش سنة اربع وعشرين وستمائة. قال: ومما عزي لي انه من شعره في الحضّ على الحجّ والزيارة.

الناس قد رحلوا وانت مقيمُ ودُعوا وانت محجَّبٌ محرومُ
صدقوا العزيمة فاستقلّت عيسهم وهواك في نيل المنى مقسومُ
غطّتك من آذيّ ذنبك موجةٌ فيها الهلاك وما اراك تعومُ
وتلام في ترك الحجاز فتنثني من غير معذرة وانت ملومُ
حسن فقد فارقت كل اساءةٍ مهلًا فانت بعلمه معلومُ
لا انت في السفر الذين تقدموا نحو النبيّ ولا اراك تقوم

واذا بدا لـكَ درهم في جلّق بادرت تقعـد نحوه وتقومُ
واذا اراد الله تبليـغ امرىء فالعرب خادعـة لـه والروم
ما النـاس الا الراحلون لربهم والآخرون بلابـل وهمومُ
لا خلقَ الأمُ من محاذر عيلة في قصد رب الناس وهو كريمُ

وذكر له :

يانائم الطّرف عن سهدي وعن ارقي وفارغ القلب من وجدي ومن حُرَقي

بكمالها وهي من جيد كلامه في النسيب.

٨٦ — أبو عبدالله محمد بن علي بن حمادو الصنهاجي

من أهل قلعة حماد . وكان بشرق الاندلس في اول هذه المائة السابعة . ثم ولي قضاء الجزيرة الخضراء وقضاء سَلا بعد ذلك ، وتوفي سنة ثمان وعشرين وستمائة. ذكر له من شعره بعض رثائه لمعاهد القلعة التي ضمنها تاريخه.

٨٧ — ابو تمام غالب بن محمد بن اسماعيل الانصاري

من أهل بلنسية . ومعدود من ادبائها . وكان يحترف بالتجارة واحياناً بالوراقة . صحب ابا الحسن بن جُبَيْر وغيره من الادباء. وسمع الحديث وكتبَ كثيراً. وروى عنه ابو الربيع بعض شعر ابن جُبَيْر . وتوفي في المحرم سنة تسع وعشرين وستمائة . قال : انشدني من شعره ، قال : وكان يناظر علي ابي محمد بن باديس في المستصفى وكان هو يحضره ، فغاب عنه يوماً فكتب اليه ابن باديس :

يا واحـدًا في المعالي بـه العلى تستبـدُّ
ان القراءة نادت مولاي مـا منك بدُّ

فراجعه ابو تمام بابيات منها :

لبيـك لبيك يا من عـلاؤه لا يحـدُّ
ومن اذا حلَّ شكا فقولـه لا يردُّ

٨٨ – ابو بكر محمد بن محمد بن جَهْوَر الازديّ

من أهل مرسية ، واحد نبهائها وادبائها . فمن قوله، وقد مرّ بجزيرة شُقر بارض حمراء لابن مرج الكُحل غير صالحة للعمارة، يداعبه :

يا مرج كحل ومن هذي المروج له ما كان احوج هذي الارض للكحلِ
ما حُمرة الارض عن طيب وعن كرمٍ فلا تكن طمعاً في رزقها العجلِ
لكنّ شيمتها اخلاق صاحبها فما تُفارقها كيفيّة الخجلِ

وجاوبه :

يا قائلاً ، اذ رأى مرجي وحُمرته ما كان احوج هذي الارض للكحل
تلك الدّماء التي للروم قد سفكت في الفتح بيضُ ظبا اجدادي الاول
احببتها اذ حكت من قد كلفتُ بهِ في الخد او اخلافه أملي

٨٩ – ابو عمرو ابراهيم بن ادريس التجيبيّ القاضي

من أهل مرسيه . وهو اخو ابي بحر صفوان بن ادريس . ولي قضاء بلده والخطبة بجامعه ، وتوفي في اول سنة ثلاثين وستمائة . له من قصيدة يمدح فيها :

شِيمُ الصوارم ان تُقرّب ما نأى لكن على من عزمه كظباتها
اخلصتَ للرحمن نيّة عالمٍ انّ النفوس له على نيّاتها
وجعلت تقوى الله شكتك التي تركت قلوب الروم رهن شكاتها

ومنها :

اوطأت ارض المشركين كتائباً كادت تصير الارض من وطآتها
كالبحر يطفح موجها جرياً اذا هبت رياح النصر في راياتها
جاءت تروم الشهب في ابراجها وتهابه الآساد في اجماتها

ومنها :

قد كان غرّ الروم صفحك قادرًا حتى وضعت السيف في صفحاتها
ظنوك لا تستطيع دفع كماتها اذ لم تطق بالجود ردّ عفاتها
ترهى بك الايام وهي جديرة مثل الجياد زهت بحسن شياتها
فاسلم على مرّ الليالي انها لتحوط عقدًا منك في لبّاتها

٩٠ — ابو الربيع سليمان بن موسى بن سالم الكلاعيّ الخطيب

من أهل بلنسية . علم الاعلام ، واللعوب في جدّه باطراف الكلام ، الذي فاز بالجنة يوم فاد ، وأفادَ علوم السنة فيما افاد ، استشهد رحمه الله مقبلًا غير مُدبر في وقعة انيشة على بعد ثلاثة فراسخ من بلنسية ، ضحى يوم الخميس الموفي عشرين لذي الحجة سنة اربع وثلاثين وستمائة . انشدني الفقيه ابو عبد الله من قوله يرثي ابا بحر في كلمة :

اما وابي بحر لقد راع خاطري مصاب القوافي والعلى بابي بحر
ليبك عليه المجد ملء جفونه ويبك عليه رائق النظم والنثر
ويا دوح روض كان زهر كمامه عزاءك في الروض الانيق من الزهر
وياسك عن روح من الطيب بعده سوى ماتؤدّي الريح عنه من الذكر

ومنها :

احقًّا ابا بحر تجهزت غاديًا الى غاية ناء مداها على السفر
فان قصر المقدار عمرك إنّ في نفائس ما خلّدت عمرًا الى عُمر

وله :

ولما تجلّى خدّه بعذاره تسلوا وقولوا ذنبه غير مغفور
وهل تنكر العين اللجين مُنيلًا او المسك مذرورًا على صحن كافور
وحسبي منه لو تغير خدّه تمايل غُصن والتفاتة يعفور

وله :

قالوا اكتست بالعذار وجنته هل في الذي قلتموه من باسِ
أكلف بالورد وهو منفرد فكيف اسلو اذاما شيبَ بالآسِ

وله :

قالوا التحى واشتكى عينيه قلت لهم نعم قاتم وهل في ذاك من عارِ
بنفسج عيض من ورد ونرجسة تحوّلت وردة زينت باشفارِ
ما مرّ في حسنه شيءٌ بلا عِوَض حسنٌ بحسنٍ وازهارٌ بازهارِ

وقال :

رياضٌ كالعروس اذا تجلت وقلّ لها مشابهة العروسِ
فمن زهر ضحوك السنّ طلق لجهم من سحائبه عبوسِ
وقضب تحسب الرواح شتّت معاطفها سلافة خندريسِ
ونهر مثل هنديّ صقيل تجرّد فوق موشي نفيسِ
تولت نسجه السحبُ الغوادي وحاكت وشيه ايدي الشموسِ

وقال :

يا غزالًا غزو ارض الروم يبغي ويرومُ
ما يفي اجرك الغزو بقتلي يا ظلومُ

وقال :

اوصيكمُ بالقلب خيرًا فانه أبى يوم بنتم ان يصاحب جثماني
فقلت له اين المقام فقال لي بكفي ابيّ ذي حفاظ واحسانِ
أيحسن في شرح الصبابة تركُ من تكنفني احسانه منذ ازمانِ
ايا حسن اصغى لداعية النوى اذن فرماني الله منه بهجرانِ

فقلت له اكرمتَ يا قلب فارتبط ولو انّ لي امري لكنتُ لدى الثاني

وله في طريقة ابي الفتح البُستي :

تعجبوا لفؤاد الشهم ان آسا ما لي وقد جدّ حد العمر لا آسا
لو لم تعظني نفسي لاتعظت بان ارى مآل نعيم الدهر ابتاسا
هاتيك اربعُ صحبي بعد ساكنها لم تبقِ فيها النوى نوياً ولا آسا
فارجع الى الله يا قلباً عتا صلفا فذو الندى في الورى .....
ولا يروقك توريد الخدود فما تبقي لياليك وردًا لا ولا آسا
تجرّع الصاب في الدنيا عساك ترى معوّضاً منه في دار الرضا آسا

وله وسم على مشط فضة :

تهوي محلي النجومُ يا بعد ما قد تروم
كم امّة لكعاب بها النفوس تهيمُ
سريت فيها شهاباً حواه ليل بهيمُ
ما صاغني من لجين الا ظريف كريمُ
مشط الحسان بعظم ظلمٌ لعمري عظيمُ

قال الفقيه ابو عبد الله : وكتبت اليه معمياً باسماء الطير وكان يعنى بذلك :

ان شئت يا دهر حارب او شئت يا دهر سالمْ
فصارمي ومجني ابو الربيع بن سالمْ

فراجعني بعد ان فكّها بقوله :

نعم فحارب وسالمْ وصل مصافا وصارمْ
انا المجنّ الذي لا تحيك فيه الصوارمْ

انا الحسام الذي لا يزال للضيم حاسم
فاحكم بما شئت اني بعضد صحبي حاكم

وذكر ما جرى بينه وبينه في ذلك من المراجعات على ذلك النحو جملة حسنة .

٩١ — أبو بكر محمد بن محمد بن مُحرز الزهريّ القاضي

من أهل بلنسية . من اهل الطلب البارع والنباهة في بلده . فمن قوله من قصيدة يصف الاغارة على شنتبرية، وفتح حصن شِرالّة . وذلك بعد غدر النصارى واغارتهم على فحص الميل من نواحي بلنسية :

كذا فليُغَر او فليغر طالب الوتر وينهض ... الحبر المسهد بالكَسْر
خرجت وللاسلام انّة موجع تذوب لها الصمّ القواسي من الصَّخْر
املت لها اذناً تصيخ لمثلها على حين صمّت كل اذن من الوقر
نفرت لها كالليث يطرق غيله ذياب بها من طفرة ندب العقر
فسرت على اسم الله تحدوك عزمةٌ لو استكفيت ثابت عن العسكر المجر
عليك ابتهاج الظافرين كانما تسير على اعطافه فيضة البحر

وله في هذه القصيدة محاسن واجادة فيها ما اراد . وكتب الى ابي الربيع ابن سالم شيخنا رحمه الله :

ابلغ سلامي يضوع رنده يا طرس ابلغت ما تودّه
الى اخٍ طال منه كفي بصارم لا يحدّ حدّه
شرفت منه بشرفي افرد عن حسبه فرنده
ابوه من شوقه بقلبي فهل انا اليوم منه جدّه

وقال :

سقى الله المعرّس اذ سهرنا به والحادثات بحال غُمْض

قطعنا ليله والحال رفعٌ يقرّ العينَ منها عيش خفضِ
نضاجع من بنات الماء ومن نبات الماء فيها كلّ غضِ
يروقك ... منه فاعجب سيوف بعضها اغماد بعضِ

ومن قصيدة لابي عبد الله بن ابي الفضاء وقد سمع ارجوزتي ابي بكر في ذلك في شكل خباء الماء.

تحاك اعاليه واسفله وما يقوم عليه او به من سَدَى النهرِ
وان حاولوا تطنيبه فباربع يمزّق من اردان اثوابه الوقرِ

قال: وانشدني الاديب ابو عبد الله محمد بن احمد الحضرمي صاحبنا لنفسه، وسئل وصف مثله «والريحُ تبذِره» فقال واحسن ما اراد:

ومطيّب للماء ما اوتاده الا نتائج فكر طبّ حاذقِ
عبثت به ايدي الصَّبا فكأنها ايدي الصبابة بالفؤاد العاشقِ

وله في بكر من كلمة:

ان لله مطلقين اسارى طلبوا القرب مهتدين حَيارى
عثروا اذ تحيروا فرآهم فجزاهم بان اقال العثارا
قبلت منهم الصلاة وهم لا يقربون الصلاة الا سكارى

٩٢ – أبو المُطَرِف احمد بن عبد الله بن عَميرة المخزوميُّ القاضي

من أهل جزيرة شُقر، وسكن بلنسية فمن نسيبه قصيدة مدح بها قوله:

يا والياً امر الجمال بسيرة قلَّ الحديث بمثلها عَن وَالِ
حتى متى قلبي عليك متيّمٌ واذا سألت يقال قلبك سَالِ
ارضى رضاك عن الوشاة وانت لا ترضيك موجدتي على العذالِ
وبيان حبك لم أؤخره وفي جَدواه عندك غاية الاجمالِ

قد حرت في حالٍ لديك ولست من اهل الكلام احارُ في الاقوال
واجلت فكري في وشاحك فانثنى شوقاً اليك يجول في جوّالِ

وقال من قصيدة انشدنيها باشبلية اثر نزهة جمعتنا بخارجها صدر سنة سبع عشرة وستمائة قال : وانا اقترحت وصفها عليه ، واولها :

لو غير طرفك موهناً يأتيني ما كان في عقب الصبى يُصبيني
وافى وقد هجع الخليط فبات في ثوب الدجى أدنيه او يدنيني

ومنها في الوصف المقترح :

يا حمص انك في البلاد فريدةٌ بديع حسن جلّ عن تحسينِ
احببت بنهرك حين يزخر مده فيروق منه تحرّك كسكونِ
ويعوده الجزر الذي يبقى على شطيه حجرًا دونه للطينِ
مثل الجزيرة ان تقلّص ثوبها خجلت لشين تحته مدفونِ
فكأنما هو عاشق ذو زفرة تعتاده في الحين بعد الحينِ
او مثل ممتلئ الجوانح والحشا غيظاً طواه الحلم بالتسكينِ
وتخال ما نثرت به ايدي الصبى حلق المضاعف نسجه الموضونِ
تجري به اسراب طيرٍ آثروا فيها المجاز فسميت بسفينِ
يا حسنها من ذات اجنحةٍ لها عمل يبزّ جناحي الشاهينِ
تثني الجموع فلا يريم مكانه منها وترجع سوط كل حرونِ
من كل دهماء الاديم ترى به منها بنفسجة على نسرينِ
عُطفت وارهف جسمها فكأنها قمرٌ اذا ما عاد كالمرجونِ
جُلنا بها في النهر ترتع المنى ما بين اصنافٍ لها وفنونِ
ولربّ ا رعنا بنيه بغارة تركت مصون حماه غير مصونِ

تحكي اذا ما بزرت حركاتها فعل التريف ينوء دونَ معينِ
قد قوّستها ميتةٌ لا كبرة فانظر الى الفيء تعودُ كنونِ
حتى بلغنا سنتبوس ويا له من مشهد بهوى النفوس قمينِ
حيث القصور البيض يرمق حسنها ... قيد نواظر وعيـــــونِ
بهرت جمالاً في الدُّجى حتى ترى معها عمود الصبح غير مبينِ
فهي النجوم بل البدور لأنها تزدادُ حسناً في الليالي الجونِ
قد الفت اجزاؤها فتساندت كتساند النغمات في التلحينِ
طاب الزمان بها فما تيسانها اندى صباً من آب أو كانونِ
فسقى الغروس مع الخليج خياله صوب بريّ ربوعها يرضيني
فلقد مضت لي ثمّ ساعةُ لذة عن ذكر لذّاتي الاولى تسليني
وجنيت من ثمر المنى ما شئته واخذت منه فوق ما يكفيني
في فتية ظفرت يداي بقربهم بأجلّ علق في الزمان ثمينِ
ما منهم الا صريح مودّة أصفيه منها مثل ما يصفيني
اخذوا باطراف الحديث فشمشموا منها كؤوساً حثّها يحييني
وتذاكروا اخبارَ سيدنا فقل جلبوا فتيق المسك من دارينِ

وقال يصف مثلها بنهر جزيرة شُقر وانشدنيه :

خذ في حديثك ان وصفك يطربُ عن يوم انس ذكره مُستعذبُ
واطلب احاديثاً من الايام ان سمحت بذا وأظنُّ ذلك يصعبُ
يوم اراثا الحسن في النهر الذي قد طاب منه موردٌ او مشربُ
يمشي ويزجي موجه فكأنهُ لما انتهينا ما يُوارِي مقضبُ
وقد امتطينا زورقاً فيه فقل صبحٌ تمشّى في سناه غيهبُ
تراه طوراً طائراً ولربما ضمّت جناحاه اليه فيجنبُ

ولنا شباك قد تجاذب غزلها خدّان يطفو ذا وهذا يرسبُ
نسجت كنسج الدرع لكنّ الردى لم يعد لابسها اذا ما يطلبُ
تبدي لنا سمكاً ارادت ان تُرى حسنٌ بها فلأجله تتقلّبُ
فكأنها من جمرة الماء الذي حصباؤه من صفوه لا يحجبُ
يا نهر شقرٍ فيك ادركتُ المنى فلأنت من نهرٍ اليّ محبّبُ
يهنيك اذ حزت المحاسن كلها اني ساشعر في حلاك وأخطبُ

وله مما يكتب على قوس:

تحنو الضلوع على القلوب وانني ضلع قوافيها باعضل داء

وله واهدى وردًا :

خذها اليك ايا عبد الاله فقد جاءتك مثل خدودٍ زانها الخفَر
اتتك تحكي سجايا منك قد عذُبتْ لكن تغيّر هذي دونها الغيرُ
ان شمت منها بُروق الغيث لامعة فسوف يأتيك من ماء لها مطرُ

وله يخاطب العراقي وقد بعث اليه في جزء من كتاب الجدل يقتديه اثر ما ولي شغل الخزانة بمراكش :

تقلدت من شغل الخزانة خطة تقد لها بالفضل والعلم لائق
وارسلت عن جزء كحرفٍ بمهرق وقد جمعت في راحتيك المهارق
فيا من له تسع وتسعون نعجة اني سئلة عجفاء أنت تضايق

ومن قصيدة ايضاً في تغلب الروم على بلنسية :

اما بلنسية بثوى كافر حفّت به في غفرها كفّارهُ
زرعٌ من المكروه جلّ حصاده بيد العدوّ غداة لجّ حصارهُ
وعزيمة للشرك جعجع بالهدى انصارها اذ خانه انصارهُ
قل كيف يثبت بعد تمزيق المدى آثارهُ أو كيف يُدرك ثارهُ

ما كان ذاك المصر الا جنة للحسن تجري تحتها انهاره
طافت بطيب نهاره آصاله وتعطرت بنسيمه اسحاره
وتألفت اوقاته وتفتحت ارجاؤه وتفتحت انواره
اما السرار فقد عداه وهل سوى قمر السماء يزول عنه سراره
قد كان يشرق بالهداية ليلة فالآن اظلم بالظلام نهاره
ودجى به ليل الخطوب فصبحه اعيا على ابصارنا إسفاره

وقال:

نكب عن الدنيا ولا تلقها الا بودٍ مثلها زائل
اذا تحلّيت بما زخرفت فانت في التحقيق كالعاطل
حلّت لمن أملها برهة لكنه لم يحل بالآئل
مَنْ منصفي من زمن جائر يغلب فيه الحق بالباطل
لو كان سحبان به مفصحاً لم يأمن الانكات من باقل
حسبك ان الوغد يحتاجه من ارتدى بالخلق الفاضل
يفتقر الصدُّ الى صدّه مثل افتقار الفعل للفاعل

ومن رسالة له كتبَ بها معزياً الى بطليوس:

ولم أرَ مثل الحق اما طريقه فامنٌ واما جاره فمعزّ
اذا ما امرؤٌ آوى اليه فحصنه حصينٌ ومأواهُ المباحُ حرزُ
فكن معه تظفرْ بما شئت من منى معارفها بالصالحات يفوزُ
ومن خير ما حاز الفتى الصبر انه اداة لموفور الثواب تحوزُ
رأينا التقى كنزاً يدوم الغنى به اذا فنيت للموسرين كنوزُ
وكأين رأينا من حوادث اقبلت فللخلق تصريحٌ بها ورموزُ
تقابل بالتسليم لله وحده فتمضي ولم يشعر بها وتجوزُ

٩٣ – أبو الحسن علي بن لبّ بن شلبون المعافري

من أهل بلنسية . وكتب لولاتها ، ثمّ وزر لمحمد بن يوسف بن هود اول ثورته سنة خمس وعشرين وستماية وكان من الادباء النجباء . وتوفي بمراكش اول سنة تسع وثلاثين وستمائة . وله قصيدة يمدح ويعتذر عند قدومه مع وفد بلنسية سنة اثنتين وعشرين وستمائة الى اشبيلية :

حنانيك قد ثبت اليك وقد ثبنا فحرّر لنا الرحمى واكد لنا الأمنا
هو القدر الجاري على الناس حكمه فلا غروَ ان جاؤوا سراعاً وابطأنا
اذا لم تكن بالمرتهين عناية سماوية عادت حرامتهم أفنا
ملكنا فصرّفنا تصاريف تجتني بها مرةً ربحاً وآونة غبنا
واما واغضاء الخليفة شامل فبشر بما قلنا به الامن والامنا

وله من قصيدة يمدح ايضاً ، أولها :

أوجهه والالحاظُ والقدُّ والردفُ ام البدر واليعفور والغصن والحقفُ
وريّاك سدّ الخافقين اريجها ام المسك من دارين ثمّ له عرفُ

والقصيدة طويلة . وله من قصيدة يرثي شيخنا ابا الربيع :

خطب الخطوب دهى العلاء مصابه فابدأ بدمعك ان يقل مصابه
واسكب له حمر الدموع يمدّها قلبٌ يسيل على الجفون مذابه

ومنها :

اودى سليمان فشرع محمد ثكلان بادية به اوصابه
فجمت به سير الرسول مصنفاً كتباً ينظمُ شدوها إطنابه
واصيب منه حديثه بامامه وحفيظه من حادث ينتابه
العالم العالي به مترسّلا قمم الكواكب علمه ونصابه
فمن المجلي عن طريق صحيحه وسقيمه مهما يشبه تشابه

وبمن يعرج طالب العلم الذي ما اعمات الا اليه ركابه
او من لذروة منبر ترهى به اعواده وبهزها اسرابه
ام من لصدر المحفل المشهود ان كثر الكلام به وقلّ صوابه

ومنها :

الروض آداباً تأرّج زهره والبحر ادراكاً يعبّ عبابه
ولد الزمان وما اتى بنظيره ليس الزمان بوائم اتجابه
غار الجمال فما يتاح طلوعه غاب الكمال فما يباح ايابه
خطّت رماح الخط فيه اسطراً بيمينه منها يكون كتابه

٩٤ – أبو جعفر احمد بن ابراهيم بن غانب الحميري

من اهل مرسية . ويعرف بالغزّال وبالحلبي ، وكان مجدداً مكثراً ولم يوقع من شعره الا القليل ، وتوفي ببلاده سنة احدى وثلاثين وست مائة . في رؤيا ابي بحر :

له الله ما اهوادُ في كل مشكل بمعنى وكل القوم في دجيه عُمْيُ
فما هو الا بالبلاغة مرسلٌ وآيته الرؤيا اذا انقطع الوحيُ

قال ظاهر : هذا يقتضي ان ابا بحر رآها . والذي صحّ ان المنصور رأى اباه في النوم يقول له : ببابك رجل يعرف بابن ادريس فاقض حاجته ، او ما هذا معناه ، فلما اصبح وذلك في الثاني عشر لذي الحجة عام تسعين وخمس مائة اخبر بالرؤيا . فوجه فيه قاضي الجماعة ابو القاسم بن بقي والكاتب ابو الفضل بن محشوة ، وسألاه عن مطالبه ، فقضيت ، وزوّد اربع مائة دينار . وذكر ابو المطرف ان انساناً حدّثه ان المنصور لما سمع مدح ابي بحر ورثاه للحسين اراد الاحسان بالرؤيا لئلا يكثر عليه الشعراء وادعى محمد بن ادريس المعروف بابن مرج اليكحل ابة ذلك لتحاقق اسمي ابويهما ، فقال ابو بحر يخاطبه :

يا سارقاً جاء في دعواه بالعجب سامحته في قريضي فادّعى نسبي

ينمى الى العرب العرباء مدّعياً كذاك دعوته للشعر والأدب
يا ايها المرج دع ... لؤلؤه فالدر للبحر ذي الامواج والحدب
هب ان شعرك شعري حين تسرقه انى انا أنتَ او انى ابوكَ ابي

قال المؤلف : هذا النوع من الهجاء لا يسمع عند اكثر الادباء ، قال : وتركت لاجل الهجاء من لم اجد له سواه وهم كثيرون ، قال : ومنهم أبو عبد الله بن عبد الرحمن الفرياني، وأبو بكر محمد بن عبد الله بن سدينة، وأبو عبد الله محمد الواعظ الكفيف المعروف بالمروري وسكن دانيه ثم بلنسية وكان مشهوراً ، وأبو بكر محمد بن رفاعه الشريشي الطبيب، وأبو زكرياء يحيى بن خالد الشريشي، وابو سعد ميمون بن علي المعروف بابن خبازة. وتوفي برباط الفتح سنة سبع وثلاثين وستمائة . وأبو موسى عيسى بن عبد الله الدجي . ومنهم المسمى عياش بن جوافر، وابوه من عرب ميورقة ، وبها ولد ونشأ، قال : ومن القدماء ابن وازع غير مسمى من أهل بيأسة وكان يعقد فيها الشروط . ولابي جعفر في مجمر نار :

ومجمر ملئت ساحاته بغضاً والجمر ترمي شراراً وهو يستعر
كلفت تشبيهه يوماً فقلت خذوا التشبيه بالخبر لا يشغلكم الخبر
فمجمر النار صدري والغضا كبدي والجمر قلبي ودمعي ذلك الشرر

٩٥ – أبو المطرّف الزُّهريُّ

من أهل اشبيلية . من قوله في جارية خرجت عليه وعلى جليس له فنفرت :

يا ظبيةً نفرت والقلب مكنسها خوفاً لحتفي بل عمداً لتعذيبي
لتأمني فابن عبد الحق الحقنا عدلاً يؤلف بين الظبي والذيب

وقال :

مرت بنا كالبدر وانفلتت كالغصن والتفتت كالشادن الخرق
تسربلت ببرود الحسن والتحفت بالغنج واشتملت مرطاً من الحدق

٩٦ – أبو جعفر احمد بن محمد بن طلحة ، الكاتب الانصاري

من أهل جزيرة شقر ، كتب لابن هود ، وتجوّل ببلاد الاندلس . ثم فارقه ولحق بسبتة فقتل بها سنة اثنتين وثلاثين وستمائة . وله شعر كثير . انشدني ابو الحجاج بن ابراهيم عنه :

عجبي لقوم أمّلوا ان يبلغوا ... من كل مأثرةٍ وفضلٍ مبلغي
من بعض حاصليَ الذي لا ابتغي ... يأسوا ، فمن لهم بما انا ابتغي

٩٧ – أبو علي حسن بن عبد الرحمن الكتاني الاستاد

من أهل مرسية . ويعرف « بالدوا » وكان حلو النادرة وصاحب مقطعات وتذييلات حسان ممتعة . توفي ببلده سنة ثلاث وثلاثين وستمائة له من ابيات في المجنّات :

شغفت بحبّ ابكار حبالى ... ووُدي لو بنيت بها عروسا
اذا لاحت بدورًا في المعالي ... تراءت للعيون بها شموسا

والفقيه ابي عبد الله في ذلك وانشدنيها :

بنفسي مثلجات الصدور ... لها سمتان من نار ونور
حوامل وهي ابكار عذارى ... ترقُّ على الاكف مع البكور
بياضُ الطلع ما تنشقُّ عنه ... وفوق اديمها صُهب الخمور
كبرض الطلّ حين تذاقُ طعماً ... وفي احشائها وهج الحرور
لها حالان بين فم وكف ... اذا وافتك رائقة الثغور
فتغرب كالأهلّة في لهاةٍ ... وتطلع في يمينٍ كالبدور

٩٨ – أبو بكر بن هشام الازديُّ الكاتب

من أهل قرطبة ، ابوه احد حكام قرطبة ، وهو الذي صلّى على ابن بشكوال . توفي بالجزيرة الخضراء سنة خمس وثلاثين وستمائة . له في ليلة انس :

ولما دنا الاصباح قام مودّعي وخلفني في قبضة الوجد هالكا
وكان سواد الليل ابيض ناصعاً فعاد بياضُ الصبح اسود حالكا

٩٩ – ابو محمد عبدالله بن محمد بن مطروح التجيبي القاضي

من أهل بلنسية . توفي والروم يحاصرونها في ذي القعدة سنة خمس وثلاثين وستمائة . سئل تذييل هذا البيت :

واذا ذكرتك لم اجد لك لوعةً اذ لا تفارق قلبيَ المعهودا

فقال :

ما غبت عن قلبي فديتك لحظةً وكفى بقلبك لي لديك شهيدا
لكن حظّ العين منك فقدته . فالشوق مني لا يزال جديدا

وله شعر كثير .

١٠٠ – أبو بكر محمد بن احمد الصدفيُّ الصابوني

من أهل اشبيلية . شاعر عصره ، وختمت الأندلس شعراءها به ، توفي في طريقه من الاسكندرية الى مصر سنة اربع وثلاثين وستمائة . فمن قوله في معذر :

وعذّبني خدّ به المسك باقلُ كأنّي في وصفيه للعجز باقلُ
اما وعذارٍ فوق خدّك انه لانكأ فعلي مقلتيك لفاعلُ
وما خيلت نفسي اليّ بانه ستفعل افعال السيوف الحمائلُ

١٠٠ — حمدة بنت زياد بن بَقيّ العوفيّ المؤدّب

من أهل وادي آش واحدى المتأدبات المتصرفات المتفننات . واسند عن طريق جدي عن ابن البرّاق انها خرجت متنزهة بالرملة فرأت ذا وجه وسيم اعجبها فقالت :

اباحَ الدمعُ اسراري بوادٍ ... به للحسن آثارٌ بوادي
فمن وادٍ يطوف بكلّ روضٍ ... ومن روضٍ يطوف بكل وادِ
ومن بين الظباء مهاة رملٍ ... سبت عقلي وقد ملكت فؤادي
لها لحظ ترقده لامرٍ ... وذاك الامر يمنعني رقادي
اذا سدلت ذوائبها عليها ... كمثل البدر في الظلم الدآدي
تخال الصبح مات له خليلٌ ... فمن حزن تسربل بالحدادِ

وذكر لها :

ولما ابى الواشون الّا فراقنا ... وقد قلّ اشياعي لديك وانصاري
غزوتهم من مقلتيه وادمعي ... ومن نفسي بالسيف والسيل والنار

قال : وحدثني بعض الناس ان هذه الابيات لمهجة بنت ابن عبد الرزاق من نواحي غرناطة .

١٠٠ — نزهون بنت القليعي

قال : وعاصرتْ حمدة هذه او قاربتْ عصرها نزهون بنت القليعي وكانت واحدة صنعها في ادبها . كتب اليها ابو بكر بن سعيد اخو ابي مروان كاتب ابي زكرياء بن غانية :

يا من لها الفُ شخص ... من عاشق وعشيقِ
اراك خليت للناس ... سدّ ذاك الطريقِ

فاجابته برسالة فيها :

حللت ابا بكر محلًّا منعته سواك وهل غير الحبيب له صدري
وان كان لي كم من حبيب فاتنا يقدم اهل الحقّ فضل ابي بكرِ

ولها في قبيح الصورة عرض لخطبتها :

عذيريَ من انوك اصلع سفيه الاشارة والمنزعِ
يروم الوصال بما لو اتى يروم به الصفع لم يصفعِ
برأس فقير الى كيّة ووجه فقير الى برقعِ

ولها :

لله درّ ليالٍ ما احيسنها وما احيسنَ منها ليلة الاحدِ
لو كنت حاضرنا فيها وقد غفلت عينُ الرقيب فلم تنظر الى احدِ
ابصرت شمس الضحى في عاتقي قمرٍ وريحَ مجهاةٍ في ساعدي اسدِ

وقال فيها المخزومي استاذنا :

على وجه زهون من الحسن مسحة وان كان قد اضحى من الصون عاريا
قواصد زهون توارك غيرها ومن قصد البحر استقل السواقيا

فقالت ترد عليه مستطردة له :

ان كان ما قلت حقاً من نقص عهد كريمِ
فصار ذكري ذميماً يعزى الى كل لومِ
وصرت اقبح شيء في صورة المخزومي

١٠٠ — خادم ابي محمد بن مسلمة الشاطبيّ الكاتب

حكى لي ابو محمد ابن ابي بكر الداني الطبيب ان الوزير ابا عامر بن يفنّ كتب اليها من مجلس انس ليستدعيها :

يا هند هل لـك في زيارة فتية نبذوا المحارم غير شرب السلسل
سمعوا البلابل قد شدت فتذكروا نغمات عودك في الثقيل الاول

فكتبت اليه في ظهر الرقعة :

يا سيداً حاز العلى عن سادة شمّ الانوف من الطراز الاول
حسبي من الاسراع نحوك انني كنت الجواب مع الرسول المقبل

١٠٠ — حفصة بنت الحاج الركوني

واما حفصة بنت الحاج الركوني من اهل رندة واهلها بقيت بعد حمدة وهي القائلة ابياتها المشهورة :

يا سيد الناس يا من يؤمل الناس رفده
امنن عليّ بصدّ يكون الدهر عدّه
خطت يمينك فيه والحمد لله وحده

✧

انتهى ما قيده أبو اسحق ابراهيم بن محمد بن ابراهيم البلفيقي من كتاب « تحفة القادم » لابي عبد الله بن الأبار حسبما اختار ، ومن المنقول نقلته ، وعمل بحمد الله تعالى وحسن عونه والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا ومولانا رسول الله وعلى آله واصحابه الطيبين الطاهرين وسلم تسليماً .

وكان الفراغ من نسخه لخزانة السلطان مولانا امير المؤمنين ناصر الدين الباسل الضرغام المرتضي لايالة الاسلام ابي العبّاس المنصور الشريف الحسني أيّد الله امره واعلامه واسعد لياله وايامه ، في ثالث عشر جمادى الاولى عام تسعين وتسعمائة بالحضرة البيضاء فاس حرسها الله وخلّد للاسلام ذكرها

✧

مخطوط أُنف

كتاب الفتح الرّباني والفيض الرحماني

تأليف

الشيخ الامام والحبر الهمام العالم العلّامة

الشيخ عبد الغني النابلسي

قدس الله سرّهُ العزيز امين

تعريف له

بقلم الاب انطونيوس شبلي اللبناني

وجدنا في مكتبة كرسي بطريركية الروم الكاثوليك ، في عين تراز (لبنان) هذا الكتاب الخطّي من تأليف الشيخ عبد الغني النابلسي الشهير شارح ديوان ابن الفارض ، وصاحب المؤلفات الصوفية العديدة . ولم نعرفه مطبوعاً ، بل لم نرَ له ذكرًا بين آثار المؤلف ، في كتابات من ترجم له من مؤرخي الآداب العربية الّا بروكلمان ، فانه احصى للشيخ عبد الغني ٨٥ اثرًا ذكر فيها تحت الرقم ٦٨ (الجزء الثاني من تاريخه ص ٣٤٨) اسم «الفتح الرّباني والفيض الرحماني» ، مشيرًا الى ان له مخطوطة في مكتبة برلين .

اما المخطوط الذي وقفنا عليه فقد كتب بحرف نسخي جميل اسود يشبه حروف المطابع ، وعناوينه بالحبر الاحمر ، يحتوي على ١١٢ صفحة ، بطول ٢١ سنتيمترًا ، بعرض ١٥ سنتيمترًا ، وعرض هامشه ٦ سنتيمترات ، على ورق حجج ، بدون تجليد ، يشتمل على سبعة ابواب :

١ : في بيان الذنب .
٢ : في التوبة .
٣ : في العقيدة الصحيحة .
٤ : في بيان الكفر .
٥ : في بيان الاسلام .
٦ : في بيان الايمان .
٧ : في بيان الاحسان .

وكانت غاية كتابته في ١١ رجب الفرد سنة ١١٥٤ للهجرة ، بيد اسماعيل بن خليفة الحسوي الشامي ، وقد ذكر الناسخ على احد هوامشه : انه بلغ مقابلة على النسخة التي هي بيد المؤلف نفسه . وان الشيخ النابلسي صدّر كل باب من ابواب مؤلفه هذا ببضعة ابيات من الشعر ضمّنها خلاصة ما احتواه كل باب من المعاني والشروح . والصفحة من هذا الكتاب تحتوي على ٢٧ سطرًا وفي كل سطر ١٤ كلمة ، وعلى هامشه بعض شروح لمطالبه . ورأينا تحت اسم المؤلف الذي منه الناسخ بالنعت المذكور اعلاه ، في صفحة عنوان الكتاب الاولى ، هذه الكتابة مذيلة بسبعة ابيات من الشعر وهي بخط مختلف :

« لخادم تعالى مؤلفه ومنسوب صيغة محمد بن محمد الشافعلاني الازهري .

لعمرك هذا الفتح والفيض والهدى حباهُ لنا عبد الغني مع الندى
تسلسل من بحر الغيوب علومه فأروت قلوباً شفّها وهجُ الصدا
ونظّم عقد الدرّ منه لغائص وفتّح روض الفضل من روضه الندى
ونادى لسان الحال منه أمن صدى اكوثرنا المورود عذباً مبرّدا
مزجنا به البحرين بحر حقيقة وشرع فيا طلّاب مدوا لنا يدا
وما مالكٌ الّا كشفنا غويصهُ ولا موعرٌ الّا بنا قد تمهّدا
فقل لغويّ [1]فيضه بدا فان انت لم تدركه خلتُك ملحدا »

ولا نتعرض لذكر ما يتضمنه كل باب من ابواب هذا المخطوط خوف الاطالة ، لكننا نثبت مقدمته مع الباب السادس منه في الايمان ، ليقف القارئ على سياقه ونهجه ، غير متعرضين الرد على المؤلف في بعض آرائه ومناحيه .

---

١) كلمة غير مقروءة .

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي اظهر العالم من كنز الوجود واخرجهُ من محض العدم، ووصف به نفسهُ لنفسه في موطن الامكان لتميّز بذاتها حضرة القدم ، واثبت لنوره نورًا قائمًا بنفسه غير متصل به ولا منفصل عنه ، وجعلهُ مرآة الظهور وجوهه فيه بانواع تجليات الكنه ، ثم اخرج من ذلك النور نورًا آخر ليس عين ذلك النور ولا غيره، وكوّن فيه عرشهُ العظيم وكرسيه الذي جمع شرّهُ وخيره . ثم خلق السماوات السبع في جوف ذلك الكرسي واتقن التكوين، واودع العناصر الاربعة في جوف فلك القمر اتركيب المولدات فتبارك الله احسن الخالقين . ثم جعل نشأة آدم آخر مولد في العالم وجعلهُ نسخةً لجميع صور هذا الوجود، وقابل به حضرة صفاته واسمائه وافعاله واحكامه فكان هو المقصود . ثم نسخ منه صحفاً كاملة وكتباً محمولة بالعناية حاملة ، وسكب في قالبه اسرار النبوة واودع في تيارهِ انوار الفتوة واطلع كواكب الازل من سموات صورته المشرقة ولم يزل يتطور في الهياكل الفاضلة حتى طلعت شمس الأحديّة على فلك تلك القامة المشرقة صلى الله وسلم عليه وعلى كل من تبختر بحلّته الطاهرة وتمشّى على انهار حديقته الظاهرة ولبس نعليه وثبت على صراطهِ بقدميه خصوصاً غذاء ارواح المحبين وشراب تسنيم المقرّبين ، محمّد الكل بجزئه الذي لا يتجزأ ومن الى حقيقته كل حقيقة في الكونين تعزى، المتقدم بالنور المتأخر بالظهور ، محمّد المحمود ، حدقة عين الوجود ، ورضوان الله تعالى عن آلهِ الآئلين اليه بالروحانيات وان اختلفوا بالاجسام ، واصحابه الذين هم معه بالاستعداد التام وعن التابعين لهم باحسان في كل زمان ومكان.

اما بعد فان العبد المفتقر الى مولاه والراجي عفو ربهِ وهداه ، عبد الغني ابن اسماعيل بن عبد الغني بن اسماعيل بن ابرهيم بن احمد النابلسي ، الحنفي

مذهباً ، القادري مشرباً ، الدمشقي وطناً ومولداً ، ادخله الله تعالى في منشور السعداء ، ورحم اسلافه الماضين ، ولطف به وبجميع المسلمين امين ، يقول في اول كلامه على مقتضى حاله ومقامه :

بدر تمّ لاح في الفنق فوق غصن بالجمال سقي
وبه الالباب هائمة سكرت منه فلم تفق
عطّرت روضي نسائمه حين وافت بالشذا العبق
وفؤادي فيه ذو شغف دائماً والجفنُ ذو ارق
واصطباري يوم جفوته ما بقي والوجد فيه بقي
هائمٌ صبٌ كثيرُ جوى عنه شُدّت سائرُ الطرق
خطفته منه بارقةٌ غيرها في القلب لم يرق
فأدارت كاس خمرته فهو منها اليوم في غرق
وأثارت عرف روضته في الورى طوبى لمنتشق
كيف لا اختال من مَرَح وملیح القد معتنقي
فاسألوا عيني فان بها لمحةً في داخل الحدق
تلتُها من حسن بهجته من لو بدا للكون لم يطق
ثمّ ذوقوا ما بقي بفمي من بقايا خمر كل تقي
هذه أذني لقد سمعت طيب ذاك الصوت فاسترق
واسألوا أنفي فقد نفحت فيه ريّا نسمة الفلق

يا بني قومي خذوا خبري عن جوى قلبي وعن قلقي
وانظروا نحوي فان خفيت شمسُ ذاتي فاشهدوا شفقي
كلما تدرون من حجبٍ لصيدٍ في الورى وشقي
واحذروا في الله ان تقفوا عند شيء لاح في الافق
فالبرايا كلها فتنٌ اي جمع غير مفترق
كلها تمضي بأجمعها ثمّ يبقى الاثمُ في العنق
واحذروا ان تعبدوا صنماً نحتته فكرةٌ فبقي

جسلَّ ربي في تنزّهه عن وجودات على طاق
فاسرعوا وامحوا الحروف بما عندكم من صفحة الورق
قبل ان يبدو المنون لكم يأخذ الباقي من الرمق
واسلكوا سبل النجاة على دين طه زاكي الخلق
ثم كونوا اسر سنّته وبها قامشوا على نسق
وابعثوا في دعوة وسلوا في غد امناً لذي فرق
وصلاة الله دائمةٌ مع سلام غير منمحق
للذي انواره سطعت فأحالت صبغة الغسق
احمد المختار سيّدنا من به قلبي مثاه لقي
ما بدا الكون منشئهُ خلف ستر ابيض يقق

اعلم ايها الانسان الداخل في حصن حصين من الايمان والمتدثر ان شاء الله تعالى بنسيم الروح والريحان ، ان كتابي هذا ما جمعته إلّا لمن قصر ليله لطول نهاره ووقف في نشأة نفسه الزكية على مراكز اضطراره ، ولم يحتجب بالعين المعجمة عن العين ، ورفع بيد روحانيته حجاب البين من البين ، وربما ينتفع به الاعمى بدلالة البصير ، ويتناول بيده ذيل الكعبة صاحب الباع القصير . فالله الله يا ايها الواقفون مع ما ظهر لهم من لمحة من لمحات انوار الشريعة ، والمتجسون بسبب غشاوة دخان الذنوب التي لا يشعرون بها في مطامير الطبيعة . ويا ايها المستسنون ورم الزخارف الدنيوية ، ويا ايها المعرضون بقلوبهم الجاهلة لاعراضها بتحسين ظنهم بهم عن اللذائذ الروحانية الاخروية فاحذروا ان تفهموا شيئاً من كلامي بالفهم المعوج وتخرجوهُ على خلاف هذا الدين فتفتروا عليّ وعلى الله ، فاني لم اقصد الّا بيان ما فُتحَ عليّ مما يوافق الشرع الشريف وان كانت الالفاظ متشابهة ربما يُفهم منها خلاف ذلك فان لي في ذلك عذراً واضح ، وكل اناء بالذي فيه ناضح ، وما ذلك العذر الّا ان المعاني التي يتخيّلها الانسان ربّما لا يجد لها لفظاً موافقاً لها تؤدّى به من الفاظ اللسان ، وربما امكن ذلك ولكن اشتغل عنها القلب بما يتراكم عليه من المعارف الحسان وبالله المستعان . وقد عزمتُ على الشروع فيما اردتهُ من هذا الكتاب وجعلتهُ تحفةً مني الى

اولي الالباب ، وهو على سبعة ابواب ، تفاؤلًا ان يكون الثامن هو باب الفتح لجنّة الهداية والاقتراب ، على كل من طالعهُ بالقبول وسلك فيه طريق الآداب ، وقد كنتُ اردتُ ان اطيلهُ اكثر من ذلك ولكن خفت من لحوق السأمة والملل للاخوان والاصحاب . وقد سميتُهُ : الفتح الرباني والفيض الرحماني . واسأل الله تعالى ان ينفع به اهل العناية ، ويرشد بسببهِ ارباب الغواية ، وان يختم لنا ولاخواننا المسلمين بالحسنى لتلحق النهاية والبداية ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وهو حسبي ونعم الوكيل ، نعم المولى ونعم النصير .

والى القارئ الباب السادس ...

الباب السادس

في الايمان

نور هذا الوجود بالايمانِ ... لا بشمس ولا نجوم دواني
وبهِ الشمس والنجوم جميعاً ... مشرقات من رحمة الرحمان
ولهذا الكسوف لا يعتريها ... قط الّا عن غفلةٍ وتوان
اي قلب من القلوب تجلّى ... فيه ربي بغير ما ايمان
وعلوم الجميع علوًا وسفلًا ... واردات عن ورده كالزمان
فلك الماء والتراب مضيء ... بضياء الايمان في كل آن
وبه لم يزل يدور ويبدي ... صورًا بابتداعهِ ومعاني
امن الكل من قليٍّ وبادٍ ... عندما امنوا وهم في تدان
ولهم خلقة المهيمن جاءت ... ثم فازوا من سلبها بالامانِ
فتراهم بها يميلون زهوًا ... بين نيل المراد والحرمانِ
وعلى كل حالةٍ هو اولى ... بالذي جاء منهُ للاكوان
وهي ايمانه بهم فلهذا ... مؤمنٌ جاء عنهُ في القرآنِ
والمواليد معدنٌ ونباتٌ ... ثم حيوانها مع الانسان
وكذاك الاباء مع امهاتٍ ... كلهم في غدٍ من الحيوانِ

مؤمنات جميعهـا باله واحدٍ ما لهُ كما قال ثاني
ولهذا تأتي غدًا شاهداتٍ مثل ما جاء في حديث الاذان
وشروط الشهادة الآن فيها ثبتت بالدليل والبرهـانِ
حيث عنها الاله اخبر بالتسبيح والنطق والغنا في البيانِ
فتحققْ بكل ما قلت وافهم تلو اب الكمال والايقانِ

اعلم ان الايمان من اشرف الصفات واعلاها وافخر الخصال واغلاها ، وهو من صفات الله تعالى كما ورد في القرآن العظيم ، ان من اوصافه تعالى المؤمن ومعناهُ المصدّق بان جميع ما يظهرهُ من العدم الى الوجود من مخلوقاته موجود عندهُ في حضرة العلم لا ينقص من ذلك شيء. ولا يزداد ولهذا نقول: انه تعالى علم نفسه فعلم العالم وحقيقةُ ايمان سبحانه وتعالى ح علمه بعلمه فالايمان قديم ح باعتبار انهُ صفة لله تعالى كالعلم القديم . واما ايمان الانسان والملك وبقية العالم فهو صفة حادثة من غير اشكال حدثت بحدوث المؤمنين لا يتصور ان تكون قديمة ويكون المتصف بها حادثاً ، فان الاصل اذا كان حادثاً يكون الفرع حادثاً بالاولى ، اذ لا يتصور ان يتصف الحادث بقديم كما لا يتصور ان يتصف القديم بحادث ، فمن سأل عن الايمان ح هل هو قديم او حادث يُقال لهُ هذا اللفظ ينطلق على معنيين مختلفين لا يشبه احدهما الآخر ولا بوجهٍ من الوجوه . المعنى الاول تصديق الله تعالى بذاته وصفاته وافعاله وبمنفعلاته ، وهذا المعنى قديم لا يتصور ان يكون حادثاً البتة . والمعنى الثاني تصديق المخلوقات بذاته تعالى وبصفاته وبافعاله وبمنفعلاته ، وهذا المعنى حادث باحداث الله تعالى ذلك في المخلوقات ، لا يتصور ان يكون قديماً البتة . فايا اردت في سؤالك عن الايمان اجبناك به ولا نطلق لك الجواب فنقول قديم او حادث لان في موضع التفصيل خطأ ، وايمان الله تعالى بجميع ما امن بهِ من الاشياء في الازل ايمان سمع ورؤية واحاطة على السواء . واما ايماننا بجميع ذلك فهو ايمانٌ بالغيب ، حتى ان شهودنا لتجلياته تعالى ايمان بها بالغيب ، باعتبار انها تمثل لعقولنا بضربٍ من التجليات ايضاً ، فشهودنا للتجلي تجلٍ آخر ، لا عين التجلي الاول ، ولا مماثل التجلي الاول ، وذلك لان الله تعالى ما تجلى لشيئين في آنٍ واحد مرتين

ولا لشيء واحد مرّةً في آنين ، بل بكل آنٍ لهُ تجلٍ خاص في كل شيء خاص ، وايماننا بالاشياء المحسوسة والمعقولة بضربٍ من التمثيل ايضاً فانها لولا ان الله تعالى يمثّلها لعقولنا عند مماطاة اسبابها لما ادركناها ، فالبصر مثلاً وارادته نحو الشيء سبب لتمثيل الله تعالى ذلك الشيء في عقولنا حتى ندركهُ ، وكذلك السمع وانصاتهُ سببٌ لتصوير الله تعالى صورة ذلك الصوت مع معناه في العقل حتى ندركهُ ، وهكذا جميع المحسوسات وكذلك جميع المعقولات ، لولا ان الله تعالى يصوّر صورة ذلك الشيء في عقلنا عند جولان القوّة المفكرة في مقدّم الدماغ ثم يخلق لنا ادراكهُ كما ادركناهُ البتّة ، فحقائق ذوات المحسوسات والمعقولات كلها ح انما ادركنا امثالها المخلوقة فينا ولم يتجاوز ادراكنا لانفسنا على ادراكنا للاشياء بواسطة امثالها التي صوّرها الله تعالى في عقولنا فادركنا الشيء بمثلهِ ، ولهذا لم ندرك ذاتهُ تعالى ولا صفة من صفاته لانه لا مثلَ لهُ ولا مثل لصفةٍ من صفاتهِ جلَّ وعلا ، وهذه حكمة عدم ادراكنا لله تعالى وعدم ادراكنا لصفةٍ من صفاتهِ ، فايماننا بجميع المحسوسات والمعقولات في الحقيقة ايمانٌ بالغيب بواسطة امثالها التي صوّرها الله تعالى لنا في عقولنا فادركنا الشيء بمثلهِ ، لان كل شيء لهُ مثلٌ إلّا الله تعالى وصفاتهُ ، لانه لا مثل لهُ ولا مثل لصفة من صفاتهِ ، لانّا لا ندرك الشيء إلّا بالمثل الذي يصوره الله تعالى فينا ، فبالضرورة ان ما لا مثل لهُ لا يُدرك ابداً

واعلم ان الايمان لهُ حقيقة ولهُ صورة ولهُ احوال ولهُ مقامات ولهُ منازل ولهُ اقسام ولهُ ثمرات ، لا بدَّ من بيان ذلك كلهِ فاقول بمعونة الفتّاح العليم : أمّا حقيقة الايمان فهي التصديق وضدّهُ الجحود والتكذيب ، يقال صدّق بالخبر اذا نسب قائلهُ الى الصدق ، وهو مطابقة الخبر للواقع ، فمن صدّق بجميع ما اخبر بهِ محمد صلّى الله عليه وسلّم فقد نسب اخبارهُ الى الصدق ، يعني الى كونها مطابقة لما هو في حقيقة الامر ، وضدّهُ التكذيب وهو نسبة الخبر الى الكذب وهو عدم المطابقة للواقع ، فعلى هذا الايمان والكفر انما يقالان في مقابلة الخبر . يُقال آمن بكذا او كفر بهِ اذا كان خبر الانشاء ، ويكون الايمان بجميع الانشاءات الالهية التي هي الاوامر والنواهي راجعاً الى الايمان

بالله تعالى ونواهيه قطعاً من غير شبهة، لان مضموناتها ليست اخباراً حتى يتصور الايمان بها بل من انشاءات تطلب بها افعال مخصوصة يعود نفعها على المكلف بها. ولهذا نقول: ان من ترك امتثال الاوامر والنواهي جميعها مع تصديقه بانها اوامر الله تعالى ونواهيه، ليس بكافرٍ بل هو عاصٍ، فان كذب بشيء منها فقد كفر البتة، على ان الايمان بالله هو التصديق، وعلى معنى التصديق انه نسبة الخبر الى الصدق لا انه التصور مع الحكم، لان بعض ما يجب الايمان به لا يمكن تصوره بوجهٍ من الوجوه البتة لذات الله تعالى وصفاته العليا، وليس المراد بالتصديق حيث فسرنا به الايمان التصور مع الحكم، لان بعض ما يجب الايمان به لا يمكن تصوره بوجهٍ من الوجوه البتة كذات الله تعالى وصفاته، فيلزم ان لا يمكن التصديق به، لان الحكم فرع التصور بل المراد ما ذكرنا، ان التصديق نسبة الخبر الى الصدق. فالتصديق بالله تعالى نسبة الخبر الثابت عند العقل بوجود الله تعالى المنزّه الى الصدق، وكذلك التصديق بصفاته وبانبيائه وبجميع ما أخبرَ به عن الله تعالى سواء عقلنا مثلهُ او لم نعقل، فتصور الشيء ح ليس بشرط الايمان به اي التصديق بمعنى نسبة مخبره الى الصدق.

واما صورة الايمان فهي على قسمين. صورة باطنية وهي الاذعان لذلك الشيء الذي صدّق به والاستسلام والانقياد بقلبه. وصورة ظاهرية وهي العلم بموجب ذلك بالجوارح، وهاتان الصورتان هما صورتا تلك الحقيقة الايمانية حتى لا تكون ثابتة بدونهما عند من جعل العمل من الايمان، والصواب ان الصورة الباطنية كافية في ثبوت حقيقة الايمان، فاذا زالت زالت حقيقة الايمان، اذ كل حقيقة لا بدَّ لها من صورة، والتصديق بغير اذعان لا يكون البتة، بخلاف الصورة الظاهرة فانها لا تتوقف عليها تلك الحقيقة بل توجد بدونها. قال الله تعالى: فمن يعمل مثقال ذرّة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرّة شراً يره، فالايمان خير والمعصية شرّ، فلا بدّ من رؤية كلّ منهما، فلو كان العمل شرطاً في ثبوت حقيقة الايمان لكانت المعصية تنافيه فلا يرى خيره وليس الامر كذلك.

وصل

في معنى قول النبي صلّى الله عليه وسلّم : لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ، ونحو ذلك من الاخبار الدالة على ان امتثال الامر واجتناب النهي من الايمان .

اعلم ان اسم الايمان ينطلق على معنيين : ايمان توقيف وايمان توفيق . وايمان التوقيف قسمان ، توقيف الجنس كايمان المقلدين الجازمين المطابقين ، وتوقيف غير الجنس كايمان اهل النظر الذين اخذوا ايمانهم من الادلة والبراهين العقلية ، وهذان القسمان ايمانهم ايمان العامة . غير ان القسم الاول مختلف فيه ، والقسمان تقليد محض في حقيقة الامر لمن لا يصلح تقليده من غير معصوم من نظر عقل يمكن عليه الخطأ وناظر مشغوف بمضارات الافكار . واما ايمان التوفيق ، فهو ايمان اهل الكشف والعيان المتلقين ذلك من حضرة الرحمان استنتاجاً من الاعمال الصالحة المرضية الخالية من البدع . وهذا الايمان هو المراد بقول النبي صلّى الله عليه وسلّم : لا يزني الزاني ، وهو مؤمن ايمان كشف وعيان بل ينحجب في وقت المعصية فيمتنع عليه الشهود ويقع في الغفلة ، حتى اذا انقضت المعصية رُدّ عليه كشفه وعيانه فرجع اليه ايمانهُ فيرى قبح الذنب فيندم ويستغفر . وهكذا كلما وقع في معصية . وهذا معنى قول النبي صلّى الله عليه وسلّم كما لا ينفع مع الشرك شيء كذلك لا يضرُّ مع الايمان شيء . خرّجهُ الاسيوطي رحمه الله تعالى ، في الجامع الصغير . والمراد بالايمان الكامل الحقيقي كما ذكرنا .

وصل

ليس من شرط صاحب الايمان الكامل الحقيقي اجتناب الذنوب والمعاصي والا لثبتت العصمة لهُ ، والعصمة ليست ثابتة الا لنبي او مَلَك واصحاب الايمان الكامل محفوظون لا معصومون ومعنى الحفظ ان لا يضرّهم ذنب ابداً ، لا معنى الحفظ ان لا يصدر منهم ذنب ، فان ذلك معنى العصمة لا الحفظ . ارأيتَ قوله تعالى : ان الله يحب التوّابين ، والتوّابُ الكثير التوبة ، والكثير التوبة كثير الذنوب فاوجب كثرة الذنب محبة الله تعالى على حسب ما ذكرنا في اهل الشهود ، فانهم اذا رجعوا الى شهودهم بعد غفلتهم وانحجابهم في

المعصية لا بدّ ان يندموا ويستغفروا قطعاً من غير شبهة فيحفظهم الله تعالى بذلك من شؤم المعصية ، فهم محفوظون لا معصومون بخلاف اهل الغفلة من العامة كلها. الافكار وتحوهم ، فانهم اذا وقعوا في المعصية ازداد حجابهم وكثرة غفلتهم وليس لهم حال شهود يرجعون اليه ليروا فيه قبح الذنب ، فربما يوفقون للتوبة بعد حين وربما لا يوفقون فيأخذون بذنوبهم وتوبتهم سيآتهم . ومما يؤيد ما ذكرناهُ قولهُ عليه الصلاة والسلام : خياركم كل مفتن توّاب ، كما خرّجه الاسيوطي رحمه الله تعالى ، في جامعه الصغير .

ولا شك ان اصحاب الايمان الكامل الحقيقي هم خيارنا من غير شبهة ، فلا يشترط فيهم الحفظ من اتيان الذنوب ، وانما يحفظون من شؤمها وضررها . وقد ذكر قدوة اهل التحقيق الشيخ محيي الدين ابن العربي ، في كتاب المحكم المربوط فيما يلزم اهل طريق الله من الشروط قال : ويجب على المريد ان يعتقد في شيخه انه عالم بالله ، ناصحٌ لخلق الله ، ولا ينبغي لهُ ان يعتقد في شيخه العصمة في احواله ، وكيف ينبغي ان يعتقد ذلك وقد سمع الله يقول : وعصى آدم ربّهُ فغوى . وقد قال بعض السادة : وقيل لهُ أيعصي العارف . فقال : وكان قدر الله قدراً مقدوراً . وصحب تلميذٌ شيخاً فرآه يوماً قد زنى بامرأة فلم يتغيّر في خدمته ولا اختل في شيء من مرسومات شيخه ، ولا ظهر منهُ نقص في احترامه . وقد عرف الشيخ انه رآه . فقال له يوماً : يا بني عرفتُ انك رأيتني حين فعلتُ بتلك المرأة ، وكنتُ انتظر نفارك عني من اجل ذلك . فقال له التلميذ : يا سيدي ، الانسان متعرّض لمجاري اقدار الله عليه ، واني من الوقت الذي دخلتُ الى خدمتك ما خدمتُك على انك معصوم ، وانما خدمتُك على انك عارف بطريق الله ، عارف بكيفية السلوك عليه الذي هو طلبي ، وكونك تعصي شيء بينك وبين الله تعالى ، لا يرجع علي من ذلك شيء . فما وقع يا سيدي منك شيء يوجب نفاري وزوالي منك ، وهذا هو عقدي . فقال لهُ الشيخ : وفّقت وسعدتَ ، وهكذا هكذا والا فلا لا . وبرع ذلك التلميذ بعد ذلك وجاء منه ما تقرّ العين به من حسن الحال وعلوّ المقام . انتهى .

واما ما يحتج به بعض اهل الرسوم من قول ابي يزيد البسطامي رضي الله عنه : اذا نظرتم الى احد تربع في الهوى فلا تغتروا به حتى تنظروا كيف تجدون هذا الامر والنهي. فليس معناه حتى تجدوه معصوماً ، او حتى تجدوه محفوظاً من الوقوع في المعاصي والذنوب ، وانما معناه حتى تجدوه يترك الامر ويفعل النهي مصراً على ذلك من غير توبة . والاصرار امرٌ خفيٌ لا يحكم به بمجرد المداومة على فعل المعصية ما لم يطلع على النيّة والقصد ، فقد يفعل الانسان المعصية في اليوم الواحد الف مرّة ويتوب منها في كل مرّة ، فلا يكون مصراً عليها وقد يفعلها في السنة مرّة وهو مصرٌ عليها . ومن العجائب ان الذي يحتج بقول ابي يزيد هذا بحسب غرضه في انكار احوال معاصريه من اهل الله تعالى ، يعرضُ عن قول ابي يزيد ايضاً : ما في الجبة الا الله ، ونحو ذلك من مقالاته التي ينكرها هذا القائل ويعترض فيها على ابي يزيد من جهله بكلام اهل طريق الله تعالى . وقد ثبت ذلك عن ابي يزيد ، وله معنى صحيح يذوقهُ اهل الله تعالى في ساعة غيبتهم عن الاكوان ، وربما يقال وهو الاقرب ، ان معنى قول ابي يزيد ذلك : انكم اذا رأيتم رجلاً تربع في الهوى فلا تغترّوا به ، وقولوا لو كان ولياً لله تعالى كما يزعم لما كان جاهلاً بشيء من امره ونهيه ، لما كان جاهلاً بمعاني صفات ربه واسمائه ، لما كان جاهلاً بمعاني التجليات الالهية ، لما كان جاهلاً باطوار الولاية والنبوّة والرسالة ، لما كان جاهلاً بحقائق الكائنات الملكية والملكوتية اذا ظهر لكم جهله بشيء من ذلك ، وقولوا لو كان ولياً لله تعالى لما كان منكراً شريعة نبي من الانبياء عليهم السلام ، لما كان كافراً بربه جاحداً لشيء مما يجب الايمان به ، لما كان مجسماً في اعتقاده بربه ، لما كان مشبهاً لله تعالى ، لما كان يعتقد في الله تعالى مكاناً او جهةً او كل مكان او كل جهة او حلولاً او انحلالاً او اتحاداً ، اذا ثبت شيء من ذلك عندكم انه يعتقده وليس له تأويل البتة ولو الى سبعين وجهاً فحينئذ لا تغترّوا به ، وسمّوا ما رأيتم منهُ استدراجاً كما يصدر من بعض الرهبان الكافرين بالله تعالى ، المنكرين نبوّة محمد صلى الله عليه وسلم ، المكذبين بالقرآن العظيم من الامور الخارقة للعادة كالطيران في

الهواء بسبب كثرة الرياضة والدخول في عالم الصفاء الذي هو اكشف حجاب عن الله تعالى من عالم الكدر من ذلك اهل طريق الله تعالى ، ولا تقولوا لمن رأيتموهُ يعصي الله تعالى بفعل كبيرة او صغيرة مع ثبوت التصديق في قلبه بمحمد صلى الله عليه وسلم ، وبجميع ما جاء به عن الله تعالى معترفاً ذلك بلسانه ، لو كان هذا ولياً لله تعالى لما عصى ربه كيف وقد سمعتم الله يقول : وعصى ادم ربه فغوى ، فاتقوا الله في اهل طريقه ولا تحاربوا لهُ ولياً ، فانه ورد في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم ، عن الله تعالى : من عادى لي ولياً فقد اذنته بالحرب ، اي اعلمته اني محارب له ، ومن حاربه الله تعالى فهو هالك في الدنيا والآخرة ، وهذا مقدار ما يجب علي في نصيحتكم ، واعملوا على ذلك ترشدوا ان شاء الله تعالى .

وأما احوال الايمان فالاشتياق الى الله تعالى ومحبة لقائهِ ومحبة كلامه القديم ومحبة انبيائهِ عليهم السلام ومحبة المحافظة على اوامر الشريعة ونواهيها والحزن عند انتهاك حرمة من حرمات الله تعالى ، والخوف من الله تعالى والرجاء منهُ ورؤية التقصير من نفسهِ في اداء حقوق مولاه وان اتى بعمل الثقلين لما يشاهد من عظمة المعبود واليأس من تأثير غير الله تعالى في نفع او ضرر ومدافعة الله تعالى عنهُ ونصرة الله لهُ ، الى غير ذلك . فأمَّا الاشتياق الى الله تعالى فهو أمرٌ يجيدهُ المومن في قلبه احياناً فتهمّ روحهُ بالخروج فيمنعها هذا الجسم الذي هو سجنها في عالم التكليف لاخراج ما في خزانتها من الاعمال المودعة لله تعالى من خير وشرّ حتى يفرغ ما فيها ، ولهذا كان بعض الصوفية اذا اخذهُ هذا الحال ، يعني حال الشوق الشديد المزعج المنبعث من مقام التنزيه التام يصرخ ويدور في الحلقة ويتواجد ولا يكاد يضبط نفسه من زيادة الحنين الروحاني الى حضرة المستوى الرحماني . وقد روي عن مالك ابن انس رضي الله عنه ان سُئل عن هؤلاء المتواجدين فقال دعهم يفرحوا بربّهم ، وكذلك نقول في اهل التواجد الصحيح . وأما ما يفعله الجهلة بالله تعالى وبصفاتهِ وبرسله وبانبيائهِ وبشرائعهِ ممن ينتسب الى الصوفية وهم بعد لم يصحّ ايمانهم فلو فتشتهم وجدتهم يعتقدون في الله تجسيماً او تشبيهاً او جهةً او مكاناً وربّما يصرّحون

بذلك اعتقاداً منهم ان ذلك محض الايمان لكمال جهلهم بالله تعالى ، فانما يفعلون من الرقص والتواجد شيء ممنوع منه شرعاً لعدم صحته لهم في معرفة الله تعالى واصحاب الحال الصحيح لا يقومون للتواجد الا عن ضرورة وغلبة حال فيُعذرون في ذلك ويقرّون على ذلك ان فعلوهُ في الزوايا او في البيوت او في المساجد او في اي مكان كان ، لان ذلك عبادة الارواح عند وصولها الى حضرات التجلي اندهاشاً وتحيراً مما ترى ، وهذا لا يعتري في الغالب إلّا اصحاب البداية وأما الراسخون في العلم فهم اهل تمكين لا تلوين فلا يعتريهم شيء من ذلك ، وأمّا محبة لقاء الله تعالى فهو حال يعتري المؤمن احياناً ولا يلزم ان يدوم له ، فان بعض الانبياء كره الموت . قال الشاعر :

وخوف الردى آوى الى الكهف اهلهُ وعلّم نوحاً وابنهُ عملَ السفن
وما استعذبتهُ روح موسى وآدم وقد وعدا من بعده جنتي عدن

ومتى اعترى مؤمناً هذه الحال كان دليلاً على ان الله تعالى أحبَّ لقاءهُ كما ورد في الحديث : ان من أحبَّ لقاء الله تعالى أحبَّ اللهُ لقاءهُ ، فكان ذلك من الله تعالى نظير اشتياق العبد الى ربه ، فان المحبة يتبعها الشوق من الجانبين . قال تعالى : يحبّهم ويحبونهُ ولهذا قال تعالى في حق الكفار : ولتجدنهم احرص الناس على حياة ، وذلك لان الله تعالى لا يحبُّ لقاءهم فلهذا لا يحبّون لقاءهُ . وقد بيّن الله تعالى لنا سبب ذلك منهم بقوله : ولن يتمنوهُ ابداً بما قدّمت ايديهم ، فعلمنا ان سبب عدم محبتهم لقاء الله تعالى ، كثرة ما يعلمون من مخالفة الله تعالى في عصيان رسله عليهم السلام والتكذيب بهم . وأمّا المؤمنون اذا كرهوا الموت في بعض احوالهم فان ذلك طمع منهم في ارشاد الناس الى الله تعالى وفي اطالة خدمته تعالى في الارض ، لا بسبب ما يقترفون من الذنوب ، لان التوبة تصحبهم في جميع شؤونهم واعمال الخير المكفرات للذنوب . فقل ان يباتوا مصرّين على شيء من الذنوب عملاً بقوله تعالى : وتوبوا الى الله جميعاً ايها المؤمنون لعلكم تفلحون .

وأمّا محبة كلامه القديم فهي حال تعتري المؤمن في بعض اطواره اذا انفتحت بصيرته لشيء من لطائف معانيه فيكاد يأكل اوراق المصحف من

شدّة الشوق والانزعاج ، ويكاد يختطف الفاظ التالي من حرصه على المعاني القرآنية . واما البكاء عند التلاوة والسماع فهو اقلّ حال من احوال المؤمنين، والمعتبر في ذلك بكاء المحبة والشوق والهيبة والخشوع لا بكاء الخوف والرجاء فان ذلك من حظوظ النفس . قال تعالى : الم يأن الذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق . وهذه الآية صريحة في صحة احوال المؤمنين التي هي خارجة عن بقايا الانفس .

واما محبة انبيائه عليهم السلام ، فهي الحالة الصحيحة الدالة على قوّة الايمان كما ورد في الحديث . قال النبيّ صلى الله عليه وسلّم : لن يكمل ايمان احدكم حتى اكون أحبّ اليه من نفسه وولده والناس اجمعين . والمراد بهذه المحبة وجدانها في القلب حتى تكون دليلًا على كمال حال الايمان ، لا التكليف لها بجعل القلب عليها ، ومن منّة الله تعالى على كل مؤمن ان تحدثه نفسه انه لو كان حيًا في زمان النبيّ صلّى الله عليه وسلّم لفداه من كل ما يؤذيه بروحه وبدنه وماله وولده والناس اجمعين محبةً فيه صلّى الله عليه وسلّم ومن محبته صلى الله عليه وسلّم يتوصل المؤمن الى محبة جميع الانبياء الماضين لانه صلّى الله عليه وسلّم جاءنا بشرح احوالهم كما كانوا عليها من غير زيادة ولا نقص ، فيجد المؤمن محبتهم في قلبه من غير تكلّف المحبة التامة . قال الشاعر :

سمعتُ اوصافك الحسنى فهمتُ بها والأذن تعشق قبل العين احيانا

والسرّ في ذلك انهم كانوا عليهم السلام ، مظاهر امر الله تعالى في عالمنا هذا من التجلّي الجمالي فهم محبوبون لكل مؤمن أحب الله تعالى ، ويلزم من محبتهم محبة الصالحين من امتهم الذين صدقوا في جميع ما جاءوا به من عند الله تعالى . قال الشاعر :

أمرّ على الديار ديار ليلى أقبّلُ ذا الجدارا وذا الجدارا
وما حبّ الديار أهاج شوقي ولكن حبّ من سكن الديارا

ومن احوال المؤمنين ايضاً في مقابلة ذلك بغض الكافرين بالله تعالى والمدّعين للالوهية كفرعون ونمرود واتباعهم ، وكذلك كل كافر الى يوم القيامة لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادّون من حاد الله ورسوله الآية .

وهـذا البغض على مقدار محبة الانبياء والصالحين ، فـان كانت هذه المحبة كثيرة كان ذلك البغض كثيراً وان قلّت قلّ هذا البغض طرداً وعكساً . والسرُّ في ذلك ان هؤلاء الكفار المكذبين بانبياء الله تعالى مظاهر الله تعالى ايضاً في عالمنا هذا لكن من التجلّي الجلالي فهم مبغوضون لله تعالى ، كما ان اصحاب التجلّي الجمالي محبوبون لله تعالى ، ولا يكمل العارف حتى تتمّ فيـه الصورة الالهية فيحبّ من أحبّ الله ويبغض من ابغضه الله وجداناً روحانياً لا تكلّف فيه ، كما قال تعالى لنبيّه صلى الله عليه وسلم : قل ما اسألكم عليه من أجر وما انا من المتكلفين. وكل من احبّ كافراً فان ذلك لنقصٌ في ايمانه اذا فتّش نفسه وانصف حاله وجد ذلك بغير شبهة .

وأما محبة المحافظة على اوامر الشريعـة ونواهيها فهيَ من احوال المؤمن اللازمة له سواء وفّقه الله تعالى للعمل بموجب تلك الاوامر واجتناب النواهي او لم يوفّق لذلك ، أو وفّق للبعض دون البعض فلا يزال يحب حالة الموافقة التامة ويُقبل عليها حتى يصادفها ان شاء الله تعالى .

وأمّا الحزن عند انتهاك حرمة من حرمات الله تعالى فهو امرٌ وجداني يجده المؤمن في نفسه لعظم شأن الدين المحمدي عنده . قال تعالى ذلك ومن يعظّم شعائر الله فانها من تقوى القلوب ، وهي جميع شعيرة بمعنى مشعرة من الشعور وهي العلم ، اي معالم الله التي تدلُّ عليه وتعلمنا به ، وهي احكامهُ من الامر والنهي ، فترى المؤمن يحزن عند صدور المخالفة ولو صدرت منه ويداخله الغمّ الشديد من اجلها بغضاً فيما يبغضه الله تعالى .

وأمّا الخوف من الله تعالى فهو خوف الاجلال والعظمة والهيبة. قال تعالى: وخافوني ان كنتم مؤمنين . ولم يرد عن الله تعالى انه امر بالخوف من النار، وانما امرنا بالخوف منه لا من النار ، ولكن قال تعالى : فـاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة ، وتقوى الشيء التحرّز منه بمجانبة اسبابه . ومن قال لا اخاف النار ولكن اخاف الله فهو من المحققين في مقـام التوحيد ، وذلك لان النار لا أثر لها في ايلام احدٍ من اهلها ولكن التأثير لله تعالى عنـد النار لا بها ، والمؤلِم في الحقيقة هو الله تعالى بعد تجلّيه في صورة النار، فالنار صورة

والتألم بها صورة مثلها ؛ وكذلك الألم صورة ثالثة . والمقصود بهذه الصور الثلاث واحد لا تقيده هذه الصور الثلاث لانه لا صورة له في ذاتــه ، وان كانت الصور كلها له عندنا ، فافهم الاسرار تكن من اولي الابصار .

وأمّا الرجاء منهُ تعالى فمن احوال المؤمن لتحققه بنهاية فقره واحتياجه في كل جزء لا يتجزّى من الزمان الى من يحفظ عليه وجودهُ وايمانــه وعقله وحواسه وصحته وانفــاسه وتدبيره في شؤونه كلها في اطواره كلها في عوالمه كلها ، وليس ذلك الّا الله تعالى ، وكلما كثر اطلاعه على احتياجه اليه كثر رجاؤهُ فيه وطمعهُ فيما لديه . وأمّا رزية التقصير من نفسه على كل حال فلمــا يشاهدهُ من عظمة الله تعالى وجلال شأنه . قال تعالى : وما قدروا الله حق قدره . وهذا المشهد اذا أُقيم في العبد صغرت في عينه ملوك الارض بل جميع العوالم حتى يصير لا يعظّم ما وجب عليه تعظيمه واحــترامه من العوالم الا امتثالاً لامر هذا العظيم الذي اوجب عليه ذلك ، ولولا انه اوجب ذلك عليه ما عظّم ولا احترم شيئاً من ذلك لتحققه بانــه راجع الجميع تحت سطوة قهر سلطانه تعالى ، حتى لا يكاد يكون لشيء من الاشياء وجود البتّة مع هيبة جلاله تعالى . ومن اعترض على الشاعر في قوله :

أيّ عظيم أتقي ايّ مكانٍ ارتقي
وكلُّ مــا قد خلق اللهُ ومــا لم يخلق
محتقرٌ في همــتي كشعرةٍ في مفرقي

فقال عنهُ قد اساء الادب باحتقاره من وجب تعظيمــه من الانبياء والملائكة عليهم السلام ، نقولُ له : ولو اراد لقال كل من ، ولم يقل كل ما ، لان من لمن يعقل ، وما لمن لا يعقل . ومما يُحكى عن ابي الحسن الدينوري رحمه الله تعالى ، انه وقف ليلةً كاملة بعد احرامه بالصلاة على رؤوس اصابعه فسأله من حضرهُ عن سبب ذلك فقال : طافت روحي السماوات والارضين والجنة والنار . وقيل لي هل اعجبك شيء . فقلتُ : لا . فقال لي ح انت عبدي حقاً . ثمّ ان صاحب هذه الشهود على مقدار معرفته بعظمة الله تعالى من حيث تجلّيــه تعالى في جميع الاشياء تصغر عنــه الاشياء كلها من حيث هي اشياء لا من

حيث هي مظاهر الحق ومجاليه عنده فتراه يعظّم الشيء من حيثيّة ويحتقره من حيثية اخرى ، فالاشياء مجالي الحق تعالى عند اصحاب البصائر فهي معظمة مبجّلة وهي بعينها حجبه عند العوام فهي محتقرة مستنقصة وهي عندهم اغيار وعند اصحاب البصائر اعيان ، والاغيار بمنزلة الثياب عليها تنتزع عنها في وقت الشهود . وصاحب الحال انما يحتقر جميع الاشياء بعد لبسها تلك الثياب فاذا نزعتها عظّمها واحترمها ، واما صاحب المقام فهو يحترمها دائماً اذ الثياب في عينه تشفّ عمّا تحتها ، وأمّا العامة فهم يعظمونها دائماً اذ نظرهم الى الثياب الظاهرة فقط .

وصل

قال تعالى : وان الظالمين بعضهم اولياء بعض والله وليّ المتقين ، والولاية هي تنفيذ القول على الغير شاء او أبى،ولهذا الظالمون بعضهم اولياء بعض،لان بعضهم تنفذ فيه اقوال بعضهم ويأمر بعضهم بعضاً وينهى بعضهم بعضاً اذ لا يعرفون الذي يأمر وينهى منهم من حيثية ان له الولاية عليهم ينفذ قوله فيهم، وانما يعرفونه من حيثية ظهور الامر والنهي منه وصدورهما عنه وأمّا المتقون الذين جعلوا الله وقاية من نسبة الامر والنهي الى غيره فتوقوا به عن غيره فلا غير عندهم في بصائرهم فان الله وليّهم ولهذا قال الله : ولي الذين آمنوا .يعني بانه هو لا غيره يخرجهم من الظلمات يعني ظلمات الاغيار وهي كثيرة كما قال ظلمات بعضها فوق بعض الى النور وهو واحد وهو النور الحقيقي الذي هو نور السماوات والارض . الآية .

وأمّا اليأس من تأثير غير الله تعالى في نفع او ضرر والمراد من حيث انه غير . واما من حيث انه عين والغيرية ثوبه فهو المؤثر في العوالم في تلك الحضرات التي يقتضيها ذلك الثوب كالسكين مثلاً فان تأثيرها من حيث انها سكين محال ، لان السكينة غير ، وأمّا من حيث انها بيد الله تعالى داخلة تحت تصريف قدرته في حضرة القطع التي اقامها الله تعالى فيها فهي عينُ المؤثر الواحد والغيرية كالثوب الساتر لما وراءهُ . وعلى هذا جميع الاسباب الظاهرة والباطنة . قال الله تعالى : والله من ورائهم محيط.

وأما مدافعة الله تعالى عن المؤمن فهو من جملة احواله . قال تعالى : ان الله يدافع عن الذين آمنوا . وذلك لان الايمان هو شفوف ثوب غيريته فلم يدافع الله تعالى الا عن نفسه ، بخلاف الكافرين فان الله تعالى لا يدافع عنهم ، لان الكفر هو الستر وقد ستروه عنهم بثوب غيريتهم فلم يشف ثوبهم عما وراءه فجهلوه في عين معرفتهم له ، وهذا من اعجب العجائب .

واما نصرة الله تعالى المؤمن فقد قال تعالى : انا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويقوم يقوم الاشهاد الآية . فقد اثبت النصرة للمؤمنين في كلا العالمين ، عالم الدنيا وعالم الآخرة . والمراد النصرة على جميع الاعداء من النفس والهوى والشيطان والكافرين والمعاندين والجاحدين والحاسدين والمنافقين ، وهذا في الدنيا . واما في الآخرة فالنصرة على الذنوب والآثام والحقوق والتبعات حتى انه تعالى يرضي عنهم اخصامهم يوم القيامة ايضاً ويدخلون الجنة ببركة هذا الايمان فينصرهم على جميع ذلك حتى يلحقهم بانبيائهم في مقام الايمان ، وان فاتتهم الانبياء عليهم السلام بمقام النبوة ولهذا عطفهم عليهم في الآية . فكما ان الانبياء عليهم السلام، لا يضرهم ذنب في الدنيا ولا في الآخرة فكذلك اصحاب هذا الايمان الكامل الحقيقي لا يضرهم ذنب في الدنيا ولا في الآخرة كما قدمنا . وهذا معنى الحفظ الذي نظيره العصمة في الانبياء والملائكة عليهم السلام .

وأما مقامات الايمان فهي كثيرة . منها مقام التوحيد ، ومقام الصبر ، ومقام التوكل ، ومقام الزهد ، ومقام الرضا، ومقام الخشية ، ومقام الانابة، ومقام الاعتصام ، ومقام الحياء ، ومقام المحبة، ومقام الذل والافتقاد ، ومقام المناجاة في الاسحار ، وربما نبين ذلك في بعض مصنفاتنا ان شاء الله تعالى. فان هذا المختصر لا يسعه .

واما منازل الايمان فهي جميع جوارح العبد الظاهرة والباطنة واصلها القلب واول ما ينزل الايمان فيه ثم يتفرق منه في بقية الاعضاء ، وله في كل صورة جارحة مخصوصة لائقة بتلك الجارحة فيسمى فيها باسم خاص لا يسمى به في الجارحة الاخرى ، فهو في القلب تصديق ، وفي العقل اذعان وتسليم ، وفي

النفس طمأنينة وانقياد ، وفي العين نظرٌ الى بدائع صنع الله تعالى ، وفي الاذن سماع كلام الله تعالى وكلام نبيّه صلى الله عليه وسلم وكلام الصالحين من الأمّة ، وفي اليد تناول ما فيه من طاعة الله تعالى ، وفي الرجل المشي في مرضاة الله تعالى ، الى غير ذلك من الشعب الكثيرة المتشعبة من الاصل الذي في القلب . فمن اعتبر هذا أدخل العمل في مسمّى الايمان لانه صور الايمان اختلف باختلاف الاعضاء والجوارح . ومن نظر الى الاصل ولم يعتبر الصور الظاهرة لهذا الشيء الواحد وانما اعتبر ذلك الشيء الواحد فقط كابي حنيفة النعمان رحمه الله تعالى ومن تابعه لم يدخل العمل في مسمّى الايمان بناء على ان صور الشيء اذا زالت لا يلزم ان يزول الشيء بنفسه ، لان الصور عَرَض في الذات والذات ثابتة والصور تُخلع وتُلبس . ارأيت ان المكلف في غير اوقات العبادات اذا زالت عنه صور الايمان الظاهرة او في حالة النوم او الغفلة لا يزول عنه مسمّى الايمان ، بل ولو زالت عنه الصور الباطنة في حالة النوم والاغماء مثلاً فان حكم الايمان باقٍ ما لم تتبدّل صورة التصديق بالتكذيب وصورة الاذعان والتسليم بالعناد والمكابرة وصورة الطمأنينة بالزيغ والحيرة والشك فحينئذٍ يزول عنه الايمان ويوجد فيه الكفر والعياذ بالله .

وأمّا اقسام الايمان فثلاثة : كامل وناقص وما هو في حكم ذلك . أمّا الايمان الكامل فهو نورٌ يقع في القلب ويظهر شعاعه في العقل والحواس بحيث اذا عقل شيئاً أو احس بشيء باحد حواسه الخمسة ادرك حقيقة ذلك الشيء من حيث ملكوته ولم تحجبه صورته من حيث ملكه فهو مع الاشياء كلها من حيث هو عينٌ واحدة والاشياء كلها معه من حيث هي عيون كثيرة . قال تعالى : ومن يؤمن بالله يهتدِ قلبه ، يعني الى الحق في كل شيء ، وهذا الوعد من الله تعالى لا شبهة فيه فعلم ان من لم يهتدِ قلبه الى الحق في كل شيء بحيث لا يرى شيئاً ويرى الحق مع ذلك الشيء فهو دليل على انه لم يؤمن بالله بل امن بشيء آخر غير الله صوّره له عقله وخياله . فان الله تعالى لا يتعقل ولا يُتخيّل بل هو اعظم من ان يحيط به العقل والخيال .

وصل

في خبر السوداء والجواب عنه ، روى ابو حنيفة رضي الله عنه باسناده ، عن عطا ابن ابي رباح : ان رجالاً من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثوه ان عبدالله ابن رواحة كانت له راعية تتعاهد غنمه وان امرها بتعاهد شاة من بين الغنم فتعاهدتها حتى سمنت الشاة واشتغلت الراعية ببعض الغنم فجاء الذئب فاختلس الشاة وقتلها ، فجاء عبدالله ابن رواحة وفقد الشاة فاخبرته الراعية بامرها فلطمها ثم ندم على ذلك ، فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فعظم النبيّ ذلك وقال . ضربت مؤمنة . فقال : انها سوداء لا علم لها فارسل اليها صلى الله عليه وسلم فسألها اين الله . فقالت : في السماء . قال : من انا قالت : رسول الله . قال : انها مؤمنة فعتقها . انتهى . فهذا دليل من النبي صلى الله عليه وسلم ، انه لا بدّ من اعتقاد التنزيه في حق الله تعالى عن المكان حيث سألها بقوله اين الله مع علمه ان الله تعالى منزّه عن الاينية ليختبرها في ايمانها بالله تعالى هل ايمانها به صحيح موافق لما هو في حقيقة الامر ام غير صحيح ، بل هو مجرّد تشبيه وتجسيم كما يعتقده كثير من الناس . وكان يعلم النبيّ صلى الله عليه وسلم منها الايمان الصحيح قبل ذلك ، ولذلك عظم لطمها الذي لطمها مولاها وقال عنها قبل ان يراها انها مومنة ، ثم اراد النبيّ صلى الله عليه وسلم ان يري ذلك مولاها فارسل اليها وسألها كما يسأل الجنس عن الجنس مع علمه بكمال تنزيه الاله الزاماً لمولاها فيما قال عنها انها لا علم لها . وكان جوابها انها قالت في جواب قوله اين الله ، انه في السماء ، تريد انه في العلو والسمو والارتفاع عن ان تُدرك له أينية . فان الله تعالى خلق عالم الاجسام وخلق فيه سماء وارضاً ، كما خلق عالم الارواح وخلق فيه سماء وهي العقل وأرضاً وهي النفس . فلفظ السماء في الاصل اسم لسماء الارواح ، لان الارواح مخلوقة قبل الاجسام بألفي عام كما ورد في الحديث ، ثمّ انطلق لفظ السماء على هذه السماء المحسوسة سماء الاجسام ، لان عالم الاجسام خُلق مثالاً لعالم الارواح والمقصود ذلك العالم ، ولكن انما يفهم بهذا العالم . فالله تعالى فوق سماء الارواح ، يعني فوق العقول قال تعالى : أأمنتم من في السماء ان

يخسف بكم الارض . والمراد من في سماء العقول ، يعني فوقها ، كما قال في الآية الاخرى : يخافون ربهم من فوقهم . وهذه اينية الله تعالى انه فوق جميع ما تتخيله العقول . ولم يرد ان هذه السوداء اشارت بيدها او بشيء منها الى هذه السماء حتى تقول انها ارادت السماء المحسوسة لا سماء العقل .

وأما الايمان الناقص فهو التصديق المستند الى البراهين العقلية والحجج القطعية فهو تابع لها بحيث لو طعن فيها طاعن دخل الطعن في ذلك التصديق المستند اليها ، وهو ايمان اهل النظر من اكابر علماء الرسوم ، كما يُحكى عن الامام فخر الدين الرازي : انه دخل عليه بعض تلامذته فوجده يبكي فسأله عن سبب ذلك . فقال : مسئلة اعتقد فيها من مدة كذا كذا سنة تظهر لي الآن فساد دليلها ، وانا اخاف ان تكون مسائلي كلها من هذا القبيل . فانظر انصافه رحمه الله تعالى مع غزارة علمه ، وتأمل اهمال علماء الرسوم شأنهم في تحصيل مقام الايمان الكامل مع انه كسبي يحصل بمعاطاة اسبابه وازالة موانعه ، واسبابه الاعمال الصالحة لانه نتيجتها ، وموانعه الاخلاق الرديئة التي في النفوس كالرياء والسمعة والعُجب ونحو ذلك . ومما يعين على تحصيله صحبة اهله وخدمتهم واحترامهم والاخلاص في اعتقادهم والقطع بانهم آثار الالهية لا تأثير لهم البتة . قال تعالى : وجعل لكم مما خلق ظلالاً . وانما هم خزائن الله تعالى في ارضه اودع فيهم اسراره ، وهو الذي يفتح ابوابهم بمفاتيح عنايته لمن شاء ويغلق ابوابهم عمن يشاء . ومما يعين على ذلك تعظيم مصنفات المشايخ ارباب السلوك ، كمصنفات قدوتنا العارف محيي الدين ابن العربي وامثاله من علماء الحقائق والاعتناء بها ومطالعتها بعد التأدب بالاحكام الشرعية ومعرفة ما لا بدّ منها ، واستعمال الآداب الشرعية في فهم معاني تلك المصنفات ولا يعترض على شيء لم يفهمه منها ؛ ولكن ينسب التقصير اليه في عدم الاستعداد ويُحسن ظنه واعتقاده في المشايخ الائمة اصحاب الحقائق من المتقدمين والمتأخرين ، فان الله تعالى لا يخلي منهم زماناً من الازمنة الى يوم القيامة ، لانهم قائمون بعلم النبوّة المحمديّة ، كما ان علماء الشريعة قائمون بعلم الرسالة المحمدية ولا يجوز لاحد ان يقول ان الارض تخلو

في زمن من الازمان من علماء الشريعة ، فكذلك لا يجوز ان يقول انها تخلو في زمن من الازمان من علماء الحقيقة ، لان كلا العلمين ورد عن محمد صلى الله عليه وسلم . ولا يلزم من عدم اطلاع الجهال على ذلك فقدُ ذلك من الارض، فان العالم بالشريعة ربما يكون بين الجهلة سنين ولا يلتفتون اليه ولا يعلمون به لانهماكهم فيما هم بصدده من اللهو والغرور وزخارف الدنيا ، والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم. وقد كتبتُ في هذا المبحث رسالةً سميتها : «التنبيه من النوم في حكم مواجيد القوم» لا يكمل الانسان الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم إلّا بالايمان بما فيها، كما لا يكمل لاحد الايمان بالله تعالى إلّا بالايمان بما شرحناه من تنزيه الله تعالى في ضمن كتابنا «الردّ المتين على منتقص العارف محيي الدين». فطالع هذين الكتابين ترشد والله يتولّى هداك.

وأمّا ما هو في حكم ذلك . فهو الايمان الكامل والناقص في حال الغفلة والنوم والموت. أمّا حال الغفلة فصاحب الايمان الكامل فيها لا يُسمّى كافرًا، ولكن يقال كما ورد في الاحاديث ، لا ايمان له نحو قول النبيّ صلى الله عليه وسلم : لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن . كما ذكرنا ، يعني وهو مؤمن ايمانًا كاملًا ايمان كشف وشهود تامين . وصاحب الايمان الكامل لا يخلو من الغفلة ولكن منهم مَن يومه وليله سواء ، ومنهم مَن يومه اطول من ليله ، ومنهم مَن ليله أطول من يومه . والويل كل الويل لمن عمره كلّه ليل . قال الشيخ عمر بن الفارض رضي الله عنه :

على نفسه فليبك من ضاع عمرهُ وليس له منها نصيبٌ ولا سهمُ

وليس منهم مَن عمره كله يوم لانه لا يكون في الدنيا . ومرادنا اصحاب الايمان الكامل في الدنيا لا في الآخرة ، فان الآخرة لا ليلَ فيها ، والليل من احكام الدنيا . وهذا النبيُّ صلى الله عليه وسلم يقول وهو اكمل الخلق ايمانًا : انه ليغان على قلبي واني لاستغفر الله في اليوم والليلة مئة مرّة.

وأمّا صاحب الايمان الناقص فهو في غفلة عن الله تعالى دائمًا ، وانما هو مستيقظ في بعض احيان للحجج والبراهين العقلية لا لله تعالى . وهذه يقظته التي هي اعلى احواله فهو في حالة غفلته غير مؤمن ايمان دليل وبرهان بل هو

مقلد في ايمانه لنفسه المستحضرة للدليل والبرهان في بعض الاحيان وايمان المقلد قد اختلف فيه العلماء ، والذي اذهبُ اليه ، صحّة ايمان المقلّد بشرط ان يكون جازماً قطعاً من غير تردُّد مطابقاً باعتقاده اعتقاد اهل السنّة والجماعة من غير تغيّر . وأمّا اذا فقد الجزم والقطع وكان شاكّاً متردداً متحيراً فهو ليس بمؤمن اجماعاً . قال تعالى : ان يتبعون إلّا الظن . وان الظنّ لا يغني من الحق شيئاً ، وكذلك اذا كان اعتقاده الذي قلّد فيه غيره ليس مطابقاً لاعتقاد ذلك الغير . كمن يعتقد في الله تعالى جهةً او مكاناً او تجسيماً او تشبيهاً ويزعم انه يقلّد بذلك اهل السنّة والجماعة ويعدّ نفسه من المسلمين الناجين عند الله تعالى ، هيهات هيهات فان النجاة منحصرةٌ في اعتقاد محمد صلى الله عليه وسلم، واعتقاد اتباعه ، وهو لم يعتقد في الله إلّا ما هو متصف به سبحانه وتعالى . والله تعالى خالق الجهات كلها والاماكن كلها والصور كلها والتشابيه كلها والتخيلات كلها . قال تعالى : الله خالق كل شيء . فلو كان متصفاً بشيء منها فانه قبل ان يخلقها اين كان كان ولا شيء وهو الآن على ما عليه كان . وقال تعالى : ليس كمثله شيء وهو السميعُ البصير . فتيقّظ لما ذكرناهُ فانه نافعٌ جداً ، والله الهادي ولا ربّ غيره .

وأمّا في حالة النوم والموت ، فان المومن الكامل يبقى مومناً في حال نومه وموته، بل ربما صفا ايمانه في حالة نومه وموته ، لتجرُّد روحانيته عن مقتضيات البشريّة وكدورتها فيعود الى فطرته التي فطره الله تعالى عليها . ولهذا كانت الرؤيا المنامية من اجزاء النبوّة لان فيها صفاء الروحانية وحسبَ الموت كما لا في ترقية المومن قوله عليه السلام : انكم لن تروا ربكم عزّ وجلّ حتى تموتوا . فكيف ينقص الايمان بالنوم والرؤيا فيه جزء من النبوّة ، كما روى البخاري في صحيحه في كتاب التعبير بسنده عن ابي هريرة رضي الله عنه، ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : رؤيا المومن جزء من ستّة واربعين جزءا من النبوّة . او ينقص بالموت ولا يرى المومن ربّه إلّا إذا مات ؟ فالنوم والموت على هذا من المكملات للمومن لا من المنقصات لايمانه . وكذلك في الايمان الناقص حالة النوم والموت اكمل من اليقظة لظهور سلطان الفطرة الاصلية فيهما وخمود الموانع البشريّة .

وأمّا ثمرات الايمان فعلى قسمين : ثمرات تحصل للمومن في الدنيا ، وثمرات تحصل له في الآخرة . وأمّا التي تحصل في الدنيا فالطهارة من نجاسة الشرك. قال تعالى : انما المشركون نجس ، والمواظبة مع الله تعالى في المكالمة معه على الكشف والشهود في اهل الايمان الكامل وفي محبة تلاوة كلامه والاقبال على عبادته في اهل الايمان الناقص. قال تعالى : والذين امنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودًّا . ومن ذلك الكرامات والخوارق للعادات التي يكرّم الله تعالى بها من يشاء من عباده المومنين الاحياء او الاموات في الدار الدنيا بين يدي اعداء الله تعالى واصدقائه كما يُحكى عن بعضهم من المشي فوق الماء والطيران في الهواء واستحالة بعض الاحجار ذهباً ونحو ذلك. وامثال هذه الثمرات الدنيوية مما لا يُحصى كثرةً .

وأمّا التي تحصل للمومن في الآخرة فهي كثيرة ايضاً ، منها النجاة من عذاب النار ومن الخلود فيه بحيث ان حرّ النار يصير على صاحب الايمان الكامل اذا قدّر الله تعالى عليه الدخول فيه كحر الحمام كما ورد في الحديث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : انما حرجهم على أمتي كحرّ الحمام ، بل ورد ان عصاة المومنين يموتون في النار اذا دخلوا فلا يحسون بالالم حتى يعذّبوا بقدار ذنوبهم . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اذا أدخل الله الموحّدين النار اماتهم فيها اماتةً فاذا اراد ان يخرجهم منها أمسهم ألم العذاب تلك الساعة . والحديثان في الجامع الصغير للاسيوطي رحمه الله تعالى . ومنها ما أعدّه الله تعالى للمؤمنين في الجنة من النعيم الدائم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطرَ على قلب بشرٍ . ومنها وهو اعظمها رؤية الله تعالى من الجنة على حسب ما هو عليه سبحانه وتعالى من التنزيه المطلق بلا كيف ولا كيفية ، وليس بينه وبين خلقه قربٌ ولا بعدٌ . الى غير ذلك من الثمرات التي لا تُحصى والفوائد العجيبة التي لا تُستقصى.

* * *

وجاء في آخر باب بيان الاحسان ، وهو الباب السابع والاخير من هذا الكتاب ، ما نصّه بحرفيته :

وقد وقف بنا جواد الفتوح في هذه الساحة التي بابها ان شاء الله تعالى لكل احد مفتوح وتمّ ما قصدناه في هذا المختصر من دهن ثمر التوفيق الذي هو من شجر طوبى معتصر ، والحمد لله على كل حال وصلى الله على سيدنا محمد وعلى جميع اصحابه وكل الآل وسلم تسليماً . قال مؤلفه رضي الله عنه وارضاه وجعل الجنة منقلبه ومثواه استاذنا وقدوتنا الى الله تعالى ، خاتمة المحققين الشيخ عبد الغني ابن النابلسي رحم الله روحه ونوّر ضريحه ، واعاد علينا وعلى المسلمين من بركاته وبركات علومه امين . وقد وافق الفراغ في صبيحة نهار الجمعة اواخر شعبان المبارك من شهور سنة خمس وثمانين والف من الهجرة النبوية على صاحبها الف تحية . وكان الفراغ من كتابة هذه الرسالة المباركة نهار الخميس ، الحادي عشر من شهر رجب الفرد سنة اربع وخمسين ومائة والف ، على يد العبد الفقير اسماعيل ابن خليفه الحموي الشامي ، غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين امين امين امين .

شذرات

البوبين الثوي للمعهد الفرنساوي في اثينة

احتفل في أثينة من ١٠ الى ١٧ ايلول ١٩٤٧ بمرور مائة سنة على انشاء المعهد الفرنسوي فيها . فكان ذلك شهادة على ما تكنه الامم من احترام للقيم الانسانية الباقية فوق المنافسات وتنازع المصالح والمبادىء التي تتقاسم عالمنا الحاضر . وقد اشتركت اليونان ، حكومةً وشعباً ، في انجاح هذا الاحتفال، على رغم المصاعب السياسية والاقتصادية. ذلك ان المعهد الفرنساوي في اثينة يحتل مركزاً مرموقاً في تاريخ الثقافة اليونانية المعاصرة . ويكفي ان نذكر، من اعماله المجيدة ، انه اخذ على عاتقه كشف الاكروبول الاثيني، ثم قام بالحفريات في مقادس الهيلينيين القدماء ديلوس ودلف ، هيكلا ابولون الشهيران.

ومما يزيد المعهد علوقاً بقلوب اليونانيين ان تاريخه مقترن بتاريخ استقلال بلادهم ، وأن تأسيسه كان من نتائج ذاك الاهتمام الذي كان يدفع بالكثيرين من رجال الادب والسياسة في فرنسة، منذ السنة ١٨٢٠ ، الى مساعدة اليونان في استعادة حريتهم والعمل على نهضتهم الجديدة . على ان قرار الملك لويس - فيليب بانشاء المعهد ، ومرسوم الملك أوتون بالموافقة عليه ، لم يصدرا الا في ١١ ايلول و٣ تشرين الثاني من السنة ١٨٤٦ ؛ بعد ان مهدت لهما مساعٍ عديدة في تبادل النظر وإعداد الرأي العام العلمي . وكان في طليعة الساعين سانت بوف (Sainte - Beuve) ، وغيزو (Guizot) ، ولا سيما البارون بسكاتوري (Piscatory) احد المجاهدين في حرب الاستقلال الاولى سنة ١٨٢٥ ، ووزير فرنسة المفوض في أثينة ، والكونت دي سالثاندي (de Salvandy) وزير المعارف العامة في باريس ؛ وقد عاونهما في ذلك شخصيتان من اشهر العاملين على النهضة الهيلينية هما كولتيس (Colettis) الذي كان وزيراً مفوضاً لليونان في باريس ثم صار رئيس الحكومة في أثينة ، واللغوي الشهير كورَيس (Coraïs) .

وسرعان ما اتخذ المعهد اتجاهه النهائي . فظهر لا مدرسةً تُلقى فيها العلوم على الطلاب ، بل مركزًا للتحريات العلمية والدراسات يقوم بها عدد من « الداخليين » ، حملة الشهادات العالية في الأدب ، او خريجي دار المعلمين العليا ، خائضين في موضوعات الآثار ، والرُّقم ، والتاريخ القديم . وهكذا تتطوّر النفحة الرومانطيقية التي أنشأت المعهد ، فيظهر قرار السنة ١٨٥٠ ، مؤيدًا هذا التطوّر ، معتبرًا المعهد مؤسسة للتحريات الاثرية تعدّ طلابها للتعليم العالي . ومن ثمّ فان حقّ الاشراف على اعماله يعود الى اكاديمية الرقم والآداب ، ويقول راوول - روشيت محدّدًا واجب طلّابه : « حوادث مدروسة حقّ الدرس ، ونصوص مفهومة حسنَ الفهم ، وآثار مراقبة كلّ المراقبة ؛ هو ما ينبغي ان يُطلب من اعضاء هذا المعهد ، أولى من ان نطلب صفحات مهارة تتلاعب فيها المخيّلة في أبحرة الجمالية . »[1]

ولا يسعنا المجال للتبسط في تحقيق هذا المنهاج ، ولا لذكر ما آتاه من ثمار في تاريخ الهيلينية عامةً ، ومظاهر مدنيتها خاصة . انما نشير الى ما قام به النحات ريمون ديلامار (Delamare) في وضعه مدالية التذكار المئوي من تلخيص جامع لأعمال المعهد مدة قرن كامل . فنحت في وجه المدالية صورة أبولون يحيط به صورتا علم الآثار ، وعلم الرُّقم ؛ ونقش في الفراغ اسماء اشهر اماكن الحفريات : رتيوس ، تيجه ، ديلوس ، تاسوس ، دلف ، مالية ، فيليبس ، بتويون ، ميرينة ، ماتينه ، غورتيس ، كيره ، كلاروس ، ستراتوس ، ورقم ، في قفا المدالية ، اسماء مديري المعهد منذ تأسيسه . والى مديره الحاضر السيد روبر دومانجيل (Demangel) ، يعود الفضل بالسهر على المعهد ، على حياته واستقلاله ، والمحافظة على مكتبته الغنية برغم المصاعب الجمّة في سنوات الشدّة (١٩٤٠–١٩٤٤) ، كما يعود الفضل باعداد هذه الاعياد اليوبيلية الجديرة

---

(١) Raoul - Rochette, *Journal des Savants* , 1850 , p. 352 وقد قال الكاتب نفسه موجّهًا دروس الاعضاء هذا الاتجاه الحاسم : « ليُرجَعْ دائمًا الى مجال المراقبة الدقيق والنقد الصارم ، لدى الاماكن والنصوص ، بالدروس والابحاث التي قد تميل الى التيه في عروض النظريات وجاذبية الأوهام . » (ص ٣٥٨)

بجلال المؤسسة ووقارها . مما اهاب باعضاء الوفود الرسمية ، وافراد المدعوين ، الى شكر القائمين على تنظيم اليوبيل ، لما لاقوه من حسن الاستقبال ، وتحققوه من دقة الترتيب . وقد اقبل الوفود ممثلين عشر أمم ، من أسوج ، وانكلترة ، وبلجيكة ، وتركية ، والدانمرك ، وسويسرة ، ونروج ، وهولاندة ، والولايات المتحدة ، واليونان . واوفدت فرنسة وفداً رسمياً مؤلفاً من السيد جوكس (Joxe) ، مدير العلاقات الثقافية في وزارة الخارجية ، يرافقه السيدان أبراهام ، مدير الدائرة الجامعية في العلاقات الخارجية ، وأوجيه (Auger) مدير التعليم العالي ، وعدد من رؤساء الدواوين في الوزارات ، وممثلي الاكادمية الفرنسوية ، والمجمع ، ومتحف اللوفر ، والمعاهد العليا ، وكل الجامعات في فرنسة وافريقية الشمالية تقريباً[1] . وشاءت الاوساط العلمية في عالم البحر المتوسط ألا يفوتها الاشتراك بهذه الحفلات ، فجاءت الوفود من مصلحة الآثار في مراكش ، ومن متحفي استانبول وأنكرة ، ومن المعهد الفرنسي في بيروت ، ومن جامعة معهد الآداب الشرقية بجامعة القديس يوسف ، ومن المعهد الاميركي في رومة ، ومن المعهد الانكليزي والمعهد الاميركي في اثينة نفسها ، ومن المعهد الفرنسي في القاهرة ، والمعهد الكتابي والآثاري في اورشليم .

اما الحفلات الرسمية فقد افتتحت صباح ١١ ايلول بتدشين نصب أقيم تذكاراً لخريجي المعهد الذين قضوا في ساحة الشرف والواجب مدة الحربين الاخيرتين ، او في اثناء عملهم مدة وجودهم في اليونان .

وتبع هذه الحفلة المؤثرة افتتاحُ اليوبيل الرسمي برئاسة السيد بيير جوغيه (Jouguet) عميد خريجي المعهد ، ثم مدير المعهد الفرنسي في القاهرة مدة طويلة . وقد تشرف الافتتاح بحضور صاحبي الجلالة الملك والملكة ، وحضور نائب رئيس الوزارة اليونانية ووزير خارجيتها ، السيد تسالداريس ، وسفير فرنسة السيد كارا دي ڤو سان سير (C. Carra de Vaux Saint Cyr) وجمهور غفير من

---

١) وضع السيد راماديه (Ramadier) رئيس الوزارة الفرنسوية ، اذ ذاك ، تحت تصرف الوفد الفرنسوي ، طيارة رئاسة الحكومة الخاصة ، مع طيارة حربية .

الشخصيات الفرنسوية واليونانية والاجنبية من السلك الدبلوماسي ، والاكليروس والاوساط الادبية والفنية . فقام السيد دومانجيل بتحية صاحبي الجلالة وشكر للملك بول عطفه على المعهد ، جرياً على مآثر اسلافه . ثم قام السيد ستيفنس (Stevens) المدير الشرفي للمعهد الاميركي ، فتكلم باسم البعثات الاثرية الاجنبية في أثينة ثم الاستاذ أويكونوموس (Oikonomos) باسم مصلحة الآثار والجمعية الاثرية في أثينة ، فالسيد ميرلن (Merlin) باسم مجمع فرنسة ، فالسيد غريفوار ، الاستاذ في جامعة بروسل باسم الفرع الاجنبي للمعهد ، فالاستاذ سيداروبولوس (Sidéropoulos) باسم جامعة أثينة . بعد ذلك تقدم السيد كاليتسوناكيس (Kallitsounakis) رئيس أكادمية أثينة ، فمنح المعهد باسم الاكادمية المذكورة ، المدالية الذهبية التي لم تمنح حتى اليوم الا المؤسسات الوطنية ، شهادة رفيعة على التقدير والاحترام وعلى اثر إدلاء اعضاء الوفود باسماء الجامعات والمؤسسات العلمية التي يمثلونها ، وقف السيد بيكار (Ch. Picard) مدير المعهد السابق ، فاثنى على اليونان التي ما فتئت تحيط المعهد بحسن ضيافتها وكريم صداقتها منذ تأسيسه . وقبل ان ينصرف صاحب الجلالة ، دشن في باحة المعهد ، منصب اليوبيل التذكاري . وبعد الظهر ، استقبل صاحبا الجلالة ، محاطين بانجالهما ، جميع اعضاء الوفود والمدعوين ، في قصرهما الصيفي بتاتوي .

وتوالت الايام مليئة بالحفلات والابحاث حتى لا يسعنا الالمام بها ، فنكتفي بذكر محاضرة السيد دي لاكريتيل (J. de Lacretelle) ، مندوب الاكادمية الفرنسوية ، وبالاشارة الى الحفلة التي نظمتها ، في قاعة اليوناروس ، العصبة الفرنسوية - الهيلينية بالاشتراك مع الاتحاد الفرنسي - الهيليني للشبيبة .

ومن وقائع الحفلات الجديرة بالذكر زيارة قصيرة لديلوس بعد رحلة جميلة في مركبين سريعين وُضعا تحت تصرف الاعضاء بفضل البحرية اليونانية والبحرية الفرنسوية ؛ ثم زيارة لإبيدور المشهورة بمعبد الاله الشافي اسكولاب . وهناك قامت الجوقة المسرحية للفن القديم التابعة السوربون بتمثيل رواية « الفرس » للشاعر اليوناني اشيل (Eschyle) . وقد قامت الجوقة نفسها بتمثيل رواية اخرى للشاعر نفسه اسمها أغاممنون في مسرح هيرودس أتيكوس في أثينة .

ولنشر ايضاً الى زيارة حفريات الأغورا باشراف المعهد الاميركي ، وزيارة مختلف المتاحف ، ولا سيما المتحف الوطني وكان لا يزال فارغاً بسبب الحرب . الا انه رُتب فيه عدد من مكتشفات النقابين الفرنسويين في دِلف كآثار العاج المنحوتة التي كشفت عنها الحفريات الاخيرة . ولا ننسى الاحتفال البسيط المؤثر بتدشين النصب التذكاري لاعضاء المعهد من الاجانب المتوفين في خدمة بلادهم . وقد تكلم فيه السيد دي مانجيل ، والسيد مايانس ، مندوب أوثن ، ووزير بلجيكة المفوّض في اثينة .

وما ساد هذه الحفلات جميعها انما هو شعور الاعضاء حيث حلّوا ، وكيفما اتجهوا ، بعاطفة اليونانيين المشبعة بالصداقة الخالصة . وقد شهدوا مرةً زحف جمهور كبير من فلّاحي الارغوليد يُقدّر بستة الى سبعة آلاف ، يحتلّون مسرح أبيدور ليستمعوا ، بخشوع وفرح بادئين ، الى تمثيل رواية « الفرس » باللغة الفرنسوية . وفي صباح اليوم نفسه بينما كانت جماعة وافرة من الاعضاء تسير الى الكنيسة الكاثوليكية الصغيرة في نُوبلي لتحضر القدّاس ، كان جمهور من اليونانيين يستقبلونها بقرع الاجراس ، ونشر الاعلام ، ونثر الازهار بين أهازيج الفرح ، بادياً عليهم السرور بتحيّة هؤلاء الفرنسويين الذين سقط آباؤهم الى جنب آباء اليونان ، فحُفظت اسماؤهم محفورة في الكنيسة الصغيرة . هذه المظاهرة اللطيفة ، الى ذاك الاعجاب بالثقافة الفرنسوية والعلم الفرنسوي الذي كان يعبّر عنه خطباء اليونان والاجانب باللغة الفرنسوية احياناً كثيرة ، ملأ افئدة الفرنسويين ثقةً برسالة أمتهم في سبيل الانسانية . جعل الله هذه الاعياد التي جمعت ، في جوّ من الإخلاص والمحبّة ، عدداً كبيراً من الامم والاشخاص ، تحت شعار الثقافة العامة والثقافة الفرنسوية خاصّة ، من مظاهر التفاؤل بعودة السلام الى بلاد اليونان المضيافة ، ذاك السلام الذي يتمنّاه لها جميع ابنائها المخلصين واصدقائها العديدين .

الاب كلود موندزير اليسوعي

وصية فرانس كومون الروحية

في العشرين من شهر آب سنة ١٩٤٧ ، توفي في بروسيل ، في التاسعة والسبعين من سنيه ، عالمٌ كبير وصديق صدوق لبلاد الشرق الادنى بأسرها ؛ هو الاستاذ فرانس كومون (Franz Cumont) .

كان الفقيد الكبير بلجيكي الجنسية . الا انه قضى اكثر ايامه في رومة وباريس حيث ترك الاثر العميق في جيلين من علماء الاثريات ومجاني المؤرخين ، بفضل ما اتصف به من علم صحيح ، وجهد متواصل ، وقبول حسن للمريدين ، مع الرغبة في إفادتهم .

وإن الشرق الادنى لا ينسى تحرياته الدقيقة وابحاثه النفيسة في تاريخه واثرياته . وقد نشر مؤخراً الاستاذ دي رويت (F. de Ruyt) مقالاً ينوّه فيه بذكر العالم الكبير ملخصاً أعماله في هذا المجال قال فيه[1] ان فضل كومون ظاهر في انه كان اول من تعهد حفريات دورا - اوروبوس ، الواقعة في الصحراء على الفرات الاوسط ، بناء على طلب اكادمية الرقم والآداب البارزية ، التي كان من اعضائها البارزين ؛ وذلك قبل ان تتعهد الصعوبات الناتجة من حرب السنة ١٩١٤ . وكان قد نشر ، قبل ذلك ، في السنة ١٩١٧ ، « ابحاثه السورية » . فاضاف اليها تلك الآثار العديدة الناتجة من حفرياته : معابد وهياكل ، وبقايا أسوار ، واسلحة ورقاً ؛ قبل ان تظهر تصاوير الكنيس اليهودي والكنيسة المسيحية المكتشفة ، بعد حين ، على يد العلماء الاميركيين الذين قدموا من جامعة ييل فساهموا في تلك الحفريات . وهو معروف ان كنيس دورا نُقلت بقاياه الى دمشق ، ورُمم هناك فغدا من اروع آثار المتحف الدمشقي . وفي السنة ١٩٢٦ نشر كومون مؤلفه الكبير في « حفريات دُورا » . ثم نال من الانتداب الفرنسي ان يُحفظ حقّ الحفريات في اطلال افامية (قلعة المضيق) لعلماء الآثار من البلجيكيين . وهكذا امكن الاستاذين مايانس ولاكوست ان يُنشيا ، منذ السنة ١٩٢٩ ، متحفي دمشق وبروسيل بالكثير من مكتشفات أفامية . ولنُشر

---

١) في مجلة *L'Antiquité classique*, XVI, 1947,1

الى ان كتاب الفقيد في « الديانات الشرقية في الوثنية الرومانية » — الذي بلغ طبعته الرابعة بالفرنسية ، والثالثة بالالمانية ، وله طبعة اميركية واخرى ايطالية — يُفسح المجال واسعاً للعبادات الخاصة بلبنان وسورية .

ومن فضائل الفقيد العالم ذاك العمل السمح الذي وهب به ، في حياته ، مكتبته الخاصة — النادرة القيمة على قول الخبراء ، والتي انفق اكثر من ستين سنة في جمعها — الى الاكادمية البلجيكية الناشئة في رومة . فنظمت الاكادمية حفلة شائقة لتدشينها في ٧ ايار ١٩٤٧ . الا ان الراهب اقعده المرض عن حضور الحفلة . فأرسل الى الاكادمية رسالة قيل فيها انها تكون « وصيته الروحية » . وها اننا نأخذ منها صفحةً رسم فيها الراهب قيمة هبته ومرماها العلمي . قال :

« هذه المجموعة من الكتب الداخلة في عهدة الاكادمية البلجيكية تعتبر اولاً بعدد لا بأس به من مؤلفات الاقدمين . وفيها الكثير من الكتب التي لا تظهر قراءتها لذّة غير مشوبة . الا ان اساتذتي — وكانوا من ذوي الاختصاص باليونانية واللاتينية — كثيراً ما رددوا على مسامعي انه اذا لم يلجأ الانسان دائماً الى المصادر كان عرضةً للضلال ، وان علم الآثار القديمة ، اذا حُرم معونة علم اللغة ، دُفع الى كثير من التخمين والتقدير حتى ان نتائجه لا تصل الا الى درجة الاحتمال وفقاً لمهارة المؤلفين او بلاغة الخطباء . ولا تندر الامثلة المعاصرة على مثل هذا التعسف في الاستنتاج .

« ثم جمعت هذه المكتبة كثيراً من المؤلفات الشرقية ، ولا سيما السريانية . وقد لا يكون فيها رائعة واحدة وقد يكون منها ما انتجته عقول متوسطة . على ان هناك حقيقة فرغت من ايضاحها التحريات الاخيرة ، وهي التشابك الوثيق بين مدنية اوربة ومدنية آسية . وقد مرّ الزمن على الزعم القائل بالمعجزة اليونانية ، المتخيل ان الثقافة الهيلينية نشأت نشأة مولدات المختبرات في الآنية المقفلة . فأصبحنا نتحقق ، يوماً فيوماً ، المؤثرات الآتية من بلاد الشام ، وبلاد الاناضول ، وبابل ، بل من الهند القاصية ، والعاملة على تكوين مدنية لا تحطّ كثرة مركباتها شيئاً من جلالها وعظمتها .

« وان ما يولي مكتبة الاكادمية البلجيكية قيمة خاصة هو عناها بالمؤلفات

المتعلقة بتاريخ الديانات ولا سيما عبادات الوثنية الرومانية . وليس بعيدًا ذاك الزمن الذي كان يُنظر فيه الى مثل هذه الدروس بشيء من الحذر ، كما لو كان آلةً حربية معدّة لمهاجمة الكنيسة . على ان الموضوع يفوق مرمى الدروس التي يخصّها المؤلف بظواهر المجتمع البشري. والمهمّ في الامر ان نعرف هل ان أحداث العالم منقادة لقوات عمياء أشبه بما كان يسمّيه القدماء بالقدر ، أم ان هناك عناية الهية توجّهها نحو هدف معيّن مقصود ؟ فان كانت ارادةٌ الهية توجّه هذا التطوّر ، فقد لزمنا ضرورةً ان نرى في اكتساح العبادات الشرقية لبلاد الغرب تمهيدًا للمسيحية ، وانتقالًا كان من شأنه ان يؤمّن انتشار الايمان الجديد في قسم مهم من الانسانية .

« ويدفعني هذا الاعتبار الى اليقين بان مكتبةً ككتبة الاكاديمية البلجيكية ، لم يكن لها من مكان تقوم فيه افضل من رومة ، من هذه المدينة الخالدة ، التي بعد ان نقلت ، في وثنيتها ، الى العالم اللاتيني المدنية الهيلينية ، اخذت تنشر في مسيحيتها ، على اوربة ، هذا الدين الذي هو ديننا »[1] .

الاب ريني موترد اليسوعي

(1) *L'Antiquité classique*, XVI, 1947, pp 24-25

مؤتمران ثقافيان

شهد لبنان في هذا الصيف مؤتمرين ثقافيين عملا ، كلٌّ في حدود نظريته ، ومجال تأثيره على توضيح الكثير من مشاكل التربية والتعليم ؛ واتخذا مقرّرات من شأنها تعريف الفكرة اللبنانية الصحيحة في الاهداف التربوية ، وتحديد مدى التعاون بين لبنان وجيرانه ابناء الدول العربية في مختلف مظاهر الثقافة. وافادا ، على تباين النظرات ، ومعاكسة الغايات احياناً ، ما يفيده كل اجتماع راقٍ يكون رائد المخلصين من اعضائه تبادل الآراء ، وتشارك الفكر في البحث الجدي الرصين ، والتحري العلمي الصحيح عن وسائل التعاون ومعدّات النهضة في مجال الثقافة الحق.

مؤتمر رابطة التعليم الحرّ

اما الأول فهو « المؤتمر الثقافي الثاني لرابطة التعليم الحرّ » المنعقد في بيروت في ٧ و٨ و٩ تموز ١٩٤٧ ، وموضوعه « المدرسة اللبنانية في خدمة الامة. »

ولا يخفى ان رابطة التعليم الحرّ تشمل الاكثرية الساحقة من جماعة المنتسبين الى مؤسسات التربية في لبنان ، اساتذةً وطلّاباً ، فاذا ما تكلمت فانما تتكلم بلسان هذه الاكثرية ، واذا ما قرّرت فانما تقرّر ما يمكن اعتباره لبنانياً صحيحاً. وقد توافد الى مؤتمرها مئات الوفود من مدارس العاصمة والملحقات ، ولا سيما محافظة الجبل . وعلى اثر الابحاث والمناقشات المتتابعة مدة ثلاثة ايام اقرّ المؤتمر في جلسته الختامية العامة ما يلي[1] :

١) نشر المؤتمر الثقافي ابحاثه في كتاب ظهر عن المطبعة المخلصية ، دير المخلص ، قرب صيدا ، وتضمّن ما يلي :

البيان السنوي ١٩٤٧ : الاب اسبيريدون الرياشي – نظرة الى صندوق الرابطة : الاستاذ بديع هاشم – افتتاح المؤتمر : الاب اغناطيوس مارون – علاقة المدرسة بالحكومة : الاب افتيموس مكاف – روح الامة اللبنانية : الاب اغناطيوس مارون – لغة التعبير عن الروح اللبنانية : الاستاذ فؤاد افرام البستاني – حيوية الامة اللبنانية في ماضيها وحاضرها :

مقررات المؤتمر الثقافي الثاني لرابطة التعليم الحرّ

اسفرت اجتماعات المؤتمر الثقافي الثاني لرابطة التعليم الحر المنعقد في بيروت في السابع والثامن والتاسع من تموز ١٩٦٧ عن اقرار المبادئ والرغبات الاتية :

اولاً — اعلان المبادئ الانسانية والوطنية التي تقوم عليها نشئة طلاب المدارس اللبنانية .

١ً الانسانية : معرفة الانسان نفسه انه انسان اي فرد ، وانه الانسان اي شخص حي تتمثل فيه الاخلاق والفضائل الذاتية والاجتماعية من عيلية ومهنية ووطنية وانسانية

٢ً الوطنية : يجب ان ينشأ الطالب اللبناني على هذه المبادئ :

ا – الشعور فالايمان فالعقيدة بانه ابن امة لبنانية لها كيانها وطابعها الخاص .

ب – التضامن في الداخل ، والتعاون مع الخارج . والتضامن في الداخل يعني جمع العناصر المختلفة من فكرية ومذهبية ومهنية وما اليها في حيوية الروح الدنانية الموحدة . والتعاون مع الخارج يعني التبادل الفكري مع كل امة حية ، يبدأ بالجار ، ما دام حسن الجوار ، ويمتد الى جميع شعوب الارض ما تيسرت الاسباب .

ج – حب الوطن وليد الاطلاع على امجاد الجدود والتضحية في سبيل الوطن بالقضاء على الانانية في الطالب ، وبعث الروح الاجتماعية وحماية الوطن من التفرّق والتمزّق الداخلي ومن الابتلاع والذوبان الخارجي ، ومن الانكماش الجافّ ، والطموح الى الامام بتفهم الرسالة التي يحملها وطنه ويسير بها في تقدم مطرد .

ثانياً — المحافظة على امتياز الثقافة اللبنانية نهضة ثقافية تتناول اعمالها الحقول التالية :

١ً التربية والتعليم

ا – ايجاد مؤسسة تربوية تعنى بدرس نفسية الولد اللبنانية وامكانياتها ، على ضوء النظريات الحديثة والعلم والاختبار .

ب – الاتصال بالاوساط التربوية العالمية للافادة من احدث نتاج تربوي ، واقتباس الموافق للروح اللبنانية .

ج – وضع منهاج ثقافي يسير عند الاقتضاء في جانب المنهاج الرسمي .

د – عقد اجتماعات يشترك فيها ذوو الاختصاص من الاساتذة للبحث في اساليب التعليم وتوجيهها توجيهاً ثقافياً صحيحاً .

٢ً الكتاب

انشاء دار للتأليف والنقل والنشر تشجيعاً للمؤلف اللبناني ورغبة في التبادل الفكري .

السيدة نظيرة زين الدين عقيلة شفيق بك الحلبي – التعبير عن حيوية لبنان في تدريس التاريخ والجغرافية : الاستاذ رشدي معلوف – مهمة المدرسة في الوطن : عبدالله بك الحاج – المواطن اللبناني في بوتقة المدرسة : الاستاذ جورج فرح

٣ً الفكر

اظهار الميزة اللبنانيـة في الفلسفة والادب والفن والعلوم والاجتماعيات . وتسهيل سبل التعارف والتقارب بين رجال الفكر اللبنانيين في الوطن والمهجر لتتجلّى خصائص الروح اللبنانية .

ثالثاً — ابقاء المدرسة منفصلة عن السياسة للاسباب التالية :

١ً لاختلاف الغاية بين الدولة والمدرسة .

٢ً للمحافظة على المبادئ الثقافية الثابتة وفصلها عن تقلبات السياسة .

٣ً للمحافظة على النشاط الشخصي وفتح المجال امام المواهب الفردية

رابعاً — حرية المدرسة في اختيار اساتذتها واساليبها التربويـة وكتبها ، شرط ان لا تمسّ الاخلاق والاديان والروح الوطنية .

مقررات المؤتمر في الناحية الادارية

١ً الاعتراف للحكومة بحق وضع الشروط لفتح المدارس ، على ان لا تتعارض مع مبدأ حرية المدرسة التي يضمنها الدستور في مادته العاشرة . وان ترفع الرابطة الى الحكومة مشروع تعديل المرسوم رقم ٧٠٠٠ ضماناً لهذه الحرية .

٢ً الاعتراف للحكومة بحق وضع شروط لتعيين مديري المدارس الخاصة . اما تعيين الاساتذة فيراعى فيه الشهادة او ما يعادلها من كفاءة وخبرة .

٣ً الاعتراف للحكومة بحق سن قانون للمعلمين مراعاة للتطورات الاجتماعية ، على ان تنظر للمصلحة المشتركة بين المدرسة والاساتذة والاهلين ، كما تقرر في مؤتمر الرابطة في زحلة سنة ١٩٤٦ . وان يكون لاصحاب العلاقة المشتركة حق الاشتراك في وضع هذا القانون .

٤ً المطالبة بتحقيق الاقتراحات التالية في الامتحانات الرسمية :

ا — في الامتحانات الاعدادية ، ان تكون اللجان الفاحصة اما حيادية محضة واما مؤلفة من ممثلي المدارس الرسمية والخاصة .

ب — في الامتحانات التكميلية والثانوية ان يكون الى جانب اللجنة الفاحصة لجنة اختصاصيين عليا يعينها وزير التربية الوطنية ويكون لها صلاحية كافيـة للنظر في جميع المشاكل العارضة مدة الامتحان .

امانة سرّ المؤتمر

ولما كان الاشتراك بالمؤتمر الثقافي العربي الاول المزمع عقده في بيت مري في اوائل ايلول ١٩٤٧ ، من ابحاث الساعة ، رأت رابطة التعليم الحرّ ان تحدّد موقفها بصراحة من المؤتمر المذكور ، ولاسيما بعد ان رأت في ما نُشر عن جدول اعماله ما يمسّ بالكيان اللبناني ، فأردفت مقرّراتها بالتصريح التالي نصّه :

تصريح

عن موقف رابطة التعليم الحرّ من المؤتمر الثقافي العربي

لقد سبق للرابطة انما اعلنت جلياً رغبتها في المساهمة باعمال المؤتمر الثقافي العربي حباً منها للتعاون الى اقصى حدّ في ميدان الثقافة الصحيحة ، وعملاً على اظهار الخصائص الثقافية التي يمتاز بها لبنان ..

ولكن لما كانت ابحاث المؤتمر الثقافي العربي ، كما ظهر نصيبها في جدول الاعمال الذي عُمِّم على المدعوين الى الاشتراك فيه ، تتنافى ومقررات المؤتمر الثقافي الثاني لرابطة التعليم الحر ؛

ولما كان المؤتمر الثقافي العربي قد نظّم جدول اعماله على نقاط وفرضيّات حملها حقائق مفروغاً منها ، ولم يدع للمؤتمرين الا مجال البحث في كيفية تحقيقها ؛

ولما كانت هذه الفرضيات تعاكس الواقع اللبناني وترمي الى تجاهل الخصائص اللبنانية الثقافية وتمس الكيان اللبناني المعترف به في ميثاق القاهرة ؛

لذلك تأسف رابطة التعليم الحر ان ترى نفسها مضطرة الى التنحي عن المساهمة في ابحاث هذا المؤتمر ،

الا اذا تحققت لها الرغبات التالية :

١ً – ان تجيب وزارة التربية الوطنية جواباً مرضياً واضحاً عن كل سؤال سبق الرابطة ان قدمته اليها في كتابها بتاريخ ٦ حزيران المنصرم .

٢ً – ان يكون للرابطة ممثلون في المؤتمر يراعى في اختيارهم كون الرابطة تضم من المدارس اللبنانية ما يناهز الالف في مختلف درجات التعليم .

٣ً – ان لا يكون لرئيس الوفد اللبناني في المؤتمر المذكور الحق بتصديق المقررات الا اذا نال موافقة الوفد اللبناني باجماع اصواته .

٤ً – ان لا يتقيد بمقررات المؤتمر الا من يوافق عليها من وفود الدول ، كما قرر مثل ذلك في ميثاق القاهرة .

امانة سر المؤتمر

وولي ذلك مقابلات عدة ومباحثات بين وزير التربية الوطنية والفنون الجميلة ولجنة الرابطة المذكورة ، قررت الرابطة على اثرها الاشتراك بالمؤتمر الثقافي العربي .

المؤتمر الثقافي العربي الاول

وهو الذي عُقد في بيت مري من ٢ الى ١١ ايلول ١٩٤٧ ، واشتركت فيه وفود من جميع الدول الداخلة في الجامعة العربية ، مع بعض الممثلين غير الرسميين من فلسطين ، وليبية ، ومراكش ، ومن لجنة المدارس الكاثوليكية السورية ، وجمهور من الاعضاء المشتركين.

افتتح المؤتمر رسمياً صاحب الفخامة الشيخ بشاره الخوري ، رئيس الجمهورية اللبنانية فرفع المؤتمرين الى جوّ رحب وأفق واسع ، سائلاً لهم اوضح السبل الى الثقافة الصحيحة ، قائلاً :

« انكم من اجل توطيد الثقافة ، تعملون في هذا المؤتمر ، الثقافة الحقيقية ، التي تردّ الانسان الى مصادر وحيه ، وتقيم السعادة على أسس متينة من الصفاء الروحي الذي لا ينظر الى المادّة الا بمقدار ما تُشيع من الحب والطمأنينة بين البشر . »

ثم القى معالي الاستاذ حميد فرنجيه ، وزير التربية الوطنية والفنون الجميلة ، رئيس المؤتمر ، خطاباً حدّد فيه مهمّة المؤتمر ، متفائلاً بجهود المؤتمرين ، داعياً الى « الانطلاق الفكري » كي نتمكن من « حمل رسالتنا الثقافية الى العالم اجمع » متخطّين « الدائرة الاقليمية الى الدائرة الانسانية . ولا معنى لرسالتنا ان لم يكن ذلك هدفها . فكما ان الحياة لا تتجزأ ، وكما ان الحرّية لا تقبل المساومة ، كذلك مقوّمات الحياة والحرّية ، والثقافة طليعتها ، لا يمكن عزلها عن غاياتها . »

وتوالى على المنبر رؤساء الوفود الرسمية وبعض الاعضاء . فتطرّق غير واحد ، من غير المسؤولين دبلوماسياً ، الى مزالق سياسية لم تُراعَ فيها المهمة الثقافية التي اجتمع المؤتمرون من اجلها .

ولم يكد ينصرف الاعضاء ، بعد حفلة الافتتاح الرسمية ، الى اول اجتماع عملي ، حتى ادركوا اي بونٍ يفصل بعضهم عن البعض الآخر ، لا في الشؤون السياسية فحسب ، بل في تفهّم الثقافة نفسها ، وفي تصوّر اساليب نشرها

وتعميمها . ولولا تدخل بعض الاعضاء اللبنانيين لانحرف المؤتمر ، منذ جلسته الاولى ، الى اجتماع سياسي هدفه الاحتجاج على وجود انكلترة في فلسطين ، وفرنسة في افريقية الشمالية ، واسبانية في المغرب . . .

وحينما أُعلن توزيع اعضاء الوفود على لجان خمس تناولت « التربية الوطنية » و« الجغرافية » و« التاريخ » و « اللغة والقواعد » و« الادب » ، تحقق الحاضرون ان نعت « الثقافي » كان فضفاضاً بالنسبة الى مشاغل هذا المؤتمر التي لم تتناول مشكلة واحدة من مشاكل الثقافة الانسانية الصحيحة . انما هو اقرب الى مؤتمرات التعليم والتربية . ولم تكن مناقشات الاعضاء الا لتوضح ذاك التباين الذي ظهر في الجلسة الاولى . على ان المشرفين على اعمال اللجان اظهروا من المرونة ، والكياسة ، والتساهل الظاهر ، وسائر المغريات العاطفية ما تلاقى الانشقاق وتدارك الانفصال؛ وقد اظهروا ، والحق يُقال ، براعة معجبة في تبديل الالفاظ ، وتغيير القوالب التعبيرية للوصول الى ما لا يشتمّ منه شيء من رغبة الاكتساح العروبي ، والافتئات على استقلال كل دولة بسنّ مناهجها ، ووضع برامجها ، وتنظيم اساليب التربية فيها . وكأنّ اللبنانيين كانوا موضوع المداراة العامة ، وكأنّ كلمة السرّ كانت بان لا يظهر شيء ينفّر اللبنانيين او يدعوهم الى الحذر . وكانت آداب الضيافة اللبنانية تدفعهم ، تجاه هذه الكياسة الظاهرة ، الى مقابلة المثل بالمثل . وكثيراً ما قبلوا ببعض المقررات على مضض . على ان المجتمعات الخاصة والعامة لم تسلم من عواصف تجاوز تأثيرها جوّ المؤتمر الى الصحافة اليومية .

وها اننا ننشر مقرّرات اللجان التي وافق عليها المؤتمر في جلسة يوم الثلثاء في ٩ ايلول ١٩٤٧ ، ليقدر المطالع البون بينها وبين مقرّرات رابطة التعليم الحرّ ، المنشورة قبيل هذا الكلام .

التربية الوطنية

١ — يرى المؤتمر ان الغرض من التربية الوطنية بثّ الروح الوطني في نفوس النشء وايقاظ الوعي الاجتماعي فيهم ، حتى يشعروا بارتباطهم بوطنهم ، ويدركوا واجباتهم العامة ، ويتعاونوا على القيام بها ، ويقدموا مصلحة الوطن على مصالحهم الخاصة . ويراد ببثّ الروح

الوطني في العبارة السابقة نشأة الافراد على القيام بواجباتهم نحو الوطن المحلي الذي ينتمون اليه اولاً ، ونحو المجتمع العربي الاكبر الذي يضمّ البلدان العربية كافة .

٢ – يرى المؤتمر ان التربية الوطنية عملية تربوية متعدّدة الجوانب لا تقتصر على ما يُعطى من دروس خاصة بها ، بل تتغلغل في سائر موادّ الدراسة من جهة ، كما يستعان على تحقيقها من جهة اخرى بوسائل تدريبية وعملية مختلفة داخل المدرسة وخارجها . ولهذا يرى في تسمية الجانب الدراسي منها باسم التربية الوطنية تضييقاً لدائرتها ومخالفة لمفهومها ، ولهذا يقترح تسمية المادة الدراسية الخاصة بها باسم المعلومات الوطنية في المدارس الابتدائية ، والدراسات الاجتماعية والمدنية في المدارس الثانوية .

٣ – يرى المؤتمر ان يُقتصر في مرحلة التعليم الابتدائي على تدريس مادة المعلومات الوطنية بشكل منظّم في السنة الاخيرة فقط ، مع مراعاة مدارك التلاميذ ومستواهم العقلي في اختيار موضوعاتها وطرق تدريسها . اما في السنوات الدراسية السابقة فلا تخصّص لها حصص مستقلة بل يعنى بموضوعاتها العناية الكافية ضمن مختلف المواد ، وبصفة خاصة دروس التاريخ والجغرافيا والمطالعة والقصص والاناشيد والمحفوظات والدروس الدينية . وهذا بالاضافة الى الوسائل التدريبية والعملية المختلفة التي سنوردها فيما بعد .

٤ – يرى المؤتمر ان يُخصّص للدراسات الاجتماعية والمدنية في المرحلة الاولى من التعليم الثانوي عدد كاف من الحصص ، وان تشمل هذه الدراسات من المسائل الاجتماعية والاقتصادية في الوطن المحلي وفي البلدان العربية ما يقوي الروح القومية ، كما تشمل دراسة الاخلاق ونظم الحكم عامة ونظم الحكم في البلاد العربية بصفة خاصة .

ويوصي المؤتمر بتدريس علم الاجتماع في المرحلة الثانية من التعليم الثانوي ضمن الدراسات الاخرى ، او على انه علم مستقل يعد الطالب لتفهم الظواهر الاجتماعية وادراك حقائقها .

٥ – يرى المؤتمر ان يترك تفاصيل المناهج الدراسية وطرق التدريس الى المختصين في كل دولة ، مكتفياً بوضع الاسس العامة التالية التي يراها ضرورية لضمان القدر المشترك الذي يحقق ما تهدف اليه التربية الوطنية في البلدان العربية :

اولاً : ابراز الاتصال الجغرافي التام بين البلدان العربية في قارتي آسية وافريقية .

ثانياً : العناية باظهار ان هذه البلدان كانت مهداً لاقدم حضارات العالم ، وانها قدمت للحضارة العالمية اجل الخدمات .

ثالثاً : ابراز الاشتراك التاريخي بين هذه البلدان . ففي العصور القديمة كانت تربطها اوثق الصلات . وكانت بعد ذلك ، خلال حقبة طويلة من الزمن ، وحدةً سياسية تضمها امبراطورية عربية عظيمة كما ظلت في العصور المتأخرة مرتبطة بروابط قوية .

رابعاً : تركيد ان العروبة لم تكن في الماضي ولا في الحاضر مقصورةً على طائفة من الطوائف او دين من الاديان ، وان التعاون بين المواطنين العرب على تفاوت اديانهم كان قوياً في الماضي ، كما كان كذلك في النهضة العربية الحديثة . ولم يفرّق اختلاف الاديان بين العرب الا في العصور التي حكمهم فيها الاجانب . ولهذا ينبغي العناية ببثّ روح التضامن والتعاون بين مختلف الطوائف ، واشعارهم باسم اخوة ، وانه يجب ان يضعوا الاهداف القومية فوق الاعتبارات الطائفية .

والجدير بالذكر انه بعد ان تُليت هذه المادة في الاجتماع التمهيدي لاقرار المقررات ، وقف الاستاذ فؤاد افرام البستاني ، مندوب جامعة القديس يوسف ، واحد اعضاء الوفد اللبناني الرسمي ، واقترح ، تأييداً لهذه الفكرة وضمانةً للمساواة بين ابناء الدولة جميعهم ان تُضاف الفقرة التالية :

« والسعي في إقرار الحرّيات الانسانية الاصيلة في جميع الدول العربية كي تتوصل الى الخروج من طور التيوقراطية إلى فصل الدين عن الدولة ، مجاراةً للتقدّم العصري ، والتفهّم الصحيح لمبادىء الديموقراطية الحقة . »

فقوبل الاقتراح بقليل من الارتياح ، وبكثير من الاستغراب . وبعد أخذ ورد ، أُحيل الى اللجنة الخاصة بالتربية الوطنية فرفضته ، واقرّ الاجتماع الاخير هذا الرفض . فطلب الاستاذ البستاني عندئذٍ ان يُدوّن في محضر الاجتماع نصّ اقتراحه ، وان يُدوّن الرفض كذلك ، « شهادةً للمستقبل على المؤتمر العربي الثقافي الاول » . وهكذا كان !!! ولا يحتاج هذا الحادث الى تعليق !

خامساً : بيان ان التطوّر العالمي سائرٌ نحو التكتل والاتحاد ، وان جامعة الدول العربية مظهر من مظاهر هذا التطوّر . وليس معنى التكتل فقدان شخصية الاجزاء المكوّنة له ، وانما المقصود منه ان تكون لهذه البلدان خطط مرسومة تنسق فيها جهودها نحو تحقيق الاهداف المشتركة .

سادساً : بيان ان الاستقلال حقٌّ طبيعيٌّ للشعوب ، وان الاستعمار ضرب من الرق يجب القضاء عليه ؛ وابراز مساوىء الاستعمار ، وما جرّه على البلدان العربية وعلى غيرها من ويلات ، وانه ينبغي في البلاد العربية جميعاً العمل على بث روح التعاون لتحرير البلدان العربية التي لا تزال واقعةً تحت نيره .

سابعاً : توكيد ان النظام الديموقراطي الصحيح أكفل الانظمة لضمان الحرية والعدالة والمساواة ، واتاحة الفرص المتكافئة للجميع ، والعمل على جعل روح الديموقراطية الصحيحة عقيدة راسخة في نفوس النشء .

٦ — يرى المؤتمر ضرورة العناية بالجانب العملي في التربية الوطنية ومراعاة المبادىء الاساسية التالية في ذلك :

اولاً : ان تكون الحياة المدرسية صورة مثالية مصغرة للمجتمع يعوّد فيها النشء « الحكم الذاتي » ، وممارسة ضروب النشاط الاجتماعي التي تقتضيها هذه الحياة ، ويدرّب على تحمل المسؤوليات والقيام ببعض الخدمات العامة في المدرسة وخارجها .

ثانياً : بثّ روح الجماعة في النشء وتعويدهم المشاركة والتعاون والتسامح واحترام حرية الآخرين .

ثالثاً : الاتصال بالبيت ، وتنسيق الجهود بينه وبين المدرسة لتربية النشء تربية وطنية صحيحة . وتحقيقاً لهذه المبادىء يرى المؤتمر الاستعانة بالوسائل العامة الآتية :

الجماعات المدرسية كالفرق الرياضية والكشفية والفنية من تمثيلية وموسيقية وغيرها ، والجمعيات التعاونية والثقافية ، والحفلات ، والاجتماعات ، والرحلات ، ومجالس الطلبة وانديتهم وما الى ذلك .

كما يرى المؤتمر الاستعانة بالوسائل الآتية لتقوية الروابط بين مختلف البلدان العربية :

أ – تبادل الرحلات والنشرات والمجلات والكتب ، وتبادل المدرسين والطلاب .

ب – اقامة مباريات رياضية وثقافية ، ومؤتمرات عامة ، ومخيمات ومعسكرات كشفية ورياضية ، ومعارض يشترك فيها الطلاب من مختلف البلدان العربية للتعارف والتعاون وتبادل الرأي في الشؤون العامة من اجتماعية وثقافية .

ج – وضع اناشيد وطنية مشتركة ، وتنظيم إذاعات مدرسية لطلاب المدارس في مختلف البلدان العربية .

د – انشاء بيوت مشتركة للطلبة .

هـ – وضع خطة مشتركة لاعداد كتب ومصورات وافلام سينمائية ثقافية تعرّف بالبلدان العربية المختلفة ومظاهر الحياة فيها ونشرها في الاقطار العربية .

و – تشجيع المراسلات الشخصية بين طلاب البلدان العربية .

٧ – يرى المؤتمر ان التربية الوطنية في مختلف المدارس لا تحقق اهدافها ، الا اذا كان المعلم القائم على تربية النشء مؤمناً برسالته ومتصفاً بالصفات التي تؤهله للقيادة ، ومزوّداً بالثقافة الضرورية له في مهنته ومدرباً على طرق التربية واساليبها .

ولذلك ينبغي العناية في انتقاء طلاب دور المعلمين باختيار استعداداتهم وميولهم وصلاحهم لمهنة التدريس ، كما يجب العناية باختيار اساتذة دور المعلمين من اقدر المعلمين واكفئهم .

ويجب العناية ، في دور المعلمين الابتدائية ، باعداد الطلاب لمهنة التعليم اعداداً ثقافياً ومهنياً صحيحاً ، وان يعطوا المادة العلمية الكافية التي تؤهلهم لتدريس المعلومات الوطنية في المدارس الابتدائية ، كما ينبغي ايضاً اعدادهم اعداداً اجتماعياً واسعاً يشمل جميع الوان النشاط المدرسي والاجتماعي ، ويمكنهم من القيام بتنشئة تلاميذهم وفق اساليب التربية الوطنية التي قدمنا ذكرها .

اما في دور المعلمين العالية فيجب ان يهيأ الطلاب لتدريس الدراسات الاجتماعية والمدنية في فرع العلوم الاجتماعية وان يدربوا عملياً على الخدمة الاجتماعية وعلى اوجه النشاط المدرسي وسواها .

وعلى وزارات المعارف في الدول العربية ضمان متابعة المدرّس لثقافته واساليب التدريس والتربية الوطنية وذلك بتنظيم اجتماعات ومؤتمرات تعليمية ورحلات للمدرسين وبعوث علمية لهم وانشاء المجلات الاختصاصية والفنية وما الى ذلك من الوسائل .

ويرى المؤتمر انه من الضروري العناية بحالة المدرسين المادية والاجتماعية وافساح المجال

امامهم للرقي والتقدم وضمان مستقبلهم حتى يتوفروا على اداء مهنتهم الكبرى مطمئنين ، وحتى يكفل بذلك اقبال الموهوبين على مهنة التعليم .

٨ – يرى المؤتمر ان التربية الوطنية عملية مستمرة لا تنقطع بالخروج من المدرسة ، وانه من الضروري مواصلة تدريب الكبار الذين غادروا معاهد العلم وتثقيفهم . ويرى الاستعانة على ذلك بالوسائل الاتية :

اولا : المحاضرات العامة ، والإذاعة ، والسينما ، والمسرح ، والصحف ، والمجلات ، والنشرات ، والانتفاع بما في تغذية الروح الوطنية .

ثانياً : الانتفاع بدور الآثار ، والمكتبات العامة والمتنقلة ، والمعارض التاريخية والثقافية في بث الروح الوطنية .

ثالثاً – تشجيع الاندية ، والجمعيات التعاونية ، والنقابات ، والفرق الرياضية والكشفية ، والمؤسسات الثقافية الشعبية وغيرها ، مما يهيء الفرص للمواطنين للقيام باوجه النشاط الاجتماعي المختلفة والخدمات العامة .

رابعاً : مكافحة الامية ، ونشر الثقافة بشتى الوسائل .

٩ – يرجي المؤتمر بان تتخذ حكومات الدول العربية الوسائل الكفيلة بعمل هذه القرارات والتوصيات شاملة المدارس الحرة (او الخاصة) من اهلية واجنبية .

الجغرافية

١ – توصي اللجنة بضرورة العناية بدراسة جغرافية الاقطار العربية عامة الى جانب جغرافية الوطن الخاص ، وابراز الروابط البشرية والاقتصادية بين هذه الاقطار .

٢ – تحقيقاً لهذا الغرض توزع الدراسات الجغرافية في مرحلتي التعليم الابتدائي والثانوي على الصورة التالية :

في مرحلة التعليم الابتدائي : تتدرج دراسة البيئة المحلية الخاصة حتى تمتد الى دراسة بيئة الاقطار العربية عامة . ويكون ذلك على شكل سياحات الى هذه البلاد ، تستخدم فيها الصور المشوقة ، ويستعان فيها بالافلام ما امكن .

وعند دراسة حياة السكان يعنى عناية خاصة بدراسة سكان الاقطار العربية ، بطريقة تظهر الروابط التي تجمع بينها ، مع استخدام جميع وسائل الايضاح التي تمثل هذه الاقطار ، ومظاهر الحياة فيها .

في مرحلة التعليم الثانوي تراعى الامور الاتية :

أ – تدرس جغرافية الاقطار العربية في موضعها من الاقاليم الطبيعية دراسة عامة ، ليتسنى للتلاميذ ان يدركوا العلاقات الجغرافية التي تربط بينها وبين الاقطار التي تقع في اقاليم مشابهة .

ب – يدرس العالم العربي كله بشيء كثير من التفصيل في احدى السنوات الاخيرة من التعليم الثانوي ، بان تخصص جميع دروس الجغرافيا في تلك السنة لهذه الدراسة . وان تتناول جميع نواحي الجغرافيا الطبيعية والبشرية لكل قطر من الاقطار العربية .

ج – تدرس جغرافية الوطن الخاص دراسة مفصلة في اثناء المرحلة الاخيرة من التعليم الثانوي . وان يُعنى فيها بالروابط التي تصل هذا الوطن بسائر الاقطار العربية .

وقد روعي في دراسة الوطن الخاص ، والاقطار العربية ان تكون في المرحلة الاخيرة من التعليم الثانوي لكي يكون التلميذ قد وصل الى درجة من النضج العقلي تمكنه من فهم الصلات التي تربط بين هذه الاقطار فهماً صحيحاً .

٣ – رغبة في اعداد المعلم الكفيل بتحقيق الاغراض العامة والقومية الهامة المقصودة من تدريس الجغرافيا ترى اللجنة :

أ – ان يكون في كل جامعة من جامعات البلاد العربية قسم خاص للجغرافيا بحيث تتاح للطالب الذي يميل الى الدراسات الجغرافية فرصة للتخصص في هذا العلم .

ب – ان تُتاح الفرصة في المعاهد العليا للمعلمين والمعلمات للتوسع في الدراسات الجغرافية لمن يميلون الى هذا العلم من الطلاب .

ج – تنظيم دراسات صيفية جغرافية للمعلمين والمعلمات ، وذلك لاتاحة الفرصة للقائمين بتدريس الجغرافيا اليوم لكي يزدادوا علماً بمادتهم وبوسائل تدريسها ، وفق الاساليب العلمية الصحيحة .

٤ – ترى اللجنة ان من المستحسن تخصيص حجرة خاصة للجغرافيا في معاهد الدراسة تحتوي جميع وسائل الايضاح من خرائط ونماذج وافلام وصور ، وتزويد مكتبات المدارس باكبر عدد ممكن من الكتب والنماذج الجغرافية .

٥ – توصي اللجنة الادارة الثقافية بجامعة الدول العربية بان تتخذ ما يلزم من اجراء لاعداد اطالس وخرائط جغرافية للبلاد العربية تتناسب مع مراحل التعليم الابتدائي والثانوي والعالي .

٦ – وتوصي بان تسهل كل دولة من دول الجامعة العربية لمن يشاء من الباحثين الجغرافيين زيارة الجهات التي يرغب في دراستها وان تضع تحت تصرفه ما يعينه على واجبه العلمي .

٧ – ونظراً الى للرحلات من صلة وثيقة بالدراسات الجغرافية ترى اللجنة ان تشجع الدول العربية الرحلات ، والمؤتمرات الجغرافية ، للطلاب والمدرسين المتخصصين في دراسة هذه المادة وتدريسها حتى تُهيأ لهم الفرصة لتبادل الافكار وزيارة الاقطار ومشاهدة الظاهرات التي قرأوا عنها .

وتحقيقاً لهذا الغرض تضع كل دولة في ميزانيتها اعتماداً خاصاً للرحلات والمؤتمرات الجغرافية .

٨ – نظراً الى ان هنالك حاجة ماسة الى مؤلف مفصل يتناول جغرافية البلاد العربية جميعاً ، يكون بمثابة مرجع جغرافي يحوي آخر ما وصل اليه العلم ، وتحقيقاً لهذه الغاية توصي اللجنة بان تتولى جامعة الدول العربية تأليف لجنة فنية لاتخاذ الوسائل اللازمة لتنفيذ هذا الاقتراح .

التاريخ

يرى المؤتمر :

اولاً : ان يكون محور دراسة التاريخ في المرحلة الابتدائية تاريخ القطر الخاص الذي يعيش فيه التلميذ ، مع العناية بدراسة الصلات بين هذا القطر وبين البلاد العربية قبل الاسلام وبعده .

ويتم هذا الغرض بدراسة القصص المشوقة وتراجم ابطال التاريخ القومي، وتراجم ابطال العرب ، ممن تجاوز اثرهم حدود بلادهم .

وينبغي الاشارة في ثنايا قصص الابطال الى الحياة الاجتماعية في مختلف العصور ، مع الموازنة بين الحياة الماضية والحياة الحاضرة التي تقع تحت حس التلميذ ، والعناية بالحياة المعيشية لطبقات الشعب .

على انه في السنة الاخيرة من المرحلة الابتدائية ، يجوز ان يدرس التاريخ على صورة منظمة مع مراعاة تيسيره ليلائم عقلية الاطفال ومدى خبراتهم .

ثانياً : ان يكون محور دراسة التاريخ العربي في التعليم الثانوي النواحي الاجتماعية والوصفية ، مع بيان اثر الشخصيات الفذة ، والاحداث والوقائع اللازمة لتصوير الحقائق ، وتبيينها في الاذهان وتقصي مظاهر التطور والنضج التام

ثالثاً : ان يشمل القدر المشترك من التاريخ العربي الذي يدرس في المدارس الثانوية في جميع البلاد العربية ما يأتي :

ا – تاريخ العرب قبل الاسلام .

ب – تاريخ العرب منذ ظهور الاسلام الى الفتح العثماني .

ج – النهضة العربية الحديثة .

اما الجزء الواقع بين الفتح العثماني والنهضة العربية الحديثة فيدخل ضمن المنهج الخاص الذي تضعه الهيئات المشرفة على التعليم في كل دولة عربية . ويترك توزيع هذا المنهج على الفرق للهيئات المشرفة على التعليم في كل دولة منها .

رابعاً : ان يعنى ، في المرحلة الثانوية ، بالقدر من التاريخ العالمي اللازم لمساعدة الناشيء على فهم مكانة بلاده والدول العربية بين دول العالم ، ومشاكل المدنية الحديثة .

خامساً : انه ينبغي ان يدرس التاريخ دراسة علمية ، ويناقش مناقشة قائمة على منطق انساني عادل .

سادساً : انه يستحسن ان تكون طريقة تدريس التاريخ اساساً للتدرج من القديم الى الحديث . ولا مانع من التحلل من ذلك عند الاقتضاء .

سابعاً : ان يدرس تاريخ العرب على حسب الدول والعصور المتتابعة وفقاً للطريقة التقليدية .

ثامناً : ان يدرس تاريخ الشعوب العربية ، بعد سقوط بغداد ، على اساس تاريخ الدولة الخاص ، مع الاشارة الى تاريخ الدول العربية الاخرى وبيان ما بينها من علاقات .

تاسعاً : ان يدرس تاريخ الحضارة العربية متصلاً بالتاريخ العربي العام بمعنى انه بعد الانتهاء من العرض العام لكل عصر يدرس الطالب حضارة هذا العصر.

عاشراً : انه ينبغي للاستفادة من دراسة التاريخ العربي في تقوية الروح العربية الحقة الاهتمام بالنواحي الآتية :

١ – بيان اثر امم الشرق الادنى وفضلها في بناء صرح المدنية القديمة ومقدار تأثر اليونان والرومان بحضارات الشرق القديم في الشام وفلسطين ومصر وغيرها.

٢ – تتبع الصلات السلالية والتجارية والثقافية بين امم الشرق الادنى تلك الصلات التي وجدت قبل الاسلام ، ثم جاء الاسلام فدعمها وزاد في اواصرها.

٣ – ابراز الاحداث العظيمة والمواقف الحاسمة ، ونواحي البطولة في العصور العربية الزاهرة ، ودراسة الاسباب والنتائج في تفصيل يتضح منه اثر الحياة الشعبية والروح العربية في ارتقاء الدولة او الدول العربية وهبوطها.

حادي عشر : ان من الوسائل التي تساعد على تنمية الروح العربية وتحقيق الاغراض المقصودة من تدريس التاريخ بالبلاد العربية ما يأتي :

١ – تأسيس الجمعيات التاريخية لتبادل الآراء والكشوف والبحوث.

٢ – تنظيم رحلات الاساتذة والطلبة بين البلاد العربية.

٣ – عقد مؤتمرات دورية للدراسات التاريخية من وقت لآخر في عواصم البلاد العربية.

٤ – الاهتمام بالمآثر الاثرية وانشاء المتاحف التاريخية والاستعانة بالفنون الجميلة لتوضيح التاريخ العربي مثل الروايات التاريخية والقصص التاريخية واللوحات الفنية والافلام.

٥ – العناية بالتقاليد المحلية والازياء الخاصة والاغاني الشعبية ، مع تهذيبها بما يتفق مع المدنية الحديثة والروح العربية.

٦ – العمل على تخليد ذكرى عظماء الشرق العربي ، واحداثه التاريخية ، بطرق مختلفة كاقامة التماثيل واطلاق اسمائهم على الشوارع والميادين وتسمية كراسي الاستاذية في الجامعات باسماء النابغين منهم في مجال البحث العلمي الى غير ذلك من الوسائل التي تبرز المثل العليا التي ينبغي ان يتجه نحوها شباب العرب فيعتزون بماضيهم الاجتماعي ويشعرون نحو هؤلاء العظماء بالجميل فيعملون على المحافظة على هذا التراث بل وعلى الاستزادة منه .

الادب

قسم المؤتمر بحوثه في الادب الى مرحلتين : مرحلة التعليم الابتدائي ، وهي التي ينتهي منها التلميذ عادة حوالى سن الثانية عشرة ، ومرحلة التعليم الثانوي ، وهي التي تليها الى السابعة عشرة تقريباً .

وتعتبر مواد التثقيف الادبي في المرحلة الاولى خمساً : المطالعة ، والقصص ، والاناشيد ، والمحفوظات ، والتعبير ، وفي المرحلة الثانية : الادب نصوصه وتاريخه ، والنقد ، والبلاغة ، والقراءة والمطالعة ، والتعبير .

مرحلة التعليم الابتدائي:

أ – الغاية من التثقيف الادبي في هذه المرحلة تنشئة الطالب على الاخلاق السامية والروح الوطنية والشعور العربي، مع تربية ذوقه الفني، وتنمية ملكة التعبير فيه، وتزويده بطائفة من المعلومات تزيد في ثقافته العامة.

وتحقيقاً لهذا يقترح المؤتمر ما يلي:

١) ان تكون المواد التي تقدم له ذات صلة وثيقة بتلك الاهداف.

٢) ان تشتمل على طائفة من الاناشيد والمحفوظات والقصص وقطع المطالعة، التي تمتاز بسهولة التعبير وصحته وجماله.

٣) أن يراعى في اختيارها مقدرة الطالب الذهنية وبيئته وتربيته.

٤) ان تشتمل بوجه خاص على موضوعات تتصل بالفضائل العربية وبالتراث العربي.

ب – ولكي تنمى ملكة التعبير عند طفل المرحلة الابتدائية يجب ان نهيأ له الفرص للتعبير عن تجاربه ومشاهداته بالكلام وبالكتابة. ويراعى في ذلك ان تكون الحرية اساساً للتعبير، والا يتقيد بحصة او حصص معينة يقتصر عليها، فالتعبير باوسع معانيه يتحقق في كل درس وفي كل وقت، واذا اخذناه بهذا المعنى بعدنا به عن جو الشكلية الضيق ومزجناه بالحياة. ويحسن ان يتخذ المعلم اللغة العربية السهلة وسيلة في تعليمه، وان يشجع التلاميذ على التعبير بها، وان يتدرج بهم في ذلك الى ان يستطيعوا في نهاية المرحلة التعبير السليم.

وتستخدم التربية الحديثة وسائل كثيرة لتشجيع التعبير بنوعيه الشفهي والكتابي تبغي الافادة منها، مثل قص الاخبار في الفصل، او كتابتها لمجلة المدرسة، ومثل مناقشة ما في كتب المطالعة من صور، وتكميل القصص القصيرة، وسرد القصص المسموعة او المقروءة وتمثيلها، ومثل تحويل القصص الى حوار تمثيلي، وكتابة الرسائل، ووصف الوقائع التاريخية وغير ذلك.

ج – الهدف الذي ترمي اليه دراسة القدر المشترك هو اثارة شعور المشاركة بين سكان الاقطار العربية في الحضارة والتاريخ، وفي مشكلاتهم من النشاط الدولي الحديث.

وهذا القدر ينبغي ان يكون في المرحلة الابتدائية يسيراً ملائماً لمدارك التلاميذ، وهذا لقدر ارق منه في المرحلة الثانوية.

ويمكن توفير هذا القدر في المرحلة الابتدائية عن طريق:

١) الاناشيد: فتختار منها مجموعة تكون موضوعاتها مناسبة لفكرة التعاون العربي والمشاركة في الشعور، توقع توقيعاً موسيقياً، ويحفظها بتوقيعها تلاميذ جميع الاقطار العربية.

٢) المحفوظات: فتختار قطع سهلة، يلاحظ فيها ان تكون مما يشيد بالاخلاق العربية من نجدة وبطولة وما اليها، وان يكون بعضها لادباء من الاقطار العربية المختلفة، مع تعريف بسيط بهم، وهذه يحفظها جميع التلاميذ.

٣) القصص: فيختار منها عدد يحقق الفكرة السابقة، من تصوير الكرم والاباء وعزة

النفس وعبرها [illegible] الاعجاب بتاريخ العرب وابطالهم قدامى ومحدثين

٦) المطالعة : فتتناول بعض كتبها في كل قطر موضوعات تعين على تقوية الروابط العربية ، كوصف بعض المشاهد والآثار القائمة في مختلف الاقطار العربية ، وكالحديث عن فضائل العرب وفتوحاتهم ودولهم ، وثقافاتهم وفنونهم .

ويلاحظ ان يدرس هذا في مرحلة التعليم الابتدائي مؤيداً بالصور والرسوم ، او مصاحباً للموسيقى ، او قائماً على التمثيل والحوار ، كما هو مقرر في اساليب التربية .

مرحلة التعليم الثانوي :

أ – الادب نصوصه وتاريخه :

١) يجب ان ينظر الى الادب نظرة واسعة ، بحيث لا يكون مقصوراً على الشعر والنثر الفنيين ، بل يتناول ايضاً الموضوعات الفكرية والعقلية المصوغة صياغة ادبية مثل مقدمة ابن خلدون ورحلات ابن جبير وابن بطوطة ، ورسالة حي بن يقظان ، وبعض كتابات الغزالي ، وبعض قطع تاريخية من الطبري والفخري ونحو ذلك .

٢) في المرحلة الاولى من دراسة الادب يكون الاعتماد على نصوص اكثرها من الادب الحديث ، واقلها مما يقرب من هذه النصوص في السهولة من الادب القديم ، على ان تتدرج هذه النصوص في الصعوبة مع تقدم الدراسة ، ويكتفى من تاريخ الادب في هذه المرحلة بما كان تعريفاً موجزاً بقائل القطعة وما كان لازماً لفهمها .

٣) وفي المرحلة الثانية تختار نصوص ادبية مرتبة حسب العصور من الجاهلي الى الحديث ، يراعى في اختيارها دلالتها على روح عصرها وتصويرها لخصائصه الفنية ، مع مناسبتها لاستعداد الطالب وفهمه ، وتكون دراسة تاريخ الادب مستمدة من هذه النصوص .

ب – النقد والبلاغة :

١) يرى المؤتمر انه يجب الا نتقيد في التعليم الثانوي بالبلاغة الشكلية النظرية ، وان نعود بالنقد الى وظيفته الاساسية : وهي تذوق الادب ، وفهم نصوصه ، وادراك صوره ومعانيه ، والقدرة على محاكاته . والطريق الطبيعي الى ذلك هو العناية بالنصوص نفسها ، وفهم المراد منها ، ومناقشة افكارها ، وتبين ما فيها من جمال او نقص ، تعرف ما بينها وبين شخصيات منشئيها من صلات . ويكون هذا النقد العملي جزءاً اصيلاً في درس نصوص الادب في جميع سني الدراسة .

٢) تحقيقاً لهذا المبدأ يجب ان تستمر في المرحلة الثانية الطريقة التي اتبعت في المرحلة الاولى من دراسة نصوص ادبية مختارة غير مقيدة بترتيب زمني ، لتكون محوراً لدرس النقد الادبي ، ووسيلة لتنمية ملكات النقد الادبي والبلاغة عند التلميذ ، مع مراعاة ما يتطلبه من التلميذ ونحو استعداده في اختيار هذه النصوص ومنهج دراستها .

وهذه تسير الى جانب النصوص الاخرى المرتبة ترتيباً زمنياً ، والتي تختار مهاداً لدرس تاريخ الادب في هذه المرحلة .

٣) يخصص من دروس النقد العملي بالسنتين الاخيرتين من التعليم الثانوي درس يعنى فيه المدرس بتعريف التلاميذ اجمالاً بالعناصر العامة من البلاغة ، كالايجاز والاطناب ، والحقيقة والمجاز ، والتشبيه والاستعارة والكناية وبعض المحسنات البديعية ، وبالعناصر العامة من النقد : كالاساليب واختلافها ، وفنون الكلام من شعر ونثر وما بينها من فروق . على ان يكون هدف هذه الدراسة لا معرفة العناصر البلاغية والنقدية لذاتها ، ولكن لتمين الطالب على ادراك اسرار الجودة والجمال في الادب .

٤) يقترح المؤتمر ان تكون هناك في كل سنة من سني المرحلة الثانية من التعليم الثانوي دراسة تحليلية لاديب من ادباء العصر او العصور التي يدرس تاريخ ادبها في هذه السنة ، تكون غايتها خدمة الدراستين التاريخية والنقدية .

٥) يراعى في اختيار النصوص النقدية في السنة الثالثة من التعليم الثانوي ان تكون عرضاً لنماذج من العصور المختلفة لفن من الفنون الادبية ، تبنى عليها دراسة موجزة سهلة لتطور هذا الفن ، وتجدد وزارات المعارف تحديد هذا الفن في برامجها من حين الى آخر .

٦) عند الكلام على ما بين الشعر والنثر من فروق يعنى المدرس ببيان نظام القصيدة العربية في اوزانها الموسيقية وفي قافيتها . فيحاول من طريق عرض قصائد كثيرة من اوزان مختلفة ان يطبع في اذهان التلاميذ صوراً لموسيقى الشعر العربي ، مبيناً لهم ان كل وزن منها له اسم خاص ، ممثلاً ببعض الاوزان واسمائها من غير استقصاء ، لافتاً نظر التلاميذ الى طابع القصيدة العربية في قافيتها . والغاية من هذه الدراسة ان يتبين التلاميذ عنصر الموسيقى في الشعر العربي ، ويتعودوا قراءته بصورة صحيحة ، ويتمكن من تقويم شعرهم الذي قد يحاولون نظمه .

ج – القراءة والمطالعة :

يرى المؤتمر :

١) ان تنوع القراءة والمطالعة الى صامتة وجهرية ، والى داخلية (في الفصل) وخارجية ، ليكون ذلك عوناً على تحقيق الاغراض المختلفة من هذه المادة .

٢) ان ينبه الى الاستكثار من القراءة الجهرية في المرحلة الاولى من التعليم الثانوي ، وتخصص لها كتب ، ويعنى في المرحلة الثانية بالقراءة المستقلة والخارجية ، في كتب ذات وحدة موضوعية ، بجانب كتب النصوص .

٣) ان تتخذ الوسائل المختلفة لترغيب التلاميذ في القراءة الخارجية .

د – التعبير :

لاحظ المؤتمر ان تسمية الانشاء باسم « التعبير » افضل ، لما في هذا من توسيع لمدلوله ، وخروج به عن دائرة الشكلية والتكلف ، وتنبيه الى نواح من النشاط تساعد على نمو الملكة المعبرة المبتكرة عند التلميذ .

والمؤتمر يقترح في شأنه ويوصي بما يلي :

١) ان الاساس الاول في تنمية قوى التعبير عند التلاميذ في جميع سني الدراسة الثانوية هو استغلال كل الفرص الطبيعية الممكنة : مثل حلّ النصوص الادبية وشرحها ونقدها ، ومثل تلخيص القصص والكتب ، والتعليق على الحوادث الجارية ، وكتابة التقارير عن الرحلات والمشروعات واشرطة الخيالة (؟) (١) ، واعداد المقالات والاخبار بمجلة المدرسة ، وكالخطابة والمناقشة والمناظرة وغيرها مما يدخل في نشاط الجمعيات الادبية في المدرسة .

٢) غير ان النشاط التعبيري لا ينبغي ان يقتصر على مجرد استغلال الفرص ، بل يجب ان يخصص له وقت في جدول الدراسة في جميع السنوات . وان يشمل – بجانب ما تقدم – القصد الى التدريب الفني والابتكار ، من طريق اقتراح موضوعات على التلاميذ يكتبون فيها ، بعد اعداد او من دون اعداد ، مع الحرص على استقلالهم في التفكير والتعبير . وهذه الموضوعات قد تأخذ شكل مقالات او رسائل او قصص ، او بحوث في موضوعات الدراسة الادبية المقررة .

٣) ينبغي ان يكثر النوع الاول في سنوات المرحلة الاولى من التعليم الثانوي ، على حين يبدأ الثاني قليلاً ، ثم يأخذ في الكثرة تدريجاً حتى يغلب في المرحلة الثانية .

٤) ينبغي ان يوجه مدرسو التعبير الى العناية بتقدير الافكار وبطريقة بناء الموضوع ، الى جانب عنايتهم باسلوب التعبير .

٥) يوصي المؤتمر ان يعمم – في الدول العربية التي لم تأخذ به – نظام تحضير ورقة لامتحان التعبير ، تحتوي موضوعات متنوعة – بين ادبية واجتماعية واقتصادية وغير ذلك – يختار الطالب منها واحداً للكتابة فيه .

هـ – توصيات عامة :

١) يوصي المؤتمر ان يسار في دراسة القدر المشترك في المرحلة الثانوية على النهج الذي قرر في مرحلة التعليم الابتدائي مع التوسع في هذا بما يقتضيه ترقي الدراسة واتساع مدارك التلاميذ وآفاقهم .

٢) في البلاد العربية التي تفرق – في عدد دروس اللغة العربية واهميتها في دراستها وامتحاناتها – بين القسم الادبي والقسم العلمي ، وبين مدارس البنين ومدارس البنات يوصي المؤتمر ان يؤخذ بنظام المساواة في هذه الاقسام والمدارس .

٣) يوصي المؤتمر بان يعطى للغة العربية – وهي عماد الثقافة القومية – اكبر مقدار ممكن من زمن الدراسة في مناهج التعليم .

---

١) اشرطة الخيالة : كذا ، ولعلهم قصدوا الافلام السينمائية ! قلنا : ولِمَ لم يقولوا : السينما ، كما قال اعضاء لجنة التاريخ ، او الافلام كما كتب اعضاء لجنة الجغرافية . والامَ تظلّ لغة « الادب » بعيدة عن لغة الحياة ؟ . . .

اللغة والقواعد

١ – يرى المؤتمر ان قواعد اللغة العربية ، من نحو وصرف واملاء ، تحتاج الى تيسير وتبسيط ، بقربها من مدارك الطلاب ، على الا يمس ذلك بحال من الاحوال جوهر اللغة .

٢ – ويرى ان القصد من تعليم اللغة العربية في مختلف المراحل الاهداف الآتية :

ا – ان تجعل الطلاب قادرين على القراءة الصحيحة في سهولة ويسر ، وان يفهموا ما اشتملت عليه الكتب من افكار ومعان .

ب – تمكين الطلاب من التعبير عما يجول في نفوسهم ويقع تحت حواسهم بعبارة صحيحة مع الدقة وطلاقة اللسان وقوة البيان .

ج – ان تكون دراسة العربية وسيلة للثقافة ، وتوسيع المدارك وتنمية الذوق السليم وتزويد الطلاب بكثير من المعلومات القيمة . لا ان تكون محض دراسة لالفاظ وتراكيب ومفردات ، عمادها الزينة والزخرف الشكلي ، وهي في الحقيقة فارغة لا روح فيها ولا حياة .

د – وان يتصل الطلاب اتصالاً وثيقاً بالحياة الادبية والعلمية المحيطة بهم ، وان يسايروا النهوض الادبي الحديث ، لا ان يكونوا بمعزل عما حولهم ، فتكون المدرسة في ناحية ، والحياة الادبية الواقعية في ناحية اخرى .

هـ – وان تكون المدرسة مثيرة روح الشوق الى القراءة والاستزادة من الثقافة ، والوقوف على ما جاء به الكتاب والمفكرون في العصور المختلفة .

٣ – ويرى المؤتمر انه لا بد من تدريس قدر من قواعد اللغة (صرفها ونحوها) في المرحلتين الابتدائية والثانوية ، لتحقيق الاهداف السابقة ، على ان يراعى في تدريسه التبسط والتيسير . وان توجه العناية الى تقويم اللسان على اساس المحاكاة والتدريب والتكرار .

٤ – ويرى المؤتمر قدراً ملائماً من قواعد النحو والصرف والاملاء لكل من مرحلتي التعليم الابتدائية والثانوية ليكون حداً مشتركاً في جميع البلاد العربية . واتفق على وضع منهج مفصل موزع على الصفوف توزيعاً روعي فيه استعداد الطالب وحاجته في كل فرقة من الفرق الدراسية . (وهذه الجلسة لا تتسع لتفصيله) .

٥ – ويرى المؤتمر توجيه العناية الى تجويد النطق وحسن الاداء منذ مرحلة رياض الاطفال الى نهاية مرحلة التعليم الثانوية ، رغبة في ان تتقارب لهجة الناطقين بالعربية في مختلف اقطارها وان تكون ادنى الى النطق الصحيح .

٦ – ويرى المؤتمر ان القدر المشترك انما يصلح منهجاً لطلاب الثقافة العامة . اما الطلاب الذين يرغبون في التخصص او يعدون لتدريس اللغة العربية فيكون لهم منهاج اوسع واعمق .

٧ – ويرى ان من الوسائل العملية لتطبيق المنهج تأليف كتب تعالج موضوعاته ليستفيد منها المعلمون والطلاب .

٨ – ويرى ان الاتفاق على منهج واحد لا يكفي لتقريب الثقافة والنهوض باللغة العربية اذا لم يعد لتعليم هذا المنهج معلمون على حد كبير من العلم وسعة الافق والقدرة على التدريس. ولذا قرر انه لا بد من انشاء معاهد علمية موحدة النظام في الاقطار العربية لتخريج ذلك النوع من المعلمين.

٩ – ويرى عقد مؤتمرات دورية لمعلمي اللغة العربية تشخص اليها وفودهم من مختلف البلاد للبحث وتبادل الرأي في اساليب التعليم كي يستفيد بعضهم من تجارب بعض وكي يشحذوا في الوسائل والغايات وينهضوا باللغة العربية وآدابها.

واردفت لجنة اللغة والقواعد مقرراتها بلحقين تناول الاول « منهاج الصرف والنحو والاملاء للصفوف الابتدائية والثانوية» والثاني « وسائل تجويد النطق » ولم نرَ منهما فائدة كبيرة فتركناهما. وذلك ان اللجنة لم تأتِ بجديد ؛ ولم تحلّ، بل لم تحاول التعرّض للمشاكل العالقة منذ القدم بتدريس هذه المواد!

فهارس المشرق

للسنة الحادية والاربعين
١٩٤٧

فهرس أول

لمواد الاجزاء

الجزء ١ (كانون الثاني – آذار) : فنّ الطبخ واصلاح الاطعمة في الاسلام، بقلم حبيب زيّات (١–٢٦) = الاسكندرية في اواخر القرن الثاني للمسيح، بقلم الاب كلود موتديزير اليسوعي (٢٧–٥١) = مظاهر النشاط الادبي، لمحة نقدية بقلم فؤاد افرام البستاني (٥٢–٧٣) = الفنّ القصصي اللبناني في القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، بقلم ڤيكتور كلارجي كرم (٧٤–١٠٥) = ثياب الوشي، بقلم حبيب زيّات (١٠٦–١١٥) = معرض الفنون الجميلة في المتحف اللبناني (مصوّرة)، بقلم رشدي معلوف (١١٦–١٣٦) = ثياب الشَّرب، بقلم حبيب زيّات (١٣٧–١٤١) = معهد الآداب الشرقية: منهاج شهادات الليسانس ومنهاج التعاليم للسنة ١٩٤٦–١٩٤٧ (١٤٢–١٤٤)

الجزء ٢ (نيسان – حزيران) : من الخزانة الشرقية، بقلم حبيب زيات (١٤٥–١٧٠) : الجوالي او جزية رؤوس النصارى في الاسلام (١٤٥) – خصائص بطيك قديمًا في الصناعة والزراعة (١٥٧) – السرقين والسماد في الزراعة قديمًا (١٦٣) = يوسف العفيف وامرأة فرطيفار : نشيد للشاعر رومانوس المرنّم، نقله عن اليونانية وعلّق عليه الاب نيقولاوس قادري قب (١٧١–١٨٩) = المدرسة اللبنانية في ظلال المعابد والاشجار في القرن التاسع عشر، بقلم لحد خاطر (١٩٠–٢٠٠) = صناعة الخزف في بيت شباب (مصوّرة)، بقلم الاب موريس دي فنويل اليسوعي (٢٠١–٢١٧) = لمحة في حياة الانسان الاول في العصر الطرّاني القديم: حفريات كسار عنيل فوق انطلياس (مصوّرة)، بقلم الاب ج. فرانكلين بيوونغ اليسوعي (٢١٨–٢٤٨) = وثائق تاريخية عن حلب في القرن

الثامن عشر ، بقلم الاب فردينان نوئل اليسوعي (٢٤٩-٢٧٠) = مكتبة المشرق : ديوان ابن الساعاتي نشر انيس المقدسي ، نقد واستدراك بقلم حبيب زيات (٢٧١-٢٩٩) ؛ وصف ٤ كتب باللغات الاوربية ، وكتاب باللغة العربية (٣٠٠-٣٠٤)

الجزء ٣ (تموز - ايلول) : الوراقة والورّاقون في الاسلام ، بقلم حبيب زيات (٣٠٥-٣٥٠) = تحفة القادم لابي عبدالله بن الأبّار (منتخب) نشرها الفرد البستاني : ١ (٣٥١-٤٠٠) = حمامات دمشق : نصوص ينشرها صلاح الدين المنجّد (مصورة) (٤٠١-٤٢٦) = تاريخ اسبانية في عهدها الاسلامي : بحث انتقادي للاب اسطفان لانور اليسوعي (٤٢٦-٤٣٦) = شذرات : شرّ السرقات الادبية سرقات المعلمين (٤٣٧-٤٤١) = مكتبة المشرق : وصف ٩ كتب باللغات الاوربية ، و١١ كتاباً باللغة العربية (٤٤٢-٤٦٤)

الجزء ٤ (تشرين الاول - كانون الاول) : من الخزانة الشرقية ، بقلم حبيب زيات (٤٦٥-٥٠٠) : ازياء الاكمام وما كانت تصاح له في الملابس العربية (٤٦٥) - لغة الحضارة : الفتوّة والفتيان والفتيانية (٤٧٧) - أهيّة ومهمّ وصنج (٤٨٤) - دفائن الخزائن : تذكرة ابن العديم (٤٨٨) = مع الكونت دي ڤولني في لبنان وسورية ، بقلم يوسف غصوب (٥٠١-٥١٨) = « الاكروستيش » او فنّ التوزيع ودلالته على صحة نسبة كتاب الاكطوغوس ليوحنا الدمشقي ، بقلم الاب نيقولاوس قادري قب (٥١٩-٥٤٢) = تحفة القادم لابي عبدالله بن الأبّار (منتخب) نشرها الفريد البستاني : ٢ (٥٤٣-٥٨٥) = الفتح الرباني والفيض الرحماني للشيخ عبد الغني النابلسي : تعريف بقلم الاب انطونيوس شبلي اليسوعي (٥٨٦-٦١١) = شذرات : التذكار المئوي الاول للمعهد الفرنسوي في اثينة (٦١٢-٦١٦) - وصية فرانس كومون الروحية (٦١٧-٦١٩) - مؤتمران ثقافيان (٦٢٠-٦٢٨) - فهارس المشرق للسنة الحادية والاربعين (٦٢٩) .

فهرس ثانٍ

كتبة المشرق ومقالاتهم

ا

ابن الأبّار (ابو عبدالله) : كتاب تحفة القادم ٢٥١–٤٠٠، ٥٤٢–٥٨٦

ابن سيّار الورّاق : كتابه في الطبخ واصلاح الاغذية والمأكولات ١٨–٢٦

ابن عساكر : حمّامات دمشق ٥ ٤–٤٠٨

ب

البستاني (الفريد) : نشره منتخب تحفة القادم لابن الأبّار ٢٥١–٤٠٠، ٥٤٢–٥٨٦

البستاني (فؤاد افرام) : مظاهر النشاط الادبي : لمحة نقدية ٥٢–٧٣ – وله وصف مطبوعات ٤٥٢–٤٦١، ٤٦٣

البانيتي (ابراهيم بن محمد) : اقتضابه تحفة القادم لابن الأبّار ٢٥١–٤٠٠، ٥٤٢–٥٨٦

ت

ترتل (الاب فردينان اليسوعي) : وثائق تاريخية عن حلب في القرن الثامن عشر ٢٤٩–٢٧٠ – وله تعريبات ٢٠١–٢١٧، ٤٢٦–٤٣٦ – وله وصف مطبوعات ٢٠١ – ٢٠٤، ٤٤٤ – ٤٤٦، ٤٤٨ – ٤٥٠، ٤٦٤

ث

ث . (س) : له وصف مطبوعة ٤٤٧

خاطر (لحد) : المدرسة اللبنانية في ظلال المعابد والاشجار في القرن التاسع عشر ١٩٠–٢٠٠

و

رومانوس المرتم : يوسف العفيف وامرأة فوطيفار ١٧١–١٨٩

ز

زيات (حبيب) : فن الطبخ واصلاح الاطعمة في الاسلام ١–٢٦ – ثياب الوشي ١٠٦–١١٥ ثياب الشرب ١٢٧–١٤١ – الجوالي او جزية رؤوس النصارى في الاسلام ١٤٥ – ١٥٦ – خصائص بعلبك قديمًا في الصناعة والزراعة ١٥٧–١٦١ – السرفين والسماد في الزراعة قديمًا ١٦٣–١٧٠ – ديوان ابن الساعاتي : نقد واستدراك ٢٧١ – ٢٩٩ – الوراقة والورّاقون في الاسلام ٢٠٥ – ٢٥٠ – ازياء الاكمام وما كانت تصلح له في الملابس العربية ٤٦٥–٤٧٦ – الفتوة والفتيان والفتيانية ٤٧٧–٤٨٣ – اهمية وهم وصنيع ٤٨٤ – ٤٨٧ تذكرة ابن العديم ٤٨٨–٥٠٠

ش

شبلي (الاب انطونيوس اللبناني) : تعريف بمخطوطة الفتح الرباني والفيض الرحماني للشيخ عبد الغني النابلسي ٥٨٦–٦١١

غ

غصوب (يوسف) : مع الكونت دي فولني في لبنان وسورية ٥٠١–٥١٨

ف

فنويل (الاب موريس دي اليسوعي) : صناعة الخزف في بيت شباب ٢٠١–٢١٧

ق

قادري (الاب نيقولاوس قب) يوسف العفيف وأمرأة فوطيفار : نشيد للشاعر

رومانوس المرنم ١٧١ - ١٨٩ - «الاكروستيش» او فن التوزيع ودلالته على صحة نسبة كتاب الاكطوبخوس ليوحنا الدمشقي ٥١٩-٥٤٣

ك

كرم (ڤيكتور كلارجي) : الفن القصصي اللبناني في القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين ٧٤-١٠٥

ل

لاتور (الاب اسطفان اليسوعي) : تاريخ اسبانية في عهدها الاسلامي ٤٢٦-٤٣٦- وله وصف مطبوعات ٤٤٣

م

معلوف (رشدي) : معرض الفنون الجميلة في المتحف اللبناني ١١٦-١٢٦

المنجد (صلاح الدين) : حمامات دمشق أ ٤٠-٤٢٥

موترد (الاب رينه اليسوعي) : وصية فرانس كومون الروحية ٦١٧-٦١٩-له وصف مطبوعات ٤٥٠-٤٥٢

موندزير (الاب كلود اليسوعي) : الاسكندرية في اواخر القرن الثاني للمسيح ٢٧-٥٢ يوبيل المعهد الفرنسوي في اثينة ٦١٢-٦١٦

ن

النابلسي (عبد الغني) : الفتح الرباني والفيض الرحماني (مخطوطة) ٥٨٦-٦١١

ي

يوونغ (الاب ج. فرانكلين اليسوعي) : لمحة في حياة الانسان الاول في العصر الطرابي القديم : حفريات كسار عقيل فوق انطلياس ٢١٨-٢٤٨

يوسف بن عبد الهادي : عمدة الملمات في تعداد الحمامات ٤٠٩ - ٤١٨ - آداب الحمام واحكامه ٤٢٣-٤٢٥

فهرس ثالث

للمطبوعات التي ورد وصفها في السنة الحادية والاربعين

على ترتيب اسماء مؤلفيها

١ — المطبوعات الشرقية

ا

ابن الاخوة : معالم القربة في احكام الحسبة ٣٠٠

ابن الساعاتي : ديوانه : الجزء الثاني ٣٧١-٣٦٩

ابو الخير (رشيد الدين فضل الله بن عماد الدولة) : كتاب تاريخ مبارك غازاني داستان غازان خان ٤٤٦

ارملة (الخوري اسحق) : مار يعقوب ٤٦١

ب

البستاني (الفريد) : اطلب النزّال ، ومحمد ابن عبدالله .

البديعي (يوسف) : آوج التحرّي عن حيثيّة ابي العلاء المعرّي ٥٣-٥٤

ج

جكيم (المطران جاورجيوس) : حياة يسوع ٣٠٤

د

الديلمي (محمد بن الحسن) : قواعد عقائد آل محمد ٤٤٤

ز

زهيراني (الاب متوديوس) : ثلاث محاضرات في التعليم ٥٤

زيادة (فرحات) : تاريخ الشعب الاميركي ٤٦٣

ر

رضا (محمد) : اطلب : شامبيون (سلوين جرني)

ش

شامبيون (سلوين جرني) : امثال الامم الاوربية ٤٦٤

الشرتوني (توفيق حسن) : دموع الوفاء بين الاشلاء والدماء ٤٦٤

ص

صقر (الياس يوسف) : اركان المجتمع الثلاثة : الملة ، الوطن ، الدولة ٤٦٣

صوت المرأة ٦٥

ع

عطّار (فريد الدين) : الهي نامه ٣٠٣

عقل (سعيد) : قدموس ٤٥٣-٤٥٩

غ

النزال (احمد بن المهدي) : نتيجة الاجتهاد في المهادنة والجهاد ٤٥٩

ف

الفاخوري (الاب يوحنا) : اخوان الصفاء ٥٧

فارس (نبيه امين) : العرب الاحياء ٦٥

فريحي (ابراهيم) : تاريخ الشعب الاميركي ٤٦٣

ك

الكيلاني (ابراهيم) : راجع البديعي

كيلاني (محمد سعيد) : اثر التشيع في الادب العربي ٤٦٣

م
محاضرات الندوة اللبنانية ٥٥
محمد بن عبدالله (مولاي) : مساند الأئمة ٤٦٠
المرآة : عدد خاص بذكرى الشيخ ابراهيم
البازجي ٥٨-٦٣
المفضل بن سلمة : كتاب الملاهي ٣٠١
المقدسي (انيس) : نشره ديوان ابن الساعاتي :
الجزء الثاني ٢٧١-٢٩٩

٢ — المطبوعات الاوروبية

Abd-el-Jalil, o. f. m., (Jean-Mohammed). L'Islam et nous. (450)
Aspinion (Dr R.), Contributions à l'étude du droit coutumier berbère marocain. (71).

Blachère (R.), Le Coran I (68-70)
Bordeaux (H.), Le visage du Maroc. (71)

Farès (Bishr), Une miniature nouvelle de l'Ecole de Bagdad datée 614 hég. (1217-18) figurant le prophète Muhammad. (452)

Gabrieli (Francesco), Storia e civilità musulmana. (442)
Georgesco (J.), Une enquête sur l'Union des Eglises en Roumanie. (302).

Henninger (Dr J.), Die Familie bei den heutigen Beduinen Arabiens und Randgebiete. (70)
Husain (Agha Mahdi), Le gouvernement du Sultanat de Delhi. (445)

Islam Ansiklopedisi, I. (447).

Jahn (Karl), Geschichte Ġazān-Ḫān's. (446).

Lévi-Provençal (L.), Histiore de l'Espagne musulmane. t. I. (426-436).

Rambout (Lucien), Les Kurdes et le droit. (449).
Ritter (H.), Ilahi-Name die Gespräche des Königs mit seinen Sechs Söhnen. Eine mystische Dichtung von Fariddaddin Attar. (303).

Sauvaget (J.), Historiens arabes. (68).
Strothmann (R.), Die Geheimlehre Der Baliniten nach der apologie «Dogmatik des Hauses Muhammed» Von Muhammed ibn Al-Hasan Ad-Dailami. (444)

Therol (J.), Martyrs des Sables. (72).

Vrooneen (Eugène), Les noms des Personnes en Orient et spécialement en Egypte. (448).

فهرس رابع

لجميع موادّ السنة الحادية والاربعين من المشرق

ا

آداب الحمام واحكامه ٤٢٢

الآداب الشرقية : معهدها ١٤٣-١٤٤

ابن الأبّار : مقتضب مخطوطته تحفة القادم ٢٥١-٤٠٠:٥٤٢-٥٨٦

ابن ابي البقاء ٥٥٥

« ابي خالد اللخمي ٥٥٩

« ابي روح ٢٨٠

« ابي قوة الازدي ٥٥٢

« ادريس التجيبي ٥٦٨

« الاصبغ ٢٧٢

« بدرون ٥٥٢

« البراء التجيبي ٢٥٧

« ثعلبة ٥٥٤

« الجابزة ٢٧٢

« جرج ٢٨٦

« الجنان ٢٩١

« جهور الازدي ٥٦٨

« حارث اليحصبي ٢٩٥

« حجّاف المعافري ٢٧٥

« حادو الصنهاجي ٥٦٧

« ذمام ٢٩٤

« الساعاتي : ديوانه ٢٧١-٢٩٩

« سَنَر ٥٤٩

« سكن ٢٧٦

« سلام المعافري ٢٧٤

« سيّار الوراق : كتابه في الطبخ واصلاح الاغذية والمأكولات ١٩٣-٢٦

ابن شبيه الاقليشي ٢٦٩

« شطرية ٥٤٧

« شكيل ٥٤٧

« شلبون المعافري ٥٧٨

« الشوّاش ٢٦٩

« صبرة النافق ٢٧٢

« صقلاب ٥٦٣

« طالب ٥٤٧

« طفيل النيبي ٢٩٢

« طلحة الانصاري ٥٨١

« عبد ربه (ابو عمر محمد) ٥٤٦

« العدم : تذكرته ٤٨٨-٥٠٠

« عذرة الانصاري ٥٤٦

« عساكر : من مخطوطته في حمامات دمشق ٤٠٥

ابن علقمة الصدفي ٢٦٣

« عمّار البكري ٥٥١

« غالب الرصافي ٢٨٣

« غتال ٢٦٣

« غلندُه ٢٩٣

« غيّاث ٥٦٤

« فرنون ٢٦٠

« قُزمان ٢٧٥

« كسرى ٥٤٥

« ليّال الأمي ٢٩٣

« المرخي ٥٦٣

« مسدة العامري ٤٠٠

« مطروح التجيبي ٥٨٢

ابن المتخل ٢٨٩
« نصير ٥٤٤
« نوح النافتي ٥٦٢
« هرودس الانصاري ٢٨٢
« هشام الازدي ٥٨٢
« ورد التميمي ٢٦٤
« ولاد ٢٦٦
« يحلفتن الغازازي ٥٦٦
« يحيى الحضرمي ٢٩٠
ابو اسحق الازدي ٥٦٦
« اسحق التطيلي ٢٦٧
« اسحق الذكواني ٥٥٢
« بكر بن سليمان ٢٩٠
« بكر الصدفي ٥٨٢
« بكر العامري ٢٦٠
« الحجاج الفهري ٢٩٥
« الحسن الانصاري ٢٨٠
« الحسن النجار ٢٨٢
« الحسن بن مسلمة ٢٩٤
« الحسين البادي ٢٥٩
« الربيع الكلاعي ٥٦٩
« زيد السالمي ٢٨٦
« الطاهر الحشني ٢٦٤
« العباس الانصاري ٢٧٩
« العباس الجرادي ٢٧٦
« العباس الصنهاجي ٢٦٢
« عبدالله الجسيمي ٥٤٢
« عبدالله بن خلصة اللخمي ٢٥٤
« العلاء المري ٥٢
« عمر الاقدي ٢٥٩
« المطرف المخزومي ٥٧٢
« المعالي بن مرعي ٥٤٦
ابو الوليد بن عمر ٢٧٩
اثينة بوبيل المهد الفرنساوي فيها ٦١٢
اجرة النسخ قديماً ٢١٦
الادب : مظاهر نشاطه ٥٢-١٢ - سرقات ادبية ٤٢٧-٤٤١
ازياء الاكمام وما كانت تصلح له في الملابس العربية ٤٦٥-٤٧٦
اسبانية في عهدها الاسلامي ٤٢٦-٤٢٦
استشراقيات ٦٥
الاسكندرية في اواخر القرن الثاني للمسيح ٢٧-٥١
الاسلام : فن الطبخ واصلاح الاطعمة فيه ١-٢٦ — جزية رؤوس النصارى فيه ١٤٥-١٥٦ — الوراقة والوراقون فيه ٢٠٥-٢٥٠
اصلاح الاطعمة وفن الطبخ في الاسلام ١-٢٦
الاطعمة : اصلاحها وفن الطبخ في الاسلام ١-٢٦
الاغذية والمأكولات ١٩٣-٢٦
الاكروستيش او فن التوزيع ودلالته على صحة نسبة كتاب الاكطوبخوس ليوحنا الدمشقي ٥١٩-٥٤٣
الاكطوبخوس : صحة نسبته ليوحنا الدمشقي ٥١٩-٥٤٣
اكليمنضوس الاسكندري : احكامه في اهل الاسكندرية ٢٨
الاكمام : ازياؤها ٤٦٥-٤٧٦
الامالي ومجالس الاملاء ٢١١
امرأة قوطيفار ويوسف الخيف ١٧١-١٨٩
أمية بن ابي الصلت الاندلسي ٢٥٥
الانسان الاول : لمحة في حياته في العصر الطرّاني القديم ٢١٨-٢٤٨
الانسي (عمر) ١١١
انطلياس : حفريات كسار عتيل والانسان الاول ٢١٨-٢٤٨
انطون (فرح) ٦١

اهية ومُهمّ وصنيع ٤٨٤

ب

البراق ٢٩٦
البستاني (سعيد) ٨٨
البستاني (سليم) ٨٠
البستاني (فؤاد افرام) ٨٤
بعلبك : خصائصها في الصناعة والزراعة قديمًا ١٥٧-١٦١
بيت شباب : صناعة الخزف فيها ٢٠١-٢١٧

ت

تاريخ اسبانية في عهدها الاسلامي ٤٢٦-٤٣٦
تحفة القادم لابن الابّار (مقتضب) ٢٥١-٤٠٠
٥٤٣-٥٨٥
تذكرة ابن الندم ٤٨٨-٥٠٠
التعليم الحرّ : مؤتمره الثقافي الثاني ٦٢١
تقيّ الدين (خليل) ٩٢
التوزيع (فن) او الاكروستيش ٥١٩-٥٤٢
- عند البرانيين ٥٢١ - عند السريان ٥٢٢ عند اللاتين ٥٢٦-عند اليونان ٥٢٨
- عند العرب ٥٢٥

ث

ثياب الشرب ١٢٧-١٤١
ثياب الوشي ١٠٦-١١٥

ج

جبران (جبران خليل) ٨٩،١١٨
جزية رؤوس النصارى في الاسلام ١٤٥-١٥٦
الجليانى ٥٤٤
الجميل (قيصر) ١١٩
الجوالي او جزية رؤوس النصارى في الاسلام ١٤٥-١٥٦

ح

الحضارة : لغتها ٤٧٧-٤٨٧
حفريّات كسار عقيل فوق انطلياس ٢١٨-٢٤٨
حفصة الركونية ٥٨٥
حلب : وثائق تاريخية عنها في القرن الثامن عشر ٢٤٩-٢٧٠ - عدد سكانها في القرن الثامن عشر ٢٤٩ - النزاعات فيها ٢٥٦- التراجمة فيها ٢٦٧
الحمام : آدابه واحكامه ٤٢٢
حمامات دمشق ٤٠١-٤٢٥
الحماني النزّال ٥٧٩
حمدة بنت زياد المرفي ٥٨٢
الحويك (يوسف) ١١٩
حياة الانسان الاول في العصر الطرائي ٢١٨-٢٤٨

خ

خزروس العربي ٢٧٤
الخزف في بيت شباب ٢٠١-٢١٧
خصائص بعلبك قديمًا في الصناعة والزراعة ١٥٧-١٦١
الخط : حسنه وضبطه ٢١٨

د

الدنا الكتّاني ٥٨١
دفائن الخزائن ٤٨٨-٥٠٠
دمشق : حمّاماتها ٤٠١-٤٢٥
الدويهي (صليبا) ١٢٠
ديوان ابن الساعاتي ٢٧١-٢٩٩

ذ

ذكريات ٥٨

ر

رابطة التعليم الحرّ : مؤتمرها الثقافي الثاني ٦٢١
الربضي ٥٦٢
رضيّ بن رضي ٢٩٥

ز

الزراعة : استعمال السرقين والسماد فيها قديمًا ١٦٢-١٧٠
الزُهري (ابو بكر) ٥٧٢
الزهري (ابو المطرّف) ٥٨٠

زيدان (جرجي) ٨٢

س

سرور (حبيب) ١١٨
سرقات المطعمين ٤٢٧-٤٤١
السرقين والسماد في الزراعة قديماً ١٦٣-١٧٠
سورية : الكونت دي ثولي فيها وفي لبنان ٥٠١-٥١٨

ش

الشرب : ثياب ١٢٧-١٤١
شرّ السرقات الادبية سرقات المطعمين ٤٢٧-٤٤١

ص

صفوان بن ادريس ٢٩٧
الصليبي (خليل) ١١٨
صناعة الخزف في بيت شباب ٢٠١-٢١٧
صنيع واهية وهمّ ٤٨٤

ط

الطبخ : فنّه واصلاح الاطعمة في الاسلام ١-٢٦ – المصنّفات القديمة فيه ١٦-١٨
الطبخ واصلاح الاغذية والمأكولات (كتاب) ١٩٠٣-٢٦

ظ

الظرّان القديم : حياة الانسان الاول في عصره ٢١٨-٢٤٨
ظرفيات ٦٣

ع

عبد البرّ الغسّاني ٥٥٧
العبدريّ (ابو الاصبغ) ٢٨٧
العبدري (ابو الربيع) ٥٦٥
عبد المنعم الخزراجي ٢٩٦
عبيد الله السكوني ٥٥٨
عدة الملات في تعداد الحمامات ٤٠٩
عوّاد (توفيق يوسف) ٩٧

غ

غالب بن اسماعيل الانصاري ٥٦٧
الغزّال الحامي ٥٧٩

ف

فاضل (مكاروف) ١١٩
الفتح الرباني والفيض الرحماني ٥٨٦ – ٦١١
الفتوّة والفتيان والفتيانية ٤٧٧
فرّوخ (مصطفى) ١٢٠
الفرنسوي (المهد) في اثينة : بوبيله المثوي ٦١٢
فن الطبخ واصلاح الاطعمة في الاسلام ١-٢٦
الفن القصصي اللبناني في القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين ٧٤-١٠٥
الفنون الجميلة : معرضها في المتحف الوطني ١١٦-١٢٦
فوطيفار : امرأته ويوسف العفيف ١٧١-١٨٩
ثوانى (الكونت دي) : في لبنان وسورية ٥٠١-٥١٨
في لبنان وسورية مع الكونت دي ثوانى ٥٠١-٥١٨

ق

القرآن : ترجمته ٦٨
القرم (داود) ١١٨
القصص اللبناني في القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين ٧٤-١٠٥

ك

كادعيل : حفرياتها والانسان الاول فيها ٢١٨-٢٤٨ – حالتها ما قبل التاريخ ٢٢٢ – العظام الاثرية فيها ٢٢٩ – البقايا البشرية فيها ٢٤٢ – جيولوجيتها ٢٤٢ – ترتيب ازمنتها التاريخية ٢٤٥
كومون (فرانس) : وصيته الروحية ٦١٧

ل

لبنان : فنّ القصص فيه في القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين ٧٤-١٠٥ – الفنون الجميلة فيه ١١٦-١٢٦ – المدرسة فيه في

القرن التاسع عشر ١٩٠-٢٠٠ - حياة الانسان الاول فيه ٢١٨-٢٤٨-الكونت دي قولني فيه وفي سوريا ٥٠١-٥١٨
لمحة في حياة الانسان الاول في العصر الطرّاني القديم ٢١٨-٢٤٨

م

المأكولات والاغذية ١٩٣-٢٦
مجالس الاملاء والامالي ٢١١
محارب بن محارب الوادي آشي ٢٧٠
محاضرات ٥٤
المدرسة اللبنانية في القرن التاسع عشر ١٩٠- ٢٠
مطرّف بن مطرّف ٥٤٨
مظاهر النشاط الادبي ٥٢-٧٣
مع الكونت دي قولني في لبنان وسورية ٥٠١-٥١٨
معرض الفنون الجميلة في المتحف اللبناني ١١٦-١٢٦
المعرّي (ابو العلاء) ٥٣
المعلمون : مرقاتهم ٤٣٧-٤٤١
معهد الآداب الشرقية ١٤٣-١٤٤
المعهد الفرنسوي في اثينه : يوبيله المئوي ٦١٣
مقتضب تحفة القادم لابن الآثار ٢٥١ - ٤٠٠-٥٤٣-٥٨٥
مكي (احمد) ١٠١
الملابس العربية : ازياء الاكمام فيها ٤٦٥-٤٧٦
منشورات تعليمية ٥٧
المؤتمر الثقافي الثاني لرابطة التعليم الحرّ ٦٢١
المؤتمر الثقافي العربي الاول ٦٢٤
مؤتمران ثقافيان ٦٢٠
الميرتلي ٥٤٥
ميمون الهواري ٣٧١

ن

النابلسي (عبد الغني) : مخطوطه الفتح الرباني والفيض الرحماني ٥٨٦-٦١١
النجاري ٥٥٠
نزهون بنت الفليعي ٥٨٣
النسخ : اجرته قديماً ٣١٦
النشاط الادبي : مظاهره ٥٢-٧٣
النصارى : جزية رؤوسهم في الاسلام ١٤٥-١٥٦

هـ

هند خادم ابي محمد الشاطبي ٥٨٤

و

وثائق تاريخية عن حلب في القرن الثامن عشر ٢٤٩-٢٧٠
الوراقة والوراقون في الاسلام ٢٠٥- ٢٥
وراقة المصاحف ٢٢٠
الورّاقون : سوقهم ٢٤٩
الورّاقون : مذاهبهم ٢٤٦
الورّاقون الاعراب والظرفاء ٢٣٩
الورّاقون الدلالون وجماعو الطرائف ٢٤٠
الورّاقون الرواة والاخباريون ٢٣١
الورّاقون الشعراء ٢٣١
الورّاقون العلماء والنحاة والادباء ٢٣٢
الورّاقون القضاة ٢٣٠
الورّاقون الكتبيون ٢٣٩
الورّاقون المحدّثون ٢٣١
ورّاقو الوزراء والعلماء ٢٤١
الوراقون مؤلفو الاسفار والمؤلفات ٢٤٢
الوشي : ثياب ١٠٦-١١٥
وصية فرانس كومون الروحية ٦١٧

ي

اليازجي (الشيخ ابراهيم) ٥٨
اليوبيل المئوي للمعهد الفرنساوي في اثينة ٦١٣
يوحنا الدمشقي : صحة نسبة كتاب الاكطوبخوس اليه ٥١٩-٥٤٣
يوسف العفيف وأمرأة فوطيفار ١٧١-١٨٩
يوسف بن طملوس ٥٦٥
يوسف بن عبد الهادي : مخطوطته : عدة الملمات في تعداد الحمامات ٤٠٩ - مخطوطته : آداب الحمام وأحكامه ٤٢٢

AL-MACHRIQ

REVUE CATHOLIQUE ORIENTALE MENSUELLE

SCIENCES. LETTRES. ARTS

Sous la direction

des Pères de la Compagnie de Jésus

UNIVERSITÉ SAINT-JOSEPH

O

Quarante et unième année

1947

BEYROUTH

IMPRIMERIE CATHOLIQUE

1947

TABLE DES SOMMAIRES

XLIe ANNÉE, 1947

◇

JANVIER-MARS

L'art culinaire en Islam, (p. 1), *M. Habib Zayat.*

Alexandrie vers la fin du IIe siècle, (p. 27), *P. Claude Mondésert*, S. J.

Manifestations de l'activité littéraire arabe : Aperçu critique, (p. 52), *M. Fouad E. Boustany.*

L'art du Conte au Liban, (p. 74), *M. Victor Cl. Karam.*

Les habits de brocart chez les Arabes, (p. 105), *M. Habib Zayat.*

L'Exposition des Artistes Libanais au Musée de Beyrouth. (illustr.), (p. 115), *M. Ruschdi Maalouf.*

Les habits de lin fin chez les Arabes, (p. 137), *M. Habib Zayat.*

Institut de Lettres Orientales : année scolaire 1946-1947, (p. 142).

AVRIL-JUIN

Les colonies étrangères ou la Capitation des Chrétiens en Islam, (p. 145). Baalbek et ses caractéristiques autrefois, (p. 157). L'engrais humain et son emploi autrefois, (p. 162). *M. Habib Zayat.*

Joseph et la femme de Putiphar ; poèmes de Romanos le Mélode, (p. 171), *P. Nicolas Kadri, O. B.*

L'Ecole libanaise à l'ombre des chênes et des couvents au XIXe siècle, (p. 190), *Mr Lahad Khater.*

Fabrication de la Poterie à Beit-Chebab, (illustr.) (p. 201), *P. Maurice de Fenoyl, S. J.*

La vie de l'homme préhistorique à la lumière des fouilles de Ksar 'Aqil près d'Antélias, (illustr.) (p. 218), *P. G. Franklin Ewing, S. J.*

Contribution à l'histoire d'Alep : le cens, les impôts, les drogmans, (p. 243), *P. Ferdinand Taoutel, S. J.*

Bibliographie (p. 271).

JUILLET-SEPTEMBRE

Librairie & Libraires en Islam, (p. 305), *M. Habib Zayat.*

Tuḥfat al-Qadim, manuscrit littéraire d'Ibn Abbar : I. (p. 351), *M. Alfred Boustany.*

Les Bains de Damas, (illustr.) (p. 401), *M. Salah-ed-Din el-Monajjed.*

L'Histoire de l'Espagne Musulmane, (p. 426), *P. E. Lator, S. J.*

VARIA : Larcins littéraires, (p. 437).

Bibliographie. (p. 442).

OCTOBRE - DÉCEMBRE

Les manches dans les vieux habits arabes (p. 465). Notes linguistiques (p. 477). Un manuscrit d'Ibn al-'Adim. (p. 488). *Mr Habib Zayat.*

Avec le comte de Volney au Liban et en Syrie, (p. 501), *Mr Joseph Ghossoub.*

L'acrostiche et l'authenticité d'un ouvrage de St Jean Damascène (p. 519), *P. N. Kadri, O. B.*

Tuḥfat al-Qadim, manuscrit littéraire d'Ibn Abbar : II (fin), (p. 543), *M. Alfred Boustany.*

Al-Fatḥ ar-Rabbani, manuscrit soufi du Cheikh 'Abd el-Ghani Nabulsi, (p. 586), *P. Antoine Chibli.*

VARIA : Le centenaire de l'Ecole française d'Athènes, (p. 612) *P. C. M.*
Le testament spirituel de Franz Cumont (p. 617), *P. R. M.*
Deux Congrès Culturels (p. 620).

Tables du Machriq pour 1947.

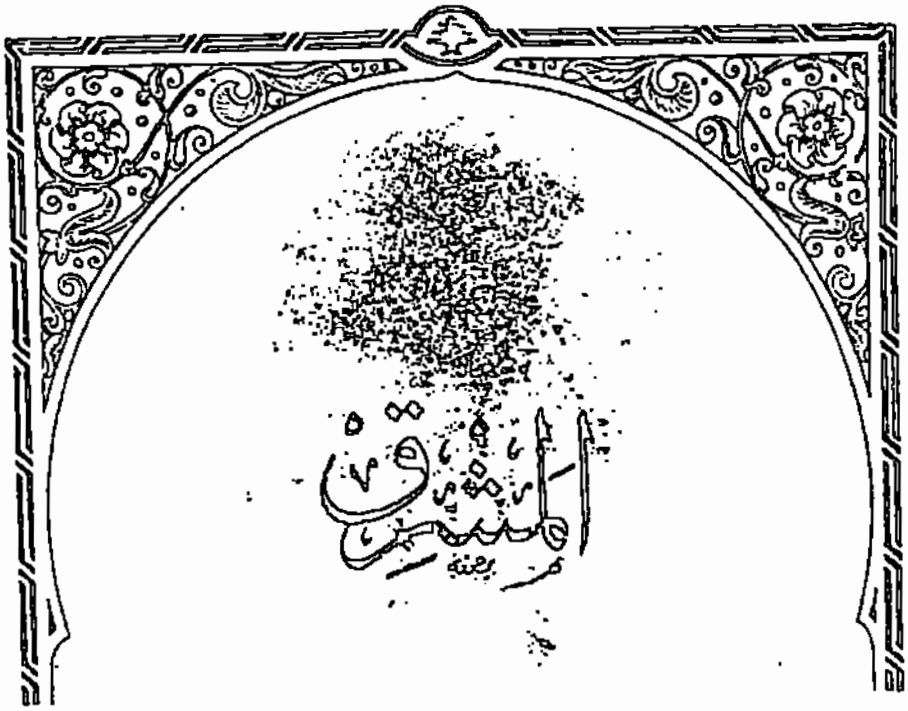

السنة الثانية والاربعون — كانون الثاني – اذار ١٩٤٨

من الخزانة الشرقية

بقلم حبيب زيات

الاسماء والكنى والالقاب النصرانية

في الاسلام

اكثر المؤرخون ، منذ القرن الخامس للهجرة ، من ذكر الشروط التي زعموا انها وُضعت على النصارى في ايام الخليفة عمر بن الخطاب ودعيت لذلك بالعمرية ، واحتجَّ بها ابن تيمية في رسالة له في « مسئلة الكنائس » وقال ان النصارى « كان قد اشترط عليهم ان لا يتسموا باسماء المسلمين ولا يتكنوا بكناهم ولا يتلقبوا بالقابهم »[1] . ومن نظر في هذه الشروط التي تناقلها الكتّاب والأخباريون دون تثبت ولا انتقاد ولم يتفقوا فيها على نصّ واحد ، وعارض ما جاء فيها من الإشارات الى بعض العادات واحوال

١) مسئلة الكنائس في مجموع رقم ٢٩٦٢ ، في خزانة باريس ، ص ٤٧

المعيشة في اوائل الفتح الاسلامي حين كان العرب احدث عهدًا بالبداوة واحرص على التوثق من احتلال البلاد وقلة الاساءة الى اهلها ، يتضح له باجلى بيان انها محدثة موضوعة بعد الصدر الاول ، ولا يمكن ان تعزى الى ثاني الخلفاء الراشدين بل يترجح كثيرًا ان يكون جانب منها نُسب لاول مرة الى الخليفة عمر بن عبد العزيز الاموي ، لانه فيما يظهر اول من تشدّد على النصارى ومنع ان يُستعان بهم في الكتابة والتدبير وجباية الاموال ، واشترط عليهم هيئات خاصة في المشي والركوب واللبس[1] ؛ فعرفت هذه الاوامر بالعمرية اسنادًا اليه. ثم جاء المتوكل على الله ، الخليفة العباسي ، فاسرف في إهانات النصارى وإذلالهم ، وابتدع اشياء لم تكن من قبله ، وسار على اثره الخلفاء والملوك والسلاطين والامراء ، ولا سيما في الدولة المصرية ، وبلغوا الغاية في العسف والتضييق . فاراد الفقهاء والرواة ان يجعلوا لمجموع هذه المظالم اصلًا راسخًا في الشرع ، ويصححوا نسبتها الى السنة فاستعاروا لها سلطة الامام عمر بن الخطاب وأوهموا انه هو اول من سنّها ووضع قواعدها.

وليس هنا محلّ الإفاضة في الاحتجاج لهذا الرأي ، فنقتصر في هذه المقالة على نقد ما يتناول موضوعها من تحريم تلقب النصارى بالقاب المسلمين. وقد فات ابن تيمية ونظراءه ان التلقب ، كما كان في زمانه في القرن الثامن للهجرة ، لم يكن معروفًا في عهد ابن الخطاب وصدر الاسلام ، ولا في زمان الخلفاء الامويين ، ولذلك لم يتلقب احد منهم قال الخوارزمي ، صاحب مفاتيح العلوم ، في كلامه على الخلفاء الامويين : « ولا نعوت لهم ولا القاب » (ص١٠٥) واول ما نشأ التلقب في الدولة العباسية مع السفاح والمنصور والمهدي والهادي والرشيد واصبح سُنّة للخلفاء والملوك وسائر رجال الدولة وعمّ المسلمين والنصارى واليهود الى اخر دولة المماليك . وانما كان في الجاهلية وايام الهجرة اكثر ما يُعد من النبز اي من التعيير والتسخيف . ولذلك جاء في القرآن « لا تنابزوا بالالقاب » . وغاية ما سُمع منه في التعظيم الفاظ قليلة كالفاروق وسيف الله وذي النورين

١) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم ، المطبعة الرحمانية ، مصر ، سنة ١٩٣٧ ، ص ١٦٥-١٦٦

تجد النصارى يتركوا لتتم الحلوة ويفتخروا بلغة العربية وباسامهم اقول لكم يا اولادي بالحقيقة ان الذين يتركون اسماء القديسين ويسمّون اولادهم بالاسماء الغريبة الذي يفعل هذا يكون بعيد من بركة القديسين»(١).

ولم ينفرد الاقباط وحدهم بمحبة الاسماء الاسلامية العربية بل كان لاهل الاندلس من نصاراها المعروفين بالمستعربين (Mozarabes) رغبة اشدّ في الاشتهار بها ايضاً، وربما اتخذ احدهم اسمين لاتيني وعربي وقد نشر احد علماء اسبانية اخيراً تاريخاً لهم في اربعة مجلدات[٢] تتضمن بعض هذه الاسماء المزدوجة مثل:

ابن العزيز الحمامي = Clemens filius Yohannus

خالد بن سليمان = Domingo ben Suleiman

صالح بن عمر = Juan ben Omar

ومن الغريب ان الاساقفة انفسهم كانوا على مثل هذا الزيّ. واشتهر منهم أسقف قرطبة Recemundo باسم ربيع بن زيد[٣]. وحكى المقري بتاريخ سنة ٣٥١/٩٦٢ ان المستنصر بالله (الخليفة الاموي) تقدم باستدعاء اردون (ابن القُنْس) وقد حفّته جماعة من نصارى وجوه الذمّة يؤنسونه ويبصّرونه فيهم وليد بن خيرون قاضي النصارى بقرطبة وعُبيد الله بن قاسم مطران طُلَيطلة وغيرهما[٤]. وكان في زمان الحكم المستنصر بالله اسقف على قرطبة يسمى الإصبغ بن عبدالله بن نبيل واشتهر ايضاً سعيد المطران وهو جوان الاشبيلي (Juan Hispalence) الف تفسيراً بالعربية على التوراة وترجم الانجيل الى العربية.

واشدّ من ذلك غرابةً في نظرنا اليوم ورود اسم عثمان بين اساقفة اليعاقبة

---

١) مخطوط في خزانة باريس رقم ١٥٠، ص ٢٢ و ٢٣. وطبعت هذه العظة في *Revue de l'Orient Chrétien*, volume 20 (1915-1917 p. 379-381)

٢) Angel Palencia, *Los mozarabes de Toledo en los siglos XII y XIII*, Madrid 1926-1930.

٣) E. Levi-Provençal, *L'Espagne muslumane au Xme siècle*. Paris 1932, p. 36-37.

٤) نفح الطيب للمقري، المطبعة الازهرية ١ : ١٨٢

وممن عُرف به عثمان اسقف التغلبيين في الجزيرة[1]. وايسر منه خطباً اسم سعيد برصابوني (يوحنان) اسقف ملطية .

وكان الخلفاء والملوك حيناً بعد حين يرسمون على النصارى في الشرق ترك الاسماء الاسلامية قال العيني :

« سنة ٧٥٦ (١٣٥٣ م) رسم السلطان ان تُقرّ اهل الذمة على ما اقرّهم امير المؤمنين عمر بن الخطاب (رضه) من ترك تشبهم بالمسلمين . . . والتسمية باسماء المسلمين »[2].

وقد تقدم القول ان ليس لعمر بن الخطاب ناقة ولا جمل في تحظير الاسماء والالقاب ، وانه بريء من مثل هذه التهمة التي أُلصقت به تعمداً وتمويهاً.

الكنى

كان في الكنى الاسلامية المحضة مثل الشيوع والاشتراك الذي كان بين المسلمين والنصارى في الاسماء. وممن اشتهر بها من المسيحيين ابو علي الحسن بن علي بن اثردي النسطوري ، وابو علي بن المسيحي رئيس الطب في بغداد ، وابو علي الحسن بن ابرهيم الشيرازي خازن معز الدولة ، وابو علي بن جبير الكاتب ، وابو الحسن المختار بن الحسن بن بطلان الطبيب المشهور ، وابو الحسن علي بن ابرهيم بن بكوس الطبيب ، وابو الحسن سعيد بن سنجلا كاتب الخليفة الراضي بالله ، وابو الحسين سعيد بن البرقي الكاتب ، وابو الحسين بن ابرهيم التستري الكاتب ، وابو عثمان سعيد بن يعقوب الدمشقي الطبيب ، وابو الفضل بن داود الكاتب.

ومن ابين الدلائل على هوس النصارى بالتقليد ان رجال الدين انفسهم كانوا لا يرون بأساً في ايثار هذه الكنى الاسلامية كالارشيد ياكن ابي الحسن هبة الله بن اثردي النسطوري ، والشماس ابي الفتح بن زطينا النسطوري ، والشماس ابي شاكر بن الراهب ابي الكرم بطرس بن المهذب القبطي ، والارشيد ياكن

---

١) J. B. Chabot, *Les Evêques Jacobites du VIIIe au XIII siècle*, p. 7.

٢) تاريخ البدر في اوصاف اهل العصر ، خزانة بريتيش موزيوم Add.22360, f°59'°

ابي الخير بن هبة الله المؤمل الحظيري النسطوري ، والقس شمس الرئاسة ابي البركات بن كبر القبطي ، والقس ابي الفرج عبدالله بن الطيب النسطوري ، والشماس ابي الفتح عبدالله بن الفضل بن المطران الملكي ، والمفريان ابي الفرج ابن العبري اليعقوبي المؤرخ المعروف ، والمطران ابي الحسن اسقف بالس اليعقوبي ، والمطران ابي غالب اغناطيوس اسقف ميافارقين اليعقوبي ، والبطريرك ابي الحليم ايليا بن الحديثي النسطوري صاحب الخطب المسجعة ، « والحبر الفاضل البار مار ابو علي سهل مولى قيس » كما ورد في كتاب له على البردي من « الخاطئة مريم رئيسة دير هندو » في دير الآباء الدومنكيين بالقاهرة .

ومن امثال الكنى التي كانت طلقاً لاهل الكتاب وغيرهم : ابو العلاء ، وابو نصر ، وابو عمرو ، وابو مخلد ، وابو الفرج ، وابو الكرم ، وابو الحكم ، وابو النجم ، وابو الوحش ، وابو الخير ، وابو البركات ، وابو الفضائل ، وابو المكارم ، وابو الغنائم ، وابو اليمن ، وابو السرور ، وهلمّ جرّا . واذا لم يكن ثمّ اشارة الى نحلة اصحابها تعذّر على المؤرخ معرفة نسبتهم وإحلالهم محلهم من قومهم ، واذا اجتمع ايضاً الى هذه الكنى الاسلامية الاسماء كانت تقدم التمثل بها فهناك العقدة التي لا تحلّ ، والمجهلة التي يحار فيها الرائد ويضلّ . ولذلك تضيق الحيل بكل من عالج تدوين اخبار النصارى في الاسلام ، واراد التنويه باعيانهم ورجالاتهم لاشتباه الاعلام عليه واستغلاق التمييز بينها ، واضطراره الى تنحية كل من لا يكون على ثقة من نصرانيته ، فربّما فاته في الاحصاء اضعاف ما ثبت لديه من صريح الاسماء .

الالقاب

لم تدخل الالقاب مع الاسماء والكنى في حدّ الإعلام الا في الدولة العباسية وأوّل ما اتخذت بالاضافة الى « الدولة » في ايام الخليفة المكتفي بالله (٢٨٩ — ٢٩٥ = ٩٠٢ — ٩٠٨) قال ابن القلانسي :

« واذا كان الرسم جارياً في القدم باطّراح الالقاب والانكار لها بين ذوي العلوم والآداب فلما ظهرت الدولة البويهية الديلمية لُقّب اول مسعود نبغ فيها بعماد الدولة بن

بويه . ثم اخوه وتلوه في الولادة والسعادة بركن الدولة ابي علي . ثم اخوهما عز الدولة ابي الحسن . . . ثم زاد الامر في ذلك الى ان أضيف الى القساب ولاة الاطراف « الدين » و « الاسلام » و « الامام » و « الملة » و « الامة » وغير ذلك بحيث اشترك في هذا الفن الخاص والعام » (١

واشار هلال الصابيء الى ما استقرّ في عهده (٣٥٩ — ٤٤٧ = ٩٦٩ — ١٠٥٥) من تغيّر الرسوم والاغراق في تعظيم النعوت والصفات فقال:

« اننا اليوم في اغراف قد زاد واسرف وتعاوى وما وقف حتى ان الملوك ومن بعدهم من الوزراء قد انفوا من ذكرهم « بسيدنا » واستعملوا خطاجم « بمولانا » فعدل الناس باولئك الى «الحضرة الشريفة» و «الحضرة العالية» و « الحضرة السامية » وبالوزراء الى مثل ذلك . ثم كنوا عن الخلفاء «بالموقف الاشرف المقدس » وذكروه «بالمقام الاطهر النبوي» ونقلوا الملك الى « الاشرف » و « الاعظم » وقالوا في الدعاء « نوّره الله » و « نضّره الله » الى ما بعد ذلك من المغالاة والمبالغة وانتهت هذه الحال الى ان شاركهم فيها الاكابر من اصحاب الاطراف ووقفوا بالوزراء على « الحضرة السامية » ثم الحقوا بها « المظفّرة » و « المنصورة » مع النسبة الى الالقاب « كالوزيرية » و « العميدية » و « الكمالية » وما جرى هذا المجرى وداخلهم في ذلك من يتلوهم من خلفائهم واصحاب الجيوش وامراء العرب والاكراد واتسع هذا الباب فدخل فيه كل من اراد من غير احتشام ولا ارتقاب » (٢

وبعد ان افاض في استهجان هذه المستحدثات من النعوت الفخمة والصفات الضخمة التي دعاها « نقاقيع » قال:

« فاما الالقاب فقد خرجت عما يحاط به ويوصف او يأتي عليه حصر وصار لقب الاصغر اعظم من لقب الاكبر . . . حتى لقد بلغني عن مولانا الخليفة القائم بامر الله اطال الله بقاءه انه قال : لم نبقَ رتبة لمستحق » (٣

وولع الناس باللقب المضاف الى « الدولة » حتى خرج من الجدّ الى الهزل واتسم به بعض الظرفاء من الطنبوريين نظير احمد بن محمد بن علويه من اهل سجستان في ايام المقتدر وادرك دولة بني بويه ولذلك سمّى نفسه بجراب الدولة لانهم كانوا يفتخرون بالتسمية في الدولة(٤).

---

١) ذيل تاريخ دمشق ، ٢٨٢

٢) تاريخ الوزراء ، ١٤٨

٣) تاريخ الوزراء ، ١٤٩ — ١٥١

٤) ارشاد الاريب لياقوت ٢ : ٦٢ — ٦٣

ويؤخذ من ابيات لابي بكر الخوارزمي ان اهم اسباب ابتداع هذا التلقيب كان طمع الخليفة بالارتزاق التوسع في الانفاق ، ففتقت له الحيلة هذه الوسيلة واصبحت من بعده سنة للخلفاء والملوك والسلاطين وذريعة لهم لابتزاز الاموال وتأليف القلوب . قال ابو بكر :

ما لي رأيت بني العباس قد فتحوا من الكُنى ومن الاسماء ابوابا
ولقبوا رجلًا لو عاش أوّلهم ما كان يحطه للحشّ بوّابا
فلّ الدراهم في كفّي خليفتنا(١ هذا ، فانفق في الاقوام القابا(٢

وعنه اخذ ابو القاسم شمس الائمة البيهقي قوله في مثل لفظه ومعناه :

كتّاب حضرتنا دامت سلامتهم جيّشون من الالقاب اسبابا
وينصبون من الاطماع ألويةً ويفتحون من الالقاب ابوابا
ويبخلون بما جاد الكرام به وينفقون على الاقوام القابا(٣

ثم عمّ التلقيب بالاضافة الى « الدين » في خلافة القادر بالله (٣٨٥ — ٤٢٢ = ٩٩٢ — ١٠٣١) « وتزايد وافرط حتى دخل فيه الكتّاب والجند والاعراب والاكراد وسائر من طلب واراد »(٤ .

قال ابن تغري بردي وكان يلقب بجمال الدين :

« ومن يومئذ ظهرت الالقاب وتغالت فيها الاعاجم حتى انهم لم يدعوا شيئًا الا واضافوا الدين له حتى اشتهر وشاع وتسمّى به كل احد حتى الاسافلة فانهم من يسمّى جلال الدين وسعد الدين وجمال الدين فلا حول ولا قوة الا بالله وحتى المغاربة في حنقهم ممن يلقب بهذه الالقاب وانا بالله احلف لو ملكت امري ما لُقّبت بجمال الدين ولا غيره واكره من يسمّيني بذلك ولا اقدر على تغيير اصطلاح وهذا لا يكون الا من والي امر او حاكم بلدة » (٥

ومن هؤلاء المغاربة الحنقين من الالقاب المضافة الى الدين ابن جُبير الرحّالة المشهور ، قال في كلامه على اهل دمشق واجتماعهم بالجامع الاموي للعزاء :

---

١) ورد هذا البيت في « ارشاد الاريب » (٢ : ٢٦٢) وقد تصحّف فيه لفظ « كفّي » بلفظ « كيسي » .

٢) سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي لمحمد بن احمد المنشي النسوي ، ١٠٠

٣) ارشاد الاريب ٢ : ٢٦١ — ٢٦٢

٤) صبح الاعشى للقلقشندي ٥ : ٤٤٢

٥) النجوم الزاهرة ، طبعة ليدن ، ٢ : ١٤٥

« ربما اجتمعوا للعزاء بالبلاط الغربي من الصحن بازاء باب البريد . . . ويرفعون اصواتهم بالنداء لكل واصل للعزاء من محتشمي البلدة ويحلّونهم(١ بخطبهم الحافلة التي قد وضعوها لكل واحد منهم بالاضافة الى الدين فتسمع ما شئت من صدر الدين او شمسه او بدره او نجمه او زينه او جاه او جماله او مجده او فخره او شرفه او معينه او محييه او زكيه او نجيبه الى ما لا غاية له من هذه الالفاظ الموضوعة . . . »(٢

واذا حقّ لابن تغري بردي ان يحنق من تلقب الاسالمة بالمضاف الى الدين فما عساه كان يقول لو تذكر ان طائفة من اعيان النصارى كانوا يتلقبون ايضاً نظيره بالاضافة الى الدين . ولا بأس ان نذكر بعضاً منهم تنويراً للاذهان ، فمنهم جمال الدين علي بن اثردي النسطوري ، وتاج الدين ماري بن صاعد ترما وكيل مجاهد الدين ايبك المستنصري المعروف بالدويدار الصغير ، والشيخ موفق الدين يعقوب بن اسحق بن القفّ الطبيب الملكي من نصارى الكرك ، ونظيره الاطباء الملكيون علم الدين ابو النصر جرجس بن ابي حُلَيقة ، وموفق الدين يعقوب بن سقلاب ، وولده سديد الدين ابو منصور ، ومهذب الدين ابو سعيد بن داود بن ابي سهلى ، ورشيد الدين ابو الوحش بن ابي حُلَيقة وغيرهم ممن لا حاجة الى استيفائهم .

قال القلقشندي في الكلام على القاب ارباب الاقلام :

« وللقبط القاب تخصهم ايضاً فيقولون في عبد الله « شمس الدين » وفي عبد الرزاق « تاج الدين » وربما قالوا « سعد الدين » وفي ابرهيم « علم الدين » وفي وهبه « تقي الدين » ونحو ذلك . »(٣

واكثر ما كانت القاب النصارى تُضاف الى « الدولة » ولا سيما بين كتاب الدواوين والصيارف ومن في معناهم(٤) . فمنهم فخر الدولة ابو المفضّل اسعد بن العسّال ، وصفيّ الدولة ابو الفضائل ماجد بن العسال ، وموفق الدولة ابو اسحق ابن ابي المفضّل بن العسال ، وتاج الدولة سيف الاسلام بهرام الارمني وزير الخليفة الحافظ لدين الله ، وشمس الدولة بن مخلد كاتب السلّة ببغداد ، وامين الدولة موفق الملك ابو الحسن هبة الله بن التلميذ الطبيب النسطوري ، وولده

١) في الاصل المطبوع « ويحلّونهم » بالحاء والتشديد وهو تصحيف .
٢) رحلة ابن جبير ، ص ٢٩٥
٣) صبح الاعشى ٥ : ٤٢٠
٤) « « ٥ : ٤٤٣

رضي الدولة ابو نصر ، ونفيس الدولة الدمشقي المعروف بابن طُليب الطبيب الملكي، والشماس الشيخ الصفي (اي صفي الدولة) اندراوس بن الشيخ الارثن سعيد الدولة من مدينة قوص ، وخاصة الدولة ابو الفضائل دخان صاحب الديوان بمصر ، وشمس الدولة ابو الخير سهل بن توما الطبيب.

« ومنهم من يحذف المضاف اليه في الجملة ويعرّف اللقب بالالف واللام فيقولون « الشيخ الشمسي » و « الشيخ الصفي » و « الشيخ الموفق » وما اشبه ذلك فاذا اسلم احدهم أسقطت الالف واللام من اول لقبه ذلك وأُضيف الى « الدين » فيقال في الشيخ الشمسي شمس الدين وفي الصفي صفي الدين وفي وليّ الدولة ولي الدين وما اشبه ذلك وربما كان لقب الذمي ليس له موافقة في شيء مما يضاف الى الدين من القاب المسلمين فيُراعى فيه اذا اسلم اقرب الالقاب اليه مثل ان يقال في الشيخ السعيد اذا اسلم سعد الدين ونحو ذلك »(١

ومن القاب النصارى ايضاً ما أُسند الى « الملك » واشتهر به معتمد الملك ابو الفرج يحيى بن التلميذ طبيب الدولة العباسية ، والشيخ مصطفى الملك يعقوب ابن جرجس الطبيب ، وامين الدولة موفق الملك المفضّل بن ابي غالب بن الماوردي الطبيب ، وصنيعة الملك سعيد بن ابي اليُمن النخّال ، وتاج الملك اسحق بن كاتب قيصر .

ومن هـذا القبيل ما أُضيف ايضاً الى « الخلافة » ، و « الامام » ، و « الرئاسة » ، و « الرؤساء » ، و « الكفاة » ، وعُرف بها صنيعة الخلافة ابو الكرم الاخرم بن ابي زكريا ، والشيخ نشء الامام بن معزّ الكفاة المذكور في نسخة من المزامير رقم ٢٠٤ في خزانة القبر المقدس، والقس شمس الرئاسة ابن كبر ، وتاج الرئاسة ابن الغنّام والد الوزير الصاحب امين الدين الاسلمي ، وعَلَم الرئاسة ابن كاتب قيصر ، وجمال الرؤساء ابو الفتح هبة الله ابن المفضل بن صاعد بن التلميذ الكاتب ، وتاج الرؤساء ابو غالب الاصباغي وسواهم من اعيان النصرانية حتى سقوط دولة المماليك.

وكان كتاب الدواوين في اواخر الخلافة الفاطمية الى انشاء الدولة الايوبية ، قبل اتخاذ الالقاب المضافة الى « الدولة » و « الدين » ، يتلقبون بصفات ونعوت شتى نظير « الرشيد » و « السعيد » و « المكين » و « الخطير » و « الفاضل »

١) صبح الاعشى ٥ : ٤٤٠ — ٤٤١

و « العماد » وما اشبه من ادوات التفخيم . وفي دولة المماليك اختُصَّ النصارى واليهود بصيغة « افعل » مفردة او مقرونة بلفظ الشيخ ، وممن عُرف بها الشيخ الامجد رفايل كاتب الجيزة ، والاسعد ابن كاتب الجيوش بالديار المصرية .

ولما جاءت دولة الاتراك العثمانيين سقطت كل هذه الالقاب العربية . واختُصَّت النصارى واليهود باللقب الفارسي « خواجه » ، وكان قبلاً في الدولة المصرية اكثر ما يطلق على اكابر التجار الاعاجم . وقد رأينا ان نفرد له فصلاً برأسه نذكر فيه ما التقطناه من تاريخه واخباره .

لقب الخواجه

يصعب جدًا ضبط الوقت الذي دخل فيه هذا اللقب في الاصطلاح . وغاية ما وقفنا عليه انه سُمع لاول مرة في بغداد بين اسمآء المماليك في الدولة الديلمية[1] . ويؤخذ من رواية المسعودي ان اهل خراسان كانوا اذا ارادوا تعظيم الشيخ فيهم سمّوه خواجه[2] . ويظهر انه لاول كتابته كان غالباً يُرسم بالالف بآخره حسب لفظه ، وعلى هذا الرسم جرى كثير من الكتاب من المتقدمين والمتأخرين . وممن كتبه بالمآ. هلال الصابئ في تاريخه[3] ، والمسعودي في مروج الذهب[4] ، وابن الاثير مرة بعد اخرى في الكامل[5] ، وابن بطوطة في رحلته[6] ، والظاهري في زبدة كشف الممالك[7] ، وصاحب الشقائق النعمانية في علمآ. الدولة العثمانية[8] ، وغيرهم ممن لا نطيل بذكرهم . ولعلّ هذا الرسم هو الاولى لامكان اجرآ. اللفظ معه على القياس دون تصرف وتبديل واستعارة

---

١) ياقوت : ارشاد الاريب ٧ : ٣٧

٢) مروج الذهب ، بهامش نفح الطيب ، ٣ : ٤٥٦

٣) الجزء الثامن ٢٥٣

٤) ٣ : ٤٥٦

٥) ٩ : ٢٥ و ١٠ : ٧٢

٦) طبعة مصر ١ : ١٢٧

٧) ص ١٠١

٨) بهامش الاول من وفيات الاعيان ، ص ١٩٧ و ٢٦٦ و ٢٢٤ الخ

لطريقة الاعاجم بخلاف المرسوم بالالف وقد نقلنا رسمه تارة بالالف وتارة بالهآء طبقاً للاصل الذي وجدناه.

ويستدلّ من بعض الشواهد ان النسبة اليه كانت اولاً بالهمز والياء. ومنها قول الصابئ « وجعلني من خواجانية الديلم »[1]. ثم تغلّبت عليها الاداة الفارسية فقالوا فيها الخواجكي والخواجكية كما نسبوا الى الشِحنة شحنكي وشحنكية، والى الخاصة خاصكي وخاصكية. واشتهر بدمشق بهذه النسبة نوع من الخوخ (الدراقن) كان يقال له الخواجكي[2]. وكان مثل هذا الاصطلاح الفارسي شائعاً ببغداد حتى سُمع في ما تنسبه العامة ايضاً. ومنه حكاية التنوخي « رأيت حذآء ماجناً بباب الطاق يُعرف بالمدلق ويُلقب بالقاضي يسمي النعال باسمآء من جنس الصفعة على سبيل الهزل فيقول لمن يخاطبه : « هذه صلعكية وهذه راسكية »[3] (نسبة الى الصلعة والراس). ومن هذا الباب قول عماد الدين الاصفهاني في اخبار سنة ١١١٨/٥١٢ « اجتمع عند السلطان (محمد ابن ملكشاه) الخواجكية والامرآء والاماثل والكبرآء »[4] وعلى ذلك استقرت قاعدة المصطلح الشريف في دواوين الانشآء، واطّردت هذه النسبة في كتابة التواقيع والمراسيم وسائر المخاطبات السلطانية لاكابر التجار في القطرين المصري والشامي، وبقيت منها بقية حتى اواخر القرن الثامن عشر بين القاب النصارى الملكيين في مصر ودمياط ومنها قول البطريرك كيرلس طاناس في منشور له بتاريخ ١٥ ايلول سنة ١٧٤٥ (ع.ش.) « اولادنا التجار الموقرين والخواجكية المحترمين ».

واصل الواو في الخواجه ان تُكتب ولا تُقرأ فتلفظ « خـاجه » بالف مُتَرَقّة بين الضمة والفتحة كالواو في خواش مدينة بسجستان. قال ياقوت : واهلها يقولون « خاش »[5]، ونظيرهما واو خوارزم في بيت الخطيب ابي المؤيد الموفق الخوارزمي :

---

١) الجزء الثامن، ٢٨٤

٢) نزهة الانام في محاسن الشام للبدري، ٢٠٦

٣) نشوار المحاضرة ١ : ٢٠٧

٤) تاريخ دولة آل سلجوق، اختصار البنداري، ٢٣١

٥) معجم البلدان، طبعة اروبة ٣ : ٤٨٦

تلفتُّ منها نحو خوارزم والهًا حزينًا ولكن ابن خوارزم من غدِ(١)

فان الوزن لا يستقيم الا باهمال الواو في التلفظ بخوارزم في الشطرين كما لا يخفى. ومثله قول اللحّام :

١. اهل خوارزم سلالة آدم ما هم ، وحق الله ، غير بهائم(٢)

ولذلك ضبط ياقوت لفظ « خوارزم » اوله بين الضمة والفتحة والالف مسترقة ليست بالف صحيحة قال: هكذا يتلفظون به.»(٣) ثم تنوسي كل ذلك وغلب التلفظ بالواو في خواجه كما في خوارزم طبقاً للرسم وعليه قول الصاحب ابن عباد حين بلغه موت ابي بكر الخوارزمي:

اقول لركب من خراسان رائح أمات خوارزميكم قبل لي نعم(٤)

قال القلقشندي : « الخواجا من القاب اكابر التجار الاعاجم من الفرس وغيرهم وهو لفظ فارسي ومعناه السيد والخواجكي بزيادة كاف نسبة اليه كأن الكاف في لغتهم تدخل مع ياء النسب(٥).» ومع صراحة هذه العجمة لم يعدم هذا اللفظ من تعمد اختلاق اصل له عربي « حُكي ان معزّ الدولة بن بويه قلد شرطة بغداد غلاماً تركياً اسمه خواجا فبلغ ذلك ابا عمر الزاهد وكان على كتابه « اليواقيت في اللغة » فقال للجماعة في مجلس الاملاء : اكتبوا « ياقوتة خواجا » الخواج في اللغة الجوع ثم فرّع على هذا باباً وأملاه عليهم »(٦) وهذه النكتة حرية بالتسجيل لدلالتها على اخلاق بعض اللغويين وعبثهم باللغة في خدمة اغراضهم.

وكان كتاب الدواوين قديماً يضيفون الى هذا اللقب في خطاب اكابر التجار نعوتاً طويلة الذيل لا بأس بتعدادها ، نظرًا لغرابتها وإغراقها ، ننقلها من نسخة مرسوم شريف بمسامحة كُتب بها عن نائب الشام في دولة السلطان

---

١) معجم البلدان ، طبعة اوربة ، ٢ : ٤٨٤

٢ و٣) « « « « ٢ : ٤٨٠

٤) ارشاد الاريب ٢ : ٣١٤

٥) صبح الاعشى ٦ : ١٣

٦) ارشاد الاريب ٧ : ٧٢ ، وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي ٢ : ٢٥٧ – ٢٥٨

الملك الناصر فرج للخواجا شمس الدين محمد بن المزلق كبير تجار دمشق وهذا نصّها :

« رُسم بالامر العالي . . . ان يُسامح الجناب العالي الصدري الكبيري المحترمي المؤتمني الاوحدي الاكملي الرئيسي العارفي المقرّبي الخواجكي الشمسي مجد الاسلام والمسلمين شرف الاكابر في العالمين اوحد الامناء المقرّبين صدر الرؤساء رأس الصدور عين الاعيان كبير الخواجكية سفير الدولة مؤتمن الملوك والسلاطين محمد بن المزلق عين الخواجكية بالمملكة الشامية المحروسة » (١

وفي كتاب إجابة السائل الى معرفة الرسائل باب وهو الخامس في « القاب الخواجكية تجار الخاص الشريف » قيل فيه :

« الذي يُكتب لكبارهم الآن مثل عثمان بن مسافر ونظام الدين الاسعردي :

« المجلس السامي الصدري الكبيري الكاملي الماجدي الاوحدي المقرّبي المُنتجبي الاميني الاثيري الخواجكي الفلاني مجد الاسلام زين الانام شرف الرؤساء اوحد الكبراء تاج الامناء فخر الاعيان مقرّب الحضرتين مؤتمن الممالك ثقة الدول صفوة الملوك والسلاطين فلان الفلاني تاجر الخاص الشريف ادام الله تعالى سعادته » .

واما من عداهم من التجار فمن كان معتبراً كُتب له :

« مجلس الصدر الاجل الكبير المحترم المقرب الاوحد فلان بن فلان » .

ومن دونه :

« الصدر الاجل الى آخره » (٢

اي باسقاط لفظ « المجلس » فقط . ويُراد بالصدر صدر المجلس الذي هو اعلى اماكنه وارفعها « والمجلس عندهم ادنى رتبة من « الجناب » . وكانوا يرون ان الالقاب المُلحق بها ياء النسب كالتي تقدمت في مكاتبة محمد بن المزلق هي اكثر مبالغة وارفع رتبة مما تجرد عنها « فالكبيري » و« المحترمي » عندهم مما ابلغ واعلى من « الكبير » « والمحترم » ، ولذلك كانوا يطلقون الاولَين على تجار الخاص اي تجار السلطنة ورؤساء التجار ويخاطبون بالاخيرَين من عداهم من عامة التجار .

ثم هدرت هذه الشقاشق مع الايام ، وتبدلت الالفاظ والرسوم ولم يسلم

---

١) صبح الاعشى ١٣ : ٤٠

٢) اجابة السائل ، باريس ٤٤٣٧ ، ص ١٢٢

من كل هذه التعظيمات والتفخيمات سوى ثلاثة القاب هي اصل مصطلح كتاب اليوم في خطاب التجار « جناب الاجل الخواجا فلان المحترم ».

ولما زالت دولة المماليك وانتقل السلطان الى الاتراك العثمانيين نشأت عندهم رتبة « الخواجكان » قال المرادي : « وهم باصطلاح الدولة اعيان الكتّاب ورؤساؤهم اي كتاب الدواوين ... وهذا الطريق في الدولة يحتوي على كُمّل وادباء وظرفاء وشعراء »[1]. وعدّ منهم ابا بكر بن مصطفى باشا الحنفي القسطنطيني وحسن افندي الدفتري وحسين بن فخر الدين بن معن.

وكان لقب الخواجكية قديماً يقوم مقام الوزارة، قال ابن الفوطي في كلامه على كمال الدين السهروردي : « فوّض اليه الديوان خواجكية عدة من الامراء وهذا المنصب كالوزارة. »[2]

وفي الدولة العثمانية اختصّ لقب الخواجه بالنصارى واليهود. وبقي كذلك الى اليوم الحاضر بعد ان كان في كل هذه العصور السابقة اكثر شيوعاً بين المسلمين واعلق برجالهم وكبرائهم. ولعلّ هذا الاختصاص حدث في القرن الثاني عشر للهجرة لانه في سنة ١٠٠١ (١٥٩٢/٣م) كان ابن الصنبري بدمشق معروفاً بلقب الخواجا محمد[3]. وفي سنة ١٠٤٥ في جمادى الآخرة (١٦٣٥م) ورد دمشق عبدالله بن عمر الشهير بخواجه زاده قاضي العسكر القسطنطيني المولد[4]. ولا يبعد ان يكون احد اسباب هذا الاختصاص غلبة النصارى واليهود بين كتاب الدواوين في مصر والشام، كما كان العهد بهم منذ نيف ونصف قرن، وانقطاع اكثرهم الى التجارة ولا سيما مع مشايعيهم في الدين في الامصار الاروبية. فانفردوا رويداً رويداً باللقب الخاص بالتجار في الدولة المصرية، كما سبق من لفظ القلقشندي، وبكتاب الديوان في الدولة العثمانية حسبما نصّ عليه المرادي فيما تقدم. ثم عمّ هذا اللقب سائرهم دون تمييز ولا استثناء.

على ان من تتبع هذا اللقب في كتب الاخبار والتراجم يتضح له انه لم

١) سلك الدرر ١ : ٥٢ و ٢ : ٢٢

٢) تلخيص مجمع الآداب، طبعة الهند، ص ١٣٠-١٣١.

٣) خلاصة الاثر للمحبي ٣ : ٦٤

٤) « « « ٣ : ٢٠٠

يكن في عهد العباسيين مقتصراً به على اكابر التجار فقط، بل كان يتناول احياناً طائفة من العلماء والائمة والقضاة والفقهاء. واشهر من عُرف به من العلماء الخواجا نصير الدين الطوسي الفيلسوف صاحب الرصد والعلوم الرياضية المتوفى ببغداد سنة ٦٧٢[1] (١٢٧٢/) ؛ ومن القضاة الخواجا القاضي علاء الدين الصابوني ناظر الاسطبل في مصر سنة ٨٦٦ (١٤٦١/٢م) ؛ وخواجه زاده عبدالله بن عمر قاضي العسكر السابق الذكر ؛ ومن الفقهاء الخواجا محمد بن احمد بن حاجي الشهير بمولانا شمس الدين من اعيان الشافعية بالقدس المتوفى بمكة سنة ٨٣٥ (١٤٣١/٢م)[2]. بل لُقب به بعض الولاة والقوّاد والامراء والوزراء نظير خواجه ابي القاسم متولي ارزن[3]. وخواجه سرور قائد البحر في بلاد المعبر[4]. ومن الامراء « دمشق خواجه » احد الامراء الخاصكية[5]. ومن الوزراء نظام الملك الذي طبّق ذكره الشرق ، قال عبد السميع بن داود العباسي :

« شاهدت ملكشاه (السلطان) وقد اتاه رجلان من العراق السفلى من قرية الحدادية يعرفان بابني غزال فلقياه فقالا : ان مُقطعنا الامير خمارتكين قد صادرنا بالف وستمائة دينار وقد كسر ثنيتي احدنا – واراهما للسلطان – وقد قصدناك لتقتصّ لنا منه . . . قال : فرأيت السلطان وقد نزل عن دابته وقال : ليمسك كل واحد منكما بطرف كمّي واصحباني الى خواجه حسن يعني نظام الملك »[6].

ومن الوزراء ايضاً خواجا ابو القاسم وزير الامير نصر الدولة ابي نصر بن مروان امير فارقين[7] ، وناصر الدين خليفة ابن خواجا علي شاه وزير ابن ابي سعيد ٧٣٨ (١٣٣٧/٨م)[8].

وجاء في سيرة جلال الدين منكوبرتي انه كان من عادة ملوك خوارزم

---

١) الوافي بالوفيات للصفدي ، خزانة باريس ٥٨٦٠ ، ص ٥٧ – ٥٩
٢) الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل لمجير الدين الحنبلي ٢ : ٥١١
٣) الكامل لابن الاثير ٩ : ٣٥
٤) رحلة ابن بطوطة ، مطبعة وادي النيل ، ٢ : ١٤١
٥) « « « « « ١ : ١٢٧
٦) الكامل لابن الاثير ١٠ : ٧٣
٧) الاعلاق الخطيرة لابن شداد .
٨) السلوك للمقريزي ، باريس ١٧٢٦ ، ج ١ : ٤٦٤

والهند « ان يخاطبوا وزراءهم « بخواجه » وان يجلسوهم على ايمانهم عند الاذن العام »[1].

ويظهر ايضاً انه كان من الرسم للوزراء في دهلي بالهند ان يتخذ الواحد منهم عندما يلي الوزارة لقب « خواجه جهان ». قال ابن بطوطة : « اول ما بدأ به السلطان ناصر الدين (سلطان المعبر Malabar) ولّى الوزارة خواجه سرور قائد البحر وامر ان يُخاطب بخواجه جهان كما كان يخاطب الوزير بدهلي »[2].

وقد قلّبنا ما وسعنا تقليبه من السير والتراجم فلم نظفر بمن اتّسم بهذا اللقب بين الملوك والسلاطين الاعاجم ، خلا واحداً كان سلطاناً بالاسم فقط ، وهو محمود بن بهاء الدين الكيلاني المعروف بخواجا سلطان مات سنة ٨٥٥[3]/ ١٤٥١.

وممن تميّز بهذا اللقب قوم من كبار التجار واهل المبرّات والاحسان ، سجل لهم التاريخ اطيب الذكر في إشادة المدارس والزوايا والخوانق ، نظير الخواجا علاء الدين علي بن اسماعيل بن محمود السنجاري باني مدرسة القرآن السنجارية ازاء باب الناطفيين من الجامع الاموي بدمشق ، توفي بمصر فجأة في ١٣ جمادى الآخرة سنة ٧٣٥[4]/١٣٣٥. والخواجا عزّ الدين السلامي باني دار القرآن السلامية المتوفى سنة ٧٦٢[5] (١٣٦٠/١ م) والخواجا شمس الدين محمود بن ابرهيم الكججاني الذي بنى سنة ٧٦١ (١٣٥٩/٦٠ م) الخانقاه ظاهر دمشق بالشرف الاعلى[6]. والخواجا مجد الدين عبد الغني الاسعردي واقف المدرسة الاسعردية بالقدس سنة ٧٧٠[7]/١٣٦٨. والخواجا ابرهيم بن السعرتي باني المدرسة الاسعردية بدمشق[8]. والخواجا علاء الدين الطرابلسي صاحب المدرسة

١) سيرة جلال الدين منكوبرتي لمحمد بن احمد المنشي النسوي ، ١٠٣ – ١٠٤
٢) رحلة ابن بطوطة ٢ : ١٤١
٣) الضوء اللامع للسخاوي ، المزانة التيمورية ، ٦ : ٢١٩
٤) مختصر تنبيه الطالب لعبد الباسط العلموي ، باريس ٦٩٤٣ ، الورقة ٢
٥) ذيل ابن قاضي شهبة ؛ باريس ١٥٩٨ ، ص ١٦١
٦) « « « « « ١٦٠٠ ، ج ١ : ١٦٧
٧) الانس الجليل ٢ : ٣٩
٨) تنبيه الطالب وارشاد الدارس لمحي الدين التميمي ؛ ٥٩١٢ باريس ، ص ٤١

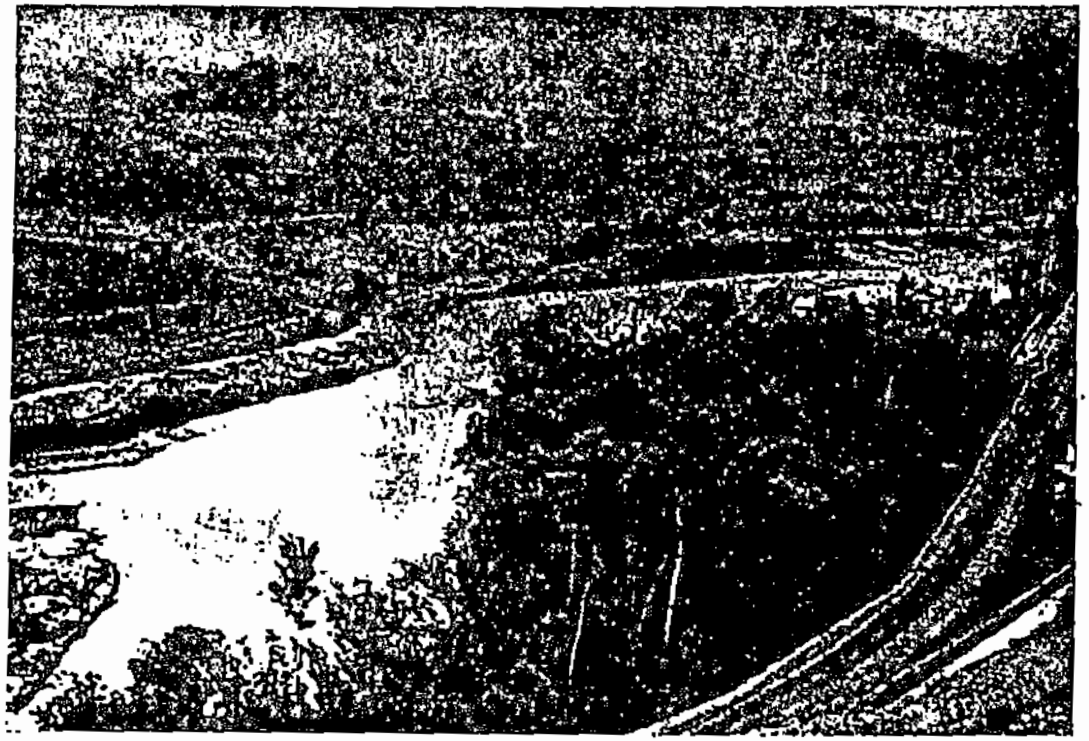

مقسم الانهار من بردى بالقرب من الربوة (تصوير شفيق الامام)

نهر بردى داخلا دمشق وتبدو التكية ووزارة المعارف

بسُويقة صاروجا بدمشق التي كملت سنة ٨١١[1]/١٤٠٨. والخواجا ابرهيم بن مبارك شاه منشئ المدرسة بالجسر الابيض بدمشق الذي مات مطعوناً سنة ٨٢١[2] (١٤٢٢/٣ م). والخواجا الرئيس الشهاب ابو العباس احمد بن المجلس الخواجكي زين الدين دلامة بن نصر الدين نصر الله البغدادي البصري صاحب مدرسة القرآن الدلامية بدمشق بالقرب من المارداتية بالصالحية اوقفها سنة ٨٤٧[3]/١٤٤٣، وبها تربته. والخواجا شهاب الدين احمد بن علم الدين سليمان بن محمد البكري الدمشقي المعروف بالصابوني باني مدرسة القرآن الصابونية بدمشق اتمها في شعبان سنة ٨٦٨[4]/١٤٦٤ ودفن بها. والخواجا عمر بن ابرهيم السفرجلاني واقف الزاوية التي بناها وحبسها على ارباب الطريق[5]. وهام جرّا.

ومن التجار الخواجكية الذائعي الصيت خواجا مجد الدين السلامي تاجر الخاص في ايام الملك الناصر محمد بن قلاوون[6]. ومحمد بن المزلق بدمشق وهو الذي كُتب له المرسوم السلطاني السابق الذكر بالمسامحة بالباقي عليه من الحقوق والضرائب الديوانية بعد ان أُمسك وحبس بالقلعة.

قال المقريزي: «في المحرم سنة ٨٤٣ (١٤٣٩ م) رُسم بسجن الخواجا شمس الدين محمد بن المزلق كبير تجار الشام في قلعة دمشق حتى يحمل ثلاثين الف دينار للخزانة السلطانية وعشرة آلاف دينار لديوان الخاص فقام ولده وصالح عن ذلك بخمسة الاف دينار للخزانة»[7]. وولده هذا هو، ولا شك، الخواجا حسن الذي خُلع عليه في صفر سنة ٨٥١/١٤٤٧ بنظر جيش دمشق[8] لان ولده الآخر الخواجا عمر كان قد توفي بالطاعون سنة ٨٤١/١٤٣٧ بدمشق قال السخاوي: «وكان خيّرًا سالكاً طريق ابيه في تعاني التجارة. بل رأيت

١) الاول من إنباء الغمر بابناء العمر لابن حجر العسقلاني؛ باريس ١٦٠١، ص ٢٥٢
٢) تشنيف المسامع بتهذيب الضوء اللامع للملاقي، الخزانة التيمورية، ص ٦٣
٣) مختصر تنبيه الطالب للعلموي؛ باريس ٤٩٦٣؛ الورقة ١
٤) » » » » » ٤٩٦٣، الورقة ٢
٥) سلك الدرر للمرادي ٣ : ٩
٦) الخطط للمقريزي ٣ : ٦٩
٧) السلوك للمقريزي، باريس ١٧٧٢، ج ٢ : ٤٧١
٨) التبر المسبوك للسخاوي ٢٧٤

وصفه « بالجناب العالي الخواجكي ملجأ الفقراء والمساكين »[1]. وفي ايامهم كان الخواجا شمس الدين محمد بن صدقة الدمشقي مات سنة ٨٥٣[2]/١٤٤٠ واشتهر بمصر الخواجا ابو بكر الزين السنوري القاهري المتوفى سنة ٨٦٥[3] (١٤٦٠/١م)، وبالاسكندرية خواجا جمال الدين يوسف الفاخوري ذكره صاحب مسالك الابصار في كلامه على كتّان مصر[4].

ومن نوادر هذا اللقب انه عُلِق حتى بالاشراف المنتسبين للخلفاء العباسيين قال ابن بطوطة:

« سألني سلطان الهند والسند عن نوع من الحلوآء الذي بعثت به له من قبل . . . فقلت له : هي لُقَيمات القاضي(٥ وكان بين يديه تاجر من شيوخ بغداد يُعرف بالسامري وينتسب الى آل عباس (رض) وهو كثير المال ويقول له السلطان « والدي » واراد ان يُخجلني فقال : ليست هذه لقيمات القاضي . . . وكان بازآته ملك الندمآء ناصر الدين الكافي الهَرَوي وكان كثيرًا ما يمازح هذا الشيخ بين يدي السلطان فقال له : يا خواجه انت تكذب والقاضي يقول الحق . . . هو القاضي وهي لُقَيماته فانه اتى بها » (٦

ومن ذرّية عمر بن الخطاب — فيما يقال — خواجه عبيد الله السمرقندي، واحفاده خواجه محمد قاسم، وخواجه عبد الهادي بن خواجه محمد عبدالله[7]. واشتهر في القرن التاسع للهجرة لقب « خواجه باشا » عرف به سنان الدين يوسف بن خضر مؤلف « تذكرة الاولياء » بالتركية[8].

ولا بأس ان نجعل فكاهة الختام ايراد نكتة عن « الخواجا » ننقلها بلهجتها المبتذلة عن تاريخ الجزري بروايته عن والده قال:

١) الضوء اللامع للسخاوي، الخزانة التيمورية ١٣٧٩، ج ٣ : ٨٧٤
٢) التبر المسبوك ٢٨٧
٣) الضوء اللامع، الخزانة التيمورية، ج ٧ : ٢٢١
٤) مسالك الابصار للعمري؛ باريس ٢٣٢٥، ج ٣ : ١٦٢
٥) ذكر الخفاجي في شفاء الغليل ان الزُمارَرْد (رقاق من اللحم والبيض) هو « في كتب الادب طعام يقال له لقمة القاضي ولقمة الخليفة » (ص ١١٣) ويتضح من شهادة ابن بطوطة اعلاه ان لقمة القاضي او لُقَيماته بالتصغير هي بالارجح نوع من الحلواء يتخذ من العجين كما هو مشهور في مصر والشام.
٦) رحلة ابن بطوطة ٢ : ٨٤
٧) الشقائق النعمانية، هامش وفيات الاعيان، ١ : ٢٨١
٨) كشف الظنون ١ : ٣٧٣، طبعة سنة ١٣١٠

« لما كنت مجاورًا بمكة شرفها الله تعالى كنت قد صادفت انسان حلواني اقعد عنده واشتري منه . وهو دائمًا ينادي على حلاوته « رحل خواجا واأسفي عليه » فسألته عن سبب قوله ذلك فقال : « في بعض الاعوام قدم حجاج العراق ومعهم اعجام كثيرة . فلما كان اول يوم عاد الحاج من منى وانا قد طبخت الحلاوة وبسطت الدكان . واذا بشاب جميل الصورة عجمي قد قعد مكانك – وكنت قاعد على كرسي قدام الدكان – فاشار الي « أن أطعمني » قال : فعرفت له فاكل حتى شبع وقام راح ولم يُعطني شيئًا وبعت واشتريت وكسبت واستبركت بوجهه فلما كان ثاني يوم حضر على عادته فحطيت له فاكل حتى شبع وقام راح فلما كان ثالث يوم حضر على العادة فحطيت له فاكل حتى شبع ومسح يده ومد يده الى جيبه فاخرج صرة ذهب فيها ماية دينار وقال خذ هذه الصرة ثمن حلاوتك فقلت له : يا سيدي الذي اطعمتك ما يسوى ثلاثة دراهم فقال يا أخي لا يثك اني لما سافرت وودعت اهلي نجات اختي وهي تنز علي واعطتني هذه الصرة وقالت لي : كُل جنده حاوى في مكة واليوم قد دق الكوس والرحيل قبل الظهر وما قالت لي غير هذا القول ولا قالت : كُل وأطعم وانا قد اكلت عندك وشبعت في هذه الثلاثة أيام فقلت له : ما تاخذ منك من هذه الحلاوة زوادة قال : لا . هذه امانة ولا يمكني مخالفتها امظم محبتي لها وودعني وانصرف فهذا سبب قولي « رحل خواجا واأسفي عليه »[1]

وقد أَلَّف غير واحد من اهل العلم والحديث في « الاسماء والكنى والالقاب » منها كتاب بهذا العنوان لابي زيد البلخي[2] . ولابن خالويه « كتاب الالقاب » . ومثله لابي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي ؛ ولابي الفضل علي بن الحسن الهمداني المعروف بابن الفلكي ؛ ولابي بكر احمد بن عبد الرحمن الشيرازي[3] . وورد « كتاب الاسماء والكنى » لابي أحمد محمد بن محمد الحاكم النيسابوري[4] ؛ ولعلي بن المديني ؛ ومسلم بن الحجاج والبخاري من المحدثين[5] و « كتاب الاسماء » لابي سعد سعيد بن احمد الميداني ؛ وكتاب « المُنى في الكُنى » للسيوطي[6] . ولكن معظم هذه المؤلفات وُضع في تعريف رجال الحديث ، وهي بالطبع خالية من كل اشارة الى اعلام النصارى في الاسلام .

---

١) تاريخ حوادث الزمان وانبائه لشمس الدين الجزري ؛ باريس ٦٧٣٩، ص ٢٦٤–٢٦٥

٢) الفهرست ، طبعة مصر ، ١٩٨

٣) كشف الظنون ، طبعة الاستانة ، ٢ : ٢٦٥

٤) « « « « ٢ : ٢٦٢

٥) الفهرست ٢٢٢

٦) كشف الظنون ٢ : ٢٦٢

تُفّاح لبنان

تعدّدت انواع التفاح في الشرق وانفرد كل صقع فيه بمزيّة خاصة به من الطعم واللون والرائحة . ولكن لم تجتمع هذه المزايا الثلاث في صنف منه اجتماعها في تفاح لبنان . ولذلك طبّقت شهرته قديماً آفاق المشرق ، وترامت سمعته الى بلاد المغرب والاندلس ، وكان له في كل منها شأن مستفيض في الادب والشعر والتجارة . وقد شهد ابن جبير في رحلته : «ان جبل لبنان من اخصب جبال الدنيا فيه انواع الفواكه»[1] . ولكن لا نعلم انه ذُكر بغير التفاح مما كان يُزدرع فيه من البقول والاعشاب والحبوب والازهار والاثمار . وقد بولغ في وصف زهاء الوان تفاحه وتعدّدها حتى ربما كان هو المقصود بقول احد المعجبين بهذا الثمر : «التفاح جمع الوان قوس قزح فلو انحل التفاح واسترق كان قوساً ولو استكثف القوس وانعقد كان تفاحاً»[2] ولعل هذا الوصف الغريب اجود ما قيل فيه من المدائح .

وقد بحثنا كثيراً لنعلم اين كانت منابت التفاح في لبنان حين كان يحمل الى الآفاق في عهد الخلفاء ، فذهبت اتعابنا ادراج الرياح . ولعلّ الارجح انه كان يغرس خصوصاً في ضواحي صيدا في الناحية المعروفة باقليم التفاح ، ثم انقطع منه ولم يبقَ الا اسمه دالاً على مكانه . ومن اسماء القرى المنسوبة الى التفاح مزرعة التفاح من قضاء زغرتا ، والتفاحة في المتن ، وتفاحتا من اعمال صيدا . واما اليوم فاول ما استُحدثت اغراسه في ميروبا ، وفارياً ، وحراجل ، ومزرعة كفرذبيان ، وبقعثوتا من قرى كسروان ؛ واقلّ منها في اهدن ، وتمنايل . وكانت كلها من الاجناس الغربية الدخيلة كما تدلّ عليها اسماؤها : المسكوبي ، والفرنجي ، والازميري ، وهو اصغرها . وربما بلغت اربع تفاحات من المسكوبي وزن رطل شامي . ثم انتشرت المغروسات في اكثر الجبل وقلّ

---

١) رحلته ، طبعة اوربة ، ٢٨٧

٢) مجلد في خزانة الجامعة الاميركية في بيروت فيه بعض نفحات الازهار وربيع الابرار ناقص ، وادله الباب الثامن ، ص٥٥ .

ان يخلو منها اليوم مكان ومعظمها من الصنف الاميركي والانكليزي ورد عن طريق ايطالية واشهرها Renée de Canada, Starking, Golden, Sans Fareil, Winter etc. وليس بينها كلها ما يشابه التفاح المعروف قديماً باللبناني الذي انقطع من الجبل ولم تبقَ منه بقية تُعرف.

واهمّ مزايا تفاح لبنان في هذا الوقت عظم حبوبه ، كما سبق ، ورواء الوانه احياناً . واكبر منه كان فيما روَوا تفاح بعض مدن البرتغال قديماً . وقد لا يخلو قولهم فيه غالباً من المبالغة التي قلّ ان يتبرأ منها كاتب عربي.

«حكى ابو يحيى اليسع بن حزم في كتابه المسمى «المُغرب عن محاسن اهل المغرب» . . . وقد ذكر اشتبونة (Estepona) ومدينة سنترة (Cintra) ومدينة سنترين (Santaren) . . . ذكروا ان التفاح فيها دور كل واحدة ثلاثة اشبار واكثر قال ابو عبد الله الباكوري وكان ثقة : « ابصرت عند المعتضد على الله محمد بن عباد ملك اشبيلية رجلاً من اهل سنترة اهدى اليه اربعاً من التفاح ، ما تقل الحامل على رأسه غيرها دور كل واحدة خمسة اشبار وذكر الرجل ان المعتاد عندهم اقل من هذا فاذا ارادوا ان يجيء هذا العظم قطعوا حملها وابقوا منها عشرة او اقل وجعلوا تحتها دعامات من الخشب قال : وهذه البلاد فيها من القرى والضياع ما لا يحصى وبين اشتبونة واشبيلية مسيرة خمسة عشر يوماً للراكب المجدّ»(١

وابلغ من ذلك زعمهم انه كان في مدينة شنترية « تفاح عجيب لا تحمل الدابة منه الا ثلاث حبّات »(٢

واشهر من وصف من الشعراء تفاح لبنان بجمال الحلقة ورواء الحمرة ابو الطيب المتنبي بقوله :

احبّ حمصاً الى خناصرة وكل نفس تحبّ محياها
حيث التقى خدها وتفاح لبنا ن ، وثغري على حميّاها (٣

وتبعه ابو الرقعمق فقال من قصيدة :

---

١) كتاب سر السُّمّار في ليالي الاقمار في اوصاف ثمار سائر الاشجار ، وهو الكتاب الحادي عشر من كتاب فصل الخطاب في مدارك الحواس الخمس لأولي الالباب لشهاب الدين احمد بن يوسف بن احمد التيفاشي : خزانة اكسفورد M. S. Sale 70, fo, 12–13

٢) كتاب النكهة العطرية في حلى مدينة شنترية ، من كتاب المُغرب في حلى المَغرب (رقم ١٠٣ م تاريخ) دار الكتب المصرية ، ٨

٣) العرف الطيب في شروح ديوان ابي الطيب ، ٥٨٥

ما زلت اجني بلحظي ورد وجنته واستنير على تفاح لبنان (١

ولمعلم الخليفة المستكفي بالله في صفة حديقة من ابيات :

ورأى الورد عسكرين من الصفـــــــــر فنادى فجاءه الجلنار
واستجاشت تفاح لبنان لما حميت من وطيسها الاوتار (٢

ولابي اسحق الخفاجي من شعراء الاندلس في غزله :

اغار لمدّيه على الورد كلما بدا ولمطّفيه على اغصن البانِ
وحبي اجني ورد خدّ بناظري أن ابن لي منه بتفاح لبنان (٣

ولعبد الله محمد بن احمد بن الحداد الوادي آشي من قصيدة :

واذهلها داعي النوى عن تنقّبٍ فحيّا محيّاها بتفاح لبنان (٤

ووصف احدهم جارية فقال: « ثغر كالاقحوان وخد كشقائق النعمان ووجه كتفاح لبنان » (٥

ومن خصائص تفاح لبنان الذي اكسبته هذه الشهرة الطائرة اجتماع جمال لون الحمرة فيه الى حسن البياض المشوب بالصفرة ، وتضوّع مثل رائحة المسك منه . ولذلك قال احمد بن يعقوب فيما رواه القلقشندي : « اجود المسك في الرائحة والنظر ما كان تفاحياً تشبه رائحته رائحة التفاح اللبناني » (٦

وممن تغنى في خمرياته بطيب هذه الرائحة المسكية ابو نواس فقال:

سلاف دنّ اذا ما الماء خالطها فاحت كما فاح تفاح بلبنان (٧

ولهذه الاوصاف كانت هدية التفاح عندهم من اجلّ ما يختاره الظراف للإلطاف تقرّباً من القلوب ، ولها عندهم موقع اثير لاجتماع طيب الرائحة فيها

---

١) يتيمة الدهر للثعالبي ، طبعة مصر ، ١ : ٢٦٤
٢) مروج الذهب للمسعودي ، بهامش نفح الطيب ، ٣ : ٤٤٣
٣) نفح الطيب للمقري ٦ : ٢٢٢
٤) الذخيرة لابن بسام ٢ : ٣٢٢
٥) روضة القلوب ونزهة المحب والمحبوب لابي الفرج الشيرازي ، خزانة اكسفرد M. S. Sale 34
٦) صبح الاعشى ٢ : ١١٤
٧) ديوانه ، المطبوع سنة ١٨٩٨ ، ص ٢٤١

الى حسن الخلقة والنظر . ولذلك قال ابو الطيب محمد بن عبد الله بن احمد ابن يوسف :

ما املح التفاح في الهدايا عطية من اعظم العطايا
خديمة النسوان والصبايا ووصلة الناس الى البلايا (١

وكتب ابو الحسن جعفر بن الحاج من مدينة لوقة في اسبانية مع هدية تفاح :

بعثت بما لا آلوك حمدا هدية ذي اصطناع واعتلاق
خدود احبة وأذين صباً وعُدنَ على ارتماض واحتراق
فحمّر بعضها خجل التلاقي وصفّر بعضها وجل الفراق (٢

قال ابو الطيب الوشّا قرأت على تفاحة مكتوباً بماء الذهب :

انا حمراء دعوني لمحبّ وحبيب
وكلوا ذات بياض اكلها غير مبيب (٣

وكثيرًا ما كان التفاح يقوم مقام البطائق في المراسلات ويكتب عليه بالغالية من الطيب قال المسعودي :

« بينما كان خالد بن يزيد الكاتب عند الرشيد اقبلت وصيفة معها تفاحة عليها مكتوب بغالية :

سرورك ألهاك عن موعدي فصيّرت تفاحتي تذكرة

فاخذ الرشيد تفاحة وكتب عليها بغالية :

تناسيت وعدي ولم أنسه فتفاحتي هذه معذرة

ثم قال : يا خالد قلْ في هذا شيئًا فقال :

تفاحة خرجت بالدر من فيها اشهى اليَّ من الدنيا وما فيها
بيضاء من حمرة عُلّت بغالية كانما قطفت من خدّ مهديها (٤

---

١) كتاب الاوراق للصولي ، قسم اخبار الشعراء ، مصر ١٩٣٦ ، ص ٢٥٠
٢) كتاب المُغرب في حلى المَغرب (رقم ٥٥٣٠ تاريخ) دار الكتب المصرية ١٧ ، وقلائد العقيان ١٤٣
٣) الموشّى ١٦٧
٤) مروج الذهب ٨ : ١٦٧

ومما حفظ من الشعر المكتوب على التفاح بالمسك والغالية :

انا من تفاح لبنا ن الى الاحباب أهدى
من محب شفه الحسـ ـب الى المحبوب وجدا (١

ومن اغرب ما يُروى عنه ان اهل الشام كانوا في جملة مفاخرهم يعدون تفاح لبنان من عجائب قطرهم قالوا :

«يُحمل من لبنان وهو تفاح جبل عَذْي (اي يسقى من ماء السماء) لا طعم له ولا رائحة فاذا توسط نهر البليخ (نهر بالرقة من بلاد الجزيرة) فاحت رائحته» [٢] .

ولا عجب في ذلك لان التفاح كان يُبتَسر اي يقتطف قبل نضجه ليكون اقوى على تحمل مشقة السفر وطول الطريق فاذا بلغ الرقة ومسّه لفح الحر كمل نضجه وطاب طعمه وانتشرت رائحته . ومن هذا الشاهد يستدلّ على كثرة ما كان يستورد منه الى كل البلاد وهو ما كان يقتضي طبعاً تعدد مغروساته في انحاء لبنان وغيره من المدن والحدائق الشامية . ولعلّ بعض ما قيل فيه ونُسب اليه يجب ان يعود في الحقيقة الى تفاح دمشق لانه كان فيها من جملة انواع التفاح المعدودة نوع يقال له التفاح اللبناني [٣] ولم نجد وصفاً له في كل ما ذُكر عنه .

ويؤخذ من احد المراسيم السلطانية المنقوشة في احجار بعلبك ان التفاح اللبناني كان شائعاً معروفاً في مدينة هيكل الشمس . ولعله كان اوفر في حدائقها وبساتينها منه في دمشق ولذلك كان «جماعة من البلّاصين يطوفون في كل سنة على البساتين يطلبون من اهلها التفاح اللبناني ويقولون ان ذلك برسم حاضرة الشام» . وهذا نصّ الكتابة المرقومة في حجر نُقل من مكانه ووضع

١) سر السار المذكور آنفاً ، ص ٥
٢) كتاب البلدان لابن الفقيه الهمذاني ، ١١٧
٣) محاسن الشام للبدري ٢٠١ ، والتذكرة للصفدي في ذيل ثمرات الاوراق في خزانة بريتش موزيوم Add. 7415, f° 222 .

منكساً في حائط الجامع الكبير الغربي من الخارج وهو من عهد السلطان الملك الظاهر برقوق:

« استجد مرسوم شريف ظاهري تاريخه ثامن عشر شهر الله المحرّم سنة سبع وتسعين وسبعمائة (١ الى المقر العالي السيفي تنكز بغا نائب السلطنة الشريفة ببعلبك المحروسة مضمونه انه قد اتّصل بمسامعنا الشريفة ان ببعلبك تنفق فيها كل سنة مظلمة لم تتصل في مسامعنا الشريفة الا في هذا الوقت وهو ان جماعة من البلاصين يطوفون في كل سنة على البساتين يطلبون من اهلها التفاح اللبناني ويقولون ان ذلك برسم حاضرة الشام الشريفة... فليس لنا احتياج الى ذلك » (٢

واملّ هذا التفاح كان مغروساً ايضاً في جنان حمص وهو ما يمكن ان يُستدلّ من قول ابي الطيب المتنبي في بيته المذكور آنفاً «حيث التقى خدّها وتفاح لبنان». ومن الحسران والشقاء ضياع هذا الصنف وفقدانه اليوم من لبنان والشام بعد ان تحادث به الركبان والقوافل في اكثر اقطار الشرق واستطار عرفه في اندية المغرب والاندلس

فسار به من لا يسير مشمّراً وغنّى به من لا يغني مغرّدا

---

١) ١٣ تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٣٩٤

٢) تاريخ بعلبك لمخايل موسى الوف، طبعة ١٩٣٦، ص ١٧١

التشيع لمعاوية

في عهد العباسيين

كان مقتل الخليفة عثمان بن عفّان اول ما شتت الالفة في الاسلام ، وحل عُرى الوحدة والجماعة ، ودعا الى التحيّز والتحزّب في الامصار. فتباينت الاهواء والبدَع ، وتعدّدت الفِرَق والشِيع ، وتميز كل قطر بنزعته ونحلته . ولذلك لما اراد محمد بن علي بن عبدالله بن العبّاس توجيه دُعاته الى الامصار قال لهم في ما حكاه ابن الفقيه في كتاب البلدان[1] ، وعنه نقل البشاري المقدسي في احسن التقاسيم[2] ، وياقوت في معجم البلدان[3] ، ورواية ابن الفقيه اتمّ واصح ، قال :

« اما الكوفة وسوادها فشيعة علي وولده . واما البصرة وسوادها فعثمانية تدين بالكف تقول : « كفّ عبدالله المقتول ولا يكن عبدالله القاتل . » واما الجزيرة فحرورية مارقة وأعراب كأعلاج ومسلمون في اخلاق النصارى . واما اهل الشام فليس يعرفون الا آل سفيان وطاعة بني مروان عداوة راسخة وجهل متراكم . واما مكة والمدينة فقلب عليها ابو بكر وعمر . ولكن عليكم باهل خراسان فان هناك العدد الكثير والجَلَد الظاهر . »

التشيع بالشام

اما كون اهل الشام شيعة آل ابي سفيان ومروان لا يعرفون سواهم ، فهو ما لا حاجة الى التنبيه عليه . ولكن قد خفي علينا كثير من انباء هذه العداوة الراسخة التي كانوا يناصبونها كل من لم يشاركهم في تولي بني امية . فمن اطرف ما اتصل بنا من نوادر اخبارها بل من اغرب مظاهرها وآثارها ما ورد في ترجمة ابي الحسن المدائني بروايته قال :

« امر المأمون احمد بن يوسف بادخالي اليه فلما دخلت ذكر علي بن ابي طالب عليه السلام فحدثته فيه باحاديث الى ان ذكر لمن بني امية له فقلت : حدثني ابو سلمة المثنى بن

---

١) ص ٣١٥

٢) ص ٢٩٣ — ٢٩٤

٣) ج ٢ : ٤١٢ ، طبعة اروبة

عبدالله اخو محمد بن عبدالله الانصاري قال : قال لي رجل : كنت بالشام فجعلت لا اسمع احداً يسمي علياً ولا حسناً ولا حسيناً وانما اسمع معاوية ويزيد والوليد قال : فررت برجل جالس على باب داره وقد عطشت فاستسقيته فقال : يا حسن اسقه فقلت : أسميت حسناً ؟ فقال : اي والله ان لي اولاداً اسامهم حسن وحسين وجعفر فان اهل الشام يسمون اولادهم باسماء خلفاء الله ولا يزال احدنا يلعن ولده ويشتمه وانما سميت اولادي باسماء اعداء الله فاذا لعنت انما العن اعداء الله فقلت له : ظننتك خير اهل الشام واذا جهم ليس فيها شرّ منك»[1]

ولا يخفى ما في استقراء نظائر هذه الملحة من الفائدة والجدوى في تمثيل العصر الشامي الاموي في اخلاقه وعاداته ونوادره ونكاته . وهي وحدها كافية لتعريف شدّة تشيّع اهل الشام لخلفائهم من بني امية ومبالغتهم في الانتصار لهم . وما زال منهم بدمشق وضواحيها بقية من نسل معاوية اتصلت من عهده وتفرعت ، عُرف منها في القرن الحادي عشر للهجرة بيت خليل بن زين الدين الاخنائي « كان اجداده غالبهم قضاة القضاة وصدور الصدور »[2] ، وبيت بني الكوكية من التجار المياسير كان لهم مآثر وخيرات ، ولهم اقارب بمكة اشتهر منهم جمال الدين بن محب الدين المعروف بالجُنيد كان يضرب به المثل في حسن لعب الشطرنج[3] .

وكان انحراف اهل الشام عن الطالبيين اعظم منه عن الهاشميين . ولذلك لما استولى الفاطميون على دمشق قامت بين المغاربة والبلديين وقائع وفتن ساق ابن القلانسي اخبارها وقال : « كان اهل دمشق يأبون المغاربة لمخالفتهم لهم في الاعتقاد ولانهم اموية »[4] وبلغ من كراهتهم للعلويين انهم كانوا يتظاهرون احياناً بجهل علي بن ابي طالب اذا سئلوا عنه .

« وفي جمادى الاولى سنة احدى وتسعين وثلثمائة (١٠٠١ م) قُبض على رجل من اهل الشام سُئل عن امير المؤمنين علي بن ابي طالب (رضه) فقال لا اعرفه فاعتقله قاضي القضاة الحسن بن النعمان قاضي امير المؤمنين الحاكم بامر الله على القاهرة المعزية ومصر والشامات والحرمين والمغرب وبعث اليه وهو في السجن اربعة من الشهود وسألوه . فاقرّ بالنبي صلعم وانه نبي مرسل وسُئل عن علي بن ابي طالب فقال لا اعرفه . فامر قائد القواد الحسين بن

١) ياقوت : ارشاد الاريب ٧ : ٣٦
٢) خلاصة الاثر للمحبي ٣ : ١٢٢
٣) « « « ١ : ٤٩٠ – ٤٩٢
٤) ذيل تاريخ دمشق ، ١٦

جوهر باحضاره فخلا به ورفق في القول له فلم يرجع عن انكاره معرفة علي بن ابي طالب فطولع الحاكم بامره فامر بضرب عنقه فضرب عنقه وصلب»[١].

ولا شك ان هذه الاستماتة في رفض زوج فاطمة من اغرب آيات التعصب والتشيع. ومنها يتضح ما كان بين الامويين والعلويين من البغض والعداء.

التشيع بمصر

لم تخلُ مصر من اشياع لمعاوية ولا سيما في الايام الطولونية والاخشيدية. وكان اشدهم تعصباً له السودان من الجند على كثرتهم وسطوتهم وبلغ عددهم في آخر دولة احمد بن طولون اثني عشر الفاً. قال القلقشندي: «وتبعتهم الدولة الاخشيدية على ذلك»[٢] واشتدت شوكتهم في ايام القائد كافور فكانت مصر لا تخلو من الفتن في يوم عاشوراء. وفي سنة ٣٥٠/٩٦١ حصلت منازعة بين الجند وقوم من الرعية عند قبر كلثوم العلوية قتل فيها جماعة من الفريقين. واشتد سودان كافور على الشيعة فكانوا اذا لقوا احداً سألوه من خالك؟ فان قال لهم «معاوية» اكرموه، وان سكت لقي المكروه واخذت ثيابه وما ...[٣]. ثم كثر القول «معاوية خال علي» وكان على باب الجامع العتيق شيخان من العامة يناديان في كل جمعة في وجوه الناس من الخاص والعام «معاوية خالي وخال المؤمنين وكاتب الوحي ورديف رسول الله (صلعم)». وانما عدوا معاوية خالاً للمؤمنين لان شقيقته ام حبيبة كانت زوجاً للرسول وبالتالي امّ المؤمنين نظير عائشة وسائر ازواج النبي. وباعتبار هذه الامومة كان معاوية خالاً للمؤمنين.

ولما ورد الخبر بقيام بني حسن بمكة ومحاربتهم الحاج ونهبهم خرج خلق من المسلمين في شوال فلقوا كافور الاخشيدي بالميدان ظاهر مدينة مصر وضجوا وصاحوا «معاوية خال علي» وسألوه ان يبعث لنصرة الحاج على الطالبيين[٤]» وبقي هذا النداء شعاراً لكل شغب واحتجاج حتى بعد قدوم الفاطميين. «وفي

١) خطط المقريزي، مطبعة النيل، ٤: ١٥٧

٢) صبح الاعشى ٣: ٤٧١

٣) اتعاظ الحنفاء المقريزي ٩٦-٩٧

٤) الخطط ٤: ١٥٥

شهر رمضان سنة ٣٦١ (٩٧٢م) قبض على عجوز عمياء تنشد في الطريق وحُبست. ففرح جماعة من الرعية ونادوا بذكر الصحابة وصاحوا « معاوية خال المؤمنين وخال علي » فبعث جوهر ونادى في الجامع العتيق : ايها الناس أقلوا القول ودعوا الفضول فاننا حبسنا العجوز صيانة لها فلا ينطقنّ احد الا حلت به العقوبة الموجعة . ثم أطلقت العجوز[1] وفي ربيع الاول سنة ٣٦٢ (٩٧٢م) عزّر سليمان بن عروة المحتسب جماعة من الصيارفة فشغبوا وصاحوا « معاوية خال علي بن ابي طالب » فهمّ جوهر ان يحرق رحبة الصيارفة».[2]

التشيع في الجزيرة

روى صلاح الدين الصفدي في كتابه « الوافي بالوفيات » في ترجمة حمد بن محمد الجزري الاديب الشاعر المتوفى سنة ١٢٥٣/٦٥١ وكان شيعياً غالياً ان الاكراد كانوا يكفّرونه ويمقتونه . قال : وكان اهل الجزيرة اكرادًا يقول خطيبهم «اللهم ارض عن معاوية الخال ويزيد المفضال[3]» ونقل الشهاب العمري في كلامه على طوائف الاكراد ان صاحب جولمرك كان لهُ « قبائل وعشائر وانفار وهم ينتسبون الى عتبة بن ابي سفيان بن حرب بن امية »[4] . ومن هاتين الشهادتين يترجح الرأي القائل بان فرقة اليزيدية المشهورة كانت تنتسب الى يزيد ابن معاوية الخليفة الاموي لا الى سواه.

ولما ذكر ابن حوقل الرقة قال: « في اهلها ولاء لبني امية شديد »[5]

التشيع في خراسان

كان اسم خراسان قديماً حتى في الايام العباسية يطلق على جميع بلاد فارس وما وراءها ولذلك قال ياقوت: « اول حدودها مما يلي العراق . . . وآخر حدودها مما يلي الهند لان جميع ما ذكر من البلاد كان مضموماً الى والي خراسان.

١) اتعاظ الحنفاء ٨٧

٢) الخطط ١٥٦

٣) الحادي عشر من الوافي بالوفيات؛خزانة اكسفرد Seld. arch. a. inf. 22 f° 138

٤) التعريف بالمصطلح الشريف للعمري ٣٨

٥) كتاب صورة الارض الطبعة الثانية ٢٣٦

وكان اسم خراسان يجمعها».[1] ولما تقلّص ظلّ بني امية عنها «واستقرّ امر بني العباس بالريّ هرب اكثر اهلها لميلهم الى بني امية لانهم كانوا سفيانية. فامر ابو مسلم باخذ املاكهم واموالهم ولما عادوا من الحج اقاموا بالكوفة سنة ١٣٢ (٧٤٩م) ثم كتبوا الى السفاح يتظلمون من ابي مسلم فامر برد املاكهم فاعاد ابو مسلم الجواب يعرّف حالهم وانهم اشد الاعداء فلم يسمع قوله وعزم على ابي مسلم برد املاكهم ففعل».[2]

وبقي هوى بني امية في خراسان كامناً في الصدور حقبة طويلة من الدولة العباسية. ولما زار الرحالة البشاري المقدسي، في اواخر القرن الرابع في ايام الخليفة الطائع لله، اقليم الجبال، اي اصفهان وهمذان والريّ وما اليها من مدائن الشرق قال: «هم اما غوالٍ حنابلة يفرطون في حب معاوية. او نجاريّة غالية يقطعون بالكفر على الطوائف الهادية»[3] وورد له مثل هذا في اخباره عن اليهودية قصبة اصفهان فقال: «غوالٍ حنابلة» وفي نسخة اخرى «يفرطون في معاوية»[4] واتفق له في اصفهان نكتة نثبتها في هذا المقام اشارة الى الحدّ الذي كان بلغه حب معاوية من الفشوّ والاغراق في المصر المجاور لخراسان حيث نشأت الدعوة العباسية قال:

«في اهل اصفهان بَلَه وغلوّ في معاوية ووُصف لي رجل بالزهد والتعبد فقصدته وتركت القافلة خلفي وبتُّ عنده تلك الليلة وحملت اسائله الى ان قلت: «ما قولك في الصاحب؟ فجعل يلتفت ثم قال: انه انانا بمذهب لا نعرفه. قلت: وما هو؟ قال: يقول: معاوية لم يكن مرسلاً. قلت: وما تقول انت؟ قال: اقول كما قال الله عز وجل: لا نفرق بين احد من رسله. ابو بكر كان مرسلاً وعمر كان مرسلاً. حتى ذكر الاربعة ثم قال: ومعاوية كان مرسلاً. قلت: لا تقل اما الاربعة فكانوا خلفاء ومعاوية كان ملكاً قال النبي (صلعم): الخلافة بعدي الى ثلاثين سنة ثم تكون ملكاً. فجعل يشتم علي واصبح يقول: هذا رافضيّ. فلو لم تدركني القافلة لبطشوا بي. ولهم في هذا الباب حكايات كثيرة.»[5]

ومن هنا يعرف كيف تطور حب معاوية تدريجاً، وكيف ان شقيق ام حبيبة بعد ان كان «خال المؤمنين وكاتب وحي رب العالمين» لم يلبث ان

١) معجم البلدان ٢: ٤٠٦ – ٤١٠
٢) الكامل لابن الاثير ٥: ١٤٨
٣) احسن التقاسيم ٢٨٤
٤) « « ٢٨٨ – ٢٨٩
٥) « « ٢٩٩

صار مرسلاً . وليت البشاري نقل لنا ايضاً قسماً آخر من هـذه الحكايات الكثيرة التي اشار اليها لنقف منها على تاريخ التشيع لماوية في تقلباته واوصافه.

التشيع في الاندلس

لم يكن في الاندلس ما كان في الشرق من تعدّد الاحزاب والمذاهب وشدّة التخاصم والتنازع بين السنة والشيعة. وكان المذهب الغالب هنالك مذهب الامام مالك ولذلك قال ابن سيده المرسي الاندلسي صاحب المخصّص في اللغة من ارجوزة له:

اتّبع الحبر الاجلّ مالكا وان تبعت غيره فذلكا
كالشافعيّ وابي حنيفه كلاهما ذو ورع وخيفه(١

وسكت بتاتاً عن احمد بن حنبل فلم يكن من ثم للحنابلة في الاندلس شأن كما كان لهم في بغداد مثلاً ، وهم الذين تولوا فيها معاوية وافرطوا في الانتصار له. وقام منهم في خراسان غلاة تجاوزوا كل حدّ في تفضيله حتى عُدّ عند قوم منهم مرسلاً كما تقدم ولما كان الاندلس مباءة الامويين ومقرّ سلطانهم وموطن انصارهم ، كان ذكر معاوية فيه مقروناً بالرحمة والرضوان. وقد قذف ابن سيده في ارجوزته المذكورة كل من تناوله بالطعن والذم فقال:

ومن يكن يقدح في معاويه فذاك كلب من كلاب عاويه(١

ومثل هذا القول من احد اقطاب العلم في المغرب يشفّ عما كان وراءه من الحب والولاء لاول الخلفاء الدمشقيين.

ومن اشهر من عُرف ايضاً من العلماء الاندلسيين بالدفاع عن معاوية والامويين عموماً الامام ابن حزم فقد حُفظ عنه « تشيعه لامراء بني امية ماضيهم وباقيهم بالمشرق والاندلس واعتقاده بصحة إمامتهم وانحرافه عمن سواهم من قريش.»(٢

التشيع في العراق

قد يغلب على الظن لاول وهلة ان حبّ معاوية وآله كان منحصراً في الشام وحده لم يتجاوزه قط الى العراق ، موطن الشقاق والنفاق، في قول الحجّاج:

١) الخزانة الشرقية ٣ : ١٩٠
٢) ارشاد الاريب لياقوت ٥ : ٩٣

وان دولة بني العباس لما قضت على بني امية وتتبعت رجالهم وآثارهم قتلاً وتشريداً وتخريباً نسخت ذكرهم من الافئدة والابنية ، واستأصلت اولياءهم ودعاتهم من المدن والامصار . ولكن هنالك ادلة كثيرة على ان التشيع للامويين لم يزُل بزوال ملكهم بل ظلّ يكمن تارة ويظهر اخرى حسب تشدد السلطان في اقتصاص آثاره واقتناص انصاره . وهذه بغداد نفسها ، مع انها كانت مقرّ اعدائهم وعاصمة الخلافة العباسية ، لم تخلُ في وقت من متحيّز للعثمانية والامرية ، ومجاهر بفضائل معاوية . وقد نقل عن ابي عمر الزاهد من ائمة اللغة واكابر اهلها في بغداد حيث كانت وفاته سنة ٣١٥/٩٥٦ انه كان « قد جمع جزءاً في فضائل معاوية فكان لا يمكّن احداً من السماع منه حتى يبتدئ بقراءة ذلك الجزء »[1] . وسبقه الجاحظ المشهور فوضع كتاباً في إمامة المروانية واقوال شيعتهم قال المسعودي : « ورأيته مترجماً بكتاب امير المؤمنين معاوية بن سفيان في الانتصار له من علي بن ابي طالب رضي الله عنه وشيعته الرافضة يذكر فيه امامة بني امية وغيرهم »[2]

وكانت شيعة علي في العراق ولا سيما الكوفة وبغداد تؤثّم كل من دافع عن عثمان بن عفّان ولم يتبرأ من الشيخين ، وتلعن معاوية وسائر الامويين . قال ابن المبارك : من اراد الشهادة فليدخل دار البطيخ بالكوفة وليقل : رحم الله عثمان بن عفّان[3] . قال ابو عمر الهذلي : قلت لرجل من اهل الكوفة : خير موضع بالكوفة اين هو ؟ قال مسجد الجامع قلت وسوء موضع عندنا دار البطيخ فلو قال رجل في خير موضع عندكم رحم الله عثمان قُتل ولو قال في سوء موضع عندنا لا رحم الله معاوية قتل فشرّ موضع عندنا خير من خير موضع عندكم[2] .

ولذلك لما دخل الجماز الشاعر البصري بغداد في ايام جعفر المتوكل — وكان قد كتب في حقه اليه — انشده

ليس لي ذنب الى الشيعة الا خلّتين

---

١) ارشاد الاريب لياقوت ٧ : ٢٩

٢) مروج الذهب ، بهامش نفح الطيب ، ٣ : ٦١

٣) تاريخ بغداد للخطيب ١ : ٤٧

حبّ عثمان بن عفا ن وحب العمرين(١

وفي ضدّ ذلك كان فريق من اهل السنة يصرّحون بتفضيل معاوية ويبالغون في تقدير فضائله ويعدون رافضياً كل من لم يرَ رأيهم فيه . وقد حكى البشاري المقدسي نكتة حريّة بالذكر في هذا الباب قال :

« كنت يوماً بجامع واسط واذا برجل قد اجتمع على الناس فدنوت منه فاذا هو يقول حدثنا فلان عن فلان عن النبي (صلعم) « ان الله يدني معاوية يوم القيامة فيجلسه الى جنبه ويتلقّنه يده (اي يطيّبه بالغالية) ثم يجلوه على الخلق كالعروس فقلت له بماذا ؟ بمحاربته علياً ؟ رضي الله عن معاوية وكذبت انت يا ضالّ . فقال : خذوا هذا الرافضي فاقبل الناس علي فعرفني بعض الكتبة فكركرهم عني »(٢ (اي دفعهم وردّهم) .

واخصّ من عرفوا بموالاة معاوية والدفاع عنه الحنابلة . ولهم في بغداد مقامات مذكورة . وقد اشتهر امامهم احمد بن حنبل بحسن رأيه في معاوية وايثاره له ، فلا غرو اذا قلّده اشياعه في هذا الحب وغالوا فيه وقد سئل مرةً «ايما افضل معاوية او عمر بن عبدالعزيز فقال: «لغبار لحق بانف جواد معاوية بين يدي رسول الله خير من عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه واماتنا على محبته »(٣ .

ومما تقدم يتضح ما كان للتشيّع لمعاوية في العراق من الشأن والانتشار حتى كان يجاهر به بمسمع من الخلفاء العباسيين في حلقات الدروس ومجالس القصاص دون اقل انكار. واشتهر بالمغالاة فيه من اهل السنة الحنابلة كما سبق ، وهو ما اشار اليه البشاري المقدسي حيث قال : « حنابلة العراق غالية مُشبّهة يفرطون في حب معاوية ويروون في ذلك اخباراً منكرة بخاصة البربهارية»(٤ .

ولم يكن هذا التعصب للخصمين علي ومعاوية لا يُسمع صداه الا في الاندية وحلقات الامراء فقط بل كان كثيراً ما يتعدى هذه المجالس والمدارس الى الازقة والسُبُل ويثير فيها من الشغب والفتن ما يتجاوز طعن الالسنة الى طعن الاسنة فتسيل الدماء وتلتهب النيران في المحالّ والابنية . وكان بعض المحتالين والفقراء يرتزقون من مثل هذه المناظرات والاهواء ويتظاهرون

١) تاريخ بغداد للبغدادي ، ٦١٥٣ باريس ، ٢٦
٢) احسن التقاسيم ، ٣٦
٣) شذرات الذهب للعماد الحنبلي ١ : ٦٥
٤) احسن التقاسيم ١٢٦ ، حاشية ٢

بالانحياز الى احدى الفرقتين ويجولون في الاسواق والشوارع او يقفون في جوار المساجد والمجتمعات وهم ينشدون المدائح والتوسلات باسم احد الخليفتين استبراءً لصدقات اشياعهما. حكى القاضي التنوخي عن «جماعة من شيوخ بغداد انه كان بها في طرف الجسر سائلان اعميان يتوسل احدهما بامير المؤمنين علي والاخر بمعاوية ويتعصب لهما الناس وتجيئهما القطع دارة فاذا انصرفا جميعاً اقتسما القطع فانهما كانا شريكين يحتالان بذلك على الناس»[1].

وكان السقاة يقفون في الجنائز وفي جوانب الجوامع والمساجد ويعرضون على من شاء الماء المثلوج المحلّى بالسكر والسويق في الجرار والجباب ويقولون: «اشربوا على حب معاوية»[2]. ولذلك حاول الخلفاء العباسيون غير مرة النهي عن ذكر معاوية بخير وارادوا لعنه على المنابر والضرب على ايدي انصاره فاخفقوا واقصروا خوفاً من اضرام نيران الفتن بين العامة وتوسيع خرق الخلاف والنزاع. واول من همّ بذلك فيما رُوي وامر بانشاء كتاب بلعن معاوية المأمون، فثناه عنه يحيى بن اكثم[3]. ومعلوم ما تقدم له من الضلع مع العلويين وكان كتابه لا يزال محفوظاً في الديوان في ايام المعتضد حين اراد سنة ٢٨٤/٨٩٧ انشاء كتاب في معناه يُقرأ على الناس «فخوّفه عبيد الله بن سليمان ابن وهب (وزيره) من اضطراب العامة وانه لا يأمن ان تكون فتنة فلم يلتفت الى ذلك من قوله ... وتقدم الى الشرّاب والذين يسقون الماء في الجامعين الّا يترحموا على معاوية ولا يذكروه بخير وتحدث الناس ان الكتاب الذي امر المعتضد بانشائه بلعن معاوية يقرأ بعد صلاة الجمعة على المنبر فلما صلّى الناس الجمعة بادروا الى المقصورة ليسمعوا قراءة الكتاب فلم يُقرأ. فذكر ان المعتضد امر باخراج الكتاب الذي كان المأمون امر بانشائه فأُخرج له من الديوان نسخة هذا الكتاب»[4] «وذكر ان عبيدالله بن سليمان احضر يوسف ابن يعقوب القاضي وامره ان يعمل الحيلة في ابطال ما عزم عليه المعتضد في

١) نشوار المحاضرة ١: ٢٨١

٢) تاريخ بغداد للنجار، ٢١٣١ باريس، ١٦

٣) السادس من كتاب بغداد لاحمد بن طيفور، ٦١

٤) تاريخ الطبري، طبعة اوربة، ٤: ٢١٦٦ – ٢١٦٧

ذلك وقال : يا أمير المؤمنين اني أخاف ان تضطرب العامة ويكون عند سماعها هذا الكتاب حركة . فقال : ان تحركت العامة او نطقت وضعت فيها السيف فقال : يا أمير المؤمنين فما تصنع بالطالبيين الذين هم في كل ناحية يخرجون ويميل اليهم كثير من الناس لقرابتهم من الرسول ومآثرهم وفي هذا الكتاب اطراؤهم واذا سمع الناس هذا كانوا اليهم اميل وكانوا هم أبسط ألسنة واثبت حجة منهم اليوم ؟ فامسك المعتضد فلم يرد عليه جواباً ولم يأمر في الكتاب بعده بشيء»[1] .

وفي سنة ٣٢١/٩٣٣ «هم علي بن يلبق (احد قواد القاهر بالله) والحسن ابن هرون كاتبه بلعن معاوية بن ابي سفيان على المنابر فاضطربت العامة من ذلك وتقدم علي بن يلبق بالقبض على البربهاري رئيس الحنبلية فنُذر به وهرب وقبض على جماعة من اصحابه وجعلوا في زورق مُطبق وأحدروا الى البصرة»[2]

بقي ان نرى السبب الذي كان من اجله بعض اهل السنة وفي مقدمتهم الحنابلة يفرطون هذا الافراط في حب معاوية ويبالغون في التعصب له . وهو ما لا يكفي في تعليله ما نقل من حسن رأي الامام احمد في «صهر الرسول وامينه على وحيه» واملّ هذا التحزب لم ينشأ في العراق خصوصاً ولم يكن الا رجعاً لصدى مبالغات الشيعة في علي بن ابي طالب من باب مقابلة التشيع بضده ، ومكافأة الخصم بقرنه ، ثم امتزجت بذلك الضغائن والحزازات فكان بعض اهل السنة كلما انكروا افراطاً من شيعة علي تلقوهم بمثله في معاوية مناظرةً وامتثالاً[3] . وكل من طالع تاريخ العراق يعلم مبلغ العداء الذي كان مستحكماً بين السنة والشيعة وكثرة الفتن والشرور التي كانت تثور دائماً بين الفريقين ويجري فيها كل قبيح من سلب ونهب وقتل واحراق . فلا عجب

---

١) تاريخ الطبري ٩ : ٢١٦٤-٢١٧٨

٢) تجارب الامم لابن مسكويه ٥ : ٢٦٠ - ٢٦١

٣) من ادلّ الامثلة على ما كان من المناظرة عموماً بين الشيعة والسنة ما حكاه هلال الصابئ في تاريخه قال : جرت عادة الشيعة في الكرخ وباب الطاق بنصب القباب وتعليق الثياب واظهار الزينة في يوم الغدير واشعال النار في ليلته وتمر جمل في مسيحته فارادت الطائفة الاخرى من السنة ان تعمل لانفسها وفي محالها واسواقها ما يكون بازاء ذلك فادّعت ان اليوم الثامن من يوم الغدير كان اليوم الذي حصل فيه النبي وابو بكر في الغار وعملت ما نيلمه

اذا كان خصوم الشيعة[1] يبالغون احياناً في المجاهرة بكل ما كانوا يعلمون انه يسوء اعداءهم اعتقاده ومن ثم لا يبعد ان يكون قسم من المتحزّبين لمعاوية ولا سيما من العامة والسوقة الذين استدرجتهم البغضاء والاحقاد اكثر من الذين تلقّوا التشيع من طريق الاجتهاد والاعتقاد . وقد عثرنا في هذا المعنى في مجلد من تاريخ بغداد لابن النجار في خزانة باريس ذُكر فيه غلطاً انه للخطيب البغدادي ، على نكتة فريدة تؤيد هذا الرأي نجعلها مسك الختام قال في ترجمة علي بن محمد بن الكيس ابي القاسم في رواية عنه :

« اخبرنا ابو بكر بن جعفر بن مالك القطيعي في مسجده قال : سمعت عبدالله بن احمد ابن حنبل يقول : كنت احبو فاخذني ابي بيدي وعبر بي الجسر فمضى الى شارع الرصافة فلما انتهينا اليه رأينا حباباً فيها السويق والسكر والماء المبرد بالثلج وخدماً في ايديهم الطاسات يقولون للناس : « اشربوا على حب معاوية بن ابي سفيان . قال : فقلت : يا أبه من معاوية ؟ فقال : هؤلاء قوم بغضوا رجلاً لم يكن الى الطعن عليه سبيل فاحبّوا اعداءه . قال الشيخ احفظ هذه الحكاية عن ابن مالك فهذه حكاية عجيبة ظريفة »[2] .

قلنا واعجب من هذه الحكاية ان يكون لابن ابي سفيان اول مربّي الدول في الاسلام وسائس الامم وراعي الممالك[3] مثل هذه المكانة والشهرة الذائعة التي طبقت الامصار والآفاق وبعثت على محبته اشياع هؤلاء الغلاة في خراسان والعراق ثم لا يكون حظه اليوم في وطنه دمشق ، وهي العاصمة التي عقد لها تاج الفخر على هامة الدهر ، الا الجفاء والاطراح والنسيان وقلة الكرامة والشيعة والانصار فما احقّه فيها بقول ابن حزم :

انا العلق الذي لا عيب فيه سوى بلدي واني غير طاري
تنقّر لي العراق ومن يليها واهل الارض ، الا اهل داري

الشيعة في يوم الغدير وجعلت بازاء يوم عاشوراء يوماً بعده بثمانية ايام نسبتهُ الى مقتل مصعب بن الزبير وزارت قبره بمسكن كايزار قبر الحسين بالحائر وكان ابتداء ما عمل من يوم الغدير في يوم الجمعة لاربع بقين من ذي الحجة (سنة ٣٨٩هـ) (الثامن من تاريخ هلال الصابئ في ذيل تاريخ الوزراء ٢٧١)

١) ذكر ابن بطوطة لما مر ببغداد سنة ٧٢٧ ان قبر احمد بن حنبل « عند اهل بغداد معظّم واكثرهم على مذهبه » (رحلته ، مطبعة وادي النيل ، ١٢٦)

٢) خزانة باريس ، رقم ٢١٣١ ، ص ١٦

٣) كتاب الفخري لمحمد بن طباطبا ، طبعة مصر ، ص ٩٧

خطط دمشق

بالاستناد الى كتب الوقف والنصوص القديمة

بقلم : صلاح الدين المنجد
رئيس دائرة الآثار القديمة في سورية

٢

أنهار دمشق

تكلم ابن عساكر[1] في تاريخه عن أنهار دمشق ، فذكر قصة شق نهر يزيد وأورد العهد الذي أعطاه الخليفة إلى رجل ذمي كان له حق في ماء النهر أن يجري الى ديره[2]. ثم سرد كيف ساز هشام بن عبد الملك الأنهار في ايامه وهو اهم ما ذكره ابن عساكر.[3]

ذلك لان هذا النص يقدم لنا اسماء الأنهار التي كانت معروفة أيام هشام ابن عبد الملك ، وسعة ماء كل منها .

وسنقدم ها هنا هذا النص . ثم نتبعه بدراسة طوبوغرافية تاريخية عن أنهار دمشق .[4]

وستلاحظ اننا عندما نتكلم على دمشق نتبع بها الغوطة ايضاً .

* * *

١) تاريخ دمشق ، مخطوط في دار الكتب الظاهرية ، تاريخ رقم ١

٢) نقل هذا العهد الى الفرنسية في :

R. Tresse, *l'Irrigation dans la Ghouta* dans *R. E. I.*, 1929.

٣) انظر مهذب ابن عساكر ، تهذيب بدران ١ : ٢٤٤ (دمشق ١٣٣٠ هـ) وفتاوى السبكي ١ : ٤٦٨ (القاهرة سنة ١٣٥٦هـ) والمروج السندسية لابن كنان (دمشق ١٩٤٧) ، ص ٢٨

٤) الف ابن عبد الهادي رسالة سماها غدق الافكار في ذكر الانهار ، (مخطوطة بالظاهرية) وليس فيها شيء ذو اصالة بل هو نقل لما جاء به ابن عساكر .

جاء في تاريخ ابن عساكر ما يلي :

« شكا أهل بردا الى هشام بن عبد الملك ، فأمر القاسم بن زياد ان يعاز لهم الأنهار ، فأعازها ، فأعطى :

أهل نهر يزيد ست عشرة مسكبة

ونهر داريا ست عشرة مسكبة

ونهر ثورة اثنين واربعين مسكبة ، وفيه يومئذ اربع عشرة ماصية للسقي ليس عليها رحا .

ونهر قينية احدى عشرة مسكبة

ونهر باناس ثلاثين مسكبة ، ومسكبة جعلت فيه ليزيد بن ابي مريم مولى سهل بن الحنظلية . وثلاث (١٧٦ ب) مساكب للفضل بن صالح الهاشمي جُعلت فيه من بعد .

ونهر مجدول اثني عشر مسكبة .

ونهر داعية ثلاث عشرة مسكبة .

ونهر حيوة ، وهو نهر الزاف اثني عشر مسكبة .

ونهر التومة العليا خمس مساكب .

ونهر التومة السفلى اربع مساكب .

ونهر الزابون اربع مساكب .

ونهر الملك اربع مساكب .

(تاريخ ابن عساكر . مخطوط بالظاهرية . تاريخ رقم ١)
(ورقة ١٧٦ ب – ١٧٧ آ)

ونحن نذكر الآن اهم الانهار التي تسقي دمشق وغوطتها في زماننا هذا ، وقد صرفنا عنايتنا الى الناحيتين الطبوغرافية والتاريخية . وسردنا اسماء القرى الدائرة والقائمة التي تُسقى اراضيها من هذه الانهار . ورددنا كل ما ذكرنا الى مصادره ، حتى يكون بحثنا اقرب الى الدقة والروح العلمية .

بردى

بثلاث فتحات[1] بوزن فَعَلى من البرد ، سمي بذلك لبرد مائه[2]. ذكر دوسو[3] ومن قبله بورتر Porter[4] انه هو نهر أبانا القديم . ويرجح ان ابانا هو باناس[5] . وكان يسمى Chrysorrhoas ، اي نهر الذهب ، ايام الرومانيين[6] وهو نهر دمشق العظيم . ينبع من احد سفوح جبال لبنان الشرقية . فيكون له واد يسمى باسمه[7] . ومنبعه على ارتفاع ١١٠٠ م[8] . واصل مخرجه من قرية يُقال لها القنوا[9] ومن المحتمل ان تكون القنوا القديمة هذه عين حور التي توجد الان والتي هي واحدة من اوليات العيون التي تغذي بردى .[10]

« ويتسع الوادي نحو الزبداني وتكون ارضه ذات خصب . وتحيط به من الشرق قرى مختلفات منها بلودان وبُقَيْن ومضايا . وعلى يمين السهل تقوم قرية الحوش وقرية بطرونة .

ثم يضيق الوادي ، حتى يشغله النهر وحده . وقد كانت الطريق الرومانية التي شقها ماركُ اوريليوس Marc-Aurèle ولوسيوس ڤيروس Lucius Verus محفورة في الصخر على ارتفاع ثلاثين متراً فوق النهر .

ثم يمر النهر بسوق وادي بردى ، وهي ابيلا Abila de Lysanias القديمة . وفي الوادي نجد قرى كفر العواميد ، والحسينية ، وكفر الزيت . »

١) مراصد الاطلاع لابن عبد الحق (ط Juynboll) ١ : ١٤٣

٢) معجم ما استعجم للبكري (ط . القاهرة ١٩٦٥) ١ : ٢٤٠

٣) Dussaud, *Topographie Hist. de la Syrie*, Paris 1927, p. 288

٤) Porter, *Five Years in Damascus*, London 1855.

٥) Ecochard, *Bains de Damas*. (Première partie), Beyrouth 1942, p. 12
وانظر مقالة حبيب الزيات في المزانة الشرقية ٣ : ١٤٠

٦) Sauvaget, *Esquisse d'une histoire de la ville de Damas*, *R. E. I.* 1935, p. 441.

٧) H. Lammens, *Barada*, « *Encyclopédie de l'Islam* » p. 668

٨) Ecochard, *Bains de Damas*, «Première partie». p. 12

٩) معجم البلدان (ط . وستنفلد) ٤ : ٨٤٦

١٠) Dussaud, *Topographie Hist. de la Syrie*, p. 288

ويبلغ النهر الفيجة . ويظن ان كلمة الفيجة تأتي من *pégé* اليونانية لانه نبع غزير جداً يُضاعف مياه بردى . »[1]

وتبعد الفيجة عشرين كيلومتراً عن دمشق .[2]

فاذا صار قريباً من دمشق ، انقسمت منه أنهار[3] عدتها سبعة[4] ففي الشمال ينفصل عنه يزيد وثورا . ومن الجنوب ينفصل القنوات وباناس والمزّي والديراني ويكون هو سابعها . ثم يدخل بردى دمشق نفسها . ويدخل معه ايضاً باناس وقنوات . وينفصل عنه المجدول قبلها . ثم يتابع سيره حتى يخرج من المدينة فيجتاز الغوطة . وما تزال الينابيع تنبع على جنباته فتردفه ، والانهار تنفصل عنه فيردفها حتى يمرّ بالغوطة كلها ، فيسقيها ، وتكون مدينة له بخصبها وجودة تربتها . ثم ينصب في بحيرة المرج[5] او بحيرة دمشق[6] .

وبردى أشهر من ان يُشاد بذكره . وفضله على دمشق ظاهر بيّن . وقد لهج بذكره الشعراء منذ أيام الجاهلية الى يومنا هذا . وله في الأدب العربي فصل خاص جدير بان يُعنى به وينشر . ومن اقدم من ذكره حسّان ، ومن احدثهم شوقي .

نهر يزيد

يذكر المؤرخون العرب أن يزيد بن معاوية هو الذي شقه[7] . ومن المؤكد أنه شُقّ في زمن أقدم من عهد يزيد[8] . وليس يزيد هو أول من شقه[9] . وقد

---

١) Dussaud, *op. cit.* p. 288 et suiv.

٢) Ecochard, *Bains*, p. 12 ومن ماء الفيجة تشرب في ايامنا دمشق كلها . وقد مدت مياهها في انابيب اليها ووزعت على دورها .

٣) مراصد الاطلاع ١ : ١٤٢

٤) نخبة الدهر للدمشقي (ط . مهران) ص ١٩٤ .

٥) مراصد الاطلاع ١ : ١٣٢

٦) المسالك والممالك لابن خرداذبة (ط . ليدن ١٣٠٦ ﻫ) ص ١٧٧ .

٧) نخبة الدهر للدمشقي (ط . مهران ليبزيغ ١٩٢٣) ص ١٩٤

٨) Ecochard, *Les Bains de Damas* p. 12 *(J.F.D.)*

٩) غدق الافكار في ذكر الانهار لابن عبد الهادي (مخطوط في الظاهرية)

كان فيه قنى أعجمية لبعض أهل الذمة صنعت قبل يزيد[1] . على أن يزيدًا هو الذي زاده وجدده وجعله نهرًا فنسب اليه.[2]

ينفصل عن بردى بالقرب من قرية الهامة على بعد ١٢ كيلو مترًا من دمشق فيسر شمال الدوّاسة أي الدكة القديمة[3] وجنوبَ أراضي دير مرّان[4] . ويسقي قسماً كبيرًا من اراضي الصالحية مارًا بسفح قاسيون. وكل مياه الصالحية منه[5]. ويجتاز اراضي الميطور[6] وبرزة[7] ويسقيها . وينتهي في اراضي[8] حرستا[9] .

نهر نورة

كذا رسمه ابن عساكر[10] ورسمه آخرون بالألف المقصورة[11]. ويسميه الناس اليوم تورا . وهو من صنع الآراميين[12]. أما نسبته فمختلف فيها فقال ناس إنه سمي باسم أمير اسمه نورى كان قبل الاسلام[13] . وقال آخرون إنه أحد ملوك

١) تاريخ دمشق لابن عساكر (مخطوط في الظاهرية ، تاريخ رقم ١)ورقة ١٧٧ آ.
٢) غدق الافكار
٣) انظر خطط الصالحية لدهمان (مطبوعات مديرية الآثار العامة ، دمشق ، ١٩٤٧).
٤) انظر ياقوت ، معجم البلدان (ط. وستنفلد. ليبزيغ ١٨٦٩) ٢ : ٦٦٦ . ومسالك الابصار (ت. احمد زكي باشا . القاهرة ١٩٢٤) ص
٥) المروج السندسية لابن كنان (ت. دهمان ، مطبوعات مديرية الآثار العامة ، دمشق ١٩٤٧) ص ٢٩.
٦) المروج السندسية ، ص ١٢ – وانظر مخطط الصالحية لدهمان .
٧) معجم البلدان ١ : ٥٦٣ – ضرب الحوطة لابن طولون (مجلة المجمع العلمي . مجلد ٢١ ، ١٩٤٦ عدد ٣ و ٤ ، ص ١٥٤ . . .) – دوسّو Dussaud, *T. H. S.* ص ٢٩٦ .
٨) معجم البلدان ٢ : ٢٤١ – ضرب الحوطة ص ١٥٦ وشرحها من نهر يزيد ونورا – دوسّو Dussaud, *T.H.S.* ص ٣٠٢.
٩) عن نهر يزيد انظر أيضاً: R.Thoumin.*Deux quartiers de Damas:Quartier Kurde:* p. 116. *(B.E.O.)* T. I, 1931. Surtout « L'Alimentation en eau », p.125.
١٠) تاريخ دمشق (مخطوط) الورقة ١٧٧ آ .
١١) العلموي مثلًا في مختصر التنبيه .
١٢) Ecochard, *Bains*, p. 12
١٣) المروج السندسية ، ص ٢٩.

المسلمين[1]. والنسبة الثانية خطأ.

ينفصل عن بردى بالقرب من الشاذروان. ويمضي نحو الصالحية مارًا بجنوب نهر يزيد. ثم يجتاز الجسر الابيض[2]، وقرية مقرى القديمة، وبيت أبيات، أي محلة طاحون الاشنان[3]. وبين يزيد وتورا تقوم أراضي التيرب الاعلى[4] والسهم الاعلى[5]. وكان يسقي قرية أرزة التي قام مقامها حي الشهداء[6]. وكذلك كان يسقي قرية أرزونا وكانت قبيل جسر تورا، قبليه لجهة الغرب[7]. وهو يسقي قسماً من أراضي جوبر[8].

وذكر ابن طولون في القلائد الجوهرية (ورقة ١٩٩ مخطوطة دهمان) أن عدة أنهار تتفرع من تورا منها نهر جسر البط ونهر طاحون الوز. وأن تحت هذا النهر عدة أعين تنبع: عين الكرش ويجتمع عليها ماء حتى يصير ماؤها يقال له نهر عين الكرش. وعين غيضة الخواجا ابن مزاق، وعين طريق الشبلية. وأصلها من بستان شرقيها. اهـ.

ومن تورا يتفرّع فرع يسمى مقسم التلت يسقي أراضي قرى حزّة[9]

---

١) مختصر تنبيه الطالب للملموي (تحقيق صلاح الدين المنجد – مطبوعات مديرية الآثار العامة، دمشق ١٩٦٧) ص ٨٦.

٢) انظر دور القرآن بدمشق – الملحق الثاني رقم ٥، ص ٦٥.

٣) المروج السندسية ص ١٢ – ضرب الحوطة ص ١٥٤. عن مقرى: معجم البلدان ٤: ٦٠٤ جبل قاسيون لمحمد دهمان (دمشق ١٩٦٦) ص ١٩، ولم يعرف موقعها دوسو (ص ٢٠٦).

٤) جبل قاسيون لدهمان ص ١٥ – ١٨ (هو اوسع ما كتب) وانظر Dussaud, *T.H.S.* ص ٢٠٨.

٥) مدارس دمشق للاربلي (تحقيق محمد دهمان، دمشق ١٩٦٧) حاشية رقم ١ ص ٢٨.

٦) ضرب الحوطة ص ١٥٤ – جبل قاسيون لدهمان ص ١٨.

٧) ضرب الحوطة ص ١٥٤ – مدارس دمشق للاربلي، حاشية رقم ٥ ص ٢٩ – جبل قاسيون لدهمان ص ١٨ – ولم يعرف موقعها دوسو (ص ٢٩٤)

٨) معجم البلدان ٢: ١٢٦ – ضرب الحوطة ص ١٥٥ – Dussaud, *T.H.S.* ص ٢٩٩.

٩) ضرب الحوطة ص ١٥٦ «وشرجا من عين الرشيدية» – Dussaud, *T.H.S.* ص ٢٠٣.

وزملكا[1] وعربيل[2] ، وبعض أراضي عين ترما[3] .

ثم يُتابع سيره فيسقي اراضي مَدَيرى[4] ومسرابا[5] ودومة[6] وينتهي في عذرا[7] التي تشرب منه.

وعلى هذا النهر قناطر إسلامية كثيرة تبعد الواحدة عن الثانية نصف كيلومتر. وعلى جسرين من هذه الجسور كتابتان فاطميتان تشيران إلى تاريخ بنائها أيام الخليفة المستنصر بالله.

ونص الكتابة الاولى :

« بسم الله الرحمن الرحيم

أمر بعمارة هذا الجسر ، في أيام مولانا الامام المستنصر بالله ، الاجلُ تاج الامرآء الابرار المظفر . . . المجاهد المرابط عمدة الامام . . . تقبل الله منه عمله وأعظم أجره . وذلك ابتغاء مرضات (كذا) الله ورسوله ، في ربيع الاول سنة اثنين وأربعين وأربعماية . »[8]

ونصّ الكتابة الثانية :

« بسم الله الرحمن الرحيم

أمر بعمارة الجسر مملوك مولانا الامام | المستنصر بالله أمير المؤمنين صلوات الله عليه ، تاج الامرآء مقدم الجيوش المظفر . . . | شرف الملك عمدة الامام سيف الاسلام معز الدولة وسعدها وعضدها ذو | الرئاسات أطال الله بقاءه وأدام قدرته في ربيع الاول سنة ست وخمسين وأربع ماية . »[9]

وقد وجدنا في كتاب القلائد الجوهرية لابن طولون[10] محضراً بتاريخ سنة ٦٤٨هـ يتعلق بسدادين نهر تورا وها هوذا نصه :

١) معجم البلدان ٢ : ١٤٤ – ضرب الحوطة ص ١٥٧ – Dussaud, *T.H.S.* ص ٢١٢.

٢) – ضرب الحوطة ص ١٥٩ – Dussaud, *T.H.S.* ص ٢٦٤ .

٣) معجم البلدان ٣ : ٧٥٩ – ضرب الحوطة ١٥٩ « وغالب الوادي التحتاني مع اهلها . وشربها من نهر تورا . واما الوادي فشرب بعضه من نهر داعية وبعضه من بردى » – Dussaud, *T.H.S.* ص ٢٦٤ .

٤) Dussaud, *T.H.S.* ص ٢٠٥ .

٥) « « ص ٢٠٧ .

٦) معجم البلدان ٢ : ٦٢٥ – ضرب الحوطة ص ١٥٧ – Dussaud, *T.H.S.* ص ٢٦٦ .

٧) معجم البلدان ٣ : ٦٢٥ – ضرب الحوطة ص ١٥٩ – « « ص ٢٦٢ .

٨) *Répertoire chronologique d'épigraphie Arabe* . الجزء السابع ، رقم 2549 .

٩) المصدر السابق ، رقم 2451 .

١٠) مخطوطة الشيخ محمد احمد دهان ، ورقة (١٩٨ – ١٩٩)

« ثبت لدى قاضي القضاة صدر الدين[1] ابي العباس احمد بن قاضي القضاة شمس الدين[2]
« ابي البركات يحيى بن هبة الله بن الحسن بن يحيى بن يحيى بن محمد الشافعي الحاكم كان
« بدمشق ، في يوم الجمعة ثاني جمادى الآخرة سنة ثمان وأربعين وستماية جميع ما تضمنه
« المحضر الذي من مضمونه — وشهد في المحضر أربعة شهود : عبدالله بن رسوبه ، وسليمان
« ابن داود بن عمر بن خطيب بيت الآبار ، ومحمد بن خميس بن محمد ، وابرهيم بن سلامة
« ابن عيسى الشافعي — ان العادة المستمرة والقاعدة المستقرة الجارية في عدادين خمر تورا من
« اهل الاماكن الاتي ذكرها من كورة غوطة دمشق من السنين المتقادمة والاعوام المتطاولة
« ان لأهل قريتي دوما وحرستا الزيتون بينها نصفان : ثمانية عدادين في ثمانية ايام متوالية .
« ثم يتلوها لاهل قرية عربيل وقرية كفر مدير وقرية سرايا الوقف على البياوستان النوري .
« ولداريا الصغيرة . ولثلاثة مزارع من قرية حرستا الزيتون : تعرف إحداهن بعذرون ،
« والاخرى بسطرا ، والاخرى بانطايا اربعة عدادين ، من هذه الاماكن المؤخر ذكرها ،
« من وقت الحصر الى طلوع الشمس ، ما خلا ماصيتي أمير المؤمنين وقناة السيل المعروفة
« بالزينبية والماصية الخاصة المعروفة بدار الضيافة . وسدها من الربوة الى ان تنتهي الى
« مقسم الثلث الذي منه هذه العدادين الاربعة . وهذه العادة لم يغيرها مغير ولا أزالها مزيل
« من السنين المتقادمة الى الآن . وكتبوا شهادتهم في الثامن من شعبان سنة سبع واربعين
« وستماية هجرية . وقد اتصل بحكام الشريعة المطهرة حاكماً بعد حاكم بالطريق الشرعي الى
« ان اتصل بالشهادة على الخط وحكم بثبوت الصحة فيه بشيخنا قاضي القضاة نجم الدين عمر بن
« ابراهيم بن مفلح الحنبلي في ثالث ذي الحجة سنة احد وتسعماية . »

نهر الداراني

هو نهر داريا القديم[3] سُمّي باسمها لانه يسقيها . ويسمى اليوم « الديراني »
« وهو أوفرها (النهر) مجرى وأبعدها مقسما »[4] ينفصل عن بردى بالقرب من
الشاذروان[5] ، فيسقي اراضي المزّة[6] ، ويبلغ داريا[7] فيسقيها .

١) أحمد بن يحيى ابن سنى الدولة . — ٦٥٨ انظر ابن كثير ١٣ : ٢٢٤
٢) يحيى بن هبة الله ابن سنى الدولة . — ٦٣٥ النجوم الزاهرة ٦ : ٢٠٢
٣) تاريخ دمشق (مخطوط) ، ورقة ٧٧ آ .
٤) نخبة الدهر ، ص ٢٦٨ .
٥) انظر عنه تحفة الانام للبدري (ط القاهرة ١٣٦١ هـ)
٦) معجم البلدان ٤ : ٥٢٢ — نخبة الدهر ، ص ٢٦٤ — ضرب الخوطة ، ص ١٦ — رحلة ابن جبير (ط ليدن ١٩٠٧) ، ص ٢٩٧ — وانظر ايضاً : المزّة فيما قيل في المزّة (ط . الفدمي ١٣٦٨ هـ) . ودور القرآن بدمشق لصلاح الدين المنجد (دمشق ١٩٤٦) ، ص ٤٧
٧) معجم البلدان ٢ : ٥٣٦

نهر القنوات

هو من صنع الرومان[1]. ومن المرجح أنه نهر قينية القديم[2]. لانه هو الذي يسقي اراضيها.

ينفصل عن بردى بالقرب من الشاذروان. وينقسم عند الثكنة[3] الحميدية (وقد أصبحت مقر الجامعة السورية منذ شهور) الى فرعين:

آ – الفرع الاول يجري جنوباً فينقسم خمسة أقسام:

١ – قسم بستان حجر الاحمر ويسقي أراضي كفرسوسية[4]

٢ – قسم القدم[5] ويسقي اراضي قينية[6] والخلخال

٣ – قسم الشعاب ويسقي باب السريجة وباب المصلى والميدان

٤ – قسم عاتكة ويسقي حي قبر عاتكة

٥ – قسم المعلقات.

ب – الفرع الثاني يجري شرقاً، فيدخل المدينة، ويجتاز حياً سمي باسم النهر. وتتفرع منه طوالع كثيرة توزع المياه على الحارات والدور والحمامات والطواحين والجوامع. كحي قبر عاتكة، وباب السريجة، والخراب، ومأذنة الشحم، وحارة اليهود وزقاق المارستان، وحارة الشابكلية في القنوات، وكحمام التوروزي، وحمام الخياطين، وحمام المسك، وحمام ست عذراء، وحمام السنانية، وحمام البزورية، وحمام القيشاني، وحمام ملكة. وكقصر اسعد باشا العظم، وكطاحون السجن، وكالقلعة وسوق الاروام، وكالجامع الاموي، وغير ذلك.

---

١) M. Ecochard, *Bains*, p. 12

٢) تاريخ دمشق (مخطوط) ورقة ٢٧٧ آ.

٣) بنيت ايام السلطان عبد الحميد.

٤) معجم البلدان ٤: ٢٨٨ – دور القرآن بدمشق، ص ٤٧.

٥) ضرب الحوطة، ص ١٦٠.

٦) قرية درست. كانت بساتين زمن ياقوت (معجم الادباء ٤: ٢١٦) وهي غربي المصلى بجوار الخلخال، جنوب غربي باب السريجة (دور القرآن بدمشق، ص ٤٧ و ١٠١) ظاهر باب الجابية (ضرب الحوطة، ص ١٦١).

وقد ذكر البديري الحلاق ان هذا النهر رمم وعُمّر سنة ١١٥٦هـ. قال : « وفي غرة جمادى الاولى سنة ١١٥٦هـ شرع حضرة سليمان باشا العظم في تعمير وترميم القنوات وجعل جميع المصارف من ماله جزاه الله خيراً واشتغل بها من الفعلة مائتا فاعل ، فأمر بقطع بعض الصخر من طريقها وبتشييد اركانها واصلاح ما فسد منها ورفع وجدرانها وبضبطها ضبطاً جيداً ، وباصلاح فروض مستحقيها على الوجه الحق ، وان يأخذ كل ذي حق حقه . »

مذكرات أحمد البديري الحلاق من سنة ١١٥٤ هـ. الى سنة ١١٧٦ ، تنقيح محمد سعيد القاسمي (مخطوط بالظاهرية عام ٣٧٣٧) .

نهر القناة

هو قناة المزّة . ويسمّى اليوم القناية ، والمزاوي[1] ، وكان يسمّى نهر مزّة[2] . ينفصل عن بردى في قرية دمّر[3] . ويسقي قسماً من أراضي المزّة وما يحيط بها .

نهر بانياس

هو نهر أبانا الذي تذكره التوراة[4] . يسميه الدمشقي نهر « بلنياس » ويذهب الى انه بلنياس الحكيم فتحه فسُمّي باسمه[5] . وظن آخرون أنه منسوب الى بلنياس المهندس l'architecte[6] . وهو من صنع الآراميين .[7]

ينفصل عن بردى عند الربوة[8] . ثم يدخل مدينة دمشق فيمرّ بقلعتها[9]

١) Ecochard, *Bains* p. 12

٢) نخبة الدهر للدمشقي ، ص ٢٦٤ ؟.

٣) معجم البلدان ٢ : ٥٨٧ — Dussaud, *T.H.S.* ص ٢٩١.

٤) Ecochard, *Bains*, p.12

٥) نخبة الدهر ، ص ١٩٤ .

٦) Tresse, *l' Irrigation dans la Ghouta. (R.E.I.)* 1929, p. 470

٧) Dussaud. *T.H.S.* p.309 — Ecochard, *Bains* p 12 .

٨) عن الربوة انظر معجم البلدان ٢ : ٧٦٢ — مسالك الابصار (دار الكتب ١٩٢٤) ص ٢٠٧ — ابن جبير ص ٢٧٨ و٢٧٩ — .

٩) عن القلعة انظر : ترجمة الانام للبدوي (القاهرة ١٣٦١ هـ) ، ص ٦٠ — ٦١ و Sauvaget, *La Citadelle de Damas.*

« ثم ينقسم قسمين : قسم للجامع وقسم للقلعة . ثم ينقسم كل قسم على تقاسيم »[١] ويخرج فرع ماراً شرق المدرسة القجماسية[٢] تحت حمّام محمد باشا العظم[٣] . وينقسم هذا القسم فرعين الاول يجري نحو الباب الصغير[٤] والميدان[٥] والثاني نحو بساتين الشاغور والباب الشرقي[٦] . وتسميه العامة « تُلَيْط » .

وقد استمد من بانياس نهر ، في الماضي ، كان يسقي بعض أراضي بابيلا[٧] كما ان بانياس كان يسقي بعض أراضي حجيرة[٨] .

واما قسم القلعة ، فيخترقها ، ومن ماء هذا القسم ماء العادلية الصغرى[٩] ، والكبرى[١٠] والظاهرية الجوانية[١١] ونوفرة جيرون[١٢] وغيرها . . .

وعلى الجملة فإن النصف الشمالي من المدينة يُسقى معظمه من نهر باناس ، (×

---

١) مسالك الابصار (مخطوط بخزانة باريس رقم ٢٣٢٥) عن الخزانة الشرقية لحبيب الزيات ٣ : ١٤٠ .

٢) مختصر تنبيه الطالب ، ص ١٠٠ . هدمت كلها واصبحت عرصة . انظر مخطط دمشق القديمة لصلاح الدين المنجد ، رقم ٤٩ .

٣) هدم منذ شهور ، وظهر تحته نهر بانياس .

٤) دمشق القديمة لصلاح الدين المنجد (مطبوعات مديرية الآثار العامة ١٩٤٥) ص ٤١ .

٥) هو ميدان الحصا ، جنوب دمشق . انظر : Sauvaget, *Esquisse d'une Histoire de la ville de Damas (R.E.I. 1935)* pl. VII.

٦) دمشق القديمة ص ٣٩ .

٧) وقفية سعد الدين باشا العظم (مخطوطة بمديرية الآثار العامة ، ورقة ٧١) .

٨) المصدر السابق

٩) مختصر تنبيه الطالب ، ص ٥٨ ومخطط دمشق القديمة للمنجد ، رقم ٤٦ .

١٠) المصدر السابق ، ص ٥٧ 〃 〃 〃 〃 ، رقم ٣٥ .

١١) المصدر السابق ، ص ٥٥ 〃 〃 〃 〃 ، رقم ٣٦ .

١٢) انظر عنها مسالك الابصار ، ص ٢٠٠ .

×) عن نهر باناس انظر ايضاً : حبيب الزيات ، نهر ابانا وفرفار . (الخزانة الشرقية ٣ : ١٣٩ – ١٤١) وتاج العروس ٢ : ٢٦٦ مادة (بَرَدَ) –

نهر الجرول

ورد ذكره في تاريخ ابن عساكر[1] ويُسمى اليوم نهر العقربانى نسبة الى عقربا[2].
ينفصل عن بردى ، في المرجة (ساحة الشهداء) ، فيكون أرفع من بردى مستوى ، وبردى اخفض منه . ثم يكون خندقاً للقامة من شمالها . فاذا تركها مرّ بين السورين[3] ثم يماشي سور المدينة ، ويصل الى باب السلامة[4] . ثم يمر بالصفوانية[5] ثم يمضي فيسقي اراضي جرمانا[6] وعقربا وبيت سحم[7].

نهر داعيا

ذكره ابن عساكر[8] . ويسمى الداعياني . ينفصل عن بردى في الصفوانية فيسقي طرفاً من أراضي جوبر . ويتفرّع من الداعياني ثلاثة انهر اخرى .

١ – الاول ينفصل عن الداعياني بالقرب من طاحون المبد[9] . ويسقي اراضي عين ترما . وكفربطنا[10] .

٢ – الثاني ينفصل عن الداعياني بالقرب من عين ترما ويسقي اراضي سقبا[11] وحمورية[12] وافتريس[13] وبيت سوا[14] .

---

١) تاريخ دمشق (مخطوط) ، ورقة ١٧٧ آ .
٢) معجم البلدان ٣ : ٦٩٤ – Dussaud, T.H.S. ص ٢٦٤ – ضرب الحوطة ص ١٥٩ « وينسب اليها القماش العقربانى » .
٣) انظر دمشق القديمة ، ص ١٤ .
٤) « المصدر السابق ، ص ٤٥ .
٥) تسمى اليوم الصوفانية . انظر مخطط دمشق القديمة لصلاح الدين المنجد .
٦) معجم البلدان ٣ : ٦٤ – ضرب الحوطة ، ص ١٥٥ – Dussaud, T.H.S. ص ٢٦٩ .
٧) ضرب الحوطة ، ص ١٥٤ – Dussaud, T.H.S. ص ٢٦٥ .
٨) تاريخ دمشق (مخطوط) ، ورقة ١٧٧ آ .
٩) على الطريق المؤدي إلى كفربطنا وجسرين
١٠) معجم البلدان ٤ : ٢٨٦ – ضرب الحوطة ص ١٦٠ – Dussaud, T.H.S. ص ٢٠٤ .
١١) معجم البلدان ٣ : ١٠٠ – ضرب الحوطة ، ص ١٥٨ – ولم يعرف موقعها دوسو رغم شهرتها (ص ٢١٣) .
١٢) معجم البلدان ٢ : ٣٤٠ – ضرب الحوطة ، ص ١٥٦ – Dussaud, T.H.S ص ٢٠٢ .
١٣) ضرب الحوطة ، ص ١٥٤ – Dussaud, T.H.S. ص ٢٠٤ .
١٤) معجم البلدان ١ : ٧٧٨ – ضرب الحوطة ، ١٥٥ – Dussaud, T.H.S. ص ٢٦٦ .

٣ً – الثالث ينفصل عن الداعياني بالقرب من عين ترما ايضاً ويسقي أراضي كفربطنا وجسرين[1] والمحمدية[2].

نهر المليحي

ينسب الى قرية المليحة[3] او المنيحة .

ينفصل عن بردى بالقرب من طاحون الاحد عشرية[4] . ويسقي اراضي المليحة وبلاط[5] وخيارة[6] ودير مجدل[7].

نهر زبدين

ويسمى الزبديني نسبة الى قرية زبدين[8] . ينفصل عن بردى بالقرب من بستان القوادري[9] ويسقي اراضي الحديثة ، حديثة الجرش[10] (الحتيتة اليوم) وزبدين. وتفيض مياهه في الشتاء على نهر الحاروش[11] او حروش . وكان يعد من نهر زبدين نهر درمينا كما جاء في وقفيّة سعد الدين باشا العظم – (بمديرية الآثار العامة ورقة ٤٢).

---

١) معجم البلدان ٢ : ٨٢– ضرب الحوطة ، ١٥٥ – Dussaud, *T.H.S.* ص٢٩٩.

٢) ضرب الحوطة ، ص ١٦٠ – Dussaud, *T.H.S.* ص ٢٩٨ و٣٠٠.

٣) معجم البلدان ٤ : ٦٧٣–ضرب الحوطة ، ص ١٦٠ – Dussaud, *T.H.S.* ص ٣٠٥.

٤) تقع شرق محلة القماطة ، على بعد ٥٠٠م من الباب الشرقي ، مشهورة.

٥) معجم البلدان ١ : ٧٠٨ – Dussaud, *T.H.S.* ص ٢٩٥ .

٦) Dussaud, *T.H.S.* ص ٣٠٥ – ضرب الحوطة ، ص ١٥٧ – .

٧) Dussaud, *T.H.S.* ص٢٩٤ – ضرب الحوطة ، ص١٥٤ – .

٨) Dussaud, *T.H.S.* ص٣١٣.

٩) بستان مشهور يقع شرق جسر المطيّر. وترتيب البساتين على طريق المليحة ، ابتداء من مدفن أبي ، على شمال الذاهب شرقاً كما يلي : مزرعة القوتلي – بستان هدايا – جورة السوداء – جسر المطيّر ، فوق القربانى – بستان البطيخي– بستان الملي– بستان القوادري...

١٠) معجم البلدان ٢ : ٢٢٥–ضرب الحوطة ، ص ١٥٨ Dussaud, *T.H.S.* ص٣٠١ .

١١) يجري من عين حروش في أرض زبدين انظر : القوطة لمحمد كرد علي (مجلة المجمع العلمي – المجلد ١٦ – ج ٣ و٤– ص ١٧٤).

نهر الزابوله

ذكره ابن عساكر[1]. ينبع من عين النويسي[2] ويرفده بردى ويسقي اراضي جسرين والمحمدية والاشمري[3].

نهر الملك

ذكره ابن عساكر[4]. ينفصل من بردى بالقرب من جسر الفيضة[5] ويسقي قسماً من اراضي المحمدية.

نهر حزرما

نسبة الى قرية حزرما[6]. ينفصل عن بردى ويسقي اراضي حوش الصالحية[7].

نهر الشيداني

ويسمى الشيداني. ينفصل عن بردى بالقرب من بالا[8] ويسقي بالا وحوستا[9] القنطرة.

والى جانب هذه الانهار التي تنفصل عن بردى، توجد انهار اخرى تجري من ينابيع قريبة او بعيدة من مجراه.

من هذه الانهار نهر قناة الاشمري ينبع من عين الفيلانية بالقرب من قرية حمورية. ويسقي اراضي الاشمري وأوتايا والشيفونية.

ومنها نهر البحيراني ينبع من اراضي قرية بحارية ويسقي اراضيها واراضي جربا.

ومنها نهر حروش، ينبع من اراضي بزينة من عين حروش ويردفه بردى في الشتاء. ويسقي اراضي تل احمر وقسماً من اراضي دير سلمان وجديدة وحران العواميد.

---

١) تاريخ دمشق (مخطوط)، ورقة ١٧٧ آ.

٢) عين من عيون الغوطة

٣) من قرى المرج

٤) تاريخ دمشق (مخطوط) ورقة ١٧٧ آ.

٥) جسر مشهور، والفيضة كانت تسمى فيضة السلطان، ولها ذكر في التواريخ

٦) Dussaud, *T.H.S.* p. 302

٧) Dussaud, *T.H.S.* p. 304

٨) Dussaud, *T.H.S.* p. 294

٩) Dussaud, *T.H.S.* p. 303

٣

خانات دمشق

جمع ابن عبد الهادي ، في القرن العاشر الهجري ، أسماء الخانات التي عرفها في زمانه ، واغلب الظن أنه لم يستقص كل الخانات التي كانت في دمشق . وقد نشر الاستاذ حبيب الزيات رسالة ابن عبد الهادي التي جمع بها ما عرفه من خانات دمشق ، وقدّم لها بتمهيد عن معنى الخان، والوكالة والقيسارية، وعن أسماء الخانات ومن أي شيء تستمد[1].

وكان صاحب كتاب « الروضة الغناء في دمشق الفيحاء »[2] نشر فصلاً عن خانات دمشق في القرن الماضي ، بيّن لنا عددها ، ولكن لم يسرد أسماءها جميعاً ، بل اكتفى ببعض الخانات التي كانت في عصره ، وأغلبها من العصر العثماني.

على اننا لم نجد حتى يومنا هذا ، من عُني من المعاصرين بالبحث عن هذه الخانات من الناحيتين الطوبوغرافية والمعمارية . ومن الواجب ان نبحث عنها ، ونعلم كيفية تنظيمها وعمارتها ، لما كان لهذه الخانات من شأن كبير في الحياة الاجتماعية والحياة الاقتصادية.

وسنحاول هنا ان نقدم أنموذجات من خانات دمشق . تبين كيف كانت وتذكر مواقعها ، وأوصافها ، وعدد غرفها وطبقاتها ، وقد استخرجنا ذلك من كتب الوقف المخطوطة التي عثرنا عليها ، والمطبوعة التي قرأناها.

وقبل أن نبدأ بذكر هذه الانموذجات ، نقدم قائمة بأسماء بعض خانات كانت بدمشق ، جمعناها من الكتابات القديمة ، او الكتب ، لم يذكرها ابن عبد الهادي ، ولا القاطلي ، ولا الزيات.

وهاكم ما جمعناه من اسماء بعض الخانات.

---

١) الاعلانات على معرفة الخانات لابن عبد الهادي ، يوسف بن حسن . نشرها ، عن مخطوطة الظاهرية الاستاذ الزيات . انظر المزانة الشرقية ٣ : ٤٦ وما بعدها ، بيروت ١٩٤٦ .

٢) الروضة الغناء لنعمان القاطلي ، ص ١٢٦ ، بيروت ١٨٧٩ .

١ – خان العميان ، وقف على الخانقاه العزيّة[1] .

٢ – خان الجورة او خان المقادسة . قام مقامه تربة قانصوه اليحياوي المتوفى سنة ٩٠٢هـ.[2]

٣ – خان عاتكة ، وقف على المدرسة المرشدية .[3]

٤ – خان النجيبي ، بميدان الحصى[4] . وينسب الى جمال الدين آقوش النجيبي (– ٦٧٧هـ).

٥ – خان فارس ، كان قبلة مسجد القصب ، فلما جدد المسجد وزاد فيه الامير ناصر الدين محمد بن منجك أخذه وضمه الى المسجد[5] .

٦ – خان الناصر ، ينسب للملك الناصر ، باني المدرسة الناصرية الجوانية ، قال ابن كثير[6] : بنى الخان الكبير تجاه الزنجاري[7] وحوّلت اليه دار الطعم[8] .

٧ – خان التوبة بحكر السماق ، وقف على البيمارستان النوري[9] .

٨ – خان يعرف بالاصطبل ، ظاهر دمشق ، وقف على الظاهرية[10] .

٩ – خان الشبلي خارج باب الجابية ، وقف على المدرسة العزيّة[11] .

١٠ – خان الظاهر . أمر بتجديده تنكز سنة ٧٣٢هـ[12] .

١١ – الخان المعدّ لشغل الاقمشة خارج باب شرقي . وقف على تربة الامير سرور ابن عمر الحسامي المتوفى سنة ٦٩٥[13] .

---

١) مختصر تنبيه الطالب للملوي تحقيق صلاح الدين المنجد (مطبوعات مديرية الآثار العامة بدمشق ، ١٩٤٧) ص ١٥٠ .

٢) المصدر السابق ، ص ٢١٥ .

٣) Combe, Sauvaget et Wiet, *Répertoire chronologique d'épigraphie Arabe*, N° 4350. T.XI p 233.

٤) البداية والنهاية لابن كثير (ط القاهرة) ١٤ : ٧٩

٥) مختصر تنبيه الطالب ، ص ٢٢٩

٦) البداية والنهاية ١٣ : ٢٤١

٧) أي المدرسة الزنجارية ، انظر مختصر التنبيه

٨) انظر مخطط دمشق القديمة لصلاح الدين المنجد .

٩) *Répertoire*, N° 4411, T. XII, p. 8

١٠) *op. cit*, N° 4743, T. XII, p. 230

١١) *op. cit*, N° 5034, T. XIII p. 164

١٢) البداية والنهاية ١٣ : ١٥٧

١٣) *Répertoire*, N° 5011 T. XIII, p. 149

١٢ – خان لاجين شرقي دمشق[1].

* * *

اما الانموذجات التي وعدنا بذكرها فها هي ذي :

١ – خان المقدم

« وجميع الحصة الثالثة وقدرها الربع من جميع الخان الكائن بدمشق المحروسة المعروف بالمقدم(٢ داخل باب الفراديس ، المعدّ الآن لضرب النحاس ، المحدود بحدود أربعة من القبلة المدرسة المقدمية الجوانية(٣ ، وتمامه النهر . ومسجد الرأس(٤ . ومن الشرق الاسطبل المعروف بابن قراسنقر ، وتمامه وقف الملك المؤيد . ومن الشمال سور البلد(٥ وتمامه المدرسة المجاهدية(٦ . ومن الغرب الطريق ومنها يتطرّق الى ذلك .

(قطعة من وقفية المقدمية . السطر الخامس الى السطر الثامن)
محفوظة عند الاستاذ الشيخ حمدي الفرجلاني

٢ – خان قصر[7] حجاج

« جميع الحصّة الثالثة وقدرها ثمانية عشر سهماً من أصل أربعة وعشرين سهماً شائعاً في

---

١) البداية والنهاية ١٤ : ١٩٥

٢) هو الامير شمس الدين محمد بن عبد الملك المقدم . من كبار أمراء صلاح الدين . توفي سنة ٥٨٣ . (انظر ترجمته في وفيات الاعيان لابن خلكان . وانظر مختصر تنبيه الطالب للعلوي ، تحقيق صلاح المنجد ، دمشق ١٩٤٧ ، ص ١٠٨)

٣) من مدارس الحنفية بدمشق . انظر مختصر تنبيه الطالب ص ١٠٨ – ١١٠ ، و Sauvaire, *Description de Damas*, dans *J. As.* Septembre-Octobre 1894 p. 284-285.

٤) مسجد باب الفراديس ، يُقال ان رأس الحسين مدفون به (غاز المقاصد في ذكر المساجد لابن عبد الهادي – المعهد الفرنسي بدمشق ١٩٤٣ – ص ٩٩) . ودفن في هذا المسجد رأس الملك الكامل بن الغازي بن العادل . (البداية والنهاية لابن كثير ، ط . القاهرة دار السعادة) ١٣ : ٢١٥ . وقد جدّد هذا المسجد بردبك سنة ٨٧١هـ (اعلام الورى لابن طولون مخطوط ، ٢٩)

٥) انظر دمشق القديمة لصلاح الدين المنجد ، ص ١٢ – ١٤

٦) من مدارس الشافعية ، انظر مختصر تنبيه الطالب . ص ٧٢ . و Sauvaire, *Description*, dans *J. As.* Mai-Juin 1894 p. 441.

٧) محلّة كبيرة في ظاهر باب الجابية منسوب الى حجاج بن عبد الملك بن مروان (معجم البلدان لياقوت . ط . وستنفلد) . ٤ ص : ١١٠ .

جميع الخان ارضاً وبناء الكائن ذلك ظاهر دمشق المحروسة خارج باب الجابية(١ بقصر حجاج المجاور لحمام الزيني(٢ يفصل بينهما الدخلة النبر (كذا) نافذة . يطلق عليه باب خاص . ويشتمل الخان المذكور على ساحة سماوية يدخل إليها من دهليز . بها سبعة عشر حزناً يطلق على كل منها (٥ب) باب خاص ، وعلى بايكتين وغير ذلك من منافع وظهور خواص حدها منه ذلك من القبلة الحمام يفصل بينهما الدخلة المذكورة ومن الشرق الشارع وفيه باب الخان . ومن الشآم ملك بن الاغراري قديماً وتمامه بن اللحام ومن الغرب ملك بن خالد قديماً ويومئذٍ وقف البيمارستان النوري وتمامه ملك ستان ».

(كتاب وقف الصابونية ورقة ٥ ب – ٦ آ)

محفوظ لدى معالي نسيب بك البكري نائب دمشق .

٣ــ خان بالقرب من جامع تنكز .

« وجميع عمارة الخان الكائن ظاهر دمشق المحروسة خارج باب النصر(٣ بالقرب من جامع تنكز(٤ بالصف القبلي من الشارع ، وجميع الحوانيت المستخرجة من جداريه الشامي والغربي وعدتها خمسة عشر حانوتاً . يطلق على الخان المذكور باب خاص ويشتمل على سفل وعلو . فالسفل على بوايك ومخازن . لكل من المخازن باب خاص وساحة بها بركة ماء يجري اليها الماء من نهر القنوات(٥ من طالع حمام الحمام ، وهو ستة أصابع . أيداً ما جرى الماء في النهر المذكور ، بحق واجب . ويصعد الى العلو من سلم حجر الى طباق عدتها أحد وعشرون طبقة . لكل باب خاص . وظهور خواص به . ومياه أمطاره ترمي الى الطريق بحق واجب . حد ذلك من القبلة خان شاهين الزردكاش(٦ ومن الشرق وقف المرحوم المقر الشمسي بن المزلق(٧ رحمه الله ومن الشآم الشارع وفيه باب الخان واغلاق (٦ب)

---

١) احد الابواب الغربية بدمشق (دمشق القديمة لصلاح الدين المنجد–دمشق ١٩٦٥، ص ٥٣) .

٢) Ecochard, *Bains de Damas* p.47 (2e partie) Beyrouth 1943

٣) أحد الابواب الغربية بدمشق (دمشق القديمة للمنجد) .

٤) بناه تنكز سنة ٧١٧هـ . انظر مختصر تنبيه الطالب للعلموي (تحقيق صلاح الدين المنجد ص : ٢٢٨) . وانظر ايضاً
H. Sauvaire, *Description de Damas* . (*J.As*,Mars - Avril 1896, p. 237.)

٥) انظر دراستنا عن أنهار دمشق .

٦) الزردخاناه هي السلاح خاناه ، ومعنى هذا اللفظ بيت الزرد ، وكان به جميع انواع السلاح من السيوف والقسي العربية والنشاب والرماح ، والدروع المتخذة من الزرد . وفي هذه السلاح خاناه من الصناع المقيمين بها لاصلاح العدد وتجديد المستعملات جماعة كثيرة . ويسمى صانع ذلك الزردكاش . (صبح الاعشى ٤ : ١١ – ١٢)

٧) توفي سنة ٨٤٨هـ . انظر ترجمته في مختصر تنبيه الطالب ، ص ٢١٠

الحوانيت الشمالية ومن الغرب الشارع أيضاً وفيه اغلاق الحوانيت الغربية.»

(وقفية الصابونية ورقة ٦ب – ٧ آ)

٤ ــ خان بالعقيبة

« وجميع الخان أرضاً وبناء الكائن ذلك ظاهر (٧ ب) دمشق المحروسة خارج بابي الفراديس(١ والفرج(٢ بالعقيبة(٣ الكبرى بالقرب من جامع التوبة(٤ بالصف القبلي من الشارع. ويغلق عليه باب خاص ويشتمل على عدة بوايك واربع مخازن . وعلو ذلك ثمانية عشر مخزناً وعلى حانوتين خارج باب الخان بالصف الشآمي يفصل بينها الشارع ومخزن برسم الغلة ومقعد . وعلى طبقتين راكبتين على الساباط(٥ ويصعد الى علو الخان والطباق من سلم حجارة . وبوسط الخان بركة يجري اليها الماء من نهر توروة(٦ بحق واجب شرعي وهو ستة اصابع ابداً ما جرى الماء في النهر المذكور . وجميع الخمس طباق الملاصقة للخان المذكور من جهة الغرب شرقيات وغربيات راكبة على بعض بوايك الخان . ويصعد البهن في سلم حجر ولكل من الطباق المذكورة منافع ومرافق وظهور خواص . حد ذلك جميعه من القبلة زقاق القاح ومن الشرق الزقاق ومن الشآم الطريق. وفيه باب الخان وباب الطباق ومن الغرب الطريق . »

(وقفية الصابونية ورقة ٧ ب – ٨ آ)

٥ ــ خان الحموي

« وجميع الحصة المشاعة وبلغها ثمانية أسهم من اصل اربعة وعشرين سهماً وهي الثلث مشاعاً في جميع عمارة الخان والحوانيت المستخرجة من جداره الشآمي ومن الطباق الراكبة على الحوانيت المذكورة الكائن ذلك جميعه ظاهر دمشق المحروسة خارج بابي الفراديس(٧ والسلامة(٨ بين (٨ ب) مسجد الحموي(٣ وسوق . . . ويعرف بخان الحموي. ويغلق عليه

١) دمشق القديمة ص ٥٨

٢) المصدر السابق ص ٥٥

٣) دور القرآن بدمشق لصلاح الدين المنجد (دمشق ١٩٤٧) ، الملحق الثاني ،رقم ١١، ص ٧٢

٤) البداية والنهاية لابن كثير . (القاهرة– دار السعادة) ١٣ : ١٤٢، ومختصر تنبيه الطالب ص ٢٢١ ، و Sauvaire, *Description* (*J.A.s* Mars - Avril 1896. p. 238.)

٥) الساباط سقيفة بين دارين تحتها طريق . ج سوابيط وساباطات (القاموس)

٦) انظر دراستنا عن انهار دمشق .

٧) دمشق القديمة ص ٥٨

٨) المصدر السابق ص ٤٥

٣) مسجد كان بالقرب من مسجد القصب

باب خاص من جهة الشآم يدخل منه من دهليز تحت احدى هذه الحوانيت . وبهذا الدهليز مخزن له باب شرقي وخاص به . مشتمل على منافع ومرافق . وهو من جملة ما فيه الوقف المذكور . ثم يدخل منه الى ساحة سماوية كبيرة بها مخازن سفل دائرات بجوانبها الاربع وعدتها سبعة وعشرون مخزنًا متخذة للحياك وغيرها . وبهذه الساحة بركة يجري اليها الماء من نهر تورة بحق واجب شرعي. وهو ثمانية اصابع دائمًا مستمرًا ابدًا ما جرى الماء في النهر المذكور . وبوسطها رحبة بها ثلاث مخازن شآمي وقبليان متخذة للحياكة ايضًا . وبالساحة المذكورة مرتفقان متلاصقان يجري اليها الماء من البركة المذكورة يتصرف الى قناة الوسخ بحق واجب . وبها ايضًا بئر ماء معين واصل توت ولها منافع . وظهور هذه المخازن خواص بها غير ان في ظهور الشآمية منها منافع الطباق المذكورة . وعدة هذه الحوانيت المستخرجة من جدار هذا الخان اثنان وعشرون حانوت ثلاثة منها شرقي مجاز حمام الحموي(١) وحانوتان غربي المجاز المذكور . لصيقهما مطلع يصعد منه الى بعض هذه الطباق . وباقي هذه الحوانيت سبعة عشر حانوتًا متلاصقة اولها لصيق هذا العالي الى باقي هذه الطباق لكل من هذه الحوانيت داخل وفناء واغلاق وفوقها سقايف راكبة عليها مطلة الى الشارع بحق واجب ويصعد الى هذه الطباق من مطلعين احدهما وهو المذكور من سلم حجر الى خمس طباق لكل منها باب خاص ومنافع ومرافق وطاقات مطلة الى الشارع بحق واجب وظهور خواص . ولهن مرتفق خاص بهن مشترك لهن . والمطلع الثاني لصيق آخر الحوانيت من جهة الغرب يصعد منه في سلم حجر ايضًا الى باقي الطباق وعدتها سبعة . لكل باب خاص ومنافع ومرافق وطاقات مطلة الى الشارع بحق واجب وظهور خواص ولهن مرتفق مشترك بينهن وخاص بهن ومن جملة مرافقهن المشارق المذكورة في ظهور مخازن الخان الشآمية .

حد ذلك – خلا الثلاث حوانيت المذكورة شرقي مجاز حمام الحموي – من القبلة محاكرات بستان الوزير . ومن الشرق حمام الحموي(١) وتمام الحد لأربابه . ومن الشآم الشارع وفيه باب الخان ، واغلاق الحوانيت ، ومطلعا الطباق المذكورة . ومن الغرب محاكرة بن الصارم وتمام الحد محاكرات لأربابها من بستان الوزير .

(وقفية الصابونية ٨ ب – ٩ ب)

---

١) حمام بناه الامير عز الدين ايبك الحموي . توفي سنة ٧٠٣ هـ . (البداية والنهاية لابن كثير ، ١٤ : ٣) وقد تمت عمارة هذا الحمام في شوال سنة ٦٩٤ ووصفه ابن كثير بانه من احسن الحمامات . (ابن كثير ١٣ : ٣٩٣) . وانظر مدارس دمشق وربطها وجوامعها وحماماتها للاربلي (تحقيق دهمان ، دمشق ، ١٩٤٧) ص ٣٥–٣٦ . وانظر الملمات في تعداد الحمامات لابن عبد الهادي (تحقيق صلاح الدين المنجد ، بيروت ، ١٩٤٧) ص ٦ وما بعدها .

٦ ــ خان ابن هواش

« جميع الخان ارضاً وبناء الكائن ظاهر دمشق خارج باب السلامة بالقرب من مسجد النصب(١ (١٢آ) بالبسماطين بالصف الشآمي من الشارع ويعرف بخان ابن هواش ويشتمل على بوّابة حجارة بلقاء نحيت ، واربع حوانيت مستخرجة من جداره القبلي من ذلك ثلاثة مستجدة والرابع عتيق معداللجبصين . وعلو البوابة من جهة الشرق ثلاث طباق ، ويشتمل كل منها على منافع ومرافق ورواشن كبار مطلة الى الشارع . ومن جهة الشرق طبقتان برواشن كبار مطلة الى الشارع بمنافع ومرافق . وطبقتان من جهة الشرق بالزقاق المعروف بالبيارستان ، علو الخان المذكور . ويدخل في دهليز به عدة ثمان مخازن . وعلو المخازن الغربية ثلاث طباق بثلاث رواشن صغار مطلّة على دهليز الخان المذكور . ثم يدخل الى ساحة سماوية بها بركة قاعدة مبلطة ببلاط مزّي واسود . وتجاه البركة المذكورة صفّة قبلية بها صفة محراب . يجري الماء الى البركة المذكورة من عين الكرش . بحق واجب . وقناطر حجارة مستديرة . وسبع بوابيك . من ذلك عدة أربعة غربيّات ، ومخزنين وثنتان شرقيات وباباكة قبلية ومرتفقين متلاصقين . ويصعد الى العلو من ثلاث سلالم حجر الى سوابيط اربعة بين عدة مخازن من ذلك سبعة شرقيات وثمانية شماليات واثنا عشر غربيات . ولكل من الحوانيت والبوابيك والمخازن والعلو باب خاص . .

حد ذلك من القبلة الشارع الاعظم وفيه باب الخان ، واغلاق الحوانيت ومطلع الطبقتين الغربيتين (١٢ب) ومن الشرق الزقاق المعروف بالبيارستان وفيه مستطلع الخمس طباق ومن الشآم دار قبلاي وغير ذلك . ومن الغرب خان الفرابلة » .

(وقفية الصابونية ورقة ١٢ آ – ١٢ب) .

٧ ــ خان مصطفى لالا باشا[1]

« وجميع الخان الجديد آرضاً وبناء وعمارة وماء ، الكائن ذلك ظاهر دمشق المحروسة خارج باب الفرج بمحلة عين علي(٢ وحمام الكحال والمؤيدية المعروف بإنشاء حضرة الباشا الواقف الموما اليه : أفاض الله نعمه عليه ، ويشتمل على ساحة كبيرة ، ويحيط بها جدران مسورة بالحجارة والمون ، يتوصل الى ذلك من باب قبلي كبير مقنطر مبني بالحجارة

١) مختصر تنبيه الطالب للغلوي ، ص ٢٢٦ وانظر :
Sauvaire, *Description*(J.As. Mars- Avril 1896, p. 238).

٢) أحد الوزراء البكلربكية الذين تولوا دمشق . وليها سنة ٩٧١هـ . وكانت مدته خمس سنوات ، ثم عزل . (ذكر من تولى دمشق من البكلربكية . مخطوط في الظاهرية بدمشق . عام ٦٨١) . وكان صاحب خيرات وحسنات . عمر تكايا وأماكن ، وعمر هذا الخان تحت القلعة ، والحمام بسوق السروجية ، وفتح قبر س . (الباشات والقضاة لابن جمعة ، نسخة مصورة في خزانة المجمع العلمي بدمشق) .

٣) ما تزال العين موجودة في زقاق يسمى زقاق العين .

المنحوتة الملوّنة المنقوشة ، مركب عليه باب من خشب مصفح جميعه بالحديد والمسامير ، وهو مصراعان ، ويدخل منه الى دركاه مقبيّة بالحجارة والملون . وبها مخزنان سفليان . احدهما عن يمين الداخل ، والآخر عن يساره ، ويتوصل من الدركاه الى الساحة ، وهي مبلطة بالحجر الاسود . وفي وسطها بركة كبيرة ناهدة مبلّط ما حولها ، يجري اليها الماء من الخان المختص به الآتي ذكره فيه ، وبالساحة المذكورة مسجد مرتفع عن الارض ، ورواق مختص به مرتفع مثله ، راكب ذلك جميعه على مخزنين مقبيين بالحجارة والملون ، وعلى ثماني قناطر معقودة بالحجارة منحوتة مركبة شرقاً بغرب على عشرة أعمدة من حجارة مركوزة في البركة ، ويصعد الى المسجد في سلّم مستدير من حجارة منحوتة يتوصل منه الى داخله في ممشى مبلّطة بالبلاط المنوّع في وسط الرواق المذكور وهو جانبان : شرقي وغربي ، مسقّف ذلك جميعه بالخشب والدفوف المدهونة المسمّاة بدف وسير راكب على كباش من خشب مدهون ، مركب ذلك على أعمدة من رخام وعدتها أربعة . ثم يدخل من الممشى في باب شمالي مبني برخام وبلاط ملوّن ، وهو بمصراعين من خشب ، الى وسط المسجد المذكور . وبه محراب وبجدرانه خزانات وثمانية شبابيك مبنيّة من رخام وبلاط محددة ، اثنان منها : في جهة القبلة مطلّان على البركة ، واثنان : من جهة الشرق مطلّان على ساحة الخان ، واثنان من جهة الشمال مطلّان على الرواق ، واثنان من جهة الغرب مطلّان على جهة الخان . وسقف ذلك بالخشب(٣ .

وبساحة الخان المذكور لصيق سلّم الشمالي يصعد منه الى علو الخان من جهة الشمال في السلم المذكور .

وبساحة الخان المذكور ميضأة شرقية مستخرج من قبلتها حوض ماء ، ومن شمالها حوض ماء ، ومن غربها انابيب ماء حنفية ، ولها بابان من جهة الشرق ، وميضأة غربية بالساحة المذكورة ، ومن شماليها باب ، وباب ثانٍ من جهة القبلة وكلاهما مسقّف مقبو من حجارة ومؤن لكل من مرتفقاتها جرن يجري اليه الماء والى الاحواض من ماء الخان المختص به .

والخان اربعة رواقات سفليات مسقفات باقية من حجارة ومون على قناطر مركبة جميع ذلك من حجارة منحوتة ، وبالرواق الشرقي بايكة كبيرة يغلق عليها بابان شرقيّان ، وفيها طالع الماء ، وبالرواق الشمالي بايكة كبيرة ، المختلطة بالبايكة المذكورة ، ويغلق عليها باب شمالي ، وسقف البايكتين مقبو من حجارة على عضائد كبيرة من حجارة ، وبالجهة الشمالية داخل الرواق الشمالي ميضأة مسقوفة يصل الماء اليها والى مرتفقاتها من ماء الخان المختصّ به ، وبالرواق الشمالي والغربي والقبلي مخازن سفلية ، وعدّتها مع المخزنين اللذين بدركاه الباب المستجد خمسة وخمسون مخزناً . وبالطرف الشمالي الى الطرف الغربي عين سفلية مبنيّة بالحجارة وبالبلاط على صفة البركة ينزل اليها في درج ويصل الماء اليها من عين علي بحق واجب مستمر معلوم ، مسقوفة هي والمخازن السفليّة بأقبية بحجارة ومون ، ويصعد الى علوّ الخان في خمسة سلالم من حجارة منحوتة اثنان منها في الدركاه . فالاول منها عن

٣) عدم هذا المسجد لما بُني سوق الخال ، فبنى آل مردم بدلاً منه جامعاً في شارع بغداد سنة ١٣٥٥هـ . انظر وصفه في ذيل ثمار المقاصد لطلس (مط المعهد الفرنسي بدمشق ١٩٦٣) ص٢٤١

يمين الداخل ، والثاني عن يساره ، والثالث من جهة الشرق والرابع من جهة الشمال والمقاس في القرنة خلف العين المبنيّة على صفة البركة . ويتوصّل من السلالم الى رواقات اربعة مسقوفة بالقبب المبنيّة بالآجر والمون ، ومبلط ارض الرواقات بالبلاط اللاطون ، وجها مخازن برّانية وجوّانية عليه . وعدّة المخازن العلوية مائة مخزن وخمسة عشر مخزناً ، ومن جملتها مكان قبلي راكب على دركاه باب الخان مشتمل على داخل وفناء وابواب واوجاق وشباكين مطلّين على السوق الآتي ذكره فيه مسقّف بقبّتين كبيرتين مبنيّتين بالآجر والمون ، وبالعلو المذكور اربع ميضآت ثنتان شرقيتان والثالثة شمالية والرابعة غربيّة مشتملات على مرتفعات مسقوفات بقبو من حجارة ومون . وجميع اخباث المرتفعات واوساخ الخان وفائض مائه ومساقط ميازيبه وبلاليعه تنحدر الى سرابات محفورة تحت ارض الخان ساقطة على النهر الجاري تحت ارض الخان المتصل الى نهر بردى ينصبّ ذلك فيه . وللخان المذكور حق من الماء من نهر ثورا من ماصية امير المؤمنين المشد من الصالحية في طريق سلطاني الى بستان ياسين يد مصطفى بك الخاني . وينقسم الماء نصفين : النصف الواحد يختص بمصطفى بك المذكور ومن يشركه والنصف الثاني الى الخان الجديد المذكور وهو احدى عشر اصبعاً بالذراع النجاري يختص به . والباقي يقسم بين أربابه على قدر استحقاقهم . وللخان المذكور ايضاً ماء يصل اليه من فائض عين علي ويستمر ممتدّاً الى السبيل بسوق الصيرفيين الذي جدد عمارته مولانا الباشا الواقف الموما اليه بالطريق الشرعي .

وذرع الخان المذكور من الجانب القبلي شرقاً بغرب : مائة وتسعة وعشرون ذراعاً ، ومن الجانب الشمالي شرقاً بغرب الى زاوية زين العابدين : سبعة وثمانون ذراعاً . ويميل الى جانب القبلة ستة عشر ذراعاً . ويمتد الى جانب الغرب : الى تسعة وتسعين ذراعاً . ومن الجانب الغربي قبلة بشمال مائة وعشرين ذراعاً .

ويحدّ الخان المذكور بجميع اشتمالاته واوصافه وتوابعه ومضافاته بتمامه وكماله من القبلة : دار ابن شويشان ومقدّم السقايين وتمامه السوق الآتي ذكره فيه وفيه الباب المختص بالخان الذي يغلق عليه ، ومن الشرق : جامع الخليلي ، والجنينات ، وضريح سيدي الشيخ احمد سبع المجاهدين ، ومن الشمال ساحة وبيوت مستجدة يد ارباجا وتمامه الحوانيت والفرن إنشاء حضرة الباشا الموما اليه ، ومن الغرب بيت ناصر الدين الصيرفي والطريق الآخذ الى دار البطيخ كانت والى عين علي وغيرها ، بجملة حدوده وعامّة حقوقه وتوابعه ولواحقه المشروحة فيها والخارجة عنها بحيث لا مدخل لاحد فيه بل هو وقف صرف من اصول الاوقاف . اهـ .»

(كتاب وقف الوزير لالا مصطفى باشا ص ٦٢–٦٦)

طبع بتحقيق الاستاذ خليل مردم بك بدمشق

سنة ١٩٢٥

٨ – خان بمصطبة الخضر

« وجميع الحصة الثامنة وقدرها النصف والسدس وهي الثلاثان ستة عشر قيراطاً من أصل أربعة وعشرين قيراطاً من جميع المكان الكائن ظاهر دمشق المحروسة خارج باب الفرج بمحلة مصطبة الخضر المعروف قديماً بسوق الشيخي(١) ، المشتمل كله على باب كبير من الحجارة المنحوتة يدخل منه في دركاه مشتملة على ست قناطر ، ثم يدخل منه الى مكان سفلي مشتمل على بايكتين متقابلتين كل بايكة منها تشتمل على سبع قناطر حجارة وبجانبيه عضادتان من حجارة من الجانب الشرقي والغربي بقوسين من حجارة وخمس قناطر اخرى من حجارة . ويصدر المكان المذكور عشرة مخازن اثنان بجانب العضادتين المذكورتين ، والعلوي يشتمل على ستة عشر مخزناً وطبقتين وطبقة ثالثة علو الدركاه المذكورة بروشنين بارز مطل على الطريق . ولكل من ذلك داخل وفناء وأغلاق وطرق ومنافع ومرافق وحقوق شرعية ، ولذلك معلوم من الماء المختص به ، ويصعد الى الطبقة الراكبة على الباب بسلم حجارة من الشارع الاعظم ولذلك منافع ومرافق وطرق وحقوق شرعية وحدود أربعة : من القبلة الحوانيت المستخرجة من الجدار القبلي وفيه ابواب ذلك . ومن الشرق خان ازبك الاتابكي ، ومن الشآم الطريق ، ومن الغرب خان الليمون . »

(كتاب وقف الوزير لالا مصطفى باشا ، ص ١٤٩ – ١٥٠)

٩ – خان مراد باشا(١) « البزستان »

« فأما وقفه الجديد ، فهو جميع البزازستان الراسخ البنيان ، الشامخ الاركان ، الواقع باطن دمشق المحروسة بسوق باب البريد المعزى المنسوب الى الواقف الواقف والوزير الخطير العارف ، المشتمل على ثلاثة وخمسين دكاناً كباراً معقود على رأس كل منها قوس من الحجارة بنبو معقود بأتقن الصناعة تشييداً واحجاراً وثمانية دكاكين صغار على أحسن هيآت واحكم أطوار . يعلو بعض الدكاكين مخازن (١٧آ) ليحفظ التاجر فيها نفائس الاموال ويختزن عدتها أربعون مخزناً يصعد الى كل منها بسلم خشب رصين من داخل دكان تخص المخزن بها يصعد على التعيين ، وعلى خزينة كبيرة داخل دكان عينت لشيخ البزازين يعلوها خزينة أخرى يصعد اليها من الخزينة التحتانية بسلم متين . وهذه الدكاكين والمخازن في الاضلاع الاربعة من البزازستان الذي وسطه ساحة مبلطة فيها بركة لطيفة يفور منها ماء زلال يحاكي السلسال ، مبلط ما حولها يجري اليها الماء من نهر القنوات (١٧ب) بحق

. . . . . .

(خرم مقدار صفحتين)

---

١) احترق هذا السوق سنة ٩٠٣هـ بما فيه جميعه ، ولم يؤخذ منه شيء (اعلام الورى بمن ولي نائباً من الاتراك بدمشق الشام الكبرى ، لابن طولون . مخطوط مصوّر في خزانة المجمع العلمي بدمشق) . والشيخي نسبة الى المؤيد شيخ .

١) احد ولاة دمشق زمن الاتراك . انظر ترجمته في المحبي .

... الدكاكين الغربية مخزنان ، فالاول على الدكان والثاني على الباب الغربي وفي الجانب القبلي من الباب الغربي دكانان صغيرتان. هذا ما اشتمل عليه من الدكاكين والمخازن على التفصيل والبيان. واما ما حواه من البناء المشيد والقباب الرفيع الشان فهو مشتمل على تسع قباب تناغي قباب الافلاك وتضاهي فيه النسر وسلك الاملاك ، سبع منها قباب كبار في كل واحدة منها قائمة فيها شباك حديد ، وقارى من زجاج صاف جديد . وعدة الشبابيك اثنا عشر شباكاً يحسبها (١٨ آ) الوهم بروجاً وأفلاكاً وعدة القارى اثنا عشر كذلك يضيء منها كل مظلم حالك كل شباك وقارى ذات سناء وسنا على احسن اسلوب وبنا والاثنتان من القباب صغيرتان في كل منها ثلاثة شبابيك من حديد مطلة الى داخل البغرازستان الجديد وبها قريات من زجاج شفاف صاف لدخول الضيا ووصول السنا كاول كاف . وهذه القباب مبنية من الجهات الاربع على أتراس تحتوي على بدايع الصنائع مستحكمة الاساس . بني كل (١٨ ب) ترس من الحجارة المنحوتة بيض وسود يبهج المبصر ويسر الناظر عند السود أيضها أغر وابلج وأسودها كسواد الدعج متساوي المقدار متوازن الاجرام مهتم في ترتيبه وتركيبه غاية الاهتمام حجرها الاسود من الابيض ممتاز ، مرتب موضوع على هنداز كستها البُلقة حسناً زايدا وأعطاها اللونان ووتقاً متزايداً وعدة الاتراس عشرون ترساً محكمة الاساس . والاتراس على قسيّ من الحجارة كبار مبنية بالاحجار المطلة المنحوتة المستوية (١٩ آ) المقدار طول كل حجر منها ذراع وثلث ذراع مصنوعة على أزين اسلوب وأحسن إبداع عدتها ثمانية قياس على احكم صنايع الهندسة وأتقن قياس كل قوس منها في الرفعة والسنا يحكي نصف دائرة الفلك وقوس السما وتحت الاقواس الثمانية الحاملة للقباب خمس عشرة عضادة مشيدة مؤسسة بأيدي الفعلة المجيدة مؤيدة وفي الجوانب الاربعة من الدكاكين الموسومة والمتاجر الموصوفة المعلومة إحدى (١٩ ب) وأربعون عضادة صغيرة مبنية باحجار الهنداز الكبيرة منحوتة مسرجة فاصلة بين الدكاكين المحكمة المروية . وهذه القباب والمخازن والدكاكين الجامعة ... ... من الخارج ... ... بالشيد والقشب و ... ... إحكامها عن الوصف . وساحته اللطيفة المحاطة بالدكاكين من الجوانب الاربعة وباحته النظيفة المتسعة مسطحة مدقوقة بالمدسة المعمولة بالقصرمل والكلس (٢٠ آ) كالصحيفة الملسا ، لا يكاد يوجد التفاوت فيها وهماً ولاحساً دُحيَتْ على احسن الوجوه طريقة وسنا ، لا ترى فيها عوجاً ولا أمتا ، ما خلا حول البركة بحبوحة الساحة فإنه ... ... المنحوت الابيض ... ... من خر القنوات ... ... اصبع واحدة ونصف اصبع في دائرة منقورة في حجر مبني بحافة النهر المذكور شماليه ملاصقة للماصية النازل ماؤها الى الطالع القايم البناء تجاه الدار المنسوبة قديماً الى ابن الجوهري ثم الى يوسف (٢٠ ب) يا يا باشي الكائنة باطن دمشق المحروسة بمحلة الشيخ عامود(١ المعروف بطالع نيرك ثم

١) جاء في إعلام الورى لابن طولون في حوادث سنة ٩١٥ ما يلي : « وفي هذه السنة بنى النائب مكاناً قبلي دار السعادة والمدرسة العذراوية وغربي المدرسة الصارمية وشمالي حارة

الطالع الملاصق لحمام مراد باشا القديم قريباً من المسجد ثم الى الطالع في دار أحمد باشا ثم الى الطالع القديم بالزقاق النافذ الى محلة الملك السعيد المرحوم نور الدين الشهيد الملاصق بقاسارية الحرمين الشريفين المعروفة بموسى القطان ثم الى البركة. وللبزستان المذكور اربعة ابواب مصاريعها مكسوة بصفايح الحديد بمسامير غلاظ صلاب لا يعتريها وهن ولا انقلاب مدى الدهور والاحقاب (٢٢آ) مسلسلة بسلسلة معرضة لمنع الدواب يفتح الواحد منها الى سوق درويش باشا وهو شرقي الابواب في غاية ما يكون من بدايع الصنائع والكتابة الحسنة والاسلوب الرائع من صفاء المرمر وبهجة الحجر الاصفر والازهر ، والاثنان غربيان ينفتحان الى زقاق ثم الواصل الى الدرب السالك الى نور الدين الشهيد عليه رحمة الملك الحميد المجيد والرابع شمالي يتوصل منه إلى الوقف القديم للواقف الكريم وهو البزاستان السابق المحول إلى سوق السباهية على (٢١ب) أحسن هيآت وأمتن بنية. وفي صفف دكاكينه المسطوره أعلى السطور درابزين رزين من الخشب المنجور ، ولكل دكان أغلاق ورفوف كلها بالمتانة والنظافة موصوف لوضع الامتعة والاقمشة الشريفة وتعليق الاقبية والاكسية اللطيفة وفي الغرب من الباب الغربي في الدهليز القديم المتوصل منه الى البزاستان العتيق ستة دكاكين مقبية بالقبو الرصين لكل واحد منها حجر متين منها الواحدة قبلية والخمس الباقية شمالية على (٢٢آ) كل واحد أغلاق من الخشب المتين الطيبة الاعراق. وفي ظاهر جدار البزستان الجديد من الخارج تسعة دكاكين بقبي حجارة معقودة بالحجارة المنحوتة يعلوها رفراف مبني على اطلع أسلوب وأحسن أوصاف. وفي ظهر الدكاكين الغربية من الخارج باب يتوصل منه إلى سلم حجر يوصل منه إلى مخزن متقن به سلم حجارة يرتقى منه إلى طبقة علوية لسكن الحارس ، في الليالي الحادس وفي الجانب الشمالي طبقة يصعد اليها من سلم حجر للسكن الثاني (٢٢ب) للحارس الثاني ، وهو المنوط بالبزاستان الاول الآتي ذكره المفصل . هذا بيان البزاستان . وأما حدوده المبينة ورسومه المعينة فمن القبلة ينتهي حده الى قاسارية المرحوم الخواجه موسى بن القطان وقف الحرمين الشريفين ومن الشرق الى سوق درويش باشا وفيه الباب وتمامه قاسارية الحرمين ودار القهوة وقف الحرمين المنسوب إيقافها الى المرحوم محمد آغا بن عبدالله رئيس المحضرين والى السيد اللاجوردي. ومن الشمال خان الحرمين الشريفين المنسوب إيقافه الى ابن القطان والسيد اللاجوردي المذكورين تمامه دار القهوة للحرمين ودهليز البزاستان القديم وفيه الباب الموصل اليه . ومن الغرب إلى الطريق الآخذ بزقاق ثم المذكور وفيه البابان على الوجه المسطور (٢٣ب).

(كتاب وقف مراد باشا على فقراء الحرمين الشريفين كتب
بعد سنة ١٠١٦هـ. دار الكتب الظاهرية رقم: عام (٣١٧-٤)).

الغرباء وغربي المارستان النوري وجدّد تجاهه قناة وبركة وساق اليها الماء ، واشتهر بين الناس أن رجلاً من الجند اسمه ابو بكر بن شعبان الرجبي بالحلم حسّن للنائب ذلك وأنه رأى في منامه بعض الصالحين يدعى سيدي أحمد عمود مدفون لصيق عمود في هذا المكان فأبرز القبر والعمود وكساهما ».

١٠ — خان العنبري

« ومن ذلك جميع الخان الكائن بدمشق المحروسة المعروف بخان العنبري بخط سويقة صاروجا الدال على ملك المقام الشريف الواقف.

«وصفة ذلك بدلالة الاصل الذي المذكور أنه يشتمل على باب يدخل منه الى دركاه بها مخازن ، يغلق على كل منها باب ، وعلى ساحة ووسط وبركة يجري اليها الماء من نهر ثورة بحق واجب ، وعلى ثلاث بوائك يغلق على كل منها باب . مبنيات بقناطر حجارة وسقوف وأخشاب . وما عشرة مخازن بدائر الخان المذكور بالسفل منه ، يغلق على كل منها باب . وبالسفل مرتفق يشتمل على اربعة بيوت يجري الى ذلك الماء من النهر المذكور . ثم يصعد الى علو ذلك من سلم حجرًا بالجانب الشرقي ، وسلم ثان بالجانب الغربي من المكان المذكور ويشتمل العلو على مخازن مستديرة على البوائك والمخازن ، وتجاه المخازن مشاة بها درابزين مطل على وسط الخان . وبهذا العلو مرتفقان ، ومصارف مياه ذلك واجبات ترمي الى قناة الوسخ بحق واجب.

«ويحصر ذلك حدود أربعة : الحد القبلي ينتهي بعضه الى الطريق ، وفيه باب المكان المذكور وباقيه الى المسجد المعروف بساروجا وغيره . والحد الشمالي ينتهي بعضه الى الدار المعروفة بابن صبح وباقيه الى ملك يعرف بالسيفي أرغون شاه . والحد الشرقي ينتهي الى الطريق الآخذة الى حكر ابن صبح . والحد الغربي ينتهي الى ملك يعرف قديمًا بالشهابي احمد الدوادار بخدمة المقر المرحوم السيفي سودون .»

من حجة قايتباي ص ٥١ — ٥٢
نشرها مابر في لندن
عام ١٩٣٨ م

نشيد القيامة

للشاعر رومانس المرنم البيزنطي

نقله عن اليونانية وعلق عليه
الاب نقولاوس قادري ق ب .

توطئة

يعد الاناشيد الساحرة لرومانس يُعدّ نشيد القيامة من اروع ما رسمت ريشته ، وصوّر خياله الطليق ، المثقل بالوحي الخصب ، والموسيقى ، والالوان ، هو غني بالقوة والحياة والعمل المسرحي . فرومانس شاعر منطلق يتفلت من القصة والقيود الاخبارية ، ليحلق في سماء العمل المسرحي ، فيلبس نشيده حلة المأساة ، ويطلق للاشخاص عنان الحوار على انقباض .

وهذا النشيد حيّ بحياة الشعر الصافي ملآن بالروعة الساحرة والحركة المتدفقة كأنها ينبوع ماء غزير ينساب في الفياض فيغدق الحياة بسخاء ، حيّ بحياة الشعر الزاهر بالالوان والصور النفسية التي تملأ العقل وتحرك القلب ، وهو حي بحيا من الم وبغض وحب يزيد في الجمال المسرحي وروعة الموضوع الرئيسي .

فهناك جمع من الاشخاص يتراكضون امام ابصارنا بمشاهد وتفسيات مختلفة متنوعة . ففي اعماق المشاهد يتراءى الكتبة والفريسيون ، وجمع من اعداء يسوع كاليهود ، وبيلاطس ، والجنود الرومانيين لابسين الدروع والمُدد ، وقائمين على حراسة الليل حول القبر . وهناك الملاك يسطع نورًا فيظهر بغتةً على الحجر وله منظر كمنظر البرق او الصاعقة .

وهناك النسوة الورعات يسرن الى الرمس في اول شعة النور قبل الفجر .

وهناك في افق المشهد البعيد ، وفي مملكة الجحيم يتراءى الاجداد ، فالآباء ، فالابناء ، فرجال الشريعة القديمة وكلهم ينتظرون مع الاب الاول والام الاولى ساعة يبعثون .

وفي الوسط من المشاهد المسرحية مشهد جذاب تتوجه اليه الابصار بنوع

خاص مشهد رائع ومهيب شخص المأساة الرئيسي الميت الراقد الذي يروع ويبعث الذعر والرهبة في قلوب الاحياء . هو جثة هامدة بيضاء ولكنه بالسر وفي الليل يمر من سكون الموت الى الحياة القوية حياة اليقظة الكبرى.[1]

وبالقرب من الميت شخص آخر صامت ابكم ولكنه ملآن ايضاً من الاسرار هو الموت عينه ، ينشر ظلاله وظلامه على المشهد الصامت الناطق فيحل الى السكون السريع انتصار الميت ويبشر الجحيم بهزيمة ذاته وانكساره الهائل.

فمن اول مشهد من المأساة الى آخر مشهد يحس القارئ بثورة العالم وغليان الاحياء حوال شخصين من الاموات اللذين في رهبة القبر وروعة الصمت ينتصبان للصراع كانهما خصمان يريدان النزال والقتال. وفي هذه الاونة الرهيبة ، وحوال هذين الخصمين المتبارزين في الرمس البارد الصامت ، ينظر رومانس بعين الشاعر الحق ، والخيال المبدع ، والرسام الفنان ، والنحات الدقيق ، ينظر الى الصراع الاليم والمميت ينشأ ويتقوى وينمو حتى يصل الى قمة العارض المسرحي:

«كان جنود خارج الرمس ،
وكان صراع بين المسيح والموت داخل الرمس ،
فاز المسيح بقوة بالانتصار ،
وفقد الموت القوة ،
سلب المسيح الاموات الذين في الجحيم
وصرخ الموت للذين هم في الاعماق :
«إني غلبت فاصرخوا : قام الرب !»[2]

وهناك الوصف الدقيق يشعر القارئ انه امام مشهد من مشاهد الياذة هوميروس ، او امام وصف القتال في رواية «السيد» للشاعر الافرنسي كورنايل.

ترعزعت الجحيم	بكوا وضحكوا
وتحرك اهلها للفرار	حزنوا وفرحوا
فصرخ الحراس ما الساعة الان ؟	ويل لنا ! ويل لنا !
هل مضى الليل	وحدث الواحد الاخر

(١ Giuseppe Cammelli, *Romano Il Melode*, p. 366

(٢ راجع المقطوعة الثالثة عشرة من النشيد .

فاستمان سكان القبور : » قائلاً : ان الامر لجليل
قام الرب !»[1]

غير ان المشهد والعمل المسرحي لا يسمحان بجوار طويل او بوصف مسهب متتابع ، فهو اذن ، بضرورة الامر ، متقطع يلازم احوال واوقات المأساة المختلفة وانما يزيد في الشعور النفسي والعواطف التي تسيطر على مخيلة الانسان واحساساته .

وقد يتلاقى فكتور هوغو ورومانس في مواقف مؤثرة كما في المقطوعة السابعة عشرة من النشيد فهنا الشاعر رومانس يُعطي الكلام لجندي نائم يحلم بالحقيقة :

لا احد في الداخل
وهنا واحد على الحجر ،
ايتراءى ام يخيل لي اني اراه ؟
ايخدعني الليل سرعة ؟

فيجاوبه جندي آخر ويهدىء من وحشته وذعره :

« ايها العزيز ، الليل يخدعك
فاغدر الينا ونم معنا
هو الروح يتخيل لك .
فاصمت ونم . »

وفي رواية هرناني للشاعر الافرنسي فيكتور هوغو مشهد يقرب من هذا اذ يقف كارلس الخامس على ضريح كارلس الكبير ويخاطبه .

رومانس مؤمن وايمانه حي عامل فصوّر هذا الايمان بتلك الفقرات الصغيرة التي لقنها للشعب وعلمهم ان ينشدوا معاً بايمانهم تلك اللازمة الحيوية : « قام الرب !» فهي صرخة الاجيال السحيقة تتردد في مسمع البرايا فينصت اليها الخلود .

صوّر رومانس تلك الساعة الرهيبة من تراث الخلود ساعة قام المسيح بعد ان نفض عند غبار الموت كأنما ينفض ثوباً بالياً . وطحن حجر الضريح كقشرة بيضة العصفور ، وابان قوة جناحيه وفتح هـذا الاسد الرابض بسلام ، فتح عرينه بعد ان صرع الموت عدوّه وخصمه ، فتح قبره بذاته ، فتحه كشفتي انسان افلتت منه الحياة عن بسمة اله .

---

١) راجع المقطوعة الرابعة عشرة من النشيد

ويحلق رومانس كالنسر في سماء الشعر الصافي فيخلق اجواء فسيحة من المسرحيات العالمية كما في المقطوعات الرابعة عشرة ، والخامسة عشرة ، والسابعة عشرة وكلها حركة وحياة ونور وايحاء وقوة كأنها انشودة بلبل طروب يغني على اكمام الزهر في الربيع ، والطير ساعات سكر وترنح ، ولا سيما في مطلع الفجر ، حينما تسبق الطيورُ الشمس فتروح تقبل بتلات الزهر وتطبع على اكمامها قبلات الفنج والايناس .

هكذا رومانس كالبلبل الغرّيد يطرب ويصفق باجنحة الخيال ويغني بموسيقى الشعر ، يغني في منبلج الفجر الجديد فجر القيامة . فيستقبل شمس الحياة بانغام الحياة وانوار الحياة :

« انه لرهيب
يحمل النور
يوزع النور
هو النور
انه حقاً ابن النور . »

وينشد الحياة النيّرة ، الحياة واثبة من الضريح كعصفور خرج من بيضته بعد ان كسرها وطحنها . ويحس رومانس بالمسيح الميت يحيا وينفذ من القبر بعد ان يكون قد ترك للقبر اختامه كما خرج عند مولده من بطن امه البتول وكان قد ترك للبتول « اختام البتولية سالمة . »

هذا النشيد على روعته وجماله الساحر يُعد بكل حق وجدارة مغناة لا ينقصها الا الاصوات البشرية حتى تتغنى بها وتشيد بانتصار المسيح الظافر الذي وحده تغلب على الموت وصرعه وقتله بموته ، فاذا به يعود من القبر حياً بعد ان داس الموت وابطل قوته وطحن ابواب الجحيم التي نزل اليها ، فاذا به يعود الى الحياة و« يتبعه آدم وتلحق به حواء » واذا بقبر المسيح يغدو « مذخر الحياة » « ومجد العالم » « ومستودع السلام » بينما ان قبورنا نحن البشر قد اصبحت نسياً منسياً الى منتهى الزمن وعلى الرغم من ان نفوسنا قد تفلتت من القبور فاجسادنا تسقط في الاجداث وتعود الى التراب ويبيد ذكرنا وينسى اسمنا مع الدوي . واما قبر المسيح الناهض فليس هو سوى ممر يحفر فيه رواق ينتهي بقوس نصر عظيم .

نشيد القيامة (١

للشاعر رومانس المرنم

ايها المسيح الاله ، بآلامك ،
بقيامتك من الأموات نبتهج معيّدين
ابتلع الموتُ في الصراع . على الدوام ،
ولذا نحن ، المفتخرين ونزح هاتفين :
قام الرب !

١

ان شعب الآثمين حرّاساً على قبر
أسلم قديماً مَن يحمل الجميع
الحياةَ للقبر ، باشارة .
والالةَ للموت ، يا لجهل الآثمين !
وسابيَ الجحيم للجحيم ، اذا كان ميتاً
ومعطيَ الخلود فلا تخف .
للمائتين كمائت ، واذا كان حياً
ومحيي الاموات فتوسل
بكلمة كميت . واصرخ معنا :
وضع الآثمون قام الرب !

(١ Giuseppe Cammelli, *Romano Il Melode*, Inni, pp 370-386. Edizioni « *Testi Christiani* », 1930.

٢

أنزل يوسفُ عن الصليب
المخلصَ ، وإله يوسف
الذي خلص يوسف
قديماً من الجُب[١] .
حفظه الحرّاس
كميت منظوراً ،
ولكنه امات الحراس
من الخوف ،
وهو غير منظور .
حجر كان على الرمس[٢] ،
وصخرةٌ كانت
داخل الرمس[٣] ،
فاحجاراً اصبح الحراس
حين أبصروا الملاك
جالساً على الحجر[٤]
وقائلاً للنسوة :
قام الرب !

٣

ان القضاة الآثمين
اثبتوا بافكار شريرة
وقالوا :
« هاهو طريح الى الارض ،
مَن زعزع الارض ،
عنه يتحدث الجميع ،
وعنه يتكلم الكل:
ان الذي ذهلت
الارض كلها
من اعماله
قد مات !
لنسهر اذن
لئلا تغدو الاواخر
شراً من الأوائل .
لنسهر لئلا يسرق
التلاميذ جسده
ويكذبوا مبشرين الجميع :
قام الرب !

---

١) التكوين ٣٧ : ٢٨ ، وسفر الحكمة ١٠ : ١٣
٢) متى ٢٧ : ٦٠
٣) راجع رسالة بولس ١ كورنتس ١٥ : ١-٥
٤) متى ٢٨ : ٢

٤

لنسأل الآن
بيلاطس حراساً
فيعطينا حراساً.
ان يسوع هائل
حياً كان او ميتاً!
ففي حياته،
حلّ شريعة السبت،
واذا قام من الاموات،
فتزول الشريعة.
مدجى،
وهو طريحٌ مائت.
ينتظر حياً،
وهو مقيّد.
وبعد ثلاثة ايام،
قال تلاميذه كلهم:
اننا عندما
رأينا المعلم،
قلنا:
قام الرب!»

٥

«يا بيلاطس، اخبرنا مجلاء،
فنحن، أبناء الوطن
والغرباء،
نلتجئ اليك،
فأرشدنا.
بك فلتحفظ حقوق الامة.
نحن نطلب ان لا يحلّ
المائت شريعة الله.»
لِمَ تتجاهلون
ايها الآثمون؟
اتيقيمون بيلاطس
رقيباً على الشريعة؟
كم المسيحُ
يفضل بيلاطسَ!
فالمسيح هو الذي
ثبت الشريعة،
والمسيح هو الذي
اعطى النعمة
للصارخين:
قام الرب!

٦

هذا كلامه لاحبائه :
« اني سأقوم
بعد ثلاثة ايام
وانا ، اذا مت ،
سأدوس الموت .»
نحن لسنا نخاف
وقوع هذا الامر ،
ولكننا نظن
ان سيسرقه البعض.
انه لن يقوم ؟
فنحن بهذا عالمون ،
ومع ذلك ،
لسنا بمرتاحين
من هذا القبيل .
فالروح اذا خرجت
لن تعود
الا بأمر الله .
اما اذا كان
هذا الهاً
فلنقل :
قام الرب !

٧

سمع بيلاطس
بهذا فاجابهم :
« ان كلامكم
لموعب هزؤا .
من يسرق ميتاً ؟
وما المنفعة من ميت ؟
ان المحبّ يحبُّ الحبيب
حتى اللحد ؟
ولا فائدة
ان يظهر له الحب
بعد ان صار في اللحد .
فالمائت راقد
لا يبدي حراكاً .
فما الفائدة لكم
من راقد؟»
الا دعوا المائت
ايها الدافنون ،
فلن يسرق .
ولكن ، اذا ما قام ،
فاصرخوا :
قام الرب !

٨

انا جلدته ،
وانتم صلبتموه ،
ويوسف وضعه
في الخنير .
انه لميتٌ !
انه لجثة هامدة !
عندما مات ،
نظر اليه الجميع .
فاذا قام من الرمس ،
ينظر اليه الجميع.
تقولون انتم
انهم سرقوه ،
وهم يقولون
انه قام !
لمَ التعامي اذن ؟
نحن نؤمن بما رأينا
ولذا نقول :
قام الرب !

٩

يتراءى لي
ان كل واحد يذيع :
إما انه سُرق ،
وإما انه قام ،
فهذا غير اكيد ،
وذاك محال .
ولكن اذا كان هذا
يجديكم الان نفعاً
فخذوا الان جراساً
وليحفظوا الرمس .
ولكن احذروا
الا يقول الحراس
مخدوعين ثانية :
كان هذا ابن الله حقاً [1]
واحذروا الا يصرخوا
وفيما هو في الرمس
كما صرخوا قبلاً
وهو على الصليب :
قام الرب !

---

١) متى ٢٧ : ٥٤

١٠

هكذا قال لهم
بيلاطس :
« عندكم حراس[1]
فاذهبوا واعملوا
ما يجديكم الان نفعاً . »
يا بيلاطس ،
اغسل الآن روحك ،
كما غسلت قبلاً يديك
وقل : « اني بريء »[2]
أبغتة تروعك الآن
رؤيا امرأة[3] ؟
اذن ماذا تصنع
حين تسمع
السماويين
والأرضيين
يصوتون
بعد القيامة :
قام الرب ؟

١١

حينئذٍ قال الآثمون للجنود :
لا تمطوا الآن
اجفانكم تماماً
وتجلّدوا .
احتملوا سياهرين قليلاً
الى ان يحسب
يسوع ميتاً .
واذا كنتم
تريدون ان تتمموا
ارادة بيلاطس ،
فاصنعوا هذا
فيغدو تعبكم
لكم ربحاً
ولنا مجداً ،
لانه بعد
فساد الجسد يجلا .
لا احد يجسر على القول :
قام الرب !

---

١) مت ٢٧ : ٦٥ ٢) مت ٢٧ : ٢٤ ٣) مت ٢٧ : ١٩

١٢

لا تعتقدوا الآن
بأن الامر سوف يبقى
بلا ربح لكم .
اننا نريد مكافأتكم
على اتعابكم .
لقد اعطى اليهودُ
يهوذا ثلاثين ديناراً ؛
واما أنتم فتأخذون
ضعف الثلاثين .
هذا ما نقوله لكم :
ان يسوع لهائل
حياً كان او ميتاً ؛
لا تتعبن باطلاً
فلن تأخذوا
منا ذهباً ،
اذا بقي المسيح
بالرغم منا ؛
وبقي القائلون :
قام الرب !

١٣

تحرك الجنود
برأي الآثمين الباطل ،
وذهبوا الى الرمس .
فالجند كانوا يحرسون
المسيح الملك .
لقد كان جنود
خارج الرمس ،
وكان صراع
بين المسيح والموت
داخل الرمس .
فاز المسيح
بقوة بالانتصار ،
وفقد الموتُ القوة .
سلب المسيحُ الاموات
الذين في الجحيم ،
وصرخ الموت
للذين هم في الاعماق
اني غُلبتُ فاصرخوا :
قام الرب !

١٤

هكذا غلب الموت[1]
فتزعزعت الجحيم ،
وتحرك أهلها للفرار ،
فصرخ الحراس :
ما الساعة الآن ؟
هل مضى الليل
فاستفاق سكان القبور ؟
لقد تبلبلوا
ثانيةً وثالثةً
في راحتهم ،
بكوا وضحكوا ،
حزنوا وفرحوا ،
وهتف الواحد
نحو الآخر :
ويل لنا ! ويل لنا !
وحدّث الواحد
الآخر قائلاً :
ان الامر لجميل :
قام الرب !

١٥

ترعزعت الارض
بالخوف الشديد ،
وارتفع الحجر عن الرمس.[2]
هل الرجل الذي
نحن نحرسه
والذي ، وهو على الصليب ،
تخوّف منه الآثمون ،
هل قام الآن
وانهض معه آدم ؟
ها هو الآن
يكسر الصخور ،[3]
ها هو الآن
يزعزع الحجر ،
هو هو نفسه
كما كان قبلاً
لقد مزّق الحجاب[4]
وفتح الرمس ،
وبينما كنا نائمين
قام الرب !

١) هنا يتلاقى الشاعر كورنايل مع رومانوس في وصف القتال
Corneille : Le Cid , III 3

٢) مق ٢٨ : ٢ ٣) مق ٢٧ : ٥١ ٤) مق ٢٧ : ٥١

١٦

لننهض الآن ، يا احبائي
ولنفتش ،
ولننظر القبر !
ان الحجر نقل
بالزلزلة حقًا .
فاذا كانت الجثة
بعدُ في الرمس
فلنصمت !
واما اذا كان الميت
قد اختفى
فلنبكِ
مع سكان الجحيم !
بكى الموت ،
وانتحبت الجحيم ،
عندما فتشنا معاً .
من قال الويل ؟
ومن صرخ
ان الامر لجميل
واصوات من تقول :
قام الرب ؟

١٧

لا أحد في الداخل !
وها واحد على الحجر !
أيتراءى
ام يخيّل لي
اني اراه ؟
انخدعني الليل
بسرعة ؟
— ايها العزيز ،
الليل يخدعك
فانحدر الينا
ونم معنا !
هو الروح يتخيل لك .
فاصمت ونم !
— او بالحري لنسهر الآن
ولننتبه الى هنا وهناك ،
لئلّا يترصد احد نومنا
ويأتي فيسرقه .
— من يستطيع ان يهدئ
هؤلاء الصارخين :
قام الرب !

١٨

اجل قد تناهى الليل ،
اجل قد تناهى .
وما نطقت به
كان حقاً ، يا عزيزي .
ومن كان ميتاً
هو الآن حي يُرى ..
ها هو يزعزع
الحجر في الداخل .
ها هو يهتف بنا
بهذه الكلمات :
انه لرهيب ،
يحمل النور ،
يوزع النور ،
هو النور ،
انه حقاً ابن النور ؟
وخادم النور ،
وهذه هي الكلمات
التي قالها للنسوة :
قام الرب !

١٩

هذه خسارتهم ،
وهذا ربحنا ،
لاولئك كان جرحاً ،
ولنا حياة ،
لانه بالحقيقة
قام الرب !
وان يكن الحافظون
للقبر
قد اخذوا فضة ،
ليصمتوا مكرهين[1]
فالحجارة تصرخ :
« ان الحجر رفع
بدون يدين ،
فقد قُدّ من جبل .
فكما خرج
قديماً من الحشا
هكذا خرج الآن
من الرمس
وقام الرب ! »

---

١) مت ٢٨ : ١٢ و١٣

٢٠

انت ، يا مخلص ،
أتيت من الحشا
بدون زرع ،
وتركت للبتول
اختام البتولية ،
كما تركت اليوم للقبر
اختام القبر .
تركت للحفير
سباني يوسف ،
واخذت من الجفير

والد يوسف ،
فأتى آدم
يلحق بك
وتبعتك حواء ،
فخدمت حواء مريم .
فكل الارض
تسجد لك
مرنمة لك
نشيد الانتصار :
قام الرب !

قيامة المسيح

بحث تاريخي

بقلم المونسنيور الياس الزيناتي

تضاربت اقوال علماء الكنيسة في التوفيق بين مختلف ظروف الزمان والمكان التي رافقت قيامة سيدنا يسوع المسيح من الموت على ما ذكرها الانجيليون، وان اتفقوا جميعهم دون استثناء على حقيقة وقوع القيامة، كما قد حاول اعداء ديانتنا انكار وقوع حادث القيامة بسبب تناقض ظاهري في ظروف هذا الحادث الخطير بل الوحيد في نوعه، على ان هذا التناقض او بالاحرى هذا عدم الائتلاف الكامل بين هذه الظروف، على الرغم من الصعوبات التي تقوم في وجهه، لا يتجاوز حدود الشكل الظاهر ولا يرتكز في واقع الحال على اساس صحيح. ومن تمعّن في قراءة الاناجيل الاربعة بروية وايمان تجلى له وجه الحقيقة على ما هي في ذاتها.

وما غايتنا من المقال الحاضر الردّ على خصوم الدين وتفنيد مزاعمهم الباطلة بشأن قيامة السيد له المجد من بين الاموات. فهذه قضية قد تباج نورها كالشمس في رابعة النهار. وقد كتب فيها العلماء والآباء القديسون المقالات المسهبة واجلوا غوامضها باصدق البراهين واقواها بحيث لم يتركوا ثلمةً الّا سدّوها دون ان يدعوا زيادة لمستزيد في هذا المعنى. بل انما القصد ان نذلّل ما يعترض من الصعوبات الظاهرة في سبيل سياق الحوادث التي سبقت ورافقت ولحقت حادثة القيامة نفسها. ونجعل من شتيت الاخبار قصةً واحدةً بعينها متناسقة التركيب متماسكة الاطراف. وقد كثرت ولا بأس المحاولات قبلنا للجمع بين هذه النصوص ولكل منها قيمتها

وروّادها [1] فاتينا نحن ايضاً بمحاولتنا هذه ربما تروق لاهل العلم وتعين على ازالة بعض الغوامض .

وهذه هي روايات الانجيليين الاربعة لحادث القيامة :

انجيل القديس متى الفصل ٢٨

« ١ وفي غلس السبت المسفر عن اول الاسبوع جاءت مريم المجدلية ومريم الاخرى لتنظرا القبر . ٢ واذا زلزلة عظيمة قد حدثت لان ملاك الرب نزل من السماء وجاء ودحرج الحجر عن الباب وجلس فوقه . ٣ وكان منظره كالبرق ولباسه ابيض كالثلج ٤ ومن خوفه ارتعد الحراس وصاروا كالاموات . ٥ فاجاب الملاك وقال للنسوة لا تخفنَّ انتنَّ . قد علمتُ انكنَّ تطلبن يسوع المصلوب . ٦ انه ليس ههنا فانه قد قام كما قال . تعالينَ وانظرنَ الى المكان الذي كان مضجعاً فيه الرب ٧ وأسرعنَ واذهبنَ وقلنَ لتلاميذه انه قد قام وهو يسبقكم الى الجليل وهناك ترونه . ها انا قد قلت لكنَّ . ٨ فخرجنَ مسرعات من القبر بخوف وفرح عظيم وبادرنَ ليخبرنَ تلاميذه . ٩ فاذا يسوع لاقاهنَّ وقال سلام لكنَّ . فدنونَ وامسكنَ قدميه وسجدنَ له . ١٠ وحينئذ قال لهنَّ يسوع لا تخفنَ . اذهبنَ وقلنَ لاخوتي ليذهبوا الى الجليل وهناك يرونني .»

انجيل القديس مرقس الفصل ١٦

« ١ ولما انقضى السبت اشترت مريم المجدلية ومريم ام يعقوب وسالومة حنوطاً ليأتينَ ويحنطن يسوع . ٢ وبكرنَ جداً في اول الاسبوع واتينَ القبر وقد طلعت الشمس ٣ وكنَّ يقلنَ فيما بينهنَّ من يدحرج لنا الحجر عن باب القبر . ٤ وتطلعنَ فرأينَ الحجر قد دُحرج وكان عظيماً جداً . ٥ فلما دخلنَ القبر رأينَ شاباً جالساً عن اليمين عليه لباس ابيض فانذهلن . ٦ فقال لهنَّ لا تنذهلنَ انكنَّ تطلبنَ يسوع الناصري المصلوب انه قد قام وليس هو ههنا وهوذا المكان الذي وضعوه فيه ٧ فاذهبنَ وقلنَ

[1] راجع خاصة : Lagrange, *L'Evangile de N. S. Jésus-Christ*. Paris, Gabalda 1936, pp. 582 sqq. Prat, *Jésus-Christ*. Paris, Beauchesne 1933 pp. 433 sqq.

لتلاميذه ولبطرس انه يسبقكم الى الجليل وهناك ترونه كما قال لكم.
٨ فخرجنَ من القبر وفررنَ وقد اخذتهنَّ الرعدة والدهش ولم يقلنَ لاحد شيئاً
لانهنَّ كنَّ خائفات ٩ وبعد ما قام باكراً في اول الاسبوع ترآى اولاً
لمريم المجدلية التي كان قد اخرج منها سبعة شياطين ١٠ فانطلقت واخبرت الذين
كانوا معه وهم ينوحون ويبكون ١١ وهم اذ سمعوا بانه حي وانها ابصرته
لم يصدقوا . ١٢ وبعد ذلك ترآى بهيئة اخرى لاثنين منهم وهما يسيران
منطلقين الى البرية ١٣ فذهب هذان واخبرا الباقين فلم يصدقوا ولا هذين.
١٤ اخيراً ترآى للاحد عشر وهم متكئون وبكتهم لعدم ايمانهم وقساوة
قلوبهم لانهم لم يصدقوا الذين رأوه قد قام.»

انجيل القديس لوقا الفصل ٢٤

«١ وفي اول الاسبوع باكراً جداً اتينَ الى القبر وهنَّ يحملنَ الحنوط
الذي اعددنه ٢ فوجدنَ الحجر قد دُحرج عن القبر. ٣ فدخلنَ فلم يجدنَ
جسد الرب يسوع. ٤ وبينما هنَّ متحيرات في ذلك اذا برجلين قد وقفا
عندهنَّ بلباس براق ٥ واذ كنَّ خائفات ونكسنَ وجوههنَّ الى الارض
قالا لهنَّ لماذا تطلبنَ الحي بين الاموات. ٦ انه ليس ههنا لكنه قد قام.
اذكرنَ كيف كلمكنَّ وهو في الجليل ٧ اذ قال انه ينبغي لابن البشر
ان يُسلَّم الى ايدي اناس خطأة ويصلب ويقوم في اليوم الثالث. ٨ فذكرنَ
كلامه ٩ ورجعنَ من القبر واخبرنَ الاحد عشر وجميع الباقين بهذا كله.
١٠ ومريم المجدلية وحنة ومريم ام يعقوب واخر معهنَّ هنَّ اللواتي اخبرنَ
الرسل بهذا. ١١ فكان عندهم هذا الكلام كالهذيان ولم يصدقوهنَّ. ١٢ فقام
بطرس واسرع الى القبر وتطلع فرأى الاكفان موضوعة على حدة فانصرف
متعجباً في نفسه مما كان. ١٣ وان اثنين منهم كانا سائرين في ذلك اليوم الى
قرية اسمها عماوس بعيدة عن اورشليم ستين غلوة ١٤ وكانا يتحادثان عن
تلك الحوادث كلها. ١٥ وفيما هما يتحادثان ويتساءلان دنا منهما يسوع نفسه
وكان يسير معهما ١٦ ولكن امسكت اعينهما عن معرفته. ١٧ فقال لهما
ما هذا الكلام الذي تتحاوران فيه وانتما سائران مكتئبين. ١٨ فاجاب

واحد منهما اسمه كلاوبا أفأنت وحدك غريب في اورشليم ولم تعلم ما حدث بها في هذه الايام . ١٩ فقال لهما وما هو . قالا له ما يخص يسوع الناصري الذي كان رجلاً نبياً ذا قوة في العمل والقول امام الله والشعب كله ٢٠ وكيف اسلمه رؤساء الكهنة وحكامنا لقضاء الموت وصلبوه . ٢١ ونحن كنا نرجو انه هو المزمع ان يفدي اسرائيل ولكن مع هذا جميعه فاليوم هو اليوم الثالث لحدوث ذلك . ٢٢ الّا ان نساء منا ادهشننا لانهنّ بكرنَ الى القبر ٢٣ فلم يجدنَ جسده فاتينَ وقلنَ انهنّ رأينَ مظهر ملائكة قالوا انه حي . ٢٤ فمضى قوم من الذين معنا الى القبر فوجدوا كما قالت النساء لكنهم لم يروه . ٢٥ فقال لهما يا قليلي الفهم وبطيئي القلب في الايمان بكل ما نطقت به الانبياء . ٢٦ أما كان ينبغي للمسيح ان يتألم هذه الآلام ثم يدخل الى مجده . ٢٧ ثم اخذ يفسر لهم من موسى ومن جميع الانبياء ما يختص به في الاسفار كلها . ٢٨ فلما اقتربوا من القرية التي كانا يقصدانها تظاهر بانه منطلق الى مكان ابعد . ٢٩ فألزماه قائلين امكث معنا لان المساء مقبل وقد مال النهار فدخل ليمكث معهما . ٣٠ ولما اتكأ معهما اخذ خبزاً وبارك وكسر وناولهما . ٣١ فانفتحت اعينهما وعرفاه فغاب عنهما . ٣٢ فقال احدهما للاخر أما كانت قلوبنا مضطرمة فينا حين كان يخاطبنا في الطريق ويشرح لنا الكتب . ٣٣ وقاما في تلك الساعة ورجعا الى اورشليم فوجدا الاحد عشر والذين معهم مجتمعين . ٣٤ وهم يقولون لقد قام الرب في الحقيقة وترآى لسمعان . ٣٥ فاخذا هما يخبران بما حدث في الطريق وكيف عرفاه عند كسر الخبز . ٣٦ وبينما هم يتحدثون بهذه وقف يسوع في وسطهم وقال لهم السلام لكم انا هو لا تخافوا .»

انجيل يوحنا الفصل ٢٠

« ١ وفي اول الاسبوع جاءت مريم المجدلية الى القبر في الغداة والظلام باقٍ فرأت الحجر مدحرجاً عن القبر . ٢ فاسرعت وجاءت الى سمعان بطرس والى التلميذ الاخر الذي كان يسوع يحبه وقالت لهما قد اخذوا الرب من القبر ولا نعلم اين وضعوه . ٣ فخرج بطرس والتلميذ الآخر واقبلا الى القبر .

٤ وكانا مسرعين معاً فسبق التلميذ الآخر بطرس وجاء الى القبر اولاً ٥ وانحنى فرأى الاكفان موضوعة لكنه لم يدخل . ٦ ثم جاء سمعان بطرس يتبعه ودخل القبر فرأي الاكفان موضوعة ٧ والمنديل الذي كان على رأسه غير موضوع مع الاكفان بل ملفوفاً في موضع على حدته . ٨ فحينئذ دخل التلميذ الآخر الذي جاء اولاً الى القبر فرأى وآمن ٩ لانهم لم يكونوا بعد يعرفون الكتاب انه ينبغي ان يقوم من بين الاموات . ١٠ وذهب التلميذان الى موضعهما . ١١ اما مريم فكانت واقفة عند القبر خارجاً تبكي وفيما هي تبكي انحنت الى القبر ١٢ فرأت ملاكين بثياب بيض جالسين حيث وُضع جسد يسوع احدهما عند الرأس والآخر عند الرجلين ١٣ فقالا لها يا امرأة لِمَ تبكين . فقالت لهما انهم اخذوا ربي ولا اعلم اين وضعوه . ١٤ فلما قالت هذا التفتت الى خلفها فرأت يسوع واقفاً ولم تعلم انه يسوع . ١٥ فقال لها يسوع يا امرأة لِمَ تبكين مَن تطلبين فظنت انه البستاني فقالت له يا سيدي ان كنت انت حملته فقل لي اين وضعته وانا آخذه . ١٦ فقال لها يسوع مريم . فالتفتت وقالت له رابوني الذي تفسيره يا معلم . ١٧ قال لها يسوع لا تلمسيني لاني لم اصعد بعد الى ابي بل امضي الى اخوتي وقولي لهم اني صاعد الى ابي وابيكم والهي والهكم . ١٨ فجاءت مريم المجدلية واخبرت التلاميذ انها رأت الرب وانه قال لها هذا .»

***

فمن مطالعة هذه الروايات ومقابلتها مع بعضها ومن درس دقائقها درساً صحيحاً يتبين بجلاء امران نظن انه باشراق النور عليهما تنجلي غوامض الصعوبة التي قد طالما القت بعض الغشاوة على وجه الحقيقة الناصع في هذه القضية :

الاول : نظن بل نؤكد ان النساء المذكورات في روايات القيامة لم يكنَّ عارفات بختم القبر بامر الحكومة وبوجود الحراس عليه والّا لما كنَّ اشترينَ الحنوط والاطياب وتجرأنَ على المجيء اليه قصد نزع الحجر عن بابه لتحنيط جسد يسوع . بل لما كان خطر ببالهنَّ ابداً ان يقدمنَ على عمل كبير كهذا يترتب عليه ما يترتب من عظيم المسؤولية ويعود عليهنَّ بارخم العواقب كما هو

واضح وخصوصاً في تلك الظروف الحرجة الدقيقه التي وُجد فيها يومذاك اتباع يسوع الناصري.

وانه لامر طبيعيّ جداً ان تكون هؤلاء النساء جاهلات ما جرى بعد دفن يسوع بين رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب وبين بيلاطوس الحاكم بشأن ختم القبر بخاتم الحكومة واقامة الحراس عليه الى ان تنقضي الايام الثلاثة التي كان تنبأ المسيح انه ينبعث من الموت عقيب انقضائها . لانهنّ على اثر دفن جسد السيد رجعنَ الى بيوتهنّ باكيات حزينات لا يلوينَ على شيء . وبعد ان اشترينَ الحنوط والاطياب اللازمة للتحنيط قبل حلول السبت قررنَ مثل غيرهنّ من اليهود على حسب الوصية كما ذكر القديس لوقا ولم يجتمع رؤساء الكهنة والفريسيون الى بيلاطوس بشأن ختم القبر وحراسته الّا في الغد الذي بعد التهيئة اي صباح السبت اذ كانت النسوة قارات في بيوتهنّ عملاً بالناموس.

الثاني ان مريم المجدلية ومريم الاخرى التي هي ام يعقوب وام يوسى ذهبتا وحدهما في غلس السبت المسفر عن اول الاسبوع اي في سحر يوم الاحد باكراً « لتنظرا القبر » حسب رواية القديس متى. فنظن بل نرجح بل نؤكد ان ذهابهما على هذا الوجه وفي هذا الوقت كان للاستطلاع فقط. وهذا ما يعنيه الانجيلي بقوله : « لتنظرا القبر » اي لترياما اذا كان جدّ شيء على القبر من تعدٍ او تحقير او غير ذلك لانهما كانتا تعرفان بغض اليهود للمسيح حتى اذا وجدتاه صحيحاً سالماً تعودان عند طلوع الفجر مع رفيقاتها النساء الاخريات لتحنيط جسد يسوع. وبرهاننا على ذلك هو :

١ً : لم يذكر القديس متى كونهما حملتا معهما الحنوط لتحنيط جسد يسوع مع ان القديس مرقس والقديس لوقا يذكران صريحاً ان المجدلية نفسها ورفيقتها مع بقية النساء اشترين الحنوط والاطياب قبل حلول السبت وعقيب انقضائه لاجل تحنيط جسد يسوع.

٢ً : وعلى فرض انهما اخذتا معهما الحنوط وقد اغفل القديس متى ذكر ذلك فهل يعقل ان تذهبا وحدهما للعمل المذكور وقد كانتا تواعدتا ضمناً حسب رواية القديس لوقا مع بقية النسوة رفيقاتها قبل حلول السبت حين اشترينَ

الحنوط والاطياب على ان يأتين معاً عقيب انقضاء السبت الى القبر لاتمام هذا العمل المبرور. وما هو الداعي لانفرادهما بهذا العمل دون بقية رفيقاتهما. وهل يُعقل ان تُجربا وحدهما تحنيطاً ثم تعود بقية النساء رفيقاتهما تُجربنَ تحنيطاً آخر ؟

٣ : واذا كانت مريم المجدلية ورفيقتها مريم الاخرى ورفيقتها الثالثة سالومة حسب رواية القديس مرقس – ولا شك في ان بقية النساء كن معهن اذ ذاك حسب رواية القديس لوقا – كنَّ يتساءلن في الطريق عمن تراه يدحرج لهنَّ الحجر عن باب القبر. فهل من المعقول ان تكون مريم المجدلية ومريم الاخرى رفيقتها قادرتين وحدهما من دحرجة الحجر في ذلك الليل وفي ذلك المكان المنفرد ؟

٤ : اذا اخذنا رواية القديس متى على ما هي نجد فيها ان مريم المجدلية ومريم الاخرى ذهبتا وحدهما الى القبر . ولمّا صارت الزلزلة وخاف الحراس وصاروا كالاموات خاطب الملاك النسوة وقال لهنَّ : « لا تخفنَ » فخطاب الملاك هو بصيغة الجمع لا بصيغة المثنى وقد كان الواجب ان يكون بصيغة الجمع لان مريم المجدلية ومريم الاخرى لم يكن معهما احد آخر. واذا قيل ان انجيل القديس متى كتب باللغة الآرامية ولا مثنى في هذه اللغة اجبنا . اجل ان القديس متى كتب انجيله بالارامية وهذه اللغة لا مثنى فيها للافعال بل ان صيغة المثنى وصيغة الجمع في الافعال هي واحدة . فيقال للامرأتين لا تخفنَ ويقال للنسوة لا تخفنَ . غير ان الاسماء تثنى بوضع لفظة ܬܪܬܝܢ للمذكر وܬܪܬܝܢ للمؤنث امام الاسم مجموعاً كما جاء في انجيل القديس متى نفسه: ܒܬܪܬܝܢ ܝܘܡܝܢ (٢٠–٣٠) ܒܬܪܬܝܢ ܡܫܝܚܐ ܕܐܝܬ ܠܗ ܫܘܠܛܢܐ (٢١–١). ܒܬܪܬܝܢ ܕܢܫܬܘܬܐ ܕܐܝܬ ܠܗ ܫܘܠܛܢܐ (١٤–١٩) فكان يجب ان يقال : « فأجاب الملاك وقال للامرأتين : لا تخفنَ انتما » وفوق ذلك فان انجيل القديس متى ترجم حالاً بعد كتابته بالارامية الى اللغة اليونانية . ومنهم من يقول ان ترجمته الى اليونانية كانت بقلم القديس متى نفسه . ومنهم من قال كلا بل تمت تحت

اشرافه . وفي كلا الحالين قد تبناها هو . واللغة اليونانية مثل اللغة العربية تُثنى فيها الاسماء والافعال وكل ترجمات انجيل القديس متى بعد ذلك أُخذت عن الترجمة اليونانية حتى ان غير واحد من العلماء تمكن ان يقول ان القديس متى كتب انجيله باليونانية . واذا قيل ان المثنى قلَّ استعماله في اللغة اليونانية في العهد الذي كتب فيه القديس متى انجيله اجبنا لا بأس ولكنه كان على المترجم ان يترجم لفظة لمتوسع السريانية بلفظة ... كما ترجمها في غير مواضع من الانجيل عندما اراد ان يعبر عن المثنى كما مرَّ آنفاً . فيتضح من ذلك ان رواية القديس متى من اول الفصل الثامن والعشرين لغاية العدد الخامس منه غير مرتبطة بما بعدها لغةً ومعنىً بحيث يلزم ان يكون قول الملاك للنسوة لا تخفنَ موجهاً الى مريم المجدلية ومريم الاخرى اللتين اخبر الانجيلي عنهما في العدد الاول من الفصل نفسه بانهما ذهبتا لتنظرا القبر بل يجب ان نتأكد انه قد تخلل بين ذهاب المجدلية ورفيقتها وحدوث الزلزلة وارتعاد الحراس وبين مخاطبة الملاك للنسوة بقوله لهن لا تخفنَ زمن غير قصير يفصل ما بعده عما قبله .

٥ : اذا لم يكن سبق للمجدلية ورفيقتها مريم ام يعقوب ان حضرتا قبل بقية النساء الى حيث القبر فكيف نوفق بين قول القديس مرقس : « بكرنَ جداً في اول الاسبوع واتينَ القبر وقد طلعت الشمس » كيف نوفق بين التبكير جداً وطلوع الشمس وكل المسافة بين اورشليم وبستان يوسف الرامي لا تتجاوز بعض مئات الامتار . وكيف نوفق بين رواية القديس متى الذي لم يذكر في المجيء الى القبر سوى المجدلية ومريم الاخرى وبين رواية القديس مرقس والقديس لوقا اللذين يذكران غيرهما كثيرات من النساء .

فاذا تقرر ذلك نأتي الان على سرد وقائع القيامة بحسب ترتيبها كما يبدو لنا مستندين على اقوال الانجيل : لما ثبت لدى بيلاطس موت يسوع سمح لنيقوديموس ويوسف الرامي ان ينزلا جسده عن الصليب ويدفناه فأتم هذان الرجلان الثقيان هذا العمل المبرور بحضور القديسة مريم والدته وبقية النساء اللائي كنَّ يرافقنه . وقد اتما ذلك على عجل نظراً لقرب حلول

السبت وما كادا ينتهيان من الدفنة حتى رجع كل الى بيته ليحتفل بالفصح حسب الشريعة والنساء ايضاً رجعن الى بيوتهن ومنهن من اشترى حنوطا واطياباً في مساء ذلك اليوم قبل حلول السبت . ومنهن ومن اللواتي تأخرن على الجلجلة من ابقى مشترى ذلك الى مساء اليوم التالي اي عند انتهاء السبت وذلك لاجل المجيء الى القبر صباح الاحد لتحنيط جسد يسوع الذي كان اتقه يوسف الرامي ونيقوديموس بسرعة ولم يكن في نظر هؤلاء النساء الصالحات المحبات يكافي لذاك الجسد الالهي.

ففي غلس السبت المسفر عن اول الاسبوع اي في سحر الاحد جاءت مريم المجدلية ومريم الاخرى لتنظرا القبر اذا كان باقياً على حاله كما تركتاه يوم الجمعة مساء لا لتحنطا جسد يسوع كما سبق القول وحين صارتا على مقربة من البستان حيث هو القبر حدثت الزلزلة المذكورة في الانجيل القديس متى فاضطرب الحراس وارتعدوا واضطربت ايضاً المجدلية ورفيقتها . اما اضطراب الحراس وارتعادهم فلأنهم ابصروا القبر قد فُتح بغتةً وخرج منه ظافراً من كانوا قتلوه من يومين مضيا . واما اضطراب المجدلية ورفيقتها فلانهما شعرتا بالزلزلة وابصرتا اولئك الجنود حوالي القبر دون ان يكون عندهما سابق معرفة بوجودهم هناك فظنتا انهم انما اتوا ليكملوا اهانة جسد يسوع او لغاية اخرى . فرجعتا على اعقابهما خائفتين مضطربتين قبل ان تصلا الى القبر ولم تميزا شيئاً مما حدث لا من حيث فتح القبر ولا من حيث حالة الحراس الذين صاروا كالاموات لان الظلام كان لا يزال باقياً . وهذا طبيعي جداً اذا ما لاحظنا الحادث من كل وجوهه ولاحظنا معه طبيعة النساء الضعيفة . وبوصولهما الى المدينة كانت بقية النساء رفيقاتهما على اهبة الذهاب الى القبر ليحنطنَ جسد يسوع وربما كنَ بانتظار رجوعهما اليهن لتخبراهنَ بما رأتا من حالة القبر . لان انفراد المجدلية ومريم ام يعقوب رفيقتها بالمجيء لتنظرا القبر لا بد من ان يكون جرى بمعرفة بقية النسوة . فحملن الاطياب والحنوط واتين القبر عند طلوع الفجر لان ما ابصرته المجدلية ورفيقتها عند القبر جعلهن ولا

شك يتأخرن الى ذلك الوقت اي الى ان يكون بزغ النهار. وكنّ يقلنَ فيما بينهن على الطريق: من تراه يدحرج لنا الحجر عن باب القبر. وهذا مما يؤكد ان المجدلية ورفيقتها مريم الاخرى ما تقدمتا في المرة السابقة الى القبر والا لما كانتا تقولان مع النسوة: من تراه يدحرج لنا الحجر عن باب القبر. لانه قد كان دُحرج. ولا كانتا تهتمان بعدُ في امر التحنيط. وقد قال لهما الملاك ان المسيح قام من بين الاموات.

ويوصولهنّ الى القبر لم يجدن احداً من الحراس فتقدمن من القبر فرأين الحجر قد دُحرج. وعندما دخلنَ الى القبر لم ترين جسد يسوع فاخذتهن الحيرة. وللحال قبل اي بحث او انتظار اسرعت مريم المجدلية وحدها راجعة الى المدينة لتخبر بطرس ويوحنا بما حدث حسب رواية القديس يوحنا قائلة: قد اخذوا الرب من القبر ولا نعلم اين وضعوه. كأنها تشير بذلك الى الجنود الذين كانت رأتهم مع رفيقتها في المرة الاولى. فظنت انهم اخذوه ليكملوا اهانته. واخبرت المجدلية بطرس ويوحنا دون غيرهما من الرسل لانه يرجح ان يكون هذان الرسولان في ذاك الوقت دون غيرهما عند البتول مريم بعد ما تركتها النسوة وذهبن الى القبر يعزيانها في حزنها ويستغفرها بطرس عن انكاره ابنها في ليلة الآلام. ورجوع المجدلية الى المدينة كان قبل ظهور الملاك للنسوة حسب رواية القديس متى والقديس مرقس وظهور الملاكين حسب رواية القديس لوقا كما هو واضح والا لما كانت قالت لبطرس ويوحنا ما قالت: فرجوعها الى المدينة صار «عندما كن متحيرات» حسب قول القديس لوقا لانه لا شك قد تخلل بعض الوقت بين وصول النساء الى القبر وبين ظهور الملائكة لهنّ بدليل هذا القول: «بينما كنّ متحيرات واذا برجلين قد وقفا عندهنّ بلباس براق» فلا بد ان تكون هذه الحيرة استغرقت فترة من الزمان.

فللحال اسرع بطرس ويوحنا مع المجدلية الى حيث القبر. ولما وصلوا لم يشاهدوا احداً هناك لان النسوة بعد ان تركنهنّ مريم المجدلية في حيرتهنّ ورجعت الى المدينة ظهر لهنّ الملاك واخبرهن بقيامة المسيح

وامرهن بالرجوع الى المدينة ليخبرن الرسل بذلك. اما هنّ فخرجنَ من القبر وفررن وقد اخذتهنّ الرعدة والدهشة والفرح ولم يقلن لاحد شيئاً لانهنّ كنّ خائفات. فدخل اولاً بطرس الى القبر ثم دخل يوحنا ولم يشاهدا جسد الرب بل وجدا الاكفان والمنديل ملفوفة وموضوعة بترتيب فخرجا من القبر « ورجعا الى موضعهما » اما المجدلية فبقيت وحدها عند القبر تبكي. وعندما انحنت متفرسة في داخل القبر ابصرت ملاكين بثياب بيض فقالا لها : يا امرأة لِمَ تبكين. فقالت لهما: انهم اخذوا ربي ولا اعلم اين وضعوه . وكأنها شعرت بحركة وراءها فالتفتت الى خلفها فرأت يسوع واقفاً ولم تعلم انه يسوع لانها لم تتفرس في وجهه . واذ سألها يسوع لِمَ تبكين ومن تطلبين قالت له يا سيدي ان كنت انت حملته فقل لي اين وضعته وانا آخذه. قال لها يسوع : مريم. فعرفت انه الرب فجاءت مريم واخبرت التلاميذ بما رأت وسمعت.

وفي تلك الاثناء اي بينما كان بطرس ويوحنا والمجدلية عند القبر كانت بقية النساء راجعات الى المدينة بعد ان رأين الملاك وبشرهنّ بقيامة المسيح. فبينما كن في الطريق لاقاهن يسوع وقال : سلام لكنّ . واذ ذاك اسرعن ودخلن المدينة واخبرن الرسل بما جرى معهنّ . وظهور المسيح لهنّ كان عقيب ظهوره للمجدلية قرب القبر « لانه تراءى للمجدلية اولاً » حسب قول القديس مرقس. وفي عصر ذلك اليوم ظهر المسيح لتلميذي عماوس كما هو مدون في انجيل القديس لوقا. وقد كان تراءى في النهار ايضاً لبطرس. وفي مساء اليوم ظهر لبقية التلاميذ معاً دون توما وهم متكئون يتحدثون بهذه الامور. وبعد ثمانية ايام ظهر المسيح ايضاً للفيف تلاميذه وتوما كان بينهم وقال لتوما: هات اصبعك الى هنا وعاين يديّ وهات يدك وضعها في جنبي وكن مؤمناً لا غير مؤمن. وهكذا دواليك مدة اربعين يوماً كان ختامها يوم خميس الصعود

هكذا جرى سياق الحوادث في قيامة المسيح على ما ظهر لنا ونظن

اننا على صواب من الامر. ولنأخذ الان في ايراد اهم الصعوبات التي قد يعترض بها ونحلها كما نرى :

يقال اولاً : انه يوجد اختلاف في سرد الحوادث . فكل من الانجيليين الاربعة يورد حادثة القيامة وظروفها المرافقة بشكل لا يأتلف مع ما يورده الاخر .

اجل ان لكل من الانجيليين طريقة مخصوصة للاخبار كما ان لكل منهم غاية في كتابة انجيله . فكما انهم لم يتفقوا على طريقة واحدة بينها في سرد عجائب المسيح وتدوين اقواله وتعاليمه ، بل كل منهم كتب شيئاً وترك غيره او كتبه على شكل لم يكتبه غيره عليه حسبما تحققه هو او رآه اوفر ملاءمة للغاية التي توخاها من الكتابة ، هكذا فعلوا في سرد حادثة القيامة وما رافقها من الظروف. وهي امري طريقة فضلى ارادها بحكمته الله تعالى . وحي الكتاب المقدس وملهمه يتجلى بها وجه الصواب الجميل ويتلألأ معها الصدق والحقيقة الكاملة. لانه لو ان الكتبة الملهمين كتبوا الحوادث كلها بشكل واحد وعبارة واحدة لكان للريب في صدق روايتهم حظ وافر ولكان الخصوم يجدون فيه مجالاً واسعاً للتقول والتجني اذ يسهل جداً ان يقال اذ ذاك : ان التواطؤ اصبغاً في العمل. وهل يُعقل ان يرى قوم امراً او يسمعوا خبراً وخصوصاً اذا كان كثير التشعب ويدونونه او يوردونه بعد حين كلهم وكلٌ على انفراد بالحرف الواحد والطريقة الواحدة اللهم اذا استثنينا التواطؤ بينهم ؟

لقد كان للصعوبة قوة لو وُجد تناقض حقيقي بين قول وقول بمعنى ان واحداً ينفي ما يثبته آخر او يثبت ذاك ما ينفيه هذا . ولكن ان يورد انجيلي ظرفاً من الظروف لا يورده انجيلي آخر او يسرد خبراً ما سرده غيره دون ان يكون في ما اورده هذا الثاني وسرده اثبات لما نفاه ذاك الاول او نفي لما كان اثبته فليس في ذلك شيء من التناقض. فاذا ما قال مثلاً القديس متى ان النسوة رأين ملاكاً عند القبر وقال

القديس لوقا انهن رأين ملاكين فهل من تناقض في قولهما؟ الا يجوز ان تكون النساء اتين مرتين الى القبر وفي المرة الاولى ابصرن ملاكاً وفي المرة الثانية ابصرن ملاكين. وكل من الانجيليين المذكورين اشار الى احدى هاتين المرتين؟ او ألا يجوز ان يكون احد الملاكين وُجد في داخل القبر والاخر وُجد واقفاً خارجه. فاشار القديس متى الى احدهما فقط والقديس لوقا الى الاثنين معاً؟

فالانجيليون الاربعة متفقون على حادث القيامة وهذا هو الامر المهم وهي الغاية التي كانوا يقصدونها وقد ارادوا اثباتها وقد اثبتوها. اما الظروف التي رافقت الحادث فلم تكن لها تلك الاهمية التي يريد الخصوم اليوم ان يعلقوها عليه. ولذلك لم يهتم الانجيليون يومذاك لكل هذه الظروف كما يهتم لها اليوم من يريدون انكار حادثة القيامة. فضلاً عن ان الانجيليين كتبوا اناجيلهم في وقت كانت حادثة القيامة وكل ظروفها معلومة بالكفاية لدى سامعي الانجيل اذ كان الكثيرون بينهم شهوداً عيانيين لذلك او اقله سامعين لهؤلاء الشهود العيانيين. فما كانوا بالحاجة الى فصل كل هذا التدقيق الذي نريده اليوم نحن الذين يفصلنا عن تلك الحادثة نحو من الفي سنة.

وفوق ذلك ان هذا الاختلاف العرضي في سرد الحوادث الانجيلية يزيد في اثبات الحقيقة المراد بيانها لانه لو ان الانجيليين يكتبون اموراً غير واقعة لكانوا يكتبونها بصورة منظمة متفق عليها لا تترك مجالاً لاقل اعتراض او صعوبة بحيث يكونون اذ ذاك كمن يؤلف قصة على هواه ولكنهم يكتبون اموراً وقعت بالفعل فهم يكتبونها كما هي جرت لا كما يريدون هم ان تكون جرت.

يقال ثانياً: القديس متى يذكر ان مريم المجدلية ومريم الاخرى فقط جاءتا في غلس الاحد الى القبر بينما القديسان مرقس ولوقا يذكران غيرهما من النساء.

ان الرد على هذه الصعوبة الثانية قد اوضحناه بالكفاية فيما سبق اي

عندما اثبتنا ان مجيء مريم المجدلية ورفيقتها مريم الاخرى وحدهما حسبما ذكره القديس متى انما هو مجيء استطلاع لحالة القبر وليس هو المجيء الثاني مع سائر النسوة لاجل تحنيط جسد يسوع كما اورده القديسان مرقس ولوقا.

يقال ثالثاً : يقول القديس مرقس اتت النسوة الى القبر وقد طلعت الشمس. ويقول الانجيليون الآخرون : اتين في السحر الباكر حينما كان ظلام. بل ان القديس مرقس نفسه يقول : وبكرن جداً في اول الاسبوع واتين القبر.

ان القديس مرقس يقول : « لما انقضى السبت اشترت مريم المجدلية ومريم ام يعقوب وسالومة حنوطاً ليأتين ويحنطن يسوع » فهو لم يقل « اتين » بل « ليأتين » فليس اذن من الواجب ان نجزم في كون هؤلاء النساء الثلاث اتين الى القبر في ذلك الوقت اي عندما انقضى السبت. فهذا معنى كامل مستقل بذاته عما بعده. اما استئناف القول : « وبكرن جداً في اول الاسبوع واتين القبر وقد طلعت الشمس » فهو معنى آخر مستقل عن الاول وقد تخلل ليلٌ بكامله بين مشترى الحنوط وعزمهن على المجيء الى القبر وبين مجيئهن فعلاً الى هناك : فكأن مشترى الحنوط حسب الرواية المشار اليها الذي قامت به النساء الثلاث اي المجدلية ومريم ام يعقوب وسالومة لا ينفي عن غيرهن ايضاً مشترى مثله. هكذا التبكير في الاتيان الى القبر قصد التحنيط لا برهان اكيداً عليه كونه تم منهن دون غيرهن. فالقديس لوقا يقول ان النساء اللواتي تبعنه من الجليل (والمجدلية ورفيقتاها لا شك منهنَّ) اتين باكراً الى القبر وهن يحملن الحنوط الذي كنَّ اعددنه قبل حلول السبت. وليس من يرتاب في كون هؤلاء النساء التقيات كانهن قد كنَّ توافقنَ منذ يوم الجمعة عقيب دفن المسيح على مشترى الاطياب والمجيء معاً صباح الاحد الى القبر لاجل تحنيط جسد يسوع كما يجب ان لا يرتاب احد في كون هؤلاء النساء جميعهن اتين معاً الى القبر صباح الاحد للغاية المذكورة. فلاجل

حل هذه الصعوبة اي التوفيق بين المجيء باكراً جداً وبين طلوع الشمس يحسن ان نعود الى ما قلناه سابقاً من ان مريم المجدلية ومريم الاخرى قد حضرتا في الصباح الباكر جداً لتنظرا القبر . وهذا المجيء الاول قد صار ولا شك بمعرفة وموافقة بقية النساء حتى اذا رجعتا اليهنّ واخبرتاهنّ بان القبر باق على حاله اتين جميعهن ومعهنّ الطيوب لاجل التحنيط . فالقديس مرقس يشير بقوله : « وبكرن جداً في اول الاسبوع واتين القبر وقد طلعت الشمس » الى المجيئين معاً اي الى المجيء الاول الذي قامت به المجدلية ومريم الاخرى في السحر الباكر جداً والى المجيء الثاني الذي قامت به كلّ النساء عند طلوع الشمس . كون المجيء في المرتين انما كان بمعرفة وموافقة الجميع فاعتبره كأنه مجيء واحد من حيث وحدة الغاية التي هي تحنيط جسد يسوع . وهكذا فعل القديس يوحنا بقوله : « في اول الاسبوع جاءت مريم المجدلية الى القبر في الغداة والظلام باق فرأت الحجر مدحرجاً عن القبر » فهو قد اشار الى المجيئين معاً لان المجدلية لم تر الحجر مدحرجاً الا في المرة الثانية عندما اتت مع بقية النساء . وهكذا القول عن القديس لوقا .

يقال رابعاً : يقول القديس متى بظهور ملاك واحد للنسوة ومثله القديس مرقس . اما القديس لوقا والقديس يوحنا فيقولان بظهور ملاكين .

اجل ان القديسين متى ومرقس يشيران الى ملاك واحد والقديسين لوقا ويوحنا يشيران الى ملاكين . انما يقول القديس متى عن الملاك انه كان جالساً فوق الحجر الذي دحرجه عن باب القبر اي كان خارج القبر . ويقول القديس مرقس ان الملاك الذي ظهر للنسوة كان داخل القبر جالساً عن اليمين . فملاك القديس متى هو اذن غير ملاك القديس مرقس . فالقديس متى والقديس مرقس تكلم كلٌّ منهما عن ملاك دون ان ينفي وجود الملاك الاخر . اما القديسان لوقا ويوحنا فاشارا الى الملاكين معاً . وليس في الامر اقل تناقض .

يقال خاصاً : ان المسيح لم يدع المجدلية تلمسه وقد سمح للنساء ان يمسكن قدميه.

اذا كان وجه الصعوبة من حيث التناقض في الكلام من ان يوحنا ينفي ما اثبته متى اجبنا ان ما وقع للمجدلية هو حادث مختلف عن حادث بقية النسوة . فالمجدلية كانت وحدها عند القبر عندما ابصرت يسوع وقال لها : « لا تلمسيني » والنساء دون المجدلية كن راجعات من القبر الى المدينة عندما لاقاهن يسوع وقال سلام لكن فامسكن قدميه وسجدن له. فليس اذن لمس المسيح وعدم لمسه في حادث واحد بعينه .

اما اذا كان وجه الصعوبة من حيث المعنى اي لماذا سمح المسيح لبقية النساء ان يمسكن قدميه ولم يسمح للمجدلية بهذا الشرف. اجبنا بقصر الرأي اذا ما لاحظنا السبب الذي بنى عليه المسيح عدم السماح للمجدلية بلمسه وهو: « لاني لم اصعد بعد الى ابي » وقابلناه مع الفصل الرابع عشر من انجيل القديس يوحنا حيث يقول المسيح لتلاميذه : « لا تضطرب قلوبكم انتم تؤمنون بالله فآمنوا بي ايضاً. ان في بيت ابي منازل كثيرة والا لقلت لكم فاني منطلق لاعد لكم مكاناً. واذا انطلقت واعددت لكم مكاناً آتي وآخذكم الي لتكونوا انتم حيث اكون انا . » وتأملنا جيداً بروح التقوى المسيحية وتفهمنا بالروح معنى هذا الكلام الالهي البديع الذي يملأ القلب فرحاً وتعزية لمت لعيني عقلنا بارقة نور يمكننا ان نسير على ضوئها الى ابواب الحقيقة التي ارادها السيد له المجد بقوله : « لا تلمسيني. » ليس المقصود هنا من اللمس ان تقبل المجدلية اقدام المسيح او ان تلمس بيدها جراحاته المقدسة. والا لما كان سمح به المسيح للنساء الاخريات ولا كان حرض الرسل عليه بقوله لهم عند ظهوره بعد قيامته: جسوني وانظروا ان الروح ليس له لحم وعظام.» وبقوله لتوما على الخصوص : « هات اصبعك وادخله في جراح يدي وهات يدك وامددها في جنبي » لان السبب الذي من اجله لم يسمح للمجدلية بلمسه « هو لاني لم اصعد بعد الى ابي » كان لا يزال باقياً . فاذا تعالت محبته ورأفته سمح به بل حرض عليه الاخرين فهل كانت المجدلية اقل استيهالاً

لهذا السماح وهي التلميذة المحبة والمحبوبة اكثر من الجميع والتي تستحق مثلهم ان لم تقل اكثر منهم عطف الرب وحنوه لانها ثبتت امينة في محبتها الى النهاية ! فالمعنى الذي يريده المخلص بكلمته « لا تلمسيني لاني لم اصعد بعد الى ابي » هو على ما يظهر لنا « لا تمسكيني » اي لا تحاولي امساكي للبقاء معك او للذهاب معي.

فكأني بالمجدلية وفي قلبها ما فيه من الشغف والشوق عندما ابصرت المسيح قائماً من القبر وهتفت « رابوني » بعدما سمعت صوته وعرفت انه الرب انطرحت على الارض وامسكت قدميه المقدستين وقبلتها وذرفت عليها دموع الفرح والابتهاج ومسحتها بشعر رأسها ولسان حالها يقول مع عروس النشيد : وجدتُ من احبتهُ نفسي فامسكه ولا اطلقه (نشيد ٣:٤) واذ شعرت ان المسيح يريد تركها سألته ان يأخذها معه لانها لا تطيق فراقه بعد مذكرة اياه بوعده السابق : « واذا انطلقت واعددت لكم مكاناً آتي وآخذكم الي لتكونوا انتم حيث اكون انا » فاجابها بما اجابها اي اني حتى الان لم اصعد الى أبي لأعد لكم هذا المكان الموعود وآخذكم اليه مع اني لا ازال على وعدي هذا. ويدل على ذلك قوله تعالى مستثنياً : « بل امضي الى اخوتي وقولي لهم اني صاعد الى ابي وابيكم والهي والهكم . » فحرف الاضراب « بل » يشير بالكفاية الى ان المجدلية قد كانت الحت على المسيح ان يأخذها معه لانها لا تريد الانفصال عنه فقال لها : « لا بل امضي الى اخوتي » ولن يكون موعد اللقاء بيننا ببعيد. وهذا الالحاح الضمني من المجدلية لتذهب مع المسيح يقابله ذاك الالحاح الصريح من المجنون الذي كان فيه لجاون ليكون مع المسيح بعد ان اخرج منه الشياطين كما يقابل جواب المسيح لهذا المجنون . « بل امض الى بيتك لدى اهلك واخبرهم بما صنع الرب بك . مرقس ٥-١٩ » جوابه تعالى للمجدلية : « بل امضي الى اخوتي »

يقال سادساً واخيراً : اما كان الانسب والاطبق للصواب ان يشهر المسيح قيامته على اعدائه وعلى الناس اجمع بصورة حافلة وبشكل لا يمكن الشك

فيه بنوع من الانواع فكان بذلك يسد كل فم ويلقم الحجر كل مكابر ويسهل الايمان لمحبيه ؟

وهكذا يقول الكافرون والملحدون والضعيفو الايمان عن كل اعمال الله لانهم يريدون ان يخضعوا اعمال العلي لتقدمهم القاصر واحكامهم الضعيفة . فجوابنا لهؤلاء وامثالهم ان الله تعالى في اعماله واقواله لا يراعي احكام البشر واقوالهم حسبه ان يعمل الخير وان ينادي بالحقيقة وغاية القيامة هنا اتمام عمل الفداء للبشر وليس اقناع الملحدين. فلا فهمهم يزيد شيئاً على حقه الثابت الى الابد ولا عدم فهمهم ينقص شيئاً منه . ومَن يحاول ادراك غير التدابير الالهية يرزح تحت اعبائها الثقيلة بحسب قول الحكيم : « ان البحث عن الجلال يُعمي (امثال ٢٥ــ٢٧). ولو كان الله اعلن قيامة ابنه بهذا الشكل البشري الواضح الذي يريده هؤلاء الضعيفو الايمان ؟ فاين كان الايمان ؟ وهل يبقى لهذه الفضيلة السامية من اجر او استحقاق ؟

ونختم قولنا وهو اجمل ختام بكلمة المسيح لتلميذه الكثير الشك والارتياب القديس توما : « الان لانك رأيتني يا توما آمنت فطوبى للذين لم يروني وآمنوا. »

العيلة في لبنان

على ضوء امثاله الشعبية

بقلم محمد خاطر

مقدمة

لكل امة من امم المعمور امثال شعبية دارجة على السن العامة من افرادها ، هي ترجمان حالها ، وعنوان تفكيرها ، وصورة حيّة لآرائها في تصريف الامور وشؤون المعيشة .

ولم يشذ لبنان عن هذه القاعدة فان لعامته امثالاً من هذا النوع تضمنت الكثير من الحكمة والعبرة في مشاكل الحياة اللبنانية واطوارها ومطالبها ، وما تقوم عليه من اركان ومبادئ ، وتهدف اليه من غايات ومرامٍ .

والمثل العامي اوفى تمثيلاً لحالة الامة من المثل الفصيح ، لان هذا لا يعرفه الا الادباء والمثقفون ، بينما الاول يتداوله الشعب برمته ، من مختلف الطبقات . وعلى ذلك يمكن اعتباره اصح صورة لحالة المتمثلين به وخير ترجمان لنفسيتهم ونوع تفكيرهم ووجهة نظرهم في ما يطرأ عليهم من الحوادث في مراحل العمر .

* * *

اما الامثال الدارجة على السن اللبنانيين فاكثر من ان تعدّ ويمكن حسبانها من متروكات الاجداد الادبية القيمة .

اما اصولها الاولية فمتنوعة المآخذ والمصادر ، على ان جُلّها لبناني بحت ، لا سيما ما دار منها على شؤون خاصة بلبنان ، ولا تُرى في غيره . نخص منها بالذكر ما كان ذا علاقة بالاوضاع الجغرافية المحلية من مثل قولهم : « شو هم صيدا من هدير البحر – كرمال عين تكرم كل مرجعيون – يا طالب العافية من البوشرية » .

ولا ريبة ان في امثالنا طائفة تشاركنا فيها الاقطار العربية المجاورة ولا سيما ما كان منها عربي الاصل ، على ان ترديد هذه الامثال عهداً طويلاً في لبنان وباللهجة المعروف بها اهلوه قد اكسبها من حيث المعنى والمبنى طابعاً لبنانياً خاصاً يميزها عن امثالها في تلك الاقطار ، ويجعلها خليقة حقاً باسم « امثال لبنانية » .

* * *

وها انا نقدم منها على سبيل المثال طائفة مما يدور حول العيلة ومتعلقاتها . عسى ان تبدو منها صورة صادقة صحيحة لهذه الناحية الاجتماعية في لبناننا العزيز :

العيلة اللبنانية

العيلة من وجبت على المرء اعالته من اهل بيته ، وهي تتألف من الاولاد زهورها الفواحة ومن الزوجين او الاب والام ركناها الركينان ، يتبع هؤلاء احياناً الجدان والجدتان والاعمام والعمات والاخوال والخالات .

اللبنانيون يحبون المعنى ابناء الذكر

والعيلة محترمة الجانب في لبنان رباطها الاولاد من صبيان وبنات والذي لا يعقب يعيش الحياة منغصاً وللتهوين عليه يقولون له : « بلاهم ولا بلاهم ! — وجودهم هم وبلاهم هم »

ولكنه قلما يقتنع ويقعد عن استشارة الاطباء والقوابل (الدايات) والعواجز طمعاً بأن يبقى من يقيم له ذكراً من بعده ويرث عنه ما يكون عنده من مال وعقار . اما تقول امثالهم ؟ : « من خلّف ما مات — الولاد صورة الوالدين » : والرزق لا يسمح به بعد العين الا للاولاد او الاحفاد من الذكور (المصب) . وقد قالوا في ذلك : « بحبك يا سواري مثل زندي . لا — ابن ابنك لك ابن بنتك لا » .

ابتهاجهم الصبيان على البنات

ويؤثرون في مواليدهم الذكور على البنات ويقولون عن الصبيان : « ما احلا بشارتهم ولو ماتوا باعتهم » . اما البنت فالعتبة تحزن عند ولادتها اربعين يوماً . ويقولون بهذا المعنى : « البنات هنهم للهات — البنت ان خلصت من الف عار بتجيب العدو للدار — بنتي في طبريا وهمها واصل ليا — بتجي البنت وبيجي همها معها » .

ولعل السبب في ذلك انها متى تزوجت تصير لرجلها تحمل اسمه واسم عيلته وتترك اسم والديها وتنقل ميراثها الى عيلة اخرى قد تكون غير ذات كفاية بعيلة ابيها ، لذلك قالوا : « من كانت البنت عاقبته لا يأمن يكون الكلب صهره » .

ويتفق ان يحصل بعض آباء البنات على اصهار من ذوي المكانة فيكونون

لهم ذخراً ومستنداً. وفي مثل هزلاء قالوا : « يا صهري يا سندة ضهري ».

وبكل حال فان ولادة البنات في لبنان قلما تقابل بالارتياح وقد درجت العادة ان يهوّن على ام البنت باسماعها العبارات الملطّفة من مثل قولهم : « اللي بتجيب البنت بتجيب الصبي ــ الله يخلّيلها بيّها – البنت خلقة الله والصبي خلقة الله ! »

وان كانت البنت هي المولود الاول بعد الزواج قالوا للام من باب التعزية : « نيّالك جتك بنت تخدمك »، وربما اوردوا لها المثل القائل : « من اسعدها زمانها جابت بناتها قبل صبيانها » لانهن بزعمهم يكبرن اولاً ويساعدن الام في القيام بمهام العيلة .

الطفولة

العيلة اللبنانية تبذل عناية كبرى في رعاية اطفالها، فالام تشبع ابنها من حليبها اعتقاد ان « الشبعان من حليب امه » يشبّ صلب العود قوي الشكيمة وتفطمه للحال لدى تأكدها من حمل جديد لاعتقادها ان « حليب الفيل (حليب المرأة الحامل) يهدّ الحيل » ومتى ظهرت اسنانه تصنع له « السنينية » وهي حفلة تدعو اليها الاهل والاصدقاء وتقدم فيها النقل والحلوى، وذلك لان طفلها يكون قد اجتاز خطراً كبيراً يرافق غالباً طور التسنين . ومن امثالها في ذلك : « لو عرفت امي بظهور سناني كانت هيّتلي كفاني » .

وتظل الام تراقب طفلها بلهفة حتى لا تلمّ به « المطرودة » (العين) و« اللي ما بتسمّى » (القرينة) وربما يترعرع ويبلغ سن الدراسة فترسله للحال في القرية الى مدرسة تحت السنديانة ليتعلم فيها « فكّ الاسم » و « تعليقه » راجية من الاستاذ ان يقسوه ما اراد بحيث يكون « الجلد له والعظم لها » اذ لا يهمها الا ان تراه من الناجحين في التحصيل ولا يضيع الوقت سدى فيقال له : « يا مرجوحة التيتي متل ما رحتـ متل ما جيتِ » . ومن فراسة اللبنانيين توقعهم نجاحاً في العلم لكل ولد كبير الراس بدليل قولهم : « كبير الراس قرّا » .

التربية

ولتربية الاولاد شأن كبير في الاسرة يتعاون فيه كل اعضائها ، ذلك لانهم يقولون : « الطير المربّى غالي — اولادكم ربوهم بتلاقوهم — اللي ما بيربي صغير ما بيلاقي كبير ».

وليست التربية عندهم من الامور السهلة التحصيل : « ترباية الصبيان متل قرقشة الصوّان — الولاد ما بيربوا ليربّوا على القلب دملة — ما بتعرف قيمة المربّي حتى تربي — ما بيربي جسد تا يفنى اسد » .

ومنهم من يؤثر في تربية اولاده الضرب والقسوة فيقول : « ان حبيت ولدك هيّله القضبان حزم حزم — الضرب للولد متل الزبل للبستان ».

على ان الذي يضرب ولده لا يرضى ان يصوّبه الناس على عمله ويفضل ان يقال له : لقد غاليت في القسوة والولد لا يستحق كل ما انزلته فيه من قصاص،ولعل ذلك مارمى اليه المثل القائل : « بضرب ابني بالسكين وبكره مين يقولي آمين ».

وفي الناس من ينكر طريقة التربية بالضرب ويؤثر عليها التعليم الرصين والتوعد بالعقاب الاليم لدى المخالفة وهؤلاء يقولون : « عزّ عصا العزّ ولا تضرب بها » لان العصا في اعتقادهم لا تفيد الولد الجاف الشعور بل تدفعه الى القحة في ارتكاب المعاصي ويقولون في هذا المعنى : « اللي ما بتقطع فيه الكلمة ما بتقطع فيه ضربة السيف — شو بتعمل الملقة مع اللي عينه بلقا — اللي ما يكون لنفسه واعظ كلّت عنه جميع المواعظ — الوقح ضربه بخشب البيت بيقول دبس وزيت — القليل الشتمة بزوق عليه بيقول الدني عمال تشتي »

وهناك من يشير بارشاد الولد بالحسنى والتؤدة وافساح مجال الحرية امامه ليطبّق ما طُلب منه عن اقتناع وايثار دون ما ضغط ولا ارهاق : « حطّ ابنك على الحيطان ، وقلّه هيدي طرايق الشيطان ».

وقد يعامل الوالد ولده بالقسوة طوال مدة حداثته ، فاذا ما كبر وشبّ رأى الافضل ارشاده بالرقة والايناس : « متى طلعت دقن ابنك احلق دقنك—

ابنك وهو صغير ربّيه ومتى كبر خاويه » . ومنهم من يترك ابناءه لمدرسة الدهر : « ابنك لا تعلمه الدهر بيعلّمه ».

آراء في عهد الطفولة

وقد خصّت الامثال اللبنانية عهد الطفولة بطائفة كبيرة منها ، أبدت فيها الآراء المختلفة الحكيمة،منها قولهم في معزة الولد على قلب والديه : « الولد شريك الروح ». واعز منه الحفدة :« ما اعز من الولد الا ولد الولد ».

وقد لا يبادل الولد والديه محبتهما : « قلبي على ولدي وقلب ولدي على حجر » ومنهم من يقول :« من يوم ما شفتكم يا أولادي ما عاد هني لي زادي ». وكثيراً ما تؤدي تربية الاولاد والمهام العيلية الى افقاد الام صحتها وابتلائها بسقم جسمها : « قالوا بنتي كويّسة وشعرها حرير ، قلنا اصبروا عليها حتى تخلّف وتربّي وتعانق السرير » .

وقد يكون في الصغار من لهم عقل الكبار وحسن فطنتهم :« من حي ولد خير من شيخ — من حي تلميذ سبق معلمه — الديك الفصيح من البيضه بيصيح». على ان الولد مهما كبر عقله تظل نزعة الطفولة مسيطرة على حركاته ونزعاته:« الولد ولد ولو حكم بلد—الصبي صبي ولو كان ابن النبي . يا ذلّ بلد حاكمها ولد ». وللاولاد من الطيش ما لا يمكن من الحكم في منازعاتهم بصورة منطقية لانهم سرعان ما ينقلبون عن مطالبهم دون ما سبب ، لذلك قالوا:«قاضي الولاد شنق حاله»واذا كان الولد شريراً سبّوا اهله قبل ان يسبوه لان الاهل هم المسؤولون الاولون عنه :« الولد الميشوم بيسبّب لاهله المسبّة ».

وينصح احد الامثال بالا يرافق الولد في الطريق لانه « : ان وقعت حمارة رفيقه ضحك عليه ، وان وقعت حمارته هو بكى عليه » وهكذا يكون مرافق الولد خاسراً في الحالين .

كذلك تنصح الامثال اللبنانية باغفال ما يقوله الاولاد لان : « كل من يحطّ عقله بعقل الولاد يتعب » و « الولد الذي ليس من صلبك لا تهتم بتربيته » لان « اللي بيربي غير ولده ، مثل اللي بيعمّر في غير ملكه »— وقد

قيل ايضاً : « كل شيء اذا ربيته نفعك الا ابن آدم قلعك » — و « الولد الذي ما هو من ضهرك كل ما جن فرحلهْ » .

والعيلة الكثيرة الاولاد هي عند اللبنانيين عيلة مباركة من الله : « البنون الكثر ، اولهم فقر ، وآخرهم يسر ، وطولة عمر » .

البنت والعلم

اما البنت فقد كانوا في القديم لا يهتمون لتعليمها لانها لم توجد كالصبي « لتقعد في الديوان » واهم ما كانوا يطلبون منها « خدمة زوجها وتربية اولادها » اما الآن فالبنات يماشين الصبيان في تحصيل انواع العلوم على قدم المساواة . والامهات اللبنانيات يخصصن البنات بجانب كبير من عطفهن : « المنكوته شافت بنتها على الحيط قالت لها يا عقد لولو ومعلق بخيط »

واذا كانت البنت مزدانة بالعلم والتهذيب فضّلها كثيرون على الصبيان الطائشين ومما قالوه بهذا المعنى : « البنت الكسيحه ، ولا الصبي الفضيحة — من حي بنت بتسوى الف صبي — كم من صبيان خربوا البيت وبنات عمروه » .

الخطبة

ومتى كبر الفتيان والفتيات كان في مقدمة ما يفكر اهلهم في تيسيره لهم الخطبة والزواج سنة الله في خلقه ، وللبنانيين في هذين الامرين امثال كلها حكمة وعبرة . فمما قالوه في ظهور بعض الخطاب على حسين غرّة ، كما يحدث غالباً : « الخطاب ورا الابواب » ولا عجب ان يعمى امثال هؤلاء الخطاب المستعجلين عن نقائص المخطوبات : « لمّا يوقع النصيب من السما يوقع الخطيب بالعمى » .

ومن الآباء من لا يرضيه اقبال الخطّاب على طلب يد فتاته لانه ممن يصدّقون قول القائل : « البنت اللي بيكتروا خطابها بتبور » .

وقد تؤدي الخطبة الى اقرار عدم الموافقة في الزواج فتحلّ عروتها ويأتي آخر فيتزوج الفتاة وفي ذلك يقولون : « واحد خطب والثاني تزوّج » ويحاكيه قولهم : « العروس في الاكليل ، ما بينعرف لمين بتصير » .

وللنصيب في الخطبة كما في الزواج اكبر اثر : « كل شيء تسبيب ما عدا الزواج نصيب — النصيب غلّاب » .

ومنهم من ينكرون غلبة النصيب لما فيها من قيد لحرية الاختيار وهم يقولون : « قالوا الزواج نصيب لكن تلتينه تسيب » . واكثرهم يحاذرون التدخل في عقود الزواج تفادياً للمسؤولية في قابل الحين : « امش في جنازه ولا تمش في جازه ».

اهتمامهم بالاصل والفصل

والشاب اللبناني في زواجه يسأل اولاً عن اصل العروس وما اذا كان اهلها من « مزاويجه » اي من بيت هو كفوء لبيته . وهذه القاعدة قلت الآن مراعاتها ومن امثالهم في اهمية الاصل : « خد الاصيله ، ولو على الحصيره — دور الدوره ولو دارت وخذ الاصيله ولو بارت — الاصل عون». ويقولون بهذا المعنى : « فلان بياكل القشور وبيرجع للجذور ، أو بياكل الفول وبيردّ للاصول — اسأل عن الاصول قبل الوصول — على القرمية تنبت الرخية — من كان ابوه بصل وامه توم من اين تجيه الريحة الطيبة — زرعت حنظل بارض عنبر تعبت جهدي وسقيت سكّر عند فصله رجع لاصله ».

ومنهم من يسأل عن الفعل فقط : « اصلك فعلك يا سفرجل » وهذا من نوع قول الشاعر :

لا تقل اصلي وفصلي ابداً انما اصل الفتى ما قد حصل

اسأل عن الام

وطالب يد الفتاة يسأل قبل كل شيء عن سلوك امها واخلاقها وسمعتها لاعتقاد اللبنانيين ان البنت تمشي في بيتها مع زوجها كما مشت امها من قبلها مع رجلها ومن امثالهم في هذا المعنى : « سئالْ عن الام قبل تلمّ » . ومنهم من يقول : « شوف الام ولمّ — لا تاخد العورا ولا بنت بنتها تعديك على طول الزمان عوار » . واشهر امثالهم بهذا الخصوص : « طبّ الجرّه على فمها تطلع البنت لامها ».

والام اللبنانية مثال الرقة والحنان . ويقولون بهذا المعنى : « الدنيا امّ » و« الامّ هي الدنيا » فكأنهم يحصرون بالام مباهج الدنيا وزخارفها . ويقولون اذا ولّى الصيف : « لو كان له ام كانت بتبكي عليه » . لان قلبها مستودع

الشعور الفياض. اما قولهم : « وهل في الامر يا امي ارحميني » فيكاد يرمي الى حصر الرحمة بالام دون سواها .

ومنهم من ينكر انتقال الاخلاق بالسلالة ويقول المثل المشهور : « الورده بتخلف ورده ، والقرده بتخلف قرده – البطن بستان بيجيب شكال ولوان » ويرى آخرون ان الفتاة لا يمكن الحكم في سلوكها الى ان تتزوج فيظهر معدنها ، ويقولون في ذلك : « البنت مقله مغطّايه – البنت صوفه ملفوفه » .

ومنهم من يلاحظ اخلاق العمة والخالة والاخوات ويقول هؤلاء : « خدوا البنات من صدور العمّات – الولد لو بار بيطلع تلثينه خال – البنت الكبيرة بتروّج خيّاتها » هذا اذا تزوجت قبلهن واحسنت سلوكها مع زوجها .

وهناك من يرى ان الزوج هو الذي بتصرفه يعمل من زوجته اماً ملاكاً واماً شيطاناً : فهي شيطان اذا افسدتها واذا هذبتها فهي ملاك .

ومن امثال القائلين بهذا الرأي : « الفرس من ورا الفارس – خدّ عن الطريق وحرّر » .

المال

ويراعون المساواة في درجة الغنى بين طالبي الزواج كما في غير ذلك من الشؤون كالعمر والجاه والثقافة والاخلاق وذلك يعرف مما يروونه عن شاب قيل له لماذا لا تتزوج؟ فاجاب : « بنت الحصيره (اي الفقيره) ما منريدها وبنت السجّاده (اي الغنية) ما بتريدنا » وقد درجت العادة في لبنان ان يجري تبادل المصاهرات بين اسر معلومة متكافئة في مكانتها وكرم اصلها : « يا متلنا تعال لعندنا – قدره ولاقت غطاها – الدار مكتوب على بوابها ما بتجيب الا مثل صحابها – على شكله شكشك له – كما حنا كما حنين والحسن اخو الحسين » .

واذا لم تكن مساواة بين الخطيبين فيندر ان يتمّ بينهما زواج : « اللي ما بيقدر على الفرس وعليقها يحيد من طريقها » .

والغالب ان لا يسأل الشاب اللبناني عن مهر العروس وبائنتها بمقدار ما

يسأل عن اخلاقها وآدابها وما يقوله الناس عنها لان : « الصيت الحسن خير من المال المجموع – والمليح مليح الخصايل ».

ويقولون بهذا المعنى : «يا آخد القرد على ماله راح المال وبقي القرد على حاله»

ويوصي الفلاحون اولادهم : « لا تاخدوا الّا بنت القلّه وارض الخالّه – خدوا فقرا يغنيكم الله ».

اما البنات فيهمهن جداً وقبل كل شيء آخر ان يلاقين نصيباً لان في بقائهن الحياة بغير زواج شيئاً من المرارة والعار لذلك قالت الامثال : «زوج من عود خير من القعود – الرجّال لو كان فحمه وجوده في البيت رحمه » ويقرب من هذا قول فتاة لامها تعاتبها : « على الحطب كبيره وعلى الزواج صغيره ؟».

والعادة ان يراعى سياق العمر في التزويج فاذا تزوّجت الكبرى قالت اختها الصغرى : « تزوّجت اختي من كبر بختي ».

ومنهن من تؤثر في الرجل جماله : « الشاب العيّوق ولا المال اللي في الصندوق ». وغيرها تؤثر صحته وقوة جسمه : « خدي رجّال الشغّال ولا تاخدي صندوق المال ».

امّا الفقيرات فيؤثرن الشاب الغني لقسوة ما يتحملنه من اذى الفقر : « لا يغرّك الشاب وتزويقه بيمسي وبيصبح على ريقه. زوّج الفقيره للفقير بيكثروا الشحّادين – اللي بيتزوج بالدّين بيبيع ولاده بالفايده».

واذا رفضوا تزويج فتاة ممن لا تروقهم حالته غالوا في طلب مهرها : « ما بدك تزوّج بنتك غلّي نقدها » ويؤمن اصحابهم على عملهم قائلين : «خبّي العسل بجراره لتجي اسماره »

ويحاذرون تزويج بناتهم ممن يتغيّب كثيراً عن منزله : « عمرك ما تاخدي مكاري ليله عندك ليله بالبراري ».

ويؤثرون تزويج اولادهم ببنات من بلدتهم لمعرفتهم ماضيهن : « اللي بيتزوج من بلده مثل البيشرب من الكبايه . واللي بيتزوج من الغربه مثل البيشرب من بريق الفخار – تزوجنا وجبناها غريبه زوان بلادنا ولا القمح الصليبي – بنت بلدك بتحملك على المليح والوحيش».

كذلك يؤثرون ان يكون الزوج من طائفة البنت ومذهبها لان الوحدة في المعتقد تساعد على الانسجام والتفاهم : «من أخد من غير ملته وقع في عله غير علته».

ومن الشبان من يجابههم الفشل كلما صمموا على الزواج لاسباب قد يكونون هم منشأها : «كلما قلت بدي اتزوج بيعرج حماري وسيقانه بتتعرج»

العرس

ولا بدّ قبل العرس من التفاوض لتنظيم الحفلات وتوجيه الدعوات والعادة ان يجري ذلك مع امي العريس والعروس ، وقد ضرب المثل ببراعة من يقوم بنقل هذه المفاوضات بينهما لما تستوجبه من دهاء وزلاقة لسان:فاذا قيل: «فلان بيدخل مع ام العروس وبيطلع مع ام العريس» فهم انه مراوغ مراء يلبس لكل حالة لبوسها .

ويقال للتي تنهمك في عمل غير ذي فائدة : «فلانه فاضيه مشغوله مثل ام العروس» لان الاعمال المتعبة في العرس تتعاون عليها القريبات والصديقات ولا يبقى على ام العروس الا مهمة الاستقبال والاشراف.

ويقال لمن يطلب عاريةً من صاحبها حين حاجة هذا اليها : «ليلة عرسك عيرني قرصك»(القرص هو الطنطور كانت تلبسه العروس في حفلة الزفاف). ومثله «ليلة زفك عيرني دفك»(الدف آلة طرب تستخدم في حفلات الزفاف).

ومن عادة اللبنانيين في خروجهم بالعروسين الى المعابد لاجراء حفلة العقد الّا يعودوا في الطريق نفسها تشاؤماً ويشيرون الى ذلك بالمثل القائل: «مثل العراسة بيروحوا على درب وبيرجعوا على درب»

اما النقوط وهو مبلغ من مال كان الاهل والاصدقاء يقدمونه للعروسين على سبيل المساعدة فقد جرت العادة ان يرقص به مقدّمهُ في«الحلقة» ثم يضعه على طبق أعدّ لذلك وعليه انواع الشراب والنقل وفي ذلك قالوا : «واحد رقص والثاني حطّ النقوط» وهو قريب من قولهم : «ناس اكلوا الدجاج ناس وقعوا في السياج — واحد طبخهُ ما ذاقه والثاني كبّر مشداقه» .

سبحان ربي يعطي ذا ويحرم ذا هذا يصيدُ وهذا يأكل السمكه

ويقال لمن يشكرون قريباً او صديقاً : « مين بيجي مع البنت امها — مين بيشكر العروس امها وخالتها واهل حارتها ».

والعروس تسرّ بجهازها وبالافراح القائمة في عرسها وبمن يتطوّع لخدمتها من الصواحب والاهل ، فتتوهم ان الايام ستظل طوع يدها على هذا النحو فيقال لها عبرة وتذكيراً : « لا تفرحي بطيّ جهازك يا ما بدك تجلي قدور. لا تفرحي بكحلك عرسك ياما بخبّالك ...»

بعد العرس

اذا كان العروسان على وفاق بعد العرس غبطهما الناس وقالوا عنهما: « قرين على فرد مخدّه » والعروس عندهم : «وشواشة المخدّة ما عليها متبدّي ».

ويقولون عن الزوجة التي تعرف كيف تداري زوجها : « اللي زوجها معها بتدير الفلك باصبعها»- وقالوا ايضاً: «اذا كان زوجي راضي شو دخل القاضي»

واذا كمل تفاهم الزوجين رضي احدهما بما يفعله الآخر ولو كان مما لا يوجب الرضى : « ايش ما طبخت الرعنا بياكل زوجها الاعمى » وان تبرّجت الزوجة وافق الزوج على ما تفعل ولو كان مما قد يعرضها لنقد الآخرين : «قالت يا رجّال بدّي اتحنى ، قال لها يا مرا انا بتمنى».

وان لم يكن تفاهم لم يكن وفاق : « قالت يا رجّال بدي بابوج قال لها يا مرا رجليك عوج » وقد تكون رجلاها مستقيمتين .

وقد يعنت الزوج زوجته في رفض ما تطلب فتعمد الى الدموع ترقق بها قلبه القاسي : « دموع المرا سلاحها — دموع الفواجر حواضر » . والمرأة هي العمدة في تدبير البيت وترتيبه والاقتصاد في المنفعة بحيث تضع الشيء في محله فلا تكون بخيلة كما لا تكون ايضاً مبذرة ولهم في ذلك امثال منها : « الرجّال جنّا والمرا بنّا — الرجّال جلّاب والمرا دولاب» .

على ان الزوجين اذا ما شجر بينهما خلاف اصبحت حياتهما جحيماً فيقول الزوج : «تزوجنا لنستر رزق الله على المزوبنة» وتقول الزوجة : « لا من بيت ابونا ولا من اللي تزوجونا ». وتقول ام العروس : « يا بنتي زواج زوجتك ولكن حط منين بدّي جبلك ».

وقد يشتد الخلاف بين الزوجين فتترك الزوجة البيت الزوجي وتعود مع من تكون رُزقت من البنين الى بيت ابيها شاكية باكية ، فاذا كانت هي المذنبة قالوا لها : « الطريق اللي جيت عليها ارجعي عليها » لان : « المرا ما لها غير زوجها — والمرا بلا رجّال قلعة بلا جبال » وان كان هو المذنب وتكررت اساءته اليها استقبلوها مع من معها قائلين : « البيت اللي ربّاك ما بينساك » . على انهم قد يتأففون ممن يرافقها من بنين لا يرون ما يوجب عليهم اعالتهم فيقولون : « زوّجت بنتي لارتاح من بلاها جات وجابت ولادها وراها » . ويقول آخرون : « زوّجت بنتي لاقعد في حماها جات وجابت جراها » .

وقد يحل بالزوج نكبة فيضطر حموه الى اعالته مع زوجته ومن له من اخوة واخوات . وفي مثل هذه الحال يقول والد الزوجة : « زوجت بنتي لارتاح من همها جات وجابت زوجها وولادها وولاد عمها (اولاد حميها) » وربما اضطر الاب بعد جنوحه الى حياة الراحة ان يعود الى العمل ليقوم بالعبء الجديد الذي جاءت ابنته بعد زواجها تثقل به كاهله ، وعندئذ يقول : « زوجنا بنتنا لنستريح عادت حملتنا المنجل والشطيح » (الشطيح قفاز من جلد يستعان به في الحصاد ، ولعل الكلمة من السريانية) .

واذا احب شاب فتاة عاقلة في اسرة تحوم عليها الشبهات أخذ زوجته التي أحبها ورأى فيها من الاوصاف ما أوجب احترامه وقلب لاهلها ظهر المجن وهو يقول : « اخدت من الحزمه عود ، والباقي تاخده القرود » .

ومن النسوة من لا تبدي نشاطاً في عمل الا اذا كان متعلقاً بالتجمل والزينة : « جتني الشطاره جتني يا زوجي ثم مشطني » . ومنهن الجاهلة التي تخرب بيت زوجها لتطعم اهلها الذين لا يلبثون ان ينكروا معروفها ، ومنهن العاقلة التي تعرف ان ليس لها ولبيتها الا ما تقتصده من القرش الابيض لليوم الاسود : « حبوني اهلي وانا غنيّة وحبني زوجي وانا قويّه » .

والمرأة التي تطيع زوجها تسمن عظامه كما قال الكتاب وتملأ بالاغتباط قلبه : « تلاتة بتطول العمر : الدار الوسيعه ، والفرس الطليعه ، والمرا المطيعه » .

والزواج الباكر يساعد على غو النسل وقوته : « زوّج ابنك وهو ولد بيجيلك ولد — زوّج بجهلك ورتّي ولادك عا مهلك » .

واذا كره الزوج زوجته اختلق لها الذنوب من تحت التراب ، كما أشير الى ذلك في مثل على لسان امرأة قالته لزوجها الذي كان يكرهها ويبالغ في إعناتها بطالبه : « حلو ومالح طبختلك — وبرا وجوا فرشتلك — لكن درب التبانه ما حبتلك » درب التبانه عند العامة هي ما يسميه العرب «نهر المجرة» وهو منطقة في السماء قوامها نجوم كثيرة بينما تكون في اول الليل متجهة من الشرق الى الغرب اذ بها تظهر بعد ساعات متجهة من الجنوب الى الشمال . ويقولون ان الرجل غضب على زوجته لانها لم تجعل اتجاه فراشه موافقاً لاتجاه المجرة وهو اعنات لم يسمع بمثله .

والحياء اجمل حلية للمرأة وقد قالوا : « مرا بلا حيا طعام بلا ملح » .

والزوجة الشريرة لا تُعرف الّا بعد مرور مدة على زواجها فيبدو المخبأ من جوهر اخلاقها وقد قالوا : « المرا اول سنه عروس ، وتاني سنه جاسوس ، وثالث سنه حيّه بسبع روس » .

وقالوا لمن يوالي او يعدّد زوجاته : « اول مره مرمرة ، ثاني مره سكره ، ثالث مره عنبره ، رابع مره تودّي للقبره » .

واذا كثرت النساء في البيت الواحد تعطلت الاعمال فيه وقد قالوا في ذلك : « اذا كثروا الطباخين شوشط الطعام — بيت الوحده عمران ، وبيت التنتين خربان ، وبيت التلاتة ساكنه الشيطان » .

ويقرب من هذا قصة ذاك الذي تزوج من امرأتين حانا ومانا . وكان قد وخطه الشيب فجعلت الكبيرة منها تنتزع من لحيته الشعر الاسود ليبدو شائباً في مثل سنها ، والصغيرة تنتزع منها الشعر الابيض ليظل مثلها محتفظاً بمظهر الفتوة والشباب ، وعلى هذا النحو اصبح امعط الوجه اجرد الذقن فقال كلمته التي ذهبت مثلاً : « بين حانا ومانا ضاعت لحانا » .

وللمرضع نصيب في امثالنا اللبنانية فما تقوله فيها : « كلْ مع المرضع ولا تماشيها » لانها تأكل لاثنين بل لاربعه : « المرضعه بتاكل قدّ اربعه » ولانها تسرع في طريق منزلها للاهتمام برضيعها .

والفتاة المتزوجة مهما طال عليها المطال في بيت زوجها تظل تهفو الى العش

الذي درجت منه ، والى نوع المعيشة الذي اعتادته فيه. يُحكى في هذا المعنى ان امرأة اهلها فقراء تزوجت من احد كبار الاغنياء فكان همه ان يوفر لها جميع اسباب الترف والراحة ، على انها كانت ابداً تتلهف على عيشها في بيت ابيها وتقول لزوجها : « يا ما كان احلى نقل بيت بي ونوم الكرخ! ».

فلم يسع الرجل الّا اخذها بنفسه الى بيت ابيها ليرى بعينه ما هو ذلك الذي كانت تتلهف عليه وتحنّ اليه ، واذا « بالنقل هو البلوط المشوي » و« بنوم الكرخ» هو النوم الى جانب الموقدة على جلد خروف دون ما غطاء، فتعجب الزوج من امرأة تعيش في بحبوحة النعم مثل زوجته تحنّ الى تلك التوافه وتشتاقها ناسياً ان ما يعتاده المرء في صغره ، وان يكن غير ذي بال ، يظل له اثره في نفسه طوال حياته .

الترمل والزواج مجدداً

تهتم المرأة اللبنانية كثيراً لموت زوجها وتتمنى لو سبقته الى القبر : « اللي ربنا متمم سعادتها بيطلع زوجها في جنازتها » وذلك لانه « ساتر عرضها » و« عمود بيتها » و « الحارس الامين لاولادها » — ومن اقوالهم في موت زوجة الفلّاح : « اذا ردت خراب بيت الفلّاح ادعي عليه تموت مرته او تموت بقرته » لان المرأة تساعده في جميع اعماله الزراعية فوق قيامها باعمالها المنزلية.

وشاعت اقوال حول موت الزوجة قد تصدق على بعضهم ، لكن اكثر اللبنانيين ينكرونها ولا يردّدونها الّا بالاستهجان منها قولهم : « موت المرا تجديد عرس — موت المرا مثل دقة الكوع » اي انه يؤلم موقتاً ويزول اثره سريعاً .

ومهما يكن من امر فالارمل لا يطول به الوقت حتى يُفكّر ثانيةً في الزواج بدليل قولهم : « اعزب دهر ولا ارمل شهر» لكن اذا كان له اولاد صعب عليه الحصول على « بديله » أي زوجة جديدة اذ يُقال لمن يطلبها : « الحقي عكا وبرواد ولا تآخذي ارمل عنده ولاد » على ان المغالطات كثيرات و« كل مطلوب موجود» والبديله بعد وصولها الى بيت الزوج يدعوها الاولاد: « خالة» وقد قيل فيها: « الخالة مرة الاب لا بتحب ولا بتنحب»: وهنا المشكلة الكبرى.

وجحا (الرومي المشهور) الشائع ذكره في لبنان قصص عديدة مع خالته ترددها الالسن . منها: انه كان على جبانته وانحطاط همته كلما سنحت له فرصة ينهال عليها بالضرب حتى لقد قيل: «مثل جحا ما فيه الا لخالته – قلنا مات جحا واستريحنا منه رجع وقال صباح الخير يا خالتي – جحا ذبح بقرة خالته وكل من عنده سكين جايها» وهذا مثل آخر يدل على سقوط شأن الخالة عند اولاد الزوج وهو قولهم: «مثل اللي مضيّع جحشة خالته ان لاقاها بيغني وان ما لاقاها بيغني».

ومن الاولاد من لا يرون فائدة تذكر في محبة الخالة لهم فيقولون: «ان حبتني خالتي عالتنور، وان بغضتني عالتنور» ويرى غيرهم ان التقرب اليها يحسن من حالهم في العيلة: «ان حبتني خالتي طعمتني نقول وان بغضتني نيمتني عالتنور».

امّا اولاد الارملة التي تترك اولادها وتتزوج فيكرهونها وزوجها معاً الا اذا كانوا عند زواجها لا يزالون صغاراً وفي حاجة قصوى الى عطفها وحنانها

امّا الزوج فيعامله اولاد الزوجة باللامبالاة: «اي من اخد أمي صار عمي»

وان لزمتهم حاجة كرهوا ان يسألوه اياها لمعرفتهم انه لن يأتيهم بها: «حاجة لا تهمك روحي عليها زوج امك».

ويلاحظ ان رابطة الاخوة بين اخوين من ام واحدة وابوين مختلفين هي من الضعف بحيث لا تعد شيئاً مذكوراً ولذلك قالوا: «اخي من امي مثل الهوا في كمي».

والارملة ان كانت عاقراً عادت الى بيت ابيها وان كانت ذات اولاد فامّا ان تسهر على تربيتهم وخدمتهم قانعة من بهارج الحياة بهم، واما ان تتركهم وشأنهم لتنتقل الى عصمة زوج جديد . ومهما يكن من امر فزواج الارامل قلّما يكون سعيداً لما يرافقه عادةً من مرارة المقابلات والذكريات . والارملة – تقول الامثال اللبنانية – انها لا تحسن التربية: «الارملة ان ربّت تور ما فلح، وان ربّت كلب ما نبح» والمنتظر ان تتصدق المتزوجات عليها لفقدانها

عمادها وسوء حالها ولذلك يقال : « يا ارامل يا بنات تصدقوا عالمتزوجات » للشيء يوضع في غير موضعه .

وفي المثل القائل : « لولا الغربله وهزّ المخالي كانت الارمله تستغني زماله » (الزماله عندهم : الفرس . ما يدلّ على اعتبار الارملة في لبنان شحيحة الحال محدودة الموارد محتاجة الى من يمدّها دائماً بالايد والمعونة .

الحماة والكنه

يتكلم اللبنانيون كثيراً عن العداء المستحكم بين الحماة وكنتها ، ويقولون انه عداء تقليدي قلّ ان لا يقع ، وان وقع كان من الصعب علاجه . ولعلّ السبب في ذلك رؤية الحماة سلطانها في المنزل يتضاءل ويحلّ محله سلطان كنتها بما لها من روعة الشباب ونفوذ الكلمة في زوجها واولادهما ، ولذلك قالوا : « ما في كنه بتحبها الحما ، واو كانت نازله من السما » ومنهم من يورد هذا المثل نفسه في القالب التالي : « مكتوب على باب الجنه ما عمرها الحما بتحب الكنه » .

وقد يتوسط المحبون لاصلاح ذات البين بين الحماة وكنتها فاذا لم تنجح وساطتهم لما لاقوه من عناد الحماة اوردوا لها المثل التالي : « قالوا يا حما ما كنت كنه ؟ قالت : كنت ونسيت » .

وان سألوا الحماة عما تشكوه من اغلاط كنتها واخطائها اوردت لهم منها الشيء الكثير . وقد تسمعهم المثل التالي : « عندي كنه ما اكرم شانها بتشيل الطبيخ بكمامها » لاهمالها عمل « الشيّال » الذي لا يستغنى عنه في المطبخ .

وقد يتوسلون لاعادة الصلح بين الحماة والكنة بتذكير الاولى ان كنتها هي مربية اولاد ابنها والساهرة على صحتهم ، فاذا لم تتوفر لها الراحة والعيش الهنيء فقد يؤدي سوء حالها من حيث لا تريد الى الحاق الاذى باولئك الاولاد وعلى ذلك قالوا : « حبوا كناينكم تعيش بنينكم » .

وكثيراً ما تختلف الحماة والجاره وتتقاطعان . وفي مثل هذه الحال يصحّ المثل القائل : « الحكي للكنه لتسمع الجاره »

ومن الكنائن من يحسبن تحامل حواتهن عليهن غضباً علوياً فيقلن : « لا حما ولا ضرّه الا سخطه من الله ».

ولجا مع حماته اقوال وحوادث ترددها الالسن ، اشهرها قولهم : «جحا ما فيه لحماته بيقتل مراته » (يضرب لمن يتشفى بايذاء الهين لعجزه عن ايذاء المتكبر المستقوي)

الاخوة في كنف والديهم

كثيراً ما يعيش الاخوة في كنف والديهم حتى لو كبروا وتزوجوا وولد لهم بنون وبنات فان ذلك لا يمنعهم من ان يقيموا جميعاً مع نسائهم واولادهم واخوتهم واخواتهم تحت سقف واحد يأكلون على مائدة واحدة مفاخرين بأنهم«لا يقسمون ما بينهم الا ما حرّمهُ الله» ،والمتعارف ان يقتفي الابناء طريقة والدهم في سياسته وعلاقاته ويقولون :« ما يعقده الاب لا ينقضه الابن — محبة الآباء تتصل بالبنين ».

والاخ يناصر اخاه لانه في عرفهم « جناحه » ، ولكن للاب الاولولية في الحنان والعطف :«من قال خيي مطرح بيي كان كذاب عليي» بيد ان الوفاق قد ينفصم حبله في بعض الاسر لدواع مالية لان:« القرش يفرّق الاخ عن اخيه» ولكن الاصحاب لا يلبثون ان يتدخلوا لاصلاح ذات البين فيقولون لهم:« كونوا اخوه وقسموا قسمة الحق — عيشوا اخوه وتعاملوا كالاجانب ».

اما الاخوات فيحاذرن العار خوفاً من ان يجرحن كرامة اخوتهن :«اللي بيعرف خيي يعيّره فيّ ».على انهن يتألمن ان نظرن اخوتهن منحرفين الى تفضيل زوجاتهم عليهن ويقلن:« الاخ اخو مراته والاخت بتحلف وحياته».

توقير الجدود والجدات

ويكبر الاحفاد منذ صغرهم على توقير جدودهم وجداتهم وتهيب مجلسهم متأثرين بما يورد عليهم من مثل هذه الامثال : « وقروا كباركم بيوقركم صغاركم — الكبير بركه — اللي ما عنده كبير يشتري له كبير — اللي ما بيسمع من كبيره يا قلّة تدبيره ».

واذا لم يكن للابناء صغار انصرفوا الى تدليل والديهم: «صغار ما عندكم دللوا شيوخ بيتكم».

- والشيب دليل النضج والحكمة والوقار: «كلما شابت طابت — الشيبة هيبة». فاذا لم يوقر الشيب نفسه قالوا له: «الشاب عند طلوعه والشيخ عند فروغه — بعد الكبره جبة حمرا» لان الاحمر عندهم ملبوس الصغار والشبان.

واذا حاول الشيخ التصابي والعودة الى عهد الشباب بالصباغات والالوان قالوا له: «يا طلبة اللي ما بتستجاب يرجعوا الختيارية شباب». وهل يصلح العطار ما افسد الدهر؟.

اما العجائز فيعرفن ان الافضل لهن تجافي مجالس اللهو حيث معارض الشباب والجمال متذكرات المثل القائل: «حط الصبايا في القصر وتفرج عليهم، وحط العجايز في القبر وسكر عليهم».

والكبير ينصرف الى الراحة فاذا حاول العودة الى ما يعمله الشبان قالوا له: «بعد ما كبر وشاب ردوه للكتاب».

ومما يتندحون به الشيوخ قولهم: «عقل الكبير كبير — اكبر منك بيوم اخبر منك بسنه — ما في لحم الا في العتيق — اعرض بشب وقاتل بختيار».

وقد يتطاول صغير على كبير فيقولون للمتطاول: «كبر السبع صار مسخره للكلاب!» ويهونون على الشيخ هذا التطاول بقولهم: «وعا الكبير بيساع الصغير» واذا بدا من الشيخ شيء من نزوات شبابه قالوا: «من شب على شيء شاب عليه» وان كان الشيخ ممن يريدون فرض حرمتهم على الناس بغير وسائلها المألوفة، قالوا له: «مثل شيخ النور كبير عند نفسه صغير عند الناس»، واذا تناهى باحدهم الكبر الى حد الخرف قالوا: «الكبر عبر».

وهم يحرضون الشيخ على تناول المأكولات المقوية قائلين: «ما بيقوم بالختيار غير ضرسه».

وربما نبغ شاب من اسرة لا حسب لها ولا نسب فاضطر الكبير الى مجاراة الناس في توقيره وتكريمه عملاً بالمثل القايل: «كل صغير انتشى باس الكبير ايده».

العمومة والخؤولة

يوقر اللبنانيون الاعمام والعمات والاخوال والخالات توقيرهم لآبائهم وأمهاتهم . ومن اقوالهم في العم : « عمك حمال همك – عمك لا تعمعم عم غيره » . ويقولون عن العمة : العمة بتعم بتربي مطرح الام » وهناك من يرى في الاعمام والعمات غير هذا الرأي . قيل : سأل احد الاعمام ابن اخيه : « ليش عم تبكي وانا عمك ؟ » اجاب : « كل بكايي بجيتك عمتي ». وقال آخرون : « العم عما » وقد قدمنا قولهم : البنات من صدور العمات .

وهكذا نظرهم في الاخوال والخالات . فمنهم من يحبونهم ، لانهم : من ريحة الام» ومنهم من يذكرون عداوات كثيرة وقعت لابناء الاخت مع اخوالهم وخالاتهم . ويتمثل هؤلاء بالقول المشهور : « ابن الاخت عدو الخال» ولكن هناك قولاً آخر يعارضه وهو المثل المذكور سابقاً : « الصبي لو بار بيطلع تلتينه خال ».

على ان اللبنانيين اجمالاً متمسون بالمحبة العائلية، غيارى على انقاء العلاقات الاهلية ولهم في ذلك امثال منها قولهم : « اهلك ولا تهلك – اللي ما فيه من دمك ما بيعطل همك – الدم ما بيقلب ماء – قرابتك ان لموسك ما بلعك – الف عدو برا الدار ولا عدو جوا الدار – يا ليت لي قرابه ولو كان من ترابه » ويشبهون القريب لقريبه بالثوب للجسم يرد عنه الاذى : « اللي بيقلع ثيابه بيبرد ».

ولاهل الزوجة دالة خاصة على المنزل الزوجي فيؤذن لهم في اية ساعة بدخوله ، دون تنبيه ولا استئذان : « ان كنت من اهل المرا ادخل بدون مشوره ، وان كنت من اهل الرجال عيط من شوار الدار » وهذا المثل يذكرنا على الخصوص بعادة قديمة في لبنان ، ما زالت تحترم حتى اليوم في الجبال لا سيما في منطقة الشوف وهي : ان الزائر الغريب لا يدخل بيت مزوره الا بعد ان يقف في الخارج وينادي بصوت ممدود : « يا اصحاب البيت! » فيجاوب

من في الداخل بكلمة: « اهلاً وسهلاً » بيد انه يتربّص تأدباً ولا يدخل الا بعد ان يظهر صاحب البيت ويدعوه باشاً ملحاً .

* * *

هذه صورة تمثل الميلة اللبنانية في وضعها الصميم الاصيل دون ما تنميق ولا تزويق، وذلك ليس في العصر الحاضر فحسب بل منذ العصور التي وضعت فيها هذه الامثال العريقة في القدم، والتي منها تستمد صورتنا هذه جلّ ما لها من بهاء وروعة

وصف عاصفة
في عاليه نجد

(لامرئ القيس)

محاولة في الادب المقارن

بقلم الاب فريد جبر اللمازاري

اصاحِ ترى برقاً أُريكَ وميضَه ... كلمعِ اليدينِ في حبيٍّ مكلّلِ
يُضيءُ سناه، او مصابيحُ راهبٍ ... امالَ السليطَ بالذبالِ المفتّلِ
قعدتُ لهُ وصحبتي بينَ ضارجٍ ... وبينَ العذيبِ، بعدَ ما متأمّلِ
علا قطناً بالشيمِ أيمنُ صوبِهِ ... وأيسرُهُ على الستارِ فيذبُلِ
فأضحى يسحُّ الماءَ حولَ كتيفهِ ... يكبُّ على الأذقانِ دوحَ الكنهبلِ
ومرَّ على القنانِ من نفيانهِ ... فأنزلَ منهُ العصمَ من كلِّ منزلِ
وتيماءَ لم يتركْ بها جذعَ نخلةٍ ... ولا أُطماً إلّا مشيداً بجندلِ
كأنَّ ثبيراً في عرانينِ وبلهِ ... كبيرُ أناسٍ في بجادٍ مزمّلِ
كأنَّ ذُرى رأسِ المجيمرِ غدوةً ... من السيلِ والغثاءِ فلكةُ مغزلِ
وألقى بصحراءِ الغبيطِ بعاعهُ ... نزولَ اليماني ذي العيابِ المحمّلِ
كأنَّ مكاكيَّ الجواءِ غديةً ... صبحنَ سلافاً من رحيقٍ مفلفلِ
كأنَّ السباعَ فيهِ غرقى عشيةً ... بأرجائهِ القصوى انابيشُ عنصلِ[1]

١) ويجد القارئ شرح هذه الابيات في كتب الادب جميعها ؛ ونخص بالذكر هنا « الروائع » (جزء ٧ طبعة سنة ١٩٣٣) ، و« الادب العربي في اثار اعلامه » للاستاذ فؤاد افرام البستاني ؛ ولا ننسى الى هذين الكتابين « المجاني الحديثة » عن مجاني الاب شيخو » الذي نشر بادارة الاستاذ المذكور ، و« المنتخب من ادب العرب » لحضرات الاساتذة طه حسين ، احمد الاسكندري ، احمد امين ، علي الجارم ، عبد العزيز البشري ، احمد ضيف (مطبعة بولاق في القاهرة) .

انما قصدنا من البحث في هذه القطعة الآن، النقد والتحليل الادبي مع كل ما يستلزم من قوانين واساليب. وجميعنا يعلم ان غاية النقد الادبي الاولى، ان نفهم الاثر الادبي الذي نحن في صدده، لنرى الى اي حد نستطيع ان نتذوقه ونتلذذه ونمتع انفسنا بما فيه من جمال فني. فنصرف هكذا مجهودنا الى درس تطوّر العاطفة، وهي العنصر الرئيسي في كل قطعة ادبية، والى تحليل ما يستتبع هذا التطور من خيالات وصور تتخذها العاطفة كقوالب تبرز ضمنها للبصر وللسمع.

نعم، قد لا يكفي ذلك، اذا ما كان درسنا في اثر ادبي يضاف الى العصر الجاهلي، لا بل الى اوائل هذا العصر، شان مقطوعتنا ولكي نعمل بمقتضى الاساليب والقوانين النقدية جميعاً، لا بد لنا، قبل تحليلنا العاطفة والخيال من ان نتساءل هل كلا العنصرين، في نصنا صادق، جدير بان نستسلم اليه دون تردد، او زائفة مصطنع، ليس من صاحبه في شيء، بل هو منتحل اليه انتحالاً، مفتعل عليه افتعالاً... ولربما كان الامر بين الطرفين، فالى اي حد؟.

الا ان معضلة صحة اشعارنا هنا، وصحة اضافتها الى امرئ القيس، وصحة وجود امرئ القيس هذا، ان هذه المعضلة، رغم كونها عملاً تمهيدياً للتحليل الادبي الصحيح، قد لا تتضح وقد لا يستقيم البحث فيها، الا بعد التحليل الدقيق فتبرز حينئذ شخصية صاحب المقطوعة على وجه اتم واوضح، ويتسنى لنا حينئذ ان نبدي في امرها راياً معقولا مقبولا[1].

فنحن اذن، والامر على هذه الحال، نرجيء الى ظروف اخرى، التمحيص العلمي، والتحقيق النصي؟ ونكتفي الان بمجرد التماس الجمال الفني الادبي من نصنا هذا، لنستخرج قيمته الانسانية الخالدة، مرتضين اصطلاحياً باضافته الى امرئ القيس، ومرتضين ايضاً مبدئياً بحالته هذه، على النحو الذي انتهى به الينا عن سبيل الرواية، شفهية كانت ام كتابية.

* * *

١) انظر في هذا الراي كتاب الاب عبد الجليل. باريس، ١٩٤٧، ص ٣٦.
Jeam Abdel-Jalil O. F. M. *Brève Histoire de la Litt. Arabe* ; Paris, 1947

وجميعنا يعلم ان ابياتنا هذه وردت في آخر معلقة امرئ القيس المعروفة بمطلعها « قفا نبكي من ذكر حبيب ومنزل » فاشتهرت بـه ، وكان صاحبها هكذا ، على زعم الرواة ، اول من « وقف واستوقف وبكى واستبكى ». ولقد الفنا ، عملاً بما قبسناه عن كتب الادب ، ولا سيما القديم منها ، ان نشير الى هذه الاشعار بالعنوان : « وصف البرق والمطر والغيث » ، فنذهب منها الماء والحياة ، وتصبح ، شأن الفيفاء ، مجموعة ابيات بديعة ، وصفت بعضها وراء بعض ، لا وحدة ادبية فيها ولا رونق فني ، وهي على علاتها من حيث النقد النصي ، طافحة بكلا الميزتين . ولذلك ظننا من حسن الراي ، ومن التوفير لكل هذه القيم الفنية ، ان نتقيد بالفكرة التي سبق اليها المستشرق الانكليزي « شارلس لايل » ، ثم تبعه فيها مواطناه « نيكلسون ، وجيب »[1] ، ونجمع ابياتنا بالعنوان الذي ذكرناه : « وصف عاصفة في عاليه نجد » فيلذ لنا ، مهتدين هكذا بهذه الفكرة ، التي تخلع الوحدة التاليفية على نصنا ، ان نجلس الى جانب شاعرنا ، بين « ضارخ والعذيب » ، ونتتبع معه تطورات هذه العاصفة ومراحلها ، من ابدائها ، من وميض البرق ، حتى انتهائها ، وآخر نتائجها ، هذا المطر الذي استحال في بعض الاودية ، الى سيل عظيم ، اباد السباع واماتها ، ثم احتملها طافية على وجه مائه ، منقلبة على ظهورها ، تبدو من رؤوسها خراطيمها ، منتشرة مبعثرة ، فتظنها عن بعد ، نبات « العنصل » وقد نبش عن اصوله وطرح على الارض راساً على عقب .

ولطالما اثار هذا المشهد الطبيعي شاعرية العرب في صحرائهم . فهناك لبيد ، وهناك ابو دؤاد ، والكثير والقطامي وعبد بني الحسحاس وابن ذؤيب وساعدة ابن جويه وابن الرقاع وابن مقبل . وان ننسَ فلا ننسى اوس بن حجر وقصيدته الحائية . واي اديب عربي ، اثناء كلامه عن وصف البرق والمطر والغيث ، لا

١) راجع كتاب « شارلن لايل ص١٠٢ – ١٠٦ . وكتاب نيكلسون ص ١٠٧ . وكتب « جيب » في الادب العربي .

Charles Lyall, *Translations of Ancient Arabian Poetry* . London, 1930. L. Nicholson, *A Literary history of the Arabs.* – Cambridge. 1941. [A. Gibb, *Arabic Literature.*] , Oxford 1926.

يتذكر هذا الاخير وتحليل « طه حسين بك » لمقطوعته في هذا الباب . ونحن نرجع دائماً ، وباي تلذذ وباي تنعم ، الى هذين البيتين منها :

يامن لبرق ابيت الليل ارقبه في عارض كضياء الصبح لماح
دان مسف فويق الارض هيدبه يكاد يدفعه من قام بالراح

وناهيك بالتحليل الوجيز الدقيق الذي يجعله لها اديبنا العصري[1] . . .

فهؤلاء الشعراء جميعاً ، النابهون منهم والخاملون ، وصفوا البرق والمطر والغيث في الصحراء العربية . وكان هذا باباً مطروقاً اذ ذاك[2] . ولقد اوردنا اسماءهم هكذا حسب ما تذكرناهم — . وقد يكون في المقارنة والمقابلة بين شعرهم وشعر امرئ القيس بحث ظريف ، الا ان ذلك قد يعدل بنا عن موضوعنا ، وهو درس مقطوعه الضليل مستقلة بنفسها . حتى اننا نصرف النظر عن مقطوعتين غيرها في ذات الباب ، تنسبان لشاعرنا : الاولى منهما على البحر الطويل شأن مقطوعتنا ، يستهل بها ضادية يعرض فيها لاغراضه المألوفة من وصف صيد ونسيب ، ويختمها ببيتين في الحكم — . والثانية رائية صغيرة على بحر الرمل في مجرد وصف السحابة والمطر ، ذكرها الاب شيخو في كتابه « شعراء النصرانية » وعلق عليها . ثم قال حضرة الاستاذ سك فيها شيئاً ذاكراً كلام الاب ، من ان هذه القطعة احسن شعر جاء في وصف الغيث . ولربما اخذ الاب المذكور هذا الراي عما يحدث الاصمعي عن عمرو بن العلاء اذ سأل ذا الرمة : « اي الشعراء الذين وصفوا الغيث اشعر » فاجاب : امرؤ القيس وانشد قوله :

دِيمةٌ هطلاء فيها وَطَفٌ طَبَقُ الارض تَعَرَّى وَتَدُرّ[3]

فنحن اذن ندع جانباً كل هذه الآثار الادبية لكي ننفرد بأثرنا وحده ونحلله ونشبعه درساً وتدقيقاً ، فنرتاح ، كما قلنا ، الى شاعرنا جالساً مع صحبته بين ضارج والعذيب يتاملون جميعاً تقلب ذلك الحبي المكلل البعيد الذي شق جوانبه وميض البرق في الافاق . فهو ضخم عظيم يقدر الفتى امتداده من جبل

١) في الادب الجاهلي ، طبعة ١٩٢٧ . ص ٢٠٢ .
٢) انظر « صفة جزيرة العرب » للهمداني طبعة ليدن سنة ١٨٨٤ . ص ٢٢٢ — ٢٢٤
٣) « المجاني الحديثة » بيروت ١٩٤٦ . ص ٥٢ .

قطن يميناً الى جبلي الستار ويذبل من ناحية الشمال . ثم يأخذ في وصف المطر المتساقط من هذه السحابة ويذكر الاماكن التي يغمرها بسيله: «كتيفه» حيث يرمي الاشجار على ام راسها القنان الذي ادركه بنفيانه فكفى ذلك لاكراه الوعول التي تلجأ الى ذراه الى ان تخرج من حجرها وتهبط مهرولة الى السهول «تيماء» التي اقتلع نخلها كله وقوض اطمها الى اركانها ولم يثبت له منها الا ما بني «بالجندل» وهناك تبير وهناك المجيمر وكلاهما سال عليه الماء من كل جانب ولم يترك بقعة قط منه دون ان ياتي عليها : فكان الاول كشيخ وقور التفع بكساء مخطط وكان الثاني على ما احاط به السيل من النبات والخضد كفلكة المغزل تبرز عن مجموعة الخيطان الملتفة على عصاه. وفي اخر الامر تنشق السحابة في صحراء الفيط عن البعاع الذي بقي فيها من الماء فيتزايد المطر ويستمر هكذا في تساقطه الى ما يشاء الله ان يستمر حتى ينقطع وليس له من ذلك بد . وحينئذ يكون انتفاض الطبيعة ومرحها واية ذلك تلك العصافير تتنقل بخفة على الافنان وتطلق للفضاء صداحها ولا سبيل الماء اليها لنالها ، ويكون ايضاً سوء عاقبة الغيث في الارجاء القصوى هذه السباع الطافية على وجه الماء كأن اطراف رؤوسها «انابيش العنصل».

ولقد اعتمدنا هنا في تلخيص المقطوعة كما في الترتيب الذي جعلناه للابيات في مقدمة مقالتنا على نسخة اهلوارد[1] . اما نسخة اهلوارد نفسها فهي تعتمد على المخطوطة التي عثر عليها المستشرق الالماني في ليدن ودفعته الى ان ينشر في كتابه شعر امرئ القيس الى جانب شعر النابغة وعنترة وطرفة وزهير وعلقمة وكان عزمه في بادئ الامر الا يفعل ، اذ انه تبع في شعر هؤلاء الخمسة الآخرين مخطوطات باريس وغوطا وكان ده سلان «De Slane» قد سبقه ونشر من هذه المخطوطات ما يضاف الى امرئ القيس. ومخطوطات باريس وغوطا هذه ترجع الى الاعلم الشنتمري وهي مكتوبة بالخط المغربي اما مخطوطة ليدن فراجعة الى رواية السكري. ولقد رآها الناقد بعد الفحص والتدقيق اجدر من

(١ W. Ahlwardt, *The Divans of the six ancient Arabic Poets*. Paris, 1913. ص ١٥٠.

اخواتها بالثقة فتقيد بها . الا انه لم يتحرج من ان يصحح فيها ما كان يظنه ضعيف الترجيح وذلك بمقارنتها مع مخطوطات باريس وغوطا وغيرهما مما يذكره في مقدمة[1] وقد سار على ترتيبنا هذا العدد الاوفر من اساتذة الادب العصريين[2] الا حسن السندوبي في شرحه ديوان شاعرنا . وقد جاراه على ترتيبه حضرة الاستاذ سليم الجندي من المجمع العلمي العربي في دمشق مع بعض تغييرات زهيدة داخل الابيات[3] ولم تقع روايتها على اثر في لائحة المخطوطات التي يذكرها اهلوارد ضمن الجداول التي جعلها للمقابلة بين النسخات التي اعتمد عليها في عمله[4].

ومهما يكن من امر فنحن نرى ان نسخة اهلوارد زيادة عما يقوي ترجيحنا النصي لما تصف مراحل العاصفة على اتم صورة ووجه وتجعل نوعاً ما لابياتنا الوحدة المنطقية والعاطفية التي نريدها في كل قطعة ادبية جديرة بهذا الاسم وبهذه الصفة . نعم قد يطعن في الوحدة الادبية هذا الشيء من الغموض الذي يعترضنا في تعيين مواقع الاماكن الصحراوية المذكورة ، غير ان ذلك على وجه الاجمال لا يحدث اضراباً قط في الوحدة العاطفية . وكيف ننكر وجود هذه الوحدة ونحن نرى عاطفة الاعجاب بالمشهد الطبيعي الذي اخذ بمجامع حواس الشاعر وقلبه تنضح وتطفح بها اشعاره . ونلمس هذا الاعجاب يستمر ويسير ثابتاً شاملاً على تنوعها جميع العواطف والاغراض الثانوية التي تتفرع عنه ، فيؤلف فيما بينها ويزداد هكذا بها قوة وروعة تبلغان من نفس القارىء كل مبلغ . فما قولك بضخامة هذه السحابة الشامسة التي يقدرها امرؤ القيس وهو يتاملها عن بعد ممتدة من قطن الى الستار فالى يذبل فتشرف هكذا على فراسخ وفراسخ من مرتفعات نجد . وما رايك في هذا المطر الذي ياتي بسيله الجارف المتلف على كتيفة على القنان على ثبير على المجيمر . افلا تشعر في اتباعك له بشدة وقوة

١) انظر هذه المقدمة المرقمة بالارقام اللاتينية ولا سيما ص ١١ و ١٢ .

٢) حضرة الاستاذ فؤاد افرام البستاني ، وحضرات الاساتذة اصحاب الكتاب « المنتخب من أدب العرب » المشار اليه سابقاً .

٣) انظر كتابه « امرؤ القيس — دمشق — ص ١٩٢ » .

٤) اهلوارد . ص ١٠٥ — ١١٠ بالارقام الفرنسية .

تضغطان على نفسك وكانك تنوء بثقل الماء ووقع الوابل. وما بالك بمرح الطبيعة بعد انقطاع المطر هذا المرح الذي يكني عنه الشاعر بتغريد المكاكي في غرة الصباح. الا تأنس بالارتياح والانشراح يدبان اليك حينذاك، اولا تطرب نفساً بهذا التآلف في آن واحد بين صورتين على طرفي نقيض، ضخامة العوامل الطبيعية وبطشها ناحية ولطف هذا الطائر الحقير من الناحية الاخرى. نعم رب نفس مترفة متنعمة تنكر على الشاعر صورته الثانية صورة هذا الماء المجتمع في الاودية تطفر على وجهه جثث الوحش ولا سيما على نحو ما وصفها لنا في حالتها هذه، الا ان هذه الصورة على غلاظتها وبداوتها حتى على بعدها فيما نظن ونرى عن طبيعة خيال شاعرنا قد يكون لها شانها في الوصف التام المكمل لتطورات العاصفة ونتائجها، فوق ما تضيف في ورودها هكذا بعد الصورة الاولى الى قوة عاطفة الاعجاب والاطمئنان، اذ اننا نحن بني البشر، لا تلذ لنا عاطفة ما لم يشبها بعض الشيء مما هو من اضدادها. فالحلو الخالص يمله ذوقنا، وهو ينفر من الحامض الصرف واما ما جمع بين الطرفين فهذا الذي يسره وهذا الذي يتهالك عليه.

وهكذا تستمر عاطفة الاعجاب ثابتة ترافق العاصفة في كل مراحلها فتراها تظهر ببوادرها ثم تلد ثم تتطور وتنمو ثم تنفجر ثم تزول. فتبرز لنا حينذاك نتائجها، الحسنة منها اللطيفة، والسيئة القبيحة.

وناهيك بهذا الانتقال السريع المفاجيء من وقع المطر الى انقطاعه الى مرح الطبيعة اثر ذلك. ولا نرانا معجلين في الكلام ذاكرين ما هو قبل اوانه اذا ما دعونا القارئ ان يراجع معنا قراءة ابياتنا ولا سيما من البيت العاشر.

والقى بصحراء الغبيط بعاعه نزول اليماني ذي العياب المحمل

فيقرأه ويعطي لائتلاف اللفظ مع المعنى حقه خاصة على كلمة « بعاعه » ثم يقف لحظة تكل مدتها الى ذوقه الفني ثم يستأنف الانشاد

كان مكاكي الجواء غديه صبحن سلافاً من رحيق مفلفل

فليفعل القارئ هذا وليعبر بعدئذ غور نفسه ليدرك ما تسرب اليها على

اثر هذا التغيير المفاجىء الذي حدث في تسلسل العواطف الجزئية الثانوية . فكان العاطفة الرئيسية عاطفة الاعجاب التي تؤلف فيما بين هذه العواطف الجزئية تتحول الى غير طبيعتها الاولى وتعدل الى غير مجراها الاول .

واوصيك الخير كل الخير في نهاية الامر بذكر هذه الاماكن والمرتفعات النجدية التي تعترضنا أثناء مرافقتنا للعاصفة في اطوارها والتي كان لها الشأن الجليل في بعث العاطفة الشعرية حية ثرة عند اعراب العالية[1] . فهي في الادب العربي بمنزلة التيجات (Taygète) والاوليمبوس (Olympe) ووادي التيمه (Tempé) في الادب اليوناني وسائر الآداب الغربية التي اخذت عنه جميعاً فنونها واستوحت منه معانيها حتى سحر تراكيبها الى حد . فكل هذه الاماكن المصطفاة هنا وهناك تعد من مهابط الوحي الشعري في الانسانية . ولا بد من ان تبعث الانشراح في صدور قراء الآداب التي خلدت اسمها فيغتبطون لذكرها ويبتهجون به لما تشحن بمجرد لفظها من تذكارات وعواطف حية اثارها ولا يزال يثيرها فينا من تغنى بها من الشعراء فكم من اديب غربي قديم او حديث يرى نفسه في موقف ادبي او امام مشهد طبيعي فيتذكر للحال اسماء هذه الجبال والاودية اليونانية ، فيطرب لذكرها ويردد لفظها بتنعم وتلذذ كأنك قطرت على لسانه الجاف ، الشهد القراح او العصير الحلو الممتاز . ففرجيل مثلاً وهو من ادباء الغرب الاقدمين يصف في الباب الاول من «قروياته» Géorgiques العاصفة وعملها ونتائجها في القرى . وعندما ينتهي به الموضوع الى الحديث عن الصواعق اثناء ذلك فلا يصورها منقضة على جبال « الالب » المشرفة على وطنه « ماقتو » ولا على سائر جبال ايطاليا الواقعة تحت بصره بل يصور رب الالهة «جوبيتار» قاذفاً بها رؤوس الاتوس (Athos) او الرودوب (Rhodope) او تلال « السلونيا » (Céraunia) . وكل هذه الجبال في بلاد اليونان لم يشاهدها فرجيل انما يوردها هكذا كاسماء اعلام لاماكن مشهورة تذكي العاطفة الشعرية فيه اذ انها دائمة في خلودها ، لآثار ادبية يونانية درسها الشاعر اللاتيني فتثقفت واختمرت بها عقليته ونفسيته . واكبر ظننا ان ذكره لهذه القمم هنا راجع

---

١) انظر « الصداقي » ، نفس المرجع المشار اليه سابقاً

الى تذكارات دراساته لشعر تيوكريت[1]

ونحن لم نورد هكذا عرضاً اسم فرجيل لانه من اكبر ادباء الغرب قديمهم وحديثهم الذين تأثروا بالادب اليوناني ، انما اصطفيناه عمداً بين هؤلاء الشعراء لما راينا من الفائدة الادبية في وقوفنا عند مقطوعته . وسنرجع في بحث آخر الى هذا الدرس كما ايضاً الى درس بعض مقطوعات من الانياذة والاوذيسا والانياذة في وصف العواصف فنقارنها جميعاً مع اثرنا هنا ، على هذه المقارنة بين تلك الآثار لمظهرين مختلفين متباعدين من تطور العقليـة الانسانية تقيض لنا الوقوف الصحيح على ما في مقطوعتنا العربية من قيم انسانية ادبية خالدة . الا اننا نستطيع حالاً ان نقول اننا في اثرنا هنـا الى جانب شاعر كاف فوق هوميروس وفرجيل بالجمال الخالص لمجرد بعثه الابتهاج في حواسه ، فاقبل عليه يتوخاه اينما وجد ويتأثر به ويذعن له . وشغف فوق ذلك بالفن الصرف فاصبح لا يعادله بشيء آخر قط ويقصده لذاته بصرف النظر عما عسى ان يكون وراء كلامه الفني من عظة وعـبرة وشعور سام . فكان المصور الماهر عمد الى ريشة التصوير ورسم بها على لوحة الخيالة الناطقة ما اوحته اليه شاعريته واملاه عليه خياله . وكان الموسيقار الماهر عرف تدبير ادماج الحروف والكلمات بعضها ببعض ليولد منها نغمة « موسيقية » تلائم وقع العاصفة في النفس . فمكنه كل ذلك من ان يعرض مشهد هذه العاصفة على بصرنا وسمعنا في آن واحد . وكاننا بعد قراءتنا لمقطوعته امام لوحة رسم يدوية اضيف الى جمالها الجامد رشاقـة وجمال الحياة في حركاتها ونفاتها . وماذا يشغل نفس الانسان غير مجرد المتعة واللذة الفنية وطرب عاطفة الاعجاب عند وقوفه امام لوحة رسم يتأملها او قطعة موسيقية يستمع الى انغامها . وحقاً نحن لا نرى علينا غضاضة ان نسير مع شاعرنا هنا في هذا التلذذ والاستمتاع الفني اذ ان لا عائق اخلاقي يمنعنا عن ان نستسلم لها دون اضطراب وقلق في احدى ملكاتنا الروحية . والجميع يعلم ان ليس الامر كذلك في كل ما يروى «لملكنا الضليل» . هذا من الناحية الاخلاقية . اما من الناحية الفنية الصرفة فلا خوف علينا من

[1] تيوكريت . الكتاب السابع الشعر ٧٧

طلب شاعرنا « الفن للفن » ان يفسد علينا فطنتنا ، وحسن تصرفنا في الحياة العملية ، وحتى انه لا يفسد علينا ذوقنا الفني نفسه . ولما قدمنا داع : هو ان كثيرين من المتهيمين بالفن المتهالكين عليه قاصديه لنفسه ابتعدوا به عن الحياة العملية الصحيحة واخذوا يحاولون ان يستمدوه من مجرد انعكافهم على نفوسهم . فبدا ادبهم هكذا غالباً سقيماً مريضاً لا اتصال له بالحياة يكلّ ويفلّ حدة ذوق من يطلع عليه ودقة عواطفه وشعوره . ولقد شهدنا ذلك عند الالكسندريين ، في الادب اليوناني وعند ادباء اللاتين المتأخرين في عصر الامبراطورية الرومانية ، ولسنا في حاجة ان نذكر عصر الانحطاط في الادب العربي ، حيث انصرف ادباؤنا من الالباب الى القشور ، من المعاني الى الالفاظ .

ونحن لا نحصر علة الفن ومرض الذوق في التفنن بالالفاظ فقط بل هناك التفنن بالصور والتفنن بالعواطف ينفرد بها الاديب السقيم الذوق الادبي ويتدبرها بذاتها دون ان ينظر الى ما فيها من صلة تربطها بالحياة . وكل ذلك خير دليل على ضعف عنده في العاطفة وضعف في الخيال وضعف في مقدرته البيانية يجعله قاصراً عن ان ينتزع من صميم الحياة المجاورة له مواد ادبه فيخلع عليها صفة الخلود والروعة والقوة بل يكتفي بما انتهى اليه من صور متداولة وشعور مبتذلة .

واذاً فان كان الامر كذلك ، ان كان الاثر المكتوب او المأثور شفهياً يقدر ويعرف له قيمته الادبية الانسانية بقدر اتصاله بالحياة ، فاثرنا هنا له قيمة انسانية جليلة الشأن اذا ما نظرنا اليها من حيث مجرد الوصف . ذلك لما قيضت لشاعرنا عبقريته وذوقه السليم الصحيح ان يستمده من صور من الطبيعة المجاورة له ، ولما قيضت له هذه العبقرية ان يتدبر تتابع صوره بحكمة وذوق ، فجامع بفن ممتاز بينها وبين العاطفة وانغامها ونال من النفس منالاً بعيداً بكل هذه الملاءمة وكل هذا التدبير الفني .

اما مكانة الصور في مقطوعتنا فلا حاجة الى ابراز اهميتها . فالابيات شاهدة لما وفر صاحبنا لفن التصوير من جانب في وصفه . ولقد اشار حضرة الدكتور شوقي ضيف الى منزلة هذا الفن الخطيرة كناحية من الصنعة الشعرية

في الشعر الجاهلي صرف فيها الجاهليون مجهوداً قوياً[1] . وجعل ، حضرته ، شاعرنا في « المرتبة الاولى » من « طريقة التصوير » البيانية عندهم ، وشعراء هذه المرتبة يوردون الصور والتشابيه متراكمة ، شأن الابيات الشعرية التي « تخرج » هكذا « في صفوف منها متلاصقة » . بخلاف شعراء المرتبة الثانية وزهير في مقدمتهم الذين تطوروا وعقدوا في الصور وذهبوا فيها « بالتنسيق الدقيق والربط المحكم » الى حد جعلنا نراها « تغاير كل المغايرة » ما الفناه عند شعراء المرتبة الاولى . ونحن مع حضرة الدكتور في كل ذلك . الا اننا لا نظنه ينفي الشاعرية على مجموعة هذه الصور التي «توزع» في مقطوعتنا «على موضوعات ومناظر عديدة» ، لا بل نخاله يفضل من حيث الشعر الخالص المحض وصف العاصفة عند امرئ القيس ، على وصف « رحيل الظاعنات » عند زهير لما نراه عند زهير من التعقيد والجمود وفي مقطوعة امرئ القيس من التدفق والاندفاع الشعري. والظن كل الظن ان زهيراً حاول ان يدخل العنصر العقلي ومنطقه على ما ليس له فيه لا ناقة ولا جمل ، فوصف هذا المشهد اللطيف الذي نكتفي منه بالتلميح والاشارة كمؤلف يريد ان يعرض لموضوع محاولاً استيعابه من كل نواحيه . واما امرؤ القيس فلم يتوخ من شعره سوى مجاراة العاطفة ومناغاتها . فاطربنا بهذه الصور البكر مستمداً من العنصر العقلي في تنقيحه لها مجرد صواب الرأي والحكمة الفنية لكي يتقي بها الاغراب والسماجة .

وفي هذه الصور ، نعم شيء غير قليل ، من البداوة والحياة الصحراوية (وهل يتنافى هذا والشعر الخالص) ولكننا لا نرانا مسرفين اذا قلنا انه حتى في هذا الشيء جانباً لا يستهان به من الروعة الادبية التي ترفعه عن بيئة الشاعر وعهده وتجعله يعم كل الازمنة والامكنة لما فاز به من قيمة انسانية .

ولا بد لنا ان نمر مسرعين ، هنا ، على صورة المطر يكب على اذقانه دوح الكنهبل وصورة العصم الهابطة من موائلها الى السهل وصورة تيماء التي اقتلعت الامطار نخلها وعاثت في مساكنها هدماً وخراباً ، وصورة ثبير في

١) راجع كتابه « الفن ومذاهبه في الشعر العربي » القاهرة ١٩٤٣ ص ٤-١٦

عرانين وبل المطر وصورة المجيمر وقد نزل عليه السيل من كل جانب . ونترك الى كل ذلك صورة السباع الغرقى في الاودية . نحن نمر على هذه الصور مجتزئين باستعراضنا لها ليمكننا الوقوف بعض الشيء عند صور ثلاث ، ظهرت على اخواتها فنطيل النظر فيها لنستخلص وسعنا ما فيها من روعة وقيمة ادبية .

اما الصورة الاولى ، فوصف وميض البرق في حركته والتماعه.

واما الصورة الثانية ، فوصف هطلان المطر في صحراء الغبيط .

واما الصورة الثالثة ، فوصف مرح الطبيعة بعد انقطاع المطر.

قال في وصف البرق:

اصاح ترى برقاً اريك وميضه كلمع اليدين في حبي مكلل
يضيء سناه ، او مصابيح راهب امال السليط بالذبال المفتل

هذا يذكرنا ببيت اوس بن حجر الذي اوردناه سابقاً :

يا من لبرق ابيت الليل ارقبه في عارض كمضيء الصبح لماح

وهذا البيت بدوره يذكرنا بصورة ز « الفجر الوردي الاصابع » عند هوميروس. ففي الصورتين شيء دقيق كانه في فرار مستمر من الحاسة ، يفلت منها وينفر منها عندما تحاول ان تدركه وفي هاتين الصورتين ايضاً حلاوة تخيلية تلطف عملها على العين عندما تتخازر لتحصر ما فيها من مرمى وقصد . الا ان هاتين الصورتين خاليتان من شدة وقوة لتمثيل عنف حركة وميض البرق فلربما كانتا ، ولا سيما الاولى منهما فوق صورة شاعرنا نعومة ولطفاً . ولكن هذه ادق واشد من ناحية حدة الخيال البصري وثقابة النظر والاتصال بالحياة المادية . وهي في الآن نفسه اكمل واتم من صورة اوس بن حجر اذ انها تجمع بين عنف حركة البرق ولطف عمل وميضه على العين . فهي تقوم على صورتين او بالاحرى على ثلاث صور توزع على مرحلتين ، صورتان في المرحلة الاولى وهما صورتا اللمعان وحركة اليدين ، ثم صورة ضوء السراج في المرحلة الثانية. وهنا نختبر اختباراً التدبير الفني الذي كان يصرفه شاعرنا في تراكم صوره ليؤدي بها فكرته مع كل مستلزماتها . فمعنى صورتي المرحلة الاولى نفس المعنى الذي

نجده عند اوس بن حجر ، وهو وصف ضوء البرق وسرعة هذا الضوء . ولقد وصف الشاعر ذلك بقوله : كلمع اليدين . فاليدان لا تلمعان في خفة حركتها وسرعتها ورب لمعان لا يقيم طويلاً . الا ان الشاعر جمع بين الصورتين فتم له ما كان يريد — او كاد ان يتم . ذلك لان صورة حركة اليدين على وصفها الدقيق برشاقتها ، لسرعة وميض البرق ، خشنة فظة الى حد ، خالية من الفن نوعاً ما . هي كالشكل الهندسي العاري البادي الزوايا والخطوط قد يدهشنا كدليل على حدة ذكاء صاحبه وثقابة ذهنه ولكنه قد يؤذي ويؤلم بصرنا الذي يريد دائماً في الصور شيئاً من الرهن والضعف . ولذلك قد لا تريح هذه الصورة حواسنا ، قد لا تروقنا وتستميل عاطفتنا ونحن على كل حال نريد الانسان جامعاً الى العقل الهندسي وحدة الذوق والفطنة لادراك ما في ظواهر الحياة حتى الطفيفة اليسيرة منها من فن ومتعة ترتاح اليها القلوب وتغبط لها النفوس . وكاننا بالشاعر يفطن لكل ذلك ، يشعر بان صورته بكر من حيث حدة البصر ودقته وبانها تفي كل مقصود من حيث سرعة البرق وخطفه ولكنها لا تصف ما في حواشيه من قتم يخفف على البصر من حدة نوره وهي الى ذلك وبنوع خاص ينقصها هذا الشيء من التحوير والتدوير واللين يقربها الى الحياة وبالتالي الى ذوقنا الفني الذي هو فينا ، العنصر الاشد التصاقاً بالحياة . وكل هذا جعله يضيف الى صورتي المرحلة الاولى صورة المرحلة الثانية التي اقتبسها مما كان يشاهده في بيئته ، صورة ضوء السراج هذا الذي يميل الراهب فيه الزيت على الفتيل فيندلع اللهيب بقوة ثم يعود فيخبو . وانا اريدك واعياً لفن الشاعر وحسن تصرفه في تركيب جملته هنا ليحصر الصورة من كل جوانبها ويملأ بها حواسنا ، قال :

او مصابيح راهب امال السليط بالذبال المفتل

فان هذا التركيب وان كان صحيحاً مسوغاً ليس في غاية الجودة والاستقامة من حيث النحو واللغة ، والوجه فيه : « امال الذبال المفتل اي الفتيل في السليط اي الزيت » . ولو جارى الشاعر القياس في كلامه لكنا ارتحنا الى حسن تركيبه ولكان هو ادى صورة سرعة البرق اداء مادياً مجرداً عن هذا الحبي المكلل الذي يبدو ثقيل المر بطيئه لشدة حفله بالماء . الا انه اراد ان يوقظ حسنا

ويجعلنا نشعر بهذا الثقل فنعد الى « القلب » وقدم كلمة السليط ليلفت انتباهنا الى هذه المادة وبالتالي الى الثقل والبطء اللذين يظهران في حركتها وتمايلها . . .

هذا كل ما نستطيع ان نحصي بالكلام لملكاتنا الواعية ما في هذه الصورة من دقة وفن . ونحن نعمد قبل كل شيء ، في محاولتنا هذه على ما بقي في خيالنا من اتصال بالحواس ونزعه الى اقصى حد وابعد مدى لكي نستطيع ان نجاري فيه خيال هذا الشاعر الجاهلي الذي لم ينته من الرقي العقلي الى ما انتهينا اليه نحن . فكان خياله على فطرته مادياً شديد الاتصال بحواسه دون ما عمل قط للعقل في كل ذلك . فهو لا يرى ولا يفكر الا بالصورة المادية الحسية . . . وناهيك بجدة هذه الصورة البصرية ودقتها هنا لما الفت عينا شاعرنا من تفحص الآفاق الصحراوية ولما امتاد طرفه من الامتداد في هذه الارجاء ليترقب العدو او ليتوقع الصديق فلا يفوته فيها من كل ذلك لا ذرة ولا هباء .

الا ان هذا البصر كما يبدو لنا من استعراض صور مقطوعتنا لا يتتبع اللون الا اللهم هذا اللون المتجرد العاري الابيض ، الذي يعده الفيزيائيون كخليط من سائر الالوان وهو لون هذه الشمس الساطعة التي تصب باشعتها رصاصية على هذه الصحراء فتصهرها صهراً ونحن لا نرى لاختلاف الالوان شأناً حتى عند اوس بن حجر بالرغم من ان خياله ارقى واحسن تهذيباً وتثقيفاً ونعومة من خيال امرئ القيس . ونحن لا نرى ادراك هذا الاختلاف عند شاعر قط من الذين عرضوا للغيث والعواصف في الجزيرة . وكيف يستطيع هؤلاء جميعاً ان ينتبهوا الى ما انتبه اليه Taine مثلاً في وصفه العاصفة في ال Pyrénées من تلاعب وتزاوج في الالوان بينها بين بعض في جوانب السحب والزبارج . فنحن الان نرى انفسنا قد ترقت ونرى شعورنا وخيالاتنا قد دقت ونجدنا قاصرين غالب الاحيان عن ان نعبر بلغتنا عن تلك الهمسات الخفية وعن اهداب تلك الخيالات الطفيفة التي تختلج فينا . فكم بالاحرى هؤلاء الشعراء الذين لم يكن لهم عهد الا بهذا النور الابيض اللافح الذي كان يتموج لهابه امام عيونهم الى ابعد ما يستطيعون ان يجولوا بها في الارجاء الصحراوية .

ولكن هناك صورة لا تخلو من الشعور بالالوان على مختلفها والتعبير عنه .

هي صورة هذا اليماني الذي يتنقل في الاحياء العربية ليعرض فيها سلعه ، فاذا ما نزل على حي فك عن عبابه المحمل فبدت هذه السلع على كل الوانها من احمر واصفر وازرق واخضر وبرتقالي الى ما سواها من الالوان...

الا اننا لنا في شرح وتحليل هذه الصورة نظر غير النظر المألوف الذي تناقلناه عن الشارحين القدماء . يقول الزوزني مثلاً ، ونحن نذكر شرحه لانه اوضح من شرح غيره في المعنى نفسه : القى الحيا ثقله بصحراء العبيد فانبت الكلاء وضروب الازهار والوان النبات فصار نزول المطر كنزول التاجر اليماني صاحب الثياب المحمل من الثياب حين نشر ثيابه ليعرضها على المشترين... شبه نزول هذا المطر بصنوف الثياب التي نشرها التاجر عند عرضها للبيع... وهذا هو شرح التبريزي في كتابه القصائد العشر ، وهذا هو شرح القدماء جميعاً . فجئنا نحن واخذناه عنهم دون ان نقبل بانفسنا وعاطفتنا وخيالنا وملكاتنا الروحية كلها على هذه القطعة ودون ان ننتبه الى ان هؤلاء القدماء جميعاً كانوا علماء يعدون وكانوا لغويين ثقات وكانوا يجمعون الشعر ويتذوقونه من الناحية اللغوية والبراعة البيانية الجامدة ولا يرون فيه سوى انتظامه الشكلي من حيث التركيب والائتلاف بين التشبيهات .

ونحن اذا حللنا هذه الصورة على المعنى الذي سبق اذهبنا منها كل ماء ورونق وجعلناها جامدة لا حياة فيها ، لا بل اننا لا نحللها على وجهها ويقتضي غاية الشاعر فيما نرى . ذلك لان الشاعر فيما نظن يريد وصف امر واقع حاضر لا وصف شيء مستقبل يتوقع قدومه وظهوره ، يريد وصف حالة نفسية وقتية تشغل صدره لما تنبه فيه من صور وخيالات ولا يريد وصف منظر طبيعي سوف يمتد امامه ولا يرتجى وجوده الا بعد اسابيع واشهر . (وكيف يكون الامر كذلك ونحن نعرف شاعرنا ابن حاجته الوقتية العاجلة) .

ولكي نعرض راينا الشخصي لهذه الصورة على شكل واضح لا بد لنا من ان نعود وندعو القارئ الى مراجعة هذه الابيات . ولا نظنه عديم الذوق الفني الى حد انه يغفل عن هذا التزايد في الصوت والنغمة الذي اشرنا اليه سابقاً والذي يبتدئ من البيت الثالث : قعدت له وصحبتي بين ضارج ...

« الى البيت الذي نحن في صدده حيث يدرك هذا التزايد معظمه وينفجر ملائماً في كل ذلك تطور العاصفة ونموها فتضج وتصخب من بعد فترعد فتدوم فتدوي ويعظم دويها حتى تنفجر آخر الامر فيلقي السحاب ثقله من المطر في صحراء الغبيط » جنوبي تيماء :

والقى بصحراء الغبيط بعاعه نزول اليماني ذي العياب المحمل

هذه الحروف من « قاف » و« صاد » و« عين » و« باء » و« طاء » ، « عاتن العينان » اللتان تمثلان خير التمثيل للسمع وللبصر دوي انفجار السحاب وانشقاقه الى شطرين ليتخلى عما في جوفه من مطر او ليزيد من تساقط هذا المطر ، كل هذه الحروف الا تجعلك تشعر بضجيج السحابة الراعدة في اقبالها نحوك ؟ اولا تولد في بدنك دبيب قشعريرة اشبه شيء بتلك التي تشعر بها اذا ما اسعدك الحظ وخرجت الى احدى نزهك متمطراً ، فادركتك العاصفة بدوي رعودها ووميض بروقها . فكأنك حينئذ تشعر بضغط قوي على كل شخصيتك مادياً وروحياً وتبادر الى نفسك من دون وعي ومن دون ترو فما انت الا وراسك يطأطئ وكتفاك ترتفعان ليغور رأسك بينهما وكأن باذنيك يملأهما ضجيج مزعج عنيف وبعينيك تغمضان وتمر على صفحتيهما جميع الوان قوس قزح .

وكل ذلك لقد شعر به الشاعر ، على ما نرى ، سواء كان على وعي او غير وعي . وكل هذا حاول ان يصوره بالصوت والحركة فاما التصوير بالصوت فكان في صدر البيت كما اسلفنا بهذا الذي كان القدماء يسمونه ، « ائتلاف اللفظ مع المعنى » وما الفنا نحن ان نسميه « الموسيقى الداخلية » مشيرين بهذا الاصطلاح الى اختيار الالفاظ وترتيبها من ناحية ، ثم الى المشاكلة بين اصوات هذه الكلمات والمعاني التي تؤديها من ناحية اخرى . فينتهي القارئ من هذا الشطر وكأنه يشعر على عاتقه بثؤبوب المطر وما يرافقه من قصف رعد ووميض برق ، وكأنه يشعر بعمل كل ذلك في حواسه حتى تصبح كأنها مبهوتة حيرى ، ولا سيما حواس السمع منها . اما حواس البصر فنصيبها مقدر خفي في الشطر الاول ولقد يبرز في الشطر الثاني حيث يعرض له الشاعر ، فيكون قد انتقل هكذا من التمثيل بالصوت الى التصوير بالحركة .

ولقد ذكرنا سابقاً الشرح المألوف لهذا الشطر وهو شرح متداول متناقل عن القدماء ، وقلنا ان هذا الشرح علاوة عن انه يفضي بالجمود الى شعرنا ويذهب منه كل ماء وحياة لا يفي المعنى المقصود حقه . وفضلاً ما هو هذا المشهد الذي يشير اليه امرؤ القيس . هو قدوم هذا التاجر اليماني الى بعض احياء العرب وقدومه فجأة . وعلى هذا المعنى فهم الجميع شطرنا . فالاصمعي يروي ز « كصرع اليماني » والتبريزي يذكر رواية « كصوع اليماني » وكل ذلك وما شاكله يفيد السرعة والعنف في حركة اليماني عندما ينشر اجواخه ونسيجه للناس . ويفيد ذلك ايضاً الجملة والبيت كله في حركتها وتطورهما . ولنتذكر ، الى كل هذا الذي سبق ، اننا هنا في بيئة مؤخرة بعض الشيء عن رقينا وتمدننا وتحضرنا . نحن في هذا المعرض عند اناس لم يألفوا التحفظ في حركاتهم واعمالهم يتحللون من كل القيود التي نجعلها لانفسنا عندما نريد ان نعبر عن عواطفنا الاجتماعية . ولهذا يجب علينا ان نتصورهم مسرعين نحو هذا التاجر يتباشرون بقدومه ، فهناك الضجيج وهناك الجلبة وهناك التهافت على هذا العباب ، وهناك التنهدات عندما تنشر امام العيون هذه السلع على مختلف الوانها من صفراء وحمراء وزرقاء وخضراء وبرتقالية فهذا مشهد فيه حركة وحياة ولقد شعر الاقدمون بهذه الحركة وبهذه الحياة ، ولكنهم غفلوا عن غرض الشاعر من استخدامه لها هنا . فقالوا ان الوان السلع صورة للنبات الاحمر او الاخضر الخ . . . الذي سوف ينبت من جراء المطر في صحراء الغبيط . . . فجعلوا هذه الحياة وهذه الحركة بعدهم اياها هكذا على بساط الارض ونحن نراهما دائماً مجتمعين ابداً ململمتين في خفقان مستمر اذا ما اتخذتا الصورة لا كوصف شيء مادي بل كرمز الى حالة نفسية يريد الشاعر ان يشير اليها بعد ان رأى نفسه قاصراً عن ان يحلها بكلام وضعي يبقي لعاطفته الاعجابية كل حميتها وروعتها . ادرك الشاعر ما في نفسه من اضطراب وقلق ، وما في حواسه من ثقل وعبء ، وشعر بكل هذه الحواس مبهوتة حيرى تحت عمل العاصفة : فمن اذان تطن بالضجيج المزعج وكانه يحاول ان يسرع اليها باطراف اصابعه ليسدها ، ومن عيون تغمض بقوة وحدة خشية عليها من من نور وهمي ، يحاكي في الوانه نور قوس قزح . آنس

الشاعر كل ذلك فيه واراد ان يعبر عنه فاذا كلام الواقع يعييه ، فعمد الى صورة هذا المشهد الذي وقعت عليه عيناه في محيطه ، او اثناء تجولاته في احياء العرب ، واتخذه له كاوضح صورة رآها لهذا الذي يختلج في صدره ، لما في هذا المشهد من ضجيج وصراخ وهتاف والوان ، ولعمل كل ذلك في الوجدان والنفس.

ولا سبيل ان نجعل صورتنا من باب المجاز المرسل فنقول ان الشاعر دل الى الشيء بسببه فيكون المطر هنا او الغيث بمعنى النبات نفسه. فالبعاع هو المطر المتساقط مدرارًا من السحب ، والشطر الاول في تركيبه والفاظه وحروفه يفيد هذا المعنى الوضعي. فنحن قد نرى المعنى المجازي في مثل بيت ابي تمام:

عني الربيع بروضه فكانما اهدى اليه الوشي من صنعاء

اما في الشعر الذي نحن في صدده فلا.

وعلى كل حال فنحن ربما لم نكن مصيبين كل الاصابة في تاويلنا ، ولكننا نذيعه للقراء بتحفظ لا يخلو من بعض الثقة . ونحن نراه اصح من التأويل الموروث المتداول حتى الآن . ومما يقوي فينا الثقة والاطمئنان الى شرحنا هو ما نعهد في الشعر القديم ، من محاولة عند الشعراء ، عبرانيين كانوا ام عربيين لنبقى ضمن الدائرة السامية ، ان يرمزوا ويشيروا بالصور متراكمة الى حالة نفسية دقيقة مضطربة يصعب عليهم تحليلها. ومما يزيدنا ، ولو بجانب اقل ، ثقة واطمئنانًا هو ان تاويلنا كما اسلفنا ، اقرب ملائمة للرونق والفن في مقطوعتنا ، واكثر مجاراة لعاطفة الاعجاب التي تنضح بها هذه المقطوعة. فنتبع بالمتعة الكاملة عقليًا وحسيًا هذه العاصفة تمر على الاودية والقرى والقمم حتى تدرك حد ضخامتها وحفلها بالماء فتلقي بعاعها في صحراء الغبيط . . . ويكون بيتنا هكذا قمة نصنا وذروته من الناحية التصويرية ومن الناحية الموسيقية

ولكي نستخلص كل ما في هذه القمة الموسيقية من لذة فنية وقوة وروعة يجب علينا ان الا نسرع كما اشرنا سابقًا ، في انتقالنا الى البيت الذي يلي هذا الذي نحن فيه. انما يجمل بنا ان نقف لحظة لكي ندع لظواهر العاصفة جميعًا من وميض برق ودوي رعد ، ووقع مطر ، مجالًا لعملها في نفوسنا . فنصبح

والامر على هذه الحالة كأننا في اثرنا امام قطعة موسيقية تحملنا وتدخلنا في حركتها ، كما يقول برغسون ، ثم يقف الموسيقار وينقطع فجأة عن حركته هذه ليتركك الى تأثيرها وصداها في نفسك . وما هي الا ويفاجئك بحركة اخرى تملك عليك امرك فتصبح هكذا كالمسحور ، آلة بين يدي الفني يتصرف بك كيفما يشاء .

فهذه الوقفة الموسيقية واتخاذها كانتقال مفاجىء من حركة الى حركة اخرى ، كل هذا الذي قد نجده في بعض المقطوعات الموسيقية المشهورة ، « كالسيمفنيا السادسة » « او السيمفونيا الرعائية » لبيتوفن مثلاً[1] ، اننا نظن شيئاً منه هنا . ولا بد لنا من ان نعترف للشاعر بمهارة وحذق ما وراءهما مهارة وحذق في التصرف بادواته الفنية من صور ونغمات والفاظ يستفوي بها جميعاً عاطفتنا ويطربها .

ونحن نرجع الثالثة الى قراءة الاشعار من البيت الثالث خاصة ونضخم الصوت بعض الشيء ونجعله يلائم ما يطلبه حرفا العين والهاء في « بعاعه » ثم نواصل الانشاد الى آخر البيت ، ثم نقف . . . والى هنا تنتهي الحركة الاولى او الموجة الاولى الموسيقية او ما شئت فسمها . ثم بعد لحظة نستأنف الانشاد :

كان مكاكي الجواء غديـه صبحن سلافاً بالرحيق المفلفل

واذا بنا في حركة اخرى تفاجئنا ، حركة الانشراح والانبساط بُعد حركة الانقباض والانكماش ، حركة انتفاض الطبيعة ومرحها وضحكها واخضلالها بعد ان انقطع المطر وذر قرن الغزالة من جوف السحب . ولا بد للنفس من ان تغتبط بكل ذلك ، ولا بد لنا من ان نطمئن الى هذا الاغتباط . . . ولقد اكتفى الشاعر بالرمز والاشارة ، هنا ايضاً ، الى كل ذلك . . . لقد نبه فينا كل هذا الشعور بمجرد الكناية ولكنها ما الطفها وما انعمها من كناية . واي شيء

---

١) انما الانتقال المفاجىء هنا ، فبين الحركة الثانية «الأمير في القرية» والحركة الثالثة « العاصفة » أما الانتقال من حركة « العاصفة » الى الموجة الرابعة من السيمفونيا « انشودة الراعي » فيها يبدي شكره للخالق ؛ فلقد يهد له الموسيقار الالماني بلطف ومدوء فتكون المفاجئة عنده ، في اول دخوله في « العاصفة » ، اما عند امرئ القيس فهي في انتهائه من وصفها .

الطف واحب من هذه المكاكي التي راحت بعد انقطاع المطر ، ولا سبيل لها الى ذلك الا بعد انقطاع المطر ، التي راحت اقول ، تصدح وتقفز بخفة ونشاط ، كانها سكرى ، على افنان الحمائل في الاودية . وهذه الصورة هي ايضاً ، شأن ما سبقها من الصور ، مادية حية منتزعة من صميم حياة الطبيعة تنضح بالشاعرية السمحة والفن. وما علينا ، لندرك صحتها وجمالها وبعد مدى ايحائها الا ان نتذكر انفسنا وقد خرجنا لنزهة في بعض الاودية او الغابات وفاجأنا المطر فيها فاوينا الى ملجأ نتقي فيه شر الوابل علينا ، — ثم بعد انقطاعه خرجنا لنواصل السير فما بنا الا ونرى الطيور تسعى بين الاغصان برشاقة ولباقة فرحة مرحة ، متصايحة في الفضاء متخالعة في الطيران ، اذا ما اتسع امامها المجال ، ويتخلل تغريدها وتنقلها هذا الرشيق وقع قطرات الماء بين اوراق الاشجار .

هذا ولم يكتف امرؤ القيس بقيمة هذه الصورة الشعرية بحد ذاتها ، بل خلع عليها من فنه وشاحاً ، ورفعها الى مستوى ادبي ممتاز . لقد تخير من بين الطيور المكاء وهو طائر لطيف كثير الصفير . فحمله هذا الشبه ان يصبغ بصبغة اللطف والظرف سائر بيته فبدا هذا ملتحم الاجزاء متآلف النواحي من حيث الملاحة والعذوبة . فلطف الصورة هو الذي اقتضى التصغير في « غديه » ، ولذة منظر ومسمع المكاء هو الذي استتبع تراكم او بالاحرى ترادف الكلمات الثلاث : السلاف ، الرحيق ، المفلفل . كاننا بالشاعر يحاول ان يشارك بجميع حواسه وبجميع شخصه المادي ، الطبيعة في مرحها بعد زوال العاصفة .

اما من ناحية ائتلاف اللفظ مع المعنى فما رأيك بهذه « الصاد » وبهذه « السين » في « صبحن » و« سلافا » لتمثيل صفير الطائر . هما يثقبان اذنيك ثقباً وهما الى ذلك ينقلان على غفلة منك الصورة منها سماعية اليها بصرية اذ انهما بخروجهما السريع الخفيف من الثغر وبظهور صوتهما على اصوات الحروف التي يتخللانها يمثلان خير التمثيل خفة ورشاقة هذه الطيور اللطيفة في طيرانها . فكانك تراها امامك تقع بعضها على بعض او تعود فتستقل في الفضاء وترسل اثناء ذلك الى نواحي الجو من اغاريدها ما يقري النفوس متاعاً والاذان سماعاً

مشهد مطرب حقاً ، استطاع الشاعر ان يضبطه لنا بصورة شعرية لها قيمة

ادبية انسانية لا يستهان بها من حيث الشعر الخالص. ونحن نجدها عند فرجيل في المقطوعة التي اشرنا اليها فيما سبق، والتي سنرجع اليها في بحث اخر انشاء الله. الا اننا نستطيع ان نقول حالاً ان هذه الصورة عند الشاعر العربي الطف واكثر ظرفاً وفناً منها عند الشاعر اللاتيني لما وهبها الاول من الحلاوة والعذوبة وخلع عليها من الفن، ولانه، فوق ذلك، اكتفى بمجرد الكناية والتلميح الى هذا المشهد اللطيف دون ما تطور وتحليل منطقي فيه، شأن زميله اللاتيني. ولقد رأينا هذا الاعتماد على مجرد اللمحة الخاطفة والاشارة البعيدة عند الشاعر في كل صورة. اذ انه فيها جميعاً يجتزئ باركان الكلام فيفتح امامنا مجالاً للتفكير وللتخييل ويهون هكذا لصوره عملها التام فينا. فنستسلم الى تأثيرها دون تردد، واستنكاف، ظناً منا انها تلائم كل الملائمة ما في ملكاتنا الفنية من امكانيات ومؤهلات للترحيب بهذه الصور والعواطف والشعور الذي يحاول ايقاظها فينا. فهو، كما قيل، يشركنا في عاطفته الشعرية وطربها او بكلام اصح يشير لا الى هذه العاطفة وهذا الطرب لينبهها فينا، ثم نوافقه ونسير معه راضين مرتاحين. ولربما كان رضانا هذا واطمئناننا هذا ناتجين عن اننا نزيد على عاطفته وطربها، ونذهب ابعد منه مدى وغاية في الصور الخيالية والموسيقية. ولكننا على علمنا ذلك نحن نحبذه ونحن نحب من الشاعر ان يحسن بنا ظناً فيدعنا، شأن اولي الالباب، «من الاشارة نفهم»، اذ ان اغتباطنا بما نخاله منا، مادياً وروحياً، اشد منه بما نظنه من غيرنا. واي شيء اسر لنا من ان ندرك فينا اثناء قراءتنا لأثر ادبي، هذه العيون الجديدة وهذه القلوب الجديدة التي تتفتح للعالم الخارجي وللعالم الداخلي فتطرب لما ترى فيها وتتخشع لهذا الذي ترى تخشعها للاسرار لحداثة عهدها بها او لظنها الامر على ذلك.

* * *

قيل ان المشهد الطبيعي انما هو حالة نفسية، اعني ان الذي ينظر اليه ليتمتع به يخلع عليه من ذاته ويمده شطراً من روحه وجانباً قوياً من عواطفه وشعوره، وبكلمة واحدة يشركه في الحياة التي يحياها اثناء ذلك. فاذا كان شاعراً وحاول ان يصف هذا المشهد لغيره يجب عليه، بمقتضى التعريف الذي

سبق ، ان يقيض لقارئـه مجالاً مثل الذي كان مقيضاً له ، فتكون صوره واوصافه مصدر ايحاء قوي رائع في نفس هذا القارىء ، ومن الناحية الفنية ومن ناحية الجمال الصرف الذي استقرّ شيء منه في ما هو موضوع الوصف . ولقد نضرب عرض الحائط ببعض مقطوعات في الوصف تتراكم فيها الاوصاف من صور مادية للمناظر الطبيعية ، وتحليلات دقيقة لشعور وعواطف تشغل نفس صاحب المقطوعة حين ذاك ظناً منا ان ليس كل ذلك الا دليلاً على قصر باع عند الاديب في ادراك الجمال ملتماً مجتمعاً في كل حقيقته واكماله ، فوق ما قد يكون في كل ذلك من تصنع وتكلف ، او بعض السقم وعدم التوازن في الملكات الروحية تظهر بينها احداها على اخواتها . فالجمال ساذج بسيط في كيانه ، لا يحلل ولا يجزأ ولا يستطاع الا الاشارة اليه فقط . وتكون هذه الاشارة بتلك اللمحات الخاطفة وبتلك الصور الوجيزة البعيدة الايحاء ، شأن تلك التي وجدناها في مقطوعتنا هنا . فتجعلنا نتفتح لحياة الطبيعة ونندمج فيها دون ما تحفظ ودون ما تردد ، اذ اننا نراها مبتكرة حية مرسلة على بساطه قوية رائعة ، تشف عن نفس نقية لبقة مثل الجمال ، فكانها في اول حداثتها به وفي اول تفتحهـا له تدركه وتتبينه في كل خفاياه ودقائقه . ونحن نستحب مناجيات تلك النفس ونسر بل نطرب لحديثها ، كما اننا نسحر ، في غرة الربيع ، بمنظر الزهرة النضرة ابان تفتح اكمامها للنور والندى .

وهنا نتذكر رأي غويدي من ان الادب الجاهلي ادب رومانتيكي . وهذا صحيح ولكن الى حـد . ان الادب الرومانتيكي الذي يرجع الفضل في نشأته ورواجه الى الالمان ، خاصة في اوائل الجيل التاسع عشر ، اشمل في مواضيعه من الادب الجاهلي وادق منه في المواضيع المشتركة بينهما . هذا من جهة . ومن جهة اخرى نحن لا نرى في الادب الرومانتيكي هذه الصحة وهذه العافية اللتين نلمسهما في مقطوعتنا هنا . فآثار «شاتوبريان مثلاً ولامرتين وفيكتور هيغو وده موسه في الوصف ، زيادة عما فيها احياناً من تصنع وتكلف ، تنم عن اشخاص شعروا بالمرض في اجسادهم» وعلى كل حال كان ينقصهم بعض التوازن فيما بين ملكاتهم : ونستطيع ان نذكر الشواهد لذلك كما اننا نستطيع ان

نذكر مثل هذه الشواهد لـGœthe و لـSchollèr و لـHeine في الادب الالماني ، ولسنا نذكر Byron في الادب الانكليزي ، فامره اشهر من ان يذاع بين الناس.

ونحن ، في كل هذا الذي اسلفنا ، لا نريد ان نغالي بما لدينا ، ولا نريد ان نعطي اثرنا الادبي فوق ما هو من حقه ، انما نريد ان نبين ما في هذا الاثر من قيمة ادبية انسانية ، تجعله جديراً بان يتنعم به كل انسان من كل عصر ومصر. قصدنا ان نقول ان هذه الصحة والعافية اللتين تطفح بها مقطوعتنا ، هذه القوة والروعة في العاطفة ، هذا السمو والدقة في الخيال ، هذه العظمة التي تمثل على اتم وجه عظمة وفخامة الطبيعة اثناء العاصفة ، في جانب حقارتنا وصغرنا ، هذا التدبير الفني الممتاز في اداء وصف تطور العاصفة ، وفوق كل شيء ، نفس شاعرنا ، هذه النفس الظريفة المتيقظة لكل ما يظنه من امجاد الطبيعة وافراح الحياة ، كل هذه الخواص التي يرتكز عليها البيان المعقد والجمال المعقد اللذان يدقان حتى يحار ذوو الالباب في تعليل ما يستجيدونه فيهما ، كل هذه الميزات الفنية خلعت على قطعتنا وشاحاً من الخلود سوف لا يبلى. قرأها من نطق بالضاد قبلنا وسيقرؤها من سوف يعقبوننا في الوجود وستبقى على مر العصور ابداً لذيذة ولا سيما لمن يفقه للغة العربية معنى وتركيباً ونغمة ، لما تشحن من العاطفة العربية والخيال العربي والفصاحة والبلاغة العربية . نعم ان الغاية التي سيرت درسنا هنا اعني تبين ما في مقطوعتنا من قيمة الحائية انسانية جعلتنا نضرب ذكراً الا قليلاً ، عن جمال الاسلوب ومتانة التاليف وجودة السبك وقوة الحاء العبارة واناقة الجملة واخلاصها في تصوير المواقع على ما هو وعن حسن ائتلاف التيار الصوتي في عروبته الصحيحة الخالصة ، وعن جزالة الالفاظ ونغمتها وعن سائر هذه الادوات التشكيلية التي عرف الجميع للعربي مهارته فيها فهو يتفنن في القول ويرفع به المواضيع الحقيرة المشتركة بين جمهور الناس والامور الطفيفة التي لا شأن لها يعد الى مستوى فني يبهرك . الا انه يجب علينا ان نضيف كل هذا الى الذي سبق تحليله وذكره ، لكي نستطيع ان نستوعب بيان شاعرنا في مقطوعتنا من كل نواحيه. وحقاً ان في هذا البيان لسحراً ولسحراً حلالاً. نحن

ندرك حينئذ من كل وجوهه ، هذا الذوق الفني الذي امتاز به الشرقي عامة وذهب العربي به كل مذهب — نحن ندرك هذا الذوق الفني هنا في احد آثار الادب العربي بعد ان بحثنا فيه وحده مستقلاً بذاته . ولربما ندركه على صورة اوضح اذا ما قارناه مع غيره من آثار اجنبية بعيدة الى حد عن العقلية العربية وعن الحضارة العربية ... وهذا عمل سنقوم به في بحث مقبل انشاء الله ، وهو وراء القصد .

١٨ نيسان ١٩٤٨

مكتبة المشرق

نشوار المحاضرة واخبار المذاكرة

تأليف القاضي ابي علي المحسن التنوخي

الجزء الاول

اعتنى بتصحيحه د. س. مرجليوث

مطبعة امين هندية بمصر سنة ١٩٢١

بقلم حبيب زيات

للاستاذ مرجليوث رحمه الله خدم جليلة للآداب العربية اذا عُدّت في جملة مآثره وفضائله يكون اختياره هذا الكتاب واستخراجه اياه من خزانة باريس حيث كان بين دفائنها المنسية واتحافه به الادباء على غير توقّع او مظنّة لهُ من اتم هذه الخدم فائدة واجداها منفعة في تاريخ الحضارة العباسية وآدابها لما تضمنه من اخبارها واوصافها ونعوت رجالها واخلاقهم وعاداتهم ورسومهم في مجالسهم ومنادماتهم ومآدبهم ومعاشراتهم وخصوصاً رواية طائفة كانت مجهولة من مصطلحاتهم والفاظهم بين اعجمي ومعرب ومولّد ومنقول مما يندر ان تجتمع نظائره اجتماعها في مثل هذا المصنَّف الممتع الذي يعدّ اصدق مرآة لعصر الخلافة العراقية، واذا منَّ الله وقدّر لنا الحصول يوماً على سائر اجزائه المفقودة وتم بها مجموع هذا الكتاب كما وضعه المؤلف يكون لنا في مطالعته وتدبر حكاياته وعباراته اكبر معين على دراسة ماضي الحضارة العربية وتلقط الفاظها ومسمياتها التي زهدت في نقلها كتب اللغة وحرمتنا من لذة فهم كثير من الاوضاع المستحدثة واللهجات المعاشية التي طرأت على لغة البداوة بعد الهجرة واختلاط العرب بالروم والفرس ولذلك كان من اولى ما يتحتم على كل متأدب عرف قدر هذا الكتاب ومكانته بين الآثار السالفة ان يعين بحسب

طاقته على تصحيح روايته ونقد عباراته وتقويم ما انآد من حروفه وايضاح ما استعجم من كلماته كما فعل الطيب الذكر احمد باشا تيمور رحمه الله في مقالاته « تفسير الالفاظ العباسية » التي نشرها في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق

وكنا منذ صدور هذه الطبعة أولعنا بتكرار مطالعتها فكنا في كل مرة نقف منها على مواضع لا تخلو من النظر والاستدراك ونحن على يقين من التباسها على النساخ واستحالة صدورها على هذا الوجه من قلم المؤلف لاننا عرفنا بالخبرة وطول التنقيب في دور الكتب ومعارضة المطبوعات احياناً بالاصول المخطوطة ان مثل هذه الشبهات والسقطات قد تكون من تفريط الطابع وسهوه وان نظر اكبر العلماء قد يكلّ او يذهل اثناء النقل والتمثيل وحسبنا ان نذكر من هذا القبيل ما جاء قبلاً في كتاب ذيل تاريخ دمشق لابن القلانسي من بعض العبارات القلقة والالفاظ الغريبة التي لا تشبه نسج المؤلف ولا تلتئم بمثل سداه ولحمته اجتمع لنا منها طائفة قيدناها امامنا حتى تهيأت لنا زيارة خزانة اكسفرد فبادرنا الى طلب اصل الذيل المخطوط وعارضنا عليه سطراً فسطراً طبعة امدروز فاذا كل المواضع المريبة في المطبوع هي من سوء نقل الطابع او قلة تثبته في استيضاح المتن وهي فيه صحيحة لا غبار عليها او عارية احياناً من بعض الإعجام ولكن تُدرك لاول وهلة ووجدنا من الواجب علينا استرعاء نظر الاستاذ مرجليوث اليها فوعد باصلاحها وتسديدها في طبعة تالية وكأنه كره ان ننشرها دون ابطاء وان يلحق امدروز منها بعض الغضاضة والقصور

ومن غرائب الاتفاق ان ما فرط لامدروز في طبعة الذيل لم ينج منهُ ايضاً مرجليوث نفسه في طبعة نشوار المحاضرة وكنا عقدنا النية بعد مفارقتنا اكسفرد على مقابلة طبعته على الاصل في باريس ولم تتيسر لنا الا سنة ١٩٤٦ بعد ان نفذ سهم القضاء في الاستاذ ونقله الله الى دار كرامته وخسرت العلوم المشرقية بوفاته ركناً من اشهر اركانها في الغرب ونحن نعلم علم اليقين انهُ لو كان حياً لليوم لتلقى معارضتنا وتصحيحنا بغاية الرضى والاستحسان شأن اكبر

العلماء الذين يتوخون الحقيقة والصواب في جميع ابحاثهم ودروسهم كما تلقى بارحب صدر واوسع بشر نقدنا الذي أذن لنا به لطبعة الجزء الثامن من الكتاب نفسه الذي نشرته مجلة المجمع العربي بدمشق[1] وهو مقتصر على المتن المطبوع. لاننا لم نقف على الاصل المنقول عنهُ ولعلنا لو قُدّر لنا يوماً الاطلاع عليهِ ان نهتدي فيهِ الى مواضع تعين على تسديد بعض الالفاظ والعبارات التي بقيت ملتوية غامضة في المطبوع لا يستقيم لها معنى ولا يلتئم لها توجيه او تأويل ونكون بذلك قد قمنا ببعض ما يجب على كل اديب للمؤلف من الغيرة والخدمة والشكر لجمعه لنا هذه الاخبار والمذاكرات التي احسن في تلقطها غاية الاحسان ونظم لنا فيها الياقوت والعقيق والمرجان وقد قسمنا الكلام على الكتاب الى ثلاثة اقسام وربما اشرنا احياناً الى وجه الصواب الذي تبين لنا اثناء المقابلة بعد انعام النظر في الاصل المخطوط :

القسم الاول ما اختلفت قراءته او ما اصلحهُ لغير داعٍ

« الثاني ما علق عليهِ ولم يوفَّق فيهِ

« الثالث ما اسقطهُ سهواً واغتباطاً من الالفاظ والعبارات والسطور

ما اختلفت قراءته او ما اصلحه لغير داعٍ

الصفحة	السطر	المطبوع	الصواب في الاصل المخطوط كما يجب قراءته :
٤	١	الظرفاء والمحرفين	والمخرّفين اي قُصّاص الخرافات والاحاديث المستملحة
٤	١٧	الشُطّار والمتقين	والمتقّين
٤	١٨	الحزّاب والمتخربين	والمتغربين
٥	٢	اصحاب السائر والمقيسين	والمقلّسين
٧	١٤	فوجدتها محيلة	مختلّة
١٠	٢	انما تلقطناه	تلقطناها والضمير راجع الى الاخبار المذكورة قبلاً
١٠	١٣	مائة ورقة واحداً	واحدة

١) الخزانة الشرقية ٢ : ١٥٣–١٦٧

الصفحة	السطر	المطبوع	الصواب في الاصل المخطوط كما يجب قراءته :
١٢	٣	هذا من موضوعات الوراقين – اصلحه في فهرس الخطا وقال ان الصواب « الزرّاقين »	والصواب ما ورد في الاصل اي الوراقين وجاء نظيره في «نفح الطيب» و«وفيات الاعيان» حيث روي هذا الجواب
١٦	١١	شديد الحرارة	الحَرّ
١٧	١١	بلغت القيمة ثمانمائة الف دينار	« بثمانمائة الف دينار » يدل على ذلك قوله : اخذ يصدقني ويقوّم وأحصي الى ان بلغت القيمة لذلك ثلثمائة الف دينار فقلت له : يا هذا من بغداد اليوم يحتوي ملكه على الف الف دينار
١٨	٩	ما زلت الاحظ المفسدة حتى وقعتُ عليها	التلحّظ اي التتبّع ولم ترد تلحظ بمعنى لحظ
١٩	١	ادام الغضّة مني	الغضّ مني وهو ما عناه قبلًا بقوله : تنقّصني في مجالسه وورد له لفظ الغض في غير موضع من النثوار
١٩	٧	يجري عليه ملكي	يحتوي عليه .
١٩	٨	وقع الي الرأي	وقع لي
٢١	٢	سقط في يده	في يديه
٢٢	٢	امر بانشاء الكتب	بانشاء الكتب ومثله قوله : فانشأنا من الديوان كتبًا (ص١٥٦) وبذلك يسقط ما علقته مجلة المجمع العربي (٦٣:٦) على صلاحية كلمة « انشاء » لوضعها بمعنى تعميم
٢٢	٣	وصيانة اشياني	اسبابي
٢٢	١٠	احمد بن ابي بكر بن داسة	بن بكر
٢٣	١٧	قيمة كل واحد	كل واحدة لان الكلام على ثلاثين جامة
٢٤	١٣	دفع اليه رجل قصة	رفع بالراء
٢٤	١٥	فاستطالت به علي	جا اي بالمائتي دينارًا
٢٥	١٨	يستحق	يستحق
٢٦	١	فجلس الى ان لم يبقَ في مجلسه غيري	فجلستُ الى ان
٢٦	٦	قال وقد خلا بي	قال لي
٢٩	١٧	قميص شتري	ششتري وششتر او تستر من مدن خوزستان مشهورة بجودة الثياب

الصفحة	السطر	المطبوع	الصواب في الاصل المخطوط كما يجب قراءته
٣٩	١٩	ولكن اشتريتُ لي	ولكني اشتريت لي
٣١	٤	دخل الى بيعتها ويقرب بها	وتقرّب فيها اي تناول القربان
٣١	٦	خارج عن الملة	عن الملك
٣١	١٣	ابرك رأي واصح	واصحه كما في كتاب هلال وفي الاصل
٣١	١٨	وعدد اشياء	وعدّدا اشياء اي البطرك والفاتليق
٣٢	٧	وتاملت الى ثياجم	تأملت ثياجم
٣٢	١٩	ولا تفعل	فلا تفعل
٣٣	١٠	ابي عون	ابي عوف
٣٣	١١	من تحصل في قريته من اسارى المسلمين	من يحصل
٣٣	١٢	ينفق على بيعه في بلد الاسلام	على بيعة
٣٣	١٥	كلما لفحنا البرد	كلما نفحنا قال الاصمعي: ما كان من الرياح نفح فهو برد وما كان لفح فهو حرّ
٣٤	١٦	حرمة هي	حُرمته بي
٣٥	١٢	وتشوق	وتشوّف اي تطلع الى المنبر
٣٦	٥	فيصير نكالًا	فتصير نكالًا وهي في خطاب رجل مزوّر عنك
٣٦	٨	عليك	
٣٨	١٠	قصة ظريفة	ظريفة اي نادرة غريبة كقوله بعد : من ظريف حِيَل اللصوص (ص٧٨) ومثل ذلك (٧٦-١٤ و١٧٣-١٢ و١٩٣-١٩) وردت في الاصل بالطاء المهملة بدلًا من الظاء المنقوطة في المطبوع
٤٠	٣	أكثر نعمه	نعمتهِ اي ماله ورزقه
٤٠	١٢	مثالها	مثالها
٤١	١٤	وبسأله	وسأله
٤٦	٤	ووافقته على اجرة	وواقفته بالقاف قبل الفاء وهذا الفعل يرد كثيرًا في كتابات العصر العباسي بمعنى المباحثة والمحاورة والموافقة
٥٠	٧	غنت جاريتهُ بدعة	غنت جارية عريب بدعة وفي (ص١٢٢) ان بدعة كانت جارية عريب
٥٠	١٣	تقشف ابي حازم وبغضه	علق على لفظة «بغضه» كذا بالاصل وارجح ما يتبين لنا في هذه الكلمة انها محرّفة عن « تعفّفه »

الصفحة	السطر	المطبوع	الصواب في الاصل المخطوط كما يجب قراءته
٥٣	١٨	عاد يقرانا في القصيد	يقرأ ما في القصيد
٥٤	١	حدثني ابو حامد القاضي قال	كذا دون تعريف آخر وهو احمد بن بشر بن عامر الخراساني القاضي الفقيه
٥٨	٨	فسجدوا للملك تواطئا له	وفي الاصل: « فسجدوا له » فقط ووردت عبارة (الملك تواطئا له) في السطر التالي فنقلها سهواً الى السطر المتقدم
٦٢	١٨	كان شديد البرّ بامه وكان ينبض لها بالماء	كان يتنغّص لها
٦٢	١٩	كان اذا استطاب لونا ان ينفذ من مائدته	قال في فهرس الاغلاط (ص٢٩٩) لعله: كان يأمر ولا حاجة الى هذا التصحيح لان الاصل: اذا استطاب لوناً امر ان ينفذ
٧١	١٧	ويقولوا عليه	ويتقوّلوا عليه
٧٢	٥	وتمثل لي كلامه	وتمثل في كلامه
٧٣	١٢	الدنيا النكرة	كذا في الاصل وعندنا ان الصواب: الدنيا النكِدة
٧٤	١٢	ما اخبرت باسمه	ما اخبرتك
٧٦	١	حتى اتوزر	حتى اتّزِر
٧٦	٩	يرجع فيها الحسي	الحبي
٧٧	١٢	مات الموفق فاجملوه مكسوراً	وفي الحاشية: كذا بالاصل والصواب مكسوداً وهو لحم مجفّف
٧٨	١٨	طلب المقاتلة والخروج	المقالتة اي حاول ان يفلت منه ويخرج
٨١	١٦	آيس منه	أيِسَ منه
٨٦	٥	النور الشمشاني	الشمشاني
٨٧	١١	خرزتين شوكاً	جرزتين
٨٨	١١	فقبل رأس بغله (وفي الحاشية لعله: فقلب)	فقتل
٩٤	١	كان يجذو دائماً بمائتي دينار وفي الحاشية: لعله ينفذو يعني اهله	يجذّر اي يدفع الجذو وهو اجرة المغني
٩٤	٦	عصائب الفصد	عصائب للفصد
٩٤	١١	وسمعت بعض الطياب وفي الحاشية كذا بالاصل ولعله الكتاب	الصواب: طياب جمع طيّب كجياد جمع جيّد ويظهر انهم كانوا يطلقون هذا النعت والجمع على النساء ايضاً ومنه قوله (ص ١٢٢) كان معها منهن عدة محسنات طياب حذاق، ما لم يكن طُيّاب بالضم والتشديد

الصفحة	السطر	المطبوع	الصواب في الاصل المخطوط كما يجب قراءته
٩٧	٢	ان حاله	«ان ماله» وقد أُشير اليه قبلاً
٩٨	١٦	قلع وجه المود وملأه لها دراهم توسع نيفاً وعشرين الف درهم	فَوَسَعَ
٩٩	١٢	تفرق الناس وحيل بينهم وبين رجالاتهم	« رحالاتهم » بالحاء جمع رحَالة
٩٩	١٦	ورد منه الركوب	واراد منه
١٠١	١٢	واخذ جبهته وكفه (وفي الحاشية كذا بالاصل ولعلها كلمة محرفة)	عندنا ان الاصل يجب ان يقرأ « وكَشَفَهُ » اي كشف الأسد
١٠٢	٨	اطالبه بما يخرج الحساب عليه	بما يخرجه
١٠٢	١٦	يكون تعبك بازاء استيفائك من عدوك	« اشتفائك » كما يترجح عندنا
١٠٤	١٦	فوصل الى الابلة وقد فارقت انا بغداد (وفي الحاشية : الاصح «قاربت»	لا حاجة الى هذه الحاشية وهذا التصحيح لان الاصل جلي ظاهر : قاربت
١٠٦	١٢	وركب على ابن قديدة مالا عظيما فلم يكن له وجه وفي الحاشية المعلقة على كلمة وجه « كذا بالاصل »	ولا نشك ان الاصل يجب ان يقرأ « لم يكن له وجهة » اي طريق وموجب
١١٠	٢	منزلة بما لها من الجلالة	« منزلة بجالها من الجلالة» اي تامة موفورة
١١١	١٦	فخرج اليهم يقاتلهم فنتك فيهم	« فنكى فيهم » اي قتل وجرح وأثر
١٢٠	١٦	فجاء فارتفع المجلس	فارتفع في المجلس
١٢٢	١٩	كانت امرأته تحتال له ما تقتاته يوماً	« ما يقتاته » اي ابو يوسف حين صحب ابا حنيفة
١٢٦	١٩	قال فضحك والله هذا الصديق	نصحك ... والامر على ما قاله
١٢٩	١	كان قديماً عندنا بالبصرة ستة وثلاثين الف شاهد	وثلاثون
١٢٩	٧	كان مبلغ من قبله التميمي ستة وثلاثون الف شاهد	وثلاثين
١٢٩	١٨	جلست الاعب المعتضد بالنرد فقامرته سبعين الف درهم	فقمرته
١٣٢	٥	قمت الى جواريّ ... الى ان اجتمع لي من حليهم	من حليهنّ كما في الاصل ولا ندري لمَ ابدل الضمير

الصفحة	السطر	المطبوع	الصواب في الاصل المخطوط كما يجب قراءته
١٣٨	٥	ترى طلب غلماني هؤلاء علي ومطالبتهم اياي بالمال	كذّب غلماني (بالكاف)
١٤٠	٩	ان في قناء إصلاحا للامة	صلاحاً للأمة
١٤٣	١٨	الملوك والمنابر	المسوك (جمع مسك)
١٤٣	٩	فيجعل بدل حب القطن ويشرب دهن البلسان	تُجعل (الازرار) وتتشرّب
١٤٤	١٦	فعرض بالجلوس	فَعَرِض (اي ضجر وملّ)
١٤٩	١٥و١٦	شهرة للفرس	للفرش
١٤٩	٢٠	انا اعرف استحسانك لها	اعرفه (اي الحالية)
١٥٠	٩	فقومته له فيما استرخصتها	قومته له قيَما (جمع قيمة)
١٥٠	١٥	كنت اذا تجملت اليه	تحملت (بالحاء المهملة اي استشفعت)
١٥١	١٠	ما عندي الا خمسة آلاف درهم فسأله ان يأخذها	فاسألْهُ او فتسأله
١٥٢	٧	ان بيتي هنا اخرب بيتي مع ما يرتكبه مني من المعصية ويلحقه بي من العار	ان بيتَي هنا اخربتَ بيتي مع ما ترتكبهُ ... وتلحقهُ
١٥٢	١٢	قال المعتضد لبدر : يا بدر جا الساعة	بادِرْ جا
١٥٤	٢٠	ونفذنا الناس	وننفّذ بالناس
١٥٥	٦	فجعلت اكتب فيها	فجعلت الكُتُب فيها
١٥٥	١٧	تخيلت اني ان امسكت عن التدبير ساعة ان يفوت	انه يفوت
١٥٥	١٨	لنبغوا علي من تحت سريري	لتبوا علي (بالعين المهملة)
١٥٨	١٩	وتربوا علي قوله	وربوا
١٦٣	١٠	اجتاز يوماً وبين يديه رجال يؤذن	وجالته (اي رجالة المحتسب)
١٦٤	٩	ما زال بها حتى اصلح بينهما	ما زالوا (اي الشهود) به حتى اصلحوا بينها
١٦٦	١٩	البطيخ الذي نسب فيما بعد الى الميدلاني	الميدلاني = المبدلاوي
١٦٧	١٥	وفيما بيننا سبب الحربُ	اصلحه المرحوم احمد باشا تيمور وقال : الصواب (سببٌ حربٌ) برفعهما وهو مصدر وصف به (مجلة المجمع العربي

الصفحة	السطر	المطبوع	الصواب في الاصل المخطوط كما يجب قراءته
			٣:٢٢١)والاصح ان الاصل كان «وفيا بيننا شُبَّتِ الحرب»
١٦٨	١٩	فقالوا تصححه في ثلاثة ايام	نصححه (بالنون) (اي المال وكانوا قد طولبوا به عاجلاً)
١٧٢	١٦	فيأخذ من اللقم	فيأخذ منه اللُّقَم (اي من المتجبر)
١٧٩	٦	وادرت ارزاقهم	أدْرَرْتُ
١٧٩	١٧	يرفعك جا	يدفعك (بالدال)
١٨٠	١٨	فثنت رأس دابتي	فثَنَيْتُ
١٨٢	٣و٤	يوجب عتباً عليه وكيف علي في تمكيني منه ؟	عتباً عليه والك في تمكيني منه
١٨٤	٤	قد نفدت	نفذت (بالذال المعجمة اي خزائن الارض)
١٨٦	٤	فقلت لها مرض تمرفين	مرّ من تمرفين
١٩٠	١٢	لم اكن املك غيرهما فقلت اعطيه اياها	اياهما (اي الدرهمين)
١٩٤	٣	ورقاصة وزفانة	ودفّافة
١٩٤	٩	فاخرجت هذى	هؤلاء (اي النساء)
١٩٦	٨	ما لايسعنا معه ان نحمد لك ويجب ان تمرفنا نفسك	ان نجهلك ونحب ان تمرفنا نفسك
١٩٦	١٤	كان ممسكاً مكثرا	مُمسِكاً متَّرِّا (ولا يخفى ما بين الامساك والاكثار من التناقض)
١٩٦	٩	فاجمتهم على الرسم	فأجمُهم
١٩٦	١١	ويفرق بجمك	جمك
١٩٨	٥	الى ان تنقضي المصيبة فاذا نفدت	فاذا انقضت
١٩٩	٢	يحافظ لك الآخر	لك الامير
١٩٩	٣	فتصير في مراتب بدئ الامير وفي جملة	في مراتب ندمائه وفي جملته
١٩٩	٤	الذين يودون قائماً	يُؤدَّوْن دائماً
١٩٩	٧	الآلات والنقوش	والفروش
١٩٩	١٦	واتخذنا غازحه	واخذنا غازحهُ
٢٠٠	١٦	ما شبعوا شيئاً يزهمها	شيئاً زهمها (اي اكسبها الزهم اي رائحة الدسم واللحم والفعل لازم لم يُروَ متعدياً)
٢٠١	١٩	ورغيف واحد وسكر وملح وخل	واحد وسُكُرَّجتَي ملح وخل

الصفحة	السطر	المطبوع	الصواب في الاصل المخطوط كما يجب قراءته
٢٠٢	١٢	ربحت باكلة اقريتها خمسمائة دينار	بأكلة افتديتُها (كما ورد في ارشاد الاريب ١ : ٣٩٧)
٢٠٢	١١	وخلست معه	وجلست
٢٠٤	٧	وربحنا ان نعطى	ورسمُنا ان نُعطى
٢٠٦	٨	يريد الطرادة	يريد (بالباء الموحدة كناية عن السرعة)
٢٠٧	١٦	إن وزنت خمسين درهما في اليوم ولست أجد لك	لستُ أجدُ لك (بدون الواو في جواب إن)
٢١٠	١٥	عبدالله الايدجي	الايذجي (نسبة الى ايذج بالذال المنقوطة بلدة بين خوزستان واصبهان)
٢١١	٥	يدير امور الوزارة	يدّبر (بالباء الموحدة)
٢١٧	١٦	حدثني ابي قال اماشي المعرج الشامي	قال : كنت أماشي
٢٢٦	٢٠	مضى وباحناء الضلوع هواكم الى ان يرى انشاءه بعد حاصده	يرى إقشاءه (وهو الاصل لاشك لان الهوى كان كامناً في احناء الضلوع)
٢٢٣	٧و٨	بيتان لابي فراس.	وردا في الاصل البيت الثاني في موضع الاول وبالعكس
٢٢٣	١٩	ومرتد بطرة مدله الرفارف	ومُرتَدٍ بطُرّةٍ مُدلَهِ الرفارفِ
٢٢٥	٦	حالفا على اخيهما	خالفا (بالخاء المنقوطة)
٢٢٥	١٥	التوفيق والسواد	والسداد (بدالين)
٢٢٧	٢	لا يبسط لبطل امل	لا يُبسط لمُبطِل
٢٤٣	٧	صاحب لابي هاشم	وإيرد في الحكاية المطبوعة من هو ابو هاشم وفي الاصل (ص١٦٣) ابو هاشم عبد السلام بن محمد بن عبد الوهاب
٢٤٣	١١	ابي العريان	العريان (بالياء المنقوطة باثنتين)
٢٤٤	٨	قل الوزير	قُل للوزير
٢٤٤	٨و٩	فارجع الى صاحبك فقصه	فَقَضِّه (اي قل لهُ اعز الله القاضي)
٢٤٩	٦	يحسبك	بحسبك (بباءين)
٢٤٦	٢٠	تلعب بالنرد ؟ قال نعم فوضعناها	فوضعناه (اي النرد)
٢٥١	١٣	تجاوز الوصف وتفوق المد	وتفوتُ المدّ
٢٥٢	٣	مد عوارفه	مَدَد عوارفه
٢٥٢	١٩	المسائلة	المسالمة (بعد قوله الموادعة)
٢٥٥	١	اجل حال	اجمل حال

الصفحة	السطر	المطبوع	الصواب في الاصل المخطوط كما يجب قراءته
٢٥٥	٣	ولا يتعرض على ضمناء ساقته	لا يُعرّج (كما كان لا شك بالاصل)
٢٥٦	٨	ابو القاسم بن محمد الصروري	الصُرّوي (كما في الاصل وكما سبق في المطبوع ص٢٠٦)
٢٦١	١٢	نبيذ مصر المعروف بالشبروي	الاظهر ان الاصل كان « الشبروي » بالباء الموحدة نسبة الى شُبرى اوشبرا المشهورة بمصر بدكانه
٢٧٢	١٢	كان يتشاغل بدكان	
٢٧٧	٩	ليتسمحوا به ويستحلوه	ويستحلّوه (اي يطلبوا منه ان يُحلّهم ويسامحهم)
٢٧٩	١	بأفرادي (وفي الحاشية : لعله باخراجي)	بإقراري (وهو ما يترجح تصويبه عندنا اي اقراره بالقتل)
٢٨٠	٨	لا اريد الا قتل قاتل ابي اثر في نفسي	آثر (اي احب الى نفسي)

ما علق عليه ولم يوفق فيه

الصفحة السطر

١٨ ١٢ « ما كانت فيه سلامة » قال : « كناية عن بلادة » وانما السلامة سلامة القلب ويراد بها السذاجة والخلو من الدهاء .

٢٠ ١٥ « امر لا يبلغه سلطاننا » قال : يخالف اسلوب الكلام عند هلال هذا وهو اقرب الى الحق فان السلطنة أسست بعد هذا الوقت » وانما السلطان هنا بمعنى السلطة والمقدرة او كما نقول اليوم « الحكومة » ولم يرد بها الوزير علي بن عيسى اللقب الذي شاع فيما بعد بين السلاجقة والمماليك والاتراك وتسمى به كل من ملك منهم وقد كان يكفيه ان يتنبّه لقول علي بن عيسى مشيرًا الى مدينتي انطاكية وبيت المقدس « والبلدان في سلطاننا » (ص ٢١) ليعلم ان السلطان في الموضعين يعني ما كان تحت سلطة الخلافة العباسية وتدبير الوزارة العراقية .

١٠٧ ١ « فاستعديت عليه الى القاضي . . . فكتب لي عدوى الى صاحب المونة » وفي الحاشية : لعل الاصوب : اغدوا الى اي اذهبا غداة غد » وشتان بين هذا التسحّل والمعنى المراد في الاصل ولا نخال الا انه اساء قراءة لفظة عَدوى وهي بفتح العين طلبك الى الوالي ليُعديك على من ظلمك وينتصف لك منه والمقصود ان القاضي كتب له طلبًا الى صاحب المونة اي الوالي ان يقبض له على غريمه .

١٠٩ ١ « لا رحت رائحة الجنة » وفي الحاشية : لعله لا رُوّحتَ » ولا حاجة الى هذا التأويل والتبديل لان الاصل صحيح وهو من قولهم راح الشيء يريحه ريحًا اي وجد رائحته .

١٠٩ ١ « ولِمَ ولاي شيء اليّ » وفي الحاشية : كذا بالاصل » والصواب : ولِمَ ولا شيء اليّ وانما انا اعمل الحساب » اي لستُ مسؤولًا عن شيء سوى الحساب .

الصفحة	السطر	
١٠٩	٨	« يجيئونك بالتراويز فتسقطها انت » وفي الحاشية لعله : فتقسطها » وهو الصحيح ولكن فاته ان ينبه على ان معنى تقسطها هنا تعدلها وتمتدها حتماً
١١٤	٥	« ادخل فيه قوماً بالزمانات » وفي الحاشية : يريد بالضمانات » ولا ندري اين وجد ان الزمانة تجيء بمعنى الضمانة وانما مراد التنوخي ان ابن الفرات وضع من القضاء وادخل فيه قوماً بهم زمانات اي عاهات وآفات كالشلل ونحوه
١٢١	١٣	« اعد خطاه من حيث تقع عيني عليه من داري الى مجلس » وفي الحاشية : لعله داره » وهو تصحيح في غير محله لان القاضي كان ينظر الى الرجل ويعد خطواته منذ دخوله دار القضاء الى ان يبلغ مجلس الحكم
١٧٥	١٤	« ودفع الحساب عليها » اي على الجماعة وهي في لغة الدواوين جريدة المعاملات والرسوم وعلّق على قوله « دفع » لعله : ورفع » وهو خلاف المقصود والمعنى يقتضي « ووقّع اي صحّح الحساب ورسم عليه علامة بالقبول »
١٩٨	٥	« الى ان تنقضي المصيبة فاذا نفذت تقدمت وصيتي » وفي الحاشية : لعله سقط بانفاذ » اي تقدمت بانفاذ وصيتي وهذا التعليق في غير محله لان الاصل صحيح وانما بدّ له وزاد فيه سهواً وهو بالطرف : « اذا انقضت نفذت وصيتي »
٢٠٨	١	« جررت برجل اي من الدار حتى جررتني منها » وفي الحاشية : لعله حيث » اي بدلاً من « حتى » وانما التبست عليه كلمة حتى والاصل « من الدار التي جررتني منها »
٢٥٣	٥	« من غير مساعدة لاحد من اهل زماننا في معاونتنا بغير الثياب » وفي الحاشية : كذا بالاصل والمعنى غير واضح » ويتضح جيداً اذا اريد بالثياب كما هو الارجح الكسى التي جمعت وفرّقت على الاسرى الذين وقع عليهم الفداء يريد سيف الدولة انه لم يعاونه احد في هذا الفداء بغير الثياب وحدها وانه دفع من ماله ما لزمه في شراء الاسارى

ما اسقطه سهواً واعتباطاً

الاصل المطبوع		الساقط بعده
٢٧	١١	استقر في دورنا عند . . .	عند ابي
٦٦	٥	من الاسوقة	من مشهور الاسوقة
٧٠	٤	اذا اراد الله بقوم خيراً ولّى عليهم خيارهم وامطرهم المطر في اوانه	واذا اراد بقوم سوءاً ولّى عليهم شرارهم وامطرهم المطر في غير اوانه
٧٤	٨	امر المعتضد بالجرائد فاحرقت ظاهراً	ولم يقف على شيء منها
٧٩	٧	واخبرني	ايضاً
١٠١	١٠	كلما دخل جوف الاسد	الماء

الصفحة	السطر	الاصل المطبوع	الساقط بعده
١٤٢	١١	بدلاً من حب القطن . .	والنفط
١٤٣	١١	فقعلت ذلك	ومضت تلك الثياب الكثيرة الاثمان في هذا قال : وقال لي . . . .
١٤٥	١٨	توزن آجرّة كل واحد	منا
١٥١	٩	اعظمه اعظاماً	تاماً
١٦٤	٤	علي السراج	القاضي
١٦٥	٥	رجل حر كريم	كبير
١٧٠	٦	لئلا يراني	قد رأيت ذلك منه فكنت اجلس بحيث ان اسمع ولا يراني فيطالب
١٨٠	١	فيكرمونك .	لهُ
١٨٤	١٠	وقال له تسخر مني	يا هذا هوذا تسخر مني
٢٠٣	١	وغت وقد مضى نصف الليل	وقتُ
٢٢٢	١٩	خذ هذه واصلح	امرك وتوسع بها في نفسك ثم قال : هاتم ثلثين الفاً فجاؤوا بها وقال : خذ هذه فاصلح بها امر بناتك
٢٥٥	١٣	فانشدته ابياتاً عملتها في الحال	وهي :
٢٦٥	١٣	انا وغيرنا	من العرب
٢٦٩	٦و٧	حوّل مولد نفسه السنة	في السنة
٢٧١	٥	وتوقيت بعد ذلك مؤاكلته فقال ابي ما كان في حالي وحيتك جاهي	١ من الجليّ الظاهر ان في هذا القول كلاماً ساقطاً او تخليطاً شيئاً ولذلك علّق عليه بعد لفظة « مؤاكلته » : «يظهر ان هذه حكاية ذهب صدرها ويوجد في الفخري ما يشبهها» ومن الغريب جداً ان يكون مرجليوث هو الذي اذهب صدر الحكاية واحدث هذا التخليط لان العبارة الاولى حتى قوله : « مؤاكلته » واردة في ختام حكاية البريدي وقد علّق عليها التنوخي حكاية اخرى عن كرم ابي عبدالله بن جعفر بن القاسم الكرخي على مائدته خلافاً للبريدي رواها له ابوه وهذا نصها نقلاً عن الاصل المخطوط الساقطة منه غفلة وسهواً بعد اسطر ثلاثة في الاعتذار عن بخل البريدي) : «قال ابي :

ما كان ابو عبدالله بخيلًا على الطعام وانما كان نهماً شديد الجوع وكان في اول أكله والى وسطه يلحقه هذا النهم وربما اطلق هذا فيظن من لا يعرف طبعه انه بخيل ويحتاج من يؤاكله الى التقدير حتى يمضي نصف اكله فاذا مضى نصف اكله انبسط وانطلق وجهه وساءه وغمّه ان يقصّر من يحضر في مؤاكلته وقال: هوذا ينسبونني الى البخل لِمَ لا يأكلون؟

٥ ١) ولكن ابا عبدالله بن جعفر بن القاسم الكرخي هو الجواد على الطعام والمال لقد دخلت اليه يوماً بالاهواز وهو عاملها اقلب عليه ثياباً ولم يكن بيننا معرفة فاخذ منها ما اراد ووافقني على الاثمان وطال جلوسي عنده فجاء غلامه باطباق فاكهة ففست فقال: ما هذا الخلق الشبطي يا ابا الحسن؟ اجلس فجلست فاخذت في الاكل وكنت جائعاً فاقبلت آكل كُمّثراة كمّثراة في لقمة وخوخة خوخة في لقمة وتينة وتينة في لقمة وهو ينظر الى ذلك ويستحسنه ويضحك منه ويعجبه وكان ضيف الاكل جداً وكلما جئت لاقطع حلف علي ولقّمني بيده ثم شيلت الفاكهة وجاؤا بالطعام وكانت هذه صورتي عنده وانصرفت (f° 182 v°) فلما كان من غد نصف النهار وكنت جالساً في دكاني بالبزّازين فاذا بفرّاش ومعه غلام تحته بغل فقال: العامل يطلبك فلم أدرِ ما هو فركبت البغل وصرت اليه واذا المائدة منصوبة وهو ينتظرني

١) هذه الحكاية تابعة لحديث ابي الحسن مطهر بن اسحق بن يوسف الاهوازي ويؤخذ من كلامه انه كان بزّازاً.

فقلت: ما يأمر الاستاذ ايّده الله ؟ فقال اني استطبت مؤاكلتك بالامس واكلت فضلاً عما جرت به العادة فلما قدّمت اليوم المائدة لم اتهنأ بالاكل فعزلتها واستدعيتك واريد ان تجيء في كل يوم قال : فكنت اتأخر في الايام فيعاتبني وينفذ الي بغلاً اركبه وولّد ذلك لي محلاً عظيماً في البلد وجاهاً وكسبت به عليه في البز وغيره مما اراد شراءه من جميع ما كان يحتاج اليه في داره مالاً جليلاً

(وبلي هذه الحكاية في الاصل المخطوط حكاية اخرى وردت في معجم الادباء (١٠٠:١) وفات الطابع الاشارة اليها وهي التي بتر اولها ونسي ان ينقل منه ثلاثة اسطر وهي) :

« حدثنا ابو العباس هبة الله بن المنجم قال : سمعت ابا عبدالله الموسوي يقول : قصدني ابو جعفر محمد بن يحيى بن شيرازاد في ايام تدبيره الامر قصداً قبيحاً وعمل لي كتاباً بمؤامرة في خراجاني بمائة الف درهم اكثرها واجب علي وباقيها كالواجب واحضرني للمناظرة عليها فاعتقلني في داره فضقت ذرعاً بما نزل بي وعلمت ان المال سيؤخذ مني اذا نوظرت وانه يؤثر (f° 183r°) في حالي . . .

٢٧٢	٤	ما أخاطبك مما في نفسي ولا فيما اردت	بشيء مما في نفسي ولا مما اردت
٢٧٢	٩	الى ان مضى	لسبيله
٢٨٣	١٧	وأيت ان الثوب يفوتني	يريد ان يفوتني (اي جمع ان يفوتني)

وهناك مواضع أخر اغفلناها على ارتيابنا منها لاننا لم نكن منها على ثقة في تصويبها او لان المرحوم احمد تيمور باشا نبّه عليها في مقالته « الالفاظ العباسية » .

R. Devreesse, *Le patriarcat d'Antioche, depuis la paix de l'Eglise jusqu'à la conquête arabe*, (Coll. « Etudes palestiniennes et orientales») XXIX-340 pp., Paris, Gabalda, 1945.

دوفريس — بطريركية انطاكية : منذ سلم الكنيسة الى الفتح العربي

من « مجموعة الدراسات الفلسطينية والشرقية »

باريس سنة ١٩٤٥

لم يتوفر بعد العهد البيزنطي الاول ما توفر للعهد الروماني قبله ، من ثبت دقيق مفصل عن ابرشياته ومن تولاها من الاساقفة — اللهم سوى المؤلف الشهير الذي خلفه لوكيان عن « الشرق المسيحي » — الا انه يصعب التدقيق في صحة اللوائح التي اثبتها لوكيان نظراً لان مستنداتها بعيدة وعزيزة . واذا كتاب المونسنيور دوفريس يسد هذا الفراغ ففي قسمه الثاني تاريخ المقاطعات الاكليريكية والابرشيات والكنائس مع ثبت بمن تولاها ، في ذاك « المربع الكبير » المنبسط من خليج اضاليا الى الفرات ، ومن الفرات الى عكا ، ماراً بالساحل الغربي من البحر الميت . ولقد وجد المؤلف القسم الاكبر من اسانيده في المؤلفات اليونانية والسريانية ، الا انه افاد كثيراً مما اوضحته الحفريات الاثرية بحيث استطاع ان يرسم لوحة لم يُسبق اليها بعد عن مدى انتشار الطوائف المسيحية ، الارثذكسية وغيرها ، وطابعها وتاريخها — ضاماً الى ذلك الفهارس المفصلة والرسوم الجغرافية التي تسهل البحث والتفتيش .

على ان الكتاب ليس مجرد لوائح جديدة وتامة . فان فصوله السبعة الاولى «تبسط موجزاً تاريخياً عاماً للبطريركية الانطاكية منذ ان تمتعت الكنيسة بالسلم حتى توطد الاسلام» وبالرغم من ان هذه الحقبة من تاريخ الكنيسة كانت بالغة الاضطراب ومن اليسير على المؤلف ان يقودنا بثقة خلال ما اثارته بدع اريوس ونسطوريوس ويعقوب الرهاوي اذ انه قد استحكم الاصول والاسانيد استحكاماً يعز على الكثيرين ، ويرسم لنا فترات السلم التي تمتعت بها كنيسة انطاكية بين ٣٨٠ و٤٣٠ اي في زمن اجل ملافنتها امثال ديودور الترسوسي ، ويوحنا فم الذهب . واما الفصل السابع فيعرض احوال الشعب عند الغزو العربي معدداً

العوامل التي افسحت له في المجال. وكل هذا مما يهم التاريخ البيزنطي والتاريخ الكنسي في الشرق.

وللمؤلف نظريات جديدة قد احكم استنتاجها مما اتاحته الدراسات الاثرية واللغوية الحديثة — فالمؤلف يطيل البحث في الفصلين ١٣ و١٤ في «المقاطعة العربية» ومقاطعة سوريا الشرقية، وكان قد تطرق المؤلف ذاته الى هذا الموضوع في بحثين نشرتهما له مجلة Vivre et Penser، التي صدرت اثناء الحرب بدل مجلة ابحاث الكتاب المقدس (Revue Biblique). وان الفصول التي خصها بمنطقتي وادي الفرات وما بين النهرين، وتاريخ المسيحية فيها تهم كل شرقي، مثل النظريات العامة التي قدمها تحت عنوان «العرب. الفرس، والعرب الرومانيون، اي بني لخم والغساسنة» وجدير ان ننوه برأيه عن الغساسنة (ص ٢٧٧) حيث يوضح ان تقدير الحكام الروم للغساسنة لم يكن بحيث يكلف الامبراطور جوستنيان هؤلاء البدو وحدهم مهمة صد الفرس عن الحدود الصحراوية.

وجدير كذلك ان ننوه بشكه في تأويل التاريخ المحفور على قبر امرئ القيس — فالمرجح ان هذا التاريخ لا يعود الى الحساب العربي المعهود يومذاك

ر. م.

G.E. Grunebaum, *Medieval Islam*. A Study in Cultural Orientation. In-8°, VIII-362 pp., 1 carte, The University of Chicago Press, 1946.

فون كرنباوم — الاسلام في العصور الوسطى — بحث في الاتجاه الثقافي

جامعة شيكاغو سنة ١٩٤٦

هذه مجموعة محاضرات عامة القاها الاستاذ فون كرونباوم في ربيع سنة ١٩٤٥ في جامعة شيكاغو، كاد جل اهتمامه فيها ان يرسم للاسلام في اوجه لوحة واضحة ودقيقة، دون ان يحصر البحث في التاريخ، ولا في الادب ولا في الاقتصاد، بل يستعين المصادر التاريخية والادبية المعروفة ليجلو ماذا كانت الثقافة العربية يومذاك.

يقابل المؤلف بين الاسلام في العصور الوسطى وبين الغرب والشرق المسيحي وكانوا ثلاث كتل تتقاسم النفوذ في الحوض المتوسط على شكل ثابت يكاد

لا يتحور . مبيناً كيف كانوا عبارة عن حضارات ثلاث تجهل بعضها بعضاً على كونها جميعاً من جوهر واحد ذاك بان كل واحدة مكتفية بما عندها . فالاسلام يؤلف وحدة اقتصادية ويعتبر نفسه محور العالم . والامبراطورية البيزنطية تعيش على ميراث القياصرة والارثذكسية ؛ في حين كان الغرب يساوره العجب بايمانه الجديد وبقوته المتصاعدة .

ويمضي المؤلف بتفهم الاسلام فيدرسه في اصوله مفرقاً بين الحقيقة التاريخية في نطاقها الشرعي الثابت ، وبين ما انتجته تقوى الجمهور .

اما ما كان عليه المجتمع الاسلامي في ذاك الوقت فيتراءى انه النظام الطبقي المعهود في الغرب ، تعيش كل طبقة منكمشة على ذاتها ، وقيمتها ومنزلتها مستمدة من العلم والدين ، اكثر منها مما تؤديه من خدمات . على ان المؤلف يغالي نوعاً في ذلك معلقاً اهمية فائقة على كتب نظرية مستوحاة من اليونانية .

وفي الفصل الاخير ، وهو اطول ما في الكتاب وابلغه اهمية ، يحاول ان يستخلص المثل الانسانية في ذاك الوسط من خلال الاثار الادبية . واميز طوابعها تفكير متشعب الاصول والاتجاه ، وغني بالالفاظ دون المعاني ، وغيار الشخصية .

ولعل المسلم اذاك كان يقدر الراحة والاطمئنان اكثر من فرح التطور والتقدم . ذاك انه يعيش في وسط عالم منظم ، تحددت فيه الحقوق والواجبات . ثم انه امين الى مصيره ما دام لا يخرج على ارادة الله ، واما اذا ارتكب بعض المعصيات ، فشفاعة النبي كافية .

ولعل هذه النتيجة التي وصل اليها المؤلف تعبر عن حالة بلغ اليها الاسلام في ذروته ، ولكن ذلك لم يكن شأنه في القرون الاولى من حياته .

بقي ان نقول ان هذا الكتاب يقرأ بلذة ويتيح لقارئه ان يكون فكرة عامة مصيبة في الاجمال عن عالم يجهله الكثيرون من الغربيين بل الشرقيين ايضاً .

ا . د .

المشرق

السنة الثانية والاربعون — نيسان – حزيران ١٩٤٨

مزاعم المؤرخين العباسيين

في وصف شرّ الامويين

معاوية بن ابي سفيان وزياد بن ابيه وسليمان بن عبد الملك

بقلم حبيب زيات

لم يكتف العباسيون حين أدالهم الدهر من بني امية بتتبع رجالهم بالقتل والافناء والتشريد وتقويض ابنيتهم ومصانعهم وانتهاك حرمة قبورهم لاحراق رمهم وتذرية رمادها في الريح بل تعمدوا ايضاً ازالة كل ذكر لهم وتشويه كل خبر عنهم وتعفية كل اثر من آثارهم في ما عدا المساجد بيوت العبادة كالجوامع الاموية بدمشق وحلب وبيت المقدس وقد اتهم المأمون مع فضله وجلالة قدره وانصافه بنزع اسم «عبد الملك» بن مروان من قبة الصخرة وإزال اسمه «عبدالله» مكانه قال صاحب مرآة

الزمان وقد قرأ الكتابة الاصلية مراراً « واين ايام عبد الملك من ايام المأمون ؟ بينهما نحو من خمسين ومائة سنة »[1] وشهد ان ذلك من فعل بعض الجهال في ايامه . ولا شك ان هذه الضراوة على طمس كل حديث صحيح عن الامويين كانت ايضاً هي العامل الاكبر في تبديد كل الكتابات وابادة كل السجلات القديمة والدفاتر الباقية من تركة الخلفاء الدمشقيين بحيث لم ينتهِ الينا من اخبار ذلك العهد مؤلف واحد يمثل لنا تلك الايام ويحكي بغاية الصدق والحقيقة ما تقدم من الانباء والوقائع ويصف اخلاق من درج من الرجال والقبائل وصفاً منزهاً عن كل تعصب وهوى ولما كان الناس على دين الملوك في كل زمان ومكان تقرب الكتبة والمؤرخون والقصاص والمحدثون من رضى العباسيين بوضع الاخبار والمقالات في رواية الحوادث وذمت الرجال على الوجه الذين كانوا يعلمون انه اجدر بالحظوة لدى السلطان وابلغ في الغض من الدولة البائدة ولذلك لا نكاد نجد اليوم في كل هذه الاسفار التي ورد فيها شرح اخبار الامويين اقل انصاف واعتدال في الكلام عليهم فضلاً عما هنالك احياناً كثيرة من الطعن واللعن والازراء وسوء الثناء او المجازفة والاختلاق في نقل الروايات وايراد النوادر والنكات .

ومن هذه الاخبار والاوصاف التي ذهب فيها الاغراق كل مذهب وتبارى الندماء والسمار في التنادر بها في مجالس دار السلام وحلقات القصاص وصف نهم معاوية بن ابي سفيان وزياد بن ابيه وسليمان بن عبد الملك خاصة ورووا ما شاؤوا في مقدرتهم الخارقة على الازدراد والهضم الى حد يفوق كل امكان ويتجاوز كل ادراك .

وقد اشتهر عندهم معاوية بشدة الشره والاكثار من الطعام على غلظه حتى ضرب به المثل عندهم في سعة البطن كالهاوية كأنهم نظروا الى ان نصف اسمه « معا » فقدروا ان نصف جسمه امعاء قال ابو محمد القزويني الضرير في رجل اكول .

وصاحب لي بطنه كالهاوية كأن في امعائه معاوية[2]

١) مرآة الزمان لسبط ابن الجوزي خزانة بريتش موزيوم add 232,77 f. 2

٢) البغية للثعالبي طبعة دمشق ٣:٢١٦

وزعم البلاذري ان الرسول دعا معاوية يوماً وهو يأكل فابطأ فقال لا اشبع الله بطنه فكان يقول لحقتني دعوة رسول الله وكان يأكل في اليوم سبع اكلات واكثر واقل[1] واورد ابن الطقطى ما كان شائعاً متناقلاً عنه في ايام العباسيين من الخوارق والغرائب فقال :

« كان معاوية رضي الله عنه نهماً شحيحاً عند الطعام على كرمه وسماحته فاما نهمه فقالوا انه كان يأكل في كل يوم خمس اكلات آخرهن اغلظهن ثم يقول : يا غلام ارفع فوالله ما شبعت ولكن مَلِلت وروي انه أصلح له عجل مشويّ فاكل معه دستاً من الخبز السميذ واربع فراني وجدياً حاراً وآخر بارداً سوى الالوان ووضع بين يديه مائة رطل من الباقلى الرطب فاتى عليه »[2] .

ومن الغريب جداً جواز مثل هذا التخريف على ما تبين فيه من البعد والاستحالة وكان معاوية لا يجهل ما تورثه البطنة من الاسقام والعلل قيل سأل مرة رجلاً عن ابن له أكول فقال له : اعتلّ فقال معاوية : مثله لا يعدم علة[3] فهل يعقل انه كان يعلم هذا العلم ويعرّض نفسه للمرض وقصر الاجل راضياً مختاراً مع شدة حرصه على طول الاستمتاع بالملك والخلافة ؟

وحكى البلاذري ايضاً عن عبيدالله بن زياد بن ابيه انه كان « اكولاً يأكل في اليوم خمس اكلات آخرها جبنة بعسل توضع بين يديه بعد فراغه من الطعام وكان يأكل جدياً او عناقاً يتخيّر له في كل يوم فيأتي عليه زُمرٌ بالطف فقال رجل من بني اسد : أتتغدّى اصلح الله الامير ؟ فأكل عنده عشر بطات وزبيلاً من عنب ثم عاد واكل عشر بطات أخر وزبيلاً من عنب وجدياً »[4] .

ولا شك ان نسبة ابن زياد الى بني امية أكسبته عند العباسيين هذه التهمة الطائلة .

وابن شهرة معاوية وابن زياد من شهرة سليمان بن عبد الملك بالشره والافتراس عند مؤرخي العباسيين وحسبنا للدلالة على مغالاتهم وتهويلهم في

١) فتوح البلدان طبعة اروبة ٢ : ٤٧٣
٢) الفخري طبعة مصر ٩٨ ونهاية الارب للنويرى ١ : ٣٤٣
٣) عيون الاخبار لابن قتيبة ٣ : ٣٢٨
٤) انساب الاشراف ٤ : ٨٦

شأنه ان ننقل ما حكاه اثنان فيهم فقط وهما ابو الفرج ابن الجوزي وابو المظفر بن قزغلي[1] اي الجدّ والسبط في كتابيهما المشهورين: المنتظم ومرآة الزمان.

قال ابو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي باسناده الى عبدالله بن الحارث:

« كان سليمان بن عبد الملك اكولًا . وكان بينه وبين عبدالله وصلة قال: قال لنا سليمان يوماً: « اني قد امرت قيم بستان لي ان يحبس عليّ الفاكهة ولا يجني منها شيئاً حتى تدرك . فاغدوا علي مع الفجر — يقول لاصحابه الذين كان يأنس بهم — لنأكل الفاكهة في برد النهار » فغدونا في ذلك الوقت وصلى الصبح وصلينا ثم دخل فدخلنا معه فاذا الفاكهة متهدّلة على اغصانها واذا كل فاكهة مختارة قد ادركت كلها فقال: كلوا: ثم اقبل عليها . فاكلنا بمقدار الطاقة واقبلنا نقول: « يا أمير المؤمنين هذا العنقود » فيخرطه في فيه « يا امير المؤمنين هذه التفاحة » كلما رأينا شيئاً نضيجاً اومأنا اليه . فيأخذه فيأكله حتى ارتفع الضحى ومنع النهار . ثم اقبل على قيم البستان فقال: « ويحك يا فلان اني قد استجعت فهل عندك شيء تطعمنيه ؟ قال: نعم يا امير المؤمنين عناق حوليّة

---

١) جاء في حاشية شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي (٥ : ٢٦٦) تعليق لطابع الكتاب على وفاة ابي المظفر سبط ابن الجوزي سنة ٦٥٤ زعم فيه ان صحة اسمه يوسف بن فرغلي (بالفاء والغين) قال: « في الاصل (قزغلي) وفي كثير من كتب التاريخ كالنجوم والاعلام وابن الجزري (قزأوغلي) وكلاهما مما يتصحف منها خطأ ويسمى بعضهم لتعليله تعليلًا اعجمياً فاسداً والصواب (فرغلي) كما في نسخة قديمة من الوافي بالوفيات وابن خلكان وغيرها من كتب الادب »

وقد عنّ لنا ونحن في اكسفرد ان نبحث في خزانتها في نسخة من الوافي بالوفيات عن صحة هذا الاستدراك فكان اشد دهشنا حين وجدنا الصفدي يقول في ترجمة ابي المظفر ما نصّه بالحرف ننقله لما فيه من الاشارة الى مجازفات صاحب مرآة الزمان وهي بعض موضوع مقالتنا الحاضرة قال:

« يوسف بن قزغلي بالقاف والزاي والغين المعجمة واللام ابن عبدالله الامام المؤرخ شمس الدين ابو المظفر . . . سبط ابن الجوزي . . . وكان والده قزغلي من موالي الوزير عون الدين بن هبيرة . . . ويقال في والده زغلي بحذف القاف » ثم اشار الى مرآة الزمان فقال: « وانا ممن حسده على النسبة وهي لائقة بالتاريخ كأن الناظر في التاريخ يعاين من ذُكر فيه في مرآة الا ان في المرآة صدأ المجازفة منه رحمه الله تعالى في اماكن معروفة »
(Seld. arch. a. 29 fol 115)

حمراء » قال : « أئتني بها ولا تأتني معها بخبز » فجاء بها على خوان لا قوائم له وقد ملأت الخوان فاقبل يأخذ العضو فيجيء معه فيخرطه في فيه ويلقي العظم حتى اتى عليها ثم عاد لاكل الفاكهة واكل ملياً ثم قال للقيم : « هل عندك شيء تطعمنيه ؟ قد جعت. » قال: « عندي سويق كأنه قطع الاوتار وسمن وسكر » قال: افلا اعلمتني هذا قبل ؟ ائتني به وأكثر » فجاء بقعب يقعد فيه الرجل وقد ملأه من السويق قد خلطه بالسكر وصب عليه السمن واتى بجرتي ماء بارد وكوز فاخذ القعب على كفه واقبل القيم يصب عليه الماء فيحركه حتى كفأه على وجهه فارغاً ثم عاد الى الفاكهة فاكل ملياً حتى هجرت عليه الشمس ودخل وامرنا ان ندخل الى مجلسه فدخلنا وجلسنا فما مكث ان خرج علينا فلما جلس قام كبير الطباخين حياله يؤذنه بالغداء فأومأ ان إيتِ بالغداء فوضع يده فأكل فما فقدنا من اكله شيئاً »[1].

ولم يقنع المؤرخون العباسيون بنقل هذه الحكاية دون اقل إنكار لها بل ارادوا الإكثار من نظائرها ورواية ما يقرب منها وحياكة نسج على منوالها في الطائف في قصة اسندوها الى الشمردل وكيل آل عمرو بن العاص قال فيها :

« قدم سليمان بن عبد الملك الطائف وقد عرفت شراهته[2] فدخل هو وعمر بن عبد العزيز وايوب ابنه بستاناً لعمرو قال : فجال في البستان ساعة ثم قال : ناهيك بما لكم هذا مالا لولا حرار فيه . فقلت : يا امير المؤمنين انها ليست بحرار ولكنها جُرُب الزبيب . فجاء حتى القى صدره على غصن ثم قال : ويلك يا شمردل أما عندك شيء تطعمني ؟ قلت : بلى والله ان عندي لجدياً تغدو عليه بقرة وتروح اخرى . قال : اعجل به . فاتيته به كأنه عُكّة وتشمر فاكل ولم يدعُ ابنه ولا عُمر حتى ابقى فخذاً فقال: يا أبا حفص هَلُمَّ . قال: اني صائم ثم قال: ويلك يا شمردل اما عندك شيء ؟ فقلت: بلى والله . دجاجات ست كأنهن رِئلان النعام فاتيتهُ بهنّ فكان يأخذ رجل الدجاجة حتى يُعرِي عظمها ثم يلقيها بفيه حتى اتى عليهن ثم قال : ويلك اما عندك شيء ؟

١) جزء من المنتظم في تاريخ الملوك والامم في خزانة اكسفرد :
Bodleian Library, Arab. Poc. 255 fo 4

٢) في الاصل المطبوع « شجاعته » فاصلحناها

فقلت : بلى والله : ان عندي لحريرة كقُراضة الذهب . فقال : اعجل بها . فاتيتُهُ بعس يغيب فيه الرأس فجعل يتلقّفها بيده ويشرب فلما فرغ تجشأ كأنه صاح في جب . ثم قال : يا غلام أفرغتَ من غدائنا ؟ قال : نعم . قال : وما هو ؟ قال : نيّف وثمانون قدراً . قال : فأتني بها قدراً قدراً . فاتاه بها وبقناع عليه رُقاق فاكثر ما أكل من قدر ثلاث لقم واقل ما اكل لقمة ثم مسح يده واستلقى على فراشه واذن للناس ووضعت الخوانات فجعل يأكل مع الناس »[1]

وابلغ من ذلك ما رواه ابو المظفر بن قزغلي وكأنه اراد ان يربي على ما حكاه جدّه فقال بكل يجدّ :

« سليمان بن عبد الملك . . . قال الواقدي كان شرهاً اكولا يأكل في اليوم الواحد مئة رطل (كأن القنطار ستة في الامويين) ويتناول في ساعة واحدة اربعين رقاقة مع عدة خرفان . . . وقال هشام : كان الطباخ يأتيه بالسفافيد وعليها الدجاج المشويّ فيدخل يده في كمّه وعليه ثياب الوشي فيمسك السفود بيده ويأكل منه اربعين دجاجة . وقال المدائني : حجّ سليمان فقال لقيّمه على طعامه : أطعمني من خرفان المدينة . ودخل الحمام وخرج وقد شوى له اربعة وثمانين[2] خروفاً فاكل من كل خروف جارحة مع شحم كلية حتى اتى على آخرها . ثم دعا الناس الى الطعام فاكل معهم مثل ما كان يأكل واتى الطائف في حجّته فسأله ابن ابي زهير الثقفي ان ينزل عليه فنزل فجاءه برمّان فأكل منها مئة وسبعين رمانة وخروفاً وست دجاجات وعشرين رقاقة ثم اكل مع الناس .

« قال الاصمعي كنت حاضراً عند الرشيد يوماً فجيء بصناديق من ذخائر بني امية ففتح صندوقاً منها فوجد فيه ثياب الوشي وقد سال الدهن على صدورها واكمامها . فسأل الناس عن ذلك فلم يجد عندهم علماً وكان عنده رجل

١) عيون الاخبار لابن قتيبة ٣ : ٢٢٧-٢٢٨ والعقد الفريد لابن عبد ربه طبعة مصر ١٩٤٦ ج ٤ : ٤٣١-٤٣٢

٢) مرآة الزمان . خزانة بريتش موزيوم add. 23277 fol. 116a

من بني امية فقال : يا امير المؤمنين هذه ثياب سليمان بن عبد الملك كان شرهاً اكولاً »[1]

وفي شهادة الاصمعي نظر لا يخفى على الناقد البصير لان بين الرشيد وسليمان نحو نصف قرن ويبعد جداً ان تكون مثل هذه الثياب المتسخة بالدهن حُفظت كل هذه المدة بين الذخائر وسلمت من كل نهب وضياع وبلى وآفة بين كل الفتن والحروب والوقائع التي توالت على دمشق في خلال هذه السنين فضلاً عن ان الخلفاء لم يكونوا يضنون بمثل هذه الملابس ويذخرونها دون ان يخلعوها على خدمهم وبعض الوافدين عليهم وقد اعتاد بعض الخاصة ان يجودوا حتى بقميصهم وسراويلهم على سائليهم ومستميحيهم . واذا اتفق ان بعض ثياب سليمان بن عبد الملك حفظت يوماً فمن الغريب ان يكون العباسيون تكلفوا نقلها من دمشق الى بغداد دون ان يعلموا ما في صندوقها ويهبوه لبعض رجالهم او يكون هذا الصندوق بقي مقفلاً كل ايام السفاح والمنصور والمهدي والهادي حتى يكون الرشيد اول مطّلع على ما فيه فلا ريب ان هذه الشهادة موضوعة لاثبات تهمة سليمان بالشره والقذارة .

وكأن المدائني لم يقنع بكل ما حشاه في ساعة واحدة في جوف سليمان من الرقاقات والدجاج والخرفان والرمان وعنده ان المعدة الاموية تتسع لما فوق ذلك فاضاف الى ما تقدم نادرة بل معجزة اخرى فقال فيما نقله ابو المظفر ايضاً في ترجمة سليمان :

« اتاه دهقان بدابق ومعه زنبيل مملوء بيضاً وآخر تيناً اخضر فقدمه اليه فجلس يقشر البيض ويأكل كل بيضة بتينة حتى اتى على الزنبيلين ثم اتوه بقصعة مملوءة مخاً مخلوطاً بالسكر فاكل الجميع وكان قد أكل قبل التين والبيض

---

١ روى المسعودي في مروج الذهب بعض هذه الاقاصيص الشائنة في زمانه ولكنه ذكر ان الخرفان المشوية التي قُدّمت له بعد حمامه كانت عشرين فما لبثت العشرون ان اصبحت اربعة وثمانين

والمخ ثلاثة وستين شاهلوكة[1] وهي عين البقر »[2]

ومن العجيب ان يكون عدّ الخوخ ولم يعد التين والبيض مبالغة في الضبط والدقة في الرواية ولكن المدائني لم يكن ليجهل ان المعى الذي اتسع لمثل هذه التلال من الطعام والفاكهة ولو كان معىً امويا لا بد له ان يعجز يوماً ويخون صاحبه ولذلك لم يرَ مناصاً مع ما اشتهر من موت سليمان بعد نوبة من السعال والحمى عرضت له وهو يخطب على المنبر[3] من ان يزعم انه بعد ان ابتلع ما ابتلع « مرض واتخم ومات ».

وهكذا وعلى مثل هذا الشكل من المجازفة والتعصب وقلة الانصاف دوّن المؤرخون العباسيون اكثر اخبار الخلفاء الامويين.

---

١) الشاهلوكة هي الاجاص ويعرف ايضاً بالشاهلوج بالجيم المصرية ويقال له في الشام الخوخ . وعين البقر صنف منه اسود وفي مروج الذهب للمسعودي ان الشاهلوج اسم فارسي وتفسيره ملك الاجاص

٢) مجلد من مرآة الزمان . خزانة اكسفرد غير مرقوم 9 oc. arab. 371

٣) قال الصفدي في كتابه « تحفة ذوي الالباب : كان قد عرضت له سمنة وهو يخطب بدابق فنزل وهو محموم فما حانت الجمعة الاخرى حتى دفن » (خزانة باريس ٥٨٢٧ ص ٣٣) ونقل مثل ذلك في الوافي بالوفيات رقم ٢٠٦٥ من خزانة باريس ص ٦٦

الشعوب السامية والتوحيد*

بقلم

الاب جان سنتاركي عضو المعهد الفرنسي للآثار في بيروت
والاستاذ في المعهد الكاثوليكي في باريس

لما كان الشرق السامي مهد الاديان الثلاثة التي تعلم التوحيد ، تساءل العلماء عما اذا لم يكن التوحيد عقيدة شائعة بين الشعوب السامية . عن هذا السؤال اجاب رينان بالايجاب ، والى هذا الرأي يميل العلماء اليوم ، وان عدلوا فيه بعض التعديل ، بعد ان اعرضوا عنه زمناً .

وقبل الاسترسال في البحث ، لا بدَّ لنا من بعض ملاحظات لغوية وتاريخية .

لفظة « إل » ومشتقاتها .

ان اللغات السامية القديمة تعبر عن معنى « اله » بلفظة « إل »[1] او « إلُم » . وقد وردت هذه اللفظة بصيغتها الاولى عند العبرانيين والفينيقيين ، وبصيغتها الثانية عند الساميين الشرقيين كالاكاديين والاشوريين والبابليين[2] . ووردت كذلك بصيغة « إله » عند الآراميين والعرب ، ولا يجهل الساميون الغربيون كالفينيقيين والعبرانيين هذه الصيغة الاخيرة من ذلك ان التوراة تستعمل لفظة « إلهيم »[3] للدلالة على الله ، وهي جمع « إله » للتفخيم . وان الفينيقيين يؤثرون

---

*) هذا البحث خلاصة محاضرات ألقاها المؤلف في معهد الآداب الشرقية ، ونقلها الى العربية الاب ميخائيل ضومط ، فظهرت في شكلها هذا ، وبشهادة المؤلف نفسه ، اقرب الى الموضوع الذي شاء استجلاءه في محاضراته (المشرق) .

١) كتبنا هذه الاسماء كما وردت في الكتابات الاثرية دون التعرض للصيغ التي وردت فيها في مختلف الآثار الادبية وكتبنا الالفاظ العبرانية بموجب القواعد التي اثبتها اللغوي جوون P. Jouon s.j. .

٢) يطلق اسم « الاكادية » اليوم على كل اللهجات السامية الشرقية .

٣) كتبنا بصورة الفتحة الممدودة (مثل الفتحة اعلاه) او بصورة حرف المد الحركة «ـَـ» في العبرانية والفينيقية لان اصلها فتحة ممدودة .

لفظة « إليم » بمعنى اله وهي جمع « إل » للتفخيم ، واذا ارادوا « الآلهة » قالوا: « إلن » او « إلنيم » او غيرهما.

اصل لفظة « إل ».

اما اصل لفظة « إل » فلما يتضح . وربما اشتقت هذه اللفظة من الثلاثي « .ول » او « .يل » نظرًا لان الحركة اغلب الظن ممدودة ؛ من هذا الاصل اشتقت في العربية « اوّل » ، ووردت لها مشتقات اخرى تتضمن معنى الاولية ، منها في العبرانية «إلن» (الشجرة الكبيرة) و«إله» (المفرد) «و إليم» (الجمع) بالمعنى عينه، وربما كانت منها « الألاءة » في العربية . ووردت « إليم » في العبرانية ، مجازًا ، بمعنى « الكبار » مطلقاً . وبين هذه الصيغ والصيغ الدالة على معنى « اله » شبه بيّن . وهناك سلسلة اخرى من المشتقات تدل على قادة القطيع من الحيوان منها في العبرانية والعربية لفظة « ايّل » بالمعنى المعروف . من هذا وغيره يستنتج ان معنى الاولية مما ينطوي عليه اصل لفظة « إل ».

الشعوب السامية

اليك ، بعد هذه الملاحظات اللغوية ، لمحة عن الشعوب السامية ، لبيان الزمان والمكان.

اغلب الظن ان الساميين جميعهم تحدروا من قبائل بدوية ظهرت في قديم الزمان في الجزيرة العربية . واغلب الظن ان هذه الجزيرة دفعت على مرّ العصور الى سهول العراق وسورية موجات من البشر ، نمت وتكاثرت بعد ان تبلدت في منازلها الجديدة . وقد تكون هذه الموجة او تلك تدفقت بعنف ، لم يقو على صدّه الحضر فدانوا للبدو.

من هذه الموجات ، موجة اتجهت شطر مصر ، في اواخر الالف الرابع . واليها ترقى سلالة ملوك مصر الاقدمين . عهد ذاك كان العراق بيد السومريين ، من غير الساميين . اما هؤلاء فلا اثر لهم في العراق قبل الالف الثالث في هذا العهد (حوالى سنة ٢٥٠٠) ظهر سرجون الاول ملك اكاد (شمالي بغداد) واسس ملكاً وتقدّم شطر الغرب ، حتى « غابة الارز » وفي العهد عينه نزلت على شاطئ

المتوسط فئة اخرى من الساميين هم الفينيقيون والكنعانيون[1] ومن اشهر مدنهم صور وصيدون وبيبلوس واوغاريت (رأس شمرا).

استرجع الساميون العراق ، بعد نهضة سومرية ، على يد القبائل الامورية الزاحفة من الجزيرة . والى الاموريين ترقى سلالة ملوك بابل الاولى ، التي اشتهرت باحد افرادها ، حمورابي ، واضع الشرع المعروف . بسط الاموريون سلطتهم حتى بلاد اشور (ناحية الموصل) ونفوذهم حتى كبادوقية (شمالي قيليقية) وتكلموا ، وهم بعد بدو ، بلهجة سامية غربية قريبة من العربية كما تشهد بذلك اسماؤهم ، وبعد نزولهم البلاد ، تكلموا بالاكادية .

وقامت ، على تخوم البادية ، اواخر الالف الثانية ، دويلات للآراميين اشهرها دويلة دمشق . وقد عمت لغتهم ، بعد سقوط بابل في يد الفرس (سنة ٥٣٨ ق م) ، الشرق كله من ذلك العهد الى الفتح الاسلامي ، الذي يعد آخر هذه الموجات المتعاقبة واعنفها

على ان ذكر العرب في التاريخ يرقى الى القرن التاسع قبل المسيح . وقد اقلقت غزواتهم ملوك اشور . بيد انهم لم ينزلوا بكثرة بين الاموريين الا قبيل ظهور المسيحية ، عندما استت قبيلة الانباط مملكة البترا (شرق الاردن) هذا في الشمال اما في الجنوب اي في اليمن وحضرموت ، فقد تحضروا منذ زمن بعيد . وقد اكتشفت كتابات ترقى الى القرن الثامن ق م ، خلفها ملوك مارن وملوك سبأ . وعلى هؤلاء جميعهم يطلق مؤرخوا العرب اسم الحميريين . ولم يكتب الحميريون بالحروف الفينيقية التي استخدمت لتدوين اللغات السامية الغربية ، بل بحروف اخرى ، اقدم واكمل ، تعرف بالخط « المسند » وبهذا الخط دونت كتابات خلفتها قبائل الشمال ، حوالى ظهور المسيحية .

هذه جولة لم يكن منها بد ليسهل على القارئ تتبع البحث . واننا نعرض هذا البحث في مراحل ثلاث : الساميون الاقدمون ، العبرانيون ، العرب قبل الاسلام .

---

١) ان اسم الفينيقيين والكنعانيين يطلق على الشعوب المتحدرة من القبائل البدوية بعد امتزاجها بغير السامين من سكان الشواطىء المتحضرين . وكذلك قل عن الاكاديين .

١ً ـ الساميون الاقدمون

الاكاديون

دعا الاكاديون معبودهم « بيل » (اي بعل : سيد) وقد يكون هذا الاسم وصفاً « لإلُم » جرى مجرى الموصوف بل مجرى العلم. لكننا لا نعثر في هذا العهد على اثر لعبادة « إلم » ، مع ان ذكره لم يندثر بل حفظ في اعلام عديدة ، موروثة عن الاجداد منها « رَ ـ بِ ـ لُم » « الله اكبر » وهو تعريب سنعود اليه.

الاموريون

عبد الاموريون ، كالاكاديين ، آلهة كثيرين. غير ان الواحاً كثيرة اكتشفت في كبادوقية ، وخلفها اموريون عاشوا قبيل عهد حمورابي ، تذكر «اله ابيك» او «الاله» مطلقاً. وفي الامر دليل على ان المقصود بلفظة « إلُم » انما هو اله القبيلة. وهذه النتيجة ، يبلغ بنا اليها من ناحية اخرى البحث في الاعلام الاموريّة. فهناك اعلام دخل في تركيبها اسم الاله ، بينها عدد غير يسير مركب من جزئين احدهما لفظة « إل » او لفظة اخرى تدل على احد ذوي القربى امثال « زِفرِيئل » (حفظني الاله) و« زِفرِيأيوم » (حفظني الاب) و« وزفريعمّو » (حفظني العم او القريب). من هنا نستخلص ان واضعي هذه الاسماء كانوا ينظرون الى الاله نظرهم الى احد ذوي قرباهم ، مما ينم عن ذهنية بدوية ، وان هذه الاسماء انما صاغها الاموريون الاقدمون ايام بداوتهم ، غربي الفرات . وفي لغتهم واسمهم ما يثبت هذا الرأي ، فلفظة « اموريون » معناها الغربيون ، ولغتهم تبدو اقرب الى السامية القديمة من لغة الاكاديين الذين تقدموهم بخمسة قرون.

الحميريون

وكذلك قل عن الحميريين ، الذين عاشوا ، الف سنة بعد الاموريين ، جنوبي الجزيرة. فهم يدعون احياناً « إل » بجية عشتر (الزهرة) مما يدل على انهم لا يعنون بـ« إل » الاله ، بل الهاً بين اخرين. على انه نُعت في احدى كتاباتهم الاثرية بـ« ثملي » (العلي) كما نعت في التوراة بـ« عليّن » (بالمعنى عينه). وهم يؤلهون القمر « سين » وينعتونه بـ« ود » (الصديق) وبـ« عم » (احد ذوي القربى) واغلب الظن ان « ود » و« عم » كانا عندهم قديماً من اسماء « الاله » الاسمى.

وهم كذلك يطلقون على بنيهم اسماء مركبة من « إل » و« أب » و« أخ » و« عم » و« خال » و« داد » (بنفس المعنى). وكلها اداة سبق لنا ان مررنا بها واستخلصنا منها انها تنم عن ذهنية اناس كانوا ينظرون الى « الاله » نظرهم الى احد ذوي قرباهم.

الفينيقيون

واذا انتقلنا من البحر الاحمر الى المتوسط ، وجدنا ، على شواطئه الشرقية منذ الالف الثالث الكنعانيين في فلسطين والفينيقيين في لبنان ، على تعذر وضع حد واضح بينهما. وقد نزح هؤلاء ، على رأي المؤرخ اليوناني هيرودوت (القرن السادس ق م) عن شواطئ البحر الاحمر. اما آلهتهم فاننا نجد وصفاً لها كافياً على الالواح التي اكتشفت في رأس شمرا اي اوغاريت القديمة[1].

ويلفت نظرنا في هذا الوصف اننا نشهد فيه « إل » لاول مرة انحدر الى درك الالهة ، على انه لا يزال يحتفظ بينهم بمركز مرموق ، وبصفات الاله الاسمى فهو « خالق الكل » « والاله العادل الحكيم » وهو « ابو البشر » واليك نصاً لا تلبث ، وانت تطالعه ، ان تذكر ما جاء في التوراة:

« في الحلم [اعلن] إل اللطيف الكريم
وخالق البرية ، في رؤيا:
ان السماوات تمطر زيتاً
والانهار تدر عسلاً »

ويجدر بالملاحظة ان اللطيف وردت في الفينيقية « ل ط ف ن » وان ليس ما يمنع تشكيلها كـ« لُطْفان » العربية ، وانها لا تختلف والحالة هذه عن لفظة « اللطيف » المعروفة بين الاسماء الحسنى.

لم يعد « إل » في اوغاريت الا الهاً بين الهة. وسيتغلب عليه ابنه « بعل »، وسيترأس بعل هذا آلهة الفينيقيين ومثلهم جميعاً ، مع عشتروت ، في نظر العبرانيين. على ان ذكر « إل » لم يمحَ فقد ورد عند فيلون البيبلوسي الذي نقل ، اذا صدق الى اليونانية كتاباً ، ضاع ، لسنكونياتون . روى فيه ان « إل » هو حفيد

(١) كتابات رأس شمرا دونت بالخط المسماري وفيه خمسة وعشرون حرفاً ساكناً وثلاثة حروف صوتية (آ ، و ، ي).

« عَلِينَ » وخلطه مع « كرونوس » اليونان واليه نسب توحشه . الى هذا صار «إل».

وليس ما يستخلص من درس الالواح الميثولوجية بمختلف عما يستنتج من درس الاعلام. فقد اكتشفت في مصر الواح وتماثيل سحرية ، ترقى الى الالف الثاني ، نقش عليها اسماء مدن وامراء صبَّ عليهم المصريون اللعنات . وهذه الاسماء فينيقية وكنعانية ، ومنها ما ركب من لفظة « إل » او لفظة « اب » امثال « أبي رفأ » (ابي شافٍ) و« يرفأ – إل » (شفى إل) . والى العهد عينه ترقى اسماء لا سبيل الى الشك في انها مركبة من لفظة «اب» امثال « ابيشمو » و« ابشمرابي » وهما من اسماء ملوك بيبلوس ، محفورة على زيان بشكل اسلحة موجودة في متحف بيروت وعلى الواح راس شمرا اسماء عديدة مركبة من «إل» وفي الرسائل المتبادلة ، في العهد عينه ، بين امراء كنعان وفراعنة مصر اسماء مماثلة وقد ورد بعضها في سفر يشوع كاسماء مدن فتحها العبرانيون منها «يرفأ إل» و« يبني إل » (إل بني) .

الآراميون

قبل الانتقال الى البحث عن عبادة « إل » عند العبرانيين لا بد لنا من ان نقول كلمة في الآراميين الذين كان العبرانيون يعدونهم من قرابتهم . فـ« بتو إل الارامي » هو ابن اخ لابراهيم ، ولبتو إل ابن اخ دعوه آرام – باسم القبيلة ، وآرام ابن « قمو إل » فقمو إل وبتوإل كما نرى اسمان مركبان من لفظة«إل».

لكن الاراميين لم يتحضروا الا بعد خمسة قرون من العهد الذي نحن فيه ، اي في نهاية الالف الثاني . على انهم لم ينسوا « إل » في تحضرهم . وقد حفظوه في اسماء ملوكهم ، امثال « حَزَ إل » الذي ورد في الكتاب المقدس والآثار الاشورية ، وبين آلهتهم كما تشهد بذلك الكتابات التي خلفوها واشهرها كتابة اكتشفت في السفيرة قرب حلب ، ترقى الى القرن الثامن ق م ، جاء فيها ذكر معاهدة عقدت بين امير الناحية و « متع إل » ملك اربد (شمالي حلب) ووضعت تحت حماية سلسلة من الآلهة ختمت باسمي « إل » و« وعلين» وكتابتان اخريان ، احدث عهداً ، اكتشفتا في سنجرلي شرقي الاسكندرية ذكر فيهما اسم « إل » بعد «هَدَد» اله الاراميين الاكبر .

السابيون الاقدمون والتوحيد

ظهر جلياً ، مما تقدم ، ان الاكاديين والاموريين والحميريين والفينيقيين والآراميين ، كانوا يؤثرون اقله في عهدهم الاقدم ، استعمال الاعلام المركبة من لفظة « إل » وفي ذلك دليل على ان هذه اللفظة هي من لغة الساميين الاقدمين الامر الذي يعود بنا على الاقل الى الالف الرابع . وظهر من ناحية اخرى ان هناك اعلاماً مركبة من « اب » « وعم » و« ود » اتخذت هـذه الالفاظ فيها موقع اسم الاله مما ينمّ عن نظام اجتماعي لا يزال في طور البداوة .

ولا شك ان اول من صاغ هذه الاعلام المركبة من «إل» عنى بها «اله» العشيرة، لان لفظة «إل» استعملت ، اول ما استعملت ، بصيغة «إلُم» كما وردت في الاسماء الاكادية ولان «. . . ُم» الختامية ليست الا اداة التعريف في الاكادية كما هي الحال في «ه» الابتدائية في العبرانية ، ه– إل : الاله، ولان فهمها بغير هذا المعنى لا يستقيم .

ففي هذه المحاولة ، امامنا افتراضان : اما ان نعتبر « إلُم » علماً ونعربها « الاله إلُم » واما ان نعتبرها اسماً معرّفاً ونعربها « الله » ودون كل من الافتراضين صعوبات . فان نحن اتجهنا الى الافتراض الاول اعترضنا عدم وجود ذكر « للاله إل » قبل عهد راس شمرا في حين ان الاعلام المركبة من « إل » اقدم منه بقرون . وهب اننا اكتشفنا لهذا الاله ذكراً قبل عهد راس شمرا ، فليس في الامر نتيجة قاطعة ، لان الساميين الاولين لو حاولوا ان يعبروا عن « إله العشيرة » لما وجدوا الى ذلك سبيلاً ابسط من ان يقولوا : « الاله » .

وان نحن آثرنا ان نعرب لفظة « إل » في الاعلام بلفظة « الله » اعترضتنا كذلك عقبات لا سبيل الى تذليلها اليوم منها ان هذه التسمية « الله » تقتضي، بما هي معنى شامل مجرّد ، مقدرة على التجريد لا تتفق وما نعرفه من ذهنية الساميين الاولين . ولسنا نقصد ان ننفي عن قلبهم كل معرفة بالله ، انما نعتبر ان لفظة « الله » تنطوي على مدلول عقلي لم تكن قواهم قد تهيأت لادراكه ادراكاً واضحاً ، وبالتالي للتعبير عنه بلفظة شاملة .

وعندنا اذن ان الساميين الاقدمين لم يكن لهم من معرفة « الله » الا نصيب محدود . أيصح ان ننعت هذا النصيب المحدود من المعرفة بالتوحيد ؟

ام ان هذه المعرفة لم تتعدَ عبادة اله القبيلة ؟ مما سبق يتضح اننا نؤثر تسمية معبود الساميين اله القبيلة ، على اننا نزيد ما لا بد منه لاستيعاب الواقع كما يبدو لنا. ذلك ان المقصود بـ« اله القبيلة » كان في حياة البدوي الاله الاوحد بمعنى انه لم يكن لغيره من الالهة — على افتراض انه عرف غيره — الا وجود اسميّ ، لا وزن له ولا اعتبار ، فلا يستبعد والحالة هذه ان يكون التوحيد النسبي الذي بلغ اليه البدوي توحيدًا حقيقيًا له عنده فعل التوحيد المطلق وان يكون « الاله » في نظره هو « الله » .

ورب قائل يقول: ألم يكن للقبيلة الا اله واحد ؟ عن هذا السؤال نجيب: ان القبيلة لم تكرّم الا الهًا واحدًا ولو كرّمت آلهة كثيرين لما اسمت احدهم « الاله » واسمت غيره « عشتر » و« هدد » لان اطلاق اسم الجنس على الفرد لا يستقيم الا اذا كان واحد جنسه، او لكان اقتضى الامر استعمال اسم الجنس علمًا ، كما جرى ذلك في اوغاريت ، يوم تجاورت لفظة « إل » مع اسماء سائر الآلهة . ذلك ان « الاله » في اوغاريت انحطّ الى درجة واحد من جماعة ولم يبق اوحد وان بقي كبير اقرانه في اوغاريت سلم للاله اسمه دون مدلوله.

على ان هذه الخلاصة ، وان انطبقت على الساميين عامة ، فهي لا تنطبق على العبرانيين. فقد غدا « الاله » عندهم لا « الاله إل » بل « الله » ذلك انهم اوتوا قوة فوق قواهم مكنتهم من الصمود في وجه هجمات الشرك.

٢ ــ العبرانيون

دعوة ابراهيم

خذ الفصل الثاني عشر من سفر التكوين تجد الله يكلم ابرهيم للمرة الاولى ويقول له: « بك تتبارك جميع عشائر الارض ». هو يكلمه ولا يقول له من هو، ولما كان استغنى عن هذا التعريف لو لم يكن لابرهيم به سابق معرفة . هو يكلمه ويبشره بحسن المصير ، واعدًا اياه بان نسله قد خصّ بدور حاسم في تهيئة هذا المصير . واني لابرهيم ان يصدق هذا الوعد ان لم يقف منه موقف المؤمن ، ولكنه وقف هذا الموقف وعبر عنه بقوله : « ان ساره عاقر » والله ثبته فيه واكد له قيامه بالوعد : « انظر الى السماء واحص الكواكب ان

استطعت . . . هكذا يكون نسلك» (تكوين ١٥) آمن ابرهيم بكلام الله وحسب له ايمانه برًّا ، وقد لفتت اهمية هذا الحدث نظر بولس الرسول فعلّق عليه في الفصل الرابع من رسالته الى الرومانيين، وحق للمسيحيين بعده ان يروا في مواعيد الله لابرهيم بدء عهد جديد يتاح للبشرية فيه ان تبلغ الى معرفة الله معرفة تفوق قوى الطبيعة.

وفي ذلك دليل على ان كتاب العهد القديم ليس كتاب التوحيد فحسب كما الف الشراح ان يرددوا بل هو كتاب تهيئة العهد الجديد. على انه من الثابت ايضاً ان العبرانيين لولا الوحي، كانوا انصرفوا، كغيرهم من الساميين ، الى عبادة آلهة كثيرين.

قبل ابرهيم

استخلصنا من سفر التكوين ان ابرهيم كان يعرف الله قبل ما كلمه الله. وسبق لنا ان ذكرنا ان ابرهيم ، على رواية الكتاب ، هو عم «بتو إل الارامي» ونطالع فوق ذلك ، في الموضوع عينه ، تهديداً وجهه الله الى اورشليم المتمردة (سفر حزقيال ١٦ : ٤٥) جاء فيه : «ابوك اموري وامك حثية» ونحن نعلم ان الاموريين ، عهد ابرهيم ، قلّما امتازوا عن الآراميين لانهم كانوا لا يزالون جميعهم في طور البداوة ومن هنا نستدل على ان ما قلناه في معبود هؤلاء يصح في معبود اجداد ابرهيم . ولنا في سفر التكوين ادلة اخر على ذلك.

اسماء الله

اطلق الكتاب على الله اسمين: «إلهيم» و«يهوى» . الثاني منهما علم يثير وروده في سفر التكوين قبل رواية رؤيا جبل سينا قضية يتعدى درسها نطاق هذا البحث. اما الاول «إلهيم» فقد اشرنا الى انه جمع «اله» للتفخيم ، ونزيد الآن انه قد ورد في كتابات راس شمرا ، اي نحو قرنين بعد ابرهيم ، وانه هناك ، هناك على ما يظهر ، مثله في الكتاب ، ليس الا صيغة ثانية لاسم «إل» ولا شك ان العبرانيين آثروا استعمال لفظة «إلهيم» دلالة على جلال الاله الذي تجلى لهم. على انهم لم يعرضوا عن تسميته بالاسم القديم «هَ — إل» (الاله) كما جاء في احد نصوص سفر التكوين (٤٦ : ٣). ففي هذا النص نرى الله يخاطب يعقوب ، وقد خرج الى مصر ملتحقاً بابنه يوسف ، قائلاً: «انا هو الاله (هَ — إل) اله ابيك». ولا شك ان القارىء لحظ الشبه البيّن بين هذا التعبير

والتعابير التي مرَّ الكلام عليها في الكتابات الكبادوقية . فقد جاء في هذه الاخيرة: «ليشهد بذلك الاله اشور واله ابيك» ووردت فيها ايضاً لفظة «الاله».

هذا نوع من التعريف وهناك نوع آخر هو التعريف بالصفات ، فكثيراً ما ورد اسم « إل » منعوتاً بـ« شَدَّي » و« عَلْيَن» (الاله العلي) وورد مرة مضافاً الى « عالم » (اله الدهر). لم يتضح بعد معنى لفظة « شدّي » على ان المترجمين اليونانيين قد فهموها ، في القرون الاخيرة قبل المسيح ، بمعنى « الضابط الكل » وهو معنى لا يتنافى والاصل الذي يميل المحدثون الى ردها اليه. وفي ظن هؤلاء ان « شَدَّي » اما ان تشتق من « ش دد » بمعنى القوة والصخرة ومنه في العربية « شديد » واما ان تشتق من « ش دو » في الاكادية بمعنى الجبل . ومهما يكن من امر المعنى ، فان هذا التعبير « إل شَدَّي » لمأ امتاز باستعماله عهد ابرهيم (خروج ٦).

اما « إل عَلْيَن» فقد وردت في رواية ظفر ابرهيم يوم باركه ملكيصادق (تكوين ١٤) وقد سبق لنا ان قابلنا هذا التعبير « إل تَعلي » الذي ورد عند عرب الجنوب ، ونلاحظ الان ان ملكيصادق وهو ملك «شليم»(اي اورشليم ؟) وكاهن « إل عَلْيَن» قد اتفق وابرهيم في دعوة «إل عَلْيَن» (الاله العلي) وفي وصفه «بخالق السماء والارض » من هنا يستدل على ان «عَلْيَن» ان هي الا صفة «إل». على ان هذه الصفة ستجري مجرى الموصوف ، وقد شهدناها في كتابة السفيره مستعملة للدلالة على اله غير « إل»، جرياً على ما هو معروف من تشخيص الصفات، كما شهدناها عند فيلون البيبلوسي مستعملة للدلالة على كبير الالهة الذي غدا «إل» حفيداً له.

ومما تقدم يتضح ان ملكيصادق ، وهو غير عبراني ، انما كان يكرم الاله عينه الذي يكرمه ابرهيم ، الامر الذي لم يستغربه قط واضع الرواية التي جرى الكلام عليها والتي تعد بحق من اقدم الروايات في التوراة . وعندنا ان ملكيصادق ان هو الا احد هؤلاء الساميين الاقدمين الذين اثبتنا انه لم يكن لهم الا معبود واحد . وربما كان ملكيصادق هذا من الاموريين الذين اشار سفر التكوين الى وجودهم في فلسطين عندما ذكر ان ابرهيم كان يلذ له ان ينصب خباءه في ظل « بلوطات ممرا الاموري » (تكوين ١٤ ، ١٨) ، والذين كانوا ، عهد موسى ، نازلين في الجبال.

الشرك

نحن نسلم ان هؤلاء الاموريين كانوا بجملتهم يعبدون آلهة كثيرين ، ومع ذلك فاننا نعتقد انه قد قام بينهم بعض المختارين الذين لم يفتهم ان « الاله العلي » هو غير ذلك الخليط من الالهة المكرّمة في فلسطين ، ونعتقد كذلك ان ابرهيم لم ينس اله جدوده ، اله نوح وابنه سام ، وان ذكر « اله سام » لم يُمحَ (تكوين ٩ : ٢٧) حتى ولو اعتبرنا السلسلة المذكورة في الفصل الحادي عشر من سفر التكوين مختصرة وسلمنا بان بين سام وابرهيم اكثر من ثمانية اجيال . لكن هذا الرأي لا يتنافى مع شيوع الشرك بين الساميين بمقدار خروجهم من طور البداوة ، وعامة جدود ابرهيم انفسهم لم يسلموا من هذا الشرك ، كما ينوه بذلك واضع سفر يشوع : « آباؤكم منذ الدهر تارح ابو ابرهيم وابو ناحور عبدوا آلهة اخرى » (يشوع ٢٤)

وسنشهد طغيان الشرك هذا في الجزيرة قبيل ظهور الاسلام اي نحواً من الفي سنة بعد ابرهيم .

٣ً ــ العرب قبل الاسلام

بقي علينا ، تكميلاً لبحثنا عن آثار التوحيد عند الساميين ، ان نقول كلمة عن العرب . على اننا في هذا القسم لن نتوقف على دين المتحضرين ، مهما سما ، عند بعضهم ، لاعتبارنا ان هذا التطور انما مرجعه تأثيرات دخيلة ــ يونانية كانت ام يهودية ام مسيحية ــ وانه لا دين يمثل البدو الصرف ، ولاعتبارنا ان تحليل هذا التطور انما يتطلب بحثاً في مخلفات هذا العهد الاثرية والادبية لم نتصرف اليه بعد . وعليه فاننا نحصر بحثنا في القبائل العربية اثناء القرون الاولى للمسيحية ، مضيفين اليه كلمة عن تدمر التي لم تكن بمعزل عن تأثير العرب .

بنو ثمود

لم تسلم الشعوب السامية القديمة من الشرك ، ولا العرب سلموا قبل الاسلام . من هؤلاء العرب ، ذكر القرآن قبيلة ثمود التي ابادها الله ، وذكرت السنة اللحيانيين الذين خصموا لمحمد . وقد نزل الثموديون واللحيانيون في شمالي الحجاز كما نزلت قبائل اخرى من السلالة عينها في ناحية الصفا وما حولها . وقد

اكتشفت في المنطقة الواقعة بين دمشق ومدائن صالح والعلى كتابات كثيرة محفورة على الحجارة ، خلفتها هذه القبائل . وقد دونت هذه الكتابات بخط عرب الجنوب المعروف بالمسند ، مع ان لغتها هي احدى لهجات عرب الشمال (التي تستعمل ه محل الف للتعريف).

وتنبئنا هذه الكتابات بان العرب عبدوا ، بين من عبدوا ، « رضى » (الزهرة) و« شمس » و« إلات » الهتهم الكبرى ، التي ذكرها هيرودوت باسم « أَلِلَتْ » (الالهة) ، وعبدوا ايضاً – وان قلّ ذكره – « اله » فهم يدعونه دعاء مجرداً : « ه ل ه ي = ه – اله » او مشفوعاً بطلبة ، من نحو ما نقرأه في الكتابة التالية :

« ل ا ن ع م – ب ن – س ع د – ب ن – ا د ع ج ة – و ه ل ه – س ل م »
« و ر ض ى ـ ع و ر – ذ – ي ع و ر – ه س ف ر – »
لا نعم بن سعد بن ادعجة ، ويا اله سلام .
ويا رضى عُر من يعور السفر » .

وتطلعنا الكتابات عينها على بعض اعلامهم . فمنهم ما ينتهي باله من نحو « وهب اله » (اله اعطى) ومنها ما ينتهي بإل من نحو « وهب إل » وهي اكثر عدداً . ولا اثر في هذه الكتابات ، اقله التي اكتشف في شرقي الاردن ، لاعلام تنتهي بغير ذلك من اسماء الالهة ، مما يدل على ان كاتبها لم يعرف جدودهم الهاً غير « الاله » معبود سائر الساميين البدو .

الانباط والتدمريون

الانباط عشائر اخذت تتحضر حوالى ظهور المسيحية ، وكانوا يؤمنون نقل البضائع من الشرق ، وكان لهم في البتراء ومدائن صالح منازل وقبور فخمة . وكثيرة بين اعلامهم الاسماء التي تنتهي بإل و« اله » ، ولا اثر في كتاباتهم لـ« إله » في غير الاعلام ، ذلك ان غناهم قد انساهم ولا شك اله الاجداد .

اما التدمريون ، وان كانوا من اصل ارامي ، فبينهم وبين الانباط شبه . من ذلك ان عنصرهم الارامي لم يبقَ صافياً ، بل تغلغل بينهم العرب بكثرة ، ومن ذلك انهم ، بعد سقوط بلاد الانباط في يد الرومان ، عام ١٠٦ للمسيح ،

خلفوهم في تأمين المواصلات التجارية بين الشرق والغرب ، ومن ذلك كذلك ان كتاباتهم آرامية – وكتابات الانباط آرامية – ومن ذلك اخيراً في موضوع بحثنا ان «الالهة» قضت عندهم على ذكر « إله » في العبادات والتذكارات. ولولا اعلامهم المتنبية بإل وإله ، لظننا ان التدمريين الاقدمين كان يجهلون اله البدو.

على ان في تدمر ، عدا ذلك ، اثراً لنهضة توحيدية لا يسعنا اغفالها. ذلك ان الاثريين كشفوا نحواً من مائة مذبح نقش عليها بالآرامية : « المبارك اسمه الى الابد الصالح الرحيم » وعلى بعضها ، الى جانب الكتابة الآرامية ، كتابة يونانية دُعي فيها المعبود غير المسمى بالآرامية « زفس هفستس » (زفس العلي) وزيد على البعض الآخر ان صاحب التقدمة « دعا للاله فاستجابه » وورد مرة هذا النص الاخير بصورة غريبة : « دعاه في الضيق فاستجابه في الرحب ».

وقد لحظ القارىء ما يلفت النظر في هذه الكتابات ، سواء اكان في عدم ذكر اسم للمعبود ام في تسميته زفس باليونانية ام في ورود عين الدعاء والاستجابة عند الفيفقين ام خاصة في الشبه البين القائم بين الآيتين المذكورتين وبعض نصوص المزامير (راجع خاصة مزمور ١١٧–١١٨) عدد ٥ ومزمور ٧١ الخاتمة). وقد ادّى الامر ببعضهم الى نسبة هذا الاتجاه الى تأثير اليهود النازلين واحة تدمر.

على اننا لا نرى داعياً كافياً لهذا الرأي. ومع اعترافنا بالتأثير اليهودي واليوناني الذي قد يكون اوحى الآيات التي لحظنا تشابهاً بينها وبين المزامير ، والذي قد يكون اوحى التسمية اليونانية للاله غير المسمى – مع العلم بان لفظة «زفس» هنا لا تعني غير ما تعنيه لفظة اله – فاننا نؤثر ان ننسب هذه النهضة التوحيدية التي نكاد نعتها بانها تجهل ذاتها الى يقظة الشعور السامي القديم بوحدانية الاله وتسامية ، تحت تأثير عوامل دخيلة.

وليس ما مررنا به في تدمر من تكريم معبود لا اسم له هو المثل الاوحد بل هناك امثلة عديدة نقتصر على ذكر بعضها.

منها عند الانباط ، ذكر « رب البيت » و« اله فلان » و« ذو شارى » (لعل المقصود صاحب شارى في ناحية البتراء) ، وفي الاثار العربية عامة ذكر «الرحيم»

الذي كرمته قبائل سبأ باسم « رحمنن » وقبائل الصفا باسم « الرحيم » والتدمريون باسم « الرحيم » ايضاً ولكن الى جانب « شمس » و« اللات » من آلهة العرب ، والذي حفظ ذكره البابليون بنعتهم آلهتم بـ« رحيمو » (الرحيم).

ومنها،عند الآراميين تكريم « عليَن » (العلي) وعند عرب الجنوب تكريم « إل تعلي » (راجع ما قيل في ملكيصادق وفي الحميريين).

ومنها ايضاً ، عند الفينيقيين ، تكريم « بعلشميم » (رب السماوات اي اله متعال ، الذي كرمه التدمريون والانباط وقبائل الصفا باسم «بعلشمين» والذي اتحى اثر عبادته في تدمر عند ظهور عبادة الاله غير المسمى (في بدء القرن الثاني للمسيح) وان احتفظ هذا الاخير بصفات الاول (كلاهما رب الكون ،وعليّ ، ورحمن).

لدى النظر في هذه الوقائع ، رأى العلماء بحق في عبادة الاله المجهول او غير المسمى مظهراً ارقى لعبادة « رب السماوات » . ولكن الا يصح ان نرى فيها ايضاً مظهراً من مظاهر التوحيد ؟ عندنا ان الوقائع المذكورة اذا اضفنا اليها ما اكتشف اخيراً تمكن من الجواب عن هذا السؤال بالايجاب ، اقامه في بعض الحالات اجل ليس بالممكن ان نعد من الموحدين اناساً دعوا الى جانب الاله المجهول غيره من الالهة ، ولكن هناك اناساً اخرين — وان قلائل — وصفوه بما لا ينطبق من الصفات الا على الله ، منهم ملكو بن برعا رئيس مجلس شيوخ تدمر الذي اقام مذبحاً « للاله الواحد الاحد الرحيم ».

عرب الحجاز

هل سلم لعرب الحجاز حتى ظهور الاسلام نصيب من توحيد الاقدمين ؟ ان العرب ، في الحجاز ، ظلوا من هذا القبيل على ما كانت عليه قبائل ثمود والصفا ، قبل العهد الذي نحن فيه بقرنين . ولم يكن قرشيو مكة قد نسوا ذكر الله ولا عبادته ، يوم دعاهم النبي الى نبذ الشرك . وهو في دعوته هذه يذكرهم بانهم يعترفون بان الله خالق السماوات والارض :

« ولئن سألتهم : من خلق السماوات والارض ، ليقولنّ الله .

« ولئن سألتهم : من نزّل من السماء ماء فاحيا به الارض من بعد موتها ، ليقولنّ الله . . .

« فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين ، فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون » (سورة العنكبوت ٦١ — ٦٥).

« ولقد اوحي اليك والى الذين من قبلك لئن اشركت ليحبطنّ عملك . . وما قدروا الله حق قدره » (سورة الزمر ٦٤ — ٦٦).

اجل لقد اشرك المكيون وما قدروا الله قدره يوم عبدوا « اللات » و« مناة » و« العزى » وسموا هذه الاصنام « بنات الله » وحطوا الله الى دركها . ولكنهم لم ينسوا كل النسيان ان من يسمونه « الله » انما هو الله حقاً ، فهم « يخلصون له الدين » احياناً ، والى هذه البقية الباقية من الاخلاص في الدين استند النبي ليحملهم على الاعتراف بقدر الله .

وهو لم يأتِ بالجديد في كل ما دعا اليه ، فقد « اوحي اليه والى الذين من قبله » وقد اقتبس كثيراً من الصفات التي ينسبها الى الله عن دين الساميين فالله الذي يدعو اليه ، هو ، كإله الساميين ، « رب البيت » وهو « العلي » و« المتعالي » وهو « السميع المجيب » وهو « الرحمن الرحيم » وهو « ودود » (وقديماً عند عرب الجنوب ، « ودّ » كما سبق) ، على ان لهذه الصفات على لسان النبي المشيد « بقدر الله » رنة اقوى من رنة كانت لها ضائعة في جلبة الآلهة ، قبله . ولمزاج النبي فعله في الامر ، كما ان اليهودية والمسيحية فعلها فيه كذلك والامر بيّن من القرآن عينه . الا ترى ، مثلاً ، اي مقام كان عند النبي لابرهيم ؟ فابرهيم ، في نظره ، « دعا الله ليجنبه وذريه عبادة الاصنام . . . واسكن من ذريته عند بيته المحرم » (سورة ابرهيم ٣٤ ، ٣٦) وابرهيم ابو العرب ، ولد اسمعيل ؛ جهاد ابرهيم جهاد محمد ، اليه ينسب مواقفه واقواله تجاه الكافرين : « قال (ابرهيم) : ياقوم اني بريء مما تشركون ، اني وجهت وجهي للذي فطر السماوات والارض حنيفاً وما انا من المشركين . وحاجه قومه . قال اتحاجوني في الله وقد هداني ولا اخاف ما تشركون به » (سورة الانعام : ٧٧ — ٧٩) « واتلُ عليهم نبأ ابرهيم ؛ اذ قال لابيه وقومه ما تعبدون . قالوا نعبد اصناماً فنظل لها عاكفين . قال هل يسمعونكم اذ تدعون او ينفعونكم او يضرون . قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون . قال افرأيتم ما كنتم تعبدون انتم وآباؤكم الاقدمون فانهم عدوٌ لي الا رب العالمين . . »

الروح القدس عبارات اخرى خصوصاً في قداس مار يعقوب الرسول لا نرى حاجة الى ذكرها . وبهاتين العبارتين تُختم صلوات القداس الجوهرية . ومع تداول الزمان اضاف السريان الى ما سبق ست ذبتيخات او قوانين سرية وعلنية منها ثلاث ذبتيخات للاحياء وثلاث للاموات . وها نحن نذكر ما نقله منها في الذهب واثبته متفرقاً في قداسه .

مار يعقوب

ذبتيخا الآباء الاحياء

الكاهن يعلن :

لكي تكون لكل المتناولين والمشتركين فيها (في هذه الاسرار) لقداسة النفوس والاجساد . . .

ذبتيخا القديسين وهي الرابعة :

واهلنا ان نذكر كل الذين ارضوك منذ القديم : الآباء القديسين . الانبياء . الرسل . .

الكاهن يقول سراً :

والقديسة المجيدة والدة الله الدائمة البتولية الطوباوية مريم وجميع القديسين . . .

ويوحنا الساعي الاول والمعمدان . . .

خاتمة الذبتيخات

اذكر يا رب الذين انتقلوا بايمان قويم من هذا العالم . ونيّح نفوسهم . . . حيث يتقدمهم نور وجهك . . .

ذبتيخا الآباء الاحياء

اذكر يا ربّ اساقفتنا الابرار الذين يفصلون لنا كلمة الحق باحكام (٢ طيم ٢ : ١٥) والقسان الموقرين . . . والشمامسة . . . وسائر الطغمات البيعية . . .

تقرّب لك هذه الذبيحة الرهيبة وغير الدموية لاجل كنيستك المقدسة المنتشرة في المسكونة كلها . ولا سيما لاجل صهيون ام جميع الكنائس المستقيمة الايمان . . .

في الذهب

افشين سر (ورقة ٥٥)

لكي يكون للذين يتناولون منه تطهير الانفس ومغفرة الخطايا . . .

وايضاً تقرّب لك هذه الذبيحة من اجل المؤمنين . . . والآباء . . . والانبياء والرسل والكارزين والمبشرين والشهداء والمعترفين . . .

الكاهن يعلن :

وخاصة لذات كل قداسة الطاهرة المباركة المجيدة سيدتنا والدة الله الدائمة البتولية مريم

افشين سرّ :

والقديس يوحنا السابق الصابغ وجميع قديسيك .

(ورقة ٥٦)

واذكر كافة الذين على رجا القيامة والحياة الدهرية توفوا . ونيّحهم حيث يشرق عليهم نور وجهك .

وايضاً اليك نرغب اذكر جميع رؤساء الكهنة المستقيمين بكلمتك الحقة . وجميع الكهنة خدام المسيح وكل طغمات الكهنوت .

وايضاً تقرّب لك هذه الذبيحة الناطقة من اجل المسكونة ومن اجل الكنيسة المقدسة الجامعة الرسولية .

مار يعقوب

ذبتيخا الملوك وهي الثالثة

الكاهن يقول سرًّا :

اذكر يا ربّ ملوكنا وملكاتنا الحسني العبادة وأخضع لهم كل الاعداء والمحاربين. لكي نحيا حياةً هنيئةً هادئة ونسير بكل تقوى وعفافة .

خاتمة الذبتيخات

الكاهن يعلن :

لكيما جذاكما بكل شيء يُسبَّح ويمجَّد اسمك الكليّ الاكرام والمبارك مع اسم ربنا يسوع المسيح وروحك القدّوس. الآن وكل اوان والى ابد الآبدين.

ويبارك المؤمنين قائلًا :

فلتكن رحمة الله العظيم ومخلصنا يسوع المسيح مع جميعكم يا اخوتي الى الابد .

مقدّمة الصلاة الربّية

الكاهن يعلن :

. . . لكي نجسر بقلب نقيّ ونفس وضيئة وبدالة ان ندعوك ايها الاله الآب السماويّ ونقول : ابانا الذي في السماوات . . .

لان لك الملك والقوة والمجد الى ابد الآبدين امين .

في الذهب

(ورقة ٥٦)

ومن اجل ملوكنا المؤمنين المحبين للمسيح وجميع بلاطهم واجنادهم . اعطهم يا ربّ السلامة في المملكة . لكي نحن جدوّهم نجيز[1] عمرنا كلّه بسكون وهدوّ وحسن عبادة وعفافة .

(ورقة ٥٧)

والكاهن يعلن :

وأعطنا كمن فمٍ واحدٍ وقلبٍ واحدٍ ان نمجّد ونسبح اسمك الكليّ الاكرام العظيم البهاء . ايها الآب والابن والروح القدس . من الآن والى كلّ اوان والى دهر الداهرين .

(ورقة ٥٨)

والكاهن يلتفت الى الباب الملوكيّ ويباوك ويعلن قائلًا :

وتكون رحمة الله العظيم مخلصنا يسوع المسيح مع جميعكم .

(ورقة ٥٩)

الكاهن يعلن :

وأهّلنا ايها السيد ان نجسر بدالةٍ وندعوك آبًا غير مدانين . ايها الاله السماوي ونقول :

الشعب : ابونا[2] الذي في السماوات .

الكاهن يعلن :

لان لك هو الملك والقوة والمجد . ايها الآب والابن والروح القدس . من الان وكلّ اوان والى دهر الداهرين .

---

١) نجيز من السريانية ܢܓܙ بمعنى نقضي ٢) كذا « ابونا » من السريانية ܐܒܢ

هذه العبارة الاخيرة نظراً الى خطورتها يجاهر بها الحبر او الكاهن في القداس الملكيّ وفي سائر الحفلات الرسمية. ومن المعلوم انها منقولة عن السريانية لا عن اليونانية . وهكذا وردت في نصّ انجيل مار متى السرياني خلافاً لسائر الترجمات . ويستخلص من ذلك ان السريان الملكيين كالسريان الموارنة والسريان الشرقيين اعني الكلدان تمسكوا باستعمال النسخة السريانية البسيطة خلافاً للسريان اليعاقبة الذين احدثوا الترجمة الحرقلية واستعملوها منذ اوائل القرن السابع ودعوها حرقلية لان توما الحرقليّ اسقف منبج هو الذي صححها .

مار يعقوب	فم الذهب
الكاهن يُردف :	(ورقة ٦٠)
بنعمة ورحمة ومحبة ابنك الوحيد للبشر. الذي انت معه مبارك مع روحك الكلّي قدسه الصالح ... وصانع الحياة... الآن...	الكاهن يعلن : بنعمة ورأفة ابنك الوحيد ومحبته للبشر الذي انت معه مبارك مع روحك الكلّي قدسه الصالح وصانع الحياة .من الآن ...
الكاهن يرفع الطبق وينادي : القدسات للقديسين والاطهار تُعطى .	(ورقة ٦٠) الكاهن يرفع الخبز المقدس قائلاً : القدسات للقديسين .

أصل هذه العبارة الجليلة هو كما اثبتها القداس الملكي اعني كلمتين فقط لا غير . وكانت كذلك عند السريان حتى القرن الثالث عشر . وبرهاننا على ذلك ما ذكره مار يعقوب السروجي في ميمره الثاني والاربعين (٢١٥ و٢١٧ و٢٢٤) وأورد اللفظ الاول تارة بالمفرد ܩܘܕܫܐ القدس وتارة بالجمع ܩܘܕܫܐ القدسات . ومرّة بالباء هكذا ܩܘܕܫܐ ܒܩܕܝܫܐ القدس في القديسين . وكذا ذكرها ايضاً يعقوب الرهاويّ وبركيفا وابن الصليبي وابن العبري. واول من اضاف اليها لفظتي « ܠܩܕܝܫܐ ܕܩܕܝܫܐ وللاطهار تُعطى » كان يعقوب البرطلي في القرن الثالث عشر. ثم جاء بعده من جاء فاضاف اليها كلمتين ايضاً فاصبحت هكذا: « القدسات للقديسين والاطهار يجب ان تعطى فقط ». ومن المعلوم ان كل قديس طاهر وليس كل طاهر قديساً. لان القداسة تشتمل على كل الفضائل دون استثناء. وقد حذا حذو السريان في هذه الاضافة السريان

الموارنة والسريان المشارقة ببعض التحوير وكان حق هولاء واولئك ان ينسجوا على منوال الروم الملكيين ويقتصروا على اللفظين « القدسات للقديسين » فقط لا غير . ولفظ « القدس » مقتضب من كلام يسوع الفادي وهو : « لا تعطوا القدس للكلاب » (متى ٧ : ٦) .

مار يعقوب	فم الذهب
صلاة الشكر	(ورقة ٦٢)
الكاهن يعلن : نشكرك ايها الرب الهنا لاجل غزارة رحمتك وعجبك للبشر الفائقة الوصف . لانك اهلتنا للشركة في مائدتك السماوية . . .	الكاهن يقول هذا الافشين سراً : نشكرك ايها السيد المحب البشر المحسن لنفوسنا . لانك اهلتنا في هذا اليوم الحاضر لقبول اسرارك السمائية . . .
الكاهن يعلن صلاة القداس الاخيرة وهي موجهة الى ابن الله عزّ وعلا : ايها الاله الذي . . . طأطأ السماء وانحدر لاجل خلاصنا . . . بارك شعبك واحفظ ميراثك . . .	الكاهن يبارك الشعب ويعلن قائلاً : خلص يا الله شعبك وبارك ميراثك (مزمور ٢٧ : ٩)

بهذه آية داود النبي يختم قداس مار يعقوب الرسول وقداس مار يوحنا فم الذهب . وقد شاهد المتبحر في عبارات كلا القداسين صدقَ ما تحريناه اثباته . واتضح له سمو مقام قداس مار يعقوب وقدمه ومزيد اعتبار فم الذهب له . وقد سمعه بلا ريب مراراً جمة ايام طفوليته وفتوته ورهبنته وقسوسيته في كنائس انطاكية وطنه واستظهر عباراته الرسولية وتلاها غير مرة على ظهر قلبه ثم نقلها الى مركز اسقفيته وترجمها الى اليونانية واستعملتها كل الكنائس الخاضعة لرئاسته الكهنوتية .

يحق اذاً للكنيسة المارونية ولشقيقتها الكنيسة السريانية اللتين حافظتا على قداس مار يعقوب الرسول ان تجاهرا بتشرفهما بلفان كبير مجيد أطاق عليه بكل جدارة واستحقاق كنية « فم الذهب » وتدفقت انهار علومه الزاخرة على السريان واليونان اجمع . وارتشف مناهلها الصافية جميع المسيحيين في مشارق الارض ومغاربها .

اننا نسأل حمل الله القدوس الذبيح لاجلنا ان ينعم علينا بمشاهدة مار يعقوب الرسول ومار يوحنا فم الذهب في ملكوته السماوي . ويؤهلنا ان نترنم معهما ومع مصاف الكهنة في بيعة الابكار المكتوبين في السماء هاتفين: « البركة والكرامة والمجد والعزة للجالس على العرش وللحمل الى دهر الدهور (رؤيا ٥ : ١٣) آمين

بيروت ٢٩ حزيران ١٩٤٨

نشيد المجدلية (التائبة)

للشاعر رومانس المرنم

ترجمه عن اليونانية

الاب نقولاوس قادري قب .

توطئة

رائعةٌ من روائع الشعر العالمي تتلألأ في مفرق الكنيسة نبرةً بعيدة الصدى من اصوات القرون الاغريقية ، تحمل الى الاجيال الجمالَ الخالد المنتشرَ اجواقاً اجواقاً على اصوات الطبيعة الراقصة في انغام الشعراء والموسيقيين العباقرة .

تلك اناشيد رومانس ونشيد المجدلية من أروعها . تغنى بها بلبلُ آجيا صوفيا وشحرورُ بيروت . تصور الشاعر رومانس المجدلية في روعة العارض النفسي واخذ بناصيته وحلله تحليلاً نفسياً تحليل نفس تتفلت من قيود الاثم هاربةً من خطاياها لتنال الصفح عنها بالقرب من اله المحبة الالهية .

وهذا التحليل لنفس المجدلية التائبة قلما نجده عند الشعراء والكتاب والخطباء الذين صوروا المجدلية على اقدام المسيح ذلك المشهد الفريد الذي طالما تجدد في تاريخ الانسانية التائبة . فليس رومانس بخيالي لا طائل تحته ولا بشاعر شهواني ولا بمفكر مادي ليجعل حب المجدلية ليسوع حباً سافلاً ، بل هو شاعر ديني احس بقوة يسوع ، تلك القوة الالهية تجذب اليه النفوس الخاطئة عن طريق التوبة والحب المقدس .

سمت المجدلية بالمسيح « ينثر الكلمات على الكون اطياباً يضوع منها اريج الحياة » فشعرت في سورة مرضها الروحي بحاجتها الى الطبيب وادركت انه ضروري لها ان تفتش عن مجدد انسانها الساقط في « رجس اعمالها » لقد أحست بالحياة تتفلت منها فنشدت مبدع الحياة ليمنحها اياها سخية جديدة ؛ عرفت انها كانت قد انفصلت عن شركة الخير السامي

١١

هو ابن داود
انه لجميل
بل الجمال كل الجمال
لانه اله وابن الله .
لم تره عيني من قبل ،
انما طرق مسمعي ذكره ،
فتألمت له
لدى تفكري بان طبيعته
لا تبلغها الانظار .
ميكالُ قديماً
نظرت الى داود فشغفت به [1]
اما اليوم فاني لم ارَ
ابن داود
واني لأحبه حتى الهيام .
تلك تخلّت عن قصور الملوك ،
والتصقت بداود الفقير ؛
اما انا فلن ابالي بالغنى الطاغي
بل ابتاعُ طيباً
لمن طهر نفسي
من رجس اعمالي

١٢

قطع السكوتُ سياقَ الحديث.
فتناولت الفتاة الرزينة
طيباً زكي العرف .
فكنت تراها تمدو
الى مخدع الفريسي ،
كانما دُعيت لتعطر المأدبة
تنبه لها سمعان فاخذ يلوم
الرب والزانية ونفسه .
يلوم السيد
لانه كان يجهل تلك التي
اقتربت منه .
ويلومها
لانها سجدت بلا حياء .
ويلوم نفسه ،
لانه استقبلها بلا روية ؛
يلومها خاصة
لانه سمح بالدخول
لمن هتفت :
انتشلني
من رجس اعمالي ! »

١) سفر الملوك الاول ١٨-٢٠

١٣

ـ يا للطهر ويا للعفاف !
ـ ماذا يقول ؟
انا صنعت ذلك !
دعوت يسوع كاحد الانبياء ،
اما هو فلم يفهم .
وتلك التي عرفناها جميعنا ،
جهلها هو .
فلو كان نبياً ،
ولا ريب لعرفها .
واتضحت لساير القلوب والكلى
خواطر الفريسي الحمقاء .
فغدا له عصا استقامة ،
اذ قال له :
« اسمع ، يا سمعان ،
ما اريد من الحنان
لك ولتلك التي تراها
تصرخ بالبكاء والنحيب :
ايها السيد ،
نجني
من رجس اعمالي ...! »

١٤

رأيتني حقيقاً بالملامة ،
لاني لم اردع
من اسرعت
هاربة من آثامها .
انه لقبيح بك ، يا سمعان ،
وملامتك ليست موقع الصواب ..
فكّر ملياً بما اقوله لك ،
واحكم بعدل :
كان لمداين مديونان
على الاول
خمس مئة دينار ،
وعلى الآخر خمسون .
واذ لم يكن لديهما ما يفيان به
عفا عن كليهما ...
فقل لي :
أيهما كان اشد حباً له[1] ؟
قل لي :
من عليه ان يصرخ :
لقد خلصتني
من رجس اعمالي ؟

---

١) لوقا ٧-٤٠-٤٣

١٥

تفهّمَ الفريسيُّ الحكيم
هذا الكلام فقال :
« حقاً ، يا معلم ،
انه لأمر واضح للجميع
انه على الاكثر ديناً
ان يحب اكثر حباً
فقد ترك له اكثر »
فاجابه السيد :
قلتَ حقاً ،
يا سمعان ،
تلك حالنا
من لم تدهنه انت ،
طيّبته هي .
ومن لم تغسله بالماء أنت ،
غسلته هي بدموعها
ومن لم تحيّه بقبلة انت ،
قبّلته هي
وصرخت :
ألثم قدميك ،
فانتشلني

١٦

الآن وقد أبنت لك
بأي حبٍ أحبتني
أبنت لك في الوقت نفسه ،
يا رجلاً شريفاً
من الدائن
وكشفت لك
عن حال مديونيه .
انك لواحد منها ،
والآخر هذه المرأة الباكية .
وانا مداينكما
وليس لكما فحسب ،
بل لجميع البشر .
انا واهب الجميع
كل ما يملكون ،
النسمة والنفس والحسّ ،
الجسدَ والحركة .
اذاً ! بوسعك ، يا سمعان ،
ان تملك مُداين العالم
فتوسل واصرخ اليه :
نجني

من رجس اعمالي . من رجس اعمالي

المجدلية

للمصوّر الشهير فرا انجليكو

« ألثم قدميك فانتشلني

من رجس اعمالي . . . »

الابنية الرومانية

١ ــ الباب الشرقي

سُمي بذلك لانه شرقي البلد . وكان يتألف من ثلاثة أبواب . باب ضخم في الوسط ، وبابان صغيران على جانبيه وقد سُدّ الباب الكبير ، والباب الصغير الذي في جنوبه ، وبقي الباب الصغير الشمالي .

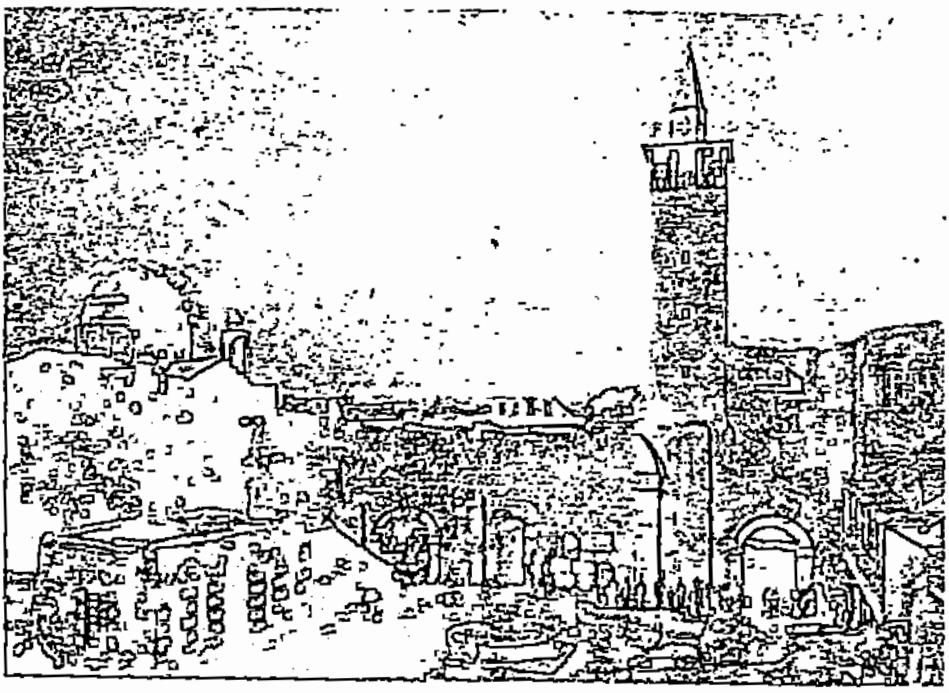

الباب الشرقي ، « الابواب الثلاثة الرومانية »

بُني ايام الرومان ، في أوائل القرن الثالث الروماني .

نزل عليه خالد بن الوليد ، يوم فتح دمشق ، ودخل منه عبدالله بن علي العباسي يوم سقوط الامويين ، ونور الدين لما سقطت دمشق بيده .

وثائق تاريخية عن حلب

أخذاً عن دفاتر الاخويات وغيرها

بقلم الاب فرديناند توتل اليسوعي

توطئة

عدت الى حلب ، مسقط رأسي ، وأقمت فيها عشر سنوات من ١٩٣٧ الى ١٩٤٧ وفي غضونها اطلعت على آثار خطية تاريخية لم تطبع بعد . ففي المكتبة المارونية وبفضل المثلث الرحمات المطران ميخائيل اخرس تمكنت من تصفح بعض الاوراق والدفاتر السابق تاريخها نهاية القرن الماضي ومنها « دفتر اخوية عزبان الموارنة » و «دفتر اخوية القربان المقدس» المشتركة بين سائر الطوائف ؛ وفي دار الاسقفية الارمنية الكاثوليكية باذن صاحب السيادة المطران غريغوريوس هندية ومساعدة حضرة الورتبيت ميشيل حسون درست « دفتر اخوية عزبان الارمن » ؛ وفي دار الاسقفية الملكية الكاثوليكية نسخت لائحة الكهنة الاقدمين وشيئاً من اخبارهم كما اني نسخت المواد غير القليلة من الدفاتر المذكورة سابقاً ومن غيرها من الوثائق كسجلات القنصلية البريطانية ، بفضل المرحوم القنصل داڤيس (Davies) ومؤازرة ترجمان القنصلية آنذاك السيد اسكندر اخرس وسجلات القنصلية الفرنسية باذن خاص من الوزارة الخارجية الفرنسية واذا بي اعود الى المكتبة الشرقية في جامعة القديس يوسف وحقيبتي مكتظة بالاوراق المحبّرة فاراجع ما فيها وفي مكتبتنا من الوثائق المتصلة بها فاراني متمتعاً بتحف لا يستهان بقيمتها اذا ما برزت كما كانت في زمانها ومكانها مصورةً في اطارها التاريخي فيعظم شأنها شأن الحجر الكريم اذا ما ركبه الصائغ نصاً في الخاتم الذهبي .

وما الغرض من هذا المقال الا رواية الحوادث والاخبار على علاتها كما جاءت في اصلها المخطوط والتعليق عليهـا بالفوائد التي سبقني المؤلفون الى الكتابة عنها وسأشير اليهم كلما رويت عنهم او رجعت اليهم وقد ضربت لأختهم في ذيل الكتاب.

ولما كان « دفتر اخوية العزبان الارمن » الاوفر مادةً والاكمل ترتيباً بين سائر الوثائق[1] التي جمعتها فقد اتخذته اساساً لما سيبنى عليه صادراً من المصادر المتنوعة التي نذكرها في حينها فتتكامل بين يدينا حلقة السنوات من منتصف القرن الثامن عشر الى نهاية الحرب الكونية الاولى . واذ نسير بالقارئ من عام الى عـام نلاقي عشرات الاسماء من اسر مواطنينا ومن ذكرهم تتكون صفحات غالية من تاريخنا ومادة وافرة لدرس الاعلام الشخصية الشرقية ؛ ولا بد من كلمة عن اصل الاخويات ونشأتها وانتشارها فتكون كالمقدمة لكتابنا .

الاخويات ونشأتها[2]

اول من اسس الاخوية راهب يسوعي شاب اسمه يوحنـا لونيس Jean Leunis كان معلماً في المدرسة الرومانية سنة ١٥٦٣ وله تلامذة فتيان يجمعهم الصلاة وللقراءة الروحية عقب الانصراف من المدارس. وانطبعت قلوب هؤلاء الاعضاء الاولين مؤسسي الاخوية الاولى بطابع العبادة البتولية للعذراء مريم القديسة فسنوا لانفسهم قانوناً مارسوه وغرضهم التقوى والثقافة واعمال الرحمـة الروحية والزمنية وذلك القانون لم يزل مرعياً في سائر الاخويات التي تأسست منذ القرن السابع عشر الى يومنا وكان اعظم مشجع لها الحبر الاعظم غريغوريوس الثالث عشر بالبراءة التي اصدرها في ٥ كانون الاول سنة ١٥٨٤ ومنح بها الغفرانات للمشتركين في الاخوية.

---

١) منها وثائق الموارنة والروم الكاثوليك وغير ذلك مما عثرت عليه في البيوت اضف اليه ذكر حوادث الشام في سنة الستين عن مخطوطة في حلب وفي دمشق.

٢) عن فيلاريـة : كتاب المرشد ص ١٥ وعن المؤلف ذاته : تاريخ الاخويات المريمية ص ٢٣.

وانتشرت الاخويات في مدارس الآباء اليسوعيين اولاً ولا عجب وقد اسسها احد اساتذتهم وخرجت من المدارس فجمعت الشبان بعد نهاية دروسهم اذ كانوا يعودون الى المعاهد التي قضوا فيها السنين الطوال من حياتهم فيواصلون فيها حسن العلاقات بينهم وبين معلميهم الاقدمين ، والرابطة الجوهرية بينهم كانت العبادة للسيدة عليها السلام .

وكانت تلك العبادة ولم تزل في صميم روح الكثلكة فاحبها الاكليروس الملياني اذ رآها مزدهرة بين اعضاء الاخويات اليسوعية فانتمى اليها ودعا اليها مصاف المؤمنين من الرعايا والابرشيات فكثر عدد الاخويات وكان غرضها الاساسي واهم قوانينها موحداً بين الجميع ومع ذلك كانت كل اخوية مستقلة في ذاتها متساوية بحقوقها في الغفرانات الا ان الاخوية الاولى في رومة كانت تعتبر كأم ورأس سائر الاخويات في العالم الكاثوليكي لكي تحفظ بين الاخويات كلها الروح المستوحاة من مؤسسها والمصادق عليها ببراءة الحبر الاعظم المذكورة .

وفي ما يخص بلدتنا حلب كان الآباء اليسوعيون قد انشأوا فيها اخويات للافرنج وللموارنة والارمن في منتصف القرن السابع عشر فنمت وافلحت[1] وفي ذلك العهد وبعده كما في ايامنا كانت تحدث ازمات وظروف معاكسة لنشاط الاخوية فيتضاءل نفوذها ويتقلص ظلها فيتشتت الاعضاء وتقف حركة الاجتماعات الاسبوعية لزمان ما الى ان تهب الريح مؤاتية لما تشتهيه السفينة فيقبض على دفتها رجل مقدام يستفز الهمم ويسترد الاعضاء ويجمع شملهم او يذهب في طلب غيرهم ويعيد انشاء اخوية جديدة موافقة للظروف والطوارئ .

اخوية عزبان الارمن

كذا جرى في اخوية عزبان الارمن التي تنشر الاخبار والوثائق عنها فان رئيس الآباء اليسوعيين الاب فرنسيس كويسه في حلب تعرف الى نخبة من شبان الارمن فدعاهم اليه سنة ١٧٥٢ فامتحنهم واختبر عزمهم على الثبات في

١) راجع رابط : الوثائق ١ ، ص ٦٥٦ في الفهارس في مادة اخوية .

الاعمال وشرح لهم القوانين وما يتمتعون بها من الميزات وما تفرضه عليهم من الواجبات فقبلوا بها وما لبثوا ان شكلوا هيئتها المؤسسة كما سترى ذلك في الدفتر الاحق باسم كتاب وهو عبارة عن اربعة مجلدات كبار تشمل الوقائع ؛ الاول : من السنة ١٧٥٢ الى السنة ١٨٣٢ ، الثاني : من السنة ١٨٣٢ الى السنة ١٨٥٧ ، الثالث : من السنة ١٨٥٧ الى السنة ١٨٨٤ ، الرابع من السنة ١٨٨٤ الى السنة ١٩٠٩ .

والمجلد الثالث مفقود ولم نعثر عليه بتفتيشنا في حلب ولا في ادبرة حضرة الآباء اللازريين في دمشق وبيروت وطرابلس لان اخوية عزبان الارمن كانت ترجع اليهم بارشادها وادارتها في ذلك العهد لكننا سوف نعوض عما خسرناه بفقدانه بعض التعويض برجوعنا الى غير ذلك من المصادر المختصة بالحقبات المفقودة في ذلك العهد .

قرأنا « دفتر اخوية عزبان الارمن » فاذا فيه الغث والسمين ولا يصلح للنشر بكماله لان الكثير من الوقائع الاسبوعية تترادف هي هي تقريباً في كل عام في الاعياد وفي غير ذلك من المواسم والظروف المألوفة فاهملنا فيها الروية وانتخبنا منها اما بالحرف واما بالمعنى لا غير ما رأيناه حقيقاً بالنشر وعلقنا عليه بما وفقنا الى معرفته من مطالعاتنا او بما سمعناه عن لسان الحلبيين الثقات ولا يلومنا لائم في ابراز «الدفاتر» غير ما هي في اصلها لان ما ننشره يكون أخذاً عن الاصل لا نسخاً وهذا ما توخيناه وانما الاعمال بالنيات.

وان هذه المواد المقتضبة من رؤوس الاقلام مع التعليقات والاخبار المتصلة بها سوف تظهر في مقالنا مسلسلةً بحلقات السنين كما جاءت في « الدفتر » وقد يتخللها تعليقات واستطرادات كانت نتيجة بحثنا ففصلناها فصولاً عندما رأينا السبيل الى ذلك لئلا تثقل وطأتها على ذيول الصفحات اذا علقناها عليها تعليقاً فضلاً عن ان كتبة « الدفتر » سوف يأتون بمثلها اذا ما توسعوا بوصف حفلة او ذكر واقعة.

ومن هم هؤلاء الكتبة ؟

ان قانون الاخوية يقول بانتخاب الموظفين سنوياً وأحدهم كاتب الاسرار

فهو الذي يحرر محاضر الجلسات في المشورة ويدون في السجل اسماء طالبي الدخول في الاخوية وايام قبولهم الختم او الشهادة وانخراطهم في سلك الاعضاء. ويحفظ في كتابه خلاصة الاعمال. وقد تأتي الايام بحوادث سياسية او مدنية لها تأثير في حياة الاخويـة اذا صارت اضطرابات في البلد او تفشت فيها الامراض فحالت دون اجتماع الاخوة او غير ذلك مما يملي على المحرر سرد الاخبار طويلة او مختصرة طبقاً للظروف العامة ولمواهبه الشخصية ومقدرته على الانشاء. وسيأتي ذكر اسماء الكتبة في لائحة الموظفين واحدهم يسمى اليازجي.

ولما كانت وقائع اخوية عربان الارمن تمتنيّ خاصة بشؤون طائفتها فلا عجب ان يأتي الكلام فيها كالموجز لتاريخها ولا بد من فهم « الدفتر » من نظرة في حالة الارمن الكاثوليك في حلب في منتصف القرن الثامن عشر.

حالة الارمن الكاثوليك

في الكلام عن عدد سكان حلب (المشرق ١٩٤٧ ص ٢٤٩) رأينا سابقاً ان عدد الارمن فيها كان ٦٧٥٠ ومنهم الكاثوليكي وغير الكاثوليكي ولم يكن الفرق بين الاثنين محدوداً مدنياً باعتبار السلطة المدنية شأنه اليوم ولم يكن ولاة بني عثمان ليهتموا لـه لان الاسقف سواء أكان متحداً مع الكرسي الرسولي الروماني ام منفصلاً عنه كان مقامه في دار الاسقفية الموجودة الى يومنا ضمن البنايات التي يدخلها الناس في حيّ الصليبة من البوابتين الكبيرتين المؤديتين الى الباحة التي تفتح عليها ابواب الكنائس الاربع: كنيسة الروم الارثوذكس وكنيسة الموارنة القديمة وكنيسة الاربعين شهيداً للارمن وكنيسة السيدة للارمن ايضاً.

في المحاضرة التي القاها في حلب السيد ارداقاست سوروميان ونشرها بالطبع سنة ١٩٣٤ بيّن ان كنيسة الاربعين شهيداً وهي الكاتدرائية الحالية للارمن غير الكاثوليك بنيت سنة ١٦١٦ ومن تاريخ الرهبانيات اللاتينية من كبوجيين وفرنسيسكان وكرمليين نعرف انهم لما نزلوا حلب سنة ١٦٢٥ كثيراً ما كانوا يقدمون الذبيحة الالهية في الكنيسة المذكورة ويخدمون فيها النفوس وكان الارمن الكاثوليك يصلون فيها ككنيستهم الخاصة.

واشار السيد سورميان[1] الى حسن التفاهم والصداقة التي كان المسيحيون على اختلاف الطوائف يعيشون في ظلها فيتناولون الاسرار معاً وروى (ص ١٠ وص ١٩) ما كتبه سمعان المدرجي اذ زار حلب بعد عودته من القدس سنة ١٦١٦ فقال ان الموارنة كانوا يكرمون الارمن بنوع خصوصي وقد بادلهم الارمن جميلهم فسادت الالفة بينهم وبين سائر المسيحيين وفتحوا كنيستهم للفرنسيين والطليان وجعلوا لمرسليهم مذابح يقدسون عليها . وبين الاب تورنبيز في المقال المذكور في القاموس التاريخي الجغرافي الكنائسي مجلد ٦ عمود ٣٣٠ وما بعده ان رجالات من علية الاكليروس الارمني اتصلوا بروما واعترفوا بسلطة الحبر الاعظم الي المؤمنين العام .

لذلك الاتفاق تصدى البطريرك اسطفان الدويهي وكان قد قضى خمس سنين في حلب واعظاً بين ١٦٦٠ و١٦٦٦ فذكر قدوم السلطان مراد الى حلب سنة ١٦٣٨ في كتابه تاريخ الازمنة (راجع مخطوط المكتبة الشرقية رقم ١٥٩٥ في حوادث ١٦٣٨) وقال ان كنيسة مار الياس الموارنة كان قد احترق سقفها مع الدرابزين وكنيسة بانياس قد خربت ولم يكن امر ترميمها واصلاحها هيناً منذ عهد الفتح الاسلامي كما هو بين في كتب «الحسبة» فتقدم المسيحيون بالخضوع للسلطان واستأذنوه بعمار كنيسة مار الياس في حلب فجددوا «قلدها» وبعمار كنيسة بانياس فتكون لهم وللارمن معاً دليل على ان الارمن في ذلك العهد كانوا يعتبرون كاثوليكيين وكنائسهم كانت تعتبر كاثوليكية الى ان افترق غير الكاثوليك عنهم وجردوهم من كنائسهم واوقافهم .

وفي غضونها كان الشعب يتردد على كنائسه من ارمنية وغيرها ويسمع فيها الى تعليم المرسلين ويبعث باولاده الى مدارسهم فما ان تنتعش بينهم روح الدين المسيحي الا ويرون انفسهم متحدين عفواً بالايمان الكاثوليكي مع المرسلين الى ان تدب عقارب السعاية وتنفث سم التفريق فيهم لانه اذ كان التعليم الكاثوليكي يدعو الجميع على اختلاف اللغات والطقوس والطوائف الى الحظيرة البطرسية الواحدة فقد اصبح البعض من زعماء الاكليروس الارمني

(١) حياة حلب وثقافتها ص ١٩ .

واعيان الشعب يمنعون ابناء طائفتهم عن معاشرة المرسلين بكونهم اجانب عنهم وقد يؤدي الامر الى انقسام الطائفة ويلجىء ابناءها الذين اعترفوا بالسلطة الرومانية على سائر الكنائس الى هجر كنائسهم التي عمروها بدراهمهم والى بناء غيرها على انهم يذكرون ما فقدوه وينوّهون به في فاتحة « الدفتر » الذي ننشر عنه الاخبار واليك بدؤه

الاعضاء المؤسسون

نبذة في ايراد تأسيس اخوية العزبان من طائفة الارمن التي هي على اسم الحبل بسيدتنا مريم العذراء بغير دنس وكيفية السعي في اقامتها وما حدث في ابتدائها تفصيلاً من اوائل شهر تموز سنة ١٧٥٢ مسيحية .

لما كان محقّقاً ومعلوماً عندنا ان كل خير روحي كان او جسدي حصلنا عليه هو ناتج بشفاعة سيدتنا مريم العذراء وان الاخويات المنشأة على اسمها في طائفتنا الارمنية كانت مصدراً لخيرات جمّة فلا بدّ من ان ننسب الى فتورنا في التعبد للعذراء مريم ما حصل بطائفتنا من الويلات اذ فقدنا كنائسنا فتسلمتها الاراطقة وخسرنا كهنتنا . فحرك الله في هذا الزمان قلوب البعض من ابناء طائفتنا فابصروا الحالة السيئة التي صاروا اليها بعدم التجائهم الى والدته المجيدة وذلك على يد الاب الكلي الشرف والاحترام البادري فرنسيس[1] الرئيس العام اليسوعي حينما كان يدعونا الى اجتناء ثمارها فانتبهنا وبذلنا جهدنا في تجديد الاخوية فتكون لعزبان طائفتنا الارمنية لا غير ونزيد على شروطها المعهودة شروط اخوية حماية الايمان الكاثوليكي وانتشاره وهي وسومات الاخوية الاولى التي انشئت في مدينة رومة وقررنا ان تكون اجتماعاتنا في دير الآباء اليسوعيين[2] وتحت تدبيرهم وارشادهم الى الابد .

ولم نتسرع في تأسيس هذه الاخوية واخذنا اولاً نتحادث عنها مع من يليق ان يشترك فيها فجمعنا تسعة عشر نفراً وفاتحنا في الامر حضرة الشماس

١) راجع ترجمته فيما بعد .

٢) كان الدير في خان البنادقة الحالي في حلب وفيه توجد الى يومنا الكنيسة في الطابق العلوي القبلي ثم تحوّلت في القرن التاسع عشر من مقام العبادة الى محل السكنى بعد ما اجلي عنها الاباء اليسوعيون وخلفاؤهم الاباء اللعازريون .

كيورك اراكيل رئيس اخوية حماية الايمان وكان ذلك في اول تموز سنة ١٧٥٢[1].

فاعجب بمشروعنا وساعدنا عليه فاجتمعنا في دير الرهبان اليسوعيين لاول مرة في السابع والعشرين من شهر تموز بحضور ابينا الرئيس العام المذكور فصلينا الصلاة التي يقوم بها اعضاء اخوية حماية الايمان وكان عددهم ينيف عن الثمانين وكنا بينهم فبيّن لهم الاب الرئيس العام مقصدنا من انشاء الاخوية الجديدة فوافقوا على رأيه وحرروا اسامينا في سجل وقائعهم على ان يكون لنا رئيسنا المنتخب بيننا ونتمتع بحق قبول كل من رأيناه لائقاً للدخول في مصافنا.

واليك اسامي الاخوة المؤسسين[2]:

يوسف كركور فرا
نعمة الله داود شاه
وانيس كركور فرا
ميخائيل ميناس مانوك
نعمة الله ميناس مانوك
بقدسار خجدور
الياس كيورك اراكيل
يوسف اروتين كركه
حنا يوسف صاصوني
يوسف سليمان داود شاه
نوريجان خجدور
انطون خجدور
ميخائيل خجدور

---

١) اخوية انتشار الايمان سنذكرها بين سائر الاخويات وكان اعضاؤها مشتركين بنيرها كما هو الجاري في يومنا اذ ينتسب بعضهم الى عدة اخويات او مشاريع خيرية.
راجع المشرق ١٦، ٢٤٥ ومقال الاب جرجس منش.

٢) كانوا، على ما يظهر، كلهم من كاثوليك الارمن وسينضم اليهم رجال من سائر الطوائف الكاثوليكية.

قازار كركور
حنا جرجس بازرجي
بيدروس سماهون
انطون سماهون بزديك
يوسف كبيد شاشاتي
بطرس خجدور قديد

وقد استقمنا نحن الانفار المذكورين مقيمين في سمينا على قدم الثبات مدة عشرة اشهر في التجربة حتى حفظنا الشروط بتمامها الّا ان خمسة منا تركوا الاخوية واثنين سافرا قاصدين الترهب وهما نعمةالله داود شاه في فرنسة في رهبانية الكبوجيين وحنا يوسف صاصوني في دير المخلص الكريم للارمن في كسروان تحت رئاسة القس لوقا العينتابي[1] .

ولما رأينا كثرة الاشغال المتراكمة على حضرة الاب الرئيس البادري فرنسيس ولا يمكنه ان يتفرغ لارشادنا والارشاد لا بد منه[2] في الاخوية طلبنا اليه ان يقيم لنا مرشداً البادري جبرائيل اليسوعي فرضي الرئيس واخذ الاب جبرائيل في ارشادنا وتهذيبنا الروحي ولما رأى نشاطنا وثباتنا اذن لنا بالاشتراك القانوني :

سنة ١٧٥٣

المرشد الاب جبرائيل اليسوعي[3]

وفي هذا العام قبل البركة والختم :[4]

١) هو الدير الذي اسسه البطريرك يعقوب بطرس الثاني (١٧٥٠ – ١٧٥٣) موقعه بين جونيه وبزمار بالقرب من غوسطا وتركه الارمن من بعد فاتخذه الاباء المرسلون « الكريميون » مقاماً لهم .

٢) الارشاد لا بد منه وهو قوام اجتماع الاخوية ومما يؤسف له في زماننا ان بعض الاخويات اخذت تستغني عن الارشاد ولكن لا تلبث ان تستغني عن المرشد فتمسي جسداً بلا روح الى ان تتضاءل وتتلاشى .

٣) جبرائيل ديزورك (Desorgues) ولد في فرنسة في ٢٤ مارس ١٧١٥ دخل الرهبانية اليسوعية في ٧ ايلول ١٧٣٣ نذر نذوره الاخيرة في حلب في ٢ شباط ١٧٥١ او ١٧٥٢ وسوف يعود الى فرنسة بعد الغاء الرهبانية اليسوعية سنة ١٧٧٣ كما سترى (راجع لوثنك : ارسالية الرهبانية اليسوعية الاولى في سورية ١٦٢٥ – ١٧٧٦ المطبعة الكاثوليكية

يوسف كركور فرا
بغدسار خجدود
وانيس كركور
جبرائيل غزول
قازار كركور
مخائيل مانوك
مخائيل خجدور
انطون خجدور
الياس كيورك اراكيل
بطرس خجدور قديد
يوسف سليمان داود شاه
جبرائيل نعمة الله خوكاز
انطون سماعون بزديك
خجدور كركور
يوسف اروتين كوركه
حنا يوسف
بيدروس مرزه خياط
يوسف تاويد
جرجي كسبار حكيم
مخائيل عزوز
انطون بوغوص

بيروت ١٩٢٥ ص ٦١).

٤) يسمى « الدفتر » في وصف رتبة دخول الاخوة الجدد فيطلبون اولاً الاشتراك بالاخوية وتعقد المشورة في امر قبولهم ثم « يكرّسون » فيأخذون البركة « والختم » اي الشهادة المرقومة بختم الاخوية وتسمى الى يومنا الباطاطا ومعناها التحرير الصادر رسمياً من هيئة منظمة (راجع لاروس في لفظة Patente) ولما كانت هذه الرتبة تترادف مرات في السنة فاكتفينا عن التكرار بذكر اسماء الاعضاء الجدد مرةً واحدةً في بدء العام وقد تكون مرجعاً لتاريخ العائلات المسيحية الحلبية واعلامها.

بواص مانوك
شكرالله خوكاز

سنة ١٧٥٤

في هذا العام قبل البركة والختم:
انطون العرقتنجي
حنا نهابيت
انطون الكاتب
وانيس فرا
انطون خجدور
شكري اروتين
يوسف توروز
حنا بازرجي
بيدروس عبد المسيح
١ نيسان : انتخبنا متقدماً للاخوية كيورك اراكيل .
٢١ نيسان : عن نصيحة الاب المرشد اخذنا بتلاوة ثلث المسبحة الوردية وقد عربنا صلواتها واخذنا بقراءة كتاب مدخل العبادة
١١ آب : ذهب حنا نهابيت الى دير المخلص الكريم
٨ ايلول : ذهب بيدروس بن ميرزا خياط الى البندقية الى دير الابا صحبة كيورك ورتبية احد رهبان الابا[1] .

١) دير الابا او دير الاب العام اعني به دير المخيتاريين الواقع في البندقية في ايطالية في جزيرة القديس لازر وفيه متحف من اجل متاحف البندقية . في سنة ١٧١٥ لجأ اليه الراهب مخيتار Mekhitar (وسمناه بالارمنية المعزي) مع احد عشر من رهبانه وكانوا قد هربوا من الاضطهاد من بلاد موره في اليونان . وما ان نزلوا البندقية حتى اسسوا فيها ديرهم ورهبانيتهم وغايتها حفظ كيان الشعب الارمني في حياته الدينية والقومية . ومدرستهم في البندقية عامرة يؤمها شبان الارمن من سائر انحاء اوروبة والشرق ومنهم الحلبيون (راجع براشة Brachet : دير ومشروع المخيتاريين ، الدبس : تاريخ سورية ٨ ، ٧١٦ ، والمشرق ٥ ، ٣٢ وما بعدها) .

٢٠ تشرين الاول : لم نجتمع في الاسبوع الماضي لان جثة قتيل طرحت على باب الكنيسة قبل الاحد بيومين[1] .

٢٩ كانون الاول : انتخبنا متقدماً يوسف كوركور فرا

سنة ١٧٥٥

١ حزيران : اجتمعنا في الديواخانة[2] مكان الروم لانهم انتقلوا الى قلايتهم واشار علينا الاب جبرائيل والاب الرئيس بان نجتمع دائماً في هذا المكان مرةً نحن ومرةً اخوتنا الموارنة لانهم انفرزوا من الروم وصار لهم اخوية جديدة . وفي هذا اليوم ابتدأنا بخدمة الميتة الصالحة ورتبنا ان تكون تلاوتها اربع مرات في السنة في الاربعة الازمنة .

١٥ حزيران : اخذنا بتدوين اسامي الاخوة الذين اشتركوا والذين ابتدأوا والذين ترهبوا والذين توفوا والذين تزوجوا والذين خرجوا والذين أُخرجوا من الاخوية .

٢٩ حزيران : قبل البركة والختم اوديس كربيد عينتابي وكان اول من قرأ فعل التعبد بالارمنية وفي ١٣ منه ارسلنا تحريراً الى رئيس الآباء اليسوعيين في رومة طالبنا فيه مرسوم تأسيس الاخوية .

مطران الموارنة

١٠ آب : ان السيد جبرائيل[3] مطران الموارنة كان قد منع اعضاء

---

١) من القاتل ؟ ومن المقتول ؟ — لم يذكر هذا ولا ذاك . اما الباشا الحاكم فيطلب دية القتيل من اهل الحي ابرياء كانوا او مذنبين (راجع ما كتبناه سابقاً عن الغرامات ص [٨] ٢٥٦) لاجل ذلك لم يمنع الاخوة لئلا يقبض عليهم ويحملوا تبعة الجريمة . وفي تلك السنة (١١٦٩ هـ) تعاقب على حلب ثلاثة ولاة من الباشاوات فلم تكن سرعة التغييرات لتساعد على استتباب الامن وحسن السياسة وتدبير الامور .

٢) موضع الديواخانة باقٍ الى يومنا في خان البنادقة في حلب وهو الى شرقي الكنيسة مفتوح نحو الغرب . ويقيم بالروم الملكيين اجمالاً ولم تكن لهم الا ابرشية واحدة شأن الارمن .

٣) المطران جبرائيل حوشب اسقف الموارنة في حلب من ١٧٣٣ — ١٧٦٢ .

اخويات الموارنة عن الاجتماع لانهم كانوا يأتون من غير اذن منه لكن لما اظهر له البادري فرنسيس المناشير الاربعة التي اصدرها البابوات والاجازة للاباء اليسوعيين باقامة الاخويات بغير مراجعة الاساقفة لم يقتنع بذلك اولاً ثم عاد فرضي على الاخويات وباركها لما رأى ما يصدر من الشر في منعها.

٧ ايلول : قررنا ان يكون التعليم المسيحي للاولاد الصغار في بيت القس انطون الارمني[1].

٥ تشرين الاول : ابتدأنا في تبليط بيت الاخوية.

سنة ١٧٥٦

٤ نيسان : كانت نهاية العمار والبلاط والنجارة وما بلي ذلك من التزريق المختص في مكان اجتماع الاخوية اي في الديواخانة مع الطبقة التي هي مكتبة هذه الاخوية.

٢ ايار : وبّخ الاب المرشد الاخوة الداعين الى اتباع الطقس اللاتيني من دون اذن.

تم تبليط بيت الاخوية ورفع السماطات[2] ونجارة الخوانات ووضع كرسي المرشد ونجارة الشبابيك ووضع الكراسي وستورة الشبابيك وما يتعلق بذلك وقد قضينا سنة كاملة في هذه الاعمال.

واتفقنا على ان يجتمع عزبان الموارنة قبل الظهر ومن بعدهم مزوجوهم ونحن يكون لنا احد خصوصي لجمعيتنا وبلغ ثمن النفقات في ذلك ستماية غرش وقد دفعنا نحن الثلث منه والموارنة الثلث الثاني وتقرر ان لا احد

١) يصير التعليم المسيحي كل يوم احد عند الظهر للاولاد الصغار وخاصةً للفقراء في حلب . ويكون المعلمون فيه من ابناء الاخوية يرئسهم احد الكهنة الافاضل المعيّن من المطارين لهذه المهمة . فترى ان جمعية التعليم المسيحي قديمة في حلب ولم تزل مزدهرة فيها الى يومنا ويجتمع الاولاد في الكنائس او في جوارها وكانوا سابقاً يجتمعون في احد البيوت كما ذكر في الدفتر.

٢) السماطات – كالمصاطب على اطراف البيت تصلح لوضع الاشياء من احذية وغيرها.

يذهب الى البستان[1] بدون اخذ اجازة من المرشد والمتقدم ولا احد يسهر عند الناس بلا اخذ اجازة وفي هذا اليوم سألنا عن معلمي اعترافات[2] الاخوة جميعهم.

١٣ حزيران : في هذا اليوم السريان افترقوا عن الروم وعملوا انتخابهم.

٢٧ حزيران : قبلنا انطون بوغوص وقد عاد من مالطة بعد ان تداوى من وجعة الحصبة.

قضية الصوم

٨ آب : ان سيدنا البطريرك مخائيل[3] بطرس الثالث لما بلغه ان اهل حلب مبلبلون لعدم معرفتهم ترتيب الصيامات[4] والاعياد المفروضة وقد انقسموا اقساماً منهم من اتبع اللاتين ومنهم من اتبع الروم ومنهم الموارنة ومنهم السريان وفي هذا ارسل غبطته في ١٠ حزيران ترتيب الطقس الارمني وحلّل لنا ثلاثة اسابيع من اصوام الارمن وهي اسبوع سركيس واسبوع اسناك واسبوع سورب نيشان ولاشي الاسبوع الاول المنسوب الى الروح القدس والصوم المنسوب الى الملائكة وامرنا بصوم الفطاس خمسة ايام لا غير وان نعيد ميلاد يوحنا وميلاد مخلصنا والختانة ودخول ربنا للهيكل والبشارة على حساب الشرقيين والباقي من الرتب على موجب طقس اللاتين واطاع الجميع الا تابعي الطقس اللاتيني وانقسمت الرهبانيات في امرهم فحكم

١) سنخصص فيما بعد فصلاً للملاهي في حلب.

٢) ستجد فيما بعد لائحة باسماء اعضاء الاخوية ومعرّفيهم في اخوية القربان. وان قضية انتخاب معلم الاعتراف والثبات في استرشاده مما يوصي به معلمو الحياة الروحية ومما يدلّ على التدين الحار وقد امتاز به الحلبيون.

٣) مخائيل كبادريان ١٧٥٣ – ١٧٨٠ رقي الى السدة البطريركية لبضعة اشهر بعد سيامته الاسقفية فتولى شؤون ابرشية حلب بواسطة نوابه.

٤) راجع في امر الصيامات العمود ١٢٨ من المجلد الاول في قاموس اللاهوت الكاثوليكي في مقال الاب تورنيز وراجع بحث توندني في الكلندار الارمني. جمعة سركيس تقع في الاسبوع الثاني قبل الصوم الكبير وجمعة اسناك في الاسبوع الواقع بين ١٥ و٢١ تشرين الثاني وجمعة سورب نيشان هي اسبوع عيد الصليب. اما صوم الروح القدس فيقع في الاسبوع قبل العنصرة وصوم الملائكة في الاسبوع الثامن بعد انتقال السيدة الى السماء.

الاباء الفرنسيسكان بتخطئة من يترك الطقس اللاتيني ولم يوافق غيرهم من الرهبان على الامر وردوا على الورقة التي قرأها الاباء الفرنسيسكان في كنيستهم في ١ آب وانقسم الاخوة في الرأي ومن الذين اصروا على اتباع الطقس اللاتيني يوسف كريد شاشاتي وانطون سماهون بزديك.

طائفة الروم الكاثوليك

٢ كانون الاول : حدث خوف بسبب الفرمان بخصوص كنيسة الروم ونفي المطران مكسيموس[1] الى قلعة ادنه فامتنعنا مدة اسبوعين عن حضور الاخوية.

---

١) الى هذا العهد يرقى الانفصال الرسمي بين الملكيين الكاثوليك وغير الكاثوليك في حلب (راجع شارون : حلب في القاموس التاريخي الكنائسي عمود ١٠٥) اما المطران فهو مكسيموس حكيم فكان قد سيم اسقفاً على الروم الكاثوليك في حلب سنة ١٧٣٢ ثم الجئ الى الابتعاد عنها لكنه كان يتردد على البلد.

واننا في دار اسقفية الروم في حلب وبواسطة المرحوم الخوري جرجس سالم اطلعنا على دفتر سجلت فيه بعض الاخبار مع تاريخ سيامة الكهنة ونروي ما اخذناه عنه في مناسبة ذكر المطران مكسيموس :

« دفتر مبارك يختص بتاريخ اكليروس كنيسة الروم الملكية الكاثوليكية بمدينة حلب المرتسمين في درجات الكهنوتية المقدسة بانتخاب الكهنة ورضى الشعب حسب رسوم القوانين البيعية في الكنيسة المذكورة على مذاهبها المقدسة . يكتتب فيه اسم الرئيس الراسم والشخص المرتسم والدرجة التي ارتسم فيها . واليوم الذي اقتبل فيه وسماً روحياً لا ينسحي ابداً . مع بيان اسم الشهر والسنة الكائنة فيها الرسامة الظاهرة الاحتفالية . مبدوءاً به من عهد رياسة الاب المفضل المطران كير مكسيموس الحلبي الكلي الاحترام وذلك في ١٧٣٢ مسيحية الف وسبعماية واثنين وثلثين.

يوحنا ابن دياب قساً	(مكسيموس)	١٤ ايار	١٧٣٢
قسطنطين بن توما قساً	«	٢١ ايار	١٧٣٢
نعمة الله الفاري شماس انجيلي	«	٢٨ ايار	١٧٣٢
القندافت بن سمعان السمان قس	«	٢٤ حزيران	١٧٣٢
لاونديوس ابن المقدسي ديقري سالم شماس انجيلي	«	٩ تموز	١٧٣٢
حنا عفريت قس	«	٢٠ تموز	١٧٣٢
جرمانوس بن عازار من بيت اصلان الجوخجي قس	«	١٧ ك ١	١٧٣٢

٢٠ كانون الاول : لم نصد القربان المقدس لشدة البرد الذي لم يحدث مثله في حلب منذ سنين عديدة وكان يسودنا الخوف من تهداد الحاكم الذين

نعمة الله يوسف القاري قس	(مكسيموس)	١٤ ك ٢	١٧٣٣
سمعان ابن الخوري سليمان قس	«	٢١ ك ٢	١٧٣٣
جبرائيل بن عبد النور الطبيب قس	«	٢٢ ك ٢	١٧٣٣
ميخائيل قسطنطين جربوع قس	«	٢ شباط	١٧٣٣
جرجس ابن حنانيا صاجاقي قس	«	٤ شباط	١٧٣٣

اعلم ان في هذا الزمان ورد على المطران كير مكسيموس المذكور خبر محزن مهول (وهو على ما يظهر اعتناق اخيه منصور الدين الاسلامي تسمة اشهر بعد سيامة مكسيموس اسقفاً . راجع تفصيل ذلك في مجلة الشرق المسيحي الافرنسية مجلد ٩ ، ص ٢٦) فاضطر لاجله ان يتحول عن كرسيه مدةً ما حكمةً وسياسةً ولذلك سافر الى جبل كسروان متردداً في تلك الديورة العامرة ما بين اخوته الرهبان الاتقياء القانونيين وفي هذه الغيبة الف وارسل الى الاكليروس والشعب رسائله المشهورة التي كان يعزيهم بها ويشدّدهم على احتمال الاضطهادات الشاقة التي اوردها عليهم الرؤساء المشاقون وفيها الف كتابه المعروف بمنهاج التوبة ومدة غيبته هذه كانت ينيف عن ثلاث سنين لان ذهابه كان في اليوم العشرين من شهر شباط ١٧٣٣ وايابه كان في اليوم السادس عشر من شهر نيسان ١٧٣٦ ثم رسم ايضاً كهنة وشمامسة مصلين كما سياتي ذكر اسمائهم متتابعاً :

يعقوب عطاالله بسايس قس	٢٧ حزيران	١٧٣٦
نصرالله بن سمعان الصباغ ابن الخوري فرج‌الله قس	١٨ تموز	١٧٣٦
نعمةالله ابن الخوري جرجس مصلي خوري	١ آب	١٧٣٦
مخائيل بن قسطنطين جربوع خوري	٦ آب	١٧٣٦
ابراهيم ابن بولص داود قس	٢٦ ايلول	١٧٣٦
رزق‌الله جرجس من بيت قصير الديل قس	٢٦ حزيران	١٧٣٩
زخريا ابن يوسف من بيت عفريت قس	١٦ ايلول	١٧٣٩
الياس عبدالله من بيت ابو زيد ططرل قس	١ ت ١	١٧٣٩
جبرائيل بن فضول ارقش قس	١٦ شباط	١٧٤٠
جرجس ابن عيسى المشاطي قس	١٠ تموز	١٧٤٣
الشماس لاونديوس الانجيلي ابن ديمتري سالم سيم من المطران مكسيموس قساً له في	١٣ من ت ٢	١٧٤٣
مخائيل شكرالله المصلي قس	٢٧ ك ٢	١٧٤٥
الياس ابراهيم الحمصي قس	٢٧ ت ٢	١٧٥٤
يوحنا الخوري بولس قس	٤ ك ١	١٧٥٤
يوسف قسطنطين زرزور قس	٢٧ ت ٢	١٧٥٥

يصلون عند الافرنج[1].

٢٦ كانون الاول : المتقدم انطون خجدور شاكر خاف يوسف كركور فرا الذي قام بوظيفته اربع سنوات وعلى ايامه بلغ عدد الاخوة الخمسين وستة منهم دخلوا الرهبانيات وكان ذلك بسعيه.

وفي هذا العام قبل البركة والختم ميكائيل خجدور شاشاتي ، انطون سركيس زادوك ، يوسف كرابيد شاشاتي ، جرجس برغوص الحائك ، جرجس وانيس ، جرجس خجدور صائغ

الاحتفال بالمناشير سنة ١٧٥٧

٢١ ايار : وصل منشور تثبيت الاخوية مع ثلاث صور من رومة.

٣٠ ايار : احتفلنا بقدوم المناشير والصور احتفالاً عجيباً لا بكثرة الناس الذين حضروه فقط ولكن بما اظهر فيه من التقوى والنظام ايضاً.

عبد المسيح جريج قس	١٦ ك ١	١٧٥٥
يوحنا نعمة الله طنبه قس	٨ تموز	١٧٥٦
ميخائيل زكريا صاجاني قس	٥ آب	١٧٥٦

وقد يأخذنا العجب لتواتر حفلات السيامات الكهنوتية خلال الاشهر المحدودة بينما كان بوسع الاسقف ان يدمجها كلها في حفلة واحدة واصل السبب في ذلك نظام الخدمة الرعوية في ذلك العهد اذ لم يكن للكهنة الروم الكاثوليك كنيسة كبيرة خاصة بهم وكان الكهنة يضطرون الى اقامة الذبيحة الالهية في البيوت وكانوا يبنون بشؤون تلك البيوت الروحية فيسمون الاعترافات مصرّفين كل منهم في خدمة عدد معروف من العائلات دون سواها مما جعل المطران يحتفل بسيامة كل كاهن من الكهنة الجدد بحفلة مختصة به . اما العادة التي كان الكاهن بموجبها لا يسمع الا اعترافات « زبائنه » فظلت جارية في حلب الى ان الغاها المطران ديمتريوس القاضي الذي ترأس الابرشية في ٣٣ ت ٢ ١٩٠٣ .

١) افهم بالافرنج المرسلين اللاتين ولهم كنائسهم مفتوحة لمن يدخلها للصلاة والعبادة وسبب منع الشرقيين عن دخولها هي الحجة الواهية بانهم يبرهنون بذلك عن خضوعهم لسلطة دينية « اجنبية » اي الحبر الاعظم الروماني اقول ان الحجة واهية لان الحبر الروماني مع سلطته المطلقة الروحية لا يحول دون خضوع ابناء البلاد الى سلطانهم الشرعي المفروض الواجب لكنه يحرضهم على ذلك طبقاً لكلام الانجيل اعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله . وسوف نرى في اخبار « الدفتر » ما يثبت قولنا اذا تكلمنا عن بعثة السلطان للبابا (راجع فيما بعد ١٧٨٧ ١ ك ٢) .

لقد كنا منذ ستة اشهر وينيف ننتظر مع اخوية عزبان الموارنة واخوية مزوجيهم المناشير لتثبيت اخويتنا واخوياتهم وثلاث صور كبار مختصات بتلك الاخويات وكانت قد عوقت في مدينة قبرس بسبب الحرب لئلا يأخذها الانكليز فلما وصلت اتفقنا على ان نحتفل بقدومها ونقيم صلوات الشكر لذلك وكان مرشدونا يمانعون باقامة تلك الحفلة خوفاً مما يسببه من القلق اجتماع ثلاث اخويات وبسبب ضيقة كنيستهم التي لا تكاد تسع مئة نفر لكن الاخوة اقنعوا المرشدين بالقبول لان الزمان كان في حكم اسعد باشا ابن العظم[1] وسعوا في فتح ممشى السدير موضعاً واسعاً للجمهور وتمت زينة المكان على هذا الطراز :

اقمنا في صدره مذبحاً عالياً فوقه الصور الثلاث المذكورات الكبيرة في الوسط هي تطهير العذراء المختصة بزوجي الموارنة وعن يمينها صورة انتقال العذراء المختصة بعزبان الطائفة المتقدم ذكرها وعن الشمال صورة الحبل بلا دنس المختصة باخويتنا وهذه الصور الثلاث المصورة بيد معلم ماهر جميلة للغاية وكانت تحرك القلوب محبةً نحو العذراء وفي وسط المذبح المذكور وضعنا بيت القربان ونقول بالاختصار ان الزينة بكثرة الشموع والمرايا كانت منظمة بنوع مدهش المقل وكان المكان موشحاً بالاقمشة الثمينة في الحيطان والسقف اما زينة النفوس بالتقوى والعبادة فكانت تفوق جداً زينة المكان فاعترف الاخوة اكثرهم في اليوم السابق لكي لا يصير سماع اعترافهم مانعاً لابتداء الاحتفال في الساعة المعينة يوم العيد وفيما كان الأب الرئيس يرتدي ثياب القداس كان الشماس نعمة خوكاز يرتل الصلاة الى الروح القدس بصوت شجي ثم خرج شماسان متوشحان بالبدلة وبيد كل منهما شمعدان وفيه شمعة موقدة وفي وسطهم يازجي الاخوية وهو الشماس ابن المقدسي غزول عقاد[2]

١) مؤسس دار آل العظم وهي اليوم مقام المؤسسة الفرنسية في دمشق . راجع ما قاله عن اسعد باشا السيد سوفاجه في كتابه عن حلب (رقم ٢٠٩ مكرر) فقد عرف الخايرون جميله وهاجوا محتجين لما تحول عن مدينتهم الى مصر .

٢) غزول عقاد — لقب بالمقدسي لانه زار القدس . ويكون هو محرر دفتر اخوية العزبان الذي ننشر عنه هذه الاخبار .

وفي يده صورة منشور اخويتنا المترجم الى اللغة العربية نقرأ المنشور ووجهه الى الشعب المنتصب على الاقدام لاستماع القراءة بكل اصغاء واحتشام وفرح وكان الجمهور محتشداً حتى كاد الناس يطأون بعضهم بعضاً وقد يبلغ عددهم نحو الالف نفر ثم تلا خجدور شاكر متقدم اخويتنا فعل التعبد وكذلك بعده متقدم مزوجي ثم متقدم عزبان الموارنة وبعد القداس والشكر خرج الناس والكثيرون منهم دعوا الى مائدة عظيمة كانت قد اعدت لهم وقال الذين عهد اليهم بتقدمة القهوة[1] انهم سقوا سحابة فنجان قهوة وبعد قيام الاخوة من المائدة دخل اعضاء اخويات العزبان والمزوّجين من الروم والسريان ومزوّجي اخويتنا وباركوا لنا ففرحنا فرحاً عظيماً واضفناهم بكل اكرام وواجب.

وفي غضونها كان كهنة الارمن والسريان يقدسون بالتتابع امام القربان المصمود حتى صار نصف النهار وبعد انتهاء القداسات دخل الكهنة المذكورون وباركوا لنا ثم تناولوا طعام الغذاء عند آبائنا اليسوعيين المكرّمين وقد هيأوا لهم وليمة مكلفة بالمحبة.

وبعد القداسات نظمنا مع سائر الاخويات تناوب السجود امام القربان المقدس فكنا نقضي نصف ساعة السجود عشرين عشرين الى المساء وعند الساعة الرابعة زوالية جلس البادري جبرائيل اليسوعي على كرسي عالٍ في جانب المذبح والقى عظةً موضوعها شرف الاخوية ثم رتلنا في الزياح الصلوات بالارمني واللاتيني والعربي وكل منا انصرف الى سبيله وكل ذلك تم برئاسة الاب المحترم فرنسيس فردينند كويست وسعي مرشدنا الاب المكرم البادري جبرائيل اجزل الله ثوابها ونفعنا ببركاتها آمين.

الحوادث المكدرة

١١ كانون الاول : لم نجتمع منذ ثمانية وعشرين يوماً لما صدر من

---

١) عادة تقديم القهوة او غير ذلك من حلوى او من مرطبات لاتزال جارية الى يومنا في اعياد الاخويات في حلب.

الحوادث المكدرة[1] في مدينتنا : الغلاء والكساد وقلة الاشغال وجور الحكام والخسائر التي حلّت بالمسيحيين وحبس بعضهم واغلاق الكنائس من سائر الطوائف وسجن بعض المطارين[2] فتفرق اعضاء الاخوية وتشتتوا بين مدينة ومدينة ومع ذلك دعانا الاب المرشد الى الاستعداد لعيد الاخوية .

٢٠ كانون الاول : احتفلنا بالعيد وفي ٢٥ منه انتخبنا يوسف فرا متقدماً .

سنة ١٧٥٨

٢٢ كانون الثاني : جرجي حائك عمل ليلية[3] ودعا اليها خمسة انفار من الاخوة وكذب عليهم قائلاً انه اخذ اجازة المتقدم لذلك فخف ذنب المضافين اما الاب المرشد فوبخ الجميع ووضع قصاصاً على صاحب الوليمة بان يركع امام العامود الى نهاية الجلسة فظل راكعاً ساعةً واحدةً وامر الاب المرشد الّا احد ينام خارج بيته .

٢٨ ايار : سافر احد الاخوة الى قرية بيروت وجاء احد الاباء اليسوعيين من بغداد ثم سافر الى نواحي الجبل جبرائيل عقاد المساعد الثاني وله اتعاب وافرة على الاخوية .

---

١) راجع تفاصيلها في « نهر الذهب » الكامل الغزي ٢ ، ص ٢٠٠ و٢٠١ وما كتبه سوقاجه في مؤلفه المذكور ص ١٩٢ وما بعدها ولا منس في كتابه : سورية ٢ ، ص٦٣و٦٤ .

٢) راجع ما جاء في المشرق سابقاً ص [١٧] ٢٦٥ وراجع المجلة البطريركية للخوري بولس قرألي ٥ ، ١١٣ و١١٢ ترَ ان من حبس من المطارين كان جبرائيل حوشب الماروني ومكسيموس حكيم الملكي الكاثوليكي .

٣) الليلية في اصطلاح الحلبيين هي الليلة التي يقضيها الناس ساهرين يتلهون بالغناء والرقص وقد يظهر بعضهم فيها متنكرًا بالماخر (Masque) مما يدعو الى الالتباس بامر الاشخاص ومعرفة هويتهم والى ما يتأتى عن ذلك من المكروهات . وان قانون الاخوية في ذلك العهد حرم تلك الحفلات ما لم يؤخذ الاذن في حضورها من الاب المرشد وهذا كان ينهي عنها ما لم يتأكد انها لا تسفر عن شر (راجع كتابنا : وثائق تاريخية عن حلب ٢١ ، ١٦ ، ١٢) .

وربما استدعي الى السهرة صاحب كركوز او الخيالاتي فيضرب خيمته في البيت وعليها الشاشة البيضاء ومن ورائها يوقد السراج ويلعب الممثلين وسوف نأتي على ذلك في الكلام عن الملاهي في حلب .

٣ ايلول : ارسل مطران الروم[1] وختم بيوت جميع الكهنة الروم الكاثوليك وبيوت بعض من العلمانيين وقبل ذلك اظهر البطرك كابريل[2] والمطران كابيك الارمنيان فرماناً لنفي اربعة انفار اثنين كهنة: دير بيدروس كاناج ودير انطون غزول واثنين من العلمانيين : كيورك فرا (المتوفى حديثاً) والمقدسي اوهان خياط ومسكوا دير انطون غزول ومقدسي اوهان خياط وحبسوهما عند محمد آغا ابن كجك علي[3] آغا المتسلم الحكم في هذا العصر بعد ان قدموا عليهما شهود زور من كهنتهم واعوامهم بانهما افرنجيان مفسدان واجب نفيهما من هذه المدينة الى قلعة ارواد وانجبا ثلاثة عشر يوماً وتكلفنا على اطلاقهما نحو اربعمائة غرش.

١٥ تشرين الاول : سافر جبرائيل خوكاز وكرابيد دادور الى كسروان تغييراً للهواء.

١٢ تشرين الثاني : تعافى حضرة الاب فرنسيس من مرض الحمى.

سنة ١٧٥٩

٩ كانون الاول: اخذ الختم والبركة اوديس كيورك تابع خواجه كوزين[4] الفرنساوي ويوسف نعمةالله خوكاز.

---

١) هو مطران الروم الارثوذكس فيليمون اقامه البطريرك القسطنطيني آنفاً على حلب في شهر تشرين الثاني ١٧٥٧ .

٢) هو جبرائيل كاثوليكوس قيليقية من سنة ١٧٥٨ الى ١٧٧٠ وكان قد سبقه اخواه الاثنان رجالا على السدة البطريركية الارمنية الغريغورية وسيخلفه عليها ابن اخيه .

٣) محمد بن كوجك علي المتوفى سنة ١١١٢هـ ١٧٧٨م جاءت ترجمته مختصرة في كتاب اعلام النبلاء للشيخ راغب الطباخ ٧ : ١٠١ "كان احد « القبوجي باشيه » بالباب العالي وكان « صدر اعيان حلب ورؤسائها » فلا عجب ان يقضي ويمضي في ذلك عهد الفوضى كما وصفه المؤرخون .

٤) Cousin احد التجار الفرنسيين .

سنة ١٦٧٠

١٥ ايار : كنا حزينين لان القناصل اغلقت دوائرها خوفاً من الوبا[1] ربنا يدفعه عنا .

الكهنة الاربعة

٢١ حزيران : عيد القديس غريغوريوس جرى احتفال عظيم بحضور كهنة الطوائف والاخويات في كنيسة ودير الاباء اليسوعيين في غضونها اعتنق الايمان الكاثوليكي اربعة من كهنة الارمن : دير بغيازار ودير كربيد ودير موسيس سماهون ودير يغيا[2] .

٢٢ حزيران : طلب مطران الارمن يوسف فرا متقدم الاخوية واثنين من اعيان الطائفة وخاصهم فسألوه الا يصدر منه ضرر بحق الكاثوليك .

٣ آب : كان عددنا قليلاً بسبب رائحة الوبا في مدينتنا ومن اجله اختبأ الاباء اليسوعيون[3] وايضاً من جراء ما صار لنا من قبل مطراننا كبرييل ورتبيت المنولي فانه غضب ومضى الى الحاكم بعد ان كان ترابط معه واشتكى علينا . في ٢٩ حزيران جاءه طلب الحاكم فذهب اليه واخذ معه رجلاً من طرفنا فطلب الحاكم الكهنة الاربعة الذين اعتنقوا الايمان الكاثوليكي فاخذ المطران يعتذر ويقول انه لا يعرفهم وليس له غرض فيهم وكان ذلك تظاهراً امام الذي

---

١) الوبا او الكوليرا في ايامه كان الافرنج يخرجون من المدينة ويقطنون في حي الكتّاب وهناك بنى الآباء الفرنسيسكان كنيسة على اسم القديس انطونيوس البادواني .

٢) راجع مقال الاب تور نيفر في القاموس التاريخي الجغرافي الكنائسي في مادة حلب عمود ١٢٧ Alep.

٣) من الفطنة الا يعرض اهل الدير لخطر الهواء الاصفر لئلا يؤدي الامر الى اغلاق الدير والكنيسة ومنع المؤمنين عن دخولها . . . لكن الاب الرئيس الذي امر المرؤوسين في الدير الا يخرجوا منه عرّض نفسه للخطر وذهب يعود المرضى ويزودهم بالاسرار المقدسة وسوف يأمره الرؤساء بالاحتجاب ولكن قد يكون تسرب اليه المرض فيموت ضحية تفانيه كما سترى .

معه منا لكي لا نعرف انه هو المشتكي علينا فامهله الحاكم الى ان يحصل له اسماء الكهنة المذكورين . فعاد المطران وجمع اعيان طائفتنا وسألهم رأيهم وكانت غايته ان يضرنا من غير ان نعلم ان الضرر منه فاجابه الاعيان ما لنا وللحاكم اعطه الجواب من طرفك فاذا طلبنا فسوف نوافيه بالجواب عن ذاتنا. وطالت الجلسة خمس ساعات فلم يأخذ المطران النتيجة فصرفهم.

وفي اليوم التالي والايام التي بعده كان يستدعي اثنين او ثلاثة من الشعب ليستجوبهم فيأتون جمهوراً ويعطونه الجواب السابق وكان قصده التفريق بيننا لكي يستطيع الغدر بالكهنة الاربعة المذكورين واخيراً يوم الخميس ثالث تموز ارسل طلبنا فذهبنا جمهوراً حسب كل يوم وواجهنا المطران واذ نحن بالكلام معه اتى رجل من قبل الحاكم وطلبه فاشار المطران خفية الى الرجل بان يأخذ معه ثلاثة انفار منا وهم : كركور فرا وسماهون مانوك قزاز ومانوك عيواظ خياط وامره ايضاً ان يأخذ اراكيل الوكيل الارتوقي وذلك لانه رآه متحداً معنا فذهبنا اجمعين الى السرايا فدخل المطران الى الحاكم وبصحبته المطران القديم مساعداً له وهو بيدروس ورتبيت ابن مقصود الحلبي وبتدبير الهي انحبس الاثنان وبقينا كانا محبوسين هما في مكان ونحن في مكان ومعنا اراكيل الوكيل وبقينا في الحبس سبعة ايام وفي اليوم العاشر من تموز بتدبير الهي مع سعي المحبوسين طلعنا منصورين بعطا قليل من غير ان يصير علينا سمعة عطي واستقام المطرانان في الحبس لان الحاكم مسك على كل واحد منهما علة شرعية وحبسه عليها واخيراً كل واحد منهما اعطى جرماً وحده وطلع ونحن انتصرنا عليهما ودار الكهنة الاربعة من بعد ان استقاموا محبتين اربعين يوماً . نسأله تعالى ان يثبتهم في الايمان ويعطيهم الصبر على الاضطهاد.

٧ آب : كان الكهنة دايرين من غير خوف وكنا فرحين لاجل ارتفاع الوبا عنا ولاجل ارتفاع شر الاراطقة وانصرفنا بسلام اما هؤلاء فكانوا تهددونا بفرمان تسركل ونحن لا نبالي بكلامهم متكلين على الذي خلصنا سابقاً .

فرمايه السركل

٢٨ ايلول : جاء من اسطنبول جوخدار[1] ، خوزين ومعه فرمان تسركل وبعد غروب الشمس اخبر يوسف فرا متقدم الاخويتين ان اتى فرمان تسركل في بعض انفار الارمن الكاثوليكيين وكان الاراطقة اخبأوا امره لئلا ينهزم الانفار الذين جاء الفرمان ضدهم فارسل يوسف فرا واعلم الكهنة القدماء والحذيثين بامر الفرمان ووجههم الى بيوت التراجمين الافرنج .

وما اشرق عليهم الصباح الا وكل واحد كان في مكانه ولما انتصف النهار ارسل الاراطقة واستدعوا يوسف فرا فذهب اليهم بصحبة انطون قزاز فاراد الاراطقة ان يسلموهما الى الحاكم مكرًا فالزب خلصهما وعرف يوسف فرا انه تحت الطلب فذهب الى دير الاباء اليسوعيين واقام اخاه محله فلما حضر الجوخدار والتفنكجية اخذوا وانيس فرا عوضاً عن اخيه يوسف ومضوا في طلب مقدسي عيواظ خياط فهرب من بين ايديهم ودخل المحكمة واختفى فيها فاخذوا عوضه ابنه عبدالله واخذوا ايضاً اراكيل الوكيل وواجبوا البكجي[2] ، فسأل وانيس عن اخيه يوسف وعبدالله عن ابيه عيواظ واراكيل عن الكهنة الاربعة فقالوا لا نعلم اين هم فسجنوا في قناق[3] التفنكجي باشي وظلوا محبوسين عشرة ايام واستقام يوسف فرا في دير ابهاتنا اليسوعية واتاه المقدسي عيواظ وصار اعيان الطائفة يأتونهم خفية ويتشاورون واياهم في تدبير الامور فتحققوا ان الفرمان صدر ضد الستة انفار الذين طلبهم الحاكم لا غير فهدأ بال اعيان الطائفة وكانوا خافوا لئلا ينالهم الفرمان وكانوا يقتصرون عن التردد الى الازقة الى ان تحققوا الامر .

١٤ ايلول : لم نجتمع لكي لا نلفت الانظار ولا يعلم الناس بوجود يوسف فرا والمقدسي عيواظ في الدير وكان الاراطقة وضعوا نواطير عند باب

---

١) جوخدار او جوقة دار ، راجع المشرق سابقاً ص [١٢] ٢٦٠ حاشية ١ .
٢) البكجي هو الحارس او البواب .
٣) قناق اي المحطة . وايضاً المنزل الواسع .

الخان لظنهم ان احدهما يخرج فيقبضوا عليه ويحبسوه وقد حبسوا ليلاً كيورك فرا الى ان جاء ترجمان البندقي لانه كان نابعاً لقنصل البنادقة وخلصه. وصاروا يلتمسون السبيل الى مصالحة المطرانين ولم يوفقوا الى ذلك فخرج من ثم يوسف فرا من مكان خفيته في الدير ومضى الى موضع مجهول من الجميع لكي لا يثير الظنون واتخذ الاراطقة اعواناً من السرايا وفي غضونها ارسل يوسف فرا ودعا المقدمي عيواظ والكهنة الاربعة وتشاوروا فيما يعملون وفي ١٧ ايلول حدثت عوانة[1] عليهم فلما اتاهم التفنكجي باشي[2] مع نفره وقرع الباب خرجوا حالاً لئلا يتضرر صاحب البيت ولكي لا يصير لهم اهانة فذهب ستة منهم مع التفنكجي باشي ونفره الى السرايا واعتقلوا عنده بامر الحاكم واطلق سراح المسجونين سابقاً.

١٨ ايلول : ارسل الحاكم جماعة من اتباعه واستدعى الورتبيد بيدروس والورتبيت ابن مقصود المساعد فواجها الحاكم فامرهما بان يعطيا الجوخدار الف غرش خدمة كما هو مقطوع في الفرمان وطلب خمسة آلاف غرش لتنفيذ التسركل وكلمهم بكلام صعب قائلاً انما يستحق بكما الشنق لانكما فتحتما للدولة باب المخالفة فترامیا على اقدامه وبرطلاه بثلاثة اكياس[3] فرضي عنهما بخمسة فاستقاما محبوسين الى ان دفعا الخمسة اكياس وعاد الورتبيد واستدعى اثني عشر من اعيان الطائفة ليتدبروا الامر معه وبلغ الخبر الى يوسف فرا فارسل احد رجاله الى الاثني عشر المطلوبين من المطران ليملي عليهم الجواب الواجب تقديمه للمطران بصوت واحد ولم يوفق الرجل الا الى

---

١) العوانة ترجموها بالافرنسية بلفظة avanie وهي الغرامة . راجع مقالنا السابق ص [٨] ٢٥٦ وما بعدها .

٢) تفنكجي باشي ضابط الحرس السلطاني وهو الذي يقدم « التفنكة » اي البندقية للسلطان في الصيد وغيره. ومن امتيازاته انه كان يرافق حصان الصدر الاعظم في الاحتفالات والمواكب الرسمية (راجع دي ليتان الدرر العانية في مادة تفنكه).

اما التفنكجي باشي في حلب فله من شرف اللقب ما يرفع مرتبته عند الناس سواء أحمل او لم يحمل سابقاً عبء الوظيفة المذكورة.

٣) الكيس قيمته ٥٠٠ غرش ذهباً.

مراجعة سبعة منهم ولكن بتدبير الهي كلهم ادّوا الجواب الذي قرره يوسف فرا في المشورة واليك فحواه:

ارسلتَ واتيتَ بفرمان لتسركل ابهاتنا واخوتنا وتطلب رأينا في كيفية تتميم ما ابتدأتَ به فليكن معلوماً عندك انك سواء اسركلتهم او ابقيتهم لن تنال منا ولا بارة واحدة وجميعنا مسافرون من هذه المدينة لنتخلص من يدك وابقَ فيها انت وجماعتك واوفوا مال الاميري الذي على الطائفة للمحصل ونحن نعلم انك سوف تعاملنا كما عاملت سائر رفاقنا ان بقينا في المدينة فخير لنا الرحيل مع عيالنا من ان تسركلنا فنتشتت عن عيالنا وان طلبنا الحاكم فنعرف كيف نجاوبه.

عاد الخادم واخبر المطران بجواب الجماعة الاثني عشر فوقع في حيرة عظيمة وصار الحاكم يطلبه كل يومين او ثلاثة ويطالبه بالدراهم ويتهدده وينظر اليه بعين الغضب فكان يرد المبرطلون في السرايا غضب الحاكم عن المطران ولولا البرطيل لما صبر الحاكم[1].

اعضاء الدفوية في السجن

١٢ تشرين الاول: كنا حزينين جداً من سبب ابهاتنا واخوتنا منذ ستة وعشرين يوماً في غضونها راجع الورتبيت الحاكم ثلاث مرات وطلب اليه ان يقيم وكيلاً لجباية الاموال من الكاثوليك فلم يرض الحاكم بذلك بل طلب من الورتبيد دراهم صاغ من يده فلمّ من جماعته وقبض الحاكم ثلاثة غرش.

٢٦ تشرين الاول: مضى اربعون يوماً على سجن ابهاتنا واخوتنا.

٩ تشرين الثاني: والرابع والخمسون من سجن اخوتنا وابهاتنا ونحن نتوقع الافراج عنهم لاننا كنا سبقنا وارسلنا عرض حال الى الباشا والقاضي والمحصل شهدنا فيه بحسن حال الستة انفار وباغراض المطرانين ونوهنا فيه ان لم تطلقوا سراح السجناء سيتم ضرراً للمال الاميري وكانت عروضاتنا قد

---

١) بين سنة ١٧٦٠ و ١٧٦١ تناوب ثلاثة باشاوات الحكم في حلب (راجع الغزي: نهر الذهب ٢، ص ٣٠٢ و ٣٠٣) فلا نعرف ايهم المشار اليه في دفتر الاخوية.

ارسلت صحبة الططري[1] من اتباع الباشا خفية وفي هذا اليوم كان مضى اربعة وعشرون يوماً على سفر الططري.

١٦ – تشرين الثاني : توفي كيورك بن مانوك القشقجي وتأهل في هذه الايام حنا يوسف صباغ فرفعنا اسمه من اخوية العزبان.

٧ – كانون الاول : اتانا فرمان اطلاق المسجونين في اليوم الاربعين من ذهاب الططري بالرغم من الفرمان السابق الذي كان يأمر الجوخدار بان يقبض على السجناء ويعتقلهم في قلعة ادنه فاطلق السجناء وعرف الكاثوليك الامر اما الاراطقة فسعوا به ولم يصدقوه وخرج ابهاتنا واخوتنا من الحبس بعد ان قضوا فيه ستة وثمانين يوماً واستدعى المطران الحاكم وحبسه بسبب تأخير دفع المال في السجن الذي كان فيه جماعتنا.

فحمدنا الله تعالى وشكرنا له الخيرات العظيمة التي افتقد بها كنيسته وعرّف بها المساكين التعساء من المنفصلين عنا ان لا خلاص الا في الكنيسة الحقيقية الواحدة الجامعة المقدسة الرسولية التي لا تزال مضطهدة ومنتصرة وان كثيرين في هذه الازمة اعتنقوا الايمان الكاثوليكي ومنهم شماس انجيلي من كنيسة الاربعين شهيداً.

(له صلة)

١) الصواب التاتار من التركية وهو البريد (راجع دي ميناز : الدرر العانية في مادة تاتار.

خطط دمشق — ٤

أبنية دمشق الأثرية المسجّلة

بقلم صلاح الدين المنجّد
رئيس دائرة الآثار السورية العامة (دمشق)

١

توطئة

نقصد بكلمة « مسجلة » الابنية التي رأت دائرة الآثار القديمة ، أنها آثار جديرة بان تُحفظ ويُعنى بها .

وتسجيل هذه الابنية يقيّد اصحابها بقيود ينبغي مراعاتها .

فالجوامع ، والمساجد ، والكنائس ، والبيع ، والاديرة ، والمدارس ، والمباني الاثرية الاخرى ، التي تدخل في سجل الابنية الاثرية ، يتصرّف بها مالكوها والمتولّون عليها ، على أن تستعمل للغاية التي أُنشئت من اجلها .

ومالك البناء يقوم بجميع ما يحتاج اليه من اعمال الصيانة والترميم التي ترى دائرة الآثار ضرورة لها .

ودائرة الآثار تنظم هذه الاعمال وتُشرف عليها ، لضمان الابقاء على ميزة الابنية المذكورة من الوجهتين الفنية والاثرية . ولا يحق للمالك أن يُجري في البناء الاثري المسجل ، تحويراً ، ولا يحق له هدمه او تغيير شكله الاثري . واذا فعل فيجبر على اعادة البناء الى ما كان عليه من ماله .

***

ونحن نقدّم هنا ابنية دمشق المسجلة ، من ايام الرومانيين الى نهاية ايام الايوبيين ، مرتبة ترتيباً تاريخياً ، بحسب تاريخ إنشائها او تجديدها .

١٧

انك لعاجز عن وفاء دينك
فكن صامتاً بالأقل
ليوهب لك .
لا تدينن من دانت نفسها
ولا تردن بمن احتقرت ذاتها .
بل اطمئن بالًا
فاني لن اطالبكما بالدين
انت او هي .
قد عفوت عنكما
كما عفوت عن الناس جميعاً .
وان عشت حسب الشريعة ،
يا سمعان ،
لا تزال مع ذلك مديوناً لي .
فهلمَّ وصافح نعمة
أنعمت بها عليك
انظر المومس ،
كيف تصرخ
على مثال الكنيسة :
احتقر وأمتهن
رجس اعمالي...

١٨

اذهبا فقد ترك لكما
ما تبقى من الدين .
سيرا فقد تحررتما
من كل غُلّ
ولا ترجعا
الى الاسر ثانية !
لا تكتبا عليكما صكاً آخر
بعد اذ مزّق الاول [1]
قل لي ذلك يا يسوعي ،
اني لقاصر
ان اعيد اليك ما استدنته .
لاني أسرفتُ الربى
ورأس المال .
فلا تطلب مني
ما اقرضتني ،
رأسَ مالِ نفسي
وربى جسدي .
بل ارحمني لانك حنون
إنسَ وامحُ
رجس اعمالي...

١) اشارة الى رسالة بولس الى اهل كولوسي ٢-١٤

جـدده نور الـدين محمود بن زنكي سنة ٥٥٩ هـ ـ ١١٦٤ م . فـالمداميك التي فوق البـاب هي اسلامية .

انظر : المنجد ، دمشق القديمة ص٢٩

(١ Wulzinger et Watzinger L. 5. 1.

Sauvaget, M.H.D. p. 4

Wiet, Notes d'épigraphie, Syria VII, p. 47

Répertoire, IX, p. 35-36

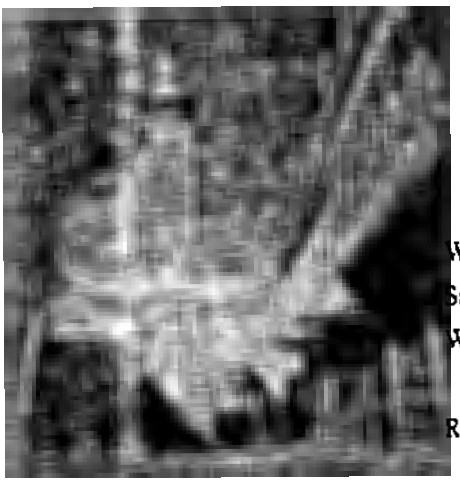

الباب الشرقي بحالته الحاضرة

٢ ـ القناة الرومانية

قسم من القناة الرومانيـة القديمة . يقع في حي القنوات الذي استمد منهـا اسمه . بنيت قبل القرن الرابع الميلادي .

وقد كشف حديثاً قسم منها ، مهدم ، تحت بناء مطبعة الحكومة الرسمية ، فنقل واستعمل بعض احجـارها في بناء جدار المسجد الاموي الشرقي .

انظر : WW. : B. 4. 3

Sauvaget, M.H.D, p.10

٣ ـ بيت القديس حنانيا

بالقرب من الباب الشرقي ، في نهاية درب الكنيسة المصلية القديم . بقايا معبد ، وكنيسة بيزنطية من القرنين الثالث والخامس الميلاديين . اولهـا هي الكنيسة المصلية التي يذكرها مؤرخو العرب .

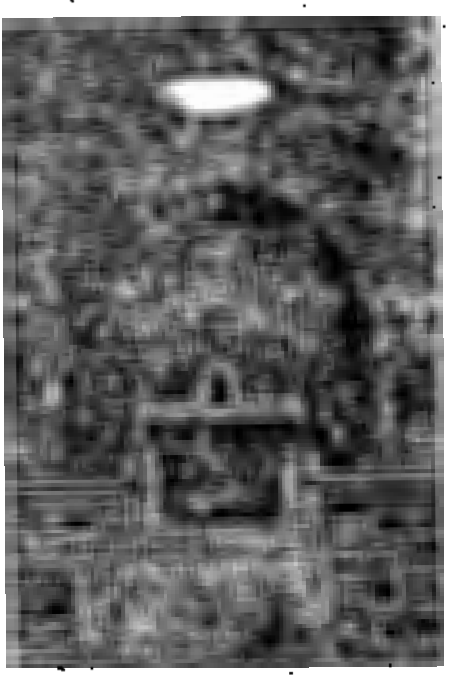

معبد القديس بولس في بيت القديس حنانيا

(١ سنشير فيما بعد الى هذ المصدر بحرفي WW

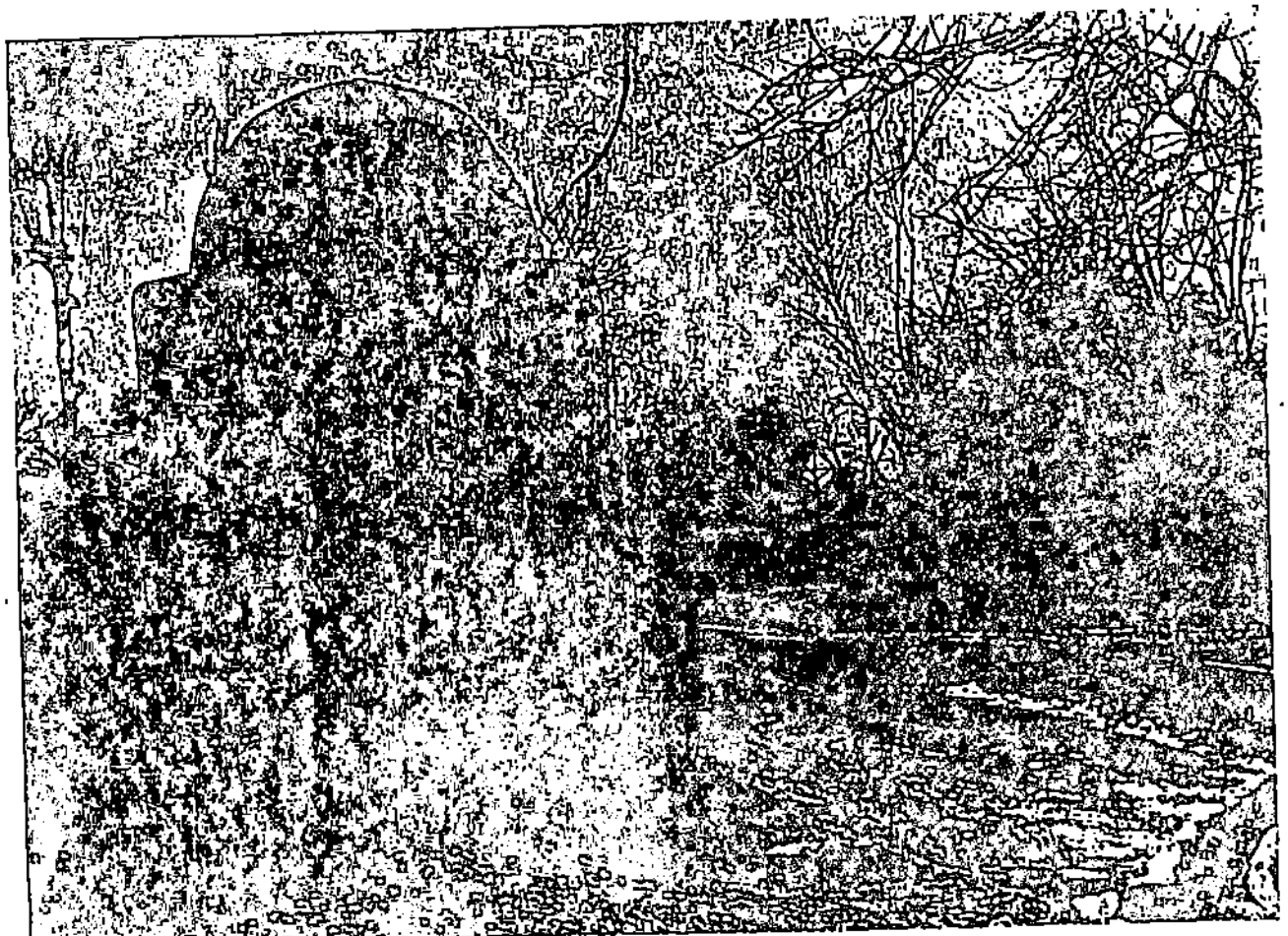

قبة المسجد

Sauvaire, *Description de Damas, dans J. As.* 1896. p. 264. note 74

Creswell, *Early muslim architecture.* T. I, pp. 101-146.

Sauvaget, *M. H. D.* pp. 12-38

Marçais, L'Art de l'Islam, pp. 24-26.

Sauvaget et Weulersse, *Damas et la Syrie Sud*, p. 23

Sauvaget, *Esquisse d'une histoire de ... Damas*, p. 447. dans R. E. J. 1934

Sauvaget, *Mosquée Omeyyade de Médine*, p. 95

Sauvaget, *Décrets Mamelouks de Syrie*, pp. 10 et 41

Van Berchem, *Notes archéologiques sur la Mosquée des Omeyyades* (B. E. O, VII-VIII)

De Lorey, *L'Hellénisme et l'Orient dans les Mosaïques de la mosquée des Omeyyades. dans Ars-Islamica* VI, 1934, pp. 22-45

Dussaud, *Le Temple de Jupiter, dans Syria III* pp. 219-250

De Lorey, *Les Mosaïques de la Mosquée des Omeyyades* dans *Monuments Piot* t. XXX.

Répertoire, T. VII, pp. 214, 215 et 217, 218

T. VIII, pp. 80 و 81 و 120

ومن الكتب المخطوطة :

ابن عساكر : تاريخ دمشق (مخطوط في الظاهرية ، تاريخ رقم ١ مجلد ١)

ابن شاكر : عيون التواريخ ، (مخطوط في الظاهرية تاريخ رقم ٤٦) جزء خامس ورقة ٧٣آ

مجهول : تاريخ مسجد دمشق . (مخطوط في الظاهرية . مجموع عام ٣٩٧٥)

ابن قاضي شهبة : تاريخ بناء دمشق ومعرفة من بناها . (مخطوط ، ظاهرية مجموع ٤٦٢٤) ورقة ٣٦ آ — ٤٥ ب .

النعيمي : تنبيه الطالب وارشاد الدارس . (مخطوط . خزانة المجمع العلمي العربي) فصل المساجد .

القاسمي : تعطير المشام في مآثر دمشق الشام (مخطوط في خزانة الاستاذ ظافر القاسمي) فصل المساجد .

الابنية الفاطمية

٥ — ضريح فاطمة بنت أحمد بن الحسين .

في مقبرة الباب الصغير . ضريح من الحجر ، عليه كتابات كوفية رائعة من الطراز الفاطمي ، فيها آية الكرسي . الكتابة تدل على أن « هـذا قبر

فاطمة بنت أحمد بن الحسين. توفيت رضي الله عنها سنة تسع وثلاثين واربعماية» ٤٣٩هـ-١٠٤٨م.

من قبور اهل البيت .

انظر : Sauvaget, *M. H. D.* p. 48

Répertoire, VII, p. 81

ابن الحوراني: الاشارات الى اماكن الزيارات ، (مقابر الباب الصغير) ص ١٨

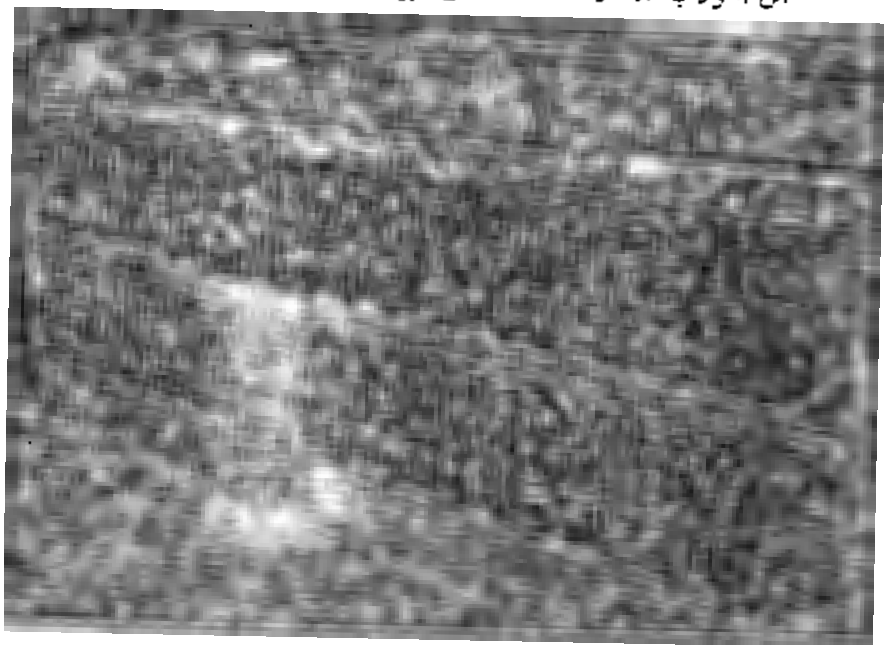

قسم من قبر فاطمة بنت الحسين

٦ ـ قبر السيدة سكينة بنت الحسين

في مقبرة الباب الصغير . ينسب الى السيدة سكينة بنت الحسين . وفي النسبة خلاف . يهبط اليه بسلم . ضريح من خشب الجوز ، عليه نقوش وزخارف غنية ، مزهرة رائعة ، على الطراز الفاطمي . في ثنايا ذلك كتابات كوفية ، فيها :

« هذا قبر سكينة بنت الحسين ، عليها السلام »

وفي الجانب الجنوبي : « انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ، ويطهركم تطهيرا . » الآية .

حول الضريح آية الكرسي .

٦٢٣هـ–١٢٢٦م نزل عليه يزيد بن ابي سفيان في حصار دمشق ، ودخل منه تيمورلنك سنة ٨٠٣هـ . على الباب كتابتان : الاولى من زمن نور الدين ، والثانية من زمن الملك المعظم . رممته مديرية الآثار في الشهور الاولى من عام ١٩٤٨ .

انظر : المنجد ، دمشق القديمة ص ٤٩–٥٠

W. W. : F. 6. 3

Sauvaget, *M. H. D*, p. 4

« *Quatre décrets Seldjoukides*, p. 8-9

Répertoire, X, n° 3955.

٣٤ ــ تربة محمود بن زنكي ، أمير قرقيسيا

تقع وراء الدور .

وهي تربة نور الدين محمود بن زنكي بن مودود ، صاحب قرقيسيا ، المتوفى سنة ٦٢٤هـ–١٢٢٧م . وفيها دُفن ابنه عثمان المتوفى سنة ٦٣٥هـ .

البناء بحالة سيئة جدًا . في المحراب نقوش جميلة من حجر اسود واحمر

انظر :

Répertoire, *M. H. D*, p. 64
Sauvaget, XI - 1 - p. 91.

٣٥ ــ باب توما

احد ابواب المدينة من الشمال . ينسب الى عظيم من عظماء الروم اسمه توما . وينسبه بعضهم الى قرية كانت في ظاهر دمشق اسمها توما .

باب روماني ، اعاد بناءه الملك الناصر داود سنة ٦٢٥هـ - ١٢٢٨م . ثم جدده تنكز سنة ٧٢١هـ

ما تزال قواعده من الحجارة الرومانية . عليه كتابتان

باب توما

٧ـ تربة صفوة الملك

كانت مكان سينما روكسي او الاهرام ، تجاه شركة الكهرباء ، فسرقت أرضها وهدمت ، وزالت آثارها .

وهي الخانقاه الطواويسية . منسوبة الى شمس الملوك دقاق السلجوقي (٤٩٧هـ) . وكان

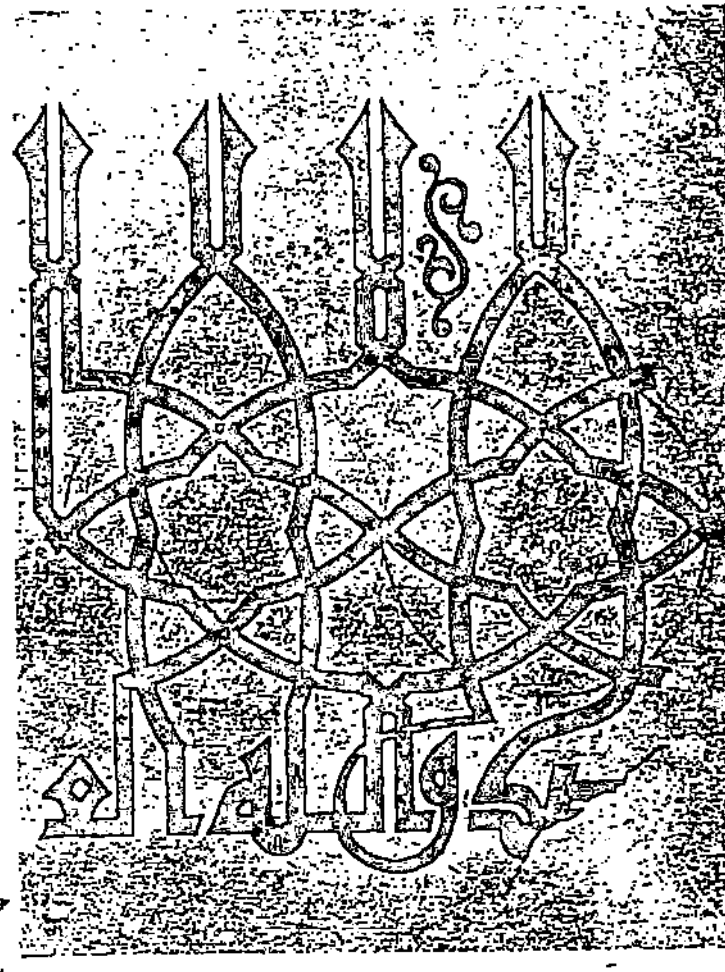

← كتابات كوفية
↓ في قبة صفوة الملك

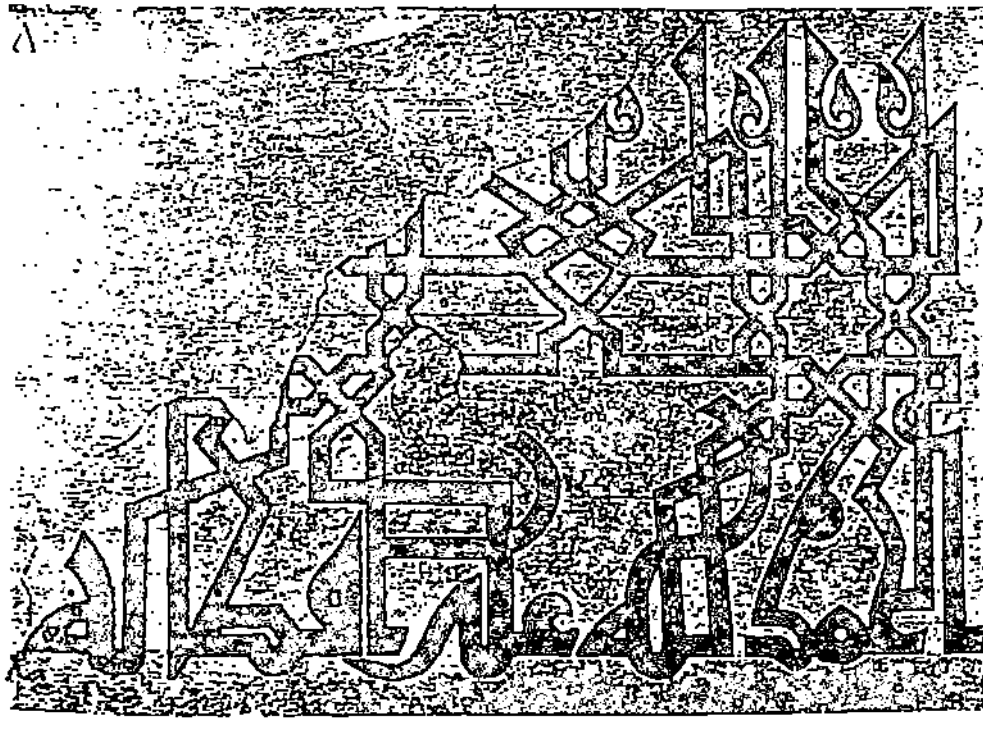

فيها قبة تسمى قبة الطواويس ، فيها قبر الملك دقاق وأمه صفوة الملك . (توفيت سنة ٥١٣ هـ)

كان في القبة كتابات كوفية ، وزخارف جصية رائعة .

وكان هذا البناء ، الوحيد الذي تركه السلاجقة بدمشق .

انظر : العلموي ، مختصر الدارس (تحقيق المنجد) ص ١٤٧
القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ص ٢٠١
Sauvaget, *M. H. D*, p. 49
W. W. : D W. 6
Sauvaget et Ecochard, *M. A. D.*, T. I, p. 49. 1-13.
Répertoire, T. VIII, p. 86. (نسبها خطأ للظاهرية)

٨ ــ مسجد القدم

في القدم ، جنوب ميدان الحصا .

جدده سنة ٥١٧هـ—١١٨٠م الشيخ ابو البركات محمد بن الحسن بن طاهر وبه قبره ، وقبر تاج الامناء ابن عساكر .

بناء مثمن ، فوقه قبة . جددت جهته الشمالية سنة ١٣٥٢هـ . في المحراب صخرة تزعم العامة أنّ فيها اثر قدم النبي . في وسط المصلى قبر أحمد باشا الوالي التركي .

كان ينزل عليه الملوك ونواب السلاطين ، زمن الايوبيين والمماليك ، اذا جاءوا لحصار دمشق . وكان باشوات الشام ينتظرون فيه اجتماع الحجيج الى مكة ثم يخرجون منه .

انظر : ابن عبد الهادي ، ثمار المقاصد ص ٢٩ ، والذيل ص ٢٤٤
أبو شامة ، ذيل الروضتين ص
ابن كثير ، البداية والنهاية ، ١٣ : ١٢ ، ٢٧ ، ٦٦
Sauvaget, *M. H. D*, p. 86.

الأبنية النورية

٩ — البيمارستان النوري

في زقاق البيمارستان، وهو اليوم مدرسة التجارة الرسمية.

بناه السلطان نور الدين محمود بن زنكي، سنة ٥٤٩ هـ = ١١٥٤ أي سنة دخوله دمشق.

وهو ثاني بيمارستان بني بدمشق، بني بعد المارستان الدقاقي الصغير قبته بنيت على طراز قباب الجزيرة وبغداد.

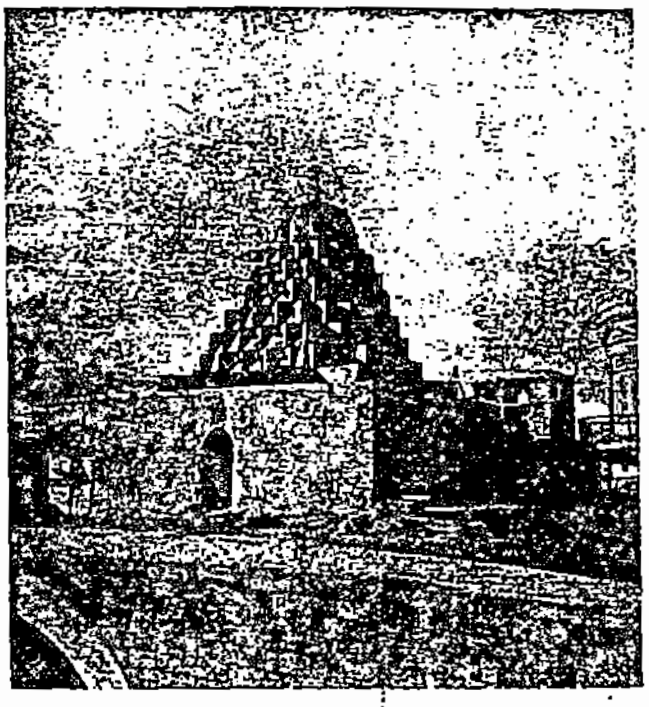

بيمارستان نور الدين — القبة المترلصة

فيه زخارف منوعة، على الحجر، وعلى الخشب، وعلى النحاس، وبابه قطعة فنية رائعة. نوافذه من الجص المحفور بأشكال هندسية. وفيه زخارف ملونة.

انظر: المنجد، بيمارستان نور الدين (أوسع ما كتب عنه).

دهمان، البيمارستانات في الاسلام، في مجلة المجمع العلمي.

عيسى باشا، البيمارستانات في الاسلام.

Van Berchem. *Inscriptions. ar. de Syrie*, MIÉ, III, p. 451-453

W. W. : E. 4. 7.

Sauvaget, *M.H.D* p. 49

Répertoire, VIII, p. 268. — IX p. 76.

Herzfeld, *Damascus : Studies in architecture*, Part 1, dans Ars Islamica IX, 1942

١٠ ــ دار الحديث النورية

في العصرونية ، مقابل المدرسة العادلية الصغرى ، يفصل بينهما الطريق.

بناها نور الدين الشهيد ، للمحدث الكبير مؤرخ دمشق الحافظ بن عساكر أول مدرسة بنيت لتعليم الحديث . درس فيها ابن عساكر ومن بعده نفر من أولاده وأحفاده.

بنيت إبان حكم نور الدين دمشق ، أي بين سنة ٥٤٩هـ وسنة ٥٦٩هـ ١١٥٤م — ١١٧٤م.

وهي اليوم خراب مهملة . لم يبق من نقوشها غير عضادتي الباب وعتبته. ومحرابها فيه نقوش وزخارف معجنة ، تشاهد فيها ورقة الكرم ، والعنب.

انظر : العلموي ، مختصر الدارس ص ١٨
ابن عبد الهادي ، ثمار المقاصد — الذيل ص ٢١٥
أسعد طلس ، دار الحديث النورية في المقتطف.

W. W. : DN. XX. 6
Sauvaget. *M. A. D*, TI, p. 13
Sauvaget. *M. H. D*, p. 53
Herzfeld, *Damascus*: Studies-I - p 49
Ars Islamica, vol. IX

١١ ــ حمام نور الدين

في سوق البزورية .. (البزوريين أو القمح . في القديم) .

بناه نور الدين قبل سنة ٥٦٧ هـ = ١١٧٢م.

أقدم حمامات دمشق الباقية.

حمام نور الدين ، وترى فيه أكياس الأرز والسكر جعله احد المحتكرين مخزناً للسكر والأرز والحبوب .

انظر : المنجد ، حمامات دمشق ص٥ وما بعدها
W. W. : F. 4. 21
Sauvaget, *M. H. D*, p. 73
Ecochard et Le Cœur, *Bains de Damas*. part II, p. 16
Ecochard, *Trois bains [illegible] de Damas*, dans M. A. D. fasc. II, p. 99

١٢ ـ المدرسة النورية الكبرى

تقع في سوق الخياطين (خط الخواصين قديماً)

بناها نور الدين سنة ٥٦٧هـ = ١١٧٢م . ويُقال ان مكانها كان داراً للخليفة الاموي هشام بن عبد الملك.

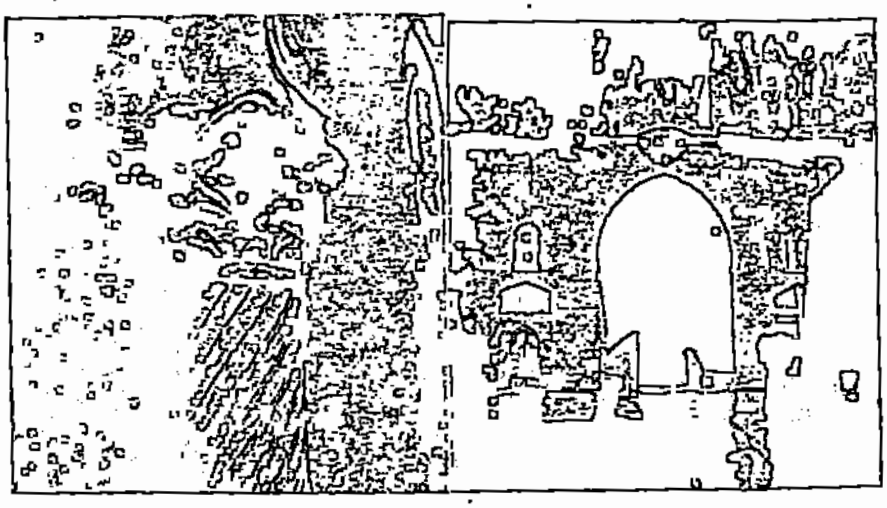

المدرسة النورية ، الصحن

تاج عمود في تربة نور الدين

في المدرسة تربة نور الدين ، وهي أحسن ما في المدرسة ، فوقها قبة مقرنصة من طراز قبة البيمارستان النوري . على جدرانها آيات قرآنية . أرجح ان تحت الطلاء كتابات أخرى يجب كشفها.

تخطيطها يشابه تخطيط المدرسة العادلية الكبرى.

جدد بناءها قاضي قضاة المالكية بدمشق بعد سنة ٦٨٧هـ.

انظر : العلموي ، مختصر الدارس ص ١١٣

ابن كثير ، البداية والنهاية ١٢ : ٨٤

W. W. : E. 4. 13

Sauvaget, *M. H. D*, p. 53

Sauvaget, *M. A. D.* fasc. 11, p. 79

Herzfeld, *Damascus* : Studies - part 1.

Ars Islamica, IX, 1941 p. 1-53

١٣ ــ تربة الامير علاء الدين بن زين الدين

في سوق صاروجا، غربي الشامية، وشرق التربة النجمية.

على بابها بالخط النسخي الايوبي: «هذا ما بنته والدة الامير الشاب الغريب الشهيد علاء الدين بن الامير زين الدين رحمها الله، في ذي الحجة من سنة ثمان وستين وخمس ماية.» ٥٦٨هـ = ١١٧٣م.

فوق التربة قبة هي اقدم انموذج للقباب ذات الطبقتين، بثماني وستة عشر ضلعاً. وهو الانموذج المتبع في بناء القباب حتى القرن الرابع عشر الميلادي.

انظر: Sauvaget, *M. H. D*, p. 55
Répertoire, T. IX. p. 70
Herzfeld, *Damascus* : Studies - part III, p. 42
(*Ars Islamica*, vols XI - XII)

١٤ ــ برج نور الدين

داخل خان السنانية، جنوب جامع سنان باشا.

وهو أحد الابراج الكثيرة التي بناها نور الدين عند ما حصّن سور دمشق وقد بناه سنة ٥٦٩هـ.

وهو برج قاعدته مربعة، ثم يقوم على شكل نصف دائرة.

عليه كتابة تشير الى بنائه.

حوله زنار عريض من الكتابة تشير الى عمارة البرج بعد انهدامه في ايام السلطان محمد بن قلاوون.

انظر: المنجد، دمشق القديمة ص ٢٧
W. W. : D. 6. 1.
Sauvaget, M. H. D. p. 41
Répertoire, IX, p. 76

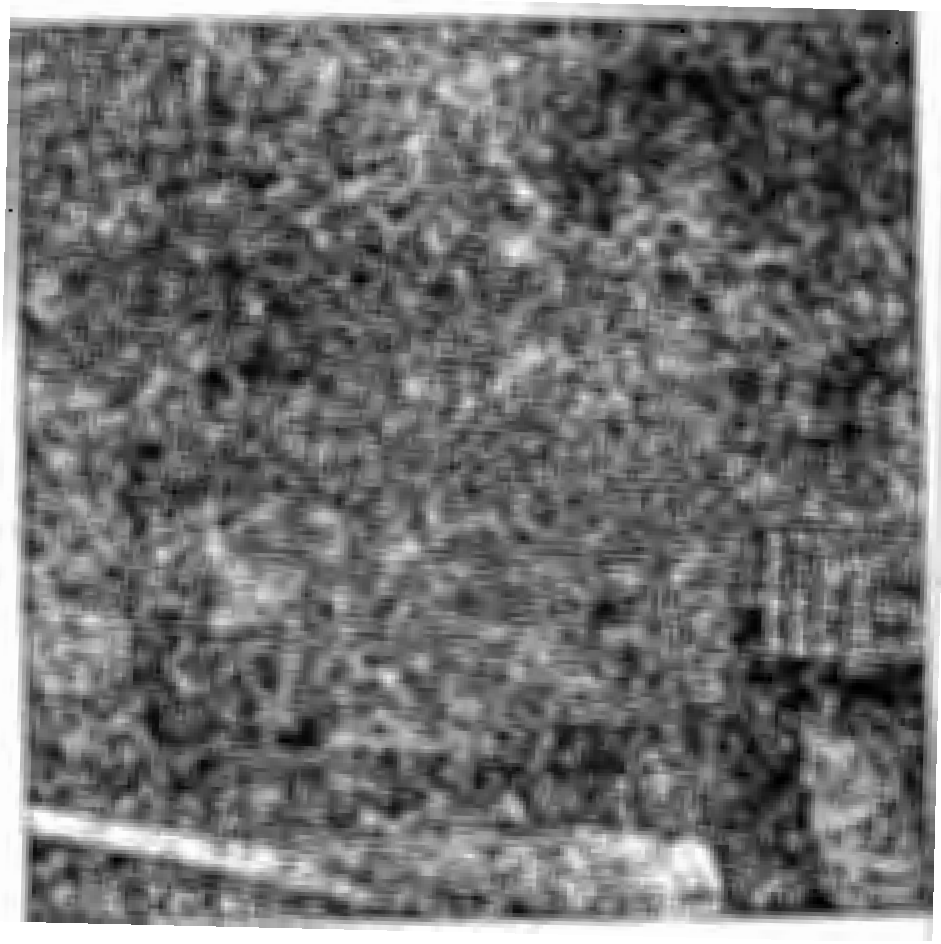

بنى نور الدين ، وتبدو الكتابة عليه

١٥ ـ سور مدينة دمشق

ذكرنا في كتابنا « دمشق القديمة » ان السور في حالته الحاضرة هو كله من عمل الدولة النورية ، ثم الايوبية في بنائه وفي تخطيطه وهو لا ينطبق مع سور المدينة الروماني القديم الا في طرفه الشمالي الواقع على طرف نهر عقربا من باب السلامة الى الزاوية الشمالية الشرقية منه . اما ابوابه فعدا الابواب الاسلامية المحدثة ، كباب الفرج وباب النصر وباب السلامة تشير كلها الى أماكن الابواب الرومانية القديمة .

ونور الدين اعظم من حصّن السور واكثر الملوك عناية واهتماماً به فأتمّ ما كان ناقصاً منه وأحاطه على حارة اليهود ، وقوّى ما كان متهدماً فيه وبنى أبراجاً متعددة ما يزال بعضها قائماً .

قطعة من السور ، قبيل باب كيسان

والقطعة الوحيدة من السور ذات الشأن لمحافظتها على شكلها القديم هي التي تمتد من باب السلامة الى باب توما ، وهي مسجلة . يبلغ طولها ٥٠٠ م . يظهر فيها المداميك الصغار ، وكلما اقتربت من باب توما ظهرت الحجارة الرومانية .

وتبدو في هذه القطعة آثار باب الجنيق .

ويمر نهر عقربا تحت هذه القطعة من السور ، ويماشيها .

في وسط هذه القطعة من السور رسوم سلطاني مماليكي .

انظر : المنجد ، دمشق القديمة ص ٨-٢٠

Sauvaget, *M. H. D.* p. 39

الابنية الايوبية

١٦ ــ مسجد خالد بن الوليد

خارج الباب الشرقي ، في مقبرة باب توما ، تجاه جامع الشيخ رسلان الدمشقي .

ينسب الى القائد الكبير خالد بن الوليد (توفي سنة ٢١هـ) لانه صلّى فيه وقت حصار دمشق . وهو اول مسجد صُلّي فيه بدمشق .

على بابه كتابة تشير الى تجديده زمن صلاح الدين ، اي بين سنة ٥٦٩هـ ، وهي سنة وفاة نور الدين ، وسنة ٥٨٩هـ وهي سنة وفاة صلاح الدين .

تهدم المسجد كله ، ولم يبق منه إلا محرابه .

انظر : اسعد طلس ، ذيل ثمار المقاصد ص ٢١١
بدران ، مهذب تاريخ ابن عساكر ١ : ٢٢٥

Répertoire, XII, p. 45
Herzfeld, *Damascus* : Studies. part. II, p. 68
Ars Islamica. vol. X

١٧ ــ التربة النجمية

جوار المدرسة الشامية البرّانية ، مقابل تربة الامير علاء الدين بن زين الدين دُفن فيها افراد من اسرة نجم الدين ايوب ، فنسبت اليه . وفيها قبر الملك المنصور حسن بن صلاح الدين . توفي سنة ٥٧٥هـ ــ ١١٨٠م . ووجدتُ في التربة لوحاً فيه « هذا قبر زوجة الامير عماد الدين ابو الفتح » .

القبة مهدّمة تكاد تسقط . فيها نقوش جصيّة ، ومشبكات هندسية .

انظر : أبو شامة ، الروضتين ١ : ٥٥
ابن كثير ، البداية والنهاية ١٣ : ١٦
العلموي ، مختصر الدارس ص ٢١٤

Sauvaget, *M. H. D*, p. 56
Herzfeld, *Damascus* : Studies - Part III, p. 45
Ars Islamica, vols. XI - XII.

١٨ ــ التربة الخاتونية

في الصالحية ، جنوب الجهاركسية ، وغرب تربة مثقال.

أمرت بإنشائها عصمة الدين خاتون بنت الامير معين الدين انر ، زوجة نور الدين ، ثم صلاح الدين ، سنة ٥٧٧هـ = ١١٨٢م.

التربة لطيفة ، فيها دوائر جصية مزخرفة بزخارف رائعة.

القبة الحالية ، ليست هي الاصلية ، بل جددتها مصلحة الآثار عام ١٩٤٤م على طراز القباب الايوبية. وظلت اعمال الترميم فيها الى سنة ١٩٤٦م.

لصيق التربة من الشرق الجامع الجديد الذي بناه سليمان بن حسن المقري سنة ٧٠٩هـ.

انظر : العلموي ، مختصر الدارس ص١٩٢
ابن عبد الهادي ، ثمار المقاصد ص١٢٠ ، والذيل ص٢١١
ابن كنان ، المروج السندسية ص ٦٠
السيد محمد رجب ، التربة الخاتونية في (المقتطف ، يناير ١٩٤٦)
Sauvaire, *Description J. As.* Sept.-octob. 1895 p. 236
Répertoire, T IX, 114.
Sauvaget, *M. H. D*, p. 94
W. W. : DN. VI. C.

١٩ ــ المدرسة الفرخشاهية

في الشرف الاعلى، غرب مدرسة التجهيز الاولى ، مقابل مستشفى الدكتور السادات

تنسب الى عز الدين فرخشاه ابن أخي صلاح الدين. وواقفتها والدته زوجة شاهنشاه بن ايوب. ومات عز الدين سنة ٥٧٩هـ = ١١٨٤م ودفن بها.

لم يبق اليوم غير التربة. وقد درس القبر ، وجعلت التربة مسجداً.

في جنوب التربة ولصيقها التربة الا مجدية ، أي تربة الملك الامجد بن فرخشاه المتوفى سنة ٦٢٨هـ. وقبره قائم.

انظر : العلموي ، مختصر الدارس ص٩٩
ابن كثير ، البداية ١٣ : ١٢١
W. W. D W. 4.
Répertoire T. IX, p. 124
Sauvaget, *M. H. D*, p. 55
Sauvaget, *M. A. D.* fasc. 1 p. 27
Herzfeld, *Damascus :* Studies - III, p. 44
Ars Islamica, vols XI - XII.

قلادة من الزخارف الجصية
في المقانونية

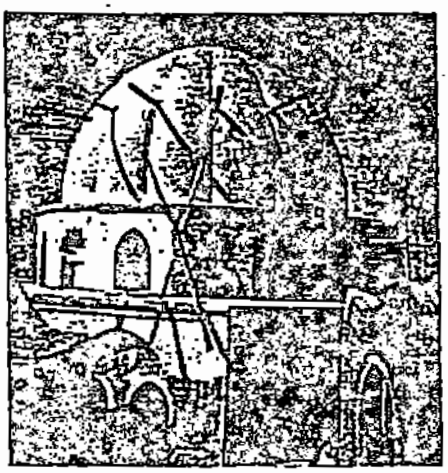

قبة المقانونية بعد تجديدها

٢٠ ـ تربة صلاح الدين الايوبي المدرسة العزيزية
شمال الجامع الاموي ، غربي الجقمقية.

وهي في المدرسة العزيزية التي أمر ببنائها الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين المتوفى سنة ٥٩٥هـ = ١١٩٩ م وقد توفي صلاح الدين سنة ٥٨٩هـ=١١٩٣م ودفن في القلعة . وأمر العزيز ببناء تربته هذه، فتمت سنة ٥٩٢هـ = ١١٩٦م.

محراب العزيزية

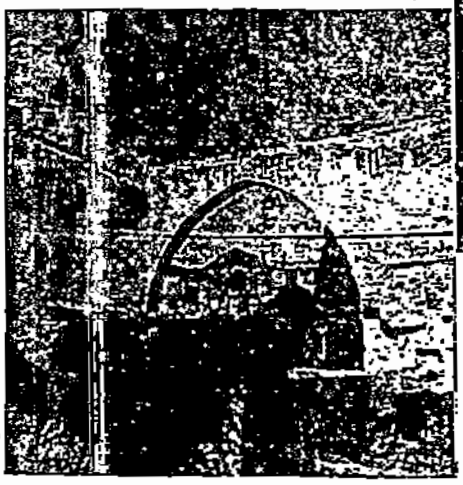

قبة صلاح الدين

لم يبق من المدرسة العزيزية سوى محرابها ، وتربة صلاح الدين الضريح من الخشب المحفور المزين بالنقوش المتشابكة المزهرة ، القائمة في ثنايا كتابة كوفية فيها آية الكرسي. وهو الاصيل. أما الضريح الرخام فحدث أهداه غليوم امبراطور المانيا.

جددت التربة في العهد العثماني ، وجعل فيها قيشاني كثير.

في حديقة التربة قبر ياسين باشا الهاشمي، وقبر الدكتور عبد الرحمن شهبندر وقبور الطيارين الاتراك.

انظر : العلموي ، مختصر الدارس ص ٦٠
ابن كثير ، البداية ١٣ : ١٢ ، ٢٢

Sauvaget, *Cénotaphe de Saladin dans R. A. A.* 1935
W. W. : F. 3. 9.
Sauvaget, *M. H. D*, p. 57.
Herzfeld, *Damascus*, Studies - III - p. 47
(*Ars Islamica*, vols XI - XII)

٢١ ــ تربة الامير ابن المقدم

في مقبرة الدحداح . تسمى اليوم قبر طلحة .

تنسب الى الامير ابراهيم بن محمد بن المقدم المتوفى سنة ٥٩٧ هـ = ١٢٠١م، كما يذكر المؤرخون.

بنيت حسب طراز البناء الحلبي . وهي قبة تقوم على أربعة أركان، جوانبها مفرغة تشابه قبة المسجد. في داخلها زخارف جصية مختلفة ، (اوراق وزهور متشابكة).

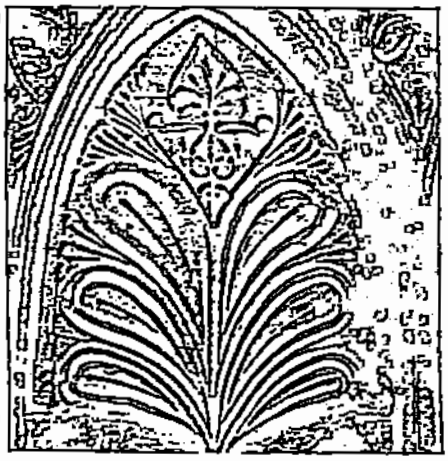

زخارف جصية في تربة ابن المقدم

اجرت مصلحة الاثار أعمالا مختلفة فيها. فكشفت التراب عن قواعدها ، وبلطت أرضها وابتدأت الاعمال سنة ١٩٤٥ وظلت حتى عام ١٩٤٨.

انظر : العلموي ، مختصر الدارس ص ١٠٨

Sauvaget, *M. H. D*, p. 59
Moaz, *Le Mausolée d'Ibn al Muqaddam, dans* (*Mélanges de J. F. D.* 1929)
Herzfeld, *Damascus*, Studies - I - p. 14.
(*Ars Islamica*)

٢٢ ــ المدرسة البدرية

تقع في طريق عين الكرش ، قبالة الشبلية (عند جسر كحيل في الماضي) وكانت هذه المحلة في الماضي ذات قصور وأسواق وحمامات .

بناها الامير بدر الدين حسن ابن الداية المعروف بلالا . وهو من كبار أمراء نور الدين (توفي في حدود الستماية) ، في النصف الثاني من القرن السادس .

وجعلت التربة في حدود سنة ٧٤٠هـ جامعاً . وسكن في هذه المدرسة سبط ابن الجوزي ، وأبو شامة صاحب الروضتين .

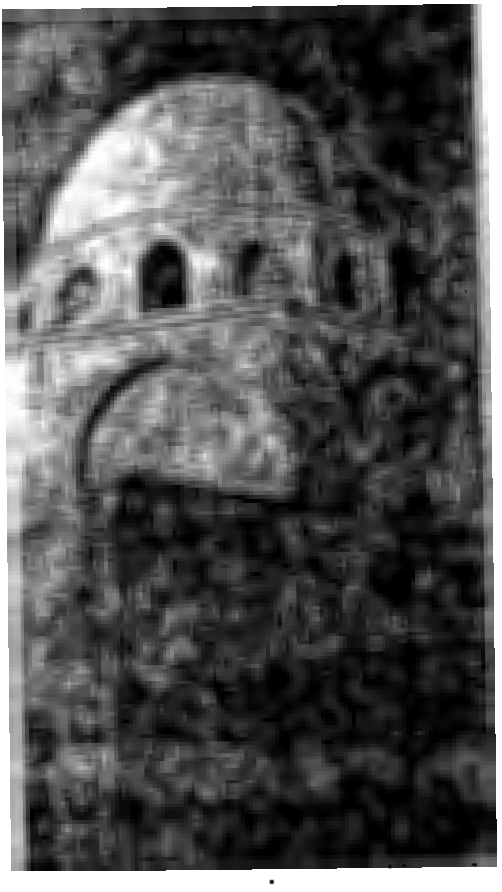

القبة البدرية

سقطت القبة ، فاعادتها مصلحة الآثار ورممتها

في جدران التربة دهانات زخرفية رائعة ، فيها زهور متشابكة ، وكتابات بالكوفي والنسخي الأيوبي .

انظر : العلوي ، مختصر الدارس ص٧٩

ابو شامة ، ذيل الروضتين ورقة ١٤٧ ب

ابن كنان ، المروج ص ٥٤

W. W. : DXVIII. A. H.N.

Sauvaget, *M. H. D*, p. 95

٢٣ ــ حمام السروجي

خارج الباب الصغير ، بالشاغور . ينسب الى الشيخ السروجي .

بني في القرن السادس الهجري . من المحتمل ان يكون هو الحمام الذي ذكره ابن عساكر بقوله « حمام خلف سويقة باب الصغير . »

بعض اقسامه تشابه اقسام الحمامات الاموية في الصرخ وقصير عمرة .

انظر : الاربلي ، مدارس دمشق . . وحماماتها ص ١٤ وما بعدها

المنجد ، حمامات دمشق ص ٥ وما بعدها

Ecochard, *Bains de Damas*, part, II - p. 26.

Creswell, *Early muslim architecture*, part I, p. 273. fig. 320

٢٤ ــ المدرسة الشامية البرانية

في شرق سويقة صاروجا ، غرب سوق الخضراوات (الهال) .

أنشأتها ست الشام بنت أيوب ، أخت صلاح الدين (توفيت سنة ٦١٦هـ) في اواخر القرن السادس الهجري.

بحرتها تشبه بحرة البيمارستان النوري ، والعادلية (قبل تصغيرها)والنورية

في المصلى نقوش في الجص ، زهور متشابكة . وفي التربة زخارف ودهانات ، وآيات قرآنية . لاحظ النوافذ الجصية . في التربة ثلاثة قبور : قبر توران شاه (٥٧٦هـ–١١٨٠) أخو صلاح الدين وصاحب اليمن (الجنوبي) ، وقبر ناصر الدين محمد بن اسد الدين شيركوه زوج ست الشام الثاني (توفي ١١٨٦م) (في الوسط) ثم قبر ست الشام ، ودفن منها ابنها حسام الدين (٥٨٧هـ–١١٩١م) من زوجها الاول . على القبور كتابات .

أجريت اصلاحات فيها عام ١٩٤٢ و١٩٤٧ و١٩٤٨ . وفي هذه الايام يعيدون تركيب القناطر التي أمام المصلى والتربة .

انظر : الدمشقي ، مختصر الدارس ص ٤٦ — W. W. : C. I. 3

ابو شامة ، ذيل الروضتين ، ١٦٥ – ب — Sauvaget, M. *H.D.* p. 56

ابن كثير ، البداية ١٣ : ٨٤ — *Herzfeld, *Damascus* : Studies - III, p. 38

(*Ars Islamica* vols XI-XII)

Répertoire, IX, N°' 3408, 3448, 3407

٢٥ ـ الجامع المظفري (جامع المنابلة)

في سفح قاسيون .

شرع في بنائه ابو عمر محمد بن أحمد بن قدامة سنة ١٢٠٢م وانفق عليه أبو داود المحاسن ، فنفد ما معه ، فأرسل الملك المظفر كوكبوري صاحب اربل (سنة ٦٣٠ هـ) مالا فأتمه سنة ١٢١٣ ونسب اليه.

المسجد واسع . فيه زخارف نباتية بالجص ذات شأن ، وفيه خشب مزخرف فوق الابواب ، ونوافذ

تاج عمود في جامع المنابلة

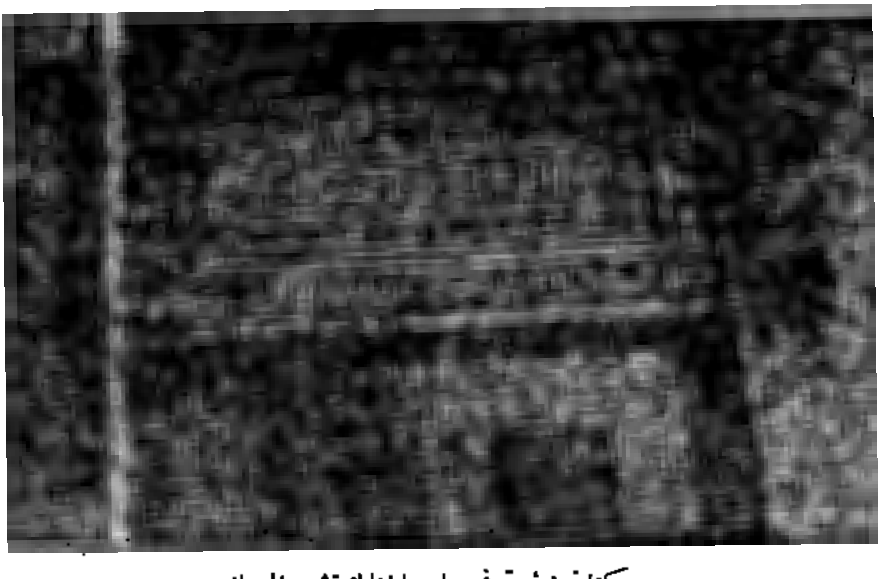

كتابة خشبية في جامع المنابلة تشير الى بانيه .

جصية بزجاج ملون . المنبر والسدة فيه من الخشب المحفور المزخرف وهو من أروع المنابر . في المسجد أعمدة وتيجان اعمدة اما أخذت من احدى الكنائس مثذنة مربعة شاهقة . على بابه الغربي كتابة .

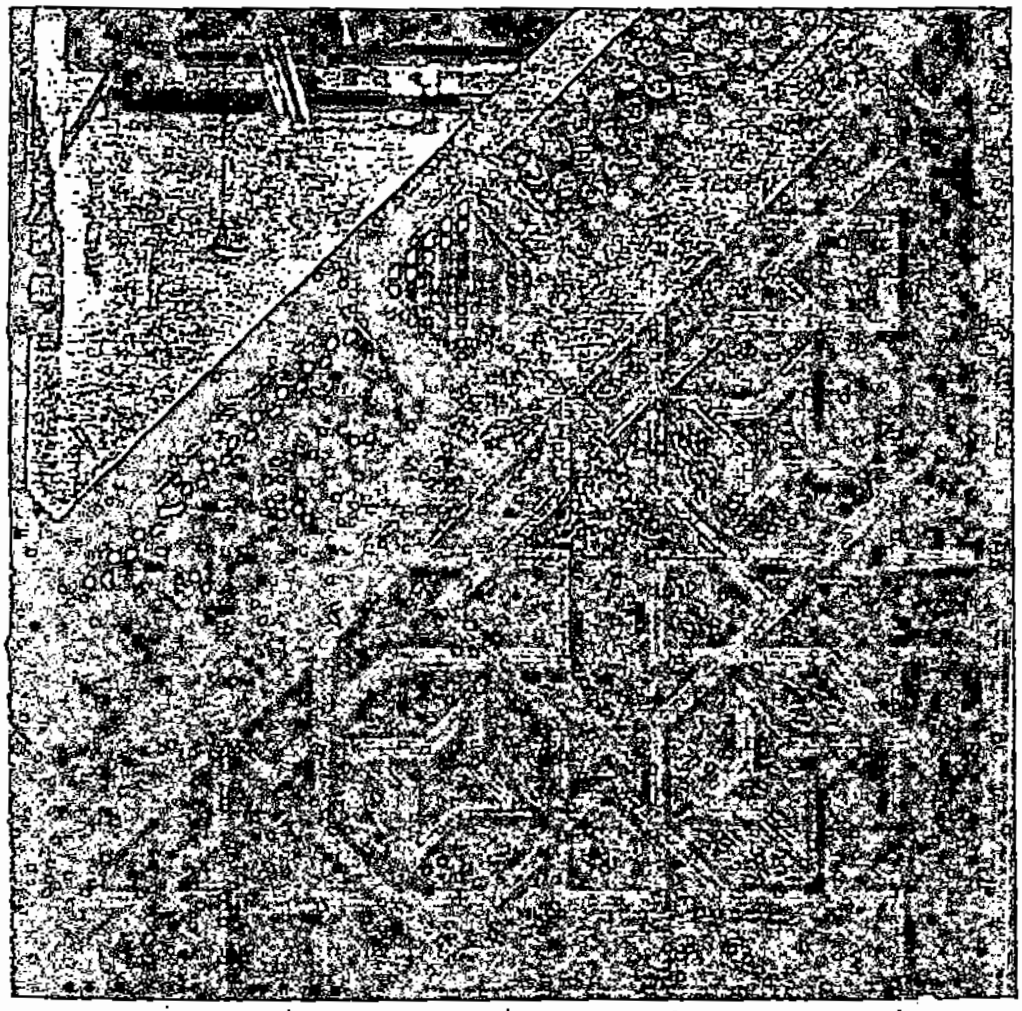

قطعة من منبر جامع الحنابلة

انظر : ابن كثير ، البداية ١٣ : ٢٢ ، ١٢٦
العلموي ، مختصر الدارس ص ٢٢
ابو شامة ، ذيل الروضتين ورقة ٢٩ ب
طاس ذيل ، غار المقاصد ص ٢٠٦

W. W. : VIII. c
Sauvaget, *M. H. D.* p. 95
Répertoire IX, p. 242.
Sauvaget, *Décrets Mamlouks* p. 24

رواق المدرسة المسرية

٢٦ ــ المدرسة العمرية

بسفح قاسيون ، في الصالحية .

أول مدرسة أسست في الصالحية . أنشأها ابو عمر محمد بن احمد بن قدامة الجماعيلي سنة ٦٠٣هـ-١٢٠٦م.

تهدمت .

فيها صحنان. الثاني هو الاقدم ، تحيط به خلوات صغار . اما الصحن الثاني ففيه خلوات متهدمة.

لم يبق منها غير رواق ذي اعمدة ، شمالي المصلّى ، يمر من تحته نهر يزيد . جدد الرواق في القرن الخامس عشر . وفوق الاعمدة رسوم مماليكي .

كان لهذه المدرسة شأن كبير.

انظر : العلموي ، مختصر الدارس ص ٤٠
ابن كنان ، المروج ص ١٢٨
ابن كثير ، البداية ١٣ : ٥٨

W. W. : D N. IX. a.
Sauvaget, *M. H. D*, p. 94.
« *Décrets Mamlouks*. p. 6
Herzfeld, *Damascus* : Studies - II
(*Ars Islamica*, vol. X 1943)

٢٧ ــ قلعة دمشق

إحدى القلاع العظيمة التي بناها وجددها الأيوبيون ، في دمشق وبصرى وحمص وحلب . وهي اكثرها محافظة على أصلها ولم يتطرق اليها الخراب كما تطرق إلى غيرها .

تقوم هذه القلعة مكان قلعة رومانية من القرن الرابع الميلادي .

أول من بني فيها تاج الدولة تتش سنة ٤٧١ لما ملك دمشق . فبنى بها قلعة لطيفة جعلها دارا إمارة .

ولما ملك دمشق شمس الملوك سنة ٤٨٨ هـ زاد فيها وشيدها .

ثم أخذ السلاجقة يزيدون فيها إلى ان ملك دمشق نور الدين ، فبنى بها داراً حسنة تعرف به وداراً تسمى دار المسرّة .

ولما ملك العادل دمشق ، هدم هذه القلعة القديمة كلها ، وبناها من جديد وبدأ سنة ٦٠٥ هـ = ١٢٠٦ م. ، فوزع ذلك على أمرائه وجعلها اثني عشر برجاً . وحفر لها خندقاً وأجرى اليها الماء . ومساحتها ٢٢٠×١٥٠م.

ثم جدد فيها الملك المعظم . ولما جاء الاشرف هدم دار المسرّة وجددها .

وبنى الكامل داراً سميت بالدار الكاملية .

وبنى بها الملك الصالح أيوب دركاه لباب المدينة .

ولما ملك التتر البلاد هدموا شراريف القلعة وشمثوا ابراجها وهدموا كثيراً منها .

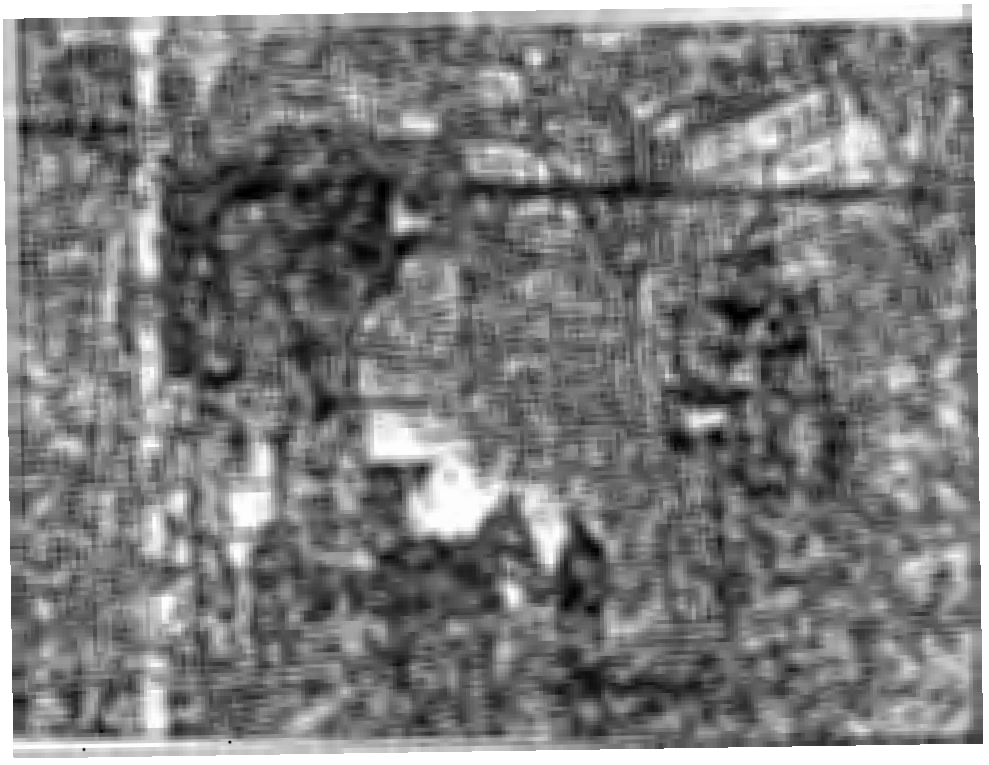

باب القلعة الشرقي ، من الداخل

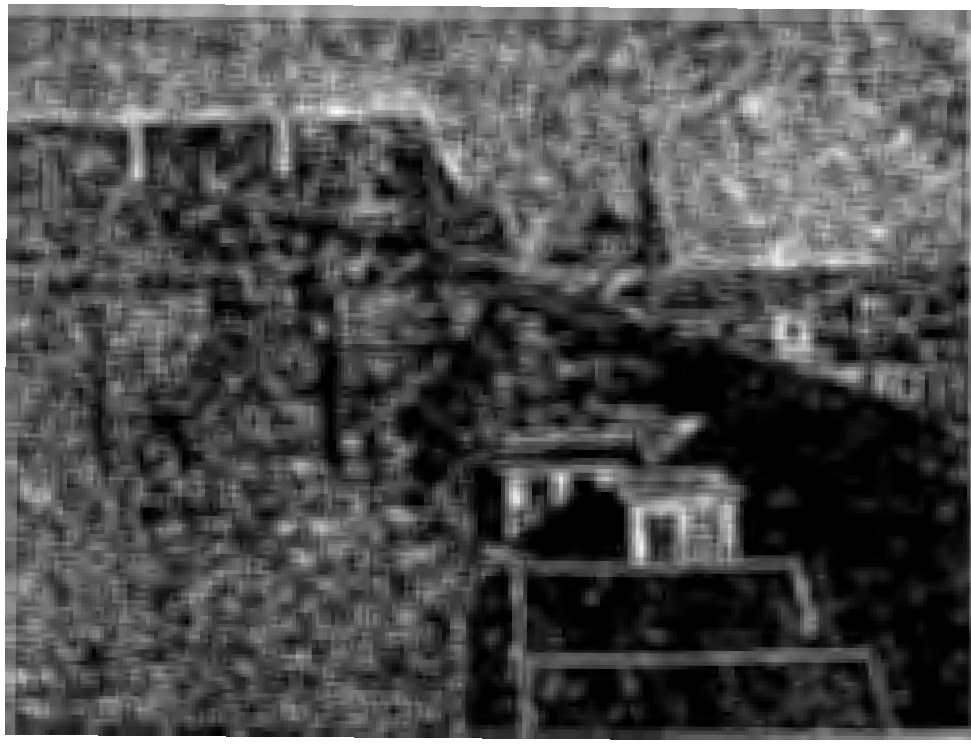

قلعة دمشق

فلما جاء الظاهر جددها وشيدها ورمم ما هدمه التتر .

ثم جددت زمن نائب السلطنة علم الدين سنجر سنة ٦٩٠ هـ. ايام السلطان الاشرف خليل بن قلاوون . ثم جددت ايام الملك الناصر بن قلاوون سنة ٧٣٥ هـ.

وتوقفت أعمال التجديد والترميم فيها مذ جاء العثمانيون .

وفي هذا العام ١٩٤٨ بدأت دائرة الآثار بترميم قسم من الناحية الجنوبية فيها .

انظر : ابن طولون ، الشمعة المضيئة في اخبار القلعة الدمشقية .

البدري ، نزهة الانام في محاسن الشام ص ٦٠

W. W. : p. 166 et suiv.

Sauvaget, *La citadelle de Damas*, dans Syria 1930

» *M. H. D*, p. 43.

٢٨ ــ المدرسة الماردانية

بالجسر الابيض .

أنشأتها زوجة الملك المعظم في سنة ٦١٠ هـ = ١٢١٣م. ووقفتها في مدخلها عتبة من الخشب المنقوش . وفي المصلّى ، على مصراعي الباب قطع من الخشب المنقوش . للمدرسة ايوانان ، شرقي وغربي . في الغربي قبة فيها قبر الامير سيف الدين اسبك بن ازدمر المتوفى سنة ٨١٦ هـ.

انظر : العلموي ، مختصر الدارس ص ١٠٧
ابن عبد الهادي ، ثمار المقاصد ص١٥٥ والذيل ص ٢٤٩
ابن كنان ، المروج السندسية ص

W. W. : D N. I. B.
Sauvaget, *M. H. D.* p. 100
Sauvaget *M. A. D.* p. 119.
Hertzfeld, *Damascus* : Studies - III, p. 19, 22.
Ars Islamica, vols XI-XII.

٢٩ ــ المدرسة العادلية الصغرى

في العصرونية ، مقابل دار الحديث النورية .

أنشأتها زهرة خاتون بنت الملك العادل الايوبي سنة ٦١٨ هـ = ١٢٢١م. لم يبق فيها قديم سوى بابها وواجهتها. بابها من طراز ينفرد به في دمشق. في أعلى واجهتها كتابة تشير الى أوقافها .

انظر : العلموي ، مختصر الدارس ص ٥٨ .

٣٠ ــ المدرسة العادلية الكبرى

تجاه المدرسة الظاهرية (دار الكتب) . وهي مقر المجمع العلمي .

أول من أنشأها نور الدين . ثم شرع الملك العادل ببنائها سنة ٦١٢ هـ = ١٢١٥ م. فمات سنة ٦١٥ هـ. ولم يتمها . فأتمها من بعده ابنه الملك المعظم .

وعمر فيها تربة لابيه الملك العادل ، ونقله بعد تمامها سنة ٦١٩ هـ. اليها ، ودفنه فيها .

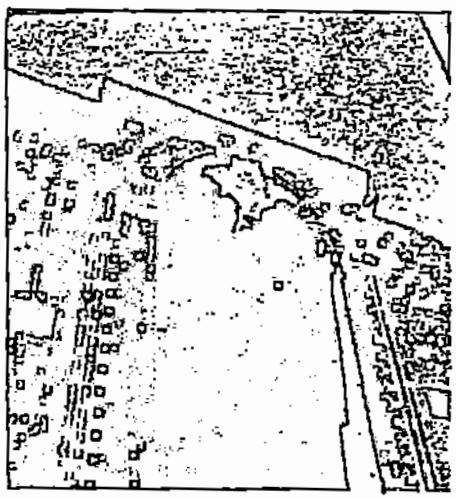

بوابة العادلية الكبرى

في سنة ٦٥٤ هـ دفن بجانب أبيه مجير الدين يعقوب ابن الملك العادل .

في التربة اليوم خزانة كتب المجمع .

تخطيط المدرسة يشبه تخطيط النورية الكبرى . بابها ذو قفل حجري مدلى .

أجريت فيها ترميمات عام ١٩٤٨ وقبل ذلك عام ١٩٤٤ و١٩٤٥ .

انظر : ابو شامة ، ذيل الروضتين ورقة ١٥٢ ب
ابن كثير ، البداية ١٣ : ٢٨
مجلة المجمع العلمي ، عام ١٩٢١ ص ٢٦-٢٨

W. W. : E. 3. 5.
Sauvaget, *M. H. D*; p. 62
« *M. A. D*, - 11, p. 76
Sauvaire, (*J. As.* 1894) p. 423.
Creswell, *The origin of the cruciform plan*, p. 12
Herzfeld, *Damascus* : Studies - 1 - p.
in *Ars Islamica*.

٣١ــ زاوية الفرنثي

في الصالحية . جادة بين المدارس . لصيق المرشدية من الغرب .

تنسب الى الشيخ علي بن محمد الفرنثي ، الزاهد المتصوف ، المتوفى سنة ٦٢١ هـ = ١٢٢٤م .

كانت زاوية ومسجداً . لم يبق إلا التربة . فوق التربة قبة مزدانة ببعض نقوش جصية . فيها قبران متجهان نحو الجنوب الغربي . لها شباك على الطريق فوقه كتابة .

انظر : الطموي ، مختصر الدارس ص ١٧٣
ابن عبد الهادي ، غار المقاصد ص ١٣١ ، والذيل ص ٢٤٣
ابن العماد ، شذرات الذهب ٥ : ٩٥

W. W. : D. N.V b
Sauvaget, *M. H. D*, p. 97
Répertoire, X, H.N No. 3911
Herzfeld, *Damascus* : Studies - III, p. 56
(*Ars Islamica*, vols XI - XII)

٣٢ ــ تربة مثقال

في الصالحية . مقابل الجامع الجديد والتربة الخاتونية

تربة سابق الدين مثقال بن عبدالله الجمدار الناصري . كان حاجب صلاح الدين وشهد معه اكثر فتوحاته . توفي سنة ٦٢٢هـ

وكان الى جانب التربة مسجد فاختلس . ولم يبق اليوم غير التربة . وهي مربعة فوقها عقد متهدم ، وليس قبة . وهذا انموذج نادر في ترب دمشق . في وسطها قبر مثقال ، وعليه كتابات ذات شأن . في ناحية القبر الشمالية كتابة تشير الى وقعة حطين والى الغزوات التي شهدها مثقال مع صلاح الدين .

انظر : ابن عبد الهادي ، غار المقاصد ص ١٤٦
ابو شامة ، ذيل الروضتين ، ورقة ٢٣٠ آ ، ٢٦٢ آ .

W. W. DN. VI. A.
Sauvaget, *M. H. D*, p. 96-97.
Sauvaget, *M. A. D.* p. 113 et suiv.
Répertoire, X, p. 208-210.

٣٣ ــ الباب الصغير

باب المدينة الجنوبي . سُمي بذلك لانه اصغر ابوابها .

وهو باب روماني ، جُدد زمن نور الدين . ثم زمن الملك المعظم عيسى سنة

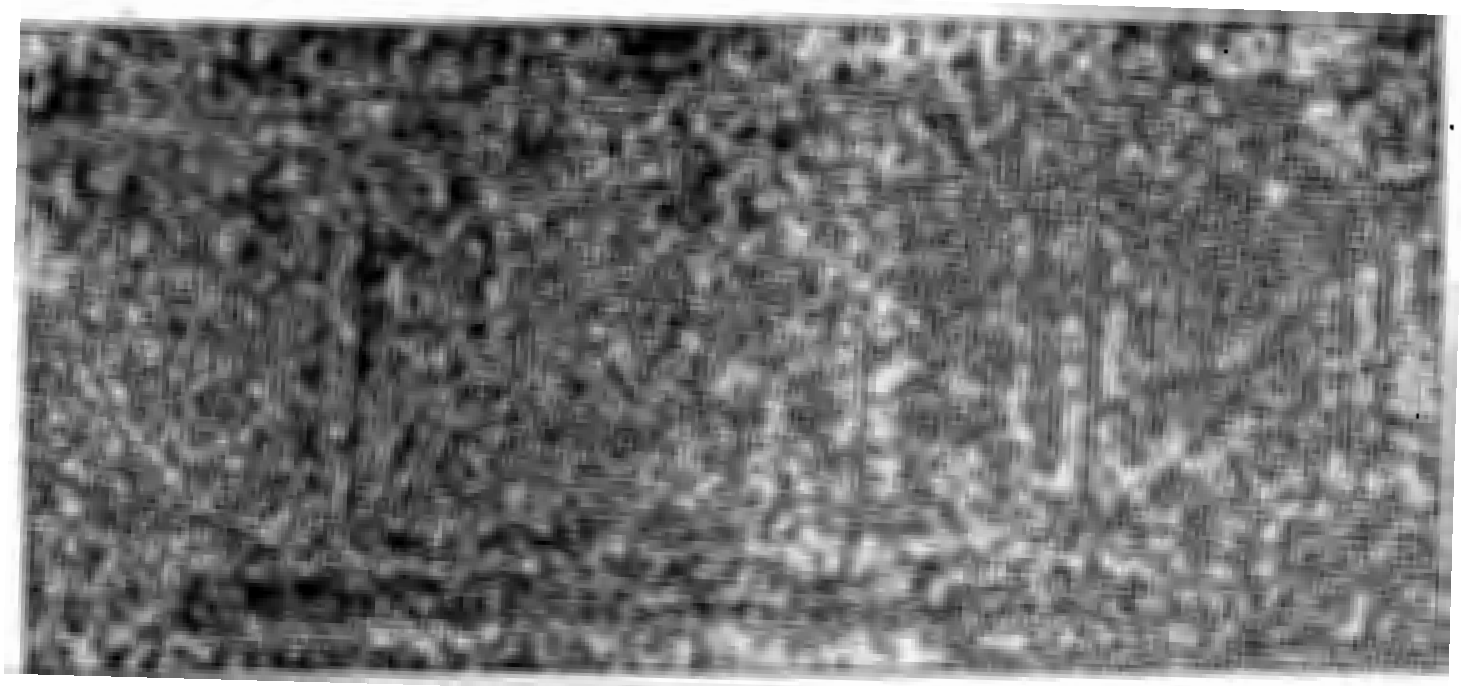

قطعة من ضريح سكينة

انظر : الاصبهاني ، كتاب الاغاني ١٦ : ١٧٠

ابن الحوراني ، الاشارات ص ١٨

ابن عبد الهادي ، ثمار المقاصد ص ١٠٦ ، والذيل ص ٢٥٢

W. W. : E. 8. 1.

De Lorey et Wiet, *Cénotaphes .. dans Syria* t 11, p 220

Sauvaire, *Description*, (J. As Mai -.Juin, 1896) p.414 note 53.

Répertoire, VIII, p. 286.

Contenau, *Nouvelle Salle d'art Mutul, dans Syria III*, p. 254

Sauvaget, *M. H. D.* p. 49

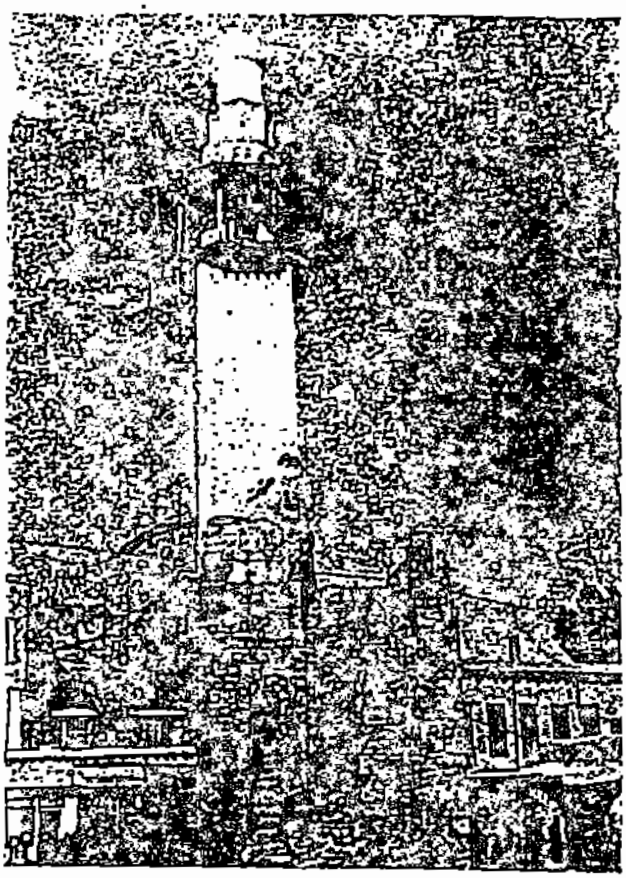

مئذنة باب توما

كان الى جانبه مسجد ، وفوقه مئذنة ، فرفع المسجد لتوسيع الطريق ، وهدم المهندس ايكوشار المئذنة

ورمم عام ١٩٤٨ ، وخاصة من ناحية درج المئذنة.

انظر : المنجّد ، دمشق القديمة ص ٤١

W. W. : K 2. 3
Sauvaget, *M. H. D.* p. 42
Sauvaire, (*J. As.* Mai-Juin. 1896) p. 373

٣٦ ــ المدرسة الركنية البرانية

في حي الاكراد ، بسفح قاسيون .

بناها الامير ركن الدين منكورس ، غلام فلك الدين اخي العادل ، المتوفى سنة ٦٣١هـ وعمل عندها تربة .

بُدئ بعمارتها سنة ٦٢١هـ وانجزت سنة ٦٢٥هـ - ١٢٢٨م

واجهتها رائعة جداً ، فيها زخارف هندسية ، وكتابات كوفية .

فوق الصحن ، تقوم قبة بديعة ، تستند على أقواس جميلة . ولا يوجد مثل ذلك في ابنية أخرى .

انظر : ابن كثير ، البداية ١٣ : ١٤١
ابن عبد الهادي ، ثمار المقاصد ١٦٩ ، والذيل ص ٢١٨
ابن كنان ، المروج ص ٤٤

W. W. : DN. XI. A
Sauvaget, *M. H. D.* p. 98
Sauvaire, (*J. As.* Septembre - oct. 1894) p. 258
Répertoire, X, p. 214
Herzfeld, *Damascus* : Studies - III, p. 20.

٣٧ ــ قبة المسجف

بالمزة ، إلى الشرق منها ، وشمال كفرسوسية .

وهي بناء مربع يقوم فوقه قبة ، وهو مفتوح الجوانب من جهة الشرق والغرب والشمال. وابقيت الجهة الجنوبية مسدودة فقام فيها محراب ، وفوقه آية « إنما يعمر مساجد الله . . . »

وشمال هذه القبة يقع قبر المسجف .

وهو الزكي أبو القاسم بن غنايم العقلاني المعروف بالمسجف المتوفى سنة ٦١٥هـ .

والقديس حنانيا هو اول اساقفة دمشق . وله دير ينسب اليه بضواحي دمشق .

انظر : W. W. : L. 3. 3.

Sauvaget, *M. H. D.* p. 10

P. J. Nasrallah, *Souvenirs de St. Paul*, p. 33 et suiv.

حبيب الزيات ، دير حنينا . في (المزانة الشرقية) ٢ : ١٠٥

الابنية الاموية

٤ ــ الجامع الاموي

اروع ما خلفه الامويون . بناه الخليفة الوليد بن عبد الملك سنة ٨٦ هـ ــ ٧١٥ م . في بقعة كان فيها معبد Hadad ، ثم معبد Jupiter ، ثم كنيسة القديس يوحنا المعمدان .

افردنا له بحثاً خاصاً .

وهاك بعض المصادر الاجنبية والمخطوطة عنه :

Porter, *Five years in Damascus*, T. I pp. 61-77.

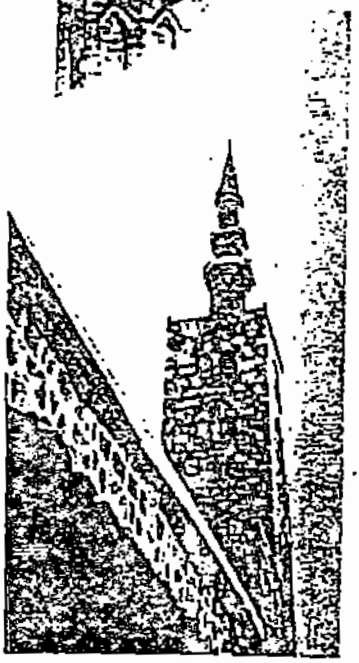

المئذنة الغربية في الاموي ومئذنة عيسى الشرقية

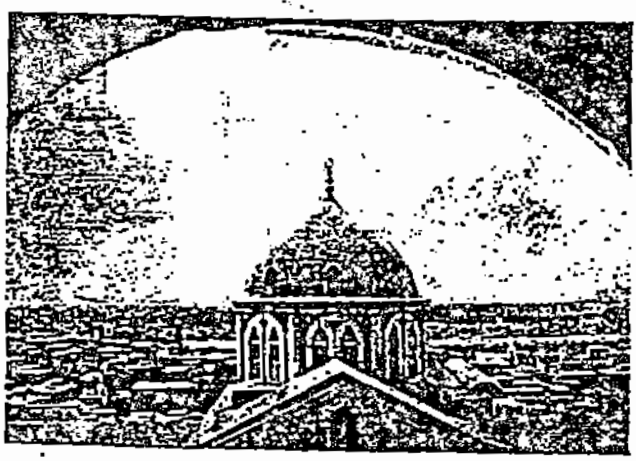

قبة النسر في الاموي

وقد جدد عمارة التربة — ولده بدر الدين عبد الرحمن سنة ٦١٧ هـ. ودفن بها عند وفاته سنة ٦٣٥ هـ.

هذه القبة تشابه قبة ابن المقدم ، وقبة النصر .

انظر : محمد دهمان ، قبة المسجف، في (مجلة المجمع العلمي مجلد ٣٠ ، جزء ٥و٦) ص ٣٣٩
ابن عبد الهادي ، ثمار المقاصد ، ص ١٠٣
ابن طولون ، المزة فيما قيل في المزة ، ص٣٥
العلموي ، مختصر الدارس ص ٢١١

٣٨ — المدرسة العزية البرانية

مقابل مدرسة التجهيز الاولى — بالشرف الاعلى .

بناها الامير عز الدين ايبك الاستادار المعظمي ، صاحب صرخد ، المتوفى سنة ٦٤٥ هـ.

بنيت كما تدل الكتابة التي على بابها سنة ٦٢١ هـ. ، وتذكر المصادر التاريخية أن بناءها تم سنة ٦٢٦ هـ = ١٢٢٩ م.

مات بانيها بصرخد فنقل إليها . ثم دفن بها ابنه الامير مظفر الدين ابراهيم .

لم يبق منها غير التربة بابها الخارجي من طراز غريب . في التربة قلادة من الجص المنقوش النادر.

وقد اجرت مصلحة الآثار ترميمات فيها .

انظر : العلموي : مختصر الدارس ص ١٦
ابن كثير : البداية ١٣ : ١٧٤ ، ١٩٥
ابن عبد الهادي ، ثمار المقاصد ص ٢٣٩

W. W. : DW. 5
Sauvaget, *M. H. D*, p. 64
« *M. A. D*, - II - p. 56
Herzfeld, *Damascus*, Studies - III, p. 55.
Répertoire, X, n° 3914.

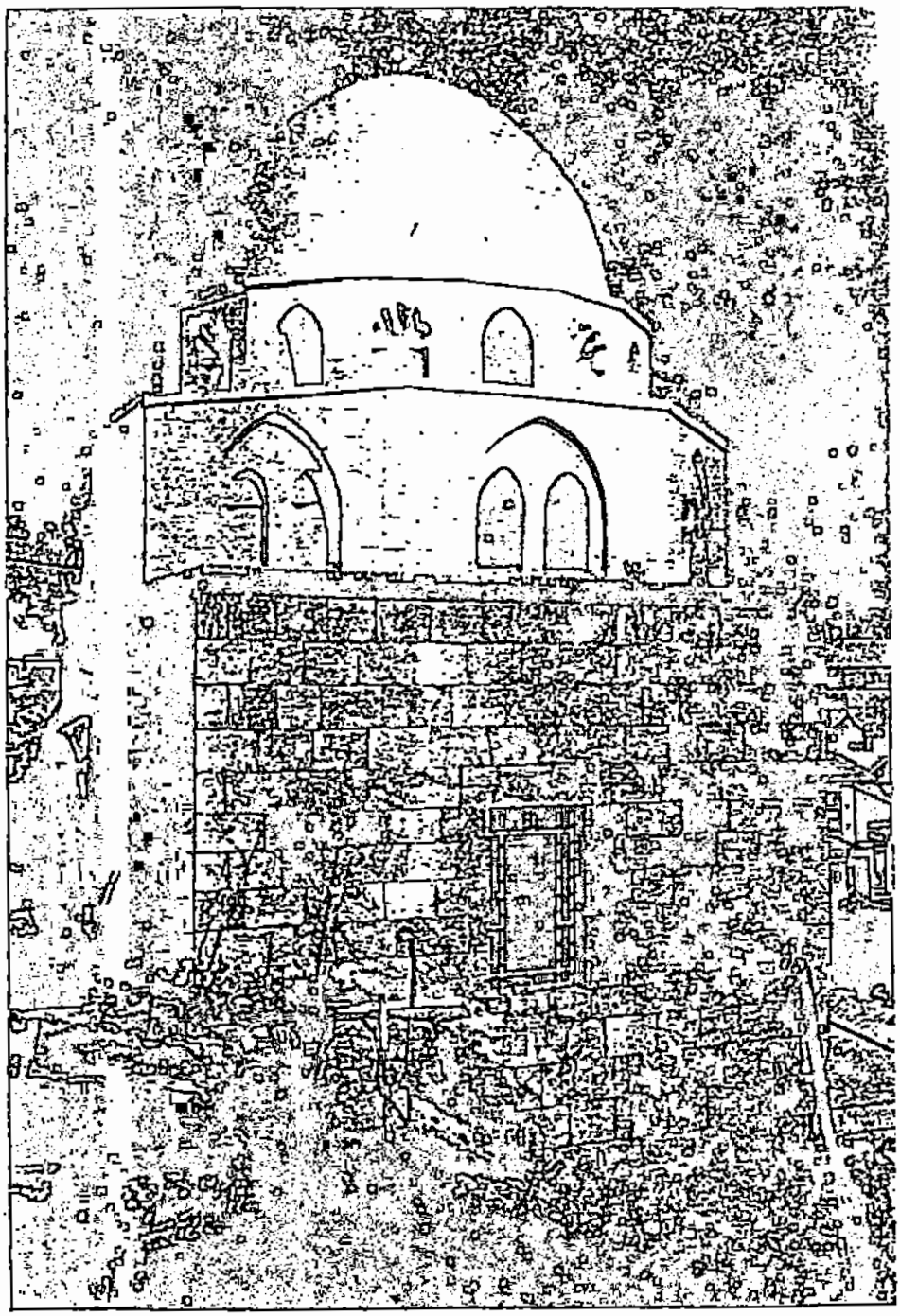

القبة العزية بعد ترميمها

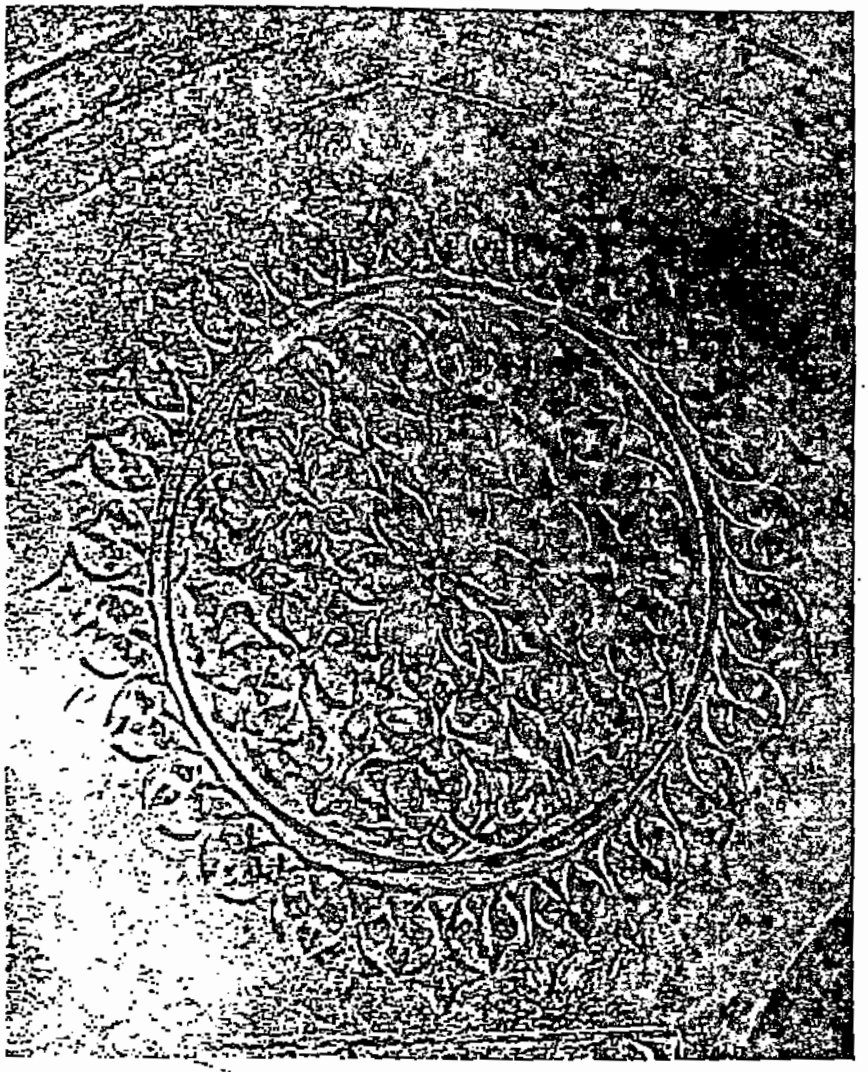

القلادة الجصية في التربة العزية

٣٩ ـ جامع التوبة

في العقيبة

كان مكانه خان الزنجاري ، للخواطئ والمنكرات . فخربه الملك الاشرف موسى سنة ٦٣٢ هـ = ١٢٣٤م وأمر بعمارته جامعاً ، وسماه جامع التوبة . ثم أتم عمارته وجددها خطيبه يحيى بن عبد العزيز بن عبد السلام سنة ٦٤٩ هـ.

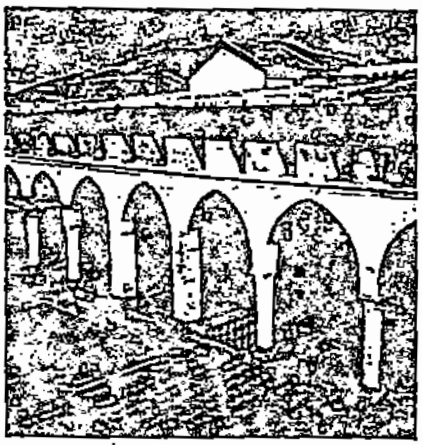

رواق جامع التوبة الشمالي

كتابة . لا شيء قديم في داخله . لاحظ ضريح السيدة رابعة في غرفة لها نافذة تطل على الطريق .

انظر : ذيل ثمار المقاصد ص ٢٢٩

٤٣ ــ باب الفرج الداخلي

احد ابواب المدينة من الشمال . وباب الفرج باب مزدوج . والداخلي أحدث ايام نور الدين . وهو على حذاء السور القديم قبل ان يُدفع الى دفعة بردى . وهو مزين بنقوش مخرّمة تظهر في عضادته اليسرى ، من الداخل . فوقه عتبة فيها كتابة تشير الى تجديد الباب سنة ٦٣٩ هـ = ١٢٤٢ م

رممته مديرية الآثار عام ١٩٤٨ .

انظر : المنجد ، دمشق القديمة ص ٥٥

W. W. : p. 185
Sauvaget, *M. H. D*, p. 42
Répertoire, XI - II - p. 131

٤٤ ــ المدرسة الاتابكية

في الصالحية ، قبيل الجهاركسية الى الغرب

أنشأتها زوجة الملك الاشرف تركان خاتون . ماتت سنة ٦٤٠ هـ ١٢٤٣ م . ودفنت بها .

سُترت واجهة المدرسة بحوانيت يجب رفعها . بابها جميل ذو مقرنصات . رممت عضادته اليسرى عام ١٩٤٥ . لا شيء يلفت النظر في الداخل .

انظر : الماوي ، مختصر الدارس ص ٢٦
ابن كثير ، البداية ١٣ : ٢٧ ، ١٦١
ذيل ثمار المقاصد ص ١٩١

W. W. : DN. V. g
Sauvaget, *M. H. D*.p. 100.
Herzfeld. *Damascus* : Studies - III - p. 13

٤٥ ــ التربة العالمة

في الصالحية ، امام خان السبيل .

تربة أمة اللطيف بنت الناصح الحنبلي المتوفاة سنة ٦٤٠ هـ = ١٢٤٢ م . لم يعرف نسبتها ووفاته . (افردنا لها بحثاً خاصاً) .

٤٦ ــ باب السلامة

أحد ابواب المدينة الشمالية . ويسمى أيضاً باب الفراديس الصغير .

وهو أجمل أبواب المدينة . ذو قوس عربية بديعة . بناه نور الدين ، ثم تهدم ؛ فجدّده الملك الصالح أيوب سنة ٦٤١ هـ = ١٢٤٣ م.

فوقه عتبة عليها كتابة تشير إلى تجديده . وعلى عضادة الباب الشمالية مرسوم مماليكي .

رممته مديرية الآثار عام ١٩٤٨ . ورممه من قبل المهندس ايكوشار .

انظر : المنجّد ، دمشق القديمة ص ٤٥

Sauvaget, *M. H. D.* p. 43
W. W. : H. 2. 1.
Répertoire, XI, N° 4223

٤٧ ــ مدرسة الصاحبة

بسفح قاسيون ، من الشرق ، عند حي الأكراد .

أنشأتها للحنابلة ربيعة خاتون بنت أيوب ، أخت صلاح الدين . ماتت سنة ٦٤٣ هـ . وكانت زوج الملك المظفر صاحب اربل المتوفى سنة ٦١٤ هـ . قدمت دمشق بعد وفاته وبنت المدرسة . فيكون بناؤها تم بين سنة ٦١٤ هـ وسنة ٦٤٣ هـ .

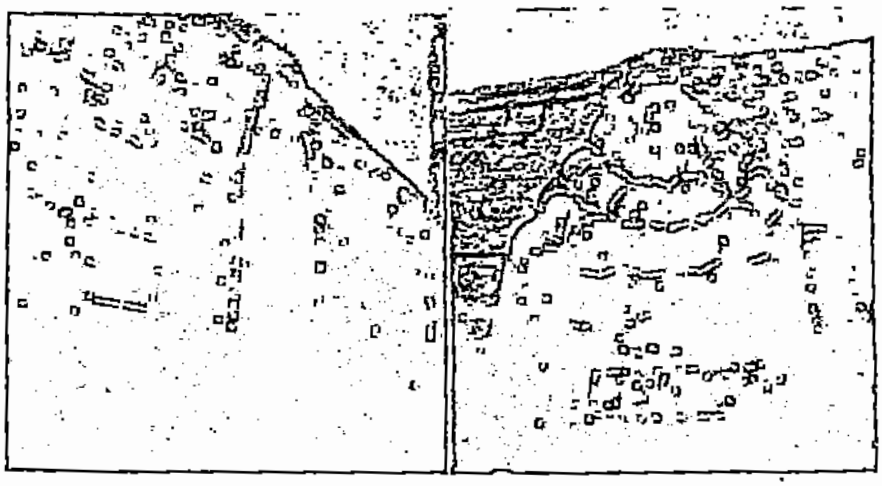

مقرنصات مدرسة الصاحبة — واجهة المدرسة الصاحبة

بابها جميل ذو مقرنصات . واجهتها من طراز العمارة في سورية الشمالية . فوق الباب والنوافذ نقوش هندسية .

انظر : العلري ، مختصر الدارس ص ١٢٥
ابن خلكان ، وفيات الاعيان ١ : ٥٥٢
ابن كثير ، البداية ١٣ : ١٧٠

W. W. : DN. IX. g
Sauvaget, *M. H. D*, p. 100
Herzfeld, *Damascus* : Studies - III -, p. 9

٤٨ ــ برج الملك الصالح أيوب

يقع في الزاوية الشمالية الشرقية من سور المدينة ، شرقي باب توما . مقابل الشيخ أرسلان .

من اجمل الابراج القائمة . عليه كتابة تشير إلى بنائه من قبل الملك الصالح أيوب سنة ٦٤٦ هـ = ١٢٤٨ م .

انظر : المنجد ، دمشق القديمة ص٣١

W. W. : L. 2. 4.
Sauvaget, *M. H. D*, p. 41
Repertoire. XI. N° 4282

٤٩ ــ التربة الحافظية

في الصالحية ، على طريق عين الكرش المؤدي الى البدرية والشبلية وحي الاكراد .

بنتها الخاتون أرغون الحافظية ، عتيقة الملك العادل ، وجعلتها تربة ومسجداً .

سميت بالحافظية لخدمتها وتربيتها الحافظ صاحب قلعة جعبر . توفيت سنة ٦٤٨ هـ = ١٢٥٠ م .

وقد كان في التربة ضريح من الخشب المنقوش ، هو ضريح الاميرة عصمة الدنيا والدين بنت السلطان الملك معز الدين قيصر شاه . فنقل الى

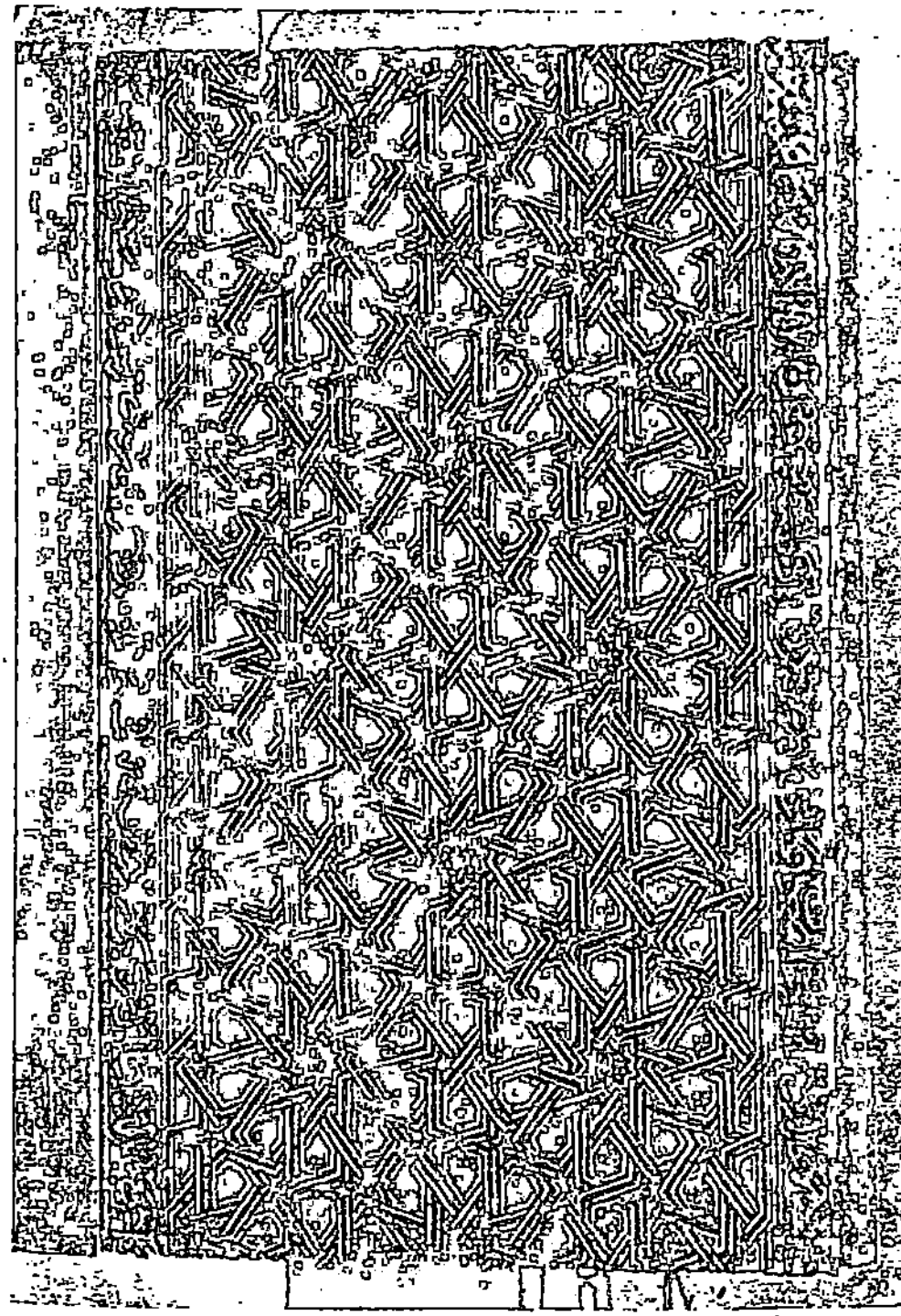

متحف دمشق .

اصبحت الآن مكتباً للصبيان .

انظر : العلموي ، مختصر الدارس ص ١٦١
ابن كثير ، البداية ١٣ : ١٨٠
المحبي ، ٣ : ١٣٦

W. W. : DN. XIX. a
Sauvaget, *M. H. D*, p. 103
Herzfeld, *Damascus* : Studies - III - p. 63

٥٠ ـ المدرسة الفلبجية

جنوب قصر العظم ، مقابل دار الحديث التنكزية .

اوصى بوقفها الامير سيف الدين علي بن قليج المتوفى سنة ٦١٣ هـ. وبدأ قاضي القضاة ابن سني الدولة ببنائها سنة ٦٤٥ هـ بعد وفاة الامير واتمها سنة ٦٥١ هـ = ١٢٥٣ م.

بقي منها واجهتها . بابها ذو قفل حجري مدلّى . عليه عتبة فيها كتابة تشير إلى وقفها . التربة ، وهي على يمين الباب ، ذات شباكين على الطريق. فوقها كتابة وأشعار . داخل التربة قبر الامير سيف الدين ، وقبر أحمد بن ابراهيم أحد صدور الشام المتوفى سنة ١٠٦٠ هـ.

احترقت في فتنة تيمورلنك سنة ٨٠٣ هـ. وأعيد ترميمها سنة ٩٧٠ هـ ثم سنة ٩٨٢ هـ.

باقي المدرسة جعل دوراً .

أنظر : العلموي ، مختصر الدارس ص ١٠٢
ابن كثير ، البداية ١٣ : ١٧١ ، ٢٤٦
المحبي ، ١ : ١٥٨ ؛ ٢٠٧
ابن عبد الهادي ، ثمار المقاصد ص

W. W. p. 74
Sauvaget. *M. H. D*, p. 66
Répertoire, XI - II - p. 178, 249.
Herzfeld, *Damascus* : Studies - III - p. 1

٥١ ـ المدرسة المرشدية

في الصالحية ، جادة بين المدارس ، لصيق تربة الفرنثي .
أنشأتها سنة ٦٥٠ هـ = ١٢٥٢ م خديجة خاتون ابنة السلطان الملك المعظم عيسى المتوفاة سنة ٦٥٤ هـ — ١٢٥٦ م .

بابها ضخم . جبهتها من الحجارة الضخام . فوق الباب كتابة . مئذنة المدرسة مربعة ، وهي الوحيدة الباقية من القرن السابع . لم يبق من المدرسة غير مسجد صغير الى جانبه قبة الضريح . على حيطانها زخارف جصية جميلة

انظر : العلموي ، مختصر الدارس ص ١٠٥
ابن عبد الهادي ، ذيل غرر المقاصد ص ٢٥١
ابن كنان ، المروج ص ٤٦

W. W. : DIV. V. c
Sauvaget, *M. H. D*, p. 103
Répertoire, XI - II, p. 233
Herzfeld, *Damascus* : Studies - III - p. 64

٥٢ ـ البيمارستان القيمري

في الصالحية ، لصيق جامع محي الدين بن عربي من الغرب
اوقفه الامير سيف الدين القيمري المتوفى سنة ٦٥٤ هـ = ١٢٥٦ م في ايام

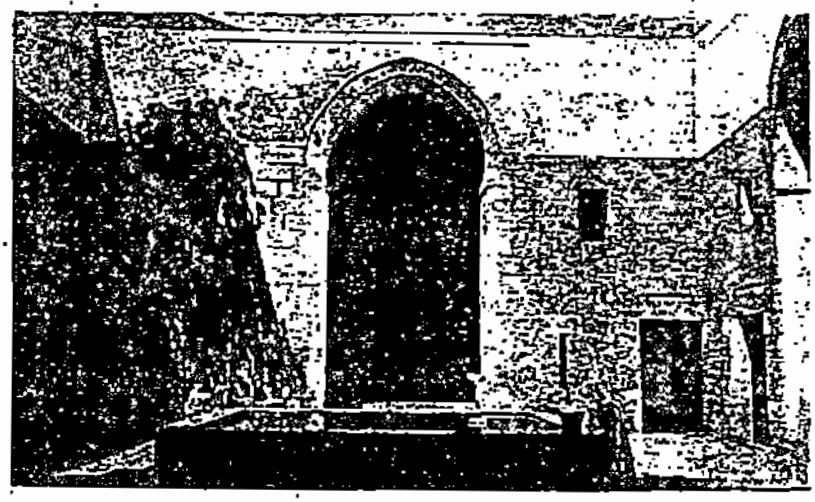

الصحن والبحرة والمدخل

الملك الناصر يوسف ابن الملك العزيز .

من اعظم آثار دمشق شأناً يشبه في تخطيطه بيمارستان نور الدين إلا انه أوسع منه .

بابه مقرنص عليه كتابات جميلة باوقافه . على جانبيه عمودان ، احدهما محفوظ . إيوانه الجنوبي واسع كبير عقده بالجص المزخرف وفيه قلادتان فيهما زخارف نباتية . في الايوان آيات وكتابات بخط نسخي ايوبي حروف حمر على ارض زرقاء .

رممته مصلحة الآثار .

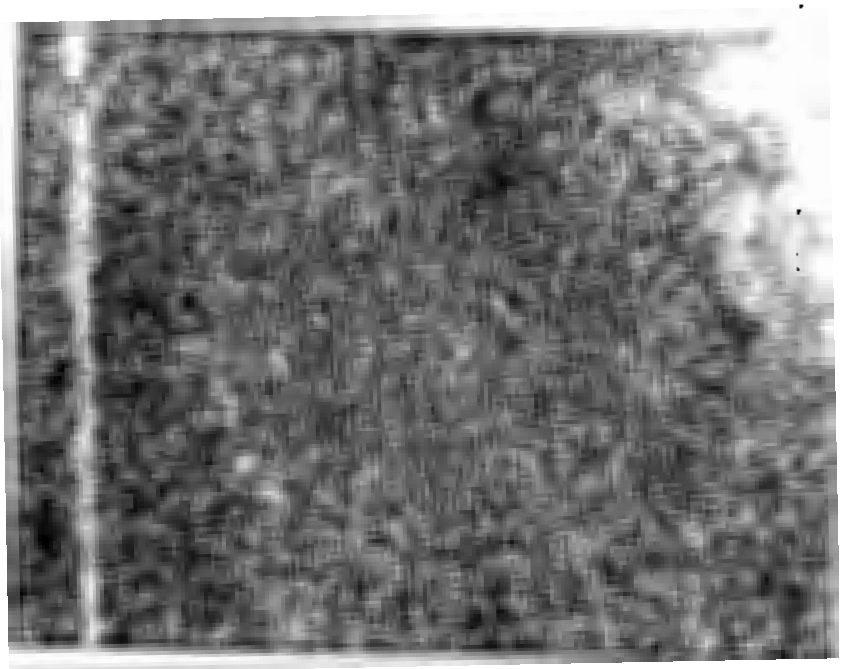

احدى القلادتين الجصيتين

انظر : ابن كثير ، البداية ١٣ : ١٩٤
احمد عيسى ، البيمارستانات في الاسلام
المحبي ، ٣ : ٢٥

W. W. : DN. VII. b
Sauvaget, *M. H. D*, p. 102
Répertoire, XII, p. 6
Herzfeld, *Damascus* : Studies - III - p. 27...

شذرات

الملكات العربيات قبل الاسلام[1]

هي لمحة سريعة تشمل بلاداً تمتد من المدائن الى رومة من جهة ومن البحر الاسود حتى خليج فارس من جهة أخرى وتدرس فترة تفوق ستة عشر قرناً.

ويستخلص القارئ من بين السطور أن غاية الباحثة إظهار مقدرة المرأة العربية واحترام العرب لها واعترافهم بحقها في الحكم والسلطة عند ما تُظهر الكفاءة اللازمة . غير ان الكاتبة لا تقصر دراستها على النساء اللواتي اثبتن موهبتهن بالحكم وأظهرن استقلالهن في العمل بل هنالك فئة كبيرة تذكرها لمجرد اشتهارها بين العرب او لاقتران اسمها ببعض الشخصيات الكبيرة كتلك السلسلة التي عُرفت باسم « هند » والتي تسر قراءتها القارئ لطرافتها ولبعض السذاجة التي نجدها في حوادثها .

فتلك مينة هند زوجة حُجر بن عمرو المفجعة تظهر لنا وحشية رجل جرحت عواطفه وانحط عنفوانه فربط امرأته الى جوادين فمزقاها وذلك لانها هربت مع العدو الذي سباها وباحت له بكرهها لزوجها . ويلي ذلك حادث صبياني جرى مع هند ثانية هي ابنة حارث بن عمرو بن آكل المرار وأم عمرو بن هند التي بنت ديراً عرف باسم « دير هند الكبرى » ويلخص بأن عمر بن هند سأل يوماً خلّانه عما اذا كانوا يعرفون بين العرب من يأتي ان تخدم امه والدة عمرو فأجيب : نعم هنالك عمرو بن كلثوم. فدعا عمرو بن هند عمرو ابن كلثوم ووالدته ليلى لضيافته وطلب الى والدته أن تصرف الخدم وهم الى المائدة وتطلب الى ليلى ام عمرو بن كلثوم ان تقدم لها طبق الحلوى : غير انها لم تكد تلح على ليلى ان تقدم لها الطبق حتى صاحت هذه الاخيرة: «يا للاهانة تعالوا يا رجال تغلب ». فما كان من ابنها الذي سمع صراخها بينما كان الآخرون

(1 Nabia Abbott, *The American Journal of Semitic languages and literatures. Pre-islamic Arab queens.* Volume LVIII, January 1941. Number 1.

يتعاطون الخمر الا ان استل سيف عمرو بن هند الذي كان معلقاً على مقربة منه وضرب به مُضيفه فقضى عمرو بن هند شهيد حبه لوالدته.

وهنالك « هند الصغرى » ابنة النعمان الثالث او أخته التي دخلت الدير لانها لم تتمكن من الاقتران بعديّ الذي كانت تحبه وذلك لان أباها سجنه وقتل في السجن قتلة شنيعة وعرف الدير بعد ذلك « بدير هند الصغرى » نسبة لها ويقال ان مغيرة بن شعبان حاكم الكوفة (٦٤٣—٦٤٥) قد زارها في الدير وطلب اليها ان تقترن به رغم انها كانت مسنة وعمياء. فرفضت فتركها مغيرة بعد ان قال بها الشعر .

تلك قصص طريفة تلذ القارئ غير انها لا تظهر شيئاً عن تفوق المرأة اللهم الا ما عهد عنها ، او بالاحرى ما ألصق بها ، من إثارة مشاكل عائلية وغرامية.

غير ان هنالك نساء أخر تذكرهن الكاتبة قد يقف امامهن حيارى من يدعون ان للمرأة امكانيات غير امكانيات الرجل اذ نجد اولئك النساء يسهرن على الممالك فينظمنها احسن تنظيم ويلعبن بعرش رومة فيرفعن امبراطوراً ويسقطن آخر ويقمن باعمال يفقن بها رجال عصرهن . ولا تذكر من النساء ملكة سبأ التي ملأ ذكرها الشرق والغرب معاً لما في تاريخها من الغموض والابهام وقد تكون الملكة الوحيدة التي قامت في جنوب الجزيرة .

اما في الشمال فإننا نجد شمسي تقف بوجه تغلت فلاسر الثالث وتساعد ملك دمشق على عدوه الآشوري غير ان هذا الاخير يشن عليها حرباً شعواء يضطرها الجوع فيها والعطش الى الخضوع الا أن تغلت فلاسر لم يعزلها من الحكم بل اكتفى بفرض جزية قوية ووضع رقيب آشوري في بلاطها ليرسل له التعليمات الوافية عن سلوكها وعن قبائلها الى دولته . وتقول الكاتبة ان بقاء شمسي بالحكم رغم فشلها السياسي واندحار جيشها وخضوعها للعدو لما يظهر لنا المكانة الرفيعة التي كانت تتبوأها الملكات عامة ومكانة شمسي خاصة ومقدرتها في تسيير الامور الداخلية وادارة شؤون مملكتها.

ثم نجد تخونو Tékhunu تحارب سنحاريب وتندحر امامه ايضاً فينقلها هي وآلهتها الى نينوى .

وبعد ذلك تنتقل الكاتبة الى ذكر الدور العظيم الذي لعبته النساء

« العربيات » في الامبراطورية الرومانية فتذكر زواج سنتموس سفيروس من مرتا ابنة باسيانوس (Bassianus) الامير الكاهن في حمص التي اصبحت فيما بعد الامبراطورة جوليا دوما (Julia Domna) والتي لعبت الدور الاول في عهد ابنها كركلا (Caracalla) وكان تأثيرها عليه دائماً لخير الدولة وهي التي حالت دون تقسيم الامبراطورية بين كركلا وأخيه وقد داومت على « إدارة الشؤون المهمة في الدولة بفطنة وتبصر كانا يخففان من كثرة اسراف كركلا » .وقد عرفت تلك الامبراطورة مجداً عظيماً وحملت القاباً لم تحملها امرأة قبلها ولما اغتصب الملك مكرينوس (Macrinus) أعادها الى مصاف العباد ثم ابعدها عن روما فماتت بعد شهور قلائل اما لاضرابها عن الطعام او لجوع فرض عليها .

غير ان مكرينوس (Macrinus) لم يرتح بموتها بل قامت جوليا ميزا (Julia Mesa) اختها تدس له المكائد ولم تألُ جهداً حتى أسقطته عن العرش ووضعت مكانه ابن ابنتها البكر التي ادّعت انه ابن كركلا غير الشرعي ولكنه كان مختلاً فادّعى انه هو نفس الاله الذي كان كاهناً له لذا دعا نفسه ايلوغابال (Elogabalus) وقد كرس نفسه لنشر ديانته وانغمس بلذاته الشخصية التي انتهت الى اشنع التهتك .

وكانت أمه وجدته تحكمان من وراء الستار وقد لاحظت تلك الاخيرة ان اسراف ايلوغابال (Elogabalus) سيجر حتماً الى سقوطه فعمدت لابداله بابن ابنتها الثانية وهكذا كان . ولم يطل الامر حتى توفيت جوليا ميزا فتولّت ابنتها الثانية جوليا ماماً(Mammæa) الحكم كوصية على ابنها اسكندر لانه كان قاصراً . ولم يتحرر هذا الولد من سلطة امه عند ما بلغ سن الرشد فكان ذلك حجة لبعض الطامعين بالحكم .وقد اعتادت(Mammæa) أن ترافق ابنها حتى في الحملات الحربية وقد نصحته في حملة المانيا سنة ٢٣٤ بان يفاوض العدو ويوقف القتال مما اثار جيوشه فقاموا بثورة دبّرها مكسيموس (Maximus) القائد والامبراطور فيما بعد قتل فيها اسكندر ووالدته وكان موتها فاتحة عهد سادت فيه الفوضى والحروب الداخلية التي انهكت الامبراطورية.

الا ان اعظم هؤلاء النساء جميعاً هي زينوبيا العظيمة ملكة تدمر، وقد

كانت حازمة ، على جانب عظيم من الجمال والعلم والمقدرة . وقد وثق بها زوجها الذي كانت تشاركه طموحه وترافقه في القنص والحرب . وكانت تؤمن بعظمة تدمر وتطمح كزوجها الى تأسيس امبراطورية شرقية مستقلة تحت سيادة تدمر وقد تسلمت الحكم بعد زوجها وعملت لتحقيق حلمها فوسعت حدود مملكتها شرقاً نحو بلاد ما بين النهرين وشمالاً غرباً نحو شرق آسيا الصغرى وضربت النقود بعد موت كلودس (Claudius) استعداداً للاستقلال التام . غير ان اورليان خليفة كلودس الذي لقب نفسه « بمنقذ الشرق » قد احبط مسعاها فبعد ان دخلت الجيوش التدمرية سوريا ومصر سنة ٢٧٠ واصبحت ممتلكات زنوبيا تمتد من مصر حتى بلاد ما بين النهرين ومن الهلسبون الى شمالي الجزيرة العربية تفرغ لها اورليان وكان قبل ذلك منهمكاً بالحروب في الغرب . فعند وصوله خانها اليونان والرومان وتخلوا عنها فمنيت جيوشها بخسائر فادحة على العاصي قرب انطاكية وهزمت شر هزيمة غير انها لم تيأس بل جمعت مع قوادها قواتها ولاقت جيش الامبراطور ثانية في سهل حمص حيث اندحرت ايضاً . عند ذلك تراجعت الى تدمر فحاصرها اورليان الظافر ثم عرض عليها سلماً بشروط خفيفة لكنها اخطأت في رفضها اياه فشدد الحصار عليها مما اضطرها الى الفرار الا ان اورليان لحق بها فأدركها ثم ساقها الى روما ليتوج انتصاراته بعرض تلك الملكة على شعبه حيث ترى لآخر مرة زنوبيا التي حلمت بان تصبح امبراطورة الشرق تدخل المدينة مزدانة بالحلي والجواهر البراقة مكبلة بسلاسل من ذهب . ولن نجد عند العرب فيما بعد ملكة تضاهيها شهرة .

غير انه سيظهر بعد مضي قرن تقريباً على موت زنوبيا ملكة غسانية ذات بأس هي (Maura) التي ثبتت قدمها بين العرب عند موت زوجها ووقفت بوجه الامبراطورية الرومانية بين سنة ٣٧٣ و ٣٨٠ وكانت كزنوبيا تمتطي جوادها على رأس جيشها . وقد اصطدمت عدة مرات بجيوش الامبراطورية وخرجت منها جميعها ظافرة حتى اضطر الرومان الى قبول السلم الذي فرضتا عليهم ومن شروطها تثبيت مرشحها في ابرشية مملكتها المسيحية . وقد حافظت بعد ذلك على ولائها للرومان وكان لها ولفرسانها اليد الطولى في انقاذ القسطنطينية من زحف القوط .

ليس لدي ما يؤهلني لتفنيد مقال تاريخي مُسند كهذا . فالكاتبة مجهولة عندنا وغايتها تظهر محض علمية لا تتعدى رغبتها إظهار موقف العرب من بعض الشخصيات النسائية الفذة وقبولهم بحقهن بالملك .

غير ان لا بد لمقال كهذا من ان يثير تأملات حول المرأة بصورة عامة . فما لا ريب فيه ان جميع من ذكرت الكاتبة من نساء لم يقمن باعمال خارقة ولا هن برهنَّ عن قوة خلاقة مبدعة . ولكن ألا يكشف خروج المرأة الى الحياة العامة في تلك العصور البعيدة عن وجود امكانات كامنة عندها تتحين الفرص للظهور وان في نفس المرأة مطامح غير ما فرضت عليها التقاليد وان في قلبها ظمأ لارتشاف كل ما تُقدم الحياة من غنى وجمال لا يقل عن ظمأ الرجل ولا يمكنها كبح جماحه عندما تسنح الفرص . اوليست تلك النزعة اللاواعية التي رمت بزنوبيا و(Mammæa)وغيرهما في معمعة الحياة هي نفسها التي نجد تعبيرها الواعي عند الـ (Féministes) في القرن الماضي والذي جر الى هذا الانغماس الطائش والانعتاق اللاواعي الذي نشهده اليوم عند المرأة في جميع مرافق الحياة انعتاق ليس بغريب عن هذه الفوضى التي يتخبط بها عالمنا اليوم وتدفع النساء ثمنه غالياً قبل اي مخلوق آخر .

هو صراع دخلته المرأة . فإما أن تكشف في رشفها ينابيع الحياة عن نفس خلاقة مبدعة تساهم بها مع الرجل في تعمير الكون وتمشي معهُ يداً بيد وإما ان تُنهك قواها وترزح تحت هذا العبء الثقيل فتعود الى حياة العبودية الخانقة .

ان الجواب على هذه المعضلة هو رهين « الاختبار » وقد قررت المرأة ، وكأنها مدفوعة بقوة جبرية جامحة ، ان تخوض غمار الحياة مهما كلفها الامر . فالحل الصحيح هو ذلك الذي سينبثق من هذا الصراع العنيف لا ذلك الذي تمليه علينا مخيلتنا فنتشبث بآراء واعتبارات تكهنية عن طبيعة المرأة وضعفها قد تكون وهمية خاطئة فتخور بها الحقيقة بدلاً من ان تجلوها .

اما نعت العروبة الذي تسبغه الكاتبة على جميع هؤلاء النساء الشهيرات فلعلها توسعت في اطلاقه على خطة غير العلماء من المشتغلين بالشؤون الشرقية في زمننا الحاضر .

ر.ج.

مكتبة المشرق

كتاب الديارات

في الجزء الاول من مسالك الابصار لابن فضل الله العمري

تحقيق الاستاذ احمد زكي باشا

القاهرة سنة ١٣٤٢ – ١٩٢٤

ذكر ابن خلكان في ترجمة الشابشتي مصنف كتاب الديارات المشهور ان في هذه الديارات مؤلفات كثيرة[1] ولكنه لم يشر الى ما تقدم منها او تأخر عن زمان الشابشتي وقد تتبعناها نحن في جميع المخطوطات والمطبوعات التي تسنى لنا الوقوف عليها في دور الكتب فلم نهتدِ الى غير سبعة منها فقط عددناها في صدر كتابنا « الديارات النصرانية في الاسلام »[2] ولا ندري هل وقف العمري على شيء منها فيما عدا ديارات ابي الفرج الاصبهاني والشابشتي والخالديين التي ذكرها في غضون كتابه ولم يقتصر على تلخيص اقوالهم فيها بل اضاف الى صفحاتهم صفحات اخرى لا تقلّ عنها جزالة وتأنقاً وجودة اختيار للنكتة والنادرة دوّن فيها اخبار الديارات التي عرفها او مرّ بها في الشام وفلسطين فاتم بذلك ما كان ناقصاً واعاض عما كان ضائعاً.

وليس لدينا اليوم ديارات الاصبهاني والخالديين لنعلم هل احسن العمري النقل عنها ام تصرف بها لفظاً ومعنى كما هو الغالب عليه في كثير مما رواه عمن تقدمه ومما يرجح هذا الظن ما فعله في رواياته عن الشابشتي وهو السفر الوحيد والعقد الفريد الذي سلم لنا من كل تلك الاعلاق والنفائس التي اغتالتها ايدي الغير والحوادث ولكن لسوء الحظ اوهى الدهر نظامه ونثر بعض درره وسقط

(١) وفيات الاعيان ص ٤٢٦

(٢) ص ٤ – ٦

منه في النسخة المحفوظة في خزانة برلين[1] قسم من اوله واوراق في اثنائه ذهبت بذهابها خصوصاً اخبار ديارات الشام برمتها ولم ينجُ منها الا ذكر دير البخت فقط على قلة ما فيه ولعل النسخة التي كانت بين يدي العمري كانت لا تخلو ايضاً من بعض هذا النقص وصارت اليه غير كاملة او مشوّشة في وضعها لانه في كلامه على دير الخوات نسب للشابشتي ابياتاً لجحظة زعم انه قالها في الدير اولها :

وحانةٍ بالملث وسط السوق . نزلتها وصاحبي رفيقي . . .

ولم ترد هذه الابيات في نسخة الشابشتي في برلين وانما هي كما يتبين لاول وهلة مقولة في دير الملث لا في دير الخوات حسبما جاء غلطاً في الفهرس (ش) وقد اغفل العمري دير الملث ولم يشر اليه بحرف مع انه في الشابشتي يتناول تسع صفحات كاملة (ورقة ٣٩ — ٤٣) فضلاً عن وروده في معجم البلدان فلا ريب انه كان هنالك كلام على دير الملث يلي الكلام على دير الخوات فسقط من نسخة العمري او من قلم الناسخ وفات الانتباه اليه.

وقد قابلنا خصوصاً بين ما ذكره العمري وما هو مثبت في نسخة الشابشتي في برلين فوجدنا بين النصّين بعض التفاوت والايجاز في النثر وتقديماً وتأخيراً واختصاراً غير قليل في النظم وقد اشار الاستاذ المحقق الى بعض هذا الاختزال مرتين في ابيات ص ٣٦٤ و٣٧١ ومرة اخرى في متن ص ٣٦٣ وضرب صفحاً عن مواطن كثيرة على شاكلتها . وبالاجمال ندر ان ترد في العمري ابيات عن الشابشتي دون ان تكون مبتورة او مبدلاً فيها على ما في هذا التبديل احياناً من وجه الصحة او يكون ناشئاً عن اختلاف في بعض الروايات او في النسخ المتداولة.

ولا بأس ان نورد هنا مثالاً على هذا التغيير والاختصار يكون شاهداً على طريقة العمري في التصرف بالشابشتي قال في كلامه على دير سابر : «واورد الشابشتي فيه للحسين بن الضحاك اخباراً ظرافاً وانشد له اشعاراً لطافاً» ونقل على الاثر ستة ابيات نقتصر منها على هذه الثلاثة :

---

١) رقم ٨٣٢١

امـا ناجاك بالوتر الفصيح وأنّ اليك من قلب الجريح
ألا يا عمرو هل لك بنت كرم هلم الى صفيـة كل روح
فقـام على تخاذل مقلتيه وسلسلهـا كاوداج الذبيح

وهذه الابيات في الشابشتي اثنا عشر بيتاً فيكون المنقول منها نصفها فقط وفي هذا النصف نصف آخر في كل بيت منه فرق غير قليل وهي في الاصل :

امـا ناجاك بالنظر الفصيح وأنّ اليكَ من قلب قريح
ألا يا عمرو هل لك في الصبوح هلم الى صفيـة كل روح
فقـام على تخاذل مقلتيه وسلسل بالـنبح وبالعريح (ورقة ٣٣)

وقد سكت الاستاذ المحقق عن كل هذا الاختلاف ونظائره مع أن نسخة الشابشتي كانت لديه .

وربما تعدى هذا التبديل والاقتصار الى النثر احياناً واحال بعض معانيه كقول العمري في دير قرطا « قال الشابشتي : وهذا الدير يجمع اموالاً كثيرة من عمارته وكثرة فواكهه وما يطلبه اهل البطالة فيه »[1] وانما قال الشابشتي « وهذا الدير يجمع احوالاً كثيرة منها عمارة البلد وكثرة فواكهه ووجود ما يحتاج اليه فيه ومنها ان الشراب مبذول هناك والحانات كثيرة ومنها ان في هذا الموضع ما يطلبه اهل البطالة والخلاعة من الوجوه الحسان والبقـاع الطيبة النزهة » (ورقة ٢٥) وشتان بين الاموال والاحوال في القولين .

وقريب من هذا الاختصار المخلّ قول العمري في دير الخوّات « وعيده الاول من الصوم قال الشابشتي : وتسمى ليلة الماشوش »[2] وليس في العبارة ذكر لمرجع الضمير في تسمى وهي في الشابشتي « وعيده الاحد الاول من الصوم وفي هذا العيد ليلة الماشوش » (ورقة ٣٨) وعلى ذكر هذه الليلة التي كثر فيها الكلام واحتدّ المراء والخصام لا بأس ان نضيف الى ما سبق لنا نشره في كتابنا الديارات في الاسلام (ص ١٠٩–١١٢) من شهادات اهل السنة والشيعة في تبرئة رهبان الديارات من مخزية الماشوش واثباتها على بعض فرق اهل البدع والخوارج في الاسلام حجة اخرى دامغة ناطقة بنسبة الماشوش ايضاً الى بعض

١) مسالك الابصار ٢٨٠
٢) « « ٢٨٢

المتصوفة في القرن الرابع للهجرة وقفنا عليها اخيراً في كتاب نشوار المحاضرة للقاضي التنوخي وهي تقطع قول كل خطيب وتسد فم كل متحامل عدوّ كالمقالة البذيئة التي نشرتها « مجلة الرسالة » في القاهرة اخيراً لاحد لصوص المعلمين الحمقى في بغداد[1] قال التنوخي بالحرف الواحد:

« خبرني جماعة من اهل العلم ان بشيراز رجلاً يعرف بابن خفيف البغدادي شيخ الصوفية هناك يجتمعون اليه فيتكلم على الخطرات والوساوس ويحضر حلقته الوف من الناس وانه فاره فيهم حاذق وانه قد استدوى الضعفى من الناس الى هذا المذهب قال: فمات رجل صوفي من اصحابه وخلف زوجة صوفية فاجتمع النساء الصوفيات ومن خلق كثير ولم يختلط بأمها غيرهن فلما فرغوا من دفنه وصل ابن خفيف وخواص اصحابه وهم عدد كثير الى الدار واخذ يعزي المرأة بكلام من كلام الصوفية الى ان قال: أعزيتِ وقال لها: ههنا غير؟ فقالت: لا غير. قال: فما معنى التزام النفوس آفات الهموم وتعذيبها بعذاب الغموم؟ ولاي معنى نترك الامتزاج لتلتقي الانوار وتصفو الارواح وتقع الاخلافات وتنزل البركات؟ فقالت النساء « اذا شئت » فاختلط جماعة الرجال بجماعة النساء طول ليلتهم فلما كان سحراً خرجوا قال التنوخي: (قوله ههنا غير؟) اي ههنا غير موافق في المذهب؟ (فقالت: لا غير) اي ليس من يخالف.

(قوله: نترك الامتزاج) كناية عن الوطء من الممازجة.

(قوله: لتلتقي الانوار) على اصلهم ان في كل جسم نوراً الهياً.

(قوله: الاخلافات) ان يكون لكل خلف ممن مات او غاب من ازواجكن.

وهذا عندي عظيم ولولا ان جماعة خبروني يبعدون عندي من الكذب ما حكيته لعظمه عندي واستبعاد مثله ان يجري في بلد الاسلام وبلغني ان هذا ومثله شاع حتى بلغ الامير عضد الدولة فقبض على جماعة منهم وضربهم بالسياط وشرّد جماعة منهم وشتت جموعهم فكفّوا »[2]

ولا يخفى على احد ما لهذه الشهادة الجليلة من مثل القاضي التنوخي من القدر والخطر والرجحان في كفة الحكم والقضاء للفصل في الحقائق التاريخية ولا تعلم ان نظيراً لها في كل ما روي من اوصاف المآثر وفضائح الاخلاق ولا محالة ان شيراز لم تنفرد بهذه المخزية وكان لها بين ارباب البدع والمتصوفة في سائر البلاد اشباهاً ونظائر سكت عنها المؤرخون[3] او لم يقيّض لها من يجترىء

١) مجلة الرسالة ١٥: ٢٢ سنة ١٩٤٧ ومجلة المشرق بيروت ١٩٤٧: ٢ ص ٤٢٧–٤٤١

٢) مجلة المجمع العربي بدمشق ١٧: ٢٦١ – ٢٦٢.

٣) قال المقدسي في كلامه على مدينة سيراف « وحُدّثت عن نسائهم بشيء قبيح » وقال عن نساء هراة « يقال ان نساءهم يتلبسنَ اذا ازهرت اشجار النيراء كما تتلبس السنانير »

على نقل اخبارها وكشف عوارها وحسبك من شر سماعه.

ويشبه ما تقدم من النقص والتشويش في الكلام على دير الحوات ما جاء للعمري في تعريفه دير قنى ودير العاقول قال « دير قنى وهو ببغداد والمدائن ودير العاقول اسفل منها باثني عشر فرسخاً » (٢٥٦) وما ندري كيف يمكن ان يكون دير قنى في بغداد والمدائن معاً وبين البلدين في قول ياقوت ستة فراسخ[1] ولا كيف يكون ايضاً في بغداد وقد صرّح الشابشتي انه « على ستة عشر فرسخاً من بغداد منحدراً في الجانب الشرقي بينه وبين دجلة ميل ونصف وبينه وبين دير العاقول بريد (ورقة ١١٦) ولا يخفى ما في نص العمري كما هو مطبوع من الغموض والقلق مع قول الاستاذ انه قُرئ على المؤلف نفسه فيتحتم ان يكون قد سقطت منه بعض عبارات نشأ عن سقوطها هذا الاضطراب والتناقض .

وقد كان ينتظر من الطابع ان ينبه على كل ذلك واشباهه لما في هذا التنبيه من الشأن والفائدة في التعريف بهذا الكتاب الذي خدمه هذه الخدمة الجلى واغناه بكل هذه الحواشي والاستدراكات بيد انه لو كان اعار بعض هذه المصادر والمراجع التي رد اليها المطالع نصيباً أوفر من الاعتبار والالتفات وعارض بين ما ورد فيها وما تمثل له في نسخة العمري لكفى نفسه بعض مؤونة هذا العناء الشاق الذي تحمله في التخريج والتعليل وتيسر له تقويم بعض الاغلاط من اقرب سبيل وقد روى بيتاً للصنوبري من قصيدة قالها في دير زكى وصف به البهار فقال :

وبهار بمثل الزنانير عفو ف بزهر الخيري والموزان

ومن البين الواضح ان ليس للزنانير محل في هذا التشبيه وان اللفظة محرفة عن الدنانير ولو القى نظرة واحدة على الشابشتي الذي كان له على طرف الثمام اقرأ فيه « وبهار مثل الدنانير » واستغنى عن هذه الشروح والتأويلات التي شغل بها مقدار صفحة من باب التصحيحات وبقي بعدها متردداً بين الزنانير والزنابير والدنانير (ص١٠) ومثله ما ذكره في تصحيح عمر عسكر بعمر كسكر

١) معجم البلدان ٤:٤٤٧ (احسن التقاسيم ٤٢٧ و٤٣٧)

(ص١٣) واللفظة واردة بهذه الصورة في الشابشتي وياقوت فلم تكن من ثم حاجة الى التوقف للاستفتاء بشأنها .

وابلغ من ذلك ما عاناه في تفسير قول ابي الفرج الاصبهاني في كلامه على دير اللج « ان النعمان كان يركب في كل احد اليه وفي كل عيد معه اهل بيته .. فاذا قضوا صلاتهم انصرف الى مستشرفه على النجب » (ص ٣٢٦) قال في التصحيحات « ومن الاسف انني لم اعثر على كتاب الديارات لابي الفرج لتثقيف هذه الكلمة « النجب » والحكاية غير واردة في الاغاني واني اتخيل انها محرفة عن النجف (ص١٤) قلنا ومن أولى دواعي الاسف ان يتطلب كتاب الديارات لابي الفرج وهو مفقود ولا يخطر بباله ان يراجع كتاب معجم ما استعجم للبكري وهو موجود بل من الغريب ان يكون هو الدال على الصواب ولا يتبعه ويكون اول من اشار على المطالع في حاشية (ص ٣٢٦) التي علقها على دير اللج ان ينظر في كتاب البكري ص٣٦٦ ولا يكلف نفسه النظر في هذه الصفحة عينها ولو فعل لقرأ فيها قول ابي الفرج « فاذا قضوا صلاتهم انصرف الى مستشرفه على النجف » ولضرب صفحاً عن هذه الصفحة الكاملة التي تكلفها لاثبات ما اصاب في تخيله . وقد كان يكفيه ان يتذكر قول اليعقوبي : الحيرة على النجف والنجف كان ساحل البحر الملح وكان في قديم الدهر يبلغ الحيرة (كتاب البلدان طبعة ليدن ص٩٣) .

ومما فاته استدراكه دعوى العمري في دير البغل شمالي دير شمران بمصر (ص ٣٦٩) قال في الحاشية « انظر ما اورده ابو صالح الارمني (ص ٦٣) وقد راجعنا هذه الصفحة فلم نجد فيها ذكراً لدير البغل وغاية ما هنالك انه كان في دير القصير بظاهر القاهرة بغل يُستقى عليه الماء فليس ثم اقل اشارة الى دير كان في القرن السادس للهجرة يعرف بدير البغل واول ما وقفنا على هذا الاسم كان في بعض تواريخ مصر في القرن الثامن قال المقريزي في كلامه على الملك ارقاديوس حين تطلب ارسانيوس لتعليم ولده بعد ان تحول الى جبل المقطم « فبعث اليه ارقاديوس فاذا هو قد مات فامر ان يبنى على قبره كنيسة وهو المكان المعروف بدير القصير ويعرف الآن بدير البغل من اجل انه كان

به بغل يستقى عليه الماء. فاذا خرج من الدير اتى المورد وهناك من يملأ عليه فاذا فرغ من الماء تركه فعاد الى الدير»[1] فالديران اذن واحد وقد وهم العمري في التمييز بينهما وتعيين كل منهما على حدة كأنه قائم بنفسه ومن الغريب ايضاً زعمه ان بهذا الدير دير البغل جماعة من الرهبان اليعاقبة مع انه ما برح موطناً لرهبان الروم الملكية.

ومن اسماء الاديار التي نقل العمري تحديدها عن الشابشتي وخالفه قليلاً في رسمها فكان هذا الخلاف سبباً لوهم الاستاذ فيها دير مار يوحنا وكان في الاديار ديران عرف كل منهما بهذا الاسم ولكن فُرّق بينهما في الرسم الاول بجانب تكريت على دجلة وهو المشهور بدير مَريحنا (بياء قبل الحاء) ذكره الشابشتي في ديارات العراق (ورقة ٧٤) وانشد فيه ابياتاً لعمرو بن عبد الملك الوراق اولها :

ارى قلبي قد حنّا الى دير مريحنا

وعنه نقل ياقوت (٢ : ٧٠١) والدير الآخر على شاطئ بركة الحبش بمصر وكان معروفاً بدير مَرحنا (بحاء دون ياء) وفيه يقول ابن عاصم من قصيدة :

اقرأ على دير مرحنا السلام فقد ابدى تذكره مني صبابتي

وهو في الشابشتي (ورقة ١٢٧) وفي ياقوت (٢ : ٦٩٨) ولو راجع الاستاذ احد هذين الكتابين لتبين له الفرق ولكنه اعتبر مجرد الرسم فوهم وذكر في تعليقه على دير شاطئ بركة الحبش «انظر ياقوت (٢ : ٧٠١) مع ان المذكور في هذه الصفحة هو الدير الذي على دجلة.

ومثل هذا الالتباس الناشئ عن التقارب في الرسم ما ورد له في حاشية دير الباعوث على شاطئ الفرات (ص ٢٦١) قال «لم يذكره الشابشتي واما ياقوت فقد سماه دير باغوث بالمعجمة وبدون اداة التعريف واقتصر على القول بانه دير كبير كثير الرهبان على شاطئ دجلة بين الموصل وجزيرة ابن عمر (٢ : ٦٤٦) قلنا فهذا الدير اذن ليس بذاك وكل منهما في واد واذا كان ذكر الاول قد سقط من نسخة الشابشتي في جملة الديارات الساقطة فهو باق محفوظ في ياقوت وقد سماه دير مرماعوث بالميم (٢ : ٧٠٠) وكلامه فيه هو نفس الكلام الذي نقله العمري بالحرف في دير الباعوث بالباء. فالديران من ثم واحد وان تباينا

١) الخطط ٢ : ٥٠٢ — ٥٠٣

قليلاً في الرسم ويؤخذ من الابيات التي استشهد بها في التعريف به ان صحة اسمه هي دير مرماعوث او مرباعوث وهي في العمري :

يا طيب ليلة دير مرباعوث فسقاهُ رب العرش صرف غيوث
ومورّد الوجنات من رهبانه هو بينهم كالظبي بين ليوث
حاولت منه قبلة فاجابني يا حسن ذا التذكير والتأنيث

ورواية ياقوت اتم واصح وهي :

يا طيب ليلة دير مرماعوث فسقاه رب الناس صوب غيوث
ومورد الوجنات من رهبانه هو بينهم كالظبي بين ليوث
ذي لثغة فتانة فيسمي الطا روس حسين يقول بالطاووث
حاولت منه قبلة فاجابني لا والمسيح وحرمة الناقوث
اتراك ما تخشى عقوبة خالق تشبه بين شماث وقثوث

وقد كان يجب التنبيه في الحاشية على كل هذه الاختلافات والتصحيحات لمكانتها وفائدتها كما لا يخفى .

وفي جملة الاعمار الواردة في الشابشتي عمر مريونان بالانبار هكذا بدون اعجام كامل (ورقة ١١٣) وقد ضبطه العمري مرتومان (ص ٢٨٦) بتاء اولى وميم ثالثة ولم يسبق قط استعمال هذه الصيغة في تسمية مار توما فضلاً عن ان في الشابشتي ذكراً خاصاً لدير ورد مرسوماً في نسخة برلين هكذا : برتوما (ورقة ١٣٣) تصحيف مر توما كما جاء مثبتاً في ياقوت (٢ : ٦٩٧) فلا شك ان العمري اساء النقل وعذره في مثل هذه الاسماء الاعجمية واضح وبدلاً من مرتومان تتحتم قراءة مر يونان بياء وواو ونون ولو لم يرد في ياقوت دير بهذا الاسم على اننا بعد البحث والتنقيب وجدنا له ذكراً في اخبار فطاركة كرسي المشرق من كتاب المجدل لماري بن سليمان المطبوع في رومة سنة ١٨٩٩ قال في خبر يريمشين الجاثليق « وفي هذه الايام ظهر مار يونان صاحب عمر الانبار وهو تلميذ مار اوجين» (ص ٢٦) فلم يبق اذن اقل ريب في صحة اسم مار يونان.

ومن الاديار التي وقع الوهم في ضبطها دير صباعي على شاطىء دجلة شرقي تكريت فقد ورد في الشابشتي « ضباعي » بالضاد المعجمة المضمومة والباء المثناة (ورقة ٧٥) وفي ياقوت « صباعى » بالصاد المهملة دون ضبط

والالف المقصورة واستشهد عليه ببيت لبعضهم قال فيه :

حنَّ الفؤاد الى دير بتكريت الى صباعى وقس الدير عفريت ٢ : ٦٧٤

ونقله الاستاذ المحقق في نسخة العمري « صُباعى » بالصاد المضمومة والياء المخففة ولكنه ضبطه بعد ذلك بالياء المشددة في بيت لبعض لصوص بني شيبان قال فيه :

الا يا ربّ سلّم دير صُبَّاعا وزد رهبان هيكله اجتماعا

ووزن الشعر على هذه الرواية لا يستقيم والمعوَّل عليه في ضبط هذا الاسم دير صُبَّاعي نسبة الى مار شمعون بن صبَّاعي او بَرْ صبَّاعي كما يقال في الآرامية وهو الجاثليق الشهيد على عهد ملك الفرس سابورهرمز[1] ثم تعاورت اللفظة افواه العامة وألسنة الشعراء فقيل فيها برصباعي وبر صباعا بالتخفيف ومن ثم لا نشك ان صحة البيتين السابقين يجب ان تكون :

في الاول :

حنَّ الفؤاد الى دير بتكريت لِبَرْ صباعي وقس الدير عفريت

وفي الثاني :

الا يا رب سلّم بر صباعا وزد رهبان هيكله اجتماعا

ومثل هذا التحريف الذي تناول كل كتب الديارات المعروفة قولهم في الدير الذي كان في باب الشماسية ببغداد قرب الدار المعزّية « دير دُرْمالس بضم الدال كما في الشابشتي (ورقة ١) او دَرْمالس بفتحها كما في ياقوت (٢ : ٦٦) او دومالس بالواو بدلاً من الراء كما في العمري (ص ٢٥٧) والصحيح في كل ذلك رومانس بالراء والواو والنون وهو من الاسماء التي كانت معروفة في الشرق .

ونظيره كتابتهم دير بَوَنّى بالباء الموحدة الدير الذي كان بجانب غوطة دمشق وهو من الاديار الساقطة من نسخة الشابشتي في برلين ولا ريب انه كان مروياً فيها بهذه الصورة لان ياقوت الذي نقل عنه اورده في معجمه في حرف الباء الموحدة (٢ : ٦٤٩) ومثله العمري (٣٥١) والصواب يَوَنّى بالياء المثناة

١) طالع ترجمته في اخبار مطاركة كرسي المشرق المطبوع في رومة من كتاب المجدل لعمرو بن متى ص ١٥–٢٠ ولماري بن سليمان ص ١٦–١٩

اي يوحنا وربما قيل احياناً ياوَنّى باشباع الفتحة لضرورة الشعر كما في بيت ابي صالح عبد الملك بن سعيد الدمشقي :

عَلَيتُ طيب العيش في دير ياونّا بندمان صدق كملوا الظرف والحسنى

وقد روي فيه بالباء الموحدة غلطاً .

وايسر خطأً مما تقدم اثباته عمر اخويشا باسمرد بالحاء المعجمة بدلاً من الحاء المهملة كما في الشابشتي وياقوت وهي الرواية الصحيحة قال الشابشتي : « وتفسير اخويشا بالسريانية الحبيس » (ورقة ٨٦) فيكون معنى الاسم دير الحباء وقد وهم في هذا الموضع ايضاً بضبط اسمرد بفتح العين وهي في كل كتب البلدان بكسرها ويقال فيها ايضاً سمرد وسمرت .

وفي ضد ذلك انتقدت عليه مجلة المجمع العربي بدمشق (٦/١٩٢٦ ص ١٨٨) رواية دير بلوذان بالذال المعجمة لاعتقادها ان الضبط الصحيح بلودان بالدال المهملة كما يتلفظ بها اليومَ والحقيقة ان القرية التي ينسب اليها الدير كانت فيما يظهر معروفة في عهد العمري بالذال المعجمة كما ضبطها مرتين في النثر والشعر (ص ٣٥٨) ووردت كذلك في بيت لمحاسن الشوا الحلبي من قصيدة قالها في دمشق رواها ابن شاكر الكتبي في مجلد من عيون التواريخ في خزانة باريس (رقم ١٥٨٧ ص ٦٧) جاء مروياً بالضبط الكامل :

حَيّيا ساكني بلوذان إعني ورجالاً بدير قانون زهرا

ومن الابيات التي استشهد بها العمري في الكلام على دير فيق من ارض الاردن ابيات نقلها عن الشابشتي بعد ان بتر اكثرها وهي مطلع قصيدة لابي نواس من اظرف قصائده يخاطب بها غلاماً نصرانياً كان يهواه ناشده فيها بكل مخرج من الايمان التي كان يمكن ان يُقسَم بها على نصراني في عهده ومنها اخذ مدرك الشيباني ما اخذه وحلف به عمرو بن يوحنا في مزدوجته المشهورة (من عاشق ناء هواه دانِ) وهذه ابيات ابي نواس كما جاءت مطبوعة في مسالك الابصار (ص ٣٣٧) :

بمسودية الدين التبق بمرطيطها بالجاثليق
تمجل قاصداً ماسرجان فدير النوجار فدير فيق...
لقد اصبحت زينة كل بكر وعيداً مع جفانك والمفوق

« كان قس يقال له يحيى وله ابن خمّار » اي بائع خمر حسبما نقله البكري في معجم ما استعجم (ص ٣٦٩ – ٣٧١).

ومن فوائد معارضة المعري بالشابشتي وياقوت وقد اخلّ بها الاستاذ الطابع امكان الاستعانة بها ولا سيما بالشابشتي لترجيح بعض الروايات وتصحيح بعض الغلطات في سياق الابيات المستشهد بها وهذا اهم ما وقفنا عليه منها نورده على ترتيب الصفحات:

ص٢٧٥س١٤ حتى حسبت لنا البساط سفينة والبيت ترقص حولنا حيطانه

والارجح رواية الشابشتي (والدير ترقص).

–٢٧٨–٢ هل عند قسك من علم فيخبرني ام كيف يسعد وجه الصبر من خانا

وفي الاغاني والشابشتي وياقوت والبكري (من بانا) وهو الصحيح

–٢٨١–٥ ترنم الصيف بعد عجمته وانصرف البرد في ازمته . . .
ومن وفى وعده بزورته وبت اوفي له بذمته

والاصل كما ورد في الشابشتي (ترنم الطير بعد عجمته) في شطر البيت الاول (ووفى بميعاده وذمته) في شطر البيت الثاني.

–٢٨٢–١٢ واحيت لذةَ الكاس ولكن قتلت سكرا

بضبط اللذة بالنصب بدلًا من (لذةُ الكأس) بالرفع على الفاعلية.

–٢٨٧–٦ فاغتنم غفلة الزمان وبادر واقترض لذة الليالي القصار

وفي الشابشتي (واوترض) كذا دون اعجام ولا نتوقف عن قراءتها (وافترض) من الافتراض وهو انتهاز الفرصة كما يقتضيه المقام.

–٢١١–٣ . فلم يزل في رياض العمر يعمرها قصفًا وتعمرها اللذات والطرب

والرواية الصحيحة في الشابشتي:

فلم تزل في رياض العمر تعمرها قصفًا وتعمرنا اللذات والطرب

–٢١٧–١ حتى يظل الذي قد بات يشربها ولا يراح به يختال كالمرح

وفي الشابشتي ونهاية الارب للنويري (٤ : ١٠٠) (ولا مراح) بالميم كما يقتضيه قوله يختال كالمرح.

–٢٢٤–١٨ رأيتك من تعقد له حبل ذمة من الناس يأمن سرجه حيثما ارتقى

وفي الشابشتي وديوان النابغة (من الناس يأمن سرحه حيث اربا) .

١-٢٢٨ فاي زمان بهم لم يُسَرّ واي مكان بهم لم يطب

٥-٢٢٨ نحث الكؤوس باعزازه ونرسوم ارماله بالعجب

وفي الشابشتي (فاي زمان بهم لم يَسُرّ) ببنـاء يسر المعلوم (ونزموم ارماله والنصب) .

٥-٢٢٩ واقبل الليل لابساً حللاً مسكية ما لهن اذيال

وفي الشابشتي (واقبل الغيم لابساً حللاً) وهو الاصح .

٤-٢٤٧ يادير يونس جادت مرحك الديم حتى ترى ناظرًا بالنور يبتسم

وفي الشابشتي (حتى تُرى ناضرًا بالنور تبتسم) وهو الاشبه والاولى .

٧-٢٦٤ فسقى الله ارض حلوان فالنخـل فدير القصير صوب الشار

وفي الشابشتي ويتيمة الدهر للثعالبي :

فسقى الله ارض حلوان فالنخـل فدير القصير صوب الشار

وهو الصحيح المشهور

وهنالك ابيات شتى لم ترد في الشابشتي ولا يصعب تسديدها وهي :

١٠-٢١٦ اشهى الي من الصراة وطيبهـا عند الصباح ومن دُجى البطريق

والصراة معروفة مشهورة ولكن دُجى البطريق نكرة غير معروفة ونحن على يقين ان الاصل كان «رَحى البطريق» وهي رَحى كان قد بناها بطريق من بطارقة الروم فنسبت اليه . كما ذكره اليعقوبي في كلامه على بغداد في كتاب البلدان .

١٢-٢٦٢ وكانت هَناة لي الويل من جناها الذي خطّه كاتبي

وقد جاء هذا البيت ايضاً في ارشاد لياقوت (١ : ١٥٧) مطبوعاً على هذه الصورة برسم هناة بالتاء المربوطة ومعناها في اللغة الداهية ولا محل لها هنا والوجه رسمها (هِنات) بتاء الجمع المبسوطة اي هفواتٌ وسيئات وهي ما يدل عليها قوله في بيت سابق :

سقاني المدامة مستيقظاً رقت ونام الى جانبي

٢-٢٦٧ وبات مثل الزنانير عفو ف بزهر المَيري والخُوذان

وقد تقدم تصحيح الزنانير من هذا البيت بالدنانير وبقي فيه ان (الجيري) بكسر الجاء لا بفتحها و(الحوذان) بفتح الحاء لا بضمها.

-٢٦٧-٧ تضاحكها الفرات بكل فج تضحك عن نضار او لجين

والصواب يضاحكها كما لا يخفى وقد سبق له تأنيث الفرات مرة اخرى في كلامه على دير الباعوث قال « وهو على شاطئ الفرات من جانبها الغربي (ص ٢٦١) بدلاً من جانبه.

-٢٨٤-١١ ما ابعد الرشد من قلب تضمنه قُطْرُبُلُّ قفرى بناً فكلوا ذا

كذا ورد مضبوطاً في ياقوت وبعض كتب البلدان بفتح الراء ولكن المرجح في دواوين اللغة قُطْرُبُل بضم الاول والثالث وورد على هذه الصورة في شروح ديوان ابي الطيب المتنبي في قوله « سقتني بها القطربلي مليحة » ومن ثم فتصحيحه في باب التصويبات (ص ١٠) قطرُبل بقطرَبل غير مأثور في المتعارف المشهور.

-٢٨٨-١٩ ودارت نُخُبُ الابطا لي بنت بحلى الشرب

والصواب (نُخُب الارطال) وقد اشار الى هذه النُخُب محمد ابن حازم الباهلي بقوله :

بمصر كسكر طاب اللهو والطرب والباذكارات والادوار والنُخُب (ص ٢١١)

-٢٩٢-٢ وقلالي الدير الذي لولا الثرى لم أرمها بقلٍّ ولا بعقوق

كذا بضم الياء من قلالي والبيت للسري الرفاء ومثله لا يستجيز هذه الضرورة المستقبحة والقلالي في قوله هي منصوبة على انها مفعول معطوف على بيت سابق اساء السري باسقاطه وهو :

ام هل ارى القصرَ المنيف معمّاً ببرداء غيم كالرداء رقيق

-٢٩٥-١٠ وكتب في لازُوَرْد الدجى بزَنْجُفْره وبزِنْجاره

بضم الزاي من لازورد وفتحها من زنجفر والوجه العكس اي (لازَوَرْد) بفتح الزاي و(زُنْجُفْر) بضم الزاي والجيم.

-٢٩٥-١٨ بسط البنفسج ... تُبسّط في صحون آس وخيريات تفاح

وقد سقطت كلمة بعد قوله البنفسج واماها (الخيري) فتكون صحة البيت :

بسط البنفسج والخيري تُبسط في صحون آس وحيريات تفاح

والحيريات بالحاء لا بالخاء نسبة الى الحيرة ولا ذكر لها في كتب اللغة والموالد كتب لنا الاب المرحوم انستاس الكرملي انها اطباق كانت تصنع بالحيرة من قضبان الخلاف او الصفصاف او الرمان وتتخذ لوضع الاثمار والفواكه وقد عثرنا في مطالعاتنا على شاهدين لهذه اللفظة في تاريخ بغداد للخطيب وتاريخ المنتظم للجوزي قال الخطيب : « سمعت الجُنيد يقول : زاقى ابو حمزة (الصوفي) من مكة وعليه وعثاء السفر فسلمت عليه وشهّيته قال : سكباج وعصيدة تخليني بهما فاخذت مكوك دقيق وعشرة اوطال لحم وباذنجان وخل واخذت عشرة ارطال دبس وعملنا له عصيدة وسكباجة وضمناها في حيري لنا وادخلته الدار واسبلت الستر فدخل واكل كله فلما فرغ من اكله قال لي : يا ابا القاسم لا تعجب فهذه من مكة الاكلة الثانية »[1].

وروى الخطيب ايضاً « ان ابا بكر بن الانباري مرض فدخل عليه اصحابه يعودونه فرأوا من انزعاج ابيه وقلقه عليه امراً عظيماً فطيبوا نفسه ورجوا له عافية ابي بكر فقال لهم : كيف لا اقلق وانزعج لعلة من يحفظ جميع ما ترون واشار الى حيري مملوء كتباً »[2] وورد مثل ذلك في المنتظم.

ويؤخذ من هذين الشاهدين ان الحيري كان كالاطباق او كالسلال تحمل فيه الفواكه والخضراوات والمآكل وتوضع فيه الكتب والمسموعات كالقمطر.

٢٩٦-٢ حتى تخمّر خماري بمرفقي وحيّرت مُلحي بالسكر ملاحي

والاصل لا شك (حيّرت) بالياء المثناة المشدّدة وقد تكرر له مثل ذلك في قوله (وفيهن كل عذراء تدهش المتحيّر (ص ٣٢٤) بدلا من المتحيّر كما هو ظاهر.

٣٠١-٩ اذ على سطحك سيف الدولة الغير م الذي فاتَ الورى عزا ومفخر

بكسر القاف من القرم والوجه فتحها.

---

١) تاريخ بغداد الخطيب البغدادي ١ : ٢٩٣

٢) « « « « « ٣ : ١٨٢ والمنتظم للجوزي ٦ : ٢١٣

-٣٠٦-١ وصبّحت مر الزعفران بصنجة اعاشت سرور القلب بعد عماته

ولا معنى لصنجة هنا والاصل دون ريب (بصحبة).

-٣١٢-١٤ يغشاه كل مجفوّ بمارقة من الدهان عليه محق امساح

وهو على هذه الرواية الغريبة لا يتضح له معنى والصواب (محفوّ منارقه) بالحاء المهملة من الحفو وهو المبالغة في قص الشعر والبيت لابي نواس يصف رهباناً حلقوا اوساط رؤوسهم.

-٣١٤-١ حتى اذا انطق الناقوس بينهم مزيّن الحصر رومي القرابين

ولا شك ان الاصل كان (مزنّر الحصر) كناية عن انه نصراني وهو ما اثبته بقوله «رومي القرابين» وقد تقدم في ص٣٠٨ بيت لبكر بن خارجة في غلام نصراني من اهل الحيرة قال فيه:

زنّاره في خصره معقود كأنه من كبدي مقدود

-٣٢٦-٨ احوى اغنّ اذا تردد صوته في مسمع رد احتجاج ذوي الحجى

بضبط مسمع بفتح الميم والقياس (مِسمع) بالكسر بمعنى الاذن.

-٣٤٠-١٢ نزعوا القلانس والمسوح فزخرفت مهن عن غرر الشموس دجون

والتحريف فيه ظاهر والاصل (فزُحزحت) و(دُجون) جمع دجن بمعنى الظلام.

-٣٤٥-٨ امه معروفة وابوه نكرة

والمشهور (امه معرفة).

-٣٤٩-٢ يبقى الشمول ولا كريمة ثغره سكرى بها وبطرفه الفتان

والمعنى يقتضي (سُكري بها) بضم السين والاضافة الى ياء المتكلم.

-٣٥٥-٩٠ يادير مرّانا لاغربت من سكن قد هجتَ لي حزناً يا دير مرانا

وهذا البيت احد ابيات للحسين بن الضحاك نظمها بامر الرشيد وهي في الحقيقة مقولة في دير مِديان بالقرب من بغداد لا في دير مرّان بدمشق ويدل على ذلك قوله في آخرها.

سقيا ورعيا لكرخايا وساكنها بين الجنينة والروحاة من كثا (ص٢٧٨)

وكرخايا في العراق لا في الشام.

-٢٥٥-١٠ حثّ المدام فان الكأس مترعةً مما يهيج دواعي الشوق احيانا

بنصب مترعة والقياس الرفع.

-٢٧٩-٩ وتأكل السَّلُور والشَّبَّوطا والفرخ والملوخ والمسوطا

باجراء السلور والشبوط على وزان واحد والمعروف في الاول (السِّلْور) بكسر السين وفتح اللام.

واما في النثر فهذا ما رأينا فائدة في التنبيه عليه:

-٢٥٥-١٠ قلعة أَرْدُمُشْت بفتح الدال والمشهور في ضبطها (أَرْدُمُشْت) بالضم

-٢٥٨-١١ « فوجه اليها عشرين دَنًّا شرابًا ومائة دجاجة وعشرين حملًا وفاكهة » قال في التصويبات « في الاصل : فوجه اليها . . . وعشرين حملًا ورابح فاكهة» فاولًا كلمة اليها يجب جعلها « الينا » كما يحتمه السياق . . . وثانيًا كلمة« ورابح » عليها في نسخة الام نقطة من المداد جعلتني اتخيل ان المؤلف ضرب عليها بالقلم فلذلك اهملتها في الطبع ولا سيما اني لم افهم لها معنى وقتئذٍ لكن الامانة اوجبت علي المراجعة عنها والتدقيق فيها وقد وجدت ان صاحب القاموس اشار في مادة (ن ب ج) الى ان النبج هي الغرائر السود اي الجوالق والركائب فتكون الفاكهة حينئذٍ من النواشف اي من نوع النقل ويكون ابن فضل الله قد اراد الرجوع عن جمع الجمع (نبايج) لعدم وروده فضرب على الكلمة ثم سها عن وضع الكلمة الواردة في كتب اللغة » (ص ٨)

قلنا ومن الغريب ان يكون مثل الاستاذ لا يرى بأسًا بالتصرف بعبارة المتن ولو باسقاط كلمة واحدة بحجة عدم تبين معناها ولا ندري كيف ان المصري نفسه هو الذي همّ بتبديل حرف من كلام كان يعلم انه ليس له بل لجحظة البرمكي بدعوى انه لم يرد في اللغة وهل هذا كله الا تخيل وافتراض محض. وقد كان الاجمل والاحرى ان تترك اللفظة في مكانها من المتن وتثبت على علاتها لعلها تجد من يجلو مبهمها ويعنى بتفسيرها واما ما ارتآه من ان النبائج هي جمع الجمع (نُبُج) بمعنى الغرائر والجوالق السود اي الاعدال الكبيرة التي يوضع فيها التبن ونحوه فاقل ما يترتب عليه ان تكون المادة سبقت في بغداد بين ظرفائها واهل التنوق والترف فيها ان تتنضّد الرياحين في الجوالق السود ويهدى نقل الشراب في الاعدال. . . والحقيقة ان النبائج جمع نبيجة وهي الطبق من الخوص او الخيزران ورودها في كتاب الموشّى بصورة نبانيج او

بنانيج ليس الا خطأ من النساخ وتحريفاً وقد وجدناها مستعملة بصيغة المفرد في كتاب الديارات للشابشتي وهذا ما قاله فيها:

« لما صحّ عزم المتوكل على اعذار ابي عبدالله المعتز . . . كان في صحن الدار . . . الف نبيجة خيزران فيها انواع الفاكهة (ورقة ٦٥) فالنبيجة اذن والنبائج كانت في العراق كالاطباق التي تفرش عليها الثمار والازهار بين يدي الباعة اليوم واما اصل الكلمة فقد كتب الينا الاب انستاس ماري الكرملي المرحوم انها لغة عراقية في البيئة الواردة بمعناها في معاجم اللغة ومثلها النفيّة ويقال ايضاً النفيجة لغة اخرى عراقية فيها.

١-٢٦٢- «قصدت بسر من رأى رائدا بعض كبارها» وفي ارشاد الاريب لياقوت حيث وردت القصة نفسها « قصدت بسر من رأى زائرا بعض كتابها » (١ : ١٧٥) وهو الاصح.

١٧-٢٨٩- «حوله قلال كثيرة» بدلاً من قلالي كما ورد تصحيحها بعد (ص٢٩٤ حاشية ٢) ونظيرها برار مبعثة (٢٧٤) بدلاً من براري.

٨-٢٩٢- القلفطار بالفاء والصواب القلقطار بالقاف المثناة باوله وثالثه

١٠-٢٩٩- « في خارجه مغار في الجبل فيها صناديق » والاصل (فيه) لقوله فيما بعد « داخل هذا المغار » مما يدل على انه اراد المغار لا المغارة

١٩-٣٠٢- بلط واسمها بالفارسية شهراباذا (حاشية ٣) وفي ياقوت شهراباذ بدون الف في الآخر (١ : ٧١٥)

٧-٣٠٧- كان به راهب يقال له كوريال من عبّاد النصارى بدلاً من عِباد بكسر العين وهم قوم من نساطرة الحيرة عرفوا بهذا الاسم

١٠-٣٠٨- غلام امرد نصراني من اهل الحيرة يقال له عشير بن اليّا والاسم الصحيح عيسى ابن ايليا

١٨-٣٢٩- هو قذى عيونهم الى ان يتخلى وانما هو يتحلى بالجيم مأخوذ من بيت لمحمد بن سعيد الكاتب:

رأى خلتي من حيث يخفي مكانها فكانت قذى عينيه حتى تجلّت

١٠-٣٤٤- المبرّد بكسر الراء وتشديدها والمعروف المبرَّد بالتشديد والفتح لانه جاء الى
١٠-٣٤٥- بيت واختبأ في المزبلة التي يحفظ فيها الماء بعد تبريده فقيل له المبرَّد

٤-٣٥٤- ما الذي افقدكم هذا البلدَ الجفاةَ اهله والقياس الجفاةُ بالرفع

٧-٣٦٣- « دير قبا . . . الماء يحيط به من جميع جهاته . . . فاذا انصرف الماء اظهرت ارضه غرائب النوادر » وفي الشابشتي (فاذا انصرف الماء . . . وزُرع) وهي الرواية الفضلى

-٢٦٦-١٥ كان السراج قد طفئت فتيله (بضم الطاء) والصواب (طفئت) بفتحها لان طفئ لازم

-٢٧٤-١ الديارات السبع في مكان الديارات السبعة لان مفردها دير وهو مذكر

-٢٧٥-١١ « مرت الاطلاب مزينة الترك وجياد الخيل » قال في الحاشية : يظهر انه سقط كلام في الاصل وربما كانت الجملة هكذا « ومرت الاطلاب مزينة بابناء الترك وجياد الخيل » ثم عاد في التصحيحات فقال « اني بعد اتمام النظر اتخيل ان الناسخ غير كلمة البرك لانه لم يفهمها بكلمة الترك والبرك كلمة تركية كانت فاشية الاستعمال بمصر على عهد المماليك ومعناها السلاح وكثيراً ما يستعملها المؤرخون لذلك العهد ويكون المعنى ان الاطلاب مرت مزينة اسلحتها وخيلها الجيدة » (ص ١٦)

وقد اغفل الاستاذ هذه المرة ايضاً كعادته ان يراجع النصوص التي استند اليها لادعاء ان البرك كلمة تركية كانت فاشية الاستعمال بمعنى السلاح في عهد المماليك ولو فعل لاعجزه البحث ان يأتي بشاهد واحد عليها من هذه الشواهد الكثيرة التي توهمها وقد قلبنا ما وسعنا تقليبه من تواريخ المماليك ومعاجم اللغة التركية فلم نقف فيها على اثر للفظة « برك » بالباء والكاف ولا على نص واحد يؤيد استعمالها بهذا الضبط وانما جاءت هنالك كلمة « يراق » بالقاف قبلها الالف بمعنى السلاح فقط خلافاً لدوزي بل اطلقوها على جملة اجهزة المسافر للقتال من امتعة والبسة واسلحة وازودة ودواب وسائر ما يُحتاج اليه من العُدَد والاثقال ولا بأس ان نعزز هذا الاصطلاح ببعض الشواهد لاننا لا نعلم انه سبق لاحد كلام عليه او توسع في تعبيره . قال ابن اياس في مجلد مخطوط من تاريخه في خزانة باريس رقم ١٨٢٥ :

« في صفر (سنة ٩٢٢) قال السلطان للخليفة لما جلس : اعمل يرقك الى السفر وكن على يقظة فانا مسافر الى حلب بسبب ابن عثمان وقال للقضاة الاربعة : اعملوا يرقكم وكونوا على يقظة حتى تخرجوا صحبتي » (ص ٩).

وقال بتاريخ يوم السبت ٢٥ صفر من السنة نفسها :

« جلس السلطان في الميدان وعرض الامراء والطبلخانه والشروات وروس النوب فلما عرضهم قال لهم : اعملوا يرقكم وكونوا على يقظة من السفر » (ص ١٣)

وقال بعد ذلك بتاريخ يوم الثلاثاء ٥ ربيع الاول :

« نزل القاضي شهاب الدين بن الجيعان نائب كاتم السر عن لسان السلطان الى امير المؤمنين المتوكل على الله بسبب عمل يرق الخليفة وقد كشفوا في الدفاتر القديمة ان الخليفة اذا سافر صحبة السلطان يكون جميع يرقه على السلطان فكتب الخليفة قوائم بصروف عمل اليرق فكان ذلك بعشرة الآف دينار وقيل خمسة الاف دينار »(ص١٣).

فليست اذاً كلمة البرك ولا اليرق هي التي يترجح ان تكون في متن العمري ولا نخال الاستاذ المحقق الا انه اراد البرك بالباء الموحدة وهي لفظة فارسية من معانيها الاصلية السلاح ورحل المسافر وعدده ودوابه وزاده وقد سبق استعمالها عصر المماليك ولا يبعد ان تكون قد طرأت على اللغة في عهد السلاجقة او غيرهم من الاعاجم لان ابن الاثير اوردها في تاريخه الكامل في كلامه على بني جهير سنة ٤٩٢ قال في المجلد المخطوط في خزانة باريس رقم١٤٩٩ :

« في سنة ثلاث وتسعين بيع رحل بني جهير ودورهم بباب العامة ووصل ثمن ذلك الى مؤيد الملك ثم قتل في سنة اربع وتسعين مؤيد الملك وبيع ما له وبركه واخذ الجميع وحمل الى الوزير الاعز (ص ١٢٥).

وقال ايضاً في حوادث سنة ٤٩٤ :

« واخذ عسكر محمد « السلطان اخي بركيا رق) ما تخلف للامير اياز من مال ودواب وبرك وغير ذلك »(ص ١٢٢).

وربما غلب معنى الدواب والركائب على البرك كقول المقريزي « الطواشي من رزقه من سبعمائة الى الف الى مائة وعشرين وما بين ذلك وله برك من عشرة روؤس الى ما دونها ما بين فرس وبرذون وبغل وجمل وله غلام يحمل سلاحه » (الخطط مطبعة النيل ١ : ١٣٩).

وفي كتاب الاعتبار لابن منقذ :

« قال تاج الدولة رحمه الله لحاجبه : سلم الى هذا الغلام خيل مولاه ودوابه وخيامه وجميع بركه وسيره يتبع صاحبه » (ص ٤٠).

وقد ورد استعمال البرك في كثير من اقوال المؤرخين كالقلانسي في ذيل

تاريخ دمشق وابن العديم في زبدة الحلب وابن تغري بردي في النجوم الزاهرة وفي حوادث الدهور وابن قاضي شهبة في تاريخ الذيل وغيرهم واكثر ما يراد به الركائب والثقل والكراع والسلاح فلا حاجة الى استقصاء اقوالهم ولعل ابن اياس انفرد بالجمع بين لفظتي اليرق والبرك كقوله في الكلام على قاسم بن احمد بك بن ابي يزيد بن عثمان ننقله بلحنه وعاميّته:

« كان السلطان قد اقام له برك ويرق وتكلف عنه بنحو الفين دينار حتى يظهر امره » (تاريخه خزانة باريس ١٨٢٥ ص ٣).

واما ضبط اللفظة فاذا روعي فيها الاصل الفارسي وجب ان ترسم بالباء المكسورة والراء الساكنة مثل سلك ولكنهم عدلوا في الاستعمال عن الكسر الى الفتح فقالوا بَرْك واحياناً قليلة بَرَك بفتحتين كانهم ارادوا ان ينظروا فيها الى معنى يَرَق التركية فاجروها مجراها وقد وجدناها مضبوطة مرتين بفتحتين في مجلد مخطوط من كامل ابن الاثير في خزانة باريس رقم ١٥٠١ ووردت في مجلد آخر من الكتاب نفسه بخط المؤرخ عبد الرزاق بن القرطي بفتحة واحدة بين الباء والراء وما نظنه الا اراد ضبط الراء بها ورسمها مرة اخرى دون اقل شكل.

واذا صح ان يكون العمري تعمد هذه اللفظة الدخيلة في قوله « مرت الاطلاب مزينة » فيكون اراد بها الاثقال والكراع والاسلحة التي تصحب الجنود في الاسفار ولكننا لا نرى اقل حاجة الى كل هذه التخرصات والتأويلات ولا نعلم لماذا عوّل الاستاذ بعد اتمام النظر على العدول عن كلمة « الترك » الواردة في النسخة الام وليس ثم ما يعترض دون بقائها وتفسيرها واذا كان هنالك حقيقة كما قال كلام ساقط في الاصل بين كلمتي « مزينة والترك » فلا نرتاب ان العمري اراد ان يقول فيه « مرّت الاطلاب مزينة باقار الترك وجياد الخيل » وهو ما صرّح به في البيت السادس والثلاثين من الارجوزة التي نظمها في الدير الابيض (ص ٣٧٥):

اقار ترك فوق شهب الخيل وبينها ادهم مثل الليل

وقد بقيت هنالك هنات وهفوات لا يسلم من مثلها كتاب مطبوع كقوله (ص ٣٥٢) « مما مدح به السيد الرضي لعمر بن العزيز » بدلاً من عمر بن عبد

العزيز وفي (ص ٣٥٨) « دير شق مطولا بها صدع فيه ماء ينقط » بدلاً من « به » لان الصدع في الدير وليس في القرية وكتابة « ثم ينقضي بدلاً من « لم ينقض » واقتراحه في باب التصويبات (ص ١٠) ابدال « بؤس العتاب » ببؤس الغياب بدعوى ان العتاب بين الحبيبين المتقاطعين المتهاجرين لا بؤس فيه قال في دير حزقيال:

رب ليل امدّ من نفس الما شق طولاً قطعته بانتحاب
ونعيم بوصل من كنت اهوى قد تبدلته ببؤس العتاب

وقد جاء بؤس العتاب في غير العمري ايضاً كياقوت (٢ : ٦٥٤) وانما اراد الشاعر مقابلة نعيم الوصل ببؤس الهجر فوضع لضرورة القافية العتاب موضع الهجر لانهما مثلا زمان.

ومن الغريب بعد كل ما تقدم من الاستدراكات والاغلاط قول الاستاذ الطابع ان رجلاً من اهل العلم قرأ هذا الجزء من مسالك الابصار على المؤلف وان المؤلف كتب بخطه عليه بعض التصحيحات واضاف اليه زيادات (ص ١ من المقدمة) فكيف لم ينتبه العمري الى كل ما نعيناه عليه او على الناسخ ومهما يكن فكل ما علقناه لا يقدح في قدر هذه الطبعة الفريدة التي بلغت شأواً بعيداً في الاحسان والاتقان واذا انكرنا عليها اساءة واحدة « جاءت محاسنها بالف شفيع ».

Al farabius. De Platonis philosophia edd. F. Rosenthal et R. Walzer. Corpus Platonicum Medii Evi, Plato Arabus, vol. II) - In - 8°. VII+ 30 pp. lxt. + 23 pp. arab. Londini, in œd. Instituti Warbugiani, 1943 (páru en 1944).

كتاب فلسفة افلاطون للفارابي

عنى بنشره العالمان روزنتال وفلتزر في لندن سنة ١٩٤٤ عن مخطوط عربي وحيد محفوظ في مكتبة استانبول (ايا صوفيا رقم ٤٨٣٣) عثر عليه الاستاذ ريتر ونقله الاستاذ بول كراوس ، والفارابي استوحى كتابه هذا عن اصل يوناني بلغه عن طريق ترجمة سريانية كما هو شأن معظم تراث يونان الفلسفي والعلمي وقد يكون هذا الاصل اليوناني عائداً لثيون الازمرلي (Théon de Smyrne) في القرن الثاني للمسيح ، ولا يخفى على احد ما لهذه النشرة من الاهمية لايضاح بعض غوامض افلاطون وضبط الترتيب التاريخي لمحاوراته (Dialogues) الشهيرة .

Nabia Abbott. *Two Queens of Baghdad, mother and wife of Haroun al Rashid*, In - 8°, VII - 277 pp. The University of Chicago Press. 1946.

الملكتان العربيتان

والدة هارون الرشيد وزوجته

مطبعة جامعة شيكاغو ١٩٤٦

هي ترجمة خيزران جارية المهدي ثم زوجته الشرعية وزبيدة زوجة هارون الرشيد ، وتستند المؤلفة على ما رواه الطبري وياقوت والمسعودي وكثيرون غيرهم من الاخبار والوصف ، فاتى كتابها مصبوغاً صبغة علمية وفي ذات الوقت حاوياً على القصص الطريفة والاوصاف الممتعة عن حياة الخلفاء العباسيين مما يلذ القارئ ويخيل اليه انه انتقل الى عالم الف ليلة وليلة . وجدير بالذكر ان زبيدة خلدت اسمها باعمال مفيدة قامت بها كفتح طريق الحج من الكوفة الى مكة وبناء القناطر الحجرية التي تسقي الى الآن مدينة مكة وقد اختلط

اسمها في سوريا عند العامة باسم زنوبة ملكة تدمر ، وكذلك على الشاطئ اللبناني سميت باسمها قناطر نهر بيروت الشهيرة .

و . م .

J. SAUVAGET. *Introduction à l'histoire de l'Orient Musulman.* Eléments de bibliographie (Collection Initiation à l'Islam, n° 1) In - 8°, 202 pp. Paris, Adrien Maisonneuve, 1943.

تمهيد لدراسة تاريخ الشرق الاسلامي

وضع هذا الكتاب القيّم المستشرق العلامة الفرنسي جان سوفاجه لفائدة طلاب الاستشراق في فرنسا فيبحث في القسم الاول عن المصادر العلمية ويدرس أهميتها في التاريخ العربي ثم ينتقل في القسم الثاني والثالث الى ذكر هذه المصادر كتاباً كتاباً مع وصف مقتضب لكل واحد فيسهل على الطالب مراجعة هذه المؤلفات وتنظيم مطالعاته بطريقة مثمرة .

I. J. KRATCHKOWSKY. *Penché sur les manuscrits arabes.* Feuillets de souvenirs sur les livres et les hommes. 2e éd. complétée. In - 8°. 169 pp. 12 portraits hors - texte.] Publications de l'Académie des Sciences de l'URRS. Moscou. Leningrad, 1946 (en russe).

ذكريات وخواطر عن عالم الاستشراق كتباً ورجالاً

طبع في لننغراد ١٩٤٦

الف هذا الكتاب المستشرق الروسي الشهير اغناطيوس كراتشكوفسكي اثناء الحرب ثم عاد ونقحه وضبط تفاصيله عندما عاد الى كتبه ومخطوطاته . وهو يقصّ علينا كيف بادر دراساته في العلوم الشرقية. سنة ١٩٠١ عندما وقع بين يديه لاول مرة في مكتبة سان بترسبورج بعض المخطوطات العربية المحفوظة هناك وهي تعود الى القرن الحادي عشر للمسيح والواحدة منها للقس انطون البغدادي واخرى لكمال الدين واخرى لابي العلاء. وقد تعرّف هناك الى شخص من اصل حلبي يُدعى رزق‌الله حسون عاونه في عمله ويذكر الكاتب كيف قدم بعد ذلك الى بيروت سنة ١٩٠٨ حيث اقام سنتين يدرس في

جامعة القديس يوسف العلوم الشرقية على يد الاب لامنس والاب روتزفال واتصل بالاب شيخو مؤسس هذه المجلة وبالاب صالحاني وقد حفظ لكل واحد منهم ذكراً صادقاً . وذكر ايضاً اتصاله بادباء العرب من جرجي زيدان وقسطنطين بني ومحمد كرد علي وامين الريحاني ومحمد تيمور وبالاخص ميخائيل نعيمه صديقه ومراسله المخلص ، ثم ينتقل الى وصف مكتبة لننكراد ومخطوطاتها العربية ويختم بالعودة الى بيروت واساتذتها الفطاحل والى غيرهم من المفضلين على علم الاستشراق . ج . م .

J. Sauvaget. *Historiens arabes.* Pages choisies (Initiation à l'Islam) In - 8°, 192 pp. 2 cartes, Paris, Adrien Maisonneuve, 1946.

منتخبات من المؤرخين العرب

جمع المؤلف في هذا الكتاب ٣٢ مقطعاً مأخوذاً عن ٢٤ كاتباً وترجمها الى الفرنسية وقد أحسن انتقاء هذه المقاطع فصوّر فيها جانباً من حياة الشرق على عهد الخلافة وقدّم لقرائه احسن ما ورد في الادب النثري العربي القديم من الجاحظ الى ابن خلدون والقلقشندي وغيرهم.

Témoignages, IX Israel. L'Islam. *Rome et Jésus.* Cahiers de la Pierre-qui-vire. Mars 1946, 202 pp., in-8°.

الشهادات

هذا الكتاب هو الحلقة الاولى من الاربع الحلقات التي تظهر في عام واحد على شكل المجلة . استوقف نظرنا فيها المقال على نظريات الاسلام في امر المسيح . وخلاصته ان المؤلف يدعو الى تأسيس جمعية ادبية علمية مكونة من علماء مسيحيين ومسلمين للبحث في جو من التوادد والتصافي وفي جوار الازهر في القاهرة والتفاهم في شأن المسيح وكيفية اعتقاد المسيحيين فيه والمسلمون غالباً يجهلونها واهل الاتفاق بين الطرفين اقرب وقوعاً مما يظنه البشر لان واجب التعاضد بين القائلين بوجود الله واليوم الاخير يلجئهم الى التضافر لدفع خطر الالحاد عن البشرية . ف ت

لمحات في الادب العربي

بقلم جورج غريّب

مطبعة المرسلين اللبنانيين جونية ، ١٩٦٨ – ١٦٦ ص. متوسطة

مجموعة دراسات قصيرة و« لمحات » في الادب العربي كتبها ، او اذاعها ، في مناسبات مختلفة الاستاذ جورج غريّب ،مدير الدروس العربية واستاذ الادب والفلسفة في معهد عينطورا ، وقدّم لها الاستاذ فؤاد افرام البستاني فقال ان المؤلف « يُعمل بصره في تحديد الثقافة العامة ، على صدر واسع ، وتفهم شامل ، وفكرة انسانية صحيحة ، تدفعه الى درس بعض ما وصل الينا من آثار الادب العربي . فيرصد « يقظة الروح في شعر ابي نواس » ويشهد تحليل الجاحظ في « بخلائه » ، ويساير ابن المقفع في بعض آرائه وحكمه ، ويتغلغل الى سر البحتري في غزله ، غير مُشيح عن التعرّض للمتنبي جبّار شعراء العرب ، وغير غافل عن بعض الموضوعات العامّة في تكوين شخصيّة الاديب الانساني .»

المشرق

السنة الثالثة والاربعون — تموز – ايلول ١٩٤٨

من الخزانة الشرقية — بقلم حبيب زيات

الصور والايقونات في الحمامات قديماً

ورث العرب المتحضرون الحمامات عن الروم مع كل ما ازدانت به من اقسام ومرافق وحكمة وتدبير وتزويق وتصوير. واشتهرت دمشق خصوصاً بكثرة ما كان منها فيها بفضل مياهها وغزارتها. ولما نقم اهل دمشق على الوليد تعاظم ما ينفقه من الاموال على الجامع قال: « يا اهل دمشق اني رأيتكم تفخرون بانكم وهوائكم وفاكهتكم وحماماتكم فاحببت ان يكون مسجدكم الخامس »[1] وقد وقفنا على فصل للرازي وصف فيه اوضاع الحمامات وانواع ما كان فيها من التصاوير فقال:

« تفكر في الحكماء المتقدمين الذين استنبطوا الحمام في بلد من السنين كيف علموا بدور فكرهم وصائب عقلهم ان الحمام اذا دخله الانسان يتحلل من قواه شيء كثير

١) مسالك الابصار للعمري ١ : ١٨٨

فاقتضت حكمتهم ان استخرجوا بعقولهم ما يميز ذلك تمييزاً فرسموا في الحمام صوراً بديعة الصنعة باصباغ حسنة مفرحة وقسموا ذلك الى ثلاثة اقسام ولم يجعلوه قسماً واحداً لاعتقادهم ان ارواح البدن ثلاثة اصناف حيوانية ونفسانية وطبيعية فجعلوا كل قسم من التصوير سبباً لتقوية قوة من القوى المذكورة والزيادة فيها فصوروا للقوة الحيوانية القتال والحرب وطرد الخيل واقتناص الوحوش وصوروا للقوة النفسانية العشق والتفكر في العاشق والمعشوق وتصور معاينة بينهما او مفارقة وما اشبه ذلك وصوروا للقوة الطبيعية البساتين وصور الاشجار البهية المنظر مع كثرة الازهار والالوان المشرقة فهذه التصاوير وامثالها هي جزء من اجزاء الحمام الفاضل »(١

ومن الادلة على شيوع التصوير الآدمي في حمامات الامويين ما شوهد منه في قصير عمرة وهو كان بالاحرى حماماً ملكياً وفيه صورة الخليفة (وهو في الارجح الوليد بن يزيد بين سني ٧١٢–٧١٥) جالساً على عرشه مستعلياً على اعدائه الممثلين بازائه وهم قيصر ملك الروم ورزريق (ملك القوط) وكسرى (يزدجرد الثالث) والنجاشي وتحت كل منهم اسمه باليونانية والعربية وتحت صورة الخليفة كتابة عربية تشير اليه قد انمحت وطمست تعسر قراءتها. وهنالك على الجدران وفي بعض الطاقات صور نساء ورجال وحيوانات متنوعة وفي عصابة دائرة باعلى الحائط صورة امرأة تكاد تكون عارية يزين شعر رأسها دُرر ولآلئ نقلت اكثر قطعها مع قسم من الكتابة المذكورة الى دار التحف في برلين . وكذلك كانت حمامات العباسيين في سامرا حافلة بصور النساء والراقصات لا يكاد يرى جدار خال منها كما صرّح بذلك الدكتور هرتسفلد احد الذين تولوا الحفر في انقاض سامرا واستنطاق احجارها وآثارها(٢) . وظل المصورون والنقاشون كل ايام العباسيين والفاطميين يمثلون النساء على جدران الحمامات حتى تجاوز بعضهم حدود الحياء والعفة ومثلوا العشاق والفتاق في سكرات الحب. فلما كان شعبان من سنة ٤٠٤/١٠١٤ منع الحاكم بامر الله الاساكفة من عمل الخفاف للنساء وبُحيت صورهن من الحمامات»(٣) .

١) نقلنا قول الرازي من ورقات وقعت الينا بدمشق ونظن انه ورد في كتاب لابن قاضي بعلبك .

٢) H. Lammens, *L'attitude de l'Islam primitif en face des arts figurés*, p. 26 .

٣) وفيات الاعيان لابن خلكان ٢ : ١٦٦ .

ولا ندري هل عن يوماً لاحد رجال الحسبة الاشراف على ما كان يجري في هـذه البيوت التي تحل فيها المآزر وتكشف العورات من المنكرات والفضائح[1] وقد استباح فيها بعض رجال الدولة تمثيل الغلمان الروقة والجواري الحسان على هيئة محرمة ولا نجد لساناً افصح في شرح حال بعض الحمامات الخاصة ببغداد من وصف الحمام العجيب الذي شاهده وطاف فيه بدر الدين الحسن بن زفر الاربلي المتطبب قال :

« رأيت ببغداد في دار الملك شرف الدين هرون ابن الوزير الصاحب شمس الدين محمد الجويني حماماً متقن الصنعة حسن البناء كثير الاصواء قد احتفت به الازهار والاشجار فادخلني اليه سائسه وذلك بشفاعة الصاحب جاه الدين ابن الفخر عيسى المنشئ الاربلي وكان سائس هذا الحمام حبشياً كبير السن والقدر فطاف بي عليه وابصرت مياهه وشبابيكه وانابيبه المتخذة بعضها من فضة مطلية بالذهب وغير مطلية وبعضها على هيئة طائر اذا خرج منها الماء صوت باصوات طيبة ومنها احواض رخام بديعة الصنعة والمياه تخرج من سائر الانابيب الى الاحواض ومن الاحواض الى بركة حسنة الاتقان ثم منها الى البستان ثم اراني نحو عشر خلوات كل خلوة منها صنعتها احسن من صنعة اختها ثم انتهى بي الى خلوة عليها باب مقفل بقفل حديد ففتحه ودخل بي الى دهليز طويل كله مرخم بالرخام الابيض الساذج وفي صدر الدهليز خلوة مربعة تسع بالتقريب اربعة انفس اذا كانوا قعوداً وتسع اثنين اذا كانوا نياماً ورأيت من العجائب في هذه الخلوة ان حيطانها الاربعة مصقولة صقالاً لا فرق بينه وبين صقال المرآة يرى الانسان سائر بشرته في اي حائط شاء منها ورأيت ارضها مصورة بفصوص حمر وصفر وخضر ومذهبة كلها متخذة من بلور مصبوغ بعضه اصفر وبعضه احمر فاما الاخضر فيقال انه حجارة تأتي من الروم واما المذهب فزجاج ملبس بالذهب وتلك الصور في غاية الحسن والجمال على هيئات مختلفة في اللون وغيره وهي ما بين «محب ومحبوب» اذا نظر المرء اليها تحركت شهوته وقال لي المقدم السائس هذا صنع على هذه الصفة لمخدومي حتى اذا نظر الى ما يفعل هولاء . . . تتحرك شهوته سريعاً . . . قال الحاكي : وهذه الخلوة دون سائر الخلوات التي دخلت اليها خصوصية جداً الفعل اذا اراد الملك شرف الدين الاحتجاج في الحمام بمن يهواه من الجواري الحسان والصور الجميلة والنساء الناتئات الحسن لم يحتج به الا في هذه الخلوة من اجل انه يرى كل محاسن الصور الجميلة مصورة في الحائط وجلسة بين يديه ويرى كل منهما صاحبه على هذه الصنعة ورأيت في صدر الخلوة حوض رخام مصلع وعليه

---

١) لابن عبد الهادي كتاب آداب الحمام (رقم ٥٥٦٩ من الخزانة الظاهرية) قال فيه بعد ان نقل كلاماً للامام تقي الدين : « ما يفعله نساء زماننا من دخول الحمام من غير ستر عوراتهن حرام يجب على ازواجهن منعهن من ذلك . . . فاهن يدخلن عراة تنظر كل واحدة منهن الى عورة الاخرى » (ورقة ٢٦) .

انبوب مركب في صدره وانبوب آخر برسم الماء البارد والانبوب الاول برسم الماء الفاتر ومن يمنة الحوض ويساره عمدان صغار منحوتة من البلور يوضع عليها مباخر الند والعود وابصرت فيها خلوة شديدة الضياء مفرحة بديعة قد أنفق عليها اموال كثيرة وسألت القادم من تلك الحيطان المشرقة المضيئة من اي شيء صنعت فقال لي ما اعلم .

قال الحاكي : فما رأيت في عمري ولا سمعت بمثل تلك الخلوة ولا باحسن من ذلك الحمام مع اني ما أحسن ان اصفها كما رأيتها فانه لم تتكرر رؤيتي لها ولا اتفق لي الظفر بصناعتها ومباشرتها وفي الذي ذكرت كفاية »[1]

ومن هذا الوصف اليسير يمكن الاستدلال على مقدار الخسارة الفادحة التي مُني بها تاريخ الفنون والصناعات الشرقية بخراب كل القصور والجواسق والدور والحمامات والمصانع والمباني العجيبة التي ازدانت بها البقاع والرباع في المدن العباسية والفاطمية دون ان يُتاح لها من يحسن تصويرها او على الاقل يجيد وصفها وتفصيلها لتبقى بالرسم والذكر شاهدة بغنى الحضارة العربية وحذق الصنّاع البلديين .

وكان بين الصور الجميلة والنساء الفائقات الحسن التي كانت تزين بها الحمامات ما كان يستوقف انظار الشعراء ويستهوي قلوب العشاق حتى قال صاحب الموشى : « بلغنا ان منهم من عشق صورة في حمام »[2] . ولذلك انكر الشرع غاية الانكار دخول الحمامات التي ترى الصور في ابوابها وجدرانها وروي انكارها عن الامام احمد بن حنبل قال الغزالي : « ومن المنكرات الصور التي تكون على باب الحمام او داخل الحمام يجب ازالتها على كل من يدخلها ان قدر فان كان الموضع مرتفعاً لا تصل اليه يده فلا يجوز له الدخول الا لضرورة فليدخل الى حمام آخر فان مشاهدة المنكر غير جائزة ويكفيه ان يشوّه وجهها او يبطل به صورتها ولا يُمنع من صور الاشجار وسائر النقوش سوى صور الحيوان[3] . وورد مثل ذلك لابن الحاج[4] .

---

١) نفح الطيب للمقري ، المطبعة الازهرية ، ٢ : ٢١٨-٢٠٩ .
٢) الموشى ٥٦
٣) احياء علوم الدين ٢ : ٢٢٥ .
٤) المدخل ٢ : ٥٠ و ١ : ١٦٩ .

واشتهر بدمشق حمام سيف الدين وكان جامعاً بين اقسام التصوير الثلاثة التي اشار اليها الرازي. وصفها عمر بن مسعود بن عمر الحلبي الكتاني المعروف بالخمار بقوله :

وخطٌ فيها كل شخص اذا لاحظته تحسبه ينطقُ
ومثّل الاشجار في لونها ولينها لو انها تورقُ
اطيارها من فوق اغصانها ورودها تنطق او ترمقُ
وهيئة الملك وسلطانه وجيشه من حوله يحدقُ
هذا سيف له عنة وذا بقوس وبه علقُ[1]

وكانت بعض الحمامات تجمع بين الصور الملونة والدُمى المنحوتة كحمام زبّان بمصر. وزبان هو ابن عبد العزيز بن مروان بنى له ابوه هذا الحمام « وكان فيه صنم من رخام على خلقة المرأة عجب من العجب حتى كسرت في السنة التي امر يزيد بن عبد الملك فيها بكسر الاصنام وفيه يقول كريب بن مخلد الجيشاني :

من كان في نفسه للبيض مترلة فليأت ابيض في حمام زبان
عبل لطيف هضيم الكشح معتدل على ترائبه في الصدر نديان »[2]

واكثر ما كانت تكون هذه الدمى في حمامات الاندلس كالتي نقلت من طالقة الى اشبيلية وطالقة هذه (Italica) قال ياقوت « ناحية من اعمال اشبيلية بالاندلس »[3] . وكانت دمية بديعة الشكل جعلت في حمام الشطارة باشبيلية وصفها بعض اهل الاندلس بقوله :

ودمية من ترهو بجيد تناهى في التورد والبياض
لها ولد ولم تعرف حليلة ولا ألمت باوجاع المخاض
وعلم انها حجر ولكن تثبتنا بالحاظ مراض[4]

---

١) ديوان الخمار في مكتبة الاسكندرية .
٢) تاريخ مصر وولاتها لابي عمر الكندي ٧١-٧٢ وفتوح مصر لابن عبد الحكم ١١٢-١١٤ .
٣) معجم البلدان ٣ : ٤٦٤
٤) نفح الطيب ٢ : ٢١٨ - ٢١٩ .

ووصف ابن زيدون دمية رآها في جنة حين ازاره المعتضد بن عباد جنة له فقال من ابيات :

وسطها دمية يروق احتلاء الكل منها ويفتن التبعيض
نشر ناصع وخد اسيل وحيا طلق وطرف غضيض
وقوام كما استقام قضيب البا ن اذ عله ثراه الاريض
وانتصاب لو انها استقربت فيه اراك اتاقه الإغريض
والتفات كأنما هو بالإ يجاء من فرط لطفه تعريض(١)

ويؤخذ من بعض الاخبار الاندلسية ان التصوير على ابواب الحمامات كان احياناً للتحقير والتشهير كإخراج بعض الرجال والنساء في خيال الظل في الشرق للسخرية والاستهزاء. قال الوزير ابن شهيد في فصل له: «ما كان هذا القرد اهلاً لأن يحمل عليه حر كلام ولا يُرمى بفضل بيان وباحلوا ان يُرقم على عتبة دكان او يصوَّر على باب حمام»(٢) وفي حكاية ابي القاسم البغدادي: «ذا الآخر من هو ؟ كأنه صورة على باب حمام»(٣) .

ومن اغرب صور الحمامات في الشرق وجود بعض الايقونات في حمامات النصارى ولعلهم ارادوا باتخاذها معارضة عادة تمثيل الغلمان والجواري وحسان النساء في الحمامات الاسلامية او انهم قصدوا بتصويرها مجرد التبرك والتقديس ولم نجد ذكراً لهذه العادة الا في كتاب عيون الانباء في شرح المكيدة التي كادها بختيشوع بن جبرئيل لحنين بن اسحق حتى حمل الخليفة المتوكل على الفه العباسي على ابعاده وسجنه ، وكان قد جاءه قبلاً وقال له: «قد أهدي الى امير المؤمنين قونة قد عظم عجبه بها واحسبها من صور الشام وان نحن تركناها عنده ومدحناها بين يديه تولّع بنا في كل وقت وقال هذا ربكم وامه مصورين وقد قال لي امير المؤمنين : انظر الى هذه الصورة ما احسنها وايش تقول فيها ؟ فقلت : صورة مثلها يكون في الحمامات وفي البيع وفي المواضع

---

١) ديوانه ٨٦ – ٨٧ .
٢) الذخيرة لابن بسام ١-١ : ١٨٢ .
٣) حكاية ابي القاسم لابي المطهر الازدي ٧ .

المصورة . والصواب ان دعا لك وسألك عن مثل ما سألني ان تفعل كما فعلت انا .. (قال حنين بن اسحق) فما كان الا ساعة حتى جاءني رسول امير المؤمنين فاخذني اليه فلما دخلت عليه اذا القونة موضوعة بين يديه فقال لي : يا حنين ترى ما احسن هذه الصورة واعجبها فقلت: والله انه لكما ذكر امير المؤمنين فقال : فايش تقول فيها ؟ فقلت . مثلها مصور في الحمامات وفي الكنائس وفي سائر المواضع المصورة»[1].

وهذا الشاهد هو كل ما وُفقنا للعثور عليه في كل مطالعاتنا ولا ندري لذلك هل كانت هذه العادة الغريبة مختصة بالعراق ام كانت معروفة في مصر والشام ايضاً .

١) عيون الانباء لابن اصيبعة ١ : ١٢٣ .

اديار دمشق وبرّها

في الاسلام

لم ينتهِ الينا من اخبار الاديار والكنائس في دمشق وضواحيها بعد الفتح الاسلامي ، وفي الصدر الاول من الخلافة الاموية ، سوى لُمع ضئيلة لا تسدّ حاجة ولا تروي غليلًا . ومن الغريب الذي لم يكن في الحسبان ان كل ما وقفنا عليه منها ورد معظمه في الآثار الاسلامية واقوال الشعراء ؛ وذلك اما لقلة ما كتب عنها في المصاحف النصرانية ، وهو الظاهر الارجح لقلة اكتراث الرهبان ورجال الدين لمثل هذه الروايات ؛ واما اضياع كل الآثار القديمة كسِيَر النساك والشهداء وما اشبه من القصص والكتابات المسيحية والاسفار التاريخية . ومن اشد الكوارث الفاجعة التي اتلف فيها رجال الكنيسة تراث اسلافهم من تركات الرهبان والنساك هذا الحريق البربري الذي اضرم نيرانه في مخطوطات دير السيدة في صيدنايا وكلاه الرومه الارثذكس في اوائل القرن التاسع عشر[1] في ولاية احد البطاركة اليونانيين بغضاً وجهلًا لكونها باللغة السريانية ، ففاتنا باحراقها عدة اخبار وتعليقات عن الاديار والمعاهد الدينية في الشام لا نجد عنها بديلًا ؛ ولولا ما جاء عنها عرضاً في غضون المؤلفات والمجاميع الاسلامية وما حفظته لنا الرواة من اوصاف الشعراء وخمريات المتنزهين والمتطرحين في الديارات والحانات لجهلنا جلّ احاديثها وخفي علينا الصدى الضعيف الذي رجع لنا من اخبارها .

ويكفي تصفح المخطوطات والصحف السريانية التي عفت عنها الدهر لمعرفة كثرة ما كان من هذه الاديار والقلالي والصوامع في ايام الروم البيزنطيين منتشرة في حيّز دمشق ، متفرقة بين سهولها وجبالها كما يدلّ عليه هذه البقية

---

١) المشرق ٢ [١٨٩٩] ٥٨٦–٥٩٠ ، وخزائن الكتب في دمشق وضواحيها ١١٧–١١٨ ، وتاريخ صيدنايا لنا ٢٥٨ – ٢٦٠

الباقية من القرى المتسمة اليوم باسم الدير في الغوطة وسائر بر دمشق ، وقد غلب عليها اسماء محدثة في الاسلام بعد ضياع اسمائها الرومية او السريانية . وغاية ما نعلم اليوم من امرها بعض مواقعها القديمة اذا صح ان كل مسمى بالدير او مضاف اليه من القرى والدساكر كان سابقاً ملكاً ومنزلاً للرهبان ، ان لم يكن فيما مضى حصناً او مرقباً للروم البيزنطيين قبل ان ينتصب او يستولي عليه الخراب . وقد جمعنا ما وقفنا عليه من هذه الضياع المحدثة التي يظن انها قامت على انقاض الديارات او الحصون وهذه اسماؤها كما تعرف بها اليوم بين عامرة وغامرة .

١ دير أبان (عند قرحتا)
٢ دير ابن اوفى (خارج باب الجابية)
٣ دير باشية (قضاء قنيطرة)
٤ دير بشر (حجيرة)
٥ دير ابن بجدل (اقليم بيت الآثار)
٦ دير الحجر (دوما)
٧ دير زكنا (الغوطة)
٨ دير سابر (اقليم حرلان)
٩ دير سراس (قنيطرة)
١٠ دير سلمان (دوما)
١١ دير الصافير (دوما)
١٢ دير ابي عمرون وهو المعروف بالدوير في الغوطة(١) . ورد ذكره في وقف الصاحب محيي الدين الجوزي على مدرسته بتاريخ سنة ٦٥٤ : ١٢٥٦
١٣ دير عطية (النبك)
١٤ دير علي (قطنا)
١٥ دير قانون (الزبداني)
١٦ دير قيس (اقليم حرلان)
١٧ دير كروح (قنيطرة)
١٨ دير محمد (عند المتيحة)
١٩ دير مفضل (قنيطرة)

---

(١) خريطة الغوطة على جميع الغوطة لابن طولون الصالحي ، خزانة جامعة ليدن في هولاندة ، المخطوط ١٨٦٢ ، ص ٢

٢٠ دير ماكر	(قطنا)
٢١ دير مقرن	(الزبداني)
٢٢ دير النواطير	(حوار بيت رأس)
٢٣ دير هند	(اقليم بيت الآثار)

وليس بين كل هذه الاسماء ما ينمّ عن اصل نصراني الا دير زكا ودير قانون (مار قوس) ودير عطية . ومن التناقض نسبة بعض الاديار الى اعلام اسلامية كدير بشر ودير محمد ودير علي ودير ابن مجدل ، وقد نبه ياقوت على ان بشراً هو بشر بن مروان بن الحكم الاموي ، وان محمداً هو محمد بن الوليد بن عبدالله بن مروان . وذكر ابن عساكر ان ابن مجدل هو سعيد بن مالك ولي امرة قنسرين والجزيرة في ايام يزيد بن معاوية واقطعه الدير فنُسب اليه . ولا شك ان ديري بشر ومحمد عُرفا بهما اما لجوار ضياعهما او لملابسة اخرى ، كما عرف دير صليبا باسم دير خالد لنزوله عنده لما حاصر دمشق من جهة باب الفراديس والباب الشرقي ، او كما اشتهر دير ميخايل بظاهر دمشق بدير البخت لايل لعبد الملك بن مروان كانت مقيمة عنده

ولا يزال في ضواحي دمشق وفي بساتينها ومزارعها وقرى غوطتها بعض اسماء اديرة دارسة لا يعرف لها خبر ولا اثر « كدير الزراد » و « دير الرهبان » في ظاهر الباب الشرقي في جملة البساتين ؛ و « دير الاوسط » و « دير القبلة » و « دير شمال » (كذا بغير لام التعريف) شرقي البحرتين وغير ذلك مما يضيق الذرع باستيفائه . ولهذه الدمن امثال متفرقة في السهول والجبال من تراث البيزنطيين والنصارى الاولين لا سبيل اليوم لمعرفة شيء من ماضيها وانبائها .

وما عدا الاديار البائدة كان بدمشق وبرّها اديار تسربت الينا قطرات من اخبارها في الاسلام وقد رتبناها على حروف المعجم تسهيلاً لمراجعتها ، وافردنا لكل منها وصفاً جمعنا فيه كل ما وُفقنا للعثور عليه من الاشارات والروايات الواردة في معناها ، وهو وصف ان كان ضئيلاً لا يستغني به العلم كثيراً في ظلمات البحث والتحقيق ، ففيه على كل حال سداد من عوز وتذكرة من مآثر الزمن الغابر .

دمشق ٣٠ ايلول سنة ١٩٦٨ في دير القديس يوحنا الدمشقي للآباء اليسوعيين .

١

دير مار الياس في داريا

عثرنا على اسم هذا الدير في ابيات لجلال الدين بن خطيب داريا ، احد شعراء دمشق وعلمائها ، المتوفى سنة ٨١٠/١٤٠٧ . وهي غاية في الحلاوة والظرف نظمها على اسلوب الشعراء المتقدمين في التغزل باحداث الرهبان وهو فرع من فروع القصائد الخمريات وضعه الشعراء المتظرفون في الديارات تخيلاً وتطرباً قال :

هات اسقني الصهباء يا مؤنسي ... قد فاح نشر الورد والنرجس . . .
فعاطنيها غير ممزوجة ... عذراء تجلو صدأ الانفس . . .
هذا هو العيش ومن لي به ... في دير مار الياس او بطرس
مع فتية مثل بدور الدجى ... اذا بدوا في اسود الملبس
رهبان دير طيب اخلاقهم ... اصفى من الراح لمستأنس
يحاوب الناقوس قسيسهم ... بكيريالصون عند المسي
اكثر الفاظه لنا «اشرب» فلا ... اسمع لا أفتر ولا أدرس
سالي وللفقه واصحابه ... يا نفس منهم آن ان تيأسي
بعدا لبغداري وفرحيتي ... ومشيتي كالمائف المُباس
وكتبي المهدول عما به ... من كتب محفوظها قد نسي
وطيلساني حين امشي به ... مشية يوحنا او جرجس
ما انا والنحو وحق متى ... ادرسه يا ليت لم ادرس(١

اشار بقوله « يا ليت لم ادرس » الى شرحه الفيـة ابن مالك في النحو حباً للتنادر والتظرف . وقد يتطرق الريب الى اسم الدير هل هو حقيقة مار الياس وهل اسم بطرس ألحق به طلباً للقافية ام انه كان هنالك ديران باسم كل من القديسين ، وهو لا يستبعد . ولعل الارجح مار الياس وان اسم بطرس كُسِع به للضرورة كما تُقِي اسم يوحنا في البيت الحادي عشر باسم جرجس للسبب نفسه . واذا كان حقاً هنالك ديران فهذه ايضاً ابيات يصلح

١) روض الآداب للشهاب الحجازي ، بريتش موزيوم ، ٥٣ ؟ ,Add 19489

ان تعني كلا من الاسمين وهي لمحمد بن طاهر ابي الفضل المقدسي المتوفى سنة ١١١٣/٥٠٧ نهج فيها ايضاً منهج الاشعار الديوية الخيالية :

دع التصوف والزهد الذي اشتملت ... به جوارح اقوام من الناس
وعج على دير داريا وان به ... جبان مسا بين قدس وشاس
واشرب مشعشعة من كف كافرة ... تسقيك خمرين من لحظ ومن كاس
ثم استمع زمزمة الاوتار من رشا ... يلهف طرفه امعى من الياس
عني بشعر امرىء في الناس مشتهر ... مدون عندهم في صدر قرطاس
لولا نسيم نداكم ان يروحني ... لكنت محترقاً من حر انفاسي(٢)

وكانت آثار الدير ماثلة الى مفتتح القرن الحاضر في جوار دار انور بك البكري . ثم أخذت احجارها ودخلت في الابنية المجاورة اسوة بسائر انقاض الديارات والكنائس في الاسلام . ولا تزال بعض قواعد العُمُد والجدران ناهرة على وجه الارض .

(له صلة)

(٢) غاية الارب للنويري . خزانة ليدن ، arab. 19 a Gol.

وثائق واسانيد

زلزال سنة ١١٧٣ هـ (بدؤها ٢٥ آب ١٧٥٩)

في دمشق وضواحيها

بقلم الشيخ محمد احمد دهمان

هيهنا يقوم الباحث بدراسة الابنية القديمة في سوريا تصطدم بنواح كثيرة غامضة لا يدري سببها ، ومن اهم هذه النواحي العناصر الاجنبية التي يراها مختلفة عن البناء الاصلي .

ذلك ان الابنية القديمة وبخاصة الاسلامية الموقوفة منها كان يراعى عند ترميمها واصلاحها محاكاة البناء الاصلي ومضاهاته بكل دقة ليكون القديم من الحديث منسجماً في وحدة منظره وجماله .

وهناك قاعدة فقهية اسلامية تنطبق كل الانطباق مع قواعد علم الآثار الحديث وهو : « لا يجوز تغيير صفة الواقف » ومعنى ذلك انه اذا احتاج البناء الموقوف الى اصلاح فيجب ان يكون اصلاحه على الهيئة التي كانت عليه حين وقفها الواقف ، وكثيراً ما حكم القضاة بهدم البناء اذا كان يخالف هيئة الواقف . وهي كقاعدة علم الآثار التي لا تجيز تغيير هيئة الآثار القديمة او تحويرها .

وكثيراً ما يدرك الباحث العناصر الحديثة في البناء القديم ، ولكنه لا يستطيع تحديد الزمن الذي رمم واصلح فيه .

وموضوع بحثنا الآن هو زلزال سنة ١١٧٣هـ (بدؤها ٢٥ آب ١٧٥٩) الذي كاد يقضي على مدينة دمشق بكاملها وما حولها من قرى ودساكر . وقد احدث تخريبات فادحة في جميع آثار دمشق القديمة لم يسلم منها الا القليل النادر .

ومما يبتهج له ان اناساً ممن عاصروا ذلك الزمن وشاهدوا الزلزال وآثار تخريبه وصفوا لنا ذلك وصفاً دقيقاً .

ولا شك بان نشر هذه الوثائق التاريخية سيكون لها شأن كبير في ايضاح كثير من اسباب الاصلاحات الاثرية وتاريخ زمنها ، كما انها توضح لنا

اسباب كثيرة من الابنية المتهدمة او التي عفى أثرها وهي ليست خاصة بدمشق وحدها بل انها تعطينا فكرة واحصاء عن الحوادث التخريبية في دمشق وفي انحاء سوريا ولبنان وفلسطين . وهذه هي النصوص التي اطلعنا عليها :

النص اول

من الجزء السابع من التذكرة الكمالية

وقد كتب على كل جزء من هذا الكتاب ما يلي : التذكرة المسماة بالدر المكنون ، والجمال المصون ، من فرائد العلوم ، وفوائد الفنون ، جمع كاتبه العبد الفقير كمال الدين محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن العامري الحسني الحسيني الدمشقي الشهير كسلافه بابن الغزي المتوفى سنة ١٢١٤ وقد ترجمه الاستاذ الشيخ محمد جميل الشطي في « روض البشر في اعيان دمشق في القرن الثاني عشر » (ص ١٩٩) . وهذا الكتاب عبارة عن مذكرات للمؤلف في نحو عشرين مجلداً بخط المؤلف ضمنها كثيراً من الابحاث الادبية والتاريخية الرائجة في عصره . وبما ان مذكرات لبعض هذه الاجزاء حالي من الكتابة الا ما ذكر على طرة الكتاب . وبعض الاجزاء كتب منها بعض ورقات والبعض الآخر تام والبعض كتب نصفه او نحو ذلك . وهي متفرقة عند بني الغزي . فالجزء السابع عند السيد فهمي الغزي ، والثامن والعاشر عند السيد ندم الغزي ، والسادس مع بضعة اجزاء كانت عند صديقنا المرحوم الشيخ توفيق الغزي مفتي الشافعية . واشتهر هذا الكتاب باسم «التذكرة الكمالية» وقد نشر السيد فهمي الغزي نص حادث هذا الزلزال في المجلد السادس (ص ٥٦٩) من مجلة «المقتبس» . وقد اخترنا اعادة نشره لطول العهد به وجمع نصوص هذا الحادث بعضها الى بعض . وهذا نص كمال الدين الغزي نقلاً عن مجلة «المقتبس» :

انه في سنة ثلاث وسبعين ومئة والف ، سادس ربيع الاول ، في الساعة العاشرة من الليل قد رجفت الارض رجفة مقلقة برياح وعواصف ، ورعود قواصف ، فطاشت لها العقول ، وحصل والعياذ بالله غاية الذهول ، وتخلعت السقوف ، وتشققت الجدران ، وهدمت في الشام بيوت لا تحصى ، وسقطت رؤوس مآذن دمشق ، فمنها المأذنة الغربية والشرقية في جامع بني أمية ، وقع منهما في تلك الساعة حصة ، ومنارة العروس في الجامع ذهب منها شيء يسير ، وبقية منارات جوامع دمشق لم يسلم منها الا القليل . وتلتها رجفات وزلازل .

وفي ثاني يوم من تلك الليلة ضحوة النهار رجفت الارض وتزلزلت زلزلة شديدة فسقطت من منارة الجامع الشريف الاموي الشرقية جداره الشرقي والشمالي وسمع لها صوت هائل . وما من منارة بدمشق الا وهي بناؤها حتى

ان منارة السليمية المحيوية[1] بصالحية دمشق طارت منها حصة وافية وسقطت، والجامع المظفري[2] بها ايضاً ، ومنارة جامع سيباي[3] ، والجامع المعلق ، وجامع حسان ، وجامع الامير منجك بمحلة مسجد الاقصاب[4] ومنارات الجامع (؟) بمحلة الميدان ، وبقية منارات جوامع دمشق تقصفت ولم يسلم منها الا الثغر القليل ، وقبة النسر العظمى في الجامع الشريف الاموي تشققت ووهت ، وتشقق الجدار الشرقي من هذا الجامع ووهى وخرب اكثر دور دمشق ، ووقعت تلك الليلة سقوف وبيوت لا تحصى ، ووقعت شراريف الجامع المزبور وكان طول كل شرافة مقدار خمسة اذرع على حائط حول سقف الجامع مقدار قامة من جميع جهات الجامع الاربع بحيث ان الشخص اذا وقف على سطح الجامع لا يرى شيئاً من الدور التي حوله ، فسقطت تلك الشراريف وهدمت بعض الاماكن المجاورة للجامع كدار بني الغزي ، وحجرة الخلوتية الطباخية بالخانقاه السميساطية ورمت قبو ايوانها وهذه الاماكن شمالي الجامع ، وفعلت بقية جهاته كذلك ، وفعلت افعالاً عنيفة في الاحجار ، وانصدع في الجامع العمود الذي تجاه باب مشهد المحيا[5] الشريف النبوي تجاه المضادة الكبرى . وبقيت الرجفات والاهتزازات تتوالى ليلاً ونهاراً الى آخر شهر ربيع الاول والناس يدعون الله تعالى في اذهاب تلك الشدة التي ما عهدوا مثلها ، وقرؤا صحيح البخاري مرتين ، والقرآن العظيم مراراً . وتوسلوا في رفع ذلك بكلام الله تعالى وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم .

وانهدم في تلك الليلة المتقدمة في بيت الشهاب احمد المنيني مكانان احدهما فوق الآخر . فسقط الاعلى فوق الاسفل ، فقتل تحت الردم في الاسفل ستة انفس من اولاده وعياله جبرهم صبيحة ذلك اليوم ودفنهم جملة واحدة بمرج الدحداح . وثلاثة انفس اخر سقطت عليهم منارة في محلة الميدان .

---

١) المراد بالسليمية المحيوية مسجد الشيخ محي الدين ابن عربي الذي بناه بجوار قبره السلطان سليم العثماني .

٢) هو جامع الحنابلة الذي في الصالحية .

٣) هو المشهور في عصرنا بجامع السادات .

٤) هو المشهور في عصرنا بمشهد الحسين ، وقديماً بمشهد علي .

ورجل وقع عليه هلال منارة جامع حسان فقتل ايضاً . وفي تلك الليلة تزلزلت بلاد صفد وذهب اكثر اهلها قتلى ، وقتل من اليهود الف وثلاثمائة نفس . وذهبت حصة عظيمة من بلاد نابلس ، وقتل بها خلق كثيرون . وتزلزلت عكا ، وذهبت حصة من برجها في البحر ، وطبريا ، ودير حنا[1] ، وقلعة الجندل ، وبلاد الشوف ، وسائر بلاد الساحل الشامي كصيدا وبيروت واللاذقية ، ويافا ، وحيفا ، وباقي تلك البلاد الشامية ، ولم يبق في جبل الدروز قرية الا واصابها حادث عظيم ، وبلاء جسيم ، وتهددت الخانات على من بها من القفول .

وفي دمشق قتل ما لا يحصى من الرجال والنساء . والذي اصاب مسجد دمشق ما عهد مثله . وهذا الزمن الذي حصل فيه هذا البلاء في البلاد في اقل من درجة . نسأل الله السلامة من اهوال الحشر والقيامة .

ووافت الناس من سائر الاقطار من الوجه الغربي والساحل يقولون لاهل دمشق احمدوا الله على ما حفكم به من اللطف . فان الخارجين عنكم لم يسلم منهم الا القليل .

واغاث الله تعالى بكافل دمشق الدستور الاعظم الوزير « عبدالله باشا بن ابراهيم الشهير بجتمجي » ومتولي اوقاف الجامع المشار اليه شيخ الاسلام « علي ابن محمد بهاء الدين بن محمد مراد المرادي » الحسيني النقشبندي مفتي السادة الحنفية بدمشق فبذل الوزير الهمة في اصلاح المنارات ونقض المنارة الشرقية الهائلة التي اعجزت البنائين واهل الصناعات ان يضعوا ايديهم فيها لما هي عليه من البناء الهائل المتداعي للسقوط ، وطلبت طائفة البنائين من النصارى اموالاً عظيمة على نقضها وان يجعلوا لذلك السقائل الهائلة من الاخشاب حولها لاجل النقض . فأمر الوزير بقطع الاخشاب ونقلها للجامع فقطع شيء كثير من الغيضة الشهيرة الكائنة بالوادي بدمشق ومن غيرها ونقل الى الجامع حتى امتلأ خشباً ، واجتمع جميع نشاري دمشق لنشره قطعاً ضخاماً كل

---

١) قرية في فلسطين بين بحيرة طبريا ومدينة عكا .

قطعه سمكها مقدار ثلث ذراع او ربع ذراع وشرع البناؤون في عمل السقائل لاجل النقض حول المنارة المزبورة واستعظم طائفة البنائين من النصارى نقضها، فانتدب رجل من طائفة النجارين المسلمين لنقضها من غير سقالة وطلع الى رأس المنارة الى ان انتهى الى هلالها ، ولم ينزع من ثيابه شيئاً بل خرج بقاووقه وشخشيره[1] واخرج معه مطرقة وزميلاً حديداً صغيراً وصار يقلع بها الاحجار ويلقيها الى اسفل والناس ينظرون اليه من صحن الجامع ونقض في ذلك الوقت حصة من المنارة وكانت اعلا مما هي عليه الآن بخمسة وثلاثين ذراعاً واغلظ بمقدار خمسة اذرع وهلالها فوق بشاش من الحجر الكبير وبذل الوزير للنجار وكان حاضراً لما صعد الى المنارة جائزة ووعده انه اذا اتم العمل ان يقابله بالجوائز السنية . واخذ البناؤون في تهيئة اسباب البناء من عمل الدواليب وحفر الاسس .

❁

ثم استهل شهر ربيع الثاني بيوم الاربعاء . ففي ليلة الاثنين سادس الشهر المذكور بعد صلاة العشاء بالجامع الشريف بنحو ثلث ساعة رجفت الرجفة العظمى والزلزلة الكبرى التي لم يرَ ولم يعهد مثلها في سوالف العصور فصارت الجبال تمور ، والارض تفوز، والمياه تفور ، وبقيت بعد سكونها تتوالى رجفات لطيفة الى ان اصبح الصباح واستمرت نحو درجتين فانخلعت لها القلوب ، وصار الناس يبتهلون بالدعاء والتضرع لعلام الغيوب ، وحارت العقول ، وطاشت الرجال الفحول ، وثار في ذلك الوقت الغبار والقتام ، واشتد في ذلك الآن الظلام ، وأدهش الناسُ في ذلك الخطب المهم ، والمرعب المدلهم ، الذي انعقدت له الالسن وخرست ، وغارت له العيون ، والشفاه يبست ، وصارت الارض تفور وتغلي مثل المرجل ، وانكشفت تلك الساعة عن غالب منارات دمشق بالسقوط وبالقصف والمأذنة الشرقية الاموية المتقدم ذكرها وقعت الى الاسفل ولم تحوج الى فك ، وسقطت قبة النسر في الجامع المرقوم مع عظمها، وسقط جميع الرواق الشمالي باعمدته المحكمة وعضاداته ، وكان مشتملاً على

(١) الشخشير نوع من السراويل الواسعة .

عضادات واعمدة ، بين كل عمودين عضادة مبنية بالرخام وانواع الحجار المثمنة من اسفلها الى اعلاها ، وسقطت المنارة الشرقية على جهة الجامع فهدمت مقدار ثلث المعازب الثلاث التي بقربها ، وتشققت غالب الجدران واشرفت على السقوط . فسبحان الفعال لما يريد ، الحي القيوم الذي لا يموت .

ولم تبق قبة في دمشق الا واصابها عاهة او سقطت ، ولم يسلم منها الا النادر وسقط جميع جامع بلبغا مع قبته الهائلة ومنارته ، مع ان بناءه كان في غاية الرصانة والمتانة ، وسقط من الخان البديع الذي بناه الوزير اسعد باشا والي الشام وثانيها ثلاث قباب هائلة ، وتهدمت دور دمشق الا القليل وكثرت القتلى في تلك الليلة ، وتهدمت القرى التي حول دمشق ، وهلك بسبب ذلك من الانفس والمواشي ما لا يحصى كثرة .

وكان من جملتها قرية التل قتل تحت الردم ما ينوف على خمسمائة ولم يسلم منها الا القليل ، وقرى الجبل كالهامة والزبداني ووادي بردى هلك فيها تحت الردم ما لا يعد . ووقع سور مدينة دمشق في نهر بانياس ، وسدت الطرق بالتراب والاخشاب والصخور ، وصارت السماء مع الارض تمور ، وتلف من الاموال والانفس ما لا يحيط به حد ولا يحصره عد ، وذهب من الاثاث والامتعة والاواني الصيني وغيرها الشيء العظيم الكثير ، فسبحان من قضى بذلك ليعلم العباد أن كل شيء هالك الا وجهه ، فصار الناس لا يألفون الاوطان ، ولا يستقرون بمكان . وخرج اهل دمشق جميعاً باموالهم وانفسهم وعيالهم الى خارجها ، ونصبوا الخيام ، وبقوا مقدار ثلاثة اشهر وهم في الخارج . وقد نظم في تلك الزلزلة الهائلة الفاضل العالم الاديب مصطفى بن احمد محمد الدمياطي ابياتاً فقال :

ان تناسبت اوقات انس نقضت ... لست انسى ليالي الزلزال
اذكرتنا كيف المنام بعد ... وارتنا بالعين رقص الجبال
اشهدتنا تمايلات قصور ... باهتزاز كحالة الاطفال

❁

ولما عرض كافل دمشق الوزير « عبدالله بن ابراهيم الشهير بالبتجي » الى الابواب العالية السلطانية بقسطنطينية المحمية حال الجامع الشريف الاموي

المزبور ، وقلعة دمشق وما اصابها من الانهدام ، وسألوا الدولة في تعميرها ، وكان صاحب التخت العثماني السلطان مصطفى ابن السلطان احمد . فلما وصل الخبر اليه صدر الامر منه بتعميرها وارسل أميناً على العمارة المزبورة احد البوابين بالابواب العالية « مصطفى بن محمد الشهير بالبانجي » فلما وصل الى دمشق بالاوامر والاموال ، وذلك في سنة اربع وسبعين ومائة والف ، نزل كافل دمشق الوزير عبدالله باشا المذكور الى الجامع وحضر معه قاضي قضاتها اذ ذاك المولى «ساطع علي بن مصطفى ختن علمي احمد افندي» ، ومفتي الحنفية بدمشق ومتولي اوقاف الجامع المزبور المولى العلامة شيخ الاسلام « علي بن محمد بن المرادي » النقشبندي وبقية اعيان دمشق من العلماء ، وكشفوا عما يحتاج اليه الجامع المزبور وجمعوا المعمرين والمهندسين وارباب الصنائع من كل حرفة تتعلق بالتعمير ، فأمرهم المتولي على العمارة ان يشرعوا في اعادة ما انهدم ومرمته .

النص الثاني

لخصته من رسالة رأيتها عند بعض الافاضل بخط حديث لمؤلف مجهول يصف هذا الزلزال باحصاء دقيق ، ولا نعرف عن هذا المؤلف الا انه لما وقع هذا الحادث كان في قرية برزة . ثم لما رجع الى داره في حارة المقدم بالصالحية وشاهد فداحة ما وقع الف هذه الرسالة . واسلوبها قريب جداً من اسلوب السيد احمد البربير في رسالته « زهر النضرة في ذكر الغيضة » وكان معاصراً لحادث الزلزال وسكن الصالحية وبها توفي سنة ١٢٢٦ (١٨١١) فان صح بانه سكن في حارة المقدم فيكون هو المؤلف على الراجح .

اما عملي في تلخيصها فهو بتناول الفاظاً مسجوعة وبعض ابيات مصحفة حذفتها لعسر تصحيحها ولان ضيق الوقت في نقلها كان يحتم علي ان آخذ لبابها . وهذا نصها بعد حذف التسجيع منها :

وقعت زلزلة دمشق الليلة السابعة من شهر ربيع الاول سنة ١١٧٣ (تشرين الثاني ١٧٥٩) بعد مضي عشر ساعات ونصف من الليل

فاجلست ما كان من واقف وايقظت من كان من نائم
وارتجت الارض بسكانها واعتنق المظلوم بالظالم

وسمع لها دوي وهدير ، وتتابعت حركاتها طول الليل الى الصباح وبقي الزلزال ثلاثة ايام بلياليها . ووقع رأس المنارة الشرقية المسماة بمنارة سيدنا عيسى ،

ورأس منارة العروس ، ورأس المنارة الغربية ، واختلت قبة النسر ، واختل الحائط الشمالي من باب اليانية الى اودة مفتي الشافعية ، وكثير من الجوامع والحمامات والخانات والاسواق والحارات وبعض القرى ، ووقع رأس منارة السليمية وبعض القبب .

ثم هدأت اياماً قليلة . ثم رجعت بشدة في الليلة الرابعة من ربيع الثاني بعد مضي ثلاثة ساعات من الليل .

ثم يصف اهوال هذا الزلزال ويقول بعد ذلك :

ثم احببت ان اجمع ما خرب من الجوامع والمدارس والحمامات اذ لم اقدر على جمع من مات فنزلت الى دمشق المحروسة من جهة باب البريد ، لارى ما خرب من جامعها الفريد .

[وصفه للجامع الاموي وما كان خارج ابوابه من اسواق]

سوق باب البريد يسكنه كبار التجار ومن يتعاطى بيع الطيب من العنبر والمسك[1] والعود والحلوف الخ .

الباب الشرقي ويسمى جيرون يخرج الانسان منه الى سوق الذهبية الذي كان اولا تصنع فيه الشروبا (؟) من الذهب والفضة . ويشتمل على قهوة لا يوجد لها نظير في الدنيا . وبها فوارة ماء . وتواجه القهوة حمام الذهبية .

وباب شمالي بالقرب من السمياطية[2]

وباب آخر كبير يسمى باب الساعات يخرج منه الى مدرسة الكلاسة[3]

---

١) لا يزال هذا السوق يدعى بسوق المسكية .

٢) يدعى هذا الباب « باب الزيادة وباب الفراديس » ثم دعي باب الساطفانيين ، والآن يدعى باب العمارة نسبة لحي العمارة الذي على مقربة منه .

٣) المعروف ان هذا الباب يدعى بباب الكلاسة لانها كانت موضع عمل الكلس ايام بناء الجامع . وفي سنة ٥٧٥ امر الملك صلاح الدين ابن ايوب بتجديد بنائها وعمارها مدرسة . ولا نعرف احداً سمى هذا الباب بباب الساعات . وانما اطلق هذا الاسم للمرة الاولى على الباب القبلي الذي سماه المؤلف « بباب المنبرانية » لانه كان في زمن العباسيين على بابه ساعات تعلم منها الاوقات ، ثم اهمل امرها ، ثم ان السلطان نور الدين محمود بن زنكي وضع ساعات اخرى على باب جيرون فدعي ايضاً بباب الساعات وهي التي وصفها ابن جبير في رحلته .

وبابين صغيرين محدثين[1]

وباب كبير قبلي يسمى بالمنبرانية .

وكل من الابواب مكفت بالنحاس الاصفر وبه انواع الصناعات . ومكتوب على كل باب اسم بانيه وصانعه[2] .

وبالجامع من التداريس سبع [تداريس] اعظمها تحت القبة .

وبه من البقع مقدار الخمسة والعشرين مجلساً . في كل بقعة منها مدرس من بعد صلاة الصبح الى قبيل الظهر لافادة الطالبين من كل نوع من انواع العلوم .

وبخارج حرم الجامع قبتين احداهما على ثمانية عواميد[3]، والثانية على ست عواميد[4] وقبة بينهما صغيرة بكاس من الرخام .

وبالجامع اربعة مشاهد : احدها بالقرب من منارة عيسى ، وبه مشيخة على طريق الششتري يقام به الذكر عقب صلاة كل جمعة ، وآخر شرقي خارج الحرم ، وشيخه يقيم به الذكر ليلة الجمعة والاثنين ، « والثالث » غرباً وشيخه على طريق الششتري يقام به الذكر عقيب كل جمعة « والرابع» غربي وله شباكان مطلان على حمام الجامع[5] وبه بركة ماء يتوضأ فيها .

وبالجامع مقصورة[6] عجيبة تقصر العبارات عن وصفها معدة لتلاوة القرآن.

١) انشئ في شمالي الجامع الاموي من اوله الى آخره عدة مداوس فتح لها شبابيك الى الجامع لها حواجز من حديد ثم رفع بعض هذه الحواجز واستعملت كابواب لتسهيل الدخول الى الجامع وهي ما يشير لها المؤلف وليست بابواب عامة .

٢) كتب على الباب الكبير الغربي (اي الذي جهة باب البريد) انه انشىء عام (جلظ) وحسابه بحرف الجمل عام (٩٣٣) وكتب على الباب الصغير الذي الى جانبه اسم «السلطان الملك المؤيد ابو النصر شيخ» و « ينظر من زاده قليل . سليمان بن خليل» .

٣) هذه القبة تدعى بقبة المال وهي في صحن الجامع في الشمال الغربي .

٤) هي في الشمال الشرقي وتدعى بقبة زين العابدين وقد سقطت في هذا الزلزال فاعيد بناؤها على جدران وتدعى في عصرنا بقبة الساعات .

٥) الظاهر ان هذا المشهد هو الذي غربيه دخلة المدرسة الصادرية ولهذا المشهد باب سد من اسفله واستعمل كشباك وقد فتح وارجع باباً في عصرنا والظاهر انه كان مقابل هذا الباب حمام في هذه الدخلة وقد دمّر ولم نسمع له بذكر قبل هذا النص .

٦) المقصورة حواجز خشبية مزخرفة توضع حول المنبر والمحراب يدخلها الخليفة

وبها من المصاحف ما ينوف على المائة و[بها] مصحف عثمان بن عفان.

ثم يقول المؤلف :

فلما قصدت باب البريد ورأيت ما حل به من انهدام سقفه ، ونوم اعمدته وعضائده بكيت عليه وانشدت :

على باب البريد بكيت شوقاً ، واغاق باب جامعه الفريد
فارجو الله ان يأتيه عوناً واسعافاً على خيل البريد .

ثم يقول :

مشيت على الحجارة والانقاض لأشاهد ما حل بالجامع فرأيت رواقه الشمالي من عند الباب الصغير بالقرب من اليزنية[1] الى قرب اودة المفتي قد سقط سقفه وعضائده واعمدته الى الارض . ومئذنة العروس ، ومئذنة عيسى والمئذنة الغربية[2] سقطوا الى الارض ، وقبة النسر خربت الى الارض . وخرب غالب الجامع سقفه وحيطانه وبلاطه فاذهلني ما رأيت وقلت :

فيبكي الجامع الاموي حزناً وكان لدى الجوامع كالرئيس
وما اوهى التراب منارتيه فاتلفها سوى قصد العروس
وقبة نسره للارض خرت تسلم بالخضوع على الدروس

والملوك والامراء مع حاشيتهم لاجل الصلاة ، ووضعت للمرة الاولى زمن عثمان بن عفان خوف اغتياله كما اغتيل قبله عمر بن الخطاب وهو في الصلاة . ويذكر الناسي في اصلاح المساجد (ص١١٢) ان مقصورة الجامع الاموي بقيت الى سنة ١٢٨٠ هـ ثم رفعت في هذه السنة بأمر والي دمشق شرواني باشا .

(١) الظاهر ان المراد باليانية الزاوية الغزالية التي كان مكانها قبة من خشب يسكنها الافغان ورفعت في الحرب العامة الاولى ، واما اودة المفتي فالمراد بها حجرته التي كان يسكنها والمراد به مفتي الشافعية من آل الغزي وهذه الحجرة هي التي لها شباك كالباب بينها وبين الجامع من جهة الشرق في الشمال على مقربة من الزاوية الكندية وقبة زين العابدين وهي ايضاً قسم من الغربية الكاملية . والمراد ان الرواق الشمالي سقط برمته عدا قسماً ضئيلاً من شرقه وغربه .

(٢) لم يذكر احد غيره ان المئذنة الغربية سقطت بل هي باقية بطرازها المالكي وعليها اسم الملك قايتباي . فان صح ما ذكره فيكون قسم من اعلاها سقط كما يشير لذلك نص كمال الدين الغزي .

ثم تقدمت جهة باب جيرون فرأيت قهوته تهدمت ، وفوارته تخربت وحمامه خالٍ من الناس فاخذتني العبرة وانشدت :

الا يا باب جيرون المفدّا سقيت من اللواقح بالنوادي
ترى لي نظرة من بعد يأس انال بها من الدنيا موادي
وهل فوّارة للماء فيه تزيد وماؤها يسقي الصوادي
وهل حمامها المعمور باقٍ يزيد الطهر منه لكل بادي

حارة العمارة

اما العمارة وجهاتها وتحت القلعة الى خان الباشا الى حارة الغواني[1] الى البحصة الى الحمودية[2] الى الدرويشية الى الشاغور فالبعض خرب وتعطل والبعض آيل للسقوط .

فمن الجوامع والمآذن : جامع التوبة ، جامع المعلق ، جامع الشامية[3] جامع البغا[4] ، جامع السنجقدار ، جامع السياهية[5] والشامية[6] وبعض السليمانية[7] ، وجامع السفرجلاني ، وجامع محلة الخراب ، وجامع محلة النطاعين[8] ، وجامع الشاغور .

---

١) الراجح ان هذه الحارة هي التي يطلق عليها اليوم حارة المناني ومدخلها من محلة خان البطيخ وهي غربي خان الباشا .

٢) حارة الحمودية مدخلها من جهة البحصة وهي بمجموعها شمالي نهر بردى مقابل دار الحكومة في دمشق تماماً من جهة الشمال ويفصل بينها وبين طريق ضفة بردى جامع فضل الله البصروي .

٣) هي المدرسة الشامية .

٤) هكذا تلفظها العوام وصوابها : بلبغا وهو احد نواب دمشق في العصر المماليكي .

٥) هكذا تلفظها العوام والمراد به مدرسة سيباي وهو آخر نائب تولى دمشق من قبل المماليك .

٦) هكذا في الاصل وتقدم ذكر الشامية . ولعل الصواب : السنانية اي جامع سنان باشا وله منارة مبنية بقطع من القاشاني وهي الفريدة من نوعها بدمشق وقد ذهب اعلاها فاطلق يشير الى سقوط اعلا هذه المنارة .

٧) المراد بالسليمانية مدرسة السلطان سليمان بن السلطان سليم العثماني ومدرسته الى جانب التكية السليمية من جهة الشرق .

٨) هذه المحلة خارج باب الفراديس ويطلق عليها الان اسم « محلة العمارة » ولا يزال فيها مسجد يسمى « اللطاعين » تحريف « النطاعين » .

وفي الصالحية:

جامع السليمية[1]، جامع الحنابلة، جامع الجديد، جامع الاتابكية، جامع عزيزة الدين الماردانية، جامع المرشدية، جامع الاخرم، جامع الحاجب. وهو من احسن الجوامع وجميع حيطانه وارضه بالرخام الابيض والمعذري حتى يقال ان اغلاق الشبابيك بين العود الماوردي. وقبة المنارة على ست عواميد[2] من الرخام وقعت المنارة والجامع وبقيت آثته فيه.

وفي القرى:

جامع برزة، وجامع التل، وجامع منين، وجامع القابون، وجامع عربين، والاشعري، وجامع الشابية، وجامع البادة[3]. فبعضها وقع الى الارض والبعض آيل للسقوط.

المآذن:

واما المآذن فجميعها خراب

والمنارات في الجوامع خرت سجداً بالرؤوس والاقدام
انها طالما شاهدت السجود فارتهم كيف يسجد الجلمود

الحمامات:

واما الحمامات فمنها: حمام القرماني بمحلة تحت القلعة، وحمام الناصري في المحلة المذكورة، وحمام البوابجية، وحمام السلسلة الكبير، وحمام السلسلة الصغير، وحمام السلطان، وحمام سامه، وحمام الفقيه البكري، وحمام العلائي، وحمام النائب، وحمام المسك في طالع القبة.

وفي الصالحية:

حمام المقدم، حمام الحاجب.

---

١) نسبة الى السلطان سليم ويعرف هذا الجامع في عصرنا « بجامع الشيخ محي الدين ».
٢) هذا الطراز وحيد من نوعه في دمشق وهو على طراز منارات القاهرة.
٣) ما تقدم من اسماء هذه القرى لا يزال معروفاً وموجوداً الى اليوم على مقربة من دمشق.

ومن القرايا :

حمام دوما ، والخامة ، وقطنا ، وعربين ، والتل ، ومنين وحلبون[1] .

واما القبب المعقودة بالمونة والآجر :

فمنها قبة جامع دمشق . وهي راكبة على اربع اركان . كل ركن منها مئة ذراع من الرخام العادي والمعذري[2] وفيها من انواع الصناعات ما لا يوصف . ويحيط بالقبة في الاعلا مقدار العشرين قرية من البلور . كل قرية فيها ارتفاع عشرة اذرع وصف آخر قاري تحت الصف الاول . وبها من الصناعات والنقوش ما لا يصفه الانسان ، ولا يبلغها بيان وتحتها تدريس خانه واشرت اليها بقولي :

وقبة نسره للارض خرت تسلم بالخضوع على الدروس

وقبة الملك الظاهر ، والملك العادل ، ونور الدين الشهيد ، والعصرونية ، والسادات . وخمس قبب في الخان الجديد عمارة اسعد باشا ، وقبة مدرسته[3] وقهوة الحمام (؟) وقبة الذهبية في مرج الدحداح . وقبة الناصرية ، وقبة دار الطرح[4] قديماً بجملة من القصب . وقبة جامع الحشر[5] ، وقبة جامع فتحي افندي[6] وقبة مرج الدحداح . وقبة في اعلا قلعة دمشق تسمى بديوان الظاهر وقبة الشيخ النحلاوي[7] . واثني عشر قبة في الدرويشية[8] ، وقبة جامع الياغوشية تحت القلعة .

في الصالحية :

قبة الشيخ الاكبر ، قبتين في التكية[9] ، قبتي الشيخ ابي الحسن الصوري ،

---

١) راجع الحاشية رقم ٣ من الصفحة السابقة .

٢) الراجح ان المراد بالمعذري نوع من الرخام الاحمر .

٣) هي المشهورة في عصرنا بمدرسة المياطين .

٤) المراد بالطرح الفرائب او نحوها في العصر المماليكي .

٥) هو المسمى الآن « جامع السنجقدار » وقديماً « جامع ارغون شاه » .

٦) هي مدرسة فتحي في حي القيمرية .

٧) هي قبة الغربة التنكزية قبلي المدرسة النورية بزقاق المحكمة الشرعية .

٨) شرقي جامع الدرويشية طريق عريض وبشرق هذا الطريق حوانيت على ظهرها غرف كل غرفة لها قبة وقد اندثرت هذه القبب ولا يزال بقية منها في طريق الاندثار (وهي ما يعنيها المؤلف) .

٩) المراد بها التكية المقابلة لجامع الشيخ محي الدين ابن عربي .

قبتي مدرسة الجهاركسية ، قبتي المعظمية ، قبة الشيخ رسلان مع القبو[1] ، قبة النصر ، قبة المارداتية . وقبب كثيرة لا اعرف اسماءهم.

القلاع:

واما القلاع السلطانية فمنها قلعة دمشق المحروسة وقع منها البرج القبلي والصور إلى الخندق ، والبرج من البراج خانسة الى المناخلية ، وسقط بها دور كثيرة. وقلعة بعلبك وهي اعجب قلاع الدنيا وقعت عن آخرها، وقلعة طبريا، وقلعة الشقيف ، وقلعة عكا وخان الناطية (؟) كأنه قلعة ، وبعض قلعة صيدا.

الخانات:

واما الخانات فخان الباشا بدمشق ، وخان اسعد باشا ، وخان تحت القلعة، وخان الدالاتية ، وخان المناتبة ، وخان القصير، وخان السبيل ، وخان ميسلون، وخان حاصبيا ، وخان القايون، وخان سمسم ، وخان الدياس ، وخان الحصين(؟) وخان الفرنج ببيروت.

ومن الطواحين:

طاحونة التربة ، وطاحونة الاشتاك ، وطاحونة حرستا ، وطاحونة التل ، وطاحونة منين.

ومن المعاصر:

معصرة القصير ، ومعصره النشابية ، ومعصرة زملكا.

واما الضياع والقرى:

فقرية معربا، والتل عن اخرها ومنين ، وبعض حلبون ، والدريج ، وصيدنايا وحرستا ، وعربين ، ودوما ، وعذرا ، وحزة ، وحمورية ، وبيت سوا ، وجسرين، والافتريس ، وكفربطنا ، والمتيحا ، وزبدين ، وبيت نايم عن اخرها ، والاشعري وصالحية المرج ، والجربا ، والبحارية ، وميدعة ، والميمونية ، والصوامع ، وتل الكردي ، والريحان ، ومديرة ، والشفونية ، ودمر، والهامة عن اخرها ، وسقبا والسوق ، ومضايا ، والزبداني عن اخرها ، ودير ريا والجديدة ، وعينطوز ،

(١) الظاهر مراده بالشيخ الرسلان الذي قبره خارج باب توما ولكن سها فعد قبته مع قبب الصالحية .

وكوكب ، وقطنا ، وسرغايا ، وبعلبك واقليمها ، والحولة ونواحيها ، والبقاع ونواحيها. فالجميع مما ذكر وقع اكثره على الارض وبقي القليل آيل للسقوط.

وذهب من الناس ما لا يحصى. وخرج الناس من المدن الى البراري فالبعض تحت الخيام والبعض بنوا بيوتاً بالطبق[1] والدفف . والبعض صار بلا مأوى . وبعض الفلاحين حفروا في الارض اوكاراً سكنوها.

وكان حاكم دمشق في ذلك الوقت عبدالله باشا الشتجي.

النص الثالث

اورده المرادي في سلك الدرر (٣ : ٨٢) وهو :

وحصل بدمشق سنة ثلاث وسبعين ومائة والف ، ليلة الثلاثاء ، ثامن ربيع الاول قبيل الفجر زلزلة واتصلت بالقدس وغزة وتلك النواحي وصيدا وصفد وجميع بلاد الساحل الشام وحمص وحماه وشيزر وحصن الاكراد وانطاكية وحلب واتصلت في كل اسبوع مرتين وثلاثا الى ليلة الاثنين سادس ربيع الثاني من السنة المذكورة فزلزلت بعد الفراغ من صلاة العشاء الاخيرة تلك المحال المذكورة بلسرها واستقامت بدمشق ثلاث درج وخرب غالب دمشق وانطاكية وصيدا وقلعة البريج وحسية ، وانهدم الرواق الشمالي من مسجد بني امية بدمشق وقبته العظمى والمنارة الشرقية ، وانهدم سوق باب البريد، وغالب دور دمشق ومساجدها ولم تزل الزلازل متصلة الى انتهاء السنة المذكورة واعقب ذلك بدمشق قبل انتها. السنة الطاعون الشديد وعم قراها وما والاها وحصل لغالب مساجدها التعمير من وصايا الاموات . وعمر جامع دمشق والقلعة والتكية السليمانية[2] باموال صرفت من كيس الدولة العلية العثمانية.

ذلك ما اطلعنا عليه في هذا الموضوع .

---

١) يراد بالطبق الدف الرقيق .

٢) الصواب : السليمية .

خطط دمشق

٥

قرية سبينة الشرقية

دير ينة — دير بشر

بقلم صلاح الدين المنجد
رئيس دائرة الآثار السورية العامة (دمشق)

إن تعديل الاماكن والمحال والقرى وتحديدها ، ينبغي أن يستند الى النصوص القديمة الشرعية والصحيحة ولن تجد مثل كتب الوقف صحة وشرعية في هذا الباب . لأنها تقدم لك الحدود واضحة مبينة بدقة ، بحيث لا يمكن أن تتوهم بعدها أو تخطئ .

وقد عثرنا على كتاب وقف الرجيحي بن سابق ، وفيه تحديد طبوغرافي لقرية سبينة الشرقية ، وذكر لقريتين تسميان باسمي ديرين هما دير ينة ودير بشر .

كان الرجيحي من العلماء الاجلاء . ورد دمشق من المشرق فأكرم واقطع قرية سبينة بالنوطة . ثم طلب الى القاهرة وأكرم ، ثم عاد الى دمشق . وكان كثير العصبية ولكن يحسن المداراة والموادة . وكانت له حرمة عظيمة . ومات سنة ٧٠٦ هـ ، ونقل الى داره التي سكنها داخل باب توما المعروفة بدار امين الدولة ودفن بها .[1]

وقد تولى الرجيحي مشيخة الزاوية اليونسية ، بالشرف الشمالي وقد كانت بنيت لجده .[2]

وها نحن نقدم نص كتاب الوقف المتعلق بالقرية المذكورة وحدودها لترى مبلغ الدقة والوضوح فيه :

١) انظر الدرر الكامنة (ط حيدر آباد الدكن ١٣٦٩ هـ) ٢ : ١٠٨ — والبداية والنهاية ١٤ : ٤٤

٢) مختصر التنبيه للملوي ص ١٧٦

١) « بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما وقفه وحبّسه وسبّله وأبّده وحرّمه وتصدّق به الشيخ
٢) السيّد الجليل القدوة العارف المحقق الناسك الزاهد العابد الورع سيف الدين فخر
٣) الزهاد كهف العبّاد قدوة العارفين الرُجيحي بن الشيخ السيد القدوة العارف المحقق
٤) الناسك الزاهد العابد سابق بن هلال بن الشيخ السيد الجليل الزاهد العابد العارف
المحقق القدوة يونس نفع الله ببركتهم ورحم
٥) سلفه . في صحة عقله وبدنه وجواز أمره تقرباً الى ربه عزّ وجلّ وتقديماً بين يديه
للقاء خالقه الكريم ويوم معاده وطلباً
٦) لثواب الله تعالى « والله عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ » .
وقف وحبّس وسبّل وأبّد وحرّم وتصدّق جميع الضيعة
٧) الخراجية وأراضيها التي لهذا الوقف المحبّس المذكور وملكه وحوزه وفي يده
وتصرفه إلى حين هذا الوقف المذكور وهي
٨) من جملة الضياع بالغوطة من كورة دمشق وتعرف بسُبَيْنَة الشرقية وتشتمل على
٩) أراضي متصل ومعطّل وأقاحي وأداني ومروج وبيّر وبيادر ودمنة برسم سكنى
فلاحيها ولها قناة خاصة بها برسم سقي ما يحكم ماؤها عليه من
١٠) أراضيها ، مستمرة دائمة منبعها في ارض قرية داريا بحق واجب إلى ان تصل الى
هذه الضيعة المذكورة في قناتها
١١) الخاصة بها . وخراجها بكمالها في كل سنة من السنين مبلغ معلوم عند الواقف المذكور
عرفه معرفة تامة تشهد به
١٢) الجرائد القديمة .
حد جميع هذه الضيعة المعروفة بسُبَيْنَة الشرقية المذكورة بكمالها من القبلة
١٣) اراضي دير سه[1] يفصل بينها القناة الدائرة يومئذ . ومن الشرق أراضي قرية البويضا
يفصل بينها قناة البويضا
١٤) وتمام الحد اراضي قرية دير بشر . ومن الشرق يحد هذه الضيعة المذكورة اراضي
الريحانية
١٥) يفصل بينها نهر كنف (؟) يعرف بالكمالي . ومن الشآم أراضي تعرف بالكمال
بن الياسي يفصل بينها الجوسق الدائر يومئذ
١٦) وتمام الحد المذكور من شآمه اراضي من القطائع يفصل بينها نهر يسقي اراضي القطائع .
ومن الغرب اراضي الميدانية يفصل
١٧) بينها النهر الذي هو من حقوق قرية سبينة المذكورة ومنقاها وتمام الحد المذكور
من غربه اراضي سبينة الغربية
١٨) يفصل بينها النهر الذي هو من حقوق سبينة الشرقية المذكورة ويأخذ الحد مقبلاً
الى اراضي دير سه المذكورة .

---

١) كذا في الاصل بدون نقط . وقد قرأها الاستاذ حبيب الزيات « يتة »

١٩) ومن جملة حقوق هذه الضيعة المعروفة بسبينة الشرقية جميع القطعة الارض التي هي داخلة في
٢٠) هذا الوقف وتعرف بقطعة سبينة المذكورة . حدها من القبلة الحورة ومن الشرق
يدر دبر بشر ومن الشآم
٢١) والغرب ارض سبينة الشرقية بجميع حقوق ما ذكر وسُمّي ووصف واشتملت عليه
الحدود المذكورة وطرق
٢٢) ذلك ومراقنه واراضيه ومزارعه ودمنته وقناته الخاصة به وما يختص بذالك من الماء
والمجاري وبكل حق هو لذالك
٢٣) داخل فيه وخارج عنه معروف به ومنسوب اليه من الحقوق الواجبة لجميعه خلا ما
في هذه الضيعة المحدودة
٢٤) فيه من مسجد لله تعالى وطريق المسلمين ومقبرة برسمهم ، فإن ذلك خارج عن
الوقف المذكور وغير داخل فيه وذلك جميعه معروف
٢٥) عند الواقف المسمّى المعرفة التامة ، وقفاً صحيحاً شرعياً تاماً مؤبداً وحبساً لوجه الله
تعالى عزماً سرمداً
٢٦) خلداً وصدقة مسبلة وتحبيساً دائماً لا يباع أصل ذلك ولا شيء منه ولا يوهب ولا
يورث ولا يملك ولا يستملك ولا يتناقل به
٢٧) ولا بشيء منه ولا يُنتقض عنه ولا يتلف بوجه تلف ولا يخرج الى ملك احد من سائر
الناس اجمعين بل كلما مرّ بهذه الصدقة زمن
٢٨) اكدها وكلما اتى عليها عصر واوان اطدها وسددها فهي محرمة بحرمات الله تعالى
مدفوع عنها بقوة الله متبع فيها مرضاة الله
٢٩) لا يحل لأحد يؤمن بالله العظيم واليوم الآخر ويعلم أنه إلى ربه الكريم صائر نقض هذه
الصدقة ولا تبديلها ولا إفسادها ولا
٣٠) تعطيلها ولا الاحادة بها عن وجوهها وشروطها التي تذكر في هذا الكتاب . انشاء
الواقف الشيخ السيد سيف الدين المسمّى فيه . »

(كتاب وقف الرجيحي – مخطوط)
(عند الاستاذ السفرجلاني)

فتبين لنا من هذا النص حدود القرية تماماً ، وهذا التحديد واضح لا سبيل للتأويل والتوهم فيه ، كما يجري في تحديد بعض المؤرخين او الطبوغرافيين .

والحد القبلي ، هو اراضي دير بنة ، وقد دثر هذا الدير ، وضاع اسمه . وقد سألت فلاحي المكان عنه فلم يعرفه احد . والمؤكد ان اراضيه قد انضمت الى اراضي قرية ثانية من القرى المجاورة . وقد افادنا هذا النص وجود هذا الدير في تلك الاماكن .

اما الحد الشرقي فقرية البويضا . وهي قرية في جنوب حجيرة وهي مشهورة . وتمام الحد قرية دير بشر . وقد دثرت هذه القرية ، كما دثر الدير ، وبقي اسماهما ، فالاراضي الممتدة في شرق سبينة الشرقية وجنوبها ما تزال تعرف حتى يومنا بأراضي دير بشر . ويتناقل اهل سبينة والبويضا هذا الاسم ، ويرددونه .

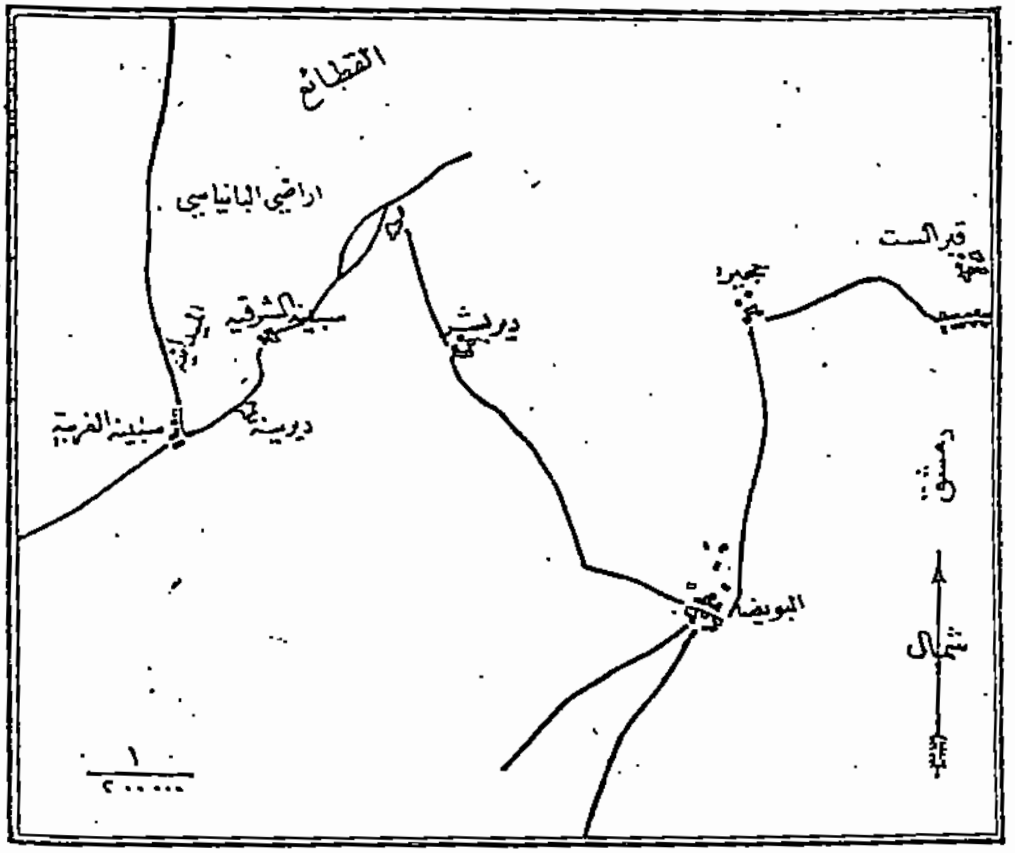

فيتضح لنا ان دير بشر كان إذن في شرق قرية سبينة الشرقية وغرب قرية حجيرة ، وجنوب قرية الريحانية .

ويلفت النظر في الحد الشآمي ، اي الشمالي ، اراضي القطائع . والقطائع كانت جنوب الشاغور خارج سور دمشق من القبلة . ويبدو انها اصبحت فيما

بعد اراضي القدم . لاننا وجدنا نصاً آخر يحدّد قرية سبينة يشير الى ذلك . وها هوذا :

بسم الله الرحمن الرحمن .

هذا نقل سجل مبارك بايراد وقف جدنا المرحوم الشيخ سيف الدين الرجيحي . وهو كامل قرية سبينة الصغيرة من جملة ضياع الغوطة من كورة دمشق . حد جميع هذه الضيعة المشتملة على احدى عشر فدانا رومانى ، من القبلة أراضي دير بشر ، ومن الشرق أراضي الريحانية ومن الشآم أراضي القدم الشريف ومن الغرب اراضي قرية سبينة الكبيرة ... وتاريخ الوقف المذكور في التاسع من شوال سنة تسعين وستماية من الهجرة . »

(مختصر أوقاف الاجداد التي تحت توليتنا)
(ورقة ٤ ب . مخطوط)

اما اراضي الميدانية المذكورة في النص الاول ، فلا تعرف اليوم ومن المحتمل ان تكون ألحقت بأراضي سبينة الغربية .

٦

تربة العالمة أمة اللطيف

بنت الناصح الحنبلي

تقع في الصالحية ، تجاه خان السبيل[1] ، غربي تربة كجكن[2].

لم يعرف سوقاجه[3] نسبتها . ووردت في قائمة الآثار المسجلة بدمشق التي اصدرتها مديرية الآثار باسم تربة مجهولة . وزعم ناس انها المدرسة اليغمورية . .

والصحيح انها تربة العالمة أمة اللطيف بنت الناصح الحنبلي انشأتها سنة ٦٤٠ هـ = ١٢٤٢ م ، وتوفيت سنة ٦٥٣ هـ = ١٢٥٢ م .

يدل على ذلك الكتابة الموجودة فوق شباك التربة من ناحيتها الجنوبية ، على ارتفاع كبير يزيد على ستة امتار

وقد قرأنا هذه الكتابة مرتين . وفي المرة الثانية كنا بصحبة الاستاذ محمد دهمان . ولم تنشر هذه الكتابة من قبل .

١) بسم الله الرحمن الرحيم . أنشأت هذه التربة المباركة التي في خلف جبل قاسيون جوار دار الحديث المعروفة قديماً بزاوية الشيخ عبدالله اليوني بانيها ، ويومئذ بدار
٢) الحديث النبوي الفقيرة إلى رحمة ربها عز وجل امة اللطيف بنت الشيخ الفقيه الامام العالم الاوحد ناصح الدين عبد الرحمن بن نجم بن عبد الوهاب
٣) الحنبلي الانصاري قدس الله روحه ونور ضريحه . آنسها الله عز وجل في قبرها عند وحشتها بشهادة أن لا إله إلا الله وان محمدا
٤) عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم . فانها صنفت كتباً منها كتاب التمهيد في شهادة التوحيد في قول لا إله الا الله . وكتاب بر الوالدين . وكتاب محبة
٥) الله ورسوله صلى الله عليه وسلم توجوا بها النجاة والرحمة يوم القيامة إن شاء الله . وقد اوقفت على هذه التربة رسم القراء على ضريحها وخادم يتولى

---

١) عن خانات دمشق ، انظر : كتاب الاعلانات على معرفة الخانات لابن عبد الهادي . نشر في المزانة الشرقية ٣ : ٤٩

٢) سننشر كلمة عن هذه التربة قريباً .

٣) Sauvaget, *Monuments Historiques de Damas*, p. 100

١٦ خدمة القبر ، وزيت وشمع وبخور . بستان صدقة وقاعة بدمشق بما نص عليه[ه] كتاب الوقف وذلك في شهر [ر]ج[ب] اربعين وستماية .

المقاييس : طول الحجر ١٦٣ سم ، عرضه ٣٩
طول السطر ١٠٧ سم ، عرضه ٥ سم .
الحروف صغار . نسخي .

وأمة اللطيف هذه هي إحدى النساء العالمات . كان ابوها من كبار مشايخ الحنابلة أوقفت المدرسة العالمة ودار الحديث ، تحت الجامع الأقرم . وارشدت ربيعة خاتون — أخت صلاح الدين (— ٥٨٩ هـ) وست الشام (— ٦١٦ هـ) ، والملك العادل (— ٦١٥) — الى وقف المدرسة الصاحبة على الحنابلة . وكان لها تآليف ، كما تشير الكتابة الى ذلك . وقد تزوجها الملك الاشرف صاحب حمص . ثم توفيت سنة ٦٥٣ هـ ووجد لها بعد موتها ذخائر وجواهر .[1]

وهذه الكتابة التي قدمنا نصها ذات شأن ، لانها بينت لنا نسبة هذه التربة . ودلتنا على ان الى جانب التربة كانت دار حديث عرفت قديماً بزاوية الشيخ اليونيني او اليوني . ولم تشر المصادر — كالتنبيه ومختصره — الى ذلك . كما عرفنا منها اسماء تآليف الشيخة العالمة .

وبقي من التربة اليوم قبة ضخمة رائعة . في داخلها زخارف من الجص . وبقايا نوافذ ذات زجاج ملون . والى جانبها دار للسكنى .

وقد اجرت مصلحة الآثار ترميمها وإصلاحها عام ١٩٤٥ م ، في النصف الثاني منه . وكنت يومئذ مديراً لمصلحة الاثار بالوكالة .

---

١) انظر مختصر التنبيه للملوي (تحقيق صلاح الدين المنجد) ص . ١٣١ — و Sauvaire, *Description* (*J. As.* Novembre-Décembre 1894), p. 477

٧

دور البطيخ بدمشق

أطلق اسم دار البطيخ على المكان الذي يباع فيه البطيخ ، بادئ الامر . ثم توسعوا فيما يُباع فيه ، فأصبح المكان الذي تباع فيه الفواكه عامة .

وقد كانوا يسمّون هذه الاماكن باسم ضرب من ضروب الثمار . ففي دمشق كانت دار البطيخ ، وكان في بغداد مثلها[1] وأما في القاهرة فكانت دار التفاح.[2]

وقد تكلم الاستاذ حبيب الزيات على دور البطيخ بدمشق ، فلم يستطع تحديد مواقعها .[3]

أقدم دار بطيخ كانت بدمشق هي « دار البطيخ العتيقة » وقد ورد ذكرها في تاريخ ابن عساكر عند كلامه على الاقنية . فقد ذكر أن « قناة الثلاج عند باب دار البطيخ »[4] . ويمكن معرفة مكان هذه الدار من مكان القناة ، — ويُقصد بالقناة السبيل — فما يزال حتى أيامنا زقاق يسمى زقاق الثلاج — هو درب الثلاج القديم — يؤدي إلى حي اليهود من الشارع المستقيم ، مقابل كنيسة مريم . وكان في رأس هذا الزقاق سبيل ، أي قناة ، هُدم عند توسيع الطريق في تشرين الثاني عام ١٩٤٥ . وقد ظهرت في الاسبار التي أُجريت تحت هذا السبيل القنى الفخارية القديمة التي توصل الماء إليه . كما ظهرت لصيقه تماماً قنطرة رومانية ضخمة مسدودة ، كانت تتخذ ظهراً للسبيل . وكذلك ظهر مبدأ قنطرة شمالية صغيرة متصلة بالقنطرة الضخمة .

فيستنتج أن مكان دار البطيخ العتيقة هذه ، عند هذه القناة وعند القنطرة . وهذه القنطرة التي كُشفت هي ، ولا شك ، القنطرة القديمة التي ذكرها

١) ياقوت : معجم البلدان ٣ : ٥١٧

٢) المقريزي : السلوك ج ١ ، ق ١ ، ص ١٨٤

٣) الزيات : دور البطيخ ببغداد ودمشق في عهد العباسيين . (المشرق ٢٧ [١٩٢٩] ٧٦١ — ٧٦٥)

٤) ابن عساكر ، تاريخ دمشق (مخطوطة الظاهرية ، مجلد رقم ١) ورقة ١٧٧ ب

ابن شاكر وقال إنها إحدى قناطر ثلاث ، وإنها الوسطى التي سُدّت ، والتي فيها قناة الثلاج .[1]

القنطرة الرومانية

١) عيون التواريخ لابن شاكر نقلا عن سوفير
Sauvaite, *Description de Damas*, dans *J. As.* Mai-Juin 1896, p 376.
وهذا هو النص كما ترجمه سوفير :
« Ce qui prouve l'exactitude de ce qu'a dit (folio 43 r°) le *hafez* eben asâker, c'est l'existence des trois arcades (*qanater*) qui se trouvent en face de la rue du Valet de Chambre *(darb al farrâsh)* ; c'étaient les trois marchés. L'arcade du milieu fut bouchée tout d'une fois : elle renferme le canal connu sous le nom de Canal du Marchand de neige (*qanât et-taliaj*)

وقد ذكر ياقوت قنطرة اسمها قنطرة دار البطيخ[1] . ومن المحتمل أن تكون هذه القنطرة هي قنطرة دار البطيخ ، لوقوعها عند هذه الدار .

وقد ذهب الاستاذ الزيات الى أن موقع دار البطيخ تغير بتغير الدول وكثرة ما توالى على المدينة من الحريق والخراب والهدم والبناء[2] والاقرب أن تغير موقعها كان ضرورة اجتماعية قضى بها إنشاء القلعة في القرن السابع . فقد أصبح مكان دار البطيخ الجديدة تحت القلعة نظرًا لشأن هذا الموقع .[3]

ونستطيع تحديد موقعها على الدقة من نص ورد عند أبي شامة . وقد ذكر عند كلامه على معين الدين أُنُر صاحب دمشق «أن قبره في قبته بقابر العوينة شمالي دار البطيخ الآن .»[4]

وقد كشفنا قبة معين الدين هذه في عام ١٩٤٦ ، وهي لصيق المدرسة الشامية البرانية من الجنوب .

فيكون موقع دار البطيخ هذه ، في جنوب هذه القبة .

وما يزال يُطلق في أيامنا ، على ساحة كبرى ، في المكان الذي حددنا ، اسم خان البطيخ . ولا نشك أن هنا كانت دار البطيخ .

وقد حددنا موقع هاتين الدارين في مخطط دمشق القديمة

---

١) ياقوت معجم البلدان ٢ : ٥٨٦

٢) الزيات ، دور البطيخ في « المشرق » المذكور ص ٧٦٤

٣) انظر : Sauvaget, *Decrets Mamelouks*, p 34

٤) ابو شامة : الروضتين ١ : ٦٤

٨

بين السورين بدمشق

كنا ذهبنا في كتابنا دمشق القديمة الى أن سور دمشق لم يكن مزدوجاً من ناحية باب الجابية والباب الصغير . ثم عثرنا على نصوص تخالف ما ذهبنا إليه نعرضها هنا .

فالمعروف أن سور دمشق قد قام في أيام نور الدين ، وأيام الأيوبيين ، وأنه لا ينطبق مع سور المدينة الروماني القديم إلا في طرفه الشمالي ، الواقع على طرف نهر عقربا ، من باب السلامة الى الزاوية الشمالية الشرقية منه (برج الصالح أيوب) . وينطبق معه في قسم من طرفه الشرقي عند الباب .

ولم يطرأ على السور تعديل في تخطيطه بعد نور الدين إلا في طرفه القائم بين باب الفرج وباب الفراديس . فقد دُفع السور نحو ضفة بردى في النصف الاول من القرن الثالث عشر . وأُبقي الجدار الاول الذي كان عليه من قبل والذي قام على الاساس الروماني القديم : وهذا يستدل من وجود أبواب داخلية وخارجية ، وزقاق يمتد بين هذين البابين ، بين المناخلية والعمارة الجوانية يسمّى « زقاق بين السورين »[1]

هذا الزقاق هو المعروف في أيامنا ، وهو المشهور .

إلا أنه كان في الناحية الجنوبية خط آخر يسمّى بين السورين أيضاً . فالإربلي ، يحدد موضع حمام القرماني بما يلي :

« بين السورين ، بباب الجابية »[2]

وابن الجزري ، يحدثنا أنه « وُلد داخل خط القصّاعين بين السورين بدمشق »[3]

---

١) انظر دمشق القديمة ، ص ١٤ ، و *M.H.D* ، لسوفاجه

٢) الاربلي ، مدارس دمشق . . . ص ٢٤

٣) طبقات القراء ٢ : ٢٤٧

والقصّاعين هي جنوب الخيضرية (الخضيرية اليوم) ، أي بين باب الجابية والباب الصغير .[1]

فيستدلّ من هذين النصّين أنه كان مكان آخر ، بين باب الجابية والباب الصغير ، اسمه بين السورين .

۞

وقد عثرنا على نص يذكر أن الملك العادل الايوبي ، قد بنى فصيلًا أمام سور المدينة . فقد ذكر المقريزي ما يلي :

«وفي سنة ٥٩٩ هـ ، شرع العادل في بناء فصيل دائر على سور دمشق بالحجر والجير . وفي تعميق الخندق وإجراء الماء اليه .»[2]

والفصيل حائط دون سور البلد[3] يكون بمنزلة خط الدفاع الاول كأنه سور صغير ، أو ولد له بالنسبة لسور المدينة العظيم[4] . ويبدو أن المحالّ التي كانت بين السور والفصيل ، كان يطلق عليها بين السورين .

---

١) دور القرآن بدمشق ، ص ٧٣

٢) السلوك ج ١ ، ق ١ ، ص ١٦١

٣) انظر محيط المحيط

٤) مدارس دمشق للاربلي ص ٢٤ ، حاشية الاستاذ دهمان رقم ٦

٩

الورّاقات بدمشق

الورّاقة المكان الذي كان يُصنع فيه الورق .

وقد ورد في النصوص القديمة ذكر ثلاث وراقات كانت بدمشق وكلها خارج الاسوار .

١ — الورّاقة القديمة :

جاء في تاريخ ابن عساكر عند ذكره المساجد الكائنة في شمال المدينة خارج باب السلامة ما يلي :

« مسجد عند عين كُشْتِكين والورّاقة القديمة »[1]

فيتضح أن هذه الورّاقة القديمة كانت خارج باب السلامة، عند عين كشتكين وتقع هذه العين ، في زقاق يسمى اليوم « زقاق العين » . وهو زقاق على يمين الخارج من باب السلامة ، الذاهب شمالاً نحو مسجد القصب . وقد زرتها بنفسي . فوجدت رحبة ينشر فيها الفرّاؤن جلود الابقار والاغنام ، فاذا اتجهت منها شرقاً وجدت الزقاق الذي ذكرناه . وهو زقاق ضيق متعرّج ينتهي بطاحون تسمّى طاحون العين . وقبيل الطاحون ، على اليمين ، عين ينزل اليها بدرج ، ما تزال فائضة ، هي اليوم عين الوراقة او عين كشتكين قديماً . وفي جنوب هذا الزقاق يجري نهر القنوات .

وقد حددنا موقع العين والطاحون في مخطط دمشق القديمة

وقد ورد ذكر هذه الورّاقة في كتابة قديمة توجد على عتبة باب المدرسة النورية الكبرى بدمشق . وهاك ما جاء : « ... والحمّامين المستجدين بالورّاقة خارج باب السلامة والدار المجاورة لها . »[2]

٢ — ورّاقة المونية

ورد ذكر هذه الورّاقة في الكتابة التي مرّ ذكرها ، الموجودة على عتبة

١) ابن عساكر ، تاريخ دمشق مخطوطة الظاهرية ، ورقة ١٦٤ ب : مجلد ٥ . وانظر : ابن عبد الهادي ، مثار المقاصد ص ١١٢ . وقد ورد فيها « كشلين » وهو خطأ .

٢) Répertoire, IX, N° 3293

باب المدرسة النورية . فقد ورد في جملة ما أوقف على المدرسة : « والوراقة بعرينة الحمى »[1]

وقد ورد ذكر عرينة الحمى في نصوص كثيرة قديمة . وهي البقعة التي فيها المدرسة الشامية البرانية ، شمال دار البطيخ القديمة . وقد حددنا موقعها في مخطط دمشق . وفي هذه البقعة عين تسمّى اليوم عين علي . لعلها هي العُرَيْنَة .

وهاتان الورّاقتان كانتا في القرن السادس ، أيام نور الدين ، لان الكتابة التي تشير اليها مؤرخة بتاريخ سنة سبع وستين وخمسماية .

٣- ثم نجد ذكر ورّاقة ثالثة، هي الورّاقة التي تحت المدرسة العزية البرانية

فقد ذكر ابن كثير أن الامير عزالدين أيبك المتوفى سنة ٦٤٥ ﻫ استاذ دار المعظم ، وواقف العزيتين البرانية والجوانية توفي ودفن بباب النصر بمصر، ثم نُقل الى تربته « فوق الورّاقة »[2]

ثم ذكر في حوادث سنة ٦٥٤ ﻫ أن الامير مظفر الدين ابراهيم ابن الامير عزالدين أيبك دفن عند والده بالتربة ، « عند الورّاقة »[3]

وحدّد النعيمي مكان الزاوية اليونسية فقال « بالشرف الشمالي، غربي الوراقة والمدرسة العزية »[4]

فيتضح أن هذه الوراقة كانت تحت المدرسة العزّية ، على الشرف الشمالي .

وكان عندها عين تسمّى عين الورّاقة حدد موضعها الاستاذ دهمان في مخطط الصالحية .

ولم يبقَ من المدرسة العزّية اليوم غير التربة . أما تحت التربة فرآئب للسيارات ، ثم شارع الملك فاروق (مبدأ طريق بيروت) ثم نهر بردى .

ونلاحظ أن هذه الورّاقات كانت في أماكن فيها عيون أو انهار . فالاولى تقع عند عين كمشتكين ، ونهر القربانى ، والثانية عند عين هي اليوم عين علي ، والثالثة عند عين الورّاقة ونهر بردى . وذلك لاحتياجهم الى الماء الكثير في صنع الورق .

١) المصدر السابق. ibid

٢) ابن كثير : البداية والنهاية ١٣ : ١٧٤

٣) المصدر السابق ١٣ : ١٩٥

٤) تنبيه الطالب : الزاوية اليونسية .

١٠

دور الطُعم بدمشق

الطُعم بالضم الطعام . ودور الطُعم ، دور الاطعمة .

وهي أمكنة خاصة تباع فيها صنوف الاطعمة كما يشير اسمها . وقد رجح بعضهم[1] أنه كان يجمع فيها الحبوب الخاصة بالدولة .

ولم يستطع سوفاجه أن يهتدي الى تعريف هذه الدار . وخبط في تخيل معناها . وذهب الى أن دار الطعم في المحال الصغيرة قد تقابل سوق البطيخ وسوق الخضر في المدن الكبيرة ، واستدرك أن دمشق كانت لها دار طعم ، وكان لها دار بطيخ ودار خضر .[2]

ورجح أن تكون دار الطعم تابعة للدولة . وأنه كانت تجمع فيها ، بادئ الامر ، الاطعمة والحبوب لارباب الدولة وللجند ، أي لاصحاب الجامكيات . لان دور الطعم التي كانت بدمشق ، كانت في أبنية تخص السلاطين ومن بنائهم ، كما سنرى ، بعكس دور البطيخ أو دور الخضر .

وقد وجدنا في النصوص القديمة ذكر ثلاث دور للطعم .

١ — دار الطعم العتيقة

يقول ابن كثير في حوادث سنة ٦١٣ هـ . « وشرع فيها بتجديد خندق باب السر ، المقابل لدار الطعم العتيقة ، الى جانب بانياس ، وهي التي يُقال لها اصطبل السلطان . »[3]

فنستنتج من هذا النص ما يلي :

آ — كانت دار الطعم العتيقة هذه خارج سور المدينة من ناحية الغرب

ب — وكانت تقابل باب السر في القلعة ، أي بابها الغربي ، الذي يدخل منه في أيامنا من سوق الخوجا . وقد قام هذا السوق مكان

---

١) عبد دهمان ، في مدارس دمشق للاربلي ، ص ١٧ حاشية رقم ٢

٢) Sauvaget, *Décrets Mamelouks de Syrie*, p. 25

٣) ابن كثير ، البداية والنهاية ١٣ : ٧١

خندق القلعة الغربي .

فيكون موقع دار الطعم هذه إذن مقابل باب القلعة الغربي ، في شرق دائرة الاوقاف في ايامنا وجنوب تربة أرغون شاه — أي جامع الحدرة — الذي يسمى اليوم جامع السنجقدار .

ويلاحظ أنها كانت تسمى أيام ابن كثير اصطبل السلطان .

٢ — خان الطعم

وقد ظلت دار الطعم العتيقة في مكانها هذا زمناً ، حتى جاء الملك الناصر يوسف بن العزيز محمد بن غازي .

يقول ابن كثير : « وبنى (سنة ٦٥٩) الخان تجاه الزنجاري وحولت اليه دار الطعم ، وقد كانت قبل غربي القلعة في اصطبل السلطان اليوم . »[1]

ويقصد بالزنجاري مدرسة الزنجاري خارج باب السلامة ، في محلة السبعة الانابيب القديمة ، شرق مسجد القصب . وما يزال هناك قبر يسمى قبر الزنجاري يدل على مكان المدرسة .

وقد كانت تسمى هذه الدار الجديدة خان الطعم . فقد ذكر الاربلي ، عند تحديده مكان مسجد الزنجاري ما يلي :

«بباب توما ، مجاور خان الطعم »[2]

٣ — دار الطعم بالصالحية

لا نعلم مكان هذه الدار على الدقة ، ومن المحتمل ان تكون بقرب جامع الحنابلة والنصوص التي بين أيدينا لا تسمح بمعرفة من بناها . وإنما نعلم أنه كان بالصالحية دار طعم ذكرها المرسوم المماليكي المؤرخ بتأريخ سنة سبع واربعين وثمانماية ، الموجود على شباك جامع الحنابلة الغربي . فقد ورد فيه ما يلي :

١ — الحمد لله . لما كان بتأريخ ثاني عشرين صفر سنة سبع وأربعين وثمان مائة

٢ — ورد المرسوم الشريف السلطاني الملكي الظاهري جقمق كان الله له

---

١) ابن كثير ، البداية ١٣ : ٢٤١

٢) مدارس دمشق وربطها ... ص ١٧

٣ - بابطال موجب ما يباع بدار الطعم بصالحية دمشق لجاري ذلك في
٤ - معلوم ناظر الجيوش المنصورة وغيره واشعر[1] أن ما يباع بها مبا
٥ - حا (كذا) منير[2] مكس وان ينقش ذلك برخامة توضع باب (كذا) دار الطعم بمقتضى
٦ - القصة المرفوعة عن الجناب العالي القاضوي البهائي
٧ - ابن حجّي ناظر الجيوش المنصورة بالممالك الاسلامية
٨ - أحسن الله إليه والحمد لله على كل حال .[3]

وكنا نقلنا هذا المرسوم في عام ١٩٤٦ ، وتأكدنا من قراءته مرّة ثانية في ايلول من عام ١٩٤٨ .

١) قرأها سوفاجة « اسف » وترجمها بكلمة Il déplorait ، ولا معنى لهذه القراءة . والاصوب ما اثبتنا . يقال أشعره الامر وبه أعلمه .
٢) قرأها سوفاجه « ينفشه » ولا معنى لها . وصوابه ما أثبتنا . وهو ما يوافق سياق المرسوم .
٣) انظر : Sauvaget, *Décrets* ... p. 24 et pl. IV

١١

مقابر دمشق

المقبرة هي المكان العام المعدّ لدفن الناس جميعاً . والتربة هي المكان الخاص المعدّ لدفن رجل واحد او اسرة واحدة . ومن مجموع التربة والقبور تكون المقبرة . وقد تسمّى المقبرة جبّانة . واهل دمشق اليوم يسمّون المقبرة تربة وقد سمّاها النزي كذلك في القرن الحادي عشر[1] .

وقد كان الملوك والامراء والقضاة والعلماء وكبار التجار يبنون لانفسهم تربةً في حياتهم ، أو تبنى لهم بعد مماتهم . ولا يُشترط أن تكون هذه التربة في المقابر؛ فقد تكون، داخل البلد أو خارجها ، منفردة . وقد سرد النعيمي، ومن بعده العلوي، أسماء كثير من هذه التربة . وقد تهدم بعضها، ودثر بعضها، واغتُصب بعض منها ، كتربة بهادر آص.

وقد جرت العادة ، بادئ الامر ، أن تكون المقابر خارج الاسوار . فكان أمام كل باب من ابواب المدينة مقبرة .

مقابر الجهة الجنوبية

فمن جنوب المدينة ، كانت مقابر مختلفة .

١ — مقبرة الباب الصغير . سميت باسم الباب الصغير لأنها تقابله وهي أكبر مقابر دمشق وأشهرها . ودفن فيها نفر غير قليل من العلماء والأئمة ، في الايام الخالية والحاضرة .

٢ — مقبرة محلّة القروانة . وقد ذكرها البدري[2] . ولا توجد في أيامنا .

٣ — مقابر باب كيسان . وكانت تقابل باب كيسان . وهذا الباب أصبح الان داخل كنيسة القديس بولس . وقد دثرت هذه المقبرة في أيامنا .

١) النزي ، لطف السحر وقطف الثمر (مخطوطة الظاهرية ، ٤١ تاريخ) ورقة ١٧٠ آ ترجمة محمد الحمصي

٢) البدري ، نزهة الأنام ، (القاهرة ١٣٦١) ص ٢٧٥

وأصبحت في جنوب هذا الباب مقابر النصارى على اختلاف طوائفهم ، ومقابر اليهود . ومقابر اليهود هذه قديمة جداً .

مقابر الجهة الشرقية

وفي شرق المدينة كانت :

٤ — مقابر الباب الشرقي . ولم يبق منها اليوم شيء . وقامت مقامها اليوم دور ورحبة لاصلاح سيارات الجيش وصنع بعض الأسلحة والقذائف وكذلك بقيت منها تربة أبي بن كعب . وقد كان وراء هذه التربة قبور كثيرة ، دثرتها دائرة الاوقاف منذ سنوات . وقد رأيت قطعاً من شواهد القبور مكسّرة مبعثرة .

٥ — مقبرة باب توما . وهي في شرق الباب . وما تزال . وكانت اول مقبرة المسلمين بدمشق[1] . والناس يدفنون فيها . وقد أحيطت في أيامنا بسور يحفظها . وهي على كتف الطريق الذي فتح أخيراً ليدور حول المدينة كلها . وفي هذه المقبرة مسجد خالد بن الوليد ومسجد الشيخ ارسلان الدمشقي ، وتربة ، لعلها تربة بدرالدين حسن ، من زمن المرستان ، وقد رممتها مديرية الآثار في العام ١٩٤٦ والعام ١٩٤٧ .

مقابر الجهة الشمالية

٦ — مقبرة بيت لهيا . ذكرها بري[2] . وهي تقابل باب توما من الشمال الشرقي . ومكانها اليوم — أي بيت لهيا — مكان المستشفى الانكليزي وما يحيط به .

٧ — مقبرة العنابة . وقد ذكر هذه المقبرة الغزي والعنابة تقع في الشمال الشرقي من باب السلامة . وتسمى في أيامنا أرض العنابة . وهواؤها مشهور بالجودة .

٨ — مقابر باب الفراديس . وهي أكبر مقابر الجهة الشمالية وأشهرها .

---

١) تهذيب ابن عساكر ١ : ٢٦٤

٢) نزهة الأنام ص ٢٧٨

وتقع في مرج أبي الدحداح . وما تزال في أيامنا . وأصبح يمر من جوانبها الثلاثة ، الشرقي والغربي والشمالي ، طرق واسعة . والشمالي ، هو شارع بغداد وتسمى اليوم مقبرة الدحداح وبينها وبين باب الفراديس المقبية .

أما باب الفرج فلم يكن له مقبرة تسمّى باسمه . وإنما كانوا يُخرجون منه الجنائز التي كانت يُدفن أصحابها في الصالحية وسفح قاسيون

مقابر الجهة الغربية

٩ — مقابر الصوفية ، في المُنَيبع . وكانت تقابل باب النصر وهي ذات شهرة . وقد دُفن فيها كثير من الاعلام . وقامت مقامها اليوم الجامعة السورية ، وأبنية من أبنية الجيش والمستشفى . وقد دُثرت هذه المقبرة ، ما خلا قبور حوفظ عليها ، منها في المستشفى قبر ابن تيمية .

مقابر أخرى

تلك هي المقابر الكبرى التي كانت تحيط بدمشق . وقد عثرنا في النصوص القديمة على ذكر مقابر أخرى . هي :

١٠ — مقبرة ابن زويزان . أوقفها الرئيس خليل بن زويزان ، قبلي مقابر الصوفية [1] . ولعلها هي التي يسميها البدري [2] مقابر القنوات وباب الصريحة .

١١ — مقبرة القنيبات [3] . والقنيبات هي الميدان الفوقاني في أيامنا .

١٢ — مقبرة الحزرية بالشويكة [4] . دفن فيها النُعيمي

١٣ — مقبرة الدقاقين بالقرب من مسجد طالع بحارة قبر عاتكة [5]

١٤ — مقبرة غربي جامع برسباي بمحلة سوق صاروجا [6] دثرت ونقل رفات الموتى منها بهمة دائرة الاوقاف . وأصبح مكانها اليوم مملاً للبلاط وغيره .

---

١) ابو شامة ، ذيل الروضتين ص ١٥٢

٢) البدري ، نزهة الأنام ص ٢٧٩

٣) الكواكب السائرة ١ : ١٩٢

٤) المصدر السابق ١ : ٢٥٠

٥) المصدر السابق (مخطوطة الظاهرية ٤١ تاريخ) ورقة ١٥٦ آ .

٦) المصدر السابق ١ : ٢٧٩

١٥ — مقبرة النخلة ، غربي المدرسة الشامية وسوق صاروجا[1] .

١٦ — مقبرة الجورة بالميدان ، وتسمّى مقبرة المزرعة أيضاً بالقرب من ميدان الحصا .[2]

١٧ — مقبرة الغرباء شرقي الفراديس[3]

قبر معاوية بن ابي سفيان في مقابر الباب الصغير

١) المصدر السابق ١ : ٢٦٦

٢) المصدر السابق ١ : ٢٢٧

٣) لطف السحر للنزي ذيل الكواكب السائره (مخطوطة الظاهرية ، ٤١ تاريخ) ورقة ٢١٢ ب

١٢

قبر معاوية بن أبي سفيان

أصبح من الثابت أن معاوية بن أبي سفيان دُفن بمقبرة الباب الصغير بدمشق وأن القبر الذي ينسب إليه فيها هو قبره ، وذلك بعد أن عثر على شاهد يدل على قبر نصر المقدسي الذي تذكر المصادر الموثوقة أنه دفن في جوار قبر معاوية .[1]

ويبدو أن موضع هذا القبر كان مثار جدل في الأعصر الخالية . وقد عثرنا على وصف مجلس عقد في القرن الحادي عشر ، عند عثمان باشا نائب الشام جرى فيه ذكر قبر معاوية ومكانه . وهو من الجودة بمكان ، لأنه يصف لنا مجالس العلماء عند بعض نواب الشام في القرن الحادي عشر ، ويضيف إلى النصوص المتعلقة بقبر معاوية ، نصاً جديداً . وها هوذا :

✧

قال نجم الدين الغزي : « مما اتفق لنا مع الشيخ شمس الدين الميداني [2] انه ضمّنا مجلس عند عثمان باشا نائب الشام في ليلة النصف من رمضان سنة إحدى عشر بعد الالف . وكان فيه شيخنا شيخ الاسلام شهاب الدين احمد بن يونس العيثاوي[3] والشيخ شمس الدين الميداني ، والشيخ علاء الدين الطرابلسي [4] إمام الحنفية بالجامع الاموي . فتذاكرنا بفضل دمشق وجامعها ؛ حتى ذكر فضل معوية ، رضي الله تعالى عنه ، وأنه مدفون بباب الصغير وقبره معروف يُزار . وكان الذاكر لذلك الشيخ علاء الدين . فقال له الشيخ شمس الدين : هذا المشهور بباب الصغير قبر معوية الصغير لا معوية الكبير . ومعوية الصغير معوية بن يزيد ابن معوية ، وكان (آخر الورقة ١٧٨ ب) رجلاً صالحاً بخلاف ابيه يزيد . فقال له الشيخ علاء الدين : فأين قبر معوية الكبير ؟ قال : في بيت في قبلة الجامع الاموي ، وقبل قبره

---

١) جعفر الحسني ، قبر معاوية بن ابي سفيان ، في مجلة المجمع العلمي العربي المجلد ١٩ سنة ١٩٤٤ ، الجزء التاسع والعاشر ص ٤٣٤ – ٤٤١

٢) محمد بن يوسف الميداني . توفي سنة ١٠٢٢ هـ .

٣) أحمد بن يونس العيثاوي . توفي سنة ١٠٢٥ هـ (ذيل الكواكب السائرة ، مخطوطة الظاهرية ورقة ١٨٧ ب ١٨٩ آ) .

٤) علي بن محمد الطرابلسي . توفي سنة ١٠٢٢ هـ (ذيل الكواكب السائرة ، مخطوطة الظاهرية ورقة ٢٠٤ آ)

غير معروف وأخفي قبره . فعجبنا من الشيخ شمس الدين إذ أتى بما هو خلاف المشهور المستفيض؛ لكني لم اعارضه في المجلس ، وقلتُ : مَنْ حفظ حجة على مَنْ لم يحفظ . ثم راجعت تهذيب الاسماء واللغات للنووي ، رحمه الله تعالى ، فرأيته قال في ترجمة سيدي نصر المقدسي إنه دفن بباب الصغير عند قبر معوية وأبي الدرداء ، رضي الله عنهما . والترضي يدلّ على انه الصحابي . ثم رأيتُ السيوطي ، رحمه الله تعالى ، قال في تاريخ الخلفاء في ترجمة معاوية ، رضي الله عنه ، انه دفن بين باب الجابية وباب الصغير . فكتبتُ الشيخ شمس الدين هذه الابيات :

يا أيها الشيخ الذي أضحى ... لعلم الفقه من احباره وبحاره
جدي إلى الناس العلوم ليهتدوا ... بها اقتفوا فيه على آثاره
لسمتُ منك وقد تكلّم بعضهم ... حيث اجتمعنا قال في تذكاره
باب الصغير به معوية الذي ... صحب النبي وكان من أصهاره
فأفدتَ ليس به بل ابن يزيده ... والجسد مدفون بأوسط داره
فرادنا من فضلكم لتبيّنوا ... من ساق عنه ذاك في أخباره
لتفيد ذلك منكمُ وليطمئن ... القلب عند النقل باستقراره
إذ غير ذلك شايع بين الورى ... ما شك فيه فتى لدى سآره
حتى النواوي الامام رأيتُ في ... تهذيبه رمزًا الى إقراره
وكذلك السبكي في طبقاته ... وكلاهما ثقة على اخباره
إذ ترجما نصر الامام المقدسي ... وبيّنا المشهور من أسراره
أما السيوطي الامام فإنّ في ... تاريخه التصريح في اذكاره
فامنن بإيضاح القضية إنه ... أمر قد احتجنا الى استظهاره
فالعلم ليس حياته إلا بأن ... تتذاكر العلماء في آثاره
واذا تجنب أهله فيه الهوى ... سطع الهدى في القلب من أنواره

وبعثتُ بها اليه فلم يُجب . فطالبته مع الرسول مرارًا بالجواب وهو يسوّف . فقلت للرسول : يجيبُ الشيخ نثرًا ان كان يعسر عليه الجواب شعرًا ! فلم يأتنا منه جواب . ا هـ »

اطف السحر وقطف الثمر ، ذيل الكواكب الثائرة لنجم الدين الغزي . (مخطوطة الظاهرية : تاريخ رقم ٤١) ورقة ١٧٨ ب – ١٧٩ آ . في ترجمة شمس الدين البدراني .

وثائق تاريخية عن حلب

١٧٦١

وفاة الاب كويسه

بقلم الاب فردينان توتل اليسوعي

(تابع)

---

١٥ شباط : قبل البركة والختم يوسف دادور سلطان.

٢٥ ايار : ظهر الطاعون واختبأ القناصل.

١٦ آب : امتنعنا ستة اسابيع عن الجمعيات بسبب الطاعون واختبأ الاباء اليسوعيون الّا الاب فرنسيس كويسه الرئيس وقد خرج في خدمة المطعونين.

١٩ آب : وقع الاب الرئيس[1] في مرض الطاعون وتوفي في الثاني والعشرين

---

١) اليك خلاصة من ترجمة الاب كويسة (Cuisset) اخذا عن تحرير للاب جبرائيل ديزورك رفيقه وخلفه في ارشاد الاخوية – حلب في ٢٢ آب ١٧٦١ : اليوم الساعة الثالثة صباحاً توفي الاب فرديان كويسة في السنة السادسة والخمسين من عمره والحادية والعشرين تقريباً منذ دخوله هذه الرسالة . لازم الفراش في ٢٩ [الصواب ١٩] من الشهر الجاري وفي ٢١ منه ارسل من يلقني بالا اعوده لانه طُعِن . وقد ظهرت ثلاث حبّات في بدنه واخذ يستعد للملاقاة وبه كما هو جدير براهب قضى حياته بالقداسة فاعترف ولم يزل يناجي خالقه بأرق عواطف التقوى الى ان قضى نحبه وهو جالس على كرسيه بالقرب من باب غرفته حيث اقام ليكون قريباً من الذي كان منا يعتني به فطلب منه الحلة الاخيرة قبل وفاته . كان في الحقيقة راهباً قديساً ومرسلاً عظيماً ورئيساً مكملاً تجلت فيه الفضائل من احتشام لم يفارقه قط ووداعة وبشاشة جذابة للقلوب فضلاً عن تلك النيرة الوقادة المتدلة برزانة تامة وقوة عزم نادرة وفطنة علته كيف يتصرف بالظروف الصعبة بين لين وشدة دفعاً للشر الاعظم وقد أبّنوه بعد موته ومدحه الروم والارمن والسريان والموارنة من كهنة وعلمانيين من اغنياء وفقراء ومن اعماله انه اسس ثماني اخويات في حلب وخمسة عشر مركزاً للتعليم المسيحي للصبيان والبنات في هذه المدينة الكبرى (راجع وثائق رباط ونورتبيز ص ٥٨٦ – ٥٨٨).

من آب وصار له دفنة محتفلة جداً وصارت عليه مناحة عظيمة جداً جداً وبكى عليه كل من سمع بموته حتى بعض الهراطقة والغير المؤمنين وندبته النساء. وبعد دفنه خرج اكثر الاخوة يومياً يبكون باكراً على قبره حتى انقضى الاسبوع حسب العادة ثم مضى بعض الاخوة الى الدير وعزّوا ابوينا اليسوعيين الباقيين وهما جبرائيل واسطفان وتشاوروا معهما بخصوص الاخويات فامهلاهم الى ان اتى امر الرئيس العام باقامة الاب جبرائيل رئيساً على دير حلب فاختص بارشاد الاخويات التي كانت بيد الاب كويسة فضلاً عما كان بيده من غيرها فاصبح مرشد اخويتنا لعزبان الارمن تحت حماية الحبل بلا دنس واخوية حماية الايمان للارمن ايضاً تحت حماية الحبل بلا دنس واخوية المزوجين الموارنة تحت حماية تطهير العذراء واخوية المزوجين الروم تحت حماية خطبة السيدة مريم العذراء للقديس يوسف. خامساً اخوية حماية الايمان لطائفة الروم المختصة بالعبادة للقربان المقدس. واقيم الاب اسطفان مرشداً لاخوية عزبان الموارنة تحت حماية انتقال العذراء الى السماء واخوية عزبان السريان تحت حماية تقدمة العذراء الى الهيكل واخوية عزبان الروم تحت حماية بشارة العذراء.

وقدمنا المسبحة من اجل راحة نفس ابينا فرنسيس المتنيح سابقاً ونفس الخواجه جرجي عبديني[1] متقدم اخوية مزوجي الموارنة المتوفى في ١٧ منه.

٢٢ تشرين الثاني: وبخ الاب المرشد احد الاخوة لعقده مجلس طرب وغناني.

حبس الكهنة واغلاق الكنائس

٢٠ كانون الاول: لم نحتفل بالعيد لسبب الطاعون والاضطرابات وقد اتى الكنيسة محمد آغا تفنكجي بلشا تابع باكير باشا[2] وطلب المطران راعي

١) جرجي عبديني (راجع ما كتبناه عن آل عبديني في كتابنا: وثائق تاريخية عن حلب ١، ص ٢٢٢) وجاء في وثائق رباط: ١، ص ٤٣١ حاشية ١ ما حرره من رسايا في ٦ تشرين الثاني ١٦٤٤ الاب غودة قال ما خلاصته: ركب البحر معي شاب حلبي ماروني عمره ١٧ سنة اسمه فيكتور عبديني بعد ان قضى في باريس عشرين شهراً فتعلم فيها اللغة الافرنسية وسوف يساعدني في درس العربي وانا اعلمه ادب الافرنسية واللاتينية عسى ان يكون اهلاً لتختاره للرهبانية.

٢) باكر باشا ابو بكر؟ جاء في تاريخ كامل الغزي: نهر الذهب: ٢، ص ٢٠٢:

الطائفة المارونية فدخل الى طابارس الارمن[1] فاستدعى المطران جبرائيل اليه واخبره انه مطلوب من الباشا لدعوى رفعت عليه وكان المطران كبير السن عاجزاً عن السير فذهب ثلاثة من كهنته يردون الجواب الى الحاكم فحبسهم الحاكم ولا احد يعرف سبب الدعوى والحبس فوقع الخوف في قلب الاخوة وامتنعوا عن حضور الاخوية ويقال ان صار تمسيك .

١٧٦٢

٢٢ كانون الثاني : لم نخلص بعد من الطاعون الله يبعده وتوفي مطران الموارنة (جبرائيل حوشب) وصار له جناز حافل بحضور مطران الروم (اغناطيوس جربوع) والارمن (مخائيل كسباريان) والسريان (اندراوس مرني) وهذان كرزا ودفن تحت هيكل ماري الياس في الكنيسة .

٢٢ اذار : اصيب بالطاعون وفي ٢٧ منه توفي القس انطون قبه فضرب طائفتنا بموته وكانت له اتعاب وافرة وتوفي كثيرون بالطاعون ايضاً من طائفتنا .

١٧٦٣

فيها قبل البركة والختم يوسف خجدور صائغ وكركور بن ابرهام ويوسف خجدور اسيون وانطون بن نقولا صارده صباغ وردي وبطرس كرابيد شاشاتي .

١٥ ايار : لم نجتمع بسبب الوهم والخوف من التمسيك .

٤ ايلول : قبض على بعض المسيحيين لانهم يصلون عند الافرنج .

١٦ تشرين الاول : سافروا بنية الرهبنة الاخوة توري اكوب قصيجي انطون بوغوس فندي انطون نقولا صباغ .

١٧٦٤

فيها قبل البركة والختم يوسف بوغوس كميكاتي والياس قنواتي ويوسف كركور فرا .

---

* في سنة ١١٧٦ هـ (١٨٦٠م) توفي عبدالله باشا فراري في حلب ودفن بتكية الشيخ ابي بكر ووليها مكانه بكر باشا وكان يعرف ببكر افندي امين المطبخ وفي سنة ١١٧٥هـ ولي حلب مصطفى باشا . . وفيها وقع بحلب طاعون شديد بلغت وفياته اليومية مائة وتسعين نسمة .

(١) طابارس لفظة ارمنية معناها النصر . ومن المعلوم ان دار الاسقف الارمني واقعة في جوار دار المطران الماروني كما كانت في ذلك العهد والكنيسة المارونية القديمة يفتح بابها على الفسحة ذاتها التي يفتح عليها باب كنيسة الارمن .

١٧٦٥

فيها قبل البركة والختم يوسف ابربهام او ضاباشي ومانوك برسيخ .

١٧٦٦

فيها قبل البركة والختم يوسف بوغوس قره بجق وميكائيل بن وانيس رشح .

٢٠ كانون الاول : اختصرنا الصلوات بسبب تسكير الكنائس للطوائف الاربع وهزيمة الوكلاء من الشلطاق[1] والاسقاه (؟) وغيرهم .

١٧٦٧

١٥ شباط : انفتحت الكنائس وكانت مغلقة منذ ٧٢ يوماً فتحت بامر افندينا محمد باشا صهر جميل اغا صار بعد أن قدم له عرضحالات وكلاء النصارى بخصوص المظالم والقشاق[2] الواقع عليهم بعد ان فحص فحصاً جلياً حقيقة امرهم واختبره من الواقع حالاً قطع بيوردي من يده برفع مصطفى بن خدور من محضرية المحكمة وامره ان يلزم بيته والا يعود يتعاطى امور المحكمة واذا تجاسر وفعل تعهده بالشنق ثم وبخ التفنكجي باشي على فعله ومظالمه وبعد ذلك احضر الذين كانوا يتعاونون ويتشلطقون[3] على النصارى وحبسهم وتهددهم بالقتل وامر وكلاء النصارى ان تفتح الكنائس وان يدعوا له وقد فعل ذلك كله بغير ان يكلف طائفة النصارى غرشاً واحداً من اجل ذلك فرحنا فرحاً عظيماً .

٣٠ آب : وبخ الاب المرشد وقونن يوسف اكريجان وامره ان يقف امام العمود وبيده شمعة منطفئة فاستقام واقفاً وبيده الشمعة الى ان كملت القراءة وصلاة الوردية وذنبه انه كان يخرج الى البرية والحارة برفقة اناس غير صالحين[4] .

في هذه السنة قبل البركة والختم كسبار بن اكوب اخي سيدنا البطريرك .

---

١) شلطاق والاصح شلتاق من الفارسية ومعناه الظلم والمناقشة (راجع القاموس الفارسي اللاتيني لفولرس Vullers في مادة شلتاق) .

٢) القشاق والاصح القبشاق ومعناه المشق وهو ايضاً ما يستعمل في الشتاء من ثياب او مؤونة فكانت الحكومة تلزم الرعية بتقدمته .

٣) يتعاونون ويتشلطقون معناه يضربون الاتاوات على الناس ويظلمونهم .

٤) راجع ما سنكتبه عن الملاهي في حلب

١٧٦٨

٢٨ شباط : لم نجتمع منذ اربعة اشهر لان حمزة[1] باشا ارسل جماعة قبضوا على الذين يصلون عند الافرنج من باب خان الشيباني واخذ يضطهد الكاثوليك والافرنج والتراجمين حتى اغلقوا الكنيسة واخذ الخراج من تباع الافرنج والفرمانليه وكانت احوال الافرنج مرتخية في ايامه لكن جاءتهم اخبار جيدة وسيحدث الفرج قريباً ان شاء الله.

وفي هذه السنة قبل البركة والختم بيدروس بن قازار كازي وسركيس بن حنا رباط وحنا كرابيد جولق ورفعنا من الدفتر اسم يوسف حنا صائغ لانه سافر مع ابيه وعائلته الى مصر

١٧٦٩

٢٣ نيسان : جاءنا تحرير من جماعة قد تمسكوا باخويتنا في بيروت[2] وطلبوا الايضاحات عن قوانيننا فارسلناها اليهم مع تحرير التهنئة والشكر والتشجيع.

١٧٧٠

١٦ ايار : لم نجتمع منذ ثلاثة اسابيع بسبب الانكشارية[3] المستعدين للسفر لمحاربة المسكوب. كانوا يتقاضون المال من الناس ويتهددونهم بالسلاح فصار

---

١) جاء ذكر حمزة باشا في نهر الذهب للغزي ٢ ص ٢٠٥ : كان والياً وعصلاً واخذ الخراج من تباع الافرنج الذين كانوا يحتجون بفرمان سلطاني ليتخلصوا من دفع الضرائب كالخراجة (راجع ما كتبناه سابقاً ص [١٩] ٢٦٧).

٢) قد نكون تلك المخابرة اساساً بعيداً لاخوية الام الحزينة التي سيسسها سنة ١٨٦٣ في بيروت الاب فيروفيش اليسوعي وهي مزدهرة الى يومنا والمحرر هذه الاسطر اشرف بارشادها حالا .

(راجع المشرق : بربيل اخوية العذراء البيروتية للاب شيخو ١٦ ، ص ٢٢١)

٣) الانكشارية كان عددهم في حلب آنذاك يتراوح بين ١٢٠٠٠ و ٧ او ٨ آلاف . (سوفاجه حاشية ٧٢٦) . وكانت منهم حامية القلعة وكان اغواتهم يقومون بمراقبة الامن في الازقة (سوفاجه حاشية ٧٩٣) وكان الكثيرون منهم من اهل باب التبرب وبانقوسا . (سوفاجه حاشية ٨٦٧)

اما سفرهم المذكور في دفتر الاخوية فله علاقة بتاريخ تركية وحربها مع المسكوب بين

النصارى لا يخرجون من بيوتهم ونبه القناصل على الرهبان بالا يخرجوا من ديرهم اما في الامس فسافر الانكجارية وعدنا اليوم الى اجتماعنا.

٢٠ ايار : ربح الاب المرشد احد الاخوة لانه جلس في القهوة.

قومة السيدة

١٢ آب : قام السيدة[1] على الحاكم وارتعبت الناس لانهم كانوا يتوقعون نزول السنجق من القلعة في اليوم التالي فصار تنبيه على النصارى بالا يخرجوا من بيوتهم ولا احد منهم يطل من شباك لا كبير ولا صغير لا رجل ولا امرأة فقضى الناس اغراضهم في اليوم الحاضر لانهم سيحبسون في بيوتهم في اليوم التالي وهو الاثنين.

١٨ تشرين الثاني : لم نجتمع منذ الشهر بسبب قومة السيدة واغلاق البلد.

١٧٧١

١٢ كانون الثاني : اختصرنا صلوات الاخوية بسبب البلبال الحاصل في البلد من قومة الانكشارية على الباشا واطلاقهم الرصاص.

١٧٦٨ و١٧٧٤ وكان العثمانيون قد اعلنوا الحرب على الروس ولم يستطيعوا ان يمنعوهم عن دخول بلغارية الى ان صالحوهم في معاهدة كوجوك قيمرجي على ان يعلنوا استقلال بلاد القرم ويعترفوا بحماية روسية على امارات الطونة (راجع دائرة المعارف الاسلامية في مادة تركية - النسخة الافرنسية ١٠١٩ المؤلف كرامرس)

١) السيدة او الاشراف . حارة السيدة في حلب واقعة بين ازقة باب النصر جنوباً وساحة التنانير غرباً والالمجي شمالاً وترب الغرباء شرقاً وهي اشبه منها بالدهاليز المعكوفة كانها سراديب القلعة . الاشراف يفاخرون بانتساجم الى النسل النبوي وهم كثيرون في حلب وقد اطلعنا على شجرة عائلات البعض منهم : آل الرفاعي – آل الجلبي وغيرهم في باب التيرب . . . ولا ادري ما اذا كان بينهم من يستطيع ان يبرز حجة يرقى عهدها بالتأكيد الى ابعد من عهد بني عثمان ، حيث يستحصل بعضهم على فرمانات سلطانية تؤكد انهم يمتون بالقربى الى اهل البيت

قال سوفاجه في كتابه عن حلب ص ١٩٧ : قد يكون بلغ عدد الاسر الشريفة في ذلك العهد ثلاثة او اربعة آلاف

راجع في نهر الذهب للتزي ص ٣٠٦ وما بعدها خبر الفتنة بين الاشراف والانكجارية وبين الاشراف والدالاتيه اذ نهبت البيوت والدكاكين ودامت الحرب الاهلية اربعين يوماً وآلى للاخوية ان تجتمع في هذه المعمعة ! فخاف الناس على ارواحهم واختبأوا في بيوتهم.

٢١ اذار : كانت البلد ملكوعة والنصارى لم تخرج من بيوتهـا لان الانكشارية كانوا في رحيلهم.

٣٠ حزيران : سافر من الاخوة سركيس رباط الى نواحي طرابلس وانشغل بالنا بسببه لانه يوم طلوعه ٩ حزيران علمنا ان محمد باشا ابا الذهب[1] تابع باشا السنجق الكبير في مصر حاصر دمشق وفتحها الا قلعتها ثم رحل عن دمشق وتوجه الى مصر وعادت دمشق الى يد العثماني.

١٧٧٢

فيها قبل البركة والختم يوسف نوري قصبجي ويوسف خيدور قديـد وجبرائيل نعمة الخياط.

١٤ حزيران : وبخ الاب المرشد الاخوة لكونهم يقدمون بعضهم لبعض العلبة لشم البرنوطي في اسماعهم الوعظ وينام بعضهم في الوعظ.

السريان الكاثوليك

٢٣ تموز : اجتمع السريان كهنة وشمامسة واعتنقوا الايمان الكاثوليكي[2] كلهم فاقروا بقانون الايمان الكاثوليكي ووقعوا عليه اسماءهم وصلوا بكنيستهم من دون مراجعة البطريرك وبعد ستة ايام طلعت لهم الحجة وكتب عليها بيورمش[3] بحضرة حاكمنا حسين باشا ودخلوا الكنيسة يوم الجمعة مساء في ٣١

١) ابو الذهب تابع علي بك المملوك صاحب مصر كان قد فتح الحجاز وحالف ظاهر العمر صاحب عكا وهاجم دمشق ففتحها وعاد الى مصر فحارب سيده علي وقتله وما عتم ان عاد الى فلسطين فاحرق دير الكرمل في حيفا وقتل رهبانه وسار الى عكا حيث فوجئ بالموت . وكانت حالة حلب وفوضاها في ذلك العهد صورة مصغرة لحالة البلاد السورية.
(راجع لامنس : سورية ٢ ، ص ١٠٨ وما بعدها)

٢) وكان وقتئذ المطران جروه اسقفاً على السريان جاء في وثائق رباط-تورنبيز (٣ ص ١٥٦٢ : ان بطريرك السريان اليعاقبة لما علم باعتناق الطائفة جماء المذهب الكاثوليكي حضر الى حلب وحاول ردّها الى طاعته لكنها راضته بتعويضها عما كان يترتب عليها من المال الواجب تأديته للكرسي البطريركي فسكت . وقد روى هذه الحوادث الفيكونت فيليب دي طرازي وهي موافقة بجوهرها لوقائع الدفتر .
(راجع السلاسل التاريخية ص ٢١٥- ٢٢٢) .

٣) بيورمش اي تذكرة الرضى والاجازة

تموز وصارت كاثوليكية وفرحنا فرحاً عظيماً لكن الحاكم امر الا احد يصلي منا عند الافرنج فامتنعنا عن اجتماع الاخوية.

٤ تشرين الاول : اجتمعنا في ديوان الرئيس لان العملة كانوا يلبسون الديواخانة ، وضع اجتماعنا المعتاد.

٢٠ كانون الاول : قبضوا على بعض الناس عند خروجهم من كنيسة الشيباني[1] اصلاتهم عند الافرنج فارسل قنصل فرنسا احد تراجمينه وترجى حضرة حسين باشا خاص الحاكم الوالي ان يطلق سراح السجناء وكان سببهم احد الاخوة الخونة اسمه بولس وكان يسبب مشاكل للقناصل فسأل القنصل الباشا ان يسركل بولس فقبض عليه الحاكم وحبسه فأسلم المذكور ودخل في قناق الباشا فاحتج القناصل وردوه الى بيته لاجل ذلك صار اضطراب في البلد ولم نجتمع في ذلك النهار.

١٧٧٣

١٠ كانون الثاني : انتخبنا المتقدم انطون شاكه والمساعد الاول يوسف اسيون والمساعد الثاني المقدسي جرجي والمشير الاول الشماس جرمانوس والثاني الشماس الياس قنواتي والثالث الشماس بيدروس كازي والرابع يوسف سرابيون ما اكملنا باقي الوظائف لان اخوة حماية الايمان طلبوا ان يجتمعوا عندنا في الديواخانة لكي يعملوا انتخابهم لكنهم اخيراً لم يتفقوا على الانتخاب لقلة عددهم فاجلوه الى الاحد القادم

٢٤ كانون الثاني : اجتمع عندنا اخوة حماية الايمان وطلع لهم في الانتخاب الشماس يوسف فرا[2] كما كان سابقاً.

---

١) كنيسة الشيباني للاباء الفرنسيسكان دمروها سنة ١٩٣٩ وتصرفوا بثمن احجارها وارضها في عمار كنيستهم الجديدة في حي العزيزية .

٢) يوسف فرا قرأنا اسمه بين الاخوة مؤسسي اخوية عزيان الارمن ونراه اليوم يترأس اخوية جمعية انتشار حماية الايمان واكثر اعضائها من الروم الكاثوليك ذلك ما يدل على صفات يوسف فرا الفريدة وتفانيه في سبيل الدين المسيحي ولا عجب ان انعم عليه البابا برتبة فارس رسولي واهدى اليه وسام المهاز الذهبي .

(راجع دي طرازي : السلاسل التاريخية ص ٣١٧)

٧ شباط : انتخبنا باقي الوظائف وطلع الكاتب المقدسي جرجي ومساعده يوسف اكوب نوري والمنتبه الشماس جبرائيل شاشاتي والقندلفت يوسف قره‌بجق ومساعده يوسف قازار ومعلمين التعليم معلم التعليم الكبير الشماس الياس قنواتي ومساعده بيدرس كازي ومعلم التعليم الصغير الشماس اكوبجان دير كريبد ومساعداه سركيس رباط وانطون جوهرجي وللتعليم الذي في بيت شماس مانوك المعلم الاول الشماس يوسف سرابيون ومساعدوه الشماس انطون بصنجي والياس عزه (؟) وجبرائيل بن نعمه خياط وفيه كتبنا الدفتر السنوي لان في العام الماضي ما كتبنا الدفتر وفيه اكملنا رياضاتنا وانصرفنا بسلام.

وفي خلال هذا العام قبل البركة والختم : يوسف كتنجي ، يوسف ميناس فرا ، جبرائيل خجدور خديد ، عبدالله بوغوس ، يوسف منكرديج حايك.

٤ نيسان : الاب المرشد مريض فاختصرنا كل شيء وانصرفنا.

٢٥ تموز : رفعنا اسم اخينا يوسف اشخان من الدفتر لسبب انه تزوج.

٥ ايلول : نبه الاب المرشد بان لا احد يسير في الزقاق وجبته على كتفه لان هذه ضد الاحتشام ولا تليق لعبيد العذراء المجيدة ثم بلغ حضرة الاب المرشد ان البعض من الاخوة يتجاوزون الحد باللعب والضحك في الزقاق حتى ويرفع يدهم على بعضهم البعض باللعب فنبه ان لا احد من الاخوة يتجاسر على هذا الفعل لانه ضد الحشمة وفيه اكملنا رياضاتنا وانصرفنا بسلام.

١٧٧٤

الغاء الرهبانية اليسوعية

٢٠ شباط . دخل نعمه جرجس مقري بين المبتديه واخذ خجدور الختم والبركة من الاب المرشد وكنا حزينين من اجل الخبر الذي سمعناه ان قدس سيدنا البابا اكليمنضوس الرابع عشر ابرز امراً بلاشي به رهبنة اليسوعيين[1]

١) ان قضية الغاء الرهبانية اليسوعية اوسع مادة من ان تستوفى في هذه الحاشية والمرجع اليها قريب المنال في كتب التاريخ. خلاصتها ان عمال الثورة الفرنسية الكبرى التي انفجر بركانها سنة ١٧٨٩ كانوا قد استعدوا لها من آن بعيد طوال القرن الثامن عشر وكانوا يعدون الرهبانية اليسوعية من اعظم الموانع التي كانت تقف دون تحقيق مآربهم الى ان

واسقطهم من كل اموالهم وحقوقهم وانماماتهم واخوياتهم وتصرفاتهم فيكونون كهنة بسيطين ويكون تصريفهم من رؤساء الاماكن الموجودين بها فلما وصل الامر الى حلب سلموا بالامر المبرز من قدسه بطاعة كلية واما الرؤساء الموجودون وقتئذ فسمحوا لهم بالتصرف الا ان البعض من الرهبنات وغيرهم من العوام اللاتين ضاددوهم فامتنعوا عن التصرف واستقاموا يقدمون الذبيحة الالهية فقط وارسلوا يطلبون التصرف من قدسه نظراً للحرية الكنائسية فسمح لهم قدسه بواسطة مكاتيب خصوصية واستقامت المكاتيب نحو سنة الى ان وصلت الى يده وعلى ظن البعض من غرض المضادين فابتدأوا يقبلون اعترافات المسيحيين حسب عادتهم القديمة وصار الاب المذكور مرشدنا

فاجتمعنا في مكاننا كحسب عوائدنا وكان ذلك في سنة ١٧٧٦ في اليوم الثالث من اذار. واستقمنا نجتمع كل خمسة عشر يوم كحسب عادتنا مدة ستة اشهر الى ان اتاهم التصرف بارشاد الاخويات وغير اشياء بموجب الامر الرسولي واجازة رؤساء الاماكن في اليوم العاشر من شهر ايلول ١٧٧٦ ثم اتى منشور تثبيت غفرانات الاخوية التي كانت ممنوحة لها سابقاً من الاحبار الرومانيين العظماء واليك صورتها:

الى قدس سيدنا البابا بيوس السادس ... ايها الاب الكلي القبطة ان الاخويات المشيدة قديماً لسيدتنا الطوبانية مريم العذراء في حلب من مرسلي الرهبنة اليسوعية يتوسلون الى قدسكم بكل خضوع ان ترضوا وتثبتوا جميع الغفرانات والانعامات التي كان الاخوة ينالونها (من قبل براءة البابا اكليمنضوس الرابع عشر الملاشي رهبنة اليسوعية) في معبد القنصل كونه خالي من الاخطار المسببة من الامم.

تحوطوا لبطشهم بها بواسطة الحبر الاعظم ذاته اذ ضيقوا على الآباء اليسوعيين مذاهبهم في اكثر انحاء اوربا واجلوهم عنها الى اراضي الحبر الروماني مخطرين اياه بالويلات والشرور فيما اذا لم يُلغ الرهبانية اليسوعية فاجاب طلبهم مكرهاً ودفعاً للشر الاعظم عن الكنيسة. ومن الآباء اليسوعيين الذين نالهم الالغاء المرسلون في حلب ومنهم الاب جبرائيل مرشد اخوية عزيان الارمن. فاطاع كثاثر اليسوعيين امر الالغاء الصادر من البابا اكليمنضوس الرابع عشر وسيسافر من حلب الى فرنسا بعد ان يترك ارشاد الاخوية للآباء اللازاريين كما سترى.

فقدسه في الجمعية التي صارت في ٣ ايار ١٧٧٦ ارتضى بحلمه ومنح جميع الغفرانات المطلوبة واراد قدسه ان لا يكون مانع يمانعها اصلاً.

ففرحنا فرحاً عظيماً وهنأناهم وشكرنا الله تعالى واستقامت جمعياتنا متصلة كعادتنا وكان ابونا القس جبرائيل غزول الرئيس والبادري مخائيل مرشدين لنا.

١٧٧٧

١٦ شباط : نبهنا الاب المرشد على ان نستعد الى الانتخاب الذي لم يحدث من ثلاث سنوات لاجل تحريك المراطقة عند الحكام والقبض على الناس في كنيسة السريان وحبس مطرانهم[1].

١٢ اذار : سافر ابونا جبرائيل من حلب الى القدس ومعه الشماس يوسف اكوب نوري.

١٦ اذار : انتخب انطون شاكه متقدماً للاخوية.

١١ ايار : اخذ البركة والختم نعمه جرجس مقري.

٢٥ ايار : اخذ البركة والختم حنا اوديس سيريس.

٢٠ تموز : وبخ الاب المرشد اثنين لاجل رواحهما الى البستان بلا اخذ الاذن.

٣١ آب : كتبنا اسامي معلمي اعترافات الاخوة جميعاً ووبخ الاب المرشد احد الاخوة لاجل شربه التتن في الزقاق[2].

١٢ تشرين الاول : ما اجتمعنا الجمعة الماضية لاجل الخوف من الحكام.

---

١) هو ميخائيل جروه المطران ثم سيرق الى السدة البطريركية . (راجع ترجمته في كتاب النيكونت دي طرازي المذكور ص ٢١٢ وراجع وثائق رباط وتورنبيز ٢ ، ص١٥٢)

٢) لقد كان لامر الدخان (تتن او تنبك) وشربه في ذلك العهد من الاهمية بنظر الحكام والعلماء ما يدهشنا اليوم وانك لتجد تفاصيل ذلك في اعلام النبلاء لراغب افندي الطباخ ٣ ، ص ٢٤٩-٢٥٢ ومن الظروف التي كانت تثقل وطأة «الذنب» في شرب الدخان ان يتظاهر به الناس في الشوارع «ولا يرفعونه اذا مرَّ عليهم شريف او عالم او فاضل» ص ٢٥٢ في الكتاب المذكور. وقد يذكر الحلبيون ان اكابرهم كانوا يوارون «السيكارة» اذا ما مرَّ بهم رجل معتبر. وقال راغب افندي الطباخ: ان خير مقاوم لشرب الدخان «هو المدرسة ومنابر الجوامع والكنائس وكراسي الوعاظ» فترى ان مرشد اخوية الزبان يتقيد بهذه القيود.

١٧٧٩

١٠ شباط : كان البرد شديداً فانقطعنا مدةً عن الاخوية انتخب جرمانوس جلق متقدماً.

١٢ اذار : نبه الاب المرشد على ان الذين يتعوقون عليهم جزاء فمن يأتي وقت صلاة المسبحة يعطي مصريتين[1] المفقراء والذي ينقطع عن الاخوية من دون سبب يعطي خمس مصريات.

٢٥ نيسان : اخذ البركة والختم يوسف توما صاصرني وكتبنا اسامي معلمي اعترافات الاخوة.

١٨ تموز : صلينا المسبحة الوردية لاجل المحبوسين من طائفتنا من قبل المراطقة.

١ آب : اخذ البركة والختم كركور يوسف كازي.

١٥ آب : تعوق بعض الاخوة عن الحضور فدعا المتقدم الاخ اكوبجان وطلب اليه ان يفي القانون المفروض فيلمّ من الاخوة المتعوقين المصريات المفروضة.

٢٦ ايلول : لنا اسبوعان ولم نجتمع لما حدث من البلبال في الطائفة بسبب المراطقة وفيه اخذ البركة والختم الشماس ارسان.

١٧٨٠

في هذه السنة سيأخذ البركة والختم يوسف دادور بصمجي ، حنا بن يغيا ، يوسف قنواتي ، فرنسيس بوغوس كميكاتي ، جبرائيل غزال.

التضييق على اهل الذمة

٨ ايلول : انقطعنا عن الاخوية من ١٨ حزيران لاسباب وهي اولاً قدم افندينا عبدي باشا[2] وصار تنبيه للبس القلابق وتغيير الثياب فيكون لونها

---

١) المصرية وجمعها مصاري هي البارة . والقرش مكون من اربعين بارة .

٢) حدث قدوم عبدي باشا في ظروف عصيبة جداً (راجع تفاصيلها في كتاب اعلام النبلاء للطباخ ٣ ص ٢٥١ – ٢٦٢) فكان الغلاء الفاحش وكان القتال بين الانكشارية والسيّدة وكانت الفتن في عينتاب وكثر وعلى الباشا ان يضبط الامور ويمنع المظالم فيفعل او

جميعها ازرق وتظاهرت من المتسلمة والحاشية صعوبات زايدة والاضرار التي حدثت للمسيحيين وغيرهم شيء لا يوصف ولا احد يأمن على نفسه في الخروج من بيته وبعد عشرة اشهر من ذلك حضر الى حلب من اسلامبول ميناس ورتبيد ودخل بنفس عالي ومعه اوامر صعبة من هناك باضرار المسيحيين في اسلامبول مما لم يحدث مثله . لكننا لما بلغنا هدوء الحالة في اسلامبول ورأينا حسن سلوك الورتبيد وخشية ان تدب روح الفتور في اعضاء الاخوية عدنا الى اجتماعاتنا بعد مراجعة الاب اسطفان وكيل البطريرك باسيليوس[1] وفي ١١ تموز كان قد سافر الى دير بزمار[2] جبرائيل خديد وارسان برغوس ارمني واكوبجان برجس خباز لعند سيدنا البطريرك .

٢٩ كانون الاول : انتخب يوسف نوري متقدماً .

١٧٨١

في هذه السنة قبل البركة والختم : يوسف قرابجق ، انطون مكرديج الحائك كربيد نحاس .

٢٢ اذار : اتانا منشور البطريرك باسيليوس فقرأناه في اجتماعاتنا حسب امره وحفظناه عندنا .

٢٩ حزيران : لم نجتمع في الاسبوع الماضي بسبب التمسك وفيه وبخ

لا يفعل ودأبه اولاً استغلال الموقف ليبتز الاموال والاعانات وقد يظهر التمسك الشديد في المبادئ الدينية ليبيض صفحته فتهابه العامة وتحترمه فيجدد ما كان مفروضاً من الاوامر المشينة بحق اهل الذمة طبقاً لما ورد في كتاب معالم القربة في احكام الحسبة تأليف ابن الاخوة في الباب الرابع في الحسبة على اهل الذمة . (راجع المشرق ١٩٤٧ ص ٣٠٠) وقد يذكر كامل الغزي في نهر الذهب ٢ ، ٢٢١ عن السنة ١٢٢٩ هـ ١٨١٣ م « امر النصارى بالغيار » ويقول : « وفي ثلاثين من ربيع الاول امرت الحكومة النصارى ان يعتموا بعمائم مخاوية اللون وان يلبسوا بارجلهم النعال الحمر وسبب ذلك ان كثيرين منهم كانوا يتزيون بزي اليكجرية (الانكشارية) ليتسنى لهم التسلط على الناس كاليكجرية » لقد استغربنا السبب والى اي سند يستند الشيخ كامل لينسب للنصارى هذا العصيان والتمرد ! ان مثل هذا الافتراء لا يليق بكرامة المؤرخ .

١) هو باسيليوس الثاني بطرس الرابع كان سابقاً اسقف اماسية ثم تولى شؤون الكرسي البطريركي من ١٧٨٠–١٧٨٧

٢) هو الدير الذي اسسه البطريرك ابراهام اردزيفيان

الاب المرشد اثنين من الاخوة لاجل ذهابهما الى البستان بغير اذن وقوننهما.

١٩ تشرين الثاني : لم نجتمع في الاسبوع منذ اسبوعين لان الجاويش يدور على النصارى ويقبض عليهم.

١٧٨٢

في هذه السنة قبل البركة والختم : فتح‌الله جبرائيل خوكاز ، اكوبجان يوسف صدق ، انطون يوسف تيروز.

١٧٨٣

١٩ كانون الثاني : وبخ الاب المرشد بعض الانفار لانهم سهروا بغير اجازة.

١٧٨٤

في هذه السنه قبل البركة والختم : كركور منكسار مككجي ، جبرائيل شاعاوات .

١٧ نيسان : انتخب مخائيل دير انطون متقدماً.

١٨ : ايلول لم نجتمع في الاسبوع الماضي لسبب انه صار تمسيك عمومي.

٢٠ كانون الاول : عيد الحبل بلا دنس على موجب حساب الشرقيين وهو عيد اخويتنا . من بعد ان اعترف جميع الاخوة وجدوا جميعاً في داخل الدير وقرع ناقوس القداس في الساعة التاسعة وبدأ يلبس البدلة ابونا مخائيل[1] اليسوعي المرشد وفي انتهاء القداس تقدم الشماس يوسف قنواتي وتلا ليطانيات الحبل بلا دنس وفي انتهائها ابتدأ البادري حنا بترتيل اللاتيني والبادري حنا اول عازاري جاء الى حلب من رهبنة الرسالة وهو الذي بدي يعمل اخوية بعد مدة ثلاث سنين يعمل اخويـة جديدة في كنيسة الدير وبعد تسمت اخوية القربان المقدس ومن بعد ذلك دخل جميع الاخوة الى بيت المشورة حيث كانت معدة مايدة للفطور وكان صوم مار يعقوب.

٢٥ كانون الاول : انتخب مخائيل شاكه متقدماً.

١٧٨٦

في هذه السنة قبل البركة والختم : عبدالله جرجس كردي مخائيل وانيس خياط الياس قشقجي.

---

١) راجع ترجمته في حاشية ١ من سنة ١٧٨٨

١٦ نيسان : صار خبر بأن في حلب مات بعض الناس من الطاعون فطلب الاخوة بان تتلى مزمورات يوناونتورا لاجل دفع الوباء فاما المتقدم فابقاها الى الاجتماع القادم حتى نتحقق الخبر.

١٤ ايار : اشتدت اخبار الطاعون فامر الاب المرشد مع المتقدم فتليت مزمورات يوناونتورا.

١٦ آب : امتنعنا عن الاجتماعات اربعة اسابيع بسبب الطاعون الذي صار في هذه المدة لان الافرنج جميعهم اختبأوا مع المخزنجية ومتسولي البلد لا سيما لان الاب القس يوحنا المكنّى من العامة بعازاري انطعن وتوفي ثم في هذه الجمعية صلينا صلواتنا عن روح اخينا المقدسي انطون شاغاوات لانه طعن وثالث يوم توفي وذلك في واحد وعشرين تموز وكان رئيس تعليم الوساطنة الكائن في بيت القس اسطفان فاقيم عنه الشماس خجدور طباخ وبما ان في هذه المدة صار تعليم وسطاني مفرز وحده عند الهيكدون[1] فاقيم عليه رئيساً الشماس فتح الله دير اروتين وبما ان الشماس مخائيل دير انطون كان رئيساً على تعليم الصغار الكائن في المغربلية فاقيم عوضاً عنه يوسف قنواتي.

وفي هذه المدة سافر الاخوان المقدسي اكوبجان صباغ والشماس كرابيد نحاس الى جبل كسروان ونبه الاب المرشد على ان في الجمعية الآتية تصير صلوة الموتة الصالحة.

١٢ ايلول : نبه الاب المرشد على ان كل من يريد الذهاب الى دير بزمار يخبرنا حتى نسعى له بالذهاب لان سيدنا البطريرك باسيليوس يروم ذلك.

٢٩ تشرين الاول : امتنعنا عن الاجتماع اسبوعاً واحداً بسبب الشيك

---

١) الهيكدون هي الدار الواسعة الواقعة غربي حي الصليبة وكانت كالخان او المنزل المفتوح لايواء الغرباء والمسافرين واخصهم زوار القدس . وفي هيكدون حلب غرف بنيت منذ اربع مئة سنة ويقول السيد سوريان : لا مانع من ان نرق بعمر تلك الدار الى ابعد من ذلك بقرون لان مدينة حلب كانت المحطة الكبرى التي حط فيها زوار الارمن في طريقهم الى القدس. (راجع مؤلفه المذكور في ٢٣-٢٤) . اما اتخاذ ابناء الاخوية غرفة في الهيكدون للتعليم المسيحي فدليل واضح على حقوقهم في استثمار البناية شأنهم في سائر بنايات وقف الطائفة .

واخذ الختم يوسف بازرجي من غير تنبيه سالف لانه مستعد ان يسافر الى دير بزمار.

عيد الاخوية

٢٠ كانون الاول غربي : عيد الحبل بسيدتنا مريم العذراء. بلا دنس ففي ليلة ذلك العيد ذهب يوسف قتواتي الى الدير ومعه بعض الاخوة ليغسلوا الكنيسة ويصمدوا المذبح فصنعوا ذلك وناموا في الديوان بعد نصف الليل بساعة فحين صار الصباح وردت الاخوة وبعد ان اعترفوا جميعهم كالعادة الجارية في كل عام قرع ناقوس القداس وذلك قبل الظهر بثلاث ساعات كالعادة ايضاً فتقدم الشماس جرجس جرجفلية وقال صلاة الروح القدس بترتيل نفيس عالي وبعد صلاة الروح القدس تقدم البادري يوسف برباريس المازاري وصمد القربان المقدس وابتدأ القداس وكان قداسه بترتيل افرنجي وكان المرتلون القس يوسف كلزي الذي قدس في ذلك النهار واستقام الى المساء والمرتل الاخر شدياق انطون قزحيا الموراني وبما ان هذين المعلمين يرتلان صار قداس عظيم مكلف وبعد الانجيل قرأ الشدياق الرسائل بالعربي بترتيل نغم افرنجي وبعده قرأ البادري يوسف المازاري الانجيل الشريف بالعربي ايضاً وبعد خلوص الانجيل وضع ستراً امام القربان المقدس والكاهن شلح البدلة وابتدأ بموعظة بالعربي تليق بفصاحته ومعلميته وبعد الحفلة الدينية دخل الاخوة مع المتقدم الى بيت المشورة لان هناك الفطور كالعادة وكان نهار اربعاء. فصار جميع الموجود صياماً وبعد الظهر بساعة والنصف اجتمع الاخوة وكل من كان في الدير والكنيسة وفي القاعة فصار وعظ من الاب المرشد كالعادة ثم تقدم المتقدم الى الكنيسة وتبعه الاخوة فتلا يوسف جرجفلية صلاة الروح القدس بنغم عالي وبدأ المتقدم الوردية مع المساعدين اكوبجان دير كرابيد وانطون رباط اما الذين صلوا المسبحة فهم اولاد التعليم الكبير وقد لبسوا قمصاناً بيضاً جميعهم وصمد القربان المقدس فتقدم الشماس فتح الله واعطى الشمعة الموقدة والختم اي فعل التعبد لسيدتنا مريم العذراء. ثم تلا يغيا دير اصلان ليطانية السيدة بترتيل ونغم عالي واعطى الاب المرشد بركة القربان ثم تلا الشماس يغيا ملاك الرب بالارمني وابتدأ من بعد القس

اسطفان والقس يوسف بالجناز كالعادة الجارية في كل عيد اخوية ثم خرج المتقدم وبعض الاخوة واستكثروا بخير البادري يوسف العازاري وابينا المرشد البادري مخائيل ورفعنا الصمد الذي كنا صمدناه وانصرفنا.

٢٤ كانون الاول : صار انتخاب ليس كحسب العادة وهي ان ينتخب متقدماً غير السابق فسامرنا الاب المرشد بان ننتخب السابق ولكن انتخبنا مخائيل دير اروتين والمتقدم القديم صار مساعداً اول.

١٧٨٧

سنة الغلاء الكبير

٧ كانون الثاني : صار انتخاب الوظائف : يوسف تنواتي رئيس ومساعده فتح‌الله دير اروتين ، رئيس التعليم الصغير ، في بيت القس اسطفان ، خجدور طباخ ومساعده القدسي اكوبجان كلزي صدق وبدروس قرابجق وانطون تيروز ، والياس قشقجي معلم تعليم الصغار في المغربلية[1] ومساعده يوسف حائك ومعه اخوه انطون ويوسف بصمجي وجبرائيل شاغاوات وعبدالله كردي. هؤلاء هم اصحاب الوظائف اما المنبه فهو المقدسي اكوبجان والقندلفت بدروس قريجق ومساعده كركور مككجي.

٢١ كانون الثاني : امر الاب المرشد بالعودة الى العادة القديمة في ان يخصص لكل اخ مشير او ملاك حارس ينصحه . وكان غلاء عظيم ومات بعض الناس من الجوع حتى في الاسواق[2].

٤ اذار : صلينا لاجل مخائيل وانيس خياط وكان مريضاً.

١٨ اذار : الاب يوسف اللعازري منح غفران ثلاثة ايام لمينا حسنة لاجل رجل ليس له اهل وكان عند احد السيدة وقد عرف بحاله احد الاخوة فتنخى الشماس جرمانوس جلق ورمى واحد امي فاستخلصه من السيد الذي كان مقتنصه.

١٥ نيسان : صلينا صلاة دفع الوبا وانصرفنا بسلام للتخباي من الطاعون.

---

١) المغربلية حي في حلب عند ساحة التناتير

٢) راجع ما كتبه في هذه المجاعة راغب الطباخ : اعلام النبلاء ص ٢٦٧ وكامل الغزي : نهر الذهب ٢ ص ٢٠٨.

٣٠ ايلول : انقطعنا عن الاجتماعات احد عشر اسبوعاً بسبب الطاعون والتسيك ومات بالطاعون خمسة : مخائيل دير اروتين المتقدم ، وخجدور طباخ وفرنسيس بوغوص وجبرائيل غزمل وبدروس قره بجق فصارت صلواتنا من اجل الذين توفوا .

وفي هذه السنة قبل البركة والختم مخائيل الخانجي وانطون قنواتي ويوسف ابيض ويوسف جرجفلية .

٢٠ كانون الاول : عيد الاخوية . صارت الحفلة المألوفة قال الشماس يفيا ياخبز الحياة بالارمني ورد عليه يوسف قنواتي بالعربي بتناوب الادوار وكذلك في ترتيل بالسان المدح انشد وبعد انتهاء القداس والزياح وتل الاخوة بسامي الابتهاج واجتمع معنا في الديواخانة كل من اراد من سائر الطوائف وتناوبت الالحان بالعربي والارمني .

٢٣ كانون الاول : انتخب متقدماً مخائيل شاكه .

١٧٨٨

٦ كانون الثاني : سافر الاب مخائيل اليسوعي[1] مرشدنا يحل مقامه القس يوسف اللمازري وكان اول مرشد من اخوية الرسالة .

١٠ ايار : لم يأت الاب المرشد وكان في عيد اخوية القربان المقدس وكان لنا عدة اسابيع لم نجتمع لان البلد كانت مخبوطة بسبب سفر الانكشارية .

٢٠ ايار : لنا اسابيع ولم نجتمع لان القاضي نبه على الا يصلي احد في المدينة لان مشاجرة وقعت بين الاب بوناونتورا رئيس دير الصانطة[2] مع اهل الصانع ولم يحضر الاب المرشد لانه كان عند اخوية المزوجين الموارنة .

٢٦ تشرين الاول : وبخ الاب المرشد احد الاخوة لانه جلس في القهوة

١) هو ميخائيل سيميو Michel Simiot وكان آخر من بقي الى تلك السنة من الآباء اليسوعيين في حلب كان قد دخل الرهبانية اليسوعية سنة ١٧٣٥ وسافر الى سورية سنة ١٧٦٦ ولم يخرج من حلب سنة ١٧٨٣ كما روى الاب لوفنك في تاريخ رسالة الآباء اليسوعيين الاولى (ص٧٣) ولكن اقام مدةً يوآزر الآباء اللمازاريين ويدرجم على العمل في ارشاد الاخوية

٢) الصانطة اقدم دير الآباء الفرنسيسكان Terra Santa راجع الصورة ٦

وحلق يوم الاحد.

٢٠ كانون الاول : عيد الاخويـة وكان المرشد الاب برباريس اللعازري وانتخب متقدماً فتح‌الله خوكاز وفي خلال هذا العام قبل البركة والختم صماهون ويوسف عنبرة ، الياس نوري ، انطون صاصوني ، يوسف بغيا ، جرجي مراد ، انطون فرا ، جبرا كركور ، مخائيل شاغاوات ، جرجي اسطنبولي ، حنا دموي ، الياس شاغاوات.

١٧٨٩

٤ كانون الثاني : جمعنا الحسنات ثمن لحم للفقراء.

٢٩ آذار : سافر البادري يوسف الى رومية وصار الاب بطرس ديلارد مرشداً لنا.

وبخ المرشد الاخوة لتراخيهم في امور العشرة ولنقلهم اخبار الاخوية خارجاً عنها وندخول بعضهم القهوة.

١٧٩٠

كان المتقدم في هذا العام مخائيل شاكه وفيه قبل الختم مع البركة جرجي يوسف قوشقجي ويوسف فرنسيس وحنا نوري.

٢٠ حزيران : يوسف ابيض راح الى الجبل.

١٧٩١

٣٠ كانون الثاني : انتخب متقدماً اكوبجان دير كرابيد وفي هذا العام قبل البركة والختم كركور يوسف فرا وعبدالله خندان.

٣ تموز : كتبنا تحريراً الى سيدنا البطريرك غريغوريوس[1] باتفاقنا مع الاب المرشد فيما يخص الاخوية والتعاليم.

٢٠ كانون الاول : عيد الجبل بلا دنس كرز البادري ديلارد مرشدنا في شرف مريم العذراء. فاستقام الكرز ساعتين ونيف.

١٧٩٤

في هذا العام كان المتقدم اكوبجان دير كرابيد واخذ البركة والختم جبرائيل

١) هو غريغوريوس التاسع بطرس الخامس ١٧٨٨-١٨١٣

تاروز وانطون يوسف بوغوس وقرر الاب المرشد الا احد يزور القدس من دون استشارته والا يأخذ الاخوة معلماً لاعترافاتهم الا من الآباء الكبوجيين.

٤ ايار : حدث سوء تفاهم بين الاب المرشد والاخوة فانفصلوا عن دير الآباء اللعازاريين في خان البنادقة واجتمعوا في بيت نوري بصمجي.

١٧٩٥

المرشد الاب اسطفان المتقدم مخائيل شاكه رئيس المرتلين القس مخائيل حكيم قبل الختم والبركة الياس يوسف مخلجي.

٢ كانون الاول : رجعنا الى اجتماعاتنا في دير الاباء اللعازريين بادارة المطران بولص قبه ومراجعة الشماس يوسف فرا والاخوة اصحاب الوظائف فرحب بنا الاب بطرس.

١٧٩٦

المتقدم جرمانوس جلق. قبل البركة والختم فرنسيس برنوطي انطون كبار حكيم كركور انطون فرا وحدثت قلاقل بيننا وتبدل النظام.

١٧٩٧

اجتمعنا في ١٩ كانون الاول في بيت اخينا جبرائيل صباغ بن يوسف عصني واتى الاب جبرائيل خديد الذي اتخذناه مرشداً وعدنا الى نظامنا وانتخب متقدماً اكوبجان دير كرابيد.

١٧٩٩

احتفلنا بعيد اخويتنا في بيت ابينا الرئيس الذي في بيت دادور الصائغ.

١٨٠٠

المتقدم كان جرمانوس جلق.

١٠ آب : انتقلنا الى بيت بنات دير اروتين خوكاز بكراء اربعة وعشرين غرشاً في السنة.

١٨٠١

المتقدم جبرائيل صباغ.

١٨٠٢

التجثة بسبب القرض والطاعون

٩ شباط : الكنائس كانت مسكرة والناس محتبثين بسبب القرض الذي طلب من النصارى لاجل الوزير صاحب الختام اذ كان قادماً الى حلب فاستقامت الكنائس مسكرة اربعة وعشرين يوماً والكهنة والناس كلهم محتبثين الى ان انقطع الجرم باربعين كيساً وفي هذه المدة في يوم اربعاء العيد الواقع في

١٦ نيسان : دخل حضرة الوزير الاعظم الى حلب لما كان راجعاً من فتوح مصر وتخليصها من يد الفرنساوية بعد ان ملكوها ثلاث سنوات كاملات واستقام في حلب واحداً وعشرين يوماً ونزل في محلة الشيخ ابو بكر[1].

ثم في المنصرة صارت تجثة الطاعون وفي بدئها تنيح قدس المطران جبرائيل كنيدر الماروني[2] في ١٥ حزيران غربي ودفن بالليل واستقامت التجثة نحو شهرين ولم تجتمع الاخوية الا بعد نهاية الطاعون وصار مرشدنا الاب نيقولاوس النحاس واكملنا هذه السنة بنظام.

١٨٠٣

اشترك بالاخوية عبدالله بغدو ويوسف كردي والقس يعقوب الانكورلي ويوسف كلري ونعمةالله خوكاز وجرجي بليط . وطلبنا تثبيت اخويتنا من البطريرك بعد انفصالنا عن الاباء اللازريين ولم يأتنا جواب من غبطته فغمنا الامر جداً جداً.

وقاصص الاب المرشد احد الاخوة لانه التجأ الى العرافين ليكتشف عن

---

١) راجع كامل التزي نهر الذهب ٢ ، ص ٢١٦ قال وفي الخامس والعشرين ذي الحجة منها (١٢١٦هـ) المصادف اليوم السادس عشر من نيسان وصل الى حلب ابراهيم باشا قطاراغاسي قافلاً من مصر وبعد برهة ولي حلب وغاظ في السالنامة اذ جعل ولايته حلب في سنة ١٢١٦هـ فترى الافادة من ضبط التواريخ في « دفترنا » .

٢) جبرائيل كنيدر مولود حلب في ١٥ تشرين الثاني ١٧٣٦ سيم كاهناً في ١٥ كانون الثاني ١٧٦٨ وكان اسمه فرجالله ثم رفعه الى درجة الاسقفية المارونية الحلبية في ٣٠ ايلول ١٧٨٧ البطريرك يوسف اسطفان في كنيسة البترون وسماه جبرائيل.

سارق سرقة وامر المرشد بالا يذهب احد الى البستان بدون اذن ولا يدخل قهوة ولا يشرب تتناً في الازقة.

٢٢ آب : وبخ الاب المرشد الاخوة الذين ذهبوا ليلًا يتفرجون على ملاعيب عرس اولاد ابراهيم باشا في صرايا الحاكم.

٤ تشرين الاول : لم يأت المرشد بسبب قسمة الجرم بين الهراطقة والكاثوليكيين وبسبب عصاوة بعض التراجمين[1] والزميلية وصار تمسيك في ذلك الزمان

اخوية ماردين

٩ كانون الاول : ادخلنا معنا الشماس يوسف كسار ماردیني والشماس مخائيل توزي الماردیني ليحضرا رياضتنا ويتعلما طرق الاخوية فاعطيناهما كتاب الرسوم والشروط وكتاب الصلوات المختص بالاخوية لينشئاها في ماردين لكونهما جاءا لهذا الغرض عن لسان بعض كهنة ماردين فأعطيا كل اللازم لتأسيس الاخوية في تلك البلدة ورجاؤنا من سيدة الوردية ان تحقق الآمال.

١٨٠٤

المتقدم جرمانوس جلق . قبل الختم والبركة انطون اكوب صباغ.

٧ آب : نبه المرشد الاشخاص الذين كانوا يخرجون ليلًا لاجل التبكلل[2] ويتسلحون من تلقاء ذواتهم على الا يخرجوا اصلًا لان اهل البلد قاموا على محمد باشا[3] ابن ابراهيم باشا واخرجوه واستقام الخوف والتنكيل نحو اربعة اشهر الى ان اخيرًا دخلوا الى البلد.

١٨٠٥

قبل البركة والختم روفائيل عيواظ وعبدالله قاماتي.

---

١) راجع ما كتبناه في المشرق عن التراجمة [١٩] ٣٦٧.

٢) التبكلل اي اضم أمروا بان يبقوا في بيوتهم في النهار فصاروا يخرجون منها بالليل.

٣) قال التزي ٣١٦،٣ في محرم ١٢١٩ خرج ابراهيم باشا من حلب متوجهًا الى دمشق لمباشرة وظيفته وترك ولده محمد باشا واليًا في حلب وبعد ثلاثة ايام من خروجه قام الحلبيون واشهروا العصيان على الوالي واخرجوه من حلب . . . فارسلت الدولة مباشرًا خاصًا لاصلاح ذات البين وكتبت بمساعدته الى احد بني الجابري.

٢٨ ايار : نبه المرشد على الا يطالع احد الكتاب المطبوع حديثاً وهو مختصر التعليم المسيحي المطران جرمانوس آدم[1] لما فيه من التعاليم الجديدة المذمومة فيما يخص رئاسة الحبر الاعظم وغير ذلك حسب امر قدس بطريركنا غريغوريوس الكلي الغبطة وفي هذا اليوم انعم الله علينا بوصول خبر عزلة افندينا محمد باشا قطار اغاسي لانه اتعب البلدة بالمحاصرة والاضرار الكلية في سنتنا الماضية مع الغلاء الشديد حتى منذ عشرة ايام اشتد الحصار وصارت تضرب اطواب مع قنبر[2] من القلعة من السيدة الموجودين فيها من طرفه ومن الشيخ ابو بكر من الاوردية على البلد وربما بلغ عددهم الثمانماية مدفع ولكن جلت احكام ربنا لم يصدر منها اذى.

٩ كانون الاول عيد الحبل بلا دنس صارت الصلاة في مربع بنات دير اروتين خوكاز .

١٨٠٦

المتقدم مخائيل عصتي صباغ . قبل البركة والختم نصرالله كوريخ وابراهيم هكيد دنلي وجبرائيل فرا وفتح الله دير اروتين .

٤ : آذار اغلقت الكنائس واختفت الكهنة لان الوالي تطلب جرماً من الطوائف .

١٨ آذار : حضر الاخوة جميعاً لان يد الحاكم رفعت عن المسيحيين بواسطة حضرة قنصل فرنسا اذ حماهم برجاله وبالفرمان الذي جاء بحماية المسيحيين .

٥ آب : في الخمسة عشر يوماً الماضية حضر للبلد خوجكان من قبل الدولة العثمانية وصحبته امر عالي بتبطيل حماية الافرنج جميعها التراجمين والفرمانلية فابطل جميع الحمايات وابطل لبس قلابق السمور واخذ من الجميع الخراج فصارت جميع المسيحية رعايا .

٣٠ ايلول : حضر قدس ابينا المرشد وقرأ علينا مكتوباً ورد للاخوة من

---

١) تعليم جرمانوس آدم متروبوليت الروم الكاثوليك في حلب من ١٧٧٧ الى ١٠ تشرين الثاني ١٨٠٩ .

٢) القنبر هي الكلل من الحديد او من الحجر وكان منها كمية وافرة في قلعة حلب الى عهد قريب منا ورفعت منها الكلل الحديدية في الحرب الكونية الاخيرة .

دير الكريم بطلب شخصين او ثلاثة من الاخوة للدير فنبه المرشد على ان من يدعوه الباري تعالى لهذه الدعوة عليه ان يخبر المرشد او المتقدم ليسعى في تحقيق مرغوبه .

١٨٠٧

المتقدم الياس مخلجي ثم يوسف يغيا قبل الختم مخائيل صائغ .

ولاية عثمان باشا

٥ آب : لم نجتمع منذ خمسة اشهر بسبب الطاعون وكان عدد الجنازات من المسيحيين يومياً نحو عشرين وكان يخدم المرضى الاب اندراوس شاشاتي ومنه يوآجره وفي عضونيا برز امر من عثمان باشا والي حلب على المختتنين والمتجنبين نصارى واسلام ان يعودوا جميعهم الى اشغالهم فاغتمت الناس وعولوا على ذلك لولا يلطف الباري تعالى باظهار مرام هذا الحاكم ان يأخذ جرماً من النصارى فلزم ان يقطعوا معه جرماً يبلغ فيبقوا في الخباء لكن حدث من ذلك مشقة زايدة للمسيحيين وايضاً في ذلك الوقت حضر خبر من محروسة اسلامبول بعزل السلطان مصطفى وتغيير ارباب الدولة جميعهم ورفع نظام جديد فانسرت الناس من ذلك املاً بان تحصل راحة للرعايا وبعد ذلك صار فريضة قرض على النصارى والاسلام لملوفة عسكر مستخدمية الاعيان الآغاوات لصيانة البلد من ابراهيم باشا واولاده فصار تبلبل كلي للمسيحية والترم الذين حررت اسماؤهم بالقرض ان يخرجوا من المخبأ قبل عيد مار الياس ولكن الحمد لله ما صار نقص منهم ابداً .

وفي عيد مار الياس عند الروم خرج المسيحيون كلهم من الخبأ وقطع الطعن كلياً .

المتقدم الياس مخلجي .

١٣ تشرين الاول : قدمنا صلواتنا عن نفس جبرائيل شاغاوات المتوفي في انكورية .

١٨٠٨

المتقدم يوسف يغيا . قبل الختم مخائيل صباغ .

١٦ ايلول : دعينا نحن الاخوة اصحاب الوظائف لمواجهة حضرة الاب استفانوس نوري في بيت الاب مخائيل كسبار فتكلم معنا من خصوص امر سيدنا جبرائيل[1] البارز وهو رجوع الجمعية لمكانها القديم الذي في دير اللعازرية تحت ارشاد الباذري نيقولاوس فاستحسنا ذلك بشرط ان تبقى رسوم اخويتنا على حالها وان جميع رياضاتنا وصلواتنا تتم في مكان الجمعية حتى الوعظ ايضاً يصير فيه لا في الكنيسة ورحب بنا الاب نيقولاوس .

ولاية يوسف باشا

٤ تشرين الاول: لم نجتمع سابقاً اذ قد حضر من يوسف باشا والي حلب امر على اليهود والنصارى انهم يدفعون له جرماً كبقية الوزراء فابت المسيحية من ذلك وسكروا الكنائس واختبأت المطارين والكهنة والعوام فبعد كم يوم ارتخى الطلب قليلاً فتظاهرت الناس ووقف بعض الناس لتوفيق الامر وبالتالي وفقوه بمبلغ مجهول كميته وهو خدامة للقبجي المرسل من الباشا بهذه المادة .

المتقدم الياس مخملجي الصائغ .

١٨٠٩

قبل البركة والختم حنا طباخ وانطون خياط .

٢ نيسان: دخل الايمان الكاثوليكي دير كبريل اصلان الصوصاني وبعده كثيرون من الارمن وحدث له اضطهادات مع معالجات وابتدأ كهنتنا الكاثوليكيون يمتدون ويكللون وبعد مدة منعهم عن ذلك المقتدرون.

المتقدم يوسف يغيا .

---

١) هو جبرائيل غزول عقاد رئيس اساقفة الارمن الكاثوليك في حلب من ١٧٨٠ الى ١٨١١ (راجع ترجمته في المشرق ٩ ، ص ٢٦٥ بقلم الورتبيت بولس بليط) .

١٨١٠

٦ شباط: الاخوة قليلون لاجل تسكير الكنائس لسبب ان المشنوق كان داخل بابين الحديد[1] فوق مخزن البواب .

قبل البركة والختم فيلبس خياط وجبرائيل فرا وفتح الله يوسف اسطفان عائدة والياس خاجو .

٢٤ تموز: لم نجتمع بسبب سفر الينكجارية لحرب المسكوب .

٢٧ تشرين الثاني: صلينا لاجل راحة نفس المطران جبرائيل عقاد المتنيح في دير بزمار في ١٧ تشرين شرقي ولاجل اخينا القديم المقدسي يوحنا يغيا المتوفي في بندر سويس البعيد عن مصر مسافة اربعة ايام وكان انتقاله الى رحمة باريه في ٩ تشرين الاول نهار الاحد .

٩ كانون الاول: قدس الاب يوسف بازرجي الآتي من مصر قداساً احتفالياً وبعده قدس الاب نيقولاوس اللعازري .

١٨١١

٨ كانون الثاني : الياس مخلجي متقدم .

حررنا مكتوب تهنئة لسيادة المطران جبرائيل خديد الذي تم انتخابه في ٣ شباط بموجب مرسوم البطريرك غريغوريوس عن طلب الرعية كلها . سافر من حلب يوم الخميس الواقع في ثاني يوم وصول منشور تثبيت انتخابه وارتسم في ٢٣ نيسان يوم عيد مار جرجس بدير بزمار .

١٨١٢

يوسف يغيا دير اصلان متقدم .

قبل البركة والختم انطون بدروس كلزي وجرجي بهار وحنا انطون صايغ .

---

١) قال « بابين الحديد » والاصح « باب الحديد » وهو باق الى يومنا ومن اجمل ابواب البلد القديمة وهو عبارة عن بناية غليظة يعقد سقفها على قبو يجتازه الناس وله فتحتان كبيرتان لقبها المحرر « بباب الحديد » .

١٨١٤

يوسف يغيا متقدم .

قبل البركة والختم حنا اسيون الياس كسبار جرجي خوكاز .

١٦ آب: امتنعنا عن اجتماعات الاخوية لسبب الطاعون.

١٨١٥

الياس مخلجي متقدم .

٢٥ تموز : اجتمعنا هذا اليوم بعد زوال الطاعون وكان خفيفاً جداً ولم يختبئ سوى الافرنج .

١٨١٦

جبرائيل صباغ متقدم

٢٦ تشرين الثاني : في هذه السنة لم نكتب الوقائع كالعادة لان الكتاب كان مستميره الاب كاروبيم لكي ينسخ القوانين الى الارمن من الكاثوليكيين القاطنين في بركنيك[1] وقد طلبوا انشاء اخوية عندهم فنؤمل من سلطانة الاخوية انهم ينمون في العبادة لها .

١٨١٨ و ١٨١٩

خورشيد باشا

في هذه المدة الانتخاب بقي الى العام الآتي لسبب قلة الاخوة وكذلك الى ١٨٢٤ وقد حدثت مظالم وخسائر باهظة وصار اضطهاد الروم الكاثوليك وحاصر خورشيد[2] باشا البلدة ولزمت الدولة العلية الرعية بتقديم مصاريف

١) بركنيك قرية بالقرب من مدينة سيواس في الاناضول كان عدد الكاثوليك وافراً فيها وكان لهم فيها كنيسة مار سركيس ودار المطران ومدرستان عامرتان (راجع الكندريان : التاريخ الموجز ص ٤٨).

٢) ١٨١٨ نشر الاب بولس قرألي في المجلة البطريركية خبر مذبحة الروم الكاثوليك

العساكر للحروب وفي الاخص حدثت الزلزلة فهدمت جزءاً معتبراً من هذه البلدة وخاصةً قاعة الاخوية وبيت المشورة مما اكتفينا بذكره موجزاً .

وحسبنا الاشارة اليها وخلاصة الكلام في هذه القضية المؤلمة . ١ً ان الذين قتلوا قتلوا من اجل ايامهم . ٢ً الباشا الذي حكم بقتلهم استعمل الواسطة التي جرى عليها الحكام الاتراك في ذلك الزمان اذ كانت حياة العباد رخيصة بين ايديهم ووسائل تبين حالة البري من الجرم مفقودة لا يبت في شأنها الا التغريم والرشوة. قد تقرأ في اخبار الزلزلة عن حلب ان الباشا اذا قدم اليه رجل اخذ بالسرقة امر بضرب عنقه فتضرب للحال وكذا كان لما خالف « الشهداء » الامر بالطاعة للسكان والصلاة في الكنائس الغير الكاثوليكية. ٣ً شدة مقاومي الحركة الكاثوليكية سببها اما سياسي وهو ان بطريرك القسطنطينية كان يرسل الى الحلبيين المتكلمين بالعربية رجالاً من غير جنسهم ليسوسوهم ذلك مما يؤدي الى الخلاف بين الراعي والرعية وكان ايضاً السبب الاقتصادي وهو ان اعيان الكاثوليك بامتناعهم عن التردد الى الكنيسة الملكية كانوا يحرمونها من الحسنات المعتادة التي يؤديها المؤمنون لكنائسهم ويطرحون عن كاهلهم ما كان قد يترتب عليهم من الغرامات ليس فقط عن انفسهم ولكن عن فقراء الطائفة ايضاً فيسمي هؤلاء لا مال لهم الا مال الوقف المعهود بامره الى الاسقف وديوانه فيقع هذا بضيقة وحرج مما كان يؤدي الى الشكاوي التي آل امرها في حادثة ١٨١٨ الى المذبحة المعروفة وقد قتل فيها تسعة من الروم الكاثوليك ومرياني واحد وماروني واحد .

وعثرنا في دار الاسقفية المارونية في حلب على دفتر اخوية « حفظ الايمان الكاثوليكي » جاء فيه عن سنة ١٨١٨ .

« ٢١ اذار قبل تاريخه كهنة الروم الكاثوليك ذهبوا من حلب بامر عالي بخط شريف عن يد بطريرك استنبول ومطران حلب جراسيموس وكان ذلك النهار مهولاً محزناً والهالنم جميع المسيحيين وكان بدؤ اضطهاد الكاثوليك على يد الروم وهم اغنى واكثر جميع الطوائف في حلب وجاء الامر بمنع المرسلين عن دخول بيوت الروم ومنع الروم عن الصلاة في غير كنائسهم وكان الكاثوليك محبوسين في استنبول » .

راجع ايضاً في هذه المادة : هدايا المسرة – « وثائق تاريخية للكرسي الملكي الانطاكي (٥ً) شهداء حلب » عني بجمعها يعقوب نعوم سركيس (كراس سنة ١٩٣٣) ومثلها عني بجمعها ألاكسرخوس اكاكيوس كوسا قب وعربها الارشمندريت داميانوس شبارخ قب (كراس ١٩٣٦) مطبعة القديس بولس في حريصا .

١٨٢٢

« الزلزلة الكبرى »[1]

حاشية . حدث نياح مطراننا السيد جبرائيل خديد[2] وانتخاب القس

١) هي زلزلة ١٨٢٢ جاء وصفها في نهر الذهب للنزي ٣ ص ٢٢٦ وفي اعلام النبلاء للطباخ ٣ ص ٤٠٠ وفي المجلة السورية ٣ ص ٥١٠–٥١٢ و٥٧٩–٥٨٤ ؛ ٦ص٥–٩ و٧٣–٧٨

اما دفتر الاخوية فلم يدوّن ذكرها لاضطراب الاحوال التي منعته عن الكتابة . اليك مختصر ما قرأناه في كتاب ريتر « الجغرافية » C. Ritter : Verlgeichende Erdskunde 17 . Asien. 2. p. 1654. 1655. وفيه الملاحظات اخذاً عن الرواد الافرنج الذين كتبوا عن حلب وزلزلتها في ذلك العهد . قال : « دامت الزلازل اربعين يوماً ابتداء من ١٣ آب سنة ١٨٢٢ وامتدت من الشمالي السوري الى حوران واحدثت في جوار جبل الاربعين خاصة انقلابات وشقوقاً وكهوفاً في الارض ظلت بينة الى ما بعد الكارثة لم يكن هناك ثغرة بركان منفتحة بل كانت بخارات نارية تشق الارض وتتصاعد من جوفها كأنها تثور من اعماق جهنمية . فخسفت الارض في بعض المواضع واعتلت في غيرها ومن فحص طبقات التربة التي اندلعت من الاعماق والرجوم التي تساقطت يظهر ان في باطن الارض كبحيرة نارية اشتد غليانها فانفجرت ولم يكن آنذاك بين الاحياء من الناس من استطاع ان يرصد الحوادث الجوية ويراقب التأثيرات التي احدثتها الزلازل في ساعتها ليتمكن من تدوينها لتكون مادة للبحث والدرس العلمي فلم يبق الى يومنا منها الا ما رواه عنها الشهود العيان ممن جاء ذكرهم في المراجع اعلاه . وخلاصته ان قد سبق الزلزلة ساعات انحباس الهواء وظلام واضطراب في الجو ثم ثارت الارياح وتلاطمت وقدحت ناراً في الجو واحدثت صوتاً عظيماً اشبه منه بهدير المياه ولم تمطر السماء الا بعض النقط . ومن ثم زلزلت الارض زلزالها برفسات عمودية من الاسفل الى الاعلى .

وكان تأثير الزلزلة شديداً في حارة اليهود والعقبة وسوق العطارين وابراج القلعة وما جاورها ومن المواضع التي انخسفت بتأثير الزلازل الناثر الكبرى الواقعة قبلي حلب خارج باب قنسرين خسوفها قد يكون سبق سنة ١٨٢٢ بقرون وقد يقال انها كانت مرابط لعسكر الصليبيين في حصارهم حلب . وفي بلاد انطاكية انفجرت الارض وظهر منها مياه سخنة ثم غارت » وجدير بالذكر ان الثارب بالقرب من اعزاز كانت من القرى التي احدثت فيها زلزلة ١٨٢٢ اشد الخراب وفي القرب منها تعمل شركات النفط السورية لاستخراج البترول كأن هناك علاقة بين وجوده في بطن الارض وزلزالها .

٢) راجع ترجمة جبرائيل خديد بقلم الاب بولس بليط في المشرق ١٩٠٦ ص ٤٥٦ وكذلك ترجمة ابراهيم كوبلي وهو الذي سيتي كنيسة الارمن الكاثوليكية في حلب . جاء ذكره في القاموس التاريخي الجغرافي الكنائسي لبودريار في المجلد ٢ – العمود ١٢٨ وتاريخ جلوسه غير مقرر فترى انه دعي لاسقفية حلب في ١٨٢٣

كيروبيم كبلي مطراناً علينا وسيمي السيد ابريهام سنة ٢٥ ثم نزل لحلب مدة والسيد البطريرك غريغوريوس السادس استدعاه وربطه عن الجعويات فسافر

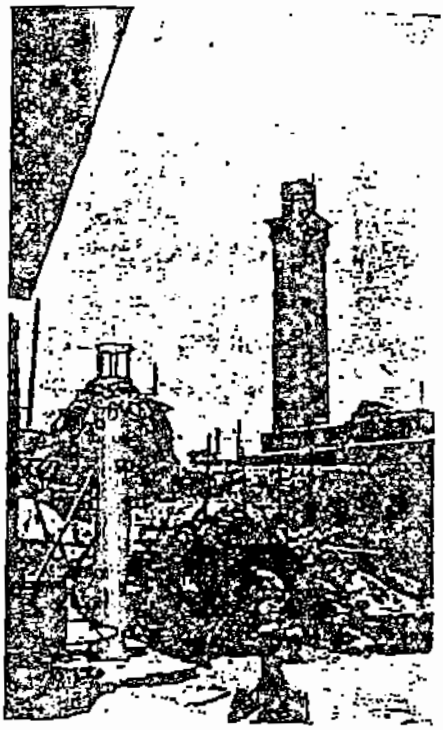

اثار الزلزال في القرب من الحمام الاوبري شمالي الجامع الكبير وشرقي المنبة – هذه المحلة حولتها بلدية حلب منذ عهد قريب منا الى ساحة عمومية ولم يبق فيها اثر لانقاض الزلزال كما هي في الصورة

قبة الشيخ صالح جنوبي البلدة وآثار الزلزال فيها

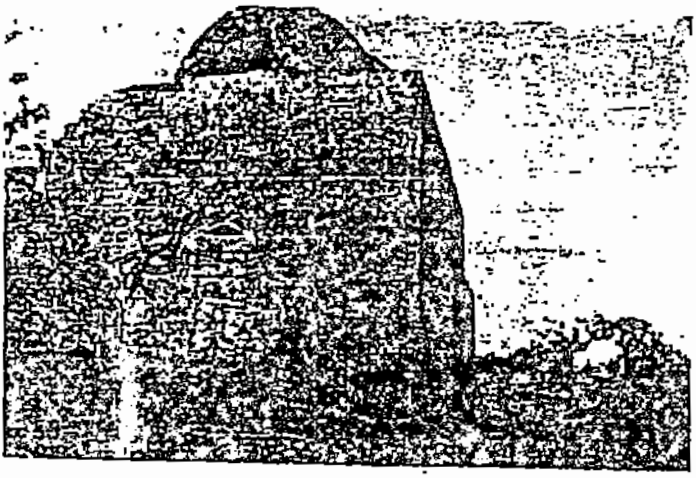

لكسروان بقي مدة خمس سنوات ثم حدث في هـذه الفضون قلق عظيم في الطائفة واشتكوا الى الكرسي الرسولي فجرز امر ببطلان هذه المقاصصة في ١٨٢٨ وردّ المطران الى كرامته وبقي في الدير البطريركي .

اسماء الذين اشتركوا في هذه السنة :

تاظار صاصوني ، جبرائيل جرجي عضتي ، الياس يوسف كسبار ، كسبار مخايل كسبار ، جرجي قنبز ، جرجي يوسف طباخ ، مخائيل صائغ كتنجي ، يوسف تفنكجي جبجي ، اسبيز عايده ، الياس انطون بلشه ، يوحنا كركور الطونجي .

١٨٢٤

٣ نيسان : حين تركنا من تخريط الزلزلة وبعد عمار بيت المشورة وقبل عمار القاعة صار الانتخاب فكان المتقدم يوحنا انطون صائغ .

١٨٢٥

المتقدم فتح الله يوسف تيروز ، المرشد البادري نيقولاوس كوديس اللعازري .

وكان موضع القاعة في دير الآباء اللعازريين داخل ديرهم الصالي شرقي بستان هذا الدير ملاصقة قبة الحلوية وفي تلك القاعة كان يجتمع عزبان اخوية السريان ايضاً .

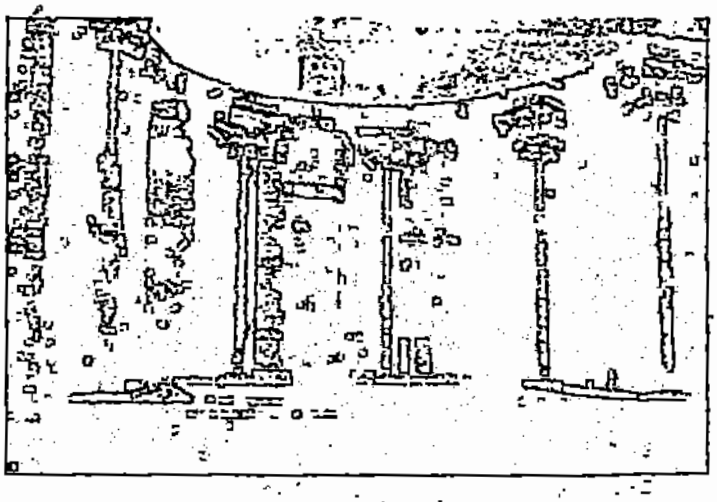

جامع الحلوية (جزء من القبة المرتفعة على العواميد طبقاً للفن البيزنطي

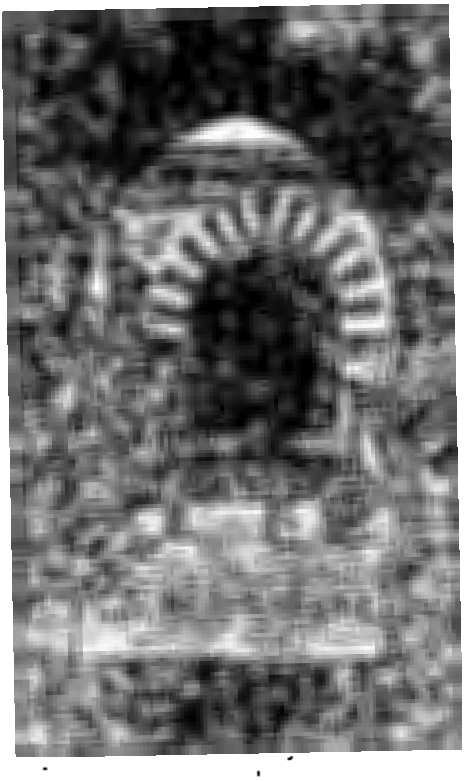

ايوان الحلوية
المجاور للدير قديماً

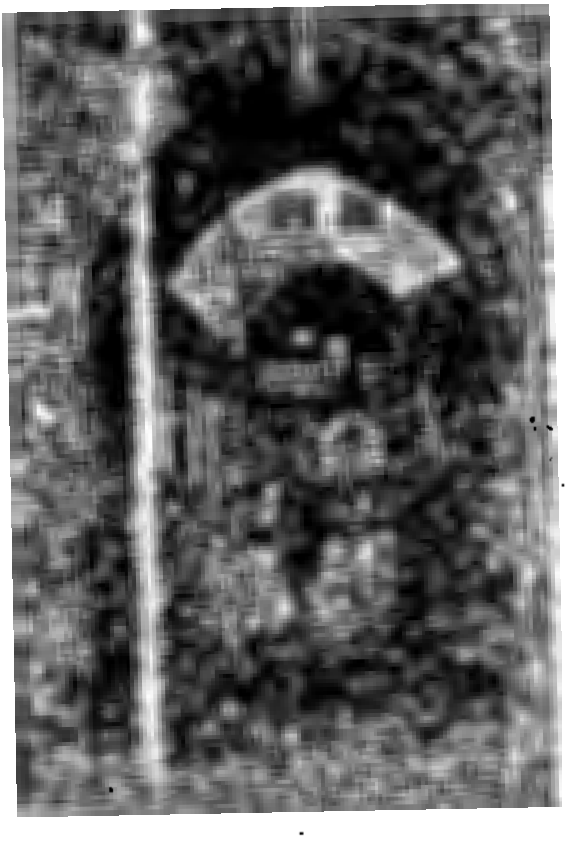

الزقاق المؤدي الى خان البنادقة وأمام مقام الاخوية القديم في دير الآباء اليسوعيين ومن بعدهم اللعازريين قديماً .

١٨٢٦

تبرع بعضنا على قدر طاقته لاجل خير التعاليم بشيء من الدراهم لتوجيد مطبعة صور وتفريقها للتعاليم .

٩ كانون الاول: لم نحتفل بالعيد كالعادة لاجل الحوادث الحاصلة يومئذ بين الكهنة والمطران من ١٩ كانون الاول ١٨٢٦ الى ١١ اذار ١٨٢٨ محرر كل شيء في اوراق طيارة وفقدت بسبب الطاعون والتخبئة فلاجل ذلك اقتصرنا عن ايراد ما يقتضي تحريره .

١٨٢٨

عبد الرؤوف باشا

٩ آذار: فتش الحاكم على الكهنة فواجهوا عبد الرؤوف باشا واعطاهم مهلة الى الخميس ليسافروا .

١٥ اذار: سافرت كهنة الارمن الكاثوليك من حلب بموجب امر عالي « عدد ٥ » مع كاهنين عابرين الطريق الى اسكلة البحر اسكندرونة وفي ٣ نيسان توجهوا الى بلاد الافرنج وبقينا بغير كهنة واستولى الرئاسة على الارمن الكاثوليك رئيس الشيباني البادري منصور الفرنسيسكاني بموجب انعام بابوي وكنا مكتئبين جداً لفراق الكهنة المضطهدين وتصرفت بنا بقية الكهنة الكاثوليكيين بلا مانع .

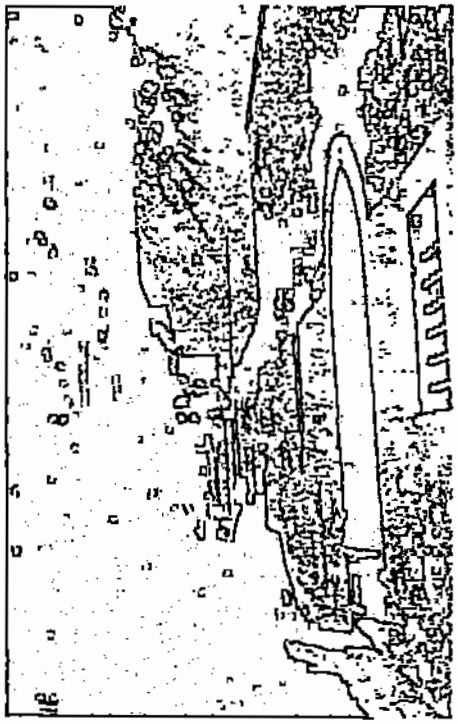

زقاق الجلوم المؤدي الى كنيسة الآباء الفرنسيسكان قديماً في حي الشيباني

٢٢ نيسان: انقرأ فرمان في

المحكمة في رفع السلاح من بيوت النصاري وطلب مال من البلدة .

٣ ايار : حضر من المعدن راهب كبوجي والقس يعقوب الارمني من الكورة بقيد بند[1] لعند افندينا عبد الرؤوف باشا وقد ارسلهم باشة المعدن الى حلب ومنها سركلوهما الى البحر الى البلاد وما قدر القنصل يخلصها .

٢٥ تموز : اتى من قبل السيد ابرهام كوبلي مكتوب في تأييده وقرئ على الاخوة .

١٨٢٩

المتقدم يوحنا صائغ واخذ البركة والختم خاجه خياط وروفائيل زريف .

١٩ ايار : صلينا لندفع عنا الاضطهاد الذي يحركه علينا الارمن الغير الكاثوليكيين .

٣ حزيران : قبل عشرة ايام حضر جرخدار من المحروسة وبيده فرمان الى الخواجه وانيس جركسلي في سفره من حلب الى انكورية فلما بلغه ذلك اختفى وفتشوا عليه في جملة مواضع فوجدوه فاخذ مهلة بالسفر .

وفي ذلك النهار بعينه ارسل مطران الارمن « بريد » يستدعي بعض الوجوه الكاثوليك فلما اتوا لعنده كان اول خطابه هذا يلزم ان تدخلوا تصلوا في الكنيسة معه وهو يعطيكم مهلة ثلاثة ايام حتى تردوا الجواب فاما ان تصلوا واما ان يحرر بحقكم الى المحروسة ويسركلكم وتضبط اموالكم وبعد ثلاثة ايام في ٢٦ ايار ذهبوا لعنده وربنا الذي الهمهم فردوا له الجواب واعترفوا بالايمان الكاثوليكي وانهم ثابتون فيه الى الموت .

ثم قاضي حلب استدعى تتمة من الوجوه ونبههم على ان يطيعوا مطران الهراطقة ويصلوا وراءه حتى لا يصيبهم ضرر فما قبلوا هذا واخمدوا الغضب الذي كان مشتعلاً في المطران وبقي الحال كما كان سابقاً فنشكر والدة الاله التي حفظت هذه الرعية من شرهم .

٣ تشرين الثاني : اخذ البركة والختم نعمة الله حسون ، الياس عسال ، جرجي بيدروس ، فتح الله عجم .

---

١) قيد بند اي بموجب القرار المحرر .

١٥ كانون الاول: قرأنا منشور السيد ابرهام كوبلي – مطران الابرشية حرضنا فيه على العبادة الى سيدة النجاة .

٢٩ كانون الاول: قرأنا منشور سيادته في الغفران العام .

١٨٣٠

تبطيل الاخويات[1]

٧ نيسان ثاني القيامة صار اجتماع وتلونا صورة تثبيت اخويتنا القديم جداً من الاحبار الرومانيين لرئيس الآباء اليسوعيين العام، وتجديد تثبيته من قداسة الحبر الاعظم البابا بيوس السادس السعيد الذكر لان بهذا القرب حضر امر بتبطيل كل الاخويات والشركات الغير مثبتة من المجمع المقدس والكرسي

١) لا بد من كلمة ايضاح لتعليل اسباب ابطال الاخويات الغير المثبتة من الكرسي الرسولي قد يمكن اختصارها بهذه العبارة « التصوف الزائف » تعريباً لما عرفت به في الافرنسية Faux mysticisme .

معلوم ان اهل الخاصة من المتعبدين يلتمسون السبق الى الاتحاد مع الله بطرق روحية خفية عن العامة . اما سلوك تلك الطرق فخطر ان لم يستند الى تعاليم الكنيسة وارشاداتها على معلمين نالوا رضاها والا فيتحول الشيطان من ملاك الظلام الى ملاك النور ويضلل النفوس وكذا جرى في العابدات في بعض الاخويات الحلبيات مما الجأ الرؤساء الى الغائها . ولدينا وثائق خطيرة نسختها من خزانة مخطوطات الدار الاسقفية المارونية رقم ٢٠٦ من اضبارة المغران بولس اروتين ١٨٣٩ – ١٨٥١ جاء فيها ما نروي منه الكافي للقارئ اللبيب ومثل هذه الاضاليل ظهرت في القرون الوسطى في بعض البدع الدينية الغريبة وكثير ما احدثت من الاضطرابات في الكنيسة وان ما جرى في حلب في هذه الناحية كان فصلاً من فصولها قد يفيد الاطلاع عليه لدرس حركة « الكويتيم » وقد ذهب البعض من اصحابه الى القول ان من اصطفاهم الله لهذه الحالة لا يجوز لهم أن يشتغلوا بيديهم ولا ان يكرموا الصور ولا ان يمارسوا الصيامات ولا ان يحضروا القداس ولا ان يتعبدوا للقديسين وقالوا انهم يتمتعون بمشاهدة الله مباشرةً واذا ما ارتكبوا الخطيئة ضد الوصية السادسة فلا يحاسبون عليها . راجع قاموس الكلام Dictionnaire d'Aplogétique ٥٦٧ في مادة كويتيسم quiétisme ومادة « تصوف » في دائرة المعارف الاسلامية الفرنسية المجلد الرابع ص ٧١٥ – ٧١٩ لمؤلفها ماسينيون . وراجع القاموس التاريخي الجغرافي الكنائسي لبودربار في مادة حلب لمحررها كارالنسكي مجلد ٢ عمود ١٠٦ ومجلد ١ عمود ١٢٧٦ – ١٢٧٩ .

صورة قضايا العابدات اصحاب الاتفاق السري .

« اولاً : يوجد رسم من جملة رسومات هذا الاتفاق السري باسم يكون فيهم روح

الرسولي ولهذا بطلت جميع اخويات حلب ولم يتبق منها على اجتماعاتها ورياضاتها سوى اخويتنا اعني اخوية الحبل بالعذراء بلا دنس واخوية دخول العذراء الى الهيكل لعزبان الروم الكاثوليكيين فقط .

التصديق لكل خيال يأتي في وقت الصلوة بالعقل انه من الله من غير تفلسف وعلى هذا المبدا فاهم يقبلون كل شبح وكل رويا ينظروها في صلواتهم النظرية لان كل صلواتهم نظرية دايماً خلا افعال قلب يسوع في اوقاتها ففي حضور القداس والاستعداد للاعتراف والتناول والشكر الجميع هي نظرية .

ثانياً : في هذه الصلوة ينظرون الرويات وينظرون يسوع نظير رجل شاب جميل حسب ما يتصوره العقل من الحسن والجمال فهو يأتي اليهم ويعانقهم ويعانقوه ويصير الاتحاد مع يسوع ختن نفوسهم وهذا الاتحاد يسموه هو حب نظير حب العريس لعروسته ويقيسوها على هذه المحبة وهكذا يلزم الاتحاد والحب .

ثالثاً : اما العلم عن حركات الطبيعة التي تصدر من هذه الالفة فانها ليست تحت خبر ولكن هنَّ يعلموا المبتديات بان اذا صار حركات فاهم يثبتون في الاختطاف ولكن لا يغرقوا ولا يرجعوا الى الورى بل يثبتوا في حال صلواتهنَّ النظرية ولو بقيت الحركات اما هن اي العابدات الاثني عشر اصحاب الاتفاق السري فاهم قد خلصوا من كل خطر ولا خوف عليهم اذا غرقوا في هذه التصورات والتشخيص ولو ترحت فيهم الالام فلا بأس عليهم الى ان يصلوا الى النشو والنمو والتخشيب فلا يجب ان يعبروا لان هذه جميعها صادرة من شدة المحبة ليسوع ويبقوا في الارض مدة من الزمان غشيانين ثم بعد انتباههم ينهضون في ضعف القلب .

رابعاً : يوجد رسم ان كل اخت من الاثني عشر يلزمها ان تكون تعرف تكتب لكي تكتب كلما تنظر من الروايات والاختطافات وما يكلمهم به يسوع وما يعلمهم اياه وما يكشفه لهم والان كل واحدة عندها كتاب تكتب به سيرتها هذه اليومية نظير القديسة ترازيا وفيه كل شيء مشروح من اختطافهنَّ ومن لمسه قلوبهنَّ وجراحاتهنَّ التي يجرحهم اياها يسوع لكي يظهر هذا الكتاب بعد موتهم لاجل الاقتداء بسيرتهم وتثبيت قداستهم .

خامساً : واما نوع اتفاقهم السري فاهم يجتمعوا عند مرغريتا . . . المسا بعد العشا كل الذين ضمن الصايح من الاثني عشر كل ليلة اما المبتديات فبعد ان يختبروهم اهم يكتموا السر يدخلوهم بعض ليالي واما يجتمعوا يأتي الاب نصرالله بعد ان يكونوا صلوا في آياتهم صلواتهن النظرية ويجلس في بيت آخر ويبتدوا يدخلوا لعنده واحدة بعد واحدة واحيان اثنتان جملة ويكشفوا له ضمايرهم عن ما راوه في صلواتهنَّ وبعده يأتي الى بيتهم ويكرز ويروح فالتي تريد تبقى والتي تريد تذهب .

سادساً : عند النوم الذين جرحهن يسوع نظير القديسة ترازيا فاهم لا ينامون على فراش وان ناموا على فراش يأخذوا يسوع في عيهم وينامو معه .

١ حزيران : نبه الاخ المتقدم على الّا يذهب احد الى غير اخويات اي الدير مثبتة من الكرسي الرسولي وهذا التنبيه صدر من البادري منصور رئيس الفرنسيسكانية. وله الرئاسة على طائفتنا الارمن الكاثوليكيين بسبب غياب الكهنة .

خامساً : اما كشف الضمير فالاثني عشر اصحاب الاتفاق السري عند مرشدهم : واما المبتديات يلزمهم بان يكشفوا ضميرهن عند مرغريتا . . . وكل شيء الذي تدبره من غير مراجعة يقبلوه ويتصرفوا بموجبه لانه من يسوع والذي تجاوب اني ما بكشف ضميري عند امراه فهذه تكون غير مدعوة من يسوع ويخشى عليها من الهلاك .

ثامناً : وحين يرسلوا هؤلاء الاثني عشر المبتديات عند مرغريتا فتبتدي الابنة بكشف ضميرها عند مرغريتا اولاً عن الصلاة ثم عن الامال الردية والافكار اخيراً عن سيرتها وسلوكها فان ثبتت الابنة فحينئذ يتشاوروا عليها لكي يدخلوها الى بستان المتن السري لان الكلام الذي ينهم ان المتن له بستان وفيه درج والداخلين يبتدوا بان يصعدوا المبتديات الى هذا الدرج [كذا] .

تاسعاً : اما عن سيرتهن فاهم ليس بمحتاجين لا [الى] تذكر الام يسوع ولا الى اقرار حيوته ولا الى تذكر العواقب الاربع ولا الى تأمل الفضايل نظراً الى الانضاع والاماتة واكرام الوالدين والنتيجة ان هذه الفضايل جميعها للمبتديات وليس لمن فهذه هي سيرتهن وهذا هو تعليمهن .

عاشراً : وعن اعترافهن فان لمن اعترافين الواحد روحي والآخر حقيقي وكل واحد في وقت . وبعد كل واحد يتناولوا القربان المقدس تناولاً حقيقي .

حادي عشر : فاهن في اختطافهن يحصلون على الذبيحة الروحية والذبيحة الروحية عندهن هي نظير الذبيحة الجسدانية وهنا لا يقتضي شرح اكثر من ذلك وهذا قد تجنبناه غاية التحقيق باثباتات وشهادات ممن يوثق بهم .

ثاني عشر . . . حينما يقدموا ذواتهم لله ليكمل فيهم مفاعيل محبته تكون تقدمتهم هذه عن يد مرغريتا ومشتركة مع تقدمتها .

ثالث عشر : تردد الرغبي ليلاً ونهاراً على مرغريتا نحو بنوع خالي من الفطنة ومملو من الشكوك حتى انهم يتشاوروا اين تكون المنامة فان قالت له في الدير يحضر الى هناك وان قالت له في البيت يبقى في الصايح لكي يذهب لعندها حتى الى قرب نصف الليل ولكثرة التردد ليلاً ونهاراً اهل الصايح الصليب احترقت ضمايرهم حتى صار البعض ينظروه والبعض يعلموا عليه والبعض يتوعدوا انهم يقتلوه .

رابع عشر : نوم العابدات في الدير وسكنا احدهم لا سيما مرغريتا وحضور حنا هناك .

خامس عشر : توجه الاب مرقس كل يوم لعند مرغريتا ساعات لكي كما قيل وتاكد برأسه ويكشف ضميره واقامته عندها باختلاء ومثله الاب نصرالله ساعات ومثلهم حنا . . .

٢٩ حزيران: اقتبل البركة والختم فتح الله بورصلي ، عطاالله كلزي ، الياس خياط ، الياس بالي .

٩ تموز: حضر عن طريق اللاذقية من رومية كاهنان من السبعة الذين تسركلوا بامر الدولة العليـة من اجل الايمان الكاثوليكي كما هو محرر في

يكشف ضميره عندها ساعات وهو شاب وهي صبية واذ تخترق الضماير من هذا التردد المتواصل ولا يمكنهم كتمها ويظهروها لهم ذاتهم فيجيبوهم بتحريف قول الرسول بولس لا فرق بين الذكر والانثى وان الذين حصلوا في الكمال لا يعتبروا الجسد ولا كلما يأتي منه وانه لا يلتزموا بالامتناع من هذه الاشيا المسلوه وعانه لاجل شك الضعفا لكوضم يسوه شك فريسي» .

[حاشية – لا تاريخ لهذه الوثيقة .

غره ٢٠٧ من الاضبارية ذاتها وصف مطول محرر بيد بطرس جرمانوس صادر في حلب في ٢٦ تموز سنة ١٨٣٣ وقد املته عليه مرغريتا يافي احدى البنات العابدات في طايفة الروم الكاثوليكية في مدينة حلب اذ « قد استقمت نحو عشره سنين من جملة العابدات المعروفات هنـا بجماعة عبادة قلب يسوع واذ بنعمة الله تعالى اطلعت فيما بعد على الضلال الجسيم والشر الفاحش الموجود في هذه الجماعة فتركتها منذ ثلث سنين تركاً كلياً فاني بحزن قلب اسيف وضيق نفس جزيل على اعظم الخراب الروحي الحاصل هنا سيما اذا امتد الخراب واتصل الى الموضع المقدس حيث ان ليس نـا وشبان محسوبون من ابناء العبادة قد طنوا فقط بل عدة كهنة ايضاً من طوايف مختلفـة (واسقفاً ايضاً قد توفي) هم سالكون طرقاً يظنونها طريق الله وعبادته مع انها خلاف ذلك طرق شيطانية غاشة موادية الى اهانته تعالى مستوجبة الهلاك كما قد اطلعت على ذلك من مرشدين صادقين وقد الزموني بهذا التحرير » .

[وتلا ذلك تفاصيل القوانين باوجه عديدة مطولة وخلاصتها ما ذكرناه سابقاً في رقم ٢٠٦

ولم ترعو العابدات الكاذبات عن عنادهن وضلالهن الى ان جلس على الكرسي الاسقفي المطران ديمتريوس انطاكي في ٢٧ ايلول سنة ١٨٦٦ فاصدر القرار التالي نسخناه عن وثائق المطران بولس اروتين رقم ٣٧٢ في خزانة المخطوطات في المكتبة الماورونية في حلب ونشرناه تعليقاً على حوادث هذه السنة ١٨٣٠ تكملة للموضوع] :

« اعلام بالرب لحضرة الآباء الكهنة الجزيل اكرامهم المفوضين باستماع اعتراف العابدات والمتعبدات والارامل المشبوهات بالعبادة المحرمة النازحات من تحت ارشاد الكهنة المتنوعين من طايفتنا الروم الكاثوليكيين المجد لله دائماً .

المخبر في روما الكهنة ديمتريوس رئيس اساقفة حلب وسلوكيه

اننا لا نحتاج ان نحرض غيرتكم على الاهتمام في تنقيه انفس النعجات الضالله المقدم ذكرهن واستيصال تلك التعاليم الغريبه والمبادي المعفونة المتنفه منهن بمشورة عدو الخير واعوانه لاننا واثقون كلياً بتقواكم وغيرتكم واستقامة تعاليمكم ولانه امر معلوم بانكم مشتركون

تاريخنا هذا في ١٥ اذار مصحوبين بامر من المجمع المقدس ان يعودا الى مدينتهما وهما القس كركور خضاي والقس توما فرا .

٢٢ تموز حضر منشور من المجمع المقدس في تثبيت اخوية المزبان .

منا في الالتزام بابذال الجهد الممكن جميعه كي يمكننا ان نفوز سوية بغاية اعمالنا هذه الرسولية المتعلقة بوظائفنا المتجهة خاصة لمجد الله الاعظم وكرامة الكنيسة الكاثوليكية والخضوع للاوامر الرسولية .

ولكن من كوننا الراعي الاول بغير استحقاق للجزء الاعظم من هذه الرعية الجريا فنلتزم ان نعلن لكم ارادتنا قانونياً بخصوص هولاء بقيود نوءل بوضعها بلوغاً اوكد لغاية اصلاحهن الموءوقه وهي هذه :

اولاً : ان تلزموا جميعهن بالاعتراف العام (ولئن اردن ان يستفين منه بحججهن الباطلة) واذ تقبلون اعترافهن هذا باوفر ما يمكن من استطالة الزمان فيمكنكم في هذه البرهة ان تقودوهن الى الاقتناع برفض اضاليلهن وايضاحها بواسطة فاعلية كلامكم وتقاوة ارشادكم .

ثانياً : اننا نحفظ لذواتنا حل كل قضية من القضايا التالية الملاحظة عيادتهن الكاذبة اي اولاً التعليم المقدم من احدهن لغيرها عن مبادي ضلالاتهن المحرومة ، ثانياً كل اجتماع في اشتراكاتهن السرية ضداً لاوامر المجمع المقدس ، ثالثاً التحزب والارتباط مع بعضهن بعضاً ان يكن في اختيار المرشدين او في مداومة التخبيز بالمتناولات وان يكن على الثبات في ضلالاتهن وعدم الاباحة بها للريس المألوف ، رابعاً المفاوضة مع مرشديهن الممنوعين او امثالهم من الكهنة فيما يختص بضايرهن او لاجل استعداد تدبيرهم في كيفية السلوك المرضي لهم ، خامساً واخيراً كل تصرف قبيح كامل كان او غير كامل يمارس مع المرشدين او مع بعضهن بصورة تقدمة الاوقات المعروفة منهن فهذه ما نحفظ حلها لشخصنا فقط ولا نفوض به احداً كائناً من كان بل نروم ان يحضر الاشخاص الساقطين في احدى القضايا المقدم ذكرها بذواتهم ونحب ان يوضحون لنا القضية الساقطين بها فيقبلون منا القانون اللازم وحينئذ نرفع عنهم الحفظ .

ثالثاً : كما اننا لا نقول عن جميع التابعين ارشاد الكهنة المقدم ذكرهم بانهن مفسودات بتلك الاعمال الاثيمة فهكذا نؤكد لحضرتكم ايضاً بان اللواتي منهن تابعات هذه التعاليم الارانيكية فيستحلون كتمها حتى وعن معلمي الاعتراف كغير ملتزمين بايضاحها ولذلك رغبنا ان يمارسوا قبلاً اعترافاً عاماً مستطيلاً لعلهن في مدته يستفيقون لحالهن ويكشفن قلبهن بالسذاجة الواجبة ونحن اذ نطلب لجميعكم ايها الآباء المحترمون مؤازرة انعامه الالهية وانواره السماوية للاستطاعة على استخراج هذه الارواح الشيطانية فنمنحكم بركتنا الرسولية ثانياً وثالثاً .

اعطي في دار اسقفيتنا في حلب في ٢٣ ايار ١٨٤٧ »

حقوق الارمن الكاثوليك المدنية

٢٧ آب: حضر كاهن مرسل من سيدنا المطران ابرهام كوبلي لحلب واسمه القس نقولا اسطنبلي ومن بعده حضر منشور من السيد ابرهام مطران ابرشية حلب الى قدس الاب كركور خضاي في ان يكون رئيساً على الطائفة الارمن الكاثوليكيين بحلب ويوصي الطائفة المذكورة بالاطاعة له في ان صوته صوتنا وامره امرنا وانقرأ المنشور بحضور جمهور الطائفة في بيت شاهين بعد الظهر نهار الاحد ٣١ آب وفي ٢ ايلول مضى الخواجه نعمة الله حسون لعند افندينا علي باشا واظهر لسعادته الاوامر التي كانت سابقاً وصلت لطرفنا من اسلامبول في ان قسوس الارمن الكاثوليكيين يكللون ويعمدون ويدفنون الموتى ولا احد يتعارضهم في الاشياء التي تختص بهم وسعادة الوزير المشار اليه اشهر بلوردي في اقرار الارمن الكاثوليكيين بحلب واياتها استناداً على اوامر الدولة العلية يتضمن الاذن في ان اكليروس حلب الارمن الكاثوليك يتصرفون بكل ما يختص بالكهنوت مع هذه الطائفة وبلوردي مثله لعنتاب وبلوردي مثله الى كلز من توابع حلب .

٢٠ تشرين الثاني : قبل البركة والختم كرابيد حداد ، حنا اسيون ، فتح الله مخلجي .

٩ كانون الاول: عيد الاخوية كنا في القداس وبعد تلاوة الكلام الجوهري حدثت زلزلة عظيمة والناس عزموا على الهرب وبعده المرشد تناول بالعجل واعطا البركة .

٣٠ كانون الاول: حضر القاصد الرسولي يوحنا لوسانا من جبل كسروان ونزل عند مرشدنا .

١٨٣١

المتقدم الياس مخلجي .

٣١ نيسان: صار الاجتماع في بيت المشورة وكان هذا الاجتماع الاول الذي فيه اعتمدنا نجتمع كل احد مع اخوتنا البريان المنتمين الى اخوية دخول العذراء الهيكل احد نجتمع في القاعة نحن وهم يجتمعون في بيت المشورة وأحد

نجتمع نحن في بيت المشورة وهم يجتمعون في القاعة .. الامر الذي كان مرغوباً ان يتم منذ سنين عديدة عند كافة اخويات حلب التي لم تكن تجتمع كل احد وصاروا الآن يجتمعون خصوصاً من بعد ان سيادة القاصد الرسولي فحص وثبت كافة الاخويات واستحسن هذا الامر عينه وكذلك قدس الاب البادري نيقولاوس كوديس مرشدنا ومثله سيادة راعينا المطران ابرهام كوبلي .

٢٦ تموز : اخذ البركة والختم شكرالله الطنجي، يوسف برغود، ميخائيل اسطنبولي بعض الاخوة لم يحضروا بسبب المرض الحاصل وهو الشري الاحمر ولم يحصل منه وفيات . ١٨٣٢

ابراهيم باشا في حلب

المتقدم الياس مخلجي

٢٨ حزيران : رجع ارضي السلطان محمود الى حلب بعد ان كسره ابراهيم باشا بن محمد علي باشا باشة مصر في بر حمص وفي ٣٠ حزيران حضر محمد باشا الانكجاري مع عسكر الجيش المكسور وفي ١ تموز حضر حسين باشا وزير ختام سابق ومعه بقية الارضي وبقي العسكران يومين بحلب وفي ٢ تموز الساعة ٣ مساء انهزم العسكر الهمايوني مع الوزير الاعظم ومع الوزراء جميعهم والعسكر وفي ٣ تموز الاحد بعد الظهر دخل بالصلح بدون حرب اصلاً حضرة ابراهيم باشا المشار اليه مع جملة عسكره المصري موافق للهجرة ١٢٤٨ في ١٧ صفر يوم الاثنين دخل عسكره جميعه من الصباح بدا ينتقل الى الشام وكان نحو عشرين الفاً . ومن دخول هذين العسكرين بدا يسري الهواء الاصفر واختبأت الناس الاربعاء والخميس ٦ و٧ تموز وفي ٩ تموز السبت تغير كيف سيدنا المطران ابرهام كوبلي في الهواء الاصفر واستقام في مرض الهواء الاصفر من السبت الى يوم الجمعة مساء الساعة الثالثة اذ انتقل الى رحمة الله فبدلوه وصعدوه في الكنيسة ولم يدفن في هذه الكنيسة الذي اعتنى بها لاجل عظمة المرض الذي كان اشد منه في بقية الايام بل دفن في مقبرة الآباء الكهنة المضطهدين في البرية وكانت دفنته في ١٦ تموز ١٨٣٢ يوم السبت وجنزته الكهنة باحتفال لائق بمقامه وظل المرض متفشياً من ٦ تموز الى ١٤ آب اذ طلع جميع

المختبئين وتوفي من المسيحيين ما ناف عن الالف.

٢٨ آب: افتقدنا الاب المرشد واعطى البركة والختم الى الاخ نعوم شاشاتي ثم صار نعوم شاشاتي قندلفتاً في كنيسة الارمن الكاثوليك فما عاد يحضر اجتماعاتنا .

خزانة الاخوية

في بيان عدد الكتب وغير ذلك من موجودات اخوية عزبان طائفة الارمن الكاثوليك المنتسبين الى اخوية الحبل بلا دنس في دير اللعازريين في حلب في ٩ تشرين الاول سنة ١٨٣٢ :

كتاب امجاد مريم عدد ٢ — منارة العبادة ٣ — رودريكوس الاول والثاني ١٢ — اباطيل العالم اول (واحد) وثاني (اثنين) — ٣ جسري اول وثاني وثالث — مزامير داود ١ — اخبار كانون وشباط واذار ونيسان ٤ — مرشد الخاطي ١١ — تأملات الاسبوع ١ — رياضة مار فرنسيس ١٢—تأملات الآلام ١ — نصوص الانجيل والقديسين ١٢ — تأملات جهنم ١ — الرياضة اليومية ١ — استعداد للموتة الصالحة ١ — واسطة الصلاة ٣ — زيارة القربان ١ — منخز الندامة ١ — كتاب مار بطرس القنطري ١ — كتاب مار توما الكمبيدي ١ — مرشد المسيحي ٢ — ميزان الزمان ١ — دفتر كبير ودفتران صغيران — بطرشيل فضة ٢ — صليب وعليه صلبوت نحاس ١ — دواية ورق حاوية مقلم ١ — مقوايات رياضة الموتة الصالحة الكبيرة ٨ ومقواية الصلوة ١ ومقواية طلبة الحبل بالعذراء بلا دنس ١ ودفة الاسامي ١ — صندوق الفقراء ١ صندوق الانتخاب ١ — تخوت مشتركة في بيت المشورة بيننا وبين اخوتنا السريان ٨ — جوخ بنفسجي للمسجد ١١ — جرن للماء المكرس وجوس صغير ٢ — تفسير سبعة مزامير التوبة ١ — ختمين فضة—صورة العذراء التي بلا دنس محفورة والقمر تحت رجليها الواحد كبير والثاني اقدم واصغر لطبع اوراق فعل التعبد للعذراء — كتاب الصلاة الواحد قديم والآخر جديد كان للقس انطون بازرجي السرياني — جوخ اخضر جديد للمسجد .

(ختام الدفتر الاول) للسفال صلة

خيانة يهوذا

نشيد لرومانس المرنم

عرّبه عن اليونانية وعلّق عليه
الاب قرلاوس قادري قب

توطئة

شغل رومانس في اوربة الأدباء الاختصاصيين طيلة خمسين عاماً وحتى الآن لا يزال مجهولاً في بلاد هي أحق الناس بالتعرف اليه . فواجب على لبنان ان يدرس هذا الشاعر ويبرزه الى النور لينشله من ظلمة النسيان . فالشاعر رومانس وان كان مولده بحمص الا انه نشأ وترعرع في ربوع لبنان . وهنا في كنيسة القيامة ، هنا في بيروت مدينة النور والشرع والشعر تفتحت عبقرية رومانس ومن شواطئ لبنان اسمع الكون اناشيد الخلود فحملت الامواج اصواته الى البوسفور ، الى بيزنطية محط الجمال والفن والموسيقى ، فاسكر اهلها بصيته ثم ما عتم ان نزح اليهم على عهد الامبراطور انستاس الأول (٤٩١ ــ ٥١٨) .

غادر رومانس بيروت حوالى سنة ٥١٥ على اثر زلزال هدّم معظم المدينة وما فيها من معاهد ومعابد واندية ودور . فتركها وفي قلبه لوعة وحسرة وتأسف على المجد المكفن بالزلازل . ذهب اذن الى عالم جديد يفتح الحصون الفكرية والقلاع الادبية وسلاحه عبقرية وقادة وفكر مبدع وصوت خلاب ونبرات ساحرة قوية على الاخذ بتوافق التقدم والفلاح . وقد بنى رومانس للصور هيكلاً من الشعر خالداً لا يزال يصارع الزمن مع الهيكل المجيد الذي شاده رفيقه في المجد يوستنيانوس الامبراطور (٥٢٧ – ٥٦٥) .

وشعر رومانس فتح جديد في عالم الادب . وقد اردت ان اعرّف ابناء لبنان بهذه العبقرية المجيدة التي نشأت وترعرعت في قلب لبنان ، مستودع الحقيقة ، وفي جبل الالهام وعلى شواطئ الموسيقى وفي سماء النقاء فهو – اذا قلنا الحق – من الشعراء العباقرة الذين حملوا مشعل النور وعلّم الجمال ونثروه على الكون

موجات وشعات تفيض بالمجد والضياء . . .

عرف رومانس كيف يستسيغ الروح الشعرية اليونانية جمالها وموسيقاها وخيالها وشعورها فنحت من جبل الأولمب فناً جميلاً رائعاً وخلع عليه وشاحاً من الوحي الصافي وراح يوصي الاجيال بهذا التراث. وقد نقله لها على سواعد الشعور واجنحة الخيال ومركبة الحقيقة الأزلية فحمل الخلود قوى الحياة كامنة في صور الحروف ورنة الالفاظ ووثبة الايحاء. فشعره لحظات من الزمن تمر فيها ملائكة من نور فتهمس في مسامع الكون وحياً هو من اصوات الازل وتشرق في فؤاد الشاعر شعاع السنى المتألق ، فيدفقه رومانس على مسمع البرايا ومشاهد الطبيعة موجات من الضياء وينثره في الفضاء نبرات من الايقاع الدقيق فيسكر الملأ بخمرة الشعر ونغمة الانشاد يترقرق متساوقاً في الافق السحيق. ولا يلبث هذا النغم ان يشق الاجواء فيمزق ما تبقى من الحجب الكثيفة بين المادة والروح فيصل السماء بالارض ويزول الزمن المتقطع ويفنى ولا يبقى سوى الخلود الثابت.

وان يمتّ رومانس بصلة الى الشعراء اليونان ببسطة جناحيه وخصب خياله وموسيقى الفاظه فله وثبات جريئة من الالهام وخيال جسور وريشة ساحرة يلوّن بها بعض المشاهد الجبارة واللوحات المدهشة كأنه واحد من الانبياء العظام يأخذ عنهم صور الحياة وفكر الازل فيقترب بها من الجمال المطلق.

ويستعيض بالاوضاع اللفظية عن الالوان فيخرج المشاهد والصور بعيدة عن الابتذال فهو ككل شاعر عبقري يرقى بقارئه الى عالم الفكر والنور حيث ينتشر الجمال مع تموجات الخلود .

جمع رومانس البساطة الى العظمة والسهولة الى السمو والجديد الى القديم: مزايا تقوبه من القلوب والعقول فيتذوقه الشاعر والمفكر والاديب والروحاني المتصوف . فهو بلغته وتعابيره من ابناء اليونان ومن سكان الاولمب ولكنه بروحه من ابناء النصرانية المنطلقة على القيم الروحية. وقد شق له سبيلاً جديداً في عالم الشعر اليوناني الحديث فوزن اناشيده حرة من القيود العروضية الكلاسيكية ، وربط مقطوعات قصائده بالوزن الطليق فتأتيه تارة رصينة مهيبة تسير بخطى بطيئة وطوراً تتدفق كالموج الصاخب بابيات رشيقة قصيرة .

كل يعلم ان الشعر اليوناني القديم يقوم على قاعدتين : احداهما ناتجة عن تتابع المقاطع الطويلة والقصيرة ، والاخرى ناتجة عن ايقاع النبرة الصوتية . فالقاعدة الاولى كانت ولم تزل وقفاً على النفوس اللطيفة والعقول الرهيفة ، وقفاً على نخبة الادباء . بينما ان الايقاع كان من تراث الجماعات يؤثر فيها ويستدعي هتافات الشعب واعجابه . . . ولما ارادت المسيحية المنطلقة على الجمال ان تعطي اوضاعها وحقائقها ومعتقدها الصوغ الشعري أستبقت لها الايقاع ذلك التراث الشعبي وحافظت على النبرة الصوتية اعتقاداً منها ان النبرة الصوتية هي العنصر الاساسي في ميزان الشعر الحق .

ولم تلتفت المسيحية المتحررة من الحرف القتال، لم تلتفت الى تتابع المقاطع الطويلة والقصيرة فهذه القاعدة بدأت في القرن الرابع تفقد من روّادها حتى في المجتمع الراقي والمحيط الادبي . وقد اصبحت عاجزة عن أداء دقائق علم اللاهوت والحقائق المسيحية الموزونة بالفاظها وصيغها . وكان الحفاظ على دقائق هذه الحقائق اشدّ ضرورة من الحفاظ على تتابع المقاطع الطويلة والقصيرة .

غير ان شعراء النصرانية في القرون الاربعة الاولى وطّدوا دعائم الشعر الجديد على قاعدتين راسختين : الاولى مساواة عدد المقاطع (Isosyllabie) والاخرى ملازمة النبرة الصوتية للمقطع المقابل في الابيات المتساوية عدداً (Homotonie).

وعلى هاتين القاعدتين نظم رومانس نحواً من الف قصيدة وارتقى بهذا الشعر الجديد الى ذروة الفن . وربما كان لرومانس دليل في هذا السبيل وجده في شخص الشاعر اليوناني بندار الذي سبق رومانس الى التفلت من بعض القيود العروضية وقد لُقب بحق « بيندار الايقاع المسيحي »[1] .

نظم رومانس قصائد عديدة والقصيدة تتألف من نحو ثلاث مئة بيت او اكثر وربما بلغت السبع مئة بيت . وهي تتركب من مقطوعات (Strophes) يزيد عددها على خمس عشرة مقطوعة ، وغالباً تكون اربعاً وعشرين واحياناً ثلاثين مقطوعة . والمقطوعة مزيج من الابيات المتنوعة وعددها من الثلاثة الى الثلاثين بيتاً . والبيت ذاته يتألف من مجموعة اهجئة او مقاطع (Syllabes)

1) Cf. Krumbacher, *Geschichte der byzantinischen Litteratur*, p. 663.

فيكون البيت من مقطعين وثلاثة حتى اربعة عشر مقطعاً ، ونجد ذلك في الأدب الافرنسي وخصوصاً في ادب لافونتين . وينبع رومانس في كل ذلك حاجات النفس من شعر وموسيقى وخيال ويلائم الفاظه بمعانيه فتأتي اغلب قصائده مهلهلة كانها الماء السيّر وتنسجم الفاظه بصور الحياة وتحس من خلالها نبضات القلب ترافق الشاعر في فرحه وحزنه ويأسه وشدته كما في نشيد «خيانة يهوذا» الذي نزفه الى القراء الكرام ليطلعوا على الحقيقة.

يتألف هذا النشيد من ثلاث وعشرين مقطوعة وله مقدمتان الاولى « ايها الاب السماوي » وهي صلاة بسيطة صغيرة تظهر منفصلة عن بقايا المقطوعات وهذا امر نادر عند رومانس .

والثانية « ايها المسيح الاله » موضوع النشيد وعرض الاشخاص والمكان كما في سائر المقدمات وانما يُلاحظ في هذه المقدمة ان رومانس لم يخلق الوزن كما قد تعود بل صاغ نشيده هذا على وزن قديم للراهب كيرياكوس وقد عنون رومانس نشيده بهذه الفقرة Πρὸς τὸν Ἀζάριον τὸν ῥάλον σου

وان يكن الوزن غريباً عن ابداع رومانس فقد اعطاه صبغته الموسيقية فوشاه بالايقاع والجناس الفني وتموج النبرات الصوتية والمقاطع المتساوقة والمتقابلة على ابعاد قريبة بعيدة وقد شبك هذه المقطوعات بحسن التوقيع الموسيقي ولاءم الالفاظ بالمعاني فأتت ابياته تتدفق حيناً كالسيل الصاخب وتسكب احياناً اخرى في قالب مُقتضب يتقطّع معه النفس تقطُّعَ الالفاظ المعبرة عن الثورة النفسية التي تولدها خيانة يهوذا في قلب الشاعر فيأتينا بهذا الشلال من الافعال اليونانية المتعاقبة على قسوة وألم في التعبير عما يصخب في اعماق نفسه :

الرب غسل وأطعم	Ἔνιψεν. Ἔψησεν ὁ Κύριος.
الخادع عدا وعوى	Ἐπρόδωσεν. Ἔκραξεν ὁ δόλιος

وترتبط هذه المقطوعات بالتوزيع (Acrostiche) وبالجناس المتولد من عدد المقاطع المتساوية وترديد النبرة الصوتية ترديداً محدوداً على ابعاد متساوية من المقاطع. وترتبط ايضاً بالقافية الفنية ولا تسيطر على آخر الابيات فحسب بل على اواسطها ايضاً وربما كان للبيتين المتساويين ثلاث قوافٍ كما في المثل السابق .

وربما شبك الشاعر رومانس ابياته بالقافية الغنية كما في المقطوعة الاولى :

من يسمع ولا يذهل : Τίς ἀκούσας οὐκ ἐκφανεῖς
من يرى ولا يرتعد : Ἢ τίς θεωρήσας οὐκ ἐτρόμαξε :

وهنا ايضاً يستعمل الشاعر القوافي الغنية في اواخر واواسط الابيات . وتتساوى النبرة الصوتية فتملو المقاطع المتقابلة .

وقد يصل الشاعر بيتين او ثلاثة بقافية واحدة :

يسوع يُقبَّل بغشّ : Τὸν Ἰησοῦν φιλούμενον
المسيح يباع بجسد : Τὸν Χριστὸν φόνῳ πωλούμενον
الاله يمسك عن رضى : Τὸν Θεὸν γνώμῃ κρατούμενον

وهذه القوافي الغنية لها ايقاعها اللذيذ ونغمها الجذاب فتشبه بعض الابيات من لزوميات ابي العلاء . فيلزم رومانس فيها ما لا يلزم لا مقطعين بل ثلاثة من القوافي ويضيف الايقاعَ الموسيقي الى تلك القوافي الرنانة فتأتي ابياته ملأى بالجوّ الشعري كما تثيره هذه « السينات » المتتابعة برفق ونعومة :

كيف السماء تثبت ؟ Πῶς οὐρανὸς ὑπέστη.
كيف الأثير يتماسك ؟ Πῶς ὁ αἰθὴρ συνέστη.
وكيف العالم يستمر ؟ Πῶς δὲ ὁ κόσμος ἔστη :

فجموع هذه المقاطع المتوازنة المتناسقة في قوافيها وفي حروفها الغنية بالحروف « السينية » تؤلف قطعة موسيقية عذبة تتطلب مع النبرة الصوتية المتقابلة جوّاً فسيحاً من الايقاع اللذيذ يخال السامع انه امام روضة يسمع فيها أغاريد الحساسين تستقبل الفجر في شهر ايار . أليس الشعر موسيقى ؟ اما هو ايحاء ؟ أليست الكلمات علامات حسية يستدل بها على المعاني ؟ أليست هذه الكلمات قيمة أدبية عندما تؤلف الاصوات ايقاعاً موسيقياً ساحراً ؟

ويوشي رومانس مقطوعاته هذه بجلل المعاني الرائعة والفتوحات الجديدة في عالم الشعر الجميل فيخلق الروعة ويسحر القارئ بابتكاراته الفنية وتحليله الدقيق . فهناك « يهوذا اللص يشحذ بالحفاء لسان الغش » وهناك المسيح « يغذّي عدوّ

حنانه » وهناك طغمات الملائكة تنظر من العلاء وتتعجب من تواضع وتقف متهيبة بخوف عندما تنظر الاله « منحنياً عن رضى ليخدم التراب المائت » . واننا نذهل من صراحة بطرس فنسمعه يصرخ : « لا لا ! فاليد التي أبدعتني لن تغسل قدمي الى الابد ! » لكنه يخضع اخيراً خوفاً من ضياع نصيبه في ملك يسوع فيترك بطرس « جابل العالم » يغسل اقدام « الاناء الخزفي ».

وهناك مشهد رائع وجذاب مشهد يهوذا الخائن يخرج من حظيرة المسيح ويتوجه نحو البهائم «ويترك الثدي الغني الحلاوة » وهناك الطبيعة تشترك بالعاطفة مع الشاعر فيهيب بالارض والبحر : «اسمعي ايتها الارض وارتعدي، اسرع ايها البحر في الانهزام» ! ثم يظهر لنا الشاعر جنون يهوذا الذي باع الثروات والخيرات التي كانت بين يديه بشيء زهيد لا يوازي ثمن اي نبي من الانبياء فكيف باله الانبياء . وجميل ايضاً ذلك المشهد الذي يصور لنا تلك السقطة الهائلة التي « سحقت يهوذا سحقاً وزجته في هوة الجحيم ». وجميلة المعاني التي تصور لنا يهوذا « ذئباً ضارياً هجم على الرعية التي كان فيها حملاً وها هو يأتيها كوحش مفترس » .

وشعر رومانس مزيج من الجمالات الرمزية والوضعية والعاطفية والغنائية والمسرحية . فهو اذن يمت بصلة قوية الى الاجيال كلها، وهو علاوة على ذلك شاعر الكنيسة الاوحد اتخذ الصرخ عن الجمال المطلق عن الخلود الثابت عن الحق الازلي عن الله .

قلنا ان رومانس شاعر رضعي (Réaliste) يعني انه يسمي الاشياء باسمائها فاسمعه الان يوبخ يهوذا بأوصاف الشدة والقساوة :

« ايها الاثيم ، ايها القاسي ، ايها الحقود ، ».

« ايها اللص ، ايها الخائن ، ايها المحتال ». (مقطوعة ٥)

ثم يترك الشاعر غرضه جانباً ويسير في سرد الرواية وكل مرة يمر ذكر يهوذا او شبحه امامه يستوقفه ويصفه هكذا :

« ايها النهم ، ايها السافل ، ايها الوقح ،

ايها اللهوم ، ايها الفاقد الضمير ، ايها البخيل! » (مقطوعة ١٠)

ورومانس شاعر رمزي يوحي الحقيقة ولا يعبر عنها بالفاظ خاصة فالحقيقة

في نظره ونظر الرمزيين حركة لا يريد ان يأسرها ومتى اسرت الحياة اختنقت وماتت . فاسمع الشاعر يرمز الى يهوذا بالحجر الاصم والى المسيح بالبحر:

« غسل البحر الحجر واللجة التراب »
« فثبت الكيان والجوهر حُصر وكشف المرام » (مقطوعة ٨)

واذا ما اراد الشاعر ان يشير الى بهيمية يهوذا الخائن قال عنه :

« واذ خرج من الحظيرة توجه نحو البهائم »
واهمل الثدي الغني الحلاوة .» (مقطوعة ١٢)

وقد تشتد عاطفة رومانس عندما يمر امامه شبح يهوذا فلا يمكنه ان يتصوره تصوراً بعيداً بل يجتذ الحقيقة فيرى شخصه امام عينيه يرى وجهه ويسمع صوته ويحس بعدوه وعوانه فيعمد اذ ذاك الى تقريعه ولا يتركه الا بعد ان يفرغ عليه سيلاً من الاوصاف المريرة تحزّ قلب الشاعر حزاً [1] « اي خير لم تحرز ؟ وبأي خير لم تشترك ؟

لقد اضفت الى خيرات الارض خيرات السماء افالان تبيع الهنك ؟» (١٥)

وهنا وهناك وصف للطبيعة الثائرة تتأثر هي ايضاً من الخيانة وتنتفض من مكامنها صاخبة كأنها تريد الانفلات من نظامها لتقرع يهوذا على عمله الاثيم:

« من يسمع ولا يذهل من يرى ولا يرتعد؟...»
«اي ارض تتحمل الجسارة؟ اي بحر يمكنه ان يقاوم ؟...»
« كيف السماء تثبت ؟ كيف الاثير يتماسك ؟ »
« وكيف العالم يستمر عندما القاضي يقتل »
« ويباع ويسلم ؟ »

ولا يلبث رومانس ان يرتقي في سلم الكائنات فيعير الارضَ والبحرَ قلباً ونفساً وفكراً فيدعوها كما لو كان يدعو انساناً :

اسمعي ايتها الارض ، وارتعدي !
اسرع ، ايها البحر ، بالانهزام ! » (مقطوعة ١٤)

وكأني بالشاعر رومانس ينظر من وراء تلك النفس الخائنة نفوس الخونة في الاجيال السحيقة فيدقق بتحليلها ويشبعها درساً وتفكيراً فتأتي صورة الخائن

١) راجع المقطوعات ٥ و ١٣ و ١٥ و ١٧ و ١٩ .

ونفسية يهوذا كأنها نفسية الحونة وتنجلي في يديه وتصقل نفوس كل الحونة على مر الزمن فلا يرى فيها الا صورة الجنون والبغض الشديد

« ماذا ابصرت حتى صرت الى هـذا الجنون ؟ »

« مـا دهاك من الالم حتى وصلت الى هذا البغض؟»(مقطوعة ٥)

ولا يلبث الخائن ان يتحول الى ذئب مفترس الى جاهل متكبر :

« إرجع ايها الاحمق واصحُ ! امسك عن كبريائك »

« والجم عزمـك الجسور واصلح اهواءك !» (مقطوعة ١٧)

ولهذا النشيد بعض الصبغة المسرحية كما في اناشيد رومانس غير ان العمل المسرحي لا يأخذ مجراه بتتابع واندفاع بل يتقطع احيانـاً بسبب العواطف المتفجرة من قلب الشاعر . وقد تشتد عواطف الاحتقار ليهوذا فتنسي الشاعر متابعة مجرى الامور فيقف العمل الدراميتيكي ولا يتابع سيره الا بوثبات قوية متقطعة يغيب فيهـا الحوار ثم يعود الشاعر فيوبخ يهوذا الذي يريد ان يخنق اثمه ويتهدده بالنهاية المرعبة التي تنتظره فيلوح له امام عينيـه بصورة الشجرة التي يميت عليها نفسه ويخنق مع الموت ضميره وهكذا ينتهي النشيد بفاجعة مؤثرة.

اخيراً ان رومانس شاعر ديني ولكنه ليس بالمعلم اللاهوتي الكبير وانما يحتل ابياته وقصائده بعض الحقائق الدينية التي كان يوصلها الى مسامع الشعب عن طريق الانشاد ففي المقطوعتين ٩ و ١٠ نراه يسمعنا تعليماً قيماً عن رئاسة بطرس فيقول :

واما بطرس رئيس احبائك وقـاعدة الذين يتبعونك
وقـائد جماعتك (مقطوعة ٩)

وهذه الحقيقة اللاهوتية تهم ارباب الشأن وهي شهادة من فم شاعر يوناني عاش طويلاً في قلب العاصمة البيزنطية ولا سيما ان هـذه الشهادة في رئاسة بطرس مثبتة بفم الرسول نفسه اثباتاً لا شك فيه :

« الا يكفي اني باسمك اسمى ؟ الا يكفي باني حزت الوقار بعينيك »
وبأني ادعى الاول بين احبائك ! » (مقطوعة ١٠)

وهذه الشهادات في رئاسة بطرس كثيرة في اناشيد رومانس سوف نخصص لها درساً على صفحات هذه المجلة بعون الله ورعايته .

خيانة يهوذا

لتيد لرودانس المرنم

مقدمة اولى

ايها الآب السماوي ،
ايها الحنون ، يا محباً للانام ،
يا من يحتمل الكل
ويقبل الجميع ،
كن لنا
رحيماً ، رحيماً ، رحيما !

مقدمة ثانية

ايها المسيح الاله ،
فيما كان يهوذا الأثيم
يغسل اقدامه
بيديك ، انت السيد ،
كان ، بما انه لص ،
يشحذ بالخفاء
لسانَ الغش

لكن نجنا
من مثل هذه القساوة ،
نجنا نحن المنشدين
في بيت والدة الاله :
يا من يحتمل الكل
ويقبل الجميع
كن لنا
رحيما ، رحيما ، رحيما !

١

من يسمع ولا يذهل؟
من يرى ولا يرتعد ؟
يسوع يُقبّل بغش[1] ،
المسيح يُباع بجسد ،
الاله يُسلك عن رضى ؟
اي أرض تتحمل الجسارة ؟
اي بحر يمكنه ان يقاوم
عندما يرى العمل الأثيم ؟
كيف السماء تثبت ؟
كيف الأثير يتماسك ؟
و كيف العالم يستمر
عندما القاضي يُقتل
ويُباع ويُسلّم ؟
فيا من يحتمل الكل
ويقبل الجميع ،
كن لنا
رحيما ، رحيما ، رحيما !

٢

عندما تأمل في الغش ،
عندما أعدّ لك القتل ،
فالذي أحببته أساء اليك ،
والذي دعوته أهملك ،
والذي توجته اهانك .
حينئذ شئت انت
ايها الحنون ، ايها الطويل الاناة ،
ان تظهر للقاتل
محبتك التي لا تُوصف .
فملأت المطهرة ،
وحنيت رأسك ،
وصرت عبدًا للعبيد ،
فاعطاك يهوذا القدمين
لكي تغسلها ،
انت ايها المنقذ .
فيا من يحتمل الكل
ويقبل الجميع ،
كن لنا
رحيما ، رحيما ، رحيما !

---

(١) متى ٢٦ : ٤٩.

٣

بالمياه رحضت اقدام يهوذا
المسارع الى تسليمك ،[1]
وبالطعام السرّي
غذوت عدوّ حنانك
والمتعري من بركتك !
رفعت المسكين بالمواهب
وزدت الفقير بالعطايا
اغنيت واسعدت
المتعبد للشياطين ؛
فكان تحت لسانه
عناء الوجع .
وبدلاً من هذه كلها
قد انفصل القاتل
ولم يتب .
فيا من يحتمل الكل
ويقبل الجميع ،
كن لنا
رحيا ، رحيا ، رحيا !

٤

من رأى الذي غسلت
قدماه يُسرع فيعثر ؟
أو من سمع ان الغنى
يحرق المتكل عليه
ويرمي به الى الحضيض ؟
الرب غسل وأطعم
والخادع عدا وعوى
كذئب مفترس .
وحينما كانت المائدة
بعد ملأى
بغتة هرب القاسي
من معلمه
وحنى ظهره
ليأتي الشيطان حقاً[2] .
فيا من يحتمل الكل
ويقبل الجميع ،
كن لنا
رحيا ، رحيا ، رحيا !

١) مت ٢٦ : ٢٦
٢) لوقا ٢٢ : ٣

٥

ايها الاثيم ، ايها القاسي ،
ايها الحقود ، ايها اللص ،
ايها الخائن ، ايها المحتال ،
ماذا أبصرت حتى صرت
الى هذا الجنون ؟
ما دهاك من الألم
حتى وصلت الى هذا البغض ؟
أما سمّاك صديقه ؟ [1]
اما دعاك اخاه ؟ [2]
وعلى الرغم من علمه
انك ستصير عبداً
سلم لأمانتك
كمية الدراهم
الموجودة في الكيس ، [3]
وفجأة ظهرت له
بلا وجدان في كل الامور .
فيا من يحتمل الكل
ويقبل الجميع ،
كن لنا
رحيما ، رحيما ، رحيما !

٦

عندما قام الابن الوحيد
ليغسل الاقدام وينشفها
طلب بطرس اليه
قائلاً : « يا رب ، يا رب ،
انك لن تغسل قدمي ابداً ! » [4]
كانت المطهرة على الارض
وكانت ملآنة
فالمخلص قام
والمنقذ ترنر كعبد مبيع .
طغمات الملائكة
نظرت من العلا
وصرخت ذاهلة :
« ان السفيه لم يتأثر
لكنه تمرّد على نفسه . »
فيا من يحتمل الكل
ويقبل الجميع ،
كن لنا
رحيما ، رحيما ، رحيما !

---

١) يوحنا ١٥ : ١٥ . ٢) مت ٢٣ : ٨ ٣) يوحنا ١٢ : ٦ ٤) يوحنا ١٣ : ٨

٧

ان الخلائق النارية
وقفت متهيبة بخوف
والاجواق غير المنظورة
ذهلت حين شاهدت
من لا تدركه العقول
منحنياً عن رضى
ليخدم التراب المائت .
فقال جبرائيل برعدة :
ايها الملائكة القديسون ،
يا زملائي ،
انظروا واذهلوا
ان بطرس يمد رجله ،
ومن وُلد من حشا العذراء
يأخذ رجلَ بطرس
بيديه ويغسلها
ولا يغسل لبطرس فحسب
بل وليهوذا ايضاً .
فيا من يحتمل الكل
ويقبل الجميع ،
كن لنا
رحيما ، رحيما ، رحيما !

٨

غسل البحرُ الحجر ،
واللجةُ التراب ،
فثبت الكيان
والجوهر حُصر
وكشف المرام .
الا انظروا وتأملوا
ما اعظم لطف الخالق !
ما اعجب رفق
المبدع بالخلائق !
انها تجلس وهو ينتصب
انها تغتذي
وهو يعطيها الطعام ،
انها تغتسل
وهو ينشفها ...
فلمَ لا تحترق أرجل الترابيين
في يدي النار ؟
فيا من يحتمل الكل
ويقبل الجميع ،
كن لنا
رحيما ، رحيما ، رحيما !

٩

هكذا نطق الملاك
عندما ابصرك انت الكرمة
التي تغذي اغصانها[1]
فتمد الى الارض كلها ،
وتصعد الى الملاء .
واما بطرس رئيس أحبائك ،
وقاعدة الذين يتبعونك ،
وقائد جماعتك ،
فعندما رآك موتّرًا
قال باضطراب :
« أأنت تغسل قدمي ؟[2]
لا لا ! فاليدُ التي ابدعتني
لن تغسل قدمي الى الابد ! »
فيا من يحتمل الكل
ويقبل الجميع ،
كن لنا
رحيما ، رحيما ، رحيما !

١٠

فليأتِ اليَّ نعاسُ الموت
اذا سمحت لك انت غير المائت
ان تنحني اليَّ انا الخاضع للموت!
فالعدو يسخر مني
اذا انت أكملت لي هذا .
ألا يكفي بأني حزت الوقار امامك؟
وبأني ادعى الاول بين أحبائك ؟
أأنت ، يا جابل العالم ،
أأنت تغسل قدمي
انا الإناء الخزفي[3] ؟
أأنت ، ايها الفادي ،
تروم غسل اعضائي
الفاسدة ودموعي ؟
فيا من يحتمل الكل
ويقبل الجميع ،
كن لنا
رحيما ، رحيما ، رحيما !

١) يوحنا ١٥ : ١ ٢) يوحنا ١٣ : ٦ ٣) رومية ٩ : ٢١

١١

بعد ان خاطب الرسولُ
معلمه بهذه الكلمات
سمع منه :
« ان لم اغسلك الآن
فليس لك معي نصيب[1]
وانما اسميك لي عدوًا ! »
وحينما قال الخالق هذا
وقع على التلميذ
خوف وارتعاش ،
ولذا هتف :
« ربي ! اذا غسلت
فلا تغسل قدمي فحسب
بل جسدي كله ... »[2]
اغسلني كثيرًا ان شئت
لكي لا ابتعد عنك .
فيا من يحتمل الكل
ويقبل الجميع ،
كن لنا
رحيما ، رحيما ، رحيما !

١٢

كم معجزات قد تلتها معجزات ،
ويهوذا ما غدا بعد خليلا !
كم من تعاليم
بيّنتها ظواهر الاعمال ،
والعدوُّ ما تغير
والقاسي ما لان !
لم ينتهِ بعدُ
من أكل ما أكل
ومن شرب ما شرب
بغير ايمان
حتى رفع عقبه على المسيح[3] ،
كما ذكر الكتاب .
واذ خرج من الحظيرة[4] ،
توجه نحو البهائم
وترك الثدي الغني الحلاوة .
فيا من يحتمل الكل
ويقبل الجميع ،
كن لنا
رحيما ، رحيما ، رحيما !

---

١) يوحنا ١٣ : ٨ ٢) يوحنا ١٣ : ٩ ٣) يوحنا ١٣ : ١٨ ٤) يوحنا ١٣ : ٣٠

١٣

عبثاً كان الشيطان
قد اهمل قدما
يهوذا المريع .
فها هو يسرع الآن
نحو الذي أهمله قبلا .
وباطلاً كانت تخافه الجماعات ،
فقد ظهر حسوداً في كل شيء
وجسوراً حتى على خالقه .
وحين كان يتكلم
عبثاً كانت تهرب
الأمراض كلها ؛
لان مرض الالحاد
وحب المال
كان قد تأصل فيه
اجل ! كان الجرح في داخله !
فيا من يحتمل الكل
ويقبل الجميع ،
كن لنا
رحيما ، رحيما ، رحيما !

١٤

نهض الخائن على الاقدام
وذهب فوراً لملاقاة الشيطان
وساومه مشورة القتل
فصادف الشيطان به وسيطا
يسلم المسيح كغريب .
« ماذا تريدون ان تعطوني؟ »[1]
هذا ما قاله للذين ارادوا
ان يشتروا دم الحي الثابت .
اسمعي ايتها الارض ؛ وارتعدي!
اسرع ، ايها البحر ، في الانهزام !
لانهم وافقوا على القتل ،
لقد حددوا ثمن
من لا يوازيه ثمن ،
ووافقوا على ذبح
الواهب الحياة .
فيا من يحتمل الكل
ويقبل الجميع ،
كن لنا
رحيما ، رحيما ، رحيما !

---

١) متى ٢٦ : ١٥ .

١٥

الآن ظهر حرصك ،
الآن بان نهمك ،
ايها النهيم ، ايها السافل ،
ايها الحقود ،
ايها الوقح ، ايها اللهوم ،
ايها الفاقد الضمير ، ايها البخيل!
« ماذا تريدون ان تعطوني ؟ »
انت تقول للذين ارادوا
ان يبتاعوا دم الحي الثابت .
اي خير لم تحوز ؟
وباي خير لم تشترك ؟
واي خير حرمت ؟
لقد أضفت الى خيرات الارض
خيرات السماء
والآن الآن! تبيع الملك!
فيا من يحتمل الكل
ويقبل الجميع
كن لنا
رحيما ، رحيما ، رحيما!

١٦

قد كنت تحمل الغنى كله ،
وكان عندك كنز لا ينفد[1] ؛
فالى الابد غدوت غنياً الى الابد ،
كانت الثروات بين يديك
حينما كنت تحمل الخالق
في الحجى .
ما دهاك ، ايها الشقي ،
حتى كفقير تسرع الآن
نحو الذين لا يملكون
شيئاً ليعطوك ؟
وما سيعطونك حقاً ؟
ماذا يقدمون لك
ثمن الذي بعته ؟
أيعطونك السماء والارض
وكل الكون ثمناً له ؟
فيا من يحتمل الكل
ويقبل الجميع ،
كن لنا .
رحيما ، رحيما ، رحيما!

---

١) لوقا ١٢ : ٣٣ .

١٧

إرجع، ايها الاحمق، واصحُ!
أمسك عن كبريائك،
وألجم عزمك الجسور،
وأصلح اهواءك!
وأنتم، ايها الجهال، تعقلوا!
فانت لا تستطيع
ان تقيم الثمن
وأنتم أعجز عن شراء
من يحوي الكون بيديه.
واذا بعته انت
وان يكن عن غير رضاه
فمن يجسر ان يلقي
عليه اليدَ؟
من يلقي القبض عليه
اذا لم يرضَ هو كاله؟
فيا من يحتمل الكل
ويقبل الجميع،
كن لنا
رحيما، رحيما، رحيما!

١٨

فقيراً كان ايليا
لكنه كفني احرق بالنار
كل الذين كانوا يضطهدونه
في ذلك الحين
أحرق قائدَ الخمسين
مع خمسيه
والذين تعاقبوه[1].
لم يُغلب ايليا.
واما إله ايليا وسيده
فيمتهنه الوقح،
يا للجنون!
كان ايليا عبداً
لمن يباع الآن؟
واما الدافع فلا يعتبر
خالق الانبياء
حتى ولا مثل نبي.
فيا من يحتمل الكل
ويقبل الجميع،
كن لنا
رحيما، رحيما، رحيما!

---

١) سفر الملوك الرابع ١ : ١٤.

١٩

ايها الاحمق ، كنت نشوان
من صلفك فلم تفكر
في أمر من بعته برضاك .
فلو عرفت المعاهدات
لعرفت ايضاً من كان
موضوعَ المعاهدات .
انت اخذت ثلاثين
من الفضة[1]
فاحكم ، يا يهوذا ، وفكّر
مَن مِنَ الانبياء قد بيع
بهذا الثمن ؟
ان يوسف ذاك القديم
كان رسماً ليسوع[2]
الذي اخذت الآن ثمنه ،
ومع الثمن ورثت الجحيم ،
فكان لك احبولة للشنق[3] .
فيا من يحتمل الكل
ويقبل الجميع ،
كن لنا
رحيما ، رحيما ، رحيما !

٢٠

يا رحيم ، يا رحيم ، يا رحيم !
آه ! كيف سقط التلميذ ؟
ومن أي الذرى قد تدهور !
أي سقطة سقط !
واي عجيج صنع !
قدماً سقط الشيطان
وكان سقوطه كالبرق
واليوم ضارع
يهوذا الشيطان !
انه ترفّع على المسيح
ترفع حتى الاقطاب
فسحقت أقدامه سحقاً ،
وزُجَّ في هوّة الجحيم ،
فهناك يشبع ربحاً .
فيا من يحتمل الكل
ويقبل الجميع ،
كن لنا
رحيما ، رحيما ، رحيما !

---

١) متى ٢٦ : ١٥ . ٢) تكوين ٣٧ : ٢٨ . ٣) متى ٢٧ : ٥

٢١

اذن اتى الاثيم راكضاً
وقبّل بغش
المحبّ البشر
فقتل عمداً
من باختياره رضي الالم .
تتلمذ يهوذا
كحمل للمسيح[1]
لكنه غدا ذئباً في الرعية
فجاءها كوحش مفترس .
أقبلة تقدم الآن ؟[2]
واي قبلة ، ايها الجاهل ؟
أقبلة الغدر ؟
الا تخجل ان تشابه
العدوّ فتتعلم طرقه !
فيا من يحتمل الكل
ويقبل الجميع
كن لنا
رحيماً ، رحيماً ، رحيماً !

٢٢

اصبر قليلاً ، ايها الجاهل ،
فترى الحكم الشديد .
ان ضميرك سيقضي عليك
فتعرف ما صنعت
وتُميت نفسك
الموت الشنيع .
وتغدو لك الشجرة جزاءً[3]
وتحمل لك القصاص العادل .
فاين هو ربحك ،
ايها البخيل
انك ستؤدي هذا الربح ايضاً
ولا تخلص نفسك
فتتوب ولكن في غير الاوان .
انت اسلمت الغنى الذي كان عندك
اسلمتَ المسيح ، غنى نفسك .
فيا من يحتمل الكل
ويقبل الجميع
كن لنا
رحيماً ، رحيماً ، رحيماً !

---

١) يوحنا ١٠ : ١ – ١٧ . ٢) لوقا ٢٢ : ٤٧ . ٣) متى ٢٧ : ٥

٢٣

قدوس ، قدوس ، قدوس ، ولنقوّم خطواتنا ،
ايها الثالوث ، إله الجميع ، لنسر على آثار
نجِّ عبيدك من السقوط ، الخالق وشرائعه .
وانهض جبلتك ولنهرب من طريق الجحيم ،
لتهرب من الخطر . صارخين نحو الفادي :
ها قد علمنا هذا الامر ، يا من يحتمل الكل
يا اخوة ، فلننتبه ويقبل الجميع ،
الى سقطة الدافع ، كن لنا
ولنثبت اقدامنا ، رحيما ، رحيما ، رحيما !

فنّ التمثيل

في خلال قرن

بقلم يوسف اسعد داغر

احد امناء دار الكتب اللبنانية

تحمل السنة ١٩٦٨ ذكرى ادبية مهمة ، هي الذكرى المئوية الاولى لولادة اول مسرحية باللغة العربية . وقد تمت على يد احد اللبنانيين ، الاديب مارون النقاش ، اذ انشأ في بيته بحيّ مار مارون من مدينة بيروت ، مسرحاً موقتاً مثل عليه ، في اسبوع المراقم من شباط ١٨٦٨ ، رواية مقتاة مأخوذة عن « بخيل » موليير . فحقّ لادباء لبنان ان يحتفلوا بهذه الذكرى ، وان يدعوا زملاءهم في سائر البلاد الناطقة بالضاد الى تكريم والد المسرح العربي . فقام في شهر شباط من هذه السنة ١٩٦٨ ، الاستاذ فؤاد افرام البستاني بالقاء محاضرتين في « معهد الاداب الشرقية » نشرت خلاصتهما مجلة « الشراع » بتاريخ ١١ و ٢١ اذار ١٩٦٨ ، تناول فيهما حياة مارون النقاش واثره في تاريخ الفنّ المسرحي باللغة العربية . ثم نظمت محطة الاذاعة اللبنانية حفلة خاصة بهذه الذكرى . وكان الاستاذ يوسف داغر قد اعدّ بحثاً واسعاً ضمنه تاريخ المسرح في خلال قرن على شكل فهارس واسعة بعناوين المسرحيات الموضوعة والمعربة ، وبأسماء مؤلفيها او ناقليها ، ثم بالمصادر والمراجع التي استند اليها في عمله . فرأينا أن ننشر الفهرس الاول منها دلالة على تقدم الفنّ المسرحي مدة قرن كامل ، واشارة الى فضل منشئه الكبير .

[المشرق]

فهرس ابجدي

بعناوين المسرحيات

(الموضوعة والمعرّبة)

ا

الآباء والبنون : تأليف ميخائيل نعيمة . نُشرت تباعاً في مجلة « الفنون » الاميركية ، ثم طبعت على حدة سنة ١٩١٧ . لها مقدمة عن الرواية التمثيلية العربية .

آدم وحواء : وضعها احد آباء مدرسة دير الشرفة (لبنان) حيث مثلت لاول مرة عام ١٨٦٨ .

آدم وحواء : وضعها الخوري فيليمون كاتب ب.م. — ١٩٠٣ ، ص ٦٥

الآلهة : اوبرا رمزية ذات ثلاثة فصول ، بقلم احمد زكي ابي شادي – نقدها في « الحديث » ٤ : ١٣٩ .

آه يا حرامي ! : اوبرا بوف مصرية مصرية في ثلاثة فصول ، تأليف عباس علام – الفكرة فيها مأخوذة عن الرواية الانكليزية *Pick-Pocket* . مثلتها شركة ترقية التمثيل العربي لاول مرة بتياترو حديقة الازبكية ، القاهرة ، عام ١٩٢٢ .

الاب : تأليف الكاتب السويدي اوغست سترندبرغ ، في ثلاثة فصول ، نقلها وديع فلسطين ، واخرجتها لجنة النشر للجامعيين مصر ، ١٩٤٥ ، في ٨٥ صفحة . مقدمة بنبذة عن حياة المؤلف واعماله الادبية . نقدها في « الهلال » ٥٣ : ٥٦٨ ؛ وفي « اليقظة العربية » ١ : ٩٧

الاب لُبونار *Le Père Lebonard* : المؤلف : جان ايكار . المترجم : محمد تيمور .

ابدالونيم ملك صيدون : تاريخية ، نثرية شعرية في خمسة فصول ، تأليف يوسف شبلي ابي سليمان ، مُثلت لاول مرة في كلية القديس يوسف ، سنة ١٩٠١ – المطبعة الشرقية ، الحدث ، (لبنان) ، ١٩٠٣ ، ص ٩٢ . – نقدها في « المشرق » ٦ : ١٧١ .

ابراهيم باشا : في ثلاثة فصول ، وضعها علي احمد باكثير ، ونشرتها دار الفكر العربي ، ٩١ ص .

ابراهيم لنكولن : وضعها بالانكليزية جون درينك ووتر . ونقلها عبد الحميد رجب وعبد اللطيف الحسيني ، مصر ، مطبعة الهلال ، ١٩٣٠ ، ١٢٤ ص . – ترجمها كذلك لحساب مكتبة الهلال يوسف اسكندر جرجس .

ابطال الحرية : وضعها انطون الجميل ، تصور جهاد الاحرار الاتراك : مدحت ونيازي وانور وانصارهم في سبيل الدستور والحرية – القاهرة ، مطبعة المعارف .

ابطال المنصورية : تأليف عبد الرحمن الساعاتي ، تمثل خروج الفاطميين من

المغرب افتتح مصر – القاهرة ، مطبعة الاخوان المسلمين ، في ٣٢ ص .

الابله : ذات فصل واحد . المؤلف : لويجي بيرانديللو الايطالي – المترجم : لويس الحاج – « المكشوف » عدد ٨٣ و ٨٤ و ٨٥ .

ابليس : علمية ، لاهوتية ، تاريخية ، شعرية نظمها الاكسرخوس يوحنا حداد – مطبعة المرائس – بكفيا في ٣٢ ص .

الابن الآخر : ذات ثلاثة فصول ، المؤلف : بيير دي كورسيل . المترجم : عمر فاخوري – مجلة « الكشاف » ٣ : ١٢٢ و ٢٩٧ و ٣٧٢ .

ابن الخائن : اقتباس نجيب حبيقه – مُثلت مراراً في بيروت .

ابن زيدون مع ولادة بنت المستكفي : نثرية شعرية الفها الشيخ ابراهيم الاحدب – نقدها في « المنار » ٢ : ٧٠ .

الابن الشاطر : ذات خمسة فصول عني بوضعها الاباتي افرام حنين الديراني – المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ١٩٢٣ .

ابن الشعب : المؤلف : اسكندر دياس . المترجم : فرح انطون – مثلها جرق سلامه حجازي ، كما مثلت مراراً في مصر .

الابن الضال : وضعها المعلم الياس لطف الله ، طبعت بالاسكندرية .

ابن فاليرا : ذات ثلاثة فصول ، وضعها الاب ميشال بردويل . موضوعها استشهاد ابن امير روماني – نشرتها « المسرة » ١٨ : ١١٢ ، و ١٧٤ و ٢٣٩ ، ثم طبعت على حدة .

ابن الفتوح الملك الناصر : ذات خمسة فصول . وضعها محمود الاسكندري عام ١٨٨٠

ابن وائل : تاريخية نثرية ذات ثلاثة فصول ، يتخللها شعر جاهلي . وضعها الاب شارل ابيلا اليسوعي ونشرها في « المشرق » ١٥ : ٢٥١ و ٣٨٠ و ٤١٤ ، ثم على حدة في المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ١٩٢٥ في ٤٥ صفحة .

ابنة الارز : تأليف يوسف سعاده ، نشرها تباعاً في جريدة « البشير » ، ثم على

حدة في بيروت ، المطبعة الكاثوليكية ، ١٩٣٤ ، ص ١٠٠

ابنة الاخشيد : غنائية ، مثلها في مصر جوق الشيخ سلامه حجازي .

الابنة البكر : تاريخية وضعها الخوري بطرس فرج صفير ، تمثل تاريخ كلوفيس وتنصره — نشرت في مجلة « رسالة السلام » ٢ : ٣٥٣

ابنة حارس الصيد : وضعها اسكندر فرح

ابنة الشمس : وضعها الاستاذ فرنسيس شفتشي ، نالت جائزة وزارة المعارف المصرية لسنة ١٩٣٢ ، تصور المجتمع المصري في عهد رعمسيس الثاني ، المطبعة الادبية ببرلاق ، ص ١٦٥ . — نقدها في « الرسالة » عدد ٦٤ و ٦٦

ابو الحسن المغفل او هارون الرشيد : هزلية مضحكة ملحنة ذات ثلاثة فصول ، وضعها منشئ المسرح العربي مارون نقاش ، سنة ١٨٥٠ ، نشرت في كتابه « ارزة لبنان » بيروت ، سنة ١٨٦٩ .

ابو شوشة : فصل واحد لمحمود تيمور ، مطبعة التقدم في دمشق ، مع مسرحيتيه : « الصعلوك » و « الموكب » ١٩٤٣ ، ونشرت قبلاً في مطبعة عطايا ، ١٩٤١ . — نقدها في « المقتطف » ٩٩ : ٤١٧ ، وفي « الاديب » ٣ : ٥٤ (لزكي طليمات) .

ابو العلاء المعري : في فصلين « للمقنع » نشرتها « الحديث » (حلب) ١١ : ٦٧٨—٦٩٣ .

ابو مسلم الخراساني : ثلاثة فصول يتخللها شعر قديم وحديث ، تأليف ا . ث . في « الزهرة » حيفا ، ١٩٢٣ ، ثم على حدة .

اجمنت : خمسة فصول . المؤلف : غوتيه Goethe . المترجم : محمود ابراهيم الدسوقي . القاهرة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٤٦ (نشرت مع افيجينيا) .

الاجنحة المتكسرة : زجلية ذات خمسة فصول ، وضعها وليم صعب مستلهماً فيها قصة لجبران خليل جبران — بيروت ، المطبعة الحديثة ، ١٩٤٣ ، ص ٣٢ .

الاحدب : المؤلف : لفيفال . المترجم : الياس فياض . — مثلها جورج ابيض .

احسان : مقتاة شعرية مصرية تأليف الدكتور احمد زكي ابي شادي ، في ثلاثة فصول واربعة مشاهد — مصر ١٩٢٨ ، المطبعة السلفية ، ١٦٠ ص (عقب عليها بدرس في الاوبرا) نقدها فؤاد افرام البستاني في « المشرق » ٢٥ : ٨٧٤ .

إحسان الانسان : وضعها الخورفسقفوس ميخائيل دلال الحلبي ومثلت على مسرح مدرسة دير الشرفة في لبنان .

احمس الاول او طرد الرعاة : تاريخية وضعها عادل الغضبان ، — مصر ، المطبعة المصرية ، ١٩٣٢ ، ص ٢٠٣ . — نقدها في مجلة « الكلمة » حلب ٨ : ٣٢٣ — ٣٤٧ .

الاخ الظالم : تأليف جورج دادا .

الاخرس المتكلم : تأليف مارون عبود ، طبعت عام ١٩٢٥ ، ص ٣٢

اخلاص العذارى : وضعها نسيم حنا نصر ، ٩٦ صفحة

اخناتون ونفرتيتي : دراما الهية شعرية وضعها علي احمد باكثير . نالت جائزة المباراة للفرقة القومية — مصر ١٩٤٠ في ٢١٦ ص . — نقدها في المقتطف ٩٧ : ٤٤٦ ، وفي الرسالة ١١ : ٦٩٥ .

اخناتون فرعون مصر : اوبرا تاريخية ذات ثلاثة فصول نظمها الدكتور احمد زكي ابو شادي — القاهرة ، دار العصور ، ص ٦٢ .

الاخوين مونفاردي (رواية) : تأليف طانوس جرجس يعقوب ، نزيل البرازيل — ١٩٢٠ .

الادعاء الفارغ : هزلية وضعها الارشمندريت برتلماوس صليبا قب . مثلت على مسرح مدرسة المخلص ، في بيروت ، ١٩٣٢ .

ادنا : غنائية .. المترجم فرح انطون ، مثلتها منيرة المهدية ولحنها الخلعي .

ادنا مرسي : تاريخية تمت الى تاريخ الفرس ، نقلها عن الايطالية الخوري يوسف معارباشي ، رئيس دير الشرفة ، ومثلها تلامذة الاكليريكية المذكورة ، سنة ١٨٨٤ .

الاربع روايات من نخب التياترات : نقلها من الفرنسية الى العربية عثمان جلال وهي : ١ — الشيخ مثلوف

٢ – النساء العالمات .

٣ – مدرسة الازواج .

٤ – مدرسة النساء – مصر ١٣٠٧ ص ٢٤٠ .

ارثور دوق بريطانيا : تاريخية بقلم الخوري يوسف الحداد . طبعها تلميذه واكيم عساف البيطار في ٨٨ صفحة ، ١٩١٣ .

اردشير وحياة النفوس : تلحينية تأليف الدكتور احمد زكي ابي شادي -- مصر المطبعة السلفية ، ١٩٢٧ ، في ١١٤ صفحة) مقتبسة من الجزء ٣ لكتاب الف ليلة وليلة .) – نقدها في مجلة « العصور » عدد ٣ (مارس ١٩٢٨) : ٧٣٣ – ورد المؤلف على هذا النقد ص ٨٧١ .

ارزة لبنان : مجموعة ثلاث مسرحيات ، تأليف مارون نقاش – بيروت ١٨٦١ في ٤٩٦ ص .

الارض في السماء : لامين ظاهر خيرالله

الارلزيانة : ذات ثلاثة فصول . المؤلف : الفونس دوده . المترجم : الدكتور جورج صوايا . نشرت تباعاً في مجلة « الاصلاح » في بونس ايرس ، ٥٩ ص ، سنة ١٩٣٢ .

ارليزية : المؤلف : الفونس دوده . المترجم : عبد الرحمن رشدي .

الارملة الطروب : *La Veuve Joyeuse* – اوبريت غنائية تأليف Vict. Léon et Leo Stein مثلت في دار الاوبرا الملكية – راجع فيها عرضاً وتلخيصاً لرشدي كامل في مجلة « الكاتب المصري » ٤ : ٥٤٠ .

ارواح الاحرار : في اربعة فصول وضعها الشيخ نسيم العازر ، ونشرت عام ١٩٠٩

ارينب بنت اسحق : وضعها الشيخ امين ظاهر خيرالله صليبا . – نقدها محمد الخضري في المقتطف ٥٦ : ٤٤

الازهر او قضية حماده باشا : في اربعة فصول وضعت في مصر .

استشهاد بولس الرسول : تمثيلية ذات ثلاثة فصول وضعها الخوراسقف بطرس حبيقة – بيروت ، المطبعة الكاثوليكية ، ١٩٣٥ ، ص ٦٢

استشهاد مار ترسيسيوس : وضعها المعلم سليم حسون وطبعت في الموصل بمطبعة الدومنيكان.

الاستبداد : تدور حوادثها في مراكش ابان ثورة الامير عبد الكريم الريفي. مُثلت في العراق. ومثلتها ايضاً جوقة رعمسيس برئاسة يوسف وهبي.

استقلال لبنان: تاريخية ذات خمسة فصول تأليف الخوري جرجس ابي نادر (المنصف ـ لبنان) — مطبعة الدورة — النهر ، بيروت ١٩٤٧ ، ص ٥٦ .

استير : ذات ثلاثة فصول مقتبسة من الكتاب المقدس وضعها جان راسين وترجمها اولاً محمد عثمان جلال ونشرها سنة ١٣١١ في مجموعته: الروايات المفيدة في علم التراجيدة ١ — ٣٩ بلغة عامية دارجة . — ثم نقلها الى العربية الصحيحة الياس طنوس الحويك ؛ المطبعة اللبنانية ، بعبدا ، ١٩٠٧ في ٦٣ ص. — ونقلها ايضاً نديم انطونيوس ايوب (حلب) ١٩٣٣ .

الاسكندر : وضعها سليم بطرس البستاني.

الاسكندر الاكبر : تأليف راسين . المترجم : محمد عثمان جلال. نشرها في مجموعته « الروايات المفيدة في علم التراجيدة » وهي الثالثة من المجموعة المذكورة بعد روايتي استير وافغانية التي نشرها معاً باللغة العامية سنة ١٣١١.

الاسكندر ذو القرنين : الخليل حصلب — نقدها في الهلال ٦ : ٨٣٩

الاسير : بقلم محمد الحيسن ـ عمان ، المطبعة الوطنية ، ١٩٣٣ في ٣٣ ص .

الاسيرة : ذات خمسة فصول تأليف بطرس الخوري يوحنا المشملاني (صليا) — المطبعة الشرقية ، الحدث ، ١٩٠٣ ص ٧٠ .

اسيرة الوفاء : ذات خمسة فصول وضعها ميخائيل اسحق النجار ، ٥٥ ص .

اشباح القرن الرابع عشر : مسرحية وضعها مارون عبود ، ١٩٢٤ ، ص ٨٠

اغنية الرياح الاربع : تأليف علي محمود طه — القاهرة ، عيسى البابي الحلبي وشركاه ، ص ١٣٢.

الافاعي : مقتبسة عن اميل فابر من روايته *La maison d'Argile* . مثلت لاول مرة على مسرح الفرقة القومية .

افجينيا في اوليس : *Iphigénie à Aulis* ، المؤلف : اوريبيد — (*Euripide*) — نقلها عن الانكليزية . محمود محمود . نشرها في مجموعته : « مسرحيات يوريبدز » — القاهرة ، لجنة النشر للجامعيين ، ص ١٢٠ — ١٧٥ .

افجينيا في تورس : *Iphigénie à Tours* احدى مسرحيات اوريبيد ، عربها عن الانكليزية لمحمود محمود ونشرها في مجموعته : « مسرحيات يوريبدز » ص ١٧٥ — ٢٢٢ .

افجينيا : في ٦ فصول المؤلف : غوتيه Gœthe . المترجم : محمود ابراهيم الدسوقي القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٤٦ (نشرت مع اجنت) — نقدها في « الكتاب » ٢ : ٣١٥ .

الافريقية : ترجمها الشيخ يوسف حبيش وداود بركات ، في اربعة فصول — الهلال ٦ : ٧٩٩

افغانية : (*Iphigénie*) المؤلف : جان راسين . المترجم . محمد عثمان جلال نشرها في مجموعته : الروايات المفيدة في علم التراجيدة ، عام ١٣١١ ، ص ٣٩ — ٩٠ (باللغة العامية) .

افكار في الجحيم : تأليف ادوار مرعي .

ألا — مود : كوميدية عصرية مصرية في ثلاثة فصول تأليف عباس علام ، مثلتها شركة ترقية التمثيل العربي لاول مرة بتياترو حديقة الازبكية سنة ١٩٢١ .

الفرد الكبير ملك انكلترة : عربها شبلي ملاط . — المطبعة اللبنانية في بعبدا ، ١٩٠٥ ، ص ٩٦ — طبعة ثانية ١٩٢٤ في ٨٤ ص .

الكترا : *Electre* احدى مسرحيات سوفوكل (Sophocle) ترجمها الى العربية الدكتور طه حسين ونشرها في كتابه : « من الادب التمثيلي اليوناني » ، القاهرة ، ١٩٣٩ ، ص ٦ — ٨٥ .

اللي يعيش ياما يشوف : كوميدي بوف عصرية مصرية في فصلين ، تأليف عباس علام — مثلت لاول مرة في تياترو كازينو دي باريس ، عام ١٩١٧.

الى الحمراء : موضوعها سقوط غرناطة . تأليف القس الخوري المقدسي ، نشرت تباعاً في « المورد الصافي » ١٥ : ٣ و ١٤٥.

الى الدير : خمسة فصول ، تأليف الخوري جرجس ابو فارس ، مطبعة فاضل وجميل ، الدورة قرب بيروت ، ص ٨٠.

الى غرناطة : فنية تاريخية ، تأليف هاشم الدفتردار المدني ، بيروت ، مطبعة الانصاف ١٣٦٠ — ١٩٤١ في ٩٤ ص.

الام : تأليف عمر ابو النصر — بيروت.

ام اربع واربعين : مثلت مراراً في مصر.

ام قويق : مثلت مراراً في مصر.

امام شباك التذاكر : فصل واحد. وضعها توفيق الحكيم بدءا باللغة الفرنسية ، وهو بعد في باريس (١٩٢٦) نشرت في مجموعته : مسرحيات الحكيم ٢ : ١١٥ — ١٢٦ .

الامان : تأليف متري نعمان — حريصا ، مطبعة الآباء البولسيين ص ٤٠ .

الامبراطور غليوم : وضعها وداد عرفي بعد مسرحيتيه محمد الفاتح والسلطان عبد الحميد . وقد قامت بتمثيل الثلاث فرقة رشدي على مسرح برنتانيا . — نقدها في «السياسة الاسبوعية» توفيق يونس ، عدد ١٣٨ (١٩٢٨) : ٢٠ .

الامتحان : تأليف عمر ابو النصر — بيروت .

امرأة تستجدي : ثلاثة فصول وعدة مناظر . اخرجتها الفرقة القومية (مصر) . — نقدها في « الرسالة » عدد ٣٣١ : ٢١٠٦ .

امرؤ القيس : تأليف عبد المطلب (؟).

امرؤ القيس بن حجر : شعرية لمحمد حسن علاء الدين — القدس — المطبعة التجارية ، ١٩٤٦ ، ص ١٠٩ .

امفيون *Amphion* : تأليف بول ڤاليري P. Valéry ترجمها خليل هنداوي في « المقتطف » ٩٠ : ١٨٥ .

الامل : تأليف هنري برنشتين H. Bernstein . اقتبسها سليمان نجيب وعبد الوارث عسر ، ووضع موسيقاها محمد حسن الشجاعي — مثلتها الفرقة القومية المصرية في دار الاوبرا الملكية — نقدها في « الرسالة » عدد ٣٣٦ : ٢٢٨٨ .

امل ويأس : رمزية تأليف سليمان كتاني — مطبعة العلم ، بيت شباب (لبنان) ص ٢٨ (عليها مقدمة لعبدالله غانم)

امير الارز : تاريخية ، شعرية نثرية ، يتخلل فصولها غناء موقع على الموسيقى العربية ، تأليف الخوري حنا طنوس بصبوص المعادي (جبيل) — مطبعة دير سيدة المعونات ، ١٩٢٨ ص ٩٦ . نقدها فؤاد افرام البستاني في « المشرق » ٢٦ : ٧٩٣ .

الامير الحمداني : تاريخية ذات ثلاثة فصول وضعها القس سليمان صائغ . نشرت تباعاً في مجلة « النجم » بالموصل ٨ : ١٥٧ .

الامير زين الدين او الميت الحي : ذات خمسة فصول — دمشق ، مطبعة الترقي ، ص ٤٠ ، مقدمة لمحيي الدين البديوي .

الامير سليم : تأليف حسين رمزي .

الامير فخر الدين حاكم لبنان : شعرية نثرية تأليف جورج بشعلاني ، رئيس مدرسة صليما .

الاميران الاسيران : تاريخية عربها عن الفرنسية بتصرف الخوري يوسف المشيتي ونشرها تباعاً في « المشرق » ٢٤ : ٧٦٢ و ٨٣٠ — صدرها بخطاب في التمثيل .

اميرة الاندلس : نثرية لاحمد شوقي ، في خمسة فصول — القاهرة ، مطبعة دار الكتب المصرية ، ص ١٥٧ . — نقدها ادوار حنين في « المشرق » ٣٣ : ٧٣ .

اميرة العفاف : درامة ذات اربعة فصول وضعها عيسى ميخائيل سابا – بيت شباب ، ١٩٢٤ . ص ٦٠

الاميرة فنيس : وضعت سنة ١٩٠٧ .

الاميرة النصرانية في عصر الجاهلية : وضعها الخوري بطرس الاشقر ، - بيت شباب ، مطبعة العلم ، ١٩٣٥ ، ص١٢٨ . – نقدها في « المنارة » ٦ : ٣١٩ .

الامين والمأمون : وضعها عامر محمد بحيري – مع مقدمة مسهبة من المسرح وفن التمثيل .

الانانية : وضعها ابراهيم المصري ، ظهرت ذيلاً لكتابه : « الادب الحي » .

انتقال العذراء : ذات فصل واحد وضعها الاب يوسف بيت الراهب المخلصي ، تتخلل ادوارها اناشيد – دير المخلص ، ١٩٣٦ .

انتقام المهراجا : مثلتها فرقة رعمسيس ليوسف وهبي .

انتيجونا : *Antigone* المؤلف : سوفوكل (Sophocle) ترجمها الدكتور طه حسين ونشرها في كتابه : «من الادب التمثيلي اليوناني» القاهرة ١٩٣٩ ، ص ١٦٧–٢٣٠ .

انجومار المتوحش : غنائية مثلتها فرقة آل عكاشة – مصر .

اندروماك : مأساة ذات خمسة فصول في ٤٤ ص . المؤلف : جان راسين Racine المترجم اديب اسحق . ترجمها ايضاً الدكتور طه حسين – القاهرة المطبعة الاميرية ، ١٩٣٥ ، ص ٧٣ .

الانسان الكامل : تأليف : برناردشو . المترجم : مصطفى حسن يوسف القاهرة ، ١٩٤٧

انشودة الزمن : مثلتها فرقة رعمسيس ليوسف وهبي .

انشودة الهدى : تأليف حليم فارس ، لبنان ١٩٠٧ .

انطوني وكليوبطرة : *Antonie et Cléopâtre* المؤلف : شكسبير . المترجم : محمد عوض ابراهيم . القاهرة ، مطبعة المعارف .

انما الحياة حلم : المؤلف : هنري برل لونورمان . المترجم محمود كامل المحامي . نشرت في كتابه «المسرح الجديد» ص ٧ .

اهل الكهف : تأليف توفيق الحكيم ، القاهرة مطبعة مصر ، ١٩٣٤ ، ص١١٧ .
— نقدها حبيب الزحلاوي في المقتطف ١٠٧ : ٦٧

اوتلو : او حيل الرجال ، المعروفة بالقائد المغربي عطيل . المؤلف شكسبير ، مصر المكتبة الملوكية ١٢٨٨ ص ٤٨ — انظر ايضاً : عطيل .

اوديب : *Œdipe* المؤلف : بيير كورنيل P. Corneille . المعرب : نجيب حداد ، في خمسة فصول

اوديب الملك : *Œdipe-Roi* المؤلف : سوفوكل . Sophocle المترجم : فرح انطون . ثم ترجمها الدكتور طه حسين ونشرها في كتابه : «من الادب التمثيلي اليوناني» ص ٢٠٥ — ٣٠٩ .

اوسه هانم : تمثل حياة البنت المصرية في المدرسة .

اوغسطس قيصر : ميلادية ، نشرها اتحاد المدارس الاحدية في آسيا العربية واخرجتها المطبعة الاميركية — بيروت .

اول بختي : وضعها سليمان نجيب ، باللغة العامية ، مثلت على مسرح دار الاوبرا الملكية . في ثلاثة فصول ، نقدها في «الكاتب المصري» ٣ : ١٥٠ .

اولاد الذوات : ليوسف وهبي ، مثلتها فرقة رمسيس — لغتها العامية .

اولاد الشوارع : ليوسف وهبي ، مثلت مراراً .

اولاد الفقراء : ليوسف وهبي ، مثلتها فرقة رمسيس باللغة العامية .

اياس : *Ajax* احدى مسرحيات سوفوكل — ترجمها الى العربية طه حسين ، ونشرها في كتابه «الادب التمثيلي اليوناني» المطبوع في القاهرة ١٩٣٩ ، ص ٩٠ — ١٦١

ايريس : *Iris* المؤلف ارثر بينيرو Arth. W. Pinero . المترجم : محمود كامل المحامي . نشرت في مجموعته «المسرح الجديد» : ٢٢٦

الايمان : *La Foi* المؤلف : اوجين بريو الفرنسي Eug. Brieux المترجم : صالح جودت ، مثلها جورج ابيض مرارًا ، مصر ، ١٩١٣ .

ايوب الصديق : وضعها المعلم الياس لطف الله — طبعت بالقدس .

ب

باخوس : وضعها عبد الرحمن ابو قوس ، اعتمد فيها على اسطورة بجاليون ، — حلب ، ١٩٤٣، ص ١٢٤ .

باسم القانون : كوميدي عصرية في ثلاثة فصول ، تأليف عباس علام ، مثلتها فرقة جورج ابيض لاول مرة بدار الاوبرا الملكية عام ١٩٢٤ .

بانتظار الملك : ميلادية تقع في فصلين وسبعة مشاهد . نشرها اتحاد المدارس الاحدية في آسيا العربية — بيروت المطبعة الاميركية — ٩ صفحات .

بتمدن اغنيائنا او الغني المتمدن : هزلية انتقادية ذات فصل واحد ، تأليف انيس جابر — عاليه لبنان ، في ١٠ ص .

بثينة وجميل : تأليف عبدالله شحادة .

بجاليون : تأليف توفيق الحكيم — مصر مطبعة التوكل ، ١٩٤٢ ، ص ١١٦ — نقدها حسن كامل الصيرفي في المقتطف ١٠٢ (١٩٤٣) ٨٧ وقارن بينها وبين مسرحية خليل هنداوي بالعنوان نفسه .

بحد السيف : *Par le Glaive* تأليف ريشبان J. Richepin ترجمها جورج مطر وبشاره واكيم ، مثلت اولًا على مسرح برنتانيا . ١٩٢٨ . — نقدها في « السياسة الاسبوعية » عدد ١٣٦ ص ١٣ .

البخيل : مضحكة ملحنة ، ذات خمسة فصول نقلها مارون نقاش عن موليير ونشرت في كتابه أرزة لبنان ، ثم طبعت ثانيةً بعناية نجيب نسيم مراد وشكري الخوري في سان باولو، البرازيل ١٩١٦ — نقدها في « المشرق » ١٨ : ٢٣٥ .

البخيل : المؤلف : موليير Molière — المترجم : الياس ابو شبكة ، في خمسة فصول بيروت ، مطبعة صادر ١٩٣٣ ، في ١٠١ ص .

بدر الدجى : تأليف ابراهيم بركات — مصر ١٩٠١ .

البدوية : تأليف حسن رمزي.

براكسا او مشكلة الحكم : تأليف توفيق الحكيم وضعها على اساس كوميدي قديمة لارستوفان — مصر ، مطبعة التوكل ، ١٩٣٩ ص ١٣١ .

البرّ البنوي : ذات ثلاثة فصول. ترجمها عن الايطالية القس توما ايوب الحلبي ١٩٢٤ ، ص ٥٨ . — نقدها في « المسرة » ١٠ : ٣٥ .

البرج الشمالي : ذات ثلاثة فصول . عرّبها عن الفرنسية يوسف الفاخوري، بيروت المطبعة الكاثوليكية ، ١٩٢٧ ، في ٦٨ ص .

البرج الشمالي : ترجمها عن الفرنسية المطران انطونيوس فرج .

البرج الهائل : غنائية ، اقتبسها فرح انطون لجوقة سلامه حجازي . تأليف دوماس في ٤ فصول

برقع الهوى : تأليف شاكر شقير.

بركليس امير صور : المؤلف : شكسبير . المترجم : محمود لطفي ثابت ، ١٩٢٤ ، ص ٧٤.

البرنس جان : مثلتها فرقة رعمسيس برئاسة يوسف وهبي.

برهان الشجاعة : ذات ثلاثة فصول نقلها عن الانكليزية القس توما ايوب السرياني الحلبي—طبعت سنة ١٩٢٤ ، في المطبعة الشرقية ، في ٨١ صفحة.

بروكرب : ذات خمسة فصول. المؤلف: الاب غودار اليسوعي. المترجم : الاب نعمةالله مبارك . ونظم الفصل الاول والثاني منها شعراً الشيخ شاهين ابو جبر الخازن ، سنة ١٩١٥ ، نشرت في « الورتاء » ، ثم في جونية ، مطبعة المرسلين اللبنانيين ، ١٩٣٨ في ٩١ ص.

بريد ليون : غنائية مثلت في مصر مراراً.

بريطانيكوس: *Britannicus* المؤلف: جان راسين. المعرب: جرجي بليط . شعرية في خمسة فصول.

بسيشي : *Psyche* فصل واحد بقلم خليل هنداوي. نشرتها « المقتطف » ١٠٢ : ٣٧٧ — ٣٩١ .

البطريرك جبرائيل حجولا الشهيد : وضعها الخوري يوحنا طنوس ، مطبعة الاجتهاد بيروت ، ١٩٢٣ في ٦٦ ص. — نقدها الاب شيخو في « المشرق » ٢٢ : ٢٣٦ .

بطل تسالنيا ابراهيم باشا : ذات خمسة فصول ، تأليف ابراهيم سامي مظهر — مصر ، مطبعة الاخلاص ، ١٨٩٧ ص ٦٠ .

البطل لا يموت : مسرحيتان في كتاب واحد تأليف عمر ابو النصر — بيروت .

بطل لبنان يوسف بك كرم : ذات خمسة فصول وضعها ميشال يوسف الحائك — بيروت ، مطبعة الاجتهاد ، ١٩٢٢ ص ٩٦ .

البطة المتوحشة : *Le Canard Sauvage* المؤلف : هنري ابسن Ibsen . المترجم : محمود كامل المحامي . نشرت في مجموعته : « المسرح الجديد » ٢٣٠

بعد موت اخيه : فصل واحد تأليف شالوم درويش . بغداد ، مطبعة مجلة « الحاصد » ، ١٩٣١ . (ملحق العدد ٢٥)

بلاط الامير : تاريخية في فصلين يتخللها شعر تاريخي . — تأليف فؤاد افرام البستاني مثلها لاول مرة خريجو المعهد العسكري في بيروت ١٩٤٦

بلال : الحلقة الثانية من سلسلة « مسرحيات اسلامية » بقلم محمد يوسف المحجوب القاهرة ، مكتبة مصر ومطبعتها ، ص ٢٤ .

بلانشيت : غنائية ذات نظرة اجتماعية ، المؤلف اوجين بريو — راجع فيها « حياتنا التمثيلية » لمحمد تيمور ٢ : ٢٩٦ .

بليزار : تأليف بيير مرمونتال — عربها عباس ابي نخول البجاني ، سان باولو ، البرازيل ، ١٩٠٣ ، ص ١٨٣ .

بنات الخدور : غنائية وضعها فرح انطون .

بنات الشوارع : غنائية وضعها فرح انطون .

بنت الاخشيد : وضعها ابراهيم رمزي ، ذات ثلاثة فصول ، القاهرة ، مطبعة المعارف .

بنت بغداد : غنائية ، قامت بتمثيلها فرقة السيدة ملك (مصر).

بنت رولان : *La fille de Roland* المؤلف : هنري دى بورنيه H. de Bornier المعرب : اديب اسحق .

بنت الشيطان : غنائية من نوع الاوبريت ، قامت بتمثيلها فرقة السيدة ملك (مصر)

بنت يفتاح : مأساة شعرية ذات فصلين نالت جائزة « الجامعة الادبية » لسنة ١٩٣٥ ، وضعها سعيد عقل ونشرها لاول مرة في مجلة « المشرق » ٣٣ (١٩٣٥) : ٢٢٤ ــ ٢٦١ ، ثم على حدة (٦٤ ص) مع توطئة درس فيها المسرح في الادب العربي.

البذور المرخصة : تأليف عبد الرحمن رشدي.

البيان الصراح عن نذر يفتاح : وضعها امين ظاهر خيرالله – دمشق ، المطبعة البطريركية الارثوذكسية ، ١٩٢٣ ص ١٠٤ . نقدها . في « المشرق » ١٧ : ١٥٥ .

البيت قبل كل شيء : *La Maison avant tout* المؤلف : بيير هامب P. Hamp. المترجم : محمود كامل المحامي . نشرت في مجموعته : « المسرح الجديد » ٢١٤ .

بيت الغجرية : تأليف محمد فريد ابي حديد

بيروت على الموسح او اربع سنوات الحرب : اربعة فصول ، تأليف جرجي مراد – بيروت المطبعة اللبنانية ، ١٩٢٠ ص ٨٨.

بين القصر والقفر : وضعها الشيخ ابراهيم منذر ، نشرت في الحلقة الثالثة من منتخبات « المعارف » ، بيروت ، مطبعة فارس سميا ، عام ١٩٤٨ ص ٦٧

بيومي افندي : ليوسف وهبي ، مثلت مرارًا

ت

تابع الشيطان : المؤلف : برناردشو B. Shaw المعرب : محمد كامل النحاس ، مصر ، مطبعة الاعتماد (مقدمة عن المؤلف).

تاج المرأة أو دنيز : *Denise* تأليف : اسكندر دوماس الابن. ترجمة الاستاذ كامل بهناوي ، قامت بتمثيلها الفرقة القومية المصرية - القاهرة، مكتبة الانجلو ، ١٩٤٧ ص ١٦٧.

تاجر البندقية : تأليف شكسبير. ترجمها خليل مطران - القاهرة دار الهلال ، ١٩٢٢ ، وقدّم لها بمقدمة في شاعرية شكسبير ومنزلته من الادب الانكليزي والادب العالمي معاً. -نقدها توفيق قربان في «الكلية» ٩: ٤٢٤ و١: ١٨٤ و٢٢٧ و٣٧٨ .

ـــ ترجمها ايضاً احمد العقاد واحمد عثمان القربي (مصر) ، ١٩٢٦ المطبعة العربية ص ١٢٠.

ـــ وترجمها ايضاً كامل كيلاني ـــ القاهرة مطبعة المعارف ١٩٣٢

ـــ وترجمها كذلك عمر عبد العزيز امين ـــ مصر المكتبة الملوكية ص ٢٨ .

تاجر العبيد : تأليف فيليب هنود (لبنان).

تارتيف او الدجال *Tartuffe ou l'Imposteur* المؤلف : موليير Molière . المترجم : عثمان جلال، بعنوان الشيخ متلوف (اطلبها).

تاييس : المؤلف : اناتول فرانس A. France . نقلها تمثيلية : فرح انطون ، مثّلتها منيرة المهدية ولحنها الخلعي.

تبرئة المتهم او جزاء المكر : وضعها رشيد الحاج عطية، طبعت في بعبدا ، سنة ١٨٩٧، في ١٧ ص.

تتويج فيصل : وضعها عبد الوهاب ابو السعود . نشرتها دار اليقظة العربية مع مسرحيته «وا معتصماه» - دمشق، ١٩٤٤ في ١٥٨ ص.

تحت سماء اسبانيا : كوميدي دراماتيك من ثلاثة فصول . المترجم : عزمي - اخراج : فتوح نشاطي . الموسيقى : محمد عبد الرحمن .

تحت العلم : تأليف عبد الرحمن رشدي - مصر.

تحرير اميركا او واشنطون : وضعها نقولا امين فرح.

التحفة الرشدية : وضعها الشيخ ابراهيم الاحدب ، عام ١٨٦٨.

تراث الآباء : تأليف نصري الجوزي ، ١٩٤٦ .

تسبا : مترجمة، مثلتها جوقة الشيخ سلامة حجازي بالاشتراك مع ميليا ديان .

تسعة امثال لربنا يسوع المسيح : أعدت للتمثيل بشكل تسع روايات ، اخذت مادتها من تسعة امثال للسيد المسيح ، ترجمها الى العربية عن الانكليزية بولس صدقي (القدس) واخرجتها مطبعة بيت المقدس في ٥٤ ص ، مقدم لها بكلمة في كيفية تمثيل القصص في المدارس الصيفية والمدارس القروية اليومية ، وهي :

١ — المتكآت الاولى في الاحتفال

٢ — العذارى الحكيمات والجاهلات ٣— الدعوة المستخف بها

٤ — الابنان ٥ — الوزنات

٦ — الدرهم المفقود ٧ — الاب

٨ — العبد الذي لم يصفح عنه ٩ — تاجر اللؤلؤ

تقريع الضمير : فصل واحد ، وضعها سليم بطي — بغداد ، مطبعة ج. ج. الاسرائيلية ، ١٩٣١ .

التلاقي بعد الفراق : ثلاثة فصول. وضعها شعراً متري نعمان الدمشقي سنة ١٩٣٣

تلماك : *Télémaque* غنائية ذات خمسة فصول اقتبسها سعدالله البستاني عن قصة تلماك لفينيلون Fénélon . مثلت لاول مرة في تموز سنة ١٨٦٩، طبعت في القاهرة ، المكتبة السعدية ص ٤٨ .

تمثال الزهرة في كابتول رومية : تاريخية. وضعها مارك ترابن M. Twine . نقلها الى العربية انيس الخوري المقدسي في «المورد الصافي» ٢ : ٣١٨—٣٢٤

تمثيل القصص من الكتاب المقدس : مجموعة من القصص التمثيلية للصغار ، مأخوذة حوادثها من حوادث الكتاب المقدس ، نشرتها لجنة اتحاد المدارس الاحدية في آسيا العربية، سنة ١٩٢٧، تقع في ٢٣ ص، مع مقدمة صغيرة في التمثيل ، وقد تضمنت التمثيليات التالية :

راعوث في ٤ فصول ، باللغة العامية .

رفقة في فصلين .

تموز وبعلة : او ادونيس وعشتروت ، نظمها وديع ابو فاضل.
تنازع الشرف والغرام: وضعها شاكر عازار ونجيب زلزل وهي ترجمة السيد *Le Cid* تأليف كورنيل – المطبعة العثمانية – بعبدا ، سنة ١٨٩٨
تنصر النعمان : تأليف يوسف مراد الخوري – لبنان ١٩٠٣
تنصر كلوفيس : ترجمها الاب نقولا ابو هنا المخلصي ، ١٩١٣ .– نقدها في « المشرق » ١٧ : ١٥٧
توتو : كوميدي عصرية في اربعة فصول تأليف عباس علام . مثلتها فرقة السيدة فاطمة رشدي لاول مرة عام ١٩٣٣
توسكا : تأليف : ساودو . نقلت الى العربية ومثلتها جوقة عبد الرحمن رشدي وفرقة رمسيس ليوسف وهبي .
تيمورلنك : مثلتها جوقة جورج ابيض .

ث

ثارات العرب : تأليف نجيب الحداد . طُبعت ١٩٠٤
الثعلب الازرق : *Le Renard Bleu* المؤلف: فرنسوا هرزيج المجري Fr. Herzeg المترجم : محمود كامل المحامي. نشرت في مجموعته « المسرح الجديد » ١٥٧.
ثعلبة الجاحد او أتق شر من احسنت اليه : ذات اربعة فصول وضعها عيسى ميخائيل سابا ، مطبعة العلم ، بيت شباب ، سنة ١٩٢١ ، ٤٨ ص.
ثلاثة رجال وامرأة : لابراهيم عبد القادر المازني ، نشرتها لجنة النشر للجامعيين، عام ١٩٤٤ .
ثمرة الغواية: ذات خمسة فصول، تأليف احمد صادق محمود – الاسكندرية ١٩٠٠
ثورة الآلهة : فصل واحد بقلم امين يوسف غراب في مجلة «الكتاب» ٣ : ١١٥
ثورة بيدبا : شعرية تأليف رئيف الخوري .
الثورة الدرزية في الاراضي اللبنانية : وضعها الياس جرجي شبل ابي نادر ، نيويورك ، ١٩٢٦، في ٦٢ ص.

الثورة السورية : تأليف زكي قنصل – ١٩٣٦

ثورة العبيد : شعرية تأليف عبد الرحمن ابو قوس، حلب، ١٩٣٧ ص ٦١ المطبعة العصرية

ثيوديوس قيصر : تأليف مارون عبود ، ١٩٢٥ ص ٥٨

ج

الجاسوس : فصل واحد تأليف الشيخ ادوار الدحداح ، نشرها « المكشوف » في عدده ٢٧٤ .

جاك الصغير : مثلتها فرقة رعميس برئاسة يوسف وهبي .

جاكلين : غنائية، مثلتها جوقة عبد الرحمن رشدي وميليا ديان .

الجالية والصحافة : انتقادية فكاهية ذات ثلاثة فصول . وضعها سمعان الحاماتي صاحب جريدة « النسر » توكومان ، الارجنتين ، سنة ١٩١٨ في ٣٠ ص .

جان دارك عذراء اورليان : ذات خمسة فصول وتمهيد ، تأليف الشاعر الالماني فريدريك شيلر . نقلها شديد باز الحداد في « المورد الصافي » ١٣ : ٣٢١ – ٤٣٢ ، ثم على حدة – بيروت مكتبة صادر ، ١٩٢٨ ص ٩٠ . – نقدها في « المشرق » ٢٧ : ٣١٦ .

جان هاشيت : تأليف يوسف الفاخوري ، طبعت سنة ١٩٢٤ ، ص ٦٤ .

الجاهل : تأليف الشيخ امين ناصر الدين ، ١٩٠٨ .

الجبار : مثلتها فرقة رعميس .

الجبان : *Le Lâche* المؤلف : هنري لونورمان H. R. Lenormand ، المترجم : محمود كامل المحامي ، نشرت في مجموعته « المسرح الجديد » ٩٨ .

الجرم الخفي : معربة، مثلها جوق سلامة حجازي وميليا ديان .

جريح بيروت : وضعها اسماعيل صبري وحافظ ابراهيم ، طبعتها المكتبة العربية في دمشق ، مع « شهداء الانتقام » تأليف عبد الوهاب ابي السعود .

جزاء الخيانة : تأليف الشيخ امين ناصر الدين ، عبيه ، ١٩٠٨ .

جزاء الشهامة : تاريخية في خمسة فصول ، تأليف سليم جدي ، نشرها توفيق كبوش في بيروت في ٧٨ ص.

جزاء الفضيلة: بقلم الآنسة حنة خوري شاهين ــ بيروت ، المطبعة الاميركية ، ١٩٣٠ ، ص ٧١.

جزاء المكر او تبرئة المتهم : اطلب تبرئة المتهم.

جزيرة الكفر : رواية انكليزية تأليف سنيفنسن ، ترجمها رياض جندي ملطي ، مصر ، ١٩٢١ ، جزآن. وترجمها ايضاً رزق الله شمس واحمد صادق ونشرت في دار الهلال ، ١٩٢١ ص ٢٠٤ وترجمها كذلك لمكتبة الهلال يوسف اسكندر جرجس.

جلالة الامير: تأليف الاخ ساروفيم ثكتور (رشيد يوسف عطاالله اللبناني) نشرت في كتاب « الذكرى الخالدة » – بيروت ، المطبعة الكاثوليكية ، ١٩٢٧.

جمال باشا في لبنان : تأليف الخوري بطرس الاشقر.

جميل بثينة : شعرية تأليف رشاد راضي - القاهرة ، مطبعة وادي الملوك ص ١٧٥ ، مقدمة لعبدالله لبيب بدران – مع مقدمة اخرى لحسن لطفي المنفلوطي بعنوان « الشعر التمثيلي » ص ١١ – ١٦ .

جنسنا اللطيف : فصل واحد ، لتوفيق الحكيم ، في مجموعته « مسرحيات توفيق الحكيم » ١ : ٢٧٤ ــ ٢٩٨ .

جنفياف المعروفة بربة الانس والالطاف. تاريخية ذات خمسة فصول ، المكتبة العمومية في دمشق – الطبعة الثانية ، ١٣٤٣ ، ص ٤٣ .

جنفياف: تاريخية عربها المونسنيور اسطفان ضو.

جنفياف: ذات اربعة فصول – المؤلف: كريستوف شميد. المعرب: نبيل البستاني – بيروت ، ١٩٣٣ ، مكتبة صادر ، ص ٨١.

جون الشرف: تأليف بيراندللو.

جهاد المستعبدين: ذات تسعة فصول . نقلها عن الاسبانية خليل ابراهيم نبوت، بونس ايرس ، ١٩٣٧ ، في٦٧ ص قطع ثمن -- نقدها في «المشرق» ١١ ، عدد ٥ : ٢١ .

الجهلاء المدعين بالعلم او هات الكاوي يا سعيد : هزلية ذات ثلاثة فصول باللغة العامية . تأليف ابراهيم الطبيب ، بيروت، المطبعة العلمية ١٨٩٧ .

جيترا: فصل واحد وتسعة مشاهد ، تأليف طاغور، وتعريب فخري شهاب ، نشرها « الكاتب المصري » ٢ (١٩٤٦) ٣١٠ .

جيشنا السوري: وضعها زهير الشوا – دمشق ، ١٩٤٥ .

ح

الحادثة: انتقادية – المؤلف: هنري دي فيرفوا . المترجم : زكي طليمات . – نشرت في « الهلال » ٥٣ : ٧١٣ .

الحارث: شعرية ذات ثلاثة فصول ، وضعها خليل باخوس، سنة ١٨٨٧ مُثلت مراراً . مطبعة الحقوق ، قرب جسر نهر بيروت (لبنان) ١٩١٠ ، ص ٦٦ .

الحارس: مسرحية مطبوعة (لبنان)

الحاكم بامر الله: وضعها ابراهيم رمزي ومثلتها جوقته بمشاركة سلامة حجازي ، وطبعت في مصر ، ١٩١٧ .

الحالة « ج » – ملهاة بالعامية من نوع الفودفيل قامت بتمثيلها الفرقة القومية في الاوبرا الملكية في مصر .

حانة مكسيم : مثلتها فرقة رمسيس ليوسف وهبي.

الحب والدسيسة : مثلتها الفرقة القومية المصرية.

الحب ينتقم : وضعها جبور عبد النور – مطبعة القلم ، ملحقة بمجلة« الرياض » .

حبيبي عدوي او المنتقم لابيه : مأساة ذات خمسة فصول – تأليف بيير كورنايل P. Corneille المترجم : انطون قيقانو – ،طبعة حديقة الاخبار ، ص ٩٦ ، (اطلب ايضاً السيد) .

الحجاج بن يوسف : تاريخية. تأليف حبيب الشماس – مطبعة القديس بولس ، في حريصا.

الحجاج : تاريخية . تأليف عبد الرحمن عياش – مطابع ابي الفداء ، حماه ، ١٩٤٦ – ١٣٦٥ ص ٨١ .

حديقة التمثيل العصري : نشرة روائية تضم مسرحيات تمثيلية ادبية دينية ، انشأها الاستاذ رينه رزق‌الله خوام – احتوى العدد الثاني منها :

ابدال في ملامح الوجه او الماكياج.

سرقة في دار : رواية تمثيلية صامتة.

رواية الحفيد المحتال (تتمة)

مرغريت موروس (تابع).

حرب الاعتراب والاقتراب في حب الوطن : تأليف الشيخ قيصر الخوري اللبناني – مطبعة الصخرة بنيويورك ، ١٩٠٤ ، في ٤٠ ص.

الحرب الكبرى : مقدمة وخمسة فصول ، وضعها جميل الحاج – مطبعة صدى الشمال ، زغرتا ، لبنان ، ص ٨٨.

الحرية الدينية في لبنان في القرن السابع عشر : او رواية يونس الشهيد . وضعها الاب يوحنا خليفة اللبناني ، جونية ، مطبعة المرسلين اللبنانيين ، ١٩٣٩ ، في ١٠٢ ص.

حسام الدين الاندلسي : ذات سبعة فصول ، تأليف مصطفى صادق الرافعي – الطبعة الرابعة ، مطبعة المواعظ ١٣٢٢ – ١٩٠٥ في ٩٤ ص .

حسن : مسرحية تأليف الروى فليكور. المترجم : محمود كامل ، مثلت لاول مرة على مسرح شركة ترقية التمثيل العربي ، في مصر.

حسناء البساتين : وضعها يوسف الياس الغريب في توكومان ، ص ١٠٢.

الحسناء العربية ارينب بنت اسحق : تاريخية ذات ثلاثة فصول ، بقلم فريد شاهين ابي فاضل ، مطبعة الرياض ، انطلياس ، سنة ١٩٣٤ ، في ٦٢ صفحة . نقدها في « المورد الصافي » ١٨ : ٢١٩ (راجع ارينب بنت اسحق) .

الحسود السليط : احدى الروايات التمثيلية التي اقتبسها هارون نقاش ملخصاً فيها احدى روايات موليير (Molière) ونُشرت في « ارزة لبنان » ١٨٦٩ ، بيروت ، المطبعة العمومية ، ٤٩٦ ص.

الحسين : شعرية ذات ثمانية فصول ، تأليف محمد الرضا شرف الدين–بغداد، مطبعة النجاح ١٩٣٣ ، ص ٢٣٨ .

حطام الشرف : فصل واحد بقلم سعيد عبده في « السياسة الاسبوعية » ، عدد ١٦:٥٣ .

حفلة شاي : فصل واحد تأليف محمود تيمور ، نشر دار الكتاب مع « المنقذة » ، مصر ١٩٤٣ ، في ٦٣ ص.

حفنة ريح : مهزلة في فصل واحد وضعها سعيد تقي الدين ، ونشرها في مجموعة قصصية — بيروت ، دار العلم للملايين ، ١٩٤٧ .

الحفيد المحتال : راجع « حديقة التمثيل العربي » .

الحق والعدالة : شعرية للدكتور سليمان غزالة ، بغداد ، دار الطباعة الحديثة ، ١٩٢٩ ص ٦٤ — نقدها في « المشرق » ٢٧:٣٩٧ .

حكم القضاء : معرَّبة عن بول هرفيو Hervieu .

حكمة سليمان : شعرية وضعها القس افرام حنين الديواني . بيروت ، المطبعة الكاثوليكية .

الحلّ : لعلي احمد باكثير ، نشرت مع « شيلوك الجديد » ، القاهرة ، ١٩٤٥ ، ص ٨٨ - ١٦٣ .

حلم فيقظة : تأليف الكاتب الفرنسي اومانوني O'Manny عربها تلامذة مدرسة الحكمة تحت انظار استاذهم الخوري نعمةالله باخوس ، المطبعة اللبنانية ، بيروت ، في ١٣٨ ص . — نقدها في « المشرق » ١٧ : ٤٧٤ .

حلم الملوك : تأليف الشيخ نجيب الحداد — بيروت ١٩٠٤ .

حمار وحلاوة : هزلية تأليف امين صدقي واخراج نجيب الريحاني ، مثلت على مسرح الاجبسيانية ، مصر ، ١٩١٧ .

حمدان: تاريخية ذات خمسة فصول وضعها الشيخ نجيب الحداد، المطبعة اليوسفية، بباب الخلق، ص ٥٦ .

الحنان : *La Tendresse* المؤلف : هنري باتاي H. Bataille المترجم : محمود كامل المحامي. نشرت في مجموعته « المسرح الجديد » ص ١٨٠.

حنجل بربر: غنائية تأليف حسين رمزي.

حنة ابنة فرنسيس الثاني ولية عهد بريطانيا: اربعة فصول وضعها المنسنيور يوسف الحائك، مطبعة الاتقان، بكفيا، ١٩٣١ في ٣٧ ص.

حواء الخالدة : فصلان لمحمود تيمور، مثلتها الفرقة المصرية في دار الاوبرا الملكية، مصر، مطبعة الاستقامة، ١٩٤٥ ص ١٧٠ .—نقدها في « الكاتب المصري » ٤ : ٥١٣. وفي « الكتاب » ٤ : ١٤١٨.

حول اسوار القسطاط: تأليف عبد الرحمن الساعاتي — الحلقة الثانية من رواية ابطال المنصورية — القاهرة، دار الطباعة للاخوان المسلمين، ص ٣٣ قطع صغير.

الحياة بالموت: تاريخية ذات خمسة فصول بقلم الخوري بطرس فضول المرسل اللبناني، نشرها تباعاً في مجلة « رسالة السلام » : ٢ : ٩٧ و ٤٣٩ و ٤٨١ و ٥١٦ .

حياة تحطمت: في اربعة فصول وخمسة مناظر وضعها توفيق الحكيم . نشرت في مجموعته « مسرحيات الحكيم » ٢ : ٢٩٥ — ٣١٢ .

حياة خفية : *Une vie secrète* المؤلف: لونورمان H. R. Lenormand، المترجم : محمود كامل المحامي، نشرت في مجموعته: « المسرح الجديد » : ٦٧ .

حياة عمر بن الخطاب اول حاكم ديمقراطي في الاسلام : وضعها عبدالله احمد الشابي، مطبعة جمعية اسعاف المحتاجين — طرابلس ١٣٤٤ ص. ٣٦ .

الحياة فداء الغرام: في ثلاثة فصول تأليف الياس منصور الاشقر — بيروت مطبعة الاجتهاد ١٩٠٨ ليوسف غنّام ثابت، في ٤٠ ص.

خ

الخائن : ثلاثة فصول . عربها عن الفرنسية ا. ث. في مجلة « الزهرة » حيفا ؛ ثم على حدة في ٩٣ ص،سنة ١٩٢٤.

الخادم الابله : هزلية بقلم الارشمندريت برثلماوس صليبا (ق ب) . ١٩٣٢

خالد : تأليف سامي نوار.

خالد بن الوليد : شعرية في خمسة فصول بقلم علي محمد بجيري مطبعة ومكتبة مصر ، ١٩٤٥،في ١٠٨ ص.

الخداع والحب : تأليف شيللر نقلها الى الفرنسية اسكندر دوماس وعنها الى العربية الدكتور نقولا فياض ونجيب سليم طراد ، مثلت في القنصلية الروسية في بيروت ثلاث ليال – نقدها زاكي مابرو في مجلة « الجامعة » افرح انطون ٢ : ٣١٧.

خد بالك يا استاذ : غنائية(؟)

الخروج من الجنة : في ثلاثة فصول ، بقلم توفيق الحكيم. نشرت في مجموعة مسرحياته ، ٢ : ٥ – ١١٠.

الخطاب : مسرحية تأليف سومرست موغام . ترجمها سليم سعد ، مثلتها الفرقة القومية في مصر.

خطيب اوريليا : تاريخية ذات ثلاثة فصول. تأليف دي شفينيا. نقلها الى العربية الاب ميشيل نخل بردويل. في «المسرة» ١٨ : ١٩١ و ٥٧٤ و ٦٢٨ ثم على حدة في ٣٩ ص.

خلي بالك من اميلي : من نوع الفودفيل – مصر

الخوف من الدير : تأليف نعمان متري – حريصا ، مطبعة الآباء البولسيين ، ص ١٢٠.

خولة بنت الازور : تاريخية وضعها عبد الوهاب ابو السعود ، نشرت مع « وامعتصماه » دمشق ، دار اليقظة العربية ، ١٩٤٤.

خوناتون : وضعها جورج ابيض،ومثلتها جوقته بمشاركة سلامة حجازي .

خيبة الامل : في ثلاثة فصول – تأليف دوجلاس ريد. نقلها سعد الدين توفيق وصلاح الدين تهامي ، ورسم صورها الفنان زهدي–مصر ، دار سعد الدين للنشر ، ١٩٤٥ ، ص ٩٨.

د

دانيال النبي : تأليف امين مسعد ، ١٩٠١.

داود الملك : تاريخية شعرية ذات خمسة فصول وضعها الخوري بطرس البستاني، عام ١٩٠٦ ، في ١٢٨ صفحة.

دخول الحمام مش زي خروجه : فصل واحد لابراهيم رمزي.

درّة العفاف : ذات ثلاثة فصول . المؤلف : الفرد دي موسيه . المترجم : السيدة استير مويال . نشرت تباعاً في جريدة « النصر » سنة ١٩١١، ثم على حدة في مطبعة جريدة النصر – بيروت ٦٥ .

الدرة الفريدة في افدوكيا الشهيدة : ذات خمسة فصول وضعها الخوري ميخائيل غفريل ، وطبعت في الحدث (لبنان) في المطبعة الشرقية ، مع مقدمة في ترجمة القديسة افدوكيا البعلبكية – ص ١٦١.

دزرائيلي : ترجمة اندراوس حنا « حياتنا التمثيلية » ٢ : ٢٨٣.

الدسيسة : وضعها الاخ ساروفيم ڤكتور (رشيد عطا الله اللبناني) نشرت في كتاب « الذكرى الخالدة » – بيروت ، المطبعة الكاثوليكية، ١٩٢٧ .

دعد اميرة غسان : وضعها المونسنيور يوسف الحايك في ثلاثة فصول – مطبعة الاتقان في بكفيا (لبنان) ١٩٣٣ في ٦٤ ص

الدكتور حازم : اجتماعية في سبعة مناظر وضعها علي احمد باكثير . نشر لجنة النشر للجامعيين- القاهرة ، مكتبة مصر ومطبعتها ، ص١٤٢

الدكتور كنوك او انتصار الطب : المؤلف : جول رومان J. Romain نقلها ابراهيم الكيلاني ، دمشق ١٩٤٥ ص ٢٠٩ – نقدها في مجلة « الكتاب » ٢ : ٣٢٨

(لها تابع)

مكتبة المشرق

تاريخ قضاة الاندلس

او كتاب المرقبة العليا في من يستحق القضاء والفتيا

للشيخ ابي الحسن النُباهي المالقي الاندلسي

نشره إ. ليفي بروفنسال استاذ اللغة والحضارة العربية بالسربون
مدير معهد الدراسات الاسلامية بجامعة باريس
طبعة القاهرة ، دار الكاتب المصري ، سنة ١٩٦٨
بقلم حبيب زيّات

لم يُطبع الى اليوم من كل ما كُتب قديماً عن القضاة بالاندلس سوى تاريخ قضاة قرطبة لمحمد بن الحارث الخُشني المتوفى سنة ٣٧١/٩٨١ طُبع طبعاً غير جميل في مدريد سنة ١٩١٤ ، مع ترجمة له في الاسبانية لا تخلو من وهم وسوء فهم ؛ وسوى كتاب النباهي المذكور آنفاً دعاه في مقدمته كتاب المرقبة العليا في من يستحق القضاء والفتيا وهو اسم طابق مسمّاه لما تضمنه من البحث والنظر في خطة القضاء وشروطه «ومن يجوز له التقليد ومن لا يجوّز له وفي صفات المفتي وما يُقبل من اقواله وبالجاري من فتاويه على منهاج السداد» وهو على هذا النحو اشبه بكتاب تشريع وتحديد للقضاء منه بكتاب تاريخ عام للقضاة . وتسميتهُ بكتاب تاريخ قضاة الاندلس انما هي من باب التغليب والتوسّع لانه لم يقتصر على تدوين اخبار قضاة الاندلس ، بل تجاوزهم احياناً الى الكلام على بعض المتقدمين من قضاة المشرق والمغرب وافريقية ، وربما استدرجه الحديث ايضاً الى ذكر قاض من قضاة مدينة ملّي من ارض الحبشة . ولا يخفى ما في هذه الطفرات والاستطرادات الغريبة من الخروج عن دائرة البحث، والتقصير في معالجة موضوع الكتاب وفصوله . ولو كان النباهي وقف كتابه على جمع انباء القضاة واوصاف معيشتهم واعمالهم في الاندلس كما فعل الكندي مثلاً في اخبار قضاة مصر لكان ابقى لنا ذخيرة من اجل الذخائر

واثراً من انفس الآثار يمثل لنا الحياة القضائية في ما وراء الجبال والبحار.

وقد نبّه النباهي في مقدمته الوجيزة على انه قسم كتابه الى اربعة ابواب: الباب الاول في القضاء وما ضارعه (ص ٢ — ٢١) والثاني في سِيَر بعض القضاة الماضين وفقر من ابناء الامة المتقدمين (ص ٢٢ — ١٧٧) وهو اهم ما في الكتاب، ولكنه سكت عن البابين الاخيرين. وهو ما يبعث على الظن ان كتابه انتهى الينا ناقصاً غير كامل. وقد اورد في مكان هذين البابين باباً ثالثاً في كتب القضاة الى القضاة (ص ١٧٧ — ١٩٤) وباباً رابعاً في الشهادة على الخطوط (ص ١٩٤ — ٢٠٨) وليس في شيء منهما اقل حظ او ايسر فائدة للمؤرخ والمتأدب.

والفضل في اخراج هذا الكتاب وابرازه لعالم العلم راجع الى احد علماء العصر المتخصصين بالتاريخ الاندلسي ليفي بروفنسال، استاذ اللغة والحضارة العربية في السربون ومدير معهد الدراسات الاسلامية بجامعة باريس. وله في هذا التاريخ عدة مؤلفات ممتعة في لغته الفرنسية احسن فيها غاية الاحسان. ولكنه قصر جداً في خدمة كتاب النباهي واقتصر على اختيار اجمل الطبعات له في دار الكاتب المصري دون ان يعمل النظر الكافي لتحقيق المتن وتصحيحه وقد عددنا من المآخذ والاغلاط في الكتاب مئات من مواضع التحريف والتخليط في ضبط الحركات وتسديد الالفاظ وقلة الانتباه الى ما في بعض الاشعار المروية من الاختلال الظاهر في الوزن. ولا بأس ان نعدد كل ما مرّ بنا منها عملاً بحقوق النقد وغيرة على العلم ان تلحقه شبهة او ريبة. وسنبدأ باغلاط الطبع والشكل والضبط وتعقبها باوهام الرواية والقراءة والنسخ.

اغلاط الطبع والشكل والضبط

صفحة	سطر	الخطأ	الصواب
٧	٣	هو عدل رضوٍ	عدلٌ رضىً
١١	٣	من دُعي الى عمل او امامه في الدين	إمامة في الدين
١٢	١٧	ما أفتى الناس	ما أُفتي الناس
١٤	١٢	خاف على دمه وجلدُ ظهره	وجلدَ ظهره
١٤	٢٣	فألزمه	ألزمهُ

صفحة	سطر	الخطأ	الصواب
١٩	٧	واعجبه سمته	سمته
٢٦	١١	لا يشبه حاله حال الجبابرة	لا يُشْبِهُ
٣١	٥	اردتَ ان اولّيه القضاء	اردتُ
٣٤	١٨	وكتبع	وكيع
٤٠	٨و١٣	البطرك	البطرَك
٤٣	٩	يكون ذلك دأبه	دأبَه
٤٣	١٨	كان ممن يستغني بعقله عن مشاورة غيره	يستغني
٤٦	٢١	انفذت ما لزمني انفاذه من الحق خوفُ الحادثة على نفسي ورهبةُ السؤال عنه	انفاذُه خوفَ الحادثة ورهبةَ السؤال عنه
٤٧	٢٠	الى حج بيتَ الله	حج بيتِ الله
٥٦	٨	فحرَى الا تسمع دعواه	فحرىً
٥٨	٦	تَجيئكَ اليها	تُجيئكَ
٥٨	١٥	كلَ التراب	كُلِ التراب
٦١	١٦	والله اعلم ايُ ذلك كان	ايٌّ
٧٤	١٤	الواجب على من استفضى في موضع	استُفضِيَ
٧٥	٢	امير المؤمنين الحكمَ المستنصربالله	الحكمُ
٧٨	٢١	ما بي ان اقوم بذلّة	مَذَلَّة
٧٨	٢٢	ولكنها بيني وبينك تُجمَلُ	تُجمِلُ
٨١	١٣	ويُنفذَ حكمي	ينفُذَ
٨٤	٣و٣	وبذلوا في الله ما بذلوه	وبَذَلوا ما بَذَلوه
٨٧	١	وعُنَف جم	وعُنُف
٨٩	٢	امر بضمّه الى المَطبَق	الى المُطبَق (اي السجن الذي أُطبق عليه)
٩٥	٧	فلِمَ لا اكون	فلِمْ لا اكون (حفظًا للوزن)
١٠٣	٣و١٠	التنطي	التنطي
١٠٥	١٣	ودُفن في مسجد حكمُهُ	حكمِهِ
١٠٦	١٩	اوذى في ذلك بذهاب كتبه	أُوذِيَ
١٠٦	٢٣	توفي منصرفَهُ	مُنصَرَفَهُ
١٠٧	٦	وَهمٌ من ابن الزبير وغَلَط	وخَلَط او غَلَط
١١٢	١٧	ذكيا فَطَنًا بارع الخط	فَطِنًا بارعَ الخط
١١٦	٩	وصحة قول وضَبَطَ الى تقلب في العليا	وضبطِ

صفحة	سطر	الخطأ	الصواب
١٢٠	٧	وعوّجا عليها مارناً وبفازة	وعُوجا . . . وبَفازة
١٢١	١٩	وَرْق الحمام	وَرْق الحمائم
١٢٢	١٢	فاعيا بنالهِ	مَنَالُهُ
١٢٥	٩	تقدم بَذْله	بَذْلَه
١٢٦	٢	حلوّ الشمائل	حُلْوَ
١٢٨	٦	ولم تُقَمْ له بينة	لم تَقُمْ
١٢١	٩	معذّر ابدت به صدغاه وشيُ الحسن	معذّر . . . وشيَ الحسن
١٢١	١٦	فمن أدمعي	فمن أدمعي (بقطع الهمزة لضرورة الوزن)
١٢٥	١٨	بها	منها
١٢٧	٩	وسنيّ الاحوال ورفيعُ المقامات	وسنيّ ورفيعِ
١٢٨	١٨	منشرح الصدر	مُنْشَرِح الصدر
١٢٩	١١	المَحَاربي	المُحاربي
١٤٢	٢٢	وإقراءة القرآن	وأقرأ القرآن
١٤٣	٣	على سبيل في ذلك كله	كُلّه
١٤٣	١٢	دار الإشراف	الأشراف
١٤٣	١٨	حققت	حققتُ
١٤٤	١	اعدّ النظر	أعِد النظر
١٥٢	١٣	أمسكها	أمسكوا
١٥٣	١٦	من غرناطة	غرناطة
١٥٥	٣	الطاعون الاعظم الذي حسبتَ ظهوره	حسبتُ او حسبتْ
١٦١	٨	الى ما عُرِّف	عُرِف
١٦٤	١٠	الاقربُ	الاقربِ
١٦٦	١٤	الاهلون كلّهم	كلّهم
١٦٦	١٧	مُؤْمِنات	مؤمنات
١٧٣	٥	الى اكرمُ	أكرمَ
١٧٤	١٤	ان تصحبوا	تُصحبوا
١٧٥	١٥	كرموا	كَرُموا
١٧٦	١٠	اذا اجتمع منها في الرجل العقل والورع قدم	قُدِّم
١٧٦	٢٤	أقضيته	أقضيته
١٨٣	٢٥	استأهلَ	استأهَلَ
١٩٣	٢١	ألحقَ	الحَق
١٩٥	١٢	احتُيج	احتيج

اغلاط الرواية والقراءة

صفحة	سطر	الخطأ	الصواب
٣	١٦	بالورع يُعفَ	يَعِفَّ
١١	٦	قصَّ نفسه على تلك المترلة	قَصَر نفسه
١٢	١٦	لست اضم الى هذا	أضمُّ (؟)
١٤	٢١	في الايناء للقضاء	الإباء
١٤	٢٣	فاذا أرضيته للقضاء	رَضِيتهُ
١٥	١٧	يختفي الشيطان	يختفي
١٦	٥	يشير علينا بن تولي او ما قبل	اذا ما قبل
١٧	١٨	عن فوق من سطوته	عن فَرَقٍ
٢٢	٢٠	هلّا اعيدت المرأة على زوجها	هلّا اعَدْتَ
٢٨	١٦	كان من الامر ميثان احدها	احدهما
٣٢	٩	يلبس الصوف الخيش	الخَشِن
٣٣	٢٠	كان سيّئ الرعن فيهم	سيّئَ الظن او الرأي
٣٣	٢١	لما اراد الايقاع جم فلم يقدر على ذلك	لم يقدر
٣٣	٢	لم يزل به بعد مدة حتى جعله	عزله
٣٣	٥	بنادريا	بيادريا
٣٤	١	يقطويه	تقطويه (؟)
٣٤	١٨	اما شدائد اسماعيل في القضاء وحسن مذهبه	سداد
٣٥	٣	يرى استنايتهم	استنابتهم
٣٧	٢٢	وضعت كتب النجوم ليتمش بها الجاهلون من العامة	ليتعيّش (؟)
٤٠	١٠	طبّقوا على وجوههم	صلّبوا (كما ورد في النسخة ق)
٤٠	١١	وتربون به	وتربأون به
٤٠	١٢	سدّة لهذا الرأي	سوأة
٤١	٢١	وترمي النوى بالمفترين المرايا	وترمي النَّوى بالمُفْتَرين
٤١	٢٢	وما هجروا اوطانهم عن مُلاحظ	ملامة
٤٣	٩	قبره عند المصريين	عند الربض (؟)
٤٣	٢٠	اقسم ان لا يضع مقامه	يبرح
٤٣	٩	قد تماطوا الحق بينهم	تراضوا او تناصفوا
٤٤	١٣	وقد الحق لاجله	وتنبذ
٤٥	٦	شديد التنفي	التقصّي

صفحة	سطر	الخطأ	الصواب
٤٦	٧	دفعه اليه الابتام	رفعه (بالراء)
٤٦	٧	اعلمت الامير بشدة استخفافه وغلظه في نفسه	وغلظه
٤٦	٢٢	حرق كلام القاضي	حرّف
٤٧	٢	ولم يعرضه	لم يعزله
٤٨	٢٠	شاهد مبرّز	مبرّز
٤٩	١٠	شهادتي بحطي	بخطي
٤٩	١٢	وجاءت دولة وكيل سعيد الخير	وجاءت نوبة
٤٩	١٣	فتقدم اليه مذلّا	مُدلًا
٤٩	٢٠و٢١	فقفل الذي يجب عليه ويسدّ بابا	فقال . . . وسدّ بابا
٥١	٤	الشاهد المبرّز	المبرّز
٥٢	٥	لا بد من تمن عليك وقال	مُثن
٥٣	٢٢	وبسط الامان بجماعتهم	لجماعتهم
٥٤	٣	فعضّهم وقتل فيهم	ففضّهم (بالفاء)
٥٨	٥	عالك في نطسه فسئلنا به حوائجك	نطسه فاسألنا به
٥٨	١٤	والجيران والحُوّل	والحَوَل
٥٨	٢٣	وان بلغ دماؤه	ذَمَاؤه (بالذال المفتوحة)
٥٩	١٠	يتكلم وجبين من نفسه	ويُبين (بالباء ثانية)
٦١	٢	يتايد سكرًا	يتايل
٦١	٦	قرأتُ كتابَ الله الف مرة	البيت مكسور على هذه الرواية والصواب « تسعين مرة » كما في مطمح الانفس ص ٤٩
٦١	١٧	خمر العنب النيّ	النَّيْن
٦١	١٩	الاوزعي	الاوزاعي
٦٣	٤	يضرب بمشكول نخل	بمُشكول
٦٤	١٦	وربما تتخلص منه	وبِمَ تتخلص منه ؟
٦٤	١٦	مال الى احمد	مال اليّ احمد
٦٥	١	لوّاه حتى يصطلح امله	لَوّاه (اي ماطله)
٦٦	٥	الاحتفال الذي شهد ذكره في الناس	شُهِر او اشتهر
٦٧	٩	ألم تكن الدماء مسفوكة فحقنها	فحقنها
٦٩	١٢	فاقضى به الإغراق)	فأفضى به (بالفاء)
٧١	١٩	مماثلة على الصرح	مائلة
٧٣	١٦	اذا دام احد	رام (بالراء)

صفحة	سطر	الخطأ	الصواب
٧٣	٥	يباغيو بالقاء الماء	يباغتهُ (بالتاء مباغتة)
٧٤	١٠	لقل بعضكم ان يكون الحق بحجته من بعض	لعلَّ . . . يكون ألحنَ
٧٦	٢	اراد ان يؤنسه في الشبهات	يوبقه
٧٦	٢٢	عمدت الناس سيرته	حَمِدَت
٧٧	١١	كان في تمرفانه حازماً	تصرفاتهِ
٧٧	١٥	اطلق الناس على غرضي	عِرضي
٧٧	١٦	في مخازني ما بقي بغيبته	يفي (من الوفاء)
٧٨	٧	لم يكن يخاطب الخليفة هشاما ولا المنصور . . . بغير التسديد	بغير التسويد (يريد انه كان يقول للامير هشام اصلح الله امير المؤمنين سيدي ويخاطب حاجبه المنصور يا سيدي)
٧٨	١٤	كان انتاب جملة جيء بهم اليه	استتاب
٧٨	١٩	ابلغ في شكره على تمهد فوافاه حق تكرمته	على تعمد فوقاه حق تكرمته
٧٨	٢٦	ابتطائهم للسقي	استبطائهم السقي
٧٩	١	برز جم عشرة مرة	غير مرة
٧٩	١١	يطلطون ويكتونه بمابه	يبكتونه (من التبكيت)
٨٠	١٢	يا هذا وانتَ امير المؤمنين	يا هذا أأنتَ امير المؤمنين ؟
٨١	١٧	نشفت لحيته وقلت كلاما سجاً	فشمت
٨٣	١٧	احضرتم ذمتكم	اخفرتم
٨٤	٣	فرفضوا عنكم السار	فرحضوا (بالراء والحاء)
٨٤	٢٣	وعزّ عطفه	وعزّ (بالحاء)
٨٥	١	داعياً على الاعوان تقاعه	وناعياً
٨٥	٢	فتأوله القاضي	فتناوله
٨٥	٣	أمنَ المحذّرات انا ؟	أمن المخدّرات (بالخاء والدال)
٨٦	٢٥	وتقيضهم الى العدوة	وتقلتهم
٨٨	٥	وجدرانه	وجدرانه (بالنون)
٨٩	٥	موضع غسل المجاذم	المجاذم جمع مجذوم او المحاويج جمع محوج اي الفقراء كما في النسخ الاخرى
٩٣	١١	ايالة	إيّالة
٩٤	١٣	فلم يجدوه في امورهم	فلم يحمدوه
٩٤	١٨	واورثها عقبة	عقبةً

صفحة	سطر	الخطأ	الصواب
٩٧	١٣	ناشنين	ناشئين
٩٧	١٥	دانوا المرابط	دانوا للمرابطين
٩٧	٢٢	متقاضياً عن هنات الفقهاء	متقاضياً (بالنين)
٩٨	٣و٤	اخذت لحظك من الاجماع	اخذت حظّك من الإجمام (اي من الراحة)
٩٩	١٨	والفصل عنه وهاد	وانفصل
١٠٠	٥	شرح كبير حسن فقيد	حسن مُفيد
١٠٢	١٩	ولا ميل جواة	جواه
١٠٤	٣	ايالة	إيالَة
١٠٤	١٨	الجراية المتعادة	المتادة
١٠٥	٥	الدنيا الآن قد صارت مكشوفة واخلاق اهلها مفصوحة	مفضوحة
١٠٥	٨	الحتم	الخصم
١٠٦	١	كان من اهل السرابة في الحكم	الصرامة في الحكم
١٠٨	١١	فيها قُرب	فيا
١١٣	٤	ظلمه وبقى عليه	وبغى عليه (بالغين)
١١٣	٨	بياضَ الشيب في سواد المفارق	بياض المشيب (ليستقيم الوزن)
١١٤	٨	وسلقته السنة تمديه	ألسنة تقدّته
١١٤	٢٠	فرّ ابن زفون فدرك في الطريق	فأدرك
١١٥	١٨	كان رجلا صالحا مزهدا	متزهدًا
١٢٠	١٨	فجذّل منها كل ابيضَ ناعم	فجدّل (بالدال)
١٢١	٨	سوى غضّ اجفان وغضّ ابام	وعضّ (بالعين المهملة)
١٢٢	١٠	وجمتَ على الفردوس	وحمتَ (بالحاء المهملة)
١٢٤	٧	ونيلًا وفضلًا	وفضلًا
١٢٦	٢٠	كصخرة تتيح امواجها	تنيح (بالنون)
١٢٧	٥	مقريًا	مقرنًا
١٢٧	٦	ودساس الفزاري	ودسائس
١٢١	٤	يا عاذلي دع الملامة او سَلا	يا عاذليَّ دعا الملامة (ليصح الوزن)
١٢١	٦	عهدَ حلّ	عهد خِلّ
١٢١	١٥	ولواصح طيّ الظلوع	طيَّ الضلوع
١٢١	٢١	كذائن حنظل	كذائق
١٢٣	٩	قد احدث منه للحسنّ	قد اخذت
١٢٥	٥	وانا الفقيد الى	الفقير

صفحة	سطر	الخطأ	الصواب
١٣٧	١	والخفوق على الجهاد	والخفوف الى
١٤٠	١٠	وقد تقدم التنبيه على ذلك	التنبيه
١٤٠	٢٤	واعلى حرسته باسمه	واعلن
١٤١	١٧	واخذ عن الرواية ابي عبدالله	واخذ الرواية عن ابي عبدالله
١٤٣	٩	ولا ينام الا عن غلبته	عن غَلَبَة
١٤٣	٢	وفرّق بجمعات ارباب البدع وشدّد اهل الاهواء	وشرّد (بالراء والدال)
١٤٣	٣	واطراح الهواء	الهوى
١٤٣	٢٣	وثارة عدوه	وثأره عدوه
١٤٦	٩	للناشر	للناشز (كما ورد في صفحة ١٧٣ ووصفها بالناشز الفارك)
١٤٦	٢٤و٢٥	يشحذ البصائر ويدمن الابطال	يشحذ (بالدال) ويدمّر (بالراء)
١٤٧	١و٢	وانشأ عليه بالركوب	واشار
١٤٨	١٣	فاعنته الدربة واخذته الخطة	فأعانته
١٥٣	٢١	دون استراب	استرابة
١٥٤	٢٠	نفحات النسوك	المسوك (بالميم)
١٥٧	٣	فانتشع بذلك الفلّ	فانتفع
١٦١	٧	واما شدائده في الفضاء	واما سداده
١٦٢	٨	الحضرمي	الحضرمي
١٦٣	١٥	هزّ المستمع طرّه	طربهُ
١٦٤	٩	واثار الكنى	وآثر
١٦٤	١٣	ودام في ابتداء طلبه التشبيه	وادام التشبّه
١٦٤	٢١	من اقتصر على التمييش	العيش او التميش
١٦٥	٥	على الإفلال	الإقلال (بالقاف)
١٦٥	٨	اذا اعصيتهُ	عصيتهُ
١٦٥	٢٣	من لقيتهُ	لقيتهُ
١٦٨	١٩	وانفرضت الايام	وانقرضت (بالقاف)
١٧٠	١٤	صلب الدهر اشطره	حلب (بالحاء)
١٧١	٥	التي التزم اهداءها	هُداها
١٧١	١٥	تلقاء براحيته	براحتيه
١٧١	١٦و١٧	يفتّن عن ادب يعتبر وتنتف طرف تبعثر	يفتّن . . . وتُنتَف طُرَف تبعثر
١٧٣	١١	كالبدر ادركه السوار	السِرار

صفحة	سطر	الخطأ	الصواب
١٧٤	١٩	اقداس سانية حشة	حُشْبِ (اي بستانه)
١٧٤	٣٤	او عجب	وأعجبُ
١٧٥	٢	وزميل الاينق الرَّسَم	الاينُقِ الرُسُمِ
١٧٥	١٨	بنا وطني منها	نبا وطني عنها
١٧٦	٤	ردّ كلامينِ على نابلِ	ردّك لأمَيْنِ على نابلِ
١٧٦	٥	نظمتهم سلكى وخلوجة	نطمتهم (وهو صدر العجز السابق لامرئ القيس)
١٧٦	١٤	التقاضي عن النظر لاساوى	التغاضي (بالغين المعجمة)
١٧٧	٣	القاضي الانوى	الاتقى ؟
١٧٨	١٢	الذي جرى اولاً به بالعمل	جرى به العمل
١٨٤	٢٣	شدود الغريم	شذوذ
١٩٤	١٥	مطلبه ومعزاه	ومغزاه
٢٠٦	٥	الا القضاة	الى

وبقيت هنالك مواضع غلب عليها اللبس والتحريف ولم يتبين لنا جلياً وجه صحتها ، فاهملناها لقلة خطرها وعدم إضرارها بالمعنى . وقد تدبرنا ملياً كل ما ورد من الاخبار والاوصاف لننبّه على طرائفها وفرائدها فلم نقف على ما يجدر ان يُحتفظ به الا قليلاً . وهذا اهم ما راق لنا من مختارات كتاب النباهي :

الى الاخذ بالقضية التي تضمنتها ابيات الفتى المتأدب بقول زُفر : ان حد الخمر لا يقوم بالاقرار مرة واحدة حتى يقر الشارب على نفسه بالشرب مرتين او بقول الشافعي والكافي انه لا يُحد الا من الشهادة على شربها او قيئها لا من الرائحة او تخيل السكر او ظن القاضي ان الفتى لم يبلغ سن التكليف او قيل له عنه انه كان مُكرهاً . . . »

ولا يخفى على احد وَهن هذه الاعذار وبعدها عن الحق والواقع ولدينا في كتاب النباهي نفسه شاهد من روايته ان بعض القضاة وان اشتهروا بالصرامة في تنفيذ الحقوق واقامة الحدود كانوا يختارون اللين احياناً والتأول رفقاً واشفاقاً وهذا ما حكاه هو بعد قليل في كلامه على القاضي احمد بن بقي ابن مخلد وولايته القضاء سنة ٣١٤ قال :

« كان شأنه في الحكومة ان ينفذ من الامور الظاهر البيّن الذي لا ارتياب فيه ويتأنى . . . حدّث اصبغ بن عيسى قال : « كنت يوماً مقبلاً مع القاضي احمد بن بقي حتى مرّ لنا رجل سكران يمشي بين يديه مخبولاً فجعل احمد يمسك من عنان دابته ويترفق في سيره ويرجو ان يعدل السكران عن طريقه او يحبس فيه فينجو بنفسه فلم يكن عنده شيء من ذلك الا ان توقف مستقبلاً فلم يكن للقاضي بدّ من الدنوّ منه والنظر اليه قال اصبغ : وكنت اعرف لياذه من مثل هذا وكراهيته للانتشاب فيه ورقة قلبه من ان يفرع احداً بسوط فقلت في نفسي : ليت شعري كيف نصنع في هذا يا ابن بقي ومِمّ نتخلص منه ؟ فلما دنونا من السكران ولصقنا به سال اليّ احمد فقال : مسكين هذا الرجل اراه مصاباً في عقله فقلت نعم ايها القاضي ببلية عظيمة فجعل يستعيذ بالله من محنته ويسأله ان يأجره على المصاب في عقله ومضينا (ص ٦٤)

ونختم هذه المختارات بذكر نكتة لا توأم لها تُعدّ طُرفة الطُرَف لولا ما خالطها من بعض المجون والإحماض :

القاضي منذر بن سعيد البلّوطي في البركة

« كان هذا القاضي على متانته وشدة جزالته حسن الخُلق خفيف الوطأة سهل الجانب كثير الدُعابة مطلق البشر ربما استراب بباطنه من لا يعرفه اذا شاهد استرساله فاذا رام احد ان يصيب من دينه ثار ثورة الليث ومن ذلك ما حكاه عنه ابو عمر بن لبيب انه حضر عند الخليفة الحكَم المستنصر بالله يوماً في خلوة له وهو في البستان على بركة في زمان صيف شديد الحر والوهج وذلك مُنصَرفَ القاضي من صلاة الجمعة فشكا الى الخليفة من

قوة الحر جهدًا فامره بخلع ثيابه والتخفيف من حـــه ففعل فلم يُطفِ ذلك ما به فقال له الحكم : « من الصواب ان تنغمس في هذا الصهريج انغماسة تبرد جسمك وتعدله فلم فليس ما هذا من تحتشـه » واذا كان معها جعفر الصقلي اثير الخلافة لا رابع لهم فكأنه استحيا من ذلك وانقبض عنه وقارًا فامر الحكم حاجبه جعفر بسبقه الى النزول في الصهريج ليسهل الامر فيه على القاضي فبادر جعفر الى ذلك وانتزر والقى بنفسه في الماء وكان يحسن السباحة فلم يسع القاضي عند ذلك الا انفاذ امر الخليفة فقام وانتزر وتجرد والقى بنفسه خلف جعفر ولاذ بالقعود في درج الصهريج متبردًا فلم ينشط في السباحة وجعفر يجول فيه عجاله مُصَعِّدًا ومصوِّبا فدسّه الحكم على القاضي فهو يدعوه الى المساجلة في العوم ويحفزه في اخلاده الى القعود ويباغته بالقاء الماء عليه والرش له والآخر لا يتبعث ولا يفارق مكانه الى ان كلّمه الحكم وقال له : « ما لك ايها القاضي لا تساعد الحاجب في فعله وتعوم معه فمن اجلك تبذّل فيما تبذّل فيه » فقال له : « يا سيدي — الحاجب سلّمه الله — مُطلَق لا هَوْجَل(١ معه وانا الهوجل الذي معي يعقلني ويمنعني من الإمعان في الصهريج » يريد بمقالته أُشَيْبِه وان جعفرًا مجبوب فاستفرغ الحكم ضحكًا من نادرته ولطف تعريضه فخجل الحاجب من قوله وسبّه سبّ الأشراف وخرجا من الماء فامر لهما الخليفة رحمه الله بكسوة تشاكل كلًّا منهما ووصلهما بصلة سنية (ص٧٢-٧٣)

١) من معاني الهوجل في اللغة : الأخرق اي المَرْسى يقال ارسى السفينة بالهوجل وهو مجاز (تاج العروس ٨ : ١٦٤) ومن هذا المجاز تدرك رقة كناية القاضي وشدة ما تدلّ عليه من الفطنة والذكاء .

IBRAHIM ABD - EL - AL, *Le Litani*, étude hydrologique. [Publications du service Hydraulique de la République Libanaise.] Petit in - 4°, VI + 166 pp.; 86 fig. avec cartes et profils à multiples dépliants, 47 pl. Beyrouth, Imprimerie Catholique, 1948

الليطاني

تناول المؤلف، المهندس ابراهيم عبد العال، خريج معهد الهندسة الفرنسي في بيروت، ومعهد الكهرباء العالي في باريس، ورئيس فرع الدروس المائية في مصلحة المياه في لبنان، والاستاذ في معهد الهندسة العالي في بيروت، في درس حديث، موضوع العلاقات بين سيلان المياه وجفاف المناخ في بلاد الشرق؛ فاظهر بوضوح الهبوط المتتابع في معدلات المجاري المائية في هذه البلاد.

على ان هناك مركزاً ممتازاً يظهر فيه الساحل اللبناني بجمله؛ ذلك ان خط الجفاف يظهر محدداً فيه بخمسة وعشرين ميلتراً فقط. وقد اظهر المؤلف ان سيلان الماء يبدأ في لبنان اعتباراً من معدل مطري لا يتجاوز المائة الميلتر؛ مخالفاً بهذا التحقق ما كان مقرراً عامة عند الجغرافيين من ان سيلان الماء لا يتكوّن في هذه المنطقة الا معادلاً لكمية من الامطار تتراوح بين ٢٥٠ و٥٠٠ ميلتر (راجع E. de Martonne, *Traité de Géographie physique*, 1929

اما علة هذا التحقق فيظهر انها في قوة الاندفاع في الامطار الهاطلة على الساحل اللبناني. ومع ان زمن المطر ينحصر فيه في مدة ثلاثة الى اربعة اشهر في السنة، فان كميته تفوق ما يهبط في اكثر البلاد المتصفة بمناخ البحر المتوسط، والمتصفة بالمناخ المعتدل شتاء. وان تأثير التفاوت في درجات الحرارة مع غزارة الامطار، واثر التضاريس المتقطعة كل ذلك يقود الى هذه الظاهرة غير المنتظرة من هبوط حدّ السيلان الى مائة ميلتر من الكمية المطرية تقريباً، وهذا على الرغم من تكوين جيولوجي خاص يسهل اختزان الكميات المهمة من الماء في التجاويف الكارستية.

فينتج ان تطرّفات المناخ تعمل لفائدة المنطقة. ونشير الى انه وان تكن قوة الامطار وشدة انهمارها تحدث السيول اعتباراً من مائة ميلتر، الا ان

هذه السيول المتدفقة تجف كلها تقريباً ما عدا بعض المجاري ، على اثر انقضاء فصل الشتاء .

ومن هذه المجاري الدائمة نهر مهم ، لا بطوله ولا بسعة حوضه في المصب ، بل بما يمتاز به من نظام في كمية الماء . هو الليطاني الذي يجري حصة مهمة من المياه الهابطة على الجبال اللبنانية . يبلغ طوله ١٧٠ كيلومتراً ، اي الطول المشترك بين السلسلتين المتوازيتين من جبال لبنان وانتيلبنان . وان ما يحتفظ به من امكانيات للري وتوليد القوة لجدير بان ينيل الاقتصاديات اللبنانية فائدة في الانتاج عظيمة ، وان يحل كثيراً من المشاكل الصعبة التي تجابهها منذ سنوات .

وقد اخذ المؤلف بهذا النهر السح ، فعمل ، في كتابه هذا ، على وصف تطورات مجراه في مناطق هائلة التضاريس ، منتقلاً الى درس العوامل المتعددة وتأثيرها في مجرى النهر وكمية مياهه . ثم تناول وصف امكانيات الاستعمال في خطوطها الكبرى ، عارضاً للمشاكل الاقتصادية والاجتماعية الكثيرة التي يثيرها استثمار وادي الليطاني استثماراً معقولاً . ولا يخفى ما في كل هذه الدروس من صعوبات وعقبات اجتهد العالم الاختصاصي في تمهيدها والعمل على حلها حلاً معقولاً .

اما مشاريع الليطاني العديدة فلم يحقق منها الا واحد يوشر منذ السنة ١٩٤٣ وكاد ينتهي . وهو ري منطقة ساحلية بين صور وصيدا تبلغ مساحتها ٥٠١٠٠ هكتار . وقد ارتفعت قيمة الاراضي في تلك المنطقة منذ بناء القناة بما لا يقل عن ١٠ ملايين ليرة لبنانية ، بينما ان ما يقدر من نتائج الاستثمار السنوي يبلغ تقريباً ٩ ملايين ليرة . اما نفقات تحقيق المشروع فلا تتجاوز ١١ مليوناً من الليرات اللبنانية أنفق منها حتى الان ستة ملايين .

ويقترح الاستاذ عبد المال تعديلاً كاملاً لسير النهر من شأنه ان تضاعف الى ثلاثة اضعاف المنتجات الزراعية في حوض الليطاني ، وان تولد في سبيل الصناعة القوى التي تحتاج اليها .

والكتاب يظهر حافلاً بكثير من المخططات تساعد المطالع على تقدير

اهمية الموضوع ، وصلاح الاسلوب الذي استخدم في درسه ، فيشعر بان المؤلف الاختصاصي اقبل على موضوعه من زمن طويل حتى اخرج لنا ثمرة سنوات عدة قضاها في التحقيق والدرس والتفكير .

وقد اشار الى عدة ابحاث ودروس وخرائط مهدت له السبيل في تحقيق عمله . وافرد ، بين المساهمين في هذا العمل ، ذكراً خاصاً لحضرة الاب كومبيه (Combier) مدير مرصد كسارا ، ومدير مصلحة علم المناخ في لبنان ، الذي كتب الفصل المتعلق بالمناخ في البقاع . وقد عُرضت صورة المرصد مأخوذة من الطائرة .

وان مثل هذا التأليف النفيس لبرهان جلي على ضرورة القيام بالدروس المائية في بلاد تظهر مشكلة المياه من مشاكلها المهمة يوماً فيوماً .

ا. بوادبار

H. Holma, *Mohamet, Prophète des Arabes*. Flammarion, Paris, 1946 In - 12, pp. 212.

محمد نبي العرب

كثرت الابحاث في السنين الاخيرة عن مؤسس الدين الاسلامي حتى اصبح يتساءل الناس هل هناك شيء لم يذكر بعد في هذا الموضوع . ورغم ذلك فقد جاء كتاب السيد هولما مشحوناً بالنظريات الجديدة والآراء القيمة . فهو يتناول عدة مسائل هامة يطرحها جديداً على بساط البحث ، فيشير تارة الى الحل الملائم لها ، وتارة اخرى يكتفي بتوجيه الافكار الى طريقة حلها . وفضل المؤلف الكبير انه لم يقتنع بما قيل قبله في قضية الدين الاسلامي ، وظهوره ، وشخصية مؤسسه ، ورسالته الى الشعوب العربية في القرن السابع للمسيح ، بل اعتبر ان الرأي الاخير لم يصدر بعد في هذا الصدد ، وان المجال لم يزل مفتوحاً للعلم .

والسيد هولما يشغل مركز وزير فنلندا المفوض لدى الكرسي الرسولي في رومية ، وهو عضو في مجمع العلوم والآداب في وطنه فنلندا ، ويُعتبر من كبار العلماء في التاريخ الاشوري . وبالحقيقة ليس له اختصاص سابق في الشؤون الاسلامية . ولكن هذه الصفة قد حررته في ابحاثه الجديدة من تأثير

الآراء التقليدية في الموضوع ، فاجتهد ان يدرس القضية في علاقاتها بالمحيط السامي الذي نبتت فيه وان يحلل شخصية محمد وعبقريته تحليلاً اجتماعياً وافياً والسيد هولما واقف على كل ما افادته علوم الاستشراق الاسلامي . ولا سيما ابحاث العالمين الشهيرين تور اندره الاسوجي ، وميكال انجلو غويدي الايطالي ، فاتخذ عنهما ، وخاصة عن الاخير الذي كانت تربطه به صداقة عميقة ، نظريات واعتبارات شتى .

اما موضوع الكتاب فيبدو منذ التمهيد : انه ايضاح لشخصية مؤسس الاسلام في مظهرها الديني والتاريخي والوطني ، يدرسها في محيطها القومي في ذاك العصر ، ويحلل العوامل التي أثرت عليها بصورة طبيعية .

ويصرح المؤلف انه وضع كتابه اثناء الحرب في ظروف لم تسمح له ان يراجع عدة مصادر هامة . ولكن ليس هناك كما قلنا داع للاسف ، لان كتابه لم يكن مجموعة معلومات علمية منقولة عن غيره وكثيراً ما ترددت تحت اقلام المؤلفين ، بل نتيجة تفكير شخصي حر ومحاولة جديدة لتصوير حياة محمد في مظهر مستحدث وفقاً لروح التاريخ والحوادث العميقة . وذلك لم يمنعه الاطلاع على اقوال كبار المستشرقين . فاخذ منهم الوقائع التاريخية ، وحاول ان يحللها بطريقة حية ، استعمل فيها كل ما أوتي من روح تفهم واختبار شخصي والمام بعلوم النفس فتوصل الى شرح كثير من مواقف نبي الاسلام شرحاً نفسانياً داخلياً . وهو لا يوافق دائماً على آراء كبار العلماء في موضوعه ، ويحسن الدفاع عن نظريته . وفي الفصول الاخيرة من كتابه يعرض بعض النظريات عن تأثير الاسلام في تطور التاريخ البشري حتى في ايامنا هذه ، ويختم كتابه بنشر مقطع من رسالة مواطنه ولين Wallin (١٨١١ – ١٨٥٢) الذي تمكن من زيارة مكة في النصف الاول من القرن التاسع عشر .

ا.ل.

كتب قيد الدرس

R. Blachère, *Les principaux thèmes de la poésie érotique au siècle des Umayyades de Damas.* Librairie Larose, Paris. In-8°, 47 pp.

R. Blachère, *Ibn al-Qāriḥ et la genèse de l'Epître du Pardon d'Al-Maʿarrī.* Geuthner, Paris, 1947. In-8°, 15 pp.

Charles Corm, *Le Mystère de l'Amour*, Edition de la Revue Phénicienne, Beyrouth, 1948 — In-8°, 274 pp.

Charles Corm, *Les miracles de la Madone aux sept douleurs.* — Beyrouth, 1948. In-16°, 62 pp.

Moussa Prince, *Au pays d'Adonis.* Beyrouth, 1948. In-8°, 216 pp.

Abbas Aéamédine, *Liban*, 1er livret — édit. Ch. Ansari, Saïda, 1948. In8°, 58 pp.

Sélim N. Abouchakra, *Recueil expérimental de travaux électriques et mécaniques;* Beyrouth, 1948. In-12, 50 pp.

الخوري اسحق ارملة : مار يعقوب اسقف سروج الملفان — مطبعة الآباء المرسلين اللبنانيين ، جونية ، ١٩٤٦ — ٨٠ ص. متوسطة.

الدكتور داهش بك : مذكرات دينار — بيروت ، ١٩٤٧ — ٢٢٠ ص متوسطة — الثمن : ٥٠٠ غ.ل.

مراد الخوري : بشرية قاتلة وانسانية بائسة — بيروت ، ١٩٤٧ — ١٢٥ ص. متوسطة.

Morad el Jure, *Y Volverá el Horror.* ? - Adaptation al Castellano por Gonzalez Carballo. - Buenos Aires, 1948. In - 8° ; 284 pp.

الاب يوسف نخله المخلصي : خدمة القداس الالهي — المطبعة المخلصية ، ١٩٤٧ — ١٢٨ ص صغيرة.

امين الريحاني : قلب لبنان : رحلات صغيرة في جبالنا — مطابع صادر ريحاني ، بيروت ، ١٩٤٧ — ٦٢٥ ص متوسطة.

عمر الدسوقي : اخوان الصفاء . [مؤلفات الجمعية الفلسفية المصرية : ١٥] — منشورات دار احياء الكتب العربية ، القاهرة ، ١٩٤٧ — ٢٤٠ ص متوسطة.

احمد الصافي النجفي : ألحان اللهيب – مطبعة دار اليقظة العربية ، ١٩٤٧ – ١٢٨ ص متوسطة.

ابن الفراء : كتاب رسل الملوك ومن يصلح للرسالة والسفارة ، حققه صلاح الدين المنجد . [لجنة التأليف والترجمة والنشر] القاهرة ، ١٩٤٧ – ٢١٦ ص. متوسطة.

رديع البستاني : رباعيات عمر الخيام – الطبعة الثالثة ، دار المعارف بمصر ، ١٩٤٧ – ١٤٤ ص. متوسطة. الثمن: ٢٠ غ. م.

جان ستاركي وصلاح الدين المنجد : تدمر عروس الصحراء – مطبوعات مديرية الآثار العامة ، دمشق ١٩٤٧ – ٦٢ ص. صغيرة.

يوسف غصوب : تارورة الطبيب – منشورات مكتبة البستاني ، بيروت ، ١٩٤٧ – ١١٢ ص متوسطة.

نجيب ابو ملهم وموسى عبود : سرفانطيس امير الادب الاسباني – مطبعة المخزن ، تطوان ، ١٩٤٧ – ٣٧٦ ص . صغيرة .

الياس ابو شبكة : دراسات وذكريات – منشورات دار المكشوف ، بيروت ١٩٤٨ – ٢١٦ ص. متوسطة – الثمن : ٣٠٠ غ.ل.

الاب اثناس حاج ق. ب : بين لبنان وفرنسا : مشاهد وعبر – المطبعة البولسية ، حريصا ، ١٩٤٨ – ٢٢٦ ص. صغيرة.

الخوري اسحق ارملة : رسول الشباب القديس يوحنا بسكو – مطبعة المرسلين اللبنانيين ، جونية ، ١٩٤٨ – ٣٠٠ ص. متوسطة.

نجيب العقيقي : من الادب المقارن – دار المعارف بمصر ، القاهرة ، ١٩٤٨ – ١٨٤ ص. متوسطة – الثمن : ٢٥ غ.م.

الاب اغناطيوس طنوس الخوري: المشايخ آل الشتر حكام الماقورة – بيروت ، ١٩٤٨ – ١٣٢ ص. متوسطة.

المشرق

السنة الثانية والاربعون — ت ١ – كانون الاول ١٩٤٨

مؤتمر المستشرقين الدولي

الحادي والعشرون

بقلم فؤاد افرام البستاني
مندوب جامعة القديس يوسف

تجمّع فيه كلّ لسنٍ وأمّةٍ ... فما يُفهمُ الحُدّاثَ الّا التراجمُ

خطر ببالي بيتُ المتنبي هذا، ونحن في ضحن معهد العلوم السياسية بباريس، مقرّ المؤتمر الدولي الحادي والعشرين لجماعة المستشرقين، وقد اجتمع الاعضاء والمشتركون في حفلة تعارف تمهيدية. فاختلطت الجاه العالم بعضها ببعض من اقصى الهند، بل من اطراف الصين الى فينلندا، الى واشنطن، الى شواطيء المحيط الهادي، يتعارفون في سبيل تفهم الشرق لا يهمهم في ذلك اين يبتدىء الشرق واين ينتهي. ومتى قلنا الشرق وذكرنا

المشتغلين بشؤون الشرق علوماً وديانات وحضارات ولغات وسياسات فكأننا جمعنا العالم بأسره . وهكذا كان صباح الثالث والعشرين من تموز الفائت ، اذ تلاقى لا اقل من تسعمائة شخص يشكلون مجموعة نادرة من الاجناس والاعراق والالوان والألسنة واللغات والأشكال . هذه مطارف حريرية بيضاء فضفاضة تجلبب قوام الهنديات المنعم الرشيق حتى الأرساغ ، فتجلو ذكنة البشرة على بياض الثوب وزهرة الطرحة ، وتثير فضول الباريسيات اول يوم ، حتى اذا أنسن بها بعض الجمال غدون وعليهن النماذج المديدة ، على ذوق اتم وعلى فن آنق . وهذه برانس مغربية من الصوف ترهق الاجسام العليلة في شهر تموز ، فيشعر الناظر بحر قد لا يشعر به اللابس نفسه ، المنهمك في تأمل طلعة اوربية لكتاب عربي او في محادثة كاهن مستشرق بلغة اقرب ما تكون الى الفصحى . فتتقارب الجبتان الا في اللون وتتشابه اللحيتان . على ان من اللحى ما لم يكن وقفاً على الكهنة والشيوخ . فهناك لحى العلماء من الذين نشأوا في القرن التاسع عشر وادركوا اسلافهم على اللحى فاحتفظوا بها رمزاً للعلم والرصانة ، وهناك لحى الشباب المتفنن بالعلم وبالشعر ، من الذي قد يقلع عن الملاهي العالمية ، ولا يقلع عن اللهو بعذاره فتارة مستديراً ، وطوراً محدداً ، وحيناً إطاراً للوجه المستطيل . وقد يكون الغليون من متممات هذا الشكل الحديث ، كما يكون العطوس وما يرسله من ذرور الذهب الأدكن على اللحى والصدور من متممات الشكل السابق . كما قد تكون النظارات من لوازم المظهر العلمي . منها النظارتان الثابتتان العاديتان ، ومنها النظارات المتنقلة بحركة اليد ، زوج لتصفح الكتب ، وزوج لتصفح الناس ، وزوج ثالث احياناً للنظر الى البعيد ، ومنها النظارة الواحدة (المونوكل) ، وقد تكون فائدتها في ان يرى بها صاحبها اكثر مما يرى : وما القول في الاوانس الأثريات ؟ ومنهن من يكتفي ، تقشفاً في سبيل العلم ، بالفستان السابغ البسيط . ومنهن من لا يحضرن المؤتمر في باريس الا بثياب الخفريات في مجاهل الصحراء ، ومن لا يمكنهن الإقلاع عن التدخين في قاعات المحاضرات ، فيتجاهلن اللغتين الفرنسية والانكليزية ، ويخفين رؤوسهن تحت

الطاولات في سبيل اشعال السيكارة . تنوّع في الثياب ، وتنوّع في القسمات ، من البرنيطة العادية ، الى الكاسك الصيفي ، الى الطربوشة ، الى العمامة الى الشاشية الافريقية ، الى الطاقية الصينيّة ، الى الطربوش الى لا شيء . وتنوّع في الألوان من الاصهب الشمالي الى الابيض المشرب حمرةً ، الى المصفر على اسمرار ، الى ما بين كل ذلك من دقائق الظلال ، واختلاف القسمات . وناهيكم عن تنوّع اللغات ، وتفرُّع اللهجات الى ما لا نهاية له ، تزيدها لكنة المتكلّم الخاصة ، فوق ما يرثه من قومه وبلده ومحيطه ، حتى يصح قول المتنبي ويغدو الحدّاث بحاجة الى تراجم .

وسط هذا الخضم الزاخر بمستشرقي العالم — والذي لم يكن غائباً عنه الّا مستشرقو الألمان والروس . اما الألمان فلم يُدعوا ، وان يكن قد حضر منهم مَن كانوا قد تركوا ألمانية منذ زمن كالدكتور يوسف شخت ، واما الروس فلم يلبّوا الدعوة بل لم يجيبوا عنها . — وسط هذا الخضم ، كان منظّمو المؤتمر على تنقّل دائم ، يوزّعون البيانات ، ويشيرون الى الاعلانات ، ويقومون بصلة التعارف . وما هي دقائق حتى تكوّنت الحلقات يجمع بين افرادها الاختصاص والرغبة في الاطلاع ، على الرغم من الفروق جميعها .

— اين وصلتم في حلّ هيروغليفيات جبيل ؟

— هل تعرفون عالماً بالمخطوطات الطبية في صنعاء اليمن ؟

— متى يظهر الجزء الثالث من تفسير ما بعد الطبيعة لابن رشد ؟

— ارجو ان لا تكون أصيبت واجهة قصر المشتى بالقنابل الهابطة على برلين ؟

— الا يحضر الاستاذ دوسّو المؤتمر ؟ والاستاذ غودفروى ديمومبين ؟ الحول شيخوختها دون التعرّف اليها ؟

وهكذا تتنوّع الاحاديث تنوّع الحلقات . ويطرق سمعي جلبةٌ بلهجة قريبة غريبة ، فاتجه اليها واذا حلقة من شباب تونس الدارسين في باريس يلتفّون حول شيخ مهيب الطلعة ، بارز القامة ، نحيف الجسم ، فاذا رأوني سألوا الشيخ :

ـ ولماذا ، يا باشا ، لا يكون لسائر ابناء الضاد ما للبنانيين من تقدّم في الثقافة ، وسبق في ميادين التجدد ؟

فيجيب الشيخ :

ـ للبنانيين ، يا اولادي ، مستعمرات فسيحة تدرّ عليهم اغاريق الرزق وتوفر لهم ميادين النشاط الفكري والتحرّر الروحي . هؤلاء استعمروا العالم الجديد وبعض العالم القديم ، فأين نحن منهم ؟

وأميل فاشكر لحسن حسني عبد الوهّاب باشا حسن ظنّه بنا ولطف مجاملته ، متمنياً للشباب التونسي كل ما يرجوه من التقدّم والرقيّ . . .

هذه لمحات سريعة على ما تسهله المؤتمرات العالمية من صلات شخصية واحتكاكات ضرورية هي في اسّ العلاقات العلمية المجدية ، لانه على الغالب يكون لها بما بعدها من تعاوُن فعّال في سبيل العلم .

المحاضرات

اما ابحاث المؤتمر الحادي والعشرين فقد كانت متنوّعة جدًا ، مختلفة الموضوعات حتى الغرابة ، من شواذّ التصريف في بعض الأفعال في اللهجة الفلانية بالهند الصينية مثلًا ، الى احدث المكتشفات في افغانستان ؛ الى عرض جديد لتقييم الاحاديث الاسلامية ، الى قيس الامير بشير . ذلك ان علم الاستشراق يتسع يوماً فيوماً حتى يكاد يشمل قسطاً كبيرًا من النشاط البشري ، متفرّعاً الى اختصاصيات ودقائق تفرضها المناطق الشرقية المختلفة وما تختص به من عادات وديانات ولغات وحضارات متباينة . وهو ما اهاب بالقائمين على تنظيم المؤتمر فدفعوا الى تقسيمه عشرة اقسام بعد ان كان قسماً واحدًا في ثلاثة فروع ، في اثناء دورته الاولى بباريس ١٨٧٣ وهذه تواريخ بعض المؤتمرات :

المؤتمر الاول	باريس	ايلول	١٨٧٣
« الثاني	لندن	«	١٨٧٤
« الثالث	سان بترسبورغ	«	١٨٧٦
« الرابع	فلورنسة		١٨٧٨
« الحادي عشر	باريس		١٨٩٧

المؤتمر السادس عشر	اثينة		١٩١٢
« السابع عشر	اكسفورد		١٩٢٨
« الثامن عشر	ليدن		١٩٣١
« العشرون	بروسيل	ايلول	١٩٣٨
« الحادي والعشرون	باريس	تموز	١٩٤٨

اما اقسام هذه الدورة فتناولت :

١ — علم الشؤون المصرية
٢ — الدروس السامية
٣ — علم الشؤون الاشورية
٤ — الدروس الايرانية والتركية
٥ — علم الشؤون الهندية
٦ — الدروس الهندوصينية والاندونيسية
٧ — علم الشؤون الصينية
٨ — العلوم الاسلامية بفروعها الاربعة :
أ — القرآن والعلوم الفقهية
ب — التاريخ والادب العربي والفلسفة
ج — اللهجات
د — الفنون
٩ — الشرق والغرب
١٠ — الاتنولوجية

بلغت المحاضرات في مختلف الشعب ٢٦٧ محاضرة ، انتسب الاساتذة الذين ألقوها الى ٧٤ مدينة . فكان المحاضرون من اساتذة باريس ٦٥ ، ومن اساتذة القاهرة والمستشرقين المقيمين فيها ١٨ ، ومن لندن ١٣ ، ومن روما ١٢ ، ومن بروسيل ٨ ، ومن ليدن ٧ ، ومن بيروت ٦ . وتكلم خمسة اساتذة من كل من المدن الآتية : ألجه ، بودابست ، رباط ، القدس ، واربعة من كل من الاسكندرية ، اكسفرد ، وثلاثة من سايغون ، كمبريدج ،

كوبنهاغ ، ليون ، نابولي ، هارفرد ، واثنان من أنكرة ، بانكوك ، بروكلين ، بلتيمور ، براغ ، تولوز ، ستراسبورغ ، طهران ، فنوم — بنه ، فيلادلفيا ، الكرنك ، كلكوتا ، لاڤاليت ، لوڤن ، لياج ، هانوبي . وتكلم استاذ واحد من كل من المدن التالية : إدنبورغ ، استانبول ، إڤلي ، ألنسون ، أمرشام ، باتافيا ، برشلونه ، بركلي ، بريتون ، بغداد ، بوردو ، بومباي ، پاكين ، پونا ، تريسا ، تلوزغ ، جنيف ، دلفت ، دلهي ، ديجون ، سقاره ، سنسيناتي ، شنغاي ، شنغتو ، شوشن ، شيكاغو ، صوفيا ، غاند ، فلوشينغ (نيويورك) ، الفاتيكان ، كابل ، كازابلانكا (الدار البيضاء) ، كراكوفية ، مالين ، مانشستر ، مانيانس ، مدراس ، مدريد ، واشنطون .

يظهر من هذا التعداد ان مدينتنا ساهمت بدور لا بأس به في هذا المؤتمر . وكان جميع الذين تكلموا من اساتذتها ينتمون الى معهد الآداب الشرقية التابع لجامعتنا .

ثم يرى المطالع ايّ تنوّع في جنسيّات المحاضرين ، وبيئاتهم ، وايّ اختلاف في ثقافاتهم وآرائهم ، يضعون ذلك في خدمة العلوم الاستشراقية ، وبالتالي في سبيل السعي الى مزيد التعارف بين الشعوب . ولعلّ نظرةً شاملة سريعة على اهم ما أُلقي من محاضرات في مختلف الشعب توضح لنا بصورة أجلى هذا العمل المشترك :

١ — علم الشؤون المصرية

القي في هذه الشعبة ٤٣ محاضرة كانت في اكثرها تجلو نقاطاً خاصّةً ، او تناقش بعض الاكتشافات الحديثة . وقد يكون اهمّها بحث الاستاذ كافينياك (E. Cavaignac) ، من باريس ، تعليقاً على مناقشة تهمّ الشعب الثلاث الاولى ، اي الدروس المصرية والسامية والاشورية ، وهي مقاييس التوقيت في الشرق الادنى القديم . وبحث الاستاذ ويل (R. Weill) من باريس ايضاً ، في تعدّد السلطة الملكية في مصر المُجزّأة على بعض العهود الفرعونية .

ومحاضرة الاستاذ كونتز (Ch. Kuentz) من نزلاء القاهرة ، في العمى من حيث انه عقاب إلهي في مصر القديمة ، وبحث الاستاذ هيكمان (H. Hickman)

من نزلاء القاهرة كذلك ، في حالة الدروس الحاضرة المتعلقة بادوات الموسيقى عند المصريين . وكان من نصيب الحفريات والاعمال الأثرية محاضرتان القى الاولى منها الاستاذ شفريه (H. Chevrier) من نزلاء الكرنك ، عن حالة الاعمال الأثرية في الكرنك ، والثانية الاستاذ زكي يوسف سعد ، من القاهرة ، عن الحفريات الملكية في حلوان ، وهي الكاشفة عن مدافن الدولة الاولى والدولة الثانية .

٢ – الدروس السامية

اما الدروس السامية فقد تناولت محاضراتها السبع والعشرون موضوعات مهمة عرض اكثرها نظرات شاملة على تطور الدروس السامية في مختلف الدول . ولعل من اهمها بحث الاستاذ موسكاتي (Moscati) ، من رومة ، في تقدم هذه الدروس في ايطالية منذ السنة ١٩٣٩ . وقد نشر الاستاذ موسكاتي مؤخرًا مؤلفاً جامعاً في تاريخ الشعوب السامية ومدنياتها . وبحث الاستاذ ريكمنس (Ryckmans) من أوثن ، بشأن درس الرُقُم السامية الجنوبية في العشر السنوات الاخيرة . وبحثُ الاب فليش (Fleisch) من معهد الآداب الشرقية في جامعتنا ، وموضوعه : صيغة الفعل في السامية المشتركة وتطوره في اللغات السامية القديمة .

والقى الاستاذ ألبرَيت (Albright) ، من بَلتيمور ، بحثاً قيماً في رقم سينا وتطور الابجدية . وكذلك القول عن درس الآنسة هردنر (Herdner) من باريس ، في الانشودة الثالثة من ملاحم راس شمرا . وبحث الاستاذ روبرتسون (Robertson) من مانشستر ، في ترتيب الحروف الابجدية السامية واسمائها ، وفائدة ذلك في حل مشكلة اصل الابجدية .

ومما يجدر بالذكر ، في دروس هذه الشعبة ، بحث الاستاذ لفين (Leveen) ، من لندن ، في رقم فنيقي اكتُشف حديثاً في الاناضول . وبحث الاب ستاركي (Starcky) من باريس – وهو من عرفناه محاضرًا في معهد الآداب الشرقية – في اقدم الرقم التدمرية ، وهي لم تُنشر بعد . وبحث الاستاذ لوونغر (Löwinger) من بودابست ، عن المخطوطات العبرانية واليهودية – العربية في بلاد المجر .

وفي هذه الشعبة القى الامير موريس شهاب ، مدير مصلحة الآثار ، واستاذ التاريخ القديم في معهد الآداب الشرقية ، نظرة شاملة على الاعمال الاثرية في لبنان من ١٩٤٥–١٩٤٨ . ووصف الاستاذ غلوك (Glueck) ، من سنسيناتي ، الارتياد الاثري في شرقي الاردن . وبحث الاستاذ جورجيف (Georgiev) من صوفيا ، عن اصل الفلسطينيين . واشار الاستاذ بيغنيو (Béguinot) ، من نابولي ، الى رقم مكتشفة في طرابلس الغرب بحروف لاتينية وبلغة مجهولة .

٣ – علم الشؤون الاشورية

وكان من نصيب الشؤون الاشورية ١٦ محاضرة تناول فيها الاستاذ غوتز (Goetze) ، المقيم في بغداد ، شرائع إشنونا بدرس دقيق ، كما بحث الاستاذ كلما (Klima) ، من براغ ، في حق البنت الارثي في شرع بابل القديمة . وفصّل الاب شارل جان ، من باريس ، احكام الجيش في مملكة ماري .

وبحث الاستاذ كاستر (Gaster) ، من فيلادلفيا ، الموضوعات الفولكلورية في الخرافات القديمة في الشرق الادنى . ولعلّ اهم هذه الابحاث المدخل والتتيجة في مناقشة اساليب علوم الاشوريات وتنظيمها للاستاذ لابا (Labat) من باريس .

اما الشعبة الرابعة فقد قسمت فرعين : فرع الدروس الايرانية . وفرع الدروس التركية

٤ – الدروس الايرانية

اشتملت على ١٤ محاضرة من اهمها حديث الاستاذ خشتريان (Khatchatrian) ، من باريس ، في تطور المنزل الفارسي وبحث الاستاذ ايسابال (Essabal) ، من باريس ايضاً ، في ديانة الارمن السابقة للعهد الايراني . والدرس اللغوي الذي القاه الاستاذ تليغدي (Telegdi) ، من بودابست ، في الدورات التعبيرية المسماة « بالافعال المركّبة » في اللغة الفارسية .

وقدّم الاستاذ باليارو (Bagliaro) ، من رومة ، آراء واعتبارات شتى في

شرع الساسانيين . كما تناول الاستاذ نيكيتين (Nikitine) ، من باريس ، الموضوعات الاجتماعية في الادب الفارسي المعاصر .

وكان للاستاذ مينورسكي (Minorsky) من كمبريدج ، ان يعرض الدروس التاريخية في بلاد فارس منذ ١٩٣٥ ، فلخصها في بحث جامع .

٤ – الدروس التركية

اما الدروس التركية فخُصّ بها ١١ محاضرة تناول اهمها نظام الاسماء في الشعوب التركية الاستاذ نيميت (Németh) من بودابست . ونذكر منها حديث الاستاذ طوغان (Togan) ، من استانبول ، عن ملحمة أزبكية من القرن السابع عشر اكتشفت مؤخرًا . ودرس القبائل التركية في الفتح السلجوقي الاستاذ كاهن (Cahen) ، من ستراسبورغ . وخصّ الاستاذ بومباتشي (Bombaci) من نابولي ، درسه بناحية تاريخية فاشار الى الشهادات التركية في محفوظات دولة البندقية .

اما الدروس الهندية والهندوصينية والاندونيسية ، والصينية . فقد كثرت فيها الابحاث (٦٢ محاضرة) مما تضيق هذه العجالة عن استيعابه فرأينا ان نكتفي بالاشارة الى اهمها :

٥ – علم الشؤون الهندية (٢٣ محاضرة) .

الاساتذة :

لاموت (Lamotte) ، لوفن : في نقد التفسير في المذهب البوذي .
شاطرجي (Chatterji) ، دلهي : في ترجمة عربية قديمة لتاريخ المابهاراتا .
الآنسة لالو (Lalou) ، باريس : طرق الميت في معتقدات آسية العليا .

٦ – الدروس الهندوصينية والاندونيسية (٢٤ محاضرة)

الاساتذة :

ليفي (Lévy) ، باريس : في شخصية بطل الفتوحات الهندية في الشرق الاقصى .
مارتيني (Martini) ، فنوم – بنه : على هامش الراماياتا الكامبوجية .
لنغات (Lingat) ، سايغون : تغلغل الشرع الهندي في بعض مناطق الهند الصينية .

برنار ميتر (Bernard - Maître) ، شانغـاي : دخول العلوم الغربية في بلاد انام في القرنين السابع عشر والثامن عشر .

غاسپاردون (Gaspardone) ، باريس : لغات الادب الانامي .

٧ – علم الشؤون الصينية (١٥ محاضرة)

الاساتذة :

هنتز (Hentze) تريسا : رأي في دلالة بعض الاشكال الصينية من التي لم تحل بعد .

إليسييف (Elisséef) ، هرفرد : دروس لغات الشرق الاقصى في الولايات المتحدة مدة الحرب ١٩٤١ – ١٩٤٥ .

ڤاكا (Vacca) ، رومة : اول النصوص الصينية المطبوعة في اوربة سنة ١٦٥٨ .

هودريكور (Haudricour) ، هانوبي : كيف وصلت معرفة الحديد المصبوب من الصين القديمة الى اوربة في القرون الوسطى .

٨ – الإسلاميات

هي شعبة واسعة متنوعة الابحاث . وقد لا نخطئ اذا قلنا انها اهم شعب المؤتمر بالنسبة الينا ، مع ما يليها من شعبة الشرق والغرب المستحدثة . تناولت الدروس فيها ٥٥ محاضرة . ولما كان من المتعسر ان تلقى في قاعة واحدة ، محصورة في اسبوع واحد ، قسمت الشعبة اربعة فروع :

ا – القرآن والعلوم الفقهية

ألقي في هذا الفرع ست محاضرات كان من اهمها تقييم جديد للاحاديث الاسلامية ، عرضه الدكتور يوسف شخت (Schacht) من اساتذة اكسفرد اليوم ، وهو ذو اختصاص عريق في هذه الابحاث ، تقدم له محاضرات في الفقه الاسلامي في جامعة فؤاد الأول بالقاهرة قبل الحرب العالمية الاخيرة .

وفي هذا الفرع تكلم الاستاذ شترن Stern ، من اورشليم ، عارضاً تفسيراً جديداً لنصين من نصوص القرآن . ولا بد من ذكر بحث للاستاذ طوران (Turan) من اساتذة أنكرة ، تبسط فيه في ذكر أحكام الزراعة في تركية على عهد السلاجقة .

ب - التاريخ والادب والفلسفة

خُصّ بهذا الفرع ستٌ وعشرون محاضرة حملت في اكثرها فوائد جمّة، وملاحظات جديرة بالاعتبار.

كان منها في باب التاريخ بحث الاستاذ حسن ابراهيم حسن، من القاهرة، في الفاطميين والامويين في القرن الرابع للهجرة وبحث للاستاذ فيشل (Fischel) في ابن خلدون وتيمورلنك. وآراء وتعليقات الاستاذ غاتو (Gateau)، من رباط، على رحلة ابن جبير وما يُستفاد منها لتأريخ الملاحة في البحر المتوسط، في القرن الثاني عشر.

وفي هذا الباب القى كاتب هذه السطور محاضرته في ديوان المعلم نقولا الترك من حيث انه شاهدٌ على حكم الامير بشير الكبير.[1]

واوفد الادب ابحاثاً متنوعة من عرض شخصيّة حفصة بنت الحاج الشاعرة الغرناطيـة للاستاذ جياكومو (Giacomo) من رباط؛ الى التوسع في الشعر السياسي على عهد خلافة قرطبة للاستاذ غرسيا غومس (Garcia Gomez) من مدريد؛ الى درس فنّ الحوار في الشعر العربي للاستاذ بيريس (Pérès) من ألجه؛ الى البحث في صحة نسبة «يتيمة السلطان» لابن المقفّع للاستاذ ريتسيتانو (Rizzitano) من رومة. وليس هناك ما ينفي نسبة «اليتيمة» ولا ما يثبتها بوضوح. ولكن اسلوبها لا يختلف كثيراً عن اسلوب «الادب الصغير» و«الادب الكبير»، على انها لا تظهر مترجمةً. والجدير بالذكر ان صاحبها بدل ان يجعل الايمان ركناً وسنداً للاخلاقيات، يجعل الاخلاقيات سنداً للايمان. وتكلم الاستاذ وَجدا (Vajda) من باريس، عن قسم النصوص العربية في معهد «تحريات النصوص وتاريخها» في باريس، وما يقوم به من جهود في ضبط هذه المخلّفات القديمة وإعدادها للنشر.

وكان نصيب اللغة من هذه الابحاث حديث للدكتور طه حسين عن المعجم العربي الكبير الذي يقوم بوضعه مجمع فؤاد الاول للغة العربية في القاهرة.

---

١) يظهر هذا الديوان قريباً جداً، في منشورات مديرية الآثار: «نصوص ووثائق تاريخية» محتوياً على نحو خمسمائة صفحة مع الجداول والفهارس، ومقدمتين عربية وفرنسية.

وقد تبسّط الدكتور في شوائب المعاجم القديمة بما اصبح معروفاً لدى الخاص والعام . ثم افاض في مزايا المعجم المُقبل على انه فتح جديد بالعربية سيكون خلاصة ابحاث طويلة عميقة يقوم بها الاعضاء من عدة سنوات فيجمعون ويقرأون ويرتّبون ، حتى يخرجوا للعالم العربي أتمّ معجم واحدثه ، يتناول المفردات العربية الاصيلة والدخيلة المستعملة حتى عصرنا ، مع الاشارة الى اصول مآخذها من اللغات الاجنبية السامية والاوربية . كل ذلك على اسلوب حديث يخرج من الاساليب المستعملة في المعاجم العربية حتى اليوم ، وعلى طريقة علمية تفيد من تقدّم الدروس اللغوية في ايامنا .

هذا ما أمّلنا به الدكتور ، واضعاً بين يدي السامعين مثلاً من عمل لجنة « المعجم الكبير » . وهو كراس اول خصّته اللجنة « بحرف الهمزة » ، وهي ترى ان تكون الهمزة حرفاً على غرار غيره من الحروف ذا صورة واحدة مع اختلاف الحركات . فتناولت ، في ٢٦ صفحة كبيرة ، على عمودين ، لا مفردات اللغة المبدوءة بالهمزة ، بل اقاويل القدماء والمتأخرين وآخر هؤلاء المتأخرين لا يتجاوز زمنه القرن الوسطى الى ما بعدها — في رسم الهمزة ، واقسامها واماكنها ، وحركتها ، واتيانها وسقوطها ، وتحقيقها وتخفيفها ، وتحويلها ، وادغامها وفكّها ، وهمز ما ليس بمهموز ، واجتماع الهمزتين ، واوجه الهمزة ، وذكر اللهجات في الهمزة ، مسرودة دون نقد ولا تمحيص ، فيها الاصل الذي يُعتمد عليه ، وفيها الغثّ التافه لا فائدة منه الّا ملء الفراغ . ثم هي تُعرض تارةً في إطار من الأهلّة او المزدوجات ، وطوراً حرّة طليقة حتى ليختلط القول بالقول ، والشاهد بالتعليق . ولم يكد اصحاب الاختصاص يمعنون النظر في هذه « الباكورة » من ثمار المعجم الكبير ، حتى تلاشى اكثر تلك الآمال التي شادها الدكتور بخطابه البشير .

وحديث معجمي ثانٍ سمعناه للاستاذ حجار من القاهرة ، عرض فيه قاموساً جديداً عربياً — فرنسياً رتّبه على حروف الابجدية وفقاً لاوائل الالفاظ الظاهرة في صيغها الحالية ، اي دون ما نظر الى اصل المجرّد ، وهكذا يرى المطالع « الاسترحام » مثلاً و« الاستغلال » و« الاستقلال » متجاورة في حرف الالف ، لا

في « الراء » و« الغين » و « القاف » وهو تجدّد جريء قد يتناقش العلماء مدة طويلة – كما فعلوا في تلك الجلسة – في فائدته وصلاحه . الّا ان المؤلف لم تبلغ به الجرأة الى اتباع التجديد في اختيار المفردات ، فلم يصل بمعجمه الى العصر الحاضر – ولا فائدة من معجم لا يدوّن مفردات اللسان المتطوّر مهما كان من تجديد الطريقة – انما وقف به عند الحدّ الذي تقف عنده معاجم القدماء ، فدوّن ، على قوله ، ٩٤ الف لفظة لا يتجاوز بها محيط الفيروزاباديا!!

١٠ الفلسفة وما اليها من علوم تتّصل بالتصوّف والنفسانيات فقد كان لبعض الاعضاء فيها جولات موفّقة نشير منها الى بحث الاستاذ كوربن (Corbin) من طهران ، في نهضة التصوّف في إيران في القرن السابع عشر ؛ والى تحريات الاستاذ كامل حسين ، من القاهرة ، عن الافكار الاسماعيلية في الشعر المصري على عهد الفاطميين ، والى ما عرضه الاستاذ عفيفي ، من الاسكندرية ، من مظاهر تأثير الآداب الباطنية المُلقاة في التفكير الاسلامي . وقد حاول الاستاذ خلف‌الله ، من الاسكندرية ، ان يعرض نظرية عبد القاهر الجرجاني في كتابه « أسرار البلاغة » معرض المحاولات النفسانيـة . كما ان الاستاذ غبريالي (Gabrieli) من رومة ، تكلّم عن ملخّص عربي « لشرائع » افلاطون منسوب الى الفارابي .

ج – اللهجات

وجُمعت في الفرع الثالث تسع محاضرات تتعلّق باللهجات ، ولاسيما ما تناول منها ألسُن افريقية الشمالية . نشير منها الى محاضرة الاستاذ باسيه (Basset) من باريس ، في تطوّر الدروس البربريّة منذ مؤتمر بروسيل ؛ وهو المؤتمر الدولي السابق المستشرقين الذي عُقد في عاصمة بلجيكة سنة ١٩٣٨ ؛ والى محاضرة الاستاذ برونو (Brunot) ، من رباط ، وموضوعها التعابير الفرنسوية الدخيلة في اللهجات العربية المغربية . ولا يخفى ان في تلك اللهجات كثيرًا من العبارات الفرنسية ، مفردات وصيغاً ، دخلت بدخول مستيانها ، او بطريق التجارة وتنقّلات الجيوش . ولعلّ من افكهها لفظة « الزلاميط » التي تُستعمل دلالةً على عيدان الكبريت ، منحوتةً من (les allumettes) .

ونشير كذلك الى بحث الاستاذ رو (Roux) في المخطوطات العبرية بالحرف العربي في جنوبي – غربي مراكش . والى بحث الاستاذ أكويلينا (Aquilina) من لاقاليت ، في البقايا التاريخية في اللغة المالطية .

د – الفنون

وكان من نصيب الفنون – في هذا القسم الاسلامي من الابحاث الشرقية – اربعة عشر حديثاً تناولت مختلف المظاهر الفنية من العمارة حتى النسيج . نشير منها ، في الموضوع الاخير ، الى درس الآنسة داي (Day) ، من واشنطون ، في بعض الاقمشة الاسلامية المحفوظة في متحف النسيج . اما التصوير فقد عالجه الاستاذ غراي (Gray) ، من لندن ، فألقى نوراً جديداً على التصوير الفارسي في القرن الرابع عشر ، مستنداً الى مخطوطة لم تُنشر بعد لكتاب « جامع التواريخ » من مكتبة الجمعية الاسيوية الملكية في بنغال . وميّز الاستاذ بشر فارس ، من القاهرة ، بين نزعتين ، شامية وايرانية ، في المدرسة البغدادية للتصوير المُتمنم . وكان اوفر الموضوعات الفنية حظاً من الدرس العمارة ، ولاسيما القديمة منها . فدرس الاستاذ غويتين (Goitein) ، من فلسطين ، الظروف التاريخية التي اكتنفت بناء قبة الصخرة في اورشليم . وعرض الاستاذ تيراس (Terrasse) من رباط ، لآثار المرابطين في مراكش . وتناول الاستاذ بهرمي (Bahrami) ، من طهران ، نصّين تاريخيّين يتعلقان ببناء معبد الإمام الرضى بالمشهد . واشار الاستاذ شلومبرجيه (Schlumberger) من كابل ، الى اكتشاف قصر اميري قد يكون غزنوياً ، في افغانستان . وفصّل الامير موريس شهاب خصائص القصور اللبنانية في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر في دير القمر وبيت الدين خاصة .

وكان للاستاذين مارسيه (G. Marçais) من آلجيه ، وشتيرن (H. Stern) من باريس ، ان يدرسا نظرياً مظاهر الفن الاسلامي فابديا ملاحظات جديرة بالاعتبار . خاض الاستاذ مارسيه في خصائص الفن الاسلامي من حيث تأثره بالمحيط ، وخضوعه للتقليد المحلي فاشار ، في ذلك ، الى ان هندسة المسجد في بلاد الشام مثلاً تظهر اقرب الى هندسة الكنيسة الشامية

الملكية (البازيليك) منها الى هندسة المسجد المغربي او الايراني وحصر الاستاذ شتيرن بحثه في الفن الاموي مميزاً فيه بين الآثار الدينية ، والمنشآت الدنيوية ، مشدداً على انه ، وان اظهرت الحفريات - في قصر الحير وقصر المفجر وغيرهما - تصاوير ورسوماً للكائنات الحية حتى البشر ، دالةً على ان فنّاني الامويين لم يكونوا يتجنّبون تمثيل ما له روح ، خلافاً للاعتقاد السائد بين الباحثين حتى السنوات الاخيرة ، الّا ان الحفريات لم تكشف بعد ما يدلّ على ان هذه العادة تشمل المنشآت الدينية انما لا يزال صحيحاً القول بان الفنانين المسلمين منذ العهد الاموي تجنّبوا تمثيل الكائنات الحية في المباني الدينية . ولا نعرف مسجداً ظهر في زخارفه ، ايةً كانت ، ما يجرح هذا القول . حتى ان قصر المشتى للوليد ابن يزيد الذي أُطلقت فيه يد الفنانين تمثل ما تشاء نحتاً وحفراً وتخريماً ، داخلاً وخارجاً ، نراه يتخلّى عن تمثيل الكائنات الحية ، في القسم من الواجهة القائم امام المسجد ، فيستبدل بها الزخارف الهندسية والنباتية . واذاً فيظلّ القول القديم على صحّته ، شرط ان نحصر موضوعه بالفنّ الديني .

٩ - الشرق والغرب

هذه الشعبة من المحدثات في مؤتمر المستشرقين دلّت على اهميتها وعلى ما كان من ضرورة احداثها ، المحاضراتُ والابحاث القيّمة التي أُلقيت في المواضيع المتشعّبة المشيرة الى ما بين الشرق والغرب من صلات في مختلف ميادين النشاط البشري ، وقد بلغت ٢٤ محاضرةً يكفي سرد عناوين بعضها دلالةً على فوائدها المتنوّعة :

شُوَب (R. Schwab) ، باريس : الثقافة الانسانية والآداب الشرقية .

لوروى (Leroy) ، باريس : تصوير الايقونات في الكنائس السريانية اللغة .

الآنسة دير زسيان ، هرفرد : الشرق والغرب في الفن الارمني في القرن الثالث عشر .

كِسپيل (Quispel) ، ليدن : تصوّر العالَم في نظر الفيلسوف الاغنوسي الاسكندري بازيليد .

دوريس (Doresse) ، باريس : البردي الاغنوسي في المتحف القبطي .
تيشير (Teicher) ، لندن : الفلسفة اليهودية في القرون الوسطى ، ومركزها في تاريخ الفكر .
برنارد (Bernard) : المؤلفات الغربية في اليابان في القرنين السادس عشر والسابع عشر .
پويش (Puech) ، باريس : تعليم ديني مانوي صيني لم يطبع بعد (مخطوطة المتحف البريطاني) .
درڤيليه (Dauvillier) ، تولوز : تبشير بلاد التبت بواسطة ابناء الكنيسة الكلدانية ، ومسألة العلاقات بين البوذية والمسيحية .
آبل (Abel) ، بروسيل : امثال حكماء اليونان في تآليف الشهرستاني .
سڤورونوس (Svoronos) ، باريس : مراسلات قناصل فرنسة من حيث كونها مصدراً لتاريخ الشرق .
الاب مسيريان (Mecerian) ، بيروت : سابق مدوني التشريع في ارمينية .
سيدون (Saydon) ، لاڤاليت : الترجمة العربية القبطية للكتاب المقدس .

١٠ – الانثولوجية

وهذه ايضاً من المستحدثات أُلقي فيها ١٥ محاضرة في ابحاث لم يستوعبها اطار الشعب السابقة وكان من اهمها بحث الاستاذ ديمونو (Debono) ، من القاهرة ، في اكتشاف حضارة جديدة سابقة لزمن السلالات (او الدول) في ضواحي القاهرة (في المعري قرب حلوان) ، وبحث الاستاذ دي ڤو (de Vaux) ، من اورشليم ، في الحضارة الانيوليتية في فلسطين ؛ وبحث الاستاذ احمد فخري ، من القاهرة ، في اثريات اليمن وقد تكلم الاستاذ لوروى – غورهان (Leroi-Gourhan) ، من باريس ، في الاسكيمو وآسية . وعرض الاستاذ غريول (Griaule) ، من باريس ، شرحاً لعلامات ابراج الكواكب في ميتافيزيقية سودانية .

مقررات المؤتمر

ويخص الجلسة الاخيرة بالتصويت على القرارات وهي عديدة ولعل اهمها ما يلي :

١ — يكون الاجتماع المقبل — سنة ١٩٥١ — في استانبول .

وكان الكثير من مستشرقي فرنسة وايطالية واسبانية مع بعض الاميركان يميلون الى بيروت . الاّ ان مندوب الحكومة اللبنانية ، الامير موريس شهاب ، لم يكن لديه تفويض بدعوتهم . وقد تقدّمت الدعوات من سفير مصر المفوّض لعقد المؤتمر بالقاهرة ، ومن رئيس الوفد الهندي لعقده في نيودلهي ، ومن رئيس الوفد الاسوجي لعقده في استوكهولم او أبسالا . ثم من رئيس الوفد التركي لعقده في استانبول . فقُبلت هذه الدعوة الاخيرة .

٢—قبول اقتراح الاستاذ غودفروى ديمومبين (Godefroy Desmombynes) بانشاء مجموعة واسعة لمصادر الدروس الشرقية (*Bibliographie Orientale*) وقد اشار المقترح — الذي اقعده تقدم السن عن قراءة الاقتراح بنفسه — الى انه في المؤتمر الحادي عشر المعقود في باريس سنة ١٨٩٧ ، أقر مشروع « دائرة المعارف الاسلامية » ، ورجا ان تقر اليوم هذا المشروع . فكان لهما شاء .

٣ — اعادة النظر في « دائرة المعارف الاسلامية » باعداد طبعة جديدة .

٤ — تأليف دائرة معارف للعلومات والمصطلحات المتعلقة بالفكر الهندي القديم .

٥ — درس المخطوطات التبتية .

٦ — تقريظ احدى المدارس الهندية لتعليمها اللغة السانسكريتة .

٧ — تأليف تاريخ الاستشراق .

٨ — احداث شعبة خاصة بالشرق المسيحي في المؤتمر المقبل .

٩ — احداث شعبة خاصة بدرس الشؤون الارمنية .

١٠ — تأليف معجم فارسي — اوربي .

١١ — نشر المحفوظات الرسمية للامبراطورية العثمانية .

١٢ – وضع فهرس لمحفوظات البندقية المتعلقة بالدولة العثمانية .

١٣ – السعي لدى الحكومات ولدى جامعة الامم المتحدة لرفع العراقيل الجمركية امام الكتب .

١٤ – جعل اللغة العربية لغة ثالثة – مع الفرنسية والانكليزية – في المؤتمر المقبل ، وكذلك اللغة التركية .

هذا اهم ما جرى في مؤتمر المستشرقين الدولي الحادي والعشرين . وان كان من عبرة نستخرجها ، ومن امثولة نفيدها فاننا نقول :

يخرج المساهم في مثل هذا المؤتمر ، وقد تضاءل في نظره قول كيبلنغ المتشامخ : « الغرب غرب والشرق شرق ، ولن يلتقيا . » فيرد عليه بتواضع وصواب : بل يلتقيان على صعيد التفاهم المتبادل في سبيل التفتيش عن الحقيقة الواحدة .

دانيال روبس

وتاريخ الاصول المسيحية[1]

بقلم الاب هنري جلابرت اليسوعي

صفّ الساعة التي سمع فيها ابرام بن تيراح ، في ارض حرّان ، على مقربة من الرها ، صوت العلي يهيب به الى هجر بلاده وبيت ابيه ، حتى الثامن والعشرين من شباط سنة ٣٨٠ ، التي شهدت الامبراطور تاودوسيوس في تسالونيكية يصدر القرارات الآمرة باستئصال ما تبقى من الشعائر الوثنية في الامبراطورية الرومانية المتنصرة ، طوى التاريخ في ذاكرته نحواً من الفي عام وخمس مئة عام. وإن الوحي الالهي الذي سمع ابرام تجاهه الاولى في عالم تتقاسمه الاوثان ، كان « يهوه » ، يفهم رسله المديدين ، يعلنه ، فيتواضع يوماً فيوماً ، ويتعرى من المادية فيه ، طوال ما يقرب من عشرين قرناً. وعندما تم ملء الزمان ، جاء السيد بنفسه ، خلفاً لخدامه : الكلمة تتجسد ، المسيح يعلم في فلسطين . انه يموت ، فيبعث ، فيصعد الى السماء . ولكن حبة الخردل التي بذرها في اورشليم ، نهضت من الارض ، شجرة باسقة ، تظلل العالم الروماني ، وتمتد الى البعيد ، في حقبة لا تتجاوز ثلاثمائة عام . انه لتاريخ خصيب ذلك الذي يعلمنا اياه دانيال روبس ، بعد المديدين غيره ، في مؤلفاته الثلاثة : « شعب الكتاب » و « يسوع في زمانه » و « كنيسة الرسل والشهداء »[2] .

ونحن نتساءل الان فيما اذا كنا استبقنا الوقت للكلام عن هذه المؤلفات التي ما تزال ، في نظر المؤلف ، سلسلة غير مكتملة الحلقات ذلك ان كتاب

---

(١) من محاضرات معهد الآداب الشرقية ، نقلها الى العربية الاخ نعمة الله طربيه اللبناني

(٢) Daniel-Rops, *Le peuple de la Bible.*
Jésus en son temps.
L'Eglise des Apôtres et des Martyrs.

جديداً ، يتناول الكنيسة حيال العالم البربري ، هو قريب الظهور . وهناك اربعة غيره ، ستظهر فيما بعد ، ماثلة امامنا تاريخ المسيحية ، منذ عهد الكاتدرائية والصليبية والنهضة وحركة لوتار ، حيال عالم لا يؤمن بالله ، حتى هذه الايام التي نعيشها نحن ، حيث يعمل المبشرون ، وقد سمعوا وصية المسيح : « اذهبوا وتلمذوا » ليس على حمل رسالة الانجيل الى اقاصي المسكونة وحسب بل على حفرها ايضاً في قلوب من يجهلونها او يتنكرون لها .

وبالرغم من ذلك ، فقد خيل الينا ، اننا نحت هذا العنوان : « دانيال روبس وتاريخ الاصول المسيحية » نستطيع في هذا الحديث ان نرجع الى القسم الذي ظهر الى النور ، من كتب المؤلف ، دون ان نخطئ في ذلك ، لان القرار الذي اصدره تاودوسيوس يسجل ، ولا شك ، آخر حدث في اصول المسيحية التي تتفرع الى ثلاثة اقسام : التهيؤ ، مرور المسيح ، واخيراً إقامة الكنيسة . ولكل من هذه الاقسام كتابه المختص به .

تظهر هذه السلسلة عند فايار (Arthème Fayard) في مجموعته : « الدروس التاريخية الكبرى » التي انفتحت حتى الان « لتاريخ فرنسا » و « نابوليون » للمؤرخ بانفيل (J. Bainville) « وتاريخ انكلترة » لأندريه موروا ، ثم اصدرت مؤخراً «تاريخ الصين» للمؤرخ غروسيه (R. Grousset) . وهذه السلسلة لا تهدف الى كثير الايضاح في موضوع ضيق الحدود ، كما لو كانت اطروحة في السربون ، او الى الشروح الضافية لواحد من الكتب المقدسة ، كما هو شأن المعهد الكتابي في القدس ، لان المسافات الشاسعة من الزمن ، التي تطوقها هذه المجموعة ، تأبى الإغراق في التفاصيل . الغاية منها تقديم مؤلفات في متناول المثقفين حجماً وسعراً ، تشمل جماً من المواضيع ، وتلقي عليها نظرة صادقة واضحة .

واذا كان المؤرخ هو دانيال روبس ، فإننا ننتظر بحق ، انه يجمع الى دقة المأذون العلمية ، فهم الروائي النفساني ، صاحب « سيف النار » و « النفس المظلمة » ، وفهم النقادة الذي حلل الفاجعة الروحانية عند رمبو (Rimbaud) وعند بيغي (Péguy) وعند بسيكاري (Psichari) ، ثم هذه الشفقة

امام الشقاء البشري عند واضع « الشقاء ونحن » ومصدر « بريد الشقاء » ، واخيراً ايمان المسيحي الحق .

ثلاثة مؤلفات اذن : التاريخ المقدس ، وحياة يسوع ، وتاريخ الكنيسة ، كلها تختلف اختلافاً عميقاً .

اما المؤلف الاول فانه ولا شك اصعبها مسلكاً واخراجاً . نعم لقد شهدنا ، في هذه السنوات الاخيرة ، تجديداً شاملاً فيما يخص التوراة ، يمثله اصدق تمثيل الاب لاغرانج ، وهو يعيد النظر في تفهم الكتب المقدسة ، ثم يثأر لكلمة الله التي ادعى التغلب عليها ، باسم العلم المتسرع ، « ناقدون » من كل الطبقات في حين ان المؤمنين — وهنا يجب ان نرى اصبع الله — تركوا جانباً هذا الاغراق في التحفظ الذي تتسم به عصورنا الاخيرة ، وعادوا الى كلمة الله ، جاعلين منها غذاءهم اليومي . ولكن مؤلفات المتخصصين — حتى « تاريخ اسرائيل » لصاحب السيادة Ricciotti ، في جزئيه الضخمين — كانت بعيدة عن متناول العامة . حتى ان التاريخ المقدس الذي يتحتم على كل مسيحي ان يهتم به اكثر من اهتمامه بتاريخ وطنه الخاص ، كان يظهر كأنه تقضى في سحيق العصور ، والخاصة المثقفة نفسها كانت لا تذكر انها تعرفت اليه إلا في ذلك العقد من العمر الذي تستمع فيه الى حكايات السندباد البحري . اما قيمة كتاب دانيال روبس التي لا تعادلها قيمة ، والتجديد العظيم الذي يتراءى فيه ، فهو انه سيغير الاوضاع .

الفضل الاكبر الذي سيرجع الى هذا الكاتب منذ الان وصاعداً هو انه سهل لنا ان نحدد في الزمان تاريخنا المقدس . فدعوة ابرهيم ليست بعد حادثة اسطورية ، جرت وقائعها في قديم الاجيال ؛ بل انها في حقيقتها الناصعة تتصدى لنا وقد وطأ لها خمسة عشر قرناً من الحضارة السومرية . ان ابرهيم الذي دعاه الرب هو معاصر لحمورابي ، الملك المشترع ، الذي بقي قانونه محفوراً على نصب يثوي اليوم في اللوفر ؛ وان ما تخلى عنه ابرهيم يوم هجر أور هو حضارة مزدهرة تظهر لنا الحفريات ما كان لها من رونق اخاذ : « اثاث المنزل جميل معرق ، شراشف من الحرير الخالص ، واثواب ملؤها النقش والتطريز » . . .

« وقبيلته هو لا تختلف بشيء ، في مظهرهـا الخارجي ، عن هؤلاء الرعاة العديدين ، الراحلين وراء المراعي ، بين المدائن المحصنات ، القائم عليهـا الكنعانيون» . . . وعندما يخرج موسى ويشوع بن نون بشعب اسرائيل من مصر ، ويحلانه بارض كنعان « تكون مقارنة في التاريخ : لان عولس ، حوالى ذلك الزمان ، أدخل الى طروادة حصانه الخداع » . واذا كان لمملكة اسرائيل الحديثة النشوء ، بعد قرنين لا اكثر ، ان تثبت وجودها في العالم ، ويلتفت اليها التاريخ ، على عهد شاول وداود وسليمان ، فمـا ذلك الا لان مملكة بابل تجتاز مرحلة من اعقد المراحل ، والسلالة الحادية والعشرين في مصر لم تعد ملوكها سوى اظلال ملوك : « فكأن العالم ، اذ ذاك ، تغافل عن تلك الرقعة الصغيرة من آسيا حيث يتابع شعب اسرائيل ما قسمه له الله . . وكأن العنـاية عن سابق قصد ، جعلت ملوك اسرائيل في عظمة نادرة بينما سواهم من الملوك هم في خذلان ، ليتراؤوا لنا اكبر مما كانوا عليه »

ولا يتسع لنا المجال لننوه بكل المقارنات التي تساعدنا على تعيين هـذا التاريخ المقدس الذي نتلقنه في تعليمنا المسيحي ، وادخاله في صلب تاريخ حوض المتوسط الذي نتلقنه زمن الدراسة . فعلى عهد عطليا يكون بنـاء قرطاجة على يد الصوريين ؛ وفيدياس ، وبيريكليس والبارتنون كلها معاصرة لنحميا الذي يجدد بناء الهيكل بعد العودة من السبي ؛ كما ان عزريا يعود الى اورشليم في السنة نفسها التي شهدت موت سقراط .

الى هذه المقارنات بين تاريخ اسرائيل وتاريخ العالم ، يضيف دانيال روبس ، — وهذا مظهر له اهميته الكبرى — مقارنات اخرى باحداث هي في ذاكرة الجميع لانها حديثة في الزمان . فمنذ الصفحة الاولى في كتابه ، لكي يشرح لنا رحيل ابرهيم ، يدعونا لننظر الى هذا الرحيل « كأنه حدث سري ، خفي في جوهره الاصيل ، ولكنه في مظاهره المحسوسة ، له بالنسبة الى شعب الله ، ما كان لرسالة جان دارك ، بالنسبة الى دولة فرنسا » . ومحاولة حمورابي « الفاتح والمشترع ، تشبه بعض الشيء محاولة نابوليون » . ثم انه يدعونا لئلا نتشكك كثيراً من الخدعة التي قام بها يعقوب ليحل محل عيسى اخيه ، « لان فيها الكثير من هذا الدهاء الذي

يحبب عولس الى اليونانيين» اما حادثة يوسف، فانها ولا شك أخاذة بحقيقتها النفسانية: « هذا الشاب الاسرائيلي ، الفني بالمرونة التي تحببه الى النساء. وتفعل في إقناع الرجال ، يعرف ان يستخدم هذه العطية ليشق طريقاً لنفسه ... فهو شبيه بديزرائيلي كما ان فرعونه شبيه بالملكة ڤيكتوريا » و « شمشون ، اليس يعيد على بالنا ذكر هركول » ؟ انها نغمة مرحة ككثير غيرها من النغمات في كتاب مشوق يبعد عن التجهم والعبوسة. وهناك مقارنات اخرى ، تهيب بنا ، في كلمات قلائل الى التفكير العميق: « منذ اكتمال بناء الهيكل الذي قام به نحميا ، حتى ميلاد المسيح ، تصرمت خمسة من القرون ، ولكن الكتاب المقدس قلما يتحدث عنها . انه يقص علينا بعضاً من الحوادث التي جرت في بدء هذه الحقبة الطويلة من التاريخ ، كما انه يعود ، حوالى اواخر هذه الحقبة ، الى اخبارنا عن اعمال المكابيين الحربية . ذلك يكون شأن تاريخ فرنسا لو لم نكن نعرف منه سوى الحوادث التي جرت على عهد كارلس السابع ، وخبر عن حرب سنة ١٨٧٠ ، انه يتراءى لنا ان الذين سطروا حوادث الكتاب المقدس، احبوا ، عن سابق قصد ، ان يشيروا بصمتهم العميق ، الى انه علينا ان ننظر ، خلال سني الانتظار ، الى حياة الشعب المختار الداخلية ، اكثر منا الى الحوادث الخارجية . »

وهذه الحياة الداخلية ، يساعدنا الروائي الذي اعتاد التحاليل النفسانية ، على تفهمها حق الفهم . فالآباء ، والقضاة ، والملوك والانبياء ، كلهم يحيون تحت قلمه بما كانوا عليه من خصال . فبعضهم يجبهنا بالخذلان ، لاننا كنا نتمثلهم ، عن غير إعمال فكر ، كقادة وقع عليهم اختيار الله ليهدوا الشعب الذي هبط عليه الوعد . فابناء يعقوب هم: « قبضايات لا يُرغب فيهم » ؛ ويفتاح هو رجل نبذته الشريعة ؛ ثم اننا نحس عند دانيال روبس شيئاً من الدهشة حين يخبرنا عن « الاعيب وتحيات شمشون ، القديس الاهوج » . اما الرجالات العظام ، فهناك بعضاً منهم : موسى « ذاك المجهول ، تلك الشخصية الفذة التي تمحي امام عملها الجبار ، وتظهر عظمة لا جاذبية فيها كاولئك الرجال الذين يسمون شعباً من الشعوب ، في صميمه ، بطابع لا يمحى » .

وصموئيل: « قلب من لهب ، ونفس ماؤها الله ، لها خُلُقٌ مهيب ، وهو يمثل دوراً صعب التمثيل فيقوم وسيطاً بين رجال أول زمانهم ورجال يريد زمانهم ان يولد». وشاول الملك المعجع «هذا الحار العبادة الذي يتعدى شرائع الله ، وهذا الحزوم الذي تهده انشلالات نفسية مفاجئة ؛ هذا المحب الاوبين الذي يذبح منهم جماً ؛ وهـذا الرجل الذي تتنازعه المشكلات فيحمل في نفسه مأساته المفجعة » .

انها صور ناطقة ، تعج بالعاطفة الانسانية أو بالقسوة المادية ، وتملأ مؤلفات روبس . وقد تكون صورة داود اجمل واحدة فيها : « اننا نعجب به كبطل ، ولا نتمالك عن حبه . ليس كل ما فيه نقياً ، ولكن اذا كان له بعض خصائص القديسين كمحبته اللامتجزئة للاله الأحـد ، وثقته بالعناية الالهية ، وايمانه الحار ، فانه لا يسعنا ان نسهو عن وجوده في عصر بربري لم يكن الحكم على القسوة والخديعة موافقاً فيه ما تعودناه اليوم في شرائعنا وفي كتبنا حتى وفي تصرفاتنا كل يوم » ـ وحريٌ بنا أن نشير عرضاً الى هذه الكلمة : في شرائعنا وفي كتبنا حتى وفي تصرفاتنا ايضاً ـ . « ولكن كم هو عميق تفهمه وقوته وجاذبيته .. ولا يكاد ينقصه ليكون قريبـاً منا ومدعاة لحب اكثر ، هذا الضعف الذي يجعل الانسان خاضعاً لثقل المادة الاصلي؛ واذا كان عالي النفس يجد حتى في خطيئته سبباً للألم وللندامة وللغفران. . . » والى جانبه سليمان « في كل مجده » بين تأنق الذهب والحجـارة الكريمة ، لا نجد الى محبته سبيلاً. فميله الى الترف وتهالكه على جمع كل ما يخلب بصره هما دليلان على حداثة نعمته . . . ومع ذلك فقد كان له في تقليد اسرائيل ، مكان مرموق . ان الامم ، في نظرة التاريخ ، تكاد تحفظ ابداً اعجاباً وعرفان جميل لرجال كانوا مجلبة وبال عليها ، ولكنهـا بواسطتهم نالت شيئاً من الرفعة . كذا هي حال نابوليون في نظر الفرنسيين »

هذا القول الاخير يظهر لنا ان كتاب دانيال روبس في التاريخ المقدس ، ليس هو حديثاً عن اشخاص معدودين ، ولكنه تاريخ شعب كبير . « شعب الكتاب » هـذا هو عنوان المؤلف . ودانيال روبس ، في نظرة الفيلسوف

ونظرة المؤمن ، يتتبع خطى الشعب التي كان يقودها الله عبر الامتحانات القاسية وتواضح الوحي يوماً عن يوم . ان القبائل العديدة المنحدرة من صلب يعقوب والمشردة بين المصريين ، عند مصب النيل ، احست بانها شعب واحد فموسى هو الذي يجمعها ويكتلها ويقودها . انه باسم يهوه الذي يعرّف اليهود اليه ، وباسم الشريعة التي يجسدها ، وباسم المبادئ الاساسية التي تتكتل حولها بقية المبادئ ؛ وانه حوالى فكرة دينية لا ارفع ولا اجل ، يشد روابط الوحدة الشعبية جاعلاً من هذه القبائل المشردة التي لا تفتأ تتذمر ، شعباً واي شعب ! واذا ما طواه الموت ، فان جلبة الفتوحات تتعالى : « قعقعة سلاح ، ومذابح وصراخ ، ومدائن تحترق ، وفي مؤخرة هذا المشهد ، حفنة من شجاعات حلوة فردية » . وهنا يتصدى لنا الفيلسوف بهذه الملاحظات : « ان للحروب اليوم صبغة اشد خبائة منها في القديم ، لان الدعايات تغلف الحقد والبغضاء القديمين بمظاهر الفضيلة السامية . ان الشعوب الهمجية لم يكن لها هذا الرياء وهذه الخدعة اللذين نشاهد اليوم » . على ان مأساة كبرى ، ذات ثلاثة وجوه ، تقض مضجع الشعب : القبائل الرحل تتحضر وتستقر ، وهابيل ، ذلك الراعي ، يحس بانه اصبح قابين ، ذلك الحارث ، كما ان الشعب يحس بان كلمة العلي : « بعرق جبينك تأكل خبزك » سوف لا تبارحه من بعد . ومن جهة اخرى فان المنازعات السياسية الناشبة بين القبائل والتي غالباً ما تقود الى الحروب الدامية ، تهدد ابداً وحدة اسرائيل . واخيراً فان الاستقرار في ارض كنعان كان يرافقه بعض الهمود في حرارة العبادة ، هذا الهمود الذي كان يهدد سلامة الامة الاسرائيلية حتى زمان السبي ، والذي كان يدفع بجماعات من اليهود الى معابد الوثنيين للاشتراك بالحفلات الدينية النجسة . اما عظمة هذا الشعب فتقوم بانه ، رغم الهمود في الدين ، لم يقدم يوماً على نكران الهه نكراناً كاملاً .

ان شاول وداود ، في حقل السياسة ، وحدا الشعب في مملكة قائمة ، فاعادا الصلة التي كانت تراخت حلقاتها بينها وبين موسى النبي . اما في الحقل الديني فان اللاويين والانبياء كأشعيا وإرميا وان الكتبة والفريسيين الاوائل

نجوا جميعهم من الدمار كل ما كان باستطاعتهم ان ينجوه.» ان قيام الشعب المختار كأمة كان متوقفاً على ايمانه وعلى هذا التوحيد الذي حافظ عليه محافظة الاسد، حتى ان هذا الشعب لو لم يحافظ على ايمانه القويم لكان الزمان طوى ذكره اليوم كما طوى العمالقة ومملكة آدوم ... انه لمن المذهل حقاً ومما يفوق تفهم العقل ان هذه الامة الحقنة عدداً مرت بها العصور فهزئت بالعصور». ودانيال روبس يحاول ان يستخلص الاسباب التي جعلت هذا الشعب يصمد على الزمن فيقول: ان لذلك سبباً واحداً هو ان الله حافظ على شعب كان يعهد اليه، من حين الى حين كنز الوحي الغالي فينبئه روحياً بالتعمق في الحقائق التي أوحى بها اليه وفي اضافته اليها حقائق ثابتة جديدة» فابرهيم هو الذي يركز حجر زاوية التوحيد، وموسى هو الذي يجسد الشريعة ويعلن المبادئ الاساسية. والانبياء هم الذين يحوّرون هذه الفكرة السائدة في الشعب، القائلة بان الاثم الذي يقترفه احدهم يقع على الشعب كله، مقرين بدلاً عنها فكرة المسؤولية الشخصية التي تقول بانه على كل انسان ان يعطي حساباً عما صنعه هو لا سواه. اما مشكلة الخطيئة فانها تصدت اذ ذاك للضمير اليهودي باكثر قوة ووضوحاً: فالخطيئة اصبحت، في عرفهم، جرحاً اليماً ولطخة تنال من نقاء النفس، على انه أعطي لهم ان يعالجوا هذا الجرح بسعيهم الجدي وراء استرجاع النقاء المفقود، وبأعمال التوبة والتكفير. وفي الوقت نفسه كانت الفكرة القديمة التي تدور حول المكافأة، قد تحورت تحوراً كلياً لان اليهود في البدء كانوا يحسبون ان الله يكافئ الاعمال الصالحة في هذه الارض، ولكنهم غيروا وجهة تفكيرهم بعد ما قاسوه من الشقاء في ارض السبي ومن العذاب في العودة، فلم يعد الموت في عرفهم نهاية للانسان بل اصبح طريقاً، وعرفوا ان الانسان يحاكم بعد الموت وينال الحياة التي يكون قد استحقها باعماله على هذه الارض.

وهناك صعوبة اخيرة لم يقدر الاسرائيليون على تذليلها: اذا كان الانسان الذي ابتلته الخطيئة الاصلية بجراحها الاليمة يعجز بقواه الذاتية وحدها عن استكمال جهاده طلباً للبرارة المضاعة، فكيف يمكنه التفلت من هذا التضاد

المستعصي: عقل يهدينا سواء السبيل، ونفس تعجز، وحدها، عن متابعة سيرها في هذا السبيل، وتفتقر الى وسيط يجيئها من العلاء . . . كان اسرائيل في انتظار محوم لهذا الوسيط، وهو يحس بقرب مجيئه ولكن هذا الاحساس كان، على الزمن، يظهر شتاتاً على افواه الانبياء ولا يتراءى بوجهه الاصيل الوضاح الا ساعة يتم تجسد السيد المسيح الذي يبلغ بالوحي، في رسالته الالهية، حد الامتلاء وحد الكمال. وكان اليهود يعرفون ان الوحي لم يكن قد اكتمل بعد لاننا نراهم، وهم تحت أسرة هيرودس وروما، ينتظرون المخلص العظيم. وعليه فإن كتاب دانيال روبس الثاني ينفتح على هذا المشهد: « شعب مذلل يتضرع »

❁

ان كتابة حياة المسيح — ثلاثون سنة لم تتعدَّ بقعة صغيرة من الارض — تبعد كل البعد عن استعراض الفي سنة من التاريخ تقضي معظمها في رحيل لا يستقر. واذا كان تاريخ شعب الكتاب عملاً دونه صعوبة الإخراج نظراً لما يهدف اليه المؤلف من الحفر في الجديد، فإن تواريخ حياة المسيح تكاد الّا يحصيها عدّ، وبينها ما حصّل الشهرة الواسعة، وقد عددها دانيال روبس كمصادر لكتابه: لاغرانج، غرانميزون، لوبروتون، واخيراً موريك الذي يقال فيه: « انه القى على تفهم نفسية الانجيل أضواء لا أجمل ولا اسطع ». اما الدراسة التي ستعرض لها الآن حول « يسوع في زمانه » فانها ستظهر لنا بوضوح، شأنها في التاريخ المقدس، سعة اطلاع المؤرخ، وموهبة التحاليل النفسانية في الروائي، ورحابة نظرات الفيلسوف، وايمان المؤمن الحار.

« في زمانه ». انه زمان نعرفه جيداً « حيث السلام الروماني » يرف على الابيض المتوسط. وأول ما يملك بنظرنا هو الشعب الاسرائيلي المنحني تحت أسرة الغريب، والمضمر له عداوة لا تهادن؛ غير انه شعب الغايات لان روح التفرقة تعمل في احشائه. فهناك الصدوقيون ارباب الفكر، الشبيهون باولئك الذين وصفهم برنانوس، والمنقبون ابداً عن الخطأ الطفيف. وهناك الفريسيون الذين حافظوا على وديعة الوحي محافظة الامين، وصمدوا دائماً روح مقاومة حيال الوثنية اليونانية، على انهم، في غمرة كبريائهم الجامحة، وفي عبادة

الحرف التي تكرسوا لها منذ ثلاثة قرون ، اصبحوا وكأنهم مومياءات . فاولئك وهؤلاء لم يتفهموا ، في معظمهم ، حقيقة رسالة المسيح التي انفتح عليها البسطاء والسذج الذين لا عهد لهم بدقائق الشريعة ، الذين هم « كوخرة موحلة » هدف لاحتقار الاريستوقراطية الصدوقية وارباب الدين .

هذا هو الأمر الاول الذي يلفت النظر . اما في عرض الكتاب « فإن الجندي الروماني يتمايل امامنا بطاسته الحديدية ومعطفه الارجواني » . ولكي يساعدنا المؤلف على تفهم أوضاع بيلاطس الذي يحكم اليهودية المعادية له بواسطة شرذمات قليلة من الجنود الوطنيين ، يرجع بنا الى كيلينغ والى سموم برومفيلد ، فنشاهد الامراء الهيرودوسيين يتمايلون كبراً وليس لهم من سلطان حقيقي ، كأن واحدهم مهرجا هندي . واذا ما رفض الكهنة ، صباح الجمعة العظيمة ، ان يدخلوا الى دار الحاكم تخوفاً من انهم يتدنسون قبل اكلهم الفصح ، « تتصور جلياً ما يمر ببال حاكم احدى المستعمرات ، وقد اضطرب لرؤيته الجموع تهيج في العاصمة ، وعلم بان معضلة ملتبسة الحلول ، معقدة ، عليه ان ينظر بها لا في داره على هدوء ، ولكن في الشارع بين جلبة الثائرين» . اما غسل بيلاطس يديه تبرؤاً من هذه المشكلة اليهودية ، فهو شبيه بما يأتيه رجل اريستوقراطي مستعمر حيال رجل « وطني» . ويضيف دانيال روبس هذه الملاحظة : « لنتمثل احد الحكام وقد جاءته قبيلة من الزنوج برجل ضعيف الادراك ، تشكوه بانه يقوم باعمال سحرية ، ويطمع في الملك . اذ ذاك يتراءى لنا بسيطاً معقولاً ما كنا قد حسبناه خفة لا تغتفر ، وجبانة سافلة ، وظلماً صارخاً . . . او بعبارة أجلى ، ان امثال هذا التصرف ليست بنادرة الوقوع »

ويسهل علينا ان نشير هنا من جديد الى درس شخصيات عديدة ، منها تناصب يسوع العداء ، ومنهـا تواليه كل الموالاة ، وكلها تضج بالحقيقة الانسانية .

« يسوع في زمانه » هو عنوان كتاب ، توقفنا الآن لدى كلمته الثانية : « في زمانه » . وانه لحري بنا ان نتوقف هنيهة لدى الكلمة الاولى : « يسوع »

فنعرف ان « شعب الكتاب » لم يعد هو موضوع الدراسة الاساسي ، بشخصياته المتعددة التي ارشدته وقادته ، ولكن الشخصية الفريدة الفذة التي هيمنت على هذا الكتاب ، هي شخصية السيد المسيح ، وسمته السرية الأخاذة .

ويجهر دانيال روبس بان جوهر الدراسة يكمن عبر اللغز الذي يجبهنا به هذا الرجل الشبيه بنا الذي يخضع كل حين بكلماته وحركاته ، قوى عديدة فائقة . ان هذا الوجه الذي جمده الالم ينكشف عن وجه اله . انه اله حق وانسان حق . اما كلمة الصلاة فانها تمهر الصعوبة النفسانية الكلية التي تتصدى لنا في هذه الدراسة ، لاننا ساعة نجد في التطلع الى ملمح انساني في طبيعة يسوع ، تأخذنا بهرة الاله المتأنس . ورغم هذه الصعوبة الآمرة ، فإن دانيال روبس يحاول ما استطاع اظهار هذه الصورة اللامكنة . لقد كان لزاماً علينا ان ننقل في هذا الصدد صفحات وصفحات ولكننا نقتصر الان على قراءة صفحة واحدة منها : « انه لخطأ فاضح ان نتخيل يسوع مسمراً ، قائماً دون حراك ، صنماً من الجص ، لا ينفحه بالحياة اي شعور . فان اشخاصاً كموسى من العهد القديم ويوحنا المعمدان في العهد الجديد يظهرون دفعة واحدة ، بيد ان حياة المسيح الانسانية هي غمرة من بسمات ، وقول المسيح : « دعوا الصبيان يأتون الي » تصحبه بسمة لا الذ ولا اطرى ! وهناك احياناً شيء من الهزء اللاذع كما نتحققه من الحوار الذي دار حول الجزية المتوجبة لقيصر ؛ « اعطوا ما لقيصر لقيصر » هو كلام يتجلبب بسخرية عظمى ، وطريقة استهزائية ترد الى المهاجم سؤاله المبطن بالحبائل . وهناك ايضاً غضبات ، غضبات مقدسة سامية ، تغلي وتنفجر ساعة تسأم غيرة الله الاكلة من جنون البشر وتجاهلهم القصدي . فيسوع اذ ذاك هو سليل هذه الأمة العنيفة التي اطلت الانبياء والتي حملت يسوع على الغضب الشديد ، وعلى العنف لأسباب ليست من الروحانية بشيء فاذا ما انهال بسوطه ضرباً على الباعة في الهيكل ؛ وفضح ببلاغته الصارمة خفايا معلمي اسرائيل وفريسييه ؛ واذا ما قال لسفراء الملك انتيباس : « قولوا لهذا الثعلب » ، فانما نتحقق فيه انه انسان يجيش الدم تحت اظافر يديه ، ان محبة دانيال روبس لمعلمه الالهي تشيع من كل سطر عبر كتابه الرحيب . وهذه

المحبة هي التي اهابت بأحدهم الى ان يقول لي احد الايام : « انني عندما افرغ من قراءة هذا الكتاب ، اشعر بحاجة ملحة في الى اخذ مسبحتي والشروع بالصلاة» – لا اظن ان واضع هذا الكتاب كان يرمي الى ابعد من هذا الثناء .

والان يجدر بنا ان نشير عرضاً في مجموعة المكتبة المسيحية للتاريخ ، الى مؤلف صغير ينطوي على « اناجيل العذراء » . يقسم هذا الكتيب الى ثلاثة اقسام : في القسم الاخير منها اربعون لوحة علق عليها المؤلف وكلها مختصة بالعذراء ؛ وفي القسم الثاني نقرأ المقاطع المنزلة والمحرفة حيث يتراءى لنا العهد الجديد بعية الذين ادعوا تكميله – والذين اعطي لهم ، بعض الاحيان ، جمع شتات من التراجم الحقيقية – والتي تدور حول حياة العذراء . اما القسم الاول ، وهو اقصرها لأنه لا يتجاوز المئة من صفحاته خُطت بحرف عريض ، فانه يتساءل : « كيف نتعرف الى العذراء » ؛ ولكي يجيب عن هذا السؤال فانه يضعها ، هي ايضاً ، « في زمانها » مع اثاث منزلها وثيابها « الصوفية ايام الشتاء ، والقطنية سحابة الصيف ، والمنديل التقليدي على الرأس » ، . . . اما حياة العذراء فكان قوامها استقاء الماء ، ونقل العجين ليخبز في الفرن . حتى اذا طلع نهار السبت فانها تتوقف عن العمل نظير جاراتها اليهوديات ، متفرغة لعبادة العظمة الالهية . . . وبالجملة ، « فانها حفنة من مستندات » ، « فتاة يهودية نكرة » ، « اكثر الناس دعة وتواضعاً » . اما هذا التعطش الى طهارة ملأى ، الذي نحله في حنايا الضلوع وقد اضاء الطفولة فينا ، وتنكرت له الحياة يوماً بعد يوم ، فانه هو الذي نلمسه منذ اكثر من خمسة عشر قرناً ، في فتاة البشارة الصغيرة ، ان الجاذبية في احدى عذارى جيوتو تتجاوب اصداؤها في نفسنا مع شيء لم تمسه الحواس ، سابق لكل خطيئة او هفوة ، مع هذه البقعة السرية التي نلمسها فينا بعض الاحيان – كانما هي ماء عميق ننظر اليه من خلال الاعشاب – حيث الكمال المطلق ينتشلنا من التناقضات ، وحيث النقاء الكلي يصبح مرادفاً للمعرفة وللحب .

ويجب التلميح خصوصاً ، في حياة يسوع ، الى الذوق السليم في الناقد الفني ، سواء أشرح لوحة او وصف مشهداً .. ولكن لقد حان وقت الانتقال الى المجلد الثالث من مجموعتنا : « كنيسة الرسل الشهداء » .

قد تتطلب قراءة هذا الكتاب عناء اكثر مما يتطلبه الكتابان السابقان. اما السبب في ذلك فانما هو غزارة المادة . أجل ان التاريخ المقدس كان يتناول حقبة من الزمان هي ست او سبع مرات اكثر من التي تناولها هذا الكتاب، على انها كانت مغامرة عشيرة صغيرة ، أو قل مغامرة شعب ضئيل في افق محدود . اما ما يتصدى لنا الان فإنما هو ملحمة الصليب التي لا تفتأ ، خلال ثلاث مئة عام ، تكتسح العالم .

وهناك ايضاً اشتباك ثلاث مدنيات : اولاهما اسرعت الى الزوال : هي اسرائيل الذي اطلع الخلاص وشارف على الاضمحلال. وساعة تمحي في ظلال الهيكل المحترق تلك الجماعة اليهودية – المسيحية الصغيرة ، تقوم الكنيسة – خصوصاً بفضل القديس بولس – بدمج الماضي في المستقبل وحدة عجيبة وبادخالها الى رومة ثورة الصليب .

وماذا يقول عن رومة اذ ذاك ، عن سطوتها واستقرارها ؟ « لا الامبراطورية الجرمانية المقدسة ، ولا امبراطورية نابوليون ، ولا الكومنولث البريطاني عهد الملكة فكتوريا ، كانت اكثر سطوة وتوازناً واستقراراً من رومة اذ ذاك. » « فريدة في نظامها ، رحيبة لا تغلب ، هذه هي الامبراطورية وليدة اللبؤة ، باقية البناء على الدهر » . . . ويتابع دانيال روبس قائلاً : « اذا تطامنا الى حقارة الكنيسة الناشئة حيال هذا المارد الجبار ، فانه من الحق ان نتصور تطاحناً بين الاثنين لا تخرج منه المسيحية متداعية محطمة »

ومع ذلك فقد حدث العكس . اما كيف ذلك فهاك ما يقوله روبس : « ان اقدام العساكر مشت في ركابه » كذا قال بيني مردداً كلمة اوريجانوس الذي كتب سنة ٢٢٠ هذا القول: « لان الله اراد ان يجعل في جميع الامم استعداداً لكلام المسيح ، شاءت عنايته ان تخضع هذه الامم

لامبراطور رومة العظيم » وفعلاً لقد كان السلام الروماني ، والطرقات ، والبحر المطمئن ، واللغة اليونانية المتداولة من الفرات الى اعمدة هركول ، كل هذه وسائل ثمينة فعالة لانتشار الانجيل . وفي الاخلاق ايضاً يتسرب الكذب الروحي ، لأن آلهة الاولمب لم تعد سوى اظلال الهة ؛ وفي الجسم الاجتماعي جرح العبودية الدامي وتناثر القيم القديمة : كلها مشاكل هامة جاء الدين المسيحي الجديد باجوبة عليها تقنع العقل . . . ان التنافر بين معتقدين في العالم يزداد قوة يوماً عن يوم . هاهم الشهداء الالوف ، يسقطون ضحية شعب غافل ، ضحية الطاغية نيرون . وعلى عهد « الانطونيين » كان للاضطهاد سببان : اقرار السلام ، وتهدئة خواطر الشعب . ولكن « لا يكاد ينتهي القرن الثاني حتى نشاهد العالم الروماني مسرعاً الى الفناء . واما الطابع الذي اتخذته الاضطهادات الرسمية المنظمة فله قيمة اشارة : «ما من دولة تكلف نفسها عناء عراك منظم إلا اذا كان ثمة عدوّ مخيف » . ولهذا فإن آخر اضطهاد كان افظع الاضطهادات « في آخر مراحل الانهيار ، عندما تتلاشى مميزات القيم الادبية . نرى عهداً يطلع او مجتمعاً يحلو له ان يسكر من خمرة العذاب الجهنمية . ويزيد دانيال روبس ، وهو الفيلسوف الذي تقصى جروحات عهدنا هذا ، يزيد هذه الملاحظة المؤلمة : « ان القرن الرابع لم يكن له ان ينظر الى مشاهد كهذه » وسرعان ما ارتمشت يد الجلاد فطلع قسطنطين من الحروب الاهلية بعد انهيار « الحكم الرباعي » ورفرف الصليب على العالم كله . « رجل القدر كما قيل ، صاحب قلب طفل عبقري ، وجه غريب في هذه المرحلة الفارغة حيث التاريخ يعمل على تغيير اوضاعه ، ذاك هو قسطنطين يحطم فوق عظمة رومة القديمة بقايا من جمال غروب لماع ، وخريف لن يلبث ان يموت . ولكنه كان للكنيسة مبشراً ببزوغ فجر جديد ، فجر الاستقرار . » ولهذا فإنها قد تناست له ضلالاته وجرائمه ، واحيت اسمه الجميل على مر الدهر .

ان الوقائع التي تصدينا لها ليست سوى مظاهر انتشار المسيحية البعيد : اما الجوهر فليس هناك : انه يكمن في تلك القيم المشعة من التضحية والصلاة ، في هؤلاء الشهداء الذين طالما حدثنا عن بطولتهم ، في جهاد آباء الكنيسة —

كم من شهيد بينهم وقع تآليفه بدمائه – وعملهم على تبديل المجتمع القديم ، عامدين الى ما حسن من الماضي ، والى معطيات الوحي ، يصكونها اساً واحداً ترتكز عليه مدنية الغد. هناك مؤلفات ايوستينيانوس واكليمنضوس الاسكندري ، واوريجانوس ، وايرونيموس ، تمكن دانيال روبس من الإبانة بوضوح عن جوهرها الاصيل. وقد قادنا عبر المجادلات اللاهوتية المنيفة ، طوال القرن الرابع ، التي تصدت لعقائد الدين « بكل ما في العقل من قوى تهاجم » – عقل آريوس الذي يتنكر للسر كما انه يتنكر لاله يتأنس.

❁

لقد حان لنا ان نقول كلمة الختام ، فهل نجزم بأن تلك الصفحات المتجاوزة الألفين لم تعرف هفوة من الهفوات ؟ انه امتداح مغرض لو عرف به المؤلف لرفض التصديق. فهناك احياناً بعض شطحات للقلم ، كزعمه مثلاً بان مسيحيي الرها اضطهدوا لانهم كانوا مناصرين لتدمر ، والصحيح هو ان اضطهادهم تأتى عن حفظهم العهد لسلالة « الاباجرة » المحلية ، التي خلعتها رومة من الحكم لارتدادها الى الدين الحق. وزعم ايضاً أن لوسيان هو من سميساط في حين انه انطاكي. ثم قال بأن مسيحياً من « ازمير » معاصراً للقديس بوليكاربوس ، قد صفع الحاكم ؛ اما الحقيقة فهي ان هذا المسيحي اراد ان يتحدى الوحش الضاري كي يسرع في افتراسه . على ان الانتقاد الأهم الذي توجه الى المؤلف في التاريخ المقدس ، هو التجاوز الى مقارنات بالية ، ليشرح علمياً ، على حد قوله ، اجتياز البحر الاحمر او اجتياز الاردن. كما انه عمد الى اثباتات لا مبرر لها تقول بان الابجدية كتبت أولاً في ثمانين حرفاً ، وتحدرت الى خمسين فستة وثلاثين.

جميع هذه الانتقادات ، اذا قيست بمجموعة ما كتبه دانيال روبس ، تغيب كقطرة في خضم. ماذا ، انقول الآن بأن هذه المجلدات الثلاثة تشير الى تفاوت في الإخراج بين المجلد واخيه ؟ – أجل ان طابع التاريخ المقدس ، هو ابعدها في الابتكار الشخصي ؛ على ان حياة يسوع ، تخرج لنا شخصية المعلم لا أجمل

ولا أحب ، وتعيد اليها ، بشيء من الطبيعة التي لم تنل بعد ، مسحة العصر الذي تمايلت فيه . اما تاريخ الكنيسة فقد كانت له اعجوبة الوضوح الكلي في عمل يسوده الغموض .

هذا ، واننا لنغبط النفس لان هذا الكاتب الشهير ، الذي زرع مؤلفاته بين الوف الأكف ، عرف ان المسيحي المثقف يتحتم عليه التبحر بتاريخه ، واعطاه ، ثمرة لجهوده الجبارة ، ومن صميم الفؤاد ، انجع الوسائل الى هذا التبحر الخصيب .

فهارس المشرق

للسنة الثانية والاربعين

١٩٤٨

فهرس اول

لمواد الاجزاء

الجزء ١ (كانون الثاني – اذار) : من الحرانة الشرقية ، بقلم حبيب زيات (١–٣٨) : الاسماء والكنى والالقاب النصرانية في الاسلام (١) – نُقّاح لبنان (٣٣) – التشيع لمعاوية في عهد العباسيين (٣٨) = خطط دمشق بالاستناد الى كتب الوقف والنصوص القديمة (مصوّرة) ، بقلم صلاح الدين المنجد (٣٩–٦٥) : أنهار دمشق (٣٩) – خانات دمشق (٥٣) = نشيد القيامة للشاعر رومانس المرنّم البيروتي ، نقله عن اليونانية وعلّق عليه الاب نقولاوس قادري قب (٦٦–٨٠) = قيامة المسيح ، بقلم المطران اسقف الياس الزيناتي (٨١–٩٨) = الحيلة في لبنان على ضوء امثاله الشعبية ، بقلم لحد خاطر (٩٩–١١٨) = وصف عاصفة في عالية نجد لامرئ القيس ، بقلم الاب فريد جبر اللعازري (١١٩–١٤٣) = مكتبة المشرق : نشوار المحاضرة واخبار المذاكرة للتنوخي ، نشر مرجليوث ، بقلم حبيب زيات (١٤٣–١٥٧) ؛ وصف كتابين باللغات الاوربية (١٥٨–١٦٠)

الجزء ٢ (نيسان–حزيران) : مراعم المؤرخين العباسيين في وصف شره الامويين ، بقلم حبيب زيات (١٦١–١٦٨) = الشعوب السامية والتوحيد ، بقلم الاب جان ستاركي (١٦٩–١٨٤) = قدّاس مار يعقوب الرسول وقدّاس فم الذهب ، بقلم الخوري اسحق ارمة السرياني (١٨٥–١٩٨) = نشيد المجدلية للشاعر رومانس المرنّم ، ترجمه عن اليونانية الاب نقولاوس قادري قب (مصوّرة) (١٩٩–٢١٤) = وثائق تاريخية عن حلب ، احدًا عن دفاتر الاخويّات وغيرها ، بقلم الاب فردينان توتل اليسوعي (٢١٥–٢٤١) = خطط دمشق ، بقلم صلاح الدين المنجد (٢٤٢–٢٨٨) : ابنية دمشق الأثرية المسجّلة (مصوّرة) : الابنية الرومانية (٢٤٣) – الابنية الاموية (٢٤٥) – الابنية الفاطمية (٢٤٦) – الابنية السلجوقية

(٢٤٩) – الامية النورية (٢٥١) – الامية الايوبية (٢٥٧) = شذرات : الملكات العربيات قبل الاسلام (د . ح .) (٢٨٩) = مكتبة المشرق : كتاب الديارات في الجزء الاول من مسالك الأبصار للعمري ، تحقيق احمد زكي باشا ، بقلم حبيب زيات (٢٩٤-٣١٦) ؛ وصف ٦ كتب باللغات الاوربية ، وكتاب باللغة العربية (٣١٧-٣٣٠).

الجزء ٣ (تموز – ايلول) : من الخزانة الشرقية ، بقلم حبيب زيات (٣٣١-٣٣٣) الصور والايقونات في الحمامات قديماً (٣٣٤) اديار دمشق وبرّها في الاسلام (٣٣٨) : دير مار الياس في داريا (٣٣١) = زلزال سنة ١١٧٣ م. في دمشق وضواحيها ، بقلم الشيخ محمد احمد دهمان (٣٣٣-٣٤٧) = خطط دمشق ، بقلم صلاح الدين المنجد (٣٤٨-٣٧٠) : قرية سبينة الشرقية (مصوّرة) (٣٤٨) – تربة العالمة أمة اللطيف بنت الناصح الحنبلي (٣٥٣) – دور البطيخ بدمشق (مصوّرة) (٣٥٥) – بين السورين بدمشق (٣٥٨) – الورّاقات بدمشق (٣٦٠) – دور الطعم بدمشق (٣٦٣) – مقابر دمشق – (٣٦٥) – قبر معاوية بن ابي سفيان (مصوّرة) (٣٦٩) = وثائق تاريخية عن حلب (مصوّرة) بقلم الاب فردينان توتل اليسوعي (٣٧١-٤١٢) = خيانة جوذا ، نشيد لرومانس المرتم ، عرّبه عن اليونانية وعلّق عليه الاب نقولاوس قادري قب (٤١٣-٤٢٣) = فن التمثيل في خلال قرن : فهرس ابجدي بعناوين المسرحيات : ١ ، بقلم يوسف اسعد داغر (٤٢٤-٤٦٠) = مكتبة المشرق : تاريخ قضاة الاندلس لابي حسن النباهي ، نشر ليفي بروفنسال ، بقلم حبيب زيات (٤٦١-٤٧٤) ؛ وصف كتابين باللغات الاوربية (٤٧٥-٤٨٠)

الجزء ٤ (تشرين الاول – كانون الاول) : مؤتمر المستشرقين الدولي الحادي والعشرون ، بقلم فؤاد افرام البستاني (٤٨١-٥٠٠) = دانيال روبس وتاريخ الاصول المسيحية بقلم الاب هنري جلابرت اليسوعي (٥٠١-٥١٦) = فهارس المشرق للسنة الثانية والاربعين (٥١٦)

فهرس ثانٍ

كتبة المشرق ومقالاتهم

ا

ارملة (الخوري اسحق) : قداس مار يعقوب الرسول وقداس فم الذهب ١٨٥ - ١٩٨

ب

البستاني (فؤاد افرام) : مؤتمر المستشرقين الدولي الحادي والعشرون ٤٨١ - ٥٠٠ - وله وصف مطبوعات ٣٢٠

بوادبار (الاب انطوان اليسوعي) : له وصف مطبوعات ٤٧٥

ت

توتل (الاب فردينان اليسوعي) : وثائق تاريخية عن حلب ، اخذاً عن دفاتر الاخويات وغيرها ٢١٥ - ٢٤١ ؛ ٣٧١ - ٤١٣ - وله وصف مطبوعات ٢١٩

ج

جبر (الاب فريد اللمازري) : وصف عاصفة في عالية نجد لامرئ القيس ١١٩ - ١٤٣

جلابرت (الاب هنري) : دانيال رويس وتاريخ الاصول المسيحية ٥٠١-٥١٦

ح

حاري (روز) : الملكات العربيات قبل الاسلام ٢٨٩ - ٣٠٣

خ

خاطر (لحد) : العيلة في لبنان على ضوء امثاله الشعبية ٩٩ - ١١٨

د

داغر (يوسف اسعد) : فنّ التمثيل في خلال قرن : فهرس ابجدي بعناوين المسرحيات ٤٣٤ - ٤٦٠

دهمان (محمد احمد) : زلزال سنة ١١٧٣ هـ في دمشق وضواحيها ٣٣٣ - ٣٠٧

و

رومانس المرنّم : نشيد القيامة ٦٦ - ٨٠ - نشيد المجدلية ١٩٩ - ٢١٤ - خيانة يهوذا ٤١٢ - ٤٣٣

ز

الزيناتي (المورامقف الياس) : قيامة المسيح ٨١ - ٩٨

زيات (حبيب) : الاسماء والكنى والألقاب النصرانية في الاسلام ١ ب ٢١ - تفّاح لبنان ٣٣ - ٣٧ - التشيّع لمعاوية في عهد العباسيين ٣٨ - ٤٨ - نشوار المحاضرة واخبار المذاكرة : نقد واستدراك ١٤٣ - ١٥٧ - مزاعم المؤرخين العباسيين في وصف شره الامويين ١٦١ - ١٦٨ - كتاب الديارات في الجزء الاول من مسالك الابصار للعمري : نقد واستدراك ٢٦٤ - ٣١٦ - الصور والايقونات في الحمامات قديماً ٣٢١ - ٣٣٧ - اديار دمشق وبرّها في الاسلام : ٣٣٨ - دير مار الياس في داريا ٣٣١ - ٣٣٣ - تاريخ قضاة الاندلس للنباهي : نقد واستدراك ٤٦١ - ٤٧٤

س

ستاركي (الاب جان) : الشعوب السامية والتوحيد ١٦٩ – ١٨٤

ض

ضومط (الاب ميخائيل) : نقل الشعوب السامية والتوحيد للاب ستاركي ١٦٩ – ١٨٤

ط

طربيه (الاخ نعمة الله) : نقل دانيال دوبس وتاريخ الاصول المسيحية للاب جلابرت .

ق

قادري (الاب نقولاوس قب) : نشيد القيامة لرومانس المرتم ٦٦ – ٨٠ – نشيد المجدلية لرومانس المرتم ١٩٩ – ٢١٤ – خيانة جوذا لرومانس المرتم ٤١٣ – ٤٢٣

ل

لانور (الاب اسطفان اليسوعي) : له وصف مطبوعات ١٥٩ ، ٤٧٧

م

مصيريان (الاب جان) : له وصف مطبوعات ٣١٨

المنجد (صلاح الدين) : أنصار دمشق ٢٩ – ٥٣ – خانات دمشق ٥٣ – ٦٥ – أبنية دمشق الاثرية المسجلة ٢٤٣ – ٢٨٨ – قريبة سينه الشرفية ٢٤٨ – تربة العالمة أمة اللطيف بنت الناصح الحنبلي ٢٥٣ – دور البطيخ بدمشق ٢٥٥ – بين السورين بدمشق ٢٥٨ – الورّاقات بدمشق ٢٦٠ – دور الطُعم بدمشق ٢٦٣ – مقابر دمشق ٢٦٥ – قبر معاوية بن ابي سفيان ٢٦٩ – ٢٧٠

موترد (الاب رينه اليسوعي) : له وصف مطبوعات ١٥٨ ؛ ٢١٧

فهرس ثالث

المطبوعات التي ورد وصفها في السنة الثانية والاربعين

على ترتيب اسماء مؤلفيها

١ — المطبوعات الشرقية

ابن فضل الله العمري : كتاب الديارات في الجزء الاول من مسالك الابصار ٢١٤ — ٢١٦

التنوخي (ابو علي) : نشوار المحاضرة : واخبار المذاكرة ١٤٣ — ١٥٧

زكي (احمد باشا) : نشره كتاب الديارات في الجزء الاول من مسالك الأبصار للعمري ٢١٤ — ٢١٦

غريب (جورج) : لمحات في الادب العربي ٢٢٠

الشباهي (ابو الحسن) المالقي الاندلسي : تاريخ قضاة الاندلس او كتاب المرقبة العليا في من يستحق القضاء والفتيا ٤٦١ — ٤٧٤

٢ — المطبوعات الاوروبية

Abbott (Nabia), Two Queens of Baghdad, mother and wife of Haroun al-Rashid. (317)

Abd-El-Al (Ibrahim), Le Litani, étude hydrologique. (475)

Daniel Rops, Le peuple de la Bible.

— , Jésus en son temps.

— , L'Église des Apôtres et des Martyrs. (p. 501-516).

Devresse (R.), Le patriarcat d'Antioche depuis la paix de l'Eglise jusqu'à la conquête arabe. (158)

Grunebaum (G.E.), Medieval Islam. A Study in cultural Orientation. (159)

Holma (H.). Mahomet, prophète des Arabes. (477)

Kratchkowsky (I. J.), Penché sur les manuscrits arabes. (318)

Lévi-Provençal (E.) edit. an-Nubahī (461 - 474)

Margoliouth (D-S.) edit. at-Tanūḫī. (143-157)

Rosenthal (F.) et Walzer (R.), Al-farabius. De Platonis philosophia. (317)

Sauvaget (J.). Introduction à l'Histoire de l'Orient Musulman. (318)

— Historiens arabes. Pages choisies. (319)

Témoignages, IX, Israël. l'Islam, Rome et Jésus. (319)

Walzer (R.). cf. Rosenthal (F.)

فهرس رابع

لجميع مواد السنة الثانية والاربعين من المشرق

ا

ابراهيم باشا المصري في حلب ٤١١
ابنية دمشق الاثرية المسجلة ٢٤٢ – ٢٨٨ : الابنية الرومانية ٢٤٣ ، الابنية الاموية ٢٤٥ ، الابنية الفاطمية ٢٤٦ ، الابنية السلجوقية ٢٤٩ ، الابنية النورية ٢٥١ ، الابنية الايوبية ٢٥٧
الانثولوجية في مؤتمر المستشرقين ٤٩٦
الادب والتاريخ والفلسفة في مؤتمر المستشرقين ٤٩١
اديار دمشق وبرّها في الاسلام ٢٢٨ – ٢٣٢
الارمن الكاثوليك : حالتهم في حلب في القرن الثامن عشر ٢١٩ – حقوقهم المدنية ٤١٠
الاستشراق : مؤتمره الدولي الحادي والعشرون ٤٨١ – ٥٠٠
الاسلام : الاسماء والكُنى النصرانية فيه ١ – ٢١ – اديار دمشق وبرّها فيه ٢٢٨ – ٢٣٢
الاسلاميات : في مؤتمر المستشرقين ٤٩٠
الاسماء والكُنى والالقاب النصرانية في الاسلام ١ – ٢١
الاسماء النصرانية في الاسلام ٣
الاشورية (علم الشؤون) : في مؤتمر المستشرقين ٤٨٨
الاصول المسيحية : تاريخها في آثار دانيال روبس ٥٠١–٥١٦
القاء الرهبانية اليسوعية : وقعه في حلب ٢٧٩
الالقاب والأسماء والكُنى النصرانية في الاسلام ١ – ٢١
الالقاب النصرانية في الاسلام ٧
الياس (مار) : ديره في داريا ٢٣١
أمة اللطيف بنت الناصح الحنبلي : تربتها ٢٥٢
امرؤ القيس : وصفه عاصفة في عالية نجد ١١٩ – ١٤٣
الامويون : مزاعم المؤرخين العباسيين في وصف شرههم ١٦١ – ١٦٨ – ابنيتهم الاثرية المسجلة في دمشق ٢٤٥
الاندلس : تاريخ قضاته ٤٦١ – ٤٧٠ – علمهم ودعاباتهم ٤٧١ – ٤٧٤
انهار دمشق ٣٩ – ٥٢
الايرانية (الدروس) : في مؤتمر المستشرقين ٤٨٨
الايقونات والصور في الحمامات قديماً ٢٢١ – ٢٢٧
الايوبيون : ابنيتهم الاثرية المسجلة في دمشق ٢٥٧

ب

بين السورين بدمشق ٢٥٨

ت

التاريخ والادب والفلسفة في مؤتمر المستشرقين ٤٩١
تاريخ الاصول المسيحية ودانيال روبس ٥٠١ – ٥١٦
تاريخ قضاة الاندلس للنباهي ٤٦١– ٤٧٤
التركية (الدروس) : في مؤتمر المستشرقين ٤٨٩

التشيع لمعاوية في عهد العباسيين ٢٨ – ٣٨
التضييق على اهل الذمة في حلب في القرن الثامن عشر ٢٨٢
التمثيل في خلال قرن ٤٢٤ – ٤٦٠
التوحيد والشعوب السامية ١٦٩ – ١٨٤

ح

حلب : وثائق تاريخية عنها في القرن الثامن عشر ٢١٥ – ٢٤١ ، ٣٧١ – ٤١٢ :
الاخويات فيها ٢١٦ ؛ اخوية عزيان الارمن ٢١٧ ؛ حالة الارمن الكاثوليك ٢١٩ ؛ مطران الوارثة ٢٢٦ ؛ قضية الصوم ٢٢٨ ؛ حالة الروم الكاثوليك ٢٢٩ ؛ الحوادث المكدّرة ٢٣٣ ، فرمان التسركل ٢٣٨ ؛ اعضاء الاخوية في السجن ٢٤٠ ؛ وفاة الاب كويسه ٢٧١ ؛ حبس الكهنة واغلاق الكنائس ٢٧٢ ؛ السريان الكاثوليك ٢٧٧ ؛ الغاء الرهبانية اليسوعية ٢٧٩ ؛ التضييق على اهل الذمة ٢٨٢ ؛ عيد الاخوية ٢٨٦ ؛ سنة الغلاء الكبير ٢٨٧ ؛ التخمة بسبب القرض والطاعون ٢٩١ ؛ اخوية ماردين ٢٩٢ ؛ ولاية عثمان باشا ٢٩٤ ؛ ولاية يوسف باشا ٢٩٥ ؛ خورشيد باشا ٢٩٧ ؛ الزلزلة الكبرى ٢٩٩ ؛ عبد الرؤوف باشا ٤٠٣ ؛ تبطيل الاخويات ٤٠٥ ؛ حقوق الارمن الكاثوليك المدنية ٤١٠ ؛ ابراهيم باشا المصري ٤١١ ؛ خزانة الاخوية ٤١٢
الحمامات : الصور والايقونات فيها قديماً ٣٢١ – ٣٢٧

خ

خانات دمشق ٥٢ – ٦٥
خان ابن هوّاش ٥٩
خان العمري ٥٧
خان الصبري ٦٥
خان قصر حجاج ٥٥
خان مراد باشا ٦٢
خان مصطفى آلا باشا ٥٩
خان المقدم ٥٥
خان بمصطبة الخضر ٦٢
خان بالمقيبة ٥٧
خان بالقرب من جامع تنكز ٥٦
خطط دمشق بالاستناد الى كتب الوقف والنصوص القديمة ٢٩–٦٥ ؛ ٢٤٣ – ٢٨٨
الخواجه (لقب) ١٢
خورشيد باشا : والي حلب ٢٩٧
خيانة يهوذا : نشيد ٤١٢ – ٤٢٢

د

داريا : دير مار الياس فيها ٢٣١
دانيال روبس وتاريخ الاصول المسيحية ٥٠١ – ٥١٦
دمشق : خططها ٢٩ – ٦٥ ؛ ٢٤٣ – ٢٨٨ ؛ ٢٤٨ – ٢٧٠
انهارها ٣٩ – ٥٢
خاناتها ٥٣ – ٦٥
ابنيتها الاثرية المسجّلة ٢٤٣ – ٢٨٨
ادبارها في الاسلام ٣٢٨ – ٣٣٢
زلزالها سنة ١١٧٣ هـ ٣٣٣ – ٣٦٧
دور البطيخ فيها ٣٥٥ – بين السورين فيها ٣٥٨ – الوراثات فيها ٣٦٠ – دور الطعم فيها ٣٦٣ – مقابرها ٣٦٥ – قبر معاوية فيها ٣٦٩
دور البطيخ بدمشق ٣٥٥
دور الطعم بدمشق ٣٦٣
الديارات في الجزء الاول من مسالك الابصار لابن فضل الله العمري ٢١٤ – ٢١٦
دير بشر ٢٤٨
دير مار الياس في داريا ٢٣١
دير بتّه ٢٤٨

ذ

الذمّيون : التضييق عليهم في حلب في القرن الثامن عشر ٢٨٢

ر

الرهبانية اليسوعية : وقع الغائها في حلب ٢٧٩

الروم الكاثوليك : حالتهم في حلب في منتصف القرن الثامن عشر ٢٢٩
الرومان : ابنيتهم الاثرية في دمشق ٢٤٣

ز

زلزال سنة ١١٧٣ هـ في دمشق وضواحيها ٢٢٣ – ٢٤٧
الزلزلة الكبرى في حلب سنة ١٨٢٢ ٢٩٩
زياد بن ابيه : وصف شرهه ١٦١

س

السامية (الدروس) في مؤتمر المستشرقين ٤٨٧
الساميون الاقدمون والتوحيد ١٧٢
الساميون والتوحيد ١٦٩ – ١٨٤
سبينه الشرقية ٢٤٨
السريان الكاثوليك في حلب في القرن الثامن عشر ٢٧٧
السلجوقيون : ابنيتهم الاثرية المسجّلة في دمشق ٢٤٩
سليمان بن الاسود الناقي القاضي ٤٧١
سليمان بن عبد الملك : وصف شرهه ١٦١

ش

الشرق والغرب في مؤتمر المستشرقين ٤٩٥
شره الامويين في مزاعم المؤرخين العباسيين ١٦١ – ١٦٨
الشعوب السامية والتوحيد ١٦٩ – ١٨٤

ص

الصور والايقونات في الحمامات قديماً ٢٢١–٢٢٧
الصينية (علم الشؤون) : في مؤتمر المستشرقين ٤٩٠

ع

عاصفة في عالية غبد : وصفها ١١٩ – ١٤٢
العباسيون : التشيّع لمعاوية في عهدهم ٢٨ – ٢٨ – مزاعم مؤرّخيهم في وصف شره الامويين ١٦١ – ١٦٨
عبد الرؤوف باشا : والي حلب ٤٠٣
العبرانيون والتوحيد ١٧٦
عثمان باشا : والي حلب ٢٩٤
العرب قبل الاسلام والتوحيد ١٧٩ – ملكاتهم ٢٨٩ – ٢٩٢
العيلة في لبنان على ضوء امثاله الشعبية ٩٩ – ١١٨

ف

الفاطميون : ابنيتهم الاثرية المسجّلة في دمشق ٢٤٦
الفقه والقرآن في مؤتمر المستشرقين ٤٩٠
الفلسفة والادب والتاريخ في مؤتمر المستشرقين ٤٩٠
فم الذهب : قداسه وقداس يعقوب الرسول ١٨٥ – ١٩٨
فن التمثيل في خلال قرن ٤٣٤ – ٤٦٠
الفنون في مؤتمر المستشرقين ٤٩٤
فهرس ابجدي بعناوين المسرحيات الموضوعة والمعربة ٤٣٤ – ٤٦٠

ق

قبر معاوية بن ابي سفيان ٢٦٥
قدّاس مار يعقوب الرسول وقداس فم الذهب ١٨٥ – ١٩٨
القرآن والعلوم الفقهية في مؤتمر المستشرقين ٤٩٠
القيامة : نشيد ٦٦ – ٨٠
قيامة المسيح ٨١ – ٩٨

ك

كتاب الديارات في الجزء الاول من مسالك الابصار لابن فضل الله العمري ٢٩٤ – ٣١٦
كتاب المرقبة العليا في من يستحق القضاء والفتيا للشيباني ٤٦١ – ٤٧٤

الكُنى والاسماء والألقاب النصرانية في الاسلام ١ – ٢١
الكُنى النصرانية في الاسلام ٦

ل

لبنان : تُفّاحه ٢٢ – ٢٧
الميلة فيه ١٨ – ١١٨ : ايثارهم الصبيان على البنات ١٠٠ ؛ الطفولة ١ ١ ؛ التربية ٢ ١ ؛ آراء في عهد الطفولة ١٠٣ ؛ البنت والعلم ؛ الخطبة ١٠٤ ؛ الاصل والفصل ١٠٥ ؛ الأم ١٠٥ : المال ١٠٦ ؛ العرس ١٠٨ ؛ بعد العرس ١٠٩ ؛ الترمّل والزواج مجدّدًا ١١٢ ؛ الحماة والكنة ١١٤ ؛ الاخوة ١١٥ ؛ الجدود والجدّات ١١٥ ؛ العمومة والخؤولة ١١٧
لقب المواجه ١٢
اللهجات في مؤتمر المستشرقين ٤٩٣

م

المجدلية : نشيد ١٩٩ – ٢١٤
محمد بن عبدالله بن ابي عيسى القاضي ٤٧٢
مزاعم المؤرخين العباسيين في وصف شره الامويين ١٦١ – ١٦٨
المستشرقون : مؤتمرهم الدولي الحادي والعشرون ٤٨١ – ٥٠٠
المسرحيّات : فهرس ابجدي بعناوينها ٤٣٤ – ٤٦٠
المسيح : قيامته ٨١ – ٨٤
المسيحية : تاريخ اصولها في آثار دانيال ويس ١ ٥ – ٥١٦
المصرية : (علم الشؤون) في مؤتمر المستشرقين ٤٨٦
معاوية : التشيّع له في عهد العباسيين ٢٨ – ٢٨ بالشام ٢٨ – بمصر ٣٠ – بالجزيرة ٣١ – بخراسان ٣١ – بالاندلس ٣٣ – بالعراق ٣٣ – وصف شرهه ١٦١ – قبره ٢٦٦
مقابر دمشق ٢٦٥
الملكات العربيات قبل الاسلام ٢٨٩ – ٢٩٢
منذر بن سعيد البلّوطي القاضي ٤٧٣
الموارنة : مطرانهم في حلب في منتصف القرن الثامن عشر ٢٢٦
مؤتمر المستشرقين الدولي الحادي والعشرون ٤٨١ – ٥٠٠ : محاضراته ٤٨٤ – زياراته ٤٩٨ – مقرّراته ٤٩٩

ن

نجد : وصف عاصمة في عاليه ١١٩ – ١٤٣
نشوار المحاضرة واخبار المذاكرة ١٤٣ – ١٥٧
نشيد القيامة ٦٦ – ٨٠
نشيد المجدلية ١٩٩ – ٢١٤
النصرانية : الأسماء والكُنى والالقاب النصرانية في الاسلام ١ – ٢١
نمر باناس ٤٨
نمر بردى ٤١
نمر ثوره ٤٢
نمر حزرما ٥٢
نمر الداراني ٤٦
نمر داعية ٥٠
نمر الرابون ٥٢
نمر زبدين ٥١
نمر الشيلاني ٥٢
نمر الفتاة ٤٨
نمر القنوات ٤٧
نمر المجدول ٥٠
نمر المالك ٥٢
نمر المليحي ٥١
نمر يزيد ٤٢
نور الدين : ابنيته الاثرية المسجلة في دمشق ٢٥١

ه

الهندية (علم الشؤون) : في مؤتمر المستشرقين ٤٨٩

و

وثائق تاريخية من حلب ٢١٥ - ٢٤١ ؛ ٢٧١ - ٤١٢

الورّاقات بدمشق ٢٦٠

وصف عاصفة في غالية نجد لامرئ القيس ١١١ - ١٤٣

ي

اليسوعيون : وقع الفاء رهبانيتهم في حلب ٢٧٩

يعقوب الرسول : قدّاسه وقداس فم الذهب ١٨٥ - ١٩٨

يهوذا : خيانته : نشيد ٤١٢ - ٤٢٣

يوسف باشا : والي حلب ٢٩٥

AL-MACHRIQ

REVUE CATHOLIQUE ORIENTALE MENSUELLE

SCIENCES. LETTRES. ARTS

Sous la direction

des Pères de la Compagnie de Jésus

UNIVERSITÉ SAINT-JOSEPH

Quarante-deuxième année

1948

BEYROUTH

IMPRIMERIE CATHOLIQUE

1948

TABLE DES SOMMAIRES

XLIIe ANNÉE, 1948

JANVIER-MARS

Noms, Prénoms et Surnoms chrétiens en Islam, (p. 1) — Pommes du Liban, (p. 22) — La dissidence en faveur de Mo'awia sous les Abbassides, (p. 28), *M. Habib Zayat.*

Damas à travers les vieux écrits : 2. Les fleuves de Damas, (p. 39) ; Les Khans de Damas, (p. 53), *M. S. Al-Monajjed.*

L'Hymne de la Résurrection de *Romanos le Mélode*, (p. 66), *P. N. Kadri, O. B.*

La Résurrection du Christ, (p. 81), *Mgr. Elie Zeinati.*

La famille libanaise d'après les proverbes de la langue dialectale, (p. 99), *Mr. Lahad Khater.*

Description d'une tempête chez Imr'ulqais, (p. 119), *P. Farid Jabr.*

Bibliographie (p. 143).

AVRIL-JUIN

Les prétentions des historiens abbassides sur la gloutonnerie des Omayyades, (p. 161), *M. Habib Zayat.*

Les peuples sémites et le monothéisme, (p. 169), *Abbé Jean* Starcky.

La Messe de St. Jacques l'Apôtre et la Messe de St.Jean Chrysostome, (p. 185), *P. Ishaq Armalé.*

Marie-Madeleine, poème de *Romanos le Mélode*, (p. 199), *P. N. Kadri, O. B.*

Documents historiques sur Alep, (p. 215), *P. F. Taoutel, S.J.*

Monuments historiques de Damas, (p.242) *M.S. Al-Manajjed.*

VARIA : Reines Arabes avant l'Islam. (p. 289)

Bibliographie. (294)

JUILLET-SEPTEMBRE

Images et icônes dans les anciens bains, (p. 321) — Les couvents de Damas et ses environs, (p. 328) *M. Habib Zayat.*

Le tremblement de terre de 1173 h. (1759) à Damas et dans ses environs, (333) *M. M. A. Dahman.*

Monuments historiques de Damas (suite). (p. 348), *M. S. Al-Monajjed.*

Documents historiques sur Alep (suite). (p. 371), *P. F. Taoutel, S. J.*

La trahison de Judas, poème de *Romanos le Mélode*, (p. 413), *P. N. Kadri, O. B.*

Le théâtre à travers un siècle: I, (p. 434), *M. J. A. Dagher.*
Bibliographie (p. 461).

OCTOBRE-DÉCEMBRE

Le XXIe congrès international des Orientalistes, (p. 481), *M. Fouad E. Boustany.*

Daniel Rops et les Origines du Christianisme, (p. 501), *P. Henry Jalabert.*

Table du Machriq pour 1948 (p. 517).

المشرق

السنة الثالثة والاربعون — كانون الثاني — اذار ١٩٤٩

من الخزانة الشرقية

بقلم حبيب زيات

النساء الفرنجيات

في عهد الصليبيين

من احق ما يؤخذ على المؤرخين الايوبيين ، في ما دوّنوه من اخبار الصليبيين ، أنهم اجترأوا منها برواية الوقائع والانباء التي كانت تذهب بالممالك والنفوس والاموال ، وزهدوا في كل ما عداها من اوصاف الاعداء في اوقات السلم . فالناظر اليوم في كتبهم لا يكاد يدري ، في ما عدا الحروب والملاحم ، شيئاً يُذكر من جوار الفرنج لاهل البلاد ، وتأثير فريق منهم في الآخر في وجوه المعيشة والمجتمعات والابنية والمساكن والمآكل والمشارب واللهجات واللغات والصناعة والزراعة ، الّا بعض اشارات يسيرة ونكات معدودة وردت عرضاً في حكايات بعض المعاصرين ، نظير ابن جبير في رحلته ، والامير أسامة بن منقذ في كتاب « الاعتبار » .

وقد اقتصر الامير اسامة على ذكر بعض النساء الصليبيات بما لا يجمل ايراده ، ولم يتعرض ، مع كثرة من رآه منهن ، لوصف جانب مما انفردن به من خلق وخلق ، وأغرن فيه من هيئة وشارة . ولا شك انه ، لو كانت سلمت لنا دواوين الشعراء الذين ساكنوا الصليبيين وخالطوهم في كل هذه الحقبة الطويلة ، وقرب منا متناولها ، لوجدنا في بعض قصائدهم وابياتهم نتفاً من اوصاف ذلك العصر تشف عما كان فيه من حضارة وفن ومصطلح وزي .

واوحد من وقع الينا بعض شعره ، وانفرد فيه بذكر النساء الفرنجيات ، ابو عبدالله محمد بن نصر القيسراني الكاوي . وقد وقفنا على جزء منه سماه «الثغريات» في ديوان اختاره بنفسه من نظمه محفوظ في دار الكتب المصرية ، وسيأتي وصف هذا الديوان فيما بعد ، حرصنا فيه على نقل كل ما رواه من هذه الثغريات . ولم يقتصر فيها على وصف الغواني الفرنجيات في الطرقات وطاقات المنازل ، بل الم من اجلهن بالبيع والكنائس كعادة اضرابه في ديار الاسلام من طروق الاديار والمعابد ، ايام الآحاد والاعياد ، لاجتلاء ما فيها من الوجوه الحسان . وكان في انطاكية عدة كنائس منها كنيسة السيدة لنصارى انطاكية خاصة دون الافرنج ، وكنيسة بوبارة للافرنج خاصة ، وكنيسة اشونيث للفرنجية (كذا) ، وكنيسة القسيان (القديس بطرس) ، وهيكل المكشوف ولا ندري لمن هو ، وتغزل بكل من شاهده فيهن :

من كل بيضاء مسجية ما عندها البدر بموصوف

ولما طاف المدينة أعجب بما عاينه فيها من القصور الفخمة الشاهقة والابنية الحسنة والمنازل المزخرفة ، وشاهد في كل شباك منها مليحة سافرة تطل بوجه برقعه الحياء :

ترى قصوراً كأنها بيع ناطقة في خلالها الصور
حالات طاقاتهن آهلة يبسم في كل حالة قمر
سوافر كلما نشرن بنا برقعهن الحياء والخفر

ووصف بعضهن بسواد الشعر وطول الضفائر ، ولا شك انهن كن رومیات لان الفرنجيات اكثرما يذكرن عادة بزرقة العيون كقوله يشبب باحداهن :

لقد فتنتني فرنجيةٌ نسيم الصبير بها يعبقُ
ففي ثوبها غصن ناعمٌ وفي تاجها قمر مشرقُ
وان تكُ في عينها زرقة فان سنان القنا ازرقُ

يريد بالتاج ما كانت تعقده من غدائرها فوق رأسها . وكان لهنّ تحت هذا التاج طُرر يصففنها فوق الجبين ، واصداغ يُرسلنها من جانبي الخدين كالزرفين اي كالحلقة . وكان هذا التاج عامًّا فيما يظهر للفرنجيات والروميات كما يؤخذ من قوله :

وسبتني لها ذوائبُ شعرٍ عقدتها تاجًا على ابرواز
من معيني على بنات بني الاصفر غروًّا فانني اليوم غارِ

يريد بابرواز الملك كسرى ابرويز . وكان لنساء الروم والفرنج ولعٌ خاص وعناية غالية بالتفنّن والتزيّن بالشعور :

سمنَ بين سكنٍ يوت شعر فابرزنَ المحاسن في الشعورِ
وامرجن النواظر في وجوهٍ مترّهة الخدود عن الخدورِ
تريك الحسن غير مبرقعاتٍ الا ما في البراقع من غرورِ
فلو خادعتَ طرفك لم تعرّج بـه الّا على قمر منيرِ
فدعني من منازلة البوادي فلي شغل بسكان القصورِ

ووصف في كنيسة القسيان راهبة حسناء رومية قصيرة الزنار طويلة حبل العاتق متشحة بالسواد ، تحكي ثيابها غدائرها باللون ، اذا صحّ انه كان لها غدائر فقال فيها :

كمْ بالكنائس من مثلة مثل الماة يزينها الخفرُ
من كل ساجدة لصورتها لو انصفت سجدت لها الصورُ
قدّيـة في حبل عاتقها طول ، وفي زنارها قصرُ
غرس المياه بصحن وجنتها وردًا سقى اغصانه النظرُ
وتكلمت عنه الجفون ، فلو حاورتها لاجابك الحورُ
وحكت مدارعها غدائرها فـأراك ضعفي ليله بقرُ

وكانت انطاكية قديمًا موصوفة بالنزاهة والحسن وطيب الهواء وعذوبة الماء وكثرة الفواكه وسعة الخير[1] . ولما استولى الروم والفرنج عليها انضمّ الى

١) معجم البلدان لياقوت ١ : ٢٨٢

هذا الطيب جودة الخمر والشراب ، فكان كل من اراد معاقرة المدام في ما جاور من ديار الاسلام يقصد انطاكية للتمتع بلذاتها . ولذلك قال ابو العلاء فيها :

لا يقرلنَّ بانطاكيةٍ ورعٌ كم حذَّل الدينَ عندَ الزنانير
فيها مدام كذوب النار تزجره المشاربين وجوه كالدنانير (١)

فلا عجب اذا كان القيسراني اراد انتهاز فرصة وجوده فيها لانتهاب اوقات الطرب والقصف . وكان فيها وقتئذٍ من جملة القيان المشهورات بالحسن والاحسان جارية تروي الشعر العربي اسمها ماريًا تغني بالدف خفيفة الروح في نهاية اللطف . ومن اصواتها التي تغايظ بها النصارى وتستميل قلوب المسلمين :

علقتُ بحبل من حبال محمد أمنتُ به من طارق الحدثانِ

ولا يخفى ما في هذا البيت من التعريض باسم النبي العربي واسم القيسراني محمد وهو من قصيدة للحسن بن هانئ يمدح بها الامين ابن الرشيد اولها :

لمن طلل لم أشجو وشجاني وهاج الصبا لو هاجهُ لأوانِ

وبعد ان قضى القيسراني اطيب ايام في هذه البلدة الجامعة طيب الهوائين ، انكفأ راجعاً وفي فؤاده نيران الحسرات تفور ، وتذكَّر ساعات مرَّت له مع ماريًا فانشد فيها :

ألا يا غزال الثغر هل انت منشدي « علقت بحبل من حبال محمد » . . .

❖

ولابن جبير في النساء الصليبيات وصف اوفر غناء واتم شرحاً حكى فيه زفاف عروس فرنجية شهده اتفاقاً لما كان في صور سنة ٥٨٠ / ١١٨٤ في شهر شتنبر = ايلول ، قال :

« من مشاهد زخارف الدنيا المحدَّث بها زفاف عروس شاهدناه بصور في احد الايام في ميناها وقد احتفل لذلك جميع النصارى رجالاً ونساء واصطفّوا صاطين عند باب العروس المهداة والبوقات تضرب والمزامير وجميع الآلات اللَّهويّة حتى خرجت تتهادى بين رجلين يمسكانها من يمين وشمال كأنها من ذوي ارحامها وهي في اجمل زيّ وافخر لباس تسحب اذيال الحرير المذهب سحباً على الهيئة المعهودة من لباسهم وعلى رأسها عصابة ذهب قد حُفَّت بشبكة ذهب منسوجة وعلى لبّتها مثل ذلك منتظم وهي رافلة في حليها وحُلاها تمشي فترًا في فتر مشي الحمامة او سير النعامة تعوذ بالله من فتنة الناظر . وامامها جملة رجالها من النصارى في افخر ملابسهم البهية تسحب اذيالها خلفهم ووراءها اكفاؤها ونظراؤها من النصرانيات

(١) اللزوميات ، طبعة بومباي ، ١٥٣

يتهادين في افخر الملابس ويرفلن في ارفل الحلى والآلات اللهوية قد تقدمتهم والمسلمون وسائر النصارى من النظّار قد عادوا في طريقهم ساطين يتطلعون فيهم ولا ينكرون عليهم ذلك . فساروا جا حتى ادخلوها دار بلها واقاموا يومهم ذلك في وليمة فأدّانا الاتفاق الى رؤية هذا المنظر الزخرفي المستماذ بالله من الفتنة فيه . »(١

ولا يخفى على احد ما في مثل هذا الوصف على ايجازه واجماله من الطرافة والندرة لصدوره عن قلم عربي تعوّد غالباً قلة الاعتداد بكل ما لا يتعلق بأمته وملّته ، والنفور والتعوّذ من كل ما يمرّ به من المشاهد والاحوال بين اهل الكتاب في ايامه . وقد احسن غاية الاحسان في موضع آخر في رحلته بالتنبيه على ما لم ينبّه عليه احد قبله من ولع الفرنجيات بتقليد النساء المسلمات في التزيي والتنقب والتحلي والتخضب والتعطر . وهو ما يجب ان يُضاف الى جملة ما كان الغربيون وقتئذٍ يحرصون على استعارته من مذاهب الحضارة الشرقية ووجوه المعيشة وطرق الصناعة والزراعة في المدن السورية . وقد نعت ابن جبير ما عاينه من هذه العواري في البلاد الفرنجية ايضاً فقال في كلامه على مدينة بالرمة وقد وافق اجتيازه بها عيد الميلاد :

«وزيّ النصرانيات في هذه المدينة زيّ نساء المسلمين فصيحات الالسن بالتحفات متنقبات خرجن في هذا العيد المذكور وقد لبسن ثياب الحرير المذهب والتحفن اللُحُف الرائقة وانتقبن بالنُقُب الملونة وانتطن الاخفاف المذهبة وبَرَزْنَ لكنائسهنّ او كُنُسهن حاملات جميع زينة نساء المسلمين من التحلّي والتخضّب والتعطّر فتذكرنا على جهة الدعابة الادبية قول الشاعر :

ان من يدخل الكنيسة يوماً يلقَ فيها جآذرًا وظباء

ونعوذ بالله من وصف يدخل مدخل اللغو ويؤدّي الى اباطيل المرور ، ونعوذ به من تقييد يؤدي الى تفنيد انه سبحانه اهل التقوى والمغفرة »(٢

وليست هذه اول مرة استماذ فيها ابن جبير من فتنة ما شاهده او عرفه بنفسه اثناء مروره ببلاد الصليبيين . ولا بأس ان ننقل هنا قولاً له سابقاً في احوال المسلمين العائشين في ذمة الفرنج بين قبنين وعكة حين مرّ بهما . وهو ، وان يكن غير داخل رأساً في اوصاف النساء الصليبيات ، غير انه يتصل بها باقرب سبب لمشاركتهنّ الرجال في التدبير والسياسة في اغلب الاحوال .

١) رحلة ابن جبير ، طبعة ليدن ٢٥٠ - ٢٦٠

٢) رحلة ابن جبير ٣٣٢

وكان الملك العادل سيف الدين ، شقيق صلاح الدين ، لا يجهل ذلك منهن فاذا اراد ان يُقعد رجالهن عن الحرب احياناً يتزلف لديهن ببعض التحف من الحلي والحلل الدمشقية التي كنّ معجبات بها .[1]

وغاية هذه النبذة اليسيرة من كلام ابن جبير وصف جانب من احوال المجتمع الفرنجي الاسلامي ، ومخالطة المسلمين للصليبيين في بلادهم ، وفيه خير شاهد على ما كان بين الفريقين من حسن الجوار وما امتاز به خصوصاً رؤساء الفرنج من الرفق بمن كان تحت ايديهم من البلديين والمستعربين ، ومعاملتهم لهم بغاية العدل والتسامح والبعد عن كل نفور وتعصب ، ولا شك انه كان المرأة الصليبية في هذه المعاملة نصيب وافر في الشفقة على المرأة الذمية . وهذا نص كلام ابن جبير وهو حري بالتروي والاعتبار قال :

« رحلنا من تنيس ، ذكرها الله ، سحر يوم الاثنين وطريقنا كله على ضياع متصلة وعمائر منتظمة سكانها كلها مسلمون وهم مع الافرنج على حالة ترفيه تعوذ بالله من الفتنة . وذلك انهم يؤدون لهم نصف الغلة عند اوان ضمّها وجزية على كل رأس دينار وخمسة قراريط ولا يعترضونهم في غير ذلك . ولهم على ثمر الشجر ضريبة خفيفة يؤدونها ايضاً . ومساكنهم بأيديهم وجميع احوالهم متروكة لهم وكل ما بأيدي الافرنج من المدن ساحل الشام على هذه السبيل رساتيقها كلها للمسلمين وهي القرى والضياع وقد أشربت الفتنة قلوب اكثرهم لما يبصرون عليه اخوانهم من اهل رساتيق المسلمين وعمالهم لانهم على ضدّ احوالهم من الترفيه والرفق . وهذه من الفجائع الطارئة على المسلمين ان يشتكي الصنف الاسلامي جور صنفه المالك له ويحمد سيرة ضده وعدوه المالك له من الافرنج ويأنس بعدله فالى الله المشتكى من هذه الحال »[2]

ولا يخفى على احد قدر هذه الشهادة من رجل كان ينظر شزراً الى الصليبيين ويوسمهم شتماً ولعناً ، ويدعو على حصونهم وبلادهم بالدمار ، وعليهم بالخذلان ، ومع إقراره بما كان عليه صاحب عكة من الاعتدال في سياسة المسلمين والرفق والتؤدة لم يتوقف عن وصفه بالملك « الخنزير الملعون » ووصف امه « بالخنزيرة »[3] وامثال هذا الحقد والبغض طافحة في آثار العصور الوسطى في الغرب والشرق .

١) الخزانة الشرقية ٢ : ٣٦

٢) رحلة ابن جبير ، طبعة ليدن ، ٣٠١ — ٣٠٢

٣) رحلة ابن جبير ٣٠١ و ٣٠٢

ليلة رقص وسماع اميرية

للفقراء بدمشق

سنة ٦٥٩/١٣٦١

يُراد بالفقراء هنا كل من تظاهر بالزهد واحتال بالفقر والنسك من اصحاب الطرق والمتصوفة ، في ما عدا المساكين حقاً والمعدمين . وربما دخل بينهم من ليس منهم ، وانضوى اليهم بعض الكبراء والعلماء والكتاب ، احتماء بهم من صولة السلطان ، او تدللاً على ملوك الزمان ، كما فعل عماد الدين الاصبهاني الكاتب المشهور بانشائه الحوشي وتقعره في السجع ، حين غضب من اجل ختم من اختام الذهب التي كانت تكون على كتب الافرنج ورد منها كتاب على الملك الناصر صلاح الدين الايوبي في غياب عماد الدين وفاته تحصيله ، فحرد وابى ان يجيب على الكتاب . فأخرجه صلاح الدين من حضرته ، وتعصّب له القاضي الفاضل ، واشار عليه ان يقعد احتيالاً في خانقاه الفقراء وما زال فيها منزوياً متظاهراً بالحرد ، حتى اتى السلطان بشفاعة القاضي الفاضل وترضاه بنفسه[1] . ولا يخفى ما في هذه الغريبة من الملحة والفكاهة .

وقد تحامى المؤرخون وصف شيء من حياة هؤلاء الفقراء في عاداتهم واخلاقهم ورسومهم وسُننهم وملابسهم وازيائهم ومشاربهم ومآكلهم ، فلا ندري منها سوى تلويحات ولمحات لا تكفي لتصوير ما كانوا عليه من المعيشة والسلوك بغاية الوضوح والتحقيق . واشتهر المتصوفة منهم خصوصاً بكثرة الجشع في الاكل والشرب ، والولع بالرقص ، والتهافت على السماع والغناء ، حتى نعتهم ارباب اللغة بالزفانة الحفّانة . قال الزبيدي في التاج : اي يرقصون ويحفنون الطعام بحفناتهم[2] . ووصف بعض الشعراء اكلهم ورقصهم باكل البهائم ورقص الدباب ، وانكر عليهم ابو العلاء المعري هذا الشذوذ فقال :

(١) جزء من المغني للمقريزي فيه بعض تراجم المحدثين ، في خزانة جامعة ليدن ، غير مرقوم Arab 1366 C.

(٢) تاج العروس ٩ : ٢٢٧

ارى جيل التصوّف شرّ جيل فقل لهمُ وأهونْ بالحلولِ
أقال الله حين عبدتموه : كلوا أكل البهائم وارقصوا لي (١

وقلّده في هذا الهجاء شداد بن ابرهيم الملقب بالطاهر الجزري فقال بلفظه ومعناه :

ايا جيلَ التصوّف شرّ جيلٍ لقد جئتم بأمر مستحيلِ
أفي القرآن قال لكم الهي كلوا مثل البهائم وارقصوا لي(٢

وللعميد ابي محمد عبدالله احمد بن ابرهيم الزاوي الكاتب في وصفهم والتحذير منهم :

لا تثق بالسكوت من كل صوفي واجتنب مكرهم وكن في صدوفِ
قصّروا قمصهم وحفّروا لحاهم تحتَ احدوديوا بحبي قطوفِ
اغسلوا العالم اكلاً ورقصاً وادّعوا انه لربّ رؤوفِ
اترى رجم يقول ارقصوا لي واتركوا ما فرضتُ من معروفِ(٣

وكان بالبرازيج ، وهي بليدة بالقرب من السلامية ، زاوية لجماعة من الفقراء اسم شيخهم مكّي . فعمل فيهم ظهير الدين قاضي السلامية المتوفى سنة ٦١٠ = ١٢١٣ هذه الابيات :

ألا قل لمكّيّ قول النصوح فحقّ النصيحة ان تُستمعْ
متى سمع الناس في دينهم بان الغنا سنّة تتّبعْ
وان يأكل المرء اكل البعير ويرقص في الجمع حتى يقعْ
ولو كان طاوي الحشا جائعاً لما دار من طرب واستمعْ
وقالوا سكرنا بحب الاله وما اسكر القوم الا القصعْ
كذاك الحمير اذا اخصبت يُنقّزها(٤ ريّها والشبعْ (٥

وربما استحلّ بعضهم كل المحرّمات والكبائر ، وتظاهروا غير مبالين بالفسق والفجور ، واقترفوا مخزية ليلة الماشوش كما تقدم لنا وصفها في الكلام على متصوفة شيراز[٦] . واشتهر منهم بالتهتك والاستباحة الشيخ خضر الكردي،

١) ارشاد الاريب لياقوت ١ : ١٧٥
٢) ارشاد الاريب لياقوت ٦ : ٢٦١
٣) مجمع الآداب للفوطي في دار الكتب الظاهرية بدمشق ٢٦٧ تاريخ
٤) اي يرقصها
٥) وفيات الاعيان ، طبعة دسلان ٩١
٦) المشرق ٢ : ١٩٦٨ ص ٢٦٧

شيخ الملك الظاهر بيبرس[1]، والشيخ ابي الحسن الحريري[2] واشياع ابي بكر المجذوب الحلبي[3]، واضرابهم من المستهزئين بالاديان الذين اسهب المؤرخون في تعداد مساوئهم او طلب الاعذار لهم فيها، واحتقروا من اجلهم تدوين فضائل المبرزين والمهرة في الفنون والصناعات.

وعُرف الدمشقيون خصوصاً بالاحسان الى هؤلاء الفقراء او المتفقرين وكثرة التصدق عليهم، وبناء الدور والمساكن لاضيافتهم، ولذلك تعددت في مدينتهم قديماً الخوانق والرُبط والزوايا والملاجئ، وعاش بعضهم فيها عيشة الاغنياء، وساعدهم الامراء والاسخياء على الاخذ بنصيب من ملاذ الحياة، فكانوا يغدقون عليهم الارزاق والهبات، ويقيمون لهم الدعوات والولائم، ويُحيون لاجلهم السهرات والليالي الراقصة والسماعات، ويعتقدونهم دائماً بالاكسية والخلع والمآكل والمشارب. وقد وصف ابن جُبير عيش الصوفية بدمشق حين اجتيازه بها في القرن السادس للهجرة فقال وقوله جدير بالتدبر والاعتبار:

« هم الملوك بهذه البلاد لانهم قد كفاهم الله مؤن الدنيا وفضولها وفرّغ خواطرهم لعبادته من الفكرة في اسباب المعايش واسكنهم في قصور تذكرهم قصور الجنة »[4]

وقد فاتنا وصف بعض هذه القصور الفقيرة، اذا جاز هذا النعت، فلا ندري الى ايّ رباط او زاوية او مدرسة يومئ ابن جبير، وهو ما يبعث في النفس اشد الحسرات لخفاء مثل هذه الفوائد النادرة التي تتجلى فيها باصدق وجه واوضح بيان معيشة طبقة من سكان دمشق هي اغمضهم خبراً وتاريخاً واوفرهم آبدة وشاردة.

وبينما كنا في شهر ايار (مايو) سنة ١٩٣٤، نطالع بعض مخطوطات خزانة اكسفورد، اسعدنا التوفيق بالوقوف على فصل مُمتع من ذيل قطب الدين

---

١) طالع من بعض تراجمه ما حكاه عنه صلاح الدين الكتبي في فوات الوفيات ١ : ١٩٢ – ١٩٣

٢) طالع من بعض تراجمه ما حكاه عنه صلاح الدين الكتبي في فوات الوفيات ٢ : ٥٢ – ٥٧

٣) طالع ترجمة احمد الناري في خلاصة الاثر للمحبي ١ : ٢٥٩ – ٢٦٠

٤) رحلته، ص ٢٨٤

اليونيني[1] على مرآة الزمان لسبط ابن الجوزي وصف فيه عَرَضاً ادق وصف احدى هذه الليالي الراقصة التي دُعي اليها خصوصاً واختلط فيها الامراء بالمشايخ والفقراء ، وتمثلت فيها صورة طرف من ترف اهل دمشق في القرن السابع للهجرة اصدق تمثيل ، ولا نعلم صفحة اخرى أُجيد فيها هذه الاجادة في وصف نعيم اهل دمشق وملاذ الفقراء في الزمن الغابر . ولا يخفى ما في مطالعة هذا الفصل من الطرفة والفكاهة والفائدة التاريخية . قال في وفيات سنة ٦٦٢ (١٢٦٣—١٢٦٤) في ترجمة لاجين بن عبدالله الامير حسام الدين الجوكنداري العزيزي :

« كان من اكبر الامراء واعظمهم مكانة واعلاهم قدراً . . . وكان له في الفقراء والصالحين عقيدة حسنة ويكثر من الاحسان اليهم والبرّ بهم وانفاقهم بالنفقة والكسوة وغير ذلك وكان يعمل لهم السماعات ويحضر فيها من المآكل والمشارب والارابيح الطيبة والشموع ما يبهر العقل ويتجاوز الحد فكان يُقدّر ما يفرقه على السماع الواحد بقريب نهاية آلاف درهم وكنت اسمع احتفاله في امر السماع وعلو همته فاحمل الامر على المجازفة في القول من الحاكي فاتفق انه طلبني ليلةً لحضور ذلك فحضرت عنده فكان الامر على ما بلغني واكثر فاني لما دخلت داره التي بالمُقَيبة رأيت من الشموع الكافوري الكبار في الانوار[2] الفضة والمطعمة ما يقصر عنه الوصف ثم مدّ بعد صلاة المغرب سماطاً عظيماً يشتمل على قريب مائة زبدية عادلية كبار في كل زبدية منها خروف صحيح وضمي وقريب ثلاثة زبدية دون تلك في كل زبدية ثلاثة طيور دجاج وغير ذلك من انواع الاطعمة فلما فرغ الناس من الاكل صلّوا عشاء الآخرة وشرع المغاني في الغناء ورقص هو بنفسه بين الفقراء كاحدهم وكان يسلك معهم الادب معهم والتواضع لهم ما لا مزيد عليه .

فلما فرغ من النوبة الاولى مدّ سماطاً عظيماً يشتمل على عدة اطباق وصحون خيرافية حلوى وسكب وقطائف رطبة وقلوة وشبك وغير ذلك مما جمعه بالسكر المصري المكرّر والفستق والمسك فاكل الناس من ذلك ما امكنهم وحملوا بحيث شيل معظم ذلك في خيرق الحاضرين فلما فرغوا من ذلك شرع المغاني في الغناء نوبة ثانية فرقص هو وغلمانه ومن حضر من الفقراء والمشايخ وغيرهم . فلما فرغ المغاني من النوبة الثانية مدّ سماطاً عظيماً من الفواكه النادرة من السفرجل والتفاح الفتحي والكمثري الرحبي والرمان اللفّان والخلو والعنب النادر والبطيخ الاخضر وكانت هذه الفاكهة التي حضرت معدومة في مثل ذلك الوقت يتعذر وجودها على غيره لان ذلك كان في اواخر فصل الشتاء وانما كان يُذخر له ذلك

---

١) خزانة أكسفرد رقم 113 — 112 Poc. or. 132 f.

٢) الانوار جمع نَوْر بمعنى الشمعدان .

بالقصد فان قرية كفربطنا وزبدين وعدة قرى من الغوطة كانت جارية في اقطاعه وجميع الفواكه النادرة فاكل الناس من ذلك ما امكنهم .

ثم غنّى المغاني النوبة الثالثة ورقص الجميع فلما فرغوا مدّ لهم سماطاً من المكسّرات على اختلاف انواعها من القصب(١ العراقي والفستق والبندق والزبيب الجوزاني(٢ والفستق المملّح والخُشكنان(٣ والكعك المحشو والبقسماط المعمول بالسكر والسمن وغير ذلك فاكل الناس من ذلك وحملوا . وجميع ما يُعدّ على كثرته لا يُرفع منه بقية البتة بل يؤكل منه ما يمكن ويتفاوتى الحاضرون ما بقي ويتنهب . وجميع ما شُرب في تلك الليلة من اولها الى آخرها مصنوع بالثلج والسكر وماء الجلاب(٤ والورد والمسك والسفاة يملأون الكيزان من ذلك على الدوام والماخر تُعمل بالند والعنبر والعود الهندي المذكّى من اول الليل الى آخره

ولما كان وقت السحر اخلى حمام ابن السرهنك(٥ المجاورة لداره ودخل اليها ومعه معظم الجمع ولم ادخل انا معهم فحكى لي الشيخ عبد الرحمن بن الشيخ محمد اليوبي رحمه الله وكان حاضراً قال : بعد خروجك دخلنا الحمام فجعل الامير يخدم الفقراء بنفسه وعلى يده ولما خرجوا كان منهم جماعة خلعوا قمصانهم ودلوقهم(٦ فاحضر لهم قُمصاً جُدداً وثياباً جدداً في غاية الحسن والمناسبة لما يليق بهم ثم خرج واستدعاهم الى داره وسقاهم من الاشربة ما يناسب الحمام ويلائمه ومدّ لهم سماطاً عظيماً من الطُّعام واحضرهم حاوي سُخنة فاكلوا وانصرفوا واما هو فانه خلع على المغاني من ملبوسه عدة بغالطيق(٧ تساوي جملة كبيرة وكذلك غلمانه خلعوا .

وكان هذا السماع في آخر سنة تسع وخمسين (وستمائة = ١٢٦١ م) والغرارة القمح بدمشق ثمنها ما يقارب ثمانية دوهم والرطل اللحم بالدمشقي يبلغ سبعة دراهم والدجاجة يبلغ ثلاثة دراهم وجميع الاشياء غالية جداً :

١) كذا وردت هذه اللفظة مرسومة في الاصل بالصاد . ولعلها سبق قلم لان القصب العراقي اذا كان موجوداً لم يكن يعد من المكسّرات . والارجح ان الصحة قَسْب بالسين الساكنة وهو نوع من تمر العراق يابس يتفتّت في الفم .

٢) الجوزاني نسبة عامية الى الجوزة ضرب من العنب كبير الحب صلب زكي الحلاوة كان يجفّف ويصنع منه زبيب غاية في الجودة ذكر ياقوت انه كان معروفاً في القرزل (معجم البلدان ٣ : ٨٧٢) وفي « تذكرة الصفدي » و « محاسن الشام » للبدري ذكر الجوزاني مع الدريلي والخلواني بين اصناف العنب بدمشق ولا يُعرف فيها اليوم .

٣) اقراص من الدقيق والخلوى .

٤) الجلاب نوع من الصفصاف المصري كان معروفاً بدمشق يستقطر منه ماء تطيب به الاشربة كماء الورد وزهر النارنج .

٥) كان بالعُقيبة بدمشق ١٣ حماماً منها اثنان لابن السرهنك (عدة المليات في تعداد الحمامات لجامعه يوسف بن عبد الهادي من مخطوطات الخزانة الظاهرية بدمشق) .

٦) الدلوق جمع دلق نوع من الثياب متسع الاكمام طويلها كانت تلبسه اولاً العلماء والقضاة والخطباء ثم شاع بين الفقراء .

٧) البغالطيق جمع بَغْلُطاق لفظة فارسية لضرب من القباء قصير الكمّين او لا كمّ له .

وكانت وفاته رحمه الله في رابع عشر محرم ودفن بسفح قاسيون » .

ولا نظن ان بعد هذه السعة وهذا السرف والتنعم والتهم واللهو محلاً للمزيد . وكذا كان بعض الفقراء والصعاليك بدمشق يعيشون احياناً معيشة الامراء والمماليك ، ولذلك كان الاقبال عظيماً على حرفة الفقر والاستعطاء .

ويظهر ان مثل هذه الليالي الراقصة والسماعات لم تكن خاصة بدمشق بل كان يجري مثلها او قريب منها في مصر ويُستدعى الفقراء لحضورها ، وهو ما نقله علاء الدين علي بن خطيب الناصرية بروايته عن الشهاب محمود في ترجمة الامير جمال الدين العزيزي ايدغدي بن عبدالله من مماليك الملك العزيز محمد بن غازي صاحب حلب قال :

« قال المولى قطب الدين نفع الله به : حكى لي بعض الناصرية قال : لما دخلنا الديار المصرية اتفق ان بعض اكابر الامراء عمل سماعاً وحضر بنفسه الى الامير جمال الدين ودعاه فوعده بالمضيّ اليه والحضور عنده فلما كان عشاء الآخرة مضى ونحن معه جماعة من مماليكه وخواصه الى دار ذلك الامير فلما دخل وجد جماعة من الامراء جلوساً في ايوان الدار وجماعة من الفقراء في وسط الدار فوقف ولم يدخل وقال لصاحب الدار : أخطأتم في ما فعلتم كان ينبغي ان يقعد الفقراء فوق وانتم في ارض الدار ولم يجلس حتى تحول الفقراء الى مكان الامراء والامراء الى مكان الفقراء وقعد هو ونحن بين الامراء فلما غنّى المغاني قام احدهم والدف بيده يستعطي وهذه كانت عادة المغاني في الديار المصرية فلما رآه الامير جمال الدين انتهره وقال : والك[1] انت في الخلق[2] ؟ واشار الى خزندار فوضع في الدف كيساً فيه الف درهم فلما رقص الجمع دار فيهم ورمى على المغني بغلطاقه وهو ابيض قطن بمليكي ما يساوي عشرين درهماً فرمى سائر مماليكه بغالطيقهم موافقة له وقيمتها فوق الثلاثة آلاف درهم ثم دار في النوبة الثانية ورمى على المغني منديله وهو ابيض كان يساوي ثلاثة دراهم فرمى سائر اصحابه مناديلهم وفيها ما هو بالذهب وغيره ولعل قيمتها فوق الالف وخمسمائة درهم فحُسِب ان المغاني حصل لهم منه ومن غلمانه نحو الستة آلاف درهم »[3]

---

١) « والك » كلمة انتهار وتهديد لا تزال يتلفظ بها اليوم والاصل «اول لك » وممن كان مولعاً بها الوزير علي بن عيسى (تاريخ الوزراء للصابي ٢٢٢) . ولاحد الشعراء :

سألتهُ قبلة في روض وجنتهِ يحيا بها القلب مني قال «سِرْ . والك»

(كتاب بذيان الشي لمحمد بن الحكم الشافعي ، خزانة اكسفرد Marsh. 490, f° 25)

٢) الاول من الدر المنتخب في تكملة تاريخ حلب نسخة ناقصة من مخطوطات المكتبة الاحمدية بحلب رقم ١٣١٤ ص ٢٧٠ – ٢٧١ .

ومثل هذا الرمي على المغنين هو ما يسمّى النقط[1] او النقوط ، كما تقول العامة وهو قديم . وانما كانت خلعة الامير جمال الدين ايدغدي من القطن دون خلع مماليكه واصحابه لانه كان كما وصفه ابن خطيب الناصرية « مقتصداً في لبسه لا يتعدى ثياب القطن في ملبسه من القماش الهندي والبعلبكي وغيره مما يُباح ولا يُكره لبسه »

وكانت وفاته في القدس سنة ٦٨٨ / ١٢٨٩ فليس اذن بين الليلتين والسماعين زمن بعيد ، ولكن البعد والفرق بين نعيم الفقراء بدمشق ونعيمهم بمصر « وما قصباتُ السبق الا لمبدِ » !

١) جاء في كتاب الاغاني لابي الفرج الاصبهاني في حكاية غناء وطرب وعطاء «طَرِب وفرض لي » قال : وفرض لي اي نقّطني يعني ما يحبه الناس للمغنين ويسمونه النقط (١٧ : ٩٨) وقد ورد هذا اللفظ كثيراً في اشعار المتأخرين قال ابن المرحّل المعروف بابن الوكيل المصري :

اتاه النسيم الرطب رقّص دوحَه فنقّط وجه الماء بالذهب المصري

(فوات الوفيات للكتبي ٢ : ٢١٨)

البطريرك اسطفانوس الدويهي

وتاريخ الازمنة

بقلم الاب فردينان توتل اليسوعي

١٦٣٠ م كان حبراً اعظم في رومة البابا اوربانوس الثامن ، وبطريركاً على الطائفة المارونية جرجس عميرة ، وسلطاناً في القسطنطينية مراد الرابع ، وامير نافذ الكلمة في لبنان فخر الدين المعني الثاني .

في تلك السنة ، في ٢ آب ، ولد اسطفانوس الدويهي في اهدن ، وسمي باسم القديس المعيد ذكره في ذلك النهار في السنكسار الماروني . ابوه الشدياق مخايل ، وامه الحاجة مريم ، من بيت الدويهي . تعلم مبادئ القراءة العربية في ظل كنيسة القرية سنة ١٦٤١ ، ثم سافر الى رومة ، فدرس في اكليريكيتها المارونية تحت ادارة الآباء اليسوعيين . وانتمى الى اخوية العذراء القديسة ، وكل برنامج الدروس كما كان في ايامه في التعليم مشابهاً لما نعهده اليوم في المعاهد الثانوية والعليا . ونجح نجاحاً اهله للوقوف في محفل علماء وكرادلة رومه مجادلاً ومدافعاً عن قضايا الفلسفة واللاهوت ، فنال شهادة الملفنة او الدكتوراه ، وعاد الى لبنان سنة ١٦٥٥ م ، ولم يستنكف عن تعليم الاولاد فافادهم واستفاد ، لانه في تعليمهم عوض عما نقصه من درس اللغة العربية ، وكان ضعيفاً فيها وقد هاجر من لبنان الى اوروبة وهو في السنة الحادية عشرة من عمره . فما عتم ان قبض على ناصية اللغة والمّ بالالفاظ ومعانيها ، وتمكن من الكتابة والخطابة بالعربية باسلوب وضاح شهي غير خال من الخلل في قواعد الصرف والنحو ، وغير عار من لون الابتكار ، على ما فيه من شتى المواد المأخوذة جماً وتصنيفاً عن الاقدمين .

وكان اسطفانوس الدويهي ، بين سائر كهنة زمانه ، ارقى علماً وفصاحة من ان يقارنه الكثير من امثاله . وكانت مدينة حلب اذ ذاك في عزها ،

وكنيسة الموارنة فيها تجمع نخبة المسيحيين الكاثوليك . فارسل اليهم واعظاً سنة ١٦٦٢ م في عهد الاسقفين جبرائيل ومخائيل البلوزاني ، واقام هناك الى سنة ١٦٦٨ م . ويتحدث الحلبيون الى يومنا عن اقبال المسيحيين في ذلك العهد لسماع عظاته ، فتضيق بهم الكنيسة فينقل المنبر الى جانب الباب ، ومنه يبلغ الصوت الى الجماعة الواقفين في الفسحة الخارجية ، وبينهم الكاثوليكي والغير الكاثوليكي . وقد طالعنا عند المثلث الرحمة المطران عبدالله الخوري مجموعة عظات ترجح الدلائل انها من قلم اسطفانوس الدويهي، وممايكون قد القاه في حلب .

وسنة ١٦٦٨ م زار الدويهي الاراضي المقدسة مع والدته «الحجة» ، وفي عودته الى لبنان سيم اسقفاً على ابرشية قبرس ، فجال البلاد « لافتقاد الرعايا » وجمع ما تسنى له ان يجمع من الآثار والكتب لوضع مؤلفه ، فابتدأ به في ٢ ايار سنة ١٦٦٩ م (١٠٨٠ هـ) وهذا التاريخ قرأناه محرراً باللاتينية في الصفحة ٤٧ من المسودة : incipit 1080 2 mai 1669

ولا نرى له تفسيراً في غير ما رأيناه اي انه دليل على توقيع المؤلف بذكر اليوم الذي سطّر فيه الصفحة قُبيل ان يأتي على الاخبار في ص ٤٩ .

وسنة ١٦٧٠ ، رفع الدويهي الى المقام البطريركي ، وظل فيه اربعاً وثلاثين سنة الى وفاته سنة ١٧٠٤ في ٣ ايار في دير قنوبين ، في الوادي المقدس .

وترك مؤلفات عدة ذكرها المطران يوسف الدبس في كتابه تاريخ سورية (٧:٣٠٩) والمطران بطرس شبلي في ترجمة الدويهي (الفصل العاشر ، ص ١٩٧ وما بعدها) فمنها المختصة بالمواضيع الدينية والطقسية ، ومنها التاريخية واشهرها تاريخ الازمنة ، وهو الذي نعرض للكلام عليه ، ونحن نستعد لنشره بلغته العربية ثم باللغة الافرنسية نقلاً عن العربية . ونشكر لقراء المشرق كل افادة يتكرمون بها علينا تساعدنا على القيام بعملنا حق القيام بعد اطلاعهم على المصاعب المعتورة طريقنا ، بسبب تعداد نسخ هذا الكتاب ، واختلاف بعضها عن بعض ، وصعوبة الحصول عليها وقراءتها في الخط الكرشوني المضطربة اصوله ، في تشابه الاحرف بين ك وع وخ وظ وج وغ وغير ذلك فضلاً عما يشكل امره من القراءات باهمال الناسخ او بتلف الورق مع مرور الزمان .

تاريخ الازمنة

هذا الكتاب جليل حقيق بان يعدّ من « اصول » تاريخ الشرق المعروضة لانحتها للنشر في برنامج النهضة التاريخية الحديثة [1] وان رشيد الشرتوني في سنة ١٨٩٠ ، اظهر تحت اسم الدويهي تاريخ الطائفة المارونية آخذاً معظمه عن تاريخ الازمنة . لكن الغاية منه لم تكن ابراز الكتاب كما هو في اصله ، فاقتصر على الانتخاب والنسخ والتصليح او التغيير بما رآه صالحاً لهدفه الخاص ، وهو تأليف تاريخ الطائفة المارونية ، ولم يكن بين يديه نسخة الدويهي الكاملة الاصلية بل المختصرة منها المحفوظة في « المكتبة الشرقية » تحت رقم ٣٦ وقد وصفها الاب شيخو في فهارسه ص ٢٣ وهي لطنوس الشدياق .

وسنة ١٩٣٢ وفقنا الى اقتناء نسخة من تاريخ الازمنة صالحة للنشر فاخذنا بنسخها او « بدقها » على الآلة الكاتبة ، ولم نسر بالعمل الا سيراً بطيئاً لصعوبة قراءة الكتاب بالخط الكرشوني المشوه بنخر الدود ، وعلى امل الحصول على غيرها مما يساعدنا على ضبط المتن كما كان في اصله .

ومن ثم تحقق الامل وتوافرت بين يدينا المخطوطات فاتينا نعرفها الى قراء « المشرق » ونحاول درس المشكل المطروحة عناصره بين يدينا من جراء الاختلافات الموجودة فيها فنحلّه ان شاء الله ، ونشكر لكل من يتفضل ويزيدنا تعليماً في الموضوع حتى اذا اقدمنا على طبع الكتاب بمتنه العربي وترجمته الافرنسية كانت جهودنا مكللة بالنجاح المرغوب فيه فلا نكون بعيدين كل البعد عن تحقيق الاماني بالقيام بهذا المشروع حق القيام .

نسخ تاريخ الازمنة

بين يدينا اثنتا عشرة نسخة من هذا الكتاب واليك لائحتها موسومة كل واحدة منها بحرف من حروف الابجدية اصطلاحاً وطبقاً للظروف التي وفقنا فيها الى الحصول عليها ، فنصفها بالايجاز قبل ان نأتي على الكلام في

---

١) راجع لامنس : المشرق (١ : ٢٦٢) – رستم والبستاني : لبنان في عهد الامراء . . . للامير حيدر . . . توطئة ص : ج بالمطبعة الكاثوليكية .

ايها تصلح للنشر ولا بد من معرفة وجودها هداية لمن يهمهم الوقوف على آثار الدويهي فيقصدون الى التفتيش عنها في مواطنها ، وصيانة لذكرها من الضياع على مرور الايام .

ا : نسخة المكتبة الشرقية ، ابتعناها من السيد يوسف صفير الكتبي في بيروت سنة ١٩٣٢ م . هذا الكتاب طوله ٣٠ ، وعرضه ٢٢ سنتمترًا ، جلده اسود ، ورقه عبادي ، صفحاته عددها ٢٩٩ ، وعدد الاسطر في كل صفحة ٢٧ ، وهو مكتوب بالكرشوني بالحبر الاسود ، وفيه تأثير الدود . نسخه الخوري الياس سركيس من قرية عابيه في ٨ شباط ١٧٩٧ م . فيه المقدمة ثم سرد الحوادث من سنة ١٠٩٤ م . الى سنة ١٦٩٩ م . وفيه تنقص بعض الحلقات من السنين .

ب : نسخة غزير خاصة ورثة المرحوم القس برزدوس غبيرة الراهب الانطوني . هذا الكتاب طوله ٣٢ ، وعرضه ٢٢ سنتمترًا ، جلده اصفر قاتم ، ورقه عبادي ، صفحاته ٤٤٢ ، وعدد الاسطر في كل صفحة ٢٦ ، حبره اسود ، كتابته بالكرشوني ، حالته جيدة . نسخه الخوري الياس سركيس سنة ١٧٨٠ « عن النسخة الاصلية » . فيه الحوادث من بدء الهجرة الى ١٧٠٣ م . وفيه نقائص اكثرها في الجيل الخامس عشر .

ث : نسخة بكركي تحت رقم ٤٧ هذا الكتاب طوله ٣٠ ، وعرضه ٢٠ سنتمترًا ، جلده احمر اصفراني ، ورقه عبادي ، صفحاته ٣٤٩ ، خطه كتابي عربي واضح جميل ، حبره احمر واسود . نسخه الخوري بولس برهوش من قرية ساحل علما في ١٥ حزيران ١٨٥٤ . فيه الحوادث من بدء الهجرة الى السنة ١٦٩٩ م .

ف : نسخة الفاتيكان تحت رقم 683 بين يدينا صورتها الفوتوغرافية ، نسخها بالكرشوني ، سنة ١٧٠٠ ، الشدياق يوسف بن حبقوق من قرية بشعلة فيها المقدمة وبعدها الحوادث من سنة ١٠٩٤ م الى ١٦٩٩ م . وخطها حسن سهل القراءة .

ه : نسخة الفاتيكان تحت رقم ٣٩٤ ، بين يدينا صورتها الفوتوغرافية ،

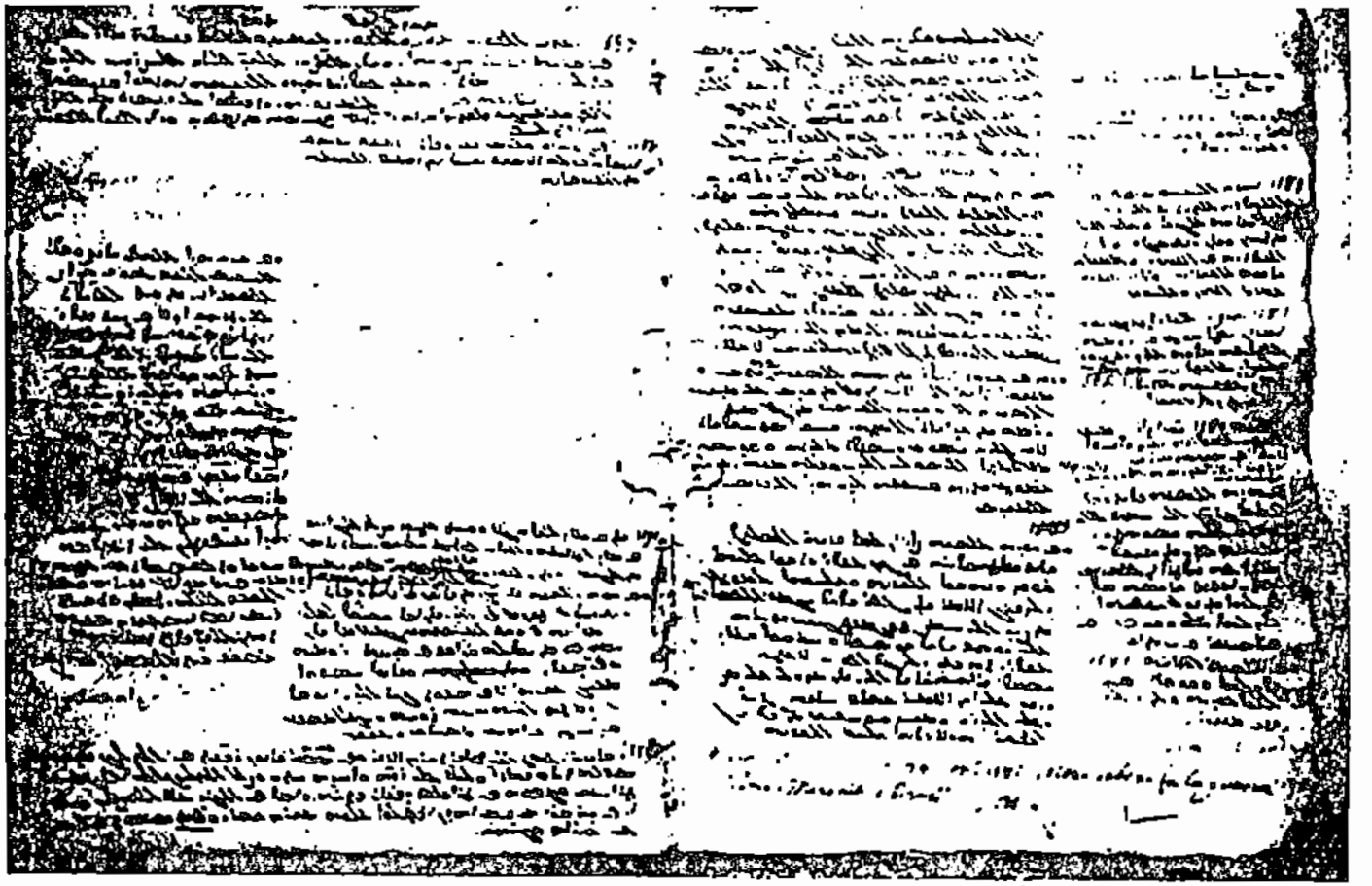

الصفحتان ٢٥٨ و ٢٥٩ من المسودة (م)

وهي بالخط الكرشوني وليس فيها توقيع الناسخ ولا تاريخ النسخ. فيها المقدمة والحوادث من ١٠٩٤ م. الى ١٦٩٩ م. وخطها حسن سهل القراءة.

ط: نسخة القس اغناطيوس طنوس كفرشخنا اللبناني، بالخط الكرشوني والحبر الاسود والاحمر، على ورق عبادي بقلم الخوري مارون اشقر الشبابي في ١ آب سنة ١٨٨١ م. عدد صفحاتها ٣٩٤، اسطرها في الصفحة ٢٧ على عمودين.

وفيها الحوادث من بدء الهجرة الى سنة ١٦٩٩ م وذيل فيه ذكر حوادث سنة ١٧٣٠ والكتاب بحالة جيدة مجلد بجلد اسود منمق طوله ٣٢،٥، عرضه ٢٣،٥٠ سنتمتراً، خطه حسن سهل القراءة.

ظ: نسخة المكتبة الظاهرية في دمشق (عام ١٧٤١) اتمها عن يد السيد فيليب دي طرازي، وصفها السيد يوسف العش في كتابه «وصف مخطوطات الظاهرية» ورقها عبادي، بدؤها في الهجرة، آخرها سنة ١٦٧٥ م، والحقت بها اخبار سنوات اخرى الى سنة ١٧٣٢ م والكتاب بالخط العربي من يد لويس التبرصي بن يوسف الفرنجي من الارتبكا في قبرص برسم الشيخ كسروان الخازن مؤرخ بسنة ١١٨٩ هـ ١٧٧٦ م. سهل القراءة.

ع: نسخة الآباء اللعازريين في بيروت، بالخط الكرشوني الحسن ورقها عبادي بدؤها مع الهجرة نهايتها سنة ١٦٩٩ م وفيها «المقدمة» في ص ١١٩ وما بعدها، وهي من قلم منصور بن يوحنا الحكيم من قرية غوسطا، انتهى منها في ٣١ حزيران نهار الثلاثاء سنة ١٨٨٤ م.

ل: نسخة الكريم للمرسلين اللبنانيين بالخط الكرشوني طولها ٢٩، عرضها ٢٠،٥٠ سنتمتراً، صفحاتها ٣٦٧، بدؤها مع الهجرة نهايتها سنة ١٦٧٥ م. وفي ذيلها اخبار بعض السنين آخرها سنة ١٨٠٠ م. ولا يذكر ناسخها ولا تاريخها، ومن ورقها يظهر انها حديثة.

و: نسخة المكتبة الوطنية في بيروت، دخلتها حديثاً وهي ناقصة في بدئها ونهايتها وهي بالخط الكرشوني تتناول الاخبار من سنة ١٠٩٤ الى ١٦٩٩، ولا فرق يذكر بينها وبين نسخة «ا» «ف» «ن».

ك : نسخة الفاتيكان تحت رقم ٢١٥ ، بين يدينا صورتها الفوتوغرافية وهي بالخط الكرشوني وبحالة سيئة تتعذر على العين قراءتها في مواضع كثيرة . وفيها تشطيب وتصليح وتعليق مما يدل على ان يد المؤلف قد اعملت فيها القلم اولها بدء الهجرة وآخرها سنة ١٦٨٦ م .

وهناك نسخ مختصرة عن تاريخ الدويهي منها التي ذكرناها وهي في المكتبة الشرقية وغيرها في المكتبة الاميركية ببيروت وغيرهـا في مكتبة مونيخ (باڤاريا) وغيرها كانت سنة ١٩٣٢ عند السيد فؤاد خطار في عينتورين وكلها اخذاً عن الشماس انطونيوس ان الشيخ ابو خطار الشدياق من بيت الحاج عبد النور من قرية عين طورين في جبة بشري .

م : المسودة بخط المؤلف تحت رقم ٤٨ كذا عنونها المطران بطرس شبلي مترجم الدويهي ، وقد قابل بين الخط فيها وفي سائر آثار الدويهي الخطيـة (منها المواعظ المحفوظة عند المثلث الرحمة المطران عبدالله الخوري) وانك عند مطالعة هذا الكتاب في متنه وحواشيه واستدراكاته وتصليحاته لا تشك بانه من قلم المؤلف ذاته ، قلما يكون في بعض اجزائه ، ولا بـد من وصفه بالتفصيل لما له من الاهمية في اعتمادنا المتن الاساسي للنشر .

« المسودة بخط المؤلف »

كذا عنوانها في مكتبة بكركي كما قلنا ، فهي ليست كتاباً واحداً بل مجموعة اوراق وكراريس متفاوتة الطول والعرض بعض التفـاوت تقارب ٢١ سنتيمتراً طولاً و ١٥ عرضاً . عدد صفحاتها ٣٠٨ تتخللها صفحات بيضاء منها بالورق العادي ومنها بالورق العبادي ، وكلها محررة بالخط الكرشوني الا صفحة واحدة بالعربي (فيها مديح مدينة حلب شعراً ص ٢٠٥) وفيها على الهامش ، وخلال الاسطر بعض الكتابات باللغة اللاتينية ، وكذلك رقم السنين بالارقام الافرنجية ، ولا تاريخ لها في اولها ولا في آخرها وليس عليها اسم المؤلف ولا المحرر ، وورقها الرقيق متهرئ بالرطوبة ، ويتمزق بين انامل القارئ اذا لم يعالج بغاية العناية .

ولا بد من وصفها الوصف المفصل لتكون على بصيرة من امرنا ، اذا اقدمنا على اختيار المتن الواجب اعتماده في نشر وترجمة تاريخ الازمنة .

ص ١ : فيها بدء الكتاب كما في ب ت ن ط ظ ل ع و .

ص ٢ : مقدمة الصفدي .

ص ٣ الى ٤٦ : الحوادث من السنة ٦١١ الى السنة ٩٩٨ ميلادية في صفحات قسمت على عمودين رقمت فيها التواريخ اكثرها بالرقم الافرنجي ، وقد يختص العمود الايمن حيناً باخبار المسيحيين وحيناً باخبار المسلمين وخلال الاسطر في صفحتي ٣ و ١٢ يأتي اسم TEOPH وقد يكون تيوفانوس المؤرخ البيزنطي الذي عاش في القرن الثامن الميلادي والف تاريخ السنين من ٢٨٤ الى ٨١٣ م.

ص ٤٧ و ٤٨ : جدول السنين الموفق بين تاريخ الهجرة والميلاد وخلق العالم مع لائحة الاشهر الميلادية والهجرية.

ص٤٩ : لائحة مؤلفات قد تكون هي المصادر التي اخذ عنها الدويهي واليكها :

« الكتاب الثاني الذي يتكلم ايضاً من امارة الترب التتوخي

فبدؤه من سنة خمسماية و ٣٧ للهجرة (١١٣٣ م) الى سنة تسعماية و ٢٢ (١٥١٦ م) فيحتوي ولاية اربعماية سنة من ملوك دمشق ومصر والترك وامارة الترب التتوخي

وكتاب دوحة الازهار الاسحاقية يبتدئ من بدئ المهاجرة الى سنة الف و ٣١ للهجرة

= المؤرخون =

قطب الدين اليونيني صنف اربع مجلدات من الذيل حوادث ٧٢٠ سنة من سني الهجرة

تاريخ مراة الزمان مبسوطة نحو ثلاثين مجلد كبار

وتاريخ المختصر في اخبار البشر لابن ايوب صنفه عماد الدين اسماعيل بن الملك الافضل ابن ايوب وتاريخ القاضي شمس الدين خليقان

وعيون التواريخ للشيخ المؤرخ صلاح الدين محمد بن شاكر الكتبي

وتاريخ المسعودي انقطع سنة ٣٣٦

وتاريخ الكاتب جرجس بن العميد النصراني

تواريخ حمزة بن احمد بن سابط من بلاد الغرب من ثغر بيروت من سنة ٥٣٧ الى سنة ٩٣٢ للهجرة (وابن الحريري) [1]

تواريخ غوليلموس مطران صور من دخول الفرنج الى بلاد الشام الى سنة ١٨٣ مس .

---

١) ان ما وضعناه بين هلالين جاء على الهامش في المسودة دليلاً على ان المحرر وضعه بعدما اكمل متن الصفحة .

الصفحة ٣ من مخطوطة المكتبة الشرقية (١)

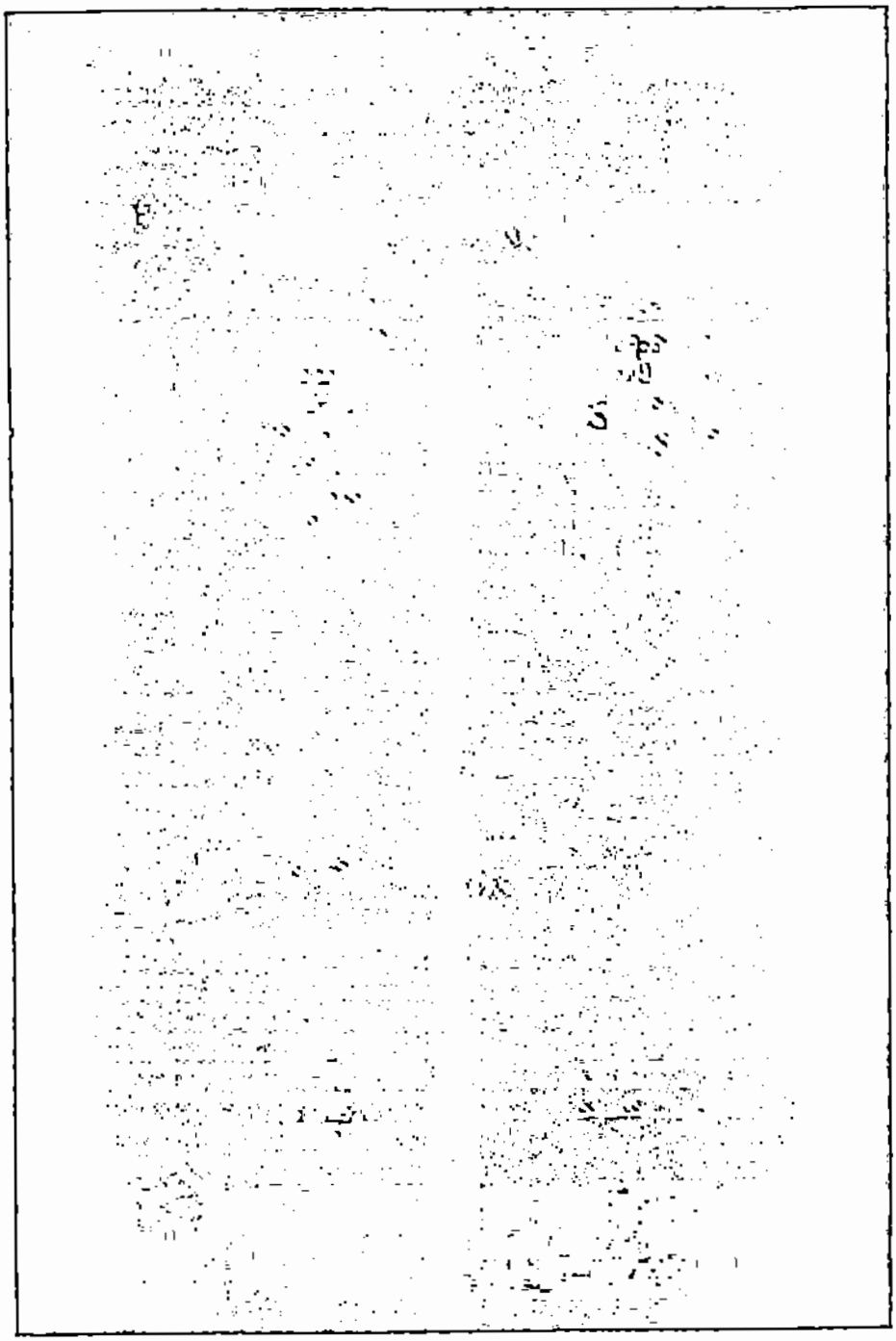

الصفحة ٣ من مخطوطة المكتبة الفاتيكانية (ف)

تواريخ لوريدان عن ملوك قبرص من بلدوين الابرص وغير ذلك من كتب التواريخ المتضمنة حوادث الزمان : [1]

ص ٤٩ الى ص ٨١ : رؤوس اقلام مختصرة عن ابن العميد وابن الجوزي من سنة ٩٣١ م الى ١٠٩٧ م

ص ٨١ الى ص ٨٧ : ذكر الحوادث من ١٠٩٧ م الى ١١١٨ م دون الاشارة الى مصدرها .

ص ٨٧ الى ص ١٥٧ : موجز تواريخ ابن سباط .

ص ١٥٧ الى ص ١٥٩ مختصر اخبار سلاطين بني عثمان اخذاً عن الاسحاقي

ص ١٦٠ : حكم واقوال سطرها المحرر ولا علاقة لها بالتاريخ .

ص ١٦١ : صفحة فيها اخبار بيت جبيش التركماني من سنة ١٥١٦ م .

ص ١٦٢ : جاء فيها على الهامش : « من تاريخ احمد بن محمد الخالدي من اهالي صفد والشيخ ابو نوفل الخازن » ومن هذه الصفحة الى ص ٢٠٠ سياق الاخبار من سنة ١٥٩٠ م الى السنة ١٧٠٣ م فتكون هذه المحررات ذات التاريخ المنوه به في تاريخ الصفدي الذي نشره رستم والبستاني [2] .

فلم « يُفقد » .

ص ٢٠٤ : طريقة معرفة التاريخ الميلادي بالمقابلة مع اليوناني والقبطي والهجري .

ص ٢٠٥ مديح مدينة حلب .

ص ٢٠٨ الى ٣٠٨ : الاخبار من سنة ١٥١٧ م الى السنة ١٦٧٣ م

تلك هي مجموعة مخطوطات تاريخ الازمنة ، وان في فحصها والمقابلة بينها يتولد السؤال . هل هي من آثار الدويهي أو من آثار غيره ؟

ان اسمه ليس موقعاً بيده على نسخة من تلك النسخ ، واذا قرئ في ابتداء بعضها فهو محرر بيد غير يد المؤلف فنسخة ن الفاتيكانية الراقي عهدها الى ست سنوات بعد موت الدويهي جاء فيها بعد البسملة : « تبتدئ كتاب

١) قد تؤدي هذه اللائحة مادة لدرس لا محل له في هذا المقال

٢) تاريخ فخر الدين للخالدي الصفدي (نشر اسد رستم وفؤاد افرام البستاني) بيروت ١٩٣٦ ، ص : ب ، يد .

التاريخ للاب الاقدس والسيد الكامل الانفس البطريرك مار اسطفانوس الدويهي المدناني. . . » وكذلك ايضاً سائر النسخ الغير الناقصة في بدئها • مما يدل على ان الكتاب لم يصدر بكماله من قلم الدويهي ، ومع ذلك فهو منه ، وقد نسبه اليه النساخ اجمعون والمسودة التي وصفناها لا تترك مجالاً للشك في انها سطرت بيراعته وفي « المقدمة » على سنة ١٠٩٤ م قال : « لما خرجنا سنة ١٦٦٨ الى افتقاد الرعايا الذين اوقفنا على زيارتهم لئلا نهدر باطلاً الزمان الذي يفضل عن الارتشاد استصوبنا التقاط بعض اخبار تخص هذه البلدان المقيمين بها من الكتب التي نقف عليها . . »

فالكتاب من الدويهي ويجوز لنا ان نستند الى الحاشية التي قرأناها في ص ٤٧ من المسودة جاء فيها باللاتينية incipit 1080 2 maii 1669

فنقول انه اخذ بالتأليف سنة ١٦٦٩ م في ٢ ايار ، وذلك سنة بعد عودته من « افتقاد الرعايا » ولكن من المرجح انه لم يأت على الكتاب بكماله من غير ان يستعين بكاتب او مساعد واشغاله مطراناً اولاً ثم بطريركاً لم تكن لتترك له مجالاً واسعاً للتحبير والتصليح ، فينصرف اليه ما استطاع ويترك لغيره مهمة النسخ الى ان يبلغ الينا تاريخ الازمنة بالمخطوطات التي ذكرناها فالدويهي مرجعها الاصيل ومؤلفها بحصر المعنى.

اما بعد فاي مخطوطة منها تكون احق من غيرها بالنشر والترجمة ؟

ان الاثنتي عشرة نسخة التي وصفناها تقسم الى فرعين : الاول يتناول الحوادث من بدء الهجرة الى سنة ١٧٠٣ م والثاني من قدوم الافرنج للحروب الصليبية في بلادنا سنة ١٠٩٥ م الى سنة ١٦٩٩ م.

اما الفرع الاول فيشمل كما رأيت نسخة ب ث ط ظ ع ك ل م والجزء الثاني يشمل نسخة ا ق ن ز .

واننا في معالجتنا الكتاب رأينا ان ننشر ونترجم الجزء الثاني للاسباب التالية :

١ً هذا القسم من تاريخ الازمنة قال فيه الدويهي : «تعبنا عليه بزيادة»[1]

---

(١) راجع الدبس : تاريخ سورية الجزء ٦ المجلد ٧ والمطبعة العمومية في بيروت ١٩٠٣ ، ص ٣١٠ سطر ٥ و ٦

٢ً ان نسخه الاربع التي بين يدينا متطابقة التطابق الحرفي التام الا في بعض القراءات الطفيفة المسببة من النساخ ، او في بعض ما يكون ناسخه قد اهمل تدوينه من حلقة سنة سقطت في مخطوط من هذه الاربع المخطوطات وظهرت بالثلاثة الباقية . وقد يتعذر تفضيل نسخة منها على غيرها لشدة تطابقها غير اننا اتخذنا نسخة ا اساساً للعمل ، وان تكن اقرب الينا عهداً من نسخة ف الراقية الى ٦ سنوات بعد وفاة الدويهي ، لاننا كنا نسخناها اولاً ، ثم تحققنا من ثم انها لا تختلف مع ف اختلافاً يستحق الذكر.

٣ً ان تطابق ا ف ن و التام دليل على ان هذا المتن المعتمد عليه من ايام المؤلف ونشره يغني عن نشر السنين الموازية له في سائر النسخ وقد يردنها حرفياً او بمعناها .

ولم نقدم على نشر الجزء الاول للاسباب التالية :

١ً ان نسخاته ناقصة ، كما رأيت ، او اذا تكملت طابقت ا ف ن و بين سنة ١٠٩٤ م وسنة ١٦٩٩ م فاغنت هذه عنها في السنين المذكورة .

٢ً تلك النسخ عسير التوفيق بينها لما يعتورها من النقائص او الزيادات ولو نمت عن تعليقات قد تكون من يد المؤلف.

٣ً ان المسودة م هي في بعض تقاطيعها من يد المؤلف لكن قد يكون بعيداً عن الصواب اتخاذها اساساً للنشر لانها كما رأيت بعضها رؤوس اقلام اخذاً عن المؤلفين الذين اعتمدهم الدويهي فلا فائدة مثلاً في نشر خلاصة ابن الحريري وابن سباط والاسحاقي وهي في المسودة كالمراجع التي يعتمدها الكاتب لنفسه لا لقرائه . وهي في زبدتها محررة في ا ف ن و على اننا قرأنا في اجزائها المحررة بيد المؤلف والقريبة العهد منه او حدثت في ايامه ، بعض زيادات او تعليقات لم نجدها في ا ف ن و فاتخذناها مادة للحواشي في ذيل الكتاب .

ولا يلومنّ لائم بابرازها « منتخبات » من المسودة لاننا لم نعتمد الا نشر ا ف ن و والله الموفق الى الصواب.

لسان العرب

حول كتاب الاب مرمرجي :

«هل اللغة العربية منطقية ؟»

بقلم منصور ابي صالح

نشأ لسان العرب ، ونما ، واعتقل . وها هو يتحرّك لينطلق من جديد اداةً صالحة لأداء وظيفتها اما طور الاشوء فهو متوغلٌ في القدم حتى يرجع الى ما قبل سام وحام ويافث ، يوم كانوا يتفاهمون بلسان واحد .

واما عهد النموّ فقد ادّى لسان العرب الواجب المطلوب من كل لسان ، فعبّر عن فكر العرب ، ونقل اليهم علوم العصور والامم ، وحفظها وديعة تتسلمها منه الشعوب التي كتب لها القدر تزعم العالم والسير في الطليعة .

واما عهد الاعتقال فله فيه مزيّة حفظ حيويته الكامنة فيه ، كعصار الشجرة المتوقف في فصل الجمد الى ان يطلّ الربيع فيدبّ الى الحياة . هكذا تغلّبت في لسان العرب مزايا البقاء على عوادي الفناء ، فلم يحلّ به ما حلّ بالالسنة القديمة كالسنسكريتية والبونانية واللاتينية ومجمل اللغات السامية – الحاميّة .

ومن اهم اسباب منعته :

١ً – كونه لساناً بعيدًا بطبيعته عن الالسنة الهندية – الاوربية السائدة حالًا ، فلمْ ولنْ يسهل عليها التغلب عليه في عقر داره .

٢ً – كونه لساناً مقدّساً باعتقاد الاكثرية الساحقة من ابنائه فلا يسهل لاحدى اللهجات الخاصة (كالعراقية والشامية والمصرية والمغربية) ان تستقل عنه وتؤلف لغات جديدة تحلّ محله ، كما جرى للغات الهندية – الاوربية .

واما تغلبه على سائر الالسنة المصطلح على تسميتها بالسامية او السامية – الحامية كالارامية (السريانية والكلدانية) والعبرية والكنعانية او الفينيقية وسواها فلأنها كلها شقيقاته حتى يمكن القول انها كلها تؤلف معه لساناً

واحدًا بمفرداته وصيغه الاسمية والفعلية ، ولا تختلف عن بعضها الا بمفردات قليلة ولهجات متفاوتة تبعاً لاقطاره بين فتح وضم وكسر ، فالباب يلفظه اللبناني الشمالي « بُوب » وهي اللهجة الموروثة عن الكنعانية ، والجنوبي الشيعي « بيب » ، وسواهما « باب » ؛ وبين الابقاء على حركة الاعراب المنونة : بابٌ – باباً – بابٍ (وهو الترنم البدوي الباقية آثاره في :

« اقلني اللوم عاذل والعتابْ
وقولي ان اصبت لقد اصابْ »

وفي : « وقاتم الاعماق خاوي المخترقْ
مشتبه الاعلام لماع الخفقْ »

الى آخر القصيدتين) . . . او اهمال الحركة والتنوين معاً وهي قاعدة الجزم الارامية المطّردة فكل اسم منتهٍ باطلاق الصوت في آخره يجوز به حذف الف الاطلاق والوقوف به على السكون فلديهم :

يومُا (السريان) يومًا (الكلدان) ويومْ .
وبيتُا («) بيتًا («) وبيتْ
ونفشُا («) نفشًا («) ونفشْ الخ .

ويمكن القول بالنتيجة ان لسان العرب لهجة سامية – حاميّة تغلبت على سائر اللهجات بحكم القرابة والسهولة اولاً ، وتغلّب الامة العربية ثانياً . والا فكيف امتنع على الفارسية واليونانية واللاتينية والتركية وسائر لغات الامم الفاتحة ان تتغلب على اللغة الوطنية وقد سادت تلك الامم ولا سيما اليونان والرومان على البلاد العربية (اليوم) احقاباً متطاولة قد تزيد كثيراً على المدة التي استطاعت اللغة العربية ان تتغلب فيها على اللغات الوطنية .

واما عهد النهضة وفكّ العقال فلا يزال في مبتداه وقد طرق بابه المستشرقون القائمون بخدمة حكوماتهم اطلاعاً لها على ما يهمها من امور الشرق ، فدرسوا الالسنة الشرقية على اساليبهم الخاصة ، ففتحوا بذلك ابواباً جديدة للدرس والبحث ، والعلم لا وطن له ولا جنس ، ويضيق المجال عن التبسط في البيان عنهم وعن الخدم الجليلة التي ادّوها .

ومن حسن الحظ ان سرت الينا العدوى وامتدّت الشعلة فبدأ بعضنا بالروية

والتنقيب من الشدياق الى اليازجي وزيدان وامثالهم . فكان لهم فضل المتقدم الحامل اللواء او قائد الحملة ، وحسبهم النهوض بالدعوة وتنبيه الافكار الى النزول بالمضمار . فحق لهم الشكر والاجر سواء توفقوا ام اخفقوا . بل المخفق اجران عن جهده وبلائه وعن مرارة اخفاقه .

ومن المتقطعين لهذا البحث حضرة الاب مرمرجي فقد آمن بالقاعدة الثنائية ، وانكب على درسها لاعتقاده انها « من انجع الذرائع لاصلاح المعجمية العربية» (صفحة ٦ من كتاب المعجمية العربية المنشور سنة ١٩٣٧) ولهذا نشر كتابه الثاني « هل العربية منطقية ؟ » وهو موضوع هذه الكلمة :

١

موضوع الكتاب

أ - ابحاث ثنائية

قال المؤلف : « ان المعجمية العربية لا منطقية لانها مبنية على قاعدة جعل المادة الثلاثية مبدأ لتفرع المفردات

غير ان هذه الخطة المعيبة ظاهرية من شأنها الزوال اذا تغير وضع المعاجم واقيم اسها لا على الثلاثية بل على الثنائية .

هذا ما حاولنا اثباته في كتابنا « المعجمية العربية » وهذا ما نحن غير منفكين عن السعي في تحقيقه . وها نحن نسرد طائفة من الامثلة تظهر فيها اللامنطقية طالما هي باقية على الحالة الثلاثية وتتجلى فيها المنطقية التامة حين معالجة اشتقاق الالفاظ وتطور فحاويها طبقاً للنظرية الثنائية » (صفحة ٤ من الكتاب)

وحلّل نحو عشرين لفظة تحليلاً مفصلاً ، وتطرق استطراداً اثناء اتجاهه الى نحو مئتي لفظة .

وقد بدأ الكتاب بالافعال « ساد ، خدر ، هلب ، رجم ، حرب الخ . . . » فرأى في معانيها تبايناً وتنافراً وعدم منطقية حين بقائها على حالتها الثلاثية . بيد ان ذلك يتلاشى دون مرية فتبرز المنطقية للعيان اذا بدأنا الاشتقاق من الثنائي (ص ٦ و ٨ سد . ص ٦ خد — ص ٨ هل . وج — حر الخ)

وان الثلاثي غير ناشئ عن ثنائي واحـد بل عن ثنائيين او ثلاثة كَلَم وضَعُفَ وطلع ونهر وهلب الخ .

مثاله :

هلب = كثر شعره من لب بمعنى التلبد بزيادة الهاء تتويجاً

هلب = نتف ، جزّ من هب بمعنى قطع بانزال اللام اقحاماً

هلب = امطر من هل المطر بمعنى اشتد انصبابه باضافة الباء تذييلاً

وهكذا بسائر الامثلة وهي طريقـة Mayer Lambert يراجع (Moscati) ويجاريه عليها الشدياق (سرّ الليال ص ٤) ثم اليازجي (في الامالي اللغوية) ثم زيدان في (الفلسفة اللغوية ص ٥٧)

٢ً – الثنائية مبطلة الضدّية واصل مادتها

ثم عقد المؤلف فصلين احدهمـا رأى به الثنائية مبطلة للضدية اي وجود كلمات كثيرة كل منهـا بمعنيين متعاكسين مثل (الجون) المراد به الاسود والابيض معاً ... وان من جملة الوسائل لمحو الضدية ردّ مادتها الثلاثية الى ثنائيين يكون كل منها اصلاً للثلاثي في احدى الدلالتين (ص. ١٣٥) وهو تزكية لما سبق له (ص ١٢) وضرب على ذلك امثالاً غير قليلة اولها :

ابض = سكن وتحرك – ضد

فقال ان ابض في المعنى الاول صادر عن الثنائي « بضّ في بضا وباض » اقام في المكان وسكن وبالمعنى الثاني من « ابّ الشيء حرّكه » الخ ...

٣ً – الثنائي اصل الثلاثي والرباعي

وثانيها اثبت فيه « ان الثلاثي المعاد اليه الرباعي قابل الرد هو ذاته الى ثنائي وان الثنائية هي الاصل وما البقية سوى فروع او مشتقات منها » (ص ١٤٥) مثاله : دحرج = مشتقة من دحر المشتق بدوره من دح ودحا

ولا تفوتنا الاشارة الى ان المؤلف بكل ابحاثه لم يقتصر على العربية بل قارن بينها وبين سائر اللغات السامية من اكدية (البابلية – الاشورية القديمة) وأرامية (كلدانية وسريانية) وعبرية وحبشية . وفي هذا من النصب والجهد ما فيه .

٢

نشوء اللسان

المذهب المعوّل عليه قديماً وحديثاً عند العرب والعجم هو ان اصل اللغة الطبيعية الاصوات الحيّة في الحيوان والانسان .

قال الاب لار : « ليس الولد يتكلم بل هي الطبيعة تتكلم بلسانه»[1] ثم تدرج الانسان الى تقليد الاصوات الجامدة كدق الحجر وخرير الماء ودوي الريح الخ . ثم ولدت اللغات عن ذلك فيما بعد[2] .

ثم تطورت وتعددت الى ان بلغت ما هي عليه اليوم . ولكنّها لم تخرج عن السنن الفطرية الاولية الّا ما وضعه العلماء بالنص وفي الغالب لم يخرجوا به عن السليقة ، وعلى هذا يستحيل التمحل باللغات والا انتهى التمحل الى غرائب مضحكة تذكرنا « الانداس من التدليس »

أ - نشوء الاحادية

قال فريق ان اللغة نشأت احادية وان كل حرف يؤدّي معنىً خاصاً به . وبالواقع فان ضمير المتكلم بالاشورية والمصرية القديمتين « أ » لا اراه بعيداً عن لغة العرب في قولهم افعل فهذه الهمزة حالّة محل « أنا » . وقد لاحظت ولداً لم يتجاوز السنتين يقول « أأضربك » بمعنى « أنا اضربك » جواباً لمن قال له « سأضربك » . ولا شك بانه لم يسمع ذلك من احد بل هو ينطق بالسليقة الغريزية وقد سمعته ايضاً يختصر الالفاظ الطويلة فيسمي البندورة « بونا » والقراصية « ديسا » بحيث كوّن لنفسه لغة خاصة يفهمها ذووه وحدهم .

وعليه كان المذهب الاحادي غير مستحيل وقد قال به الكثيرون وآخرهم المرحومان حبيب الشماس وتلميذه الدكتور ايلي كنعان وكانت تركتها بهذا الموضوع مندمجة ببعضها لدى ورثة الثاني اطلعت عليها على اثر وفاته ، ثم لدى اطلاعي عليها من عهد قريب اذا بخطوط المرحوم الدكتور كنعان وحده فاقتبستُ منه ما يلي :

١) الفلسفة للاب لار (طبعة ٨) ج ١ ص ٢٠٤

٢) ابن جني

ب = صوت ماء نابع = مخرج طريق بيت
ت = التراب اليابس
ث = صوت السائل المبثوث تحت ضغط = ماء يتفجر
ج = اجيج جلبة
ح = صوت حفيف = رحب اتساع
خ = رخو لزج
د = صوت الدبيب والثقل والتصدي
ر = صوت الماء الجاري المكرر = التكرار
س = صوت احتكاك الرمل بالرمل والسير على الحصى الدقيق الناعم (اضعف من الزاي)
ش صوت الحشيش اليابس = الجفاف والنشاف
ص = صوت الصوان = قاس
ض = صوت الضوضاء
ط = الصوت الوطيء
ع = صوت ماء عالٍ = اشعاع اضطراب
غ = صوت غموض عدم وضوح = ابهام
ف = صوت زفزفة وتطيب = فوران نار او هبوب ريح
ق = صخر = قوة ثقل
ك = اضعف من القاف
ل = صوت تجمع وتلوّ = حرف جرّ
م = صوت تسكين، سكون اجتماع، سكون مياه مجتمعة
ن = صوت الماء والهواء المحصور المتحرك
ه = صوت الهواء . العدم

وقد قال الشدياق بالاحادي . وانّ المعاني التي عينها لبعض الاحاد توافق ما اقتبسناه عن كنعان والشماس، وكذلك ما ورد للبستاني (الخوري بطرس) في مقدمة البستان، وما قاله اخيرًا المرحوم نجيب خلف من ان النون يفيد

معنى الخروج والظهور . والزاي : التضيّق والتلزز . والميم : الضم والجمع . والراء : التكرار .

وقد روى لي شقيقي يوسف ، وشهادته مما يؤخذ به ، انه اجتمع بصديقه المرحوم الدكتور كنعان في طرابلس وتباحثا في الموضوع فاخذ يوسف المعجم يقلبه في مواضع مختلفة ويسأل الدكتور عن معاني الغريب فيه فيجيبه الدكتور عن معنى كل حرف بحيث يتألف من المجموع معاني الالفاظ وفقاً لما ذكر في المعاجم واذا به يقتنع .

بعد هذا ارى المذهب الاحادي ليس غريباً عن المعقول .

ولكن يبقى علينا ان نعرف هل يعقل ان تردّ كل الالفاظ الى الاحادي . والا فما هو الحد الذي تقف عنده .

انني لا اتردد بالجواب ان من المعقول طبيعياً ان تكون البشرية عهد طفولتها نطقت بالاحادي نطقاً اولياً لا يتعدّى الالفاظ المادية البسيطة على نحو قول الولد عفواً « أأضربك » ، أأكل ، أأشرب ، أأنام . وكل هذه الالفاظ سمعتها منه .

فعلى هدي هذه الفطرة الطبيعية يجب درس اللغات .

وقد قال بعضهم ان اللغة الاولية اقتصرت على بيان الضروريات من المعاني الوجدانية والطبيعية وبعض الافعال والاسماء الكثيرة العروض في التقلب والمعاش في احوال البداوة الاولى وهو الصواب ولا يجلوه الا تتبع اللسان كلمة كلمة .

٢ – نشوء الثنائي

ان القول بالاحادي لا يعدو الاحرف والالفاظ المركبة منها تركيباً اشبه بالاصوات الموسيقية دون المنطقية ، ولا شك أن معانيها تدرجت مع الاستعمال الى شيء من الاستقرار والتمييز بحيث اصبح للالفاظ المعاني التي توصل اليها الشماس وكنعان . الّا ان ذلك لا يمنع ان تكون نشأت على الاثر قاعدة جديدة ثنائية فالطفل الذي يقول (أ) اذا ما كبر ترشده الطبيعة الى تقليدها وايجاد حرف ثان يتصل بالاول فيقول أنْ او انا او سوى ذلك عفواً : بر ثر . قد شد الخ .

وهكذا نشأ الثنائي متحرك فساكن ، ودلّ على معانٍ عديدة لم يتيسر للغة

الاحادية التعبير عنها . وقد قال بالثنائي جلة الباحثين من المتقدمين والمتأخرين بين عجم وعرب ومنهم حضرة المؤلف وما هو بالاخير .

(يراجع الشدياق في سرّ الليال واليازجي في الامالي اللغوية وزيدان في الفلسفة اللغوية وقد سبقهم الى كل ذلك المستشرقون)

واذا كان الاصل الثنائي ثابتاً بالاتفاق فيبقى نشوء الثلاثي منه عقدة العقد تتضارب فيه الابحاث وكلها لم تؤدِّ الى نتيجة .

وقد مرّ بالقارئ اعتماد الاب مرمرجي على الحرفين الاولين واعتبار الحرف الثالث مزيداً اولاً او وسطاً او اخيراً موافقاً من سبقه بهذا الرأي .

وليس من الصعب ايجاد امثلة على ذلك كما ورد للمؤلف في هلب وامثالها وكلها لا تخرج عن التخمين والتحكم ، خلافاً لما تقدم من ان اللغات تنشأ نشوءاً طبيعياً مطّرداً الا لعائق لفظي او معنوي يميل باللسان الى الشذوذ بحيث يبقى الشذوذ امراً معقولاً له سبب مبرر .

اما ان نعرض لكل لفظة حلاً خاصاً بها فشيء خارج عن السنة الطبيعية .

٣ – نشوء الثلاثي من الثنائي

اما القاعدة الصحيحة فقد طرق بابها اليازجي ووضع يده على المفتاح ثم اقفل على نفسه دون ان ينتبه لها وذلك انه اشار الى النحت في الثلاثي وضرب امثلة (على النحو الذي يقول به الاب مرمرجي) فقال : نبض الماء اذا سال يصحّ ان يكون من نضّ بزيادة الباء او من بضّ بزيادة النون او من كليهما بان نويَ تركيبها معاً وجعلها كلمة واحدة ثم حذف احد المتماثلين وهو الضاد . واضاف : « بعق » من بقّ وعقّ ، وبعج من بعّ وعجّ ، وعبط من بطّ وعطّ ، وبتك من بتّ وبكّ ، وقش من قمّ وقشّ الخ . . . ولعمري ان ذلك كله غير طبيعي ولا معقول اذ ايّ بدوي يحضره اللفظان « نضّ وبضّ » فيعالج لسانه ليسقط الضاد الاول ويقول نبض واذا فعل الا يأتي سواه فيبدأ ببضّ ويسقط ضاد نضّ فيصبح لديه بضن . فالطريقة الطبيعية للعامّة ان يجعلوا من نضّ بضّ نضبض ومثله بعبج وبقعق وبتبك الخ .

وواصل اليازجي بحثه فوقع على المفتاح في انح : زحر من انّ ونحّ الا

انه تابع قوله : وان شئت جعلته من اخ ونخ قدل على انه لا يزال يضرب في الحدس والتخمين. ثم اشار الى « عبر النهر » : قطعه قائلاً « انه اشبه ان يكون مأخوذاً من العباب والبر لان العابر يقطع الماء الى البر »

وهذا هو الصواب لان المرء يقول بالسليقة نبّ . بضّ ثم يتدرج اللسان بالتمادي الى القول نبض .

والمتثبت من ذلك يمكن الرجوع الى اي مادة شئت في اللغة ولنبدأ بالمادة نفسها من اولها اي نبّ وما يثلثها فنراها كلها جارية هذا المجرى على النحو التالي :

نبأ (من نب اي طلع وبا من بأبأ اسم صوت) طلع الخبر .

نبت (من نبّ اي طلع وبتّ اي قطع مستأصلاً) طلع من شق الارض .

نبث (من نبّ اي طلع وبثّ الخبر نشره) اطلع الخبر ونشره ومن سجعات الاساس : يتنابثون عن الاسرار ويتباحثون عن الاخبار .

نبج (من نبّ وبجّ اي شقّ) طلعت القبجة من جحرها (والقبجة واحدة القبج اي الحجل) تطلق على الذكر والانثى .

نبح (من نبّ وبحّ حكاية خشونة الصوت وغلظه)

نبخ (من نبّ وبخّ نفط وحمض) بمعنى اختمر العجين ومنه النبخة الكبريتة

نبد (لم ترد)

نبذ (من نب طلع او اطلع وخرج او اخرج وبذّ فاق وغلب) اي تفوق عليه فاطرحه ولم يعتد به .

نبر (من نب وبر اسم صوت دعاء الغنم وبربرّ الناس اكثروا الكلام تخليطاً مع غضب ونفور) زجر وانتهر رافعاً صوته .

نبز (من نب وبزبز رمى به ولم يُرِدْهُ وبزّ اخذه بجفاء وقهر) عيّره .

نبس (من نب وبس بس دعاء وزجر برفق ولين وبسّ غاظه بثّها) تكلم برفق ومنه قوله :

وتكلموا في امر كل عظيمة لو كنت شاهد امرهم لم ينبسوا

اي لم يتكلموا ولو كلمة رقيقة ناعمة .

نبش (من نب وبشت الارض اخرجت اول نباتها) استخرج وكشف . واذا طبقت القاعدة الاحادية على هذه اللفظة كانت اجلى لتصريحه ان النون تحريك او اخراج الشيء المحصور والباء المخرج والشين الجفاف والنشاف .

نبص (من نب وبصبص ظهر اول النبات وبصّ الماء رشح كبضّ) بمعنى نبس واخرج الكلمة متحذلقاً كأنه صلصلها وصفّاها .

نبض الماء (من نب وبضّ الماء سال قليلاً قليلاً ورشح والعين دمعت) وقد فسّر البستان نبض هذه بقوله غار تبعاً القاموسيّين وهو تفسير سابي كأنه يقول غار الا القليل الراشح منه وكان حقّه ان يقول سال قليلاً كما نصّ في الثاني بضّ الا ان اليازجي عندما فسّر نبض قال « سال الماء » وكلا التفسيرين تنقصه الدقة . ومنه نبض العرق تحرك وضرب والنبض حركة القلب الظاهرة في الشرايين وكله يدل على الحركة الخفيفة المتتابعة .

نبط (من نب وبط بجّ اي شقّ) نبع . والبئر استخرج ماءها .

نبظ (لم ترد)

نبع (من نب وبع بع حكاية صوت الماء المتدارك وبعّ الماء اذا صبّه) خرج الماء من العين .

نبغ (من نب والبغبغة حكاية بعض الهدير) الشيء خرج وظهر وفي الصنعة اجاد

نبق (من نب وبق) الشيء خرج

نبك (من نب وبك وبكّ خرق وفسخ وازدحم) المكان ارتفع ومنه النبك .

نبل (من نب وبلّ الداهية) بمعنى نبغ اي ذكا ونجب .

نبم (لم ترد)

نبه (من نب وبه وبه كلمة تقال للشيء اذا عظم كبخ بخ وتبهبه القوم تشرفوا وتعظموا) شرف واشتهر .

واذا انتقلنا الى اللفظة الثانية « بعق » ورجعنا الى اول المادة كان لنا

بعث (من بع عث) وبعج (من بع عج) وبعد (من بع ، عد) وبعر (من بع ، عر) وهكذا الى آخر المادة فلمن شاء ان يتتبعها.

واذا اخذنا « بتك » التي قدّر اليازجي نحتها من بتّ وبكّ او (من احدهما وتكّ) لوجب ان يتألف منهـا بحكم السليقة بتبك او بكتك ولكن اذا طبقنا عليها القـاعدة وعدنا الى اول المادة كان لنا بتر بتع بتك بتل وعند تتبع معاني ثنائياتها ترّ وتعّ وتكّ وتلّ تظهر صحة القاعدة مجلاء كما يظهر ان المهمل من اللغة اكـثر من المستعمل اذ لم يرد في المعاجم بتأ وبتث وبتج وبتح وبتخ وبتد وبتذ وبتر وبتس وبتش وبتص وبتض وبتط وبتظ وبتع وبتف وبتق وبتم وبتن وبته.

اما بتا فموجودة ولكنها من بتّ وبات .

فيمكن عند الحاجة الالتجاء الى هذه الجذور وتأليف كلمات جديدة منها للمعاني الحادثة وما اكثرها ولهذا كان المرحوم اليازجي يعلق اهمية كبرى على تقرير هذه القاعدة وذلك قوله « وهـذا (اي النحت) ولا شكّ من المباحث الغريبة على سمع اللغوي اذ لم يسبق من قال بالنحت في الالفاظ الثلاثية وانما الذي طوّع لنا المخالفة اليه والتصريح به ما نطمع فيه بعـد تقريره من الفتح الكبير الكافل بسدّ كثير من حاجات اللغة في هذا العصر فان وقعنا منه على السداد لم تمنع غرابته من تقليب النظر فيه وتوسم وجوه النفع منه والا فلا اقل من شفاء الصدر من امر يحكّ فيه » (الامالي اللغوية في مجلة الطبيب السنة الاولى صفحة ١٢٩)

وان تأسف على شيء فعلى عدم توفقه الى ما كان يصبو اليه . ولو اهتدى الى القاعدة لكان اتى بالعجب العجاب لمكانته من اللغة وانصرافه بكليته الى خدمتها لا يشغله عنها شاغل فكان اولى العلماء بوضع ما نحن بأمسّ الحاجة اليه فيأخذ الجمهور بما يمليه دون منازع.

واذا انتقلنا الى الامثلة التي ضربها الشدياق كقوله بعط من عط بزيادة الباء (تتويجاً) او من بط باقحام العين (سر الليال صفحة ٤) . والامثلة التي ضربها زيدان شلق وشرق من شق باقحام اللام والراء وزرفت ولهب (من

فت وهب) بزيادة الراء والهاء (تتويجاً) والامثلة التي حللها المؤلف الاب مرمرجي لم تخطئ القاعدة بل تبدو كفيلة بحلها كلها بصورة مطردة ما خلا بعض الالفاظ النادة عن موردها كأن تكون اجنبية عن سلسلتها او مقلوبة عن حرف آخر .

٤ - نشوء الثلاثي الاصيل

كما ان الاحادي لم يمنع نشوء اصل ثنائي جديد فكذلك الثنائي وما تفرع عنه لا يمنع نشوء اصل ثلاثي جديد مستقل عنه وهوذا الدليل :

درج التجار على استعمال لفظة (تيل) بمعنى أبرق أخذاً من لفظة تليغرام. فهذه لفظة اجنبية من يستطيع القول بثنائيتها وما يمنع ان يكون نشأ الكثير من امثالها سواء من اصل عربي ام اعجمي على ان ابن جني وابن علي الفارسي قالا : « ان ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب » فاخلق بهذا القول ان يكون صحيحاً فاذا كان تلفون اجنبياً فان تلفن يتلفن ومتلفن هي عربية وخذ مثلاً الالفاظ المتناهية في القدم كالزيت والقمح والخبز وما الى ذلك وخصوصاً اسماء الاعيان فكلها اشتق منها افعال لا عداد لها حتى ان بعض الاحرف اشتق منها افعال كقولهم لَوْلَيْتُ (من لولا) كما قالوا اوّى (من او) فهل يمكن رد فعل لولى الى اصل ثنائي .

والنتيجة المحتومة ان الثلاثي موجود وجوداً اصلياً لا يمت الى الثنائي بصلة.

ولدينا ابلغ من ذلك وهو ان الثلاثي الناشئ عن ادغام ثنائيين كما تقدم يصبح ذا معنى مستقل عن اصله كالنبع مثلاً الناشئ عن الثنائيين نب وبع فبحاله الثلاثية يصبح له معنى جديد غير معنى الثنائيين وان تكن الصلة بين الاصل والفرع راتعة على نحو الاوكسجين والايدروجين المؤلف منهما الماء فلكل منهما معنى مستقل اما بحال مزجهما فيخرج منهما معنى الماء والنبع وهو غير الاوكسجين والايدروجين . ومثله النبخة (الكبريتة) من نب وبخ ومعناها غير معناهما .

وبهذه الحال ليس ما يمنع اعتبار النبع الثلاثي اصلاً جديداً قائماً بنفسه مستقلاً عن الثنائي وان يكن ناشئاً عنه فكيف اذاً بالثلاثي الاصيل الذي لم ينشأ عن ثنائي .

وعليه كان الصواب فيما ارتآه الاب فليش حيث يقول (في الدروس التي

يلقيها في معهد الاداب الشرقية): « اذا باشر المرء عمله معتبراً الثنائية امراً مفروغاً منه فيكون اتبث مجاناً دون اثبات ما كان يجب اثباته واقامة الدليل عليه فيلزم اذاً درس كل الفاظ اللسان المبحوث عنه قبل اثبات القاعدة » الى ان يقول: « فالجواب العام لا يمكن اعطاؤه الا بعد درس جميع المفردات السامية القديمة وتحليلها الى ثنائي »

واما قوله: « ان كل اللغات السامية هي ذات اصل ثلاثي ما خلا الالفاظ الثنائية القليلة (٣٠ لفظة حققها نولدكه) فنظنه لا يلبث ان يعيد نظره فيه ويرى ان الاصل الثنائي هو الاصل الغالب.

٥ – نشوء الرباعي والخماسي

ان بَرْبَرَ وامثالها : بجبج ، بجاج ، بلبل ، بلبال ثَرْثَرَ صَرْصَرَ جَلْجَلَ الى هَلْهَلَ ونظائرها الكثيرة في كل المواد هي مضاعفة الثنائي ومتى وجد الثنائي بُرْ او بَرْ او بِرْ الخ يصح تضعيفه اذا اقتضاه المعنى وبالعكس اي بحال وجود المضاعف فقط دون الثنائي كوجود زعزع دون زع يصح استنتاج وجوده واستعماله وحده اذا اقتضاه المعنى ولو لم تذكره المعاجم.

واما سائر الرباعي مثال بعثر ، بعزق ، بجدل ، دحرج وسواه الكثير فهو فصائل مختلفة.

منها ما يردّ الى الثنائي او الاحادي كدحرج من دحر ورجّ ودحر من دح وحر وبعثر من بعث وثر وبعث من بع وعث .

ومنها ما هو ثلاثي مزيد عليه حرف للمبالغة بالمعنى كحذلق من حذق واشمخرّ من شمخ وبلطخ من بطح وزحلق من زحق ومنه قول العامة لمهدنا خليص من خبص ولفبط وتلفبط او غلبط وتغلبط من غلط وطربق من طبق.

ومنها ما هو منحوت بصراحة كخَبْزَمَ والمُخَبْزَم (ماء حب الرمان) الى غير ذلك.

ومنها ما هو اصيل كالثنائي والثلاثي الاصيل نحو دَرْهَمَ ومَقْنَطَ وعَسْكَرَ واننا نضرب الامثلة من اصل اعجمي عمداً للقطع بتأصيله دون جدل ولا نعدم وجوده عن اصل عربي الا اننا لسنا في مجال استيفاء البحث والا لزمنا

مجلّد كامل ومن شاء استيفاء هذا الباب فلير مطالعة « الاشتقاق من اسماء الاعيان »(صفحة ٢٣٢) من مجلة مجمع اللغة العربية الملكي الجزء الاول سنة ١٩٣٤

واما الخماسي فالمدوّن منه قليل يجري مجرى الرباعي وليس تحته كبير امر كجحمرش وشمرور وصمصم وسرعرع وقمردل الى آخر ما ورد في كتب اللغة. قال اليازجي: « ذكروا ان الالفاظ الخماسية لا تتجاوز اثنتين واربعين لفظة مع انه يمكن ان يصاغ منها ستة الاف الف وثلاث مئة وخمسة وسبعون الفاً وست مئة وذلك من الخمسة والعشرين حرفاً دون تكرير شيء منها. »

٦ – في المنطقية – والضدية

يرى المؤلف ان اعتماد الثنائي يزيل التنافر ويبطل الضدّية ويجعل اللغة منطقية الا اننا نرى في الواقع الالفاظ الثنائية البحتة واردة في المعاجم وهي غير منطقية . والدليل ايراد المؤلف منها ساد ومال وباع وسرّ وشكواه من عدم المنطقية فيها ، وشكواه صحيحة حتى اذا عمد الى تنسيقها باتت منطقية. وهكذا يقال بكل الالفاظ الثنائية او ما فوقها فاذا لم يراع المؤلف المنطق وطبيعة اللغة ونشوءها بقيت المعاجم ركاماً اعجمياً سواء الثنائية وما فوقها ومن شاء مزيد الايضاح فليطالع مادة كفّ في اي معجم شاء ويرى ما فيها ثم يرجع الى مقدمة البستان(صفحة ٤٣) يطالع فيها المادة عينها مأخوذة عن اليازجي فيرى اي انسجام فيها ويتحقق ان القصور وارد عن مؤلفي المعاجم واسلوبهم بايراد المعاني شتاتا ثم اكتفاء اللاحق بالنقل عن السابق نقلاً حرفياً لا يجرأ فيه على تبديل حرف بحرف

واليك هذا المثال :

اذا اخذت اول حرف من المعجم « ابّ » تراه في كل المعاجم كما يلي أبَّ للسير اذا تجهز له ، و– الرجل صاح ،و– الى وطنه حنَّ اليه ، و– هزم بحملة صادقة ، و– يده الى سيفه ردها اليه ليستله ، و– الشيء حركه ، و– ابه قصد قصده .

فما هذه الرجوم المتراكمة واي منطق يربطها وما هي علاقة تجهز بصاح وحنّ بهزم ومد يده بحرك الشيء وقصد؟

ولكن اذا نسجت هذه المادة على ما يتراءى لنا لجاءت كما يلي :

ابَّ : تحرّك وحرّك

ابَّ الرجل : تحرك صائحاً من فرح او حنين الخ

ابَّ أبه : تحرك كحركته بمعنى قصد قصده

« للسير : تحرك له بمعنى تجهز

« الى وطنه : تحرك اليه حنيناً

« على خصمه : حمل عليه حملة صادقة هزمه بها

« الشيء : حرّكه

« يده الى سيفه : مدها اليه ليستله

الأَبُّ : ما تتحرك شهوة البهيمة الى رعيه من الكلأ وهو لها بمنزلة الفاكهة للانسان

الاباب : الحراك مطلقاً

والغريب ان المعاجم الكبرى لم تذكر المعنى الاصلي حرّك الا في آخر المادة ، واغفلت تحرّك . واما المعاجم الموجزة فقد اغفلتها معاً بدلاً من ان تبحث عن المعنى الاصلي وتنص عليه وتكتفي به او ترد اليه ما رات ان تذكره من الفروع .

واما الضدية فهي واردة عن اعتبارين فاذا صح ازالتها من مادة الجون (الاسود والابيض) كما اراد المؤلف فيما تقدم فكيف يمكن ازالتها من باع بمعنى (اعطى واخذ) اي باع واشترى واصلها ثنائي من مدّ الباعين (باع البائع وباع الشاري) لعقد الصفقة كما صرّح المؤلف فثنائيتها اصلية ولم تمنع التضاد فيها وكذلك سرْ على النحو الذي ذكره المؤلف .

اما ان نشرح ونفصل تفصيلاً منطقياً فهذا لا يزيل الضدية ولكنه يعللها ويبررها ليس الا ، واولى علاج للضدية اهمال احد المعنيين من المعاجم كمعنى الشراء من باع تبعاً لجمهور العامة التي لا تفهم بالبيع الا البيع لذلك تقول البائع والشاري .

٧ – الثانية

خلص المؤلف الى النتيجة الآتية :

من المتحتم تلافي المعجمية الحالية واعادة بنائها على اساس حديث متين اساس الثنائية (صفحة ١٥١).

اما الحاجة الى تلافي الخلل واعادة البناء فهذا ما يشعر به كل ناطق بالعربية – واما الاساس ففي النفس منه شيء.

ان الثنائية طريقة فعالة جداً ولكن لا يجوز الاقتصار عليها ، وفيما قدمنا ، على اقتضابه وايجازه ، غنى .

خطط دمشق

بقلم صلاح الدين المنجد

١٣

باب جيرون

باب جيرون هو الباب الشرقي في سور معبد جوبيتر الخارجي، وقد اختلف في معنى هذه الكلمة . فذهب بعض المؤرخين العرب إلى أن جيرون هو جيرون بن سعد بن عاد ، وبه سميت جيرون[1] . وجعل المسعودي جيرون هذا من الأحقاف[2] ، في حين ذكر البدري أن الذي بنى باب جيرون هو سليمان عليه السلام، بنته له الشياطين . وكان الذي تكفل ببنائه اسمه جيرون[3]

فنسبة هذا الاسم ، عند العرب ، تقترب من الأسطورة ولا تستند إلى أساس صحيح .

أما العلماء المحدثون ، فذهبوا في معنى هذه الكلمة مذاهب أخرى .

فذهب سوقاجه أن أصل الاسم ما يزال غامضاً[4] .

واعتقد دوسو Dussaud أن الكلمة مشتقة من الجذر GYR أو GWR الآرامي . ومعناها « الحرم » أو الملجأ الذي يكون من دخله آمناً[5] . فيكون معنى باب جيرون إذن ، باب الحرم .

وهذا المعنى قريب من الحقيقة ، لأن هذا الباب كان يُفضي إلى معبد جوبيتر ، هذا المعبد الذي مَن دخله وأوى إليه كان آمناً .

وقد شُهر هذا الباب بضخامته وروعته ، حتى انه نُسب إلى صنعة

١) صبح الأعشى ٤ : ٩٣

٢) مروج الذهب ، (طبعة باريس) ٣ : ٢٧١

٣) نزهة الأنام ، ص ٢٣

٤) Sauvaget, *M. H. D.*, p. 27

٥) Dussaud, *Temple de Jupiter Damascénien. Djairoun*, (dans *Syria*, T. III, 1922) pp. 240 - 245.

الشياطين . وكانت العرب تنسب كل ما عظم صنعه إلى الجنّ والشياطين .

وقد كانت شهرته ذائعة منذ العصر الجاهلي ، فقد ذكر عديّ بن زيد (جيرون) في شعره لما ورد دمشق فقال :

رُبَّ دار بأسفل الجِرْعِ من دو مَةَ أشهى إليَّ من جيرونِ
وندامى لا يفرحون بما نا لوا ، ولا يرهبون صرف المنون (١)

وذكرته الشعراء في القرن الأول للهجرة أيضاً . وصنع مسيد لحناً في شعر ، فيه ذكر جيرون . وهو :

القصر فالنخل فالجنّ بينهما أشهى إلى النفس من أبواب جيرون (٢)

أما وصف باب جيرون فقد ورد عند المسعودي . ولعله أقدم من وصفه ؛ لأنه شاهده في القرن الرابع . قال : « وباب جيرون بنيان عظيم عليه أبواب من النحاس عجيبة . »(٣)

وفي هذا القرن — أي الرابع — نجدهم يسمّون ما بين هذا الباب والباب الذي في سور المعبد الداخلي (أي باب المسجد الشرقي) سوق جيرون (٤) .

ثم أطلق هذا الاسم ، في القرن نفسه ، على باب الجامع الشرقي . قال المقدسي : « باب البريد على اليمين كبير ، وله فرخان عن يمين وشمال . وباب جيرون على اليسار ، على ما ذكرنا . ويُصعد إليه في درج يجلس فيه المنجمون »(٥)

وقال ياقوت أيضاً : « المعروف اليوم أن باباً من أبواب الجامع بدمشق — وهو بابه الشرقي — يُقال له باب جيرون . وفيه فوّارة ينزل عليها بدرج كثيرة ، في حوض من رخام . وقبة خشب يعلو ماؤها نحو الرمح »(٦)

وهذه الفوّارة التي يذكرها ياقوت كانت انشئت في القرن الخامس سنة

١) الأغاني (دار الكتب) ٢ : ١٠٢
٢) الأغاني (دار الكتب) ١ : ٨
٣) مروج الذهب (طبعة باريس) ٣ : ٢٧٢
٤) المصدر السابق
٥) أحسن التقاسيم ، ص ١٥٨
٦) معجم البلدان (طبعة وستنفلد) ٢ : ١٧٢

٤١٦ هـ. وجرت سنة سبع عشرة وأربعمائة. وقد أجرى ماءها الشريف القاضي فخر الدولة أبو يعلى حمزة بن الحسن[1].

وهكذا نجد أن اسم باب جيرون انتقل من الباب الشرقي في سور المعبد الخارجي الى الباب الشرقي في الجامع نفسه.

وقد وصف باب جيرون ابن جبير الذي زار دمشق في القرن السادس فقال:

«وباب جيرون مفروش بالبلاط الطويل العريض (يقصد باب الجامع) وهو خمسة أبواب مقوسة لها ستة أعمدة... وقد انتظمت أمام البلاط أدراج ينحدر عليها الى الدهليز، وهو كالمندق (يقصد سوق جيرون) العظيم يتصل الى باب عظيم الارتفاع، ينحصر الطرف دونه سموا، قد حفته أعمدة كالجذوع طولا وكالاطواد ضخامة (يقصد باب جيرون الاصلي). وبجانبي هذا الدهليز أعمدة قامت عليها شوارع مستديرة فيها حوانيت العطارين وغيرهم، وعليها شوارع مستطيلة فيها الحجر والبيوت. وفي وسط الدهليز حوض بانبوب صفر (يقصد الفوارة) يزعج الماء بقوة فيرتفع إلى الهواء أزيد من القامة، وحوله أنابيب صغار ترمي الماء علوا فيخرج عنها كقضبان اللجين، وكأنما أغصان تلك الدوحة المائية ومشارعها ابدع من ان يوصف»[2]

وفي القرن السادس نجدهم يُطلقون اسم جيرون على المحلّة كلها. فقد احترقت سنة ٥٥٩ هـ بعد رجوع أسد الدين شيركوه الى دمشق. فقال عرقلة الشاعر يمدحه ويذكر ذلك:

جار صرف الردى على جيرون ... وسقى أهلها كؤوس المنون
أصبحت جنّة وأمست جحيماً ... تتلظى بكل قلب حزين
كيف لا تذرف الدموع عليها ... وهي في الشام نزهة للعيون
حبذا حصنها الحصين لقد كا ... ن جمالا لكل حصن حصين
كل حين لها حريق جديد ... ليت شعري ماذا لها بعد حين
كل هذا البلاء عاقبة الفسق ... وشرب الخمور والتلحين[3]

وتدلنا هذه الأبيات على جمال جيرون، وأنها كانت نزهة للعيون، وأن حصنها كان رائعاً جميلاً، وأنها قد احترقت قبل هذه المرة بدليل قوله:

---

١) تهذيب ابن عساكر لبدران ١ : ٢٠٤
٢) الرحلة، ص ٢٦١ وما بعدها؛ ونزهة الانام، ص ٥٧
٣) كتاب الروضتين ١ : ١٢٣-١٢٢

« كل حين لها حريق جديد »

والبيت الأخير يشير إلى أن جيرون كانت محل فسق وشرب خمر ولهو. لأن جمالها ، وحسن نافورتها يساعدان على ذلك . يؤيد ذلك أن ابن رجب ذكر: « أنهم جعلوا الملاهي في دولة الأفضل ابن صلاح الدين على درج جيرون. فجاء الحافظ عبد الغني المقدسي يوماً فكسر شيئاً عظيماً منها. »[1]

وقد تغنى ابن منير بظباء جيرون فقال :

ولي في باب جيرون ظباء أعاطيها الهوى كأساً فكاسا[2]

فكلّ ذلك يدلّ على ما كانت عليه محلة جيرون من الجمال وما كان فيها من اللهو .

على أننا نلاحظ أنه أصبح لباب جيرون الأول شأن ، في القرن السابع ، وكان سبباً لمناقشات بين الفقهاء ، وتأليف رسائل فيه .

فقد كان هذا الباب في الأصل ، باباً كبيراً في الوسط ، على جانبيه فرخان ، أو بابان صغيران. فحدث أن سُدّ الفرخ الشمالي واتخذ داخله مسجداً. ويحدثنا أبو شامة عن سبب ذلك في رسالته المسماة « الباعث على إنكار البدع والحوادث ».

يقول أبو شامة :

« ذكر لي بعض من لا يوثق به ، في شهور سنة ست وثلاثين وستمائة أنه رأى منامًا يقتضي أن ذلك المكان دُفن فيه بعض أهل البيت . وقد أخبرني عنه ثقة أنه اعترف له أنه افتعل ذلك . فقطعوا طريق المارة فيه ، وجعلوا الباب بكماله مسجداً منصوباً . وقد كان طريقاً يضيق بسالكه . »[3]

وسئل علاء الدين ابن العطار ، العالم المحدّث المتوفى سنة ٧٢٤ عن هذا الباب والمسجد فقال :

« ان الضريح باطل محدث لا أصل له . احدث لاغراض فاسدة في المائة السابعة . ولم يذكره الحافظ أبو القاسم ابن عساكر في قبور دمشق . ولا يُعرف في ذرّية علي بن ابي

---

١) ذيل طبقات الحنابلة (مخطوطة في الظاهرية رقم ٦١ تاريخ) ورقة ١٨٢ ب

٢) معجم البلدان

٣) قرة العيون في أخبار باب جيرون (مخطوط في الظاهرية) ورقة ٤ آ

طالب بأن اسمه ملكه ، فيجب إزالته وإعادته إلى ما كان عليه ، وهو طريق للمسلمين مشترك بين خاصتهم وعامتهم . . . »(١)

وألف ابن ناصر الدين المتوفى سنة ٨٤٢ هـ ، جزءاً يتعلق بالمكان المذكور قال فيه :

« وسبب هذه البدعة الشنيعة أن بعض السؤال جلس عند الباب ، وسأل الناس من دنياهم ، فكأنه لم يفتح عليه بشيء . فأدخل رأسه في جيبه وزبق ثم رفع رأسه صائحاً : يا معشر المسلمين ها هنا قبر الست ملكة ، وأنتم تمشون فوقها ، فاجتمع حوله عوام الناس واعتقدوا صدقه . . . فنهوا الناس من المرور في ذلك المكان ثم بنوه مسجداً وأحدثوا فيه قبراً لا على شيء ، ونقشوا على عتبة الباب اسم ملكة بنسب غير صحيح . »(٢)

وفي القرن الثامن احترق باب جيرون . ذكر ابن شاكر في حوادث سنة ٧٥٣ :

أنه وقع في سادس عشر صفر حريق عند باب جيرون وارتفع ارتفاعاً عظيماً واستمر الى أثناء النهار . . . واستمر بالباب الاصفر النحاس ، فبادر ديوان الجامع اليه فكشفوا ما عليه من النحاس ونقلوه من يومه إلى خزانة الحاصل بقصورة الحلبية بمشهد علي . ثم غدوا عليه يكسرون خشبه بالفؤوس وكان من خشب الصنوبر ، وهو في غاية القوة والثبات . وتأسف الناس عليه لكونه من محاسن البلد وجماله ، وله في الوجود ما ينيف على اربعة آلاف سنة ، ولم ير باب أوسع منه ولا أعلى فيما يعرف من الأبنية من الزمان منه ، وله غلفان من النحاس الاصفر بمسامير كبار من النحاس بارزة . وهو من عجائب الدنيا ومحاسن دمشق . »(٣)

وفي القرن التاسع أصاب البابَ حريق جديد في فتنة تيمورلنك . فاحترق المسجد المنصوب أيضاً وزال ، ولم يبقَ من آثاره سوى النقش على الباب .

ولم يزل المسجد كوم تراب عدة سنين حتى جاء كشيفا طولو ، وكان نائباً بقلعة دمشق بعد الثلاثين والثمانماية . وكان من خواصه شخص اسمه فارس ، فعمد الى هذا المكان ، وأعاد بناءه مخزناً توضع فيه الأخشاب وغيرها . وكانت تقع فيه منكرات يراها المارة . ووُجد فيه قتيل في بعض الأحيان . ثم تهدم وزال سقفه . فسعى بعضهم في تجديد عمارته بتسليط الرافضة ، فبلغ ذلك أهل السنة ، فصدّوا عن عمارته ، ورفعوا قصته إلى السلطان الملك

١) قرة العيون في أخبار باب جيرون ورقة ٥ آ
٢) المصدر السابق ، ورقة ٦ آ
٣) المصدر السابق ، ورقة ١ آ

الأشرف قايتباي ، فرسم بما ذكره العلماء . وورد مرسومه بذلك في شهور سنة اثنين وتسعين وثمانماية . ففتح الباب ، وأعيد طريقاً للمارة ، وأزيل النقش المفترى [1]

وفي القرن العاشر بُني في هذا الباب الصغير المنقوش أعلاه ، حائط وكذا قبليه ، وجعل مخزن حطب للفرن قبليه .

ثم أحدث نائب الشام جان بردى الغزالي ، لما أراد الخروج على السلطان سليم بن عثمان ، داخل الباب الكبير بوابة بقنطرة حجر . وأخذ قبل أن يركب لها باباً . [2]

* * *

هذا مجمل ما وجدناه من النصوص العديدة عن باب جيرون وسويقة جيرون ومحلة جيرون ، حتى القرن العاشر . ويبدو أن المسجد قد أعيد في

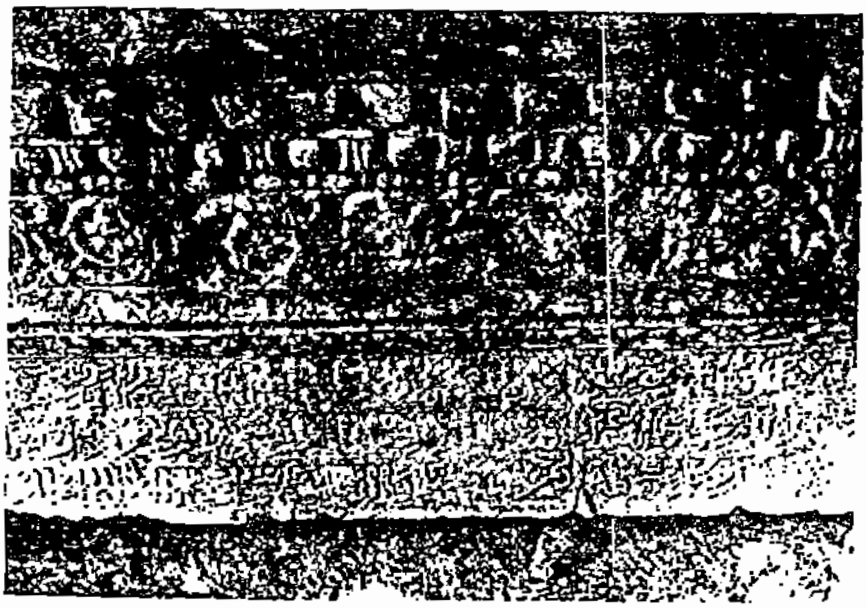

المرسوم المالكي فوق باب جيرون الصغير

١) المصدر السابق ورقة ٦ ب

٢) المصدر السابق ورقة ٦ ب

العهد العثماني . وما يزال قائماً في أيامنا . ومـا تزال عضادتا الباب الكبير قائمتين . أما البابان الصغيران ، فالجنوبي مسدود تُرى عتبته داخل دكان . والشمالي كان مختفياً تحت الدور ، حتى كان عام ١٩٤٦ فكشف في عهد مدير الآثار السورية السيد فرانك براون . وظهر على عتبتـه نصّ المرسوم الذي أرسله قايتباي .

وقد رممت مديرية الآثار يومئذ هذا الباب من الداخل ، أي من المسجد وظهر تحت الباب بئر .

وفي اوائل عام ١٩٤٨ بينما كانت بلديّة دمشق تشقّ الطريق في النوفرة إلى هذا الباب (أي بسوق جيرون) امارة القُنى التي تسوق المياه القذرة وُجدت الأرض الرومانية لباب جيرون الكبير ، على عمق ٤٣٠ سم .

١٤

تربة العفيف بن أبي الفوارس

في الكتاب الثالث من « مباني دمشق الأيوبية » لسوفاجه دراسة بعنوان « قبر مقفل »[1]

وقد ذكر المؤلف أن المصادر لم تقدم له أيّ عنصر لبيان نسبة القبر.

وهذا القول آتٍ عن عناية المؤلف بالأمور العمارية ، وإهماله في دراساته، أحايين كثيرة ، التفصيلات والامور التاريخية . لأن هذا القبر معروف ، وهو تربة العفيف بن أبي الفوارس .

فقد ذكر أبو شامة[2] ما يلي :

« وفي ثامن رجب (سنة ٦٦٣ هـ) توفي العفيف بن أبي الفوارس وكان شاباً حسناً تولى عمالة الجامع ، وعمالة خزن الأيتام جمعا له لحذقه بهذه الصناعة . ودُفن بالتربة التي أنشأها والده جوار الخانقاه الشبلية بسفح جبل قاسيون، وكان أبوه أعدّ القبر لنفسه فدفنه فيه . »

واجهة تربة العفيف بن أبي الفوارس.

---

١) Sauvaget, *Monuments Ayyoubides de Damas*, III, p. 137.

٢) ذيل الروضتين (القاهرة ، ١٩٦٧) ص ٢٢٠

وقال دهمان :

« وأما تربة العفيف فهي غربي الخانقاه الشبلية ، وعلى مقربة منها . ويدعوهـا العوام بعائشة الباعونية المتوفاة سنة ٩٢٢ هـ . وقد جاء هـذا الوهم من أن الجنينة التي لصيق هذه التربة كانت تدعى الجنينة الباعونية . فاستنتجوا من ذلك أنها هي عائشة الباعونية . ووجود الخانقاه الشبلية على مقربة منها شاهد على أنها تربة العفيف . ثم طراز بنائها أيوبي لا ريبة فيه . وهو مخالف كل المخالفة لطراز البناء في آخر العصر المملوكي . » (١)

وقد أثبت سوفاجه أن البناء أيوبي .

وأما الخانقاه الشبلية التي مر ذكرها في نص أبي شامة فهي شمالي المدرسة الشبلية التي بناها شبل الدولة كافور المتوفى سنة ٦٢٣هـ ، يفصل بينهما الطريق (٢)

وقد رأيت نصف عتبتها العليا ، وقد رميت في تربة العفيف ، وما تزال (٣) .

واجهة تربة العفيف بن أبي الفوارس ، وبقايا القناطر و × تشير الى مكان الخانقاه الشبلية

فيتضح أن التربة ليست مجهولة . وقد كان فيها مسجد اسمه مسجد العفيف بالشبلية (٤) . ولم يكن المدفون في التربة وضيعاً ، رغم بساطة القبر ؛ بل كان نابهاً ، حاذقاً تولى عمالة الجامع وعمالة مخزن الأيتام .

وقد حدّد دهمان موقع هذه التربة في مخطط الصالحية (٥)

---

١) القلائد الجوهرية لابن طولون (تحقيق دهمان) : انظر باب التربة والخوانق .

٢) انظر مختصر تنبيه الطالب ص ٩٣ و ١٤٦ - المروج السندسية لابن كنان ص ٤١

Sauvaget, *M. A. D.*, III, p. 131–136.

٣) انظر الكتابة المنقوشة على هذه العتبة في : Répertoire,

٤) القلائد الجوهرية

٥) رقم ١٠٧

١٥

تربة معين الدين أنر

في شهر آب من عام ١٩٤٦ ، كنا نبحث عن المدرسة الحمصية التي تذكر المصادر أنها عند الشامية البرانية . فلفت نظرنا وجود طاحون قديمة في جنوب الشامية ، أمامها باب ضخم عضادتاه رومانيتان ، بحجارة سود ، نقش عليها عناقيد العنب وورق الكرم . ودخلنا ، من هذا الباب ، إلى صحن دار أو مدرسة قديمة ، تحيط بها غرف صغار ، بنيت بالحجر ، يدلّ نحتها انها من أواخر عصر المماليك . وفي جنوب الساحة ، وجدنا قبة قديمة ما يزال أعلاها المبني بالآجرّ باقياً . وقد هدم القسم الأعلى من طاستها وسُطّح . ولها ، في هذا القسم ، ثمان نوافذ سُدّت كلها .

قبة معين الدين

ووجدنا لهذه القبة باباً ، قد سُدّ ، وهو من شمالها أعني من ناحية صحن الدار . وعلى الباب عتبة فيها كتابة بخط نسخي أيوبي . وقد ترك بعض كلماتها بلا نقط .

وجهدنا في قراءة الكتابة ، بعد تنظيفها ، فإذا فيها ما يلي :

١) بسم الله الرحمن الرحيم . يا ايها الناس إن وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا

٢) ولا يغرنكم باقه الغرور . عمات هذه القبة على قبر الامير الاسفهسلار الكبير

٣) اتابك معين الدين الفقير الى رحمة اقه الشهيد السعيد انر رحمه اقه . توفي يوم الأحد

٤) سابع عشر ربيع الاول سنة اربع واربعين وخمسماية وا [و] قفت الخاتون الكبيرة اسار رحمها

٥) اقه على هذه القبة البستان التي (كذا) تحتها والفندق واثنا عشر دكان وثلثة عشر بيت وقف عليها .

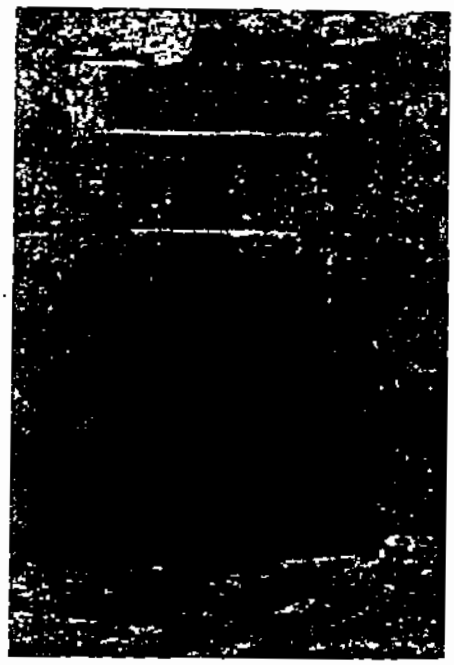

باب تربة معين الدين أنر

وكانت مفاجأة . فقد كنا امام قبة الاتابك معين الدين أنر صاحب دمشق، والملقب بملك الامرآء[1] والذي تزوج نور الدين ، ومن بعده صلاح الدين ، ابنته عصمة الدين صاحبة التربة الخاتونية بالسفح .

ومعين الدين هو الذي أنشأ المدرسة المعينية بحصن الثقفيين[2] . وهي من اوليات المدارس التي انشئت بدمشق . وكان على بابها ما يلي :

« بسم اقه الرحمن الرحيم . أنشأ هذه المدرسة المباركة الأمير الكبير الاسفهسلار معين الدين أنر بن عبد اقه عتيق الملك المجاهد المرابط الغازي طغتكين من خيرات سيده المرحوم وذلك في سنة اربع وعشرين وخمسماية . »[3]

ولم يذكر النعيمي في كتابه تنبيه الطالب ، والعلوي والبقاعي وبدران

١) تنبيه الطالب للنعيمي ١ : ٥٨٨

٢) هذا هو الاسم الصحيح للحصن . وقد أخطأ جعفر الحسني في تنبيه الطالب عندما أثبته السقيفيين (ص ٥٨٨) . وهو مقابل حصن جيرون . الأول من غرب المسجد والثاني من شرقه .

٣) *Répertoire*, VIII, p. 165, N° 3033

في مختصراته ، تربة معين الدين هذه في باب التبر . وإنما ورد في الروضتين نقلاً عن القلانسي أن معين الدين :

« قضى نحبه في ليلة الثالث والعشرين من ربيع الآخر ودُفن في إيوان الدار الأتابكية التي كان يسكنها ثم نُقل الى المدرسة التي عمرها . قال أبو شامة : قبره في قبة بقنطرة الموينة شمالي دار البطيخ الآن واسمه مكتوب على بابها . فلعله نقل من ثَمَّ إليها » (١)

وذكر الذهبي في مختصر تاريخ الاسلام « أن قبره في قبة خلف دار البطيخ . »(٢)

وأوضح في العبر انه مدفون بقبته التي بين دار البطيخ والشامية .(٣)

وهذه الأوصاف كلها تنطبق على مكان التربة .

وقد تبين لنا أن هذه التربة اتخذت داراً فسُدّ بابها الشمالي ، وفتح باب جديد من الشرق على الزقاق وجعل باباً للدار .

* * *

أما الكتابة التي على عتبة باب التربة فذات شأن :

١ً – فهي تصحح تاريخ وفاة معين الدين الذي ذكره ابو يعلى . فقد ذكر أنه توفي في ليلة الثالث والعشرين من ربيع الآخر ، بينما تنص الكتابة أنه توفي في سابع عشر ربيع الأول .

٢ً – تحدد لنا مكان دار البطيخ ، وهي دار البطيخ الثانية ، وليست العتيقة .

٣ً – تدلنا على ان التربة عُملت بعد وفاة معين الدين . وهذا يؤيد ما ذكره أبو يعلى وأبو شامه من أنه نقل إليها . وتدلنا على أن ابنته وقفت عليها أوقافاً من بينها الفندق .

٤ً – لا نعلم فندقاً كان في ذلك المكان الا الذي كان غربي دار البطيخ والذي ورد ذكره في الكتابة المنقوشة على عتبة باب جامع التوبة . ولعله هو المقصود .

---

١) الروضتين ١ : ٦٤

٢) تنبيه الطالب ١ : ٥٨٨

٣) تنبيه الطالب ١ : ٥٨٨

وقد حددنا موضع التربة في مخطط دمشق القديمة .[1] وعسى أن تُعنى دائرة الآثار بهذه التربة فتسجلها وترممها وتحول دون إخفاء معالمها وتخريبها.

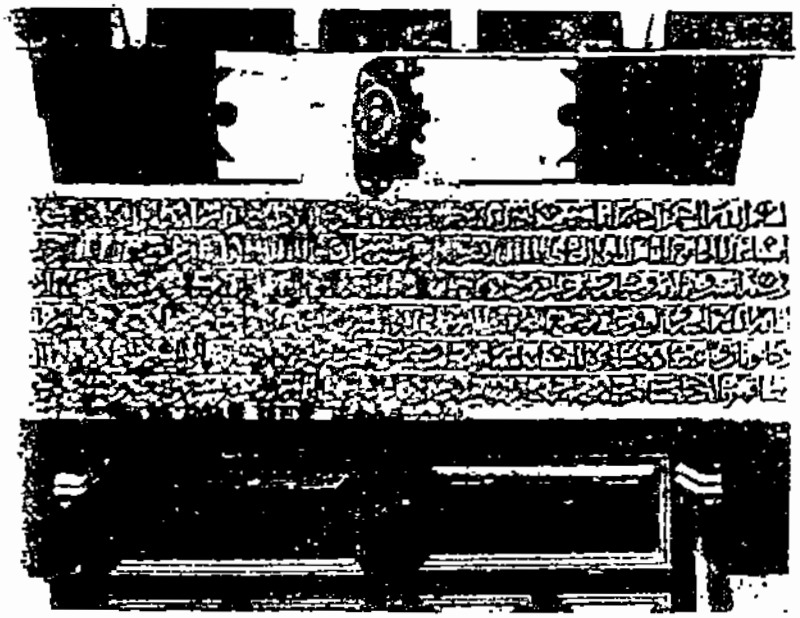

الكتابة الموجودة فوق عتبة جامع التوبة

١) للتوسع في ترجمة معين الدين انظر :
الروضتين ص ٦٤ ١٠٦
ذيل تاريخ دمشق للقلانسي ، ص ٣٠٦ (وانظر الفهرست)
تنبيه الطالب ١ : ٥٨٨
مختصر التنبيه ص
Sauvaire, *Description*, *J. As.* 1894, II, 321
وقد زرنا التربة أول مرة مع الشيخ دهان . ثم زرناها مرة ثانية في تشرين الثاني ١٩٤٦ مع السيد فرنك . ا . براون ، مدير الآثار السورية يومئذ ، وصور التربة من تصويره.

١٦
تربة ستيتة
زوجة تنكز

بناء أثري مسجل ، يرجع عهده إلى زمن المماليك يقع في زقاق المحكمة[1] .

ورد اسمه في قائمة الأبنية الأثرية المسجلة « تربة الشيخ نخلاوي » والصحيح أن اسمه الاول هو « تربة الخوندة ستيتة » وهي زوجة نائب الشام تنكز (– ٧٤٠) ، وابنة الامير كوكباي ، توفيت سنة ٧٣٠ هـ .

وقد أثبت التميمي في التنبيه ، والمطوي في مختصره[2] . هذه التربة في باب الترب باسم « التربة الكوكبائية » وحددا موقعها شرق الاكزية وغربي الطيبة .

وذكر ابن كثير أن « الخوندة ستيتة بنت الامير سيف الدين كوكباي زوجة نائب الشام تنكز ، توفيت بدار الذهب ، وصُلي عليها بالجامع ثالث رجب ، ودُفنت بالتربة التي أمرت بإنشائها بباب الخواصين . وفيها مسجد ، وإلى جانبها رباط للنساء ومكتب للايتام »[3]

وعلى باب هذه التربة كتابة في سطرين بخط نسخي مملوكي جميل ، هذا نصها الصحيح :

١) بسم الله الرحمن الرحيم . امر بانشاء هذه التربة المباركة المقر الشريف[4] العالي المولوي الاميري الكبيري الغازي المجاهدي

٢) المالكي المخدومي السيفي سيف الدنيا والدين تنكز نائب[5] السلطنة المعظمة بالشام المحروس عز نصره . وكان الفراغ في شهر ذي الحجة [سنة] ثلثين وسبعماية .

---

١) مخطط دمشق القديمة ، رقم ٦٠

٢) مختصر التنبيه ، ص ٢٠٥

٣) البداية والنهاية ١٤ : ١٥١

٤) أثبتها طلس في ذيل ثمار المقاصد ص ٢٤٨ : « الأشرف » ، وهو خطأ

٥) أثبتها طلس في ذيل ثمار المقاصد ص ٢٤٨ : « بدر » ، وهو خطأ

ويدل نص ابن كثير على انها هي التي أمرت بانشاء التربة ، على حين تدل الكتابة التي على بابها أن زوجها الامير تنكز هو الذي أمر بذلك .

وقد ذكر النعيمي نقلاً عن البرزالي أنها « دُفنت بمكان اشترته لدفنها إلى جانب المدرسة الطيبة بقرب الخواصين ، داخل دمشق . وشرع في عمارة المكان الذي دُفنت فيه ، وأحضرت الآلات والصناع . وبلغني انها اوصت أن يعمل قبة على الضريح وفي جواره مسجد ورباط للنساء ، فعمل ذلك جميعه . »[1]

فتكون ستيتة هي التي اشترت المكان، وأمرت بانشاء التربة ، والمسجد والرباط . فلما توفيت أمر تنكز بعمارة ذلك .

* * *

أما نسبة التربة الى النحلاوي فآتية عن كونها أصبحت في القرن الثاني عشر الهجري زاوية يقيم فيها الأذكار الشيخ أحمد النحلاوي المتوفى سنة ١١٥٧ هـ وكان عارفاً ناسكاً . وكان مقيماً في المدرسة النورية عند محكمة الباب ، ويقيم الذكر في هذه التربة التي اتخذت اسماً جديداً هو الخاتونية . وقد دُفن بها عند وفاته .[2]

وقد وصف سوفاجه هذه التربة وصفاً موجزاً .[3] وأبان طلس حالتها الحاضرة .[4]

---

١) تنبيه الطالب (مخطوط بخزانة المجمع العلمي بدمشق رقم ٣٧) ص ٤٨٢

٢) انظر ترجمته موسعة في سلك الدرر للمرادي ١ : ١٩٦ - ٢٠٥

٣) Sauvaget, *M. H. D.*, p 69.

٤) آثار المقاصد ، (الذيل) ص ٢٤٨

١٧
أوهام آثارية

١

نعرض هنا أنموذجات من الاوهام الآثارية التي صادفناها أثناء مطالعاتنا في الكتب التي ألفت عن آثار دمشق وتاريخها الطبوغرافي .

فما وجدناه في كتاب اسمه « نزهات أثرية » ألفه الدكتور سليم عادل عبد الحق ، يوم انعقد مؤتمر الآثار الاول للبلاد العربية ، ليوزع على أعضاء المؤتمر المذكور ما يلي :

مئذنة المدرسة الأتابكية

١ ــ جاء في المخطط الذي صدّر به المؤلف كتابه اسم « التابنية » وهو خطأ . والصواب أنه « المدرسة الأتابكية » . انشأتها الحجة الاتابكية خاتون زوجة الملك الاشرف الايوبي ، المتوفاة سنة ٦٤٠ هـ .

انظر : تنبيه الطالب للنعيمي : ١٢٩ – البداية والنهاية ١٣ : ٢٧ ، ١٦١ – ذيل الروضتين ص١٧٣ – ثمار المقاصد ص١٩٤ – سوثاجة = *M. H. D.* ، ص ١٠٠

٢ ــ وجاء في المخطط اسم « المدرسة الشركسية » . وهو اسم عامي . والصواب « المدرسة الجهاركسية » . بنيت للامير جهاركس الصلاحي المتوفى

سنة ٦٠٨ هـ. وقد يُقال له في بعض المصادر جركس ، وعندئذ يمكن تسميتها « الجركسية » .

انظر : مختصر التنبيه ص ٨٢ - البداية والنهاية ١٣ : ٦٢ ، ١٥١ - ذيل الروضتين ص ٧٩ - سجل الكتابات = Rip. ، ١٠ : ٦٤

٣ - وجاء في المخطط اسم « تربة اليغمورية ». وهذه الاضافة غير صحيحة أولاً . والاسم كله خطأ ثانياً . والصحيح أنها « تربة العالمة أمة اللطيف » ، كما تشير إلى ذلك الكتابة القديمة الموجودة في الحائط الجنوبي منها ، المطل على الصحن .

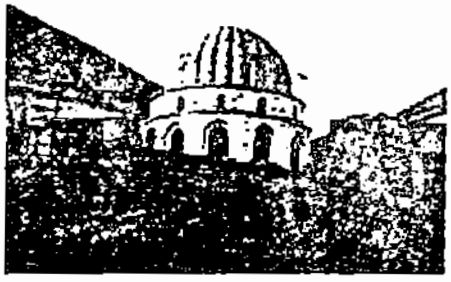

تربة أمة اللطيف

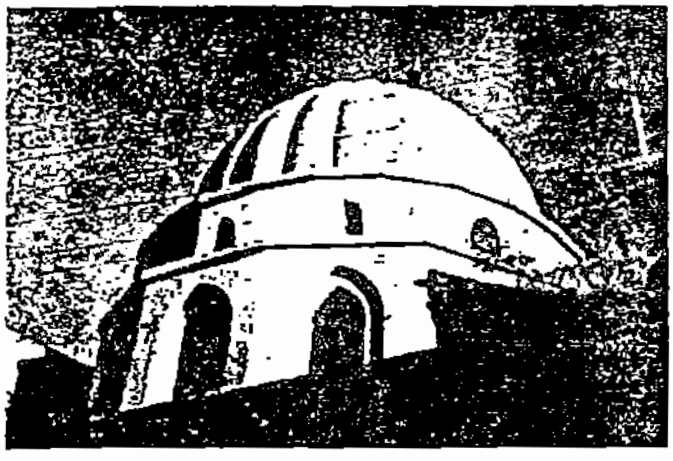

قبة تربة أمة اللطيف

انظر : المشرق ج ٣ ، ١٩٤٨

٤ - وجاء في المخطط اسم « المدرسة المريدانية » وهو خطأ . ولا ندري إلى أي شيء نسبة هذا الاسم الذي أثبته . والاسم الصحيح هو « المارداتية » أوقفتها زوجة الملك المعظم ، وبنت صاحب ماردين سنة ٦٢٤ هـ ، بعد أن

أنشأتها سنة ٦١٠هـ. وقد وردت هذه اللفظة أيضاً في الكتابة القديمة الموجودة على باب المدرسة المرشدية ورسمت « الماردانية ».

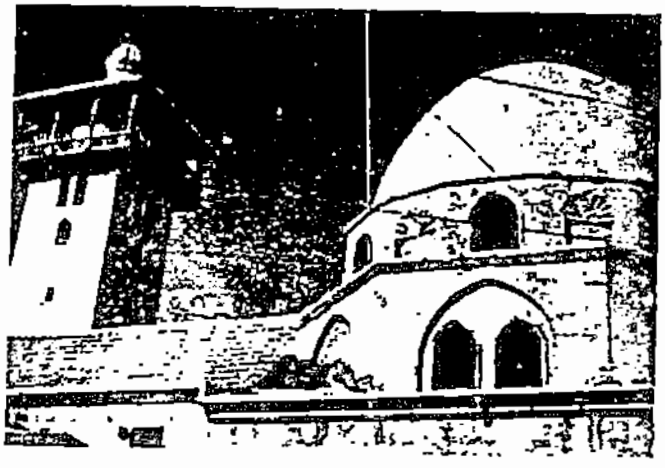

المدرسة الماردانية
القبة والمئذنة

انظر : مختصر التنبيه ص ١٠٧ – التنبيه ١ : ٥٦٢ – المروج السندسية ص ٥٤ – غار المقاصد ص ٢٤٦ – سجل الكتابات ١١ : ٢٢٢.

٥ – وجاء في المخطط اسم « تربة الدحداح » وهو خطأ. فهناك أمام مقبرة مرج أبي الدحداح تربتان. الاولى – وهي التي أثبتها الدكتور سليم عادل – تسمى « التربة المنكورسية » كما تدل الكتابة الموجودة داخل التربة على القبر. وهي تنسب إلى الامير الكبير السعيد الشهيد فخر الدين موسى ابن مظفر الدين عثمان ابن ناصر الدين منكورس المتوفى سنة ٧٠١ هـ.

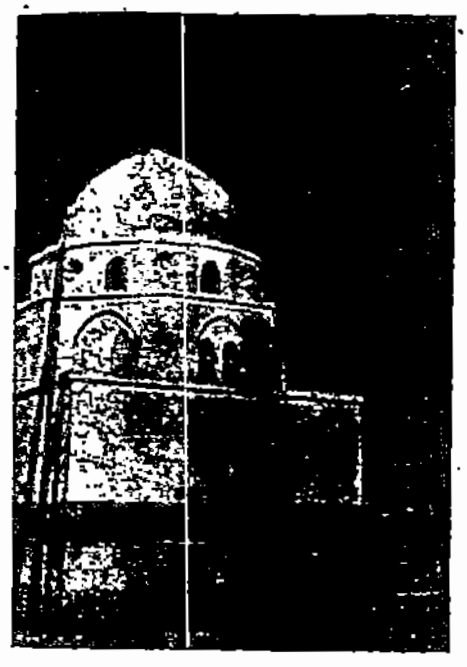

التربة المنكورسية

وإلى غرب هذه التربة تربة ثانية تزعم العامة أنها تربة عبد الرحمن حفيد أبي بكر الصديق . وقد انكر ذلك الاستاذ محمد دهمان في مقال نشره في مجلة التمدن الاسلامي .

انظر المحبي ١ : ٢٠٠ – ثمار المقاصد ص ٢٢٨ .

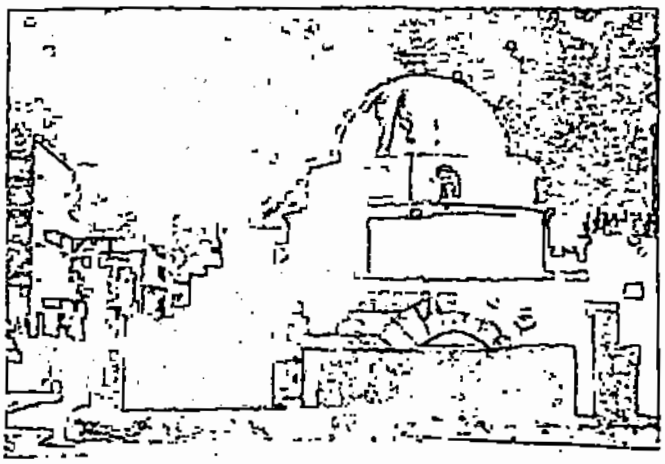

تربة ابن المقدم بعد ترميمها

٦ – وجاء في المخطط اسم « تربة طلحة » وهو اسم عامي . والاسم الصحيح « تربة ابن المقدم » التي تنسب إلى الامير ابراهيم بن محمد بن المقدم المتوفى سنة ٥٩٧ هـ . ولنا في نسبة هذه التربة رأي نحتفظ به الآن.

انظر : مختصر التنبيه ص ١١٠ – تربة ابن المقدم لخالد معاذ (بالفرنسية) – دراسات معمارية ، دمشق ، لمرزفلد ١ : ١٤

٧ – وجاء في المخطط اسم « جامع السادات » ، وهو اسم عامي ، وغير صحيح في عاميته أيضاً . فالاسم العامي هو « جامع السادات الزينبية ». وأما الاسم الذي تذكره المصادر القديمة فهو « مسجد القصب » وقد اطلق عليه أيضاً اسم « جامع منجك » بعد ان جدده الامير ابن منجك .

انظر : البداية والنهاية ١٤ : ٩٩ ، ١٣ : ١٤٧ – وقد وهم طلس في تسميته أيضاً في ذيل ثمار المقاصد.

٨ – وجاء في المخطط اسم « جامع الورد » وهو اسم عامي اطلق على الجامع في العصر الاخير . والاسم الصحيح « جامع برسباي » لان برسباي نائب الشام هو الذي امر ببنائه .

٩ – وجاء في المخطط اسم « جامع الشامية » وهو خطأ . فهذه مدرسة اسمها « المدرسة الشامية البرّانية » أمرت ببنائها ست الشام اخت صلاح الدين. وقوله هذا خلط بين المدارس والجوامع.

انظر : البداية والنهاية ١٣ : ٤٨ – ذيل الروضتين ص ١١٩ – مختصر التنبيه ص ٤٦

١٠ – وجاء في المخطط اسم « جامع يلبغا » وهو خطأ. وما ندري لماذا جعل المؤلف الاسم ممدوداً وأثبت الهمزة في آخره . والاسم الصحيح «يلبغا» وهو الامير سيف الدين نائب الشام .

انظر : البداية والنهاية ١٤ : ٢٥٦ – نزهة الأنام في محاسن الشام ص ٦٥، ٨١ – ثمار المقاصد ص ٢٥٩ .

١١ – وجاء في المخطط اسم التربة الاخنائية وهذ خطأ . فهذه مدرسة فيها قبر الواقف ، محمد بن محمد الإخناني المتوفى سنة ٨١٦ هـ . وهكذا يخلط المؤلف بين التربة والمدارس .

١٢ – ومثل ذلك قوله في المخطط « التربة الجقمقية » وهو خطأ . فهذه مدرسة أيضاً ، وفيها قبر الواقف . جددها سيف الدين جقمق نائب الشام سنة ٨٢٢ .

انظر : دور القرآن بدمشق ص ٢٧ – مختصر التنبيه ص ٧ ،

١٣ – وجاء في المخطط اسم « التربة الخلنجيه » وهذا من اغرب الاسماء وما ندري كيف حرّف المؤلف الاسم . والاسم الصحيح «المدرسة القليجية» وقد أوصى بوقفها الامير سيف الدين علي بن قليج المتوفى سنة ٦٤٣ . وتمّ بناؤها سنة ٦٥١ هـ بعد وفاته . ومن اسم قليج جاء اسم القليجية .

انظر : البداية والنهاية ١٣ : ١٧١ – المحبّي ١ : ١٥٨ ، ٣٠٧ – سجل الكتابات ١١ : ٢ ص ١٧٨ ، ٢٤٩ .

١٤ – وجاء في المخطط اسم « جامع دنكز » وصوابه تنكز بالتاء وإليه تنسب دار القرآن والحديث التنكزية .

انظر : البداية والنهاية ١٤ : ١٨٨ ، ١٤ : ٨١ – نزهة الانام ص ٧١.

١٥ – وجاء في المخطط اسم جامع الصابونية والاسم الصحيح « دار القرآن الصابونية » بناها التاجر أحمد بن سليمان الصابوني سنة ٨٦٨.

انظر : درر القرآن ص ٨ – مختصر التنبيه ص ٨ – وقفية المدرسة الصابونية (مخطوطة) عند نسيب بك البكري.

١٦ – وجاء في المخطط اسم « تربة الشيباني » . وهو خطأ . والصحيح انها « التربة الجيمانية » وتنسب إلى الامير سيف الدين جيمان المتوفى سنة ٧٥٤ هـ.

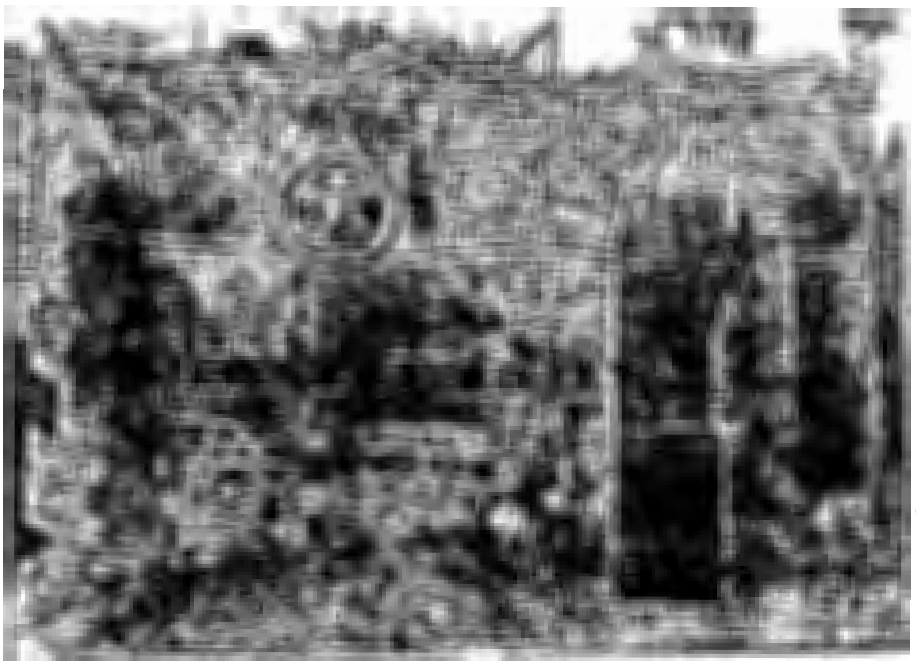

واجهة التربة الجيمانية

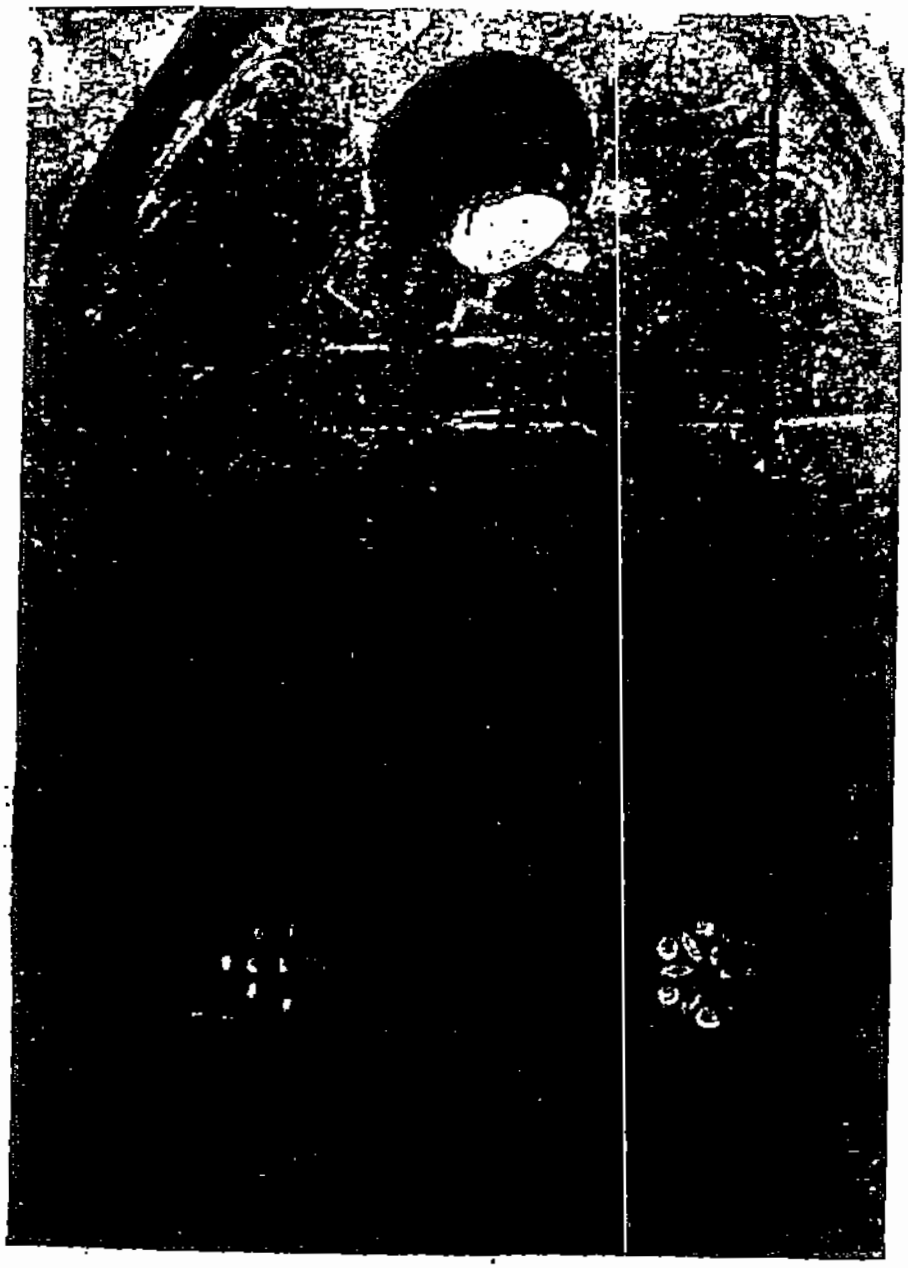

القرية الجيمانية من الداخل

وقد أخطأ جعفر الحسني في اسمها أيضاً فسماها الجيمائية ولا وجه لهذه النسبة . (في تنبيه الطالب) .

فهذه اخطاء وأوهام وردت في المخطط أما الاخطاء التي وردت في الكتاب ، فمنها :

١٧ — جاء في ص ١٠ س ٣ قوله : « إن مدارس دمشق صار عددها في القرن الثالث عشر نحو مائة مدرسة . » وهذه مبالغة خاطئة فلقد أحصينا ، المدارس التي بنيت في القرن الثالث عشر ، (حتى سنة ٦٤٨ هـ الموافقة ١٢٥٠ م ،) فوجدناها سبعاً وستين مدرسة لا مائة . وقد ذكر أسماءها بالترتيب التاريخي كرزول في كتابه المسمى *The Origin of the cruciform plan* وانظر أيضاً : مختصر التنبيه للحموي .

المدرسة المرشدية ومئذنتها

١٨ — في ص ١١ س ٢ ، قال : « حي ساروجة » وهو عامي . قال صاحب الاعلام (٢ : ٤٢٢) . هو صاروجا صارم الدين توفي سنة ٧٤٢ . والعامة تقول ساروجة .

انظر : شذرات الذهب ٦ : ١٢٨

١٩ — في ص ١٥ س ٢٢ ، قال عند كلامه على مئذنة العروس « وبنيت في عصر مليك شاه . » وأثبت الياء بعد اللام في مليك ، وهو خطأ . وصوابه « ملك شاه » و« ملكشاه » وهو أبو الفتح جلال الدولة المتوفى سنة ٤٨٥ هـ (شذرات ٣ : ٧٣٦) . والكتابات القديمة أثبتت اسمه كما أثبتنا . ففي قلعة حلب كتابة

ورد اسمه فيها « ملك شاه » نشرها سوبرنهايم (سجل الكتابات رقم ٢٧٦٩). وفي مسجد دمشق كتابة كوفية أثبتت اسمه « ملك شاه » (سجل الكتابات رقم ٢٧٣٧) .

٢٠ — وفي ص ١٦ س٢ قال « وبناه نور الدين الزنكي » . وإدخال التعريف على زنكي من أخطاء العامة . ونور الدين لم يكن اسمه زنكي . بل كان اسم أبيه زنكي . واسمه هو محمود .

انظر الشذرات ٤ : ١٢٨

٢١ — وقال المؤلف عند كلامه على المدرسة النورية ص ١٩ س ٢ : « ودفن جثمانه (أي نور الدين) فيها عند وفاته » . وهذا القول غير صحيح . قال ابو شامة في الروضتين ص ٢٢٨ : « ودُفن نور الدين بالبيت الذي بناه في قلعة دمشق ازاء الصُفّة » وفي الشذرات (٤ : ٢٣١) « ودُفن في بيت كان يخلو فيه بقلعة دمشق ، ثم نُقل الى مدرسته التي عند سوق الخواصين » .

٢٢ — وقال ص ١٦ س ١٩ : « وكان الاطباء يعالجون المرضى فيه (أي في الايوان الشرقي من بيمارستان نور الدين) . وهذا خطأ . والصحيح ان هذا الايوان كان مخصصاً لتعليم الطب لا لمداواة المرضى ، قال ابن أبي أصيبعة : « وكان أبو المجد ابن أبي الحكم يجلس في الايوان الكبير الذي بالبيمارستان ، وجميعه مفروش ، ويُحضر كتب الاشتغال . فكان الاطباء والمشتغلون يأتون اليه ، ثم تجري مباحث طبية ويقرئ التلاميذ . »

انظر تاريخ البيمارستانات في الاسلام ص ٢١٠ .

٢٣ — وقال ص ١٩ س ٦ : « وأهم أقسام هذا البناء — أي المدرسة النورية — الغرفة التي تحوي قبر نور الدين » ولا يُقال في العربية غرفة تحوي قبراً ، بل يُقال تربة . وقد نقل المؤلف قوله هذا عن الفرنسية فلم يحسن النقل . قال سوفاجه :

La partie la plus intéressante est la salle *du mausolée* qui renferme le tombeau de Nour ad Din.

٢٤ – وقال ص ٢٧ س٢ ان اسعد باشا كان مديرًا للحج . ولم أسمع أحدًا قال مديرًا للحج ، بل كان يُقال امير الحاج .

٢٥ – وقال في الصفحة نفسها س١٠ ، ان قصر العظم رغم حريق سنة ١٩٢٥ ما يزال محتفظًا باوضاع قاعاته الداخلية ، وما فيها من الخشاب مدهونة وهذا القول مطلق لا يؤيده الواقع . واذا كان الامر كما قال ، فأين الاخشاب المدهونة التي كانت في القاعة الكبرى ، واين السقوف الخشبية التي احترقت ؟

انظر دراستنا عن قصر أسعد باشا العظم .

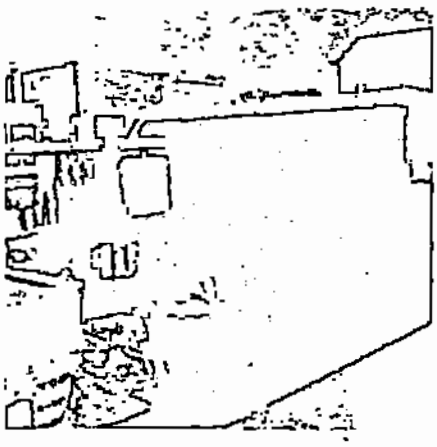

السلاملك في قصر العظم

٢٦ – وفي ص ٢٨ وضع المؤلف صورة لقصر العظم واثبت تحتها ما يلي : « صحن السلملك في قصر العظم » . وهذا خطأ ، لأن الصورة تمثل في الحقيقة صحن الحرملك .

٢٧ – وفي ص ٣٨ وضع المؤلف صورة الخوذة المشهورة الموجودة في متحف دمشق ، وأثبت تحتها ما يلي « خوذة برونزية » وهذا خطأ ، فالخوذة من الحديد .

٢٨ – وأعجب العجائب عدم الأمانة التي تبدو في مخطط تدمر ، وقلب الحقائق . فمخطط تدمر الذي وضع في ص ٦٣ كتب عليه ما يلي « مخطط تدمر نقلت عن دليل تدمر للأب ستاركي » وقد أنث المؤلف كلمة مخطط . وهذا غريب . ثم رجعنا الى مخطط الأب ستاركي ، فوجدنا مخطط الدكتور سليم عادل يختلف عنه اختلافًا كبيرًا . اذ تنقصه الدقة . فالدور التي في شرقي

المعبد والمسرح تبدو بقعاً سوداً . وقد خلط الدكتور عادل فيه بين القبور البروج ، والقبور المنازل ؛ بل ان دليل الأب ستاركي وضع شارة مربع صغير للقبور في البروج فكتب سليم عادل بجانب الشارة نفسها « المدافن الأقبية » . اي العكس ووضع الأب ستاركي شارة مربع صغير في وسطه نقطة سوداء للقبور في المنازل ، فكتب سليم عادل بجانب الشارة نفسها المدافن الابراج . ووضع الأب ستاركي شارة مربع اضلاعه نقاط للصحن المحاط بالرواق فكتب سليم عادل المدافن المنازل . وفي هذا من قلب الحقائق وعدم الامانة في النقل ما لا يُسمح به .

المعلّم نقولا الترك

١٧٦٣ – ١٨٢٨

بقلم فؤاد افرام البستاني

يظهر قريباً في « منشورات مديرية الآثار » اللبنانية « ديوان المعلم نقولا الترك شاعر الامير بشير » وقد ضبط نصوصه ووضع هوامشه الاستاذ فؤاد افرام البستاني ، وقدم له بالبحث التالي:

في الحقبة التي بدا فيها لبنان مستعيداً رسالته الثقافية ، مؤسساً اولى مدارسه في العصور الحديثة ، مهدّاً السبيل لهذه النهضة المباركة التي ما برحنا في خدمة نشرها في مختلف انحاء الشرق والمهاجر ؛ في الحقبة التي شهدت تنافس البطاركة والاساقفة والرهبان في انشاء المعاهد في جرود لبنان وسفوحه ، من اهدن وزغرتا ، الى حوقا وبقرقاشه ، الى عجلتون ووادي شحرور وجبيل ؛ في الحقبة التي شهدت المطابع اللبنانية الاولى ، مار انطونيوس قزحيا (١٦١٠) ، ومار يوحنا الشوير (١٧٣٤) ، ومار جرجس بيروت (١٧٥١) تعدد الكتب المدرسية في سبيل سباق النهضة الادبية ؛ في الحقبة التي شهدت مؤلفات المطران جرمانوس فرحات (١٧٣٢) تحتل اوساط التعليم ، وديوان الخوري نقولا الصائغ (١٧٥٦) يرتفع بمستوى التقليد الشعري ، في تلك الحقبة الحافلة بمظاهر الاختمار الفكري في الشرق الادنى ، وُلد سنة ١٧٦٣ ، في دير القمر ، عاصمة لبنان اذ ذاك ، نقولا بن يوسف بن ناصيف اغا الترك .

وكانت اسرته اليونانية الاصل ، القسطنطينية المنشأ ، قد انتقلت الى الكثلكة في اوائل القرن الثامن عشر ، فنزلت « بلد الامير » لاجئة الى ملاذ الحرية الوحيد في الامبراطورية العثمانية . فنسبها الوطنيون الى « التركية » وعلق لقب « الترك » بشاعرنا .

اما نشأة الشاعر وشبابه فليس لدينا من الوثائق ما يشير اليها ، سوى ما تعلمه من نعته «بالمعلم» دلالةً على ممارسته تعليم القراءة والخطّ بعض ابناء الأسر الارستوقراطية ، وما نعرفه من اتصال ابيه الوثيق بالشهابيين على عهد الامير يوسف ، ومن اختصاصه بابنائه وكاخيتهم جرجس باز وقيامه بالمهمات الدقيقة في سبيلهم[1] حتى ان الامير بشيراً يأمر بقتله سنة ١٨٠٧ ، بعد قضائه على ابني باز ، لا يثنيه عن ذلك شيخوخته ولا خدمات ابنه نقولا ، « لانه - اي يوسف الترك - كان متقدّم عند جرجس باز ويسمع كلامه » ، كما يقول الامير حيدر[2] .

بيد ان هذا الحادث المؤلم لم يمنع الشاعر القيام بمهمته في بلاط الامير ، كما يظهر من ديوانه ، وفيه المدائح المؤرخة بالسنة نفسها وبالسنوات التي تليها[3] الّا انه كان يتجنب ، في كل ذلك ، بل في سائر قصائده ، ذكر جرجس باز وحركة ابناء الامير يوسف . ولعلّه اقام مدةً ، في تلك الحقبة ، في دار المختارة لائذاً بحمى الشيخ بشير جنبلاط . نرجح ذلك ، ولا نجزم به ، لكثرة ما نراه من مدائح الشاعر لسيّد المختارة في هذه الفترة من الزمن[4] .

وكان المعلّم نقولا قد زار مصر منذ ايلول سنة ١٧٨٩ ، كما يظهر من احدى القصائد[5] ، واقام فيها مدةً فكان في القاهرة سنة ١٧٩٣[6] . وقد يكون رجع الى لبنان في السنة التالية[7] ، بعد ان أسّس علاقات طيبة في اوساط « الشوام » اي المهاجرين الى مصر من ابناء لبنان وسوريا واكثرهم تجّار ، وكتّاب دواوين ،[8] ومن المنتمين الى طائفة الروم الكاثوليك ، طائفة المعلّم .

١) تاريخ الامير حيدر (طبعة رستم والبستاني) ١ : ٢١٠ .
٢) الكتاب المذكور ٢ : ٥١٤ .
٣) اطلب الديوان (طبعتنا) ص ٢٢ ، ٢٥٥ ، . . .
٤) اطلب الديوان ، ص ٤٠٠ ، ٤١٢ ، ٤٣٦
٥) الديوان ، ص ٢٠
٦) الديوان ، ص ٩٧
٧) الديوان ، ص ٤٢٨
٨) الديوان ، ص ٢٠ - ٢٤

واذاً فقد كان على معرفة بشؤون ذاك القطر ، وعلى بصيرة في قدر امكانياته الحربية والاقتصادية . وهو ما دفع الامير بشيراً الى ان يعهد اليه في مراقبة الحالة العامة في اثناء الاحتلال الفرنسوي . ذلك ان حملة بونابرت على الديار المصرية كان من شأنها ان يتجاوز تأثيرها تلك الحدود الى الاراضي المقدّسة ، بل الى لبنان نفسه ، وان « الستين الفاً من الدروز » الذين كانوا ينتظرون سقوط عكا لينضموا الى الجيش الفرنسي ، كما يقول دي فورَبن[1] ما كانوا ليتهوّروا في هذه المغامرة الا بعد ان يعرف اميرهم ، حق المعرفة ، مقدّرات هذا الجيش وامكانيات المقاومة في الحامية المصرية . فكان على المعلّم نقولا ان يحسن المراقبة من مقرّه ، في القاهرة اولاً ، ثم في دمياط ، وان يدوّن كلّ ما يتصل به من اخبار الجيوش وحركاتها ، وعددها وعُددها ، وان يُرسل بخلاصة ذلك الى اميره . وكان لا بدّ من ان تمرّ هذه الرسائل ، في طريقها الى لبنان ، بمنطقة الجزّار ، فيتعرّض حاملوها للمخاطر . ويذكر أليكسندر كَرْدَن ان احدى هذه الرسائل كانت سبب مصيبة أنزلت باحد اخوة المعلّم ، وكان مقيماً في عكا[2] .

وقد كوّنت معلومات المعلّم وملاحظاته كتاباً ضخماً غدا من اهم المصادر التاريخية في الحملة الفرنسوية على مصر ، نشر قسماً منه في باريس ، مع ترجمته

---

(١) cf. De Forbin, *Voyage dans le Levant*. Paris, 1819

(٢) A. Cardin, *Expédition française en Egypte, par Mou'allem Nicolas El-Turki*. Paris, 1838, p. 2.

– ولا نعرف اسمه ، لان الديوان لا يتضمّن من اسماء انسباء الناظم الا اسم ابنه فتح الله المولود سنة ١٨١٢ ، واسم اخيه شبلي المتوفى سنة ١٨١٣ ، كما يُستنتج من شاهد قبره في ساحة كنيسة النبي الياس في دير القمر ، او سنة ١٨٢٣ كما يُستنتج من تأريخ وفاته بالديوان (ص ١٧٢) – ولا يمكن ان يكون هذا ضحيّة الجزّار – واننا نجد ، بعد تاريخ وفاة شبلي الترك ، على اللوحة القبريّة نفسها ، تاريخاً لوفاة رجل اسمه ناصيف ، لعلّه من اخوة المعلّم ، ولعلّه اكبرهم جرياً على العادة بتسمية البكر باسم الجدّ . الا انه لا يصحّ ان يكون ضحيّة الجزّار كذلك لان وفاته حصلت سنة ١٧٨٠ . وفي الديوان ذكر لابن اخت للناظم يدعى جرجس عايده كان مقيماً في دمياط ، والناظم بالقاهرة سنة ١٧٩٩ (ص ٨٦ – ٨٧) . وهناك ذكر لابن اخت آخر لم يصرّح باسمه كان مقيماً في بيروت (الديوان ص١٦٥ – ١٦٨) .

الفرنسوية ، المستشرق ديغرانج[1] الذي عرف المعلم نقولا في ديرالقمر ؛ وترجم ملخصه المستشرق كاردن في باريس ايضاً[2] ؛ ونقله بحرفه تقريباً الامير حيدر شهاب في تاريخه الكبير « الغرر الحسان في اخبار ابناء الزمان »[3] والكتاب ، وان جرى على الطريقة القديمة في التأريخ سنةً فسنةً ، وان لم يتخطَّ الاحداث الى التعليل والنقد ، الا انه يمتاز بدقّة في النظر ، وصواب في الحكم ، وتحرٍّ لبعض المعلومات ، ولباقة في الوصف اعجب بها ديغرانج حتى نسبها الى الفنّ ، كما اعجب بحرارة السرد في ذكر بعض المعارك[4] ، ولا نراها بعيدة عمّا كان يقرأه الترك في « سيرة عنتر ».

ومما يزيد في قيمة الكتاب ان المؤلف كان على اتصال بكبار القوم ، وطنيين واجانب ، حكاماً وولاةً وموظفين ، وتجاراً ، يقف على احوالهم واعمالهم ويؤرخ اهمّ احداثهم . فاذا دخل الجنرال بونابرت القاهرة فاتحاً هنأه بقصيدة حماسية[5] ، وارّخ ذاك الحدث المهم سنة ١٢١٣ هـ . (بدؤها ١٥ حزيران ١٧٩٨) ، واذا قُتل الجنرال كليبر رثاه بقصيدة عاطفية تاريخية كذلك ، ملخّصاً فيها اعماله المجيدة في المعارك وانتصاراته العديدة[6] . واذا اخلى الفرنسيون مصر ، فوليها باسم السلطان يوسف باشا المعدني ، ارّخ هذا الحادث ايضاً ببيتين ، وذكر عدل

---

١) M. Desgranges aîné, *Histoire de l'Expédition des Français en Egypte, par Nakoula El Turk*. Paris, 1839.

ذكر فيه جمهور الفرنساويّة الاقطار المصرية والبلاد الشامية ، تأليف معلم نقولا التركي . طبع في مدينة باريز المحميّة ، بدار الطباعة السلطانية ، سنة ١٨٣٩ المسيحية .

٢) *Journal d'Abdurrahman Gabarti pendant l'occupation française en Egypte*, suivi d'un *Précis de la même campagne par Mou'allem Nicolas El-Turki, secrétaire du Prince des Druzes*; traduit de l'arabe par Alexandre Cardin, drogman chancelier du Consulat général de France en Egypte. Librairie Orientale, Paris, 1838.

٣) طبعة اسد رستم وفؤاد افرام البستاني ، بيروت ، ١٩٣٣ ، المجلد الثاني ، ص ٢١٢ – ٢٤٠

٤) Desgranges, *op. cit.*, p. VII

٥) الديوان ، ص ١٨٠ – ١٨٣

٦) الديوان ، ص ٤٢٨

الوالي وسهره على راحة الرعية[1]. واذا زوّج المعلم ملطي القبطي ، كاتب ديوان الوالي ، ولده بمقوب ، لم يترك الشاعر الفرصة تفوته فهنأه مؤرخاً[2] واذا اجمع « تجار الشوام » على تنظيم حلف يربطهم ويؤمن مصالحهم ، مدحهم الشاعر ونصحهم موثقاً[3]. واذا وصل اليه في دير القمر ، بعد تركه مصر ببضعة عشر عاماً ، ان « احد احبابه المدعو باسيلي فخر قنصل دولة فرنسة ووكيل غيرها من الدول قد اشترى قصراً في مدينة دمياط ، هاداه بابيات » تاريخية استعادت ذكرى الليالي الآنسة على ضفاف النيل.[4]

❦

ترك المعلم نقولا مصر ، آسفاً عليها ، سنة ١٨٠٤ ، عائداً الى دير القمر ، مستعيداً « مذهب التدريس ، بعض مكايد ابليس » بعد ان كان قد « خرج من القاهرة ، بثروة وافرة »[5]. ولا ندري أكانت تلك الثروة حقيقية ام جذبتها السجعة . الا اننا نتحقق من مظاهرها عبدةً سوداء التي بها المعلم ، وكانت تشكو البرد ايام الشتاء فتصيح بلسانها ولسانه ، على ما يظهر :

ابن الصفا ، ابن الدفا ابن الاراضي المشوية
بل ابن مصر وصفا تلك الليالي الطيبة[6]

وقد كان اول همّه ان يعمل على ابتناء دار لائقة . فألف تلك المقامة المشهورة «بالديرية» وقدّمها الى الامير سنة ١٨٠٤ — وكان الامير لا يزال في دير القمر قبل بنائه قصر بتدين — يحلم فيها بانه امتلك ارضاً بالقرب من قبة الشربين ، وبُني له فيها « خير سكن ، واشرف مستكن.»[7] وقد تحقّق الحلم على اتمّ وجه ، فامر الامير للشاعر بالارض المطلوبة ، واشار على اولاده وعلى

١) الديوان ، ص ٤٢٩
٢) الديوان ، ص ٩٧
٣) الديوان ، ص ٢٣
٤) الديوان ، ص ١١٨
٥) الديوان ، ص ٢٧٤
٦) الديوان ، ص ٢٦٣
٧) الديوان ، ص ٢٤٦

الشيخ بشير جنبلاط بان يعينه كل منهم بما تيسر حتى كانت له تلك الدار الفسيحة الجميلة ، بالهندسة اللبنانية المعروفة في اوائل القرن التاسع عشر[1] .

ومن ثم تقيد الشاعر بمدح الامير وابنائه ، وانسبائه ، وبمدح الشيخ بشير جنبلاط ، وسائر رجال الاقطاع في ذاك العهد . ولنا في ديوانه الوثائق العديدة ، والمصادر المختلفة في معرفة تلك الحياة الاقطاعية سلماً وحرباً ، جداً ولهواً ، كما ان فيه الوثائق الكثيرة كذلك في حياة الشاعر الخاصة . تعرف منها انه لم يكن له مرتب خاص انما كان يعيش على «كيس الاجاويد» ، كما يُقال ، «والاجاويد» كثيرون . فاذا احتاج الى شيء من مأكول او مشروب ، او ملبوس ، او مركوب ، حرّك قريحته فتحركت اليه الهدايا : الحبوب على اختلاف انواعها : الحنطة ، العدس ، الحمص ، الارز ؛ الجبن والزيت والسمن ، العرق والنبيذ ، الدخان والعطوس ؛ يتبارى في تقدمتها الامراء جميعهم ، ولا سيما الامير حيدر المؤرخ ، وقد يشترك معهم المشايخ كالشيخ بشير جنبلاط والشيخ بشاره الخازن . اما الامير الكبير فكأنه كان يختص بخلع الفراء في الشتاء ، والسراويلات ، والعباء ، والعمائم ، وما يترتب في المواسم والاعياد خاصة ولا سيما المرافع ؛ واهداء المطايا من برذون او بغل او حمار .

ويطول بنا الكلام اذا عرضنا بالتفصيل لهذه المطالب جميعها ، والديوان حافل بها ، لا يتحرّج صاحبه من ذكر حاجة ، حتى جذوع الزنزلخت ليسقف بيت المؤونة الذي سقط في شتاء سنة ١٨١٢ ؛ وبدل علبة عطوس اضاعها — او ادّعى انه اضاعها — في دار الامير حسن شهاب في وادي شحرور الخ . . .

وهكذا أمكن الشاعر ، وقد اطمأن الى ضمان حاجاته المادّية ، ان ينصرف بكليته الى وصف عصره وبيئته . فترك لنا عن حياة الامير واعماله ومُنشآته ، من قصور وجنان وبرك وحمامات ، وخطراته للصيد والقنص ، وملاهي بلاطه ، حتى لعب الورق في ليالي الشتاء الباردة ، وعن علاقاته برجال

---

١) لا تزال هذه الدار قائمة ، على خراب اكثر ساكنها . وقد انتقلت من ورثة الحاج نقولا الى موسى شوعا الاسرائيلي الدبري ، ثم الى موسى سعد ، وهي باقية ، في اكثر اسمها ، بيد ورثته .

الاقطاع في عصره ، واتصالاته بالولاة في جواره ، ادقّ الوثائق . فاصبح الديوان من المصادر المهمّة لا يُستغنى عنه في تاريخ الحقبة الممتدّة من السنة ١٧٩٠ الى السنة ١٨٢٥ ، بل في تاريخ مختلف الابنية في قصر الامير في بتدين ، وفي قصر الشيخ بشير جنبلاط بالمختارة لانه كما اتصل الشاعر بالامير الكبير مادحاً ومهنئاً ومؤرّخاً ، اتصل كذلك بالشيخ بشير مادحاً ومهنئاً ومؤرّخاً ، ومقيماً بعض الاحيان بدار المختارة ، وكما خصّ بالامير « كتاباً » من ديوانه هو الجزء الثالث ، خصّ بالشيخ كذلك « كتاباً » هو الجزء الاخير من ديوانه . ولا يخفى ان الشيخ بشيراً كان ينافس الامير في الكثير من اعماله ومنشآته ومظاهر كرمه ، فكان الشاعر المؤرّخ يدوّن ذلك بامانة ، وان لم تبلغ قصائده في الشيخ عدداً وروعةً قصائده في الامير ، كما ان درجة الشيخ لم تبلغ درجة الامير ، ولا قصر المختارة ادرك ذروة قصر بتدين .

والى جنب الشيخ بشير ينبغي ان نذكر عدداً كبيراً من رجال الاقطاع ، امراء ومشايخ ، مدحهم الشاعر فالقى ضوءاً على اعمالهم ومهّد للمؤرخ السبيل الى تأريخها ، كسائر الشهابيين والارسلانيين ، والخازنيين ، والدحادحة ، والنكديين وغيرهم . وكان يزور الشاعر بعضهم فينزل اياماً في بيوتهم ، كما كان ينزل في ديورة الرهبان كذلك ، ولا سيما دير المخلّص .

ولم يكتفِ الشاعر بتصوير البيئة الارستوقراطية في المجتمع اللبناني ، بل كثيراً ما وصف حياته وحياة انسبائه واصدقائه ، في بعض المواسم والاعياد ، بل في الحياة الجارية الرتيبة واحداثها المتنوّعة من عادية كالولادة والموت ، ومن غريبة مفاجئة كهجوم الاوبئة وما تتطلب من طرق وقاية وانواع علاج . وللشاعر ، في هذا الباب ، ارجوزة شهيرة ضمنها كلّ ما يُعرف في عهده عن وبأ الطاعون[1] ، من دلائل واوصاف ، وكل ما كان يُطلب من السكان في حال ظهور الوبأ من احتياط واهتمام ، مستعملاً الالفاظ الوضعية والمصطلحات الخاصة ، مما يجعل للارجوزة قيمةً لغوية في هذا الموضوع . وكذلك القول في

١) الديوان ، ص ٥٤ – ٥٨

ما خصّ القيمة اللغوية والاصطلاحية ، عن ارجوزة اخرى خصها الشاعر بالصيد بواسطة البازي[1].

ومن فوائد الديوان الادبية التاريخية ما تضمن من مساجلات ومراسلات بين الشاعر وزملائه المديدين امثال بطرس كرامه ، والياس اده ، وصالح الترشيحي ، وامين الجندي ، وعثمان الحموي ، وعمر البكري ، ولطفي ديه ، وعبدالله الحلبي ، من شعراء العصر ومؤرخي مآتي الامراء والمشايخ على طريقته ، ومنهم من لا نعرفه الّا بفضل ديوان الترك .

ولنشر الى ما في الديوان من تعابير دخيلة ، ومصطلحات خاصة ، والفاظ عامية بقيت في لهجتنا اللبنانية من عهود سحيقة ، وكلها تشترك في جعل الديوان صورة حية لذلك العصر

وهو صورة صادقة لحياة الشاعر كذلك : اسفاره بين مصر ولبنان ، اقامته في دير القمر وتنقلاته في المدن والقرى اللبنانية ، زياراته للامير بشير ونزوله على بعض الامراء والمشايخ ، او في ديورة الرهبان ، وجوده في بيروت ضيفاً على ابن اخته في اثناء بعض الحوادث والقاء القبض عليه وحشره الى الحبس ثم خلاصه من تلك المحنة ؛ عبث الامراء به و « تنكيتهم » على شعره ، المساجلات والمداعبات بينه وبين اصدقائه من النُظّام ، سرقة بعضهم شعره وغضبه عليهم ، كلّ ذلك نجده موصوفاً بدقة ومصوّراً باخلاص ومؤرّخاً في الديوان . كما نجد وصف الاحداث الخاصة في حياته العائلية : خلافه مع ابن اخته جرجس عايده ، ولادة ابنه فتح الله سنة ١٨١٢ وابتهاجه بذلك ، وفاة اخيه شبلي ، سقوط سقف بيت المؤونة ، وانهيار القناطر في داره ، وفاة برذونته الشقراء وولادة حمارته ، اطلاق لحيته جرياً على السنة التي سنها الامير بشير سنة ١٨١٣ فتبعه عليها كبار القوم وشعراء البلاط . ويتجاوز ذلك الى احوال الصحة والمرض فيذكر ألمًا اصاب احدى عينيه سنة ١٧٩٩ ، وهو نزيل القاهرة . وكأنّ هذا الالم ازداد او تجدّد ، على تقدّم الشاعر في السنّ ، فقوي سنة ١٨١٦ ، والشاعر

---

١) الديوان ص ٢٦١ – ٢٦٥

في ضيافة دير المخلص ، حتى فقد عينه[1] . وقد يكون الداء ظلّ يعمل الى ان ذهب بالعينين معاً ، فغدا الشاعر كفيفاً في أخريات ايامه يُملي ابياته على ابنته وردة[2] . واصيب الشاعر كذلك بعارض مفاجئ من نوع الفالج نزل بجانبه الايمن ،

فبات ملقىً طريحاً غير مقتدرٍ على القيام ، ولا رجلاه تنتصبُ[3]

وكان ذلك سنة ١٨١٦ ، فاطال الشكوى وطلب من الامير بشير ان يرسل اليه طبيباً[4] . وقد يكون شفي من هذه النازلة[5] ، او خفّ اثر الفالج به ، فاقام مدةً لا يرى بأساً ، متابعاً عمله في مدح الامير ، مضيفاً نظم بعض المزامير تقرّباً الى الله ، وتسهيلاً لشرعها على افواه الناس ، « فينشدها العابدون ، ويرتّلها المرتّلون ، ويألفها اولاد المدارس ، لما في الشعر من عبارات نفائس . »[6] حتى اذا مرض مرضاً خاله الاخير انشأ خمسة ابيات لتنقش على قبره[7] . وقد نقشت بالفعل على بلاطة جعلت فوق قبر الشاعر في الحائط الشمالي الداخلي من ساحة كنيسة النبي الياس للروم الكاثوليك في دير القمر . الّا انه أُضيف اليها بيت سادس نُسب الى الشيخ ناصيف اليازجي ، على كونه متضمّناً تاريخ وفاة الشاعر ، وهو :

واقبل هتافي الذي تاريخه ابداً اني على رحمة الكافي توكلتُ

---

١) الديوان ، ص ٤٠٦

٢) عيسى اسكندر المعلوف : « في المشرق » ٣٩ [١٩٣١] ٢٨٨ – ولا نرى ذكراً لوردة في هذا الديوان . وقد ترجم لها الاستاذ عيسى اسكندر المعلوف في مجلة الآثار (١ : ٢٦٢) وقال انها تزوّجت بحبيب الصوصه من دير القمر ، ورزقت ولدين اديبين توفيا بلا عقب . كما ان اخاها فتح الله توفي يافعاً ، فانقطع نسل شاعرنا .

٣) الديوان ، ٤٤ ، وقد اكثر من ذكر هذا العارض في ص ٤٠ ، ٤١ ، ١٤٥ ، ١٩٤ ، ٢٦٨ ، ٣٧ ، ٤٠٣ ، ٤٠٤

٤) الديوان ، ص ٢٢١

٥) الديوان ، ص ٢١٤

٦) الديوان ، ص ٢٢١ – نظم الشاعر عشرة مزامير هي التسعة الاولى والمزمور الخمسون .

٧) الديوان ، ص ١٧٧

بيد اننا اذا تدبّرنا مجموع الارقام التي تمثلها حروف التاريخ من هذا البيت رأينا انها تبلغ ١٨١٦ ، — وعمر الشيخ ناصيف اذ ذاك ست عشرة سنة — ولا يمكن ان تكون هذه السنة تاريخاً لوفاة الشاعر ، لاننا نعرف له القصائد الكثيرة نظمها بعد هذا التاريخ. واذا اعتبرنا الالف المقصورة في « علىٰ » ياء — وهو تخريج قد يُلجأ اليه — كان لنا ١٨٢٥. ولا نراه موافقاً كذلك. وقد جاء في مجلة « المسرّة »[1] ان وفاته حدثت سنة ١٨٢٦ استناداً الى بيت منقول عن مجموعة خطيّة في دير الشير ، — وهو آخر الابيات التي نقلناها في حاشية الصفحة ١٧٧ من الديوان وورد تحتها سنة ١٨١٦ — ؛ اما ارقام البيت فتبلغ في رواية « المسرّة » ، ١٧٦٩ ، وفي روايتنا ١٨٠٩ . وليس في كل هذه المجموعات ما يقرب من الحقيقة .

اما سنة الوفاة فالارجح انها ١٨٢٨ ، على ما اثبته الاب شيخو في « تاريخ الآداب العربية في القرن التاسع عشر » ، وفي « كتاب المخطوطات العربية لكتبة النصرانية »[2] استناداً الى ما وجده في مقدّمة تاريخه المطبوع في باريس ؛ وعلى ما ذكره عيسى اسكندر المعلوف في « دواني القطوف »[3] ثم في «المشرق»[4]. ونحن على هذا القول الى ان يثبت خلافه بطريقة واضحة.

واما القبر فلا يزال معروفاً في ساحة كنيسة النبي الياس للروم الكاثوليك في دير القمر ، يشير اليه شاهد في الحائط الشمالي ، وهو بلاطة مستطيلة حُفرت فيها الابيات الستة المعهودة.[5]

---

١) سنة ١٩٢١ ، ص ٤٢

٢) الاب لويس شيخو : تاريخ الآداب العربية في القرن التاسع عشر ، الطبعة الثانية ، بيروت ، ١٩٢٤ ، ١ : ٢٢ ؛ والمخطوطات العربية لكتبة النصرانية ، بيروت ١٩٢٤ ، ص ٧٤ — والطلب « المشرق » ١٩ [١٩٢١] ٧٨

٣) عيسى اسكندر المعلوف : دواني القطوف بيروت ، ص ٢٢١

٤) عيسى اسكندر المعلوف : تواريخ الامبراطور نابوليون بونابرت باللغة العربية ولا سيما تاريخ نقولا الترك اللبناني منها ، في « المشرق » ٢٩ [١٩٣١] ٢٨٧

٥) تحت بلاطة نقولا الترك ، بلاطة مستديرة فيها ستة ابيات في تاريخ وفاة رجل اسمه استفانوس . وتحتها بلاطة مستطيلة ذات قسمين : في القسم الاول بيتان لشاعرنا في

هذا هو الديوان الكبير يرافق حياة الشاعر الخاصة والعامة ، محتوياً على نحو خمسمائة قصيدة ومقطوعة تتناول ، بلغة القرن التاسع عشر ، حقبة حافلة بالاحداث من حقب تاريخنا المستطيل ، فتصورها سياسةً وادارةً ، واجتماعاً ، وثقافةً ، ودينًا ، واخلاقاً وعادات وتقاليد ، فوق ما تشير اليه من احداث طبيعية ، وغرائب مناخية ، وكوارث ناجمة . واذا بالديوان ذو قيمة تاريخية ولغوية وشعبية لا يصح ان يستهين بها المؤرخ البصير الواعي لجميع تطورات المجتمع .

بيد ان قيمته الشعرية دون ذلك بدرجات . فهو لا يسمو في شيء فوق آثار التقليد النظمي المتتابع في عصور الانحطاط ، بل قد يقل عنها قوة سبك وشدة ضبط ، وان كان يزدهي حيناً بالصورة الطريفة ، والوصف المبتكر . ذلك ان لغة العرب لم تمنح تماماً لحفيد اليونان . فظل شاهد عصر جليل ، دقيق النظر ، مرهف الشعور ، صائب القياس ، بصير الحكم ، ولكنه بطيء التعبير .

تاريخ وفاة اخيه شبلي سنة ١٨١٣ – وقد ورد هذا التاريخ في الديوان (ص ١٧٣) ١٨٢٣ – وسبب الخلاف زيادة الياء على اسم شبل . وفي القسم الثاني خمسة ابيات في تاريخ وفاة رجل اسمه ناصيف ، كان نياحه في ٢٣ آب ١٧٨٠ مسيحية ، (راجع الحاشية ٢ من الصفحة ٨٩

اديار دمشق وبرّها : ٢ بقلم حبيب زيات

دير بشر

بين حجيرة وسبينة الشرقية

مما يزيد في غموض تاريخ الاديار والمعابد النصرانية في الاسلام ضياع كل خبر عنها قبل الفتح ، وفقدان كثير من اسمائها الرومية او السريانية ، فلا يُدرى من احتلها من الرهبان ورجال الدين قديماً ، وهل كانت في الحقيقة منازل للزهاد والنساك ام بِيَعاً من بيَع القرى التي كانت منتشرة في الغوطة وبرّ دمشق ، واستولى عليها العرب عنوة وقهراً . ولذلك لم تدخل في عهد الصلح الذي رُوي لنا بغير لفظه الاصلي ، وسُردت فيه اسماء الكنائس بمواقعها الاسلامية في الدروب والمحالّ العربية ، دون اقلّ اشارة الى ألقابها ونسبها القديمة ، كما عُدّدت لا شك في نسخة عهد خالد بن الوليد الذي كتبه للنصارى حينما كانت خطط دمشق واحياؤها لا تعرف الا باسمائها الاعجمية كالفسقار والفورتق والجينيق واشباهها ، مما فاتنا معرفته وزاد في جهلنا ماضي التاريخ البلدي حتى اصبح البحث فيه بحثاً في الطلاسم والرُقى.

ونحن على يقين انه لو كان نقل لنا بعض اسماء الاعمار والمعابد المسيحية ، كما كانت في ايام البيزنطيين ، لتيسّر لنا الاهتداء الى جانب من اخبارها واسماء رجالها باستقراء تواقيع الوفود والنواب في ذيول المجامع التي روى لنا كتبة السريان نُبذاً من انبائها واوصافها ، والمحوا الى ما كان منها في الشام في بعض مخطوطاتهم ، التي كانت محفوظة في دير صيدنايا قبل ان يحرقها الروم اليونان غباوةً وتعصباً لكونها بالسريانية ، او كانت في جملة مصاحف دير مار جرجس في بلودان من ضاحية دمشق التي عبث بها الدهر وبدّدتها يد المصائب والغارات .

وقد سبق القول ان بشراً المنسوب له الدير هو بشر بن مروان بن الحكم

الاموي ، أضيف الدير اليه إمّا لاستحواذه عليه وهو ابن الخليفة ، او لجواره ارضاً له ما لبث ان دخل فيها الدير ونُسب اليه ، ونشأ منها ومن بقعته قرية اشتهرت باسم الدير ككثير من البقاع في الشام التي اطلقت بالاديار ، كدير مران ، ودير حنتيا ، ودير سمعان في حمص وممرة النعمان واذا صحّ استيلاء الامير بشر في اوائل الدولة المروانية على الدير اتضح لنا سبب سكوت الرواة والشعراء عن ذكره ، وهو في باطن الغوطة بعيد عن مزار السابلة ، خالٍ من الحانات ودور الضيافة التي كانت تألفها المارّة وعشاق الحور النصرانية

واوحد من اشار الى دير بشر ياقوت الرومي ، واقتصر على القول انه كان بالقرب من حجيرة من قرى الغوطة دون زيادة في التحديد والوصف ، ولا يزال اسمه باقياً الى اليوم في جوار قرية سبينة الشرقية المعروفة . وقد وُفق الاستاذ صلاح الدين المنجد الى الحصول على حجة وقف للشيخ سيف الدين الرُجيسي بن سابق ورد فيها ذكر دير بشر وحدوده وبقعته والنهر المعروف به نشرها بكاملها في مجلة « المشرق » (٤٢ [١٩٤٨] ٣٤٨—٣٥٢) ويؤخذ من المخطط الذي رسمه ان دير بشر كان في شرق قرية سبينة الشرقيـة وغرب قرية حجيرة .

٣

دير بطرس ودير بولس

في نواحي بني حنيفة في الغوطة

ذكرهما ياقوت في « معجم البلدان » والبكري في « معجم ما استعجم » ونقل كلامهما عن ابي الفرج الاصبهاني دون زيادة . وهذا نصّ ما كتبه ابو الفرج قال : « هذان الديران بظاهر دمشق بنواحي بني حنيفة في ناحية الغوطة والموضع حسن عجيب كثير البساتين والاشجار والمياه قال جرير :

اذا تذكرت بالديرين أرّقني صوت الدجاج وضرب بالنواقيس
فقلت للركب اذ جدّ الرحيل بنا يا بُعدَ يبرينَ من باب الفراديس

وفيها ايضاً يقول يرثي ابنه :

اودى سوادة بيدي مقلتي لجم ... بار يضرمر فوق المركب العاب
الا تكن الك بالديرين باكية ... فرب باكية بالرمل مسوال
قالوا نصيبك من اجر حثلت لهم ... كيف القرار وقد فارقت اشباني (١)

يريد بالرمل رمل يبرين الذي استبعده في البيتين السابقين ولا شك ان اسم « الديرين » كان قد أطلق على البقعة التي كانت تجاورهما كما اطلق اسم دير مران ودير حنيا على ما حولها من المنازل والجواسق والبساتين .

وقد امعانا البحث لنعلم اين كانت ناحية بني حنيفة في الغوطة . فلم نجد من اشار اليها . ولو كانت سلمت لنا كتب الديارات للخالديين ، وهشام الكلبي ، والسري الرفاء ، والسمياطي ، ومحمد بن رمضان النحوي ، لربما كنا نجد في احدها اشارة الى ناحية بني حنيفة او تحديداً لها ويؤخذ من بيتي جرير ان الناحية المذكورة كانت غير بعيدة عن باب الفراديس ، وكان فيما يظهر بائناً فيها حين أرّقه ضرب نواقيس الديرين لصلاة الرهبان في السحر فتذكر مسافة ما بين منزله فيها ويبرين وجهة ركبه الراحل فقال : « يا بُعدَ يبرينَ من باب الفراديس » . ومن ثمّ لا بد من تطلب هذين الديرين في ظاهر باب الفراديس ، لا في ظاهر الباب الشرقي كما فعل دوسو ، حين تناسى دير بطرس منهما واقبل يتفقد دير بولس في موضع الدير الذي اشار اليه انطونن دي بلزانس في القرن السادس للميلاد على بعد ميلين من الباب المذكور في المكان الذي روت التقاليد ان المسيح ظهر فيه لبولس في طريق سيره الى دمشق (٢) . وقد نصّ جرير وابو الفرج الاصبهاني على تجاور الديرين ، فلا سبيل الى اطراح احدهما وارتياد دير مار بولس وحده ، ولا سيما وقد شهد بعض الزوّار ان المعبد الذي كان على اسمه هنالك كان كنيسة لا ديراً .

ومما يؤيد كون الديرين في ناحية باب الفراديس ان ابن حمدون حين صحب الخليفة العباسي المتوكل على الله وزار مدينة دمشق سنة ٢٤٤ / ٨٥٨ قال : « فمنّ للمتوكل ان يطوف كنائس الزهاد والموضع المعروف بالفراديس فنزلنا

(١) معجم البلدان ٣ : ٦٨٣ – ٦٨٤ ؛ ومعجم ما استعجم ٢٦٨ – ٢٦٩ .
(٢) R. Dussaud, *Topographie Historique de la Syrie...*, p. 297

منزلاً بين كنائس عظيمة وآثار قديمة.» ولا شك ان ديري بطرس وبولس كانا وقتئذ في جملة الديارات التي استقراها المتوكل وشاهد ما فيها من عجائب الصور واحداث الرهبان وبنات القسيسين[1].

وروى ابن قُتيبة ان المراد «بالديرين» في قول جرير «دير صليبا» وانما ذكره بلفظ التثنية لضرورة الوزن كعادة الشعراء كثيراً في تثنية الاعلام في اشعارهم[2]. وقد تتبعنا هذه التثنية في اقوالهم فوجدنا منها شواهد كثيرة ومن ادلها على ذلك قول ابي نواس:

ما عدت بالماء حتى رأيتها مع الشمس في عيني أباغ تدور

وحكي عن ابي نواس انه قال: جهدتُ ان تقع في الشعر عين أُباغ فامتنعت علي فقلت عيني اباغ ليستوي الشعر[3]. وكان جرير مولعاً بمثل هذه التثنية ليستقيم له الوزن كقوله:

فلا يغرنّ المروتين ولا الصفا ولا مسجد الله الحرام المطهرا[4]

وانما هي المروة لجبل بمكة ونظير ذلك قوله في جبل عمانية:

لو ان عُمم عمانيتين ويذبل سمعت حديثك انزلا الاوعالا[5]

ولكنه في ابياته في باب الفراديس ثنّى الديرين، لانه كان هنالك اثنان حقاً دير مار بطرس ودير مار بولس، ولعلّ احدهما كان للرهبان والثاني للرواهب، وهو ما ينفي قول ابن قتيبة. وقد فاته ايضاً ان دير صليبا كان يشتمل في الواقع على ديرين للرجال والنساء كما نبّه على ذلك ابن شداد في كتابه «الاعلاق الخطيرة» فتفسير ابن قتيبة التثنية بضرورة الشعر خطأ على كل حال.

---

١) الخزانة الشرقية ٢ : ١٤
٢) الشعر والشعراء، طبعة ليدن، ٢٠٠
٣) معجم البلدان، طبعة اروبة، ٣ : ٧٥٧
٤) معجم البلدان، طبعة اروبة، ٤ : ٥١٢
٥) معجم البلدان، طبعة اروبة، ٣ : ٧٢١

٤

دير بولس في سكّا

سكّا من قرى قضاء دومة الجندل ، بالقرب من النعولة في الشمال الشرقي منها ، تبعد عن دمشق ١٧ كيلومتراً . ذكرها ياقوت في قرى الغوطة وقال : بينها وبين دمشق اربعة اميال ، وروى قول حسّان بن ثابت فيها وفي بلاس وداريا :

إن الدار اقفرت غسان بين شاطي اليرموك فالصّان(١)
والقريّات من بلاس وداريا وسكّا فالصور الدواني

وعنده ان اصل الاسم بالتشديد والمدّ اي سكّاء كأنها مؤنث الأسك اي الاصم ولا يخفى ما في هذا القول من التحكم والادعاء الباطل في ردّ كل اسم اعجمي الى معدن عربي ، واستشهد على المدّ بقول الراعي يصف ابلاً له :

فلا ردّها ربي الى مرج راهط ولا برحت تمشي بسكّاء في رمل(٢)

وانما مدّها الراعي لضرورة الوزن ولهذا المدّ اشباه ونظائر في الشعر .

ومما ينفي كل ظنّ وتمثل في عربية سكّا اكتشاف قبريّات فيها يونانية من القرن الثالث للميلاد اي قبل مجيء العرب بنيف وثلاثة قرون(٣) . وكانت من منازل الغسانيين لا شك كداريا وبلاس ولذلك جمعها حسّان بن ثابت في مديحه لجبلة بن الأيهم(٤) . ولما قتل ابن بيهس في الخلافة العباسية القاسم بن ابي السيطر من ذرّية خالد بن يزيد بن معاوية نصب رأسه على باب سكّا وحوله اعلاماً سوداً وقال :

---

١) في الاصل «شاطي اليرموك فالصّان» قال « الصّان فيما احسب من نواحي الشام بظاهر البلقاء (معجم البلدان ٣ : ٤١٧) وهو وهم منه دعاه الى هذا الحسبان . والصواب « الحسان » وهو كما قال في موضعه « من نواحي البثنية من ارض الشام» (٣ : ٤٦٩)

٢) معجم البلدان ٣ : ١٠٥

٣) Waddinghton 2362 a. b.

٤) ديوانه ، طبعة ليدن ، ٥٥

سقتني من امية باقيات على الايام من بيض الوقائع
ولستني وقيمة يوم سكا وما اعطيته يوم الصوامع[1]

ويؤخذ من مخطوط سرياني في خزانة بريتيش موزيوم رقم add. 14602 انه كان في سكا دير قديم للمعاقبة يعرف بدير مار بولس ورئيسه الراهب يوحنا وقع عنه الراهب اسطفان من دير مار سلمون ، في جملة الموقعين من اساقفة فينيقية لبنان وحوران في جوابهم على رسالة احبار الكنيسة اليعقوبية سنة ٥٦٩؛ وفي فهرست المخطوطات السريانية اسماؤهم بالتفصيل[2]. ولعل دير مار سلمون هو « دير سلمان » القرية المعروفة اليوم في قضاء دومة .

ولم نقف في الآثار العربية على اقل اشارة الى هذا الدير ولا يخلو ان اسمه كان مذكوراً في بعض المخطوطات السريانية التي احرقها او اضاعها جهلاً بعض الحمقى والمتعصبين كمخطوطات دير صيدنايا وغيرها من القرى الارامية .

٥

دير مار تاودورس

في النيرب

ورد ذكره في مجموع من الرقوق وقفنا عليه في خزانة بريتيش موزيوم (Or. 5091. f. 100) في مفتتح « قصة وشهادة روح الشريف القرشي المسمى انطونيوس بالرقة » قيل فيها : « كان في زمان الرشيد ملك العرب رجل من اشراف العرب اسمه روح وكان نازل بدمشق في موضع يقال له النيرب في دير هناك على اسم الشاهد المبارك تاودورس » وقد اشار الى هذه القصة البيروني في كتابه « الآثار الباقية » قال : «ولانطونيوس عند النصارى قصة طويلة عجيبة ما سمعناها ولا قرأناها او مثلها في كتب الاخبار والتواريخ على ان النصارى قوم سماعون مصدقون لمثل ذلك » (ص ٢٩٢).

(١) تحفة الالباب الصفدي ٥٢٣٧ باريس ، ٧٢
(٢) Wright, T. II, p. p. 708-10

ومعلوم ان النيرب قرية قديمة كانت تتصل بقاسيون والربوة قد غطتها اليوم البساتين ولم يبق منها الا صدى اسمها في المناداة على الفواكه. وورد ايضاً اسم الدير في حكاية استشهاد القديس بطرس من مدينة بيت راس (Capitolias) كورة بالاردن اشتهرت بجودة خمرها[1]، قيل فيها ان الدير المذكور كان في جبل (Kasia) اي قاسيون، وقد نشر الاب بيترس المستشرق البلجيكي والعالم المشهور خبر هذا الاستشهاد نقلاً عن رواية كرجية[2]. ولكنه وهم في ظنه ان دير مار تاودورس هو دير مران وان الاسمين لمسمى واحد عُرف بهما في ازمنة مختلفة. ولا شك انه اغتر بقول كاتب السيرة ان الخليفة الوليد بن عبد الملك امر ان يُقاد اليه القديس بطرس مغلولاً الى دير مران قبل وفاة الوليد فيه بضعة ايام، في النصف من جمادى الآخر سنة ٩٦ للهجرة (٢٦ شباط – فبراير ٧١٥) واذا يراد هنا بدير مران لا منزل الرهبان ولكن المحلة المتصلة به التي غلب عليها اسمه لجواره له، ولدينا عدة شواهد تثبت صريحاً ان الدير كان في بقعة مأهولة تنسب اليه وهي البقعة التي اشار اليها السمعاني بقوله : « دير مران بقعة على باب دمشق نزهة بين الرياض والمياه »[3]. ومما يدل على ان اسم دير مران كان يطلق كذلك على المنازل التي تحيط به ان المؤرخين اجمعوا على ان المقبرة المظلمة في قاسيون كانت في دير مران[4]. فالدير اذن الذي قيد اليه القديس بطرس ومات فيه الوليد هو المحلة المشتهرة باسم دير مران، واذا كان الوليد نازلاً في القصر الذي كان ينزله قبله ابوه عبد الملك بعد انسلاخ الشتاء « اذا مضت ايام من الشتاء »[5].

ومما سبق يتضح ان دير مار تودورس هو غير دير مران وان كلا الاسمين المسميين مختلفان. ولكن يتعذر اليوم تعيين موقع كل منهما وبعده عن الآخر بالضبط لاندراس آثارهما وقلة ما انتهى الينا من اوصافهما.

---

١) معجم البلدان ١ : ٧٧٦

٢) Paul Peeters , *La passion de St. Pierre de Capitolias* in *Analecta Bollandiana*, T. LVII. fasc. 3-4

٣) كتاب الانساب ٥١٤

٤) الحادي عشر من تاريخ غفل من اسم مؤلفه، طبعة غريتزواد، ص ٢

٦

دير القديسة تقلا

في منين بظاهر دمشق

منين اليوم قرية اسلامية في ضواحي دمشق ، وهي من امهات قرى الغوطة ، عذبة الماء ، كثيرة الاشجار والفواكه والنباتات والرياض . وكانت قبلًا حتى القرن السادس عشر بلدة نصرانية معظم سكانها من الروم الملكيين. اجتاز بها سنة ١٥٠٣ في ذهابه الى دمشق ، قادماً من حلب وحماة ، سائح افرنجي ووصفها بقوله : « وعلى مسافة ١٦ ميلًا من دمشق وجدت مدينة اخرى تدعى منين في قمة الجبل وسكانها مسيحيون من ملة الروم وهم رعية حاكم دمشق وفيها كنيستان في غاية الجمال يقال ان القديسة هيلانة بنتها وهي والدة القيصر قسطنطين. وفي منين فواكه حسنة غزيرة واعناب طيبة وبساتين كثيرة زاهية وينابيع ماء . »[1]

وفي شمال البلدة صخور شاهقة ترى في باطنها بعض المغاور المنقورة في الحجر الصلد ، وفي سفحها عدة انقاض وبقايا عُمُد وابواب غُرَف عادية ورسوم ابنية دائرة تتبعها المستشرق الفرنسي تومان R. Toumin ووصفها في مقالة له بشرها في مجموع المعهد الفرنسي بدمشق سنة ١٩٢٩ ، ومثّل فيها اهم آثارها[2] . ورجح ان بعض هذه الابنية سبقت النصرانية ، وانه كان هنالك حصن وثني قبل ان يتحوّل الى معبد مسيحي. ولا شك ان هذه الاطلال الظاهرة هي التي دعاها الشيخ حسن البوريني ديرًا في ابيات وقفنا عليها في ديوان له مخطوط في خزانة دير الشير بلبنان للرهبان الحلبيين جاء فيه ما نصّه :

---

(١) *Les voyages de Ludovico di Varthema ou le Viateur*. Publié et annoté par Ch. Scheffer. Paris. 1888. p. 10-11

(٢) *Mélanges publiés par la Section des Arabisants. — Le culte de Ste Thècle dans le Jebel Qalamun*, p.p. 163-180.

« وقلت وقد مررت على دير قد امحى وتهدمت اركانه بقرية منين من نواحي دمشق وذلك في سنة ٩٨٦ (١٥٧٨ م) :

ليت شعري يا دير اين اهاليك واين الذين قد عمروكا
اتراهم نسوا مغانيك يوماً ام لمرّ الايام قد هجروكا
حكمت فيك حادثات الليالي لو يعيشون ساعة لبكوكا
لم تجد واقياً بنيك الرزايا بعد ما صار البلى اهلوكا
انت مثلي جفاك كل حليل وتخاقت بعده عفروكا
هنتَ مثلي وكنت قبل عزيزاً نمتَ من بعد انعم مفظوكا
فاحبَ نازحاً تذكر إلفاً انما دمع عينه سيفوكا
لا اغبتك هاطلات الغوادي وافاضت بعدها تحبوكا »

ولم نعثر على ذكر آخر او إلماع الى هذا الدير في كل ما تيسر لنا مطالعته او التنقيب فيه من المطبوعات والمخطوطات العربية والآثار الباقية والكتابات النصرانية . ولا ندري هل كان هذا الدير احدى الكنيستين اللتين اشار اليهما السائح الفرنجي وهل كان وقتئذٍ فيما عداهما عامراً او خرباً . وعلى كل فقد عدت عليه حادثات الليالي وكوارث الايام ، وتقلص منه ظل النصرانية ومن منين بعد استيلاء الاتراك العثمانيين على الشام ، حين اشتد تحكم ولاة دمشق وعمالهم في ارواح النصارى واموالهم حتى اضطروهم الى الجلاء عن منين او انتحال الاسلام .

٧

دير مارت تقلا

في قرية معلولا

يظهر ان هذا الدير لم يكن معروفاً قديماً . وانما كان هنالك مغارة اشتهرت بنسبتها للقديسة تقلا ، وكان فيها شق يقطر منه الماء . فاقبل بعض النصارى على جمعه والاستشفاء به لاعتقادهم انه من آيات شفاعة القديسة تقلا وكراماتها . ثم قام الدير من حولها في بعض السنين . ولذلك دعاه شهاب الدين العمري « دير شق معلولا » قال: «وهو في باطن جبة عال وهو بناء رومي بالحجر

الابيض معلق يقفز به صدع فيه ماء ينقط نحو الذي بصيدنايا ويأخذه النصارى للتبرك معتقدين فيه نحو اعتقادهم في الآخر وانما الاسم الذي بصيدنايا »[1]

وفي سنة ١٦٩٢ طاف ملاتيوس الزعيم ، مطران حلب ، على الاديار والكنائس في طريقه الى دمشق ، وعرّج على معلولا وزار فيها « كنيسة اول الشهيدات تقلا وجسدها المقدس مخفي بها »[2] واشهر من زار المغارة من بعده من الرحالين في سنة ١١٠٥ / ١٦٩٣ الشيخ عبد الغني النابلسي وسماها بالمرتقلة قال : « وهي كلمة غير عربية وهي مغارة كبيرة في نصف الجبل والماء يقطر من اعلاها الى اسفلها في اماكن متعددة منها ويقولون ان ذلك الماء له خاصية النفع للارياح التي تعرض في بدن الانسان خصوصاً الاطفال ويحكون في ذلك الحكايات الطويلة »[3].

ولم نقف على وصف آخر لهذا الدير في كل ما تناولته يدنا من كتب الرحل والتواريخ الدينية والادبية .

٨

دير مار جرجس

في بلودان من ضواحي دمشق

لا ذكر لهذا الدير في كتب الديارات . وقد اغفل ياقوت تعريف بلودان نفسها بين قرى دمشق ولا شك ان بعدها عن الطريق السابلة وتوقلها في قنة الجبل وصعوبة المسير اليها قديماً كان من اهم العقبات التي حالت بين الدير والزوّار ، ولا سيما انه لم يشتهر بوجود حانة فيه مع كثرة الكروم في القرية . ولذلك اعرض عنه ارباب اللهو والقصف ولم يتغنَّ بذكره مجان الشعراء من من حُرّاء الحانات . ولوحد من نوّه به ممن تكلم على الديارات شهاب الدين

١) مسالك الابصار ٢٥٨

٢) خزائن الكتب في دمشق وضواحيها ١٥٨

٣) الحقيقة والمجاز في رحلة بلاد الشام ومصر والحجاز ، رقم ٥٥ من مخطوطات دار الكتب الظاهرية بدمشق ، وخزائن الكتب بدمشق ص ١٢٨

العمري ، وهو دمشقي المولد ، فلم يكن يفوته موقع الدير وإشرافه على جنة الزبداني وقد وصفه بقوله :

« بناؤه قديم بديع الحسن وافر الغلة كثير الكروم والفواكه والماء الجاري بقرية بلوذان وهي محاذية لكفر عامر تطلّ من مشرفها على جنّة الزبداني ببلاد دمشق وبه رهبان نظاف وغلمان من ابناء النصارى ظرفاء مررت به ونزلت اليه ورأيت به غلاماً يفوق الظبي حسناً ويشبه البدر او أسنى غصر تميل وطرف كحيل قد قطع الزنار بين خصره وردفه ونفث السحر بين جفنه وطرفه ثم ما كان باعجل ما استتر بدره ولاح ثم خفي فجره فقلت فيه :

حبذا الدير من بلوذان دارا اي دير به واي نصارى
فيهم كل احور الطرف احوى فائق الحسن في حياء العذارى
وغلام رأيته كهلال ما بدا للعيون حتى توارى
بدوام اذا تقابل نشو انّا فالحاظ مقلتيه سكارى
ناحل الخصر حلّ عقد اصطباري عندما شدّ خصره الزنارا
قبل رؤياه ما رأيت غزالاً بات يسقي من رشفيه العقارا (١

وهذا دأب الشعراء في الاسلام لا يخفلون من كل ما يمرّ بهم في الديارات التي يطرقونها او يضيفون فيها إلّا بالتغزل بولدانها وحورها ، او باطراء طيب خمورها ، فلا يكاد التاريخ يظفر بشيء يؤثر من اقوالهم فيها

ومعلوم ان العمري توفي سنة ١٣٤٨/٧٤٩ وقد شهد ان الدير كان يُعَدّ في زمانه « قديم البناء » ولكن هيهات ان يعرف متى كان انشاؤه وهو من اديار الروم الملكيين . وقد غابت عنا اخبار روسائه ورهبانه . وغاية ما عثرنا عليه منها ان رئيسه سنة ١٥٩٦ كان الحاج داود دون ذكر أسرته ونسبته . وكان لقب الحاج يطلق على كل من زار بيت المقدس من رجال الدنيا والدين . ومن جملة رهبانه عاشئذٍ القس شحاده ، والقس ميخائيل ، والشماس موسى ، ولا يُدرى ايّ الناس هم . ورد ذكرهم جميعاً في حاشية مرّت بنا في ظهر الورقة ١٥٩ من انجيل سرياني ملكي رقم ٢٠ في خزانة الفاتيكان كتب سنة ١٥٢٧ للاسكندر اي ١٢١٦ للميلاد وهذا نصّ الحاشية بالفاظها :

رتّم هذا الانجيل واصلحه الولد الحقير يحنا ابن القس مداج من قرية بطرام من كورة طرابلس المحروسة الاله الرؤوف والرب الرحيم يغفر له خطاياه وخطايا والديه وخطايا

١) مسالك الابصار ١ : ٣٥٨

القس شحاده واخوه القس ميخائيل وخطايا الشماس موسى الذين اهتموا في عمله بشفاعة سيدة ام النور وجميع القديسين آمين آمين .

وكان ذلك في سنة سبعة الف ومائة واربعة لكون العالم وعمله في دير مار جرجس بلودان الذي يعمره طول الازمان ويغفر خطايا الحاج داود رئيس الرهبان . . . »

وفي خزانة اكسفرد مخطوط تريودي سرياني ملكي رقم ٨٤ ، كتبت عليه الوقفية الآتية دون تاريخ لها :

« هذا التريودي المبارك وقف مؤبد وحبس مخلد على دير القديس مار جرجس في قرية بلودان » .

وفي هذين التعليقين شاهد صريح بان لغة دير مار جرجس في بلودان التي كان يصلّى بها الطقس الملكي كانت السريانيـة كما في صيدنايا وسائر اديار الملكيين في القرى والجبال .

وكان في دير بلودان خزانة مخطوطات قديمة كانت باقية حتى اواخر القرن السابع عشر ، وهو ما يستفاد من قول البطريرك مكاريوس الزعيم الحلبي :

« حصل لي خبر سمعان العامودي المجاني في كتاب قديم جداً من كتب مار جرجس بمحروسة بلودان وكان آخره ناقص »[1]

ونقل مثل ذلك ابنه الشماس بولس في كتابه المخطوط تاريخ انطاكيـة فقال :

« لما جمع والدي لما كان مطراناً عدة جلب كتاب الدولاب اي اخبار جميع القديسين واكثرهم بخط يدي واوقفهم على القلاية الطرنية كان في اين ما سمع في كتاب قديم في اي بلد كان او دير يرسل يستحضره وبعد نساخته يرممه ويشدّه ويرسله لمكانه ومن جملة ذلك جلب كتاب قديم جداً من دير القديس مار جرجس المشهور بقرية بلودان بغربية مدينة دمشق الشام فيه خبر هذا القديس الشريف (سمعان المجاني) لا غير الا انه ناقص منه بعض اوراق ومن آخره جانب كثير وباجتهد حتى احييناه واظهرناه للوجود بكل تعب ونصب ولم توجد له في بلاد العربية نسخة ثانية لتكملها » .

ولا يعلم متى بدأ خراب هذا الدير في القرن الثامن عشر وكانت بعض جدرانه وابوابه لا تزال ماثلة في بدء القرن العشرين ، وفيه مذبح متهدم تقام فيه الصلاة احياناً . ولا يزال قوم في بلودان يتذكرون ابوابه السبعة متتابعة

(١) كتاب النحلة رقم ١١٤١١ من مكتبة الآباء اليسوعيين في بيروت ص ٤٨

متصلة حتى مدخل الكنيسة وكل منها قائم من ثلاثة احجار ضخمة لا سقف لها وهي قصيرة قليلة الارتفاع سلم منها الباب الاكبر . وترى اليوم في العرصة امام الكنيسة عدة آثار وبقايا عُمُد ومعاصر للدبس والخمر واجران وانقاض شتى ملقاة على الارض . وكان للدير املاك واوقاف جليلة وبساتين تعرف الى اليوم ببساتين الدير استولى عليها اهل بلودان ، وتقاسمتها الاطماع فتجزأت وتفرقت بالبيوع . وقد اشار اليها العمري بقوله « الدير وافر الغلة كثير الكروم والفواكه ».

وفي عهد الجنرال غورو (١٩٢٠) ادعى مسلمو بلودان ان الدير كان معبداً للشمس وحاولوا وضع ايديهم عليه ، ومنعوا النصارى من الصلاة فيه . وامر للحال بكف اطماعهم عنه وان لا يعترض الروم في صلواتهم فيه . فتبرع المرحوم روفان مرقص الدمشقي بخمس مئة ليرة ذهباً لتجديد بناء الكنيسة واقتدى به بعض مواطنيه واعانهم قوم من المهاجرين في اميركة فبلغ المجموع ١١٩٧ جنيهاً انكليزياً ، وبوشر بالعمارة سنة ١٩٢٣ وانتهي منها سنة ١٩٢٤ وهذا نص الكتابة المنقوشة في لوح على يسار مدخل الكنيسة :

« تجدد بناء هذه الكنيسة المقدسة للقديس جاورجيوس للروم الارثوذكس سنة ١٩٢٤ باحسان الخيور روفان يوسف مرقص الدمشقي وبمعونة آخرين مفيدة اسماؤهم في اللوحة الثانية شفيقة هذه اللوحة والقائمة بجانبها وجهة واشراف اللجنة المؤلفة من حضرات نعمان بك ابو شعر رئيساً وعضوية الافندية سرحان شحفة وخليل الخوري وجورج لاذقاني سنة ١٩٢٤ »

وللكنيسة صحن واحد . وامام الهيكل حاجز من الخشب ولما زرناها في ٤ تموز (يوليو) سنة ١٩٣٦ كانت ابوابها مقفلة للخلاف الذي كان قائماً بين الخوري سبيريدون بيطار واهل بلودان رعيته [1] .

---

١) الخزانة الشرقية ٣ : ١٤٣ — ١٤٥

٩

دير الحكيم

في جوار مُقرى شرقي الصالحية

وقفنا على ذكره في قصيدة القاضي شمس الدين محمد بن محمد بن موسى قاضي العسكر المعروف بابن الفراش الدمشقي قال فيها :

اذا ما طفت حول ديار مقرى فعرّج بي الى دير الحكيم
وحيّ البربين فكم معى لي على الشرفيّ من شجن قديم (١)

ومُقرى قرية كانت شرقي الصالحية من اشهر متنزهات دمشق . ثم خربت وبني في مكانها مساكن واصبحت حارة من حارات الصالحية كما كتب ابن عبد الهادي . ويظهر ان دير الحكيم كان في جوارها . وقد زالت آثارهم وآثاره ، ولم يبقَ لنا الا اسمها وتذكاره . ويترجح انه كان منسوباً لاحد اطباء النصارى ، ولعله ترهب وانقطع فيه للزهد والعبادة فاشتهر بالنسبة اليه .

١٠

دير الحنابلة او المقادسة

في الصالحية

لا ندري ما كان اسمه النصراني قبل استيلاء الحنابلة عليه ونسبته اليهم . وقد خفي علينا ايضاً موضعه القديم لخرابه وعفائه ، فلا سبيل الى الاهتداء اليه . وغاية ما نعلمه انه كان في الناحية الشرقية من الجبل . واوحد من اشار اليه ابن عبد الهادي المعروف بابن المبرّد من علماء دمشق في بدء القرن العاشر للهجرة توفي سنة ٩٠٩/١٥٠٣ ، بعد ان كتب ما يأتي في تاريخ له للصالحية لخصه محمد بن كنان ومسودته محفوظة في خزانة برلين بعنوان « المروج

(١) عيون التواريخ لابن شاكر الكتبي ١٥٨٧ باريس .

السندسية في تلخيص تاريخ الصالحية » رقم 2 ms. or. Wetzel 11 n° 1117 قال الشيخ ابو عمر شيخ المقادسة والحنابلة بتاريخ ٥٥٤ / ١١٥٩ :

« لما سكنا الدير كان في الجبل الشيخ سمار وحمدان وسيدهم يمني في الدير الغربي – وابو العباس الكهفي . . . ولم يكن في الجبل الا ثلاثة بيوت من الناحية الغربية دير ابي العباس الكهفي ودار بيت الفيال . . . والكهفي ودير الحوراني وكان من الناحية الشرقية دير يقال له دير الحنابلة وكان فيه جماعة منهم عبد الرحمن المقابري وابو العلا واناس قليلون وكان اولاً الناس من الرهبان فاتفق انهم احدثوا شيئاً فأخرجوا منه فسكنه ابن مستفاد واولاده واقاربهم طلبه لهم سابقاً الامام عبد الوهاب ابن الشيخ ابي الفرج الشيرازي الحنبلي وكانوا من اصحابه وكان الشيخ واعظاً عظيماً في البلد » (f° 2°°)

وقال بعد ذلك :

« دير الرهبان وتقدم ذكره سكنه جماعة ابن الحنبلي ثم صار يعرف بدير الحنابلة » (f° 3°°)

واشار ابن شداد قبله الى مساجد الجبل فقال :

« مسجد منارة الدم مسجد آخر فوق منارة الدم مستجد مسجد الدير الذي كان لرهبان النصارى فجعل مسجداً خَرِب »[1]

فهل كان هذا المسجد الخرب هو مسجد دير الحنابلة المتقدم الذكر ، ام هو دير آخر تهدم مسجده قبل القرن السابع للهجرة ؟ وكان لا شك في سفح جبل قاسيون ، في ايام الروم ، غير دير واحد لما امتاز به الجبل من النزاهة وحسن المُطَلّ على رياض الغوطة . ويتضح من رواية ابن المبرد انه كان من الديارات القديمة في قاسيون ثلاثة اديار عُرف الغربي منها باسم دير ابي العباس الكهفي ، والشرقي بدير الحنابلة ، واشتهر الثالث بدير الحوراني ، وكان فيما يظهر في الناحية الغربية من الجبل[2] . فأيّ هذه الاديار الثلاثة كان دير سمعان الذي خرب قبل القرن السادس للهجرة وتنوسي اسمه اغلبية الوهم الشائع انه في جوار حمص او معرة النعمان وانه مدفن الخليفة عمر بن عبد العزيز ؟ وما كان

١) الاعلاق الخطيرة، خزانة بريتيش موزيوم Add. 23385, f° 56

٢) في ذيل الروضتين لابي شامة في كلامه على ابي عمر شيخ الصالحية والمقادسة « قبره في طريق منارة الجوع في الزقاق المقابل لدير الحوراني عن يمين المار الى المنارة » (ص٧٥) .

قبل الاسلام اسم كل من الديرين الآخرين ؟ وسيبقى سر هذه الاديار الثلاثة مكتوماً في صدر الغيب الى ان يُفتح علينا ببعض خبايا الخزائن الخاصة المضنون بها على العلم .

وكان يقال احياناً لدير الحنابلة « دير المقادسة »[1] وهم قوم حنابلة من قرية جماعيل من نابلس المقدس ، هاجروا في ايام الصليبيين الى دمشق ونزلوا في مسجد ابي صالح خارج الباب الشرقي مدة ثلث سنوات وعرفوا باسم «الصالحية» نسبة الى المسجد ، ثم خرجوا الى جبل قاسيون وتديّروه وعرف بهم فكان يقال جبل الصالحية اشارة اليهم ولم يكن مشتهراً قبل الا باسم قاسيون .

وقد عثرنا على اسم « دير المقادسة » في مجموع عربي رقم ٩٨٢ ، في خزانة باريس ، عُدّ غلطاً في المخطوطات التركية . وهو احاديث شتى وفيه « الجزء السادس من الموافقات في مشايخ مشايخ ابي دواد والترمذي وابن ماجه والنسائي جمع محمد بن عبد الواحد بن احمد المقدسي » وتحت عنوان هذا الكتاب في آخر سماع لكاتبه : « صحّ ذلك في يوم الجمعة ثاني رجب الفرد سنة سبع وثلاثين وثمان مائة بثنيات دير المقادسة من قاسيون» (١٤٣٤م).

وربما قيل احياناً لهذا الدير « الدير المبارك » ومنه في ترجمة ابي عبدالله السعدي المقدسي الدمشقي الصالحي « ولد بالدير المبارك في سنة تسع وستين وخمسمائة »[2] .

---

١) المروج السندسية لابن كنان ، طبعة مديرية الآثار القديمة ، ٨١

٢) المنهل الصافي لابن تغري بردي ، نسخة الجامعة العبرية بالقدس ، ٧ : ٢٠٤

١١

دير حَنَنْيا

بظاهر دمشق

في التقاليد المسيحية ان حنانيا الرسول هو اول اساقفة دمشق . فلا غرو اذا انتسب اليه احد الاديار في ضواحيها ، وقد تصرفوا في لفظ اسمه فقالوا حَنَنْيا بفتح الحاء والنون واسكان الياء ، وورد بهذا الضبط في الشعر ، ولا تزال الى اليوم تعرف به احدى حارات الباب الشرقي من ابواب المدينة حيث كان منزله . وربما الحقوا في الشعر المدّ بآخره فجعلوه حنيناء وعليه قول الكميت يرثي معاوية بن هشام بن عبد الملك وقد مات عنده :

فأيّ فتى دنيا ودين تلمَّت بدير حنيناء المنايا فذلَّت
تعلَّلت الدنيا به بعد موته وكانت لنا حيناً به قد تعلَّت (١)

وروى البكري فيما قيل ان الذي رُثي بهذا الشعر هو البطّال احد فرسان العرب المشهور بغزوات الروم في ايام الامويين مات بدير حنينا قافلاً مع معاوية بن هشام من غزوة ، فامر معاوية الشعراء برثائه . والصحيح ما اثبتناه . ومما يدل عليه ان قبر معاوية بن هشام كان ملجأ معروفاً في الدولة المروانية يستجير به الخائف فيؤمَّن لمحله من بيت الخلافة . ولما نظم الكميت قصائده الهاشميات وهجا بني امية امر الخليفة هشام بن عبد الملك ان يُقطع لسانه ويده فأُخذ وحُبس ثم افلت من السجن متنكرًا بثياب امرأته وقدم دمشق ، واستجار بعنبسة بن سعيد بن العاص ، فامره ان يعوذ بقبر معاوية بن هشام بدير حنينا وشفع فيه بعض رجالات امية فنجا من القتل (٢) .

وقد اهمل ياقوت والبكري والعمري ذكر هذا الدير في جملة الديارات . واشار ياقوت الى موضعه في حرف الحاء واقتصر على القول انه من اعمال

---

١) معجم ما استعجم للبكري ٢٧٣ – ٢٧٤
٢) الاغاني ١٥ : ١١٥

دمشق[1]. ولا شك ان الناحية كلها كانت معروفة باسمه . ولذلك قيل ان معاوية ابن هشام قُبر فيه ، وولده عبد الرحمن هو الامير المعروف بالداخل منشىء الدولة الاموية في الاندلس ، ولد في ناحية الدير سنة ١١٣ للهجرة[2] (٧٣١ م) .

ولا سبيل اليوم الى الاهتداء لمكان هذا الدير وموقع ناحيته . وكان لا يزال معروفاً مقصوداً بالزيارة في اوائل القرن السابع ، في ايام الملك الناصر صلاح الدين داود ابن الملك المعظم الايوبي . وقد وُفِّقنا للعثور على قصيدة من شعر عون الدين بن المعمي الحلبي الكاتب (٦٠٦ – ٦٥٦ هـ ١٢٠٩ – ١٢٥٨ م) في مدح الملك الناصر ذكر فيها ثلاثة من اديار الشام ومنها دير حنينا ننقل منها ما يأتي وعاليه في وصف خمرة الدير :

يا سائقاً يقطع البيداء مختبطاً ... مصابر لم يكن في سيره وانى
ان حزت بالشام شم تلك العرى ولا ... تعدل – ألفت المنى – عن دير مرّان . . .
واعبر بدير حنينا وانظر ورص اثاثات ما ... بين قسيس ومطران
واستجل راحاتها تجي النفوس اذا ... دارت براح شماميس ورهبان
حمراء صفراء بعد المزج كم قذفت ... بشُهبها من هوى كل شيطان
كم رحتُ في الليل أسقيها واشربها ... حتى انقضى وتدلي غير ندمان
سألت توماس عمن كان عاصرها ... اجاب رمزاً ولم يسمح ببيان
وقال اخبرني شمعون بنقله ... عن ابن مريم عن موسى بن عمران
يا ما سفرت بالطور مشرقة ... انوارها فكشفوا عنها بنيران
وهي المدام التي كانت ممتّعة ... من عهد هرمس من قبل ابن كنعان
وهي التي عبدتها فارس فكنى ... عنها بشمس الضحى في قوله مانى
سكرت منها فلا صحو وجدت بها ... على التداعي وليس الشح من شاني
وسوف امنحها اهلاً وانشده ... ما قيل فيها بترجيع والحان
حتى قيل لها اعطافه طرباً ... وينثني الكون من اوصاف نشوان
خير الملوك صلاح الدين ليس له ... في الجود ثانٍ ولا عن جوده ثاني (٣

ولعل توماس هذا الذي ذكره كان وقتئذٍ رأس دير حنينا ، ام بالحري متولي بيع الخمر فيه . وقد اطلنا البحث عن شاهد آخر يشير الى هذا الدير فذهبت اتعابنا ادراج الرياح .

١) معجم البلدان ٣ : ٢٥٠
٢) المقفّى للمقريزي ، خزانة باريس ٢١٣١ ، ص ٥٣
٣) فوات الوفيات لابن شاكر الكتبي ١ : ٢٢٥ – ٢٢٦

رد كامل التركة

على احد الزوجين

للمحامي يوسف آصاف

دكتور في الحقوق

توطئة

كان للشعب اللبناني ، فيما مضى ، عدة مذاهب في تقسيم التركات ، منها المذهب الماروني المذكور في كتاب « العادات السورية الرومانية » ، ثم في كتاب « الهدى » ، وبعده في كتاب آخر عرف « بخطوط آ » وجاء المطران عبدالله قراعلي ووضع « مختصر الشريعة » ونظم تقسيم التركات وفقاً للمبادئ الحنفية [1] ، مع بعض التحوير في التفاصيل فتشت الطائفة المارونية على آراء قراعلي .

ومن مئة سنة ونيف تركت الطائفة المارونية نصوص « مختصر الشريعة » واعتنقت تقسيم المذهب الحنفي بحذافيره ، وبهذا توحدت مبادئ تقسيم التركات في لبنان الا في انتقال الاراضي الاميرية .

وانتقال الاراضي الاميرية كان له احكام خاصة طرأ عليها تغييرات كثيرة الى ان صدر قانون الارث النظامي المؤرخ في ٣ ربيع الآخر سنة ١٣٣١ ، و٢٧ شباط سنة ١٣٢٨ ، وقد اعتبر الذكر والانثى متساويين بحق الارث النظامي ،

---

١) نسبة الى المذهب الحنفي لمؤسسه ابي حنيفة النعمان بن ثابت بن المرزبان الفارسي ، المولود في الكوفة سنة ٦٩٩ مسيحية ، وسنة ٨٠ هجرية ، من أب ساقته تجارة الرقيق الى المدينة وأجبر على اعتناق الاسلام لاعتناق ولده ابي حنيفة الذي اشتغل في تجارة الخز والاصواف ، وتعلم الفقه على حماد بن ابي سليمان ، وتوفي سنة ٧٦٧ مسيحية و ١٥٠ هجرية في سجن بغداد .

وقال بالتمثيل اي ان الاحفاد يأخذون محل آبائهم المتوفين ويرثون نصيبهم مع ابناء المتوفى ، وذلك ممنوع في الارث الشرعي .

وتطبق قاعدة التمثيل على جميع درجات الانتقال ، وعلى جميع الورثة ، وفقاً للقوانين الحديثة ، ومثلها اعطى الحق لاحد الزوجين بكامل المتروك من الاراضي الاميرية فرضاً وردّاً اذا لم يوجد وارث شرعي .

فالامة اللبنانية تتبع اذاً مذهبين مختلفين باختلاف انواع الاراضي ، ففي الاراضي الاميرية توزع التركة وفقاً لقانون ٣ ربيع الاخر سنة ١٣٣١ و ٢٧ شباط سنة ١٣٢٨ ، وفي الاراضي الملك توزع وفقاً المذهب الحنفي الذي يجعل الزوجة تنتقل من الربع الى الثمن ، والزوج من النصف الى الربع ، بالولد ، والباقي يوزع على الورثة الشرعيين ، وحظ الذكر كحظ الانثيين ، حتى اذا استوت درجاتهم يقسم المال عليهم باعتبار حالة ذكورتهم وانوثتهم . واذا تفاوتت ، فالاقرب اولى بالميراث ، والوارث بالعصبة يقدم على ذوي الارحام ، ودرجات ذوي الارحام بعضها على بعض .

ولكن اذا توفي رجل وليس له وارث سوى زوجة فلمن تعطى التركة ؟ بعضهم قال بالرد على الزوجة ، والبعض الآخر افتى بالربع للزوجة والباقي لبيت المال ليُحفظ فيصرف في مصارفه الشرعية .

واين هو بيت المال المقصود في اصول توزيع التركات ؟

ان بيت المال هذا تهدم كيانه ، وانعدم وجوده من مئات السنين ، فافتى العلماء المتأخرون بحصر الارث بالزوجة فرضاً وردّاً !

ما هو بيت المال ؟

ولمعرفة بيت المال ، يجب تبيان مصارفه الشرعية ، وهدفه ، فتظهر شخصيته المعنوية المركبة من اربع شخصيات مستقلة بعضها عن بعض باعتبار ان جميع المداخيل توزع حصراً على هذه الشخصيات المعنوية فتصرف على البر والاحسان بواسطة الامام .

المصارف الشرعية وهدفها :

ومصارف بيت المال اربعة :

١ — مصرف الجزية والخراج. ٢ — مصرف العشر والزكاة. ٣— مصرف الخمس والركاز . ٤ — مصرف لقطة وتركة بلا وارث ودية مقتول بلا ولي.

وقد وضع ابن الشحنة مصارف بيت المال نظماً فقال :

بيوت المال اربعة لكلٍ مصارف بينتها المالونا
فاولها الغنائم والكنوز ركاز بعدها المتصدقونا
وثالثها خراج مع عشور وجالية يليها المالونا
ورابعها الضوائع مثل ما لا يكون له اناس وارثونا
فصرف الاولين الى بنص وثالثها حواه مفاتلونا
ورابعها فصرفه جهات تساوى النفع فيها المسلمونا(١)

ولهذا تحتم علينا درس هذه المصارف التي يؤلف كل واحد منها بيت مال مستقلاً ، له شخصية معنوية ، وهدف خاص ، ومنتفعون معينون حصراً .

مصرف الجزية(٢) والخراج :

توضع في الصندوق المستقل لمصرف الجزية والخراج جميع الاموال التي

١) انظر مجمع الانهر جزء ١ ، ص ٦٨٧ ، وحاشية ابن عابدين جزء ٣ ، ص ٥٩ و٦٠ وهو محمد امين الشهير بابن عابدين ، احد فقهاء دمشق العظام ، توفي ١٨٣٦ م = ١٢٥٢ هجرية ، بعد ان وضع بضع مجموعات ، منها كتاب « العقود الدرية في تنقيح الفتاوى الحامدية » ، وكتاب « رد المحتار على الدر المختار » شرح تنوير الابصار المعروف بحاشية ابن عابدين ، ومن هذه الحاشية المؤلفة من خمسة اجزاء يتضح انها كانت آخر مجموعة لاقوال الفقهاء السابقين المعروفين وغير المعروفين ، اذ جاء في الجزء الثالث ص ٢٨ ما يلي : «قلت وهذا ظاهر فان البلاد كانت بيد النصارى ولم تزل اليهود مضروبة عليهم الذلة ثم رأيت في حاشية شيخ مشايخنا الرحمتي كتب عند قول الشارح في خطبة الامام بجامع بني أمية مانصه : ثم نقض اهل الذمة عهدهم في وقعة التتار وقتلوا عن آخرهم فكنائسهم الآن موضوعة بغير حق . ويؤخذ من هذا حكم حادثة الفتوى الواقعة في عام ثمانية واربعين بعد المئتين والالف قريباً من كتابي لهذا المحل . . . »

وقد اخذنا حاشية ابن عابدين مرجعاً لنا لانها تؤلف آخر مجموعة لاقوال الفقهاء والعلماء ولها قيمة علمية يمكن الركون اليها .

٢) حاشية ابن عابدين جزء ٣ : ص ٢٧٧ و ٢٧٤ قال : « الجزية لغة الجزاء لانها جزت عن القتل اي قضت وكفت عنه فاذا قبلها سقط عنه القتل بجزاء ولانها وجبت عقوبة

تستحق ديناً على اعناق غير العرب من نصارى ويهود ومجوس وصابئة[1] وفقاً للتوزيع عند الفتح او بناء على معاهدات عقدت قبل ان يدخل جيش المسلمين البلاد[2] .

والجزية تجب مطلقاً على غير العرب : ولا تكفوا عن القتال . « حتى يعطوا الجزية على يد وهم صاغرون » والجزية لاسقاط القتل ، فمن ينبغي قتله عليه الجزية ، وللعرب غير المسلمين ان يختاروا بين السيف والاسلام[3] « الاصل ان الجزية لاسقاط القتل فمن لا يجب قتله لا توضع عليه الجزية»[1] .

والجزية فريضة دينية لان الفتح الاسلامي يستتبع رقاً[4] .

على الكافر كما في الهداية ، قال في الفتح ولهذا سميت جزية وهي والجزاء واحد وهو يقال على ثواب الطاعة وعقوبة المعصية » .

١) حاشية ابن عابدين جزء ٣ : ص٢٧٦ : « وتوضع الجزية على كتابي يدخل في اليهود السامرة لانهم يدينون بشريعة موسى عليه الصلاة والسلام وفي النصارى الفرنج والارمن ، واما الصابئة ففي الخانية تؤخذ منهم عنده خلافاً لهما ، ومجوسي ولو عربياً لوضعه عليه الصلاة والسلام الجزية على مجوس هجر ، ووثني عجمي لجواز استرقاقه ، فجاز ضرب الجزية عليه لا على وثني عربي لان المعجزة في حقه اقوى فلم يعذر ، ومرتد فلا يقبل منها إلا الاسلام او السيف ، ولو ظهرنا عليهم فنساؤهم وصبياهم فيء »

٢) حاشية ابن عابدين ٣ : ٥٩ ، و ٣ : ٢٨٨ : « وما صولحوا عليه لترك القتال قبل نزول المسكر بساحتهم » .

٣) مجمع الانهر ١ : ٦٤٨ ، وحاشية ابن عابدين ٣ : ٢٧٦ « لان القرآن منزل بلغتهم فكان كفرهم والحاده هذه اغلظ من كفر العجم » .

٤) احمد امين : فجر الاسلام ، طبعة ثانية ، ص ١٠٤ ، وقد جاء في الصفحة ١١٠ « وقد كان الباعث للناس الدخول في الاسلام مختلفاً فمنهم من دخل فيه مؤمناً بحسن مبادئه وصدقها وساعد على ذلك بساطة العقيدة الاسلامية وسهولة فهمها ومنهم من دخل فيه فراراً من الجزية ، لما علمت ان من رضي ان يبقى على دينه تضرب عليه الجزية ، فاذا اسلم رفعت عنه حتى لقد هال بعض الامراء دخول الناس في الاسلام فراراً من الجزية وكتب عمال الحجاج اليه ان الخراج قد انكسر وان اهل الذمة قد اسلموا ولحقوا بالامصار فاخذ الحجاج منهم الجزية مع اسلامهم ، وحمل قراء البصرة يبكون لما يرون ، ومنهم من كان يسلم فراراً مما يشعر به من المهانة ، فالاسلام دين الحكام والولاة ورجال الدولة وهو الدين الذي يعتز به من انتسب اليه ، وغيره من الاديان كان مكروهاً محقوناً في الدولة وان اتيح لمعتنقيه ان يأتوا بشعائره ، اضف الى ذلك ان بعض الولاة لم يكن يرعى تعاليم الدين وتسامحه في الذميين ، فكان يسومهم سوء العذاب فاضطروا ان يفروا من دينهم الى الاسلام » .

ويؤلف الخراج المال الذي فُرِضَ على الاراضي التي استملكها الفاتحون وجعلوا ريعها لمنفعة المسلمين ، وهي اراضي الذميين الخاضعين للجزية ، ودعيت الارض خراجية نسبة لما كان يأخذه المسلمون من وظيفة او خراج .

وارض العرب عشرية لان اللائق بالمسلمين وضع العشر عليهم لانه عبادة حتى يصرف مصارف الصدقات ، ويشترط فيه النية[1] .

« والخراج لا يوظف على المسلم »[2] وهو عقوبة دينية مطلقة .

وارض الشام كانت خراجية

وارض مصر كانت خراجية ، ثم آلت لبيت المال .

واخذها بيت المال ليصرف ريعها في المصارف الخاصة لان الاراضي الخراجية على حكم ملك الله تعالى على وجه يعود نفعه الى المسلمين[3] فقط فيتصرف بها الاشخاص ويستغلونها بادارة الامام[4] لمصلحة الاسلام حتى اذا امتنع احدهم عن الحراثة نزع الامام يده عنها واعطاها لغيره ، والامام ولاية عامة وله ان يتصرف في مصالح المسلمين[5] .

والخراج قسمان : خراج مقاسمة ، وخراج وظيفة .

فخراج المقاسمة ما وضعه الامام بولايته العامة على ارض فتحها ومنّ على اهلها بها ، فيأخذ الخراج قسمة عن كل موسم من مواسم السنة « على حسب ما تطيق الارض من النصف او الثلث او الربع او الخمس وقد تقرر ان خراج

---

١) مجمع الانهر ١ : ٦٦٨ ؛ وحاشية ابن عابدين ٣ : ٢٦٢ قال : « الخراج اليق بالكافر لانه يشبه الجزية لما فيه من معنى العقوبة ولان فيه تعظيماً حيث يجب وان لم يزرع » و ٢٦١ : والعشر على الاراضي العشرية التي هي اراضي العرب لانه اليق بالمسلم « لما فيه من معنى العبادة » .

٢) حاشية ابن عابدين ٣ : ٢٦١ وما يليها .

٣) الاراضي الخراجية تشكل قسماً من الغنائم ، والغنائم لله . انظر الآية رقم ١ من سورة الانفال .

٤) حاشية ابن عابدين ٣ : ٢٦٣

٥) حاشية ابن عابدين ٣ : ٢٦٦ اولها .

المقاسمة كالعشر لتعلقه بالخراج . ولذا يتكرر بتكرر الخراج في السنة وانما يفارقه في المصرف »[1].

وخراج الوظيفة يستحق سنوياً او شهرياً او يومياً وكان استبدادياً « اي انه ليس فيه جزء معين »[2] كالذي وضعه عمر على ارض سواد العراق بموافقة الصحابة ، وكان ثقيلاً جداً على بعضهم ، حتى ان احدهم قتل الخليفة عمر لانه امتنع عن تخفيض الخراج عنه وكان درهمين يومياً .

ثم وضع بيت المال يده على هذه الاراضي لانها ملكه ، وكان قد منّ بالتصرف على المزارع لقاء الخراج ، ليصرف في مصارفه الخاصة لمصالح المسلمين ، وهذا تخصيص أبدي كشرط الواقف ، وشرط الخراج هو شرط وجود مصرف الجزية والخراج ، وهو وقف على مصالح معينة ، فاذا اضمحل هذا المصرف اضمحل حكمه وتلاشت شخصيته المعنوية المستقلة[3] فزال الوقف.

« قال في الاحكام العلماء يستحقون من النوع الاول بالعمل مع الغنى ، ومن النوع الثاني بصفة الفقر ، ومن النوع الثالث باحد صفات مستحقيه ، ومن النوع الرابع بصفة المرض ونحوه ، ومن خصّ استحقاقهم بالاول نظر الى محض صفة العلم ، وقد يخلط بعضه ببعض لان لكل نوع حكماً يختصّ به »[4]

٢ – مصرف زكاة وعشر :

الزكاة هو القدر الواجب ان يتصدق به اصحاب الاموال التي زادت على سبيل النماء والارباح ، ودفعه بنية الزكاة الى فقير ، والزكاة غير متوجبة على معتوه او مجنون او صبي ، لانها عبادة محضة « ان قتالنا للدين لا للدنيا ».

والزكاة حولية اي سنوية ولا تصحّ من مال الحرام ، وتدفع لبيت المال المخصص لمصرف الزكاة والعشر لتصرف على الفقراء دون غيرهم[5] .

---

١) ابن عابدين ٣ : ٢٦٨ .

٢) ابن عابدين ٣ : ٢٧٠

٣) بشاره الطباع : الملكية الشخصية والسجل العقاري ، طبعة باريس ١٩٦٧ ، ص١٢٦ ، وابن عابدين ٣ : ٢٨٨ و ٢٩٠ .

٤) ابن عابدين ٣ : ٢٩٠

٥) ابن عابدين ٢ : ٢ وما يليها .

وتقدر الزكاة باثنين ونصف بالمائة ، وجاء في حديث « هاتوا ربع عشر اموالكم » .

والعشر هو احد الاجزاء العشرة من غلة الارض ، ويؤخذ صدقة من ريع املاك المسلمين لان اللائق بالمسلمين وضع العشر عليهم لانه عبادة حتى يصرف مصارف الصدقات ويشترط فيه النية[1] . فسميت الاراضي عشرية نسبة لوظيفتها، ولكنها تبقى ملكاً لاصحابها ، بخلاف الاراضي الخراجية ملك المسلمين ، ويتصرف بها الكفار او اهل الشرك ، وتدفع الخراج .

وقد ذكر العشر مع الزكاة لانه منها ، ومثلها عبادة وصدقة على الفقراء[2] ولا يجوز ان يصرف مال الزكاة والعشر في غير مصارفه الشرعية لانه وقف مؤبد على الفقراء وحرم ديناً على غيرهم .

واذا كان هذا المصرف غير موجود ، بتولية الامام ؛ فيكون قد اضمحل وتلاشت شخصيته المعنوية المستقلة .

واننا لا نرى له وجوداً من مئات السنين .

مصرف خمس وركاز :

جاء في سورة الانفال : الآية ٤٠ : « واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل[3] »

وهذا الخمس هو احد الاجزاء الخمسة التي تتألف منها الغنائم ، والغنائم جمع غنيمة ، وهو ما نيل من الكفار عنوة والحرب قائمة[4] .

وما نيل بعد وضع الحرب اوزارها وصيرورة الدار دار الاسلام ، يكون لكافة المسلمين ، ولا يخمس[5] .

والاموال القابلة للقسمة توزع بين المسلمين بعد اخراج الخمس لقوله « فان

---

١) مجمع الانهر ١ : ٦٦٨ وما يليها ، وحاشية ابن عابدين ٣ : ٢٦١

٢) المبسوط : باب العشر ؛ ومجمع الانهر ١ : ٦٦٨ ؛ وحاشية ابن عابدين ٣ : ٢٦١

٣) ابن السبيل : هو المنقطع في سفره من المسلمين فقط ، وليس للكفار او للذمي حظ في بيت المال » .

٤) مجمع الانهر ١ : ٦٤٧ ، والمبسوط : باب الغنائم .

٥) مجمع الانهر ١ : ٦٤٨

لله الخمس ولرسوله » وسهم الرسول سقط بموته لانه كان يستحقه بالرسالة ، ووجب رده على اليتامى والمساكين وابن السبيل ، والاخماس الاربعة الباقية توزع بين الفاتحين للراجل سهم وللفارس سهمان[1] .

وهذا الخمس يكون على ثلاثة اسهم ، سهم لليتامى ، وسهم للمساكين ، وسهم لابن السبيل[2] ، وهو وقف عليهم[3] .

اما الركاز فهو ما ركزه الله اي حدثه ودفنه في المعادن من ذهب وفضة وغيرهما ، غير ان الشرع قصد بالركاز الكنز المثبت في الارض بفعل الانسان والانسان يشمل المؤمن غير ان الفقهاء خصوه بالكافر لان كنزه هو الذي يخمس اما كنز المسلم فلقطة[4] .

وما يؤخذ بطريق التخميس يوضع في بيت مال اليتامى والمساكين وابن السبيل ليصرف عليهم دون غيرهم ، وهو وقف مؤبد عليهم .

فاذا اضمحل هذا المصرف – او الوقف – تلاشت شخصيته المعنوية المستقلة ، وهذا ما حصل من مئات السنين .

مصرف لقطة وتركة بلا وارث ودية مقتول بلا ولي :

ان لهذا المصرف ايضاً شخصية معنوية مستقلة ، تصرف مداخيلها بوجه التخصيص والتأبيد على لقيط فقير وفقير بلا ولي ، فتعطيهم نفقاتهم وادويتهم وتكفن به موتاهم .

---

١) المبسوط : باب الغنائم ، وحاشية ابن عابدين ٢ : ٥٩ و ٣ : ٢٤٢

٢) مجمع الانهر ١ : ٦٥٦

٣) ابن عابدين ٣ : ٢٤٢ قال : « علله في البدائع بان ذكر هؤلاء الاصناف لبيان المصارف لا لايجاب الصرف الى كل صنف منهم شيئاً بل لتعيين المصرف حتى لا يجوز الصرف الى غير هؤلاء : الشرنبلالية (قوله وقد حققته في شرح الملتقى) ونصه والخمس الباقي من المغنم كالمعدن والركاز يكون مصرفها لليتامى المحتاجين والمساكين وابن السبيل تقسم عندنا اثلاثاً هذه الاموال الثلاثة لهؤلاء الاصناف الثلاثة خاصة غير متجاوز عنهم الى غيرهم فتصرف لكلهم او لبعضهم فسبب استحقاقهم احتياج يتم او مسكينة او كونه ابن السبيل فلا يجوز الصرف لغيرهم ولا لغيرهم كما في الشرنبلالية والقهستاني » .

٤) حاشية ابن عابدين ٢ : ٥٩

واللقطة شيء متروك لا يعرف له مالك ككنز المسلم والاموال المجهول مالكها .

والتركة بلا وارث هي كل مال توفي مالكه ولا ينتسب اليه احد لا من العصب ولا من ذوي الارحام ، ولا من الموالاة ، فتوضع في هذا المصرف اي في بيت مال هذا المصرف لتحفظ فتصرف مصارفها الشرعية .

وقيل خطأ انه اذا توفي احد الزوجين وليس له وارث سوى زوجه فيأخذ هذا فرضه الشرعي ويأخذ الباقي المصرف المستقل والمخصص ، بحكم الوقف ، على لقيط فقير ، وفقير بلا ولي من المسلمين ، ولا حظ للكافر في هذا المصرف باعتبار ان الزوج لا صلة له بزوجه ، ولا يعطى سوى فرضه مهما كانت الظروف على شرط وجود وصحة هذا المصرف .

واذا اضمحل هذا المصرف وتلاشت شخصيته المعنوية المستقلة ، فهل يجوز توريث شخص غير موجود ، وشرط الارث الوجود ؟ فالجواب لا يمكن الا ان يكون سلباً .

في الاستقلال الذاتي لكل مصرف ، او بيت من بيوت المال الاربعة :

ان المشترع الاسلامي جعل بيت المال مؤلفاً من اربعة بيوت لكل واحد منها شخصية معنوية مستقلة ، وصندوق شخصي مستقل مخصص للاصناف المذكورة سابقاً ، بنوع انه جعل كل مصرف وقفاً يعود نفعه على جمهرة معينة بنوعها ، ووضع الامام ولياً عليها

وعلى الامام ان يجعل لكل نوع من انواع بيت المال بيتاً خاصاً ولا يخلط بعضه ببعض ، وله ان يستقرض من احدها ليصرف للآخر ، وان قصّر كان الله عليه حسيباً[1] .

« وعلى الامام ان يجعل لكل نوع بيتاً يخصه وله ان يستقرض من احدها ليصرفه للآخر ويعطي بقدر الحاجة والفقه والفضل فان قصر كان الله عليه حسيباً (زيلعي[2]) ولا شيء لذمي في بيت المال » .

١) مجمع الانهر ١ : ٦٧٨

٢) حاشية ابن عابدين ٣ : ٢٩٠

« ويجب على الامام ان يتقي الله تعالى ويصرف الى كل مستحق قدر حاجته من غير زيادة فان قصر في ذلك كان الله تعالى عليه حسيباً»[1].

وقال الشرنبلالي في رسالته : « ذكروا انه يجب عليه ان يجعل لكل نوع منها بيتاً يخصه ولا يخلط بعضه ببعض وانه اذا احتاج الى مصرف خزانة وليس فيها ما يفي به استقرض من خزانة غيرها اذا حصل لكي استقرض لها مال يرد الى المستقرض منها . . ولكل بيت مال محلات يصرف اليها»[2].

فاصبح من المؤكد ان كل مصرف او بيت مال يؤلف وقفاً يصرف مداخيله في جهة معينة باعتبار ان هذه الجهات تستحق الصدقة ، فيكون وقفاً هدوه اعمال البر والاحسان كالوقف الخيري في زماننا . غير ان هذه الاوقاف قد تلاشت ، ومداخيلها قد مُنعت، وانتزعت الولاية من الامام وزالت شخصية بيت المال .

اضمحلال شخصية بيت مال المسلمين

ومما تقدم يتضح انه لم يبق بيت واحد من بيوت المال ، حتى انه لم يبقَ لاحدها اثر ، لا في الشرائع ، ولا في العادة ، وبهذا يكون بيت مال المسلمين قد زال من مئات السنين ، وشرط الاخذ ، والارث ، الوجود، ومن كان غير موجود فلا يرث ، ولا يعطى ، ولا يمكنه مادياً او معنوياً ان يأخذ ما دام لا يعرف ، بل هو غير موجود .

كيف اضمحلت بيوت مال المسلمين او اوقافهم

في عهد الخلفاء الراشدين والفتح الاسلامي كان بيت المال باقياً ، وكانت الاموال تجمع وتحفظ وتصرف في مصارفها الشرعية ، اي على اعمال البر والاحسان .

وفي عهد معاوية بدأ السوس ينخر اوضاع هذه الاوقاف بحيث حول معاوية الخلافة الى ملكية ، فاصبح ملكاً لا خليفة ، والملك منصب شريف يشتمل على جميع الخيرات الدنيوية ، والشهوات البدنية ، والاستئثار بالمجد . ولم يكن

١) حاشية ابن عابدين ٣ : ٢٤٠

٢) حاشية ابن عابدين ٢ : ٥٨

لمعاوية ان يدفع ذلك عنه ، فاستعمل طبيعة الملك في اغراضه ومقاصده الشخصية ، والدعاية له ، فقام يسطو على العلماء والفقهاء ويمد يده الى بيوت المال ، فجمعها في بيت واحد جديد ، ملغياً جميع الاوقاف ، واستعمل مال المسلمين لنفسه استبداداً وايد البيعة الى ابنه يزيد بولاية عهده وفرق على ذلك اموالاً جزيلة ، فاجاب الناس كلهم على بيعته[1] .

وقبل وفاته اوصى باعادة نصف امواله لبيت المال تزكية عن نفسه مع ان الزكاة من مال الحرام ممنوعة .

وبعد معاوية استبد الخلفاء بمداخيل بيت المال ، وبمصارفه ، فانغمسوا واعوانهم في الحروب والفتن .

وفي سنة ٧٠ للهجرة كثرت الخوارج في العراق فارسل عبد الملك بن مروان احد رجاله الى العراق وهو الحجاج بن يوسف الثقفي ، وكان افصح اهل زمانه ، ذا عنوة واسراف ، كثير الكرم ، يحب سفك الدماء ، وقد وصف نفسه فقال : « انا مجندل النفاق ، ومطفي نار الشقاق . . . فقال عبد الملك وما تصنع في العراق ، اجاب الحجاج : من جادلني نزعته ، ومن خالفني قطعته ، ومن دنا مني اكرمته ورفعته ، ومن طلب الامان اعطيته ، ومن سارع الى الطاعة بجلته ، وما لك يا امير المؤمنين ان تسألني ، فان كنت الى الاعناق قاطعاً والى الاموال جامعاً ، والى الارواح نازعاً ، وان لك في هذه الاشياء نافعاً » .

وقام الحجاج في العراق بما وعد به ، وقتل ما يزيد عن ١٢٠ الف شخص وسجن ما يقارب التسعين الفاً ، وجمع الاموال استبداداً ، اي انه نهب اهل العراق ، وقد كتب اليه عبد الملك بن مروان ، قال : « بلغني عنك اسراف في الدماء وتبديد في الاموال ولقد امرتك في الدماء الدية وفي الاموال ان تردها الى اهلها فانما هو مال الله ونحن اولياء عليه » ، فاجابه الحجاج : « فان كان قتل اهل المصاورة اسرافاً ، واعطاء الطايعين تبديداً . . . ما ظلمت القوم ولا قتلت الا بك ولا اعطيت الا منك » فسكت عبد الملك الذي كان قد جعل بيت المال مباحاً للفارقين وسائباً للمنافقين .

---

١) تاريخ الامير حيدر ، طبعة المغيب ، ص ٥٥

واستمرت الحروب والفتن الداخلية ، والشقاق ، والنفاق وكثرت جباية الاموال ، والمصادرة ، وكثر النهب والظلم واجزال العطاء الى البعض ، وقتل البعض الآخر ، والفقهاء مولعون بكتابة الفقه وفقاً للظروف الماضية ، والمبادئ النبوية دونما تصدٍ للحوادث ، والتطورات التي نتجت عن تحويل الخلافة الى ملكية ، وعن الالغاء الضمني لبيت المال بفروعه ، وعن الرقي الاجتماعي ، فتوقف الفقه على التقليد القديم ، واخذ بالجمود والتحجر ، وتدفقت الفتاوى وشرح المتون وتفسير النصوص بمعناها القديم .

وجاء الفتح العثماني ، معتنقاً مذهب ابي حنيفة النعمان الفارسي الاصل ونشره في جميع الاقطار الخاضعة لدولة بني عثمان ، وهو لا يزال مذهب المسلمين السنيين في لبنان .

وكانت قد تحولت الاراضي من خراجية الى عشرية ، وآلت لبيت المال ، وذهبت الجزية ، وامتنع التخميس ، وصدرت قوانين تقيد التنقيب عن المعادن ، فاضمحل الركاز ، وتركت الزكاة ، وتغير بيت المال ، وتجدد على اسس حديثة ، ولم يعد يذكر ان له فروعاً ، او بيوتاً ، او اوقافاً ، يصرف ريعها في جهات معلومة ومحصورة ، ولم يعد للفقير واليتيم ، وابن السبيل ، واللقيط الفقير ، والفقير بلا ولي ، حظ في بيت المال ، فقيل ان السوس الذي بدأ نخر اوضاع بيت المال في عهد معاوية توصل الى تقويضه تماماً ، حتى ان العلامة الدمشقي محمد امين المعروف بابن عابدين ، مصنف الحاشية المسماة « رد المحتار على الدر المختار » شرح تنوير الابصار ، المتوفى سنة ١٢٥٢ ، قام يصرخ بوجه السلطان محمود الثاني[1] قائلاً ان بيت المال ، اصبح بيت مال السلاطين وليس بيت مال المسلمين وليس من علاقة بين هذين البيتين ، ودلل على هذا التأكيد في كتاباته وفتاويه وشروحه .

وجاء بعده ابنه الشيخ محمود علاء الدين بن عابدين مؤلف « قرة عيون الاخيار لتكملة رد المحتار » يحذو حذوه ، وقد كان احد اعضاء جمعية المجلة

---

١) اعتلى محمود الثاني عرش السلطنة ١٨٠٨-١٨٣٩ ، اباد جيش الانكشارية ، وخلع العمامة ولبس الطربوش .

فعمل ثلاث سنوات ثم استقال ورجع الى وطنه دمشق الشام لما في قلبه من الرمضاء من فراق الاوطان والاهل والخلان[1] .

وهكذا اضمحل او فسد حسب تعبير ابن عابدين ، بيت مال المسلمين ، ولهذا لا يرث بيت المال لفساده وترد التركة على احد الزوجين عند عدم وجود وارث شرعي .

اقوال الفقهاء

وافتى الفقهاء المتأخرون بالرد على احد الزوجين وقد جمع هذه الاقوال ابن عابدين قال في القنية : « ويفتى بالرد على الزوجين في زماننا لفساد بيت المال» وفي الزيلعي عن النهاية : ما فضل عن فرض احد الزوجين يردّ عليه . وكذا الابن والبنت من الرضاع يصرف اليهما . وقال في المستصفي : والفتوى اليوم بالردّ على الزوجين ، وهو قول المتأخرين من علمائنا . وقال الحدادي : الفتوى اليوم بالردّ على الزوجين . وقال المحقق احمد ابن يحيي بن سعد التفتازاني : افتى كثير من المشائخ بالرد عليهما اذا لم يكن من الاقارب سواهما لفساد الامام وظلم الحكام في هذه الايام ، بل يفتى بتوريث بنات المعتق وذوي ارحامه. وكذا قال الهروي : افتى كثير من المشايخ بتوريث بنات المعتق وذوي ارحامه ا ابو السعود عن شرح السراجية للكازروني : قلت وفي معراج الدراية شرح الهداية وقيل ان لم يترك الا بنت المعتق يدفع المال اليها لا ارثاً بل لانها اقرب ، وكذا الفاضل عن فرض احد الزوجين يدفع اليه بالرد . وكذا يدفع الى البنت والابن من الرضاع، وبه يفتى لعدم بيت المال. وفي المستصفي: والفتوى اليوم على الرد على الزوجين عند عدم المستحق لعدم بيت المال اذ الظلمة لا يصرفونه الى مصرفه وهذا كما نقل عن بعض اصحاب الشافعي انهم يفتون بتوريث ذوي الارحام لهذا المعنى اه. وقال الشارح في الدر المنتقى من كتاب الولاء : قلت ولكن بلغني انهم لا يفتون بذلك فتنبه اه. اقول ولم نسمع ايضاً في زماننا من افتى بشيء من ذلك . ولعله لمخالفته للمتون فليتأمل . لكن

(١) مقدمة قرة عيون الاخيار لتكملة رد المحتار للشيخ محمد علاء الدين بن عابدين ، ص ٤

لا يخفى ان المتون موضوعة لنقل ما هو المذهب . وهذه المسألة مما افتى بها المتأخرون على خلاف اصل المذهب للعلة المذكورة كما افتوا بنظير ذلك في مسألة الاستئجار على تعليم القرآن مخالفين لاصل المذهب لخشية ضياع القرآن ولذلك نظائر ايضاً . وحيث ذكر الشراح الافتاء في مسألتنا فليعمل به ولا سيما في مثل زماننا فانه انما يأخذه من يسمى وكيل بيت المال ويصرفه على نفسه وخدمه ولا يصل منه الى بيت المال شيء. والحاصل ان كلام المتون انما هو عند انتظام بيت المال وكلام الشروح عند عدم انتظامه ، فلا معارضة بينهما فمن امكنه الافتاء بذلك في زماننا فليفت به ، ولا حول ولا قوة الا بالله ».[1]

وقال قاضي شرع بيروت ، الشيخ محيي الدين المكاوي في حكم صدر بتاريخ ٣١ ايار سنة ١٩٤٧ رقم ٣٩٩ : « وبما ان الاوصاف الواردة في بيت المال بصرفه الاموال في المصارف الشرعية غير موجودة في اي بيت مال منذ مئات السنين ، فقد افتى العلماء المتأخرون بحصر الارث بالزوجة فرضاً وردّاً »

وقد جاء هذا الحكم موافقاً للشرع ، ومبدأ توزيع التركات ، لانعدام بيت مال المسلمين .

في ضرورة الرد على الزوجين اجتماعياً

يتضمن القرآن تشريعين : الاول يتعلق بالمسائل التعبدية ولا علاقة لنا به ، والثاني يتعلق باحوال الناس ، ومعاملاتهم الدنيوية ، والقصد منه جلب المنافع ودرء الخطر عن الناس ، ولم يقل عن المسلمين.

وهذا التشريع الاخير ظلّ ردحاً من الزمن مقيداً بالتقليد والجمود نابذاً التوليد تبعاً للتطور الاجتماعي ، مع ان المشترع القرآني امر بالتطور وتغيير الاحكام بتغيير الزمان ، قال : « انما انا بشر، اذا امرتكم بشيء من دينكم فخذوا به . واذا امرتكم بشيء من رأي فانما انا بشر، انتم اعلم بامر دنياكم» وجاء في سورة البقرة : «يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر »[2]. وجاء في احاديث البخاري : « خذوا من العمل ما تطيقون ».

١) حاشية ابن عابدين ٥ : ٥٣٠

٢) سورة البقرة : الآية ١٨٥

وتبع عمر بن الخطاب هذا المبدأ حتى انه خالف النصوص القرآنية الواردة في سورة التوبة وهي : « انما الصدقاتُ للفقراء والمساكينَ ، والعاملينَ عليها ، والمؤلفة قلوبُهم ، وفي الرقاب والغارمين ، وفي سبيل الله وابن السبيل ، فريضة من الله . والله عليم حكيم »[1]. وان المؤلفة قلوبهم هم الذين كان النبي يعطيهم الصدقات ليتألفهم على الاسلام لضعف ايمانهم او لدفع شرهم او لعلو منزلتهم في قومهم . فالغى عمر بن الخطاب حصة المؤلفة قلوبهم ، رغم النص الصريح ، وردهم بقوله : « هذا شيء كان رسول الله يعطيكموه ليتألفكم على الاسلام ، والان فقد اعزّ الله الاسلام واغنى عنكم ، فان ثبتم على الاسلام ، والا فبيننا وبينكم السيف[2] . انا لا نعطي على الاسلام شيئاً ، فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ».

واعتنق هذا المبدأ بعض الائمة وعملوا لتغيير الاحكام مع الزمان ، قال ابن القيم : « ان الشريعة مبناها واساسها على الحكم ومصالح العباد في المعاش والمعاد ، وهي عدل كلها ، وحكمة كلها ، فكل مسألة خرجت من العدل الى الجور وعن الرحمة الى ضدها ، وعن المصلحة الى المفسدة ، وعن الحكمة الى العبث ، فليست من الشريعة وان ادخلت فيها بالتأويل ، فالشريعة عدل الله بين عباده ، ورحمته بين خلقه »[3].

ولخص ابن خلدون مبدأ تغيير الاحكام بتغيير الزمان قال : « ان احوال العالم والامم وعوائدهم ونحلهم لا تدوم على وتيرة واحدة ، ومنهاج مستقر ، انما هو اختلاف على الايام والازمنة ، وانتقال من حال الى حال ، وكما يكون ذلك في الاشخاص والاوقات والاسعار ، فكذلك يقع في الآفاق والاقطار والازمنة والدول »[4].

---

١) سورة التوبة : الآية ٥٩ . انظر ايضاً تفسير الجلالين : « حكيم في صنعه فلا يجوز صرفها لغير هؤلاء ولا منع صنف منهم اذا وجد فيقسمها الامام عليهم على السواء وله تفضيل بعض آحاد الصنف على بعض وشرط المعطى منهم الاسلام » .

٢) صبحي المحمصاني : فلسفة التشريع في الاسلام ، بيروت ١٩٤٦ ، ص ١٧٨

٣) صبحي المحمصاني : فلسفة التشريع في الاسلام ، ص ١٧١

٤) مقدمة ابن خلدون ، طبعة ١٩٣٠ ، ص ٢٢ ، والمادة ٣٩ من المجلة .

ولهذا يجب ان تتبدل الاحكام وتجاري الزمان ، وتوافق البيئة الاجتماعية .

واخذ العلامة ابن عابدين يطبق هذه المبادئ في فتاويه ، وكتاباته الفقهية وخصوصا في رسالته « نشر العرف في بناء بعض الاحكام على العرف » .

والدولة العثمانية تبنت هذه المبادئ في المجلة حتى وفي جميع القوانين فقيل ان قصد التشريع العثماني توفيق الشريعة العراء مع المصلحة العامة ، والمنافع الخاصة ، خصوصاً ان السلطان كان مصدر السلطة والامر ، يشرع القوانين بارادته السنية ، وبعض الاحيان كانت هذه الارادة تنسف الشرع [1] .

وتفككت الدولة العثمانية ، وانفصل عنها دول ، منها تركية الكمالية ، والعراق وسورية ، واعيدت الاراضي التي كانت قد سلخت عن لبنان واخذت كل دولة تصدر قوانين وضعية ، مستمدة من الضرورة الاجتماعية والقوانين الغربية ، فتركية انتخبت القانون السويسري ، وفصلت الدين عن القانون ، ومنعت تعدد الزوجات والطلاق ، الا بواسطة القضاء المدني ، وعدلت توزيع المواريث واجازت زواج غير المسلمين بالمسلمات ، ووضعت القرآن باللغة التركية ، فاصبحت الصلاة تقام باللغة التركية .

والبانيا قامت بالاصلاح نفسه ، وفي مؤتمر تيرانا منعت تعدد الزوجات وامرت بنزع الحجاب .

ولبنان ، الذي يؤلف دولة مستقلة لا دينية [2] ، اصدر قوانين كثيرة توافق حالته الاجتماعية ، ومن هذه القوانين قانون الملكية الذي لم يذكر الاراضي العشرية وقانون الموجبات والعقود ، وقانون العقوبات .

وسورية تبعت لبنان واصدرت بضعة قوانين مستمدة من حالتها الاجتماعية الحاضرة .

---

١) انظر قانون الجزاء وقابل نصوصه مع نصوص الآية ٣٧ من سورة المائدة ومبدأ عقوبة الزنا

٢) المادة ٩ من الدستور اللبناني : « حرية الاعتقاد مطلقة . والدولة بتأديتها فروض الاجلال لله تعالى تحترم جميع الاديان والمذاهب وتكفل حرية اقامة الشعائر الدينية تحت حمايتها على ان لا يكون في ذلك اخلال في النظام العام . وهي تضمن ايضاً للاهلين على اختلاف مللهم احترام نظام الاحوال الشخصية والمصالح الدينية . »

وهذا التطور الاجتماعي ، اوجب تطوراً اجتماعياً ، وهو ان المسلمين اخذوا يكتفون بزوجة واحدة ، ومنعوا انفسهم الطلاق السريع فاطمأنت النساء واخذن ينظرن الى المستقبل العائلي فقط ، باعتبار ان الزوجين يؤلفان شخصاً واحداً ويعيشان حياة واحدة ، ولهما مصلحة واحدة عسراً ويسراً ، فرحاً وترحاً ، فيترك كل منهما اباه وامه ويتبع رفيق حياته قائماً بكل حماسة في تتميم واجباته نحو شريك حياته ، فالزوجة تنفق مالها على اولادها وزوجها ، كما هو يقدم امواله للزوجة وللاولاد .

فهذه الشراكة العائلية او الحياة المشتركة ، المتحدة ، اخذت تتأصل في المجتمع اللبناني ، شاملة جميع الطبقات ، والطوائف الاسلامية معدلة العادات ، وموجبة تبدل الاحكام وفقاً للزمان ورقي السكان ، فاصبح من الضروري ، بناء على المبادئ المذكورة سابقاً ، ان ترد على احد الزوجين ، عرفاً ، واجتهاداً ، كامل التركة عند عدم الورثة الشرعيين .

وكيف ، ولماذا ترد التركة بكاملها على الاخ في الرضاع او الاخت في الرضاع ولا ترد على احد الزوجين الذي افنى حياته في خدمة الآخر ، وفي انماء ثروة العائلة ، وفي المحافظة على حياة الآخر ، حياة شريكه في الحياة ؟ فالرد على احد الزوجين ضرورة اجتماعية يجب ان تتم ، بقطع النظر عن وجود او عدم وجود بيت المال الشرعي ، وان قوانين العالم المتمدن اجمعت على اعطاء كامل التركة الى احد الزوجين عند عدم وجود ورثة شرعيين ، حتى ان في « هايتي » ، تتناول الزوجة نصف التركة مع وجود الاولاد ذكوراً واناثاً ، فهل الرقي في « هايتي » اكثر منه في لبنان .

وعلى القضاء ان يسترشد بالتطور الى حل المشكلات التي تتولد عن الحياة الاجتماعية حلاً صحيحاً مستوحياً من مبدأ العدالة الانسانية ، والنظام الادبي فيوصل كل شخص الى حقه ، ويرد التركة على احد الزوجين .

الشرع المسيحي يرد التركة على احد الزوجين

منذ ظهر الدين المسيحي اخذ يعمل باستمرار عجيب على فك قيود المرأة، ومن ساعة جعلها شخصية انسانية محترمة ، وقد منع الاستبداد بها ورتب عليها واجبات مقدسة كتربية البنين وخدمة المنزل والحياة المشتركة على ان تكون مع زوجها شخصاً واحداً ، لها ما له من حقوق وعليها ما عليه من واجبات .

وفي القرن الرابع للميلاد ، اعطى الشرع المسيحي المرأة شيئاً من تركة زوجها اي قيمة مهرها وجهازها ، واعطى زوجها الحق بان يوصي لها او لغيرها بثلاثة ارباع امواله على ان يحفظ الربع الباقي للورثة ، وهذه هي الحصة المحفوظة المذكورة في القوانين الحديثة

وتبنت السلطة المارونية منذ نشأتها نصوص كتاب « العادات السورية الرومانية » ، وعملت بموجبها ، واعطت الزوجة ثلث تركة زوجها مع وجود الاب والام .

وبعد ذلك قررت العمل بكتاب ابن العسال الذي نص :

« اذا توفي رجل او امرأة عن غير وصية ولم يكن هناك وارث طبيعي لا من المستملين ولا من المستقلين ولا ممن عن جانب فان الرجل يدعى الى ميراث زوجته كله وكذلك المرأة الى ميراث زوجها » .

وفي ١٩ تموز سنة ١٧٤٤ قررت السلطة المارونية تبني مختصر الشريعة [1] للمطران عبدالله قرعلي ، المائل الى تطبيق الشريعة الاسلامية مع بعض التعديل وقد جاء في الباب الثلاثين ، الفصل الاول : « الميراث على قسمين احدهما لمن فرض له نصيب معين مع الورثة وعدة الفروض ستة ، الزوجة لها مع ورثة زوجها الربع اذا لم يكونوا اولاداً ، ومع الاولاد الثمن اذا كانوا اقل من ثمانية ، وان زادوا وبلغوا الثمانية فلها كواحد منهم ولها صداقها وجهازها جميعه

١) انظر كتابنا « صلاحية محاكم الاحوال الشخصية في لبنان وسوريا » ص ٢٢ ، والاب يوسف زياده : «القضاء الماروني وعلاقته بالشرع الروماني » ص ١٤٤ ، والاستاذ ابراهيم عواد *Le droit privé des Maronites au temps des émirs Chehabs* (1697-1841) . p.308

وجميع ما البسها زوجها في حياته ، اما الزوج مع زوجته فله مع عدم الاولاد النصف ومع الاولاد الربع ، وان كانوا اربعة فصاعداً فكواحد منهم ، وان لم يكن هنا وارث شرعي لا من المستعلي ولا من المستفل ولا ممن عن الجانب فالميراث كله له ، وحكم الزوجة معه كذلك » .

ونص قانون الكنيسة القبطية الارثوذكسية :

« ان لم يكن للزوج وارث طبيعي مستحق لا من المستعلين ولا من المستفلين ولا ممن عن الجانب فالميراث جميعه يؤول للزوجة ، هذا حكم الزوجة مع زوجها » .

وان كانت المرأة هي المتوفاة فحكم زوجها في ميراثها كحكم حكمها تماماً دون فرق[1] .

ونص قانون العيلة البيزنطي وقانون المواريث المعمول به بفلسطين :

« الطبقة الخامسة (وهي طبقة الوراثة) هي طبقة الزوج الحي او الزوجة الحية اي طبقة الباقي من الزوجين في قيد الحياة فيتناول جميع التركة »[2] .

وجاء في الحق العائلي للارشمندريت فوتيوس الخوري المادة ٣١١ : « للزوجة في تركة زوجها ثلاث حالات وهذا بيان تلك الحالات ونصيبها في كل منها :

الحالة الثالثة مات (الزوج) عن زوجته وليس من مدع حق الارث برتبة من تلك المراتب الآنفة الذكر فالتركة الخاصة جميعها للزوجة » .

وكل هذه النصوص مرتكزة على مبدأ واحد وهو مبدأ المساواة الحديث الذي يعمل له في جميع اقطار العالم ، وظل هذا المبدأ يطبق في الشرق ، وخصوصاً في لبنان الى ان قضت الحكومة اللبنانية بنزع دعاوى حصر الارث من المحاكم المذهبية المسيحية ، اي الى ٦ شباط سنة ١٩٣٠ تاريخ المرسوم الاشتراعي رقم ٦ ، ومن ذلك التاريخ اخذت المحاكم المدنية تتذبذب لجهلها المبادئ الشرعية التي يرتكز عليها بيت مال المسلمين ، فاخطأ بعضها وقال بوجود بيت المال واصاب البعض الآخر ، وقال باضمحلاله ، ولم تنظر واحدة

---

١) انظر قانون الكنيسة القبطية ، ١٩٣٣ ، ص ٩٥

٢) انظر القانون العيلي البيزنطي المعمول فيه بفلسطين ، ١٩٣٠ ، المادة ١٢٨

منها الى الحالة الاجتماعية ولا الى القوانين السابقة ، وبقيت تتخبط بدون وعي ، مع انه من المؤكد ان التركة ترد كاملة على احد الزوجين عند عدم وجود ورثة شرعيين .

٥

ومما اوجزناه اعلاه يظهر لكل ذي بصيرة ان بيت مال المسلمين قد اضمحل تماماً من مئات السنين في الدول الاسلامية عينها ، ولبنان دولة لا دينية ليس له ، ولا يجوز ان يكون له بيت مال بالمعنى المقصود في الشرع الاسلامي . وبما ان بيت المال قد اندثر ، واجمعت القوانين اللبنانية على عدم ذكره ، وشرط الارث وجود الوارث ، فلا يجوز باي حال الرد على بيت المال

واما ما يلقبونه بالخزينة ، فلا يمكنه ان يتناول شيئاً من التركة واحد الزوجين في قيد الحياة .

والضرورات الاجتماعية — وجميع المحرمات تباح بالضرورة ، والضرورات تبيح المحظورات[1] — تفرض الرد على احد الزوجين ، ولا يقال ان لبنان يطبق الاحكام الشرعية ، في الاحوال الشخصية ، وهذا شرع منزل ، لا يمس ، لان واضع الشرع نفسه قال : « انما انا بشر ، انتم اعلم بدنياكم . » والمواريث وتوزيعها تتعلق بالمسائل الدنيوية المحضة وجاء الخلفاء بعده يغيرون الاحكام مع الزمان ورقي السكان ، تابعين التطور الاجتماعي ، واحتياج الناس في حياتهم الاقتصادية والاجتماعية ، الى معاملات كانت ممنوعة .

وبالاستناد الى الحالة الاجتماعية الحاضرة ، يتوجب على السلطة تنظيم المواريث على اسس حديثة يتساوى فيها افراد الامة اللبنانية ، على ان يكون فيها حظ التمثيل ، ومنع من الارث الاخ والاخت في الرضاع ، ونفي الموالاة ونتائجها .

والتجدد الاجتماعي يستتبع تجدداً في القوانين ، ولا يعقل ان يبقى قانون توزيع المواريث على ما هو عليه ، لانه يوم وضع كان احدث القوانين ، وقد وضع اقوام كانوا يعيشون في البادية ، وكانت المدنية غير ما هي عليه اليوم ، والحياة الاقتصادية متأخرة ، والمدنية الحديثة تتبع قوانين حديثة .

---

١) المجلة المادة ٣١

فنّ التمثيل

في ظلال قرن

تتمة يوسف اسعد داغر
احد امناء دار الكتب اللبنانية

فهرس ابجدي

بعناوين المسرحيات

(الموضوعة والمترجمة)

٢

د (تابع)

دليلة : *Dalilah* في ثلاثة فصول ، تأليف : بول ديمازي Deinasy عربها سامي الشمة ، في «الحديث» الحلبية ١٩٢٩

دموع : بقلم محمد فهمي ، مصر ، مطبعة بابيل اخوان ، ١٩٣٣ ، ص ١٧٢

دموع البائسة : ذات ثلاثة فصول ـ دمشق المطبعة الحديثة ، ١٣٥٤ / ١٩٣٥ ص ٦٠

دموعي : تأليف انيس درية (لبنان)

دوران ودوران : مترجمة عن الفرنسية . مثلت مراراً في مصر

ديك الجن الحمصي : وضعها ميشال اوبري معتمداً على قصة ديك الجن لنسيب عريضة ـ حلب ، المطبعة الحديثة ، ١٩٣٠ ، في ٦٥ ص ـ نقدها في «المشرق» ٣ : ٣٩٩

ديك الجن الحمصي : تأليف محمد طاهر الجبلاوي ـ مصر ، مطبعة صادق بالمينا ، ١٩٣٥ ، ص ١٣١

ديمتريوس : تأليف خليل باخوس ، ١٨٨٧

ذ

ذات نجلاء العين : غنائية قامت بتمثيلها فرقة آل عكاشة في مصر .

الذبائح : في اربعة فصول . تأليف انطون يزبك اللبناني ، مثلتها فرقة رعميس ليوسف وهبي ، طبعتها شركة القرطاس ، مصر ١٩٢٦ ، ص ٧٦ .

الذخيرة : *Le Reuquaire* المؤلف : فرنسوا دوبوا (Dubois) — المترجم : شبلي الملاط . — بيروت ، ١٩٠٦ ، ص ٨٦ .

ذكاء القاضي : تمثيلية للاولاد ، وضعها نصري الخوري (فلسطين) عام ١٩٤٥

الذكرى الخالدة : مجموعة اربع روايات تمثيلية هزلية وضعها الاخ ـ اروفيم فيكتور (رشيد عطاالله اللبناني) ونشرتها جريدة «البشير» ، ثم نشرت على حدة في المطبعة الكاثوليكية ١٩٢٧ ، في ١٦٧ ص ، وهي :

١ – الدسيسة ٢ — من غربل الناس نخلوه

٣ – جلالة الامير ٤ – الغلام الآبق

نقدها في « المورد الصافي » ١٤ : ١٠٣ .

الذهب : *Lor* للكاتبين العالميين ستيفان زويغ وجول رومان . المترجم : الصاوي محمد . — نشرت في مجموعته : «رجال ونساء» ٢ : ١ – ٦٨ – مثلتها فرقة رعميس ليوسف وهبي .

ذو اليد الحديدية : ذات خمسة فصول تأليف : غرته ، المترجم : شديد باز الحداد . بيروت ١٩٢٢ . ص ١٣٥

ذي قار : شعرية في اربعة فصول وضعها عمر ابو ريشة . نشرها صبحي اللبابيدي ، حلب ، ١٩٣٢

ر

الرابح السعيد : هزلية ذات فصل واحد ، ترجمة فتح الله قسطوني . — حلب مطبعة العصر الجديد ، ١٩٣٢ .

رادوبيس : تأليف نجيب محفوظ — القاهرة ، لجنة النشر للجامعيين ، ١٩٤٣ .

راسبوتين : تأليف يوسف وهبي ، مثلتها فرقته المعروفة بفرقة رعميس .

راعوث : باللغة العامية ، مأخوذة حوادثها من قصة راعوث في « الكتاب المقدس » ، في اربعة فصول صغيرة ، نشرت في مجموعة « تمثيل القصص من الكتاب المقدس » .

الراقصة : ذات ثلاثة فصول ، تأليف الدكتور محمد عبد الحميد ، — مصر ، مطبعة الاسماعيلية الكبرى ، ١٩٤٧ ، ص ١١٧ .

ربيبة الجبال : ذات اربعة فصول تعرف برواية سلتيادور ، المؤلف : اسكندر دوماس الكبير المعرب : طانيوس عبده — وضعها بالقالب التمثيلي لطف الله اديب سروجي — مطبعة جريدة الهدى ، نيويورك ، ١٩١٠ في ٨٦ ص

رتشرد الثاني . المؤلف : شكسبير ، المترجم : محمود عوض ابراهيم — القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٤٨ ، ص ١٢٩ .

رجاء ويأس : ذات مقدمة وثلاثة فصول ، تأليف يوسف الفاخوري — حريصا ، مطبعة القديس بولس ، ١٩٢٧ ، ص ١١٠ .

الرجاء بعد اليأس : تأليف الشيخ نجيب الحداد . — بيروت ، ص ٩٢ .

الرجل الذي قتل : غنائية اشترك بتمثيلها عبد الرحمن خليل . — مصر .

الرجل المسافر : فصل واحد ، تأليف حنا غالب ، نشرتها اتحاد المدارس الاحدية في آسيا الصغرى ، اخرجتها المطبعة الاميركية في بيروت ، ١٩٣٨ ، في ١٤ صفحة .

رجوع المهاجر : تأليف حليم فارس — ١٩٠٧ (لبنان) .

الرجوع الى ادرنة : تاريخية ذات مقدمة واربعة فصول وضعها معروف الارناؤوط ، دمشق ، مطبعة النفائس ، ١٩١٣ ص ٩٠ .

رحلة السندباد الثامنة : فصل واحد بقلم خلدون ساطع الحصري « المكشوف » عدد ٢٣٩ ، ص ٦ .

الرداء الاحمر : مسرحية تأليف : اوجين بريو ، مثلتها جوقة عبد الرحمن رشدي وميليا ديان .

رسالة الزنبقة من الظلمة والنور : *The Message of the Lily* مسرحية فصحية للاولاد

في ثلاثة مشاهد تأليف : ف. ل. بلامي F. L. Pellamy الملخصة : انا ر. كندي Ana R. Kenedy المترجم : منح الراسي ، نشرتها المطبعة الاميركية — بيروت ، ١٩٤٠ في ٢٠ ص .

رسل السلم : في خمسة مشاهد وضعها حنا غالب ونشرها اتحاد المدارس الاحدية في آسيا العربية . المطبعة الاميركية ، ١٩٣٧ ؛ في ١٥ ص .

الرشيد والبرامكة : تاريخية ذات خمسة فصول يتخللها شعر قديم وضعها الاب انطون رباط اليسوعي ونشرتها مجلة « المشرق » في سنتها ١٣ : ٨ و١٠٠ ، و١٩١ ، و٢٥٢ و٢٤٤ و٤١٨ و٤٩٨ ، ثم على حدة في المطبعة الكاثوليكية ، ١٩١٠ - طبعة ثانية ١٩٢٤ في ١٠٩ ص — نقدها في مجلة « الزهور » ١ : ٤١١ .

رصاصة في القلب : لتوفيق الحكيم من نوع الكوميدي في ثلاثة فصول نشرت في مجموعته : « مسرحيات توفيق الحكيم » ١ : ١٤٨ — ٢٧٠ .

رفقة : مأخوذة حوادثها من « الكتاب المقدس » — نشرت في مجموعة « تمثيل القصص من الكتاب المقدس » .

الروائي : ذات ثلاثة فصول ، مصر .

الروايات المفيدة في علم التراجيدة : مجموعة من ثلاث مسرحيات ترجمها الى العربية باللغة العامية محمد عثمان جلال ونشرها مأمنة ١٣١١ ؛ وهي :

رواية استير ، تأليف راسين ، ص ١ — ٣٩

انغانية « « ص ٣٩ — ٩٠ .

الاسكندر الاكبر ص ٩١ — ١٣٨ .

الرواية الادبية في الخدعة الزوجية : تأليف عبد الغني رمضان ، ١٢٨٤ .

الرواية الخائنة : تأليف محمد طاهر الجبلاوي .

رواية المصاهرة : تأليف محمد غنيم — في « الرسالة » ٧ : عدد ٣٠١

رواية البيتين : وضعها سلامة حجازي ومثلت فيها ميليا ديان .

روزينا : غنائية ترجمها فرح انطون ومثلتها جوقة منيرة المهدية

رومانوس امبراطور : تأليف عقل شملاني (لبنان)

روميو وجولييت : تأليف شكسبير ، ذات خمسة فصول ترجمها اولاً عن الانكليزية الشيخ نجيب الحداد لفرقة اسكندر فرح بعنوان « شهداء الغرام » (اطابها) وطبعت في المطبعة الرشيدية في كفرشيما في ٥٢ ص .

– ثم عربها عن الانكليزية نقولا رزق الله مشيّ « مجلة الروايات الجديدة » .

– وترجمها ايضاً ابراهيم زكي

– ثم ترجمها اسماعيل عبد المنعم

– ثم تولى ترجمتها من جديد محمد الساعي

– ثم عبد الفتاح السرنجاني

– واخيراً علي احمد باكثير

الريال المزيف : ذات ثلاثة فصول ، تأليف رائف الفاخوري في مجلة « الكشاف » ١٩٢٨ ، ٢ : ١٨٥ و ٥٨٢

الريال المزيف : ذات فصلين ، تأليف نعوم نعمة الغرفيني ، في ٢٨ ص .

ريشيليو : تأليف اللورد ليتون المعرب : حسين رمزي – راجع « حياتنا التمثيلية » ٢ : ٢٧٥

ريشيليو : تأليف الاب يوحنا خليفة اللبناني – جونية مطبعة المرسلين اللبنانيين ، ١٩٤٧

ز

زابيرا : شعرية ذات خمسة فصول ، تأليف ڤولتير ، ترجمها فارس كلاب واليشاع كرم ٧٢ ص – الطلب زهيرة .

الزباء او زنوبيا ملكة تدمر : مغناة تاريخية ذات اربعة فصول وضعها الدكتور احمد زكي ابو شادي – القاهرة ، المطبعة السلفية ، ١٩٢٧ ص . ٨٥ – نقدها فؤاد افرام البستاني في « المشرق » ٢٦ : ٧٢ – ونُقدت كذلك في « فتاة الشرق » ٢٢ : ٢٣٧

الزباء : ذات خمسة فصول وضعها القس سليمان صائغ ، ومثلها لاول مرة مسرح مدرسة شمعون الصفا بالموصل . نشرتها مجلة « النجم » ٤ :

٢٨١ و ٣٣٣ و ٣٨٥ و ٤٣٣ و ٤٧٢ ؛ ٦ : ٨٩ — وقد وطأ لها بمقدمة في الآراء المتضاربة في الزباء، والزباء في الروايات العربية .

الزعيم *Le Tribun* : تأليف : بول بورجيه — نُقلت ومُثلت على مسرح رعمسيس ، وتولى نقدها الفني محمد توفيق يونس في « السياسة الاسبوعية » ، عدد ٩٤

زلة في الحياة : نقلها عن الفرنسية توفيق سعيد الرافعي — مصر ، ١٩١٨

الزمار : كوميديا في فصل واحد لتوفيق الحكيم ، نشرت في مجموعة مسرحياته ، ٢ : ص ١٣٣ — ١٩٢

الزهرة : غنائية تاريخية تأليف كامل محمد عجلان — مصر ، لجنة النشر الجامعيين

زهرة الشاي : درام في ثلاثة فصول تأليف عباس علام ، مثلتها فرقة السيدة فكتوريا موسى بتياترو فكتوريا ، لاول مرة ، سنة ١٩٢٦

زهيرة : تأليف فولتير ، نقلها نجيب فرج الله فياض . اطلب « زابير » .

زوال الحب والملك : تأليف لورد بيرون ، المعرب : ابو الفضل الوليد . ذات خمسة مشاهد ، مطبعة المصباح ، بيروت في ٨٨ ص.

الزوبعة : كوميدي دراماتيك عصرية مصرية في ثلاثة فصول ، تأليف عباس علام — مقتبسة فكرتها عن غاستون ديفور (G. Devore) في روايته الموسومة : *La conscience de l'enfant* مثلتها شركة ترقية التمثيل العربي ، لاول مرة ، بتياترو حديقة الازبكية ، سنة ١٩٢١ .

زوبعة البحر : تأليف شكسبير . المترجم : محمد عفت القاضي — مصر مكتبة التأليف ، ١٩٠٦

الزوجة الخائنة : وضعها الياس فياض ومثلتها فرقة اسكندر فرح على مسرح الكازار في بيروت (١٩٠٣) .

الزوجة العذراء : كوميدي عصرية مصرية في اربعة فصول تأليف عباس علام ، فكرتها مقتبسة عن الفرد سفوار Alf. Savoir وعنوانها : *La 8e Femme de Barbe Bleue* مثلتها فرقة فاطمة رشدي ، لاول مرة سنة ١٩٣٣ .

زياد ولبرتيا: ذات اربعة فصول ، تأليف شبل مهاوج – مطبعة جريدة فتى الجبل ، بيت شباب ، ١٩٣٩ في ٩٦ ص.

زينة : غنائية قامت بتمثيلها فرقة السيدة ملك – مصر .

س

الساحر : درام في ثلاثة فصول ، تأليف عباس علام اقتبسها عن الرواية الفرنسية *La Grande Epouvante* التي اشترك في وضعها الزوايفان André Lorde et H. Bauche ، مثلتها فرقة فكتوريا موسى لاول مرة سنة ١٩٢٧ بتياترو فكتوريا .

الساحرة : *La Sorcière* تأليف فكتوريان ساردو Sardou (١٩٠٣) المترجم : فرح انطون . – نقدها في « السياسة الاسبوعية » عدد ٨٧ .

السارق : *Le Voleur* المؤلف : هنري برنشتين H Pernstein . المترجم : حسن ثابت – مصر .

سارق النار : مجموعة مسرحيات مستل معظمها من اساطير اليونان وضعها خليل هنداوي ، بيروت ، المطبعة الحديثة ، ١٩٤٤ ص١٠٨ – فيها : سارق النار ص ٧ – ٢٨ – فتنة : ٢٩ – ٤٠ – جزيرة بلا رجال : ٤١ – ٥٥ . ميلاء ٥٧ – ٧٦ – المثال التائه : ٧٧ – ٩٢ – اللحن الكئيب : ٩٣ – ١٠٨

سافو : Sapho المؤلف : الفونس دوديه (١٨٨٤) – المترجم : محمود كامل المحامي . مثلت لاول مرة في دار الاوبرا الملكية عام ١٩٣٥ . نقدها في « الرسالة » عدد ١٨٢ و١٨٣ .

السامرية ويسوع : تأليف ادمون روستان . عربها اسكندر الريشي ، زحلة ، مطبعة « الصحافي التائه » .

سانياسي او الزهد : رمزية لشاعر الهند طاغور نقلها فخري شهاب السعيدي في « الرسالة » ٨ : ١٨١٠ و١٨٣٧ .

السبايا : غنائية وضعها اسكندر الشافون محرر مجلة « روضة البلابل » الموسيقية

ومدير المعهد الموسيقي المصري بالقاهرة ، مطبعة رعمسيس بالفجالة ، سنة ١٩٢٣ .

سجين الظلم : ذات خمسة فصول تأليف ميشال ابراهيم المعلوف — زحلة ، مطبعة المهذب ، ١٩٠ ص ١٠٢

سجين القصر : ذات خمسة فصول ، معربة بتصرف عن الفرنسية بقلم جميل الدحري — حريصا (لبنان) ١٩٢٠ ، في ٨١ ص .

سحر العيون : تأليف شاكر شقير .

سر ابي الهول : شعرية في اربعة فصول ، تأليف موريس روستان . المترجم : خليل غنداري — في مجلة « الرواية » تباعاً ، في الاعداد ٤ الى ٩ من سنتها الاولى (١٩٣٧) .

السر : فصل واحد ، تأليف رامون ساندير ، نقلها م.خ. في مجلة « الطليعة » ٣ : ٦٧٣ .

سر الحاكم بامر الله او لغز التاريخ : تاريخية تأليف علي احمد باكثير — القاهرة دار الفكر العربي ، ص ١٥٠ .

السر المكتوم في الظالم والمظلوم : تأليف الياس صيداوي — ١٨٨٥ .

سر المنتحرة او بعد الموت : لتوفيق الحكيم في اربعة فصول ، نشرت في مجموعة مسرحياته جزء ١ : ١٠ — ١٢٣ .

السعادة في الشهادة : تأليف ميخائيل غبريل ، ١٨٩١ — بيروت ، المطبعة الكاثوليكية ص ٩٦ .

سفينة نوح : كوميدي عصرية مصرية في ثلاثة فصول ، تأليف عباس علام ، مثلتها فرقة جورج ابيض لاول مرة بدار الاوبرا الملكية ، سنة ١٩٢٩ .

السلطان صلاح الدين وملكة اورشليم : لفرح انطون — مصر ، ١٩٢٣ ، ص ٦٣ .

سلاح اليوم : لنجيب الريحاني ، حللها وعلق عليها الدكتور طه حسين في « الكاتب المصري » ٢ : ٧٠٤

سليمان الحكيم : لتوفيق الحكيم — مصر ، مطبعة التوكل ، ١٩٤٣ ص .

١٩٦ ، نقدها صلاح ذهني في « الثقافة » ، عدد ٢٣٦ وسيد قطب في الرسالة ١١ : ٣١١ و٣٣٣ و٣٥٠ .

سلوى : اوبرا تراجيدية تأليف الدكتور علي الناصر ، نشرتها مجلة « العصور » عدد ٦ : ٥٨٩ — ٦٠٢ .

السم في الدسم : تأليف شاكر شقير — بيروت ، مكتبة صادر .

سمان البخيل : مضحكة تلحينية ذات فصل واحد ، مثلتها جوقة الشيخ سلامة حجازي ، طبعت مع رواية « شهداء الانتقام » لعبد الوهاب ابو السعود في دمشق ، مطبعة الترقي ، ١٩٣٢ .

السؤال : للاب خليل اده اليسوعي — مُثلت مرارًا في بيروت .

السؤال أو وفاء العرب : ذات اربعة فصول ، تأليف انطون الجميل — مصر مطبعة الاهرام ، ١٩٠٩ ، ص ٩٥ — نقدها في « المشرق » ١٣ : ٦٣٤

السؤال : شعرية وضعها امين ظاهر خيرالله .

سيراميس : للاب يوحنا خليفة — في اربعة فصول — مطبعة المرسلين اللبنانيين ، جونية ، ١٩٤٧ ، ص ٤٨ .

سيراميس : *Sémiramis* غنائية تأليف بول ڤاليري P. Valéry نقلها سليم سعدة — وترجمها ايضاً خليل هنداوي في « المقتطف » ٩٠ : ٤١

سهاد : لمحمود تيمور — القاهرة ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، ١٩٤٢ ص ١١٦ — نقدها في « المقتطف » ١٠٢ : ١٠٥ .

سهام : كوميدي عصرية مصرية في اربعة فصول تأليف عباس علام وضعت معارضة معارضة لجورج فيدور في روايته G.Fedor : *La Dame chez Maxime* ومثلتها شركة التمثيل العربي لاول مرة بتياترو حديقة الازبكية عام ١٩٢٦ .

سهير : بقلم حسين عفيف ، مصر مطبعة حجازي ، ١٩٣٨ ، ص ١٨٧ .

سوزان العفيفة : *La chaste Suzanne* فصل واحد تأليف Antony Mars et Maurice Desvallières لخصها بايجاز وعلق على تمثيلها على مسرح دار الاوبرا الملكية ، رشدي كامل في « الكاتب المصري » ٤ : ٥٤١ .

سوسان : تأليف شاكر شقير – بيروت ، مكتبة صادر .

السيد : *Le Cid* ذات خمسة فصول ، تاليف بيير كورنيل ، ترجمها الشيخ نجيب الحداد بعنوان : غرام وانتقام – بيروت ، مطابع قوزما ص ٣٢ .

وقد عربها ايضا خليل مطران .

السيد حاطوم : ذات اربعة فصول ، تأليف عبد الوهاب ادهم – دمشق مطبعة بابيل اخوان ، ١٩٣٠ ص ٧٩ .

ش

الشاب الجاهل السكير – قصة نصور السكري . تأليف طنوس الجر ، طبعت على نفقة يوسف صفير – بعبدا (لبنان) المطبعة العثمانية ، ١٩٠٠ ، ص ٤٧

شاب مفتون : فصل واحد للدكتور احمد ضيف – نشرت في « الهلال » ٤٤ : ٧١١ .

شارع البهلوان : مأساة من نوع الفودفيل قامت بتمثيلها في الاوبرا الملكية الفرقة القومية – مصر .

شارل السادس : قامت بتمثيلها جوقة جورج ابيض .

الشاعر او سيرانو دي برجراك : تأليف ادمون روستان ، تعريب الدكتور محمد عبد السلام الجندي – مصر ١٩٢١ .

شاول الطرسوسي : تاريخية في اربعة فصول ، الفها القس جردز – نشرت تباعاً في مجلة « الشرق والغرب » وصدرت عن الجمعية الاسقفية بشارع الفلكي ، في القاهرة ، في ١١١ ص .

شبابنا في اوروبة : بقلم عثمان صبري . لها مقدمة طويلة في مزايا التمثيل وحاجة البلاد الى الدرامات التهذيبية – مصر ١٩٢٣ ، ص ١٤٠

الشبح الهائل : تاريخية ذات ثلاثة فصول عربها عن الفرنسية بتصرف الخوري مارون غصن ، في مجلة « رسالة السلام » ٨ : ٢٦٦ و٣٠٦ ٣٥٨ ، وثم على حدة ٤٨ ص نقدها في « المشرق » ٢٤ : ٩٥٧

شبل الارز ابن ملك صور : لبنانية في اربعة فصول – مثلت مرارًا ، وهي مطبوعة .

شرف العواطف : عربها عن الفرنسية شبلي الملاط . طبعت سنة ١٩٠٣ ، وثانية سنة ١٩٢٥ في مطبعة مجلة ميترفا .

الشرف الياباني : غنائية – مصر .

الشرك : مثلتها فرقة رعمسيس ليوسف وهبي .

شرلوت او ضحية الغواية – اطلب ضحية الغواية

الشريط الاحمر : كوميدي دراماتيك عصرية مصرية في خمسة فصول ، تأليف عباس علام ، مثلتها فرقة الشيخ سلامة حجازي لاول مرة بتياترو برنتانيا ، سنة ١٩١٧ .

شريعة الاسلام : تأليف غاستون بينافيتي المعرب : جورج صوايا – في ثلاثة فصول – نشرت تباعاً في مجلة « الاصلاح » في الارجنتين .

الشريف : تأليف معروف الارناؤوط – دمشق .

الشعب والقيصر : المؤلف : ڤولتير . المترجم : جورج طنوس – القاهرة ، مطبعة المعارف .

الشعلة : غنائية مثلتها جوقة عبد الرحمن رشدي وميليا ديان – مصر .

شفاه غليظة : لمحمود تيمور – القاهرة ١٩٤٦ .

شقاء التاج : تأليف وليم كاتسفليس – ١٩٢٢ .

شقاء العائلة : في خمسة فصول تأليف الشيخ سلامة حجازي مثلت لاول مرة بدار الاوبرا عام ١٩١٦ .

الشمس المشرقة : لعلها من تأليف عبد الرحمن رشدي وميليا ديان .

شمشون : تأليف الاب اسطفان فرحات ، بيروت ، ١٩٤٨ .

شمشون ودليلة : مثلت على مسرح حديقة الازبكية في القاهرة .

شمعدانات الاسقف : فصل واحد ، تأليف : نورمان ماكنيل ، اقتبسها عن قصة « البؤساء » لفيكتور هوغو . نقلها « الناقص » ونشرتها مجلة « الرواية » (مصر) في العدد ٢٧ : ١٦٥–١٧٦ .

شمم العرب : ذات اربعة فصول وضعها نجيب زمار ، صاحب جريدة « الكرمل » في حيفا .

شهاب الدين بن غسان : مطبوعة .

شهامة الترنسفال : تأليف السيد عوني (؟) ، طبعت على ذمة الشيخ محمد ابو الذهب الكتبي بطنطا في ٤٤ ص .

شهداء الاخلاص : تأليف علي نور – ١٣٢٢ .

شهداء الانتقام : ذات خمسة فصول تأليف عبد الوهاب ابي السعود – المكتبة العربية في دمشق ، في ٧١ ص ، مطبعة الترقي ، ١٣٣٢ .

شهداء الغرام : راجع روميو وجوليت .

شهداء الوطنية : بقلم احد ادباء مصر .

شهرزاد : لتوفيق الحكيم – دار الكتب المصرية ، ١٩٣٤ في ١٦٢ ص .
نقدها زهير زهير في « المكشوف » ، عدد ٢٥١ – ومحمد فريد ابو حديد في « الثقافة » ٥ : ١٩٧ و ٢٢٠ و ٢٤٦ و ٢٧٠

شهيد الدين وابطال المروة : ذات ثلاثة فصول بقلم الخوري فرنسيس نجم – بيروت المطبعة العلمية ليوسف صادر ١٩٢١ ص ٥٣ – نقدها في « المشرق » ١٩ : ٤٧١ .

شهيد الراية العربية : وضعها احد الادباء السوريين ، دمشق .

الشهيد العربي : تأليف حنا خليل هندي – لبنان .

الشهيدة او عواطف البنين : في خمسة فصول ، تأليف دانري وتاربي الفرنسيين المترجم : الياس فياض – الاسكندرية ١٩٠٩ .

شوف كيفك : غنائية مصرية .

الشياطين السود : قامت بتمثيلها فرقة رمسيس ليوسف وهبي .

شيخ الحارة : تأليف محمد كامل علي من نوع الاوبرا كوميك ، ذات خمسة فصول – مصر ١٩٢٨ في ٩٥ ص . استعمل المؤلف احياناً العامية .

الشيخ المتصابي : مصرية .

الشيخ متلوف *Le Tartuffe* : المؤلف : موليير Molière . المترجم : عثمان جلال ، نقلها بالزجل ومثلها جورج ابيض في تياترو عباس — مصر .

الشيخ وبنات الكهرباء : غنائية — مصر .

شيرويه : تأليف خليل طنوس باخوس ، مطبعة الحقوق ، جسر نهر بيروت ، ١٩١٠ .

شيطان الريح : لعبدالله غانم - لبنان — بيروت ١٩٣٠ ، ٦١ ص

شيلوك الجديد : وضعها علي احمد باكثير ونشرتها دار الفكر العربي - القاهرة ١٩٤٥ في ٨٤ ص ، مع مسرحيته الثانية « الحلّ »

ص

صباح الخير : مضحكة تأليف امين عطاالله (كشكش بك) ، ١٥ ص .

صباحية عمر : تأليف محمد حاج حسين ، نشرها في كتابه « عبقرية الادب العربي » — اللاذقية ، ١٩٤٣ .

الصحراء : ليوسف وهبي مثلتها فرقة رمسيس .

صدق الوداد : للشيخ نجيب الحداد - الاسكندرية ، مطبعة غرزوزي — نقدها في الرسالة ١٠ : ٨٦٩ .

صدى الاجيال : فصل واحد تأليف فؤاد البهي السيد نشرتها « الرسالة » ١٠ : ٥٠٢ .

الصعلوك : كوميديا ذات فصل واحد وضعها محمود تيمور ، نشرتها مجلة « المكشوف » عدد ٣٣٥ و٣٣٦ ، ثم نشرتها على حدة مع روايتي « ابو شوشة والموكب » مجلة « الحوادث » في ١٢٦ ص في مطبعة عطايا بمصر — نقدها في المقتطف ٩٩ : ٤١٧ — في « الرسالة » ٩ : ١٤٥٧ و١٤٨٦ .

الصلاح الدليل في الصبر الجميل : مصر

صلاح الدين الايوبي : ذات خمسة فصول وضعها نجيب الحداد ، مُثلت وطُبعت

مرارًا – بيروت ، مكتبة صادر ١٩٠٤ ، وطُبعت ثانية عام ١٩٢٩ في ٦٤ ص ، وثالثة بعناية احمد عبيد في دمشق في ٤٨ ص.

صلاح الدين او فتح بيت المقدس : وضعها فرح انطون ، ومثلتها جوقة جورج ابيض .

صوت القلب : ذات اربعة فصول ، المؤلف : الكاتبة فلورنس مارْكلاي – المترجم : نقولا امين فرح عن الفرنسية – مطبعة الجمعية الخيرية الاسلامية ، ١٩٢٩ ص ٧٧

الصيادون الاثنا عشر : تأليف محمد بديع – مصر

ض

الضحايا : تأليف حسين رمزي . مثلتها جوقة جورج ابيض

ضحايا القمار : ذات خمسة فصول – دمشق ، مطبعة الطرائف .

ضحايا المجتمع : ذات خمسة فصول ، وضعها البير صحناوي ، طُبعت في المطبعة البولسية ، حريصا ، ١٩٣٨ ، في ١١٩ ص

الضحية وروايات اخرى : تأليف رابندرانات طاغور . ترجمة اسماعيل مظهر في « العصور » مارس ١٩٢٨ ص ٦٨١ – ٧١٤

ضحية الغواية أو شارلوت : ذات خمسة فصول مثلها جوق سلامة حجازي ، تقع في ٥٢ ص .

ضحية الواجب : ذات ٦ فصول بقلم توفيق سعيد الرافعي ، طُبعت في مصر ، ١٩١٣ ، ٥٩ ص .

ضربة مقرعة : مثلت بمصر مرارًا .

ضرر الضرتين : تأليف نخلة قلفاط – بيروت .

ضلال ثم هدى او بين عاملين : ذات فصلين وضعتها فلك طرزي في مجلة « الحديث » ١٠ : ٦٥٢ و ٦٧٣

ضياء : في اربعة فصول تأليف محمد عفيفي علي شاهين – مصر ، ١٩٢٩ ، ص ٥٥

ط

طارق بن زياد : ذات ستة فصول . تأليف الكاتب التركي عبد الحق حامد –

عربها فريد عماد – طُبعت في مطبعة السلام ، بيروت ، في١٨٣ص

طارق بن زياد : وضعها حنا اندراوس ومثلتها جوقة آل عكاشة – مصر .

الطاغية : في خمسة فصول ، تأليف فريدريك شلر ، ترجمها الاستاذ فائق رياض في ١٩٨ ص .

طاغية القرية : ذات فصلين وضعها يوسف عصوب في مجلة « المشرق » ٣١ (١٩٣٣) .

الطبيب رغماً عنه : المؤلف : موليير ، المترجم : نجيب الحداد ، ١٩٠٤ – ترجمها ايضاً الياس ابو شبكة – بيروت ١٩٣٢ ، في ٤٩ ص .

طبيب المعجزات : تأليف فهيم حبشي (مصر) ، مثلها الفرقة القومية .

طريدة الاسرة : المؤلف حسين رمزي – مثلتها جوقة عبد الرحمن رشدي وميليا ديان .

الطرة والالياظ : مسرحية فرنسية ، تاليف لويس فرناي ، المترجم : الصاوي محمد – نشرت في كتابه « رجال ونساء » ٢ : ١٦

طلسم الحياة : تأليف عبد الرحمن ابو قوس – حلب ١٩٤١

الطواف حول الارض : قودفيل – مصر .

طوبيا البار : لا تزال خطية ، مثلت في اكليريكية دير الشرفة حيث توجد اصولها .

طوفان : اوبرا ذات فصل واحد لعمر ابو ريشة ، في مجلة « الحديث » ص ٢٦٩ .

طيف الشباب : مثلتها الفرقة القومية – مصر .

ظ

الظلوم : ذات خمسة فصول تأليف سليم خليل نقاش ، ١٨٩٢

ع

عائدة : غنائية لحنها محمود رحمي – مصر .

عابر سبيل *Le Passant* : تمثيلية فرنسية الاصل ذات فصل واحد ، وضعها فرنسوا كوبه . ترجمها حنا الحداد في « المورد الصافي » ، ٧ : ١٨٠ – ١٩٢

العاشق المستور : تأليف شاكر شقير – بيروت ، مكتبة صادر .

العاصفة : لشكسبير . ترجمها الدكتور احمد زكي ابو شادي « المقتطف » في ١٥٨ ص . نقدها في « المقتطف » ٧٧ : ١٠٩ – لها ترجمة اخرى لناشد سيفين – مصر ، المطبعة الرحمانية ، ١٩٢٩ في ١٥٨ ص .

– ترجمها ايضاً يوسف اسكندر جرجس ، وجعل كل صفحة منها في عمودين يحتوي احدهما على الاصل الانكليزي والآخر على النص العربي – مصر ١٩٢٩

– وترجمها ايضاً محمد عبد العزيز امين ، مصر ١٩٢٩

عاصفة في بيت : تأليف انطون يزبك – مُثلت مراراً في مصر .

عاصفة في القرية : وضعها عبدالله حشيمة .

عاقبة الغرام *Phèdre* : تأليف جان راسين J. Racine . المترجم : حنا زيا – طُبعت سنت ١٨٩٧

عاقبة الغرور او الحاكم بامر الله : وضعها ابراهيم رمزي – مُثلت مراراً في مصر .

العالم والجاهل او صباح الخير : مصر .

العامي النبيل *Le Bourgeois Gentilhomme* : احدى روايات موليير نقلها فؤاد نور الدين في ٢٥٠ص ، ١٩٣٤

العباسية : وضعها عزيز اباظة باشا سنة ١٩٤٧ ، نقدها سيد قطب في « الكاتب المصري » ١ : ٥٧٨ – ٥٩٤ – وزكي طليمات في « الكتاب » : ١ : ٢٢٣ – ٢٣٠

عبد الحميد والدستور : تأليف امين خوري – لبنان .

عبد الرحمن الداخل : في ثلاثة فصول وضعها عدنان مردم بك نظماً ، نشرت في « العرفان » ٥ : ٤٦١ ، و٥٩٦ ، و٦٩٩

عبد الرحمن الناصر : ذات خمسة فصول وضعها عباس علام ومُثلت لاول مرة

في حفلات افتتاح تياترو حديقة الازبكية في يناير ١٩٢١ – القاهرة مطبعة الاعتماد ٢٢٥

عبد الستار افندي : لمحمد تيمور ، نشرت في كتابه « حياتنا التمثيلية ».

عبد الشيطان : وضعها محمد فريد ابو حديد – مصر ، مطبعة دار الكتب المصرية ، ١٩٤٥ ، ص ١٤٨

عبرة الابكار : غنائية . مصر .

عتليا *Athalie* : تأليف جان راسين ، المترجم : نجيب جهشان ، سنة ١٨٨٦ المرة الاولى : مصر .

عثمان في الهند : هزلية تأليف محمد شكري ، مثلها علي الكسار على مسرح « ديانا » في الاسكندرية .

العجوزان : المؤلف : پيير وولف . المترجم : ايزاك تموس . فصل واحد – نشرت في « الحديث » مجلد ٦

العدالة : المؤلف : جون جالسورثي . المترجم : يوسف اسكندر جرجس مصر ، مكتبة الهلال .

عدل الملوك : وضعها نجيب عزيز – نقدها في المقتطف ٢٠ : ١٣٤

عدو البشر : في خمسة فصول – مصر .

عذاب : اوبرا ذات فصل واحد بقلم عمر ابي ريشة ، نشرتها « الحديث » ١٠ .

عذراء اورليان *La Vierge d'Orléans* : تأليف شيلر – تُرجمت ومُثلت في مصر ١٩٢٨ .

العذراء المفتونة : غنائية قامت بتمثيلها فرقة الشيخ سلامة حجازي مع ميليا ديان .

عذراء يفتاح : تأليف المنسنيور يوسف الحايك في ٣ فصول ، ١٩٣٦

العرائس *Les Marionnettes* : تأليف : پيير وولف P. Wolf المترجم . اسماعيل بك وهبي – مثلها جورج ابيض في جوقته – راجع فيها « حياتنا التمثيلية » لمحمد تيمور ، جزء ٢ : ٢٩٤

العرب : مثلها جوقة عبدالله النديم – مصر .

عربة التفاح: تأليف: برنرد شو Bern. Shaw ، المترجم: محمد عوض ابراهيم — القاهرة ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٤٦ ص ١٧٦ — نقدها في « الكتاب » ٣ : ٣٠٧

العرش : ترجمها عن الفرنسية حبيب جاماتي ، ومثلتها على مسرح رعمسيس فرقة يوسف وهبي — نقدها محمد علي ثروت في « السياسة الاسبوعية » ، عدد ١٥٣ : ٢٣

عروس النيل : في ثلاثة فصول بين المأساة والملهاة ، وضعها بالعامية محمود تيمور ، ونشرتها ادارة مجلة « الحوادث » في مطبعة عطايا سنة ١٩٤١ في ٧٦ ص — نقدها في « المقتطف » ١٠٠ : ٣٠٢ وفي « المكشوف » عدد ٣٤١

عشاء الخطبة : فصل واحد — مصر .

عشاق العرب: تأليف محمد عجلان. ونشرتها لجنة النشر للجامعيين في ١٤٤ص ، وقد حوت المجموعة الاولى المسرحيات التالية :

حبابة : ٨ — ٢٨ ، جميل : ٢٨ — ٤٣ ، زينب : ٤٤ — ٥٨ ، قيس لبنى : ٥٩ — ٧٥ ، غادة الهودج : ٧٨ — ١٤٤ .

العشرة الطيبة : مسرحية وضعها بيرم التونسي وبديع خيري وقامت بتمثيلها الفرقة القومية في دار الايرا الملكية — الموسيقى لسيد درويش.

عشرون يوماً في السجن : مسرحية غنائية — مصر .

عطايا عيد الميلاد : مسرحية دينية في ثلاثة مشاهد نشرها اتحاد المدارس الاحدية ، عام ١٩٣٤ في ٨ صفحات .

عطيل (اوتلو) : اولى مسرحيات شكسبير المنقولة الى العربية بعنوان اوتلو او القائد المغربي ، مثلها اولاً سليمان القرداحي ، ومن بعده احمد فهيم ثم محمد بهجت .

— ثم ترجمها خليل مطران باسم عطيل ، لفرقة ابيض ، قدم لها بمقدمة درس فيها الشاعر الانكليزي وروايته وقد نشرتها مجلة « الزهور » ٣ : ١٥٢

– نقدها رشدي كامل في مجلة « الكاتب المصري » بعنوان « ركود المسرح العربي » مجلد ١ : ١١٥ – ابن عساكر : عطيل بين الاخراج والتمثيل في « الرسالة » عدد ٣٠٤ : ٨٩٢

العظة : تأليف جورج شرقي ، في خمسة فصول – مصر مطبعة طنطا ، ١٩٣٢

عظة الملوك : غنائية – مصر .

عفريت مراتي : ملهاة في ثلاثة فصول تأليف الكاتب الانكليزي نوبل كوارد .

– ترجمها باقتباس سليمان نجيب الذي عمل كثيراً مع نجيب الريحاني على احياء فن الكوميديا في مصر .

– حللها وعلق عليها نقداً رشدي كامل في « الكاتب المصري » ٤ (١٩٣٦) : ٥٤٢

العفو عند المقدرة : ذات اربعة فصول تأليف الخوري نقولا ابي هنا – مطبعة دير المخلص ، صيدا ، ١٩٢٨ ص ١٢٠

نقدها في « المشرق » ٢٦ : ٥٥٤ – في « الكلية » ١٥ : ٢٣٨ – في « المسرة » ١٤ : ٣١٤

عفيرة : مسرحية مصرية .

العلاج الشافي : هزلية ذات فصل واحد وضعها خليل مطران ، ونشرتها « فتاة الشرق » ٣٠ : ٣٦٩ – ٣٧٦

على ضفاف الامازون : ذات خمسة فصول . المؤلف : ڤولتير ، المترجم : فريد يوسف بريدي – بيروت ، مطبعة الاجتهاد ، ١٩٢٥ ص ٦٢

على مذبح الخيانة : فريد خويص – مُثلت على مسرح التياترو الكبير – بيروت ١٩٤٨

علي بك الكبير او دولة المماليك : لاحمد شوقي ، في ثلاثة فصول ١٣٢ ص ، مطبعة مصر ، ١٩٣٢

– نقدها ادوار حنين في « المشرق » ٣٣ : ٧٢

العمال : ذات فصل واحد تأليف الشاعر الفرنسي ارجين مانوئيل . وترجمة نقولا امين فرح – بغداد ، ١٩٣١.

عمر بن الخطاب في الجاهلية والاسلام : تأليف محمد علي الحلبي – بيروت

١٩٣٥ في ٦٤ ص.

عمر بن عدي او حفظ العهود : مسرحية للحداد .

عمر مختار : فصل واحد ؛ تأليف : علي احمد باكثير نشرتها مع مسرحيته الاخرى « ابراهيم باشا » دار الفكر العربي — القاهرة ، ص ٩٥—١١٤

عمر والعجوز : الحلقة الاولى من « سلسلة مسرحيات اسلامية » التي يضعها محمد يوسف المحجوب – القاهرة ، مكتبة مصر ومطبعتها ، ص ٢٤

عمرو بن العاص : غنائية مثلتها فرقة السيدة ملك .

عنتر : وضعها بالفرنسية شكري غانم . المترجم : الياس ابو شبكة — بيروت ، مطبعة قوزما ١٩٢٦ ص ٦٦

– نقدها في « المشرق » ٢٤ : ٩٤٥

– ترجمها ايضاً محمد كامل حجاج ، ومُثلت بمسرح الاوبرا الملكية بمصر .

عنترة : ذات اربعة فصول وضعها حبيب جاماتي مثلتها فرقة رمسيس – نقدها في « السياسة الاسبوعية » عدد ١٤٨

عنترة : لاحمد شوقي في اربعة فصول ، ١٣٩ ص اخرجتها مطابع دار الكتب المصرية ، سنة ١٩٣٢ راجع فيها تلخيصاً لادوار حنين في « المشرق » ٣٣ : ٧٢

عندك حاجة تبلغ عنها : باللغة العامية — مصر .

العواصف : وضعها انطون يزبك مُثلت على مسرح برنتانيا في القاهرة ، نقدها محمد توفيق يونس في « السياسة الاسبوعية » ، عدد ١٤٢

عواطف الاخت : نقلها عن الانكليزية انيس الخوري المقدسي في « المورد الصافي »

عواطف البنين : تأليف محمد الهراوي مثلها عبد الرحمن رشدي وميليا ديان مصر ١٩٢٩ . — لخصتها مجلة الكلمة (حلب) : ٤٩٥

عواطف الزوجة : ذات ثلاثة فصول تأليف حسين محرم ، باللغة العامية المصرية .

العواطف الشريفة : مسرحية مصرية .

عواقب الشرة الرديئة : ذات ثلاثة فصول عربها عن الفرنسية ببعض تصرف الخوري يواكيم قرداحي ب م . في ٧٨ ص.

عوالي : في جزئين تأليف محمود تيمور – مصر ١٩٤٢ ، المكتبة التجارية ، نقدها حسن كامل الصيرفي في « المقتطف » ١٠١ : ٤٤١.

عودة الفردوس او استقلال اندونيسيا : اربعة فصول تأليف علي احمد باكثير – القاهرة ، مكتبة الخانجي ١٩٤٦ ، ص ١٥٦

غ

غادة البحر : للكاتب النروجي ابسن نقلها خليل هنداوي ونشر منها مشهداً واحداً في « الرواية » عدد ١٩ : ١١٧٤

غادة الترعة او جمال باشا والترعة : وضعها القس جبرائيل نادر الراهب اللبناني وطُبعت في مطبعة سيدة المعونات – جبيل ١٩٢٨ ، في ٦٤ ص .

غادة الكاميليا *La Dame aux Camélias* : في خمسة فصول ، تأليف الكسندر دوماس الابن . ترجمها الشيخ عبد القادر المغربي ، في مصر ، ١٩٠٥ ، ومثلتها جوقة سلامة حجازي مراراً .

– وترجمها ايضاً نقولا بسترس في مجلة « ميترقا » ٧ (١٩٢٧) ، مطابع قوزما ، بيروت ، في ١٢٨ص . – مثلها جوق يوسف وهبي وروز اليوسف وتولى اخراجها عزيز عيد – نقدها في مجلة « لغة العرب » ٥ : ٢٤١ – في « الرسالة » عدد ٣٢٤ و٣٢٥ – وفي « حصاد الهشيم » لابراهيم عبد القادر المازني ص ١١٨

– ترجمها ايضاً الدكتور احمد زكي ابو شادي .

– نقدها يوسف البعيني في « الاندلس الجديدة » ١٩٣٥ ص ٩٣

غادة العرب : مصر .

غادة الهودج : في اربعة فصول وضعها كامل محمد عجلان – مكتبة مصر ومطبعتها ، في ٦٨ ص .

غافر وليانة : مغناة ذات مشهدين نظمها ابو الفضل الوليد سنة ١٩٢٩ ، مطبعة « الحمام » — بيروت ، ١٩٣٢ في ١١ ص .
نقدها في « المشرق » ٣٠ : ٤٧٩

غانية الاندلس : غنائية — مصر .

غتس فن برليشنغن ذو اليد الحديدية : ذات خمسة فصول للشاعر الالماني غوتيه — نقلها شديد باز الحداد — لبنان ١٩٢٣

الغدر الدميم : ذات ثلاثة فصول بقلم الارشمندريت برتلماوس ابراهيم صليبا ق ب . مطبعة زحلة الفتاة ، ١٩١١ في ٧٧ ص .
نقدها في « المشرق » ١٤ : ٣٩٧ — اعيد طبعها عام ١٩٣٠

غرام واحتيال : تأليف طانيوس عبده ؟

غرام وانتقام : هزلية ذات خمسة فصول تأليف محمد المغربي ، في ٣٢ ص .

غرام عزمي : مصر .

غرام المحبين : غنائية — مصر .

غريب هذا : لفريد مدور — بيروت ، مطبعة « الدائرة الاستعدادية في الجامعة الاميركية » ، ص ٨٤

غلبون : مصر .

غفران الامير : ذات اربعة فصول بقلم القس يوحنا الرحماني الموصلي ، نشرت في « المشرق » ٢١ ثم على حدة في المطبعة الكاثوليكية — بيروت ، ١٩٢٧ ، ٤٠ ص .

الغلام الآبق : احدى روايات الاخ ساروفيم فكتور (رشيد يوسف عطاالله) الاربع ، نشرت في كتاب « الذكرى الخالدة » — بيروت ، المطبعة الكاثوليكية ، ١٩٢٧

الغني المقتصد : تأليف انيس جابر — لبنان .

(يتبع)

وثائق تاريخية عن حلب

تواريخ الاخوية المجلد الثاني بدؤه ١٦ تشرين الثاني ١٨٣٢

المرشد البادري نيقولاوس اللمازري

جمع السلاح من الاهالي

١٨٣٤

(تابع)

٩ ايلول : ما صار اجتماع الاخوية لسبب العارض الذي حدث نهار امس الواقع في ٨ منه يوم السبت بطلب السلاح والتفنك من البلدة من سعادة ولي النعم بامر قاطع وصار تبلبل كلي للمسيحيين بالضرب والشتم واهانة كلية وما ظهر احد في الطريق بل كان الجميع مختفين ومختبئين وبقي الحال كذلك السبت والاحد . والاثنين صباحاً توجّه كل من البطريرك جرجس[1] ومطارنة الطائفة والرؤساء وبعض انفار من وجوه المسيحيّين الى سعادة البك الذي كان حاكم البلدة وبقوا من الصباح الى العصر حتى انقطعت[2] جزية على النصارى بالف وخمسماية تفنكة ويوم الثلاثاء صباحاً في ١١ ايلول اجتمعوا في القلاية عند بطريرك السريان وابتدأوا بلم التفنك الى يوم الاحد الواقع في ١٦ منه بعد الظهر اتى طلب من حضرة سعادة البك عن يد حطب زاده انه يريد من كل نصراني تفنكة فحينئذٍ تشاوروا مع بعضهم بعض مع وجوه المسيحيّين وراحوا عند الخواجا موليناري[3] وترجوه ان يطلع عند سعادته لاجل قض هذه المسئلة وفتحت الناس اشغالها فنشكر فضل شفيعتنا مريم العذراء والدة الاله التي نجتنا من مهالك هذه الشدّة .

---

١) جرجس شلحت بطريرك السريان

٢) قطع « الجزية » بمعنى الضريبة

٣) موليناري اسرة ايطالية مستوطنة حلب منذ القدم كان لها كما كان للكثيرين من الافرنج في ذلك العهد نفوذ في حل المشاكل الواقعة بين الحكومة والاهلين

نبذة في عمار كنيستنا[1]

انه لما حضر المطران ابراهيم كوبلي من دير بزمار لحلب سنة ١٨٣١ فاشترى دار الخواجا بولس بطرس قراعلي الكائنة بالصليبة في محلة التومايات[2] في حارة فرنجية لاجل عمار كنيسة لطائفتنا غب العجز عن استرجاع كنيستينا القديمتين وهما كنيسة السيدة وكنيسة الاربعين شهيداً من يد الهراطقة المستولين عليهما ظلماً وعدواناً المشروح عنهما مفصلاً بهذا التاريخ سابقاً ، بمبلغ ثمانين الف غرش وحينئذٍ لم يملك السيد المذكور سوى ثلاثة غروش فاذ انه كان رجلاً تقياً غيوراً متكلاً على الله في سائر اعماله قد ساعده المولى بجمع قيمة الدار : قسماً من تلث ارث احد ابناء طائفتنا المدعو جرجي صقال الذي لقب بالوريث لهذه الحادثة قد وعدنا باعطائه لهذا العمل الخيري اذ كان تحصيله عسراً ؛ وقسماً بواسطة صواني كانت توضع عند باب قاعة الدير المذكورة التي كانت وقتئذٍ محلاً للصلاة والباقي جمعه الكهنة من بيوت المحسنين وبعده لم يتوفق مباشرة العمل حيث تنيح المطران ابراهيم كوبلي في ١٥ تموز ١٨٣٢ بداء الهواء الاصفر وبقي الكرسي فارغاً ست سنوات لحينما سيم اسقفاً السيد باسيليوس عيواظ[3] في ٤ شباط ١٨٣٨ وجاء الى حلب كرسيه في ٢١ اذار في السنة عينها وباشر بعمار الكنيسة وعند رقش الحجر الموضوع فوق باب الكنيسة الداخل قد حرروا اوسنياً وعربياً هذه الكتابة وهي « ما احب مساكنك يا رب القوات تشتاق وتميل نفسي الى ديار الرب — قد تجددت هذه الكنيسة حسب ترتيبها القديم على اسم السيدة ام المعونات لطائفة الارمن الكاثوليكيين بحلب سنة ١٨٤٠ » اذ وقتئذٍ لم يكن يعطى فرامين سلطانية بتشييد كنائس جديدة بل رخصة فقط بترميم القديمة وعمار الهياكل كان على الصورة

١) هي الكنيسة الكاتدرائية للارمن الكاثوليك حالاً

٢) التومايات هي المارق الضيقة المتوازية الواقعة شمالي الكاتدرائية المارونية وهي في لغة الحلبيين جمع للفظة توأم وهو المولود مع غيره في بطن واحد دليل على ان تلك المارق متقاربة متشابهة وتسمى حارة الزبال وحارة الحصرم وحارة فرنجية

٣) باسيليوس عيواظ اسقف حلب من ١٨٣٨ الى ١٨٣٩ وكان قد تعلم في مدرسة بزمار

الاتية : الهيكل الملوكي جمع نفقته القس يعقوب صباغ وهيكل قلب يسوع جمع نفقته القس جبرائيل شناوات واما الهيكلان اللذان على جانبي الهيكل الملوكي بعد ان كانا مصنوعين من الدف صار تشييدهما من الحجر مؤخراً اي سنة ١٨٥٩ هيكل القديس غريغوريوس بنفقة السيدة كاترينا ابنة نعمان فرا مطران ماردين وهيكل القديس يوسف بنفقة الخواجا يوسف سوكياس.

١٥ كانون الاول : توفي فتح‌الله برصلي متقدم الاخوية وجرى احتفال عظيم لجنازته ومشى امامه الاخوة واصروا على طلب صليب يرتفع امام الجنازة[1] وهو اول من صار له ذلك.

١٨٣٥

٢٧ كانون الثاني : انتخب متقدماً الياس محملجي

٣ تشرين الثاني : ما اجتمع الاخوة لداعي القبض على انفس من طرف الحكومة حيث اول مساء كبسوا البيوت وامسكوا الناس من الازقة والشوارع والانفار الذين القي القبض عليهم ارسل منهم ماية نفر الى القشلة الهمايونية لاجراء العمل او لشغل هناك فالناس اختفت من هذه التعديات الغير المحتملة

١٥ كانون الاول : شرف السيد القاصد الرسولي[2] بلدتنا.

٢٠ كانون الاول : احتفل القاصد الرسولي بالطقس في الكابوجية[3].

١٨٣٦

٢٠ كانون الثاني : احتفل القاصد الرسولي بالطقس في كنيستنا الارمنية.

---

١) سوف تقرأ في ذكر حوادث ١٨٥٠ نظرات الاب ناجان اللازري في جرأة المسيحيين على التظاهر في امور دينهم لما أدى بهم الى ما لم تحمد عقباه

٢) هو يوحنا المعمدان اوفرني (Auvergne) وكان افرنسياً لقب برئيس اساقفة ايفونية تولى القصادة من ١٨٣٣ الى ١٨٣٦ اقيم زائراً رسولياً على الكلدان ومات بالطاعون في ديار بكر ١٨٣٦ (راجع مقال شارون في القاموس التاريخي الجغرافي الكنائسي ٣ ، عمود ١١٠ و ١١١)

٣) دير الكبوجية كان في المكان شرقي الساوية واثار كنيستهم لم تزل الى يومنا محفوظة في حماية آل بوغه في حلب

٢٣ شباط : تلي منشور في الكنائس مضمونه بدء الرسالة والرياضة للاكليروس في دير اللعازرية بحلب[1] .

٣ اذار : في هذا النهار ابتدأت الرسالة مساء هذا النهار الساعة ٩ وتعينت بداية هذه الرسالة في كنيسة السريان والروم الكاثوليك بحلب في كل يوم صباحاً الوعظ ومساء زياح القربان الاقدس ونهاري الجمعة والاحد في اربع الكنائس الشرقية وتستقيم هذه الرياضة الى ٢٩ اذار.

٣٠ نيسان : ما صار اجتماع لان الناس خرجوا لابادة الجراد بأمر الحكومة.

٢١ كانون الاول : انتقل الى رحمة الله الاب كركور خضاي واتوا به من بيته الى ابواب الكنائس بشوع واحتفال ومن عند بوابة ابن ياسين بدات الكهنة جميعهم ومسكوا الشوع واتوا به الى الكنيسة بزياح احتفالي وبقي مصوداً في الكنيسة الى ثاني يوم وصباحاً قدس الاب الرئيس قداساً احتفالياً وبعده جنّزه جميع الكهنة وكمل بدفنه العصر في الكنيسة يوم الاثنين ٢٢ك١.

١٨٣٨

٢١ اذار : حضر الينا السيد باسيليوس عيواظ منتخباً من الطائفة ومن غبطته.

٣٠ تموز : رسم سيدنا المطران باسيليوس اربعة كهنة جايين من العجم وسافر الاب المرشد البادري برقس الى اللاذقية.

١٨٣٩

١٤ حزيران : ارسل بوسطة[2] افندينا محررة في ١٢ حزيران انه صارت

---

١) جاء في المشرق ١٣ ، ص ١٩ عن السيد اوفرني انه لما وصل الى لبنان حتى استدعى المرسلين اللاتين الى دير عين طورا وباشروا جميعاً الرياضة الروحية . فلا يبعد عن المعقول ان يكون الفضل في الرياضة بحلب الى القاصد الرسولي اوفرني مُبدئاً فيها صنيعه في لبنان. ومن اعماله المشكورة ايعازه الى الاباء اللعازريين بفتح مدرستهم الشهيرة في عين طورا

٢) ارسل بوسطة او تحريراً وفيه خبر هزيمة الاتراك ولعل الوقعة التي يشير اليها كانت غير وقعة نيزيب الشهيرة التي كانت في ٢١ نيسان وكان الفوز فيها لابراهيم باشا ابن محمد علي حيث سقط في القتال اربعة آلاف من الاتراك وأسر منهم اثنا عشر الف (راجع لامنس : سورية ٢ ، ص ١٦٢)

موقعة العسكر المصري المنصور مع عسكر السلطان واقتدر عليه واخذوا موجوداتهم وصار زينة ليلة واحدة بفتح الاسواق وتزيينها وضرب المدافع ثلاثة ايام.

١٠ ايلول : افتقدنا المرشد الجديد البادري بولس اللازري الذي ارسله البادري نيقولاوس بدلاً عنه.

١٨٤٠

٣٠ اذار : انتخب متقدماً مخائيل استنبلي.

٢٦ حزيران : رزق السلطان ولداً فامر الحاكم بتزيين البلدة سبعة ايام فزينت الى ٣ تموز.

١٨٤٢

٢٠ ايلول : في هذا النهار حضر سيادة المطران باسيليوس راعينا من جبل لبنان بعد ان كان غائباً عنا سنةً والنصف بسبب انتخاب البطريرك ماري يعقوب[1].

١٨٤٣

٢٢ آب : مساء امس توفي السيد غريغوريوس[2] مطران الروم الكاثوليك بحلب ودفن في الكنيسة تحت الهيكل الملوكي وهو اول من دفن في الكنيسة.

١٨٤٤

٢٣ كانون الثاني : انتخب متقدماً الاخ لويس خوكاز.

١٨٤٨

٦ حزيران : افتقدنا الاب المرشد البادري فرنسيس اللازري.

١٨٤٩

١٦ كانون الثاني : السيد ديمتريوس انطاكي مطران الروم الكاثوليك بحلب ابرز منشوراً اعلن فيه واجب ابناء طائفته ان يحضروا الاخوية في كنيسته وهي اخوية القربان.

١) هو يعقوب الخامس هولاس الانقوري ١٨٤١ – ١٨٦٣ (راجع القاموس التاريخي الجغرافي ٦ ، عمود ٢٢٩)

٢) غريغوريوس شاهيات سيم اسقفاً على حلب في ١٨٣٢ على قبره لوحة مرمر يقرأ عليها اسمه في الكاتدرائية

٦ آب : نهار السبت شرف غبطة السيد يكسيوس مظلوم[1] بطريرك الروم الكاثوليك بحلب وصار له احتفال عظيم في دخوله الى المدينة فالكنيسة.

[2]١٨٥٠

اعلم ايها الاخ الحبيب انه من ٢٩ ك ٢ الى ١ ت١ ١٨٥٠ لم يتحرر كل شيء بوقته وصارت الاجتماعات ولم يحدث ما يستوجب التحرير الا انه في ٤

فوضى البلد ١٨٥٠

١) دخل دخول الباشاوات في المدينة فاوغر ، الصدور (عن الاب ناحان)

٢) كثر ما كتب عنها نختصر اخبارها بما يلي مع الاشارة الى المراجع :

جرت عشية اليوم الثاني من عيد الاضحى ١٢٦٦هـ وامتدت الى نحو ١٥ محرم ١٢٦٧هـ اسبابها البعيدة المنافسة بين الانكشارية والحكام في الزعامة والقبض على زمام الامر لجمع المال من الناس اسلاماً ومسيحيين ويهوداً والنفسة على اهل الذمة الحريات التي تمتعوا بها على ايام المصريين في حكم ابراهيم باشا . من ابطال تلك الحركة كان عبدالله البابنسي ويوسف باشا الشريف وكانا قد اثريا باموال الاقاطعات الدولة المصرية ومن بعدها للدولة العثمانية وكان المال مكسوراً عليهما فتآمرا مع ذويهما على احداث فتنة في البلد يؤول امرها الى تخفيض ضرائب الحكومة ورفع ما كان يترتب عليهم دفعه للخزينة

الاسباب القريبة كانت اذاعة الحكومة امرها بأخذ العسكر بالقرعة واضافة ضرائب على ضرائب بما سموه الترابية او الفردة.

وكان اهل حي باب النيرب اكثرهم من العرب المتحضرين حديثاً في البلد وهم يحنون بالقربى والصداقة الى عرب البادية فلموا شعثهم وهاجموا مخفر باب الحديد فتركه الدرك بين يديهم ولجأ الى القلعة . وتجمهر اصحاب الفتنة وسماقها في جامع التوبة وكل من انضم اليهم طمعاً بالنهب والسلب وخرجوا من حي باب النيرب يهاجمون محلات الفرافرة وانضم اليهم صعاليك القوم من حي قارلق وحي بانقوسا وتحصن درغم اهل الفرافرة وحاول الكثيرون من عقلاء المسلمين ومشايخهم واعيانهم ان يفهموهم بالعدول عن تنفيذ قراراتهم الشريرة التي تضر بسمعة المسلمين وبأباها العقل والصواب وكاد بعض المسلمين يذهب ضحية موقفه في وجه الثوار . ولكن كانت قد استعرت نار الشر ولم يكن في وسع الحكومة اخمادها وعدد العساكر النظامية لم يتجاوز المئتين في القلعة فلم يكن كافياً لضبط الامور . هذه خلاصة ما رواه عن الحادثة الشيخ كامل الغزي في نهر الذهب ٢ ، ص ٢٦٦ وما بعدها

ومثله تقريباً روى الحادثة الشيخ راغب الطباخ صاحب كتاب اعلام النبلاء ٣ ، ص ٤٢٨

وقال ان النهب تعدى الى بيوت المسلمين ودكاكينهم . ثم لخص اسباب الفتنة في هذه

المنصور مع عسكر السلطان واقتدر عليه واخذوا موجوداتهم
ة بفتح الاسواق وتزيينها وضرب المدافع ثلاثة ايام.
قدنا المرشد الجديد البادري بولس اللمازري الذي ارسله
دلاً عنه.

١٨٤٠

ب متقدماً مخائيل استانبلي.
زق السلطان ولداً فامر الحاكم بتزيين البلدة سبعة ايام

١٨٤٢

، هذا النهار حضر سيادة المطران باسيليوس راعينا من
كان غائباً عنا سنة والنصف بسبب انتخاب البطريرك

١٨٤٣

ا. امس توفي السيد غريغوريوس[٢] مطران الروم الكاثوليك
يسة تحت الهيكل الملوكي وهو اول من دفن في الكنيسة.

١٨٤٤

ي : انتخب متقدماً الاخ لويس خوكاز.

١٨٤٨

انتقدنا الاب المرشد البادري فرنسيس اللمازري.

١٨٤٩

ي : السيد ديمتريوس انطاكي مطران الروم الكاثوليك
اعلن فيه واجب ابناء طائفته ان يحضروا الاخوية في كنيـ
ن.

المقامس هولاس الانطوري ١٨٤١ – ١٨٦٣ (راجع القاموس التار
٣٢)
شاهيات سيم استقاً على حلب في ١٨٣٣ على قبره لوحة مرمر
رائية

ن الاول الاربعاء مساء قامت البلد على ا
البيوت وصباح الخميس الواقع في ٥ ت ١

ة المصيبة في وصف الحلبيين « اذا جاءوا قاموا
١٨)

ان الظلم كان من جانب الحكومة التي لم تسر على
جالها والثورة كانت من القوي على الضعيف وكان
بية الآهل باغنياء المسيحيين ولا تزال دوره الفحـ
، عشر ايام كانت المعاملات مع اوروبة بين ايديهم
ومية فينصرفون الى التجارة الواسعة النطاق ويربحو
لمارل الرحبة واقتناء الحلى من الماس والجوهرات ا
رت المسيحيين ابنا وجدوها قريبة المنال اما في حار
. جا المسلم اهل الذمة فحق ان يقال فيا ما كتبه
ن ورابطة الجوار عند امة العرب في جاهليتها واسلامي
نتورع عن الاطالة في ذكر الحوادث المؤلمة التي نكـ
من مندوحة الى الالمام بها بالايجاز والتاريخ مؤدب
ان من كان ضحية الثورة وجد تعزية في شكوى
ن اللمازري في تحرير ارسله الى المدير الرسولي في الامـ
جع حوليات جمعية الرسالات ١٨٥٠ ، ص ٥٢٧) قال
في اليومين او الثلاثة التي سبقت الحادثة شعر المطارين
وا بالكنائس بالا احد يصير سبباً لسوء التفاهم مع الناس
ما . ثم هاجم الرعاع البيوت فكسروا الابواب وخـ
هرات . وقال الاب ناجان : المسيس اقتُ ذبيحة
دقة) فلم يحضرها احد . وخرجت قاصداً الى حي الجـ
نني عنها احد الاصدقاء فذهبت الى الناعورة ثم الى الكنائس
في لغط ومناقشات . وهوجمت في ذلك النهار الكنائس .
النار ومنها امتدت الى البيوت المجاورة . وجاء مؤرخ
الفرنسيسكان في حلب بقلم الاب اسكندر لوشيانا ما را
. القتلى وهم يوسف كساب توم حمصي عبدالله عجوري ا
وجاء في اوراق قديمة عثرنا عليها في احد بيوتات حلب
« قد توكد بتحقيق انه يتيف عن نصف بيوت نصارة حـ
اسقفية ديمتريوس مطران الروم الكاثوليكيين بما كان
سيوس مظلوم الذي كان نازلاً في الدار المرقومة واما بقي

الزقاقات ونهبوا البيوت وسبوا البعض واحرقوا كنيسة السريان الكاثوليكية وكنيسة الروم الكاثوليكية وكنيسة الروم في الشرعسوس وقلاية الروم الغير الكاثوليك وكذا بقي الحال الى المساء ويوم الجمعة لم يعودوا الى النهب والقي بعض الاشقياء في السجن وباتوا فيه نحو عشرين يوماً ويوم الثلاثاء ٢٤ من هذا

من النهب فاصحابها تكلفوا على حمايتها ما يزيد عن ماية الف غرش . . . فاذا اصحاب الخبرة والنظر بالصواب قدروا الاضرار التي حدثت للنصارى من النهب والحريق والدثار والرفيق اي المرافقة لاجتياز الازقة والبراطيل والعطل تقديراً مقارباً الى كسية ماية الف كيس . . . [وهناك] تسع عشر ابنة قد قضت بكورتهن اغتصاباً بتلف نام وعو خمسين امرأة قد فضح عرضهن قهراً ويقال ان بعض بنات اخذن للسبي خارج المدينه . . .

من قبيل هذه الفواحش والمخاوف والظروف كل نصارى حلب لم يزالوا تحت الرعب الشديد ولم يصادفوا وحها ما يمكن ان يعطيهم نوعاً من الامان والطمأنينة ولذلك شرع البعض منهم يهربون في حلب باثواب مختلفة كما ان كثيرين منهم اعتمدوا السفر الى اوربا بنقلة كاملة خلواً من رجوع الى حلب .

ان الذي صنعه جناب المواجه دي ليسبس قنصل فرنسا او مثلهُ غيره من اصحاب الخير القاطنين في خانات المدينة فلا بد من ان يذكر جيلاً بعد جيل لان النصارى المنهوبين قد هربوا نساء ورجالاً واولاداً الى خانات المدينة التي القناصل حمتها بواسطة عدد وافر من السكان تحت علايف مخية وقنصل فرنسا خاصةً كان يومياً يعول بمصروفه ميات عديدة من هؤلاء المساكين اكلاً وشرباً ومنامةً وسترةً وعلاجاً للمجروحين والمرضى بمصاريف نقدية يلزم الصدق ان يقال بانه ليس فقط ميات عديدة من اسلام حلب رفضوا الاشتراك مع العصاة ولئن كان رأيهم واحداً معهم على عدم اعطاء البعض منهم للخدمة العسكرية الا انهم لم يحملوا الاسلحة كالعصاة بل ايضاً البعض منهم اخذوا الى بيوتهم البعض من النصارى وحموهم من القتل كما صنعوا مع ديمتريوس مطران الروم الكاثوليكيين ومع اثناسيوس نتونجي مطران طرابلس الشام وكانوا يترجعون من فعل تلك الفواحش ويقرون بانها بلغت صيت الاسلام في كل العالم بسمة كلية الرداءة .

واخيراً ان البطريرك مكسيموس مظلوم انه لاحظ في صباح اليوم الثاني عشر من ذي الحجة الخطر المبين المدارك فخرج من الدار الاسقفية وحده الى بيت قريب من كنيسة الكاندرا ونزل الى منارة الدار مختفياً وراء المنابر تحت حصيره في قرنة المنارة طول النهار ولكن الباري تعالى حفظ حياته من القتل كما يأتي الشرح وهو انه حينما هجمت العصاة على تلك الدار فكسروا بابها ودخلوها وبدوا ينهبوها وحسب عادتهم كانوا ينزلون الى المنابر مفتشين وبلا ريب لكانوا نزلوا الى تلك المنارة ووجدوه وقتلوه بحسب كونه كبير النصارى كلهم واذ بثلاثة اشخاص اسلام غير معروفين اقبلوا حالاً ومنعوا العصاة عن تلك الدار بالعذوبة والقوة ايضاً تاركين لهم ما كانوا نهبوه من الدار ثم لما العصاة نهبوا كنيسة

الشهر حضر افندينا ظريف باشا فضرب البلد مع باشة النظام واستقام الضرب من يوم الثلاثاء الى الخميس الظهر ٢٦ منه عيد القديس ديمتريوس واخذ البلدة بالسيف وقتل بعضاً من الاشقياء. واحرقت جملة دكاكين وبيوت في محلاتهم اعني بنقوسة وقرلق وباب النيرب وركنت البلدة وصار تفتيش على الاشقياء وفي ١٩ ت ٢ يوم الاحد دخل القبرصلي محمد باشا وصار تفتيش على كالة الاشقياء. والالباش الماخوذة من البيوت والكنائس وبعد ١٠ الى ١٥ يوماً سركل انفار عدد ٧٠٠ .

الكاندرا واضرموا النار فيها من كل جهاتها واتصل اللهيب الى المدرسة التي بجانبها والتف عن الدار عينها وعبق الدخان الحالك فيها ونزل الى المغاره نوع ان البطريرك المذكور واهل الدار كادوا ليحترقون او يختنقون بالدخان فانشاته الاشخاص المحافظون وعدوا اهل الدار بان يخازونهم (يرافقوهم) الى المدينة فحينئذ البطريرك تغطى بازار امراة عسوكاً من امرأتين بجانبه كانه امرأة مريضه وخرجوا كافةً من بين العصاة من تحت الاسلحة مرافقين من الثلثة الاشخاص الى احد خانات المدينة . وهو دخل الى احد مخازن التجار المظلم جداً وهناك استمر مختفياً نهاراً وليلاً مدة احد عشر يوماً في تلك الظلمة خلواً من ان يعرف كان اين كان هو الا انه لما عرف به جناب الخواجه ده ليسبس قنصل فرنسا قد زاره خفياً عدة امرار واقتنع منه انه ضروري تخبير سعادة مصطفى زريف باشا والي حلب بامره لان سعادته كان يظنه سافر الى اسكندرونه كما كان هو اخبره اول يوم عيد الضحية وودعه نظير ما كان ودع اعيان حلب وانفاصل قبلاً وكان المذكور اخبر سعادة الباشا المشار اليه باختصار وبانه يريد السفر سرًّا فحالاً سعادته ارسل اليه مع اليهودي قواصين من اخص مقتديه ومعزًّا الى سعادة عبدالله بك الباشي المقام ان يرافقه بعشرة خياله أخر كما قد تم اذا ارسل اليه خزندار مخلف اغا وابن عم هذا عمر اغا وخمسة خياله من العرب مع ترجمان فرنساوي وهكذا في ١٣ ذي الحجة ليلاً قنصل فرنسا نفسه اخذ البطريرك المذكور من المخزن ويرافقه جماعته ورمضان اغا اخذوا الى الكتّاب خارج المدينة وهناك بابواب مجهولة سلموا الى القواصين والسبعة الاخرين والترجمان فسافر وحده مع هولاء العشرة خياله من حلب الى انطاكية ومنها الى اسكندرونا في بحر ثلاثة ايام ناقص خمسة ساعات مع ان هذه المسافة هي سفر ستة ايام فقبل سفره من حلب ببعض ايام من شدة الغم والقهر شرع يصب دماً في مجرى البول وقد ازداد عليه في الطريق جرى هذا الدم حتى انه يمكن ان يكون مقداره في هذا السفر ما ينيف عن الف درهم باوجاع شديدة فكل انسان يقدر ان يفهم كم هو احتمل من العذاب وتلف الصحة حتى بيان ان وصوله الى اسكندرونا في ٢٦ ذي الحجة وهو في قيد الحياة اغا هو اعجوبة واضحة ومن حيث انه توجد في هذه المينا مراكب تجاريه مسافرة الى بيروت فاعتمد هو ان يتوجه في احدها متى وصل اليه البعض من أكليروسه صح صح صح في ٢٣ تشرين الاول »

١٨٥١

١١ شباط : سيم كاهناً القس بولس قلاوص بليط عن يد السيد باسيليوس عيواظ وفي ثاني جمعة من الصوم الكبير صيروا قراراً في كنيسة الروم فيما يخص الالباش المأخوذة في النهيبة وبقي جمعة ١٠ او١٢ الفرش باره

وايضاً بهذه السنة توفي المطران بولس اروتين الماروني في اليوم الرابع عشر من شهر نيسان نهار السبت ودفن في كنيسة مار الياس باحتفال كلي.

١ تموز : صار مجمع عند السيد البطريرك في بزمار وراح من قبل سيادته والكهنة القس يوسف كيال وبقي اربعة اشهر صحبة المطران يوسف مطر الذي حضر معه وارتسم في هذه السنة على طائفة الموارنة

١٤ تشرين الاول شرقي : توفي المثلث الرحمات السيد البطريرك بطرس جروه السرياني ودفن في كنيسته بعد احتمال مشقات السنة الماضية.

١٨٥٢

في ٢١ تشرين الثاني : عيد دخول العذراء للهيكل صدر منشور من سيادة راعينا باسيليوس عيواظ مطران حلب بان نتبع الحساب الغربي بموجب المجمع الذي صار في العام الماضي ١٨٥١ بامر البطريرك غريغوريوس الارمني ومسكوا الحساب من ذاك النهار في ٣ كانون الاول مع الغربيين.

١٨٥٣

٣ ايار : توفي القس انطون فرا ودفن في الكنيسة. وفي هذه السنة حضر المطران انطون مارديني السرياني الى حلب واقام فيها اشهراً ثم دعي الى لبنان فسافر في ٥ تشرين الثاني صحبة المطران ديمتريوس انطاكي للروم الكاثوليك المدعو من بطريركه السيد مكسيموس مظلوم وانتخب من ثم المطران انطون مارديني بطريركاً على السريان الكاثوليك وتوجه الى رومة ليقبل البركة والباليوم من الحبر الاعظم.

واليك لائحة اسماء بعض الاسر المنكوبة في الحادثة نرويها لما فيها من الفوائد على المهن التي كان يتعاطاها اصحابها في زمانهم ومثلها نادر جداً في آثارنا التاريخية.

ومنها يمكن تقدير عدد اصحاب المهن في سائر الطوائف. وحالتهم اجمالاً لم تكد في اليوم تتغير في الاحياء القديمة عما كانت منذ مئة سنة واليك شاهداً عنها في الصور التالية :

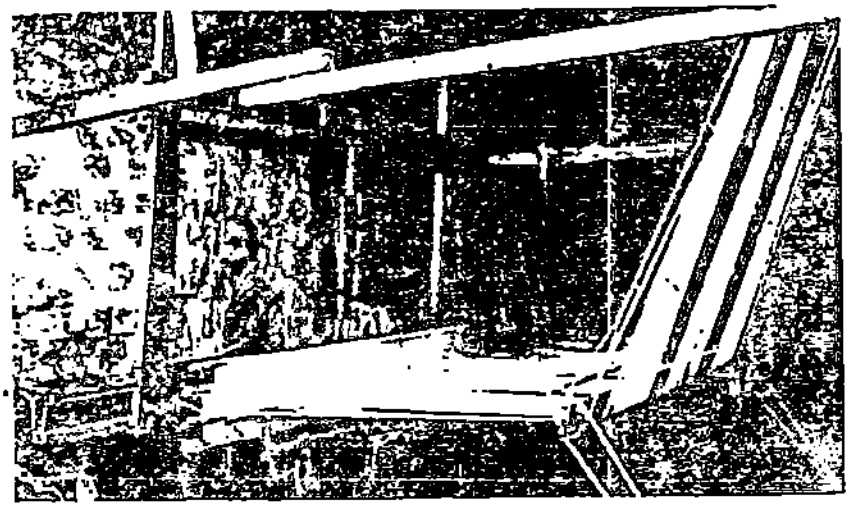

(١) النوال او الحائك

(٢) النحاس او الجانجي

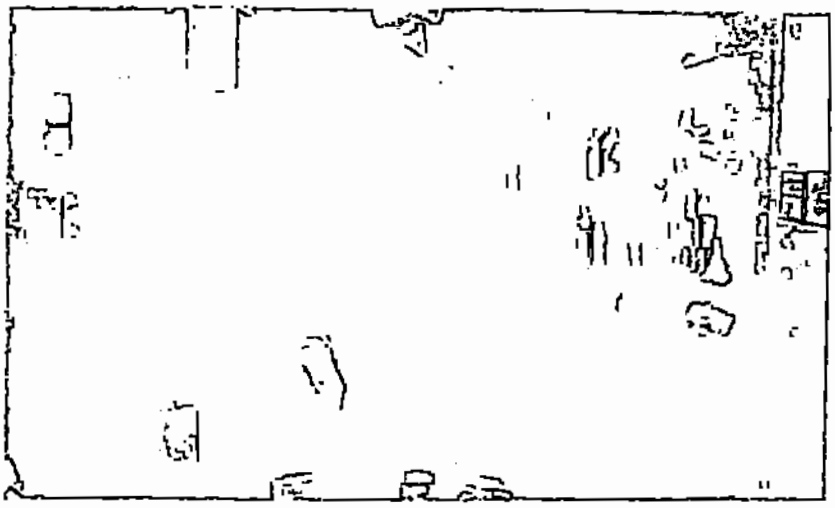

(٣) التنكجي او السنكري

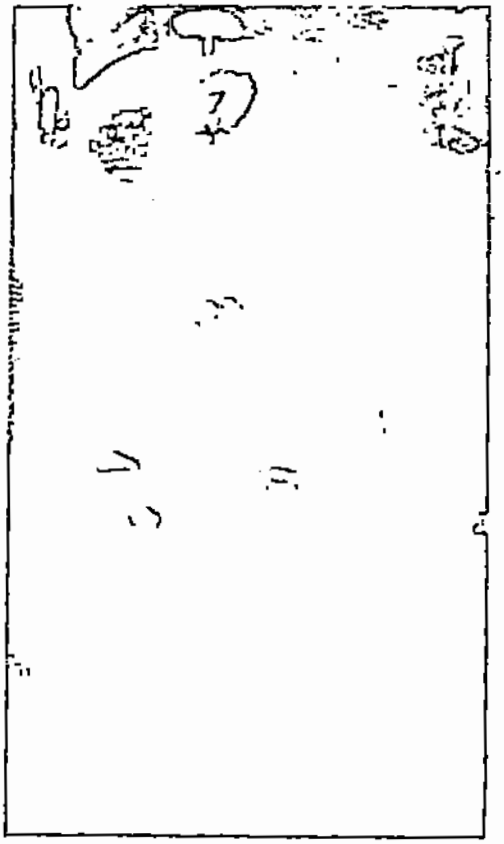

(٤) الحضري

(٥) الخراط

(٦) الكاف

(٧) العشي

علم عدد العيال المنهوبين من طائفة الموارنة

(من اضبارة المطران بولس اروتين رقم ٦١٨)

عدد	دار ايتام بولس قرعالي	
٣	عدد فتح الله سيان واخوه	جوقه جو وقصجي وعلم
	١ ايتام بولس قرعالي	صانع قصجي
١	دار ايتام مخائيل قرعالي	ايتام
١	ايتام انطون غالي	دكانجي فاتوره
١	بنات انطون عبدالاحد	خياطات
١	ارملة الياس شيطيني	كبابه وخياطه
١	حنا قواس	معلم نوله
١	الياس نوح مقتول	كاتب تجار
١	جبرا قواس	صانع
١	يوسف اسود	جوقه جو
١	يوسف اخرس	معلم انوال ودكانجي
١	جبرا دياب واولاده	صناع
١	عدول يونجي	خياطه
١	الياس سرور	دلال تجار

١	فتح‌الله فرنجيه	دكاني
١	الياس صولا	يتيم
١	الياس مصفي	طباخ
١	انطون عصفور	صانع
١	ارملة يوسف هرون وبناتها	خياطات
١	فرنسيس كنيدز	وقه جو (؟)
١	انطون اخوه	معلم نوال
١	جبرا شامي	تاجر
١	انطون دوناطو	معلم صواني (؟)
١	بنات مخائيل مصفي	كبابات
١	بيت كلداني مقتول القسيس	قسوس
١	نعوم غالي	حوقه جو (؟)
١	ارملة مخائيل صولا	ايتام
١	فتح‌الله اسود واولاده	كاتب كمرك ومعلم انوال
١	اولاد يوسف مارون	دلال
١	الياس ارسان	معلم انوال
١	نعوم مشحونر	كاتب تجار
١	انطون صولا	تاجر اوروبا
١	شكري ارسان	جوقه جو (؟)
١	فتح‌الله شامي	تاجر
١	بنات يوسف جنو	طراظات
١	يوسف منش واولاده	قسيس
١	فتح‌الله كوبا	تجار اوروبا
١	فتح‌الله دياب	تجار اوروبا
١	فتح‌الله خياط	معلم انوال
١	انطون جد	طبيب
١	شكرالله عبد الاحد	معلم وقصبجي
١	يوسف هرون	كاتب
١	نعوم اسود	جوقه جو (؟)
٤٥		
١	نعوم دوناطو واخوته	معلمين انوال
١	شكري كنيدو	جوقة جو (؟)
١	انطون عزوز	جوقة جو (؟)
١	انطون شامي	كاتب

١ قس يوسف عبديني	قسيس
١ جرجي برغود	كاتب كمرك
١ فتح الله صولا	دلال
١ انطون راجي واخوه قسيس	عزنجي
١ انطون طباخ واخوته	دكانجية فانوره
١ الياس مكاوي	مختار محلة التومايات
١ مخائيل صولا	ترجمان دولة انكلتره
١ انطون بطق	تاجر
١ نعوم جد	تاجر
١ انطون مغربيه وابنه	دكانجي
١ قس بطرس ايود واخوه	عطار
١ عدول شراباطي	خياطه
١ انطون اندريا	تاجر
١ نعوم حكيم	تاجر
١ انطون اسود	معلم بصمه
١ فرنسيس مرور	خادم كنيسة
١ بطرس مرور	دلال
١ يوسف ايوب	معلم تاجر
١ نعوم جد واخوانه	تاجر
١ بنات شكري جنو	ايتام
١ ارملة انطون دياب وابنتها	طرازه
١ شكري مقل	صائغ
١ حنا قطش	حمال
١ ارملة حنا حصرم	كبابه
١ الياس نقاية	حجار
١ فتح الله مصفي	دكنجي تنون
١ الياس عبد الاحد	قصيجي
١ انطون مورا	صايغ
١ اولاد انطون نقاية	حجار
١ الياس توما واخوه	دلال وصايغ تقليك
١ جبرا سعد	صايغ
١ يوسف نعيمة خياط	يتيم
١ ارملة انطون زامل	كبابه
١ اولاد يوسف شامي	صناع

١	جرجي ازرق	صانع
١	نعوم الياس توما	تنكجي
١	بطرس شراباتي	بستاني
١	انطون جاليتوس	تنكجي
١	سوسان اسكندر	كبابة حرير على كيسها
١	جرجي جوان	متسبب
١	سيدة حانان	كبابة
١	فتح الله دوناطو	صايغ
١	نعوم مارون	دلال
١	جرجي عبدني	تاجر
٦٥		
١	انطون حصرم	معلم وتاجر
١	يوسف صفال	صانع
١	ميخائيل حجار	معلم
١	الياس شامي	جوقة جو (؟)
١	يوسف جاليتوس	متسبب
١	سليمان بستاني	حمامي
١	ميخائيل كيلون	صانع
١	غرا ارملة ميخائيل غضبان	ارمله
١	مريم ارملة كلداني	ارمله

علم الدكاكين المنهوبة الى ابناء طايفة الموارنة

١	يوسف انطون حكيم	عطار وشربتجي (او صيدلاني)
١	كرخانة قصب الى يوسف وانطون خاطي	
١	كرخانة قصب الى جعرا سمبان	
١	دكان الياس هارون	حارس الصليبه
١	دكان نعوم توتل	عطار وشربتجي (او صيدلاني)

وقدرت الاضرار التي حدثت للنصارى بما يقارب قيمته « ماية الف كيس » والكيس خمس مئة غرش ذهب . ومما رواه كامل الغزي « ص ٢٧٦ دليل على ان ذلك المبلغ لم يكن ضرباً من الضروب المبالغة قال : « وان النهب لم يزل يجري احكامه الى اليوم الثاني عشر من شهر ذي الحجة وكان البدوي قد ينهب الشيء من اثاث المنزل وهو لا يعرف ماذا يراد استعماله وصادف ان بدوياً نهب ساعة دقاقة ظنها صندوقاً فيه نقود وبينما هو سائر بها اذ دقت الساعة فارتاع منها وحسب ان فيها جنياً فبصق عليها وطرحها الى الارض فتحطمت ورأى بدوي في بعض البيوت كيساً فيه لؤلؤ ظنه رزاً فحمله فلما كان في اثناء الطريق ذاقه

فلم تقطعه اسنانه فحسبه خرزاً فرماه الى الارض فتبعثر وسحق تحت الاقدام ».

وكان والي حلب من قبل الباب العالي ظريف باشا ولم يحسن السياسة فيها ولم يتدارك وقوع الشر فالجأ الى النزول عند حكم الثوار ومجاراتهم على رغائبهم على ان يكفوا السلب والنهب . وفي غضونها كان قد بلغ امر الفتنة الى السلطان وتحادثت به الدوائر السياسية اخذاً عن تعليمات القناصل فتحركت العساكر الشاهانية الموجودة في انحاء حلب ودخلت المدينة وضددت احياء الثوار بالهجوم واطلقت المدافع عليها فتبدد شمل المنافقين ولجأوا الى الفرار وسكنت البلد وتشكلت لجنة لجمع المال المنهوب ورده الى اصحابه وتقدير الخسارات وما يترتب على الاهالي في تعويضها ومعاقبة المجرمين ودخلت الحادثة في طور لعب فيه الاتراك دورهم باللباقة التي عهدت فيهم في مثل هذه الازمات بين المماطلات والتعويقات والعهود الكاذبة .

وفي كانون الثاني سنة ١٨٥٣ اجتمع نوري باشا الوالي مع رئيس لجنة التعويض والقاضي وبامر المشير محمد باشا دعا اليه المطارين وبعض اعيان المسيحيين وحاول اقناعهم بقبول ٢٫٥٠٠ كيس ليرموا بها الكنائس ويعوضوا عن الخسارات للفقراء . وكان رشيد باشا قد امر بضرب ٥٠٠٠ كيس على مسلمي حلب فطلب نوري تخفيض هذه القيمة الى نصفها وطلب مصادقة المطارين خطاً على ذلك . وكان عدد المتهمين بالنهب ١٫٨٠٠ وهؤلاء اقسموا ٦٠٠ غيرهم وفكر محمد باشا بضرب التعويض على المسلمين اجمعين « القنصل البريطاني الى سفيره في ١٠ حزيران ١٨٥٣ » وفي ٩ تشرين الثاني دخل البلدة قبرصلي محمد باشا على رأس جيش مكون من طابورين خيالة و٢٫٥٠٠ سيارة فقويت شوكة الحكومة واصبح الامر بيدها وصار باستطاعتها طلب التعويض وتنفيذه .

الا ان الغرامة نالت لا اصحاب الثروة والاغنياء ولكن المساكين وكثيرين ممن لم يكن لهم مسؤولية في الحادثة . وخاف الارمن والموارنة والسريان من الالحاح بطلب التعويضات ، اما الروم الكاثوليك والارثوذكس فقد اصروا على المطالبة ورأى الباب العالي انقسام وتراخي المسيحيين في الامر فاخذ يتراخى من طرفه ايضاً بتحصيل التعويضات .

وفي ٢٧ شباط ١٨٥٣ كتب القنصل الانكليزي لسفيره : سمعنا ان سوف يصدر الامر بان كل ذكور الدولة العثمانية سوف يؤدون كل منهم ٣٠ غرشاً للخزينة في سبيل التعويضات اولاً ثم في غير ذلك سداً لاحتياجات الدولة ولكن كل الظواهر تدل على ان مطالب المنكوبين سوف تدخل في خبر كان » (Despatches... 1851-1854) (Jeopardized)

وقبضت الحكومة على زعام الامر ونفت من حلب نحو ٨٠٠ شخص على ما رواه الاب ناجان وغيره قال ٧٠٠ او ٦٠٠ وكان من جملة المنفيين عبدالله اليابني محرك الفتنة وقال فيه الشيخ راغب الطباخ ج٣ ص ٤٤٠ ، سطر ٧ : « ففي الطريق الى الاحتانة توفي عبدالله بك في جناق قلعة ودفن فيها والآن له هناك قبر واهل البلد يزورونه تبركاً » . وكثيرون من المنفيين ما عتموا ان عادوا الى اوطانهم بضعة اسابيع بعد خروجهم من البلدة .

١٨٥٤

٧ ايار : السيد باسيليوس عيواظ رسم كاهناً الشماس يوسف صقال.

اعتنق اهالي كسب الايمان الكاثوليكي وجاء الى حلب كاهنهم القس دير اروتين الكسبلي ومعه البعض من متقدمي القرية وقرأ علناً صورة الايمان في كنيستنا في نهاية القداس الاحتفالي بحضور كل رؤساء الطوائف الكاثوليكيين والقناصل المدعوين لهذا الاحتفال وبعد قراءة صورة الايمان قدم القس بولس بليط والقى خطبة نفيسة في الكنيسة وعلاماتها وسافر القس جبرائيل شفاوات ومعه جرجي بلايان ليقتبل رجوع باقي اهل القرية الطالبين اعتناق الايمان الكاثوليكي وكان عدد المرتدين نحو مئتين وخمسين نفراً في وقته.

وفي هذه السنة تنيح السيد يوسف فرا مطران ماردين بحلب وطنه وكان قد تنازل عن ابرشيته ودفن في كنيستنا في القبر الذي امام هيكل قلب يسوع علامته حجر احمر بيرواز اسود في وسط الكنيسة .

١٨٥٥

١٥ تموز : انتخب جبرائيل خوكاز متقدماً ويوسف صباغ كاتباً (اخذ الاباء الفرنسيسكان يهتمون بعمار كنيستهم في الشيباني - عن سجلاتهم).

١٨٥٦

١٤ ايار : ستانيسلاوس كونته بنتيفوليو قنصل فرنسة حضر القداس الكبير في كنيستنا والقى الاب بولس بليط خطاباً.

ارمن براجيك[1]

كانون الاول : ارسل بعض ارمن براجكيك تحريراً الى سيدنا المطران ممضياً ومختوماً من خمسة وعشرين شخصاً يطلبون فيه كاهناً يسافر اليهم ليتعلموا عليه ويعتنقوا الايمان الكاثوليكي ويقتبلوا الاسرار المقدسة فارسل اليهم سيادته القس بيدروس الانقورلي كاهن كاس وكان صدقة في حلب وغايته دير بزمار بامر غبطة البطريرك فتوجه هذا الكاهن الى براجيك وقد اخذ

(١) راجع المشرق ، ٩ ص ٤٦٢

اللوازم من اواني الذبيحة الالهية وتوزيع الاسرار وكثيرون من اهالي براجيك مستعدون لاعتناق الايمان الكاثوليكي.

١٨٥٧

في شهر اذار : اتى حلب من عينتاب القس اروتين لاجل جمع الحسنات لعمار كنيسة وفتح مدرسة في براجيك للمرتدين حديثاً وجمع نحو ١٠ الاف غرش من ابناء الطائفة وغيرهم وسافر الى براجيك.

ارمن كسب

وفي اذار : جاء من ضيعة كسب القس باسيل آدم لاجل المرافعة مع جوزف ميناس الاراتيكي الذي كان سبب الاضطهاد للكاثوليكيين المحدثين وبحسب طلب قنصل فرنسة جاؤوا ميناس الى حلب عنفاً ثم انهزم وبقي القس باسيل منتظراً انجاز القضية.

في شهر آب : رياضة الاختلاء لطائفتنا وغيرها في كنيستنا بهمة مرشدها الاب بولس بليط وطائفتنا اول من مارسها للملكيين وغير طوائف تبعتنا في ممارسة مثلها.

في شهر ايلول : توجه الاب نيرسيس المارديني تلميذ مدرسة بندقية بامر السيد البطريرك الى ماردين

وفي اواخر هذه السنة اصطلحت احوال الكاثوليك المرتدين حديثاً في ضيعة كسب بفضل عناية السيد البطريرك وتدخل قنصل فرنسة الجنرال في بيروت دي ليسبس لدى الولاة لتأمين الحرية الدينية للكاثوليك.

المجلد الثالث[1]

١٨٥٨

في ٩ كانون الثاني : صار انتخاب بارشاد الاب بولس بليط . انتخب متقدماً الشماس حنا كازي الانجيلي وكاتباً نعوم جبنه.

(١) قلنا في المقدمة اننا لم نعثر على المجلد الثالث لكننا استعضنا عنه بما استطعنا تحصيله من الاخبار التالية اخذاً عن التعليقات في ذيل المجلد الثاني وهي موقعة باسم نيقولاكي

١٨٥٩ .

١٠ تشرين الاول : تأسس معهد تواسنتا الثانوي.

في شهر ايار : حدث ارتداد المطران انكيفوس الارمني لكنه لم يثبت في الكثلكة وسبب شكوكاً عظيمة.

١٨٦٠ :

في ١٨ كانون الثاني : توفي السيد باسيليوس عيواظ وفي اليوم التالي دفن باحتفال عظيم بحضور جميع المطارنة والقناصل دفن في الكنيسة وراء هيكل قلب يسوع في القبر الذي وضعت فيه رفات المطران ابرهام كوبلي واقيم القس يوسف كيال نائباً بطريركياً وبعد بضعة اشهر اجتمع الكهنة مع ارخندوس الطائفة لانتخاب مطران جديد وسلم العوام امر الانتخاب الى الكهنة على ان يقر رأيهم على رجل واحد ورضي البطريرك بذلك وعندئذٍ دعي الاب يوسف عبديني الكاهن الماروني ليكون كاتباً للانتخاب ومارس الكهنة رياضة اختلاء وجرى الانتخاب بالاقتراع السري ونال اكثرية الاصوات الاب مخائيل اسطنبلي ، اما هذا فقد استعفى من قبول الاسقفية وقبل غبطة بطريركينا غريغوريوس استعفاءه وامر باعادة الانتخاب فنال اكثرية الاصوات فيه الاب مخائيل بليط فثبت غبطته هذا الانتخاب وفي ٢٣ كانون الاول سنة ١٨٦٠ سافر الى بزمار الاب مخائيل بليط برفقة الاب بولس بليط وارتسم الاب مخائيل اسقفاً بعد وصوله ودعي غريغوريوس في ٣ شباط ١٨٦١ وفي ٦ اذار رسم البطريرك الاب بولس بليط ورتيباً ورجع الاسقف والورتيد الجديدان الى حلب يوم عيد الشعانين في ٢٤ اذار ١٧٦١ . (عن نيقولا كي بليط).

(له صلة)

جبرائيل بليط قال : قصدت ان اشرح جاما يجري من الحوادث الطائفية وغيرها ليكون هذا الدفتر والذي قبله كمؤونة يساعدني على صنيع تاريخ لابرشية ارمن كاثوليك حلب رغبة حضرة عمي الورتيت المحترم والفريد النبرة ».

وهذه الحاشية مؤرخة في ١٢ نيسان ١٨٨٦ لكنها تتناول الوقائع التي سبقتها.

المشرق

السنة الثالثة والاربعون — نيسان – حزيران ١٩٤٩

سمات النصارى واليهود في الاسلام

الصليب والزنار والعمامة والغيار

الشروط العمرية

بقلم حبيب زيات

لا بدّ لمن شاء درس تاريخ النصرانية في الاسلام، منذ الفتح الى اواخر القرن الثالث عشر للهجرة، من البحث في الاسباب والعوامل التي أدّت الى تقلّص ظلّ المسيحية وانحطاطها في الشرق، بعد ان كانت شائعة في اعظم المعابد، سائدة في اكثر الامصار. واول ما يبدو له من هذه الاسباب، بعد تغلّب الدين الاسلامي، « الشروط المشهورة بالعمرية » التي اوجبها الشرع على اهل الذمّة، ومعظمهم من اهل الكتاب، الذين اقرّهم الرسول وخلفاؤه في حمايتهم، كما يقال اليوم. وهذه الشروط هي التي جرّت عليهم في كل حين اصناف المحن والشدائد، وارغمت الكثيرين منهم على الخروج

من دين آبائهم ، وانتحال الاسلام صيانة لدمائهم واموالهم ، وهرباً من الذل والصغار . فاقفرت الديار والاديار ، « وعادت الكنائس مساجد والبيع معابد والصوامع جوامع والمذابح امبدة الشيطان مصارع » ، كما قال العماد الاصبهاني[1] .

ولا نعلم ان احداً تصدّى قطّ للتنقيب في أصل هذه الشروط القاهرة ، وفي اي زمن وُضعت حقيقةً لمعرفة صحة نسبتها ، كما زعموا ، الى الخليفة عمر بن الخطاب ، او انه على ما طرأ عليها بتوالي السنين وتعاقب الدول من الزيادات ، ودُسّ فيها من الزور والباطل . واقلّ ما يجوز اليوم ان يقال فيها بالاجمال انها وضعت بعد الصدر الاول من الاسلام ، ونسبت مغالطةً لثاني الخلفاء الراشدين ، ليكون لها بفضل التلقب باسمه اصل راسخ في السنة ، وتكتسب من مزيّة الانتماء اليه سلطة لا تعادلها سلطة اخرى بعد الشارع الاول .

ومن تدبّر هذه الشروط بعين الناقد البصير ، وتذكر موقف الامام الذي قاد اول خُطى الاسلام ، وشهد اعظم الفتوح التي غيرت وجه البسيطة ، ونهضت بالعرب من الثرى الى الثريا ، يدرك لأول وهلة استحالة نسبة هذه الشروط الى ابن الخطاب ، لكثرة ما كان يثقل عاتقه وتتنذر من اعباء السياسة ، ويستغرق كل اوقاته من مشاغل الولاية والتدبير ، او يتوزع باله من مهامّ تعبية الجيوش ومتابعة الامدادات وتوجيه الامراء واختيار العمال ومراقبتهم وكتابة اموالهم اذا ولاهم . ثم مقاسمتهم ما زاد عليها ، فيما قيل[2] . ومن اشدّ ما كان يستدعي نظره من الامور ما كان اوصاه به ابو بكر من « الحذر من هؤلاء النفر من اصحاب رسول الله الذين انتفخت اجوافهم وطحت ابصارهم واحب كل امرئ لنفسه »[3] .

وقد ذهبوا كلّ مذهب في وصف تيقظه وسهره وشدة سيطرته ، حتى مثّلوه لنا دائماً وبيده الدرّة المشهورة يطوف بها الاسواق ، ويقوّم الاخلاق ، ويتجسّس ما يقال ليلاً في المنازل والاحياء ليقف على ما تنشده المرأة في خدرها ويطّلع على كل سرّ وخفية ، ومع ما وصفوه به من الغلظ والفظاظة ،[4]

١) كتاب الروضتين في اخبار الدولتين لابي شامة ٢ : ١٢٤
٢) فتوح البلدان للبلاذري ، طبعة اروبة ، ٢ : ٢١٩
٣) كتاب الخراج لابي يعقوب ، ١٢-١٣
٤) كتاب الخراج ١٢-١٣ ، ومروج الذهب للمسعودي ٧ : ٤٥

اشادوا ، في ضدّ ذلك ، في نعته برقة القلب وحبّ المساكين والفقراء والحرص على توزيع الصدقات والاعطية بيده ، ورووا حديث من قال : « رأيت عمر ابن الخطاب يحمل ديوان خزاعة حتى ينزل تُدَيد فتأتيه بقديد النساء فلا تغيب عنه امرأة بكر او ثيب فيعطيهنّ في ايديهنّ ثم يروح فينزل عسفان فيفعل ذلك حتى توفي »[1] فهل يُعقل أنّ مَن استقلّ بمثل هذه الاعمال ، التي لا تقوم بها الّا الجموع ، يجد فراغاً من وقته للتدخل في خياطة سراويلات النصارى ، وفرق شعورهم ، وشرك نعالهم ، وما اشبه من الخسائس التي لم يستحيوا من الصاقها به ؟ ومن الغريب ان يذهل الفقهاء عما يترتّب على مثل هذه التهمة الشائنة من المضّ والتحقير لمن اتصف نظيره بسموّ المدارك وثقوب الفطنة ، وبعد النظر في السياسة والمداراة ، وكان لا يخفى عليه شدّة حاجته الى رعيّته النصارى اهل البلاد من الأكرة والمزارعين والصناع والتجار لتموين الجنود بالاغذية والاسلحة والالبسة ، والنهوض بسائر مقتضيات الحضارة التي تقوم عليها قواعد مملكته ، في حين لم يكن للعرب البادية اقلّ دربة عليها او استطاعة لها ، فضلاً عن معرفته قبلاً ما تقدم للعرب الغسانيين واللخميين النصارى من التحزّب لاخ انهم العرب المسلمين ، والانضمام اليهم لقتال الاعداء من الروم والفرس . ولا شك انه كان يلمه ايضاً اسراع اليعاقبة والنساطرة من فِرق النصارى الى فتح ابواب المدن للعرب المحاصرين ، واستقبالهم بزيد الابتهاج والطرب ؛ واماعهم المالّسون اي المغنون والراقصون بغضة منهم للروم البيزنطيين ، الذين كانوا دائماً شديدي الظلم لهم والتضييق عليهم .

ومن اظهر الشواهد على حرص عمر على مداراة النصارى وعدم الاساءة اليهم لا حبّاً لهم في الحقيقة ، ولكن رغبة في استخلاصهم واستخدامهم ، ما كتبه الى ابي عبيدة في الوصاة بهم حيث قال له :

« اذا اخذت منهم الجزية فلا شيء لك عليهم ولا سبيل أرأيت لو اخذناهم فاقتسمناهم ما كان يكون لمن يأتي بعدنا من المسلمين ؟ والله ما كانوا يحدون انساناً يأكلونه ولا ينتفعون بشيء من ذات يده وان هؤلاء يأكلهم المسلمون ما داموا احياء فاذا هلكنا وهلكوا اكل ابناؤنا ابناءهم ابداً ما بقوا فهم عبيد لاهل دين الاسلام ما دام دين الاسلام ظاهراً فضرب

١) فتوح البلدان ٢ : ٤٥٢

عليهم الجزية ، وكُفَّ عنهم الشر وامنع المسلمين من ظلمهم والاضرار بهم واكل اموالهم الا بحلها ووفِّ لهم شرطهم الذي شرطت لهم لك جميع ما اعطيتهم »[1]

وهذا الاقرار ، على جفائه وخشونته ، لا مزيد عليه في الصراحة والصدق. فالنصارى في نظر عمر نخوّل المسلمين ومأكل لهم ولابنائهم ، فحيته لهم محبة الراكب لدابته ، وعنايته بهم عناية الاعرابي بناقته لما تدرّ عليه من لبن او تنتجه من النَّعَم . وفي معناه ايضاً ما رواه ابن عساكر عن الاوزاعي ان عمر كتب في اهل الذمة « ان من لم يطق منهم فخففوا عنه فانّا لا نريدهم لعام ولا لعامين »[2]. وعلى هذه القاعدة من حبّ الاستغلال والعناية بالرقيق والعبيد كانت تتمشى سياسة عمر وعمّاله. وقد رووا عن زياد أنّه كان يقول : « احسنوا الى المزارعين فانكم لا تزالون سمّاناً ما حسنوا »[3]. ومعلوم ان المزارعين وقتئذ كان جلهم من النصارى والانباط ، ولم يكن بينهم احد من الاعراب المسلمين لانصرافهم باجمعهم الى الغزو والجهاد.

وبمثل هذه الشفقة الرابحة كان يحنو عمر على رعيّته من اهل الذمة . ولما قدم الشام « شكوا اليه وقالوا : يا امير المؤمنين انهم يكلفوننا ما لا نطيق يكلفوننا الدجاج والشاء. فقال : لا تطعموهم الا مما تأكلون مما يحلّ لهم من طعامكم »[4] وهو ما يثبت انه كان على كل حال لا يخلو من عطف على المساكين والزمنى ولما كان بالجابية من ارض دمشق « مرّ بقوم مجذّمين من النصارى فامر ان يعطوا من الصدقات وان يجري عليهم القوت »[5].

واجتاز مرة في المدينة بباب قوم وعليه سائل يسأل شيخ كبير ضرير البصر فضرب عضده من خلفه وقال :

« من اي اهل الكتاب انت ؟ فقال يهودي قال : ما الجأك الى ما ارى ؟ قال اسأل للجزية والحاجة والسنّ. قال فاخذ عمر بيده وذهب به الى منزله فرضخ له بشيء من المنزل ثم ارسل الى خازن بيت المال فقال : انظر هذا وضرباءه فوالله ما انصفناه ان اكلنا شبيبته ثم

١) كتاب الخراج ١٦٨
٢) مجلد من تاريخ ابن عساكر ، خزانة بريتش موزيوم Or. 3024 f° 89r
٣) عيون الاخبار لابن قتيبة ١ : ١٠٠
٤) مجلد من تاريخ ابن عساكر ، خزانة بريتش موزيوم Or. 3024 f° 90r
٥) فتوح البلدان ١ : ١٣٩

نخذله عند الهرم . وانما الصدقات للفقراء والمساكين والفقراء هم المسلمون وهذا من المساكين من اهل الكتاب . ووضع عنه الجزية وعن ضربائه »[1]

« ولما رجع من الشام مرّ في مسيره على قوم قد أقيموا في الشمس يُصبّ على رؤوسهم الزيت فقال ما بال هؤلاء ؟ فقالوا عليهم الجزية لم يؤدّوها فهم يعذبون حتى يؤدّوها فقال عمر : ما يقولون هم وما يعتذرون به في الجزية ؟ قالوا : يقولون لا نجد قال : فدعوهم لا تكلفوهم ما لا يطيقون فاني سمعت رسول الله يقول : لا تعذبوا الناس فان الذين يعذبون الناس في الدنيا يعذبهم الله يوم القيامة وامر بهم فخُلّي سبيلهم »[1]

ومن هذه الادلة يتّضح ان عمر بن الخطاب كان رؤوفاً باهل الذمة محسناً اليهم ، ولم يكن قط ذلك الظالم الغاشم الذي صوّره لنا الرواة وصاغة الاخبار والاحاديث ، منهمكاً كلّ ايامه في مناقشة النصارى في ازيائهم والحقير من امورهم ، مولعاً باضطهادهم والاخذ بخناقهم نعم ان رأفته لم تكن رأفة مجردة عن الحساب والفائدة ، ولكنها على كل حال سياسة ملك فطن حكيم بعيد مرامي النظر ، عارف باقدار الرجال من رعيّته ، بصير بحاجته الى الاكفياء منهم الولاية والتدبير .

وقد عزوا له ، في ضدّ ذلك ، اقوالاً لا تنطبق على احوال زمانه ، ولا تشبه آراءه في التدبير والولاية اهمها انكاره على عماله وامرائه الاستعانة بالنصارى في الكتابة والجباية وسائر الخدم الديوانية . وزعموا ان معاوية كتب له : اما بعد يا امير المؤمنين فان في عملي كاتباً نصرانياً لا يتم امر الخراج الا به فكرهت ان اقلده دون امرك فكتب اليه : عافانا الله واياك قرأت كتابك في امر النصراني اما بعد فان النصراني قد مات والسلام »[2] وقد روي مثل هذه الحكاية عن سعد بن وقاص في عامل يهودي بالعراق (صبح الاعشى ١ : ٦٢) وقوله : « مات النصراني والسلام » هو قول الخليفة العباسي الناصر لدين الله في ابن زطينا كاتب ديوان الانشاء ببغداد ، حين ابى ان يفارق دينه النصراني ، وتعذّر وقتئذ وجود مسلم كفوء له في علمه وخبرته يخلفه في منصبه . وطولع الخليفة في شأنه فكتب لهم : « مات ابن زطينا والسلام » اي ما تعملون اذا

١) كتاب الخراج ١٥٠-١٥١

٢) شروط النصارى لمحمد بن عبدالله بن احمد بن زبر الغافقي (رقم ٣٩٥٢ تاريخ) دار الكتب المصرية ص ٨٢ .

مات أليس تجدون حينئذٍ من يقوم مقامه ؟ ومع ذلك لم يتيسّر لهم استخلافه وما زالوا به حتى اسلم هو وابن اخته وقد ذهل مؤلف « شروط النصارى » عن بعد ما بين زمان الخليفتين وهو لا يقل عن ستة قرون ، ونسب لعمر ما هو في الحقيقة للناصر لدين الله العباسي .

وكلّ عارف باخبار ايام عمر ومعاوية يعلم ان الدواوين وقتئذٍ كانت بالشام كلها بالروميّة ، وان كل كتابات الخراج والجباية والجند وسائر الاعمال السلطانية لم تكن تدوَّن الا بالقلم الرومي ، وكذلك كانت النقود رومية حتى زمان عبد الملك بن مروان ، اي بعد ست وسبعين سنة من الهجرة ، فكانت تتداول وعليها الصليب وصورة المسيح وامه فلم يكن بدّ للعرب من كتاب ملدّين يجيدون فهم الرومية وتعريبها ، ولذلك لم يكن عند معاوية كاتب واحد منهم فقط نصراني ليستشير في شأنه الخليفة ، بل مئات وآلاف من رجال القلم والملاحة والصناعة والتجارة والزراعة ، وكلهم من المسيحيين المخلصين لمعاوية الذين عرف كيف يؤلف قلوبهم ، وعليهم عوّل في سياسة مملكته ، واليهم حقيقةً يرجع الفضل في خدمتها وبناء قواعدها ، ولم يكن وقتئذٍ اجدر منهم بمثل هذه الخدمة واوفر اضطلاعاً باعبائها لخبرتهم بها ، وجهل العرب ، في زمان عمر ، غير الغزو والقتال والحرب لغاية البداوة عليهم . فلم يكن من ثم سبيل للاستغناء عن النصارى ، سكان البلاد . وقد شهد عمر بن عبد العزيز بحاجة العرب الى النصارى الذين سماهم مغالطةً اهل الشرك فقال في كتاب الى عمّاله « ان المسلمين كانوا فيما مضى اذا قدموا بلدة فيها اهل الشرك يستعينون بهم لعلمهم بالجباية والكتابة والتدبير »[1] واي ضرر تُرى كان يجد ابن الخطاب في كتابتهم سوى ما يدّعونه زوراً من بغضه لهم والحذر منهم كالجواب الذي وضعوه على لسانه حين « ذُكر له غلام كاتب حافظ من اهل الحيرة وكان نصرانياً فقيل له : لو اتخذته كاتباً فقال : لقد اتخذت اذاً بطانة من دون المؤمنين .»[2] وليُنظَر هل كان يوسع عمر حينئذٍ وجود بطانة له من الكتاب

١) سيرة عمر بن عبد العزيز لابي محمد عبدالله بن عبد الحكم ، ص ١٦٥

٢) عيون الاخبار لابن قتيبة ١ : ٢٤

المؤمنين ، ومعظم الكتبة والحسّاب ، ان لم يكونوا كلهم ، من الكفار نصارى الحيرة والشام ؟ ولقد احتاج مرة الى واحد منهم ليفسّر له كتاباً ورد لا شك بالرومية فقال لابي موسى الاشعري « أدعُ لي كاتبك ليقرأ لنا كتباً جاءت من الشام فقال ابو موسى انه لا يدخل المسجد قال عمر : أبه جنابة ؟ قال : لا ولكنه نصراني قال فرفع يده فضرب فخذه حتى كاد يكسرها (وكذا كان عمر عندهم عظيماً في كل ما يفعله) ثم قال : مالك قاتلك الله اما سمعت قول الله عز وجل : « يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء » ألا اتخذت رجلاً حنيفاً ؟ فقال ابو موسى : له دينه ولي كتابته فقال عمر : لا اكرمهم اذا اهانهم الله ولا أعزهم اذا اذلهم الله ولا ادنيهم اذا اقصاهم الله»[1].

وهذا الحديث بين الشبهة ، موضوع برمته لا يصدق لا على ابي موسى ولا على عمر وهو قول جاهل حقيقة اخبار زمان عمر ، او ذاهل عنها ، ويشبه ان يكون قول رجل عاش في القرن الثاني او القرن الثالث للهجرة ، حين بدأت المساجد ان تكتسب بعض حرمة بيوت الله كالحرمة التي كانت معروفة للكنائس المسيحية المقدسة . وانما كانت المساجد قبلاً مجالس للقوم يجتمعون فيها ويتحدثون كالأندية ويطعمون ويشربون . ومن اظهر الشواهد على هذا المعنى ما ذُكر عن لبيد الشاعر انه « كانت له جفنتان يغدو بها ويروح في كل يوم على مسجد قومه فيطعمهم[2] » ولذلك جاء في القرآن « يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا . » (٧ : ٢٩) ولما اتخذت المساجد ان تتحول الى معابد بقي فيها معنى الامية والابتذال ، ولم تتصف بكل ما يجب لها من المهابة والجلال ، فكان يدخلها الطاهر وذو الجنابة ، ويقيم فيها من شاء من المتبطلين المتعطلين رواد اللهو ، كالاسواق يجتمع فيها التاجر والصيرفي والشاعر والمغني ، ولم تكن تبنى بادئ بدء بل تُختَط فقط او تُحوَّط بالقصب[3] ، ويُصلّى فيها فوق التراب . واول من فرش ارضها بالحصى فيما يظهر زياد « حين رأى الناس في مسجد البصرة ينفضون ايديهم اذا تربت وهم في الصلاة فقال :

١) عيون الاخبار لابن قتيبة ١ : ٤٣

٢) الاغاني ١٦ : ١٧

٣) فتوح البلدان ٢ : ٢٥

لا آمن ان يظن الناس على طول الايام ان نفض الايدي في الصلاة سنّة فامر بجمع الحصى والقائه في المسجد »[1]. ومن هذا الحصى المفروش في ارض المسجد كان رجال الشيعة يقذفون بعض الخطباء « ولما شخص معاوية من الكوفة وخلّف عليها المغيرة بن شعبة فصعد المنبر يوم الجمعة ليخطب حصبه حجر بن عدي وكان من شيعة علي في نفر من اصحابه »[2].

« وكان في مسجد بني جذيمة في الكوفة حوانيت الصيارفة »[3]. وربما عن للمتذاكرين في الطرب والغناء ان يجتمعوا في المساجد ويتناظروا في تفضيل المغنين ، وترتفع حينئذٍ في بيوت العبادة اصوات المتطربين بدلاً من انغام المرتلين . ذكر حماد قال :

« تذاكرنا ونحن في المسجد انا والربيع بن ابي الهيثم الغناء ايّه احسن : جعل يقول واقول فلا نجتمع على شيء فقلت : اذهب بنا الى مالك بن ابي السمح فذهبنا اليه فوجدناه في المسجد فقال : ما جاء بكما فاخبرناه فقال قد جرى هذا بيني وبين معبد وقال وقلت فجاءني معبد يوماً وانا في المسجد وقال : قد جئتك بشيء لا تردّه فقلت : وما هو ؟ قال : لحن ابن سريج :

وليس بتزويق اللسان وصوغه ولكنه قد خالط اللحم والدما

ثم قال لي معبد : أسمعك ؟ قلت نعم واريته اني لم اسمعه قبل . فقال : اسمعه مني فغنّى فيه ونحن في المسجد فما سمعت شيئاً قط احسن منه فافترقنا وقد اجمعنا عليه »[4]

ومن اشنع ما يدلّ على امتهان المساجد وقلة مهابتها انه كان يُبال عندها ويُحدَث عند الحاجة ، دون اقلّ تورع . حكى المدائني قال :

كان نعيمان رجلاً من الانصار وشهد بدراً وجلده النبي في الخمر اربع مرات : فرّ نعيمان بمخرمة بن نوفل وقد كُفّ بصره فقال : ألا رجل يقودني حتى ابول ؟ فاخذ بيده نعيمان فلما بلغ مؤخر المسجد قال مهنا فَبُلْ فبال فصيح به فقال : من قادني ؟ قيل : نعيمان قال : لله علي ان اضربه بعصاي هذه فبلغ نعيمان فاتاه فقال له : هل لك في نعيمان ؟ فقال نعم فقال : قم فقام معه فاتى به عثمان بن عفان وهو يصلي فقال : دونك الرجل فجمع يديه في العصا ثم ضربه فقال الناس : امير المؤمنين فقال : من قادني ؟ قالوا : نعيمان فقال لا اعود الى نعيمان ابداً »[5]

ومن هذه الملحة الفريدة يستدلّ على ان بعض الانصار كانوا يعرفون

١) فتوح البلدان ٢ : ٣٥٠
٢) الاخبار الطوال للدينوري ٢٢٦
٣) فتوح البلدان ٢ : ٢٨٥
٤) الاغاني ١ : ١١٣
٥) عيون الاخبار ١ : ٢٢٠

كيف يهزلون احياناً ويعبثون بحرمة المساجد ووقار الخلفاء.

وربما استباح بعض الصلحاء البول امام الناس في المساجد حدّث المقريزي في عقوده ان الشيخ احمد البدوي المشهور في مصر نزل الى الجامع « فلما فرغ الخطيب وأقيمت الصلاة وضع الشيخ رأسه في طوقه بعد ما قام قائماً وكشف عن عورته بحضرة الناس وبال على ثيابه وحصر المسجد واستمر ورأسه في طوق ثوبه وهو جالس الى ان انقضت الصلاة ولم يصلِّ »[1].

وهناك نكتة اخرى اشد دلالة على ابتذال المساجد وما بين يديها من الرحاب ، نقلها ابن عساكر ولم يرَ اقلّ حرج او خجل من تدوينها ونحن نستميح القارئ العذر الجميل بروايتها عنه بلفظها القذر كما وردت في تاريخه المخطوط وتهذيبه المطبوع ، على قلة تهذيبه ، قال :

« انبأنا محمد بن زياد بن الاعرابي قال : قال الهيثم بن عدي مات الحجاج بن يوسف وفي سجنه ثمانون الفاً محبوسين منهم ثلاثون الف امرأة فوجد في قصة رجل : بال في الرحبة و . . ري في المسجد فقال اعرابي :

اذا نحن جاوزنا مدينة واسط . . ربنا وصلينا بغير حساب »[2]

ولما دخل عبدالله بن علي بن العباس دمشق دخلها بالسيف ثلاث ساعات من النهار وجعل مسجد جامعها سبعين يوماً اصطبلاً لدوابه وجماله[3].

واقبح من ذلك ان بعض الجوامع بعد تغلب الصيانة والعبادة عليها كانت لا تتنزه ، في بعض المدن ، عن جوار بيوت الفسق والبغاء الملاصقة لها . ومن هذه البلاد قصبة السوس في خوزستان زارها البشاري المقدسي وقال : « ترى فيها دور الزناء عند ابواب الجامع »[4]

وكانت بعض مساجد مصر غايـة في قلة النظافة واجتماع الاقذار فيها ، عاينها كذلك الرحالة المقدسي وقال في وصف اقليم مصر : « يكثرون الاشارة في الصلاة والتنخع والمخاط في المساجد ويجعلونه تحت الحصر »[5]

---

١) الضوء اللامع لاهل القرن التاسع للسخاوي ٩ : ١٤٩–١٥٠

٢) تاريخ ابن عساكر المخطوط بدار الكتب الظاهرية بدمشق ٦ : $\frac{٣}{١٣٥}$ وتهذيب ابن عساكر المطبوع ٦ : ٨

٣) تاريخ ابن عساكر ١٥ : ١٦١ ٤) احسن التقاسيم ٤٠٧ ٥) احسن التقاسيم ٢٠٥

ولما زار ابن سعيد المغربي فسطاط مصر في المئة السادسة للهجرة قال في وصف المسجد الجامع :

« دخلت اليه فعاينت جامعاً كبيراً قديم البناء غير مزخرف ولا محتفل في حصره التي تدور مع بعض حيطانه وتسقط فيه . وانصرت العامة رجالا ونساء قد حملوه معبرا فاوطئه اقدامهم يجوزون فيه من باب الى باب ليقرب عليهم الطريق والبياعون يبيعون فيه اصناف المكسرات والكعك وما جرى مجرى ذلك والناس يأكلون منه في امكنة عديدة غير عتيقة جرى العادة عندهم بذلك وعدة صبيان باواني ماء يطوفون على من يأكل قد حملوا ما يحصل لهم منه ورقاً وسلات مآكلهم مطروحة في صحن الجامع وفي زواياه والعنكبوت قد عظم نسجه في السقوف والاركان والحيطان والصبيان يلعبون في صحنه وحيطانه مكتوبة بالفحم والحمرة خطوط قبيحة مختلفة من كتب فقراء العامة »[1]

وهذا الوصف ينطبق على غير مسجد واحد في مصر والشام ، فضلاً عما بعد من المدن والاقطار ، وهو وصف شبيه بالاسواق والرحاب منه بالمعابد والمصليات .

ومن هذه الاوصاف ونظائرها يتبين جيداً ان المساجد ، ولا سيما الاولى منها ، لم يكن لها قط مهابة الكنائس واجلالها ، فكان يدخلها او يخترقها من شاء من الطاهر والجُنب كالطرق السابلة او المعابر ، فلا يصدق من ثمّ انه مُنع من المجيء اليها كاتب نصراني نظيف من كتاب الامراء احتاج اليه الخليفة نفسه لقراءة كتاب ورد له بالرومية ولم يستطع تفسيره له احد من بطانته المؤمنين . ويكفي القاء نظرة واحدة على كتب الاخبار والادب لمعرفة ان دخول النصارى المساجد كان مطلقاً مباحاً لا يُرى فيه اقلّ بأس . « وكان الوليد بن عقبة يُدخل ابا زبيد الشاعر الطائي المسجد وهو نصراني ويجري عليه وظيفة خمر وخنازير تقام له في كل شهر »[2]

وكان ابو زبيد هذا وفد على الوليد بن عقبة حين استعمله اخوه الخليفة ابن عفان على الكوفة ، فانزله الوليد داراً على باب المسجد لعقيل بن ابي طالب ، اخي الخليفة علي بن ابي طالب ، فكان ابو زبيد « يخرج من منزله حتى يشق الجامع الى الوليد فيسمر عنده ويشرب معه ويخرج فيشق المسجد وهو سكران »[3]

---

١) الخطط للمقريزي ١ : ٢٤١

٢) انساب الاشراف للبلاذري ٥ : ٢١

٣) الاغاني ٤ : ١٨١ – ١٨٢

وكان عكرمة الفياض ، كاتب بشر بن مروان ، اخي الخليفة عبد الملك ، قد تحمل حمالتين للاخطل الشاعر النصراني « وحدث امر بالكوفة فاجتمع له الناس في المسجد فقيل للاخطل ان اردت ان تكافئ عكرمة يوماً فاليوم. فلبس جبة خز وركب فرساً وتقلد صليباً من ذهب واتى باب المسجد ونزل عن فرسه . . . وجاء فوقف وابتدأ ينشد قصيدته :

« لمن الديار بعاقل فوعال »[1]

« وكانت بكر بن وائل اذا تشاجرت في شيء رضيت الاخطل وكان يدخل المسجد فيقدمون اليه »[2]

ويؤخذ من هذه الشواهد ان المساجد كانت ايضاً مقامات للنصارى لانشاد الشعر ، ودوراً للقضاء تتحاكم اليهم فيها الخصوم ولذلك لما ولي محمد بن مسروق قضاء مصر عام ١٧٧/٧٩٣ « كان اول من ادخل النصارى المسجد ليحكم بينهم »

ومن شروط النصارى المنحولة لعمر بن الخطاب التي اقرّها الفقهاء والمؤرخون ، واحتجّ بها ابن تيمية في رسالة له في « مسئلة الكنائس » انه كان قد اشترط عليهم ان لا يتسموا باسماء المسلمين ولا يتكنوا بكناهم ولا يتلقبوا بالقابهم » وقد ابنا بطلان هذه الخرافة في مقالة لنا توسعنا فيها جداً ونشرناها في مجلة المشرق والخزانة الشرقية[3] فلتراجع .

ولو اردنا ان نتتبع بقية الشروط التي تداولها الكتاب ، دون اقلّ انتقاد لها ، لكان علينا دحضها بالحجج الصادقة وتبرئة الامام عمر بن الخطاب منها ، لانه اجلّ من ان يكون اقترف شيئاً من آثامها . وقد سكت عنها او جهلها كل الرواة الاقدمين ، واغفل ذكرها كلّ المؤرخين في القرنين الثالث والرابع ، ولم يشر اليها البلاذري بحرف واحد في كتابه « فتوح البلدان » وهو مظنّة وجودها ؛ ولما كتب المتوكل على الله كتابه الذي ابتدع فيه ظلم النصارى واذلالهم ، وامر فيه بالافحاش في التغليظ عليهم واضطهادهم ، لم يستشهد مرة بشيء من اقوال عمر في هذه الشروط ، وكان جديراً ان يستند اليها في تصحيح اوامره والرجوع بها الى سنّة قديمة من تراث الخلفاء الراشدين . ويظهر ان

١) الاغاني ٧ : ١٨٧

٢) الاغاني ٧ : ١٧٩ ٣) المشرق سنة ١٩٦٨ عدد كانون الثاني - اذار ص ١-٢١

اول من رواها بنصها المشهور هو ابن عساكر ، ولم يذكر عن اي مؤلف قبله نقلها لنعلم من كان الواضع الاول لهذه الاحاديث الملفقة والارجح ان اول نواة نجمت منها في زمان الخليفة عمر بن عبد العزيز ، وهو اول من اصدر الاحكام الجائرة في حق النصارى واسف الى التضييق عليهم في البستهم وازيائهم .

وروى ابن عساكر ان عمر بن عبد العزيز كتب الى مالك بن المنذر بن الجارود :

« اما بعد فان هذا الصليب علامة من علامة اهل الشرك لا يرون انه يقوم الا به وقد كانوا يظهرون منه امرًا كرهته ورأيت غيره فلا تدعنّ صليبًا ظاهرًا الا امرت به ان يكسر ان شاء الله وافعل ذلك في ما كان بارضك من صلب اهل الشرك » (١٦ : ١١٧)

وقد وقفنا في خزانة بريتش موزيوم في لندرة على شاهد قاطع لا يدع سبيلًا الى الشك والتردد في نسبة الشروط المصرية الى عمر بن عبد العزيز ونفيها عن عمر ابن الخطاب ، وهو رواية ابن عساكر باسناد له عن مسروق قال فيه بلسان النصارى عند ذكر الكنائس « ولا نأتي منها ما كان في خطط المسلمين » وزاد فيه « ولا نتشبّه بهم في شيء من لباسهم في قلنسوة ولا عمامة ولا سراويل ذات خدمة ولا نعلين ذات عذبة ولا شيء الا بزنار من جلد ولا يوجد في بيت احدنا سلاح الا انتهب » قال ابن غنم « وما رأيت هذه الزيادة في ما وقع الينا من عهود عمر بن الخطاب ووجدتها مروية عن عمر بن عبد العزيز . »[1]

وهذه الشهادة تؤيد كل التأييد نسبة الشروط الى الخليفة المرواني ونفيها عن الخليفة العدوي .

ومما يزيد في ترجيح هذا الرأي ويجدر ان يُحتجّ به ايضاً في اسقاط شروط اهل الذمة عن عاتق ابن الخطاب ، وإلحاق جانب منها بسميّه الخليفة الاموي شهادة وقفنا عليها لساويرس بن المقفع ، مؤرخ البطاركة الاقباط ، ننقلها بالحرف الواحد لاعترافه فيها بما تقدم لابن عبد العزيز من الاحسان الى النصارى والرفق بهم في بدء خلافته قال :

« كان هذا عمر بن عبد العزيز يصنع خيرًا عظيمًا امام الناس ويفعل السوء امام الله وامر ان لا يكون على اواسي البيعة والاساقفة خراج وبدأ ان جعل البيع بغير خراج والاساقفة وبطل الجبايات وعمر المدن التي خربت وكانوا النصارى في امن وهدوء والبيع ثم بعد ذلك بدأ يفعل السوء وكتب كتابًا الى مصر مملوء غم وهو فيه مكتوب : « عمر يأمر ويقول :

١) مجلد من تاريخ ابن عساكر Or. 3024 f° 88

من اراد ان يقيم في حاله وبلاده فيكون على دين محمد مثله ومن لا يريد يخرج من اعمالي » وسلموا له النصارى ما بايديهم من التصرفات وتوكلوا على الله وسلموا خدمتهم المسلمين وصاروا عبرة لكثير ودخلت اليد على النصارى من الولاة والمتصرفين والمسلمين في كل مكان كبيرهم وصغيرهم غنيهم وفقيرهم وامر وقال ان نؤخذ الجزية من سائر الناس الذين لا يسلموا ولم تجرى عادتهم بالقيام بما قام به الله لكن اهلكه سرعة ولم يمهله الملك لانه كان يشبه الدجال »[1]

ومن الامثلة التي تقدم بسطها ونقضها يتضح كثرة ما عُزي للامام عمر بن الخطاب من الانباء والاقوال المرجوحة ، والاحكام والاجوبة الموضوعة ، التي لا تشبه اخلاقه ، ولا تلائم زمانه وقد قبلها المؤرخون على علاتها واغضوا عن نقدها وتزييفها ، واقتصر العلماء من نقد الروايات والاحاديث المنحولة الصدر الاول من الاسلام على العلم المعروف بالجرح والتعديل ، وهو الذي نظروا فيه الى نقد من قال ، لا ما قيل ولذلك كثرت الريب والشبهات ، ولم يخلُ مؤلف واحد من بعض الاباطيل والخرافات ، وغلب الاعتقاد على صحة الشروط العمرية التي اختلقها الفقهاء باسم الخليفة الثاني وبنوا عليها مظالم النصارى مدة ثلاثة عشر قرناً ، وهي التي نثرت عقد نظامهم وشتّتت شملهم في الشرق والغرب وأخلت بيعهم وديارهم ، واستنزفت اموالهم ودماءهم ؛ وكان من انكلها فيهم واشدها وبالا عليهم اربعة شروط اشتهرت بالسمات اي العلامات الفارقة ، ليُعرفوا بها لاول نظرة تقع عليهم فيُؤخذوا بالذل والصغار وهي « الصليب والزنار والعمامة والغيار ، وقد افردنا » لكل منها جزءا برأسه جمعنا فيه كلّ ما وقفنا عليه من الاحكام والرسوم السلطانية والاسانيد والشهادات التاريخية التي تلقطناها بشقّ النفس ، وافنينا الايام في التنقيب عنها من اقوال الرواة والمؤرخين المسلمين ، ونبهنا على معادنها ومآخذها ، ليكون القارئ منها على اشدّ الثقة واليقين ، واليها وحدها يجب ان يُرجع في كتابة تاريخ النصرانية ، وعليها دون سواها يجب ان يعوّل في وصف ماضي احوال المسيحيين في الاسلام.

---

١) كتاب بطرك الاسكندرانيين لساويرس بن المقفع ، طبعة ميلد ، ص ١٤٢-١٤٤ ، وطبعة بيروت ١٥٢-١٥٣ .

الصليب شعار النصرانية

للصليب في الاسلام اخبار وآثار جمعنا ما تيسر لنا العثور عليه منها في الجزء الذي اصدرناه مفرداً سنة ١٩٣٥ ، وفيه كل ما تلقطناه من اللمع والاشارات في غضون كتب الادب والتاريخ ، بين مطبوع ومخطوط ، مما وقفنا عليه في الخزائن الشرقية والغربية ، من مؤلفات الاقدمين التي افلتت من جوائح الزمن ، ونجت من ايدي التمزيق وألسنة الحريق . وهي على اقتصارها واختصارها ، كافية للدلالة على غابر حياة النصرانية في الشرق ، وتعريف الحد الذي رسمه لها فيه سيف الفاتحين ، منذ الاحتلال الى اضمحلال الخلافة العباسية في مصر على يد الاتراك العثمانيين في القرن السادس عشر . وقد رأينا ان نلخص ايضاً هنا ما نصف به ماضي الصليب بين سمات النصارى في الاسلام ، ونضم اليه ما وقفنا عليه من بعض الزيادات في اوصافه واحواله ، ليكون هذا الكتاب مشتملاً على كل ما يتعلق بتاريخ الصليب الذي وسم به الشرع الاسلامي جبين المسيحيين مدة عدة قرون ، لإقرار الذلة والصغار عليهم « فتدعوهم ذلتهم الى ان يسلموا فيدفعوا الذلة عن انفسهم بالاسلام »[1] .

١ ــ الالقاب الصليبية

لا حاجة الى القول ان الصليب اشهر سمات النصارى حيثما وجدوا ، واعلقها نسبة اليهم لاختصاصه بهم دون سواهم ، بخلاف الزنار والعمامة والغيار ، لاشتراك اهل الذمة فيها على السواء . ولذلك كان الدين المسيحي يعرف عند الكتاب والمنشئين « بدين الصليب » ، ويوصف به في الهُدَن التي كانت تُعقد بين دولة الايوبيين والمماليك مثلاً والافرنج ، كما كان النصارى يُنعتون عندهم بنعوت : « اتباع الصليب » و« عبّاد الصليب » و« عبدة الصلبان » ، لاعتقادهم ان الصليب وثنٌ يعبد كما تعبد الاوثان ، تباعاً للحديث القائل لعدي بن حاتم ، وقد قدم وفي عنقه صليب ذهب « ألقِ عنك هذا الوثن . »[2] وعلى هذا الرأي كتب

١) بيان ما يلزم اهل الذمة فعله لابي يعلى الفرّا ، مخطوط عندنا .
٢) لسان العرب ١٧ : ٣٢٤

الوزير ابو عامر بن شهيد ، من رجال الاندلس ، في فصل له « ملوكك عاكف على الوطن عكوف الراهب على الوثن . »[1]

ومن مصطلحات كتّاب الانشاء في الدواوين السلطانية تلقيب النصارى ايضاً بالطائفة الصليبية ، وتخصيص بطريرك الروم الملكيين بلقب « كبير الطائفة الصليبية » ، كما عُرف به ايضاً متملك الارمن في كيليكية وصاحب دنالة . واطلقوا ايضاً اوصاف « جمال الطائفة الصليبية » و « ذخر الملة الصليبية » و « كنز الطائفة الصليبية » على دوج البندقية ، وملك الروم في القسطنطينية ، وملك الفرنج .

وربما أُشير بالصلبان الى الروم البيزنطيين . وفي سنة ٤٦١/١٠٦٩ جمع قُطبان[2] انطاكية ودوقسها جموعاً كثيرة وطلع الى حصن اسفونا . . وبلغ الخبر الى الامير عزّ الدولة محمود بن نصر بن صالح . . . فسار في الوقت . . واجتمع عليه خلق عظيم . . . فحاصره سبعة ايام وفتحه وقتل جميع رجاله . . . وفي ذلك يقول ابو محمد الخفاجي :

ان اظهرت لملاك انطاكية حربا فقد ضحكت على قطباتها
لما اطلّ له لواؤك خافقاً عرفت وجوه الذل في سلباتها[3]

٢ ــ صليب الصلبوت

اعتاد المؤرخون ان يطلقوا هذا الاسم على الصليب الاعظم الذي كان الفرنج يحملونه امامهم في الحروب الصليبية وقد وهم الذهبي وغيره من مؤرخي اخبار الايوبيين فعنوا به الصليب الذي كان منصوباً على الصخرة في بيت المقدس ، واستولى عليه صلاح الدين الايوبي ، وارسل به الى بغداد ، فقال بتاريخ سنة ٥٨٥/١١٨٩ :

« في ربيع الاول وصل القاسم ابن الشهرزوري رسولاً من السلطان صلاح الدين وصحبته صليب الصلبوت الذي تزعم النصارى ان عيسى عليه السلام صُلب عليه فأُلقي بين يدي عتبة النوبي فبقي اياما »[4]

١) الذخيرة في محاسن الجزيرة لابن بسام ١ : ١٦٦
٢) القطبان لفظة رومية xxxxxx يراد بها القائد والحاكم
٣) زبدة الحلب لابن العديم ، ١٩٦٦ خزانة باريس ، ٤٠٠٤ – ٨٥
٤) تاريخ الاسلام ، خزانة اكسفرد *Laud. Or.* 304 f° 162

وروى ابن ابي شامة مثل هذا الخبر عن ابن القادسي وعقب عليه فقال:

« قدم ابن الشهرزوري (بغداد) ومعه صليب الصليوت الذي تعظمه النصارى فدفن تحت باب النوبي الشريف يتبين منه شيء قليل وكان من نحاس وقد طلي بالذهب فجعل يدار بالارجل ويبصق الناس عليه وذلك في سادس عشر ربيع الآخر . كذا قال « صليب الصليوت » وقد نص العماد في البرق على انه الصليب الذي كان فوق الصخرة وهذا غير ذلك »[1]

ونقل مثل ذلك ابن كثير فقال :

« سنة ٥٨٥ / ١١٨٩ قدم من جهة الخليفة رسل الى السلطان يهنئونه بولاية العهد لابي نصر اللقب بالظاهر ابن الخليفة الناصر . . . ثم جهز السلطان مع الرسل تحفاً كثيرة وهدايا سنية وارسل باسارى من الفرنج على هيئتهم في حال حربهم وارسل بصليب الصليوت فدفن تحت عتبة باب النوبي من دار الخليفة فكان بالاقدام يداس بعدما كان يعظم ويبجل والصحيح ان هذا الصليب كان منصوباً على الصخرة وكان من نحاس مطلياً بالذهب فحفظه الله ان اسفل المنتب »[2]

وكان صلاح الدين يستولي على الصليب في وقعة حطين المشهورة سنة ١١٨٧/٥٨٣.

« وهو الذي يزعمون انه صلب عليه المصلوب وقد غلفوه بالذهب والجواهر النفيسة ولم يسمع بمثل هذا اليوم في عز الاسلام واهله . . . حتى ذكر ان بعض الفلاحين رآه يضرب بفود نيفاً وثلاثين من الفرنج قد ربطوهم بطنب خيمة وباع بعضهم اسيراً بنعل لبلسها في وحله »[3]

« ثم ارسل السلطان برؤوس اعيان الفرنج (من الاسارى) وصليب الصليوت صحبة القاضي ابن ابي عصرون الى دمشق ليودعوا في قلعتها فدخل الصليب منكوساً وكان يوماً مشهوداً »[4]

واختلفوا في تاريخ حضور الصليب من القدس فروى المقريزي انه وصل في سابع عشري ربيع الاول سنة ٥٩٠ = ١١٩٤[2] ولكن ابن شداد روى ان في سنة ١١٩٢/٥٨٨ اي قبل ثلاث سنوات.

«وصل رسول من قسطنطينية الكبرى . وكانت رسالته تشتمل على مطالب منها صليب الصليوت . . وأجيب بالمنع عن جميع مقترحاته وقيل ان الصليب قد بذل فيه ملك الكرج مئتي الف دينار فلم يجب الى ذلك »[5]

---

١) كتاب الروضتين في اخبار الدولتين ٢ : ١٣٩

٢) البداية والنهاية ١٢ : ٢٢١-٢٢٢

٣) السلوك لمعرفة دول الملوك ١ : ١٢

٤) النوادر السلطانية لابن شداد ٢٠٢

واشار الى هذا الرفض العماد الاصبهاني فقال :

« أعيد صليب الصلبوت الى الخزانة لا للاعزاز بل للاهانة فان غيظ الكفار بحفظنا الصليب شديد والمصاب به عندهم على مر الجديدين جديد وقد بذل فيه الروم ثم الكرج بذولا وانفذوا بعد رسول رسولا فما وجدوا قبولا ولا صادفوا سولا »[1]

وبقي الصليب بدمشق الى ان استرجع الفرنج عكا .

« فراسل السلطان ملوك الفرنج في خلاص من بايديهم من الاسارى فطلبوا منه عدتهم من اسراهم ومائة الف دينار وصليب الصلبوت ان كان باقياً فارسل فاحضر المال والصليب ولم يتهيأ له من الاسارى الا ستمائة اسير فطلب الفرنج منه ان يرسم الصليب من بعيد فلما رفع سجدوا له وانفرا انفسهم الى الارض ومشوا يطلبون منه مما احضره من المال والاسارى وامتنع . . فلم يرسل اليهم شيئاً وامر برد الاسارى الى اهليهم بدمشق ورد الصليب الى دمشق مهاناً »[2]

وكان رأس ملوك الفرنج وقتئذ ريشارد ملك الانكتار (الانكليز) فكتب الى صلاح الدين فيما رواه القاضي ابن شداد :

« القدس متعبّدنا ما نتزل عنه ولو لم يبقَ منا الا واحد واما البلاد فيمادلنا بما هو قاطع الاردن واما الصليب فهو خشبة عندكم لا مقدار له وهو عندنا عظيم فيمنّ به السلطان علينا ونصطلح ونستريح من هذا التعب فكان من جواب السلطان عليه : اما الصليب فهلاكه عندنا قربة عظيمة لا يجوز ان نفرّط فيها الا لمصلحة راجحة الى الاسلام »[3]

ومن الغريب ان ابن كثير بعد ان استدرك ما استدركه ونقل ما سبق من اخبار الصليب ذكر كل ما خطّه قلمه قبلاً ونسب الى الملك الافضل سنة ٥٩٠/١١٩٤ ما كان اثبته لوالده صلاح الدين سنة ٥٨٥/١١٨٩ فقال :

« سنة ٥٩٠ لما استقرّ الملك الافضل بن صلاح الدين مكان ابيه بدمشق بعث هدايا سنية الى باب الخليفة الناصر . . . منها صليب الصلبوت الذي استلبه ابوه من الفرنج يوم حطين وفيه من الذهب ما ينيف على عشرين رطلاً مرصعاً بالجواهر النفيسة واربع جواري من بنات الملوك »[4]

وقد تقدم ان ملك الكرج بذل في تسليم الصليب له مئتي الف دينار . فكيف يُعقل ان يزهد الافضل بمثل هذا المال الجسيم ، ويهدي الصليب عفواً

١) الفتح القسي ٣ : ٢٧١-٢٧٣

٢) البداية والنهاية ١٢ : ٣٤٤-٣٤٥

٣) النوادر السلطانية ١٨٧

٤) البداية والنهاية ١٣ : ٨

الخليفة في بغداد . وقد بحثنا كثيراً لنجد ذكراً له آخر في روايات المؤرخين الأيوبيين فلم نقف الا على قول المقريزي :

« سنة ٥٩٠ / ١١٩٤ م) قدم رسول متملك القسطنطينية يطلب صليب الصليوت فأحضر من القدس وكان مرصعاً بالجوهر وسُلِّم اليه على ان يعاد ثمر حبيل من الفرنج وزوجه الامير شمس الدين جعفر بن شمس الخلافة بذلك »[1]

ولا حاجة الى التنبيه على ما بين قول ابن كثير وقول المقريزي من التناقض والبعد عن الواقع لاستحالة ان يكون الصليب سُلِّم لرسول الروم او بعث به الى بغداد .

٣ ـ الصليب في الشروط العمرية

في الشروط التي اوجبها الشرع على الذميين ، واطلق عليها الفقهاء اسم « العمرية » ليوهموا انها من وضع الامام عمر بن الخطاب ، ذكر الصليب والمنع من اظهاره في الاسلام . ولكنا جهدنا كثيراً ، وأطلنا البحث والمراجعة لنجد في آثار الصدر الاول من الخلافتين العمرية والاموية اشارة الى هذه الشروط بنصها المعروف اليوم ، فذهبت اتعابنا ادراج الرياح . والارجح انها أُحدثت في زمن متأخر ، ونجمت كالكمأة بغير اصل ثابت . ولم يرد لمجموعها حسبما بلغنا بلسان عمر اقل تسمية لها في كتاب « فتوح البلدان » للبلاذري في القرن الثالث الهجرة ، او في كتاب « الخراج » في القرن الثاني للقاضي ابي يوسف يعقوب ، الذي جمعه لهرون الرشيد . وقد اشار فيه القاضي ابو يوسف يعقوب على الخليفة ان يُترك النصارى « يسكنون في امصار المسلمين واسواقهم . . . ولا يظهرون الصلبان في الامصار »[2] . ولكنه اقرَّ قبل ذلك في كتابه المذكور ان خالد ابن الوليد « كان مرَّ ببلاد عانات فخرج اليه بطريقها فطلب الصلح فصالحه واعطاه ما اراد على ان لا يهدم لهم بيعة ولا كنيسة وعلى ان[3] لا يضربوا نواقيسهم في اي ساعة شاؤوا من ليل او نهار الا في اوقات الصلوات وعلى ان يخرجوا الصلبان في ايام عيدهم . . . فصالحه اهل النقيب والكوائل على مثل

---

١) السلوك ١ : ١٢٠

٢) كتاب الخراج ، طبعة القاهرة ١٣٦٦ ، ص ١٥٢

٣) في الاصل المطبوع « ان يضربوا نواقيسهم » والمعنى يقتضي « ان لا يضربوا »

ما صالحه عليه اهل عانات... ثم مضى حتى اتى الى بلاد قرقيسيا، فاغار على ما حولها... ثم انهم بعثوا يطلبون الصلح فاجابهم الى ذلك واعطاهم مثل ما اعطى اهل عانات على ان لا يهدم لهم بيعة ولا كنيسة وعلى ان لا يضربوا نواقيسهم الا في اوقات الصلوات ويخرجوا صلبانهم في يوم عيدهم فاعطاهم ذلك وكتب بينه وبينهم الكتاب... ولم يرد ذلك الصلح على خالد ابو بكر ولا رده بعد ابي بكر عمر ولا عثمان ولا علي »[1]

وروى القاضي ابو يوسف ايضاً ان عمر بن الخطاب كتب الى عبيدة وهو بالشام:

واما اخراج الصلبان في ايام عيدهم فلا تمنعهم من ذلك خارج المدينة بلا رايات ولا بنود على ما طلبوا منك يوماً في السنة فاما داخل البلد بين المسلمين ومساجدهم فلا تظهر الصلبان فاذن لهم ابو عبيدة في يوم من السنة وهو يوم عيدهم الذي في صومهم (الفصح) فاما في غير ذلك اليوم فلم يكونوا يخرجون صلبانهم »[2]

وسيمر بنا في ما يأتي ان الصليب كان يُخرج وتُنشر راياته ليس في عيد الفصح فقط، بل في عيد الشعانين ايضاً، وغيره من الاعياد والمهرجانات والاحتفالات، وفي المآتم والجنائز، في مشهد من رجال الدولة وقبول منهم. وهو ما يدعو الى الشك في رواية القاضي ابي يوسف يعقوب المتأخرة. وقد سكت البلاذري بعده في القرن الثالث عن اظهار الصليب حتى في يوم الفصح وزعم « ان عياض بن غنم اعطى اهل الرقة يوم دخلها اماناً لانفسهم واموالهم وكنائسهم... على ان لا يحدثوا كنيسة ولا بيعة ولا يظهروا ناقوساً ولا باعوثاً ولا صليباً[3] فكانت اوامر الشرع في حق الصليب تزيد ضيقاً بعد اتساعها، كلما زاد الوقت تأخراً، وتأت المسافة بين الخلافة العربية في اوائل الفتح والخلافة العباسية بعد استيلاء الاعاجم عليها، وكثرة من قام فيها من كذبة الرواة ومختلقي الاحاديث لقلة النقد والامانة في النقل، وميل الناس عموماً الى المبالغة والغلو طمعاً في الافتخار والمباهاة.

وقد حاول بعض الفقهاء الاعتذار عن منع اظهار الصليب في الامصار،

١) كتاب الخراج، طبعة القاهرة ١٣٤٦، ص ١٧٥

٢) كتاب الخراج ١٦٨-١٦٩

٣) فتوح البلدان، طبعة اروبة، ١٧٣

وليس فيه اقل عضاضة للاسلام ، فزعم ابو يعلى الفراء ، في اوائل القرن الخامس ، ان اهل الحيرة كتبوا الى عبد الرحمن بن غنم في جملة شروط اشترطوها على انفسهم : « لا نضرب بنواقيسنا الا ضرباً خفيفاً في جوف كنائسنا ولا نظهر عليها صليباً . ولا نخرج صليباً ولا كتاباً في سوق المسلمين » وعلل الفراء هذا المنع « بان في اظهار الصليب والكتاب تكذيباً لرسول الله (صلعم) فلم يجز اظهاره في اسواق المسلمين »[1] ولا يخفى على القارئ اللبيب ضعف هذا التعليل لان ليس في اظهار الصليب وتعظيمه ولا في تشييع الانجيل اقل ايماء الى الرسول او تحجراً فيه على قيام نبي بعد المسيح كما في القول المروي عن محمد : « لا نبي بعدي » فكيف يصح ان يُعزى الى الصليب والانجيل تكذيب الاسلام وهو متأخر عن زمانهما ستة قرون ؟ بل أحر ان يكون في الانجيل تصديق لدعوة الرسول ، وفي موت المسيح على الصليب تمهيد لها ، وهم يعتقدون ان الفارقليط المذكور في الكتاب المقدس انما يُعنى به رسول الاسلام ، فاظهار الانجيل اذن وتشييع الصليب له يجب ان يعتبر عندهم كالمناداة بذهاب المسيح ومجيء الفارقليط محمد من بعده ، ومن ثم يكون اخراج الصليب والكتاب تصديقاً للرسول لا تكذيباً له في الظاهر كما زعم الفراء .

واذا اجلنا النظر في اخبار ايام الامام عمر بن الخطاب ، وما تبعها الى ايام الخلفاء المروانيين ، وتدبرنا ما رواه لنا التاريخ من الحوادث والانباء ، يتضح لنا بطلان ما نُسب الى عمر من التضييق على اتباع الصليب ، ومنع اظهاره في الملإ وحسبنا ان نذكر في الاستشهاد على ما كان في عهده من التسامح والقصد في السياسة والعدل في الرعية ، ما نقله ابو الفرج الاصبهاني عن موت والدة الحارث بن ابي ربيعة اخي الشاعر المشهور عمر بن ابي ربيعة قال :

« لما ماتت حضر الاشراف جنازتها وذلك في عهد عمر بن الخطاب فسمع الحارث من النساء لغطاً فسأل عن الخبر فعُرِّف انها ماتت نصرانية وانه وجد الصليب في عنقها وكانت تكتمه ذلك فخرج الى الناس فقال : « انصرفوا يرحمكم الله فان لها ما لها وعليها ما عليها » فاستحسن ذلك منه وعجب الناس من قوله »[2]

---

١) بيان ما يلزم اهل الذمة فعله ، مخطوط في خزانتنا ، ص ٩

٢) الاغاني ، طبعة الدار ، ١ : ٦٦-٦٧

ولا يخفى على احد ما في فعل الحارث وإجماع الاشراف على « استحسانه » من الدلالة على رجاحة الاخلاق وطيبها في ايام ابن الخطاب ، وسعة النفوس والمذاهب ، وقلة العداء للنصرانية كما بدأ في عهد العباسيين . ومعلوم ان جنائز النصارى يصحبها دائماً « اظهار الصليب والكتاب » . فكيف يتفق هذا الاظهار بما عُزي غلطاً الى عمر من الحجر على الصليب وإقصاء النصارى من ارض الحجاز؟ واى دليل اكبر على وجود كهنة النصارى في جوار الحارث من قوله : « لها اهل دين هم اولى بها » ولذلك استدعاهم في الحال وردّ لهم حقّ الصلاة عليها وتشييع جنازتها ، فاين بعد هذا ما صوّره لنا المتأخرون من الرواة والمحدثين والمؤرخين من ذلّ النصرانية في عهد الامام عمر ، والتضييق على اشياعها حتى في خدمة السراويل ونوع الخفّ وفرق الشعر وغير ذلك من الإعنات والسخف؟ واذا صح قط اطلاق لفظ « الذمة » على عهد النصارى ، وهو ما يدعى اليوم « حماية » ، فلا ريب ان اصحّ عصر يستحق ان يسمى « ذمة » هو عصر الامام عمر ، ثاني الخلفاء الراشدين ، وعصر معاوية وابنه يزيد من الامويين ، لحسن نظرهم الى النصارى ورفقهم بهم وحمايتهم . وكان عمر يعلم كثرة المسيحيين في ولايته وانتشارهم في كل انحاء مملكته ، وزيادة عددهم على المسلمين في الشام ومصر والعراق . ولا يجهل ايضاً ما تقدم لليعاقبة منهم وللنساطرة من حسن قبول الجيوش الاسلامية وامدادهم بالميرة وتهيئة اسباب فتح المدن لهم خيانة منهم ، وانتقاماً من الروم لسابق اضطهادهم لهم ، حتى حكى بعض الرواة ان اهل حماة وشيزر « خرجوا يكفّرون ومعهم المقلّسون »[1] اي المغنون والضاربون بالدفّ . وكان لا يخفى عليه خصوصاً حاجته اليهم في الصناعة والزراعة والتجارة والكتابة ، لاشتغال جنوده بالمغازي والفتوحات ، وبعدهم عن اعمال الحضارة ، فكيف يناصب العداوة اعواناً نظيرهم كان منهم موالي امته ، وعمال دواوينه ، وعالة جنوده ، وملّاحو سفنه ، واكّارو مملكته ، وانصاره في السياسة ، لا يخشى منهم معصية ولا تخاذلاً . ولولا ان معظم اخبار القرن الاول قد ضاعت او تنوسيت لاهمال تدوينها ، لوجدنا فيها عدة شهادات وحجج ناطقة بحسن جوار

١) فتوح البلدان للبلاذري ١ : ١٣١

الاسلام للنصرانية بعد الفتح ، ورفق الخلفاء الاولين برعاياهم ومواليهم من اهل الذمة ، خلافاً لما زعمه الرواة والفقهاء المتأخرون في الخلافة العباسية .

ومع ما قيل من منع اظهار الصليب في الاسواق لا نظن ان النصارى كفّوا عن عاداتهم بالاحتفال ببعض الاعياد والفصح باشهار الصلبان والطواف بها خارج الكنائس . ولابي نواس من قصيدة يستحلف بها عبد يشوع بن ماسرجس :

عـارت مريم ويوم فصح وبالفرسان بالخمر العتيق
وبالصلبان ترفعها رماح نلاقي بين ترمس بالحريق[1]

وللشرواني في وصف دير الحريق بالحيرة :

خرجنا في ثمانين النصارى وشيّعنا صليب الجاثليق[2]

والمعري في وصف دير الاسكون من ديارات دير الحيرة « اذا كان يوم الثمانين اتوه من كل ناحية مع شمامستهم بصُلبهم واعلامهم »[3]

ولابي الهيذام في وصف باعوث حرّان :

سقياً لحران انـه بلد اصبح للّهو وهو مضارُ
في يوم باعوثهم، وقد نشروا الصلبان ، والمسلمون نظّارُ[4]

ولابي العلاء المعري :

هل قبلت من ناصح امّة تندو الى الفصح بصلباتها
كنائس تجمعها وصلة بين غوانيها وشباتها[5]

« وكان رسم النصارى في بيت المقدس جارياً في كل عام بحمل شجرة من شجر الزيتون في عيد الثمانين من الكنيسة المعروفة بالمازرية الى كنيسة القيامة وبينهما مسافة بعيدة وان يُشقّ بها شوارع المدينة بالقراءة والصلوات حاملين الصليب مشهوراً[6]

١) ديوانه ، ١٨٣١ باريس ، ٨٣
٢) مسالك الابصار للعمري ٢١٦
٣) مسالك الابصار ٢١٢
٤) ارشاد الاريب ٦ : ٢٠٩
٥) اللزوميات ، طبعة الهند ، ٢٨
٦) كتاب الذيل ليحيى بن سعيد الانطاكي ١٩٤

« وكان رسم الملكية خاصة في تلك الليلة (ليلة الخميس اي الخميس) يخرجون من الكنيسة القاثوليكي التي بقصر الشمع المعروفة بكنيسة ميكائيل في جمع متوافر بالقراءة الملحنة والتفات الملتة والصلبان المشهورة ووقيد الشمع الى شاطىء النيل بباعوث . . . وحضرهم الحاكم في كثير من الاعوام متنكرًا وشاهدهم »[1]

« وفي سنة ٤١٥ (١٠٢٤ م) نزل امير المؤمنين الظاهر لاعزاز دين الله ابن الحاكم لقصر جده العزيز بالله بمصر لنظر النطاس ومعه الحُرَّم . . . وامر بان توقد المشاعل وتنار في الليل وكان وقيدًا كثيرًا وحضر الرهبان والقسوس بالصلبان والنيران ومشوا مثالك طويلة الى ان غطسوا »[2]

« وفي سنة ٤٩٦ (١١٠٣ م) طمع الفرنج في بلاد حلب . . فخافهم الملك رضوان بن تاج الدولة تتش لعجزه عن دفعهم عن البلاد ومنعهم فاضطر الى مصالحتهم ؛ فقرحوا عليه اشياء كثيرة من جملتها . . . ان يضع صليبًا على منارة المسجد الجامع فاحاضهم الى ذلك وانكر عليه القاضي ابو الحسن بن يحيى الخشاب وكان بيده زمام البلد وضع الصليب على منارة الجامع وقبح عليه ذلك فراجع الفرنج في امر الصليب الى ان اذنوا له في وضعه على الكنيسة العظمى التي بنتها هيلانة ام قسطنطين فلم يزل عليها الى ان حاصرت الفرنج حلب سنة ثمان عشرة وخمسمائة ونشزوا ما حولها من القبور فاخذ القاضي ابن الخشاب المذكور اربع كنائس وصيرها مساجد من جملتها الكنيسة العظمى ورمى بالصليب »[3]

« وفي سنة ٩٥١ للشهداء (١٢٣٦) تقررت البطركية للقسيس داود بن لقلق . . . وحضر اليه من القاهرة ومصر وما حولها امم لا تحصى واجتمع من الامم الغريبة المسلمين واليهود خلق عظيم حتى كانوا ممتدين ملء الطريق على الدكاكين والفرج والاسطحة من ميكائيل الى المطفة ورفعت الصلبان فوقه على الميدان . . . ثم بعد ذلك اجتمع جماعة من المسلمين وانكروا ما عمل واستشنعوا حمل الصلبان على رؤوس الاشهاد وسط النهار في الاسواق وتحدثوا في هذا واكثروا »[4]

وربما كان اظهار الصليب والانجيل بالشموع الموقدة والقراءات الملحنة يُحتفل به في مشهد من الخلفاء والملوك في حضرتهم وباستدعاء منهم وفي سنة ٥٣٥/١١٤٠ مات بهرام الارمني ، وزير الخليفة الحافظ ، وكان يشاوره في تدبير الدولة فحزن عليه حزنًا كثيرًا وامر باغلاق الدواوين واستدعى بطريرك الملكية ، وامره بتجهيزه فأُخرج عند صلاة الظهر في تابوت عليه الديباج وحوله النصارى يبخرون باللبان والسندروس والعود وخرج الناس كلهم مشاة بحيث

١) كتاب الذيل ليحيى بن سعيد الانطاكي ١٩٦–١٩٧

٢) الخطط للمقريزي ١ : ٤٩٥

٣) الاعلاق الخطيرة لابن شداد ، ٧٣٠ خزانة الفاتيكان ، ٣١–٣٢

٤) سير البطاركة لابن المقفع ، ٣٠٢ باريس ، ٣١٦–٣٧

لم يتأخر احد من اعيان الوقت عن جنازته وخرج الحافظ راكباً بغلة خلف التابوت . . . فما زال الناس سائرين والاقسّاء يملئون بقراءة الانجيل والحافظ على حالته الى دير الخندق بظاهر القاهرة فنزل الحافظ عن بغلته وجلس على شفير القبر وبكى بكاء شديداً »[1]

وفي سنة ١١٨٢ ، في شهر تموز ، استدعى السلطان قلج ارسلان الى حضرته في ملطية بطريرك اليعاقبة ميخائيل المؤرخ ، الذي ترجم الاب شابو في باريس كتابه من السريانية الى الفرنسية ، ووصف البطريرك فيه لقاء السلطان له وقال :

« خرج السلطان نفسه لاستقبالنا عند الصباح في طائفة كبيرة من جنده واهل المدينة وكان ارسل امامه رسولاً ينهي الينا ان دخولنا يجب ان يكون طبقاً الشريعة المسيحية اي بالصليب والانجيل فاكثر النصارى من الشموع والصلوات وحين دنوت من السلطان امرني ان لا اترجل وضمني بين ذراعيه ولما بدأت خطابي له والترجمان ينقله له اصاخ الي بسمعه بغاية السرور لاكثاري الامثال المستشهد بها من الكتاب ومن الزمان وادمجت في خطابي موعظة اثرت فيه جداً حتى سالت دموعه فحمد النصارى الله كثيراً وشكروه جداً لما رأوا الصليب المعظم مرفوعاً منشوراً فوق السلطان والحضور المسلمين »[2]

وربما اثار إشهار الصلبان في الجنائز بعض المشاغب والشرور ومن اشهر هذه الفتن ما حدث في بغداد سنة ١٠١٣/٤٠٣ توفيت فيها بنت ابي نوح الاهوازي النصراني زوجة ابي نصر بن اسرائيل كاتب الناصح ابي الهيجاء الجرجاني .

« وأخرجت جنازتها نهاراً ومعها النوائح والطبول والزمور والصلبان والرهبان والشموع فقام رجل هاشمي من الحصريين عله عند مشهد ابي حنيفة فرجم الجنازة ولعنها فحمد بعض غلمان الناصح الذين كانوا مع الجنازة فضربه بدبوس فشجّه وجرت دماؤه واجتمع الناس وهرب النصارى بالجنازة الى بيعة بدار الروم وتبعهم المسلمون ونهبوا البيعة واكثر دور النصارى المجاورة لها وهرب ابن اسرائيل الى داره فهجموا عليه وهُرب به الى دار الناصح وثارت الفتنة بين العامة وغلمان الناصح وغلقت الاسواق والجوامع ورفعت المصاحف على القصب وقصد الناس دار الخليفة على سبيل الاستغاثة فارسل الخليفة ينكر على الناصح ما جرى وبالتماس ابن اسرائيل وتسليمه فامتنع الناصح من ذلك فغاظ الخليفة وتقدم باصلاح الطيار ليخرج من البلد وجمع الهاشميين الى داره وجاءت العامة الى دار الناصح فدفعهم

---

١) اخبار مصر لابن ميسّر ٨٤

٢) Chabot, *Histoire du Patriarche Michel*. III p. 383-391

غلمانه ومن كان فيها من الاتراك وقتل رجل قيل انه علوي فزادت الشناعة وتفاقم الامر وامتنع الناس من صلاة الجمعة وصلبت العامة جملة من النصارى وتردّدت الرسالة الى الناصح حتى حمل ابن اسرائيل فحبس والزم اهل الذمة الشعار وأُخرج ابن اسرائيل بعد ايام وانبسط النصارى بعدما انقبضوا وامنوا بعد ما خافوا »[1]

٤ ــ الاحكام السلطانية بعدم اظهار الصليب في الاعياد

كان المتوكل اول من أصلى النصارى نيران الاضطهاد ، واصدر امراً قاطعاً تفنّن فيه باذلالهم والتضييق عليهم . ومن جملة نواهيه واوامره سنة ٢٣٥ (٨٤٩م) ان لا يظهروا في شعانينهم صليباً ، بعد ان كانت اعياد الشعانين اعيادًا شعبيّة لكلّ من النصارى والمسلمين ، تخفق فيها الوية الصلبان منصوبة فوق الاعواد ، وتدوي فيها انغام المصلّين . وربما حضرها احياناً بعض الخلفاء كالمأمون فضلًا عن رجال الدولة ، وتتقاطر لمشاهدتها الالوف من المتفرجين من الرجال والنساء . وفي اشعار الشعراء اصداء اوصاف هذه المهرجانات ونهى المتوكل ايضاً النصارى ان يشعلوا في الطريق [2] ولم يفهم المقريزي معنى هذه اللفظة فقرأها « ان لايشعلوا في الطريق نارًا »[3] والكلمة سريانية من فعل ܫܥܠܐ على توسع فيه ومعناها القراءة . وقد وردت في الشعر . قال ابو نواس يتشوق الى عيد الشعانين

وايام الشعانين المذكّى وشعلة النصارى في الطريق[4]

وقال ابو الفرج الاصبهاني : انشدني جحظة لنفسه من ابيات :

اذا نطق القسيس بعد سكونه وشعل مطران ولاح قنيل[5]

« وفي سنة ٣٩٤ (١٠٠٣ — ١٠٠٤ م) منع الحاكم النصارى من اظهار زينة الكنائس في عيد الشعانين وتشدّد عليهم وضرب جماعة منهم »[6] ، يريد

١) مرآة الزمان بريتش موزيوم Or. 4619 f. 199-200

٢) الكامل لابن الاثير ٧ : ١٧ ، والعبر لابن خلدون ٣ : ٢٧٥

٣) الخطط ٢ : ٤٩٤

٤) ديوانه ، ٦٨٣١ باريس ، ٨٣

٥) قطب السرور للرقيق القيرواني ، ٣٣٠٢ باريس ، ١٧٠

٦) الخطط ٢ : ٥٠٧

بزينة الكنائس ما فيها من صلبان واناجيل وشموع وسائر الذخائر .

« وفي سنة ٤٠٢ (١٠١١م) منع الحاكم النصارى من الاجتماع على عمل عيد الصليب وان لا يظهروا زينتهم فيه ولا يقربوا كنائسهم وان يمنعوا منها ». قال المقريزي : « ثم بطل ذلك حتى لم يكد يعرف اليوم بديار مصر البتة »[1] وزاد يحيى بن سعيد الانطاكي : « امر الا يظهر صليب ولا تقع عليه عين ولا يضرب ناقوس فنزعت الصلبان من الكنائس وطمس آثارها من ظاهر البيع والكنائس والهياكل »[2]

وفي سنة ٧٥٥ (١٣٥٤م) صدر مرسوم الملك الصالح بن الناصر بالزام اهل الذمة بالشروط العمرية ، ومنها للنصارى الا يخرجوا شعانين[3] ، اي الصليب والزينة في الاعياد .

٥ ــ رفع الصليب ازاء رفع القرآن في الفتن بين السنة والشيعة

كانت بغداد موطن الفتن والثورات بين السنّة والشيعة ، لا تخلو منها محلة من محلاتها في زمن من الازمان . وكانت محلة الكرخ معسكر الشيعة : اول ما تشبّ فيها نيران القتال وتسيل في اسواقها دماء الثوّار . وقد سكت المؤرخون عن كثير من اسبابها واسرارها ، واغضوا الطرف عن النظر الى ما كان يجري فيها من خوارق وعظائم ، تقيّة منهم وتحرجاً . ولذلك فاتنا اهمّ ما كان يحدث فيها من انواع الشغب وضروب التنازع ، وما كانت تجرّه من الكبائر والفواحش في القول والعمل . واغرب ما هنالك ان بعض الغلاة من المشغبين كانوا ، اذا حمي الوطيس وبلغ الغيظ منهم مبلغه ، يعمدون كعادة الاحزاب قديماً الى رفع مصاحف القرآن على الرماح . فكانت الفئة المعادية تبادر حالاً الى مقابلة هذه المصاحف بنصب الصلبان على القصب ، وربما نادوا

---

١) الخطط ١ : ٢٦٧

٢) كتاب الذيل ليحيى بن سعيد ٢٠٢

٣) صبح الاعشى ١٣ : ٢٨٤

« المسيح يامنصور » في بغداد ، و« باسيل يامنصور » في حلب ، اي باسم ملك الروم ، وعلقوا الصلبان في حلوقهم . ومع ان كلا من الفريقين كان متسماً بالاسلام عريق النسب فيه ، فقد كان يستدرجه فائر الغضب الى شتم النبي وازواجه وصحابته ، او يدفعه اليأس والضعف الى الشك في صدق الدين حتى يطيب له الانتقال عن الاسلام . ولا يخفى ما في كل هذا الافراط والتفريط من الدلالة على ما كان في ذلك العصر من اخلاق واحقاد واميال ونزعات يجدر بالمؤرخ اليوم ان ينزلها منزلتها من الخطر والقيمة ، في تعريف ماضي الاسلام في الخلافتين العباسية والفاطمية . وقد رأينا ان نجمع هنا كل ما وقفنا عليه قديماً وحديثاً من هذه الشهادات النادرة التي نقلها لنا شجعاء المؤرخين ، ليتدبرها القارئ بعين الاجلال والاعتبار :

وفي سنة ٤١٦ للهجرة (١٠٢٥ م) ارسل المقاربة الذين في قلعة حلب يسألون الصلح من سالم بن مستفاد والي حلب من قِبَل صالح بن مرداس « والتمسوا منه اشياء فلم يرَ اجابتهم اليها فلما كان آخر نهار ذلك اليوم نصبوا الصلبان على سور القلعة وصاحوا « باسيل يا منصور » وحطوا الصلبان بعد اشهارها وبقوا يصيحون ليلتهم الى الغداة واعادوا نصب الصلبان في صباح يومهم ولعنوا الظاهر (الخليفة الفاطمي بمصر) ودعوا لباسيل الملك وبقيت الصلبان منصوبة على حالها الى يوم الجمعة ثالث يوم اشهروها فيه واضافوا اليها صليباً آخر كبيراً »[1]

وذكر ابن العديم هذه الواقعة في اخبار سنة ٤١٥ واضاف الى ذلك انهم بعد ان نصبوا الصلبان ثلاثة ايام نقروا الناقوس ايضاً[2]

وفي سنة ٤٢١ للهجرة (١٠٣٠ م) « كان الخراب قد شمل بغداد لضعف الهيبة وتتابع المجاعة فاجتمع الهاشميون في شوال بجامع المنصور ورفعوا المصاحف واستنفروا الناس فاجتمع اليهم الفقهاء وخلق من الامامية الرافضة وضجوا ان يُعفوا من الترك فعدت الترك . . . ورفعوا صليباً على رمح وتراشق الفريقان بالنشاب والآجر ثم تحاجزوا »[3]

ونقل ابن الجوزي هذا الخبر فقال :

« سنة ٤٢١ في سادس شوال جرت منازعة بين احد الاتراك النازلين بباب البصرة وبعض

١) تاريخ الذيل ليحيى بن سعيد الانطاكي ٢٤٧

٢) زبدة الحلب لابن العديم ، ١٦٦٦ خزانة باريس ، ٦١

٣) الاعلام بتاريخ الاسلام لمحمد بن الجزري ، مكتبة الاسكندرية رقم ٢٠٧٢ ، ص ٢٨٥

الهاشميين فاجتمع الهاشميون الى جامع المدينة ورفعوا المصاحف واستنفروا الناس فاجتمع لهم الفقهاء والعدد الكثير من الكرخ وغيرها وضجوا بالاستغاثة من الاتراك وسبهم فركب جماعة من الاتراك فلما رأوهم قد رفعوا اوراق القرآن على القصب رفعوا بازائهم قناة عليها صليب وترامى الفريقان بالنشاب والآجر وقتل من الآجر قوم ثم أصلحت الحال »[1]

وفي سنة ٤٨٢ (١٠٨٩ م) « في جمادى الاولى كثرت الفتن ببغداد بين اهل الكرخ وغيرها من المحال وثار اهل الكرخ وقصدوا شارع ابن ابي عوف ونهبوه وفي جملة ما نهبوا دار ابي الفضل بن خيرون المعدّل فقصد الديوان مستنفرًا ومعه الناس ورفع العامة الصلبان وهجموا على الوزير في حجرته واكثروا من الكلام الشنيع »[2]

وأرّخ صاحب مرآة الزمان هذا الحادث في شهر صفر وزاد في البيان فقال:

« في صفر سنة ٤٨٢ كانت فتنة عظيمة ببغداد بين السنّة والشيعة . . . فعلقت اسواق الكرخ ورفع اهلها المصاحف وقتل بينهم خلق كثير . . . ورفع العامة الصلبان على القصب ونادوا « المستنصر يا منصور » (اي باسم الخليفة الفاطمي) ونادت الطائفة الاخرى « المسيح يا منصور » وتفاقم امر الفتنة وقتل من الفريقين نحو من مائتين وسبّ اهل الكرخ اصحاب رسول الله وزوجاته وتعدوا الى سب رسول الله (صلعم) وكتب الخليفة الى صدقة بن مزيد بانفاذ جيش فبعث اليه بالعرب واتفقوا مع الشحنة فنقضوا الدور واحرقوا المحالّ وحلقوا الشعور ونهبوا اماكن المفسدين من الفريقين فسكنت الفتنة »[3]

وزاد ابن الجوزي على سبطه قزأغلي زيادات في غاية من الخطر والفائدة النادرة فقال:

« سنة ٤٨٢ في عشية تاسع عشر صفر كبس اهل باب البصرة الكرخيين فقتلوا رجلًا وجرحوا آخر فأغلقت اسواق الكرخ ورفعت المصاحف على القصب وما زالت الفتن تزيد وتنقص الى جمادى الاولى فتوبت نارها وقتل خلق كثير . . . وفي غد يوم القتال نهب اهل الكرخ شارع ابن ابي عوف وكان في جملة ما نهب دار ابي الفضل بن خيرون فقصد الديوان مستنفرًا ومعه الناس ورفع العامة الصلبان على القصب وهجموا على الوزير ابي شجاع في حجرته من الديوان . . . وعظمت الفتنة الجارية بين السنّة واهل الكرخ فقتل فيها نحو مائتي قتيل ودامت شهورًا من سنة اثنتين وثمانين واربعمائة . . . وكان الشباب قد احدثوا الشعور والجُمّم وحملوا السلاح وحملوا الدروع وعبروا عن الفتيّ بالنشاب والنبل وسبّ اهل الكرخ الصحابة وازواج رسول الله على السطوح وارتقعوا الى سب النبي . . . وقد الحقني في مأتم النياحة يقولون : « هل رأيتم في الزمن الماضي مثل ما جرى على اهل السنّة في هذه

---

١) المنتظم ، طبعة حيدر اباد ، ٨ : ٥٠

٢) الكامل لابن الاثير ١٠ : ٦١

٣) مرآة الزمان ، خزانة اكسفرد Marsch 638 f. 9

الدولة ؟ طاب والله الانتقال عن الاسلام . لو كان ما نحن فيه حقاً لنصره الله » وحملوا الصلبان في حلوقهم ودعوا بشعار الرفض وقالوا : لا دين الا دين اهل الكرخ »[1]

وهذا التفصيل والبيان من ابن الجوزي مفعم بالفوائد والاوصاف العزيزة المثال . ولا نذكر انه مرّ بنا ما يفوقها مغزى وتأويلاً . ولو كان ابن الجوزي ألهم تدوين كل وقائع السنّة والشيعة بمثل هذا الانتباه والاستقصاء ، لكان لنا من تاريخ الحياة الاجتماعية ببغداد ما يزول معه كل غموض وتمويه نراهما اليوم في حقيقة اخبار الاسلام في الخلافة العباسية .

وقد طالعنا كثيراً من اخبار مصر فلم نجد فيها ما يقرب مما كان يجري في حلب وبغداد لقلة الاحزاب الدينية فيها . وغاية ما عثرنا عليه من ذكر رفع الصلبان في الفتن ما رواه المقريزي في كتابه السلوك قال :

« في سنة ٧٢١ (١٣٢١ م) نفرت العامة بمصر فوجد السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون نحو العشرين الفاً قد صبغوا خروقاً بالازرق والاصفر وحملوا في الازرق صلباناً يضاً ورفعوها على الجريد وصاحوا عليه صيحة واحدة : لا دين الا دين الاسلام نصر الله دين محمد بن عبدالله . يا ملك الناصر يا سلطان الاسلام أنصرنا على اهل الكفر ولا تنصر النصارى »[2]

وانما صبغوا الخرق بالازرق والاصفر لان هذين اللونين كانا غيار النصارى واليهود كما سيجيء .

٦ ــ تصوير المسلمين الصليب في السفن الحربية مخادعة للافرنج

كان الصليب يُعدّ شعار الكفر كما قال المقريزي ، في كلامه على النقود ، ومع ذلك لم يرَ صلاح الدين الايوبي اقلّ حرج في تقليده وتصويره في مراكب القتال مغالطةً واحتيالاً في جملة خُدع الحروب . ولما اراد سنة ٥٨٦/١١٩٠ إنفاذ المدد والميرة لاهل عكا في حصار الافرنج لهم . قال العماد الاصبهاني في فصل له حشد فيه اسجاعه ، وفضول جناساته ، وغرائب اوصافه ، وشاشته في التقعّر والتحذلق ، مشيراً الى بطسة وهي نوع من السفن في ذلك الوقت

١) المنتظم لابن الجوزي ٩ : ٤٧-٤٨

٢) السلوك لمعرفة دول الملوك ، ١٧٢٦ باريس ، ٢٨٢

كانت أخذت من الفرنج ونُبذت في ساحل بيروت وصُوِّر فيها الصلبان وقُلِّد زيّ الرهبان لايهام نصرانيتها:

« امر السلطان بترميمها وتشييدها وإخفاء البنية منها وتنميتها وأزيحت منها العلة ونُقلت اليها الغلة وملئت بالشحوم واللحوم وكل ما تدعو اليه الحاجة من المشروب والمطعوم وحمل فيها احمال الثياب والنفط ما جمع فيها بين القوة والقوت ورتبت فيها رجال مسلمون ونصارى من اهل بيروت وارادوا ان تتشبه بطُسر العدو في البحر وان لا يتكشف الفرنج ما لها من الستر فتصوروا رهبانا وصوروا صلبانا ومسحوا لحاهم[1] ومسخوا احلامهم وقلّطوا[2] وتكوفروا وتشبهوا بهم في كل نزّة لئلا يُتخوَّفوا وشدوا زنانير واستصحبوا حنابر وساروا بها في البحر بمراكب الفرنج مختلطين والى محادثتهم ومحاذثتهم منبسطين والقوم لجهلهم لا يشكّون انهم من اهلهم وتسوا الحادث واتسوا بالحديث وتصوروا الطيب بصورة الخبيث ولما حاذوا بها عكاء صوّبوها غربها والريح تسوقها والفرنج تدعوهم من مراكبها وتقول: ما هذه طريقها وهي كالسهم النافذ قد سُدِّد فوقها وقد غصت رقتها وهي تكاد تفوقها فدخلت الثغر وادخلت اليه كل خير وعجب الناس منها وما تم لها من حيلة في سير واجترأ بها البلد شهرا ووجدفيها لكل كسر جبرا فيا لها من لطيفة قضينا منها الارب ولم نقض منها العجب »[3]

٧ ــ الصليب تحفة وتجارة في الاسلام

كان لبعض رجال الدولة وامراء الملة واعيانها رأي جميل في الصليب وقبول حسن له، كآل سليمان بن وهب من وزراء الخلافة العباسية، فانهم كانوا يتبركون بوضعه في ثيابهم. ومما هو اجدر بالذكر والاعتبار ما كان يفعله صاحب حلب ابو تغلب بن حمدان، فقد رُوي عنه انه كان يتقرّب الى ملك الروم باهدائه صلبان الذهب، يتقدّم بصياغتها له، وعُدَّ ذلك من ذنوبه، كما جاء في نسخة كتاب كتبه ابو اسحاق الصابئ عن عز الدولة بن بويه الى المطيع لله.

١) يريد بمسح اللحى حلقها وازالتها وكان اطلاق اللحى حينئذٍ واعفاء الشاربين طيفة للحديث عاماً للمسلمين والنصارى في الشرق خلافاً للافرنج

٢) قوله قلطوا وتكوفروا اي وضعوا الكوفية على رؤوسهم ولبسوا الملوطة وهي نوع من الجلباب جمع جُبَّة كانت تلبس في الشرق وفي الاندلس وهي من الرومية [illegible] وتعرف في اسبانية باسم marlota وكانت ترى احياناً على نساء الفرنج وفي كتاب الروضتين لابي شامة في كلامه على حصار عكا « رُئيت امرأة عليها ملوطة خضراء فما زالت ترمي بقوس من خشب حتى جرحت جماعة ثم قتلت » (٢: ١٨٦)

٣) الفتح القسي في الفتح القدسي ٢٨٣-٢٨٤

عند فتحه الموصل وهزيمته ابي تغلب سنة ٣٦٣ (٩٧٣ – ٩٧٤م) قال: « لاطف طاغية الروم وهاداه... وكان في ما اتحفه به الخمر التي حظر الله عليه ان يشربها ويسقيها... وصلبان ذهب صاغها له وتقرب بها اليه تقرباً قد باعده الله فيه عن الاصابة والاصالة »[1]

وفي عكس ذلك كانت عادة ملوك الروم انفاذ الصليب لكل من عقدوا معه صلحاً وهدنة ولم ينقل عن احد من الملوك والامراء المسلمين انه ابى قبول الصليب بدعوى انه شعار الكفر. وممن أرسل اليهم الصليب نصر بن صالح، صاحب حلب، روى يحيى بن سعيد في اخبار سنة ٤٢١/١٠٣٠ ان نيقيطا قطبان انطاكية اصلح بين ملك الروم رومانس ونصر بن صالح وكتب بذلك وثيقة على نسختين وكتب ابن صالح خطه واشهد على نفسه في احداها لتكون في ديوان الملك ووقع الملك بخطه في النسخة الاخرى «وانفذ معها صليباً مرصعاً الى ابن صالح اماناً بالوفاء بالشرط »[2] ولما سأل اهل دمشق سنة ٣٦٣ (٩٧٤م) قيصر الروم المعروف بابن الشمشقيق (Jean Tzimicès) إيمانهم وحسن الرأفة بهم، وكان قد ملك بعلبك واراد قصد دمشق، قال: « قد قبلت طاعتهم وامرت بايمانهم على نفوسهم واموالهم ورضيت منهم بالخراج» وانفذ لهم صليباً بالامان »[3]

وممن كان يتّجر من المسلمين بالصلبان علي بن محمد بن يوسف نور الدين التوريزي « يقال انه دخل بلاد الفرنج بسبب تحصيل صليب عندهم بلغ امره ملك الحبشة فاحب رؤيته.. ووشي به الى السلطان فامر والي القاهرة فقبض عليه فوجد معه امتعة من ملابس الفرنج وشيء من سلاح وناقوسان من ذهب وكتاب بالحبشية معرّب فكان فيه مراسلة من صاحب الحبشة يستدعي منه اشياء يصوغها له من صلبان ونواقيس ويحثه على شراء مسمار من المسامير التي سُمّر بها المسيح بزعمهم فحبس... وحكم بقتله »[4]

١) صبح الاعشى ٦: ٤٩٠-٤٩١

٢) كتاب الذيل ليحيى بن سعيد الانطاكي ٢٦

٣) ذيل التلاني ١٣

٤) الضوء اللامع لاهل القرن التاسع لشمس الدين السخاوي ٦: ٢٨-٢٩

٨ ـ الصليب في الاعناق وعلى الصدور

لما انتزع العرب الشام ومصر من ايدي الروم ، وجدوا عادة تقلد الصلبان في النحور وعلى الصدور شاملة كل النصارى شعارًا لهم ، وعنوان ايمانهم ، فلم يتعرضوا لها ، وعدّوها سمة لهم يميزونهم بها . ومن الابيات التي ذكر فيها ان الصليب سمة للنصراني قول محمد بن رزين المعروف بأبي الشيص يصف خمرًا وساقيها :

يسعى بها نجيت عليه ، لدينه سمتان : زنّار له ، وصليب[1]

واكثر ما كانت تشاهد الصلبان معلّقة في اعناق الفتيان والفتيات . وفي الشعر اوصاف لها عديدة منها قول كشاجم في غزله :

تبيك قامته ان قام يمزحها موشحًا بصليب صيغ من ذهب[2]

ونظيره قول ابي نواس :

قد اقام الصليب في الجيد إلفًا فهو يختاره على كل إلف[3]

وقول الخالدي في فتاة الدير :

كم فتاةٍ مثل المهاة سلبنا ها صليبًا من بين نحر وجيد[4]

وفي معناه قول عبدالله بن العباس :

كم لثمت الصليب في الجيد منها كهلال مكلّل بشموس[5]

واما البالغون من الرجال فكانوا يتقلدون الصلبان على صدورهم . وفي كتاب وفادات العرب لابن سعد انّ اكيدر ، صاحب دومة الجندل ، حين قدم به خالد كان عليه صليب من ذهب[6] . واشتهر الاخطل التغلبي بصليب له من ذهب في سلسلة ذهب بادية على صدره ، كان يدخل بها على الخلفاء والامراء

١) تباشير الشراب لابن المعتز ، ٣٢٩٩ باريس ، ٣٨
٢) ديوان كشاجم ، مخطوط في خزانة الدكتور سامي الدهان .
٣) ديوانه ؛ ٨٣٠ باريس ، ٢٥٢
٤) مسالك الابصار للعمري ١ : ٢٩
٥) الاغاني ١٧ : ١٢٩
٦) طبقات ابن سعد ٢٧

ويظهر في المحافل والاندية ، ويمشي احياناً المساجد ، ومن اجلها قيل له « ذو الصليب »[1] . واعظم من ذلك ان الجواري والوصائف اللواتي كنّ في قصور الخلفاء كن يتحلين دائماً بصلبان الذهب تبرّكاً وتجمّلاً . ولم ينقل عن احد من الخلفاء العباسيين انه انكر على احداهنّ تعليق الصليب برأى منه ، او عدّ ذلك جرأة منهن ، بل كانوا يستظرفون ذلك منهن ويعبثون احياناً بهذا الحلي الرائع اذا تلألأت صفرته على بياض الجيد الناصع . وقد نقلنا في كتابنا « الصليب في الاسلام » ان المهدي العباسي ابن المنصور دخل يوماً بعض دوره ، فاذا جارية له نصرانية ، واذا جيبها اي طوق قميصها واسع وقد انكشف عما بين ثدييها ، واذا صليب من ذهب معلق في ذلك الموضع فاستحسنه ، فمد يده اليه فجذبه فاخذه ، فولولت الجارية على الصليب . فقال المهدي في ذلك تظرفاً :

يوم نازعتها الصليب فقالت ويح بني ابنا تخاني الصليبا[2]

وانما جذبه على طريق المداعبة ، دون اقل استهجان ، ولذلك قال الطبري « فاستحسنه » .

ومما يشهد ايضاً بشيوع اظهار الصلبان في دور الخلافة ان جواري القصر الروميات كنّ ، اذا حضر عيد الشعانين ، يحتفلن به في حضرة الخلفاء والحُرَم ، وفي اعناقهن صلبان الذهب ، وفي ايديهن الخوص والزيتون . وشهد المأمون مرّة عشرين منهنّ مزوّرات قد تزيّنّ بالديباج الرومي فاستظرفهنّ ، وصنّع فيهنّ ابياتاً غُنّي له بها . ولم يزل يشرب وترقص الوصائف بين يديه حتى سكر[3]

وقد استهجن مؤلف كتاب « المرأة في جاهليتها واسلامها » مجلس المأمون هذا بين الجواري الروميات ، وقال متعجباً : « هل رايت كهذا خليفة رسول الله تُشَدّ بين يديه الزنانير وتعلّق الصلبان ويعلق الخوص والريحان » ؟ ولم يكن ثمّ ريحان في الحقيقة وانما هو الزيتون استبدله حبّاً للسجع . وما ندري لمَ انكر شدّ الزنانير ؟ فهل كان يجهل ان الزنانير كانت من سمات اهل الذمة

١) القاموس المحيط للفيروزبادي ١ : ٩٣ ، والتاج ١ : ٢٢٨

٢) تاريخ الطبري ، طبعة اوربة ، القسم الثالث ١ : ٥٤٣

٣) الاغاني ١٩ : ١٢٨-١٢٩

التي اوجبها الشرع عليهم اذلالاً كالعمامة والغيار ؟ وهل شان المأمون في عينيه ، وازرى بخلافته استظرافه بعض الازياء والعادات في رعيته ، ومشاركته لهم في الفرح والابتهاج ، دون ان يوافقهم على شيء من الاعتقاد ؟ وهل يؤخذ عليه تعطفه لقبول كل احتفال واحتفاء به ، وهو قد طبع على الاعجاب بكل آية من آيات الجمال والاحسان ، ليس من الوصائف والنساء فقط ، بل من كل رجال الدين ؟ وقد حكى الشابشتي انه لما نزل مرة الدير الاعلى بالموصل وجاءه عيد الشعانين « زُيّن الدير في ذلك اليوم احسن زينة وخرج رهبانه وقسّانه الى المذبح وحولهم فتيانهم بايديهم المجامر قد تقلدوا الصلبان وتوشحوا بالمناديل المنقوشة فرأى المأمون ذلك فاستحسنه ثم انصرف القوم الى تلاليهم وقربانهم وعطف المأمون الى من كان معهم من الجواري والغلمان بيد كل منهم تحية من رياحين وقتهم وبأيدي جماعة منهم كؤوس فيها انواع الشراب فادناهم وجعل ياخذ من هذا ومن هذه تحية وقد شُغف بما رآه منهم»[1]. وقد سبق القول انه كان لاعياد الشعانين ، خصوصاً في عهد الخلافة العباسية ، بهجة ورنة كانتا تستدعيان الناظر والسامع من كل حدب وصوب ، فكان يقبل اليها ويشارك فيها كل من شاء من المسلمين والمتزهين والشعراء . وفي كتب الادب ودواوين الشعراء صدى من اخبارها يجدر بالاستماع ، ولا نظن ان اقوام تلك الازمان كانوا اضعف اسلاماً او اخف احلاماً من بعض الغلاة اليوم الذين لم يستظهروا من تاريخ العصور الغابرة الا قول السامريين : لا مساس

وظلّ تعليق الصليب في الاعناق حلية وبركة لها ، حتى دفع السخف المتوكل على الله الى انزاله فيها منزلة الخزي والعار . فامر ان يجعل في عنق كلّ واحد ، اذا خرج من بيته ، صليب خشب وزنه اربعة ارطال بالبغدادي[2] . ومشى على اثره الحاكم بامر الله وقلّده في مثل هذه الرعونة ، فامر في سنة ٣٩٩ (١٠٠٨—١٠٠٩م) ان يتميز النصارى في الحمامات بصليب يعلقونه في رقابهم ، وان يتميز اليهود بجلجل مكان الصليب[3] . ثم تقدم في سنة ٤٠٣ (١٠١٢م) « ان يعلقوا

١) كتاب الديارات ٧٦
٢) اخبار فطاركة كرسي المشرق في المجدل ٧١
٣) كتاب الذيل ليحيى بن سعيد ١٩٥

في اعناقهم صلبان خشب مضافة الى الزنانير . . . فأخذوا بذلك في سائر اعمال مملكته ولبسوا صلباناً طولها فتر وغيرها عليهم بعد شهر وجعلها قدر شبر فلما كان يوم الاحد النصف من شهر ربيع الآخر من السنة أمروا ايضاً بتعظيم الصلبان التي في اعناقهم وان يجعل طولها ذراعاً ملكياً في عرض مثله وان يكون فتحها ثاني شبر وسمكها اصبع وقصد بذلك إضجارهم »[1]

وروى الذهبي ان الحاكم شرط على النصارى تعليق الصلبان ظاهرة على صدورهم.. فعملوا صلبان الذهب والفضة ، فانكر الحاكم ذلك وامر المحتسبين بالزامهم بتعليق صلبان الخشب ، وان يكون قدر الواحد اربعة ارطال[2] . وفي بعض الاقوال ان امر الحاكم كان سنة ٤٠٢ (١٠١١م) وان وزن الصليب كان خمسة ارطال[3].

وفي سنة ٤٠٨ (١٠١٧م) « افرد الحاكم بامره حمامات اليهود والنصارى من حمامات المسلمين وخط على حمامات النصارى الصلبان وعلى حمامات اليهود القرامي »[4]

وعلى هذا المثال كان تعليق الصلبان ، حيثما كانت ، فارقاً خاصاً للنصارى ليعرفوا بها ويتميزوا عن غيرهم لاول نظرة . ولما بلغت جيوش ابي مسلم مصر لقتال الخليفة مروان الجعدي « نادوا ان من كان نصرانياً يعلق مثال الصليب من الذهب والفضة والنحاس على جبهته وعلى ثوبه وعلى باب بيته ومن لم يعمل ذلك وقتل فلا ذنب علينا منه »[5]

وبالاجمال كان تقلد الصليب دليلاً على النصرانية او انتحالها ، والتحيز لها في بعض الفتن والمنازعات . وقد تقدم ان احزاب السنة ، في قتالهم اهل الشيعة في بغداد سنة ٤٨٢ (١٠٨٩م) ، حملوا الصلبان في حلوقهم . ولما تنصر ابن عائشة ، من ذرية عبدالله بن عباس من اعمام الرسول ، مع من كان محبوساً

---

١) كتاب الذيل ٢٠٣-٢٠٢

٢) تاريخ الاسلام ، خزانة بريتش موزيوم Add. 48 f° 24b

٣) اخبار ملوك بني عبيد وسيرهم لابي عبدالله بن حماد ٥٤

٤) وفيات الاعيان لابن خلكان ٢ : ١٨٦

٥) سيرة البيعة المقدسة لابن المقفع ، طبعة بيروت ، ٢٠٤

معه في المطبق «شدّوا الزنانير في اوساطهم والصلب في اعناقهم»[1] فبادر المأمون الى ضرب عنقه سنة ٢١٠ (٨٢٥م)

٩ــ قتال بعض ملوك المسلمين تحت لواء الصليب

ذكر المؤرخون عدة مواقع استجار بها المسلمون بالصليبيين لقتال الاعداء من الترك والتركمان والسلاجقة . ولكن ندر ان يختلط الجيشان ، وتتداخل الالوية لتخفق على رؤوس الصفوف الواحدة وفي سنة ٦٤٣ ، ١٢٤٤ كانت الواقعة بين الخوارزمية والفرنج وانضم المسلمون الى الفرنج . ووصف سبط ابن الجوزي تحالفهم وامتزاجهم تحت لواء واحد فقال :

«وكنت بالقدس وساق عسكر دمشق وعسكر حمص تحت رايات الفرنج وعلى رؤوسهم الصلبان والقسوس في الاطلاب يصلّون على المسلمين ويقسّسون عليهم وبايديهم كاسات الخمور والهنّات(٢ يسقونهم . . . وانيت ثاني يوم الكسرة الى مكان الوقعة فرأيت الناس يعدون القتلى بالقصب فقالوا : هم زيادة على ثلاثين الفاً . . . واما صاحب حمص فانه وصل الى دمشق الا في نفر يسير وذهبت خزائنه وخيله وسلاحه وقتل اصحابه فجعل يبكي ويقول : قد علمت انّا لم نزل تحت صلبان الفرنج إننا لا نفلح»(٣

١٠ــ الصليب على الدنان وبواطي الشراب

في اشعار الحانات والخمريات اشارات عديدة الى اوصاف القار والطين فوق الدنان والنواجيد ، تعلوها اختام الصليب ، كما كانت تخطّ ايضاً على زجاجات المياه المستقطرة من الازهار والورود ، تبركاً واستشفاء . ومن الشواهد العديدة قول ابن حمديس في صفة الخمرة النصرانية :

مشقّة في يدي راهب ، على دنّها ختمة بالصليب(٤

وكان الصليب يُرى دائماً على الراووق وقد ظرف الشعراء واجادوا في المقابلة بين صليب الراووق وسفك ما فيه من دم الخمر ، وقهقهة الابريق عند الصب ، وهو ما يسمونه تصلية وسجوداً ، فقال الامير ناصر الدين حسن بن النقيب :

١) تاريخ اليعقوبي ٢ : ٥٥٨ – ٥٥٩

٢) الهنات لفظة شاعت في الحقبة الصليبية ويعني بها كأساً كبيرة hanap ، وهي من الالمانية القديمة .

٣) الرابع من تاريخ صلاح الدين الصفدي في المكتبة الاحمدية بحلب .

٤) ديوانه ، طبعة رومية ، ١٤

خذ شمس كأسك قبل مطلع اختها واسبق بها ، ان الكميت سبوق
في مجلس صلى لقبلة كأسه الابريق ، لما صلب الراووق(١)

واصدر الدين بن عبد الحق المتوفى سنة ٧٢٠ تقريباً :

اسيل الراووق ، لما صُلبا ، ادمعاً سكن رأينا عجبا
بينا الراووق يبكي بدم ، ضحك الابريق حتى انقلبا(٢)

ولفضل الله بن فخر الدين بن مكانس :

قم واصلب الراووق ، واشف قلبي منه ، وغنني بذاك سولي
واسفك دم الرق وعاد هذا حمراء من يلعب بالمفوز(٣)

وتقدمهم جميعاً ابن الساعاتي فقال :

وبكاه الراووق اذ قهقه الإ بريق من حسن صنعة الاوتار
ساجد للصليب منه ، وما يعـــرف دين الصليب والزنار(٣)

يريد بالزنار الطوق الذي يرى في خصر بعض الكؤوس ، وجمع بذلك بين الصليب والزنار وهما من سمات النصارى في ديار الاسلام .

١١ ــ كسر الصلبان وامر اقريا بالاوامر السلطانية

يؤخذ مما حكاه البطريرك ميخائيل السرياني ان عبد الملك بن مروان كان اول خليفة امر بنزع الصلبان[4] . ولعلّ هذا القول لا يخلو من الوهم لان عبد الملك شاهد دائماً الصليب طالعاً امام جيوشه التغلبيين ، وظاهراً في صدر شاعره الاخطل دون ان يُروى عنه اقلّ انكار له . واذا صح هذا الامر في زمانه ، فالارجح انه كان امر اخيه عبد العزيز بن مروان ، امير مصر ، لقول ابن المقفع عنه « امر بكسر جميع الصلبان التي في كورة مصر »[5] ومما لا شبهة فيه ان ابنه الخليفة عمر هو اول من جاهر بامتهان النصارى واذلالهم ، وتقدم بكسر الصلبان في كتاب كتبه لعامل له رواه القاضي ابو يوسف يعقوب ، صاحب الامام ابي حنيفة ، قال فيه :

١) تذكرة الصفدي دار الكتب المصرية ، رقم ٤٣٠ ادب ، ص ١١٤
٢) مطالع البدور في منازل السرور للغزولي ١ : ١٣٧
٣) ديوانه
٤) Chronique de Michel le Syrien, édit. Chabot, T. II, p. 475
٥) سير البطاركة لابن المقفع ١٢١ ، طبعة بيروت .

« حدثني عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان عن ابيه بن عبد العزيز كتب الى عامل له :

« اما بعد فلا تدعنَّ صليباً ظاهراً الا كُسر ولحق ولا يركبنَّ يهودي ولا نصراني على سرج وليركب على اكاف ولا تركبنَّ امرأة من نسائهم على رحالة وليكن ركوبها على اكاف وتقدَّم بذلك تقدماً بليغاً وامنع من قِبَلك فلا يلبس نصراني قباء ولا ثوب خزّ او عَصْب وقد ذُكر لي ان كثيراً من قِبلك من النصارى قد راجعوا لبس العمائم وتركوا المناطق على اوساطهم واتخذوا الجمام واوفروا وتركوا التفصيص ولعمري لئن كان يُصنع ذلك فيما قِبلك إن ذلك بك لضعف وعجز ومصانعة واضم حين يراجعون ذلك ليعلموا ما انت فانظر كل شيء نُهيت عنه فاحسُم عنه من فعله والسلام »[1]

وهذا الكتاب وحده ، اذا صحت كتابته ونسبته الى عمر ، كاف لاثبات ان الشروط العمرية المشهورة باذلال الذميين ليست من وضع عمر بن الخطاب ، كما زعم الفقهاء مغالطةً للرجوع بها الى صدر الاسلام ، واستمداد قوة لها من سلطة اشهر الخلفاء الاولين ، بل هي من وضع الخليفة المرواني عمر بن عبد العزيز . فهو في الحقيقة خطيبها الاول الذي يجب ان تُعزى اليه اذا تضافرت الشواهد على الحاقها به .

واقتدى الخليفة يزيد بن عبد الملك بعمه عبد العزيز « في كسر الصلبان وكشط الصور في البِيَع وحمَّل الناس ثقلاً عظيماً حتى ضاق كل من في بلاده »[2] . وفي ايامه سنة ١٠٤ (٧٢٢م) كان اسامة بن زيد التنوخي متولي الخراج على النصارى بمصر ، فهدمت الكنائس ، ومُحيت التماثيل اي الصور في البِيَع والديارات ، وكُسرت الصلبان وكانت كثيرة[3] .

وكانت هذه المِحَن تتجدَّد على النصارى في كل عصر . فيكثر انتهاب ذخائر الكنائس ، ومصادرة ما في الديارات من مُقتنيات الذهب والفضة ، مما يضيق نطاق هذه الصفحات عن تعداده . وحسبك ان الامير يلبغا الناصري ، بعد وقعة الاسكندرية سنة ٧٦٧ / ١٣٦٥ ، وغزو مراكب قبرص ، صادر جميع النصارى والرهبان في مصر والشام ووضع اليد على جميع ما في الاديار من الاموال ، حتى يقال انه اجتمع عنده من ذلك اثنا عشر الف صليب منها صليب

١) كتاب الخراج ١٥٢
٢) سير البطاركة لابن المقفع ١٥٢
٣) الخطط للمقريزي ٢ : ٤٩٢ – ٤٩٣

ذهب وزنه عشرة ارطال مصرية[1] . وكان نصيب كل هذه الصلبان الكسر بحكم الشرع.

وكان بعض متحلي الاسلام من النصارى يُكرهون على كسر الصليب ، والوطء عليه بالقدم ، اقرارًا منهم بالاسلام والتبرؤ من الدين المسيحي ولذلك لما حمل صلاح الدين الايوبي طبيبه ابا نصر اسعد بن الياس بن المطران على الاسلام وزوّجه احدى حظاياه جورة قال ابن عُنين يهجو ابن المطران:

الحمد لله واجب الشكر قد اهتدى بيدي ابو نصر
وقال ان الصليب ليس معبود ، وانفق الصليب في الكسر[2]

ولما افتتح صلاح الدين الايوبي حصن بيت الاحزان من ايدي الصليبيين ، قال نشوء الدولة احمد بن نقادة الدمشقي يمدحه من قصيدة:

هلاك الفرنج اذ عاجلا ، وقد آن تكسير صلبانها
ولو لم يكن دنا حتفها ، لما عمرت بيت احزانها[3]

« وفي سنة ٣٧٨ (٩٨٨م) منع الحاكم بامر الله النصارى من تزيين كنائسهم وأحرقت عدة من صلبانهم على باب الجامع العتيق والشرطة »[4]

« وفي سنة ٣٩٤ (١٠٠٣ – ١٠٠٤م) احرق الحاكم عدة كثيرة من الصلبان ومنع النصارى من اظهار زينة الكنائس في عيد الشعانين وتشدد عليهم وضرب جماعة منهم »[5]

ونقف عند هذا الحد . وفي الآثار الاسلامية مجال المزيد ، وانما نقلنا ما نقلناه على سبيل الاستشهاد والتعريف.

---

١) ذيل السخاوي على دول الاسلام للذهبي ، خزانة اكسفرد دون ارقام Marsh. 508
٢) ديوانه ، خزانة الفاتيكان رقم ٣٦٠
٣) كتاب الروضتين لابي شامة ٢ : ١١
٤) الخطط للمقريزي ١ : ٢٦٤
٥) الخطط ٢ : ٥٠٧

الزنار

١ ــ الزنار في اللغة والشرع

عرّف اللغويون الزنار بانه خيط غليظ يُشدّ في وسط النصارى والمجوس . من قولهم : تزنّر الشيء ، اذا رقّ ! وفي المعرّب للجواليقي : قال ابو بكر : الزنّر فعل مات . تزنّر الشيء اذا دق . ولا احسبه عربياً . فان يكن للزنار اشتقاق فمن هذا . وقال سيبويه : ليس في كلام العرب نون ساكنة بعدها راء مثل قنر وزنّر[٢] . وفي اساس البلاغة : شدّ الزنار ، او الزنّارة ، على وسطه وتزنّر النصراني وتقول : رمى الله تعالى بالزنانير اصحاب الزنانير اي بالحصى[٣] .

وذكر القاضي ابو يوسف يعقوب الزنارة فقال : يؤخذ النصارى بان يجعلوا في اوساطهم الزنارات مثل الخيط الغليظ يعقده في وسطه كل واحد منهم هكذا كان عمر بن الخطاب (رضه) امر عماله ان يأخذوا اهل الذمة بهذا الزي حتى يعرف زيهم من زي المسلمين[٤] . وفسّر ابو يعلى الفراء شدّ الوسط بالزنار بانه « مبالغة في الإذلال بدلالة انه يفعله العبيد والخدم »[٥] .

وخصّ بعضهم الزنّار بانه من الابريسم ، وهو نوع من الحرير ، وعليه قول التعريفات : « الزنار خيط غليظ بقدر الاصبع من لابريسم يشد في الوسط وهو غير الكُستيج »[٦] . وذكروا في تعريف الكستيج انه « خيط غليظ بقدر الاصبع من الصوف يشدّه الذمّيون فوق ثيابهم ، دون ما يتزينون به من الزنانير المتخذة من الابريسم معرب كستي بالفارسية »[٧] . وفي شرح دُرر الحكّام في غُرر الاحكام : « الكستيج هو خيط غليظ بقدر الاصبع من الصوف والشعر

١) التاج ٣ : ٢٤٢ ، واللسان ٥ : ٤١٩
٢) المعرب طبعة اوربة ، ٧٧
٣) اساس البلاغة ، مطبعة الدار ، ١ : ٤٠٩
٤) كتاب الخراج ١٥٢
٥) بيان ما يلزم اهل الذمة فعله ، مخطوط ، ص ٩
٦) التعريفات ، طبعة سنة ١٣٥٣ ، ص ٦٧ ــ ٦٨
٧) التاج ٦ : ٩١ ، والقاموس ١ : ٢٠٥

يشدّه الذمي على وسطه وهو غير الزنار فانه من الابريسم»[1]. فيكون فرق ما بين الزنار والكستيج ان الاول من الابريسم، والثاني من الصوف، ولكن غلب في الاصطلاح اطلاق الزنار على كل ما شدّ الوسط من ابريسم او صوف او شعر او قطن او جلد وما اشبه من منديل ونحوه. ومع انه وُضع في الاصل لما كان من الحرير، اضطروا بعد ذلك الى تقييده في الكلام على شروط اهل الذمّة بان لا يكون من الحرير. قال القلقشندي: «يشد الرجال منهم الزنار من غير الحرير في وسطه وتشده المرأة تحت ردائها وقيل فوقه»[2]

٢ متى دخل الزنار في شروط الذميين

ليس في شعار الجاهلية التي وقفنا عليها ذكر لزنار النصارى، الا في ابيات ثلاثة لعدي بن زيد في احدى روايتين لها وهي قوله:

يا لُبينى أوقدي النارا ... إن من تهوين قد حارا
رب نار بتُّ ارمقها ... تقضم الهندي والغارا
ولها ظبي يؤججها ... عاقد في الخصر زنارا[3]

ولكن صاحب الاغاني نقل البيت الثالث منها هكذا:

عندها ظبي يؤججها ... عاقد في الجيد قصارا[4]

وكان النصارى، قبل الاسلام، يتزيّنون بالزنانير المحلّاة بالذهب والفضة، ويتباهون بلبسها. قال ابو الفرج الاصبهاني: «كان النعمان يركب في كل احد الى دير اللجّ، وفي كل عيد معه اهل بيته من آل المنذر ومن ينادمه من اهل دينه عليهم حلل الديباج المذهبة وعلى رؤوسهم اكاليل الذهب وفي اعناقهم الزنانير المحلّاة بالذهب المفصّصة بالجوهر وبين ايديهم اعلام فوقها صلبان الذهب»[5]. وقد سبق الرهبان قديماً الى التزنّر والانتطاق. ونُقل عن مار أمّه او ابّا الجاثليق انه كان اول من امر الاسكلانيين بشدّ الزنانير في

١) خزانة الفاتيكان رقم ٢٤٧
٢) صبح الاعشى ١٣ : ٢٦٤
٣) مسالك الابصار للعمري ١ : ٢٥
٤) الاغاني ٢ : ٢٩
٥) مسالك الابصار للعمري ١ : ٢٢٦

اوساطهم ، ليتميزوا بذلك عن غيرهم[1] . فالزنّار اذن كان معروفاً عند النصارى ، قبل الهجرة ، والامام عمر بريء من تهمة وضعه عليهم قصد إذلالهم. وقد روى ابن عساكر في جملة الشروط التي زعموا انه اوجبها عليهم قوله بلسانهم «لا نتشبه بالمسلمين في شيء من لباسهم في قلنسوة ولا عمامة ولا سراويل ذات خدمة ولا نعل ذات عذبة ولا نمشي الا بزنار من جلد[2]» وقد عقّب ابن عساكر على هذا القول بحديث مسروق عن عبد الرحمن بن غنم انه قال : ما رأيت هذه الزيادة في ما وقع الينا من عهود عمر بن الخطاب ووجدتها مروية عن عمر بن عبد العزيز[2] . وفي هذا الاستدراك من ابن غنم حجة قاطعة بنفي تهمة الشروط عن ابن الخطاب ، ونسبتها الى ابن عبد العزيز . على اننا نشك ايضاً في هذه النسبة ، لان لبس الزنار كان شائعاً بين النصارى في الجاهلية ، قبل خلافة العمرين ، ولم يكن زنّار الجلد خاصاً بعامة النصارى كما يوهم الشرط المذكور ، بل كان ينفرد به الرهبان والنساك كاليوم . وقد راجعنا كل ما وقع لنا من اخبار الامويين ، والاشعار المقولة في زمانهم ، فلم نجد فيها ذكراً للزنار في اوصاف النصارى الّا في ما زعموه من اوامر ابن عبد العزيز وكتبه الى عماله في التضييق عليهم . واكثر ما يجي التغزّل بالزنار في خصور الغلمان في الاشعار العباسية . ولابي نواس ابيات فيها اشتهرت عنه ، وظرف فيها غاية الظرف ؛ وعلى سنّته مشى من جاء بعده من الشعراء ، حتى اصبح الزنار ، بعد الصليب ، من اشهر سمات النصارى في الاسلام . ولذلك قال ابن المعتز في وصف ساقٍ نصراني :

وجاس غاب عنّا عاذله ... حنّ به زمزم ومزمارُ
وزانه من بني العباد رشا ، ... بالجيد والقلنسوة سحّارُ
ابن نصارى يدين دينهم ... حدّث عنه بذاك زنّارُ[3]

وله ايضاً :

قد حثني بالكأس ، اول فجره ، ... ساقٍ علامة دينه في خصره[4] .

---

١) تاريخ حضارة الناطرة ٦٦٥م باريس ، ١٨٠

٢) تاريخ ابن عساكر خزانة بريتش ، وزيوم 338 ff 302 (Or.

٣) تباشير الشراب ٣٢٩٩ باريس ٢٨

٤) من غاب عنه المطرب للثعالبي ٣٤٠١ باريس ١٢٧

ومما يرجح ايضاً حدوث شرط الزنار في اوائل عهد العباسيين ، ان الكستيج لم يكن معروفاً في الخلافة الاموية ، وهو لفظ فارسي دخل بغداد مع العمال الفرس ، وقلّ استعماله . ولذلك اغفله « لسان العرب » ولم يُشر اليه كتاب الخراج في كلامه على لباس النصارى الذي كتبه القاضي ابو يوسف يعقوب لهرون الرشيد . وهم يفرقون بين الزنار والكستيج ؛ وعندهم ان الكستيج يجب ان يكون في وسط كل ذميّ ، واذا وضع معه الزنار ، يجب ان يكون الكستيج من دونه ، اي تحته ، ولكن غاب ذكر الزنار وحده في الاوامر السلطانية ، كما سيجيء . ولم نجد فيها اقلّ اشارة الى الكستيج .

٣ ــ اشتهار النصارى بالزنانير دون سائر الذميين

في الشروط العمرية ان الزنار كان متوجباً على اهل الذمة من النصارى واليهود والمجوس ولكن لم تشتهر به حقيقةً الا النصارى وحدهم . وقد سبق تعريف اللغويين ان الزنّار خيطٌ يشدّ في اوساط النصارى والمجوس ، دون اشارة ما الى اليهود . وقلّ جدًا ذكر اليهود في الاوامر السلطانية بلبس الزنار . ومن الابيات القليلة التي صُرّح فيها بلبسهم اياه قولُ ابي نواس ، وقد نزل في حانة خمّار يهودي :

وفتيان صدق قد صرفت مطيّهم ... الى بيت خمار ، نزلنا به ظهرا
فلما حكى الزنّارُ ان ليس مسلمًا ، ... ظننا به خيرًا ، فظنّ بنا شرّا
فقلنا : على دين المسيح ابن مريم ؟ ... فاعرض مزوّرا ، وقال لنا هُجرا
ولكن يهوديٌّ يحبك ظاهرًا ... ويضمرُ في المكنون منه لك الغدرا
فقلت له : ما الاسمُ قال : سؤالٌ ، ... ولكنني أُكنى بعمرو ، ولا عمرا
وما شرفتني كنيةٌ عربيّةٌ ، ... ولا أكسبتني لا ثناء ولا فخرا
ولكنها خفّت وقلّت حروفها ، ... وليست كأخرى انما جمعت وقرا
فقلنا له ، عجبًا بطرف لسانه : ... اجدت ابا عمرو ، فجوّد لنا الخمرا (١)

وعلق شارح الديوان على البيت الثاني انه « يقول ظننا انه نصراني فاذا هو يهودي فغضب من قولنا : « انت نصراني » . والنصارى عندهم اظرف من اليهود (١)

وكان اليهود اكثر ما يعرفون بالغيار اي باللون الاصفر في عمائمهم . ولما زار

١) ديوانه ، خزانة الفاتيكان رقم ٦٥٦ ، ص ١١٤

ابن سعيد مدينة القاهرة وكان وصوله للاسكندرية سنة ٦٣٩/١٢٤١ قال : « اكثر ما يتميش بالقاهرة اليهود والنصارى في كتابة الخراج والطب. والنصارى يمتازون بالزنار في اوساطهم واليهود بعمائم صفر ويركبون البغال ويلبسون الملابس الجليلة[1] »

ومع ان النصارى كانوا يمتازون ايضاً بعمائم خاصة بهم ، فلم يلحظ ابن سعيد من غيارهم الا زنانيرهم . وهو ما يدلّ على ان اليهود لم يكونوا معروفين خصوصاً كالنصارى بشد الزنار ، بل غالباً بلبس الغيار في العمائم والرقاع المخالف لونها لون ثيابهم ، كما سيأتي الكلام عليها . ولذلك كتب بديع الزمان في احدى رسائله : « من لم يلبس مع اليهود غيارهم ولم يعقد مع النصارى زنارهم ولم يشبّ مع المجوس نارهم هُدِي[2] . . . فكان من ثم كلّ مزنّر يُرى لاول وهلة يُظن انه نصراني ، كما سبق من وهم ابي نواس .

ومن المُلح التي يطيب ايرادها هنا ما حكاه القاضي التنوخي بروايته عن ابي الحسن بن عياش قال :

« ان اسمعيل بن بلبل لما قصده صاعد (بن مخلد الوزير) لزم داره وكان له حَمْل قد قرب وضعه فقال : اطلبوا لي منجما يأخذ مولده فأُتي به فقال له بعض من حضر : وما تصنع أيدك الله بالنجوم ؟ هنا اعرابي عائف (٣ ليس احذق منه . . . فلما دخل قال له اسمعيل : تدري لاي شيء طلبناك ؟ قال : نعم لتسألني عن حمل . وقد كان اسمعيل اوصى الا يُعرّف . فتعجب من ذلك فقال له : فاي شيء هو ذكر ام انثى ؟ فادار عينه في الدار فقال . ذكر . . . فبينا نحن كذلك اذ طار زنبور على رأس اسمعيل وغلام يذبّ عنه فضرب الزنبور فقتله فقام الاعرابي وقال : قتلتَ والله المزنّر وولّيت مكانه ولي حق الشارة وجعل يرقص واسمعيل يسكّته فنحن كذلك اذ وقعت الضجّة بخبر الولادة فقال : انظروا ما المولود فقالوا : ذكر . . . فما مضى على هذا الا دون شهر حتى استدعى الوفق (اخو الخليفة المعتضد) اسمعيل وقلّده الوزارة وسلّم اليه صاعداً وذكر حديث الاعرابي فطلبه فجاؤوا به فقال : خبّرني كيف قلت ما قلته ذلك اليوم . . . فقال : نحن انما نتفاءل ونزجر الطير ونعيف ما وراءه فسألتني اولاً لأي شيء طُلبتُ فتلمّحت فرأيت فوق البرّاءة عصفوراً ذكراً ثم طار

---

١) نفح الطيب ١ : ٦٩٣

٢) رسائله ، طبعة الاستانة ، ١٢١

٣) العائف هو زاجر الطير . والعيافة ان تتبع اسماء الطير ومساقطها واصواتها فتستدل او تتشاءم

الزنبور عليك محضر والنصارى متخصرون بالزنابير والزنبور عدو يريد ان يلسعك وصاعد نصراني الاصل وهو عدوك فزجرت ان الزنبور عدوك وان الغلام لما فتنه انك ستقتله (١)

وفي ما سبق دليلٌ ظاهر على ان اختصاص النصارى بالزنار كان للتمييز بينهم وبين اليهود، نفياً لكلّ اشتباه لان الصليب لم يكن يعلق دائماً في كل الاعناق ولذلك خُص النصارى بالزنار الظاهر، كما خصّ اليهود بالغيار الاصفر ليُعرف به كلّ من الفريقين لاول نظرة.

٤ - عقد الزنار كناية عن التنصر وقطعه كناية عن الخروج من النصرانية

لما غلب انفراد النصارى بالزنار، واشتهروا بعقده دون سائر اهل الذمة، اصبح لفظ «عقد الزنار» كناية عن التنصر، فكان يقال لكل من مرق من دينه وانتحل الدين المسيحي «قد عقد الزنار». وهو التعبير الذي اختاره ابن جبير الرحالة الاندلسي المشهور قال:

«من سوء الاتفاقات المستعاذ من شرها انه صحبنا في طريقنا الى عكة من دمشق رجل مغربي من برنة عمل بجاية كان اسيرا فتخلص على يدي ابي الدرداقوت مولى الفطاني وبقي في جملة صبيانه فوصل في قافلة الى عكة وكان قد صحب النصارى وتخلق بكثير من اخلاقهم لما زال الشيطان يستهويه ويستغويه الى ان نبذ دين الاسلام فكفر وتنصر مدة مقامنا بصور فانصرفنا الى عكة وأخبرنا بخبره وهو لها قد نفس ورجس وقد عقد الزنار واستعجل النار وخفت عليه كلمة العذاب وتأهب لسوء الحساب (٢)

وفي ضدّ ذلك كانوا يقولون «قطع الزنار» لمن تبرأ من النصرانية، وخالف سُننها ونواهيها، واستحق الاطراح منها، كأنه تخلص مما كان يربطه بها من اواصر الاعتقاد، وافلت من علائقها وعوائقها. واكثر ما كان يستعمل هذا التعبير في الرهبان ورجال الدين المارقين، وهو حقيقة غير مجاز لانهم كانوا وقتئذٍ يخلعون فعلاً الزنار، ويلقونه بعيداً عنهم كأنهم تحرّروا من ربقته وتبرّروا من سمته. ولما قصد تادورس مطران باجرمي دار السلطان ببغداد في ايام الوزير علي بن عيسى «قال ابو الفرج بن دينار: «كنت حاضراً ورأيته قبل دخوله ليتزع ثياب البهاء ويقطع الزنار قد عثر وانكبّ على وجهه فخرج

(١) نشوار المحاضرة ١ : ٢٦٤

(٢) رحلته، طبعة ليدن، ٣٠٨ - ٣٠٩

من جبهته الدم[1] » . وحُكي ايضاً عن مطران تكريت انه « دخل بغداد واختصم مع اهل نحلته . واستوعب مال بيع تكريت وبغداد وعبر الى دار السعيد واسلم على يده واكل اللحم ودخل دار الخليفة وقطع زناره وكفر بالمسيح . . . وقصد اليعاقبة اقبح قصد وادعى عليهم كل دعوى[2] » .

ومن النكات المروية في هذا المعنى ما حدث به ابو العتاهية الشاعر المعروف من اخباره مع عتبة جارية قصر المهدي التي كان يتغزل بها قال :

« جلست عتبة يوما في اصحاب الجوهر وعرضت فلبست ثياب راهب . . . وسألت عن رجل كبير من اهل السوق فدُلّت على شيخ صانع فجلست اليه فقلت اني قد رغبت في الاسلام على يدي هذه المرأة فقام معي وجمع جماعة من اهل السوق وجاءها فقال ان الله قد ساق اليك اجرًا هذا راهب قد رغب في الاسلام على يدك قالت : هاتوه فدنوت منها فقلت : اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله وقطعت الزنار ودنوت وقبلت يدها فلما فعلت ذلك رفعت الفرش فعرفتني وقالت : نحّوه لعنه الله »[3]

وما لبث المكدّون والنصابون ان ادخلوا قطع الزنار في جملة حيلهم واحابيلهم ، وتوصلوا الى صيد الدراهم من ايدي المغفّلين . ومن املح الحكايات المروية في هذا الباب ما حكاه القاضي التنوخي قال ، وحكايته مثال من افانين المحتالين واللصوص التي اتقنوها وبلغوا الغاية منها لخداع الناس :

« قال بعض المكدّين ببغداد عن شيخ لهم أيسر وعظمت حاله واستغنى عن الشحذ فكان يعلمهم ما يعملون فسألنا عن سبب نعمته فقال : كنت تعلمت السريانية حتى كنت اقرأ كتبهم التي يصلون بها ثم لبست ثوب راهب وخرجت الى سرّ من رأى وبها قواد الاتراك فاستأذنت على احدهم فأدخلت فقلت له : انا فلان الراهب صاحب الدير الفلاني (اي الدير) وذكرت عمرًا بعيدًا بالشام وانا راهب فيه منذ ثلاثين سنة وكنت نائما فرأيت النبي صلعم وكأنه دخل الى عمري فدعاني الى الاسلام فاجبته فقال لي امض الى فلان القائد حتى يأخذ عليك الاسلام فانه من اهل الجنة فجئت لأسلم على يديك قال ففرح التركي فرحا عظيما شديدا . . . وقطعت الزنار واسلمت بحضرته قال فوصلني بما قيمته خمسة آلاف درهم من الدراهم والثياب وغيرها وعدت الى منزلي فلما كان من غد بكرت الى قائد منهم بزي الرهبان وقلت له كما قلت للاول واعطاني اكثر من ذلك حتى طفت على جماعة منهم فحصل لي من جهتهم اكثر من خمسين الف درهم[4] . . . »

١) اخبار فطاركة المشرق ٩١

٢) اخبار فطاركة المشرق ١١٥ – ١١٦

٣) بغية الطلب لابن العديم ، ٢١٣٨ باريس ، ١٠٢ ٤) نشوار المحاضرة ٨ : ١٦٣

وكان حنين بن اسحق العبادي الطبيب واشهر التراجمة في ايام العباسيين يلبس الزنار[1] . ولما اوجب الجاثليق والاساقفة لعنه في مكيدة دُبرت عليه « لُعن سبعين لعنة بحضور الملا من النصارى وقُطع زناره[2] »

٥ ـ الزنار في الغزليات والخمريات

اكثر الشعراء في الاسلام من ذكر الزنار في ابياتهم التي وصفوا فيها فتيان النصارى وفتياتهم . واشهرها بيتان لبكر بن خارجة قالهما في عيسى بن ايليا[3] العبادي الصيرفي من مزدوجة نظمها في إطراء النصارى وتعداد شرائعهم واعيادهم والثناء على اديارهم ، وهما :

وشادن قلبي به معمود ، شبيهه المجرات والصدود
وزناره في خصره معقود ، كأنه من كبدي مقدود

قال دعبل : ما يعلم الله اني حسدت احداً قط ما حسدت بكراً على هذين البيتين[4]

ولبكر بن خارجة ايضاً من قصيدة :

معاقد الزنار في خصره عذّبني في الحب الزنانا[5]

ونظيرها قول مدرك بن علي الشيباني في مزدوجته المشهورة « من عاشق نآه هواه دان »

يا ليتني كنت له زنّارا يديرني في الخصر حيث دارا[6]

ولابي نواس من قصيدة استحلف بها غلاماً كان يهواه :

وبالصُلب العظيمة ، حين تبدو ، وبالزنار في الخصر الدقيق[6]

---

١) تاريخ الحكماء للقفطي ، طبعة ليبسيك ١٧١
٢) عيون الانباء لابن ابي اصيبعة ١ : ١٨٩ ، ١٩٥
٣) الاغاني ٢٠ : ٨٧ ، ومسالك الابصار ٣٠٨ . وفي الاغاني ان اسمه كان عيسى بن البراء ، وهو تصحيف .
٤) الديارات للشابشتي ، الورقة ١٠٦
٥) اسواق الاشواق لابي الحسن ابرهيم البقاعي ، ٣٠٦٥ باريس ، ١٥١
٦) الديارات للشابشتي ، الورقة ٨٩

ولمهلهل بن يموت بن المزرّع في غلام نصراني:

شدّ زناره على رقة المصـــــر ، وشد القلوب في زناره(١)

ولابن المعتز في ساق نصراني كان يلبس القُرطق ، وهو نوع من القباء ، ويعلق ذيله في زناره:

وان شئتُ عاني غزال دساكر ببقر احشاء الـدين بغزال
مليح كغصن البان ، يحمل ذيله زناره ، في قرطق غير سبل(٢)

وله ايضاً في ساق آخر:

وعاقـد زنار على غصن الآس دقيق الماء في ، خفاف الخصر ، ميّاس
سقاني عقـارا صـتّ فيها مراحها فاضحك عن ثغر الحباب فم الكاس(٣)

ولابي الحسن المروروذي المتوفى في حدود الاربعمائة في غلام نصراني:

وما انس لا انس ظبي الكنا س يريد الكنيسة من داره
يحوط بزنـاره خصره ، ويرعى الحلال بزناره(٤)

ولابي الحسين بن الصبان المهدوي — ورد دمشق في دولة نور الدين وتوفي بها — في غلام نصراني في صقلية:

وزنر عقد الصليب بنحره ، وادار حول وشاحه انجيلا
خمدت بجنح الليل جمرة ناره ، فاقام خمرة دنّه قنديلا
متطلع لذوي السرى من كأسه نجم يكون الى الصباح دليلا(٥)

ولسبط ابن التعاويذي في شماس من دير الثعالب ، رآه في بغـداد ، في عيد للنصارى:

وغزال علقتـهُ ، يومَ دير الثعالب
من ظباء الصريم يخـــــطر في زيّ راهب
كالقضيب الرطب يو هبه حمـل الذوائب
شدّ زنـاره فحـــــلّ عقود المذاهب(٦)

---

١) الديارات للشابشتي الورقة ٩٢
٢) ديوانه ، رواية الصولي ، ٣٠٨٧ باريس ، ١١٣
٣) غاية الارب للنويري ٦ : ١٣٠
٤) الثاني عشر من عيون التواريخ للكتبي ، من المزانة التيمورية ، ٢٥٦
٥) خريدة القصر للعماد الاصبهاني ، ٣٣٣٠ باريس ، ٥٨
٦) ديوانه ٥٢ — ٥٣

ولابي الهيذام في وصف مهرجان نصراني:

فمن مواة هناك مقبلة ، ومن غزال عليه زنّارُ(١)

ولابي الحسن بن وكيع التنيسي في غلام مزنّر:

فصلّ النصرانيّ لاحا من غرسنا عند التأمل ، وهو غرس الباري
قد عيّب الزنار رقة خصره حتى ظننناه بلا زنار(٢)

ولابن المعتز في وصف رهبان دير عبدون:

مزنّرين على الاوساط قد جعلوا على الرؤوس اكاليلاً من الشعر(٣)

وللسري الرفاء في راهب يقرع الناقوس في دير الشياطين:

حتى اذا انطق الناقوسَ بينهم مزنّر الخصر ، رومي الفرابيض(٤)

ولابي علي حسن الغزي في رهبان دير المصلّبة:

ومزنّرين اذا تلوا انجيلهم ، وتطقوا ، دحماتم وعصون(٥)

وللشهاب العمري في راهب دير الخمان:

ما شدّ زنارًا لها في بيعة ، الّا وحلّ عزائم الرهبان(٦)

وله ايضاً في راهب دير بلوذان:

ناحل الخصر حلّ عقد اصطباري عندما شدّ خصره الزنارُ(٧)

وله من ارجوزة في رهبان الدير الابيض بمصر:

واوقدوا في البيعة القنديلا ، ورتّلوا الزبورَ والانجيلا
وزيّنوا الهيكل بالقربان ، وصفّفوا الشموع والقناني
وسكبوا الصهباء في الابريق ، صفراء ، او حمراء كالعقيق
وصبّها في الكأس مثل اللهب عقدة مثل شريط الذهب
يسعى بها مفرطقٌ مزنّرُ شبه الغزال الخشف ، احوى ، احورُ
من فتية داموا على الانجيل من لي بهم ، لو انهم من جيلي(٨)

١) ارشاد الاريب ٦ : ٣٠٩
٢) اليتيمة للثعالبي ، طبعة القاهرة ، ١ : ٢٢٥
٣) معجم البلدان ٣ : ٦٧٨
٤) معجم البلدان ٣ : ٦٧٢
٥) مسالك الابصار ١ : ٢٤٠
٦) « « ١ : ٢٤٩
٧) « « ١ : ٢٥٨
٨) « « ١ : ٢٨١

ولاحد الشعراء في وصف خروج النساء الى قبة السنيق:

والنصارى مشدّدين الزنا نير، عليهنّ كل حلي وثيق
يتمشين من قباب الشما نين، الى صحن قبة السنيق (١)

وللرقيق القيرواني في راهبة في دير القصير، بالقرب من القاهرة:

مسيحية خوطية، كلما انثنت تشكّت اذى الزنار من رقة الخصر (٢)

ولعبدالله بن العباس في فتاة نصرانية كان يهواها، ولا يراها الّا اذا خرجت الى البيعة، فوقف لها مرة في عيد الشعانين وانشد فيها وغنّى فيه:

يا نظرة انفت جوى قاتلاً من شادن، يوم الشعانين
خرجنَ يمشينَ الى تزهة، عوانفا بين البساتين
مزنّرات صابيتها، والعيش ما «طيّ» الغابين (٣)

وكان بعض النساء النصرانيات الفاتنات المشهورات بالحسن يكتبن احياناً على زنانيرهن ابياتاً من الغزل، تحبباً وتظرفاً. قال الوشاء: رأيت جارية في بيعة ماري مريم في دار الروميين، بمدينة السلام، كأنها فلقة قمر، خارجة من الهيكل وفي وسطها زنار عليه بيتان:

زنّارها في خصرها يطربُ، وريحها من طيبها اطيبُ
وجهها احسن من حليها، ولونها من ثوبها اعجبُ

ومثل هذا التظرف والافتنان في الزيّ والملبس، تحول الزنار النصراني من سمة الذلّ والصغار الى شارة التجمل والفخار. حتى كان كل مزنّر او ضامر الخصر من الطُرف والتحف ينسب فوراً الى النصرانية، كبعض كؤوس الشراب المستدقة الوسط التي وصفها عبد الصمد بن بابك بقوله في الخمر:

هيم القسّ حولها، ونفى بزامير دنّها المزمارُ
ثم لما انتمت الى دين عيسى، شُدَّ في حقو كأسها زنار

ولا يخفى ما في مثل هذا التنبُّه والتخيُّل من الدقة واللطف.

---

١) الديارات للشابشتي ١٠٥ – ١٠٦
٢) ارشاد الاريب ١: ٢٦١
٣) الاغاني ١٧: ١٢٦
٤) كتاب الموشى لابي الطيب محمد الوشاء، ليدن، ١٧٣

٦ - تعليل الافرنج زنار النصارى واختلاف اقوالهم في تعيين المزنرين منهم

في رحل الاوروبيين الى الشرق ، بين القرن الرابع عشر والسابع عشر ، عدة اشارات الى نصارى الزنار ، كما يقولون Chrestiens de la ceinture ، وتعليلات غريبة للبس الزنار . ذكر بعضهم انهم دعوا كذلك لانهم يتمنطقون بزنانير عراض من الجلد[1] ، تذكاراً للقديس توما الذي القت العذراء عليه زنارها يوم انتقالها[2] . وزعم آخرون ان هذا الاسم أطلق عليهم لانهم حين يُمتَدون ويُغطَّسون يشد الكاهن وسطهم بزنار[3] ، عملاً بقول الكتاب : « لتكن احقاؤكم مشدودة »[4] . واضاف آخر انهم يعرفون في زعمه بعلامتهم الصفر[5] .

وقد تباينت ايضاً اقوالهم في تعيين الفِرَق التي كانت تُلقَّب بالمزنَّرة . وعدد احدهم طوائف النصارى في بيت المقدس وذكر منهم الفرنج ، والارمن ، والروم ، و« نصارى الزنار » (كذا) ، والقبط ، والسريان (?Serfz) والملكيين[6] . فهل عنى بنصارى الزنار الموارنة ، كما يستدل من قول احدهم : « كان عطاالله نصرانياً مارونياً وبعبارة اخرى مزنَّراً ، للبسه زناراً طويلاً عريضاً من الجلد[7] ؟ » وقال آخرون ان المزنرين هم الروم ، ولقبهم اليونانية[8] ، والقبط ، ولهم مصليات

---

١) *Voyage du Seigneur de Villamont* (1589). Rouen, 1618 p. 337.

Gabriel Giraudet, *Discours du voyage d'Outremer* (1583). Rouen, 1637, p. 112.

٢) Greffin Affagart, *Relation de Terre Sainte* (1533-34). Paris, 1902, p. 131.

Bernard Parisien, *Voyage de Hierusalem* (1616-17). Paris, 1921, p. 236.

٣) Francisco Suriano : *Il Trattato de Terra Santa e dell'Oriente* Milano, 1900, p. 76.

٤) Carlier de Pinon, *Relation du voyage d'Orient* (1579). Paris, 1920, p. 250.

٥) Le Baron d'Angelure : *Le Saint Voyage de Jérusalem* (1395). Paris, 1858, p. 221.

٦) H. Moranvillé : *Un voyage en Terre Sainte* in Bibliothèque de l'Ecole de Chartes LXVI 1905, p. 83.

٧) *Voyage du Seigneur de Villamont*, p. 337.

٨) Bernard Parisien : *Voyage de Hierusalem*, p. 236.

في كنيسة القيامة[1] وفي كل هذه الاقوال وهم والتباس لان الزنّار كان واجباً على كل نصارى الدولة المصرية، ولان العمائم الصفر كانت غيار اليهود واما النصارى فكانت عمائمهم زرقا كما سيجيء.

٧ . الوانه الزنار

تقدّم ان الزنار كان يتخذ من جلد، وشعر، وصوف، وقطن، وابريسم، وحرير فكانت من ثمّ الوانه تختلف، بحسب ما يعمل منه ولم يكن يطلب من اهل الذمة الّا ان يكون ظاهراً بيناً، ليتميزوا به عن المسلمين. ولعلّ اول من الزمهم الاقتصار فيه على السواد كان الحاكم بامر الله، كسائر ما احدثه بهم من الحماقات والسخافات. قال يحيى بن سعيد الانطاكي: «سنة ٤٠١ (١٠١٠م) امر الحاكم ان تؤخذ الذمة من النصارى واليهود بتغيير الزنانير الملوّنة التي يلبسونها والاقتصار على لبس الزنانير السود فقط دون غيرها من الالوان[2]».

وروى المقريزي هذا الامر بتاريخ سنة ٤٠٣ (١٠١٢م) فقال: «فيها امر النصارى بلبس السواد... وان يشدّوا الزنانير[3]». ولا يتضح من هذه الرواية هل كان السواد يعم الاثواب والملابس كلها ام كان منحصراً في الزنانير والعمائم فقط.

وبعد مقتل الحاكم خفف النصارى الغيار، اي لبس السواد، وتبعهم لا شك في ذلك اليهود «واقتصر الاكثرون على لبس زنار وعمامة سوداء[4]». ويظهر انهم عادوا بعد ذلك الى اتخاذ ما شاؤوا من الالوان، الى ان كانت سنة ٦٥٩ للشهداء (١٢٤٣م) وفيها «كان النصارى في مصر في ضائقة من قِبَل القاضي حتى انه كلّف الناس ان من كان ثوبه ابيض يجعل زناره ازرق او اسود او لوناً يخالف الابيض وان كان ثوبه اسود او ازرق فيكون زناره ابيض واخذ جماعة بذلك فكان العوام اشد من هذه الامور كلها. ولم يكن في القاهرة شيء من هذا[5]» يريد ان النصارى واليهود لقوا من عوام المسلمين عنتاً وامتهاناً

(١) *Voyage de Georges Langherand...* (1485-86). Mons 1861 notes

(٢) كتاب الذيل ٢٠٠

(٣) الخطط، بولاق، ٢٨٧

(٤) كتاب الذيل ٢٢٨

(٥) سير البطاركة لابن المقفع ٤٢٤

في اختيار الملابس والالوان ، اشدّ من عنت مخالفة الالوان نفسها ، ومن الغريب ان تكون احكام القضاة في مصر لا يعمل بها في القاهرة.

ولا ريب ان حجة القاضي في هذا التلوين ان يكون الزنّار بيّناً متميزاً ينم على ذميّة حامله بمجرد النظر اليه ، لئلا يظن انه مسلم فيوقّر . وقد اخطأنا التوفيق ، فلم نعثر ، في كل ما طالعناه ، على اقل اشارة الى الوان زنانير النساء في اوقات السلامة والرخاء والمباهاة بالازياء . ولا نشك انهن كنّ يتزيّنَ بالخز والوشي والديباج ، ويتفنّنَ في التزيّن ، ايام الاعياد والمواسم ، بكل ادوات الزخرفة ورسوم النقوش والكتابة ، كالزنار الذي وصفه الوشّاء في حسناء دار الروم ببغداد.

٨ ـ الاوامر السلطانية بشد الزنار

حكى السيوطي ان ابن السلعوس ، وزير الملك الاشرف بن قلاوون ، كان يكره تقي الدين عبد الرحمن ابن القاضي تاج الدين ابن بنت الاعزّ ، « فعمل ورتب من شهد عليه بالزور بامور عظام . . . واحضروا من شهد بانه يحمل الزنار في وسطه فقال القاضي : ايها السلطان . . . حمل الزنار لا يعتمده النصراني تعظيماً ولو امكنه تركه لتركه فكيف احمله[1] ؟ » وقد اثبتنا ملياً ان الزنّار في نظر الشارع سمة الذل والصغار ، ولذلك كان هم النصارى اهماله واطراحه كلما وجدوا اليه سبيلاً ، فكانت الاوامر السلطانية ترد عليهم من حين لآخر مشددة بالرجوع الى الشروط العمرية . وقد جمعنا منها كل ما تيسر لنا العثور عليه ، اثناء مطالعاتنا في اسفارنا من اخبار الزنار ننقلها هنا على ترتيب تواريخها . وقد فاتنا لا محالة نظائر لها واشباه لأهمال المؤرخين الاحاطة بكل ما جاء منها واستقراء كل ما خصّ الزنار ، في جملة الحوادث والوقائع النصرانية واليهودية التي ذكر فيها الغيار خاصة ، وهو يتناول احياناً الزنار والعمامة ايضاً في ما عدا الرقاع ، وهما نوع من انواع الغيار.

---

١) حسن المحاضرة ٢ : ١١٢

« سنة ١٩١ (٨٠٧ م) فيها امر الرشيد بعدم الكتابة بالثغور واخذ اهل الذمة بمخالفة هيئة المسلمين في لباسهم وركوبهم »(١

« سنة ٢١٠ (٨٢٥ م) وثب ابرهيم بن عائشة (بن محمد بن علي بن عبدالله بن عباس) في جماعة معه . . . فدوّنوا الدواوين واثبتوا اسماء الرجال وسمّوا العمال فظفر به المأمون بحمصه في المطبق فاستمال ابن عائشة اهل المطبق حتى حملهم على الوثوب وان يشهروا وتنصروا وشدوا الزنانير في اوساطهم والصُلُب في اعناقهم . . فركب المأمون الى المطبق . . . ودعا بابرهيم فضرب عنقه »(٢

« سنة ٢٣٥ (٨٤٩ م) امر المتوكل اخذ النصارى واهل الذمة بلبس الطيالس العسلية والزنانير . . . وامر باخذ عمالهم بلبس الزنانير وجعلهم لبس المناطق »(٣

« سنة ٣٩٥ (١٠٠٤ م) امر الحاكم بامر الله ان يلبس النصارى واليهود دون الخيارة زنانير في اوساطهم والعمائم السود على رؤوسهم وامتثل ذلك في سائر مملكته »(٤

سنة ٦٨٢ (١٢٨١ م) خرج توقيع من الخليفة بالزام اهل الذمة لبس الغيار والزنار ودرهم الرصاص المعلق في اعناقهم مكتوب فيه « ذمي » وان تلبس النساء مثل ذلك درهم في حلوقهن عند دخول الحمام ليُعرفن وان يلبسن الخفاف وردًا اسود وفردًا احمر وخلخالًا في ارجلهن »(٥

سنة ٥٦٤ (١١٦٨ م) لما قدم الامير اسد الدين شيركوه وتقلد وزارة الخليفة العاضد شدد على النصارى وامرهم بشد الزنانير على اوساطهم ومنعهم من ارخاء الذؤابة التي تسمى اليوم العَذَبة(٦

« سنة ٩٥٥ (للشهداء (١٢٣٩ م) انتبذ للناس رجل خادم يقال له شبل الدولة خادم النبي وادعى انه رأى نبيهم في النوم وقال له : حذ الذمة بتغيير حلبتهم فانهم قد خرجوا عن حدهم وشرع في ضرب الناس والإحراق بهم من النصارى واليهود فالنصارى يحذهم برفع الذوائب وشد الزنانير واليهود بعمل العلامة الصفراء وصار بعض الجماعة (اي الاقباط) يشد الزنار ويرخي الذؤابة وانتهى الى قطع ذؤابة القس كاتب الحوانجخانة لانه كان ارخاها وشد الزنار وكان اذا لم يجد مع واحد زنارًا قطع عمامته وشد وسطه بها ونودي على ذلك بالاشهار في يوم السبت الخامس عشر من ابيب (٩ يوليو سنة ١٢٣٩ م) ووقع الناس من ذلك في شدة وثقل عليهم لانه شيء قد يبعد عهدهم به منذ عشرين سنة . . . واسلم بهذا السبب رجل من خيار النصارى يقال له الثقة بن الشماس وكان صاحب ديوان الحوانجخانة والبيوت والاصطبلات وديوان الحاشية واخذوه بشد الزنار فشده فاخذوه

١) الكامل لابن الاثير ، وتاريخ الطبري ، طبعة اروبة ٢ : ٧١٢-٧١٣

٢) تاريخ اليعقوبي ٢ : ٥٥٨-٥٥٩

٣) تاريخ الطبري ٣ : ١٣٩

٤) كتاب الذيل ليحيى بن سعيد ١٨٧

٥) عجائب البدائع لابن الجوزي ١٥٦٧ باريس ٣٦

٦) الخطط ١٦٠

برفع العذبة فابى فتكاثروا عليه وازروه فرمى الزنار فقالوا : انه اسلم وشهدوا عليه فاسلم وكان النصارى في هذا الوقت في ضيق عظيم وهوان اليم وراي من اقيم من العامة والسوقة شتمهم وسبهم ثم ان الامر تحلل في امر العذبة فصار بعض الناس يرخيها لكن بامر استاذ الدار وهم ثلثة انفس الذين رُسم لهم بارخاء العذبة مع شد الزنار ثم انهم اجتمعوا وكتبوا فتاوى واخذوا فيها خطوط الفقهاء في امر الذوابة من العامة فافتوا جميعهم بانه لا يلزمهم رفعها بل شد الزنار خاصة للتمييز بينهم وبين المسلمين . . .

فلما كان يوم الخلوق(١) اتفق ان الخادم المشار اليه كان في البحر واتفق ان قوماً من النصارى كانوا في مركب في البحر وفيهم من هو مشدود الزنار ومن هو بغير زنار فعرفهم الخادم والصق(٢) عليهم وحملهم الى جمال الدين استادار فسيّرهم الى المحتسب بمصر فحمل الامر على انهم جميعاً بغير زنار فضربوا وشهروا في مصر كلها وكانت قضية شديدة على النصارى وتمكن العوام منهم وكانت بدعة عظيمة »(٣)

« سنة ٩٥٨ للشهداء (١٢٤٢ م) في هذه الايام نودي بمصر بما حكايته : رسم الشرع ان تشد النصارى الزنانير في اوساطهم وقيل السبب فيه ان حرادة (متولي الجوالي) لانه شكا الى القاضي ان النصارى ما بقوا يعرفون من المسلمين لانهم ما يشدون الزنانير وان الرسل ربما سكروا المسلمين فأمر بهذا النداء ورجع الناس شدوا الزنانير في اوساطهم المشايخ منهم ومن يخاف على عرضه وتسلط العوام على جاري عادتهم »(٤)

« سنة ٧٥٥ (١٣٥٤ م) عاد اهل الذمة الى المباشرات فانتدب السلطان الملك الصالح صالح ابن الملك الناصر لمنعهم من ذلك والزمهم بالشروط العمرية وكتب بذلك مرسوماً شريفاً وبعث بنسخته الى الاعمال فقرئت على منابر الجوامع . . . (ومما جاء فيه :) ان يلزموا زيهم حيثما كانوا ويشدوا زنانيرهم غير الحرير على اوساطهم »(٥)

« سنة ٧٦٥ (١٣٦٤م) من مرسوم كتب به عن نائب المملكة الطرابلسية الى نائب حصن الاكراد بالزام اهل الذمة بما أُجري عليهم احكامه من امير المؤمنين عمر بن الخطاب :

« واما اهل الذمة فما رفع عنهم السيف الا باعطاء الجزية والتزام الاحكام واخذ عهود اكيدة عليهم من اهل النقض والابرام فليتقدم الجناب الكريم بالزامهم بما التزموه به الفاروق رضوان الله عليه وليلجئهم في كل احوالهم الى ما الجأهم اليه من اظهار الذلة والصغار وتنزيل التمل وشد الزنار وتعريف المرأة بصبغ الازار . . . »(٦)

---

١) الخلوق نوع من الطيب كان يُطيّب به عمود مقياس النيل حتى بلغ ارتفاع الماء ستة عشر ذراعاً .

٢) يريد بقوله الصق عليهم ادنى مركبه من مركبهم حتى بانه والصق به .

٣) سير البطاركة ٣٩٢ - ٣٩٣

٤) « « ٤١٨

٥) صبح الاعشى ١٣ : ٣٢٨ - ٣٨٧

٦) صبح الاعشى ١٣ : ٣٠ - ٣٢

العمائم في الاسلام

١ ـ اوصاف العمامة وازيائها

ذُكرت العمامة عند ابي الاسود الدؤلي فقال: «جُنّة في الحرب ومُكنة من الحر ومدفأة من القر. ووقار في الندي وواقية من الاحداث وزيادة في القامة وهي تعدّ من عادات العرب[1]». واملح ما في هذا الوصف قوله: «زيادة في القامة» لعظم ما بلغته العمامة في الحضارة من الارتفاع والاتساع، كما سيأتي من اخبارها. ولذلك عُدّت وقاراً في المجلس، ولا سيما اذا تتابعت منها حلقات دائرة تطلّ على لحىً عظيمة تفترش الصدور وتملأ الانظار هيبة وجلالاً، وتفغم الانوف بطيب ما ضُمّخت وحُشيت به من مسك وغالية.

وكان النصارى يأتمّون غالباً بالمسلمين في عمائمهم. وكانت لهم احياناً عمم خاصة، كما كانت لسائر طبقات الناس في ايام الخلافة العباسية قال الجاحظ: «للخلفاء عمة وللفقهاء عمة وللبقالين عمة وللاعراب عمة وللصوص عمة وللابناء عمة وللروم عمة ولاصحاب التشاجي عمة[2]». وقد اغفل عمداً او سهواً عمم اهل الذمة وفاتنا اذة معرفة ما كان الفارق بين كل هذه العمم، وكيف كانت تُكوّر او تشدّ كل منها، وما كانت تمتاز به من طول وعرض ولون وصبغ وانّ وتكوير، ومن اي نسيج كانت تؤخذ من بزّ او خزّ ووشي او شرب وابريسم او حرير، وهل سبق للاشراف من الهاشميين الطالبيين لون خاص منها في غير السواد العباسي، قبل ان يمتازوا بالعصابة الخضراء في دولة الاشرف شعبان من ملوك المماليك. وقد حرمنا بالاجمال علم وصف الازياء من رجال ونساء منذ الهجرة واختلاط العرب بالروم والفرس الى استيلاء الاتراك العثمانيين على مصر والشام والعراق، فلم ينتهِ الينا الا لمحات بارقة بدرت من الاقلام عرضاً لا يصحّ ان يُبتّ معها حكم، او يستقرّ فيها رأي، لاقتصار اصحاب المعاجم على تفسير الفاظ اللغة من الملبس والمفرش بقولهم: «نوع من الثياب معروف».

١) البيان والتبيين للجاحظ ٢ : ٨٢ – ٨٣

٢) البيان والتبيين ٢ : ٧٨ – ٧٩

دون ان يتكلفوا له اقلّ نعت او شرح ، كما فعلوا في اكثر مرافق الحضارة في الاسلام ، فخفيت عنا اخبارها واوصافها واصبحنا اليوم في عجز عن المباهاة بطرائفها وتعداد فنونها.

ولولا علم الحديث وما ألّف لاجله من فقه وتفسير ، افاتنا ايضاً هذه البقية الباقية في الشرع من اوصاف العمة . وكان فيها نوعان : التلحي والاقتعاط . وفسروا التلحي بانه جعل بعض العمامة تحت الحنك ، والاقتعاط شد العمامة على الرأس من غير ادارة تحت الحنك[1] . وأمر بالتلحي ونُهي عن الاقتعاط . روى ابن وهب عن مالك انه سُئل عن العمامة يعتمّ بها الرجل ولا يجعلها تحت حلقه، فانكرها وقال انه من عمل القبط[2] .

والمشهور من اوصاف العمم ثلاثة : الطابقية ، والميلاء ، والقفداء . والعمة الطابقية هي الاقتعاط اي ان يتعمم ولا يدير تحت الحنك ، والميلاء نوع ذُكر في كتب اللغة ولم تبين صفته[3] ، روي ان محمد بن سعد بن وقاص الذي قتله الحجاج كان يعتم الميلاء قال الفرزدق :

ولو شهد الجبل ابن سعد لفتّموا عمامته الميلاء عضباً مهنّداً[4]

والقفداء من العمم التي تُعقد في القفا ، ولا تُرخى فيها الذؤابة[5] . والسنة في العمامة ان يُسدل طرفها ان شاء بين يديه ، وان شاء بين كتفيه[6] . واكثر ما كانت تُرسل الذؤابة بين الكتفين ، وكان يقال لها العَذَبة ايضاً . وكان الاقباط يحرصون اشد الحرص على التشبه بالمسلمين في اسدال طرفها على الظهر كما تقدم من اخبارهم في الكلام على الزنار . ولما قدم الامير اسد الدين شيركوه وتقلّد وزارة الخليفة العاضد بمصر ، شدّد على النصارى وامرهم بعقد الزنار في اوساطهم ، ومنعهم من إرخاء الذؤابة . فكتب المهذب زكريا ابن ابي المليح كاتب ديوان الجيش لاسد الدين :

١) النهاية لابن الاثير ٣ : ٢٦٧ و ٤ : ٥٤ ؛ والتاج ٥ : ٢١٠ و ١٠ : ٢٢٤

٢) الاحاديث الحسان في فضل الطيلسان لجلال الدين السيوطي ، مخطوط عندنا.

٣) قاموس الفيروزبادي ٤ : ٥٢ ، واللسان ١٤ : ١٦٠

٤) البيان والتبيين ٣ : ٧٨ — ٧٩

٥) التاج ٢ : ٤٧٤

٦) كتاب المدخل لابن الحاج ١ : ١١٧

يا اسد الدين ، ومن عدله يحفظ فينا سنّة المصطفى ،
كفى غيارًا شد اوساطنا ، فما الذي اوجب كشف القفا ؟

فلم يسعفه بطلبته وعندما ايس من ذلك اسلم[1]. وقد روينا في جملة اخبار الزنار ان الثقة ابن الشماس ، صاحب ديوان الحوائج والبيوت والاصطبلات وديوان الحاشية ، لما اخذته العامة بشدّ الزنار وشدّه ، والحّوا عليه برفع العذبة فابى ، تكاثروا عليه ، فرمى زناره وشهدوا عليه بالاسلام فبذّل دينه فداء لعذبته . ومن الغريب الذي لا يقضى منه العجب ان يتفق بعض جلّة الاقباط على ايثار ذؤابة العمامة ، التي لا مزية لها الا التقليد ، على مزية الدين الذي رضعوا لبانه وشبّوا وشاخوا عليه . فهل كانت العذبة عند الاقباط عذبة الى هذا الحدّ حتى نبذوا الدين من اجلها نبذ النواة ؟

ولا شك انه كانت ، في ما عدا انواع العمة الثلاثة التي ذكرناها ، انواع اخرى تختلف بحسب اختلاف البلدان والشعوب . وما فتئت الخواطر تعمل عملها في تطوير العمامة وتكويرها حتى غلب الشذوذ على بعضها ، وبلغت حدّ الاغراب والسخف . وربما علق باحدهم لقب من صفة عمائمهم كالواعظ شمس الدين محمد بن عمر بن حماري الظفاري اليمني المتوفى في القاهرة سنة ٧١٠ (١٣١٠م) قالوا كان يتعمم بعمامة كأنها أبلوج السكر ، فاشتهر لذلك بالابلوج[2].

ويستدل من بعض الاقوال ان العمائم ، في ايام بني امية ، كانت تتخذ عند الخاصة والمتأنقين من جنس الثياب قالوا : دخل سرة سالم بن عبدالله بن عمر بن الخطاب على هشام بن عبد الملك وعليه عمامة تخالف ثيابه فقال هشام : كأن العمامة ليست من الثياب ؟ قال انها مستعارة[3].

وفي ايام العباسيين والفاطميّين كانت العمائم لا تُخلع الا في عزاء الخلفاء ، حدّث محمد بن عباد المهلبي قال : « لما مات ابو عيسى بن الرشيد دخلت الى المأمون وعمامتي على فخلعت عمامتي ونبذتها وراء ظهري والخلفاء لا تعزّى في العمائم[4] ».

١) الخطط ٢ : ١٦٠
٢) جزء من ذيل الجبرتي على ابي شامة ، ليدن (Oral. 1700 (a)
٣) الكامل للمبرد ١ : ٢٧٥ – ٢٧٦
٤) الاغاني ٩ : ٩٧

وفي سنة ٣٦٤ (٩٧٥م) « مات الامير عبدالله بن المعز وجلس المعز للتعزية ودخل الناس بغير عمائم واظهروا الجزع[1] ».

٢ طول العمائم وحجمها

كانت العمامة سبعة اذرع ونحوها ، يخرجون منها التلحية والعذبة ، على ما نقله الطبري . ولكن كثيراً ما كانت تتجاوز هذا الذرع ، كالعمائم الشرب التي كانت تعمل في دبيق من قرى دمياط ، ويكون كل عمامة منها مئة ذراع وفيها رقات منسوجة بالذهب فتبلغ العمامة من الذهب خمس مئة دينار سوى الحرير والغزل . وحدثت هذه العمائم وغيرها في ايام العزيز بالله سنة خمس وستين وثلاثمئة (٩٧٥م) ، الى ان مات في شعبان سنة ست وثمانين وثلاث مئة (٩٩٦م)[2].

ولا حاجة الى القول ان مثل هذه العمائم المثقلة الغالية كانت نصيب الخلفاء والوزراء والاغنياء وحدهم . واما عامة الناس فكانوا يقنعون بدونها ذرعاً وقيمة . وقلَّ جداً من خرق المعتاد بطول عمامته وزنة قبعه كالشيخ شمس الدين الرومي القاهري المتوفى سنة ٨٥٥ (١٤٥١م) قالوا : « كان طوالا كبير اللحية زنة قبعه نحو عشرة ارطال بالمصري وعمامته ازيد من ثوب بعلبكي حفظاً لدماغه وعينيه[3] . والثوب البعلبكي لا يقل عن ثلاثين ذراعاً .

وممن اشتهر بكبر عمامته قاضي الاسكندرية عماد الدين الكندي قال ابن بطوطة : « كان يعتم بعمامة خرقت المعتاد للعمائم لم أرَ في مشارق الارض ومغاربها عمامة اعظم منها رأيته يوماً قاعداً في صدر محراب وقد كادت عمامته ان تملأ المحراب[4] » وقريبٌ منه القاضي الاعز محمد بن هبة الله بن خلف التميمي المتوفى سنة ٥٣٢ (١١٣٧م) اكثر ابن منير الطرابلسي هجاءه لطول عمامته . وله فيه من قصيدة :

---

١) تاريخ ابن ميسر ٤٦
٢) المقفى ١ : ٢٦٥
٣) التبر المسبوك للسخاوي ٢٧٤
٤) رحلته ١ : ١٠

هو قاضٍ كما يقول ، ولكن ما عليه من القضاء علامة
ضخمة غلاّ القضاء عليه ، فوق وجه كمُشر عشر القُلامة
ويليها من التصاوير ما لم يجمع القدس مثلها والقُمامة[1]

ومن مُلح هجاء العمامة الضخمة على الرأس الصغير قول بعضهم :

في رأسه عمامة ملفوفة مزمّلة ،
كأنها ، في رأسه ، قدر على سفرجلة[2]

واخص من عرفوا دائماً بكبر عمائمهم ، والولع باتخاذ كل واسع وطويل خارق حبّاً للتميز والتعاظم ، القضاة حتى اضحوا احياناً هزءاً وسخرية للناس قال ابن الحاج : « ان بعض المخايلين من اهل اللهو واللعب اذا عملوا الخيال بحضرة بعض العوام وغيرهم في بعض الاوقات يخرجون في اثناء لعبهم لعبة يسمونها لعبة القاضي فيلبسون زيه من كبر العمامة وسعة الاكمام وطولها وطول الطيلسان فيرقصون به ويذكرون عليه فواحش كثيرة ينسبونها اليه فيكثر ضحك من هناك ويكثرون التقوط عليهم بسبب ذلك[3] » .

وكان كلما ازداد طول العمامة ازداد بالضرورة ثقلها . وحكي عن عبد المحسن بن محمد الصوري ، احد شعراء اليتيمة ، ان « بعض الامراء اعطاه عمامة حسنة فلبسها اياماً ثم باعها ولبس عمامة لطيفة وعشى فقال بعض من رآه ثقلت عليه العمامة فباعها فقال ارتجالاً :

قالوا : عمى ثقلت عليه فباعها من غير عُدم
والله ، ما ثقلت عليّ عمامتي ، بل خفّ كيسي[4]

اي فرغ كيسي .

وبقيت عادة تكوير العمائم الكبار الى ايام الاتراك العثمانيين . فكان الوزراء لا يُقابلون الا بها ، لضخامة العمائم الصغار وانحطاطها في نظرهم . وفي الشقائق النعمانية « ان المولى يوسف بن حسين الكرماسيني المتوفى في حدود

١) شذرات الذهب في اخبار من ذهب ٦ : ١٠١
٢) حكاية ابي القاسم الطنبوري ؛
٣) المدخل ١ : ١٢١ – ١٢٢
٤) يتيمة الدهر ، طبعة القاهرة ، ١ : ٢٥٧

التسمائة (٩٥ – ١٤٩٤م) ذهب يوماً الى المسجد بعمامة صغيرة . ولما خرج من المسجد طلبه الوزير ابرهيم باشا لمصلحة اقتضت حضوره فلم يبدل عمامته خوفاً من ترجيح جانب الوزير على المسجد. فلما رآه الوزير على تلك الهيئة سأله عنها فقال في جوابه: حضرت لخدمة الخالق بهذه الهيئة ولم اجد في نفسي رخصة في تغيير الهيئة لاجل الوزير[1]».

وكان الفرزدق يؤثر العمائم الضخمة قيل : دخل النصيب الشاعر على سليمان ابن عبد الملك وعنده الفرزدق فاستنشد الفرزدق . . . فانشده . . . وعمامته على رأسه مثل المنسف[2] ولا شك ان هذا التهويل كان عاماً شاملاً اكثر الخاصة وبعض العامة من المتخرقين ، كالاطباء المتبسطين في الاسواق لعلاج المرضى ومن النكت المروية في هذا الباب ان بعض الحاكة جاز على طبيب فرآه يصف لهذا النقرع ولهذا التمر الهندي فقال : من لا يحسن مثل هذا ؟ فرجع الى زوجته فقال: اجعلي عمامتي كبيرة فقالت : ويحك اي شيء طرأ لك ؟ فقال : اريد ان اكون طبيباً .

٣ – عمائم النساء

كان النساء يتعممن كالرجال . وفي حديث عن ابي هريرة وصف نساء كاسيات عاريات مميلات مائلات رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة[3] اشارة دون ريب الى كبر العمائم والعصائب التي كان النساء يتخذنها احياناً . وفي خبر يوم الدوحة الذي حكاه عمر بن ابي ربيعة صفة فتاة في زي غلام ، وعليها عمامة خز سوداء[4] . ولما زار ابن بطوطة القسطنطينية قال : والنساء لهن عمائم كبار[5] . وفي سنة ٦٤١ (١٢٤٣م) « انفذ محي الدين يوسف بن الجوزي رسولاً الى ملك الروم كيخسرو بن كيقباذ فاجتمع به في انطالية فلما عاد حكى اشياء غريبة

١) الشقائق النعمانية ، جامش وفيات الاعيان ، ٢١٧

٢) الاغاني ، طبعة الدار ، ١ : ٢٢٦ – ٢٢٧

٣) صحيح مسلم ٢ : ١٦٧

٤) الاغاني ، طبعة بولاق ، ١٠ : ٥١

٥) رحلته ١ : ٢١٦

منها ان النساء يتعممنَ كالرجال... وعمائم النساء تختلف في الكبر والصغر لأن المرأة اذا جاءت بولد تعممت بعمامة طولها ستة اذرع وكلما جاءتها ولد زادتها ستة اذرع وذراعهم ذراع ونصف بذراع بغداد[1] ».

وما برحت المرأة تقلد الرجل في تكبير العمامة وتكويرها ، حتى اضطر الملوك والامراء والولاة الى تهديدها بالعقاب.

وفي سنة ٦٦٢ (١٢٦٣م) امر الملك الظاهر بيبرس « بان ينادى في القاهرة ومصر بان امرأة لا تتعمم ولا تتزيا بزي الرجال ومن فعلت مثل ذلك بعد ثلاثة ايام يُسلَب ما عليها من الكسوة[2] ».

وفي سنة ٦٩٠ (١٢٩١م) « رسم نائب السلطنة بدمشق ان لا ترجع امرأة تلبس عمامة كبيرة ومن خالفت المرسوم غلظت عقوبتها فامتنع النساء من ذلك على كرهٍ منهنّ[3] ». ورجعن الى عادتهنّ القديمة باتخاذ المقانع عملاً بامر النائب الامير علم الدين الشجاعي[4].

وبقيت عادة التعمم بين النساء ومحاكاة الرجال الى ما بعد القرن العاشر للهجرة ، كما يستفاد من كتاب « نزهات الاسحار في نُبذ من كرامات الاولياء والاخيار » لعلية بن حسن الملقب بعلوان الحموي ، رقم ٩٧و٩٨ من مخطوطات الظاهرية بدمشق (تصوّف) . ولكن هذه المحاكاة كانت اكثر ما تكون ، في يظهر بين العرائس ليلة الجلاء . واما في سائر ايامهن فكن يلبسن « الشربوش » او الشاش ويسمونه ايضاً « المُقنَّع » يكون اوله على جبين المرأة وآخره على ظهرها فمنه ما يبلغ طوله ممتدًّا نحو الذراع في ارتفاع دون الربع الذراع[5]. ويشبه ان يكون هو الذي شبّهه الحديث السابق الذكر باسنمة البخت . ومن الغريب الجدير بالتنبيه عليه ان الماشطة كانت تذهب بالعروس بعد الجلاء الى

---

١) الحوادث الجامعة للفوطي ، الخزانة التيمورية ، ٨٨

٢) سيرة الملك الظاهر لمحيي الدين بن عبد الظاهر ، خزانة بريتش موزيوم لندرة Add 23331 f° 7

٣) تاريخ حوادث الزمان وانبائه للجزري ، ٦٧٣٩ باريس ، ٢١ – ٢٢

٤) ذيل اليونيني ، لندرة Add. 25728 f° 36

٥) السلوك للمقريزي ، ١٧٢٧ باريس ، ١٥٢

بيت » وتخلع عنها تلك الهيئة وتفرغ عليها ثياباً غير تلك الثياب وتلبسها عمامة كعمامة القاضي والفقيه والجندي وتمسك سيفاً مسلولاً ... » الى آخر ما هنالك من الفصل الممتع الذي يلذّ جدًّا الوقوف عليه لما تضمنه من وصف الاخلاق والعادات السالفة[1].

وكانت النساء المسيحيات يقلّدن المسلمات في كل هذه الازياء الغريبة ، كلما وجدن اليها سبيلاً.

٤ — الوان العمائم

كانت العمائم في ايام الامويين تكون غالباً من جنس الثوب ، كما سبقت الاشارة اليه من كلام هشام بن عبد الملك . واما في ايام العباسيين فقد غلب عليها لون شعار الخلافة وهو السواد . واكثر ما كانت تكون من الخز واما اذا استثنيت ايام الاحتفالات وجُمَع الصلاة ، فكانت تتخذ من كلّ الالوان والمنسوجات . وفي الاغاني ان الرشيد « هبّ ليلة من نومه ... وخرج في دراعة وشي متلثماً بعمامة وشي[2] » . ومعلوم ان الوشي يجتمع فيه الاحمر والاصفر والاخضر وسائر الالوان[3] وفي ايام سليمان بن عبد الملك عُمل الوشي الجيد ولبسه الناس جميعاً جبابا واردية وسراويل وعمائم وقلانس[4] وفي زمان الفاطميين كانت عمائم الشرب المذهبة لباس الخلفاء والوزراء واصحاب الثراء . وقد ذكرنا في ما تقدم ان الواحدة منها كانت تبلغ خمسمائة دينار . ومن المدن المصرية التي اشتهرت بها دبيق . وكانت تعمل ايضاً من الشرب الملوّن . وعمّت بين الملوك والوزراء عادة اتخاذ العمائم الملونة . ولما قتل امير الجيوش الافضل شاهنشاه بمصر ، وُجد في تركته « عشرة مسامير من الذهب زنة كل مسمار مائتا مثقال عليها العمائم المختلفة الالوان مغطاة بالمناديل المزركشة[5] » ولعمارة اليمني الشاعر

١) طالع هذا الفصل في كتابنا « خزائن الكتب في دمشق وضواحيها » ٥٤ — ٥٨

٢) الاغاني ٥ : ٣٠

٣) مروج الذهب ، هامش الكامل ، ١٠ : ٢٤

٤) مروج الذهب ٧ : ١٠٨ — ٩ : ١

٥) غاية الارب للنويري ، خزانة ليدن Arab. 2' gol. 126

ابيات استهدى فيها محمد بن شمس الخلافة وهو بدمياط عمامة شرب وصفها بقوله :

كأن بياضها وجه نقي ، وحسن الرقم فوق الخد شامة(١)

واشتهر اهل سجستان بالإغراب في العمائم. ولعلهم انفردوا بها فانهم كانوا « يعتمون بثلاث عمائم او اربع كل واحدة لون ما بين احمر واصفر واخضر وابيض وغير ذلك من الالوان على قلانس لهم شبيهة بالمكوك ويلفونها افاً يُظهر الوان كل واحدة منها واكثر ما تكون هذه العمائم من الاربعة طولها ثلاثة او اربعة اذرع(٢) ».

وفي سنة ٧٧٣ (١٣٧١م) امر السلطان الاشرف شعبان ان يمتاز الاشراف من الناس بعصائب خضر على العمائم . وفي ذلك يقول شمس الدين بن بركة الدمشقي المزين :

اطراف تيجان انت من سندس خضر باعلام على الاشراف
والاشرف السلطان خصهم بها شرفاً ليفرقهم عن الاطراف(٣)

٥ ــ عمائم النصارى واليهود

كلّ من تكلم قديماً على احكام اهل الذمة في ديار الاسلام ذكر انها وجبت عليهم « ليقع التفريق بين الكافر الذي تجب معاداته وبين المسلم الذي تجب موالاته ولا يكون ذلك الا بالزي(٤) ». وليس بين كلّ امارات الزي ما هو امثل للعيون واشدّ ظهوراً من العمامة ، لان الزنار فضلة قد تُطرح او لا تبين جلياً لاول نظرة ، خلافاً للعمامة فانها واجبة ظاهرة على كل حال. ولذلك كانت اهم العلامات البادية لكل الابصار ، وعليها عوّل الشرع خصوصاً للتمييز بين المسلم والذمي. ولا يُدرى في الصحيح متى بدأ هذا التمييز فعلاً . ولعلّ الارجح ان اول ما نجمت عروقه وراجت سوقه بين القرن الثالث والرابع للهجرة ،

(١) النكت العصرية ٢٩
(٢) معجم البلدان ٣ : ٤٣
(٣) ابناء الغمر في ابناء العمر للشهاب العسقلاني ١٦٠١ باريس ٢
(٤) بيان ما يلزم اهل الذمة فعله للفراء ١ و٢

لاننا لم نظفر بقول فيه ورد لاحد المتقدمين قبل المئة الثالثة ، ولم يُشر احد الى نوع هذا التمييز هل كان في الهيئة والشكل ام في اللون ، وهل كان واحداً لكل الذميين . ولذلك يتعذر علينا اليوم ان نعين الزمن الذي بدأ فيه تلوين العمائم للنصارى واليهود للتفريق بينهم وبين المسلمين ، قبل ان يأمر الحاكم الفاطمي بصبغها بالسواد فقط . ولم نقف على ذكر لون لها خاص في اوائل الخلافة العباسية ، والرأي الشائع ان تخصيص الزرقة لعمائم النصارى ، والصفرة لليهود ، والحمرة للسامريين والمجوس ، كان سنة ٧٠٠ (١٣٠١م) . ولكن بعض هذا التلوين كان دون ريب قبل هذا التاريخ . وفي سنة ٥٩٢ (١١٩٦م) كان الملك العزيز جالساً بدار العدل ، فدخل عليه رجل له هيئة حسنة فما شك العزيز انه من الاشراف . فلما علم انه ذمي « امر ان ينادى في دمشق ان تلبس اهل الذمة العمائم الغيار ليعرفوا من المسلمين[1] » . وقد اغفلوا ذكر لون هذا الغيار ، والارجح انه كان الاصفر ، لان الابيض كان لون عمائم الناس عادةً . ثم انفرد اليهود بالاصفر خاصة قبل تميزهم بسبب بامر سلطاني سنة ٧٠٠ (١٣٠١م) كما يستدل من قول ابن سعيد لما زار القاهرة سنة ٦٣٩ (١٢٤١م) ان اليهود كانوا يعرفون بعمائم صفر ، وقد سبق الاستشهاد بقوله في الكلام على زنار النصارى .

وكان النصارى يتقون دائماً سوء عواقب التميز عن المسلمين ، وما يجره عليهم من الصغار والامتهان ، ويحرصون اشد الحرص على محاكاتهم وتقليدهم في الظاهر من احوالهم وما امكن من ازيائهم وملبوسهم ، ليأمنوا كل احتقار لهم واستطالة عليهم وعرف الاقباط بالافراط في هذا التقليد حتى في الاختتان احياناً ، واختيار الاسماء والالقاب والكنى[2] حتى اعتادوا ايضاً كتابة البسملة الاسلامية بدلاً من النصرانية[3] ، واتبعوا السنة المحمدية حيث لا يعد اتباعها فرضاً على المسلم نفسه ، كما في ارخاء ذؤابة العمامة كما تقدم . ولما مُنعوا منها

١) نهاية الارب للنويري ، خزانة ليدن Arab. 2 fol. f. 214

٢) المجلة الشرقية المشرق ١٩٢٨ ك١ - اذار ص١ - ٢١

٣) طالع كتابنا : الصليب في الاسلام ٥ - ٦

اختاروا انتحال الاسلام لحرفهم سوء مغبّة التميز عن المسلمين بشيء من اللباس قد ينمّ على ملّتهم ونسبتهم . ولكنهم تجاوزوا كل حد في هذا التشبه والاقتداء حتى كانوا يحاكون القضاة في تكبير العمائم ، ولبس الفرجيات والجباب بالاكمام الطويلة الواسعة[1] ، بحيث اضطر الولاة الى تحذيرهم وردعهم ، وانشاء المراسيم مرة بعد اخرى بوجوب التزامهم شروط الغيار والصغار ، وتحديد ذرع العمامة لهم وتضييق الاكمام . فكانوا يزدجرون حيناً ثم يعودون الى ديدنهم . وكانت الدواوين السلطانية ملأى بالكتاب والعمال منهم ، فكانوا يعلمون من اين تؤكل الكتف ، ويبذلون كل رخيص وغالٍ للتحرر من كل قيد وشرط ولذلك تعددت الاوامر ، وتجددت الكتابات والتواقيع في كل عصر في معنى واحد ، وهو ما يدل على انها لم تكن تُتبع دائماً أو لا تلبث ان تضعف وتبطل باحتيال رجال الدولة ومباشريها .

وقد اختلفت اقيسة عمائم الذميين في المراسيم السلطانية بين خمسة وسبعة وعشرة اذرع .

« وفي سنة ٧٥٥ (١٣٠٤م) في جمادى الآخرة منها ألزم اهل الذمة بالشروط العمرية . . . وان لا تزيد عمامة احدهم على عشرة اذرع . . . وكتب بذلك الى الممالك الاسلامية »[2] .

ونقل ابن دقماق هذا الخبر في سنة ٧٥٤ .

« وفي سنة ٨٢٠ (١٤١٧م) في ثامن شعبان اجتمع عدة من فقهاء القاهرة عند الامير فخر الدين عبد الغني بن ابي الفرج الاستادار في امر نصراني ادُعي عليه بما اوجب اراقة دمه . . . وتجاروا ما فيه النصارى من كبر عمائمهم ولبسهم الفرجيات والجُبب بالاكمام الطويلة الواسعة كهيئة قضاة الاسلام فودي بتعمهم من ذلك ومن ركوب الخُمر القُرّه ومن استخدامهم المسلمين وان يلتزموا الصغار ولا يلبسوا الا عمامة من خمسة اذرع فما دونها »[3] .

« وفي سنة ٨٢٢ (١٤١٩م) في ربيع الاول الزم صدر الدين محتسب القاهرة اليهود والنصارى بتضييق الاكمام الواسعة وتصغير العمائم حتى لا تتجاوز عمامة احدهم سبعة اذرع »[3] .

---

١) السلوك للمقريزي ، خزانة بريتيش موزيوم Or. 2902 f° 45 b

٢) ذيل السخاوي على دول الاسلام ، اكسفرد Marsh. 503 والسلوك للمقريزي ، ١٧٢٧ باريس ، ١٥

٣) السلوك ، اندرة Or 2902 f° 60 a

« وفي المحرم سنة ٨٣٠ (١٤٢٦م) نودي على اهل الذمة ان يصفروا عمائمهم وان لا يدخلوا الحمامات مع المسلمين ومن دخل منهم فليكن في عنقه جنجل او طوق حديد الى اشياء كثيرة اخترعها المحتسب تبعاً لغيره فضجروا من ذلك ورفعوا امرهم الى السلطان فاحضر القضاة في ثالث عشر المحرم وسألهم عما يجب فتقرر الحال ان لا يدخلوا الحمام الا بخيط في رقبتهم ويكون فيه خاتم من حديد او رصاص وان لا يتعرّض لعمائمهم المالوسة كبرت ام صغرت . . . »(١) .

« وفي سنة ٨٥٤ (١٤٥٠م) في يوم الثلاثاء ثالث عشري صفر نودي بالقاهرة بانه لا يزيد كل من النصارى واليهود في عمائمهم على سبعة اذرع لكونهم تعدوا في ذلك وزادوا على الحد »(٢) .

« وفي سنة ٨٦٨ (١٤٦٣م) نودي بشارع القاهرة ان احداً من الاعيان لا يستخدم ذمياً في ديوانه . . . وقرئت العهود المكتتبة قديماً على اهل الذمة فوجدوا في بعضها ان احداً من اهل الذمة لا يباشر بقلم الديوانة عند احد من الاعيان . . . ولا يلف على رأسه اكثر من عشرة اذرع . . . ودام ذلك نحو السنة وعاد كل شيء على حاله وبلغ السلطان ذلك فلم يتكلم بكلمة واحدة . . . »(٣) .

٦ ــ الوان عمائم الذميين

لم ترد اشارة الى ما كانت الوان عمائم النصارى واليهود في خلافة بني امية ولا يبعد انها كانت من نفس الملابس في الغالب ، كما يتحصل من كلام هشام ابن عبد الملك . ومن ثم لم يكن يحرم عليهم لون من الالوان الشائعة ، واغلبها كانت كذلك في ايام العباسيين مع تفضيل السواد ، وهو شعار الخلافة . ويتحصل من بعض الاقوال ان لون العمائم عادة في العراق ومصر والشام كان غالباً البياض كما بقي في الكرك والشوبك بين النصارى حتى عن للحاكم بأمر الله سنة ٣٩٥ (١٠٠٤م) « ان يلبس النصارى واليهود دون الخيابرة الزنانير في اوساطهم والعمائم السود على رؤوسهم فامتثل ذلك في سائر مملكته »(٤) واعاد هذا الامر سنة ٤٠١ (١٠١٠م) بتغيير الزنانير التي يلبسونها ، والاقتصار على لبس الزنانير السود فقط ، دون غيرها من الالوان والعمائم السود(٥) » . وخفف الغيار بعد موته ، واقتصر الاكثرون على لبس زنار وعمامة سوداء .

١) إنباء الغمر للعسقلاني ، ٤٠٦٢ ، ١٥٤
٢) التبر المسبوك للسخاوي ٢٠٦
٣) النجوم الزاهرة ، طبعة ليدن ، ٧٣١ ــ ٧٣٢
٤) كتاب الذيل ليحيى بن سعيد ١٨٧ ٥) كتاب الذيل ليحيى بن سعيد ٢٠٠

وانما اختار الحاكم السواد للباس النصارى واليهود ، لانه كان شعار العباسيين فاراد اذلاله والحطّ منه ايضاً بتخصيصه باحقر قوم في مملكته ، في اعتباره ، وهم اهل الذمة الذين رسم الشرع الاسلامي جباههم بالذل والصغار.

ومن الابيات التي أشير فيها الى بياض عمائم الذميين قول احد ادباء الكوفة في غلام نصراني:

كأنما عقد الزنار فوق نقا واعتمّ فوق دجى الظلماء بالنور(١)

وقد نصّ غير واحد من المؤرخين على ان تشهير العمائم بالزرقة والصفرة والحمرة كان في شعبان سنة ٧٠٠ (١٣٠١م) ، اجابة لطلب وزير مغولي حضر في عرض رسالة ، فرأى حال اهل الذمة وترفهم ومباهاتهم ، فانكره واتصل نكيره بالسلطان ، فامر بجمع الفقهاء للنظر في الحدود التي تقف عندها اهل الذمة فاجمع الملأ منهم على تعيين الزرقة للنصارى ، والصفرة لليهود ، والحمرة للسامريين(٢). وفي ذلك يقول علاء الدين الوداعي:

لقد ألزم الكفار شاشات ذلّة تريدهم من امنة الله تشويشا
فقلت لهم ما ألبسوكم عمائماً ولكنهم قد الزموكم براطيشا(٣)

وارثى عليه الشيخ شمس الدين الطيبي في المجاملة واللطف فقال:

تعجبوا للنصارى واليهود معاً والسامريين لما عُمّموا الخرقا
كأنما بات بالاصباغ منهلا نهر السماء فاضحى فوقهم ذرقا(٤)

وقذفهم ابن حبيب في النار فقال:

عمائم اهل الذمة البُهت اشبهت تلوّن ما يقضى عليها من النار
فاصفر يتلو احمراً بعد ازرق سمات انت بالخزي والذل والعار(٥)

قال النويري:

وتقرر بدمشق ان تلبس النصارى العمائم الزرق واليهود العمائم الصفر والسامرة العمائم الحمر واستقر ذلك في سائر المملكة الا بالكرك فان النائب بها جمال الدين أقش الاشرفي رأى اعتمامهم على حالهم واعتذر ان اكثر اهل الكرك نصارى وان المسلمين بها قليل وان هذا

١) مسالك الابصار للعمري ٢١٢
٢) العبر لابن خلدون ٥ : ٤١٦ والبداية والنهاية لابن كثير ١٤ : ١٦
٣) المنهل الصافي لابن تغري بردي ، ٢٠٧٣ باريس ٣٠٠
٤) درة الاسلاك في دولة الاتراك ١٧١٩ باريس ١١٠

العدد يؤدي الى ظهور كثرتهم للتريب وما اشبه هذه الاعذار فاستقر ذلك بالكرك والشوبك الى الآن واخبرني سيف الدين بليان الجوكندار في سنة احدى وسبعمائة (١٣٠٢م) وهو يومئذ استاذ الدار السلطانية وشاد الدواوين بدمشق قال : ركبت في الموكب مع الامير جمال الدين اقش الافرم نائب السلطنة بما فيه طائفة من اهل الذمة بالاقمشة النفيسة والعمائم اللابس قال فشق على كونهم لم يتميزوا علامة فذكرت ذلك لنائب السلطان وقررت معه ان يأمر بتغيير هيئاتهم وان تلبس النصارى العمائم الزرق واليهود العمائم الصفر والسامرة العمائم الحمر وتقرر ان يطالع في ذلك فورد مثال السلطان بذلك قبل وصول المطالعة ووافق تاريخ تلبيسهم بالديار المصرية التاريخ الذي حدثت نائب السلطان فيه بسببهم »(١).

ولا يخفى ما في هذه الشهادة من القدر والشان في تاريخ نصارى الكرك والشوبك.

وقال المقريزي بعد شرح ما سبق :

« وقدم البريد في امر الذمة الى دمشق يوم الاثنين سابع شعبان (١٧ ابريل – نيسان ١٣٠١) فاجتمع القضاة والاعيان عند الامير اقش الافرم وقرئ عليهم مرسوم السلطان بذلك فنودي في خامس عشريه ان يلبس النصارى العمائم الزرق واليهود العمائم الصفر والسامرة العمائم الحمر وشددوا على المخالفة فالتزم النصارى واليهود بسائر مملكة مصر والشام ما أمروا به وصبغوا عمائمهم الا اهل الكرك فان الامير اقش الاشرفي اعتذر بان اكثر اهل الكرك نصارى فلم يغير اهل الكرك والشوبك من النصارى العمائم البيض.

« وبقيت الكنائس بارض مصر مدة سنة مُتلفة حتى قدمت رسل الاشكري (Lascaris) ملك الافرنج يشفع في فتحها ففتحت كنيسة المعلقة بمدينة مصر وكنيسة ميكائيل الملكيين ثم قدمت رسل ملوك أخر ففتحت كنيسة حارة زويلة وكنيسة نقولا . . . واتفق ان بعض النصارى فتح كنيسة فأجتمع العامة ووقفوا الى الامير سلار النائب وشكوا النصارى انهم فتحوا كنيسة بغير اذن وان فيهم من امتنع من لبس العمامة الزرقاء واحتمى بالامراء فنودي بالقاهرة ومصر بان من امتنع من لبس العمامة الزرقاء نُهب ماله وحلّ دمه وحريمه وان لا يُستخدم نصراني عند امير ولا في شيء من الاشغال السلطانية . . . فامتدت ايدي العامة الى اليهود والنصارى فكادوا يقتلونهم من كثرة الصفع في رقابهم بالاكف والنعال فامتنع الكثير منهم من المشي في الاسواق خوفاً على نفسه »(٢).

وحاول النصارى بعد ذلك ان يرجعوا الى عمائمهم البيض وضمنوا على ذلك مالاً جزيلاً كل سنة فلم يسمع لهم قول ولم ينجح سعي واشار الى ذلك ابن كثير فقال :

١) نهاية الارب ١٥٧٨ باريس ، ٢١١ – ٢١٢

٢) السلوك ١٧٢٦ باريس ، ٢٨٢ – ٢٨٣

« سنة ٧٠٩ (١٣٠٩م) تكلم الوزير ابن الخليلي في اعادة اهل الذمة الى لبس العمائم البيض بالملائم واخم قد التزموا الديوان بسبع مائة الف في كل سنة زيادة على الجالية فسكت الناس وكان فيهم قضاة مصر والشام وكبار العلماء من اهل مصر والشام . . . »(١)

وبقي اللون الابيض محرماً على النصارى الى ايام الاتراك العثمانيين كما نبه على ذلك القرماني فقال :

« في شعبان سنة سبعمائة ألبست النصارى واليهود بمصر والشام العمائم الزرق والصفر واستمر الحال الى ان امر السلطان الاعظم المرحوم مراد خان بن سليم في سنة تسعمائة واثنين وثمانين (١٥٧٤م) بعدم لبس العمائم ووعدوا ان يدفعوا في كل عام لبيت المال مالاً جزيلاً فلم يرضَ ولم يرجع عن قوله »(٢).

وكان سُفار الفرنج اذا قدموا لزيارة الاماكن المقدسة يضطرون الى دخولها بالعمائم الملونة وقد اشار الى ذلك احدهم فقال بتاريخ ١٦١٦ — ١٦١٧ ما تعريبه من جملة وصاياه :

« متى وصلت الى اول ميناء او مدينة من مدن الاتراك يجب اشياع عمامة ملونة خلا الابيض والاخضر من الالوان فانهما غير مسموح بهما للنصارى »(٣).

وللشعراء اوصاف وتوريات كثيرة في العمائم الزرق والصفر والحمر نذكر منها ما يأتي :

للصلاح الصفدي في غلام نصراني :

البسوه عمامة للنصارى قد حكى اللازورد في اللون عنها
وجلوا طلعة كبدر تمام ليس تحت الزرقاء احسن منها(٤)

وله في مليح قبطي :

رب قبطي تبدى من بدور التم اشرق
فرقه كالصبح اضحى : وهو بالعمة ازرق(٥)

ولابن المستوفي في مليح لابس عمامة زرقاء :

بامن يدل بحسنه وجماله ويذيب قلب محبه بجفائه

(١) البداية والنهاية ١٤ : ٥٤
(٢) اخبار الدول وآثار الاول ١٨٢
(٣) B. Parisien : *Voyage de Hierusalem*. p. 75.
(٤) مراتع النزلان للنواجي ٧٨٣ الفاتيكان ، ٢٧
(٥) الحسن الصريح في ملاحة مليح (٥١٣٠ ادب) دار الكتب المصرية ، ص ٢١

لم يبقَ شك فيك انك واحد القمرين حين لبست ثوب سمائه(١

وللشهاب الحجازي في مليح نصراني:

من النصارى سباني شادن ، وله عمامة كسماء لازوردية
ناديته اليوم قصدي ان ايضها فقال يا سيدي دعها سماوية(٢

ولسعد الدين بن الشيخ محيي الدين بن عربي:

وغزال من اليهود اتاني ، زائراً من كنيسه او كنائسه
بت احمي الشقيق من وجنتيه ، واشم البهار من انفاسه . . .
من رآني بطنني ، لتحولي واصفراري ، علامة فوق رأسه(٣

وللصلاح الصفدي في يهودي بعمامة صفراء:

حبي يهوديّ مرضت بحبه ، وترايدت بي مهجتي الادواء
من لون عمّته ، وكحل جفونه ، لعبت بي الصفراء والسوداء(٤

وله في سامري بعمامة حمراء:

سامريّ سبى جميع البرايا عسال اجملت فيه العباره
فهو من عمّه واين قوام عصن بان وفوقه جلنار(٥

ولبدر الدين حسن الزغاري مضمناً:

وبي سامريّ مرّ بي بعمامة قد اكتسبت من وجنتيه احمرارها
مورّدة دارت بوجه ، كأنما تناولها من خده فاستدارها(٦

ومثله قول الشيخ عز الدين الموصلي:

وسامريّ اعار البدر منه سنّاً سمّوه نجماً ، وهذا النجم غرّارُ
تحتّ قامته من تحت عمته ، كأنه علم في رأسه نارُ(٧

وكانت التواقيع والوصايا السلطانية التي تعطى من مصر الديّان برئاسة اليهود تتضمن احياناً الامر بالتزام العلامة الصفراء « راية الذلة ». نقل القلقشندي امثلة منها كقوله : « من ركن في امرها الى الاخلاد والاخلال وسكن الى

١) غرة الصباح في الوجوه الصباح لابن البدري لندرة Add. 23445 f° 42
٢) جنة الولدان في الحسان من الغلمان ٢٢
٣) نفح الطيب ١ : ٢ و ٤
٤) الحسن الصريح ٢٢
٥) خزانة الادب لابن حجة ٢٩ ؛ والدرر الكامنة للعسقلاني ، طبعة حيدر اباد ٢ : ٢٢
٦) خزانة الادب لابن حجة ٢٩

الاهمال ولم يرضَ بان راية الذلة الصفراء على رأسه تُشال فأوسعه إنكارا وألزمه منها شعارًا[1] ». وقول شهاب الدين العمري : « ليعلم ان شعارهم الاصفر موجب لئلا يُراق دمهم الاحمر وانهم تحت علم علامته آمنون وفي دعة اصائله ساكنون وليأخذهم بتجديد صبغه في كل حين وليأمرهم بملازمته ملازمةً لا تزال علائمه على رأسه تبين[2] ». ونظير ذلك في وصية السامريين : « ليُحسِنْ بحسن السلوك دماءهم التي كأنما صُبغت عمائمهم الحمر منها بما طُلّ وأوقد لهم منها النار الحمراء فلم يتقوها الا بالذل[3] ».

ويؤخذ مما حكاه يحيى بن سعيد الانطاكي ، والنويري ، وابن خلكان ، ان الحاكم بامر الله استثنى الحيابرة من اليهود من لبس العمائم السود ولم يذكر احد منهم سبب ذلك ، ولا ما كان لون عمائمهم في ديار الاسلام . وكان الحيابرة ذوي بأس وشدة في بغداد ، فهل كانوا كذلك في القاهرة ومصر ؟

وظل التضييق على النصارى باتخاذ العمائم الزرق الى القرن التاسع عشر ايضاً روى كامل الغزي بتاريخ سنة ١٢٢٩/١٨١٣ : « في ثلاثين من ربيع الاول امرت الحكومة النصارى ان يعتموا بعمائم سماوية اللون وان يلبسوا بارجلهم النعال الحمر[4] ».

٧ ـ الكلفتات والفلانس المشهرة

قال رضي الدين الحلبي : « الكَلَوتة ، بفتح الكاف واللام وسكون الواو وبعدها تاءان ، عمامة ملساء ذات قرنين منعطفين الى اسفل يمنة ويسرة واسمها الصحيح الكلافتة بالفاء وجدته بخط بعض الضابطين من المؤرخين[4] » قلنا هي المعروفة عند الفرنج باسم Calotte خلا انها عندهم بغير قرنين وقد شُوّهت هذه الكلفتات في المغرب واتخذت لتمييز اليهود من المسلمين قال عبد الواحد المراكشي :

---

١) صبح الاعشى ١١ : ٢٨٨

٢) التعريف بالمصطلح الشريف ١٤٣ – ١٤٤

٣) مهر الذهب في تاريخ حلب ٢ : ٢٢١

٤) دار الحبب في تاريخ اعيان حلب ، ٢١٤٠ باريس ، ٥٣٠

« وفي آخر ايام ابي يوسف يعقوب بن عبد المؤمن امير الموحدين ٥٨٠-٥٩١ للهجرة) امر ان يتميز اليهود الذين بالمغرب بلباس يختصون به دون غيره وذلك ثياب كحلية واكمام مفرطة السعة تصل الى قريب من اقدامهم وبدلا من العمائم كلوتات على الشنع صورة كأنها البراديع تبلغ الى تحت آذانهم فشاع هذا الزي في جميع يهود المغرب ولم يزالوا كذلك بقية ايامه وصدراً من ايام ابنه ابي عبدالله الى ان غيره ابو عبدالله المذكور بعد ان توسلوا اليه بكل وسيلة واستشفعوا بكل من يظنون ان شفاعته تنفعهم فامرهم ابو عبدالله بلبس ثياب صفر وعمائم صفر فهم على هذا الزي الى وقتنا هذا وهو سنة ٦٢١ (١٢٢٤م) وانما حمل ابا يوسف على ما صنعه من إفرادهم بهذا الزي وتمييزه اياهم به شكنه في اسلامهم وكان يقول : لو صح عندي اسلامهم اتركتهم يختلطون بالمسلمين في انكحتهم وسائر امورهم . ولو صح عندي كفرهم اقتلت رجالهم وسبيت ذراريهم وجعلت اموالهم فيئاً للمسلمين ولكني متردد في امرهم .

ولم تنفذ عندنا ذمة ليهودي ولا نصراني منذ قام امر المصامدة . ولا في جميع بلاد المسلمين بالمغرب بيعة ولا كنيسة انما اليهود عندنا يظهرون الاسلام ويصلون في المساجد ويقرئون اولادهم القرآن حارين على ملتنا وسنتنا والله اعلم بما تكنه صدورهم وتحويه ضمائرهم[1] » .

وكان لليهود بالاندلس ايضاً « سمة تشهرهم وشارة تميزهم ليوفوا حقهم من المعاملة[2] » .

وقد اشتهرت الفلانس في ايام العباسيين بالافراط في الطول والاتساع ، حتى شبهها ابو دلامة في شعر له « بدنان يهودٍ جُلّلت بالبرانس » وكانت تدعم من داخلها بالقصب والعيدان . وغلب عليها هذا الشبه حتى سميت دنّية . واختار القضاة لبسها خصوصاً لزيادتها في المهابة والتهويل . ومن النكات التي ذكرها علي بن سعيد في كتابه جني النحل ان قاضي مصر ابا الطاهر الذهلي « كان في خلافة المطيع يلبس السواد ويضع على رأسه دنّية طويلة تزيد على الدماغ فتحاكم اليه زوجان فبدر من المرأة في حق زوجها كلام فقال لها : اسكتي هذا القاضي هو ابو الطاهر متى زدت من هذا المعنى نزع الخف الذي على رأسه وقطّعه على دماغك فقال له ابو الطاهر : قم يا كذا وكذا الى امة الله من اين لك ان هذا خف ؟[3] » .

---

١) المعجب في تلخيص اخبار المغرب ٢٢٢

٢) النسخة البدرية في الدولة النصرية لسان الدين الخطيب ١١

٣) رفع الأسر ٩٨ ، والتلخيص ٧٧ ، في ذيل كتاب الولاة للكندي ٥٨٧

« وكان زي اهل مصر وجمال شيوخهم واهل الفقه والعدالة منهم لبس القلانس الطوال كانوا يبالغون فيها فامرهم ابن ابي الليث (امير مصر) بتركها ومنعهم لباسها وان يتشبهوا بلباس القاضي وزيه . فلم ينتهوا فجلس ابن ابي الليث في مجلس حكمه في المسجد . واجتمع اولئك الشيوخ عليهم القلانس . فاقبل عبد الغني وعطر (غلام ابن ابي الليث) فضربا رؤوس الشيوخ حتى القوا قلانسهم قال عتبة بن سطام : رأيت قلانس الشيوخ وقتئذ في ايدي الصبيان والرعاع يلعبون بها وكانوا بعد ذلك لا يدخلون الى ابن ابي الليث ولا يحضرون مجلسه في قلنسوة »[1] .

وفي شروط الذميين نهي عن التشبه بالمسلمين في لبس قلنسوة ، ومن لبسها منهم وجب عليه « تصيير زرين على قلانس من لبس منهم قلنسوة مخالفة لون القلنسوة التي يلبسها المسلمون[2] » . وفي كتاب ابي يوسف يعقوب « لتكن قلانسهم طوالا مضربة[3] » قال الفراء : يعقد في رأسها علم ليفرق بينها (اي بين الذمي والمسلم) مخالفاً قلانس القضاة لان عادة قلانس القضاة ان يكون في آذانها شفاشك وقلانس هؤلاء على ما قلنا وقد قيل تكون قلانسهم مضربة لان هذا النوع من القلانس قد كان يختص اهل الذمة بلبسه ويتميزون بها من غيرهم[4] » .

ولا ريب انه كان هنالك فوارق لم تتصل بنا أدخلت على مرّ الزمان بحيث اصبحت قلنسوة النصراني مثالاً للذلّ والصغار ، وبقيت كذلك في ايام الاتراك العثمانيين . وفي سنة ٩٨٨ (١٥٨٠م) خرج امر السلطان مراد بقتل محمود البواب المعروف بتكري بلزاي اي الذي لا يعرف الرب « فجمع الوزير حسن باشا ابن محمد باشا نائب الشام اعيان دمشق باسرهم ولما أحضر البواب المذكور امر الوزير بنزع كسوة السلطان منه وألبس قلنسوة نصراني . قال المحبي بعد ان حكى ما تقدم : كان محمود البواب المذكور . . . بعد ان هرب الشيخ شمس الدين الخطابي الى طرابلس الشام . . . سار البواب وقبض عليه واتى به الى دمشق وعلى رأسه قلنسوة نصراني وفي رجليه القيود وفي عنقه الغل[5] » .

---

١) كتاب الولاة والقضاة للكندي ٤٦٠

٢) تاريخ الطبري ٣ : ١٢٩

٣) كتاب الخراج ١٥٢

٤) بيان ما يلزم اهل الذمة فعله ١٠

٥) خلاصة الاثر ٢ : ٤١

الغيار

١ الغيار في اللغة والشرع

الغيار مصدر غاير اي خالف . ويطلق في العرف على العلامات والقيود التي وُضعت على اهل الذمة لتشهيرهم وتمييزهم . فيتناول كل ما خالف زيّ المسلمين من ازياء النصارى واليهود ، كالزنّار ، والعمامة ، ورُقع الدرنريع ، والخيوط الملونة الموضوعة على الكتف ، وكل ما خيط على الثياب الظاهرة مما يخالف لونه لونها ، وما كان يُعلّق في الرقاب عند دخول الحمامات من الدراهم المكتوب عليها « ذمي » ، والخواتم ، والاطواق من حديد او رصاص ، ويجعل احياناً في الاعناق من الجلاجل ، وما كان يمتاز به الرجال من النعال ، والنساء من الاخفاف ، ويوضع على العمائم من الطيالسة العسلية او المقوّرة ، وبالاجمال كل ما خالف العادات والالوان المختصة بالمسلمين وملابسهم .

وقد ورد كثيراً في الشعر كقول ابي اسحق القابوني الحنفي في مليح عليه غيار انشده بدمشق سنة ٦٣٠/١٢٣٢ — ١٢٣٣

لما بدا في ثياب خضر ، وابدى عذاره
فقلت غصن وريق بدت به جلناره
قالوا : عليه غيار ، فقلت : مني استعاره[1]

وفي شفاء الغليل : « الغيار هو علامة الكفار كالزنار » . وفي شرح المهذب : « الغيار ان يخيطوا على ثيابهم الظاهرة ما يخالف لونه لونها . وتكون الخياطة على الكتف دون الذيل والاشبه ان لا يختص بالكتف »[2] . وهذا التحديد هو الاصل في وضع الغيار . ولكنه عم بعد ذلك كل مخالفة في الملبوس والمركوب ولا سيما في الالوان .

---

(١) المنهل الصافي لابن تغري بردي نسخة ، مصورة عن نسخة باريس في الخامسة الهجرية ١ : ٢٦

(٢) شفاء الغليل للخفاجي ١٦٦

وربما شمل الغيار ما خالف بعض العادات والهيئات كجزّ النواصي وعدم ارسال الذوائب ، والركوب على الحمير بالأكف ، وركب الخشب عرضاً من غير تزيين لها ولا قيمة عظيمة ، وما اشبه من الحدود والشروط المستنبطة على توالي العصور .

واهم غيار الذميين بالاجمال الزنار والعمامة لظهورهما لاول نظرة . وقد فصلنا في ما سبق الكلام على كل منهما ، فلا يبقى الا التنبيه على ما عداهما من القيود النصرانية واليهودية على قدر ما تهيأ لنا الوقوف عليه من الاخبار القليلة المروية في كتب التاريخ والادب . وقد اضطررنا الى الاغضاء عما جاء منها في كتب مذاهب الفقه لتعذر الاحاطة بها وتشعب الاقوال في معناها

٢ الاوامر السلطانية بإلزام الغيار

اول ما اتخذ الغيار ، في ما يظهر ، في ايام عمر بن عبد العزيز ، اذ اصبح من نسب له من الاوامر في اهل الذمة وقام على اثره هرون الرشيد في سنة ١٩١ (٨٠٦–٨٠٧ م) « وامر بهدم الكنائس في الثغور وكتب الى السندي ابن شاهك باخذ اهل الذمة بمدينة السلام بمخالفة هيئتهم هيئة المسلمين في لباسهم ومركوبهم »[1] . وقد فاتنا معرفة السبب الذي دعاه الى التفريق بين الذميين والمسلمين في اللباس والمركوب ولم يتعرض احد لذكره مع اهميته . وكذلك سكت المؤرخون عن علة هدم كنائس الثغور . فهل كان فيها بعض عيون للروم يطالعونهم باخبار الاسلام ؟ وقد نصّ الطبري على ان الغيار كان مقتصراً على ذمّي بغداد ، ولم يذكر سبب انحصاره فيهم دون سواهم من اضرابهم في سائر المدن . ويبعد جداً ان لا تكون بقية المدن اقتدت بقاعدة الخلافة في التضييق على من خالفهم في دين ومذهب ، والظلم ، كما قيل ، من شيم النفوس ، ولا سيما على من كان معدوداً من جملة الاعداء والكفار . وقد سكت كتاب المجدل لساري بن سليمان ، من كتّاب النساطرة ، عن كل اشارة الى امر الرشيد تقيّةً لا شكّ او سهواً .

١) تاريخ الطبري ، طبعة اروبة ، ٣ : ٧١٢ – ٧١٣

ويتحصل من المراسيم العديدة ، التي تتابعت منذ القرن الثاني للهجرة في الزام الغيار ، انه كان يبطل مرة بعد اخرى او يزول باحدى الشفاعات ، ثم يتجدد بتجدد الاحن والدسائس . وقد تنوعت اشكاله ، وتبارت القرائح والفنون في التشنيع فيه والإغراب كاوامر المتوكل على الله في تسيير صور الشياطين على ابواب دور النصارى ، وتعليق الصلبان الخشب زنة اربعة اوطال في اعناق الخارج منهم ، والكرات كرأس العجل في حلوق اليهود ، وما اشبه من نظائر هذه السخافات والاهانات التي كان يُراد بها تشهير الذميين وانزال صنوف الاحتقار بهم والاساءة اليهم .

وهذه اهم ما عثرنا عليه من الاوامر السلطانية في الغيار نذكرها بترتيب تواريخها :

« سنة ٢٣٥ (٨٤٩ م) امر المتوكل اهل الذمة ان يتميزوا عن المسلمين في لباسهم ومراكبهم وثيابهم وان يتطيلسوا بالصبوغ المقلي وان يكون على عمائمهم (والصواب دراريعهم) رقاع مخالفة للون ثيابهم من خلفهم ومن بين ايديهم وان يلزموا بالزنانير الخاصرة لثيابهم كزنانير الفلاحين اليوم وان يجعلوا في رقابهم كرات خشب كبيرة وان لا يركبوا خيلاً ولتكن ركبهم من خشب الى غير ذلك من الامور المذلة لهم المهينة لنفوسهم وان لا يستعملوا في شيء من الدواوين التي يكون لهم فيها حكم على مسلم وامر بتخريب كنائسهم المحدثة وتضييق منازلهم المتسعة فيؤخذ منها العشر وان يجعل ما كان متسعاً من منازلهم مسجداً وامر بتسوية قبورهم بالارض وكتب بذلك الى سائر الاقاليم والآفاق والى كل بلد ورستاق »(١)

ولم نجد احداً جمع في اخبار هذه السنة ما جمعه ابن كثير من مظالم الذميين . ومنها ما حدث بعد المتوكل استمده ابن كثير من ذاكرته ومحفوظه لشدة بغضه للنصارى :

« سنة ٢٣٩ (٨٥٣ م) زاد المتوكل في التغليظ على اهل الذمة في الجنس واكد الامر بتخريب الكنائس المحدثة في الاسلام »(٢)

« وفي سنة ٣٩٥ (١٠٠٤ م) قرئ سجل في الجوامع بمصر والقاهرة والجزيرة بان تلبس النصارى واليهود الغيار والزنار وغيارهم السواد غيار العاصين العباسيين »(٣)

---

١) البداية والنهاية ١٠ : ٢١٢ – ٢١٤

٢) البداية والنهاية ١٠ : ٢١٧

٣) الخطط ٢ : ٢٤١

« وفي سنة ٤٠٣ (١٠١٢ م) وقعت فتنة عظيمة في بغداد . . . وطلبت العامة جماعة من النصارى . . . وألزم اهل الذمة بالغيار »(١

« وفي سنة ٤١١ (١٠٢٠ م) أُلزم النصارى الغيار . . . واشتد الغيار واستدعي الجاثليق وتُقدّم اليه بالزام اهل الذمة لبس الغيار »(٢

« وفي سنة ٤٢٩ في سلخ رجب (١٠٣٨) جُمع الاشراف والقضاة والفقهاء والوجوه الى بيت النوبي واستدعي جاثليق النصارى ورأس جالوت اليهود وخرج توقيع الخليفة في امر الغيار والزام اهل الذمة اياه وكان في التوقيع : « كان الخلفاء الراشدون فرضوا على على اهل الذمة المعاهدين حدوداً معقودة على الاستتار والإخبات والاستكانة والتفرد عن المسلمين اعظاماً للاسلام واهله ولما تطرّق على هذه السنّة إغفال واستتر فيها الاهمال اطرحت هذه الطائفة دواعي الاحتراس وتشبهت بالمسلمين في زيهم فرأى امير المؤمنين الابتداء من جميع اهل الذمة بتغيير اللباس الظاهر بما يعرفون به عند المشاهدة فليلزم ذلك من رأي امير المؤمنين » فقالوا السمع والطاعة »(٣

« سنة ٤٤٨ (١٠٥٦ م) احتسب ابو منصور ابن ناصر السياري على اهل الذمة والزمهم الغيارات والعمائم المصبوغات وذلك عن امر السلطان فصرفت ذلك عنهم خاتون (زوجة طغرلبك) ومنعت المحتسب »(٤

« سنة ٤٥٠ (١٠٥٨ م) في شهر رمضان تجدد للعوام المتدينين المتسمين باصحاب عبد عبد الصمد الزام اهل الذمة بلبس الغيار وحضر الديوان رجل هاشمي منهم يعرف بابن سكرة فخاطب رئيس الرؤساء ابن المسلمة في ذلك وذكر ما عليه اهل الذمة من الانبساط وكلمه بكلام فيه غلظة فاغلظه فكتب الى الخليفة بذلك فخرج ما قوّى امر ابن سكرة وكان ابو علي بن فضلان اليهودي كاتب خاتون فامره ابن المسلمة بالتأخر في داره وان يتقدم الى اليهود واهل المعايش بمثل ذلك وامر ابن الموصلايا النصراني كاتب الديوان بمثل ذلك فانقطعوا عن المعاملات وتأخر الكتاب والجهابذة عن الديوان فبان للخليفة باطن الامر فتشدد فيه ولم يجد ابن المسلمة مساغاً لما يريد فصار اهل الذمة يتسللون ويخرجون الى اشغالهم »(٥

« وفي سنة ٤٧٨ (١٠٨٥ م) خرج توقيع من المقتدي بالله بنقض ما علا من دور بني الحرر اليهود وسد ابواب لهم كانت تقابل الجامع وأُخذ عليهم غض الصوت بقراءة التوراة في منازلهم واظهار الغيار على رؤوسهم »(٦

---

١) تاريخ الاسلام للذهبي بريتش موزيوم Or. 49 f° 19b

٢) اخبار فطاركة كرسي الشرق ١١٥

٣) المنتظم لابن الجوزي ، طبعة حيدرابادا ، ٨ : ٩٦–٩٧ والبداية والنهاية لابن كثير ١٢ : ٤٣

٤) المنتظم ٨ : ١٧١ ؛ والبداية والنهاية ١٢ : ٦٩

٥) المنتظم ٨ : ١٩٠

٦) المنتظم ٩ : ١٧

« سنة ٤٧٨ (١٠٨٥ م) خرج توقيع الخليفة المقتدي بامر الله . . . بالزام اهل الذمة بالغيار »(١)

« سنة ٤٨٠ (١٠٨٨ م) في ذي الحجة خرج المرسوم انه قد أُنهي حال يهود بطريق خراسان وبلاد ابن مزيد لا يلبسون غيارًا ولهم شعور كالاتراك ويكنون بكُنى المسلمين فتُقدّم بخروج من عُيّن من العدول والفقهاء فهذبوا نواحي بغداد وقصدوا حلّة ابن مزيد فهذبوها »(٢)

« سنة ٤٨٤ (١٠٩١ م) في رابع عشر صفر خرج توقيع الخليفة بالزام اهل الذمة بلبس الغيار والزنار والدرهم الرصاص المعلق في اعناقهم مكتوب عليه « ذمّي » وان تلبس النساء مثل هذا الدرهم في حلوقهن عند دخول الحمام ليعرفن وان يلبسن الخفاف مردًا اسود ومردًا احمر وحاجبا في ارجلهن وشدد الوزير ابو شجاع في هذا فاجابه المقتدي الى ما اشار به واسلم حينئذ ابو سعيد بن الموصلايا كاتب الانشاء وابن اختيه ابو نصر هبة الله بحضرة الخليفة »(٣)

« في سنة ٤٨٧ (١٠٩٤ م) وزر لامير الموصل رجل من اولاد الخراسانية فمنّ له ان يلزم النصارى بلبس الغيار بالموصل مثل بغداد فكثر الدعاء عليه . . . وقبض عليه بعد اسبوع وتولى حسابه النصارى وزال الغيار من مدينة السلام وعاد الناس الى ما جرت به عادتهم في يوم الجمعة ١٢ رجب سنة ٤٩٨ (١١٠٥ م) وكان بقاؤه ١٦ سنة ويد اشهر وكان زواله بشفاعة ابي الفرج سعيد بن ابرهيم الواسطي القس الراهب وعلى يده رحم الله تعالى لدرجته من الخدمة الشريفة الامامية المستظهرية وخدمته للجوانب المحترمة »(٤)

سنة ٤٩٨ (١١٠٥ م) في ثاني عشر رجب أُزيل الغيار عن اهل الذمة الذي كانوا أُلزموه في سنة اربع وثمانين ولا يعرف سبب زواله »(٥)

« سنة ٥١٥ (١١٢١ م) طولب اهل الذمة بلبس الغيار فانتهى الامر الى ان يسلموا الى الخليفة اربعة آلاف والى السلطان (محمود) عشرين الف دينار وأُحضر الجالوت فضمنها وجمعها »(٦)

« سنة ٥٢٥ (١١٣١ م) في رجب أُعيد الغيار على اهل الذمة »(٧)

---

١) غاية الارب للنويري ، خزانة ليدن ، دون ارقام Arab. 190 (10) ؛ والبداية والنهاية لابن كثير ١٢ : ١٢٧ و ١٢٧

٢) المنتظم ٩ : ٢٨

٣) المنتظم ٩ : ٥٥

٤) اخبار فطاركة المشرق ١٤٤

٥) المنتظم ٩ : ١٤٣ ، والبداية والنهاية ١٢ : ١٦٤

٦) المنتظم ٩ : ٣٢٨

٧) المنتظم ١٠ : ٢٠

« وفي سنة ٥٩٢ (١١٩٦ م) منع العزيز بن صلاح الدين من استخدام اهل الذمة في شيء من الخدم السلطانية والزموا لبس الغيار »[١]

وكان سبب ذلك ان الملك العزيز لما جلس بدار العدل دخل عليه رجل له هيئة حسنة فما شك العزيز انه من الاشراف فلما علم انه ذمي امر بذلك[٢] وبقي سيف الغيار مصلتا فوق رؤوس الذميين حتى ما بعد استيلاء العثمانيين على مصر والشام والعراق وكان بعض الولاة الظلمة اذا ضاقت ذات يدهم او هاجت بهم اطماعهم يستدرّون حلوبة الغيار كلما امكنتهم الفرص وقد نقل الجبرتي امثلا منها فقال بتاريخ سنة ١٢٠٠ (٧٨٦ م) :

« في شوال يوم الاربعاء نودي على طائفة النصارى بان لا يركبوا الدواب ولا يستخدموا المسلمين ولا يشتروا الجواري والعبيد ومن كان عنده شيء من ذلك باعه واعتقه وان يلبسوا رسم الناصي من شد الزنار والرءوط »[٣]

وفيه يوم الاربعاء نودي على النصارى واليهود ان يبيعوا اسماءهم التي على اسماء الانبياء كابراهيم وموسى وعيسى ويوسف واسحاق وان يحضروا جميع ما عندهم من الجواري والعبيد وان لم يفعلوا وقع التفتيش على ذلك في دورهم واماكنهم فصاحوا على ذلك بقال فحصل العفو واذنوا لهم في ان يبيعوا ما عندهم من الجواري والعبيد ويقبضوا اثمانها لانفسهم ولا يستخدموا المسلمين فخرجوا ما عندهم وباعوا بعضه واودعوه عند معارفهم من المسلمين »[٤]

٣ الوانه الغيار

كان الغيار يتناول في الواقع كل ما دعا الى التشهير والتمييز مما خالف الملبوس او المألوف ، فتدخل فيه كل الالوان كما تقدم في شرح الوان الزنار . قال القلقشندي في ذكر ما يحتاج الكاتب الى معرفته في عقد الذمة :

« المطلوب منهم ستة اشياء . . . منها التمييز عن المسلمين في اللباس بان يخيطوا في ثيابهم الظاهرة ما يخالف لونها سواء في ذلك الرجال والنساء والاولى باليهود الاصفر وبالنصارى الازرق والاكهب وهو المعبر عنه بالرمادي وبالمجوسي الاسود والاحمر »[٥]

---

١) السلوك للمقريزي خزانة اكسفرد بغير ارقام Marsh. 287

٢) نهاية الارب خزانة ليدن Vrab. 2 (vol 15 214)

٣) عجائب الاثار ٢ : ١٢٤

٤) عجائب الاثار ٣ : ١٢٦

٥) صبح الاعشى ١٣ : ٣٦٤

. وقد فاته ان الاحمر كان ايضاً شعار اليهود السامريين ، كما نقلناه في الكلام على الوان العمائم . وكانت الصفرة اشهر الوان غيار اليهود والنصارى، قبل ان ينفرد اليهود بالصفرة ، والنصارى بالزرقة في القرن السابع للهجرة.

ولسبط ابن التعاويذي في الصفرة :

ونازح الاهل بعيد الدار حبته صفراء كالدينار
كأنه الذمّيّ في الغيار صلت الجبين اسود العذار(١)

ولابي الفرج بن هندو الكاتب في وصف تردده على الحانات :

كلّ ما لي فهو رهن ما له من فكاك في مساء وابتكار
ففؤادي ابدًا رهن الهوى ، وردائي ابدًا رهن عقار
لو ترى ثوبيّ مصبوغًا بما قلت ذمّيّ يدي في غيار(٢)

وربما عبّر احيانًا عن الصفرة باللون العسلي . قال ابن الجوزي في اخبار سنة ٢٩٦ (٩٠٨ – ٩٠٩ م) : « فيها امر المقتدر ان لا يستخدم احد من اليهود ولا من النصارى الا في الطب والجهبذة فقط وان يطالبوا بلبس العسلي »(٣) . . .

وقال ابن الاثير في اخبار سنة ٢٣٥ (٨٤٩ م) : فيها امر المتوكل اهل الذمة بلبس الطيالس العسلية . . . ومن خرج من نسائهم تلبس ازارًا عسليًا»(٤) وزاد على ذلك القلقشندي : « خرج امره بان تلبس النصارى واليهود ثياب العسلي وان لا يمكنوا من لبس البياض لئلا يتشبهوا بالمسلمين . . .»(٥)

وورد قائلًا ذكر العسلي في الشعر فقال ابو محمد عبدالله بن محمد الاصفهاني :

ان هذا الغيار البس عطفي عسليًا وديني التوحيد(٦)

ويدخل في السواد اللون الكحلي ، كما سبق من كلام عبد الواحد المراكشي في لباس اليهود بالمغرب ، في ايام امير الموحدين يعقوب بن يوسف.

---

١) ديوانه ٢٢٨
٢) ارشاد الاريب ٥ : ١٦٩ – ١٧٠
٣) مرآة الزمان ، طبعة لندرة Or. 4619 f° 41°
٤) الكامل لابن الاثير ٧ : ١٧ ؛ والطبري ٣ : ١٣٩٠
٥) صبح الاعشى ١٣ : ٢٦٦
٦) خاص الخاص للثعالبي طبعة القاهرة ١٨٠٩ ، ص ١٢٦

٤ رقاع الثياب

لم نجد في كل ما راجعناه من اخبار الامويين اقلّ اشارة الى تمييز الذمّيين في ايامهم برقاع في ثيابهم تخالف لونها لتدلّ عليهم . ولا شك انها من وضع العباسيين . واول مرّة ورد ذكرها صريحاً كان في حكاية اضطهاد المتوكل على الله النصارى سنة ٢٣٥ (٨٤٩م) ، وهو اول من اسرف في إعناتهم والتضييق عليهم ، وابتدع بعض الاحكام الجائرة لامتهانهم واذلالهم ، عقيب سخطه على طبيبه بختيشوع بن جبرئيل عكيدة دُبّرت عليه لا تخلو من الحسد على نعمته وثروته منذ ايام الرشيد . قال سعيد بن بطريق : « وسخط المتوكل على بختيشوع المتطبب وكتب الى جميع البلدان ان يأخذوا النصارى بلباس الغيار والرقاع في الدراريع رقعة من قدام ورقعة من خلف . . . »[1]

ووصف الطبري هذه الرقاع اتمّ وصف بقوله : « تكون احدى الرقعتين بين يديه عند صدره والاخرى منها خلف ظهره وتكون كل واحدة من الرقعتين قدر اربع اصابع ولونها عسلياً »[2] وكانت هذه الرقاع قاصرة على الرجال لظهور ثيابهم واما النساء فقد أُمرن ان يتخذن الأزر العسلية .

وقد سبق من كلام الخفاجي ان الرقعة تكون على الكتف ، ولا يمتنع ان تكون ايضاً على الذيل . وقد اشتهر بها اليهود في بلدان الفرنج . واكثر ما كانت تكون الرقعة على القلنسوة او على الصدر من لون اصفر مستديرة ولذلك كان يقال لها عندهم : Rouelle jaune au chapeau et pourpoint

وكانت هذه الرقاع كسائر علامات الغيار تبدو وتغيب حسب الايام والاحوال . ثم يعود الخلفاء والملوك الى احيائها ، كما نقل عن المقتدر بالله انه في سنة ٢٩٦ (٩٠٩م) امر « ان لا يستعان باحد من اليهود والنصارى والزموا بيوتهم وأخذوا بلبس العسلي والرقاع من خلف ومن قدام »[3] . وفي

١) نظم الجوهر ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ٣ : ٦٣

٢) تاريخ الرسل والملوك ، طبعة اروبة ، ٣ : ١٢٩٠ – ١٢٩٤

٣) المنتظم لابن الجوزي ، ٥٩٠٩ باريس ، ٨٩

مرآة الزمان لسبط ابن الجوزي : « وتعليق الرقاع المصبوغة على دراريعهم »[1]. وانفرد ابن كثير بالقول ان الرقاع تكون ايضاً على عمائمهم وعزا هذا الامر الى المتوكل على الله الخليفة العباسي سنة ٢٣٥/٨٤٩[2]. وقد وهم في ذلك والاظهر ان لفظة عمائمهم وردت غلطاً في كتابه المطبوع في مكان «دراريعهم».

٥ ـ غيار الحمامات

اوّل من ابتدع المظالم النصرانية وعقد لها شروطاً واحكاماً سلطانية في الخلافة العباسية هو المتوكل على الله. وبعد ان قربهم، وتقادم اشهر الاطباء النساطرة بينهم وهو جبرئيل بن بختيشوع، غضب عليه واقصاه ونكبه، وقلب لهم ظهر المجن، وابتكر اهانات وضروباً من الاذلال والامتهان لهم بلغ بها غاية السخف والنكاية. ولم يكتف بالتضييق عليهم في ملابسهم ومعاشهم بل فتقت له قريحته الغاشمة ان يطاردهم ويقتص آثارهم حتى في الحمامات حيث تتساوى الاجسام في العراء ولا يميز بين الكافر والمؤمن، فامر ان يعلق النصارى واليهود في اعناقهم جلاجل اي اجراساً، كما تعلق في رقاب التيوس والدواب. ولما اذاع اول احكامه الجائرة سنة ٢٣٥ (٨٤٩ م) قال ابن مسكويه « امر بأخذ النصارى واهل الذمة بلبس العسلي ... وان دخلوا الحمام كان معهم جلاجل»[3]. واقتدى به في مثل هذه الحماقات والغرائب الحاكم بامر الله الفاطمي فامر سنة ٣٩٨ (١٠٠٧ ـ ١٠٠٨ م) « ان يتميز النصارى في الحمامات بصليب يعلقونه في رقابهم، وان يتميز اليهود بجلجل مكان الصليب فلبثوا بذلك مدة ثم زال»[4]. وفي السنة المذكورة كان الغيار عموماً قد بطل من بغداد بشفاعة ابي الفرج سعيد بن ابرهيم الواسطي القس الزاهب طبيب القصر في خلافة المستظهر بالله[5]. فاعاده الحاكم في مصر وادخله في الحمامات.

---

١) خزانة بريتش ـ وزيوم Or. 4619 f° 41b

٢) البداية والنهاية ١٠ : ٢١٣ ـ ٢١٤

٣) السادس من تجارب الامم، طبعة سنة ١٨٧١، ص ٥٤٥

٤) كتاب الذيل ليحيى بن سعيد الانطاكي ١٩٥

٥) اخبار فطاركة المشرق ١٤٤

والحاكم هو ، فيما يظهر ، اول من افرد حمامات خاصة للنصارى واليهود ، ومنع اختلاطهم بالمسلمين . ولم نجد لاحدٍ قبله امرًا بهذا المعنى وروى ابن خلكان ان امر الحاكم في غيار الحمامات كان سنة ٤٠٢ (١٠١١ م) اي بعد اربع سنوات من التاريخ الذي نقله يحيى بن سعيد ، ورواية ابن سعيد اصح لانه كان اقرب من عصر الحاكم ، ووقف على كتابات وآثار من عهده لم يقف عليها ابن خلكان ، لتأخر زمانه . وهذا نص كلامه : « فيها امر النصارى واليهود الا الخيابرة بلبس العمائم السود . . . وان يكون في اعناق النصارى اذا دخلوا الحمام الصلبان وعلى حمامات اليهود صور القرامي[1] . يريد لا شك لا ما اشبه القرامي في الشكل والرسم بل ما كان حقيقة على هيئتها من اصول الشجر وقد تصفحت لفظة قرمية في تاريخ ابن كثير المطبوع وجاء في مكانها « قربة بالباء » اي الوعاء الذي يجعل فيه الماء ، والكتاب مشحون بامثال هذه الغلطة الفاحشة . ولا بأس ان ننقل هنا رواية ابن كثير على طولها لما تضمنه من الفوائد والزوائد قال:

« سنة ٣٩٨ (١٠٠٧ – ١٠٠٨ م) نودي في النصارى من احبّ الدخول في دين الاسلام دخل ومن لا يدخل فليرجع الى بلاد الروم آمنًا ومن اقام منهم على دينه فليلتزم بما شرط عليهم من الشروط التي زادها الحاكم على العمرية من تعليق الصلبان على صدورهم وان يكون الصليب من خشب وزنه اربعة ارطال وعلى اليهود تعليق رأس العجل زنته ستة ارطال وفي الحمام يكون في عنق الواحد منهم قربة (قرمية) زنة خمسة ارطال باجراس وان لا يركبوا خيلًا ثم بعد هذا كله امر باعادة بناء الكنائس التي هدمها واذن لمن اسلم منهم في الارتداد الى دينه وقال نتزّه مساجدنا ان يدخلها من لا نية له ولا يعرف باطنه »[2] .

وقد خلط ابن كثير بين عدة اخبار للحاكم وانفرد بوجوب تعليق اجراس لليهود مع القرامي ، ومنعهم ركوب الخيل ، وهو لم يُنقل عن الحاكم . ومن الشقاء ان لا يكون المؤرخون قد اعتادوا امانة النقل ونسبة كل قول لمن سبقهم من الرواة ، ليستطيع الناظر في اخبارهم مقابلة ما تقدم منها بما تأخر واسناد كل رأي الى صاحبه ، والتمييز بين الاصيل منه والدخيل ليتيسر نقدها وتزييف الضعيف منها والتنبيه على الراجح منها والمرجوح .

١) وفيات الاعيان ٢ : ١٦٦

٢) البداية والنهاية ١١ : ٢٢٩

ولا شك ان تعليق الصلبان والقرامي والاجراس في الاعناق كان عاصفة هبّت ثم سكنت ، وما لبثت ان تنوسيت واطرحت ، لصعوبة التشدّد بها وارغام الناس عليها ، ولذلك اتُخذ بدلاً منها تعليق الدراهم في الاعناق مكتوب عليها « ذمي » ، او خواتم من حديد او رصاص . قال ابن الجوزي بتاريخ سنة ٤٨٤ (١٠٩١ م) :

« فيها خرج توقيع من الخليفة بالزام اهل الذمة بلبس الغيار والزنار والدرهم الرصاص المعلق في اعناقهم مكتوب فيه « ذمي » وان تلبس النساء مثل ذلك الدرهم في حلوقهن عند دخول الحمامات ليُعرفن » (١

ولم يذكر احد هل كان يُختم احياناً او يُكوى في الاعناق لفظ « ذمي » كما كان يُختم قبلاً في مصر على ايدي الرهبان لجبايتهم واما الختم بالرصاص فقد زعموا انه من وصاة عمر بن الخطاب ، رواه ابن الحكم باسناده الى عبدالله بن عمر قال : «كتب عمر بن الخطاب ان يُختم في رقاب اهل الذمة بالرصاص»(٢) . وكان ثاني الخلفاء الراشدين ارشد واعقل من ان يُسِفّ الى مثل هذه الدنايا التي تجلّ عنها سياسته البصيرة ، ويضيق بمثلها وقته الذي انفقه في ادارة الفتوحات ومتابعة النجدات والامداد وتمصير الامصار . وقد نسبوا له من الكتابات والاوامر والنواهي ما لا تتسع له خلافته القصيرة الامد ، واكثرها منحولة له ، موضوعة من بعده في القرنين الثاني والثالث ، فلا يجب ان يكترث لها ولا يوثق بها . ورووا في معنى هذا الختم في الرقاب بيتاً لبشار بن برد في آخر ابيات له في عبدة قال فيه :

ختم الحبّ لها في عنقي موضعَ الخاتم من اهل الذمم

قال ابو الفرج الاصبهاني : « وكان بشار ينكر هذا البيت »(٢)

وقد تعدّدت الاوامر السلطانية في غيار الجهات نروي منها ما يأتي مرتبة حسب تواريخها التالية لما قدمناه منها :

« سنة ٧٢١ (١٣٢١ م) نودي على النصارى ان يخرجوا بالثياب الزرق والعمائم الزرق وان يحمل الجرس في اعناقهم في الحمام (٣ .

١) عجائب البدائع ، ١٥٦٧ باريس ، ٣٦

٢) الاغاني ٦ : ٥٢

٣) تتمة المختصر لابن الوردي ٢٧١

« سنة ٧٥٤ (١٣٥٣ م) في يوم الجمعة ثامن عشر رجب الفرد قرئ بجامع دمشق . . . كتاب السلطان بالزام اهل الذمة بالشروط العمرية وزيادات أخر منها . . . ان لا يدخلوا الحمامات الا بالعلامات من جرس او بخاتم نحاس اصفر او رصاص ولا تدخل نساؤهم مع المسلمات الحمامات وليكن لهن حمامات تختص بهن » (١)

« سنة ٧٦٥ (١٣٦٣ م) يوم الخميس حادي عشر صفر نودي في البلد (دمشق) على اهل الذمة بالزامهم بالصغار وتصغير العمائم وان لا يستخدموا في شيء من الاعمال . . . وان يكون في رقابهم ورقاب نسائهم في الحمامات اجراس . . . » (٢)

« سنة ٧٦٧ (١٣٦٥ – ١٣٦٦ م) نودي في البلد (دمشق) بان نساء اهل الذمة لا تدخل الحمامات مع المسلمات بل تدخل حمامات تختص بهن ومن دخل من اهل الذمة الرجال مع رجال المسلمين يكون في رقاب الكفار علامات يعرفون بها من اجراس وحوائج ونحو ذلك » (٣)

« في سنة ٨٠١ (١٣٩٨ – ١٣٩٩ م) نودي في القاهرة . . . ان النصارى واليهود لا يدخلون الحمامات الا وفي اعناقهم اجراس » (٤)

« وفي سنة ٨٢٢ (١٤١٩ م) نودي ان من دخل منهم الحمام فليكن في عنقه جرس . . . وكتبت عليهم الحمامات وضرب منهم جماعة لاجل ذلك » (٥)

« وفي سنة ٨٣٠ (١٤٢٦–١٤٢٧ م) نودي على اهل الذمة ان يصغروا عمائمهم وان لا يدخلوا الحمامات مع المسلمين ومن دخل منهم فليكن في عنقه جاجل او طوق حديد » (٦)

وكان النساء سواء في ذلك والرجال . نصّ الفراء على « ان الذمية اذا دخلت الحمام يكون في رقبتها خاتم رصاص او حديد او جاجل ليقع الفرق بينها وبين المسلمات »[7] . وزاد السيوطي الخلخال ولم يخص به النساء فقال : « اما اهل الذمة اذا دخلوا الحمام مع المسلمين فيدخلون منفردين الا انهم اذا دخلوا حماماً فيه مسلمون أمر كل واحد منهم ان يجعل في عنقه خاتماً من حديد او رصاص ونحوه او في رجله خلخالاً وذلك ليتميز بذلك من المسلمين فلا يُوقّر ولا يُحترَم »[8] .

١) البداية والنهاية ١٤ : ٢٥٠
٢) البداية والنهاية ١٤ : ٣٠٥ - ٣٠٦
٣) البداية والنهاية ١٤ : ٣١٧
٤) السلوك للمقريزي ، ١٧٢٨ باريس ، ٢٥
٥) السلوك ، ١٧٢٧ باريس ، ٢٢٨ – ٢٢٩
٦) انباء الغمر للعسقلاني ، ١٦٠٢ باريس ، ٥٤٠
٧) بيان ما يلزم اهل الذمة فصل ١٥
٨) نزهة المتأمل ومرشد المتأهل ، لندرة Or. 4640 f° 137

ولم نرَ ذكر الخلخال لاحد غيره ، وهو للرجال من الغرابة بمكان ، ما لم يقصد به النساء . ولا يبعد ان يكون تصحيف الجاجل كما جاء في عجائب البدائع لابن الجوزي ، كما سيمرّ بنا قريباً .

٦ ـ نعال الرجال واخفاف النساء وأزرهن

في جملة ما زعموه من الشروط العمرية ان لا يتشبه الذميون بالمسلمين « في شيء من لباسهم في قلنسوة . . ولا نعل ذات عذبة . . . » . وعلق الفراء على ذلك التفسير الآتي : « اما النعلان فقد قيل انه تجعل شُرُك نعالهم مثنية وان يحذوها حذو المسلمين لان هذا كان عادة لهم في لباسها وأمروا بالبقاء عليه ليقع الفرق والتمييز بينهم وبين المسلم وانما اعتبر ذلك في النعال لان المتأمل منا ينظر الى قدم الماشي والذاهب في الطرقات فاذا وجد هيئته على هيئته (اي هيئة الذمي) حكم له بحكمهم »[1] .

واختلفوا في تعيين الوان الاخفاف للنساء . ففي سنة ٤٨٤ (١٠٩١م) خرج توقيع من الخليفة بالزام « اهل الذمة لبس الغيار . . . وان يلبس النساء اخفافاً فرداً اسود وفرداً احمر وجلجلاً في ارجلهن »[2]

« سنة ٧٥٥ (١٣٥٤ م) جيء بالبطرك ورئيس اليهود فوقفا على ارجلهما وقرئ عليهما نسخة العهد وفيها ان تلبس المرأة السائرة خفين احدهما اسود والآخر ابيض »[3]

« وفي سنة ٧٦٥ (١٣٦٣ م) يوم الخميس خامس عشر صفر نودي في البلد (دمشق) على اهل الذمة . . . ان يكون في رقابهم ورقاب نسائهم في الحمامات اجراس وان يكون احد النعلين اسود مخالفاً للون الاخرى ففرح لذلك المسلمون ودعوا للآمر بذلك »[4]

« وفي سنة ٧٦٧ (١٣٦٥ – ١٣٦٦ م) أمر نساء اهل الذمة بان تلبس المرأة خفيها مخالفين في اللون بان يكون احدهما ابيض والآخر اصفر او نحو ذلك »[5]

واما أزر النساء فكانت تابعة لعمائم الرجل في اللون ، اي الزرقة للنصرانيات ، والصفرة لليهوديات .

١) بيان ما يلزم اهل الذمة فصل ١٠
٢) عجائب البدائع ، ١٥٦٧ باريس ، ٢٦
٣) السلوك ، ١٧٣٧ باريس ، ١٦ ، وصبح الاعشى ١٣ : ٢٧٩
٤) البداية والنهاية ١٤ : ٢٠٥ – ٢٠٦
٥) البداية والنهاية ١٤ : ٢١٧

« وفي سنة ٧٥٤ (١٣٥٣ م) قُرئ بجامع دمشق . . . كتاب السلطان . . . ان يكون ازار النصرانية من كتان ازرق واليهودية من كتان اصفر وان يكون احد خفيها اسود والآخر ابيض وان يحكم حكم مواريثهم على الاحكام الشرعية »(١

٧ ـ الطيالس المقوّرة والمصبوغة

قال جلال الدين السيوطي في كتابه « الاحاديث الحسان في فضل الطيلسان » :

« نصّ العلماء على انه ينبغي ان يكون للعلماء لباس خاص ليُعرفوا فيُسألوا ويرقّروا.. ومن هنا منع اهل الذمة من مساواة المسلمين في اللباس وأُمروا بلباس يتميزون به بشرط عمر بن الخطاب رضي الله عنه بذلك .

حكى الماوردي في الحاوي والمرزباني في البحر وجهاً ان اهل الذمة يمنعون من لبس الطيلسان لانه اجل ملابس المسلمين وحكاه بعدهما كثير من الاصحاب منهم الرافعي والنووي وابن الرفعة وآخر من حكاه وعلّله بهذه العلة الكمال الدميري في شرح المنهاج ونقله صاحب البيان من مذهب ابي حنيفة واحمد وكذا نقله الرافعي عنهما واستدركه الزركشي في الخادم بان القاضي ابا يعلى من الحنابلة قال : لا يُمنعون من الطيلسان المقوّر لانه لباس اليهود قديماً والعجم وما كانت العرب تعرفه ورأيت في الهداية وغيرها من كتب الحنفية ما نصّه : ويُمنعون من لباس يختصّ باهل العلم والزهد والشرف وفي الينابيع من كتبهم ما نصّه : وليس لهم ان يلبسوا طيالس المسلمين ولا اردية مثل اردينهم ولا كل لباس يختص باهل العلم والزهد والشرف وقال الحافظ ابو القاسم بن عساكر في تاريخه : كتب عمر بن عبد العزيز الى امصار الشام : لا يمشينّ نصراني مفروق الناصية ولا يلبس قباء ولا يمشينّ الا بزنار من جلد ولا يلبسنّ طيلساناً

قال القاضي ابو يعلى الفراء من الحنابلة : لا يُمنع اهل الذمة من الطيلسان وهو المقوّر الطرفين المكفوف الجانبين المكفوف بعضها الى بعض وما كانت العرب تعرفه وهو لباس اليهود قديماً والعجم ايضاً والعرب تسميه ساجا ويقال ان اول من لبسه من العرب جبير ابن مطعم وكان ابن سيرين يكرهه »(٢

ولما اخذ الرشيد سنة ١٩١ (٨٠٦ – ٨٠٧ م) اهل الذمة بمخالفة زي المسلمين في ملبوسهم(٣)، كان في جملة ما تميزوا به صبغ الطيالسة بالصفرة « فدخل

١) البداية والنهاية ١٤ : ٢٥٠

٢) الاحاديث الحسان في فضل الطيلسان ، مخطوط عندنا ، ومنه نسختان في خزانة الاسكوريال في اسبانية.

٣) العبر لابن خلدون ٣ : ٢٢٦

اليه جبرئيل بن بختيشوع الطبيب بطيلسان مصبوغ فانكر ذلك عليه فقال : انا احد الذمة ولا يجوز ان اخالف زيهم فاستحسن ذلك من قوله ورفع ذلك عن النصارى »[1] . ولكن المتوكل على الله ما لبث ان احيى هذه المظلمة « وامر اهل الذمة بلبس الطيالس العسلية »[2] . وفي سنة ٤٠٣ (١٠١٤ م) تقدم الحاكم ان تلبس النصارى واليهود دون الخيابرة طيالسة سودا وعمائم سودا »[3] .

وسقط بعد ذلك ذكر الطيلسان في احكام اهل الذمة ، ولا ريب انه كان كل مرة داخلا في جملة الغيار .

٨ ـ جز النواصي والامتناع من ارسال الذوائب

قال القلقشندي في ذكر ما يحتاج الكاتب الى معرفته في عقد الذمة :

« ان كان على رأس أحدهم شعر أمر بجز ناصيته ويُمنعون من ارسال الضفائر كما تفعل الاشراف »[4]

وقد مرّ بنا ان عمر بن عبد العزيز كتب الى امصار الشام: لا يشبهنّ نصراني مفروق الناصية وفسر الفراء هذا الفرق بقوله :

معناه اذا كان على رأسه جمة شعر يغبره على ما هو عليه ولا يفرق الشعر فرقتين كما يفرق النساء شعورهن لان الفرق من سنة المسلم واما جزّ مقادم الرؤوس فهو ان يتحذّفوا على عادتهم وهو الشعر الذي بين العذار والشرعتين ولا يتحذفوا شوابير قاصا عادة الاشراف . وقد امتنع بعض اصحاب ابي حنيفة من هذا وقال : « هذا الموضع يتغطى بالقلانس والعمائم فلا معنى له » . وهذا خلاف ما روي عن عمر ولان العادة ان مقدم الرأس يظهر ولا يتغطى بالعمامة »[5]

وزاد ابن تيمية فقال :

« لا يتشبهون بالمسلمين لا في شعورهم ولا في لباسهم فلا يفرقون شعورهم كما تفعل الفقهاء ولا يرخون لهم الذوائب كما تفعل العلماء ولا يتشبهون باجناد المسلمين كما كان يفعله اهل البرّ من الجبلية »[6]

١) اخبار فطاركة كرسي المشرق ٧٣

٢) الكامل ٧ : ١٧

٣) كتاب الذيل ليحيى بن سعيد ٣٠٢

٤) صبح الاعشى ١٣ : ٢٦٤

٥) بيان ما يلزم اهل الذمة فعله ١١

٦) نسخة الدرج الذي قرئ بدار الامارة بدمشق على الامراء والملوك والقضاة ٧ شعبان سنة ٧٠٠ في اقامة الشروط العمرية مخطوط عندنا .

ومن هذا التفسير يتضح بعض ما أقحم في الشروط العمرية من الزيادات والتعليقات التي احدثها الفقهاء ، وحكموا فيها ما نشأ في ايامهم من العادات والازياء ، ودسوها في عهد اهل الذمة ليوهموا قدمها ويستعيروا لها سلطة ثاني الخلفاء ، وهو معولهم واليه مرجعهم في رد الاحاديث وتأليف الحجج .

٩ — الركوب على الحمير عرضاً بالسروج الخشب والاكر دون الخيل والبغال

اكثر ما تدور شروط اهل الذمة على الملبوس والمركوب . وقد ذكرنا اهم ما يتعلق باللباس ، واما المركوب فقد زعموا ان عمر قال :

« يركبون على الأكف عرضاً ولا يركبوا الخيل لاحا من المناخر وانما يركبون البغال والحمر لانه لا فخر في ركوبها ويكون ركوبها على الاكف عرضاً دون السروج وقوله عرضاً معناه يكون الرجلان الى جانب والظهر الى الجانب الآخر وقيل يركبون سروجاً وعلى قربوس السرج مثل الرمانة لان هذا كان صفة مراكبهم فأمروا بالبقية عليها ليحصل الفرق بذلك »[1]

واختلف في البغال ، ذهب الغزالي وغيره الى المنع منها ، والراجح الجواز . الا انهم لا يتخذون اللجم المحلاة بالذهب والفضة[2] . ومع هذا الجواز غلب في المراسيم السلطانية المصرية المنع من ركوب البغال مطلقاً وهذه منصوص بعض هذه الاحكام التي نودي بها في مصر والشام :

« سنة ٦٩٦ (١٢٩٦-١٢٩٧ م) نودي بمصر في ذي الحجة ان لا يركب احد من اهل الذمة فرساً ولا بغلا ومن وجد منهم راكباً ذلك أخذ منه »[3]

« سنة ٧٥٤ (١٣٥٣ م) في يوم الجمعة ثامن عشر رجب افرد قرئ بجامع دمشق بالمقصورة بحضرة نائب السلطنة وامراء الاعراب وكبار الامراء واهل الحل والعقد والعامة كتاب السلطان بالزام اهل الذمة بالشروط العمرية وزيادات أخرى منها . . . ان لا يركبوا الخيل ولا البغال ولكن الحمير بالاكف عرضاً . . . »[4]

« في سنة ٧٥٤ (١٣٥٣ م) برز مرسوم السلطان (بمصر) بان يكون ركوب اليهود والنصارى على الحمير عرضاً وان تكون قيمة الحمار دون المائة درهماً »[5]

---

١) بيان ما يلزم اهل الذمة ص ١٠

٢) صبح الاعشى ١٣ : ٢٦

٣) البداية والنهاية ١٣ : ٢٥

٤) البداية والنهاية ١٤ : ٢٥

٥) الجوهر الثمين لابن دقاق رقم ١٤٩٢ من الخزانة التيمورية

« وفي سنة ٧٥٥ (١٣٥٤ م) أمروا ان لا يركبوا الخيل والبغال ويركبوا الحمير عرضاً بالاكف من غير تزيين ولا قيمة عظيمة لها »(١

« في سنة ٧٦٥ (١٣٦٣ م) يوم الخميس خامس عشر صفر نودي في البلد (دمشق) على اهل الذمة ان لا يركبوا الخيل ولا البغال ويركبوا الحمير بالاكف عرضاً »(٢

« وفي سنة ٧٨٢ (١٣٨٠ م) ألزمت اهل الذمة بركوب الحمير بغير ارسال الرجل »(٣

« وفي سنة ٨٢٢ (١٤١٩ م) امتنعوا جميعهم من ركوب الحمير بحيث ان العامة اذا رأوا نصرانياً على حمار ضربوه واخذوا حماره وما عليه فصاروا لا يركبون الحمير الا خارج القاهرة »(٤

ومن الجهل والسخافة عدّ ركوب الحمير حطة وعاراً . وقد كان الخلفاء العباسيون انفسهم لا يأنفون من اتخاذها . وكان للرشيد حمار يركبه في القصر اسود قريب من الارض(٥) . وقبله ركب الهادي الحمار . وفي كتاب المحاسن والمساوئ للبيهقي في خبر له « اذا الباب قد فتح واذا الخدم قد دخلوا واذا امير المؤمنين الهادي على حمار في وسطهم »(٦) وركب المعتصم بعدهما الحمار « وكان قد زار الواثق ثم دعا بحماره فركبه »(٧) . وكان في دار الخلافة ببغداد دار انشأها المكتفي بالله ابن المعتضد سميت دار الحمار « لانه كان يصعد اليها على حمار له لطيف وتشرف على ما حولها »(٨)

وقد وصف عبداللطيف البغدادي الحمير المصرية فقال:

« الحمير بمصر فارهة جداً وتركب بالسروج وتجري مع الخيل والبغال النفيسة ولها تسيقها وهي مع ذلك كثيرة العدد ومنها ما هو عال بحيث اذا ركب بسرج اختلط مع البغلات يركبه رؤساء اليهود والنصارى يبلغ ثمن الواحد منها عشرين ديناراً الى اربعين »(٩

---

١) السلوك ، ١٧٣٧ باريس ، ١٦
٢) البداية والنهاية ١٤ : ٣٠٥ - ٣٠٦
٣) انباء الغمر ، ١٦٠١ باريس ، ٢٥ - ٢٦
٤) النجوم الزاهرة ٦ : ٢٩٨ - ٤٠٠
٥) الاغاني ٥ : ٢٠
٦) المحاسن والمساوئ ١٢٦
٧) نهاية الارب ٤ : ٢٢٦
٨) معجم البلدان ٤ : ٢٤
٩) كتاب الافادة والاعتبار ١٩

ولذلك لم يُنهَ النصارى واليهود في الخلافة العباسية الا عن ركوب الخيل والبراذين فقط ، وهي الخيل الغير الاصيلة . وفي سنة ٢٣٥ (٨٤٩ م) امر المتوكل بلبس اهل الذمة الطيالس العسلية وركوبهم البغال والحمير يركب الخشب والسروج التي فيها الأكر ولا يركبوا الخيل والبراذين ويصيروا على ابوابهم خشباً فيها صورة الشياطين » واعاد الطبري ، وابن الاثير ، والمقريزي مثل هذا بتاريخ سنة ٢٣٩ (٨٥٣ م) واسخف ما فيه تسمير صور الشياطين على ابواب الذميين. وقد انفرد به المتوكل ، ولم نرَه لاحد من قبله ولا من بعده ، ولا عجب من اسرافه في هذا الاذلال والاضطهاد وقد اشتهر عنه انه « اهلك العلماء والكتاب في زمانه وحطّ مراتبهم وعادى العلم واهله فانقضت العلوم في ايامه وقتل كثيراً من الكتاب واستصفى اموالهم وهدم منازلهم ولقي اهل الذمة منه الشدائد وكل اذى ومكروه بتغيير زيهم وتذليلهم واهانتهم وهدم بيَعهم وكنائسهم وهدم قبورهم وتسويتها بالارض »[1] . ولذلك عجل الله في الانتقام منه ، وسلّط عليه ولده المنتصر ، فأغرى الاتراك بقتله ، وهو اول خليفة لقي حتفه بيد احد قواده منهم ، وهلك بنفس السيف الذي اهداه له فكان كالباحث عن حتفه بظلفه.

وظلّ الذميون يركبون الحمير بغير ارسال الرجل الى سنة ٧١٠ (١٣١٠ م). وفيها وصل رسل قيصر الروم وصحبتهم رسل الكرج الى الابواب السلطانية بمصر وشُفعوا في فتح الكنائس التي كانت مغلقة منذ عشر سنوات « ورسم للنصارى بالاستواء في الركوب وكانوا قبل ذلك يركبون عرضاً من جهة واحدة[2] » ولكن ما عتم هذا الرسم ان أهمل وأبطل وتجددت الاوامر السلطانية منذ سنة ٧٥٤ (١٣٥٣ م) ، وما يليها بالركوب على الحمير عرضاً ، كما تقدم من كلام ابن دقماق ، والمقريزي ، وابن حجر العسقلاني.

---

١) اخبار فطاركة كرسي المشرق من كتاب المجدل لعمرو بن متى ٧٠ – ٧١

٢) غاية الارب ١٥٧٨ باريس ، ٢١١ – ٢١٢

الادب التركي

في نهضته الحاضرة

عرض للاب اندري لوجنيل اليسوعي

على جبهة البناية الرائعة المخصصة لمعهد اللغات والتاريخ والجغرافية في انكرة ، نُقشت ، حروفاً ضخمة ، هذه العبارة من اقوال اتاتورك : « Hayatta en Hakiki Murşit Ilmidir » وهو ما يمكن تعريبه بـ « ان اصدق مرشد في حياة الانسان هو العلم » انها لدعوة خفيّة الى العمل ، يواصل القائد العظيم حثّ مريديه بها — دعوة لم تبقَ دون جواب . ذاك ان الحياة الفكرية التركية اشبه ما تكون اليوم بالفوّار ؛ كأنها ماء حُبس طويلاً في الاعماق ، فاندفع وانتشر يحطّم الاسداد العتيقة التي تصدّه . ثم اخذ ينتظم في مجرى مخطّط . الّا انّ غمره لا يزال يتوثب على شيء من الصخب — فمن اي غور ثريّ ينبجس حتى يطفو هكذا وينتشر ؟ علينا لكيما نتبين الامر ونتوضحه ، ان نغوص الى الاعماق التي فيها الينابيع — اي الى الغياهب الحالكة البعيدة من الشخصيّة القوميّة ، في حاضرها والماضي . والواقع ان الكاتب ، اذ يدفعه شيطانه الى التعبير ، يوزون الكلم او بمنثوره ، عما تكنّه نفسه ، فانما يزعم انه ينطق بلسان الجمهور الذي منه انبثق والذي يبقى مشدوداً اليه بعرى من العواطف والاماني الواحدة الصميمة . مطمحه في ان يفصح عن الذات القومية باخلاص يتمكن معه كل فرد ان يلقى بغبطة فلذةً من ذاته تنعكس في صفيحة النتاج الادبي . اما الذات القومية فانما الاجيال هي التي صهرتها على مهل . وبالتالي فان علينا ، لكي نحظى بمفتاح للمنطق التركي ، ان نتمكن من الانحدار ، لا الى اعماق الشخصية القومية وحسب ، بل الى غياهب ذلك الماضي الذي وهمنا انه اندثر في حين لا يزال مقيماً . يجب ان نحظى بالزجالين العتاق يستثيرون الجماعات فتتبعهم متحمسة للاهازيج المطولة تتساوق وايقاع العود والناي والدمبلق .

يجب ان نبعث الحياة صاخبة عنيفة في تكايا الدراويش ، يجب ان نستقي من مخطوطات استنبول معيناً تعددت وجوه غناه اذ فيه اخبار الرحالة ، ومواعظ الحكماء ، وتعاليم الفلاسفة ، وانطلاقات المتصوفين ، بل يجب ان نلج ايضاً في الغوص لنسمع ، عبر الاجيال ، اصداء الاهازيج الشعبية القديمة التي كان الاتراك القدامى يهزجون بها بين موقعة وموقعة ، او تلك الاناشيد الحربية المؤججة لحماستهم ، وهم منطلقون لمهاجمة ملك الصين او لدك حصون آسية الوسطى . ذلك لان هذا الماضي السحيق اللاواعي هو ما يعطي لمجرى الفكر التركي الحديث زخمه وطابعه الخاص . ولئن تعذر علينا اليوم ان نبلغ ، في انحدارنا ، الى هاتيك الاعماق ، فبوسعنا على الاقل ان نحاول استنباش العروق التي في غور الارض والتي منها تنبع العين الحالية ، اعني اولئك الرواد من الجيل الماضي الذين لا يزال ذكرهم حياً والذين يحتفظ النتاج الحديث بطابعهم . لاننا اذا طفقنا نتحدث عن الادب التركي في يومنا دون ان نشير ولو اشارة عابرة الى سلفائه وافرانه المباشرين ، نكون كمن يقتطع من الشجرة عروقها وليس بعيداً المجال الذي يوصلنا الى الاسلاف . يكفي ان نجوب الهضاب المخضرة من ايب (Eyb) وفاتيح (Fatih) والروملي حصار (Rumeli hissar) وسكوتاري (Scutari) وقاضي كوي (Kadi Köy) ، فنلقاهم جماعة اثر جماعة .

هنالك يرقدون تحت عمائم الرخام ، في اروع بقعة من الدنيا ، وفي ظل سرو هرم يتطاول نصالاً دكناء نحو زرقة السماء . فكأنهم لا يزالون عبر القبر ، في خشعة الصمت ، ينشرون هالة الشعر حول الحاضرة العريقة التي غنوها في حياتهم . فلقد عاشوا العمر يهيئون للامة مستقبلها ، او انهم جادوا باعمارهم في هذا السبيل . اولئك هم الرواد الجسورون الذين ارغب ان استهل الحديث بذكرهم .

هلا رجعنا القهقرى الى العهد المسمى بعهد التنظيمات ، اي العهد الاصلاحي . كانت السلطنة العثمانية العجوز تشعر انها مضعضعة حتى في الاسس ، تحاول ان تتدارك امرها وتجدد احوالها . كان المفكرون يومها ، في طليعة حركة الانبعاث ، واثارهم مفعمة بارادة الحياة .

فكيف كانت حالة الادب يومذاك ؟

كان الادب امينا لتقاليد السلف يهيمن عليه النتاج الشعري . وكان الشعر يسير في مجرى مزدوج استمر حتى الحرب العالمية الاولى: كلاسيكي يستوحي الفارسية على الاخص والعربية – وشعبي ذو تعبير اصفى وحياً ينشد اكثر مما يلقى .

ان واصف Vasif ، وعزت ملا Izzet Molla وعاكف باشا Akif Paşa هم اسياد الشعر التقليدي ، بينما كان ارضروملو امره Erzurumlu Emrah اشهر الكتاب الشعبيين . اما بين ارباب النثر فتميز اسعد افندي Esad Effendi لعنايته بصفاء اللغة . بيد ان الاصلاحات لم تكن بعد قد اثارت التيار الاصلاحي العميق بانتظار سنة ١٨٦٠ حيث تظهر مدرسة جديدة على شعار «الفن في سبيل المجتمع» Cemiyet icin Sanat – وبالتالي فان شعارها يفصح عن مراميها العامة–انها ستعمل لتحميل المجرى الادبي كل اماني الاصلاح الاجتماعي الحاقة في الفضاء – اما متزعمو هذه المدرسة فهم سيناسي Sinasi († ١٨٧١) ضيا باشا Ziya Paşa († ١٨٨٠)وخصوصاً نامق كمال Namik Kamal († ١٨٨٨). كان هؤلاء الثلاثة اجرأ الرواد ، جعلوا هدفهم الاول ان ينقلوا حيوية جديدة الى العروق التركية ، وذلك بان يعاونوا مواطنيهم على ايقاظ الحس الوطني في الضمائر وعلى اضرام القلوب بحب الوطن ، في وجهه الجديد المتراقي من خلال الدستور ، وعلى تقييم الحقوق الاساسية للشخصية الانسانية .

كان عليهم ، تحقيقاً لهذا الهدف المثلث ، ان يتوسلوا باساليب جديدة ارقى من القديمة . وهكذا توجب عليهم بادئ ذي بدء ان يجعلوا اللغة في متناول الشعب ، فتعمدوا الكتابة بلغة سهلة خالصة التركية – ثم كان عليهم ان يطوروا القالب الشعري ويحملوه مؤثرات جديدة مباشرة . وراحوا من ثم – ولعل هذا اقصى ما ابتدعوه من التجدد – يخاطبون الشعب بالصحيفة والكتاب والمسرح . فتوالت منذاك كتب الامثال والحكايات القديمة ، والمؤلفات في الحكم الشعبية ، والابحاث التاريخية ، واولى المحاولات القصصية . ومالوا شطر الغرب يكثرون موحياتهم – توجهوا نحو فرنسة على الاخص ، فنشروا ،

مترجمة الى التركية ، عددًا من مؤلفات الادباء الفرنسيين ، نذكر منها مسرحيات موليار وراسين ، وقصائد لافونتين ، وكتب فنلون وجان جاك روسو – بل ان نامق كمال انبرى يكتب في الدفاع عن رينان.

وبديهي ان هؤلاء الرجال الذين يضطرم فيهم الشوق الى الحرية لم يسهل عليهم ان يتابعوا رسالتهم في ظل نظام اوتوقراطي مثل الذي كان التركية في ذلك العهد . فانقضى شطر مديد من عمرهم في المنفى . الا انهم لم ينفكوا عن الدعوة للاصلاح حيثما كانوا سواء في باريس ام في لندره ام في سواهما – عاشوا روّادًا متشردين تكتنفهم الصعوبات لانهم مثاليون تعلقوا في خدمة هدف وطني جبار – الا انه كان ينبغي ان يكون عملهم اقل عنفاً من حيث طابعه ليتوصل الى التأثير في البلاد ذاتها ويتغلغل الى اعماقها . وهذا ما تنبه اليه من تلاهم اذ راحوا يؤسسون مدرسة جديدة على نظرية « الفن للفن » Sanatiçin Sanat كانت حلتها بالسياسة والاجتماع اوهى ، وحصرت اهتمامها باصلاح اللغة وتجديد الادب . انما اخذ عليها تقليدها الغرب في ذاك التجدد ، على تفاوت في النجاح ، بحيث وقعت في رومنطقية مائعة . ولكن هذه المدرسة خلفت آثارًا قيّمة ، واليها ينتسب ثلاثة يعتبرون من كبار الادباء : رقاعي زاده اكرم Recai Zade Ekrem ، وعبد الحق حامد Abdulhak Hamid وسامي باشا زاده سيزاي Sami Paşazade Sezai .

خلف اكرم عددًا من المجموعات الشعرية ، تزدحم فيها اسوء الحظ القوالب الشائعة في ذلك العصر ، كما خلف ثلاث روايات ، ومسرحيات وترجمة لاتالا ، ومحاولات في النقد وفي الدراسة التاريخية ، فضلًا عن مقالاته الادبية العديدة .

اما عبد الحق حامد ، وقد ولد سنة ١٨٥٢ وعاش حتى سنة ١٩٣٧ ، فاميز ادباء هذه المدرسة . ان ثقافته المطيعة واطلاعه العميق على الاداب الفرنسية والانكليزية اعطت نتاجه الادبي مظهرًا من الشمول . كان خصب الشاعرية ، خلف عددًا من المسرحيات ، بينها اقتباس شعري لـ « السيد Le Cid » ولمسرحيات « هوراس Horace » . اما « فنتن Finten » اشهر مسرحياته ، فقد استوحاها من الائمة الانكليز .

واما سامي باشازاده سيزاي (١٨٥٩ — ١٩٣٦) فقد اشتهر بحكاياته التي نهج فيها على الاسلوب الاوربي ولكنه كان اميل الى الواقعية وابعد عن الرومنطيقية من اقرانه ، مما يقربه الى ادباء الفترة التالية .

اذن كان جماعة « الفن للفن » يبدون على عقلية اوفر « برجوازية » من جماعة نامق كمال ، فانهم والحق يقال قد حسنوا القوالب الشعرية بما انهم قربوها من القوالب الاوروبية ، واغنوا اللغة دون ان يتنكروا بها عن الجادة الكلاسيكية ، فضلاً عن انهم حملوا معاصريهم على الاطلال على الغرب .

ويحسن ان نجعل في مصف هؤلاء الادباء الكبار عدداً من الكتاب وجهوا جل اهتمامهم نحو الادب الشعبي مثل احمد مدحت Ahmed Midhat ، وابو الضيا توفيق ، وملحم ناجي — فان لغتهم اقرب الى التركية المتداولة واثارهم الخاص تأثيراً .

وتتقدم الحركة الاصلاحية في السنوات الاخيرة من القرن التاسع عشر . فنرى جماعة جديدة تلتف حول مجلة ادبية جديدة Serveti Fenun ان المرحلة من تاريخ الادب التي تلقبت باسمها تبدو اوفر خصباً وانشط حيوية ، كأنها ارتعاشة اعنف تتوسط فيها الانطلاق المقبل . والت هذه المدرسة نشاطها في نطاق الفن للفن ، لان عمل الكاتب في السياسة كان لا يزال ، بالواقع ، في حيز المستحيل . فتميزت بصفاء البيان وبالمظهر الارستقراطي المتأنق .

اسس احمد احسان مجلة الفنون سنة ١٨٩١ ، وراحت تنشر الى جانب مؤلفات تركية خالصة ، كثيراً من الترجمات عن الفرنسية — واخذ شعراؤها امثال توفيق فكرت ، شناب شهاب الدين وسليمان ناصيف ، يتباعدون عن الاساليب القديمة . في تلك الحقبة ظهرت القصيدة القصيرة Sonnet ، واخذ يتكامل كيان القصة والاقصوصة على يد خالد ضيا ، ومحمد رؤوف ومحمد جاهد يالشين (الذي زار لبنان في العام الفائت) — اما الادباء الشعبيون فاشهرهم في تلك الحقبة حسين رحمه واحمد راسن .

وتجدر الاشارة الى حركة رصينة هدفت الى التعمق في الدراسات التركية . فاذا احمد وفيق باشا ينقل كتاباً في اللهجة السغاتية Cagatay ، وينشر اول

قاموس في العامية – واذا سليمان باشا يصدر محاولة في تاريخ الاتراك القدامى، واذا شمس الدين سامي ينشر اول معجم تركي في الف وخمسماية صفحة، وينقل لاول مرة، الى التركية الحديثة نصوص الارضون القديمة التي كان قد نشرها رادلوف – واذا نسيب عاصم يحيي كاتبين من القرن الثاني عشر ويترجمها – واذا احمد حكمت ينشر، في جملة ما ينشر، دراسة عن تقاليد الاناضول وقصص اليوغور – واذا محمد امين يورداقول ينشر (١٨٩٩) ديوانه Türke Sürler على ايقاع جديد تختلج فيه النفس التركية :

« انا تركي خالص، ابائي كبير وقومي كبار . »

ان صدري، بل كياني كله، يتأجج بهذا الغرام

Ben bir Türkům, dinim cinsim uludur
Sinen özün ateş ile doludure.

وهوذا مقطع من احد مؤلفات الروائي رفيق خالد، رسم فيه، بدعابته المعروفة، صورة الشعراء الشباب الملتفين تحت راية « سرقتي فنون » : « طرابيشهم محددة وصلبة لانها مبطنة بالكرتون . تتهدل شعورهم فضفاضة مجعدة، فكأن رؤوسهم واجهة تعربش عليها النباتات . قباتهم منشاة، صلبة ومحددة، مثل طرابيشهم . اما كرافاتاتهم فلها طرف في رفع الخيط وطرف عريض يمثل الصدر . واما البنطلون والجاكيت فعلى ضيق غريب . حذاءهم ينتهي برأس ضيق محدد، له كعب في استدارة البيضة . شواربهم معقوفة بكياسة ومجعدة بالكوسمانيك . اما بشرتهم فمن لون الورق المندى كأن العروق نافضة من الدم، فهيأتهم كئيبة – يأخذهم السعال من حين الى حين بشكل يدمي الفؤاد . . . انهم صبية يتوجب ارسالهم الى المصح . . . »

ويهل القرن العشرون فاذا الحركة الادبية تسير في مجرى مثلث : ادب انيق يهيمن فيه الانتاج الشعري، غربي الوحي عثماني التعبير . وادب شعبي اقرب في تعبيره الى اللهجة التركية الاصلية (اللهم الا في المدن حيث تعكر صفاء اللهجة وتغربت) ثم نشاط في استجلاء التقاليد التركية الخالصة .

ويعلن الدستور سنة ١٩٠٨، فيبزغ عهد جديد في الصعيد الفكري، خصوصاً وقد كانت الطرق معبدة امام الفكر المتحرر . فلا بدع ان تعرف

السنوات الاولى غلياناً مزبداً ، اذ راح شيوخ الكتاب يغالون في اظهار تطورهم ، بينما كان حماس الشباب يدفعهم الى التجدد في كل امر ويحملهم على تقويم كل شيء تقويماً نهائياً . ويتألف عدد من الاندية الادبية ، بينها ثلاثة كان لها تأثير خاص في الحركة الاصلاحية ، وهي : نادي فجر المستقبل Fecri Ati — الجمعية التركية Turk Derneği وخصوصاً جماعة الاقلام الفتية Genç Kalemler

اما شباب « فجر المستقبل » (وبينهم المع اسماء الادب المعاصر كاحمد هاشم Ahmed Haşim ، فؤاد قوبرولو Fouad Koprulu ، عبدالله صوفي Abdallah Suphi ، رفيق خالد Rafik Halid ، يعقوب قدري Yakub Kadri فقد توافقوا ردحاً من الزمن مع شيوخ مجلة Serveti Fünun . ففي ١١ شباط ١٩٠٩ اذاعوا بياناً على صفحات المجلة عبروا فيه عن ارادتهم بالرجوع الى اسلوب ادبي خالص الارومة التركية وموافق لنزعات الشعب .

الا ان اهم مركز تبلورت فيه الآمال الفتية التي كان يترقبها الادب فسالونيك حيث كان مقرّ حزب تركية الفتاة عند اعلان الدستور ومنذ سنة ١٩١٠ ظهرت في سالونيك مجلة جديدة اسمها «الشعر والجمال Hüsün ve Şür » بادارة علي قنيب يونتم Ali Canib Yontem . وما لبثت في سنة ١٩١١ ان قلبت اسمها الى «الاقلام الفتية» — وكان من اوائل معاونيها عمر سيف الدين ، وخصوصاً ضيا غوقلب « Omer Seyfeddine et Ziah Gokalp » الذي سيكون لشخصيته القوية كل الفضل في توجيه عدد كبير من الشبان الى الانضواء تحت شعار المجلة . اما الاصلاحات التي كانوا يريدون فرضها على اللغة فهذه اهمها :

١ — الاستغناء عن بعض علامات الجمع والكلمات المركبة الدخيلة من العربية والفارسية

٢ — استعمال كلمات تركية صرفة للتداول والتعليم .

٣ — تبني الكلمات التي يستعملها الشعب على ان لا تأتي من تراكيب مصطنعة .

وهكذا اخذت الانواع الادبية تتطور بسرعة بفعل هذه الجماعات الادبية الفتية . ففي النثر ، انتشرت الصحافة انتشاراً واسعاً وتكاثرت المؤلفات

القصصية والتاريخية . اما الشعر فراح يستوحي الامام من المنابع القومية العريقة . واخذ الشعراء يعملون في تجديد القوالب والاساليب حتى انهم صاروا يعتمدون ، بعد اصلاح الاملاء ، القوافي والتقطيع ... على غرار الشعر الاوربي . وراح الادب في صعود صاعق منذ السنوات المضطربة التي سبقت الحرب العالمية . حتى اذا ظهر اتاتورك كانت البذور التي غرسها الشباب في مطلع القرن تعطي ثمراً يانعاً .

ان مجال الوقت قصير امامنا لكي ندرس الادب الحديث ونرافق تطوراته ، فلعل الخير ان نتعرف اليه من خلال رجاله ، وعليه سأقدم نخبة من اقوى شخصيات الحركة الادبية الحالية ، تتلمسون من خلالهم تعدد وجوه الحركة وتنوعها — فلنبدأ بواحد من المقدمين وقد اسلفت الاشارة اليه : ضيا غوقلب .

ولد ضيا سنة ١٨٧٥ ، في دياربكر ومات سنة ١٩٢٤ في استنبول . هو نموذج من الجيل الذي قام بالثورة ، على كونه قد مات قبل ان ينعم بثمارها . وهو ايضاً من اولئك الذين اشترعوا للمدارس الادبية اصولها الفنية . كان اديباً متين الثقافة ، يهتم بالفلسفة اولاً وبعلم الاجتماع . وكان الى ذلك صحافياً مرن القلم ومنشئاً معتبراً ، كما كان يقول الشعر في بعض ساعاته . وقد اثر تأثيراً كبيراً في الشبيبة المثقفة في مطلع القرن .

كان ابوه امين المحفوظات في ولاية دياربكر ، يحرر في الصحيفة المحلية ويعد بين الشخصيات المميزة في محيطه . تتلمذ على نامق كمال وغدا من المؤمنين بارائه . وبفضل تشجيعه انصرف ابنه ضيا بحماس الى ارتشاف العلم ، متخرجاً من المدرسة الحربية ومن المعهد العالي . وما لبث ان اتقن العربية والفارسية والكردية والفرنسية ، واظهر ميلاً خاصاً للفلسفة ، وعلى الاخص لفلسفة الاسلام . واعجب مثل ابيه بنامق كمال وتشرب من روحه ومثله في سبيل الحرية . الا انه ما لبث ان عانى ازمة نفسية حادة عندما تجلى له انه يستحيل عليه ان يحقق مشاريعه المثالية . وتفاقم يأسه على اثر موت والده خصوصاً وقد مني بخيبة عاطفية ، فرأى ذات صباح ان افضل وسيلة للخلاص هي ان يرمي

صدغه برصاصة . ولكن الرصاصة لم تقتله بل جرحته . فما ان استعاد العافية حتى تجالد وتعلق بالحياة ويمم استنبول ليستكمل معارفه وثقافته . وما عتم هناك ان انخرط في جمعية سرية الفها طلاب المعهد الطبي. ولكن رسالة كتبها ووقعت في يد الشرطة فضحت امره . فاعتقل ومكث تسعة اشهر في السجن ثم أبعد منفياً لدياربكر . وكان ان هذه الاقامة الجديدة في وطنه اتاحت له الاتصال المباشر بالشعب، كما تسنى له حفظ القرآن ودرس اصول الدين. وعداة انقلاب سنة ١٩٠٨ اسس في دياربكر فرعاً لجمعية الاتحاد والترقي ونشر صحيفة . وفي سنة ١٩١٠ قصد سالونيك ليمثل الفرع في مؤتمر عام عقدته الجمعية . وانتخب عضواً في المجلس الاداري. وبقي في سالونيك يتعاون وعلي قنيب وعمر سيف الدين في تحرير مجلة الاقلام الفتية التي سبق الحديث عنها . وكان يوقع مقالاته بامضاء « عوقاب » فتغلب عليه اللقب . وبعد حرب البلقان رجع الى استنبول مع اللجنة الادارية ، فواصل الكتابة ونشر « المجلة الجديدة Yeni Mecmua » . وتعاظم شأنه لدى الشبيبة حتى لقد صارت له هيبة رسول وتأثيره . وعقيب الحرب الكونية نفاه الانكليز الى مالطه، الا انه تمكن من الوصول الى الاناضول حيث واصل عمله دون كلل ، فأنشأ مجلة جديدة في دياربكر دعاها « المجلة الصغرى Kuçuk Mecmua » وبعد ان صارت انقره العاصمة الجديدة استدعي اليها وتولى مهام مدير معاون في التربية الوطنية ومدير لجنة المنشورات والترجمات . وانتخب نائباً في المجلس الوطني الكبير . ونشر عدداً من الكتب المدرسية في التاريخ والاجتماع – ومات في ٤ تشرين الاول سنة ١٩٢٤ اثناء عملية اجريت له في استنبول .

كانت تسيطر على هذه الحياة المضطربة التي عاشها ضيا فكرة رئيسية هي تحرير الشعب سياسياً وثقافياً . وكان هذا هو المثل الاعلى الذي وضعه شبان الاتحاد والترقي نصب اعينهم ، الا ان ضيا هو الذي عبر عنه بقوة وجلاد . وكان يتمثل الروح التركية في العودة الى التقاليد الطورانية العريقة ، وهذا ما اوحى دعوته لتقارب الشعوب الاسيوية الناطقة بالتركية ، وتفاهمها . قال في احد مؤلفاته : « التترك هو إكبار الامة التركية وعبادتها » . وقال في موضع

اخر : « ليست الامة في وحدة الدم او الجنس او الارض او السياسة او الحكومة . الامة هي جماعة من البشر توحد بينهم لغة واحدة ، وايمان واحد ، وحضارة واحدة ، وتجمعهم عرى تربية واحدة » وكان موقفه من اللغة موقف الاقلام الفتية ، وقد المحنا اليه ، الا ان ضيا عبر عنه بهذه الرباعية :

اللغة الجميلة عندنا هي التركية	Guzel dil türke bize
كل لغة سواها ليست سوى كلمات	Başka dil gece bize
ولهجة استنبول في سمعنا	Istanbul Konus Masi
اطرب اللهجات وارقها	En Saf, en ince bize

كان ضيا طيلة حياته عدواً للفردية في الصعيد الاجتماعي ، يبشر بحرارة بقوة الاتحاد ويدعو الاتراك اليه . وقد سارت له اقوال كالامثال لبيانيا الجامع المانع ، كقوله : « لا انا ، ولا انت . بل نحن . Ben, sen yokuz, biz varız.

وبالرغم من انصرافه الكلي الى العمل في سبيل الاصلاح الاجتماعي وفي سبيل تطهير اللغة ، وبالرغم من نضاله الصحفي ، فقد كان شاعراً مرموقاً ينظم على المنهج الاوروبي .

كان من الضروري ان نبدأ بابراز هذا الوجه الرائع . فان ضيا لمن اكبر رجال جيله ، هو عالم عامل دفع من شخصه وخاطر بحياته . ودمغ تركية الفتية بطابعه بفضل نضاله الملتهب وتفكيره المتين ، لذا اعتبرت وفاته خسارة وطنية .

❀

وارغب الان ان اعرض لوجه اخر جذاب ، كان صديقاً لضيا غوقلب ورفيقاً له في النضال ، ومات مثله قبل الاوان ، عنيت عمر سيف الدين . خطفه الموت سنة ١٩٢٠ ، وهو بعد في السادسة والثلاثين من العمر ، دون ان يرى تحقق حلمه . الا انه خلف اثاراً قيمة تجعله امير القصاصين في الجيل الجديد . قضى معظم حياته جندياً ، واشترك في الحرب البلقانية فوقع اسيراً عند اليونان . اما السنوات الست الاخيرة من حياته فقد قضاها استاذاً للاداب في علمانية قباتاس Kabatas في استنبول . كان وطنياً صميماً خص اكثر قصصه بابطال

الجيش التركي ، فاذا فيها تسري انتفاضات روح ثارية فتية . اما لغته فمثال عما كان يبغي تحقيقه في اللغة جماعة الاقلام الفتية المصلحون : لا تتقاهسا مستحدثات لم تدرج ، بل تعتمد التعابير المأنوسة في الاحاديث الشعبية . من اجل ذلك سارت لعمر سيف الدين شهرة عظيمة بين الشبيبة اذ كان اقرب الكلاسيكيين اليها — وخصوصاً من اجل انشائه الحيّ الجريء الواقعي ، الكثير الصور ، ومن اجل جمله النابضة الخفيفة الوقع المترعة بالمعنى .

ويؤسفني ان لا يسمح لي المجال بنشر واحدة من اقاصيصه التي تجدر قراءتها بجملتها لتذوق نكهتها .

❁

« ان المعلم الذي فتح المنافذ والشرفات على العصر الذهبي من ماضي تركية هو فواد قوبرولو». بهذه العبارة يقدم احد الكتّاب افضل مؤرخ معاصر في تركية . واننا لنتحدث عن فواد قوبرولو كمثال عن النشاط العلمي الذي برع فيه عدد من زملائه . ولد في ٢٢ تشرين الثاني في استنبول حيث انهى علومه الادبية والشرعية وانضوى في جمعية Fecri Ati ، واشترك اشتراكاً فعلياً في حملة اصلاح اللغة . ونظم عدداً من القصائد . الا ان اختصاصه كان التاريخ ، يبدع فيه ويتقنه حتى عين استاذاً للتاريخ في جامعة استنبول وهو بعد في الثالثة والعشرين ، واستمر زمناً طويلاً استاذاً في معاهد استنبول وانقره ، واسس في هذه الاخيرة مجلة دعاها « الامل Ulkü ». آثاره الادبية كثيرة . اما تآليفه التاريخية فلا تقل عن الخمسة والعشرين تتناول مختلف ميادين التاريخ من تاريخ تركية السياسي الى تاريخها الادبي الى تاريخ موسيقاها ، وتاريخ الحقوق وتاريخ الحضارة الاسلامية وتاريخ الآداب الارمنية ، فضلاً عن الدراسات المحددة المواضيع ، ناهيك بالسرد التاريخي . وتجاوزت شهرته تخوم بلاده ، فصار في سنة ١٩٣٤ عضواً شرفياً في اكاديمية العلوم في المجر ، وعين سنة ١٩٣٧ دكتوراً شرفياً من اكاديمية اثينا ، وفي سنة ١٩٣٩ دكتوراً شرفياً من السوربون . الا انه منذ الحرب الاخيرة حصر نشاطه في السياسة . وهو من مؤسسي الحزب الديمقراطي ، انتخب في ٢١ تموز سنة ١٩٤٦ نائباً عن استنبول

في المجلس الوطني الكبير . وهو المؤرخ المسموع الكلمة ، فمن المؤسف ان تكون السياسة قد عاقت نشاطه الادبي ، الا ان شخصيته مهما تكن قوية لا يصح ان تحجب عنا عشرات الباحثين الذين يبرعون اليوم في علم التاريخ سواء اكانت مؤلفاتهم مدرسية ام ابحاثاً علمية صرفة.

القصة هي المجال الذي تطور فيه الادب العصري واخصب . فمن الطبيعي ان يسلك الادباء هذا المجال ليتصلوا بالجمهور ويحافظوا على صلتهم به . ولقد طرقوا هذا النوع من عديد وجوهه : من القصة التي تعتمد التاريخ، الى التي تدرس الاخلاق ، الى التي تهدف الى اثبات نظرية ، الى التي تحلل النفس الانسانية الخ . . . وانه ليقتضي تعداد طويل ، بل وناقل ، للروائيين ورواياتهم لتتكون لديكم صورة عن سعة النتاج القصصي ووفرته . وعليه فاني افضل تقديم ثلاثة من اشهر الروائيين لا يزالون احياء : منهم اثنان يعقوب قدري ورفيق خالد معاصران اذ ولد كلاهما في سنة ١٨٨٨ ، ثم السيدة خالدة اديب وقد ولدت سنة ١٨٨٤ ، واقامت مدة في لبنان قبل سنة ١٩١٤ .

ولد يعقوب قدري دار اوسمانلو في مانيسه ، وتلقى قسماً من علومه في معهد الفرار في القاهرة ، حيث تمكن من الادب الفرنسي . وجاء استنبول سنة ١٩٠٨ فانخرط في جماعة Fecri Ati ، مترئساً تحرير جريدة الاقدام Ikdam ، مشتركاً في نشر مجلة درغه Dergah . وعين نائباً في المجلس الوطني الاعلى ، ثم استدعي الى السلك الدبلوماسي فعين على التوالي سفيراً لتركية في براغ ولاهاي وجنيف .

اما رواياته العديدة فتعرض الحقب التاريخية من الحياة التركية : منها « نور بابا وكيرالك قوناق Nur Baba et Kiralik Konak » على عهد السلاطين - و « بير سرغن Bir Surgün » تروي معيشة المنفيين . و « سادوم وعامورة » تجري وقائعها في ايام احتلال الحلفاء . و « انكره » في العهد الجمهوري الجديد . وان عنده طلاوة في السرد وغنى في الخيال يضانه في مصاف اكابر الروائيين اما لغته فاقل بساطة من لغة عمر سيف الدين ، الا ان تصميمه اعظم . ولقد

كتب بعض رواياته ، مثل نور بابا وكيرالك قوناق ، حوالى سنة ١٩٢٢ وسنة ١٩٢٣ ، بالحروف القديمة . الا ان المؤلف اجرى تعديلات في معجمه اللفظي ، في الطبعات الحديثة ، ليتساوق مع تطور اللغة . وقد اثارت حكاية « نور بابا » نقاشاً حامياً . لان الكاتب وصف فيها سيرة احدى تكايا البقتشيه او البختشية Bektachis في اواخر عهدها ، راسماً عنها لوحة واقعية تخللها بعض المديح . على انه اوضح في مقدمة وضعها للطبعة الثالثة انه لم يتعمد ان يعطي حكماً قاطعاً في ماضي البقتشيه ، ولكنه وصف ما شاهده فيها في سنواتها الاخيرة التي سبقت الجمهورية .

اما روايته بير سورغون Bir Surgün التي تصف معيشة المنفيين في فرنسة فمشوبة بالكلمات الفرنسية ، بينما رواياته الاخيرة مكتوبة بلغة اصفى تركية . ولقد الف قدري كتابين مهمين الاول عن سيرة اتاتورك والثاني عن الشاعر احمد هاشم الذي سيأتي الكلام عنه . وله ايضاً اثار صحفية مهمة ، كما ان له محاولات في اصول الفن ، وفي السياسة ، تبرهن عن نفاذ البصيرة .

❁

رفيق خالد قراي هو ، بلا جدل ، من اسياد البيان الحديث ، شخصيته تختلف جداً عن شخصية يعقوب قدري ، استطاعت ان تفرض ذاتها على الجمهور حالاً . وهو اليوم من ارفر الادباء قراء . واخبرني بذاته ان بعضاً من رواياته بلغت طبعاته الاثنتي عشرة . يبدع في نقد الاخلاق ، وعنده تهكم لاذع يحق له من اجله ان يدعى « الولد الرهيب » في الادب . تثقف في علمانية غلطه سراي في استنبول ثقافة فرنسية الاصول . واستهوته ، منذ الصبا ، المبادئ الاصلاحية فانخرط في جماعة Feeri Ati . ساهم كثيراً في مجلة « المجلة الجديدة » التي انشأها ضيا غوقلب Ziya Gokald ، وكان خالد يجله اجلالاً عميقاً . الا ان براعته التهكمية تجلت على الخصوص في مجلة Aydedi (القمر الاب) . ولكن هذه البراعة هي ما اضره . وكان قد شغل عدداً من المناصب الادارية . فلما تأسست الجمهورية طفق يدعو الى سياسة المسالمة والتفاهم ، اعتقاداً منه ان الخلاف بين تركية والبلدان الاجنبية

مما يمكن تسويته بلا قتال . من هنا انه استهدف سياسة حكومة انكره في انتقاداته ، فكان ان وضع المجلس الوطني الاعلى اسمه على قائمة المائة وخمسين شخصية غير المرغوب فيهم . فاضطر ان ينفي نفسه ، واستقر في سورية قريباً من بلاده ، حتى سنة ١٩٣٨ . ولكن من الواجب الاقرار بانه لم تحم شبهة حول وطنيته اللاهبة وتعلقه ببلاده . وعندما رجع الى بلاده بقي وفياً لدعوته الصحفية ، فكان يذيع مقالاً يومياً في جريدة اقشام Akçam ، كما استلم تحرير المجلة التهكمية Aydedi ينشرها مرتين في الاسبوع . وتبلغ مؤلفاته الخمسة والعشرين ، تنبي عن غنى مواهبه وتنوعها . عكف رفيق خالد على تصوير حياة الشعب الاناضولي ، فابدع كما سجل نواحي من المعيشة في استنبول قبل الثورة وبعدها . له طلاوة في السرد لا تدانى ، وقلم حي لاذع ، وشعور مرهف ، ومخيلة تجعل من لوحاته كلها روائع صغيرة ستخلد حتماً كافضل تراث من جيله .

❁

اما خالده اديب انور Halide Edip Andivar فقصاصة من الطراز الاول . ثقافتها انكلوسكسونية لانها من خريجات الكلية الاميركية في استنبول . بدأت الكتابة في مطلع الشباب فاصابت نجاحاً . وانصرفت للتعليم فتولت تدريس الآداب الاجنبية في علمانية البنات وفي الجامعة . الا انها غادرت تركية في مستهل العهد الجمهوري مع زوجها عدنان انور Adnan Andivar واقامت في باريس ، ثم انتقلت الى اميركة حيث حاضرت في جامعة كولومبية . وفي سنة ١٩٣١ — ١٩٣٢ قامت برحلة الى الهند والقت سلسلة محاضرات ، ثم عادت الى تركية سنة ١٩٣٩ ، حيث تسلمت منبر الادب الانكليزي في معهد الادلب في استنبول . تكتب خالده اديب الانكليزية بذات السهولة التي تكتب بها لغتها الاصلية . وقد وضعت بعض تآليفها مثل « دكان الذبان Sinekli Bakkal » في الانكليزية اولاً ثم نقلتها الى التركية . نشرت عشر روايات ومسرحيتين وتاريخاً للادب الانكليزي وعدداً من المحاولات والمقالات . في تآليفها نزعة روحية بينة ، ويتميز ابطال قصصها والبطلات برقة العواطف . وتأتي خالده

اديب في مقدمة سلسلة من الاديبات القاصات يصغرنها سناً ، الا انهن احتللن مقاماً في الادب التركي . وهن يكنان في الادب نشاط اديبات تقدمنهن، ظهرن في عهد التنظيمات وتميزن بالرومنطقية فكان منهن شاعرات مثل نزار خانم Nigar Hanim وفاطمه عليه خانم Fatma Aliye Hanim وقاصات مثل امينه سنيه خانم Emine Seniye Hanim . ويمكن القول ، نظراً لتزايد الفتيات المنتسبات الى معهد الآداب ، ان فريق الاديبات سيتضاعف بمن سينضممن اليه من اديبات ممتازات المواهب ، قد صقلتهن المدرسة الحديثة .

وقبل ان نصل الى الشعراء ، وبهم نختتم عرضنا هذا ، ارى من الضروري ان استرعي انتباهكم ايضاً الى شخصيات ادبية ثلاثة يتمتعون بشهرة عظيمة لاسباب مختلفة :

اولهم رشاد نوري غونتكين Reçad Nuri Güntekin وهو اديب في الثامنة والخمسين من العمر ، يتميز بوفرة تآليفه وتنوعها ، ذو ثقافة تركية فرنسية ، كرس حياته للتعليم وصار اليوم مفتشاً للطلاب الاتراك في باريس . كانت روايته الاولى الملك الصغير Çali Kusa مبدأ شهرته ، وقد اتبعها بعشر روايات ، فضلاً عن عدد من الاقاصيص والتمثيليات المتنوعة من الهزلية ، الى المآسي الى مسرحيات الصغار ، ناهيك بما نشره من اخبار رحلاته وما عرضه ونشره من نصوص مختارة (Anthologies)

اما حمدالله صوفي تنريوفر Hamdullah Suphi Tanriöver فكان بالعكس مقلاً بالكتابة ، الا ان تأثيره كان عظيماً . استمر نائباً في المجلس الوطني الاعلى منذ تأسيس الجمهورية ، ما عدا ثلاثة عشر عاماً كان في اثنائها سفيراً لتركية في بخارست ، وولي وزارة المعارف مرتين . ومن اهم الاهداف التي كرس لها حياته تثقيف الشبيبة ، وقد راح منذ سنة ١٩١٢ يرئس نوادي الشباب . ثم انه خطيب لامع ، جمعت خطبه في الشباب في مجلدين بعنوان Dag Yolu et Gunc Bakan ويمكن اعتبارها منهجاً روحياً للشباب . وتأثيره يهدف الى الروحية اذ انه يتوخى ان يحبب الاصول الدينية للفتيان . وكتب

ايضاً عدة مسرحيات شعرية وعدداً من المقالات . الا انه يصح عنه ما قاله احد الكتاب الاتراك : « ينحصر عمله كله في بعث الضمير المسلم وتثقيفه لمقاومة النزعات المادية . » وانه لمن المهم ان نشير الى وجود مثل هذه النزعة التعليمية ، الروحية والدينية ، التي يعتبر حمدالله صوفي اهم ممثل لها .

تطورت الصحافة في ظل الجمهورية وانتشرت انتشاراً عظيماً كما تبين مما سبق من الامثلة . ويمكن القول ان الادباء الاتراك الكبار قد عملوا في الصحافة باجمعهم ان قليلاً او كثيراً . فلا بأس اذاً ، ان نذكر الصحافة كاحد الانواع الادبية ، ونذكر احد اساتذتها الحاليين : فالح رفقي أتاي Falih Rifki Atay . لبث زمناً في جريدة « طنين » وكان احد المنظورين من كتابها . وهو اليوم يرئس تحرير جريدة « اولوس » شبه الرسمية - وهذا يعني انه يُعتبر مع حسين جاهد يالشين Huseyn Cahid Yalçin امير الصحافيين المعاصرين . وعرف أتاي بحماسه الملتهب في الدفاع عن العهد الجديد ، الا ان مقالاته لا تنحصر في ميدان السياسة ، بل تتخطاه بعيداً . وقد تميزت له مقالات مثلاً عن رحلاته الى ايطالية ، والاتحاد السوفياتي ، واميركا . ونشر سنة ١٩٣٢ قصة ذات دروس اخلاقية ، كما نشر قصة ثانية سنة ١٩٣٤ عن انكلترة ، عنوانها « على ضفاف التاميز » ونالت القصتان نجاحاً باهراً .

❁

اما الشعر فكانته في الادب الحديث اضأل منها في القرن الماضي ، بالنسبة لمجموع النتاج الادبي . لان كتاب اليوم يفضلون التعبير المباشر . وكأن نظرية الفن للفن قد تطورت حتى عادت الى ما نادى به نامق كمال قديماً « الفن للمجتمع » او على الاصح « الفن للشعب » . ومع هذا فان عدد الشعراء المحدثين غير قليل . الا اننا سنقصر الحديث على الاثنين المميزين ، اولهما احمد هاشم Haçim وقد توفي سنة ١٩٣٤ ، اما الثاني فلا يزال حياً وهو يحيى كمال Yayah Kemāl

ولد احمد هاشم سنة ١٨٨٣ في بغداد ، من عائلة عربية الاصل ، وقدم الى استنبول في الثانية عشرة من عمره ، واقام فيها يتلقى دروسه في علمانية

غلطه سراي ، ثم درس الحقوق . وتولى عدداً من المناصب الادارية ، فضلاً عن انه كان استاذ الفرنسية في علمانية ازمير ثم في مدرسة العلوم السياسية . وزار فرنسة مرتين في ١٩٢٤ و ١٩٢٦ .

وهاشم شاعر رمزي . كانت قصائده الأول كلاسيكية الاسلوب ، الا انه ما لبث ان استهوته الرمزية ، فبدت في قصائده الاخيرة فائقة النعومة . ولقد بسط نظرياته الشعرية في احد مؤلفاته ، كما نشر عدداً من المحاولات اكسبته شهرة واسعة .

اما يحيى كمال Yayah Kemal فاوفر الشعراء شعبية في تركية . وما ذلك لوفرة نتاجه ، الا انه بفضل شاعريته التي لا تماثل وبفضل ثقافته الكلاسيكية العميقة ، وبفضل معرفته للشرق وللغرب ، استطاع ان يكون في اشعاره خلاصة العالمين . ثم ان فيه بساطة طبيعية ، الى ظرف متوهج ، تجذب اليه محبة الجميع من اول وهلة . وقضى يحيى كمال ردحاً من شبابه في باريس ، فاتصل بالحي اللاتيني وتابع دراسات كلية العلوم السياسية . وعاد من فرنسة وقد انطبعت شاعريته بالبارناسية ، وان كان البعض يرى ان شعره ليس محرراً من شخصيته للدرجة التي يمكن معها عده من اصلاء تلامذة البارناس . واشترك يحيى كمال اشتراكاً فعلياً بالثورة ، ثم دعي للنيابة وارسل سفيراً ، وهو اليوم اول ممثل لتركية في دولة الباكستان .

اما شعره فيتدفق فيه حب الوطن بما يعطيه طابعاً تركياً مميزاً ، وان كانت شاعريته تختلف عن الشاعرية التي اثرت عليها الثورة في الشعراء المحدثين : فهؤلاء اكثر واقعية ، وتعبيرهم مباشر ، وشخصيتهم اكثر تحديداً ، ثم هم اقل اهتماماً بشؤون الغرب . وبخصوص التأثير الغربي فان موقف يحيى كمال كان مناقضاً لموقف ضيا غوقلب . فهو يعتبر ان الشخصية التركية قد توطدت باتصالها بالغرب ، وعليها ان تستمر في اتجاهها : « وانما فنوننا التركية كلها ، كما قد كتب ، سواء كانت اولية او ثانوية ، سواء الهندسة او الموسيقى او تخطيط الحواضر ، قد تطورت بعد ان توطد السلجوقيون في الاناضول اليونانية ، وعلى اثر قيام السلطنة العثمانية . وما ان توحدت الروملي واستنبول بشكل لا ينفصم ،

في السلطنة حتى اعطى هذا الوطن الجديد للامة كياناً جديداً مع ظروف جديدة للعيش » — ان في شعر يحيي كمال تتجلى هذه الخلاصة التي تحملها نفسه من الصوفيتين الشرقية والغربية.

❁

احمد هاشم ويحيي كمال وضيا غوقلب هم الشعراء الثلاثة المميزون في الجيل الذي هيأ الثورة واشعلها اما الجيل الذي تلاه والذي بدأ يكتب حوالي سنة ١٩٢٠ فيظهر في انتاجه الدرس الذي اشاعه فجر الحرية الجديد، وقد عاشره وهم على عتبة الرجولة . من هنا انهم واقعيون ، واشد اهتماماً بالمشاكل الاجتماعية التي اثارها العهد الجمهوري الجديد في البلاد . هذا ما يظهر في اثار فاروق نافذ Faruk Nafiz ، وناظم حكمت Nazim Hikmet ، ونجيب فاضل Necip Fazil ، وبهجت كمال Behçet Kemal ، واحمد محب Ahmet Muhip، وياسر نابي Yasar Nabi ، واحمد قدسي Ahmet Kudsi وغيرهم.

فن التمثيل

في فصول فرنه

بقلم يوسف اسعد داغر

احد امناء دار الكتب اللبنانية

فهرس ابجدي

بعناوين المسرحيات

(الموضوعة والمعربة)

٣

ف

الفارس الاسود : نثرية يتخللها شعر ، ذات ٥ فصول ، وضعها نجيب حبيقة ، جمع فيها ثلاث روايات افرنسية الفها الاب كاميل اليسوعي وهي : *Le Solitaire des Tombeaux* — *L'homme de la Forêt Noire* — *Le Roi des Oubliettes*. المطبعة العثمانية ببعبدا ، ١٨٩٩ ، في ١١٧ ص نقدها في المشرق ٢ : ٩٠٧

فارس البلقاء ابو عجين الثقفي : فصل واحد تأليف علي احمد باكثير ، نشرتها دار الفكر العربي ، مع مسرحية اخرى هي « ابراهيم باشا » — مصر ص ١١٥ ، و١٥٧

فاطمة : وضعها محمود كامل ومثلت لاول مرة على مسرح حديقة الازبكية سنة ١٩٣٠

وهنالك مسرحية بهذا الاسم تأليف الاب يوسف العلم .

الفاكهة المحرمة : اشترك في وضعها احمد عبد الرحمن قراعة ومحمد الوادي ومثلتها الفرقة القومية على مسرح الاوبرا . نقدها يوسف تادرس في الرسالة عدد ١٨٤

فاوست : تأليف غوتيه ، نقلها الى العربية محمد عوض محمد . نشرتها لجنة التأليف والترجمة والنشر ، مصر ١٩٢٩ ، لها مقدمة بقلم الدكتور طه حسين . نقدها شفيق جبري في «مجلة المجمع العربي» ١٠ : ٣١٩ – راجع فيها نقداً وعرضاً تحليلياً الكامل يوسف في السياسة الاسبوعية ، عدد ١٩١ : ١١ و ١٨

الفتاة : ترجمتها بتصرف عن الانكليزية الآنسة مريم زكا ومثلتها لاول مرة تلميذات المدرسة السورية الاهلية (ماري كساب) في بيروت (١٩٢٢) ونشرتها مجلة المورد الصافي ٨ : ٢٢١

فتاة الارز : تأليف ميشال يوسف الحايك – القاهرة ، المطبعة التجارية ١٩١٢ ، ص ٩٥ .

الفتاة الافرنسية : ذات ٥ فصول . وضعها الخوري بطرس البستاني ، ونشرتها مجلة رسالة السلام ، ١٥ (١٩٣٨) : ١٨٦ و ٢٣٠ و ٢٧٧

فتاة البادية : وضعها احد ادباء السودان ، ومثلتها الجمعية الادبية القومية للمسرح السوداني .

الفتاة الحرساء : مسرحية تأليف الخوري ميخائيل دلال الحلبي ، مثلت على مسرح مدرسة الشرفة حيث توجد اصولها الخطية .

فتاة الدستور : في ٥ فصول . وضعها نجيب كنعان (لبنان) – طبعت في القاهرة ١٩٠٨ في ١٠٥ ص . وبذيلها قصيدة الدستور لسعيد شقير .

الفتاة الظلم : ذات ٥ فصول . تأليف نعمان متري . ص ٥٧

الفتاة العراقية : وضعها الاستاذ محمد نديم ، ذات ٥ فصول – بغداد ، مطبعة الفلاح ، ١٩٢٥ ، ص ٢٦

فتاة الغار : لبنانية مطبوعة .

الفتاة المسترجلة : مثلتها الفرقة القومية المصرية .

فتاة الناصرة : في ٤ فصول . تأليف الخوري بولس البستاني ، طبعت في المطبعة الكاثوليكية بيروت ، ١٩٢٥ في ٧٤ ص – نقدها في المشرق ٢٣ (١٩٢٥) : ٥٥٥

فتاة الوطن : المؤلف : م. عادل ، الكاتب التركي ، المترجم محمد علي حامد حشيشو — صيدا ، مطبعة العرفان ، ١٣٣٤ ، ص ١٠١

فتح الاندلس : وضعها فؤاد باشا الخطيب شعراً ، قدم لها خليل مطران ، دمشق ، مطبعة ابن زيدون ، ١٩٣١ في ٩٤ صفحة .

فتنة : في فصل واحد وضعها خليل هنداوي ونشرها في كتابه سارق النار ص ٢٩ — ٤٠

الفتية الثلاثة : وضعها الخوراسقف بطرس حبيقة في فصل واحد — بيروت ، المطبعة الكاثوليكية ، ١٩٣٦ ، ص ٢٨

فجر جديد : في ٣ فصول وضعها عمر جميعي — القاهرة ، ١٩٤٧

فجر الفصح : وضعها الخوري انطون هبي في فصلين — حريصا مطبعة القديس بولس ، ١٩٤٤ ، ص ٢١

فجر النصر في كستوف كولمب : تأليف كميل مارون — ١٨٩٢

الفداء : تأليف مرتينوس الياس طرزاوي — ١٩٣١

فران البندقية : ذات ٥ فصول عربها عن الايطالية الياس فياض ، طبعت في بيروت في مطبعة المكتبة الاهلية ، ١٩١١ ، ص ٦١ — نقدها في المشرق ١٤ : ٤٧٤

فرسنجتوريكس : نقلها الى العربية وديع شديد عقل ، ١٩٠٧

الفرعون الموعود : في ٦ مناظر تأليف علي احمد باكثير — مصر لجنة النشر للجامعيين ، ص ٩٥ قطع كبير .

الفريسة : وضعها ابراهيم المصري ومثلت في مصر القاهرة لاول مرة في ٢ ك٢ سنة ١٩٢٨

فظائع جمال في سوريا ولبنان : ذات ٤ فصول . تأليف عبده سليمان العظم ، نشرتها مطبعة السلام في بيروت ، ١٩٣٨ ، في ٧٩ ص .

فقراء باريس : غنائية — مصر

الفلاح والانتيكا : مسرحية مطبوعة — لبنان

فوق الانتقام : وضعها فريد مدور ، بيروت ١٩٣١ ، في ١٠٩ ص .

في بيوت الناس : اقتبسها سليم نجيب من احدى روايات ساشا غتري — القاهرة ، مطبعة التوكيل ، ١٩٤٤ ، ص ١١٤

في سبيل التاج : تأليف فرنسوا كوبيه ، ترجمها حليم دموس ، المطبعة الكاثوليكية ، ١٩٢٥ في ٧٩ ص

— نقلها ايضاً احمد الرامي : مثلت على مسرح رعمسيس في مصر

في سبيل الثأر : شعرية ذات ٥ فصول تأليف متري نعمان ، حريصا ، مطبعة الآباء البولسيين ، ١٩٣٧ ، ص ٢٠٠

في سبيل الخلافة : وضعها ابراهيم حسن جعفر وعبد الغفار الجنبيهي — مصر ، ١٩٣٩

في سبيل الشرف : تأليف عبد الله اسحق .

في سبيل الشرف : ذات ٥ فصول بقلم جميل البحري ، حيفا ١٩٢٦ في ٧٦ ص .

في سبيل الوطن : تأليف ناصيف المجدلاني — بيروت ١٩٣٢

في ظل راية الارز : تأليف يعقوب صقير ١٩١٨

في ظلمات القصر الشمالي : نقلها الى العربية المطران انطونيوس فرج ، ١٩١٣ نقدها في المشرق ١٧ : ١٥٦

في وجوب الطاعة للوالدين : تأليف اوغسطين سالم — ١٩٢٦

فيدورا : مثلتها فرقة رعمسيس .

فيروز شاه : مهزلة غنائية استلهم موضوعها عبد الحليم دلاور المصري من اوبرت فرنسية معروفة باسم *Fatmitza* ، مثلها نجيب الريحاني مراراً مع فرقته

الفيل والاسلام : الحلقة الثانية من سلسلة « مسرحيات المدارس » التي يضعها محمد يوسف المحجوب — القاهرة ، مطبعة مصر ومكتبتها ، ص ١٥

فيلبس اوكست في معركة يوفين : المؤلف : الاب لونفيه ، المترجم : الخوري الياس الحايك — بيروت ١٩١٤

الفيلسوف والغيور : هزلية مضحكة — بيروت ، المطبعة الوطنية ، ١٩٢٣ ص ١٦

ق

القائد المغرم : تأليف حبيب فلتاوس - مصر .

قاتل اخيه : في ٣ فصول . ترجمها عن الفرنسية جميل البحري — حيفا ١٩١٩ في ٥٥ ص

القانون : لاحد الادباء اللبنانيين — مطبوعة .

قبضاي : مهزلة ذات فصل واحد ، بقلم يوسف غصوب ، نشرها تباعاً في المشرق ٢٩ (١٩٣١) : ٦٨٩ و ٧٨٠ ثم على حدة .

قبلة في الظلام : وضعها عزيز عيد — مصر

القبلة القاتلة : ذات ٤ فصول تأليف : لوبك لجور بادك ، ترجمة : فتوح نشاطي مثلتها فرقة رعمسيس برئاسة يوسف وهبي .

قتال الملك زهير والملك كسرى : وضعها جرجي الحجار اللبناني ونشرت في ديوانه المطبوع سنة ١٩٢٢ ص ٥٤ — ٧٢ في مطبعة الانتصار — بيروت

القدر : ذات ٣ فصول تحتوي ٧٧ صفحة وضعها الاب برتلماوس صليبا ق. م.

قدموس : مأساة في ثلاثة فصول . وضعها سعيد عقل ، بيروت ، ١٩٤١

قدوة الحسان في ابنة رولان : ذات ٤ فصول . تأليف الفيكونت هنري دي بورنيه . ترجمها الخوري بطرس البستاني ، مطبعة صبرا — بيروت ١٩١٢ في ١٤٠ ص . نقدها في المشرق ١٦ : ٧٣٤

القديسة بربارة الشهيدة : تأليف اديب لحود — عمشيت ١٩١٠ ، مثلت مراراً .

القديسة جان درك : ذات ٥ فصول بقلم الخوراسقف يوسف الحايك — الطبعة الثانية ، بيت شباب ، مطبعة جريدة العلم ، ١٩٣٠ في ٨٥ ص.

رواية القديسين بولا وانطونيوس : تأليف الاب مبارك تابت الديراني اللبناني .

قرة العيون او على الباغي تدور الدوائر : تأليف شمعون مويال ، بيروت — المطبعة اللبنانية ، ١٨٨٥ ، ص ٥٦

القرية الحمراء : غنائية قام بتمثيلها جوق آل عكاشة — مصر .

قسوة الشرائع : غنائية مثلتها فرقة سلامة حجازي وميليا ديان .

قصة الفصح : المؤلف : انا ر . كندي ، المترجم : منح الراسي (عن الانكليزية)

— نشرتها المطبعة الاميركية ، بيروت في ٢٤ ص .

القضاء والقدر : غنائية من قصص الف ليلة وليلة . المؤلف : ادوار كنوبلتز الانكليزي . ترجمها الى الفرنسية : جول لاتر . وعربها خليل مطران .

قضي الامر : لسعيد تقي الدين .

القضية المشهورة : فودفيل ، مثلت مرارًا في مصر .

قلب الاسد : مصر ، مطبعة المقتطف ، ١٨٨٧ .

قلب المرأة : وضعها جورج ابيض ، مثلتها جوقته بمشاركة الشيخ سلامة حجازي

قيز : وضعها احمد شوقي بك ، مطبعة مصر ، سنة ١٩٣١ — نقدها الاب جبرائيل اني سعدى في الرسالة المخاصية ٩ : ١٢٥ و ١٨٩ و ٢٧٨ ، وعباس محمود العقاد : قيز في الميزان .

القميص الملون : اطلب : يوسف الصديق واخوته .

قنابل : ملهاة في ٣ فصول ، تأليف محمود تيمور — القاهرة ، اخرجتها لجنة النشر للجامعيين ، ١٩٤٣ ، في ١٩٠ ص مع مقدمة لزكي طليمات — نقدها حسن كامل الصيرفي في المقتطف ١٠٤ : ١٩٧ .

القناع الممزق : غنائية : تأليف بيير وولف — ترجمها : اسماعيل وهبي — راجع فيها « حياتنا التمثيلية » ٢ : ٢٩٤ .

قيس بن عاصم : ذات ٣ فصول . وضعها الشيخ ادوار الدحداح — بيروت ، مطبعة صيقلي ، ١٩٤٥ ، ص ٨٨ .

قيس ولبنى : لعزيز اباظة .

القيصران : ذات ٥ فصول ، تأليف الاب لونغنيه — نقلها الى العربية شعرًا الاب يوحنا قاخوري البولسي — حريصا ١٩٤٧

ك

الكابورال سيمون : ذات ٥ فصول . بقلم عزيز عيد ، تقع في ٩٨ ص — دمشق ، مطبعة ابن زيدون ، ١٩٣٩ .

كاترين : تأليف : صفاء مصطفى – بيروت ، مطبعة الكشاف في ١٧١ ص ، ١٩٣٩ .

كارمن : غنائية نقلها الى العربية فرح انطون ومثلتها جوقة السيدة منيرة المهدية – مصر القاهرة بدار الكورسال .

كازيوليتس (كوريا لانس) : المؤلف : شكسبير المترجم : محمد السباعي مصر ، مكتبة التأليف ص ٢٠٤ .

كانديد *Candide* : ذات ٣ فصول ، المؤلف : برنارد شو B. Shaw .

الكاهن : المؤلف : الشاعر الروائي : بويه – المترجم : الخوري هارون غصن . نشرها تباعاً في مجلة المشرق ٢٤ (١٩٢٦) : ٢٠١ و ٢٧٩ و ٣٥١ و ٤١٧ – ثم نشرت على حدة في ٥٣ ص .

كهن امون : مثلت مرارًا في مصر .

الكذوب : مثلت مرارا – مصر ١٩١٣ .

كذبه يا اني : لفريد مدور – بيروت ، مطبعة الدائرة الاستعدادية – الجامعة الاميركية ، ص ٧٢ .

كرسي الاعتراف : ليوسف وهبي – مثلت مرارًا في مصر ولبنان .

كرمنيا : غنائية عربها عن الفرنسية فرح انطون ومثلتها جوقة السيدة منيرة المهدية .

كريتون المبدع *The admirable Crichton* : تأليف : جيمس م. باري J. M. Bary ، المترجم : يوسف اسكندر جرجي ، كوميديا فلسفية ذات : فصول – القاهرة، مكتبة الهلال ، ص ١٣٨ .

كريستوف كولمب : ذات ٥ فصول ، ترجمها عن الايطالية : الخوري يواكيم اسطفان – بيروت ، مطبعة جدعون ، ١٩٠٩ ، ص ١٠٨ .

كرية اللبنانية في حوران : ذات فصلين ، تأليف القس مبارك ثابت الديراني . بيروت ١٩٢٥ ، مطبعة الاجتهاد ، ص ٣٣ .

كسرى والعرب : وضعها حبيب شماس ، مثلت على مسرح المدرسة البطريركية في بيروت .

كلام في سرك : مثلت مراراً في مصر .

كليوباترة في خان الخليلي : لمحمود تيمور — القاهرة ١٩٤٦ :

كما تهواه : تأليف : شكسبير ، المترجم : محمود عوض ابراهيم — مصر مطبعة المعارف .

كنوز الملك سليمان : المؤلف : ريدار هجارد ، ترجمها يوسف اسكندر جرجس — القاهرة ، مكتبة الهلال ، ١٩٣٢ ، ص ٣٩٩ .

كوثر : دراما عصرية في اربعة فصول مقتبسة عن رواية : اللص *Le Voleur* تأليف هنري برنشتين ، بقلم عباس علام ، مثلتها شركة ترقية التمثيل العربي لاول مرة بتياترو حديقة الازبكية ، ١٩٢٦ .

الكونت والمركيز والدوك المحتالين والعميان الشحاذين : هزلية ذات فصلين ، وضعها الخوراسقف يوسف رباني ، حريصا — مطبعة القديس بولس ، ص ٣٢ (بالعامية) .

ل

لا اتزوج ولو شنقوني : هزلية ذات فصل واحد في ١٨ ص — مطبعة العلم بيت شباب .

لا توسكا : غنائية ، مصر .

لاجل الشرف : غنائية قامت بتمثيلها جوقة آل عكاشة ، مصر .

لا دام او كاميليا : تأليف اسكندر دوماس ، المترجم : عبد القادر المغربي واميل شبطيني — مصر ١٩٠٥ ، مثلها سلامة حجازي في مصر ١٩٠٨

ثم ترجمت بقلم طراد

ثم بقلم الدكتور ابوشادي — اطلب غادة الكاميليا .

لباب الغرام او الملك متريدات : مثلت مراراً في مصر .

لبنان على المسرح : ذات ٥ فصول . تأليف اديب لحود والخوري منصور عبيد ، نيويورك ١٩١٩ ص ٧٧ — راجع فيها «المشرق» ١٨ : ١٠٣٦

اللبنانية : وضعها الخوري يوسف الحداد – ريو دي جانيرو ، مطبعة الصواب ، ١٩٣٢ ص ٨٤ .

لبيك فلسطين : وضعها زهير الشرا – دمشق ، ١٩٤٧ .

اللحن الكذيب : في فصل واحد ، وضعها خليل هنداوي ونشرها في مجموعة « سارق النار » ص ٩٣ - ١٠٨ .

اللص الشريف : مسرحية مصرية .

اللصوص : تأليف شيلر ، المعرب : عبده حسن الزيات ، مع مقدمة للدكتور منصور فهمي – مصر ١٩٣٧ ، مطبعة وادي الملوك ، ص ٣٨٠

لصوص الغاب او شرل واملي : ذات ٥ فصول ، المترجم : عساف الكفوري ص ١٢٢ .

لطيف وخوشابا : ترجمها الى العربية نعوم فتح الله سحار ، وطبعت في الموصل ، سنة ١٨٩٣ .

اللغز : تأليف بول هرفيه – المترجم : محمد تيمور .

اللقاء بعد الشقاء : ألفتها عائشة هانم عصمت – مصر ١٨٩٩ .

لقاء قورش : خطبة مثلت في اكليريكية الشرفة حيث توجد اصولها .

لقيط الصحراء : مسرحية ذات خمسة فصول .

لن تعودي يا فرنسا : انسيب الرفاعي ، دمشق ١٩٤٧ .

لهجة الابطال : وضعها الدكتور سليمان غزالة في ٣ فصول – مطبعة الشركة العثمانية ، ١٢٢٩ ص ٧٧ – راجع فيها المشرق ١٥ : ٢٣٣ .

لوكندة الانس : مثلتها فرقة رعمسيس – مصر .

لولا المحامي : تأليف سعيد تقي الدين مع مقدمة لخليل مطران – بيروت ١٩٢٤ ص ١١٢ – نقدها في الخدر ٦ : ٥٦٠ .

لويس دي غونزاغا : وضعها يوسف شبلي ابي سليمان – راجع فيها المشرق ٦ (١٩٠٣) : ٦٧١ .

لويس الحادي عشر : ٤ فصول – تأليف : كازمير ده لا ڤيني . ترجمها الى العربية : الياس فياض – المخرج : فتوح نشاطي – مؤلف

موسيقى الرواية : عبد الحليم علي ، مصر ١٩١٢ في ١٢٠ ص.
لويس السابع عشر : ذات ٣ فصول ، وضعها نصرت سعيد ، حلب ١٩٣٣ .
الليلة الثانية عشرة : تأليف : شكسبير — المترجم : محمود عوض ابراهيم — القاهرة ، مطبعة المعارف ، ١٩١٥ .
ليلة الدخلة : بصرية من نوع الفودفيل
ليلة ضائعة : ذات فصل واحد وضعها شارل كايرك ، ترجمها الى العربية فتوح نشاطي ، نشرتها مجلة الرسالة في عددها ٣٧
ليلة الفصح : رمزية ، الجمعية الاسقفية بشارع الفلكي في القاهرة .
ليلى : بقلم عبد الله حشيمة
ليلى ابنة الملك النعمان والاكاسرة : ذات ٥ فصول تأليف الخوراسقف يوسف الحايك ، مطبعة العلم ، بيت شباب سنة ١٩٣٢ ، ص ٩٠
ليلى وسمير : وضعها جميل صدقي الزهاوي ، مجلة لغة العرب ٥ : ٥٨٧ — ٦٠٨

م

ما بعد الدوارة الا الخسارة : ذات ٣ فصول و ٣ مناظر . تأليف محمد منجي خيرالله — مصر ، مطبعة الصدق ، ١٣٢٢ ، ص ٥٦
ماجدولين : تأليف الفونس كار ، ترجمها للتمثيل في ٥ فصول الياس ابو شبكة في ٦٧ ص — بيروت ١٩٢٥ — مطبعة قوزما .
مار اغناطيوس النوراني : وضعها الخوري اسحق ارملة ، ومثلت في دير مار افرام بماردين ، سنة ١٩١٣ .
مار افرام : انشأها جورج صقال ، ومثلت في دير الشرفة سنة ١٩٠٠ (لبنان)
ماري تيودور : غنائية ، وضعها اسكندر كرباج ومثلتها ميليا ديان .
ماريا : درامة اسبانية اخرجها فتوح نشاطي للفرقة القومية في مصر
مأساة ايوب الصديق : تأليف الياس لطف الله ، لبنان ١٨٨٩
مأساة التقليد : تأليف عبد الرحمن عثمان علي ، مطبعة التقدم بالاسكندرية .
مأساة الصنوبر : ذات ٣ فصول . وضعها انيس درية ، مطبعة الامة في بيروت ، عام ١٩٣٢ ، في ٣٥ ص .

المأساة الكبرى : في ٥ فصول للدكتور شبلي الشميل عام ١٩١٥ ، نشر بعض اقسامها في البصير ، ١٥ ص . نقلها الى الفرنسية شعراً ابن اخيه ماريوس شميل — راجع فيها المقتطف ٤ (١٩١٦) : ١٩٤

ماكبث *Macbeth* . تأليف شكسبير . تولى ترجمتها كثيرون ، منهم : محمد عزت ، شعراً ، طبعها ولكن لم تمثل . حافظ ابراهيم ، نثراً ، لم تطبع ولم تمثل . خليل مطران ، لفرقة ابيض . محمود احمد العقاد ، واحمد عثمان — المطبعة العربية — مصر . محمد السباعي . واخيراً عبد الفتاح الدرنجاوي — مصر ١٩٣٣ .

المال والبنون : في ٤ فصول و٦ مناظر . تأليف فهيم حشي ، مثلتها فرقة رعمسيس . نقدها في الرسالة عدد ٣٠٥

المأمون : تأليف عبد الرحمن رشدي — مصر .

مانون ليسكو : تأليف بريفو ، المترجم حبيب جاماتي — مثلتها لاول مرة فرقة السيدة فاطمة رشدي ، راجع فيها السياسة الاسبوعية عدد ٨٥

— ترجمها ايضاً عمر عبد العزيز بعنوان : مانون لسكو او قلب في عاصفة .

— ترجمها ايضاً الياس ابو شبكة — بيروت ، ١٩٣٦ .

المائدة الخضراء : مثلتها فرقة رعمسيس ليوسف وهبي .

المتحري الصغير في كشف السرقات : تأليف انور فوق العادة — دمشق — مطبعة زيدون ، ص ٣١ .

المثال النائه او جاليتا وبيجماليون : في فصل واحد وضعها خليل هنداوي — نشرها في المقتطف ١٠١ (١٩٤٢) : ٢٢٩ — ٢٤٠

المثري النبيل *Le Bourgeois Gentilhomme* : هزلية تأليف موليير . عربها عن الفرنسية الياس ابو شبكة — بيروت مكتبة صادر ، ١٩٣٢ ص ٧٨ — نقدها في المشرق ٣٠ (١٩٣٢) : ٧١٩

المثل الاريحي في استشهاد الفتى المسيحي : تأليف الخوري ميخائيل الوف — بيروت ١٨٨٦ ، المطبعة الكاثوليكية .

مثلنا الاعلى : وضعها عبد المجيد عباس — بغداد — مطبعة دار الحكومة ص ١٣٥ — نقدها في العرفان ٢٥ : ٢٠٢ .

مجاعة لبنان والمطران انطون عريضة البشراوي : ذات ٥ فصول وضعها القس جبرائيل السرعلي — لبنان — طرابلس ١٩٢١

مجدولين او الخليلة : المؤلف : هنري ليستاركو ، المترجم : محمود خيرت — القاهرة ، ١٩٢٦

المجرم البري : غنائية مثلتها فرقة سلامة حجازي وميليا ديان — مصر .

مجموع الخاصة : ذات ٤ فصول . تأليف ميشال متري كفوري ووليم نجيب صعب — بيروت ١٩٢٥ ص ٢٣ .

المجنون : اخرجها يوسف وهبي مع فرقة رمسيس — مصر ١٩٢٣ .

مجنون ليلى : بقلم احمد شوقي في ٥ فصول ، ١٥١ ص . مطبعة المعارف بالقاهرة ، مصر ١٩٣١ ، — علق عليها ادوار حنين في المشرق ٣٣ (١٩٣٥) : ٧٠

رواية مجنون : وضعها واخرجها ميشال هارون — بيروت ١٩٤٤

محاسن الصدف : تأليف محمود واصف

محاورة بين الكريم والبخيل : مطبوعة .

محكمة العدل الدولية : تأليف برنارد شو بعنوان : جنيف — نقلها الى العربية : محمد فتحي ومصطفى طه حبيب ، ١٢٥ ص — مصر ١٩٤٥ ، مع صور ورسوم .

محمد علي الكبير : مأخوذة عن قصة ابنة الملوك للاستاذ محمد فريد ابي حديد — اشترك في وضعها في القالب التمثيلي يوسف تادرس — راجع فيها الرسالة عدد ٣٢٦ و ٣٢٧ .

محمد علي باشا : مثلت مرارًا في مصر .

المخبأ رقم ١٣ : مسلاة في ٣ فصول — وضعها محمود تيمور — القاهرة ١٩٤١ نقدها في المقتطف ١٠٠ (١٩٤٢) : ١٠٦ .

مدام سان جين : غنائية — مثلت بمصر مرارًا .

مدرسة الازواج *L'École des Maris* : تمثيلية تأليف موليير Molière ، المترجم : عثمان جلال — نشرت في مجموعته الاربع روايات من نخب التياترات ، مصر ١٩٠٧ — نقلها بالزجل ومثلها جورج ابيض في تياترو عباس .

مدرسة الفلاسفة : ذات فصل واحد للكاتب الفرنسي : ساشا غيتري — عربتها : فلك ترزي ونشرتها في الحديث ١٠ (١٩٣٦) : ٦٢١ — ٦٣٧ .

مدرسة النساء *L'École des femmes* : تأليف : موليير Molière المترجم : عثمان جلال — نشرة ضمن المجموعة الاربع روايات من نخب التياترات — مصر ١٩٠٧ .

مدرسة النميمة : عربها : عبد الرحمن رشدي ومثلت في مصر .

مدموازيل جوزيت امرأتي : هزلية مثلت بمصر .

مذود بيت لحم : انشأها القس جبرائيل احمردقنه السرياني، ومثلت في مدرسة ماردين ، سنة ١٨٩٤ .

المراحل : تأليف : ارنولد بينيت وادوار كنوبلوك — المترجم : يوسف اسكندر جرجس ، القاهرة ، مكتبة الهلال ، ص١٧٢ .

مرأة القرون المتوسطة : في ٥ فصول — وضعها الياس انطون الحويك — المطبعة اللبنانية ، جسر نهر بيروت ، ص ٧٧ .

المرأة الكذابة : كوميديا عصرية مصرية في ٣ فصول ، تأليف عباس علام مقتبسة عن رواية *Baby Mine* التي وضعتها الكاتبة الانكليزية Merg. Mays ، مثلتها فرقة السيدة فكتوريا موسى بتياترو فكتوريا لاول مرة ، سنة ١٩٢٧ .

المرأة المجهولة : مثلت بمصر مرارًا .

المرأة والوفاء : تأليف الشيخ خليل اليازجي سنة ١٨٧٦ ، طبعة سنة ١٨٨٤ ، راجع فيها الرسالة ١٠ (١٩٤٢) : ٨٦٩ .

ميروبا *Mérope* : المؤلف : ڤولتير — المترجم : امين الخوري .

مريض الوهم *Le Malade imaginaire* : هزلية ذات ٣ فصول ، تأليف : موليير Molière ، المترجم : الياس ابو شبكة — بيروت ، مكتبة صادر ، في ٨٣ ص .

مريم المجدلية : ٤ فصول وضعها : امين ظاهر خيرالله سنة ١٩١٣ ونشرها تباعاً في مجلة النعمة ٤ : ٧٧٣ و ٨١٧ و ٨٩٤ ومجلد ٥ : ٦٥ و ١٤٥ .

مريم المجدلية : تأليف : موريس ميترلنك M. Maeterlinck المترجم : المطران انطونيوس بشير — مصر ١٩٣٢

— ترجمها ايضاً يوسف اسكندر جرجس لحساب مكتبة الهلال .

مزين : هزلية مثلت مراراً في مصر .

مسارح الاحداث : مثلت مراراً في مصر .

المستقبل : في ٤ فصول مع مقدمة تأليف زكريا حمودة اسماعيل — دمنهور ، مطبعة الشعب ، ١٩٣٣ ، ص١٤٤ — نقدها في مجلة ابولو ٢ عدد فبراير ١٩٣٤ ص ٥٢١ .

مسرحيات توفيق الحكيم : مجموعة من المسرحيات الصغيرة ، وضعها توفيق الحكيم في مجلدين ، ظهر الاول منها في مطبعة الاعتماد ، ١٩٣٧ تضمن المسرحيات التالية الصفحة : ١٠-١٢٣ سر المنتحرة — ص ١٢٧—١٣٤ نهر الجنون — ص ١٤٨— ٢٧ رصاصة في القلب — ص ٢٧٤—٢٩٨ جنسنا اللطيف . اما المجلد الثاني فقد ظهر في القاهرة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٣٧ ، وهو يتضمن المسرحيات التالية : ص ٥—١١٠ الخروج من الجنة او الملهمة — ص ١١٥-١٢٦ امام شباك التذاكر — ص ١٣٣—١٩٢ الزمار — ص ١٩٥—٢١٢ حياة تحطمت .

مسرحيات يوربيدز : مجموعة من اربع مسرحيات لابي المسرح اليوناني الشاعر يوربيدز ، نقلها الى العربية ، عن الانكليزية محمود محمود ، ونشرتها له لجنة النشر للجامعيين — القاهرة ، مكتبة مصر

ومطبعتها ، ١٩٠٦ ، ص ٢٢٢ ، مع مقدمة عن المؤلف ونشأة الادب المسرحي اليوناني — واليك المسرحيات المترجمة : ميديا ص١٦ ٦٦ — هيبوليتس ص٦٨—١١٨ — افجينيا في اولس ص ١٢—١٧٥ — افجينيا في توريس ص ١٧٥— ٢٢٢ .

مسعود : شعوبية مصورة في ٤ فصول مع مقدمة وتلخيص ، تأليف محمود ابو النجاة ، مصر — مطبعة دمنهور الصناعية ، ١٩٣٣ ص١٣٠ نقدها صالح جودة في ابولو ٢ عدد نوفمبر : (١٩٣٣) ص٢٤٧ و ٢٨٥ .

مصر الجديدة ومصر القديمة : تأليف فرح انطون - مصر ، ١٩١٣ — مثلت مرارًا .

مصر الخالدة : وضعها فتوح نشاطي .

مصرع الباغي وخيم : ذات ٣ فصول ، تأليف : نصرت بطرس سعيد ، حلب المطبعة المارونية ، ١٩٢٨ ، ص ٧٠ .

مصرع الحسين : وضعها عدنان مردم بك ، ونشرتها له مجلة العرفان ، ٢٦ : ٤٤٢ .

مصرع الزباء : غنائية مثلها جرق آل عكاشة — مصر .

مصرع الظالمين : في ٦ فصول ، تأليف : توفيق الرافعي ، ١٩١٠ ص ١٠٧ .

مصرع قيصر روسيا وعائلته : ذات ٥ فصول . وضعتها الكاتبة اسما الطوبى ، عكا ، المطبعة الوطنية ، ١٩٢٥ ص ٦٨ .

مصرع كليب وائل : محي الدين الحاج عيسى — القدس ، ١٩٤٦ .

مصرع كليوباترا : ذات ٤ فصول ، تأليف : احمد شوقي — مصر ، مطبعة المعارف ، ١٩٢٩ ص ١٥١ — راجع فيها نقدًا لفؤاد افرام البستاني ، في المشرق ٢٨ (١٩٣٠) : ١٥٧ — نقدًا آخر لسيد ابراهيم في مجلة الحديث ٣ (١٩٢٩) : ٦٥٤ — نقدًا آخر لمحمد نور في «السياسة الاسبوعية» عدد ١٨٧ : ١٧ — نقدًا وتلخيصاً لادوار حنين في المشرق ٣٣ (١٩٣٥) : ٦١ .

مضحك الملك : مسرحية لفكتور هيجو ، مثلها جورج ابيض — مصر . ترجمها : الياس فياض .

مطامع الملوك : ذات سبعة فصول ، مثلت مرارًا ولم تطبع

مظالم الآباء : ذات ٥ فصول . وضعها خليل كامل – مصر .

مظالم الحياة : ذات ٣ فصول – طبعت في بيروت ١٩٣٧ ، في ٨٨ ص .

معاوية ومروان بن الحكم : بقلم عيسى ميخائيل سابا في ٣ فصول – بيروت ١٩٣٢

المعتمد بن عباد : تأليف ابراهيم رمزي – مصر ١٨٩١

المعز لدين الله : لعبد الرحمن الساعاتي ، مثلت على مسرح دار الاوبرا الملكية

معهد الفضائح والوشايات : هزلية ذات ٥ فصول كبيرة ، المؤلف رينشارد شريدان . المترجم محمد منير عبد الحميد – مصر ، ١٩٢٣

مغاور الجن : ذات خمسة فصول تأليف هارون عبود . اخرجتها مطابع قوزما في بيروت، ١٩٢٦ في ٩٩ص – نقدها في لغة العرب ٤ : ٤٢٨

المغفرة او الغرام المزيف : تأليف الدكتور منير طلعت ، الاسكندرية مطبعة السلام ، في ٥٥ ص .

مفرق الطريق : ذات فصل واحد، وضعها الدكتور بشر فارس وطبعها في مطبعة المقتطف في ٣٧ ص – مصر ١٩٣٨– نقدها الاب الكرملي في المقتطف ٩٣ : ٤٦٧ ، الصيرفي في المقتطف ٩٣ : ٤٧٧

مقتل ديوسقوروس لابنته القديسة بربارة : في ٥ فصول . الفها اديب لحود وطبعها – مثلت اولًا على مسرح المدرسة الوطنية بعمشيت ، سنة ١٩١٠ و ١٩٣٤

مقتل هيرودوس لولديه اسكندر وارسطبولس : وضعها الشيخ عبد الله البستاني، سنة ١٨٨٩

مكايد القصر : لنجيب حبيقة .

مكر الرجال : ذات ٤ فصول ، الفها بالفرنسية قدور بن غبريط ، ترجمها ميشال كرم ، طبعت في المطبعة الرشيدية – كفرشيما – لبنان ، ١٩٢٧ ، ص ٧٥

الملك والملكة : احدى مسرحيات طاغور ، نشرت في مجلة العصور ، عدد ٧ (ابريل ١٩١٨) : ٨١١ — ٨٣٨

الملك اوديب : مسرحية ذات ٣ فصول ، تأليف اندريه جيد ، المعرب : الشيخ حبيب اليازجي — بونس ايرس ، المطبعة التجارية ، ١٩٣٢ ص ٣٢ — نقدها في المشرق ٣٣ (١٩٣٥) : ١٥٩

ملك الحديد : مثلتها فرقة رعمسيس ليوسف وهبي . مصر .

الملك الظاهر : ذات خمسة فصول .

ملك فرس : نقلها عن الايطالية الخوري يوسف معلم باشي ، ومثلت على مسرح مدرسة الشرفة (لبنان) في ٢٣ شباط ١٨٨٤ ، حيث توجد اصولها الخطية .

الملك لير : وضعها احد ادباء السودان ، ومثلتها الجمعية الادبية القومية المسرح السوداني .

الملك هرقل او ارتفاع الصليب : فرنسية ترجمت ثلاثاً منها ترجمة الاب مارون غصن — مطبعة اليسوعية ، ١٩٢٦

وترجمها ايضاً يوسف صفير ، كما ترجمها الخوري يوسف الطنب .

الملك هنري الثامن : احدى مسرحيات وليم شكسبير ، نقلها الى العربية سامي الجريديني ، كما سبق فنقل له من قبل « هاملت » و « الملك لير » و « يوليوس قيصر » اخرجتها مطابع دار الهلال ، سنة ١٩٢٦ في ٧٦ ص

— ترجمها ايضاً عبد الرحمن فهمي — مصر ، ١٩٣٦ ص ١٨٤ مع مقدمة لمحمد فريد ابي حديد وترجمة موجزة لشكسبير .

ملك وشيطان : كوميدي عصرية مصرية في ٤ فصول تأليف عباس علام . مثلت لاول مرة بمعرفة جمعية من الهواة بتياترو الكديفيال في بورسعيد سنة ١٩١٥

ملكة سبا : عني بنقلها عن رواية سينمائية امين زيدان ، صاغها بقالب تمثيلي سليم مشلاني ومثلت لاول مرة تحت رعاية جمعية النهضة اللبنانية

في نيويورك في ١٩ اذار ١٩٢٧ ، مطبعة جريدة الهدى في ٦٤ ص .

الملكة سميراميس : لبعض اساتذة مدارس الروم الارثوذكس في حمص — بيروت ، مطبعة القديس جاورجيوس ١٨٥١ ص ٨٦ (ملحق بها رواية الابن الضال)

الملك شارلمان : لاديب اسحق ، ١٨٩٨

ملك المكامن : مسرحية — مصر .

رواية الملكين : مغناة ذات ٣ فصول ، تأليف : الخوري مارون غصن . وضع موسيقاها : وديع صبرا — بيروت ، المطبعة اليسوعية ، ١٩٣٧ في ٣٠ ص (موضوعة بالفرنسية والعربية) — راجع فيها المشرق ٢٥ (١٩٢٧) : ٤٧٤ ، ٢٦ : ٣٠٣ .

الممثل كين : مترجمة ، مثلتها جوقة جورج ابيض .

الممثلة فيوليت : ايطالية الاصل ، اخرجها : عبد الرحمن رشدي .

مملكة اورشليم : وضعها جورج ابيض ومثلتها جوقته بمشاركة سلامة حجازي .

مملكة الشياطين : ذات ٥ فصول ، تأليف توفيق الرافعي — مصر ١٩١٨ .

من الادب التمثيلي اليوناني : لسوفوكليس ، ٤ مسرحيات — ترجمها الدكتور طه حسين ونشرتها مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر في القاهرة عام ١٩٣٩ في ٣٢٠ ص وهي : الكترا *Electre* ص ٦—٨٥ — اياس *Ajax* ص ٩٠—١٦١ — انتيجونا *Antigone* ص ١٦٧—٣٣٠ اوديبوس ملكاً *Œdipe Roi* ص ٢٣٥—٣١٩ .

المنتقم *Un grand Bourgeois* : مسرحية تأليف : اميل فابر Emile Fabre ، المترجم : محمود كامل المحامي — مثلت على مسرح برنتانيا لاول مرة سنة ١٩٣١ .

من الظلمة الى النور : في فصلين ، المطبعة الاميركية في بيروت ، سنة ١٩٣١ في ٢٣ ص .

من غربل الناس نخلوه : احدى مسرحيات الاخ ساروفيم فكتور (رشيد

يوسف عطاالله اللبناني ، الاربع ، نشرت في كتاب « الذكرى الخالدة » ، بيروت ١٩٢٧ .

من منها ابنتي : هزلية ذات فصلين بقلم القس مبارك ثابت الديراني ، بيروت مطبعة الاتحاد ، ١٩٢٥ ص ٢٤ .

المنقذة : تأليف : محمود تيمور ، ظهرت مع مسرحيته الاخرى «حفلة شاي» القاهرة ، دار الكتب الاهلية ، ١٩٤٣ ص ٨٣ .

المهاجر اللبناني : وضعها المحامي حليم فارس ، بيروت ، ١٩٤٧

المهلهل : تأليف عبد المطلب الملقب بـ « بدوي الجبل » .

مورتيس : مثلت بمدرسة مار لويس في بلدة غزير (لبنان) .

الموؤودة : مصرية ، مثلت مرارًا .

الموت المدني : ايطالية الاصل مثلتها جوقة عبدالرحمن رشدي .

الموت في اجازة : معربة عن الانكليزية بعناية الدكتور ابراهيم ناجي ، مثلتها الفرقة القومية في دار الاوبرا الملكية — القاهرة .

الموظف : ذات ٤ فصول ، تأليف : عصام سامي الامين — بيروت ، مطبعة الانصاف ، ١٩٤٦ ، ص ٧٨ .

موليير مصر : تعريب يعقوب صنوع المشهور بابي نظارة ، طبعت في بيروت ، المطبعة الأدبية ، ١٩١٢ ص ٤٠ .

مي وهوراس : مصر :

ميت يتكلم : وضعها عبدالله يوركي حلاق ، حلب ١٩٣٦ .

ميت يتكلم : مسرحية ، تاليف : كزافيه دي مونتيان — المترجم : نقولا رزق الله — القاهرة ١٩٠٨ .

ميديا : احدى مسرحيات اوريبيد ، نقلها الى العربية السيد محمود ونشرها في مجموعته « مسرحيات يوربيديز » ص ١٦—٦٦ .

ميروب : ترجمها اسعد عواد .

ميسلون : وضعها الاستاذ بدر الدين حامد ، ذات ٥ فصول — نشرتها مطابع ابي الفداء في حماة ، ١٩٤٦ في ١٦٨ ص .

ميلاد ابي العلاء : وضعها محمد حاج حسين ونشرها في آخر كتابه « عبقرية الاديب العربي » – اللاذقية ١٩٤٣، ص ١٥١ .

ن

ناتان الحكيم : ذات ٥ فصول ، تأليف . الشاعر الالماني لسنغ ، ترجمها الى العربية : الياس نصر الله حداد – القدس ، مطبعة دار الايتام السورية ، ١٩٣٢ ، في ٨٤ ص .

الناثب هالير : ترجمها عبد الرحمن رشدي ومثلت في مصر .

نابوليون : مثلت مرارًا في مصر .

ناتاشا : مثلتها فرقة رعيس برثاسة يوسف وهبي .

نادي القمار : غنائية مثلت مرارًا – مصر .

ناكر الجميل : مثلت مرارًا – مصر ، وهي مطبوعة .

نبوخذنصر ملك بابل : انشأها الخوري هرمز تورسو الكلداني الماردیني – ومثلت في مدرسة الكلدان ، ١٨٨٩ .

نتيجة الرسائل : شعرية مثلها الشيخ سلامة حجازي في جوقة ميليا ديان ، مصر

نتيجة الميسر او ذلة في الحياة : في ٦ فصول ، تأليف : سعيد الرافعي – مثلت في دار التمثيل العربي – مصر .

النجم الآفل : *La Dame aux Camélias* احدى ترجمات لا دام او كاميليا (اطلبها) كثيرًا ما مثلتها جوقة سلامة حجازي في مصر وسوريا.

نحو النور : وضعها الاديب ابراهيم المصري ، ونشرت ذيلًا لكتابه الفكر والعالم .

نخب العدو والثلج الابيض وقصص اخرى : كتاب يحتوي تمثيلية نخب العدو وعلى ١١ قصة لسعيد تقي الدين – والمسرحية في ٣ فصول – بيروت ، مطبعة الكشاف ، ١٩١٧ .

النساء العالمات : *Les Femmes Savantes* مسرحية تأليف موليير Molière ، المترجم : عثمان جلال ، نقلها بالزجل ومثلها جورج ابيض في

تياترو عباس — مصر ، وقد نشرهـا ضمن مجموعته « الاربع روايات من نخب التياترات » (اطلبها) ١٣٠٧

نشيد الانشاد : لتوفيق الحكيم — القاهرة ، مطبعة مصر ، ١٩٤٠ ، ص ٦١

النعمان ملك الحيرة في بني شيبان : ذات ٤ فصول وضعها الخوري يوحنا طنوس ، طبعت في مطبعة الاجتهاد ، بيروت ، ١٩٢٤

نعيم بن حازم : غنائية وضعها عبد الحليم دلاور ومثلتها جوقة آل عكاشة — مصر

النغم الرقيق : في فصل واحد تأليف الس جرستنبرغ Gerstenberge ، المترجمة : السيدة ميترفا عبيد — نشرتها مجلة المقتطف ٩١ (١٩٣٧) : ٥٧٧

نفحات العندليب في استرجاع عود الصليب : وضعها امين ظاهر خيرالله — بيروت ، مطبعة الاجتهاد ، ١٩٢٩ ، ص ٥٦ .

النفح العاطر في الفتى المهاجر : تأليف الخوري ميخائيل دلال الحلبي . مثلت على مسرح مدرسة دير الشرفة حيث توجد اصولها الخطية .

نكبة البرامكة : تأليف ناصيف نيقولاوس — دمشق ١٩٢٢ .

نهر الجنون : فصل واحد لتوفيق الحكيم ، نشرت في مجموعته : « مسرحيات الحكيم » الجزء الاول : ١٢٧ — ١٣٤

نوت حتب او الفضيلة المضطهدة : القاهرة ، مطبعة المقتطف ، ١٩٣٩ ، في ٧٠ ص .

النور يضيء في الظلام : مثلت في مصر .

نيرون : الفها لطفي جمعة — مصر .

هـ

هات الكاوي يا سعيد : اطلب : الجهلاء المدعين بالعلم .

هاجر : وضعها انيس الخوري المقدسي . نشرها في « المورد الصافي » ١٤ : ٦٥—٨٥

الهادي : وضعها عبد الله عفيفي ، مصر ١٩٣٣ ، ص ١١٢

هاروت وماروت : لخليل هنداوي ، طبعت مع مجموعته القصصية المسرحية المعنونة : « سارق النار » وهي في ٣ فصول — نشرتها دار اليقظة ، دمشق .

هارون الرشيد : تأليف محمود واصف

هارون الرشيد مع انيس الجليس : ذات ٥ فصول طبعت في ٥٤ ص .

هارون الرشيد مع الامير غانم ابن ايوب وقوت القلوب : ذات ٥ فصول تأليف الشيخ احمد ابو خليل القباني الدمشقي — مصر ، المطبعة اليوسفية ، ص ٢٤

الهاوية : كوميدي درام ذات ٣ فصول وضعها محمد تيمور ، مثلتها فرقة شركة ترقية التمثيل العربي (عكاشة وشركاهم) لاول مرة بمسرح حديقة الازبكية ، ١٩٢١ ، ونشرت في كتابه « المسرح المصري » : ٣٢٧ — ٤٥٢ .

الهجرة الاولى : هي الحلقة الثالثة من « سلسلة مسرحيات اسلامية » التي يعمل على وضعها محمد يوسف المحجوب — القاهرة ، مكتبة مصر ، ص ٢٤ .

هرقل او انتصار الصليب : للاب مارون غصن — بيروت ١٩٢٦ .

هكذا انا : لفريد مدور — بيروت مطبعة الدائرة الاستعدادية في الجامعة الاميركية ، ص ٦٩

هكذا قضت الاحوال : تمثيلية ذات ٤ فصول وضعها عيسى ميخائيل سابا ، بيروت ١٩٣٤ ، مطبعة الوفاء ص ٤٠ — نقدها في المشرق ٣٥ : ١٥٩

همام او في عاصمة الاحقاف : بقلم علي احمد باكثير — القاهرة ، المطبعة السلفية ، ١٩٣١ ، في ١٠٦ ص .

هملت : ذات خمسة فصول ، تأليف شكسبير ، المترجم نجيب الحداد — مطبعة الطرائف ، دمشق ص ٦٤

— ترجمها قبلاً طانيوس عبده ومثلت الرواية على هذه الترجمة

— ترجمها ايضاً خليل مطران لفرقة ابيض .

– ترجمها ايضاً سامي الجريديني كما ترجم من قبل « يوليوس قيصر » – مصر ، ١٩٢١
– ترجمها ايضاً محمد لطفي جمعة
– ترجمها ايضاً للطلبة محمد السباعي
وترجمها اخيراً عبد الفتاح السرنجاوي .

المناء بعد العناء : تأليف عبد الله فكري – مصر ، ١٢١٣

هند بنت الملك النعمان :

هنري الثامن : مسرحية ذات ٥ فصول تأليف شكسبير ، ترجمها يعقوب اسكندر ، وترجمها ايضاً محمود احمد العقاد وعثمان القرني معاً – المطبعة العربية ، مصر ١٩٢٥ ، ثم ترجمها : محمد عبد العزيز امين – بولس اسكندر – محمد عوض ابراهيم – القاهرة ، مطبعة المعارف .

هو النبي : وضعها محمد عبد الغني حسن . نشرت في الرسالة ١٩٤١

الهواري : ذات فصل واحد تأليف حسين رمزي – مصر .

هيبوليتس : احدى مسرحيات يوربيدز . نقلها الى العربية عن الانكليزية محمود محمود ، ونشرها في مجموعته « مسرحيات مدرسية » ، ص ٦٨ – ١١٨

و

واجب الاوطان فوق العاطفة : للاب اسطفان فرحات ، ١٩٣٠ .

وامعتصماه : مجموعة مسرحية بقلم عبد الوهاب ابو السعود ، نشرتها دار اليقظة العربية في ١٥٨ ص . اولها وامعتصماه ، اما الاخرى فهي : خولة بنت الازور – تزويج فيصل – الوطن : دمشق ١٩٤٤ .

الوباء : مثلها جرق عبد الله النديم – مصر .

وثبة العرب او الامير فيصل بن الحسين : في ٤ فصول . وضعها خليل ابراهيم النبوت ، في ٦٥ ص – بونس ايرس ، المطبعة التجارية .

وجوب الطاعة للوالدين : ذات ٣ فصول، وضعها الاب اغسطين سالم، بيروت، مطبعة جدعون ، ١٩٢٦ ، ص ٤٠ .

وحدة الوادي : وضعها محمود محمود زيتون — القاهرة ، ١٩٤٧ .

الوحوش : وضعها محمود كامل المحامي ومثلت لاول مرة على مسرح رعمسيس عام ١٩٢٦ ، مصر .

وحي ابليس : ذات ٤ فصول تأليف : فؤاد سليم ، حماه — مطبعة الاصلاح ١٩٤٧ ص ١٣٢ .

وحيد او قلب فنان : وضعها حسين عفيف المحامي، ونشرتها مطبعة حجازي، ١٩٣٦ ، في ١٩١ ص في ٤ فصول.

وديعة الايمان : ذات ٣ فصول بقلم الخوري يوسف جرجس شبلي ابي سليمان : بيروت ، المطبعة الكاثوليكية ، ١٨٩٩ ، ص ٧٢ — نقدها في المشرق ٢ (١٨٩٩) : ٧١٦ .

وراء الستار : تأليف الروائي الانكليزي باركر ، نقلها الى العربية محمد اسعد لطفي — مثلتها على مسرح رعمسيس الفرقة المعروفة بهذا الاسم . راجع فيها تحليلاً في السياسة الاسبوعية ، عدد ١٩١ (١٩٢٩) : ٢٥ .

وشي اليراعة في علوم البلاغة والبراعة : وضعها الشيخ ابراهيم الاحدب ، سنة ١٨٦٩ ، في المطبعة العمومية في بيروت ، سنة ١٨٧٠ في ٥٥ ص

الوطن : وضعها ڤكتوريان ساردو ، عام ١٨٧٤ . نقلها الى العربية فؤاد سليم وحبيب جاماتي — مثلتها فرقة السيدة فاطمة رشدي لاول مرة — راجع في الرواية واصلها والترجمة والتمثيل نقداً لمحمد توفيق يونس في السياسة الاسبوعية ، عدد ٨٦ : ١١

الوطن : وضعها عبد الوهاب ابو السعود ونشرتها له دار اليقظة العربية — دمشق ١٩٠٤ ص ١٥٨

الوطن او سلسترة : في ٤ فصول وضعها الكاتب التركي محمد نامق بك .

عربها محيي الدين الخياط ، المطبعة الاهلية في بيروت ، ١٩٠٨ في ٣٢٦ ص . نقدها في المشرق ١٣ : ٣١٥

الوفاء : وضعتها الآنسة امينة خوري ونشرتها مجلة « المورد الصافي » سنة ٧ : ٢١٠

وفاء العذارى : مسرحية تأليف انجولت لوبران — ترجمت ومثلت في مصر .

الولدان الشريدان : مترجمة عن الفرنسية ، مثلتها فرقة رعمسيس ليوسف وهبي .

ولكم في القصاص حياة : بقلم انور عمرو عرفات ، خلقية اجتماعية استعان على وضعها بالقصة الموجودة ص ١٣٥٩ — ١٣٦٨ من مجلة شهرزاد تحت تحت عنوان حبيبي النوري — بيروت ، مطبعة الوفاء ، ١٩٣٤ ص ٧٥ .

وليم تل : ذات ٤ فصول في ٧ مشاهد تأليف الشاعر الانكليزي شريدان ، ترجمها الى العربية المحامي انور شاؤل — بغداد ، مطبعة الجمعية الخيرية ، ١٩٣١ ، ص ٧٠ .

وليم تل : تأليف فريدريك شلر ، وضعها سنة ١٨٠٣ . ترجمها عباس ابو شوشة وحسين فرج زين الدين — مصر في ١٨٧ ص .

ويك عنتر : هزلية في ٣ فصول ، تأليف عادل كامل المحامي ، نشرتها مطبعة الحلبي ، القاهرة ، ١٩٤١ في ١٦٥ ص . مع مقدمة لابراهيم عبد القادر المازني . نقدها حسن الصيرفي « المقتطف » ج ٩٩ ص ٤١٩

ي

يا حسرتي عليك يا زعيتر : وضعها شكري الخوري — الجزء الاول ، سان باولو ، مطبعة ابو الهول ، ١٩١١ ص ١٨٣ راجع فيها المشرق ١٤ : ٨١٥ :

اليد السوداء : ثنائية مثلتها جوقة آل عكاشة — مصر .

اليهودي التائه : تأليف اوجين سو — نقلها الى العربية نجيب ابراهيم طراد ، ١٨٨٧ ، تقع في ١٦٨ ص . — راجع فيها كتاباً ليوسف غابوني

بعنوان : معرض الافكار او صدى رواية اليهودي التائه — بيروت ، المطبعة الكاثوليكية ، ١٩١٢ ، ص ٢٤٠ — المشرق ١٤ : ٦٣٧ .

يوسف بك كرم : تأليف ميشال يوسف ، — مطبوعة .

يوسف بن يعقوب او العفو عند المقدرة : وضعها رزق الله خوام الحلبي — حلب ، ١٩٢٦ ، المطبعة المارونية .

يوسف الحسن : ذات فصلين تأليف الخوري نعمة الله مجاني — لبنان ، في ٣٢ ص .

يوسف الحسن بن يعقوب : الفها الخوري اسطفان الشمالي المرسل اللبناني ، مثلت في دير الشرفة ، عام ١٨٦٩ .

يوسف الصديق واخوته : رمزية صدرت عن الجمعية الاسقفية بشارع الفلكي في القاهرة .

يوسف في ارض كنعان : مثلت بمصر .

يوليوس قيصر : احدى روايات شكسبير ، نقلت الى العربية مرارًا عديدة ، منها على يد : ناشد لوقا — مصر ١٩١٩

— سامي الجريديني — مصر ١٩١٣

— خليل مطران ، لم تطبع

— لويس غنام ثابت وطبعت في مطبعة الاجتهاد ، ١٩٢٥ ص ٧٠

— نقدها في المشرق ٢٤ (١٩٢٦) : ٧٩٦

— محمود احمد العقاد واحمد عثمان التربي — مصر المطبعة العربية

— محمد حمدي بك ومثلتها فرقة جورج ابيض على مسرح رعمسيس

— ترجمها ايضاً المدارس محمود السباعي الذي ترجم لهذه الغاية ، معظم روايات شكسبير

— وترجمها ايضاً عبد الفتاح البرنجاوي للغرض نفسه .

وثائق تاريخية عن حلب

بقلم الاب فردينان توتل اليسوعي

(تابع)

واقعة الشام في ٤ تموز غربي سنة ١٨٦٠ [1]

«لا بد تكون واجد عليّ يوم تخبيري اياك الحوادث ولا سيما انك طلبت مني ذلك مراراً بالقلم وبواسطة قول آخرين في عفه من انك تعلم يا عزيزي انني بكل نفس ذايقة الموت حررت لك الجرنال الاول بحوادث الجبل ولما اتصل الامر الى الشام فصرت بالطبع كواحد منهم وزيد ان هذه الحوادث اذهلت عقلي وجلبت الى راسي الماليخوليا وناهيك عطل الاوقات وما نحن به فالنهاية وجدت عدم رضاك مني هو مصيبة كبرى ايضاً فتجالدت كل الجلد لكني احرر لك ما يمكني واتقدم بالرجاء ايضاً ان تعذرني بعدم ترتيب الشرح ونظامه وتوقيعه بعباراته وارض مني وان يكن شي لا يرضيك .

اواه يا اسفي عليكي يا شام وعلى اهلك المسيحيين المنكود حظهم فانه

---

١) ليس في الوثائق التي ننشرها عن دفتر اخوية العزيان ذكر لحوادث السنين المشؤومة التي جرت في دمشق وفي زحلة ودير القمر . وليس لها اثر في تاريخ كامل الغزي ولا في تاريخ راغب الطباخ وكانت حلب في تلك السنة لم تزل تعالج نصفية باقي ما احدثته كارثة الخمسين التي ذكرناها سابقاً فخلد فيها الناس الى السكينة . على ان الخوف اعترى المسيحيين الحلبيين لما كان يبلغهم من الاخبار عن مراسليهم . وقد عثرنا في بيت من بيوت اعيان المسيحيين في حلب على رسالة مطولة وعنوانها : واقعة الشام في ٤ تموز غربي سنة ١٨٦٠ كتبت في ٢٥ صفحة من مجموعة مخطوطة طولها ١٣ سنتيمتراً وعرضها ١٠ وهي نسخة لاصل كتب على ما يظهر في بيروت . ولعل صاحبها من تراجمة القنصليات ويظهر من انشائه واملائه انه غير متضلع من العربية لكنه يسرد الاخبار عن ادراك وبصيرة . واذ ان الوثيقة موجودة في حلب ومن المعقول انها كتبت واوصلت الى حلب . وظلت مكتومة الى اليوم رأينا في نشرها فوائد اخصها الاعراب عن معرفة الجميل نحو المسلمين الصالحين الذين حاموا عن جيرانهم المسيحيين واحسنوا الى المنكوبين والتحقيق عن الذين نفع عليهم نعمة الفظائع وقد جرت بمكيدة الاتراك . ثم ان في هذه الآثار مادة لبناء تاريخ الاستقلال

العـادل يجعل مراحمه بعيدة عنك ويجعل يومك اشر من صادوم وعامورة .

قطع العلاقات بين الباشا والقناصل

ان مسيحيين الشام من حين حركة الجبل وهم في شدة المخاوف من اسلام بلدتهم وذلك لما ناظر لهم من سفاهتهم عليهم الغير معتادين عليها منذ سنين عديدة وكلما كانت احوال الجبل تتزايد عكساً على مضادته كانت احوالهم بشأنه ذلك حتى الجأتهم الضرورة ان يلازموا بيوتهم نحو اربعون يوماً متجنبين المخالطة مع الاسلام بالاسواق والاشغال الا ما كان تحوج اليه الضرورة جداً وكانت التنبيهات في الكنائس مستديمة عليهم لقطع كل سبب واحتمال كل امر . وكانوا خائفين جداً جداً من حركة تحدث بعيد الاضحى واستدعوا

السوري واللبناني فانه لم يولد الا بعد الارجاع والمخاض وكان بدؤه في تلك الايام العصيبة ولا بد لفهم غاية الاتراك من اضرام نار الفتنة والقضاء على العنصر المسيحي بالفناء من ان نتذكر كيف انسلخت عن الامبراطورية العثمانية اقاليمها الغربية فانفصلت واستقلت ومنها دول البلقان . ولما كان العنصر الوطني المسيحي هو الذي عسّ غالباً واشتعل بالشعلة الوطنية الاصيلة في بلاد البلقان خافت الدولة من امثال تلك الشعلة في سورية ولبنان مع كون اهلها المسيحيين قط لم يتسلحوا عليها بالعصيان فظنت بهم السوء وفكرت انها تقطع الشر من اصله اذا ما لم تبق في البلاد الا على العنصر الاسلامي . ولكن جاءت نتيجة سياستها على خلاف المطلوب فكما أن الفتن آل امرها في البلقان الى تحرر دولها وجمع شتات اهلها وعناصرها من مسيحيين ومسلمين تحت لواء الوطنية القومية كذلك جرى في بلادنا اذ ان الجماعات المختلفي المذاهب المتوحدي اللغة والمصالح بعد ان فهموا ما كاد لهم الاتراك من المكايد ليسلكوا على الاعناق انتبهوا من غفلتهم واصبحوا يتآخون على حفظ بلادهم واستقلالها من كل نير اجنبي وتحررت سورية ولبنان كما تحررت بلاد رومانية وبلغارية وبيوسلافيا واليونان . . . من نير بني عثمان بسوء سياسة بني عثمان وتقسيمهم بين الرعايا فآل الامر بهم الى توحيد صفوف الرعايا عليهم وخلع نيرهم . والنتيجة من ثم ان الاستقلال الذي تتمتع به مرهون دوامه بدوام الاتفاق والاتحاد بيننا ، على اختلاف عناصرنا ومشاربنا ، وكفى بهذه العبرة مبرراً لما نذكره بالاسف عن حوادث الشام المؤلمة . ونحن نرويها على علاتها كما هي في المتن المخطوط لكننا قسمناها بنوداً وعنونا بها بقلمنا . (راجع في هذه المادة ما نشره الاب شيخو عن شاهد عيان في المشرق ١٩٢٦ ص ١ ٨ وبعدها : نبذة مختصرة في حوادث لبنان والشام (١٨٤٠-١٨٦٢) وراجع ايضاً في المكتبة الظاهرية في دمشق مخطوطة [عام ٦٦٨ هـ] حادثة الستين للحسيبي .

محافظين من الحكومة الى ضيافتهم فأسعفتهم بذلك ونزل الحارة محافظ ومعه نفر ٥٠٠ ومضى العيد على سلامة ولكن قد تكلفوا الى مبالغ نقدية بشان ذلك بالسترة الى ان والي الشام احمد باشا الذي عليه ايضاً رتبة السر عسكر سيريا كانت احكامه بغاية النظام بأولها والنصارة كانوا بكل محظوظية منه مع القناصل للغاية جداً جداً وبعد واقعة الجبل تغير وكان التغيير عظيم من الشيء الى ضده فكانو القناصل لمدة هذا الخوف يستدعو منه التأمين عليهم وعلى النصارى رسمياً فكان يحاولهم مشافهة ان بالوقت الحاضر هم في امان وبعده لا يعرف حتى انقطعت بينه وبين غالب القناصل المواصلات الرسمية وكلهم قد اختاروا يورغاكي سبرطلي قنصل الاروام ان يقابله بالمواصلات الرسمية عن العموم فناهة الاسلام بلغة اعلامها حتى صارت اولادهم يرسمو الصلبان بالازقة والاسواق وعلى الحيطان ويبينوها بكل اصناف الهوان وكلما صادفوا مسيحي في الطريق مارًا يجبروا ان يفعل نظيرهم وكانوا يعملوا الصلبان ويعلقوها في ارقاب الكلاب ويسموهم بطاركة ومطارنة وخوارنة لكل كلب اسم وكذلك كانوا يسموا الكلاب باسم حضرات القناصل واكابر النصارة ويغنوا بهذه الغنية :

يا بطرس بشر نخله والدروز اخدوا زحله
مد رقبتك يا نصراني واحسبها قرمة نخله .

وكل هذا تحتمله النصارة ولا تبدي شيء وهي صامتة ودائماً ليل ونهار يطرقو الابواب عليهم ويطلبو اكل وشرب ومشروبات وخرجية وياخدو كل ما يريدوه والحكم مهاون منهم .

رضا باشا بيروت كان قاعد بالحازمية يطلعوا لعنده القناصل ويحاولهم وبالضد وهم لا ياخدوا من رايه خير بقي بهذا المحل والدروز طمعانه بنفسه حتى خرب الجبل جميعه وكانت نيته على كسروان ايضاً لكن ما توفق له خرابه حيث دارك الوقت . النهاية دخل يوم الاثنين في ٩ تموز سنة ٦٠ فنوعاً ما ضجرت النصارة من قعدة البيوت ونزلت غالبها الى المدينة لاجل قضي اشغال ضرورية .

بدء الفتنة

فالساعة الثالثة تكاثرت اولاد وشباب الاسلام بالاسواق وعملهم تزايد جدًا عن ما تقدم ذكره فمر التفنكجي باشي وصار يتهددهم ويحمي الصلبان ويمر من هذا السوق لغيره يجد الحال عمال يتزايد فعند ذلك قبض على نفر ٦ وارسلهم للصراية ووضع الحديد بأرجلهم وارسلهم مع خمسة نفر ظبطية يكنسو بأزقة المدينة ولما وصلو لباب البريد كانت نحو الساعة السابعة فصرخ بعضهم يا سيدي الحجي مدد يحيى وكان ذلك امام جامع الامنوي يا علم الشرف مدد مدد الله الله مات دين الاسلام الحديد بارجلنا والمكانس بايدينا ورايحين نكنس بحارة النصارة الكفار الله الله مات دين الاسلام وقام دين الكفار فلما سمعوا اهالي السوق قاموا وقالوا الله الله على الكفار يا عزة الدين وقفلوا دكاكينهم واخذوا الاولاد من الظبطية وهجموا على حارة النصارة وابتدت جماهير الاسلام تتراكد بالاسلحة والفاسات وغيره فلما وصلوا الى منافذ الحارة وقفت امامهم كراكونات العسكر ووقع الضرب فقتل من اولاد البلد ثلاثة انفار وفيما هم بهذا الحال واذ حضر من الصراية مدفع طوبجية ووصل لحد كنيسة الروم واوقفوه على سفله وضربو مدفع بارود بالعالي فعند ذلك نهبت البارود سفايل السوق التي هي من قش وحصر ورجع المدفع حالًا لمحله وضرب النفير العسكري واذ العسكر الموجود الجميع التم وسند براريده على بعضها . ورجع مع اسلام البلدة بالنهب والضرب بكل قساوة فلازم هنا تفهم جملة مبادي :

من المسؤول ؟

اولًا : اعيان البلد الموظفين بالمجالس وغيرها توجهوا لعند الباشا وقالوا له قم بنا نطفي هذا الشر فلم قبل والمفتي والقاضي قالوا نعطيك اعلام شرعي وفتوى ان تضرب المتعدي ورد الجواب علينا فما قبل ولا تحرك .

ثانياً : ان العسكر وقف منه في اول منافذ الحارة في كل منفذ كم نفر

وحين هجوم الاسلام على حارة النصارة فكانوا يتركوا النسليح يدخل والذي بغير سلاح كانوا يقولو له روح تسلح سلاحك وتعال .

ثالثا : ان اول من دخل الحارة كانوا الاكابر من افندية واغاوات وتجار ودكنجية ومن كل طاقم .

رابعاً : انه بنصف ساعة انوجد في حارة النصارة ما ينيف عن خمسة وثلاثون الف نفر وحالا اول هجومهم كانت على محلات طائفة الروم لانهم الوجه في الحارة فكانوا ينهبوا البيت ويرموا به الحريق حالًا الرجال الذين في الاسواق انقطعوا وتراكدوا الى الخانات والقلعة وبعض بيوت اسلام واليهود احضروا الاسلام بالحارة ليسقوهم شرابات الثلج والبعض يدعوا لهم نصراء كثيرين من النصارة في الساعة الموهلة تشتتوا ووصلوا لحارة اليهود واما الذي كان يصل هناك لم يخلص . . . النصارة الذين في الحارات لما شاهدوا ان الاسلام من بعد نهبته البيت يحرقونه فكانوا يفروا هرباً من السطوح اما يتخبوا بالاقبية او بالابيار واما النساء والبنات تتراكد حقايا مهتوكات بحالة تذهل العقول وكانوا يلاحقونهم ويشلحونهم بالاسواق ووجد جماعة كثيرين يجمعوا النساء ببيوت مختصة بالاسلام واما الاكراد مع اهل البلد يأخذوا كل حسناء من بنت ومره واولاد وهذا في اول يوم لم صار فيه سبي ولا قتل سوى نحو مايتين نفر وصارة الكاثوليك تأمل انه لازم الحكم بتلافا الامور والقناصلة تعمل شغل اطرافها وكان ليلًا مهولًا يا لطيف قلنا ان غالب رجال الروم ونساءهم خلصو والذي توقع ليلًا شيء مهول وبه صار القتل المريع والفسق الشنيع والسبي للحرائر وكان دخانه ولهيب النار يضاعف الوفًا عن لهيب اتون بابل حتى على نظر نوره حضروا بذات الليل وثاني يوم جميع اهل الضيع المجاورة الى الشام من مسافة ساعة الى ثلاثة ايام لناحية المزاريب وثاني كنت تنظر نحو مايتين الف بحارة النصارة لاجل النهبة والقتل والسبي وخطف البنات والاولاد وذلك من اسلام البلد والعربان وبعض الدروز ثم اشتد القتل جدًا بسبب المحاماة عن السبي للبنات لحسنى او خطفهم مع قتل الاولاد ورمي الاطفال ضمن لهيب النار وبعد نهبة الكنائس رموا بهم الحريق مع مدرسة البنات والاولاد ودار البطركخانه

وكونسلاتو روسيا وقتل بها خليل حنا شحاده الترجمان . الغاية دام الحريق والقتل والسبي مع النهب الى نهار الجمعة مساء الذي فيه هاجوا وادموا كثيراً حيث لربما يكون ينيف عن اربعة الاف وخمسماية نفس مقتول ومحروق وقد دام عملهم هذا احدى عشر يوم بلياليها والنار في الحارات متقدة ولما نظروا ان بعض الحيطانه والبيوت ما اخربها الحريق جداً وانه يمكن قيامها فاخترعوا طريقة الهدم وصاروا يهدموا والنتيجة انهم ابقوا الحارات جميعها مقدار الفين وتسعماية دار كتكوم رماد وتراب والبلاط قلعوه والمياه غوروها وعطلوا مجاريها الحدايد التي بقيت اخذوها جملة الكنائس عدد ١٣ بطركخانه عدد ٢ ثم قلايات ارمن وسريان وافرنج عدد ٥ خلعوا ارض الحارة جميعها وفتحوها لاجلها اخذوا الطمائر منها واذا عاد النصراني للحارة لم عاد يعرف اين كان بيته مطلقاً حيث كتفصيل الجزار واتقن وهكذا قد تفننوا بالسبي وهتك العرض ان دخلوا خمسين على بيت فلاكثر بفسق بعرض الموجودين به وان تركوهم ولم اخذوهم يضاً يدخل خلافهم حتى الكثيرين من نسا الذين بنات ماتو وقتل ستة وثلاثين خوري من عندنا اولاد بلد وغربيه . وجل تاجر اسمه محمود ركاب مع ولده من التجار الملاح قتل الخوري مخائيل الفرا بعد ان اخذ منه قيمة دمه خمسين الف غرش قتله في داره على البحرة وهكذا الباقي وماذا عسى اشرح لكم عن ذلك فتصوروا بفكركم مهما قدرتم واظن لا تصلوا قيراط مما توقع وان اكتب عاماً كله كاملاً لم استوفي كلما توقع بالشرح القناصل من اول يوم جميعهم سلموا واختفوا في بيت مولاي عبد القادر المغربي وقنصل الانكليز وحده الذي كان يتخطر بالاسواق وما عنده وهم بشي. كونسلاتو فرنسا وبروسيا لم يحترقوا لكونهم بساف جارة اسلام كونسلاتو روسيا يونان اميركا بلجيكا اولاند وغيرهم لم يبقى لهم اثر .

عبد القادر الجزائري

مولاي عبد القادر كان عنده سمّاية مغربي حاضرة وصار يرسلها من اول ساعة الشي للحارة تجيب كلمن عثرة به من النصارى رجال ونساء واولاد وكان المغربي يشهر سلاحه ويقط امام خمسين ولا احد يقدر ان ينظر اليه وتكاثرة

المغاربة عنده لحد الف وحماية نفر وهذا هو عملهم وهو قاعد على سجادة على باب داره يطمن ويأمن الوافدين اليه وكلما وفدة اليه وفدة يعطي البخشيش لجالبها من ليرة الى خمس ليرات وكلما كثر العدد عنده يرسله منه مع اتباعه الى القلعة موضع داير القلعة من عنده حراس مغاربة ، كان في اول ساعة الشر هجم بن معه على القلعة واخذو نحو الف بارودة صلدات وفرقهم على جماعته .

فثاني يوم الحاكم ارسلة عسكر يجمع اين من وجده من النصارة بالخانات وغيرها ويحضرهم للقلعة فكانوا اذ فرضنا عشرين عسكري يجيبوا للقلعة عشرة نصارة يصالو خمسة لباب القلعة والخمسة تعلقوا بهم الاسلام من بين ايادي العسكر ومغربي واحد يجيب خمسين نصراني ولا احد يتعارضهم ابداً ولا فعل .

اهل الميدان

اهل الميدان الذين حمو نصارة الميدان من كل ضرر وامنوهم وكانوا الاغاوات يحاموا ايضاً عن نصارة البلدة واي من وجد يأخذوه لعندهم بالحفظ والتأمين ويبقى عندهم بكل رفاهية وكانوا يحضرو القلعة ايضاً يطلبوا بعض اصحابهم وينادوا مناداة خصوصية من يريد ان يزورهم فهو يجئ من انفسهم وكثيرين راحوا لعندهم وعاشو برفاهية وفيما هم كذلك نزلوا الدروز لبوابة الله بالميدان وطلبوا ان يتسلموا النصارة الموجودين بها تيتلوهم فطلعو اغاوات الميدان ومعهم نحو الف شب خيالة وقرابه وقالوا لهم انه غير ممكن تسليم هولاي لانهم في عهدهم وذمتهم ويفدوا ارواحهم امامهم فلجو الدروز بالتلميح عند ذلك تظاهروا الميادنه اكثر وانفرد خيالة ورجمة للميدان لتطرح الصوت فالدروز لحظوا ورجعوا بشهامتهم ونزلوا البلد من محلة اخر وبدو يوشو اسلام البلد ان تطلب النصارة الذين بالميدان فتحركو المذكورين لهذا الطلب فوجدو ان هذا الحرف لا يتقري فسكتوا .

في القلعة

القلعة اجتمع فيها الف ١٣ فوق بعضهم مثل كبس الزيتون حفاة عراة مكشوفين الروس لان ما وصل للقلعة احد الا وهو عريان ان كان ذكر او انثى فالحكومة وتبت جراية لهم كل يوم رغيف ونصف ونصف خيارة وشقفة جبنه لا غير .

كثيرين من النصارة اختبوا في بيوت الاسلام معارف واصدقاء وغالبهم البعض قتلوهم والبعض طردوهم خارج الدار حيثما كان الجزار واقفاً متحضراً للذبح وبعضهم استسلموهم ليقتلوهم فاسلموا وسلمو وبعضهم من حفظ النصارى حباً لله وبعضهم حباً بسلامة العاقبة وبعضهم كان حامي الذي عنده ويغيب ويحضر ويقول لهم ذبحت كذا وكذا من الكفرة ونهبت كذا وكذا وفضحت كذا وكذا واما انتم لا تخافوا في ذمامي الغاية كانت بانواع مختلفة سلامة من سلم منهم كثير من البنات الذين تزوجوهم خلا عبارة السبي الكثيرة العدد من الماية واحد الذي شاف اعياله اول يوم والباقي من بعد يوم ويومين الى عشرة وخمسة عشر يوم وهولاي يا لطيف كانوا بالسبي الظوري وكما يقولو البعض من الاشوام لا بل من غالبهم ان جنس النسا من الماية واحدة لم تسلم من هذا العارض حتى ان كثيرين من البنات ماتو من توسيع الجرح في بكارتهم - وما كفي حضرة الاسلام بافعالهم حتى انهم صارو يحضرو للقلعة متمسكنين وبايديهم محارم او قفف من الفواكه يطرحوا ذلك امام الموجودين بالقلعة وهولائك من عظم الجوع وحباً بالاولاد كثيراً كروا ويتهاجموا على الفواكه حتى يعلو بعضهم بعضاً محتسبين ذلك اكرم الجواهر الثمينة ومن بعد ذلك يدخلوا ايضاً الاسلام للقلعة نعم بلا سلاح لانهم متمسكنين ويدوروا يتفرجوا على هذه المناظر المتنوعة الاشكال وخاصة الحريم الذين منهم المقصومين الاذان لاجل الحلق الذي كان باذنهم وبعض مقطعين الاصابع لاخذ الخواتم وبعض منهم مقطوعي المفاصل لاجل اساورهم ولكن هولاي ليس كثيرين جداً حيث يوجد من كل شكل ثلاثون للاربعون الغاية في افتقادهم هولا النسا والبنات جيداً يعلو وسائط ان يفهمو اسماءهم وعيال من هم وهل رجلهم معهم او لا

او الاخ ام الابن وهلم جرًا فمن بعد معرفتهم يروحو ومن ثم بعد ساعتين يحضرو بازياء مختلفة اكابرايه وفي دخولهم للقاعة يصرخوا للحرمة فلانة حرمة فلان بنت فلان ام فلان اخت فلان تعالي فتلك بالحال تحضر فيقول لهم يسلم عليك زوجك او ابوك او ابنك او اخوك وهو بالصحة والامن عندي بكل رغد وباله عليك ولي يومين افحص عنك له وهولاكي كان بالف خير يريد تحضري حالًا لعنده ليرتاح باله من نحوك وباعث لك هذا الايزار او الغطا ويعطيها اياه فتلك التي تسمع هذا الكلام تطير فرحًا حيث لم تصدق ان هذا الانسان بالحياة فتروح هذه مع هذا الماكر الذي يستعملها من يوم الى عشرة هو ورفاقه ويرجعها بعد ذلك الى القلعة مع غيره ليوصلها حيث باب القلعة مفتوح وهذا بعد ان تكون اكلت باول مرة او لم يصيبها ذلك اولًا فتقع بهذه الحيلة هذا وبعض الحسناء لم يرجعوا ابدًا ماذا عسى اشرح اي عقل وطبع بشري يحتمل ذلك واي قلب لا يلوي ودمعة لا تنشف على هذا المصاب الجسيم قد شبعت الاقطاط من اكل القلفات لم تجد ضيعة خالية من بنات الشام ونسائها خطفًا.

بيت الحمصي

رجل يدعى انطون حمصي بنى دارًا وتكلف على قاعتها واحدة الف ٧٠ خلا كلفة الدار وحده فتصوروا اي قاعة دار هي ويوم السبت خرجت منها المعلمونة الذين كانوا يشتغلوا بفرشها ويوم الاحد قفلها صاحبها بناء انه يوم الاثنين ينتقل اليها فنهار الاثنين هي اشتعلت دفعة واحدة هذا الانسان مع اولاده عندنا الآن الغاية وعلى ذلك قيس .

فؤاد باشا في بيروت

بعد خبر الشام بكم يوم حضر لهنا[1] دولتلو فؤاد باشا وزير الخارجية المعظم وكان حضوره لمسئلة الجبل فقط واذ هو بازمير بلغه هذا الخبر ومن بعد ان اقام هنا ايام قلائل توجه للشام لكن قبل توجهه ارسل استدعى احمد اغا الذي

(١) الى بيروت ، مما يدل على ان المحرر كتب فيها رسالته.

كان مشير الشام فحضر وحالاً اخذ نيشانه وسيفه وارسله للاستانة بالترسيم وكذلك ارسله خورشيد اغا والي بيروت تحت الترسيم كذلك مسك كاخية هنا واحمد افندي ناظر الاملاك وضباط العساكر في دير القمر وحالاً وضعهم تحت الترسيم . ووضع باشا موقتاً مصطفى باشا امير البحر واعلم جمهور القناصل واستدعى طوبيا مطران الموارنة ببيروت وانعم عليه في نيشان احمر وازاروه القناصل واحسن ملتقاهم .

فؤاد باشا في دمشق

ومن ثم توجه الشام مع السر عسكر سويتاً بعد جلوسهم نصف ساعة بالسرايا قاموا دولته والسر عسكر والمشير الجديد معمر باشا وتوجهوا الى حارة النصارة وبعد ان شاهد بكى وبكو معاه . ثم عاد راجعاً الى القلعة وبحال دخوله وجد النساء والبنات صفوف على الجانبين والاولاد امامهم والرجال خلف الكل والكل ضاجين ببكا وعويل مذيب قلوب الحجرية فلما شاهد هذه الصفوف تهاطلة الدموع ونادبة ما جرى بها من القتل والسبي والخطف للبنات مع حريق اطفالهم فابتدى يبكي ولم يمكنه يستقيم وتمشى لحد اخر القلعة حيث اعد بالطرف الاخير مقعد لجلوس من يحضر من طرف الميري وهناك جلس ووقف امام دولته كم واحد من كهنة ومعتبر من طوائف النصارى وبعد ان جلس قال انا اعرف ان مصيبتكم كبيرة جداً وجروحاتكم بليغة واهانتكم قوية لكن هذا كله صار ليس لكم فقط بل للدولة العلية ولهذا ارسلني سعادته لكي اعطي المراهم اللازمة لهذا الجرح العظيم وانشاء الله اتمم ذلك واكثر من هذا لم اقدر اكلمكم لان قلبي حزين جداً وصدري ضيق على ما اعتراكم وشاهدته من احوالكم ولكن الله ينظر وبدا ان يبكي ثانية وقام راجعاً وبعد ان رجع ونزل السلالم وتمشى بين الصفوف تعلقته امرأة بحالة يرثى لها وطفقت تصيح وتبكي وتقول امان افندم زوجي واولادي شباب وابنتي ضبية عدمت الكل وكنت غنية اصبحت فقيرة وتبكي جداً فعند ذلك ضج دولته بالبكا ولم يقدر يكلمها بل قال لها اصبري اصبري واومأ بيده اليها

وتوجه الى السرايا وبعد وصوله لم يقرأ فرمان ولا شيء بل حالاً جمع جمهوراً كبيراً من اعيان واجرى معهم المحادثة الاتية :

« العقل اذا دبر »[1] .

يا اهل الشام انا مرسل من طرف جلالته مولاي السلطان مفوضاً ومن ثم مرخصاً بابطال وخرق العوائد وبكل شيء وانتم بفعالكم هذا قد اهنتم جلالة السلطان ودين الاسلام يا اهل الشام جلالته يطلب مني اعرض لسدته حقيقة كل شيء واسبابه وتوقيعه فافعالكم هذه بالنصارى على اي مذهب فعلتوها اي مذهب وشريعة حلل لكم هذه الفواحش فسكتوا فقال لا ارضى بالسكوت بل اريد اسمع الجواب بصوت حي . اعلى مذهب وشريعة الدروز . لا افندم . اعلى مذهب النصارى . لا افندم . اعلى مذهب المجوس لا افندم العلكم فعلتم هذه القبائح والفواحش على مذهب عبدة الاصنام والشمس والقمر لا افندم فاذاً كيف اعرض لجلالته كيف اقول لعظمته ما قد عرفت ماذا احرر واعرض لسيرته ساحرر ان اهل الشام فعلوا هذا العمل وارتكبو هذه الفواحش الواهية على المذهب الجديد الذي اخترعوه لانفسهم على الشريعة الجديدة التي رتبوها لذواتهم نعم نعم نعم هذا هو الحق وهكذا ينبغي لي ان اعرض الدولة العلية التي اهنتموها في العالم . يا اهل الشام ان الدول العظام في اوقات الحروب اذا سمحت باليفها تسمح بها ساعة ٣ ومعظمه ساعة ٧ فانتم يا اهل الشام فعلتم ذلك خمسة عشر يوم مع لياليها ما ابقيتم لا على الدين ولا على الدم ولا على العرض ولا على المال فقد هتكتم الاربعة اسرار التي كل الشرائع تامر بحفظها وتنهي عن هتكها . بماذا اذنبوا معكم وامامكم النصارة اي حق لكم لو

(١) هذا المثل كان سائراً بين الناس على عهد بني عثمان في بلادنا وان حكمهم فينا دخل في خبر كان ولكن التاريخ ديوان العبر كما يقول ابن خلدون وفي قراءته يستفيد الخلف من حوادث السلف . وقد رأينا ان نروي ما جاء عن وزير الخارجية العثماني ودهائه في تلك الظروف الحالكة وكيف توصل وهو التركي الى اطفاء الحريق الذي اضرم الاتراك ناره . وان الاخبار لمحزنة مؤلمة لكن عبرتها مفيدة لنا اجمعين مسيحيي ومسلمي سورية وخلاصتها اما ان نرضى لبعضنا بحسن الجوار والاتفاق والمحبة والا فيدخل بيننا شيطان التفريق كما دخل آنذاك مما آل امره الى الخراب ولا حول ولا قوة الا بالله !

كانوا مذنبين ان تفعلوا معهم هذه الاعمال اي سلطة لكم لهكذا اعمال اي اوامر عندكم من السلطنة السنية بكلها فعلتوه انتم الذين وطيتم شرف دين الاسلام واثبتم [كذا] لانفسكم

امان افندم لا تظلمنا لا ذنب لنا نحن لان الذي جرى هو من الجهال. لماذا عقلاكم لم تمنعهم . لم يسمعونا. هذا محال لو لم تكونوا انتم الاصل والسبب لما تجاسروا هم بمثل ذلك لا تظلمنا افندم لم يكن لنا اختلاط والقليل منا من الجهال عمل ذلك والكثير من الدروز والعربان والاكراد وغيرهم هذا محال لان اولئك ما لهم دخل هكذا في مثل هذه المدينة وقد يظهر لي ان حضورهم واشراكهم معكم هو تحت رابطة التي طالما سهرتم عليها ليالي واصرفتم اوقات حتى ربطتوها ولولا انكم تفتحوا الابواب لما تدخل هكذا اغراب الستم انتم يا اهل الشام الذي ابتديتم اولاً . جاوبوني نعم افندم بعض الجهال لا لا كل الجهلا والعاقلين وسوف كله يظهر للوجود يا مجوس يا يزيد ولاحال امر بعقد مجلس ولكن لا قهوة ولا دخان وكان يوجه عبوس وبغضب شديد جداً وطلب منهم المنهوبات والمسلوبات وان بده يعرف اسامي المذنبين والمشتركين بهذه الافعال النجسة والقبائح واستحضر مختارين الحارات وامرهم ان ينبهوا على اهل الحارات برد المنهوبات وكل انسان يحضر شيئاً تحرر ذلك الشيء واسم محضره ومن اي بيت هو ووضع بكل حارة امين لاستقبال المنهوبات والتفت الى الاعيان والمختارين سوية وقال اريد اعرف جميع اسماء المجرمين اخير لكم من ان يعم البلا جميعكم فقالوا افندم غداً نحضر لك قوائم بالاسماء التي نتحقق شراكها بالحفظ . خذوا ورقة واكتبوا لي حالاً . امهلنا لغداً نجري ذلك لماذا لم يكن الان والساعة لاننا يلزم نحقق الاسماء ونختبر المشترك والغير مشترك ونعرض لدولتكم بالحقيقة . مناسب غداً سريعاً . وخرجوا كلهم .

وماذا جرى في الغد ؟

ثاني يوم حضروا وقرروا عن نفر نحو ٣٠٠ فقال لا لانه الذي اتوجد في حارة النصارة ماية الف كما تقولو فا هذا الذي تعرفوني عديده الان . افندم نفحص بعده ونعرض فجاوبهم انتم تعرفوا الكل . لا نعم نعم لا بد

افهم كل انسان دخل الحارة ولهذا الفعل يلزم تخبروني بالورق عن اسامي الجميع وعقد ديوان لحد المغرب لم احد عرف غايته انما ثاني يوم بدا يتظاهر نهيب مرمي بالاسواق شي عديم القيمة فصاروا يجمعوا المتنيين بذلك ويحرروا وثالث يوم اطلق منادي انه بظرف ثلاث ايام ان لم تحضر المنهوبات كلها والا تنكبس البيوت وتنظبط بما فيها فعند ذلك صاروا يوردوا احمال وكل من ورد شيء يحرروا اسمه او اسم المتاع واسم البيت الذي اخذه منه فعند ذلك لم عادوا احضروا شيء خوفاً من ان تكتب اسمهم بل صاروا يرسلو مع النسا وبذلك الليل امتلت الاسواق وبين البيوت من السلب وكذلك كانوا يرموا بالنهوره فثاني يوم انجمع كله وجميع الاشيا القيا الغير الثمينة ولا حضر شيء من النقود فكرر المناداة وعمل ديوانه وطلب الشيء الثمين والنقود وكان كل مجلس يحتمل من ساعة ٦ لحد ساعة ٨ جلسه واحده .

النصارى ينزحون عن الشام

ورابع يوم استدعا الذين في القلعة واستسمح النصارة بالخروج من الشام لبيروت فارسلهم بالف بغل واستاجروا خلافه ودفع الاجرة هنا فورد قفل بجري ثلاثة الاف نفر نصراني محافظ عليه عسكر شاهاني فعند خروج هذا القفل من الشام ضاجت الاسلام وقالوا لا بد من شيء وحضرو الاعيان لمقابلة دولته قايلت امانة افندم دولتكم البابن ساع للنصارة كلها تخرج من الشام نعم نعم لماذا افندم هكذا لعل افندم بنية دولتكم علينا بشيء . لا يخصكم تعرفو ضميري . لعل الدولة العلية ترغب بنا مكروهاً . ولا لازمكم تعرفو فكر الدولة العلية . افندم ان جسن بنظر دولتكم ان تبقى النصارى ونحن نعطيهم بيوت وخانات لمسكنهم كم بيت تعطوهم مايتين بيت وخانين يا قليلين الادب افرضوا انكم تعطوهم اربعماية بيت واربعة خانات فالناس الذين حرقتم لهم الفين وستماية بيت اهل يساعهم اربعماية بيت وعشرة خانات اذا وقفوا بهم على القدم فقط . افندم نتدبر بهم رويداً رويداً — لا لا فلترسلهم الان الى بلاد الاسلام اهل الدين والعرض كما بين اخوتهم النصاره حتى يتعزوا في بعضهم

وتنجبر خواطرهم من الكل ومتى دبرتم لهم بيوت تكفيهم عوض بيوتهم فنترجمهم . انا اريد المنهوبات جميعها والا افعل ما فعلتموه اريد تعطوني اسماء الناهبين اخير من ان يروح الصالح بجرم الطالح وشدد عليهم وعلى مختارين الحارات تشديداً بليغاً وقد ابقاهم بهذا المجلس لبعد الغروب حتى انصرفو وبعد انصرافهم ليلاً فرق عسكر على جميع بوابات البلد ودايرما بدورها وذلك في ٢٥ اب سنة ١٨٦٠ ووضع بين كل قراقول وثاني واحد ثالث وارسل اورطة عسكر اوقفها خارج البلد في طريق جبل اللجاه وامرها ان لا تدع مسلماً او نصرانياً ام يهودياً يمر بتلك الطريق وهذا قاله للكل والى اي من نفسد من حرسه احد فهذا الحرس يقع قصاص النيشان ولما اصبح الصباح فان المسلمين عرفت بذلك ووجدت ايضاً بوابات البلد قافلة فدخلهم الرعب والخوف وقافة افكارهم واستدعى انعقاد الديوان فحضروا وقدمو له قوائم ايضاً ولا زال التكميش مشتغل واللجج بطلب المنهوبات مشدداً ولا زالت حتى الان تتوارد والديوان ينتصب يومياً للتحقيقات فبعد وصول القفل لهنا وحصولهم على المجابرة من الحكومة اولاً ثم من اخوتهم النصارة وردت اخبار ان دولته رمى تحت اليسق نحو الفين نفر من المجرمين من رتب البكاوات والاغاوات والافندية والتجار والاصناف والدون ومنهم من اهل القرى المجاورة وجارية التحقيقات بشانهم وفيما هم بذلك استأذنوا النصارة بالخروج ايضاً فاجابهم اذا كانوا يريدوا يبقو لان بده يصير عنده عرس ويعزمهم اليه فاسترحموا بالخروج فاذن لهم واحضر قافلة كبيرة ايضاً نحو ثلاثة الاف وكسور ومع انه ثلاثة ارباع النصارة نازحة فصار لكل هولا الحاضرين اللياقة والاكرام وحسن الادارة والمعاملة حيث الحكومة ساعدت في بيوت وسكناً ورتبت لهم مصروف يومي لكل نفر باره ٦٧ يقبض ثم يوم ١٢ ـ ٢٠ والطائفة كانت تقدم لهم ايضاً محلات وماكول ومشروب وكساوي تامة من الراس حتى القدم وجملة انفار منا قائم بخدمتهم ليلاً ونهار (خلي في بالك ان هذا جميعه فوق الفلاحين الموجودين هنا عدداً بليغ) ونرجع بخصوص دولت فؤاد باشا لا يزال بعمله ونهار الاثنين بجمعة السابقة في ٢٠ اب سنة ١٨٦٠ قامت الناس وخرجت للسوق لكن نصارى

فقط حيث الاسلام لم عادت تتظاهر كلياً فوجدت مشانق معلقة بها جملة اناس وكلهم نفر ٦٦ معلقين بالافراد بكل حارات البلد ويذكروا على بعض اسامي وهي مصطفى حواصلي وابنه واخيه وابنه وحسين بيك بن ناصيف باشا المعظم محمود ركاب وابنه تجار عبده الصالح تاجر رشيد الحجار تاجر . والباقي من اهل اسباب وتجار واصناف وكانوا معلقين بالمشانق في كراسيهم وملابسهم وبذات النهار بالساعة التاسعة رمى تحت النيشان بالرصاص ماية واربعة عشر نفر في المرجه من جملتهم مصطفى بيك بن ناصيف باشا المعظم اخي حسين بيك المشنوق بوظيفة يوزباشي العسكرية وابن شدين اغا اغاة الكراد علي بيك ميرالاي كان هو الحارس بحارة النصارة عثمان بيك بين باشي الذي كان ايضاً بنا جينا وحضر وهلة الشام بهذي افندي دعاس والباقي انفار عسكرية وباشي يوزق من الاهالي وانه كان يوماً شريراً على الاسلام الذي بقي الصراخ والنواح ماني البلد من كل البيوت لان ولا حارة الا وفقد منها بهذه المعمة انفار وانه كذلك دولته خشب نحو اربعماية نفر وسيرسلها الى الاستانة لومان موبد . ثم امر اسلام حارة القناوات ان تفضي البيوت كلها لسكنى النصارة وقد انتقل منهم اليها نحو اربعة الاف كما بلغنا وسينتقل ايضاً ثم بوسطة يوم تاريخه ورد خبر ان دولته قبض على جملة ذوات وعلما منهم الشيخ عبدالله الحلبي شيخ الاسلام مفتي افندي نقيب افندي الاشراف محمد بيك عظم عبده بيك عظم الشيخ محمد يحاوي حسبي افندي وغيرهم [1] ومشير باشا الشام طلع بذاته الى

١) تصور هذا الاستبداد الظالم . كان مفتي الشام وقاضيها واعيانها الموظفون في المجالس قد اوعزوا الى الحاكم التركي بواجب « ضرب المتمدي » . فان قاموا بوظيفتهم لماذا التنكيل بهم ؟ – جاء في « حادثة الستين لمحمد ابي السعود الحبيب » (راجع يوسف العش : مخطوطات الظاهرية ص ١٤٥) ما نرويه بحرفه . قال (ص ٥٠ في قفاها) نعرض الى من نظر في هذا المجموع من سادة الاسلام الذين في عصرنا هذا وبعد حين من الصور الى يوم ينفخ بالصور يوم لا ينفع مال ولا بنون ولا عذر ولا جاء الا اتى الله تعالى من قلب سليم في كل ذل وانكسار ونفع بل ضر في الدنيا الى احد من مسلم وذمي كائن من كان من مخلوقات الله تعالى حتى الحيوان له حق علينا يوم الله تعالى وقال الله تعالى ولا يظلم ربك احداً وبعده لما كان سنة ١٢٧٦ [١٢٧٧] في شهر ذي الحجة ٢٢ يوم الاثنين بعد الظهر الساعة ٧٤ وقد صارة الحادثة المدهشة في الشام التي شاع ذكرها ضرب بل امثال مع

احدى القرى تسمى جيروبد نهبها وحرقها ومسك شيخها وبعض من اهلها ورجع بالحفظ والسلامة وبذات يوم الاربعة خرجو المخشبين من الشام ووصلو لهنا نهار تاريخه مساء وعددهم مايتين وستة وثمانين الذين وصلو ونزلو حالاً للبحر بمركب حربي عثماني وكان وصله صباح تاريخه خمسة وسبعون نفر من اكابر الشام دخلو ونزلوا البحر وقليل الذين شافوهم وكان سبقهم برطيل لكي يخلصوا من كثافة وثقالة رفقاوهم الذي وصلو مساء ومع ذلك وبهم كم واحد معروفين طيب ومنهم اثنين افندية والباقي من الدون.

التعويضات على النصارى

قبلاً قد سمعنا اظنه اكيد من جملة السنه ان دولته فؤاد باشا قبلما مسك الاعيان المذكورين اخيراً استدعاهم الى جمعية وسألهم قائلاً ما قولكم والحكم

نصارة دمشق الشام وصار الذي صار حتى اجتمع من كل فج وعميق من دروز وتصيريه (وتيامنه) ويهود ومتاولة وارفاض وتور وعبادين الشمس والقمر (وانار) ويزيديه وعرب ومن كافة الملل المشهورة في بلد صورية الذي الفو الفعل القبيح مع اشقياء الموجودين في الشام من المدلسين بل الشام الذين ليس لهم ذكر من قبلي هذه الحادثة . . . [وقال الحسيبي (ص ٩) لما أخذت زحلة بالسيف] كثير ناس [في دمشق] زينو من الحارة حتى في القناوات زينو وارسل والدي وطفا القناديل وعيط على شيخ الحاراة وضربو

وجاء (في ص ٩ بالقفى) بعد ذكر الحوادث المفجعة « واما ما كان من الداعي كنة في سوق الاردان وبعده توجهت الى حارتي القناواة قمدت قدام قهوة البيت وقعد معي شيخ الحاره اسمه راشيد وصار كل من حضر اخذ معه صلح [سلاحاً] نعيط عليه ونأخذ صلحه واوضعه بالقهو . . . فاكان عندنا كاتب يقال لهو ابو باسيل انطون الباشا قاسين والي بدا في البكا وبوس اليدين والرجلين على جبيان ولدُ وعيالو فاعند ذلك اخذ[ت] صلح [سلاحاً] وطلعت من الدار ومعا اهل الحارا وتوجهنا الى ان وصلنا عند بيت القادري [عبد القادر الجزائري] وجدنا عالم مثل التراب . . . وبعده دشرت ورجعت معي اكثر من عشرين نفر ومن جملتهم اولوتلو . . . والله تعالى مطلع وشهيد بعدلي حتى ترلة ولى دخلت يد الى النصاره ولا حارة النصاره ولا اذيت نصراني ولا مسلم (ص١٠)

« اما من اهالي العرض فعند ذلك صارو يبادرو في جلب النصاره وجيبهم في بيوتهم وعيالهم . . . وكانة النصارى الذى سلمو اول يجلبوهم الى دار شيخنا عبدالله الحلبي زاده يوجد عند المذكور كل يوم نحو من الف نفر وبعده يأخذوهم شيء الى القلعة شي الى بيوة المسلمين وكان عبدالله بك ناصولي باشا مبادر في تخليص النصاره وتوصيلهم الى القلعة وكان

شرعاً وغرماً في جزاء القاتل فقال القاضي والباقون جزاء القتل وما تقولو عن هاتك العرض وسابيه . كذلك افندم . وماذا يكون السارق والناهب ومسبب الاضرار . تعويض الضرر والجزا بنظر ولات الامور . مناسب . اعطوني اعلاماً شرعي بذلك فحرر له ملا افندي بذلك شرعاً . وانت يا مفتي افندي افتي في عليه . فافتي له وعند ذلك قال دولته اما الدم فهو لي وجزاه لي بموجب فرماني هذا العالي واظهر الفرمان وقروه فاذا انا انتقم لكم . واما العرض والسبي فلمن هو اجابره للسلطان افندم مناسب فالذين ارتكبو هذه الجناية انا سارسلهم لمولانا السلطان وجلالته ياخذ حقه منهم واما السلب والاضرار فساخابركم بما في ضميري انا اريد منهوبات النصارى ترجع لهم وانتم يا اهل الشام ما رجعتم من الماية واحد اريد ان ترجع لهم حاراتهم كما كانت او تعطوهم نظيرهم بما يرتضو به وبيان لي انكم لستم معتكرين بشي من ذلك انتم تعرفو ان اصحابنا وجيراننا الفرنساوية قد وصلو لهذه البلاد لاجل اخذ

دايم في بيتو اكثر من من خمسة ماية نفر رجال ونساء وكل يوم المذكور يركب ومعه جملة انفر يحافظنه على خلص النصاره . . . واما ما كان من مصطفى بيك الحواصلي حين كان اخذ من طرف الحكومة ماية طيطية عالج كثير يوم المصلحة الى حد الساعة خمسي بل ليل لم كان يصير شي من طرف المذكور حتى صار له مشقا تامة من طرف الاشقيا واكادوا ان يقتلو المذكور وبعده الانفار الذي كانوا معه طاعو من يدو وصاروا مثل باقي الاشقيا يفعو ولكن دخل الى دار المذكور نصاره كثير وارسلهم الى القلعة [ص ٩٠ بالنفي] . . . استقام البغي فينا سبعة ايام يا لها من سبعة سود قتام الى اهالي البغي المدلسين بالشام من ساير المصار الذي روحو اهالي المرض في بغيهم سدق من قال الرحمن فحصصا والسيل قيم

[وجاء احد الرعاع يفر اهالي القنوات على الهجوم] فاعتد ذلك بلغ هذا الخبر الى السيد الوالد السيد احمد افندي حسيبي زاده فقام وبادر في ابنا اهالي القناوات (ص ١١) واما ما كان من احمد باشا يوم الخميس في ٢٣ ذلحجي عمل مجلس [وتكلموا باس النصاره في القلعه « ومرادهم قتلهم »] فعند ذلك قام سيد الوالد وقال هذه المصلحة على لحانا واحدانا قايم ارحل من كل الشام والذي يرحل معي والى لجهم . . . وقام هذا الحال الى حين دخل الوزير المعظم محمد باشا وكان دخول المذكور في بياض وبعده قر الفرمان في كل ضحك ولعب وحين تم قراية الفرمان ضربو فتاشي لي اجل ضرب المدافع كجرى العاده . . . وبعده قد طلع الى بيروت وزير يقال له فؤاد باشا لحل حادسة الشام والجبل وارسل المذكور مكاتيب الى وجه الشام كافة تشكرلهم على ما جرى منهم وعن ابنا العرض من حيهم النصاره . (ص ١١ بالنفي)

حقوقهم ويمكني ان اكون واسطة بينكم وبينهم وامنع قدومهم اليكم بشرط انكم تبنو لهم محلاتهم او تفرغو لهم بيوتكم التي ترضيهم او تعطوهم ثمن بيوتهم وثمن مساوباتهم وكلما تجمع من المنهوبات خذوه انتم وهذا كله اذا هم ارادوا وان انتم لم تريدوا اقول ما اقوله لكم فانا ساجري حقوقي هنا الباقية والذي يخص مولانا ارسله لعنده واجمع العسكر الذي عندي واخذ قدامي بقية الرعايا والذين قادمين لاخذ الثار هم ياتونكم بشان ذلك وتتصافوا معاهم على وجه فجاوبوه افندم كلا الامرين مخطر ونحن لا قدرة لنا على ذلك جميعه . لا اعرف افتكروا وجاوبوني . هل تريدو اكون بهذه الواسطة او ارفع يدي . امهلنا لنفتكر ثلاث ايام . لا ثلاث ساعات فقط . امان افندم يومين . لا ثلاثة ساعات فقط . قوموا واجتمعو مع بعضكم بمجمع خصوصي وافتكروا كيف تجاوبوني قطعي وانا منتظركم فقاموا . وبعد مرور ثلاثة ساعات طلبهم فحضروا . فسالهم ماذا افتكرتم عساه يكون خيراً لكم . لا بل ويلا انتم سقتم لذاتكم جزاء جميل . انا المقدر كاين لا ينمحي . لا تلقو بايديكم الى التهلكة الخير من الله والشر من الناس السنن والشرائع هم سراجنا المنير الذي ينجينا من الزلق والعثرات . نعم افندم . حسين نعم افندم ماذا افتكرتو . افندم ان النصارى غداً يطلبو منا مبالغ لا تقدر عليها الا الملوك . لماذا . الذي يكون رايح له بالف يطلب عشره . هذا لا يمتحن . افندم يصير مجلس كومسيون ان حسن بامر ذواتكم وكلمن اندعى بشي يعطي عنه البرهان والاثبات . ما شا الله لعل الواحد منكم كلما في بيته ويملكه هو خباه بشخصه ام بعضه ميراث من الله وبعضه من جده او اقرباته . نعم افندم . فاذاً والحالة هذه اي شهادة واثبات بقدمو غرماكم . اذا عشرة شهود نظروا انساناً كسر صندوق اخر ومد يده اليه وشال ما امكنه ووضعه في جيبه او جرابه او اخرجه وكان الذي شاله قيمته الف غرش . وصاحب الصندوق اندعى ان بصندوقه ماية الف غرش . والشهود تشهد ان فلان كسر صندوق فلان ونظرناه يشيل منه بيده فدعوى من الثابتة جاوبوني . دعوى صاحب الصندوق افندم . هذا هو حالكم وحال النصارى معكم فالذي

يدعوه عليكم ثابت فقط واحدة تلزمكم وهي كالمن يقرر عن ثمن داره ومفقوداته يحلف يمين على اصول ديانته ويتقيد بذلك . ربما افندم يحلفون كذباً لاجل مضرتنا وتعريتنا فوق القدرة انا لا اظن . نعم افندم .

الدين لله

كما تظنوا بانفسكم ظنو بالناس وهم اهل كتاب وشريعة ومع ذلك فالدين لمن . جاوبوه لله افندم . واذا حلفوا كذباً فهم لله . افندم هذا شيء بده ملك حتى يقدر يقوم به لا تقولوا ملك ولا سلطان لان الملوك والسلاطين ما فعلوا ذلك . انتم ملزومين به . افندم نحن لسنا مذنبين واذا الجهال والحكام اذنبت ماذا يعنينا . انتم كلكم شركا . انتم كلكم فعلتم . انتم كلكم سقطتم واعذاركم غير مقبولة عندي ولا عند مولاي السلطان ولا عند اصحابنا وجيراننا الفرنساويه وانتم لازم تتاكدوا انني معاملكم بالشفقة فاحسن لكم ان يكون كل قضاكم من يدي والا ياتون اليكم المستعدون .» (انتهى)

الى متى تنقضي باصرة الزلات

تقطعت حلقات السنين العديدة بسبب الكوارث والنكبات التي حلت في البلاد من جراء الفتن والحروب والزلازل والامراض فحالت دون اجتماع الاخوة المتواصل اسبوعاً وانقطعت من ثم عنا اخبار كثيرة كان يفيدنا ان نطلع عليها لما كانت تستمد من الازمة التي ذكرناها اهمية خاصة .

على اننا نستعيض بشيء نقصنا في هذه الناحية باخذناه عن وثائق غيرها منها ما جاء في مجموعة حوليات[1] جمعية الرسالة بين السنة ١٨٤٤ – ١٨٦١ في تحرير السيد باسه رئيس دير حلب الى السيد بوسون مساعد الرئيس العام في ١٤ تموز (ولم يأت ذكر السنة) قال عن زمانه ان الاخويات كانت مزدهرة واخصها اخوية القربان المقدس وان روح الاتفاق بينها كانت تتجلى باجمل

1) Annales de la Congrégation de la Mission. T. 190, année 1844-1861.

المظاهر . ثم استطرد الى الكلام عن احد الكهنة وقد غرّه الشيطان فجحد ايمانه ثم تاب وسافر الى لبنان.

واذ ان ذكر ذلك الشك العظيم لم يزل حيًا بين المسيحيين في حلب نظم بعضهم قصيدة زجلية طويلة حفظها الناس وتسامروا على تلاوتها فوصلت الينا وفيها يفيض قلب التائب بعواطف الاسف والندامة فيندب حالته التعيسة بشعر عامي بسيط نرويه على علاته ليحفظ من الضياع وقد يحل محله الطبيعي في سلسلة الوثائق.

هي قصيدة مزدوجة البيوت كل بيت منها يبتدىء اوله بحرف من الاحرف الابجدية لذلك سميت الاليفية وقد لا تخلو من بعض الحشو ليتكمل بها عدد الاحرف التسعة والعشرين لكنها تصور صورة صادقة حالة ذلك المسكين الذي تدهور من اعالي الهيكل ثم نهض وعاد متذللًا مكفرًا عن ذنوبه . اليك الشعر وقد علقنا على كل حرف من الابجديـة خلاصة المعنى في البيتين:

أليفيّة القسيس

الالف ذكر الموت

الى متى تنقضي يا مـدّة الذلّات ابكي على ما مضى واندم على ما فات
يا نفسي كوني حزينة واتركي اللّذات وتذكري بالموت من هو الذي ما مات

الباء وخز الضمير

بالله اتركوني حزينًا ابكي بكا المحزون واعطي دموعي ليوم الآخرة ديون
وان انصف الدهر اقول للقلب يامحزون ابدات تقل الصدى بالجوهر المكنون

التاء فخ التجارب يصطاد القلب كالعصفور

تهاونت يا قلب من هو الذي ارماك كشبه طير وقع واصطادته الاشباك
يا من يريد الخلاص كن متنبه يا ذاك الفخ منصوب اياك من الوقوع اياك

الثاء الرجاء بعد اليأس

ترى لي مغفرة من بعد ذلاتي ولا انسان جرى اسه مثل جرياتي
لاني رأيت منامات عجيباتي من بعد الشدة مفاتيح الفرج تأتي

الجيم الاقرار بالمعاصي

جار عليّ الزمان وحطني تدمان لارتكاب المعاصي في خفا واعلان
يا رب اغفر وسامح اي ذنب كان واغفر ذنوبي انا المسكين يا رحمان

الحاء تبعات المعيشة

حدتُ عن درجة عهدي وميثاقي والصبر مني فني مع ضيقة اخلاقي
من بعد ما كنت مع جملة ارفاقي جاء التعب لاخلاقي وزادت اشواقي

الخاء لم يرتدع لرادع وجحد دينه

خالفت قول عزول حين انهاني وردّني عن طريق المعاصي قلت عاداني
ليت شرب الراح بين خلاني سببت عن مذهبي وفارقت اديانى

الدال دود الصبر لا يموت

دارت علي دوائر كشبه درفيله[1] وضاع عني شعاع النور في ليله
من بعد حسن التقى بليت بالحيره لا حيره باحكام الله لا حيره

الذال غيره يفرح في الاعياد اما هو فيكتئب

زيارة الانسان عند استقرار العيد مثل من لاقى عدوه في يوم الوغى صنديد
يصوم يصلي ويبدي النوح والتمديد يفرح اذا شاهد الاصدقاء بيوم العيد

الراء كأس العالم سريعة العطب

ربي خلقني لاعبده بالبر والتقديس وابعد عن الخطا ولا اسلك سلوك العيس[2]
ياويل من قد حكم في يده التمكيس تقاضيت قول الله واتبعت قول ابليس

(١) حية
(٢) الابل

الزين مصباحه ينطفئ كمصباح العذارى الجاهلات

زليت زلة ولاحد ذل مثلما انا انذليت ولا احد داري مثلما انا داريت
رفاقي جاهدوا وانا الشقي تخليت تأت مصابيحهم وانا عدمت الزيت

السين يخاف يوم الدينونة

سلاسل الحزن هيّؤوها لتعزيبي يا مسكة همي ونوحي وتعديدي
من بعد ما كانت ليالي الفرح عتيدي باي وجه التقي انا وسيدي

الشين يشمت به من كان ينصحه فلم ينتصح

شمتت بي عزولي وخلاني فضحني دهري ما بين اهلي واسيادي
من بعد ما كنت شبه السبع في الوادي قد غرّني الدهر وفصل بين فخري واجادي

الصاد شعاع الامل ينبثق من الصلاة

صرخت الف آه من حزني على حالي لما وقعت انحلت جميع قواي ومفاصلي
كل من يصلي اسأله بشوق يدعي لي عسى بدعواه يرثي الله لحالي

الضاد الزمان يؤدبه

ضاق ذرعي من تطعيم الدهر مرارته قد غرني الدهر وذقت الزمان وطراته
سبحان من ذكت له الدنيا بعملته ان انصف الدهر لا تأمن لغدراته

الطاء ما كان اسعده لو ثبت في دعوته

طاب وقادي وارتفع عزي ونصري رضا لي الدهر اني دخلت الى قصري
لو كنت اعلم بهذا الوقت ابعدوا يسري ما كان بقا هذا القضا عليّ يسري

الظاء يود لو اصبح منسياً

ظلمت بعقلتي يا دهر يا خوّان يا اللي نزلت الحبايب بعد عز وشان
ان سألوك عن حالتي في اي شيء كان دع عنك كلام الذي سابق كان

١) الحبكة ما يشد به الوسط

العين يطلب الصلاة

عذّبوني المدى واكثروا مصائب احزاني فضحني دهري ما بين اهلي وخلاني
يا اعز اصدقائي استودعوني الى الله لارتدّ الى ايماني

النون كان كالراعي الصالح فصار كاللص

غُلبت لما علا حملي على الاعناق قد غرني الدهر وقمت انا بالأحباك[1]
سبحان من ذلت له الدنيا من الافلاك شبه من دخل من الباب وخرج من الطاق

القاف الشرور عواقب الذنوب

فعايل السوء ولدت علي الاحزان احرمتني الجنة واورثتني النيران
اش عاد حالي بعد ما صرت هوان بقيت حزيناً ونسيت لذة الغفران

القاف ابن كان واين صار

قد كنت قساً وكان لي كل يوم قدّاس طغيت يا اما جد الناس وشابهت بالناس[1]
لما تداخل ضميري الفكر والوساس ضيعت عقلي واصبحت اشقى الناس

الكاف يعود الى التوبة

كانت افعالي مشرقة كالنور وكنت اخدم وقلبي ممتلئ سرور
يا قلب ارجع الى ربك بلا فتور بقيت حزيناً ونسيت فج النور

اللام يعود الى ربه

لو كان قلبي يطاوعني لاصرخ آه ما كان يحمل من الاثقال ما يكفاه
يا قلبي ارجع الى ربك ولا تنساه ترضي الملك وتعمل بما يرضاه

الميم يذكر الوزنات في الخيل متى ٢٥

من كان داعي لذاته يحرم لذّاته يربح الغفران من كثر حسراته
ويل الذي ما ربحت وزناته يطلب من الله غفران ذلّاته

---

١) دابة وهمية يزعمون انها على شكل الانسان (المنجد)

النون يستنجد بصلاة اخوته الكهنة

نوحوا عليَّ يا جميع اهلي وابكوني وبعد ما كانوا يجوا عندي ويهنوني
بالله عليكم يا قسوس النصارى تعينوني انا الذي كنت بينكم اصبحت مجنون

الهاء الندامة والبكاء

هذا الذي صابني من سوء افعالي ابدلت التراب بالجوهر الغالي
اين بقي عقلي لابكي على حالي ذليت ذلة ما كانت على بالي

الواو الاعداء الثلاثة الجسد والعالم والشيطان

ويحي على حالي ما كان هذا في قصدي لكنّ افعال السوء ضيعت رشدي
كيف العمل اعداي الثلاثة بقوا ضدي ياخيبة المسعى يا نفس ان لم ترتدي

اللام اليف يوم الحساب

لابد ما يتجلى الحق سبحانه على الخلائق بانواره وبرهانه
وينصب الحق يوم الحشر ميزانه ماذا يجاوب الذي ضيع ايمانه

الياء التوبة والثقة براحم الله

يا نفسي قومي اشتري من موضع البقي واستغفري ربك من بعد ما اذنبتي
لانه رحوم وحنون ويردك موضع الذي كنتي

(له صلة)

المشرق

السنة الثالثة والاربعون — آب – كانون الاول ١٩٤٩

معجم المراكب والسفن

في الاسلام

بقلم حبيب زيات

للملاحة في الاسلام تاريخ لم يُدوَّن بعد . وقد اقتُصر من شرح صناعتها على رواية بعض اخبار دورها في مصر والشام ، وقلّما أُشير فيها إلى شيء من تفسير بناء السفن والمراكب . واوحد ما حُفظ منها في ما عدا ما جاء احياناً في كتب اللغة والرِّحل وبعض اقوال المؤرخين والكتاب وصف زورق مصوَّر في « كتاب الجَمْل الجامع بين العلم والعمل » لابي العز بن اسمعيل بن الرزاز الجزري من نفائس مخطوطات الخزانة التيمورية وكان لهذه المراكب والسفن اسماء وقعوت لا نظن ان احداً

نشط لجمعها خدمة للغة والعلم وتنويهاً بفضائل الحضارة العربية ولاجل ذلك من لنا اثناء تطوافنا على دور الكتب في الشرق والغرب وتنقيبنا عن نوادر مخطوطاتها ومطبوعاتها ان نقيد كل ما مر بنا من اسماء منشآت الملاحة وانواعها ولا سيما التي اغفلتها المعاجم حرصاً على ما في هذه القيود الطريفة من الفائدة والشأن في تأريخ الملاحة والصناعة والتجارة وقد عُنينا بالتنبيه على مأخذ كل منها وموضعه ونقل العبارة التي وردت فيه لتكون مستنداً يُرجع اليه في ضبطها وتفسيرها ولا نشك انه كان لها ايضاً نظائر اغفلها المؤرخون او شذّت عنا وهيهات ان نكون أحطنا بجميعها وانما وُفّقنا الى استخراج ما اشتهر منها بعد طويل البحث والمطالعة في ما تناولته يدنا من المخطوطات والمطبوعات وهي على نقصها شاهدة على فضل الملاحة في الحضارة الشرقية وقد رتبنا ما حصّلناه على حروف المعجم تسهيلاً لمراجعتها والزيادة عليها ولا يخفى ما في هذا الجمع والترتيب من خدمة اللغة لا سيما وقد اغفلت كتب المولد والدخيل كثيراً من هذه الالفاظ المحدثة .

الاسطول

« اسطول السفن التي يسافر فيها للقتال وقع في اشعار العرب بعد العصر الاول »[1] قال المقريزي في كلامه على السفن : « هي بمصر على قسمين : نيلية وحربية فالحربية هي التي تُنشأ لغزو العدو وتشحن بالسلاح وآلات الحرب والمقاتلة فتسير من ثغر الاسكندرية وثغر دمياط وتنيس والفرما الى جهاد اعداء الله من الروم والفرنج وكانت هذه المراكب يقال لها الاسطول ولا احسب هذا اللفظ عربياً »[2] وهو تعريب [illegible] في الرومية واكثر ما يراد به مجموع السفن وقد ورد بمعنى السفينة الواحدة في تاريخ ابن خلدون وفي تذكرة النبيه لابن حبيب من مخطوطات خزانة بريتيش موزيوم .

---

١) شفاء الغليل للخفاجي ٣٨

٢) الخطط المقريزي ، طبعة بولاق ، ٢ : ١٨٩

بارجة بوارج

قال ابن سيده في المخصص : « البارجة سفينة من سفن البحر للقتال (١٠ : ٢٦) ومثل ذلك في كتب اللغة[1] وذكرها غير مرة البلاذري في هذا المعنى قال في كلامه على فتوح السند : « لما مات الفضل بن ماهان قام محمد بن الفضل بن ماهان مقامه فسار في سبعين بارجة »[2] وقال الطبري في اخبار سنة ٢٥٠/٨٦٤ « ولخمس بقين من صفر دخل من البصرة عشر سفائن بحرية تسمى البوارج في كل سفينة اشتيام وثلثة نفّاطون ونجار وخباز وتسعة وثلاثون رجلًا من الجذّافين والمقاتلة فذلك في كل سفينة خمسة واربعون رجلًا »[3] والاشتيام هو رأس الملاحين[4] وفي لسان العرب « رئيس الركاب » (١٥ : ٢١١) وورد في شعر للبحتري .

بالوع

جاء هذا الاسم في جملة الوان المراكب والسفن التي ذكر الازدي الحاجة الى معرفتها في بغداد[5]

براكية

ضرب من السفن [6] ونقله البشاري المقدسي بلفظ بركة[7]

برشة

قال ابن اياس : « في يوم الثلثا ثامن عشر ذي القعدة (سنة ٩٢٦/١٥٢٠) توجهت العساكر الى بيروت واقتتلوا مع الفرنج ... وقيل اسروا جماعة من اولاد ملوك الفرنج وملكوا ثلاث برشات من كبار مراكبهم »[8]

١) قوانين الدواوين طبعة القاهرة ، ١٩٦٣ ، ص ٢٤٠
٢) فتوح البلدان ، طبعة اوربة ، ٤٤٦
٣) تاريخ الرسل والملوك ، طبعة اوربة ، ٧٥٨٣ T. S. III
٤) المعرب للجواليقي ، طبعة القاهرة ، ١٣٦١ ، ص ١٨٣
٥) حكاية ابي القاسم البغدادي ١٠٧
٦) لسان العرب ١٢ : ٢٧٨
٧) احسن التقاسيم ٣٣
٧) تاريخ مصر ٣ : ٢٢٣

برعاني

ذكره البشاري المقدسي في جملة اسماء المراكب التي عددها في كتابه احسن التقاسيم (ص ٣٢).

بركة

روى الاصطخري بتاريخ سنة ٣٢٤/٩٣٥ ان تاجرًا من عمان احترق له اربعمائة بركة قال والبركة زورق معروف عندهم يسع كل بركة خمسون وقرا[1] وهي في اللاتينية barca ومنها الفرنسية barque

بركوس

والجمع براكيس قال العماد الاصبهاني : « عاد المستأمنون من الفرنج ... وذكروا انهم وقعوا بجراقة كبيرة ومعها براكيس »[2] وقال ابن شداد : « استأمن من الفرنج خلق عظيم اخرجهم الجوع الينا وقالوا السلطان : نحن نخوض البحر في براكيس ونطلب الى العدو فاذن لهم في ذلك واعطاهم بركوساً وهو المركب الصغير »[3] وربما قالوا بركوش بالشين « وهو مركب لطيف لنقل الماء لحفته يدخل على المواقع ويكون وسقه مائة اردب »[4]

برمة

جاءت في احسن التقاسيم (٣٢) وفي حكاية ابي القاسم البغدادي قال : «تحتاج ان تعرف الوان المراكب من السفن والسميريات والمراكب العماليات ... والبرمات »[5] وعدها عبد الغني الطرابلسي بين المراكب العشرين التي سماها له الحاج نور الدين الطرابلسي على خانة الميناء في طرابلس سنة ١١٢/١٧٠٠[6]

١) مسالك الممالك للاصطخري حاشية d ١٣٩
٢) الفتح القسي ٣١٦-٣١٧
٣) النوادر السلطانية ١٤٠
٤) قوانين الدواوين ، طبعة ١٩٤٣ ، ص ٢٤٠
٥) حكاية ابي القاسم للازدي ١٠٧
٦) خزانة بريتش موزيوم Add. 22753 Fo 25-26

بريق

معرب بريك باللاتينية وهو مركب بساريتين مبني على هيئة مخصوصة[1] ويقال له في الانكليزية brig وفي الفرنسية brick .

بطسة

قال ابن شداد : « كان الافرنج في ستمائة قطعة ما بين شاني وطرادة وبطسة »[2] وقال ايضاً : « ركب في بطسة بيروت جماعة من المسلمين وتزيّوا بزي الافرنج » وكتب الى مصر بتجهيز ثلاث بطس مشحونة بالاقوات والأدم والبَرّ[2] وهي بالفرنسية patasse .

مبطّنة

قالوا ضرب من القوارب[4]

بغلة

من اسماء السفن في اليمن[5]

بليك

من مراكب مصر في القرن الثاني عشر للهجرة ورد ذكره في عجائب الآثار للجبرتي (٢ : ١١٢) وفي النحلة النصرية في الرحلة المصرية لمصطفى البكري الصديقي (مجلة الرسالة ، ١٩٤٨ اكتوبر ، ص ١١٥١).

بوصي

ضرب من سفن البحر معرب بوزي بالفارسية ولطرفة بن العبد من معلقته :

كسُكّان بوصيٍ بدجلة مُصعِدِ[6]

---

١) محيط المحيط ١ : ٨٥

٢و٣) النوادر السلطانية ٣٨ و١١٩ و١٢٢

٤) محيط المحيط ١ : ١٠٤

٥) مجلة المجمع العربي ١٦ : ٥٦٨

٦) المعرب للجواليقي ، طبعة القاهرة ١٣٦٠ ، ص ٥٤

بوم

والجمع ابوام وهو السفينة الكبيرة وتعرف بهذا الاسم في خليج البصرة ولابي البحر جعفر بن محمد الحنطي العبدي المتوفى سنة١٠٢٨/١٦١٩ من قصيدة.

وان سمت مقالي فامض متكلاً على الهك في الابوام بحارا[1]

بيرجة

بين اسماء المراكب في احسن التقاسيم (٣٢) من الهندية بيره ومنها في الفرنسية لفظة barge وهي البارجة .

تَلَوَّى

كذا ضبطها ابن سيده في المخصص (١٠ : ٢٥) واقتصر على القول انها ضرب من السفن ووردت كذلك في احسن التقاسيم (٣١)

مثلَّثة

من اسماء السفن في احسن التقاسيم (٣١).

جاسوس

ورد في حكاية ابي القاسم البغدادي للازدي (ص١٠٧) وفي احسن التقاسيم للبشاري (٣١).

جاكر

قال ابن بطوطة : « ركبنا في (قندهار) في مركب لابرهيم الناخوذة يسمى جاكر بفتح الجيم والكاف المعقودة وكان ركوبي انا في الجاكر وكان فيه خمسون رامياً وخمسون من المقاتلة الحبشة»[2]

جبلية

عدَّها البشاري المقدسي في جملة اسماء المراكب في احسن التقاسيم (٣٣) .

---

١) مجلة المجمع العربي ٣ : ١٦٦

٢) رحلته ، مطبعة النيل ، ٢ : ١٠٤

جدي

من انواع السفن والمراكب التي اوجب الازدي معرفتها في بغداد[1]

جرم وجروم

قال المقريزي في كلامه على ردم فم بحر دمياط سنة ٦٥٩/١٢٦١ «وهو الى اليوم على ذلك لا تقدر مراكب البحر الكبار ان تدخل منه وانما ينقل ما فيها من البضائع في مراكب نيلية تعرف عند اهل دمياط بالجروم واحدها جرم»[2] وهو الزورق بلغة اهل اليمن وعليه اصطلاح الملاحين في الشام ومصر.

جريبيات

ذكرها الطبري سنة ٢٦٩/٨٨٢ في احصاء المراكب التي فيها الملاحون الراتبة[3]

جعفرية

وردت مرة في كتاب البخلاء للجاحظ : «قال رمضان كنت مع شيخ اهوازي في جعفرية وكنت في الذنب وكان في الصدر وليس في السفينة غيري وغيره»[4] وقال في كتاب الحيوان : «ربما رأينا الملاح النبطي في بعض الجعفريات على وجهه شَبَه القرد»[5] وذكرها ايضاً الازدي في حكاية ابي القاسم (١٠٧)

جَلَبة وجِلاب

وصفها ابن جبير احسن وصف في كلامه على بحر جدة فقال :

الجِلاب التي يعرفونها في هذا البحر الفرعوني ملفّقة الانشاء لا يستعمل فيها مسمار البتة انما هي مخيطة بامراس من القنبار وهو قشر جوز التارجيل يدرسونه الى ان يتخيط ويفتلون منه امراساً يخيطون بها المراكب ويُخلّلونها بدُسُر من

١) حكاية ابي القاسم ١٠٧

٢) الخطط ١ : ٢٢٤

٣) تاريخ الرسل والملوك ، طبعة اروبة ، ٢٠٧٦ IV

٤) كتاب البخلاء طبعة القاهرة ، سنة ١٩١٨ ، ص ١٢٤

٥) كتاب الحيوان ، طبعة القاهرة ١٣٢٣ ، ٤ : ٢٤

عيدان النخل فاذا فرغوا من انشاء الجلبة على هذه الصفة سقوها بالسمن او بدهن الخروع او بدهن القرش وهو احسنها وهذا القرش حوت عظيم في البحر يبتلع الغرقى فيه ومقصدهم في دهان الجلبة ليلين عودها ويرطب الكثرة الشعاب المعترضة في هذا البحر ولذلك لا يصرفون فيه المركب المماري وعود هذه الجلاب مجلوب من الهند واليمن وكذلك القنبار المذكور ومن اعجب امر هذه الجلاب ان شُرُعها منسوجة من خوص شجر المقل فجموعها متناسب في اختلال البنية ودهنها .

وذكر ايضاً ان اهل عيذاب لهم من المرافق من الحاج إكراء الجلاب منهم وهي المراكب فيجتمع لهم من ذلك مال كثير في حملهم الى جدة وردّهم وقت انقضاضهم من اداء الفريضة وما من اهلها من ذوي اليسار الا من له الجلبة والجلبتان فهي تعود عليهم برزق واسع[1]

ومنها أخذت اللفظة الفرنسية Chaloupe والطليانية Scialuppa

جلاسة

في كتاب السلوك للمقريزي بتاريخ سنة ٦١٦/١٢١٩ « حاربوا الفرنج في البر والبحر واخذوا منهم ست شواني وجلاسة وبطسة »[2] وهي مأخوذة من الفرنسية galéasse او الطليانية galeazza

جُنك وجنوك

قال ابن بطوطة : « مراكب الصين ثلاثة اصناف : الكبار منها تسمى الجنوك واحدها جُنك والمتوسطة تسمى الزوّ والصغار يسمى احدها الكَكَم ويكون في المركب منها اثنا عشر قلعاً فما دونها الى ثلاثة وقلعها من قضبان الخيزران منسوجة كالحُصر لا تحطّ ابداً ويديرونها بحسب دوران الريح واذا ارسوا تركوها واقفة في مهب الريح ويخدم في المركب منها الف رجل منهم البحرية ستمائة ومنهم اربعمائة من المقاتلة تكون فيهم الرماة والجرخية وهم

١) رحلته ٧٠-٧١ و٦٩ والخطط للمقريزي ١ : ٢٠٣

٢) السلوك في تاريخ الدول والملوك ، طبعة القاهرة سنة ١٩٣٤ ، ١ : ٢٠٣ والخطط ١ : ٢١٨

الذين يرمون بالنفط ويتبع كل مركب منها ثلاثة النصفي والثلثي والربعي ولا تصنع هذه المراكب الا في الصين بمدينة الزيتون من الصين او بصين كلان وهي صين الصين وكيفية انشائها انهم يصنعون حائطين من الخشب يصلون ما بينهما بخشب ضخام جداً موصلة بالعرض والطول بمسامير ضخام طول المسمار منها ثلاث اذرع فاذا التأم الحائطان بهذه الخشب صنعوا على اعلاها فرش المركب الاسفل ودفعوها في البحر واقروا عمله وتبقى تلك الخشب والحائطان موالية للماء. ينزلون اليها فيغتسلون ويقضون حاجتهم وعلى جوانب تلك الخشب يكون مجاذيفهم وهي كبار كالصواري يجتمع على احدها العشرة والخمسة عشر رجلاً ويجذفون وقوفاً على اقدامهم ويجعلون للمركب اربعة ظهور ويكون فيه البيوت والمصاري والغرف للتجار والمصرية يكون فيها البيوت والسداس وعليها المفتاح يسدها صاحبها ويحل معه الجواري والنساء وربما كان الرجل في مصريته فلا يعرف به غيره من يكون بالمركب حتى يتلاقيا اذا وصلا الى بعض البلاد والبحرية يسكنون فيها اولادهم ويزدرعون الخضر والبقول والزنجبيل في احواض خشب ووكيل المركب كأنه امير كبير واذا نزل الى البر مشت الرماة والحبشة بالحراب والسيوف والاطبال والابواق والانفار امامه واذا وصل الى المنزل الذي يقيم به ركزوا ارماحهم عن جانبي بابه ولا يزالون كذلك مدة اقامته »[1].

وهذا المركب معروف في الغرب وقد نقل الى الفرنسية بلفظه jonque

جوانحيات

قال ابو الفرج الاصبهاني : لما عقد المتوكل لولاة العهود من ولده ركب بسر من رأى... ثم نزل في الماء فجلس فيه والجيش معه في الجوانحيات وسائر السفن »[2]

ويستدل من هذا الاسم انها كانت من السفن ذوات الجآجئ اي الصدور دعيت كذلك لانحنائها وميلها ولجوانح فيها كالاضلاع مما يلي الظهر .

١) رحلته، مطبعة النيل ، ٢ : ١١٢-١١٣

٢) الاغاني ، طبعة بولاق ، ٩ : ٣٢

حديدي

نوع من السفن العراقية سمي كذلك لا شك لدخول الحديدي في بنائه قال الطبري : « انقرضت الاتراك وتبعهم اهل بغداد... وضربوا زورقاً لهم كان يقال له الحديدي كان آفة على اهل بغداد بالنار »[1]

وفي تكملة الطبري لمحمد بن عبد الملك الهمذاني بتاريخ سنة ٣٢٩/٩٤١ « دخل البريدي بغداد وكان معه من الزبازب والطيارات والحديديات والشذاءات ما لا يحصى »[2]

وفي تجارب الامم لابن مسكويه في حوادث سنة ٣١٩/٩٣١ « قعد الوزير وعلي بن عيسى في دار السلطان ... وعادوا ذكروا انهم لم يصلوا الى مونس وانهم أجلسوا في الحديدي .. فبينا هم كذلك اذ هجم الجيش على الحديدي فكادوا يغرقونه... وخرجوا من عند مونس فقبض عليهم عند مغيب الشمس وحبسهم في الحديدي »[3] وفي نشوار المحاضرة للتنوخي « كان معه في حديدي لابن الحواري وقد حملهم الى بَلاشكر ليتفرجوا والحديدي يمده الملاحون بالقلوس... كانت الريح شمالاً على سطح الحديدي »[4]

حرّاقة حراقات

ومن انواعها الليث والعقاب والجراد والدلفين والكوثر

وتجمع الحراقة ايضاً على حراريق وهي في الاصل كما يدل عليها لفظها سفن فيها مرامي نيران يُقذف بها العدو ثم أطلقت على سفن المعابر كالشبّارات وكان الكبراء والمترفون يتفننون في بنائهـا واتقانها ويبدعون ما شاؤوا في تزيينها فاخرجوها على صور شتى حاكوا بها خلقة الحيوان والطير وممن غالى بها جداً محمد الامين « عمل خمس حراقات في دجلة على صورة الاسد والفيل والعقاب والفرس »[5] وفي ديوان ابي نواس رواية حمزة الاصفهاني انه اتخذ الدلفين

١) تاريخ الرسل والملوك ، طبعة اروبة ، ١٦٢٦ - ١٦٢٧ T. S. III

٢) خزانة باريس ١٦٦٩ ، ص ٧٩

٣) تجارب الامم ٥ : ٢١٠ - ٢١١

٤) نشوار المحاضرة ١ : ٢٠٦

٥) الكامل لابن الاثير ٦ : ٩٩

والغرابية والجرادية والكوثرية[1] وقد ذكر بعضاً منها ابو نواس في شعره الذي مدح به الامين فقال :

ألا ترى ما أعطي الامين أعطي ما لم تره العيون
ولم تكن تظنه الظنون الليث والعقاب والدلفين

وقال ايضاً يمدحه :

قد ركب الدلفين بدر الدجى مفتحماً في الماء قد لجّجا
لم ترَ عيني مثله مركباً احسن ان سار وان عرّجا
اذا استحثته مجاذيفه اعنق فوق الماء او هملجا

وقال ايضاً يصف حراقتي الليث والعقاب :

سخّر الله للامين مطايا لم تسخّر لصاحب المحراب
فاذا ما ركابه سار برّاً سار في الماء راكباً ليث غاب
اسد باسطٌ ذراعيه يعدو اهرت الشدق كالح الانياب
لا يعانيه باللجام ولا السو طِ ولا غمز رجله في الركاب
عجب الناس اذ رأوك على صو رة ليث يمرّ مر السحاب
سبحوا اذ رأوك سرت عليه كيف لو ابصروك فوق العقاب
ذات زور ومنسر رجنا حين تشق العباب بعد العباب
تسبق الطير في السماء اذا ما استعجلوها لجيئة وذهاب »[2]

ويظهر ان بناء مثل هذه الحراقات التي يقصد بها التزين والمباهاة كان يكلف اموالاً طائلة « حدّث علويه قال : قدم المأمون من خراسان وكان يخرج الى الشماسية دائماً يتنزه فركب في زلال وجئت اتبعه فرأيت حراقة علي ابن هشام فقلت للملاح : اطرح زلالي على الحراقة ففعل واستؤذن لي فدخلت وهو يشرب مع الجواري . . . فقينة . . . فسرّ بذلك وطرب وقال لي : ما اجد لك مكافأة على هذه الهدية الا ان اتحول عن هذه الحراقة بما فيها واسلمها اليك اجمع فتحول الى اخرى وسُلّمت الحراقة بخزانتها وجميع آلاتها الي وكل شيء فيها فبعت ذلك بمائة وخمسين الف درهم »[3]

---

١) خزانة باريس ٤٨٢٩ ، ص ١٧٦ ١٧٧
٢) ديوانه المذكور ١٧٦ - ١٧٧
٣) الاغاني ١٠ : ١٢٨

حمّالة

عدّها ابن مماتي في جملة مراكب الاسطول في زمانه[1] وكانت مثل هذه المراكب في ايام المقريزي والقلقشندي تزيد على مائة ومنها عشر حمالات[2] وهي برسم الازواد ويكون فيها غلمان الخيالة وصناع المراكب .

حمامة حمائم

ذكر المقريزي الحمائم في عداد المراكب الحربية التي اتخذها احمد بن طولون لما علم بقدوم موسى بن بغا لمحاربته[3] قال اليلوي: «اتخذ ابن طولون مائة مركب عربية كبارًا ومائة مركب حربية سوى ما انضاف اليها من العلابيات والحمائم والعشاريات»[4]

خضاري

ورد ذكره في جملة المراكب الممدودة في نهاية الارب[5] وجاء في كتاب الخطط في جواب رسالة زكي الدين الحسين سنة ٧٦٢ = ١٣٦١ : «كم من سفين قوي امين وخضاري جليل وعشاري طويل»[6] واصله سمي كذلك تشبيهاً بالطائر المعروف .

خليج وخُلج

سفينة صغيرة دون العَدَوْلي[7] نسبة الى عدولى وهي قرية بالبحرين تعمل فيها السفن .

مخلوف

«كم في مصر من مركب لحسنه معجب . . . ومخلوف في الآفاق بالمعروف معروف»[6]

---

١) قوانين الدواوين ٢٤٠

٢) الخطط ٢ : ٢٧٢ وصبح الاعشى ٣ : ٥٢٢

٣) الخطط ٢ : ١٨٠

٤) كتاب سيرة احمد بن طولون ٨٧

٥) نهاية الارب للنويري ٩ : ٢١ – ٢٢

٦) خطط المقريزي ، طبعة بولاق ، ١ : ٢٧٠

٧) اللسان ٢ : ٢٤ والتاج ٣ : ٨٥ و١٣ : ٤٦٢ – ٤٦٣

خليّة خلايا

الخلية العظيمة من السفن قال الفارسي : هي التي لها زورق يتبعها شبهت بالخلية من الابل وانشد (الطرفة):

كأن حدوج المالكية غدوة خلايا سفين بالنواصف من دَدِ

وقيل الخلية من السفن التي لا يسيّرها ملاحها ولكنها تسير من ذات نفسها من غير جذب[1] وورد مثل ذلك في التاج (١٠ : ١١٩) وزاد في اللسان قول الاعشى :

يكبّ الخلية ذات الفلاح وقد كاد جؤجؤها ينحطمْ (١٨ : ٢٢٥)

الخيطيّة

« المراكب الخيطية التي تعمل بالابآة ويركب فيها الى الصين »[2] ذكرت في احسن التقاسيم (٣٢) وفي حكاية ابي القاسم البغدادي (١٠٧) وكتاب الفرج بعد الشدة للتنوخي (طبعة القاهرة ١٩٠٤ ج ٢ : ١١٢)

قال ابن الجوزي : « كان لدور الشط ابواب الى شوارعها وعلى كل باب مراكب مُسَرّجة مهيّأة لركوب الشط كما بين ايدي رواشنها خيطية او زبزب لركوب الشط »[3]

وفي كتاب الاذكياء له : « رأيت ملّاحاً مجتازاً في خيطية خفيفة فارغة فسألته ان يحملني »[4]

درمونة

ذكرها المقريزي[5] والنويري[6] وقال ابن اياس[7] : « ابطل السلطان قايتباي المراكب المسماة بالدرمونة وكانت تحمل مثل الحرمين الشريفين وكانت غريبة

١) المخصص ١٠ : ٢٦
٢) كتاب البلدان لليعقوبي ١٥٠
٣) مناقب بغداد ٢٧
٤) كتاب الاذكياء ١٣٧
٥) الخطط طبعة بولاق ١ : ٢٧٠
٦) نهاية الارب ٩ : ٣١ - ٣٢
٧) بدائع الزهور ٢ : ٣٠١

الهيئة في شكلها » وكانت تتخذ احياناً لاظهار الزينة والوقيد في بعض المواسم قال ابن تغري بردي بتاريخ سنة ٨٦٧ = ١٤٦٢ – ١٤٦٣ : « أوقفت درمونة الجرم بالبحر وهي اكبر مراكب البحر بساحل بولاق وأشحنت بالوقيد من من صاريها الى اسفلها[1] » .

ولا شك انها مأخوذة من الرومية δρομωνιον وكانت تحمل الاطعمة في ايام الروم كما ذكرها غليوم الصوري في تاريخه (٢ : ٩٦١)

دكاسة

قال ابن الطوير في كلامه على متولي دار الطراز بمصر : « وله عشاري ديماس مجرد معه وثلاثة مراكب من الدكاسات ولها رؤساء ونواتية لا يبرحون ونفقاتهم جارية من مال الديوان[2]

دونيج

وردت في احسن التقاسيم (٣٢) وفي كتاب عجائب الهند قال : رموا بانفسهم الى الماء وتعلقوا بالقارب والدونيج (٢٩) وركبوا الدونيج (٣٣).

ذهبيّة

قال ابن اياس في كلامه على السلطان الاشرف قايتباي « ابطل المراكب المسماة بالذهبية وكانت من شعار المملكة ولا سيما في وفاء النيل وكانت الملوك تتوجه منها الى المقياس وكان بها ستون مقذفاً »[3] وذهبيات النيل اليوم مشهورة بمصر .

رقية

قال الطبري : « أحصي ما في الشذا والسميريات والرقيات التي كانت تحيق فيها الخيل فكانوا زهاء عشرة الاف ملاح »[4] وذكرها ايضاً صاحب احسن التقاسيم (٣١) .

---

١) حوادث الدهور في مدى الايام والشهور الفصل الرابع ، ليدن ١٩٤٣ ، ص ٧٦٧

٢) الخطط ٢ : ٣٥٢ مطبعة النيل

٣) تاريخ مصر ٣ : ٢٠١

٤) تاريخ الرسل والملوك ٦ : ٢٧٤

مركب

يطلق على كل قارب او زورق او سفينة وهو كثيراً ما يؤنث غلطاً باقلام الكتبة المصريين مؤرخي المماليك

ركوة

زورق صغير[1] قال ابن العبري : « في سنة ٦٤٨ (١٢٥٠ م) ملك بدر الدين لؤلؤ جزيرة ابن عمر واسر صاحبها الملك مسعود ... وسيّره في ركوة الى الموصل وتقدم الى من وُكِّل به ليرميه ليلة في دجلة[2]

زبزب

سفينة صغيرة قال الشاعر :

« زبازب تحكي اذا سُيّرت عقاربا تجري على زئبق »[3]

ويؤخذ من قول المسعودي انها كانت من المراكب التي يقاتل فيها[4] ثم عم استعمالها فيما يعد للهو والسرور قال الشابشتي في وصف عيد الشعوني من اعياد النصارى : « لا يبقى احد من اهل التطرب واللعب الا خرج اليه فمنهم في الطيارات ومنهم في الزبازب والسميريات كل انسان بحسب قدرته[5]

وروى ياقوت ان علي بن عيسى الربعي « كان يمشي على شاطئ دجلة والرضي والمرتضى العلويان في زبزب ومعهما ابو الفتح عثمان بن جني فقال لهما : من اعجب احوال الشريفين ان يكون عثمان جالساً معهما في الزبزب وعلي يمشي على الشط بعيداً منهما[6]

وفي صبح الاعشى نقلاً عن ابن الاثير انه لما وصلت رسل ملوك الروم الى بغداد سنة ٩١٧/٣٠٥ كان في جملة ما رُتب لاستقبالهم ان أُلقيت المراكب

---

١) المخصص ١٠ : ٢٦

٢) مختصر الدول ٤٥٦

٣) شفاء الغليل للخفاجي ١١٧

٤) مروج الذهب بهامش الكامل ٨ : ٢٥٤

٥) كتاب الديارات ، مخطوط برلين ، الورقة ١٨ – ١٩

٦) ارشاد الاريب ٥ : ٢٨٤

« والدبادب » في دجلة باحسن زينة[1] والدبادب في اللغة هي الطبول فكيف تلقى في الماء وفي الطبع او النسخ تصحيف قبيح والاصل لا شك «والزبازب».

زَبْزَباذَيَة

كذا وردت هذه اللفظة بين اسماء المراكب المطبوعة في احسن التقاسيم(٣٢) ولم نعثر عليها في رواية اخرى فما ندري ما صحتها.

زُبَيْدِيَة

قال يوسف بن ابرهيم المعروف بابن الدابة : « كانت الزبيديات توافينا فتعبرنا . . . وجمتنا الزبيدية عند انصرافنا»[2] وفي كتاب الاغاني : « قال ابراهيم ابن المهدي : « دعوت بغلماني وقلت لهم : اني اريد ان امضي الى موضع ولا يشعر بي احد حتى اصير اليه وكانوا في زبيديات لي يبيتون فيها على باب داري فقمت فركبت في احداها»[3] ويستفاد من هذين الشاهدين ان الزبيدية كانت من نوع المراكب التي ترتبط على الشط امام الدور ليعبر بها من جانب الى آخر .

زَنْبَرِيَة

الزنبرية في صحاح الجوهري : « ضرب من السفن ضخم » (١ : ٣٢٤) ووصف بها ابن سيدة فقال : سفينة زنبرية ضخمة[4] وفي تاريخ الطبري في الخبر عن مقتل المختار :

« عوّدنا المصعب جرّ القلس والزنبريات الطوال الغُلس »[5]

وفي عيون الانباء « الزنبريتان وهما السفينتان اللتان في الجسر في الجانب الشرقي[6] وفي كتاب الامتاع والمؤانسة : « كنت قائماً على زنبرية الجسر في

١) صبح الاعشى ٣ : ٢٧٣
٢) عيون الانباء لابن ابي اصيبعة ١ : ١٧٤
٣) الاغاني بولاق ٥ : ٢١
٤) المخصص ١٠ : ٢٦
٥) تاريخ الامم والملوك مطبعة الاستقامة ٤ : ٥٦٢
٦) عيون الانباء لابن ابي اصيبعة ١ : ١٧٤

الجانب الشرقي والحاج يدخلون وجالهم سدّت عرض الجسر . . . وكنا نلتقي على زنبرية باب الجسر بالعشايا »[1]

زربونة

من اسماء المراكب والقوارب التي رواها عبد الغني النابلسي عن الحاج نور الدين الطرابلسي سنة ١١١٢ = ١٧٠٠ كما تقدم.

زعيمة

روى الاب انستاس الكرملي في تعليقه على كتاب بلوغ المرام في من تولى اليمن من ملك وامام ان الزعيمة عندهم من اسماء السفن[2]

زلّاج

وردت غلطاً بالدال بدلاً من الزاي في نهاية الارب للنويري وحار الطابع في تفسيرها (٩ : ٣١ – ٣٢) وفي كتاب تاريخ مصر وولاتها ان السريّ بن الحكم خرج في زلاج وخرج الجروي (والي تنيس) في مثله . . . وقد اعدّ الجروي في باطن زلّاجه الحبال وامر اصحابه بسَنْدَفا اذا لاصق بزلاج السري ان يجروا الحبال اليهم فلصق الجروي بزلاج السري فربطه الى زلاجه وجرّ الحبال الرجال فاسروا السري ومضى به الجروي الى تنيس فسجنه بها وذلك في جمادى الاولى سنة تسع وتسعين[3] (ومائة = ٨١٥ م) .

وفي كتاب اخبار ابي نواس في الكلام على محمد الامين: « خرج ذات يوم وقد امر الجند والقواد فركبوا ولبس ثيابه وتقلد سيفه وأُعدّت الحراقات والزلاجات »[4]

ويظهر ان هذا الزورق كان يتخذ للركوب والنقل وفي كتاب الطالع

---

١) الامتاع والمؤانسة لابي حيان التوحيدي ٥١ و ٥٢

٢) مجلة المجمع العربي دمشق ١٦ : ٥٦٨

٣) تاريخ مصر وولاتها للكندي ١٥٧

٤) اخبار نواس لابن منظور ١١٤

السعيد : « ملأ القاضي الرضي زلاجاً كبيراً يسع الفي اردب سكراً وارسل غلمانه فيه ليبيعوه فغرق معهم »[1]

ولا ريب انه سمي كذلك لخفته وسرعة مروره على الماء من قولهم زلج اذا اسرع في مشيه كالزلال في بغداد من زلّ ورُوي محرفاً في طبعة نهاية الأرب « دلاج » بالدال وعلق عليه الشارح : لم نجد من يعرفه من البحريين واصحاب السفن (٩ : ٣٢).

زلال

« كان الرشيد مما يعجبه غناء الملاحين في الزلالات اذا ركبها »[2] قال محمد بن الخليل : « انصرفت يوماً فمررت بشرعة وانا في الزلال »[3] وقال عمر ابن فرج : « انصرفت مع عمرو بن مسعدة يوماً من الشماسية والمأمون بها في زلال »[4] ويظهر ان بناء الزلالات لم يكن مسموحاً لكل احد كما يؤخذ من قول الشابشتي : « اشتهى بعض ولد لرشيد التفرج والنزه في الماء فاراد ان يبني زلالاً يجلس فيه فمنعه اسحق (ابن اخي طاهر بن الحسين) وقال : هذا شيء لا تحب ان يعمل مثله الا بامر امير المؤمنين واذنه فكتب الى المعتصم يستأذنه في ذلك فخرج الامر الى اسحق باطلاقه له فكتب اسحق : « ورد علي كتاب من امير المؤمنين باطلاق بناء زلال لم يحدّ لي طوله ولا عرضه فوقفت امره الى ان استطلع الرأي في ذلك » فكتب اليه يحمده على احتياطه ويحدّ له ذرع الزلال »[5]

وفي تاريخ الوزراء للصابئ ذكر الزلالات في شرح ارزاق الملاحين(ص١٩)

زَوَ

عُدّ من مراكب الصين المتوسطة كما سبق في الكلام على الجنك وكان

١) الطالع السعيد للادفوي ٢٦
٢) الاغاني بولاق ٣ : ١٧٧
٣) كتاب بغداد لابن طيفور ٣٦١
٤) كتاب الوزراء والكتاب للجهشياري ١٣٣
٥) الديارات للشابشتي ورقة ١٤ – ١٥

معروفاً ببغداد في اوائل العصر العباسي : « حدّث ابراهيم بن سهل قال: كنا مع الواثق بالقاطول (نهر مقطوع من دجلة) وهو يتصيد فصاد صيداً حسناً وهو في الزوّ من الاوز والدرّاج وطير الماء »[1] وللبحتري في وصف الزوّ في القاطول وهو يُجذف تارةً ويوقف اخرى :

ولم أرَ كالقاطول يحمل مائه تدفّق بحر بالسباحة طام
ولا جبلاً كالزوّ يوقف تارة وينقاد اما قدته بزمام

وفي تاج العروس : « الزوّ سفينة عملها المتوكل العباسي نادم فيها البحتري »[2] والصحيح ان الزو كان قبل المتوكل بدليل ما رواه الطبري في تاريخه قال : « حدّث العباس بن الفضل بن الربيع قال: جلس الرشيد في الزوّ في الفرات .. ثم قال للعباس : « اخرج وأمر برفع التخاتيج (الواح الخشب) المطروحة على الزوّ ففعل ذلك »[3]

وفي التاج ايضاً ان الزوّ هو طير الماء[4] فلا شك ان المركب كان على شكله فسمّي به وكثيراً ما كانت السفن تسمى باسماء الطيور والاسماك كالحضاري والحمامة والغراب والسلورة والشبوط وما اشبه.

زورق

اشتهر بالبصرة زورق ابن الخواتيني قيل كان حمله ثلاثمائة الف رطل[5] واكثر ما يجمع الزورق على زواريق وهو جمع الجمع ولا يكاد الكتّاب والمؤرخون يستعملون غيره كالطبري والصولي وابن حوقل[6]

سبارة

في كتب اللغة انها ضرب من السفن كذا دون اقل وصف.

---

١) الاغاني طبعة الدار ٧ : ١٥٨
٢) التاج ١٠ : ١٦٦
٣) تاريخ الرسل والملوك طبعة اروبة (٦٨٢ ق ٣)
٤) التاج ١٠ : ١٦٧
٥) ارشاد الاريب ٣ : ٥٧
٦) الخزانة الشرقية ٢ : ١٦٠ - ١٦١

سبحية

من مرادفات السفن والمراكب التي ذكرها البشاري المقدسي في احسن التقاسيم (٣٢) دون اقل وصف وتفسير لها .

ستية

لشهاب الدين العمري من وصف له للسفن : « اصبحت ستياتها محيطة بالجهات الست وشوانيها تشين فعل الزمان المثبت »[1] ويظهر انها دعيت كذلك باعتبار هيئتها وبنائها كما قيل مثلثة لبعض السفن .

مسطّح

روى ابن رسته ان اول من اجرى السفن المقيرة المسمرة غير المخروزة المدهونة والمسطحة غير ذوات الجآجئ الحجاج بن يوسف[2] وعدّ ابن مماتي « المسطح » في جملة مراكب الاسطول .

ونقل المقريزي عن ابن الطوير انه « كان من اهم امورهم احتفالهم بالاساطيل والاجناد ومواصلة انشاء المراكب بمصر والاسكندرية ودمياط من الشواني الحربية والشلنديات والمسطحات »[3]

قال ابن شداد : « وصل الخبر ان الاسطول الاسلامي استولى على مراكب الافرنج وفيها مركب يعرف بالمسطح قيل انه كان فيه خمسمائة نفر وزائد »[4]

وربما قيل مشطح بالشين ومنه في نفح الطيب المقري « بلغه ان مشطحاً من برشلونة ظهر على يابسة (Ibyza) وسار حتى اشرف على المشطح »[5]

ساعية

من انواع السفن في اليمن[6]

---

١) التعريف بالمصطلح الشريف ٢٣٦

٢) الاعلاق النفيسة ١٩٥ - ١٩٦

٣) الخطط ٢ : ٢٧٣

٤) النوادر السلطانية ١٨٩ — ١٩٠ وكتاب الروضتين لابي شامة ٢ : ١٩٤

٥) نفح الطيب ٣ : ٥٨٤

٦) مجلة المجمع العربي بدمشق ١٦ : ٥٦٨

سفينة

من احسن اوصافها قول ابي نواس من ابيات له غزلية :

بُنيت على قدر ولاءم بينها ضمفان من قار ومن الواح
فكأنها والماء ينطح صدرها والمنزرانة في يد الملاح
جُونٌ من العقبان تبتدر الدجى شوي بصوت واصطفاق جناح[1]

سلورة

وربما قيل سلارية وتجمع على سلاليد وهي من الرومية [illegible] ذكرها ابن حبيب في جملة السبعين قطعة التي وصل بها الفرنج الى ثغر الاسكندرية سنة ٧٦٧[2] (١٣٦٥ م) وجاءت بالشين اي شلورة في نهاية الارب للنويري (٩ : ٣١ — ٣٢) .

سلوقي

« سنة ٨٦٧ (١٤٦٣ م) اتفق الاسرى الذين بطرابلس من الفرنج وحفروا المطمور الذي يحبسون به ليلاً .. وكانوا هيأوا قارباً لهربهم فبدر خمسة منهم بالركوب فيه وخرجوا هاربين ... ثم اصبح القائد ابو النصر فبعث بسلوقي في اثر الهاربين فعادت ولم يظفر منهم على طائل »[3] وانما قال « عادت » لان بعض الكتاب والمؤرخين يؤنثون المركب غلطاً .

سماري

قال السخاوي في ترجمة علي بن محمد بن ابي بكر الادمي القاهري : « صار يعتني بالمراكب والحمل فيها بالبحر المالح ... فغرق له سماري ثقيل بالقرب من بعض البنادر وعجز عن تخليص اخشابه »[4] ويؤخذ من خطط المقريزي (٢ : ٣٦٦) وكتاب نزهة المقلتين في اخبار الدولتين الفاطمية والايوبية ان

---

١) ديوانه خزانة باريس ٤٨٣٠ ص ٢٢٢
٢) تذكرة التيه خزانة بريتش موزيوم add. 7335 fo 218
٣) الروض الباسم لعبد الباسط بن خليل الحنفي خزانة الڤاتيكان ٧٢٩ ص٥٧
٤) الضوء اللامع ٧ : ٢١٨

المشاريات اللطاف في كسر الخليج في ايام الفاطميين كان يقال لها « السماريات »[1]

سُميرية وسُمارية

قال عبد اللطيف البغدادي في ذيل الفصيح : « هي السميرية. ولا تقل سمارية (١٠٩) وفي ذيل تجارب الامم للروذراوي «نزلنا سمارية من سماريات النوبة (٦٠) وفي مسالك الابصار للعمري « قال المنبجي شديت سماريتي الى جانب الدير »(٢٦٢).

وعد المسعودي قبلاً السميريات من انواع المراكب التي يقاتل فيها [2] وفي تاريخ بغداد للخطيب عن هلال بن المحسن انه «أحصيت السميريات المعبرانيات بدجلة في ايام الناصر لدين الله وهو احمد الموفق فكانت ثلثين الفاً قُدّر من كسب ملاحيها في كل يوم تسعين الف درهم»[3]

سنبكلية

من المراكب العشرين التي كانت معروفة في طرابلس سنة ١١١٢=١٧٠٠[4]

سنبوق

ويقال سنبوك بالكاف وكتبه ابن بطوطة بالصاد والكاف قال: «وكتب من ساحل البصرة في صنبوق وهو القارب الصغير الى الابلّة»[5] وفي شفاء الغليل للخفاجي « سنبوك سفينة صغيرة تستعمله اهل الحجاز وعبّر به في الكشاف وقيل من سنبك الدابة على التشبيه ولم نره في كلامهم قديماً »[6] (ص ١١٨)

---

١) الفيض المديد في اخبار النيل السعيد لاحمد بن عبد السلام المتوفي رقم ٢٥٩١ - د مكتبة الاسكندرية .

٢) مروج الذهب هامش الكامل ٨ : ٢٥٤

٣) خزانة باريس ٢١٢٨ ص ٢٦

٤) الرحلة الطرابلسية للشيخ عبد الغني النابلسي خزانة بريتش موزيوم لندرة fo 25-26 add. 22753

٥) رحلة ؛ مطبعة وادي النيل ١ : ١١٢

٦) تاج العروس ٧ : ٤٦

وعدّ المقريزي السنابيك في جملة المراكب الحربية المئة التي امر احمد بن طولون باتخاذها بعد بناء الحصن على الجزيرة[1]

سناديل

في تكملة المعجات العربية لدوزي «سندل نوع من القوارب والسفن وهو من الفارسية (١ : ٨٤٦) ولم نقف على شاهد له بلفظه المفرد ولكنه ورد مجموعاً مرتين في كتاب سيرة احمد بن طولون للبلوي قال : « اتخذ ابن طولون مائة مركب عربية كباراً ومائة مركب حربية سوى ما انضاف اليها من الملابيات والحمائم والمشاريات والسناديل وقوارب الخدمة وقال ايضاً : « اخرج مؤنس الخادم في البحر مراكب حربية ... والسناويل العمالة والقوارب وكل صنف من السفن مما لا يحصى كثرة[2]

سوقية

من مرادفات اسماء المراكب في احسن التقاسيم (٣٢).

شايقة

من انواع المراكب في الرحلة الطرابلسية لعبد الغني النابلسي .

شبّارة

وردت غير مرة في تاريخ الطبري قال : « كل من افلت من الأتراك رمى بنفسه في دجلة ... فاخذه اصحاب الشبارات وكانت الشبارات قد شحنت بالمقاتلة » وفيه ايضاً « اخذوا عدة من الشبارات بما فيها من المقاتلة والملاحين »[3] وفي وفيات الاعيان لابن خلكان « توفي اتابك الملقب الملك العادل نور الدين في شبارة بالشط بظاهر الموصل والشبارة عندهم هي الحراقة بمصر »[4] وفي رحلة ابن بطوطة «رأيتها بحراقة في الدجلة وتسمى عندهم شبارة وهي شبه سلورة »[5]

١) الخطط ١ : ٢٦٣

٢) سيرة احمد بن طولون للبلوي ٨٧ و ١٠٣

٣) تاريخ الرسل والملوك طبعة اروبة ١٥٦٣ و ١٥٨٩ T. S. III

٤) وفيات الاعيان ١ : ٧٧

٥) رحلته ، مطبعة النيل ١ : ١٢٧

شبوطية

ضرب من القوارب الطرابلسية (رحلة عبد الغني النابلسي ٢٥–٢٦).

شبّوق

وردت في احسن التقاسيم (٣٢) ولعلها هي الشبّاك التالي ذكره .

شبّاك

مركب حربي صغير الحجم يستعمل في البحر الابيض[1] اتخذه الغربيون ويقال له في الفرنسية chebec وفي الايطالية sciabecco وفي الاسبانية japeque وهو عندهم بثلاثة قلوع.

شختور وشختورة

في زبدة الحلب لابن العديم في غرق المركب الاسلامي بعكا سنة ٥٨٦= ١١٩٠ « لما وصل هذا الخبر انقطع قلوب من فيها وأُسقط في ايديهم وهرب جماعة من الامراء والقوا انفسهم في شختاتير صغار »[2] وفي سيرة الناصر محمد ابن قلاوون « في سنة ٧٠٦ (٧ – ١٣٠٦م) رسم الاميران بيبرس وسلار بمنع الشختاتير والمراكب من دخول الخليج الحاكمي والتفرج فيه »[3]

شذا

« الشذا ضرب من السفن الواحدة شذاة وفي المصباح الشذاوات سفن صغار كالزبازب الواحدة شذاوة »[4] قال المسعودي : « اشتد امر البريديين في البصرة ومنعوا السفن ان تصعد وعظم جيشهم وكثرت رجالهم وصار لهم جيشان جيش في الماء في الشذوات والطيارات والسميريات والزبازب وهذه انواع من المراكب يقاتل فيها صغار وكبار وجيش في البر عظيم »[5] ووردت هذه المراكب كثيراً في اخبار المناجم صاحب الزنج وكان ابو احمد الموفق يبنيها

---

١) Dozy, *Supplément des dictionnaires arabes*. I : 723

٢) خزانة باريس ١٦٦٦ ص ٢٢٠

٣) الخطط للمقريزي ٢ : ١٤٣

٤) تاج العروس ١٠ : ١٩٥

٥) مروج الذهب ٨ : ٢٤٥

في سيراف وجنابة[1] وجمعها هلال الصابئ على شذاءات في كلامه على ارزاق الملاحين قال « الطيارات والشذاءات والسميريات والحراقات والزبازب وزواريق المعابر»[2] وجمعها كذلك الهمداني في تكملة تاريخ الطبري في كلامه على البريدي قال « دخل بغداد وكان معه من الزبازب والطيارات والحديديات والشذاءات ما لا يحصى»[3]

شكنبابة

ذكرت في الرحلة الطرابلسية في جملة المشرين نوعاً من انواع القوارب (٢٥ – ٢٦) .

شلمى

لم نجدها الا في حكاية ابي القاسم البغدادي للازدي (١٠٧) .

شلندى

من الرومية Χαλάνδιον ويقال له في الفرنسية chaland وفي الايطالية scialando وفي تجارب الامم لابن مسكويه في اخبار سنة ٣٥٤ = ٩٦٥ في الكلام على محاصرة ملك الروم طرسوس وافتتاحها : « وحمل بعضهم في البحر في شلنديات له الى حيث ارادوا (٦ : ٢١١) وربما وردت بالراء بدلاً من اللام كما في كتاب المسالك والممالك لابن حوقل « المراكب الشرندیات الحربيات» (١٣٢) .

وفي خطط المقريزي ان الشلنديات كانت تنشأ مع الشواني في الصناعة بالجزيرة (٢ : ٣٧٣) وفي قوانين الدواوين ان الشلندى مركب مسقف تقاتل الغزاة على ظهره وجدافون يجدفون تحتهم[4]

شموط

من اسماء المراكب في احسن التقاسيم (٣٢) .

---

١) صبح البلاغة ٣ : ٢٥١

٢) تاريخ الوزراء ١٩

٣) خزانة باريس ١٤٦٩ ص ٧٩

٤) طبعة القاهرة ١٩٤٣ ص ٢٤٠

شميليات

ذكرها عريب في صلة تاريخ الطبري قال : سنة ٣١٥ (٩٢٧ م) « وجه السلطان الى الفرات بطيارات وشميليات فيها جماعة من الناشبة (١٣٣) ولم نعثر لها على شاهد آخر .

شنبر

من اسماء القوارب وانواعها في الرحلة الطرابلسية للنابلسي (٢٥ — ٢٦).

شنكولية

من انواع المراكب في القرن الرابع للهجرة (احسن التقاسيم (٣١) وهو من الفارسية شنكول .

شاني وشانية وشيني وشينية

قال القاضي ابن شداد : « كان الافرنج في ستمائة قطعة ما بين شاني وطرادة وبطسة » وله ايضاً : « وصل في خمس وعشرين شانية مملوءة بالرجال والسلاح والعدد » وله كذلك « بلغت نيفاً وخمسين مركباً منها خمسة عشر شانياً فيها شاني الملك ... وكان اول شاني القى من فيه بالبر شانيه وكان احمر ورقيته حمراء وبيرقه احمر فما كانت الا ساعة حتى نزل كل من في الشواني الى الميناء »[1]

وعماد الدين الاصفهاني « اول ما ظفر الاسطول المنصور بشيني للفرنج عظيم الشان »[2]

وربما قيل ايضاً شونية وشونة قال عبد الباسط بن خليل الحنفي : « كنت لما ركبت البحر استأجرت من احد قلافطة الشونية التي ركبت بها مكاناً » وقال بتاريخ ٨٦٦ = ١٤٦٢ « ورد الى مينا الثغر الاسكندري المراكب التي يقال لها الطرايد وتعرف ايضاً بالقطايع للبنادقة وتعرف بالشواني ايضاً »[3] ولكن يؤخذ من كلام ابن مماتي على مراكب الاسطول ان الشينية غير الطريدة قال:

١) النوادر السلطانية ٣٨ و١٦٨ و٢٢٦

٢) الفتح القدسي ٢٢٥

٣) الروض الباسم ، خزانة الفاتيكان ٧٢٩ ص ٤٠ و ٣٨

« اما الشيني ويسمى الغراب ايضاً فانه يجذف بمائة واربعين مجدافاً وفيه المقاتلة والجدافون »[1] وكان يسع مائة وخمسين من المقاتلة كما يستدل من قول ابي شامة في كلامه على اسطول صقلية : « كان معهم مائتا شيني في كل شيني مائة وخمسون راجلاً »[2]

شيطية

من انواع المراكب في مصر كالقياسة والمعدية وردت في « النحلة النصرية في الرحلة المصرية » سنة ١١٣٢/١٧١٩ لمصطفى البكري الصديقي (مجلة الرسالة ١١ اكتوبر سنة ١٩٤٨ ص ١١٥١ .

صلفة

في معاجم اللغة ان الصلفة هي السفينة الكبيرة[3] وفي تاريخ الطبري « عرضت لنا في النهر صلفة فيها عشرة صنوج »[4] وفي موضع آخر : « ان الخبيث قد انفذ عدداً كبيراً من السميريات والزواريق والصلاغ مشحونة بالزنج »[5]

مضفّرة

في مناقب بغداد لابن الجوزي « كنت اسمع من المشايخ ان بدجلة خمسمائة مضفرة مزينة لا يركب فيها الا ظراف التجار والاجناد وارباب المقاطعات الرجل وغلامه والملاحون بالثياب الجميلة »(٢٧).

وفي كتب اللغة الضفير شط البحر فلا شك انها اخذت منه.

طبطاب

لم نعثر على هذا الاسم الا في حكاية ابي القاسم البغدادي في جملة انواع المراكب والسفن المعروفة قديماً في بغداد (١٠٧)

---

١) قوانين الدواوين ٢٤٠

٢) كتاب الروضتين ١ : ٢٢٤

٣) اللسان ١٠ : ٢٢٤ والتاج ٦ : ٢٢

٤) تاريخ الرسل والملوك ٤ : ١٩٥٥

٥) « « « ٦ : ١٥٧٩

طرادة

الطراد في اللغة سفينة صغيرة سريعة ووردت بهذا المعنى في نشوار المحاضرة للتنوخي (١ : ٢٠٦) وفي سيرة صلاح الدين لابن شداد بتاريخ ٥٦٩=١١٧٣ قال: « كان الافرنج في ستمائة قطعة ما بين شاني وطرادة وبطسة » (٣٨).

طريدة

ذكر ابن ابي شامة وصول اسطول صقلية الى الاسكندرية سنة ٥٦٩/١١٧٣ فقال: « استنزلوا خيولهم من الطرائد وراجلهم من المراكب فكانت الخيل الفاً وخمسمائة رأس وكانوا ثلاثين الف مقاتل ما بين فارس وراجل وكانت عدة الطرائد ستاً وثلاثين طريدة لحمل الخيل »[1] وفي سيرة الملك الظاهر لمحيي الدين ابن عبد الظاهر « المنفق في ايامه على الشواني والحراريق والطرائد والسلايير ونحوها مائة الف دينار »[2]

وعدّ ابن مماتي الطرائد من مراكب الاسطول فقال: « ولكل من هذه المراكب ضريبة لما يحتاج اليه من عمارة وقوّاد ورُماة وجذافين وزاد »[3] ونصّ ايضاً على ان الطريدة هي برسم حمل الخيل واكثر ما يحمل فيها اربعون فرساً[4].

ويؤخذ من كلام عبد الباسط بن خليل على الشواني الذي مرّ بنا ان الطرائد كانت في القرن التاسع للهجرة تعرف ايضاً بالشواني والقطائع[5]

طيرة

من اسماء المراكب المذكورة في احسن التقاسيم (٣٢).

طيار

يكثر ذكره في كتب الادب والاخبار وقد تقدم بعض شواهده وليحق شعراء يتيمة الدهر للثعالبي في الوزير المهلبي:

قل للوزير ادام الله دولته اذكرتنا أدمنا والخبز خشكار
اذ ليس بالباب بواب لدولتكم ولا حمار ولا بالشط طيار

١) كتاب الروضتين ١ : ٢٢٤
٢) خزانة بريتش موزيوم *add.* 23331 f° 20b
٣) قوانين الدواوين خزانة بريتش موزيوم *Or.* 3120 f° 14
٤) قوانين الدواوين ، طبعة القاهرة ص ٢٤٠
٥) الروض الباسم ٧٣٩ خزانة الفاتيكان ٣٨

وكان للخليفة المستكفي سنة ٣٣٣ – ٩٤٤ طيار يسمى الغزال[1]

وفي تكملة تاريخ الطبري الهمداني: « وراسل عضد الدولة الطائع لله بابي محمد ابن معروف حتى استعاده ودخل الى بغداد في حديدي جالس على سطحه وخرج عضد الدولة في طياره فتلقاه قريباً من قطيعة ام جعفر وصعد الحديدي وقبل البساط ويد الطائع لله »[2]

وقال ابن سعيد في حلى المغرب: « وكوتب محمد بن رائق من بغداد وجاءته رسل المتقي بالمسير فمنعه كاتبه محمد بن علي بن مقاتل وقال: لا تفعل فقال: ركوبي في الطيار في دجلة وصياح الملاحين احب الي من ملك الشام كله » (٢٩)

وقال الذهبي في تاريخ الاسلام بعد ان ذكر امر القاهر بالله بذبح مونس ويلبق وابنه وبعض امراء الاتراك سنة ٣٢١=٩٣٣م ثم احضر عيدى المتطبب من الموصل وامر ان لا يركب في طيار سوى الوزير والحاجب والقاضي وعيدى المتطبب»[3]

معاش

من اسماء القوارب في القرن الثامن عشر في الرحلة الطرابلسية للنابلسي (٢٥ – ٢٦).

المعبَّدة

السفينة المقيَّرة او المطلية بالشحم او الدهن او القار[4] قال بشر في سفينة ركبها « معبَّدة السقائف ذات بشر ».

معبر

المركب الذي يُعبر فيه[5] وهو في احسن التقاسيم (٣٢) وفي تاريخ الوزراء للهلال الصابئ زواريق المعابر وهي التي سماها الخطيب البغدادي« المعبرانيات ».

---

١) مروج الذهب، طبعة باريس ٨ : ٢٧٧

٢) خزانة باريس ١٦٦٩ ص ١٤٣

٣) حاشية على تجارب الامم، طبعة القاهرة ٥ : ٢٦٨

٤) تاج العروس ٢ : ٤١٣

٥) المخصص، لابن سيده ١٠ : ٢٦

عَدَوْلي

نسبة الى عدولى قرية بالبحرين[1] (Adoulis) وكانت قديماً سوقاً للرقيق وللعاج وهي في شعر طرفة :

كأن حدوج المالكية غدوة خلايا سفين بالنواصف من دَدِ
عدولية او من سفين ابن يامن يجور بها الملاح طوراً ويهتدي[2]

وللنابغة الذبياني :

له بحر يغشى العدولي وماتُلُج المحملة الثمال[3]

ولكثير :

كأن عدوليا زهاه حمولها غدت ترغي الدهنا بها والدهالك[4]

معدّية

والجمع معادي قال الخفاجي هي السفن الصغار التي يجتاز بها النهر ... قال الوارق وقد سكن روضة مصر :

منزلي في ذلك البرّ ومن ذا البر زادي
ولتفريطيَ ما ابقيـــتُ شيئاً للمعادي[5]

عَرَبة

في كتب اللغة العربات سفن رواكد كانت في دجلة[6] وفي شفاء الغليل : العربة بلغة اهل الجزيرة سفينة يعمل فيها رحى وسط الماء الجاري مثل دجلة يديرها شدة جريه[7]

---

١) معجم البلدان ، طبعة اروبة ٣ : ٦٢٢ وتاج العروس ١٣ : ٤٦٢ — ٤٦٣ .
٢) شرح المعلقات للزوزني ، مطبعة الحجر ٥٠ وفي التاج ابن نبتل بدلاً من ابن يامن.
٣) شعراء النصرانية ٤ : ٦٦٦
٤) معجم البلدان ٢ : ٦٢٢
٥) شفاء الغليل ٢١٩ — ٢٢٠
٦) التاج ١ : ٢٧٦ واللسان ١ : ٨١
٧) شفاء الغليل ١٥٦

عرداس

من اسماء المراكب المعروفة في القرن الرابع للهجرة (احسن التقاسيم ٣١).

عشاري

سماه عبد اللطيف البغدادي « العشيري » ووصفه وصفاً وافياً يحسن نقله هنا على طوله قال:

« واما سفن اهل مصر فكثيرة الاصناف والاشكال واغرب ما رأيت فيها مركب يسمونه العشيري شكله شكل شيارة داخلة الا انه اوسع منها بكثير واطول واحسن هنداماً وشكلاً وقد سُطح بالواح من خشب ثخينة محكمة وأخرج منها اغاريز كالرواشن نحو ذراعين وبني فوق هذا السطح بيت من خشب وعقد عليه قبة وفتح له طاقات وروازن وابواب الى البحر من سائر جهاته ثم نعمل في هذا البيت خزانة مفردة ومرحاض ثم يُزوّق باصناف الاصباغ ويذهب ويدهن باحسن دهان وهذا يتخذ الملوك والرؤساء بحيث يكون الرئيس جالساً في وسادته وخواصه حوله والغلمان والمماليك قيام بالمناطق والسيوف على تلك الرواشن واطمتهم وحوائجهم في قعر المركب والملاحون تحت السطح ايضاً وفي باقي المركب يقذفون به لا يعلمون شيئاً من احوال الركاب ولا الركاب تشتغل خواطرهم بهم بل كل فريق بمعزل عن الآخر ومشغول بما هو بصدده واذا اراد الرئيس الاختلاء بنفسه عن اصحابه دخل المخدع واذا اراد قضاء حاجته دخل المرحاض والملاحون يقذفون الى ورائهم فهم في قذفهم يشبهون الجالين في مشيهم القهقرى ويشيرون في تحريكهم السفن من يجذب ثقلاً بين يديه ويمشي به الى خلفه واما ملاحو العراق فهم بمنزلة من يدفع الثقل نحو امامه ويدسر به فسفنهم تتوجه حيث الملاح يتجه واما سفن مصر فهي تتحرك الى ضد الجهة التي اليها الملاح متوجه »[1]

وكانت العشاريات من اجمل المراكب بمصر واتقنها بناء وافخرها كسوة وحليا وسماها ابن الطوير مرة العشاريات الدياميس مفردها دعاس لا شك لانها كانت مغطاة وكانت في الخلافة الفاطمية على ضربين الاول العشاريات اللطاف وقد تقدم انها كانت تدعى ايضاً المسماريات منها برسم ولاة الاعمال المميزة تقيم مع احدهم مدة مقامه فاذا صُرف عاد في العشاري وخرج المتولي الجديد في العشاري المرسي بالصناعة ولا يخرج الا بتوقيع باطلاقه والانفاق فيه والمشارفين بالاعمال عشاريات دون هذه[2] والضرب الثاني العشاريات الخواص الكبار وربما

---

١) الافادة والاعتبار ٦٠ – ٦١

٢) الخطط ٣ : ٢٧٣

قيل « الموكبية » لا تخرج عن خاص الخليفة في ايام النيل وتحوله الى اللؤلؤة للفرجة[1] وهي سبعة : الذهبي والفضي والاحمر والاصفر والاخضر واللازوردي والصقلي وكان قد انشأه نجار من رؤساء الصناعة صقلي وزاد فيه زيادة حسنة على الانشاء المعتاد فنسب اليه[2].

وكان الوزراء يتقربون من قلوب الخلفاء بالمبالغة في الانفاق على المشاريات الخواص وتزيينها بالستور الديبقي الملونة وتطويق اعناقها باهلة الذهب والفضة والخرز الازرق[3] وكان للمشاري الذهبي بيت يحفظ فيه الى يوم الركوب وهو « بيت مثمن من عاج وآبنوس عرض كل جزء ثلاثة اذرع وطوله قامة رجل تام فيجمع بين الاجزاء الثمانية فيصير بيتاً دوره اربعة وعشرون ذراعاً وعليه قبة من خشب محكم الصناعة وهو بقبته ملبس بصفائح الفضة والذهب »[4]

ومما نقله المقريزي عن كتاب الذخائر « ان مما أخرج من القصر سنة ٤٦١ (٩ — ١٠٦٨ م) قبة المشاري وقاربه وكسوة رخله وهو مما استعمله الوزير احمد بن علي الجرجرائي في سنة ٤٣٦ (١٠٤٤ م) وكان فيه مائة الف وسبعة وستون الفاً وسبعمائة درهم فضة نقرة وان المطلق لصناع الصاغة من اجرة ذلك وفي ثمن ذهب لطلائه خاصة الفان وسبعمائة دينار وعمل ابو سهل التتري لوالدة المستنصر عشارياً يعرف بالفضي وحلى رواقه بفضة تقديرها مائة الف وثلاثون الف درهم ولزم ذلك اجرة الصناعة ولطلاء بعضه الفان واربعمائة دينار واستعمل كسوة برسمه بمال جليل وأنفق على المشاريات التي برسم النزه البحرية التي عدتها ستة وثلاثون عشارياً بالتقدير بجميع آلاتها وكساها وحلاها من مناطق ورؤوس منجوقات واهلة وصفريات وغير ذلك اربعمائة الف دينار »[5].

وقد تفردت مصر في الخلافة الفاطمية بمثل هذه النفقات الطائلة ولم ينقل عن مراكب الخلفاء العباسيين فيما نعلم ما يضاهيها او يقاربها .

---

١) الخطط ٣ : ٢٦٦

٢) الفيض المديد في اخبار النيل السعيد ، مكتبة الاسكندرية ٢٥٩١ — د

٣) صبح الاعشى ٣ : ٥٢٠ — ٥٢١

٤) الخطط ٢ : ٢٦٢

٥) الخطط ٣ : ٢٦١ — ٢٦٢

وكان المشاري في ايام القلقشندي يسمى حراقة[1] ويظهر ان لفظة Usciare الايطالية في ايام الصليبيين مأخوذة منه ولعله سمي كذلك لانه كان اول بنائه كان طوله عشرة اذرع .

عقبة

قال الجبرتي بلفظه: « شرعوا في عمل المراكب التي تسمى العقبة لخصوص ركوب الباشا فيها وهي عبارة عن مركب كبير فشاشي ياخذونها من ارنابها قهراً وينقشونها بانواع الاصباغ والالوان ويركبوا عليهـا مقعد مصنوع من الخشب المصنع وله شبابيك وطيقان من الخرط وعليه بيارق ملونة وشراريب مزينة وهو مصفح بالنحاس الاصفر مزين بانواع الزينة والستاير»[2] .

وفي الرحل الاروبية الآتية وصف ثان للعقبة :

Thevenot I. 465. Monconys 282. Stochove 424.

العكيري

« شبه الغراب الا انه اوسع منه وفيه ستون مجذافاً ويستقف حين القتال حتى لا ينال الجذافين شيء من السهم ولا الحجارة»[3]

الملابيات

في كتاب سيرة احمد بن طولون البلوي « اتخذ ابن طولون مائة مركب عربية كبار او مائة مركب حربية سوى ما انضاف اليها من الملابيات والحمائم والمشاريات (٨٧) وفيه ايضاً « اخرج مؤنس الخادم في البحر مراكب حربية والملابيات والمشاريات (١٠٢) وذكر مثل ذلك المقريزي فقال : « امر احمد ابن طولون ببناء الحصن على الجزيرة واتخذ مائة مركب حربية سوى ما يضاف اليها من الملابيات والحمائم والمشاريات والسنابيك وقوارب الخدمة »[4].

ولعلها دعيت كذلك لدخول الملابي في بنائها وهو الرصاص كما قيـل الحديدي والمسماري.

١) صبح الاعشى ٣ : ٥١٧

٢) عجائب الآثار ٣ : ٣٢٦

٣) رحلة ابن بطوطة ٢ : ١٤

٤) الخطط ٢ : ١٨٠

اعوادي

اسم مركب من مراكب الاسطول ذكره ابن مماتي في قوانين الدواوين وفي المتن المطبوع اعزاري (ص ٣٤٠ — ٣٤١) والصحيح اعوادي كما في نسخة باريس .

غراب

نوع من السفن مشهور في اشعار المحدثين قال ابن الساعاتي :

وركبت بحر الروم وهو كحلية والموج تحسبه جياداً تركض
كم من غراب لقصبة اسود فيه يطير به جناح ابيض(١)

وقال ابن ابي حجلة :

غربانها سود وبيض قلوعها يصفر منهن العدو الازرق(٢)

ولشهاب الدين العمري في وصف السفن « قد اتخذت سماء البحر ميداناً وحطت على موجة البحر غرباناً »(٣) وكان يقال في وصية بطريرك النصارى الملكيين « ليجتنب البحر واياه من اقتحامه فانه يغرق او تلقي ما يلقيه اليه جناح غراب فانه بالبين ينعق »(٤) وفي ذيل ابن قاضي شهبة في حوادث سنة ٧٦٧ — ١٣٦٦ « ارسل صاحب قبرس الى العلايا اثنين وعشرين غراباً ونجدهم ابن قرمان فكسروهم وكسروا بعض غربانهم وعلقوهم بالاسوار ورجع بقية الغربان الى قبرس في اسوإ حال »(٥).

١) ديوانه ١ : ١٥٥

٢) شفاء الغليل ١٦٣

٣) التعريف بالمصطلح الشريف ٢٣٦

٤) التعريف بالمصطلح الشريف ١٦٥ وقد جهل مؤلف كتاب سورية في عهد المماليك ان الغراب من اسماء السفن ولم يدرك حقيقة هذه التورية فترجمها على ظاهرها وعد الغراب من حمام الزاجل فقال بلفظه وغروره :

« Qu'ils n'accueillent point ce qui leur apporterait l'aide d'un corbeau car son croassement annoncera la séparation (allusion à la poste aux pigeons d'une part et au vieux cliché classique de la poésie antéislamique sur le corbeau de la séparation.)

(Cai defhoy-Demombynes : *La Syrie à l'époque des Mamelouks.* Paris, 1923. p. 169, note)

٥) خزانة باريس ١٥٩٨ ص ١٧٨

وفي سنة ١٠٥٣ = ١٦٤٤ « وقعت كائنة شنيعة بثغر الاسكندرية وهي ان قبدانا غمر غراباً واراد ان ينزله في البحر فجمع الواقف على عمارته اليُسرى (كذا) النصارى التي بالاغربة لاجل تنزيل الغراب وكانوا ستمائة نصراني وأطلقوا من القطائن (السلاسل) فانفرد منهم مائة وخمسون وكسروا باب الترسخانة واخذوا السلاح الذي بها وانفرد بقية النصارى ودخلوا البلد والناس في صلاة الجمعة وكسروا الدكاكين التي للباعة واخذوا جميع ما فيها من البضائع ثم انهم نزلوا غراباً من الاغربة التي بالثغر وذهبوا به على حمية»[1].

وكان اسم الغراب لا يزال في القرن السابع عشر يطلق على نوع من المراكب المعروفة في طرابلس.

غلياطة

من اسماء المراكب في طرابلس كما في رحلة النابلسي (٢٥ — ٢٦) وهي تعريب galiote.

غليون

مركب شراعي (galion) ولصلاح الدين الكوراني الحلبي المتوفى سنة ١٠٤٩ = ١٦٣٩ في آلة التبغ ولا يخفى ما فيه من التورية :

لو لم تكن ايدي المكارم لجة ما كان في اطرافها الغليون[2]

وفي بدائع الزهور لابن اياس « سنة ٩١٨ (١٥١٢ م) احضر السلطان المركب الكبير الغليون الذي غمره وصرف عليه نحواً من عشرين الف دينار فارسوا به قبالة المقياس »[3]

فستراوي

كذا ورد هذا الاسم بالفاء في جواب زكي الدين الحسين بتاريخ ٧٦٢ =

---

١) الروضة الزهية في ولاة مصر والقاهرة المعزية ٢٣٦ خزانة الفاتيكان ص ٨٤

٢) خلاصة الاثر للمحبي ٢ : ٢٥٥ — ٢٥٦

٣) طبعة استانبول ٤ : ٢٧٦

١٣٦١ بين اسماء مراكب مصر[1] واله نسبة الى تنتره بحيرة بالقرب من البرلس في مصر .

فلوة

قال المقريزي بتاريخ سنة ٧٠٧ = ١٣٠٧ رسم الكل من الامراء المقدمين بعمارة مركب يقال له جلبة وعمارة قياسة لطيفة لها فلوة برسم حمل الازواد وغيرها وتسفير ذلك الى الطور على الظهر ليرمى في بحر القلزم وبلاد اليمن واشترك كل امير مقدم ومضافيه في عمل جلبة وفلوة وندب لعملها الامير عزالدين ايبك الشجاعي الاشقر شاد الدواوين»[2]

فلوكة

لم نجدها في نص قديم ويشبه ان تكون من الرومية φελοῦκα ولا يبعد ان يكون الاصل فُلَيْكة بالتصغير والفلك للسفينة يؤنث ويصغر ومنها اخذت اللفظة الفرنسية felouque والاسبانية faluca ولا تزال هذه الكلمة معروفة شائعة اوردها النابلسي في رحلته الطرابلسية .

قادس

هي السفينة العظيمة وقيل صنف من اصناف المراكب[3] وهي من الرومية κάδος

قارب

قال الزمخشري : « ركبت في القارب الى الفلك وهي سفينة صغيرة تكون مع الملاحين تستخف لحوائجهم وسمعت انهم يسمونه السنبوك »[4] ويظهر انها مأخوذة من الرومية κάραβος

---

١) الخطط طبعة بولاق ١ : ٢٧٠

٢) السلوك ٧٠٩ خزانة باريس ٥

٣) تاج العروس ٦ : ٣١٣

٤) اساس البلاغة طبعة الدار ٢ : ٢٤٠

قايق

لفظة تركية تعرف الى اليوم وهي في جملة اسماء المراكب في الرحلة الطرابلسية .

قرامرسل

كذا رُويت في الرحلة الطرابلسية بين انواع السفن وقرا بالتركية بمعنى الاسود .

قُرقور

وردت في الشعر قديماً قال الراجز :

قرقور ساجٍ ساجه معلي بالقير والضبّات زهري (١)

وقال عمرو بن الاهتم :

كأنها بعد ما مال الشريف بها قرقور اعجم في ذي لجة جار (٢)

وقيل في قصر عيسى بن جعفر ببغداد :

ترى قراقيره والعيس واقفة والضب والنون والملاح والحادي (٣)

وللاخطل :

ولكن لنا برّ العراق وبحره وحيث ترى القرقور في الماء يسبح (٤)

وفي تاريخ الوزراء « ان الزمان كان يرد دجلة في قراقير ذُرعت عشرة قراقير منها فكانت سعتها ما بين عشرين ذراعاً والى ستة عشر ذراعاً »(٥)

وفي اخبار سنة ٧٦٧=١٣٦٥/٦ « وصل الفرنج الى ثغر الاسكندرية في سبعين قطعة ما بين قرقور وغراب وشيني وطريدة واسطول وبطسة وسارورة وغير ذلك »(٦)

---

١) المعرب للجواليقي ١٢٢

٢) معجم البلدان ٣ : ٢٨٥

٣) معجم البلدان ٤ : ١١٨

٤) الاغاني طبعة الدار ٨ : ٢١٦

٥) تحفة الامراء في تاريخ الوزراء ، للصابي ٢٥٧

٦) تذكرة النبيه لابن حبيب ، خزانة بريتش موزيوم *Add. 7335 f° 218*

وذكر المقريزي في جملة ما كان يعمل يوم فتح الخليج انه « يكون في البحر في ذلك اليوم الف قرقورة مشحونة بالغلال »[1]

واللفظة من الرومية [illegible] ومنها الفرنسية caraque

القطيرة

من اسماء المراكب في سواحل بحر اليمن[2]

قليون

وردت غير مرة في تاريخ الجبرتي قال : « سنة ١٢٠٢ حضر قليونان روميان الى بحر النيل ببولاق يشتمل احدهما على احد وعشرين مدفعاً والثاني اقل منه »[3] والظاهر ان القليون عنده هو الغليون .

قوف

عند الملاحين مركب صغير وصاحبه قواف[4] .

الكار

في المخصص لابن سيده : « الكار سفن منحدرة فيها طعام في موضع واحد (١٠ : ٢٩) وقد ورد ذكرها في حكاية ابي القاسم البغدادي وروى ابياتاً لطافاً تذوب رقةً وحنيناً بلسان ابي عبدالله وهو سكران يرنّق في عينيه النعاس قال : « اذا بالكار يُصعد الى بغداد فلحظه على تلك الحال وانشأ يقول :

يا سُفنَ بغداد روحي جدّ عالمة ... بان قلبي فيك اليوم قد راحا
يا سفن ما ضرّ فيك الصيدين وقد ... مدّوك لو جعلوني فيك ملّاحا
تحدوك من نَفَسي ريح مصاعدة ... مع الجنائب إمساء وإصباحا
وتشهدين دمعي كي يُقلّك إن ... جنحت (٥ حين يكون الماء ضحضاحا

---

١) الخطط ، مطبعة النيل ٢ : ٢٦٢
٢) مجلة المجمع العربي بدمشق ١٦ : ٥٠٤
٣) عجائب الآثار (٢ : ١٧٥)
٤) محيط المحيط ٢ : ١٧٧٥
٥) يقال جنحت السفينة اذا انتهت الى الماء القليل فارتفت بالارض ولم تمض (التاج ٢ : ١٢٤) .

يا سفن دعوة صبّ حنّ حين رأى ضج الطريق الى الاحباب وارتاحا
يا سفن قولي لمن شطّ المزار بنا عنهم فشتّت شمل القرن واجتاحا
انا الغريب الذي يبكي الحمام له اذا بكى وينوح الطير اذ ناحا (١

ومنها ايضاً : « هو يصلح الكار ويدخل فيه الشك ويركب فيه المجذاف وتحته (ليد ؟) زريّ خلق وفوقه بارية مربدّة يستظل بها على القرقور (ص١٠٧)

وفي ديوان ابن الحجاج من مخطوطات اندرة « كان ابن مروان احد روساء الاكراد ينهب السفن رغم انها كانت تسير قوافل تسمى الواحدة منها بالكار (رقم ١٥٩١) وجاء ذكر الكار غير مرة في كتاب الفرج بعد الشدة للتنوخي قال الحاكي : « كنت في وسط الكار . . . واذا بسفينة فيها رئيسهم قد طرح على زنبريتي كما كان يطرح على سفن التجار ليشرف على ما يؤخذ منها فحين رآني منع اصحابه من انتهاب شيء من زنبريتي » (١ : ١٠٧ — ١٠٨).

كاراوانية

ذكرها صاحب احسن التقاسيم في جملة اسماء المراكب في زمانه دون اقل وصف لها (ص ٣١).

ككّة

اختلف الرواة في ضبط هذه اللفظة فوردت في نهاية الارب « كبكة » بالباء بعد الكاف (٩ : ٣١ — ٣٢) وفي خطط المقريزي « لكة » بلام اولى وكاف ثانية (١ : ٣٧) والصواب كما اثبتناها بكافين الثانية مشددة ويؤيد ذلك ما جاء في بدائع البدائه لابن ظافر قال :

للاديب الفقة المعروف بالمقشراني :

يا سابحاً في بُركك وصائداً في شبكك
لا تغترنّ ككّتي فككّتي ككُككك

قال والككة مركب من مراكب صعيد مصر ليس فيها مسمار (ص١٢٣).

وفي جواهر العقود من مخطوطات دار الكتب المصرية (رقم ١١٣٩ فقه شافعي) وصف لهذا المركب قال : « الككة سفينة عريضة السفل والعلو

١) حكاية ابي القاسم للازدي ٨٩ — ٩٠ ، وقد اصلحنا فيها بعض غلطات الطبع.

مقدمها ومؤخرها حادّان ذات طبقات الطبقة السفلى منها للحديد والاثقال والثانية للحريم والجواري والرقيق والعليا للرجال ويشتمل علوها على صارٍ او اثنين وعلى مرساة او اثنين وصهريج برسم الماء الحلو »[1].

وذكر مرارًا «البكبك» بباء مقحمة بين كافين في قوانين الدواوين المطبوع.

ككم

من مراكب الصين الصغار كما تقدم من كلام ابن بطوطة في تعريف الجنك.

الكندوريات

وردت في جملة اسماء المراكب التي ذكرها الازدي في حكاية ابي القاسم البغدادي (١٠٧) ولسنا على ثقة من لفظها المطبوع هل هو كندوريات ام كندوريات ولم نعثر عليها في كتاب آخر.

ماعونة

من انواع المراكب في الرحلة الطرابلسية لعبد الغني النابلسي ومنها أُخذت اللفظتان الفرنسية mahone والايطالية maona وهي معروفة اليوم.

مالست

وردت هذه اللفظة بين اسماء السفن التي عدها الازدي في حكاية ابي القاسم البغدادي (١٠٧) ولم نقف عليها في رواية اخرى.

مرمّة

يظهر انها من اصل ايطالي maremma وهي اسم ناحية في ايطالية أُطلق على نوع من المراكب كانت تقام عليه الابراج للزحف والقتال ذكره ابن الاثير في اخبار سنة ٦١٥/١٢١٨ لما نزل الفرنج على بر الجيزة وقال « فعملوا آلات ومرمات وابراجاً يزحفون بها في المراكب»[2] وقال في موضع آخر « وصل مركب كبير للفرنج من اعظم المراكب يسمى مرمة وحوله عدة حراقات تحميه

---

١) غاية الارب للنويري ٩ : ٢١ – ٢٢ حاشية ٣

٢) الكامل ، طبعة سنة ١٣٠١

والجميع مملوء من الميرة والسلاح وما يحتاجون اليه فوقع عليها شواني المسلمين وقاتلوهم فظفروا بالمرمة وبما معها من الحراقات واخذوها »[1]

ووصف المقريزي احدى هذه المرمات فقال سنة ٦١٥ « اخذ الفرنج في محاربة اهل دمياط وعملوا آلات ومرمات وابراجاً يزحفون بها في المراكب الى برج السلسلة ليملكوه .. فارسل الله سبحانه ريحاً قطعت مراسي مرمة كانت للفرنج من عجائب الدنيا فمرت تلك المرمة الى البر الذي فيه المسلمون فملكوها فاذا هي مصفحة بالحديد لا تعمل فيها النار ومساحتها خمسمائة ذراع وفيها من المسامير ما زنة الواحد منها خمسة وعشرون رطلاً[2] ».

« وفي سنة ٦٤٧/١٢٤٩ احترقت للفرنج مرمة عظيمة في البحر »[3].

وفي كتاب سير بطاركة الاسكندرية وصف كاف لبناء هذه المرمات[4].

مكيّة

عدها البشاري المقدسي في جملة مرادفات السفن في القرن الرابع للهجرة (احسن التقاسيم ٣٢).

ملقوطة

وردت هذه التسمية في كتاب احسن التقاسيم (٣١).

منورت

قال ابن بطوطة : « ركبنا في قندهار في مركب لابرهيم الناخوذة يسمى الجاكر ... وجعلنا باقي الهدية مع خيل اصحابنا في مركب لاخي المذكور يسمى منورت »[5].

---

١) الكامل لابن الاثير ١٢ : ١٥١ والخطط ١ : ٢١٨

٢) السلوك في تاريخ الدول والملوك ١ : ١٨٩ والخطط ١ : ٢١٦

٣) السلوك ١ : ٢٤٨

٤) Histoire des Patriarches d'Alexandrie trad. Blochet. *Revue de l'Orient latin* 1907, p. 243.

٥) رحلته ، مطبعة النيل ٢ : ١٠٤

ناشطيات

قال ابو علي الصوفي : « بلغ المهلبي مبلغه (من الوزارة) فدخلت البصرة واجتزت بسر من رأى واذا انا بناشطيات وحراقات وزبازب وطيارات في عدة وعدد فسألت لمن هذا فقيل للوزير المهلبي »[1] .

نقلية

وردت في الرحلة الطرابلسية .

نقيرة

هي سفينة صغيرة تنحت من سوق الشجر ذكرها البيروني في كلامه على مبايعة من يجيء الى المراكب من اهل الجزائر[2] وعدّت ايضاً بين اسماء المراكب الشرين في الرحلة الطرابلسية وكانت معروفة في مصر في القرن الثالث عشر قال الجبرتي : رأوا عدة مراكب ونقاير وصلت الى قرب ساحل بولاق[3] .

هرهور

ضرب من السفن ذكر في المخصص لابن سيده (١٠ : ٢٦) .

الهوري

من اصغر سفن سواحل بحر اليمن[4]

ورحية

نقلت كذا في عداد اصناف المراكب التي نقلها الازدي في حكاية ابي القاسم (١٠٧) .

واسطية

من مرادفات اسماء السفن في احسن التقاسيم (٣١) وتدل تسميتها على عراقيتها ولا شك انها اول ما اتخذ نوعها في مدينة واسط .

---

١) العقد الفريد لابن عبد ربه ١ : ١٦٠ وجمع الجواهر في الملح والنوادر للحصري ٢٧٦

٢) كتاب الجماهير ٣٦٠

٣) عجائب الآثار ٣ : ١٢٢

٤) . . . .

وجية

وردت كذلك في احسن التقاسيم (٣٢).

القرب المنفوخة والاخشاب المشدودة لركوب الماء

الرمث

« خشب يُشد بعضه الى بعض كالطوف ثم يركب عليه في البحر قال ابو صخر الهذلي :

تنبت من حي عُلَيْبة انا على رمث في الشرم ليس لنا وفر

الشرم موضع في البحر والجمع ارماث »[1]

الشنان

« حدث ايوب المعلم قال : لما انهزمنا من مسكن ركبت شناناً من قصب فاذا الحسن على شاطئ دجلة فادنيت الشنان فحملته معي قال الحربي هو كهيئة الطوف . كلمة فارسية وهو خشب يُشدّ بعضه الى بعض ويركب »[2].

الطوف

« قرب ينفخ فيها ويشد بعضها الى بعض فتجعل كهيئة السطح يركب عليها الماء ويحمل عليها الميرة والناس ويعبر عليها وهو الرمث وربما كان من خشب والجمع اطواف »[3] وفي اللسان « قال ابو منصور الطوف التي يعبر عليها في الانهار الكبار تسوى من القصب والميدان يشد بعضها فوق بعض ثم تقمط بالقمط حتى يؤمن انحلالها ثم تركب ويعبر عليها وربما حمل عليها الجمل على قدر قوته وثخانته »[4].

---

١) لسان العرب ٣ : ٤٦٠ – ٤٦١

٢) شفاء الغليل ٢١٠

٣) تاج العروس ٦ : ١٨٤

٤) اللسان ١١ : ١٢١

العامة

« المعبر الصغير يكون في الانهار جمعه عامات . وفي المحكم : العامة هنة تتخذ من اغصان الشجر ونحوه يعبر عليه النهر وهي تموج فوق الماء والجمع عام وعوم »[1] وربما قيل عامّة بالتشديد وعمامة والجمع عمائم كما في المخصص (١٠ : ٢٦) .

الكلك

مركب معروف عند العراقيين كالطوف من الفارسية وفي المنتظم لابن الجوزي :

« سنة ٥٥٢ (١١٥٧ م) خرج عسكر الخليفة في السفن ... وجاءتهم سفن من واسط فاقامت في المدائن ووصل لهم من الموصل كلك عليه دقيق وسكر وعسل ونعل الخيل وغير ذلك. فاخذه اصحاب الخليفة »(١٠ : ١٦٩ — ١٧٠). « سنة ٥٦٩ (١١٧٣ م) جاءت في هذه الايام اكلاك من الموصل فتاهت في الماء حتى بيع ما عليها بيعقوبا بثمن طفيف »(١٠ : ٢٤٧).

---

١) لسان العرب ٨ : ١٢؛ وتاج العروس ١٥ : ٢٢٧ — ٢٢٨

التربية عند ابن خلدون*

بقلم جمال المحاسب
استاذ الفلسفة بدار المعلمين (دمشق)

الباب الاول

علوم يستفيد منها المربي

لخصص الباب الاول للعلوم الوضعية التي يستند اليها المربي ويستفيد منها في إطلاق أحكامه التربوية ، وتستمدُّ ترتيب البحث من المبادئ المنطقية الحديثة . وبهذه الصورة تجمع آراء ابن خلدون المتشتتة بالترتيب الآتي:

١ – بيولوجية التربية
٢ – بسيكولوجية التربية
٣ – سوسيولوجية التربية

* خلاصة الاطروحة التي اجتاز بها المؤلف شهادة الادب المدرسي من معهد الآداب الشرقية في جامعة القديس يوسف .

الفصل الاول

بيولوجية التربية

Biologie d'éducation

١ – العقل والدماغ

لا يقبل ابن خلدون التعليل البيولوجي لعلاقة « العقل بالدماغ » . وهو يحمل على المسعودي لقوله خفة السودان وطيشهم بضعف أدمغتهم . فيقول : « وقد تعرض المسعودي للبحث عن السبب في خفة السودان وطيشهم وكثرة الطرب فيهم ، وحاول تعليله فلم يأت بشيء أكثر من أنه نقل عن جالينوس ويعقوب بن اسحاق الكندي ، ان ذلك لضعف أدمغتهم وما نشأ عنه من ضعف عقولهم . وهذا كلام لا محصل له ولا برهان فيه . – مقدمة ص٨٧ »

فابن خلدون لا يفهم « لضعف الدماغ » معنى . فهل هو كما يقول العلم الحديث نقص في وزنه او فساد في بعض مراكزه أو نقص في فاعلية بعض خلاياه أو فساد في تركيبها وبنيتها ؟ – إن هذه الأدلة الوضعية لم تكن موجودة في عصر ابن خلدون – فاصطلاح « ضعف الدماغ » بالنسبة إليه اصطلاح ميتافيزيائي ليس له برهان وضعي . فرفضه ولجأ إلى التعليل الفيزيائي .

فقد لاحظ بالاستقراء صفات الأقاليم السبعة من خط الاستواء إلى القطب الشمالي . فرأى أن العقل ينمو في الأقاليم المعتدلة ويضعف في الأقاليم المتطرفة . فبحث عن سبب اختلاف الأقاليم . فاختلاف الحرارة سبب اختلاف العقول . وخلاصة نتيجته : « أن اعتدال الحرارة يؤدي إلى نمو العقل وشدتها أو ضعفها يؤديان إلى خلل العقل » .

هذه هي النتيجة . وهي ذات قيمة لو أن ابن خلدون وقف عند حد التجربة أي عند حد التعليل الوضعي الذي أراده . ولكنه لم يقف بل تجاوزه . أراد أن ينجو من التعليل الميتافيزيائي فوقع في تعليل أكثر ميتافيزيائية من تعليل المسعودي وجالينوس والكندي . ولو سمحنا لأنفسنا أن نقسم بحثه في تأثير

الحرارة إلى نصفين لقلنا إن النصف الأول خص به تأثير الحرارة على الجسم ، والنصف الثاني خص به تأثير الجسم على النفس .

ففي النصف الأول استند إلى التجربة ولم يخرج عنها . ولكنه في النصف الثاني استعمل اصطلاحات ميتافيزيائية أفسدت عليه التعليل التجريبي :

يقول ابن خلدون: « قد رأينا من خلق السودان على العموم الخفة والطيش وكثرة الطرب ، فتجدهم مولعين بالرقص على كل توقيع موصوفين بالحمق في كل قطر . والسبب الصحيح في ذلك :

١) أن طبيعة الفرح والسرور هي انتشار الروح الحيواني وتفشيه . وطبيعة الحزن بالعكس وهو انقباضه وتكاثفه . وقد تقرر أن الحرارة مفشية للهواء والبخار مخلخلة له زائدة في كميته. ولهذا يجد المنتشي من الفرح والسرور ما لا يعبر عنه . وذلك بما يداخل بخار الروح في القلب من الحرارة الغريزية التي تبعثها سورة الخمر في الروح من مزاجه فيتفشى الروح وتجيء طبيعة الفرح .

٢) نجد المتنعمين بالحمامات إذا تنفسوا في هوائها واتصلت حرارة الهواء في أرواحهم فتسخنت لذلك حدث لهم فرح وربما انبعث الكثير منهم بالغناء الناشئ عن السرور .

٣) لما كان السودان ساكنين في الإقليم الحار واستولى الحر على أمزجتهم وفي أصل تكوينهم كان في أرواحهم من الحرارة على نسبة أبدانهم وإقليمهم فتكون أرواحهم بالقياس إلى أرواح أهل الاقليم الرابع أشد حرًا فتكون أكثر تفشيًا فتكون أسرع فرحًا وسرورًا وأكثر انبساطًا ويجيء الطيش على أثر هذه .

٤) وكذلك يلحق بهم قليلًا أهل البلاد البحرية . لمّا كان هواؤها متضاعف الحرارة بما ينعكس عليه من أضواء بسيط البحر وأشعته كانت حصتهم من توابع الحرارة في الفرح موجودة أكثر من بلاد التلول والجبال الباردة . واعتبر ذلك أيضًا بأهل مصر فانها مثل عرض البلاد الجزيرية أو قريبًا منها كيف غلب الفرح عليهم والخفة والغفلة عن العواقب . . . ولما كانت فاس من بلاد المغرب بالعكس منها في التوغل في البلاد الباردة كيف ترى أهلها مطرقين إطراق الحزن وكيف أفرطوا في نظر العواقب .

– فالاستقراء ظاهر في تفكير ابن خلدون باتباعه أربع ملاحظات في تأثير الحرارة على الدماغ . لكن تعليله الفيزيولوجي لتأثير الدماغ على العقل لا يخضع لهذه الملاحظات الأربع. فكيف تتصل حرارة الهواء بالروح؟ وهل في الروح مادة كيمائية حتى يكون لها بخار فيتعامل بخاره مع بخار الهواء المتخلخل بالحرارة ؟؟

هذه الاسئلة ليس لها أجوبة عند ابن خلدون . ولعل الذي حدا به إلى استعمال « بخار الروح » و« حرارة الروح » و« تفشي الروح » اعتقاد ميتافيزيائي كان منتشراً في الفلسفة الإسلامية والفلسفة القديمة يعبر عنه ابن خلدون بقوله : « إن النفس ذاتٌ روحانية موجودة بالقوة إلى الفعل بالبدن وأحواله . وهذا أمر مدرك لكل أحد . وكل ما بالقوة فله مادة وصورة . وصورة هذه النفس التي بها يتم وجودها هو عين الإدراك والتعقل فهي توجد أولاً بالقوة مستعدة للادراك وقبول الصور الكلية والجزئية ثم يتم نشوؤها ووجودها بالفعل بصاحبة البدن – مقدمة ص ١٠٦ ».

ويمكن أن يؤخذ ايضاً على ابن خلدون نقصٌ آخر في الإحاطة . فهو حين يتحدث عن عدم التبصر في العواقب ينسب هذا الطيش إلى الحرارة فقط كسبب بسيط . فيقول مثلاً : « اعتبر ذلك بأهل مصر كيف غلب الفرح عليهم والخفة والغفلة عن العواقب حتى أنهم لا يدخرون أقوات سنتهم ولا شهرهم وعامة مأكلهم من أسواقهم ولما كانت فاس من بلاد المغرب بالعكس منها في التوغل في التلول الباردة كيف ترى أهلها مطرقين إطراق الحزن وكيف افرطوا في نظر العواقب حتى ان الرجل منهم ليدخر قوت سنين من حبوب الحنطة ويباكر الأسواق لشراء قوته ليومه مخافة ان يُوزأ شيئاً من مدّخره – مقدمة ص ٨٦–٨٧ » .

فالطيش والتبصر يرجعان الى سبب معقّد مركب ذكر ابن خلدون ناحيةً منه دون ان يدري . ونسيه بالنيابة عنه « بالعامل الجغرافي » . إن البلاد التي تكثر فيها الثلوج يخشى اهلها فقدان المواصلات فيُعنون بالمؤونة السنوية ويهيئون أنفسهم دوماً للحصار الاقتصادي . وبهذا المعنى يكون الانسان ابن بيئته الجغرافية . ولا نعلم كيف اكتفى ابن خلدون هذه المرة بذكر السبب

البسيط اي الحرارة كعامل فيزيائي مع انه يهتم كثيراً في دراساته الأخرى بالعامل الجغرافي كسبب معقد مركب .

٣ – الذكاء والغذاء

يرجع ابن خلدون هنا إلى التعليل البيولوجي فبعد أن يقرر أن الأقاليم المعتدلة هي الأقاليم التي يسكنها ذوو العقول الراجحة إجمالاً ، بعد أن يقرر ذلك يعنى في تفريق درجة هذه العقول . فيتوصل إلى سبب هام بنظره هو كثرة الغذاء وقلته . فكثرته تسبب البلادة وقلته تسبب الذكاء والنشاط الفكري ، وهو يستخرج نتيجته كما هي عادته من استقراء أمثلة كثيرة :

١ – « إعلم أن هذه الاقاليم المعتدلة ليس كلها يوجد بها الخصب ولا كل سكانها في رغد من العيش بل فيها ما يوجد لأهله خصب العيش من الحبوب والأدم والحنطة والفواكه ، وفيها الأرض الحرّة التي لا تنبت زرعاً ولا عشباً بالجملة فسكانها في شظف من العيش مثل أهل الحجاز وجنوب اليمن والغرب الجائلين في القفار وسكان صحراء المغرب ... فإنهم وإن كانوا يأخذون الحبوب والأدم من التلول إلّا أن ذلك في الأحايين وتحت ربقة من حاميتها وعلى الإقلال ... وتجدهم يقتصرون في غالب أحوالهم على الألبان وتعوّضهم من الحنطة أحسن معاش ... وتجد مع ذلك هؤلاء القاتدين للحبوب والأدم من أهل القفار أحسن حالاً في جسومهم وأخلاقهم من أهل التلول المتنعمين في العيش ، فألوانهم أصفى وأبدانهم أنقى وأشكالهم أتم وأحسن ، وأخلاقهم أبعد من الانحراف ، وأذهانهم أثقب في المعارف والإدراكات . هذا أمر تشهد له التجربة في كل جيل » .

والسبب في ذلك كما يرى ابن خلدون هو أن كثرة الأغذية وكثرة الأخلاط الفاسدة العفنة ورطوباتها تولد في الجسم فضلات رديئة تنشأ عنها بعد إفطارها في غير نسبة ويتبع ذلك انكساف الألوان وقبح الأشكال من كثرة اللحم وتغطي الرطوبات على الأذهان والأفكار بما يصعد إلى الدماغ من ابخرتها الرديئة فتجيء البلادة والغفلة والانحراف عن الاعتدال بالجملة .

٢ – « واعتبر ذلك في حيوان القفر ومواطن الجدب من الغزال والنعام

والمها والزرافة والحُمُر الوحشية والبقر مع أمثالها من حيوان التلول والأرياف والمراعي الخصبة كيف تجد بينها بونـاً بعيدًا في صفاء أديمها وحسن رونقها وأشكالها وتناسب أعضائها وحدّة مداركها . فالغزال أخو المعز والزرافة أخو البعير ، والحمار والبقر أخو الحمار والبقر ، والبون بينها ما رأيت ».

وما ذلك إلّا لأن الخصب في التلول فعل في أبدان هذه من الفضلات الرديئة والأخلاط الفاسدة ما ظهر عليها أثره ، والجوع لحيوان القفر حسن في خلقها وأشكالها ما شاء .

٣ — إن الخشونة في الأجسام يرافقها البلادة في الأذهان ، وهذا شأن العرب المنغمسين في الأدم والحنطة ، مع أن المتقشفين في عيشهم المقتصرين على الشعير أو الذرة مثل الصَّامدة وأهل غمارة والسوس ... فتجد هؤلاء أحسن حالًا في عقولهم وجسومهم . — ص ٨٨ .

٤ — وكذا اهل بلاد المغرب على الجملة المنغمسين في الأدم ... مع أن أهل الأندلس المفقود بأرضهم السِّنّ جملةً وغالب عيشهم الذرة ... فتجد لهؤلاء أي أهل الأندلس من ذكاء العقول وخفة الأجسام وقبول التعليم ما لا يوجد لغيرهم .

٥ — وإن كان بعض الحضر والأمصار مخصبين في العيش مع ذكاء ... فإن استعمالهم الأدم بعد العلاج بالطبخ والتلطيف مما يذهب غلظها ويرق قوامها، وعامة مأكلهم لحوم الضأن والدّجاج ولا ينبطون السِّمن من بين الأدم لتفاهته فتقل الرطوبات لذلك في أغذيتهم ويخف ما تؤديه إلى أجسامهم ...

فابن خلدون يستخرج نتيجته من الأمثلة السابقة ويجعلها ذات قيمة لكثرة الأمثلة التي يستند إليها . وقد تبدو هـذه النتيجة لأول وهلة كأنها مخالفة لنتائج التربية الحديثة . إذ كيف تكون قلة الغذاء مساعدة لنشاط الفاعلية الفكرية مع أن العلم الحديث ينظر إلى قلة الغذاء كعامل مضعف للنشاط الجسمي والنشاط الذهني ؟

— الواقع ان نظرية ابن خلدون هي « رد فعل » لحوادث البطنة التي كانت تكثر لأهل زمانه مع كثرة الخيرات في عهودهم . والنظرية الحديثة

هي « رد فعل » أيضاً لحوادث « التتتير » التي جرت في أوربا عن الأزمات الاقتصادية التي كان لها أثر في ضعف أجسام الفقراء وبالنتيجة في ضعف أذهانهم. يضاف إلى ذلك أن الأقاليم الباردة الأوربية يلائمها كثرة الغذاء ، والأقاليم الحارة الجنوبية لا يلائمها إلّا قلة الغذاء . فنتيجة ابن خلدون صحيحة في زمانها ومكانها . وهي صحيحة مطلقاً من حيث أن كثرة الغذاء تؤدي إلى فساد الجسم ، وفساد الجسم يرافقه فساد الفكر .

٣ – النفس والجسم

نلاحظ مما سبق أن ابن خلدون يعترف بتأثير الجسم على النفس رغم اعتقاده مع الفلاسفة الإسلاميين أن الروح شيء منفصل عن الجسم.

أما اعتقاده بانفصالية الروح فقد عبر عنه في أماكن عديدة من المقدمة منها « الإنسان مركب من جزأين : أحدهما جسماني والآخر روحاني ممتزج به. والمدرك فيهما واحد وهو الجزء الروحاني . والجزء الروحاني يدرك تارة مدارك روحانية وتارة مدارك جسمانية . إلّا ان المدارك الروحانية يدركها بذاته وبغير واسطة ، والمدارك الجسمانية يدركها بواسطة آلات الجسم من دماغ وحواس».

« إذا خرجت النفس من الجسد مات وبرد ولم يقدر على الحركة . . . — والنفس الإنسانية غائبة عن العيان وآثارها ظاهرة في البدن . . . — والموت إنما هو افتراق النفس عن الجسد » .

ويشرح ابن خلدون تأثير الجسم على النفس كما يشرح أيضاً تأثير النفس على الجسم . بمعنى أن تأثير أحدهما على الآخر إنما هو تأثير متبادل :

١ – فمن حيث تأثير الجسم على النفس يذكر الرياضة البدنية عند البدو : « فالرياضة موجودة فيهم لكثرة الحركة في ركض الخيل أو الصيد أو طلب الحاجات لمهنة أنفسهم في حاجاتهم ، فيحسن بذلك كله الهضم ويجود ، فتكون أمزجتهم أصلح .

ثم يذكر أثر التقشف في نمو العاطفة الدينية : « فالمتقشفون من أهل البادية أو الحاضرة ممن يأخذ نفسه بالجوع والتجافي عن الملاذ أحسن ديناً وإقبالاً على العبادة من أهل الترف والخصب ، بل نجد أهل الدين قليلين في المدن والأمصار لما

يمنعها من القساوة والغفلة المتصلة بالإكثار من اللحمان والأدم ولباب البر. ويختص وجود العباد والزهاد لذلك بالمتقشفين في غذائهم من أهل البوادي ـ ص ٨٦».

ثم يذكر أثر التهيج الجسمي في التهيج النفسي ، ساردًا الوصايا التي يوصيها القواد للجنود أثناء الحرب . منها وصية علي بن ابي طالب وتحريضه لأصحابه يوم صفين « عضُّوا على الأضراس فإنه أنبى للسيوف ، وغضوا الأبصار فإنه أربط للجأش . . . وأقيموا راياتكم فلا تميلوها . . . » — ومنها وصية الأشتر يوم تحريضه الأزد « عضوا على النواجذ من الأضراس واستقبلوا القوم بهاميكم وشدوا شدة قوم موتورين . . . ص ٢٧٥ ».

واخيرًا يذكر أثر الاصوات الاصطناعية التي تؤثر على الحواس وبالنتيجة تؤثر على النفس كما تؤثر الخمرة على النفس بطريق الجسم : « النفس عند سماع النغم والاصوات يدركها الفرح والطرب فيصيب مزاج الروح نشوة يستسهل بها الصعب ويستميت في ذلك الوجه الذي هو فيه . وهذا موجود حتى في الحيوانات العجم بانفعال الإبل بالحداء والخيل بالصفير والصريخ . ويزيد على ذلك تأثيرًا إذا كانت الاصوات متناسبة كما في الغناء . وأنت تعلم ما يحدث لسامعه من مثل هذا المعنى . لاجل ذلك تتخذ العجم في مواطن حروبهم الآلات الموسيقية ، لا طبلًا ولا بوقًا . . . والغناء يبعث في النفس الشجاعة كما تنبعث عن نشوة الخمر بما حدث عنها من الفرح. ص ٢٥٨ ».

٢ — ومن حيث تأثير النفس على الجسم يذكر آثار الفاعلية النفسية في الحركة الجسمية . وهو يرسم خطوطًا عامة لهذا التأثير منها قوله : « الفعل الصناعي مسبوق بتصورات ». «التصور والارادات أمور نفسانية ، ناشئة في الغالب عن تصورات سابقة يتلو بعضها بعضًا » . « من شروط الصناعة أبدًا تصور ما يقصد إليه بالصنعة ، ومن الامثال السائرة للحكماء أن أول العمل آخر الفكرة ، وآخر الفكرة أول العمل . وأبرز آثار الفاعلية النفسية « البطش باليد والمشي بالرجل والكلام باللسان والحركة الكلية بالبدن متدافعًا . . . كل ذلك من تأثير النفس في الجسم ».

ولا يكتفي برسم خطوط عامة بل يذكر حالات خاصة أحيانًا في ثنايا

مقدمته . منها « أن الماشي على حائط إذا قوي عنده توهم السقوط سقط بلا شك . . . » وإن الساحر يعمد إلى التأثير على القوى المتخيلة . . . ص ٤٩٠ — ٥٠٠ » .

الفصل الثاني

بسيكولوجية التربية

Psychologie d'éducation

١ — من الحيوان الى الانسان

لقد ميز قدماء المفكرين ، الإنسان عن الحيوان ، « بالعقل والنطق » . أي بالحوادث البسيكولوجية التي تتفوق على الحوادث الفيزيولوجية بترتيب النشوء والارتقاء . وقد تعمق ابن خلدون في هذا الموضوع واستطاع أن يحلل الناحية البسيكولوجية في الإنسان تحليلاً له قيمته في العالم الحديث :

١ً : إن الإنسان شاركته جميع الحيوانات في حيوانيته من الحس والحركة والسكن وغير ذلك . إنما تميز الإنسان عنها بالفكر الذي يهتدي به لتحصيل معاشه ، والتعاون عليه بابناء جنسه ، والاجتماع المهيئ لذلك التعاون ، وقبول ما جاءت به الانبياء عن الله تعالى ، والعمل به ، واتباع صلاح أخراه ، وهو يفكر في ذلك كله ، لا يفتر عن الفكر فيه طرفة عين ، بل إن اختلاج الفكر أسرع من لمح البصر » .

٢ً : إن الإنسان تميز عن سائر الحيوانات بالفكر الذي جعله مبدأ كماله ونهاية فضله وشرفه . والحيوانات تشعر بما هو خارج عن ذاتها بما ركب الله فيها من الحواس الظاهرة (السمع والبصر والشم والذوق واللمس) . ويزيد الإنسان من بينها أنه يدرك الخارج عن ذاته بالفكر الذي وراء حسه ، وذلك بقوى جعلت له في بطون دماغه — ص ٣٦٤ طبعة كترمير » .

٣ً : لما كان الانسان متميزاً عن سائر الحيوانات بخواص اختص بها ، فمنها العلوم والصنائع التي هي نتيجة الفكر الذي تميز به ، ومنها الحاجة إلى الحكم الوازع والسلطان القاهر إذ لا يمكن وجوده دون ذلك من بين

الحيوانات كلها إلّا ما يقال عن النحل والجراد وهذه وإن كان لها مثل ذلك « فبطريق إلهامي » لا بفكر وروية — ص ٤١ » .

٤ : إن الحيوانات إنما تدرك بالحواس ، ومدركاتها خالية من الربط ، لأنه لا يكون إلّا بالفكر ، ص ٣٦٤ كاترمير » .

٥ : لما كان العدوان طبيعياً في الحيوان ، جعل الله سبحانه ، لكل واحد منها عضواً يختص به بمدافعته ما يصل إليه من عادية غيره ، وجعل للإنسان عوضاً عن ذلك « الفكر واليد » . فاليد مهيئة للصنائع بخدمة الفكر ، والصنائع تحصل له الآلات التي تنوب له عن الجوارح المعدة في سائر الحيوانات للدفاع ، مثل الرماح التي تنوب عن القرون الناطحة ، والسيوف النائبة عن المخالب الجارحة ، والتراس النائبة عن الشعرات الجاسية .

وقد عالج الفيلسوف برغسون علاقة اليد بالفكر ، معالجة حديثة في القرن الأخير ، لا تختلف في أسسها عن الدراسة التي بدأها ابن خلدون . يقول برغسون :

إن « الفكر » في سبيل التكيف مع الحياة ، يساعد الإنسان على اتخاذ آلات من الجمادات الخارجة عن كائنه الحيوي ، وذلك حين لا تكتفي اليد ، خلافاً لما هي الحال في « الغريزة » عند الحيوان التي تتخذ آلات من أجزاء الكائن الحي نفسه .

٢ — مراتب الفكر الإنساني :

يلاحظ ابن خلدون في الفكر الإنساني ثلاث مراتب . اثنتان منها تصلانه مع المحيط الواقعي . والثالثة تصله مع ما وراء الطبيعة .

فالأولى وهي « العقل التمييزي » تجعله في الواقع الوضعي فيدرك الأشياء الخارجية ويتعلم خواصها ، ويفهم طريقة الاستفادة منها ، وطريقة الدفاع عن نفسه أمام أخطارها . — وتسمى هذه المرتبة في الاصطلاحات الحديثة « بالتفكير التجريبي » تمييزاً لها عن « التفكير المثالي » الذي ينتقد الأشياء ليميز صالحها وطالحها كالتفكير الأخلاقي مثلاً . فابن خلدون يخالفنا في اصطلاحاته السابقة لأنه يسمي العقل التجريبي « عقلاً تمييزياً » ثم يسمي العقل التمييزي بنظرنا ،

أي التفكير المثالي ، يسميه « عقلاً تجريبياً » وهو ما نشرحه في المرتبة الثانية .

فالمرتبة الثانية وهي « العقل التجريبي » ، كما يرى ابن خلدون ، لأنها تنظر إلى الواقع الأخلاقي وتستفيد من تجارب الإنسان في حياته ، حينئذ يفهم الفضائل ويرجحها على الرذائل ، ويعلم « ما ينبغي فعلاً وتركاً » وما هي المعاملات المثلى الواجب اتباعها مع بني جنسه .

أما المرتبة الثالثة فهي « العقل النظري » تستهدف ما وراء الحس ، وتصور الموجودات على حقيقتها العقلية وتساعد على استقصائها باجناسها وفصولها وأسبابها وعللها . وبكلمة واحدة « تصور الوجود على ما هو عليه غائباً وشاهداً » .

ويتوسع ابن خلدون في بيان أن هذه المرتبة الثالثة لا توجد إلا في حياة الحضر حيث تنضج العلوم . وقد لخص الدكتور طه حسين بيانه بأسطر نثبت منها ما يلي :

قال طه حسين[1] : « ان ابن خلدون يرى في الإنسان ثلاثة أنواع للفهم : الفهم المميز الذي يميز به مسائل خاصة ، والتجريبي الذي يطبق على الطرق العادية للحياة كالعادات التي تتعلق بمعاملة الأفراد بعضهم بعضاً ، ويكتسب هذان النوعان من الفهم بسهولة تامة ويوجدان في حياة البدو ولكنهما يرتقيان وينتظمان في حياة الحضر . والثالث هو الفهم النظري الذي يؤلف العلائق بين الأفكار العامة . ومن هذه العلائق يستخرج الأفكار العامة التي تؤلف العلوم المختلفة . ولا يوجد هذا النوع إلا في حياة الحضر لأنه من بعض الوجوه نتيجة لبعض الظواهر التي تحدث فيها فالاضطرار إلى العمل ، وتعقيد الحضارة ، والفراغ الذي يجده بعض الناس في حضارة الحضر للتفكير والتأمل ، كلها ظواهر تدفع هذه الملكة من القوة إلى الفعل ، وهذا هو السر في أننا لا نجد مطلقاً علماً ناضجاً في قبيلة بدوية محضة » .

٣ — الفطرة والوراثة :

لا يعتقد ابن خلدون كثيراً بالفطرة الفردية والوراثة الناتجة عن النسل والنسب . فهو وإن كان يعترف أحياناً بالمواهب التي يمتاز بها بعض الناس ،

(١) فلسفة ابن خلدون الاجتماعية ص ١٥٨

وتأثير الوراثة في الاسرة ، إلّا أن اعترافه بآثار التربية ، كما يظهر من ثنايا مقدمته ، أعم وأعمق . وإذا قرأنا مقدمته من أولها إلى آخرها لا نجده يبحث عن المواهب الفردية فطرةً ، إلّا في أماكن قليلة محدودة ، بينما هو يبحث عن آثار الاكتساب في كل المناسبات ؛ بل لا يكاد يخلو فصل من فصول مقدمته عن البحث في آثار التربية كالعادة والممارسة والتقليد . . . وآثار المجتمع كيف يُكسب الفرد طابعاً خاصاً ويجعله نسخة طبق الأصل عن جماعته .

فابن خلدون يمكن أن يوضع في زمرة التجريبيين empiristes الذين يعتقدون أن النفس إنما تولد صفحة بيضاء ويأتي المحيط فيكتب خطوطها عليها بمقتضى أحواله .

وقبل تفصيل آرائه في هذا الاتجاه ، نذكر أولًا أقواله في أثر الفطرة والوراثة . وهي أقوال لأنها محدودة نادرة ، لا تحملنا على اتهامه بالتناقض ؛ بل تجعلنا نكرر ما قاله الدكتور طه حسين ، حين لاحظ أن ابن خلدون يدرس «الدولة» دراسة تجريبية ولكنه يخرج أحياناً عن حدود التجربة ليبرر معجزات الدولة الإسلامية . قال طه حسين[1] : « يترك ابن خلدون الطريقة التجريبية أحياناً ليستخدم ما وراء الطبيعة والكلام ، ولا سيما فيما يعتقد أنه يخرج تماماً عن دائرة الاختبار ، فالتجربة تريه أن دولة فتية تنفق دائماً زمناً طويلًا في فتح دولة تعتورها الاضمحلال ولكنه يقرر من جهة أخرى أن الدولة الإسلامية الناشئة فتحت في ظرف ثلاثين عاماً كل الدولة الفارسية وقسماً كبيراً من دولة الروم ويضطر إلى أن يلتجئ إلى علم الكلام ليبرهن أن ذلك الحادث لا يدحض من يقينه إذ هو نتيجة معجزة » .

فابن خلدون في دراسته التربوية يخرج مثل هذا الخروج متأثراً بتفكيره الديني وعواطفه السياسية . وما عدا هذه الحال فهو تجريبي عملي . ولا شك أننا نأخذ عليه تناقضات في دراساته الميتافيزيائية ولكن مثل هذه الانتقادات خارجة عن موضوعنا الآن لأننا نجمع آراءه في التربية لا في الفلسفة .

١ — أما أقواله في أثر الفطرة والوراثة فهي :

(١) فلسفة ابن خلدون الاجتماعية ص ٦١

مرة واحدة في مقدمته ص٩ وهو « حظوظ المواهب » . ٢ : وفي موضع آخر يتكلم عن الرشيد فيقول : « والرشيد وآباؤه كانوا على نهج من اجتناب المذمومات في دينهم ودنياهم والتخلق بالمحامد وأوصاف الكمال ونزعات العرب — ص ١٨ » . ٣ : وفي موضع ثالث يتكلم عن الرسل والأصفياء من البشر فيقول : « إعلم أن الله سبحانه وتعالى اصطفى من البشر اشخاصاً فخاهم بخطابه وفطرهم على معرفته — ص ٩١ » ومن علاماتهم أنه يوجد لهم قبل الوحي خلق الخير والزكاء ومجانبة المذمومات والرجس أجمع ، وهذا هو معنى العصمة ، وكأنه مفطور على التنزه عن المذمومات لها كأنها منافية لجبلته — ص ٩٣ » .

٢ — تلك هي أقواله المحدودة في أثر الفطرة والوراثة . وقبل الانتقال إلى أقواله في أثر التربية والاكتساب ، نذكر مثالاً واحداً عن تناقضاته الميتافيزيائية ، له علاقة بسيطة بالموضوع الذي ندور حوله . وهو « قضية الخير والشر » هل أحدهما فطري في الإنسان أم مكتسب ؟ ففي هذه القضية وقع في التناقض كما وقع جان جاك روسو .

يقول ابن خلدون في بعض المواضع : « إن أهل البدو أقرب إلى الفطرة الاولى وأبعد عما ينطبع في النفس من سوء الملكات بكثرة العوائد المذمومة وقبحها فيسهل علاجهم عن علاج الحضر . وقد يتوضح فيما بعد أن الحضارة هي نهاية العمران وخروجه إلى الفساد ونهاية الشر والبعد عن الخير . — وبكلمة واحدة « إن أهل البدو أقرب الى الخير من أهل الحضر — ص ١٢٣ » .

ثم يقول في موضع آخر « إعلم ان الله سبحانه وتعالى ركب في طبائع البشر الخير والشر . والشر أقرب الخلال إليه إذا اهمل في مرعى عوائده ولم يهذبه الاقتداء بالدين . ومن اخلاق البشر فيهم الظلم والعدوان بعض على بعض — ص ١٢٧ »

ثم يقول في موضع ثالث « لما كان الملك طبيعياً للانسان لما فيه من طبيعة الاجتماع وكان الانسان أقرب الى خلال الخير من خلال الشر بأصل فطرته وقوته الناطقة العاقلة لان الشر انما هو جاء من قبل القوى الحيوانية التي فيه ،

وأما من حيث هو انسان فهو الى الخير وخلاله اقرب . والملك والسياسة انما كانا من حيث هو انسان لانهما للانسان خاصة لا للحيوان . فاذن خلال الخير هي التي تناسب السياسة والملك . ص ١٤٢ ».

فمن الفقرة الأولى يتبين ان ابن خلدون يعتبر الفرد صالحاً في فطرته وانما المجتمع هو الذي يفسده .

ومن الفقرة الثانية يتبين ان ابن خلدون يعتبر الفرد شريراً في فطرته وإنما المجتمع والاقتداء بالدين هو الذي يصلحه .

ومن الفقرة الثالثة يتبين ان ابن خلدون يعتبر الفرد صالحاً في فطرته لانه انسان ولانه حيوان اجتماعي . أما من حيث هو حيوان حيواني فشرير بالطبع . فالمجتمع منبع للخير اذن .

فابن خلدون في الفقرة الاولى إذ يعتبر المجتمع والحضارة من منابع الشر، يناقض نفسه في الفقرتين الثانية والثالثة إذ يعتبر المجتمع والحضارة من منابع الخير ؛ وما عدا هذه الاعتبارات نجد ابن خلدون في جميع اقواله يعترف بآثار الاكتساب من المحيط وكثيراً ما نقرأ له هذه الجمل « الانسان ابن عوائده » « الانسان ابن بيئته » « الانسان متهيئ لقبول ما يرد عليه وما ينطبع فيه من خير وشر » . الخ . . .

٣ – ويمكن تصنيف ابن خلدون بصفته مفكراً تجريبياً empiriste بالنواحي الاساسية الآتية :

١) رأينا في الفصل السابق كيف يعترف ابن خلدون بآثار التقشف والجوع في نشاط الذهن وصفاء الذكاء .

٢) له في « العادة » و« تكون الملكات » دراسة قيمة نُفرد لها بنداً خاصاً في هذا الفصل بعد قليل .

٣) له في « أثر المجتمع بالفرد » دراسة قيمة نُفرد لها فصلاً خاصاً هو الفصل الثالث وعنوانه « سوسيولوجية التربية » Sociologie d'éducation وقد برّز ابن خلدون في هذا الموضوع بشكل اختصاصي .

٤ – العادة :

١ – ان النفس إذا ألفت شيئاً صار من جبلتها وطبيعتها لأنها كثيرة التلون. فإذا حصل لها الاعتياد على الجوع بالتدريج والرياضة فقد حصل ذلك عادة طبيعة لها . وما يتوهمه الأطباء من أن الجوع مهلك فليس على ما يتوهمونه إلّا إذا حملت النفس عليه دفعة وقُطع منها الغذاء بالكلية . . . اما إذا كان ذلك القدر تدريجاً ورياضةً بإقلال الغذاء شيئاً فشيئاً كما يفعله المتصوفة فهو بمعزل عن الهلاك .

وهذا التدريج ضروري حتى في الرجوع عن هذه الرياضة فإنه إذا رجع به الى الغذاء الاول دفعةً خيف عليه الهلاك وانما يرجع كما بدأ الرياضة بالتدريج – ص ٩٠

٢ – إن الاغذية وأنتلافها أو تركها ، انما هو بالعادة . فمن عوّد نفسه غذاء ولاءمه تناوله كان له مألوفاً وصار الخروج عنه والتبدل به داء ما لم يخرج عن غرض الغذاء بالجملة كالسموم ، وما أفرط في الانحراف . فأما ما وجد فيه التغذي والملاءمة فيصير غذاء مألوفاً بالعادة – ص ٩٠

٣ – الأفعال لا بد ان تعود آثارها على النفس . فأفعال الخير تعود بآثار الخير والزكاء ، وافعال الشر والفسقة تعود بضد ذلك فتتكرر وترسخ إن سبقت وتكررت ، وتنقص خلال الخير ان تأخرت عنها بما ينطبع من آثارها المذمومة في النفس شأن الملكات الناشئة من الافعال – ص ٣٩٩

٤ – والعوائد انما تكثر رسوخاً بالتكرار وطول الامد فتستحكم صبغة ذلك وترسخ في الاجيال . واذا استحكمت الصبغة عسر نزعها . ص ٤٠١

٥ – ان اكثر المترفين يترفع عن مباشرة حاجاته ، او يكون عاجزاً عنها لما رُبي عليه من خُلق التنعم والترف فيتخذ من يتولى ذلك له ويُقطعه عليه أجراً من ماله . وهذه الحالة غير محمودة بحسب الرجولية الطبيعية للانسان . . . إلّا ان العوائد تقلب طباع الانسان الى مألوفها فهو ابن عوائده لا ابن نسبه . ص ٣٨٤

٦ – واذا اتخذوا الدّعة والراحة مألفاً وخلقاً ، صار لهم ذلك طبيعة

وجبلة ، شأن العوائد كلها وإيلافها فتربى اجيالهم الحادثة في غضارة العيش ومهاد الترف والدعة وينقلب خلق التوحش وينسون عوائد البداوة التي كان بها الملك من شدة البأس وتعود الافتراس وركوب البيداء وهداية القفر . . . ص١٦٩

٧ — ان النفس وان كانت في جبلتها واحدة بالنوع فهي تختلف في البشر بالقوة والضعف في الادراكات . واختلافها انما هو باختلاف ما يرد عليها من الادراكات والملكات والالوان التي تكيفهـا من خارج . فهذه الصورة يتم وجودها وتخرج من القوة الى الفعل صورتها . ص ٥٧٨

والملكات لا تحصل الا بتكرار الأفعال . لان الفعل يقع أولاً ، وتعود منه للذات صفة . ثم تتكرر ، فتكون حالاً . ومعنى « الحال » انها صفة غير راسخة (ص ٥٥٤) واذا استقرت ورسخت في محالها ، ظهرت وكأنها طبيعة وجبلة لذلك المحل . ص ٥٦٢

الفصل الثالث

سوسيولوجية التربية
Sociologie d'éducation

١ — التقليد والمحاكاة :

درس ابن خلدون قوانين التقليد واوضح تأثيره في تطور الجماعات والمجتمع كما فعل ذلك من بعده العالم الاجتماعي تارد Tarde .

ولابن خلدون آراء في مضمار التقليد ينتبه اليها المعاصرون من المفكرين ويعالجها المؤلفون في الكتب المدرسية بحروف بارزة .

خصائص التقليد : ١) التقليد عريق في الآدميين قديم . ص ٤

٢) السبب الشائع في تبدل الأحوال والعوائد أن عوائد كل جيل تابعة لعوائد سلطانه . وأهل السلطان اذا استولوا على الامر فلا بد ان يفزعوا الى عوائد من قبلهم ويأخذوا الكثير منها ، ولا يغفلون عوائد جيلهم مع ذلك فيقع في عوائد الدولة بعض المخالفة . وما دامت الاجيـال تتعاقب فالمخالفة المتدرجة واقعة . ص ٢٩

٣) أهل البدو ابدًا يقلدون في طور الحضارة وأحوالها للدولة السابقة . فأحوالهم يشاهدون ومنهم في الغالب يأخذون . ص ١٧٢

٤) النفس ابدًا تعتقد الكمال في من غلبها وانقادت اليه. إما لنظره بالكمال بما وقر عندها من تعظيمه أو بما تغالط به من أن انقيادها ليس لغالب طبيعي انما هو لكمال الغالب فإذا غالطت بذلك واتصل لها اعتقادًا ، انتحلت جميع مذاهب الغالب وتشبهت به . وذلك هو « الاقتداء » .

وتأمل في قول المثل « العامة على دين ملوكهم » فإنه من بابه اذ الملك غالبٌ لمن تحت أمره والرعية مقتدون به لاعتقاد الكمال فيه اعتقاد الأبناء بآبائهم والمتعلمين بمعلميهم . ص ١٤٧

٢ – مضار التقليد :

١ – المحاكاة طبيعة معروفة ومن الغلط غير مأمونة . تخرج الانسان مع الذهول والغفلة عن قصده – ص ٢٩

٢ – من كان حظه الاقتفاء خاصة يقصر تقصير المقلد عن المجتهد . ص ١٣٧

٣ – ولا يكفي من العلم إلّا ان يكون الإمام مجتهدًا . لان التقليد نقص . والامامة تستدعي الكمال في الاوصاف والاحوال . ص ١٩٣

٤ – ومن اتى بعد اكابر العلماء السابقين ، ليس الا مقصرًا بليد الطبع والعقل ، او متبلدًا . ينسج على ذلك المنوال ويحتذي منه الأمثال . ص ٥

٣ – الحياة الاجتماعية والاخلاق :

١ – أهل الترف يؤثرون الراحة على المتاعب ويتأنقون في احوال الملابس والمطاعم والآنية . ويألفون ذلك ويورثونه من بعدهم الى اجيالهم . ص ١٦٧

٢ – ... ذلك كله إفراط الحضارة والترف . وهذه مفسدات في المدينة على العموم في الأسواق والعمران . وأما فساد أهلها في ذاتهم واحدًا واحدًا على الخصوص ؛ فمن الكد والتعب في حاجات العوائد والتلون بألوان الشر في تحصيلها وما يعود على النفس من الضرر بعد تحصيلها بحصول لون آخر من ألوانها . فلذلك يكثر منهم الفسق والشر والسفسفة والتحيل على تحصيل المعاش من وجهه وغير وجهه وتنصرف النفس إلى الفكر في ذلك والغوص عليه

واستجماع الحيلة له فتجدهم أجرياء على الكذب والمقامرة والفسق والخلابة والسرقة والفجور في الايمان والربا في البياعات... ص ٣٧٢

٣ — يمرج بحر المدينة بالسفلة من أهل الأخلاق الذميمة ويجاريهم فيها كثير من ناشئة الدولة وولدانهم ممن أهمل عن التأديب وغلب عليه خُلق الجوار وإن كانوا أهل أنساب وبيوتات . وذلك أن الناس بشر متماثلون . وإنما تفاضلوا وتميزوا بالخلق واكتساب الفضائل واجتناب الرذائل. فمن استحكمت فيه لم ينفعه زكاء نسبه ولا طيب منبته . ولهذا تجد كثيراً من أعقاب البيوت وذوي الأحساب والأصالة منطرحين في الغمار منتحلين الحرف الدنيئة في معاشهم بما فسد من اخلاقهم وما تلونوا به من صبغة الشر والسفلة

٤ — إن غاية العمران هي الحضارة . والترف إذا بلغ غايته انقلب الى الفساد وأخذ في الهرم كالأعمار الطبيعية للحيوانات . بل نقول إن الأخلاق الحاصلة من الحضارة والترف هي عين الفساد . لأن الإنسان إنما هو إنسان باقتداره على جلب منافعه ودفع مضاره واستقامة خلقه للسعي في ذلك . والحضري لا يقدر على مباشرة حاجاته إما عجزاً لما حصل له من الدعة أو ترفعاً لما حصل له من المربى في النعيم والترف . وكلا الأمرين ذميم ... ص ٣٧٤ .

عكس النظرية صحيح . لأن قلة الترف وصعوبة الحياة مما يدعو إلى العمل والجد والشجاعة في الأصل :

١ — في الدولة المتجددة ينقص الترف فيرجع الملك ، والرعايا تبع للدولة ، إلى خُلق الدولة إما طوعاً لما في طباع البشر من تقليد متبوعهم أو كرهاً لما يدعو إليه خُلق الدولة من الانقباض عن الترف في جميع الأحوال وقلة الفوائد التي هي مادة العوائد فتقصر لذلك حضارة المصر ويذهب كثير من عوائد الترف... ص٣٧٥ .

٢ — إذا كان أهل الحضر يلقون جنوبهم على مهاد الراحة والدعة ... وينزلون منزلة النساء والولدان الذين هم عيالٌ على أبي مثواهم ، فإن أهل البدو لتفردهم عن المجتمع وتوحشهم في الضواحي وبُعدهم عن الحامية وانتباذهم عن

الأسوار والأبواب قائمون بالمدافعة عن أنفسهم لا يكلونها إلى سواهم ولا يثقون فيها بغيرهم . . . ص ١٢٥

٣ — لما كانت البداوة سبباً في الشجاعة كما قلناه ، فلا جرم أن الجيل الوحشي أشد شجاعة من الجيل الآخر . فهم أقدر على التغلب وانتزاع ما في ايدي سواهم من الأمم . بل إن الجيل الواحد تختلف أحواله في ذلك باختلاف الأعصار فكلما نزلوا الأرياف وتفنّقوا النعيم وألفوا عوائد الخِصب في المعاش والنعيم نقص من شجاعتهم بمقدار ما نقص من توحشهم وبداواتهم . اعتبر ذلك في الحيوانات العجم بدواجن الظباء والبقر الوحشية والحمر إذا زال توحشها بمخالطة الآدميين وأخصب عيشها كيف يختلف حالها في الانتهاض والشدة حتى في مشيتها وحسن أديها . وكذلك الآدمي المتوحش إذا أنس وألف . ص ١٣٨

٤ — المهنة والاخلاق :

١ — إن التجار في غالب أحوالهم إنما يعانون البيع والشراء . ولا بد فيه من المكايسة ضرورة . فإن اقتصر عليها اقتصرت به على خلقها . وهي أعني خلق المكايسة بعيدة عن المروءة التي تتخلق بها الملوك والأشراف . وأما إن استرذل خلقه بما يتبع ذلك في أهل الطبقة السفلى منهم من المماحكة والفسق والخلابة وتعاهد الأيمان الكاذبة على الأثمان ردًا وقبولًا فأجدر بذلك الخلق أن يكون في غاية المذلّة ، لما هو معروف . ولذلك تجد أهل الرئاسة يتحامون الاحتراف بهذه الحرفة لأجل ما يكسب من هذا الخلق . وقد يوجد منهم من يسلم من هذا الخلق ويتحاماه لشرف نفسه وكرم جلاله إلا انه في النادر بين الوجود — ص ٣٩٦ .

٢ — اهل الدين والعلم لا تضطر إليهم العامة من الخلق وإنما يحتاج إلى ما عندهم الخواص ممن اقبل على دينه . . . وهم أيضاً لشرف بضائعهم أعزّة على الخلق وعند نفوسهم فلا يخضعون لأهل الجاه حتى ينالوا منه خطاً يستدرون به الرزق بل ولا تفرغ اوقاتهم لذلك لما هم فيه من الشغل بهذه البضائع الشريفة المشتملة على إعمال الفكر والبدن بل ولا يسهم ابتذال انفسهم لأهل الدنيا لشرف بضائعهم فهم بمعزل عن ذلك ، فلذلك لا تعظم ثروتهم في الغالب . ص ٣٩٣ .

الباب الثاني

نواحي التربيـــة

تخصص الباب الثاني للتربية العملية كما رسم موضوعها وطرائقها ابن خلدون، ونتبع الترتيب المدرسي في جمع شتات الآراء التي عرضها في مقدمته فنحصل على الترتيب الآتي:

١ – التربية الخلقية
٢ – التربية الفكرية
٣ – التربية الفنية

الفصل الاول

التربية الخلقية

Education Morole

يرى ابن خلدون أن الأخلاق المثلى هي الأخلاق التي يبنيها المربي على الدين . وابن خلدون يتخذ من الدين أساساً الأخلاق الناجحة كما يتخذ من الدين أساساً للسياسة الناجحة . وهو متدين في الأصل . وتربيته التي تلقاها في طفولته وشبابه إنما هي تربية دينية متينة . وقد اراد الدكتور طه حسين ان ينفي عنه هذه التربية الدينية إلا ان هذا النفي لم يرتكز على حوادث مقنعة[1]. وقد ناقشها الاستاذ البستاني وأكد ان ابن خلدون « تأثر وتأثر جداً بتربيته الدينية حتى رافقه هذا التأثر في إعطاء احكامه في مختلف نواحي تفكيره — الروائع ١٣ ص:ف ».

ويؤكد مثل هذا التأكيد الاستاذ ساطع الحصري في كتاب ظهر له حديثاً ١٩٤٤ بعنوان « دراسات عن مقدمة ابن خلدون » — فقال : « ان مقدمة ابن خلدون بهيأتها المجموعة ، تدل دلالة واضحة على ان مؤلفها مؤمن قوي الإيمان . إنه يؤمن بالله وبالاسلام إيماناً راسخاً عميقاً . وآثار هذا الايمان ودلائله بارزة للعيان في جميع فصول المقدمة . ولا يوجد في تلك الفصول فقرة واحدة يمكن ان تعتبر دليلاً على ان ابن خلدون قد خامره الشك في الله والدين ، ولو لحظة واحدة في مسألة واحدة . . . — ج٢ ص ١٥٠ »

---

١) يقول الدكتور طه حسين ان ابن خلدون مثلاً « لم يأنف من ارتكاب الخيانة التي حرّمها القرآن ، متى رآها وسيلة لنيل السلطة ».

يردُّ عليه الاستاذ فؤاد البستاني قائلاً : « لو أمعن الدكتور نظره قليلاً ، في عقلية ذاك العصر ، لأدرك أن تلك الأعمال ، التي ندرجها نحن والأخلاقيون والقرآن بسهولة في باب الخيانة ، لم تكن تُعتبر ، في تلك الظروف ، إلا من الطرق المشروعة للفوز بالسلطة ، بل هي لا تعتبر اليوم ، في عصرنا المتمدن ، إلا من باب الدهاء السياسي . وفضلاً عن هذه الاعتبارات ، فان ابن خلدون نفسه لا يموّه في ذكرها ولا يتكلف إخفاءها ، ولا التخفيف منها . »

١ – الوازع الديني :

يأتي ابن خلدون بأمثلة كثيرة عن تأثير الوازع الديني نجمع منها ما يلي :

١ – ... فقد تبين لك كيف انقلبت الخلافة إلى الملك . وان الأمر كان في اوله خلافة . ووازع كل احد فيها من نفسه وهو الدين وكانوا يؤثرونه على امور دنياهم . – ص ٢٠٧ مقدمة » .

٢ – وإنما صار العرب إلى سياسة الملك بعد انقلاب طباعهم وتبدلها بصبغة دينية ، جعلت الوازع لهم من انفسهم وحملتهم على دفاع الناس بعضهم عن بعض . ص ١٥٢ .

٣ – الشر اقرب الخلال الى الإنسان اذا لم يؤدبه الدين . – ص ١٢٧ .

٢ – الملكات الدينية والملكات الأخلاقية :

ان تعليم النظريات الدينية والأخلاقية مرحلة غير كافية بنظر ابن خلدون. فالمهارة في التربية على اختلاف نواحيها انما هي في « تعويد العادات ».

١ – المعتبر في التوحيد ليس هو الإيمان فقط الذي هو تصديق حكمي. فان ذلك من حديث النفس . انما الكمال فيه حصول صفة منه تتكيف بها النفس . كما ان المطلوب من الأعمال والعبادات ايضاً حصول ملكة الطاعة والانقياد وتفريغ القلب عن شواغل ما سوى المعبود حتى ينقلب المريد السالك ربانياً .

٢ – الفرق بين الحال والعلم بالعقائد فرقٌ ما بين القول والاتصاف . وشرحه : ان كثيراً من الناس يعلم ان رحمة اليتيم والمسكين قربة الى الله ويقول بذلك ويعترف . وهو لو رأى يتيماً او مسكيناً من ابناء المستضعفين لفرَّ عنه واستنكف ان يباشره . – فضلاً عن التسمح عليه للرحمة وما بعد ذلك من مقامات العطف والحنو والصدقة فهذا انما حصل له من رحمة اليتيم مقام العلم ولم يحصل له مقام الحال والاتصاف .

٣ – ومن الناس من يحصل له ، مع مقام العلم والاعتراف بان رحمة المسكين قربة الى الله ، « مقام آخر اعلى من الأول » وهو : لاتصاف بالرحمة ، وحصول

ملكتها . فمتى رأى يتيماً او مسكيناً بادر اليه ومسح عليه، والتمس الثواب في الشفقة عليه لا يكاد يصبر عن ذلك ولو دفع عنه ثم يتصدق عليه بما حضره من ذات يده — ص ٤٦١

٤ — وكذا علمك بالتوحيد مع اتصافك به . والعلم حاصل عن الاتصاف ضرورة — وهو اوثق مبنى من العلم الحاصل قبل الاتصاف.

وليس الاتصاف بحاصل عن مجرد العلم. . . حتى يقع العمل ويتكرر مراراً. فترسخ الملكة ويحصل الاتصاف والتحقيق . وهكذا فان العلم المجرد عن الاتصاف قليل الجدوى والنفع . والمطلوب انما هو العلم الحالي الناشئ عن المادة . — ويكون الكمال في المواظبة على العبادات والتكاليف القلبية والبدنية . . . والخيرات تستقر ملكة الايمان ويعسر على النفس مخالفتها شأن الملكات اذا استقرت فانها تحصل بمثابة الجبلة والفطرة — خلاصة ص ٤٦ — ٤٦٣ .

٣ — الشدة مضرة في التربية والسياسة معاً .

لا ينكر ابن خلدون ضرورة العقاب في التربية ولا في السياسة . وانما ينكر اتباع الشدة في العقاب .

اما اعترافه بضرورة العقاب فنأتي له بمثالين :

اولاً : ايراده وصية الرشيد لمعلم ولده : « لا تمرنّ بك ساعة الّا وانت مغتنم فائدة تفيده اياها من غير ان تحزنه، فتميت ذهنه، ولا تمعن في مسامحته، فيستحلي الفراغ ويألفه . وقوّمه ما استطعت بالقرب والملاينة ، فان اباهما فعليك بالشدة والغلظة » ص ٥٤١ .

ثانياً : رأيه في تنظيم الاجتماع البشري : « ان الاجتماع للبشر ضروري وهو معنى العمران . . . ولا بد للبشر من وازع حاكم يرجعون اليه . وحكمه فيهم تارة يكون مستنداً الى شرع منزل من عند الله يوجب انقيادهم اليه ايمانهم بالثواب والعقاب عليه الذي جاء به مبلّغه . وتارة الى سياسة عقلية يوجب انقيادهم اليها ما يتوقعونه من ثواب ذلك الحاكم بعد معرفته بمصالحهم . ص ٣٠٣ .

اما انكاره الشدة في التربية والسياسة فنجمع عنه ما يلي :

١ — ان ارهاف الحد بالتعليم مضر بالتعليم ، سيما في اصاغر الولد . ان ارهاف الحد مضر بالملك ومفسد له على الاكثر - ص١٨٨ ».

٢ — من كان مرباه بالعسف والقهر ، من المتعلمين او المماليك او الخدم ، سطا به القهر وضيق على النفس في انبساطها،وذهب بنشاطها ودعاه الى الكسل وحمل على الكذب والخبث ،وهو التظاهر بغير ما في ضميره خوفاً من انبساط الايدي بالقهر عليه ، وعلمه المكر والخديعة لذلك . وصارت له عادة وخلقاً وفسدت معاني الإنسانية التي له من حيث الاجتماع والتمدن وهي الحمية والمدافعة عن نفسه ومنزله ، وصار عيالاً على غيره في ذلك .

بل وكسلت النفس عن اكتساب الفضائل والخلق الجميل ، فانقبضت عن غايتها ومدى انسانيتها ، فارتكس وعاد في اسفل السافلين — ص ٥٤٠

٣ — اذا كان الملك قاهراً باطشاً بالعقوبات منقباً عن عورات الناس وتعديد ذنوبهم ، شملهم الخوف والذل ، ولاذوا منه بالكذب والمكر والخديعة ، وتخلقوا بها وفسدت بصائرهم — ص ١٨٨ .

٤ — اذا كانت الاحكام بالعقاب فمُذهبةٌ للبأس بالكلية لان وقوع العقاب به ولم يدافع عن نفسه يكسبه المذلة التي تكسر من سورة بأسه بلا شك . اما اذا كانت الاحكام تأديبية وتعليمية وأخذت من عهد الصبا أثرت في ذلك بعض الشيء لمرباه على المخافة والانقياد فلا يكون مدلاً ببأسه.ص١٢٦

الفصل الثاني

التربية الفكرية

Education intellectuelle

لم يرسم ابن خلدون برنامجاً للعلوم التي ينبغي ان تكون موضوعاً للتربية الفكرية بحسب درجاتها . وقد عني بذلك الغزالي وقسم العلوم الواجب تحصيلها الى قسمين : منها فرض عين كالعلوم الشرعية واللغوية والادبية التي يحتاج اليها الانسان في حياته العملية . ومنها العلوم الاختصاصية كالطب ؛ فهذه فرض

كفاية ؛ اي يكفي عدد محدود من الناس تعلمها اما الاولى اي التي هي فرض عين فعلى كل انسان بعينه ان يتعلمها .

غير ان ابن خلدون حين قسم العلوم « تقسيماً منطقياً » تعرّض الى ناحية تربوية هامة ؛ واوضح ان هناك علوماً هي وسيلة لسواها فينبغي ان لا يتوسع فيها كل انسان . اذ لا شيء اضر على الانسان اكثر من « اعتبار الوسيلة غاية » .

١ — ان العلوم المتعارفة بين اهل العمران على صنفين : ١ً : علوم مقصودة بالذات كالشرعيات والطبيعيات والالهيات ، ٢ً : علوم هي وسيلة لهذه ؛ كالعربية والحساب والمنطق واصول الفقه .

فالعلوم التي هي مقاصد فلا حرج في توسعة الكلام فيها وتفريع المسائل واستكشاف الادلة والانظار . فان ذلك يزيد طالبها تمكناً في ملكته وايضاحاً لمعانيها المقصودة .

اما العلوم التي هي آلة لغيرها من العربية والمنطق وامثالها فلا ينبغي ان يُنظر فيها الّا من حيث هي آلة لذلك الغير فقط . ولا يوسع فيها الكلام ولا تُفرع المسائل لان ذلك يخرج لها عن المقصود . وكلما خرجت عن المقصود صار الاشتغال بها لغواً مع ما فيه من صعوبة الحصول على ملكتها بطولها وكثرة فروعها وربما يكون ذلك عائقاً عن تحصيل العلوم المقصودة بالذاتً . . . لان العمر يقصر عن تحصيل الجميع بصورة مفصلة .

وهذا ما وقع فيه المتأخرون في صناعة النحو وصناعة المنطق وأصول الفقه لانهم اوسعوا دائرة الكلام فيها واكثروا من التفاريع والاستدلالات بما اخرجها عن كونها آلة وصيّرها من المقاصد وربما يقع فيها انظار لا حاجة بها في العلوم المقصودة فهي من نوع اللغو .

٢ — وهذه العلوم التي هي آلة . . . هي مضرة بالمتعلمين على الاطلاق لان المتعلمين اهتمامهم بالعلوم المقصودة اكثر من اهتمامهم بوسائلها فإذا قطعوا العمر في تحصيل الوسائل فمتى يظفرون بالمقاصد ؟ فلهذا يجب على المعلمين لهذه العلوم الآلية ان لا يستبحروا في شأنها وينبهوا المتعلم على الغرض منها ويقفوا به عنده .

ومن نزعت به همّته بعد ذلك الى شيء من التوغل فليرقّ له ما شاء من المراقي صعباً او سهلاً . . . عن (ص٥٣٧) .

١ – تعليم القرآن :

ان جميع المفكرين الاسلام متفقون في تاريخ التربيـة الاسلامية على ان القرآن هو الكتاب الاول الذي يتنبه كل طالب . والقرآن يمكن اعتباره في العصور الاسلامية كتاباً يحتوي على الثقافة الكافية التي كان يحتاج اليها المسلم في حياته الاجتماعية والعملية . فهو لما يحويه من معلومـات حقوقية وتاريخية واخلاقية . . . كان يحل مشاكل الافراد في علاقاتهم بعضهم مع بعض .

فابن خلدون لم يتردد ابداً في اعتباره ايضاً الكتاب الوحيد الذي يمكن ان يعمد اليه الانسان ليكون رجلاً مثقفاً ؛ بشرط ان لا يهمل العلوم الآلية التي تساعد على تفهم القرآن .

والفرق بين ابن خلدون وابي بكر العربي هو أن أبا بكر يرى تأجيل تعلم القرآن بعد ان يكون الصبي قد فهم اللغة العربية والشعر والعلوم الآلية المساعدة على تفسير القرآن ؛ وبعد ان يكون قد درس الحساب ايضاً ؛ حينئذ ينضج ذهنه ويستحق ان يبدأ بكتاب الله عز وجل .

اما ابن خلدون فانه يرى البدء بتعلم القرآن رغم صعوبات هذه الطريقة : « اعلم ان تعليم الولدان للقرآن شعار الدين اخذ به اهل الملة ودرجوا عليه في جميع امصارهم لما يسبق فيه الى القلوب من رسوخ الايمان وعقائده من آيات القرآن وبعض متون الاحاديث وصار القرآن اصل التعليم الذي ينبني عليه ما يحصل بعد من الملكات » .

وسبب ذلك ان التعليم في الصغر اشد رسوخاً وهو اصل لما بعده لان السابق الاول للقلوب كالأساس للملكات وعلى حسب الاساس واساليبه يكون حال من ينبني عليه

ويظهر من اقوال ابن خلدون انه يعطف على طريقة ابي بكر بن العربي وكاد يحبذها لولا بعض المحاذير .

قال ابن خلدون : « لقد ذهب القاضي ابو بكر بن العربي في كتاب رحلته

الى طريقة غريبة في وجه التعليم . واعاد في ذلك وابدأ وقدّم تعليم العربية والشعر على تعليم سائر العلوم . قال لان الشعر ديوان العرب ويدعو على تقديمه وتعليم العربية ضرورة فساد اللغة . ثم ينتقل منه الى الحساب فيتمرن فيه حتى يرى القوانين ثم ينتقل الى درس القرآن . . . ثم قال (اي ابو بكر) يا غفلة اهل بلادنا في ان يؤخذ الصبي بكتاب الله في اوامره يقرأ ما لا يفهم وينصب في امر غيره اهم ما عليه . ثم قال يُنظر في اصول الدين ثم اصول الفقه ثم الجدل ثم الحديث وعلومه . . . هذا ما اشار اليه القاضي ابو بكر رحمه الله وهو لعمري مذهبٌ حسن ، الا ان الفوائد لا تساعد عليه ، وهي أملك بالاحوال ووجه ما اختصت به الفوائد من تقدم دراسة القرآن : ١ً : ايثارًا للتبرك والثواب ٢ً : خشية ما يعرض للولد في جنون الصِبى من آفات والقواطع عن العلم فيفوته القرآن لانه ما دام في الحجر ، منقادٌ للحكم . فإذا تجاوز البلوغ وانحل من ربقة القهر فربما عصفت به رياح الشبيبة فألقته بساحل البطالة .

فابن خلدون يريد « ان يغتنم في زمان الحجر وربقة الحكم تحصيل القرآن لئلا يذهب خلوًا منه . ولو حصل اليقين باستمراره في طلب العلم وقبوله التعليم لكان هذا المذهب الذي ذكره القاضي أولى ما اخذ به اهل المشرق والمغرب» . اي أولى من البدء بتعليم القرآن .

٣ – تعليم اللغة العربية :

١ – اللغة العربية مادة ضرورية في برنامج التعليم : . . . وانما وقعت العناية بلسان مضر (اي اللسان العربي الفصيح) لمّا فسد بمخالطتهم الاعاجم حين استولوا على ممالك العراق والشام ومصر والمغرب ، وصارت ملكته على غير الصورة التي كانت اولًا ، فانقلب لغة اخرى . وكان القرآن منزلًا به والحديث النبوي منقولًا بلغته وهما اصلا الدين والملة ، فخشي تناسيهما وانغلاق الافهام عنهما بفقدان اللسان الذي نُزّلا به فاحتيج الى تدوين احكامه ووضع مقاييسه واستنباط قوانينه .

وصار علماً ذا فصول وابواب... سماه اهله بعلم النحو : فاصبح فناً محفوظاً وسلّماً الى فهم كتاب الله وسنة رسوله وافياً .

٢ — طريقة تعليمها تتلخص فيما يلي : ١ً : ان يأخذ المتعلم نفسه بحفظ كلامهم القديم الجاري على اساليبهم من القرآن والحديث وكلام السلف ومخاطبات فحول العرب في اسجاعهم واشعارهم وكلمات المولدين ايضاً في سائر فنونهم حتى يتنزل لكثرة حفظه لكلامهم من المنظوم والمنثور منزلة من نشأ بينهم ولقن العبارة عن المقاصد منهم .

٢ً : يتصرف بعد ذلك في التعبير عما في ضميره على حسب عباراتهم وتأليف كلماتهم وما وعاه وحفظه من اساليبهم وترتيب الفاظهم فتحصل له هذه الملكة بهذا الحفظ والاستعمال ويزداد بكثرتها رسوخاً وقوةً ، ويحتاج مع ذلك الى سلامة الطبع والتفهم الحسن لمنازع العرب واساليبهم في التراكيب ومراعاة التطبيق بينها وبين مقتضيات الاحوال والذوق يشهد بذلك وهو ينشأ ما بين هذه الملكة والطبع السليم فيها .

٣ً : على قدر المحفوظ وكثرة الاستعمال تكون جودة المقول المصنوع نظماً ونثراً . ومن حصل على هذه الملكات فقد حصل على لغة مضر . وهو الناقد البصير بالبلاغة فيها .

٤ً : لا يكفي العلم بقوانين اللغة العربية من غير اكتساب ملكتها ، والّا فيكون المتعلم بمثابة من يعرف صناعة من الصنائع علماً ولا يحكمها عملاً لذلك نجد كثيراً من جهابذة النحاة والمهرة في القوانين اللغوية ، اذا سئل في كتابة سطرين الى اخيه او ذي مودة ، او شكوى ظلامة ، او قصد من قصوده ، اخطأ فيها عن الصواب واكثر من اللحن ، ولم يجد تأليف الكلام لذلك والعبارة عن المقصود على اساليب اللسان العربي .

بينما نجد كثيراً من يحسن هذه الملكة ولا يحسن اعراب الفاعل من المفعول ولا المفعول من المجرور ، ولا شيئاً من النحو .

٥ً — ان ملكة البلاغة في اللسان تهدي البليغ الى جودة النظم وحسن التركيب الموافق لتراكيب العرب في لغتهم ونظم كلامهم . ولو رام صاحب

هذه الملكة حيداً من هذه السبل المعينة والتراكيب المخصوصة لما قدر عليه، ولا وافقه عليه لسانه . لانه يعتاده ولا تهديه اليه ملكته الراسخة عنده . واذا عرض عليه الكلام حائداً عن اسلوب العرب وبلاغتهم في نظم كلامهم ، اعرض عنه ومجّه ، وعلم انه ليس من كلام العرب الذين مارس كلامهم . وربما يعجز عن الاحتجاج لذلك كما يفعل اهل القوانين النحوية والبيانية .

٦ : وأخيراً لتعلم الشعر يضاف الطرائق الآتية : وهي الحفظ من جنسه أي من جنس شعر العرب حتى تنشأ في النفس ملكة ينسج على منوالها . ويتخير المحفوظ من الحر النقي الكثير الأساليب . ثم بعد الامتلاء من الحفظ وشحذ القريحة للنسج على المنوال ، يقبل على النظم . وبالإكثار منه تستحكم ملكته وترسخ . وربما يقال من شرطه نسيان ذلك المحفوظ ، لتمحى رسومه الحرفية الظاهرة . إذ هي صادرة عن استعمالها بعينها ، فإذا نسيها وقد تكيفت النفس انتقش الاسلوب فيها كأنه منوال يؤخذ بالنسج عليه بأمثالها من كلمات أخرى ضرورة .

ثم لا بد له من الخلوة واستجادة المكان المنظور فيه من المياه . . . ثم مع هذا كله فشرطه أن يكون على جمام ونشاط فذلك أجمع له وأنشط للقريحة . . . ص ٥٧٤

٣ – الحساب والهندسة :

١ – لتعليم الحساب قيمة عملية وقيمة فكرية وقيمة خلقية : ١) فالحساب احتيج اليه في المعاملات وألف الناس فيه كثيراً وتداولوه في الأمصار بالتعليم للولدان . ٢) ومن احسن التعليم عندهم الابتداء به لأنه معارف متضحة وبراهين منتظمة فينشأ عنها في الغالب عقلٌ مهيء دربٌ على الصواب . ٣) وقد يقال من اخذ نفسه بتعليم الحساب أوّل امره إنه يغلب عليه الصدق لما في الحساب من صحة المباني ومناقشة النفس فيصير ذلك خُلقاً ويتعود الصدق ويلازمه مذهباً . ص ٤٨٢

٢ – علم الفرائض يحتاج عند المصنفين الى الغلو في الحساب وفرض المسائل التي تحتاج الى استخراج المجهولات من فنون الحساب كالجبر والمقابلة والتصرف

في الجذور وأمثال ذلك فيلأون بها تآليفهم . وهو إن لم يكن متداولاً بين الناس ولا يفيد الا فيما يتداولونه من وراثتهم لغرابته وقلة نوعه ، فهو يفيد الإتقان وتحصيل الملكة في المتداول على أكمل الوجوه . ص ٤٥٢

٣ — في الهندسة : ١ً : يحتاج اليها الناس في صناعة البناء ، وعلم الحيل (اي الميكانيك) . . . وبناء الهياكل انما تم في الحضارات القديمة بفضل الحيل الهندسية . ص ٤٠٩ . ٢ً : ثم لها قيمة فكرية : لان براهينها كلها بينة النظام ، جلية الترتيب ، لا يكاد الغلط يدخل في اقيستها ، لترتيبها وانتظامها . فيبعد الفكر ممارستها عن الخطأ ، وينشأ لصاحبها عقل على ذلك المهيع . . . ص ٤٨٦ . ٣ً : ثم لها قيمة خلقية : وقد كتب افلاطون على بابه « من لم يكن مهندساً فلا يدخلن منزلنا » وكان شيوخنا رحمهم الله يقولون . ممارسة علم الهندسة للفكر بمثابة الصابون للثوب الذي يغسل منه الاقذار ، وينقيه من الأوضار والأدران ، وانما ذلك لما اشرنا اليه من ترتيبه وانتظامه . ص ٤٨٦ .

٤ — تعليم التاريخ :

١ — ان علم التاريخ من العلوم التي تداولته الامم والاجيال وتُنشد اليه الركائب والرِّحال ، وتسمو الى معرفته السوقة والأغفال . وتتساوى في فهمه العلماء والجهال . ١ً : الّا انه في ظاهره لا يزيد على اخبار عن الايام والدول والسوابق من القرون الاولى ، تنمو فيها الاقوال ، وتضرب بها الامثال ص ٤ . ٢ً : اما في باطنه ، فيعرّفك كيف دخل اهل الدول من ابوابها ، حتى تنزع من التقليد يدك ، وتقف على احوال ما قبلك من الايام والأجيال وما بعدك ص ٦ . ٣ً — وحتى تتم لك فائدة الاقتداء ايضاً ، لمن ترومه في احوال الدنيا والدين بتعرفك على احوال الامم في اخلاقهم والانبياء في سيرهم والملوك في دولهم وسياستهم . ص ٩ .

٢ — ليس التاريخ رواية تقص او تدون فقط . انما يفيد في المناقشات والمحاكمات : ويحتاج صاحب هذا الفن الى العلم بقواعد السياسة وطبائع الموجودات واختلاف الامم والبقاع (لذلك فهو محتاج الى علم الجغرافية) والاعصار في السير والاخلاق والعوائد والنحل والمذاهب وسائر الاحوال

والإحاطة بالحاضر من ذلك ومماثلة ما بينه وبين الغائب من الوفاق او بون ما بينهما من الخلاف وتعليل المتفق منها والمختلف... ص ٣٨

٤ – الفلسفة والكلام :

ليس للفلسفة بنظر ابن خلدون الّا فائدة واحدة : وهي شحذ الذهن في ترتيب الأدلة والحجج لتحصيل ملكة الجودة والصواب في البراهين . وذلك أنّ نظم المقاييس وتركيبها على وجه الإحكام والاتقان هو كما شرطوه في صناعتهم المنطقية وقولهم بذلك في علومهم الطبيعية . وهم كثيرًا ما يستعملونها في علومهم الحكمية من الطبيعيات والتعاليم وما بعدها...

– هذه هي ثمرة الفلسفة مع شروط الإطلاع على مذاهب أهل العلم وآرائهم ومضارها . فليكن الناظر فيها متحرزًا جهده من مغاطبها وليكن نظر من ينظر فيها بعد الامتلاء من الشرعيات والاطلاع على التفسير والفقه. ولا يكبنّ احد عليها وهو خاوٍ من علوم الملّة . فقلّ ان يسلم لذلك من مغاطبها . ص ٥١٩

٢ – العلوم العربية والحساب للشرعيات كالمنطق للفلسفة . وربما كان المنطق آلة لعلم الكلام ولأصول الفقه على طريقة المتأخرين . ص ٥٣٧

٣ – في علم الكلام : ان امهات العقائد الايمانية مطلة بأدلتها العقلية وادلتها من الكتاب والسنة كثير . وعن تلك الأدلّة اخذها السلف وارشد اليها العلماء وحققها الأئمة . إلا انه عرض بعد ذلك خلاف في تفاصيل هذه العقائد اكثرُ مثارها من الآي المتشابهة . فدعا ذلك الى الخصام والتناظر والاستدلال بالعقل وزيادة الى النقل . فحدث بذلك علم الكلام . – وعلم الكلام اجمالا يفيد في تقرير العقائد الايمانية وتثبيتها بطريق الادلة والبراهين. ص ٤٦٢ . ولكن فائدته في آحاد الناس وطلبة العلم منحصرة . ولا ينبغي ان تخرج الى العامة . ص ٤٦٧

الفصل الثالث

التربية الفنية
Education technique

١ – الفكر والصناعة :

١ – ان وجود الصنائع دون الفكر ممتنع ، لأنها ثمرته وتابعة له – ص ٤١١ ه . وبتعبير آخر ان العمل الصناعي مسبوق بتصورات – ص ٥٢٧ . مثال ذلك : التفكير في ايجاد سقف يسكنه العامل ، فهو ينتقل بذهنه الى الحائط الذي يدعمه ، ثم الى الاساس الذي يقف عليه الحائط ، فهو آخر الفكر . ثم يبدأ في العمل بالاساس ، ثم بالحائط ثم بالسقف ، وهو آخر العمل وهذا معنى قولهم : اول العمل آخر الفكرة ، واول الفكرة آخر العمل . ص ٣٦٤ طبعة كاترمير ج ٢

٢ – فالفكر وحده لا يكفي . اذ ينبغي التمرين وحصول الملكة . مثال ذلك : قد يقول بصير بالخياطة غير محكم ملكتها في التعبير عن بعض أنواعها : الخياطة هي أن يدخل الخيط في خرق الإبرة ، ثم يغرزها في لفتي الثوب مجتمعين ، ويخرجها من الجانب الآخر ، بمقدار كذا . ثم يردها الى حيث ابتدأت ويخرجها قدام منفذها الاول بطرح ما بين الثقبين الأولين . ثم يتمادى على ذلك الى آخر العمل . . . ويعطي صورة الحبك والتثبيت والتنقيح وسائر انواع الخياطة واعمالها . وهو اذا طولب ان يعمل ذلك بيده لا يحكم منها شيئاً .

مثال آخر : اذا سئل عالمٌ بالنجارة عن تفصيل الخشب فيقول : هو ان تضع المنشار على رأس الخشبة وتمسك بطرفه وآخر قبالتك يمسك بطرفه الآخر ، وتتعاقبانه بينكما واطرافه المضرسة المحددة تقطع ما مرّت عليه ذاهبة وجائية ، الى ان ينتهي الى آخر الخشبة وهو لو طولب بهذا العمل او شيء منه لم يحكمه . ص ٥٦٠

٢ – الصناعة والفكر :

١ – كل صناعة مرتبة يرجع منها الى النفس اثر يكسبها عقلاً جديداً ، تستعد به لقبول صناعة اخرى ، ويتهيأ بها العقل بسرعة الادراك للمعارف . وان حسن الملكات في التعليم والصنائع وسائر الأحوال العادية يزيد الانسان ذكاء في عقله واضاءة في فكره ، بكثرة الملكات الحاصلة للنفس . وان كان اهل الحضر اكثر ذكاء وتعمقاً في التفكير ، فن رونق الصنائع والتعليم فهذه لها آثارها . ص ٤٣٤

٢ – الصنائع ابداً يحصل عنها وعن ملكتها قانون علمي مستفاد من تلك الملكة . فلهذا كانت الحنكة في التجربة تفيد عقلاً والحضارة الكاملة تفيد عقلاً . ص ٤٢٨

٣ – فالصناعة هي ملكة في امر عملي فكري . وبكونه عملياً هو جسماني محسوس . والاحوال الجسمانية المحسوسة نقلها بالمباشرة اوعب لها واكمل . لان المباشرة في الاحوال الجسمانية المحسوسة اتم فائدة . ونقل المعاينة اوعب واتم من نقل الخبر والعلم . ويشترط اجمالاً في كل صناعة ان تتكون ملكتها بالتدريج شيئاً فشيئاً لان الملكة صفة راسخة تحصل عن استعمال ذلك الفعل وتكرره مرة بعد اخرى . وعلى نسبة الاصل تكون الملكة .

٣ – ملاحظة :

١ – قصدنا بالتربية الفنية بما يسمى بالتربية الصناعية . وكنا ننتظر ان ابن خلدون يبحث في التربية الفنية بما يخص الفنون الجميلة . فلم نعثر له في مقدمته الا اشارات عَرَضية عنها . والشيء البارز الذي تكلم عنه هو « فن الخط » كصناعة من جهة وفن جميل من جهة اخرى . ١) فن حيث هو صناعة لا شك صناعة لها قيمتها العملية سواء في دواوين الخلفاء (ص ٢٣٦) او كواسطة تخلد الافكار والعلوم بنسخ الكتب والرسائل (ص ٤٠٦) . ٢) ومن حيث هو فن جميل نوعٌ من انواع الرسم يتفنن في خطه الخطاطون (ص ٤١٨).

يقول ابن خلدون : « الكتابة من خواص الانسان التي يتميز بها عن

الحيوان . وايضاً هي تُطلع على ما في الضمائر .وتتأدى بها الاغراض الى البلاد البعيدة فتقضي الحاجات وقد دفعت مؤنة المباشرة لها ويُطلع بها على العلوم والمعارف وصحف الاولين وما كتبوه من علومهم واخبارهم . فهي شريفة بهذه الوجوه والمنافع وخروجها في الانسان من القوة الى الفعل إنما يكون بالتعليم . وعلى قَدَر الاجتماع والعمران والتناغي في الكمالات والطلب لذلك تكون جودة الخط في المدينة إذ هو من جملة الصنائع . . . ص٤١٧ .

٢ — ولم يذكر ابن خلدون الغناء الّا مرة واحدة في مقدمته كفن جميل شريف . ذكره بمناسبة الكتابة ايضاً . قال ابن خلدون : «اما الكتابة وما يتبعها من الوراقة فهي حافظة على الانسان حاجته ومُقيّدة لها عن النسيان ومُبلغة ضمائر النفس الى البعيد النائب ومُخلدة نتائج الافكار والعلوم في الصحف ورافعة رُتبَ الوجود للمعاني . واما الغناء فهو نسب الاصوات ومظهر جمالها للأسماع . وكل هذه الصنائع الثلاث داعٍ الى مخالطة الملوك في خلواتهم ومجالس انسهم فلها بذلك شرفٌ ليس لغيرها . (ص ٤٠٦) .

ادبار دمشق وبرّها : ٣ [1] بقلم حبيب زيات

١٢
دير الرصافة

هو دير حنينا

قال البكري هو بدمشق [2] ويظهر انه نقل ذلك عن ابي الفرج الاصبهاني وورد نظيره في كتاب الديرة للسيناطي كما جاء في معجم البلدان قال ياقوت ما ارى الا انه غلط منه . وبين الرصافة هذه ودمشق ثمانية ايام وقد اجتاز ابو نواس بهذا الدير وقال فيه :

ليس كالدير بالرصافة دير فيه ما تشتهي النفوس وغوى
بتُّ ليلة قضيت اوطا رًا ويومًا ملأت قُطريه لهوا [3] .

ولا يدرى ما كان اسم هذا الدير قبل قدوم العرب وبناء الرصافة بالقرب منه ولذلك تنوسي لقبه النصراني ككثير من القاب الديارات امثاله التي انتسبت في الاسلام الى مواقعها او الى جيرانها من ارباب الضياع والبقاع وتعرّت من اسمائها الرهبانية القديمة بحيث يتعذر اليوم على المؤرخ معرفة من كان يحتلها من الروم او السريان ولكن يؤخذ من قول البكري ان دير الرصافة من بناء الروم انه كان للروم الملكية .

وقد نشأ عن ضياع هذه الاسماء الرومية او السريانية وهم وقع فيه غير واحد من مؤلفي كتب الديارات لاعتبارهم الدير الواحد — اذا اتفق احيانًا معرفة اسمه القديم واشتهر مع ذلك باسمه الحديث — ديرين مستقلين لا صلة لاحدهما بالآخر ومن هذا القبيل عدّهم دير الرصافة خلاف دير حنينا وقد اسعدنا الحظ بالوقوف على شهادة أُنف اصبناها في تاريخ ابن عساكر المخطوط يستدل

١) انظر المشرق ١٩٤٨ ص ٢٢٨ ، و ١٩٤٩ ص ٨٠
٢) معجم ما استعجم طبعة مصطفى السقا ١٩٤٧ ج ٣ ٥٨٠ — ٥٨٢
٣) معجم البلدان طبعة اروبة ٢ : ٦٦١

من مقابلة ابياتها وخبرها بالابيات والخبر الواردة في اوصاف دير الرصافة ان هذا الدير هو بعينه دير حنينا الذي تقدم تعريفه وهذا نص ما نقله ابن عساكر في ترجمة الفرخ رجل من بني امية قال :

« له قصة مع المتوكل قرأت بخط أبي الحسين الرازي . . حدّث محمد بن سعيد الربعي قال : لما اراد جعفر المتوكل الخروج من الشام الى العراق احبّ ان يعمل طريقه على البرية لينظر الى آثار بني أمية ومصانعهم وكان في طريقه دير يُعرف بدير حنينا فلما اتسع على ذلك اتصل خبره ببعض موالي بني أمية فقال والله لاتضمنّ عليه نزهته بأبيات اصيرها ثم تقدمه الى الدير فجعل لصاحب الدير جُعلاً على ان يدعه يكتب في صدر الهيكل ابياتاً فأذن له فكتب :

ايا منزلاً بالدير اصبح خاوياً تلاعب فيه شمأل ودبور
كأنك لم تغطك بيض براعم ولم تتبختر في فنائك حور
وابناء املاك عمائم سادة صغيرهم عند الانام كبير
اذا نزعوا تيجانهم نصراغم وان لبسوا تيجانهم فبدور
على انهم يوم اللقاء قساور ولكنهم عند السؤال بحور
ولم يصبح الصهريج والناس حوله عليه فساطيط لهم وخدور
وحولك رايات لهم وعساكر وخيل لها بعد الصهيل خرير
ليالي هشام بالرصافة قاطن وفيك ابنه يا دير وهو امير
اذ الملك غضّ والخلافة لدنة وانت خصيب والزمان طرير
وروضك مرتاض وربعك رائع ووجه بني مروان فيك نضير
بسلمة الميمون وهو الذي له تكاد قلوب المشركين تطير
بلى فسُقيت الغيث صوب سحائب عليك جما سعد الرواح بكور
تذكرت قومي بينهم فبكيتهم بشجو واني بالبكاء لجدير
وعزّيت نفسي وهي نفس اذا جرى لها ذكر قومي أنّة وزفير
رويدك ان اليوم يعقبه غد وان صروف الدائرات تدور
لعل زماناً جار يوماً عليهم لهم بالذي تهوى النفوس يجور
فيفرح مرتاب ويأمن خائف ويطلق من حبل الوثاق اسير

فلما قرأها المتوكل قال والله ما كتب هذا الا رجل من بني أمية يريد ان ينغص عليّ ما انا فيه فمن اتاني به فله دينه فطُلب فأُتي به واذا هو رجل من بني أمية من اهل دمشق يعرف بالفرخ فامر بقتله وقال : بما قدمت يداك وما الله بظلام للعبيد . قال ابو الحسين راوي هذه الحكاية ان المتوكل لما قرأها بكى بكاء شديداً وامر بهدم الموضع »[11] .

(١) تاريخ ابن عساكر في الظاهرية دمشق ١٩ : ١٤٥

وذكر ابو الفرج الاصبهاني في كتابه الديارات الذي نقل عنه الشهاب العمري في كتابه مسالك الابصار ان اول من قصّ هذه الحكاية هو ابن حمدون الذي صحب المتوكل الى دمشق ونقلنا من لفظه زيارته لديارات باب الفراديس وكنائسها في كلامنا على دير صليبا وهو شاهد عياني يوثق به كل الثقة ويظهر ان المتوكل لم يأمر بهدم الدير او الهيكل الذي زعم ابو الحسين الرازي انه كتبت في صدره الابيات ويبعد جدًا ان يكون الديراني اجاز لاحد كتابتها في صدر الهيكل ولعل الاصح قول ياقوت ان الابيات كانت في رقعة ملصقة في حائط من حيطان الدير حيث قرأها المتوكل ولا يتضح لنا السبب الذي دعا المتوكل الى البكاء عند قراءتها كما قيل وما يثبت انه لم يكن هناك هدم في الموضع ان ياقوت رأى هذا الدير وشهد انه من عجائب الدنيا حسنًا وعمارة وقد اتفق ياقوت والعمري والبكري على ان كاتب الابيات ليس هو الفرخ الدمشقي كما روى الرازي ولكنه رجل من وُلد روح بن زنباع الجذامي من اخوال هشام بن عبدالملك ولم يقل احد منهم ان الخليفة امر بقتله.

١٣

دير الرهبان الروم

بدمشق

كان بدمشق ديارات للرهبان اشار اليها سعيد بن بطريق في تاريخه (٢ : ٨٣ طبعة بيروت) ولكنه اهمل تعدادها وتسميتها فلا سبيل لنا اليوم الى معرفة شيء منها ويؤخذ من شهادة المعلم علي بن محمد بن التقي المهندس الذي ذكره شهاب الدين العمري في كتابه مسالك الابصار انه كان في الرواق الذي كان يحيط بكنيسة يوحنا من الجهات الاربع قلالي وصوامع[1] كانت داخلة في الاديار التي حول الكنيسة.

وفي سنة ١٣٣٥ مرّ احد زوار فلسطين بدمشق وشاهد في اواسط المدينة

(١) مسالك الابصار للعمري ١ : ١٨٩

ديرًا يسكنه بعض رهبان الروم[1] (caloyers) ولا يبعد انه كان بجوار كنيسة مريم ولعله كان ايضاً في جملة الديارات التي انتهبت سنة ١٢٤ ومنها دير للنساء بجانب الكنيسة المذكورة كما سيجيء من كلام سعيد بن بطريق .

١٤

دير زكّى

بدمشق

زكى من الاسماء المعروفة بين النصارى واشتهر به دير في ازمل وقيل في الرقة وقد انفرد ياقوت بذكر دير زكى في الشام وكان في زمانه « قرية بغوطة دمشق » قال : وقد مرّ بهذا الدير عبدالله بن طاهر ومعه اخ له فشربا فيه وخرجا الى مصر فمات اخوه بها وعاد عبدالله بن طاهر فنزل في ذلك الموضع فتشوق اخاه فقال :

ايا سروتي بستان زكى سلمتما وغال ابن امي نائب الحدثان
ويا سروتي بستان زكى سلمتما ومن لكما ان تسلما بامان[2]

وقد فاتنا ما قاله مؤلفو كتب الديارات في هذا الدير لضياعها كلها وسقوط اخبار اديار الشام في نسخة كتاب الشابشتي المحفوظ في برلين وفي خزانتنا صورة عنه ومع اننا طالعنا تاريخ ابن عساكر في مجلداته الضخمة السقيمة في ظاهرية دمشق فلم نوفق الى العثور مرة على اسم دير زكى بين اسماء القرى التي نزلها او نشأ فيها من مر بدمشق من رجال ابن عساكر.

١٥

دير سركيس وباخوس

في معلولا

لا يزال هذا الدير قائماً في ذروة جبل يشرف على معلولا يسمى مكانه

(١ Jacques de Vérone : *Le Pèlerinage du moine Augustin Jacques de Vérone* (Revue de l'Orient Latin LII, 1895 Paris n° 2 p. 138

(٢ معجم البلدان ٢ : ٦٦٥

بالمعلولية « بلوطا عليا » اي البلد الاعلى والمرتقى اليه صعب شاقّ ولذلك لم ترد اقل اشارة اليه في الآثار الاسلامية لبعده عن طريق الزوار والمتنزهين ولا يُدرى في الحقيقة متى كان بناؤه ومن اقام فيه من الرهبان وفي خزانة بريتيش موزيوم كتاب صلوات في السريانية (اكتويخوس) تم نسخه في ٢٩ شباط سنة ١٥٢٤ للاسكندر اي ١٢١٣ للميلاد كان موقوفاً على الدير[1] ويظهر ان مرضى النصارى ما فتئوا يترددون اليه طلباً للشفاء لاشتهاره بعجائب القديس سرجيوس حتى كما نبه على ذلك الشماس بولس الحلبي في كتابه « رحلة البطريرك مكاريوس الى البلاد المسيحية» حين زار اديار دمشق سنة ١٦٤٢ في صحبة والده ملاتيوس الزعيم مطران حلب[2] .

والدير اليوم في ملك الرهبان المخلصيين من الروم الكاثوليك واول رئيس عليه عُرف منهم الخوري امبروسيوس زعرور سنة ١٧٥٣ ومن الغريب انه مع كل ما امتاز به من حسن الموقع وجمال المُطَلّ لا يزال مُطَّرحاً مهملاً خالياً من كل جمال ورياش في ابنيته ومعبده لقلة اكتراث الرهبان له مع كونه الدير الاوحد الذي لهم في انحاء الشام وفي بقائه على هذه الحال من الاهمال عار على الرهبانية لقدرتها على ترميمه واصلاحه وبناء بعض غرف فيه تليق بها وبزواره ولهم في دير مارت تقلا للروم الارثذكس عبرة كافية.

١٦

دير سمعان

في جبل قاسيون

اشتهر هذا الدير بموت عمر بن عبد العزيز فيه ولكن اشتد الخلاف في موقعه وتعددت الاقوال والظنون في تعيين المكان الذي اعتلّ الخليفة الاموي فيه فروى الطبري[3] وتابعه ابن الاثير[4] انه قضى نحبه في خناصرة واضاف صاحب

١) خزائن الكتب في دمشق وضواحيها ١٥٨

٢) خزائن الكتب في دمشق وضواحيها ١٣٤ – ١٣٨

٣) تاريخ الرسل والملوك المطبعة الحسينية القاهرة ٨ : ١٣٧

٤) الكامل لابن الاثير القاهرة سنة ١٣٠١ ج ٥ : ٢٧

كتاب البدء والتاريخ انه لما مرض فيها « دخل عليه بعض بني امية فرآه على فراش ليف تحته وسادة من أدم مسجّى كاسف اللون »[1] وهذا الوصف هو احد الاخبار الموضوعة لإطراء زهد الخليفة وفقره وتقواه .

وفي طبقات ابن سعد ان وفاته كانت بخناصرة ودفنه في دير سمعان[2] ولم يقل اين كان الدير وورد مثل ذلك في سيرة عمر لابن الجوزي (ص ٢٨٦) وفي كتاب العيون والحدائق انه توفي بخناصرة ودفن بدير سمعان من ارض المعرة (٣ : ٦٣) وعرّف ابن حوقل خناصرة بانها « حصن يحاذي قنسرين الى ناحية البادية وعلى شفيرها وبيفها كان يسكنه عمر بن عبد العزيز »[3] وممن ذهب ايضاً الى ان وفاة عمر كانت بخناصرة ابو الفداء وابن الوردي[4] وآخرون من المؤرخين .

وحكى في ضد ذلك ابن واضح اليعقوبي ان عمر بن عبد العزيز « خرج الى دمشق فنزل دار ابيه التي كانت الى جانب المسجد[5] واقام عشرين يوماً وكثر عليه الناس فارتحل الى مدينة حمص راجعاً يريد ان ينزلها فلما صار الى اوائل حمص اعتلّ فمال الى موضع يعرف بدير سمعان فنزله ويقال بل ارتحل اليه قاصداً يريد نزوله بسبب قطعة ارض كان ورثها عن امه فيه »[6] واقتصر المسعودي على هذا الرأي ونص على ان دير سمعان كان من اعمال حمص مما يلي قنسرين وان قبر عمر كان في ايامه (سنة ٣٣٢=٩٤٤) الى هذه الغاية معظماً يغشاه كثير من الناس من الحاضرة والبادية ولم يُعرَض لنبشه في ما سلف من الزمان كما عُرض لقبور غيره من بني امية »[7] وروى ابن عساكر « ان عمر بن عبد العزيز مات يوم الجمعة لخمس بقين من رجب (سنة ١٠١ = ٧٢٠) بدير سمعان من ارض

١) كتاب البدء والتاريخ طبعة هوار ٦ : ٤٧

٢) طبعة اروبة ٥ : ٣٠١

٣) كتاب صورة الارض الطبعة الثانية القسم الاول ١٧٩

٤) المختصر في اخبار البشر ١ : ٢١٢ وتتمة المختصر ١ : ١٨١

٥) دار عبد العزيز بن مروان بدمشق هي « هذه الخانقاه الملاصقة للجامع المعروفة بالشميساطية » (تهذيب الاسماء واللغات للنووي طبعة اروبة ٣٩٣)

٦) تاريخ اليعقوبي طبعة ليدن ٢ : ٢٦٨ – ٢٧٠

٧) مروج الذهب طبعة باريس ٦ : ٤١٦ – ٤١٧ والتنبيه والاشراف طبعة ليدن ٣١٦

حمص[1] وعنه اخذ شمس الدين الذهبي[2] والنووي[3] وغيرهما من النقلة والرواة وتردد ابن الجوزي بين خناصرة كما تقدم وحمص بدير سمعان واشاروا الى ان قبره هناك مشهور يُزار ويتبرك به.

ورجح دفنه في حمص من المتأخرين الشيخ عبد الغني النابلسي وحكى في رحلته الحقيقة والمجاز « انه زار القبر وهو في مسافة ميل من بلدة حمص قال : واشرفنا عليه فوجدناه متهدم الجدران من الجهات الاربع في وطاءة من الارض ولم نجد هناك قبراً ولا شيئاً يدل على انه كان هناك قبر معلوم بل قيل لنا هذا مكان دير سمعان وآثاره تدل عليه ولوامع الانوار يشرق لديه...وهو مشهور عند اهل حمص انه مدفون في ذلك الدير»[4]

وكانت صحة القبر في حمص مشكوكاً فيها في ايام صلاح الدين الايوبي ولما مرّ بحلب سنة ٥٨٤=١١٨٨ وتوجه منها قاصداً معرة النعمان احب فيها زيارة الشيخ الزاهد ابي زكريا المغربي وعنده مشهد يقال انه لعمر بن عبد العزيز فتبرك بزيارة الحي والميت ثم قفل راجعاً وبعد ان اجتاز حماة وقلعتها « اصبح راحلاً ولم يقم بحمص»[5] واعرض عن القبر المنسوب فيها للخليفة الاموي وهو ما يدل على ان هذه النسبة كانت قد ضعفت في زمانه ولذلك لم يحفل بها.

وهذا المشهد الذي آثر صلاح الدين التبرك به كان في ضواحي معرة النعمان في دير يقال له النقيرة زعموا ان عمر بن عبد العزيز كان مدفوناً فيه لاعتقادهم ان دير سمعان هو اسم مدفن الخليفة حيثما كان من الامكنة وقد دافع غير واحد عن صحة مدفن عمر في النقيرة وفي طليعتهم شهاب الدين العمري الدمشقي وتصحف اسم النقيرة في كتابه مسالك الابصار ورُوي فيه « البقرة »[6] وتقدمه في هذا الوهم القاضي جمال الدين بن واصل ووافقه عليه ابن الوردي واليافعي

١) تاريخه المخطوط في دار الكتب الظاهرية (رقم ٣٣ تاريخ) ٧ : ١٢٠ – ١٢١
٢) دول الاسلام طبعة حيدر اباد ١ : ٥٢
٣) تهذيب الاسماء واللغات طبعة اروبة ٣٩٣
٤) دار الكتب الظاهرية (٥٥ ادب) ص ٥
٥) كتاب الروضتين في اخبار الدولتين لابي شامة ٢ : ١٢٤
٦) مسالك الابصار الجزء الاول المطبوع ٣٥٣

وابن الشحنة . قال صاحب مراصد الاطلاع : « قبر عمر بن عبد العزيز في قرية تعرف بالنقيرة وكان موضعه ديرًا فخرب وسألت بعض اهل المعرة عنه فقالوا الذي فيه قبر عمر بن عبد العزيز يعرف بدير النقيرة ودير سمعان دير آخر قريب منا ولعل الدير الذي بالنقيرة قد كان يسمى دير سمعان »[1]

ومن الرحالين الذين زاروا قبر النقيرة الشيخ علي بن ابي بكر الهروي مؤلف كتاب الزيارات قال: دير النقيرة من بلد المعرة به قبر عمر بن عبد العزيز وقبر الشيخ ابي زكريا المغربي من كبار الصالحين وقيل قبره بدير سمعان والمشهور هذا »[2] ثم مرّ من بعده ابن بطوطة بمعرة النعمان وقال : بخارجها على فرسخ منها قبر امير المؤمنين عمر بن عبد العزيز ولا زاوية له ولا خديم له وسبب ذلك انه وقع في بلاد صنف من الرافضة ارجاس يبغضون العشرة من الصحابة رضي الله عنهم ولعن متبغضهم ويبغضون كل من اسمه عمر وخصوصاً عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه لما كان من فعله في تعظيم علي »[3]

وقد تعددت في انحاء الشام الاديار المسمّاة باسم سمعان واشتهر معظمها في جوار حلب وانطاكية ودمشق وحمص والمعرة ولذلك حار المؤرخون في تعيين مدفن عمر في احدها واجمعوا كلهم انه لم يكن في انطاكية في الجبل المعروف قديماً بالجبل العجيب وانفرد كاتب ترجمة عمر في معجم الموسوعات الاسلامية بالظن خطأً ان الخليفة دفن في نواحي حلب[4] اي بين جبل عُلَيم والجبل الاعلى في الدير المعروف اليوم بسمعان العمودي الذي باطلاله ودِمَنه العجيبة.

وقد اطلنا البحث في ما تناولته اليد من الآثار النصرانية الباقية فلم نقف على اقل اشارة الى دير لسمعان بجوار حمص ولا ندري متى حلّ الخراب به وتحولت بقعته الى شبه قريه اشتهرت بالنسبة اليه كاشتهار غيرها من بقاع الاديار ومن اجلها صرّح النووي ان دير سمعان كان « قرية قريبة من حمص » وهي التي وجدها النابلسي خاوية خالية ليس فيها اثر للدير او للقبر.

١) مراصد الاطلاع في اسماء الامكنة والبقاع طبعة اروبة ٦٣٢

٢) كتاب الزيارات في مجموع (رقم ١٠ تصوف) في دار الكتب الظاهرية بدمشق

٣) رحلته طبعة باريس ١ : ١٦٥

٤) Encyclopédie de l'Islam p. 1046

وفي ضد ذلك اسعدنا الحظ بالعثور على ذكر لدير سمعان في النقيرة وجدناه في كتاب للشماس بولس الحلبي ابن البطريرك مكاريوس الزعيم بخط قلمه في تاريخ انطاكية المحفوظ عندنا وقد وصف فيه سمعان مرة « بالقديس الناسك وانه كان اولاً في الجبل الاوسط ثم انتقل الى معرة النعمان ويدعى سمعان النقيري صاحب الجبل الاوسط » ثم نعته مرة اخرى « بالبار سمعان المسمى بالعتيق » ولما أرخ تذكاره في اليوم السادس والعشرين من كانون الثاني قال « انه منذ صباه آثر العيشة النقرية واحبها وسكن في مغارة صغيرة . . . وذهب الى الجبل ودخل في باطن المغارة التي اختفى فيها موسى قديماً . ثم عاد راجعاً من الجبل وعمر ديرين » وهذا القول يؤيد شهادة صاحب مراصد الاطلاع انه كان في النقيرة ديران باسم سمعان اشتهر الواحد وعفى الدهر على الآخر وجهل مكانه .

ومما تقدم يتبين جلياً تعدد الاديار السمعانية في الديار السورية وفيه حجة كافية لعذر كل خطإ في تعيين الدير الحقيقي الذي في ارضه كان قبر الخليفة عمر بن عبد العزيز ومن اجله اضطربت اقوال المؤرخين وتناقضت اراؤهم في النص على موضع واحد وقد كان يكفي احدهم ان يقع على اسم دير لسمعان ليعتقد انه كان مدفن عمر حيثما وجد من البلاد دون اقل بحث عن موقعه او انتقاد وقد اجمع الرواة على ان هذا الاسم هو اسم اللحد الذي اختاره عمر بنفسه ليكون مثوى له ومرقداً وابتاع هو مكانه من اصحاب الدير ونقدهم ثمنه على اختلافهم في تقدير هذا الثمن اختلافاً تعمدوا فيه النقص والمبالغة الى حد السخف ليوهموا زهد الخليفة الخارق الحد وفقره المدقع حتى زعم صاحب كتاب العيون والحدائق انه اشترى قبره بدينارين وعجز عن ادائهما فدفع اليهم ديناراً وقميصاً[1] وكأن ابن سعد استحيا ان ينقل في طبقاته مثل هذا الهزل والتهويل فروى ان الثمن كان عشرة دنانير[2] وابلغه ابن عساكر الى ثلاثين ديناراً قال ثم دعا بالدنانير فوضعها بيد النصراني[3]

١) كتاب العيون والحدائق . ليدن ٣ : ٦٢

٢) طبقات ابن سعد طبعة اروبة ٢٩٩

٣) تاريخ ابن عساكر المخطوط في دار الكتب الظاهرية بدمشق المجلد السابع الورقة ١١٨

ومن راجع نصوص الروايات القديمة التي نقلها ابو الفرج الاصبهاني والخالديان في كتاب الديارات واخذها عنها لا شك البكري في معجم ما استعجم وياقوت. في معجم البلدان يعلم حق العلم ان دير سمعان مدفن عمر كان دون اقل ريب « بنواحي دمشق في موضع نزه وبساتين محدقة به وعنده قصور ودور »[1] وبساتين لبني امية[2] بالقرب من الغوطة على قطعة من الجبل يطل عليها[3] وهو وصف ينطبق على جبل قاسيون ولكن يتعذر الاهتداء منه الى مكان الدير بالضبط لقلة احتفال الرواة والمؤرخين بالاجمال بالتخطيط والتحديد وقد بقيت لنا لحسن الحظ شهادة بلدية تعين على الدلالة على موقعه بوجه التقريب نقلها لنا ابن طولون احد علماء دمشق في المئة العاشرة في كتابه « القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية » في اثناء كلامه على المدرستين المعظمية والعزيزية وكان بناء الاولى سنة ١٢١/١٢٢٤ والثانية سنة ٦٣٥/١٢٣٧ قال: شمالي هاتين المدرستين حوش عظيم بحيطان عالية يقال انه دير سمعان كان . وله باب يفتح الى الشرق وداخله عدة قبور معظمة »[4]

وفي موضع التربة المعظمية في قاسيون كان في قول غير واحد من المؤرخين دير مران المشهور كما سيجيء في الكلام عليه فكان الديران اذن متجاورين وربما وقع الاشتباه والخلط بينهما كما يدل على ذلك قول الزبير ان معاوية وجه يزيدًا ابنه لغزو الروم فاقام يزيد بدير سمعان[5] بدلًا من دير مران في اشهر الروايات .

ويجب ان يكون الخراب قد اسرع الى دير سمعان بدمشق قبل منتصف القرن الثاني للهجرة لان صالح بن علي العباسي « حين قدم الشام سأل عن قبر عمر بن عبد العزيز فلم يجد احدًا يخبره حتى دُلّ على راهب فسأل عنه فقال :

---

١) معجم البلدان طبعة اروبة ٢ : ٦٧١ – ٦٧٢

٢) معجم ما استعجم للبكري طبعة القاهرة ١٩٤٧ ج ٢ : ٥٨٥ – ٥٨٦

٣) مسالك الابصار للعمري ١ : ٢٥١ – ٢٥٢

٤) القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية تحقيق الشيخ محمد احمد دهمان ١٣٣

٥) معجم ما استعجم للبكري ٢ : ٥٨٥ – ٥٨٦ وتاريخ ابن عساكر في الظاهرية ١٨ : ١٩٨ ظهر و١٩ : ٢٠٩

« أقبر الصديق تريدون ؟ هو في تلك المزرعة »[1] كذا دون اقل ذكر لمكانها ويستدل من قول المسعودي بوجود دير سمعان في اعمال حمص ان خبر موت عمر في غير دمشق كان قديماً سبق القرن الثالث وان مكانه في قاسيون كان قد تنوسي وزال ذكره من كل علم واثر حتى زعم البصروي في كتابه فضائل الشام انه « دفن بالباب الصغير من مقابر دمشق وهناك ضريح مشهور انه قبره »[2] ولا حاجة الى التنبيه على غرابة هذا القول ولم نجد من تابعه عليه بين كل من أرّخ دمشق .

وقد انكر شهاب الدين العمري وجود دير سمعان بقاسيون وزعم انه « ليس يسمع بدمشق لهذا الدير نابسة ولا يعرف لمكانه في الغوطة خضراء ولا يابسة » وعنده ان الدير هو في قرية تعرف بالبقرة (النقيرة) من قبلي معرة النعمان وبه قبر عمر بن عبد العزيز لا ينكر »[3] وفاته ان ياقوت نفى قبله نفياً باتاً وجود القبر في النقيره وجزم ببقائه بين قومه في حاضرة الامويين . ومن العجيب ان يجهل العمري ما علمه بلديه ابن طولون بعده بقرنين ويقدم على تخطئة ابي الفرج الاصبهاني والخالدي لقولهما بقدم دير سمعان بدمشق .

وربما استعظم من ليست له مشاركة في تاريخ الاديار دفن خليفة اموي في دير نصراني والحقيقة ان اسم دير سمعان كان يطلق ليس على منزل الرهبان فقط بل على كل ما احاط به وجاوره من الدور والقصور والجنان والمزارع كما كانت تعرف بقعة دير مران بنفس الاسم دون تمييز ومن احدى قطع الارض التي كانت تحدق بدير سمعان وكانت جارية في ملك الرهبان اشترى عمر محل قبره كما سبق ويظهر انه كان له دار في بقعة دير سمعان مجاورة لهذه الارض فاختار ان يدفن فيها ليكون غير بعيد عن منزله وقد شهد خصي اسود كان له بوجود هذه الدار وقال : « دخلت على عمر بن عبد العزيز في يوم شات في داره بدير

---

١) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي ٢٩

٢) الحقيقة والمجاز لعبد الغني النابلسي دار الكتب الظاهرية بدمشق (٥٥ ادب) الورقة ٣٠

٣) مسالك الابصار ٢٥١ - ٢٥٣

سمعان وألفيته قاعدًا في زاوية الدار في الشمس »[1] ولا تخفى قيمة هذه الشهادة التي حفظها لنا انس بن مالك .

ومن عرف دير سمعان من الشعراء جرير دخله في يوم عيد فرأى النساء والصبيان يقبلون الصلب ويسجدون لها فقال :

رأيت بدير سمعان صليبا تقبله الشوادن والظباء
تعظمه الفرس وتحتويه فترشفه ويخنقها البكاء
فقلت مع هل غير عود تنكه اعوجاج واستواء[2]

ولا يخفى ظرف هذه الابيات ولعله دخل الدير في احدى زياراته باب الفراديس حين كان يؤرقه فيه صوت سجاج وضرب النواقيس . ومن بعده مرّ بدير سمعان ابو فراس بن ابي الفرج الجاعي واحزنه ما رآه عليه من الخراب فقال يخاطبه في ظن ياقوت والارجح عندنا انه كان يعني دير سمعان بالقرب من حلب :

يا دير سمعان قل لي اين سمعان واين بانوك خبرني متى بانوا
واين سكانك اليوم الألى سلفوا قد اصبحوا وهم في الترب سكان
اصبحت قفرًا خرابًا مثل ما خربوا بالموت ثم انقضى عُمر وعُمران
وقفت اسأله جهلًا ليخبرني هيهات من صامت بالنطق تبيان
اجابني باسان الحال اهم كانوا ويكفيك قولي اهم كانوا[3]

ولم نستطع ان نعرف الى اي سمعان كان ينتسب دير قاسيون أالى سمعان الحلبي المشهور بالعمودي ام الى سمعان الانطاكي ولا نذكر انه مرّ بنا قط في تاريخ الاديار وقبور الخلفاء ما سبق مثله من الخبط والتخليط في تعريف مدفن عمر بن عبد العزيز وموقع دير سمعان وزاد في الطين بلة ما نشأ على تتابع الازمان من الاسماء واخبار القصاص في كل ما تناول القبر والدير من الصلات والجوار . كالخبر الذي نقله صاحب كتاب مراصد الاطلاع ان « دير مران على الجبل المشرف على كفر طاب قرب المعرة وبه قبر عمر بن عبد العزيز مشهور يُزار

---

١) سيرة عمر بن عبد العزيز لابي محمد عبد الله بن عبد الحكم ١٦٣
٢) مسالك الابصار ٢٥١ - ٢٥٣
٣) معجم البلدان ٢ : ٦٧٢

به »[1] وفي هذه النغمة الجديدة ايضا. ظاهر الى ان دير سمعان الدمشقي كان في جوار دير مران في قاسيون اي في جبل الصالحية اليوم وان سائر الاديار المنسوبة لسمعان في حمص وخناصرة والنقيرة ليس توهم وجود القبر فيها الا صدى لوجوده في دير سمعان بدمشق.

١٧

دير صليبا

في ظاهر دمشق

ويعرف ايضاً بدير السائمة ودير خالد لنزوله فيه عند حصاره دمشق وقد اختُلف في موقعه في الحقيقة وفي رواية لابن عساكر « ان دير خالد كان خارج الباب الشرقي مما يلي بيت الآبار فخرب »[2] وليس اليوم في جوار قرية بيت الآبار اقل طلل او رسم باق يدل على موقع الدير وتبعد القرية عن دمشق زهاء نصف ساعة وفي قول ابن الكلبي ان الدير كان على ميل من الباب الشرقي[3]

ويترجح من اوصاف كتب الديارات ان دير صليبا كان مقابل باب الفراديس المعروف اليوم بباب الصغير مطلًا على الغوطة وكان بناؤه حسناً عجيباً في بقعة « نزهة كثيرة البساتين والاشجار والمياه دلّ عليها اسمها «الفراديس» اي الجنان وكانت ارضه مفروشة بالبلاط الملون والى جانبه ديرٌ ثانٍ للنساء الرواهب »[4] والى هذين الديرين اشار جرير بقوله :

اذا تذكرت بالديرين ارقني صوت الدجاج وقرع بالنواقيس

واستشهد الخالدي على ان دير صليبا كان يلي باب الفراديس بقول جرير في هذا الشعر :

قفلت الركب اذ جدَّ النجاء بهم يا بعد يعربن من باب الفراديس[5]

---

١) مراصد الاطلاع ١ : ٤٣٩ — ٤٤٠

٢) تاريخ ابن عساكر في الخزانة الظاهرية بدمشق ٦ : ٢٣١ ظ

٣) معجم البلدان لياقوت ٢ : ٦٥٧

٤) الاعلاق الخطيرة لابن شداد خزانة بريتش موزيوم لندرة Add. 23335 f° 108

٥) مسالك الابصار لشهاب الدين العمري ٣٤٩

وفي رواية البلاذري ان اهل هذا الدير اتوا خالد بن الوليد بسلمين وعليها رقي بعض جنده الى اعلى سور الباب الشرقي ونزلوا اليه وليس عليه الا رجل او رجلان وتعاونوا عليه وفتحوه[1] قال هشام « سمعت الوليد بن مسلم يذكر ان خالدًا بن الوليد شرط لاهل الدير الذي يعرف بدير خالد شرطًا في خراجهم بالتخفيف عنهم حين اعطوه سلمًا صعد عليه فانفذه لهم ابو عبيدة »[2]

وهذه الرواية ترجح كون الدير في مقابل باب الفراديس لقرب هذا الباب من الباب الشرقي خلافًا للدير المجاور قرية بيت الآبار وبينه وبين الباب الشرقي ميل فيما ذكروا .

ولا يُعلم الى اي زمن استمر الدير في الاسلام بعد زيارة المتوكل له سنة ٢٤٣/٨٥٧ ولا متى استولت الايدي عليه في اثناء الفتن والحروب التي اجتاحت دمشق وذهبت باديارها ومصانعها وآثارها وعرّتها من معظم محاسنها ومفاخرها قال العمري «واليوم لا عين له ولا اثر وانما صار دورًا وابنية ومساجد ومدافن وهي بناحية محلة حمام النحاس»[3]

وليس في الآثار والكتابات النصرانية الباقية اقل اشارة الى هذا الدير فلا يعرف متى بني قبل الاسلام وما كان اسمه في الحقيقة في دولة الروم البيزنطيين ونظرًا لحسن موقعه وجمال مُطلّه على جنان الغوطة كثر غشيان المتطربين له واقبال ارباب الشراب والقصف عليه شأن امثاله من الديارات في الاسلام « وحُكي ان الوليد بن يزيد (الخليفة الاموي) كان كثير المقام في هذا الدير يخرج اليه ومعه حُرَمه استحسانًا له وانه كان يجلس في ايام مقامه فيه في صحنه كل يوم ساعة من النهار ثم يأكل ويشرب في مواضع منه طيبة حسنة »[4] واشتهر الدير به حتى قيل له « دير الوليد » وجهل ياقوت هذه النسبة فقال لا ادري اين هو الا ان مفسري قول جرير قالوا اياه اراد بقوله « لما

١) فتوح البلدان للبلاذري طبعة اروبة ١٢١
٢) فتوح البلدان ١٢٩
٣) مسالك الابصار ٣٥٦
٤) مسالك الابصار ٣٥٦

تذكرت بالديرين ارقني »[1] وجهل ابن قتيبة وجود ديرين باسم صليبا للرهبان والرواهب فقال هو المقصود ببيت جرير وانما ورد بالتثنية كعادة الشعراء في تثنية الاعلام للضرورة[2]

ولم ينتهِ الينا من خمريات الاديار والحانات الا ما يأتي في اوصاف هذا الدير قال الشابشتي : أنشدت فيه :

يا دير باب الفراديس المهيّج لي بلابلا بقلالبه واشجاره
ومقلساً لي من مالي ومن نشبي بما أباكره من خمر خمّاره
لو عشت تسعين عاماً فيك مصطبحاً لما قضى منك خلي بعض اوطاره (٣)

ومن الشعراء الذين زاروا هذا الدير واطنبوا في مدحه والثناء على موقعه وجماله ابو الفتح محمد بن علي المعروف بابي اللقاء حدث عنه وقال :

« اقمت بدمشق مدة فاحببت ان امضي الى هذا الدير يعني دير صليبا الذي يعرف بدير خالد فتواعدنا انا واخوان لي على المضي اليه والمقام فيه يوماً وليلة فلما رايناه وحسنه وكثرة رياضه وحداثقه وبناءه اطربنا واعجبنا فاقمنا به شهراً نصطبح ونتنزه وقلت فيه :

جنة لُقيت بدير صليبا مبدعا حسنه جمالا وطيبا
جئته للمقام يوماً فظلنا فيه شهراً وكان امراً عجيبا
شجر عسدق به ومياه جاريات والروض يبدو ضروبا
من بديع الالوان يضحي به الناظر عما يرى لديه طروبا
كم رأينا بدرا به فوق غصن هائس قد علا بشكل كثيبا
وشربنا بسه الحياة مداما تطلع الشمس في الكؤوس غروبا
فكأن الظلام فيها خار من سناها يسرّ منا القلوبا
لست انسى ما مرّ فيه ولا اجـ ـمل مدحي الا لدير صليبا (٤)

وقد نقل ابن عساكر هذا الخبر وهذه الابيات من كتب الديرة لابي الحسن علي بن محمد بن المظفر السمساطي وقال ان ابي اللقا الشاعر مرّ بدمشق وذكر بعض ديرتها في شعره.

---

١) معجم البلدان ٢ : ٧٠٥
٢) الشعر والشعراء لابن قتيبة طبعة ليدن ٣٠٠
٣) الاعلاق الخطيرة لابن شداد بريتش موزيوم
٤) تاريخ ابن عساكر الخزانة الظاهرية بدمشق ١٩ : ١٢٨؛ ومعجم البلدان ٢ : ٦٧٤

وكانت شهرة هذا الدير وروعة موقعه وطيب ما حُفَّ به من الرياض والاشجار والمياه قد ترامت الى بغداد وبلغت اسماع الخليفة العباسي المتوكل على الله ولما قدم دمشق سنة ٢٤٥/٨٥٧ في من صحبه من الوزراء والقواد والحجّاب والكتّاب لم يدع زيارة هذا الدير في جملة الاديار والكنائس الدمشقية « في الموضع المعروف بالفراديس » وقد وُفّقنا للعثور على وصف هذه الزيارة في مجموع مخطوط في خزانة بريتيش موزيوم في لندرة وهو أنف لم يستخرج بعد من سَفطه وفيه من الطرافة والظرف والدلالة على احوال النصرانية في القرن الثالث للهجرة « بين كنائس عظيمة وآثار قديمة » ما حدانا الى نسخه هنا بغاية الحرص والاعجاب لجلالة روايته وعظم فائدته حدث به ابو عبد الله بن حمدون نديم المتوكل وشاهده العياني قال :

« كنت مع المتوكل لما شخص الى الشام فمنّ له ان يطوف كنائس الزهاد والموضع المعروف بالفراديس ثم قال انى كنت اسمع بطيب هذه المواضع فقلت الرأي ما رآه امير المؤمنين فترلنا بين كنائس عظيمة وآثار قديمة ترتاح النفوس اليها ويشتهي من يترلها ان لا يرتحل عنها فلما استراح من تعب الركوب استدعاني وقال هل لك في الركوب قلت كما يأمر امير المؤمنين فاخذ بيدي ولم يزل يستقري تلك الكنائس والديارات ويشاهد ما فيها من عجائب الصور ويرى من (f° 126b) احداث الرهبان وبنات القسيسين وجوهاً كأنها اقمار على غصون تتثنّى في تلك الاروقة والصحون وكلما مرّ بنا شيء منهم يقول لي : ويحك ترى ما نحن فيه ؟ ما شاهدت مثل هذا قط ثم خلونا براهب من قُوّام الكنيسة فلم يزل المتوكل يسأله عن كل جارية وغلام يمرّ به واسمه ونسبه اذ لمح كتابة على حائط الكنيسة فقرأها واذا هي « حضر الغريب المشتّت الحزين وهو يقول : شُتّت شملي بعد الألفة وبقي جسمي بعد التفرّقه ومشيت من العراق الى هذا الرواق وارتحلت عنه في ذي الحجة سنة احدى ومائتين وانا اقول :

آل امري الى اخسّ الامور وتبدلتُ كربة بسروري
واعترتني من الزمان خطوب تتبارى في هتكة المستور
نفس صبرًا لحادثات الليالي كل شيء يذلّ للمقدور

فقال لي : ويحك ترى ما اظرف حال هذا المسكين وما احرق هذا الانين ؟

ومرّت به جارية ما رات عيني لها شبيهاً وعليها جونا (كذا) وبيدها

مبخرة تبخر بها[1] فقال لها المتوكل : تعالي يا جارية فاقبلت بحسن ادب وكمال فسأل المتوكل الراهب عنها فقال : ابنتي قال : وما اسمها قال : شمانين فقال لها المتوكل : يا شمانين اسقيني ماء فقالت : يا سيدي ماؤنا ههنا ماء الراهبات القذرات ولست استنظف ماءهم ولا آنيتهم ولو كانت حياتي ترويك (f° 127-) لَجُدتُ لك بها ثم اسرعت فجاءت بكوز من فضة فيه ماء فاومأ الي ان اشربهُ فشربت واشتد عجبه بها وشهوته لها فقال لها : يا شمانين ان هويتك تساعديني؟ فتنفَّست ثم قالت : اما الآن فانا عبدتك فاما اذا عرفت صحة حبك وتمكنت من قلبك فما اخوفني من حدوث الطغيان عند تمكن الشيطان اوَ ما سمعت قول الشاعر :

كنت لي في اوائل الامر عبدا ثم لما ملكت صرت عدوّا
ابن ذاك السرور عند التلاقي صار مني تجنبًا ونبوًّا

فطرب المتوكل وكاد يشق قميصه ثم قال لها : هبي لي نفسك اليوم حتى نشرب انا وانتِ فانا ضيفك فقالت : على الرحب والسعة ثم أصعدت بنا على علّية مشرفة على تلك الكنائس فرأينا منظر اهالنا حسنًا ثم مضت فجاءت بأشياء من المأكول مستظرفات وكأن المتوكل عاف ذلك لعزّة الخلافة فاستأذنها في احضار طعام فاتونا بخروف محشوّ وسنبوذج واشياء قريبة المأخذ من طعام مثله فاستظرفت ما جيء به واستهولت الآلة وفطنت لامير المؤمنين فقامت قائمة بين يديه تخدمه وتكفّر له فمنعها ثم جاء ابوها بشراب من بيت القربان

---

(١) تقدم القول انه كان في دير صليبا دير آخر للنساء الرواهب فلا عجب اذا كانت ابنة قس الكنيسة تخدم او تبخر في بعض الصلوات والاحتفالات وكان للنساء في بعض الكنائس الشرقية نصيب في خدمة البيعة كالتلاوة والتبخير وما اشبه من نوافل الخدم في ديارات النساء ومعلوم ان القسوس غير الرهبان كانوا يتزوجون مرة واحدة ولا يزالون كذلك في بعض القرى في لبنان والشام وفي كنائس المدن في البطاريركيات الغير الكاثوليكية . وقد دعا ابن حمدون قس الدير راهبًا لظنه ان كل سكان الديرين رهبان وراهبات وان الراهبات « بنات القسيسين » ولم تكن شمانين ابنة القس القائم بكنيسة الدير راهبة بوجه من الوجوه ولذلك وصفت ماء الدير بانه « ماء الراهبات القذرات » فإسلامها رهبةً من المتوكل لا يعد عارًا على راهبات دير صليبا .

ذكر المتوكل انه لم يرَ مثله قط فشرب وشربتْ معه فاستغنيتُ من حمى كانت لحقتني تلك الليلة فاعفاني وسرَّ بها وبظرفها سروراً عظيماً تاماً

فلما اخذ الشراب منها قالت له : يا سيدي اغنيك من غنائنا على ضعف الصنعة ؟ فكاد يهم وقال : ان فعلتِ كل والله ظرفك (f° 127b) فقامت فجاءت بشيء يسمونه القيقارة (القيثارة ؟) وصرخت واندفعت تغني :

يا خاطباً مني المودة مرحبا سمعاً لامرك لا عدمتك خاطبا
انا عبدة لهواك فاشرب واسقني واعدل بكأسك عن حليلك ان ابى
قد والذي رفع السماك ملكتني وتركت قلبي في هواك معذَّبا

فنمر المتوكل وقال : ويلكِ اميتٌ انت ؟ فانتبهت وعلمت اني اخطأت في مساعدته فاخذت رطلاً ولم ازل اشربه حتى لحقته ومضى لنا يوم كان في الايام فرداً ثم ارغبها المتوكل فاسلمت وتزوجها ولم تزل عنده حتى قتل رحمه الله

« ورأيت في بعض النسخ ان شحروراً وقرياً كانا يصيحان على اعالي اشجار الدير فاصغى اليها المتوكل فلما تحققت اصغاءه اليها انشدته هذه الابيات الاربعة :

وكأنما الشحرور راهب بيعة ألهاه طيب الوقت عن ترميره (١
جُعلت له تلك الغصون مواهماً يثني في اغيله وزبوره
وكأنما القمريّ يندب شجوه بانينه وحنينه وزفيره
صبّ شجته بلابل لما دنت منه ديار انيسه وسميره

فاعجبه ذلك منها وزاد بها سروراً ولها محبة ثم انه ارغبها الى ان اسلمت وتزوجها رحمه الله »(٢

ومما يجب ان ينبه عليه ان ابن حمدون على مكانه من منادمة المتوكل كان غنياً عن كل مجاملة او اطراء في ما حكاه من هذه الزيارة ويزيد في قدر شهادته انها الاثر الفرد الذي بقي لنا من الاشارة الى الاديار والكنائس في القرن التاسع بدمشق والدلالة على بعض ما اتصفت به النصرانيات في حاضرة الامويين من جمال الخَلق والخُلق وكمال الادب والعلم ودقة الفطنة والفهم حتى بين « بنات القسيسين » ولا دليل يدعو الى الريب بان الابيات التي غنّت بها

١) الترمير هنا يراد به تلاوة مزامير داود

٢) الدر الملتقط من كل بحر وسقط لجامع شتاته محمد بن علي بن محمود الكاتب الدمشقي بريتيش موزيوم لندرة Add. 14908

شعانين — وهذا الاسم لا يزال معروفاً في لبنان — هي من نظمها وارتجالها وبنت ساعتها. وعفو قريحتها وهو ما يزيد في الاعجاب بذكائها وظرفها وبلوغها الغاية من حسن التربية والعشرة والمشاركة في ضروب من العلم كالغناء والنظم وهي صفات تحلى بها كثير من الفتيات والجواري والاماء والقيان من كل الملل والنحل في الاسلام كما يعلم ذلك كل واقف على تاريخ الحضارة العربية في الخلافة العباسية[1]

١٨

دير السيدة

بصيدنايا

هو فيما يظهر اقدم الاديار في دمشق وضواحيها وكان ذكره في ايام الصليبيين قد شاع وملأ الافواه والاسماع فكان محطاً للقوافل والركبان وقبلة للحجاج والعباد ومقصداً للزمنى والمرضى ومزاراً لكبراء الافرنج لمكان ايقونة العذراء والاعتقاد الشامل انها من رسم القديس لوقا الانجيلي مع ما كان يُعزى لها من الاشفية والمعجزات بفضل الزيت السائل منها . وفي سنة ١٩٣٢ نشرنا تاريخاً خاصاً حافلاً لصيدنايا والدير توسعنا فيه جداً وضمنّاه كل ما وقفنا عليه من اوصافها واخبارهما في طوافنا على خزائن المخطوطات والمطبوعات في الشرق والغرب فليراجع

واشتهرت صيدنايا قديماً بجودة خمرها كاشتهار الدير بايقونته واول من تغنّى بطيب مدامتها ابو نواس امير لواء السكارى فقال :

قم فاسقني واشرب فقد ولّى الدجى واتت ذكاء بنورها المتوقد
واسأ لنا بنت الكروم وهاتها صرفاً متى تُنضَب بماء تزبد
مما اصطفوه بحمص او ما عتّقو هُ بصيدنايا او خبوه بصرخد
خذها على دين المسيح اذ نهى عن شربها دين النبي محمد[2]

١) الخزانة الشرقية ٣ : ١٢ — ١٦

٢) الدر الملتقط من كل بحر وسفط رقم ٣١ من الخزانة الخالدية القدس ص ١٣ — ١٤ ولم نجد هذه الابيات في ديوانه

وزاد في اطرائها من بعده ابن عُنَين فقال يخاطب اخاه من الهند :

يا سيدي واخي لقد اذكرتني عهد الصبى وعظتني ونصحت لي
اذكرتني وادي دمشق وظله الضافي على صافي البرود السلسل
ووصفت لي زمن الربيع وقد بدا هرم الزمان الى شباب مقبل
وتجاوب الاطيار فيه فطرب يُلهي الشجيّ وناتح يشجي الخلي
ومدامة من صيدنايا نثرها من عنبر وقميصها من صندل
مسكية النفحات يشرف اصلها من بابل ويحلّ من قُطُربُّل (١

وله ايضاً فيها :

اجتلي بنت كرمة خرنتها الروم دهرًا ما بين طين وقار
صيدنانية الناسب لكنْ اباها اذا اعترى كان قاري (٢

ووصف الشهاب العمري خمر دمشق بقوله : «هي الموصوفة في الآفاق المعروفة في مغارسها بكرم الاعراق ... وصيدنايا معدن ذهبها وافق كوكبها[٣] وزعم بعض السفّار من الفرنج ان شاربها يأمن من الخمار

وبقيت ايقونة الدير ملجأً للاعلّاء والاصحاء حتى اوائل القرن الخامس عشر دون ان يتوجّه لاحد شك في وجودها حتى شهد بعض الفرنج الزوار الثقات بسرقتها وشاهد صندوقها فارغاً[٤] ولكن الراهبات حرصن غاية الحرص على كتمان فقدانها وتحيّلن في ذلك بكل الحيل لئلا تنقطع النذور عن الدير فكان المصلّون والراكعون يسجدون حتى اليوم امام صندوق خالٍ من الصورة القديمة التي كانت دهرًا طويلًا ظاهرة للعيان ثم :

تخفيّت على «عبّادها» فكأنما يجدون ربًّا من اناء فارغ

وكان في الدير خزانة قديمة حافلة بالمخطوطات ولا سيما السريانية فخشي بطريرك الروم الارثوذكس ان يحتج السريان بكثرتها لاثبات حق لهم على الدير فجمعها الوكلاء واضرموا فيها النار وخبزوا عليها خبزتين بقلب راضٍ

١) ديوانه ٨٤
٢) ديوانه ٧٥
٣) مسالك الابصار ٦٠٣٤ باريس ١١٢
٤) *Voyage du Sieur Paul Lucas au Levant.* Paris 1704 pp. 310-313

ونفس مطمئنة وباؤوا بالاثم والعار وسوء السمعة ولا يخفى على احد ما فقده العلم والتاريخ من الفوائد والقيود الدينية والبلدية التي كان يمكن تعليقها على تلك الذخائر المنهوب عليها

وفي ثورة سنة ١٨٦٠ اوشك الدير ان ينهب ويحرق فتداركت رئيسة الراهبات الامر ورشت عصابة اللصوص فارتدّوا على اعقابهم راجعين بعد ان كانوا على مقربة من الدير واشاعت الرئيسة ان هذا الانقلاب كان باعجوبة من الايقونة.[1]

١٩

دير قانون

بظاهر دمشق

ذكره ياقوت في جملة الاديار النصرانية واقتصر على القول انه من نواحي دمشق[2] وموقعه اليوم تجاه قرية كفر الزيت وفيه محطة السكة الحديدية على بعد زهاء ٢٥ كيلومترًا من دمشق واسم قانون او قونن (Conon) من اسماء قديسي النصارى ويعرف به موضعان من اعمال صور يقال لكل منهما دير قانون قال ياقوت : « القانون بنونين منزل بين دمشق وبعلبك»[3] ولم ينتبه الى انه هو دير قانون الذي اشار اليه سابقاً.

والدير قديم لا يدرى متى كان بناؤه وقد اضمحلت آثاره ورسومه وكان يعد من متنزهات دمشق ذكره ابن منير الطرابلسي في قصيدته :

حيِّ الديار على علياء جيرون ... مرى الهوى ومغاني المُرَّد العين

وبعد ان عدد فيها معظم منازه دمشق وقراها المشهورة بالطيب والقصف جعل دير قانون بعد آبل السوق فقال :

فالماطرون فداريا فجارها ... فآبل فمغاني دير قانون[4]

---

١) *Souvenir de Syrie* 1903 p. 176-177

٢) معجم البلدان ٣ : ٦٨٤

٣) معجم البلدان ٤ : ٢١

٤) عيون التواريخ لابن شاكر الكتبي ١٥٨٧ خزانة باريس

واشار ايضاً الى الدير محاسن الشوّا الحلبي في قصيدة له طويلة تكاد تبلغ مئة بيت سرد فيها كل مغاني دمشق في زمانه ومواطن اللهو والفرح فقال:

حيّيا ساكني بلوذان عني ورجالاً بدير قانونَ زُمرا (١

ويظهر ان الدير كان عامرًا في زمان ابن الحجاج الشاعر المشهور لانه المح في بيت له الى خمر الرهبان للقربان فقال في الحث على شرب الصهباء :

اشربوها مما اقتناها آل دير القانون للقربان (٢

٢٠

دير القسّيس

في جوار بُقّين ومضايا

اشار اليه محاسن الشوّا الحلبي في قصيدته التي عدّد فيها اشهر قرى دمشق ومتنزهاتها فقال :

والشُّا لي ثرى مضايا وبُقّينا ودير القسيس شبرًا فشبرا (٣

ورواه شهاب الدين فينان الشاغوري بتخفيف السين اي قيس لضرورة الوزن فقال بعد ان ذكر قرية عين حور في بيت سابق :

ودير قيس جنّة اي جنّة مشارعها مشفوعة بالآكل (٣

ولولا هذين الشاعرين لجهلنا اسمه وموقعه.

دير القس

بدمشق

كذا ورد في تاج العروس (٤ : ٢١٨) دون اقل تعيين او وصف ولم نقف على ذكر آخر له في مطبوع او مخطوط مما تناولته اليد في الخزائن ولا يبعد ان يكون هو دير القسيس المشار اليه آنفاً .

١) عيون التواريخ لابن شاكر الكتبي ١٥٨٧ خزانة باريس
٢) ارشاد الاريب ٤ : ١١ ٣) عيون التواريخ لابن شاكر ١٥٨٧ باريس

٢١

دير الماطرون

روى ياقوت عن ابي محمد حمزة بن القاسم انه قرأ على حائط من بستان الماطرون هذه الابيات :

أرقتُ بدير الماطرون كأنني لساري النجوم آخر الليل حارس
واعرضت الشعرى العبور كأنها معلق قنديل عليها الكنائس
ولاح سُهيل عن يميني كأنه شهاب نحاه وُجهة الريح قابس (١

قال ياقوت : وهذه الابيات قديمة لارطاة بن سُهيّة[٢] ولا شك ان هذا الدير سبق الاسلام وكان من جملة الاديار العديدة التي كانت منتشرة لليعاقبة في كل بر دمشق ولو كان انتهى الينا اسم النصراني ربما كنا نهتدي الى ذكر له بين الديارات التي وقع عنها رؤساؤها في بعض المجامع القديمة وأشير اليها في المخطوطات السريانية كالتي نبّه عليها مؤلف فهرست المصاحف الارامية في خزانة بريتش موزيوم.

وفي تاريخ ابن عساكر ان هذه الابيات لجواس بن قعطل الكلبي[٣] وكانت النصرانية فاشية في بني كلب ولا شك انه كان منهم قوم في الماطرون

وقد اقتصر ياقوت وصاحب القاموس على القول ان الماطرون موضع او قرية قرب دمشق وزعم ابو الحسن القفطي انه بستان بظاهر دمشق يسمى اليوم الميطور[٤] ولا ريب انه اشتبه عليه الاسمان فجعلها واحدًا وهما متباينان والميطور بين قاسيون وبرزة وقد جمعها عرقلة الدمشقي حبًا بالجناس والطباق فقال في بيت له ناطق بالتمييز بينهما :

وكم ليلة بالماطرون قطعتها ويوم الى الميطور وهو مطير (٥

١) في الاصل المطبوع « نحاة وجهه » وفي تهذيب ابن عساكر « نجاه وجهة » والمعنى لا يستقيم في كلتا الروايتين والصواب : نحاه اي اماله وصرفه

٢) معجم البلدان طبعة اوروبة ٢ : ٦٩٤

٣) تاريخ ابن عساكر في الظاهرية ٤ : ٢٤ ظ

٤) خزانة الادب البغدادي طبعة بولاق ٣ : ٢٧٩

٥) معجم البلدان طبعة اوروبة ٤ : ٧١٦

وعدّه ابن منير الطرابلسي مع داريا في جملة متنزهات دمشق في قصيدته التي مطلعها : « حيِّ الديار على عليا. جيرون » فقال بعد ان سرد اشهر ما عُرف منها في زمانه :

فالماطرون فداريا فجارضا فآبل فمغاني دير قانون (١

وحار كل من تكلم على الماطرون من المستشرقين في تعيين موقعه فاجترأ دوسو بالقول ان ضالة الماطرون يجب ان تُنشد حوالي دمشق[٢] وتردد الاب لامنس بين ان يكون في الغوطة او في وادي بردى[٣]

وذكر ابن عُنين الماطرون دون اقل اشارة الى موضعها فقال من قصيدة يمدح بها الملك المعظم :

فيا من لراجٍ ان تبيت مُبيّتاً بعيدا دون الماطرون ركابه (٤

وسبق ابن الرقيات فعدّ الماطرون بعد صُنبر فقال :

افقرت منهم الفراديس فالنو طة ذات القرى وذات الظلال
فصنبر فالماطرون فحورا ن فقار بسابس الاطلال (٥

ولما شبب ابو دهبل الجمحي بعاتكة بنت معاوية قال في قصيدة له :

طال ليلي وبتُّ كالمجنون واعترتني الهموم بالماطرون (٦

وفيه إلماع الى ان معاوية كان يصطاف احيانًا بالماطرون ومما يؤيد ذلك ايضاً ابيات لابنه يزيد في فتاة هويها كانت تقضي الربيع في جلق والخريف في الماطرون قال فيها :

ولها بالماطرون اذا أكل النمل الذي جمعا
منزل حتى اذا ارتبعت ذكرت من جلق بيعا
في جنان ثمّ مونقة حولها الزيتون قد ينعا (٧

---

١) عيون التواريخ لابن شاكر الكتبي ١٥٨٧ ومعجم البلدان ١ : ٥٧
٢) R. Dussaud : *Topographie historique* p. 306
٣) P. Lammens : *Etudes sur le règne de Mo'awia* p. 378
٤) ديوانه ١٩
٥) معجم البلدان ٣ : ٤٨١
٦) الاغاني وخزانة الادب للبغدادي ٣ : ٢٧٦
٧) انساب الاشراف للبلاذري ٢ : ٣ ومعجم البلدان ٤ : ٢٤٥

ويروى في البيت الثاني « خرفة » بدلاً من « منزل » وفي عجزه ايماء الى بيع جلق وهي غير كنائس دمشق ولعل ذكر البيع هو الذي اوهم ان يزيداً تنزل في نصرانية ترهبت في دير خراب عند الماطرون[1] والارجح عندنا ان لفظة « بيعاً » هي تحريف « بقعاً » وهي بقع الجنان التي ينبع فيها الزيتون المذكورة في البيت التالي .

وفي عقد الجمان لليافعي[2] وكتاب البدء والتاريخ للبلخي[3] ان يزيد بن معاوية ولد في الماطرون وفي هذا المولد كان سرّ هواه في بلدتها وما جاورها من القرى وسبب اختياره لها لاصطيافه ولهوه وصيده وفيها ايضاً فاجأه نعي الخليفة والده ولنا على ذلك شاهد يرشدنا الى تعرف موقع الماطرون وهو قول سبط بن الجوزي : « لما مات معاوية كان يزيد بحوّارين وَذَنبة والماطرون مشغولاً بلهوه وصيده »[4] وفي حوّارين ايضاً ادركه الاجل والى قبره فيها اشار الاخطل بقوله في رثائه :

مقيم بحوارين ليس ببارح سقته النوادي من ثويّ ومن قبر (٥)

ومما يؤيد قرب الماطرون من ذَنَبة قول سبط ابن الجوزي ايضاً في كلامه على نهر يزيد : « كان يمتدّ في القديم الى المساطرون وذنبة والقناطر في لحف الجبل باقية الى الآن (منتصف القرن السابع للهجرة) وذنبة هي « دانافا » التي وَهِم كتاب الروم وظنوا انها هي صيدنايا وموقعها في الارنجُح في موضع قرية مهين[6] فلم يبقَ من ثم ريب ان الماطرون كانت قبلها للقادم من دمشق قريباً من حوارين .

وليس لدينا اليوم من اخبار دير الماطرون ما يكشف لنا طرفاً من الحجاب المسدول على غابر ايامه فلا ندري كيف تطرق اليه الخراب واندرست آثاره

١) الاغاني وخزانة الادب للبغدادي ٣ : ٢٧٩
٢) دار الكتب المصرية ١١ : ٤٦
٣) طبعة فرنسة ٦ : ١٦
٤) مرآة الزمان في خزانة أكسفرد Marsh. 289
٥) انساب الاشراف ٢ : ٤
٦) R. Dussaud : *Topographie* p. 271

وغاية ما نعرفه من اوصافه كثرة الاعناب في بقعته وجواره من القرى والدساكر وقد اشتهرت خمرته بالجودة والإطراب ولذلك قال محاسن الشرّا الحلبي :

يا ندمي اسقني بالماطرون خمرة تجلب افراح الحزين (١

وكان القيان والمغنون يرددون احياناً في مجالسهم قول يزيد : « ولها بالماطرون اذا » ولذلك اقترح ابو نواس هذا الصوت فقال :

غنّني يا ابن أذين ولها بالماطرون(٢

ولعل اضمحلال الماطرون كان في اثناء القرن السابع للهجرة بعد وفاة محاسن الشرّا الحلبي

٢٢

دير متى

بظاهر دمشق

انفرد عون الدين بن العجمي الكاتب المتوفى سنة ١٢٥٨/٦٥٦ بالاشارة الى هذا الدير وحرّض على زيارته بعد دير مرّان وهو ما يدل على قربه من دمشق وهذه هي الابيات التي ورد فيها ذكر الديرين من جملة قصيدة له يمدح بها الملك الناصر صلاح الدين داود الايوبي قال :

يا سائقاً يقطع البيداء معتسفاً بضامر لم يكن في سيره وانى
ان جُزتَ بالشام ثمّ تلك البروق ولا تعدل بلغت المنى عن دير مران . . .
وعُجْ على دير متى ثم حيّ به الر بّان بطرس فالربّان رباني
فبثّ منه اشارات تفهّمتُ بها وصنتُ منثورها في طي كتمان (٣

ويظهر ان عون الدين ولد وتوفي بدمشق وكان متأهلاً للوزارة فهو اعرف بديار مدينته وما في برّها وضواحيها ومما يجدر التأمل عنه هل كان الربان بطرس الذي ذكره رئيس الدير في ذلك الوقت وهل في قوله : « الربان رباني » تلميح الى انه درس عليه بعض العلوم ام انه اراد به مجرد المجاملة او حب

١) عيون التواريخ للكتبي ١٥٨٧ باريس

٢) اخبار ابي نواس لابن منظور ٢١٣ وقوله : « ولها بالماطرون » اشارة الى بيت معاوية في الفتاة النصرانية السابق الذكر

٣) فوات الوفيات لابن شاكر الكتبي ١ : ٢٢٥ – ٢٢٦

الجناس؟ ولولا هذه الابيات لجهلنا كل الجهل وجود هـذا الدير وكم للشعراء عندنا من ايادٍ وحسنات في التنبيه على ما اخلّ الكتاب والمؤرخون البلديون بالاشارة اليه او التنويه به من مـآثر البلاد ومحاسنها ومغانيها ومتنزهاتها كما يتضح ذلك مما رويناه من اقوالهم وشهاداتهم في كتابنا الديارات النصرانية في الاسلام.

ويصعب تعيين موقع دير متى في ظاهر دمشق لغياب كل اشارة اليه في ما عدا الابيات الآنفة الذكر ولعله هو المعروف اليوم في قرية كفر العواميد شرقي سوق وادي بردى وآثاره هنالك بادية باقية[1]

٢٣
دير مُرّان
في قاسيون

ضُبط اسمه بالإجماع بضم الميم وتشديد الراء « تثنية المُرّ »[2] قال البكري: «وهناك عقبة المُرّان سميت بذلك لأنها تنبت شجرًا طوالًا مستوية تشبه المُرّان. ومَرّان بفتح الميم موضع آخر ولكنه ليس الشام»[3] وفي كتب اللغة ان المُرّان شجر الرماح والواحدة مرّانة فيكون من ثم اسم الدير أُطلق عليه بعد الفتح لجواره للعقبة المذكورة كما أُطلق اسم دير البخت على دير ميخائيل بظاهر دمشق لان عبد الملك بن مروان كان ارتبط بقربه مجنًا له[4] ويترتب على هذا القول ان اسم الدير العربي حلّ في الخلافة الاموية محل اسمه القديم في الدولة البيزنطية فما كان يا ترى اسمه الرومي قبل ان ينادي فيه يزيد بن معاوية لاول مرة مشيرًا الى ما لاقاه جيش غزاة العرب امـام خاقيدونية (الفدقدونة) من الامراض والجوع ويقول :

١) منتخبات التواريخ لمحمد اديب آل تقي الدين الحصني ٣ : ١٠٤٩
٢) معجم البلدان ٢ : ٦٩٩
٣) معجم ما استعجم طبعة وستنفلد ٣٦٢
٤) الديارات للشابشتي ٩٣

ما ان أبالي بما لاقت جموعهم بالفد قدونه من حمّى ومن سوم
اذا انكأت على الانماط مرتفقاً بدير مرّان فدي ام كلثوم (١)

وقد يتطرق الى الوهم ان اسم مران اصله في السريانية « ماران » اي سيدنا عُرف به في ايام الروم لغلبة اللغة الارامية على سكان برّ دمشق وجبالها ومنهم كان على هذا الرأي بُناة الدير ولكن هذا الزعم ليس الا مجرد افتراض وحدس لا يؤيده شيء من الآثار السالفة ولم تتقدم بمثله عادة ولا تقليد لاننا لا نجد بين كل اسماء الديارات التي تُعدّ بالمئين ديرًا واحدًا دُعي « ماران » كذا مختزلًا مقتطعاً دون تعيين آخر وانما اعتاد الرهبان والنساك ان يتبركوا بنسبة الأديار الى مار فلان وفلان من الحواريين والشهداء والقديسين والاستشفاع بهم لحماية الاديار فكيف انفرد قاسيون بنسبة شاذّة وكيف لا نجد اليوم بين كل هذه الآثار السريانية والمصاحف الدينية الحافلة في الخزائن الكبرى في الشرق والغرب مصحفاً واحدًا من تركة دير قاسيون يكون قد خُطّ فيه بالارامية او حُبس عليه كالمصاحف الأُخر الشاهدة بتغلب السريانية على بعض اديار الملكيين وقد كان دير مُرّان مشهورًا حتى في الاسلام بصبغته الرومية وانتسابه الى رجال الدولة وكتّاب الخراج وعُمّال الخلافة الاموية كآل سرجون واشياعهم من البيزنطيين او المتأدبين بآداب الروم اللاحقين بهم والمنتمين اليهم ولذلك قال ابن منير الطرابلسي من قصيدة له يذكر فيها متنزهات دمشق وضواحيها واعياد الشعانين التي اكثر الشعراء من وصفها وكانوا يعدّونها من اكبر المواسم :

ويطيبني لدار الروم ما شُهرت بدير مرّان اعياد الشعانين (٢)

وقال ايضاً عرقلة الكلبي متشوقاً الى بعض الحانات اللاحقة بدير مران ومن كان فيها من بنات الروم :

وفي دير مرّان خمّارة من الروم في يوم شعنينها
ستقني على وجهها المشتهى ارق واعتق من دينها (٣)

(١) الكامل لابن الاثير ٣ : ١٨١
(٢) تحفة ذوي الالباب للصفدي باريس ٨٢٧ه الورقة ٦
(٣) خريدة القصر لعماد الدين الكاتب باريس ٣٣٢٩ ص ٢٦

وقد تتبعنا اكثر المخطوطات الملكية السريانية المحفوظة في اشهر الخزائن الشامية والاوربية فلم نجد بينها سفرًا واحدًا كتب بمدينة دمشق نفسها او حُبس على احدى بيعها الملكية وانما معظم ما هنالك مصاحف شتى نُسخت او وُقفت على كنائس القرى كالزبداني وصيدنايا ومعلولا وقارة والنبك ودير عطية وهو يزيد ما كنا اول من بادر الى اذاعته واثباته من شواهد الصلاة بالارامية في كنائس برّ دمشق الملكية[1] وكل واقف على تاريخ دمشق يعلم ما كان للروم البلديين فيها من النفوذ والجاه والتفوق اذ كان اكثر كتاب السلطان وعُمّال الدواوين في الاعم الاغلب منهم في زمن كانت حسابات الخلافة الاموية ونقودها لا تعرف من اللغات الا الرومية وحدها وما من احد يجهل ايضاً ما كان لآل سرجون بن منصور مستشار معاوية وابنه يزيد من المنزلة والمكانة في الدولة الناشئة وان سليمان المشهور بالقديس يوحنا الدمشقي كان من اشد خصوم البدَع النصرانية واكبر انصار الامانة الكاثوليكية وهو لم يكتب مقالاته ومصنفاته الطائرة الصيت الا باللسان الرومي ولا نعلم انه وُجد له الى اليوم سطر واحد في السريانية او العربية فكيف يُعقل ان امثال هؤلاء الحماة الساهرين على الكنيسة يغفلون لحظة عن شد ازر لغة الدين ويدعون الطريق واسعة لاحبة لتغلب النبطية عليها وتسلطها على اعظم اديارهم في قساسيون مع معرفتهم ان السريانية كانت وتنذر مطية البدَع والضلالات ولسان الشيع والخوارج ولم تكن تموزهم رهبان للروم لإسناد دير مران اليهم ومنهم كثيرون كانوا متوزّعين في كنائس دمشق الخاصة كما حكاه ابن عساكر نقلاً عن ابي مسهر قال وقوله حريّ بان يحتفظ به : « اقام بدمشق بعد فتحها اثنا عشر بطريقاً من بطارقة الروم فأقرّوا في منازلهم وكان لكل بطريق منهم في منزله كنيسة »[2] ولا يخفى قدر هذه الشهادة الراجحة ومنها يتبين جلياً غلط الذين يزعمون ان الروم باجمعهم جلوا عن دمشق ولم يبقَ فيها الا سكان البلاد من الاراميين والانباط في حين انه كان يكفي الرومي ان يدفع الجزية ليظل

---

١) تاريخ صيدنايا لنا ص ٢٤ – ٢١

٢) تاريخ ابن عساكر دار الكتب الظاهرية ١ : ١٧٣ – ١٧٣

وادعاً مطمئناً في موضعه لا يخشى حيفاً ولا بأساً ولذلك تخلف بدمشق من البيزنطيين واتباعهم كل من كانت مصلحتهُ او مصلحة المدينة تدعوه الى الاقامة وعدم الجلاء. ولنا ايضاً على ذلك شاهد آخر من ابن عساكر لا يُجادل ولا يُمارى وهو ما نقله عن سمرة بن فاتك احد من شهد فتح دمشق قال: « هو الذي تولى قسمة المساكن بين اهلها بعد الفتح... فكان يترك الرومي في العلو ويترك المسلم في السفل لئلا يضر المسلم بالذمي[1] اي خصّص الطبقات العالية من بيوت دمشق للروم الراضخين للجزية الداخلين في الذمة وهذا القول شاهد صريح بتخلف كل من اراد البقاء من البيزنطيين كالرهبان ورجال الدين والتجار والصناع والأكرة وارباب العقارات من ذوي العلائق فضلاً عن عمّال الدواوين الذين كان الفاتحون لا يستغنون عنهم وهؤلاء كلهم اصل من اصول الاعاجم المستعربين في الاسلام وفرع من فروع الكنيسة الملكية وانضم اليهم في ما بعد جماهير اسرى الروم العديدين في الحروب والناقلةُ من المماليك والخدام والفراشين والغلمان والجواري الذين لم يكن يخلو منهم بيت من بيوت الاشراف والمثرين في الاسلام وليس هنا محل الإفاضة في هذا الباب واقامة الحجج على تألف الروم الملكيين من عنصري البيزنطيين والاراميين المتخلقين باخلاق اليونانيين واللاتينيين مدة تناهز عشرة قرون منذ قدم الاسكندر والسلوقيون سنة ٣٣٣ قبل المسيح وخلفهم الرومان والروم الى سقوط دمشق سنة ٦٣٤ وانما استطردنا الى ذكر ما تقدم للتنبيه على امتناع ارامية دير مرّان ولعلنا ابلغنا عذرًا في تصوير الواقع وتبديد كل شك ووهم.

ومن الاوهام التي تعرض لمن طالع اخبار قاسيون ان كل ما جاء باسم الدير من الحوادث والاشعار واوصاف مجالس القصف والشراب كان واقعاً في داخل الدير وازاء مساكن الرهبان وانما هو في الحقيقة كان في المحلة التي نشأت بعد الفتح في جوار الدير ونُسبت اليه لطوافها به وكان بعض العرب المحدثين قد أُعجبوا بما رأوه من محاسن بقعته وإشرافها على وادي دمشق وراقهم ما اجتمع فيها من طيب الهواء وعذوبة الماء. فاقتنوا لهم في ما حوله منازل لهم

---

١) تاريخ ابن عساكر ٧ : ٢١

وجنّات تألف منها على ترادف الايام ناحية عُرفت بدير مران لوقوعها بقربة منه واتصالها به والارجح ان اتكاء يزيد على الاغاط بجنب ام كلثوم كما سبق من لفظه لم يكن وراء اسوار الدير ولكن في قصر له اتخذه ليخلو فيه بمن احب اذا جلس للشراب ونُقل عن عبد الملك بن مروان انه كان « يشتو بالضَّبَرَة من الاردن فاذا انسلخ الشتاء نزل الجابية . . . فاذا مضت ايام من اذار دخل دمشق فنزل دير مرّان »[1] ومعلوم ما يصحب الخليفة عادة من الحاشية والحَرَم والاتباع والثقل في حلّه وترحاله فيبعد جدًّا ان يكون عبد الملك رضي ان ينزل ضيفاً ثقيلًا في كل ربيع على رهبان الدير ان لم يكن ابتنى له جوسقاً في بقعة الدير ولو لم ينصّ على ذلك احد من المؤرخين ولا شك ان ابنه الوليد توفي في هذا القصر وحُمل منه على اعناق الرجال ليدفن في الباب الصغير[2] كما نقل غير واحد من الاخباريين ومن هنا يتضح غلط ابن الازرق الفارقي الذي زعم انه مات ودفن في دير مرّان[3] وبعد وفاة الوليد صار هذا القصر الى ابنه عبد العزيز وفيه كان يستقبل ندماءه وشعراءه كما رواه ابو الفرج الاصبهاني عن عبد الرحمن بن سعيد الجرمي قال :

« قدم جرير على عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك وهو نازل بدير مرّان فكنّا نغدو اليه بكرًا فيخرج الينا ويجلس في مرنس خزّ له لا يكلمنا كلمة حتى يجيء طباخ عبد العزيز اليه بقدح من طلاء مسخّن يفور وبكتلة من سمن كأنها هامة رجل فيخرّضها فيه ثم يدفعه اليه فيأتي عليه ويقبل علينا ويحدثنا في كل فن وينشدنا لنفسه ولغيره حتى يحضر غداء عبد العزيز فنقوم اليه جميعاً »[4]

وفي هذا القصر او غيره « شهد عيسى بن علي بن عبدالله بن عباس عرساً بدير مران لبعض بني مروان »[5]

وفي دير مرّان ايضاً مات قتيلًا خمارويه بن احمد ابو الجيش بن طولون قال الصفدي : « قتله الخدم في ذي الحجة من السنة (٢٨٢ = ٨٩٦ م) بدير مران

١) الجزء الحادي عشر من تاريخ طبعة غريفزولد سنة ١٨٨٣ ص ٣٠٠
٢) العيون والحدائق طبعة ١٨٧١ ص ١٢ والكامل لابن الاثير ٥ : ٢
٣) تاريخ ميافارقين خزانة بريتش موزيوم Or. 5803 f° 76b
٤) الاغاني طبعة بولاق ٧ : ٥٥–٥٦
٥) تاريخ ابن عساكر ١٤ : ١١ بدمشق

ظاهر دمشق. وهربوا »[1] ولا حاجة الى القول انه لو كان بين الرهبان لما استطاع خدمه ذبحه ولما تمكنوا من الهرب وقد صرّح سبط ابن الجوزي في مرآة الزمان انه كان « قد بنى قصراً بسفح قاسيون اسفل من دير مران يشرب فيه فدخل تلك الليلة الحمام به فذبحه خدمه »[2] وهو ما يؤيد ما رجّحناه من نزول الخلفاء الامويين في قصور لهم خاصة في قاسيون في جوار دير مرّان في المحلة المشهورة به .

وقد نقلنا في الكلام على دير مار تاردرس تعريف السمعاني دير مرّان بأنه « بقعة نزهة » على باب دمشق اي باب الفراديس واوردنا شهادة ابن الاثير في اقبال اهل دير مران والأرزة وسطرا برئاسة حميد بن حبيب اللخمي لمبايعة يزيد بن الوليد وكانت الارزة وسطرا قريتين في جوار محلة مران من اشهر متنزهات قاسيون البائدة وهذه شهادة اخرى للمدائني في المعنى نفسه قال : « واقبل حميد بن حبيب اللخمي في اهل دير مرّان والارزة ودخلوا من باب الفراديس »[3] وفي زمان عبد الملك بن مروان « كان الحارث الكذاب من اهل دمشق... وكان يريهم الاعاجيب... وكان يقول لهم : اخرجوا حتى أريكم الليلة فيخرجهم الى دير مران فيريهم رجالاً على خيل فتبعه بشر كثير... فامر عبد الملك بطلبه »[4] ولما مات المعتصم سنة ٢٢٧ / ٨٤٢ « ثارت القيسية بدمشق وعاثوا وافسدوا وحصروا اميرهم فبعث الواثق اليهم رجاء بن ايوب الحضاري وكانوا معسكرين بتربج راهط فنزل رجاء بدير مران ودعاهم الى الطاعة فلم يرجعوا فواعدهم الحرب بدومة »[5]

ومن هذه الشواهد يتضح جلياً ان اسم دير مران كان يطلق قديماً على القصر نفسه اي جماعة قلالي الرهبان وعلى ناحية محدقة به حافلة بالغرف والجواسق والقصور والجنان والحدائق كان ينتابها الخلفاء والامراء والمتنزهون والشعراء

١) الثامن من الوافي بالوفيات للصفدي . باريس ٢٠٦٤ ص ٣٥
٢) الثاني من النجوم الزاهرة باريس ١٧٧٤ ص ١٩ وتاريخ ابن عساكر ٥ : ٢٥٤
٣) العيون والحدائق ١٣٧
٤) معجم البلدان لياقوت ٢ : ٢٦٦ – ٢٦٧
٥) الكامل لابن الاثير ٦ : ١٧٢

وعشاق الحور النصرانية مأهولة باربابها من اهل دمشق والغوطة والقرباء وقد مرَّ بنا في جملة هذه الادلة التي نقلنا لفظها بضعة حوادث يخال قارئها لاول وهلة انها حدثت في العصر نفسه وانما هي صدى من احداث محلة مران فلا بد اذن من التروي في النصوص والاستدلال من قرائن الاحوال لردّ كل خبر الى نصابه ونسبته الى موقعه الحقيقي .

ولا يُعلم بالضبط متى تم خراب الدير نفسه ولكن يترجح ان كل ما روي فيه من الاخبار والاشعار بعد القرن الخامس والسادس يجب ان يعزى بالاحرى الى محلة مران ويظهر ان اثار الدير بقيت شاخصة الى ما بعد القرن الحادي عشر كما يستفاد من ابيات لعبد الرحمن بن حمزة رواها المحبي[1]

وقد اتفق كل المؤرخين والبلدانيين والشعراء على وصف الدير بالنزاهة والنضارة وحسن الموقع وطيب المُطَلّ لامتداد النظر منه الى حدائق دمشق ورياضها وسهولها وانهارها ونضوا خصوصاً على مزارع الزعفران تحته[2] وهي ولا شك كانت لاحقة بالدير لتخصص الرهبان قديماً بزراعة الزعفران لشدة الطلب عليه في الاسواق ودخوله في الطيوب والاصباغ والمآكل كما نبهنا على ذلك في فصل عقدناه له في كتابنا « الديارات النصرانية في الاسلام » (ص ٥٠–٥٧) ولما تقوض الدير ودرست آثاره بقيت شهرة ناحيته بالحسن والبهاء متصلة مشهوداً بها في اجلّ متنزهات دمشق ولا غرو فان مرأى دمشق من تلعة قاسيون من المشاهد الخلّابة التي تفعم الصدر حبوراً والعين بهجة ونوراً ويقلّ جداً وجود نظائر لها في الامصار الشرقية ويكفي تلاوة ما خطّه قلم لامرتين الشاعر الفرنسي الثائر الصيت في وصف قاسيون[3] ومُشرَفه على الغوطة والمدينة معاً للوقوف على شدة إعجاب الغربيين بمنظر من افتن مناظر دمشق :

بحيثُ هواء الغوطتين معطَّر النسيم بانفاس الرياحين والزهر

ولا سبيل اليوم لمعرفة شيء من وصف بناء الاديار قديماً وتخطيطها وما

---

١) خلاصة الاثر للمحبي ٢ : ٢٢٣

٢) معجم ما استعجم للبكري ٣٦٢ ومعجم البلدان لياقوت ٢ : ٦١٩

٣) Oeuvres Complètes de M. A. de Lamartine T. VI. Paris 1850 p. 49-50, 74

كانت تشتمل عليه عادة من المعابد والهياكل وقلالي الرهبان وحُجَر الضيوف وبيوت الموائد ومستودعات المؤن والاشربة والغلال والمطاحن والافران والحدائق والحانات وسائر ما يلحق بالبيع والاعمار فلا ندري من ثم من وصف دير مران سوى ما ذكره الخالدي من ان « بناءه كان بالجص واكثر فرشه بالبلاط الملوّن وفيه رهبان كثيرة وفي هيكله صورة عجيبة دقيقة المعاني والاشجار محيطة به[1] وزاد العمري على هذه الرواية « ان قلاليه دائرة به واشجاره متراكبة وماءه يتدفق»[2] ويؤخذ من حكاية البنا. الشاعر الآتية ان بعض قلاليه كانت غاية في التنوّق والزخرفة والاعتناء. ونعت بيتاً منها دخلهُ بانه كان « فضيّ الحيطان رخامي الاركان يضمّ طارمة خيش»[3] وهو ما ينبئ عن غنى الدير واتساعه وحسنه وجلالته واتقان تشييده وكان الى جانبه دار للضيوف ينزلها من شاء من العابرين وابناء السبيل والمتنزهين واللاجئين الى الدير للاستشفاء او الاختفاء عن الغرماء. قال سعيد بن بطريق « لن كنائس الغوطة ودير مران كان المسلمون ينزلون فيها ويسكنون فيها »[4] ولما كان الدير كما قال البنا. « مشهور الموقع في الجلالة وحسن المنظر » كان عدد الطارئين عليه او المتطرّحين فيه غير قليل ووصف البنا. ليلته فيه فقال : « اقبل الليل فطلع القمر فنُحت مناظر ذلك البيت الى فضاء أدّى الينا محاسن الغوطة وحبانا بذخائر رياضها من المنظر الجنانيّ والنسيم العطري » ومع ذلك فلم ينتهِ الينا من مدائح الشعراء له الا النزر النادر جدًا بالنسبة الى ما رُوي من الخمريات والغزليات التي قيلت في ديارات العراق مثلًا .

ولعل ذلك كان لأن اكثر مزروعات دير مران كانت من الرياحين والازهار وخصوصاً الزعفران ومن الاشجار وقليلًا بينها الكروم والاعناب كما هو الحال اليوم في حدائق الصالحية المعروفة بالحواكير فلذلك لم يتغنَّ الشعراء كثيرًا بدير لم يشتهر بخموره شهرته بطيب موقعه ورياضه ولا سيما لغنائهم عنه

١) معجم البلدان ٢ : ٦٩٩

٢) مسالك الابصار ٣٥٣

٣) يتيمة الدهر للثعالبي طبعة دمشق ١ : ١٧٧

٤) تاريخه طبعة بيروت ٤٦

بما اجتمع لهم من اسباب التنزه واللهو في المغاني المجاورة له مثل سطرا ومُترا وبيت لهيا والنيرب من القرى البائدة وهذا ما وقفنا عليه من اقوال الشعراء الذين مرّوا به او ضافوا به قال البيغاء :

يا صباحا بدير مران راقا هيجت منا القلوب والاحداقا
ومشت نسمة تؤمك حتى رفعت بالعبير فيك رواقا
واتينا اليك نقطع ارضاً ملأتنا الى اللقا إشواقا
وسمعنا الطيور تصدح زهوا حيث سكران طيبها ما افاقا
وصبا قياسيون تنفح فينا سكبت من هبوبها رقراقا
فجلسنا في مجلس مستطاب فيه كأس السرور كان دهاقا
ونظرنا من ربوة الشام مرأى قلبنا لم يزل له مشتاقا

ولابن ابي جبلة الدمشقي من قصيدة :

يا دير مران ما لي عنك مصطبر وفي فنائك احسان واكرام
مر به للصبا واللهو معتمر وللصبابة اجلال واعظام
تسحبت فيه اذيال السحاب فقد تفتحت عن جنيّ الورد اكمام
وللحمائم إفصاح يذكّرنا احبابنا ولنا بالسكر إعجام
دير تمتّ زمانا في مسارحه كأن ايامه في الحسن اعلام
شامه هو وزّان ومنتقد وقته هو خمّار وكرّام (١
فيه جنيت ثمار اللهو عن طرب وصاحبا رحليّ الابريق والجام
اشتاقه شوق صبّ لا يفارقه فكل يوم لنا في الدير إلمام
يا دير لا فارقتك الساريات لها على ثرى ربعك الفيّاح الهام (٢

١) تاريخ ابن عساكر في ظاهرية دمشق ١٩ : ١٣٤
روى ابن عساكر هذه القصيدة بزيادة خمسة ابيات بعد البيت الخامس وذكر في عجزه « مطرانه » بدلاً من « قته » وهذه هي الزيادة في وصف العنب الاسود والخمرة قرأها في كتاب الديرة للسياطي :

كأنما بينه من رحمة وهوى وبين معترشات الكرم ارحام
حتى اذا الكرم امسى عقده سبجاً وكان درا ولم ينظمه نظام
غدا وراح له من دونه خلف وبين منظومه نقض وابرام
وقال يبطل في بيع امانته فهن بين عدات يومها عام
وجاء خطابها الاكفاء فاجتليت حسنا وليس لها عاب ولا ذام

٢) مجلد فيه مختارات من الاعلاق الخطيرة لابن شداد خزانة ليدن Arab. 1466 f° 63

ولابي بكر الصنوبري من قصيدة :

امرُّ بدير مران فاحيا واجمل بيت لهوي بيت لهيا
وبرد غلّني بردى فتيا لايام على بردى ورعيا
ولي بباب جيرون ظباء أعاطيها الهوى طيبا فطيبا
ونعم الدار داريا ففيها حلا لي العيش حتى صار أريا (١

وله ايضاً :

متى الأرحُل مخطوطه وغير الشوق مربوطه
بساعل دير مران وداريا الى الغوطه
فشطّي بردى في جا ب بُسط الروض مبسوطه
رباع ضبط الاضا رُ منها خير مضبوطه
وروض احسنت تكتيـ ـبه المزن وتنقيطه
ومدّ الورد والآس لنا فيه فساطيطه
ووالى طيره ترجيـ ـعه فيه وتخطيطه
محل لا وَنَتْ فيه مزاد المزن ممطوطه(٢

ولكشاجم عدة قصائد ومقطعات في الدير اشهرها قصيدة في مديح الدير ورهبانه وتنسب ايضاً الى ابي بكر الخالدي ولعلها من الابيات التي دسها السري الرفاء في ديوانه :

عاشق الدير تسبيحي ومصباحي(٣ وخمره في الدجى صبحي ومصباحي
اقمت فيه الى ان صار هيكله بيتي ومفتاحه للانس مفتاحي
متادماً من قلاليه رهابنة راحت خلائقهم اصفى من الراح
قد عدّلوا ثقل ابدان بمرفقة منهم خفة ابدان وارواح
ووشّحوا غرر الاداب فلسفة وحكمة بعلوم ذات اوضاح
في طب بقراط لحن الموصلي وفي نحو المبرّد اشعار الطرمّاح
ومنشد حين يبدجها الغزال لنا ألمع برق سرى ام ضوء مصباح

١) معجم البلدان ٢ : ٦٩٦

٢) معجم البلدان ٢ : ٦٩٦

٣) في الاصل « وتصباحي » وفي رواية اخرى « وتسباحي » ولم يرد مصدر تصباح او تسباح في اللغة كقولهم تجواب او تجوال وما نظن الاصل الا « مسباحي » بلفظ الآلة بمعنى مسبحة مقابلة لقوله في الشطر الثاني مصباحي .

اخلاقت في العمر عمري حين راحبالي غير البطالة قلبي غير مرتاح
ما نور احداقنا الا حدائقه لام الوائم فيها او لحى اللاحي
بُسط البنفسج والمنثور تبسط في صحون آس وخيريات تفاح
بدائع لا لدير العلث منّ ولا لدير حنّة من ذات الأكيراح
فكم حننت الى حانانه وعدا صوتي بكاثر اصواتاً باقداح
حتى تحمر خماري بمرفقي وحيرت ملحي في السكر ملّاحي
يا دير مران لا تعدم ضحى ودجى سجال كل ملثّ الودق سحّاح
ان تُغنِ كأسك اكياسي فان بها يقل جيشُ همومي جيشُ افراحي
وان أقم سوق اطرابي فلا عجب هذا بذاك اذا ما قام نوّاحي[1]

وله ايضاً :

هل احد نال لذتنا بدير مران ليلة الاحد
يا طيب يومي به واسي ويا حسن غدي بعده وبعد غد
جداول فوق جدول صخب وبانة تحت طائر غرد[2]

وله ايضاً :

لا تُغنِ عمر الزمان الا ما بين قلاية وعُمر
يا دير مران كم غزال فيك وكم جنة وزهر
فكم تطربت مستهاما اليك اذ عيل فيك صبري
وفي يميني شمال شمس وفي شمالي يمين بدر[3]

وله كذلك :

سقيا لليل قصّرت مدته بدير مران من مشكورا
يوم اتيناه زائرين فما دفنا به روضة وماخورا
وبات بدر الدجى يشمشها نورية تملأ الدجى نورا
غارت على نفسها وقد سفرت فعاد جيب الحباب مزرورا
حتى رأيت الظلام يدرجه الفجر ب ودرج الصباح منشورا
فاختلط الليل والنهار كما تخالط كفّ مسكا وكافورا[4]

---

١) ديوانه ، المطبعة الانسية بيروت ص ٣٦ – ٣٧ ويتيمة الدهر للثعالبي طبعة دمشق ١ : ٥١٢

٢) ديوانه ، المطبعة الانسية بيروت ص ٥٦

٣) ديوانه ، المطبعة الانسية بيروت ص ٨٥ – ٨٦ وتاريخ ابن عساكر بالظاهرية ١٦ : ١٤٤ ظهر

٤) ديوانه ، المطبعة الانسية بيروت ص ٨٧ وزهر الاداب للحصري هامش العقد الفريد ٣ : ٥١ وبين الديوان وزهر الاداب نقص وزيادة ، اختلاف في الرواية .

ولمحاسن الشوّا الحلبي يذكر مستنزهات دمشق :

عاطياني حديث سطرا وسفرا وابسطا لي في هجري الكأس عذرا
انا مالي وشرب كاسات خمر شغلتني عنهن كأسات ذكرى
كم نعمنا في بيت لهيا بلهو وعلونا بالقصر والسهم قصرا
ومررنا بدير مران نشدو فيه نظما ونسجع الورق نثرا[1]

وروى البكري والعمري وغيرهما ابياتاً للحسين بن الضحاك ذكروا انه قالها للرشيد في دير مران واولها فيما زعموا :

يا دير مران لا عريت من سكن قد هجت لي حزنا يا دير مرانا

والصواب يا دير مدّيانا بالدال والياء. وهو دير على نهر كرخايا قرب بغداد[2] ومن العجب ان العمري استشهد ببعض هذه الابيات في كلامه على الديرين باسم كل منهما دون ان ينتبه الى ما في احدهما من التحريف وما في استشهاده بها في الموضعين من الذهول والتناقض.

وقد تقدم قول سعيد بن بطريق ان دير مران كان المسلمون ينزلونه ويسكنون فيه وهذا القول ينطبق ايضاً على سائر الديارات في الاسلام ولذلك كان في اكثرها دور او حُجَز للضيافة بمعزل عن القلالي وغالب من ينتابها قوم من المتنزهين عشاق المدام . واحياناً من المرضى المتجمين للعافية لان الرهبان كانوا يحسنون طب النفوس وطب الاجساد وقد وصفهم الخالدي بالتفوق في « الفلسفة والحكمة وطب بقراط » ويظهر ان بين المصابين اللاجئين الى الدير بعض الموسوسين والمجانين وقد نقل العمري حكاية عن المبرّد قال فيها : « وافيت الشام وانا حدث في جماعة احداث لاكتب الحديث والقى اهل القلم فاجتزت بدير مران فاحببت النظر اليه فصعدناه فرأيت منظراً حسناً واذا في بعض بيوته كهل مشدود حسن الوجه عليه اثر النعمة فدنونا منه وسلمنا عليه فردّ السلام» وانشد ابياتاً في البكاء من الفراق والحنين الى الاحبة قال في آخرها :

اني على العهد لم انقض مودتهم فليت شعري لطول العهد ما فعلوا

قال المبرّد فقال له فتى من المجّان الذين كانوا معي : ماتوا فقال : فأموت ؟

١) الثالث من عيون التواريخ لابن شاكر الكتبي ١٥٨٧ باريس ٦٦
٢) معجم البلدان ٢ : ٦٩٥

فقال له : مُتْ فتمطّى وتمدّد وما برحنا حتى دفناه »[1]. ولم يذكر العمري عمن نقل هذه الحكاية كعادته في كل ما يرويه وساقها النويري بالفاظ أخر وحكى انه خرج وجماعة من اصحابه مع المأمون ومرّ بهم بدير كبير في الرقّة وسرد بقية القصة بالمعنى نفسه[2] ورواها ايضاً الخالدي في دير هزقل بين البصرة وعسكر مكرم[3] وهو كافٍ لاثبات ان الحكاية من الاقاصيص الموضوعة للهو والسمر وهي متناقضة فلا يُلتفت اليها ولكن روى ابن عساكر قصة رابعة لا يبعد ان تكون وقعت حقاً اسندها الى ابي عثمان النصيبي من اهل التصوف قال :

« كنت سائحاً ببلاد دمشق وعلي خرقتان واحدة في وسطي واخرى على كتفي فانتهيت الى دير مران والثلج يسقط مثل الورق فاطلع الي راهب من غرفة وقد لويت عن باب الدير فقال : بحق من خرجت من اجله ألّا عدلت الى الدير فرجعت نحو باب الدير فاستقبلني منه واخذ بيدي وصعدنا الى غرفة حسنة الآلة فاقمت عنده ثلاثاً في حسن عشرة فاستحسنته فقلت يا راهب اراك عاقلاً فكيف انت على النصرانية فقال : قد قرأت المسطور يعني القرآن ولو قُضي شيء لكان وهمت بالسير فرام وقوفي فقلت : قال نبينا صلوات الله عليه وسلامه للضيف ثلاثة فما زاد فهو صدقة فقال : صدق نبيكم ولكن من الضيف على صاحب البيت فقلت اراك اديباً أسألك عن شيء فقال : قل فقلت : ما صفة المحبة فقال : المحبة لا صفة لها ولكن ان اردتَ اصف لك شيئاً من ادب المحبة فقلت : قل قال : ادناه ان لا يزيد بالبرّ ولا ينقص بالجفا وغضت فقام معي وتركنا الى صحن الدير واذا باب مردوم فقال لي : ادفعه فدفعت الباب واذا شاب حسن الثياب في عنقه سلسلة مشدودة الى السقف فمنعه من الجلوس فقلت ما هذا فقال كلّمه فقلت ما اسمك يا فتى ؟ فقال عبد المسيح فقلت ما وقوفك ههنا ؟ فقال عبد المسيح فقلت اما تؤلمك السلسلة ؟ فقال عبد المسيح فالتفت الى الراهب فقلت ما هذا ؟ فقال : هذا البيان وذاك الخبر او كما قال[4] »

ومن انكد حظوظ الديارات النصرانية واسوإها مغبّة واثرًا الشروط المشترطة على الرهبان في الاسلام بضيافة كل مجتاز بهم من المارّة وابناء السبيل[5] دون ان يكون لهم اقل حق في التمييز بين الاشراف والسفلة فكانت

١) مسالك الابصار ٣٥٣ – ٣٥٤
٢) غاية الارب ٢ : ١٩٠ – ١٩١
٣) معجم البلدان ٢ : ٧٠٦ – ٧٠٧
٤) مجلد من مختصر تاريخ ابن عساكر لابن ابي شامة ، باريس ٢١٣٧ ص ١٩٤
٥) كتاب الخراج للقاضي ابي يوسف ١٦٥

مساكنهم من ثم وخلواتهم في نظر العابرين والمسافرين كالخانات والحانات ينزلها الاصحاء المغرمون بالقصف والشراب والاعلاء المبتلون بالماهات والاسقام وربما كان بينهم المفاليس الذين قعدت بهم حالهم عن اداء ما وجب عليهم من بقايا الضمانات السلطانية او ديون لزمتهم للغرماء فكانوا يؤثرون حبس نفوسهم في الاديار في ضيافة الرهبان بدلاً من التعرض لاخطار احكام القضاء والاعتقال في مضيق السجون وذلك ريثما يتسع الوقت لاهلهم واصحابهم لتسوية امرهم وحط بعض المال عنهم ومن اغرب ما روي في هذا الصدد وابلغه وقعة وظرفاً ما حكاه بلفظه البيغاء شاعر سيف الدولة وقد اتفق له مرة بدمشق ان عاشر في الدير احد هؤلاء الهاربين من وجه السلطان من ابناء المادرائيين بيت رئاسة ووزارة ووصف ليلة قضاها معه ذكر فيها لقاءه له في الحفاء في « بيت فضي الحيطان رخامي الاركان » وشرح بافصح عبارة مناداته له ومبيته عنده شرحاً تمثل من خلاله حياة هؤلاء الاضياف الذين أباحت لهم عزة السلطان وذلة الرهبان التبسط وعدم الانقباض في جوار المصلّيات والمعابد عن كل ما تطالبهم به النفس من الملاذ والشهوات وهذا اهم ما خطه قلم البيغاء برواية الثعالبي قال الثعالبي: « لم اسمع اظرف من حكايته في فنها ولا الطف ولا اعذب ولا اخف وان كان فيها بعض الطول والبديع غير ممل ». قال ابو الفرج :

« تأخرت بدمشق عن سيف الدولة رحمه الله مكرهاً وقد سار عنها في بعض وقائعه وكان الخطر شديداً على من اراد اللحاق به من اصحابه حتى ان ذلك كان مؤدياً الى النهب وطول الاعتقال واضطررت الى اعمال الحيلة في التخلص والسلامة بخدمة من جاء من وزراء الدولة الاخشيدية وكان سني في ذلك الوقت عشرين سنة وكان انقطاعي منهم الى ابي بكر علي بن صالح الروزباري لتقدمه في الرئاسة ومكانه من الفضل والصناعة فاحسن تقبلي وبالغ في الاحسان بي وحصلت تحت الضرورة في المقام فتوفر علي قصد البقاع الحسنة والمتنزهات المطرفة تسلياً وتملّلاً فلما كان بعض الايام عملت على قصد دير مران وهذا الدير مشهور الموقع في الجلالة وحسن المنظر فاستصحبت بعض من كنت آنس به وتقدمت لحمل ما يصلحنا وتوجهنا نحوه فلما نزلناه اخذنا في شأننا وقد كنت اخترت من رهبانه لشرنتنا من توسمت فيه دقة الطبع وسجاحة الخلق حسباجرى به الرسم في غشيان الاعمار وطروق الديرة من التطرف بشرة اهلها والانسة بكلامها ولم تزل الاقداح دائرة بين مطرب الغناء وزاهر المذاكرة الى ان قضّ اللهو ختامه ولوّح السكر لصحبي اعلامه وحانت مني نظرة الى بعض الرهبان فوجدته الى خطابي متوثباً ولنظري اليه مترقباً فلما اخذته عيني اكبّ يزعجني بخبر

الغمز ووحي الايماء فاستوحشت لذلك وانكرته ونهضت عجلاً واستحضرته فاخرج الي رقعة مختومة وقال لي : قد لزمك فرض الامانة فيما تضمنته هذه الرقعة وولى وسقط ذمام كاتبها في سترها بك عني ففضضتها فاذا فيها باحسن خط واملحه واقرإه واوضحه :

« بسم الله الرحمن الرحيم

لم ازل فيما تؤديه هذه المخاطبة يا مولاي بين حزم يحثّ على الانقباض عنك وحسن ظن يحضّ على التسامح بتغبير الحظ منك الى ان استنزلتني الرغبة فيك على حكم الثقة بك من غير خبرة ورفعت بيني وبينك سُجُف الحشمة فأطمت بالانبساط اوامر الانسة وانتهزت في التوصل الى مودتك فأنت الفرصة والمُستاح منك — جعلني الله فداك — زورة ارتجع بها ما اعتصبته به الايام من المسرة مهنأة الانفراد الا من غلامك الذي هو مادة مسرتك « وما ذاك عن خلق يضيق بطارق » ولكن لاخذي بالاحتياط على حالي فان صادف ما خطيته منك ايدك الله قبولاً ولديك تفاقاً فُثْنية فقل الدهر عنها او فارق مذهبه في ما اهداه الي منها وان جرى على رسمه في المضايقة في ما أوثره واهواه وارقبه من قربك والتقاه فذمام المروّة يلزمك ردّ هذه الرقعة وسترها وتناسيها واطّراح ذكرها »

واذا بابيات تتلو الخطاب وهي :

يا عامر الدُّور بالفتوة والتصـ ـف وحث الكؤوس والطربِ
هل لك في صاحب تناسب في الـ غربة اخلاقُـهُ وبالادبِ
اوحشه الدهر فاستراح الى قربك مستنصرًا على النُّوَبِ
فان قبلت ما اتاك به لم تُثنِ الظن فيه بالكذبِ
وان أبى الزهد دون رغبتنا فكن كمن لم يقل ولم يُجَبِ

قال ابو الفرج : فاتى علي ما حبرني واسترد ما كان الشراب حازه من تحيزي وحصل لي في الجملة ان اغلب الاوصاف على صاحبها الكتابة خطًّا وترسّلاً ونظمًا فشاهدته بالفراسة من الفاظه وحمدت اخلاقه قبل الاختبار من رقعته وقلت للراهب : ويحك من هذا وكيف السبيل الى لقائه فقال : اما ذكر حاله فاليه اذا اجتمعتما واما السبيل الى لقائه فتسهّل ان شئت قلت : دُلّني قال : تظهر فتورًا وتنصب عذرًا تفارق به اصحابك منصرفًا واذا حصلت بباب الدير عدلت بيك الى باب خفيّ تدخل منه فرددت الرقعة عليه وقلت : ارفعها ليتأكد انسه بي وسكونه الي وعرّفه ان التوفر على إعمال الحيلة في المبادرة الى حضرته على ما آثره من التفرد اولى من التشاغل باصدار جواب وقطع وقت بمكاتبته ومضى الراهب وعدت الى اصحابي بغير النشاط الذي نهضت به فانكروا ذلك فاعتذرت اليهم بشيء عرض لي واستدعيت ما اركبه وتقدمت الى من كان معي ممن يخدم بالتوفر على خدمتهم وقد كنا عملنا على المبيت فاجمعوا على تعجل السكر والانصراف وخرجت من باب الدير ومعي صبي كنت آنس به وبخدمته وتقدمت الى السكري برد الدابة وستر خبري وباكرني وتلقاني الراهب وعدل بي الى طريق في مضيق وادخلني الى الدير من باب غامض وصار بي الى باب قلاية متميز عما يجاوره من الابواب نظافة وحسنًا فقرعه بحركات مختلفة كالعلامة فابتدرنا منه غلام كأن

البدر ركّب على ازراره . . . ثم اجفل كالظبي المذعور وتلوّنهُ والراهب الى صحن الفلاية فاذا انا بيت فضّي الحيطان رخامي الاركان يضم طارمة خيش بحصير مستعمل قوتب الينا منه فتى مقتبل الشبيبة حسن الصورة ظاهر النبل والهيئة مُثرٍ من اللباس بزيّ غلامهِ فلقيني حافياً يعثر بسراويله واعتنقني ثم قال : انما استخدمت هذا الغلام في تلقّيك يا سيدي لاجل ما لملك استحسنته من وجهه مصانعاً عما ترد عليه من مشاهدتي فاستحسنت اختصاره الطريق الى بسطي وارتجاله النادرة على نفسه حرصاً في تأنيسي وافاض في شكري على المسارعة الى امره وانا اواصل في خلال سكناته المبالغة في الاعتداد به ثم قال يا سيدي انت مكدود بمن كان معك والاستمتاع بمحادثتك لا يتم الا بالتوصل الى راحتك وقد كان الامر على ما ذكر فاستلقيت يسيراً ثم غضت فحُدت في حالتي النوم واليقظة المدة التي أنفتُها في دور اكابر الملوك واجلّة الرؤساء .

واحضرنا خادم له لم ارَ احسن منه وجهاً ولا سواداً طيّباً يصم ما يتخذ للنساء مما خف وطلف فقال : الأكل مني يا سيدي للحاجة ومنك للمباحة والمساعدة فنلنا شيئاً واقبل الليل فطلع القمر ففُتحت مناظر ذلك البيت الى فضاء أدّى الينا محاسن الغوطة وحيانا بذخائر رياضها من المنظر الجنساني والنسيم العطري وجاءنا الراهب من الاشربة بما وقع اتفاقنا على المختار منه ثم اقتعدنا غارب اللذة وجرينا في ميدان المفاوضة فلم يزل يتاهبني نوادر الاخبار وملح الاشعار وخلط ذلك من المزح بلطفه ومن التودد بالطفه الى ان توسطنا الشراب فالتفت الى غلامه وقال له :

يا مُترَف ان مولاك ما ادّخر عنا السرور بحضوره وما يجب ان تدخر ممكناً في مسرته فامتقع وجه الغلام حياء وخفرًا فاقسم عليه بحياته وانا لا اعلم ما يريد ومضى فعاد يحمل طنبوراً وجلس فقال لي : يا سيدي تأذن لي في خدمتك ؟ فهممت بتقبيل يده لما تداخلني من عظم المسرة بذلك فاصلح الغلام الطنبور وضرب وغنى :

يا مالكي وهو ملكي وسالبي ثوب نسكي
تَرَه يقين الهوى في لك عن تعرّض شكي
لولاك ما كنت أبكي الى الصباح وأبكي

فنظر الى الغلام وتبسم فعلمت ان الشعر له فكدت والله اطير طرباً وفرحاً بملاحة خلقه وجودة ضربه وعذوبة الفاظه وتكامل حسنه فاستدعيت كيزاناً فاحضرنا الخادم عدة قطع من فاخر البلور وجيد المحكم فشربت سروراً بوجهه وشرب بمثل ما شربت ثم قال لي : انا والله احب ترفيهك وان لا اقطعك عما انت متوفر عليه ولكن اذا عرفت الاسم والنسب والصناعة واللقب فلا بد ان تُشيّ ليلتنا بشيء يكون لها طرازاً ولذكرها علماً فحذبت الدواة وكتبت ارتجالاً وقد اخذ الشراب مني :

وليلة اوسعتني حسناً ولهواً وانسا
ما زلت التم بدرا بها واشرب شمسا
اذ اطلع الدير سعدا لم يُبقِ مذ بان غمسا
فصار للروح مني روحاً وللنفس نفسا

فطرب على قولي « الثم بدرا واشرب شمسا » وجذب غلامه فقبّله وقال : ما جهلت ما يجب لك يا سيدي من التوقير وانما اشتدت تصديقك في ما ذكرته فبحياتي الا فعلت مثل ذلك بغلامك فانبعث ايثاره خوفاً من احتشامه واخذ الابيات وجعل يرددها ثم اخذ الدواة وكتب اجازة لها :

ولم اكن لمريبي والله ابذل فلسا
لو ارتضى لي خصمي بدير مران حبسا

فقلت اذاً والله ما كان احد يؤدي حقاً ولا باطلاً وداعبته في هذا المعنى بما حضر وعرفت في الجملة انه مستتر من دين قد ركبه وقال لي : قد خرج لك اكثر الحديث فان عذرت والا ذكرت لك الحال لتعرفها على صورتها فتبينت ما يؤثره من كتمان امره فقلت له : يا سيدي كل ما لا يتعرف بك نكرة وقد اغنت المشاهدة عن الاعتذار وقامت المعرة عن الاستخبار وجعل يشرب ويخبب علي من غير اكراه ولا حث ولا استبطاء الى ان رأيت الشراب قد دبّ فيه واكبّ على مجاذبة غلامه والفطنة تنبيه في الوقت بعد الوقت فاظهرت السكر وحاولت النوم وجاء الغلام ببردعة ففرشها لي بازاء بردعته فنهضت اليها وقام يتفقد امري بنفسه فقلت له ان لي مذهباً في تقريب غلامي مني واعتمدت بذلك تسهيل ما يختاره من هذا الحال في غلامه فتبسم وقال لي بسكره : قد جمع الله لك شمل المسرة كما جمعه لي بك واظهرت النوم . . . وغلبتني عيناي الى ان انتظمني هواء السحر . . . فازدت توديعه وجاذرت إنباهه وازعاجه فخرجت ولقيني الخادم يريد ايقاظه وتعريفه انصرافي فاقسمت عليه ان لا يفعل ووجدت غلامي قد بكر بما اركبه كما كنت امرته فركبت منصرفاً وعاملاً على العود اليه والتوفر على مواصلته واخذ الحظ من معاشرته ومتوهماً ان ما كنت فيه مثام طيبه وقرب اوله من آخره واعترضتني اسباب أدّت الى اللحاق بسيف الدولة فسرت على اتم حسرة لما فاتني من معاودة لقائه وقلت في ذلك :

ويوم كأن الدهر ساعني به فصار اسمه ما بيننا هبة الدهر
جرت فيه افراس الصبابة بارتياحنا الى دير مران المعظم والعمر
بحيث هواء الغوطتين معطر النسيم بانفاس الرياحين والزهر
فمن روضة بالحسن ترفد روضة ومن خمر بالفيض يجري الى خمر
وفي الهيكل المعمور منه افترعتها وصحبي حلالا بعد توقية المهر
وتزّهت عن غير الدنانير قدرها فما زلت منها اشرب التبر بالتبر
وحلّ لنا ما كان منها محرّما وهل يحظر المحظور في بلد الكفر
فاهدت لي الايام فيه مودة دعتني في سفر فلبّيت في سفر
اتى من شريف الطبع اصدق رغبة تخاطبني عن معدن النظم والنثر
وكان جوابي طاعة لا مقالة ومن ذا الذي لا يستجيب الى البشر
فلاقيت ملء العين نبلا وهمة على السجايا بالطلاقة والبشر
واحسني بالبر حتى ظننته يريد اختداعي من حياتي ولا ادري
وتزّه عن غير الصفاء اجتماعنا فكنت واياه كقلبين في صدر

وشاء السرور ان يلينا بثالث ... فلاطفنا بالبدر او بأخي البدر
يغطي عيون ما اشتهت من جماله ... ويُضني قلوب بالتجنب والهجر
جنينا جنيّ الورد في غير وقته ... وزهر الربى من روض خديه والثغر
وقابلنا من وجهه وشرابه ... بشمسين في جُنحي دجى الليل والشعر
وغنّى فصار السمع كالطرف آخذاً ... بأوفر حظ من محاسنه الزهر
واتعبنا من وجنتيه بمثل ما ... تزيح كفاه من الماء والخمر
سرور شكرنا منّة الصحو اذ دعا ... اليه ولم نشكر به منّة السكر
كأن الليالي غِبنَ عنه فعندما ... تنبهن نكتين الوفاء الى العذر
مضى وكأني كنت فيه مُتَوَّماً ... يحدّث عن طيف الخيال الذي يسري
وهل يحصل الانسان من كل ما به ... تساعده الايام الا على الذكر

ولم ازل على اتم قلق واعظم حسرة واشد تأسف على ما سُلبته من فراق التي لا سبيل لي احصل منه على حقيقة علم ولا يقين خبر يؤديانني الى الضمع في لقائه الى ان عاد سيف الدولة وانا في جملته فما بدأت بشيء قبل المصير الى الراهب وقد كنت حفظت اسمه فخرج الي مرعوباً وهو لا يعرف السبب فلما رآني استطار فرحاً واقسم ان لا يخاطبني الا بعد النزول والمقام عنده يومي ذلك ففعلت فلما جلسنا للمحادثة قال لي : ما لي لا اراك تسأل عن صديقك قلت : واعجبه ما لي فكر ينصرف عنه ولا اسف يتجاوز ما حُرمته منه ولا سررت بعودي الى هذه البلدة لا من اجله ولذلك بدأت بقصدك فاذكر لي خبره فقال لي : اما الآن فنعم هذا فتى من المادرائيين جليل القدر عظيم النعمة كان ضمنَ من سلطانه بمصر ضياعاً بمال كثير فخاس به ضمانه لقعود السعر واشرف على الخروج من ضمنه فاستتر ولما اشتد البحث عنه خرج متخفياً الى ان ورد دمشق بزي تاجر فكان استتاره عند بعض اخوانه ممن اخدمه فاني عنده يوماً اذ ظهر لي وقال لصديقه اني اريد الانتقال الى هذا الراهب ان كان علي مأموناً فذكر له صديقه مذهبي واظهرت السرور بما رغب فيه من الانس بي . وانا لا اعرفه غير ان صديقي قد امرني بخدمته وحصل في قلايتي فواصل الصوم فلما كان بعد ايام جاءنا الرسول من عند صديقنا ومعه الغلام والخادم وقد حلقا به ومعهما سفاتج وعليها ثياب رثّة فلما نظر الى الغلام قال : يا راهب قد حلّ الفطر وجاء العيد ووثب اليه فاعتنقه وجعل يقبّل عينيه ويبكي ووقف على السفاتج فانفذها مع درج رقعة منه الى صديقه فلما كان بعد يومين حمل اليه الفي دينار وقال له : ابتع لنا ما نستخدمه في هذه الضيعة فابتاع آلة وفرشاً ولم يزل مكباً على ما رأيت الى ان ورد اليه بالبغال والآلات الحسنة وكتب اهله باجتماعهم الى صاحب مصر وتعريفهم اياه بالحال في بعده عن وطنه لضيق ذات يده مما يُطالب به والتوقيع بمطيطة المال عنه مقترن بالكتب فلما حمل على المسير قال لغلامه سلّم ما بقي معك من نفقتنا الى الراهب ليصرفه في مصالح الدير الى ان نواصل تنفيذه من مستقرنا وسار وما له حسرة غيرك ولا اسف الا عليك يقطع الاوقات بذكرك ولا يشرب الا على ما يشتهيه الغلام من شعرك وهو الآن يصر على افضل الاحوال واجلها ما يبخل بتفقدي ولا يُنبّ برّي فتعجلت

بعض السلوة بما عرفت من حقيقة خبره واقمت يومي عند الراهب وكان آخر العهد به(١).

ولا يخفى على احد ان الرهبان الذين كانوا يخالطون الزوار والاضياف ويتولّون تفقدهم وقضاء حاجاتهم كانوا في الاعم الاغلب من الشمامسة المرصدين لخدمة الدير والسعي في مصالحه بينما كان الرهبان القسوس معتزلين في قلاليهم منقطعين الى اشغالهم عاكفين على التلاوة والعبادة واستثمار ما لديهم من الحدائق وقد اطنب كشاجم الشاعر المشهور في وصف رهبان دير مران عامة بحسن الخلق ورقة الطباع ومتانة الدين واخلاص التقوى واشار الى تضلعهم من علوم الفلسفة والحكمة والطب والالحان والنحو والشعر وقال من قصيدة تقدم الاستشهاد ببعض ابياتها :

محاسن الدير تسبيحي ومصباحي ... وخمره في الدجى صبحي ومصباحي
اقمت فيه الى ان صار هيكله ... بيتي ومفتاحه للحسن مفتاحي
منادماً في قلاليه رهابنةً ... راحت خلائقهم اصفى من الراح
قد عدّلوا ثقل اديان ومعرفة ... فيهم بخفة ابدان وارواح
ووشّحوا غرر الآداب فلسفة ... وحكمة بعلوم ذات ايضاح
في طب بقراط لحن الموصلي وفي ... نحو المبرّد اشعار الطرمّاح(٢)

وناهيك بمثل هذا المديح من احد مؤرخيهم العارفين بهم للدلالة على ما تحلّوا به من الفضل والفضيلة والنزاهة عن ملابسة العار والبعد عن كل ريبة.

ويظهر انه كان الى جانب دير الرهبان بنية خاصة بالراهبات وهو ما يتحصّل من قول عون الدين بن العجمي من قصيدة له في مدح الملك الناصر صلاح الدين داود الايوبي :

يا سائقاً يقطع البيداء معتسفاً ... بضامر لم يكن في سيره وانِي
ان جزت بالشام شيم تلك البروق ولا ... تعدل بلغت المنى عن دير مرّان
واقصد علالي قلاليه تلاقِ بها ... ما تشتهي النفس من حور وولدان
من كل بيضاء هيفاء القوام اذا ... ماست فيا خجلة المرّان والبان
وكل اسمر قد دان الجمال لهُ ... وكمل الحسن فيه فرط احسان(٣)

---

١) يتيمة الدهر للثعالبي طبعة دمشق ١ : ١٧٤ – ١٨٣ . ومطالع البدور في منازل السرور للغزالي ١ : ٢٥١ – ٢٥٧

٢) يتيمة الدهر ١ : ٥١٢ – ٥١٣

٣) فوات الوفيات للصلاح الكتبي ١ : ٢٢٥ – ٢٢٦

ولا غرو في هذا الوصف فقد اشتهر اهل دمشق في كل حين بالصباحة والجمال وهذه الابيات هي الشاهد الفرد الذي وقفنا عليه بوجود الراهبات في دير مران .

ومن نزل دير مران من بني امية بعد يزيد بن معاوية وامرأته ام كلثوم كما ذكرناه آنفاً الوليد بن يزيد بن عبد الملك واخوه الغمر ونزله ايضاً من العباسيين الرشيد والمأمون وحكي عن ابرهيم الموصلي انه قال :

«مرّ الرشيد بدير مران فاستحسنه ونزله وامر ان يؤتى بطعام خفيف فأتي به وأتي بالشراب والندماء والمغنين فخرج اليه صاحب الدير وهو شيخ كبير مَرم فوقف بين يديه ودعا له واستأذنه في ان يأتيه بشيء من طعام الديارات فاذن له فاتاه باطعمة نظاف وإدام في غاية الحسن والطيب فاكل منها اكثر اكل وامره بالجلوس فجلس معه يحدّثه وهو يشرب الى ان جرى ذكر بني امية فقال له الرشيد : هل نزل بك احد منهم فقال : نعم نزل بي الوليد بن يزيد واخوه الغمر فجلسا في هذا الموضع وشربا وغنّيا فلما دب فيها السكر وثب الوليد الى ذلك الجرن فملأه وشربه وملأه وسقى اخاه الغمر فما زالا يتعاطيانه حتى سكرا وملأه لي دراهم فنظر اليه الرشيد فاذا هو عظيم لا يقدر ان يُقِلّه ولا يقدر ان يشرب ملأه فقال ابى بنو امية الا ان يسبقونا الى اللذات سبقاً لا يجاريهم فيه احد ثم امر برفع النبيذ وركب من وقته»(١ .

وفي تاريخ ابن كثير ان في سنة ٢١٥ (٨٣٠م) «سار المأمون في جحافل كثيرة الى بلاد طرسوس فدخلها في جمادى الاولى وفتح حصناً هناك عنوة وامر بهدمه ثم رجع الى دمشق فنزلها وعمر دير مران بسفح قاسيون واقام بدمشق مدة »(٢

ولا ريب ان ابن كثير يريد بقوله «عمر الدير» ما رواه ابن عساكر عن احمد بن الخير الوراق الدمشقي قال :

«لم يزل ملوك بني العباس تختلف الى دمشق طلباً للصحة وحسن المنظر منهم المأمون فانه اقام بها واجرى اليها قناة من خرمتين في سفح جبلها الى معسكره بدير مران وبنى القبة التي في اعلى جبل دير مران وصيّرها مرقباً يوقد في اعلاها النار لكي ينظر الى ما في عسكره اذا جنّ عليه الليل»(٣.

---

١) مسالك الابصار للعمري ٣٥٥ – ٣٥٦

٢) البداية والنهاية ١٠ : ٢٦٩

٣) تاريخ ابن عساكر ١ : ١٧٩

ونقل الاصبهاني عن الصولي وعمرو بن بانة ان المعتصم زار ايضاً دير مران[1] ويؤخذ من الابيات التي انشده فيه الحسين بن الضحاك ان الزيارة كانت لدير مدْيان على نهر كرخايا كما سبقنا ونبهنا على ذلك .

وتتابع الامراء والقواد على احتلال محلة دير مران كلما اضطرتهم الاحوال الى نزول دمشق وقد اشرنا قبلاً الى القصر الذي بناه في محلة الدير خمارويه ابو الجيش بن طولون ولما نشبت المعركة بين خمارويه والامير محمد بن ابي الساج في ثنية العقاب وانهزم ابن ابي الساج قال البحتري يمدح ابا الجيش :

اما كان في يوم الثنيّة منظر ومستمع بني عن البطشة الكبرى
وعطف ابي الجيش الجواد بكرة مدافعة عن دير مران او مقرى[2]

ومن الغريب الذي يحار فيه فهم اللبيب ان دير مران على شهرته وتقدمه عهده وجلالة بنائه لم تذكر كنيستهُ في جملة الكنائس الاربع عشرة التي أُخذ عليها العهد بعد الفتح ولذلك زعم بعض المؤرخين ان عمر بن عبد العزيز لما شكا اليه النصارى خروج كنيستهم الكبرى من ايديهم وإحلال الجامع الاموي محلها خيَّرهم بين ردّها عليهم وهدم كل الكنائس التي حول دمشق والقوطة كدير مران وباب توما والراهب في العقيبة وبين التخلي عنها وتسجيل بقية الكنائس لهم انهم آمنون عليها ان تخرب او تسكن[3] فاختاروا التسجيل

ومن تدبّر اقوال الرواة في هذه المصالحة واختلافها في تعيين الكنائس التي أُقطعت عوضاً عن كنيسة يوحنا يدرك جلياً ان معظم هذه الروايات وُضع بعد الفتح في القرن الثاني للاعتذار عن اغتصاب مار يوحنا وتنزيه الجامع الاموي عن كل شبهة حيف وظلم وحسبك من الشواهد على ما هنالك من التباين والتناقض انهم اتفقوا جميعاً على ان كنيسة مريم كانت في عداد الكنائس الاربع عشرة المُصالَح عليها ومع ذلك فقد نقل العمري عن المغيرة المقري وكان في ايام الوليد ان الوليد اعطى النصارى في نظير نصف كنيستهم الكبرى اربع

---

١) الاغاني ٦ : ١٥٩
٢) » » »
٣) مسالك الابصار ١٩٠

كنائس هي كنيسة حُميد بن درة وكنيسة سوق الجبن وكنيسة مريم وكنيسة المصلّبة[1] فكيف تكون كنيسة مريم داخلة مع الكنائس الثلاث المذكورة في العهد ثم تعطى بعد كأنها خارجة عنه ثم اختلفوا ايضاً في اسماء هذه الكنائس المعطاة وعددها وقد مر بنا آنفاً انها دير مران وباب توما والراهب ومع ذلك حكى ابن عساكر ان الوليد اعطى النصارى مكان الكنيسة التي في المسجد الكنيسة التي تعرف بجهام القاسم بحذاء دار ام البنين في الفراديس[2] وفي كل هذه الاقوال من الاختلاف والارتباك والتردد ما يوضح لكل ذي بصيرة ان مسئلة الكنائس في صلح دمشق لا تخلو من التخليط والتلفيق حباً بالدفاع عن حرمة الجامع وحلّ بنائه وتبرئته من كل وصمة وعيب .

بقي الكلام على خراب الدير وتعيين موقعه في سفح قاسيون وقد تتابعت علينا عدة اعوام ونحن نرتاد حلّاً قاطعاً لهذه المشكلة دون ان نهتدي اليه فلا ندري كيف درج الدير وتهدم بنيانه وتشتت رهبانه ودرست رسومه ومحاسنه وهل كان زواله في بعض الفتن والحروب التي توالت دائماً على دمشق وسلبتها كل مصانعها ومعاهدها ام ذهب فريسة المطامع والاحقاد كغيره من الاديار وآخر ما وقفنا عليه من الاشارات اليه خصوصاً — دون بقعته — قصيدة لعون الدين بن العجمي وصف فيها ثلاثة من اديرة دمشق والغوطة وتقدم لنا الاستشهاد بابياتها للاستدلال على وجود دير للراهبات في جوار دير مران ومعلوم ان عون الدين توفي سنة ١٢٥٨/٦٥٦ فهل كان الدير لا يزال ماثلاً مأهولاً في اوائل القرن السابع للهجرة كما زعم دوسو في قول عزاه غلطاً الى ياقوت[3] وكنا نرجح ذلك الى ان تسنّى لنا مطالعة تاريخ ميافارقين لابن الازرق الفارقي في خزانة بريتش موزيوم فعثرنا فيه على الشهادة الآتية للمؤلف حكاها بعد المعاينة وأرّخها لحسن الحظ بقلمه وهذا نصها بالحرف:

« سنة ٩٦ في السبت منتصف جمادي الآخرة مات الوليد بن عبد الملك . . . ودفن بدير مران بباب دمشق على النهر الذي يعرف بنهر يزيد تحت الموضع المعروف بكهف جبرائيل

١) مسالك الابصار ١٨٠

٢) تاريخ ابن عساكر ، دار الكتب الظاهرية بدمشق ١ : ١٥٥

٣) Topographie Historique de la Syrie, p. 298.

ولقد كنت بدمشق في سنة خمس وستين وخمس مئة (١١٦٩/٥٦٥م) واتفق ان رجلاً متزهداً مضى الى تحت الكهف ليبني له زاوية ينقطع فيها فحفر في موضع هناك فخرج عليه اثر بناء قديم وعمارة واثر دير وحيطان فيها صور اليونان والنصرانية والصلبان مصورة فخرج خلق كثير ومضوا واصروا الموقع وساعدوا الزاهد ونقضوا معه فقال جماعة من مشايخ دمشق وعلمائها والشيخ العالم الحافظ ابن عساكر صاحب تاريخ دمشق وعلمائها ان هذا دير مران الذي كان في ايام بني امية ودفن فيه الوليد بن عبد الملك ثم بنى ذلك الزاهد له هناك موضعاً واقام فيه وهو موضع مليح يطل على غوطة دمشق والبساتين تحته وضر يزيد بالقرب منه[1]

ومن الشقاء والخسران ان لا يكون اتصل بنا شاهد آخر يشفي لنا غلة لمعرفة شيء آخر من بناء الزاهد واثاره وتعيين موقعه تقريباً .

وفي هذه الشهادة الواجحة برهان قاطع على ان ان دير مران كان قد دثر باسره وامحت رسومه قبل ايام عون الدين بن العجمي وقبل عصر ابن عساكر ولولا ذلك لما كان ابن عساكر عرف انقاضه واطلاله المستخرجة ولا شك ان ابن العجمي لم يتغزل بالبيض والسمر من حور دير مران وولدانه الا تفنناً بالشعر واقتداء باسلوب من اساليبه المعروفة في اطراء الحور النصرانية والاطناب في وصف علالي القلالي الرهبانية ومن ثم لا ينتفي ان يكون خراب الدير قد تم قبل القرن الخامس للهجرة ولعلنا نقف يوماً على اشارة اليه في بعض المخطوطات الأنف يمكن ردها الى تاريخ معلوم تقطع بـه جيزة قول كل خطيب كالتي سبقت من كلام ابن الازرق الفارقي.

ويظهر انه كانت لا تزال منه بقايا في زمان شهاب الدين العمري في القرن الثامن للهجرة فانه لما اشار الى الدير قال : « بدمشق في سفح جبل قاسيون الصالحية . . . وبجانبها . . . كان دير مران المشهور مكانه الآن من المدرسة المعظمية الى عقبة دمر ومنه هناك بقايا اثار »[2] وقال ايضاً في كتاب الديارات من مسالك الامصار : « والناس في اختلاف اين كان دير مران فمن قائل انه كان بمشارق السفح نواحي برزة والاكثر على انه كان بمغاربه والى مكانه الآن المدرسة المعظمية واما الذي بمشارق السفح فهو دير السائمة المسمى دير صليبا»[3]

١) تاريخ ميا فارقين ، خزانة بريتش موزيوم Or. 5803 f° 76"

٢) مسالك الابصار ٣ : ٢١ خزانة باريس ٢٣٢٥

٣) مسالك الابصار ، طبعة الدار ٣٥٥

وفي هذه المدرسة المعظمية كانت القبة التي دفن فيها الملك المعظم عيسى ابن العادل ابي بكر بن ايوب وامه وابناؤه وغيرهم من البيت الايوبي[1] واشار اليها النويري فقال : هذه التربة هي دير مران المذكور في اشعار المتقدمين[2] وورد مثل ذلك في كتاب البداية والنهاية لابن كثير فقال : كنيسة دير مران بسفح قاسيون وهي بتربة المعظمية (٩ : ١٥١)

وذكر ابن شاكر الكتبي دير مران فقال : هو احد متنزهات دمشق وهو في سفح قاسيون نزله جماعة من الخلفاء ومدحه جماعة من الشعراء وهو على تل عال وتحته رياض زعفران وتُنبت في زمن الربيع من سائر الالوان قيل انه قرية دمر اليوم[3]

والى جانب هذا الدير كانت الدكة المعروفة بالدوّاسة احدى عجائب دمشق فوق يزيد وفيها كان ينزل جعفر بن فلاح احد قواد المصريين واول امير ولي لهم دمشق[4]

٢٤

دير مار موسى الحبشي

بجوار النبك

هو دير قديم مبني بالحجر الصلد فوق قمة جبل عال يقاد له «الجبل المدخن» وتسمى هذه القمة في بعض المخطوطات السريانية «القمة الكبيرة ومملوحا» وهو شرقي النبك يبعد عنها مسافة ساعتين ويشرف منها على سهل افيح يتصل بباحية تدمر وفلسطين وهو اليوم في حوزة السريان الكاثوليك وصفه بطريركهم مار افرام الرحماني في مجلة الاثار الشرقية وقال :

«كان هذا الدير مرحلة للقوافل الغادية والرائحة من بلاد ما بين النهرين وفيه كنيسة جميلة قديمة وعلى جدرانها داخلاً وخارجاً تصاوير وكتابات سطرنجيلية وسريانية سطرها غير

١) الذيل على الروضتين لابي شامة ، باريس ٥٨٥٢ ص ٥٧ — ٥٨ و٢١٩

٢) نهاية الارب ، خزانة ليون Arab. 19b Goul. 112

٣) عيون التواريخ ، باريس ١٥٨٧ ص ٦٣

٤) مختصر مرآة الزمان لابي المظفر الجوزي ، باريس ١٥٨٦٦ ص ٣

واحد من الرهبان والزوار الذين كانوا يحجون الى الاراضي المقدسة فكانوا يمرّون بذلك الدير ذهاباً واياباً »[1]

وورد ذكر الدير في عدة مخطوطات سريانية سبق بعضها تاريخ الهجرة ونقف منها البطريرك المشار اليه على مصحف خُطّ في الدير سنة ٥٧٥ في عهد ابي كريب الغساني[2] وهو ما يشهد بتوغّل بنائه في القدم وفي خزانة بريتيش موزيوم مخطوط سرياني رقم ٥٨٥ جاء فيه ان في سني ٩٢٠ الى ٩٣٠ حضر الى الدير القس موسى النصيبيني واخذ منه بعض مخطوطات نقلها الى دير والدة الاله في الصعيد بمصر وفي خزانة كمبريدج كتاب رقم Add. ٢٢٨٠ خُطّ سنة ١٤٩٤ واصله من كتب الدير وفي خزانة باريس كتاب القداس رقم ٧٢ كتبه ديسقورس مطران اورشليم ، حين زار الدير سنة ١٤٦٢

واكثر التعليقات التي علّقها النساخ على مصاحف الدير خالية من كل فائدة تاريخية وليس هناك ما يستفاد سوى ان الدير اصبح كرسياً اسقفياً لازدياد رهبانه واقبال الزوار والحجاج عليه وان اللصوص من الاعراب كانوا يتتبعون احياناً امتعته ومخطوطاته .

ومن اسماء الاساقفة الذين اتفق ذكرهم فيها مار جورجي رئيس الدير اسقف مدينة قدس (مخطوط رقم ٥٨٥ بريتيش موزيوم) وديسقورس صروخان اسقف مار موسى (١٧٢٧ — ١٧٦٩)[3] ويوانيس الياس الاصغر الموصلي مطران النبك (١٧٩٧ — ١٨٣٢)[3] وفي الدير سجل محفوظ جاء فيه اسم المطران الياس رئيس الدير سنة ١٨١٠ وعدّدت فيه بالتفصيل اوقاف كثيرة حبسها اصحاب النذور من القرى المجاورة في جبل قلمون والغوطة وبرّ دمشق والزبداني وجبل لبنان وبعض قرى طرابلس وهي شاهدة باشتهار هذا الدير ووفود الزوار اليه من كل حدب وصوب وربّما كانت بعض النذور لقوم من المسلمين كما اعتادوا امثالها في دير السيدة في صيدنايا.

---

١) مجلة الاثار الشرقية ٢ — ١١ — ٣٣٦

٢) مجلة الاثار الشرقية ١ — ٩ — ٣٦٢

٣) نزهة الاذهان في تاريخ دير الزعفران للاب افرام برصوم ص ١٢٢ و١٢٣

ومما هو حريّ بالتنبيه عليه هنا انه لم يبقَ من كل الاديار القديمة التي كانت في دمشق وبرّها فيما عدا دير مار يعقوب المقطّع الذي غلب الخراب عليه في قارة الا ثلاثة اديار عامرة وهي دير السيدة بصيدنايا ومارجرجس في بلودان ومار موسى بالنبك ولعل بعدها عن المدينة وبناءها فوق قنة جبل وصعوبة التوغل اليها وعدم اعتصار الخمور فيها للحانات زهّد المتنزهين وابناء السبيل في طروقها وارتياد الشراب فيها كسائر الاديار المشهورة ولذلك لم ينته الينا اقل شعر في مار موسى او اشارة اليه في الادبيات الاسلامية ولولا معرفة شهاب الدين الدمشقي بحسن موقع دير بلودان وذكره اياه في ابيات اراد ان ينحو فيها منحى الشعراء المتطرحين في الديارات والمعجبين بجمال حورها وولدانها كما يقولون لكان نصيب دير مار جرجس في بلودان لا يختلف عن نصيب دير مار موسى في النبك من الإغفال والاهمال

٢٥

دير ميخائيل او دير البُخت

بظاهر دمشق

اغفله العمري في كتاب الديارات من مسالك الابصار واقتصر ياقوت في معجم البلدان على نقل ما رواه الشابشتي في النسخة اليتيمة المحفوظة من كتاب الديارات في خزانة برلين وهذا نص ما جاء فيه :

« هذا الدير بدمشق على فرسخين منها وهو دير كبير حسن وكان يسمى دير ميخائيل فسمّي : جذا الاسم لبخت كانت لسيد الملك بن مروان مقيمة هناك فعرف جا . وكان لعلي بن عبدالله بن عباس بذلك الموضع جنينة مقدارها اربعة اجربة فكان يخرج اليها ويتنزه فيها ايام مقامه بدمشق » (الورقة)

وقد فات الشابشتي ان يذكر في اي ناحية من دمشق كان هذا الدير وفي جوار اي قرية من قرى الغوطة لنهتدي الى اثر من اثاره ومثل هذا التقصير والغموض في التعريف هو آفة معظم المؤرخين والبلدانيين فلا نكاد ننتفع بكثير من اقوالهم واوصافهم على قلتها وايجازها

ولم نجد اشارة واحدة في الاشعار الخمريات واوصاف الحانات الى هذا الدير فهل كان بعيداً عن دمشق ومنازهها وكان الوصول اليه عسراً طويل الشقة ام كان خالياً من الكروم والاعناب فلم يشتهر بشيء من الخمور التي نوّهت بسائر الديارات وجلبت لها ضروب المخازي والفضائح

ويؤخذ من رواية لابن عساكر انه كان حول دير ميخائيل بقعة مأهولة من منازل بني امية كانت تعرف باسم دير البخت قال في الكلام على داود بن يحيى بن الحكم بن ابي العاص «كان يسكن دير البخت من اعمال دمشق»[1] وذكر ايضاً من ساكنيه قبلاً سليمان بن داود بن مروان بن ابي الحكم[2]

٢٦

دير النساء

بجانب كنيسة مريم بدمشق

انفردَ بذكره سعيد بن بطريق وهو افتيشيوس بطريرك الملكيين في الاسكندرية واغفل اسمه فقال :

« ثار المسلمون في دمشق فهدموا كنيسة مريم الكاثوليكية وكانت عظيمة كبيرة حسنة أنفق فيها مائتا الف دينار وخرب ما كان فيها من آنية وغير ذلك من حلي وستور وخربت ديارات وجامعة دير النساء الذي كان جانب الكنيسة وشتتوا كنائس كثيرة وهدموا كنيسة النسطورية وذلك في نصف رجب سنة اثنتي عشرة وثلثمائة[3] » (١٧ تشرين الاول = اكتوبر ٩٢٤) .

ولا شك انه لما أُعيد بناء الكنيسة بعد سكون الثورة جُدّد ايضاً دير النساء ولم نجد اقل خبر عنه لضياع كل الكتابات النصرانية بدمشق وبرّها بتوالي النكبات والفتن والتهام النيران مصاحف الكنائس وخزائن الاديار ولا سيما مخطوطات دير السيدة في صيدنايا التي اتلفها الروم الارثذكس جهلاً وتعصباً .

---

١) تاريخ ابن عساكر ، دار الكتب الظاهرية بدمشق ٦ : ٢٢

٢) تاريخ ابن عساكر ، دار الكتب الظاهرية بدمشق ٧ : ٢٠٢

٣) نظم الجوهر ، طبعة بيروت ٢ : ٨٣

٢٧
دير هند في الغوطة

وهو دير محمد عند المنيحة

اشتهر ديران في الحيرة باسم هند الصغرى وهند الكبرى ولكن لا نعلم من هي هند التي قام باسمها دير دمشق ولا متى كان بناؤه او في اي وقت أقطع لبعض رجال بني امية واصبحت بقعته قريبة عدّها ياقوت من قرى الغوطة نقلاً عن ابن عساكر وابن ابي العجائز وقالوا انها كانت من اقليم بيت الآبار[1] ويغلب على الظن ان هذا الدير هو الذي اشار اليه ابن عساكر في كلامه على محمد بن الوليد بن عبد الملك قال « واليه تنسب المحمديات التي فوق الارزة ودير محمد الذي عند المنيحة من اقليم بيت الآبار »[2] وفي مراصد الاطلاع « عند المسجد من بيت الآبار » (١ : ٤٣٩—٤٤٠) وهو تحريف ظاهر.

٢٨
دير مار يعقوب المقطع

غربي قارة

كانت قارة من أمهات القرى في جبل قلمون واهلها كلهم نصارى كما نبّه على ذلك ياقوت[3] وكانوا ذوي منعة وجرأة وشجاعة ولذلك استعان بهم احياناً بعض النواب والملوك لاغتيال مناوئيهم من رجال الدولة[4] وكانت تطيف بقارة عدة اديار لم يشتهر بينها الا هذا الدير لقدم بنائه وحسنه واتساعه ووفرة رهبانه واملاكه وإقبال الحجاج والزوار اليه من كل الانحاء المجاورة ولا سيما من حوران وكثرة ما يُحمل اليه من النذور والصدقات ولهذه الاسباب

١) معجم البلدان ٣ : ٧١٠ ، وتاريخ ابن عساكر في ظاهرية دمشق ١٦ : ٤٦ ظ . و٤٠ : ٦٣

٢) معجم البلدان ٣ : ٦٩٥ ، وتاريخ ابن عساكر في ظاهرية دمشق ١٦ : ٤٦ ظ .

٣) معجم البلدان ٤ : ١٣

٤) غاية الارب للنويري ، خزانة ليون Arab. 2' Col. °319

كان مطمح ابصار اللصوص وتتابعت عليه غارات التركمان وقطّاع الطريق فظل حيناً يتراوح بين اليسر والعسر الى ان جرد عليه وعلى قارة السلطان بيبرس البندقداري سيف النقمة والبغي سنة ١٢٦٦/٦٦٤ وكان قادماً من دمشق فقيل له ان اهل قارة يتخطّفون احياناً المسلمين ويبيعونهم الافرنج الصليبيين[1] قال النويري : « وكان قد حضر من قارا رهبان بضيافة الى الدهليز (اي الخيمة السلطانية) فامر السلطان بالقبض عليهم وركب بنفسه وقصد الديرة التي خارج قارا فقتل من بها ونهبها ثم عاد وامر العسكر بالركوب وقصد التلّ الذي بظاهر قارا من جهة الشمال واستدعى ابا العزّ الرئيس بها وقال له : نحن نقصد الدير فمُرْ اهل قارة بالخروج باجمعهم فخرج منهم جماعة الى ظاهر القلعة فلما بعدوا عنها امر بضرب رقابهم فضربت ولم يسلم منهم الا من هرب واختفى بالمغائر والآبار . . . ثم امر بتوسيط الرهبان الذين حضروا بالضيافة فوسّطوا وتقدم الى العسكر بنهب قارا فنهبوها ثم امر ان تجعل كنيستها جامعاً ونقل اليها الرعية من التركمان وغيرهم حتى شحنها بالناس ورتّب فيها خطيباً وقاضياً وكانت قبل ذلك تسكنها النصارى »[2].

ومنذ ذلك الحين ضعف حال الدير وافتقر بقلة من انضوى اليه من الرهبان وكثرة ما تتابع عليه من تسلط التركمان وفي سنة ١٤٠٣/٨٠٥ « اغار التركمان على قارة وما حولها من القرى ونهبوا تلك البلد[3] وذهب للدير عدة ذخائر من النذور والاواني البيعية والمصاحف النادرة والمؤن والغلال وتفاقمت الحال عليه في ايام الدولة العثمانية فكان لا يخلو من التعديات والنكبات ومن اشنعها وافظعها ما حلّ به وبرهبانه في اوائل القرن السابع عشر وقد وقفنا على شرح هذه الواقعة في ذيل كتاب الدر المرصوف في تاريخ الشوف لحنانيا المنيّر في نسخة منه مخرومة في خزانة الآباء اليسوعيين في بيروت وهذا نصّها كما وردت بلفظها وعاميّتها وعنوانها وهي حافلة بالفوائد والاخبار :

١) نسب ابن خلدون تخطف المسلمين وبيعهم للافرنج لا الى نصارى قارة ولكن الى « عدوان الاحياء الرحالة » (العبر ٥ : ٨٦) .

٢) نهاية الارب ، باريس ١٥٧٨ ص ٧٣ – ٧٤

٣) ذيل ابن قاضي شهبة ، باريس ١٥٩٩ ص ٢٠٤

« خبرية دير مار يعقوب المقطع في قارا وكيف قتلوا رهبانه وعن خرابه »

« ان هذا الدير بنيانه قديم وعماره حصين وله تاريخ وضيح ونظروه اناس كثيرين وبعده فقد وانما في زماننا حصلنا رهبان قليلين وكانوا ذو عمر طويل لان مناخ هذا الدير جيد جداً وقريب اليه قرية تدعى قارا فاخبرونا هؤلاء الرهبان انه حين ترهبوا في ابتدا عمرهم كان الدير عامراً قديماً وكان قبلاً يحوي رهبان كثيرين وهم روم ماسكين قانون باسيليوس الكبير وكان هذا الدير يقصدوا زيارته كثيرين وفيه نهر ماء يدوّر به طاحون وكامل القرايا اللايذين بالدير المذكور يطحنوا بها وله اراضي متسعة اذا كانت تزرع جميعها فيحصل ارباح وافرة وبالنتيجة ان مداخيل هذا الدير كافية لرهبانه معاش ولو كانوا كثيرين وله سمعة مشهورة ويطعم عيش للمسافري وللغادي وعماره في نصف السهل ولكن عالي محصّن جداً فانفق من عدرات الزمان من نحو ماية وخمسون سنة على التقدير باطن سنة الف وستماية وكسور مسيحية جاء للدير بعرق عسكر نحو ثلاثين نفر مقطوع جرايتهم نزلوا على الدير وقت العصر وقايدهم منصوب خيطان فنزلوا عن خيلهم وطلبوا ان الريس يقدم لهم اكل وشرب وعليق فقدم لهم حسب العادة ثم بعد برهة وهم خارج الدير طلب قايد العسكر مواجهة الريس وافهمه ان اخص عنده للدير بقصد زيارة البطل ماري يعقوب ويريد يزور الكنيسة ويقدم النذر الذي معه واراد قطعة ذهب سنة فاطفى لكلامه وفتح له باب الدير ودخل معه اثنين عسكر فزار المقام واعطى النذر وصار يتفرج على الدير ونظر حالة الرهبان وعيشتهم واحوالهم ثم اظهروا وداد ومحبة للريس وبعض الرهبان حتى ان جميعهم اغتظوا منه وقصدوا ان يبات عندهم داخل الدير عدا العسكر واكرموه كثيراً وثاني يوم وعدهم والرهبان مشغوفة خبه لهم وطلبوا منه يقيم عندهم يومين فاعتذر ان الوزير ارسله في مصلحة ولكن ان شاء الله تعالى بعد قضاها نجتهد ان يرجوعنا نمر عليكم وهكذا ذهب من عندهم فغاب يومين وحضر لعندهم آخر النهار وصحبة نحو خمسين عسكري وبتوف فخرج الريس لملاقاته وفتح له باب الدير وادخله الى وسطه مع جملة عسكر وبقي الباب مفتوح ضد العادة وهو سايب والعسكر يدخل ويخرج من غير تكلف والاغا مع الرهبان سلك سلوك عجيب حتى كان يسميهم اخوته.

ثم قدموا العشاء داخل الدير وعليقاً وافراً لخيلهم حتى كان العسكر داخل الدير والرهبان مطمئنين من نحوهم فنام العسكر نصف الليل تسلحوا وهجموا اولاً على اوضة الريس ذبحوه ثم داروا على الرهبان ذبحوهم جميعاً وكان عددهم انوف من ماية وعشرين راهباً وخربوا الدير والكنيسة تماماً وذهبوا حالاً واغلقوا الباب خلفهم . ففي الصباح لحظوا اهل قارة بما صار فاعرضوا للشام وخرج عسكر وافر يطلب هولاء الاشرار الاردياء فما وجدوا لهم اثر ومن وقته زال رونق الدير من الدثار والخراب.

ثم حضر بعض رهبان الذين كانوا دايرين بالقرايا والشام لمصالح تخص الدير ايضاً حضر رهبان القاطنين بدير سيدة رأس بعلبك الذي تابعاً لدير مار يعقوب وهذا الدير في يومنا بيد رهبنة الشويريين بدير مار يوحنا وقبلاً ما كان رهبنة في الشرق غير مار يعقوب كان كرسي وتبعه دير السيدة المذكور فلما نظروا الرهبان ما حدث بديرهم من النهب والقتل

فانتبهوا جداً ما يدهم حيلة غير الصبر غير انه حصل جفل للناس الذين يرغبون دخولهم بالرهبنة لان الدير افتقر نوعياً وصار تسعون ما بقي امان واذا كان احد يترهب فهو نادراً جداً وخفّت الرهبان لان الذي يموت ليس له عوض ثم بعد مدة من السنين وهي سنة الف وسبعماية وتسعة وخمسون حصل زلزلة هائلة في بلاد الشرق اغرق الذي بالدير وغار النهر بالارض كلياً وطلت الطاحون وهكذا وهذا كما حسّم خراب الدير والرهبان حين غار الماء فصاروا قليلين وقضوا معيشتهم بالفقر والنهر.

واخيراً حدود سنة الف وسبعماية فجاؤا لدير مار يوحنا واتركوا منهم وتركوا ديرهم سايب ما به احد وهؤلاء الرهبان شاهدناهم بالجبل اسمائهم متى وسمعان وارسانيوس وجميعهم من عمر تسعين سنة وطالع واهل قارا نلاحظ الدير من الخراب وهم روم كاثوليك وبعد كم سنة حضر راهب شويري وهو مقربي ذي الرهبان واشاع انه كاهن وسارق كتب طقسية وكان يخدم بالمذبح وهو لص سارق وحين لاحظ فحص اهل قارة عنه فهرب من الدير وسكنوه بالجبل وظلت منهم ولا نعلم كيف جرى بامره وهكذا بقي سايب دير مار يعقوب زماناً طويلاً . اخيراً من ايام قريبة توجه اليه راهبين من دير مار يوحنا الشويري كاهن وراهب نظّموه وانتقلوا لمار زرقه وقيل انه ظهرت عين ماء زعيدة مكان العين التي غارت بالزلزلة قديماً وثبتوا فيه الرهبان الى يومنا هذا.

وبقي الدير في حوزة الرهبان الشويريين الى زمان البطريرك مكسيس مظلوم وفي خزانتنا منشور له بتاريخ ٣ آب سنة ١٨٣٦ هذا نصه :

« انا قد اتفقنا يوم تاريخه ادناه مع حضرة ولدنا العزيز الخوري فلابيانوس رئيس عام الرهبنة الحناوية البلدية الجزيل الاكرام على ما يأتي ذكره بخصوص دير القديس يعقوب الذي في قارة اذ ان هذا الدير هو مختص بكرسي قارة وبالابرشية وهو الاساس لاسقف معاش اسقف الكرسي من المداخيل التي تفيض من ارزاقه عن مصاريفه ومن ثم عدلاً وذمة يلزم ان يستمر كما كان وكما هو الآن تحت ولاية اسقف الابرشية من دون توسط ولا يباح اصلاً تخصيصه برهبنة من الرهبنات وذلك للسبب المذكور اي لان اساس معاش اسقف الابرشية هو من مدخوله فالرئيس العام المذكور قد ارتضى لمجد الله وخير الابرشية المذكورة وتتميماً لرغبتنا ان يرسل من قبله احد كهنة رهبنته الذي هو ولدنا القس بناديكتوس فرح الاكرم مع ولدنا راهبه انطونيوس المكرم الى الدير المرقوم ليقيما فيه ويتسلما ارزاقه مع كل ما يخصه ويتوليا مداخيله من اليوم الحاضر فصاعداً الى مدة ثلث سنوات . . . (التي غايتها تكون في اول تشرين الاول سنة ١٨٣٩) . . .

ثم ان الوكيل المذكور يلزمه ان يحفظ عنده اولاً قائمة الموجودات المختصة بالدير التي يتسلمها من يد ولدنا العزيز الشيخ ابرهيم سرور وتبقى صورتها مختومة منه بيد ابرهيم المذكور . ثانياً ان يرتب له دفتراً خصوصياً ليدوّن فيه جميع المداخيل والمصاريف . . . من حيث انها عادة قديمة هي ان تجمع له خصوصية باسم هذا الدير تكريماً لصاحب القديس يعقوب من ابرشية حوران ومن المحلات الاخر المجاورة من نذورات وحسنات . .

ومن اخباره التي تلقطناها انه في سنة ١٧٩٠ اغار الامير جهجاه الحرفوش على الدير ونهب ما اجتمع فيه لاهل الرأس والفيكة من الودائع والحرير والدواب[1] وفي سنة ١٨٥١ نقب اللصوص احد جدرانه وسلبوا الراهب المقيم فيه امتعته ونقوده واتّهم اثنان من الروم الارثذكس فأُخذا واقرّا بالسرقة[2].

وفي ايام البطريرك مكسيمس مظلوم رُمّ الدير وجُدّد ما غلب عليه الخراب ولما زرناه سنة ١٩١٣ وجدنا في ارض الكنيسة وكانت مهملة مهجورة حجرًا مطروحاً قرأنا فيه الكتابة التالية في اربعة اسطر :

قد تجدّد هذا الدير مزهرًا بإهاه بعناية قدس السيد السامي فضله مكسيموس مظلوم البطريرك الانطاكي ادام الله طهره وبرّه وعلاه.

وقبلًا تولى اسقفية حمص وملحقاتها السيد يوسف سفر وكانت قارة والدير في حكمه فاقام على الدير الخوري بطرس مسلم ولكنه لم يلبث فيه الا قليلًا وخرج منه لخلاف حدث بينه وبين حاكم الناحية ثم تقلد الاسقفية غريغوريوس عطا فاسند رئاسة الدير الى الراهب اناطوليوس شاهيات وخلفه القس بناديكتس فرح كما ذكرنا آنفاً وصُرف بالقس فلاسيوس بسيريني وبقي الدير مطّرحاً متبدماً الى ان دخله في ١٥ ايلول سنة ١٩٠٨ الخوري غريغوريوس بندق فوجد الدير خراباً وارض الكنيسة ملأى بالبعر والاقذار لأنها جعلت حظيرة وزريبة تأوي اليها اسراب الجداء والماعز والغنم فاشتغل بتنظيفها مدة ثمانية ايام ولم يبلغ الغاية وكان بالدير قديماً مطحنة وفرن ومعصرة دبس وحمّام وصهريج ماء وبرج حمام لم يبقَ من الاوكار فيه الا نحو الثلث وفي الدير ايضاً عين ماء. زلال وبستان وامامه جفان وكروم وله اراضٍ بعل نحو من مائتي فدان يتصرف اهل قارة بها من نصارى ومسلمين ويستأثرون بغلالها ولو رُزق من يحسن سياسته والقيام عليه لكان في مقدمة اديار الروم الملكيين طيب بقعة وصفاء هواء وعذوبة ماء. واصبح معهدًا من معاهد التثقيف والتعليم وملجأً للعجزة وشيوخ الرهبان.

---

١) تاريخ الخوري روفائيل كرامة ص ١١٧

٢) حوض الجداول المخطوط للمطران عطا ص ٢١٥

ولا شك انه كان في الكنيسة قديماً عدة صور ومصاحف ثمينة انتهبت واغتالتها ايدي الحوادث والكوارث والتهمتها افواه النيران ولم نجد فيها الا صورة واحدة من القرن الثامن عشر كُتب عليها :

« اوقف هذه الايقونة المباركة العبد الفقير المفري عبدالله بن يوسف صرة الدمشقي اصلاً على دير مار يعقوب المقطع من قرية قارة بيد جرجس بن حنانيا المصور سنة ١٧٥٣ ».

ومن كتب الدير المحفوظة في الخزانة « كتاب السواعي رقم ٨٦ وقف برباريني على خزانة الفاتيكان » سطّره . . . الحقير في الرهبان ديونيسي ابن رزق بن داود من قرية اراس عمرها الله تعالى وهو قاطن يوم بذا في الدير المبارك دير مار يعقوب المقطع غربي قارا . . . » وتاريخ كتابته نهار الجمعة عاشر شهر ايار سنة ٧٠٦٨ للعالم (= ١٥٦٠ للميلاد)

وفي خزانة برلين :

١ كتاب تريودي سرياني ملكي خُطّ سنة ١٩٩٩ لآدم = ١٤٩١ للميلاد بيد « حبيب بالاسم قسيس ابن الاب السيد الاسقف مقاريوس بن حبيب بن داود » رقم ٣١٠ كان قبلاً موقوفاً على كنيسة دير عطية ثم « أوقف وحُبس عن روح القس يونان بن القس يعقوب لدير القديس المجيد مر يعقوب بقارا » .

٢ كتاب ميناون سرياني ملكي رقم ٣٢١ كُتب في الورقة ٣٢١ منه « هذا الكتاب لدير مار يعقوب » ويظهر ان تاريخه لا يتجاوز القرن الرابع عشر وفي مكتبة دير السيدة بصيدنايا « كتاب قرآءات الانجيل » رقم ٤ وبآخره هذا التعليق :

« كان الفراغ من هذا الكتاب المبارك في خمسة ايام مضت من شهر حزيران المبارك سنة ستة آلاف وتسعمية وخمسة وثمانين لابينا آدم . . . (١٤٧٧ م) وذلك بيد عبد المسيح الحقير في الكهنة يواكيم باسم قسيس ولابس توب التوبة ابن ابرهيم من قرية حنانك وهو يومئذ ساكن في دير مار يعقوب المقطع غربي قارا . . . »

٢٩
دير يُوَنّى (يوحنا)
بظاهر دمشق

وَهِمَ في ضبطه كل من ابن شداد في الاعلاق الخطيرة وياقوت في معجم البلدان وشهاب الدين العمري في مسالك الابصار ورووه في حرف الباء الموحدة بدلاً من الياء المثناة المضمومة واورده ياقوت بعد دير بولس وقبل دير التجلي واهله جاء بالموحدة ايضاً في نسخ كتب الديارات الاصبهاني والخالدي وقد سقط من نسخة الشانشتي في برلين فلا يدرى كيف كان مثبتاً فيها واغفل ذكره البكري في معجم ما استعجم في جملة الديارات الكثيرة التي ضرب عنها صفحاً واللفظة رومية كما هو معلوم والدير من اديار الروم الملكيين ولا شك انه كان مبنياً على اسم يوحنا المعمدان لقول ياقوت والعمري ان الدير كان من اقدم ابنية النصارى « بني بعد المسيح عليه السلام بقليل » فلا تمكن نسبته الى يوحنا فم الذهب او يوحنا الدمشقي.

وفي ياقوت والعمري ان الدير كان بجانب غوطة دمشق في انزه مكان بين رياض مشرقة وانهار متدفقة ولا يخفى ما في هذا التحديد من الغموض والابهام وهو قد يصدق على غير موضع واحد في ظاهر دمشق ولعل الاغلب انه كان في ناحية باب الفراديس حيث تعددت الديارات والبيع وقد شهد احد شيوخ بني حمدون حين صحب المتوكل وقدموا دمشق سنة ٢٤٣/٨٥٧ انهم طافوا الموضع المعروف بالفراديس (ظاهر باب العمارة اليوم) ونزلوا منزلاً بين كنائس عظيمة وآثار قديمة[1] فلا يبعد ان دير يونّى كان في جملتها وكان موضعه في زمان العمري قد تنوسي واضمحلت معالمه ولذلك قال فيه : « هذا الدير اليوم لا وجود له وقد اقفرت الارض منه من رسم وطلل ومضى وحادث كل دير بعده جلل »[2] وكان خرابه دون ريب بعد القرن السابع للهجرة او في اواخره . لان

١) الدر الملتقط من كل بحر وسقط خزانة بريتش موزيوم Add. 19408 f° 126b

٢) مسالك الابصار ٣٥١

معجم البلدان شهد انه كان صغيرًا ورهبانه قليلين وحكى ان الوليد بن يزيد الخليفة الاموي اجتاز به فرأى حسنه فاقام به يوماً في لهو ومجون وشرب وقال فيه الابيات الآتية اذا صحت نسبتها اليه ولا يخفى على احد ما فيها من الغلوّ الشعري وحب الاغراب والتطرف :

حبذا لباتي بدير يونّس حيث نُسقى شرابنا ونُغنّى
كيف ما دارت الزجاجة درنا بحسب الخاطون انا جننّا
ومررنا بنسوة عطرات وغناء وقهوة فنزلنا
وحملنا خليفة الله فطرو سَ عيونا والمستشار يُحنّا
فاخذنا قرباضم ثم كفّر نا لصلبان ديرهم فكفرنا
واستهلّ بالناس فيها يفو لون اذا عُبّروا بما قد فعلنا (١)

ومن البيت الرابع يستدلّ على ان رأس الدير في عهد الوليد بن يزيد كان سمه بطرس ولعل اسم المستشار يحنّا لم يرد معه الا لاتمام القافية او انه اشارة الى سمي الدير ويتحصّل من ذكر « النسوة العطرات والغناء والقهوة » في البيت الثالث انه كان الى جانب الدير حانة يباع فيها الشراب كما يشهد بذلك ايضاً حديث ابن ابي اللقاء الشاعر عن عبد الملك الدمشقي الشاعر الذي رواه السيوطي في كتاب الديرة قال :

« خرجت في عصبة من اصدقائي الى دير مار يونّا فاخرج الينا قس كان فيه شرابًا عتيقًا وكان معنا غلام حسن الوجه يضرب بالعود وبغني احسن غناء فجلسنا في روضة اريضة نطل على الغوطة واقمنا ثلاثة ايام وانشد فيه عبد الملك :

قليت طيب العيش في دير باونّا بندمان صدق اكملوا الظرف والحسنا
خطبت الى قس به بنت كرمة ممتعة قد صيروا خدرها دنّا
فتاهٌ بها عجبًا وقال جذه تتيه على الآفاق عجبًا بما منا
دفعنا اليه مهرها حين زفّها عروسًا تهادى في قراطقها زفنا
وقمنا الى روض اريض وشادن غضيض تمار الخور في شكله حسنا
له جيد جيداء وعين غزالة يريك اذا عاينته البدر والغصنا
يغنّي فيُغنينا بحسن غنائه عن الغانيات المحسنات اذا غنّى
وتنثي لنا الاطراب رنّات عوده اذا عوده في حجره مرّحًا رنّا

(١) من الغريب ان ياقوت الرومي روى هذه الابيات في دير يونى (٢ : ٦٤٦) ونسبها للوليد بن يزيد ناسيًا انه سبق ونقلها في تعريف « تل بَوّنّا » من قرى الكوفة حيث عزاها لمالك بن اسماء الفزاري (١ : ٨٦٥) وهو سهو منه ظاهر .

ويثني الى غي الصبابي قلوبنا اذا استنطق الاوتار او حرك المثنى
ويبدي لنا اللحن المليح اذا شدا وقد آن الاسماع ان تسمع اللحنا .
خلعنا عذار اللهو عنا ولم نزل اذا اسرف العذال في الغي اسرفنا
وهان علينا القرن في طاعة الهوى فان اكثر اللوّام في اللوم هوّنا
وحقيٌّ لذاك العيش لو كان عائدًا علينا وكنّا فيه مثل الذي كنّا
فاشكر ما قد قلته ووصفته من النصف والاطراب في دير باونا (١

وقد رويت هذه الابيات في كتاب برق الشام (كذا) وهو بعض كتاب الاعلاق الخطيرة لابن شداد في خزانة جامعة ليدن arabs. 1466 f° 62 وممن تابع ياقوت وسائر النقلة في غلط رواية اسمه وضبطه بالباء الموحدة العالم الاثري دوسو في كتابه Topographie de la Syrie p. 297

٣٠

دير مار يونان

بدمشق

كان هذا الدير لليعاقبة بدمشق ولا يعلم موضعه وغاية ما روي من اخباره ان يعقوب احد اساقفة طبرية في القرن العاشر للميلاد كان قبلًا راهبًا من دير مار يونان[1] وان سلمون مطران دمشق في منتصف القرن التاسع[2] وتاوفيل مطرانها في اواخر القرن العاشر[3] كانا كلاهما من رهبان هذا الدير ونظيرهما خريستودولو اسقف بعلبك اقامه البطريرك اثناسيوس بعد شهر تشرين الاول سنة ٩٨٦[4].

---

١) تاريخ ابن عساكر المخطوط في دار الكتب الظاهرية بدمشق المجلد العاشر رقم ٩ (تاريخ) الورقة ٢٦٩ ظ .

١ و ٢ و ٣ و ٤) J. Chabot : *Les Evêques Jacobites au VIII Siècle* p. p. 20, 13, 24, 25

الاديار التي ضاعت اسماؤها ونسبت الى ما جاورها من البقاع او الى مُقطعيها من الامراء الامويين

لمع من اخبارها بعد الفتح

٣١
دير أبان

دير ابان من قرى الغوطة قال ابن عساكر في تاريخه : عثمان بن أبان بن عثمان بن حرب بن عبد الرحمن بن الحكم بن ابي العاصي بن امية كان يسكن دير أبان عند قَرْحتا وهو منسوب الى ابيه ابان ذكره ابن ابي العجائز[1].

وتعد قرحتا اليوم من قرى المرج وهي في شرق « خيارة نوفل » وتبعد عن قرية جسرين نحو ساعتين وممن سكنها من الامويين يحيى بن عبدالله بن خالد بن يزيد بن معاوية[2].

٣٢
دير البالسي

ورد ذكر هذا الدير في قصيدة لمحاسن الشوّا الحلبي عدّد فيها منتزهات دمشق في ايامه وقال فيها :

بحيرا وتلفيانا ودير البا لسي اضحكت في اللهو سرّا[3]

ومن اخبار هذا الدير ان في سنة ١٢٦١/٦٩٥ وصل الخطيب ناصر الدين بن عبد السلام من الديار المصرية الى دمشق ... لاجل مشترى دير البالسي ظاهر دمشق للملك العادل[4].

---

١) معجم البلدان ٢ : ٦٢٩

٢) تاريخ ابن عساكر في ظاهرية دمشق ١٨ : ٧٤ ظ .

٣) عيون التواريخ لابن شاكر الكتبي ١٥٨٧ باريس

٤) تاريخ الجزري « حوادث الدهر وانبائه ٦٧٣٩ باريس ١٧٢

٣٣ دير بجدل

كان هذا الدير من اقليم بيت الآبار في موضع منه اغفل ابن عساكر ذكره. وابن بجدل هذا هو سعيد بن مالك بن بجدل اقطعه يزيد بن معاوية هذا الدير فنُسب اليه[1] وهذا كل ما يعرف من اوصافه.

٣٤ دير سابر

قالوا: من نواحي دمشق من اقليم حرلان سكنه عمر بن محمد بن عبدالله بن يزيد بن معاوية وذكره ابن ابي العجائز في تسمية من كان بدمشق وغوطتها من بني امية[2] ولم يقل احد من هو سابر ولا في اي قرية من قرى دمشق كان هذا الدير.

٣٥ دير العصافير

هو اليوم اسم قرية عامرة في قضاء دومة في الجنوب الشرقي من زبدين وكان يعدّ قبلًا من منازه دمشق اشار اليه ايضاً محاسن الشوا الحلبي في قصيدته التي تغنى فيها بتواطن الانس واللهو في ضواحي دمشق وقال:

واذكرا عذريا ودير العصا فير لسعي ان شئتما ان تمرّا[3]

ولم نعثر على ذكر له في تاريخ ابن عساكر ولا نعلم لِمَ أُطلق عليه هذا الاسم.

٣٦ دير قيس

هو ايضاً فيما ذكروا من اقليم حرلان ولكنهم اهملوا تعريف موضعه كعادتهم غالباً في التعمية والالغاز ويظهر انه كان حسن الموقع جليل العمارة واسع البقعة لان معاوية الخليفة الاموي اختصه لنفسه واعتقده في جملة ضياعه في الغوطة وممن سكنه من ذريته سعيد بن محمد بن عبدالله بن يزيد بن معاوية وابنه خالد بن سعيد[4] ولا ندري من هو قيس الذي عُرف به الدير.

(١

٢) معجم البلدان ٣ : ٦٦٦ – ٦٦٧

٣) عيون التواريخ لابن شاكر ١٥٨٧ باريس

٤) معجم البلدان ٣ : ٦٦١ وتاريخ ابن عساكر في ظاهرية دمشق ٥ : ١٦٤ ظ . و ٧ : ١٧٣ ظ .

تاريخ الدول السرياني

تأليف ابي الفرج الملطيّ

بقلم الاب اسحق ارملة السرياني

للمفريان غريغوريوس ابن العبريّ السريانيّ المشهور عند العرب بأبي الفرج الملطيّ (١٢٢٦—١٢٨٦) ثلاثة مؤلفات تاريخيّة دقيقة محكمة في العربية والسريانية ١ً — « تاريخ مختصر الدول » في العربية نشره عام ١٨٩٠ الاب انطون صالحاني اليسوعيّ في المطبعة الكاثوليكية وصدّره بمقدمة لخّص فيها اخبار المؤلف . ٢ً — تاريخ بيعيّ في مجلّدين طُبع نصّه السريانيّ مع ترجمة لاتينيّة عام ١٨٧٢ — ١٨٧٧ في لوفان . ٣ً — تاريخ الدول العامّ نُشر اولاً نصّه السرياني عام ١٧٨٩ مشحوناً بالأغلاط ثم تولّى طبعه عام ١٨٩٠ الاب بولس بيجان الكلدانيّ المرسل اللعازريّ الطيّب الآثار .

ويشتمل هذا التاريخ الدوليّ على ٦٠٠ صفحة كبيرة حوت اخبار احدى عشرة دولة بدءاً من الآباء الاقدمين فالقضاة فملوك العبرانيين فملوك الكلدانيين فملوك ماداي فملوك فارس فملوك اليونان الوثنيين فملوك رومية فملوك اليونان المسيحيّين فملوك العرب فملوك الهونيين اعني التتر او المغول .

نقل ابو الفرج الملطيّ تلك الاخبار والسيَر والوقائع عن مؤرخين معاصرين اثبات او شهود عيان بدءاً من يوسيفوس اليهودي واوسابيوس القيصريّ (٢٦٥ — ٣٤٠) وزكريا البليغ ٤٩٠ ويوحنا الافسوسي ٥٨٥ وثؤفيل بن توما الرهاويّ الماروني ÷ ٧٨٥ والبطريرك ديونيسيوس التلمحري ÷ ٨٤٥ وابي الحسن ثابت بن قرّه الصابئ ٩٠٠ واغناطيوس الملطيّ ÷ ١٠٩٠ وميخائيل الكبير ÷ ١٢٠٠ والمؤرخ الرهاويّ ١٢٣٤ الخ . وقد أحصى ميخائيل المشار اليه ٢٤

مؤرخاً سريانياً كتبوا بلغتهم السريانية اخباراً وحوادث عمومية وخصوصية وذكروا وقائع مهمة خطيرة قلما ذكرها غيرهم ولا سيما ما تعلق بحوادث النصارى وقياصرة قسطنطينية الذين واصلوا محاربة العرب واسترجاع البلاد الشرقية من يدهم غير مرة . وتبادلت الدولتان رسائل معتبرة لم يذكرها سائر المؤرخين .

نسج ابو الفرج على منوال المؤرخين اسلافه فروى اخباراً جمة عن الروم والعرب وعن نصارى لبنان وسوريا وما بين النهرين والعراق والعجم ومصر الخ الخ لم يسردها في تاريخه العربي المذكور تخوفاً او تزلفاً . واستغرقت هذه الاخبار وحدها ٤١١ صفحة من الصفحة ٩٥ حتى الصفحة ٥٠٦ اعني ثلاثة ارباع تاريخه هذا

ذلك ما حدانا على نقل تاريخه هذا الفريد الى العربية بدءاً من اخبار الحقبة العاشرة وعنوانها « الملوك العرب » ندرجها تباعاً على صفحات المشرق كيما يطلع القراء على حقائق تاريخية جمة غالباً ما تأتي مكملة لرواية المؤرخين بالعربية وسننشر تعريب التاريخ برمته في كتاب خاص تعميماً لفوائده بحوله تعالى وعليه الاتكال في البداية والنهاية .

الحقبة العاشرة

الملوك العرب

[ص ١٥] من هنا تبتدئ الحقبة العاشرة المنتقلة من الملوك اليونان الى الملوك العرب

في السنة الثانية عشرة لهرقل بدأ ظهور محمد . ومن هذه السنة كذلك يبدأ تاريخ العرب القمري وهي السنة ٦١٣٠ لآدم و١٣٣ لليونان و٦٢٢ لخلاصنا.

ففي السنة الاولى للعرب دوّخ شهربَراز أنقرة . وفي السنة التالية احتل رودس . وفي السنة الرابعة للعرب حاصر هو وقرديجان قسطنطينية ووصلت جنودهما الى تراقية وحلّوا في ناحية قسطنطينية الغربية وضايقوها جداً ثم انكشفوا عنها بغتة . ذلك لان كسرى لمّا بلغه ان شهربراز يسخر به مدّعياً ان الغلبة عليتهُ بعث الى قرديجان ليحتزّ راسه. فقبض الروم على الرسول وأخبروا هرقل فارسل يستدعي اليه شهربراز سرًّا وأمّنه بقسَم ؛ ولمّا دخل شهربراز ولمح الرسول والرسالة وعرف الحقيقة احتال فبدّل الرسالة واضاف اليها : ان يُقتَل ثلاثانة زعيم كذلك مع شهربراز. ثم خرج بها وقرأها على مسامع قرديجان والجنود وقال لقرديجان : هل يطيب لك ان تفعل هذا ؟ امّا الزعما. فسخطوا واستهزأوا بكسرى وهادنوا هرقل وعرضوا عليه اولادهم بمثابة رهائن توثيقاً لشروط الهدنة [٩٦] وارتحلوا .

وبعث هرقل الى الخاقان ملك الخزَر ليوجّه اليه اربعين الف عسكري فيزحف بهم الى العجم . ووعده ان يزفّ اليه ابنته اودكسيا . ولمّا عرف كسرى ان شهربراز انتقض عليه وانّ هرقل زاحف الى بلاده صغُرت نفسه وفُتّ في عضده فحشد ما تيسّر له من العساكر وولّى عليهم رزبيان. فاصطدم العجم بالروم فانكسر العجم وقُتل رزبيهان . وبلغ الخبر كسرى فانهزم من البلدة التي كان فيها ، فتتبعه هرقل واحتوى على خزائنه واموالهِ . امّا شيرين ابنهُ وكان ابوه كسرى قد طرحه في السجن فقد خرج وأدرك أباه وفتك به وملك بعده تسعة شهور .

وعاد هرقل الى الرها ليشتي فيها وأرسل اليه شيرين تخبره بقتل ابيه وعقد

الصلح معه على ان يُخرج العجم من بلاد الروم . وملك شيرين تسعة شهور ومات . وخلفه اردشير سنةً واحدةً وعشرة شهور . واردشير هذا فتك به شهربراز الذي كان عند هرقل وملك مكانه . وأيد ما سبق فأبرمه من العهود والشروط مع هرقل .

وفي السنة السادسة للعرب انكسف نصف جرم الشمس وثبت كسوفها مذ تشرين الاوّل الى حزيران حتى قال الناس ان جرمها لن يعتدل . وحدث في فلسطين وباء أهلك دبوات من البشر .

فصل

ذكر المؤرّخون أن الملك هرقل لمّا ادركته عساكر العرب واحتلّت البلاد جمع كلّ الاساقفة ورؤساء الكهنة وسائر الزعماء واستفسرهم عن كيف ومَن هم اولئك العرب . فاجابه كلّ منهم حسب معرفته واطّلاعه . ولمّا افضى الأمر اليه قال : اني اشاهد هذا الشعب باعماله واشكاله وديانته كفجر عميق مكفهرّ ليس فيه ظلام تامّ ولا نور بهيّ كامل . فسألوه شرح العبارة فقال : أجل انهم بعيدون [٩٧] عن الظلام لانهم رفضوا عبادة الاوثان وعبدوا الله الواحد . ولكن نورهم غير كامل لانهم بعيدون عن نور ايماننا المسيحيّ وليسوا راسخين في الدين القويم . فاستحسن القوم كلامه .

خبر ديانة العرب التي ظهرت في هذا الزمان

لمّا كان محمّد فتى صغيرًا توفي ابوه عبدالله . فربّاه عمّهُ ابو طالب وزوّجه بامرأة ارملة غنيّة يقال لها خديجة . فجعل يتاجر بمالها وعلى جمالها مسافرًا من يثرب وطنه الى فلسطين وشاهدها مخصبةً بالخيرات . فجعل يحادث بعض اليهود وتلقن منهم انهم لاعتقادهم بالله الواحد ونبذهم عبادة الاوثان منحهم الله عزّ شانه أرض الميعاد . فارتاح محمد الى حديثهم وجعل يرشد ابناء وطنه الى ذلك وهو في السنّ الاربعين . وما ان بلغ أعيان مكّة انه يروم انشاء ديانة غريبة حتى طردوه وهدّدوه بالقتل ان لم يكفّ عن تعليمه . غير ان اهل المدينة خرجوا الى لقائه ورحّبوا به ووعدوه بالمساعدة في كل شيء ولذا دُعوا

أنصاراً . وآمنهم محمد عقيدة الاله الواحد والإعراض عن عبادة الآلهة الباطلة. وحرّضهم على طهارة الجسد والوضوء . لان العرب كانوا يومئذٍ غاية في القذر. ثم انتقى منهم مشايعين وغزاة بعثهم الى فلسطين وسار معهم غير مرّة فظفروا وعادوا سالمين حاملين مالاً ورزقاً ومن ثم تبعوه بكلّ قلبهم . وسمع كثيرون غيرهم اخبار النصر والغنى فخضعوا له دون عناء . ولمّا ازداد اصحابه عدل عن الذهاب معهم للغزو وجعل يرسل من يترأس على عساكره ويقيم هو في مدينته معزّزاً [٩٨] . والذي كان يرفض عقيدته لم يكن يخاطبه بالبرهان بل بالسيف.

اما الموالون له فلم يكتفِ بان يؤكد لهم التمتع بالشهوات البدنية وان ينكح الرجل نساء حرّات وسراري ويطلّق امرأته وينكح غيرها ويكتفي بالصوم شهراً في السنة نهاراً فقط والأكل طول الليل حتى الفجر بل كان يقول : ان الله عزّ وجلّ قد أعدّ لابناء مذهبه بعد القيامة في العالم المزمع انهار عسل وابن وخمر واشجاراً حافلة بالثمار الشهية واتكاء على سُرُر ذهبية وفُرُش بطائنها استبرق . ونكاح نساء يفقن الشمس جمالاً .

وعاش محمد بعد نبوته عشرة اعوام وشهرين. وتسلسلت دولته من واحد الى واحد ونمت واتّسعت واحتلّت أغلب بلاد الروم والمملكة الفارسية برمّتها. وقام فيها فلاسفة ورياضيّون واطباء. فاقوا الاقدمين بدقيق المعاني وأسسوا مبادئهم الحكمية السامية طبقاً للعلوم اليونانية وأفرغوها في عبارات بليغة ومباحث دقيقة حتى اننا نحن الذين عنّا اخذوا الحكمة على يد نقلة كأنهم سريان أصبحنا مفتقرين الى أخذ الحكمة عنهم . ولقد توسّعوا في تصانيف الشرع كقوانين الزواج والحقوق والطهارات وكيفية الصلوات وكمية الزكاة وضروب التجارات والقروض وتوزيع المواريث واعتاق العبيد توسّعاً فوق الحدّ حتى ان الواحد اذا صرف كل زمن حياته في دراستها لا يتيسر له في كل عمره ان يُلمّ الماماً تاماً بكل الاسئلة والاجوبة التي تنطوي عليها .

وقد حصل بينهم اختلافات شتى بحيث ان محمداً قال فيما ذكروا : ان أمتي تنشعب سبعين شعبة لا تخلص منها الّا شعبة واحدة وسائرها للنار . واراد بالشعبة الواحدة تلك التي تتمشى طبقاً لاعماله وبسائر الشعب تلك التي تبتدع

البدع. ومنهم من اختلفوا في أمر المملكة كالذين يقرّرون ان الرئاسة الاولى بعد نبيّهم انما تحقّ لعليّ ابن عمه وصهره [٩٩] ولابنائه من بعده. ومنهم فريق يقرّرون ان الرئاسة الاولى انما تحقّ للشيخ ابي بكر حميه والرابعة لعليّ. واختلف بعضهم في مسئلة الدين كالذين يزعمون ان الله عزّ وعلا جسم وانه مستوٍ على مركبة جسمانية هي اكبر من السماء والارض. وقال بعضهم انه تعالى غير متجسم وان الصدّيقين يعاينونه في القيامة بعيون بشريّة. وقال بعضهم انه عزّ وجلّ يتكلم بكلمة ازلية قائمة بذاتها وانه حيٌّ حياةً ازلية. واضطرّ بعضهم ان يقولوا انه تعالى يتكلم لكن لا باللفظ وانه حيٌّ لكن لا بالحياة: ذلك تفادياً من القول باقنومية المسيحيّين ومن الاعتقاد بان كلمة الله وروحه هما عرضيّان وزمنيّان. وزعم غيرهم ان الله سبحانه وتعالى قد خلق الخاطئ ليرتكب الاثم ويحترق في جهنم. وخلق البارّ ليتبرّر ويتمتع في الفردوس دون ان يُقال له لماذا؟ وان الانسان ليس حرًّا مستقلًا. واثبت فريق ان الانسان حرّ وفقاً لعقيدة المسيحيين.

هذا ولئلّا نشرد عن موضوع كتابنا نعود الى هدفنا. وبما ان الدولة العربية قامت مقام الدولة الرومية في بلادنا فقد نظمنا طبقاً لها ما وقفنا عليه من الحوادث سواء أكان بالمطالعة ام بالسماع.

بعد محمد ابو بكر

تولّى سنتين. ووجّه اربعة ضبّاط الى فلسطين والى مصر والى فارس والى العرب النصارى. فالذي وصل الى فلسطين قصد قيسارية فلقيه سرجي البطريق في جيش جمعه من الروم ومن السامريّين بلغ زهاء خمسة آلاف راجل والتحم القتال بين العرب والروم فتشدّد العرب وحاربوا اوّلًا السامريّين. ولمّا رأى البطريق انكسار من معه ولّى هارباً. فتتبّع العرب الروم وسحقوهم سحق الحصّادين للسنابل. وسقط سرجي البطريق عن حصانه واجتمع غلمانه فاركبوه فسقط فاركبوه ثانية فسقط مرّة ثالثة وحاولوا ان يركبوه ايضاً فقال لهم: دعوني أقتل وحدي وانجوا انتم بانفسكم [١٠٠] لئلّا تُقتلوا معي. ثم أدركه

العرب وفتكوا به وانقلبوا منصورين . وقد جرى مثل ذلك للذين توجهوا الى سائر الاطراف واستحوذ الرعب على جميع الملوك .

وفي تلك الغضون انتزح العجم عن مصر وعن فلسطين وعن سائر بلاد الروم . ووجّه شهربراز الى هرقل واستصحب عسكرًا وقتل قرديجان وملك مكانه سنة واحدة وقُتل . وخلفتهُ بارام (بوران) ابنة كسرى بضعة اشهر وتوفيت . وملكت اختها زديودخت بعدهـا . وتولّى العجم عدّة ملوك في مدّة سنتين .

وفي هذا الزمان عاد الرهاويّون الذين كان كسرى قد جلاهم . وخالف هرقل الناموس واقترن بردليا ابنة اخيه وولدت له ابنًا غير شرعيّ سمّاه هرقلونا . وفي شهر ايلول حدثت زلزلة وظهرت في السماء علامة سارت من الجنوب الى الشمال شكل نشّابة واستمرّت ثلاثة ايّام ممّا دلّ دلالةً واضحةً على انتصار العرب .

بعد ابي بكر عُمَر بن الخطّاب

تولّى عشر سنوات . وبعث جيشًا الى بلاد العرب فاحتلّ البصرة . وبعد سنةٍ سيّر جيشًا آخر الى العجم وكانوا مختلفين بعضهم مع يزدجرد بن كسرى وبعضهم مع هرمزد فتغلّب عليهم العرب وقُتل هرمزد وملك يزدجرد .

امّا هرقل فوجّه الى العرب جيوشًا مع اخيه ثاودوريقي ولمّا وصلوا الى جوسيت قريةٍ بضواحي انطاكية شاهدوا راهبًا عموديًّا خلقيدونيًّا قال لثاودوريقي : عاهدني بان تمحو اتباع سويرا وانا اضمن لك الغلبة . فقال له ثاودوريقي : اني مصمّم ان اضطهد اليعاقبة خلافًا لقولك . ولمّا دنا الروم من العرب خيّموا قريبًا منهم واصطفّ الفريقان للقتال وجعل العرب يقطّعون الروم تقطيع اغصان منبوذة ويطأونهم وانهزم بقيّتهم . فنهب العرب ذخائرهم واغتنموا بما صادفوه من ذهب وفضّة وعبيد وماشية .

وفي السنة الرابعة لعمر [١٠١] اتّفق بآنيس قائد الروم وابن شهربراز الفارسيّ الذي انضمّ الى الروم على اثر قتل ابيه واتّفق معهما كذلك مندوب الملك في الرها فحشدوا ستين الف فارس وناوشوا العرب في بلد حمص فانكسر

الروم وهلك منهم اربعون الفاً واختنق اغلبهم في نهر اليرموك . ونجا شهربراز فاوفد الى عمر أن امددني بالعساكر فأخضع لك العجم . غير ان بنات كسرى وكان العرب قد سبوهنّ أخبرن عمرًا بما صنعه شهربراز وابنه بكسرى واولاده وقلنَ له : لا تغترّ بكلامه لانه غدّار . ولمّا اطّلع عمر على كلامهنّ ارسل الى حمص فعلّق ابن شهربراز على خشبة وانطلق الى دمشق وأمّن اهاليها الدماشقة ففتحوا له الابواب . ووجّه من هناك خالدًا في جيش الى حلب وانطاكية ، وهلك خلق كثير .

وسار العرب الى دير مار سمعان العموديّ وكبسوا الرجال والنساء والفتيان والفتيات وهم محتشدون يوم العيد وسبوهم قاطبةً .

وخرج في تلك الاثناء سعد من يثرب وخيّم بظاهر الكوفة . وسيّر يزدجرد جيوشاً حاوا على الفرات . وأرسل العجم جاسوساً عربيًا ليجسّ العرب . فلمّا دنا منهم شاهد رجلًا معدّيًا يتغوّط وهو يأكل خبزًا . فقال له الجاسوس باللغة العربية : ماذا تعمل ؟ قال المعدّي : كما ترى أخرج عتيقًا وأدخل جديدًا . عاد الجاسوس واخبر العجم يقول : رأيتُ شعبًا حافيًا عريانًا لكنّه شجاع . وقصّ على القائد ما سمعه وشاهده وقال له : ان نصرتهم هي من الله . ولمّا التحم القتال انكسر العجم وتتبّعهم العرب حتى قطسفون على نهر دجلة . وانّ رجلًا معدّيًا طارد قائدًا اعجميًا كبيرًا وهزمه فوصل القائد الى قرية قريبة وأخفاهُ فلّاحٌ هناك وشاهد المعدّيّ عريانًا يطارد وبيده قصبة لا غير [١٠٢] فعاد الى الاعجميّ وهزأ به وقال له : كيف انهزمتَ وانت مدجّج بهذا السلاح من رجلٍ عريانٍ ولم ترجع لتأخذ رأسه ؟ فقال الاعجميّ للفلّاح : هاتِ مسّاساً فجاءه به فصوّبه وثقبه وقال : هكذا رشقتُ المعدّي الذي رأيته فكان يجمع السهام في كمّه كمن يجمع ذبّانًا .

وجهّز يزدجرد جيشاً ثانياً وزحف الى قتال العرب على الفرات فانتصر العرب ودخلوا قطسفون واستولوا على ذخائرها واهاليها . وهيّأ يزدجرد جيشاً ثالثاً في جلولا وزحف ليقاتل العرب فانكسر كذلك . وحشد جيشاً رابعاً في جبل ماداي وهجم على العرب فتحطّم . وقد تمّ هذا الزحف اربع مرّات

في سنة واحدة . ولمّا خارت قوى يزدجرد انهزم الى حدود الترك ببلد سجستان واختفى ثمّ خمس سنوات وقُتل . وانقضى امر الدولة الفارسيّة الساسانية وكان اوّل ملوكها اردشير بن بابك عام ٥٣٨ لليونان وآخرهم يزدجرد عام ٩٥٦ لليونان (٢٢٧–٦٤٥ م) .

ويئس هرقل كذلك فارتحل عن انطاكية الى قسطنطينية وهو يقول : «سوزو سوريا» اعني الوداع ياسورية . ووجّه جنوده فسلبوا المسيحيّين الوطنيين كلّ ما صادفوه سلباً فاق سلب العرب . وكتب هرقل الى جميع الروم في بلاد ما بين النهرين ومصر وارمينية بان لا يحاربوا العرب بل يظلّ كلٌّ منهم محتفظاً بحاميته متربصاً في مكانه

وارتحل حين ذاك عمر الى مصر وخرج الى لقائه قورا اسقف الاسكندرية وتكفّل بان يؤدي له كل سنة مائتي الف دينار بشرط ان لا يدخل العرب مصر . فرضي عمر بذلك . ولمّا سمع هرقل ظنّ انه يؤدي المال للعرب طوعاً فأوفد رجلاً ارمنياً يقال له منوئيل ليستدرك الامر . ولمّا اقبل وفود العرب ليقبضوا الذهب اعترضهم منوئيل وهو في المعسكر بيابابلونيا وهي الفسطاط[١٠٣] وقال لهم : انا لستُ نظير قورا لابساً قبعاً فادفع لكم ذهباً لكنّي مدجج بالسلاح . ولمّا عاد الوفود الى عمر فارغين تخوّف منوئيل وانهزم فدخل العرب مصر واحتلّوها .

وفي السنة الخامسة عشرة للعرب (٦٣٦ م) شخص عمر الى فلسطين وخرج الى لقائه صفرونيوس اسقف اورشليم واخذ الأمان لكلّ البلد . وكتب له عمر عهداً ذكر فيه انه لا يحلّ لليهوديّ ان يقيم في اورشليم . ودخل عمر المدينة وأمر ان يُبنى فيها مسجد للصلاة مكان هيكل سليمان . ولمّا شاهد الاسقف عمراً لابساً ثياباً وسخة الحّ عليه ليتقبّل منه ثوباً ورداء جديداً احضرهما اليه فلم يرضَ . لانه كان عادلاً متزهاً عن الطمع . وعلى احتوائه على خزائن العجم والروم كلّها فانه لم يبدّل عباءته القديمة .

ثم مرّ عمر بمدن سورية واحتلّها بأسرها . وعبر الفرات الى المشرق وخرج

الرهاويون وأخذوا الأمان لمدينتهم . امّا تلّ موزل ودارا فقد احتلّها عنوةً لان اهاليها لم يتساهلوا معه وقتل مَن فيهما من الروم .

وفي السنة التاسعة عشرة للعرب أمر عمر ان تُكتتب جميع بلاد مملكته بالجزية . وتوفي هرقل عام ٩٥١ لليونان (٦٤٠ م) وخلفه قسطنطين الثالث ابنه الكبير باربعة اشهر فسقته مرطينا امرأة ابيه سمًّا وقتلته وملّكت ابنها هرقلونا الصغير ويقال له داود الجديد . فامتعض اقطاب الدولة وعزلوه وملّكوا قسطس ابن القتيل وهذا قسطس نتل عمّيه كليهما ومرطينا امرأة هرقل . واستغرق ملك عمر اثنتي عشرة سنة . وان غلاماً صقّالاً شكا اليه مرارًا مولاه فلم يكترث له عمر فطعنه الغلام في جوفه بسكين وهو يصلي فقضى .

بعد عمر عثمان

تولّى اثنتي عشرة سنة وجعل يطمع ويحشد الذهب لنفسه فتألّب العرب ليقتلوه فوعدهم [١٠٤] ان يسير على مثال أسلافه فأغمضوا عنه . ثم أرسل ابنه سعيدًا ليلحق يزدجرد ملك العجم وكان مختفياً في سجستان منذ خمسة اعوام ثم خرج واقبل الى الكوفة فوصل سعيد الى مرو بعدما فرغ من احتلال بلاد العجم كلها . وخاف يزدجرد الوقوع بين يديه فاختفى في طاحونة وفتك به رجل تركيّ هناك .

وفي تلك الاثناء زحف معاوية قائد العرب وحاصر قيسارية فلسطين بحرًا وبرًّا حصارًا شديدًا من اوّل كانون الاول حتى ايار . وطرح العرب اثنين وسبعين منجنيقاً على سورها ولم يخرقوه . فحفروا طريقاً ضيقاً ودخلوها . وارتقى بعضهم سلالم ظلوا بها ثلاثة ايام ولم يستطيعوا الهبوط الى المدينة . ولما اشتد ساعد العرب تجفّل سبعة آلاف رومي كانوا يحرسون المدينة وانهزموا في السفن . واحتوى معاوية على ما بها من المال وضرب الجزية على اهاليها .

وسار العرب من هناك الى قيليقية ووصلوا بغتةً الى اوخيطا واستولوا على ابوابها واضطرّوا زعماءها ان يطلعوهم على الخزائن ثم استاقوا الاهالي قاطبةً رجالًا ونساء وفتياناً واستعبدوهم ودنّسوا الكنائس واقترفوا القبائح فيها .

وفي السنة ٢٥ للعرب وهي السنة ٩٥٨ لليونان (٦٤٧ م) انتقض غريغوريوس

بطريق افريقية على قسطس الملك . ودخل العرب افريقية متلصصين واحتلوا مدن ساحل البحر كلها سوى البطريق فلم يقووا عليه وعاد فادّى الطاعة لقسطس . ثم قسم معاوية جيوشه قسمين ولّى على الاول رجلًا سريانيًا شريرًا يقال له حبيب وسيّره الى ارمينية في فصل الشتاء فدخلها وسبى العربُ اهاليها وقتلوا من صادفوا من الرجال واحرقوا القرى ورجعوا . اما القسم الثاني فزحف به معاوية الى قيسارية قبادوقية . ولما عبر العرب الثغور شاهدوا القرى خصبة فنهبوها ونازلوا قيسارية عشرة ايام فامتنعت عليهم [١٠٥] فأفسدوا ضواحيها وتركوها قفرا. وانقلبوا راجعين . ثم كرّروا الزحف وحاربوا اياماً كثيرة. ولما استقطع اهالي قيسارية بسخط العرب ولم يساعدهم احد طلبوا الامان وتكفّل الزعماء بتأدية الجزية . فدخل العرب وشاهدوا ابنيةً جميلة وثروةً وافرة فندموا على أيمانهم ولم يتيسر لهم ان يحنثوا فيها . ثم توجهوا الى عموريسة فلم يقووا عليها فعاثوا في ضواحيها الحافلة بالاشجار .

وفي السنة ٦٦٠ لليونان (٦٤٩ م) عبّى معاوية العساكر وهيأ الفا وسبعمائة سفينة وأبحر من الاسكندرية الى جزيرة قبرس وأرسل الى اهاليها ليطلبوا الأمان فرفضوا . فدخل العرب مسلحين وقاتلوا ونهبوا وارتكبوا المنكرات حتى في الدار الاسقفية وانصرفوا . وبعد قليل سار ابو العور القائد الثاني الى قبرس ثانيةً ونهبها بأسرها وكان العسكر يُخرجون الاهالي من السراديب . ثم اغاروا على فساتوس وحاصروها واحتووا على ما بها من ذهب وفضة ولم يتعرّضوا للاهالي لانهم طلبوا الأمان . ثم نازل معاوية جزيرة ارواد واحتلها وأخرج اهلها وقوّضها كي لا تُعمر فيما بعد.

وفي السنة ٦٦٥ لليونان (٦٥٤ م) احتلّ ابو العور جزيرة قو بدهاء. استقفها وغزا وسلب وقتل اهاليها وقوّض قلعتها. وانتقل الى اقريطش وغزاها وذهب الى رودس وحاربها وتألب الكثيرون فالقوا حبالًا ضخمة في الصنم النحاسي ودكوه ووزنوا منه ثلاثة آلاف حمل نحاس قرنثي اشتراها تاجر يهودي حمصي .

وفي السنة ٣٧ للعرب أعدّ معاوية السفن للذهاب الى قسطنطينية فنهض رجلان طرابلسيّان واغريا أصحابها فاحرقوا سفن العرب وهلك الكثيرون [١٠٦]

من العرب وركب من بقي السفن وانهزموا الى بلاد الروم . فسخط معاوية ووجه ابا العور في جيش الى مكان يقال له فونيقي ولما وصلوا اليه صادفوا قسطس الملك واخاه ثئودوسيوس واستعدّوا للقتال في الغد . وفي تلك الليلة رأى قسطس في حلمه انه في تسلونيقي واخبر مفسّر الاحلام فقال له : ليتك ايها الملك لم تنم ولم تحلم هذا الحلم . لان تسلونيقي يُراد بها : اعطِ النصر للآخرين . فاستحقر الملك ذلك التفسير وجهّز السفن للقتال فانكسر الروم وكاد يُقتل الملك عينه لو لم يطفر ابن بقناطور الى السفينة الملكية وينقل الملك الى سفينة غيرها وينقذه . وظلّ هو في تلك السفينة واهلك كثيرين ثم هلك هو كذلك . اما الملك قسطس واخوه فانهزما الى العاصمة . وشوهد زهاء عشرين الف جثة من الروم عائمة فوق المياه .

وتحفز العرب للزحف تكرارًا الى قسطنطينية . وخرج فطولماوس وأدّى لهم ذهبًا وعقد معهم صلحًا لثلاث سنوات . اما قسطس فقد قتل اخاه ثئودوسيوس فحقد عليه الجنود فخاف وانطلق الى رومية وابتقرّ هناك . فثار ثائر الجنود وقالوا : كلّا لا يوافقنا ان يقيم الملك في رومية لانها بعيدة عن العرب . فاقبل الملك الى جزيرة صقلية ولما وصل الى سراقوسة استطاب الاقامة بها وبعث في طلب بنيه . فاغتاظ الاهالي وقالوا : اننا لن نترك ملوكنا ينتزحون عنّا . غير ان قسطس اقام بنيه الثلاثة قسطنطين وطيباريوس وهرقل ملوكًا وأسكنهم في العاصمة وظلّ هو في سراقوسة خيفة ان يفتك به جنوده . وكانوا يسمّونه قايين الثاني .

اما عثمان فلم يكفّ عن سوء عاداته فاحتشد [١٠٧] العرب وبلّغوه ان يسلك سلوكًا معتدلًا كاسلافه فقال لهم : اني افعل كل ما اريد لاني ملك . فانصرفوا عنه متنشرين ثم هجموا عليه مسلحين يقولون له : غيّر سيرتك او تموت حالًا . فكتب عثمان الى معاوية يستنجده . بيد ان العرب بادروا فوثبوا اليه وثبة عنيفة وقتلوه . وسيّر معاوية الجنود مع حبيب ويبلوغهم الى البصرة سمعوا بقتل عثمان فكرّوا راجعين .

بعد عثمان عليّ بن ابي طالب

تولّى خمس سنوات في يثرب وفي بابل فقط . لأن سورية ومصر كانتا مع معاوية . وفي السنة ٩٦٨ للبرنان (٦٥٧ م) اصطدم الفريقان معاً وهلك الكثير من الجانبين وعاد معاوية ولم يلاق علياً . ثم اصطدما تكراراً وباد الكثير كذلك في المعركة . وحين ذاك اتفق ثلاثة من الزعماء على ان يزحفوا ويفتكوا بالثلاثة الذين بسببهم انتشبت الحرب بين العرب وهم عليّ ومعاوية وسعيد القائد في مصر . فقُبض على الذي سار الى مصر وقُتل . وقُتل كذلك الذي سار الى معسكر معاوية . اما الثالث فظفر بعليّ وطعنه بزراق وقتله . وعندئذ اتفق العرب شرقاً وغرباً مع معاوية فنقل المملكة من يثرب الى دمشق .

بعد عليّ معاوية

تولى تسع عشرة سنة وساس فلسطين ايام عثمان خمس عشرة سنة وايام عليّ خمس سنوات ومجموعها تسع وثلاثون سنة . وفي السنة ٩٧٧ للبرنان (٦٦٦ م) خلع شابور قائد رومانية الطاعة لقسطنطين ووجّه الى معاوية رجلاً اسمه سرجي يقول اضرب لي عهداً فأخضع لك رومانية كلها . وكان قسطنطين في العاصمة فلما بلغه الامر وجّه هو كذلك الى معاوية اندرأا الخصيّ حاجبه وكان محنكاً في الحروب [١٠٨] .

دخل اولاً سرجي طبقاً لامر معاوية ثم دخل اندرأا . فتخوّف سرجي ونهض فانحنى لاندرأا . فردعه معاوية وقال له : اذا كان العبد خوّفك فما كنتَ تصنع لو شاهدتَ مولاه ؟ قال سرجي : لقد اضطرّتني العادة لا الخوف فصنعتُ ما صنعتُ . فقال معاوية لاندرأا لماذا جئتَ ؟ قال سيّدي الملك لاحذّرك من هذا المتمرّد الخدّاع . لانه ان كان قد جازى مولاه وولي نعمته جزاء سيئاً فما يكون جزاؤه لك ؟ قال معاوية : انكما كلاكما عدوّان لنا فايّكما زاد لنا الجزية راعيناه . قال اندرأا : لئن كان ذلك كذلك فمن العدوّين من هو افضل وليس العبد والمولى على حدّ سوى . لان المولى يتصرّف في الامور باوفر حريّة وافضل لياقة بخلاف العبد فانه يعيش خانعاً وجلاً ذليلاً .

إذَن ما يؤدّيه مولاي ولو كان اقلّ مما يقرّره الطاغي يلزمك ان ترضى به وتكف عن مضاغطته بالسرة . قال اندرأا ذلك وانصرف .

وفي الغد بكر سرجي وأقبل ولما وافى اندرأا لم ينهض سرجي فقال له اندرأا : عَلامَ لم تنهض يا ايها الآيس ؟ فاتقع سرجي وقذف اندرأا قذف الخنثى . فتهدّده اندرأا بنزع خصيتيه . ثم قال معاوية لاندرأا : أدّوا لنا الجزية عن بلدكم كله وحسبكم اسم المملكة لا غير والّا فانصرف . فاخذت النخوة اندرأا وقال : إذَن العرب هم الجسم والروم هم الخيال ؟ كلّا . ان لنا الله عزّ شأنه فاليه مرجعنا . قال هذا وخرج متوجّهاً نحو ملطية وأمر حماة الثغور ان يكمنوا لسرجي في مروره . اما معاوية فوعد سرجي ان يمدّه بالجيش ولما عاد سرجي قبض عليه الكمناء وأتوا به الى اندرأا فأمرهم ان ينزعوا خصيتيه ويضعوهما في يديه ثم يشنقوه .

اما شابور فقبل وصول الجيش العربيّ اليه ضُغط في باب داره وهو راكبٌ ومات . فغزا [١٠٩] العرب البلاد حتى خلقيدونية وكفّوا .

وفي السنة ٩٨١ للرومان (٦٧٠ م) أصدر قسطنطين الأمر الى جميع الروم ان يخضعوا له ولاخويه طيباري وهرقل معاً وان تُحفر على الدراهم صُوَر ثلاثتهم . وحذّر الجميع من ان يُلقوا ما بينهم شقاقاً وانطاق الى غالية وايطالية وأخضع جميع الامم الغربية .

اما العرب فزحفوا الى افريقية وسبوا زهاء ثمانين الف نسمة . وفي القابل سبوا كذلك لوقية وقيليقية ثم انقلبوا الى لوقية فادركهم ثلاثمة من بطارقة الروم ودحروهم واتلفوا من العرب نحو ثلاثين الفاً وقصد بقيتهم السفن فازعجتهم الانواء . وان نجّاراً بعلبكيّاً اسمه قلونيقس أصلح ناراً وأحرق تلك السفن . وتلقّن الروم منذ إذٍ ان يُصلحوا ناراً ويتلونها بالنفط . الى هذا التاريخ كان النصر محالفاً للعرب فقط . ومذ ذاك فصاعداً اصبحوا تارةً يغلبون وطوراً ينكسرون .

ثم ان قسطنطين سيّر رجالاً لصوصاً روميين مَرَدة أطلق عليهم السريان لقب جراجمة . فاستحوذوا على البلاد التي من جبل الجليل حتى الجبل الأسود وعلى

جبل لبنان اجمع . وانزلوا بالعرب أذى كثيرًا . واشتدّ العرب اخيرًا فقتلوا البعض وفقأوا عيون البعض الآخر .

اما قسطنطين فلما ترعرع ابنه يسطينس خلع اخويه واستمال اليه الزعماء بالعطايا . غير ان لاون احد اولئك الزعماء ناهضهم فأمر الملك بقطع لسانه ويديه ورجليه . واذ كان الجمع يرافقه في ذهابه كان ينادي ويقول : اني لن اكفر بالثالوث السماويّ ولن ارفض الثالوث الارضيّ . وقد مُثل به وهو ينادي بذلك . ثم استحضر قسطنطين اخويه وقال لهما تجاه اعيان الروم : ما قولكما عني يا طيباري ويا هرقل ؟ هل انا اخوكما ام ملككما ؟ فان قالا اني ملككما قلت انكما اخويّ . وان قالا اني اخوكما اعتبرتكما عدوّين لي . فقالا له : اننا لن نتأبى ان ندعوك أخاً كبيرًا وشيخاً [١١٠] ولكننا لن ندعوك ملكنا أصلًا لاننا مَلِكان معك . غير ان الاعيان تحزّبوا لقسطنطين وخلعوا الملكين لان الرشوة اعمتهم .

وفي السنة ٩٨٩ لليونان (٦٧٨) ظهرت قوسٌ كاملة في الهزيع الثالث من الليل والشمس غائبة تحت الارض . وهو حدث خارق الطبيعة . واستفحلت الفيران في سوريا وفونيقي وأفسدت الارض . وفي القابل ظهر جراد زحّاف .

بعد معاوية يزيد ابنه

تولّى ثلاث سنين وثمانية شهور . وحشد عملة كثيرين محاولًا ان يستنبط نهر ماء السحسحان وبالغ في ذلك جدًا لكن الأجل عاجله فخاب أمله ولم يخرج ماء . وفي السنة ٩٩٤ لليونان (٦٨٣ م) ظهر نجم كبير مذنّب مدّة احد عشر يوماً . وصار شتاء قاسٍ وجمد الفرات ونشف الزيتون وجفّت الكروم وتلفت البهائم والحيوان والطير .

بعد يزيد معاوية ابنه

تولّى نحو اربعة اشهر . لمّا مات يزيد بن معاوية انتقض عليه المختار في الكوفة وكان محتالًا خدّاعاً مراوغاً . امّا اهالي يثرب فولّوا عليهم عبد الله بن الزبير ونادى الدماشقة بمعاوية بن يزيد بن معاوية . ولمّا دخلت السنة ٩٩٦ لليونان

(٦٨٥ م) نشبت حربٌ طاحنة في ثالث ايلول بين العرب وهلك من الطرفين زهاء اربع ربوات عند نهر الخزر ببلد نينوى . امّا معاوية الفتى وكانوا يسمّونه ابا ليلى بسبب جَزَعه كما اعتاد العرب ان يسمّوا الجبناء نظير الاطفال الذين يهلعون ليلًا فلمّا رأى الخلاف بين العرب جمعهم قاطبةً للصلاة يوم الجمعة واستقال من المملكة وانزوى في بيته ثلاثة اشهر واثنين وعشرين يومًا وتوفي.

بعد معاوية بن يزيد مروان بن الحكم

تولّى اربعة اشهر . وقدم من يثرب الى دمشق ليلقي الصلح بين الفريقين لانه كان شيخًا عاقلًا . فاستشارهم في ان يدوّن اسماء ثلاثة اشخاص على ثلاثة سهام ويدفعها الى رجل (١١١) يجهل الامر واول سهم يصوّبه منها فذاك يكون الملك . فوافقوا على ذلك وخرج سهم مروان ولم يملك سوى اربعة اشهر . وفي تلك السنة وهي السنة ٩٩٧ للاونان (٦٨٦ م) توفي كذلك قسطنطين وملك يسطنيان ابنه عشر سنوات .

بعد مروان بن الحكم عبد الله بن الزبير

تولّى ثماني سنوات واربعة اشهر . وكان كما قلنا في يثرب وحدث في ايامه نزاع شديد بين العرب . ففي بابل استبدّ رجل اسمه عبدالله . وفي رأس العين حباب . وفي نصيبين بوريدا . وفي دمشق عمر بن سعد . وفي قرقيسيا زوفرا . وكان المردة الروم في لبنان يغزون في كلّ الاطراف . واستغرق هذا النزاع نحو ثماني سنوات . اما اهالي دمشق فنادوا بعبد الله بن مروان بن الحكم ملكًا عليهم .

بعد عبد الله بن الزبير عبد الملك بن مروان

تولّى ثلاث عشرة سنة وستّة اشهر . وأُتيَ بابي الذبّان لان الدماء كانت تسيل من انفه فتجتمع الذبّان على فمه دون ان يكترث لها . ولمّا نودي به ملكًا ورأى الحروب تكتنفه من كلّ صوب ولاسيّما من المردة الروم الذين ضايقوه في لبنان أبرم الصلح لعشر سنوات مع يسطنيان بشرط ان يرحل المردة

وهم اثنا عشر الفاً عن ارض العرب وان يؤدّي عبد الملك للروم بدلاً من ذلك كلّ يوم الف دينار وحصاناً واحداً وعبداً واحداً . وان تكون قبرس للدولتين فيؤدّي اهاليها نصف الجزية للروم والنصف الثاني للعرب . وان تكون ارمينية وغرزان وارزون واذربيجان للروم . ولمّا تمّ الصلح نازل عبدُ الملك ابنَ الزبير وقهره فانهزم الى يثرب ولاذ ببيت الصلاة فلحقه الحجّاج وحاصر البيت بالمجانيق وقوّض السور ودخل فقتل ابن الزبير ثم عاد فابتنى البيت .

امّا يسطنيان فاستبدّ ونقض [١١٢] العهود وألغى الصلح قبل اوانه وبعث فغزا العرب في قبرس . فزحف محمّد امير جزيرة قردو الى قبدوقية ولقيه الروم والصقالبة فانكسر الروم بناحية قيسارية واتّفق الصقالبة وهم سبعة آلاف مع العرب وقدموا معهم الى سورية فأسكنوهم في انطاكية وفي قورس واعطوهم نساء وذخائر .

ولم يقتصر يسطنيان على نقض العهود مع العرب بل نقم يفتك باعيان الروم . فتألّبوا وقبضوا عليه وشرموا أنفه وملّكوا عليهم عام ١٠٠٧ لليونان (٦٩٦ م) رجلاً يقال له لونطيوس .

وبعد سنةٍ جعل العرب يسكّون الدنانير والدراهم والفلوس بالكتابة دون صُوَر .

وفي السنة ١٠١٠ لليونان (٦٩٩ م) اقبل افسيارس المدعوّ طيباريوس رئيس قوّاد قيليقية وعزل لونطيوس وملك مكانه ولم يقتله . وهذا طيباريوس عاد فأخضع الصقالبة الذين خرجوا على الروم . وسار الى بلد سيباط وقتل خمسة آلاف عربيّ وغزا وسبى وعاد .

امّا عبد الملك فانتقى القائدين محمّداً والحجّاج فولّى الاول على ما بين النهرين وآثور وارمينية واذربيجان وولّى الثاني على العجم والعرب عامةً . وثم الحجّاج ينهب اعيان العرب دون شفقة : امّا محمّد فأرسل واستحضر الموعدَ رئيس العرب التغلبيّين النصارى وأراده على الاسلام فأبى فألقاه في بئر حماة ثم أخرجه وتلّقه ليسلم فلم يُذعن له فقتله . ثم حشد اعيان الارمن وحشرهم في احدى كنائس ارمينية واضرم فيها النيران واحرقهم قاطبةً . وقتل انسطاس

بن اندراأ صاحب الرها مع ان اعيان النصارى كانوا متولين يومئذٍ شؤون السياسة في المملكة العربية .

قال ديونيسيوس التلمحري البطريرك (٨٦٨- ٨٤٥) اشتهر اثناسي بن جومية في كلّ مكان وكان رجلاً [١١٣] عاقلاً متضلعاً من العلوم . فلمّا سمع عبد الملك ملك العرب بأمره انفذ في طلبه واختبر كفاءته في كلّ شيء . ثم وجّهه مع اخيه عزيز الفتى الى مصر وفوّض اليه ان يثقفه . وتوفّق اثناسي هناك حتى أفضت اليه سياسة المملكة العربية باسرها واستفحل أمره واغتنى جدًّا واقتنى اربعة آلاف عبد ودورًا وقرًى وجنائن وذهبًا وفضة كالحجار . وكان له في الرها اربعمائة حانوت أوصى ان يُبنى بوارداتها كنيسة فخمة تيمُّنًا باسم والدة الله العذراء . وشاد في الفسطاط بمصر كنيستين معتبرتين . وأسس في الرها كذلك بيتاً للعمودية ووضع فيه صورة السيّد المسيح التي أرسلها المخلّص الى ابجر الملك . وجعل له مجاري مياه مثلما صنع اموزينس الاسقف (؟) في كنيسة الرها القديمة ودبّجه بالذهب والفضّة المطعّمة بالنحاس . فهذا اثناسي حسده كاتبٌ خلقيدونيّ دمشقيّ يقال له سرجي بن منصور . ولمّا توفّي الامير عبد العزيز وغادر اثناسي مصر سعى به سرجي وادّعى ان ابن جومية اغترف خزائن مصر ونقلها معه . غير ان عبد الملك لم يغضب على اثناسي بل جامله وقال له : لسنا نوافق ان تكون كلّ هذه الثروة للنصارى فارضخ لنا حصّةً منها . فلبّى اثناسي مبتهجاً وأعطى ما أعطى حتى قال له الملك كفى . وبقي لاثناسي شيء اكثر وأوفر .

وفي السنة ١٠١٥ اليونان (٧٠٤ م) وجّه عبد الملك مسلمة الى المصّيصة فدوّخها . وفي السنة عينها ناهض عرب الكوفة والبصرة وحاربوا عبد الملك . وفيها كذلك أفلت يسطنيان من المنفى وقصد الخاقان ملك الخزر فرحّب به وزوّجه بابنته وولدت له ابناً سمّاه طيباريوس . ثم حشد جيوشاً من الخزر ومن البلغار وزحف الى قسطنطينية فانهزم افسيمارس وملك يسطنيان ثانيةً ستة اعوام [١١٤] بعد ما قضى عشر سنوات منفيًّا . وقتل لونطيوس وافسيمارس وكثيرين من الاعيان حتى اقفرت الدولة الرومية من الجهابذة . وأطلق ستة آلاف من

الأسرى العرب ورحلهم الى بلادهم . وبعث عدّة عساكر ليُحضروا امرأته وابنه فاغرقتهم جميعاً امواج البحر . ولمّا بلغ الخبر الخاقان ارسل يعنّف يسطنيان ويقول : كان الخليق بك ان تكتفي بارسال نفرٍ في استحضار امرأتك وابنك وهل غلب على ظنك اني امنعها ؟ كلّا وحقّ جنونك اني ما كنتُ امنعها . فخجل يسطنيان وبعث قوماً استحضر امرأته وابنه .

وفي السنة ١٠١٧ لليونان (٧٠٦م) ابتنى العرب اسواراً للمصيصة واقاموا فيها جنوداً يحمونها من الروم ثم سار اليها عبد الملك وفيها ادركته المنيّة.

بعد عبد الملك بن مروان الوليد ابنهُ

تولى تسع سنوات وخمسة اشهر . وسيّر العساكر مع مسلمة فنازلوا طوانا (آطنة) بقبدوقية وحاربوها تسعة شهور . ووجّه اليها يسطينان عساكره ولما التقى الجيشان انكسر الروم وسقط منهم نحو اربعين الفاً فاحتلّ العرب المدينة ونهبوها . وفي السنة ١٠٢٢ لليونان (٧١١م) دوّخ مسلمة طورندا واقام فيها حاميةً عربيةً وفتح قلاعاً جمة اظنها ابلستين التي في بسفولس بحدود الروم.

وفي السنة السادسة للوليد وهي السنة ١٠٢٢ لليونان (٧١١م) انتقض قيليفيقس على يسطنيان ملك الروم وعلى ابنه طيباريوس وقتلهما وملك هو. ونفى الأرمن الذين في ولايته فأسكنهم العرب في ملطية وضواحيها وفي ارمن الرابعة . وجعل الارمن يعضدون العرب ويناهضون الروم.

وكان قيليفيقس خبيراً بالحكمة الدنيويّة وحاول نقض المجمع السادس الذي أيّد عقيدة مكسيمس في المشيئتين . ولما تمّ له في الملك سنتان وستة اشهر عزله الروم وكحلوا عينيه [١١٥] وملكَ انسطاس سنتين وخمسة اشهر.

وكان الوليد يبغض المسيحيين بغضاً شديداً. وهو الذي بدّل وضع كنيسة الروم الكبرى القديمة في دمشق بعدما احتلها العرب وأعطي النصارى بدلاً منها مكاناً شيّدوا فيه كنيسة جديدة باسم والدة الله . اما الكنيسة الكبرى القديمة المشار اليها فقد ابتناها مسجداً فخماً مشهوراً . وامر الكتّاب النصارى ان لا يكتبوا دفاتر الاحصاء بالرومية لكن بالعربية .

ثم ان الوليد قال لشملا زعيم التغلبيين العرب النصارى : بما انك زعيم العرب فانك بسجودك للصليب تجلب العار عليهم . فامتثلْ أمري وأسلمْ . فقال شملا : بما اني زعيم التغلبيين اجمع فاخاف اذا كفرتُ وكفروا بالمسيح أصبح انا سبباً لهلاكهم . وما ان سمع الوليد كلامه حتى أمر فجرّوه على وجهه وأخرجوه . وأرسل يحلف له انــه إلّم يُسلم يُطعمهُ لحمَهُ . غير ان شملا لم يفشل فأمر الوليد فقطع من فخذه فلذة وشواها وألقموه اياها . فاصطبر شملا على ذلك ايضاً . فسرّحه الوليد وظلّ شملا حيًّا والجرح ظاهر في جسمه.

وأمر الوليد عينه بقتل السحرة في الكوفة ذلك بان يرتقوا بالاخشاب كي لا يعاجلهم الموت ويلقوا في النهر . فالذين عــامروا قتلوهم كمن عاموا بوساطة سحرهم . والذين غرقوا نشلوهم وتركوهم .

وأمر الوليد كذلك بقتل الاسرى المسيحيين ضمن الكنائس في مدن سورية جمعاء. ومات عام ١٠٢٦ لليونان (٧١٥م).

بعد الوليد بن عبد الملك بن مروان اخوه سليمان

تولى سنتين وخمسة اشهر . وأغار مسلمة في اوّل ملكه على غلاطية واحتلّ قلعتها وانقلب في غنيمة وافرة. اما العساكر الذين وجّههم انسطاس الى المغرب فقد انتقضوا عليه وقتلوا قائدهم وأحضروا تودوسيوس وملكوه سنة واحدة وفرّ انسطاس الى نيقية . وفي السنه ١٠٢٦ لليونان (٧١٥م) حاصر مسلمة لاتراك في ارضهم وسبى منهم [١١٦] جمًّا غفيرًا وعاد راجعاً .

وفي السنة ١٠٢٧ لليونان (٧١٦م) زحــف مسلمة الى بلاد اسيا ودوّخ فرغامس ورودس واستاق الاهالي سابياً . وفي السنة عينها جهّز سليمان مسلمة ليتوجّه الى قسطنطينية فحشد مائتي الف عسكريّ وخمسة آلاف سفينة مشحونة عسكرًا وذخائر . وجمع اثنى عشر الف عامل وستة آلاف جمل وستة آلاف جحش موسقة زادًا وسلاحاً وآلات مجانق واقام لهم قائدًا ثانياً يقال له عمر ابن هبيرة. وانضمّ الى هؤلاء كلهم ثلاثون الف رجل تطوّعوا بنفقاتهم ليحاربوا

لوجه الله تعالى وأطلق عليهم لقب متطوّعة وهكذا زحفوا في جيشين احدهما بحرًا وثانيهما برًّا .

وما ان التقى لاون قائد الروم بسلمة قائد العرب حتى صرّح له بانه يساعدهُ على فتح العاصمة فوعده مسلمة بمملكة الروم. ولما أحسَّ الملك تئودوسي بخيانة لاون قبض على ذويه وزجّهم في السجن بمدينة عمورية . فسمع لاون وقصد سليمان الملك وهو يحاصر مدينة خلقيدونية ليمنع دخول الاقوات الى قسطنطينية واخذ من عنده ستة آلاف عسكريّ وخيّم في عموريـة . فخاف اهاليها وسلّموه اهله . ثم اطلق لاون العرب ودفع الى كل واحد اثني عشر دينارًا وعاد هو والروم الى قسطنطينية وصرّح للجيش الرومي بانه انما يساير العرب مخادعاً . فاقتنعوا وملّكوه عليهم . ولما دخل لاون العاصمة خرج عنها تئودوسي الملك وقصّ شعره وصار اكليريكيًّا.

وملك لاون اربعاً وعشرين سنةً . وطفق يعلل العرب بآمال فارغة ريثما حصّن المدينة بالذخيرة وغيرها . ولما عرف مسلمة ان لاون خدعه وخاتله عبر البحر في اربعة آلاف ساخطاً وشدّد الحصار على قسطنطينية . وبسبب تأخره في الذهاب باغته البلغار الذين استأجرهم لاون فاوسعوا العرب قتلًا وافلت مسلمة بالجهد ووصل الى المعسكر الكبير الذي كان مخيماً غربي قسطنطينية تجاه باب الذهب . ووضع سدًّا امامهم ما بين المعسكر والمدينة وخندقاً وُراءهم تجاه البلغار والبحر عن يمينهم ويسارهم . وكان اهل المدينة والبلغار يقاتلون العرب وسفن الروم في البحر تعضدهم. واحتاج العرب الى اكثر من الفي رجل ليذهبوا ويأتوهم بالذخائر فأمسوا هم والاتراك ظاهرًا وداخلًا في ضيق شديد وأدركهم الشتاء والجوع والبلغار يواصلون القتال . وبلغ الجوع من العرب حتى أكلوا زفت السفن . ولما كان مسلمة يعلمهم بوصول الاقوات والمؤن باغتهم نبأ موت الملك سليمان .

بعد سليمان عمر بن عمّه عبد العزيز

تولّى سنتين وخمسة اشهر . وأرسل مَن يأتيه باخبار الجنود المحاصرين في قسطنطينية . فكتب اليه مسلمة اخبارًا ملفقة مدّعياً ان الجماعة في احسن حال وان المدينة تسقط قريباً . غير ان الرسول افضى بالحقيقة الى عمر فكتب عمر الى مسلمة في العودة مع العسكر . فتعلل مسلمة بسبب الشتاء . ولما انقضت شدة الشتاء سيّر عمر رسولًا ثانياً يقول للجماعة كي يعودوا راجعين على رغم مسلمة . فنتك الروم بكثيرين منهم برًّا وبحرًا لدى خروجهم . وكان عمر قد وجّه اليهم عشرين الفاً من الخيل وعشرة دنانير الى كل منهم ينفقها في سبيل نجاته .

وبسبب ما احاق العرب من التقهقر والانكسار في زحفهم الى قسطنطينية اضمر عمر الحقد الشديد على المسيحيين وضايقهم وابطل نواقيسهم وامر ان لا يرفعوا أصواتهم وقت الصلاة وان لا يلبسوا ثوب الجنود ولا يركبوا دابة مسرّجة . وتوفي عمر في شباط ١٠٣٤ لليونان (٧٢٣م) [١١٨].

بعد عمر بن عبد العزيز يزيد ابن عمه عبد الملك

تولّى اربع سنوات . وانتقض عليه يزيد بن المهلّب العربي الحيريّ وحالفه عرب الكوفة والبصرة والعجم كافة . فبعث يزيد بن عبد الملك جيشاً كثيفاً ظفر بابن المهلب قرب بابل وقتله.

وأمر يزيد ان تُنزع صورة كل حيّ من الهياكل والجدران والاخشاب والحجار والكتب . وماثله لاون ملك الروم فانتزع من الكنائس والبيوت صور القديسين والملوك . وبسبب ذلك ثارت فتنة بين الروم وتنكروا للملك وتهدّدوه علانيةً . ونفى الملك من بلاده كلّ من لا يوافق على عقيدة المجمع الخلقيدونيّ . واشتدّ على اليهود فتنصّر كثيرون منهم وانهزم البقية الى سورية .

وفي هذا الزمان ادّعى رجل سوريّ يقال له سوريا بانه هو المسيح ولما قبض عليه الوالي صرّح بقوله له : اني مازحتُ اليهود وضحكتُ عليهم .

وفي السنة ١٠٣٢ لليونان (٧٢١ م) قلّت مياه الينابيع واضطرّ اهالي القرى ان يسيروا مسافة سبعة اميال ليستقوا الماء . وشحّت الغلال كذلك . وظهر الجراد في القابل واكتسح النبات . وبعد سنتين حدث طاعون ووباء ولاسيما في بلاد ما بين النهرين . وتوفّي يزيد في البلقاء ببلد دمشق عام ١٠٣٧ لليونان (٧٢٦ م) .

بعد يزيد بن عبد الملك هشامٌ أخوه

تولّى اثنتي عشرة سنة وثمانية شهور . وضايق الناس بكثرة الضرائب والجزية وأنبط انهارًا من الفرات عند الرقة لسقي الزروع والاغراس فتوفّرت فيها الغلّات توفرًا أربى على كلّ خراج ولايته .

وفي هذه السنة زحف العرب الى نوقيسارية البنطس وأخربوها بالمرّة . وزحفوا كذلك الى ارض الاتراك في الجرّاح قائدهم ودوّخوا هناك مدينة كبرى واحتووا على غنائم وافرة وعادوا راجعين .

وفي السنة ١٠٣٨ لليونان (٧٢٧ م) انتقض الاقباط على العرب فوثب عليهم [١١٩] الجند وفتكوا بعدد وافر منهم وانهزم البقية في السفن .

وفي السنة ١٠٣٩ لليونان (٧٢٨ م) اغار مسلمة تكرارًا على ارض الاتراك فانكسر العرب وتركوا اثقالهم وانهزموا . وفي السنة ١٠٤٢ لليونان (٧٣١ م) برز الاتراك واحتلوا مدن اذربيجان فكرّ عليهم مسلمة بعساكره وهلك الوف وربوات من الجانبين . واكتفى الاتراك بما دوّخوه من المدن ولم يزحفوا الى سائر امصار العرب . ثم عقد العرب معهم الصلح .

وبعد هذا اغار العرب على بلاد الروم مع معاوية ابن الملك وقوّضوا اسوار مدينة انقرة ونازلوا نيقيّة وحاصروها وحاربوها اربعين يومًا ودكّوا سورها وانهزم الروم اهاليها في السفن فاحتلّها العرب ودمّروها . واذ بلغ هشام ان لاون قتل الاسرى العرب أصدر الامر بقتل جميع الأسرى الروم .

وفي تلك الفضون اتخذ لاون الملك ابنة الخاقان ملك الخزر زوجةً لابنه قسطنطين . وبعد عمادها وتكليلها وضع لاون التاج لابنه ونادى به ملكاً.

وفي السنة ١٠٤٨ لليونان (٧٣٧ م) سار الى حرّان رجلٌ رومي اسمه بشير وتظاهر بالاسلام وقصد رجلًا الثغ يقال له ثوفيطس وأخبره سرًّا بانه هو طيباريوس بن قسطنط (يسطنيان ؟) الذي كان على ما يُظَنّ قد توفي . ثم ان الالثغ واجه سليمان بن هشام وسعى بالرجل الرومي فقبض عليه وأخبر أباه هشام . فارتاح هشام للخبر وغلب على ظنّه ان ابن ملك الروم حصل في قبضته وأمر فألبسوه ثوباً ارجوانيًّا وأحضروه اليه . وهذا بشير الرومي سار الى كنيسة الرها ودخل المذبح وتناول القربان بيده من مائدة الحياة طبقاً لعادة ملوك الروم . وجعل يستدعي اليهود ويطلب منهم ان يصنعوا له رُقيةً . وسأل زعيم الحرّانيّين ان يتطلّع له في الكبد ليعرف ما يؤول اليه أمره . وقد افتضح هذا الشقي بعد ذلك وقُتل .

وفي السنة ١٠٥٣ لليونان (٧٤٢ م) [١٢٠] مات لاون وخلفه ابنه قسطنطين اربعاً وثلاثين سنة . فانتقض عليه ارطباس صهره ودخل العاصمة واحتلّ البلاط . وكان الملك متغيّباً فارًّا من وجه خدّامه مستعيناً بحاشيته مسافرًا مع جنوده الى عمورية فروجية وقضى فيها الشتاء . فحشد ارطباس الجنود واغار على الملك فانكسر ارطباس وانهزم . ومات هشام في رصافة الرقّة عام ١٠٥٦ لليونان (٧٤٥ م) .

بعد هشام الوليد بن يزيد بن عبد الملك

تولّى سنةً وثلاثة اشهر . وأساء الى ابناء آل هشام وابتزّ بيوتهم . وأمر ان يُبتر لسان بطريرك الخلقيدونيّين (اسطفان الثالث ٧٤٢–٧٤٥) في سورية . وكان العرب يبغضون الوليد بغضاً شديدًا بسبب معاقرته الخمرة والمسكر وخلاعته حتى اطلقوا عليه اسم الفاسق والفاجر . ثم انتقض عليه العبّاس بن الوليد وهو عمه وحاول ان يخلفه فلم يرضَ العرب لانه اعني العبّاس كان ابن سرّية فملكوا

عليهم اخاه يزيد بن الوليد في دمشق . وهذا يزيد وجّه العساكر الى الوليد ابن يزيد فادركوه في البرّية واحتزّوا رأسه وربطوه برمح وشدّوا معه ظرف خمر وطافوا به في دمشق.

بعد الوليد بن يزيد يزيد بن الوليد

تولى شهرين وهو الذي قتل الوليد ابن عمه كما ذكرنا . فوقع بين العرب خلاف شديد . وتولى في كل ناحيـة حاكم مستبد برأيه . فكان بسطام في الجزيرة . وسعيد بن هُدَيل في الموصل . وعبدالله ابن الملك عمر في واسط. ومروان في ارمينية . وابن سارج في خراسان . وابو هُدَيل في افريقيـة . وأصيب يزيد بالطاعون لشهرين من ملكه ومات .

بعد يزيد بن الوليد أخوه ابرهيم

كان ابرهيم هذا لطيف المعشر كريم الاخلاق. وما ان مضى [١٢١] شهران عليه حتى استقال من مملكة دمشق واختفى . ولم يُعرَف مكانه الا بعـد خمس سنوات فعثروا عليه بين القتلى في حرب اهلية انتشبت بين العرب .

بعد ابرهيم بن الوليد مروان بن محمد بن مروان بن الحكم

لُقّب بُيارَ الجزيرة لانه كان يؤثر ورد الزعفران أعني بهار البرّ وكان متولياً في كل زمـانه جزيرة فردو . فخرج عن ارمينية والتقى بسليمان في سواحل الفرات وفتك باثني عشر الفـاً وانهزم الى الرصافة . وعاد مروان الى دمشق وتولى أمرها ، ثم نقل خزائن الدولة على نحو ثلاثة آلاف جمل وزحف الى حمص وشد الحصار عليها اربعة اشهر ودوّخها ودكّ سورها وحطّم بالمرازب منجنوقاته. وقوّض كذلك سور بعلبك . وسار الى حرّان وانحدر الى بلاد آثور وفرثيا اعني اصبهان .

وفي تلك الاثنا. ظهر ابو العبّاس وهو عبدالله بن محمد بن علي بن عبدالله

ابن العباس عمّ نبي المسلمين في جيش كثيف من اهالي خراسان وضرب خيامه على نهر الزاب قرب آثور . فزحف مروان والتقى بجيش ابي العباس فانكسر مروان وخسر سبعمائة حمل جمل ذهباً ودراهم . وانهزم مع ابنه وصهره غازياً الى حرّان . ونقلوا كنوزه على ثلاثة آلاف جمل وانطلق الى عسقلان على شاطئ البحر . فطارده ابو العبّاس واصحابُه فانهزم مروان الى اطراف مدينة سيواني بحدود النوبة . وفيما كان حالًا بسواحل النيل ادركوه وفتكوا به.

وفي هذا الزمان خرج من قسطنطينية اشكيرش قائد الجيش الارمني ووافى الى ملطية واستباح بلدها باجمعه. اما الملك قسطنطين فبعدما تغلب على ارطباس الطاغي استقرّ له الملك ورُزق ابناً من زوجته ابنة الخاقان وأسماه لاون. وسادت الطمأنينة في جميع بلاد الروم لان العرب كانوا منهمكين في حروب اهلية .

بعد مروان ابو العباس

تولّى اربع سنوات [١٢٢] وثمانية شهور. وأجهز على مروان واستقلّ بالملك وحده في الاقطار العربيّة جمعاء. وألغى مملكة دمشق ونقلها الى بابل . ومنه يتحدّر خلفاء بغداد الذين قضى الهونيّون المغول على دولتهم في عهدنا (في القرن الثالث عشر).

ولما كان ابو العبّاس مقيماً في احد بلاد المغرب حدثت في معسكره بغتةً ضجّةٌ شديدة. وسارع الناس والملك كذلك ليشاهدوا المعجزة . فأبصروا ثمانية رجال قد انبعثوا من القبور بَانَ بعضُهم حتى الثندوتين وبعضهم حتى الظهر والبعض حتى الركبتين . وكانت لحى بعضهم مصبوغة كعادة العرب وعرفهم كثيرون. ولمّا دنوا ليكلموهم لم يجاوبوهم قطعاً . فأخذهم الدهش وأمر الملك ان ينحرفوا عنهم يومئذٍ ولا يمسّوهم مؤملًا انهم يتكلّمون فيما بعد. وفي الغد انطلق الناس ثانيةً وشاهدوهم احياء صامتين . فأمر الملك ان يُدفنوا ثانيةً .

وفي السنة ١٠٦٣ لليونان [٧٥٢م] توفّيت امرأة الملك قسطنطين ابنة الخاقان. واقام ثلاثة اعوام دون زواج وفقاً لشريعة الملوك المسيحيين . وحاول بعض

الدماة ان يعزلوا الملك فاشاروا عليه على سبيل التجامل ان يتزوج . فقال لهم وهو عارفٌ بغدرهم: ان شريعة الروم غير خافيةٍ عني . وأعتقد ان الملك خليقٌ بان لا تستعبده الشهوة . ومع هذا فاني ممتثل مشورتكم ان رأيتم ذلك فرضاً واجباً بشرط ان تنادوا بابني ملكاً عوضاً عني وبعدئذٍ اليّ طلبكم . ولمّا توّجوا ابنه ملكاً ظلّ هو متولياً شؤون الدولة اذ كان حكيماً يهابه الاعداء. وفي تلك السنة زحف الى ملطية وحاصرها واقام عليها المتاريس وثغر جانباً من سورها. واخيراً صالح مَن فيها من العرب وسرّحهم . وأجلى اهالي قلودية وجميع قرى ارمن الرابعة ، وفي تلك السنة عينها توفي [١٢٣] ابو العبّاس عبدالله.

بعد ابي العبّاس اخوه أبو جعفر المنصور

تولّى اثنتين وعشرين سنة . وفي السنة الاولى لخلافته وهي السنة ١٠٦٦ لليونان (٧٥٥م) والسنة ١٣٥ للعرب شدّ قسطنطين ملك الروم على قليقلة وهي ارضروم ودوّخها وتركها خاليةً خاويةً . ووضع حاميةً في حصن كامخ.

امّا عبدالله بن عليّ فلمّا بلغه نبأ موت ابي العبّاس دافق يطوف المدن ويحتلّها. فوجّه اليه المنصور أبا مُسلِم قائد الجيوش فتغلّب عليه. ثم انتقض ابو مسلم على الخليفة ابي جعفر وجعل يتوغّل في البلاد يحاول احتلالها . فسيّر اليه ابو جعفر رجلًا يقال له عيسى فأقنعه وجاء به. ولما كاد يدخل دار الخليفة حتى اشار ان يُبطَش به . واستقلّ ابو جعفر بالدولة العربية وأمر ببناء ملطية كالاوّل واقام فيها العسكر . وابتنى كذلك قليقلة ووضع فيها حاميةً .

وفي السنة ١٠٧١ لليونان (٧٦٠م) فتح العرب افريقية . وفي تلك الاثنا. خضع للعرب بلد طبرستان. وهذا البلد يحدّه شمالًا بحر قزبين. وشرقاً جرجان. وجنوباً ماداي وبعض فرثية. وغرباً الديلم . وهو يشتمل على خمس مدن مسوّرة وتكثر فيه الجبال والغابات والمروج والاودية والمضايق . وطوله من الشرق الى الغرب اربعون فرسخاً. وعرضه من الشمال الى الجنوب عشرون فرسخاً.

وفي السنة ١٠٧٣ لليونان (٧٦٢م) ابتنى ابو جعفر على دجلة مدينة فوق قطيسفون وأسماها بغداد باسم صنم كان في ذلك المكان واستقرّ فيها . وبعد

سنة مرق من طاعته رجلٌ يقال له محمّد من ابناء عليّ صهر نبيّهم وابن عمّه ومالت اليه الامّة العربية جماء . فزحف اليه عدي قائد الجيش وبطش به في يثرب في شهر رمضان صومهم. ثم انتقض على الخليفة كذلك ابرهيم اخو محمّد في البصرة فقُتل مثله.

وفي السنة ذاتها زحف الخزر وسبوا خمسين الف نسمة [١٢٤] من اهالي غرزان. وفيها كذلك خضع للعرب بلد كابول بناحية الهند. ووضع ابو جعفر الضرائب على جميع الشعوب وضاعفها على المسيحيين.

وفي السنة ١٠٧٦ لليونان (٧٦٥م) حدثت زلزلة عنيفة في ارض خراسان وانتقل احد الجبال من مكانه نحو ثلاثة اميال ثم تبدّد لانه كان من تراب مطين.

وفي السنة ١٠٨٠ لليونان (٧٦٩م) خرج بعض مجوس العجم على العرب واقاموا لهم زعيماً. فشنّ العربُ الغارة عليهم فانكسر العرب وتشدّد المجوس واعتزموا ان يؤسسوا دولة مستقلة. فزحف اليهم العرب في جيوش قويّة جدًّا وبطشوا بهم وقتلوا زعيمهم واربعين الفاً منهم. وفي تلك السنة اغار العرب ساخطين على وادي مرعش اذ بلغهم ان الاهالي هم جواسيس للروم. فأجلوهم وساقوهم الى بلد الرملة واسكنوهم هناك. وفعل العرب نظير ذلك باهالي سيساط. وفي تلك الغضون انتقض البربر في افريقية وفتكوا بالعرب والعجم. فشدّ عليهم يزيد القائد وقهرهم وأتلف زهاء ثلاثين الفاً منهم.

وفي السنة ١٠٨٠ لليونان (٧٦٩م) عينها وُجدت امرأة في مجاري لا تأكل ولا ترضع ولا تشرب شيئاً بتةً. وبلغ المهديَّ ابنَ الملك خبرُها فأوفد من أحضرها الى بغداد وجرّب أمرها واستيقن ذلك الحادث الخارق العادة.

وفي السنة ١٠٨٣ لليونان (٧٧٢م) شاد ابو جعفر مدينةً بناحية الرقّة دعاها الرافقة. ولم يشاهد احدٌ مثل صناعة ابوابها. ولما كنتُ انا الحقير متولّياً ابرشيّة حلب (في القرن الثالث عشر) نقلوا منها مصراعين ضخمين من الرصاص وركّبوهما على باب قنسرين ومصراعين آخرين اصغر منهما لم يتيسّر لهم وضعُهما لان المغول باغتوا المدينة وقوّضوا اسوارها وحطموا ابوابها.

وفي السنة المذكورة عينها ارتحل ابو جعفر من بابل الى ما بين النهرين وسورية واشتدّ [١٢٥] على الاهالي بضرائب باهظة. وحشد كلّ الفضّة والذهب في خزائنه. فتضايق الناس وجعلوا ينبشون القبور علّهم يعثرون على حليّ مصوغة دُفنت مع الموتى.

وفي هذا الزمان حفر الروم في مدينة نيقومدية وعثروا على مغارة قد دُفن فيها نيقوميدس مؤسسها وهو محنّط وعليه حليّ ذهبيّة ويواقيت حمراء تنير في الظلمة. فشعر الملك قسطنطين بالخبر وأبدى شهامةً ممتازة اذ لم يرَ ان يأخذ شيئاً من تلك الحُلى وهو يقول: قبيحٌ بالأحياء ان يحتاجوا الى الموتى! ثم ارسل عملةً سدّوا المغارة سدًّا محكماً وكوّموا فوقها جبلاً عظيماً من تراب وحجر.

وانتشر في تلك الغضون وباء وجوع شديد في سورية وآثور لا لنقص الحنطة بل لحارّ أيدي الناس من الدراهم. فكان ثمن الثور والحمار درهماً واحدًا. وعشرة اكيال خمر درهماً واحدًا. وخمسة امداد حنطة درهماً. وثمن كلّ صبيّ وصبيّة خمسة دراهم. وبعد ثلاثين (؟) سنة لتلك الرزايا توفي ابو جعفر في الكعبة وانفرج الناس من ضيقهم. وتوفي كذلك قسطنطين ملك الروم قبل خمسة وعشرين يوماً لوفاة ابي جعفر وملك لاون ابنه خمسة اعوام.

واشتهر في تلك الايام جيورجيس الطبيب ابن بختيشوع العيلاميّ. واستحضره الخليفة المنصور الى بغداد ليعالج داء ادركه في معدته. ولمّا حضر جيورجيس دعا للخليفة بالفارسية والعربية بعبارات بليغة جدًّا أعجبت المنصور فأجلسه ووصف له مرضه. فوعده الطبيب بالشفاء تدرّجاً ريثما زالت علّته. قيل ان جورجيس زار الخليفة يوم ميلاد ربّنا فقال له الخليفة ماذا اكلتَ؟ قال الطبيب: كلّ لذيذ وطيّب كما شاء الربّ. قال الخليفة بلغني ان ليس لك امرأة. قال الطبيب: أجل لي زوجة كبيرة ضعيفة لا تقوى على النهوض على قدميها [١٢٦]. فانتظر الخليفة حتى انصرف الطبيب وأمر سالماً كبير خدّامه ان ينتقي ثلاثاً من الجواري الروميّات الممتازات بالجمال ويذهب بهنّ الى بيت الطبيب مع ثلاثة آلاف دينار. فامتثل الأمر وكان جورجيس وقتئذٍ متغيّباً عن منزله. فلمّا عاد وشاهد الجواري سخط على تلميذه وقال له: يا تلميذ الشيطان لماذا ادخلتَ هولاء

الى منزلي ؟ أتريد ان تنجسني ؟ ثم أرسل فاستدعى كبير الخدام وردّهن معه. ولمّا اتصل الخبر بالخليفة قال لجورجيس ما بالك رددتَ الجواري؟ قال الطبيب : عشتَ الى الابد ! اننا نحن معشر النصارى لا يحلّ لنا الزواج باكثر من امرأةٍ واحدةٍ . وشريعتنا تمنع الزواج بامرأة ثانية ما دامت الاولى في قيد الحياة . فاستحسن الخليفة كلامه ورخّص له ان يختلف الى نسائه وبناته دون مانع. وازداد اعتباره لديه وأحبّه كنفسه . تلك ثمرة العفاف يا اخوتي !

بعد ابي جعفر المهديُّ ابنه

تولّى عشر سنوات . وفتح خزائن الدولة وجعل يُسرف ثروة ابيه اسرافَ المذراة لا على جنوده فحسبُ بل على سراريه ايضاً اذ كان منهمكاً في الملاذ واللهو . وتشبث بالسحر والعرافة والقضا. والقدر وجعل يجمع كتب السحر وأرسل اليه لاون الملك كتاب ينيس ويمبريس وهو يحكي عن عرافة المصريين كلّها وعمّا فعلوه تجاه موسى الكليم . وفي اوّل خلافته أعتق الأسرى النصارى كافّةً ونهج نهجه لاون الملك فسرّح جميع الاسرى العرب.

غير ان المهديّ قوّض الكنائس التي ابتناها النصارى في عهد العرب وأخرب كنيسة الخلقيدونيين (الروم) في حلب. وأشهر الاضطهاد على المانويين وقوّض موضعاً يقال له الفدّان الكبير كان غاصّاً بهم . وأمر بقتل كثير من العرب تشيّعوا بالمانويّة. وقبض على ثمانية رجال أجلّاء من آل جومية (السريان) فأذيقوا اعذبة فادحة وقضى ثلاثة منهم في السجن ونجا الخمسة.

وفي هذا الزمان اشتهر ثئوفيل بن توما الرهاويّ الخبير بالتنجيم [١٢٧] وكان من أتباع بدعة الموارنة . وخلّف تاريخاً معتبراً في اللغة السريانية تحامل فيه على المستقيمي الايمان (اليعاقبة) واستحقرهم ، ونقل كتابيّ اوميرس في فتح ايليون عن اليوناني الى السريانيّ ، وثئوفيل هذا خدم الخليفة المهديّ فاحبّه المهديّ حبّاً جمّاً لتضلّعه من علم الفلك والتنجيم . قيل ان الخليفة همّ يوماً بالسفر الى احدى مدنه مع اهل بيته . فارسلت امرأته جاريتها تقول لثئوفيل : انكَ قد اشرتَ على الملك بالسفر فجشمتنا مشقةً وعناء في الطريق كنّا في غنًى عنها . فلي

رجاء بالله عزّ وجلّ ان يهلكك وينقلك من الارض لنستريح بنجاتنا منك . فقال تنوفيل للجارية التي أتته بالرسالة : ارجعي وقولي لمولاتكِ : اني لم أشر على الخليفة في السفر . فهو يسافر كما يشاء . اما دعاؤكِ عليّ بان يعجّل الله تعالى موتي فهذا شيء قد قضى به تعالى وأصبح مؤكّدًا اني اموت سريعاً . ولكن لا تتوهمي اني أموت لان الله قبل دعاءكِ . لكن مشيئة من خلقني ستكمل . امّا انتِ ايتها الملكة فأقول لكِ : أعدّي لنفسك تراباً كثيرًا فاذا سمعتِ اني متُّ فاجعلي ذلك التراب كلّه على رأسكِ ! فخافتِ الملكة خوفاً شديدًا لمّا سمعت ذلك وما زالت متوقّعة تأويل هذا القول حتى مات تنوفيل بعد ايّام معدودة ثم مات الخليفة بعد عشرين يوماً وصحّ ما قرّره تنوفيل .

وفي السنة ١٠٩٠ لليونان (٧٧٩ م) أقبل المهديّ الى حلب وخرج الى لقائه التنوخيّون الذين كانوا يقيمون في الخيام بضواحي المدينة وهم يمتطون خيولًا مطهّمةً ورافلون بالحلل . فقيل له : ان هؤلاء هم نصارى . فاحتدم المهديّ سخطاً . واضطرّهم ان يُسلموا . فأسلم زهاء خمسة آلاف رجل ولم تُسلِم النساء . واستشهد منهم رجل جليل اسمه [١٢٨] ليث .

وارتحل المهديّ بعد ذلك الى بلاد الروم واناخ ببلد اربيسوس على نهر فرمون . ودوّخ ابنه هرون قلعة سيالوس وغزا وانطاق .

وفي السنة ١٠٩٢ لليونان (٧٨١ م) أجلى العرب من افسوس نحو سبعة آلاف نسمة ومات من العرب زهاء اربعة آلاف .

اما لاون الملك فوجّه جيوشاً أجلوا جماعةً من السريان المستقيمي الايمان (اليعاقبة) وأسكنهم في تراقية . ويقال ان هذا الملك كان يحتقر الصُوَر ويعالي المستقيمي الايمان كأبيه وقد ادركته المنون في هذه السنة وقام بعده ابنه قسطنطين وملك اثنتين وعشرين سنة . وتولّت ايريني أمّهُ تدبير المملكة ونادوا بها ملكةً معه .

وفي السنة ١٠٩٤ لليونان (٧٨٣ م) وجّه المهدي ابنه هرون الى قسطنطينية فاستدرك الروم الأمر واقاموا سدًّا تجاه العرب عند نهر سغريس . فاصبح العرب يحصرهم الجبل من الجانب الواحد والنهر المذكور من الجانب الآخر . وتضايقوا

جدًّا وطلبوا الصلح لثلاث سنوات . وقد وافقتهم ايريني الملكة لضعف رأي النسا . وأفرجت عنهم . وبعد سنةٍ ابتنى عليّ مدينة الحدث .

بعد المهديّ موسى ابنه

تولّى سنةً واحدةً وشهرًا ونصف شهر . وقبل ان تعقد له الخلافة أي في السنة ١٠٩٥ لليونان (٧٨٤ م) ظهر جراد طيّار عاث الزروع وفتس ثم خرج وجعل يلترق بالاسوار ويدبّ في الجدران ويخشّ في المنازل من الكوى والابواب حتى ملأ قِرَبَ المياه والفرش والموائد والصحون . وكان يدخل من جنوبي البيت ويخرج من شماليه . والتهم الاعشاب والاشجار وأمتعة الصوف وثياب البشر . وأتلف نواحي الرها وسروج برمّتها ثم انتقل الى المغرب . وبعد مرور ثلاث سنوات على هذه الضربة القاسية عمّ الغلاء الارض جمعا .

وفي السنة ١٠٩٧ لليونان (٧٨٦ م) أغار الروم على الحدث التي ابتناها العرب حديثًا واخربوها وقوّضوا اسوارها وحطموها بالمرّة . وفي تموز تلك السنة توفّي الخليفة .

بعد موسى هرون الرشيد أخوه

تولّى ثلاثًا وعشرين سنةً وشهرين . ووجّه عبد الملك فقوّض كنيسة [١٢٩] الكيسوم الكبرى وخمس عشرة كنيسة غيرها . ونقل حجارها على الفي عجلة الى الحدث التي أخربها الروم وجدّد هو بنيانها . وتوغّل العرب في بلاد الروم وساحل البحر وغنموا غنائم وافرة .

وفي السنة ١١٠٠ لليونان (٧٨٩ م) خرج الوليد وهو من بدعة الرواضتي وحشد خمسة آلاف مقاتل وشدّ على نصيبين وفتك بأميرها واستصفى أموال تجّارها . واستنزف من كلّ مسيحيّ خمسة دراهم . وبعدما بطش بجيش عبد الملك وفتك بالعرب وأقفرت الطرق من الغادين والرائحين باغته يزيد في عسكره وأجهز عليه .

وفي القابل ارتحل هرون من بغداد الى الرقّة يريد الاقامة فيها فزاد في

عمارتها وغرس في ضواحيها جنانًا كثيرة وجلب لها نهرًا من الفرات ونهرًا ثانيًا من سروج. وقد اشترى مياه قرى سروج من اصحابها واختفر لها نهرًا جديدًا.

وفي السنة ١١٠٤ لليونان (٧٩٣ م) اصطدم القيسيون واليمنيّون في حمص وقُتل منهم الكثيرون. وغنم عبد الملك غنيمةً وافرةً من بلاد الروم. ودوّخ ابنه عبد الرحمن قلعة ربسة في قبدوقية ومات فيها اربعمائة رجل عطشًا ثم سلّموها.

وفي هذا الزمان حاول قسطنطين الملك ان يفقأ عيني ألفيدي بطريق صقلية لارتكابه المنكر مع امّه وانهزامه الى العرب. واستحلف الزعما. ان لا ينادوا بامّه ملكة. امّا ألفيدي فقد اخذ اربعين الفًا من العرب مع الامير سليمان واغار على حمصون فادركهم الشتاء. وهلك اربعة آلافٍ منهم واضطُروا ان يستغيثوا بالروم فأبدى الروم عطفًا عليهم ولم يمسّوا احدًا منهم بأذى. وانصرف العرب في كانون الثاني وقد أهرأ الثلج أرجُلهم. قال البطريرك ديونيسيوس التلمحريّ: شاهدتُ منهم نحو اربعمائة رجل في الرها.

بعد هذا صار قسطنطين الى موادعة ايريني امّهِ وأمر ان ينادوا بها ملكة [١٣٠] فامتثل الأمر جميع الاهالي سوى الارمن فانهم بسبب الايمان لم يأتمروا بأمر الملك الجائر فاوقع بهم واضطهدهم.

وفي السنة ١١٠٨ لليونان (٧٩٧ م) مرّ هرون الرشيد بالرها فواجهه المسلمون وشكوا النصارى مدّعين انّ ملك الروم يزورهم كلّ سنة تحتَ السرّ ويصلّي في كنائسهم. فبحث الخليفة عن الأمر واستبان له افتراؤهم فأوسعهم ضربًا وطردهم.

امّا آل جومية الرهاويّون فبعدما بذّروا ثروتهم كلّها حفروا يومئذٍ في بيتهم ونبشوا كنزًا خفيًا. وكانوا قد دانوا بدين العرب فافحشوا في البهائم وكلاب الصيد وتهتكوا وبلغ الملك هرون خبرُهم فألقاهم في السجن بالرقّة وبعث حاجبَه فاستولى على كلّ ما باعوه من الاموال الملكيّة وفي جملتها حيّات وعقارب فضيّة مملوءة اكسيرًا أسرفوها جهلًا. ثم قبض الحاجب على امّهم العجوز وعلى نسائهم الحرائر وانتزع منهنّ ما بقي من أكواز الذهب والفضّة والامتعة والدنانير الرومانيّة وطرحهنّ في السجن وحبس اختهنّ العذرا. في بيت

رجل خلقيدوني (رومي) في غرفة عالية بالطبقة الرابعة واقام رجالًا اعاجم لحراستها . ولمّا جنّ الليل سمعت العذراء وطأة اقدام فظنّت ان رجلًا اعجميًا مقبلٌ ليغتصبها فتقنّعت ورمت بنفسها من النافذة وقضت حياتها في الغد . فارتعش الحاجب وتأسف الملك عليها ثم أطلق اخوتها من السجن وردّ اليهم خمس اموالهم . وقد اطّلع على هذا الحادث البطريرك ديونيسيوس التلمحري اطّلاعًا تامًّا ولاسيما لانه كان من اسرة ايونيس الرصافيّ فقال: ان البيت الذي عثروا فيه على الكنز كان يخصّ ايونيس المشار اليه وهو الذي تخلّى عنه لآل جرمية بمثابة جهاز لابنته وقد خبأته امرأة ايونيس لمّا اصدر الملك كسرى الامر بنفيها .

امّا الملك قسطنطين فقد خالف الشريعة واقترن بامرأة ثانية وامرأته الشرعية في قيد الحياة . وكان يستدعي بنات الأعيان ويغتصبهنّ [١٣١] ولمّا زحف الى تراقية ليحارب البلغار ظلّ يتمادى في معاقرة الخمرة والخلاعة . فاتفق لذلك الزعماء مع امّه ولمّا قفل راجعًا فقأت عينيه وافقدته البصر وتفرّدت بالملك وحدها واقامت أطيس الحاجب مساعدًا لها ورئيسًا على البطارقة . فبطش بالعرب الذين زحفوا الى بلاد الروم . وما مرّ العام حتى شنّوا الغارة وتغلّبوا عليه وكرّروا الزحف فانتصروا . وحين ذاك أجمع الروم على تنصيب نيقيفور لوجيديط القبدوقيّ ملكًا . فسمت ايريني الملكة وأمرت ان يسملوا عينيه لكنّ أطيس أنقذه من دهائها . وعند ذاك اجتمع نيقيطا البطريق بالبطريرك وشاوروا مجلس الحكومة واتفقوا قاطبةً على المناداة بنيقيفور ملكًا في السنة ١١١٩ لليونان (٨٠٣ م) وقد أحسن نيقيفور معاملة الملكة ايريني وأطيس الحاجب وأغمض عنهما . غير انهما اضمرا ان يقتلاه على يد بعض الرهبان . وما ان انجلت الخديعة لنيقيفور حتى نفى ايريني الى اثينا وترهبت هناك وعاقب أطيس بما استحقه . ولم يمسّ الرهبان بأذًى .

وكان هرون الرشيد يومئذٍ منصرفًا الى بنيان مدينة زبطرا بارمينية الصغرى عند ملطية . فزحف سطوريقس قائد جيش الروم الى بلد فيلوفونيسوس وكان في حوزة العرب منذ امد مديد واحتلّه واقام فيه حاميةً وانقلب في غنيمةٍ وافرةٍ من العرب والغنم والخيل والبعير .

ويُحكى ان رجلًا يقال له جَبَلة كان ملكاً على العرب النصارى ثم أسلم على يد عمر بن الخطّاب وحضر معه في المسجد بيثرب . فتصدّى له رجلٌ من قبيلة فزارة ووطأه برجله . فالتفت اليه جبلة وضربه وهشم أنفه . فرافعه الفزاريّ الى عمر فقال عمر لجبلة أرضِهِ او دعه يهشم أنفك : فقال جبلة : كيفَ يتيسَّر لملكٍ مثلي ان يسمح لرجلٍ سوقةٍ بضربهِ ؟ قال عمر : ان كنتَ اكرم منه في الملك فانت مساوٍ له في الاسلام ، قال جبلة : أمهلني اذًا حتى الصباح لأعمل الروية في احد الامرين . ولمّا جنّ الليل نهض [١٣٢] جبلة واصحابه وانهزموا الى قبدوقية وتنصّروا ثانيةً . ومن جبلة هذا يتسلسل نيقيفور ملك الروم المشار اليه . وكان نيقيفور داهيةً حازماً وصائماً ومصلّياً . ولذا قال الفيدي المتمرّد المذكور لعبد الملك قائد الجيوش العربيّة : متى ملك نيقيفور ألقِ عنك ثوبك الناعم وتدرّع بالسلاح وتهيأ للقتال . على انه ما كاد يملك نيقيفور حتى وجّه الرسائل الى هرون الرشيد يستفزّه للحرب . وظلّ القيصر والخليفة مدّة شهرين يتراسلان حتى صارا الى الموادعة وتبادلا الهدايا وعاد كلّ منهما الى بلده .

وفي هذا الزمان كان رجلٌ قرشيٌّ مسلمٌ اسمه رُوَيح . وكان بيته مجاورًا للكنيسة . وكان يضايق الكاهن ويزعجه وقت الصلاة ويطرح عليه من الكوّة كُرات من طينٍ . ولمّا كان يحدّق فيه يوماً وقت ذبيحة القداس شاهد في الطبق على مائدة الحياة حملًا مذبوحاً فانحدر الى الكنيسة وشاهد امام الكاهن خبزًا مكسورًا . فعاد الى الكوّة وحدّق ثانيةً فشاهد الحَمَل فجاهر حالًا بالنصرانية وترك بيته وقصد احد الاديار واصطبغ بالمعمودية . ولمّا بلغ هرون الرشيد خبرُه استحضره ولاطفه ليعود الى الاسلام فأبى . فأوثقه وألقاه في السجن وظلّ سنتين كاملتين راسخاً في عقيدته . فأصدر الخليفة الأمر فحُزّ راسه بالسيف وعُلّق على سور الرافقة ورأى الكثيرون نورًا هابطاً عليه . ثم أحدره من السور رجل مسيحيّ من بلاد فارس ونقل جثمانه الى مدينته .

وفي تلك الغضون اقبل رجل رومي اسمه توما بن موسماد وزار هرون الرشيد مدّعياً انه ابن قسطنطين الملك . فرحّب به هرون كمن يرحّب بابن ملك .

وفي السنة ١١١٥ لليونان (٨٠٤ م) اذ كان هرون الرشيد في بلاد العجم زحفت جيوش من الروم ضخمة وغزت بلد المصيصة وعين زربة . فانتصب عليها العرب واسترجعوا الغنائم . وسمع هرون فبادر الى الرقة وغزا في نيسان مدينة هرقلية. فشدّ عليه نيقيفور ليناوشه . وما ان شاهد هرون جيوش الروم الضخمة حتى طلب الصلح وأطلق [١٣٣] جميع الأسرى الروم الذين في حوزته . ولمّا قرّر نيقيفور الهدنة تخلّى له هرون عن جميع خيامه ومعداتها ايضاً.

وفي السنة عينها ابتنى هرون مدينةً فوق الرقّة دعاها ايرقلية باسم امرأة أخذها من اهالي هرقلية. ولمّا اطمأنّ نيقيفور من محاربة العرب شيّد هو كذلك مدينة انقرة وغيرها بدلًا من طوانة وايرقلية اللتين احتلّها العرب في عهده .

وفي السنة ١١١٩ لليونان (٨٠٨ م) تفاقم الجوع في البهائم وجعلت تنبش قبور الموتى وتأكلهم وتهجم على الاحياء. فتفترس النساء والفتيان وهم يلتقطون الاعشاب خارجاً.

وعوّل هرون على الشخوص الى بلاد العجم ليحارب العصاة وعقد لابنه محمّد الولاية على بغداد ولابنه القاسم على سوريّة واستصحب ابنه المأمون الى خراسان وأسنى له الف دبوة من الفضّة بدلًا من المُلك . ولما وصل الى مدينة طوس وبطش بالخارجيّ ادركه الأجل في السنة ١١٢٠ لليونان (٨٠٩ م).

واشتهر في هذا الزمان بختيشوع بن جورجيس الطبيب الميلاميّ . وارسل الخليفة هرون الرشيد يستدعيه ليعالجه . ولمّا دخل الطبيب دعا الملك في اللغتين الفارسيّة والعربيّة فابتهج الملك وانتدب سائر الاطبّاء ليباحثوا بختيشوع . فقال الطبيب عيسى ابو قُرَيش : ثق يا مولاي الملك بانه ليس فينا طبيب كفوء ان يحادث بختيشوع لانه قلّة مملوءة وهو ووالده وأهله فلاسفة. ثم أمر الخليفة احد الحجّاب ليُحضر على السكت تفسرةً بهيمةٍ كي يمتحن بختيشوع هل يميّزها ام لا. ولمّا أُحضرت وشاهدها بختيشوع قال: انها ليست تفسرة بشر. فعارضه ابو قريش وقال له: كذبتَ. انها تفسرة احدى حظيات الملك. فاحتدّ بختيشوع وقال له : اياك اخاطب ايها الشيخ الوقور ان الانسان لا يبول هكذا . تبصر ان كنتَ تدري في لون التفسرة ومادّتها ورائحتها . فقال له ابو قريش : ما يكون طعام

من يكون هذا الماء ماءه ؟ قال بختيشوع [١٣٤] طعامه شعير جديد حسن لم يأكله احد. فضحك الخليفة وأمر له بثياب وذهب كثير.

وخلف بختيشوع بن جورجيس بن بختيشوع ابنه جبرائيل واشتهر مثله بالطب وخدم هرون الرشيد . قيل ان احدى حظايا الخليفة الكريمة لديه تمطت يوماً ورفعت يدها فتشنجت وتعذر عليها ردها . وتعب الاطباء وهم يعالجونها بالادهان والتسريخ ولم يفيدوها . حينئذ أحضر الخليفة جبرائيل وقص عليه خبرها فقال له : ان لها عندي دواء ان كنتَ تُخرجها الى ههنا بحضرة الجمع فاصنع لها ما أرى دون ان تسخط عليّ فوافق الخليفة وأحضروها . وما ان رآها جبرائيل حتى أسرع اليها وأمسك اذيالها كمن يريد ان يكشف سوءتها . اما الجارية فلشدة الحياء اتقد جسمها حرارةً وعرقت واسترسلت أعضاؤها وبسطت يدها المشنجة الى اذيالها وأمسكتها لتستتر . وللحال تركها جبرائيل وقال للخليفة : لقد برئتْ . ثم بسطت الجارية يدها يمنةً ويسرةً . فدهش الخليفة وجميع الحاضرين وأمر لجبرائيل بخمسمائة الف فضة . ولما نهض جبرائيل سأله عن السبب فقال : ان خلطاً رقيقاً انصبّ الى اعضائها وقت الغشيان وبما ان حركة الغشيان تسكن بغتة وتقف جمدت فضلة الخلط في بطون الاعصاب المحرِّكة لليد وما كان يحلها الا حرارة متوقدة تتأتى من تلك الحركة الاضطرارية . وكان راتب جبرائيل في السنة تسعمائة الف دينار . وبعد وفاة الرشيد قام بخدمة الامين ابنه حتى قُتل الامين فنهض بخدمة المأمون أخيه . غير ان المأمون حرد على جبرائيل في اول الأمر وابتزّ امواله كلها ثم رضي عنه وردّ له كل ما اخذه منه وأحبه وأكرمه.

وان رجلاً نسطورياً زار مصر قال لجبرائيل : ان اليعاقبة كثيراً ما يسخرون بنسطور في مصر ويرجمون قبره ويدّعون ان المطر لا ينحدر [١٣٥] عليه . فاستشاط جبرائيل سخطاً وحصّل من الخليفة رسالةً الى صاحب مصر ليرسل اليه عظام نسطور في صندوق الى بغداد كي يدفنها في كنيسة كوكي (مقرّ جاثليق النساطرة) . فاستدرك الأمر راهب نسطوريّ ليزيل العار عن ابناء ملّته ويعرّفهم لهم انّ الذي يسخر به اليعاقبة ويرجمونه ليس هو نسطور

فادّعى ان أحد الرسل القديسين ظهر له في الحلم ليلا وقال له: ان هذه الحكاية لا نصيب لها من الصحة وان عظام نسطور ليست في مصر ولا يعرف احد مكان قبره . فكفّ جبرائيل الطبيب عن نقل العظام من مصر .

بعد هرون الرشيد محمّد امين ابنه

تولّى اربع سنين وسبعة شهور وأمر العَتَلة بالعدول عمّا باشره ابوه من بناء هرقلية . ونقل الى بغداد خزائن ابيه من الرقّة واموال المأمون اخيه وآته من خراسان .

وفي السنة ١١٢١ لليونان (٨١٠ م) نشم الأمين والمأمون يتحرّشان احدهما بالآخر . وكانت بداية الشر من الأمين لانه كان خالعاً وشرها ولم يؤدّ لاخيه المأمون ما ارصده له أبوه من المال بل ابتزّ امواله كلها وبعث يستدعيه بحيلة ليقبض عليه . فاستدرك المأمون الخديعة واستمرّ في مركزه . وظهر اذ ذاك طائفة من الخوارج نظير عمر الذي كان مسجونا في الرقّة بسبب افحاشه في القتل لمّا كان بسيناط . وفتك بحارس السجن وانهزم ثانيةً الى سيناط وفتك بالامير الذي سُجن بسببه . ونهب التجّار وحشد العسكر وجعل ينهب ويغزو ويقتل في فلسطين . ونازل كذلك جيشاً وجّهه اليه سليمان القائد . ومن الخوارج كذلك رجل اسمه ناصر ظهر في ارمينية واتفق مع عمر ونشّما يغنيان الناس .

ثم ان الأمين وجّه عليّاً القائد في ثلاثين الفاً ليبطشوا بالمأمون اخيه . فشعر المأمون وجهّز اربعة آلاف على رأسهم الظاهر . والتقى الخصمان عند نهر البليخ فانكسر عليّ وغرق اغلب عسكره في النهر .

وفي السنة ١١٢٣ لليونان (٨١٢ م) زحف نيقيفور ملك [١٣٦] الروم الى بلاد البلغار وحاصر عاصمتهم ودوّخها وأخربها وقتل خلقاً كثيراً وبانت منه الفظاظة حتى جعل يسطح الفتيان على الحضيض ويطأهم بالجرار . وفي هذه السنة عينها قُتل نيقيفور قتله رجل رومي .

وفي السنة ١١٢٣ لليونان (٨١٢ م) اتّفق ناصر وعمر الخارجيّان وعبرا الجزيرة وجعل اصحابهما يقتلون دون شفقة ويسبون وينزون ويفحشون في النساء

والمذاري والفتيان . وفيما كانا يحاصران حرّان كتب اليهما الرهاويّون (العرب) يقولون : إن أرسلتما من يدمّر كنيسة النصارى فانهم يضخّون باموالهم كلها حرصاً عليها . وكان سور الرها يومئذٍ قد سبق فقوّضه ابو جعفر . فهلع الرهاويّون كل الهلع وأوصوا بالصوم واعتكفوا على السهر والصلاة . فسمع الربّ طلباتهم وألهم شيخاً من العرب يقال له يحيى بن سعيد فخرج يريد مواجهة ناصر وعمر الخارجيّين واشار عليهما ان يعدلا عن قصدهما فلبّيا مشورة الشيخ وأدّى لهما الرهاويّون خمسمائة الف درهم ورحّلوهما .

وفي رابع عشر ايّار تلك السنة انكسفت الشمس ساعتين وظهرت النجوم واضاء الاهالي السروج ثم لاحت الشمس ساعةً في المغرب.

وفي السنة ١١٢٤ لليونان (٨١٣ م) دوّخ الخارجيّان ناصر وعمر بلاد طرسكيانا وزاباريا وباماريا وشاهدا في دير بظاهر قرية حديص راهباً حبيساً جليلاً طلبا منه كلّ ما لديه ولدى غيره فألقاه اليهم . ثم ثاروا عليه واحرقوه واحرقوا صومعته . وبعد هذا سار عمر الى سيساط وابتنى قلعتها وتحصن بها وانطلق ناصر الى سروج واضطرّ أهلها ان يؤدّوا له الجزية.

وفيما كان العرب يفعلون مثل تلك الافعال كان الروم كذلك يسيرون على خطتهم. ذلك انه لمّا قُتل نيقيفور وخلفه ابنه سطوريقي حمل البلغار بعد خمسة اشهر على قسطنطينية وأصابوا سطوريقي في فخذه ومات. وخلفه صهره ميخائيل سنةً واحدةً. وروى بعضهم ان اخته فرقوفيا سقته سمّاً ليخلفه ميخائيل زوجها. واغار البلغار على الروم ولم يزحف ميخائيل [١٣٧] ويقاتلهم. عند ذلك حملت النخوة لاون البطريق فبرز لقتال البلغار وبطش بهم وفتك بملكهم . وانقلب فقبض على ميخائيل وحلق رأسه وجعله في احد الاديار وخصى ابناءه وملك سبع سنوات ونصف سنة وعقد الصلح مع البلغار وتخلى لهم عن الملّاحة التي لاجلها حدث النزاع بين الدولتين.

وفي السنة ١١٢٥ لليونان (٨١٤ م) استولى ناصر على بلدة راس كيفا وعلى سروج والكيسوم . وشيد ثلاثة اسوار في الكيسوم . وابتنى ابو شيخ اسوار الرها بنفقات اهاليها . واحتلّ عبدالله بن هشام مدينة حرّان وتولّى عمر

مدينة تلّ موزل وحبيب رأس العين وعبدالله ماردين وعبّاس قورس وعثمان قنسرين وانطاكية وافاميا. وابتنى ثايت بابين في ثغور قيليقية واقام فيها حامية ليكون بلد قيليقية ملاذاً للمضطهدين والمساكين.

امّا الحسين القائد فأضمر الانتقاض على الامين الخليفة وقال للعجم : ان الامين يعضد العرب ويعاديكم . ثم ثار على الامين في فريق من العجم وأوثقه وزجّه في السجن ثم خرج وجلس على جسر بغداد واستدعى الجنود ليحالفوا المأمون . اما الامين فأرسل من سجنه الى الحسين يُقسم له ويلتمس منه ان يعطيه أمواله ويشفق على حياته . فتوجّع الحسين والعجم وأطلقوه وردّوه الى كرسيه. وحلف الامين للحسين انه يغفر له زلته ودفع له خاتمه . لكنّ الحسين لم يثق به فانهزم يريد هرثمة رئيس قوّاد المأمون.

امّا ناصر الخارجيّ فكتّب العرب القيسيين كافةً واقبل بهم الى الرقّة وحلّوا في دور النصارى وضايقوهم في استنزاف ما يقوم بنفقاتهم الوافرة . ثم زحفوا الى الرافقة وحاصروها وكان مقيماً هناك يومئذٍ البطريرك قرياقس (٧٩٣ — ٨١٧) وثئودوسيوس مطران الرها . واشتدّ الغلاء حتى أكل الناس خبز الرزّ والبقول. ثم عقد ناصر الصلح كيفما كان لانّ عساكر الكوفة احتلوا الرقّة واستولى العجم على الرافقة.

ولمّا رأى المأمون ان الكثيرين انتقضوا على الامين [١٣٨] اخيه وجّه القائدَين هرثمة والظاهر الى بغداد. فانقسم البغداديّون شطرين وساد الاضطراب كلّ المدينة . وجعلوا يدخلون الخزائن الملكية وينهبون الذهب والامتعة ويتقاتلون عليها . وأفضى بهم الأمر الى تحطيم أعمدة الكنائس واتخاذ حجارتها للمنجنيقات لان بغداد خالية من الحجار. عند ذلك بعث الامين الى هرثمة يستحلفه حفظاً لحياته واموالهِ فحلف له . فسخط الظاهر وانتقى حرّاساً ادركوا الامين ليلاً وهو منهزم في قارب . فألقى بنفسه في النهر وسبح حتى وصل الى بيت ضيق واختفى فيه فلقيه الجند وفتكوا به وعلّقوا هامته في رمح وطافوا بها في بغداد يوم الاحد خامس محرّم عام ١٩٨ للهجرة (٨١٣ م).

(له صلة)

من الخزانة الشرقية

بقلم حبيب زيات

رقص القضاة والوزراء والامراء

وزيرهم في مجالسهم وخلواتهم

في المؤلفات الادبية والكتب الموضوعة في الاغاني والملاهي اخبار شتى عن مجالس الرؤساء والوزراء وخلوات الخاصة للشرب واستماع الغناء وبينها لمع يسيرة الى ما كان يجري فيها من غرائب التبذل وترك الوقار والاسترسال في فنون العبث والتصابي والانقياد لدواعي الطرب والسكر ولكن لم يصف احد في ما نعلم هذه المجالس العلية بمثل الوصف الممتع الذي اذاع الثعالبي سره مرة في كلامه على القاضي التنوخي قال :

« يُحكى انه كان في جملة القضاة الذين يتادمون المهلبي ويجتمعون عنده في الاسبوع مرتين على اطراح الحشمة والتبسط في القصف والخلاعة وهم ابن قُريعة وابن معروف والقاضي التنوخي وغيرهم وما منهم الا ابيض اللحية طويلها وكذلك كان الوزير المهلبي فاذا تكامل الانس وطاب المجلس ولذ السماع واخذ الطرب منهم مأخذه وهبوا ثوب الوقار للعقار وتقلبوا في اعطاف العيش بين الحقة والطيش ووُضع في يد كل واحد منهم كأس ذهب من الف مثقال الى ما دونها مملوءة شراباً قُطربُلياً او عُكبَرياً فيغمس لحيته فيه بل ينفعها حتى تتشرب اكثره ويرش بما بعضهم على بعض ويرقصون اجمعهم وعليهم المصبغات ومخانق البَرَم والمشور ويقولون كلما يكثر شربهم : هرهر واياهم عن السري الرفاء بقوله :

مجالس ترقص القضاة بها ... اذا انثنوا في مخانق البَرَم
وصاحب يخلط المجون لنا ... بشيبة حلوة من الشيم
تخضب بالراح شيبه عبثاً ... انامل مثل حمرة العنم
حتى تخال العيون شيبته ... شيبة عثمان ضُرّجت بدم

فاذا اصبحوا عادوا لمادتهم في الترمت (١ والتوقر والتحفظ بأبهة القضاة وحشمة

١) في الاصل المطبوع في دمشق والقاهرة « الغرمث » بالراء والميم والثاء المثلثة وهو تصحيف « الترمت » بمعنى التوقر والاحتشام .

المشايخ والكبراء »[1]

يريد بمخانق البرم اطواق الاراك وله حمل كحمل عناقيد العنب كانوا يضمون بها الازهار والرياحين ويتزينون بها اذا جلسوا للشرب وكانوا لا يشربون الا على تحايا الزهور والورود يكللون بها رؤوسهم وآذانهم واعناقهم زيفرشون بها مجالسهم كما وصفناه ملياً في فصل «التحايا» من كتابنا «الديارات النصرانية في الاسلام» (ص ٤٤ – ٤٩) وكانوا اذا خلوا في مثل هذه المجالس يخلعون ثيابهم ويلبسون « ثياب المنادمة » وهي ثياب ملوّنة بالاصباغ الحمر والصفر والخضر[2] ولذلك عرفت بالمصبّغات كما سبق من لفظ الثعالبي وقد ذكر في كتابه برد الاكباد ان مثل هذه الثياب كانت عادةً لا تحل بالشيوخ والقضاة وذوي الوقار ونقل عن عبدالملك بن نوح قوله « لا يحسن بالاحرار والسادة لبس الملونات والمصبغات فانها من لباس النسوان والغلمان »[3] ومع ذلك لما فاجأ عبد الملك بن صالح الهاشمي جعفر بن يحيى البرمكي في خلوته وازاد مجاملته واستدعاه الأنس به خلع ثيابه وسواده وسيفه على ما اشتهر به من الوقار والشرف والتصوّن « وجاء الغلام وطرح عليه ثياب المنادمة »[4] وجارى الحضور في تناول بعض الشراب على سوء رأيه فيه واستحرامه اياه وكانت بيوت

---

١) يتيمة الدهر طبعة دمشق ٣ : ١٠٦–١٠٧ ، وقد راجعنا هذه الابيات في ديوان السري الرفاء في نسختين مطبوعة ومخطوطة وجدناها في خزانة الدكتور سامي الدهّان فاذا هنالك خمسة أبيات اغفلها الثعالبي وهي :

١ كيف خلاصي من العراق وقد آثرت فيها معادن الكرم
٢ رأيت فيها خلاعة وصلت اطرافها بالعلوم والحكم
مجالس ترقص القضاة بها اذا انتشوا في مخانق البرم
٣ كأنهم من ملوك حمير ما اوفت أكاليلهم على اللمم
وصاحب يخلط المجون لنا بشيمة حلوة من الشيم...
٤ اذا سقى الله منزلاً فسقى بغداد ما حاولت من الدّيم
٥ يا حبذا صحبة العلوم بها والعيش بين اليسار والعدم

٢) الفخري ، الآداب السلطانية ، طبعة القاهرة ١٨٢

٣) برد الاكباد في الاعداد رقم ٣١٧ في دار الكتب المصرية صفحاته غير مرقومة

٤) العقد الفريد لابن عبد ربه ، طبعة القاهرة سنة ١٩٦٠ ج ١ : ٢٠٩

الكبراء والوزراء تحتاط لمثل هذه المفاجآت والمنادمات بالاحتفاظ بفضول من كل انواع المصبغات يتخفّف بها كل من اراد ان ينتظم في سلك الندماء .

ولما ورد الصاحب بن عباد بغداد استدعاه الوزير المهلبي الى احد مجالسه المذكورة وجمع بينه وبين ندمائه ووصف الصاحب في كتاب الروزنامجة الذي كتبه لابن العميد احد هؤلاء الندماء فقال « كلمني منهم شيخ ظريف خفيف الروح اديب متقن في كلامه لطيف يعرف بالقاضي ابن قُريعة فانه جاراني في مسائل خفتها تمنع من ذكرها » ولما انصرف ابن عباد من المجلس ورد الخبر بوفاة صاحب البريد فاراد ابن عباد ان يجلس مع القوم للتعزية فما لبث ان جاءه رسول المهلبي يستدعيه فاعتذر فلم يُعفِه ولما دخل عليه قال له المهلبي : أتعرف احسن صنيعاً مني بك وقد نقلتك عن « واحَرّباه » الى « واطرباه » .

ثم حضر الصاحب ايضاً مجلساً في عُكْبُرا وهي بليدة في نواحي دُجَيل بينها وبين بغداد عشرة فراسخ مشهورة بجودة الخمر وكتب يصفه لابن العميد :

« وعلى ذكر عكبرا حضرنا مع الاستاذ ابي محمد (المهلبي) ايده الله تعالى فاستدعى دنًّا للوقت وخمّارًا من الدير وريحانًا من الحانة واقترح غناء من الماخور واخذنا في فنّ من الانخلاع عجيب بطريق من الاسترسال رحيب »

وسئل الصاحب ان يقول شيئاً في هذا المجلس فنظم فيه من ابيات :

وقلت لعلج يبيد الخمر زُقّها ... مشمشة قد شاهدت عصر قيصرا
فناولنيها لو تفرق نورها ... على الدهر نال الليل منها تحيّرا
واوسعني آسًا ووردًا ونرجساً ... واحضرني نايًا وطبلًا ومزهرا
هنالك اعطيت البطالة حقها ... والفيت هتك الستر مجدا ومفخرا . . .
فكان الذي لولا الحياء اذعتهُ ... ولا خير في عيش الفتى ان تسترا »(١

يعني بالعلج الذي يبيد الخمر ساقي الدير اشارة الى خمر كأس القربان ونكتة الوصف قوله « اقترح غناء من الماخور » اي من اغاني بيوت الريبة والفسق وهذا الغناء كاف وحده لتخيل ما كان يجري هنالك من التهتك والتصابي ولا شك انه اراد بفن الانخلاع العجيب فن التفكك والتلوي في الرقص الذي كان لا يخلو منه مجلس من مجالس القضاة والوزراء متى تناهى الطرب وتداعى

١) يتيمة الدهر للثعالبي ، طبعة دمشق ٢ : ١١ — ١٤

القوم وثارت الخمر في الرؤوس ومن الشقاء والحرمان ان تكون فاتتنا لذة اوصاف فنون الرقص باصنافه في الاسلام بين طبقات الخاصة والعامة من المقلّين والقيان على تباين اجناسهن وزفنهن الشعوبي وكان منهن الحسان الفائقات اللواتي بلغن الغاية في التفنن والابتداع والى احداهن اشار كشاجم فقال :

وراقصةٍ على كُرةٍ وحبل كخطف البرق او لمع السراب(١)

وكان الرقص مشتهرًا كذلك في مجالس الملوك والوزراء في الاندلس حتى نعت بعض الوزراء نفسه « بالرقّاصة » وهو الوزير ابو مروان بن عبد الملك بن شُهيد وكان الملك المنصور بن عامر قد استدعاه في يوم قرّ « فمرّ لهم يوم من الطيب لم يُشهد والونة من اللهو لم تُعهد وطال الامر وسما حتى تصايح القوم وتزافنوا ودار الدور ثم انتهى الى الوزير ابن شهيد وكان لا يطيق القيام لنقرس كان يلازمه فاقامه الوزير ابو عبدالله بن عياش فارتجل الشيخ ابياتًا جعل يقود بها وينشد :

هاك شيخ قاده عذر لكا قام في رقصته مستهلكا
لم يُطق برقصها مستثبتًا فاثنى يرقصها مستمسكا
عاقه من هزّها متدلًا نقرس اغمى عليه فاتّكا
طرب اللهو وقد حنّ له طربا ارمضه حتى اشتكى
من وزير فيهم رقاصة قام من طيب يناغي ملكا
انا لو كنت كما تعرفني قمت اجلالًا على رأسي لكا
قهقه الابريق مني ضحكا ورأى رعشة رجلي فبكى

قال ابن بسام «وكان في اصحاب ابن شهيد رجل بغدادي يعرف بالكلك له نوادر تضحك فحضر معه في بعض مجالس الانس وقد ألحّ عليه وجع النقرس فجعل يصلي الصلوات كلما حانت واحدة بعد اخرى جالسًا وكان عنده ذلك اليوم احد اصحاب المنصور ممن يعز عليه ويكرم لديه فلما حمي الوطيس وانس الجليس وطاب المجلس ودارت الاكؤس ونسيت اوجاع النقرس قام ذلك الصاحب الجليس يرقص ودار الدور حتى انتهى الى ابن شهيد فقام يرقص معتمدًا على

(١) ديوانه نسخة خطية في خزانة الدكتور سامي الدهان

عادته فقال له البغدادي « فقه درك يا وزير تصلي بالقاعدة[1] وترقص بالقائمة » فطاب المجلس بهذا الكلام وتم حسنه اكل تمام »[2]

وكان اهل الاندلس شديدي الرغبة في تقليد اهل المشرق في كل ما يبلغهم عنهم حتى قال ابن بسام الشنتريني « اهل هذا الافق ابوا الا متابعة اهل الشرق يرجعون الى اخبارهم المعتادة رجوع الحديث الى قتادة حتى لو نفق بتلك الآفاق غراب او طنّ باقصى الشام والعراق ذباب لجثوا على هذا صنما وتلوا ذلك كتاباً محكماً[3] وممن قلد بينهم المهلبي والتنوخي في التهتك ليلاً والتوقر نهاراً القاضي ابو بكر بن زكوان « اجلّ من اشتمل عليه اوان مجداً وشرفاً وتفنناً في العلم وتصرفاً مع دعابة حين خلواته تحل حُبى المحتبي ورقاعة عند نشواته كالتنوخي والمهلبي فاذا اصبحوا بكر ابو بكر الى مصادرة ما يتّجه عليه ومواجهته وانكر ما كان عليه من فكاهته فكأنما في بردَيه الامام وكأنه وقار يدخل او شمام مع عدله في قضائه ونفاذ الحكم بمقتضى الحق ومضائه حتى اذا راح الرواح عادوا الى القصف وتجاوزوا في ميدانهم كل وصف »[4]

وليت ابن بسام اقلّ من اسجاعه وافاض في وصف بعض مجالس ابي بكر ابن زكوان اسوة بالثعالبي لنقف على فكاهات الاندلسيين في مجالسهم كما عرفنا شيئاً من خلاعات البغداديين في خلواتهم على « اتصال اطرافها بالعلوم والحِكَم » كما قال السري الرفاء.

ومن نوادر المولعين بالرقص في مصر المتهوسين فيه الى حد الجنون على غير تهتك فيه ولا خلاعة الامير طاجار سيف الدين الدوادار المارداني الناصري

---

١) من نكات «الصلاة بالقاعدة» ما رواه السبكي عن الشافعي قال الشافعي « رأيت بالمدينة شيخاً اتى عليه تسعون سنة يدور خلفه اجمع حافياً داخلاً على الفينات يلدمن النساء فاذا اتى للصلاة صلى قاعداً » (طبقات الشافعية الكبرى ١ : ٢٤١)

٢) الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة القسم الرابع المجلد الاول ص ١٧ — ١٨ والمُغرب في حلى المغرب ، دار الكتب المصرية (رقم ١٠٣ م تاريخ) ص ٢٦٦ وبدائع البدائه لابن ظافر ٢٠٠

٣) الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة ١ : ٢

٤) الذخيرة ١ : ٢٥٨

« كان يغلب عليه اللعب واللهو والانشراح والزهو لا يؤثر على الرقص شيئاً ولا يتخذ غير ذلك فيناً كان كثير اللعب يخرج من قدام السلطان وينزل الى القاهرة ويعمل سماعاً ويرقص الى ان يجيء وقت الخدمة فيطلع الى القلعة وكان عليه في الرقص خفة وحركة وروح وما تقرب اليه عماد الدين بن الرومي بشيء غير الرقص وكان اذا ساق البريد في مهم السلطان ينام طول ليله ويقوم بكرة فيركب خيل البريد الجياد ويسوق مشوارا واحدا من المركز الى المركز ونزل قال لمماليكه : صفقوا فيصفقون له ويرقص الى ان يشدوا له الخيل فيركب ويفعل ذلك من باب مصر الى باب دمشق وكذا اذا عاد »[1]

واشهر الامراء الذين انفقوا ايامهم ولياليهم في مجالس الغناء والرقص وخلوات الشرب واللهو امير فارقين احمد بن مروان الكردي المتوفى سنة ٤٥٣/١٠٦١ وله ألف ابن بطلان كتاب دعوة الاطباء. وقد وصف ابن الازرق الفارقي سيرته في كتابه المخطوط تاريخ ميارقين وحكى كيف كان يقضي حياته باسرها في التنعم والتلذذ بعشرة حظاياه وجواريه مع مثابرته في آن واحد على الصلوات في اوقاتها ولا نذكر انه مر بنا قط في خلال مطالعاتنا العديدة بين مطبوع ومخطوط وصف اغرب وامتع واصدق تصويراً لما كان عليه بعض الامراء والملوك من الانقطاع كل حياتهم للعبث والطرب والانقياد لدواعي اللذات والشهوات وقد حافظنا على عبارة الاصل ونقلناها دون اقل تصرف او تصحيح قال :

« كان للامير نصر الدولة احمد بن مروان ثلاثة وستون جارية حظايا[2] وفيهن عمّالات وكانت لا تصل نوبة احداهن في السنة الا مرة واحدة وكان في كل ليلة له عروس

---

١) اعيان العصر لصلاح الدين الصفدي نسخة مصورة في دار الكتب المصرية رقم ١٠٩١ ص ١٠٦ — ١٠٨

٢) في كتاب روضة المناظر لابي الوليد محمد بن الشحنة انه ملك خمسمائة سرّية سوى توابعهن وخمسمائة خادم (طبعة هامش الكامل لابن الاثير ١٢ : ١٩)

واربى عليه ابن كثير في التعظيم والتهويل فقال : كان عنده من المتيات شيء كثير كل واحدة مشتراها خمسة الاف دينار واكثر وكان يحضر مجلسه من آلات اللهو والاواني ما يساوي مائتي الف دينار وتزوج بعدة من بنات الملوك وكان كثير المهادنة للملوك واذا قصده عدو ارسل اليه بمقدار ما يصالحه به فيرجع عنه . . . وقد وزر له ابو القاسم المغربي مرتين ووزر له ابو نصر محمد بن محمد بن جهير وكانت بلاده آمن البلاد واكثرها عدلا

جديدة وكان له من المغنيات والرقاصات والعالات واصحاب سائر الملاهي ما لم يكن لسواه من سائر الملوك والسلاطين وكان كلما سمع بجارية مليحة او مغنية مليحة تفذ وبالغ في مشتراها ووزن اضعاف قيمتها وكان رسمه ان يجلس يوما للجند ويوماً معهم يأكل ويشرب الى الليل ويخلو بنفسه ويجلس يوماً لبني عمه واولاده واقاربه وخاصته فيأكل معهم ويشرب الى الليل ثم يخرج للمغنيات والرقاصات وجماعة اصحاب الملاهي الى بين ايديهم ساعة ثم يتفرقون ويبقى الامير في خلوته مع جواريه ويجلس يوما ثالثاً وحده على السرير وليس في المجلس غيره ويحضرون خطاياه وجواريه ونساؤه وبناته ويأكلون الطعام ويرقصون ويلعبون بسائر الملاهي طول يومه الى الليل ثم يمضون نساؤه وبناته ويجلس ويشرب وجواريه والعالات بين يديه الى وقت نومه قريب الصبح ويخلو بصاحبة النوبة.

قيل وكان يركب نصر الدولة من غدوة الى الصيد ويعود ضحوة ويجلس ساعة ويدخل اليه الوزير ويستأذنه في ما يحتاج الى اذنه ثم انه يجلس على الطعام ويستريح الى قبل العصر ويجلس على الطعام والشراب بعد ان يكون صلى الظهر والعصر في وقتها ثم يشرب ويحفظ نفسه الى ان يصلي المغرب والعشاء ثم يشرب الى الثلث الاول من الليل ثم ينفض من عنده ويخرجن الجواري والعالات فيغنونه ويلعب معهن الى الثلث الاخير من الليل ويشرب وهم بين يديه وهو على مسرته ثم يقوم الى الموضع لمنامه ويأتيه الخادم بصاحبة النوبة فتبيت عنده الى السحر ثم يجلس فيدخل الحمام ويخرج ويصلي الصبح في وقتها وقيل انه مدة ولايته لم تفته صلاة الصبح في وقتها ولقد غُني بين يديه ذات يوم بابيات ابي نواس التي اولها يقول:

وهبت اليوم للنوا ... م إشفاقا على عمري
وقضيت سواد الليـ ... ـل باللذات والخمر
فما يطمع في النو ... م الا ساعة السكر

قيل فطرب لها الامير وقال: لله درّه فكأنه غنى بها في شعره.

ولقد قيل لندمائه بعد موته: كم كانت دولة نصر الدولة وولايته فقد سئمت انها كانت ثلثا وخمسين سنة(١) فقال له ذلك الرجل: ولِمَ لا تقول مائة وستا وستين سنة؟ (كذا بدلا من مائة وست سنوات) فان لياليها كانت احسن من ايامها...

ولقد كان لغيره من السلاطين والملوك من البلاد والاسم ما لم يكن له مثله ولكن ما تنعموا مثلما تنعم نصر الدوله ولا نالوا من اللذة والرفاهية ما نال ولا حصل لهم ما حصل له من النعم والاموال والاولاد»(٢).

وقد بلغه ان الطيور تجوع فتجمع في الشتاء من الحبوب التي في القرى فيصطادها الناس فامر بفتح الاهراء والقاء ما يكفيها من الغلات في الشتاء فكانت في ضيافته طول الشتاء مدة عمره (البداية والنهاية ١٢: ٨٧).

١) اختلفوا في مدة امارته فروى ابن خلكان انها كانت اثنتين وخمسين سنة وقيل اثنتين واربعين سنة (وفيات الاعيان، طبعة باريس ٨٣ – ٨٤) وفي رحلة ناصر خسرو اثنين وخمسين لانه ملك سنة ٤٠١ ومات سنة ٤٥٣ (سفرنامه تعريب يحيى الخشاب ص٦–٧).

٢) مجلد مخروم فيه تاريخ ميافارقين في خزانة بريتش موزيوم Oriental 5803 f.111

هذا ما رواه ابن الازرق الفارقي وهو اعرف بحياة امير بلده ولكن لا ندري هل كل ما بلغه عنه كان حقاً وهيهات ان يستطيع احد ولو كان كردياً ان يعيش مثل هذا العيش الخارق واذا صح جانب منه فنكتة ما هنالك محافظة الامير اثناء خلوته بخظاياه ونسائه وامعانه في الشراب والطرب على الصلوات الخمس في اوانها واعتقاده انه كان يوفي الله حقه عملاً بقول القائل :

وفِ مني جانب لا أضيعه وللّهو مني والبطالة جانب(١

وقد كان مثل هذا الاعتقاد مذهب كثيرين في الشرق حتى بين العلماء والصلحاء للجمع بين العبادة واللذاذة وحكي عن ابي حفص عمر بن داود الانطرطوسي المتوفى سنة ٣٩٠/١٠٠٠ انه كان يفتخر في آن واحد بالاكثار من تلاوة القرآن والجمع بين النسوان ويقول : ختمت اثنتين واربعين ختمة وتزوجت مائة امرأة واشتريت ثلثمائة جارية[٢] واوفى عليه محمد بن الطيب في التهالك على الزواج مع ولعه بالحديث النبوي فكتب عنه ابو بكر الخطيب البغدادي : كان صدوقاً.. تزوج زيادة على تسع مائة امرأة[٣] » ولما مات سُليم ابن عتر قاضي مصر قالت امرأته في جنازته : يرحمك الله فقد كنت ترضي اهلك وترضي ربك فقيل لها : وكيف ذلك ؟ قالت كان يغتسل اربع مرات ويختم القرآن اربع مرات في الليلة »[٤]

ومن الشرق سرى هذا الرأي الجامع بين الصلات والصلاة الى الاندلس فقال الرمادي القرطبي الشاعر من قصيدة :

فاذا ما انقضت ديانة ذا اللهو اعتدنا مواضع الصلوات
لو مضى الوقت دون راحٍ وقصفٍ لعددنا هذا من السيئات(٥

ومن اشهر اتباع ديانة هذا اللهو المقدس كشاجم الشاعر الطائر الصيت

١) الكامل للمبرد ، طبعة ليبسك ٣٢٧

٢) معجم البلدان لياقوت ١ : ٣٨٨–٣٨٩ طبعة اروبة وتاريخ ابن عساكر في دار الكتب الظاهرية بدمشق ١٣ : ٢/١٠٢

٣) النجوم الزاهرة لابن تغري بردي طبعة ليدن ٢ : ١٦٠

٤) اخبار قضاة مصر للكندي ٣٠٨

ارشاد الاريب لياقوت ٧ : ٣٠٩

الذي كان ريحانة اهل الادب في زمانه ولكنه كان اقوم رأياً واعدل مذهباً لانه كان يجمع بين طاعة النفس وطاعة العقل ويؤلف بين الادب والطرب حتى اذا جنه الليل انتصب للتلاوة والدعاء. وهو قوله في ابيات يجب على العاقل ان يأخذ منها ويدع :

عجبي ممن تناهى حاله ... وكفاه الله زلّات الطلب
كيف لا يقسم شطري عمره ... بين حالين نعيم وادب
ساعة يُمتع فيها نفسه ... من غذاء وشراب منتخب
ودنٍ من دمىً هنَّ له ... حين يشتاق الى اللعب لُعب
فاذا ما نال من ذا حظّه ... حدّث وانشد وكتب
مرة حدّ واخرى راحة ... فاذا ما غسق الليل انتصب
فقضى الدنيا نهاراً حقها ... وقضى لله ليلاً ما وجب
تلك اقسام من يعمل بها ... دهره يسعد ويرشد ويصب (١)

(١) ديوانه المخطوط خزانة الدكتور سامي الدهان

الفقراء المخربون

والشيخ علي الحريري الحوراني

يصعب جدًا تعيين الزمن الذي أطلق فيه لقب المخربين على الفقراء الذين عرفوا بالاستهانة بالشرائع والآداب واستباحة المحارم والمآثم ولذلك حار في تفسيره طابع كتاب الحوادث الجامعة لابن الفوطي (ص ٢٢٥) ولم يدر له توجيهاً وقد اشتهر الشيخ خضر الكردي شيخ الملك بيبرس البندقداري بارتكاب ضروب المنكرات واقتراف انواع المخازي ومع ذلك لم ينعته احد بالتخريب فهل كان الشيخ علي الحريري اول من عُرف به ونسب اليه وقد حاول بعضهم الاعتذار عن هؤلاء الاباحيين والمجاذيب وزعم ان التخريب الظاهر منهم لم يكن الا مغالطة وتسترًا وهو ما نقله ابن تغري بردي في كلامه على سليمان ابن المؤله المجذوب وروى قول الذهبي عنه « انه كان يأكل في شهر رمضان ولا يصوم ولا يُصلي نال اليافعي : « ومثل هذا قد شوهد كثيرًا من المخربين يصلون في اوقات لا يُشاهَدون فيها وان الاكل لا يدخل الى بطونهم وما يرى الناس انهم يأكلون ليس كذلك بل يمضغونه تخريباً وتسترًا وغير ذلك من الاحوال المحتملة لنقل الصلاة في وقتها فللقوم في ذلك احوال يحتجون فيها»[1]

فهل كان اليافعي يعتقد ان هذا التخريب الظاهر كان تمويهاً وسترًا لما كان لهم في الباطن من الخوارق والمعجزات.

واكثر ما ورد لفظ التخريب في اشارتهم الى صحبة الفقراء للغلمان الاحداث قال شهاب الدين الدلجي يعني الشيخ علياً الحريري : « كان يعاشر الاحداث ويعتمد ما يسمونه تخريباً »[2] وزاد الفوطي في التصريح والشكوى وقال : « كان يعاشر الصبيان الاحداث بل يدخل معهم الحمام ويعتمدها يسميه الفقراء.

---

١) المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي ٣ : ١٢٤

٢) الفلاكة والمفلوكون ٧٢–٧٣

تخريباً والفقراء ينكرون فعله »[1]. ومن هاتين الشهادتين يستدل على ان التخريب هو من وضع الفقراء انفسهم وكانوا يعنون به اولاً مناقضة السنن والعادات المألوفة ثم تناول عندهم كل خروج عن الآداب والشرائع .

وقد اشار غير واحد من المؤرخين الى نشأة الشيخ علي الحريري وقالوا انه علي ابن الحسن بن المنصور ولد في قرية بسر من حوران شرقي اذرع من عشيرة يقال لهم بنو الزمان وقدم دمشق صبياً وتعلم فيها صنعة الحريري والعتابي ولذلك عُرف بالحريري ولم ينص احد على سنة ميلاده واقتصروا على ذكر وفاته سنة ٦٤٥/١٢٤٨ وفي قول القرطبي ان السنة كانت ٦٠٦ ولكن يستفاد من قول الذهبي في العبر انه توفي وقد نيف على التسعين فتكون من ثم ولادته حول سنة ٥٥٥/١١٦٠

وما عتم ان ترك صناعة الحرير وآثر عليها حرفة الفقراء وصحب الشيخ ابا علي المغربل خادم الشيخ ارسلان في ظاهر الباب الشرقي وزاد عليه في الإغراب والخرقة « فكان يلبس الطويل والقصير والمدوّر والمفرّج والابيض والاسود والعلمة والمئزر وثوب المرأة والمطرّز والملوّن »[2] وقد اشار ابن كثير الى هذه الطريقة السخيفة الشنيعة فقال في وفاة الشيخ عبدالله الملطي سنة ٦٧٦/١٢٧٧ « له اشياء كثيرة من الطراريح والآلات الفقرية ويلبس على الطريقة الحريرية وشكله مزعج »[3]

ثم ادّعى الحريري بعد ذلك المشيخة وابتنى له زاوية على الشرف القبلي وسكن العبارة المشهورة بالقرمانية من مقابر الصوفية على نهر باناس[4] وعظم امره وكثر اتباعه واقبل على الطيبات والراحة والسماعات وجذب اليه الغلمان الحسان « فكان من وقع نظره عليه من الاحداث واولاد الاجناد والامراء وغيرهم يحسن ظنه فيه ويميل اليه ولا يعود ينتفع به اهله بل يلازمه ويقيم عنده اعتقاداً فيه وميلاً اليه »[5]

١) الحوادث الجامعة ٢٢٥
٢) الفلاكة والمفلوكون ٧٢ — ٧٣
٣) البداية والنهاية ١٤ : ٢١٢
٤) الدر الملتقط الخزانة الخالدية بالقدس ٢١ ص ١٠٩
٥) الحوادث الجامعة للقرطبي ٢٢٥

ومما زاد افتتان الخلق به انه كان يقول لمن يريد ان يتتلمذ له : لا تمنع النفس شيئاً من حظها فهما طلبت نفسك فهو حقها فأبلغها ذلك »[1] فلا غرو اذا اشتد الاقبال عليه وكان له شهرة ومحبة عظيمة عند الاحداث وقد اشار بعضهم الى هؤلاء الغلمان الحريرية فقال متغزلاً :

حريري فتكني بطرف كحيل ناعس فتح غرير
باذ لي التيتك في هواه كذاك عهدت غلمان الحريري[2]

ولما تفاقم البلاء به وازدادت فضائحه وقبائحه نما امره الى السلطان الملك الاشرف فامر بالقبض عليه سنة ٦٢٨ واعتقاله في قلعة عزّتا[3] في جوار الفيجة واقام بالحبس ست سنين وسبعة اشهر ورفع وهو بالحبس قصة اي عريضة الى السلطان وصف فيها نفسه بكل جرأة وقحة فقال :

فقير ولكن من صلاح ومن تقى وشيخ ولكن في الفسوق امام[4]

وبقي في الاعتقال الى ان مات السلطان الاشرف فاطلقه الصالح اسمعيل واشترط عليه ان لا يقيم بدمشق فلزم بلده بسر حتى كانت وفاته فجأة في قول الذهبي[5] او قتلاً في رواية الدر الملتقط .

وقد اختلفت الاراء في الحكم عليه وغرّ به صاحب شذرات الذهب فذهب الى انه احد من لا يقطع له بجنة ولا نار[6] وعرفه ابن ابي شامة مواطنه ووقف على حقيقة باطن اشياعه ومريديه فقال : « هم اصحاب الزي المنافي للشريعة وباطنهم شر من ظاهرهم الا من رجع الى الله منهم وكان عند هذا الحريري من الاستهزاء بامور الشريعة والتهاون بها من اظهار شعار اهل الفسوق والعصيان شيء كثير وانفسد بسببه جماعة كثيرة من اولاد كبراء دمشق وصاروا على زي اصحابه وتبعوه بسبب انه كان خليع العذار ويجمع مجلسه الغناء الدائم

١) المختار في كشف الاسرار للجوبري ٢٠
٢) الدر الملتقط ١٠٢
٣) المختار في كشف الاسرار للجوبري وفي الاصل المطبوع « حصن عرقا » وهو غلط وتحريف .
٤) الفلاكة والمفلوكون ٧٢-٧٣
٥و٦) شذرات الذهب في اخبار من ذهب للعماد الحنبلي ٥ : ٢٢١

والرقص والمردان وترك الاحتجار على احد فيما يفعله وترك الصلوات وكثرة النفقات فأضل خلقاً كثيراً وافسد جمعاً غفيراً وقد افتى في قتله جماعة من علماء المسلمين ثم اراح الله منه »[1]

واقر ابن شاكر الكتبي انه كان من افتن شيء واضره على الاسلام قال « ولما مات سن اصحابه المحيا في شهر رمضان كل ليلة سبع وعشرين وهي من ليالي القدر فيحيون تلك الليلة الشريفة بالدفوف والشبابات والملاح والرقص الى السحر »[2]

ونشأ له تلامذة واتباع مشوا على منهاجه في التخريب الديني والادبي وتجاوزوهما بارشاده الى التخريب المادي فكانوا يهدمون كل ما تناولته ايديهم من معابد النصارى ونص ابن شاكر على ان خراب كنيسة المصلبة اي كنيسة حنانيا بدمشق سنة ٥٨٠/١١٨٤ وتحويلها الى مسجد قام به رجل حريري في زمن السلطان صلاح الدين يوسف بن ايوب[3] ولم يدرك المستشرق سوفير في ما نقله من عيون التواريخ الى الفرنسية معنى لقب الحريري فترجمه :

marchand de soie بدلاً من partisan de la secte Haririeh

---

١) ذيل الروضتين لابي شامة المطبوع سنة ١٩٦٧ بعنوان « تراجم رجال القرنين السادس والسابع » ص ١٨٠

٢) فوات الوفيات ٢ : ٤٢-٤٣

٣) عيون التواريخ ١٥٨٧ خزانة باريس ٩٤

لغة الحضارة

نعني بلغة الحضارة مجموع الالفاظ والعبارات والمصطلحات التي طرأت على لغة البداوة بعد الاسلام بين معرَّب ودخيل ومولَّد ومستحدث كالتي عُني دوزي بجمعها في كتابه الذي دعاه «تكملة المعجمات العربية» وقد دلنا طول البحث والتنقيب في كتب الادب والتاريخ على ان لها هنالك اشباهاً جمّة ونظائر فانه استدراكها بعدها اليوم كل من شاء ان يتتبعها في مصنفات السلف ولا سيما ما لا يزال مخطوطاً منها حتى سقوط دولة المماليك ومع اننا لسنا من المتخصصين لمثل هذه الدروس رأينا من باب المشاركة في الخدمة ان نتقرب الى القرّاء — وما اكثر عشاق اللغة بين الكتّاب عندنا — ونذكر لهم في كل مرّة ما يمرّ بنا عفواً اثناء مطالعاتنا من امثال هذه الالفاظ الطارئة نوردها على هيئتنا رجاء الاصابة في ما نختاره منها مع الاقتصار على ما نرى فائدة وإمتاعاً في الاشارة اليها لصلاحية قسم منها للاستعمال بالمعنى الذي دلّت عليه قبلاً او لامكان سدّ عوز بها من حاجات الاقلام في هذا العصر وسنعزّز كل رواية منها بشهادات الكتّاب والشعراء والمؤرخين وغنيّ عن البيان ما في مثل هذه التنبيهات والاستدراكات من المادة والمؤونة لتذييل دواوين اللغة وتأريخ الدخيل والمولَّد من اوضاعها تمهيداً لجمع معجم شامل لكل الكلمات المستحدثة في حضارة الاسلام.

مربعة

جهلها ياقوت الرومي في كلامه على مربّعة الخرسي وهي محلة قديمة في شرقي بغداد فقال: «اما مربعة فكأنه يراد بها الموضع المربَّع»[1] وفاته ما كان الجاحظ قبله ذكر في تفسيرها حيث قال: اهل البصرة اذا التقت اربع طرق يسمونها مربعة ويسميها اهل الكوفة «شهارسوك» بالفارسية[2] اي الاربعة الطرق وربما كتبت بالشين باولها والجيم المصرية بآخرها «شهار سوج» قال ابو زيد الخطيب: «سمعت ابي يقول: شهارسوج الهيثم هو الهيثم بن معاوية القائد»[3] وفي كتاب الاغاني: ان النبيه التميمي كان ينزل شهارسوج الهيثم في درب الريحان»[4]

١) معجم البلدان ٤: ٤٨٥
٢) البيان والتبيين المطبعة العلمية ص ١٠
٣) تاريخ بغداد للخطيب ١: ٨٥
٤) الاغاني ٦: ١١

ويقال اليوم لمثل هذه المربعة « المصلّبة » لوجود اربع طرق فيها متحاذية متفرعة على شكل صليب ومنها كنيسة المصلّبة الواردة في عهد الكتانس بعد فتح دمشق وقد فسرها بمثل هذا اليعقوبي في وصفه مدينة سرّ من رأى فقال : « سوق الرقيق في مربعة فيها طرق متشعبة »[1]

وكانت المربعات كثيرة في مدينة كبيرة مثل بغداد ذكرنا منها مربعة الخرسي حدّث علي بن موسى الكاتب قال : « اتفقت انا وابو العيناء الضرير بربعة الخرسي فسلمت عليه »[2] ومنها مربعة شبيب ومربعة ابي قرّة[3] ومربعة ابي العباس بين الحربية وباب البصرة متصلة بشارع باب الشام منسوبة الى ابي العباس الفضل بن سليمان الطوسي احد النقباء ومربعة الفرس جمع فارسي متصلة بربعة ابي العباس وهم قوم اقطعهم المنصور هذا الموضع لما اختطّ بغداد[4] ومربعة القطانين وهي محلة الملاحين[5] وغير ذلك وكان في البصرة مربعة الاحنف[6] وفي نيسابور سوقان احداهما تعرف بالمربعة الكبيرة والاخرى بالمربعة الصغيرة[7]

ومن المربّعات بدمشق مربعة القزّ او القزازين ومربعة القطن[8] ومربعة باب البريد ذكرها المحبي في ترجمته لمراد باشا الوزير المتوفى سنة ١٠٢٠/١٦١١ فقال : « بنى على مربعة باب البريد قبة عظيمة عالية »[9] قلنا ومن اشد الحسرات ان هذه القبة هدمت ولم يبقَ لها اليوم اثر ادركناها وقد خُطّ في باطنها البيتان :

عرّج وكابك عن دمشق فانما بلد تذل لها الاسود وتخضع
ما بين جابيها وباب بريدها شمس تغيب والف بدر يطلع

١) كتاب البلدان ليدن ٢٦٠
٢) تاريخ بغداد ٢ : ٢١٧
٣) تاريخ بغداد ١ : ٨٤
٤) معجم البلدان ٤ : ٤٨٥
٥) الكامل لابن الاثير ١٠ : ١١٧
٦) نشوار المحاضرة ١ : ١١٥
٧) مسالك الممالك للاصطخري ٢٥٥
٨) تنبيه الطالب للملوي ٥٦١٢ باريس ٢٦٠ – ٢٦١
٩) خلاصة الاثر ٤ : ٢٥٦

دمنة ودمن

كنا في كتابنا « خبايا الزوايا من تاريخ صيدنايا » قد استعملنا لفظة دمنة لتعيين بقايا الاديار وما شخص من اطلالها فكتب لنا احد علماء اللغة ينكر علينا هذا الاستعمال وقال لنا بلفظه :

« دمنة بمعنى الاثر لا تستعمل بهذا المعنى الا اذا كان هناك اثر ارواث الحيوانات ورماد الاثافي وابوال الغنم وهي تستعمل هنا بهذا المعنى وليس بمعنى اثر البناء من طلل ونحوه »

ومن الغريب ان يقدم عالم باللغة منقطع لدرسها على تخطئة لفظ قبل ان يتحقق ما عسى ان يكون قد طرأ عليه من التوسع والتطور في عهد الحضارة فالدمنة عنده لم تبرح منذ اربعة عشر قرناً «البقعة التي سوّدها اهلها وبالت فيها وبعرت مواشيهم »[1] ولو اجال نظر المنقب في كتب الادب والتاريخ لوجد ان الدمنة في عرف الشعراء والادباء الحضريين قد خلت من هذه «الاوساخ والرماد والابوال » وتحولت بقعة صالحة انيقة تتمثل فيها الرسوم والاطلال ولا تخلو من المنازه والرياض ألا يذكر ابيات علي بن محمد بن جعفر العلوي المشهورة في ديارات الاساقف ظاهر الكوفة :

كم وقفة لك بالمنوّر نقو لا توازى بالمواقف
بين الغدير الى الـ دير الى ديارات الاساقف
فمدارج الرهبان في اطار خائفة وخائف
دمن كأن رياضها كسيت باعلام المطارف[2]

فان الدمن فيها قد اصبحت رياضاً زاهية كاعلام المطارف يطيب فيها اللهو والهواء كما قال في وصف امثالها احمد بن عمّار الحسيني الكوفي من ابيات مدح بها الوزير جلال الدين بن صدقة :

دمن دام لي بها اللهو وصفا لي الهوى والهواء[3]

---

١) اساس البلاغة طبعة الدار ٤ : ٢٨٤

٢) مسالك الابصار ٢٨٥ – ٢٨٦

٣) الدر الملتقط من كل بحر وسقط خاصه محمد بن علي بن محمود الكاتب الدمشقي المكتبة الخالدية في القدس ص ٢٨

ومثله قول عرقلة الدمشقي من قصيدة ذكر فيها باب الفراديس وباب البريد وبعض قرى دمشق وفضلها على مغاني بغداد :

دمن هنّ لي احبّ من الكر خ واشهى من نط خر المطّى(١

وبهذا المعنى لمحاسن الشوّا الحلبي من قصيدة وصف بها ايضاً بعض متنزهات دمشق :

بجيرا ونلنيانا ودير البالسيّ اضحكت في اللهو سرّا
دمن لو قِستَ حسن دماها بسواها لجئتَ شيئا نكرا(٢

فان الدمن في كل هذه الابيات يُراد بها مجرّد البقايا والآثار والبقاع التي اكتست بالاعشاب والازهار ولكن معنى الخراب والعفاء لم يفارق قط اصل الكلمة ولذلك قال شرف الدين عبد العزيز الانصاري الأوسي الدمشقي مورّياً :

ربع اصطباري دمنة وسيوف عذّالي كليله(٣

ومن شواهد النثر في النص على معنى الخراب والهدم قول قطب الدين اليونيني في اخبار سنة ٦٦٣/١٢٦٥ :

« يوم السبت رابع ربيع الآخر توجه الملك الظاهر في عساكره قاصداً قيسارية . . . فاخرب المدينة والقلعة وتركها دمنة »(٤

ونظيره قول ابن حوقل : « قنسرين اكتسحتها الروم فكأنها لم تكن الا بقايا دمَن فديتها من دمن ».(٥

ولا نعلم ان المؤرخين والبلدانيين استعملوا كلمة اخرى عدا الدمنة لتعيين بقايا الابنية وآثارها الماثلة وقد وردت غير مرة في كتاب نخبة الدهر لشيخ الربوة منها في الكلام على تدمر :

« من الابنية العجيبة القديمة ايضاً مدينة تدمر بسُدها وجدرانها وآثارها ودمنها ».

١) عيون التواريخ للكتبي ١٥٨٧ باريس ٢٦
٢) عيون التواريخ ٧٦
٣) ذيل مرآة الزمان لليونيني اكسفرد Poc. or 132 f° 102 b
٤) « « « « « Poc. or 132 f° 118 b
٥) المسالك والممالك طبعة ليدن ١١٨

وفي وصف ملعب أنجبنا في الصعيد :

« مثل هذا الملعب ايضاً بدمنة مدينتي العمان وجرش بالشام بالبلقاء . . . لا يعلم في الشام من الآثار مثل هاتين المدينتين الا بمدينة بعلبك وبباب البريد من دمشق المحروسة »[1]

وقد يراد بالدمنة اصل البناء وعُقر الدار والقرية ومنه قول شهاب الدين العمري في تعريف دير صيدنايا «هو في دمنة القرية »[2] وعلى هذا اصطلاح اهل دمشق في قولهم «اشتريت دملة البيت بكذا » باللام بدلاً من النون اي اصل بقعة البيت الخربة وفي هذا المعنى يترجح قول ابن الازرق الاندلسي:

اسرّح الطرف وما لي دمنة في الدمن[3]

الباقة والطاقة

في كتب اللغة ان الباقة هي الحزمة من البقل ومثل هذا التعريف والاقتصار يوهم ان استعمالها في الريحان والزهر غير صحيح وهو القول الذي جنحت اليه مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق (سنة ١٩٢٤ ص ٤٧٣) ورجحت ان يقال باقة في البقل وطاقة في الزهر على ان من تتبع لفظة الباقة في اقوال الكتاب والشعراء الاقدمين يتحقق ان استعمالها ايضاً في الريحان وغيره كان شائعاً مستفيضاً لم يسبق لاحد من النقاد انكاره والاستدراك عليه وهذا برض من عدّ من الشواهد على صحته وسداد وضعه .

اما في النثر فاول ما نرويه منها قول ابي الفرج الاصبهاني « كانت في يد المعتصم باقة نرجس فقال لابرهيم بن المهدي : يا عم قل فيها ابياتاً وغنني فيها»[4] ومثله المسعودي « كان المعتضد قد بعث الى وصيف الخادم بعد ان قبض عليه... وأوثق بالحديد : هل لك من شهوة قال: نعم باقة ريحان اشمها »[5] وللشابشتي في وصف إنذار المعتز « كان في صحن الدار . . . خمسة آلاف باقة نرجس

١) نخبة الدهر في عجائب البر والبحر طبعة طرسبرج ٣٩ و٣٤ — ٣٥
٢) مسالك الابصار ٢٥٦
٣) نفح الطيب للمقري ٣ : ١٩٤ .
٤) الاغاني ٩ : ٥٩
٥) مروج الذهب بهامش الكامل ١٠ : ٤٣

وعشرة آلاف باقة بنفسج »[1] ووردت للثعالبي مرتين في يتيمة الدهر (ص ٦٣ و ١٥٣ طبعة دمشق) ومرة في كتاب « من غاب عنه المطرب » واعادها في كتاب « النهاية » فقال طلب رجل غريب ببغداد امرأة حسناء يتزوجها فقالت له دلالة : عندي امرأة كأنها باقة نرجس »[2] وفي « قطب السرور » لابي اسحق ابرهيم المعروف بالرقيق النديم « لما وضع النرجس بين يديه ... تناول باقة ودعا برطل ليشربه »[3]

واما في الشعر فالامثال كثيرة نذكر منها شعراء فارس والعراق ومصر والشام قول ابي العباس الضبي في الثريا :

جلت الثريا اذ بدت طالعة في الحندس
سنبلة من لؤلؤ او باقة من نرجس[4]

وقول الناشئ في الثريا ايضاً :

وليل توارى النجم من طول مكثه كما ازورّ محبوب لخوف رقيبه
كأن الثريا فيه باقة نرجس يجيء بها ذو صبوة لحبيبه[5]

ولموفق الدين الفيلاني المصري المتوفى سنة ٦٣٢/١٢٣٦ من الشعراء العميان :

حييت من اهوى بباقة نرجس فنت عاشقها على لحظاته
وسقيته يد المحبة خمرة فبدت مصحفة على وجناته[6]

ولابي الفتح مظفر الاعمى من شعر في له فانوس :

فطوراً تحييه بباقة نرجس وطوراً يحييها بكأس تلهب[7]

وللقيراطي في مليح بيده باقة نرجس :

---

١) كتاب الديارات ٨٣٢١ برلين ٦٥ — ٦٦
٢) النهاية في التعريض والكناية ١٤
٣) قطب السرور في اوصاف الخمور خزانة بريتش مزيوم Or. 3628 f° 18 b
٤) يتيمة الدهر ٣ : ١٢٣
٥) ارشاد الاريب ٥ : ٢٤١
٦) نكت الهميان للصفدي ٢٩١
٧) انسان العيون في الخزانة التيمورية ١١٨

عاينت باقة نرجس في كف من اهواه غضة
فكأنما قضب الزمر د اثمرت ذهباً وفضة(١

ولمجد الدين الدمشقي خطيب النيرب المتوفى سنة ٦٩٤/١٢٩٤ في ضوئي :

بأبي غزال جاء يحمل مشعلاً يكسو الدجى بلاء ثوب اصفر
فكأنه غصن عليه باقة من نرجس او زهرة من نوفر(٢

ولابن حمديس الصقلي :

وباقة مستحسن نورها وقد خلت في الشم من كل طيب
كسفر راقتك اثوابه وليس في حلتهم من اديب

وله ايضاً :

كأن الثريا فيه باقة نرجس من الشرق جدها الى مغرب مُهدى(٣

ونختم بقول الثعالبي : « من احسن ما سمعت في باقة ريحان قول بعض الكتاب :

وباقة ريحان كعقد زبرجد حوت منظراً للناظرين انيقا
اذا شمّها المشوق خلت اخضرارها ووجنته فيروزجا وعقيقا(٤

ونقل النويري لشاعر اندلسي يصف الديك : وقام له ذنب مُعجب كباقة زهر بدت من بنان (نهاية الارب ١٠ : ٣٢) .

ولوفرة مثل هذه الشواهد لا يبعد ان يكون استعمال لفظة « الباقة » في الازهار والبقول اوفر من استعمال « الطاقة » فيها ولكنهم لم يقتصروا فيها على هذا الوجه بل توسعوا في اطلاقها على كل حزمة وضمّة كقول ابن ابي الصقر الواسطي في ضمّة الكبريت كتبه الى قادم من بغداد :

من هدايا بغداد في الف حِلّ انت الا من باقتي كبريت(٥

---

١) مراتع الغزلان للنواجي خزانة الفاتيكان رقم ٧٨٣ ص ٧٢
٢) المنهل الصافي لابن تغري بردي الخزانة التيمورية ٦ : ١٨ — ١٩
٣) ديوان ابن حمديس رومة ٣٣و١٣٥
٤) من غاب عنه المطرب ٣٤٠١ باريس ١١٨
٥) خريدة القصر للعماد الكاتب ٣٣٢٦ باريس ١٢٦

وقول عبد الرزاق القوطي في حزمة الحطب والشوك في كلامه على زيادة مياه دجله سنة ١٢٨١/٦٤٦ :

« خرج الوزير مؤيد الدين بن العلقمي الى هناك ونزل عن فرسه وحمل باقة حطب فوافقه كافة الناس[1] وقال ايضاً في اخبار سنة ١٢٥٦/٦٥٤ وقد زادت دجلة زيادة عظيمة « فركب الوزير وكافة الولاة معه واخذ الوزير في يده باقة شوك ففعل سائر العالم مثل ذلك[2] » ولابن المعتز في شمعة تفاح :

مخلوقة نعم كلها بدع كان وحنتها باقات تفاح[3]

ومما يدل على ترادف لفظتي الباقة والطاقة وتعاقبهما في التعبير على كل حزمة قول ابي نواس في طاقة الشوك يهجو جارية اليزيد واسمها نبات :

وجه نبات كأنه قمر يلوح في ليلة الثلاثين
واحسن من حسنه وبهجته كطاقة الشوك في الرياحين[4]

١و٢) الحوادث الجامعة ٥٤ و٢٠٩ و٢٥٨

٣) ديوانه طبعة بيروت ٢١٧

٤) ديوانه ٤٨٢٩ باريس ٢٧٩

الاطباء الكاثوليك

في مؤتمرهم الدولي الرابع

ذكريات أحد الاطباء المؤتمرين ، الدكتور مرسل أدفيه

أحد أساتذة المعهد الطبي الفرنسي ببيروت

يُبدي الجميع ، في أيامنا ، اهتماماً للقضايا الطبية ، ورغبةً في معرفة تطورات الطب والجراحة . والدافع لذلك هو الخوف والامل في آن واحد ، لان كل امرئ يتمنى الحماية مما يرهب من أمراض ويصبو الى التأكد من احراز الشفاء السريع وبدون ألم حالما يصاب بداء ما من الادواء .

وإجابة لهذه الرغبة يقدّمون من كل جانب الى جمهور الناس الشيء الكثير من البيانات عن طرائق مختلف العلاجات الاكثر نجوعاً ، مما لا يخلو ، في غالب الاحيان ، من توجيه خاطئ وخيم العاقبة . ومن ثم ، يجدر بالطبيب احياناً ان يتدخل في الامر لوضع الامور في نصابها .

لقد طالما تحدثوا ، في الاعوام الاخيرة ، عن أساليب صحية جديدة ، يتمكن للانسان ، بفضلها ، ان يحتكم في مصيره حسبما يشاء ، فلا يتشيّخ ، وينجو من كل ألم ، ويتصرف بمصير ذريته كما يشاء .

واذا كان وجود الوسائل محققاً ، فهل يمكن تطبيقها عملياً ؟ ألا يعترض المتذرعين بها صعوبة ؟ أليس من خطر في ان تأتي بنتائج معارضة الغاية المنشودة والمفروض فيها انها صالحة من الناحية الاخلاقية ؟ ألم تسفر عن أضرار تفوق الخير المرغوب فيه ؟

لقد عتبوا ، احياناً ، على الاطباء متهمين اياهم بانهم يحصرون همهم بالجسد دون ما اكتراث للنفس . لكن هذه التهمة باطلة لان الاطباء عرفوا ان الانسان مؤلف من روح وجسد قبل اكتشاف الابحاث عن العلاقة بين الحياة

النفسانية والجسدانية، فكانوا في كل زمن وقبل كل شيء يسعون لانقاذ المرضى من كل اذى، سواء أكان ادبيًا ام جسديًا، ناهجين على هذه الخطة كلما توجب عليهم تطبيق طرائق جديدة في علاجاتهم واذا توفقوا الى اكتشاف ما، لا يحكمون بفائدته واستعماله الا اذا تحققوا من نجاعته لا لبعض الاشخاص فحسب، بل ايضاً للانسانية.

ولا مندوحة لنا من اعتبار هذه الملاحظات لتفهم اعمال المؤتمر الدولي الاخير للاطباء الكاثوليك.

❁

انعقد هذا المؤتمر في رومية، في ٢٤ ايلول ١٩٤٩، وترأس جلساته الاستاذ لويس جيدا (Gedda)، واشترك فيه اربعمائة طبيب يمثلون ثلاثين دولة، ودام خمسة ايام باحثاً الموضوع التالي:

« الشخصية الانسانية من الناحية الطبية. »

وتفرع هذا الموضوع أجزاء عديدة فطُرحت قبل عقد المؤتمر بشهور كثيرة، خمس قضايا رئيسية على اللجان المعهود اليها في تحضير التقارير في بلدان مختلفة. وهذه القضايا هي:

خلق النفس

تحسين النسل والوسائل الواجب اتخاذها قبل عقد الزواج (l'eugénique prématrimoniale)

فحص الاطوار العصبية بوسائل المخدّرة (narco - analyse)

علاج الاعراض العصبية بواسطة عمليات جراحية في الاعصاب الدماغية (leucotomie)

الزرع الاصطناعي (insémination artificielle)

ثم أضيف الى هذه القضايا تقرير سادس عن « حقوق الطب الاجتماعي وحدوده بالنسبة الى الشخصية الانسانية ». وقد وُضع هذا التقرير بعناية جمعيتي القديس لوقا الافرنسية والبلجيكية.

واحتُفل بافتتاح المؤتمر بصورة مهيبة في قصر (الكابيتول) بحضور نيافة الكردينال بيزّاردو رئيس مجمع كليات الدروس والمعاهد الاكليريكية، وشيخ مدينة رومية ووزيري الصحة والتربية الوطنية

وفي صباح اليوم التالي ، حضر المؤتمرون قداس الروح القدس في كنيسة القديس مرقس وقد احتفل به نيافة الكردينال بيزاردو ، ثم عقدوا جلستهم الاولى .

وهكذا كانت تعقد جلسات الدروس طوال مدة المؤتمر في صباح كل يوم، واحياناً بعد الظهر ايضاً .

والى القراء ، اولاً ، موجز ما قيل في اثناء هذه الاجتماعات :

القضية الاولى : خلق النفس

وضع التقرير عن هذه القضية الدكتور البير نيدرماير ، من ڤينة ، الذي وضع لدرسه باللغة الالمانية هذا العنوان : صيرورة النفس في الجنين ؟ »

لما كانت منظمة « السلام الروماني » هي التي أعدّت اعمال المؤتمر ، فقد عرضت امانة سرها الطبية هذا الموضوع على الاطباء الكاثوليك ، وارفقت اقتراحها ببحث وضعه الاب سرتيلانج بصدد هذه القضية جاء فيه ما يلي : « ليس للعلم ان يبحث عن النفس الروحية ولا عن خلقها ، لان ذلك من القضايا الميتفيزيقية التي تخرج عن نطاق الابحاث الطبيعية فلا يمكنها خوضها . كذلك، ليس للفلسفة ان تحاول حل المشاكل الوضعية الناشئة عن تكوين النفس وحياتها ، متذرعةً ، لذلك ، بظاهر الكائنات الخارجة عن الاوضاع الطبيعية والتي هي من ثمار اجتهادها » .

ومن ثم ، أورد المقرر نظرية القائلين بان النفس تتكون فوراً مع تكوين الجسم ، ونظرية القائلين بان النفس توجد في الجسم بعد اكتمال تكوينه . لكنه لم يبدِ رأيه في الموضوع واكتفى بالتأكيد ، حسب اعتقاده ، ان على الطبيب الكاثوليكي ان يعتبر في كل حال ان تكوين النفس يحصل حالما يتكون الجسم ، فلا يبقى من مجال للتردد في ما يجب عمله كلما طُلب منه احداث تطريح طبي أو ابداء الرأي حول تطريح مقصود ؛ فمن الناحية الطبية والقانونية والاخلاقية يتحتم على الطبيب ان يعتبر دوماً التطريح جناية .

القضية الثانية : تحسين النسل والوسائل الواجب اتخاذها قبل الزواج

تقدم تقريران حول هذه القضية : الاول بالفرنسية من الاستاذ البرتغالي خواس ماريا بورتو من جامعة كويمبرة ، والثاني بالاسبانية من الاستاذ انطونيو كاستيليو دي لوكاس من كلية الطب بمدريد .

معلوم ان هناك دروساً خاصة حول الوسائل وطريقة استعمالها لتحسين الجنس البشري ، وهناك وسائل ايجابية ترمي الى انتقاء الاشخاص الاكثر اهلية لايلاد البنين بحيث يأتي النسل كامل الاوصاف . وهناك وسائل سلبية غايتها منع المصابين بعاهات من ايلاد البنين ، ولو بواسطة التعقيم اذا اقتضى الامر .

وقد اجمع المقرران على القول انه لا يمكن التسليم الا بالوسائل الايجابية ، وهذه الوسائل تتناول المرء قبل عقد الزواج ولها طابع تربوي محض . فعلى الاطباء ان يهيئوا للزواج بواسطة النصح والعلاجات ، الشبان والبنات ، لايلاد بنين سالمي البنية والمزاج خالين من العاهات . فلا بدَّ من التذرع بكل الوسائل لبلوغ هذه الغاية ، شرط ان لا تتعدى الوسائل المتخذة حدود القواعد الاخلاقية المسيحية ولا يكون هناك ايما انثلام لكرامة الشخصية الانسانية .

يجب اولاً افهام الشبان ان الزواج هو اسمى من ان يكون شركة في المنافع وانه ان كان اهم ما يعوَّل فيه عليه هي القيم الروحية ، فانه في الوقت عينه لا مناص من مراعاة سلامة الاجسام . فعلى الخطيبين ان يتوخوا في الزواج ، في الدرجة الاولى ، وفرة الخيرات الروحية المتبادلة وزيادتها ، محتفظين بسلامة الجسم وطهارته حتى ساعة زواجهما .

اما في ما يتعلق بالعاهات والامراض العضالة وكل اختلال في تكوين الاجسام ، فقد دل الاختبار على ان النظريات حول الوراثة ، تلك النظريات المقتبسة من مراقبة النباتات والحشرات ، فانها لا تنطبق دائماً على الانسان ، كما تصوَّر بعضهم . وهناك اشخاص يعتور تركيب اجسامهم خلل وتشويه ، ولم يكونوا يوماً عالةً على المجتمع ولا سبب انتقاص في ثروة المجموع ، اذا

كانوا أهلاً للقيام بما هو مثمر للغير ، بل يمكنهم اداء اجل الخدمات بفضل ما يتصفون به من مزيات أدبية وثقافية .

لقد اضطرب بعضهم بعد اكتشاف العامل Rh الذي دلَّ ، في رأيهم ، على ان بين ذوي القربى لا يمكن ان تتفق طبيعة الدم فلا يمكن تحقيق التوازن الضروري لضمان سلامة النسل ، فينشأ من ذلك اخطار جسيمة على هذا النسل نفسه . لكن الاختبار ايضاً دل على ان هذا الاستنتاج غير ثابت في كل الحوادث ، وهناك وسائل لاجتناب الاخطار الناجمة عن هذا التنابذ الحاصل بين ذوي القربى من جراء الدم .

وبالعكس ، عندما يكون احد الزوجين مصاباً بعاهة عقلية ، اذ ، في هذه الحالة خصوصاً ، عوّل بعضهم على التعقيم . لكن الكنيسة شجبت شجباً صريحاً هذه الوسيلة ، فلا يجوز لايّا طبيب ان يلجأ اليها ، ولا تحت عامل الاكراه ، لا سيما وان التعقيم لا ينفي العاهات العضالة التي قد تظهر بصورة غير منتظرة في اولاد اشخاص لم يكونوا مصابين بها .

وفي هذه الحال ، يجب على الطبيب ان يبين الحقائق لمن يهمهم الامر وما هناك من اخطار ، وتنحصر حينئذٍ مهمته في الاقناع . وكل من كان حريصاً على تحسين النسل يتذرَّع بالارشاد وتنوير الاذهان ، لا بالضغط والاكراه . ولا يجوز رفض الشهادة الطبية المقتضاة لعقد الزواج ، ولا ينبغي ان تؤدي هذه الشهادة الى منع الزواج . فقد دل الاختبار ، في بعض البلدان ، ان النتيجة الوحيدة لمنع الزواج هو شيوع السري وكثرة الاولاد غير الشرعيين البؤساء من كلتا الناحيتين : الشرعية والصحية .

القضية الثالثة : الفحص الطبي بواسطة المخدرات من الوجهة الطبية والادبية والاجتماعية

عُهد في بحث هذا الموضوع الى الاستاذ بالميري من جامعة نابولي . فالفحص الطبي بواسطة المواد المخدرة narco - analyse هي وسيلة للاطلاع على حالة المريض النفسية فيتذرع الطبيب ببعض العناصر التنويمية لجعل المريض في حالة

غيبوبة عن الوعي غير كاملة لكنها كافية لازالة حرية التصرف الادبية فيعمل سير حالته الداخلية عن كثب .

وقد اقترح بعضهم هذه الطريقة لمعالجة مظاهر خاصة للامراض العصبية . ويلجأ الاطباء اليها كلما عُهد اليهم في التحقق من حالة بعض الاشخاص من الوجهة النفسانية ، لمعرفة ما اذا كان في اعمالهم مخاتلة او مراوغة ، او للتحقق من طبيعة ومجرى بعض المظاهر العصبية ، او للحصول على تصريحات بحقيقة الامور عندما يُشتبه بصدق المريض .

لقد اخطأ الذين تذرعوا بهذه الطريقة لاهداف بوليسية او قضائية . وكل يعرف ما اذاعته الصحف عن استعمال (البنتوتال) وما يماثله من مستحضرات ، مما دعي خطأ «مصل الحقيقة» ، وذلك في بعض الدعاوي الشهيرة . فكل من بقي لديه شيء من احترام الشخصية الانسانية يشجب شجباً قاسياً هذه الطرائق .

وقد درس مؤتمر رومية المشاكل الناشئة من استعمال هذا الفحص الطبي في مختلف الظروف التي رأى بعضهم انه بامكانه اللجوء اليها . وقد تناول هذا الدرس كلًّا من الناحيتين الفنية والادبية . فكانت النتيجة ان هذا الفحص يجب حصره حصرًا تامًا بين ايدي الاطباء الاختصاصيين ، وانه لا يجوز لهؤلاء اللجوء اليه الّا للفحوص الطبية محضاً أو لاجل تنفيذ علاجات صحية بحتة .

واجمع الاطباء الحاضرون على اعلان قاعدة اخلاقية لا محيص من التقيد بها وهي : ان الطبيب المتخصص بامراض النفس والذي يقوم بفحص طبي بواسطة المواد المخدرة ، كلما طُلبت افادته كطبيب محلّف امام المحكمة يجب عليه ان يعتبر نفسه مقيدًا بسر المهنة نحو الشخص الذي انتُدب لفحصه على هذه الطريقة ، فلا يمكنه ، لايما علة ، ان يبوح للقضاة بما سمعه او تفهمه في اثناء الفحص .

القضية الرابعة : علاج الاعراض العصبية بواسطة عمليات جراحية في الاعصاب الدماغية (Leucotomie)

ترتبط هذه القضية ، من نواحٍ كثيرة ، بالقضية السابقة ولذلك جرى البحث عنها في اثناء ذات الجلسة . وطُرح السؤال ما اذا كان يجوز اخلاقيًا

استعمال هذه الطريقة نظراً لنتائجها . وقد وضع الاستاذ جوزف فريك من جامعة نيسيغ التقرير بالافرنسية مجاوباً على هذا السؤال.

ان هذه العملية الجراحية (Leucotomie, lobotomie) وهي عبارة عن بتر بعض الالياف العصبية في الدماغ تسفر في بعض الاحيان عن نتائج خطيرة في معالجة الاختلال العقلي او الاوجاع المستعصية ، لكنها في الوقت عينه تبدو غير ملائمة لانها تبدل الشخصية تبدلاً جسيماً .

وقد تساءل بعضهم ما اذا كان التبدل في مواقف بعض المتهمين ، ذينك التبدل المدهش الذي شوهد في اثناء محاكمات سياسية اخيرة ، يعود الى مثل هذه العملية الجراحية . في الواقع ، ليس هناك ، حتى الآن ، ما يحمل على تأكيده ، على ان ذلك يمكن تحقيقه من الناحية الفنية ، لانه معروف عن هذه العملية انه يمكن اجراؤها دون ان يبقى هناك ايا اثر لها وبدون ان يشعر الشخص ان العملية أجريت له.

لكنَّ الاستاذ فريك لم يبحث هذه الناحية من القضية ، واكتفى ، بوصفه متخصصاً بالامراض العصبية ، بان عرض مظاهر العملية وما تحققه من اعتبارات خاصة من الناحيتين الطبية والاخلاقية ، وخلص الى القول ان هذه العملية لا يجوز اجراؤها الا في الاصابات الخطرة والتي لا يمكن علاجها بطريقة ما اخرى وعندما يبدي العليل اضطراباً هاماً في تصرفاته.

اما معالجة الألم ، فيرى المقرر ان هذه العملية لا تجوز الّا لخفض الآلام الشديدة التي لا يطاق احتمالها ولا يمكن علاجها بطريقة ما وعندما يمحي النشاط العقلي مستحيلاً بصورة دائمة بحيث لا يُرجى من استعادته.

القضية الخامسة : الزرع الاصطناعي

قد يبدو ، لمن طالع المقالات التي نشرتها الصحف ، ان المؤتمر الروماني حصر ابحاثه بهذه القضية فقط . على انه في الواقع لم يخصص بهذا الموضوع الا جلسة واحدة . وكان للدكتور خيزوس باكالا ، من جامعة ماتيلا ، تقرير فاق سواه خطورة ، اذ درس فيه جميع المشاكل الناشئة من الناحية الطبية والحقوقية

والاخلاقية في تطبيق هذه الطريقة المأخوذة عن علم زراعة النباتات وعن الطب البيطري.

وقد اجمع الاطباء الحاضرون كلهم ، بوجه التقريب ، على القول ان الزرع الاصطناعي لا يجوز استعماله على الاطلاق في المرأة . واكثر الذين خطبوا في المؤتمر بهذا الصدد اعلنوا احتجاجهم الصاخب على هذه الطريقة التي ، بكل أسف ، لا يندر استعمالها في بعض البلدان.

وبعد ان بين المقرر ان هذا العمل مخالف لقواعد الآداب ، خلص الى القول ان الاطباء الذين يلجأون اليه يقترفون خطأ فادحاً . على ان الظروف التي ترافق استعمال هذه الطريقة لا تخلو من اختلاف . فقد اجمع الكل على القول بانه لا يجوز على الاطلاق اللجوء الى شخص غريب لاعطاء الزرع ، كما انهم استنكروا ، في نهاية النقاش ، نقل الزرع من الزوج .

وانحصر البحث اخيراً في ما اذا كان ، بعد اجراء الجماع الزوجي المعتاد ، من الضروري تدخل الطبيب للحصول على الغاية المنشودة؟ غير ان احد الاطباء الفرنسيين المتخصصين بالتوليد لفت الانظار الى ان مثل هـذا الظرف نادر الحدوث الى حدّ انه لا يجدر الأخذ به بعين الاعتبار .

وغداة هذه المناقشة ، صدق الحبر الاعظم مقررات المؤتمر بهذا الصدد ، محدداً القاعدة العملية الواجب التقيد بها من قبل الاطباء الكاثوليك حيث قال:

« في ما يتعلق بجواز الزرع الاصطناعي في الزواج ، يكفينا التذكير بمبادئ الحق الطبيعي : لا يكفي التأكد من تحقيق الغاية المنشودة بهذه الوسيلة لتبرير التذرع بهذه الوسيلة ذاتها ، كما ان رغبة الوالدين ، وهي مشروعة بحد ذاتها ، في ايلاد البنين لا تكفي لاثبات مشروعية اللجوء الى الزرع الاصطناعي الذي من شأنه ان يحقق هذه الرغبة . »

« انه من الخطأ الاعتقاد ان امكان اللجوء الى هذه الوسيلة من شأنه ان يجعل الزواج صحيحاً بين شخصين غير جديرين بعقده بسبب مانع العجز.»

وقد يظن بعضهم ان موقف الاطباء الكاثوليك من هذه القضية يعود الى تأثرهم بمبادئهم الدينية .

كلا ، واليكم باي اقوال أعرب مؤخرًا مجمع العلوم الاخلاقية والسياسية عن رأيه حول الزرع الاصطناعي :

« ان الزرع الاصطناعي ، الذي يتذرع به البعض لسد عجز الزوج يثير في العائلة ، من الناحية الاخلاقية والحقوقية والاجتماعية مشاكل من شأنها ان توجب بذل النصح بعدم اللجوء اليه . »

« على الجميع ان يحذروا كلّ من يتوهم ان بامكانه اللجوء الى هذه الوسيلة ويدلّلوا على ما ينشأ من استعمالها من اخطار قريبة وبعيدة ، لا محالة ناشبة عاجلًا ام آجلًا . »

« لا يمكن دوماً ارتقاب هذه الاخطار في الوقت الذي يتّخذ فيه مثل هذا القرار . »

« في غالب الاحيان يداهم قوى التفكير والتقدير شيء من الدهشة بل والذهول من جراء غرابة المعالجة »

وموافقة الزوج من الناحية الاخلاقية مردودة .

« ان مجرد ادخال ولد في جسم العائلة عن طريق الخلسة والتلاعب واطلاق اسم والد شرعي عليه بحيث يخامره الاعتقاد بانه فعلًا ابن لهذا الوالد ، كل هذا من شأنه ان يزعزع أسس الزواج والاسرة والمجتمع . »

القضية السادسة : حقوق الطب الاجتماعي وحدوده بالنسبة الى الشخصية الانسانية

وضع التقرير بهذا الصدد الدكتور غرينه (Grenet) من باريس ورئيس جمعية القديسين لوقا وقوزما ودميانوس ، وقد جعل فيه حلقة الارتباط بين اعمال المؤتمر الرابع واعمال المؤتمر السابق الذي حشد في ليشبونه في العام ١٩٤٧ اكثرية الاطباء الحاضرين برومية في العام ١٩٤٩

كان موضوع مؤتمر ليشبونه : « الطب الفردي والطب الاجتماعي . » فجرى فيه البحث مطولًا عن فكرة تحويل الطب الى مشروع اجتماعي ، وما زال هذا الموضوع يثير الجدل العنيف في كثير من البلدان . ومعالجته امر من ادق

الامور لان من شأنها ان تشعل نيران المناقشة الحادة بين زملاء يرغبون رغبة صادقة في خدمة مبدإ واحد حسبما تقضي بذلك الذمة والوجدان .

وفي المقررات المتخذة في ليشبونه كان الاطباء الكاثوليك قد شددوا في اعلان ضرورة تشييد التنظيم الاجتماعي للطب على اساس الاحترام للحقوق الرئيسية المختصة بالشخصية الانسانية . ومن ثم كان قد تقرر بان يدور موضوع الدرس في رومية حول القضية التالية: «الشخصية الانسانية وعلاقتها بالطب . »

بدأ الدكتور غرنيه بنقد التنظيم الحالي للضمان الاجتماعي في فرنسة ، منددًا خصوصاً بالدولة لانها فرضت على العامل نظامَ الضمان من المرض ، جاعلة هذا النظام تحت سيطرتها المباشرة . ويرى الدكتور غرنيه ، الناطق بلسان كثيرين من الاطباء الفرنسيين والبلجيكيين ان هـذا النظام لا يحترم بعض الحقوق المختصة بالانسان الحر . فان لكل شخص الحق بان يستحصل على ضمان لدى المنظمة التي يراها أوفق لنفسه وان يقصد الطبيب الذي يقع عليه اختياره. والحال ان التشريع الفرنسي يحترم هـذا الحق في ما يتعلق بالاطباء الذين يعالجون المرضى في حالة المرض ، لكنه في ما يتعلق بطب الوقاية فانه يفرض طبيباً خاصاً تعينه الادارة ذات الصلاحية لتلاميذ المدارس وعمال المصانع واعضاء بعض الجماعات . والاطباء يحتجون على هذه التدابير الاخيرة .

ولما كان الدكتور غرنيه احد اطباء مستشفيات باريس سابقاً فقد تيسر له ان يتحقق في دائرة عمله ان مـلك الذين يتولون ادارة المستشفيات ومعاملتهم للمرضى لا يخلو دوماً من الشوائب . وهذا ما عرفه ايضاً عن مستشفيات اخرى كثيرة ، اذ يتناسى البعض غالباً ان المرضى ، في المستشفى وخارجاً ، يحق لهم الاحترام من قبل الجميع .

ثم درس المقرر التنظيم الحالي للوقاية من السل والامراض الزهرية في فرنسة ، فانكر على الادارة الحكومية الحق بفصل المريض عن اسرته قهرًا ، مسلماً بالوقت عينه بان على الطبيب ، عندما يخشى سريان العدوى ، ان يرشد ، ولو ببعض الحزم المريض لكي يرضى بالعزلة او بدخول احد المستشفيات .

اما التنظيم الحالي للبغاء فلا يصادف قبولاً تاماً لدى جميع الاطباء ، لكنه

يتضمن تحسينات كثيرة بالنسبة الى التنظيم السابق .

وينتهي تقرير الدكتور غرنيه بنظرة اجمالية الى اعمال المؤتمر ، مبينا رأي البعثين الفرنسية والبلجيكية في القضايا التي جرى بحثها .

ففي ما يتعلق بتحسين النسل ، فقد صرح المقرر بان مخالفة القانون قد تمسي في ايامنا واجباً لا مفر منه للطبيب ، كما هي الحال في بلدان يفرض فيها التعقيم فرضا على بعض الاشخاص أو عندما يكون للشهادة الطبية المعطاة قبل الزواج صفة فعالية من شأنها ان تمنع الزواج .

ان هذه الاقوال تعني الدعوة الى التمرد على القانون . وهي تفيد بأي جرأة اتخذت بعض المقررات في مؤتمر رومية . على ان الجلسات كانت هادئة وقد اجمع الاطباء الحاضرون على اتخاذ القرارات المعروضة من المقررين ، وهذه دلالة بالغة على تعلقهم بمبادئ اخلاقية واحدة وعلى رغبتهم في تحقيق انتصار المبدأ الاخلاقي الاساسي القائل بوجوب احترام الشخصية الانسانية .

❁

نختم هذه المقالة عن اعمال المؤتمر بلمحة عن الجلسة الخاصة التي نظمها رجال « الحركة الدولية للثقافة الكاثوليكية » ، المعروفة باسم « السلام الروماني » ، وانحصر البحث فيها عن بعض القضايا المتعلقة بالمبادئ الاخلاقية في ممارسة المهنة الطبية . وقد عرضت ثلاثة تقارير بهذا المعنى :

التقرير الاول قدّمه الاستاذ بورتس ، رئيس المجلس الوطني لنقابة الاطباء ، عن « نظام المبادئ الاخلاقية في ممارسة المهنة الطبية ، وعن فعالية هذا النظام وحدوده . »

التقرير الثاني قدمه الدكتور اومبرلين ، رئيس جمعية اصدقاء دي لانك عن « اهداف مركز الدراسات والعلم الاخلاقي في ممارسة المهنة الطبية . »

التقرير الثالث قدمه الاب لاريو من الرهبانية اليسوعية ، مرشد ومدير جمعية دي لانك عن الموضوع التالي : كيف يجب تدريس وتعريف القضايا الناشئة عن المبادئ الاخلاقية في ممارسة المهنة الطبية .

وقد عالجت هذه التقارير قضايا هامة من الناحيتين الطبية والاجتماعية ، ولكن لا يمكن تفصيلها هنا . غير انه يجدر التنويه هنا بان مركز الدراسات

والعلم الاخلاقي في ممارسة المهنة الطبية يذيع ابحاثه ونتائج دراساته في مجلة لانك الخاصة . وستنقل هذه الابحاث قريباً الى لغات كثيرة بحيث يسهل اذاعة هذه النشرات لا لدى الاطبا. الكاثوليك فحسب ، بل ايضاً لدى سواهم ولدى الاوساط غير الطبية ، لانها تفيد جانباً خطيراً من سائر العلوم . وفي الواقع ، ان منظمة « السلام الروماني » تعنى بشرح تلك العلوم وبسط غوامضها .

❁

وبلغ تنظيم المؤتمر حدَّ الكمال بفضل عناية اللجنة التي اخذت على عاتقها هذه المهمة . ورحب بنا زملاؤنا الطليان اجمل ترحيب وألطفه .

عقدت الجلسات في احدى القاعات الكبرى من قصر البندقية . وفي القاعة الملكية الواقعة في ذات الطبقة أُعدَّ المعرض للوثائق التاريخية والمعالم الفنية مدللة على العلاقة بين المسيحية والطب . فكان هناك رسوم وصور فنية ، ونماذج مصغرة وتماثيل مختلفة : فكنت ترى يسوع وهو يشفي المرضى ، والاطبا. القديسين والابرار صانعي العجائب الذين نكرمهم كشفعا. لنا في مهنتنا الطبية ، والرهبان مضيفي المرضى والبؤسا. ومضمدي جراحهم ، والرهبان الممرضين للصليبيين ولغير المسيحيين ، وسائر الرهبان والراهبات الذين يعنون بالمرضى والبرص ، وبكلمة واحدة كنت ترى امامك التاريخ المصور لاعمال الرحمة المسيحية طوال عشرين قرناً .

وبعد الجلسات ، كانت تنظم كل يوم حفلات استقبال رائعة . ففي الجامعة الغريغورية البابوية قدمت جوقة السيستين حفلة موسيقية بادارة المونسنيور بيروزي ؛ وفي قصر فرسان مالطة اقام صاحب السمو الامير كيجي ألباني استقبالاً تكريماً للمؤتمر ؛ كذلك وفي مستشفى الروح القدس القديم العهد ؛ وفي مستوصف الصحة والابحاث المكروبية ، وهو قصر منيف يعمل فيه جمهور من العلما. مستخدمين احدث الادوات الفنية ؛ واخيراً في قصر الفاتيكان حيث زار المؤتمرون حدائق الفاتيكان بقيادة الطبيب الخاص لصاحب القداسة البابا بيوس الثاني عشر .

❁

لما وجه الاستاذ لويس جدًّا الدعوة الى الاطبا. الكاثوليك للاشتراك في

المؤتمر الرابع الدولي ، كان قد اعلن لهم انه بامكانهم اعتبار نفوسهم كطليعة لجيش الزوار الذين ، في العام ١٩٥٠ ، سيتأبون من كل انحاء العالم الى عاصمة الكثلكة . وكان الحبر الاعظم قد وعد باستقبال المؤتمرين ، وكانت الرغبة في مشاهدة قداسته والاستماع اليه حافزاً للكثيرين للاجابة على الدعوة ومن ثم كان المؤتمر مناسبةً لهم للقيام بزيارة رومية .

وبعد الظهر من يوم المؤتمر الاخير ، استقبلنا الحبر الاعظم في قصره بكاستل غندولفو . وان ذكرى هذه المقابلة ستكون مسك الختام . لن احاول اختصار خطاب قداسته هنا ، فقد نشرت نصه مجلة « لانك » في جزئها الاخير . لكن أجيز لنفسي بان اعرض لكم الصورة الاخيرة التي ما زالت مرتسمة في مخيلتي فلن تزول منها مدى الدهر : صورة الاب الاقدس في وقفتين رمزيتين : الاولى وهو واقف يضم يديه رافعاً انظاره الى السماء ، والثانية لما فتح ذراعيه بصورة صليب لمنحنا البركة .

وبينما كنا جاثين خافضين الاجفان تحت وطأة هذه البركة ، كنا نسمع هذه الكلمات الاخيرة .

« بكل ما في فؤادنا من عطف ابوي نمنحكم ، انتم وجميع من تمثلون هنا ، وعائلاتكم وجميع أعزائكم ، بركتنا الرسولية . »

وان هذه البركة لا بدّ انها بلغت ، في ذلك المساء ، جامعة القديس يوسف التي كانت ممثلة ، بين جمهور الاطباء الخاشعين ، بشخص أحد اساتذتها .

وثائق تاريخية عن حلب

بقلم الاب فرديناند توتل اليسوعي

(تابع)

قضية المطران انكيفوس

في شهر اذار ١٨٥٨ صار خصام بين المطران انكيفوس الارمني وبين طائفته فاخرج بطريرك سيس امراً من الباب العالي على يد بطريرك اسلامبول بنفي المطران انكيفوس فاضطر المطران المذكور للتخلص منهم ان يلتجي الى قنصل فرنسة وبقي بعض ايام في بيت احد الكاثوليك في المدينة وبعده اظهر على ذاته انه يريد اعتناق الايمان الكاثوليكي واتى الى كنيسة اللاتين بحضور قنصل فرنسة ووعظ باللغة التركية مبيناً انه عرف البابا وسلم تدبيره للقنصل واعطى ورقةً فيها اعلن خضوعه الحكم المدني وسلمها يد القنصل وبقي مدة في دير الفرنسيسكانيين وفي الابتداء تظاهر كانه يريد ان يصير لاتينياً وفي كل نهار احد وعيد كنا نرسل من عندنا كاهناً ليقدس في كنيسة اللاتين حسب طلب البادرية والمطران ذاته لكي يحضر قداساً ارمنياً هو والشعب الذي تبعه وكان في البدء نحو مئتي نفس ولما كنا نجتهد ان نجذبه الى طائفتنا كان تارةً يقول انا لاتيني وتارة يظهر استعداده ورغبته الى المجيء على شرط ان يتقدم له الاكرام الزائد مع رتبة وتسلط .

ولم يرد في البدء ان يقرأ صورة الايمان وينال الحلة من الارتقطة وكان يقول يكفي ايضاحي الايمان الكاثوليكي في الوعظ ودعيناه مراراً الى كنيستنا ودخلها مرتين قبل ان ينال الحلة من الارتقة وحضر القداس في الاحد في الصوم وحضر القداس الكبير والقى الوعظ مبيناً ومثبتاً بعض الحقائق الكاثوليكية امام تابعيه ومن بعد التحريضات والنصائح ارتضى اخيراً ان يقرأ صورة ايمانه وينال الحلة من الارتقة .

فالبادرية كانوا يريدون ان يحلوه هم من الارتقة وطايفتنا كانت تانعهم لكي يقبل الحل من مطراننا ولكن اجتهاداتنا ذهبت عبثاً وفي يوم عيد

البشارة الواقع في ٢٥ اذار قرأ علناً صورة ايمانه في كنيسة اللاتين وهذه الصورة نحن قدمناها له بالارمني وبعد قراءتها حله من الارتقة البادري جزو الدس حسب ارادة القاصد الرسولي كقولهم ومن بعد قراءة صورة ايمانه اتباعاً ايضاً لرغبة الطائفة وسعيهم دعوناه الينا كثيراً. فاتى يوم سبت لازر مساء ووقف في صلاة الفرض فابتدأها وفي ثاني يوم احد الشعانين تحمل هو الطقس المسمى فتح الابواب واستعمل الجبروبات باذن مطراننا وكذلك يوم خميس الاسرار هو غسل اقدام الاولاد ولبس ثياب الطقس في كرسي المطران الكبير وفي حضوره قُدّم له كل اكرام واعتبار وملاقاة وكانت الغاية ثباته في طقسنا وجذب تابعيه واكتساب غيرهم واخذ يعترف اعترافاً عاماً وكان مسلم اعترافه يلاحقه على الاتحاد والمثابرة وصار في كل يوم يقدم له طعام من بيت احد متقدمي الطائفة وكانوا يدعونه وينفقون كثيراً من المال اما الآن فقل تابعوه وراجع باقيهم الى الارتقة او بالاحرى لم يعودوا يظهروا انهم من حزبه على ان القليلين الذين تبعوه لا يزالون ثابتين في ايمانهم ولنا الامل بالخير من ذلك في المستقبل هذا وان ايلجي فرنسة في اسلامبول حامى عن المطران المذكور ووقف فرمان نفيه واخرج امراً في مجيئه الى الاستانة بكل كرامة الرافعة مع اخصامه وهكذا انذره بواسطة القنصل ثم بواسطة السيد انطونيوس حسون رئيس اساقفة القسطنطينية الذي ارسل له تحريراً فيه يحرضه على المجيء الى الاستانة ويشجعه الا يخاف وهكذا السيد حسون ايضاً حرر الى مطراننا في هذا الشأن لكي يحرض المطران انكيفوس على السفر واما السيد انكيفوس فحاول الذهاب ثم ان الارمن الاراطقة ارسلوا سألوه رسماً عما يريد ويطلب منهم وقالوا ان بطريرك اسلامبول يريد يعرف منك ما هي مطاليبك وما هي مقاصدك واما هو فأجابهم بجدة متشكياً بتمرمر مما فعلوه معه وقال انني لا اعرف بطريرك اسلامبول ولكن بطريركي هو السيد غريغوريوس بطريرك قيليقية واظهر لهم المنشور الذي اتاه من غبطته المتضمن فرحه لان السيد انكيفوس اعتنق الايمان الكاثوليكي ثم يشجعه على الثبات فيه وان يثبت تابعيه معتنقين معاً طقسنا الارمني ثم ان غبطته ارسل ايضاً منشوراً اخر بلسم الكهنة والعوام شاكراً

افضالهم ومساعيهم في ارتداد الاراطقة وحرضهم على ثباتهم في هذا السعي لمجد الله وخلاص النفوس وشرف الكرسي البطريركي كرسيهم وفي يوم عيد الفصح قدس المطران انكيفوس قداسه الاول من بعد اقتباله الحلة من الارتقة في كنيسة اللاتين وفي ٢٣ نيسان ١٨٥٨ بنفاق وجهل كلي رجع الى ارتقته وسلم ذاته ليد الاراتقة اخصامه واعطاهم صكاً فيه يعلن انه باختياره ارتد الى حضن كنيسته واتضح حينئذٍ تلاعبه وغشوشه في الايمان وكيف انه بعد اقراره بحقائق الايمان الكاثوليكي في الوعظ وتكلمه ضد الاراتقة وتحقيرهم امام السامعين وبعد تلاوة صورة ايمان البابا اوربانوس واخذه الحلة من هو مصرف قانونياً واقسامه على الاناجيل المقدسة بحفظ هذا الايمان وثباته فيه الى النفس الاخير من حياته وخضوعه للبابا الروماني خليفة بطرس وغب ان اعترافاً عاماً وبعد ان صار له كل اكرام مع مصاريف وافرة رجع ناكثاً بمواعيده واقسامه الرهيبة واضحى امام الجميع عديم الديانة والرشد والانسانية حقيراً وثنياً في اعين الكل فاقد الصيت والسمعة ورجع معه القليلين الذين كانوا تابعينه بغش.[1]

١٨٦٢

٥ نيسان : تعارض بعض الزعاع لتلامذة ترانستا ولتلميذات الراهبات على طريق المدرسة فألجيء الرؤساء الى مراجعة القنصل شاتري وهذا الى مراجعة الوالي لمنع مثل ذلك التعدي.

١٨٦٤

١٠ آب : وضع الحجر الاساسي الاول في بناية كنيسة الشيباني وقد تبرع ابناء الطائفة اللاتينية بعشرة الاف قرش للعمار والسلطان عبد العزيز بخمسة وعشرين الف (من التعويضات ؟) وفرنسة بعشرة الاف قرش.[2]

١) جاءت اخبار انكيفوس الارمني في سجل الاباء الفرنسيسكان في حلب قيل فيها ان انكيفوس اتهم سنة ١٨٦٨ بسرقة اشياء ثمينة من بطريركية سيس فدعي الى اسطنبول ليدافع عن نفسه ودخل في حماية السفارة الافرنسية متظاهراً بالكثلكة ثم رحل الى حلب واقام فيها ٥٦ يوماً عند الاباء الفرنسيسكان واعتنق الايمان الكاثوليكي رسمياً بحفلة حافلة في كنيستهم سنة ١٨٥٨.

٢) وكان الاباء الفرنسيسكان مدرسة منذ ثلاثين سنة تُعلم فيها العربية والايطالية. (عن دفتر وقائع الفرنسيسكان المخطوط).

صار بجلب برد هائل ليلًا في فصل الخريف الواحدة مقدار بيضة دجاجة وقتل كل الطيور الذين كانوا على الاشجار وكسر اكثر زجاج الشبابيك وقتل بعض الحيوانات.

١٨٦٥

صار هواء اصفر مات فيه الوف من الناس[1]

١٨٦٧

في ٩ ايار : سافر مطراننا السيد غريغوريوس بليط وبمعيته الورتبيت بولس بليط دخلا القسطنطينية وحضرا المجمع الطائفي عند غبطة بطريركنا السيد انطونيوس حسون ثم ذهبا الى رومة لحضور المجمع الفاتيكاني المسكوني[2].

١٨٧٢

من هذه السنة فما بعد كنا تعليماتنا أخذًا عن جريدة البشير وسوف نشير اليها بحرف ب يتلوه رقم عدد الجريدة

١) جاء في شذرات الذهب لكامل الغزي ٣ ، ص ٣٩٣ « في سنة ١٢٨٢ (١٨٦٥م) في المحرم عاد الحجاج من الحجاز واخبروا انه مات هناك بالهواء الاصفر نحو مئة الف نسمة وكان ابتداؤه في تلك البلاد يوم عيد الاضحى ثم في هذه البلدة وصل هذا المرض الى حلب وكان معظم سطوته في ربيع الاول وبلغت وفياته اليومية ثلاثة نسمة . . . وكان الناس يدورون في الازقة ليلًا ويستغيثون بالله ويخرج بعض القراء الى المآذن ويقرؤن سورة الدخان » – واستبسل الاباء الفرنسيسكان في خدمة المطعونين وجاءهم من نابوليون الثالث صك ذهبي شهادةً في ذلك وحفظ دفتر الدير ذكرى الطاعون وعلل اسبابه منها عدد ٥٠٠٠٠٠ الضحايا التي ذبحت في الحج فانتنت وافسدت الهواء فصارت عشًا لجراثيم الوباء الذي فتك بالحجاج ومنهم الاعاجم وكانوا يحملون موتاهم معهم في جلود او في صناديق وهم يعودون الى بلادهم.

وحدثت اصابة الطاعون الاولى في ١٥ آب في حلب وما مضى الشهر على ذلك الا كانوا يعدون الموتى يوميًا ٤٠٠ او ٥٠٠ واغلقت الاسواق وهرب القناصل من المدينة . وزال الوباء تمامًا في ٢٥ تشرين الاول بعد ان قتل عشرين الفًا من السكان . وفي غضونها كان ستون عاملًا يشتغلون في بناية الدير فلم يُطعن منهم احد .

٢) المجمع الفاتيكاني المسكوني عقد بين ١٨٦٩ و١٨٧٠ وفيه اعلنت عقيدة العصمة البابوية .

وفي هذه السنة الواقعة لسنة ١٢٨٦ هجرية روى راغب الطباخ في كتاب اعلام النبلاء ٢ ، ص ٤٥٨ ان في ٢٣ محرم صدرت في حلب جريدة الفرات الرسمية بالعربية والتركية وذكر (ص ٤٦١) حريق سوق الصباغ والمقادين والبادستان.

٣ نيسان : الساعة ١ بعد نصف الليل حدثت زلزلة شديدة اضرّت بنحو ١٢ شخصاً وخرج اكثر الاهالي وخيّموا خارج المدينة (ب ٨٦).

١٨٧٥

٢٧ تموز الى ١٠ آب توفي بالهواء الاصفر ١٢٥ شخصاً
١٩ آب الى ٢٣ آب " " " ١٧١ "
٢٦ آب الى ٢٩ آب توفي بالهواء الاصفر ٧٣ شخصاً
٢ ايلول الى ٧ ايلول " " " ٩٩ "
٩ ايلول الى ١٤ ايلول " " " ٣٦ "
(ب ٢٥٩)

١٨٧٧

٣ حزيران : القى الخوري انطون قندلفت في كنيسة السريان الكاتدرائية خطاباً في مناسبة بلوغ بيوس التاسع السنة الخمسين من ارتقائه الدرجة الاسقفية ونشرت جريدة البشير ذلك الخطاب (ب ٣٥٤)

٢٨ ك١ : ان اهالي حلب بانتظار قدوم بعض تجار آتين من جزائر سيام لشراء ٧٠ الف كيلة اسلامبولية من حنطة حلب و٣٠ الف كيلة من حنطة قبرس و٥٠ الف كيلة من حنطة الاستانة فاصدر الباب العالي امراً باجراء التسهيلات اللازمة لخروج تلك الاغلال من ثغر اسكندرونة ومن الرسومات المألوفة (ب ٣٨١)

١٨٧٨

٣٠ ايار : حضر الى الشهباء السيد لوديفيكوس رئيس اساقفة سيونيا والنائب الرسولي على حلب فجرى له استقبال حافل . قد قطع الكثيرون مسافة ثمان ساعات مشياً من حلب وخفّوا للقائه . وعزفت عند قدومه موسيقى تيراصانطة ومشت بحراسته العساكر العثمانية الشاهانية بعدد وافر.

٢٠ حزيران : السيد المطران بولس حاتم اقام بمساعدة الخوري باسيليوس شمراوي رياضة لأخوية القربان خاصة وللشعب عامة ويرغاكي نصرالله توتونجي أحد موظفي الاخوية القى خطاباً ألفه الدياكونوس قسطنطين الخضري اثنى فيه على غيرة سيادته (ب ٤١٠).

٢٨ حزيران : روت البشير (عدد ٤٠٦) عن الجريدة العسكرية : ان عدد سكان ولاية حلب في سنة ١٢٩٥ هـ الجارية ٥٣٩،٣١١

١١ ايلول : عاد الى حلب البطريرك جرجس شلحت السرياني وقد خرج الناس للقائه منهم الى عقرين ومنهم الى توقات ومنهم الى السبيل حيث نزل البطريرك من التختروان وركب الجواد الذي ارسله له الوالي وسار وبرفقته العساكر الشاهانية ونزل عن جواده عند بوابة الياسمين ومضى الى الكنيسة حيث اقيمت حفلة عظيمة بمناسبة قدومه (عن جرجي حنا مظلوم) (ب ٤١٧)

١٨٧٩

٥ شباط : صار سحب الياناصيب على اشغال بنات راهبات قلب يسوع (القلبين الاقدسين) (راجع آثار الطائفة المارونية الخطية اضبارة يوسف مطر رقم ٤٥) واعجب الحاضرون بما راوه من نتائج صناعة التطريز والتخريم وما اشبهها على يد الراهبات اللواتي فتحن مدرستهن منذ السنتين تحت اشراف الاباء اليسوعيين ويا ليت الاباء يفتحون مدرسة للصبيان تحت اشرافهم لكون احداث شهبائنا في غاية الاحتياج الى التعلم.

وصل حلب القبطان كرميرون الانكليزي لفحص الطريق الحديدية التي ستمر في وادي الفرات وسوف يسافر الى ديار بكر وبغداد.

« وما زلنا نعلل الاماني والامال ونشتاق الى هذه الطريق الحديدية اشتياق الظمآن الى الماء الزلال لان بها نؤمل ان نعوض اضعاف ما خسرناه بفتح خليج السويس الذي قد اضر بتجارة حلب عظيم الضرر ».[1]

---

١) وقد تصدى القنصل البريطاني الى تلك الاقوال معالجاً امر التجارة في حلب وارجاع حركتها اليها فكتب ما يلي تعريبه :

« ١ كانون الاول ١٨٧٩ : ان في هذه المقاطعة القنصلية لا يوجد ، على ما ارى ، من واسطة سهلة للمواصلات التجارية بين اوروبة وفارس او آسية الوسطى الّا بالملاحة على نهر الفرات . وقد بيّن ذلك جليّاً الجنرال تشيني منذ خمس واربعين سنة ومدحت باشا منذ عشر سنوات لما كان والياً في بغداد . وبالرغم عما انتجته اختبارات هذين الرجلين من النتائج المشجعة لم يقم احد بعمل مساعد على تحقيق هذا الترقي الجزيل الافادة لتسهيل طرق التجارة بين الشرق والغرب . »

عاد من الاستانة السيد قوراس بهنان بني رئيس اساقفة الموصل وتوابعها وكان قد سافر لحسم النزاع القائم بينه وبين اليعقوبيين على كنائس الموصل فنجح بمسعاه . ودعي الى العشاء في بيت يوسف حمصي (ب ٤٤٤).

٧ ايار : رقى البطريرك جرجس شلحت الاب يوسف داود الى الدرجة الاسقفية ليكون في الشام خلفاً للمطران غريغوريوس يعقوب حلياني السعيد الذكر . وسيسافر المطران يوسف عن طريق الاسكندرونة حيث يركب البريد الافرنسي الى بيروت (ب ٥١).

٩ ايار : وافى مدينتنا غالب باشا الوالي الجديد وبمعيته مظهر باشا ونوريان افندي الارمني ومأمور انكليزي (ب ٤٥٢).

وروى راغب الطباخ في اعلام النبلاء ٣ ، ١٦٤ ان في هذه السنة قدم والياً الى حلب جميل فائق باشا وباشره لقب الحي «الجميلية» الواقع غربي حلب الجنوب.

١٨٨١

٣ حزيران : قدم حلب السيد لوديفيكوس بياقي القاصد الرسولي فلاقاه الاهالي عن بعد نصف مرحلة من حلب وارسل اليه البطريرك جرجس شلحت يدكاً موشى لمركوبه (ب ٥٦٣).

١٨٨٢

١٢ شباط : توفي بحلب الخوري يوسف كلداني الماروني عن سبعين عاماً بعد مرض ثلاثة ايام كان على غاية من التواضع والزهد والمحبة المسيحية يثني عليه الكبير والصغير من مسيحي ومسلم لرأفته بالضعيف ورقته على المسكين وجبره للكسير ومعاونته للمريض لم يزل الى آخر رمق يطوف بالمدينة صباح مساء باذلاً كل ما له حتى ثيابه في سبيل الفقراء . كان اذا ما بلغه ان عليلاً اشرف على الموت عجّل قدومه الى منزله ولازمه ليمده الى ملاقاة ربه ونستغني عن وصف فضائل هذا الكاهن برواية ما قال فيه بعض علماء المسلمين محمد امين الموصلي :

« فرد همام كان ما بين الورى مأوى الفقير واليتامى مسعف
مذ صار في الدنيا مطيعاً ربه وعلى العبادة في الليالي يعكف
يخشى القيامة راجياً ملكوته يتلو اناجيل المسيح ، معرف . . . »

١٤ ايار : توفي المطران يوسف مطر الماروني في حلب (ب ٦١٠).

٨ حزيران : خرج المهندسون وباشروا عمل طريق « شوسه » بين حلب واسكندرونه واملنا وطيد الا يحول فتور بالمصلحة فان نجاح الولاية وما يليها توقف على انجاز هذه الطريق ولا ضرورة لتوضيح اوضح (ب ٦١٦).

١٥ ت ١ : قدم من ماردين البطريرك جرجس شلحت فهنأه القس مخائيل دلال (ب ٦٣٣).

٢١ ك ١ : هبط في القشلاق الهمايوني سقف الجهة العليا فهبط من جراء ذلك سقف الجهة السفلى وقتل سبعة من الضباط والانفار وثمانية رؤوس خيل (ب ٦٤١).

١٨٨٣

٢٤ ايار : روت البشير عن جريدة الفرات : « وجد الآن ثلاث قطع مدافع حديد منتظمات في قلعة حلب وهذه المدافع شبه مدافع (الكروب) ثقلاً من اسفلها ومكتوب عليها انها عمل مصطفى الحلبي في زمان السلطان قايتباي من الملوك الجراكسة [٨٧٣ - ٩٠٢ و١٤٦٨ — ١٤٩٥] وهذه المدافع ليست بسكب بل عمل يد كونها على طرز منتظم ».

المجلد الرابع

١٨٨٤

٢ ك٢ : قُرئ الفرمان الشاهاني المعرب عن انعام بالمشيرية السامية الى جميل باشا الوالي وذلك بحضور الرؤساء الروحيين واعيان حلب.

١٥ ايار : روت البشير عن جريدة « الفرات » نتيجة احصاء سكان مدينة حلب فكان ٩٠،١٨٩ و١٢،٤٩٧ عائلة (ب ٧١٤)

١١ حزيران : حدثت زلزلة خفيفة في حلب (ب ٧١٨).

٣ ايلول : سافر المطران غريغوريوس بليط الى عينتاب لافتقاد الرعية في ٧ منه اقام فيها قداساً حضره المسيحيون على اختلاف الطوائف ثم رد الزيارات للناس يرافقه قواص قنصل فرنسة وبعض من الاباء الفرنسيسكان وسوف يزور رعية كلس .

٢ تشرين الثاني : سافر القس بدروس قويوميان الذي كان قد جاء من مرعش لجمع الاحسانات من الطائفة تعويضاً عن الضرر الذي سببه الحريق في تلك البلدة [1].

٣٠ تشرين الثاني : امس السبت جاء حلب المطران يوسف فرحيان اسقف ديار بكر قادماً من الاستانة بعد رسامته وذاهباً الى ابرشيته وزاره الكهنة والطائفة عموماً واقام عندنا الى ٥ كانون الاول .

٩ كانون الاول : توفي القس يوسف كلزي في عنتاب نعي الينا بالتلغراف .

١٨٨٥ .

ارسلنا الى الاب يوسف برنية[2] اليسوعي تحريراً فيه التعليمات المطلوبة منه عن جميع الاخويات المؤسسة في المشرق (راجع البشير عدد ٧٤٣) واليك ما كتبناه عن اخوياتنا في حلب .

ان في طائفتنا الحلبية يوجد ست اخويات مشتركة مع اخوية رومة الاولى

---

١) كتب كامل الغزي في نهر الذهب ص ٥٠٦ : في ليلة الجمعة ٣ شوال ١٣٠١ (١٨٨٣) شبت النار من احد افران مرعش فالتهمت الفاً ومئتي دكان واربعين داراً وخمسة جوامع وحماماً وخانين وبالرباط العسكري ودائرة البلدية وقدرت قيمة الخسارات بمئة وخمسين الف ذهب عثماني وجمعت في حلب الاموال لاعانة المنكوبين من اهل مرعش هذا الحريق .

٢) يوسف برنيه Barnier ولد في ٢ ك ٢ ١٨٦٧ دخل الرهبانية اليسوعية في ١٠ ايلول ١٨٦٥ مات في مرسيليا في ١٠ ت ٢ ١٩٠٠ كان من المرسلين المتمازين بالغيرة والتقوى اسس الرسالة في حمص وفي اعمالها وخاصة في وادي النصارى . ولما ارسل تحريره المذكور عنه في دفتر الاخوية كان مرشد اخوية العذراء القديسة للرجال في بيروت .

الاولية واولها واقدمها هي اخوية الحبل بالعذراء البريء من الدنس فهذه قديمة في طائفتنا ولعلها الاخوية التي كان يديرها الاب ايمي شازو[1].

وفي تاريخ هذه الاخوية المحفوظ عندنا يذكر عهد نقلها الى دير الاباء اليسوعيين فيقال ان الخيرات التي منحتها سيدتنا مريم العذراء الى اخوية طائفتنا الارمن هي كثيرة وعديدة في الزمن الذي كنا فيه متمسكين بها ولاجل تراخينا عنها فقدنا اولاً كنائسنا فاخذها الهراطقة ثم فقدنا كهنتنا ومطارينا حتى بطريركنا وكل صاحب مشورة في طائفتنا . وحرك الله قلوب بعض الاخوة فجددوا هذه الاخوية ونقلوها الى دير الاباء اليسوعيين في حلب في ١٧٥٢ في رئاسة الاب فرنسيس فرديتان كوسيت اليسوعي وهذا اقام لهم مرشداً الاب جبرائيل اليسوعي .

كثيرون من الاخوة هجروا العالم ودخلوا دير المخلص وهو دير الكريم الكائن في قرية غوسطا في كسروان وقدشاده المطران ابراهيم ازريفيان اسقف حلب الذي رقى ذرى البطريركية وتثبت من البابا بناديكتوس الرابع عشر السعيد الذكر باسم بطرس الاول وبعضهم ذهب الى رهبانيات متنوعة .

وفي سنة ١٧٥٥ اشتركت هذه الاخوية مع اخوية رومة الاولى الاولية فزاد ازدهارها الى ان شبان الروم الملكيين في بيروت ارسلوا تحريراً بصادقة اسقفهم يطلبون رسومها وترتيبها لكي ينشئوا في مدينتهم اخوية على مثالها سنة ١٧٦٨ . ثم في ١٨٠٣ قصد الى حلب بعض شبان ماردين موفدين من كهنتهم فتعلموا طرق هذه الاخوية لينشئوها في بلدتهم وكذلك اهالي بركنيك في ١٨١٦ بواسطة القس كاروبيهم كوبلي النائب البطريركي وقتئذٍ .

ولم تزل هذه الاخوية تجتمع في دير الاباء اليسوعيين وتحت ارشادهم حتى وبعد الغاء الرهبانية لان الاخوة نالوا من البابا بيوس السادس في ١٧٧٦ بقاء اخويتهم مع غفراناتهم في معبد القنصل كونه خالياً من الاخطار المسببة من

---

١) الاب ايمه شازو Aimé Chézaud ولد في ليون ١٦٠٤ دخل الرهبانية اليسوعية ١٦٢٧ جاء حلب في ٧ تموز ١٦٣٧ واقام فيها ١٥ سنة مات في جولفا قرب اصفهان في بلاد العجم في ١٤ ايلول ١٦٦٤ .

الامم ولم يزل الاباء اليسوعيون باذن خصوصي من رومـة وبرضا الرؤساء المكانيين يدبّرون هذه الاخوية الى العام ١٧٨٨ الذي سافر فيه الاب مخائيل اليسوعي الاخير فخلفه مرشداً لهذه الاخوية الاب فرنسيس اللعازري من جمعية الرسالات واستمرت هذه الاخوية في دير اللعازريـة الى العام ١٨٤٩ اذ نقلت الى الدار الاسقفية ومنها الى محل آخر الى يومنا هذا .

١٨٨٥

٢٠ شباط : توفي السيد بولس حاتم[1] وفي اليوم التالي احتفل بدفنه في الكنيسة بحضور البطريرك السرياني والسيد غريغوريوس اسقفنا وكهنة الطوائف والقناصل واولاد المدارس والموسيقى فأبنه الخوري انطون قندافت والورتبيد بولس بليط والقس نقلاوس كيلون والقس توما الكلداني

٢٥ اذار : اجتمع الكهنة ورؤساء الشعب من طائفة الروم تحت رئاسة السيد غريغوريوس بليط الارمني لاجل انتخاب خلف المثلث الرحمات السيد بولص فنال الاب بطرس جحا احد عشر صوتاً اي اصوات الكهنة الامر الذي لم يسبق له مثيل ففرح الشعب وقرعت الاجراس .

٢٤ نيسان : سافر الاب بطرس جحا المنتخب اسقفاً لطائفة الروم .

٢٢ حزيران : حضر الينا السيد كيرلوس جحا مطران الروم وصار احتفال عظيم بدخوله الكنيسة ويوم تاريخه ايضاً ورد تافراق من غبطة البطريرك بولص الماروني بانتخاب القس بولص حكيم اسقفاً لموارنة حلب فاوعب السرور قلوب الجميع لحسم هذه المادة .

٤ تموز : سافر القس بولص حكيم الى بيروت فبكوكي . انتقلنا من الارميدة[2] الى دار بيت زيدان لان الارميدة انكرت الى دائرة الكرك ولما كان اولاد المدرسة قد اخذوا الخاونات فاعطانا سيادته لقاءها عشرة خاونات من الكنيسة وامر بان ينجز لنا ايضاً اثني عشر خاوناً .

١) كانت سيامته اسقفاً سنة ١٨٦٣ وفي ايام كهنوته كان من مقاومي اخوية العابدات (راجع سابقاً سنة ١٨٣٠) .

٢) غرفة مسقفة « بالقرميد » واقعة عند مدخل شارع التال بجنوب قريباً من قبر السهروردي .

٢٤ آب : عاد من بيروت السيد بولس حكيم مطران الموارنة وكانت سيامته في ٢٥ تموز وصار احتفال عظيم بدخوله .

٣٠ آب : سافر الى بيروت البطريرك جرجس شلحت لحضور المجمع الطائفي وسافر معه عدة شبان لدخول الرهبانية .

٢١ آب : ليلة تاريخه صارت زينة عظيمة احتفالاً بجلوس ملكنا عبدالحميد خان فصار في الجميلية حراقة رنوية وموسيقى وصار استقبال للمطارين والقناصل وفي اليوم التالي رفع المطارين تلغرافاً الى الذات الشاهانية بالتهنئة وجاء الجواب بالشكر فدعا الوالي المطارين وقرأ عليهم التلغراف شاكراً .

١٨٨٦

١٠ كانون الثاني : انتخب متقدماً فرج الله خوام وكان المرشد القس بولس بليط ورفعنا من لائحة الاسماء ١٩ ممن ترهبوا او تزوجوا او انقطعوا عن الحضور فاصبح عدد المشتركين ١٢٥

٢٥ حزيران : صباح الجمعة دخل حلب السيد غريغوريوس يوسف بطريرك الروم الكاثوليك وبعيته السيد ملاتيوس فكاك مطران بيروت وجبيل والايكونوموس مخائيل شرم والخوري يوسف حنا فلاقاهم عند السبيل السيد كيرلس جحا متروبوليت حلب مع كهنته واراخنة الشعب وغيرهم وكان الوالي جميل باشا قد ارسل ترجمانه يوسف جد ليقوم بواجب الاحترام نحو غبطته وسيادة المطران وارسل لهما بدكاً اي رأسين من الخيل مسرجين بسرجين مثنين مرصعين بالفضة مع عجلته المخصوصة ورئيس البوليس مع طائفة من العسكر الخيالة والشرطة فركب غبطته العجلة حتى دنا من المدينة فامتطى الجواد المطهم وجنا الموكب الحافل دخل باب المدينة . . . وصدحت موسيقى مدرسة الاباء الفرنسيسكان . . . (ب ٨٢٥)

١١ تموز : دعا جميل باشا الوالي الى مأدبة في قناة غبطة البطريرك غريغوريوس يوسف والسادة المطارنة ملاتيوس فكاك وكيرلس جحا وغريغوريوس بليط لاوني وبولس حكيم الماروني ومطران الروم الغير الكاثوليك ورئيس طائفة السريان والارمن الغير الكاثوليك ورئيس الاباء الفرنسيسكان واليسوعيين وكانت مأدبة في منتهى الانتظام . (ب ٨٢٧) .

٩ آب : عاد من كلس مرشدنا الورتيت بولس بليط وصار على يده ارتداد عشر عيال .

١٩ آب : صدر الامر الهمايوني باهداء الطغراء السلطانية [1] الى غبطة البطريرك غريغوريوس يوسف فاقام في كنيسة حلب يوم عيد التجلي صلاة الدعاء للسلطان . (ب ٨٣١) .

٣١ آب : زينت البلد لعيد الجلوس الشاهاني وزار الرؤساء الروحيون ومنهم البطريرك غريغوريوس والينا جميل باشا فقابلهم باحسن قبول .

١٠ ايلول : خرج البطريرك غريغوريوس يوسف من حلب فوصل الى بيروت في ١٦ آب عن طريق الاسكندرون على الباخرة الافرنسية الحاملة في الوقت ذاته من الاستانة الطغراء الممنوحة لغبطته من السلطان . (ب ٨٣٥) .

وكان قد خرج لوداعه جمع غفير وذهب صحبة غبطته الاخ عبدالله كرماج من اخويتنا ليدخل الدير .

١٣ ايلول الساعة ٢ في الليل شرف غبطة البطريرك جرجس شلحت قادماً من الشرفة .

٧ تشرين الثاني : ابتدات العمارة في محل الاخوية وسوف يصير اجتماع الاخوة في الكنيسة الكاتدرائية .

١٣ كانون الاول : ورد تلغراف في نقل والينا جميل باشا الى ولاية الحجاز وسيخلفه عثمان باشا والي الحجاز .

١٨٨٧

١ كانون الثاني : وردت البشرى بان غبطة بطريركنا اسطفانوس عازاريان انتخب وفداً لكي يقدم الى امام الاحبار قداسة البابا لاون الثالث عشر هدية جلالة مولانا السلطان الاعظم عبد الحميد خان مع كتاب بخط يده وهذه الهدية هي خاتم الماس بزليان وانه سيسافر قريباً الى رومة ليتسلم هذه المهمة الغير مألوفة .

١٣ كانون الثاني : وصل حلب عثمان نوري باشا والياً عوض جميل باشا . (ب ٨٥٦) .

٢٦ شباط : تقرر انشاء محلة جديدة غربي حلب في محاذاة طريق العجلات تسمى باسم السليمية تيمناً باسم سليم افندي بكر انجل السلطان . (ب ٨٥٨) .

---

١) الطغراء هي صورة توقيع السلطان وكانت ترسم من عهد الاوغوز والسلجوقيين منذ القدم وترقم على النقود والاعلام والوثائق الرسمية والتياشين وغيرها . (راجع في هذه المادة دائرة المعارف الاسلامية لموتسما) ولا يتضح من المتن ماهية الطغراء التي اهديت الى البطريرك ولعلها الفرمان وزيرق ذلك باعين المسيحيين لانه وضع سابقة كانوا ينفي عنها ان يحتاج البطريرك الى فرمان ليقوم بوظيفته كانه يتقلدها من السلطة العلمانية .

٦ آذار : وردت اخبار الجرائد في مقابلة السيد عازاريان قداسة الحبر الاعظم مع الوفد الشاهاني .

قالت جريدة الاوسرفاتوره رومانو في ١٧ شباط ١٨٨٧ ان السيد عازاريان بطريرك الارمن الكاثوليك يم رومة ليس ليقدم فروض الاحترام الى راس الكنيسة في فرصة يوبيله الكهنوتي فقط بل ليسلم ايضاً الى الاب الاقدس هدية السلطان المعظم عبد الحميد خان مع رسالة بخط يده الشريفة وقد تعين وقت المواجهة امس تاريخه فنحو الساعة ١١ افرنجية حضر غبطة البطريرك يصحبه السيد كوبليان والسيد روبيان رئيس المدرسة الارمنية ونائب الرئيس وكانا اسراره ووكلاء البطاركة الشرقيين والرهبانيات الارمنية وتلاميذ المدرسة الارمنية وسائر تلاميذ مدرسة الفروباغنده من طوائف مختلفة من تبعة الدولة العلية وعند دخولهم كان الحرس البابوي باجمعه مصطفاً بالنظام والترتيب اللائق وبعد الظهر خرج قداسته من مخدعه الخصوصي يصحبه حاشيته فدخل قاعة الاستقبال التي اعدت كما في الاحتفالات الغير المألوفة وجلس على العرش وحوله حسب العادة ثلاثة كراسي لنيافة الكردينال سيمونى رئيس مجمع انتشار الايمان المقدس ونيافة الكردينال باروكي نائب قداسته العام ونيافة الكردينال جاكوبيني مستشار الديوان البابوي وكان تجاهه السيد كريتوني كاتم اسرار المجمع وبقية حاشية قداسته . وكان البطريرك لابساً البليون الذي يستعمل في الاحتفالات الكبيرة والنيشانين العثماني والمجيدي وبعد ان احنى ركبتيه حسب العادة تقدم نحو العرش وخلفه السيد روبيان حاملاً غرقاً من مخمل وردي مطرزاً بالقصب وعليه رسالة جلالة السلطان والسيد كوبليان حاملاً صينية من فضة عليها حق مختوم ضمنه الخاتم فوقف الجميع وتلا غبطة البطريرك الخطاب الاتي باللغة الايطالية :

ايها الاب الاقدس

قد نلت الشرف الوسيم ان اسلم لقداستكم رسالة مكتوبة بيد جلالة السلطان ملكي المعظم الذي اراد ان يقتفي آثار ابيه المعظم ذي الذكر المخلد ويعرب بادلة ساطعة واضحة عن صداقته الخالصة واعتباره الفائق لامام الاحبار

الذي عمّت فضائله السامية المسكونة باسرها فتكرم ان يهدي الى قداستكم. هذه الهدية النفيسة ثم ان جلالته اكراماً لذاتكم الشريفة قد تنازل واحسن بالوسام العثماني والمجيدي العالي على نيافة الكرادلة والاساقفة المحيطين بقداستكم والمساعدين لها باتمام مهامها السامية ولما كان قد وكل الي ان اسلم قداستكم هذه الهدية فاني اعتد ذاتي سعيداً اذ انتهز هذه الفرصة لكي اقدم شهادة جديدة عن الاعتناء الابوي والنعم الممتازة التي بها الذات الشاهانية تحامي عن اتباعها الذين فكرها الوحيد ورغبتها الحارة انما هي نجاحهم وراحتهم فاننا والحمد لله حاصلون على اتم الراحة في وفاء امور ديانتنا ومالكون حرية يحسدنا عليها بكل حق كثير من مسيحيي بلاد اخرى لذا يترتب علينا ان نرفع اكف الضراعة الى الاله المتعال ان يحفظ حياة سلطاننا المعظم ويوليه النجاح والتوفيق ويحقق امانيه ومقاصده الشريفة الكريمة ومن حيث ان جلالة السلطان قد وكل الي هذه المهمة الشريفة فهذه برهان ساطع على رضاها العالي عن امانتنا وتعلقنا بالسلطة السنية لذا استطيع ان اؤكد لقداستكم باني مع جميع كهنتي وشعبي قد بذلنا قصارى جهدنا في الطاعة والخضوع الى الذات الشاهانية والى احكامها الشريفة وذلك فرض علينا فاسمح لي ايها الاب الاقدس ان اتخذ هذه الفرصة الاحتفالية كي اودع عند قدميكم حاسات احترامي البنوية واكرامي الفائق مع حاسات اولادكم الكاثوليكيين اتباع جلالة السلطان المعظم الامينين وان اطلب بركتكم الرسولية.

حينئذ نهض قداسته واجاب :

اننا نقبل بكامل السرور من يدكم الرسالة والهدية التي جلالة السلطان المعظم قد وكل اليكم تسليمنا اياها شخصياً وقد اضحينا بغاية السرور ان يبرهن لنا ذلك عن خلوص مودته لنا ووسامات الشرف العالية التي احسن بها الى الكرادلة والاساقفة المساعدين لها هي كذلك دليل واضح على هذه الامنية اننا نسر ونفرح من ان هذه المهمة الغير العادية قد وكلت الى بطريرك كاثوليكي تحقيقاً لرضى جلالته عن امانة الشعب الكاثوليكي الخاضع لها فهذه الامانة هي فرض مقدس واننا متأكدون انهم لا يخونون بها ابداً

لا بل تزداد وتضاعف كلما ازداد الاحسان اليهم بما هو عزيز عليهم اي الحرية في استعمال الامور الدينيّة . فنحن ايضاً نعتبر هذه الحرية التي لكم الآن ونؤمل انكم ستحصلون على ازديادها فلا شيء يسرنا اكثر من ذلك لانه راجع الى الخير العام فنطلب اليك ايها السيد ان تنوب عنا بابلاغ هذه الحاسّات الى جلالته وتؤكد لها حسن رغبتنا في حصولها على الامساني والنجاح وأكّد كذلك الى الارمن الكاثوليك محبتنا الخاصة الخصوصية لهم ولباقي اولادنا الشرقيين المحبوبين منا ورغبتنا الحارة في ازدياد عددهم برجوع الجميع الى الوحدة فنطلب اذاً من الراعي الازلي ان يتمم رغبتنا هذه واننا نمنح لك ولجميع الكاثوليك الخاضعين لبطريركيتك كما الى هذه نخبة الشبان الارمن التي حولنا بركتنا الرسولية .

ففي نهاية الخطاب جلس قداسته وقبل من يد السيد عازاريان الرسالة والحق الحاوي الخاتم فقض ختامه فاذا هو خاتم جميل من قطعة واحدة برليان كبيرة الحجم . فرفع قداسته خاتمه ولبس هذا الخاتم واظهر تعجبه من نفاسته وكبره وقد اعطى قداسته الى الكرادلة والاساقفة الرسومات المحسن بها من جلالة السلطان وكان قداسته لابساً البطرشيل الذي اهداه له غبطة السيد عازاريان في فرصة يوبيله الكهنوتي وهو نفيس جداً وبعد نهاية ذلك خرج غبطته مع من كان يرفقه وهكذا قد تمت هذه المواجهة .

٢١ نيسان : انعمت الحضرة السلطانية بالشفراء على غبطة البطريرك السرياني جرجس شاحت فارسل غبطته من يستقبلها في الاسكندرونة . (ب ٨٦٦ ، وراجع سابقاً ١٩ آب ١٨٨٦) .

٢٩ ايار : يوم تاريخه ورد تلغراف من السيد عازاريان بطريركنا المغبوط مآله انه تشرف بالمثول لدى الذات الشاهانية وانه نال التفاتاً غير مألوف وقد تعطفت بان تهدي سلامها الى جميع المرخصين بناء على ذلك تلا سيادته في نهاية القداس دعاء للذات الشاهانية ايد الله ملكه .

٢٢ ايلول : صار توزيع الجوائز على طلبة مدرستنا الارمنية سبق ذلك خطب ومحاورات بالتركية والعربية وحضر الحفلة سيادة راعينا والاكليروس ووجهاء الطائفة واهالي التلامذة وقد سر الجميع بما رأوه من نجاح وتقدم المدرسة بالعلوم والتهذيب .

٣٠ حزيران : في اواسط الجاري قرئ في كنيسة الروم الكاثوليك الكاتدرائية المنشور البطريركي المنادي بوجوب الاشتراك في يوبيل قداسة الحبر الاعظم وفي هذه المناسبة القى المطران كيرلس جحا خطاباً بليغاً .

لقد اسس سيادته من نحو سبعة اشهر مدرسة كبيرة نصف داخلية لتدريس اللغات العربية والتركية والفرنسية والانكليزية فجمعت على حداثة نشأتها نحو ١٥٠ طالباً ولها ثمانية معلمين . وهي في دار فسيحة وقفها بطرس حمصي . (ب ٨٧٥) .

٦ تشرين الاول عُزل والينا الحاج دولتلو عثمان باشا وسيخلفه حسن باشا الشقودرلي وسر القوم لهذه الخبرية لان دولة المشار اليه قليل الاكتراث في امور الاحكام عدا انه مريض بمرض عضال يكاد ان لا يشفى منه .

٢٠ تشرين الاول : اقيم حسن باشا الاشقودرلي العضو في لجنة الاشغال العمومية والياً على الشهباء . (ب ٨٩١) .

٢٤ تشرين الاول : حضر الى حلب والي الولاية خلف عثمان باشا وخرج لاستقباله الاعيان ومتوجهو الطوائف واولاد المدارس بالانشاد والتراتيل .

٢٧ تشرين الاول : سافر عثمان باشا والي الولاية السابق الى بيروت لاجل التطبب وسافر ايضاً سيادة المطران تاوفيلوس انطونيوس قندلفت موفداً من قبل بطريرك السريان ليقدم الى امام الاحبار هدية هذه الطائفة بفرصة يوبيله الكهنوتي .

٦ تشرين الثاني : ارسلت اخويات الاومن الكاثوليك في حلب تحريراً الى قداسة البابا لاون الثالث عشر تهنئه بيوبيله الكهنوتي وكان عدد ابناء تلك الاخويات كما يلي :

اخوية الحبل بلا دنس	١٢٠
« الروح القدس	١١٠
« البشارة	١٣٠
« مار الياس	١٥٠
« الاحداث	٨٥
« قلب مريم	١٩١٥
المجموع :	٢٥١٠

٨ تشرين الثاني : اشعر القوم بحلب بزلزلة من الغرب للشرق دامت نصف دقيقة لكن لم ينجم عنها ضرر .

سام البطريرك جرجس شلحت المورفسقفس لويس رحماني اسقفاً لارما . (ب ٨٩٦) .
١٥ كانون الاول : قدم السيد كيرلس جحا الى الحبر الاعظم باسم الروم الكاثوليك في حلب تاجاً بابوياً تحفة بديعة بشكله وجزيل قيمته وقد صنع في الشهباء . (ب ٨٩٩) .

١٨٨٨

٢٥ كانون الثاني : التقدم اكوب صدقل الكاتب اسكندر شاهين عدد الاعضاء المشتركين ١٣٩ .
١٩ شباط : توفي القس اوغسطينوس عازار الماروني عن ٣٦ عاماً وكان شاعراً له القصيدة التي نشرها البشير (ب ٩٠٤) ليوبيل لاون الثالث عشر . (ب ٩١١) .
٤ اذار يوم تاريخه ورد خبر من رومية بنياح السيد بولص حكيم مطران موارنة حلب .
١٨ نيسان : اتلفت كميات وافرة من بزر الجراد في قضاء منبج والجفتلكات السلطانية في ولاية حلب . (ب ٩١٨) .
٢٥ نيسان : سافر الى الاستانة المطران كيرلس جحا . (ب ٩١٩) .
٢ ايار : كلف الاهالي لاتلاف الجراد . (ب ٩٢٠) .

٣ حزيران : يوم تاريخه صباحاً بعد قداس سيادته تلا الورتبيت الاب بولص بليط منشور السيد استفان عازاريان بطريرك الارمن الكاثوليك بحلب اعلم به ارتداد الكوبالياليين جميعاً الى حضن الكنيسة المقدسة وذلك بحضر الشعب ووجوه الطائفة وتلي الدعاء للسلطان[1]

١٣ حزيران : امطرت السماء مراراً فتميز الهواء وعاد الناس الى لباسهم الشتوي . وفي ٧ الجاري استحجبت الشمس بجيوش الجراد الذي مرّ فوق الشهباء ثم استقر منتشراً على الارض حتى غطى وجهها في البساتين والمروج وفي احياء المدينة لكنه لم يأت باذى (ب ٩٢٥)
١٥ حزيران : عاد المطران كيرلس جحا من رومة ومعه نيشان القديس سلفستروس لبطرس حمصي ورزق الله وكيل (ب ٩٢٧) .
٢٧ تموز : توزيع الجوائز في مدرسة الروم الكاثوليك حضرها الوالي حسن باشا مع كبار مأموري الولاية والقى فيها برتو بك خطاباً بالتركية وكمال بك رئيس مجلس المعارف خطاباً بالافرنسية وكانت موسيقى البلدة تشنف الاذان باجمل الالحان (ب ٩٣١) .
١٥ آب : سام المطران كيرلس جحا الشماس فيلبس حرّو كاهناً .

---

١) راجع في هذه المادة ملحق جريدة البشير بعد ١١ آب ١٨٧٩ عدد ٤٦٨ ثم عدد ٤٧٣ والخلاصة انه في ١٨٧٠ انقسم الارمن الكاثوليك بان جعل بعضهم المجلس الملّي مستقلاً عن الكرسي ومن هؤلاء المطران كوبليان وحزبه وقد تذرعوا بالسلطة المدنية لتنفيذ رأيهم وانضم اليهم بعض المختاريين في البندقية . ثم انهم ارتدوا عن غيهم واعلنوا خضوعهم للسلطة الشرعية بشخص البطريرك حسون المثبت من الكرسي الرسولي .

احسنت الدولة العلية بالوسام العثماني من الطبقة الرابعة على نعوم ثابت ترجمان قنصل البرتغال . (ب ٩٣٦) .

٢٩ تشرين الثاني : احتفل الاباء اليسوعيون في كنيستهم في ايام الاثنين والثلاثاء والاربعاء باعياد القديسين بطرس كلافر وافونس وودريكس ويوحنا بركمنس واشترك في الحفلات السيد المطران انطونيوس قندلفت السرياني والقس يوسف صفان الكاهن الارمني والخوري بولس اودو الكلداني والقس ارسانيوس دياب الماروني وختمها المطران كيراس جحا (ب ٩٦٨) .

٢٣ كانون الاول : المتقدم حبيب صائغ الكاتب سليم تدياق .

٣١ كانون الاول : الاثنين احتفلت جميع الكنائس الكاثوليكية بختام ايوبيل (ب ٨٠٥)

١٨٨٩

٦ كانون الثاني : وفاة نوبل مركوبولي عن ٣٧ عاماً .

ارتفعت اسعار الفحم ارتفاعاً فاحشاً بسبب محتكري الفحم لكن البلدية احبطت مساعيهم (ب ٩٥٣) .

١٠ شباط : انتهاس حنا بليط وعظ عظة جيدة موضوعها الاتكال على الله .

٣ اذار : باسيل شماع ارتسم شماساً انجيلياً بيد السيد كيراس جحا وسمي ملاتيوس .

٦ نيسان : تقرر الفحص عما اختلس من الاموال العسكرية في حلب فكان مجموعه ثلاثة ملايين غرشاً لا مليوناً وتسعمائة الف غرش كما شاع سابقاً وقد يتهم كثيرون من المأمورين بتلك الحادثة (ب ٩٦٤) .

٢٠ نيسان : يوم تاريخه سبت النور ورد تلغراف من حضرة بطريرك الموارنة في جبل لبنان الى القس جرجس منش بحلب من طائفة الموارنة بانتخابه مطراناً .

٢٩ منه : توجه من حلب القس جرجس منش الماروني الى الجبل الكي يرتسم مطراناً على حلب وبرفقته القس نيقلاوس كيلون .

٣٠ منه : ورد تلغراف من بطريرك الموارنة الى المذكور اعلاه بعدم طلوعه من حلب وبحيث توجه امس تاريخه الاب جرجس منش لذلك بقي في الاسكندرونة موقتاً .

٦ ايار : انعمت الدولة العلية بالوسام العثماني من الرتبة الرابعة على الدكتور لورس (ب ٩٦٧) .

٢٢ حزيران : انعم الخير الاعظم على جرجي ثابت بوسام القديس غريغوريوس (ب ٩٧١) .

٢٢ حزيران : مساء حضر القس جرجس منش والقس نيقلاوس كيلون الى حلب .

٦ تموز : اهدى البابا لاون الثالث عشر وساماً الى زكي بك المدرس عن طلب بطريرك السريان (ب ٩٧٣) .

١٥ ايلول : تلي منشور في الكنيسة حرمت فيه الماسونية وطبع المنشور ووزع على الاهالي

٦ تشرين الاول : رسامة الكاهنين حنا بليط وجرجس صقال .

١٩ تشرين الثاني : توفي عزنلو رزق الله وكيل عن ٥٠ عاماً وكان ديناً تقياً وكان عضواً لمجلس ادارة حلب (ب ٩٨٦) .

١٠ كانون الاول : توفي الشيخ الفاضل جبرائيل خوكاز عن ٨٣ عاماً وله اتعاب كثيرة في الاخوية وتعليم الاحداث .

١٨ كانون الاول : ظهر الوباء الاصفر في الموصل فضرب الحجر الصحي على حدود حلب (ب ٩٩٢) .

١٨٩٠

٨ كانون الثاني : رفع الى الصدارة العظمى طلب امتياز لانشاء شركة وطنية لتسيير المحلات قانونياً بين اسكندرونة وحلب لنقل الركاب والبضائع (ب ٩٩٥) .

٢٧ شباط : تعين والياً لبلدنا حلب صبحي بك متصرف بيروت . فتوجه والينا الى حسن باشا الى استنبول .

٣ اذار : جاء تفسيح بابوي من الصوم والقطاعة لسبب انتشار الامراض .

٢٥ اذار : رقي البطريرك جرجس شلحت ابن اخيه جرجس الى الدرجة الكهنوتية وكان الكاهن الجديد في ٢٣ من عمره وقد تعلم في مدرسة الاباء الفرنسيسكان في حلب وفي مدرسة الاباء اللازاريين في عين طورة وفي الاكليريكية السريانية في لبنان (ب ١٠٠٨) .

١ ايار : وصل الى حلب عارف باشا واليها الجديد خلف حسن باشا وعين لعضوية مجلس الادارة زكي المدرس احمد عادلي اسعد جاوري قره جه كيورك حبيب سابا واسحق بتو (ب ١٠١٣) .

١٧ ايار : توفي التلميذ شكري عبدالله الخوري فابنه في المقبرة يورغ كي تاجر .

٢١ ايار : جاء حلب من الموصل البطريرك ايليا عبو الكلداني نزل ضيفاً في بيت جرجي حمصي . وفي الكنيسة صلى وخطب شاكراً للمحسنين كرمهم في عمار الكنيسة للكلدان (ب ١٠١٧) .

٤ حزيران : فتح الله الحداد الحلبي امتاز بصناعة النسيج ونافس بها الصناعة الاجنبية بالمتانة ومهاودة الاسعار وعرضها في السوق في حلب ثم في بيروت فنال نجاحاً باهراً (ب ١٠١٥) .

٣ تموز : شبت النار في مخازن خشب لانطون مكربته في محلة قهوة بشير باشا فامتد اللهيب الى املاك الخواجات غزاله ونعوم صلايا التاجر بالسمن والزيت فاسرع الفريق ثابت باشا وبمعيته فرقة من العساكر فاخذوا باخماد اللهيب فاطفئ بعد اربع عشرة ساعة (ب ١٠٣١) .

٣٠ تموز : ظهر الجراد واتلف محاصيل البلد الصيفية ووضعوا المحاجر الصحية في حران وبيراجيك والرقة ومسكنه لحجز واردات ديار بكر المصابة بالهواء الاصفر (ب ١٠٢٣)

٢٧ آب : فقد من كنيستنا كأس القربان المقدس وفيه بعض القربانات وفقد مفتاح بيت القربان

٢١ ايلول : حرم سيادته في نهاية القداس الانسان الذي سرق كأس القربان .

٨ تشرين الاول : فشا الهواء الاصفر في حلب واصيب به ١١٣ سنات منهم ٧٧ (ب ١٠٣٣) .

٤ تشرين الثاني : زال الهواء الاصفر من حلب (ب ١٠٣٧) .

١٦ تشرين الثاني : الشماس الانجيلي اوغسطينوس صائغ الفى في اخويتنا عظته الاولى وتكلم عن محبة الله .

١٨٩١

٢١ كانون الثاني : هطلت الامطار في حلب بغزارة ووقع الثلج وغطى سطح الارض بقدر اربعة سنتيمترات (ب ١٠٤٨) .

٢٥ كانون الثاني : المتقدم يوسف حلاق الكاتب اسكندر شاهين عدد الاعضاء العاملين في الاخوية ١٣٨

في هذه السنة وقع الهواء الاصفر وهاجر عدة اخوة .

١ اذار : ورد منشور من السيد يوحنا الحاج البطريرك المارونى الى الطائفة المارونية في حلب يأمر به الكهنة ومشايخ الشعب ان يجتمعوا لانتخاب اسقف لهم .

٧ حزيران : سام السيد كيرلس جحا كاهناً الشماس ملاتيوس شماع على كنيسة الروم الكاثوليك الكاتدرائية في حلب واعاد له اسمه القديم (باسيليوس) .

٢٨ حزيران : ظهر الهواء الاصفر في قرى العمق وما يليها غربي حلب فضربت الحكومة الكرنتينا عليها .

٥ تموز : منذ يومين اي الجمعة ٢ تموز قرر الاطباء الماهرون في بلدتنا ان الهواء الاصفر فشى فيها فشمل الخوف قلوب الاهالي فوقفت حركة التجارة واخذت الناس بالتيقظ والتحفظ من اسباب الداء الملعون واخصها البرد والعدوى

والاكل الغليظ الهضم واعلنت التلغرافخانة بانه لا عاد يأتي وابورات الى سكة الاسكندرونة لانه ترتب عليها كرنتينا والبريد تبدل ايام سفره وشرع البعض من الاهالي منهم من يرحل الى ديار اخرى ومنهم من ينفرد من الاجتماعات ومنهم من يرحل الى البساتين قصد الانفراد .

١٩ تموز : بلغت الوفيات عند المسيحيين ١٦ او ١٥ يومياً اما الاسلام فوفياتهم غير معروفة لكثرة مقابرهم .

٢٧ تموز : الوفيات من الهواء الاصفر يومياً ١٢٠ (ب ١٠٧٦)

١ آب : لا تزال الوفيات عند المسيحيين يومياً ١٠ او ١٢ بالهواء الاصفر .

٩ آب : أصيب بداء الهواء الاصفر القس بطرس صباغ بعد ان قدم الذبيحة الالهية في كنيستنا الارمنية المبنية على اسم القديس الياس الواقعة في محلة العنكبوت يوم الثلاثاء الواقع في ١١ منه غاساً الساعة ١٠ بعد ان تزود بالاسرار الكنائسية (ما خلا القربان المقدس خوفاً من القيء) وفي الساعة الخامسة من النهار نفسه شيعت جنازته داخل صندوق موضوع عليه حلته الكهنوتية الى المقبرة العمومية في البرية وامامه افيف الكهنة عدى سيادة المطران وما ادخلوا الجنازة الى الكنيسة وفقاً لقانون الصحة العام واحتفل في الكاتدرائية بالجناز من اجله في ١٣ منه .

٦ ايلول : وفاة القس جرجس صقال بالهواء الاصفر فصارت جنازته مرتبة كجنازة القس بطرس صباغ وكان المرحوم مستبسلاً في خدمة المصابين بالوباء وممن رثاه ليون عبدالله خوام .

١١ تشرين الاول : في مدرسة الروم صار توزيع المكافآت على اولاد التعليم المسيحي بعناية الاباء يولس بليط وميخائيل شحود وباسيليوس شماع .

٢٢ تشرين الثاني : ورد امر من الحكومة السنية باغلاق المدارس لسبب مرض وجعة الحلق الذي فشى في بلدتنا وبلغنا ان الهواء الاصفر لا يزال متفشياً في دمشق ذلك مما كدر راحة الناس .

٧ كانون الاول : اخذ اخوة التعليم المسيحي يعلمون في الليل الجهال

والاولاد كل جمعة اربع ليالي من الساعة ٢ الى ٤ في محلات الغوري والقبب وزقاق الطويل والهزازه والعاشور .

وفيه سافر السيد تاوفيلوس انطون قندلفت السرياني النائب البطريركي في بيروت والمرسوم على كرسي طرابلس .

٨ كانون الاول : الثلاثاء ليلاً الساعة الواحدة ونصف عربية توفي البطريرك اغناطيوس جرجس شلحت السرياني في حلب بعد مرض قاساه من ١٠ الى ١٢ يوماً بداء حمرة ظهرت في عنقه وفي صباح يوم الاربعاء شيعت جنازته من دار البطريركية الى الكنيسة محمولة على كرسي متشحة بالحلة الحبرية يتقدمها جميع كهنة الكاثوليك بحلب من فرنسيسكان وروم وارمن وموارنة وسريان ويسوعيين وكلدان والسيد كيرلس جحا وكان المطران غريغوريوس بليط مريضاً فلم يأت وحضر الحفلة كل القناصل قنصل فرنسة وايطالية وروسية وبلجيكة والعجم واليونان واكابر الافرنج وفريق باشا ومكتبجي بك والدفتردار بك وعلي باشا وباشة الجندرمة وباش بوليس وفرقة نظامية وموزيقة اولاد مدرسة الفرنسيسكان وموزيقة اولاد مدرسة الروم الكاثوليك يضربون بالموسيقى آلات الحزن وجمع غفير ورثاه اولاً السيد كيرلس جحا وبعده القس يوحنا بليط الارمني وبعده القس ارسانيوس دياب الماروني ثم القس جرجس شلحت السرياني وقد بلغ من العمر نحو خمس وسبعين سنة سيم كاهناً في ٢ شباط ١٨٤٣ واسقفاً في ١٨٦٢ وبطريركاً في ١ تشرين الاول ١٨٧٤ ترأس مجمع السريان الطائفي وانشأ رهبانية في دير الشرفة وفي ماردين وكان محباً للفقراء وأعطي جملة نواشين وفرامين من دولتنا العلية ومن دول الاجانب دفن في الكنيسة في السكرستية التي بجانب هيكل الوردية في لحد جديد .

١٠ كانون الاول : الخميس مساء أعدت في الكنيسة السريانية هيئة مأتم البطريرك الفقيد احتفالاً بالجناز لثالث يوم وفاته وفي الساعة الرابعة عربية اشتعلت النار في الكنيسة واقبل جمع غفير من المسيحيين لاطفاء الحريق وكان قد اخذ يلتهم نصب الجناز الموضوع في وسط الكنيسة ويمتد الى الحلة البطريركية الثمينة والعكاز والصليب والكرسي والتاج المرصع بالجواهر مع

الباليوم الرسولي وتمكنوا من اطفاء النار وقدرت الخسارات بالمجوهرات وغيرها بما بلغ ثمنه نحو خمسمئة ليرة عثمانية وفي اليوم التالي اغلقت ابواب الكنيسة ولم تقرّب فيها الذبائح لشدة ما قاساه الكهنة في الليل من المشقات المظيمة وتأجلت حفلة الجناز الى اليوم التاسع للوفاة وفيه حضر الى حلب الخوري حنا معمارباشي المنتدب الى اسقفية الشام لكي يرقى الدرجة الاسقفية ولم يوفق الى ذلك بسبب وفاة البطريرك وورد تلغراف من السيد بهنان اسقف الموصل يعلن تفويضه عن رومة في نيابة الكرسي البطريركي وبه يقيم نائباً عنه في حلب الخوري يوسف اسنبولية

١٨٩٢

المتقدم رزق‌الله شادير الكاتب اسكندر شاهين عدد الاعضاء العاملين ١٥٦

٢١ كانون الثاني : وردت رسالة من السيد كودنسيو القاصد الرسولي في بيروت ينعي الينا الكردينال يوحنا سيموني رئيس مجمع انتشار الايمان ويطلب الصلوات من اجله وفي ٣ شباط احتفل بالجناز بعد القداس من اجله وابنه الورتبيد بولس بليط « ذلك الخطيب المصقع ».

١٧ اذار : احتفل الاباء اليسوعيون في كنيستهم بالجناز لاجل راحة نفس رئيسهم العام انطوان اندرلدي[1] وابنه الخورفسفوس يوحنا معمارباشي تلميذ اكليريكية غزير سابقاً.

٢ نيسان : جرى الاحتفال العظيم بنقل القربان المقدس من كنيسة الموارنة بمحلة الصليبة الى الكنيسة الجديدة الواقعة في محلة ما وراء المهارة في حلب المبنية حديثاً على اسم القديس الياس الحي نحو الساعة ١٠ عربية مشى اولاد المدرسة رافعين راية الصليب وما بعدهم الكهنة والشمامسة وما وصلوا الى المحل المسمّى ما وراء المهارة الا وكنت ترى الشعب المسيحي مزدحماً مكشوف الرأس احتراماً للقربان المقدس وفي اليوم التالي الاحد احتفل بالقداس الالهي

١) اندرلدي Anderledy الثالث والعشرون من رؤساء الرهبانية اليسوعية العامين ولد في سويسرة ١٨١٩ دخل الرهبانية اليسوعية في ٥ ت ١ ١٨٣٨ اقيم رئيساً عاماً ١٨٨٣ وتوفي سنة ١٨٩٢ (عن معجم اليسوعيين (Ludw. Koch S. J.: Jesuiten Lexikon)

الاب جرجس منش رئيس الطائفة بحضور وجوه الطوائف والقنصل الافرنسي وجمهور غفير وكان الفرح باسطاً اجنحته على رأس كل المسيحيين .

٨ نيسان : حضر من دير بزمار القس كركور عجمي المرسوم كاهناً على الكرسي البطريركي فقبله في حلب السيد غريغوريوس بليط على ان يخدم فيها موقتاً .

١ ايار : اجتمع المطران كيرلس جحا والمطران غريغوريوس بليط وعيّنا مرشداً لاخوة التعليم المسيحي الورتابيد بولس بليط ومعه المساعدين الاب مخائيل شحود والاب باسيليوس شماع .

٢٦ ايار : قدم الى حلب السيد فورلس صنام بني النائب الرسولي على طائفة السريان . قبل دخوله البلد اقام ساعتين في حديقة الفرحة لجرجي خياط واحتفل بدخوله الكنيسة وقدمت له التهاني بالعربية والفرنسية والتركية (ب ١٠٢٨) .

ويوم اثنين العنصرة سام اسقفاً على دمشق الخورفسقفوس معارباشي بمساعدة المطرانين كيرلس جحا وغريغوريوس بليط (ب ١٠٢٩) .

٧ كانون الاول : اطلعت مديرية المعارف على ان المطبعة التي فتحت باسم الطائفة المارونية في محلة الصليبة في حلب يطبع فيها كثير من الكتب والرسائل المنوعة بدون رخصة رسمية وقد فتشت ادارة البوليس عن محل هذه المطبعة فاغلقتها والمعاملة جارية في الحالة الحاضرة على صاحبها . وهذه المطبعة كان قد اتى بها المطران يوسف مطر سنة ١٨٥٦ اشتهرت بخدمتها الحكومة السنية فالامل بالعفو عنها وطيد . (ب ١٠٥٠) .

٦ حزيران : عند السريان صارت سيامة الخوري يوحنا معارباشي اسقفاً على دمشق بوضع يد السادة بهنام بني اسقف الموصل والنائب البطريركي السرياني والسيد كيرلس جحا والسيد غريغوريوس بليط والقس جرجس منش رئيس الموارنة والخوري بولس رئيس الكلدان والاب فيليبوس من الناصرة رئيس الفرنسيسكان والاب بطرس ديفرنه رئيس اليسوعيين بحضور قنصل فرنسة واعيان الطائفة السريانية وجمع غفير من كل الطوائف .

٣٠ حزيران : سافر الى دمشق السيد يوحنا معارباشي .

٣١ تموز : جاء حلب الخوري فرنسيس الشمالي والخوري بولس عواد وفداً من البطريرك الماروني يوحنا الحاج لانتخاب اسقف حلب ؛ بعد قراءة المنشور الصادر من غبطته اعلنوا لزوم ممارسة صلوات ورياضة روحية ابتداء من ٢٤

تموز ١٨٩٢ فارسها الكهنة يوماً فقط اما الشعب فكان يأتي اليها كل ليلة مساء من الساعة العاشرة حتى الغروب لمدة ثمانية ايام وكان الاقبال عظيماً على سماع الخوري فرنسيس الشمالي .

ولم تتوحد كلمة الموارنة في انتخاب اسقفهم فارسل اكثر الكهنة والشعب معروضاً الى غبطة البطريرك يسلمونه ارادتهم في تسمية من يراه اهلاً للاسقفية غير ان ما بقي من الكهنة والشعب اجروا الانتخاب في الكنيسة طبقاً للمنشور فاسفر عن ظهور ثلاثة اسماء نالت الاكثرية : الاب ارسانيوس ديب الاب كميل مارون الراهب الفرنسيسي الحلبي المارونى والاب بولس غالي المقيم في باريس ورفعت النتيجة الى البطريرك .

٣١ آب : افتتح تعليم للشبان في الشرعسوس في كنيسة القديس جاورجيوس .

اصدر السيد بهنام البني النائب البطريركي على السريان منشوراً دعاهم به الى انتخاب اسقفهم وسأل من كل طائفة كاهنين يحضران الانتخاب وفي تاريخه بعد الظهر اجتمع الكهنة المدعوون من روم وارمن وموارنة مع كهنة السريان ووجهاء الطائفة السريانية لتسمية ثلاثة اشخاص من اكليروس الطائفة جماء فتبددت الاصوات حتى اصبح عدد المنتخبين لهذه الوظيفة ٢٧ منهم ٢٤ كاهناً وثلاثة اساقفة .

اما اكثرية الاصوات فاستقرت على القس جرجس شلحت ثم على الخوري باسيل قندلفت ثم على المطران ثاوفيلوس انطونيوس قندلفت اسقف طرابلس .

٢٩ آب : توفي الاب فيلبوس الناصري رئيس دير الرهبان الفرنسيسكان في حلب عن اربعين عاماً عرف بغيرته اذ كان يخدم في السنتين الماضيتين المصابين بالوباء الاصفر ويوزع عليهم الاسرار .

٥ ايلول : سافر الى ابرشيته السيد بهنام بني اسقف الموصل والنائب البطريركي على السريان .

٧ ايلول : وصل الى حلب السيد كودنسير القاصد الرسولي على سورية ومهمته اعظمها تنفيذ وصية المثلث الرحمات البطريرك اغناطيوس جرجس شلحت فنزل في دير الفرنسيسكان .

٢٣ ايلول : سافر القاصد الرسولي عائدًا الى بيروت محل اقامته.

٢٠ تشرين الثاني : شرف هذه الحاضرة السيد يوسف فرحيان اسقف ديار بكر .

٢٧ تشرين الثاني : في الجمعة الماضية بامر الحكومة رفعت فعلة الاسلام نحو اربعمائة قبر لفتح الطريق بين بوابة الحل والعزيزية من امام مقبرة اللاتين وارض المشتقة ومن جملة القبور المرفوعة قبر ابن قاق الذي كان من جملة الاحد عشر شهيدًا الذين سفكوا دماءهم في سبيل الايمان الكاثوليكي سنة ١٨١٨ كما جاء ذلك في المجلد الاول من تاريخ هذه الاخوية .

١ كانون الاول : سافر الى القاهرة فرومة السيد فرحيان .

١١ كانون الاول : عاد السيد غريغوريوس الى تقدمة الذبيحة الالهية في القاعة بعد ان كان مريضاً من ٣ ايلول .

١٨ كانون الاول : صار الانتخاب : المتقدم فرج‌الله يوسف خوام الكاتب فتح الله رزق‌الله عرقتنجي .

وفيه اجرى الطبيب الطونيان عملية جراحية للسيد غريغوريوس بليط .

١٨٩٣

١ كانون الثاني : عدد الاعضاء العاملين ١٣٨

٨ منه : مساء الساعة ١١ عربية وصل الحاضرة سيادة المطران جرمانوس الشمالي اسقف الطائفة المارونية في حلب ولدى وصوله بوابة يعقوب بك خرج للقائه مع كهنة طائفته غيرهم من سائر الطوائف واولاد مدرسة الطائفة وعزفت الموسيقى فلبس سيادته الحلة الحبرية والكهنة حللهم وساروا بالترتيل الى الكنيسة بين جمع غفير وبعد السجود للقربان المقدس احتفل سيادته بالصلاة عن نفس سالفه وتلا خطبة تضمنت الدعاء والشكر .

المتقدم فرج‌الله خوام الكاتب شكرالله الياس حسون .

١٦ شباط : توفي مخائيل بطيخة المساعد الرابع مزودًا بالاسرار وفي الساعة ١٠ عربية جاء الى بيت الفقيد ابناء اخويتنا مع اخوة التعليم المسيحي واخوة اخوية الرهبنة الثالثة المقامة عند الاباء الفرنسيسكان واخوة اخوية اليسوعيين

وشيّعوا النعش محمولاً على يد الاخوة وهم مصفوفون بمنة ويسرة ولما بلغوا برابة الياسمين وزعت الشموع على جميعهم وتقدمتهم راية الرهبانية الثالثة مرفوعة ودخلوا الكنيسة ووقفوا الى جانب النعش ثم خرجوا وبيدهم الشموع والمسابيح الوردية مصلّين ثلثها وكان الفقيد من اهل التقى مشتركاً في عدة اخويات .

١٩ شباط : اوقف فرج الله مراياتي شمعدانين جوز على يديه للاخوية .

١٨٩٣

٣٠ تموز : جرى انتخاب مطران السريان في حلب ترأس الاجتماع المطران كيرلس جحا يصحبه خمسة كهنة روم وارمن وموارنة ورفعت النتيجة السرية الى النائب الرسولي ليبت فيها مع السادة الاساقفة (ب ١٠٨٦) .

١٩ آب : سافر الى بيروت السيد كودنسيو القاصد والنائب الرسولي .

٢٥ تشرين الاول : سام البطريرك جرجس شلحت الياس سالم كاهناً وهذا تعلم في دير الشرفة (ب ١٠٨٦) .

٣٠ كانون الاول : شبت النار في كنيسة السريان الكاثوليك واطفأ الحريق رجال الشرطة (ب ١٠٩٥)

١ اذار : عهد الى عبد الرحمن الكواكبي برئاسة بلدية حلب (ب ١٠٦٣) .

٢ اذار : حدثت هزة ارضية فخاف الناس ولم يحدث ضرر .

١٦ اذار : هطلت الامطار نحو ١٠ ايام متواصلة فزاد نهر قويق حتى علا على جسر الناعورة (ب ١٠٦٦) .

٥ نيسان : عهد الى مختار بك شريف برئاسة بلدية حلب (ب ١٠٦٧) .

٢٦ نيسان : احضر الدكتور قشيشو علاجاً لمداواة حية حلب (ب ١٠٧٠) .

٨ حزيران : وصل الى حلب آتياً من عنتاب السيد غودنسيو بنفيلي القاصد الرسولي على سورية والنائب الرسولي في حلب .

٢٧ تموز : فشا الهواء الاصفر والوفيات يومياً لا تقل عن ١٢٠ (ب ١٠٧٦) .

١٨٩٤

المتقدم رزق الله الياس شاديو الكاتب بشير الياس حسون عدد الاعضاء ١٥٥ .

٢٤ كانون الثاني : جاء في البشير عدد ١١٠٩ توفي مخائيل اليان ودفن بمأتم حافل – جزم مجمع اساقفة السريان بوجوب اعادة للمرة الثالثة اعطاء الشهادة الحسنة في ثلاثة اشخاص من الاكليروس يختار واحد منهم ليكون مطراناً على الابرشية الحلبية وعهد الى السيد جرماتوس الشماي الماروني برئاسة هذا العمل .

٣٠ ايار : وجهت الرتبة الرابعة الى فتوتلو ميخائيل افندي توتل احد معتبري حلب لحسن خدمته (ب ١١٢٧) .

٢١ حزيران : توفي نقولا مركوبولي ونشر البشير ترجمته عدد ١١٣٣

٢٢ حزيران : لما تشرف البطريرك اغناطيوس جنام بني السرياني بمقابلة السلطان في استنبول جرى احتفال في كنيسة السريان في حلب بصبة المورفسقفوس يوسف اسلامبولية النائب البطريركي وحضور عزتلو باسيل افندي انطاكي نائباً عن الوالي عثمان نوري باشا والقى الخوري جرجس شاحت خطاباً انيقاً .

اسس السيد جرمانوس الشالي المارونى اخوية للرجال زاد عددهم الى ما لم يسبق له اجتماع في اخوية الا في اخوية الاباء اليسوعيين وفي الاخوية التي كان قد انشأها المثلث الرحمات المطران بولس حاتم على الملكيين .

ومما يذكر فيشكر ان السيد جرمانوس الشالي اذا دعا كاهناً لالقاء الوعظ جلس بين سامعيه قدوة صالحة لرعيته (ب ١١٣٢) .

٢٨ حزيران : احتفل بكنيستنا الكاتدرائية بقداس كبير وجناز لاجل راحة نفس مسيو كارنو رئيس جمهورية فرنسة حضره القنصل الجنرال ورجال القنصلاتو .

٩ تموز : توفي الخوري جرجس عازايه عن ٧٣ عاماً فخسر به الروم كاهناً واسع المعارف متقد الغيرة (ب ١١٢٥) .

٢٧ تموز : وصل حلب القس مخائيل قديد تلميذ رومية .

٥ تشرين الاول : توفي الخوري ميخائيل دلال السرياني —رقي الى وظيفة « الخوري »[1] القس روفائيل رباط والقس قسطنطين الحضري والقس ديمتريوس نصرالله (ب ١١٤٧) .

٢٩ كانون الاول : ذكر البشير عدد ١١٥٩ وفاة القس جرجس منش النائب الاسقفي السابق على الموارنة ووفاة الام روزلي دي استفانلي رئيسة راهبات القديس يوسف الظهور في الرابعة والستين من عمرها كانت من اسرة رومانية نبيلة جاءت حلب سنة ١٨٥٦ فاسست فيها المدرسة الداخلية وتجردت سنة ١٨٦٥ و ١٨٧٥ لخدمة المصابين بالهواء الاصفر وجذبت بمثلها الصالح عشرين فتاة الى الحياة الرهبانية .

١٨٩٥

المتقدم فرج الله يوسف خوّام الكاتب يورغاكي عبدالله جرو عدد الاعضاء ١٢٣ .

---

١) ان في ابرشية حلب الملكية الكاثوليكية اذا ما رسم كاهن لم يدعَ خورياً ولكن قسا حتى اذا رأى الاسقف ان يرفعه الى درجة علياء فسماه « خورياً » وقلده « الترس » وعهد اليه « برعية » او بعدد معين من ابناء الطائفة يتقدم بخدماته الروحية . والخورنة لهم مقام في الخوروس فوق القسوس وهؤلاء فوق الرهبان .

٢٠ كانون الثاني : وصل الى حلب المطران ديونيسيوس افرام الرحماني السرياني آتياً من اورفا .

٢٣ كانون الثاني : انهدم في حلب خان العرصة الواقع خارج باب انطاكية اثر الامطار الغزيرة . انعمت الحضرة السلطانية على المطران كيرلس جحا بالوسام العثماني الثاني .

٧ آب : انعم حضرة شاه العجم بوسام الشمس والاسد من الصنف الرابع على حضرة عزتلو فتح‌الله افندي غزاله من اعيان حلب (ب ١١٨٩) .

١٠ آب : القى المطران جرمانوس الشمالي عظات رياضة على الكهنة (ب ١١٣٩) .

١٤ آب : روت جريدة البشير ان عدد الاصابات بالوباء الاصفر في حلب بلغ في اسبوع واحد ٨٩ والوفيات ٣٥

١٥ آب : اخذت جريدة البشير بنشر ترجمة الاب المكرم ابرهيم بن جرجس الشراوي الماروني اليسوعي الذي ولد في حلب سنة ١٥٦٣ ومات شهيداً في الحبشة سنة ١٥٩٥

٢٨ آب : استقال قرابت عجيان من عضوية مجلس ادارة حلب فعين بدله انطون ضاهر

١١ ايلول بلغت المواليد في حلب وملحقاتها اثناء شهري ايار وحزيران ٢٠٣٩ والوفيات ٦٧٧ فتكون زيادة المواليد ١٣٦٢

تشرين الثاني : اهدى الياس انطانيوس شامه المقيم في الاسكندرية صورة العذراء الجميل بلا دنس الى اخويتنا والصورة مصورة بيده .

١٠ كانون الاول : وفاة المطران جرمانوس الشمالي اسقف موارنة حلب في جونية فجأةً عند نزوله من بكركي .

١٨٩٦

المتقدم مخائيل الياس ديانه الكاتب حنا فتح‌الله كردي الاعضاء عددهم ١٣٩

١ نيسان : حضر الى حلب مطران الموارنة الجديد السيد يوسف دياب .

٧ نيسان : جناز الاب يوسف روز اليسوعي المتوفى في ١١ اذار في بيروت وكان له الفضل في بناء كنيسة الاباء اليسوعيين في ترب الغربا (ب ١٢٢٤) .

١٤ نيسان : دخل المطران يوسف دياب الماروني حلب بعد سيامته (ب ١٢٢٥) .

١٨ كانون الاول : تعطفت الحضرة الشاهانية بوسام الشفقة على السيدة كليلة خوري عقيلة السيد جرجي خياط لاعمالها في سبيل الفقراء (ب ١٢٦٢) .

في ٩ ت٣ ١٩٦٠ عثرنا في « التدريبة » في حلب على اوراق ودفاتر اقتنينا منها للمكتبة الشرقية في بيروت سجلاً ضخماً بقطع ٨ ليس له عنوان وفيه حسابات تجارية جرت بين السنة ١٨٨٥ و ١٨٩٦ ومحتوياته تدل على انه دفتر المحل التجاري المعروف لنصري وبطرس

حمصي . ولم يكن آنذاك غرفة تجارية يعيد فيها اسماء التجار ويُرجع اليها في معرفة حركة السوق . وان في الدفتر المذكور عشرات الاسماء من وطنيين وافرنج من مسيحيين ومسلمين وجهود اكتفينا بالاشارة اليهم لمن تحدثه النفس بكتابة تاريخ التجارة في حلب في اواخر القرن التاسع عشر ومنهم : الخاخام ابراهيم انطاكي ، دانيال طوبجي ، ميخائيل سمان ، يوسف عبديني ، نعمةالله اسود ، غزالة ، يعقوب واسحاق عدس ، خاخام حبيب دويك ، عبدالقادر الصلاحية ، مخائيل خضاي ، نصرالله توتنجي ، رزق‌الله وعبدالله تاجر ، رزق‌الله بردخجي ، الياس انطون سابا ، نعوم توتل ، فرج‌الله غم ، حرجي رباط المردحي ، رافائيل وليون دي بيجوتو الخ . الخ .

١٨٩٧

المتقدم ميشيل صائغ الكاتب كريم قوشقجي الاعضاء ٨٣

٢١ حزيران : سافر الى جهة نهر الساجور راغب بك ابن الوالي وشارته المهندس وصالح كاتب النافعة لدرس فتح قناة بين الساجور ونهر الفويق وعادوا وقدموا تقريراً بامكان حصول هذا الامر (ب ١٢٨٧) .

٢٨ حزيران : اتمت البلدية انشاء منتزه جميل يبعد عن البلدة ساعة وموقعه على طريق مزكبات اسكندرونه[1] واحتفلت بافتتاحه بحضور ملجأ الولاية وكبار الموظفين والاعيان (ب ١٢٨٨) .

٥ تموز : تألفت لجنة برئاسة ملجأ الولاية للمذاكرة والمباشرة في فتح قناة بين الساجور والفويق (ب ١٢٨٩) .

٢٦ تموز : تألفت لجنة غايتها جمع هدايا لأيتام وايامى وجرحى العساكر الشاهانية وجرت حفلة شائقة في المكتب الاعدادي وورقة الدخول كانت قيمتها ليرة عثمانية (ب ١٢٩٢)

٣ آب : اقيمت حفلة الجناز لاجل راحة البطريرك غريغوريوس يوسف الملكي الكاثوليكي حضرها انطون خياط ممثل الوالي . وابن الفقيد المطران افرام الرحماني والخوري قسطنطين الخضري بالفاظ دخلت الآذان بدون استئذان (ب ١٢٩٣) .

٣٠ آب : رخص بموجب ارادة سنية الى سيادة المطران إفرام رحماني السفر الى حمامات كارلسباد في اوروبة (ب ١٢٩٧) .

٢٧ ايلول : المطران يوسف دباب الماروني يتوجه من فرنسة الى الاستانة الى حلب (ب ١٣٠١) .

---

(١) يدعى « بالسبيل » وكان اصله جورة واسعة تتجمع فيها المياه ثم عُمّر عليها بناية لتقيها من الاقذار وكانت كالمطل موردًا للمسافرين واصبحت في يومنا واحة غناء واليها امتدت بنايات « حلب الجديدة » .

٢٥ ت ١ : صدرت الارادة السنية بسوق افراد العساكر الذين سحبت اسماؤهم من رديف القرافرة وقارلق وتسفيرهم الى بلاد تسالية (ب ١٣٠٥) .

٣٠ تشرين الاول : مثل شبان الجمعية الخيرية للاباء اليسوعيين رواية « الفتى الكريم » بقلم القس توما ايوب السرياني وهذه اسماء الممثلين : جميل رباط اسكندر كلداني جمعة اجقباش قسطنطين تاجر جرجي شاهين الياس تاجر باسيل فرا بشير خوام وديع رباط اسكندر مراش الياس شاشاتي (ب ١٣٠٨) .

٢٦ كانون الاول : توفي السيد غريغوريوس بليط آينه الخوري قسطنطين خضري والقس الياس شاحت والقس بولس عصفور – ولد الفقيد في ٢٨ ك ١ ١٨١٥ وتعلم في حلب سامه كاهناً المطران ماسيليوس عواط في ٣٠ تموز ١٨٦٣ وعهد اليه بارشاد اخوية الاحداث واخوية الروح القدس الرجال . في ٢ شباط ١٨٦١ سيم اسقفاً على حلب اشترى دارين فسيحتين جعل احداهما كنيسة . في ١٨٧١ انشأ اخوية قلب مريم . (ب ١٣١٦) .

١٨٩٨

١٧ كانون الثاني : استقال عبدالله سالم من عضوية محكمة التجارة (ب ١٣١٧) .

٦ نيسان : قبضت الحكومة على ثمانية اشخاص من قتلة المرحوم فتح الله غزاله والقتهم في السجن (ب ١٣٢٨) .

٣ ايار : ورد خبر وفاة البطريرك عازاريان .

٢٣ ايار : زولنكر قنصل المانية دخل سلك[1] التقاعد وفوضت امور القنصلية الى ابنه اميل (ب ١٣٣٦) .

٦ حزيران : سافر علي باشا الى الصحراء لتأديب العرب والاشراف على عد الابل . (ب ١٣٢٦) .

١٠ حزيران : واجه المطران كيرلس جحا الحبر الاعظم في رومة . (ب ١٣٣٩) .

١٥ حزيران : جاء السيد اويديس تركيان اسقف مرعش القاصد البطريركي ليدير شؤون الطائفة ويشرف على انتخاب اسقف ابرشية حلب .

٣ تموز : تم الانتخاب فنال اكثرية الاصوات كل من القس حنا بليط ١٥٣ صوتاً الاسقف اويديس تركيان ١٢٥ والقس ارغسطين صائغ ١١٠

---

١) زولنكر من كبار التجار الاجانب في حلب كانت التجارة مع اوروبا غالباً على يدهم وكان عمالهم من الحلبيين ثم تعلم هؤلاء اللغات الاجنبية وصاروا يخابرون القبارك الاوروبية مباشرة فما لبثوا ان استقلوا عن معلميهم وفتحوا الدوائر التجارية لحسابهم . ومثلوا فيها القبارك وما عتمت ان تنصت لهم المحلات الاوروبية عن ناحية واسعة من الاشغال

٤ تموز : تعيين عبد القادر الجلبي مأموراً على ضم قويق ليمنع التعدي على مائه من قبل اهل القرى الكائنة على ضفافه (ب ١٣٤٠) .

١٨ تموز : تُلي في كاتدرائية الروم الكاثوليك منشور البطريرك بطرس الجريجيري معلناً الغفران الكامل الذي استحصله من الحبر الاعظم ليوم عيد مار بطرس والقى المؤرخ قسطنطين خضري خطاباً في هذه المناسبة .

– مثلت راهبات القلبين الاقدسين بمناسبة عيد الاب بطرس ديفرنه[1] رئيس اليسوعيين رواية استشهاد القديسة اغنيسة .

– أنتخب الاب يوحنا بليط اسقفاً على الارمن الكاثوليك (ب ١٣٤٢) .

٢٤ تموز : سافر من حلب السيد تركيان .

١٣ آب : وفاة الاب جوليان هنري[2] اليسوعي في بيروت . كان رئيساً لدير حلب ومرشداً لاخوياتها وكانت له فيها خدمات جزيلة ايام الوباء الاصفر (ب ١٣٤٦) .

٢٢ آب : احتفلت جمعية التعليم المسيحي بمناولة الاولاد الاولى وكان الفضل في ذلك للاب انطونيوس دلمان رئيس اليسوعيين وللشابين نجيب عسال ويوسف نصاسه وللسيدات مدام البير بوخه ومدام كيز ومدام كوخ .

اقام المطران ديونيسيوس افرام الزحماني صلاة الجناز من اجل راحة نفس المطران ثاوفيلوس انطون قندلفت . (ب ١٣٤٧) .

٣١ تشرين الاول : سار من حلب طابوران عسكر قاصدين يافا عن طريق الاسكندرونة لاستقبال امبراطور المانية وقرينته في زيارتها الاراضي المقدسة . (ب ١٣٥٢) .

١٨٩٩

المتقدم فرج الله خوام الكاتب يوركي خوكاز .

٢٥ شباط : جاء مكتوب رسمي الى القس حنا بليط الرئيس من السيد اوديس تركيان يعلن تعيينه رئيس اساقفة على ابرشية حلب وسيحضر عن قريب فرُفع الغطاء الاسود عن كرسي الاسقف وقرعت الاجراس وذُكر اسمه بالصلوات والقداس .

٢ اذار : الساعة الحادية عشر عربية وصل حلب المطران اوديس تركيان ومعه القس جبرائيل كبار وصار له استقبال حافل .

---

١) بطرس ديفرنه Duvernay ولد في ٢٢ ايلول ١٨٣٩ دخل الرهبانية اليسوعية في ٢٩ اذار ١٨٥٦ ومات في بيروت سنة ١٩٠٠ .

٢) جوليان هنري ولد في ٩ كانون الثاني ١٨٦٣ دخل الرهبانية اليسوعية في ١١ ايلول ١٨٦٣ .

٢٦ حزيران : شبت النار في البيادر قرب محلة قارلق فاسرعت العساكر السلطانية والجندرمة والبوليس والاهالي لاطفائها ولم يحترق الا تسعة بيادر .

— احتفلت جمعية مار منصور بعيدها في كنيسة الاباء اليسوعيين وقام بذبيحة القداس الاب لورنسو رئيس الفرنسيسكان .

٢٧ حزيران : جاء تلغرافياً اعلان انتخاب السيد بولوس عمانوئيليان بطريركاً وسمّي بولوس بطرس الحادي عشر (ب ١٣٩١).

١١ ايلول : تعين باسيل حجار امين صندوق البلدية[1] . (ب ١٤٠١) .

[ايلول : قدوم الاخوة المريانيست الى حلب][2].

كانون الاول : نجز عمل خريطة حلب على يد شارتيه رئيس مهندسي الولاية ومعاونه راغب بك ابن الوالي . (ب ١٤١٣).

---

١) باسيل حجار اشتهر بصوته الجميل كانوا يدعونه في الحفلات الكبرى الى الكنيسة واذا ما سمع الناس بوجوده كانوا يتهافتون ويزدحمون على سماعه . وقد اخذ عنه المرتلون وعلموا الحانه غيرهم في لبنان.

٢) جاء في الناموس التاريخي الجغرافي الكنائسي عن المطران كيرلس جحا . ان على ايامه لم تفرق الابرشية . ولدل في ذلك الحكم شيئاً من الغلو فان للمطران كيرلس الفضل بانشاء مدرسة القديس نيقلاوس سنة ١٨٨٧ ثم باحضار الاخوة المارينيت للتعليم فيها ولو كان بقي في حلب لكان من المرجح انه لم يتركهم يترحون عنها . جاؤها سنة ١٨٩٩ وغادروها غير السنة ١٩٠٦ وفي تلك المدة القصيرة عذروا احداثاً كان من ثم لهم دور لا يستهان به في حياة الشهباء الثقافية . اول من جاء من هؤلاء الاخوة كان الاخوة ميرك وشازو وغابلدا — وكان المطران كيرلس قد طلب اثني عشرة من المارينيت فجاء الثلاثة على سبيل الاستطلاع ولم توفق الادارة المركزية الى ابنائهم الى ان كان الفضل للمطران اوغسطينوس صايغ باحضار الاخوة الماريست الى حلب (١٥ آب ١٩٠٥) فعاملهم المعاملة التي آل امرها الى رسوخ قدم تلك الجمعية المباركة في حلب وانصرافها الى تهذيب الناشئة فيها الى يومنا . والماريست والمارينيست من اصل واحد . وكلهم نشأوا اولاً في حضن الاخويات المريميات في فرنسة وكانوا من عامة المؤمنين ثم انصرفوا الى تعليم الناشئة في الرعايا وما عتموا ان كونوا جمعيات تحت ارشاد رجال عظام اخصهم الاب كولان L'Abbé Colin . راجع في هذه المادة مقال « المؤسسات المريمية » في قاموس المعارف الدينية المجلد ٦ عمود ٨٠ وما بعده Dictionnaire Pratique des Connaissances Religieuses.

١٩٠٠

انفرطت الاخوية بسبب انتقالها من المدرسة الابتدائية الكائنة في محلة الشدرية ولان الاب المرشد طعن بالسن وما بقي له مقدرة على الحضور الى الاخوية .

١٢ شباط : احتفلت جمعية مار منصور في حلب بعيدها في كنيسة الاباء اليسوعيين بحضور الاب جياجنتو رئيس الفرنسيسكان اقام القداس الالهي الاب بروسبار الفرنسيسكاني وعظ القس بطرس عزيز الكلداني جمعت الصينية في مدة العام ١٧٢١٢ غرشاً .(ب١٦٢٣).

٢٥ حزيران : نجز انشاء برج الساعة في ساحة باب القرج (ب ١٦٦٢) .

٢٣ تموز : نعي الى حلب القس اغناطيوس رباط الرومي الكاثوليكي توفي في قرية الشيخلية في دير الاباء الترابيستيين والاب بطرس دوقرنه اليسوعي في بيروت (ب١٦٦٦) .

٣٠ تموز : يوم الاحد ١٥ منه وزعت الجوائز على تلامذة مدرسة الروم الكاثوليك التلميذ قسطاكي سابا قرئ خطاباً بالتركية والقس اثناسيوس كباره القى خطاباً بالعربية

– جاء انيس باشا خلفاً لرأفت[1] باشا والي حلب

– انعم بالوسام العثماني الرابع على ميخائيل نخلجي (ب١٦٦٧)

١ ايلول : وجهت الرتبة الثالثة مع لقب بك الى الياس عبديني(ب١٦٥٢)

١٥ ت ١ : الف مجلس ادارة حلب لجنة من اهل المعرفة للنظر في المواد المختلف عليها بين رؤساء الاقمشة والمنسوجات وبين صناعهم للتوفيق بين الطرفين[2](ب١٦٥٨)

٢٩ ت ١ : سافر البطريرك ازحماني عن طريق الدير الى بغداد(ب١٦٦٠)

١٠ ك ١ : تألفت لجنة للبحث في احوال السجن وتصليحها (ب ١٦٦٦)

٢٤ ك ١ : فتح قسم زراعي للتدريس في المكتب الاعدادي (ب ١٦٦٨)

١٩٠١

١٦ ك ٢ : اشتد مرض الحصبة وفتك في الاطفال وعطلت مكاتب الصغار من عشر سنوات فما دون واوجبوا بالعناية بالنظافة (ب ١٦٧١)

٤ اذار : اقيمت في كنيسة اليسوعيين تساعية لشركة السجود للقربان المقدس تناوب فيها الوعاظ (١٦٨٨)

---

١) رأفت باشا من خيرة الولاة العثمانيين في بدء القرن العشرين وله الفضل في فتح الطرق وانشاء المشاريع العمرانية في حلب . وكان من القائلين بواجب الاصلاح الداخلي في المملكة العثمانية على ايام عبد الحميد فلم تطل مدته في حلب .

٢) الاضرابات : اخذت المسألة الاجتماعية بدءها في ذلك العهد فاحدثت دهشة عظيمة في البلد ولم يكن يسبق « للعاملين » ان يروا العمال يقفون كتلة واحدة في وجههم ليطالبوا بحقوقهم .

١٨ اذار : فتكت حمى التيفوس في السجناء وتوفي عدة منهم (ب ١٤٨١)

١٥ تموز : مثلت طالبات مدرسة راهبات القلبين الاقدسين رواية ليا بنت يفتاح (١٤٩٧)

٩ ايلول : جف نهر قويق وجف ايضاً كثير من الآبار في بعض احياء المدينة وهو امر لم يسبق له مثيل (ب ١٥٠٥)

٢٣ ايلول : توفي الاب هنري دلمان[1] رئيس اليسوعيين في حلب ابنه القس مخائيل اخرس في الكنيسة وصديق قندلفت في المقبرة[2] (ب ١٥٠٧)

٢١ تشرين الثاني : عاد من جهات الموصل وماردين البطريرك الرحماني – احسن بولسام بيوس التاسع الى فتح الله خياط (ب ٢٥١١)

١٩٠٢

٥ ايار : حدثت فتنة في الحبس فتقاتل السجناء وتراموا بالحجارة التي اقتلعوها من الارض فاسرعت الجنود وفرقت المتشاجرين فعادوا الى السكينة (ب ١٥٣٩)

١٧ ايار : قدم من بغداد البطريرك عمانوئيل الكلداني (ب ١٥٦١)

– جرى في صربا جونية انتخاب المطران كيرلس جحا بطريركاً على الروم الكاثوليك[3] .

---

١) هنري دلمان Dillemann ولد في ٢٨ نيسان ١٨٥٥ دخل الرهبانية اليسوعية في ٢٣ ايلول ١٨٧١ مات في حلب سنة ١٩٠١.

٢) صديق قندلفت – ابن اخ المطرانين ثاوفيلوس انطون وباسيل السريانيين – تعلم في حلب ثم في مدرسة عينتورة ثم سافر الى باريس وتعاطى مهنة المحاماة وهو فيها الى يومنا من السوريين المشار اليهم بالبنان.

٣) جرى في دير المخلص في صربا انتخاب مطران حلب كيرلس جحا بطريركاً على الطائفة الملكية الكاثوليكية . في صباح ذلك النهار مرّ المطران كيرلس على المشى المؤدي في البستان من البوابة الى بناية الدير فرأى الفعلة يرصفون ذلك المشى بحصى جاؤوا بها من شاطئ البحر فاخذ الحصى البيضاء ووضعها في الكاس المفروش قبل ان يبيس فرسم بها اسمه كيرلس. ثم جرى انتخابه بطريركاً بعد ساعة فعاد وكمل ما كتبه على الطريق قبل ان يجمد الكلس وكتب «الثامن» والداخل الى الدير يرى في يومنا هذين الكلمتين مرصوفتين في المشى كيرلس الثامن بالخط الكوفي . ومن اخبار المطران كيرلس جحا انه لما زار عبد الحميد في استنبول ارتدى الثياب الحبرية ودخل بتلك الهيئة على الپادشاه كما لو كان يصعد درجات الهيكل للاحتفال بالقداس الكبير . فدهش عبد الحميد وقال ما هذا . فاجاب المطران كيرلس هذه ثيابي اذا ما دخلت بيت الله للصلاة وهذه ثيابي اذا ما وقفت امام من سلطه الله علينا ليرعانا بالعدل والفطنة . فرضي عبد الحميد بالجواب واكرم المطران بالنيشان له ولرفيقه الخوري بطرس سابا الذي عرف بخلقه يوماً على كرسي ابرشية

٢٦ ايار : رقي المطران يوسف دياب الشماس جبرائيل صبع الى درجة الكهنوت (ب ١٥٦٢)

٩ حزيران : احتفلت شركة التكفير عن الانفس المطهرية بعيد سيدة مونليحون بفصل النفس مخايل اخرس باربعة ايام صلوات وعظ فيها بالتناوب النفس مخائيل اخرس والورنيت بولس بليط والنفس باسيليوس شماع والاب هيلاريون الفرنسيسكاني والمطران يوسف دياب (ب ١٥٦٦)

٢٠ تشرين الاول : وصل الى حلب البطريرك عمانوئيل توما الكلداني وحضر قراءة الفرمان المؤذن بتوجيه ولاية حلب الى مجيد بك (ب ١٥٦٦)

٣ تشرين الثاني : مثلت جمعية التعليم المسيحي رواية يوسف الحسن منظومة بنحو الف شعر (ب ١٥٦٦)

١٩٠٣

١٦ شباط : احتفلت جمعية السجود الليلي في التذكار السنوي السادس لتأسيسها في كنيسة الاباء اليسوعيين وعظ الاب طوران الرئيس[1]

- توفي بطرس حمصي ترجمان النمسة ورئيس لجنة الرحمة الروم الكاثوليك انه في المقبرة قسطاكي حمصي ومخائيل صقال ونقولاكي كبابه (ب ١٥٨٦)

٢٣ اذار : في الاسبوع الاول من الصوم تروض في كنيسة اليسوعيين نحو ١٥٠ شابا وكان الواعظ الاب منصور بستاني اليسوعي[2] (ب ١٥٨٦)

٢٧ نيسان : اثنت جريدة الفرات على الطوائف المسيحية لمسارعتها الى تنظيم دفاتر حلب باسم مكاريوس .

بعد ان ارتقى المطران كيرلس جحا السدة البطريركية ظلت الابرشية بغير اسقف مدة ثمانية عشر شهرا في غضونها لم تتوحد اصوات الشعب في انتخاب خلفه . وان في الاوراق التي عثرنا عليها في سوق التدريبية في حلب وابتعناها المكتبة الشرقية صورة رسائل مؤرخة من حلب في ٣ ايلول و٢٣ منه ١٩٠٢ وفي ٢٨ تموز ١٩٠٣ وموقعة باسم نقولاكي وتصري وبطرس حمصي وموجهة الى البطريرك في دمشق ورسالة مؤرخة في ١٨ آب ١٩٠٣ وموقعة باسم شبلي وموجهة الى البطريرك في الاسكندرية وكلها تتصدى الى بلبال الطائفة في عدم توحيد كلمتها على انتخاب المطران الجديد وفيها الكلام عن « الاحزاب » « والشعب الواطي » والانشقاق . كأن سفينة البيعة اصبحت دفتها بيد الطائفيين مما عرقل اعمال الرؤساء الى ان وفقوا الى اقامة المطران ديمتريوس القاضي متروبوليتا على حلب فسيم اسقفا في ٢٩ ت ٢ ١٩٠٣ ومثل هذه الازمات كانت تحدث كلما فرغ كرسي من الكراسي الاسقفية في بلادنا . اما الآن فبموجب الحق القانوني الجديد اصبح امر تعيين الاساقفة منوطا امره برومة وزالت علة الخلاف مع خطر الانشقاق .

١) اسكندر طوران Torrend ولد في ٢٧ ت ١ ١٨٥٩ دخل الرهبانية اليسوعية في ٧ ايلول ١٨٧٧ مات في غزير في ١٠ شباط ١٩٤١ .

٢) ولد في دير القمر في ١٢ آب ١٨٦٣ دخل الرهبانية اليسوعية في ٢ ت ٢ ١٨٧٩ مات في حلب في ٣٠ ك ٢ ١٩١٦ .

البدلات العسكرية وتقديمها قبل غيرها من الطوائف مما يدل على اخلاصها للحكومة العثمانية (ب ١٥٩١)

٣ آب : سافر الى قضاء بيلان البطريرك الرحماني السرياني – تعين بهجة اجيق باش امين صندوق البنك العثماني (ب ١٦٠٥)

١٧ آب : اقيمت المحاجر على الطرق المؤدية الى حلب وقاية من الهواء الاصفر (ب ١٦٠٧)

٣١ آب : تمت جميع لوازم المعرض الصناعي فجاء على ما يرام (ب ١٦٠٩)

٢٦ تشرين الاول : ازداد فتك الهواء الاصفر وبلغ عدد الاصابات من ١٢ الى ١٩ت ١ ٨٦ و الوفيات ٧١ (ب ١٦١٦)

١٩٠٤

١٤ اذار : المطران ديمتريوس القاضي والمطران افرام نفاشه وكثيرون من الكهنة اجتمعوا للرياضة وكان واعظها الاب طوران اليسوعي (ب ١٦٤٠)

٢٥ تموز : احتفل الكلدان بتنويل القضي لبطريركهم عمانوئيل توما – قدم من فريبورغ لزيارة اهله الاب اغناطيوس ماريا اخرس الفرنسيسي – يسمى المطران يوسف دباب الماروني بتبليط الكاتدرائية (ب ١٦٥٩)

١٥ آب : وصل حلب ثلاثة من الاخوة المربيين ليديروا شؤون المدرسة وذلك عن طلب سيادة المطران غريغوريوس صايغ

٢٦ ايلول : انتقل الى رحمة ربه المبرور رزق الله توتل وله من العمر ٦٥ سنة وكان سابقاً عضواً في محكمة الاستئناف (ب ١٧٦٨)

١ كانون الاول : : رقى المطران ديمتريوس القاضي الشماس بولس نجم وجرجس سالم[1] الى درجة الكهنوت واوجب سيادة المطران الكهنة القائمين بخدمة الابرشية ان يتبعوا في دار الاسقفية (ب ١٦٧٨)

١٩٠٥

٦ شباط : اعاد الاب طوران اخوية الشبان التي كان قد اسسها الاب حبيب اليسوعي[2] وانتخب رئيساً لها لاون شوكتلي (ب ١٦٨٧)

١٣ حزيران : في حفلات سيدة مونليجون وعظ الاب انطون رباط اليسوعي والاب انطون متى الكلداني والاب ميخائيل بصال الكلداني والخوري باسيل شماع والخوري اسقف بطرس عزيز (ب ١٧٠٥)

---

١) راجع ترجمته في رسالة قلب يسوع مجلد ٣٠ ص ٤٧.

٢) يوحنا حبيب ولد في ٢ شباط ١٨٥٠ دخل الرهبانية اليسوعية في ٢٧ ايلول ١٨٧٣ مات في المنيا (مصر) في ١ ايلول ١٩١١.

١٩ حزيران : منذ اخذ الاب ناودوروس صايغ بيده ادارة مدرسة الشرعسوس ارتقى عدد طلبتها على ٣٥٠ واخذوا يتعلمون مبادئ العربية والافرنسية (ب ١٧٠٦)

١٠ تموز : تقرر مد الخط الحديدي من حماة الى حلب (ب ١٧٠٩)

١٧ تموز : سافر من حلب الخوري حنا سيني المرسل اللبناني بعد ان قام فيها بالاعمال الرسولية – لراهبات القلبين الاقدسين خمسة معاهد مجانية تحوي ما ينيف على خمسمئة بنت استعد منهن ١٢٠ للمناولة الاولى – عهد المطران اوغوسطين الصائغ الى الاخوة المريميين بادارة مدرسة الارمن الكاثوليك (ب ١٧٠١)

٢٤ تموز : قدم الى حلب نكباشي الاي الرماحة لدولة اسبانية لشراء خيول لسراي اسبانية (ب ١٧١١)

٧ آب : تعين في المجلس الاداري باسيل انطاكي وفي محكمة الحقوق بنولاكي بليط وفي محكمة الاستئناف باسيل حجار (ب ١٧١٣).

٢ تشرين الاول : قدم الاب لويس شيخو[1] حلب للبحث عن الكتب القديمة (ب ١٧٤١)

١٦ تشرين الاول : القى الاب كولانجت اليسوعي محاضرة في اللاسلكي واشعة رنتجن والاب لويس شيخو محاضرة في مشاهير شعراء الحلبيين ونقل الاب كولانجت في مدة اقامته في حلب الانغام العربية القديمة عن مشاهير هذا الفن من مسلمين ويهود ونصارى فاصاب بعض الغرض . مثل تلامذة الفرنسيسكان رواية توما موروس وهم نعوم غزالة واسكندر اخرس وكميل جنبير وجرجس كلداني وغيرهم – امر الوالي باقفال بيوت العار (ب ١٧٢٣).

١٩٠٦

٤ كانون الاول : كان البريد لا يسافر الا مرة واحدة في الاسبوع الى ولايات ديار بكر والموصل وبغداد والبصرة وبالحقاقا فصار يسافر مرتين . (ب ١٧٣٠).

٢٣ كانون الاول : القى البطريرك الرحماني العظات في احدات المجيء وترأس حفلة مار منصور – واحتفل المطران ديمتريوس القاضي بعيد القديس نقلاوس في مدرسته وفي هذه المناسبة اقام رئيس المدرسة الاب اثناسيوس كبابه حفلة ادبية . (ب ١٧٣٣).

١٨ نيسان : اقام الاب استانيسلاس شيخو[2] حفلة الجناز من اجل راحة انفس اعضاء جمعية مار منصور . (ب ١٧٥١).

سافر من حلب الى جسر الشغر القاصد جيانيني .

٥ آب : اجتمعت الاخوية كعادتها السابقة المرشد القس جبرائيل اسيون المتقدم باسيليوس شماس ولم يتجاوز عدد الحاضرين الخمسة او الستة .

---

١) راجع المشرق ٢ ص ٦٧٣ و ٨ ص ٩١٧ وما بعدهما وص ٦٢٩ وما بعدها.

٢) شقيق الاب لويس العلامة . ولد في ماردين ١١ كانون الثاني ١٨٣٦ دخل الرهبانية اليسوعية في ١٠ ت ١ ١٨٥٨ مات في بيروت في ٣ ت ٢ ١٩١٨.

٨ تشرين الاول : يوم الخميس (٤ ت١) من الاسبوع الماضي احتفل بافتتاح الخط الحديدي بين حلب والجنوب وقد قطع القطار المسافة بين بيروت وحلب بمدة ١٥ ساعة وغرت الضحايا العديدة (ب ١٧٧٤) .

١٩٠٧

٧ كانون الثاني : ليلة عيد الميلاد الماضي الساعة ٤ عربية اقيمت فروض الطقس في كنيسة الروم الكاثوليك واحتفل المطران ديمتريوس القاضي بالقداس الكبير واعطى البركة والغفران الكامل (ب ١٧٨٧)

٢١ كانون الثاني : شخص ابناء الاخوية رواية « مالك يوم » وحبس ريعها على الفقراء — عين محمد مرعي باشا الملاح رئيساً لبلدية حلب (ب ١٧٨٩) .

٢٣ ايلول: تألفت شركة للسفر المنظم بين حلب وبغداد عن طريق دير الزور بمحلات تقطع المسافة بثمانية ايام (ب ١٨٣٤) .

٢١ تشرين الاول : جرت مسابقة الخيل للمرة الاولى في حلب (١٨٣٨) .

١٩٠٨

١٤ ايار : جرى في كاتدرائية السريان احتفال لم يسبق له مثيل في عيد سيدة بومباي وعظ فيه بالايام الثلاثة الاستعدادية الاباء يوسف ايوب ونيقولاوس اديب وباسيل ايوب وفي يوم العيد المطران نفاشه . ومما اخذ بمجامع القلوب نظر احتشاد المسيحيين الوفاً في الكنيسة كانهم من طائفة واحدة . (ب ١٨٥٩) .

١٥ حزيران : زار الشهباء المطران حنا مراد الماروني اسقف بعلبك . (ب ١٨٦٣) .

٢٢ حزيران : اهدى البابا بيوس العاشر وسام القديس غريغوريوس الكبير الى ناظم باشا والي حلب . (ب ١٨٦٣) .

٢٧ حزيران : عاد الجراد وزحف بكثرة من جهات بغداد والزور والفرات الى حلب فاتلف جانباً عظيماً من المزروعات . (ب ١٨٦٤) .

٢٠ تموز : اذن المرجع الايجابي باجراء سباق الخيل في حلب كالسنة الماضية — سلمت مدرسة الارمن ومديروها الاخوة المريميون شهادة نهاية الدروس واثبتتها القنصلية الافرنسية لزهير ورياض نخلجي وسامي صعب — مثلت اخوية الشبان رواية تحت اشراف رئيسها الاب لاون بوفا اليسوعي (ب ١٨٦٧)

١٠ آب : رغماً من العفو الشاهاني لم يطلق حتى ٥ آب سراح الارمن الذين في سجون حلب واستاء عموم الاهالي من ذلك الابطاء (ب ١٨٧٠)

١٧ آب : الافراج عن الارمن المسجونين — يوم الجمعة ٧ آب وقف بعض الضباط الاحرار على باب السجن ولما خرج السجناء وعددهم ثلاثة وعشرون رجلاً وامرأة واحدة حياهم الضباط برفع السيوف وتقدم اليوزباشي مدحت بك فعانقهم جميعاً ثم ركبوا العربات تتبعها عربات اهلهم واقاربهم وجمع غفير من المتفرجين ولما انتهوا الى باب الفرج لاقتهم

الموسيقى الوطنية ورافقتهم حتى الكنيسة وقبل ان يلجوها ذبحت الذبائح نشروا فوقها ثم دخلوا فشكروا الله على ما من به عليهم من الحرية ويوم الاحد ٩ آب أعدت الطائفة الارمنية حفلة مدنية انيقة لممثلي جمعية الاتحاد الشرقي العثماني

– يوم السبت الواقع في ٨ آب ابعدت جمعية الاتحاد والتقدم العثماني عبد الرزاق آغا ابي الهدى ويحيى بك الشما لما عرفا به من الاستبداد وسوء الاعمال وكان في سيرهما من المدينة الى محطة السكة الحديدية يرافقهم جمهور غفير وامامهما جندي حامل لوحاً مكتوباً عليه هذا جزاء المستبدين خونة الدولة والامة (ب ١٨٧١)

٣١ آب : قلقت الخواطر من امكان حدوث شغب في هذه الايام لكثرة الاعيان الذين عزلوا من وظائفهم مثل زكي باشا المدرس ومراد افندي جابري ولكن سكن قلقنا استعداد الضباط والعسكر للاقاة الطوارئ فقد قسم جميع الضباط ان يقطعوا رأس كل معارض للقانون الاساسي (ب ١٨٧٣)

٥ تشرين الاول : نهار الاثنين ٢١ ايلول فتحت ابواب الجامع الكبير للمسلمين والنصارى والاسرائيليين ليسمعوا خطاباً القاه عليهم مبعوث من قبل جمعية الاتحاد والترقي العثمانية الى ما بين النهرين فحرضهم على الاخاء والمحبة والتكاتف والاخلاص للقانون الاساسي وقدر عدد سامعي الخطاب المذكور بعشرة الاف وهذه اول مرة فتح الجامع الكبير لعموم الاهالي وهو حادث هام عندنا اذ انه كان محظوراً على النصراني ان يدخل الجامع الكبير ولم يكن يسمح له بذلك الا بعد الجهد الجهيد خلافاً لما هو جارٍ في مدن اخرى كالاستانة ودمشق . (ب ١٨٧٨).

٢٦ نيسان : استولى الخوف على البعض لسماعهم الاضطرابات الاخيرة فهاجرت عدة عيال وتوجهت الى زحلة في لبنان . (ب١٩٠٨).

١٠ ايار : توالت الوقوعات الناجمة في ضواحي حلب كانطاكية وكسب ودرت يول واكبس وباباس وقرق خان فرحل كثير من اهالي النهباء ذوي اليسار وكثيرون التجأوا الى دور القناصل والخانات وقد دار على السنة بعضهم ان الوالي حسب الاوامر الوافدة عليه كان ضلعاً على المسيحيين ولولا تدارك جمعية الاتحاد والترقي للامر لكان اصابنا من الويلات ما اصاب غيرنا (الارمن) على اني لا انكر ان في المدينة اعياناً من المسلمين عرفوا بالمراهة واصالة الرأي وقد بذلوا كل وسعهم في تسكين الخواطر بالتحذير من سوء العاقبة — ما لبث ان عاد من زحلة من كانوا قد هاجروا اليها فاثنوا على كرم اهل زحلة .

١٠ ايار : يوم الاربعاء الماضي احتفلت الحكومة احتفالاً باهراً بتلاوة التلغراف الوارد منبئاً بارتقاء جلالة السلطان محمد خان الخامس الى العرش الملكي وقد دعت جمعية الاتحاد والترقي الى هذا الاحتفال تلامذة جميع المدارس على اختلاف النحل والاديان وكان المسيحيون يهنئون بعضهم بعضاً كانهم نجوا من الموت واخذوا يعيشون عمراً جديداً . (ب ١٩١٠).

٢٩ ايار : وقف دولاب الاشغال واشتد العسر واخذ كثيرون يعدون بالمئات يهاجرون الى الديار الاميركية – سافر المطران ديمتريوس القاضي وبصحبته الخوري باسيليوس شماع الى عين تراز – اصدر كنيدر اخوان جريدة عنوانها التقدم تظهر موقتاً مرتين في الاسبوع

وطلب ليون شوكتلي امتياز جريدة عنوانها الشعب وجورجي حياط امتياز مجلة الورقاء – زار المطران نقاشه نادي جمعية الاتحاد والترقي وشكرها على حمايتها المسيحيين – نشرت الولاية اعلاناً في منع حمل السلاح (ب ١٩١٣).

١٦ حزيران : سافر مخفوراً مع القطار الحديدي قائمقام كركوك وله اليد الطولى في مذابح درت يول وانطاكية وما جاورهما وقد اشبعه الاهالي من مسيحيين ومسلمين ورجال ونساء سباً وشتماً وضرباً في المحطة. (ب ١٩١٥).

٢١ حزيران : السيد روكفريه قنصل دولة فرنسة العام عاد من رحلته التفتيشية في قيليقية ومعه نحو ثمانين بنت يتيمة ذهب اهلهن ضحية المذابح. (ب ١٩١٦).

١٩ تموز : مدرسة السريان وزعت الجوائز على التلامذة بحضور ممثلي جمعية الاتحاد والترقي. (ب ١٩٢٠).

٢ آب : احتفل بالعيد الوطني واحدث العراضات تفد على السراي لاعبة بالسيف والترس وحملت العراضة المسيحية صورة نيازي وانور وشوكت في عربات مزينة – ارتفعت اسعار الحنطة واصبح ثمن الشنبل ١٦٥ غرشاً. (ب ١٩٢٢).

٢٣ آب : اجتمع في ساحة سوق الجمعة نحو ٧ او ٨ الاف نفس واحتجوا على رفع العلم اليوناني على جزيرة كريت – لا يزال الاهالي يهاجرون زرافات الى اميركا ولا سيما الاسرائيليون بسبب الغلاء الفاحش – تألفت شركة لجلب ماء الفرات الى حلب.

بعث بعض الاهالي تلغرافاً الى وزارة الداخلية وطلبوا فيه عزل والي حلب وتعيين والٍ دستوري عوضه. (ب ١٩٢٥).

٩ تشرين الاول : عولمت حكومة حلب على منح امتياز تنوير المدينة بالكهرباء وتسيير الترامواي فيها (ب ١٩٣٢)

٢٧ تشرين الاول : انتخب باسيل جرجي شماس متقدماً

١٣ تشرين الثاني : تعين ابن شيخ الاسلام والياً على حلب وقرر معاقبة السكارى باتفاق وانوه بسكران فقال له اتعرفني من انا فاجاب الوالي لا فقال انا ابن الباشا فحينئذٍ قال الوالي اذاً تضرب عشرين سوطاً زيادة وهكذا كان – يرغب الوالي ان يكون بين نواب حلب نائب مسيحي (ب ١٩٣٧)

١٩١٠

١٢ شباط : دشنت راهبات مار يوسف معبد مدرستهنّ وهي على اسم القديسة جان دارك (ب ١٩٥١)

٧ ايار : انتهى النزاع القديم على ارض المشتقة بين طائفة الارمن الغريغوريين وجامع الحكومة على ان يأخذ كل من الفريقين نصف الارض المذكورة (ب١٩٢٢)

١١ حزيران : انتخب الخوري بطرس عزيز الكلداني اسقفاً على ابرشية سالمس في بلاد العجم (ب ١٩٦٧)

٣ ايلول وصل الى حلب من عينتاب فريق من الجنود المسيحيين وقد البسوا الثياب العسكرية وعن قريب يرسلون الى حوران (ب ١٩٨٠)

١ تشرين الاول : قبل مجلس اخذ العسكر بتصحيح الاعمار طبقاً لسجلات العماد والمتان وكان قبلاً يعارض في ذلك (ب ١٩٨٣)

السبت ١٢ تشرين الثاني : وفاة الورتيد بولس بليط (راجع المشرق ١٧ ص ٨١)

٢٨ كانون الاول : المتقدم عبد الله رزق الله جحا عدد الاعضاء ٦٥

١٩١١

٣ شباط : اشتد البرد وبلغت درجته العشر تحت الصفر وهبطت الثلوج وانقطعت الطرق وماتت المواشي وارتفعت اسعار اللحم والوقود وحمد بعض المسافرين على طريق عينتاب وكلس واسكندرونة ووصلت دواب محملة زيتاً فسارت تزاً الى خان الزيت ولم يكن معها اصحابها فطلبهم الناس فوجدوهم مطروحين على الطريق خارج المدينة فسالجوهم وعادوا بهم (ب ٢٠٠٦)

٢٤ شباط : هبطت درجة الحرارة الى ١٨ تحت الصفر وحدث ضيق لم يسبق له مثيل في هذا الجيل من شدة البرد وانقطاع الطرق بالثلوج فقام رجال الدين يدورون في الازقة ويجمعون الوقود والثياب للفقراء (٢٠١٣)

١ اذار : نشكر لله تعالى نهاية البرد القاسي . تناثر الثلج مدة خمسين يوماً وتراكم فسدّ الازقة وابواب الدور وبلغت درجة البرد ٢٥ تحت الصفر سنتيغراد واغلقت الاسواق وكثرت الوفيات وارتفعت اسعار الحاجيات ارتفاعاً باهظاً وبلغ رطل الفحم اثني عشر غرشاً واهتم الوالي للامر فجمعت الحسنات من سائر الطوائف المسيحية والاسلامية والاسرائيلية وارسلت الاسعافات من سائر المدن ووقف القطار الحديدي اما الاخوية فحال البرد دون اجتماعاتها والسير في الازقة كان كالمشي على الصابون اما الدراهم التي جمعت للفقراء في البلد فبلغ مجموعها نحو الفي ليرة عثمانية ذهبية فوزعت فحماً ودقيقاً على المساكين .

٢٨ ايار : عيد تثبيت الاخوية اخذت صورة الاخوة وبينهم سيادته والاب المرشد جبرائيل والقس بولس اسيون اخوه وفي نهاية الحفلة اطلق بالونان في الفضاء وكان الفطور بعد القداس برنج وصناديق ولفظ خطاباً فرج الله بيلونه المشير السادس وميشل شاشاتي المشير الثاني .

٦ حزيران : احتفلت اخوية الحبل بلا دنس الراجعة الى دير الاباء اليسوعيين بسنة الخمسين منذ تأسيسها . (ب ٣٠٦١) .

٣٠ آب : وفاة الخوري يوسف ستان في ميروبا (لبنان) ترك كل ماله لمدرسة الشرفة التي تربى فيها .

٥ تشرين الاول : وفاة القس توما ايوب السرياني ولد في حلب في اوائل اذار ١٨٦٥ درس في الشرفة وفي اكليريكية الاباء اليسوعيين في بيروت حيث درس العربية ودرس الافرنسية والانكليزية واللاتينية واليونانية والبيان والخطابة والمنطق والفلسفة ثم عاد الى مدرسة الشرفة في لبنان فقرأ فيها اللاهوت النظري والادبي وتخرج في الطقوس البيعية وجاء حلب فرقاه البطريرك جرجس شلحت الى درجة الكهنوت في ٢ شباط ١٨٨٥ . قضى ٣٧ عاماً في مدارس حلب وقد تنافست في الحصول عليه . فتح بيته للادباء ووضع مكتبته في خدمتهم وفي ١٩٠٩ احتفلوا بيوبيله الكهنوتي الفضي . من مؤلفاته كتاب مواعظ عنوانه شبكة بطرس لم يطبع وله ديوان شعر ورسائل وفكاهات وعرّب رواية فابيولا وكوفاديس وعرّب نحو ستين رواية تمثيلية وفي المكتبة الشرقية في بيروت كتاب التعليم المسيحي نقحه قلمه ولم يُطبع .

١٩١٢

المتقدم رزق الله جحا كاتب الوقائع الياس باسيل طنبرجي عدد الاعضاء ٩٤

٢ كانون الثاني : تكلم الاب المرشد عن مضار القمار .

حاشية

ما يخص بطريركية الارمن الكاثوليك وعقد السينودوس الطائفي

استعفاء غبطة البطريرك صباغيان

لما اعلن الدستور العثماني والقانون الاساسي في المملكة العثمانية وكثر لغط الجمهور خاصة في الاستانة بوجوب الاستفادة من اعلان الحرية وترقية الطائفة في كل شؤونها وتطبيق ادارة الطائفة على طرز ادارة السلطنة الجديدة اقتداء بالطوائف الغير الكاثوليكية اضطر المجلس الطائفي في الاستانة غبطة البطريرك صباغيان الى منحه لقب مجلس النواب المبعوثين الطائفي اقتداء بمجلس المبعوثان الا ان اعضاء هذا المجلس تمادوا في الشطط عن سبيل الاستقامة وتجاوزوا حدود الخضوع للسلطة الكنسية ولما رأى غبطته هذه الحالة وانه طاعن في السن استقال من وظيفته سنة ١٩٠٩

انتخاب غبطة البطريرك ترزيان

فخلفه على السدة البطريركية غبطة السيد ترزيان اسقف اطنة الذي شهد فيها المواقع الدموية التي جرت بعد اعلان الدستور بسنة ونصف واظهر اذ ذاك من البسالة والمحبة الطائفية ما استمال اليه حب الجميع واخذ كل افراد الطائفة في الاستانة خصوصاً يلهجون بوجوب انتخابه بطريركاً وتم هذا الانتخاب سنة ١٩١٠ وجاء من اطنة الى الاستانة فاستقبل بحفاوة واكرام عظيمين وظن اعضاء المجلس الطائفي ان من رقى الى السدة البطريركية بالحاحهم وسعيهم سيضحي آلة بين ايديهم اطوع لهم من اناملهم وظنوا ان البطريرك سيكون منفذاً لقراراتهم خاضعاً لاحكامهم بلا مراجعة ولا معارضة ولكن ما لبثت الايام ان اظهرت عدم امكان هذه الحال وصعوبة تحقيق هذه الامنية فقام الخلاف على قدم وساق بين غبطته واعضاء المجلس واضطر البطريرك ،

على ايماز الكرسي الرسولي نفسه ، الى ان ينفض هذا المجلس ويحله معلناً ان وجوديته تضاد الشرع الكنسي وانه لا يستعرف البتة لائحة القوانين الداخلية التي اعدها المجلس لتكون بعد الفحص والتدقيق دستور العمل في الطائفة والقانون الاساسي الذي ترجع اليه ادارة الطائفة وترتيب شؤونها لان هذه اللائحة كانت ترمي الى سلب السلطة الاكليروس وتسليمها ليد العوام يقضون ويمضون على منوال الارمن والروم المنشقين .

رحيل البطريرك الى رومة

وعلى اثر ذلك سافر غبطته من الاستانة قاصداً رومة بعد انتخابه بطريركاً بستة اشهر وذلك قصد نيل الباليوم من يد الاب الاقدس واتخاذ التدابير اللازمة في امور الطائفة فمن بعد ما نال غبطة البطريرك ترزيان الباليوم المكرس من يد قداسته اول ما اعتبر ضرورياً في رومة انما كان عقد مجمع طائفي في رومة عينها لوضع المبادي الاساسية التي يجب رعايتها في جميع الاحوال فاغتنم الفرصة اذ ذاك غبطته لحضور المجمع القرباني في مدريد ثم عرج الى باريس وعاد من هناك الى رومة حيث التأم السينودوس . وفي اثناء ذلك اصدر منشوراً يحل به المجلس المدعو مجلس النواب الطائفي ويبيّن فيه خطة الكنيسة الكاثوليكية وامتيازها في خطتها عن سائر الكنائس واصدر ايضاً كراساً فيه مقالة ضافية الذيول يفند بها لائحة القوانين التي وضعها النواب ويظهر بطلان اساسها والغاية المنافية التي ترمي اليها وما تحتويه من المبادي والقوانين التي لا يمكن ان تنطبق على المبدا الكاثوليكي . ثم ارسل رسائل مستعجلة لجميع الاساقفة ولبعض الكهنة المترشحين الاسقفية ليحضروا حالاً الى رومة لعقد السينودوس .

انعقاد السينودوس في رومة

هذه اول مرة انعقد فيها مجمع شرقي في مدينة رومة تحت رئاسة بطريرك شرقي بصفة وكيل قداسة البابا الا ان عدد الاساقفة كان ناقصاً لسبب فروغ عشرة كراسي بموت رعاتها او باستعفائهم . وانعقاد السينودوس كان واجباً في الحال تلافي استفحال الوبال . ولما رأى غبطته المشاكل العظيمة التي يتوقع

حدوثها اذا جرى انتخاب الاساقفة للابرشيات المترملة حسب العادة الجارية اي بأخذ شهادات الشعب الحسنة وعرضها على سينودوس الاساقفة رأى غبطته ان يسأل الاب الاقدس ان يعيّن رأساً مطارين للكراسي الفارغة فعيّن قداسته كهنة جديرين بهذه الوظيفة وهم الذين ارسلت اليهم رسائل الدعوة الى رومة فعيّن : ١ً – السيد يوسف روكدسيان نائباً بطريركياً في الاستانة .

٢ً – السيد اغناطيوس مالويان رئيس اساقفة الاردين خلفاً للسيد هوسيك كوليان المستعفي .

٣ً – السيد يوسف ملكيصادقيان خلفاً للسيد كرابيد كجوريان المستعفي اسقفاً لارضروم .

٤ً – السيد يعقوب طوبدريان اسقفاً لمرعش .

٥ً – السيد هاروتيون كككليكيان اسقفاً لاطنه خلفاً لغبطته .

٦ً – السيد كريكور بهابانيان اسقفاً لانكورية .

٧ً – السيد انطون بهاسانيان اسقفاً لقيصرية خلفاً للسيد متيوس سيسليان المستعفي .

٨ً – السيد يوحنا نظليان اسقفاً لطرابزون .

٩ً – السيد اوهان قوزيان اسقفاً لمصر خلفاً للسيد قويونيان المستعفي .

١٠ – السيد اراديس اربياريان اسقفاً لمرعش .

وما عدى السيد اربياريان الذي كان اسقفاً مرسوماً جرت قبل كل شيء في رومية حفلة رسامة الاساقفة التسعة الجديدين التي تقدمها استعداد للرسامة وللسينودوس تروض فيه جميع الاساقفة مدة اسبوع . فابتدأ المجمع في ١٥ تشرين الاول سنة ١٩١١ وانتهى في ٨ كانون الاول سنة ١٩١١ يوم عيد الحبل بالعذراء البري من الدنس .

وهذه اسماء آباء المجمع :

١ – غبطة البطريرك بولس بطرس ترزيان

٢ – السيد يوسف تيودورفيتز اسقف لمبرك من الطقس الارمني .

٣ – السيد هوسيك كوليان .

٤ – السيد اغسطينوس صائغ رئيس اساقفة حلب .
٥ – السيد لئون كجه جيان رئيس اساقفة سيواس وطوقات .
٦ – السيد كريكور كوربكيان رئيس عام لمختاري فينة .
٧ – السيد بطرس قويونيان الاسقف الراسم في رومة للطقس الارمني .
٨ – السيد اندراوس جليان اسقف دياربكر .
٩ – السيد اسطفان اسرائيليان اسقف خربوط .

ثم الاساقفة الجدد للكراسي المار ذكرهم .

وقد ساعدهم في هذا المجمع سبعة من فطاحل اللاهوتيين وعلماء الحق والقانون برومة وقد صار المجمع غاية في الاتقان وحدّدت فيه كل المسائل المتعلقة بالكنيسة ايماناً وعملاً . فتقرر توحيد الطقس في كل مكان واستعمال اللغة الارمنية لا غير وتوزيع الاسرار في الكنيسة لا في البيوت وعمل لجنات لادارة الاوقاف وترتيبات اخرى مفيدة يمكن الاطلاع عليها بمراجعة اعمال السينودوس البديعة اما المجمع فلم يتطرق الى مسألة الجمعية ولم يفض المشكل ولا حسم الخلاف القائم بين شعب الاستانة وغبطته من جراء حل المجلس الطائفي الذي بالرغم عن فسخه ما زال يجتمع في البطركخانة نفسها وقد قدم تقريراً الى الباب العالي طالباً عدم استمرار البطريرك الذي على زعمه بخس الطائفة حقوقها بعدم مراعاة امتيازات الشعب وخرق حرمة القوانين العثمانية اذ ذهب الى مملكة اجنبية ليعقد فيها مجمعاً طائفياً ويُقيم اساقفة لم تؤدّ بحقهم الشهادة الحسنة . ومما ساعد الشعب مثل هذه الازعام والاوهام البحتة نشوب الحرب بين الدولة العثمانية والدولة الايطالية في طرابلس الغرب وقد اعلنت هذه الحرب بعد ابتداء السينودوس بقليل وبسببها لم يستطع بقية الاساقفة ان يحضروا السينودوس لانهم تأخروا عن الذهاب الى رومية فمنعتهم الدولة من الرحيل بعد اعلان الحرب وهم السيد ميكائيل خجادوريان اسقف ملطية الذي بقي بالاستانة ومعه السيد متيوس سيليان اسقف قيصرية المستعفي والسيد هاروتيون جانجيان اسقف بروسه والسيد كرابيد كجوريان اسقف ارضروم اما البطريرك السابق غبطة السيد صباغايان فقد بقي في حلوان في مصر بمحله .

ولما انتهى المجمع عاد الاساقفة الى محلاتهم والبعض منهم عادوا مع غبطته الى الاستانة حيث اشتد هيجان الشعب واتصلت وقاحتهم الى محاولة اخراج غبطته من البطركخانة لان الحكومة لم تسمح لهم بالدخول اليها والجنود تحافظ على البطركخانة لترد عنها هجمات الرعاع وقد قدم مجلس المذكور تقريراً ثانياً للحكومة طالباً عدم استعراف البطريرك . جعل الله النتيجة خيراً.

السيد اوغسطينوس صائغ رئيس اساقفة ارمن حلب

اما سيادة راعينا المفضال السيد اوغسطينوس صائغ فلما عاد الى ابرشيته تلقته ابناء الطائفة بالبهجة والسرور وكان رجوعه لحلب في ٤ كانون الثاني ١٩١٢ الواقع قبل عيد الغطاس فبعد ثلاثة ايام جمع الكهنة المصرفين بحلب وهم الورتبيت يوحنا بليط والقس مخائيل قديد والقس جرجس كرتكيان والقس يعقوب نسميان والقس جبرائيل اسيون (مرشد هذه الاخوية) والقس بولس اسيون (شقيق الاب المرشد) والقس يوسف يغيا . ويوجد في حلب لطائفة الارمن الكاثوليك اثنان ايضاً من الكهنة يعتنيان بالمدرسة المجانية ويعلمان فيها وهما القس كاروبيم كمدة والقس مخائيل عريس . ولما اجتمعت الكهنة عند سيادة راعينا المفضال فاتحهم بابداء الشكر لما بذلوه من الخدم في زمن غيابه عن الابرشية واثنى بالخصوص على وكيله ونائبه الورتبيت يوحنا بليط وابتدأ الكلام عن بعض اشياء ترتبت في السينودوس واولاً فيما يخص الصوم والاكليل قال يجب ان يتوزع هذان السران في الكنيسة وفي وقت النهار ابتداء من اليوم الاول من الصوم الكبير وقال تقرر ايضاً في السينودوس انه يجب اتباع الكتاب الطقسي (قشدوتص) بكل دقة في توزيع الاسرار وفي الصلوات الطقسية كالزياج والجناز وصلاة الدفن وما شاكلها وما عاد يجوز ادخال اللغة العربية او لغة اخرى في هذه الامور ومن ثم عين سيادته لجنة لادارة الاوقاف وانتخب الاعضاء التابعين الورتبيت يوحنا بليط والاب جرجس كرتكيان (كاتب المحاسبات) والاب بولس اسيون والاب مخائيل عريس والاب يوسف يغيا (وكيل الخرج) وعندما يتم تثبيت اعمال المجمع من السدة البطرسية سترى

امورًا كثيرة عائدة لنجاح الطائفة وترقيتها في الروحيات والزمنيات • حقق الله الآمال وايد ببركته كل الاعمال

في ٢٥ كانون الثاني ١٩١٢

نقلها الفقير الى ربه تعالى الاخ الياس باسيل طنبرجي من اخوية الجبل بالعذراء البريء من الدنس •

٤ ايار : ابتدأ الهواء الاصفر بجلب واستمر ثلاثة اشهر وفي شهر حزيران فتك فتكاً ذريعاً باهالي المدينة حتى اناف عدد الاموات يومياً على الخمسين وهرب الكثيرون الى جهات مختلفة وظهر الوباء في نواحي حلب وفي الشام وفي بيروت .

٧ آب : اجتمعنا حسب العادة وقد تلاشى الهواء الاصفر ولله الحمد.

١٧ آب : سافر سيادة راعينا الى بزمار بصفة زائر بطريركي لفحص امور الدير وترتيبها من دروس واوقاف واشخاص وحسابات وذلك على اثر لائحة تشكي تقدمت من البزماريين بخصوص عدم انتظام واقع بالدير .

وفي هذا الشهر تغيرت الوزارة وتألفت وزارة جديدة تحت رئاسة احمد مختار باشا وفسخ مجلس المبعوثان وكان ذلك ضربة قاضية على جمعية الاتحاد والترقي وعزل والي حلب غالب (؟) بك وغير ولاة من الاتحاديين .

١ ايلول : بكّر الاخوة من الساعة ٧ ليلًا لكنيسة الارمن حيث حضرة المرشد اقام القداس الالهي والاب توما رباط قب اقام القداس الالهي على طقس الخير . وفي نهاية القداسين طلع الاخوة مع حضرة المرشد والاب توما المذكور بالعربيات لبستان الجالق وشرف الاب بولس اسيون بالنهار فكان بستاناً شائقاً وانتهى في الساعة الرابعة ليلًا وكان عدد المرجودين ٢٧

٩ ايلول : بارح حلب قاصدًا الى ديار بكر السيد اندرياس جلبيان بعد ان بقي منفياً عن ابرشيته مدة سنة او من وقت السينودوس •

٢٠ منه : اتى خبر قتل وانيس افندي قزازيان من اعيان طائفة الارمن الكاثوليك بديار بكر وقد قتله احد المسلمين .

٢١ منه : اتى مكتوب من القس كركور احمرانيان من بزمار فيه يقول

ان قد تعيَّن القس كركور والنجازيان عوض عن القس كركور عجميان الحلبي رئيساً لبزمار ولكنه ما اراد ان يقبل الرئاسة لسبب عدم انتظام الحال الحاضر وعدم وجود الموظفين الضروريين ولاجل الديون المتراكمة على الدير فوعده السيد اغسطينوس صانغ الموكل حالاً على الدير وكالة مطلقة من قبل غبطة السيد البطريرك بان يكمل له هذه الشروط التي لاجلها لا يريد قبول الرئاسة.

٢٤ منه : اتى خبر استعفاء بطريرك الارمن الغير الكاثوليك ارشادوني واستعفاء مجلس الملة وغلق الكنائس والمدارس الارمنية احتجاجاً على تعديات الاكراد على الارمن في وان وديار بكر وغيرها.

٢٥ منه : في اواخر هذا الشهر اتى الى حلب الاب جبرائيل اده[1] رئيساً للآباء اليسوعيين بدلاً من الاب بونا[2] الذي تعيَّن للشام وفي هذا الشهر تم تدهين كنيسة الارمن الكاثوليك اي محل الهياكل فقط وذلك على اثر تبرع من المرحوم اسكندر طباخ ومساعدة غيره من المحسنين ايضاً.

١ تشرين الاول : وفاة السيد يوسف دياب مطران موارنة حلب ابنه في الدار الاسقفية وفي الكاتدرائية السيد افرام نقاشه مطران السريان والايكونوموس مخائيل شحود بالنيابة عن سيادة المطران ديمتريوس قاضي المتغيب في لبنان لزيارة الراهبات والورتبيد يوحنا بليط بالنيابة عن السيد اغسطينوس صانغ المتغيب لزيارة دير بزمار وبالختام صعد المنبر الخورفقوفوس جرجس شلحت وابنه بسجع ونثر متخذاً الآية سقط اسد وبطل في اسرائيل.

٣ تشرين الاول : سافر القس يعقوب نسيميان الى بيروت حيث عيّن مع القس يوسف كحو عوضاً عن القس باسيل قليوبيجيان والقس سكياس جربان.

٤ منه : وصل وفيق بك والي حلب الجديد وفي هذه الايام الاهالي امست باختباط عظيم لسبب جمع الرديف احتياطاً لمقاتلة الدول البلقانية علّها تشهر الحرب قريباً على تركيا.

١) جبرائيل اده ولد في ١٩ ت ٢ ١٨٤٨ دخل الرهبانية اليسوعية في ٩ ت ١ ١٨٦٦ راجع ترجمته في رسالة قلب يسوع ٢٢ ص ٣٤.

٢) الاب Léon Buffat ولد في ٩ ايار ١٨٦٩ في فرنسة دخل الرهبانية اليسوعية في ١٩ ايلول ١٨٨٩ توفي في بكفيا في ١٧ شباط ١٩٤٨.

٥ منه : مرّ بحلب السيد يوحنا دروز الكرمليتاني قاصداً ما بين النهرين متوجهاً الى الموصل .

٧ منه : تمت المعاهدة بين البلغار واليونان والجبل الاسود والصرب واتحدوا جميعاً لاشهار الحرب على الدولة العثمانية وقد اشهروها مؤخراً وعندنا في هذا الزمان وقفت الاشغال وكل يوم يسافر عدد وافر من عسكر الرديف وبعضهم يتطوعون .

١٩١٢

١٣ تشرين الاول : مساء زار حلب نجيب باشا ملحمه فاستقبله الوالي في المحطة (ب ٢١٨١) .

توفي فردريك بوخه قنصل بلجيكا ووكيل قنصلية اميركا وروسيا والنمسا سابقاً ابنه في الكنيسة الاب بولس دورليان الفرنسيسي .

١٥ تشرين الاول : اتى الى حلب القس بولس عريس عائداً من بزمار .

١٧ تشرين الاول : وقع الصلح بين ايطاليا والدولة العثمانية .

٢١ تشرين الاول : نال البكالوريا من نظارة المعارف الافرنسية كبريل بليط مغري هندية ادولف بوخه في مدرسة الفرنسيسكان (ب ٢١٨٢) .

٤ تشرين الثاني : عاد من بزمار السيد اوغسطينوس صانع .

٨ تشرين الثاني : اصبحت المهاجرة الى البلاد الاميركية آفة حلب . في كل اسبوع يسافر ثلاثون او اربعون شخصاً ومنهم عيال برمتها - (ب ٢١٨٦) .

٩ تشرين الثاني : احتفل بعيد الاب المرشد . قرأ خطاباً بالارمنية ادوار حلاق وبالافرنسية ميشيل شاشاتي وبالعربية كامل بيلونه وجرجي بسطوري .

١٢ تشرين الثاني : الاب المرشد قرأ منشور الحبر الاعظم بيوس العاشر بجواز المناولة على الطقسين الخبز والفطير .

٧ كانون الاول : عيد الاخوية احتفل به في الكنيسة طبقاً للمراسيم المألوفة ثم قدم الفطور للجميع (حليب وكاكاو وبسكويت) والقى خطاباً ميشيل انطون شاشاتي وكامل بيلونه .

١٩١٣

المتقدم منير اجقباش الكاتب عبدالله جحا الاعضاء المحررة اسماؤهم ٨٨ .

٢٠ كانون الثاني : اقام المطران يوسف اسطفان النائب البطريركي الماروني في حلب قداساً حافلاً منح فيه سر التثبيت لمئتين واربعة اشخاص . (ب ٢٢٠٨)

اعلن في الكنائس افتتاح اليوبيل القسطنطيني وتقرر ان يزور كل انسان كنيسة طائفته ثلاث مرات ومرة واحدة كلاً من كنائس الطوائف الاخرى .

جرى انتخاب اعضاء المجلس العمومي لمدينة حلب وقد اساء الذين حضروا من المسيحيين ومن اخواننا المسلمين المتنورين لان اكثر المنتخبين لم يخصصوا ولا صوتاً واحداً للمسيحيين من الاصوات الخمسة التي يحق لكل ان ينتخبها . (٢٢٥٦)

٢٦ كانون الثاني : الاحد في مساء هذا النهار اجتمع وجهاء الموارنة في الدار الاسقفية لانتخاب خلف المثلث الرحمات المطران يوسف دياب فنال اكثرية الاصوات الاب نيقولاوس اسود الفرنسيسي ومن بعده السيد يوسف صقر المطران الملازم الكرسي البطريركي ومن بعده القس مخائيل اخرس وعرضت النتيجة على غبطة البطريرك ليفصل في الامر .

٢٥ كانون الثاني : صدرت برقية من الكرسي البطريركي الماروني في اقامة القس ميخائيل اخرس مطراناً على حلب .

٨ شباط : سيامة السيد مخائيل اخرس في لبنان بحضور قسمة باساقفة .

١٣ شباط : استقبال السيد مخائيل اخرس بحفلة عظيمة .

٢٨ شباط : القى الاب بول شينو دورليان الفرنسي عظات الرياضة باللغة الافرنسية في كنيسة السريان . (ب ٢٢٢٥)

١٦ ايار : مر بحلب الاب اوغسطينوس من رهبانية الترابيست وهو متوجه لزيارة ديرهم في جبال كورداغ اكبس حيث اقام مدة رجل الله الشهير الاب دي فوكو (راجع ترجمته في المشرق ٣٠ ، ٩٩١)

– وعظ الاب جبرائيل اده رئيس اليسوعيين رياضة الكهنة عن دعوة المطران ديمتريوس القاضي .

٢٤ ايار : قدم عبدالله جحا للاب المرشد بطرشيلاً مصنوعاً من القماش الوطني القطني المعروف بالسلطانية مزهراً بالحرير منقوشاً حين حياكته بقصب فضي اكسبه رونقاً زائداً .

٢٦ ايار : اقيمت حفلة اليوبيل المئوي في جمعية مار منصور تذكاراً لولادة « فردريك اوزانام » مؤسسها والقى خطاباً جوزف توتل وقصيدة بنراكي خياط . (ب٣٢٥٨)

٨ حزيران سافر عبدالله جحا الى اميركا .

١٨ آب : احترقت خزانة في سكرستيا كنيسة الموارنة فالتهمت النار بعض الكتب الطقسية المخطوطة . (ب ٣٢٩٣)

٥ ايلول : نشب الحريق في سوق خان الحرير امام باب خان ميتر وعبثاً حاولت البلدية اطفاءه الى ان ارسل الوالي تذكرة بامضائه الى ادارة السكة الحديد وهذه ارسلت مضختها ورجالها فتمكنوا من اطفاء النار بعد ان احدثت اضراراً جسيمة وقدرت الخسارة بما ينيف عن الاربعة الاف ليرة .

١ تشرين الاول : جنازة نعمةالله جرجي حمصي المتوفى في ٢٩ ايلول ابنه بالعربية السيد اغسطينوس صائغ في الكنيسة والسيد تيودور كورنيل في المقبرة متكلماً بالافرنسية ومن بعده فيلكس فارس بالعربية .

٢ تشرين الاول : اشتعلت النار في محلة بستان كل آب في اوتيل مصر ولم تقوَ مضخة البلدة على اطفائها فاقتضى استدعاء مضخة سكة حديد بغداد كما جرى في الحريق السابق واطفئت النار .

٦ تشرين الاول : غادر حلب سيادة المطران اوغسطينوس قاصداً الى الاسكندرونة وتوابعها لزيارة الرعية .

اضرب عمال النسيج عن العمل بحجة قلة الاجرة عن نعيهم . (ب ٣٣١٢)

١٧ تشرين الاول : الف بعض الافرنسيين في حلب شركة لجر مياه الفرات الى المدينة وقدموا خطط مشروعهم الى الولاية . (ب ٣٣١٧)

٢٨ تشرين الاول : عاد الينا السيد اوغسطينوس . جدير بالذكر انه زار في الاسكندرونة باخرة حربية نمساوية ولما وطئ ظهورها اطلق منها خمسة عشر مدفعاً واستقبله الاميرال بغاية الحفاوة .

٢١ كانون الاول : اخذت راهبات الارمن بهدم مدرستهن الكائنة تجاه بيت اندريا لتوسيعها ومنذ خمسة عشر يوماً اخذت البلدية بهدم المخازن من سويقة الحجارين الى حمام بيارته توسيعاً للطريق وذلك عن امر الوالي وهذا سافر الى بيروت يوم الجمعة ٢٣ منه وعاد الى حلب الاحد ٢٥

٢٨ كانون الاول : اعدم شنقاً عند « الساعة » في باب الفرج احد المشايخ اسمه محمد سراج لقتله شاباً مسلماً لكونه لم يستسلم لاهواء الشيخ الشيطانية .

١٩١٤

المتقدم : ميشيل شاشاتي ومن بعده عبدالله بشور .

٢ كانون الثاني : عاد من رحلته الى اوروبا السيد ميخائيل اخرس .

٣ كانون الثاني : من عيد الميلاد الى اليوم تهاطلت الامطار بصورة غزيرة متواصلة ففرح لها الجميع .

٥ كانون الثاني : وفاة المطران باسيل قندلفت في الشرفة في ١ كانون الثاني – ولد في حلب ١٨٥١ تعلم في اكليريكية غزير اليسوعية سيم كاهناً ثم في ١٨٩٣ اسقفاً على يافا شرفاً . (ب ٢٣٤٩)

١٣ شباط : جاءت برقية من اطنه مفادها ان الطيار فتحي افندي بارحها الساعة الثالثة بعد الظهر على الطيارة « المعاونة الملية » قاصداً حلب فاذاعت الولاية النبأ على ألسنة المنادين وعينت ساحة السبيل بظاهر المدينة لنزول الطيارة فاسرع الناس متسابقين اليها جماً غفيراً ومن جملتهم الوالي وكثيرون من موظفي الحكومة ونحو الساعة الخامسة بعد الظهر ظهرت الطيارة محلقة في الجو فارتفعت اصوات الهتاف من ذلك الجمهور مسروراً لمرآهم انساناً سابحاً في الفضاء مزاحماً الطيور في مملكة الهواء . وفي اليوم التالي ارتفع الطيار مرتين ودار حول المدينة وطار معه في المرة الاولى حكيم المحطة وفي الثانية مشير العسكرية وفي صباح الاحد ١٥ منه نحو الساعة التاسعة صباحاً طار الطيار حول المدينة رمى علماً على الجامع الكبير وآخر على دائرة الحكومة وآخر على الثكنة العسكرية ثم ذهب قاصداً حمص .

٢٣ شباط : وصلت الطيارة برئاسة جلال بك وعليها الطائر نوري بك نحو الساعة الرابعة صباحاً وفي اليوم التالي بارحتنا قاصدة بيروت وفي الاربعاء وردت برقية من حماة مفادها ان الطيارة لم تصل اليها وكان السبب سقوط الامطار وتعطيل الآلة وبلغنا ايضاً ان الطيارة « المعاونة الملية » سقطت بفتحي افندي ورفيقه في طريقها الى القدس فقتلا .

٣ نيسان : وصل حلب القاصد الرسولي فريديانو جيانيني سوف يمنح الاولاد سر التثبيت ثم يتوجه الى القريات لتكريس كنيستها (ب ٢٣٨٢)

١٣ نيسان : اتانا من شفيق واتلي في اميركا تحرير مفاده ان الاخ المذكور لما اخذ برنامج جمعية تثقيف الفقير فرح واستفزته الغيرة فدعا الى الاشتراك بها ٢٥ من معارفه .

٢٩ نيسان : سافر الى كايس القس مخائيل قديد .

٣٠ منه : سافر الى يزمار السيد اوغسطينوس صائغ مندوباً من البطريرك ليترأس فيه الانتخابات .

١١ ايار : وفاة القس يوسف شكير .

١٥ حزيران : ظهر داء الكلب في كلاب الازقة في حلب وقد اهتمت البلدية بقتل الكلاب وارسلت الخمسة الاشخاص المعرضين الى مستشفى الكلب في بيروت (ب ٢٦١١)

٣ آب : علقت على جدران الشوارع اعلانات الحكومة بلون الدم اللون الاحمر مكتوباً عليها بالتركية سفر برلك اي التجنيد العام فاخذوا يحشدون الجنود فوقفت الاشغال واقفلت دور الصناعة وفي نهاية تشرين الاول اعلنت تركية الحرب على دول الحلفاء .

٨ آب : توفي في مصر الاب جبرائيل اده رئيس الاباء اليسوعيين في حلب وكان يلقي عظات الرياضة في مدرسة العائلة المقدسة في القاهرة .

٢١ آب : في الساعة الواحدة من نصف الليل توفي الحبر الاعظم بيوس العاشر .

٢ ايلول : انتخاب بندكتوس الخامس عشر .

٢٩ : تشرين الثاني : عين السيد اوغسطينوس صائغ قائمقاماً بطريركياً في الاستانة .

وفيه اقيمت حفلة شائقة في الكنيسة السريانية حضرها مشير الموصل وبعض موظفي الحكومة واقيمت بعد الظهر منه في المدرسة الارمنية الكبرى حفلة اخرى لاعانة الهلال الاحمر تناوب فيها الخطباء منصور اسود بالتركية وكارلس بليط وفلكس فارس والياس هندية بالعربية وفي النهاية رفع السيد

اوغسطينوس الدعاء للسلطان محمد رشاد وكانت الموسيقى العسكرية وموسيقى دار المعلمين تساعد على نجاح الحفلة.

١٩١٥

بعد عيد الفصح بدأت وفود الارمن المهاجرين تدخل حلب الجأهم الاتراك الى ان يتركوا بيوتهم وكل مقتناهم ويرحلوا من اوطانهم بلا مال ولا زاد والعساكر الشاهانية ترافقهم فتسلبهم ما معهم وترميهم بالرصاص فدخل منهم حلب نحو ٤٠ الفاً.

١٩١٦

ابتدأ الغلاء الفاحش.

١٩١٧

بلغ سعر رطل الطحين ٧٥ غرشاً وكان قبل الحرب ثلاثة غروش.

١٩١٨

٢٣ تشرين الاول في الليل سافر من حلب الجنرال ليمان فون سندرس قائد الجيوش التركية والالمانية وبصحبته كثير من الضباط وسافرت اكثر من عشرة قطارات مشحونة بالعساكر والذخائر. وضُربت بالقنابل الجسورة المؤدية الى البلدة.

٢٤ منه: صباح الخميس خرجت جماعات ونهبت محطة بغداد وكان الامير قد هجروها واووا الى بيوتهم.

٢٥ تشرين الاول: الجمعة حضر الى كومندان المركز عرب بجحم وطلبوا الافراج عن رفاقهم المسجونين منذ الصباح فرفض تلبيتهم فقاتلوه وقتل نحو عشرة من العرب وثلاثة من الاتراك وجرح نحو عشرين من الفريقين وعلم الامير بجحم ان الاتراك يريدون ضرب البلد قبل تسليمها فارسل واخبر بالامر القوات الانكليزية العربية المحيطة بالبلد وعلم مصطفى باشا بان لم يكن بعد يوسعه ان يقاوم العدو فامر جنوده بالانسحاب فسار واياهم الى المسلمية.

٣ تشرين الثاني: السبت دخل حلب الانكليز والعرب بقيادة الجنرال

ماك اندريو والامير ناصر وقلوهم السيارات المدرعة الانكليزية ثم الجنود الانكليزية والعربية وفي اليوم ذاته تعين مرعي باشا الملاح رئيساً للحكومة الاهلية .

٢٧ تشرين الاول : الاحد توافد الاعيان على اوتيل بارون للسلام على القائد الانكليزي وعلى الامير ناصر .

وحفظاً للامن تقرر اقفال المدينة عند الغروب ومنع التجول في الازقة ليلاً وترتبت دائرة المحافظة ودائرة الشرطة .

١٩١٩

مقتل الارمن في العقبة

ليعلم القارئ انه لاسباب سياسية ومن جملتها هذه الحادثة المشؤومة قد اهمل كتابة هذا السجل مدة الحرب ١٤–١٨ ولكن هناك وثائق عثرنا عليها مفيدة لتاريخ الحوادث فاثبتنا منها ما يلي :

على اثر تصريح وزير فرنسة المسيو بيشون في مجلس النواب الفرنساوي ان لفرنسا حقوقاً في سورية تشكلت في الشام وحمص وحماة وحلب لجن للاحتجاج على هذا التصريح في مؤتمر الصلح وفي ٢١ شباط ١٩١٩ نشرت لجنة حلب ما يلي :

بلاغ عام الى السوريين عموماً والحلبيين خصوصاً

بما ان الخطاب الذي القاه مؤخرًا مسيو بيشون وزير خارجية فرنسة في مجلس النواب الفرنساوي والذي ابان فيه ان للامة الفرنسوية حقوقاً في سورية ولبنان وفلسطين نشأت عن التقاليد التاريخية والاتفاقات والمعاهدات مدعياً ان هذه الحقوق قائمة ايضاً على امال ورغائب السكان الذين هم زبائن فرنسة منذ زمان طويل الى آخر ما ورد في الخطاب من المغامز السياسية المغايرة للحقيقة والمنافية لصالح سورية والامة العربية فبناء على التظاهرات الوطنية من عموم الوجهاء والاشراف والعلماء والتجار واصناف الصنائع في حلب قد تشكلت لجنة الاحتجاج لاقامة مظاهرة كبرى يوم الجمعة الساعة الثامنة عربية بعد

الظهر امام باب القلعة في ساحة سوق الجمعة تتظاهر فيها الحسيات الوطنية الراغبة بالاستقلال والاحتجاج على ما ورد بخطاب المسيو بيشون وتأييداً لرغبتنا المقدسة وهي الاستقلال .

فندعو ابناء العرب الميرين على استقلالهم ووطنهم للاشتراك بالمظاهرة في الوقت المعين قياماً بواجب الوطنية والسلام .

حلب في ٢٦ جمادى الاولى سنة ١٣٢٧ هـ . ٢٦ شباط ١٩١٩

لجنة الاحتجاج بحلب

اما المظاهرة للاحتجاج فقد صارت يوم الخميس عوض يوم الجمعة في المحل المعيّن في البيان وفي صباح اليوم التالي اي الجمعة نحو الساعة الثانية بعد نصف الليل قام بعض الاشرار من البوليس وغيرهم من الرعاع مدفوعين من حكومة ذلك الوقت على سكان العقبة الذين اكثرهم من الارمن فقتلوا منهم ١٥٠ وجرحوا ٢٠٠ بامر تدبر وبافظع قتل . وكانت الغاية يومذاك ليس قتل الارمن فقط ولكن المسيحيين اجمعين ايضاً . فليعلم القارئ قوة تلك الحركة حتى ان السلطة البريطانية لم تتدخل في كف الحركة الا بعد انتشارها بسبع ساعات وبعد احتجاج الرؤساء الروحيين . ان الاحوال والاختباطات السياسية لا تسمح لكتابة حقيقة الحادثة التي نطلب ان يمكننا الخط من كتابتها بعد زوال هذه الازمة لكننا ننقل ما كتبته جريدة حلب الرسمية الحكومة . . .

ان هذه الجريدة اصدرت في ٤ اذار تحت نمرو ٢٥ عدداً ابدلته بالنمرو ذاتها في ٧ اذار واستردته لقاء بجيدي كل عدد واكثر وبما ان كاتب هذه الاسطر قد حفظ هذين العددين فاستحسن نشرهما حتى يقف القارئ على خفيات الحادثة .

المقالة الافتتاحية لجريدة حلب نمرو ٣٥ تاريخ ٤ اذار :

لا شيء في حلب

ظن البعض ان حادثة يوم الجمعة التي جرت في حلب هي من المسائل الكبيرة التي يخشى منها غير ان المسئلة هي غاية في البساطة ولا يمكن اعتبارها الا من الامور التافهة التي لا تؤثر في حسيات العنصرين (العربي والارمني)

وتفصيل الحادثة كما اثبتتها التحقيقات الرسمية ان اثنين من الجهلة عربي وارمني تشاتما فتخاصما فتلاطما حتى ادى بهما الجهل الى استعمال السلاح ومن ثم ظن بعض الجهلة ان وراء الاكمة ما وراءها فامتدت ايديهم الى بعضهم ولكن ما كان يتصل الخبر بالحكومة العربية حتى خف عطوفة الحاكم العسكري العام لمحل الحادثة واعطى الاوامر المشددة لرجال الدرك والشرطة الذين انتشروا في سائر الانحاء واطراف البلدة وقبضوا على من اشتبه فيه ولم تطل الحادثة بضع دقائق ولم يحدث من بعدها ما يخل بالامن ولا يسيء السمعة.

وقد اهتمت الحكومة المحلية اشد الاهتمام كي لا يتكرر هذا الحادث وكان اكثر الكل اهتماماً عطوفة الحاكم العسكري العام الذي يواصل الليل والنهار بالطواف في سائر انحاء المدينة . ومن ذلك الوقت لم يحدث في المدينة اقل شيء بل ان الامن ضارب اطنابه في عموم البلدة وملحقاتها والاشغال جارية كالعادة والسكينة شاملة .

ولقد اظهر عطوفة الحاكم العام اهتماماً زائداً في مؤاساة الجرحى من اخواننا الارمن في المستشفى الوطني وفي المستشفى المثلث للصليب الاحمر واظهر للعموم استياءه مما حدث وان الامة العربية اشرف من ان تلطخ اسمها بارتكاب فظاعة او منكر بل ان المسئلة محصورة في اثنين او ثلاثة من الجهلة الذين لا يميزون بين الضار والنافع وقد قبض كما ذكرنا انفاً عليهم وسيجازون بما يستحقون .

فالعرب والارمن اخوان لا تؤثر في عواطفهم حوادث طفيفة كهذه خصوصاً وانها كما اظهرت التحقيقات الرسمية من المسائل التافهة التي لا تذكر الا بالهزء.

على ان عطوفة الحاكم العسكري العام قد اذاع ساعة وقوع الحادثة منشوراً كان داعياً لارتياح الافكار .

وعليه فاننا نطلب من عموم الاهالي الا يجعلوا لاحاديثهم الخاصة والعامة علاقة بهذه الحادثة الطفيفة التي لن تتكرر ابداً لما بين الامتين من التحابب والتآخي .

بلاغ عام الى عموم اهالي حلب

لا يخفى ان العرب والارمن هم شقيقان متفقان وقد نال الامتان من العسف والجور ما نالها حتى يسر الله لهما الخلاص مما كانا فيه من الاسر والاستبداد بناء عليه يجب ان يزول كل ما علق باذهان البعض من النفرة .

وان الحوادث التي جرت بين الامتين المتحابتين العربية والارمنية لم تكن الا بفساد من الاتراك الذين يلعبون من وراء الستار لايقاع البغضاء بين الامتين الشقيقتين وهؤلاء الذين تسببوا بوقوع ذلك سيجازون باشد الجزاء ليكونوا عبرة لمن اعتبر .

على ان اخواننا الارمن لا ينسون مساعدة العرب لهم وضمهم الى صدورهم كاخوان حقيقيين لذلك قد اتخذنا التدابير الفعالة الشديدة لاجل التحقيق من كل من له يد في هذا الحادث وسيجازى بالاعدام.

فنطلب من عموم الاهالي ان يلزموا السكينة والطمأنينة ولم يعد ثمة لزوم الى الاضطراب اذ ان الحكومة العربية قد اتخذت الاحتياطات اللازمة لحفظ الامن بين العموم على السواء فعلى اصحاب المحلات والمخازن ان يباشروا باشغالهم وفتح محلاتهم كالعادة ومن يظهر منه اقل حركة تدل على الامتناع من اوامر الحكومة العربية يكون جزاؤه الاعدام رمياً بالرصاص .

٢٨ جمادى الاولى ١٣٣٧ ١ اذار ١٩١٩

امير اللواء : شكري الايوبي

المقالة في العدد ٢٥ لتاريخ ٧ اذار : ٩

حادث مؤسف

جرى حادث مستوجب اشد الاسف في حلب يوم الجمعة الفائت فان بعض الاشرار بل نفراة البشرية من الطبقة الساقطة في هذه المدينة قاموا على جماعة الارمن العائشين بيننا وما هم الا بقية المظالم التركية المشينة وقتلوا منهم خمسين وجرحوا مئة في ساعة واحدة مما اوجب الظن والتقدير بان هناك يداً خبيثة مكارة حركت هؤلاء الاوباش الضواري على ذلك الفتك المدهش لا بالرجال

فقط بل بالنساء والاولاد ايضاً حقاً ان في بعض البشر طباعاً يستنكف من التمثل بها الحيوان الاعجم ان هذه الحادثة الجريمة ثبتت على مدينة حلب وهي وصمة لا تزول ولا تمحى الا بتسارع العقلاء لكشف المجرمين ومساعدة الحكومة على محاكمتهم وشنقهم.

يجب ان تعلمنا هذه الحادثة التي تشمئز منها النفوس كم يجب الحذر من تهييج عواطف الجهلاء بما نكتب ونخطب في المواضيع العربية ان اشتغال العامة على ما فيها من الجهل والحماقة بامور هي من شؤون الحكومة فقط هو ما اوصل مدينة حلب الى هذه النتيجة المشؤومة . ان المطبوعات العربية وما يتبعها من المحادثات الخصوصية هي التي ادت اخيراً الى ترويع كل قلب وتصغير كل نفس في هذه المدينة .

اجل ان اللوم في هذه الحادثة لا يجب ولا يمكن ان يوجه الى جهة واحدة كلا ولكن لا شيء يخفف هول الجريمة الكبرى او يوجد لها عذراً سوى تسارع كل عربي حقيقي مستقيم الرأي وعارف قيمة الحياة البشرية الى السعي الحثيث لتبين المجرمين الحقيقيين ومساعدة الحكومة على انزال العقوبة بهم ان اجدادنا العرب كانوا يؤمنون عدوهم اذا لجأ لحماهم فلا احد منا يقبل اقل معذرة لمن قتل اناساً لاجئين الى حمانا وهم في كل حال ضيوفنا يجب ان نظهر الارمن بالفعل لا بالكلام اشمئزازنا العام من الاعتداء الغريب الذي وقع عليهم وهم في احضاننا وعزمنا الثابت على ان نجعل كل من يختار الاقامة بيننا امينا على نفسه وماله حتى من اعدائنا فكم بالحري منا . ان الذين مثلوا على مسرح حلب هذه المأساة الفظيعة تتبرأ منهم الانسانية برمتها ويرذلهم كل دين معروف عند البشر .

حاشية للكاتب : انه من قراءة هذه الحادثة في هذين العددين يتضح كيف ان الحكومة التي لها يد بالحادثة كذبتها اولاً بل نقلتها الشعب كانها من المسائل التي لا اهمية لها ولكن لما كانت الحادثة قد ظهرت للجميع وان عدد الذين قتلوا من نساء واطفال ما عدى الرجال بلغ المئة والخمسين لم يكن يوسعها ان تبقى صامتة فنشرت خبر الحادثة في العدد الثاني بصيغة ان مسبب هذه

الحادثة هي كتابات الجرائد التي هيجت الشعب على ارتكاب هذه الفظاعة .

على اثر ذلك الحادث قرر اقفال المدينة من الغروب ومنع التجول في الازقة في الليل واستلم العسكر الانكليز جميع مراكز السلطة واخذوا يوقفون من تجول بعد الغروب بنصف ساعة ودامت هذه الحالة ثلاثة اسابيع واوقفت السلطة الانكليزية كبار المسلمين مثل حاج مراد الجابري واولاد يكن وحاج نور جمري الخ. كناية عن اربعين شخصاً ثم اطلق سراحهم بعد امساك المجرمين واعدامهم .

اجتماع ٥ اذار في برهو الولاية

اجتمع في قاعة الولاية يوم الاربعاء في ٥ اذار عدد كبير من اعيان البلدة ووجهائها بامر من عطوفة حاكم حلب العسكري العام حضره حضرة القائد الانكليزي الكبير (هودسون) وعدد من الضباط الاركان الحربية والمستر براين ضابط الارتباط الانكليزي وسعادة جودت بك حاكم القضاء العسكري ثم قام حضرة القائد هودسون فتلا على الحاضرين الخطاب الآتي :

اشكر لكم ايها الاعيان وزعماء الجامعة العربية المحلية حضوركم الى هنا هذا الصباح تلبية لدعوتي.

احب ان اكلمكم باخلاص وبودة نهائية في شأن المنازعة التي حدثت في هذه المدينة واتوقع منكم ان تستعملوا نفوذكم في سبيل الامور التالية :

١ً — ان تفهموا كل طبقات الشعب من اكبرهم الى اصغرهم وكل الاشخاص المقيمين في القرى المجاورة انكم اذا كنتم انتم وهم تطالبون الاستقلال فانتم وهم بالمظاهرات الاحتجاجية ستكونون سائرين اليه من الطريق المخالفة . ان الامة العربية في هذا الوقت اكثر من كل وقت يجب ان تظهر لحكومات الدول المتمثلة في مؤتمر الصلح انها امة مطيعة القانون مسالمة وقادرة على ادارة بلادها وتحسينها .

٢ً — الامير فيصل كما تعلمون وضع مؤخراً امام مؤتمر الصلح مشروعاً لاستقلال الامة العربية . فيجب ان يفهم الشعب بكل صراحة ان الاعتداء

على الامن واقامة المظاهرات او الاحتجاجات من اي نوع كان يقلب مهمات الامير فيصل ويعرقل مساعيه بدلاً من معاونته .

٣ – انه من اخلص رغائب الدول المتحالفة ان يعاونوا العرب في كل طريقة ممكنة ويتخذوهم اصدقاء لهم ويروهم مع بلادهم ناجحين ومتقدمين . فعليه انا ادعوكم ياكبراء رجال حلب لعمل ما في وسعكم في سبيل التأثير على شعبكم كي يمتنع عن كل عمل اعتداء ولانتظار نتائج مؤتمر الصلح واقتباله مشروع الامير فيصل الاستقلالي .

٤ – واخيراً يجب ان ينذر شعبكم بان كل الذين يعكرون الامن العام بخرق النظام ومخالفة اوامر حكامكم هم انفسهم يكونون خائنين للمبدا العربي .

ثم قام عطوفة الحاكم العسكري العام والقى على الحاضرين جملاً حكيمة مبيناً العار الذي يلحق بالامة كلها من جراء اعمال اشرارها وما يجب على الامة من الاخلاد الى الراحة والسكون لتبرهن على انها جديرة بالاستقلال وما يجب على الخاصة من ارشاد الجهلة وتحذيرهم من الخروج عن دائرة الاعتدال لان الامة العربية اشرف من ان تلطخ اسمها الكريم بارتكاب جرم تأباه الانسانية والمدنية ثم اخذ على الحضور من وجهاء واعيان ميثاقاً واقسم عليهم الايمان المغلظة لعدم تكرار وقوع حوادث كهذه فتعهدوا بلسان واحد على القيام بهذه الخدمة التي هي من اقدس الواجبات .

ثم نهض المرة الثانية حضرة القائد وقال لعطوفة الحاكم انه يستحسن كلامه في استهجان العمل المعيب الذي جرى في ٢٨ شباط ويشكر لاعيان البلدة تلبيتهم واطاعتهم اوامر الحكومة العربية الرشيدة فاجابه عطوفة الحاكم بالشكر والامتنان .

وعلى اثر ذلك ارفض المجتمعون وكلهم ألسنة تشكر للحكومة العربية سهرها على الراحة العامة ولحضرة القائد هودسون محبته الخالصة للعرب .

هذه الاسطر المنقولة عن الجريدة الرسمية (حلب) تفيد جداً القارئ

وعلى اثر حادثة ٢٨ شباط ومنع التجول في الازقة بعد الغروب ومنع جميع الاجتماعات اقفلت الاخوية من اول اذار الى نصف نيسان .

١٦ نيسان : السيد ديمتريوس القاضي مطران ابرشية حلب سيم بطريركاً خلفاً للبطريرك جحا وسيحضر الى حلب بصحبة السيد المطران مكاريوس سابا .

— سافر بالطيارة الى الشام عن دعوة الامير فيصل القائد نوري باشا السعيد رئيس اركان الجيش العربي .

٢٣ نيسان : سافر الى الشام لملاقاة الامير فيصل الذي رجع مؤخراً من مؤتمر الصلح السادة احمد المدرس بشير الكيخيا فؤاد الجابري الشيخ رضا افندي الزجاني يوسف اسود وجورج عبديني[1]

٣٠ نيسان : اجتمع الاخوة عند منير اجقباش المتقدم وتعين كامل ورده كاتباً للسجل على ان يساعده سائر الاخوة في ذلك .

١١ حزيران : وصل الى حلب في هذا الاسبوع غبطة البطريرك ديمتريوس القاضي يصحبه سيادة المطران مكاريوس سابا وجرى انتخاب مطران ابرشية الروم الكاثوليك اولاً وثانياً وثالثاً وفي الدور الثالث حاز الاكثرية السيد مكاريوس سابا في ١٩ حزيران ١٩١٩

— وفاة القائد الانكليزي لجيش الاحتلال السير هنري ماك اندرو . مات مساء الاربعاء ١٦ تموز في محاولته اطفاء البانزين الذي كان قد التهبُ في غرفة نومه فاصابته حروق عالجها بضعة ايام بدون فائدة وقد مشى في جنازته قسم كبير من جيش الاحتلال وقسم من الدرك والشرطة وحضرة دولة الحاكم وجميع الموظفين والاهالي وكانت جثته موضوعة على مدفع .

٢٠ تموز : عملاً بالمادة الثانية والعشرين من معاهدة الصلح القائلة بوجوب

---

١) جورج عبديني انتقل من ثم الى بغداد واقام فيها وكان المنظور له الملك فيصل يقربه اليه ويستشيره ويقضي معه ساعات الراحة فيلعب واياه بالشطرنج . وكان الملك يحب في « اخيه جورج » الادب الحلبي ولطف المعاشرة - اصطحبه في رحلة فركبا سيارة جديدة واخذ الملك بقيادتها . وبعد مدة من السير سأل رفيقه : يا جورج كيف ترانى في السياقة فاجاب يا صاحب الجلالة انت وملك تؤمنك على ارواحنا اما انت وسائق فلا . فابتسم الملك وتحول عن قيادة السيارة الى السائق . (رواية عن الاب كوفي Coffi اليسوعي في بغداد)

دولة مساعدة للبلاد التي انسلخت عن تركية ارسل موتمر الصلح لجنة من الاميركان لاستطلاع راي الشعب في اختيار الدولة التي يريد ان ينتدبها فبناء على ذلك حضرت هذه اللجنة الى حلب بعد ان طافت جميع مدن سورية ولبنان فنزلت في اوتيل بارون فتقدم اليها اولاً هيئة الحكومة ثم وفد العلماء ثم وفد البلدية ثم وفد ارباب الصحافة ثم وفد الصناعات والنقابات ثم وفود من القرى وكانت مطاليب الجميع على نوعين القسم الاعظم من هذه الوفود اي جميع الذين من الطائفة الاسلامية طلبوا الاستقلال التام بمساعدة انكلترة او اميركة وان يكون الامير فيصل ملكاً على سورية والقسم الثاني الذي يشمل جميع الطوائف المسيحية فانه طلب الاستقلال بمساعدة الدولة الافرنسية لا غير وان يكون الامير فيصل اميراً على سورية .

هذه خلاصة اعمال اللجنة الاميريكية .

١٢ تشرين الثاني : انسحاب الجيش البريطاني . بناء على قرار موتمر الصلح بانسحاب جميع القوات الانكليزية من سورية وتسليم البلاد ليد السلطة العربية حين ان يقرر انتداب دولة اوربية وتمضي تركية معاهدة الصلح فقد انسحبت جميع القوات الانكليزية من حلب في يومي الثلاثاء والاربعاء بعد ان سلموا المدينة للسلطة العربية اي لوالي حلب (جعفر باشا العسكري)

١٥ تشرين الثاني : انسحبت الجيوش الانكليزية تماماً من حلب وهي على اهبة الانسحاب من حمص وحماه ورياق وسائر الجهات . (ب ٢٤٩٦)

٢٩ تشرين الثاني : حدثت مظاهرات يوم الخميس الماضي ٢٦ تشرين الثاني على اثر استدعاء ياسين باشا من قبل القائد العام الانكليزي ويوم الجمعة مساء اقامت الموانيت ووزعت نشرات مهيجة . (٢٥٠٦)

١٩٢١

١٧ آب : انتخب متقدماً الياس غنطوس .

١٩٢٢

٢٣ كانون الثاني : وفاة الحبر الاعظم البابا بنديكتوس الخامس عشر اقيمت الجنائز الاحتفالية في كل الكنائس من اجل راحة نفسه .

٦ شباط : تنصيب الحبر الاعظم البابا بيوس الحادي عشر .

– فاض نهر القويق في اوائل هذا الشهر فعلا عشرة امتار عن حده المعتاد ومد شواطيه الى نحو خمسين متراً من كل جهة وخرب حيطاناً شيدت في البستان المدعو بستان العويجه ودمر محلات كثيرة قريبة الى النهر وطافت الجورة وغرق رجل حاول اجتياز النهر على دابته واخذت المياه تتناقص بعد يومين .

انتهى

حول الف ليلة وليلة

بقلم فؤاد افرام البستاني

في منحدر زقاق البلاط الى بوّابة يعقوب ، بين مدرسة الاحد الاميركية وتمثال اليازجي ، من عن يسار النازل حذرًا على تلك الطريق المرصوفة بالحصى ، الشاهدة بما اثرت فيها اقدام الاجيال المتعاقبة ، على انها اقدم ما بقي من طرقات بيروت القرن التاسع عشر ، يقوم حانوت متواضع ، في احدى زواياه حلّاق ، وفي زاوية اخرى سنكري ، وفي مقدّمه بسطة تزدحم عليها الغلّايات والاباريق والمسارج والاقداح وسائر مصنوعات التنك تلمع براقة في وقع ما يتسلّل من اشعّة الشمس ، حتى اذا لفّت اشعتها تحوّل الحانوت الى مقهى يرتاده الشرات من عمّال التنجيد ، ومستخدمي الصناعات الوضيعة ، وحمّالي المنطقة . فيحتبون الى الجدران القريبة ، او يقتعدون الحصير البالي ، يتبادلون التعاليق على احداث النهار بين رشفة ورشفة ، حتى تأزف ساعة الحكواتي . فيعلو الطاولة الصغيرة ، على كرسي لا سند له ، شيخ رقيق الجسم ، حليق الذقن ، بارز تقاطيع الوجه ، مكشوف الرأس عن صلعة براقة ، يحمل شاربين أثريّين ، ونظّارتين تركبان ، على قلق ، طرف الارنبة . فيتنحنح طويلًا ويوّلح ، ويبسط على قنبازه المرقّع كتابًا دسم الاوراق ينتقم منه بعض السياقات ، ممثلًا تفاصيلها المهمّة بيديه وعينيه وانفه وشفتيه وسائر جوارحه . حتى يضطرب الكرسي من تحته ، فتضطرب الطاولة ، فتضجّ ارجاء الحانوت بالتصدية وهتاف الاستحسان . ولا تنتهي الليلة من الألف الّا وفي حضن الحكواتي قُرَيشات معدودات حصّلها بكده وعرق جبينه . وينصرف السامعون على امل استئناف الليلة الآتية ، هازئين ، ولا هزء صاحب العقود ، برواد السينما وسائر الملاهي العصرية .

فاذا كانت بيروت لا تزال رائجةً فيها سوقُ الف ليلة وليلة ، فكيف بسائر المدن الشرقية ؟ كيف بالقرى النائية ، والدساكر المنفردة ، لا تتسلّى

عامتها الأمثل هذه القصص الشعبية ، على توالي القرون ؛ فلا تكاد ترضى عنها بديلاً ، لو وُجد هذا البديل . قد يكون من اسرار هـذا الرواج التقليدُ المتمكن في السامعين ، وقد تكون دقة الوصف في الكتاب ، وقد يكون اهتمامه بتصوير الطبقات الوضيعة خاصةً ، ومَن ينجح فيها من شُطّار اللصوص ونوابغ المحتالين ، ومَن يختلط بها من الامراء المُتَدَرْوِشين ، وقد يكون تأثر بعض حكاياته بالخوارق كآتي الجنّ والعفاريت والسَحَرة والعرّافين . وقد يكون كلّ هذا معاً . الّا ان الواضح الظاهر انما هو هذا الرواج المتتابع لألف ليلة وليلة ؛ رواجٌ لا يدانيه سوى شُهرة الكتاب لدى ادباء اوربة ، وأهميته في نظر المستشرقين ، حتى لا يشذّ عن هذا التقدير الشامل الّا ادباء العربية ، وهم الأجدرُ بدرسه ، والأولى بالتعمق في تفصيل موضوعاته وفنونه وأفكاره . الّا أنهم جُبهوا ، على الأرجح ، بما في اساليبه من ضعف ، وما في تعابيره من ركاكة ، فصدفوا عما وراء ذلك ، وما زلنا نؤخذ بجمال المظهر ، وبهَرَج العَرَض حتى ليفضّلُ الواحدُ منّا مقامات الحريري واساجيع الزمخشري . وما كنّا يوماً من دُعاة إهمال الشكل او الإعراض عن حسن الأداء . وغنيٌّ عن البيان ان الأثر الفنيّ لا يتكامل الّا اذا قرن جمـال الجوهر بجمال العرض فتكافآ وتناسبا . على ان المبنى الضئيل لا يمنع جمال المعنى ، لو وُجد ، كما ان زخارف الزيّ لا تغني عن معنى غير موجود .

نفهم هذا ، فلا نستغرب من اندره جيد — وهو من المعجبين بألف ليلة وليلة — ان يستغرب ازدراء الادباء المصريين هذا الكتاب العالمي . وهو انما يقرأه في ترجمة ماردروس الرائعة ، وهم يتوقّفون لدى ما في اخراجه من فقر بالمفردات وضعف في التعبير . أوَ لم يقم منهم مؤخراً مَن أزرى على واضعيه في مجلة «المقتطف» ، بما لم يكن منتظراً من أديب له سهمٌ فالجٌ في الفنّ القصصي .

واما المستشرقون فهمُهم درس الكتاب تاريخيًّا ، واجتماعيًّا ، وادبيًّا ، وقد وقفوا عليه الابحاث العديدة ، والمناقشات المستطيلة حتى حفلت المكتبة الاستشراقية بما لا يقلّ عن مائتي مؤلف تتوالى في « الف ليلة وليلة » ترجمةً ، وتعليقاً ، ودرساً منذ اكثر من قرنين ؛ وكان آخرها ما يهمّنا وصفه الآن .

وهو كتاب الاستاذ نيكيتا إليسيف Nikita Elisséeff ظهر باللغة الفرنسية في منشورات «المعهد الفرنسي في دمشق» سنة ١٩٤٩[1]؛ وغايته تصنيف موضوعات الف ليلة وليلة وفكرها وفنونها وسائر العناصر القصصية فيها. فاقبل على الكتاب يُنفق الاشهر بل السنوات في درس إطاره وتحليل اجزائه، وترتيب سياقاته، وتحديد لياليه، وتتبّع عناصره، من لغة الى لغة، ومن بيئة الى الى بيئة، ومن عصر الى عصر، من الجرثومة الهندية العريقة، الى الصيغة الفارسية، الى النقل العربي، قبل القرن العاشر، الى ما دخل في الكتاب بعد ذلك من حكايات واساطير وخرافات من مصادر متنوّعة اسلامية ومسيحية ويهودية، عربية واجنبية، دُوّنت في العراق، والشام، ومصر، حتى اواخر عهد المماليك.

وكان لابدّ من الاطلاع على آثار السابقين في هذا الموضوع. ومشكلة اصل «الف ليلة وليلة» على اقلام المستشرقين منذ اوائل القرن الماضي، منذ ان وصف سيلفستر دي ساسي اولى طبعاته في كلكوتا، الظاهرة سنة ١٨١٤، فارتأى ان للكتاب عدّة مؤلفين، وشكّ في قول المسعودي بنقله عن الفارسية. فردّ عليه دي هاتر. وتوالت المناقشات، حتى كاد يستقرّ الرأي على ان الكتاب مجموعة قصص متباينة المنشأ زماناً ومكاناً، متعدّدة المؤلفين، متنوّعة الغايات. فدُفع الاستاذ إليسيف الى مراجعة ما لا يقلّ عن ١٣٠ بحثاً في الموضوع، فضلاً عن طبعات الكتاب وترجماته؛ وعَرَضَ نتائجَ ابحاثه في هذا المؤلف القيّم الذي نراه يحتلّ مركزاً خاصاً لا في «تاريخ الف ليلة وليلة» فحسب، بل في تاريخ الدروس القصصية الشعبية اجمالاً.

يبدو الكتاب على ثلاثة اقسام: الدروس، التصنيف، الجداول والفهارس.

اما قسم الدروس فيتناول، بعد المقدّمة، ستة فصول خصّ المؤلف اولها بالبحث في اصل الف ليلة وليلة، عارضاً خلاصة المناقشات في ذلك على نحو ما ألمعنا اليه سابقاً، مضيفاً اشارات مفيدة الى ما قد يصلح معالمَ لتأريخ بعض

1) Nikita Elisséeff, *Thèmes et motifs des Mille et une nuits. Essai de Classification.* [Institut français de Damas.] In. 8°, 242 pp., avec une carte des longueurs relatives des contes. Beyrouth, 1949

الحكايات في الكتاب ، كالتلميحات الى الاحداث التاريخية او الى بعض امراء مصر ؛ والشواهد الشعرية المقحمة إقحاماً في كثير من الحكايات ، وهي في اكثرها لشعراء لم يتأخر زمنهم عن القرن الرابع عشر .

وتناول الفصل الثاني إطار الكتاب : حكاية الملك المتعوّد قتل كل امرأة يتزوّجها ، وامرأته شهرزاد ، وكيف تخلّصت من القتل بفضل حذقها ، واختراعها اسلوب الحكايات ، وقطعها مجرى الحديث عند الموقف الحرج . ولا شك في ان العرب نقلوا هذا الإطار عن الفرس ، وان يكن من طبيعة القصص الهندي في المهابهاراته والپانتشاتنترا تداخل الحكايات بعضها في بعض ، والانتقال من الواحدة الى الاخرى دون الخروج عن الإطار الاصلي ، على نحو ما نرى في كليلة ودمنة ، وهي حلقة من سلسلة الپانتشاتنترا :

— لا تفعلْ هذا والّا اصابك ما اصاب فلاناً .

— وكيف كان ذلك ؟

او ما تقول شهرزاد في آخر الحكاية :

— ما سمعتَ الآن ليس بشيءٍ بالنسبة لما ستسمع !

— وكيف ذلك ؟

وهكذا ينتقل الحديث من حكاية الى حكاية ، على تلك العلاقة الواهية .

وينتقل المؤلف في الفصل الثالث الى درس الحكايات نفسها في مختلف انواعها : الاصلية منها ، تلك التي كانت دون شك ، في « هزار افسانه » الذي يذكره المسعودي ، والدخيلة المؤلفة في بغداد ، ثم في مصر . ولا يتسع الوقت للاشارة الى كل منها وإن لماماً .

ثم يعرضُ لمخطوطات الكتاب وطبعاته في كلكوتا ، وبولاق ، وبيروت ، والقاهرة ، وبرسلو . ويتبسّط في وصف ترجماته ، وفي طليعتها ترجمة غالان Galland الفرنسية الظاهرة في باريس من السنة ١٧٠٤ الى السنة ١٧١٣ في اثني عشر مجلدًا ، والتي استعان في الحصول على مادة مجلداتها الاربعة الاخيرة برجل ماروني من حلب اسمه حنا ، عرفه في باريس سنة ١٧٠٩ ، وكان قد انتهى من طبع المجلد الثامن ، ولم يبقَ لديه من النصوص ما يترجمه . فاقام

حتاً يكتب له الحكايات بالعربية ، وهو ينقلها حتى اتمّ المجموعة ، وفيها من حكايات حتاً ما لا يُعرف في طبعات الكتاب البولاقية والهندية امثال : علاء الدين والفانوس العجيب ، علي بابا ، سيدي نعمان ، وغيرها . ويعرّج على سائر الترجمات عن الاصل فيذكر اربع عشرة منها الى اللغات الفرنسية والانكليزية والالمانية والدانمركية والروسية . ومن المفيد ان نضيف الى ذلك ذكر الترجمة الايطالية الشائقة التي قام بها مؤخرًا الاستاذ غبريالي .

وينتهي الى القسم الثاني من الكتاب وهو التصنيف ، تصنيف الموضوعات والفِكَر وفنون السرد وسائر العناصر القصصية ، يرتّبها على الحروف الابجدية بوعي تام ، وانتباه دائم ، فيخدم الكتاب الخدمة الجلّى ، وكأنه يفهرسه بكامله ، ويضع هيكله مجرّدًا امام الباحثين . حتى اذا تمّ له العمل ، وهو اهمّ اقسام الكتاب ، انتقل الى ما وسمناه بالقسم الثالث دالّين به على الجداول والفهارس .

فبدأها بجدول المقابلات . اورد فيه عناوين الحكايات جميعها ، وهي تبلغ ١٦٨ عدا ما تداخلها من اخبار ثانوية ، وقابل بين مواقعها في اربع عشرة طبعة وترجمة . وارفق كل ذلك بملحق نشر فيه نصوص المسعودي وابن النديم والمقريزي في كتاب «الف ليلة وليلة» ، ثمّ بمخطّط واسع مثّل فيه نسبة الطول بين ليالي الكتاب وفقاً لطبعة كلكوتا الثانية .

وبعد ان نشر ثبتاً باسماء المراجع والمآخذ البالغة ١٣٠ باللغات العربية ، والفرنسية ، والانكليزية ، والايطالية ، والالمانية ، والروسية ؛ وفهرسين باسماء الاعلام والاماكن ؛ خصّ بابطال الف ليلة وليلة وسائر اشخاصها جدولاً مفيدًا جدًّا رتّبه على الابجدية وتتبّع مآثر كلّ منهم في مختلف الحكايات .

هذا عرض سريع لكتاب الاستاذ إليسيف النفيس . وهو في نظرنا اوجز من ان يستوعب خصائصه ، واخصر من ان يحيط بفوائده جميعاً . ولعلّه يدفع بعض ادبائنا الى الاطلاع عليه ، والافادة منه ، والاقتداء به ، فتقلّ في ابحاثنا ودروسنا الاساليب العاطفية ، ونستبدل بها شيئاً من دقة الموضوعية ، وترصّن العلم !

الجمال بدمشق

وشهوده في رحل الغربيين

بقلم حبيب زيات

من اللقط والفرائد التي يعثر عليها المطالع في الكتب البلدانية والمؤلفات الادبية تعداد جانب من خصائص المدن وما اشتهر فيها اثناء حضارتها من الطرائف والصنائع وما انفرد به اهلوها من الاخلاق والطبائع وقل جداً ان ترد فيها لمع الى ما امتاز به بلد دون آخر من جمال في الخلق وملاحة في التكوين وجل ما وقفنا عليه من هذا القبيل وصف البكري بعض سكان افريقية بحسن الصورة كأهل غمارة قال: «لهم شعور يسدلونها كشعور النساء ويتخذونها ضفائر ويطيبونها ويتعممون بها»[1] ووصف في مدينة أودغست «جواري حسان الوجوه بيض الالوان مُتثنيات القدود لا تنكسر لهن نهود لطاف الخصور ضخام الارداف واسعات الاكتاف»[2] ونعت اهل البصرة بافريقية بالجمال الفائق والحسن الرائق وانه ليس بارض المغرب اجمل منهن[3] وحكى ابن حوقل مثل ذلك فقال «لهم محاسن في خلقهم قد عمت نساءهم ورجالهم والغالب عليهم حسن القدود والشطاط واعتدال الخلق وجمال الاطراف»[4]

وألمع القزويني الى حسن اهل فارس وفرغانة وأبهر واصفهان[5] والجبال وجيلان وخراسان وزنجان وساوة[6] ونصّ من مدن الشام على ان اهل دمشق احسن الناس خَلقاً وخُلقاً»[7] وورد في كتابه آثار البلاد المطبوع وصف اهل

---

١) المُغرب في ذكر افريقية والمغرب طبعة الجزائر ١٠٢

٢) المغرب في ذكر افريقية والمغرب طبعة الجزائر ١٥٨

٣) « « « « « « ١١

٤) المسالك والممالك طبعة ليدن ٥٥

٥) عجائب المخلوقات طبعة وستنفلد ١٥٥ و١٥٦ و١٩١ و١٩٦

٦) آثار البلاد طبعة وستنفلد ٢٢٨ ، ٢٣٦ — ٢٣٧ ، ٢٤٣ ، ٢٥٦ ، ٢٥٩

٧) « « « « « ١٢٦

حمص « بالجمال المفرط » ولكن من راجع الاصل الذى نقل عنه وهو كتاب المسالك والممالك لابن حوقل يتضح له ان كلمة « الجمال » مصحفة عن «الحبال» الواردة بمعنى الحماقة في كلام كل من اشار الى خصائص حمص ولما مرّ ابن بطوطة المغربي بشيراز قال : « ليس في الشرق بلدة تداني دمشق في حسن اسواقها وبساتينها وانهارها وحسن صور ساكنيها الا شيراز »[1]

وفي سنة ٢٤٤/٨٥٨ قدم المتوكل العباسي دمشق وعنّ له ان يطوف كنائس الزهاد والموضع المعروف بالفراديس قال ابن حمدون وكان معه : « لم يزل يستقري تلك الكنائس والديارات ويشاهد ما فيها من عجائب الصور ويرى من احداث الرهبان وبنات القسيسين وجوهاً كأنها اقمار على غصون تنثنى في تلك الاروقة والصحون وكلما مرّ بنا شيء منهم يقول لي : ويحك ترى ما نحن فيه ؟ ما شاهدت مثل هذا قط. . . »[2] والى هذه الاقمار على الغصون اشار لا شك ابو الفتح محمد بن علي المعروف بابي اللقاء بقوله من ابيات في دير صليبا :

كم رأينا بدرًا به فوق غصن مائس قد علا بشكل كثيبا[3]

ولا يخفى على احد ما لشهادتي ابن حمدون والمتوكل من القدر والجلالة وهما شهادتا ناظر عياني وخليفة عباسي اعتادا ان يشاهدا في بغداد ام الدنيا وتتنذر وفي قصور الخلافة افتن الحسان وابدع الغلمان وقد اجمعت الشهود غيرهما في الشرق والغرب على نسبة الجمال لاهل دمشق وما برحت هذه الصفة ذائعة عنهم مُسلّماً بها لهم حتى آخر القرن الاخير كما سننقله من الاقوال ولذلك كان يرغب في التزوج بالدمشقيات كل من كان يؤثر الصباحة والدماثة والكياسة من الغرباء ومن الشهود الذين بلغوا الغاية في الاطراء ابن خروف الاندلسي القائل :

تمتّعْ من دمشق ومن هواها فان هواءها للنفس قوت
اذا هي لم تَفُتْكَ ولم تَفُتْها فلا تعقل جنّات تموت

---

١) رحلته مطبعة التيل ١ : ٢١

٢) الدر الملتقط خزانة بريتيش موزيوم Add. 14908 f° 126-127

٣) معجم البلدان ٢ : ٦٧٤

لها من كل فاكهة صروب تنسمها على الناس البخوت
ووشيٌ من طراز الحسن يُطوى ويُنشر والقلوب له تخوت
ورضوان وولدان وحور جميع محاسن الاخلاق أُوتوا
ومن صور الجمال لهم صفات ومن بدع الكمال لهم نعوت

واكثر ما تجيء اوصاف الجمال الغالب على ابناء دمشق في اشعار الشعراء الذين قطنوا الفيحاء او قضوا في ربوعها ورياضها وحدائقها ومتنزهاتها اوقاتاً خالطوا فيها سكانها وجالسوهم على ضفاف الانهار تحت ظلال الاشجار وشهدوا مواسمهم واعيادهم وايام سبوتهم وعاينوا حلقاتهم ومواكبهم في الاسواق وأُعجبوا بحليّهم وحُللهم الزاهية من المنسوجات البلدية الموشّاة كالشيخ رشيد الدين النابلسي القائل :

حيّ الحيا بمُلثّات السّحائب رياض جلّق ذات الحسن والطيب
هي التي خُلق الحسن الغريب لها وصاغها الله في احلى الاساليب
وسَلْ فؤادك عن حورٍ بباطنها حور العيون فريدات رعابيب
ومن بدائع ولدان تخالهم مثل التماثيل تبدو في المحاريب
ليست دمشق ولا رستاقها بلدًا دمشق أُخت جنان الخلد في الطيب

وبعد ان جعلها اخت الجنة زعم انها

ارض بها وبولدها يغنى الفتى عن جنة الفردوس والولدان

وأربى عليه نشو الدولة بن تقادة في المبالغة والإغراق فقال :

لا تُمرّ عقلك يومًا احدًا ليست الجنة الا جلّقا

ومن نعتها ايضاً بالجنة لاجتماع كل ما تشتهيه النفوس فيها الامير سيف الدين علي المُشِدّ في ابياته الآتية :

تأمل دمشق اذا جئتها بعين الرضى لا بعين الغضب
ترى جنّة زُخرفت للورى تروق العيون وتشفي الكرب
بها كل ما تشتهيه النفو س ويسبي العقول ويغني الارب
وحور اللحاظ بها حورها وولدانها المُرد مثل اللُعب

واكثر بعضهم من ذكر الشموس والبدور والكواكب في آفاقها ومحلاتها فقال ابو سهل عبد بن مُدرك التنوخي :

كأن دمشق افلاك تدور تلوح بها الشموس او البدور

واي محلة قابلت فيها رأيت كواكباً فيها تسير

ومثله لشهاب الدين فتيان الشاغوري من قصيدة :

فكم جا من شادن تحسده لحسنه البدور في اتساقها
ومن بدور في الخدور لم تزل كواملاً لم تدنُ من محاقها

ولابن ابي أصيبعة من قصيدة :

دمشق هي النصوى لمن كان قصده يرى كل حسن في البلاد وينتقي
جا الحور والولدان تبدو طوالعاً شموساً واقماراً يا حسن رونق

ولعلاء الدين بن رزيك بن ابيات :

بلدة ما لحسنها قط في الد نيا نظير واين منها النظير
وبآفاقها تنير شموس من وجوه سوافر وبدور

وعلى ذكر الشموس والبدور لا يزال كثيرون يتذكرون البيتين المشهورين المنقوشين في باطن قبة باب البريد قبل ان تهدمها يد الحرق والغباوة وهما :

عرّج ركابك حيث دمشق فانها بلد تذلّ له الاسود وتخضع
ما بين جابيها وباب بريدها شمس تغيب والف بدر يطلع

واكثر ما كانت تطلع هذه البدور والشموس من ابواب دمشق متخطرة في الاسواق ذاهبة جائية كباب البريد وباب جيرون وهما متقابلان قال عرقلة الدمشقي :

قف بجيرون او بباب البريد وتأمل اعطاف بان الخدود
تلقَ سمراً كالسمر في اللون واللين وشبه الشعور في التجعيد
ومن البيض كالمهنّدة البيض وشبه الخدود في التوريد
وعيوناً كأنهن سهام في قسيّ من الحواجب سود

وللامير بهاء الدين علي بن محمد بن رستم المعروف بابن الساعاتي من جملة ابيات :

وبروحي باب البريد لقد أرْ سَلَ حسناً الى القلوب بريدا
ان قلبي المذري اضحى ألوفاً ذا عذار به تفوزاً شريدا
وجهه البدر في المكانة والحسن كلا النيّرين اضحى بعيدا

ولمحاسن الشوّا الحلبي :

قف باعلى جيرون بين الرواقين فقد سار للظباء عمرا

نلق سرًا سلّوا النواظر يضًا بين بيض هزّوا المماطف سمرا
فهلال بدنو فيبث نورًا وغزال يرنو فينفث سحرا
وكثيب يميس منه قضيب مُطلع في حنادس الفرع بدرا

وله ايضاً في هذه القصيدة يذكر باب الفراديس وباب الشاغور وباب البريد :

ونوقف فانظر باب الفراديس ظباء من أُسد خفّان اخرى
كان عهدي بها نُصان فا با لي اراها تسطو على الصيد قهرا
ثم اياك والمرور على الشا غور واحذر ان ترسل اللحظ شزرا
فبه الظبية التي انبتني نظرًا كان بالفؤاد مُصرّا
فباب البريد بامحني الدهر بقرب فلا عدمت الدهرا
منتني مهاه بالوصل حلوًا حسد ما حرّمتني الهجر مرّا

ولتاج الدين الصرخدي يتغزل ببدور جيرون :

سَلِم سلمتَ على سكان جيرون يا راح من مستهام القلب محزون
حيث البدور على مُلد الغصون بدت تختال في غَيد الاعطاف واللين

ونظيره للشيخ نجيب الدين يعقوب بن عبدالله الكندي من قصيدة :

اذ أجتني ثمرات الوصل يانعة او اجتلي اوجه اللذات جذلانا
طلق الدنان الى اللذات مبتكرًا مواصلًا بفنا جيرون جيرانا
من كل اغيد احوى الطرف مكتحلا بالسحر يضحي لعقل المرء فتّانا
وكل خود كخوط البان ان خطرت تضحي العيون لها جندًا واعوانا
هيفاء لفّاء مسول مقبلها حوت به لؤلؤًا رطبًا ومرجانا
كالبدر ان سفرت عن وجهها سلبت عقل المحب فيضحي الصب ولهانا

ولمحيي الدين يوسف المعروف بابن زيلاق الموصلي يصف غزلان الميدان الاخضر :

وترى من الغزلان في ميدانها فِرَقًا لدود النيل منها تفرق
من كل وسنان الجفون مجبّهٌ سهران من كمد عليه مُؤرّق
راغنّ ذو هيف يهز له الصبا غصنًا بأصناف الملاحة مورق

ومثله لشمس الدين بن سباع الصائغ يذكر محاسن الصور في الميدان ووادي الشقراء والشرفين الاعلى والقبلي والقصر الابلق :

والقصر والشرفان والشقراء والميدان عشقي للذي لا يعشق

فلكم حوت تلك المنازل صورة فيها الجمال مجمّع ومفرّق
مخضّب ومؤزّر ومعمّم ومزنر ومبرقع ومنطق
كم من غزال بالنفوس متوج وقضيب بان بالعيون ممنطق

ولشهاب الدين التلعفري في مرا وغزلان قاسيون جبل الصالحية :

ولا تعدّى الربى من قاسيون حياً بعيد فوق الصياصي منه غدرانا
جوّ اذا ما جرت خيل اللحاظ به الفيت فيه لطرف الطرف ميدانا
ومسرح اي عين باشرته رأت في ساحتيه مهاً عيناً وغزلانا
من كل اهيف مثل الرمح معتدل سنانه ناظر ما زال وسنانا
وكل مُرتّة منها وماتنة عزّت فلا شيء الا عندها دانا
كالسهريّ اذا هزّت مآطفها قدّاً وكالصارم المصقول احفانا
تفتر عن اشنب عذب مُقبّله يريك منظومه درّاً ومرجانا

ولمهذّب الدين ابي نصر محمد بن برهان الحلبي يخاطب دمشق ويتشوق الى حسان ربوتها :

كم لي بربوتك المعين زلالها وربالك من يوم اغرّ محجّل
مع كل كحلاء الجفون غريرة واغنّ مصقول العوارض اكحل
ما بلبل الصدغين من تيه الصبا الا اثنيتُ مُبلبلاً بمُبلبل
ارخى الظلام على الصباح صباحة وثنى القضيب على الكثيب الاهيل
فبوجهه المشوق احسن روضة وبثغره المسول احسن منهل
فكأنه الغصن النضير لمجتنٍ وكأنه البدر المنير لمجتلي

وللشيخ امين الدين علي السليماني في بدور الجواسق والقصور :

انظر دمشق مسارح الغزلان ومغارس القضبان في الكثبان
وجواسق مثل القصور بجوّها ما شئت من حور ومن ولدان
من كل مُخطّفة القوام اذا انثنت حسدت معاطفها غصون البان
بكر تلوح كدرّة صدفيّة قد قلّدت من اتم بجمان
عجباً للؤلؤ ثغرها ومناره ابداً تباع باوفر الاثمان
ومنطق يسبي العقول اذا بدا فكأنه قد فرّ من رضوان
شخصت له الابصار اعجاباً به فكأنما خُلقت بلا اجفان

ونظيره لمحاسن الشوّا وهم يسمّون احياناً بعض الجواسق الصغيرة المطلة على الانهار « غُرَفاً »

بين ثورا وبزيد غُرف ودّ طرفي لو وقاها بالجفون

بُنيت بين قطوف قد دنت فوق اغصان جوارٍ وعيون
ونبدّى في ذراها غلسة حلفوا من بشر الدر الثمين
كل سهل الخلق ممشوق الحشا بابليّ الطرف وضّاح الجبين
اشبه البدر سناء وسنىً وحكى الذابل في لون ولين

وقد لا تخلو مثل هذه الاوصاف الشعرية من الاطناب والغلوّ وهما من لوازم النظم العربي ولكن لدينا من شهادات السفّارة الاروبيين وهم غرباء لا ضلع لهم ولا هوى ما يصحح نسبة الجمال في الاعم الاغلب لمواليد دمشق وقد اقتبسنا من رحلاتهم نبذاً رأينا فيها الكفاية والغناء وبعض الطرفة والنكتة وهي متأخرة عن عهد الشعراء المشار اليهم آنفاً وتصلح من ثم ان يُحتج بها لاثبات اتصال مزية الصباحة ودوام الحسن والملاحة في مدينة الفراديس حتى بعد ان انتزع منها تيمورلنك سنة ١٤٠٠ اجمل نسائها وفتيانها واحذق صنّاعها[1] وقد سردنا اقوال الزوّار الغربيين بحسب تواريخها منذ القرن السابع عشر :

— سنة ١٦٣٠ — ١٦٣٢ :

« الرجال بدمشق هم اقرب الى الطول والنساء غاية في الجمال »[2]

— سنة ١٦٦٠ :

« اهل دمشق في الاجمال حسان بيض الالوان مع ملاحة في التكوين ويغلب عليهم الذكاء ودقة الفهم والحذق والخداع ولكنهم على غاية من الادب مع من يحسن معاشرتهم »[3]

— سنة ١٦٧٠ :

« يعتقد المسلمون واليهود ان جنة الارض هي دمشق لبهجتها وخصب ارضها ورونق كل ما ينبت فيها ويرون ان كل ما يجيء فيها هو اكمل وافضل مما في غيرها من سائر البلاد حتى سكانها انفسهم لان الرجال منهم اعدل قامة واتمّ خلقاً من سواهم عادة وفي النساء جمال رائع والخيل فيها خالية من كل عيب »[4]

— سنة ١٧٣٧ :

« لاهل دمشق طبيعة في الذكاء ولهم في مقتبل العمر حسن عجيب ولكنه لا يلبث ان

---

١) عقد الجمان لبدر الدين محمود العيني . باريس ١٥٦٦ ص ٤٢
2) Fermanel : *Voyage d'Italie et du Levant*. Rouen 1664 p. 313
3) *Mémoires du Chevalier d'Arvieux*. Paris 1735 t II, p. 463
4) Stochove : *Voyage d'Italie et du Levant*. Rouen 1670, p. 312-321

بزول متى بلغوا الكهولة لسوء تأثير الحرّ فيهم وتعاطيهم بعض المنكرات وكثرة استحمامهم وقبح لحاهم »(١

— سنة ١٧٨٧ :

« يُبالَغ في وصف صباحة نساء دمشق وطرابلس لبياض بشرتهنّ وحسن خلقهنّ ولكن لا سبيل الى تحقق هذه الشهرة لان النقاب الذي يستترن به عادة لا يمكّن احدًا من النظر اليهنّ »(٢

— سنة ١٧٩٧ :

« للنساء والاولاد بدمشق طلعة غرّاء لوضاءة اللون وحسن الملامح وتكاد تكون ملابس النساء كالتي تُشاهد في القسطنطينية »(٣

— سنة ١٨٠٣ — ١٨٠٧ :

« كثيرات من نساء دمشق يسترن رأسهنّ ووجههنّ بالنقاب كنساء المغرب ولكنهنّ يضمّنّ هذا القناع ويرفعنهُ متى شئن ولذلك تيسّر لي ان اتحقق عيانًا ان نساء دمشق بالاجمال جميلات وان بينهنّ ذوات حسن فائق والغالب عليهنّ بياض البشرة ونعومتها وزهاء اللون واليوم مزاجهنّ الدموي هو خير مما كان قبلًا فلا يُشاهد بينهنّ صُفر الابدان كما في اندلس وجزيرة العرب ولا شديدات السمرة المُشربة بالسواد كذكور افريقية وليس في اولادهنّ من هو قذر اعمش العين كاولاد الاسكندرية وسائر بلاد الاسلام ولا يُرى بين الرجال من هو قضيف ناحل او اصحم اقتم كالمغاربة والعرب بل من النساء والاولاد من يشبه حور الجنة وولدانها والرجال شديدو البنية وضيئو الطلعة متناسبو الاعضاء وبالاجمال اقوياء ناصعو البياض »(٤

وهذه الشهادة هي لرحّالة اسبانيولي دان بالاسلام وتسمّى باسم علي بك العباسي وقد ذكرنا بذيله اسمه قبل اسلامه وعنوان رحلته الى افريقية وآسية.

— سنة ١٨٠٩ :

« جمال نساء دمشق وفتياتها الارمنيات لا تقع العين على مثله بل يفوق كل تصوّر فهو الجمال المُستّر الذي يعجز القلم عن تمثيله والنساء في هذه المدينة يحفظن طويلًا نضارتهنّ

1) *Voyage de Richard Pocoke*. Paris, 1772, t. III,. p. 369

2) Volney : *Voyage en Syrie et en Egypte*. Paris, 1787 t. I, p. 329

3) W. G. Browne. *Nouveau voyage dans la haute et basse Egypte, la Syrie, le Darfour*, traduit par J. Castéra. Paris, 1800, p. 234

4) Badia y Leyblich Domingo : *Les voyages d'Ali Bey el-Abbassi en Afrique et en Asie*. Paris, 1814 t. III p. 2-43

وربّ أم تُرى نظيرة لابنتها في الحسن مع انها لم تتجاوز خمس عشرة سنة وهنّ يتزوجن بين الثانية عشرة والثالثة عشرة من العمر.»(١

وسيرد مثل هذا الوصف في كلام لامرتين الآتي ويكاد يكون بلفظه وقد استمده لا شك من شهادة روسو المتقدمة لانه متأخر عنه وقلّده في حكمه وفي غلطه ايضاً لانه توهم ان ما شاهده مرة في البيت الواحد كان عاماً في سائر البيوت. واذا كانت بعض الأسر الارمنية المعدودة بدمشق قد لا تخلو من بنات بارعات في الجمال فلم يكنّ في كل حال الا قلائل جدًا بالنسبة الى فتيات الروم الملكيين ومما يدل على غلطه انه زعمَ ان الارمن يبلغون ثلاثين الفاً وهو عدد محال يوشك ان يتجاوز مجموع كل النصارى في المدينة من كل النِحَل والمِلَل ولعل الغرباء وقتئذٍ لم يكونوا يزيدون على الف نفس بين ارمن وسريان وقد زار لامرتين اكثر البيوت المسيحية صحبة بودان خليفة القنصل الفرنسي وقتئذٍ وسمعنا قديماً ممن ادرك بودان وعرفه انه لم يتعدَّ في الاعم الاغلب دور اماثل الروم الملكيين كما تقرّر ذلك في حضرة المسيو سافوا قنصل فرنسة وان صفة الارمنيات في كلام لامرتين مغلوطة يجب ان تصحَّح بلفظة «الروميات» طبقاً للحقيقة. وهذا نصّ شهادة لامرتين وهي تكاد تكون شعرًا لا يخلو من الاطناب في الوصف والاطراء.

— سنة ١٨٣٣ :

«مهما كنت اتصور مبلغ جمال السوريات ومهما تذكرت صباحة نساء رومة واثينة فان منظر النساء والفتيات الارمنيات (يريد الروميات) بدمشق يفوق كل توهم وتذكر وقد شاهدنا في كل مكان تقريباً وجوهاً لم يتخيَّل قط المصوّر الاروبي شبيهاً لها وعيوناً يتجلّى فيها نور النفس في لون لازوردي تنبعث منه اشعة كأنها المماثل الفضّة لم ارَ في حياتي اشد توقدًا منها في عيني امرأة قط وتزينها ملامح غاية في الرقة والصفاء تعجز احذق الايدي والطفها عن محاكاتها وتشفّ عنها بشرة ناعمة جية تتضاءل عندها ازهى الوان الورد وتقصر عن ادراك نضارتها ورونقها وترين كل ثنايا عذاب يحلوّ فيها التبسم والنطق ويتردد من خلالها صوت رقيق شجٍ يرنّ صداه رنين الفضة بحيث تكامل الحسن فيها وتعادلت النسب والمزايا فاذا تحدّثنَ نطقن بكل وقار واطف بغير ارتياك كأنهنّ أُلِفنَ إعجاب الابصار

(١ Edme Rousseau : *Voyage en Syrie et Palestine.* Limoges 1864 p. 30

حسن ولذلك قلما يفارقهن الجمال في مثل هذه البيئة التي تصون المحاسن وفي مثل حياض البيئة حيث تسود الراحة والسلامة بمعزل عن الاهواء والشهوات التي تفسد النفوس والاجساد وكنت في كل منزل زرته أكاد ارى الأم جميلة في مثل جمال بناتها لان الفتيات يتزوجن بين الثانية عشرة والثالثة عشرة من العمر ويلوح للناظر كأنهن بلغن الخامسة عشرة او السادسة عشرة.

ولهن زيّ عجيب جامع بين اللباقة والرصانة مما لا يُشاهد مثله في سائر الشرق فيبقى الرأس حاسرًا تكلله الضفائر الطوال دائرة به مزدانة بالازهار ثم تتدلى من جهتي العنق ساقطة فوق العاتق المكشوف وقد رُصع الشعر بقطع من النقود الذهبية واسلاك من اللؤلؤ تملو قلنسوة طاسة من الذهب المنقوش وبلوح الصدر من تحت معطف قصير من الوشي المثقل بالفضة او الذهب في كمين طويلين منفرجين فوق سراويل واسع ابيض مثنى يكسو الساق حتى القدم وفي الرجل العارية حب من الجلد الاصفر وفوق كل ذلك ثوب من الحرير الفاخر يشي الجسم من الاكتاف مفتوحًا فوق الثديين ومقدّم السراويل معقودًا في الخصر بزنار يتساقط طرفاه الى الارض بحيث كنت لا استطيع ان اصرف نظري لحظة عن مثل هؤلاء النساء الفاتنات ويلذ لي إطالة الزيارة لهن والتحدث اليهن وقد اجتمع فيهن الحسن واللطف وكان الحديث يدور في الغالب على مصطلحات اروبة وازيائها وعادات النساء الغربيات ولم يبدُ لي قط انهن كنّ يغبطن نساءنا او يحسدنهن على شيء ومن جالس مثل هؤلاء الحسان وأعجب بظرفهن ومنطقهن وادبهن الغريزي وما اتصفن به من المجاملة وسلامة القلب والنفس التي تُحفظ دائمًا في البيئة الاهلية يتبين له انهن غنيات عن كل حسد لنسائنا المدنيات اللواتي يعرفن كل شيء خلا ما يقيم سعادة أسرهن ويتلفن في سنوات قلائل نفوسهن وجمالهن واعمارهن بين ضجيج محافلنا واضطراباتها (١).

— سنة ١٨٣٣ :

« نساء دمشق قصار ولكنهن فاتنات الحسن ولهن شعور فاحمة لامعة والوان مشرقة وعيون فتّانة تبهر الناظر فلا يستطيع اتّقاء سحرها دون ان يصيبه منها سهم لا يخطئ ومع انها سود في الغالب فهي تكون كثيرًا زرقاء شبه اللون ولكنها ليست كما في نواحينا الشمالية حيث تدل العيون السود والشعور الفاحمة في النساء السُمر على مزاج سقيم فاتر بل هي هنا مضطرمة بحر الشمس فتكاد تلتهب منطقًا وشوقًا . . .

ورأينا في احد البيوت ثمانيًا من هؤلاء الحسان اجتمعن في انتظارنا وكان الراهب قد انبأهن قبلًا فلما ولجنا الدار وجدناهن يدفقن الماء لغسل البلاط ويترششن به فلما شاهدننا توقفن وانطلقن الى الحريم ضاحكات وذهب الاب مانويل فبقيت وحدي ذاهبًا جائيًا حول ثلاثة دواوين وعلى احدها فتاة حسناء تناهز السادسة عشرة من العمر وهي متكئة على مخادّ للفيلولة ملتحفة بشال كشمير وعلى صدرها الابيض كالثلج رضيع يتغذى بلباتها وهي مستغرقة في النوم هنيئًا كالاطفال دون اقل هم بحيث كان من الظلم ايقاظها ورجوعها الى عالم الوجود . . .

(١ Voyage en Orient par A. de Lamartine t. II Paris 1875 p. 5-6

اصلاح اهم اغلاط الطبع

التي وقعت في مقالة الاستاذ زيات عن « سمات النصارى واليهود في الاسلام »

الصفحة	السطر	خطأ	صواب
١٦١	١٠	اوجها	اوجبها
١٦٣	١٨	المتلسون	المتلسون
١٦٤	٢٣	شيبته	شبيته
١٦٦	٦	والجابة	والجباية
١٦٦	١٩	اشرك	الشرك
١٦٦	٢٣	بصانة	بطانة
١٧٤	١٧	نسة	نسبة
١٧٨	٧	مُلَّم	مُلِّم
١٨٢	١	الخلافاء	الخلفاء
١٨٨	٨	هجرته	حجرته
١٩٧	٢٦	ديوانه	ديوانه ٢ : ٦٦
١٩٨	١	عن ابنه بن عبدالعزيز	عن ابيه ان عمر بن عبد العزيز
٢٠٠	١٤	الابريسم	الابريسم
٢٠٠	١٥	لابريسم	الابريسم
٢٠١	٢١	الترتر	الترتر
٢٠٤	٢٥	البرّاءة	البرّادة
٢٠٥	١	عليك مخصّر	عليك وهو مخصّر
٢٤١	٢٥	طبعة لندرة	خزانة بريتش موزيوم لندرة
٢٥٠	١٥	هذه منصوص	هذه نصوص

المشرق

مجلة كاثوليكية شرقية

تبحث في الادب والعلم والفن

تصدر اربعة اجزاء في السنة ، فتؤلف مجلداً ذا ٦٥٠ صفحة

مزداناً بالصور والخرائط والفهارس

بادارة آباء جامعة القديس يوسف

بدل الاشتراك عن السنة الواحدة :	
في لبنان	٨٠٠ غرش لبناني
في الخارج	١٠٠٠ غرش لبناني

من ابحاث المشرق المقبلة

سننشر في «المشرق» المقبل لسنة ١٩٥٠ كتاب العلامة الدويهي النفيس الموسوم بـ«تاريخ الازمنة» الذي حققه وعارض اهم مخطوطاته بعضها ببعض وعلّق عليه الاب فرديناند توتل اليسوعي . وهي مساهمة جليلة في خدمة تاريخ الشرق الاوسط استحق الشكر عليها لا سيما وقد جاءت موافقة لاحتفال جامعة القديس يوسف بيوبيلها بمناسبة العام الخامس والسبعين لتأسيسها .

المشرق

فهرس الجزءين الثالث والرابع من السنة الثالثة والاربعين

تموز — كانون الاول ١٩٤٩

صفحة

معجم المراكب والسفن في الاسلام — حبيب زيات ٣٢١

التربية عند ابن خلدون — جمال المحاسب ٣٦٥

اديار دمشق وبرّها (٣) — حبيب زيات ٣٩٩

دير الرصافة هو دير حنينا . ٣٩٩ — دير الماطرون ٤٢١

دير الرهبان الروم . . . ٤٠١ — دير متى ٤٢٤

دير زكّى . . . . ٤٠٢ — دير مران ٤٢٥

دير مركيس وباخوس . ٤٠٢ — دير مار موسى الحبشي . ٤٤٨

دير سمعان . . . . ٤٠٣ — دير حابيل او دير البخت . ٤٥٠

دير صليبا . . . . ٤١١ — دير النساء ٤٥١

دير السيدة بعيدنايا . . ٤١٧ — دير هند في الغوطة . . ٤٥٢

دير قانون . . . . ٤١٩ — دير مار يعقوب المقطع . . ٤٥٢

دير القسيس . . . . ٤٢٠ — دير يونس (يوحنا) . ٤٥٨

دير القس . . . . ٤٢٠ — دير مار يونان . . ٤٦٠

الاديار التي ضاعت اسماؤها ونسبت الى ما جاورها :

دير ابان . . . . . ٤٦١ — دير البالسي ، دير الجدل ، دير سابر ، دير العصافير ، دير قيس ٤٦٢

تاريخ الدول السرياني لابي الفرج الملطي — الاب اسحق ارملة ٤٦٣

من «الخزانة الشرقية» : ٥٠٣

رقص القضاة والوزراء والامراء ٥٠٣

الفقراء المخربون والشيخ علي الحريري الحوراني ٥١٣

لغة الحضارة ٥١٦

وثائق تاريخية عن حلب (تتمة) — الاب ف. توتل اليسوعي ٥٣٧

حول الف ليلة وليلة — فؤاد افرام البستاني ٦٠٤

الجمال بدمشق وشهوده في رحال الغربيين — حبيب زيات ٦٠٩

اعضاء المجمع العلمي العربي بدمشق لسنة ١٩٥٠ ٦٢١

فهارس السنة ١٩٤٩ ٦٢٥

فهارس المشرق

للسنة الثالثة والاربعين

١٩٤٩

فهرس اول

لمواد الاجزاء

الجزء ١ (كانون الثاني – اذار) : من الخزانة الشرقية ، بقلم حبيب زيات : النساء الفرنجيات في عهد الصليبيين (١ – ٦) = ليلة رقص وسماع اميرية (٧ – ١٣) = البطريرك يوسف الدويهي وتاريخ الازمنة ، بقلم الاب فرديناند توتل اليسوعي (١٤ – ٣٦) = لسان العرب : حول كتاب الاب مرمرجي ، بقلم منصور ابي صالح (٣٧ – ٤٢) = خطط دمشق ، بقلم صلاح الدين المنجّد (٤٣ – ٦٨) : باب جيرون ، (مصوّر) ، (٤٣) ، تربة العفيف بن ابي الفوارس (مصوّر) ، (٥٠) ؛ تربة معين الدين انر (٥٢) ؛ تربة ستيتة زوجة تنكز (٥٦) ؛ اوهام آثارية (مصوّر) ، (٥٨) = المعلم نقولا الترك ، (١٧٦٣ – ١٨٢٨) ، بقلم فؤاد افرام البستاني (٦٩ – ٧٩) = اديار دمشق وبرّها ، بقلم حبيب زيات (٨٠ – ٩٧) : دير بشر (٨٠) ، دير بطرس ودير بولس (٨١) ، دير مار تاودورس (٨٥) ، دير القديسة تقلا (٨٧) ، دير مارت تقلا (٨٧) ، دير مار جرجس (٨٩) ، دير الحكيم (٩٣) ، دير المتابلة او المقادسة (٩٣) ، دير حنيا (٩٦) = ردّ كامل التركة على احد الزوجين ، بقلم يوسف آصاف (٩٨ – ١١٧) = فن التمثيل في خلال قرن : ٢ ، بقلم يوسف اسعد داغر (١١٨ – ١٢٩) = وثائق تاريخية عن حلب (تابع) (مصوّر) (١٤٠ – ١٦٠).

الجزء ٢ (نيسان – حزيران) : سمات النصارى واليهود في الاسلام ، بقلم حبيب زيات (١٦١ – ٢٥٢) : الشروط العمرية (١٦١) ، الصليب شعار النصرانية (١٧٤) الزنار (٢٠٠) ، العمائم في الاسلام (٢١٦) ، النيار (٢٢٥) = الادب التركي في ضمنه

الحاضرة ، بقلم الاب لوجنيل اليسوعي (٢٥٣ – ٢٧٠) = فن التمثيل في خلال قرن : ٣ ، بقلم يوسف اسعد داغر (٧١ – ٢٩٦) = وثائق تاريخية عن حلب (تابع) ، بقلم الاب ف. توتل اليسوعي (٢٩٧ – ٣٢٠).

الجزءان ٣ و ٤ (تموز – كانون الاول) معجم المراكب والسفن ، بقلم حبيب زيات (٣٢١ – ٣٦٤) = القرية عند ابن خلدون ، بقلم جمال المحاسب (٣٦٥ – ٣٩٨) = اديار دمشق وبرها ، بقلم حبيب زيات (٣٩٩ – ٤٦٢) : دير الرصافة هو دير حنينا (٣٩٩) دير الرهبان الروم (٤٠١) دير زكّى (٤٠٢)، دير سركيس وباخوس (٤٠٢) ، دير سمعان (٤٠٣) ، دير صليبا (٤١١) ، دير السيدة بصدنايا (٤١٧) ، دير قانون (٤١٩) ، دير القسيس (٤٢٠) ، دير القس (٤٢٠) ، دير الناطرون (٤٢١) ، دير متى (٤٢٤) ، دير مران (٤٢٥) ، دير مار موسى الحبشي (٤٤٨) ، دير ميخائيل او دير البخت (٤٥٠) ، دير النساء (٤٥١) ، دير هند في الغوطة (٤٥٢) ، دير مار يعقوب المقطع (٤٥٣) ، دير يوتى (يوحنا) (٤٥٨) ، دير مار يونان (٤٦٠).

الاديار التي ضاعت اسماؤها ونسبت الى ما جاورها : دير ابان (٤٦١) ، دير البالي ، دير الجدل ، دير سابر ، دير العصافير ، دير قيس (٤٦٢) ، تاريخ الدول السرياني لابي الفرج الملطي ، بقلم الاب اسحق ارملة (٤٦٣ – ٥٠٢) – من الخرانة الشرقية ، بقلم حبيب زيات : رقص القضاة والوزراء والامراء (٥٠٣ – ٥١٣) ، الفقراء المخربون والشيخ علي الحوراني (٥١٣ – ٥١٥) ، لغة الحضارة (٥١٦ – ٥٣٦) = وثائق تاريخية عن حلب (تتمة) ، بقلم الاب ف. توتل اليسوعي (٥٣٧ – ٦٠٣) = حول الف ليلة وليلة ، بقلم فؤاد افرام البستاني (٦٠٤ – ٦٠٨) = الجبال بدمشق وشهوده في رحل الغربيين ، بقلم حبيب زيات (٦٠٩ – ٦٣٠) = اعضاء المجمع العلمي العربي بدمشق لسنة ١٩٥٠ (٦٣١ – ٦٣٣). اصلاح اغلاط (٦٣٣) فهارس السنة ١٩٤٩ (٦٣٥).

فهرس ثانٍ

كتبة المشرق ومقالاتهم

آصاف (يوسف) : رد كامل التركة على احد الزوجين ٩٨ — ١١٨

ادفيه (مرسيل) : الاطباء الكاثوليك في مؤتمرهم الدولي الرابع ٥٢٤ — ٥٢٦

ارملة (الاب اسحق) : تاريخ الدول السرياني تأليف ابي الفرج الملطي ٤٦٢ — ٥٠٢

البستاني (فؤاد افرام) : المعلم نقولا الترك ٦٩ — ٨٠ ؛ حول الف ليلة وليلة ٦٠٤ — ٦٠٨

توتل (الاب فرديناند اليسوعي) : البطريرك اسطفانوس الدويهي وتاريخ الازمنة ١٤ — ٢٧ ؛ وثائق تاريخية عن حلب ١٤٠ — ١٦٠ ؛ ٢٧١ — ٢٩٧ ؛ ٥٢٧ — ٦٠٣

داغر (يوسف اسعد) : فن التمثيل في خلال قرن ١١٨ — ١٤٠

زيات (حبيب) : النساء الفرنجيات في عهد الصليبيين ١ — ٧ ؛ ليلة رقص وسماع اميرية ٧ — ١٣ ؛ اديار دمشق وبرها في الاسلام ٨١ — ٩٦ ؛ ٢٩٩ — ٤٦٣ ؛ بنات النصارى واليهود في الاسلام ١٦١ — ٢٢٥ ؛ تمجم المراكب والسفن في الاسلام ٢٢١ — ٢٦٤ ؛ رقص القضاة والوزراء والامراء ولهوهم في مجالسهم وحفلاتهم ٥٠٢ — ٥١٣ ؛ الفقراء المغربون والشيخ علي الحريري الحوراني ٥١٣ — ٥١٥ : لغة الحضارة ٥١٦ — ٥٢٢ ؛ الجمال بدمشق وشهوده في رحل الغربيين ٦٠٩ — ٦٢٠

صالح (منصور ابي —) : لسان العرب : حول كتاب الاب مرمرجي ٣٧ — ٤٣

لوجنيل (الاب اليسوعي) : الادب التركي في نهضته الحاضرة ٢٥٣ — ٢٧١

المحاسب (جمال) : التربية عند ابن خلدون ٢٦٥ — ٢٩٨

المنجّد (صلاح الدين) : خطط دمشق ٤٢ — ٦٩

فهرس ثالث

لجميع مواد السنة الثالثة والاربعين من المشرق

ا

ابن خلدون : التربية عنده ٢٦٥ – ٢٩١ ؛
اخويات حلب ٥٥٦
ادبار دمشق ٨١ وما بعدها ؛ ٢٩٩ وما بعدها
الاساقفة الكاثوليك في مؤتمرهم الدولي الزراعي
٥٢٤ – ٥٢٦
الف ليلة وليلة وكتاب بكيتا ابن بيف
٦٠٠ – ٦٠١
انكيفوس الارمني وخداعه ٥٣٧ – ٥٣٩
اليقظة القسيس ٢١٦ – ٢٢٠

ب

باب جيرون ٤٣ – ٤٩
براجيك : الارمن فيها ١٥٨
بليط نيقولاكي : وثائقه ١٥٩ – ١٦٠
بيت المال ٩٦ وما بعدها

ت

تاريخ الازمنة للدويهي ١٤–٣٦
تاريخ الدول السرياني لابي الفرج الملطي
٤٦٣ وما بعدها
التربية عند ابن خلدون ٢٦٥ وما بعدها
ترك (نقولا المعلم) ٦٩ وما بعدها
تركية : الادب التركي ٢٥٣ وما بعدها

ج

الجمال بدمشق وشهوده في
رحلة الغربيين ٦٠٩ وما بعدها

ح

حلب : وثائق تاريخية عنها ١٤ وما بعدها –
قومة البلد فيها ١٤٥ وما بعدها
قصبة المطران انكيفوس ٥٣٧ – ٥٣٩ ؛
الحجر الاساسي في كنيسة الشيباني
٥٣٩ ؛ الهواء الاصفر ٥٤٠ ؛ القاصد
لوديفيكوس ٥٤١ ؛ راهبات التلبير
القديس ٥٤٣ ؛ وفاة الخوري يوسف
كلداني ٥٤٣ ؛ غريغوريوس بليط عيدتاب
٥٤٥ ؛ وفاة المطران بولس حاتم ٥٤٧
البطريرك غارابيان عند السلطان ٥٤٩ ؛
وما بعدها ؛ الهواء الاصفر ٥٥٨ ؛ وفاة
البطريرك جرجس شلحت ٥٥٩ ؛ الاخوة
المريميون ٥٧٠ ؛ البطريرك كيرلس
جحا ٥٧٢ ؛ ديمتريوس الناضي ٥٧٢ ؛
اليتؤدوس الارمن الكاثوليكي ٥٨١ وما
بعدها ؛ مقتل الارمني في النبة ٥٩٤ وما بعدها ؛
جورج عبديني ٦٠١ ؛ فيضان الفرات ٦٠٣
حمار : الركوب على الحمير ٢٥٠
دمشق : الاوهام الاثارية فيها ٥٨ – ٦٨ ؛
الجمال فيها وشهوده في رحلة الغربيين
٦٠٩ ؛ حوادث السنين فيها ٢٠٦ وما
بعدها ؛ خطط دمشق ٤٢ – ٥٨ ؛ الرقص
فيها ٧ وما بعدها ؛ فقراؤها ٧ وما بعدها
دير = انظر : اديار دمشق

ذ

الذميون وسيمهم : الزنار ٢٠١ ؛ العمائم ٢٢٤
الميزر ٢٢٥

ر

رفع القضاة والوزراء والامراء ولهوهم في
مجالسهم ٥٠٢ – ٥١١

ز

الزنّار في الذمة والشرع ٢ وما بعدها

س

ستيته زوجة نتكر : ترجمتها ٥٦ — ٥٩
سليم عادل عبد الحق وكتابه « ترهات اثرية » ٥٨—٦٨
سيثودوس الارمن الكاثوليك ٥٩١ وما بعدها
الصليب شعار النصرانية في الاسلام ١٢٤ وما بعدها ؛ في الشروط العمرية ١٢٦ وما بعدها ؛ صورته على السكة العربية ١٤٠
الصليبيون : النساء في عهدهم ١ — ٧

ط

الطيالسة المموّزة والمصبوغة ٢٠٤ وما بعدها

ع

العرب : عقيدتهم ٣٧ — ٤٢ ؛ ملوكهم ٤١٥ وما بعدها ؛ ديانتهم ٤٦٦
علي الحريري الحوراني شيخ الفقراء ٥١٣ — ٥١٥
العمائم في الاسلام ٢١٦ وما بعدها
عمر : الشروط العمرية في اهل الذمة ١٦١ وما بعدها
عيواظ باسيليوس وفاته ١٦٠

غ

غريغوريوس يوسف البطريرك ٥٤٨
الغيار في اللغة والشرع ٢٢٥ وما بعدها

ف

الفرج (ابو الفرج الملطي) : تاريخ الدول السريانية ٤٦٣ — ٥٠٢
فقراء دمشق المخربون والشيخ علي الحريري الحوراني ٥٠٢ — ٥١٥
فراوس : تربة العفيف بن ابي الفوارس ٥٠ — ٥٥
فؤاد باشا في دمشق ١٨٦٠ ٢٠٦ وما بعدها
القلانس في الاسلام ٢٢٢ وما بعدها

ك

كسب : الارمن فيها ١٠٩
الكلفتات والقلانس المشهرة في الاسلام ٢٢٢ وما بعدها

ل

لسان العرب ٢٧ — ٣٠
لغة الحضارة ٥١٦ وما بعدها
مرّان : دير مرّان في قاسيون ٤٣٥ وما بعدها

م

مراكب : معجم المراكب والسفن ٢٢٠ وما بعدها
مرعي (الاب) : نقد كتابه « هل لغة العربية عصبية » ٣٧ — ٤٠
المسرحيات : مهرجان الحدى سنة ١٩٠٠ وما بعدها ؛ ٧١ وما بعدها
معجم المراكب والسفن في الاسلام ٢٢٠ وما بعدها
معين الدين أنر ٥٢ — ٥٥
ملاحة : معجمها ٢٢١ وما بعدها
مؤتمر الاطباء الكاثوليك الدولي الرابع ٥٢٤ وما بعدها

ن

النساء وعمائمهن في الاسلام ٢٢١ وما بعدها
النساء الافرنجيات في عهد الصليبيين ١ — ٧
النصارى : مباحثهم في الاسلام ١٦١ وما بعدها

و

واقعة الشام ١٨٦٠ ٢٠٧ وما بعدها

ي

يعقوب المقطع (دير) ٤٥٢ وما بعدها
اليهود : مباحثهم في الاسلام ١٦١ وما بعدها
يوئي (يوحنا) : دير — ٤٥١ وما بعدها

JUILLET-DÉCEMBRE

Repertoire des noms de vaisseaux et embarcations en Islam, (p. 321), *Mr Habib Zayat.*

La théorie de l'éducation chez Ibn Haldûn, (p. 365), *Mr Gamil al-Muhisib.*

Les couvents de Damas et des environs, (suite), (p. 399), *Mr Habib Zayat.*

Le « Chronicon Syriacum » de Barhaebreus, (traduction en arabe), (p. 463), *P. Isbac Armalé.*

Al-Hizmat as-Sarqyyah : La danse des Cadis, des Vizirs, et des Emirs, (p. 503) ; Les Fakirs libertins et la secte de Aly al-Ḥûrâni, (p. 512), . Les néologismes arabes au début de l'Islam, (p. 516), *Mr. Habib Zayat.*

Le quatrième Congrès des Medecins catholiques, (p. 524), *Dr. Marcel Advier.*

Documents historiques sur Alep, (fin), (p. 537), *P. Ferdinand Taoutel, S. J.*

A propos de l'ouvrage de Mr. Nitika Elisséeff : Thèmes et motifs des Mille et une Nuits, (p. 604), *Mr. F.-E. Boustany.*

La beauté du type Damasquin, (p. 609), *Mr. Habib Zayat.*

Liste des Membres de l'Académie de Damas pour 1950, (p. 621).

Corrigenda, (signes distinctifs des chrétiens...), (p. 623).

Tables du Machriq pour 1949, (p. 625).

TABLE DES SOMMAIRES

XLIIIe ANNÉE, 1949

JANVIER-MARS

Al-Ḥizânat aš-Šarqyyah : Femmes franques à l'époque des Croisés, (p. 1) — soirée de danse mystique au XIVe siècle, (p. 7). *M. H. Zayat.*

Le Patriarche Etienne Douaihy et son « Histoire », (p. 14). *P. Ferdinand Taoutel, S. J.*

A propos d'un livre du P. Marmardji, (p. 27). *Mr M. Abi-Saleh.*

Monuments historiques de Damas, (p.43). *Mr S. al-Munajjed.*

La porte de Gairûn (p. 43)
Tombes (*illustré*) (p. 50)
Erreurs archéologiques (*illustré*) (p. 58).

Nicolas at-Turk, 1763-1828, (p. 69). *Mr F.-E. Boustany.*

Les couvents de Damas et de ses environs (*suite*), (p. 89). *Mr Habib Zayat.*

A propos d'héritage entre époux, (p. 98). *Dr. J. Asaf.*

Le théâtre à travers un siècle : II, (p. 118). *Mr J. A. Dagher.*

Documents historiques sur Alep, (*suite*), (*illustré*), (p. 140). *P. Ferdinand Taoutel, S. J.*

AVRIL-JUIN

Signes distinctifs des Chrétiens et des Juifs en Islam, (p.161). *Mr Habib Zayat.*

La littérature turque dans sa renaissance actuelle, (p. 253). *P. A. Le Génissel, S.J.*

Le théâtre à travers un siècle : III, (p. 271). *Mr J. A. Dagher.*

Documents historiques sur Alep, (*suite*), (p. 297). *P. Ferdinand Taoutel, S.J.*

AL-MACHRIQ

REVUE CATHOLIQUE ORIENTALE MENSUELLE

SCIENCES. LETTRES. ARTS

Sous la direction

des Pères de la Compagnie de Jésus

UNIVERSITÉ SAINT-JOSEPH

O

Quarante-troisième année

1949

BEYROUTH

IMPRIMERIE CATHOLIQUE

1949